تفسير القرآن العظيم

للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء
إسماعيل بن كثير الدمشقي
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

هذه الطبعة أول طبعة مقابلة على النسخة الأزهرية
وكذلك على نسخة كاملة بدار الكتب المصرية

تحقيق

مصطفى السيد محمد
محمد السيد رشاد
محمد فضل العجماوي
علي أحمد عبد الباقي
حسن عباس قطب

مؤسسة قرطبة
طباعة . نشر . توزيع
جيزة - ت : ٥٨١٥٠٢٧

مكتبة أولاد الشيخ للتراث
٣٦ ش اليابان - عمرانية غربية - جيزة
ت : ٥٦٢٨٣١٨ - ٥٦١١٤٤٢

تفسير القرآن العظيم

للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء
إسماعيل بن كثير الدمشقي
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

هذه الطبعة أول طبعة مقابلة على النسخة الأزهرية
وكذلك على نسخة كاملة بدار الكتب المصرية

تحقيق

مصطفى السيد محمد
محمد السيد رشاد
محمد فضل العجماوي
علي أحمد عبد الباقي
حسن عباس قطب

المجلد الأول

مؤسسة قرطبة
طباعة . نشر . توزيع
جيزة - ت : ٥٨١٥٠٢٧

مكتبة أولاد الشيخ للتراث
٣٦ ش اليابان - عمرانية غربية - جيزة
ت : ٥٦٢٨٣١٨ - ٥٦١١٤٤٢

رقم الإيداع ٩٣٤٩ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولى I.S.B.N
6 - 33 - 5234 - 977

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر هاتف: ٤٣٠٧٥٢٦-٢٠٥٥٦٨٨ القاهرة

تفسير

القرآن العظيم

فهرس الجزء الأول

الموضوع	الصفحة
مقدمة الناشر	
مقدمة المؤلف	٣
فضائل القرآن	٢١
تفسير سورة الفاتحة	١٥١
ذكر ما ورد في فضل الفاتحة	١٥٦
تفسير الاستعاذة وأحكامها	١٦٨
الكلام على البسملة	١٧٧
فصل في فضلها	١٨٤
ذكر أقوال السلف في الحمد	٢٠٢
تفسير سورة البقرة	٢٣٥
ذكر ما ورد في فضلها	٢٣٥
ذكر ما ورد في فضلها مع آل عمران	٢٤١
ذك ما ورد في فضل السبع الطوال	٢٤٥
ذكر أقوال المفسرين من السلف بنحو ما ذكرناه	٢٩٧
صفة الكافرين	٢٧٦
صفة المنافقين	٢٨١
الأمر بعبادة الله والتذكير بنعمه	٣٠٦
تنبيه ينبغي الوقوف عليه	٣١٩
خلق السموات والأرض	٣٣٢
كلام الله عز وجل للملائكة	٣٣٦
تعليم الله الأسماء لآدم	٣٤٦
مسكن آدم وزوجته الجنة	٣٦٢
تذكير بني إسرائيل بنعم الله عليهم	٣٧٣
تعنت بني إسرائيل على سيدنا موسى	٤٠٣
استسقاء موسى لقومه	٤٢٣
ضرب الذلة والمسكنة على بني إسرائيل	٤٢٨
رفع الطور فوقهم	٤٣٤
اعتداء أصحاب السبت	٤٣٥

أمر بني إسرائيل بذبح البقرة ٤٤٢
ذكر بسط القصة ٤٤٣
الفهرس ٥٤٩

فهرس الجزء الثاني

نهي الله المؤمنين عن التشبه بالكافرين ٥
تفسير قوله : ﴿ما ننسخ من آية﴾ ٨
تفسير قوله تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله ﴾ ٢٤
تفسير قوله تعالى : ﴿ ولله المشرق والمغرب ﴾ ٢٨
تفسير قوله تعالى : ﴿ إنا أرسلناك بالحق بشيرًا ﴾ ٤١
تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذ ابتلى إبراهيم ربه ﴾ ٤٨
تفسير قوله تعالى : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ ٥٧
قصة أم إسماعيل عليهما السلام ٧٨
بناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام البيت ٨٣
ذكر بناء قريش الكعبة بعد إبراهيم ٨٧
دعاء سيدنا إبراهيم لأهل الحرم ٩٦
وصية سيدنا إبراهيم لبنيه ٩٨
وصية سيدنا يعقوب لبنيه ١٠٠
الأمر بالإيمان بالله وكتبه ورسله ١٠٣
تفضيل الأمة المحمدية على سائر الأمم ١٠٦
الأمر باستقبال الكعبة في الصلاة ١١٦
الأمر بالمسابقة إلى الخيرات ١٢١
فضل الصابرين ١٢٨
السعي بين الصفا والمروة ١٣٢
وعيد من كتم العلم ١٣٦
الآيات الدالة على وحدانيته تعالى ١٣٨
الأمر بالأكل من الحلال ١٤٤
الأمر بشكر الإله ١٤٧
تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله ١٤٧
صفات المؤمنين الأبرار المتقين ١٥٤
الأمر بالقصاص ١٦١
الأمر بالوصية ١٦٦
فرض الصيام ١٧٣
فضل شهر رمضان ١٧٩

يحرم أكل أموال الناس بالباطل ٢١٠
الكلام على الأهلة ٢١١
الجهاد في سبيل الله ٢١٣
الأمر بالإنفاق في سبيل الله ٢٢٠
الأمر بالحج والعمرة ٢٢٣
أشهر الحج ٢٣٨
الأمر بالإفاضة ٢٥٩
الأمر بذكر الله بعد قضاء المناسك ٢٦١
الأمر بذكر الله في الأيام المعدودات والمعلومات ٢٦٥
الأمر بتقوى الله عَزَّ وجل ٢٦٨
الأمر بالدخول في الإسلام ٢٧٣
فضل المؤمنين ٢٧٦
الإنفاق على الوالدين والأقربين ٢٨٢
الأمر بقتال الكفار ٢٨٣
تحريم القتال في الأشهر الحرم ٢٨٤
تفسير قوله تعالى : ﴿ يسألونك عن الخمر ﴾ ٢٩٠
الأمر بإصلاح شأن اليتامى ٢٩٠
تحريم نكاح المشركات وإنكاح المشركين ٢٩٦
الأمر باعتزال النساء في أيام الحيض ٢٩٩
الكلام على قوله تعالى : ﴿ نساؤكم حرث لكم ﴾ ٣٠٠
الكلام على قوله تعالى : ﴿ فأتوهن من حيث أمركم الله ﴾ ٣٠٠
النهي عن الإكثار من الحلف بالله ٣٢٣
عِدة المطلقة ٣٣٠
عدد الطلاق الشرعي ٣٣٤
النهي عن تَعَدِّي حدود الله ٣٣٩
مدة الرضاعة ٣٧٣
عدة المُتَوَفَّى عنها زوجها ٣٧٧
الأمر بالمحافظة على الصلوات ٣٩١
نصر المؤمنين مع قلتهم ، على الكافرين مع كثرتهم ٤٢٤
تفضيل سيدنا محمد على سائر الرسل ٤٢٨

فضل آية الكرسي ٤٣٠
الكلام على الكرسي ٤٣٨
قصة إبراهيم عليه السلام مع النمرود ٤٥٠
قصة عزير عليه السلام ٤٥٢
إحياء الموتى لسيدنا إبراهيم ٤٥٥
فضل الإنفاق في سبيل الله ٤٥٧
الحث على الإنفاق ٤٦٦
النهي عن أكل الربا ٤٦٦
الأمر بكتابة الدَّيْن ٤٨٣
الأمر بأداء الأمانة وعدم كتمان الشهادة ٥٠٤
الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ٥١٢
الفهرست ٥٢١

انتهى بحمد الله تعالى وتوفيقه المجلد الثاني

ويليه إن شاء الله تعالى المجلد الثالث وأوله تفسير سورة آل عمران

فهرست الجزء الثالث

﴿ تفسير سورة آل عمران ﴾ ٥
الكلام على قوله تعالى : ﴿ هو الذي يصوركم ﴾ ٦
الكلام علي المحكم والمتشابه ٧
ما أعدَّه اللَّه للمتقين ٢٦
صفة المتقين ٣٢
تفسير قوله تعالى : ﴿ إن الدِّين عند اللَّه الإسلام ﴾ ٣٦
من ادعى محبة اللَّه فليتبع رسوله ﷺ ٤٦
ذكر من اصطفاهم اللَّه من عباده ٤٧
دعاء زكريا عليه السلام ٥٤
بشارة السيدة مريم بعيسى عليه السلام ٦٣
معجزات سيدنا عيسى عليه السلام ٦٥
أنصار سيدنا عيسى عليه السلام ٦٧
رفع سيدنا عيسى عليه السلام ٦٩
مثل عيسى كمثل آدم عليه السلام ٧٢
أولى الناس بإبراهيم المؤمنون ٨٥
أخذ العهد على الأنبياء للنبي محمد ﷺ ١٠٠
لا يقبل اللَّه دينًا غير الإسلام ١٠٢
الأمر بالإنفاق من أحب شيء إلى المنفق ١٠٨
الكعبة هي أول بيتٍ وُضَعَ للنَّاس ١١٤
الأمر بالتمسك بالكتاب والسُنَّة ١٣١
الحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١٣٨
نصر اللَّه للمؤمنين في غزوة بدر ١٧٠
امتنان اللَّه المؤمنين بإرسال الرسول ٢٣٢
حياة الشهداء ٢٥٥
التَّنفير من البُخْل والوعيد عليه ٢٧٦
معاهدة اللَّه لأهل العلم ببيانه وعدم كتمانه عن خلق اللَّه ٢٩٠
الآيات الدالة على عظمة اللَّه سبحانه وتعالى ٢٩٤
﴿ سورة النساء ﴾ ٣٣١
جواز نكاح الرجل أربع من النساء مع القدرة والعدل بينهن ٣٣٦

وعيد من أكل مال اليتيم ٣٥٩
تفسير آية الميراث ٣٦٧
الحث على التوبة ٣٨٨
بيان من يحرم على الرجل نكاحهن ٤١١
الفهرست ٤٨٣

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر هاتف: ٢٠٥٥٦٨٨-٤٢٠٧٥٢٦ القاهرة

فهرست المجلد الرابع

تفضيل الرجال على النساء ٢٠
الأمر بعبادة اللَّه وحده والإحسان إلى الوالدين ٣٢
الكلام على قوله تعالى ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ﴾ الآية ٥٠
مشروعية التيمم عند فقد الماء ٥٩
سبب مشروعية التيمم ٧٠
أمر أهل الكتاب بالإيمان بالقرآن ٩٥
جواز مغفرة جميع الذنوب ما عدا الإشراك باللَّه ٩٦
ذكر نعم اللَّه على آل إبراهيم ١١٩
أمر الحاكم بإقامة العدل بين الناس ١٢٠
الأمر بطاعة اللَّه والرسول وأولي الأمر ١٢٤
الأمر بالرجوع إلى كتاب اللَّه وسُنَّة الرسولِ عند التنازع ١٢٤
لا يكون الرجل مؤمنًا حتى يرضى بما حَكَمَ به رسول اللَّه ١٤٠
منزلة من يطع اللَّه والرسول ١٤٧
كيفية رَدِّ السلام ١٧٨
من أركان الإيمان : الإيمان بالبعث ١٧٨
وعيد من قتل مؤمنًا متعمدًا ١٩٢
مشروعية قصر الصلاة في السفر ٢٣٦
مشروعية صلاة الخوف ٢٤٧
الأمر بذكر اللَّه عقب الصلاة ٢٥٧
الحثّ على التوبة ٢٦٦
فضل الإسلام مع العمل الصالح ٢٨٠
لا يقبل اللَّه عملًا إلّا إذا خلا من الرياء والبدعة ٢٨٢
الأمر بتأدية الشهادة بالحق ولو على النفس ٣٠٧
من لم يزل المنكر فليزل عنه ٣١١
بعض صفات المنافقين ٣١٤
كفر من فَرَّقَ بين اللَّه ورسله في الإيمان ٣٣٠
ما قُتِلَ المسيح وما صُلِبَ بل رُفِعَ إلى السماء حيًّا ٣٣٤

ذكر الأحاديث الوارة في نزول عيسى ٣٤٦
صفة عيسى عليه السلام ٣٦٤
تفسير آية الكلالة ٣٩٣
الفهرست ٤٠٣

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر هاتف: ٤٣٠٧٥٢٦-٢٠٥٥٦٨٨ القاهرة

الفهرست

﴿ تفسير سورة المائدة ﴾

صيغة كتاب النبي ﷺ لعمرو بن حزم حين بعثه النبي إلى نجران ٨
الإجماع على قتل المشرك إن لم يكن له أمان ولو لجأ إلى البيت الحرام
أو بيت المقدس ١٦
فضل الصبر على الأذى ٢٠
تفسير قوله تعالى : ﴿ حرمت عليكم الميتة ﴾ ٢١
المذاهب في حكم من أمسكه كلب الصيد ٣٠
الكلام على النطيحة ٣٧
الكلام على ما قتل على النصب والاستقسام بالأزلام ٤١
الكلام على قوله تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ ٤٦
الأمر بقتل الكلاب ٦١
ذكر الآثار فيما أمسك كلب الصيد ٦٧
الكلام على قوله تعالى : ﴿ وطعام الذين أتوا الكتاب حل لكم ﴾ ٧٧
تفسير آية الوضوء والتيمم ٨٥
ذكر الأحاديث الواردة في غسل الرجلين وأنه لابد منه ١١٠
قصة قابيل وهابيل ١٦١
تحريم قتل النفس ١٨٠
حد السارق ٢٠٨
وجوب الرجوع إلى كتاب الله عند الاختلاف ٢١٩
وجوب القصاص ٢٣٢
ذم من لم يحكم بما أنزل الله ٢٤٣
الحث على المسابقة إلى الخيرات ٢٤٤
صفات المؤمنين ٢٥٣
صفات المنافقين ٢٦٨
تقوى الله سبب لتوسعة الرزق ٢٧٨
عصمة الله تعالى لرسوله ﷺ من الناس ٢٨٤
الحث على التوبة والاستغفار ٢٩٥

ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الكبائر ٢٩٩
حكم كفارة اليمين ٣٢١
تحريم الخمر والميسر والأنصاب والأزلام ٣٣٠
ذكر الأحاديث الواردة في بيان تحريم الخمر ٣٣٣
تحريم قتل الصيد في الحرم ٣٥٤
ذكر أقوال السلف في هذا المقام ٣٦٢
إباحة صيد البحر وتحريم صيد البر للمحرم ٣٦٥
النهي عن كثرة السؤال لغير سبب ٣٧٩
الإشهاد على الوصية ٤٠٠
تفويض العلم إلى الله عز وجل ٤١٠
تذكير الله سيدنا عيسى بنعمه عليه ٤١٢
نزول المائدة ٤١٤
ذكر أخبار عن السلف في نزول المائدة ٤١٦
ما أعده الله للصادقين ٤٣٠

فهرس الجزء السادس

الموضوع	الصفحة
تفسير سورة الأنعام	٥
النافع الضار هو الله وحده	١٦
الحث على العمل للآخرة	٤١
لا يعلم الغيب إلا الله	٥٠
بيان أن لكل آدمي حفظة من الملائكة	٥٤
الأمر بإقامة الصلاة	٧٨
النفخ في الصور	٧٨
تفسير قوله تعالى : ﴿ **وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم** ﴾	٩٩
الأنبياء من ذرية إبراهيم عليه السلام	١٠٦
المحافظة على الصلاة من صفات المؤمنين	١١٠
الاهتداء بالنجوم	١١٥
الأمر بالتمسك بالقرآن	١٣١
إباحة الأكل مما ذكر اسم الله عليه	١٤٥
النهي عن الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه	١٤٦
ارتياح الصدر وانشراحه للإسلام دليل على الهداية	١٥٢
دار السلام لأهل الإسلام	١٧٤
الله غني عن العالمين	١٧٨
الأمر بإيتاء الزكاة والنهي عن الإسراف	١٨٦
الكلام على قوله تعالى : ﴿ **قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ...** ﴾	٢٠٥
مضاعفة الحسنات	٢٤١
الأمر بالإخلاص لله	٢٥٣
تفسير سورة الأعراف	٢٥٧
فلاح من ثقل ميزانه وخسران خف ميزانه	٢٦٠
أمر الملائكة بالسجود لآدم	٢٦٣
امتناع إبليس من السجود لآدم	٢٦٤
طرد إبليس من الجنة	٢٦٦
توعد إبليس لآدم عليه السلام	٢٦٧

وسوسة إبليس لآدم عليه السلام ٢٧٢
تحذير بني آدم من كيد الشيطان ٢٧٦
الأمر بالتزين بأحسن الثياب للصلاة ٢٨٥
تحريم الفواحش الظاهرة ٢٩١
ما أعد الله للمتقين ٣٠١
قصة أصحاب الأعراف ٣٠٥
الأمر بالدعاء والتضرع إلى الله ٣٢١
مثل المؤمن والكافر ٣٢٤
دعاء نوح عليه السلام قومه إلى عبادة الله وحده وتكذيبهم له وإغراقهم ٣٢٦
قصة عاد قوم هود عليه السلام ٣٢٩
قصة ثمود قوم صالح عليه السلام ٣٣٦
قصة قوم لوط عليه السلام ٣٤٥
قصة قوم شعيب عليه السلام ٣٤٨
قصة سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون ٣٥٨
صفات المتقين ٤٠٣
رسالة النبي محمد ﷺ عمت جميع الناس ٤١٦
قصة أصحاب السبت ٤٢٢
أخذ العهد على ذرية آدم بالتوحيد ٤٣٣
قصة بلعم بن باعوراء ٤٤٨
صفات المنافقين ٤٥٨
الدعاء بأسماء الله ٤٦٠
الحث على النظر في ملكوت السموات والأرض ٤٦٧
علم الساعة عند الله وحده ٤٦٨
لا يعلم الغيب إلا الله ٤٧٨
الحث على الأمر بالمعروف والإعراض عن الجاهلين ٤٨٨
الأمر بالإنصات عند تلاوة القرآن ٤٩٨
الأمر بذكر الله والتضرع إليه في السر ٥٠٥
الفهرس ٥٠٩

الفهرست

﴿ تفسير سورة الأنفال ﴾ ٥
صفات المؤمنين ١٤
النهي عن التولي يوم الزحف ٣٥
الأمر بطاعة الله وطاعة الرسول ٤٥
الله يقبل التوبة حتى من الكافر ويغفر له ما مضى من ذنبه ٧٥
أمر المؤمنين بالثبات وبذكر الله عند قتال الكفار ٩٦
تبرؤ إبليس من الكفار حين رأى الملائكة ٩٩
تعذيب الكفار عند الاحتضار ١٠٤
المعاصي سبب لزوال النعم ١٠٦
شر الدواب عند الله الكفار ١٠٧
الأمر بإعداد القوة لمحاربة الكفار ١٠٩
تأليف قلوب المؤمنين ١١٣
حثّ المؤمنين على قتال الكفار ١١٧
إباحة الغنائم لرسول الله وللمجاهدين ١١٩
المهاجرين والأنصار بعضهم أولياء بعض ١٢٣
ما أعده الله للمهاجرين والأنصار ١٣٢
﴿ تفسير سورة التوبة ﴾ ١٣٥
تبرؤ الإله عزَّ وجل ورسوله من المشركين ١٣٥
الأمر بقتال المشركين في جميع السنة ما عدا الأشهر الحرم ١٤٧
محبة الله للمتقين ١٥٢
شهادة الإله عز وجل لمن يعمر المساجد بالإيمان ١٥٨
ما أعده الله للمهاجرين والمجاهدين في سبيله ١٦١
النهي عن اتخاذ الآباء والأبناء والإخوان والأزواج أولياء إن استحبوا ....
الكفر على الإيمان ١٦٤
نصر الله عز وجل للمؤمنين وتعذيب الكافرين ١٦٥
تحريم دخول المشرك المسجد الحرام ١٧٣
الأمر بقتال اليهود والنصارى حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ١٧٣
تنزه الإله عز وجل عن شرك اليهود النصارى ١٧٨
إتمام الله عز وجل لنور الإسلام ولو كره الكافرون ١٨٠

تفسير ما جاء في قول الله عز وجل : ﴿ **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله** ﴾ الآية ١٨٣
أكل الأحبار والرهبان أموال الناس بالباطل وصدهم عن سبيل الله ١٨٣
وعيد مانع الزكاة ١٨٣
عدد شهور العام ١٩٢
الحثّ على الجهاد في سبيل اللّه ٢٠٣
وعيد من تباطأ عن الجهاد في سبيل اللّه ٢٠٣
نصر الإله لرسوله ﷺ ٢٠٥
الحثّ على الجهاد في سبيل اللّه بالنفس والمال ٢٠٦
صفة المنافقين ٢١٠
بيان الأصناف الذين تصرف إليهم الزكاة ٢١٨
صفات المنافقين ٢٢٩
صفات المؤمنين ٢٣٢
ما أعدّه اللّه للمؤمنين والمؤمنات ٢٣٢
الأمر بجهاد الكفار والمنافقين ٢٣٦
عقوبة من نقض العهد ٢٤٤
النهي عن الصلاة على من مات من الكفار ٢٥٧
ما أعدّه اللّه للمؤمنين والمجاهدين في سبيله ٢٦٣
ما أعدّه اللّه للمهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ٢٧٠
الأمر بإخراج زكاة الأموال والحثّ على التوبة ٢٧٥
مسجد الضرار ٢٨٠
تفسير قول اللّه تعالى : ﴿ **إن اللّه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة** ﴾ الآية ٣٧٧
صفات المؤمنين ٢٩٢
الحث على الصدق ٣٠٦
الحث على التفقه في الدين ٣١٦
تفسير قوله تعالى : ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ الآيتين ٣٢٤
﴿ تفسير سورة يونس ﴾ ٣٣١
الأمر بعبادة اللّه وحده دون سواه ٣٣١
الإيمان بالبعث ٣٣٤

تفسير قوله تعالى : ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورًا وقدره منازل﴾
الآية ٣٣٥
دعاء المؤمنين في الجنة ٣٣٧
تفسير قوله تعالى : ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾ الآية ٣٥٠
تفسير قوله تعالى : ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ الآية ٣٥٤
عجز البشر عن الإتيان بسورة من القرآن ٣٦٣
المؤمن التقي ولي الله ٣٧٥
تفسير قول الله عز وجل : ﴿وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله﴾ .....
الآية ٣٩١
إغراق فرعون وجنوده في البحر ٣٩٣
توبة الله عز وجل على قوم يونس ٤٠٢
﴿ تفسير سورة هود ﴾ ٤٠٩
الحث على الاستغفار والتوبة ٤١٠
تكفل الله تعالى لجميع خلقه بالرزق ٤١٤
أمر سيدنا نوح لقومه بعبادة الله ٤٣٠
أمره عليه السلام بصنع السفينة ٤٣٤
حمله عليه السلام فيها من كل زوجين اثنين ٤٣٦
جريها وإرساؤها باسم الله ٤٣٨
نداء سيدنا نوح ابنه ٤٣٨
إرساء السفينة على البر ٤٤٠
نداء نوح عليه السلام ربه ٤٤٣
تفسير قوله عز وجل : ﴿ يا نوح اهبط بسلام﴾ الآية ٤٤٦
الأمر بالصبر ووعد المتقين بالفلاح ٤٤٧
أمر سيدنا هود عليه السلام لقومه بعبادة الله ٤٤٧
الحث على الاستغفار والتوبة ٤٤٩
أمر سيدنا صالح عليه السلام لقومه بعبادة الله ٤٥٠
قصة الناقة ٤٥٠
قصة سيدنا إبراهيم مع الملائكة ٤٥١
مجادلة إبراهيم عليه السلام في قوم لوط ٤٥٣
قصة قوم لوط ٤٥٤

قصة مدين قوم شعيب ٤٦٠
أحوال السعداء والأشقياء ٤٧٢
الأمر بالاستقامة وعدم الركون إلى الظالمين ٤٧٦
الحسنات يذهبن السيئات ٤٧٦
الفهرست ٤٩٥

الفهرست

(تفسير سورة يوسف عليه السلام) ٠٠٥
رؤية يوسف عليه السلام ٠١١
تآمر إخوة يوسف على قتله ٠١٦
مراودتهم لأبيهم على أخذه ٠١٧
التقاط السيارة ليوسف من الجب ٠٢٢
قصة سيدنا يوسف مع امرأة العزيز ٠٢٦
دخول يوسف عليه السلام السجن ٠٣٩
رؤية ملك مصر وتأويل يوسف لها ٠٤٦
تولية يوسف عليه السلام على خزائن الأرض ٠٥١
مجيء إخوة يوسف إلى مصر للميرة ٠٥٣
أخذ يعقوب عليه السلام الميثاق على بنيه ٠٥٦
عفو يوسف عليه السلام عن إخوته ٠٦٨
اجتماع يوسف بأبويه وإخوته ٠٧٢
ثناؤه عليه السلام على ربه عز وجل ٠٧٧
(تفسير سورة الرعد) ١٠١
دلائل قدرة الله سبحانه وتعالى ١١٠
صفات المؤمنين ١٣٥
وعيد من نقض العهد وأفسد في الأرض ١٣٩
المؤمن يطمئن قلبه لذكر الله ١٤١
صفة الجنة ١٥٥
الكلام على المحو والإثبات ١٦١
إنكار الكفار لرسالة النبي صلى الله عليه وسلم ١٧١
(تفسير سورة إبراهيم عليه السلام) ١٧٥
ذكر قوم نوح وعاد ومن بعدهم ١٨١
مثل أعمال الكفار ١٨٩
الكلام على قوله تعالى : ﴿**يثبت الله الذين أمنوا بالقول الثابت**﴾: الآية .. ١٩٩
دعاء إبراهيم عليه السلام لمكة وأهلها ٢٢٥
(تفسير سورة الحجر) ٢٤١
أصل خلقة الإنسان ٢٥٤

تبشير الملائكة إبراهيم عليه السلام بالولد ٢٦٦
إهلاك قوم سيدنا لوط عليه السلام ٢٧٠
(تفسير سورة النحل) ٢٨٩
تعديد منافع البحر ٢٩٩
تعديد منافع الأنعام ٣٢٣
إلهام الله للنحل باتخاذ البيوت ٣٢٤
منافع العسل ٣٢٤
تفضيل بعض الناس على بعض في الرزق ٣٣٠
نعمة الأزواج والبنين ٣٣١
شهادة الرسل على أممهم يوم القيامة ٣٣٩
تفسير قوله تعالى : ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان**﴾: الآية ٣٤٣
الحث على الوفاء بالعهد ٣٤٧
الحض على الصدقة ٣٥٠
سعادة المؤمن في الدنيا والآخرة ٣٦١
الأمر بالأكل من الرزق الحلال الطيب ٣٦٤
ثناء الله على سيدنا إبراهيم عليه السلام ٣٦٥
الأمر بالدعوة إلى الله بالحسنى ٣٦٧
فضيلة الصبر والحض عليه ٣٦٨
فضيلة التقوى والإحسان ٣٦٨
(تفسير سورة سبحان) ٣٧٣
قصة الإسراء والمعراج ٣٧٣
إيتاء سيدنا موسى عليه السلام التلاوة ٤٣٥
كتاب الأعمال ٤٤٠
بعثة الرسل ٤٤٥
المترفين ٤٦٢
القرون الماضية بعد نوح ٤٦٢
هلاك من آثر الدنيا على الآخرة ٤٦٣
الأمر بالتوسط في الإنفاق ٤٦٣
الفهرست ٤٨١

الفهرست

نهيه سبحانه وتعالى عباده عن الزنا ٠٥
سؤال إبليس النَّظِرة ٣٣
تكريم بني آدم ٤٤
الكلام على الروح ٧١
لو اجتمع الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لعجزوا ٧٦
إيتاء موسى عليه السلام التسع آيات ٨٦
تفسير سورة الكهف ٩٩
قصة أصحاب الكهف ١٠٥
قصة صاحب الجنتين ١٣٦
قصة سيدنا موسى مع الخضر ١٦١
قصة ذي القرنين ١٨٢
تفسير سورة مريم ٢١٣
قصة سيدنا زكريا عليه السلام ٢١٣
قصة السيدة مريم ٢٢٤
قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام ٢٥١
قصة سيدنا موسى عليه السلام ٢٥٤
قصة سيدنا إسماعيل عليه السلام ٢٥٧
قصة سيدنا إدريس عليه السلام ٢٦٠
المرور على الصراط ٢٧٧
تفسير سورة طه ٣٠٩
قصة سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون ٣١٩
تفسير سورة الأنبياء ٣٨٩
قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع قومه ٤١١
قصة سيدنا داود وسليمان عليهما السلام ٤٢٠
قصة سيدنا أيوب عليه السلام ٤٢٦
قصة سيدنا إسماعيل وإدريس عليهما السلام ٤٣١
قصة سيدنا يونس عليه السلام ٤٣٤
الفهرست ٤٦٣

الفهرست

تفسير سورة الحج ٥
أذان سيدنا إبراهيم بالحج ٤١
دفاع الله عن المؤمنين ٧٣
تفسير سورة المؤمنون ١٠٣
بيان كيفية خلق الإنسان ١١٢
تفسير سورة النور ١٥٩
ما جاء في اللعان ١٧١
قصة الإفك ١٧٩
الأمر بالاستئذان ٢٠٤
أمر المؤمنين بغض أبصارهم ٢١٢
أمر المؤمنات بغض أبصارهن ٢١٦
الأمر بنكاح الأيامى المؤمنات ٢٢٦
تفسير قوله تعالى ﴿الله نور السموات والأرض﴾ ٢٣٤
الأمر ببناء المساجد ٢٤١
تفسير سورة الفرقان ٢٨٣
صفات عباد الرحمن ٣١٩
تفسير سورة الشعراء ٣٣٧
قصة سيدنا موسى مع فرعون ٣٣٩
قصة سيدنا إبراهيم مع قومه ٣٥٠
قصة سيدنا نوح مع قومه ٣٥٦
قصة سيدنا هود مع قومه ٣٥٨
قصة سيدنا لوط مع قومه ٣٦٤
قصة سيدنا شعيب مع قومه ٣٣٦
تفسير سورة النمل ٣٩١
قصة سيدنا موسى مع فرعون ٣٩٢
قصة سيدنا داود وسليمان ٣٩٥
قصة سيدنا صالح مع قومه ٤١٤
قصة الدابة التي تخرج من الأرض ٤٣٠
النفخ في الصور ٤٣٦

تفسير سورة القصص ٤٤١
نبأ سيدنا موسى مع فرعون ٤٤٣
قصة قارون ٤٨١
تفسير سورة العنكبوت ٤٩٣
نبأ سيدنا نوح مع قومه ٤٩٨
نبأ سيدنا إبراهيم مع قومه ٥٠٠
الفهرست ٥٣١

الفهرست

تفسير سورة الروم ٥
الآيات الدالة على قدرته عز وجل ١٩
تفسير سورة لقمان ٤٥
وصية لقمان لابنه ٥٣
باب ما جاء في الشهرة ٦٥
فصل : حسن الخلق ٦٧
فصل : في ذم الكبر ٧٢
فصل : في الاختيال ٧٤
تفسير سورة السجدة ٨٩
سؤال الناس عن الساعة وعلمها عند الله ٩٤
صفات المؤمنين ١٠٢
تفسير سورة الأحزاب ١١١
النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ١١٧
أخذ العهد على الأنبياء ١٢١
الأمر بالاقتداء برسول الله ﷺ ١٣٣
فضل أمهات المؤمنين ١٥٠
ما أعده الله للمؤمنين والمؤمنات ١٦٢
الأمر بالإكثار من ذكر الله ١٨٠
آية الحجاب ٢٠١
الأمر بالصلاة على النبي ﷺ ٢٠٩
تفسير سورة سبأ ٢٥٨
تسخير الريح والجن لسيدنا سليمان ٢٦٤
قصة سبأ ٢٦٧
إرسال النبي ﷺ إلى الناس كافة ٢٨٦
تفسير سورة فاطر ٣٠٤
ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ٣٠٥
الكلام على قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله ...** ﴾ ٣١٦

الكلام على قوله تعالى : ﴿ **إن الذين يتلون كتاب الله ...** ﴾ ٣٢٠
تفسير سورة يس ٣٤٢
أصحاب القرية ٣٥١
الدليل على البعث ٣٨٣
الفهرست ٣٨٩

الفهرست

تفسير سورة الصافات ٥
تحطيم الأصنام ٣٣
الذبيح إسماعيل عليه السلام ٣٧
تفسير سورة (ص) ٧١
تسبيح الجبال والطير مع سيدنا داود ٧٨
تفسير سورة الزمر ١١١
ضرب الأمثال في القرآن ١٢٥
الحث على التوبة ١٣٨
تفسير قوله تعالى : ﴿ **وما قدروا الله حق قدره** ﴾ ١٤٧
النفخ في الصور ١٥١
دخول الأشقياء النار ١٥٤
دخول المتقين الجنة ١٥٥
ذكر سعة أبواب الجنة ١٥٩
تفسير سورة المؤمن ١٦٥
استحباب الدعاء للمؤمنين السابقين ١٧١
الأمر بإخلاص الدعاء لله وحده ١٧٥
إرسال سيدنا يوسف إلى أهل مصر ١٨٩
نصيحة مؤمن آل فرعون ١٩١
تفسير سورة فصلت ٢١٥
شهادة الجوارح على الإنسان ٢٢٧
فضل الداعي إلى الله ٢٤٠
تفسير سورة الشورى ٢٥٣
ذكر ما أعده الله لعباده المؤمنين ٢٦٧
ذكر الآيات الدالة على قدرة الله ٢٨٠
تفسير سورة الزخرف ٢٩٧
تفسير سورة الدخان ٣٣٣
تفسير سورة الجاثية ٣٥٧
الفهرست ٣٦٩

الفهرست

تفسير سورة الأحقاف ٥
وفد الجن الذين استمعوا القرآن ٢٩
تفسير سورة محمد ٥٨
تفسير سورة الفتح ٨٤
ذكر سبب البيعة ٩٤
فضل أصحاب الرسول ﷺ ١١١
قصة صلح الحديبية ١١٤
تفسير سورة الحجرات ١٣٦
آداب أدَّب اللهُ بها عباده المؤمنين ١٣٦
الأمر بالتثبت في خبر الفاسق ١٤٤
الأمر بالإصلاح بين المسلمين الباغين ١٥٠
النهي عن السخرية بالناس ١٥٤
النهي عن كثير من الظن ١٥٥
تفسير سورة ق ١٧٧
هلاك القوم المنكرين ٢٠١
تفسير سورة الذاريات ٢٠٧
صفات المتقين ٢١١
تفسير سورة الطور ٢٣٥
حال السعداء في الآخرة ٢٣١
عناد المشركين والمكابرة للأشياء المحسوسة ٢٤٦
هذا نزير - يعني محمد ﷺ ٢٨٣
تفسير سورة القمر ٢٨٦
تفسير سورة الرحمن ٣١٢
خلق الإنسان وخلق الجان ٣١٧
يخبر تعالى أن جميع أهل الأرض سيموتون أجمعون ٣٢٠
تفسير سورة الواقعة ٣٤٥
صفة الجنة وأهلها ٣٦٣
صفة النار وأهلها ٣٨٠
أحوال الناس عند احتضارهم ثلاثة أحوال ٣٩٦

تفسير سورة الحديد ٤٠١
تفسير سورة المجادلة ٤٤١
يخبر تعالى عمن شاقوا الله ورسوله وعاندوا شرعه ٤٥١
تأديب الله لعباده المؤمنين ٤٥٦
يقول تعالى مخبرًا عن الكفار المعاندين لله ورسوله ٤٦٧
تفسير سورة الحشر ٤٧١
تبيين مال الفيئ وما صفته ٤٨٢
تبيين مال الفقراء المستحقين لمال الفيئ ٤٨٧
أخبار الله عن المنافقين ٤٩٥
تعظيم أمر القرآن وعلو قدره ٥٠١
أسماء الله الحسنى ٥٠٤
تفسير سورة الممتحنة ٥٠٦
مبايعة النساء ٥٢٥
النهي عن موالاة الكافرين ٥٣٦
تفسير سورة الصف ٥٣٨
إن الله يأمر عباده أن يكونوا أنصار الله في جميع أحوالهم ٥٥٠
تفسير سورة الجمعة ٥٥٣
الفهرست ٥٦٧

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر هاتف: ٤٣٠٧٥٢٦-٢٠٥٥٦٨٨ القاهرة

الفهرست

تفسير سورة المنافقون ٥
تفسير سورة التغابن ١٧
تفسير سورة الطلاق ٢٦
تفسير سورة التحريم ٤٧
تفسير سورة الملك ٦٨
تفسير سورة ن ٨٠
تفسير سورة الحاقة ١١١
تفسير سورة المعارج ١٢٥
تفسير سورة نوح ١٣٩
تفسير سورة الجن ١٤٨
تفسير سورة المزمل ١٦١
تفسير سورة المدثر ١٧٥
تفسير سورة القيامة ١٩٢
تفسير سورة الإنسان ٢٠٦
تفسير سورة المرسلات ٢١٩
تفسير سورة النبأ ٢٢٧
تفسير سورة النازعات ٢٣٨
تفسير سورة عبس ٢٤٦
تفسير سورة التكوير ٢٥٧
تفسير سورة الانفطار ٢٧٣
تفسير سورة المطففين ٢٨٠
تفسير سورة الانشقاق ٢٩١
تفسير سورة البروج ٣٠١
تفسير سورة الطارق ٣١٥
تفسير سورة الأعلى ٣١٩
تفسير سورة الغاشية ٣٢٩
تفسير سورة الفجر ٣٣٧
تفسير سورة البلد ٣٥٣
تفسير سورة الشمس ٣٦٤

تفسير سورة الليل ٣٧١
تفسير سورة الضحى ٢٨٠
تفسير سورة الانشراح ٣٨٨
تفسير سورة التين ٣٩٤
تفسير سورة العلق ٣٩٧
تفسير سورة القدر ٤٠٣
تفسير سورة البينة ٤٢٠
تفسير سورة الزلزلة ٤٢٦
تفسير سورة العاديات ٤٣٤
تفسير سورة القارعة ٤٣٨
تفسير سورة التكاثر ٤٤٢
تفسير سورة العصر ٤٥١
تفسير سورة الهمزة ٤٥٣
تفسير سورة الفيل ٤٥٥
تفسير سورة قريش ٤٦٥
تفسير سورة الماعون ٤٦٨
تفسير سورة الكوثر ٤٧٥
تفسير سورة الكافرون ٤٨٤
تفسير سورة النصر ٤٨٩
تفسير سورة المسد ٤٩٥
تفسير سورة الإخلاص ٥٠٠
تفسير سورة الفلق ٥٢٢
تفسير سورة الناس ٥٢٩
الفهرست ٥٣٧

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران : ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء : ١] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب] .

وبعد ؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشرَّ الأمور محدثاتها ، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ ، وكلَّ ضلالة في النَّار .

أما بعد :

فإن أحق ما صُرفت إلى علمه العناية ، وبلغت في معرفته الغاية ما كان للَّه في العلم به رضًي ، وللعالم به إلى سبيل الرشاد هُدًى ، وإنَّ أجمع ذلك لباغيه هو كتاب اللَّه الذي لا ريب فيه ، وتنزيله الذي لا مِرية فيه ، الفائز بجزيل الذخر وسني الأجر تاليه ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

ومن تمام جزيل نعم اللَّه علينا أن تكفل اللَّه بحفظ كتابه الكريم فقال تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ . [الحجر : ٩] .

وأن يسر درسه وفهمه فقال عز اسمه : ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر آية : ١٧] .

وإن من أعظم وسائل حفظه ، وتيسير درسه وفهمه أن يعنى العلماء قديمًا وحديثًا بتفسيره وإيضاح معانيه ، وكشف أسراره وبيان أحكامه .

ومن هؤلاء العلماء الذين سخروا أنفسهم لخدمة كتاب ربهم ، شيخ الإسلام ، وقدوة العلماء والحفاظ ، وعمدة أهل المعاني والألفاظ ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير - رحمه اللَّه تعالى - الذي انتهت إليه رياسة العلم في الحديث والتفسير والتاريخ ، وكتبه التي بين أيدينا شاهدة له بذلك ، وحسبك منها ما نحن بصدده ، وهو كتابه : « تفسير القرآن العظيم » الذي قال عنه السيوطي : « وله التفسير الذي لم يُؤلَّف على نمطه مثله » .

ويُعدُّ هذا التفسير من التفاسير المأثورة ، والتي ضاع أكثرها قبل عصر ابن تيمية - رحمه اللَّه - المتوفى سنة ٧٢٨ هـ . وقيمة تفسير ابن كثير لا تنحصر في أنه تفسير أثري ، جمع كثيرًا من الروايات والأخبار المأثورة ، إذ من الممكن الحصول عليها من مصدر آخر ، لكن امتياز تفسير ابن كثير عن جميع التفاسير التي بلغتنا - سواء كانت بالمأثور أو غيره - يرجع إلى تطبيقه الفذ لمنهج تفسير القرآن ، إذ جمع الآيات المتماثلة ، وأحصاها عدًا ، وأبان الأسرار الدقيقة في تناسقها ، وانسجام ألفاظها ، وتساوق أساليبها ، وعظمة معانيها ، وهو بهذا يمثل معجمًا مفهرسًا لألفاظ القرآن الكريم وآياته ، لكنه لم يطبع على ورق ، بل على قلبٍ واعٍ لآيات اللَّه وكلماته .

ويرجع امتياز تفسيره أيضًا إلى حشده لكثير من الأحاديث والأخبار والروايات وأقوال الصحابة والتابعين مبيناً - في الغالب - درجة الأحاديث والروايات المأثورة من الصحة والضعف ، كاشفًا عن أسانيدها وطرقها ومتونها على أسس علم الجرح والتعديل ، مرجحًا في أغلب الأحيان الأقوال الصحيحة ، مضعفًا لغيرها .

وقد كان ابن كثير من كبار المحدثين الحفاظ ، لذلك غلبت عليه تلك الطريقة الحديثية في تفسيره ، ويكفي أن تعرف - دعمًا لهذه الحقيقة - أن مجموع مصادر السنة في تفسيره يوازي ثلث المصادر كلها ، وأن الأحاديث التي ذكرها عن الكتب الستة ومسند الإمام أحمد بلغت عددًا هائلاً .

ومن ميزات ابن كثير أيضًا أنه كان يتمتع بمَلَكة نقدية فاحصة ، سلَّطها على هذا الحشد الهائل من الروايات المأثورة ، والأخبار المتوارثة ، فأقر منها ما يتفق مع النقل الصحيح والعقل السليم ، وندَّد بالروايات المنكرة ، والأخبار المختلقة التي لا حاجة لنا بها في ديننا ، ولا في دنيانا .

ويرجع امتياز تفسير ابن كثير كذلك إلى أنه ليس في التفاسير كلها - مأثورة وغير مأثورة - ما ناقش الإسرائيليات وأبان زيفها ، ودحض إفكها على هدًى من قواعد علم الجرح والتعديل كتفسير ابن كثير ، فهو في هذا الجانب لا يفوقه مفسر حافظ ولا يضاهيه . وتلك حقيقة واضحة وضوح الشمس لمن تأمل تفسيره وأمعن النظر

فيه .

ويمتاز ابن كثير في تفسيره بأنه كان يمثل السلف الصالح في آرائهم وتصوراتهم كما بينها القرآن والسنة .

كما يعتبر تفسير ابن كثير من أهم تفاسير المحدثين إن لم يكن أهمها على الإطلاق لاعتبارات كثيرة منها :

* كثرة المصادر التي ذكرها من كتب السنة والتفسير ، والإكثار من النقل عنها .

* ذكر الطرق المختلفة للحديث الواحد .

* ذكر المواضع المتعددة للحديث في الكتاب الواحد .

* عدم الاكتفاء بحديث أو اثنين في الموضع الواحد .

* بيان درجة الحديث وذكر الثقات والضعفاء والمجاهيل من الرواة على ضوء ما قاله علماء الجرح والتعديل .

* تحذير ابن كثير المتكرر من الإسرائيليات ، والروايات المضطربة في التفسير والحديث ونقده لها .

* يضاف إلى هذا تأخر ابن كثير زمنيًا - إذ عاش في القرن الثامن الهجري - مما وفَّر تحت يديه عدد هائلاً من المراجع والمصادر في التفسير والحديث ، وهذا ما لم يكن متوفرًا لغيره من المفسرين قبله .

لذلك فقد عُدَّ تفسير ابن كثير من أحسن التفاسير وأجودها وأدقها بعد تفسير إمام المفسرين أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، كما يقول أبو الأشبال أحمد شاكر رحمه الله تعالى .

بل إنه قد فاقه في جوانب كثيرة ، واستدرك عليه كثيرًا من الأمور ، ولهذا وضع لهذا التفسير القبول في الأرض ، فوجد له رواج بين عوام المسلمين قبل طلبة العلم منهم ، ولا نعلم تفسيرًا بلغ في عدد طبعاته مثل هذا الكتاب .

لذلك فقد عزمنا - بعد استخارة المولى تبارك وتعالى - أن نخرج هذا التفسير في ثوبٍ قشيب ، قلَّ أن تجد مثله - إن شاء الله تعالى - في الطبعات السابقة .

وقبل الشروع في المقصود رأينا أن نقدم بين يدي الكتاب مقدمة متضمنة ثلاثة فصول :

الفصل الأول : ترجمة الحافظ ابن كثير .

الفصل الثاني : منهج ابن كثير في تفسيره .

الفصل الثالث : منهجنا في التحقيق .

الفصل الأول

ترجمة الحافظ ابن كثير(١)

هو الإمام الحافظ الحجة المحدّث المؤرخ الثقة ، ذو الفضائل ، عماد الدين ، أبو الفداء : إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير ، القرشي ، الدمشقي ، الشافعي .

- ولد رحمه اللّه بقرية « مِجْدَل » من أعمال « بُصْرَى » وكان أبوه من أهل « بصرى » ، وأمه من قرية « مجدل » .

وقومه كانوا ينتسبون إلى الشرف ، وبأيديهم نِسَب .كما قال هو في ترجمة أبيه ، في تاريخه « البداية والنهاية » : « وقف على بعضها شيخنا المزي فأعجبه ذلك وابتهج به ، فصار يكتب في نسبي بسبب ذلك : القرشي »

- وتاريخ مولده سنة ٧٠٠هـ ، كما ذكر أكثر من ترجم له « أو بعدها بقليل » كما قال الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة . وهو تاريخ تقريبي . الراجح أنه مستنبط من كلامه في ترجمة أبيه ، حيث ذكر أن أباه « توفي سنة ٧٠٣ هـ : وكنت إذ ذاك صغيرًا ابن ثلاث سنين أو نحوها ، لا أدركه إلا كالحلم » .

و « ابن ثلاث سنين » لا يعرف تواريخ السنين - على اليقين - في تلك السن . فقد سمع إذن تحديد السنة التي مات فيها أبوه ممن حوله من إخوة أو أهل أو جيران . ولكنه يدرك أباه « كالحلم » فالذي هو في سن أقل من الثلاث ما أظنه يذكر شيئًا « كالحلم » ولا أبعد من الحلم ولا أقرب . فهو حين موت أبيه قد جاوز الثالثة - في أكبر ظني - ولذلك أرجح أن مولده كان في سنة ٧٠٠ أو قبلها بقليل . وهو أقرب إلى الصحة من قول الحافظ ابن حجر : « أو بعدها بقليل » لأن الذي « بعدها » لا يكاد يبلغ الثالثة عند موت أبيه .

- وكان أبوه « الخطيب شهاب الدين أبو حفص عمر بن كثير » من العلماء الفقهاء الخطباء . ولد - كما قال ابنه - في حدود سنة ٦٤٠ . وترجم له ابنه الحافظ في تاريخه الكبير « البداية والنهاية » ج ١٤ ص ٣١- ٣٣ ومما قال في ترجمته : « اشتغل بالعلم عند أخواله بني عقبة ببصرى . فقرأ البداية في مذهب أبي حنيفة . وحفظ جمل الزجاجي . وعُني بالنحو والعربية واللغة . وحفظ أشعار العرب ، حتى

---

(١) - نقلنا هذه الترجمة من مقدمة الشيخ أحمد شاكر - رحمه اللّه تعالى - لكتابه عمدة التفسير .

كان يقول الشعر الجيد الفائق الرائق في المدح والمراثي وقليل من الهجاء . وقرر بمدارس بصرى بمَبْرَك الناقة شمالي البلدة ، حيث يزار ، وهو المَبْرَك المشهور عند الناس !والله أعلم بصحة ذلك . ثم انتقل إلى خطابة القرية شرقي بصرى ، وتمذهب للشافعي ، وأخذ عن النووي والشيخ تقي الدين الفزاري ، وكان يكرمه ويحترمه ، فيما أخبرني شيخنا العلامة ابن الزملكاني . فأقام بها نحوًا من ١٢ سنة ، ثم تحول إلى خطابة مجدل : القرية التي منها الوالدة . فأقام بها مدة طويلة ، في خير وكفاية وتلاوة كثيرة . وكان يخطب جيدًا ، وله مقول عند الناس ، ولكلامه وقع ؛ لديانته وفصاحته وحلاوته . وكان يؤثر الإقامة في البلاد ، لما يرى فيها من الرفق ووجود الحلال له ولعياله . وقد ولد له عدة أولاد من الوالدة ومن أخرى قبلها . أكبرهم إسماعيل . ثم يونس ، وإدريس . ثم من الوالدة : عبد الوهاب ، وعبد العزيز ، وأخوات عدة . ثم أنا أصغرهم وسميت باسم الأخ إسماعيل - لأنه كان قد قدم دمشق ، فاشتغل بها بعد أن حفظ القرآن على والده ، وقرأ مقدمة في النحو ، وحفظ التنبيه ، وشرحه على العلامة تاج الدين الفزاري ، وحصل المنتخب في أصول الفقه ، قاله لي شيخنا ابن الزملكاني .

- ثم إنه سقط من سطح الشامية البرانية ، فمكث أيامًا ومات . فوجد الوالد عليه وجدًا كثيرًا ، ورثاه بأبياتٍ كثيرة . فلما ولدت أنا له بعد ذلك سماني باسمه . فأكبر أولاده : إسماعيل ، وأصغرهم وآخرهم : إسماعيل ، فرحم الله من سلف ، وختم بخير لمن بقي .

توفي والدي في شهر جمادى الأولى سنة ٧٠٣ في قرية مجدل . ودفن بمقبرتها الشمالية عند الزيتون . وكنت إذ ذاك صغيرًا ، ابن ثلاث سنين أو نحوها . لا أدركه إلا كالحلم . ثم تحولنا من بعده في سنة ٧٠٧ إلى دمشق ، صحبة كمال الدين عبد الوهاب ، وقد كان لنا شقيقًا ، وبنا رفيقًا شفوقًا ، وقد تأخرت وفاته إلى سنة خمسين - يعني سنة ٧٥٠ . فاشتغلت على يديه في العلم ، فيسر الله تعالى منه ما يسر ، وسهل منه ما تعسر » .

وقد بدأ الاشتغال بالعلم على يدي أخيه عبد الوهاب - كما قال آنفًا - ثم اجتهد في تحصيل العلوم على العلماء الكبار في عصره . وحفظ القرآن الكريم ، وختم حفظه سنة ٧١١، كما صرح بذلك في تاريخه ١٤ : ٣١٢ وقرأ بالقراءات ، حتى عدَّه الداودي من القراء ، وترجم له في طبقاتهم التي ألفها . وسمع الحديث من كثير من أئمة الحفاظ في عصره . وعني بالسماع والإكثار منه . فمما ذكر في تاريخه ١٤ : ١٤٩، أنه سمع صحيح مسلم في تسعة مجالس على الشيخ نجم الدين بن العسقلاني ، بقراءة الوزير العالم أبي القاسم محمد بن محمد بن سهل الأزدي الغرناطي

الأندلسي ، المتوفى بالقاهرة في ٢٢ محرم سنة ٧٣٠- حين قدم دمشق في جمادى الأولى سنة ٧٢٤ عازمًا على الحج .

وذكر في ترجمة شيخه الكبير المعمّر الرحلة شهاب الدين الحجار المعروف بابن الشحنة : أنه سمع عليه « بدار الحديث الأشرفية في أيام الشتويات نحوًا من خمسمائة جزء بالإجازات والسماع » . وهذا الشيخ « عاش مائة سنة محققًا ، وزاد عليها » . وتوفي سنة ٧٣٠ . (التاريخ ١٤ : ١٥٠) .

وتفقّه على الشيخين : برهان الدين الفزاري وكمال الدين بن قاضي شهبة . وحفظ التنبيه للشيرازي في فروع الشافعية ، ومختصر ابن الحاجب في الأصول . ولزم الحافظ الكبير أبا الحجاج المزي ، وقرأ عليه مؤلفه العظيم في الرجال « تهذيب الكمال » وصاهره على ابنته زينب . وكان من أعظم تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية . ولازمه وتخرج على يديه ، وكانت له به خصوصية ومناضلة عنه ، واتباع له في كثير من آرائه .وكان يفتي برأيه في مسألة الطلاق ، وامتحن بسبب ذلك وأوذي .

وكان من أفذاذ العلماء في عصره . أثنى عليه معاصروه وتلاميذه ومن بعدهم - الثناء الجم .

- فذكره الحافظ الذهبي في طبقات الحفاظ [٤ : ٢٩] ، مع أن الذهبي يكاد يكون من طبقة شيوخه ، لأنه مات سنة ٧٤٨، قبل ابن كثير بـ ٢٦ سنة . فقال في طبقات الحفاظ : « وسمعت من الفقيه المفتي المحدث ، ذي الفضائل ، عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير البُصْرَوي الشافعي . . . سمع من ابن الشحنة وابن الرداد وطائفة ، له عناية بالرجال والمتون والفقه . خرَّج وناظر وصنف وفسر وتقدم » . وقال الذهبي في « المعجم المختص » - فيما نقل ابن حجر وغيره : « الإمام المفتي المحدث البارع ، فقيه متفنن ، محدث متقن ، مفسر نقال » .

وقال تلميذه شهاب الدين ابن حجي : « كان أحفظ من أدركناه لمتون الأحاديث . وأعرفهم بتخريجها ورجالها ، وصحيحها وسقيمها . وكان أقرانه وشيوخه يعترفون له بذلك . وكان يستحضر كثيرًا من التفسير والتاريخ ، قليل النسيان . وكان فقيهًا جيد الفهم صحيح الذهن ، ويحفظ التنبيه إلى آخر وقت . ويشارك في العربية مشاركة جيدة ، وينظم الشعر . وما أعرف أني اجتمعت به - على كثرة ترددي عليه - إلا واستفدت منه » . (عن النعيمي في كتاب الدارس) .

وقال تلميذه الحافظ أبو المحاسن الحسيني في ذيل تذكرة الحفاظ (ص ٥٨) :

« وصاهر شيخنا أبا الحجاج المزي فأكثر عنه . وأفتى ودرس وناظر ، وبرع في الفقه والتفسير والنحو . وأمعن النظر في الرجال والعلل » .

وقال الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة : « ولازم المزي ، وقرأ عليه تهذيب الكمال ، وصاهره على ابنته وأخذ عن ابن تيمية ففتن بحبه ، وامتحن بسببه . وكان كثير الاستحضار ، حسن المفاكهة ، سارت تصانيفه في البلاد في حياته ، وانتفع بها الناس بعد وفاته . ولم يكن على طريقة المحدثين في تحصيل العوالي ، وتمييز العالي من النازل ونحو ذلك من فنونهم ، وإنما هو من محدثي الفقهاء . وقد اختصر مع ذلك كتاب ابن الصلاح ، وله فيه فوائد » .

- ونقل السيوطي في ذيل طبقات الحفاظ كلام الحافظ ابن حجر في أنه « لم يكن على طريقة المحدثين ...» ثم تعقبه بقوله : « العمدة في علم الحديث ؛ معرفة صحيح الحديث وسقيمه ، وعلَله واختلاف طرقه ، ورجاله جرحًا وتعديلاً ، وأما العالي والنازل ونحو ذلك - فهو من الفضلات ، لا من الأصول المهمة » . وهذا حق .

وقال السيوطي أيضًا : « له التفسير الذي لم يؤلف على نمطه مثله » . يشير إلى هذا التفسير العظيم الذي بين أيدينا .

وقال العلامة العيني - فيما نقل عنه ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة : « كان قدوة العلماء والحفاظ ، وعمدة أهل المعاني والألفاظ ، وسمع وجمع ، وصنف ودرس ، وحدث وألف . وكان له اطلاع عظيم في الحديث والتفسير والتاريخ ، واشتهر بالضبط والتحرير ، وانتهى إليه علم التاريخ والحديث والتفسير . وله مصنفات عديدة مفيدة » .

ووصفه الحافظ العلامة شمس الدين بن ناصر ، في كتاب « الرد الوافر » - بأنه « الشيخ الإمام العلامة الحافظ ، عماد الدين ، ثقة المحدثين ، عمدة المؤرخين ، علم المفسرين » .

وقال فيه ابن حبيب - فيما نقل الداودي في طبقات القراء ، وابن العماد في « الشذرات » : « إمام ذوي التسبيح والتهليل ، وزعيم أرباب التأويل ، سمع وجمع وصنف ، وأطرب الأسماع بأقواله وشنف ، وحدَّث وأفاد ، وطارت فتاويه إلى البلاد ، واشتهر بالضبط والتحرير ، وانتهت إليه رياسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير » .

وروى له الحافظ ابن حجر في « إنباء الغمر » ، وابن العماد في « الشذرات » - البيتين المشهورين ، الذائعين على الألسنة :

تَمُرُّ بنا الأيامُ تَتْرَى وإنما نُسَاقُ إلى الآجالِ والعينُ تَنْظُرُ
فلا عائدٌ ذاكَ الشبابُ الذي مَضَى ولا زَائلٌ هذا المَشيبُ المُكَدِّرُ

وصحبته وملازمته لشيخ الإسلام ابن تيمية أفادته أعظم الفوائد ، في علمه ودينه ، وتقوية خلقه ، وتربية شخصيته المستقلة الممتازة .

فهو مستقل الرأي ، يدور مع الدليل حيث دار ، لا يتعصب لمذهبه ولا لغيره . وكتبه العظيمة ، وخاصة هذا التفسير الجليل - فيها الدلائل الوافرة . ونجده - مع أنه شافعي المذهب - يفتي في مسألة الطلاق الثلاث بلفظ واحد ، بما رجحته الدلائل الثابتة الصحاح ، أنه يقع طلقة واحدة . ثم يمتحن ويلقى الأذى ، فيثبت على قوله ، ويصبر على ما يلقى في سبيل اللَّه .

- وهو - وهو تلميذ شيخ الإسلام ومن خاصة أنصاره - يعرف ما كان بين شيخه شيخ الإسلام/وبين قاضي القضاة تقي الدين السبكي - ومع ذلك فإنه لا يعين عليه في محنة لحقته ، بل يعلن عن غبطته بأن تزول عنه المحنة . فيذكر في التاريخ - في حوادث سنة ٧٤٣ (١٤ : ٢٠٤) أنه أرجف الناس كثيرًا بقاضي القضاة - في دمشق - « واشتهر أنه سينعقد له مجلس للدعوى عليه بما دفعه من مال الأيتام إلى الطنبغا وإلى الفخري . وكتبت فتوى عليه بذلك في تغريمه ، وداروا بها على المفتين ، فلم يكتب لهم أحد فيها غير القاضي جلال الدين بن حسام الدين الحنفي ، رأيت خطه عليها وحده بعد الصلاة . وسئلت في الإفتاء عليها فامتنعت ، لما فيها من التشويش على الحكام » . ثم يقول : « وكانوا له في نية عجيبة ، ففرج اللَّه عنه بطلبه إلى الديار المصرية » .

فهذا خُلق أهل العلم النبلاء الأتقياء .

وقد طار ذكره في الأقطار الإسلامية ، حتى إنه ليذكر في حوادث سنة ٧٦٣ (١٤ : ٢٩٤- ٢٩٥) أن شابًا أعجميًا حضر من بلاد تبريز وخراسان ، « يزعم أنه يحفظ البخاري ومسلمًا « وجامع المسانيد » و « الكشاف » للزمخشري وغير ذلك » ، وأنه امتحنه بقراءة مجالس من البخاري وغيره ، بحضرة قاضي القضاة الشافعي ، وجماعة من الفضلاء ، ثم قال : « وفرح بكتابتي له بالسماع على الإجازة . وقال : أنا ما خرجت من بلادي إلا إلى القصد إليك ، وأن تجيزني . وذكرك في بلادنا مشهور » .

وهذا الخبر يدل على أن كتابه « جامع المسانيد » وصل إلى أقصى الشرق ، في بلاد تبريز وخراسان ، حتى يحفظه هذا الشاب الأعجمي أو يحفظ شيئًا منه . في حين أن الحافظ ابن كثير لم يتم تأليف « جامع المسانيد » كما هو معروف ، فكأن العلماء

وطلاب العلم كانوا ينسخون ما يخرج منه ، ويتداولونه بينهم ، حتى يصل من دمشق إلى تلك النواحي النائية .

ولم يكن ممن يخدع في الفتاوى التي ظاهرها قصد الاستفتاء ، ووراءها ألاعيب سياسية ، أو أغراض شخصية غير سليمة ، وإن كان المستفتي من الأمراء أو ممن يخشى بأسه ، فهو يقول في حوادث سنة ٧٦٢: « وجاءتني فتيا صورتها : ما تقول السادة العلماء في ملك اشترى غلامًا ، فأحسن إليه وأعطاه وقدمه ، ثم إنه وثب على سيده فقتله ، وأخذ ماله ومنع ورثته منه ، وتصرف في المملكة ، وأرسل إلى بعض نواب البلاد ليقدم عليه ليقتله ؟ فهل له الامتناع منه ؟ وهل إذا قاتل دون نفسه وماله حتى يقتل يكون شهيدًا ؟ وهل يثاب الساعي في خلاص حق ورثة الملك المقتول من القصاص والمال ؟ أفتونا مأجورين .

فهذا استفتاء صيغ في صورة توحي بالجواب . وباطنه أن ذاك الأمير السائل يريد أن يمتنع على الملك الذي دعاه للحضور عنده ، ويريد أن يثير فتنة وقتالاً على صاحب الأمر ، لعله يصل إلى ما وصل إليه ذاك من المُلك ، كعادة الأمراء من المماليك في ذلك العهد . ولكن ابن كثير يجيبه جوابًا حكيمًا يكشف عن بعض مقصده ، ويضمن جوابه النصيحة الواجبة في مثل هذه الحال ، فيقول : « فقلت للذي جاءني بها من جهة الأمير : إن كان مراده خلاص ذمته فيما بينه وبين اللّه تعالى فهو أعلم بنيته في الذي يقصده ! ولا يسعى في تحصيل حق معين إذا ترتب على ذلك مفسدة راجحة في ذلك ، فيؤخر الطلب إلى وقت إمكانه بطريقه ! وإن كان مراده بهذا الاستفتاء أن يتقوى بها في جمع الدولة ، والأمراء عليه - فلا بد أن يكتب عليها كبار القضاة والمشايخ أولاً ، ثم بعد ذلك بقية المفتين بطريقه » (التاريخ ١٤ : ٢٨١- ٢٨٢) .

وكان الإفرنج قد غدروا بمدينة الإسكندرية ، وأشاعوا فيها الرعب ، وارتكبوا الفظائع غدرًا ، وذلك : أنهم وصلوا إليها من البحر يوم الأربعاء ٢٢ محرم سنة ٧٦٧ « فلم يجدوا بها نائبًا ولا جيشًا ، ولا حافظًا للبحر ولا ناصرًا ، فدخلوها يوم الجمعة بكرة النهار ، بعدما حرقوا أبوابًا كثيرة منها . وعاثوا في أهلها فسادًا ، يقتلون الرجال ، ويأخذون الأموال ، ويأسرون النساء والأطفال ، فالحكم للّه العلي الكبير المتعال . وأقاموا يوم الجمعة والسبت والأحد والاثنين والثلاثاء . فلما كان صبيحة الأربعاء قدم الشاليش المصري ، فأقلعت الفرنج - لعنهم اللّه - عنها ، وقد أسروا خلقًا كثيرًا يقاربون الأربعة آلاف ، وأخذوا من الأموال ذهبًا وحريرًا وبهارًا وغير ذلك . ما لا يحد ولا يوصف . وقدم السلطان والأمير الكبير يلبغا ظهر يومئذ وقد تفارط الحال ، وتحولت الغنائم كلها إلى الشوائن بالبحر ، فسمع للأسارى من العويل

والبكاء والشكوى والجأر إلى الله ، والاستغاثة به وبالمسلمين - ما قطع الأكباد ، وذرفت به العيون وأصم الأسماع . فإنا لله وإنا إليه راجعون . ولما بلغت الأخبار إلى أهل دمشق شق عليهم ذلك جدًا ، وذكر ذلك الخطيب يوم الجمعة على المنبر ، فتباكى الناس كثيرًا . فإنا لله وإنا إليه راجعون » .

فهذه وقعة شنيعة غادرة من الإفرنج - كعادتهم - والنفوس تتقزز من مثلها ، وتثور من أجلها . والملوك والأمراء الظالمون ينتهزون فرصة تعبئة الرأي العام الإسلامي - وثورته من أجل هذا الغدر ، وغضبًا لهذه الفظائع - ليأكلوا أموال الناس بالباطل ، وظاهر أمرهم الانتقام وباطنه السلب والنهب . ولكن الحافظ ابن كثير يلزم جانب الحق والعدل ، ولا يرضى بالظلم ، ولو كان ظاهره الانتقام والثأر للمسلمين ، فيقول : « وجاء المرسوم الشريف من الديار المصرية ، إلى نائب السلطنة ، بمَسْك النصارى من الشام جملة واحدة ، وأن يأخذ منهم ربع أموالهم ، لعمارة ما خرب من الإسكندرية ، ولعمارة مراكب تغزو الإفرنج . فأهانوا النصارى ، وطلبوا من بيوتهم بعُنْف . وخافوا أن يقتلوا ، ولم يفهموا ما يراد بهم ، فهربوا كل مهرب . ولم تكن هذه الحركة شرعية ولا يجوز اعتمادها شرعًا .

وقد طلبت يوم السبت السادس عشر من صفر أي سنة ٧٦٧ إلى الميدان الأخضر ، للاجتماع بنائب السلطنة ، وكان اجتماعنا بعد العصر يومئذ ، بعد الفراغ من لعب الكرة . فرأيت منه أنسًا كبيرًا ، ورأيته كامل الفهم ، حسن العبارة كريم المجالسة . فذكرت له أن هذا لايجوز اعتماده في النصارى ، يعني المرسوم بالمصادرة . فقال : إن بعض فقهاء مصر أفتى للأمير الكبير بذلك ! فقلت له : هذا مما لا يسوغ شرعًا ، ولا يجوز لأحد أن يفتي بهذا . ومتى كانوا باقين على الذمة ، يؤدون إلينا الجزية ملتزمين بالذلة والصغار ، وأحكام الملة قائمة - لا يجوز أن يؤخذ منهم الدرهم الواحد الفرد فوق ما يبذلونه من الجزية . ومثل هذا لا يخفى على الأمير ! فقال : كيف أصنع وقد ورد المرسوم بذلك ؟ ولا يمكنني أن أخالفه ؟! » .

ثم ذكر أن نائب السلطنة كتب بذلك إلى الديار المصرية . ولكن هذا النائب لم يكن عند قوله ، فنفذ المرسوم ، وطلب النصارى الذين اجتمعوا في كنيستهم إلى بين يديه ، وهم قريب من أربعمائة ، فحلفهم : كم أموالكم ؟ وألزمهم بأداء الربع من أموالهم ، فإنا لله وإنا إليه راجعون » ، وكانت هذه المصادرة الظالمة في شهر ربيع الأول سنة ٧٦٧ . ثم قال الحافظ - في حوادث شهر ربيع الآخر : « وفي أوائل هذا الشهر ورد المرسوم الشريف السلطاني ، بالرد على نساء النصارى ما كان أخذ منهم مع الجباية التي كان تقدم أخذها منهم ، وإن كان الجميع ظلمًا ، ولكن الأخذ من النساء أفحش وأبلغ في الظلم » . (التاريخ ١٤ : ٣١٤- ٣١٥، ٣١٨) .

فانظر إلى هذا الإمام العظيم ، الذي يقف عند حدود الشريعة المطهرة ، يقيم ميزان العدل الصحيح كما عرفه من دينه الحنيف ، ويألم ويسترجع لما ناب النصارى من مصادرة ظالمة من أمراء طغاة جائرين . كما ألم واسترجع من قبل لما أصاب المسلمين من غدر النصارى وبغيهم ، وشتان هذا وذاك ، ولكنه لا يرضى إلا أن يقيم ميزان العدل .

فكان هذا العقل المستقل العظيم الثابت على الحق ، والذي لا تغلبه العواطف والأهواء ، مما يجعل للرجل منزلة عند الناس كبيرة . يثق به أنصاره وغير أنصاره ، وموافقوه ومخالفوه . بل جعله موضع الثقة والاستشارة عند الذميين ، حتى ليستشيره بعض رؤسائهم ، في أخص شئونهم الكنيسية ، فإنه يذكر قصة طريفة ، في استشارة أحد البتاركة إياه في ذلك . يحسن أن نذكرها بعبارته بحروفها :

فقال - في حوادث سنة ٧٦٧ : « وحضر عندي يوم الثلاثاء تاسع شوال ، البَتْرَك بشارة ، الملقب بميخائيل ، وأخبرني أن المطارنة بالشام بايعوه على أن جعلوه بتركًا بدمشق عوضًا عن البترك بأنطاكية . فذكرت له أن هذا أمر مبتدع في دينهم ، فإنه لا تكون البتاركة إلا أربعة : بالإسكندرية ، وبالقدس ، وبأنطاكية ، وبرومية ، فنقل رومية إلى إسطنبول ، وهي القسطنطينية ، وقد أنكر عليهم كثير منهم إذ ذاك ، فهذا الذي ابتدعوه في هذا الوقت أعظم من ذلك . لكن اعتذر بأنه في الحقيقة هو عن أنطاكية . وإنما أذن له في المقام بالشام الشريف ، لأجل أنه أمره نائب السلطنة أن يكتب عنه وعن أهل ملتهم إلى صاحب قبرص ، يذكر له ما حل بهم من الخزي والنكال والجناية بسبب عدوان صاحب قبرص على مدينة الإسكندرية . وأحضر لي الكتب إليه وإلى ملك إسطنبول ، وقرأها عليَّ من لفظه - لعنه اللّٰه - ولعن المكتوب إليهم أيضًا !! وقد تكلمت معه في دينهم ، ونصوص ما يعتقده كل من الطوائف الثلاثة وهم : الملكية ، واليعقوبية - ومنهم الإفرنج والقبط - والنسطورية ، فإذا هو يفهم بعض الشيء . ولكن حاصله أنه حمار ، من أكفر الكفار ! لعنه اللّٰه » . (التاريخ ١٤ : ٣١٩- ٣٢٠) .

ولا يعجبن القارئ من أن يكون ابن كثير أعلم بعقائد طوائف النصارى من أحد بتاركتهم . أستغفر اللّٰه ، بل إنه يذكر عن ذاك البترك ميخائيل الذي تكلم معه « أنه يفهم بعض الشيء » - لأن ابن كثير رحمه اللّٰه من أوسع العلماء اطلاعًا على أقوال أهل الملل والنحل ، خاصة مذاهب المسيحيين . كما يدل عليه كلامه في مواضع كثيرة في التفسير والتاريخ . بل يكفي في الدلالة على سعة اطلاعه في ذلك أن يكون تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية ، الذي ألف موسوعته النفيسة في ذلك : « كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » . وهو مطبوع معروف .

وكان - رحمه اللّه - قد أضر في آخر عمره . ثم مات يوم الخميس ٢٦ شعبان سنة ٧٧٤ . وقال ابن ناصر : « وكانت له جنازة حافلة مشهورة . ودفن بوصية منه في تربة شيخ الإسلام ابن تيمية ، بمقبرة الصوفية ، خارج باب النصر من دمشق » .

*****

الفصل الثاني

منهج ابن كثير في تفسيره(٢)

رسم ابن كثير منهجه وحدد أصوله في مقدمة التفسير . وهذا المنهج قد وضعه شيخه ابن تيمية من قبل ، بل إن أصول هذا المنهج من صياغة ابن تيمية نفسه ، كما يتبين ذلك من « مقدمته في أصول التفسير » .

وقد بدأ ابن كثير مقدمة تفسيره بعد خطبة الكتاب ببيان طرق وأصول التفسير ، فبدأ بالأصل الأول وهو :

١- تفسير القرآن بالقرآن :

فإن قال قائل : فما أحسن طرق التفسير ؟ فالجواب أن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن ، فما أجمل في مكانٍ فإنه قد بُسط في موضع آخر .

وتجد هذا الأصل في مقدمة التفسير لابن تيمية بنفس العبارات مع تغيير طفيف .

* وقد طبق ابن كثير هذا المنهج خير تطبيق ، فنجده قد جمع الآيات المتعلقة في الموضوع الواحد :

فهو يحشد في تفسيره بالقرآن الآيات المماثلة التي يجمعها وحدة الموضوع ، أو تندرج تحت قاعدة عامة يلتزم بها القرآن الكريم .

ومن الأمثلة على ذلك تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **أيحسبون أنما نُمدهم به من مالٍ وبنين نسارع لهم في الخيرات** ﴾ قال : يعني أيظن هؤلاء المغرورون أن ما نعطيهم من الأموال والأولاد لكرامتهم علينا ومعزتهم عندنا ؟ كلا ، ليس الأمر كما يزعمون في قولهم : ﴿ **نحن أكثر أموالاً وأولادًا وما نحن بمعذبين** ﴾ لقد أخطأوا في ذلك وخاب رجاؤهم ، بل إنما نفعل بهم ذلك استدراجًا وإنظارًا وإملاء ، ولهذا قال : ﴿ **بل لا يشعرون** ﴾ كما قال تعالى : ﴿ **فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا** ﴾ الآية ، وقال تعالى : ﴿ **إنما نملي لهم ليزدادوا إثمًا** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعملون وأملي لهم** ﴾ الآية . وقال : ﴿ **ذرني ومن خلقت وحيدًا** ﴾ إلى

(٢) - نقلاً عن رسالة « الحافظ ابن كثير ومنهجه في التفسير » للدكتور إسماعيل سالم - رحمه الله تعالى - وذلك بتصرفٍ واختصار

قوله: ﴿ **عنيدًا** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحًا** ﴾ الآية . والآيات في هذا كثيرة .

٢- تفسير القرآن بالسنة :

وقد صور ابن كثير هذا الأصل بقوله : « فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة ؛ فإنها شارحة للقرآن وموضحة له ، بل قد قال الإمام أبو عبد اللّه محمد بن إدريس الشافعي - رحمه اللّه تعالى - : « كل ما حكم به رسول اللّه ﷺ فهو مما فهمه من القرآن ، قال اللّه تعالى : ﴿ **إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك اللّه ولا تكن للخائنين خصيمًا** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون** ﴾ ولهذا قال رسول اللّه ﷺ : « **ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه** » - يعني السنة .

ويستطرد ابن كثير في بيان هذا الأصل فيقول : والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه ؛ فإن لم تجده فمن السنة ، كما قال رسول اللّه ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن : « **فبم تحكم ؟** » قال : بكتاب اللّه . قال : « **فإن لم تجد ؟** » قال : بسنة رسول اللّه ﷺ قال : « **فإن لم تجد ؟** » قال : أجتهد رأيي . قال : فضرب رسول اللّه ﷺ في صدره وقال : « **الحمد للّه الذي وفق رسول رسول اللّه لما يرضي رسول اللّه** ».

وذكر أن هذا الحديث في المسند والسنن بإسناد جيد .

وهذا الأصل تراه بألفاظه عند ابن تيمية .

* والأمثلة على تفسير القرآن بالسنة لا حصر لها حتى ليتحير المرء في اختيار بعضها ؛ لكثرتها أولاً ، ولطولها ثانيًا ، ولتعدد جوانب الاستشهاد بها ثالثًا ، ومن ثم ليكون معروفاً أن النماذج التي نسوقها لا تعطي رؤية كاملة وتامة لتفسير القرآن بالسنة عند ابن كثير ، ومن أراد صورة مكتملة فليرجع إلى التفسير نفسه ، فقد يصل الأمر بابن كثير أن يفسر بعض الآيات بما يزيد على خمسين حديثًا كما فعل عند تفسيره لآية الإسراء ، ونورد هنا بعض الأمثلة القليلة والقصيرة والتي تصور إلى حد ما مدى إفادته من السنة في التفسير ، ومدى ارتباطه بها ، إذ قد توضح مبهمًا ، أو تخصص عامًا ، أو تقيد مطلقًا ، أو تفصل مجملاً وما إلى ذلك .

* والسنة النبوية حين تفسر الآية تعطي المعنى الصحيح ، فكثير من المفسرين - ومنهم مجاهد وعطاء والضحاك والسدي ومقاتل وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم - قالوا في تفسير قوله تعالى : ﴿ **هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا** ﴾ أن

الضمير يرجع إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وقال مجاهد في رواية أخرى له : اللَّه سماكم المسلمين من قبل في الكتب المتقدمة وفي الذكر ﴿ **وفي هذا** ﴾ يعني القرآن ، وعلق ابن كثير على هذا فقال : وهذا هو الصواب لأنه تعالى قال : ﴿ **هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج** ﴾ ثم حثهم وأغراهم على ما جاء به الرسول صلوات اللَّه وسلامه عليه بأنه ملة أبيهم إبراهيم الخليل ، ثم ذكر منته تعالى على هذه الأمة بما نوه به من ذكرها والثناء عليها في سالف الدهر ، وقديم الزمان في كتب الأنبياء يتلى على الأحبار والرهبان فقال : ﴿ **هو سماكم المسلمين من قبل** ﴾ أي من قبل هذا القرآن ﴿ **وفي هذا** ﴾ . ثم ذكر حديثًا رواه النسائي عن الحارث الأشعري عن رسول اللَّه ﷺ قال : « **من دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جُثا جهنم** » . قال رجل : يا رسول اللَّه وإن صام وصلى ؟ قال : « **نعم ، وإن صام وصلى ، فادعوا بدعوة اللَّه التي سماكم بها المسلمين المؤمنين عباد اللَّه** » .

* وقد يستشكل على المرء معنى آية بجانب حديث يوهم التعارض معها فيبدد الحافظ ابن كثير هذا الإشكال بحجج قوية .

من ذلك تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم اللَّه** ﴾ فإن قيل : فما الجمع بين هذه الآية ، وبين الحديث الثابت في الصحيحين عن أبي هريرة قال : استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال اليهودي في قسم يقسمه : لا والذي اصطفى موسى على العالمين ، فرفع المسلم يده فلطم بها وجه اليهودي ، فقال : أي خبيث ؟ وعلى محمد ﷺ . فجاء اليهودي إلى النبي ﷺ فاشتكى على المسلم . فقال رسول اللَّه ﷺ : « **لا تفضلوني على الأنبياء ؛ فإن الناس يصعقون يوم القيامة ، فأكون أول من يفيق ، فأجد موسى باطشًا بقائمة العرش ، فلا أدري أفاق قبل أم جوزي بصعقة الطور ، فلا تفضلوني على الأنبياء** » . وفي رواية : « **لا تفضلوا بين الأنبياء** » فالجواب من وجوه :

أحدها : أن هذا كان قبل أن يعلم بالتفضيل . وفي هذا نظر .

الثاني : أن هذا من باب الهضم والتواضع .

الثالث : أن هذا نهي عن التفضيل في مثل هذه الحال التي تحاكموا فيها عند التخاصم والتشاجر .

الرابع : لا تفضلوا بمجرد الآراء والعصبية .

الخامس : ليس مقام التفضيل إليكم ، وإنما هو إلى اللَّه عز وجل ، وعليكم الانقياد والتسليم له ، والإيمان به » .

وقد ذكر بعض هذه الوجوه في موضع آخر .

٣- تفسير القرآن بأقوال الصحابة :

قال ابن كثير في ذلك : « إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة ؛ فإنهم أدرى بذلك ، لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها ، ولما لهم من الفهم التام ، والعلم الصحيح والعمل الصالح ، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين وعبد اللَّه بن مسعود - رضي اللَّه عنهم .

وذكر روايتين عن ابن مسعود قال في إحداهما : والذي لا إله غيره ، ما نزلت آية من كتاب اللَّه إلا وأنا أعلم فيمن نزلت ، وأين نزلت ، ولو أعلم أحدًا أعلم بكتاب اللَّه مني تناله المطايا لأتيته .

ومن هؤلاء البحر الحبر عبد اللَّه بن عباس ترجمان القرآن ببركة دعاء رسول اللَّه ﷺ حيث قال : «**اللَّهم فقهه في الدين وعلمه التأويل** » وقد ذكر أن ابن مسعود قال : نعم الترجمان للقرآن ابن عباس . وقد مات ابن مسعود رضي اللَّه عنه - في سنة اثنين وثلاثين على الصحيح ، وعمِّر بعده عبد اللَّه بن عباس ستًّا وثلاثين سنة ، فما ظنك بما كسبه من العلوم بعد ابن مسعود .

وذكر أبو وائل أن عليًّا استخلف عبد اللَّه بن عباس على الموسم فخطب الناس فقرأ في خطبته سورة البقرة ، وفي رواية سورة النور ففسرها تفسيرًا لو سمعته الروم والترك والديلم لأسلموا .

وانظر هذا الأصل عند ابن تيمية تجده منقولاً عنه .

٤- تفسير القرآن بأقوال التابعين :

وهذا هو الأصل الرابع من أصول التفسير وطرقه ، وفيه يقول ابن كثير :

« إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى قول التابعين كمجاهد بن جبر ، فإنه كان آية في التفسير . ونقل عن محمد بن إسحاق عن مجاهد قوله : عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته أوقفه عند كل آية منها وأسأله عنها . وقال سفيان الثوري : إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به» .

ومن التابعين أيضًا سعيد بن جبير ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وعطاء بن رباح ،

والحسن البصري ، ومسروق بن الأجدع ، وسعيد بن المسيب وأبو العالية ، والربيع بن أنس ، وقتادة ، والضحاك بن مزاحم ، وغيرهم ، وهؤلاء تذكر أقوالهم في الآية فيقع في عبارتهم تباين في الألفاظ يحسبها من لا علم عنده اختلافًا فيحكيها أقوالاً ، وليس كذلك ، فإن منهم من يعبر عن الشيء بلازمه أو بنظيره ، ومنهم من ينص على الشيء بعينه والكل بمعنى واحد في أكثر الأماكن ، فليتفطن لذلك والله الهادي .

وأورد ابن كثير اعتراضًا ذكره شعبة بن الحجاج وغيره قال فيه : أقوال التابعين في الفروع ليست حجة ، فكيف تكون حجة في التفسير ؟! وأجاب ابن كثير - نقلاً عن ابن تيمية - يعني أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم ، وهذا صحيح ، أما إذا أجمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة . فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على قول بعض ، ولا على من بعدهم . ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو السنة ، أو عموم لغة العرب ، أو أقوال الصحابة في ذلك .

٥- لا يختص بالتفسير الرسول ﷺ أو السلف الصالح :

يتعرض ابن كثير قبل بحث هذا الأصل لموضوع تفسير القرآن بالرأي فيقول : فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام ، وذكر رواية عن ابن عباس عن النبي ﷺ : « **من قال في القرآن برأيه ، وبما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار** » وبين أن هذا الحديث قد أخرجه الترمذي والنسائي وأبو داود وقال الترمذي: حديث حسن .

وروى ابن جرير عن جندب أن رسول الله ﷺ قال : « **من قال في القرآن برأيه فقد أخطأ** » وعلق ابن كثير على هذا الحديث فقال : وقد روى هذا الحديث أبو داود والترمذي والنسائي من حديث سهيل بن أبي حَزم القُطعي ، وقال الترمذي : غريب .

وقد تكلم بعض أهل العلم في سهيل ، وفي لفظ لهم : « **من قال في كتاب الله برأيه فأصاب فقد أخطأ** » ، أي لأنه قد تكلف ما لا علم له به ، وسلك غير ما أمر به . والله أعلم .

ثم يقول : « وهكذا سمى الله القذفة كاذبين فقال : ﴿ **فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون** ﴾ فالقاذف كاذب . ولو كان قد قذف من زنى في نفس الأمر ؛ لأنه أخبر بما لا يحل له الإخبار به ، ولو كان أخبر بما يعلم ؛ لأنه تكلف ما لا علم له به ، والله أعلم .

ويذكر ابن كثير روايات كثيرة عن جماعة من السلف الصالح تفيد تحرجهم عن

التفسير .

منها ما روي عن إبراهيم التيمي أن أبا بكر الصديق سئل عن قوله تعالى : ﴿ **وفاكهة وأبًا** ﴾ فقال : أي سماء تظلني ، وأي أرض تقلني ، إذا أنا قلت في كتاب اللَّه مالا أعلم .

وعن أنس - رضي اللَّه عنه - أن عمر بن الخطاب - رضي اللَّه عنه قرأ على المنبر : ﴿ **وفاكهة وأبًا** ﴾ فقال : هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأبُّ ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال : إن هذا هو التكلف يا عمر .

وعلّق على هاتين الروايتين فقال : وهذا كله محمول على أنهما - رضي اللَّه عنهما - إنما أرادا استكشاف علم كيفية الأب ، وإلا فكونه نبتًا من الأرض ظاهر لا يجهل .

أما رواية ابن أبي مليكة فقد قال فيها : سأل رجل ابن عباس عن يوم كان مقداره ألف سنة ؟ فقال له ابن عباس : فما يوم ﴿ **كان مقداره خمسين ألف سنة** ﴾ فقال له الرجل : إنما سألتك لتحدثني . فقال ابن عباس : هما يومان ذكر اللَّه في كتابه ، اللَّه أعلم بهما . فكره أن يقول في كتاب اللَّه ما لا يعلم .

وقال مالك عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب أنه كان إذا سئل عن تفسير آية من القرآن قال : إنا لا نقول في القرآن شيئًا .

وذكر عنه أيضًا أنه كان لا يتكلم إلا في المعلوم من القرآن . وسئل ابن المسيب عن آية من القرآن فقال : لا تسألني عن القرآن ، وسل من يزعم أنه لا يخفى عليه منه شيء . يعني عكرمة .

وعن عبد اللَّه بن عمر العمري قال : لقد أدركت فقهاء المدينة ، وإنهم ليعظمون القول في التفسير منهم سالم بن عبد اللَّه ، والقاسم بن محمد ، وسعيد بن المسيب ، ونافع .

ويعلق ابن كثير على هذه الآثار فيقول : فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم فيه ، فأما من تكلم بما يسلم من ذلك لغة وشرعًا فلا حرج عليه .

ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير ولا منافاة ، لأنهم تكلموا فيما علموه ، وسكتوا عما جهلوه ، وهذا هو الواجب على كل أحد ، فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به ، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه لقوله تعالى : ﴿ **لتبيننه للناس ولا تكتمونه** ﴾ ولما جاء في الحديث الذي روي من طرق :

« من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار » .

وذكر ابن كثير عن الطبري رواية من طريق جعفر بن محمد الزبيري ، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : ما كان النبي ﷺ يفسر شيئًا من القرآن إلا آيات بعدد ، علمهن إياه جبريل عليه السلام .

قال ابن كثير : وتكلم عليه الإمام أبو جعفر بما حاصله أن هذه الآيات مما لا يعلم إلا بالتوقيف عن الله تعالى مما وقفه عليها جبرائيل .

وهذه عبارة الطبري من تفسيره : « أما الخبر الذي روي عن رسول الله ﷺ أنه لم يكن يفسر من القرآن شيئًا إلا آيات تعد ، فإن ذلك مصحح ما قلنا من القول في الباب الماضي قبل ، وهو أن من تأويل القرآن ما لا يدرك علمه إلا ببيان الرسول ﷺ ، وذلك بتفصيل مجمل ما في آية ، من أمر الله ونهيه وحلاله وحرامه ، وحدوده وفرائضه ، وسائر معاني شرائع دينه ، الذي هو مجمل في ظاهر التنزيل ، وللعباد إلى تفسيره الحاجة . لا يدرك علم تأويله إلا ببيان من عند الله على لسان رسول الله ﷺ، وما أشبه ذلك مما تحويه آي القرآن من سائر حكمه الذي جعل بيانه لخلقه إلى رسول الله ﷺ ، فلا يعلم أحد من خلق الله تأويل ذلك إلا ببيان رسول الله ﷺ ، ولا يعلمه رسول الله ﷺ إلا بتعليم الله إياه ذلك بوحيه إليه ، إما مع جبريل أو مع من شاء من رسله إليه ، فذلك هو الآي التي كان رسول الله ﷺ يفسرها لأصحابه بتعليم جبريل إياه ، وهن لا شك آي ذوات عدد . ومن آي القرآن ما قد ذكر أن الله جل ثناؤه استأثر بعلم تأويله فلم يطلع على علمه ملكًا مقربًا ، ولا نبيًا مرسلًا ، ولكنهم يؤمنون بأنه من عنده وأنه لا يعلم تأويله إلا الله ، فأما ما لابد للعباد من تأويله ببيان الله ذلك له ، بوحيه مع جبريل ، فذلك هو المعنى الذي أمره الله ببيانه لهم ؛ فقال جل ذكره : **﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾** .

ولو كان تأويل الخبر عن رسول الله ﷺ أنه كان لا يفسر من القرآن شيئًا إلا آيًا تعد هو ما يسبق إليه أوهام أهل البدع من أنه لم يكن يفسر من القرآن إلا القليل من آيه واليسير من حروفه ؛ كأنه إنما أنزل إليه ﷺ الذكر ليترك للناس ما أنزل إليهم ، لا ليبين لهم ما أنزل . وفي أمر الله جل ثناؤه نبيه ﷺ ببلاغ ما أنزل إليه ، وإعلامه إياه أنه ما أنزل إليه ما أنزل ليبين للناس ما نزل إليهم ، وقيام الحجة على أن النبي ﷺ قد بلغ وأدى ما أمره الله ببلاغه وأدائه على ما أمره به ، وصحة الخبر عن عبد الله بن مسعود لقوله : كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعلم معانيهن والعمل بهن - : ما ينبيء عن خطأ من ظن أو توهم أن معنى الخبر

الذي ذكرنا عن عائشة عن رسول اللّٰه ﷺ أنه لم يكن يفسر من القرآن شيئًا إلا آيات تعد ، وهو أنه لم يمكن يبين لأمته من تأويله إلا اليسير القليل منه .

هذا مع ما في الخبر الذي رُوي عن عائشة من العلة ، التي في إسناده ، التي لا يجوز الاحتجاج به لأحد ممن علم صحيح سند الآثار وفاسدها في الدين ، لأن راويه ممن لا يعرف في أهل الآثار وهو جعفر بن محمد الزبيري» .

ويوضح ابن كثير هذه العلة التي أشار إليها ابن جرير الطبري فيقول :

« إنه حديث منكر غريب ، وجعفر هذا هو ابن محمد بن خالد بن الزبير بن العوام القرشي الزبيري . قال البخاري : لا يتابع في حديثه . وقال الحافظ أبو الفتح الأزدي : منكر الحديث » .

وعلق على تأويل الطبري لحديث عائشة فقال : « وهذا تأويل صحيح لو صح الحديث ، فإن من القرآن ما استأثر اللّٰه تعالى بعلمه ، ومنه ما يعلمه العلماء ، ومنه ما تعلمه العرب من لغاتها ، ومنه ما لا يعذر أحد في جهالته كما صرح بذلك ابن عباس . قال : « التفسير على أربعة أوجه : وجه تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه أحد إلا اللّٰه » .

٦- نقد الإسرائيليات :

عرض ابن كثير هذا الأصل كما فعل شيخه ابن تيمية ، غير أنه فصل ووضح موقفه من الإسرائيليات بحيث يعتبر - في هذا الأصل - قد أضاف جديدًا .

لقد نقل ابن كثير عن كتب السنة الصحيحة في مواضع مختلفة من تفسيره - عدة أحاديث تفيد النهي الصريح عن الأخذ من أهل الكتاب .

فذكر عن الإمام أحمد ، فيما رواه عبد اللّٰه بن ثابت قال : « جاء عمر إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول اللّٰه ، إني مررت بأخ لي يهودي من قريظة ، فكتب لي جوامع من التوراة ألا أعرضها عليك ؟ قال : فتغير وجه رسول اللّٰه ﷺ ، قال عبد اللّٰه بن ثابت : قلت له : ألا ترى ما بوجه رسول اللّٰه ﷺ ؟ فقال عمر: رضيت باللّٰه ربًا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمد رسولاً ، قال : فسري عن النبي ﷺ وقال : **« والذي نفسي بيده ، لو أصبح فيكم موسى عليه السلام ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم ، إنكم حظي من الأمم ، وأنا حظكم من النبيين »** .

وذكر عن الحافظ أبي يعلى فيما رواه عن جابر قال رسول اللّٰه ﷺ : **« لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا ، وإنكم إما أن تصدقوا بباطل**

وإما أن تكذبوا بحق ، وإنه والله لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما إلا اتباعي » .

وفي رواية للإمام أحمد ، عن جابر بن عبد الله : أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي ﷺ قال : فغضب وقال : « **أمتهوِّكون فيها يابن الخطاب ؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبونه أو بباطل فتصدقونه ، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيًا ما وسعه إلا أن يتبعني** » .

وقد قسم ابن كثير الإسرائيليات إلى ثلاثة أقسام فقال :

أحدها : ما علمنا صحته بما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح .

والثاني : ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه .

والثالث : ما هو مسكوت عنه ، لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل ، فلا نؤمن به ولا نكذبه ، ويجوز حكايته .

ويتحدث عن القسم الثالث في موضع آخر فيقول : ومنها ما هو مسكوت عنه فهو المأذون في روايته بقوله عليه السلام : « **حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج** » وهو الذي لا يصدق ولا يكذب لقوله : « **فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم** » .

ويستطرد في شرح هذا القسم فيقول : وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني . ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في هذا كثيرًا ، ويأتي من المفسرين خلاف بسبب ذلك كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف ، ولون كلبهم ، وعددهم ، وعصا موسى من أي الشجر كانت ، وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم ، وتعيين البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة ، ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى إلى غير ذلك مما أبهم الله تعالى في القرآن ، مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دينهم ولا دنياهم .

ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز كما قال تعالى : ﴿ **سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجمًا بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرًا ولا تستفت فيهم منهم أحدًا** ﴾ فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب في هذا المقام ، وتعليم ما ينبغي في مثل هذا ، فإنه تعالى حكى منهم ثلاثة أقوال ، ضعّف القولين الأولين ، وسكت عن الثالث ، فدل على صحته ، إذ لو كان باطلاً لردّه كما ردّهما ، ثم أرشد على أن الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته . فقال في مثل هذا : ﴿ **قل ربي أعلم**

بعدتهم ﴾ بأنه ما يعلم ذلك إلا قليل من الناس ممن أطلعه اللّه عليه ، فلهذا قال : ﴿ فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرًا ﴾ أي لا تجهد نفسك فيما لا طائل تحته ، ولا تسألهم عن ذلك فإنهم لا يعلمون من ذلك إلا رجم الغيب ، فهذا أحسن ما يكون في حكاية الخلاف : أن تستوعب الأقوال في ذلك المقام ، وأن تنبه على الصحيح منها ، وتبطل الباطل، وتذكر فائدة الخلاف وثمرته لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته ، فتشتغل به عن الأهم فالأهم .

فأما من حكى خلافًا في مسألة ولم يستوعب أقوال الناس فيها فهو ناقص ، إذ قد يكون الصواب في الذي تركه ، أو يحكي الخلاف ويطلقه ، ولا ينبه على الصحيح من الأقوال فهو ناقص أيضًا ، فإن صحح غير الصحيح عامدًا فقد تعمد الكذب ، أو جاهلاً فقد أخطأ ، وكذلك من نصب الخلاف فيما لا فائدة تحته ، أو حكى أقوالاً متعددة لفظًا ، ويرجع حاصلها إلى قول أو قولين معنًى ، فقد ضيع الزمان ، وتكثر مما ليس بصحيح ، فهو كلابس ثوبي زور ، واللّه الموفق للصواب .

ونخرج من هذا النص بما يلي :

١- أن ما أخذ عن أهل الكتاب مما هو مسكوت عنه تجوز روايته .

٢- أن هذا المروي لا فائدة فيه .

٣- كثرة الخلاف في هذه المرويات .

٤- وجوب استيعاب الأقوال في حكاية الخلاف والتنبيه على الصحيح والباطل وذكر فائدة وثمرة الخلاف .

٥- عدم إثارة الخلاف فيما لا طائل تحته حتى لا يتشعب الخلاف ويضيع الزمان .

ويؤكد ابن كثير حرصه على الإعراض على كثير من الأحاديث الإسرائيلية لما فيها من ضياع الوقت، وما اشتملت عليه من كذب فاضح فيقول في تفسير قوله تعالى : ﴿ ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ﴾ :

وما يذكر من الأخبار عنه في إدخال أبيه له في السرب ، وهو رضيع ، وأنه خرج بعد أيام ، فنظر إلى الكواكب والمخلوقات ، فتبصر فيها ، وما قصد كثير من المفسرين وغيرهم ، فعامتها أحاديث بني إسرائيل ، فما وافق منها الحق مما بأيدينا عن المعصوم قبلناه لموافقته الصحيح ، وما خالف شيئًا من ذلك رددناه ، وما ليس فيه موافقة ولا مخالفة لا نصدقه ولا نكذبه ، بل نجعله وقفًا ، وما كان من هذا الضرب

منها فقد رخص كثير من السلف في روايته ، وكثير من ذلك مما لا فائدة فيه ، ولا حاصل له بما ينتفع به في الدين ، أو كانت فائدته تعود على المكلفين في دينهم ، لبينته هذه الشريعة الكاملة الشاملة .

والذي نسلكه في هذا التفسير الإعراض عن كثير من الأحاديث الإسرائيلية ، لما فيها من تضييع الزمان، ولما اشتمل عليه كثير منها من الكذب المروج عليهم ، فإنهم لا تفرقة عندهم بين صحيحها وسقيمها ، كما حرره الأئمة الحفاظ المتقنون من هذه الأمة » .

منهج ابن كثير في نقد الإسرائيليات :

ومنهج ابن كثير في مهاجمة الإسرائيليات ذو جوانب متعددة ، فقد يشير إليها بدون أن يذكرها ، أو يذكرها منسوبة إلى بعض المفسرين ، أو ينسبها إلى قائلها ، مع مناقشته لها وبيان بطلانها .

وإليك بيان بعض جوانب هذا المنهج .

١- الإعراض عن ذكر الإسرائيليات :

يذكر ابن كثير في كثير من الآيات أنه قد قيل ههنا إسرائيليات ضربنا عنها صفحًا ، وقد علل وجهة نظره في عدم إيرادها بأن بعض الروايات يستحى من ذكرها ، وبعضها الآخر لا يذكره خشية الإطالة ، والروايات الإسرائيلية كلها باطلة غير صحيحة ، ولا يرجي منها نفع أو خير .

وانظر أمثلة لهذا في تفسير الآية (٨١) من سورة القصص ، والآية (٤) من الإسراء ، والآية (٣٧) من الأحزاب .

والعجب أن يردد هذه الإسرائيليات مُفسر كبير كالطبري والزمخشري ، والعجب أن يردده بعض الأساتذة المحدثين كما فعلت الدكتورة بنت الشاطئ في كتابها « نساء النبي » فضلًا عن المستشرقين الذين يكيدون للإسلام وأهله .

وها أنت ذا ترى ابن كثير يرد على هذا بأنها روايات باطلة لا يصح منها شيء .

قال الدكتور مصطفي زيد بصدد رده لهذه الإسرائيليات : « ولسنا ندري كيف تبلغ بهم الجرأة إلى حد الدفاع عن إسرائيليات لفقت قبل الطبري ، واستغلال ما وقع فيه المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل من أنه من وضع المستشرقين المبشرين ؟ ثم لماذا يحتجون بمفسر كالزمخشري ، لم يعرف بالحفظ والرواية في أمر يحتاج إليهما ، ويغفلون مفسرًا حافظًا محدثًا هو الحافظ ابن كثير ؟! ثم نقل النص الذي أوردناه عن ابن كثير سابقًا .

٢- الإسرائيليات في أقوال من أسلم من أهل الكتاب :

لقد كان للذين أسلموا من أهل الكتاب دور كبير في نقل كثير من الإسرائيليات في التفسير والحديث والقصص والتاريخ وغير ذلك ، ومن بين الذين اضطلعوا بهذا الأمر الخطير : كعب الأحبار ووهب بن منبه ، فقد أدخلا كثيرًا مما اعتقداه في الديانات السابقة إلى الدين الإسلامي ، لدرجة أنك لا تكاد تفتح كتابًا مأثورًا في التفسير أو الحديث أو القصص أو التاريخ إلا وجدت روايات كثيرة عنهما ، ولا يقبلها العقل ولا الشرع ، ولسنا في حاجة إليها كما قرر ابن كثير دائمًا .

كعب الأحبار :

هو كعب بن ماتع الحميري (أبو إسحاق) كان من كبار علماء اليهود ، توفي (٣٣ هـ ٦٥٢م) وقد ذُكرت له أقوال كثيرة في كتب التفسير وغيرها ، وقد نقد ابن كثير كثيرًا من هذه النقول التي أخذت عنه .

فانظر مثلاً :تفسير الآية (١٠٢) من سورة الصافات ، والآية (٥٧) من سورة مريم .

وهب بن منبه :

هو وهب بن منبه الصنعاني ، من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن ، ولد (٢٤ هـ – ٦٤٥م) وتوفي (١١٤هـ – ٧٧٢م) ، وقد أدخل في التفسير والتاريخ والحديث روايات كثيرة أبان ابن كثير عن زيفها وبطلانها .

فانظر مثلاً تفسير الآية (١٥٨) من سورة الأنعام ، والآية (٢٤٨) من سورة البقرة.

٣- الإسرائيليات في أقوال الصحابة :

رُوي عن بعض الصحابة آثار غريبة في التفسير والحديث ، تلقيت عن بعض من أسلم من أهل الكتاب ، ككعب الأحبار ووهب بن منبه ، وبعض ما نقل عن أهل الكتاب لم يصرح فيه بأنه أخذ عنهم ، ولكن كان مصدره بعض كتب أهل الكتاب كما قال ابن كثير عن عبد الله بن عمرو : إن بعض رواياته الغريبة مأخوذة من الزاملتين اللتين حملهما معه من اليرموك .

هذا ، وقد نسب إلى بعض الصحابة كابن عباس كثير من الروايات التي لم يثبت عنه شيء منها ، ومن هنا نجد بعض ما يكشف لنا السر عن الروايات المتناقضة

للصحابي الواحد في الآية الواحدة .

فمن الإسرائيليات التي رويت عن ابن عباس ﷺ: وأبطل ابن كثير نسبتها إليه ؛ ماروي عنه في تفسير الآية (٢٨) من سورة الحجر ، والآية (١١) من سورة الإسراء ، والآية (٢٢) من سورة المائدة .

إسرائيليات عن أنس بن مالك :

وقد روى ابن أبي حاتم عن أنس بن مالك رواية غريبة أيضًا عن طول هؤلاء الجبارين .

إسرائيليات عن عبد الله بن عمرو ﷺ:

وأكثرها مأخوذ من الزاملتين اللتين أحضرهما معه من اليرموك كما يقول ابن كثير ... ومن أمثلة ما روي عنه ما جاء في تفسير الآية (٢٥) من سورة الفرقان ، والآية (١٥٨) من سورة الأنعام .

٤- الإسرائيليات في أقوال التابعين :

وفي أقوال التابعين آثار إسرائيلية كثيرة ، وضعها بعض زنادقة أهل الكتاب ؛ ليختبروا بذلك عقول الجهلة من الناس ، وليلبسوا الحق بالباطل .

فمن ذلك ما أورده ابن كثير عن سعيد بن المسيب وعكرمة والقرظي : قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ﴿ إرم ذات العماد ﴾ : وعقب عليه قائلاً : فإن هذا كله من خرافات الإسرائيليين ، من وضع بعض زنادقتهم ليختبروا بذلك عقول الجهلة من الناس أن تصدقهم في جميع ذلك .

مصادر ابن كثير
في التفسير

أولاً : مصادره السلفية :

أكثر الحافظ ابن كثير من نقله عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين وغيرهم ، كعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو ، وعبد الله بن مسعود ، وعلي بن أبي طالب ، ومجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، والضحاك ، والحسن البصري ، وأبي الشعثاء ، والسدي ، والربيع بن أنس ، وزيد بن أسلم ، وعطاء ابن أبي رباح ، وسعيد بن جبير ، وسعيد بن المسيب ، وسعيد بن أبي عروبة ، وابن جريج ، وعطية العوفي ، وإبراهيم النخعي ، وعلي بن أبي طلحة ، وسفيان الثوري ، وعطاء بن يسار ، والأعمش ، وأبي وائل ، ومحمد بن كعب وغيرهم .

كما نقل ابن كثير عن أهل اللغة والشروح كالخليل بن أحمد والأصمعي وأبي عمرو بن العلاء ، وأبي عبيد القاسم بن سلام ، والزجاج وغيرهم .

ثانيا : مصادره من الكتب[٣] :

ها هي ذي مصادر ابن كثير في التفسير ، مرتبة ترتيبًا موضوعيًا أولاً ، ثم أبجديًا داخل كل موضوع ثانيًا ، مع مراعاة الاسم المشهور وحذف كلمة (ال) و (ابن) منه .

أولا : الكتب المقدسة :

١- القرآن الكريم .

٢- التوراة من نسختين .

٣- الإنجيل .

ثانيا : في التفسير وعلوم القرآن :

(أ) في التفسير :

٤- تفسير آدم بن أبي إياس المتوفى سنة ٢٢٠هـ أو ٢٢١هـ .

٥- تفسير أبي بكر بن المنذر المتوفى سنة ٣١٨هـ .

٦- تفسير ابن أبي حاتم المتوفى سنة ٣٢٧هـ .

٧- تفسير أبي مسلم الأصبهاني (محمد بن بحر) المتوفى سنة ٣٢٢هـ واسم كتابه : « جامع التأويل لمحكم التنزيل » .

٨- تفسير ابن أبي نجيح (عبد اللّه بن يسار الأعرج المكي مولى ابن عمر) .

٩- تفسير البغوي (أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء المتوفى سنة ٥١٦هـ) واسم كتابه (معالم التنزيل) .

١٠- تفسير ابن تيمية (تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم المتوفى سنة ٧٢٨هـ) وهو جزء في تفسير قوله تعالى : **﴿ ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب ﴾** .

١١- تفسير الثعلبي (أحمد بن محمد بن إبراهيم أبي إسحاق النيسابوري المتوفى سنة ٤٢٧هـ) .

١٢- تفسير الجبائي (أبي علي) المتوفى سنة ٣٠٣هـ .

١٣- تفسير ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي المتوفى سنة ٥٩٧هـ) . واسم الكتاب (زاد المسير في علم التفسير) .

١٤- تفسير ابن دحيم (أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن دحيم) المتوفى سنة ٣١٩هـ .

١٥- تفسير الرازي (محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري أبي عبد اللّه المشهور بفخر الدين الرازي المتوفى سنة ٦٠٦هـ ، وكتابه يسمى (التفسير الكبير المشهور بمفاتيح الغيب) .

١٦- تفسير الزمخشري (جار اللّه أبي القاسم محمود بن عمر الخوارزمي المتوفى سنة ٥٣٨هـ) كتابه يدعى (الكشاف عن حقائق التنزيل ، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) .

١٧- تفسير السدي الكبير المتوفى سنة (١٢٧هـ - ٧٤٥هـ).

١٨- تفسير سنيد بن داود . المتوفى سنة ٢٢٦هـ .

١٩- تفسير شجاع بن مخلد المتوفى سنة ٢٣٥هـ .

٢٠- تفسير الطبري . المتوفى سنة ٣١٠هـ .

٢١- تفسير عبد بن حميد . المتوفى سنة ٢٤٩هـ .

٢٢- تفسير عبد الرحمن بن زيد بن أسلم . المتوفى سنة ١٨٢هـ .

٢٣- تفسير عبد الرزاق الصنعانى ، المتوفى سنة ٢١١هـ .

٢٤- تفسير ابن عطية العوفي . المتوفى سنة ١١١هـ .

٢٥- تفسير القرطبي (أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفى سنة ٦٧١هـ) ، وتفسيره يسمى (الجامع لأحكام القرآن الكريم) .

٢٦- تفسير مالك بن أنس إمام دار الهجرة . وهو جزء مجموع له .

٢٧- تفسير الماوردي (أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب المتوفى سنة ٤٥٠هـ) . واسم تفسيره (النكت والعيون) .

٢٨- تفسير ابن مردويه .

٢٩- تفسير الواحدي (علي بن أحمد بن محمد بن علي أبي الحسن المتوفى سنة ٤٦٨هـ) .

٣٠- تفسير وكيع بن الجراح . المتوفى سنة ١٩٧هـ .

(ب) في علوم القرآن :

٣١- (البيان) لأبي عمرو الداني (الحافظ أبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان ابن سعيد المعروف بالداني (٣٧١- ٤٤٤هـ) وهو حافظ محدث مفسر . واسم الكتاب "جامع البيان في القراءات السبع ") ، وهو من أحسن مصنفاته يشتمل على نيف وخمسمائة رواية وطريق قيل : إنه جمع فيه كل ما يعلمه في هذا العلم .

٣٢- (التبيان) لأبي زكريا النووي (محيي الدين يحيى بن شرف النووي المتوفى سنة ٦٧٧هـ . أما اسم الكتاب فهو (التبيان في آداب حملة القرآن) وقد رتب على عشرة أبواب ثم اختصره وسماه (مختار التبيان) .

٣٣- جزء فيمن جمع القرآن من المهاجرين للحافظ ابن السمعاني القاضي أبي سعيد عبد الكريم بن أبي بكر ، محمد بن أبي المظفر المنصور التميمي المروزي المتوفى سنة ٥١٢هـ .

٣٤- جمع مصاحف الأئمة .

٣٥- شرح الشاطبية للشيخ شهاب الدين أبي شامة (عبد الرحمن بن إسماعيل

المقدسي الدمشقي المتوفى سنة ٦٦٥هـ) .

٣٦- فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤هـ .

٣٧- مصحف أبي بن كعب وهو أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن : (زيد بن ثابت ، ومعاذ بن جبل ، وأبو زيد الأنصاري) وقد توفي أُبيّ سنة ١٩هـ ، وقيل ٢٠ أو ٢٢ أو ٢٣هـ .

٣٨- معاني القرآن للزجاج (أبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج المتوفى سنة ٣١١هـ) .

٣٩- الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد القاسم بن سلام .

تعليق عام حول مصادر ابن كثير في التفسير :

لو ألقينا نظرة فاحصة على المصادر التفسيرية التي استقى ابن كثير منها « تفسيره » فإننا يجب أن نراعي النقاط الآتية :

١- الطابع العام لهذه التفاسير .

٢- أكثر التفاسير ذكرًا عند ابن كثير .

٣- مدى صحة النقول التي نقلها .

٤- موقف ابن كثير من هذه المصادر .

والطابع العام الذي تتميز به المصادر التفسيرية في تفسير ابن كثير هو التفسير بالمأثور ، ومن هنا نرى قائمة كبيرة منها ؛ كتفسير الطبري وابن أبي حاتم ، وسنيد بن داود ، وابن مردويه ، وعبد الرزاق ، ووكيع بن الجراح . . . إلخ وكثير من هذه التفاسير مفقود .

وهناك تفاسير أخرى ذات طابع خاص لكنها قليلة ؛ كتفسير الجبائي ، وأبي مسلم الأصبهاني ، والزمخشري ، ولقد كان لهذه التفاسير منهج اعتزالي فلسفي أخضع الآيات والتراكيب القرآنية لخدمة أهداف المعتزلة ومبادئهم ، ولا يذكر ابن كثير هذه التفاسير إلا بصدد عرض فكرة المذهب ، ثم يشرع في بيان وجهة نظره التي كثيرًا ما تعارض تلك الأفكار غير السلفية والتي تتسم بالتعصب لمذهبها .

وقد يكتفي الحافظ ابن كثير بالإشارة إلى أن تفسير « فلان » قد قال غير الحق لأن أغراضًا معينة قد دفعته إلى قول ما قال .

ومن أمثلة رده على هذه التفاسير ذات النزعة الخاصة ما قاله في تفسير قوله تعالى : ﴿ **ختم الله على قلوبهم** ﴾ سورة البقرة الآية (٧) تفنيدًا لرأي الزمخشري .

وأما أكثر التفاسير دورانًا في تفسير ابن كثير فخمسة : تفسير ابن جرير الطبري ، وابن أبي حاتم ، وعبد الرزاق الصنعاني ، وأبي بكر بن مردويه ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم . وأخص هذه الخمسة تفسير ابن جرير الطبري وابن أبي حاتم ، فقد كاد يذكرهما في كل صفحة من صفحات التفسير .

ولعل السبب في هذا ما سبق أن قررناه من أن هذه الكتب تحوي بين دفتيها عددًا هائلاً من الأحاديث والروايات والأخبار الواردة عن السلف الصالح ، وهذا يلائم منهج التفسير بالمأثور الذي آثره ابن كثير لنفسه .

وهناك من المصادر التفسيرية ما لم يذكر إلا مرة أو مرتين ، كتفسير الثعلبي صاحب «العرائس» والمعروف بسرد الأخبار والروايات الإسرائيلية والقصص الخرافية ، ذكر ابن كثير رواية له عن ابن عباس وعائشة - رضي الله عنهما - تتحدث عن سحر النبي ﷺ على يد لبيد بن الأعصم الذي حصل على مشاطة النبي ﷺ وعدة من أسنان مشطه ، فسحره بها ، فمرض رسول الله ﷺ ، وانتشر شعر رأسه ، ولبث ستة أشهر يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن . . . إلخ .

علق ابن كثير على هذه الرواية فقال : « هكذا أورده بلا إسناد ، وفيه غرابة وفيه بعض نكارة ، ولبعضه شواهد مما تقدم والله أعلم» .

وأما مدى صحة النقول التي كان ينقلها عن المصادر ، فإننا قد قمنا ببعض المقارنات بين النقل وأصله في تفسيري ابن جرير والبغوي ، وتبين أن النقول - أكثرها صحيح ، وأن بها بعض الزيادات التي لا تتجاوز بعض الكلمات القليلة مثل « رضي الله عنه » أو « عز وجل » ، وكذلك تجد بعض الكلمات الناقصة ، ولكنها قليلة

مثال ذلك نقله عن ابن جرير في تفسير أول سورة الشورى .

وعلى أية حال فإن هذه الزيادة أو النقصان لا تؤثر في المعنى كثيرًا ، وقد تكون هناك بعض النقول التي تجد فيها زيادة أو نقصًا عن الأصل أكثر مما رأينا مما يرجع إلى تعدد النسخ واختلافها ، أو سهو بعض النساخ وغير ذلك .

ويلخص ابن كثير - أحيانًا - ما ينقله عن غيره ، وهو في هذا يبلغ القمة في الأمانة حين يحافظ على النصوص وما تتضمنه من أفكار ، بحيث لا تجد في تلخيصه

بعدًا عن المعني الأصلي أو تحريفًا أو تبديلاً ، مثال ذلك تلخيصه رأي الطبري في تفسير الآية (١٢٤) سورة البقرة .

وقد بينا فيما سبق بعض النصوص التي نقلها - نصًا - ولم يغير فيها شيئًا وقد فعلنا ذلك مع بعض النصوص التي لم نثبتها خشية الإطالة .

وقد ترى الرواية الواحدة بعدة طرق فيقتصر ابن كثير - أحيانًا - على إحداهما ويشير إلى أن الرواية قد رويت من غير وجه، على نحو ما فعل في روايات تفسير الآية المشار إليها آنفًا .

لقد كانت آراء ابن كثير مستمدة من أوثق الكتب الإسلامية المعتمدة ، لكن ما موقفه من هذا الحشد الهائل من المصادر ؟ ونخص الكتب الخمسة التي سبق ذكرها وقلنا : إنه اعتمد عليها كثيرًا ؟ هل كان موقفه مجرد « النقل » فقط .

الحقيقة أن ابن كثير عالم حافظ ناقد مدقق وليس مجرد نقال ، كما قيل .

فإنه إذا لم يتفق مع غيره من المفسرين في بعض الآراء وجدناه يحشد عددًا هائلاً من الأدلة لدحض هذا الرأي أو ذاك .

ومن طبيعته التدرج في وحدة المعارضة ، فإذا استحسن رأيًا نقله بعبارة : « قال فلان » أو : « في تفسير فلان كذا » لكنه إذا خالف رأي غيره قال : « واختار فلان كذا وفيه نظر » . وإذا اشتد الخلاف درجة قال : « زعم فلان كذا » فإذا حمي الجدال وجدته يقول : « والعجب كل العجب أن يقول فلان كذا » وقد يزيد : «مع جلالة قدره » أو يقول : « وقد روي فلان خبرًا عجيبًا منكرًا جدًا » وما شابه ذلك .

وينبه ابن كثير كثيرًا إلى الإسرائيليات في كتب التفسير والحديث والسيرة وغيرها . وما أكثر هذه الإسرائيليات وما أكثر تحذير ابن كثير منها !

إن تفسير ابن كثير من أمهات كتب التفسير التي تدحض هذه الخرافات التي امتلأت بها كتب كثيرة من التفسير والحديث والسيرة وغيرها . ولقد كان السيوطي صادقًا حين وصف تفسير ابن كثير بأنه « لم يؤلف على نمطه مثله » وبخاصة في مسألة الإسرائيليات ونقدها وتفنيدها وبيان بطلانها ؛ فلقد نقد ابن كثير كثيرًا من الروايات الإسرائيلية التي وجدت في أمهات كتب التفسير كالطبري وابن أبي حاتم وابن مردويه وعبد الرزاق الصنعاني والبغوي . . . إلخ . ونحن إذا ألححنا على تأكيد هذه الحقيقة فإننا نهدف من وراء ذلك إلى تنبيه الأذهان إلى الخطر الكبير الذي امتلأت به كتب التفسير والمتمثل في الأخبار الواهية والروايات الضعيفة والنقول التي أخذت عن أهل الكتاب بلا نقد ولا روية .

ومن جانب آخر يتبين لنا مدى أهمية تفسير ابن كثير المتحرر من تلك الروايات التي لا تستند إلى دليل عقلي صحيح ، أو نقلي صريح . ومن جهة ثالثة يظهر لنا ثقل المسئولية الملقاة على كاهل العلماء والهيئات العلمية لتحرير كتب التفسير والحديث من تلك الروايات الإسرائيلية الباطلة .

ونشير ههنا إلى مواضع متفرقة من نقد ابن كثير للمرويات التي ينقلها عن الكتب الخمسة التي هي أهم الكتب التي نقل عنها :

١ - : فعن الطبري : نقد ما روى من إسرائيليات في تفسير الآية (٧٤) من سورة الأنعام ، والآية (٨٥) من سورة الإسراء ، والآية (٩٣) من سورة الكهف .

٢ - وعن تفسير ابن أبي حاتم نقد مروايات تفسير الآية (١٩٠) من سورة الأعراف.

٣ - وعن تفسير عبد الرزاق نقد مرويات تفسير الآية (٦٤) من سورة النساء .

٤ - أما تفسير ابن مردويه فنقد ما رواه في تفسير الآية (٢٦١) من سورة البقرة .

٥ - وأما تفسير عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فنقد مرويات تفسير الآية (٢٠٥) من سورة الأعراف .

يتبين من مراجعة هذه المواضع وغيرها أن موقف ابن كثير مما ينقل هو موقف العالم المدقق الناقد الذي لا يقبل رأيًا غريبًا ، أو خبرًا عجيبًا ، أو رواية إسرائيلية ، بل يهاجمها وينقدها ويبين بطلانها ، وتلك الأمثلة التي أشرنا إلى مواضعها هي قُلٌّ من كُثرٍ ، وفيها ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع ، وهو شهيد ، والله أعلم .

ثالثا : كتب السنة وعلوم الحديث وشروحه :

(أ) الكتب الستة مضافًا إليها مسند أحمد بن حنبل :

٤٠- الجامع الصحيح للإمام البخاري .

٤١- صحيح مسلم .

٤٢- سنن أبي داود.

٤٣- سنن الترمذي (الجامع).

٤٤- سنن النسائي .

٤٥- سنن ابن ماجة .

٤٦- مسند الإمام أحمد بن حنبل .

(ب) بقية كتب السنة وعلوم الحديث وشروحه :

٤٧- أحاديث الأصول للحافظ ابن كثير .

٤٨- عارضة الأحوذي في شرح الترمذي للإمام أبي بكر محمد بن العربي المتوفى سنة ٥٤٣هـ

٤٩- الأسماء والصفات للبيهقي (أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨هـ والكتاب يتضمن الأحاديث الواردة في أسماء الله تعالى وصفاته .

٥٠- الأربعين الطائية : (لأبي الفتوح محمد بن محمد بن علي الطائي الهمداني المتوفى سنة ٥٥٥هـ) وقد ذكر فيه أنه أملى أربعين حديثًا من مسموعاته عن أربعين شيخًا كل حديث عن واحد من الصحابة فذكر ترجمته وفضائله وأورد عقيب كل حديث بعض ما اشتمل عليه من الفوائد وشرح غريبه وأتبع بكلمات مستحسنة وسماه (الأربعين في إرشاد السائرين إلى منازل اليقين) .

٥١- الأطراف لأبي الحجاج المزي .

٥٢- الأفراد للدارقطني أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني الشافعي المولود في دارقطن في محال بغداد (٢٠٦هـ - ٩١٨م) والمتوفى (٣٨٥هـ - ٩٩٥م) أما اسم الكتاب فهو : فوائد الأفراد .

٥٣- الأمالي لأحمد بن سليمان النجاد (أبي بكر أحمد بن سليمان بن الحسن الحنبلي المعروف بالنجاد ، فقيه محدث توفي (٣٤٨هـ - ٩٦٠م) ويبدو أن كتابه هذا هو ما أملاه في دروسه التي كان يعقدها بعد صلاة الجمعة (وكانت له حلقتان في جامع المنصور ، حلقة قبل الصلاة للفتوى على مذهب الإمام أحمد ، وبعد الصلاة لإملاء الحديث ، واتسعت رواياته وانتشرت أحاديثه ومصنفاته وكان رأسًا في الفقه رأسًا في الحديث .

٥٤- الأنواع والتقاسيم في الحديث لابن حبان الحافظ محمد بن أحمد بن حبان البستي المولود في بست من نواحي سجستان بين هراة وغزنة والمتوفى (٣٥٤هـ - ٩٦٥م) .

٥٥- الثقات لابن حبان .

٥٦- جامع الأصول لابن الأثير (المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري المتوفى ٦٠٦هـ ، جمع فيه ابن الأثير الأصول الستة : البخاري ، ومسلم ، والموطأ ، وأبو داود ، والنسائي ، والترمذي ، وله مختصر يسمى (تيسير الوصول إلى جامع الأصول) لابن الديبع الشيباني المتوفي سنة ٩٤٤هـ.

٥٧- جامع الثوري (سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري المتوفى سنة ١٦١هـ .

٥٨- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع : للخطيب البغدادي (أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي والمتوفى سنة ٤٦٣هـ) .

٥٩- جامع المسانيد لابن الجوزي .

٦٠- الجرح والتعديل لابن أبي حاتم .

٦١- جزء من الأحاديث التي تنهى عن إتيان النساء في أدبارهن للذهبي .

٦٢- جزء من الأحاديث الواردة في الاستغفار للدارقطني .

٦٣- جزء من الأحاديث الواردة في فضل الأيام العشرة من ذي الحجة لابن كثير .

٦٤- جزء من الأحاديث الواردة في كفارة المجلس لابن كثير .

٦٥- جزء من حديث الصور لابن كثير أيضًا .

٦٦- جزء من الرد على حديث السجل لابن كثير كذلك .

٦٧- الخلافيات للبيهقي .

٦٨- دلائل النبوة لأبي زرعة الرازي : (عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ الرازي (أبي زرعة) محدث حافظ توفي (٣٦٤هـ - ٨٧٨م) .

٦٩- دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني : (أحمد بن عبد الله الأصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠هـ) وصاحب حلية الأولياء ، وكتابه ذاك ثلاثة أجزاء ذكر منها مؤلفها الأحاديث الواردة في شأن النبي ﷺ وما يتعلق بحياته ونشأته وبعثته وزواجه وغزواته إلخ .

٧٠- دلائل النبوة للبيهقي : وموضوعه كسالفه .

٧١- السنة للطبراني : (أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني صاحب المعاجم الثلاثة (الكبير والأوسط والأصغر) (٣٦٠هـ) .

٧٢- السنن لأبي بكر بن أبي عاصم : (الحافظ أحمد بن عمرو الشيباني المتوفى ٢٨٧هـ) .

٧٣- سنن أبي بكر الأثرم : (من أصحاب أحمد بن حنبل ، واسمه أحمد بن محمد بن هانىء ، ويكنى أبا بكر . له من الكتب : كتاب السنن في الفقه ، على مذهب أحمد ، وشواهده من الحديث وكتاب التاريخ وكتاب العلل وكتاب الناسخ والمنسوخ في الحديث .

٧٤- سنن أبي بكر البيهقي .

٧٥- سنن الدارقطني .

٧٦- سنن سعيد بن منصور الخراساني المتوفى ٢٢٧هـ ، وله تفسير كما ذكر الثعلبي في الكشف .

٧٧- شرح البخاري للحافظ ابن كثير وهو من الكتب المفقودة .

٧٨- شرح مسلم للنووي .

٧٩- صحيح ابن خزيمة (محمد بن إسحاق النيسابوري المتوفى سنة ٣١١هـ) .

٨٠- علل الخلال : أبي بكر أحمد بن محمد بن هارون البغدادي الحنبلي المعروف بالخلال المتوفى ٣١١هـ .

٨١- المحدث الفاصل بين الراوي والواعي للرامهرمزي الحافظ أبي محمد الحسن ابن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي المتوفي ٣٦٠هـ - ٩٧١م .

٨٢- المختارة للضياء المقدسي واسمه (الأحاديث المختارة) .

٨٣- المراسيل لأبي داود .

٨٤- المستخرج على البخاري للحافظ أبي بكر البرقاني أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمي المتوفى ٤٢٥هـ .

٨٥- المستخرج على الصحيحين للضياء المقدسي .

٨٦- مستدرك الحاكم النيسابوري (لأبي عبد اللّه محمد بن عبد اللّه بن حمد بن نعيم الضبي النيسابوري الشهير بالحاكم المتوفى ٤٠٤هـ .

٨٧- مسند أبي بكر البزار ، أحمد بن عمرو البصري البزار المتوفى ٢٩١هـ أو

٢٩٢هـ .

٨٨- مسند أبي بكر الحميدي (الحافظ عبد الله بن الزبير المكي المتوفى ٢١٩هـ) .

٨٩- مسند أبي بكر الصديق لابن كثير وقد تحدثنا عنه من قبل .

٩٠- مسند أبي داود الطيالسي ، سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي الفارسي مولى بني الزبير المتوفى ٢٠٢هـ ، وقيل ٢٠٤هـ .

٩١- مسند أبي يعلى الموصلي (الحافظ أحمد بن علي بن المثنى الموصلي المتوفى ٣٠٧هـ - ٩١٨م)

٩٢- مسند الحارث بن أبي أسامة (أبي محمد الحارث بن محمد بن أبي أسامة التميمي البغدادي ١٨٦هـ - ٢٨٢هـ) .

٩٣- مسند الدارمي (عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي شيخ مسلم وأبي داود والترمذي المتوفى ٢٥٥هـ - ٨٦٩م .

٩٤- مسند الشافعي .

٩٥- مسند ابن عباس (رضي الله عنه) الجزء الثاني منه للحافظ أبي يعلي الموصلي .

٩٦- مسند عبد بن حميد .

٩٧، ٩٨- مسند عمر بن الخطاب ، للحافظ ابن كثير .

٩٩- المسند الكبير لابن كثير (واسمه جامع المسانيد والسنن الهادي لأقوم سنن).

١٠٠- مسند محمد بن يحيى العبدي : (الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده بن الوليد العبدي المتوفى ٣٩٥هـ - ١٠٠٥م .

١٠١- مسند الهيثم بن كليب (ابن شريح الشاشي أبو سعيد المتوفى ٣٣٥هـ - ٩٤٥م وكتابه يسمى (المسند الكبير في الحديث) في مجلدين .

١٠٢- مشكل الحديث لأبي جعفر الطحاوي (أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي المصري الطحاوي المتوفى ٣٢١هـ وقيل ٣٢٢هـ .

١٠٣- مشكل الحديث لابن قتيبة (عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبي محمد ٢١٣هـ - ٢٧٦هـ) .

١٠٤- مصنف عبد الرزاق الصنعاني .

١٠٥- المطولات للطبراني .

١٠٦- معجم أبي العباس الدغولي : المتوفى (٣٢٥هـ - ٩٣٧م) ، أبو العباس محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله السرخسي الدغولي) .

١٠٧- معجم أبي القاسم البغوي : (عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي ويعرف بابن بنت منيع المتوفى ٣١٧هـ ، وله المعجم الكبير ، والمعجم الصغير ، وكتاب السنن على مذاهب الفقهاء .

١٠٨- المعجم الكبير للطبراني .

١٠٩- الموضوعات لأبي الفرج ابن الجوزي .

١١٠- الموطأ للإمام مالك .

١١١- نوادر الأصول للحكيم الترمذي لأبي عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي .

تعقيب عام حول مصادر السنة

يبدو لأول وهلة أن مصادر ابن كثير في الحديث كثيرة جدًا وهي على وجه التحديد واحد وسبعون مصدرًا ، من بينها خمسة عشر مسندًا ، وتسعة كتب من السنن ، وشرح البخاري ، وشرح مسلم ، ومنها أيضًا كتب الصحاح ، والمستخرجات ، والمستدركات ، والجوامع ، والمعاجم ، والمطولات ، وكتب متفرقة في الجرح والتعديل ، ونقد الحديث وغير ذلك .

وإذا أضفنا إلى هذا كله كثيرًا من المصادر التفسيرية التي سبق ذكرها وهي تشتمل على أحاديث كثيرة فإن مصادر السنة وعلومها توازي ثلث المصادر كلها التي ذكرت في تفسير ابن كثير .

وترجع أهمية هذه المصادر إلى أن كثيرًا منها قد فقد ، وليس لدينا منها نسخة مطبوعة أو مخطوطة ، ونستطيع أن نأخذ فكرة محددة إلى حد كبير عن بعضها من تلك النقول التي نقلها ابن كثير في تفسيره ، وفكرة عامة عن بعضها الآخر .

وعلي أية حال ، فإن هذه الكثرة قد خلفت وراءها عددًا هائلاً من الأحاديث النبوية وآراء قيمة في علم الجرح والتعديل ونقد الحديث .

رابعًا : مصادره في الفقه وأصوله :

١١٢- الأحكام الكبرى للحافظ ابن كثير .

١١٣- الإرشاد في أصول الفقه لإمام الحرمين الجويني أبي المعالي عبد الملك بن عبد اللّه بن يوسف المتوفي ٤٧٨هـ .

١١٤- الاستذكار لأبي عمر بن عبد البر (يوسف بن عبد البر النمري القرطبي الأندلسي المتوفى ٦٤٣هـ) .

١١٥- الإملاء للإمام الشافعي .

١١٦- الأم للإمام الشافعي .

١١٧- الأموال الشرعية لأبي عبيد القاسم بن سلام .

١١٨- الإيجاز في علم الفرائض لابن اللبان (أبي الحسين محمد بن عبد اللّه بن اللبان المصري المتوفى ٤٠٢هـ) .

١١٩- الإيضاح في الفروع لأبي علي الطبري (أبي علي الحسن بن القاسم الطبري الشافعي المتوفى ٣٠٥هـ .

١٢٠- الحواشي للمنذري (للحافظ عبد العظيم بن عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد اللّه المنذري زكي الدين أبي محمد محدث فقيه) .

١٢١- جزء في تطهير المساجد لابن كثير .

١٢٢- جزء في الذبيحة التي لم يذكر اسم اللّه عليها .

١٢٣- جزء في فضل يوم عرفة لابن كثير .

١٢٤- جزء في الميراث لابن كثير .

١٢٥- الشامل لابن الصباغ (واسمه الشامل في فروع الشافعية) لأبي نصر عبد السيد بن محمد المعروف بابن الصباغ الشافعي المتوفي ٤٧٧هـ . قال ابن خلكان وهو من أجود كتب الشافعية وأصحها نقلاً .

١٢٦- شرح المهذب للنووي وهو المعروف باسم «المجموع» .

١٢٧- الشرح الكبير للرافعي (أبي القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم

القزويني الرافعي المتوفى سنة ٦٢٣هـ وكتابه يسمى : (العزيز في شرح الوجيز).

١٢٨- الصلاة للمروزي (أبي عبد الله محمد بن نصر المروزي كان من أشهر المحدثين في زمانه توفي (٢٩٤هـ - ٩٠٦م) .

١٢٩- الصيام لابن كثير .

١٣٠- العبادة الكاملة للَّهذلي (أبي القاسم يوسف بن علي بن جبارة بن محمد الهذلي المغربي المتوفى ٤٦٥هـ - ١٠٧٤م) .

١٣١- العدة للرافعي .

١٣٢- فضائل الأوقات للبيهقي .

١٣٣- فضائل الصلاة على النبي ﷺ لأحمد بن فارس اللغوي (أبي الحسين) القزويني المتوفى (٣٩٥هـ - ١٠٠٤م) .

١٣٤- فضل الصلاة على النبي ﷺ للقاضي إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل الأزدي أبي إسحاق المتوفى ٢٨٢هـ - ٨٩٦م .

١٣٥- كتاب جمعه الذهبي في الكبائر .

١٣٦- كتاب لابن تيمية في إبطال التحليل تضمن النهي عن تعاطي الوسائل المفضية إلى كل باطل .

١٣٧- كشف الغطا في تبيين الصلاة الوسطى للحافظ أبي محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطي .

١٣٨- المحلى لابن حزم أبي محمد علي بن حزم الظاهري المتوفى ٤٥٦هـ .

١٣٩- المختصر للإمام الشافعي .

١٤٠- مصنف الإمام البخاري في مسألة القراءة خلف الإمام .

١٤١- المقدمات لابن كثير .

١٤٢- النهاية للإمام الجويني (واسم الكتاب : نهاية المطلب في دراية المذهب) .

١٤٣- الياسق لجنكيزخان المتوفى (٦٢٤هـ) والكتاب عبارة عن أحكام اقتبست من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والإسلام وغير ذلك وكان دستور التتار .

تعليق عام على مصادره في الفقه

مصادر ابن كثير في الفقه اثنان وثلاثون ، والملاحظ فيهَا أنها من أمهات كتب الفقه ، ولكن أغلبها مفقود ، وبعضها مخطوط لم ينشر بعد .

ومصادر الفقه أقل بكثير من مصادر السنة ، ولعل السبب في هذا يرجع إلى أن ابن كثير لم يكن يفرع المسائل الفقهية ، ويستطرد فيها كما يفعل القرطبي مثلًا في تفسيره ، بل كان يعرضها بإيجاز شديد ويحيل أحيانًا كثيرة إلى كتابه « الأحكام الكبرى» وغيره ، لكنه مع هذا كله استطرد في بعض المسائل التي سنشير إليها في الباب القادم إن شاء اللَّه .

ومن الملاحظ أيضًا أن معظم هذه المصادر شافعية المذهب كالأم والإملاء للشافعي وشرح المهذب للنووي ، والإيضاح للطبري ، والشامل لابن الصباغ وغيرها . وقد أفاد ابن كثير من آراء المذاهب الأخرى وكتبها ، ورجح بعض هذه الآراء على مذهبه لأن الدليل الصحيح كان معها .

خامسًا : في التاريخ والسير والتراجم :

١٤٤- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر .

١٤٥- (أسد الغابة في معرفة الصحابة) لابن الأثير .

١٤٦- أسماء الصحابة للحافظ أبي نعيم الأصبهاني .

١٤٧- الإكليل للهمذاني (أبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمذاني اليمني المتوفى سنة ٣٣٤هـ .

١٤٨- البداية والنهاية لابن كثير .

١٤٩- تاريخ الخطيب البغدادي .

١٥٠- تاريخ ابن عساكر (علي بن الحسن المتوفى سنة ٥٧١هـ) .

١٥١- التاريخ الكبير للإمام البخاري .

١٥٢- تاريخ مكة للأزرقي (أبي الوليد محمد بن عبد اللَّه الأزرقي توفي بعد سنة ٢٤٤هـ بقليل .

١٥٣- تهذيب الأسماء واللغات للنووي .

١٥٤- التنوير في مولد السراج المنير للحافظ أبي الخطاب عمر بن دحية .

١٥٥- جزء من فتح القسطنطينية للحافظ ابن كثير .

١٥٦- الروض الأنف للسهيلي (عبد الرحمن بن عبد اللّه السهيلي المتوفى ٥٦١هـ - ١١٨٥م وكتابه يدعى « الروض الأنف الباسم » في شرح السيرة .

١٥٧- سيرة عمر بن الخطاب لابن كثير .

١٥٨، ١٥٩- السيرة لابن كثير (مطولة وموجزة) .

١٦٠- سيرة الفقهاء للفقيه يحيى بن إبراهيم بن مزين الطليطلي أبي زكريا من أهل قرطبة بالأندلس .

١٦١- الشفاء للقاضي عياض اليحصبي المتوفى (٥٤٤هـ - ١١٤٩م) .

١٦٢- الطبقات الكبرى لابن سعد (أبي عبد اللّه محمد بن سعد بن منيع تلميذ الواقدي ومساعده فلقب من أجل ذلك : كاتب الواقدي ، توفي (٢٣٠هـ - ٨٤٥م) .

١٦٣- معرفة الصحابة لابن منده (أبي عبد اللّه محمد بن إسحاق بن محمد المعروف بابن منده حفيد (أبي عبد اللّه محمد بن يحيى) .

١٦٤- معرفة الصحابة للموصلي (الحافظ أبي يعلى الموصلي) .

١٦٥- مغازي الأموي سعيد بن يحيى الأموي .

١٦٦- مغازي عبد اللّه بن لهيعة المتوفى (١٧٤هـ - ٧٩٠م) .

١٦٧- المغازي لمحمد بن إسحاق بن يسار صاحب السيرة والمتوفى (١٥٠هـ أو ١٥١هـ) .

١٦٨- المغازي لموسى بن عقبة بن أبي العباس الأسدي المتوفى سنة ١٤١هـ .

١٦٩- (نهاية البداية والنهاية) لابن كثير وقد ذكره بقوله (كتاب في التحذير من الفتن) .

تعقيب عام حول مصادره في التاريخ والسيرة والتراجم :

مصادر ابن كثير في التاريخ والسيرة والتراجم خمسة وعشرون مصدرًا . ومعظمها

موجود في المكتبة العربية ، وبعضها مفقود لا ندري عنه شيئًا كسيرة عمر بن الخطاب ومغازي موسى بن عقبة ، والأموي وغيرهم . ونستطيع أن نرى صورة عامة لهذه الكتب المفقودة من النقول التي نقلها ابن كثير في تفسيره .

وهذه المصادر من أمهات الكتب الإسلامية المعتمدة التي يعد الكثير منها موسوعات ضخمة في التاريخ والسير والتراجم كالبداية والنهاية وتاريخ بغداد وتاريخ ابن عساكر والطبقات الكبري وغيرها . فالحافظ ابن كثير كان يستمد معلوماته ويستقيها من مصادر إسلامية معتبرة وذات قيمة كبيرة ، وليس معنى هذا أنها مصادر مبرأة من كل عيب ، وأنها خلت من الروايات الغريبة والمنكرة ، والنقول الإسرائيلية التي يشن ابن كثير الحرب عليها في كثير من الأحوال ، ويحذر منها ما وجد إلى ذلك سبيلاً .

سادسًا كتب علوم اللغة

١٧٠- الجمل لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي .

١٧١- الزاهر لابن الأنباري (أبي بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار المشهور بابن الأنباري المتوفى ٢٢٨هـ .

١٧٢- الصحاح لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري المتوفى ٣٩٣هـ وقيل : ٣٩٨هـ أو ٤٠٠هـ .

١٧٣- الغريب لأبي عبيد القاسم بن سلام .

هذه أربعة كتب في علوم اللغة ، منها ما ذكر مرة واحدة كالزاهر لابن الأنباري ، ومنها ما ذكر كثيرًا كالغريب والصحاح ، أما الجمل فكان يرجع إليه ابن كثير إذا احتاج إليه في مسألة نحوية أو تركيب لغوي .

سابعا : مصادر في موضوعات مختلفة :

١٧٤- إثبات عذاب القبر للبيهقي .

١٧٥- الأذكار للنسائي .

١٧٦- الأذكار للنووي .

١٧٧- الأذكار للمعري (الحسن بن علي بن شبيب من المحدثين الفقهاء) .

١٧٨- الأذكار وفضائل الأعمال للحافظ ابن كثير .

١٧٩- الأشراف على مذاهب الأشراف للوزير أبي المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة

المتوفى (٥٦٠هـ) .

١٨٠- الاعتقاد للبيهقي .

١٨١- الإنباه على ذكر أصول القبائل الرواة لابن عبد البر .

١٨٢- الأهوال لابن أبي الدنيا (أبي بكر عبد اللّه أو عبد اللّه بن محمد بن أبي الدنيا القرشي بالولاء المتوفى (٢٨١هـ - ٨٩٤م) .

١٨٣- التذكرة للقرطبي .

١٨٤- التفكر والاعتبار لابن أبي الدنيا .

١٨٥- التقوى لابن أبي الدنيا .

١٨٦- التوحيد للإمام أبي إسحاق بن خزيمة .

١٨٧- جزء في الإسراء والمعراج للحسن بن عرفة بن يزيد العبدي البغدادي (أبي علي) المحدث .

١٨٨- جزء في دخول مؤمني الجن الجنة لابن كثير .

١٨٩- جزء مجموع في الجراد لابن عساكر .

١٩٠- خطبة لمروان بن الحكم .

١٩١- الخمول والتواضع لابن أبي الدنيا .

١٩٢- ذم الطفيليين للخطيب البغدادي .

١٩٣- ذم المسكر لابن أبي الدنيا .

١٩٤- الرد على الجهمية للإمام أحمد بن حنبل .

١٩٥- الرد على الجهمية للدارمي (عثمان بن سعيد بن خالد التميمي الدارمي (أبي سعيد) المتوفى ٢٨٠هـ - ٨٩٤م) .

١٩٦- الزهد لعبد اللّه بن المبارك ويكنى أبا عبد الرحمن المتوفى سنة ١٨١هـ .

١٩٧- السابق واللاحق للخطيب البغدادي .

١٩٨- السر المكتوم في مخاطبة الشمس والنجوم المنسوب لأبي عبد اللّه الرازي .

١٩٩- صفة أهل الجنة للحافظ أبي عبد اللّه المقدسي .

٢٠٠- صفة العرش لمحمد بن عثمان بن أبي شيبة المتوفى سنة ٢٩٧هـ .

٢٠١- صفة النار للحافظ ابن كثير .

٢٠٢- العجائب الغريبة للحافظ محمد بن المنذر (أبي عبد الرحمن محمد بن المنذر ابن سعيد بن عثمان السلمي المعروف بشكر) .

٢٠٣- الفكاهة للزبير بن بكار (أبي عبد اللّه الزبير بن بكار بن أحمد بن مصعب ابن ثابت بن عبد اللّه بن الزبير المتوفى ٢٥٦هـ - ٨٧٠م) .

٢٠٤- القبور لابن أبي الدنيا .

٢٠٥- القصد والأمم بمعرفة أصول أنساب العرب والعجم لابن عبد البر .

٢٠٦- كتاب في الروح للحافظ أبي عبد اللّه بن منده .

٢٠٧- ما قررته المجامع النصرانية سنة ٤٠٠ هـ نقلاً عن سعيد بن بطريق - يعد من علماء النصارى .

٢٠٨- مسانيد الشعراء لابن مردويه .

٢٠٩- مساوئ الأخلاق (الجزء الثاني منه) لأبي بكر الخرائطي (محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي المتوفى ٢٣٧هـ - ٩٣٨م) .

٢١٠- المستقصى للحافظ البهائي .

٢١١- المشهور في أسماء الأيام والشهور للشيخ علم الدين السخاوي (علي بن محمد بن عبد الرحمن الهمذاني شيخ القراء بدمشق المتوفى ٦٤٣هـ) .

٢١٢- المعارف لابن قتيبة .

٢١٣- مقدمة في الأنساب لابن كثير .

٢١٤- مقصورة ابن دريد (أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد المتوفى سنة ٣٢١هـ) .

٢١٥- مكارم الأخلاق للخرائطي .

٢١٦- النسب للزبير بن بكار .

٢١٧- نوادر الأصول للقرطبي .

ثامنًا : مصادر هامة لم يصرح بأسمائها :

٢١٨- بعض كتب أبي العباس بن تيمية .

٢١٩- بعض كتب ابن جرير غير التفسير .

٢٢٠- كتاب لإمام الحرمين الجويني غير الإرشاد .

٢٢١- كتاب لرزين بن معاوية (أبي الحسن المتوفى بعد العشرين وخمسائة) .

٢٢٢- الكتب الإسرائيلية .

٢٢٣- كتب التفاسير .

٢٢٤- كتب الصحاح والمسانيد والسنن .

هذه سبعة كتب لم يحدد ابن كثير أسماءها ، أما الكتب الثلاثة الأخيرة فإن السبب في عدم تحديدها قد يرجع إلى أن النقل الذي يستقيه منها يكون مشهورًا لدرجة تعفيه عن ذكر مرجعه . لكن هذا الأمر نسبي فقد يكون النقل مشهورًا ومعروفًا من جانب ابن كثير أما بالنسبة لغيره فلا .

والكتب الأربعة الأولى لا ندري لعدم ذكرها وتحديدها سببًا .

تاسعًا : نقول عن شيوخ ابن كثير :

٢٢٥- أبو العباس ابن تيمية .

٢٢٦- أبو العباس الحجار .

٢٢٧- أبو عبد اللَّه محمد بن أحمد الذهبي .

٢٢٨- أبو الحجاج المزي .

عاشرًا : نقول عامة ومبهمة :

٢٢٩- أبو عمرو بن العلاء (زبان بن العلاء بن عمار بن عبد اللَّه بن الحسن) .

٢٢٠- أبو محمد عبد اللَّه بن محمد بن حبان الأندلسي المتوفى ٥١٧هـ .

٢٣١- الحسن بن هانىء - شاعر .

٢٣٢- ابن بطة (عبد اللّه بن محمد بن حمدان العكبري المعروف بابن بطة المتوفى ٣٨٧هـ - ٩٩٧م) .

٢٣٣- ابن خلكان القاضي .

٢٣٤- الخليل بن أحمد .

٢٣٥- سيبويه (عمرو بن عثمان بن قنبر) .

٢٣٦- عبد اللّه بن الزبعري (شاعر مشهور) .

٢٣٧- الغزالي .

٢٣٨- النابغة الذبياني (شاعر) .

٢٣٩- بعض علماء التاريخ .

٢٤٠- بعض علماء الطب .

٢٤١- بعض علماء الهيئة (الجغرافيا) .

الفصل الثالث

منهجنا في تحقيق الكتاب

قمنا بمقابلة الكتاب على نسختين خطيتين كاملتين ، وأثبتنا الفروق بينهما

الأولى وهي النسخة الأزهرية وتقع في سبعة مجلدات

المجلد الأول ، وعدد أوراقه (٣١٢) ورقة ، ويبدأ من أول التفسير إلى نهاية سورة البقرة .

المجلد الثاني ، وعدد أوراقه (٣٢٤) ورقة ، ويبدأ بتفسير سورة آل عمران ، وينتهي بتفسير الآية (٩٥) من سورة المائدة .

المجلد الثالث ، وعدد أوراقه (٣٢٨) ورقة ، ويبدأ بتفسير الآية (٦٩) من سورة المائدة ، وينتهي بتفسير سورة هود .

المجلد الرابع ، وعدد أوراقه (٣٢٢) ورقة ، ويبدأ بتفسير سورة يوسف وينتهي بتفسير سورة الحج .

المجلد الخامس ، وعدد أوراقه (٣٢٠) ورقة ، ويبدأ بتفسير سورة المؤمنون ، وينتهي بسورة فاطر .

المجلد السادس وعدد أوراقه (٢٨٠) ورقة ، ويبدأ بتفسير سورة يس ، وينتهي بسورة القمر .

المجلد السابع ، وعدد أوراقه (٣٣٠) ويبدأ بتفسير سورة الرحمن وينتهي بتفسير سورة الناس .

والثانية وهي نسخة دار الكتب المصرية وهي مثل النسخة الأزهرية في عدد المجلدات ، وبداية كل مجلد ونهايته .

منهج تخريج الأحاديث

قد قمنا بتخريج أحاديث الكتاب ، والحكم على بعض الأسانيد من خلال دراسة رجال الإسناد ، بناءً على القواعد التي وضعها أهل العلم في هذا الفن .

وقد اتبعنا منهجًا وسطًا في تخريج الأحاديث ، حتى لا نُسود الصفحات بما لا فائدة منه ، وكان منهجنا في تخريج الأحاديث كما يلي :

إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفينا بعزوه إليهما ، وربما نعزوه إلى الكتب الستة وغيرها ، وذلك إذا نسبه المؤلف إليها ، وهذا من باب التوثيق لأقوال المصنف .

وأما إذا لم يكن الحديث في أحد الصحيحين فإننا نستقصي على قدر وسعنا في التخريج لا سيما إذا كان الحديث مما ضعفه أهل العلم ، فنبين سبب ضعفه ، فإن كان له شاهد يُصحَّح أو يُحسَّن به ولم يذكره المؤلف ذكرناه ، وأتبعناه بالأحاديث التي وردت في معناه .

كما أننا عرضنا نصوص الأحاديث على كتب السنة الأصول ؛ فإن وجدنا نقصًا أو زيادة في المعني ذكرنا ذلك في الحاشية ، وأحيانا نضع الزيادة بين معكوفتين في الأصل ، وننبه على ذلك في الحاشية ، وإذا كان الاختلاف يسيرًا كأن يكون في حرف عطف أو في كلمة النبي أو الرسول تركنا ذلك على حاله .

وقد ضبطنا سلاسل الأسانيد التي ذكرها المصنف من خلال الأصول التي اعتمدنا عليها في التخريج ، مع الاستعانة أيضًا بكتب الرجال . ومن أهمها تهذيب الكمال للحافظ المزي ، وتهذيبه وتقريبه للحافظ ابن حجر العسقلاني ، ومنها ميزان الاعتدال للحافظ الذهبي ، ولسان الميزان للحافظ ابن حجر . . . . . .

أوهام الحافظ ابن كثير في تفسيره

لعل بعض من ينظر إلى هذا العنوان يلحق سيئ الظن بنا ، ويرى أنّا عمدنا للطعن على من تقدمنا ، وإظهار العيب في علماء سلفنا . ومعاذ الله من هذا !! . وأنَّى يكون ذلك ، وبهم ذُكرنا ، وبشعاع ضيائهم تبصرنا ، وباقتفائنا واضح رسومهم تميزنا ، وبسلوك سبيلهم عن المنهج تحيزنا .

وما مثلهم ومثلنا إلا ما قال أبو عمرو بن العلاء : ما نحن فيمن مضى إلا كَبَقْلٍ في أصول نَخلٍ طوال .

لكن لما جعل الله تعالى في الخلق أعلامًا ، ونصب لكل قوم إمامًا ، لزم المهتدين بمبين أنوارهم ، والقائمين بالحق في اقتفاء آثارهم ممن رزق البحث والفهم ، وإنعام النظر في العلم - ونسأل الله عز وجل أن نكون كذلك - بيان ما أهملوا ، وتسديد ما أغفلوا إذ لم يكونوا معصومين من الزلل ، ولا آمنين من مقارفة الخطأ والخطل ، وذلك حق العالم على المتعلم ، وواجب على التالي للمتقدم [1] .

ومن هذا المبدأ استخرنا الله تعالى في كتابة مثل هذا العنصر في المقدمة ، فرأينا أهميته لا سيما وأن الكتاب متداول بين عوام المسلمين قبل طلبة العلم منهم ، وقد وقع فيه أغلاط وتصحيفات كثيرة نكتفي بذكر أمثلة منها هنا ، والباقي تراه في حاشية الكتاب . لكن مما ينبغي التنبيه عليه ، قبل ذكر هذه الأمثلة أن نقول : إن بعض الأغلاط والتصحيفات التي تم تعقيبها أو تقويمها ، أعظمنا أن تكون غابت عن الحافظ ابن كثير ، وأكثرنا جوازها عليه ، وجوزنا أن يكون ذلك تصحيفًا أو تحريفًا من الناسخ ؛ مع أنه لا يعرى بشر من السهو والغلط فسبحان من لا تأخذه سنة ولا نوم .

وقد قسمنا هذه الأوهام بحسب ما وقع لنا إلى أربعة أقسام وهي :

أولاً : (١) - الخطأ في العزو .

مثاله : ألاّ يكون الحديث في الصحيحين أو في أحدهما ، ومع هذا تراه يعزوه إليهما أو إلى واحد منها أو يكون فيهما أو في أحدهما لكنه من طريق غير الطريق الذي عزاه المصنف إليهما أو إلى أحدهما .

ومن ذلك :

١ - أنه ذكر حديثًا - (سورة آل عمران/آية رقم ١٨٥) - من رواية ابن أبي حاتم في تفسيره بإسناده إلى أبي هريرة مرفوعًا : « **موضع سوط في الجنة خير من**

الدنيا وما فيها ، اقرءوا إن شئتم : ﴿ فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ﴾ .

وقال : « هذا حديث ثابت في الصحيحين من غير هذا الوجه ، بدون هذه الزيادة . يعني قوله : « **اقرءوا إن شئتم** ... » وهذا اللفظ إنما أخرجه البخاري (٢٨٩٢) بإسناده إلى سهل بن سعد الساعدي مرفوعًا : « **رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، وموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما عليها ، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها** » واقتصر مسلم في صحيحه حديث (١٣) (١٨٨١) على إخراج الجزء الثالث من الحديث دون الأولين .

٢ - ومنه أيضًا أنه ذكر حديثًا - (سورة آل عمران/آية ١٦٩) - برواية الإمام أحمد : ثنا عبد الصمد ، ثنا حماد ، ثنا ثابت ، عن أنس مرفوعًا : « **ما من نفس تموت لها عند الله خير** ... » الحديث وقال : تفرد به مسلم من طريق حماد .

وهذا إنما أخرجه مسلم من طريق ، حميد وقتادة ، عن أنس ، ولم يخرجه مسلم من طريق ثابت ، عن أنس ، ومن المحتمل أن يكون الناسخ أو غيره تصرف في هذه العبارة وأصلها : تفرد به أحمد من طريق حماد . والله أعلم

٣ - ومنه قوله في (سورة آل عمران / آية ١٨٧) : كما جاء في الصحيحين عن النبي ﷺ : « **من ادعى دعوة كاذبة ليتكثر بها ، لم يزده الله إلا قلة** » .

وهذا إنما هو جزء من حديث رواه مسلم (١٧٦) (١١٠) من مسند ثابت ، عن الضحاك ، وأصله عند البخاري (١٣٦٣) دون هذه اللفظة ، وقد أفاد أبوالفضل ابن حجر في « الفتح » (١١ / ٥٣٨) : أنها من زيادات مسلم .

٤ - قوله في (سورة النساء / آية ٣١) : « وفي الصحيح شاهد لمعناه - وهو حديث أنس : « **شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي** » وهو قوله ﷺ بعد ذكر الشفاعة : « **أترونها للمؤمنين المتقين ؟ لا ، ولكنها للخاطئين المتلوثين** » .

وهذا لا يوجد في أي من الصحيحين وإنما رواه ابن ماجة (٤٣١١) فحسب من بين أصحاب الكتب الستة .

هذا وقد بدا لي أن يكون ابن كثير يعني بقوله : « وفي الصحيح » أي : وفي الحديث الصحيح لأن مثل هذا ورد كثيرًا فيستبعد أن يكرر مثل هذا الوهم منه . والله أعلم . ومع هذا فإن الحديث مُعَلّ بالاضطراب كما تراه محققًا في الموضع المذكور .

٥ - قوله في (سورة النساء / آية ٣٤) بعد ذكر حديث : « **لن يفلح قوم ولو أمرهم امرأة** » : « رواه البخاري من حديث عبد الرحمن بن أبي بكرة ، عن أبيه » . وعزوه إلى البخاري من هذه الطريق خطأ ؛ فإن البخاري رواه (٤٤٢٥، ٧٠٩٩) وكذا رواه الترمذي (٢٢٦٢) والنسائي (٨/ ٢٢٧) وأحمد (٥/ ٤٣، ٤٧، ٥١) من طرق ، عن الحسن البصري ، عن أبي بكرة به ، والحديث لم يذكره المصنف في كتابه « جامع المسانيد والسنن » المجلد (١٣) ومن قبله شيخه أبو الحجاج المزي في كتابه « تحفة الأشراف » (٩ / ٤٤) من رواية عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه ، وقد استدرك ذلك المصنف نفسه فرواه على الجادة في كتابه « البداية والنهاية » (٢/ ٢٦) .

٦ - قوله (سورة النساء/ آية ٥٩) : « وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : أوصاني خليلي : أن أسمع وأطيع وإن كان عبدًا حبشيًا مُجدّع الأطراف » رواه مسلم .

ومسلم رواه (٣٦) (١٨٣٧) من حديث أبي ذر ، ومن هذا الوجه رواه أحمد (٥/ ١٦١) وابن ماجة (٢٨٦٢) والبخاري في الأدب المفرد (١١٣) ، وحديث أبي هريرة لم أهتد له .

٧ - قوله (سورة الأنعام / آية ١٢) : « ثبت في الصحيحين من طريق الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال النبي ﷺ : « **إن الله لما خلق الخلق كتب كتابًا عنده فوق العرش : إن رحمتي تغلب غضبي** »

كذا عزاه للصحيحين من هذه الطريق ، وإنما الذي أخرجه من هذا الوجه البخاري (٧٤٠٤) وحده ، ورواه مسلم (١٤: ١٦) (٢٧٥١) من طريق أبي الزناد ، عن الأعرج ، ومن طريق الحارث بن عبد الرحمن بن ميناء ، كلاهما (الأعرج وعطاء) عن أبي هريرة به - وانظر « تحفة الأشراف » (٩/ ٣٤٦، ٣٨٤) .

٨ - ومنه قوله (سورة الأنعام / آية ١٠٣) : ثبت في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال رسول الله ﷺ : « **إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام** .....» الحديث وهذا وهم ؛ لأن الحديث انفرد بروايته مسلم (٢٩٣، ٢٩٥) (١٧٩) دون البخاري ، وقد ذكر المصنف نفسه ذلك في (سورة البقرة / آية ٢٥٥) وعزاه إلى الصحيح فقط .

٩ - قوله (سورة الأعراف /آية ٨) : « ... **ومن ذلك في الصحيح قصة القرآن وأنه يأتي صاحبه في صورة شاب شاحب اللون ، فيقول : من أنت ؟ فيقول : أنا القرآن الذي أسهرت ليلك وأظمأت نهارك** » .

والحديث إنما أخرجه ابن ماجة فحسب من بين أصحاب الكتب الستة ، ورواه أحمد (٥/ ٣٤٨) ضمن حديث طويل نقله المصنف في صدر تفسير سورة البقرة وعزاه إلى ابن ماجة .

١٠ - قوله (سورة الأعراف / آية ٩٥) : ثبت في الصحيحين : « **عجبًا للمؤمن لا يقضي اللَّه له قضاء إلا كان خيرًا له ، إن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له ، وإن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له** »

كذا عزاه للصحيحين وهو وهم ، استدركه هو نفسه عند (آية رقم ٥) من سورة إبراهيم ، وعزاه للصحيح فقط ، وهو في صحيح مسلم (٢٤) (٢٩٩٩) من حديث صهيب ، وقد عزاه الحافظ ابن حجر في « الفتح » (١٠ / ١٠٩) إلى مسلم فحسب ، وانظر (سورة يونس / آية ١٢) .

١٠ - ذكر حديثًا (سورة الأعراف / آية ١٥٨) بإسناد الإمام أحمد : ثنا محمد ابن جعفر ، ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن أبي موسى الأشعري - رضي اللَّه عنه - عن رسول اللَّه ﷺ قال : « **من سمع بي من أمتي أو يهودي أو نصراني فلم يؤمن بي لم يدخل الجنة** » .

وقال في (سورة هود / آية) : « وفي صحيح مسلم من حديث شعبة عن أبي بشر ...» فذكره .

كذا عزاه من هذا الوجه إلى صحيح مسلم !! مع أنه أورده في « جامع المسانيد والسنن » (٥ / ٢٨٤ / مخطوط) ومن قبله شيخه المزي في « تحفة الأشراف » (٦ / ٨٩٩٥) ولم ينسباه إلا إلى النسائي ، وقد أخرجه النسائي في التفسير من « السنن الكبرى » (٦/ ١١٢٤١) ولذلك أورده الهيثمي في « المجمع » (٨ / ٢٦٤) . وقد روى مسلم في صحيحه (٢٤٠) (١٥٣) من طريق عمرو بن الحارث أن أبا يونس حدثه ، عن أبي هريرة ، عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال : ... فذكر حديثًا بنحو السابق .

١٢ - وأورد في (سورة هود / آية ٧) حديث عمران بن حصين مرفوعًا : «**اقبلوا البشرى يا بني تميم** ...» وقال : وهذا الحديث مخرج في صحيحي البخاري ومسلم بألفاظ كثيرة .

والحديث أورده المزي في « تحفة الأشراف » (٦/ ١٠٨٢٩) والحافظ ابن حجر في « النكت الظراف » ولم ينسباه إلا إلى البخاري والترمذي والنسائي دون مسلم ، بل إن المصنف نفسه ذكره في « البداية والنهاية » (١/ ١٧) ، (٥ / ٨٢) وعزاه للمذكورين دون مسلم .

١٣ - قوله (سورة هود / آية ١١٤) : « وفي الصحيح عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **أرأيتم لو أن نهرًا غمرًا** ...»

والحديث متفق عليه دون لفظة : « **نهرًا غمرًا** » فلم يخرجها إلا مسلم (٢٨٤) (٦٦٨) من حديث جابر بن عبد الله ، ورواها أحمد (٢/ ٤٢٦) من حديث أبي هريرة .

ولم يقتصر الخطأ في العزو عند ابن كثير على الصحيحين بل قد تعدى إلى غيرهما ، فمن ذلك :

أ - أنه ذكر حديثًا (سورة النساء/آية ٣١) رواه الحاكم بإسناده إلى معاذ بن هانئ ، ثنا حرب بن شداد ، ثنا يحيى بن أبي كثير ، عن عبد الحميد بن سنان ، عن عبيد بن عمير ، عن أبيه - يعني : عمير بن قتادة - رضي الله عنه - أنه حدثه وكانت له صحبة : أن رسول الله ﷺ قال في حجة الوداع : « **ألا إن أولياء الله المصلون** ...» فذكر حديثًا طويلاً .

قال ابن كثير : « هكذا رواه الحاكم مطولاً ، وقد أخرجه أبو داود والترمذي مختصرًا من حديث معاذ بن هانئ به » .

كذا قال !! والذي رواه مع أبي داود هو النسائي ، ولم يروه الترمذي ، والمصنف نفسه ذكره في « جامع المسانيد والسنن » (١٠/ ١١٤) ومن قبله شيخه أبو الحجاج المزي في « تحفة الاشراف » (٨/ ١٠٨٠٩٥) والسيوطي في « الدر المنثور » (٢/ ٢٦٢) معزوًا إلى أبي داود والنسائي .

ب - وذكر (سورة النساء/آية ٤٣) ما رواه ابن أبي حاتم بإسناده إلى شعبة أخبرني سماك بن حرب قال : سمعت مصعب بن سعد يحدث عن سعد قال : نزلت فيَّ أربع آيات ... الحديث .

قال ابن كثير : « والحديث بطوله عند مسلم من رواية شعبة ، ورواه أهل السنن إلا ابن ماجة من طرق عن سماك به »

كذا عزاه لأهل السنن - إلا ابن ماجة - من طريق سماك ، والذي رواه من هذه

الطريق هو الترمذي (٣١٨٩) فحسب ، ورواه أبو داود (٢٧٤٠) والنسائي في « الكبرى » (٦/ ١١١٩٦) وكذا الترمذي (٣٠٧٩) من طرق عن أبي بكر بن عياش ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن مصعب بن سعد به مختصرًا ، وقد استدرك المصنف نفسه هذا الخطأ عند فاتحة سورة الأنفال ، وانظر أيضًا « تحفة الأشراف » (٣ / ٣٩٣٠) .

جـ – ومنه قوله (سورة النساء / آية ٤٣) : « ....ويستشهد لهذا القول بالحديث الذي رواه أحمد وأهل السنن من حديث أبي قلابة ، عن عمرو بن بجدان ، عن أبي ذر قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **الصعيد طهور المسلم** ...»

كذا عزاه هنا لأهل السنن ولم يخرجه من بينهم ابن ماجة ، وقد استدرك هو نفسه ذلك بعد عدد من الصفحات (رقم ٤٩٥) فقال : « رواه الإمام أحمد وأهل السنن إلا ابن ماجة » .

د – ومنه قوله (سورة الأنعام / آية ١٢١) : « واحتج لهذا المذهب – وهو : إن ترك البسملة على الذبيحة نسيانًا لم يضر ، وإن تركها عمدًا لم تحل – بالحديث المروي من طرق عند ابن ماجة عن ابن عباس وأبي هريرة وأبي ذر وعقبة بن عامر وعبد اللَّه ابن عمر عن النبي ﷺ : « **إن اللَّه وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه** »

وابن ماجة لم يرو حديث عقبة بن عامر وحديث عبد اللَّه بن عمر . انظر تخريجهما في الموضع المذكور .

هـ – وذكر (سورة الأعراف/آية ٢٠٢) ما رواه أبو بكر بن مردويه بإسناده إلى محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة – رضي اللَّه عنه – قال : جاءت امرأة إلى النبي ﷺ وبها طيف ، فقالت : يا رسول اللَّه ، ادع اللَّه أن يشفيني ، فقال : « **إن شئت دعوت اللَّه فشفاك** .....» الحديث .

قال ابن كثير : « رواه غير واحد من أهل السنن وعندهم ...» .

والذي رواه من أهل السنن هو النسائي فحسب ، فرواه في السنن الكبرى (٤/ ٧٤٩٠) من حديث ابن عباس ، وكذا أخرج حديث ابن عباس البخاري (٥٦٥٢) ومسلم (٥٤) (٢٥٧٦) .

و – ومنه قوله (سورة هود/آية ١٧) : « وفي المسند والسنن : « **كل مولود يولد على هذه الملة ، حتى يُعرب عنه لسانه** » وهذا لم يعزه المزي في التحفة (١/ ٧٠) إلا إلى النسائي في السير (٥/ ٨٦١٦) من الكبرى بلفظ آخر من حديث

الأسود بن سريع .

ثانيًا : الخطأ في تسمية الصحابي الذي روى الحديث ، أو نسبة الحديث إلى الصحابي ولم يكن له في الباب شيء .

فمن الأول :

قوله في (سورة يوسف / آية ٥، ٤١) : « وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد وبعض أهل السنن من رواية معاوية بن حَيْدَة القشيري أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **الرؤيا على رجل طائر مالم تعبر ، فإذا عبرت وقعت** » .

كذا جعله من مسند معاوية بن حيدة وقد رواه أحمد (٤ / ١٠، ١٢، ١٣) وعنه أبو داود (٥٠٢٠) والترمذي (٢٢٧٩، ٢٢٨٠) وابن ماجة (٣٩١٤) وغيرهم من حديث أبي رزين العقيلي . وذكره المصنف نفسه في كتابه « جامع المسانيد » (٣ / ورقة - ١٧) في مسند أبي رزين ولم يذكره في مسند معاوية بن حيدة .

ومن الثاني :

قوله (سورة النساء / آية ٥٨) : « وفي حديث الحسن عن سمرة أن رسول الله ﷺ قال : « **أد الأمانة إلى من ائتمنك ، ولا تخن من خانك** » .

ولم أجد لسمرة رواية في هذا الباب ، وإنما أخرجه ابن جرير (٨ / ٩٨٥٠) بإسناد صحيح عن الحسن مرسلًا ، ويحتمل أن المصنف أو الناسخ زاد : « سمرة » سهوًا لشهرة الخلاف الواقع في رواية الحسن عن سمرة ، وفي الباب عن غير واحد من الصحابة . انظر حاشية الموضع المذكور .

ثالثًا : الخطأ الواقع في الأسانيد فمن ذلك :

١ - ما ذكره (سورة النساء/آية ٤٣) عن ابن جرير في تفسيره (٨/ ٩٥٨١) حدثني حميد بن مسعدة ، حدثنا يزيد بن زريع ، ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير قال : ذكروا اللمس فقال ناس من الموالي : ليس بالجماع . . .» فذكر الخبر ، ثم قال الحافظ ابن كثير : « ثم رواه عن ابن بشار ، عن غندر ، عن شعبة به نحوه . . . »

والذي في تفسير ابن جرير من هذه الطريق أن شعبة رواه عن : « أبي قيس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس به » .

٢ - ومنه ما نقله (سورة الأنعام/آية ٥٩) عن ابن أبي حاتم بإسناده إلى مالك بن

سعير ، ثنا الأعمش ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث قال : ما في الأرض من شجرة ولا مغرز إبرة إلا عليها ملك موكل يأتي الله بعلمها . . . »

قال ابن كثير : « وكذا رواه ابن جرير (١١/ ١٣٣٠٨) : « زياد بن يحيى الحساني أبو الخطاب » وفي الحاشية للشيخ شاكر قال : جاء في المخطوطة وتفسير ابن كثير : « زياد بن عبد الله الحساني أبو الخطاب » وهوخطأ لا شك فيه ؛ فإن الذي يروي عن مالك بن سعير ، هو زياد بن يحيى الحساني أبو الخطاب فضلاً عن أنه ليس في الرواة من يسمى : زياد بن عبد الله الحساني أبو الخطاب .

٣ - ومنه أنه ذكر (سورة الأنعام/آية٦٥) حديثًا من رواية الإمام أحمد بإسناده إلى معاذ بن جبل قال : أتيت رسول الله ﷺ أطلبه . . . . وفيه أن رسول الله ﷺ قال : « **إني صليت صلاة رغبة ورهبة . . .** »

قال ابن كثير : « ورواه ابن مردوية من حديث أبي عوانة ، عن عبد الله بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن معاذ بن جبل . . . »

فقوله : « عن عبد الله بن عمير » خطأ وصوابه : « عبد الملك بن عمير » إذ ليس في الرواة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى من اسمه هكذا . وقد جاء الإسناد على الصواب في المسند (٥/ ٢٤٣ ، ٢٤٧) .

٤ - ومنه ما نقله (سورة الأنعام/آية ١١٢) عن ابن جرير في تفسيره (١٢/ ١٣٧٦٩ » ثنا المثنى ، ثنا أبو صالح ، حدثني معاوية بن صالح ، عن أبي عبد الله محمد بن أيوب وغيره من المشيخة ، عن بن عائذ ، عن أبي ذر قال : أتيت رسول الله ﷺ في مجلس قد أطال فيه الجلوس . . . الحديث .

كذا كنى هنا « محمد بن أيوب » بـ « أبي عبد الله » وكذا هو في تفسير ابن جرير ، قال الشيخ الأديب محمود شاكر في حاشيته على تفسير ابن جرير (١٢/ ٥٤) : « أبو عبد الله محمد بن أيوب كأنه خطأ من الناسخ ، وصوابه أبو عبد الملك محمد بن أيوب قال البخاري في « التاريخ الكبير » (١/ ١/ ٢٩ ، ٣٠) : « محمد بن أيوب أبو عبد الملك الأزدي ، عن ابن عائذ ، عن أبي ذر . . . . . وترجمه ابن أبي حاتم (٣/ ٢/ ١٩٦ ، ١٩٧) فذكر مثله .

قلت : وجاء على الصواب في رواية ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٨/ ١٦٧/ مخطوط) .

٥ - ومنه أنه ذكر (سورة الأعراف /آية ٧٠) حديثًا من رواية الإمام أحمد ، ثنا زيد بن الحباب ، حدثني أبو المنذر سلاّم بن سليمان النحوي ، ثنا عاصم بن أبي

النجود ، عن أبي وائل ، عن الحارث البكري قال : خرجت أشكو العلاء بن الحضرمي إلى رسول الله ﷺ . . . فذكر حديثًا طويلًا .

قال الحافظ ابن كثير : « ورواه الترمذي ، عن عبد بن حميد ، عن زيد بن الحباب به نحوه ، ورواه النسائي من حديث سلّام أبي المنذر ، عن عاصم - وهو ابن بهدلة - ومن طريقه رواه ابن ماجة أيضًا عن أبي وائل ، عن الحارث بن حسان البكري به » اهـ .

ورواية ابن ماجة ليس فيها أبو وائل ، وانظر « تحفة الأشراف » (٣/ رقم ٣٢٧٧).

٦ - ومنه ما نقله (سورة الأعراف /آية ١٤٣) عن ابن جرير في تفسيره (١٣/ ١٥٠٨٧) حدثني المثنى ، ثنا الحجاج بن منهال ، حدثنا حماد ، عن ليث ، عن أنس : أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية : ﴿ **فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًا** ﴾ قال هكذا بأصبعه ووضع النبي ﷺ أصبعه الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر فساخ الجبل .

كذا نقل المصنف عن ابن جرير هذا الإسناد ، والذي في تفسير ابن جرير : « . . . ثنا حماد ، عن ثابت ، عن أنس » ونقل الأديب محمود شاكر في الحاشية هذا الإسناد عن هذا الموضع ثم قال : « وليس ذلك كما نقل ، فإن الثابت في المخطوطة والمطبوعة : حماد ، عن ثابت ، عن أنس » ليس فيها « ليث » فلا أدري كيف وقع هذا للحافظ ابن كثير ولا من أين » .

ثالثًا : التقصير في العزو :

فمن ذلك :

* ما ذكره (سورة آل عمران /آية ١٨٠) من حديث بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي ﷺ قال : « **لا يأتي الرجل مولاه فيسأله من فضل ماله عنده فيمنعه إلا دعي له يوم القيامة شجاعًا ، يتلمظ فضله الذي منع** » واقتصر على عزوه لابن جرير وابن مردويه ، مع أن الحديث رواه أحمد (٥/ ٢ ، ٣ ، ٥) وأبو داود (٥١٣٩) والنسائي (٥/ ٨٢) وغيرهم ممن هم أولى أن يعزى إليهم الحديث .

رابعًا : السهو في نقل بعض كلام الأئمة :

فمن ذلك :

١ - ما ذكره (سورة الأنعام /آية ١٠٣) أن الحاكم وغيره قد رووا من طريق الحكم بن أبان قال : سمعت عكرمة يقول : سمعت ابن عباس يقول : رأى محمد ربه تبارك وتعالى . . . .

ثم نقل ابن كثير عن الحاكم قوله : « صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه »

والذي في جميع نسخ الحاكم أنه قال عقبه : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » وهذا أشبه منه ، وإن كان فيه تساهل بيِّن ؛ حيث رواه الحاكم من طريق إبراهيم بن الحكم ابن أبان ، حدثني أبي به . وإبراهيم هذا ضعفه الجمهور ، ولذا تعقب الحاكمَ الذهبيُّ في حكمه السابق ، فقال : بل إبراهيم متروك » . قلت : ولم يخرج الشيخان له ولا لأبيه شيئًا .

٢ - ومن ذلك أنه ذكر (سورة الأعراف /آية ٨) حديث البطاقة المشهور ثم قال عقبه : « رواه الترمذي وصححه » .

والثابت عند الترمذي في جامعه (٢٦٣٩) أنه قال : « حسن غريب » وكذا هو في « تحفة الأشراف » (٦/ ٢٥٠٣) وهو ما نقله المصنف نفسه في تفسيره (سورة الأنبياء /آية ٤٧) .

نماذج من
صور النسخ الخطية

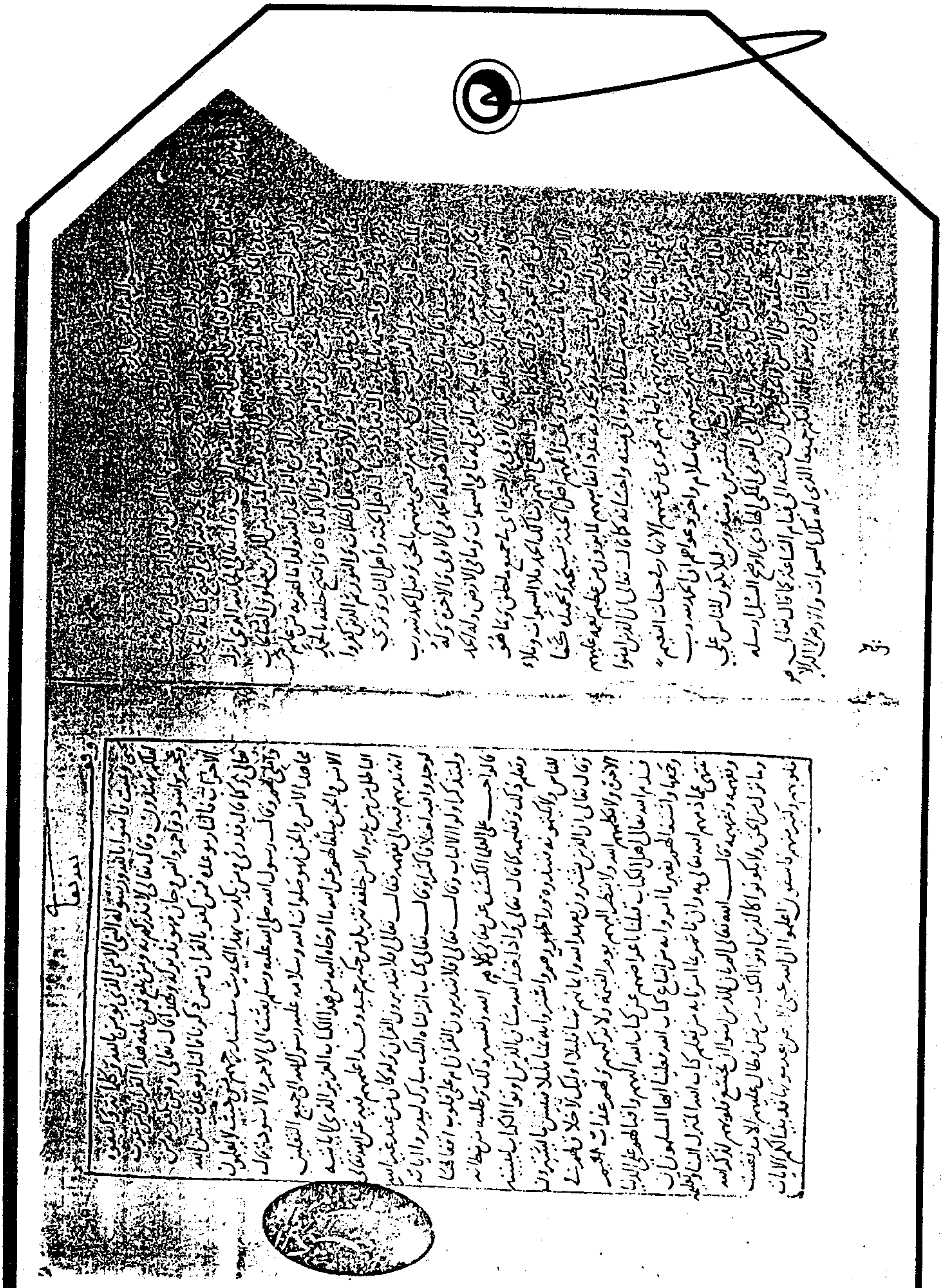

اللوحة الأولى من الجزء الأول من النسخة الأزهرية

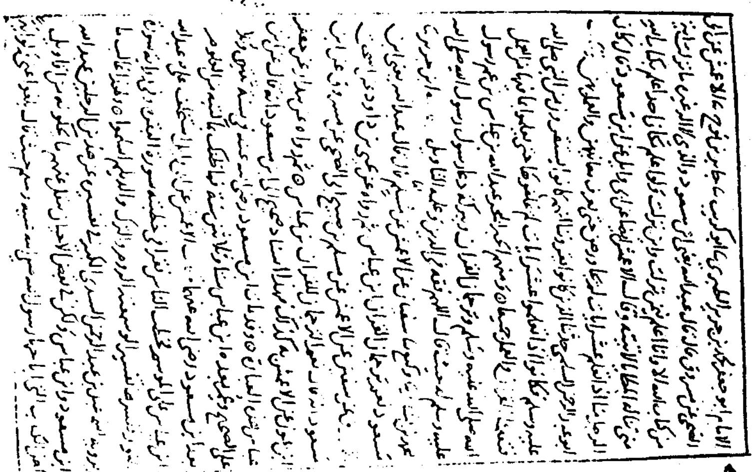

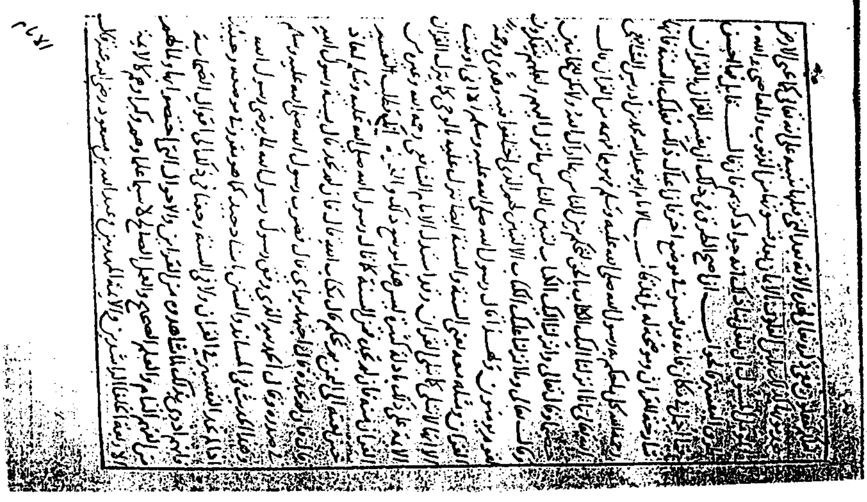

اللوحة الثانية من الجزء الأول من النسخة الأزهرية

التكليف والمصائب والبلاء لا تبتلينا بما لا قبل لنا به وقد قال مكحول
في قوله ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال العزبة والغلمة رواه ابن أبي
حاتم قال الله نعم وفي الحديث الآخر قال الله قد فعلت وقوله واعف عنا
أي فيما بيننا وبينك مما تعلمه من تقصيرنا وزللنا واغفر لنا أي فيما بيننا وبين
عبادك فلا تظهرهم على مساوينا وأعمالنا القبيحة وارحمنا أي فيما يستقبل فلا
توقعنا بتوفيقك في ذنب آخر ولهذا قالوا إن المذنب محتاج إلى ثلاثة أشياء أن
يعفو الله عنه فيما بينه وبينه وأن يستره عن عباده فلا يفضحه به بينهم وأن
يعصمه فلا يوقعه في نظيره وقد تقدم في الحديث أن الله قال نعم وفي الحديث
الآخر قال الله قد فعلت وقوله أنت مولانا أي أنت ولينا وناصرنا وعليك
توكلنا وأنت المستعان وعليك التكلان ولا حول ولا قوة لنا إلا بك فانصرنا
على القوم الكافرين أي الذين جحدوا دينك وأنكروا وحدانيتك وعبدوا
غيرك وأشركوا معك من عبادك فانصرنا عليهم واجعل لنا العاقبة عليهم
في الدنيا والآخرة قال الله نعم وفي الحديث الذي رواه مسلم عن ابن عباس
قال الله قد فعلت وقال ابن جرير حدثني المثنى بن إبراهيم حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان
عن أبي إسحاق أن معاذا رضي الله عنه كان إذا فرغ من هذه السورة وانصرنا على
القوم الكافرين قال آمين ورواه وكيع عن سفيان عن أبي إسحاق عن رجل عن
معاذ بن جبل أنه كان إذا ختم البقرة قال آمين ○ آخر تفسير سورة البقرة
ولله تعالى الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة
وحسبنا الله ونعم الوكيل

اللوحة الأخيرة من الجزء الأول من النسخة الأزهرية

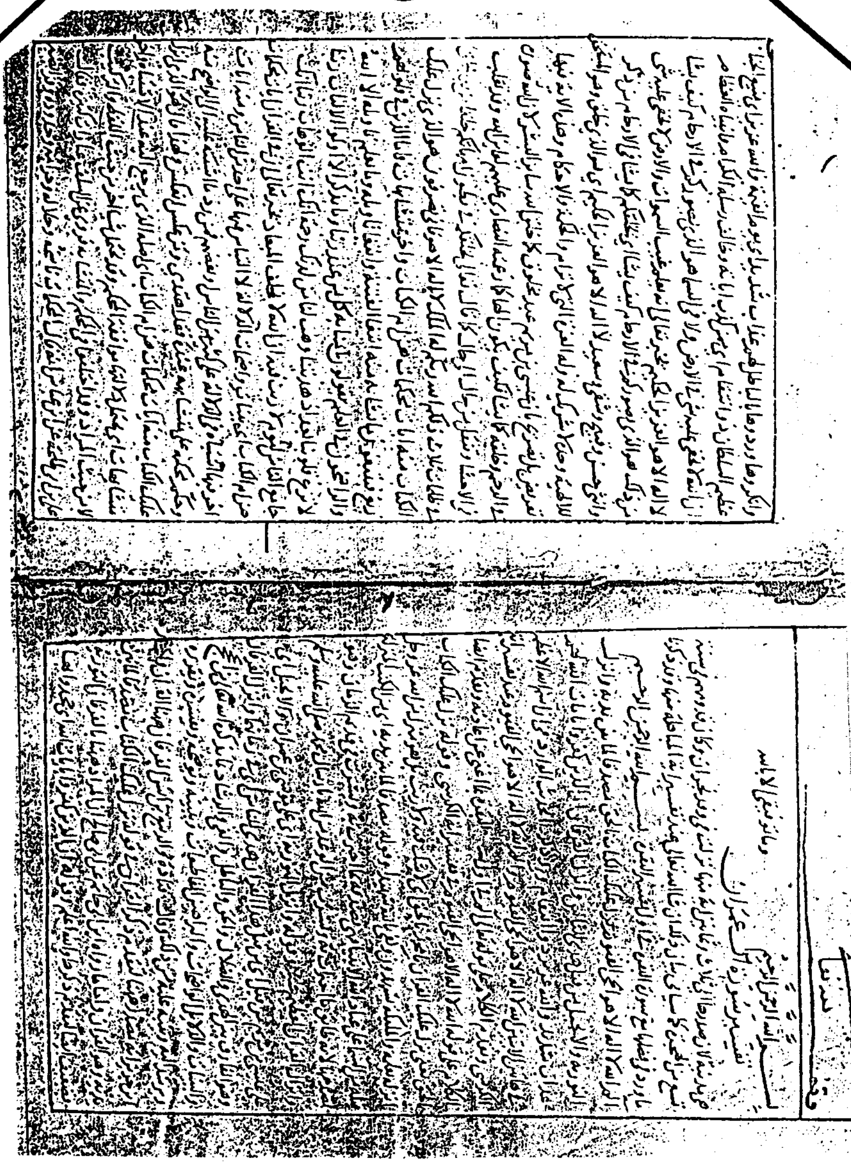

اللوحة الأولى من الجزء الثاني من النسخة الأزهرية

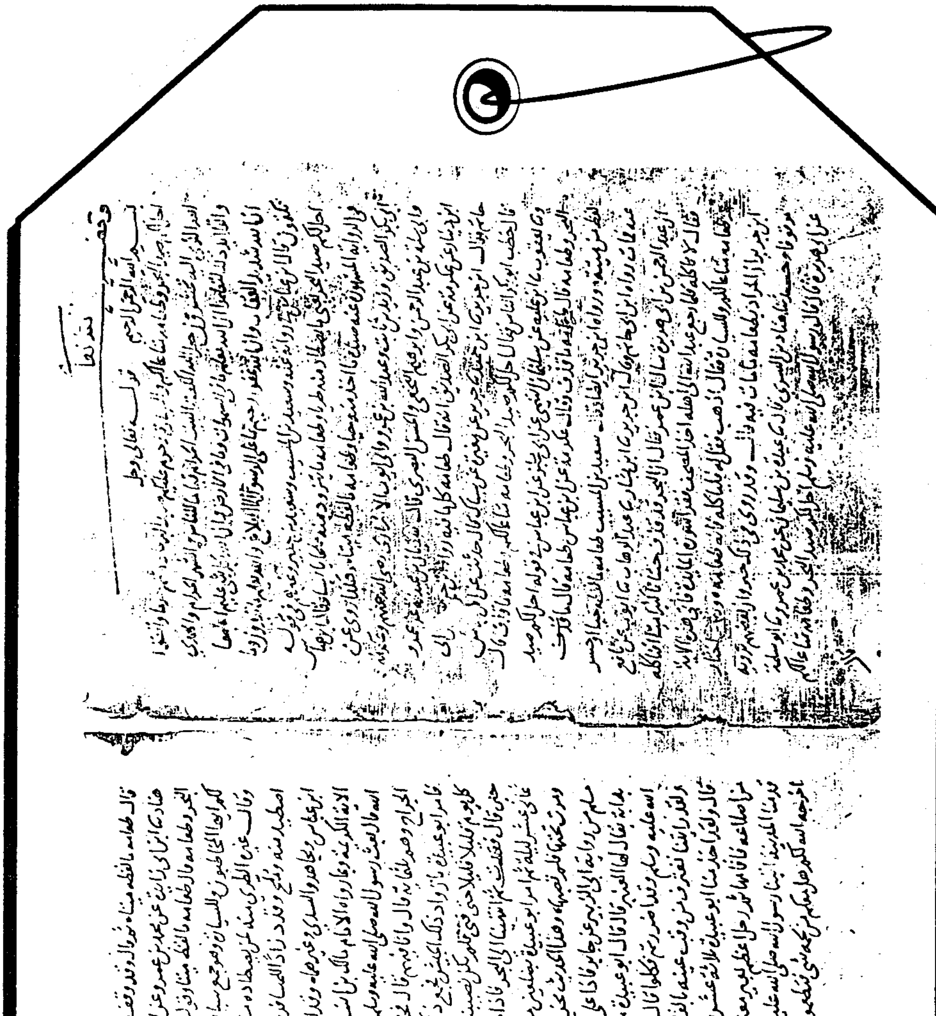

اللوحة الأولى من الجزء الثالث من النسخة الأزهرية

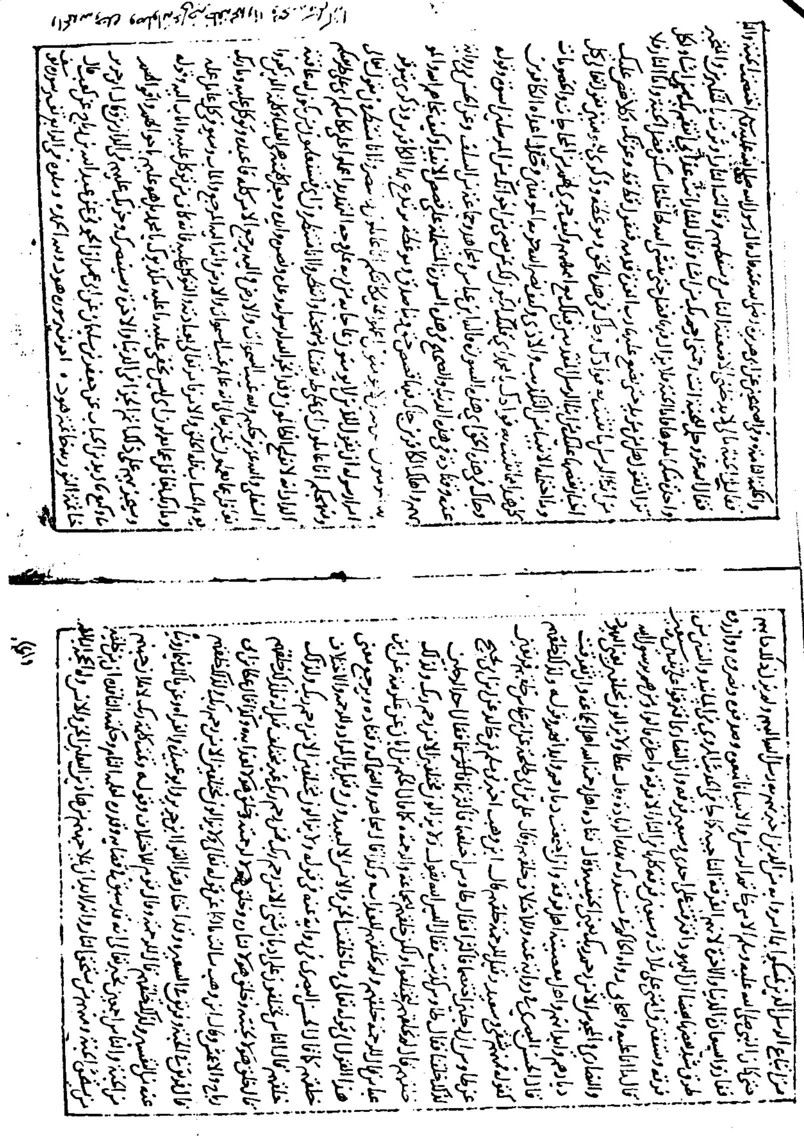

اللوحة الأخيرة من الجزء الثالث من النسخة الأزهرية

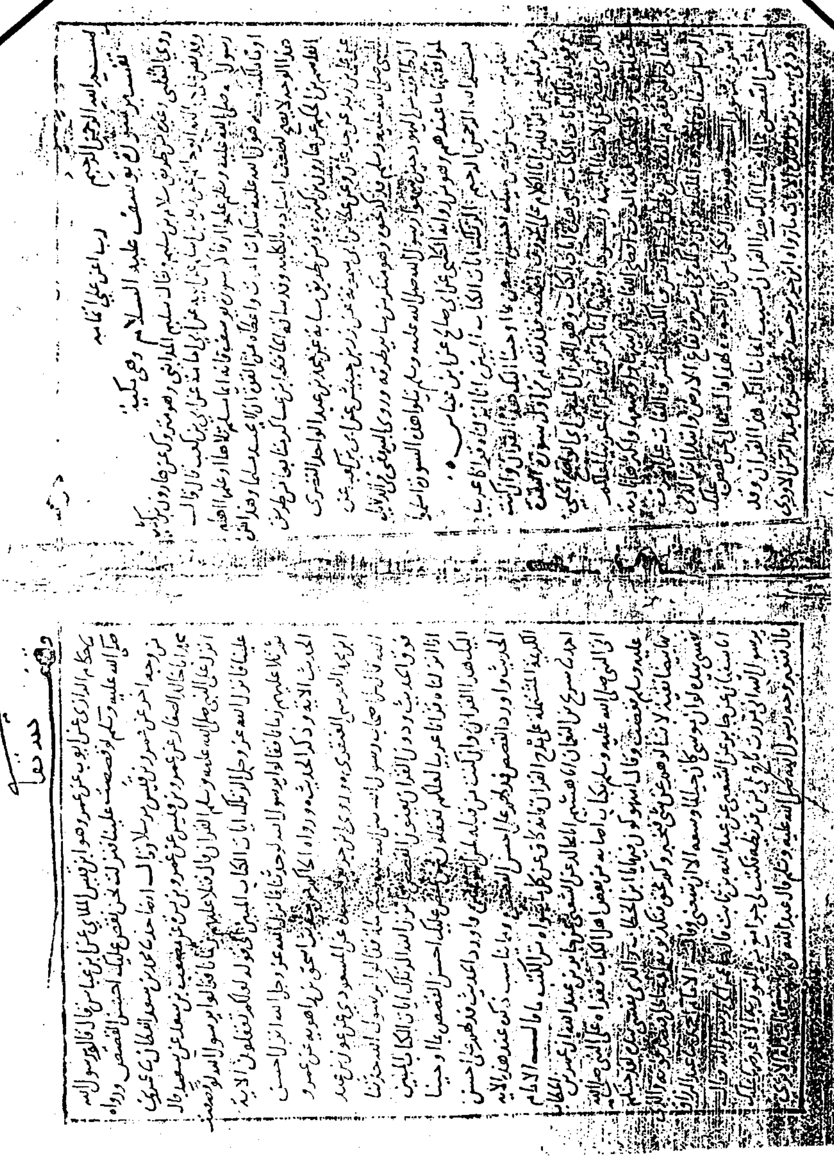

اللوحة الأولى من الجزء الرابع من النسخة الأزهرية

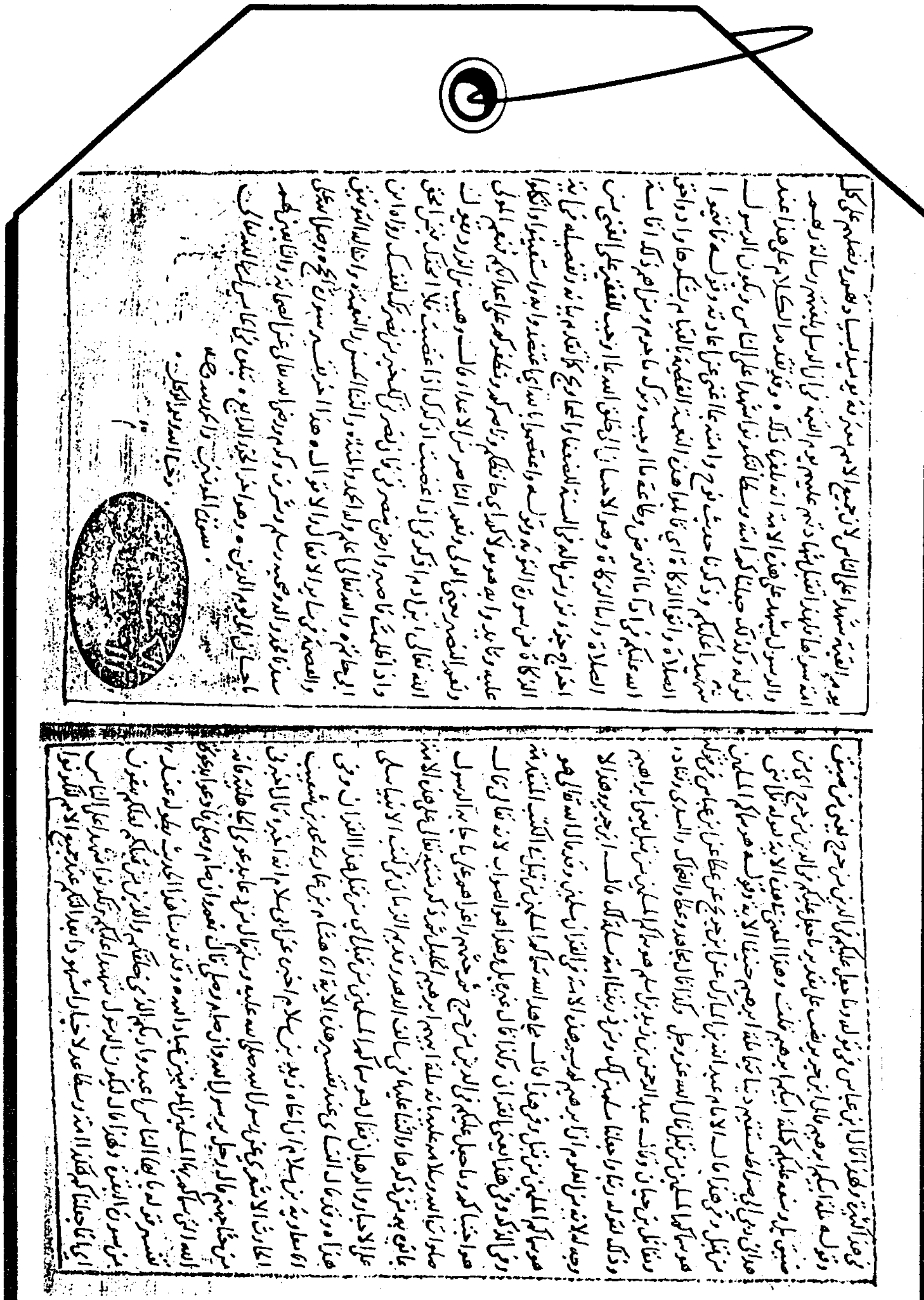

اللوحة الأخيرة من الجزء الرابع من النسخة الأزهرية

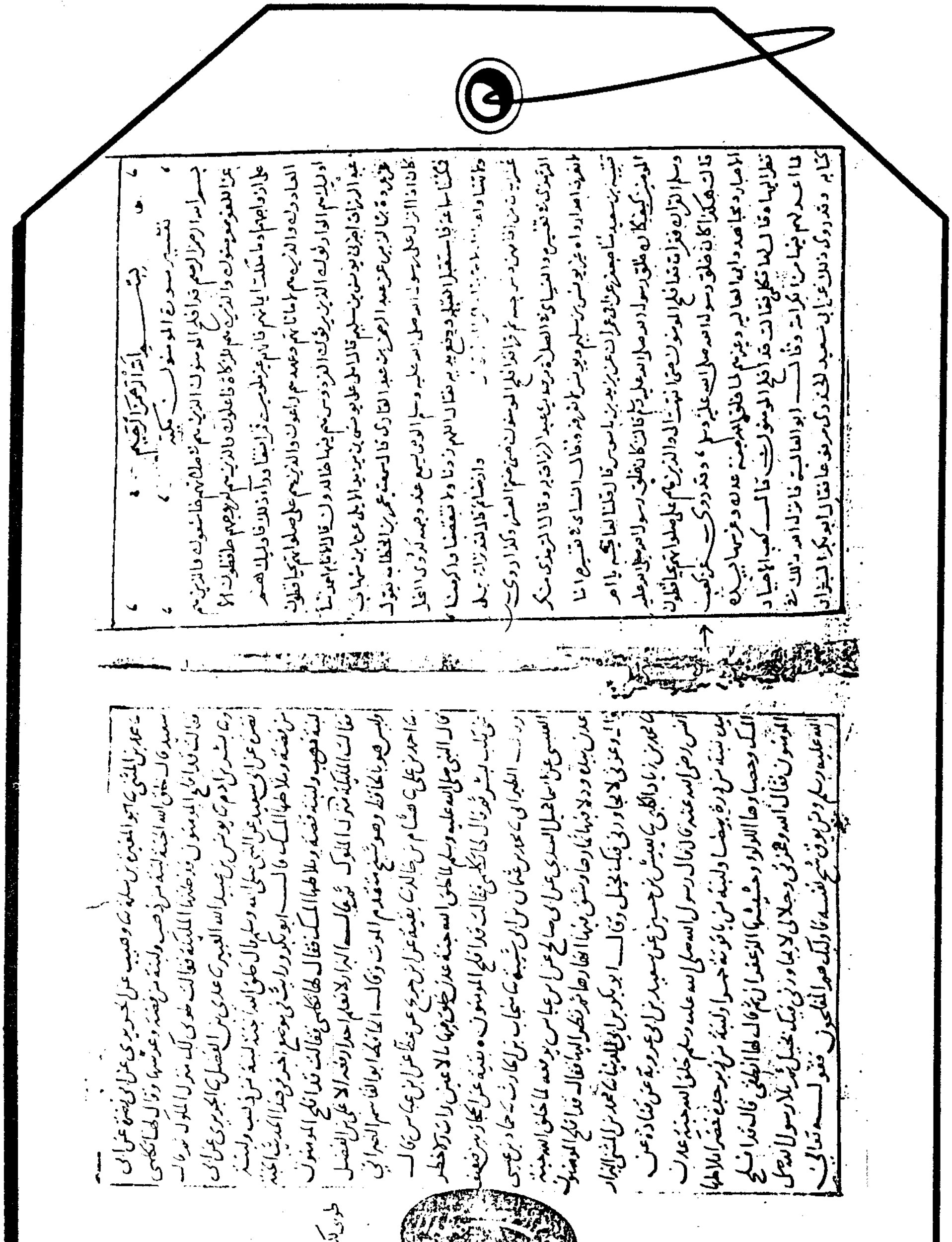

اللوحة الأولى من الجزء الخامس من النسخة الأزهرية

ولا في الارض انه كان عليما قديرا ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على
ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جا اجلهم فان الله كان بعباده
بصيرا يقول تعالى قل يا محمد لهولا المكذبين بما جيتهم به من الرسالة سيروا في
الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين كذبوا الرسل كيف دمر الله عليهم
وللكافرين امثالها فخليت منهم منازلهم وسلبوا ما كانوا فيه من النعم بعد
كمال القوة وكثرة العدد والعدد وكثرة الاموال والاولاد فما اغنى ذلك شيا
ولا دفع عنهم من عذاب الله من شي لما جا امر ربك لانه تعالى لا يعجزه شي اذا اراد
كونه في السموات والارض انه كان عليما قديرا اي عليم بجميع الكاينات قدير على
مجموعها ثم قال تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها
من دابة اي لو اخذهم بجميع ذنوبهم لاهلك جميع اهل الارض وما يملكونه من
دواب وارزاق قال ابن ابي حاتم ثنا احمد بن سنان ثنا عبد الرحمن ثنا سفيان
الثوري عن ابي اسحق عن ابي الاحوص عن عبد الله قال كاد الجعل ان يعذب
في جحره بذنب ابن ادم ثم قرا ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على
ظهرها من دابة وقال سعيد بن جبير والسدي في قوله ما ترك على ظهرها من
دابة اي لما سقاهم المطر فماتت جميع الدواب ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى
اي ولكن ينظرهم الى يوم القيمة فيحاسبهم يوميذ ويوفي كل عامل بعمله فيجازي
بالثواب اهل الطاعة وبالعقاب اهل المعصية ولهذا قال تعالى فاذا جاء
اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا اخر تفسير سورة فاطر ولله الحمد والمنه

وهو اخر الجزء الخامس من اجزاء الله تعالى

يتلوه في اول السادس تفسير سورة يس

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ورضي الله عن اصحاب رسول الله اجمعين

اللوحة الأخيرة من الجزء الخامس من النسخة الأزهرية

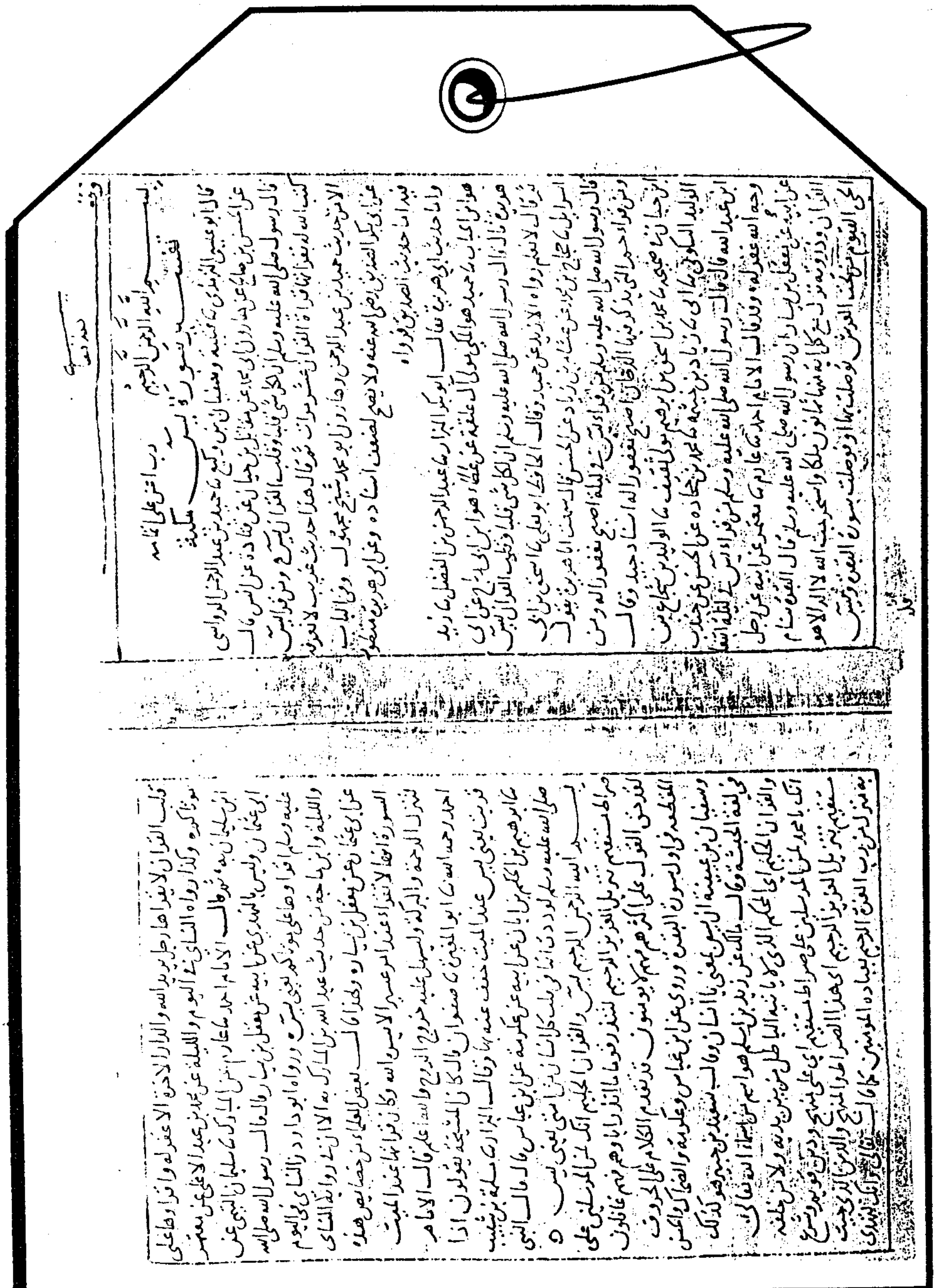

اللوحة الأولى من الجزء السادس من النسخة الأزهرية

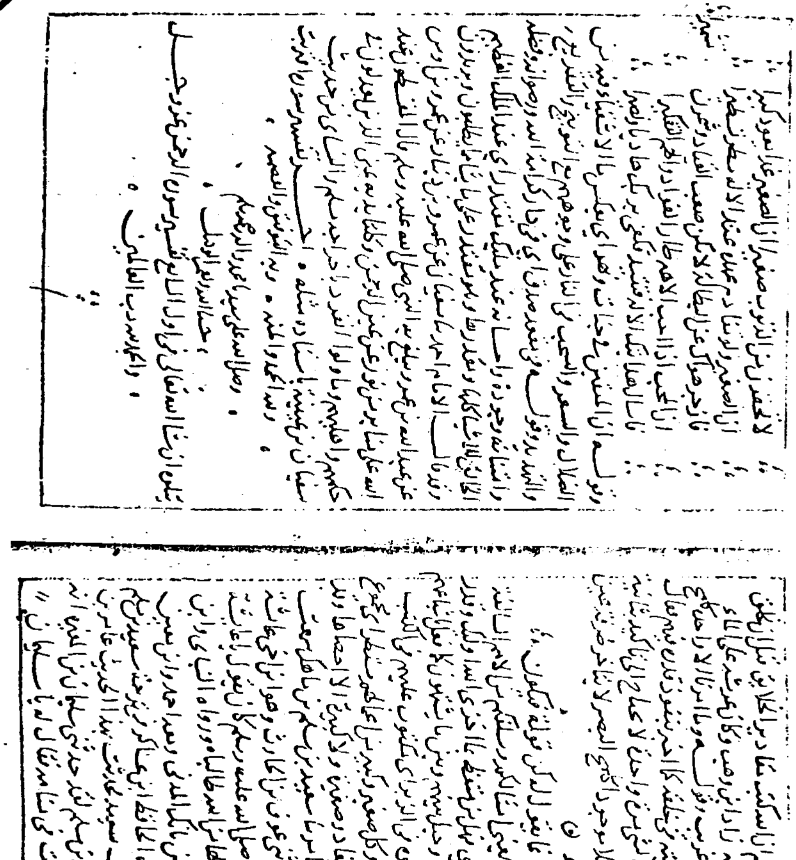

اللوحة الأخيرة من الجزء السادس من النسخة الأزهرية

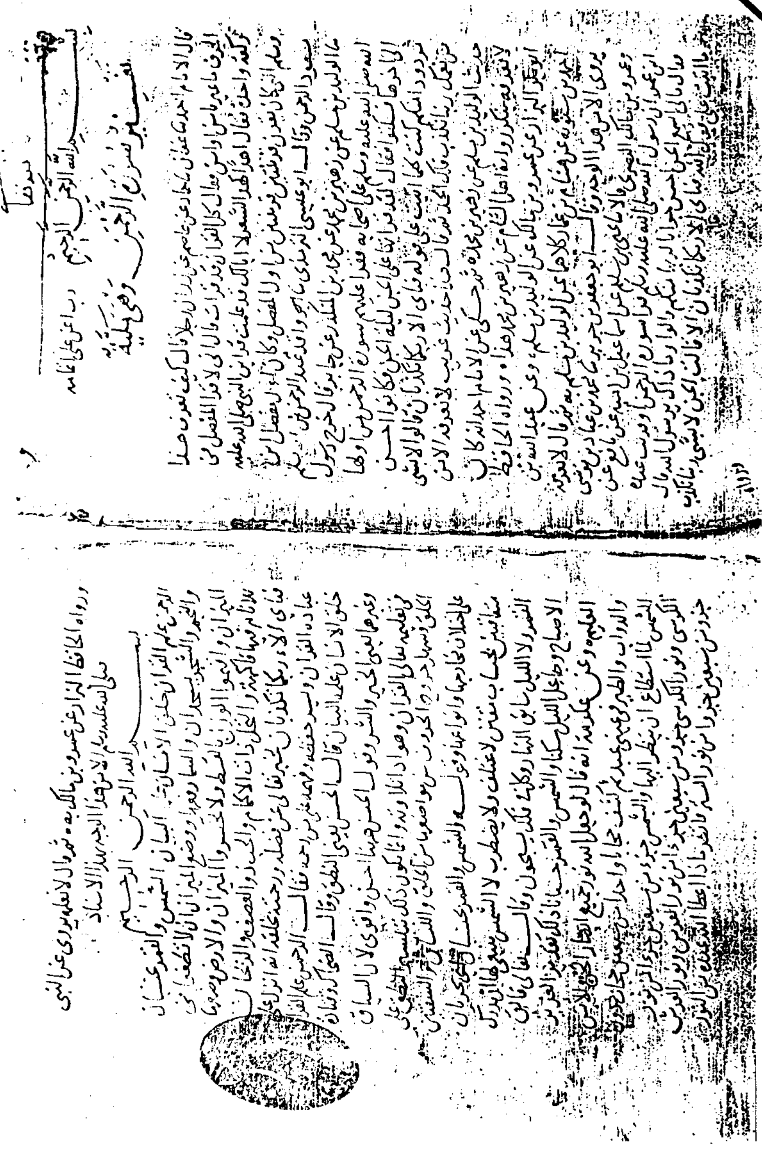

اللوحة الأولى من الجزء السابع من النسخة الأزهرية

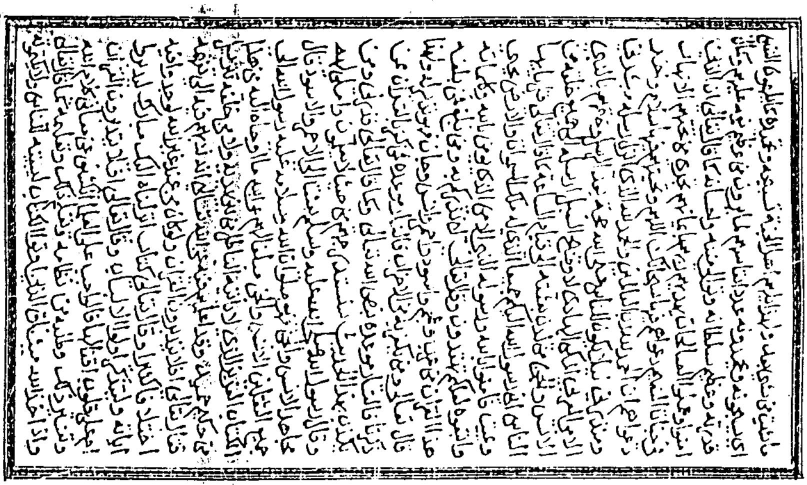

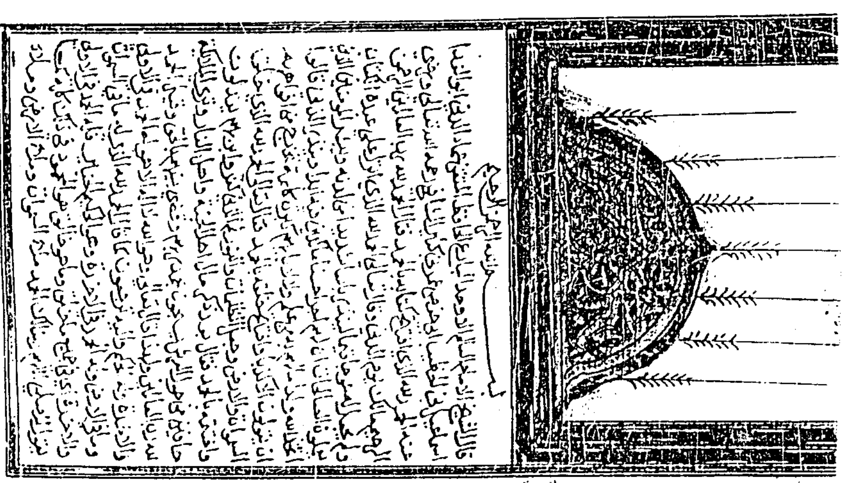

اللوحة الأولى من الجزء الأول من نسخة دار الكتب المصرية

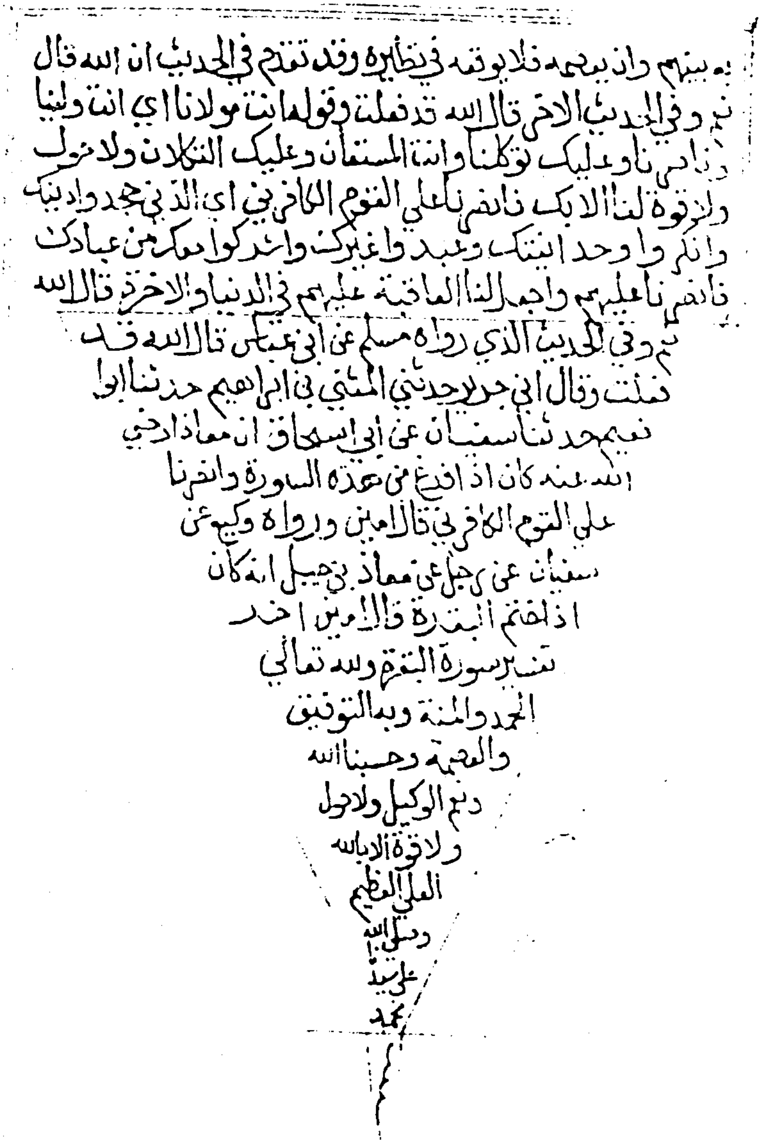

بينهم وإذ بينهم فلا يوتيه في نظايره وقد تقدم في الحديث أن الله قال
نعم وفي الحديث الاخر قال الله قد فعلت وقوله انت مولانا اي انت ولينا
وناصرنا وعليك توكلنا وانت المستعان وعليك التكلان ولا حول
ولا قوة لنا الا بك فانصرنا على القوم الكافرين اي الذين جحدوا دينك
وانكروا وحدانيتك وعبدوا غيرك واشركوا معك من عبادك
فانصرنا عليهم واجعل لنا العاقبة عليهم في الدنيا والاخرة قال الله
نعم وفي الحديث الذي رواه مسلم عن ابن عباس قال الله قد
فعلت وقال ابن جرير حدثني المثنى بن ابراهيم حدثنا ابو
نعيم حدثنا سفيان عن ابي اسحاق ان معاذا رضي
الله عنه كان اذا فرغ من هذه السورة وانصرنا
على القوم الكافرين قال امين ورواه وكيع عن
سفيان عن رجل عن معاذ بن جبل انه كان
اذا ختم البقرة قال امين اخر
تفسير سورة البقرة ولله تعالى
الحمد والمنة وبه التوفيق
والعصمة وحسبنا الله
ونعم الوكيل ولا حول
ولا قوة الا بالله
العلي العظيم
وصلى الله
على سيدنا
محمد

اللوحة الأخيرة من الجزء الأول من نسخة دار الكتب المصرية

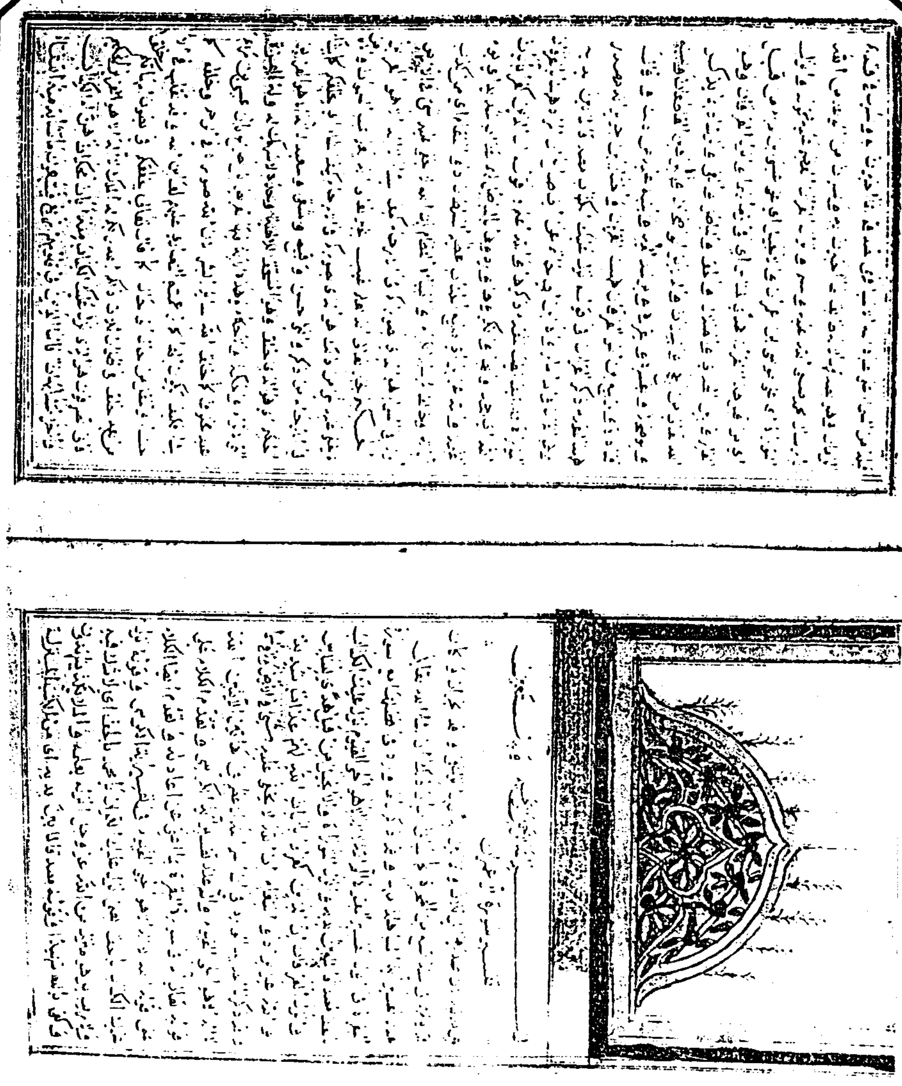

اللوحة الأولى من الجزء الثاني من نسخة دار الكتب المصرية

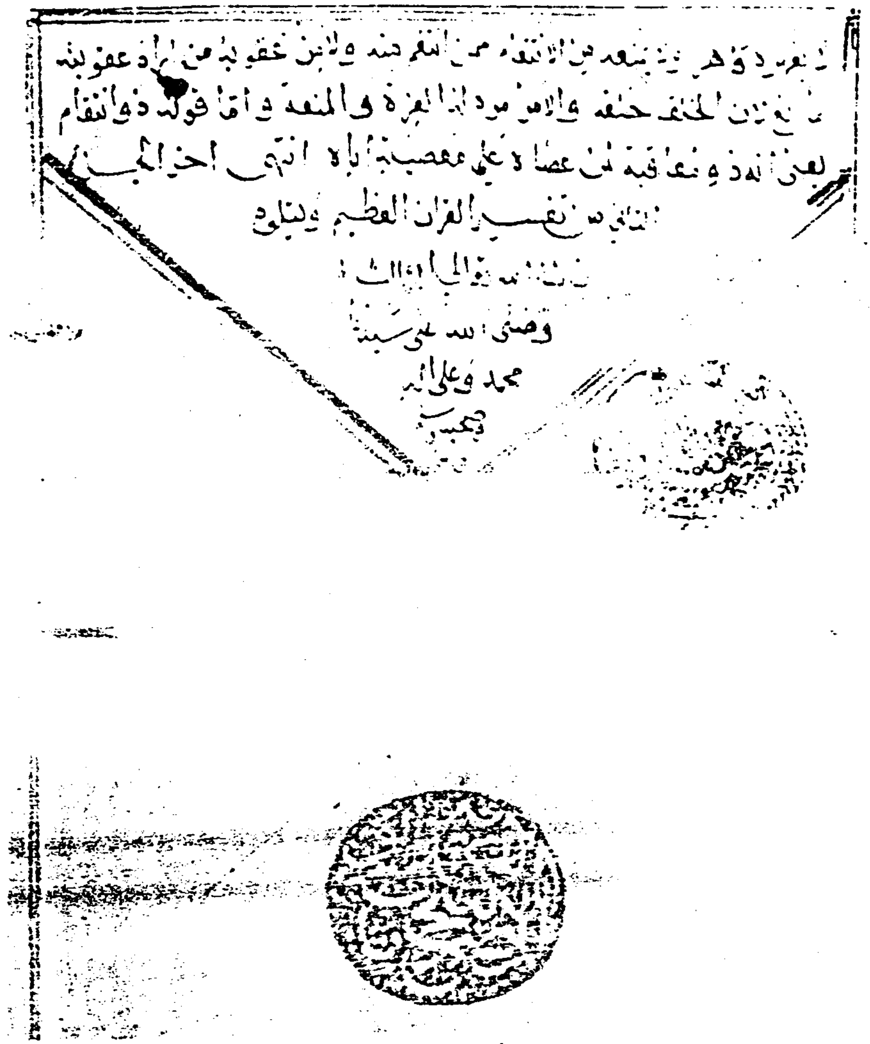
[illegible] وهو [illegible] يمنعه من الانتقام ممن انتقم منه ولا من عقوبته من اراد عقوبته
[illegible] من الخلق [illegible] والامر مرده اليه العزة والمنعة واما قوله ذو انتقام
يعني انه ذو معاقبة لمن عصاه على معصيته اياه انتهى الجزء
الثاني من تفسير القرآن العظيم ويتلوه
[illegible] الثالث
وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله
وصحبه

اللوحة الأخيرة من الجزء الثاني من نسخة دار الكتب المصرية

ج

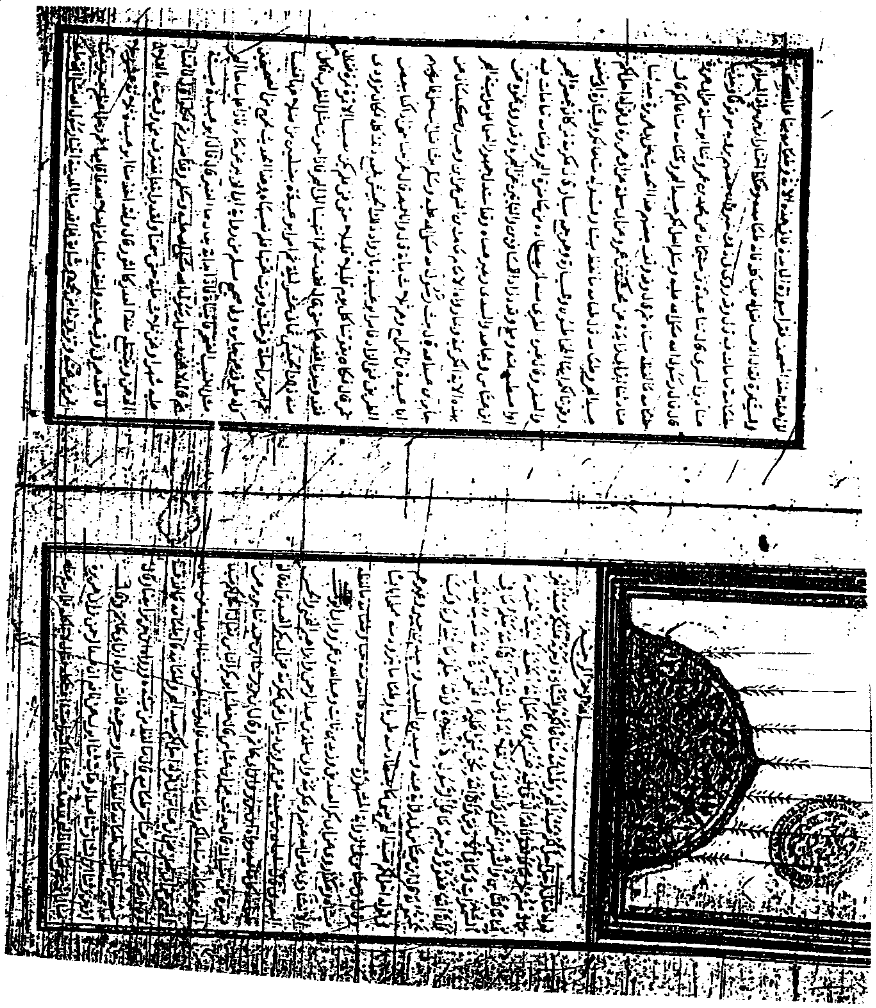

اللوحة الأولى من الجزء الثالث من نسخة دار الكتب المصرية

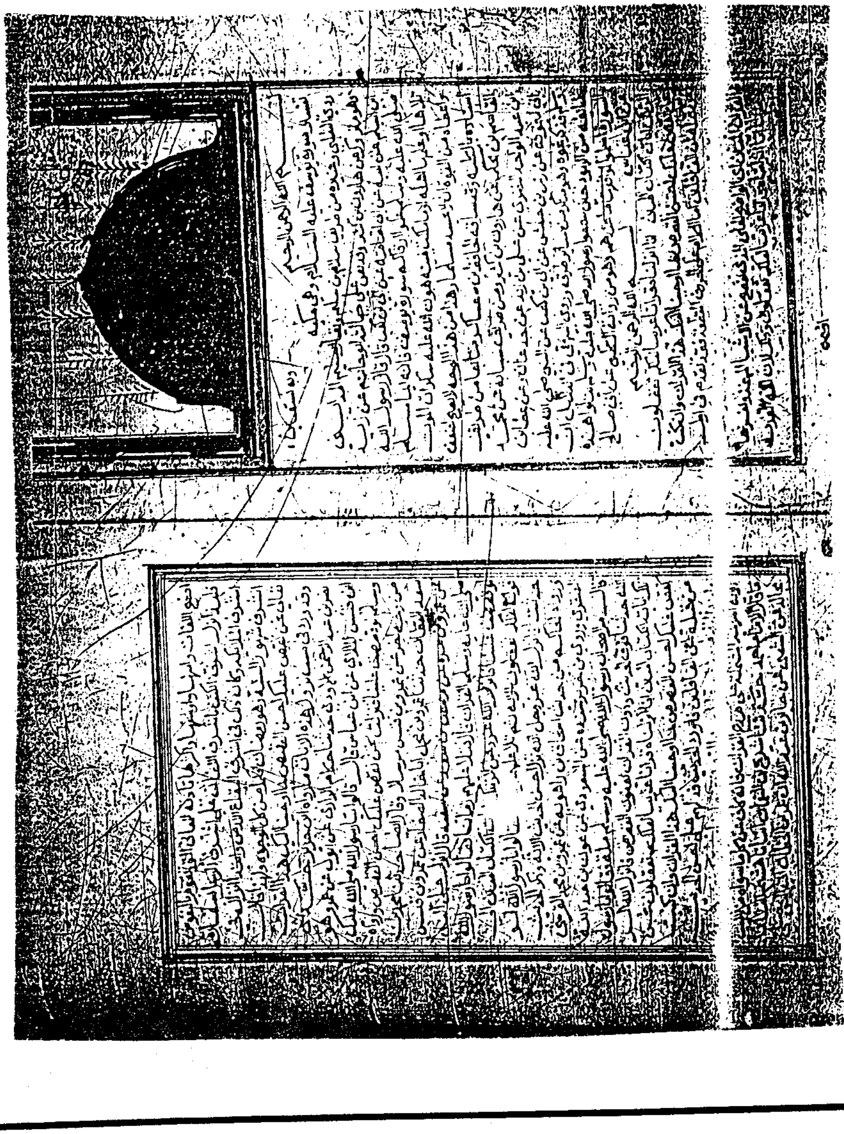

اللوحة الأولى من الجزء الرابع من نسخة دار الكتب المصرية

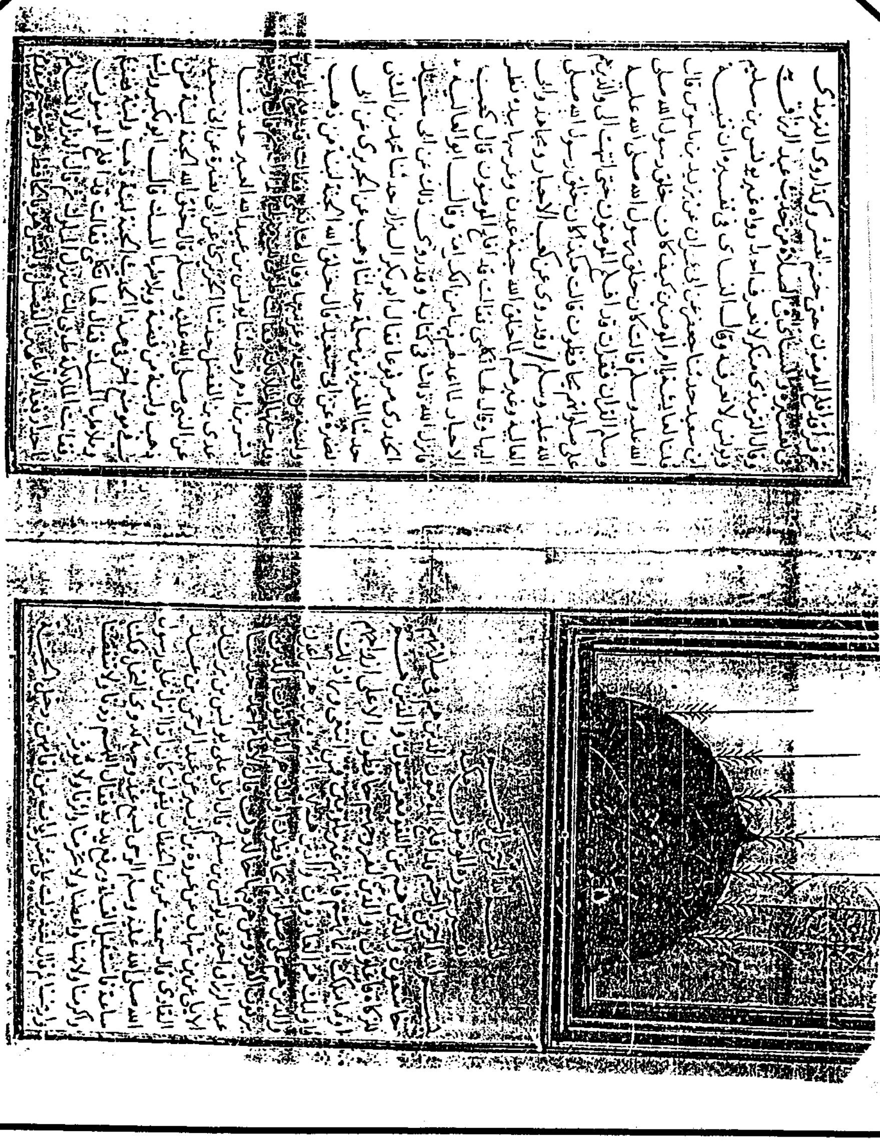

اللوحة الأولى من الجزء الخامس من نسخة دار الكتب المصرية

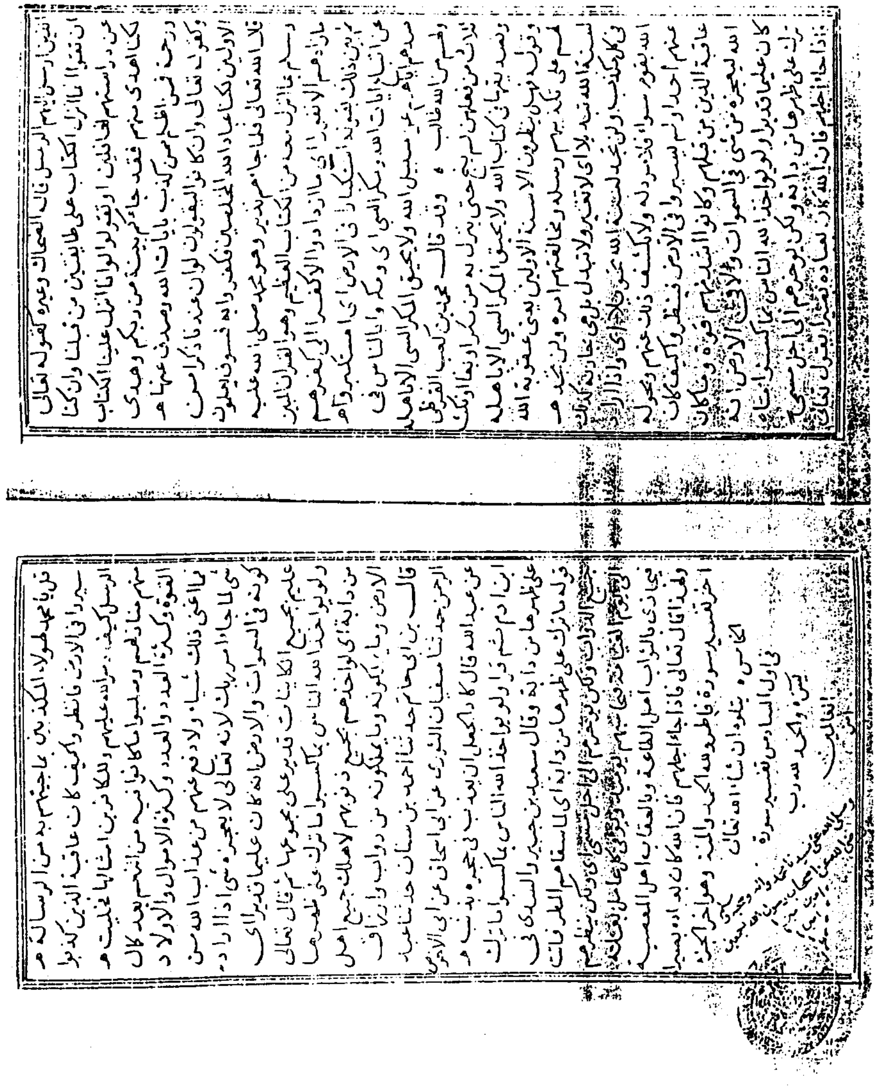

اللوحة الأخيرة من الجزء الخامس من نسخة دار الكتب المصرية

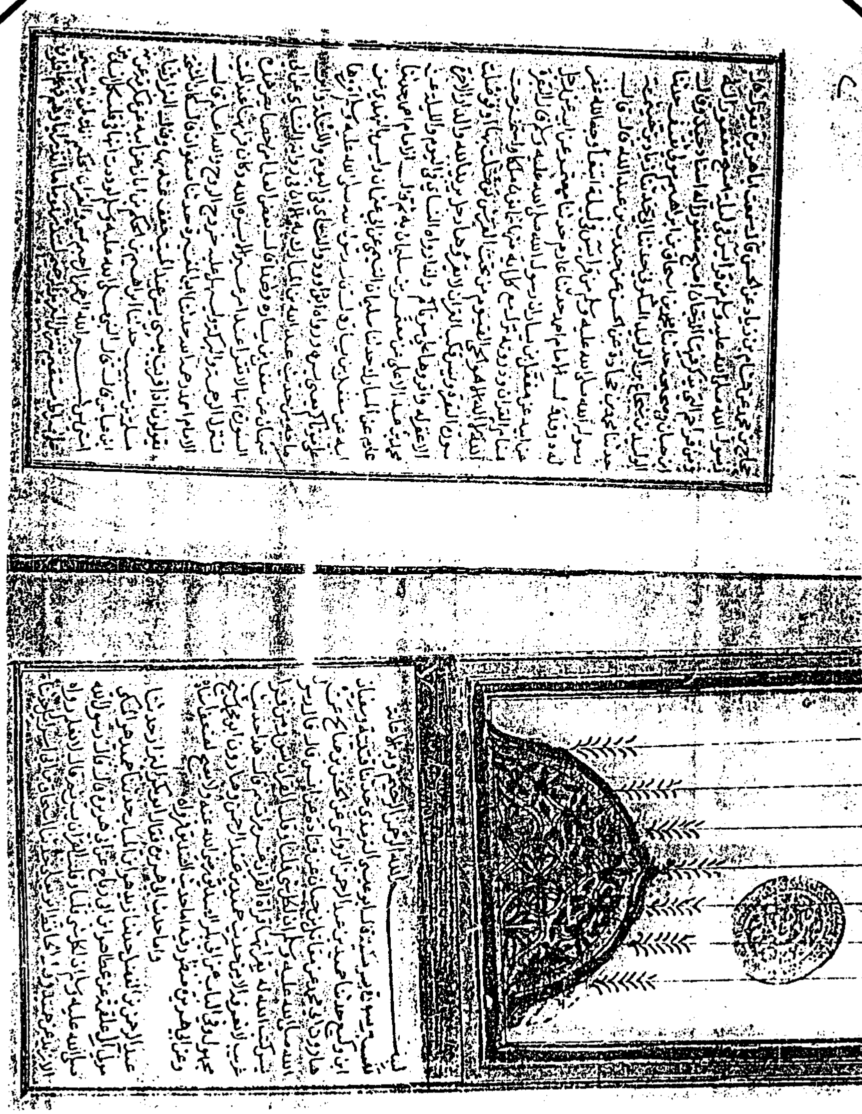

اللوحة الأولى من الجزء السادس من نسخة دار الكتب المصرية

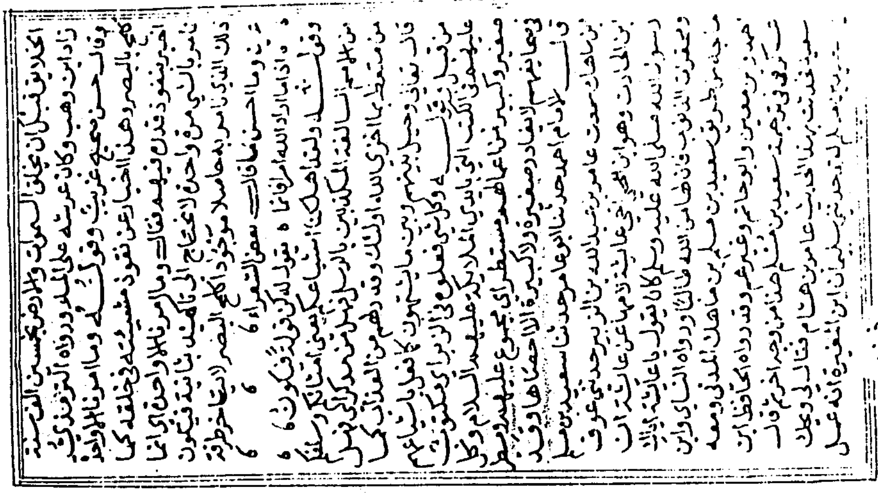

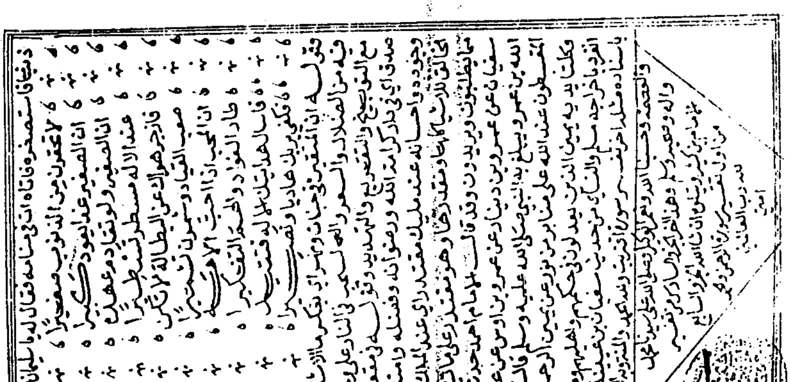

اللوحة الأخيرة من الجزء السادس من نسخة دار الكتب المصرية

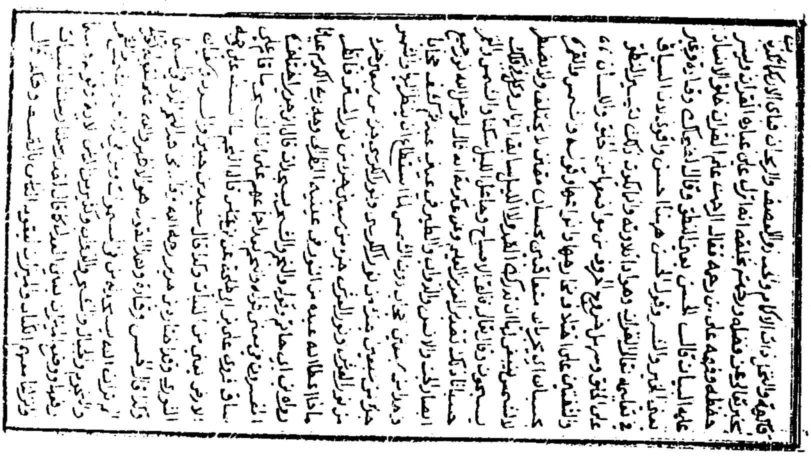

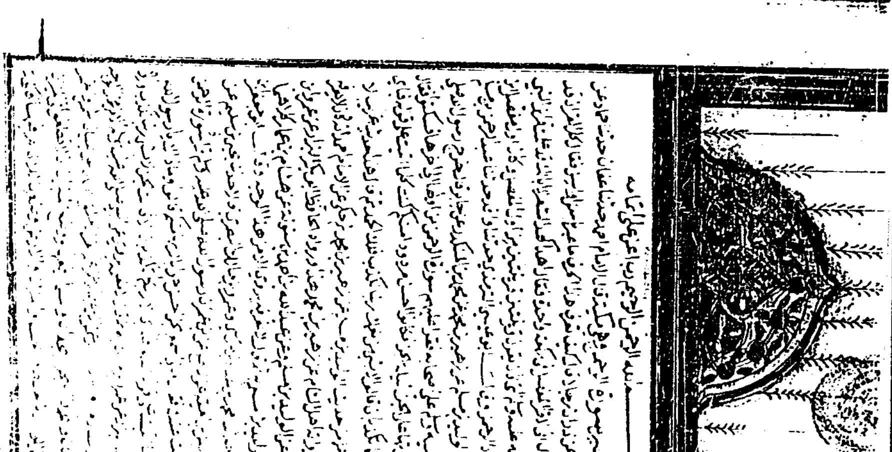

اللوحة الأولى من الجزء السابع من نسخة دار الكتب المصرية

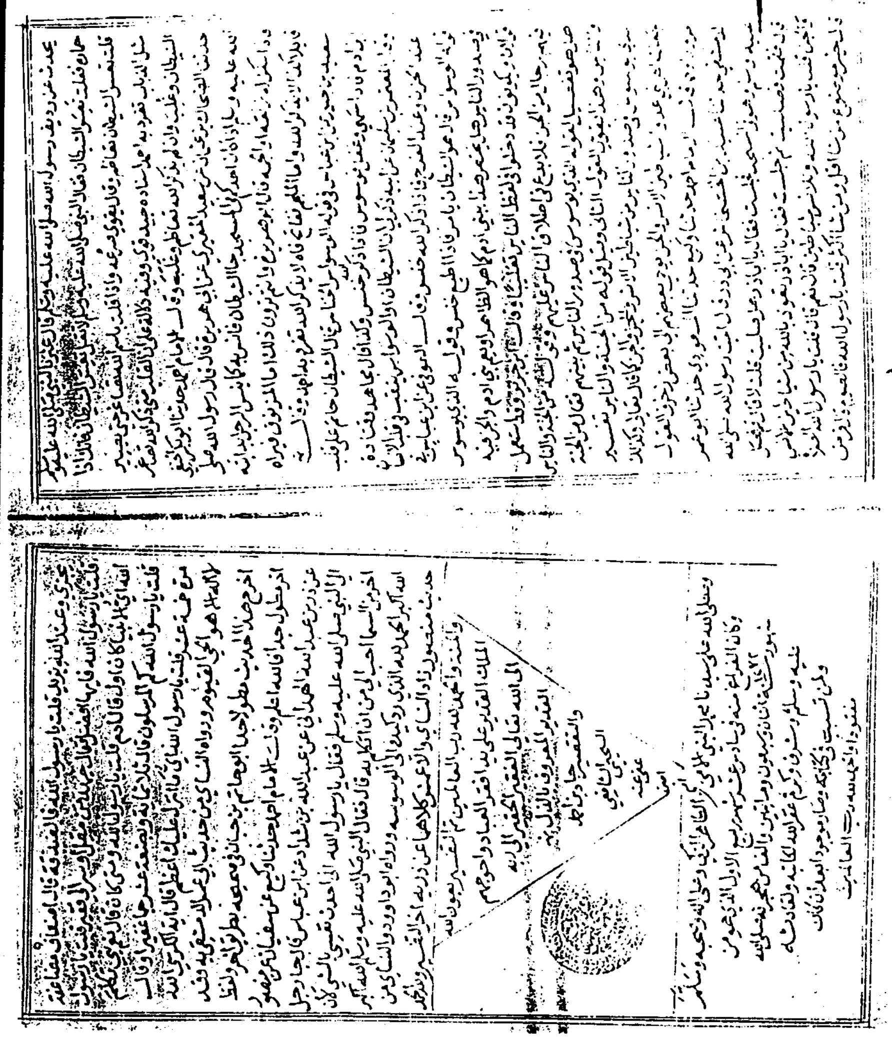

اللوحة الأخيرة من الجزء السابع من نسخة دار الكتب المصرية

تفسير
القرآن العظيم

للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء
إسماعيل بن كثير الدمشقي
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

هذه الطبعة أول طبعة مقابلة على النسخ الأزهرية
وكذلك على نسخة كاملة بدار الكتب المصرية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام [العالم][١] الأوحد، البارع الحافظ المتقن، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن الخطيب أبي حفص عمر بن كثير، الشافعي، رحمه الله تعالى ورضي عنه:

الحمد لله الذي افتتح كتابه بالحمد فقال: ﴿ **الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا * قيّمًا لينذر بأسًا شديدًا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنّ لهم أجرًا حسنًا * ماكثين فيه أبدًا * وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدًا * ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبًا** ﴾.

وافتتح خلقه بالحمد فقال تعالى: ﴿ **الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون** ﴾ واختتمه بالحمد فقال بعد [ما][٢] ذكر مآل أهل الجنة وأهل النار: ﴿ **وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين** ﴾. ولهذا قال تعالى: ﴿ **وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون** ﴾

كما قال تعالى: ﴿ **الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير** ﴾. فله الحمد في الأولى والآخرة، أي: في جميع ما خلق وما هو خالق، هو المحمود في ذلك كله، كما يقول المصلي: « **اللّهمّ ربنا؛ لك الحمد، ملء السموات وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد** »(١)، ولهذا يلهم أهل الجنة تسبيحه وتحميده كما يُلهمون

(١) - **صحيح** وَرَدَ من حديث عبد الله بن أبي أوفى، ومن حديث أبي سعيد، ومن حديث ابن عباس، ومن حديث علي بن أبي طالب، ومن حديث البراء، ومن حديث أبي جحيفة - رضي الله عنهم أجمعين.

أما حديث عبد الله بن أبي أوفى: فرواه مسلم في الصلاة برقم (٤٧٦)، ورواه أبو داود في الصلاة، باب: ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع برقم (٨٤٦)، وهو عند ابن ماجه في إقامة الصلاة، باب: ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع برقم (٨٧٨).

وأما حديث أبي سعيد فرواه مسلم برقم (٤٧٧)، وأبو داود في الصلاة، باب: ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع برقم (٨٤٧)، والنسائي في التطبيق، باب: ما يقول في قيامه ذلك برقم (١٠٦٨)، ورواه أحمد، ورواه الدارمي برقم (١٣١٣).

وأما حديث ابن عباس فرواه مسلم برقم (٤٧٨)، والنسائي برقم (١٠٦٦، ١٠٦٧)، ورواه أحمد برقم ٢٤٣٦، ٢٤٨٥، ٢٤٩٤، ٢٥٠١، ٣٠٧٣، ٣٤٨٨. =

[١] - زيادة من ز. [٢] - سقط من ز.

النفس(٢) ، أي : يسبحونه ويحمدونه عدد أنفاسهم ، لما يرون من عظيم نعمه عليهم ، وكمال قدرته ، وعظيم سلطانه ، وتوالي مننه ، [ودوام إحسانه إليهم][١] ، كما قال تعالى : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللَّهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد للَّه رب العالمين** ﴾ .

والحمد للَّه الذي أرسل[٢] رسله ﴿ **مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على اللَّه حجة بعد الرسل** ﴾ . وختمهم بالنبي الأمي العربي المكي الهادي لأوضح السبل ، أرسله إلى جميع خلقه من الإنس والجن من لدن بعثته إلى قيام الساعة ، كما قال تعالى : ﴿ **قل يا أيها الناس إني رسول اللَّه إليكم جميعًا الذي له ملك السموات والأرض [لا إله إلا هو][٣] يحي ويميت فآمنوا باللَّه ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن باللَّه وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **لأنذركم به ومن بلغ** ﴾ .

فمن بلغه هذا القرآن من عرب وعجم ، وأسود وأحمر ، وإنس وجان فهو نذير له ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ **ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده** ﴾ . فمن كفر بالقرآن ممن ذكرنا فالنار موعده بنصِّ اللَّه تعالى ، وكما قال تعالى : ﴿ **فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم** ﴾ . وقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **بعثت إلى الأحمر والأسود** »(٣) .

= وأما حديث علي بن أبي طالب فرواه مسلم برقم (٧٧١) ، وأبو داود في الصلاة ، باب : ما يستفتح به الصلاة من الدعاء برقم (٧٦٠) ، والترمذي في الصلاة ، باب : ما يقول الرجل إذا رفع رأسه من الركوع ، وفي الدعوات برقم (٣٤٢١ ، ٣٤٢٢) ، وهو عند أحمد برقم (٧٣١ ، ٨٠٥) ، ورواه الدارمي برقم (١٣١٤) .

وأما حديث البراء فرواه مسلم في الصلاة برقم (٤٧١) .

وأما حديث أبي جحيفة فرواه ابن ماجه في إقامة الصلاة ، باب : ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع برقم (٨٧٩) .

(٢) - رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - من صحيحه - برقم (٢٨٣٥) من حديث الأعمش عن أبي سفيان عن جابر.

(٣) - رواه مسلم من حديث جابر في المساجد - من صحيحه - برقم (٥٢١) ، وكذا رواه أحمد برقم (١٤٣٠٥) . ورواه أحمد من حديث ابن عباس برقم ٢٢٥٦ ، ٢٧٤٢ - (٢٥٠/١ ، ٣٠١) ، ورواه أحمد من حديث أبي موسى برقم ١٩٧٨٩ - (٤١٦/٤) ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٦١/٨)=

---

[١] - في ز : إحسانه . [٢] - في خ : أنزل .

[٣] - سقط من : خ

قال مجاهد(٤) : [يعني][١] الإنس والجن. فهو صلوات الله وسلامه عليه رسول الله إلى جميع الثقلين : الإنس والجن ، مبلغًا لهم عن الله تعالى ما أوحاه إليه من هذا الكتاب العزيز الذي **﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾** ، وقد أعلمهم فيه عن الله تعالى أنه ندبهم [فيه][٢] إلى تفهّمه ، فقال تعالى : **﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا ﴾** . وقال تعالى : **﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب ﴾** . وقال تعالى : **﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾** .

فالواجب على العلماء الكشف عن معاني كلام الله ، وتفسير ذلك ، وطلبه من مظانه ، وتعلم ذلك وتعليمه ، كما قال تعالى : **﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه[٣] للناس ولا تكتمونه[٤] فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنًا قليلًا فبئس ما يشترون ﴾** . وقال تعالى : **﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنًا قليلًا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ﴾** فذم الله تعالى أهل الكتاب قبلنا بإعراضهم عن كتاب الله [إليهم][٥] ، وإقبالهم على الدنيا وجمعها ، واشتغالهم بغير ما أمروا به من اتباع كتاب الله .

فعلينا أيها المسلمون أن ننتهي عما ذمهم الله تعالى به ، وأن نأتمر بما أُمرنا به من تعلم كتاب الله المنزل إلينا وتعليمه ، وتفهمه وتفهيمه ، قال الله تعالى : **﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون * اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون ﴾** . ففي ذكره تعالى لهذه الآية بعد التي قبلها - تنبيهٌ على أنه تعالى كما يحيي الأرض بعد موتها كذلك يلين القلوب بالإيمان [والهدى][٦] بعد قسوتها من الذنوب والمعاصي ، والله المؤمّل المسئول أن يفعل بنا ذلك[٧] إنه جوّاد كريم .

=وقال : رواه أحمد متصلاً ومرسلاً والطبراني ورجاله رجال الصحيح . ورواه أحمد من حديث أبي ذر برقم ٢١٣٧٩ - (١٤٥/٥) وأطرافه (٢١٣٩٤ ، ٢١٥١٥) . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥٩/٨) وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(٤) - أورده أحمد من طريق الأعمش عنه عقب الحديث ٢١٣٧٩ - (١٤٥/٥) .

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - زيادة من ز .
[٣] - في ز ، خ : ليبيننه .
[٤] - في ز ، خ : يكتمونه .
[٥] - في ت : المنزل عليهم .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - في ت : هذا .

فإن قال قائل : فما أحسن طرق التفسير ؟ فالجواب : إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن ، فما أجمل في مكان ، فإنه قد فُسر في موضع آخر ، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة ؛ فإنها شارحةٌ للقرآن وموضحة له ، بل قد قال الإمام أبو عبد اللّه محمد بن إدريس الشافعي رحمه اللّه تعالى : كل ما حكم به رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم ، فهو مما فهمه من القرآن .

قال اللّه تعالى : ﴿ **إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك اللّه ولا تكن للخائنين خصيمًا** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **وأنزلنا إليك الكتاب[١] لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون** ﴾ .

ولهذا قال رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم : « **ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه** » .(٥) يعني السنة . والسنة أيضًا تنزل عليه بالوحي كما ينزل القرآن ، إلا أنها لا تتلى كما يتلى القرآن . وقد استدل الإمام الشافعي - رحمه اللّه تعالى - وغيره من الأئمة على ذلك بأدلة كثيرة ليس هذا موضع ذلك .

والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه ، فإن لم تجده فمن السنة ، كما قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم لمعاذ حين بعثه إلى اليمن : « **بم تحكم ؟** » . قال : بكتاب اللّه . قال : « **فإن لم تجد ؟** » . قال : بسنة رسول اللّه . قال : « **فإن لم تجد[٢] ؟** » . قال : أجتهد برأيي . قال : فضرب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم في صدره وقال : « **الحمد للّه الذي وفق [رسول][٣] رسول اللّه لما يرضي رسول اللّه** »(٦) .

---

(٥) - رواه أبو داود في كتاب السنة ، باب : في لزوم السنة (٤/٢٠٠) حديث (٤٦٠٤) ، من طريق عبدالوهاب بن نجدة ، ثنا أبو عمرو بن كثير بن دينار ، عن حريز بن عثمان ، عن عبد الرحمن بن أبي عوف ، عن المقدام بن معدي كرب ، به . ورواه أحمد حديث ١٧٢٢٣ - (٤/١٣٠) من حديث يزيد ابن هارون ، عن حريز ، به ، ورواه الخطيب في الفقيه والمتفقه (٨٩/١) .

(٦) - رواه أبو داود في الأقضية ، باب : اجتهاد الرأي في القضاء برقم (٣٥٩٢) ، والترمذي في الأحكام ، باب : ما جاء في القاضي كيف يقضي برقم (١٣٢٧) ، ورواه أحمد ٢٢١٠٥ ، ٢٢١٩٩ (٥/ ٢٤٢،٢٣٠) ، ورواه الدارمي في المقدمة برقم (١٧٠) ، والدارقطني ، جميعهم من طريق أبي عون محمد بن عبيد اللّه الثقفي - ثقة - عن عمرو بن الحارث - مجهول - عن رجال من أصحاب معاذ ، به . وقال الترمذي : هذا الحديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وليس إسناده عندي بمتصل . =

---

[١] - في ز ، خ : « القرآن » . [٢] - في ز : تجده .
[٣] - سقط من : خ .

وهذا الحديث في المسانيد[١] والسنن بإسناد جيد كما هو مقرّر في موضعه . وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة ؛ فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوا[٢] من القرائن والأحوال التي اختصوا بها ، ولما لهم من الفهم التام ، والعلم الصحيح ، والعمل الصالح ، لا سيما [علماؤهم وكبراؤهم][٣] كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين ، والأئمة المهتدين[٤] المهديين ، وعبد اللّه بن مسعود ، رضي اللّه عنه .

= وهذا الحديث أورده الجوزقاني في الموضوعات وقال : هذا حديث باطل ، رواه جماعة عن شعبة ، وقد تصفحت عن هذا الحديث في المسانيد الكبار والصغار وسألت من لقيته من أهل العلم بالنقل عنه فلم أجد له طريقا غير هذا . والحارث بن عمرو هذا مجهول ، وأصحاب معاذ من أهل حمص لا يعرفون ، ومثل هذا الإسناد لا يعتمد عليه في أصل من أصول الشريعة . فإن قيل : إن الفقهاء قاطبة أوردوه في كتبهم واعتمدوا عليه . قيل : هذا طريقه والخلف قلد فيه السلف ، فإن أظهروا طريقًا غير هذا مما يثبت عند أهل النقل رجعنا إلى قولهم وهذا مما لا يمكنهم البتة انتهى . وقال الحافظ جمال الدين المزي : الحارث بن عمرو لا يعرف إلا بهذا الحديث . قال البخاري : لا يصح حديثه ولا يعرف . وقال الذهبي في الميزان : تفرد به أبو عون محمد بن عبد اللّه الثقفي عن الحارث ، وما روى عن الحارث غير أبي عون فهو مجهول .

لكن الحديث له شواهد موقوفة عن عمر بن الخطاب وابن مسعود وزيد بن ثابت وابن عباس وقد أخرجها البيهقي في سننه عقب تخريجه لهذا الحديث تقوية له كذا في مرقاة الصعود .

وقال البخاري في التاريخ الكبير : الحارث بن عمرو ابن أخي المغيرة بن شعبة الثقفي ، عن أصحاب معاذ عن معاذ روى عنه أبو عون ولا يصح ولا يعرف إلا بهذا مرسل .

وقال الحافظ ابن القيم في أعلام الموقعين عن رب العالمين : وقد أقر النبي صلى اللّه عليه وسلم معاذًا على اجتهاد رأيه فيما لم يجد فيه نصًا عن اللّه ورسوله ، فقال شعبة : حدثني أبو عون ، عن الحارث بن عمرو ، عن أناس من أصحاب معاذ : أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم لما بعثه إلى اليمن قال : « **كيف تصنع إن عرض لك قضاء ؟** » قال : أقضي بما في كتاب اللّه ، قال : « **فإن لم يكن في كتاب اللّه ؟** » قال : فبسنة رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وآله وسلم . قال : « **فإن لم يكن في سنة رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم ؟** »قال : أجتهد رأيي لا آلو . قال : فضرب رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وآله وسلم ، صدري ثم قال : « **الحمد للّه الذي وفق رسول رسول اللّه لما يرضي رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم** » . فهذا حديث وإن كان عن غير مسمين فهم أصحاب معاذ فلا يضره ذلك لأنه يدل على شهرة الحديث ، وأن الذي حدث به الحارث بن عمرو ، عن جماعة من أصحاب معاذ لا واحد منهم . وهذا أبلغ في الشهرة من أن يكون عن واحد منهم ولو سمي ، كيف وشهرة أصحاب معاذ بالعلم والدين والفضل والصدق بالمحل الذي لا يخفى ولا يعرف في أصحابه متهم ولا كذاب ولا مجروح بل أصحابه من أفاضل المسلمين وخيارهم لا يشك أهل العلم بالنقل في ذلك ، كيف وشعبة حامل لواء هذا الحديث ،=

[١] - في ز ، خ : المساند .
[٢] - في ز : شاهدوه .
[٣] - في خ : [علماءهم وكبراءهم]
[٤] - سقط من ز .

قال الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري(٧) : حدّثنا أبو كريب ، حدّثنا جابر بن نوح ، حدّثنا الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ؛ قال : قال عبد اللّه - يعني ابن مسعود - : **والذي لا إله غيره ، مانزلت آية من كتاب اللّه إلا وأنا أعلم فيمن نزلت ، وأين نزلت ، ولو أعلم مكان أحدٍ أعلم بكتاب اللّه مني تناله المطايا لأتيته .**

وقال الأعمش(٨) أيضًا عن أبي وائل ، عن ابن مسعود ، قال : **كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهنّ حتى يعرف معانيهنّ والعمل بهنّ .**

وقال أبو عبد الرحمن السلمي(٩) : حدّثنا الذين كانوا يقرئوننا أنهم كانوا يستقرئون من النبي صلى اللّه عليه وسلم ، فكانوا[١] إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا[٢] بما فيها من العمل ؛ فتعلمنا القرآن والعمل جميعًا .

ومنهم الحبر البحر عبد اللّه بن عباس ابن عم رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، وترجمان القرآن ، ببركة[٣] دعاء رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم له حيث قال : « **اللّهم ؛ فقهه في الدين ،**

= وقد قال بعض أئمة الحديث : إذا رأيت شعبة في إسناد حديث فاشدد يديك به .

قال أبو بكر الخطيب : وقد قيل : إن عبادة بن نسي رواه عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ ، وهذا إسناد متصل ورجاله معروفون بالثقة على أن أهل العلم قد نقلوه واحتجوا به فوقفنا بذلك على صحته عندهم ، كما وقفنا على صحة قول رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم « **لا وصيه لوارث** » وقوله في البحر : « **هو الطهور ماؤه والحل ميتته** » وقوله : « **إذا اختلف المتبايعان في الثمن والسلعة قائمة تحالفا وترادا البيع** » وقوله : « **الدية على العاقلة** » وإن كانت هذه الأحاديث لا تثبت من جهة الإسناد ولكن لما نقلها الكافة عن الكافة غنوا بصحتها عندهم عن طلب الإسناد لها ، فكذلك حديث معاذ لما احتجوا به جميعا غنوا عن طلب الإسناد له ، انتهى كلامه .

(٧) - **صحيح** رواه الطبري ٨٣ - (٨٠/١) . وجابر بن نوح : قال ابن معين : ليس بشيء . وقال أبو داود : ما أنكر حديثه . وقال ابن حبان : لا يحتج به . وقال النسائي : ليس بالقوي . إلا أنه توبع ، تابعه حفص ابن غياث بن طلق عند البخاري فقد رواه في فضائل القرآن - من صحيحه - برقم (٥٠٠٢) ولفظه عنده : « ... **تبلغه الإبل لركبت إليه** » .

(٨) - **صحيح** رواه الطبري بإسناده إلى الأعمش حديث ٨١ - (٨٠/١) .

(٩) - رواه الطبري - برقم ٨٢ - (٨٠/١) من رواية جرير ، عن عطاء بن السائب ، وعطاء اختلط ، وجرير ممن روى عنه بعد الاختلاط - وأبو عبد الرحمن السلمي اسمه عبد اللّه بن حبيب هو من كبار التابعين .

---

[١] - في خ ، ر : وكانوا . [٢] - في ز ، خ : « يعلموا » .

[٣] - في ز ، خ : وببركة .

وعلمه التأويل »(١٠) .

وقال ابن جرير(١١) : حدّثنا محمد بن بشار، حدّثنا وكيع، ثنا سفيانُ، عن الأعمش، عن مسلم[١] - قال - قال عبد اللّه - يعني ابن مسعود - : نعم ترجمان القرآن ابن عباس.

ثم رواه(١٢) عن يحيىٰ بن داود، عن إسحاق الأزرق، عن سفيانَ، عن الأعمش، عن مسلم ابن صبيح [ ][٢] أبي الضحىٰ، عن مسروق، عن ابن مسعود؛ أنه قال: نعم الترجمان للقرآن ابن عباس.

ثم رواه(١٣) عن بندار، عن جعفر بن عون، عن الأعمش به كذلك.

فهذا إسناد صحيح إلى ابن مسعود أنه قال عن ابن عباس هذه العبارة.

وقد مات ابن مسعود - رضي اللّه عنه - في سنة اثنتين وثلاثين على الصحيح، وعُمِّرَ بعده عبد اللّه بن عباس ستًا وثلاثين سنة، فما ظنك بما كسبه[٣] من العلوم بعد ابن مسعود رضى اللّه عنهما. وقال الأعمش عن أبي وائل: استخلف عليٌّ عبد اللّه بن عباس على الموسم، فخطب الناس، فقرأ في خطبته سورة البقرة، وفي رواية: سورة النور، ففسرها تفسيرًا لو سمعته الروم والترك والديلم لأسلموا[٤] .

ولهذا غالب ما يرويه إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير في تفسيره عن هذين الرجلين عبد اللّه بن مسعود وابن عباس، ولكن في بعض الأحيان ينقل عنهم ما يحكونه من أقاويل أهل

---

(١٠) - صحيح رواه أحمد برقم (٢٣٩٣ ، ٢٨٧٤) . وروى البخاري منه : « **اللّهم فقهه في الدين** » . في كتاب الوضوء، باب : وضع الماء عند الخلاء . وروى مسلم في الفضائل من صحيحه برقم (٢٤٧٧) : « **اللّهم فقهه** » . ورواه الترمذي في المناقب برقم (٣٨٢٤) بلفظ : « **اللّهم علمه الحكمة** » . ورواه ابن ماجه في المقدمة رقم (١٦٦) : « **اللّهم علمه الحكمة وتأويل القرآن** » .

(١١) - تفسير ابن جرير ١٠٤ - (١/٩٠) .

(١٢) - تفسير ابن جرير ١٠٥ - (١/٩٠) .

(١٣) - تفسير ابن جرير ١٠٦ - (١/٩٠) .

---

[١] - رسمها في ز ، خ : مسلم كذا .

[٢] - في ت ، ر : « عن » . وهي زيادة مقحمة في الإسناد .

[٣] - في ز ، خ : « كتبه » .

[٤] - في ز ، خ : « أسلموا » .

الكتاب التي أباحها رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم حيث قال: «**بلغوا عني ولو آية، وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمدًا فليتبوّأ مقعده من النار**»(١٤). رواه البخاري عن عبد اللّٰه [بن عمرو][١]؛ ولهذا كان عبد اللّٰه بن عمرو - رضي اللّٰه عنهما - [قد أصاب يوم اليرموك][٢] زاملتين من كتب أهل الكتاب، فكان يحدث منهما بما فهمه من هذا الحديث من الإذن في ذلك.

ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تُذكر للاستشهاد لا للاعتضاد، فإنها على ثلاثة أقسام:

(أحدها) ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد[٣] له بالصدق، فذاك صحيح.

(والثاني) ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه.

(والثالث) ما[٤] هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل، ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه وتجوز حكايته لما تقدم، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمرٍ ديني.

ولهذا يختلف[٥] علماء أهل الكتاب في [مثل][٦] هذا كثيرًا، ويأتي عن المفسرين خلافٌ بسبب ذلك، كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم، وعددهم[٧]، وعصا موسى من أي الشجر[٨] كانت. وأسماء الطيور التي أحياها اللّٰه لإبراهيم، وتعيين البعض الذي ضُرِبَ به القتيل من البقرة، ونوع الشجرة التي كلم اللّٰه منها موسى، إلى غير ذلك مما أبهمه اللّٰه تعالى في القرآن، مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دينهم ولا دنياهم.

ولكن نقْل الخلاف عنهم في ذلك جائز، كما قال تعالى: ﴿**سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم * ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجمًا بالغيب * ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدّتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرًا ولا تستفت فيهم منهم أحدًا**﴾ فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب في هذا المقام، وتعليم ما ينبغي في مثل هذا، فإنه تعالى حكى[٩] عنهم ثلاثة[١٠] أقوال، ضعّف القولين الأولين، وسكت عن الثالث، فدل على صحته،

---

(١٤) - رواه البخاري في أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل برقم (٣٤٦١).

---

[١] - سقط من ز، خ، وأثبتناها من ر.
[٢] - في خ: «يوم اليرموك قد أصاب».
[٣] - في ز: نشهد.
[٤] - في ز: مما.
[٥] - في ز: تختلف.
[٦] - زيادة من ز.
[٧] - في ز: وعدتهم.
[٨] - في ز، خ: شجر.
[٩] - في خ: «أخبر».
[١٠] - في خ: «بثلاثة».

إذ لو كان باطلًا لردّه كما ردّهما[١] ، ثم أرشد على أنّ الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته ، فيقال[٢] في مثل هذا : ﴿قل ربي أعلم بعدّتهم﴾ فإنه ما يعلم ذلك [٣] إلا قليل من الناس ممن أطلعه الله عليه ؛ فلهذا قال : ﴿فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرًا﴾ أي : لا تجهد نفسك فيما لا طائل تحته ، ولا تسألهم عن ذلك ، فإنهم لا يعلمون من ذلك إلا رجم الغيب ، فهذا أحسن مايكون في[٤] حكاية الخلاف ، أن تستوعب[٥] الأقوال في ذلك المقام ، وأن تنبه[٦] على الصحيح منها ، وتبطل[٧] الباطل ، وتذكر[٨] فائدة الخلاف وثمرته ؛ لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته ، فتشتغل[٩] به عن الأهم [ ][١٠] .

فأمّا من حكى خلافًا في مسألة ولم يستوعب أقوال الناس فيها فهو ناقص ، إذ قد يكون الصواب في الذي تركه ، أو يحكي الخلاف ويطلقه ولا ينبه على الصحيح من الأقوال فهو ناقص أيضًا ، فإن صحح غير الصحيح عامدًا فقد تعمد الكذب ، أو جاهلًا فقد أخطأ ، وكذلك من نصب الخلاف فيما لا فائدة تحته ، أو حكى أقوالًا متعدّدة لفظًا ، ويرجع حاصلها إلى قول أو قولين معنى فقد ضيع الزمان وتكثر بما ليس بصحيح ، فهو كلابس ثوبي زور ، والله الموفق للصواب .

فصل

إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ، ولا وجدته عن الصحابة ، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين ، كمجاهد بن جبر[١١] فإنه كان آية في التفسير ، كما قال محمد بن إسحاق : ثنا أبان بن صالح ، عن مجاهد ؛ قال : عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته ، أوقفه عند كل آية منه ، وأسأله عنها (١٥) .

وقال ابن جرير (١٦) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا طلق بن غنام ، عن عثمان المكي ، عن ابن أبي مُليكة ؛ قال : رأيت مجاهدًا سأل [ابن عباس][١٢] عن تفسير القرآن ومعه ألواحه ، قال : فيقول له

(١٥) - تفسير ابن جرير رقم ١٠٨ - (١/٩٠) .
(١٦) - تفسير ابن جرير رقم ١٠٧ - (١/٩٠) .

[١] - في ز ، خ : «ردها» .
[٢] - في ت ، ر : «فقال» .
[٣] - في ز : بذلك .
[٤] - في ز : من .
[٥] - في ز : نستوعب .
[٦] - في ز : ننبه .
[٧] - في ز ، خ : «وتبطيل» .
[٨] - في ز : ونذكر .
[٩] - في ز : فنشتغل .
[١٠] - في ر ، ت : فالأهم .
[١١] - في خ : «جبير» .
[١٢] - زيادة من ش .

ابن عباس : اكتب . حتى سأله عن التفسير كله ؛ ولهذا كان سفيان الثوري يقول : إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به .

وكسعيد بن جبير ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وعطاء بن أبي رباح ، والحسن البصري ، ومسروق بن الأجدع ، وسعيد بن المسيب ، وأبي العالية ، والربيع بن أنس ، وقتادة ، والضحاك بن مزاحم ، وغيرهم من التابعين وتابعيهم ومن بعدهم ، فتذكر[١] أقوالهم في الآية ، فيقع في عباراتهم تباين في الألفاظ يحسبها من لا علم عنده اختلافًا فيحكيها أقوالًا ، وليس كذلك فإن منهم من يعبر عن الشيء بلازمه أو بنظيره ، ومنهم من ينص على الشيء بعينه ، والكل بمعنى واحد في كثير من الأماكن ، فليتفطن اللبيب لذلك ، والله الهادي .

وقال شعبة بن الحجاج وغيره : أقوال التابعين في الفروع ليست حجة ، فكيف تكون حجة في التفسير ؟ يعني : أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم ، وهذا صحيح .

أمّا إذا أجمعوا[٢] على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة ، فإن اختلفوا فلا يكون [ ][٣] بعضهم حجة على [ ][٤] بعض ولا على من بعدهم ، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن ، أو السنة ، أو عموم لغة العرب ، أو أقوال الصحابة في ذلك .

فأمّا تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام ؛ لما رواه محمد[٥] بن جرير - رحمه الله تعالى - حيث قال(١٧) : ثنا محمد بن بشار ، ثنا [يحيى][٦] بن سعيد ، ثنا سفيان ، حدّثني عبد الأعلى - هو ابن عامر الثعلبي - عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ قال : « **من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم ، فليتبوّأ مقعده من النار** » .

وهكذا أخرجه الترمذي والنسائي من طرق عن سفيان الثوري به(١٨) .

ورواه أبو داود(١٩) عن مسدّد ، عن أبي عوانة ، عن عبد الأعلى به مرفوعًا[٧] .

(١٧) - **إسناد ضعيف** ، تفسير ابن جرير ٧٤ - (٧٧/١) . وفي إسناده عبد الأعلى بن عامر الثعلبي : ضعفه أحمد وأبو زرعة. وقال أحمد بن زهير عن يحيى : ليس بذاك القوي (الميزان ٥٣٠/٢) .

(١٨) - **إسناده ضعيف** ، رواه الترمذي برقم (٢٩٥١) ، والنسائي في الكبرى برقم (٨٠٨٤) ، ورواه أحمد برقم ٢٠٦٩ ، ٢٤٢٩ - (٢٣٣/١، ٢٦٩) ، ومداره على عبد الأعلى بن عامر .

(١٩) - كما في تحفة الأشراف (٤/رقم ٥٥٤٣) .

[١] - في ز : فنذكر .
[٢] - في ز : اجتمعوا .
[٣] - في ت : قول .
[٤] - في ت : قول .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - سقط من ز .

وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

وهكذا رواه ابن جرير أيضًا عن [يحيى بن][١] طلحة اليربوعي، عن شريك، عن عبد الأعلى به مرفوعًا(٢٠).

ولكن رواه(٢١) عن محمد بن حميد[٢]، عن الحكم بن بشير، عن عمرو[٣] بن قيس الملائي، عن عبد الأعلى، عن سعيد، عن ابن عباس [فوقفه. وعن محمد بن حميد، عن جرير، عن ليث، عن بكر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس][٤] من قوله، فالله أعلم.

وقال ابن جرير(٢٢): حدثنا العباس بن عبد العظيم العنبري، ثنا حبّان[٥] بن هلال، ثنا سهيل[٦] أخو حزم، ثنا أبو عمران الجوني، عن جندب؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**من قال في القرآن برأيه فقد أخطأ**». وقد روى هذا الحديث أبو داود والترمذي والنسائي، من حديث سهيل بن أبي[٧] حزم القطعي(٢٣).

وقال الترمذي: غريب. وقد تكلم بعض أهل العلم في سهيل.

وفي لفظ لهم: «**من قال في كتاب الله برأيه فأصاب فقد أخطأ**»(٢٤). أي لأنه قد تكلف ما لا علم له به، وسلك غير ما أمر به، فلو أنه أصاب المعنى في نفس الأمر لكان قد أخطأ؛ لأنه

---

(٢٠) - تفسير ابن جرير ٧٣ - (٧٧/١).

(٢١) - تفسير ابن جرير ٧٦ - (٧٨/١) ورواه أيضاً موقوفاً ابن أبي شيبة في المصنف (٥١٢/١٠).

(٢٢) - تفسير ابن جرير ٨٠ - (٧٩/١).

(٢٣) - **إسناده ضعيف**، سهيل بن أبي حزم - عبد الله أو مهران - قال ابن معين: صالح. وقال أبو حاتم: ليس بالقوي. وكذا قال البخاري والنسائي. وروى أحمد بن زهير، عن ابن معين: ضعيف. (الميزان ٢٤٤/٢) وفي التقريب: ضعيف. والحديث رواه أبو داود في العلم، باب: الكلام في كتاب الله بغير علم برقم (٣٦٥٢) والترمذي في التفسير، باب: ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه برقم (٢٩٥٣) والنسائي في الكبرى برقم (٨٠٨٦).

(٢٤) - هذا لفظ أبي داود المشار له في التعليق السابق.

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من خ.

[٢] - في خ: «حكيم».

[٣] - في ز: عمر.

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.

[٥] - في ز: حسان.

[٦] - في ت: «سهل».

[٧] - سقط من: خ.

لم يأت الأمر من بابه ، كمن حكم بين الناس على جهل فهو في النار وإن وافق حكمه الصواب في نفس الأمر ، لكن يكون أخف جرمًا ممن أخطأ ، والله أعلم.

وهكذا سمى الله تعالى القذفة كاذبين فقال: ﴿ **فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون** ﴾ فالقاذف كاذب ولو كان قد قذف من زنىٰ في نفس الأمر؛ لأنه أخبر بما لا يحل له الإخبار به، ولو كان أخبر بما يعلم؛ لأنه[١] تكلف مالا علم له به، والله أعلم.

ولهذا تحرّج جماعة من السلف عن تفسير ما لا علم لهم به ، كما روى شعبة ، عن سليمان ، عن عبد الله بن مرّة ، عن أبي معمر[٢] ؛ قال: قال أبو بكر الصدّيق(٢٥) - رضي الله عنه -: **أي أرض تقلني، وأي سماء تظلني، إذا قلت في كتاب الله بما لا[٣] أعلم.**

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام(٢٦) : ثنا محمد[٤] بن يزيد ، عن العوّام بن حوشب ، عن إبراهيم التيمي أنّ أبا بكر الصدّيق سئل عن قوله [تعالى: ﴿ **وفاكهة وأبّا** ﴾ فقال: **أي سماء تظلني وأي أرض تقلني، إذا[٥] أنا قلت في كتاب الله مالا أعلم**... منقطع.

وقال أبو عبيد أيضًا(٢٧) : ثنا يزيد ، عن حميد ، عن أنس؛ أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر][٦] ﴿ **وفاكهة وأبّا** ﴾ فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إنّ هذا لهو التكلف ياعمر.

وقال [عبد بن حميد(٢٨)][٧] : ثنا سليمان بن حرب ، ثنا حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس؛ قال: كنا عند عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وفي ظهر قميصه أربع رقاع فقرأ:

---

(٢٥) - رواه الطبري في تفسيره ٧٩ - (٧٨/١) . أبو معمر: هو عبد الله بن سخبرة - تابعي ثقة - أرسل الحديث عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(٢٦) - فضائل القرآن (ص٢٢٧) ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (٥١٣/١٠) عن محمد بن عبيد، عن العوام بن حوشب، به.

(٢٧) - فضائل القرآن (ص ٢٢٧) ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (٥١٢/١٠) عن يزيد، به، ورواه الحاكم في المستدرك (٥١٤/٢) من طريق يزيد عن حميد، به، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٢٨) - رواه أبو نعيم في مستخرجه من حديث سليمان بن حرب، به مثله سواء، ورواه ابن سعد =

---

[١] - سقط من ز.
[٢] - في ت: «معمر».
[٣] - في ز: لم.
[٤] - في خ: «محمود».
[٥] - في ز: إن.
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.
[٧] - في ر: محمد بن سعد.

﴿وفاكهة وأبًا﴾ فقال : فما[١] **الأب** ؟ ثم قال : **إن هذا لهو التكلف فما عليك أن لا تدريه ؟...**

وهذا كله محمول على أنهما – رضي اللّٰه عنهما – إنما أرادا استكشاف علم كيفية الأب ، وإلا فكونه نبتًا من الأرض ظاهر لا يجهل ، لقوله[٢] تعالى : ﴿**فأنبتنا فيها حبًّا وعنبًا**﴾ . الآية .

وقال ابن جرير(٢٩) : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدّثنا ابن علية ، عن أيوب ، عن ابن أبي مليكة ؛ أنّ ابن عباس سئل عن آية – لو سئل عنها بعضكم لقال فيها – فأبىٰ أن يقول فيها . إسناده[٣] صحيح .

وقال أبو عبيد (٣٠) : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن أيوب ، عن ابن أبي مليكة ؛ قال : سأل رجل ابن عباس عن يوم كان مقداره ألف سنة ؟ فقال له ابن عباس : فما ﴿**يوم كان مقداره خمسين ألف سنة**﴾ ؟ فقال له[٤] الرجل : إنما سألتك لتحدثني ، فقال ابن عباس : هما يومان ذكرهما اللّٰه تعالى في كتابه ، اللّٰه[٥] أعلم بهما .

فكره أن يقول في كتاب اللّٰه ما لا يعلم .

وقال أيضًا ابن جرير(٣١) : حدّثني يعقوب – يعني : ابن إبراهيم – حدّثنا ابن علية ، عن مهدي بن ميمون ، عن الوليد بن مسلم ؛ قال : جاء طلق بن حبيب إلى جُندب بن عبد اللّٰه ، فسأله عن آية من القرآن .. فقال له [٦] : أحرّج عليك إن كنت مسلمًا ، لما[٧] قمت عني – أو قال : أن تجالسني .

وقال مالك عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب : إنه كان إذا سئل عن تفسير آية من

= في الطبقات (٣/٣٢٧) ، ورواه البخاري في الاعتصام ، باب : ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه برقم (٧٢٩٣) عن سليمان بن حرب به مختصرًا ولفظه : « **نهينا عن التكلف** » .

(٢٩) – تفسير ابن جرير ٩٨ – (١/٨٦) .

(٣٠) – فضائل القرآن (ص ٢٢٨) .

(٣١) – تفسير ابن جرير ٩٩ – (١/٨٦) .

[١] – في ز ، خ : ما .
[٢] – في خ : كقوله .
[٣] – في ز : إسناد .
[٤] – سقط من ز .
[٥] – سقط من : خ .
[٦] – سقط من ت .
[٧] – في ز ، خ : إلا ما ، والمثبت من ر .

القرآن ، قال : إنا لا نقول في القرآن شيئًا (٣٢) .

وقال الليث عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ؛ أنه كان لا يتكلم إلا في المعلوم[١] من القرآن (٣٣) .

وقال شعبة عن عمرو بن مرة ؛ قال : سأل رجل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن ... فقال : لا تسألني عن القرآن ، وسل من يزعم أنه لا يخفى عليه منه شيء - يعني عكرمة (٣٤) .

وقال ابن شوذب : حدثني يزيد بن أبي يزيد ؛ قال : كنا نسأل سعيد بن المسيب عن الحلال والحرام ، وكان أعلم الناس ، فإذا سألناه عن تفسير آية من القرآن ، سكت كأن لم يسمع (٣٥) .

وقال ابن جرير (٣٦) : حدّثني أحمد بن عبدة الضبي ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا عبيدالله ابن عمر ؛ قال : لقد أدركت فقهاء المدينة ، وإنهم ليعظمون القول في التفسير ، منهم : سالم بن عبد اللّه ، والقاسم بن محمد ، وسعيد بن المسيب ، ونافع .

وقال أبو عبيد (٣٧) : حدثنا عبد اللّه بن صالح ، عن الليث ، عن هشام بن[٢] عروة ؛ قال : ماسمعت أبي يؤول[٣] آية من كتاب اللّه قَطُّ .

وقال أيوب وابن عون وهشام الدستوائي ، عن محمد بن سيرين : سألت عَبيدة - يعنى[٤] السلماني - عن آية من القرآن ... فقال : [ذهب الذين كانوا يعلمون فيم أنزل القرآن][٥] ، فاتق اللّه ، وعليك بالسداد (٣٨) .

---

(٣٢) - رواه الطبري في تفسيره ٩٤ - (٨٥/١) من طريق يونس ، عن ابن وهب ، عن مالك ، به .

(٣٣) - رواه الطبري في تفسيره ٩٥ - (٨٦/١) من طريق يونس ، عن ابن وهب ، عن الليث ، به .

(٣٤) - رواه الطبري في تفسيره ١٠١ - (٨٦/١ - ٨٧) وابن أبي شيبة في المصنف (٥١١/١٠) من طريق محمد بن جعفر ، عن شعبة ، به .

(٣٥) - رواه ابن جرير في تفسيره ١٠٠ - (٨٦/١) عن العباس بن الوليد ، عن أبيه ، عن ابن شوذب به .

(٣٦) - تفسير ابن جرير ٩٢ - (٨٥/١) .

(٣٧) - فضائل القرآن (ص ٢٢٩) .

(٣٨) - رواه ابن جرير في تفسيره ٩٧ - (٨٦/١) من طريق يعقوب ، عن ابن علية ، عن أيوب وابن عون به .

---

[١] - في ز : العلوم .
[٢] - في ز : عن .
[٣] - في ز : تأول ، والمثبت من ر .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين مكررة في : خ .

وقال أبو عبيد(٣٩) : حدثنا معاذ ، عن ابن عون ، عن عبدالله[١] بن مسلم بن يسار ، عن أبيه ؛ قال : إذا حدّثت عن الله حديثًا[٢] فقف حتى تنظر ماقبله ومابعده .

حدّثنا(٤٠) هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ؛ قال : كان أصحابنا يتقون التفسير ويهابونه .

وقال شعبة عن عبد الله بن[٣] أبي السفر ؛ قال : قال الشعبي : والله مامن آية إلا وقد سألت عنها ، ولكنها الرواية عن الله عز وجل(٤١) .

وقال أبو عبيد(٤٢) : حدثنا هشيم ، حدثنا عمر[٤] بن أبي زائدة ، عن الشعبي ، عن مسروق ؛ قال : [اتقوا][٥] التفسير ، فإنما هو الرواية عن الله .

فهذه الآثار الصحيحة وماشاكلها عن أئمة السلف - محمولةٌ على تحرُّجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به ، فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعًا فلا حرج عليه ؛ ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال[٦] في التفسير ولا منافاة ؛ لأنهم تكلموا فيما علموه وسكتوا عما جهلوه .

وهذا هو الواجب على كل أحد ، فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به ، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه ؛ لقوله تعالى : [﴿لتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾][٧] ولما جاء في الحديث المروي من طرق : « من سئل عن علم فكتمه أُلجم يوم القيامة بلجام من نار »(٤٣) .

---

(٣٩) - فضائل القرآن (ص ٢٢٩) .

(٤٠) - فضائل القرآن (ص ٢٢٩) ورواه أبو نعيم (٢٢٢/٤) من طريق جرير عن المغيرة ، به .

(٤١) - رواه ابن جرير في تفسيره ١٠٢ - (٨٧/١) من طريق ابن المثنى ، عن سعيد بن عامر ، عن شعبة ، به .

(٤٢) - فضائل القرآن (ص ٢٢٩) .

(٤٣) - وَرَدَ من حديث أبي هريرة ، ومن حديث أنس ، وأبي سعيد الخدري ، رضي الله عنهم . أما حديث أبي هريرة ، فرواه أحمد في المسند (٢٦٣/٢) ، وأبو داود في كتاب العلم ، باب : كراهية منع العلم برقم (٣٦٥٨) ، والترمذي في العلم برقم (٢٦٤٩) ، وابن ماجة في المقدمة برقم (٢٦٦) من طريق علي ابن الحكم - لا بأس به - عن عطاء ، عن أبي هريرة ، وقال الترمذي : « حديث حسن » .

---

[١] - في ز : « عبيد الله » والمثبت من ر . [٢] - سقط من ز .

[٣] - في ز ، خ : « عن » .

[٤] - في الأصلين : و" ت "، و" ر " : عمرو . والمثبت من الفضائل لأبي عبيد ص ٣٧٧ .

[٥] - في ر : اتقوا الله . [٦] - في ز ، خ : « أقوالاً » .

[٧] - في ز، خ : « ليبيننه للناس ولا يكتمونه» .

فأما[١] الحديث الذي رواه أبو جعفر بن جرير(٤٤) : حدثنا عباس بن عبد العظيم ، حدّثنا محمد بن خالد بن عثمة ، حدّثنا جعفر بن محمد [ ][٢] الزبيري ، حدّثني هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ؛ قالت : **ماكان النبي صلى الله عليه وسلم يفسر شيئًا من القرآن إلا آيًا بعدد[٣] علمهن إياه جبريل عليه السلام .**

ثم رواه (٤٥) عن أبي بكر محمد بن يزيد الطرسوسي[٤] ، عن معن بن عيسى ، عن جعفر بن خالد ، عن هشام به - فإنه حديثٌ منكرٌ غريبٌ ، وجعفر هذا هو ابن محمد بن خالد بن الزبير ابن العوام القرشي الزبيري ، قال البخاري : لا يتابع في حديثه . وقال الحافظ أبو الفتح الأزدي : منكر الحديث . وتكلم عليه الإمام أبو جعفر بما حاصله أن هذه الآيات مما لا يعلم إلا بالتوقيف عن الله تعالى مما وقفه عليها جبرائيل .

وهذا تأويل صحيح لو صح الحديث ، فإن من القرآن ما استأثر الله تعالى بعلمه ، ومنه ما يعلمه العلماء ، ومنه ماتعلمه العرب من لغاتها ، ومنه مالا يعذر أحد في جهله[٥] ، كما صرح بذلك ابن عباس فيما قال ابن جرير(٤٦) :

وأما حديث أنس ، فرواه ابن ماجة في المقدمة برقم (٢٦٤) من طريق يوسف بن إبراهيم - قال البخاري : هو صاحب عجائب ، وقال ابن حبان : روى عن أنس من حديثه ما لا يحل بالرواية . واتفقوا على ضعفه - عن أنس ، وقال البوصيري في الزوائد (١/١١٧) : « هذا إسناد ضعيف » .

وأما حديث أبي سعيد ، فرواه ابن ماجة في السنن برقم (٢٦٥) من طريق محمد بن داب - كذبه أبو زرعة وغيره ، ونسب إلى الوضع - عن صفوان بن سليم ، عن عبد الرحمن بن أبي سعيد ، عن أبي سعيد ، وقال البوصيري في الزوائد (١/١١٨) : « هذا إسناد ضعيف » .

(٤٤) - **ضعيف** ، والحديث في تفسير ابن جرير ٩٠ - (١/٨٤) ورواه أبو يعلى في مسنده (٨/٢٣) من طريق معن القزاز ، عن فلان بن محمد بن خالد ، عن هشام بن عروة به ، ورواه البزار في مسنده (كشف الأستار رقم ٢١٨٥) عن محمد بن المثنى ، عن محمد بن خالد بن عثمة ، عن حفص - أظنه ابن عبد الله - عن هشام ، عن أبيه به . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/٣٠٣) وقال : رواه أبو يعلى والبزار بنحوه وفيه راوٍ لم يتحرر اسمه عند أحدهما . وبقية رجاله رجال الصحيح .

(٤٥) - تفسير ابن جرير ٩١ - (١/٨٤) .

(٤٦) - تفسير ابن جرير ٧١ - (١/٧٥) .

---

[١] - في ت : « وأما » .

[٢] - في ت : بن .

[٣] - في ش : « تعد » .

[٤] - في ز : الطرشوشي .

[٥] - في ت : « جهالته » .

حدثنا محمد بن بشار، حدّثنا مؤمل، حدثنا سفيان، عن أبي الزناد؛ قال: قال ابن عباس: التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا اللّٰه.

قال ابن جرير: وقد رُوي نحوه في حديث في إسناده نظر: **حدّثني** يونس بن عبد الأعلى الصدفي، أنبأنا ابن وهب؛ قال: سمعت عمرو بن الحارث يحدث عن الكلبي، عن أبي صالح مولى[١] أمّ هانئ، عن ابن عباس؛ أن رسول اللّٰه، صلى اللّٰه عليه وسلم قال: « **أنزل القرآن على سبعة[٢] أحرف حلال وحرام، لا يُعذر أحد بالجهالة به،** [**وتفسير تفسّره العرب**][٣] ، **وتفسير تفسره العلماء، ومتشابه لا يعلمه إلا اللّٰه عز وجل، ومن ادعى علمه سوى اللّٰه فهو كاذب** »(٤٧) .

والنظر الذي أشار إليه في إسناده هو من جهة محمد بن السائب الكلبي؛ فإنه متروك الحديث، لكن قد يكون إنما وهم في رفعه، ولعله من كلام ابن عباس كما تقدّم، واللّٰه أعلم بالصواب[٤].

---

(٤٧) - تفسير ابن جرير ٧٢ - (٧٦/١) .

---

[١] - في ز، خ: «عن».
[٢] - في ت: «أربعة».
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٤] - سقط من ز.

كتاب فضائل القرآن

قال البخاري ، رحمه الله :

كيف نزول الوحي وأول ما نزل :

قال ابن عباس : المهيمن : الأمين ، القرآن أمين على كل كتاب قبله .

حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن شيبان ، عن يحيى ، عن أبي سلمة قال : أخبرتني عائشة وابن عباس ؛ قالا : لبث النبي - صلى الله عليه وسلم - بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن ، وبالمدينة عشرًا(١) .

ذكر البخاري - رحمه الله - كتاب « فضائل القرآن » بعد كتاب التفسير ؛ لأن التفسير أهم فلهذا بدأ به ، ونحن قدمنا الفضائل قبل التفسير وذكرنا فضل كل سورة قبل تفسيرها ليكون ذلك باعثًا على حفظ القرآن وفهمه والعمل بما فيه ، والله المستعان .

وقول ابن عباس في تفسير المهيمن إنما يريد به البخاري قوله تعالى في المائدة بعد ذكر التوراة والإنجيل : ﴿ **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ** ﴾ (٢) .

قال الإمام أبو جعفر بن جرير ، رحمه الله : حدثنا المثنى ، حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثني معاوية ، عن علي - يعني : ابن أبي طلحة - عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ** ﴾ قال : المهيمن : الأمين . قال : القرآن أمين على كل كتاب قبله(٣) .

وفي رواية : شهيدًا عليه(٤) .

وقال سفيان الثوري وغير واحد من الأئمة عن أبي إسحاق السبيعي ، عن التميمي ، عن ابن عباس : ﴿ **وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ** ﴾ قال : مؤتمنًا[١] (٥) .

---

(١) - رواه البخاري في فضائل القرآن ، باب : كيف نزل الوحي ، وأول ما نزل برقم (٤٩٧٨،٤٩٧٩) . ورواه أيضًا في المغازي ، باب : وفاة النبي ، صلى الله عليه وسلم ، برقم (٤٤٦٤، ٤٤٦٥) .

(٢) - [المائدة : ٤٨] .

(٣) - تفسير ابن جرير ١٢١١٤ - (٣٧٩/١٠) .

(٤) - تفسير ابن جرير ١٢١٠٤ - (٣٧٧/١٠) .

(٥) - رواه ابن جرير في تفسيره برقم ١٢١٠٧ : ١٢١١٣ - (٣٧٨/١٠) ، والتميمي - وفي بعض الروايات : رجل من تميم - هو أربدة التميمي : راوي التفسير عن ابن عباس ، روى عنه أبو إسحاق السبيعي وحده ، فيما ذكر غير واحد ، وقد روى السندي بن عبدويه ، عن عمرو بن أبي قيس ، =

---

[١] - في تفسير ابن جرير : مؤتمنًا عليه .

وبنحو ذلك قال مجاهد والسدي وقتادة وابن جريج والحسن البصري وغير واحد من أئمة السلف .

وأصل الهيمنة : الحفظ والارتقاب ، يقال إذا رَقَب الرجل الشيء وحفظه وشهده : قد هيمن فلان عليه ، فهو يهيمن هيمنة وهو عليه مهيمن ، وفي أسماء الله تعالى : ﴿ المهيمن ﴾(٦) ، وهو الشهيد على كل شيء ، والرقيب : الحفيظ بكل شيء .

وأما الحديث الذي أسنده البخاري : أنه عليه السلام ، أقام بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن ، وبالمدينة عشرًا ، فهو مما انفرد به البخاري دون مسلم ، وإنما رواه النسائي من حديث شيبان وهو ابن عبد الرحمن ، عن يحيى وهو ابن أبي كثير ، عن أبي سلمة عنهما(٧) .

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : حدثنا يزيد ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ، ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة ، ثم قرأ : ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴾(٨) هذا إسناد صحيح(٩) .

أما إقامته بالمدينة عشرًا فهذا مما لا خلاف فيه ، وأما إقامته بمكة بعد النبوة فالمشهور ثلاث عشرة سنة ؛ لأنه ، عليه الصلاة والسلام ، أوحي إليه وهو ابن أربعين سنة ، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة على الصحيح ، ويحتمل أنه حذف ما زاد على العشرة اختصارًا في الكلام ؛ لأن العرب

= عن مطرف بن طريف ، عن المنهال بن عمرو ، عن التميمي ، عن ابن عباس قال : كنا نتحدث أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، عهد إلى علي سبعين عهدًا ، لم يعهدها إلى غيره ، رواه الطبراني في معجمه عن محمد بن سهل بن الصباح ، عن أحمد بن الفرات ، عن السندي ، وقال : تفرد به السندي ، قلت : قرأت بخط الذهبي : هذا حديث منكر ، وقال ابن معين ، عن أبي أحمد الزبيري : سألت إسرائيل عن اسم التميمي ؛ فقال : أربدة ، وقال العجلي : تابعي كوفي ثقة ، وقال ابن حبان في الثقات : أصله من البصرة ، كان يجالس البراء بن عازب ، وقال ابن البرقي : مجهول ، وذكره البرديجي في أفراد الأسماء ، وذكره أبو العرب الصقلي القيرواني في الضعفاء . اهـ من التهذيب .

(٦) - [الحشر/٢٣] .

(٧) - رواه البخاري برقم (٤٩٧٨ ، ٤٩٢٩) عن عبيد الله بن موسى ، والنسائي في الكبرى برقم (٧٩٧٧) . وأحمد (٢٦٩٦) حدثنا حسن بن موسى ، ثنا شيبان ، فذكره .

(٨) - [الإسراء : ١٠٦] .

(٩) - فضائل القرآن (ص ٣٦٧ - ٣٦٨) ، ورواه النسائي ( ) ، وابن أبي شيبة (٥٣٣/١٠) ، والطبري (١١٩/١٥) (١٦٦/٣٠) ، ورواه الحاكم في المستدرك (٢٢٢/٢) من طرق ، عن داود بن أبي هند ، به ، وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٠٥/٤) لابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، والبيهقي .

كثيرًا ما يحذفون الكسور في كلامهم ، أو أنهما إنما اعتبرا قرن جبريل ، عليه السلام ، به عليه السلام . فإنه قد روى الإمام أحمد أنه قرن به ، عليه السلام ، ميكائيل في ابتداء الأمر ، يلقي إليه الكلمة والشيء ، ثم قرن به جبريل .

ووجه مناسبة هذا الحديث بفضائل القرآن : أنه ابتدئ بنزوله في مكان شريف ، وهو البلد الحرام ، كما أنه كان في زمن شريف وهو شهر رمضان ، فاجتمع له شرف الزمان والمكان ؛ ولهذا يستحب إكثار تلاوة القرآن في شهر رمضان ؛ لأنه ابتدئ نزوله فيه ؛ ولهذا كان جبريل يعارض به رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل سنة في شهر رمضان ، فلما كان في السنة التي توفي فيها عارضه به مرتين تأكيدًا وتثبيتًا .

وأيضًا في هذا الحديث بيان أنه من القرآن مَكِّي ومنه مدني ، فالمكي : ما نزل قبل الهجرة ، والمدني : مانزل بعد الهجرة ، سواء كان بالمدينة أو بغيرها من أي البلاد كان ، حتى ولو كان بمكة أو عرفة . وقد أجمعوا على سور أنها من المكي وأخر أنها من المدني ، واختلفوا في أخر ، وأراد بعضهم ضبط ذلك بضوابط في تقييدها عسر ونظر ، ولكن قال بعضهم : كل سورة في أولها شيء من الحروف المقطعة فهي مكية إلا البقرة وآل عمران ، كما أن كل سورة فيها : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِين آمَنُوا** ﴾ فهي مدنية وما فيها : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ** ﴾ فيحتمل أن يكون من هذا ومن هذا ، والغالب أنه مكي . وقد يكون مدنيًا كما في البقرة :﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ والَّذينَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون** ﴾(١٠) ، ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاس كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ** ﴾(١١) .

قال أبو عبيد(١٢) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا من سمع الأعمش يحدث عن إبراهيم بن علقمة : كل شيء في القرآن : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ فإنه أنزل بالمدينة ، وما كان ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ** ﴾ فإنه أنزل بمكة .

ثم قال(١٣) : حدثنا علي بن معبد ، عن أبي المَلِيْح ، عن ميمون بن مِهْران ، قال : ما كان في القرآن : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ** ﴾ و ﴿ **يَا بَنِي آدَم** ﴾ فإنه مكي ، وما كان : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ فإنه مدني .

---

(١٠) - [البقرة : ٢٠] . (١١) - [البقرة : ١٦٨] .

(١٢) - فضائل القرآن (ص ٣٦٧) ، ورواه ابن الضريس في فضائل القرآن أيضًا (٢٦) ، وقد رواه البزار (٣/ ٢١٨٦) من حديث قيس بن الربيع ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن ابن مسعود ؛ وقال : لا نعلمُ أحدًا أسنده إلا قيس ، وغيره يرسله .

ورواه الحاكم (١٨/٣) من طريق الجراح بن مليح الرؤاسي ، عن الأعمش ، بمثل رواية قيس .

(١٣) - فضائل القرآن (ص ٣٦٧) .

ومنهم من يقول : إن بعض السور نزل مرتين ، مرة بالمدينة ومرة بمكة ، والله أعلم . ومنهم من يستثني من المكي آيات يدعي أنها من المدني ، كما في سورة الحج وغيرها .

والحق في ذلك ما دل عليه الدليل الصحيح ، فالله أعلم .

وقال أبو عبيد : حدثنا عبد الله بن صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، قال : نزلت بالمدينة سورة البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنفال ، والتوبة ، والحج ، والنور ، والأحزاب ، والذين كفروا ، والفتح ، والحديد ، والمجادلة ، والحشر ، والممتحنة ، والحواريون ، والتغابن ، و ﴿ **يَا أَيُّها النَّبِي إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ** ﴾ ، و ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ** ﴾ ، والفجر ، ﴿ **وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ** ﴾ و ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ** ﴾ و ﴿ **لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا** ﴾ و ﴿ **إِذَا زُلْزِلَت** ﴾ و ﴿ **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ** ﴾ وسائر ذلك بمكة(١٤) .

وهذا إسناد صحيح عن ابن أبي طلحة مشهور ، وهو أحد أصحاب ابن عباس الذين رووا عنه التفسير ، وقد ذكر في المدني سورًا في كونها مدنية نظر ، وفاته الحجرات والمعوذات .

الحديث الثاني :

وقال البخاري : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا معتمر قال : سمعت أبي ، عن أبي عثمان قال : أنبئت أن جبريل ، عليه السلام ، أتى النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أم سلمة ، فجعل يتحدث ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « **من هذا ؟** » أو كما قال ، قالت : هذا دحية الكلبي ، فلما قام قالت : والله ما حسبته إلا إياه ، حتى سمعت خطبة النبي صلى الله عليه وسلم يُخبر خبَر جبريل . أو كما قال ، قال أبي : فقلت لأبي عثمان : ممن سمعت هذا ؟ فقال : من

(١٤) – فضائل القرآن (ص ٣٦٥) ، ورواه ابن الضريس في فضائله ص (٣٣ ، ٣٤) ، وعلي بن أبي طلحة : واسمه سالم بن المخارق الهاشمي ، يكنى أبا الحسن ، وقيل غير ذلك ، أصله من الجزيرة ، وانتقل إلى حمص ، روى عن ابن عباس ولم يسمع منه ، بينهما مجاهد ، قال الميموني عن أحمد : له أشياء منكرات ، وهو من أهل حمص ، وقال الآجري عن أبي داود : وهو إن شاء الله مستقيم الحديث ، ولكن له رأي سوء ، كان يرى السيف ، وقد رآه حجاج بن محمد ، وقال النسائي : ليس به بأس ، وقال دحيم : لم يسمع التفسير من ابن عباس ، وقال صالح بن محمد : روى عنه الكوفيون والشاميون وغيرهم ، وقال يعقوب بن سفيان : ضعيف الحديث منكر ، ليس محمود المذهب ، وقال في موضع آخر : شامي ليس هو بمتروك ولا هو حجة ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : روى عن ابن عباس ولم يره ، وذكر الخطيب أن أحمد بن حنبل قال : إن علي بن أبي طلحة الذي روى عنه الثوري والحسن بن صالح ورآه حجاج الأعور ، كوفي ، غير الشامي ، والصواب أنهما واحد ، قال أبو بكر بن عيسى صاحب تاريخ حمص : مات سنة ثلاث وأربعين ومائة ، له عند مسلم حديث واحد ، في ذكر العزل ، وروى له الباقون حديثًا آخر في الفرائض . ونقل البخاري من تفسيره رواية معاوية بن صالح عنه ، عن ابن عباس شيئًا كثيرًا في التراجم وغيرها ، ولكنه لا يسميه ، يقول : قال ابن عباس ، أو يذكر عن ابن عباس ، ووثقه العجلي .

أسامة بن زيد .

وهكذا رواه أيضًا في علامات النبوة عن عباس بن الوليد النرسي ، ومسلم في فضائل أم سلمة ، عن عبد الأعلى بن حماد ومحمد بن عبد الأعلى كلهم عن معتمر بن سليمان به(١٥) .

والغرض من إيراد هذا الحديث هاهنا أن السفير بين الله وبين محمد صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام وهو ملك كريم ذو وجاهة وجلالة ومكانة كما قال : ﴿ **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ** ﴾(١٦) ، وقال تعالى : ﴿ **إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ** ﴾(١٧) الآيات. فمدح الربّ تبارك وتعالى عبديه ورسوليه جبريل ومحمدًا صلى الله عليه وسلم وسنستقصي الكلام على تفسير هذا الكتاب في موضعه إذا وصلنا إليه إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

وفي الحديث فضيلة عظيمة لأم سلمة ، رضي الله عنها - كما بينه مسلم رحمه الله - لرؤيتها لهذا الملك العظيم ، وفضيلة أيضًا لدحية بن خليفة الكلبي ، وذلك أن جبريل ، عليه السلام ، كان كثيرًا ما يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم على صورة دحية وكان جميل الصورة ، رضي الله عنه ، وكان من قبيلة أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي ، كلهم ينسبون إلى كلب بن وبرة وهم قبيلة من قضاعة ، وقضاعة قيل : إنهم من عدنان ، وقيل : من قحطان ، وقيل : بطن مستقل بنفسه ، والله أعلم .

الحديث الثالث : حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا الليث ، حدثنا سعيد المقبري ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيت وحيًا أوحاه الله إليّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة** »(١٨) .

ورواه أيضًا في كتاب « الاعتصام » عن عبد العزيز بن عبد الله ، ومسلم والنسائي عن قتيبة جميعًا ، عن الليث بن سعد ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن أبيه - واسمه كيسان المقبري - به .

وفي هذا الحديث فضيلة عظيمة للقرآن المجيد على كل معجزة أعطيها نبي من الأنبياء ، وعلى

---

(١٥) - صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب : كيف نزل الوحي برقم (٤٩٨٠) ، وفي المناقب ، باب : علامات النبوة في الإسلام (٣٦٣٤) ، وصحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة برقم ١٠٠ - (٢٤٥١) .

(١٦) - [الشعراء : ١٩٣، ١٩٤] . (١٧) - [التكوير : ١٩-٢٢] .

(١٨) - صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب : كيف نزل الوحي وأول ما نزل برقم (٤٩٨١) ، وفي الاعتصام ، باب : قول النبي ، صلى الله عليه وسلم : « **بعثت بجوامع الكلم** » (٧٢٧٤) . ورواه مسلم في الإيمان برقم ٢٣٩ - (١٥٢) ، والنسائي في التفسير من الكبرى (١١١٢٩) .

كل كتاب أنزله ، وذلك أن معنى الحديث : ما من نبي إلا أعطي من المعجزات ما آمن عليه البشر ، أي : ما كان دليلًا على تصديقه فيما جاءهم به واتبعه من اتبعه من البشر ، ثم لما مات الأنبياء لم تبق لهم معجزة بعدهم إلا ما يحكيه أتباعهم عما شاهدوه في زمانه ، فأما الرسول الخاتم للرسالة محمد صلى اللّه عليه وسلم فإنما كان معظم ما آتاه اللّه وحيًا منه إليه منقولًا إلى الناس بالتواتر ، ففي كل حين هو كما أنزل ، فلهذا قال : « **فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا** » ، وكذلك وقع ، فإن أتباعه أكثر من أتباع الأنبياء لعموم رسالته ودوامها إلى قيام الساعة ، واستمرار معجزته ، ولهذا قال اللّه تبارك وتعالى : ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا** ﴾(١٩) وقال تعالى : ﴿ **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ﴾(٢٠) ، ثم تقاصر معهم إلى عشر سور منه فقال : ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾(٢١) ثم تحداهم إلى أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا ، فقال : ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾(٢٢) ، وقصر التحدي على هذا المقام في السور المكية كما ذكرنا وفي المدنية أيضًا كما في سورة البقرة ، حيث يقول تعالى : ﴿ **وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ﴾(٢٣) فأخبرهم بأنهم عاجزون عن معارضته بمثله ، وأنهم لا يفعلون ذلك في المستقبل أيضًا ، وهذا وهُم أفصح الخلق وأعلمهم بالبلاغة والشعر وقريض الكلام وضروبه ، لكن جاءهم من اللّه ما لا قبل لأحد من البشر به من الكلام الفصيح البليغ الوجيز ، المحتوي على العلوم الكثيرة الصحيحة النافعة ، والأخبار الصادقة عن الغيوب الماضية والآتية ، والأحكام العادلة والمحكمة ، كما قال تعالى : ﴿ **وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا** ﴾(٢٤) .

وقال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن إسحاق قال : ذكر محمد بن كعب القرظي ، عن الحارث بن عبد اللّه الأعور قال قلت : لآتين أمير المؤمنين ، فلأسألنه عما سمعت العشية قال : فجئته بعد العشاء ، فدخلت عليه ، فذكر الحديث .

قال : ثم قال : سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقول : « **أتاني جبريل فقال : يامحمد ، أمتك مختلفة بعدك** » . قال : « **فقلت له : فأين المخرج يا جبريل ؟** » قال : فقال : « **كتاب اللّه به يقصم اللّه كلَّ جبار ، من اعتصم به نجا ، ومن تركه هلك** - مرتين - **قول**

(١٩) - [الفرقان : ١] .
(٢٠) - [الإسراء : ٨٨] .
(٢١) - [هود : ١٣] .
(٢٢) - [يونس : ٣٨] .
(٢٣) - [البقرة : ٢٣، ٢٤] .
(٢٤) - [الأنعام : ١١٥] .

فَصْل وليس بالهزل ، لا تخلقه الأَلسن ، ولا تفنى عجائبه ، فيه نبأ ما كان قبلكم ، وفصل ما بينكم ، وخبر ما هو كائن بعدكم » هكذا رواه الإمام أحمد(٢٥) .

وقال أبو عيسى الترمذي : حدثنا عبد بن حميد ، حدثنا حسين بن علي الجعفي ، حدثنا حمزة الزيات ، عن أبي المختار الطائي ، عن ابن أخي الحارث الأعور ، عن الحارث الأعور ، قال : مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث فدخلت علَى عليٍّ فقلت : يا أمير المؤمنين ، ألا ترى الناس قد خاضوا في الأحاديث ؟ قال : أو قد فعلوها ؟ قلت : نعم . قال : أما إني سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقول : « **إنها ستكون فتنة** » فقلت : ما المَخْرج منها يا رسول اللّه ؟ قال : « **كتاب اللّه ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحُكْمُ ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهَزْلِ ، من تركه من جبار قَصَمه اللّه ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله اللّه ، هو حبل اللّه المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تَلْتَبِس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يَخْلَق عن كثرةِ الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، هو الذي لم تنته الجن إذْ سمعته حتى قالوا : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ﴾(٢٦) ، من قال به صَدق ، ومن عمل به أُجِر ، ومن حكم به عَدَل ، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم** » . خذها إليك يا أعور . ثم قال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات ، وإسناده مجهول وفي حديث الحارث مقال(٢٧) .

قلت : لم ينفرد بروايته حمزة بن حبيب الزيات ، بل قد رواه محمد بن إسحاق ، عن محمد ابن كعب القرظي ، عن الحارث الأعور ، فبرئ حمزة من عهدته ، على أنه وإن كان ضعيف الحديث إلا أنه إمام في القراءة والحديث ، مشهور من رواية الحارث الأعور وقد تكلموا فيه ، بل قد كذبه بعضهم من جهة رأيه واعتقاده ، أما أنه تعمد الكذب في الحديث فلا ، واللّه أعلم ، وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي ، رضي اللّه عنه ، وقد وهِمَ بعضهم في رفعه ، وهو كلام حسن صحيح على أنه قد روي له شاهد عن عبد اللّه بن مسعود عن النبي صلى اللّه عليه وسلم .

قال الإمام العلم أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه «فضائل القرآن»(٢٨) : حدثنا أبو اليقظان

---

(٢٥) - المسند برقم ٧٠٤ - (٩١/١) وهذا إسناد ضعيف جدًّا من أجل الحارث الأعور ، والظاهر أنه منقطع لقول محمد بن إسحاق - مدلس - : « وذكر محمد بن كعب القرظي » .

(٢٦) - [الجن : ١،٢] .

(٢٧) - **إسناده ضعيف جدًّا** ، الحارث تقدم قريبًا ، وأبو مختار الطائي ، وابن أبي الحارث : مجهولان ، والحديث في سنن الترمذي ، أبواب ثواب القرآن ، باب : ما جاء في فضل القرآن ، برقم (٢٩٠٦) ، ورواه الدارمي (٣١٢/٢ - ٣١٣) ، وابن أبي شيبة (٤٨٢/١٠) ، وابن نصر في قيام الليل ص (٧٥) .

(٢٨) - فضائل القرآن (ص ٥٠) ، ورواه الحاكم في المستدرك (٥٥٥/١) من طريق الهجري ، به . =

عمار بن محمد الثوري أو غيره ، عن أبي إسحاق الهجري ، عن أبي الأحوص ، عن عبد اللّٰه بن مسعود ، عن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم قال : « **إن هذا القرآن مأدبة اللّٰه تعالى فتعلموا من مأدبته ما استطعتم ، إن هذا القرآن حبل اللّٰه ، عز وجل ، وهو النور المبين ، والشفاء النافع ، عِصْمَة لمن تمسك به ، ونجاة لمن تبعه ، لا يعوج فيقوم ، ولا يزيغ فيستعتب ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يَخْلَقُ عن كثرة الرد ، فاتلوه ، فإن اللّٰه يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات ، أما إني لا أقول لكم الٓم حرف ، ولكن ألف عشر ، ولام عشر ، وميم عشر** » .

وهذا غريب من هذا الوجه ، وقد رواه محمد بن فضيل ، عن أبي إسحاق الهجري ، واسمه إبراهيم بن مسلم ، وهو أحد التابعين ، ولكن تكلموا فيه كثيرًا .

وقال أبو حاتم الرازي : لين ليس بالقوى . وقال أبو الفتح الأزدي : رفَّاع كثير الوهم . قلت : فيحتمل - واللّٰه أعلم - أن يكون وهم في رفع هذا الحديث ، وإنما هو من كلام ابن مسعود ، ولكن له شاهد من وجه آخر ، واللّٰه أعلم .

وقال أبو عبيد أيضًا : حدثنا حجاج ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد اللّٰه بن مسعود قال : لا يسأل عبد عن نفسه إلا القرآن ، فإن كان يحب القرآن فإنه يحب اللّٰه ورسوله(٢٩) .

الحديث الرابع : قال البخاري : حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا أبي ، عن صالح بن كيسان ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني أنس بن مالك أن اللّٰه تابع الوحي على رسوله صلى اللّٰه عليه وسلم قبل وفاته حتى توفاه أكثر ما كان الوحي ، ثم توفي رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم بعد .

وهكذا رواه مسلم ، عن عمرو بن محمد هذا - وهو الناقد - وحسن الحلواني وعبد بن حميد ، والنسائي ، عن إسحاق بن منصور الكوسج ، أربعتهم عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد

= والحديث أخرجه ابن أبي شيبة (٤٨٢/١٠ - ٤٨٣) ، وابن الضريس في الفضائل مختصرًا (٥٨) ، وابن حبان في المجروحين (١٠٠/١) ، وابن نصر في قيام الليل (٧٠) ، والبيهقي في الشعب (١٧٨٦) ، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٢٧٨/٢) ، والخطيب في الجامع (١٠٧/١) ، وابن الجوزي في الواهيات (١/ ١٠١) ، وقال ابن الجوزي : لا يصح . وقال الحاكم : صحيح الإسناد ، وردَّه الذهبي بضعف الهجري . وقد ورد موقوفًا على ابن مسعود ؛ رواه الدارمي (٣٠٨/٢ - ٣١٠) ، وعبد الرزاق (٦٠١٧/٣) ، والطبراني (٨٦٤٦/٩) .

(٢٩) - فضائل القرآن (ص ٥١ - ٥٢) ، ورواه الطبراني في الكبير (٨٦٥٧/٩) من طريق شعبة ، عن أبي إسحاق بسنده سواء ولفظه : « **من أحب أن يعلم أنه يحب اللّٰه ورسوله فلينظر فإن كان يحب القرآن فهو يحب اللّٰه ورسوله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم** » . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٥/٧) وقال : رواه الطبراني (٨٦٥٧) ورجاله ثقات .

الزهري ، به[٣٠] .

ومعناه : أن اللّٰه تعالى تابع نزول الوحي على رسوله صلى اللّٰه عليه وسلم شيئًا بعد شيء كل وقت بما يحتاج إليه ، ولم تقع فترة بعد الفترة الأولى التي كانت بعد نزول الملك أول مرة بقوله تعالى : ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ** ﴾ [العلق : ١] فإنه استلبث الوحي بعدها حينًا يقال : قريبًا من سنتين أو أكثر ، ثم حمي الوحي وتتابع ، وكان أول شيء نزل بعد تلك الفترة : ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ** ﴾[٣١] .

الحديث الخامس : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا سفيان عن الأسود بن قيس قال : سمعت جندبًا يقول : اشتكى النبي صلى اللّٰه عليه وسلم فلم يقم ليلة أو ليلتين ، فأتته امرأة فقالت : يا محمد ، ما أرى شيطانك إلا تركك ، فأنزل اللّٰه تعالى : ﴿ **والضحى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ** ﴾[٣٢] .

وقد رواه البخاري في غير موضع أيضًا ، ومسلم والترمذي والنسائي من طرق أخر[٣٣] ، عن سفيان - وهو الثوري - وشعبة بن الحجاج كلاهما عن الأسود بن قيس العبدي ، عن جندب بن عبد اللّٰه البجلي ، به . وسيأتي الكلام على هذا الحديث في تفسير سورة الضحى إن شاء اللّٰه تعالى .

والمناسبة في ذكر هذا الحديث والذي قبله في فضائل القرآن : أن اللّٰه تعالى له برسوله عناية عظيمة ومحبة شديدة ، حيث جعل الوحي متتابعًا عليه ولم يقطعه عنه ؛ ولهذا إنما أنزل عليه القرآن مفرقًا ليكون ذلك أبلغ في العناية والإكرام .

قال البخاري ، رحمه اللّٰه : نزل القرآن بلسان قريش والعرب ، ﴿ **قرآنا عربيًا** ﴾ ﴿ **بلسانٍ عربيٍّ مُّبين** ﴾ ، حدثنا أبو اليمان ، حدثنا شعيب ، عن الزهري : أخبرني أنس بن مالك قال : فأمر عثمان بن عفان زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد اللّٰه بن الزبير وعبد الرحمن بن الحارث ابن هشام أن ينسخوها في المصاحف ، وقال لهم : إذا اختلفتم أنتم وزيد في عربية من عربية

---

(٣٠) - صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب : كيف نزل الوحي وأول ما نزل برقم (٤٩٨٢) ، وصحيح مسلم ، كتاب التفسير برقم ٢ - (٣٠١٦) . والنسائي في فضائل القرآن (٨).

(٣١) - [المدثر : ١،٢] .

(٣٢) - صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب : كيف نزل الوحي وأول ما نزل برقم (٤٩٨٣) . والآيات [الضحى : ١-٣] .

(٣٣) - صحيح البخاري ، كتاب التهجد ، باب : ترك القيام للمريض برقم (١١٢٥) ، وانظر (٤٩٥٠،٤٩٥١) ، ومسلم في الجهاد والسير برقم ١١٤ - (١٧٩٧) ، والترمذي في تفسير القرآن ، باب : سورة الضحى برقم (٣٣٤٥) ، وسنن النسائي الكبرى برقم (١١٦٨١) .

القرآن ، فاكتبوها بلسان قريش ، فإن القرآن نزل بلسانهم ، ففعلوا[٣٤] .

هذا الحديث قطعة من حديث سيأتي قريبًا والكلام عليه ، ومقصود البخاري منه ظاهر ، وهو أن القرآن نزل بلغة قريش ، وقريش خلاصة العرب ؛ ولهذا قال أبو بكر بن أبي داود :

حدثنا عبد اللّه بن محمد بن خلاد ، حدثنا يزيد ، حدثنا شيبان ، عن عبد الملك بن عمير ، عن جابر بن سمرة ، قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : لا يملينَّ في مصاحفنا هذه إلا غلمان قريش أو غلمان ثقيف . وهذا إسناد صحيح[٣٥] .

وقال أيضًا [٣٦] : حدثنا إسماعيل بن أسد ، حدثنا هوذة ، حدثنا عوف ، عن عبد اللّه بن فضالة ، قال : لما أراد عمر أن يكتب الإمام أقعد له نفرًا من أصحابه وقال : إذا اختلفتم في اللغة فاكتبوها بلغة مُضر ، فإن القرآن نزل بلغة رجل من مضر صلى اللّه عليه وسلم ، وقد قال اللّه تعالى : ﴿ **قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُون** ﴾[٣٧] ، وقال تعالى : ﴿ **وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ** ﴾[٣٨] ، وقال تعالى : ﴿ **وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِين** ﴾[٣٩] ، وقال تعالى : ﴿ **وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِي** ﴾[٤٠] الآية ، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك .

ثم ذكر البخاري ، رحمه اللّه ، حديث يعلى بن أمية أنه كان يقول: ليتني أرى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم حين ينزل عليه الوحي . فذكر الحديث الذي سأل عمن أحرم بعمرة وهو متضمخ[٤١] بطيب وعليه جبة ، قال : فنظر رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ساعة ثم فجأه الوحي ، فأشار عمر إلى يعلى أي : تعال ، فجاء يعلى ، فأدخل رأسه فإذا هو محمر الوجه يغط كذلك ساعة ، ثم سري عنه ، فقال : « **أين الذي سألني عن العمرة آنفًا ؟** » فذكر أمره بنزع الجبة وغسل الطيب .

وهذا الحديث رواه جماعة من طرق عديدة[٤٢] ، والكلام عليه في كتاب الحج ، ولا تظهر

---

(٣٤) – صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن برقم (٤٩٨٤) .

(٣٥) – المصاحف (ص ١١) . وعبد الملك بن عمير : قال الحافظ : ثقة ، فصيح ، عالم تغير حفظه ، وربما دلس ، وقال في التعريف : مشهور بالتدليس ، وصفه به الدارقطني ، وابن حبان وغيرهما . وقال ابن حبان .... وكان مدلسًا . وذكره الذهبي في المدلسين ، والعلائي والمقدسي والحلبي ، وجعله الحافظ في المرتبة الثالثة من مراتب المدلسين .

(٣٦) – المصاحف (ص ١١) .

(٣٧) – [الزمر : ٢٨] .

(٣٨) – [الشعراء : ١٩٢-١٩٥] .

(٣٩) – [النحل : ١٠٣] .

(٤٠) – [فصلت : ٤٤] .

(٤١) – تمضَّخ بالطيب : تلطخ به .

(٤٢) – البخاري في كتاب الحج ، باب : غسل الخلوق ثلاث مرات من الثياب ، وكتاب العمرة =

مناسبة ما بينه وبين هذه الترجمة ، ولا يكاد ، ولو ذكر في الترجمة التي قبلها لكان أظهر وأبين ، والله أعلم .

= باب : يفعل بالعمرة ما يفعل بالحج (١٧٨٩) ، وكتاب فضائل القرآن ، باب : نزل القرآن بلسان قريش والعرب برقم (٤٩٨٥) ، وفي جزاء الصيد ، باب : إذا أحرم جاهلًا وعليه قميص برقم (١٨٤٧) ، ومسلم في كتاب الحج برقم (١١٨٠) ، وأبو داود في كتاب الحج ، باب : الرجل يحرم في ثيابه برقم (١٨١٩،١٨٢٠) ، والترمذي في الحج ، باب : ما جاء في الذي يحرم وعليه قميص أو جبة برقم (٨٣٦) ، وسنن النسائي (١٣٠/٥)

جمع القرآن

قال المؤلف ، رحمه الله : فائدة جليلة حسنة ، ثبت في الصحيحين عن أنس قال : جمع القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم أربعة ، كلهم من الأنصار ؛ أُبيٌّ بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد . فقيل له : من أبو زيد ؟ قال : أحد عمومتي . وفي لفظ للبخاري عن أنس قال : مات النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجمع القرآن غير أربعة ؛ أبو الدرداء ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد ، ونحن ورثناه .

قلت : أبو زيد هذا ليس بمشهور ؛ لأنه مات قديمًا ، وقد ذكروه في أهل بدر ، وسمَّاه بعضهم : سعيد بن عبيد . ومعنى قول أنس : « ولم يجمع القرآن » . يعني من الأنصار سوى هؤلاء ، وإلا فمن المهاجرين جماعة كانوا يجمعون القرآن كالصديق ، وابن مسعود ، وسالم مولى أبي حذيفة وغيرهم .

قال الشيخ أبو الحسن الأشعري ، رحمه الله : قد علم بالاضطرار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم أبا بكر في مرض الموت ليصلي بالناس ، وقد ثبت في الخبر المتواتر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **ليؤم القوم أقرؤهم** »(٤٣) ، فلو لم يكن الصديق أقرأ القوم لما قدمه عليهم . نقله أبو بكر بن زنجويه في كتاب « فضائل الصديق » عن الأشعري .

وحكى القرطبي في أوائل تفسيره عن القاضي أبي بكر الباقلاني أنه قال - بعد ذكره حديث أنس بن مالك هذا - : فقد ثبت بالطرق المتواترة أنه جمع القرآن عثمان ، وعلي ، وتميم الداري ، وعبادة بن الصامت ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، فقول أنس : « لم يجمعه غير أربعة » يحتمل أنه لم يأخذه تلقيًا من في رسول الله صلى الله عليه وسلم غير هؤلاء الأربعة ، وأن بعضهم تلقى بعضه عن بعض . قال : وقد تظاهرت الروايات بأن الأئمة الأربعة جمعوا القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم لأجل سبقهم إلى الإسلام ، وإعظام الرسول لهم(٤٤) .

قال القرطبي : لم يذكر القاضي ابن مسعود وسالمًا مولى أبي حذيفة ، وهما ممن جمع القرآن(٤٥) .

---

(٤٣) - رواه مسلم في صحيحه في المساجد ، باب : من أحق بالإمامة برقم (٦٧٣) ، وأبو داود في كتاب الصلاة ، باب : من أحق بالإمامة (٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤) ، والترمذي في الصلاة ، باب : ما جاء من أحق بالإمامة (٢٣٥) ، والنسائي (٧٦/٢ - ٧٧) ، وابن ماجه في إقامة الصلاة ، باب : ما جاء من أحق بالإمامة (٩٨٠) من حديث أبي مسعود البدري - عقبة بن عمرو ، رضي الله عنه .

(٤٤) - تفسير القرطبي (٥٧/١) .

(٤٥) - تفسير القرطبي (٥٧/١) .

[نقلتُ هذه من على ظهر الجزء الأول من أجزاء المؤلف]

قال البخاري : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، حدثنا ابن شهاب ، عن عبيد بن السباق ، أن زيد بن ثابت قال : أرسل إليَّ أبو بكر – مقتل أهل اليمامة – فإذا عمر ابن الخطاب عنده ، فقال أبو بكر : إن عمر بن الخطاب أتاني ، فقال : إن القتل قد استَحَرَّ[٤٦] بقُرَّاء القرآن ، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن ، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن . فقلت لعمر : كيف نفعل شيئًا لم يفعله رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ؟ قال عمر : هذا واللّه خير ، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح اللّه صدري لذلك ، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر . قال زيد : قال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لانتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، فتتبع القرآن فاجمعه ، فواللّه لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان عليّ أثقل مما أمرني به من جمع القرآن . قلت : كيف تفعلون شيئًا لم يفعله رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ؟ قال : هو واللّه خير . فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح اللّه صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر ، رضي اللّه عنهما ، فتتبعت القرآن أجمعه من العُسُب[٤٧] واللِّخاف[٤٨] وصدور الرجال ، ووجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع غيره[٤٩] : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ ﴾ [التوبة : ١٢٨] حتى خاتمة براءة ، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه اللّه ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر، رضي اللّه عنهم[٥٠] .

وقد روى البخاري هذا الحديث في غير موضع من كتابه ، ورواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي من طرق عن الزهري ، به[٥١] .

وهذا من أحسن وأجل وأعظم ما فعله الصديق ، رضي اللّه عنه ، فإنه أقامه اللّه بعد النبي صلى اللّه عليه وسلم مقامًا لا ينبغي لأحد بعده ، قاتل الأعداء من مانعي الزكاة ، والمرتدين ، والفرس والروم ، ونفذ الجيوش ، وبعث البعوث والسرايا ، ورد الأمر إلى نصابه بعد الخوف من تفرقه وذهابه ، وجمع القرآن العظيم من أماكنه المتفرقة حتى تمكن القارئ من حفظه كله ، وكان هذا

(٤٦) – استحر القتل : أي اشتد ، وكثر ، وهو استفعل من الحرَّ : الشدة .

(٤٧) – العُسب : جريد النخل ، مما لم ينبت عليه الخوص ، والمفرد : عسيب .

(٤٨) – اللخاف : حجارة بيض رقاق ، والمفرد : لخفة .

(٤٩) – قال الحافظ في الفتح (١٥/٩) : يعني مكتوبة .

(٥٠) – صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب : جمع القرآن برقم (٤٩٨٦) .

(٥١) – صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، وفضائل القرآن برقم (٤٦٧٩،٤٩٨٩) ، وأحمد في المسند ٥٧-(١٠/١) ، والترمذي في تفسير القرآن برقم (٣١٠٣) ، والنسائي في الكبرى برقم (٧٩٩٥) .

من سر قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] فجمع الصديق الخير وكف الشرور ، رضي الله عنه وأرضاه . ولهذا رُوي عن غير واحد من الأئمة منهم وَكِيع وابن مهدي وقبيصة ، عن سفيان الثوري ، عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير ، عن عبد خير ، عن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، أنه قال : أعظم الناس أجرًا في المصاحف أبو بكر ، إن أبا بكر كان أول من جمع القرآن بين اللوحين(٥٢) . هذا إسناد صحيح .

وقال أبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف : حدثنا هارون بن إسحاق ، حدثنا عبدة ، عن هشام ، عن أبيه ، أن أبا بكر هو الذي جمع القرآن بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، يقول : ختمه(٥٣) . صحيح أيضًا .

وكان عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، هو الذي تنبه لذلك لما استحر القتل بالقراء ، أي اشتد القتل وكثر في قراء القرآن يوم اليمامة - يعني يوم اليمامة - يعني : يوم قتال مسيلمة الكذاب وأصحابه من بني حنيفة بأرض اليمامة في حديقة الموت ، وذلك أن مسيلمة التف معه من المرتدين قريب من مائة ألف ، فجهز الصديق لقتاله خالد بن الوليد في قريب من ثلاثة عشر ألفًا ، فالتقوا معهم ، فانكشف الجيش الإسلامي لكثرة من فيه من الأعراب ، فنادى القراء من كبار الصحابة : يا خالد ، يقولون : ميزنا من هؤلاء الأعراب فتميزوا منهم ، وانفردوا ، فكانوا قريبًا من ثلاثة آلاف ، ثم صدقوا الحملة ، وقاتلوا قتالًا شديدًا ، وجعلوا يتنادون ، يا أصحاب سورة البقرة ، فلم يزل ذلك دأبهم حتى فتح الله عليهم وولّى جيش الكفار فارًا ، وأتبعتهم السيوف المسلمة في أقفيتهم قتلًا وأسرًا ، وقتل الله مسيلمة ، وفرق شمل أصحابه ، ثم رجعوا إلى الإسلام ، ولكن قتل من القراء يومئذ قريب من خمسمائة ، رضي الله عنهم ، فلهذا أشار عمر على الصدّيق بأن يجمع القرآن ؛ لئلا يذهب منه شيء بسبب موت من يكون يحفظه من الصحابة بعد ذلك في مواطن القتال ، فإذا كتب وحفظ صار ذلك محفوظًا فلا فرق بين حياة من بلغه أو موته ، فراجعه الصديق قليلًا ليستثبت الأمر ، ثم وافقه ، وكذلك راجعهما زيد بن ثابت في ذلك ثم صار إلى ما رأياه ، رضي الله عنهم أجمعين ، وهذا المقام من أعظم فضائل زيد بن ثابت الأنصاري ؛ ولهذا قال أبو بكر بن أبي داود :

حدثنا عبد الله بن محمد بن خَلّاد ، حدثنا يزيد ، حدثنا مبارك بن فضالة ، عن الحسن ؛ أن عمر بن الخطاب سأل عن آية من كتاب الله فقيل : كانت مع فلان فقتل يوم اليمامة ، فقال : إنا لله ، فأمر بالقرآن فجمع فكان أول من جمعه في المصحف(٥٤) .

---

(٥٢) - رواه ابن أبي داود في المصاحف (ص ٥) ، وابن أبي شيبة (١٠/٥٤٤) .

(٥٣) - منقطع ، عروة بن الزبير لم يدرك أبا بكر والحديث في المصاحف (ص ٥) .

(٥٤) - المصاحف (ص ١٠) . والمبارك بن فضالة ضعيف ومدلس .

هذا منقطع ، فإن الحسن لم يدرك عمر ، ومعناه : أنه أشار بجمعه فجمع ؛ ولهذا كان مهيمنًا على حفظه وجمعه كما رواه ابن أبي داود حيث قال :

حدثنا أبو الطاهر ، حدثنا ابن وهب ، حدثنا عمر بن طلحة الليثي ، عن محمد بن عمرو بن علقمة ، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، أن عمر لما جمع القرآن كان لا يقبل من أحد شيئًا حتى يشهد شاهدان[٥٥] .

وذلك عن أمر الصديق له في ذلك ؛ كما قال أبو بكر بن أبي داود :

حدثنا أبو الطاهر ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني ابن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : لما استحر القتل بالقراء يومئذ فرق[٥٦] أبو بكر ، رضي اللّٰه عنه ، أن يضيع ، فقال لعمر بن الخطاب ولزيد بن ثابت : فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب اللّٰه فاكتباه[٥٧] . منقطع حسن .

ولهذا قال زيد بن ثابت : وجدت آخر سورة التوبة ، يعني قوله تعالى : ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ** ﴾ إلى آخر الآيتين[٥٨] مع أبي خزيمة الأنصاري ، وفي رواية : مع خزيمة بن ثابت - الذي جعل رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم شهادته بشهادتين - لم أجدها مع غيره ، فكتبوها عنه لأنه جعل رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم شهادته بشهادتين في قصة الفرس التي ابتاعها رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم من الأعرابي ، فأنكر الأعرابي البيع ، فشهد خزيمة هذا بتصديق رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم ، فأمضى شهادته وقبض الفرس من الأعرابي .

والحديث رواه أهل السنن[٥٩] وهو مشهور .

وروى أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية أن أبيّ بن كعب أملاها عليهم مع خزيمة بن ثابت[٦٠] .

---

(٥٥) - المصاحف (ص ٦) .

(٥٦) - أي : خاف وخشي .

(٥٧) - المصاحف (ص ٦) .

(٥٨) - [التوبة : ١٢٨، ١٢٩] .

(٥٩) - رواه أبو داود في الأقضية برقم (٣٦٠٧) ، والنسائي في البيوع (٣٠٢/٧) ، ورواه أحمد (٢١٥/٥ - ٢١٦) ، وابن سعد في الطبقات (٣٧٨/٤ - ٣٧٩) ، وابن أبي عمر كما في المطالب ٤٤٥٢ - (٩/ ٣١١) . وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٠٨٥) ، والطحاوي في الشرح (١٢٦/٤) ، والحاكم (٢/ ١٧) ، والبيهقي (٦٦/٧ ، ١٤٥/١٠ - ١٤٦) ، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ورجاله باتفاق الشيخين ثقات .

(٦٠) - رواه عبد اللّٰه بن أحمد في زوائد المسند ٢١٣٠٦ - (١٣٤/٥) ، من طريق عمر بن شقيق ، عن =

وقد روى ابن وهب عن عمرو بن طلحة الليثي ، عن محمد بن عمرو بن علقمة ، عن يحيى ابن عبد الرحمن بن حاطب ؛ أن عثمان شهد بذلك أيضًا(٦١) .

وأما قول زيد بن ثابت : « فتتبعت القرآن أجمعه من العُسُب واللِّخاف وصدور الرجال » وفي رواية : « من العُسب والرِّقَاع والأضلاع » ، وفي رواية : « من الأكتاف والأقتاب وصدور الرجال » .

أما العُسُب فجمع عسيب . قال أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري : وهو من السعف فويق الكَرَب لم ينبت عليه الخوص ، وما نبت عليه الخوص فهو السعف .

واللِّخاف : جمع لَخْفَة وهي القطعة من الحجارة مستدقة ، كانوا يكتبون عليها وعلى العسب وغير ذلك ، مما يمكنهم الكتابة عليه بما يناسب ما يسمعونه من القرآن من رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم .

ومنهم من لم يكن يحسن الكتابة أو يثق بحفظه ، فكان يحفظه ، فتلقاه زيد بن ثابت من هذا من عسيبه ، ومن هذا من لخافه ، ومن صدر هذا ، أي من حفظه وكانوا أحرص شيء على أداء الأمانات وهذا من أعظم الأمانة ؛ لأن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم أودعهم ذلك ليبلغوه إلى من بعده كما قال اللَّه تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ** ﴾ [المائدة : ٦٧] ، ففعل ، صلوات اللَّه وسلامه عليه ، ما أمر به ؛ ولهذا سألهم في حجة الوداع يوم عرفة على رءوس الأشهاد والصحابة أوفر ما كانوا مجتمعين ، فقال : « **إنكم مسئولون عني فما أنتم قائلون ؟** » . فقالوا : نشهد أنك قد بَلَّغت وأدَّيت ونصحت ، فجعل يشير بأصبعه إلى السماء ، وينكبها عليهم ويقول : « **اللَّهم اشهد ، اللَّهم اشهد ، اللَّهم اشهد** » . رواه مسلم عن جابر(٦٢) .

= أبي جعفر به ، وعمر بن شقيق : قال ابن حزم : لا يدرى من هو . وذكره ابن حبان في ثقاته (٨/٤٤٠) ، وقال الذهبي : فيه لين . ذكر له ابن عدي ثلاثة أحاديث وقال : هو قليل الحديث . قلت - الذهبي - : ما رأيت أحدًا ضعفه . ثم ذكر له هذا الحديث وقال : ما تفرد به عمر بن شقيق الجرمي ، فقد رواه عبد اللَّه بن أبي جعفر الرازي ، عن أبيه أيضًا . ا هـ من الميزان (٣/٢٠٥) . وقال الحافظ في التقريب : مقبول - أي عند المتابعة - . وأبو جعفر الرازي : هو عيسى بن عبد اللَّه بن ماهان . قال أحمد : ليس بقوي في الحديث ، وعنه : صالح . وعنه : يكتب حديثه . وقال الفلاس : فيه ضعف وهو من أهل الصدق . وقال النسائي : ليس بالقوي . ووثقه أبو حاتم ، وابن معين في رواية ، وابن المديني وابن سعد . وقال أبو زرعة : شيخ يهم كثيرًا . وقال ابن حجر : صدوق سيء الحفظ . وأخرجه ابن الضريس في الفضائل (٢٧) ، والبيهقي في الدلائل (٧/١٣٨ - ١٣٩) .

(٦١) - رواه ابن أبي داود في المصاحف (ص ١٠ - ١١) .

(٦٢) - رواه مسلم في كتاب الحج - وهو جزء من حديث جابر الطويل في حجة الوداع - برقم ١٤٧ - (١٢١٨) .

وقد أمر أمته أن يبلغ الشاهد الغائب وقال : « **بلِّغوا عني ولو آية** »[٦٣] يعني : ولو لم يكن مع أحدكم سوى آية واحدة فليؤدها إلى من وراءه ، فبلَّغوا عنه ما أمرهم به ، فأدوا القرآن قرآنًا ، والسنة سنة ، لم يلبسوا هذا بهذا ؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : « **من كتب عني سوى القرآن فليمحه** »[٦٤] أي : لئلا يختلط بالقرآن ، وليس معناه : ألا يحفظوا السنة ويرووها ، والله أعلم .

فلهذا نعلم بالضرورة أنه لم يبق من القرآن مما أداه الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم إلا وقد بلغوه إلينا ، ولله الحمد والمنة ، فكان الذي فعله الشيخان أبو بكر وعمر ، رضي الله عنهما ، من أكبر المصالح الدينية وأعظمها ، من حفظهما كتاب الله في الصحف ؛ لئلا يذهب منه شيء بموت من تلقاه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم كانت تلك الصحف عند الصديق أيام حياته ، ثم أخذها عمر بعده فكانت عنده محروسة معظمة مكرمة ، فلما مات كانت عند حفصة أم المؤمنين ، لأنها كانت وصيته من أولاده على أوقافه وتركته وكانت عند أم المؤمنين رضي الله عنها ، حتى أخذها منها أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، كما سنذكره إن شاء الله تعالى .

قال البخاري[٦٥] ، رحمه الله : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا إبراهيم ، حدثنا ابن شهاب ، أنَّ أنس بن مالك ، حدثه أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان بن عفان رضي الله عنهما وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة . فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين ، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك ، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف ، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما أنزل بلسانهم . ففعلوا ، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف

---

(٦٣) - رواه البخاري في أحاديث الأنبياء ، باب : ما ذكر عن بني إسرائيل برقم (٣٤٦١) ، ورواه الترمذي في أبواب العلم ، باب : ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل (٢٦٦٩) ، من حديث عبد الله بن عمرو ، رضي الله عنهما .

(٦٤) - رواه مسلم في صحيحه في الزهد والرقائق برقم ٧٢ - (٣٠٠٤) ، والنسائي في الكبرى - كتاب فضائل القرآن ، باب : كتابة القرآن رقم (٨٠٠٨) - (٥/١٠-١١) . وأحمد (١١٠٩٩، ١١١٠١، ١١١٧٢، ١١٣٦٠، ١١٤٤٠، ١١٥٥٢) - (٣/١٢، ٢١، ٣٩، ٤٦، ٥٦) من طرق عن أبي سعيد به .

(٦٥) - صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب : جمع القرآن برقم (٤٩٨٧، ٤٩٨٨) .

إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق . قال ابن شهاب الزهري : فأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت : سمع زيد بن ثابت قال : فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم يقرأ بها ، التمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري : ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ** ﴾[٦٦] ، فألحقناها في سورتها في المصحف .

وهذا - أيضًا - من أكبر مناقب أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، رضي اللَّه عنه ، فإن الشيخين سبقاه إلى حفظ القرآن أن يذهب منه شيء وهو جمع الناس على قراءة واحدة ؛ لئلا يختلفوا في القرآن ، ووافقه على ذلك جميع الصحابة ، وإنما روى عن عبد اللَّه بن مسعود شيء من التغضب بسبب أنه لم يكن ممن كتب المصاحف وأمر أصحابه بغل مصاحفهم لما أمر عثمان بحرق ما عدا المصحف الإمام ، ثم رجع ابن مسعود إلى الوفاق حتى قال علي بن أبي طالب ، رضي اللَّه عنه : لو لم يفعل ذلك عثمان لفعلته أنا[٦٧] . فاتفق الأئمة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، رضي اللَّه عنهم ، على أن ذلك من مصالح الدين ، وهم الخلفاء الذين قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي** »[٦٨] . وكان السبب في هذا حذيفة بن اليمان ، رضي اللَّه عنه فإنه لما كان غازيًا في فتح أرمينية وأذربيجان ، وكان قد اجتمع هناك أهل الشام والعراق وجعل حذيفة يسمع منهم قراءات على حروف شتى ، ورأى منهم اختلافًا كثيرًا وافتراقًا ، فلما رجع إلى عثمان أعلمه ، وقال لعثمان : أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى .

وذلك أن اليهود والنصارى مختلفون فيما بأيديهم من الكتب ، فاليهود بأيديهم نسخة من التوراة ، والسامرة يخالفونهم في ألفاظ كثيرة ومعان أيضًا ، وليس في توراة السامرة حرف الهمزة ولا حرف الياء ، والنصارى - أيضًا - بأيديهم توراة يسمونها العتيقة وهي مخالفة لنسختي اليهود والسامرة ، وأما الأناجيل التي بأيدي النصارى فأربعة : إنجيل مرقس ، وإنجيل لوقا ، وإنجيل

---

(٦٦) - [الأحزاب : ٢٣] .

(٦٧) - أخرجه أبو عبيد في الفضائل ، وابن أبي داود في المصاحف (١٢، ٢٣) .

(٦٨) - صحيح ، رواه أحمد في المسند ١٧١٩٢ - (١٢٦/٤) وبرقم (١٧١٩٤ ، ١٧١٩٥ ، ١٧١٩٦) . وأخرجه أبو داود في كتاب السنة ، باب : في لزوم السنة حديث (٤٦٠٧) من طريق أحمد بن حنبل ، ثنا الوليد بن مسلم ، ثنا ثور بن يزيد ، ثنا خالد بن معدان ، ثنا عبد الرحمن به . والترمذي في كتاب العلم ، باب : الأخذ بالسنة واجتناب البدعة ، حديث (٢٦٧٨) ، وابن ماجة في المقدمة ، باب : اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (١٦/١) حديث (٤٣) ، (٤٤) ، من طريق إسماعيل بن بشر بن منصور ، ثنا عبد الرحمن بن مهدى به . والطبراني في الكبير (٢٤٦/١٨) حديث (٦١٧) - (٦٢١) ، والدارمي (١/ ٤٣ - ٤٤) ، وابن حبان (١٠٢) ، وابن أبي عاصم (١٩/١) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود حديث (٣٨٥١) ، وصحيح ابن ماجة (٤٢) ، (١٤١١) .

متى ، وإنجيل يوحنا ، وهي مختلفة - أيضًا - اختلافًا كثيرًا ، وهذه الأناجيل الأربعة كل منها لطيف الحجم منها ما هو قريب من أربع عشرة ورقة بخط متوسط ، ومنها ما هو أكبر من ذلك إما بالنصف أو بالضعف ، ومضمونها سيرة عيسى وأيامه وأحكامه وكلامه وفيه شيء قليل مما يدعون أنه كلام الله ، وهي مع هذا مختلفة ، كما قلنا ، وكذلك التوراة مع ما فيها من التحريف والتبديل ، ثم هما منسوخان بعد ذلك بهذه الشريعة المحمدية المطهرة .

فلما قال حذيفة لعثمان ذلك أفزعه وأرسل إلى حفصة أم المؤمنين أن ترسل إليه بالصحف التي عندها مما جمعه الشيخان ليكتب ذلك في مصحف واحد ، وينفذه إلى الآفاق ، ويجمع الناس على القراءة به وترك ما سواه ، ففعلت حفصة وأمر عثمان هؤلاء الأربعة وهم زيد بن ثابت الأنصاري ، أحد كتاب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي ، أحد فقهاء الصحابة ونجبائهم علمًا وعملا وأصلًا وفضلًا ، وسعيد بن العاص ابن سعيد بن العاص بن أمية القرشي الأموي ، وكان كريمًا جوادًا ممدحًا ، وكان أشبه الناس لهجة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي ، فجلس هؤلاء النفر الأربعة يكتبون القرآن نسخًا ، وإذا اختلفوا في وضع الكتابة على أي لغة رجعوا إلى عثمان ، كما اختلفوا في التابوت أيكتبونه بالتاء أوالهاء ، فقال زيد بن ثابت : إنما هو التابوه . وقال الثلاثة القرشيون : إنما هو التابوت فترافعوا إلى عثمان فقال : اكتبوه بلغة قريش ، فإن القرآن نزل بلغتهم(٦٩) .

وكأنَّ عثمان - والله أعلم - رتب السور في المصحف ، وقدم السبع الطوال وثنى بالمئين ؛ ولهذا روى ابن جرير وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث غير واحد من الأئمة الكبار ، عن عوف الأعرابي ، عن يزيد الفارسي ، عن ابن عباس(٧٠) قال : قلت لعثمان بن عفان : ما

(٦٩) - رواه الترمذي (٣١٠٤) ، وعمر بن شبة (٣/١٠٠٠ ، ١٠٠١) ، وابن أبي داود (١٩) ، والبيهقي (٢/٣٨٥) من قول الزهري .

(٧٠) - ضعيف ، رواه ابن جرير ٣١٩ - (١/١٠٢) ، وأبو داود برقم (٧٨٦) ، والترمذي برقم (٣٠٨٦) ، والنسائي في الكبرى برقم (٨٠٠٧) ، وأحمد ٣٩٩ - (١/٥٧) ، وابن أبي داود (٣١ - ٣٢) ، وابن حبان (٤٣ الإحسان) ، والحاكم في المستدرك (٢٢١ ، ٣٣٠) ، والبيهقي في السنن (٢/٤٢) ، وعمر بن شبة (٣/١٠١٥ ، ١٠١٦) . ومدار هذا الحديث على يزيد الفارسي : وقد اختلفوا فيه ، أهو يزيد بن هرمز أم غيره ، قال البخاري في التاريخ (٨/٣٦٧) قال لي علي : قال عبد الرحمن : يزيد الفارسي هو ابن هرمز . قال : فذكرته ليحيى فلم يعرفه ، قال : وكان يكون مع الأمراء ، وذكر البخاري ذلك في الضعفاء ص ١٢٢ . وقال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٩/٢٩٣) : قال أبو محمد : اختلفوا في يزيد بن هرمز أنه يزيد الفارسي أم لا ، فقال عبد الرحمن بن مهدي ، وأحمد : يزيد الفارسي هو يزيد بن هرمز ، وأنكر يحيى القطان أن يكونا واحدًا ، وسمعت أبي يقول : يزيد بن هرمز هذا ليس بيزيد الفارسي ، هو سواه . وقال الترمذي عقب الحديث : ويزيد الفارسي قد روى عن ابن عباس غير حديث ، ويقال : هو يزيد بن هرمز . وقال الحافظ في التقريب : مقبول - أي عند المتابعة .

حملكم أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المئين ، فقرنتم بينها ولم تكتبوا بينها سطر « **بسم الله الرحمن الرحيم** » ، ووضعتموها في السبع الطوال ؟ ما حملكم على ذلك ؟ فقال عثمان : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول : ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ، فإذا أنزلت عليه الآية فيقول : ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ، وكانت الأنفال من أول ما نزل بالمدينة ، وكانت براءة من آخر القرآن ، وكانت قصتها شبيهة بقصتها ، وحسبت أنها منها فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها ، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر « **بسم الله الرحمن الرحيم** » فوضعتها في السبع الطوال.

ففهم من هذا الحديث أن ترتيب الآيات في السور أمر توقيفي متلقىً عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأما ترتيب السور فمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ؛ ولهذا ليس لأحد أن يقرأ القرآن إلا مرتبًا آياته ؛ فإن نكسه أخطأ خطأً كبيرًا . وأما ترتيب السور فمستحب اقتداء بعثمان ، رضي الله عنه ، والأولى إذا قرأ أن يقرأ متواليًا كما قرأ عليه الصلاة والسلام ، في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين وتارة بسبح وهل أتاك حديث الغاشية ، فإن فرق جاز ، كما صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في العيد بقاف واقتربت الساعة ، رواه مسلم[(٧١)] عن أبي واقد ، وفي الصحيحين[(٧٢)] عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة : ﴿ الم ﴾ السجدة ، و﴿ هل أتى على الإنسان﴾ .

وإن قدم بعض السور على بعض جاز أيضًا ، فقد روى حذيفة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ البقرة ثم النساء ثم آل عمران . أخرجه مسلم[(٧٣)] .

وقرأ عمر في الفجر بسورة النحل ثم بيوسف[(٧٤)] .

ثم إن عثمان رد المصحف إلى حفصة ، فلم يزل عندها حتى أرسل إليها مروان بن الحكم يطلبها فلم تعطه حتى ماتت ، فأخذها من عبد الله بن عمر فحرقها لئلا يكون فيها شيء يخالف المصاحف الأئمة التي نفذها عثمان إلى الآفاق ، مصحفًا إلى أهل مكة ، ومصحفًا إلى البصرة ، وآخر إلى الكوفة ، وآخر إلى الشام ، وآخر إلى اليمن ، وآخر إلى البحرين ، وترك عند أهل المدينة

---

(٧١) – رواه مسلم في صلاة العيدين برقم ١٤ – (٨٩١) .

(٧٢) – البخاري في كتاب الجمعة ، باب : ما يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة برقم (٨٩١) ، ومسلم في كتاب الجمعة برقم ٦٥ – (٨٨٠) .

(٧٣) – رواه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها برقم ٢٠٣ – (٧٧٢) .

(٧٤) – رواه البخاري (٣٧٠٠) ، وابن حبان (٦٩١٧ إحسان) .

مصحفًا ، رواه أبو بكر بن أبي داود ، عن أبي حاتم السجستاني ، سمعه يقوله[٧٥] .

وصحح القرطبي أنه إنما نفذ إلى الآفاق أربعة مصاحف . وهذا غريب

وأمر بما عدا ذلك من مصاحف الناس أن يحرق لئلا تختلف قراءات الناس في الآفاق ، وقد وافقه الصحابة في عصره علي ذلك ولم ينكره أحد منهم ، وإنما نقم عليه ذلك أولئك الرهط الذين تمالئوا عليه وقتلوه ، قاتلهم الله ، وفي ذلك جملة ما أنكروا مما لا أصل له ، وأما سادات المسلمين من الصحابة ، ومن نشأ في عصرهم ذلك من التابعين ، فكلهم وافقوه .

قال أبو داود الطيالسي وابن مهدي وغُنْدَر عن شعبة ، عن عَلْقَمة بن مَرْثَد ، عن رجل ، عن سُويَد بن غفلة ، قال عليّ حين حرق عثمان المصاحف : لو لم يصنعه هو لصنعته[٧٦] .

وقال أبو بكر بن أبي داود[٧٧] : حدثنا أحمد بن سِنَان ، حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص ، قال : أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك ، أو قال : لم ينكر ذلك منهم أحد . وهذا إسناد صحيح .

وقال أيضًا[٧٨] : حدثنا إسحاق بن إبراهيم الصواف ، حدثنا يحيى بن كثير ، حدثنا ثابت ابن عمارة الحنفي ، قال : سمعت غنيم بن قيس المازني قال : قرأت القرآن على الحرفين جميعًا ، والله ما يسرني أن عثمان لم يكتب المصحف ، وأنه ولد لكل مسلم كلما أصبح غلام ، فأصبح له مثل ماله . قال : قلنا له : يا أبا العنبر ، ولم ؟ قال : لو لم يكتب عثمان المصحف لطفق الناس يقرءون الشعر .

وحدثنا[٧٩] يعقوب بن سفيان ، حدثنا محمد بن عبد الله ، حدثني عمران بن حدير ، عن أبي مِجْلَز قال : لولا أن عثمان كتب القرآن لألفيت الناس يقرءون الشعر .

وحدثنا[٨٠] أحمد بن سنان قال : سمعت ابن مهدي يقول : خصلتان لعثمان بن عفان ليستا لأبي بكر ولا لعمر : صبره نفسه حتى قتل مظلومًا ، وجمعه الناس على المصحف .

---

(٧٥) – المصاحف لابن أبي داود (ص ٣٤) .

(٧٦) – رواه ابن أبي داود في المصاحف (ص ١٢) .

(٧٧) – المصاحف (ص ١٢) .

(٧٨) – المصاحف (ص ١٣) ، يحيى بن كثير : ثقة ، وثابت بن عمارة الحنفي : قال في التقريب : صدوق فيه لين .

(٧٩) – المصاحف (ص ١٣) ، وعمران بن حدير : ثقة .

(٨٠) – المصاحف (ص ١٣) .

وأما عبد اللّٰه بن مسعود فقد قال إسرائيل : عن أبي إسحاق ، عن حميد بن مالك قال : لما أمر عثمان بالمصاحف - يعني بتحريقها - ساء ذلك عبد اللّٰه بن مسعود وقال : من استطاع منكم أن يغلَّ مصحفًا فليغلل ، فإنه من غلَّ شيئًا جاء بما غل يوم القيامة .

ثم قال عبد اللّٰه : لقد قرأت القرآن من في رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم سبعين سورة وزيد صبي ، أفأترك ما أخذت من في رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم[٨١] .

وقال أبو بكر[٨٢] : حدثنا عبد اللّٰه بن محمد بن النعمان ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا أبو شهاب ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، قال : خطبنا ابن مسعود على المنبر فقال : ﴿ **وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾[٨٣] ، غلوا مصاحفكم ، وكيف تأمروني أن أقرأ على قراءة زيد بن ثابت ، وقد قرأت القرآن من في رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم بضعًا وسبعين سورة ، وإن زيد بن ثابت ليأتي مع الغلمان له ذؤابتان ، واللّٰه ما نزل من القرآن شيء إلا وأنا أعلم في أي شيء نزل ، وما أحد أعلم بكتاب اللّٰه مني ، وما أنا بخيركم ، ولو أعلم مكانًا تبلغه الإبل أعلم بكتاب اللّٰه مني لأتيته . قال أبو وائل : فلما نزل عن المنبر جلست في الحلق ، فما أحد ينكر ما قال .

أصل هذا مخرج في الصحيحين[٨٤] وعندهما : ولقد علم أصحاب محمد أني أعلمهم بكتاب اللّٰه . وقول أبي وائل : « فما أحد ينكر ما قال » ، يعني : من فضله وعلمه وحفظه ، واللّٰه أعلم .

وأما أمره بغَلِّ المصاحف وكتمانها ، فقد أنكره عليه غير واحد .

قال الأعمش[٨٥] عن إبراهيم ، عن علقمة ، قال : قدمت الشام فلقيت أبا الدرداء ، فقال : كنا نعد عبد اللّٰه جبانًا[٨٦] ، فما باله يواثب الأمراء .

---

(٨١) - رواه أحمد (٣٦٩٧، ٣٨٤٦، ٣٩٠٦ ، ٤٢١٨) (١/٣٨٩ ، ٤٠٥ ، ٤١٤) ، والطيالسي (٤٠٥) والبخاري في التاريخ الكبير (٢/١/٢٤٧) ، وابن أبي داود في المصاحف (ص ١٥) ، وأبونعيم في الحلية (١/١٢٥) ، والحاكم وصححه (٢/٢٢٨) ، والطبراني في الكبير (٨٤٣٤ ، ٨٤٣٥) ، والدارقطني في المؤتلف (٦٧٢) .

(٨٢) - المصاحف (ص ١٥ - ١٦) .

(٨٣) - [آل عمران : ١٦١] .

(٨٤) - رواه البخاري في فضائل القرآن ، باب : القراء من أصحاب رسول اللّٰه ، صلى اللّٰه عليه وسلم ، برقم (٥٠٠٠) ، ومسلم في فضائل الصحابة من صحيحه برقم ١١٤ - (٢٤٦٢) .

(٨٥) - المصاحف (ص ١٨) .

(٨٦) - في المصاحف : « حنانًا » .

وقال أبو بكر بن أبي داود[٨٧] :

باب رضا عبد اللَّه بن مسعود بجمع عثمان المصاحف بعد ذلك :

حدثنا عبد اللَّه بن سعيد ومحمد بن عثمان العجلي قالا : حدثنا أبو أسامة ، حدثني الوليد ابن قيس ، عن عثمان بن حسان العامري ، عن فُلْفُلة الجعفي قال : فزعت فيمن فزع إلى عبد اللَّه في المصاحف ، فدخلنا عليه ، فقال رجل من القوم : إنا لم نأتك زائرين ، ولكنا جئنا حين راعنا هذا الخبر ، فقال : إن القرآن أنزل على نبيكم من سبعة أبواب ، على سبعة أحرف - أو حروف - وإن الكتاب قبلكم كان ينزل - أو نزل - من باب واحد على حرف واحد . وهذا الذي استدل به أبو بكر ، رحمه اللَّه ، على رجوع ابن مسعود فيه نظر ، من جهة أنه لا يظهر من هذا اللفظ رجوع عما كان يذهب إليه ، واللَّه أعلم .

وقال أبو بكر أيضًا[٨٨] : حدثنا عمي ، حدثنا أبو رجاء ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مصعب بن سعد قال : قام عثمان فخطب الناس فقال : يا أيها الناس ! عهدكم بنبيكم منذ ثلاث عشرة وأنتم تمترون في القرآن ، وتقولون : قراءة أبيّ وقراءة عبد اللَّه ، يقول الرجل : واللَّه ما تقيم قراءتك ، وأعزم على كل رجل منكم ما كان معه من كتاب اللَّه شيء لما جاء به ، فكان الرجل يجيء بالورقة والأديم فيه القرآن حتى جمع من ذلك كثرة ثم دخل عثمان فدعاهم رجلًا رجلًا فناشدهم : لسمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم وهو أملاه عليك ؟ فيقول : نعم ، فلما فرغ من ذلك عثمان قال : من أكتبُ الناس ؟ قالوا : كاتب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم زيد بن ثابت . قال : فأي الناس أعرب ؟ قالوا : سعيد بن العاص . قال عثمان : فليمْل سعيد ، وليكتب زيد . فكتب زيد مصاحف ففرقها في الناس ، فسمعت بعض أصحاب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم يقولون : قد أحسن . إسناد صحيح .

وقال أيضًا[٨٩] : حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن زيد ، حدثنا أبو بكر ، حدثنا هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن كثير بن أفلح قال : لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثني عشر رجلًا من قريش والأنصار ، فيهم أبيّ بن كعب وزيد بن ثابت ، قال : فبعثوا إلى الربعة التي في بيت عمر فجيء بها ، قال : وكان عثمان يتعاهدهم ، وكانوا إذا تدارءوا في شيء أخروه . قال محمد : فقلت لكثير - وكان فيهم فيمن يكتب - : هل تدرون لم كانوا

---

(٨٧) - المصاحف (ص ١٨) ، والحديث رواه أحمد في العلل (٣٧٢٥) ، وفي المسند (٤٤٥/١) ، والطحاوي في مشكل الآثار (١٨٢/٤) ، وعمر بن شبة (١٠٠٦/٣) .

(٨٨) - المصاحف (ص ٢٣ - ٢٤) .

(٨٩) - المصاحف (ص ٢٥ - ٢٦) ، وأبو بكر هو ابن عياش ، ثقة عابد ؛ إلا أنه لما كبر ساء حفظه ، وكتابه صحيح .

يؤخرونه ؟ قال : لا . قال محمد : فظننت ظنًّا إنما كانوا يؤخرونها لينظروا أحدثهم عهدًا بالعرضة الأخيرة فيكتبونها على قوله . صحيح أيضًا .

قلت : الربعة هي الكتب المجتمعة ، وكانت عند حفصة ، رضي اللَّه عنها ، فلما جمعها عثمان ، رضي اللَّه عنه ، في المصحف ، ردها إليها ، ولم يحرقها في جملة ما حرقه مما سواها ، لأنها هي بعينها الذي كتبه ، وإنما رتبه ، ثم إنه كان قد عاهدها على أن يردها إليها ، فما زالت عندها حتى ماتت ، ثم أخذها مروان بن الحكم فحرقها وتأول في ذلك ما تأول عثمان ، كما رواه أبو بكر بن أبي داود[٩٠] :

حدثنا محمد بن عوف ، حدثنا أبو اليمان ، حدثنا شعيب ، عن الزهري ، أخبرني سالم ابن عبد اللَّه : أن مروان كان يرسل إلى حفصة يسألها الصحف التي كتب منها القرآن ، فتأبى حفصة أن تعطيه إياها . قال سالم : فلما توفيت حفصة ورجعنا من دفنها أرسل مروان بالعزيمة إلى عبد اللَّه بن عمر ليرسلن إليه بتلك الصحف ، فأرسل بها إليه عبد اللَّه بن عمر فأمر بها مروان فشققت ، وقال مروان : إنما فعلت هذا لأن ما فيها قد كتب وحفظ بالمصحف ، فخشيت إن طال بالناس زمان أن يرتاب في شأن هذه الصحف مرتاب أو يقول : إنه قد كان شيء منها لم يكتب . إسناده صحيح .

وأما ما رواه الزهري[٩١] عن خارجة ، عن أبيه في شأن آية الأحزاب وإلحاقهم إياها في سورتها ، فذكره لهذا بعد جمع عثمان فيه نظر ، وإنما هذا كان حال جمع الصديق الصحف كما جاء مصرحًا به في غير هذه الرواية عن الزهري ، عن عبيد بن السباق ، عن زيد بن ثابت ، والدليل على ذلك أنه قال : « فألحقناها في سورتها من المصحف » وليست هذه الآية ملحقة في الحاشية في المصاحف العثمانية .

فهذه الأفعال من أكبر القربات التي بادر إليها الأئمة الراشدون أبو بكر وعمر ، رضي اللَّه عنهما ، حفظًا على الناس القرآن ، جمعاه لئلا يذهب منه شيء وعثمان ، رضي اللَّه عنه ، جمع قراءات الناس على مصحف واحد ووضعه على العرضة الأخيرة التي عارض بها جبريل رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم في آخر رمضان من عمره ، عليه الصلاة والسلام ، فإنه عارضه به عامئذ مرتين ؛ ولهذا قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم لفاطمة ابنته لما مرض : « **وما أرى ذلك إلا لاقتراب أجلي** » . أخرجاه في الصحيحين[٩٢] .

---

(٩٠) – المصاحف (ص٢٤ – ٢٥) ، وفضائل القرآن لأبي عبيد (ص ٢٨٤) ، وعمر بن شبة (١٠٠٣/٣ ، ١٠٠٤) ، وابن عبد البر (٣٠٠/٨) ، وقال أبو عبيد : لم يسمع في شيء من الحديث أن مروان هو الذي مزق الصحف إلا في هذا الحديث .

(٩١) – رواه ابن أبي داود في المصاحف (ص ٢٩) عن الزهري .

(٩٢) – رواه البخاري في الاستئذان ، باب : من ناجى بين يدي الناس ... برقم (٦٢٨٥،٦٢٨٦) ، =

وقد روي أن عليًّا ، رضي الله عنه ، أراد أن يجمع القرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتبًا بحسب نزوله أولًا فأولًا ، كما رواه ابن أبي داود حيث قال :

حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي ، حدثنا ابن فضيل ، عن أشعث ، عن محمد بن سيرين قال : لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم أقسم عليٌّ ألا يرتدي برداء إلا لجمعة حتى يجمع القرآن في مصحف ففعل ، فأرسل إليه أبو بكر ، رضي الله عنه ، بعد أيام : أكرهت إمارتي يا أبا الحسن ؟ فقال : لا والله إلا أني أقسمت ألا أرتدي برداء إلا لجمعة . فبايعه ثم رجع[٩٣] .

هكذا رواه وفيه انقطاع ، ثم قال : لم يذكر المصحف أحد إلا أشعث ، وهو لين الحديث ، وإنما رووا : حتى أجمع القرآن ، يعني أتم حفظه ، فإنه يقال للذي يحفظ القرآن : قد جمع القرآن .

قلت : وهذا الذي قاله أبو بكر أظهر ، والله أعلم ، فإن عليًّا لم ينقل عنه مصحف على ما قيل ولا غير ذلك ، ولكن قد توجد مصاحف على الوضع العثماني ، يقال : إنها بخط علي ، رضي الله عنه ، وفي ذلك نظر ، فإنه في بعضها : كتبه علي بن أبي طالب ، وهذا لحن من الكلام ؛ وعلي رضي الله عنه من أبعد الناس عن ذلك فإنه كما هو المشهور عنه هو أول من وضع علم النحو ، فيما رواه عنه أبو الأسود ظالم بن عمرو الدؤلي ، وأنه قسم الكلام إلى اسم وفعل وحرف ، وذكر أشياء أخر تممها أبو الأسود بعده ، ثم أخذه الناس عن أبي الأسود فوسعوه ووضحوه ، وصار علمًا مستقلًا .

وأما المصاحف العثمانية الأئمة فأشهرها اليوم الذي في الشام بجامع دمشق عند الركن شرقي المقصورة المعمورة بذكر الله ، وقد كانت قديمًا بمدينة طبرية ثم نقل منها إلى دمشق في حدود ثمان عشرة وخمسمائة ، وقد رأيته كتابًا عزيزًا جليلًا عظيمًا ضخمًا بخط حسن مبين قوي بحبر محكم في رق أظنه من جلود الإبل ، والله أعلم ، زاده الله تشريفًا وتكريمًا وتعظيمًا .

فأما عثمان ، رضي الله عنه ، فما يعرف أنه كتب بخطه هذه المصاحف ، وإنما كتبها زيد بن ثابت في أيامه ، ربما وغيره ، فنسبت إلى عثمان لأنها بأمره وإشارته ، ثم قرئت على الصحابة بين يدي عثمان ، ثم نفذت إلى الآفاق ، رضي الله عنه ، وقد قال أبو بكر بن أبي داود[٩٤] :

= ومسلم في فضائل الصحابة برقم ٩٨ - (٢٤٥٠) .

(٩٣) - المصاحف (ص١٠) ، ومن طريقه ابن عساكر (٣٢٧/١٢ - ٣٢٨) .

(٩٤) - رواه الطبري (٣٨٣/٤) ، وعمر بن شبة (١١٣٨/٣ - ١١٣٩) ، والطبراني (١١٩/١) ، من طريق الزهري ، عن أبي سلمة ؛ قال : لما ضرب عثمان ... . فذكره ، وحسن إسناده الهيثمي (٩٤/٩) ، وهو منقطع بين أبي سلمة وعثمان .

حدثنا علي بن حرب الطائي ، حدثنا قريش بن أنس ، حدثنا سليمان التيمي ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد مولى بني أسيد ، قال : لما دخل المصريون على عثمان ضربوه بالسيف على يده فوقعت على : ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾(٩٥) ، فمد يده وقال : والله إنها لأول يد خطت المفصل .

وقال أيضًا : حدثنا أبو طاهر ، حدثنا ابن وهب قال : سألت مالكًا عن مصحف عثمان ، فقال لي : ذَهَب .

يحتمل أنه سأله عن المصحف الذي كتبه بيده ، ويحتمل أن يكون سأله عن المصحف الذي تركه في المدينة ، والله أعلم .

قلت : وقد كانت الكتابة في العرب قليلة جدًا ، وإنما أول ما تعلموا ذلك ما ذكره هشام ابن محمد بن السائب الكلبي وغيره : أن بشر بن عبد الملك أخا أكيدر دومة تعلم الخط من الأنبار ، ثم قدم مكة فتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية فعلمه حرب بن أمية وابنه سفيان ، وتعلمه عمر بن الخطاب من حرب بن أمية ، وتعلمه معاوية من عمه سفيان بن حرب ، وقيل : إن أول من تعلمه من الأنبار قوم من طيىء من قرية هناك يقال لها : بقة ، ثم هذبوه ونشروه في جزيرة العرب فتعلمه الناس . ولهذا قال أبو بكر بن أبي داود(٩٦) :

حدثنا عبد الله بن محمد الزهري ، إن شاء الله ، حدثنا سفيان ، عن مجاهد ، عن الشعبي قال : سألنا المهاجرين من أين تعلمتم الكتابة ؟ قالوا : من أهل الحيرة . وسألنا أهل الحيرة : من أين تعلمتم الكتابة ؟ قالوا : من أهل الأنبار .

قلت : والذي كان يغلب على زمان السلف الكتابة المكتوفة ثم هذبها أبو علي بن مقلة الوزير ، وصار له في ذلك منهج وأسلوب في الكتابة ، ثم قربها علي بن هلال البغدادي المعروف بابن البواب وسلك الناس وراءه . وطريقته في ذلك واضحة جيدة . والغرض أن الكتابه لما كانت في ذلك الزمان لم تحكم جيدًا ، وقع في كتابة المصاحف اختلاف في وضع الكلمات من حيث صناعة الكتابة لا من حيث المعنى ، وصنف الناس في ذلك ، واعتنى بذلك الإمام الكبير أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله في كتابه فضائل القرآن ، والحافظ أبو بكر بن أبي داود رحمه الله فبوبا على ذلك ، وذكرا قطعة صالحة هي من صناعة القرآن ، ليست مقصدنا هاهنا ؛ ولهذا نص الإمام مالك رحمه الله على أنه لا توضع المصاحف إلا على وضع كتابة الإمام ، ورخص في ذلك غيره ، واختلفوا في الشكل والنقط فمن مرخص ومن مانع ، فأما كتابة السور وآياتها والتعشير والأجزاء والأحزاب فكثير في مصاحف زماننا ، والأولى اتباع السلف الصالح .

---

(٩٥) - [البقرة : ١٣٧] .

(٩٦) - المصاحف (ص ٤) .

ثم قال البخاري[٩٧] :

ذكر كُتَّاب النبي صلى الله عليه وسلم .

وأورد فيه من حديث الزهري ، عن ابن السباق ، عن زيد بن ثابت ، أن أبا بكر الصديق قال له : وكنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر نحو ما تقدم في جمعه للقرآن[٩٨] ، وقد تقدم ، وأورد حديث زيد بن ثابت في نزول : ﴿ **لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ** ﴾[٩٩] ، وسيأتي الكلام عليه في سورة النساء إن شاء الله تعالى . ولم يذكر البخاري أحدًا من الكُتّاب في هذا الباب سوى زيد بن ثابت ، وهذا عجب ، وكأنه لم يقع له حديث يورده سوى هذا ، والله أعلم .

وموضع هذا في كتاب السيرة عند ذكر كتّابه عليه السلام .

ثم قال البخاري رحمه الله :[١٠٠]

أنزل القرآن على سبعة أحرف

حدثنا سعيد بن عفير ، حدثنا الليث ، حدثني عقيل ، عن ابن شهاب قال : حدثني عبيد الله ابن عبد الله ؛ أن عبد الله بن عباس حدثه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **أقرأني جبريل على حرف فراجعته ، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف** » .

وقد رواه - أيضًا - في بدء الخلق ، ومسلم من حديث يونس ، ومسلم - أيضًا - من حديث معمر ، كلاهما عن الزهري بنحوه ، ورواه ابن جرير من حديث الزهري به[١٠١] ، ثم قال الزهري : بلغني أن تلك السبعة الأحرف إنما هي في الأمر الذي يكون واحدًا لا تختلف في حلال ولا في حرام .

وهذا مبسوط في الحديث الذي رواه الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام حيث قال[١٠٢] :

---

(٩٧) - البخاري في فضائل القرآن برقم (٤٩٨٩) . والذي في البخاري « باب : كاتب النبي صلى الله عليه وسلم » كذا بالإفراد .

(٩٨) - البخاري في فضائل القرآن برقم (٤٩٩٠) .

(٩٩) - [النساء : ٩٥] .

(١٠٠) - البخاري في فضائل القرآن برقم (٤٩٩١) .

(١٠١) - البخاري في باب : ذكر الملائكة صلوات الله عليهم برقم (٣٢١٩) ، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها برقم ٢٧٢ - (٨١٩) ، وتفسير ابن جرير ١٩ - (٢٩/١) .

(١٠٢) - فضائل القرآن (ص ٣٣٦) .

حدثنا يزيد ويحيى بن سعيد كلاهما عن حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، عن أبيّ بن كعب قال : ما حاك في صدري شيء منذ أسلمت ، إلا أنني قرأت آية وقرأها آخر غير قراءتي فقلت : أقرأنيها رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، فقال : أقرأنيها رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، فأتينا رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، فقلت : يا رسول اللَّه ، أقرأتني آية كذا وكذا ؟ قال : « **نعم** » ، وقال الآخر : أليس تقرئني آية كذا وكذا ؟ قال : « **نعم** » . فقال : « **إن جبريل وميكائيل أتياني فقعد جبريل عن يميني وميكائيل عن يساري ، فقال جبريل : اقرأ القرآن على حرف ، فقال ميكائيل : استزده ، حتى بلغ سبعة أحرف وكل حرف شاف كاف** ».

وقد رواه النسائي من حديث يزيد - وهو ابن هارون - ويحيى بن سعيد القطان كلاهما عن حميد الطويل ، عن أنس ، عن أبيّ بن كعب بنحوه[١٠٣] .

وكذا رواه ابن أبي عدي ومحمود بن ميمون الزعفراني ويحيى بن أيوب كلهم عن حميد به[١٠٤] .

وقال ابن جرير[١٠٥] : حدثنا محمد بن مرزوق ، حدثنا أبو الوليد ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن حميد ، عن أنس ، عن عبادة بن الصامت ، عن أبيّ بن كعب قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **أنزل القرآن على سبعة أحرف** » فأدخل بينهما عبادة بن الصامت .

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه اللَّه[١٠٦] : حدثنا يحيى بن سعيد عن إسماعيل بن أبي خالد ، حدثني عبد اللَّه بن عيسى ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبيّ بن كعب ، قال : كنت في المسجد فدخل رجل فقرأ قراءة أنكرتها عليه ، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه ، فقمنا جميعًا ، فدخلنا على رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ، فقلت : يا رسول اللَّه، إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ، ثم دخل هذا فقرأ قراءة غير قراءة صاحبه ، فقال لهما النبي صلى اللَّه

---

(١٠٣) - **إسناده صحيح** ، وهو في سنن النسائي الكبرى برقم (٧٩٨٦) ، ورواه أحمد (١١٤/٥ ، ١٢٢) ، وابن أبي شيبة (٥١٧/١٠) ، وعبد بن حميد (١٦٤) ، وابن حبان (٧٣٧ الإحسان) .

(١٠٤) - رواه ابن جرير في تفسيره ٢٦ - (٣٣/١) ، ورواه عبد اللَّه بن أحمد (١٢٢/٥) ، والطحاوي في المشكل (١٨٩/٤) .

(١٠٥) - تفسير ابن جرير برقم ٢٨ - (٣٤/١) ، ورواه أحمد (١١٤/٥) ، وابن حبان (٧٤٢) ، وتمام في فوائده (١٧٠٦) ، والطحاوي في المشكل (١٨٢/٤) ، وابن عدي (٦٧٩/٢) .

(١٠٦) - المسند ٢١٢٥١ - (١٢٧/٥) ، وأخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها رقم : ٢٧٣ - (٨٢٠، ٨٢١)، وأبو داود في كتاب الصلاة ، باب : أنزل القرآن على سبعة أحرف (رقم : ١٤٧٨) . والنسائي في كتاب الافتتاح ، باب : جامع ما جاء في القرآن (٢/ ١٥٢) رقم (٩٣٩) كلهم من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى ، به .

عليه وسلم : « اقرآ » ، فقرآ ، فقال : « أصبتما » . فلما قال لهما النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال كبُر عليّ ولا إذا كنت في الجاهلية ، فلما رأى الذي غشيني ضرب في صدري ففضت عرقًا ، وكأنما أنظر إلى رسول الله فرقًا فقال : « **يا أبيّ ، إن ربي أرسل إليّ أن اقرأ القرآن على حرف ، فرددت إليه أن هون على أمتي ، فأرسل إليّ أن اقرأه على حرفين ، فرددت إليه أن هوّن على أمتي ، فأرسل إليّ أن اقرأه على سبعة أحرف ، ولك بكل ردة مسألة تسألنيها** » . قال : « **قلت : اللّهم اغفر لأمتي ، اللّهم اغفر لأمتي ، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليّ فيه الخلق حتى إبراهيم عليه السلام** » . وهكذا رواه مسلم من حديث إسماعيل بن أبي خالد به .

وقال ابن جرير(١٠٧) : حدثنا أبو كُرَيْب ، حدثنا محمد بن فضيل ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبيّ بن كعب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إن الله أمرني أن أقرأ القرآن على حرف واحد ، فقلت : خفف عن أمتي ، فقال : اقرأه على حرفين ، فقلت : اللّهم ربّ خفف عن أمتي ، فأمرني أن أقرأه على سبعة أحرف من سبعة أبواب الجنة كلها شافٍ كافٍ** » .

وقال ابن جرير(١٠٨) : حدثنا يونس عن ابن وهب ، أخبرني هشام بن سعد ، عن عبيد الله ابن عمر ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبيّ بن كعب ، أنه قال : سمعت رجلا يقرأ في سورة النحل قراءة تخالف قراءتي ، ثم سمعت آخر يقرؤها بخلاف ذلك ، فانطلقت بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : إني سمعت هذين يقرآن في سورة النحل فسألتهما : من أقرأكما ؟ فقالا : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : لأذهبن بكما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ خالفتما ما أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحدهما : « **اقرأ** » . فقرأ ، فقال : « **أحسنت** » ثم قال للآخر : « **اقرأ** » . فقرأ ، فقال : « **أحسنت** » . قال أبيّ : فوجدت في نفسي وسوسة الشيطان حتى احمر وجهي ، فعرف ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهي ، فضرب يده في صدري ثم قال : « **اللّهم أخسئ الشيطان عنه ، يا أبيّ ، أتاني آت من ربي فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن علىحرف واحد ، فقلت : رب ، خفف عن أمتي ، ثم أتاني الثانية فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفين فقلت : رب ، خفف عن أمتي ، ثم أتاني الثالثة ، فقال مثل ذلك وقلت له مثل ذلك ، ثم أتاني الرابعة فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف ، ولك بكل ردة مسألة ، فقلت : يا رب ، اللّهم اغفر لأمتي ، يا رب ، اغفر لأمتي ، واختبأت الثالثة شفاعة لأمتي يوم القيامة** » . إسناده صحيح .

قلت : وهذا الشك الذي حصل لأبيّ في تلك الساعة هو ، والله أعلم ، السبب الذي لأجله

---

(١٠٧) - **إسناده صحيح** ، والحديث في تفسير ابن جرير ٣١ - (٣٧/١) .

(١٠٨) - تفسير ابن جرير ٣٨ - (٤١/١) .

قرأ عليه رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قراءة إبلاغ وإعلام ودواء لما كان حصل له سورة ﴿ **لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا من أهل الكتاب** ﴾ إلى آخرها لاشتمالها على قوله تعالى: ﴿ **رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً . فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ** ﴾(١٠٩) ، وهذا نظير تلاوته سورة الفتح حين أنزلت مرجعه ، عليه السلام ، من الحديبية على عمر بن الخطاب ، وذلك لما كان تقدم له من الأسئلة لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ثم لأبي بكر الصديق ، رضي اللّه عنهما ، في قوله تعالى : ﴿ **لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ** ﴾(١١٠) .

وقال ابن جرير(١١١) : حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، عن ابن أبي ليلى ، عن أبيّ بن كعب أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم كان عند أضاة بني غفار ، فأتاه جبريل فقال : إن اللّه يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف ، قال : « **أسأل اللّه معافاته ومغفرته ، فإن أمتي لا تطيق ذلك** » . ثم أتاه الثانية فقال : إن اللّه يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرفين . قال : « **أسأل اللّه معافاته ومغفرته ، فإن أمتي لا تطيق ذلك** » . ثم جاءه الثالثة فقال : إن اللّه يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف قال : « **أسأل اللّه معافاته ومغفرته ، وإن أمتي لا تطيق ذلك** » . ثم جاءه الرابعة فقال : إن اللّه يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا .

وأخرجه مسلم وأبو داود والنسائي من رواية شعبة به ، وفي لفظ لأبي داود عن أبيّ بن كعب قال : قال لي رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : « **يا أبيّ ، إني أقرئت القرآن فقيل لي : على حرف أو حرفين ؟ فقال الملك الذي معي : قل على حرفين . قلت : على حرفين : فقيل لي : على حرفين أو ثلاثة ؟ فقال الملك الذي معي : قل على ثلاثة . قلت : على ثلاثة . حتى بلغ سبعة أحرف ثم قال : ليس منها إلا شاف كاف إن قلت : سميعًا عليمًا ، عزيزا حكيما، ما لم تختم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب** »(١١٢) .

وقد روى ثابت بن قاسم نحوًا من هذا عن أبي هريرة عن النبي صلى اللّه عليه وسلم(١١٣) ومن كلام ابن مسعود ، رضي اللّه عنه ، نحو ذلك .

وقال الإمام أحمد(١١٤) : حدثنا حسين بن علي الجعفي ، عن زائدة ، عن عاصم ، عن زر ،

---

(١٠٩) - [البينة : ٢، ٣] . (١١٠) - [الفتح : ٢٧] .

(١١١) - تفسير ابن جرير ٣٥ - (٤٠/١) ، ورواه مسلم ٢٧٤ - (٨٢١) .

(١١٢) - مسلم في صلاة المسافرين وقصرها برقم (٨٢٠) ، وأبو داود في الصلاة ، باب : أنزل القرآن على سبعة أحرف ، برقم (١٤٧٧ ، ١٤٧٨) ، والنسائي في الافتتاح ٩٣٩ - (١٥٢/٢ - ١٥٣) .

(١١٣) - ورواه أحمد في المسند (٢٣٢/٢، ٤٤٠) ، وابن أبي شيبة (٥١٦/١٠) ، وابن حبان (٧٤٣) ، والبزار (٢٣١٣/٣) من طريق محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، رضي اللّه عنه .

(١١٤) - **إسناده حسن** ، والحديث في المسند ٢١٢٨٤ ، ٢١٢٨٥ - (١٣٢/٥) ، وأخرجه الترمذي =

عن أبي قال : لقي رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم جبريل عند أحجار المراء ، فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم لجبريل : « **إني بعثت إلى أمة أميين فيهم الشيخ الفاني ، والعجوز الكبيرة ، والغلام ، فقال : مرهم فليقرؤوا القرآن على سبعة أحرف** » .

وأخرجه الترمذي من حديث عاصم بن أبي النَّجُود ، عن زر ، عن أبيّ بن كعب ، به ، وقال : حسن صحيح .

وقد رواه أبو عبيد عن أبي النضر ، عن شيبان ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن زر ، عن حذيفة أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم لقي جبريل عند أحجار المراء ، فذكر الحديث[١١٥] ، واللَّه أعلم .

وهكذا رواه الإمام أحمد عن عفان ، عن حماد ، عن عاصم ، عن زر ، عن حذيفة ؛ أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قال : « **لقيت جبريل عند أحجار المراء ، فقلت : يا جبريل ، إني أرسلت إلى أمة أمية ؛ الرجل ، والمرأة ، والغلام ، والجارية ، والشيخ الفاني ، الذي لم يقرأ كتابًا قط فقال : إن القرآن أنزل على سبعة أحرف** »[١١٦] .

وقال أحمد أيضًا [١١٧] : حدثنا وَكِيع وعبد الرحمن ، عن سفيان ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن رِبْعي بن حِراش : حدثني من لم يكذبني - يعني حذيفة - قال : لقي النبي صلى اللَّه عليه وسلم جبريل عند أحجار المراء فقال : إن أمتك يقرءون القرآن على سبعة أحرف ، فمن قرأ منهم على حرف فليقرأ كما علم ، ولا يرجع عنه .

= في كتاب القراءات ، باب : ما جاء أنزل القرآن على سبعة أحرف (رقم : ٢٩٤٤) من طريق أحمد بن منيع ، عن الحسن بن موسى ، عن شيبان ، عن عاصم بن بهدلة ، به . وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وقد رُوي من غير هذا الوجه ، عن أبي بن كعب . ورواه أبو داود الطيالسي ص ٧٣ حديث ٥٤٣ . بمعناه من حديث حماد بن سلمة ، عن عاصم . ورواه ابن حبان في صحيحه برقم (٧٣٩ الإحسان) من طريق زائدة ، به مثله .

(١١٥) - فضائل القرآن لأبي عبيد (ص ٣٣٨) .

(١١٦) - المسند ٢٣٤٣٣ ، ٢٣٥٠٥ ، ٢٣٥٥٤ - (٣٩١/٥ ، ٤٠٠ ، ٤٠٥ - ٤٠٦) . وأخرجه الطبراني في الكبير (١٦٧/٣/رقم : ٣٠١٩) . من نفس طريق أحمد ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٠/٧) بروايتين وقال : « رواه أحمد والبزار والطبراني ، وفيه عاصم بن بهدلة ، وهو ثقة ، وفيه كلام لا يضر » .

(١١٧) - **إبراهيم بن مهاجر** : ضعفه يحيى بن معين ، وابن حبان ، والدارقطني وقال : يعتبر به . وقال يحيى ابن سعيد القطان ، وأبو حاتم الرازي ، والنسائي ، والترمذي : ليس بقوي ، وقال أحمد : لا بأس به . وقال ابن عدي : هو عندي أصلح من إبراهيم الهجري ، وحديثه يكتب في الضعفاء ، وروى له مسلم حديثين متابعة . والحديث في المسند برقم ٢٣٣٨٠ ، ٢٣٥١٧ - (٣٨٥/٥ ، ٤٠١) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥١/٧) وعزاه لأحمد وقال : « وفيه راو لم يسم » ، كذا قال !!! .

وقال عبد الرحمن : إن في أمتك الضعيف ، فمن قرأ على حرف فلا يتحول منه إلى غيره رغبة عنه . وهذا إسناد صحيح ولم يخرجوه .

حديث آخر في معناه عن سليمان بن صرد : قال ابن جرير : حدثنا إسماعيل بن موسى السديّ ، حدثنا شريك عن أبي إسحاق ، عن سليمان بن صرد - يرفعه - قال : « **أتاني ملكان ، فقال أحدهما : اقرأ . قال : على كم ؟ قال : على حرف . قال : زده ، حتى انتهى إلى سبعة أحرف** »(١١٨) .

ورواه النسائي في اليوم والليلة عن عبد الرحمن بن محمدبن سلام عن إسحاق الأزرق عن العَوّام بن حَوْشَب ، عن أبي إسحاق ، عن سليمان بن صرد قال : أتى أبيّ بن كعب رسول الله صلى الله عليه وسلم برجلين اختلفا في القراءة ، فذكر الحديث(١١٩) .

وهكذا رواه أحمد بن منيع عن يزيد بن هارون ، عن العوام بن حوشب به ، ورواه أبو عبيد عن يزيد بن هارون ، عن العوام ، عن أبي إسحاق ، عن سليمان بن صرد ، عن أبيّ أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم برجلين ، فذكره(١٢٠) .

وقال ابن جرير(١٢١) : حدثنا أبو كُرَيْب ، حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن فلان العبدي - قال ابن جرير : ذهب عني اسمه - عن سليمان بن صرد ، عن أبيّ بن كعب قال : رحت إلى المسجد ، فسمعت رجلا يقرأ فقلت : من أقرأك ؟ قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلقت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : استقرئ هذا . قال : فقرأ ، فقال : « **أحسنت** » . قال : قلت : إنك أقرأتني كذا وكذا ! فقال : « **وأنت قد أحسنت** » . قال : فقلت : قد أحسنت ! قد أحسنت ! قال : فضرب بيده على صدري ثم قال : « **اللهم أذهب عن أبيّ الشك** » . قال : ففضت عرقًا ، وامتلأ جوفي فرقا . قال : ثم قال : « **إن الملكين أتياني ، فقال أحدهما : اقرأ القرآن على حرف ، وقال الآخر : زده . قال : قلت : زدني . فقال : اقرأه على حرفين ، حتى بلغ سبعة أحرف فقال : اقرأه على سبعة أحرف** » .

وقد رواه أبو عبيد ، عن حجاج ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن سقير(١٢٢) العبدي ،

---

(١١٨) - تفسير ابن جرير ٢١ - (٣٠/١) ، والطحاوي في مشكل الآثار (١٨٩/٤) ، ورواه عبد الله بن أحمد من حديث سليمان بن صرد ، عن أبي ، مرفوعًا (١٢٥/٥) .

(١١٩) - سنن النسائي الكبرى برقم (١٠٥٠٦) .

(١٢٠) - فضائل القرآن لأبي عبيد (ص ٣٣٦) .

(١٢١) - تفسير ابن جرير ٢٥ - (٣٢/١) ، وعبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (١٢٤/٥) .

(١٢٢) - ترجمته في الجرح والتعديل (٣١٨/٤) ، والتاريخ الكبير (٣٣٠/٤) ، وقال الحسيني : مجهول =

عن سليمان بن صرد ، عن أبيّ ، عن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم بنحو ذلك[١٢٣] ،

ورواه أبو داود عن أبي الوليد الطيالسي ، عن همام ، عن قتادة ، عن يحيى بن يَعْمَر ، عن سليمان بن صرد ، عن أبي بن كعب ، بنحوه[١٢٤] .

فهذا الحديث محفوظ من حيث الجملة عن أبيّ بن كعب ، والظاهر أن سليمان بن صرد الخزاعي شاهد على ذلك ، واللّٰه أعلم .

حديث آخر عن أبي بكرة : قال الإمام أحمد[١٢٥] : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة ، عن أبيه ، عن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم قال : « **أتاني جبريل وميكائيل ، عليهما السلام ، فقال جبريل : اقرأ القرآن على حرف واحد ، فقال ميكائيل : استزده ، قال : اقرأ على سبعة أحرف ، كلها شاف كاف ، ما لم تختم آية رحمة بآية عذاب أو آية عذاب برحمة** ».

وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كُرَيب ، عن زيد بن الحبّاب ، عن حماد بن سلمة به ، وزاد في آخره كقولك : هلم وتعال[١٢٦] .

حديث آخر عن سمرة : قال الإمام أحمد : حدثنا بَهْز وعفان كلاهما عن حماد بن سلمة ، حدثنا قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة ؛ أن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم قال : « **أنزل القرآن على سبعة أحرف** » . إسناد صحيح ، ولم يخرجوه[١٢٧] .

= قال الحافظ في التعجيل : لم يصب في ذلك ، وذكره ابن حبان في الثقات (٣٨٥/٤) .

(١٢٣) - فضائل القرآن (ص ٣٣٦) .

(١٢٤) - رواه أبو داود في الصلاة ، باب : أنزل القرآن على سبعة أحرف برقم (١٤٧٧) ، ورواه أحمد ، وعبد اللّٰه (١٢٤/٥) ، والطحاوي في المشكل (١٨٩/٤) ، والبيهقي في الكبرى (٣٨٤/٢) .

(١٢٥) - المسند ٢٠٤٧٨ - (٤١/٥) ، وابن أبي شيبة (٥١٧/١٠) ، والطحاوي في المشكل (١٩١/٤) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ١٥١) ، وقال : ورواه أحمد والطبراني بنحوه ؛ إلا أنه قال : وأذهب وأدبر ، وفيه علي بن زيد بن جدعان ، وهو سيء الحفظ ، وقد توبع ، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح به .

(١٢٦) - تفسير ابن جرير ٤٠ - (٤٣/١) .

(١٢٧) - رواية بهز في المسند ٢٠٢٢٧ - (١٦/٥) ، ولفظه : « **نزل القرآن على سبعة أحرف** » ، ورواية عفان برقم ٢٠٣١١ - (٢٢/٥) ، ولفظه « **نزل القرآن على ثلاثة أحرف** » . وأخرجه الطبراني في الكبير (٧ / ٢٤٩ / رقم : ٦٨٥٣) ، وابن أبي شيبة (٥١٧/١٠) ، وتمام (٧٤٢) ، والبزار (٢٣١٤/٣) ، وابن عدي (٦٧٩/٢) ، والحاكم (٢٢٣/٢) ، والطحاوي (١٩٥/٤) ، من طريق حماد بن سلمة ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة مرفوعًا : « **أنزل القرآن على ثلاثة أحرف** » . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٢/٧) وقال : « رواه أحمد والبزار والطبراني في الثلاثة ، ورجال أحمد وأحد إسنادي الطبراني =

حديث آخر عن أبي هريرة : قال الإمام أحمد : حدثنا أنس بن عياض ، حدثني أبو حازم ، عن أبي سلمة - لا أعلمه إلا عن أبي هريرة - أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قال : « **نزل القرآن على سبعة أحرف ، مراء في القرآن كفر - ثلاث مرات - فما علمتم منه فاعملوا وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه** » . ورواه النسائي عن قتيبة عن أبي ضمرة أنس بن عياض ، به[(١٢٨)] .

حديث آخر عن أم أيوب : قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان عن عبيد اللَّه - وهو ابن أبي يزيد عن أبيه عن أم أيوب - يعني امرأة أبي أيوب الأنصارية - أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قال : « **أنزل القرآن على سبعة أحرف ، أيها قرأت أجزأك** »[(١٢٩)] . وهذا إسناد صحيح ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة .

حديث آخر عن أبي جهيم : قال أبو عبيد : حدثنا إسماعيل بن جعفر ، عن يزيد بن خصيفة ، عن مسلم بن سعيد مولى ابن الحضرمي ، وقال غيره : عن بسر بن سعيد ، عن أبي جهيم الأنصاري ؛ أن رجلين اختلفا في آية من القرآن ، كلاهما يزعم أنه تلقاها من رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ، فمشيا جميعًا حتى أتيا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ، فذكر أبو جهيم أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قال : « **إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف ، فلا تماروا ، فإن مراء فيه كفر** »[(١٣٠)] .

=والبزار رجال الصحيح » .

قال البزار : ولا نعلم يروي هذا اللفظ إلا سمرة ، ولا رواه عن قتادة إلا حماد .

وقال الحاكم : احتج البخاري برواية الحسن عن سمرة ، واحتج مسلم بأحاديث حماد بن سلمة ، وهذا الحديث صحيح ، وليس له علة ، كذا قال !!! .

والذي في البخاري : أنه روى عن حبيب بن الشهيد قال : أمرني ابن سيرين أن أسأل الحسن ، ممن سمع حديث العقيقة ؟ فسألته ؛ فقال : من سمرة بن جندب .

وهذا ليس فيه أن البخاري احتج برواية الحسن عن سمرة ، وإنما فيه ما يثبت أن الحسن سمع من سمرة حديث العقيقة ، والله أعلم .

(١٢٨) - المسند ٧٩٧٦ - (٢/٣٠٠) ، وسنن النسائي الكبرى برقم (٨٠٩٣) ، وابن حبان (٧٤) ، وابن جرير (٧) ، وأبو يعلى (٦٠١٦/١) ، والخطيب في تاريخه (٢٦/١١) .

(١٢٩) - **إسناده صحيح - رجاله ثقات** . والحديث في المسند ٢٧٥٥٠ ، ٢٧٧٣١ - (٤٣٣/٦، ٤٦٢) ، ورواه إسحاق بن راهوية برقم (٢٣٢١) ، وأخرجه الحميدي في مسنده (١٦٣/١) ، وابن أبي شيبة (١٠/ ٥١٥ - ٥١٦) ، وابن أبي عاصم (٣٣٢٠) ، والطحاوي (١٨٣/٤) ، وابن جرير (٢٤) ، وقال الهيثمي (٧/ ١٥٤) : رواه الطبراني ورجاله ثقات اهـ .

(١٣٠) - فضائل القرآن (ص ٣٣٧) ، ومن طريق مسلم بن سعيد رواه البخاري في التاريخ (٢٦٢/١/٤) ، والحارث في مسنده ، والبيهقي في الشعب (٢٢٦٥) ، والبغوي (٥٠٥/٤ - ٥٠٦) . ومن طريق بسر =

وهكذا رواه أبو عبيد على الشك ، وقد رواه الإمام أحمد على الصواب ، فقال :

حدثنا أبو سلمة الخزاعي ، حدثنا سليمان بن بلال ، حدثني يزيد بن خصيفة ، أخبرني بسر ابن سعيد ، حدثني أبو جهيم ؛ أن رجلين اختلفا في آية من القرآن فقال هذا : تلقيتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا : تلقيتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألا النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « **القرآن يقرأ على سبعة أحرف ، فلا تماروا في القرآن ، فإن مراءً في القرآن كفر** » .

وهذا إسناد صحيح - أيضا - ولم يخرجوه .

ثم قال أبو عبيد(١٣١) : حدثنا عبد الله بن صالح ، عن الليث ، عن يزيد بن الهاد ، عن محمد بن إبراهيم ، عن بسر بن سعيد ، عن أبي قيس - مولى عمرو بن العاص - أن رجلا قرأ آية من القرآن ، فقال له عمرو - يعني ابن العاص - : إنما هي كذا وكذا ، بغير ما قرأ الرجل ، فقال الرجل : هكذا أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتياه ، فذكرا ذلك له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف ، فأيّ ذلك قرأتم أصبتم ، فلا تماروا في القرآن، فإن مراء فيه كفر** ».

ورواه الإمام أحمد عن أبي سلمة الخزاعي ، عن عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور ابن مخرمة ، عن يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد ، عن بسر بن سعيد ، عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص به نحوه ، وفيه : « **فإن المراء فيه كفر أو إنه الكفر به** » . وهذا - أيضًا - حديث جيد(١٣٢) .

= رواه أحمد (٤/١٦٩ - ١٧٠) ، والطبري (٤١) ، والطحاوي في المشكل (٤/١٨٣) وابن عبد البر (٨/ ٢٨٢) .

قال الشيخ أحمد شاكر في حاشيته على ابن جرير ٤١ - (١/٤٤) : « قوله : وما كانت رواية أبي عبيد على الشك ، كما زعم ابن كثير ، إنما للحديث طريقان : الأول : إسماعيل بن جعفر يرويه عن يزيد بن خصيفة ، عن مسلم بن سعيد . وسليمان بن بلال يرويه عن يزيد بن خصيفة ، عن بسر - أخي مسلم ، فأشار أبو عبيد في أثناء الإسناد إلى الرواية الأخرى دون أن يذكر إسنادها » .

وقد ذكر البخاري الروايتين في التاريخ الكبير (٤/١/٢٦٢) في ترجمة مسلم بن سعيد مولى ابن الحضرمي والحديث في المسند ١٧٥٨٩ - (٤/١٧٠) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/١٥١) وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح . والحديث صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٤٣٢٠) .

(١٣١) - فضائل القرآن (ص ٣٣٧ - ٣٣٨) ، ورواه أحمد (٤/٢٠٤ - ٢٠٥) ، والبيهقي في الشعب (٢٢٦٦) وقال الحافظ في الفتح (٩/١٢٦) : إسناده جيد .

(١٣٢) - صحيح ، والحديث في المسند ١٧٨٧٢ - (٤/٢٠٤) . ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٥٠) وقال : رواه أحمد . وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٢٢) وقال : هذا =

حديث آخر عن ابن مسعود : قال ابن جرير : حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، أنا ابن وهب ، أخبرني حيوة بن شريح ، عن عقيل بن خالد ، عن سلمة بن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن ابن مسعود ، عن النبي صلى اللّه عليه وسلم أنه قال : « **كان الكتاب الأول نزل من باب واحد وعلى حرف واحد ، ونزل القرآن من سبعة أبواب وعلى سبعة أحرف : زاجر ، وآمر ، وحلال ، وحرام ، ومحكم ، ومتشابه ، وأمثال ، فأحلوا حلاله ، وحرّموا حرامه ، وافعلوا ما أمرتم به ، وانتهوا عما نهيتم عنه ، واعتبروا بأمثاله ، واعملوا بمحكمه ، وآمنوا بمتشابهه ، وقولوا آمنا به كل من عند ربنا** »(١٣٣) .

ثم رواه عن أبي كُرَيْب عن المحاربي ، عن ضمرة بن حبيب ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن ابن مسعود من كلامه(١٣٤) وهو أشبه . واللّه أعلم .

= إسناد صحيح ، رجاله كلهم ثقات على شرط مسلم .

(١٣٣) - تفسير ابن جرير ٦٧ - (٦٨/١) . قال الحافظ في الفتح (٢٩/٩) - وذكر الخبر السالف بهذا الإسناد فقال - : قال ابن عبد البر : هذا حديث لا يثبت لأنه من رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن ابن مسعود ، ولم يلق ابن مسعود . ثم قال : وصحح الحديث المذكور ابن حبان ، والحاكم ، وفي تصحيحه نظر ؛ لانقطاعه بين أبي سلمة وابن مسعود ، وقد أخرجه البيهقي من وجه آخر عن الزهري مرسلًا . وقال : هذا مرسل جيد .

ورواه ابن حبان (٧٤٥ إحسان) ، والحاكم (٥٥٣/١) ، وأخرجه الهروي في ذم الكلام [ل ٦٢ ب] ، وأخرجه الطبراني (٨٢٩٦) من حديث عمار بن مطر ، عن ليث بن سعد ، عن الزهري ، عن سلمة بن عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه : أن النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم قال لعبد اللّه بن مسعود : « **إن الكتب ....** » وعمار هذا ضعيف جدًا ، ورواه أحمد (٤٤٥/١) ، وابن أبي داود في المصاحف ص ١٨ . من طريقين عن زهير ، عن أبي همام ، عن عثمان بن حسان ، عن فلفلة الجعفي ، عن ابن مسعود . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٢/٧) : وفيه عثمان بن حسان ذكره ابن أبي حاتم ، فلم يجرحه ولم يوثقه ، وبقية رجاله ثقات . ورواه النسائي في الكبرى من طريق سفيان ، عن أبي همام الوليد بن قيس ، عن القاسم بن حسان ، عن فلفلة ، به .

(١٣٤) - تفسير ابن جرير ٧٠ - (٦٩/١) .

فصل

قال أبو عبيد : قد تواترت هذه الأحاديث كلها عن الأحرف السبعة إلا ما حدثني عفان ، عن حماد بن سلمة ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة بن جندب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **نزل القرآن على ثلاثة أحرف** »(١٣٥) .

قال أبو عبيد : ولا نرى المحفوظ إلا السبعة لأنها المشهورة ، وليس معنى تلك السبعة أن يكون الحرف الواحد يقرأ على سبعة أوجه ، وهذا شيء غير موجود ، ولكنه عندنا أنه نزل سبع لغات متفرقة في جميع القرآن من لغات العرب ، فيكون الحرف الواحد منها بلغة قبيلة والثاني بلغة أخرى سوى الأولى ، والثالث بلغة أخرى سواهما ، كذلك إلى السبعة ، وبعض الأحياء أسعد بها وأكثر حظا فيها من بعض ، وذلك بين في أحاديث تترى .

قال : وقد روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : نزل القرآن على سبع لغات ، منها خمس بلغة العجز من هوازن(١٣٦) .

قال أبو عبيد : والعجز هم بنو أسعد بن بكر ، وجشم بن بكر ، ونصر بن معاوية ، وثقيف هم عليا هوازن الذين قال أبو عمرو بن العلاء : أفصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم يعني بني دارم .

ولهذا قال عمر : لا يملي في مصاحفنا إلا غلمان قريش أو ثقيف(١٣٧) .

قال ابن جرير : واللغتان الأخريان : قريش وخزاعة ، رواه قتادة عن ابن عباس ، ولكن لم يلقه(١٣٨) .

قال أبو عبيد(١٣٩) : وحدثنا هُشَيْم ، عن حصين بن عبد الرحمن ، عن عبيد الله بن عبد الله

---

(١٣٥) - فضائل القرآن (ص ٣٣٩) ، ورواه أحمد من طريق عفان به ٢٠٣١١ - (٢٢/٥) ، ومن طريق بهز به برقم ٢٠٢٢٧ - (١٦/٥) ، وأخرجه الطبراني في الكبير (٧ / ٢٤٩ / رقم : ٦٨٥٣) ، ورواه البيهقي من طريق أبي عبيد في السنن الكبرى (٣٨٥/٢) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ١٥٢) وقال : « رواه أحمد والبزار والطبراني في الثلاثة ، ورجال أحمد وأحد إسنادي الطبراني والبزار رجال الصحيح » .

(١٣٦) - **إسناده ضعيف جدًّا من أجل الكلبي** ، والحديث في فضائل القرآن (ص ٣٤٠) .

(١٣٧) - فضائل القرآن (ص ٣٤٠) ، ورواه عمر بن شبة (١٠١٤/٣) ، وابن أبي داود في المصاحف ص ١١، والخطيب (٤٥٠/٧) .

(١٣٨) - تفسير ابن جرير (٦٦/١) .

(١٣٩) - فضائل القرآن (ص ٣٤٣) ، ورواه ابن أبي شيبة (٥١٧/٨ - ٥١٨) (٤٧٤/١٠) من حديث ابن عباس .

ابن عتبة ، عن ابن عباس ؛ أنه كان يسأل عن القرآن فينشد فيه الشعر . قال أبو عبيد : يعني : أنه كان يستشهد به على التفسير .

حدثنا هُشَيْم عن أبي بشر ، عن سعيد أو مجاهد ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ** ﴾(١٤٠) ، قال : ما جمع ، وأنشد :

* قد اتَّسقْنَ لو يجدْنَ سائقا(١٤١) *

حدثنا هُشَيْم ، أنبأنا حصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ** ﴾(١٤٢) ، قال : الأرض ، قال : وقال ابن عباس : قال أمية بن أبي الصلت :

عندهم لحم بحرٍ ولحم ساهرة(١٤٣)

حدثنا يحيى بن سعيد عن سفيان ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : كنت لا أدري ما ﴿ **فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾(١٤٤) ، حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر ، فقال أحدهما : أنا فطرتها . يقول : أنا ابتدأتها(١٤٥) . إسناد جيد أيضًا .

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير الطبري ، رحمه الله ، بعد ما أورد طرفا مما تقدم : وصح وثبت أن الذي نزل به القرآن من ألسن العرب البعض منها دون الجميع ، إذ كان معلوما أن ألسنتها ولغاتها أكثر من سبع بما يعجز عن إحصائه ثم قال : وما برهانك على ما قلته دون أن يكون معناه ما قاله مخالفوك ، من أنه نزل بأمر وزجر ، وترغيب وترهيب ، وقصص ومثل ، ونحو ذلك من الأقوال فقد علمت قائل ذلك من سلف الأمة وخيار الأئمة ؟ قيل له : إن الذين قالوا ذلك لم يدعوا أن تأويل الأخبار التي تقدم ذكرها ، هو ما زعمت أنهم قالوه في الأحرف السبعة ، التي نزل بها القرآن دون غيره فيكون ذلك لقولنا مخالفا ، وإنما أخبروا أن القرآن نزل على سبعة أحرف ، يعنون بذلك أنه نزل على سبعة أوجه ، والذي قالوا من ذلك كما قالوا ، وقد روينا بمثل الذي قالوا من ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن جماعة من الصحابة ، من أنه نزل من سبعة أبواب الجنة ، كما تقدم - يعني كما تقدم في رواية عن أُبيّ بن كعب وعبد الله بن

(١٤٠) - [الانشقاق : ١٧] .

(١٤١) - فضائل القرآن (ص ٣٤٣) ، وابن جرير (٧٦/٣٠) .

(١٤٢) - [النازعات : ١٤] .

(١٤٣) - فضائل القرآن (ص ٣٤٤)

(١٤٤) - [فاطر : ١] .

(١٤٥) - فضائل القرآن (ص ٣٤٥) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٤٤/٥) لعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن المنذر والبيهقي في الشعب .

مسعود : أن القرآن نزل من سبعة أبواب الجنة[١٤٦] .

قال ابن جرير : والأبواب السبعة من الجنة هى المعاني التي فيها من الأمر والنهي ، والترغيب والترهيب ، والقصص والمثل ، التي إذا عمل بها العامل وانتهى إلى حدودها المنتهى ، استوجب بها الجنة .

ثم بسط القول في هذا بما حاصله : أن الشارع رخص للأمة التلاوة على سبعة أحرف ، ثم لما رأى الإمام أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، اختلاف الناس في القراءة ، وخاف من تفرق كلمتهم - جمعهم على حرف واحد ، وهو هذا المصحف الإمام ، قال : واستوثقت له الأمة على ذلك بالطاعة ، ورأت أن فيما فعله من ذلك الرشد والهداية ، وتركت القراءة بالأحرف الستة التي عزم عليها إمامها العادل في تركها طاعة منها له ، ونظر منها لأنفسها ولمن بعدها من سائر أهل ملتها ، حتى درست من الأمة معرفتها ، وتعفت[١٤٧] آثارها ، فلا سبيل اليوم لأحد إلى القراءة بها لدثورها وعفو آثارها . إلى أن قال : فإن قال من ضعفت معرفته : وكيف جاز لهم ترك قراءة اقرأهموها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم بقراءتها ؟ قيل : إن أمره إياهم بذلك لم يكن أمر إيجاب وفرض ، وإنما كان أمر إباحة ورخصة ؛ لأن القراءة بها لو كانت فرضًا عليهم لوجب أن يكون العلم بكل حرف من تلك الأحرف السبعة عند من يقوم بنقله الحجة ، ويقطع خبره العذر ، ويزيل الشك من قراءة الأمة ، وفي تركهم نقل ذلك كذلك أوضح الدليل على أنهم كانوا في القراءة بها مخيرين . إلى أن قال : فأما ما كان من اختلاف القراءة في رفع حرف ونصبه وجره وتسكين حرف وتحريكه ، ونقل حرف إلى آخر مع اتفاق الصورة فمن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : « **أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف** » بمعزل ؛ لأن المراء في مثل هذا ليس بكفر ، في قول أحد من علماء الأمة ، وقد أوجب صلى الله عليه وسلم بالمراء في الأحرف السبعة الكفر ، كما تقدم[١٤٨] .

الحديث الثاني : قال البخاري ، رحمه الله[١٤٩] : حدثنا سعيد بن عفير ، حدثنا الليث ، حدثنا عقيل ، عن ابن شهاب قال : أخبرني عروة بن الزبير : أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن ابن عبد القاريّ حدثاه أنهما سمعا عمر بن الخطاب يقول : سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكدت أساوره في الصلاة ، فتبصرت حتى

---

(١٤٦) - تفسير ابن جرير (٤٧/١) .

(١٤٧) - تعفَّى الشيء : زال وامتحى .

(١٤٨) - تفسير ابن جرير (٤٩/١) .

(١٤٩) - البخاري في فضائل القرآن ، باب : أنزل القرآن على سبعة أحرف برقم (٤٩٩٢) .

سلم فلببته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلت: كذبت، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أرسله ، اقرأ يا هشام** » ، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **كذلك أنزلت** » ، ثم قال : « **اقرأ يا عمر** » ، فقرأت القراءة التي أقرأني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **كذلك أنزلت . إن القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرءوا ما تيسر منه** » .

وقد رواه الإمام أحمد والبخاري - أيضًا - ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي من طرق عن الزهري(١٥٠)

ورواه الإمام أحمد - أيضا - عن ابن مهدي ، عن مالك ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عبدالرحمن بن عبدٍ القاري ، عن عمر ، فذكر الحديث بنحوه(١٥١) .

وقال الإمام أحمد(١٥٢) : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا حرب بن ثابت ، حدثنا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أبيه، عن جده قال: قرأ رجل عند عمر فغير عليه فقال : قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يغير عليّ قال : فاجتمعا عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فقرأ الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : « **قد أحسنت** » . قال : فكأن عمر وجد من ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **يا عمر ، إن القرآن كله صواب ، ما لم يُجعل عذابٌ مغفرةً أو مغفرةٌ عذابًا** » .

وهذا إسناد حسن . وحرب بن ثابت هذا يكنى بأبي ثابت ، لا نعرف أحدًا جرحه .

وقد اختلف العلماء في معنى هذه السبعة الأحرف وما أريد منها على أقوال : قال أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي المالكي في مقدمات تفسيره : وقد اختلف العلماء في المراد بالأحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولاً ، ذكرها أبو حاتم محمد بن حبان البستي ، ونحن نذكر منها خمسة أقوال .

---

(١٥٠) - المسند (٢٤/١) ، والبخاري في الخصومات ، باب : كلام الخصوم بعضهم في بعض برقم (٢٤١٩) ، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها برقم ٢٧٠ - (٨١٨) ، وأبو داود في الصلاة ، باب : أنزل القرآن على سبعة أحرف برقم (١٤٧٥) ، والترمذي في القراءات ، باب : القرآن نزل على سبعة أحرف برقم (٢٩٤٣) ، والنسائي في الافتتاح (١٥٠/٢) .

(١٥١) - المسند (٤٠/١) .

(١٥٢) - المسند ١٦٤١٨ - (٣٠/٤) . وحرب بن ثابت ذكره في التعجيل (٤٣٨/١) وقال نقلًا عن الحسيني : وثقه ابن حبان .

قلت : ثم سردها القرطبي ، وحاصلها ما أنا مورده ملخصا :

فالأول - وهو قول أكثر أهل العلم ، منهم سفيان بن عيينة ، وعبد الله بن وهب ، وأبو جعفر ابن جرير ، والطحاوي - : أن المراد سبعة أوجه من المعاني المتقاربة بألفاظ مختلفة نحو : أقبل وتعال وهلم . وقال الطحاوي : وأبين ما ذكر في ذلك حديث أبي بكرة قال : جاء جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اقرأ على حرف ، فقال ميكائيل : استزده فقال : اقرأ على حرفين ، فقال ميكائيل : استزده ، حتى بلغ سبعة أحرف ، فقال : اقرأ فكل شاف كاف إلا أن تخلط آية رحمة بآية عذاب ، أو آية عذاب بآية رحمة ، على نحو هلم وتعال وأقبل واذهب وأسرع وعجل .

ورُوي عن ورقاء عن ابن أبي نَجِيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن أُبيّ بن كعب : أنه كان يقرأ : ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾(١٥٣) : « للذين آمنوا أمهلونا » « للذين آمنوا أخرونا » « للذين آمنوا ارقبونا » ، وكان يقرأ : ﴿ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ ﴾(١٥٤) : « مروا فيه » « سعوا فيه » . قال الطحاوي وغيره : وإنما كان ذلك رخصة أن يقرأ الناس القرآن على سبع لغات ، وذلك لَما كان يتعسر على كثير من الناس التلاوة على لغة قريش ، وقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعدم علمهم بالكتابة والضبط وإتقان الحفظ وقد ادّعى الطحاوي والقاضي الباقلاني والشيخ أبو عمر بن عبد البر أن ذلك كان رخصة في أول الأمر ، ثم نسخ بزوال العذر وتيسر الحفظ وكثرة الضبط وتعلم الكتابة .

قلت : وقال بعضهم : إنما كان الذي جمعهم على قراءة واحدة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، أحد الخلفاء الراشدين المهديين المأمور باتباعهم ، وإنما جمعهم عليها لما رأى من اختلافهم في القراءة المفضية إلى تفرق الأمة وتكفير بعضهم بعضًا ، فرتب لهم المصاحف الأئمة على العرضة الأخيرة التي عارض بها جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر رمضان من عمره ، عليه الصلاة والسلام ، وعزم عليهم ألا يقرءوا بغيرها ، وألا يتعاطوا الرخصة التي كانت لهم فيها سعة ، ولكنها أدت إلى الفرقة والاختلاف ، كما ألزم عمر بن الخطاب الناس بالطلاق الثلاث المجموعة حتى تتابعوا فيها وأكثروا منها ، قال : فلو أنا أمضيناه عليهم ، فأمضاه عليهم . وكان كذلك ينهى عن المتعة في أشهر الحج لئلا تُقْطع زيارة البيت في غير أشهر الحج . وقد كان أبو موسى يفتي بالتمتع فترك فتياه اتباعا لأمير المؤمنين وسمعا وطاعة للأئمة المهديين .

القول الثاني : أن القرآن نزل على سبعة أحرف ، وليس المراد أن جميعه يقرأ على سبعة أحرف ، ولكن بعضه على حرف وبعضه على حرف آخر . قال الخطابي : وقديقرأ بعضه بالسبع لغات كما في قوله : ﴿ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾(١٥٥) و ﴿ يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ ﴾(١٥٦) . قال القرطبي :

---

(١٥٣) - [الحديد : ١٣] .

(١٥٤) - [البقرة : ٢٠] .

(١٥٥) - [المائدة : ٦٠] .

(١٥٦) - [يوسف : ١٢] .

ذهب إلى هذا القول أبو عبيد ، واختاره ابن عطية . قال أبو عبيد : وبعض اللغات أسعدُ به من بعض ، وقال القاضي البلاقلاني : ومعنى قول عثمان : إنه نزل بلسان قريش ، أي : معظمه ، ولم يقم دليل على أن جميعه بلغة قريش كله ، قال الله تعالى : ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾(١٥٧) ، ولم يقل : قرشيا . قال : واسم العرب يتناول جميع القبائل تناولاً واحدًا ، يعني حجازها ويمنها ، وكذلك قال الشيخ أبو عمر بن عبد البر ، قال : لأن غير لغة قريش موجودة في صحيح القراءات كتحقيق الهمزات ، فإن قريشًا لا تهمز ، وقال ابن عطية : قال ابن عباس : ما كنت أدري ما معنى : ﴿ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [فاطر : ١] ، حتى سمعت أعرابيًا يقول لبئر ابتدأ حفرها : أنا فطرتها .

القول الثالث : أن لغات القرآن السبع منحصرة في مضر على اختلاف قبائلها خاصة ؛ لقول عثمان : إن القرآن نزل بلغة قريش ، وقريش هم بنو النضر بن الحارث على الصحيح من أقوال أهل النسب ، كما نطق به الحديث في سنن ابن ماجه وغيره .

القول الرابع -وحكاه الباقلاني عن بعض العلماء - : أن وجوه القراءات ترجع إلى سبعة أشياء ، منها ما تتغير حركته ولا تتغير صورته ولا معناه مثل : ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي ﴾(١٥٨) و « يضيقَ » ، ومنها ما لا تتغير صورته ويختلف معناه مثل : ﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾(١٥٩) و « باعَدَ بين أسفارنا » ، وقد يكون الاختلاف في الصورة والمعنى بالحرف مثل : ﴿ نُنشِزُهَا ﴾(١٦٠) ، و « نَنشُرُها » ، أو بالكلمة مع بقاء المعنى مثل : ﴿ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾(١٦١) ، أو « كالصوف المنفوش » أو باختلاف الكلمة [واختلاف المعنى مثل ﴿ وطلح منضود ﴾(١٦٢) « وطلع منضود » أو بالتقدم والتأخر مثل : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾(١٦٣) ، أو « سكرة الحق بالموت » ، أو بالزيادة مثل « تسع وتسعون نعجة أنثى » ، « وأما الغلام فكان كافرًا وكان أبواه مؤمنين » . ﴿ فإن الله من بعد إكراههن لهن غفور رحيم ﴾(١٦٤) .

القول الخامس : أن المراد بالأحرف السبعة معاني القرآن وهي : أمر ، ونهي ، ووعد ، ووعيد ، وقصص ، ومجادلة ، وأمثال . قال ابن عطية : وهذا ضعيف ؛ لأن هذه لا تسمى حروفًا ، وأيضًا فالإجماع أن التوسعة لم تقع في تحليل حلال ، ولا في تغيير شيء من المعاني ، وقد أورد القاضي الباقلاني في هذا حديثًا ، ثم قال : وليست هذه هي التي أجاز لهم القراءة

---

(١٥٧) - [يوسف : ٢] .
(١٥٨) - [الشعراء : ١٣] .
(١٥٩) - [سبأ : ١٩] .
(١٦٠) - [البقرة : ٢٥٩] .
(١٦١) - [القارعة : ٥] .
(١٦٢) - [الواقعة : ٢٩] .
(١٦٣) - [ق : ١٩] .
(١٦٤) - [النور : ٣٣] .

بها[١٦٥] .

فصل

قال القرطبي[١٦٦] : قال كثير من علمائنا كالداودي وابن أبي صفرة وغيرهما : هذه القراءات السبع التي تنسب لهؤلاء القراء السبعة ليست هي الأحرف السبعة التي اتسعت الصحابة في القراءة بها ، وإنما هي راجعة إلى حرف واحد من السبعة وهو الذي جمع عليه عثمان المصحف . ذكره ابن النحاس وغيره .

قال القرطبي : وقد سوغ كل واحد من القراء السبعة قراءة الآخر وأجازها ، وإنما اختار القراءة المنسوبة إليه لأنه رآها أحسن والأولى عنده . قال : وقد أجمع المسلمون في هذه الأمصار على الاعتماد على ما صح عن هؤلاء الأئمة فيما رووه ورأوه من القراءات ، وكتبوا في ذلك مصنفات واستمر الإجماع على الصواب وحصل ما وعد الله به من حفظ الكتاب .

(١٦٥) - تفسير القرطبي (١/٤٢-٤٧) .

(١٦٦) - تفسير القرطبي (١/٤٦) .

قال البخاري رحمه الله[١٦٧] :

تأليف القرآن

حدثنا إبراهيم بن موسى ، أخبرنا هشام بن يوسف : أن ابن جريج أخبرهم قال : وأخبرني يوسف بن ماهك قال : إني عند عائشة أم المؤمنين ، رضي الله عنها ، إذ جاءها عراقي فقال : أي الكفن خير ؟ قالت : ويحك ! وما يضرك ، قال : يا أم المؤمنين ، أريني مصحفك ، قالت : لم ؟ قال : لعلي أؤلف القرآن عليه ، فإنه يقرأ غير مؤلف ، قالت : وما يضرك أيه قرأت قبل ، إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار ، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام ، نزل الحلال والحرام ولو نزل أول شيء : ولا تشربوا الخمر ، لقالوا : لا ندع الخمر أبدا ، ولو نزل : لا تزنوا ، لقالوا : لا ندع الزنا أبدًا ، لقد نزل بمكة على محمد صلى الله عليه وسلم وإني لجارية ألعب : ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾[١٦٨] ، وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده ، قال : فأخرجت له المصحف فأملت عليه آي السور .

وهكذا رواه النسائي من حديث ابن جريج ، به[١٦٩] .

والمراد من التأليف هاهنا ترتيب سوره . وهذا العراقي سأل أولا عن أي الكفن خير ، أي : أفضل ، فأخبرته عائشة ، رضي الله عنها ، أن هذا لا ينبغي أن يعتني بالسؤال عنه ولا القصد له ولا الاستعداد ، فإن في هذا تكلفًا لا طائل تحته ، وكانوا في ذلك الزمان يصفون أهل العراق بالتعنت في الأسئلة ، كما سأل بعضهم عبد الله بن عمر عن دم البعوض يصيب الثوب ، فقال عبد الله بن عمر : انظروا أهل العراق ، يسألون عن دم البعوض ، وقد قتلوا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ![١٧٠] .

ولهذا لم تبالغ معه عائشة ، رضي الله عنها ، في الكلام لئلا يظن أن ذلك أمر مهم ، وإلا فقد روى أحمد وأهل السنن من حديث سمرة وابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **البسوا من ثيابكم البياض ، وكفنوا فيها موتاكم ، فإنها أطهر وأطيب** »[١٧١] وصححه

---

(١٦٧) – البخاري في فضائل القرآن ، باب : تأليف القرآن برقم (٤٩٩٣) .

(١٦٨) – [القمر : ٤٦] .

(١٦٩) – سنن النسائي الكبرى برقم (٧٩٨٧) .

(١٧٠) – رواه البخاري في فضائل أصحاب النبي ، صلى الله عليه وسلم ، من صحيحه ، باب : فضائل الحسن والحسين برقم (٣٧٥٣) .

(١٧١) – حديث سمرة في المسند ٢٠١٥٣ – (٥/١٠) ، وأخرجه الترمذي في كتاب الأدب ، باب : ما جاء في لبس البياض (رقم : ٢٨١٠) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، والنسائي في كتاب الزينة ، باب : الأمر بلبس البيض من الثياب (رقم : ٥٣٢٢، ٥٣٢٣) (٨/٢٠٥) . وفي الكبرى في =

الترمذي من الوجهين .

وفي الصحيحين عن عائشة ، رضي اللّٰه عنها ، أنها قالت : كفن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم في ثلاثة أثواب بيض سحولية ، ليس فيها قميص ولا عمامة[١٧٢] . وهذا محرر في باب الكفن من كتاب الجنائز .

ثم سألها عن ترتيب القرآن فانتقل إلى سؤال كبير ، وأخبرها أنه يقرأ غير مؤلف ، أي : غير مرتب السور . وكأن هذا قبل أن يبعث أمير المؤمنين عثمان، رضي اللّٰه عنه، إلى الآفاق بالمصاحف الأئمة المؤلفة على هذا الترتيب المشهور اليوم ، وقبل الإلزام به ، واللّٰه أعلم .

ولهذا أخبرته : إنه لا يضرك بأي سورة بدأت ، وأن أول سورة نزلت فيها ذكر الجنة والنار ، وهذه إن لم تكن ﴿ اقرأ ﴾ فقد يحتمل أنها أرادت اسم جنس لسور المفصل التي فيها الوعد والوعيد ، ثم لما انقاد الناس إلى التصديق أمروا ونهوا بالتدريج أولا فأولا ، وهذا من حكمة اللّٰه ورحمته ، ومعنى هذا الكلام : أن هذه السورة أو السور التي فيها ذكر الجنة والنار ليست البداءة بها في أوائل المصاحف ، مع أنها من أول ما نزل ، وهذه البقرة والنساء من أوائل ما في المصحف ، وقد نزلت عليه في المدينة وأنا عنده .

فأما ترتيب الآيات في السور فليس في ذلك رخصة ، بل هو أمر توقيفي عن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم ، كما تقدم تقرير ذلك ؛ ولهذا لم ترخص له في ذلك ، بل أخرجت له مصحفها ، فأملت عليه آي السور ، واللّٰه أعلم . وقول عائشة : لايضرك بأي سورة بدأت ، يدل على أنه لو قدم بعض السور أو أخر ، كما دل عليه حديث حذيفة وابن مسعود ، وهو في الصحيح أنه ، عليه السلام ، قرأ في قيام الليل بالبقرة ثم النساء ثم آل عمران[١٧٣] .

وقد حكى القرطبي عن أبي بكر بن الأنباري في كتاب الرد أنه قال : فمن أخّر سورة مقدمة أو قدم أخرى مؤخرة كمن أفسد نظم الآيات وغير الحروف والآيات[١٧٤] ، وكان مستنده اتّباع

= كتاب الزينة ، باب : الأمر بلبس الثياب البيض (رقم : ٩٦٤٢، ٩٦٤٣، ٩٦٤٤) (٤٧٧/٥) ، وابن ماجة في كتاب اللباس ، باب : البياض من الثياب (رقم : ٣٥٦٧) .

وحديث ابن عباس في المسند (٢٣١/١، ٢٤٧) ، ورواه أبو داود في كتاب الطب ، باب : الأمر بالكحل برقم (٣٨٧٨) ، والترمذي في الجنائز ، باب : ما يستحب من الأكفان برقم (٩٩٤) ، وابن ماجة في الجنائز ، باب : ما جاء فيما يستحب من الكفن برقم (١٤٧٢) .

(١٧٢) – البخاري في الجنائز ، باب الثياب البيض للكفن برقم (١٢٦٤) ، ومسلم في الجنائز برقم ٤٥ – (٩٤١) .

(١٧٣) – رواه مسلم في صحيحه برقم (٧٧٢) وقد تقدم .

(١٧٤) – تفسير القرطبي (٦٠/١) .

مصحف عثمان ، رضي الله عنه ، فإنه مرتب على هذا النحو المشهور ، والظاهر أن ترتيب السور فيه منه ما هو راجع إلى رأي عثمان رضي الله عنه ، وذلك ظاهر في سؤال ابن عباس له عن ترك البسملة في أول براءة ، وذكره الأنفال من الطول ، والحديث في الترمذي وغيره بإسناد جيد وقوي . وقدذكرنا عن علي أنه كان قد عزم على ترتيب القرآن بحسب نزوله .

ولهذا حكى القاضي الباقلاني : أن أول مصحفه كان : ﴿ **اقرأ باسم ربك الأكرم** ﴾ وأول مصحف ابن مسعود : ﴿ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّين** ﴾ ثم البقرة ، ثم النساء على ترتيب مختلف ، وأول مصحف أبيّ : ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ** ﴾ ، ثم النساء ، ثم آل عمران ، ثم الأنعام ، ثم المائدة ، ثم كذا على اختلاف شديد ، ثم قال القاضي : ويحتمل أن ترتيب السور في المصحف على ما هو عليه اليوم من اجتهاد الصحابة ، رضي الله عنهم ، وكذا ذكره مكي في تفسير سورة براءة قال : فأما ترتيب الآيات والبسملة في الأوائل فهو من النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن وهب في جامعه : سمعت سليمان بن بلال يقول : سئل ربيعة : لم قدمت البقرة وآل عمران ، وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة ؟ فقال : قدمتا وألف القرآن على علم ممن ألفه ، وقد أجمعوا على العلم بذلك ، فهذا مما ينتهى إليه ولا يسأل عنه . قال ابن وهب : وسمعت مالكا يقول : إنما ألف القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبي صلى الله عليه وسلم[١٧٥] .

قال أبو الحسن بن بطال : إنما يجب تأليف سوره في الرسم والخط خاصة ولا يعلم أن أحدًا منهم قال : إن ترتيب ذلك واجب في الصلاة وفي قراءة القرآن ودرسه ، وأنه لا يحل لأحد أن يقرأ الكهف قبل البقرة ، ولا الحج قبل الكهف ، ألا ترى إلى قول عائشة : ولا يضرك أيه قرأت قبل . وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الصلاة السورة في ركعة ، ثم يقرأ في الركعة الأخرى بغير السورة التي تليها .

قال : وأما ما رُوي عن ابن مسعود وابن عمر أنهما كرها أن يقرأ القرآن منكوسًا . وقالا : إنما ذلك منكوس القلب ، فإنما عنيا بذلك من يقرأ السورة منكوسةً فيبتدئ بآخرها إلى أولها ، فإن ذلك حرام محظور .

ثم قال البخاري : حدثنا آدم ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق قال : سمعت عبد الرحمن بن يزيد قال : سمعت ابن مسعود يقول في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء : إنهن من العتاق الأول ، وهن من تلادى[١٧٦] .

---

(١٧٥) - ذكره القرطبي في تفسيره (٥٩/١،٦٠) .

(١٧٦) - رواه البخاري في فضائل القرآن ، باب : تأليف القرآن برقم (٤٩٩٤) .

انفرد البخاري بإخراجه والمراد منه ذكر ترتيب هذه السور في مصحف ابن مسعود كالمصاحف العثمانية ، وقوله : « **من العتاق الأول** » أي : من قديم ما نزل ، وقوله : « وهن من تلادى » أي : من قديم ما قنيت وحفظت . والتالد في لغتهم : قديم المال والمتاع ، والطارف حديثه وجديده ، والله أعلم .

وحدثنا أبو الوليد(١٧٧) ، حدثنا شعبة ، حدثنا أبو إسحاق : سمع البراء بن عازب رضي الله عنه - يقول : تعلمت ﴿ **سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى** ﴾ قبل أن يقدم النبي صلى الله عليه وسلم. وهذا متفق عليه ، وهو قطعة من حديث الهجرة ، والمراد منه أن ﴿ **سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى** ﴾ سورة مكية نزلت قبل الهجرة ، والله أعلم .

ثم قال(١٧٨) : حدثنا عبْدَان ، عن أبي حمزة ، عن الأعمش ، عن شقيق قال : قال عبد الله : لقد علمت النظائر التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرؤهن اثنين اثنين في كل ركعة ، فقام عبد الله ودخل معه علقمة ، وخرج علقمة فسألناه فقال : عشرون سورة من أول المفصل على تأليف ابن مسعود ، آخرهن من الحواميم [حم الدخان وعمّ يتساءلون][١] .

وهذا التأليف الذي عن ابن مسعود غريب مخالف لتأليف عثمان ، رضي الله عنه ، فإن المفصل في مصحف عثمان ، رضي الله عنه ، من سورة الحجرات إلى آخره وسورة الدخان لا تدخل فيه بوجه ، والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد(١٧٩) :

حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي ، عن عثمان بن عبد الله بن أوس الثقفي ، عن جده أوس بن حذيفة قال : كنت في الوفد الذين أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فذكر حديثًا فيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسمر معهم بعد العشاء

(١٧٧) - رواه البخاري في فضائل القرآن ، باب : تأليف القرآن برقم (٤٩٩٥) .

(١٧٨) - رواه البخاري في فضائل القرآن ، باب : تأليف القرآن برقم (٤٩٩٦) .

(١٧٩) - عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي : صدوق ، يخطئ ويهم ، روى له البخاري في الأدب ومسلم ، وغيرهما ، وعثمان بن عبد الله بن أوس : قال في التقريب : مقبول ، روى له أبو داود وابن ماجه ، والحديث في المسند ١٦٢١٤ - (٩/٤) ، (٣٤٣/٤) ، ورواه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب : تحزيب القرآن ، حديث (١٣٩٣) من طريق مسدد وعبد الله بن سعيد ، عن قران بن تمام وأبى خالد ، عن عبد الله ، به . وابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : في كم يستحب يختم القرآن ، من طريق أبى بكر بن أبى شيبة ، ثنا أبو خالد الأحمر ، عن عبد الله به ، حديث (١٣٤٥) والبخاري في التاريخ (١٦/٢/١) ، وابن أبي شيبة (٥٠١/٢ - ٥٠٢) ، والطيالسي (١١٠٨) ، وابن سعد (٥١٠/٥) ، والطبرانى في الكبير (٢٢٠/١) حديث (٥٩٩) ، والحديث ضعفه الشيخ الألباني في ضعيف أبي داود حديث ٢٩٧ .

[١] - ليست في البخاري .

فمكث عنا ليلة لم يأتنا ، حتى طال ذلك علينا بعد العشاء . قال : قلنا : ما أمكثك عنا يا رسول الله ؟ قال : « **طرأ علي حزب من القرآن ، فأردت ألا أخرج حتى أقضيه** » . قال : فسألنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أصبحنا ، قال : قلنا : كيف تحزبون القرآن ؟ قالوا : نحزبه ثلاث سور ، وخمس سور ، وسبع سور ، وتسع سور ، وإحدى عشرة سورة ، وثلاث عشرة سورة ، وحزب المفصل من قاف حتى يختم .

ورواه أبو داود وابن ماجة من حديث عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى الطائفي ، به ، وهذا إسناد حسن .

فصل

فأما نقط المصحف وشكله ، فيقال : إن أول من أمر به عبد الملك بن مروان ، فتصدى لذلك الحجاج وهو بواسط ، فأمر الحسن البصري ويحيى بن يعمر ففعلا ذلك ، ويقال : إن أول من نقط المصحف أبو الأسود الدؤلي ،وذكروا أنه كان لمحمد بن سيرين مصحف قد نقطه له يحيى بن يعمر(١٨٠) ، والله أعلم .

وأما كتابة الأعشار على الحواشي فينسب إلى الحجاج أيضًا ، وقيل : بل أول من فعله المأمون ، وحكى أبو عمرو الداني عن ابن مسعود أنه كره التعشير في المصحف ، وكان يحكه(١٨١) ، وكره مجاهد ذلك أيضًا .

وقال مالك : لا بأس به بالحبر ، فأما بالألوان المصبغة فلا . وأكره تعداد آي السور في أولها في المصاحف الأمهات ، فأما ما يتعلم فيه الغلمان فلا أرى به بأسًا .

وقال قتادة : بدءوا فنقطوا ، ثم خمسوا ، ثم عشروا . وقال يحيى بن أبي كثير : أول ما أحدثوا النقط على الباء والتاء والثاء ، وقالوا : لا بأس به ، هو نور له ، أحدثوا نقطًا عند آخر الآي ، ثم أحدثوا الفواتح والخواتم .

ورأى إبراهيم النخعي فاتحة سورة كذا ، فأمر بمحوها وقال : قال ابن مسعود : لا تخلطوا بكتاب الله ما ليس فيه . قال أبو عمرو الداني : ثم قد أطبق المسلمون في ذلك في سائر الآفاق على جواز ذلك في الأمهات وغيرها .

ثم قال البخاري ، رحمه الله :

كان جبريل يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم

قال مسروق : عن عائشة ، عن فاطمة، رضي الله عنها ، أسر إليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة وأنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي . هكذا ذكره معلقًا وقد أسنده في موضع آخر(١٨٢) .

ثم قال : حدثنا يحيى بن قزعة ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير ، وأجود ما

---

(١٨٠) - روى ابن أبي داود في المصاحف (ص ١٤١) بإسناده عن هارون بن موسى : أول من نقط المصاحف يحيى بن يعمر .

(١٨١) - رواه أبو عبيد بإسناده إلى عبد الله في فضائل القرآن (ص ٣٩٤) .

(١٨٢) - البخاري في فضائل القرآن عقب حديث (٤٩٩٦) .

يكون في شهر رمضان ؛ لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم القرآن ، فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة ، وهذا الحديث متفق عليه(١٨٣) ، وقد تقدم الكلام عليه في أول الصحيح وما فيه من الحكم والفوائد ، واللّه أعلم .

ثم قال : حدثنا خالد بن يزيد ، حدثنا أبو بكر ، عن أبي حصين ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : كان يعرض على النبي صلى اللّه عليه وسلم القرآن كل عام مرة ، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه ، وكان يعتكف كل عام عشرا فاعتكف عشرين في العام الذي قبض فيه .

ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجة من غير وجه عن أبي بكر - وهو ابن عياش - عن أبي حصين ، واسمه عثمان بن عاصم ، به(١٨٤) .

والمراد من معارضته له بالقرآن كل سنة : مقابلته على ما أوحاه إليه عن اللّه تعالى ، ليبقى ما بقي ، ويذهب ما نسخ توكيدًا ، أو استثباتًا وحفظًا ؛ ولهذا عرضه في السنة الأخيرة من عمره ، عليه السلام ، اقتراب أجله على جبريل مرتين ، وعارضه به جبريل كذلك ؛ ولهذا فهم ، عليه السلام ، اقتراب أجله . وعثمان ، رضي اللّه عنه ، جمع المصحف الإمام على العرضة الأخيرة رضي اللّه عنه وأرضاه ، وخصّ بذلك رمضان من بين الشهور ؛ لأن ابتداء الإيحاء كان فيه ؛ ولهذا يستحب دراسة القرآن وتكراره فيه ، ومن ثم كثر اجتهاد الأئمة فيه في تلاوة القرآن ، كما تقدم ذكرنا لذلك .

---

(١٨٣) - البخاري في فضائل القرآن برقم (٤٩٩٧) ، ومسلم في الفضائل برقم ٥٠ - (٢٣٠٨) .

(١٨٤) - البخاري في فضائل القرآن برقم (٤٩٩٨) ، وفي الاعتكاف ، باب : الاعتكاف في العشر الأوسط (٢٠٤٤) ، وأبو داود في الصوم ، باب : أين يكون الاعتكاف برقم (٢٤٦٦) ، والنسائي في الكبرى برقم (٧٩٩٢) ، وابن ماجة في الصوم ، باب : الاعتكاف برقم (١٧٦٩) .

القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

حدثنا حفص بن عمر ، حدثنا شعبة ، عن عمرو ، عن إبراهيم ، عن مسروق : ذكر عبد الله ابن عمرو عبد الله بن مسعود ، فقال : لا أزال أحبه ، سمعت رسول الله يقول : « **خذوا القرآن من أربعة : من عبد الله بن مسعود ، وسالم ، ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعب** » ، رضي الله عنهم[١٨٥] .

وقد أخرجه البخاري في المناقب في غير موضع ، ومسلم والنسائي من حديث شعبة ، عن عمرو بن مرة به[١٨٦] .

وأخرجاه والترمذي والنسائي - أيضًا - من حديث الأعمش ، عن أبي وائلٍ ، عن مسروق به[١٨٧] .

فهؤلاء الأربعة اثنان من المهاجرين الأولين عبد الله بن مسعود ، وسالم مولى أبي حذيفة ، وقد كان سالم هذا من سادات المسلمين وكان يؤم الناس قبل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة ، واثنان من الأنصار : معاذ بن جبل ، وأبيّ بن كعب ، وهما سيدان كبيران ، رضي الله عنهم أجمعين .

ثم قال : حدثنا عمر بن حفص ، حدثنا أبي ، حدثنا الأعمش ، حدثنا شقيق بن سلمة قال : خطبنا عبد الله فقال : والله لقد أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وسبعين سورة ، والله لقد علم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أني من أعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم . قال شقيق : فجلست في الحلق أسمع ما يقولون ، فما سمعت رادًا يقول غير ذلك[١٨٨] .

حدثنا محمد بن كثير ، أخبرنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة قال : كنا بحمص ، فقرأ ابن مسعود سورة يوسف فقال رجل : ما هكذا أنزلت ، فقال : قرأت على رسول

---

(١٨٥) - البخاري في فضائل القرآن ، باب : القراء من أصحاب رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، برقم (٤٩٩٩) .

(١٨٦) - البخاري في فضائل القرآن ، باب : القراء من أصحاب رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، برقم (٤٩٩٩) ، وانظر (٣٨٠٦ ، ٣٨٠٨ ، ٣٧٥٨، ٣٧٦٠) ، ومسلم في فضائل الصحابة برقم ١١٦ - (٢٤٦٤) ، والنسائي في الكبرى برقم (٧٩٩٦) .

(١٨٧) - البخاري برقم (٣٧٦٠) ، ومسلم في فضائل الصحابة برقم ١١٧ - (٢٤٦٤) ، والترمذي في المناقب ، باب : مناقب عبد الله بن مسعود برقم (٣٨١٠) ، والنسائي في الكبرى برقم (٧٩٩٧) .

(١٨٨) - صحيح البخاري في فضائل القرآن ، باب : القراء من أصحاب رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، برقم (٥٠٠٠) .

الله صلى الله عليه وسلم فقال : « **أحسنت** » ووجد منه ريح الخمر ، فقال : أتجترئ أن تكذب بكتاب الله وتشرب الخمر ؟ ! فجلده الحد(١٨٩) .

حدثنا عمر بن حفص ، حدثنا أبي ، حدثنا الأعمش ، حدثنا مسلم ، عن مسروق قال : قال عبد الله : والله الذي لا إله غيره ، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين أنزلت ، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن أنزلت ، ولو أعلم أحدًا أعلم مني [بكتاب الله][١] تبلغه الإبل لركبت إليه(١٩٠) .

وهذاكله حق وصدق ، وهو من إخبار الرجل بما يعلم من نفسه مما قد يجهله غيره ، فيجوز ذلك للحاجة ، كما قال تعالى إخبارا عن يوسف لما قال لصاحب مصر : ﴿ **اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ** ﴾ [يوسف : ٥٥] ، ويكفيه مدحا وثناء قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **استقرئوا القرآن من أربعة** » ، فبدأ به .

وقال أبو عبيد : حدثنا مصعب بن المقدام ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **من أحب أن يقرأ القرآن غضًا**(١٩١) **كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد** »(١٩٢) .

وهكذا رواه الإمام أحمد ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، به مطولا ، وفيه قصة ،

وأخرجه الترمذي والنسائي من حديث أبي معاوية به وصححه الدارقطني ، وقد ذكرته في مسند عمر(١٩٣) .

---

(١٨٩) - البخاري في فضائل القرآن ، باب : القراء من أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، برقم (٥٠٠١) .

(١٩٠) - البخاري في فضائل القرآن ، باب : القراء من أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، برقم (٥٠٠٢) .

(١٩١) - قال ابن الأثير : الغض : الطري الذي لم يتغير ؛ أراد طريقته في القراءة ، وهيئته فيها . وقيل : أراد الآيات التي سمعها منه ، من أول سورة النساء إلى قوله : ﴿ **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدًا** ﴾ النهاية (٣٧١/٣) .

(١٩٢) - فضائل القرآن (ص ٣٧٢) ، والحاكم (٢٢٧/٢) (٣١٨/٣) ، وأحمد في المسند (٢٥/١،٢٦) ، والترمذي في الصلاة ، باب : ما جاء من الرخصة في السمر بعد العشاء برقم (١٦٩) ، والنسائي في الكبرى برقم (٨٢٥٦) .

(١٩٣) - مسند عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - للمؤلف (ص ١٧١ - ١٧٣) وقال : « وهذا الحديث لا يشك أنه محفوظ ، وهذا الاضطراب لا يضر صحته ، والله أعلم » .

---

[١] - زيادة من البخاري .

وفي مسند الإمام أحمد - أيضًا - عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **ومن أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد** »[١٩٤] ، وابن أم عبد هو عبد الله بن مسعود ، وكان يعرف بذلك .

ثم قال البخاري[١٩٥] : حدثنا حفص بن عمر ، حدثنا همام ، حدثنا قتادة قال : سألت أنس ابن مالك : من جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أربعة ، كلهم من الأنصار : أبيّ بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد . ورواه مسلم من حديث همام .

ثم قال البخاري : تابعه الفضل ، عن حسين بن واقد ، عن ثمامة ، عن أنس بن مالك .

حدثنا معلى بن أسد ، حدثنا عبد الله بن المثنى قال : حدثني ثابت البناني وثمامة عن أنس بن مالك قال : مات النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجمع القرآن غير أربعة : أبو الدرداء ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد . قال : ونحن ورثناه[١٩٦] .

فهذا الحديث ظاهره أنه لم يجمع القرآن من الصحابة سوى هؤلاء الأربعة فقط ، وليس هذا هكذا ، بل الذي لا شك فيه أنه جمعه غير واحد من المهاجرين أيضًا ، ولعل مراده : لم يجمع القرآن من الأنصار ؛ ولهذا ذكر الأربعة من الأنصار ، وهم أبي بن كعب في الرواية الأولى المتفق عليها وفي الثانية من أفراد البخاري : أبو الدرداء ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد ، وكلهم مشهورون إلا أبا زيد هذا ، فإنه غير معروف إلا في هذا الحديث ، وقد اختلف في اسمه فقال الواقدي : اسمه قيس بن السكن بن قيس بن زعورا بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار[١٩٧] .

وقال ابن نمير : اسمه سعد بن عبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن زيد بن أمية من الأوس . وقيل : هما اثنان جمعا القرآن ، حكاه أبو عمر بن عبد البر ، وهذا بعيد وقول الواقدي أصح لأنه

---

(١٩٤) - رواه أحمد في المسند (٢/٤٤٦) ، وفي فضائل الصحابة (١٥٣٧) ، وأبو يعلى (٦١٠٦) ، والعقيلي (١/١٩٧ - ١٩٨) ، والبزار (٣/٢٦٨٢) ، وقال البزار : جرير ليس بالحافظ ، وتركه النسائي ، وضعفه ابن السكن ، وقال أبو حاتم والبخاري : منكر الحديث .

(١٩٥) - البخاري في فضائل القرآن ، باب : القراء من أصحاب رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، برقم (٥٠٠٣) ، ومسلم في فضائل الصحابة ، برقم ١١٦ - (٢٤٦٥) .

(١٩٦) - البخاري في فضائل القرآن ، باب : القراء من أصحاب رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، برقم (٥٠٠٤) .

(١٩٧) - انظر : أسد الغابة (٦/١٢٠) ، والإصابة (٣/٢٤٠) .

خزرجي ؛ لأن أنسًا قال : ونحن ورثناه ، وهم من الخزرج ، وفي بعض ألفاظه : وكان أحد عمومتي .

وقال قتادة عن أنس[(١٩٨)] قال : افتخر الحيان الأوس والخزرج ، فقالت الأوس : منا غسيل الملائكة حنظلة بن أبي عامر ، ومنا الذي حمته الدبُرُ عاصم بن ثابت ، ومنا الذي اهتز لموته العرش سعد بن معاذ ، ومنا من أجيزت شهادته بشهادة رجلين خزيمة بن ثابت .

فقالت الخزرج : منا أربعة جمعوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبيّ بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد .

فهذا كله يدل على صحة قول الواقدي ، وقد شهد أبو زيد هذا بدرًا ، فيما ذكره غير واحد .

وقال موسى بن عقبة عن الزهري : قتل أبو زيد قيس بن السكن يوم جسر أبي عبيدة على رأس خمس عشرة سنة من الهجرة ، والدليل على أن من المهاجرين من جمع القرآن أن الصديق ، رضي الله عنه ، قدّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه إمامًا على المهاجرين والأنصار ، مع أنه صلى الله عليه وسلم قال : **« يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله »**[(١٩٩)] ، فلولا أنه كان أقرأهم لكتاب الله لما قدّمه عليهم . هذا مضمون ما قرره الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، وهذا التقرير لا يُدفع ولا يشك فيه ، وقد جمع الحافظ ابن السمعاني في ذلك جزءًا ، وقد بسطت تقرير ذلك في كتاب مسند الشيخين ، رضي الله عنهما .

ومنهم عثمان ابن عفان وقد قرأه في ركعة – كما سنذكره – وعلي بن أبي طالب يقال : إنه جمعه على ترتيب ما أنزل ، وقد قدمنا هذا .

ومنهم عبد الله بن مسعود ، وقد تقدم عنه أنه قال : ما من آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت ؟ وفيم نزلت ؟ ولو علمت أحدًا أعلم مني بكتاب الله تبلغه المطي لذهبت إليه .

ومنهم سالم مولى أبي حذيفة ، كان من السادات النجباء والأئمة الأتقياء وقد قتل يوم اليمامة شهيدًا .

ومنهم الحبر البحر عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وترجمان القرآن ، وقد تقدم عن مجاهد أنه قال : قرأت القرآن على ابن عباس مرتين ، أقفه عند كل آية وأسأله عنها .

---

(١٩٨) – رواه أبو يعلى (٢٩٥٣/٥) ، والبزار (٢٨٠٢/٣) ، والطبراني (٣٤٨٨/٤) ، وقال الهيثمي (١٠/ ٤١) : رجاله رجال الصحيح .

(١٩٩) – رواه مسلم في صحيحه برقم (٦٧٢) من حديث أبي مسعود الأنصاري ، وقد تقدم .

ومنهم عبد اللّٰه بن عمرو ، كما رواه النسائي وابن ماجة من حديث ابن جريج عن عبد اللّٰه بن أبي مُلَيْكة ، عن يحيى بن حكيم بن صفوان ، عن عبد اللّٰه بن عمرو قال : جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة ، فبلغ ذلك رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم فقال : « **اقرأه في شهر** » . وذكر تمام الحديث(٢٠٠) .

ثم قال البخاري : حدثنا صدقة بن الفضل ، حدثنا يحيى ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال عمر : عليٌّ أقضانا ، وأُبيّ أقرؤنا ، وإنا لَنَدع من لحنِ أُبيّ ، وأُبيّ يقول : أخذته من في رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم ، فلا أتركه لشيء قال اللّٰه تعالى : ﴿ **مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا** ﴾ [البقرة : ١٠٦](٢٠١) .

وهذا يدل على أن الرجل الكبير قد يقول الشيء يظنه صوابًا وهو خطأ في نفس الأمر ؛ ولهذا قال الإمام مالك : ما من أحد إلا يؤخذ من قوله ويرد إلا قول صاحب هذا القبر ، أي : فكله مقبول ، صلوات اللّٰه وسلامه عليه . ثم ذكر البخاري فضل فاتحة الكتاب وغيرها ، وسنذكر فضل كل سورة عندها ليكون ذلك أنسب . ثم قال :

نزول السكينة والملائكة عند القراءة

وقال الليث : حدثني يزيد بن الهاد ، عن محمد بن إبراهيم ، عن أسيد بن الحضير قال : بينا هو يقرأ من الليل سورة البقرة ، وفرسه مربوطة عنده ، إذ جالت الفرس ، فسكت فسكنت ، ثم قرأ فجالت الفرس ، فسكت فسكنت ، ثم قرأ فجالت الفرس ، فانصرف ، وكان ابنه يحيى قريبًا منها ، فأشفق أن تصيبه ، فلما اجتره رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها ، فلما أصبح حدث النبي صلى اللّٰه عليه وسلم فقال : « **اقرأ يا بن حضير ، اقرأ يا بن حضير** » . قال فأشفقت يا رسول اللّٰه أن تطأ يحيى وكان منها قريبًا ، فرفعت رأسي وانصرفت إليه ، فرفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظُّلَّة ، فيها أمثال المصابيح ، فخرجت حتى لا أراها قال : « **أو تدري ما ذاك ؟** » قال : لا ، قال : « **تلك الملائكة دَنَتْ لصوتك ، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم** » . قال ابن الهاد : وحدثني هذا الحديث عبد اللّٰه بن خباب عن أبي سعيد الخدري عن

---

(٢٠٠) – رواه النسائي في الكبرى برقم (٨٠٦٤) ، وابن ماجة في إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : في كم يستحب يختم القرآن برقم (١٣٤٦) ، وأحمد (١٦٣/٢) ، وعبد الرزاق (٥٩٥٦) ، وابن حبان (٧٥٦ ، ٧٥٧ إحسان) ، والفريابي في الفضائل (١٢٧) ، وأبو نعيم في الحلية (٢٨٥/١) . ويحيى بن حكيم بن صفوان : قال في التقريب : مقبول – أي عند المتابعة – .

(٢٠١) – البخاري في فضائل القرآن ، باب : القراء من أصحاب رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم برقم (٥٠٠٥) .

أسيد بن الحضير[٢٠٢] .

هكذا أورد البخاري هذا الحديث معلقًا ، وفيه انقطاع في الرواية الأولى ، فإن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي المدني تابعي صغير لم يدرك أسيدًا لأنه مات سنة عشرين ، وصلى عليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضي اللّه عنهما . ثم فيه غرابة من حيث إنه قال : وقال الليث : حدثني يزيد بن الهاد ولم أره بسند متصل عن الليث كذلك ، إلا ما ذكره الحافظ أبو القاسم بن عساكر في الأطراف أن يحيى بن عبد اللّه بن بكير رواه عن الليث كذلك .

وقد رواه الإمام أبو عبيد في فضائل القرآن فقال[٢٠٣] : وحدثنا عبد اللّه بن صالح ويحيى بن بُكيْر ، عن الليث ، عن يزيد بن عبد اللّه بن أسامة بن الهاد ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، عن أسيد بن حضير ، فذكر الحديث إلى آخره ، ثم قال : قال ابن الهاد : وحدثني عبد اللّه بن خباب ، عن أبي سعيد ، عن أسيد بن حضير بهذا.

وقد رواه النسائي في فضائل القرآن[٢٠٤] ، عن محمد بن عبد اللّه بن عبد الحكم ، عن شعيب ابن الليث ، وعن علي بن محمد بن علي ، عن داود بن منصور ، كلاهما عن الليث ، عن خالد ابن يزيد ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن يزيد بن عبد اللّه ، وهو ابن الهاد ، عن عبد اللّه بن خباب ، عن أبي سعيد ، عن أسيد ، به.

ورواه يحيى بن بكير[٢٠٥] ، عن الليث كذلك أيضًا ، فجمع بين الإسنادين .

ورواه في المناقب عن أحمد بن سعيد الرباطي ، عن يعقوب بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن يزيد ابن الهاد ، عن عبد اللّه بن خباب ، عن أبي سعيد ، أن أسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرأ في مربده ، الحديث[٢٠٦] . ولم يقل : عن أسيد ، ولكن ظاهره أنه عنه ، واللّه أعلم .

وقال أبو عبيد[٢٠٧] : حدثني عبد اللّه بن صالح ، عن الليث ، عن ابن شهاب ، عن ابن كعب بن مالك ، عن أسيد بن حضير : أنه كان على ظهر بيته يقرأ القرآن وهو حسن الصوت ، ثم ذكر مثل هذا الحديث أو نحوه .

---

(٢٠٢) – البخاري في فضائل القرآن ، باب : نزول السكينة والرحمة برقم (٥٠١٨) .

(٢٠٣) – فضائل القرآن (ص ٦٣ ، ٦٤) ، والبيهقي في الدلائل (٨٤/٧) ، ورواه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني برقم ١٩٢٨، ١٩٢٩ – (٤٦٨/٣ – ٤٦٩) ، والطبراني في الكبير برقم ٥٦١ – (١٦٧/١) .

(٢٠٤) – سنن النسائي الكبرى برقم (٨٠٧٤) .

(٢٠٥) – سنن النسائي الكبرى برقم (٨٢٤٤) .

(٢٠٦) – ورواه مسلم ٢٤٢ – (٨٩٦) ، وأحمد (٨١/٣) .

(٢٠٧) – فضائل القرآن (ص ٦٤ ، ٦٥) ، ورواه البخاري في تاريخه (٣١٣/١/٣) ، والحاكم (٥٥٣/١ – ٥٥٤) .

وحدثنا قبيصة[٢٠٨] ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت البناني ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أسيد بن حضير قال : قلت : يا رسول اللّه ، بينا أنا أقرأ البارحة بسورة ، فلما انتهيت إلى آخرها سمعت وجبة من خلفي ، حتى ظننت أن فرسي تطلق ، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : « **اقرأ أبا عتيك** » مرتين قال : فالتفت إلى أمثال المصابيح ملء بين السماء والأرض ، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : « **اقرأ أبا عتيك** » . فقال : واللّه ما استطعت أن أمضي فقال : « **تلك الملائكة تنزلت لقراءة القرآن ، أما إنك لو مضيت لرأيت الأعاجيب** » .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق سمع البراء يقول : بينما رجل يقرأ سورة الكهف ليلة إذ رأى دابته تركض ، أو قال : فرسه يركض ، فنظر فإذا مثل الضبابة أو مثل الغمامة ، فذكر ذلك لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فقال : « **تلك السكينة تنزلت للقرآن ، أو تنزلت على القرآن** »[٢٠٩] .

وقد أخرجه صاحبا الصحيح من حديث شعبة[٢١٠] . والظاهر أن هذا هو أسيد بن الحضير ، رضي اللّه عنه ، فهذا مما يتعلق بصناعة الإسناد ، وهذا من أغرب تعليقات البخاري ، رحمه اللّه ، ثم سياقه ظاهر فيما ترجم عليه من نزول السكينة والملائكة عند القراءة .

وقد اتفق نحو هذا الذي وقع لأسيد بن الحضير لثابت بن قيس بن شماس كما قال أبو عبيد :

حدثنا عباد بن عباد عن جرير بن حازم ، عن عمه جرير بن زيد ، أن أشياخ أهل المدينة حدثوه : أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قيل له : ألم تر ثابت بن قيس بن شماس لم تزل داره البارحة تزهر مصابيح ؟ قال : « **فلعله قرأ سورة البقرة** » . قال : فسئل ثابت فقال : قرأت سورة البقرة[٢١١] .

وفي الحديث المشهور الصحيح : « **ما اجتمع قوم في بيت من بيوت اللّه ، يتلون كتاب اللّه ، ويتدارسونه فيما بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحَفَّتْهم الملائكة ، وذكرهم اللّه فيمن عنده** » رواه مسلم عن أبي هريرة[٢١٢] .

---

(٢٠٨) - فضائل القرآن (ص ٦٥) ، ورواه ابن حبان (١٧١٦) ، وابن أبي عاصم ١٩٣٠ - (٤٦٩/٣) ، والدولابي (٨٣/١) ، والطبراني (٥٦٦) ، والحاكم (٥٥٤/١) ، والبيهقي (١٨٢٤) .

(٢٠٩) - مسند الطيالسي برقم (٧١٤) ، ورواه مسلم ٢٤١ - (٧٩٥) ، والترمذي (٢٨٨٥) ، وأبو نعيم في الحلية (٣٤٢/٤) ، والبيهقي في الدلائل (٨٣/٧) .

(٢١٠) - البخاري في المناقب ، باب : علامات النبوة برقم (٣٦١٤) ، ومسلم في صلاة المسافرين برقم ٢٤٠ - (٧٩٥) .

(٢١١) - فضائل القرآن (ص ٦٥ -٦٦) .

(٢١٢) - مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار برقم ٣٨ - (٢٦٩٩) .

ولهذا قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٨] ، وجاء في بعض التفاسير : أن الملائكة تشهده .

وقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر ، فيعرج إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم ، كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : أتيناهم وهم يصلون ، وتركناهم وهم يصلون** »(٢١٣) .

من قال : لم يترك النبي صلى الله عليه وسلم إلا ما بين الدفتين

حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا سفيان ، عن عبد العزيز بن رفيع قال : دخلت أنا وشداد ابن معقل على ابن عباس ، فقال له شداد بن معقل : أترك النبي صلى الله عليه وسلم من شيء ؟ قال : ما ترك إلا ما بين الدفتين . قال : ودخلنا على محمد بن الحنفية فسألناه فقال : ما ترك إلا ما بين الدفتين .

تفرد به البخاري(٢١٤) ، ومعناه : أنه ، عليه السلام ، ما ترك مالًا ولا شيئًا يورث عنه ، كما قال عمرو بن الحارث أخو جويرية بنت الحارث : ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارًا ولا درهمًا ولا عبدًا ولا أمة ولا شيئًا(٢١٥) .

وفي حديث أبي الدرداء : « **إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا ، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر** »(٢١٦) .

---

(٢١٣) – رواه البخاري في مواقيت الصلاة ، باب فضل صلاة العصر برقم (٥٥٥) ، ومسلم في المساجد برقم ٢١٠ – (٦٣٢) .

(٢١٤) – رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب : من قال : لم يترك النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، إلا ما بين الدفتين برقم (٥٠١٩) .

(٢١٥) – رواه البخاري في الوصايا من صحيحه ، باب: الوصايا ... وفي كتاب المغازي ، باب : مرض النبي صلىٰ الله عليه وسلم ووفاته برقم (٢٧٣٩، ٤٤٦١) .

(٢١٦) – رواه أبو داود في كتاب العلم ، باب : الحث على طلب العلم برقم (٣٦٤١) ، والترمذي في العلم ، باب : ما جاء في فضل الفقه على العبادة (٢٦٨٣) ، وابن ماجة في المقدمة برقم (٢٢٣) ، وابن حبان في صحيحه برقم (٨٠ موارد) . من حديث عاصم بن رجاء بن حيوة ، عن داود بن جميل ، عن كثير بن قيس ، عن أبي الدرداء ، به في حديث طويل . إلا أن الترمذي لم يذكر داود ين جميل – وقال أبو عيسى : ولا نعرف هذا الحديث إلا من حديث عاصم بن رجاء بن حيوة ، وليس هو عندي بمتصل هكذا . وإنما يروى هذا الحديث عن عاصم بن رجاء بن حيوة ، عن داود بن جميل ، عن كثير بن قيس ، عن أبي الدرداء عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم . =

ولهذا قال ابن عباس : وإنما ترك ما بين الدفتين يعني : القرآن ، والسنة مفسرة له ومبينة وموضحة له ، فهي تابعة له ، والمقصود الأعظم كتاب اللّٰه تعالى ، كما قال تعالى : ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا** ﴾ الآية [فاطر : ٣٢] ، فالأنبياء ، عليهم السلام ، لم يخلقوا للدنيا يجمعونها ويورثونها ، إنما خلقوا للآخرة يدعون إليها ويرغبون فيها ؛ ولهذا قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم : « **لا نورث ما تركنا فهو صدقة** »[٢١٧] .

وكان أول من أظهر هذه المحاسن من هذا الوجه أبو بكر الصديق ، رضي اللّٰه عنه ، لما سئل عن ميراث النبي صلى اللّٰه عليه وسلم ، فأخبر عنه بذلك ، ووافقه على نقله عنه ، عليه السلام ، غير واحد من الصحابة ؛ منهم عمر وعثمان وعلي والعباس وطلحة والزبير وعبد الرحمن ابن عوف وأبو هريرة وعائشة وغيرهم ، وهذا ابن عباس يقول - أيضًا - عنه عليه السلام ، رضي اللّٰه عنهم أجمعين .

فضل القرآن على سائر الكلام

حدثنا هُدْبة بن خالد أبو خالد ، حدثنا همام ، حدثنا قتادة ، حدثنا أنس بن مالك ، عن أبي موسى ، رضي اللّٰه عنهما ، عن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم : « **مثل الذي يقرأ القرآن كمثل الأُتْرُجة ، طعمها طيب وريحها طيب . والذي لا يقرأ القرآن كالتمرة ، طعمها طيب ولا ريح لها ، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ، ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها** »[٢١٨] .

وهكذا رواه في مواضع أخر مع بقية الجماعة من طرق عن قتادة به[٢١٩] .

= وداود بن جميل : قال الذهبي في الميزان : حديثه مضطرب وضعفه الأزدي ، وذكره ابن حبان في الثقات . وقال الدارقطني : عاصم ومن فوقه ضعفاء . وكثير بن قيس ضعفه الدارقطني ، ووثقه ابن حبان . وعاصم ابن رجاء بن حيوة : قال ابن معين : صويلح . وقال أبو زرعة : لا بأس به ، وضعفه الدارقطني .

(٢١٧) - متفق عليه من حديث عائشة : رواه البخاري في فضائل أصحاب النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، باب : مناقب قرابة رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، برقم (٣٧١٢) ، وفي الفرائض ، باب : قول النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **لا نورث ما تركنا صدقة** » برقم (٦٧٣٠) ، ومسلم في الجهاد والسير برقم ٥١ - (١٧٥٨) ، وأبو داود برقم (٩٧٧) ، و(٢٩٧٦) ، والترمذي في الشمائل ، والنسائي في الفرائض من الكبرى . وقد روي من حديث العباس ، وطلحة ، وعبد اللّٰه بن عثمان ، وعمر بن الخطاب ، وسعد بن مالك ، وأبي هريرة ، وعائشة ، والزبير .

(٢١٨) - رواه البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب : فضل القرآن على سائر الكلام ، برقم (٥٠٢٠) .

(٢١٩) - رواه البخاري في الأطعمة ، باب : ذكر الطعام ، وفي فضائل القرآن ، باب : إثم من راءى بقراءة القرآن ..... : برقم (٥٠٥٩،٥٤٢٧) ، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها برقم ٢٤٣ - (٧٩٧) وأبو داود في الأدب ، باب : من يؤمر أن يجالس برقم (٤٨٢٩ ، ٤٨٣٠) ، والترمذي في الأمثال =

ووجه مناسبة الباب لهذا الحديث : أن طيب الرائحة دار مع القرآن وجودًا وعدمًا ، فدل على شرفه على ما سواه من الكلام الصادر من البر والفاجر . ثم قال :

حدثنا مُسَدَّد ، حدثنا يحيى ، عن سفيان ، حدثني عبد الله بن دينار ، قال : سمعت ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم كما بين صلاة العصر ومغرب الشمس ، ومثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالًا ، فقال : من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط ؟ فعملت اليهود فقال : من يعمل لي من نصف النهار إلى العصر ؟ فعملت النصارى ، ثم أنتم تعملون من العصر إلى المغرب بقيراطين قيراطين ، قالوا : نحن أكثر عملًا وأقل عطاءً ! قال : هل ظلمتكم من حقكم ؟ قالوا : لا . قال : فذلك فضلي أوتيه من شئت** »(٢٢٠) .

تفرد به من هذا الوجه، ومناسبته للترجمة: أن هذه الأمة مع قصر مدتها فضلَتْ الأمم الماضية مع طول مدتها، كما قال تعالى: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ﴾(٢٢١) .

وفي المسند والسنن عن بَهْزِ بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أنتم توفون سبعين أمة ، أنتم خيرها وأكرمها على الله** »(٢٢٢) . وإنما فازوا بهذا ببركة الكتاب العظيم الذي شرفه الله تعالى على كل كتاب أنزله ، جعله مهيمنا عليه ، وناسخًا له ، وخاتمًا له ؛ لأن كل الكتب المتقدمة نزلت إلى الأرض جملة واحدة ، وهذا القرآن نزل منجمًا بحسب الوقائع لشدة الاعتناء به وبمن أنزله عليه ، فكل مرة كنزول كتاب من الكتب المتقدمة ، وأعظم الأمم المتقدمة هم اليهود والنصارى ، فاليهود استعملهم الله من لدن موسى إلى زمان عيسى ، والنصارى من ثمّ إلى أن بعث محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم استعمل أمته إلى قيام الساعة ، وهو المشبه بآخر النهار ، وأعطى الله المتقدمين قيراطًا قيراطًا ، وأعطى هؤلاء قيراطين قيراطين ، ضعفى ما أعطى أولئك ، فقالوا : أي ربنا ، ما لنا أكثر عملًا وأقل أجرًا ؟ فقال : هل

= باب : في مثل المؤمن القارئ للقرآن برقم (٢٨٦٥) ، والنسائي في الإيمان ، باب : مثل الذي يقرأ القرآن ... (١٢٤/٨،١٢٥) ، وابن ماجة في المقدمة برقم (٢١٤) .

(٢٢٠) - صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب : فضل القرآن على سائر الكلام ، برقم (٥٠٢١) .

(٢٢١) - [آل عمران: ١١٠] .

(٢٢٢) - المسند ٢٠٠٦٥ - (٤٤٧/٤) ، وحديث ٢٠٠٧٤ - (٣/٥) ، وأخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة آل عمران ، حديث (٣٠٠١) ، وابن ماجه في كتاب الزهد ، باب : صفة أمة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، حديث (٤٢٨٧-٤٢٨٨) ، والدارمي في كتاب الرقاق ، باب : في قول النبي ، صلى الله عليه وسلم : « **أنتم خير الأمم** » حديث (٢٧٦٣) ، (٢٢١/٢) ، والطبراني في « الكبير » برقم (١٠٢٣-١٠٢٤-١٠٢٥) ، (٤٢٢/١٩-٤٢٣) ، والحاكم وصححه (٨٤/٤) ، وابن الجوزي في الموضعات (٣٠/١) ، وقال الترمذي :حسن .

ظلمتكم شيئًا ؟ قالوا : لا ، قال : فذلك فضلي - أي الزائد على ما أعطيتكم - أؤتيه من أشاء كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾(٢٢٣) .

الوصايا بكتاب الله

حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا مالك بن مِغْول ، حدثنا طلحة بن مُصَرِّف قال : سألت عبد الله بن أبي أوفى : أوصى النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لا . فقلْت : فكيف كتب على الناس الوصية ، أمروا بها ولم يوص ؟ قال : أوصى بكتاب الله ، عز وجل(٢٢٤) .

وقد رواه في مواضع أخر مع بقية الجماعة ، إلا أبا داود من طرق عن مالك بن مغول به(٢٢٥) ، وهذا نظير ما تقدم عن ابن عباس : « **ما ترك إلا ما بين الدفتين** » ، وذلك أن الناس كتب عليهم الوصية في أموالهم كما قال تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾(٢٢٦) . وأما هو صلى الله عليه وسلم فلم يترك شيئًا يورث عنه ، وإنما ترك ماله صدقة جَارية من بعده ، فلم يحتج إلى وصية في ذلك ولم يوص إلى خليفة يكون بعده على التنصيص ؛ لأن الأمر كان ظاهرًا من إشارته وإيمائه إلى الصديق ؛ ولهذا لما هم بالوصية إلى أبي بكر ثم عدل عن ذلك فقال : « **يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر** »(٢٢٧) ، وكان كذلك ، وإنما أوصى الناس باتباع كتاب الله تعالى .

من لم يتغنَّ بالقرآن وقول الله تعالى :
﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾(٢٢٨) .

---

(٢٢٣) - [الحديد : ٢٨،٢٩] .

(٢٢٤) - صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب : فضل القرآن على سائر الكلام ، برقم (٥٠٢٢) .

(٢٢٥) - رواه البخاري في الوصايا ، باب : الوصايا ... ، وفي المغازي ، باب : مرض النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، ووفاته برقم (٢٧٤٠،٤٤٦٠) ، ومسلم في الوصايا برقم ١٦ - (١٦٣٤) ، والترمذي في الوصايا ، باب : ما أن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، لم يوص برقم (٢١١٩) ، والنسائي في الوصايا ، باب : هل أوصى النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم (٦/٢٤٠) ، وابن ماجة في الوصايا ، باب : هل أوصى رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم برقم (٢٦٩٦) .

(٢٢٦) - [البقرة : ١٨٠] .

(٢٢٧) - رواه البخاري في صحيحه برقم (٧٢١٧) ، ومسلم في صحيحه برقم (٢٣٨٧) من حديث عائشة ، رضي الله عنها .

(٢٢٨) - [العنكبوت : ٥١] .

حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا الليث ، حدثنا عقيل ، عن ابن شهاب قال : أخبرني أبو سلمة ابن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، أنه كان يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لم يأذن الله لشيء ، ما أذن لنبي أن يتغنى بالقرآن** » ، وقال صاحب له : يريد يجهر به فرد من هذا الوجه .

ثم رواه عن علي بن عبد الله بن المديني ، عن سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، به(٢٢٩) .

قال سفيان : تفسيره : يستغني به ، وقد أخرجه مسلم والنسائي من حديث سفيان بن عيينة(٢٣٠) ، ومعناه : أن الله ما استمع لشيء كاستماعه لقراءة نبي يجهر بقراءته ويحسنها ، وذلك أنه يجتمع في قراءة الأنبياء طيب الصوت لكمال خلقهم وتمام الخشية ، وذلك هو الغاية في ذلك .

وهو ، سبحانه وتعالى ، يسمع أصوات العباد كلهم برهم وفاجرهم ، كما قالت عائشة ، رضي الله عنها : سبحان الله الذي وسع سمعه الأصوات(٢٣١) .

ولكن استماعه لقراءة عباده المؤمنين أعظم ، كما قال تعالى : ﴿ **وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ** ﴾ الآية(٢٣٢) ، ثم استماعه لقراءة أنبيائه أبلغ كما دل عليه هذا الحديث العظيم ، ومنهم من فسر الأذن هاهنا بالأمر ، والأول أولى لقوله : « **ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي أن يتغنى بالقرآن** » أي : يجهر به ، والإذن : الاستماع ؛ لدلالة السياق عليه ، وكما قال تعالى : ﴿ **إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ . وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ** ﴾(٢٣٣) أي استمعت لربها وحقت أي : وحق لها أن تستمع أمره وتطيعه ، فالإذن هاهنا هو الاستماع ؛ ولهذا جاء في حديث رواه ابن ماجة بسند جيد عن فضالة بن عبيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لله أشد أذنا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن يجهر به من صاحب القينة إلى قينته** »(٢٣٤) .

---

(٢٢٩) - رواه البخاري في فضائل القرآن ، باب : من لم يتغن بالقرآن برقم (٥٠٢٣) ، (٥٠٢٤) .

(٢٣٠) - رواه مسلم في صلاة المسافرين برقم ٢٣٢ - (٧٩٢) ، والنسائي في كتاب الافتتاح ، باب : تزيين القرآن بالصوت ١٠١٨ - (٢/١٨٠) .

(٢٣١) - رواه البخاري في صحيحه عقب حديث (٧٣٨٥) معلقًا ، ورواه النسائي بلفظ : « **الحمد لله ...** » في كتاب الطلاق ، باب : الظهار ٣٤٦٠ - (٦/١٦٨) ، وفي التفسير من الكبرى ، وابن ماجه في المقدمة (١٨٨) ، ورواه في الطلاق بلفظ : **تبارك الذي وسع سمعه كل شيء** ، حديث (٢٠٦٣) .

(٢٣٢) - [يونس : ٦١] . (٢٣٣) - [الانشقاق : ١-٥] .

(٢٣٤) - رواه ابن ماجة في إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : في حسن الصوت بالقرآن برقم (١٣٤٠) ، من طريق راشد بن سعيد الرملي ، ثنا الوليد بن مسلم ، ثنا الأوزاعي ، ثنا إسماعيل بن عبيد الله ، =

وقول سفيان بن عيينة : إن المراد بالتغني : يستغني به ، فإن أراد : أنه يستغني به عن الدنيا ، وهو الظاهر من كلامه الذي تابعه عليه أبو عبيد القاسم بن سلام وغيره ، فخلاف الظاهر من مراد الحديث ؛ لأنه قد فسره بعض رواته بالجهر ، وهو تحسين القراءة والتحزين بها .

قال حرملة : سمعت ابن عيينة يقول : معناه : يستغني به ، فقال لي الشافعي : ليس هو هكذا ، ولو كان هكذا لكان يتغانى به ، وإنما هو يتحزن ويترنم به ، ثم قال حرملة : وسمعت ابن وهب يقول : يترنم به ، وهكذا نقل المزني والربيع عن الشافعي ، رحمه الله .

وعلى هذا فتصدير البخاري الباب بقوله تعالى : ﴿ أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[٢٣٥] ، فيه نظر ؛ لأن هذه الآية الكريمة ذكرت ردًا على الذين سألوا عن آيات تدل على صدقه ، حيث قال : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ الآية[٢٣٦] . ومعنى ذلك : أو لم يكفهم آية دالة على صدقك إنزالنا القرآن عليك وأنت رجل أمي ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾[٢٣٧] أي : وقد جئت فيه بخبر الأولين والآخرين فأين هذا من التغني بالقرآن وهو تحسين الصوت به أو الاستغناء به عما عداه من أمور الدنيا ، فعلى كل تقدير تصدير الباب بهذه الآية الكريمة فيه نظر.

= عن ميسرة مولى فضالة ، عن فضالة بن عبيد به . وقال البوصيري : (٤٣٦/١) هذا إسنادٌ حسن لقصور درجة ميسرة مولى فضالة ، وراشد بن سعيد عن درجة أهل الحفظ والضبط ، ورواه الإمام أحمد في مسنده ٢٤٠٥٥ ، ٢٤٠٦٥ - (١٩/٦ ، ٢٠) ، ورواه ابن حبان في صحيحه (٦٥٩) عن عبد الله بن محمد بن سالم ، عن عبد الرحمن بن إبراهيم ، عن الأوزاعي ، به ، ورواه الطبراني في الكبير ٧٧٢ - (١٨/ ٣٠١) ، والحاكم في مستدركه (٥٧٠/١ - ٥٧١) إلا أنه أسقط من السند ميسرة مولى فضالة - وقال : صحيح على شرطهما . اهـ . قال الذهبي : بل هو منقطع . ورواه البيهقي في الكبرى (٢٣٠/١٠) من طريق محمد بن عقبة بن كثير ، عن الوليد بن مسلم ، حدثنا الأوزاعي فذكره .

وميسرة مولى فضالة : ترجمه البخاري في التاريخ (٣٧٥/٧ - ٣٧٦) ولم يورد فيه جرحًا ولا تعديلًا ، وتبعه ابن أبي حاتم (٢٥٣/٨) ووثقه ابن حبان ، ولكن في سماع إسماعيل منه نظر كما قال ابن حجر .

(٢٣٥) - [العنكبوت : ٥١] .

(٢٣٦) - [العنكبوت : ٥٠، ٥١] .

(٢٣٧) - [العنكبوت : ٤٨] .

فصل
في إيراد أحاديث في معنى الباب وذكر أحكام التلاوة بالأصوات

قال أبو عبيد(٢٣٨) : حدثنا عبد الله بن صالح ، عن قباث بن رزين ، عن عُلَيٍّ بن رباح اللخمي ، عن عقبة بن عامر قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ونحن في المسجد نتدارس القرآن ، فقال : « **تعلموا كتاب الله واقتنوه** » . قال : وحسبت أنه قال : « **وتغنوا به ، فوالذي نفسي بيده ، لهو أشد تفلتا من المخاض من العُقُل** » .

وحدثنا عبد الله بن صالح ، عن موسى بن علي ، عن أبيه ، عن عقبة بن عامر ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك إلا أنه قال : « **واقتنوه وتغنوا به** » ولم يشك .

وهكذا رواه أحمد والنسائي في كتاب « فضائل القرآن » ، من حديث موسى بن علي ، عن أبيه ، به ، ومن حديث عبد الله بن المبارك ، عن قباث بن رزين ، عن عُلَيٍّ بن رباح ، عن عقبة ، وفي بعض ألفاظه : خرج علينا ونحن نقرأ القرآن فسلم علينا ، وذكر الحديث . ففيه دلالة على السلام على القارئ .

ثم قال أبو عبيد (٢٣٩) : حدثنا أبو اليمان ، عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم ، عن المهاصر ابن حبيب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **يا أهل القرآن ، لا توسدوا القرآن ، واتلوه حق تلاوته آناء الليل والنهار ، وتغنوه وتقنَّوه ، واذكروا ما فيه لعلكم تفلحون** » وهذا مرسل .

---

(٢٣٨) - فضائل القرآن (ص ٦٩ - ٧٠) ، رواه أحمد في المسند برقم ١٣٣٦٥ ، ١٧٤١٠ ، ١٧٤٤٣ - (١٤٦/٤ ، ١٥٠ ، ١٥٣) ، والنسائي الكبرى برقم (٨٠٣٤) ، وأخرجه الدارمي حديث ٣٣٥١ - (٢/ ٤٣٩) كتاب فضائل القرآن ، باب : في تعاهد القرآن ، وأبو يعلى في مسنده ١٧٤٠ - (٢٨١/٣) ، وابن أبي شيبة حديث ١٠٠٤٠ - (٤٧٧/١٠) ، وقال الهيثمي في المجمع (١٦٩/٧) : رواه أحمد والطبراني إلا أنه قال : « **لهو أشد تفصيًا من المخاض في العقل** » . ورجال أحمد رجال الصحيح .اهـ . وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٢٩٦١) .

(٢٣٩) - **إسناده ضعيف** لضعف أبي بكر بن أبي مريم ، والمهاصر بن حبيب ، تابعي فالحديث مرسل ، والحديث في فضائل القرآن (ص ٧٠ - ٧١) . ورواه من طريق المهاصر ، عن عبيدة الأملوكي مرفوعًا ، كُلٌّ من البيهقي (١٨٥٢) ، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٢٦٠/١) ، وابن عساكر (٥٦/٤) ، وعزاه الهيثمي للطبراني في الكبير ، وضعفه بأبي بكر بن أبي مريم . وقد رواه البخاري في تاريخه (٨٤/٢/٣) موقوفًا على عبيدة الأملوكي ، ورواه أيضًا كذلك البيهقي في الشعب برقم (٢٠٠٨ ، ٢٠٠٩) .

ثم قال أبو عبيد : قوله : « **تغنوه** » : يعني : اجعلوه غناءكم من الفقر ، ولا تعدوا الإقلال معه فقرًا . وقوله : « **وتَقَنَّوه** » ، يقول : اقتنوه ، كما تقتنون الأموال واجعلوه مالكم .

وقال أبو عبيد : حدثني هشام بن عمار ، عن يحيى بن حمزة ، عن الأوزاعي ، حدثني إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر ، عن فضالة بن عبيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **لله أشد أَذَنًا[١] إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته** »(٢٤٠) .

قال أبو عبيد : هذا الحديث بعضهم يزيد في إسناده يقول: عن إسماعيل بن عبيد الله ، عن مولى فضالة عن فضالة

وهكذا رواه ابن ماجة ، عن راشد بن سعيد بن أبي راشد ، عن الوليد، عن الأوزاعي ، عن إسماعيل بن عبيد الله ، عن ميسرة مولى فضالة ، عن فضالة، عن النبي صلى الله عليه وسلم : « **لله أشد أَذَنًا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن يجهر به من صاحب القينة إلى قينته** »(٢٤١) . قال أبو عبيد : يعني : الاستماع . وقوله في الحديث الآخر : « **ما أذن الله لشيء** » أي : ما استمع .

وقال أبو القاسم البغوي : حدثنا محمد بن حميد ، حدثنا سلمة بن الفضل ، حدثنا عبد الله ابن عبد الرحمن ، عن ابن أبي مُلَيْكة ، حدثنا القاسم بن محمد ، حدثنا السائب قال : قال لي سعد : يا بن أخي ، هل قرأت القرآن ؟ قلت : نعم . قال : غن به ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **غنوا بالقرآن ، ليس منا من لم يغن بالقرآن ، وابكوا ، فإن لم تقدروا على البكاء فتباكوا** »(٢٤٢) .

وقد روى أبو داود من حديث الليث وعمرو بن دينار كلاهما عن عبد الله بن أبي مُلَيْكة ، عن عبد الله بن أبي نَهِيك ، عن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ليس منا من لم يتغن بالقرآن** »(٢٤٣) .

ورواه ابن ماجة من حديث ابن أبي مليكة ، عن عبد الرحمن بن السائب ، عن سعد ابن أبي وقاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إن هذا القرآن نزل بحزن ، فإذا قرأتموه**

---

(٢٤٠) - فضائل القرآن (ص ١٦١ - ١٦٢) .

(٢٤١) - تقدم (١٩٥) .

(٢٤٢) - وفي إسناده محمد بن حميد الرازي وهو متروك .

(٢٤٣) - **إسناده صحيح** ، والحديث رواه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب : استحباب الترتيل في القرآن برقم (١٤٦٩،١٤٧٠) ، ورواه أحمد (١٤٧٦) .

[١] - في الفضائل لأبي عبيد : أذانًا .

فابكوا ، فإن لم تبكوا فتباكوا ، وتغنوا بِهِ ، فمن لم يتغن به فليس منا »[٢٤٤] .

وقال أحمد : حدثنا وَكِيع ، حدثنا سعيد بن حسان المخزومي ، عن ابن أبي مُلَيْكة ، عن عبد الله بن أبي نهيك ، عن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« ليس منا من لم يتغن بالقرآن »**[٢٤٥] . قال وكيع : يعني : يستغنى به .

ورواه أحمد أيضًا عن الحجاج وأبي النضر ، كلاهما عن الليث بن سعد ، وعن سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، كلاهما عن عبد الله بن أبي مليكة به . وفي هذا الحديث كلام طويل يتعلق بسنده ليس هذا موضعه ، والله أعلم .

وقال أبو داود : حدثنا عبد الأعلى بن حماد ، حدثنا عبد الجبار بن الورد ، قال : سمعت ابن أبي مُلَيْكة ، يقول : قال عبيد الله بن أبي يزيد : مرّ بنا أبو لُبَابة فاتَّبعناه حتى دخل بيته فدخلنا عليه، فإذا رجل رَثُّ البيت، رَثُّ الهيئة ، فانتسبنا له ، فقال : تجار كسبة، فسمعته يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **« ليس منا من لم يتغن بالقرآن »** . قال : فقلت لابن أبي مليكة : يا أبا محمد ، أرأيت إذا لم يكن حسن الصوت قال : يحسنه ما استطاع . تفرد به أبو داود[٢٤٦] .

فقد فهم من هذا أن السلف ، رضي الله عنهم ، إنما فهموا من التغني بالقرآن : أنما هو تحسين الصوت به ، وتحزينه ، كما قاله الأئمة ، رحمهم الله ، ويدل على ذلك - أيضًا - ما رواه أبو داود حيث قال :

---

(٢٤٤) - رواه ابن ماجة في إقامة الصلاة ، باب : في حسن الصوت بالقرآن ، برقم (١٣٣٧) وقال البوصيري في الزوائد (٤٣٤/١) : هذا إسناد فيه أبو رافع ، واسمه إسماعيل بن رافع ، ضعيف متروك ، ورواه بتمامه أبو يعلى الموصلي ٦٨٩ - (٤٩/٢) : حدثنا عمرو الناقد ، حدثنا الوليد ، حدثنا إسماعيل بن رافع ، حدثني ابن أبي مليكة ، فذكره ، ورواه الحاكم في المستدرك (٥٦٩/١) من طريق ابن الهيثم بن موسى ، عن الوليد بن مسلم ، به ، ورواه البيهقي في الكبرى (٢٣١/١٠) عن الحاكم به ، وفي الشعب (٢٠٥١) ، والآجري في أخلاق حملة القرآن (٨٠) .

(٢٤٥) - **إسناده صحيح** ، والحديث في المسند ١٤٧٦ - (١٧٢/١) ، والطيالسي (٢٠١) .
ورواه أحمد أيضًا في المسند برقم ١٥١٢ ، ١٥٤٩ - (١٧٥/١، ١٧٩) ، ورواه أبو داود (١٤٦٩ ، ١٤٧٠) ، والدارمي (٢٨٨/١) ، (٣٣٨/٢) ، وابن أبي شيبة (٥٢٢/٢ ، ٤٦٤/١٠) ، وعبد الرزاق (٤١٧١) ، وعبد بن حميد (١٥١) ، وأبو يعلى (٧٤٨) ، والطحاوي في المشكل (١٢٨/٢) ، وابن حبان (١٢٠ إحسان) ، والحاكم (٥٦٩/١) ، والبيهقي (٢٣٠/١٠) ، والقضاعي في مسند الشهاب (١١٩٤ ، ١٢٠٢) .

(٢٤٦) - **إسناده حسن** ، ورواه أبو داود في الصلاة ، باب : استحباب الترتيل في القراءة ، برقم (١٤٧١) ، وابن أبي عاصم ١٩٠٣ - (٤٥٠/٣) ، والطحاوي (١٢٨/٢) ، والطبراني ٢٤/٥ - (٤٥١٤) ، والبيهقي (٥٤/٢) (٢٣٠/١٠) ، وعبد الجبار بن الورد : صدوق يهم .

حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن طلحة ، عن عبد الرحمن ابن عَوْسَجة ، عن البراء بن عازب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **زينوا القرآن بأصواتكم** »(٢٤٧) .

وأخرجه النسائي وابن ماجة من حديث شعبة ، عن طلحة وهو ابن مصرف، به(٢٤٨) .

(٢٤٧) - أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب : استحباب الترتيل في القراءة حديث (١٤٦٨) ، والنسائي في كتاب الصلاة ، باب : تزيين القرآن بالصوت (١٧٩/٢) ، والبخاري في خلق أفعال العباد (٢٥٠،٢٥١) وذكره معلقًا في « الصحيح » (٧٥٤٤) ، والحاكم في « مستدركه » (٥٧١/١) ، والبيهقي في « الكبرى » (٥٣/٢) ، (٢٢٩/١٠) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (١٥٣/٧) في كتاب فضائل القرآن ، ورواه أحمد (١٨٥٤٥ ، ١٨٦٧٠ ، ١٨٧٦٣) من طرق عن الأعمش ، به ، وقد صرح الأعمش بالسماع عند البخاري في المصدر المتقدم .

والحديث أخرجه أيضًا النسائي (١٧٩/٢ - ١٨٠) ، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : في حسن الصوت بالقرآن حديث (١٣٤٢) ، والدارمي (٣٥٠٣) (٣٤٠/٢) ، والبخاري في خلق أفعال العباد (٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤) ، والطيالسي في « مسنده » (٧٣٨) ، وابن حبان حديث (٧٤٩) ، والحاكم في « مستدركه » (٥٧١/١ ، ٥٧٥) ، والبيهقي في « الكبرى » (٥٣/٢) (٢٢٩/١٠) . كلهم من طرق عن طلحة بن مصرف ، به .

ووقع عند النسائي والبخاري والطيالسي : قال عبد الرحمن بن عوسجة : وكنت أنسيت : « **زينوا القرآن بأصواتكم** » حتى ذكرنيه الضحاك بن مزاحم .

وقال الحاكم (٥٧٣/١) : وقد حدث بهذا الحديث جماعة عن شعبة ، عن طلحة الحديث بطوله ، ولم يذكر هذه اللفظة : « **كنت نسيت** » غيرُ يحيى بن سعيد ، ومعاذ العنبري .

وقد روى هذا الحديث جم غفير عن طلحة بن مصرف ، ذكرهم أبو نعيم في « الحلية » (٢٧/٥) ، فراجعه إن شئت . وقد توبع طلحة بن مصرف على هذا الحديث كما قال الحاكم (٥٧٥/١) وجدنا لطلحة بن مصرف متابعين في روايته عن عبد الرحمن بن عوسجة ، وهما الحكم بن عتيبة ، وزبيد بن الحارث .

وله متابعة ثالثة أخرجها أبو يعلى في « مسنده » (١٦٨٦) (٢٤٥/٣) من طريق عتبة بن أبي حكيم ، عن طلحة ابن نافع ، عن عبد الرحمن بن عوسجة به ، لكن الحكم هذا مختلف فيه .

وللحديث شواهد عن عدد من الصحابة كما قال الحافظُ ابن حجر في « الفتح » (٥١٩/١٣) :

وفي الباب عن أبي هريرة : أخرجه ابن حبان في « صحيحه » . وعن ابن عباس : أخرجه الدارقطني في الأفراد بسند حسن . وعن عبد الرحمن بن عوف : أخرجه البزار بسند ضعيف . وعن ابن مسعود : وقع لنا في الأول من فوائد عثمان بن السماك ، ولكنه موقوف . قال ابن بطال : المراد بقوله : « **زينوا القرآن بأصواتكم** » المد والترتيل والمهارة في القرآن جودة التلاوة بجودة الحفظ فلا يتلعثم ولا يتشكك ، وتكون قراءته سهلة بتيسير الله تعالى ، كما يسره على الكرام البررة .ا.هـ .

(٢٤٨) - النسائي في الافتتاح ، باب : تزيين القرآن بالصوت ١٠١٦ - (١٧٩/٢) ، وابن ماجة في إقامة الصلاة ، باب : حسن الصوت بالقرآن برقم (١٣٤٢) .

وأخرجه النسائي من طرق أخر عن طلحة[٢٤٩] ، وهذا إسناد جيد .

وقد وثق النسائي ، وابن حبان عبد الرحمن بن عوسجة هذا ، ونقل الأزدي عن يحيى بن سعيد القطان أنه قال : سألت عنه بالمدينة ، فلم أرهم يحمدونه[٢٥٠] .

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : حدثنا يحيى بن سعيد ، عن شعبة قال : نهاني أيوب أن أحدث بهذا الحديث : « **زينوا القرآن بأصواتكم** » قال أبو عبيد : وإنما كره أيوب فيما نرى ، أن يتأول الناس بهذا الحديث الرخصة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في الألحان المبتدعة ، فلهذا نهاه أن يحدث به[٢٥١] .

قلت : ثم إن شعبة رحمه الله روى الحديث متوكلا على الله ، كما رُوي له ، ولو ترك كل حديث يتأوله مبطل لترك من السنة شيء كثير، بل قد تطرقوا إلى تأويل آيات كثيرة من القرآن وحملوها على غير محاملها الشرعية المرادة ، والله المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

والمراد من تحسين الصوت بالقرآن : تطريبه وتحزينه والتخشع به ، كما رواه الحافظ الكبير بَقِيّ ابن مَخْلَد رحمه الله ، حيث قال : حدثنا أحمد بن إبراهيم ، حدثنا يحيى بن سعيد الأموي ، حدثنا طلحة بن يحيى بن طلحة ، عن أبي بردة بن أبي موسى ، عن أبيه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لو رأيتني وأنا أستمع قراءتك البارحة** » . قلت : أما والله لو علمت أنك تستمع قراءتي لحبرتها لك تحبيرا .

ورواه مسلم من حديث طلحة به وزاد : « **لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود** »[٢٥٢] .

وسيأتي هذا في بابه حيث يذكره البخاري ، والغرض أن أبا موسى قال : لو أعلم أنك تستمع لحبّرته لك تحبيرا ، فدل على جواز تعاطي ذلك وتكلفه ، وقد كان أبو موسى كما قال ، عليه السلام ، قد أعطى صوتًا حسنا كما سنذكره إن شاء الله ، مع خشية تامة ورقة أهل اليمن الموصوفة ، فدل على أن هذا من الأمور الشرعية .

قال أبو عبيد[٢٥٣] : حدثنا عبد الله بن صالح ، عن الليث ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، عن

---

(٢٤٩) - النسائي ١٠١٥ - (١٧٩/٢) .

(٢٥٠) - وانظر تهذيب التهذيب (٥٤٠/٢ ط الرسالة) .

(٢٥١) - فضائل القرآن (ص ١٦٧) .

(٢٥٢) - رواه مسلم في صلاة المسافرين برقم ٢٣٥ ، ٢٣٦ - (٧٩٣) .

(٢٥٣) - فضائل القرآن (ص ١٦٣) ، ورواه الدارمي (٣٣٩/٢) ، وابن سعد (١٠٦/٤) ، وأبو نعيم في الحلية (٢٥٨/١) ، والطحاوي في المشكل (١٦١/٢) ، وعبد الرزاق (٤١٧٩/٢ ، ٤١٨٠ ، ٤١٨١)=

أبي سلمة قال : كان عمر إذا رأى أبا موسى قال : ذكرنا ربنا يا أبا موسى ، فيقرأ عنده .

وقال أبو عبيد : وحدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا سليمان التيمي ، أنبئت عنه ، حدثنا أبو عثمان النهدي قال : كان أبو موسى يصلي بنا ، فلو قلت : إني لم أسمع صوت صنجٍ قط ، ولا بربطٍ قط ، ولا شيئًا قط أحسن من صوته(٢٥٤) .

وقال ابن ماجة(٢٥٥) : حدثنا العباس بن عبد الرحمن الدمشقي ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثني حنظلة بن أبي سفيان أنه سمع عبد الرحمن بن سابط الجمحي يحدث عن عائشة قالت : أبطأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة بعد العشاء ، ثم جئت فقال : « **أين كنت ؟** » قلت : كنت أستمع قراءة رجل من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد ، قالت : فقام فقمت معه حتى استمع له ، ثم التفت إليّ فقال : « **هذا سالم مولى أبي حذيفة ، الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا** » . إسناد جيد .

وفي الصحيحين عن جبير بن مطعم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور ، فما سمعت أحدا أحسن صوتًا أو قال : قراءة منه . وفي بعض ألفاظه : فلما سمعته قرأ : ﴿ **أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ** ﴾ (٢٥٦) ، خلت أن فؤادى قد انصدع(٢٥٧) . وكان جبير لما سمع هذا بعدُ مشركًا على دين قومه ، وإنما كان قدم في فداء الأسارى بعد بدر ، وناهيك بمن تؤثر قراءته في المشرك المصر على الكفر ! وكان هذا سبب هدايته ولهذا كان أحسن القراءة ما كان عن خشوع القلب .

= وابن حبان (٢٢٦٤) . وهو منقطع بين أبي سلمة ، وعمر وكذلك لم يسمع من أبي موسى .

(٢٥٤) - فضائل القرآن (ص ١٦٣) ، وابن سعد في الطبقات (١٠٨/٤) ، وأبو نعيم في الحلية (٢٥٨/١) ، والبخاري في خلق أفعال العباد (٢٩١) ، وأورده الحافظ ابن حجر في الفتح وقال : (٩٣/٩) : « سنده صحيح » .

(٢٥٥) - رواه ابن ماجة في إقامة الصلاة ، باب : حسن الصوت بالقرآن ، برقم (١٣٣٨) . وقال في الزوائد (٤٣٥/١) : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات ، رواه الحاكم في المستدرك (٢٢٥/٣ - ٢٢٦) عن عبد الصمد بن علي بن مكرم ، عن جعفر بن محمد بن شاكر ، عن موسى بن هارون عن الوليد به ، اهـ .

ورواه أحمد ٢٥٤٢٧ - (١٦٥/٦) ، والبزار كما في كشف الأستار ببعضه (٢٥٤/٣ ، ٢٥٥/رقم : ٢٦٩٤) ، وأبو نعيم في الحلية (٣٧١/١) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٠٠/٩) وعزاه للبزار وقال : « ورجاله رجال الصحيح » . وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين . كذا قال ، وعبد الرحمن بن سابط لم يخرج له البخاري شيئًا .

(٢٥٦) - [الطور : ٣٥] .

(٢٥٧) - رواه البخاري في الأذان ، باب : الجهر في المغرب برقم (٧٦٥) ، وانظر (٤٨٥٤) ، ومسلم في الصلاة برقم ١٧٤ - (٤٦٣) .

كما قال أبو عبيد : حدثنا إسمعيل بن إبراهيم ، عن ليث ، عن طاوس قال : أحسن الناس صوتًا بالقرآن أخشاهم لله[٢٥٨] .

وحدثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن ابن طاوس ، عن أبيه قال : أحسن الناس صوتًا بالقرآن أخشاهم لله .

وحدثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، وعن الحسن بن مسلم ، عن طاوس قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي الناس أحسن صوتًا بالقرآن ؟ فقال : « **الذي إذا سمعته رأيته يخشى الله** »[٢٥٩] .

وقد روي هذا متصلا من وجه آخر ، فقال ابن ماجة[٢٦٠] :

حدثنا بشر بن معاذ الضرير ، حدثنا عبد الله بن جعفر المديني ، حدثنا إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إن من أحسن الناس صوتًا بالقرآن الذي إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله** » ، ولكن عبد الله بن جعفر هذا ، وهو والد علي بن المديني ، وشيخه ضعيفان ، والله أعلم .

والغرض أن المطلوب شرعًا إنما هو التحسين بالصوت الباعث على تدبر القرآن وتفهمه والخشوع والخضوع والانقياد للطاعة ، فأما الأصوات بالنغمات المحدثة المركبة على الأوزان والأوضاع الملهية والقانون الموسيقائي ، فالقرآن ينزه عن هذا ويجل ويعظم أن يسلك في أدائه هذا المذهب ، وقد جاءت السنة بالزجر عن ذلك ، كما قال الإمام العلم أبو عبيد القاسم بن سلام ، رحمه الله[٢٦١]:

---

(٢٥٨) - فضائل القرآن (ص ١٦٥) .

(٢٥٩) - فضائل القرآن (ص ١٦٥) . ورواه الدارمي ٣٤٩٢ - (٢/٣٣٨) .

(٢٦٠) - **إسناده ضعيف** ، والحديث رواه ابن ماجة في إقامة الصلاة ، باب : حسن الصوت بالقرآن ، برقم (١٣٣٩) ، ورواه الآجري في أخلاق حملة القرآن (٨٣) ، وأورده البوصيري في الزوائد (١/٤٣٥) وقال : هذا إسنادٌ ضعيف لضعف إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع وعبد الله بن جعفر .

(٢٦١) - فضائل القرآن (ص١٦٥) ، والحديث رواه الطبراني في الأوسط ٧٢٢٥ - (٧/١٨٣) وقال الطبراني : لا يروى هذا الحديث عن حذيفة إلا بهذا الإسناد ، تفرد به بقية ، ورواه البيهقي في الشعب (٢٦٤٩ ، ٢٦٥٠) من طريق أبي حصين الفزاري ، عن أبي محمد ، عن حذيفة ، وقال ابن الجوزي في العلل (١/١١١) : هذا حديث لا يصح . وأبو محمد مجهول ، وبقية يروي عن الضعفاء ويدلسهم . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/١٦٩) وقال : فيه راوٍ لم يسم ، وقال الذهبي في ترجمة حصين بن مالك في الميزان (١/٥٥٣) : « تفرد عنه بقية ، ليس بمعتمد ، والخبر منكر » . وقال في تلخيص العلل : تفرد به بقية ، عن حصين بن مالك الفزاري ، عن أبي محمد - مجهول - عن حذيفة مرفوعًا . وحصين ليس بعمدة .

حدثنا نعيم بن حماد ، عن بَقِيَّة بن الوليد ، عن حصين بن مالك الفزاري : سمعت شيخًا يكنى أبا محمد يحدث عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : **« اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتابين ، وسيجيء قوم من بعدي يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح ، لا يجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم »**.

وحدثنا يزيد ، عن شريك ، عن أبي اليقظان عثمان بن عمير ، عن زاذان أبي عمر ، عن عليم قال : كنا على سطح ومعنا رجل من أصحاب النبي صلى اللَّه عليه وسلم - قال يزيد : لا أعلمه إلا قال : عابس الغفاري - فرأى الناس يخرجون في الطاعون فقال : ما هؤلاء ؟ قالوا : يفرون من الطاعون ، فقال : يا طاعون خذني ، فقالوا : تتمنى الموت وقد سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم يقول : **« لا يتمنين أحدكم الموت »** ؟ فقال : إني أبادر خصالا سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم يتخوفهن على أمته : **« بيع الحكم ، والاستخفاف بالدم ، وقطيعة الرحم ، وقوم يتخذون القرآن مزامير يقدمون أحدهم ليس بأفقههم ولا أفضلهم إلا ليغنيهم به غناءً »** وذكر خلتين أخرتين[٢٦٢] .

---

(٢٦٢) - **صحيح - إسناده ضعيف** ، والحديث في فضائل القرآن (ص ١٦٦) ، وعثمان بن عمير أبي حميد ابن قيس البجلي : قال عبد اللَّه بن أحمد بن حنبل : قال أبي : عثمان بن عمير : أبو اليقظان ، ويقال : عثمان بن قيس ضعيف الحديث ، كان ابن مهدي ترك حديثه ، وقال عمرو بن علي : لم يرضى يحيى ولا عبد الرحمن أبا اليقظان ، وقال الدوري عن ابن معين : ليس حديثه بشيء ، وقال ابن أبي حاتم : ثنا أبي سألت محمد بن عبد اللَّه بن نمير ، عن عثمان بن عمير فضعفه ، قال : وسألت أبي عنه فقال : ضعيف الحديث ، منكر الحديث ، وقال الدارقطني : متروك . وقال الحاكم عن الدارقطني : زائغ لا يحتج به .

وأما عُليم الكوفي : فقد قال ابن حجر في التعجيل : وقال ابن حبان في ثقات التابعين عُليم الكندي روى عن سلمان الفارسي ، رضي اللَّه عنه ، روى عنه زاذان .

والحديث رواه أحمد ١٦٠٨٧ - (٣/٤٩٤ - ٤٩) ، ورواه الطبراني في الكبير (١٨/ ٣٤) حديث (٦١) ، وقال الهيثمي في المجمع (٥/ ٢٤٨) : رواه أحمد والطبراني في الأوسط والكبير نحوه ؛ إلا أنه قال : عن عابس الغفاري ...اهـ . وفي إسناد أحمد عثمان بن عمير البجلي ، وهو ضعيف وأحد إسنادي الكبير رجاله رجال الصحيح . وقال في (٤/ ٢٠٢) : رواه الطبراني في الأوسط وفيه عثمان بن عمير وهو ضعيف .اهـ .

وأخرجه : الإمام البخاري في تاريخه (٧/ ٨٠) معلقًا من وجهين ، ورواه الطبراني (١٨/٣٤ - ٣٦) حديث (٥٨، ٥٩، ٦٠) ، والبزار كما في كشف الأستار حديث (١٦١٠) ، من طريق ليث بن أبي سليم ، عن أبي اليقظان ، عن عثمان بن عمير ، عن زاذان قال : كنا مع عابس ...فذكره . ورواه الطراني (١٨/٣٤) حديث ٥٧ ، وفي الأوسط (٨/٣١٣) رقم (٨٧٣٦) من حديث يحيى بن أيوب ، عن عبيد اللَّه بن زحر ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، عن عابس الغفاري نحوه ، وصححه بطرقه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٧٠٩) حديث (٩٧٩) وقال : أشار إلى صحته الحافظ في ترجمة الحكم من الإصابة وهو حري بذلك لطرقه التي ذكرنا .

وحدثنا يعقوب بن إبراهيم ، عن ليث بن أبي سليم ، عن عثمان بن عمير ، عن زاذان ، عن عابس الغفاري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك أو نحوه[٢٦٣] .

وحدثنا يعقوب بن إبراهيم ، عن الأعمش ، عن رجل ، عن أنس بن مالك : أنه سمع رجلًا يقرأ القرآن بهذه الألحان التي أحدث الناس ، فأنكر ذلك ونهى عنه[٢٦٤] .

هذه طرق حسنة في باب الترهيب ، وهذا يدل على أنه محذور كبير ، وهو قراءة القرآن بالألحان التي يسلك بها مذاهب الغناء ، وقد نص الأئمة ، رحمهم الله ، على النهي عنه ، فأما إن خرج به إلى التمطيط الفاحش الذي يزيد بسببه حرفا أو ينقص حرفا ، فقد اتفق العلماء على تحريمه ، والله أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا محمد بن معمر ، حدثنا روح ، حدثنا عبيد الله بن الأخنس ، عن ابن أبي مُلَيْكة ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ليس منا من لم يَتَغَنَّ بالقرآن** »[٢٦٥] .

ثم قال : وإنما ذكرناه لأنهم اختلفوا على ابن أبي مليكة فيه ، فرواه ابن عبد الجبار بن الورد عنه عن أبي لبابة ، ورواه عمرو بن دينار والليث عنه عن ابن أبي نَهِيك عن سعد ، ورواه عِسْلُ بن سفيان عنه ، عن عائشة[٢٦٦] .

---

(٢٦٣) – فضائل القرآن (ص ١٦٦) ، والبخاري في تاريخه (٨/١/٤) ، والبيهقي (٢٤٠٩) ، والطبراني (٥٨/١٨ – ٥٩) ، وفي الأوسط (٦٨٩) ، ورواه الخرائطي في مساوئ الأخلاق (٢٧٧) ، وقال الهيثمي (٢٤٥/٥) ورجاله رجال الصحيح .

(٢٦٤) – فضائل القرآن (ص ١٦٦ – ١٦٧) ، ورواه الدارمي (٣٤٠/٢) ، وابن نصر في قيام الليل (٢٣٧) .

(٢٦٥) – مختصر زوائد البزار برقم (١٥٧٤) ، وكشف الأستار (٢٣٣٢) ، وأخرجه الطبراني في الكبير ١١٢٣٩ – (١٢١/١١) ، والبخاري في التاريخ الكبير (٤٠١/١/٣) معلقًا ، ووصله الحاكم (١/ ٥٧٠) ، والقضاعي في مسند الشهاب (١٢٠٠) ، وقال البزار : إنما ذكرنا هذا لنبين الاختلاف على ابن أبي مليكة فيه ، فرواه عمرو بن دينار والليث عنه ، عن ابن أبي نهيك ، عن سعد . ورواه نافع بن عمر ، عنه ، عن ابن الزبير ، ورواه عسل عنه ، عن عائشة ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٠/٧) وقال : رواه البزار والطبراني في الكبير ، ورجاله رجال الصحيح .

(٢٦٦) – مختصر زوائد البزار برقم (١٥٧٥ ، ١٥٧٦) ، وكشف الأستار (٢٣٣٤) ، ورواه البخاري في تاريخه (٤٠١/١/٣) ، وأبو يعلى (٤٧٥٥/٨) ، وابن عدي (٢٠١٢/٥) ، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٧٠) وقال الحاكم : « إسناده شاذ » . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٠/٧) وقال : فيه أبو أمية ابن يعلى وهو ضعيف . وأورده في (٢٦٧/٢) وقال : فيه عسل بن سفيان ، وثقه ابن حبان ، وقال : يخطئ ويخالف ، وضعفه جمهور الأئمة وقال البزار : لا نعلم أسند شعبة عن عسل إلا هذا ، ولا رواه عن شعبة إلا معاذ بن معاذ وروح .

ورواه [نافع مولى ابن عمر] عنه ، عن ابن الزبير[٢٦٧] .

اغتباط صاحب القرآن

حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب، عن الزهري، حدثني سالم بن عبد اللّٰه : أن عبد اللّٰه بن عمر قال : سمعت رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم يقول : « **لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه اللّٰه الكتاب فقام به آناء الليل ، ورجل أعطاه اللّٰه مالاً فهو يتصدق به آناء الليل والنهار** »[٢٦٨] .

انفرد به البخاري من هذا الوجه ، واتفقا على إخراجه من رواية سفيان عن الزهري[٢٦٩] .

ثم قال البخاري : حدثنا علي بن إبراهيم ، حدثنا روح ، حدثنا شعبة ، عن سليمان : سمعت ذكوان ، عن أبي هريرة ؛ أن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم قال : « **لا حسد إلا في اثنتين : رجل علمه اللّٰه القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار ، فسمعه جار له فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل، ورجل آتاه اللّٰه مالاً فهو يهلكه في الحق ، فقال رجل : ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل** »[٢٧٠] .

ومضمون هذين الحديثين : أن صاحب القرآن في غبطة وهو حسن الحال ، فينبغي أن يكون شديد الاغتباط بما هو فيه ، ويستحب تغبيطه بذلك ، يقال : غبطه يغبِطه - بكسر الباء - غبطًا : إذا تمنى مثل ما هو فيه من النعمة ، وهذا بخلاف الحسد المذموم وهو تمني زوال نعمة المحسود عنه ، سواء حصلت لذلك الحاسد أو لا وهذا مذموم شرعًا ، مهلكٌ ، وهو أول معاصي إبليس حين حسد آدم ، عليه السلام ، على ما منحه اللّٰه تعالى من الكرامة والاحترام والإعظام . والحسد الشرعي الممدوح هو تمني مثل حال ذلك الذي هو على حالة سارة ؛ ولهذا قال عليه السلام : « **لا حسد إلا في اثنتين** » ، فذكر النعمة القاصرة وهي تلاوة القرآن آناء الليل والنهار ، والنعمة المتعدية وهي إنفاق المال بالليل والنهار، كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ** ﴾[٢٧١] ، وقد روي نحو هذا من وجه آخر ، فقال عبد اللّٰه ابن الإمام أحمد : وجدت في كتاب أبي بخط يده : كتب إليّ

---

(٢٦٧) - مختصر زوائد البزار برقم ١٥٧٧ ، وكشف الأستار (٢٣٣٥) ، ورواه الدولابي (٦٤/١ - ٦٥ ، ١٦٠) ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٠/٧) وقال : فيه محمد بن ماهان ، قال الدارقطني : ليس بالقوي وبقية رجاله ثقات .

(٢٦٨) - رواه البخاري في فضائل القرآن من صحيحه ، باب : اغتباط صاحب القرآن ، برقم (٥٠٢٥) .

(٢٦٩) - رواه البخاري في التوحيد ، باب : (٤٥) ، برقم (٧٥٢٩) ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها برقم ٢٦٦ - (٨١٥) .

(٢٧٠) - رواه البخاري في فضائل القرآن من صحيحه ، باب : اغتباط صاحب القرآن ، برقم (٥٠٢٦) .

(٢٧١) - [فاطر : ٢٩] .

أبو توبة الربيع بن نافع ، فكان في كتابه :

حدثنا الهيثم بن حميد ، عن زيد بن واقد ، عن سليمان بن موسى ، عن كثير بن مرة ، عن يزيد بن الأخنس ، أن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم قال : « **لا تنافس بينكم إلا في اثنتين : رجل أعطاه اللّٰه القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار ، ويتبع ما فيه ، فيقول رجل: لو أن اللّٰه أعطاني مثل ما أعطى فلانًا فأقوم به كما يقوم به، ورجل أعطاه اللّٰه مالًا فهو ينفق ويتصدق ، فيقول رجل : لو أن اللّٰه أعطاني مثل ما أعطى فلانا فأتصدق به** »(٢٧٢) .

وقريب من هذا ما قال الإمام أحمد :

حدثنا عبد اللّٰه بن نمير ، حدثنا عبادة بن مسلم ، حدثني يونس بن خباب ، عن سعيد أبي البختري الطائي ، عن أبي كبشة ؛ قال : سمعت رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم يقول : « **ثلاث أقسم عليهن ، وأحدثكم حديثًا فاحفظوه ، فأما الثلاث التي أقسم عليهن : فإنه ما نقص مال عبد من صدقة ، ولا ظلم عبد مظلمة فيصبر عليها إلا زاده اللّٰه بها عزا ، ولا يفتح عبد باب مسألة إلا فتح اللّٰه له باب فقر ، وأما الذي أحدثكم حديثا فاحفظوه** ، فإنه قال : **إنما الدنيا لأربعة نفر : عبد رزقه اللّٰه مالًا وعلمًا فهو يتقي فيه ربه ويصل رحمه ، ويعلم للّٰه فيه حقه** » ، قال : « **فهذا بأفضل المنازل ، وعبد رزقه اللّٰه علما ولم يرزقه مالا فهو يقول : لو كان لي مال عملت بعمل فلان** » قال : « **فأجرهما سواء ، وعبد رزقه اللّٰه مالا ولم يرزقه علما فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه ، ولا يصل فيه رحمه ، ولا يعلم للّٰه فيه حقه ، فهذا بأخبث المنازل ، وعبد لم يرزقه اللّٰه مالا ولا علما فهو يقول : لو كان لي مال لفعلت بعمل فلان** » قال : « **هي نيته فوزرهما فيه سواء** »(٢٧٣) .

وقال أيضًا : حدثنا وَكِيع ، حدثنا الأعمش ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن أبي كبشة الأنماري قال : قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم : « **مثل هذه الأمة مثل أربعة نفر : رجل آتاه اللّٰه مالًا وعلمًا فهو يعمل به في ماله ينفقه في حقه ، ورجل آتاه اللّٰه علمًا ولم يؤته مالا فهو يقول : لو كان لي مثل مال هذا عملت فيه مثل الذي يعمل** » . قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم : « **فهما في الأجر سواء ، ورجل آتاه اللّٰه مالا ولم يؤته علما فهو يخبط فيه ينفقه في غير حقه ، ورجل لم يؤته اللّٰه مالا ولا علما فهو يقول : لو كان لي مثل هذا عملت فيه مثل**

---

(٢٧٢) - إسناده حسن ، والحديث في المسند ١٧٠١٦ - (١٠٥/٤) ، وأخرجه الطبراني في الكبير (١٢/ ٢٣٩١) حديث (٦٢٦) ، قال الهيثمي في المجمع (٣/ ١٠٨) : رواه أحمد كتابة ، والطبراني في الكبير والأوسط ، وفيه سليمان بن موسى ، وفيه كلام ، وقد وثقه جماعة . اهـ .

(٢٧٣) - المسند ١٨٠٨٦ - (٢٣١/٤) ، والترمذي (٢٣٢٠) ، والطبراني (٨٥٥/٢٢ ، ٨٦٨) ، والبغوي (٢٨٩/١٤ - ٢٩٠) ، ويوسف بن خباب : صدوق يخطئ ، ورمي بالرفض ، روى له البخاري في الأدب والأربعة .

الذي يعمل » . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **فهما في الوزر سواء** » . إسناد صحيح[٢٧٤] .

خيركم من تعلم القرآن وعلمه

حدثنا حجاج بن مِنْهال ، حدثنا شعبة ، أخبرني علقمة بن مَرْثَد ، سمعت سعد بن عبيدة ، عن أبي عبد الرحمن ، عن عثمان بن عفان ، رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **خيركم من تعلم القرآن وعلمه** » . وأقرأ أبو عبد الرحمن في إمرة عثمان ، رضي الله عنه ، حتى كان الحجاج قال :

وذلك الذي أقعدني مقعدي هذا[٢٧٥] .

وقد أخرج الجماعة هذا الحديث سوى مسلم من رواية شعبة ، عن علقمة بن مرثد ، عن سعد ابن عبيدة ، عن أبي عبد الرحمن – وهو عبد الله بن حبيب السلمي – رحمه الله.

وحدثنا أبو نعيم ، حدثنا سفيان ، عن عَلْقَمة بن مرثد ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، عن عثمان بن عفان قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه** »[٢٧٦] .

وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة من طرقٍ عن سفيان ، عن علقمة ، عن أبي

---

(٢٧٤) – المسند ١٨٠٧٩ ، ١٨٠٨٢ – (٢٣٠/٤) ، ورواه ابن ماجه (١٤١٣/٢) حديث (٤٢٢٨) في كتاب الزهد ، باب : النية . ورواه وكيع في الزهد (٢٤٠) ، وهناد كذلك (٥٨٦) والطبراني في الكبير (٣٤٥/٢٢) حديث (٨٦٨) من طريق وكيع به ، سندًا ومتنًا ، والفريابي في الفضائل (١٠٥ ، ١٠٦) ، والطحاوي في المشكل (٢٦٣) ، والبيهقي (١٨٩/٤) ، وقال الحافظ ابن حجر : لم يسمع سالم من أبي كبشة ، وقد أخرجه أبو عوانة في صحيحه من طريق جرير ، عن منصور ، عن سالم قال : حدثت عن أبي كبشة . قاله في النكت الظراف (٢٧٤/٩) . قلت : صرح سالم بالسماع لهذا الحديث من أبي كبشة عند أحمد (١٨٠٨٢) . وأخرجه الترمذي في كتاب الزهد ، باب : ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر ، حديث (٢٣٢٥) قال : حدثنا محمد بن إسماعيل ، ثنا أبو نعيم ، ثنا عبادة بن مسلم ، ثنا يونس بن خباب ، عن سعيد الطائي أبي البختري أنه قال : حدثني أبو كبشة الأنماري أنه سمع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم يقول : « **ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثًا فاحفظوه ...** » الحديث وقال الترمذي : حسن صحيح .

(٢٧٥) – البخاري في فضائل القرآن برقم (٥٠٢٧) . وأبو داود في الصلاة ، باب : ثواب قراءة القرآن برقم (١٤٥٢) ، والترمذي في فضائل القرآن برقم (٢٩٠٧) ، والنسائي في الكبرى برقم (٨٠٣٧) ، وابن ماجة في السنة – المقدمة – باب : فضل من تعلم القرآن برقم (٣١١) .

(٢٧٦) – البخاري في فضائل القرآن من صحيحه برقم (٥٠٢٨) .

عبدالرحمن ، من غير ذكر سعد بن عبيدة[٢٧٧] ، كما رواه شعبة ولم يختلف عليه فيه ، وهذا المقام مما حكم لسفيان الثوري فيه على شعبة ، وخطأ بُنْدَار يحيى بن سعيد في روايته ذلك عن سفيان ، عن علقمة ، عن سعد بن عبيدة ، عن أبي عبد الرحمن وقال : رواه الجماعة من أصحاب سفيان عنه ، بإسقاط سعد بن عبيدة ، ورواية سفيان أصحُ في هذا المقام المتعلق بصناعة الإسناد ، وفي ذكره طول لولا الملالة لذكرناه ، وفيما ذكر كفاية وإرشاد إلى ما ترك ، والله أعلم .

والغرض أنه ، عليه الصلاة والسلام ، قال : « **خيركم من تعلم القرآن وعلمه** » وهذه من صفات المؤمنين المتبعين للرسل ، وهم الكُمل في أنفسهم ، المكملون لغيرهم ، وذلك جمع النفع القاصر والمتعدي ، وهذا بخلاف صفة الكفار الجبارين الذين لا ينفعون ، ولا يتركون أحدا ممن أمكنهم أن ينتفع ، كما قال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ** ﴾[٢٧٨] ، وكما قال تعالى : ﴿ **وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ** ﴾[٢٧٩] ، في أصح قولي المفسرين في هذا ، وهو أنهم ينهون الناس عن اتباع القرآن مع نأيهم وبعدهم عنه أيضًا ، فجمعوا بين التكذيب والصد ، كما قال تعالى : ﴿ **فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا** ﴾[٢٨٠] ، فهذا شأن الكفار ، كما أن شأن الأخيار الأبرار أن يتكمل في نفسه وأن يسعى في تكميل غيره كما قال عليه السلام : « **خيركم من تعلم القرآن وعلمه** » ، وكما قال الله تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾[٢٨١] ، فجمع بين الدعوة إلى الله سواء كان بالأذان أو بغيره من أنواع الدعوة إلى الله تعالى من تعليم القرآن والحديث والفقه وغير ذلك ، مما يُبتغى به وجه الله ، وعمل هو في نفسه صالحًا ، وقال قولًا صالحًا أيضًا ، فلا أحد أحسن حالًا من هذا . وقد كان أبو عبد الرحمن السلمي الكوفي – أحد أئمة الإسلام ومشايخهم – ممن رغب في هذا المقام ، فقعد يعلم الناس من إمارة عثمان إلى أيام الحجاج قالوا : وكان مقدار ذلك الذي مكث فيه يعلم القرآن سبعين سنة ، رحمه الله ، وآتاه الله ما طلبه ورامه . آمين .

قال البخاري رحمه الله : حدثنا عمرو بن عون ، حدثنا حماد ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد قال : أتت النبي صلى الله عليه وسلم امرأة فقالت : إنها قد وهبت نفسها لله ورسوله ، فقال : « **ما لي في النساء من حاجة** » . فقال رجل : زوّجنيها ، قال : « **أعطها ثوبًا** » ، قال : لا أجد ، قال : « **أعطها ولو خاتمًا من حديد** » ، فاعتل له ، فقال : « **مامعك من القرآن ؟** » . قال : كذا وكذا . فقال : « **قد زوجتكها بما معك من القرآن** »[٢٨٢] .

---

(٢٧٧) – الترمذي في فضائل القرآن من صحيحه برقم (٢٩٠٨) ، والنسائي في الكبرى برقم (٨٠٣٨) ، وابن ماجة برقم (٣١٢) .

(٢٧٨) – [النحل : ٨٨] .

(٢٧٩) – [الأنعام : ٢٦] .

(٢٨٠) – [الأنعام : ١٥٧] .

(٢٨١) – [فصلت : ٣٣] .

(٢٨٢) – البخاري في فضائل القرآن من صحيحه ، باب : خيركم من تعلم القرآن وعلمه برقم (٥٠٢٩) .

وهذا الحديث متفق على صحة إخراجه من طرق عديدة ، والغرض منه أن الذي قصده البخاري أن هذا الرجل تعلم الذي تعلمه من القرآن ، وأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يعلمه تلك المرأة ، ويكون ذلك صداقًا لها علي ذلك ، وهذا فيه نزاع بين العلماء ، وهل يجوز أن يجعل مثل هذا صداقًا ؟ أو هل يجوز أخذ الأجرة على تعليم القرآن ؟ وهل هذا كان خاصًّا بذلك الرجل ؟ وما معنى قوله عليه الصلاة والسلام : « **زوجتكها بما معك من القرآن** » ؟ أبسبب ما معك من القرآن ؟ كما قاله أحمد بن حنبل : نكرمك بذلك أو بعوض ما معك ، وهذا أقوى ، لقوله في صحيح مسلم : « **فعلمها** » ، وهذا هو الذي أراده البخاري هاهنا وتحرير باقي الخلاف مذكور في كتاب النكاح والإجارات ، والله المستعان .

القراءة عن ظهر قلب

إنما أفرد البخاري في هذه الترجمة حديث أبي حازم عن سهل بن سعد ، الحديث الذي تقدم الآن ، وفيه أنه ، عليه السلام ، قال لرجل : « **فما معك من القرآن ؟** » . قال : معي سورة كذا وكذا ، لسور عددها . قال : « **أتقرؤهن عن ظهر قلبك ؟** » . قال : نعم . قال : « **اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن** »(٢٨٣) .

وهذه الترجمة من البخاري ، رحمه اللَّه ، مشعرة بأن قراءة القرآن عن ظهر قلب أفضل ، واللَّه أعلم . ولكن الذي صرح به كثيرون من العلماء أن قراءة القرآن من المصحف أفضل ؛ لأنه يشتمل على التلاوة والنظر في المصحف وهو عبادة ، كما صرح به غير واحد من السلف ، وكرهوا أن يمضي على الرجل يوم لا ينظر في مصحفه ، واستدلوا على أفضلية التلاوة في المصحف بما رواه الإمام العلم أبو عبيد رحمه اللَّه في كتاب « فضائل القرآن » حيث قال :

حدثنا نعيم بن حماد ، عن بقية بن الوليد ، عن معاوية بن يحيى ، عن سليمان بن مسلم ، عن عبد اللَّه بن عبد الرحمن ، عن بعض أصحاب النبي صلى اللَّه عليه وسلم قال : قال النبي صلى اللَّه عليه وسلم : « **فضل قراءة القرآن نظرًا على من يقرأه ظهرًا ، كفضل الفريضة على النافلة** »(٢٨٤) وهذا الإسناد ضعيف ، فإن معاوية بن يحيى هو الصدفي أو الأطرابلسي ، وأيهما كان فهو ضعيف .

وقال الثوري : عن عاصم ، عن زر ، عن ابن مسعود قال : أديموا النظر في المصحف(٢٨٥) .

وقال حماد بن سلمة(٢٨٦) ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن ماهك[١] ، عن ابن عباس ، عن عمر : أنه كان إذا دخل بيته نشر المصحف فقرأ فيه .

وقال حماد أيضًا (٢٨٧) : عن ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن ابن مسعود : أنه كان إذا اجتمع إليه إخوانه نشروا المصحف ، فقرءوا ، وفسر لهم . إسناد صحيح .

---

(٢٨٣) - البخاري في فضائل القرآن ، باب : القراءة عن ظهر قلب برقم (٥٠٣٠) .

(٢٨٤) - فضائل القرآن (ص ١٠٤) ، ورواه ابن شاهين (١٩٤) ، وبقية : مدلس ، وقد عنعن . وأورده الألباني في ضعيف الجامع (٣٩٨٤) . وسليمان بن مسلم : ضعيف .

(٢٨٥) - فضائل القرآن (ص ١٠٤) وقال ابن حجر : « إسناده صحيح » . ورواه أبو الحسين بن بشران في فوائده ، وعبد الرزاق (٥٩٧٩/٣) ، وابن أبي شيبة (٥٣١/١٠) ، والطبراني (٩/ ٨٦٨٧، ٨٦٩٦) .

(٢٨٦) - فضائل القرآن (ص ١٠٥) .

(٢٨٧) - فضائل القرآن (ص ١٠٥) .

[١] - في الفضائل : مهران .

وقال حماد بن سلمة : عن حجاج بن أرطاة ، عن ثوير بن أبي فاختة ، عن ابن عمر قال : إذا رجع أحدكم من سوقه فلينشر المصحف وليقرأ[٢٨٨] .

وقال الأعمش عن خَيْثَمة : دخلت على ابن عمر وهو يقرأ في المصحف ، فقال : هذا جزئي الذي أقرأ به الليلة[٢٨٩] .

فهذه الآثار تدل على أن هذا أمر مطلوب لئلا يعطل المصحف فلا يقرأ منه ، ولعله قد يقع لبعض الحفظة نسيان فيستذكر منه ، أو تحريف كلمة أو آية أو تقديم أو تأخير ، فالاستثبات أولى ، والرجوع إلى المصحف أثبت من أفواه الرجال ، فأما تلقين القرآن فمن فم الملقن أحسن ؛ لأن الكتابة لا تدل على كمال الأداء ، كما أن المشاهد من كثير ممن يحفظ من الكتابة فقط يكثر تصحيفه وغلطه ، وإذا أدى الحال إلى هذا منع منه إذا وجد شيخا يوقفه على لفظ القرآن ، فأما عند العجز عمن يلقن فلا يكلف اللّٰه نفسًا إلا وسعها ، فيجوز عند الضرورة ما لا يجوز عند الرفاهية ، فإذا قرأ في المصحف - والحالة هذه - فلا حرج عليه ، ولو فرض أنه قد يحرف بعض الكلمات عن لفظها على لغته ولفظه ، فقد قال الإمام أبو عبيد :

حدثنا هشام بن إسماعيل الدمشقي ، عن محمد بن شعيب ، عن الأوزاعي ؛ أن رجلًا صحبهم في سفر قال : فحدثنا حديثًا ما أعلمه إلا رفعه إلى رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم قال : « **إن العبد إذا قرأ فحرف أو أخطأ كتبه الملك كما أنزل** »[٢٩٠] .

وحدثنا حفص بن غياث ، عن الشيباني ، عن بكير بن الأخنس قال : كان يقال : إذا قرأ الأعجمي والذي لا يقيم القرآن كتبه الملك كما أنزل . وقال بعض العلماء : المدار في هذه المسألة على الخشوع في القراءة ، فإن كان الخشوع عند القراءة على ظهر القلب فهو أفضل ، وإن كان عند النظر في المصحف فهو أفضل فإن استويا فالقراءة نظرا أولى ؛ لأنها أثبت وتمتاز بالنظر في المصحف ، قال الشيخ أبو زكريا النووي ، رحمه اللّٰه ، في "التبيان" : والظاهر أن كلام السلف وفعلهم محمول على هذا التفصيل .

تنبيه :

إن كان البخاري ، رحمه اللّٰه ، أراد بذكر حديث سهل الدلالة على أن تلاوة القرآن عن ظهر قلب أفضل منها في المصحف ، ففيه نظر ؛ لأنها قضية عين ، فيحتمل أن ذلك الرجل كان لا يحسن الكتابة ويعلم ذلك رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم منه ، فلا يدل على أن التلاوة عن ظهر

---

(٢٨٨) - فضائل القرآن (ص ١٠٥) ، وحجاج ، وثوير ضعيفان .

(٢٨٩) - فضائل القرآن (ص ١٠٥) ، ورواه ابن أبي شيبة (١٠/٥٣٠ ، ٥٣١) .

(٢٩٠) - فضائل القرآن (ص ١٠٦) ، وسنده ضعيف لإعضاله .

قلب أفضل مطلقا في حق من يحسن ومن لا يحسن ، إذ لو دل هذا لكان ذكر حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلاوته عن ظهر قلب - لأنه أمي لا يدري الكتابة - أولى من ذكر هذا الحديث بمفرده .

الثاني : أن سياق الحديث إنما هو لأجل استثبات أنه يحفظ تلك السور عن ظهر قلب ؛ ليمكنه تعليمها لزوجته ، وليس المراد هاهنا : أن هذا أفضل من التلاوة نظرا ، ولا عدمه[٢٩١] ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

استذكار القرآن وتعاهده

حدثنا عبد الله بن يوسف ، أخبرنا مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقَّلة ، إن عاهد عليها أمسكها ، وإن أطلقها ذهبت** » هكذا رواه مسلم والنسائي من حديث مالك به[٢٩٢] . وقال الإمام أحمد[٢٩٣] : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **مثل القرآن إذا عاهد عليه صاحبه فقرأه بالليل والنهار ، كمثل رجل له إبل ، فإن عقلها حفظها ، وإن أطلق عقالها ذهبت ، فكذلك صاحب القرآن** » . أخرجاه ، قاله ابن الجوزي في جامع المسانيد ، وإنما هو من أفراد مسلم من حديث عبد الرزاق به[٢٩٤] .

وحدثنا محمد بن عرعرة ، حدثنا شعبة، عن منصور ، عن أبي وائل ، عن عبد الله قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **بئس ما لأحدهم أن يقول : نسيت آية كيت وكيت ، بل نُسِّيَ ، واستذكروا القرآن فإنه أشد تفصِّيًا من صدور الرجال من النَّعم** »[٢٩٥] .

تابعه بشر . هو ابن محمد السختياني - عن ابن المبارك ، عن شعبة .

---

(٢٩١) - قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٧٨/٩) بعد أن ذكر كلام الحافظ ابن كثير هنا : « ولا يرد على البخاري شيء مما ذكر ؛ لأن المراد بقوله : باب القراءة عن ظهر قلب ، مشروعيتها أو استحبابها ، والحديث مطابق لما ترجم به ، ولم يتعرض لكونها أفضل من القراءة نظرًا ، وقد صرح كثير من العلماء أن القراءة من المصحف نظرًا أفضل من القراءة عن ظهر قلب » .

(٢٩٢) - البخاري في فضائل القرآن ، باب : استذكار القرآن وتعاهده برقم (٥٠٣١) ، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها برقم ٢٢٦ - (٧٨٩) ، والنسائي في الافتتاح باب : جامع ما جاء في القرآن ٩٤٢ - (١٥٤/٢) .

(٢٩٣) - المسند (٣٥/٢) ، وعبد الرزاق (٥٩٧١/٣) .

(٢٩٤) - مسلم في صلاة المسافرين وقصرها برقم ٢٢٧ - (٧٨٩) .

(٢٩٥) - البخاري في فضائل القرآن ، باب : استذكار القرآن وتعاهده برقم (٥٠٣١) ،برقم (٥٠٣٢) .

وقد رواه الترمذي عن محمود بن غيلان ، عن أبي داود الطيالسي ، عن شعبة به[٢٩٦] ، وقال : حسن صحيح .

وأخرجه النسائي من رواية شعبة[٢٩٧] .

وحدثنا عثمان ، حدثنا جرير ، عن منصور مثله . وتابعه ابن جريج عن عبدة ، عن شقيق : سمعت عبد اللَّه قال : سمعت النبي[٢٩٨]

وهكذا أسنده مسلم من حديث ابن جريج ، به[٢٩٩]

ورواه النسائي في اليوم والليلة من حديث محمد بن جحادة ، عن عبدة وهو ابن أبي لُبَابة ، به[٣٠٠] .

وهكذا رواه مسلم عن عثمان وزهير بن حرب وإسحاق بن إبراهيم عن جرير ، به[٣٠١] ،

وستأتي رواية البخاري له عن أبي نعيم ، عن سفيان الثوري ، عن منصور ، به

والنسائي من رواية ابن عيينة عن منصور ، به ، فقد رواه هؤلاء عن منصور ، به مرفوعًا في رواية هؤلاء كلهم[٣٠٢]

وقد رواه النسائي عن قتيبة ، عن حماد بن زيد ، عن منصور ، عن أبي وائل ، عن عبد اللَّه موقوفًا[٣٠٣] .

وهذا غريب وفي مسند أبي يعلى[٣٠٤] ، فإنما هو نَسِيي بالتخفيف .

حدثنا محمد بن العلاء ، حدثنا أبو أسامة ، عن بريد ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى ، عن

---

(٢٩٦) - الترمذي في أبواب القراءات ، باب : ومن سورة الحج برقم (٢٩٤٣) .
(٢٩٧) - النسائي في الافتتاح و باب : جامع ما جاء في القرآن رقم ٩٤٣ - (١٥٤/٢) .
(٢٩٨) - البخاري في فضائل القرآن ، باب : استذكار القرآن وتعاهده برقم (٥٠٣٢) .
(٢٩٩) - مسلم في صلاة المسافرين وقصرها برقم ٢٣٠ - (٧٩٠) .
(٣٠٠) - النسائي في الكبرى برقم (١٠٥٦٠) .
(٣٠١) - مسلم في صلاة المسافرين وقصرها برقم ٢٢٨ - (٧٩٠) .
(٣٠٢) - البخاري في فضائل القرآن ، باب : نسيان القرآن برقم (٥٠٣٩) ، والنسائي في الكبرى برقم (٨٠٤٢) .
(٣٠٣) - النسائي في الكبرى برقم (١٠٥٦٤) .
(٣٠٤) - مسند أبي يعلى ٥١٣٦ - (٦٩/٩) .

النبي صلى اللّٰه عليه وسلم قال : « **تعاهدوا القرآن ، فوالذي نفسي بيده ، لهو أشد تَفصيًا من الإبل في عقلها** » وهكذا رواه مسلم عن أبي كريب محمد بن العلاء وعبد اللّٰه بن برادٍ الأشعري ، كلاهما عن أبي أسامة حماد بن أسامة ، به(٣٠٥) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا علي بن إسحاق ، حدثنا عبد اللّٰه بن المبارك ، حدثنا موسى ابن علي : سمعت أبي يقول : سمعت عقبة بن عامر يقول : قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم : « **تعلموا كتاب اللّٰه ، وتعاهدوه وتغنوا به ، فوالذي نفسي بيده ، لهو أشد تفلتا من المخاض في العقل** »(٣٠٦) .

ومضمون هذه الأحاديث الترغيب في كثرة تلاوة القرآن واستذكاره وتعاهده ؛ لئلا يعرضه حافظه للنسيان ، فإن ذلك خطر كبير ، نسأل اللّٰه العافية منه ، فإنه قال الإمام أحمد :

حدثنا خلف بن الوليد ، حدثنا خالد ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عيسى بن فائد ، عن رجل ، عن سعد بن عبادة قال : قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم : « **ما من أمير عشرة إلا ويؤتى به يوم القيامة مغلولًا لا يفكه من ذلك الغل إلا العدل ، وما من رجل قرأ القرآن فنسيه إلا لقي اللّٰه يوم القيامة[١] يلقاه وهو أجذم** »(٣٠٧) .

---

(٣٠٥) - البخاري في فضائل القرآن ، باب : استذكار القرآن وتعاهده برقم (٥٠٣٣) ، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها برقم ٢٣١ - (٧٩١) .

(٣٠٦) - المسند ١٧٣٦٥ - (١٤٦/٤) ، ورواه النسائي في الكبرى ٨٠٤٩ - (٢١/٥) ، وأخرجه الدارمي (٤٣٩/٢) كتاب فضائل القرآن ، باب : في تعاهد القرآن ، حديث (٣٣٥١) ، وأبو يعلى في مسنده (٣/ ٢٨١) ، وابن أبي شيبة (٤٧٧/١٠) حديث (١٠٠٤٠) ، وابن نصر (١٤٠) ، وابن حبان (١٧٨٨) ، والفريابي (١٦٢ ، ١٦٣) ، والطبراني في الكبير (٨٠١/١٧) ، والبيهقي في الشعب (١٨١٩ هـ) وقال الهيثمي في المجمع (١٦٩/٧) : رواه أحمد والطبراني إلا أنه قال : « **لهو أشد تفصيًا من المخاض في العقل** » . ورجال أحمد رجال الصحيح ، اهـ . وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٢٩٦١) .

(٣٠٧) - عيسى بن فائد : قال الذهبي في الميزان : لا يدرى من هو ، عن سعد بن عبادة ... فذكر الحديث وقال : رواه ابن إدريس ، عن يزيد بن أبي زياد ، فأدخلوا رجلًا ين ابن فائد وين سعد ، وقيل غير ذلك . (الميزان ٣١٩/٣) وقال ابن عبد البر : هذا إسناد رديء في هذا المعنى ، وعيسى بن فائد لم يسمع من سعد ابن عبادة ولا أدركه وقال ابن المديني : مجهول - لم يرو عنه غير يزيد بن أبي زياد (التهذيب ٢٢٧/٨) . والحديث في المسند رقم ٢٢٥٦٤ ، ٢٢٥٥٧ - (٢٨٥/٥ ، ٢٨٤) . وأخرج طرفه الأول وهو « **ما من أمير عشرة إلا ...إلخ** » . البزار كما في كشف الأستار (٢/ ٢٥٤/ رقم: ١٦٤٢) . والطبراني في الكبير (٦/ ٢٢، ٢٣/ رقم: ٥٣٨٨، ٥٣٨٩) . من طرق عن يزيد بن أبي زياد به . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢٠٥) وعزاه لأحمد والبزار والطبراني وقال : « وفيه رجل لم يسم ، وبقية أحد إسنادى أحمد رجاله رجال الصحيح » .

---

[١] - سقط من المسند .

هكذا رواه جرير بن عبد الحميد ، ومحمد بن فضيل ، عن يزيد بن أبي زياد ، كما رواه خالد ابن عبد الله(٣٠٨) .

وقد أخرجه أبو داود عن محمد بن العلاء عن ابن إدريس ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عيسى ابن فائد ، عن سعد بن عبادة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بقصة نسيان القرآن ، ولم يذكر الرجل المبهم(٣٠٩) .

وكذا رواه أبو بكر بن عياش ، عن يزيد بن أبي زياد ، وقد رواه شعبة ، عن يزيد فوهم في إسناده ، ورواه وَكِيع عن أصحابه ، عن يزيد ، عن عيسى بن فائد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلًا .

وقد رواه الإمام أحمد في مسنده عن عبادة بن الصامت فقال :

حدثنا عبد الصمد ، حدثنا عبد العزيز بن مسلم ، حدثنا يزيد بن أبي زياد ، عن عيسى بن فائد ، عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ما من أمير عشرة إلا يؤتي به يوم القيامة مغلولا لا يفكه منها إلا عدله ، وما من رجل تعلم القرآن ثم نسيه إلا لقي الله يوم القيامة أجذم** »(٣١٠) .

وكذا رواه أبو عوانة ، عن يزيد بن أبي زياد ، ففيه اختلاف ، لكن هذا في باب الترهيب مقبول والله أعلم – لاسيما إذا كان له شاهد من وجه آخر ، كما قال أبو عبيد :

حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قال : حُدثت عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **عرضت عليّ أجور أمتي حتى القذاة والبعرة يخرجها الرجل من المسجد ، وعرضت عليّ ذنوب أمتي فلم أر ذنبًا أكبر من آية أو سورة من كتاب الله أوتيها رجل فنسيها** » . قال ابن جريج : وحُدِّثت عن سلمان الفارسي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **من أكبر ذنب توافى به أمتي يوم القيامة سورة من كتاب الله كانت مع أحدهم فنسيها** »(٣١١) .

---

(٣٠٨) – رواه أبو عبيد في الفضائل (ص ١٠٣) من طريق جرير ، ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٠/ ٤٧٨) ، والبزار (١٦٤٢/٢) ، والطبراني (٥٣٨٨/٦ ، ٥٣٩١) من طريق ابن فضيل .

(٣٠٩) – أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب : التشديد فيمن حفظ القرآن ثم نسيه (رقم : ١٤٧٤) ، ومن طريقه الخطيب في الجامع (١١٠/١) .

(٣١٠) – المسند ٢٢٨٦١ – (٣٢٣/٥) . والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد في موضعين الأول (٥/ ٢٠٥) وقال : «رواه أحمد وابنه» والثاني في (٧/ ١٦٧) وعزاه لعبد الله بن أحمد وقال : «ورجاله ثقات ، وفي بعضهم خلاف» .

(٣١١) – فضائل القرآن (ص ٢٠١) .

وقد روى أبو داود والترمذي وأبو يعلى والبزار وغيرهم من حديث ابن أبي رواد ، عن ابن جريج ، عن المطلب بن عبد اللَّه بن حنطب ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **عرضت عليّ أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد ، وعرضت عليّ ذنوب أمتي ، فلم أر ذنبًا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها** »(٣١٢) .

قال الترمذي : غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وذاكرت به البخاري فاستغربه ، وحكى البخاري عن عبد اللَّه بن عبد الرحمن الدارمي أنه أنكر سماع المطلب من أنس بن مالك .

قلت : وقد رواه محمد بن يزيد الآدمي ، عن ابن أبي رواد ، عن ابن جريج عن الزهري ، عن أنس بن مالك ، عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم ، به . واللَّه أعلم .

وقد أدخل بعض المفسرين هذا المعنى في قوله تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ . قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا . قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىٰ** ﴾(٣١٣) ، وهذا الذي قاله هذا – وإن لم يكن هو المراد جميعه – فهو بعضه ، فإن الإعراض عن تلاوة القرآن وتعريضه للنسيان وعدم الاعتناء به فيه تهاون كبير وتفريط شديد ، نعوذ باللَّه منه ؛ ولهذا قال عليه السلام : « **تعاهدوا القرآن** » ، وفي لفظ « **استذكروا القرآن ، فإنه أشد تفصيًا من صدور الرجال من النعم** » .

التَّفَصِّي : التخلص يقال : تَفَصَّى فلان من البلية : إذا تخلص منها ، ومنه : تفصَّى النوى من التمرة : إذا تخلص منها ، أي : إن القرآن أشد تفلتا من الصدور من النعم إذا أرسلت من غير عقال .

وقال أبو عبيد : حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم قال : قال عبد اللَّه – يعني ابن مسعود – : إني لأمقت القارئ أن أراه سمينًا نسيًّا للقرآن(٣١٤) .

---

(٣١٢) – **إسناده ضعيف** ، المطلب : كثير الإرسال والتدليس وقد عنعن ، وأنكر ابن المديني أن يكون سمع من أنس ، لكن ابن أبي حاتم قال في المراسيل (٢١٠) : سمعت أبي يقول : المطلب بن عبد اللَّه بن حنطب عامة حديثه مراسيل ، لم يدرك أحدًا من أصحاب النبي ، صلى اللَّه عليه وسلم ، إلا سهل بن سعد وأنسًا وسلمة ابن الأكوع ومن كان قريبًا منهم . والحديث رواه أبو داود في الصلاة ، باب : في كنس المسجد برقم (٤٦١) ، والترمذي في فضائل القرآن برقم (٢٩١٦) وأبو يعلى ١٥١٠ – (٢٥٣/٧) ، ورواه البيهقي (٢/ ٤٤٠) ، والطبراني في الأوسط (٦٤٨٩) ، وأخرجه عبد الرزاق ٥٩٧٧ – (٣٦١/٣) .

(٣١٣) – [طه : ١٢٤–١٢٦] .

(٣١٤) – فضائل القرآن (ص ٢٠٢) ، ورواه أبو نعيم في الحلية (٢٢٧/٤) ، وفيه انقطاع بين النخعي وابن مسعود .

وحدثنا عبد اللّٰه بن المبارك ، عن عبد العزيز بن أبي رواد قال : سمعت الضحاك بن مزاحم يقول : ما من أحد تعلم القرآن ثم نسيه إلا بذنب يحدثه ؛ لأن اللّٰه تعالى يقول : ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾(٣١٥) ، وإن نسيان القرآن من أعظم المصائب(٣١٦) .

ولهذا قال إسحاق بن راهويه وغيره : يُكره لرجل أن يمر عليه أربعون يومًا لا يقرأ فيها القرآن ، كما أنه يُكره له أن يقرأ في أقل من ثلاثة أيام ، كما سيأتي هذا ، حيث يذكره البخاري بعد هذا ، وكان الأليق أن يتبعه هذا الباب ، ولكن ذكر بعد هذا قوله :

القراءة على الدابة

حدثنا حجاج ، حدثنا شعبة ، أخبرني أبو إياس قال : سمعت عبد اللّٰه بن مغفل ، رضي اللّٰه عنه ، قال : رأيت رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم يوم فتح مكة وهو يقرأ على راحلته سورة الفتح(٣١٧) .

وهذا الحديث قد أخرجه الجماعة سوى ابن ماجة من طرق ، عن شعبة ، عن أبي إياس ، وهو معاوية بن قرة ، به(٣١٨) ، وهذا - أيضًا - له تعلق بما تقدم من تعاهد القرآن وتلاوته سفرًا وحضرًا ، ولا يكره ذلك عند أكثر العلماء إذا لم يتله القارئ في الطريق

وقد نقله ابن أبي داود عن أبي الدرداء أنه كان يقرأ في الطريق ، وقد روى عن عمر بن عبد العزيز أنه أذن في ذلك ، وعن الإمام مالك أنه كره ذلك ، كما قال ابن أبي داود :

وحدثني أبو الربيع ، أخبرنا ابن وهب قال : سألت مالكًا عن الرجل يصلي من آخر الليل ، فيخرج إلى المسجد ، وقد بقي من السورة التي كان يقرأ منها شيء ، فقال : ما أعلم القراءة تكون في الطريق .

وقال الشعبي : تكره قراءة القرآن في ثلاثة مواطن : في الحمام ، وفي الحشوش ، وفي بيت الرحى وهي تدور . وخالفه في القراءة في الحمام كثير من السلف : أنها لا تكره ، وهو مذهب مالك والشافعي وإبراهيم النخعي وغيرهم ، وروى ابن أبي داود عن علي بن أبي طالب : أنه كره

(٣١٥) - [الشورى : ٣٠] .

(٣١٦) - فضائل القرآن (ص ٢٠٢) ، وابن المبارك في الزهد (٨٥) ، ووكيع في الزهد (٩٥) ، وابن أبي شيبة (٤٧٨/١٠ - ٤٧٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ، والبيهقي في الشعب (١٨١٣ هـ) .

(٣١٧) - رواه البخاري في فضائل القرآن ، باب : القراءة على الدابة برقم (٥٠٣٤) .

(٣١٨) - رواه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها ، برقم ٢٣٧ - (٧٩٤) ، وأبو داود في الصلاة ، باب : استحباب الترتيل في القراءة برقم (١٤٦٧) ، والترمذي في الشمائل ، باب : قراءة الرسول ، صلى اللّٰه عليه وسلم برقم (٣١٢) ، والنسائي في الكبرى برقم (٨٠٦٢) .

ذلك ، ونقله ابن المنذر عن أبي وائل شقيق بن سلمة ، والشعبي والحسن البصري ومكحول وقبيصة بن ذؤيب ، وهو رواية عن إبراهيم النخعي ، ويحكى عن أبي حنيفة ، رحمهم الله ، أن القراءة في الحمام تكره ، وأما القراءة في الحشوش فكراهتها ظاهرة ، ولو قيل بتحريم ذلك صيانة لشرف القرآن لكان مذهبًا ، وأما القراءة في بيت الرحى وهي تدور ؛ فلئلا يعلو غير القرآن عليه ، والحق يعلو ولا يُعلى ، والله أعلم .

تعليم الصبيان القرآن

حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير قال : إن الذي تدعونه المفصل هو المحكم ، قال : وقال ابن عباس : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشر سنين وقد قرأت المحكم(٣١٩) .

حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا هُشَيْم ، أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : جمعت المحكم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فقلت له : وما المحكم ؟ قال : « المفصل »(٣٢٠) .

انفرد بإخراجه البخاري ، وفيه دلالة على جواز تعلم الصبيان القرآن ؛ لأن ابن عباس أخبر عن سنه حين موت الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد كان جمع المفصل ، وهو من الحجرات ، كما تقدم ذلك ، وعمره آنذاك عشر سنين .

وقد روى البخاري أنه قال : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مختون(٣٢١) . وكانوا لا يختنون الغلام حتى يحتلم ، فيحتمل أنه تجوز في هذه الرواية بذكر العشر ، وترك ما زاد عليها من الكسر ، والله أعلم .

وعلى كل تقدير ، ففيه دلالة على جواز تعليمهم القرآن في الصبا ، وهو ظاهر ، بل قد يكون مستحبًا أو واجبًا ؛ لأن الصبي إذا تعلم القرآن بلغ وهو يعرف ما يصلي به ، وحفظه في الصغر أولى من حفظه كبيرا ، وأشد علوقًا بخاطره وأرسخ وأثبت ، كما هو المعهود من حال الناس ، وقد استحب بعض السلف أن يترك الصبي في ابتداء عمره قليلا للعب ، ثم توفر همته على القراءة ، لئلا يلزم أولًا بالقراءة فيملها ويعدل عنها إلى اللعب ، وكره بعضهم تعليمه القرآن وهو لا يعقل ما يقال له ، ولكن يترك حتى إذا عقل وميز علم قليلًا قليلا ، بحسب همته ونهمته وحفظه وجودة ذهنه ، واستحب عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، أن يلقن خمس آيات خمس آيات ،

(٣١٩) - البخاري في فضائل القرآن ، باب : تعليم الصبيان القرآن برقم (٥٠٣٥) .

(٣٢٠) - البخاري في فضائل القرآن ، باب : تعليم الصبيان القرآن برقم (٥٠٣٦) .

(٣٢١) - البخاري في الاستئذان ، باب : الختان بعد الكبر ونتف الإبط برقم (٦٢٩٩) .

رويناه عنه بسند جيد(٣٢٢) .

نسيان القرآن

وهل يقول : نسيت آية كذا وكذا ، وقول الله تعالى :

﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَى * إِلَّا مَا شَاءَ اللَّه ﴾(٣٢٣) .

حدثنا الربيع بن يحيى ، حدثنا زائدة ، حدثنا هشام ، عن عروة ، عن عائشة قالت : لقد سمع النبي صلى اللّٰه عليه وسلم رجلا يقرأ في المسجد فقال : « **يرحمه اللّٰه ، لقد أذكرني آية كذا وكذا من سورة كذا** » انفرد به .

وحدثني محمد بن عبيد بن ميمون ، حدثنا عيسى بن يونس ، عن هشام وقال : أسقطتهن من سورة كذا وكذا . انفرد به أيضًا . تابعه علي بن مسهر وعبدة عن هشام(٣٢٤) .

وقد أسندهما البخاري في موضع آخر ، ومسلم معه في عبدة(٣٢٥) .

وحدثنا أحمد بن أبي رجاء ، حدثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، رضي اللّٰه عنها ، قالت : سمع رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم رجلا يقرأ في سورة بالليل فقال : « **يرحمه اللّٰه ، فقد أذكرني آية كذا وكذا كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا** » . ورواه مسلم من حديث أبي أسامة حماد بن أسامة(٣٢٦) .

الحديث الثاني : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن أبي وائل ، عن عبد اللّٰه ، رضي اللّٰه عنه ، قال : قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم : « **بئس ما لأحدهم أن يقول : نسيت آية كيت وكيت ، بل هو نُسِّي** » ورواه مسلم والنسائي ، من حديث منصور به(٣٢٧) .

وقد تقدم . وفي مسند أبي يعلى : فإنما هو نُسِيَ » ، بالتخفيف ، هذا لفظه .

---

(٣٢٢) – مسند الفاروق للمؤلف (١٧٠/١) .

(٣٢٣) – [الأعلى : ٦، ٧] .

(٣٢٤) – البخاري برقم (٥٠٣٧) .

(٣٢٥) – البخاري في الدعوات ، باب : قول اللّٰه تبارك وتعالى : ﴿ وصل عليهم ﴾ برقم (٦٣٣٥) ، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها برقم ٢٢٥ – (٧٨٨) .

(٣٢٦) – البخاري برقم (٥٠٣٨) ، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها برقم ٢٢٤ – (٧٨٨) .

(٣٢٧) – البخاري برقم (٥٠٣٩) ، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها برقم ٢٢٨ – (٧٩٠) ، وسنن النسائي الكبرى برقم (٨٠٤٢) .

وفي هذا الحديث - والذي قبله - دليل على أن حصول النسيان للشخص ليس بنقصٍ له إذا كان بعد الاجتهاد والحرص ، وفي حديث ابن مسعود أدب في التعبير عن حصول ذلك ، فلا يقول : نسيت آية كذا ، فإن النسيان ليس من فعل العبد ، وقد يصدر عنه أسبابه من التناسي والتغافل والتهاون المفضي إلى ذلك ، فأما النسيان نفسه فليس بفعله ؛ ولهذا قال : « بل هو نُسِيَ » ، مبني لما لم يسم فاعله ، وأدب - أيضًا - في ترك إضافة ذلك إلى الله تعالى ، وقد أسند النسيان إلى العبد في قوله : ﴿ **وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ** ﴾[٣٢٨] وهو ، والله أعلم ، من باب المجاز السائغ بذكر المسبب وإرادة السبب ؛ لأن النسيان إنما يكون عن سبب قد يكون ذنبا ، كما تقدم عن الضحاك بن مزاحم ، فأمر الله تعالى بذكره ليذهب الشيطان عن القلب كما يذهب عند النداء بالأذان ، والحسنة تذهب السيئة ، فإذا زال السبب للنسيان انزاح ، فحصل الذكر لشيء بسبب ذكر الله تعالى ، والله أعلم .

من لم ير بأسًا أن يقول :

سورة البقرة ، وسورة كذا وكذا

حدثنا عمر بن حفص بن غياث ، حدثنا أبي ، حدثنا الأعمش ، حدثنا إبراهيم ، عن علقمة وعبد الرحمن بن يزيد ، عن أبي مسعود الأنصاري ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **الآيتان من آخر سورة البقرة ، من قرأ بهما في ليلة كفتاه** »[٣٢٩] .

وهذا الحديث قد أخرجه الجماعة من حديث عبد الرحمن بن يزيد ، وصاحبا الصحيح والنسائي وابن ماجة من حديث علقمة ، كلاهما عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البدري[٣٣٠] .

الحديث الثاني : ما رواه من حديث الزهري ، عن عروة ، عن المِسْوَر وعبد الرحمن بن عبدٍ القاريُّ ، كلاهما عن عمر قال : سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان ... وذكر الحديث بطوله ، كما تقدم ، وكما سيأتي[٣٣١] .

---

(٣٢٨) - [الإسراء : ١٠٦]

(٣٢٩) - البخاري في فضائل القرآن برقم (٥٠٤٠) .

(٣٣٠) - البخاري في المغازي ، وفي فضائل القرآن برقم (٤٠٠٨ ، ٥٠٠٨) ، ومسلم برقم ٢٥٥ ، ٢٥٦ - (٨٠٧،٨٠٨) ، وأبو داود في الصلاة ، باب : تحزيب القرآن برقم (١٣٩٧) ، والترمذي في ثواب القرآن ، باب : آخر سورة البقرة برقم (٢٨٨١) ، والنسائي في الكبرى برقم (٨٠١٨،٨٠١٩) ، وابن ماجة في إقامة الصلاة ، باب : ما جاء فيما يرجى أن يكفي من قيام الليل ، برقم (١٣٦٨،١٣٦٩) .

(٣٣١) - البخاري في فضائل القرآن ، باب من لم ير بأسًا أن يقول : سورة البقرة ، وسورة كذا وكذا برقم (٥٠٤١)

الحديث الثالث : ما رواه من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : سمع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قارئا يقرأ من الليل في المسجد ، فقال : « **يرحمه الله ، لقد أذكرني كذا وكذا آية ، كنت أسقطتهن من سورة كذا وكذا** »(٣٣٢) .

وهكذا في الصحيحين عن ابن مسعود : أنه كان يرمي الجمرة من الوادي ويقول : هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة(٣٣٣) .

وكره بعض السلف ذلك ، ولم يروا إلا أن يقال : السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ، كما تقدم من رواية يزيد الفارسي عن ابن عباس ، عن عثمان أنه قال : إذا نزل شيء من القرآن يقول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **اجعلوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا** » ، ولا شك أن هذا أحوط وأولى ، ولكن قد صحت الأحاديث بالرخصة في الآخر ، وعليه عملُ الناس اليوم في ترجمة السور في مصاحفهم ، وبالله التوفيق .

الترتيل في القراءة

وقول الله عز وجل : ﴿ **وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا** ﴾(٣٣٤) ، وقوله : ﴿ **وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ** ﴾(٣٣٥) ، يكره أن يهذ كهذ الشعر ، يفرق : يفصل ، قال ابن عباس : ﴿ **فَرَقْنَاهُ** ﴾ : فصلناه .

حدثنا أبو النعمان ، حدثنا مهدي بن ميمون ، حدثنا واصل - وهو ابن حيان الأحدب - عن أبي وائل ، عن عبد الله قال : غدونا على عبد الله ، فقال رجل : قرأت المفصل البارحة ، فقال : هذًّا كهذِّ الشعر ، إنا قد سمعنا القراءة ، وإني لأحفظ القراءات التي كان يقرأ بهن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ثماني عشرة سورة من المفصل ، وسورتين من آل حم(٣٣٦) .

ورواه مسلم عن شيبان بن فرّوخ ، عن مهدي بن ميمون ، عن واصل - وهو ابن حيان الأحدب - عن أبي وائل شقيق بن سلمة ، عن ابن مسعود ، به(٣٣٧) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا قتيبة ، حدثنا ابن لَهِيعة ، عن الحارث بن يزيد ، عن زياد بن

---

(٣٣٢) - رواه البخاري في فضائل القرآن ، باب : من لم ير بأسًا أن يقول : سورة البقرة ، وسورة كذا وكذا برقم (٥٠٤٢) .

(٣٣٣) - رواه البخاري في كتاب الحج ، باب : رمي الجمار من بطن الوادي برقم (١٧٤٧) ، ومسلم في كتاب الحج ، برقم ٣٠٥ - (١٢٩٦) .

(٣٣٤) - [المزمل : ٤] .

(٣٣٥) - [الإسراء : ١٠٦] .

(٣٣٦) - رواه البخاري في فضائل القرآن ، باب : الترتيل في القراءة برقم (٥٠٤٣) .

(٣٣٧) - رواه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها برقم ٢٧٨ - (٨٢٢) .

نعيم ، عن مسلم بن مِخْراق ، عن عائشة أنه ذكر لها أن ناسًا يقرءون القرآن في الليل مرة أو مرتين ، فقالت : أولئك قرءوا ولم يقرءوا ، كنت أقوم مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة التمام ، فكان يقرأ سورة البقرة وآل عمران والنساء ، فلا يمر بآية فيها تخوف إلا دعا الله واستعاذ ، ولا يمر بآية فيها استبشار إلا دعا الله ورغب إليه(٣٣٨) .

الحديث الثاني : حدثنا قتيبة ، حدثنا جرير ، عن موسى بن أبي عائشة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ **لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ** ﴾ (٣٣٩) : كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إذا نزل جبريل بالوحي ، وكان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه . وذكر تمام الحديث كما سيأتي ، وهو متفق عليه ، وفيه وفي الذي قبله دليل على استحباب ترتيل القراءة والترسل فيها من غير هَذْرَمة(٣٤٠) ولا سرعة مفرطة ، بل بتأمل وتفكر ، قال الله تعالى : ﴿ **كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ** ﴾(٣٤١) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن سفيان ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « **يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارْقَ ، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها** »(٣٤٢) .

وقال أبو عبيد : حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ؛ قال : قرأ علقمة على عبد الله ، فكأنه عجل ، فقال عبد الله : فداك أبي وأمي ، رتل فإنه زين القرآن . قال : وكان علقمة حسن الصوت بالقرآن(٣٤٣) .

---

(٣٣٨) - **حسن** ، الحارث بن يزيد : ثقة ، وثقه أحمد ، والنسائي وأبو حاتم ، والعجلي . زياد بن نعيم : هو زياد بن ربيعة بن نعيم ، ثقة ، ومسلم بن مخراق : مولى عائشة حجازي نزيل مصر ، مقبول - أي عند المتابعة - .

والحديث في المسند ٢٤٧٢١ - (٩٢/٦) ، وأخرجه أبو يعلى في مسنده (٢٥٧/٨ ، ٢٥٨/رقم : ٤٨٤٢) من طريق ابن لهيعة ، والبيهقي في الصلاة من الكبرى (٣١٠/٢) من طريق يحيى بن أيوب ، كلاهما من طريق الحارث بن يزيد ، به ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٧٢/٢) وقال : « رواه أحمد وجاء عنده في رواية : يقرأ أحدهما القرآن مرتين أو ثلاثًا ، وأبو يعلى ، وفيه ابن لهيعة ، وفيه كلام » .

(٣٣٩) - [القيامة : ١٦]

(٣٤٠) - يقال : هذرم فلان ، لمن أسرع في مشيته أو قراءته ، أو كلامه ، وهذرم القرآن أسرع في قراءته لا يتدبر معانيه .

(٣٤١) - [ص ٢٩] .

(٣٤٢) - **إسناده حسن** ، والحديث في المسند (١٩٢/٢) ، ورواه أبو داود (١٤٦٤) ، والترمذي (٢٩١٤) ، والنسائي ، وابن أبي شيبة (٤٩٨/١٠) ، والحاكم (٥٥٢/١ ، ٥٥٣) ، وابن حبان (١٧٩٠) .

(٣٤٣) - فضائل القرآن (ص ١٥٧) ، ورواه البخاري في خلق أفعال العباد (٢٦٠) ، وابن أبي شيبة (٢/ ٥٢٠) ، وابن سعد (٩٠/٦) ، وابن نصر (ص ١٢١) ، والطبراني في الكبير (٨٦٩٥/٩) ، وأبو نعيم في الحلية (٩٩/٢) ، والبيهقي (٥٤/٥) .

وحدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن أيوب ، عن أبي جمرة ؛ قال : قلت لابن عباس : إني سريع القراءة وإني أقرأ القرآن في ثلاث ، فقال : لأن أقرأ البقرة في ليلة فأدبرها وأرتلها أحب إليّ من أن أقرأ كما تقول(٣٤٤) .

وحدثنا حجاج ، عن شعبة وحماد بن سلمة ، عن أبي جمرة ، عن ابن عباس ، نحو ذلك ، إلا أن في حديث حماد : أحب إليّ من أن أقرأ القرآن أجمع هذرمة(٣٤٥) .

ثم قال البخاري ، رحمه الله :

مد القراءة

حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا جرير بن حازم الأزدي ، حدثنا قتادة قال : سألت أنس بن مالك عن قراءة النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : كان يمد مدا(٣٤٦) .

وهكذا رواه أهل السنن ، من حديث جرير بن حازم ، به(٣٤٧)

وحدثنا عمرو بن عاصم ، حدثنا همام ، عن قتادة قال : سئل أنس بن مالك : كيف كانت قراءة النبي ، صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : كانت مدًّا ، ثم قرأ : بسم الله الرحمن الرحيم . يمد بسم الله ، ويمد بالرحمن ، ويمد بالرحيم . انفرد به البخاري من هذا الوجه(٣٤٨)

وفي معناه الحديث الذي رواه الإمام أبو عبيد : حدثنا أحمد بن عثمان ، عن عبد الله بن المبارك ، عن الليث بن سعد ، عن ابن أبي مُلَيْكَة ، عن يعلى بن مَملك ، عن أم سلمة : أنها نعتت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم قراءة مفسرة حرفًا حرفًا(٣٤٩) .

---

(٣٤٤) - فضائل القرآن (ص ١٥٧) ، والحديث رواه الآجري في أخلاق حملة القرآن (٨٩) ، والبيهقي (٢/ ٣٩٦) وفي الشعب (١٨٨٢ هـ) .

(٣٤٥) - فضائل القرآن (ص ١٥٧) ، ورواه البيهقي في الكبرى (٣٩٦/٢ ، ١٣/٣) ، وابن المبارك (١١٩٣) ، وعبد الرزاق (٤١٨٧/٢) .

(٣٤٦) - رواه البخاري في فضائل القرآن ، باب : الترتيل في القراءة برقم (٥٠٤٥) .

(٣٤٧) - رواه أبو داود في الصلاة ، باب : استحباب الترتيل في القراءة برقم (١٤٦٥) ، والترمذي في الشمائل برقم (٣٠٨) ، والنسائي في الافتتاح ، باب : مد الصوت بالقراءة ١٠١٤ - (١٧٩/٢) ، وابن ماجة في إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : ما جاء في القراءة في صلاة الليل برقم (١٣٥٣) .

(٣٤٨) - رواه البخاري في فضائل القرآن ، باب : الترتيل في القراءة برقم (٥٠٤٦) .

(٣٤٩) - فضائل القرآن (ص ١٥٦) ، ورواه أبو داود (١٤٦٦) ، والترمذي ٢٩٢٣) ، وفي الشمائل (٣٠٧) والنسائي (١٨١/٢) ، والبخاري في خلق أفعال العباد (١٧١ ، ١٧٢) وأحمد (٢٩٤/٦ ، ٣٠٠) ، وابن خزيمة (١١٥٨/٢) ، والحاكم (٣٠٩/١ - ٣٠١) .

وهكذا رواه الإمام أحمد بن حنبل ، عن يحيى بن إسحاق ، وأبو داود عن يزيد بن خالد الرملي ، والترمذي والنسائي، كلاهما عن قتيبة ، كلهم عن الليث بن سعد به(٣٥٠) . وقال الترمذي : حسن صحيح .

ثم قال أبو عبيد : وحدثنا يحيى بن سعيد الأموي ، عن ابن جريج ، عن ابن أبي مُلَيْكة ، عن أم سلمة قالت : كان رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم ، يقطع قراءته ؛ بسم اللّه الرحمن الرحيم . الحمد للّه رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . وهكذا .

وهكذا رواه أبو داود والترمذي من حديث ابن جريج(٣٥١) . وقال الترمذي : غريب وليس إسناده بمتصل . يعني : أن عبد اللّه بن عبيد اللّه بن أبي مُلَيْكة لم يسمعه من أم سلمة ، وإنما رواه عن يعلى بن مَمْلَك ، كما تقدم ، واللّه أعلم .

الترجيع

حدثنا آدم بن أبي إياس ، حدثنا شعبة ، حدثنا أبو إياس قال : سمعت عبد اللّه بن مغفل قال : رأيت النبي ، صلى اللّه عليه وسلم ، وهو على ناقته - أو جمله - وهي تسير به ، وهو يقرأ سورة الفتح قراءة لينة وهو يرجع(٣٥٢) .

وقد تقدم هذا الحديث في القراءة على الدابة وأنه من المتفق عليه ، وفيه أن ذلك كان يوم الفتح ، وأما الترجيع : فهو الترديد في الصوت ، كما جاء - أيضا - في البخاري أنه جعل يقول : (آآآ) ، وكأن ذلك صدر من حركة الدابة تحته ، فدل على جواز التلاوة عليها ، وإن أفضى إلى ذلك ولا يكون ذلك من باب الزيادة في الحروف ، بل ذلك مغتفر للحاجة ، كما يصلي على الدابة حيث توجهت به ، مع إمكان تأخير ذلك والصلاة إلى القبلة ، واللّه أعلم .

---

(٣٥٠) - يعلى بن مملك : قال في التقريب : مقبول - أي عند المتابعة - وفي التهذيب : ذكره ابن حبان في الثقات . والحديث في المسند ٢٦٦٧٣ - (٣٠٠/٦) . وأخرجه أبو داود في سننه في كتاب الصلاة ، باب : استحباب الترتيل في القراءة . (٧٤/٢ ، ٧٥/رقم : ١٤٦٦) . والترمذي في جامعه في كتاب فضائل القرآن ، باب : ما جاء كيف كان قراءة النبي ، صلى اللّه عليه وسلم . (١٨٢/٥ ، ١٨٣/رقم : ٢٩٢٣) ، والنسائي في الصغرى في كتاب الافتتاح ، باب : تزيين القرآن بالصوت (١٨١/٢/رقم : ١٠٢٢) وكتاب قيام الليل وتطوع النهار ، باب : ذكر صلاة النبي ، صلى اللّه عليه وسلم ، بالليل (٣/ ٢١٤/رقم : ١٦٢٩) ، وفي الكبرى في كتاب فضائل القرآن ، باب : الترتيل (٢٢/٥/رقم : ٨٠٥٧) ، كلهم من طريق الليث بن سعد ، به .

(٣٥١) - فضائل القرآن (ص ١٥٦) ، ورواه أبو داود في كتاب الحروف والقراءات برقم (٤٠٠١) ، والترمذي في القراءات ، باب : في فاتحة الكتاب برقم (٢٩٢٧) ، ورواه أحمد (٣٠٢/٦ ، ٣٢٣) ، والطبراني (٦٠٣/٢٣) ، وضعفه الترمذي بالانقطاع .

(٣٥٢) - رواه البخاري في فضائل القرآن ، باب : الترجيع برقم (٥٠٤٧) .

حسن الصوت بالقراءة

حدثنا محمد بن خلف أبو بكر ، حدثنا أبو يحيى الحمّاني ، حدثنا بريد بن عبد اللّه بن أبي بردة ، عن جده أبي بردة ، عن أبي موسى الأشعري : أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال : **« يا أبا موسى ، لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود »**(٣٥٣)

وهكذا رواه الترمذي عن موسى بن عبد الرحمن الكندي ، عن أبي يحيى الحمّاني(٣٥٤) - واسمه عبد الحميد بن عبد الرحمن - وقال : حسن صحيح . وقد رواه مسلم من حديث طلحة ابن يحيى بن طلحة ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى(٣٥٥) ، وفيه قصة ، وقد تقدم الكلام على تحسين الصوت عند قول البخاري : من لم يتغن بالقرآن ، وذكرت هناك أحكامًا كافية عن إعادتها هاهنا ، واللّه أعلم .

من أحب أن يسمع القرآن من غيره

حدثنا عمر بن حفص بن غياث ، حدثنا أبي ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم بن عبيدة ، عن عبد اللّه قال : قال لي النبي صلى اللّه عليه وسلم : **« اقرأ عليّ القرآن »** . قلت : أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ ! قال : **« إني أحب أن أسمعه من غيري »** .

وقد رواه الجماعة إلا ابن ماجة ، من طرق عن الأعمش(٣٥٦) ، وله طرق يطول ذكرها وبسطها

وقد تقدم فيما رواه مسلم من حديث طلحة بن يحيى بن طلحة ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى : أن رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم ، قال له : **« يا أبا موسى ، لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة »** . فقال : أما واللّه لو أعلم أنك تستمع قراءتي لحبَّرتها لك تحبيرا .

وقال الزهري ، عن أبي سلمة : كان عمر إذا رأى أبا موسى قال : ذكرنا ربنا يا أبا موسى . فيقرأ عنده .

وقال أبو عثمان النهدي : كان أبو موسى يصلي بنا ، فلو قلت : إني لم أسمع صوت صنج

(٣٥٣) - رواه البخاري في فضائل القرآن ، باب : حسن الصوت بالقراءة للقرآن ، برقم (٥٠٤٨) .

(٣٥٤) - رواه الترمذي في المناقب ، باب : مناقب أبي موسى الأشعري برقم (٣٨٥٥) .

(٣٥٥) - رواه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها ، برقم ٢٣٦ - (٧٩٣) .

(٣٥٦) - رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب : من أحب أن يستمع القرآن من غيره برقم (٥٠٤٩) ، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها برقم ٢٤٧ - (٨٠٠) ، وأبو داود في العلم ، باب : في القصص برقم (٣٦٦٨) ، والترمذي في تفسير القرآن ، باب : ومن سورة النساء برقم (٣٠٢٥) ، والنسائي في الكبرى برقم (٨٠٧٥) .

قط ولا بربط قط ، ولا شيئًا قط أحسن من صوته .

قول المقرئ للقارئ : حسبك

حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبيدةَ ، عن عبد اللَّه قال : قال لي رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **اقرأ عليّ** » . فقلت : يا رسول اللَّه ، أأقرأ عليك وعليك أنزل ؟ ! قال : « **نعم** » ، فقرأت عليه سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية : ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا**﴾(٣٥٧) ، قال : « **حسبك الآن** » فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان(٣٥٨) .

أخرجه الجماعة إلا ابن ماجه ، من رواية الأعمش ، به(٣٥٩) ، ووجه الدلالة ظاهر ، وكذا الحديث الآخر : « **اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ، فإذا اختلفتم فقوموا** » .

في كم يقرأ القرآن

وقول اللَّه تعالى : ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْه ﴾

حدثنا علي ، حدثنا سفيان ، قال : قال لي ابن شبرمة : نظرت كم يكفي الرجل من القرآن فلم أجد سورة أقل من ثلاث آيات . فقلت : لا ينبغي لأحد أن يقرأ اقل من ثلاث آيات . قال سفيان : أخبرنا منصور ، عن إبراهيم ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، أخبره علقمة عن أبي مسعود ، فلقيته وهو يطوف بالبيت ، فذكر قول النبي ، صلى اللَّه عليه وسلم ، إن : « **من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه** »(٣٦٠) .

وقد تقدم أن هذا الحديث متفق عليه ، وقد جمع البخاري فيما بين عبد الرحمن بن يزيد وعلقمة عن أبي مسعود وهو صحيح ؛ لأن عبد الرحمن سمعه أولا من علقمة ، ثم لقي أبا مسعود وهو يطوف فسمعه منه ، وعليّ هذا هو ابن المديني وشيخه هو سفيان بن عيينة ، وما قاله عبد اللَّه بن شبرمة - فقيه الكوفة في زمانه - استنباط حسن ، وقد جاء في حديث في السنن : « **لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب وثلاث آيات** »(٣٦١) ، ولكن هذا الحديث - أعني حديث أبي

---

(٣٥٧) - [النساء : ٤١] .

(٣٥٨) - البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب : قول المقرئ للقارئ : حسبك ، برقم (٥٠٥٠) .

(٣٥٩) - تقدم (٢٩٨) .

(٣٦٠) - البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب : في كم يقرأ القرآن ، وقول اللَّه تعالى : ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْه ﴾ [المزمل : ٢٠] برقم (٥٠٥١) .

(٣٦١) - لم نجده في شيء من السنن بزيادة : « **وثلاث آيات** » . وإنما أخرجه ابن عدي ، عن عمر بن يزيد المدائني ، عن عطاء ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لا يجزئ المكتوبة** =

مسعود - أصح وأشهر وأخص ، ولكن وجه مناسبته للترجمة التي ذكرها البخاري فيه نظر ، والله أعلم(٣٦٢) .

والحديث الثاني أظهر في المناسبة وهو قوله(٣٦٣) :

حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا أبو عَوَانة ، عن مغيرة ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو قال : أنكحني أبي امرأة ذات حسب ، فكان يتعاهد كِنَّته فيسألها عن بعلها فتقول : نعم الرجل من رجل لم يطأ لنا فراشا ، ولم يفتش لنا كنفا منذ أتيناه ، فلَما طال ذلك عليه ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : « **ألقني به** » ، فلقيته بعد ، فقال : « **كيف تصوم ؟** » . قلت : كل يوم . قال : « **وكيف تختم ؟** » . قال : كل ليلة . قال : « **صم كل شهر ثلاثة ، واقرأ القرآن في كل شهر** » : قال : قلت : إني أطيق أكثر من ذلك . قال : « **صم ثلاثة أيام في الجمعة** » . قلت : أطيق أكثر من ذلك . قال : « **أفطر يومين وصم يومًا** » . قلت : أطيق أكثر من ذلك . قال : « **صم أفضل الصوم ، صوم داود ، صيام يوم وإفطار يوم ، واقرأ في كل سبع ليال مرةً** » ، فليتني قبلت رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم ! وذلك أني كبرت وضعفت ، فكان يقرأ على بعض أهله السبع من القرآن بالنهار والذي يقرأ يعرضه بالنهار ليكون أخف عليه بالليل ، وإذا أراد أن يتقوى أفطر أيامًا وأحصى وصام مثلهن ، كراهية أن يترك شيئًا فارق عليه النبي صلى الله عليه وسلم . وقال بعضهم : في ثلاث وفي خمس وأكثرهم على سبع.

وقد رواه في الصوم ، والنسائي - أيضًا - عن بُنْدَار ، عن غُنْدَر ، عن شعبة ، عن مغيرة ، والنسائي من حديث حصين ، كلاهما عن مجاهد ، به(٣٦٤) .

= إلا بفاتحة الكتاب ، وثلاث آيات فصاعدًا » وضعف عمر بن يزيد ، وقال : إنه منكر الحديث . وأما طرفه الأول ففي الصحيح ، ورواه الطبراني في الأوسط بلفظ « **... وآيتين معها** » . وفيه الحسن بن يحيى الخشني ، ضعفه النسائي ، والدارقطني ، ووثقه دحيم ، وابن عدي ، وابن معين في رواية ، وأورده الهيثمي (١١٥/٢) . وأخرجه ابن عدي ، عن ربيع بن بدر ، عن سعيد الجريري ، عن أبي العلاء ، عن أخيه مطرف ابن عبد الله بن الشخير ، عن عمران بن حصين قال : سمعت النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يقول : « **لا تجزئ صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب ، وآيتين فصاعداً** » . وضعف الربيع بن بدر ، عن البخاري ، والنسائي ، وابن معين . وأورده ابن عدي (١٤٣٦/٤) في ترجمة أبي سفيان طريف بن شهاب - ضعفوه - بلفظ : « **لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب والسورة** » قال : ولم يصح . وقال ابن عدي في ترجمته : ولأبي سفيان هذا غير ما أمليت وقد روى عنه الثقات ، وإنما أنكر عليه في متون الأحاديث أشياء لم يأت بها غيره ، وأما أسانيده فهي مستقيمة .

(٣٦٢) - قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٩٥/٩) : « وقد خفيت مناسبة حديث أبي مسعود بالترجمة على ابن كثير ، والذي يظهر أنها من جهة أن الآية المترجم بها تناسب ما استدل به ابن عيينة من حديث أبي مسعود ، والجامع بينهما أن كلا من الآية والحديث يدل على الاكتفاء بخلاف ما قال ابن شبرمة » .

(٣٦٣) - البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب : في كم يقرأ القرآن برقم (٥٠٥٢) .

(٣٦٤) - البخاري ، باب : صوم يوم وإفطار يوم برقم (١٩٧٨) ، والنسائي (٢٠٩/٤-٢١٠) .

ثم روى البخاري ومسلم وأبو داود من حديث يحيى بن أبي كثير ، عن محمد بن عبد الرحمن - مولى بني زهرة - عن أبي سلمة قال : وأحسبني قال : سمعت أنا من أبي سلمة ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال لي النبي صلى الله عليه وسلم : « **اقرأ القرآن في شهر** » . قلت : إني أجد قوة . قال : « **فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك** »[٣٦٥] . فهذا السياق ظاهره يقتضي المنع من قراءة القرآن في أقل من سبع ، وهكذا الحديث الذي رواه أبو عبيد :

حدثنا حجاج وعمر بن طارق ويحيى بن بكير ، كلهم عن ابن لَهِيعة ، عن حبان بن واسع ، عن أبيه ، عن قيس بن أبي صعصعة ؛ أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، في كم أقرأ القرآن ؟ فقال : « **في كل خمس عشرة** » . قال : إني أجدني أقوى من ذلك ، قال : « **ففي كل جمعة** »[٣٦٦] .

وحدثنا حجاج ، عن شعبة ، عن محمد بن ذكوان - رجل من أهل الكوفة - قال : سمعت عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود يقول : كان عبد الله بن مسعود يقرأ القرآن في غير رمضان من الجمعة إلى الجمعة[٣٦٧] .

وعن حجاج ، عن شعبة ، عن أيوب : سمعت أبا قِلَابة ، عن أبي المهلب قال : كان أبيّ بن كعب يختم القرآن في كل ثمان .

وحدثنا علي بن عاصم ، عن خالد ، عن أبي قلابة قال : كان أبيّ بن كعب يختم القرآن في كل ثمان . وكان تميم الداري يختمه في كل سبع [٣٦٨]

---

(٣٦٥) - البخاري برقم (٥٠٥٤) ، ورواه مسلم في الصيام برقم ١٨٤ - (١١٥٩) ، وأبو داود في كتاب الصلاة ، باب : في كم يقرأ القرآن برقم (١٣٨٨) .

(٣٦٦) - فضائل القرآن (ص ١٧٧) ، ورواه ابن الأثير - معلقًا - في أسد الغابة (٤٢٩/٤) من طريق يحيى ابن بكير وسعيد بن أبي مريم ، به . وقال : أخرجه الثلاثة . وأورده ابن حجر في الإصابة (١٩٣/٨) وعزاه إلى أبي عبيد ، ومحمد بن نصر في قيام الليل ، والطبراني ٨٧٧ - (٣٤٤/١٨) وغيرهم . قال : وقال ابن السكن : رُوي عنه حديث تفرد به ابن لهيعة . ورواه الفسوي في المعرفة والتاريخ (٢٩٨/١) . ورواه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني برقم (٢٠٠٨) . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٦٩/٢) وقال : رواه الطبراني في الكبير وفيه ابن لهيعة ، وفيه كلام .

(٣٦٧) - فضائل القرآن (ص ١٧٧) ، وعبد الرزاق (٥٩٤٩/٣) ، وابن سعد (٥٠٠/٣) ، والفريابي في فضائل القرآن (١٣٣ : ١٣٦) ، وابن نصر في قيام الليل ص (١٥٦) .

(٣٦٨) - فضائل القرآن (ص ١٧٨) .

وحدثنا هُشَيْم ، عن الأعمش ، عن إبراهيم : أنه كان يختم القرآن في كل سبع[٣٦٩] .

وحدثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم قال : كان الأسود يختم القرآن في كل ست ، وكان علقمة يختمه في كل خمس[٣٧٠] .

فلو تركنا ومجرد هذا لكان الأمر في ذلك جليا ، ولكن دلت أحاديث أخرجوها على جواز قراءته فيما دون ذلك ، كما رواه الإمام أحمد في مسنده :

حدثنا حسن ، حدثنا ابن لَهِيعة ، حدثنا حبان بن واسع ، عن أبيه ، عن سعد بن المنذر الأنصاري ؛ أنه قال : يا رسول اللّه ، أقرأ القرآن في ثلاث ؟ قال : « **نعم** » . قال : فكان يقرؤه حتى توفي[٣٧١] .

وهذا إسناد جيد قوي حسن ، فإن حسن بن موسى الأشيب ثقة متفق على جلالته روى له الجماعة وابن لَهِيعة ، إنما يخشى من تدليسه وسوء حفظه ، وقد صرح هاهنا بالسماع ، وهو من الأئمة العلماء بالديار المصرية في زمانه ، وشيخه حبان بن واسع بن حبان وأبوه ، كلاهما من رجال مسلم ، والصحابي لم يخرج له أحد من أهل الكتب الستة ، وهذا على شرط كثير منهم ، واللّه أعلم .

وقد رواه أبو عبيد ، رحمه اللّه ، عن ابن بكير ، عن ابن لَهِيعة ، عن حبان بن واسع ، عن أبيه ، عن سعد بن المنذر الأنصاري أنه قال : يا رسول اللّه ، أقرأ القرآن في ثلاث ؟ قال : « **نعم ، إن استطعت** » . قال : فكان يقرؤه كذلك حتى توفي[٣٧٢] .

حديث آخر :

---

(٣٦٩) – فضائل القرآن (ص ١٧٨) .

(٣٧٠) – فضائل القرآن (ص ١٧٨) ، وابن أبي شيبة (٥٠١/٢) ، والفريابي (١٣٩) ، وأبو نعيم في الحلية (٩٩/٢ ، ١٠٣) ، والبيهقي في الشعب (٢١٨٩) .

(٣٧١) – وهذا الحديث ساقط من النسخة المطبوعة من المسند – الميمنية – وقد استدركناه والحمد للّه في نسختنا المطبوعة من المسند حديث (٢٧٨٠٧) . والحديث أورده الحافظ في الأطراف (١/ل ٨١) والهيثمي في غاية المقصد ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٦٨/٢) وقال : وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف . ورواه الطبراني برقم ٥٤٨١ – (٦٢/٦) . وسعد بن المنذر ترجمه في الإصابة وقال : ذكره البخاري وقال : روى حديثه ابن لهيعة ولم يصح . قلت : وأخرجه ابن المبارك في الزهد (١٢٧٤) عن ابن لهيعة ... فذكره قال : وأخرجه الحسن بن سفيان ، والبغوي من طريق ابن لهيعة ، عن حبان ، ورواه أبو نعيم في معرفة الصحابة ، والفريابي (١٢٨) من طريق قتيبة بن سعيد ، عن ابن لهيعة به . وقال : رواه ابن المبارك ، وابن وهب والحسن الأشيب والناس عن ابن لهيعة .

(٣٧٢) – فضائل القرآن (ص ١٧٩) .

قال أبو عبيد : حدثنا يزيد ، عن همام ، عن قتادة ، عن يزيد بن عبد الله بن الشخير ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لا يفقه من قرأه في أقل من ثلاث** » .

وهكذا أخرجه أحمد وأصحاب السنن الأربعة من حديث قتادة ، به[٣٧٣] . وقال الترمذي : حسن صحيح .

حديث آخر : قال أبو عبيد : حدثنا يوسف بن الغرق ، عن الطيب بن سليمان ، حدثتنا عمرة بنت عبد الرحمن : أنها سمعت عائشة تقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يختم القرآن في أقل من ثلاث[٣٧٤] .

هذا حديث غريب وفيه ضعف ، فإن الطيب بن سليمان هذا بصري ، ضعفه الدارقطني ، وليس هو بذاك المشهور ، والله أعلم .

وقد كره غير واحد من السلف قراءة القرآن في أقل من ثلاث ، كما هو مذهب أبي عبيد وإسحاق وابن راهويه وغيرهما من الخلف ، أيضًا .

قال أبو عبيد : حدثنا يزيد ، عن هشام بن حسان ، عن حفصة ، عن أبي العالية ، عن معاذ ابن جبل أنه كان يكره أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث[٣٧٥] . صحيح .

وحدثنا يزيد ، عن سفيان ، عن علي بن بذَيمة ، عن أبي عبيدة قال : قال عبد الله : من قرأ القرآن في أقل من ثلاث فهو راجز[٣٧٦] .

وحدثنا حجاج ، عن شعبة ، عن علي بن بذيمة ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله مثله سواء[٣٧٧] .

---

(٣٧٣) - فضائل القرآن (ص ١٧٩) ، والمسند (١٨٩/٢،١٦٥) ، وأبو داود في الصلاة ، باب : تحزيب القرآن ، برقم (١٣٩٤) ، والترمذي في القراءات ، باب : في كم يختم القرآن برقم (٢٩٤٩) ، والنسائي في الكبرى برقم (٨٠٦٧) ، وابن ماجة في إقامة الصلاة ، باب : في كم يستحب ختم القرآن برقم (١٣٤٧) ، والطيالسي (٢٢٧٥) ، وابن أبي شيبة (٥٠٠/٢ ، ٥٠١) ، وابن حبان (٧٥٨) والفريابي (١٤٢ ، ١٤٥) ، والبيهقي (١٩٨١) ، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٢٦٥/١) .

(٣٧٤) - يوسف بن الغرق : ترجمه في الجرح والتعديل (٢٢٧/٩) وقال : قال أبي : ليس بقوي ، وقال أحمد : رأيته ولم أكتب عنه شيئًا . والحديث في فضائل القرآن (ص ١٧٩) .

(٣٧٥) - فضائل القرآن (ص ١٧٩) .

(٣٧٦) - فضائل القرآن (ص ١٨٠) .

(٣٧٧) - فضائل القرآن (ص ١٨٠) .

وحدثنا حجاج ، عن شعبة ، عن محمد بن ذَكْوَان ، عن عبد الرحمن بن عبدالله بن مسعود ، عن أبيه ؛ أنه كان يقرأ القرآن في رمضان في ثلاث[٣٧٨] . إسناده صحيح .

وفي المسند عن عبد الرحمن بن شبل مرفوعًا : « **اقرءوا القرآن ، ولا تغلوا فيه ، ولا تجفوا عنه ، ولا تأكلوا به ولا تستكثروا به** »[٣٧٩] .

فقوله : « **لا تغلوا فيه** » أي : لا تبالغوا في تلاوته بسرعة في أقصر مدة ، فإن ذلك ينافي التدبر غالبًا ؛ ولهذا قابله بقوله : « **ولا تجفوا عنه** » أي :لا تتركوا تلاوته .

فصل

وقد ترخص جماعة من السلف في تلاوة القرآن في أقل من ذلك ؛ منهم أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، رضي اللّه عنه .

قال أبو عبيد[٣٨٠] : حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، أخبرني ابن خَصيفة ، عن السائب بن يزيد : أن رجلًا سأل عبد الرحمن بن عثمان التيمي عن صلاة طلحة بن عبيد اللّه فقال : إن شئت أخبرتك عن صلاة عثمان ، رضي اللّه عنه ، فقال : نعم . قال : قلت : لأعلين الليلة على الحجر ، فقمت ، فلما قمت إذا أنا برجل مقنع يزحمني ، فنظرت فإذا عثمان بن عفان ، فتأخرت

---

(٣٧٨) - **إسناده حسن** ، وهو في فضائل القرآن (ص ١٨٠) ، ورواه ابن نصر في قيام الليل ص (١٥٥) ، والفريابي (١٣٢) ، والطبراني في الكبير (٨٧٠٦/٩) ، وقال ابن أبي حاتم ، وتبعه الذهبي : محمد بن ذكوان ما روى عنه غير شعبة .

(٣٧٩) - **صحيح** ، رواه أحمد في المسند ١٥٥٧١ ، (٤٢٨/٣ ، ٤٤٤) ثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن هشام - يعني الدستوائي - قال : حدثني يحيى بن أبي كثير ، عن أبي راشد الحبراني ، قال : قال عبد الرحمن ابن شبل ،.... وعن عبد الصمد ، ثنا همام ، ثنا يحيى ، عن زيد بن سلام ، عن جده ، عن أبي راشد الحبراني ، عن عبد الرحمن بن شبل : ..... فذكره ، وأخرجه « البزار » - كما في كشف الأستار - في كتاب « التفسير » باب : قراءة القرآن حديث ٢٣٢٠ - (٩٣/٣) ، وأبو يعلى ١٥١٨ - (٨٩/٣) . والطبراني في الأوسط ٢٥٧٤ - (٨٦/٣) ، والطحاوي في شرح معاني الآثار (١٨/٣) ، وقال الهيثمي في « المجمع » : رواه أحمد والبزار نحوه ، ورجال أحمد رجال الصحيح ، وصححه الحاكم (٢/ ١٩٠،١٩١) وقال : على شرط مسلم . ووافقه الذهبي ، ورواه البيهقي (٢٣٨٣) ، والحديث صححه الألباني في الصحيحة برقم (٢٦٠) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٦/٤) وعزاه للطبراني في معجمه الكبير - وذكر أن له طريقًا آخر عن أبي هريرة « المجمع » (١٧١/٧) وقال : رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه المقدام بن داود ، وهو ضعيف . اهـ . وقال ابن حجر في الفتح (٨٢/٩) بعد عزوه لأحمد ولأبي يعلى : سنده قوي . اهـ .

(٣٨٠) - فضائل القرآن (ص ١٨١) . ورواه عبد الرزاق (٤٦٥٣/٣) ، والبيهقي - بمعناه - في الكبرى (٣/ ٢٤ ، ٢٥) .

عنه ، فصلى فإذا هو يسجد سجود القرآن ، حتى إذا قلت : هذه هوادى الفجر ، أوتر بركعة لم يصل غيرها . وهذا إسناد صحيح .

قال : وحدثنا هُشَيْم ، أنا منصور ، عن ابن سيرين قال : قالت نائلة بنت الفرافصة الكلبية حيث دخلوا على عثمان ليقتلوه : إن يقتلوه أو يدعوه ، فقد كان يحيي الليل كله بركعة يجمع فيها القرآن . وهذا حسن أيضًا(٣٨١) .

وقال - أيضًا - : حدثنا أبو معاوية ، عن عاصم بن سليمان ، عن ابن سيرين : إن تميمًا الداري قرأ القرآن في ركعة(٣٨٢) .

حدثنا حجاج عن شعبة ، عن حماد ، عن سعيد بن جبير : أنه قال : قرأت القرآن في ركعة في البيت - يعني الكعبة(٣٨٣) .

وحدثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن علقمة أنه قرأ القرآن في ليلة ، طاف بالبيت أسبوعًا(٣٨٤) ، ثم أتى المقام فصلى عنده فقرأ بالطول ، ثم طاف بالبيت أسبوعًا ، ثم أتى المقام فصلى عنده فقرأ بالمئين ، ثم طاف أسبوعًا ثم أتى المقام فصلى عنده فقرأ بالمثاني ، ثم طاف بالبيت أسبوعًا ثم أتى المقام فصلى عنده فقرأ بقية القرآن(٣٨٥) .

وهذه كلها أسانيد صحيحة ، ومن أغرب ما هاهنا : ما رواه أبو عبيد رحمه الله :

حدثنا سعيد بن عُفَيْر ، عن بكر بن مضر ، أن سليم بن عتر التجيبي كان يختم القرآن في ليلة ثلاث مرات ، ويجامع ثلاث مرات . قال : فلما مات قالت امرأته : رحمك الله ، إن كنت لترضي ربك وترضي أهلك ، قالوا : وكيف ذلك ؟ قالت : كان يقوم من الليل فيختم القرآن ، ثم يلم بأهله ثم يغتسل ، ويعود فيقرأ حتى يختم ثم يلم بأهله ، ثم يغتسل ، ويعود فيقرأ حتى

---

(٣٨١) - فضائل القرآن (ص ١٨١) ، ورواه ابن أبي شيبة (٣٦٧/١ ، ٥٠٢/٢) ، وابن سعد في الطبقات (٧٦/٣) ، وأبونعيم في الحلية (٥٧/١) ، وعمر بن شبة (١٢٧٢/٤) ، والطبراني في الكبير (١٣٠/١) .

(٣٨٢) - فضائل القرآن (ص ١٨٢) ، ورواه ابن المبارك في الزهد (١٢٧٧) ، وابن أبي شيبة (٥٠٢/٢) ، وعنه ابن حبان في الثقات (٤٠/٣) ، والبيهقي في الكبرى (٢٥/٣) ، وفي الشعب (١٩٩٤ هـ) .

(٣٨٣) - فضائل القرآن (ص ١٨٢) ، ورواه ابن حبان في الثقات (٢٧٦/٤) ، والطحاوي في شرح المعاني (٣٤٨/١) ، وابن سعد (٢٥٩/٦) ، وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد (ص ٣٧٠) ، وعنه أبو نعيم في الحلية (٢٧٣/٤) .

(٣٨٤) - الأسبوع : الطواف حول البيت سبع مرات .

(٣٨٥) - فضائل القرآن (ص ١٨٢) ، ورواه من طريقه ابن عساكر (٨٢٢/١١) ، والفريابي في الفضائل (١٤٠) ، وابن حبان في الثقات (٢٠٨/٥) .

يختم ، ثم يلم بأهله ثم يغتسل ، ويخرج إلى صلاة الصبح(٣٨٦) .

قلت : كان سليم بن عتر تابعيًا جليلًا ثقة نبيلًا ، وكان قاضيًا بمصر أيام معاوية وقاصّها ، ثم قال أبو حاتم : روى عن أبي الدرداء ، وعنه ابن زحر ، ثم قال : حدثني محمد بن عوف ، عن أبي صالح كاتب الليث ، حدثني حرملة بن عمران ، عن كعب بن علقمة قال : كان سليم ابن عتر من خير التابعين(٣٨٧) .

وذكره ابن يونس في تاريخ مصر .

وقد روى ابن أبي داود عن مجاهد أنه كان يختم القرآن فيما بين المغرب والعشاء .

وعن منصور قال : كان علي الأزدي يختم القرآن فيما بين المغرب والعشاء كل ليلة من رمضان(٣٨٨) .

وعن إبراهيم بن سعد قال : كان أبي يحتبي فما يحل حبوته حتى يختم القرآن .

قلت : وروي عن منصور بن زاذان : أنه كان يختم فيما بين الظهر والعصر ، ويختم أخرى فيما بين المغرب والعشاء ، وكانوا يؤخرونها قليلًا (٣٨٩) .

وعن الإمام الشافعي ، رحمه الله : أنه كان يختم في اليوم والليلة من شهر رمضان ختمتين ، وفي غيره ختمة .

وعن أبي عبد الله البخاري – صاحب الصحيح – أنه كان يختم في الليلة ويومها من رمضان ختمة .

ومن غريب هذا وبديعه ما ذكره الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي الصوفي قال : سمعت الشيخ أبا عثمان المغربي يقول : كان ابن الكاتب يختم بالنهار أربع ختمات ، وبالليل أربع ختمات .

وهذا نادر جدا . فهذا وأمثاله من الصحيح عن السلف محمول إما على أنه ما بلغهم في ذلك حديث مما تقدم ، أو أنهم كانوا يفهمون ويتفكرون فيما يقرءونه مع هذه السرعة ، والله أعلم .

قال الشيخ أبو زكريا النووي في كتابه التبيان بعد ذكر طرف مما تقدم : (والاختيار أن ذلك

---

(٣٨٦) – فضائل القرآن (ص ١٨٢ – ١٨٣) ، وأورده الذهبي في السير (١٣٢/٤) من حديث ابن لهيعة ، عن الحارث بن يزيد أن سليم بن عتر كان يقرأ القرآن كل ليلة ثلاث مرات ..

(٣٨٧) – الجرح والتعديل (٢١١/٤،٢١٢) .

(٣٨٨) – رواه ابن حبان في الثقات (١٦٤/٥ – ١٦٥) .

(٣٨٩) – البيهقي (١٩٩٩) ، وأبو نعيم في الحلية (٥٧/٣ – ٥٨) ، وابن حبان في الثقات (٤٧٤/٧) نحوه .

يختلف باختلاف الأشخاص ، فمن كان له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر يحصل له كمال فهم ما يقرؤه ، وكذا من كان مشغولا بنشر العلم أو غيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصد له ، وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملل والهذْرَمة) .

ثم قال البخاري ، رحمه الله :

البكاء عند قراءة القرآن

وأورد فيه من رواية الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبيدة ، عن عبد الله – هو ابن مسعود – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **اقرأ عليّ** » . قلت : أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال : « **إني أشتهي أن أسمعه من غيري** » . قال : فقرأت النساء ، حتى إذا بلغت : ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا** ﴾(٣٩٠) ، قال لي : « **كفّ أو أمسك** » ، فرأيت عينيه تذرفان(٣٩١) .

وهذا من المتفق عليه كما تقدم ، وكما سيأتي إن شاء الله .

---

(٣٩٠) – [النساء : ٤١] .

(٣٩١) – صحيح البخاري برقم (٥٠٥٥) .

من راءى بقراءة القرآن
أو تأكَّل به أو فجر به

حدثنا محمد بن كثير ، أخبرنا سفيان ، حدثنا الأعمش ، عن خَيْثَمة ، عن سُويَد بن غفلة [قال :][١] قال علي ، رضي الله عنه : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « **يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان ، سفهاء الأحلام ، يقولون من خير قول البرية ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرَّمِيَّة ، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم ، فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة** »(٣٩٢) .

وقد رُوي في موضعين آخرين ، ومسلم وأبو داود والنسائي ، من طرق عن الأعمش ، به(٣٩٣) .

حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا مالك ، عن يحيى بن سعيد ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم ، وصيامكم مع صيامهم ، وعملكم مع عملهم ، ويقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ينظر في النصل فلا يرى شيئًا ، وينظر في القدح فلا يرى شيئًا ، وينظر في الريش فلا يرى شيئًا ، ويتمارى في الفوق** »(٣٩٤) .

ورواه في موضع آخر ، ومسلم - أيضًا - والنسائي من طرق عن الزهري ، عن أبي سلمة ، به(٣٩٥) ، وابن ماجة من رواية محمد بن عمرو بن علقمة ، عن أبي سلمة ، به .

حدثنا مُسَدَّد بن مسرهد ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن أنس بن

(٣٩٢) - صحيح البخاري برقم (٥٠٥٧) .

(٣٩٣) - رواه البخاري في المناقب ، باب : علامات النبوة في الإسلام ، وفي كتاب استتابة المرتدين ، باب : قتل الخوارج برقم (٣٦١١، ٦٩٣٠) ، ومسلم في الزكاة ، برقم ١٥٤ - (١٠٦٦) ، وأبو داود في كتاب السنة ، باب : قتال الخوارج برقم (٤٧٦٧) ، والنسائي في تحريم الدم ، باب : من شهر سيفه ثم وضعه في الناس ٤١٠٢ - (١١٩/٧) .

(٣٩٤) - صحيح البخاري برقم (٥٠٥٨) .

(٣٩٥) - رواه البخاري في كتاب المناقب ، باب : علامات النبوة في الإسلام ، وفي كتاب استتابة المرتدين ، باب : من ترك قتال الخوارج ... برقم (٣٦١٠، ٦٩٣٣) ، ومسلم في كتاب الزكاة برقم (١٠٦٤) ، والنسائي في الكبرى برقم (٨٥٦٠) وابن ماجه في المقدمة ، باب : ذكر الخوارج حديث (١٦٩) .

[١] - زيادة من البخاري .

مالك ، عن أبي موسى ، رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب ، والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كالحنظلة طعمها مر - أو خبيث - وريحها مرّ** »(٣٩٦) .

ورواه في موضع آخر مع بقية الجماعة من طرق ، عن قتادة ، به(٣٩٧) .

ومضمون هذه الأحاديث التحذير من المراءاة بتلاوة القرآن التي هي من أعظم القرب ، كما جاء في الحديث : « **واعلم أنك لن تتقرب إلى الله بأعظم مما خرج منه** »(٣٩٨) يعني : القرآن .

والمذكورون في حديث علي وأبي سعيد هم الخوارج ، وهم الذين لا يجاوز إيمانهم حناجرهم ، وقد قال في الرواية الأخرى : « **يحقر أحدكم قراءته مع قراءتهم ، وصلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم** » . ومع هذا أمر بقتلهم لأنهم مراءون في أعمالهم في نفس الأمر ، وإن كان بعضهم قد لا يقصد ذلك ، إلا أنهم أسسوا أعمالهم على اعتقاد غير صالح ، فكانوا في ذلك كالمذمومين في قوله : ﴿ **أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شفا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾(٣٩٩) ،

---

(٣٩٦) - صحيح البخاري برقم (٥٠٥٩) .

(٣٩٧) - رواه البخاري في كتاب الأطعمة ، باب : ذكر الطعام برقم (٥٤٢٧) ، وفي التوحيد ، باب : قراءة الفاجر والمنافق (٧٥٦٠) ، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها برقم ٢٤٣ - (٧٩٧) ، وأبو داود في الأدب ، باب : من يؤمر أن يجالس برقم (٤٨٣٠) ، والترمذي في الأمثال ، باب : في مثل المؤمن القارئ للقرآن ... برقم (٢٨٦٥) ، والنسائي في الإيمان ، باب : مثل الذي يقرأ القرآن ... برقم ٥٠٣٨ - (٨/ ١٢٤) ، وابن ماجة في المقدمة برقم (٢١٤) .

(٣٩٨) - **إسناده ضعيف** ، من أجل ليث بن أبي سليم ، وبكر بن خنيس ، فقد رواه أحمد في المسند ٢٤٠٦ (٥/٢٦٨) عن هاشم بن القاسم ، ثنا بكر بن خنيس ، عن ليث بن أبي سليم ، عن زيد بن أرطاة ، عن أبي أمامة .... فذكره ، وأخرجه الترمذي في كتاب فضائل القرآن ، باب : رقم (١٧) (رقم : ٢٩١١) من طريق أحمد بن منيع ، عن هاشم بن القاسم ، به . ورواه ابن نصر في قيام الليل (ص ٤١ - ٢ ، ١٢٢) ، وفي تعظيم قدر الصلاة (١٧٨) ، وابن بطة في الإبانة - الرد على الجهمية (٨) ، والخطيب (٧/٨٨ ، ١٢/ ٢٢٠) ، وقال البخاري في خلق أفعال العباد (٥٠٩) : لا يصح . وقال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وبكر بن خنيس قد تكلم فيه ابن المبارك ، وتركه في آخر أمره ، وقد روى هذا الحديث زيد بن أرطاة ، عن جبير بن نفير ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، مرسل . حدثنا بذلك إسحاق بن منصور ، ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن معاوية ، عن العلاء بن الحارث ، عن زيد بن أرطاة ، عن جبير بن نفير قال : قال النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **إنكم لن ترجعوا إلى الله بأفضل مما خرج منه** » - يعني القرآن .

(٣٩٩) - [التوبة : ١٠٩]

وقد اختلف العلماء في تكفير الخوارج وتفسيقهم ورد رواياتهم ، كما سيأتي تفصيله في موضعه إن شاء اللَّه .

والمنافق المشبه بالريحانة التي لها ريح ظاهر وطعمها مر هو المرائي بتلاوته ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٤٠٠) .

ثم قال البخاري :

اقرءوا القرآن ما ائتَلفت عليه قلوبكم

حدثنا أبو النعمان محمد بن الفضل عارم ، حدثنا حماد بن زيد ، عن أبي عمران الجوني ، عن جندب بن عبد اللَّه ، رضي اللَّه عنه ، عن النبي ، صلى اللَّه عليه وسلم ، قال : « **اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ، فإذا اختلفتم فقوموا عنه** »(٤٠١) .

حدثنا عمرو بن علي بن بحر الفلّاس ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا سلام بن أبي مطيع ، عن أبي عمران الجوني، عن جُنْدُب قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: « **اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا [عنه]**[١] »(٤٠٢) .

تابعه الحارث بن عُبَيْد وسعيد بن زيد ، عن أبي عمران ، ولم يرفعه حماد بن سلمة وأبان .

وقال غُنْدَر : عن شعبة ، عن أبي عمران قال : سمعت جُنْدُبا - قوله

وقال ابن عون ، عن أبي عمران ، عن عبد اللَّه بن الصامت ، عن عمر - قوله .

وجندب أصح وأكثر(٤٠٣) .

وقد رواه في موضع آخر ، ومسلم كلاهما عن إسحاق بن منصور ، عن عبد الصمد ، عن همام ، عن أبي عمران ، به(٤٠٤)

---

(٤٠٠) - [النساء : ١٤٢]

(٤٠١) - صحيح البخاري برقم (٥٠٦٠) .

(٤٠٢) - صحيح البخاري برقم (٥٠٦١) .

(٤٠٣) - قال الحافظ ابن حجر : « أي أصح سندًا وأكثر طرقًا ، وهو كما قال ، فإن الجم الغفير رواه عن أبي عمران عن جندب إلا أنهم اختلفوا عليه في رفعه ووقفه ، والذين رفعوه ثقات حفاظ فالحكم لهم ، وأما رواية ابن عون فشاذة لم يتابع عليها » .

(٤٠٤) - البخاري ، في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب : كراهية الاختلاف =

---

[١] - زيادة من البخاري .

ومسلم - أيضًا - عن يحيى بن يحيى ، عن الحارث بن عبيد أبي قدامة ، عن أبي عمران ، به .

ورواه مسلم - أيضًا - عن أحمد بن سعيد ، عن حبان بن هلال ، عن أبان العطار ، عن أبي عمران ، به مرفوعًا[٤٠٥] .

وقد حكى البخاري : أن أبان وحماد بن سلمة لم يرفعاه ، فالله أعلم .

ورواه النسائي والطبراني[٤٠٦] من حديث مسلم بن إبراهيم ، عن هارون بن موسى الأعور النحوي ، عن أبي عمران ، به .

ورواه النسائي - أيضا - من طرق عن سفيان ، عن حجاج بن فرافصة ، عن أبي عمران ، به مرفوعًا[٤٠٧] ، وفي رواية عن هارون بن زيد بن أبي الزرقاء ، عن أبيه ، عن سفيان ، عن حجاج ، عن أبي عمران ، عن جُنْدُب موقوفًا ، ورواه عن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ، عن إسحاق الأزرق ، عن عبد الله بن عون ، عن أبي عمران ، عن عبد الله بن الصامت ، عن عمر قوله .

قال أبو بكر بن أبي داود : لم يخطئ ابن عون في حديث قط إلا في هذا ، والصواب عن جندب .

ورواه الطبراني ، عن علي بن عبد العزيز ، عن مسلم بن إبراهيم وسعيد بن منصور قالا : حدثنا الحارث بن عبيد ، عن أبي عمران ، عن جندب مرفوعًا[٤٠٨] .

فهذا مما تيسر من ذكر طرق هذا الحديث على سبيل الاختصار ، والصحيح منها ما أرشد إليه شيخ هذه الصناعة أبو عبد الله البخاري ، رحمه الله ، من أن الأكثر والأصح : أنه عن جندب بن عبد الله مرفوعًا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومعنى الحديث أنه ، عليه السلام ، أرشد وحض أمته على تلاوة القرآن إذا كانت القلوب مجتمعة على تلاوته ، متفكرة فيه ، متدبرة له ، لا في حال شغلها وملالها ، فإنه لا يحصل المقصود من التلاوة بذلك كما ثبت في الحديث أنه قال عليه الصلاة والسلام : « **اكلفوا من**

= برقم (٧٣٦٥) ، ومسلم في كتاب العلم برقم ٤ - (٢٦٦٧) .

(٤٠٥) - مسلم في العلم برقم (٢٦٦٧) .

(٤٠٦) - السنن الكبرى للنسائي ، كتاب فضائل القرآن ، حديث (٨٠٩٨) ، والمعجم الكبير للطبراني حديث (١٦٧٤) .

(٤٠٧) - النسائي في الكبرى برقم (٨٠٩٦) .

(٤٠٨) - المعجم الكبير حديث ١٦٧٣ - (٢/١٦٣ - ١٦٤) .

العمل ما تطيقون ، فإن الله لا يمل حتى تملوا »[٤٠٩] ، وقال : **« أحب الأعمال إلى الله ما داوم عليه صاحبه وإن قل »** ، وفي اللفظ الآخر : **« أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل »**[٤١٠] .

ثم قال البخاري[٤١١] : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا شعبة ، عن عبد الملك بن ميسرة ، عن النزال بن سبرة ، عن عبد الله - هو ابن مسعود - أنه سمع رجلا يقرأ آية سمع النبي صلى الله عليه وسلم قرأ خلافها ، فأخذت بيده فانطلقت إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : **« كلاكما محسن فاقرأا »** أكبر علمي قال : **« فإن من كان قبلكم اختلفوا فأهلكهم الله عز وجل »** .

وأخرجه النسائي من رواية شعبة ، به .

وهذا في معنى الحديث الذي تقدمه ، وأنه ينهى عن الاختلاف في القراءة والمنازعة في ذلك والمراء فيه كما تقدم النهي عن ذلك ، والله أعلم .

وقريب من هذا ما رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في مسند أبيه :

حدثنا أبو محمد بن محمد الجرمي ، حدثنا يحيى بن سعيد الأموي ، عن الأعمش ، عن عاصم ، عن زر بن حبيش قال : قال عبد الله بن مسعود : تمارينا في سورة من القرآن فقلنا : خمس وثلاثون آية ، ست وثلاثون آية ، قال : فانطلقنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدنا عليًا يناجيه فقلنا له : اختلفنا في القراءة ، فاحمر وجه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال علي : إن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يأمركم أن تقرءوا كما قد علمتم[٤١٢] .

وهذا آخر ما أورده البخاري ، رحمه الله ، في كتاب فضائل القرآن ، جل منزله ، وتعالى قائله ، ولله الحمد والمنة .

---

(٤٠٩) - رواه البخاري في الإيمان ، باب : أحب الدين إلى الله أدومه برقم (٤٣) ، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها من صحيحه برقم (٧٨٥) من حديث عائشة ، رضي الله عنها .

(٤١٠) - رواه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها برقم ٢١٥ - (٧٨٢) من حديث عائشة ، رضي الله عنها .

(٤١١) - البخاري برقم (٥٠٦٢) ، والنسائي في الكبرى برقم (٨٠٩٥) .

(٤١٢) - **سنده حسن** ، زوائد المسند (١/١٠٥،١٠٦) ، ورواه أحمد (٣٩٩٢ ، ٣٩٩٣) ، والطبري في تفسيره (١٢/١) ، وأبو يعلى (٥٠٥٧/٨) ، وابن حبان (١٧٨٣) ، والحاكم وصححه (٢٢٣/٢ ، ٢٢٤).

كتاب الجامع
لأحاديث شتى تتعلق بتلاوة القرآن
وفضائله وفضل أهله

فصل

قال أحمد[٤١٣] : حدثنا معاوية بن هشام ، حدثنا شيبان ، عن فراس ، عن عطية ، عن أبي سعيد قال : قال نبي اللّه عليه الصلاة والسلام : « **يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة : اقرأ واصعد ، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة ، حتى يقرأ آخر شيء معه** » .

وقال أحمد[٤١٤] : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا حَيْوَة ، حدثنا بشير بن أبي عمرو

(٤١٣) – **إسناده ضعيف وهو حديث صحيح** ، عطية هو ابن سعد العوفي : ضعيف ، وقد تابعه ذكوان أبو صالح ، والحديث في المسند برقم ١١٣٧٦ – (٤٠/٣) ، ورواه أحمد ١٠٠٨٩ – (٤٧١/٢) ، من طريق وكيع ، ثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد ، أو عن أبي هريرة – شك الأعمش – قال : يقال لصاحب القرآن يوم القيامة : اقرأ وارقه ؛ فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها . وأخرجه ابن ماجه في كتاب الأدب ، باب : ثواب القرآن (٣٧٨٠) ، وأبو يعلى في مسنده ١٠٩٤ – (٣٤٦/٢) : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، ثنا عبيد اللّه بن موسى ، أنبأنا شيبان به ، وأخرجه أبو يعلى أيضًا ١٣٣٨ – (٤٩٥/٢) ثنا زهير ، ثنا عبيد اللّه بن موسى ، به ، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ، كتاب فضائل القرآن ، باب : من قال لصاحب القرآن : اقرأ وارقه (١) (١٧٢/٧) ، وقال الهيثمي في « المجمع » (١٦٥/٧) : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح . ويشهد له حديث عبد اللّه بن عمرو بن العاص عند أبي داود في الصلاة : باب : استحباب الترتيل في القراءة (١٤٦٤) ، والترمذي في ثواب القرآن ، باب : ما تقرب العبد بمثل القرآن (٢٩١٥) وقال : « حديث حسن صحيح » ، وصححه ابن حبان (٧٦٦) ، وفي الموارد (١٧٩٠) ، والحاكم (١/ ٥٥٢، ٥٥٣) ووافقه الذهبي .

(٤١٤) – **إسناده حسن** ، والحديث في المسند ١١٣٥٦- (٣٨/٣) . بشير بن أبي عمرو : هو أبوالفتح المصري الخولاني ؛ قال الحافظ في التقريب : ثقة ، والوليد بن قيس روى عنه أكثر من واحد . وثقه ابن حبان والعجلي ، وقال ابن حجر : « مقبول » . وأخرجه البخاري في « خلق أفعال العباد » (٦١٠) ، وابن حبان في « صحيحه » (٧٧٥) (٣٢/٣) ، والحاكم في « المستدرك » (٣٧٤/٢) ، (٥٤٧/٤) وعنه ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٢٦٢٦) (٥٣٣/٢) ، وفي « دلائل النبوة » (٤٦٥/٦) ، وابن أبي حاتم ، كما في تفسير ابن كثير (٢٣٩/٥) . من طريق عبد اللّه بن يزيد أبي عبد الرحمن المقرئ به . وقال الحاكم : « صحيح الإسناد » ووافقه الذهبي . وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٤٩٩/٤) إلى ابن المنذر وابن مردويه . وله طريق أخرى عن أبي سعيد بمعناه ، عند أبي نصر المروزي في « قيام الليل » (ص ١٢٨) ، وأبي عبيد في « فضائل القرآن » (ص ٢٠٥ – ٢٠٦) . والبغوي في شرح السنة (١١٨٢) (٤٣٩/٤) . وحسنه الشيخ الألباني في الصحيحة (٢٥٨) (٤٦٢/١) .

الخولاني ؛ أن الوليد بن قيس التجيبي حدثه أنه سمع أبا سعيد الخدري يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : « **يكون خلف من بعد الستين سنة ، أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ، ثم يكون خلف يقرءون القرآن لا يعدو تراقيهم ، ويقرأ القرآن ثلاثة : مؤمن ، ومنافق ، وفاجر** » .

قال بشير : فقلت للوليد : ما هؤلاء الثلاثة ؟ قال : المنافق كافر به ، والفاجر يَتَأَكَّل به ، والمؤمن يؤمن به .

وقال أحمد(٤١٥) : حدثنا حجاج ، حدثنا الليث ، حدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي الخير ، عن أبي الخطاب ، عن أبي سعيد أنه قال : إن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عام تبوك خطب الناس وهو مسند ظهره إلى نخلة فقال : « **ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس ؛ إن من خير الناس رجلا عمل في سبيل الله على ظهر فرسه أو على ظهر بعيره أو على قدميه حتى يأتيه الموت ، وإن من شر الناس رجلا فاجرا جريئًا يقرأ كتاب الله ، ولا يرعوي[١] إلى شيء منه** ».

قال الحافظ أبو بكر البزار(٤١٦) : حدثنا محمد بن عمر بن هياج الكوفي ، حدثنا الحسين ابن

---

(٤١٥) - **إسناده ضعيف لجهالة أبي الخطاب المصرى** ، والحديث في المسند ١١٣٣٥ ، ١١٣٩٠ ، ١١٥٦٥ - (٣٧/٣ ، ٤١ ، ٥٨) . وأبو الخطاب المصري ، قال ابن حجر : مجهول . قال المزي : ذكره الحاكم فيمن لم يقف على اسمه ، عن أبي سعيد . وقال النسائي : لا أعرفه . وكذا قال ابن المديني . وقال الذهبي : مجهول . ووثقه العجلي على عادته في توثيق كثير من المجاهيل . وأبو الخير ، هو مرثد بن عبد الله أبو الخير اليزني المصري ، ثقة فقيه ، روى له الجماعة . وأخرجه النسائي - كتاب الجهاد ، باب : فضل من عمل في سبيل الله على قدمه (١١/٦ - ١٢) . وعبد بن حميد في « المنتخب » (٩٨٩) ، والحاكم في المستدرك (٦٧/٢ - ٦٨) . وعنه البيهقي في السنن الكبرى (١٦٠/٩) ، ومن طريق آخر في « شعب الإيمان » (٤٢٩٠) (٤٢/٤) ، والمزى في « تهذيب الكمال » : (٢٨٣/٣٣) ترجمة أبي الخطاب ، من طرق عن ليث بن سعد ، به . وقال الحاكم « صحيح الإسناد » ووافقه الذهبي ، وليس كما قالا لجهالة حال أبي الخطاب .

(٤١٦) - **إسناده ضعيف** ؛ لضعف عطية بن سعد العوفي ، وكذا محمد بن الحسن بن أبي يزيد . ورواه الترمذي في أبواب ثواب القرآن ، باب : من شغله القرآن أعطي أفضل العطايا وفضل كلام الله على غيره كفضل الله على خلقه برقم (٢٩٢٦) من طريق محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني به ، وقال الترمذي : « هذا حديث حسن غريب » ، ورواه الدارمي في سننه (٣٣٥٩) ، ورواه الدارمي في الرد على الجهمية (٢٣٦ ، ٣٣٩) ، ورواه عبد الله بن أحمد في السنة (١٢٨) ، والبيهقي في الأسماء والصفات صـ (٢٣٨) . قال الحافظ في الفتح (٦٦/٩) : رجاله ثقات إلا عطية العوفي ففيه ضعف . وأخرجه =

---

[١] - يَرْعَوي أي : لاينكَفُّ ولا يَنْزَجِر ، من رعا يَرْعُو إذا كَفَّ عن الأمور . وقد ارْعَوَى عن القبيح يَرْعَوِي ارعواءً . والاسم : الرُّعيا بالفتح والضَّمّ. وقيل : الارعواء : النَّدم على الشيء والانصراف عنه وتركه . نهاية [٢٣٦/٢]

عبد الأول ، حدثنا محمد بن الحسن الهمداني ، عن عمرو بن قيس ، عن عطية ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **يقول الله تعالى : من شغله قراءة القرآن عن دعائي أعطيته أفضل ثواب السائلين** » . **وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم** : « **إن فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه** » ، ثم قال : تفرد به محمد بن الحسن ولم يتابع عليه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو عبيدة الحداد ، حدثني عبد الرحمن بن بُدَيْل بن ميسرة ، حدثني أبي ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إن لله أهْلِين من الناس** » . قيل : من هم يا رسول الله ؟ قال : « **أهْل القرآن هم أهل الله وخاصته** »(٤١٧) .

= ابن عدي من رواية شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة مرفوعًا : « **فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه** » . وفي إسناده عمر بن سعيد الأشج وهو ضعيف . وأخرجه ابن الضريس من وجه آخر عن شهر بن حوشب مرسلًا ، ورجاله لا بأس بهم . وأخرجه يحيى بن عبد الحميد الحماني في مسنده من حديث عمر ابن الخطاب ، وفي إسناده صفوان بن أبي الصهباء ، مختلف فيه . وأخرجه ابن الضريس أيضًا من طريق الجراح بن الضحاك ، عن علقمة بن مرثد ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، عن عثمان رفعه : « **خيركم من تعلم القرآن وعلمه – ثم قال – : وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه وذلك أنه منه** » . ثم قال الحافظ : وقد بين العسكري أن هذه الزيادة من قول أبي عبد الرحمن السلمي ، وقال البخاري في خلق أفعال العباد : وقال أبو عبد الرحمن السلمي ... فذكره . وأشار إلى أنه لا يصح مرفوعًا . وأخرجه العسكري أيضًا عن طاوس والحسن قولهما . اهـ .

وحديث أبي هريرة رواه أبو يعلى في معجم شيوخه عن موسى بن عبد الرحمن ، عن عمر بن سعيد الأبح ص ٢٩٤ – (٣٢٠ – ٣٢١) .

ورواه ابن عدي في ترجمة عمر بن سعيد الأبح (١٧٠٥/٥) .

ورواه اللالكائي في أصول الاعتقاد ٥٥٧ – (٣٣٩/٢) . من حديث عبد الوهاب بن عطاء ، عن سعيد ، عن الأشعث الأعمى ، عن شهر ، عن أبي هريرة . ورواه الدارمي في الرد على الجهمية (٣٢٦) – بسندين عن الأشعث – ورواه ابن بطة (٤٨٢/٢) بسند آخر عن شهر ، وكذا البيهقي في الأسماء والصفات (٢٣٩) .

ورواية الحديث مرسلًا عن شهر عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم رواه الدارمي (٣٣٦٠) . وابن الضريس.

وسئل الدارقطني عن حديث شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة فقال : يرويه أشعث بن جابر الحراني واختلف عنه ، فرواه عمر بن سعد الأبح ، عن ابن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أشعث الحراني ، عن شهر ، عن أبي هريرة . وغيره يرويه عن ابن أبي عروبة ، عن أشعث لا يذكر قتادة .

قال : ورواه حماد بن سلمة ، عن أشعث ، عن شهر مرسلًا ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وهو أشبه بالصواب . وقال عمرو بن حمران : عن سعيد عن قتادة ، عن شهر ، عن أبي هريرة مرفوعًا ، ولا يذكر أشعث . وكذلك قال شيبان بن فروخ ، عن عمر الأبح ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن شهر ، عن أبي هريرة مرفوعًا .

(٤١٧) – المسند ١١٣١٣ – (١٢٨/٣) ، وعبد الرحمن بن بديل : لابأس به ، (م ، س) وبديل بن ميسرة العقيلي البصري ، قال ابن سعد وابن معين والنسائي : ثقة ، وقال أبو حاتم : صدوق . والحديث =

وقال أبو القاسم الطبراني : حدثنا محمد بن علي بن شعيب السمسار ، حدثنا خالد بن خِدَاش ، حدثنا جعفر بن سليمان ، عن ثابت ، أن أنس بن مالك ، رضي الله عنه : كان إذا ختم القرآنَ جمع أهله وولده فدعا لهم(٤١٨) .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدثنا محمد بن عباد المكي ، حدثنا حاتم بن إسماعيل عن شريك ، عن الأعمش ، عن يزيد بن أبان ، عن الحسن ، عن أنس ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **القرآن غنى لا فقر بعده ولا غنى دونه** »(٤١٩) .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا سلمة بن شبيب ، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا عبد الله بن المحرر ، عن قتادة ، عن أنس ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لكل شيء حلية ، وحلية القرآن الصوت الحسن** »(٤٢٠) . ابن المحرر ضعيف .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لَهِيعة ، حدثنا بكر بن سوادة ، عن وفاء الخولاني ، عن أنس بن مالك قال : بينما نحن نقرأ فينا العربي والعجمي والأسود والأبيض ، إذ خرج علينا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : « **أنتم في خير ، تقرءون كتاب الله وفيكم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وسيأتي على الناس زمان يثقفونه كما يثقف القدح ، يتعجلون أجورهم ولا يتأجلونها** »(٤٢١) .

وقد رواه الإمام أحمد - أيضًا - عن حسن ، عن ابن لَهِيعة ، عن بكر ، عن وفاء ، عن سهل

= رواه أحمد ١١٣٠٠ ، (١٢٧/٣) ، ورواه النسائي في كتاب فضائل القرآن ، من السنن الكبرى ، وابن ماجه في المقدمة ، باب : فضل من تعلم القرآن وعلمه ، حديث (٢١٥) . جميعهم من حديث عبدالرحمن ابن مهدي ، عن عبدالرحمن بن بديل ، به . ورواه أحمد ١٢٣١٣ - (١٢٧/٣ - ١٢٨) ، وح ١٣٥٦٧ - (٢٤٢/٣) ، ورواه الطيالسي (٢١٢٤) ، وابن نصر في قيام الليل (ص ٧٤) ، والآجري في أخلاق حملة القرآن (٧) ، والحاكم (٥٥٦/١) ، وقال الذهبي في الميزان : إسناده صالح .

(٤١٨) - المعجم الكبير (٢٤٢/١) ، وأخرجه الدارمي (٣٣٦/٢) ، والفريابي في الفضائل (٨٣) ، وقال الهيثمي في المجمع (١٧٢/٧) : « رجاله ثقات » .

(٤١٩) - **إسناده ضعيف** ، رواه الطبراني في المعجم الكبير ٧٣٨ - (٢٥٥/١) ، وأبو يعلى في مسنده (٢٧٧٣) . وأورده الهيثمي في المجمع (١٥٨/٧) وقال : « رواه أبو يعلى وفيه يزيد بن أبان الرقاشي وهو ضعيف » . وأورده ابن حجر في المطالب ، والبوصيري في الاتحاف وأعله بيزيد بن أبان .

(٤٢٠) - مسند البزار برقم (٢٣٣٠ كشف الأستار) ، ومختصر زوائد البزار (١٥٧٢) ، ورواه عبد الرزاق في مصنفه (٤٨٤/) ، وابن عدي (١٤٥٢/٤) ، وقال البزار : تفرد به عبد الله بن المحرر ، وهوضعيف الحديث .

(٤٢١) - المسند ١٢٥٠٦ ، ١٢٦٠٣ - (١٤٦/٣ ، ١٥٥) . وذكره في مجمع الزوائد (٩٤/٤) وقال : رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه كلام .

ابن سعد ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فذكره[٤٢٢] .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا يوسف بن موسى ، حدثنا عبد الله بن الجهم ، حدثنا عمرو بن أبي قيس ، عن عبد ربه بن عبد الله ، عن عمر بن نبهان ، عن الحسن ، عن أنس ؛ أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « **إن البيت الذي يقرأ فيه القرآن يكثر خيره ، والبيت الذي لا يقرأ فيه القرآن يقل خيره** »[٤٢٣] .

وقال الحافظ أبو يعلى[٤٢٤] : حدثنا الفضل بن الصباح ، حدثنا أبو عبيدة ، عن محتسب ، حدثني يزيد الرقاشي ، عن أنس ؛ قال : قعد أبو موسى في بيت واجتمع إليه ناس ، فأنشأ يقرأ عليهم القرآن ، قال : فأتى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، رجل ، فقال : يا رسول الله ، ألا أعجبك من أبي موسى ؟ إنه قعد في بيت فاجتمع إليه ناس فأنشأ يقرأ عليهم القرآن قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أتستطيع أن تقعدني حيث لا يراني منهم أحد ؟** » . قال : نعم . قال : فخرج رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فأقعده الرجل حيث لا يراه منهم أحد ، فسمع قراءة أبي موسى فقال : « **إنه ليقرأ على مزمار من مزامير داود ، عليه السلام** » .

هذا غريب ، ويزيد الرقاشي ضعيف .

وقال الإمام أحمد : حدثنا مصعب بن سلام ، حدثنا جعفر - هو ابن محمد بن علي بن الحسين - عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله قال : خطبنا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ، ثم قال : « **أما بعد ، فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وإن أفضل الهدي هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة** » ثم يرفع صوته وتحمر وجنتاه ، ويشتد غضبه إذا ذكر الساعة ، كأنه منذر جيش . قال : ثم يقول : « **أتتكم الساعة بعثت أنا والساعة هكذا - وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى - صبحتكم الساعة ومستكم ، من ترك مالاً فلأهله ، ومن ترك دَيْنًا أو ضياعًا فإليّ وعليّ** »[٤٢٥] .

---

(٤٢٢) - المسند ٢٢٩٧٠ - (٣٣٨/٥) . ورواه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب : ما يجزئ الأمي والأعجمي من القراءة (رقم : ٨٣١) . من طريق أحمد بن صالح ، عن عبد الله بن وهب ، به ، ورواه ابن حبان (١٧٨٦ ، ١٧٨٧) ، والطبراني في الكبير (٦٠٢٤/٦) .

(٤٢٣) - مسند البزار برقم (٢٣٢١) « كشف الأستار » ، ومختصر الزوائد (١٥٧٠) وقال الهيثمي في المجمع (١٧١/٧) : رواه البزار وقال : لم يروه إلا أنس . وفيه عمر بن نبهان ضعيف .

(٤٢٤) - مسند أبي يعلى (١٣٣/٧-١٣٥) (٤٠٩٦) وفيه يزيد الرقاشي ضعيف ، ومحتسب : لين الحديث ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٦٠/٩) ، وقال : رواه أبو يعلى ، وإسناده حسن . كذا قال !!! ، وأورده الحافظ في المطالب (٤٤٣٧) ، وكذا البوصيري في الإتحاف ، وضعف إسناده بيزيد الرقاشي .

(٤٢٥) - المسند ١٤٣٧٥ - (٣١٠/٣) . والحديث رواه : مسلم في كتاب الصلاة ، باب : تخفيف الصلاة والخطبة (٢١٨/٦) ، حديث ٤٣،٤٤،٤٥ - (٨٦٧) . والنسائي في الصلاة ، باب : كيف =

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الوهاب - يعني ابن عطاء - أنبأنا أسامة بن زيد الليثي ، عن محمد بن المنْكَدِر ، عن جابر بن عبد اللَّه قال : دخل رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، المسجد ، فإذا قوم يقرءون القرآن فقال : « **اقرءوا القرآن وابتغوا به وجه اللَّه - عز وجل - من قبل أن يأتي قوم يقيمونه إقامة القدح**[١] ، **يتعجلونه**[٢] **ولا يتأجلونه**[٣] »(٤٢٦) .

قال أحمد - أيضًا - حدثنا خلف بن الوليد ، حدثنا خالد ، حدثنا حميد الأعرج ، عن محمد بن المنْكَدِر ، عن جابر بن عبد اللَّه قال : خرج علينا رسول اللَّه صلي اللَّه عليه وسلم ونحن نقرأ القرآن ، وفينا العجمي والأعرابي قال : فاستمع فقال : « **اقرءوا فكلّ حسن ، وسيأتي قوم يقيمونه كما يقام القدح ، يتعجلونه ولا يتأجلونه** »(٤٢٧) .

وقال أبو بكر البزار : حدثنا أبو كُرَيْب محمد بن العلاء ، حدثنا عبد اللَّه بن الأجلح ، عن الأعمش ، عن المعلى الكندي ، عن عبد اللَّه بن مسعود قال : إن هذا القرآن شافع مشفع ، من اتبعه قاده إلى الجنة ، ومن تركه أو أعرض عنه - أو كلمة نحوها - زجّ في قفاه إلى النار »(٤٢٨) .

= الخطبة (١٨٨/٣) . وفي كتاب العلم من الكبرىٰ ، باب : الغضب عند الموعظة والتعليم إذا رأى العالم ما يكره (٤٤٩/٣ ، ٤٥٠) حديث ٥٨٩٢. وابن ماجة في المقدمة ، باب : اجتناب البدع والجدل (١/ ١٧) ، حديث ٤٥. والحديث رواه أحمد حديث ١٤٤٧٣ - (٣١٩/٣). ورواه أحمد حديث ١٥٠٢٧ - (٣٧١/٣) .

(٤٢٦) - **صحيح - على ضعفٍ في إسناده** ، أسامة بن زيد الليثي ضعفه أحمد ويحيى القطان ، وقال ابن حجر : صدوق يهم . وقد تابعه حميد الأعرج ، وحميد الأعرج : ليس به بأس ، روى له الجماعة ، والحديث في المسند ١٤٨٨٩ - (٣٥٧/٣) ، ورواه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب : ما يجزئ الأمي والأعجمي من القراءة حديث (٨٣٠) من حديث حميد الأعرج ، عن ابن المنكدر ، به ، ورواه أبو يعلى (٢١٩٧/٤) ، والبيهقي في الشعب (٢٤٠٠ ، ٢٤٠١ هـ) .

(٤٢٧) - المسند ١٥٣١٣ - (٣٩٧/٣) ، وأبو داود (٨٣٠) ، والبيهقي في الشعب (٢٣٩٩ هـ) ، والبغوي في شرح السنة (٨٨/٣) .

(٤٢٨) - مسند البزار برقم (١٢١) « كشف الأستار » . ، وأورده ابن حجر في مختصر زوائد البزار برقم (١١٥) . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧١/١) وقال : رواه البزار هكذا موقوفًا على =

[١] - القِدْح : السهم الذي يُرْمَى به عن القوس ، بعد تقويمه واعتداله ، ويقيمونه إقامة القِدْح ؛ أي : يبالغون في تحسينه كما يبالغون في تحسين القدح واعتداله . الفتح الرباني بتصرف [١٣/١٨] .

[٢] - يتعجلونه أي : يطلبون بقراءته أجرة من عَرَض الدنيا الزائل ، ولا يقرءونه للَّه ليوفيهم أجورهم في الآخرة . الفتح الرباني [١٣/١٨] .

[٣] - لا يتأجلونه التأجُّل تَفَعُّل من الأجل وهو الوقت المحدود المضروب في المستقبل، أي : أنهم يتعجلون العمل بالقرآن ولايؤخرونه . نهاية [٢٦/١] .

وحدثنا أبو كريب ، حدثنا عبد الله بن الأجلح ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه(٤٢٩) .

وقال الحافظ أبو يعلى(٤٣٠) : حدثنا أحمد بن عبد العزيز بن مروان أبو صخر ، حدثني بكر ابن يونس ، عن موسى بن علي ، عن أبيه ، عن يحيى بن أبي كثير اليمامي ، عن جابر بن عبد الله ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **من قرأ ألف آية كتب الله له قنطارا ، والقنطار مائة رطل ، والرطل اثنتا عشرة أوقية ، والأوقية ستة دنانير ، والدينار أربعة وعشرون قيراطا ، والقيراط مثل أُحد ، ومن قرأ ثلاثمائة آية قال الله لملائكته : نصب عبدي لي ، أشهدكم يا ملائكتي أنّي قد غفرت له ، ومن بلغه عن الله فضيلة فعمل بها إيمانًا به ورجاء ثوابه ، أعطاه الله ذلك وإن لم يكن كذلك** » .

وقال أحمد (٤٣١) : حدثنا جرير ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إنَّ الرجل الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب** » .

قال البزار : لا نعلمه يروى عن ابن عباس إلا من هذا الوجه .

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، حدثني أبي قال : وجدت في كتاب أبي بخطه عن عمران بن أبي عمران ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **من اتبع كتاب الله هداه الله من الضلالة ، ووقاه سوء الحساب يوم القيامة ، وذلك أن الله عز وجل يقول : ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ ولا يَشْقَى ﴾** [طه :

= ابن مسعود ، وروى بإسناده عن جابر أن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال ... بنحوه . ورجال حديث جابر المرفوع ثقات . ورجال أثر ابن مسعود فيه المعلى الكندي وقد وثقه ابن حبان .

(٤٢٩) - البزار كما في (كشف الأستار ١٢٢) . وأورده ابن حجر في مختصر زوائد البزار برقم (١١٦) ، ورواه ابن حبان (١٢٤) ، والبيهقي (١٨٥٥/٤) ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧١/١) وقال : رجاله ثقات .

(٤٣٠) - معجم الشيوخ لأبي يعلى (٧٤) ، - مقتصرًا على أوله - وأحمد بن عبد العزيز بن مروان : ذكره ابن حبان في الثقات وقال : يغرب . وأشار إلى جهالته الخطيب كما في اللسان (٢١٥/١) . وأما بكر بن يونس فهو منكر الحديث . قاله البخاري ، وضعفه أبو حاتم . وقال ابن عدي : عامة ما يرويه لا يتابع عليه (الميزان ٣٤٨/١) ، و(التهذيب ٤٨٨/١) . ويحيى بن أبي كثير لم يسمع من جابر - انظر جامع التحصيل للعلائي ص ٢٩٩ - وأورده الحافظ في المطالب ٣٨٨٢ - (٤٨٠/٨) وسقط منه الصحابي وأول المتن .

(٤٣١) - المسند ١٩٤٧ - (٢٢٣/١) . ورواه الترمذي في ثواب القرآن ، باب : الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب (٢٩١٤) عن أحمد بن منيع ، عن جرير به . وقال : حسن صحيح . ونسبه شارحه أيضًا للدارمي ٣٣٠٩ - (٣٠٨/٢) ، والحاكم (٥٥٤/١) .

١٢٣] »(٤٣٢) .

وقال الطبراني : حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح ، حدثنا أبي ، حدثنا ابن لَهِيعة ، عن عمرو ابن دينار ، عن طاوس ، عن ابن عباس ؛ أن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم قال : « **إن أحسن الناس قراءة من قرأ القرآن يتحزن به** »(٤٣٣) .

وقال - أيضا - : حدثنا أبو يزيد القراطيسي ، حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا عبدة بن سليمان ، عن سعيد أبي سعد البقال ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم : « **أحسنوا الأصوات بالقرآن** »(٤٣٤) .

وروى - أيضًا - بسنده إلى الضحاك عن ابن عباس مرفوعًا : « **أشراف أمتي حملة القرآن** »(٤٣٥) .

وقال الطبراني : حدثنا معاذ بن المثنى ، حدثنا إبراهيم بن أبي سويد الذارع ، حدثنا صالح المري ، عن قتادة ، عن زرارة بن أوفى ، عن ابن عباس قال : سأل رجل رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم فقال : أي الأعمال أحب إلى اللّٰه ؟ فقال : « **الحال المرتحل** » . قال : يا رسول اللّٰه ، ما الحال المرتحل ؟ قال : « **صاحب القرآن يضرب في أوله حتى يبلغ آخره ، وفي آخره حتى يبلغ أوله** »(٤٣٦) .

---

(٤٣٢) - المعجم الكبير ١٢٤٣٧ - (١٢/٤٨) ، وفي الأوسط ٥٤٦٦ - (٥/٣٣٢) ، وقال الهيثمي في المجمع (١/١٦٩) : « فيه أبو شيبة وهو ضعيف جدًا » . وأورده الألباني في ضعيف الجامع (٥٣٢٩) ، وقال : ضعيف جدًا . وعزاه للضعيفة (٤٥٣١) .

وقد ورد موقوفًا عن ابن عباس ، رواه أبو يكر بن أبي شيبة (١٠/٤٦٧ ، ٤٦٨) ، وعبد الرزاق (٣/٦٠٣٣) ، وابن جرير (١٦/٣٢٥) ، والحاكم (٢/٣٨١) ، والبيهقي في الشعب (١٨٧١ هـ) .

(٤٣٣) - المعجم الكبير ١٠٨٥٢ - (١١/٧) ، وأبو نعييم في الحلية (٤/١٩) وأورده في مجمع الزوائد (٧/ ١٧٠) وقال : رواه الطبراني ، وفيه ابن لهيعة ، وهو حسن الحديث وفيه ضعف .

(٤٣٤) - المعجم الكبير ١٢٦٤٣ - (١٢/١٨) ، ورواه ابن عدي في الكامل (٣/١١٩٤ ، ٧/٢٥٢١) ، وأبو سعد البقال ضعيف بل متروك ، والضحاك لم يسمع من ابن عباس ، وأورده في مجمع الزوائد (٧/ ١٧٠) بلفظ : « **زينوا أصواتكم بالقرآن** » وفي رواية : « **أحسنوا أصواتكم بالقرآن** » . وقال : رواه الطبراني بإسنادين وفي أحدهما عبد اللّٰه بن خراش وثقه ابن حبان وقال : ربما أخطأ ، ووثقه البخاري وغيره ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(٤٣٥) - المعجم الكبير ١٢٦١٢ - (١٢/١٢٥) من طريق سعد الجرجاني عن نهشل - وكلاهما ضعيف - عن الضحاك به . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/١٩١)وقال : رواه الطبراني وفيه سعد بن سعيد الجرجاني ، وهو ضعيف .

(٤٣٦) - **إسناده ضعيف** ، والحديث في المعجم الكبير ١٢٧٨٣ - (١٢/١٦٨) ، وعنه أبو نعيم في الحلية (٢/٢٦٠) ، ورواه الحاكم في المستدرك (١/٥٦٨) من طريق صالح المري به ، وقال : « تفرد به =

ذكر الدعاء المأثور

لحفظ القرآن وطرد النسيان

قال الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير : حدثنا الحسين بن إسحاق التستري ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا محمد بن إبراهيم القرشي ، حدثني أبو صالح وعكرمة ، عن ابن عباس قال : قال علي بن أبي طالب : يا رسول اللّه ، القرآن يتفلت من صدري ، فقال النبي صلى اللّه عليه وسلم : « **أعلمك كلمات ينفعك اللّه بهن وينفع من علمته** » . قال : قال : نعم بأبي أنت وأمي ، قال : « **صلِّ ليلة الجمعة أربع ركعات تقرأ في الأولى بفاتحة الكتاب ويس ، وفي الثانية بفاتحة الكتاب وحم الدخان ، وفي الثالثة بفاتحة الكتاب والمّ تنزيل السجدة ، وفي الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل ، فإذا فرغت من التشهد فاحمد اللّه وأثن عليه ، وصل على النبيين ، واستغفر للمؤمنين ، ثم قل : اللّهم ارحمني بترك المعاصي أبدًا ما أبقيتني ، وارحمني من أن أتكلف ما لا يعنيني ، وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني ، اللّهم بديع السموات والأرض ، ذا الجلال والإكرام والعزة التي لا ترام ، أسألك يا اللّه يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تلزم قلبي حفظ[١] كتابك كما علمتني ، وارزقني أن أتلوه على النحو الذي يرضيك عني ، وأسألك أن تنور بالكتاب بصري ، وتطلق به لساني ، وتفرج به عن قلبي ، وتشرح به صدري ، وتستعمل به بدني ، وتقويني على ذلك وتعينني [على ذلك][٢] ، فإنه لا يعينني على الخير غيرك ، ولا يوفق له إلا أنت ، فافعل ذلك ثلاث جمع أو خمسًا أو سبعا تحفظه بإذن اللّه وما أخطأ مؤمنا قط** » . فأتى النبي صلى اللّه عليه وسلم بعد ذلك بسبع جمع فأخبره بحفظ القرآن والحديث ، فقال النبي صلى اللّه عليه وسلم : « **مؤمن ورب الكعبة** » علم أبو الحسن[٣] ، علم أبو الحسن [٤] » هذا سياق الطبراني (٤٣٧) .

وقال أبو عيسى الترمذي في كتاب الدعوات من جامعه (٤٣٨) : حدثنا أحمد بن الحسن ،

= صالح المري ، وهو من زهاد أهل البصرة » . وتعقبه الذهبي فقال : « صالح متروك » . ورواه الترمذي بنحوه في كتاب القراءات (٢٩٤٨) . والدارمي بنحوه في فضائل القرآن (٤٦٩/٢) . روياه من طريق صالح المري .

(٤٣٧) - المعجم الكبير ١٢٠٣٦ - (٣٦٧/١١) ، ورواه الطبراني في الدعاء (١٣٣٣) ، ورواه من طريقه ابن الجوزي في الموضوعات (١٣٨/٢) ، وقال : « هذا حديث لا يصح ، ومحمد بن إبراهيم مجروح ، وأبو صالح لا نعلمه إلا إسحاق بن نجيح وهو متروك » ..

(٤٣٨) - رواه الترمذي في الدعوات ، باب : في دعاء الحفظ برقم (٣٥٧٠) ، والحاكم في المستدرك (١/ ٣١٦،٣١٧) ، وقال الذهبي : هذا حديث منكر شاذ أخاف أن يكون موضوعًا ، وقد حيرني =

---

[١] - في المعجم الكبير : « حب » . [٢] - في المعجم الكبير : « عليه » .
[٣] - في المعجم الكبير : « أبا حسن » . [٤] - في المعجم الكبير : « أبا حسن » .

حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا ابن جريج ، عن عطاء ابن أبي رباح وعكرمة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس أنه قال : بينما نحن عند رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم إذ جاءه علي بن أبي طالب فقال : بأبي أنت وأمي ، تفلت هذا القرآن من صدري فما أجدني أقدر عليه ، فقال له رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم : « **يا أبا الحسن ، أفلا أعلمك كلمات ينفعك اللّٰه بهن ، وينفع بهن من علمته ، ويثبت ما تعلمت في صدرك ؟** » قال : أجل يا رسول اللّٰه ، فعلمني ، قال : « **إذا كان ليلة الجمعة فإن استطعت أن تقوم في ثلث الليل الآخر فإنها ساعة مشهودة ، والدعاء فيها مستجاب ، وقد قال أخي يعقوب لبنيه : ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ﴾(٤٣٩) ، يقول : حتى تأتي ليلة الجمعة ، فإن لم تستطع فقم في وسطها ، فإن لم تستطع فقم في أولها فصل أربع ركعات ، تقرأ في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وسورة يس ، وفي الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وحم الدخان ، وفي الركعة الثالثة بفاتحة الكتاب والم تنزيل السجدة ، وفي الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل ، فإذا فرغت من التشهد ، فاحمد اللّٰه وأحسن الثناء على اللّٰه ، وصل عليّ وأحسن وعلى سائر النبيين ، واستغفر للمؤمنين والمؤمنات ، ولإخوانك الذين سبقوك بالإيمان ، ثم قل في آخر ذلك : اللّٰهم ارحمني بترك المعاصي أبدا ما أبقيتني ، وارحمني أن أتكلف ما لا يعنيني ، وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني ، اللّٰهم بديع السموات والأرض ، ذا الجلال والإكرام والعزة التي لا ترام ، أسألك يا اللّٰه يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تلزم قلبي حفظ كتابك كما علمتني ، وارزقني أن أتلوه على النحو الذي يرضيك عني ، اللّٰهم بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام والعزة التي لا ترام ، أسألك يا اللّٰه يا رحمن بجلالك ونور وجهك ، أن تنور بكتابك بصري ، وأن تطلق به لساني ، وأن تفرج به عن قلبي ، وأن تشرح به صدري ، وأن تغسل به بدني ، فإنه لا يعينني على الحق غيرك ولا يؤتيه إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا باللّٰه العلي العظيم ، يا أبا الحسن ، تفعل ذلك ثلاث جمع أو خمسا أو سبعا تجاب بإذن اللّٰه تعالى ، والذي بعثني بالحق ما أخطأ مؤمنا قط** » . قال ابن عباس : فواللّٰه ما لبث عليّ إلا خمسًا أو سبعًا حتى جاء عليّ[١] رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم في مثل ذلك المجلس ، فقال : يا رسول اللّٰه ، واللّٰه إني كنت فيما خلا لا آخذ إلا أربع آيات أو نحوهن ، فإذا قرأتُهن على نفسي تَفَلَّتْنَ وأنا أتعلّم اليوم أربعين آية أو نحوها ، فإذا قرأتها على نفسي فكأنما كتاب اللّٰه بين عَيْنَيّ ، ولقد كنت أسمع الحديث ، فإذا رَدَّدْتُه تَفَلّت ، وأنا اليوم أسمع الأحاديث ، فإذا تحدثتُ

= واللّٰه جودة سنده ، ليس فيه إلا الوليد بن مسلم ، وقد قال : حدثنا ابن جريج . وقال في الميزان (٢/٢١٣ - ٢١٤) ، وهو مع نظافة سنده حديث منكر جدًا ، في نفسي منه شيء ، فاللّٰه أعلم ، فلعل سليمان شبه له كما قال فيه أبو حاتم : لو أن رجلًا وضع له حديثًا لم يفهم .

(٤٣٩) - [يوسف : ٩٨] .

[١] - زيادة من الترمذي

بها لم أَخْرِم منها حرفًا ، فقال له رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، عند ذلك : « **مؤمن ورب الكعبة يا أبا الحسن** » .

ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم . كذا قال : وقد تقدم من غير طريقه .

ورواه الحاكم في مستدركه من طريق الوليد ، ثم قال : على شرط الشيخين ولا شك أن سنده من الوليد على شرط الشيخين حيث صرح الوليد بالسماع من ابن جريج ، فاللَّه أعلم - فإنه في المتن غرابة بل نكارة ، واللَّه أعلم .

وقال الإمام أحمد(٤٤٠) : حدثنا وَكِيع ، حدثنا العمري ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **مثل القرآن مثل الإبل المعقلة إن تعاهدها صاحبها أمسكها ، وإن تركها ذهبت** » .

ورواه - أيضًا - عن محمد بن عبيد ويحيى بن سعيد، عن عبيد اللَّه العمري به(٤٤١).

ورواه أيضًا عن عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر مرفوعًا نحوه(٤٤٢) .

وقال البزار : حدثنا محمد بن معمر ، حدثنا حميد بن حماد بن أبي الحوار ، حدثنا مِسْعر ، عن عبد اللَّه بن دينار ، عن ابن عمر قال : سئل رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : أي الناس أحسن قراءة ؟ قال : « **من إذا سمعته يقرأ رؤيت أنه يخشى اللَّه ، عز وجل** »(٤٤٣) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد اللَّه بن عمرو ، عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم قال : « **يقال لصاحب القرآن : اقْرأ وارْقَ ورَتِّل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها** »(٤٤٤) .

---

(٤٤٠) - **إسناده صحيح** والحديث في المسند ٤٧٥٩ - (٢٣/٢) .

(٤٤١) - **إسناده صحيح** والحديث في المسند ٤٦٦٥ ، ٤٨٤٥ - (١٧/٢، ٣٠) .

(٤٤٢) - **إسناده صحيح** والحديث في المسند ٤٩٢٣ - (٣٥/٢) .

(٤٤٣) - رواه البزار برقم (٢٣٣٦ كشف الأستار) ، وهو في مختصر زوائد البزار (١٥٧٨) وقال البزار : لم يتابع حميد على روايته هذه ، إنما يرويه مسعر ، عن عبد الكريم ، عن مجاهد مرسلًا ، ومسعر لم يحدث عن عبد اللَّه بن دينار بشيء ، ولم نسمع هذا إلا من محمد بن معمر أخرجه إلينا من كتابه ، ورواه الروياني في مسنده ، والطبراني في الأوسط ، وتمام في فوائده (١٤٥٨) ، وابن عدي في الكامل (٢/ ٩٦٣) ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٠/٧) وقال : رواه الطبراني في الأوسط والبزار وفيه حميد ابن حماد بن خوار وثقه ابن حبان ، وقال : ربما أخطأ وبقية رجال البزار رجال الصحيح .

(٤٤٤) - **إسناده صحيح** ، والحديث في المسند ٦٧٩٩ - (١٩٢/٢) .

وقال أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لَهِيعة ، حدثني حيي بن عبد الله ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي ، عن عبد الله بن عمرو قال : جاء رجل إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إني أقرأ القرآن فلا أجد قلبي يعقل عليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إن قلبك حُشِيَ الإيمان ، وإن [العبد يُعطى الإيمان]**[١] **قبل القرآن** »(٤٤٥) .

وبهذا الإسناد : أن رجلًا جاء بابن له فقال : يا رسول الله ، إن ابني هذا يقرأ المصحف بالنهار ويبيت بالليل ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **ما تنقم أن ابنك يظل ذاكرًا ويبيت سالمًا** »(٤٤٦) .

وقال أحمد : حدثنا موسى بن داود ، حدثنا ابن لَهِيعة ، عن حيي ، عن أبي عبد الرحمن ، عن عبد الله بن عمرو ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : أي رب ، منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن : منعته النوم بالليل فشفعني فيه** » ، قال : « **فيشفعان** »(٤٤٧) .

وقال أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لَهِيعة ، حدثنا دراج ، عن عبد الرحمن بن جبير ، عن عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **أكثر منافقي أمتي قراؤها** »(٤٤٨) .

---

(٤٤٥) - والحديث في المسند ٦٦٠٤ - (١٧٢/٢) . وأورده الهيثمي (٦٣/١) وقال : رواه أحمد وفيه ابن لهيعة .

(٤٤٦) - والحديث في المسند ٦٦١٤ - (١٧٣/٢) . وأورده الهيثمي (٢٧٠/٢) وقال : رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وفيه كلام .

(٤٤٧) - والحديث في المسند ٦٦٢٦ - (١٧٤/٢) . ورواه الحاكم (٥٥٤/١) من طريق ابن وهب ، عن حيي بن عبد الله بهذا الإسناد ، وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . ورواه أبو نعيم في الحلية (١٦١/٨) من طريق رشدين بن سعد ، عن حيي بن عبد الله به . ونسبه السيوطي في الجامع الصغير (٥٢٠٣) للبيهقي في الشعب (١٩٩٤ هـ) . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨١/٣) وقال : رواه أحمد ، والطبراني في الكبير ورجال الطبراني رجال الصحيح .

(٤٤٨) - والحديث في المسند ٦٦٣٤ - (١٧٥/٢) ، ورواه ابن بطة في الإبانة (٩٤٢) من طريق ابن وهب ، ثنا ابن لهيعة بسنده سواء . وقال العراقي : رواه أحمد من حديث عقبة بن عامر ، وعبد الله بن عمرو وفيهما ابن لهيعة .

ورواه البيهقي في السنن ، وفي الشعب عن ابن عمر ، وكذلك رواه ابن عدي في ترجمة الفضل بن مختار ، والحاكم في تاريخ نيسابور في ترجمة عبد الله بن خالد التميمي ، عن عصمة بن مالك ، قال الهيثمي : أحد أسانيد أحمد ثقات أثبات ، وسند الطبراني فيه الفضل بن المختار وهو ضعيف ، وهكذا أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف قال : حدثنا زيد بن الحارث قال : حدثني عبد الرحمن بن شريح ، =

---

[١] - في المسند : « الإيمان يعطي العبد » .

وقال أحمد(٤٤٩) : حدثنا وَكِيع ، حدثني همام ، عن قتادة ، عن يزيد بن عبد اللَّه بن الشخير ، عن عبد اللَّه بن عمرو قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفقه** » .

ورواه - أيضًا - عن غُنْدَر ، عن شعبة ، عن قتادة ، به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقال أبو القاسم الطبراني(٤٥٠) : حدثنا محمد بن إسحاق بن راهويه ، حدثنا أبي ، حدثنا عيسى بن يونس ، ويحيى بن أبي الحجاج التميمي ، عن إسماعيل بن رافع ، عن إسماعيل بن عبيد اللَّه بن أبي المهاجر ، عن عبد اللَّه بن عَمْرو ، عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قال : « **من قرأ القرآن فكأنما استُدْرِجَتِ النبوَّةُ بين جنبيه ، غير أنه لا يُوحَى إليه ، ومن قرأ القرآن فرأى أن أحدًا أُعْطِيَ أفضلَ مما أُعْطِيَ فقدَ عَظَّم ما صَغَّر اللَّه ، وصَغَّر ما عظَّم اللَّه ، وليس ينبغي لحامل القرآن أن يَسْفَه فيمن يَسْفَه ، أو يَغْضَب فيمن يَغْضَب ، أو يَحْتَدَّ فيمن يَحْتَدُّ ، ولكن يعفو ويصفح ، لِفضل القرآن** » .

= حدثنا شرحبيل بن يزيد العامري قال : سمعت محمد بن صدقة الصدفي يقول : سمعت عبد اللَّه بن عمرو يقول : سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول ... فساقه .

وحديث عقبة بن عامر ؛ رواه أحمد (١٥١/٤ ، ١٥٤ ، ١٥٥) ، والفريابي في صفة المنافق (٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤) ، والطبراني في الكبير (٨٥١/١٧) ، وابن عدي في الكامل (١٤٦٦/٤) .

وقد تابع الوليد بن المغيرة ، وهو ثقة ابن لهيعة عند البخاري في خلق أفعال العباد (٦١٤) ، والفريابي (٣٥) والبيهقي في الشعب (٦٥٦١ هـ) ، وأحمد (١٥٥/٤) .

(٤٤٩) - المسند ٦٨١٠ - (١٩٣/٢) ، و٦٥٣٥ ، ٦٨٤١ - (١٦٤/٢،١٩٥) ، ورواه الطيالسي (٢٢٧٥) . ورواه أبو داود في الصلاة ، باب : في كم يقرأ القرآن (١٣٩٠) ورواه الترمذي في القراءات (٢٩٤٧) وابن ماجه .

وقد جاء في كراهية قراءته في أقل من ثلاث عن جماعة من الصحابة منهم معاذ بن جبل ، قال أبو عبيد القاسم ابن سلام : حدثنا يزيد هو ابن هارون ، حدثنا هشام بن حسان ، عن حفصة بنت سيرين ، عن أبي العالية ، عن معاذ أنه كان يكره أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث .

(٤٥٠) - أورده الهيثمي في المجمع (١٥٩/٧) وقال : رواه الطبراني وفيه إسماعيل بن رافع وهو متروك . وأورد الهندي في تذكرة الموضوعات : « **من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدًا أوتي أفضلَ مما أوتيَ لقدَ استصغر ما عظم اللَّه تعالى** » وقال : ضعيف .

ورواه ابن أبي شيبة في المصنف موقوفًا على عبد اللَّه بن عمرو ، وكذلك محمد بن نصر في كتاب قيام الليل . وأخرج ابن الأنباري في المصاحف ، والبيهقي ، وابن عساكر ، عن أبي أمامة مرفوعًا ، والخطيب عن ابن عمر كذلك : « **من قرأ ثلث القرآن فقد أعطي ثلث النبوة ، ومن قرأ نصف القرآن أعطي نصف النبوة ، ومن قرأ ثلثيه أعطي ثلثي النبوة ، ومن قرأ القرآن كله فقد أعطي النبوة كلها غير أنه لا يوحى إليه ...** » الحديث . وأخرج الحاكم والبيهقي عن عبد اللَّه بن عمرو رفعه : « **من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه** » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم ، حدثنا عباد بن ميسرة ، عن الحَسَن ، عن أبي هُرَيرةَ ؛ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **من استمع إلى آية من كتاب الله كُتِبتْ له حسنةٌ مضاعفةٌ ومن تلاها كانت له نورًا يوم القيامة** »(٤٥١) .

وقال البزار : حدثنا محمد بن حرب ، حدثنا يحيى بن المتوكل ، حدثنا عَنْبَسة بن مهْران ، عن الزهري ، عن سَعِيد وأبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **مراءٌ في القرآن كفر** » . ثم قال : عنبسة هذا ليس بالقويّ . وعنده فيه إسناد آخر(٤٥٢) .

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا أبو بكر ، حدثنا ابن إدريس ، حدثنا المقبري ، عن جدِّه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه** »(٤٥٣) .

وقال الطبراني : حدثنا موسى بن حازم الأصبهاني، حدثنا محمد بن بكير الحضرمي ، حدثنا إسماعيل بن عَيّاش ، عن يحيى بن الحارث الذِّماري ، عن القاسم أبي عبد الرحمن ، عن فضالة ابن عُبَيد ، وتَمِيم الداريِّ ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **من قرأ عشر آيات في ليلة كُتِب له قنطارٌ ، والقنطار خير من الدنيا وما فيها ، فإذا كان يوم القيامة يقول ربك ، عز وجل : اقرأ وارقَ بكل آية درجة حتى ينتهي إلى آخر آية معه ، يقول ربك : اقبض ، فيقول العبد بيده : يا رب أنت أعلم . فيقول : بهذه الخلد وبهذه النعيم** »(٤٥٤) .

---

(٤٥١) – المسند ٨٤٧٥ – (٣٤١/٢) ، والعقيلي في الضعفاء (١٣٣/٣) ، وإسناده ضعيف لضعف عباد بن ميسرة ، ولعدم سماع الحسن من أبي هريرة . وأعله الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٢/٧) بعباد بن ميسرة ، وقد أورده الألباني في ضعيف الجامع (٥٤٠٨) .

(٤٥٢) – ورواه أبو نعيم في الحلية (١٩٢/٥) من طريق محمد بن حرب الواسطي به ، وقال : « غريب من حديث مكحول ، لم نكتبه إلا من حديث ابن حرب » .

(٤٥٣) – مسند أبي يعلى ٦٥٦٠ – (٤٣٦/١١) ، وابن أبي شيبة (٤٥٦/١٠) ، والحاكم (٤٣٩/٢) ، وعنه البيهقي في الشعب (٢٠٩٣ ، ٢٠٩٤ ، ٢٠٩٥ هـ) ، وقال الهيثمي في المجمع (١٦٣/٧) : « فيه عبد الله بن سعيد بن أبي سعيد المقبري وهو متروك » .

وأورده ابن حجر في المطالب (٣٨٧٨ . ٣٨٧٩) وكذا البوصيري في الاتحاف ، باب : إعراب القرآن ؛ قال : قال أحمد بن منيع : ثنا أبو معاوية ، ثنا عبد الله بن سعيد المقبري ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبي هريرة . ومن حديث ابن أبي شيبة قال : ثنا عبد الله بن إدريس ، عن ابن المقبري ، عن أبيه ، عن جده . وقال البوصيري : مدار إسناد حديث أبي هريرة هذا على عبد الله بن سعيد وهو ضعيف .

قال العراقي : رواه ابن أبي شيبة في المصنف ، والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة .

ورواه الحاكم كذلك وقال : صحيح عند جماعة ، وتعقبه الذهبي في التلخيص فقال : مجمع على ضعفه .
وقال الصدر المناوي : فيه ضعيفان .

(٤٥٤) – المعجم الكبير ١٢٥٣ – (٥٠/٢) ، وفي الأوسط ( ) وقال : لا يروى هذا الحديث عن =

وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة معقس بن عمران بن حطان قال : قال : دخلت مع أبي علي أم الدرداء ، رضي اللَّه عنها ، فسألها أبي : ما فضل من قرأ القرآن على من لم يقرأ ؟ قالت : حدثتني عائشة قالت : جُعِلت دَرَجُ الجنة على عدد آي القرآن ، فمن قرأ ثلث القرآن ثم دخل الجنة كان على الثلث من دَرَجها ، ومن قرأ نصف القرآن كان على النصف من درَجها ، ومن قرأه كُلَّه كان في عِلِّيِّين ، لم يكن فوقه إلا نبي أو صديق أو شهيد(٤٥٥) .

وقال الطبراني : حدثنا مَسْعَدَةُ بن سَعْد العطارُ المكي ، حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم مولى جميع بن حارثة الأنصاري ، حدثنا عبد اللَّه بن ماهان الأزدي ، حدثني فائد مولى عُبَيد اللَّه بن أبي رافع ، حدثتني سُكينة بنت الحُسَين بن علي ، عن أبيها قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **حملة القرآن عُرَفاء أهل الجنة يوم القيامة** »(٤٥٦) .

وروى الطبراني من حديث بقيَّة ، عن أبي بكر بن أبي مريم ، عن المهاصر بن حبيب ، عن عبيدة المليكي ، عن رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، أنه كان يقول : « **يا أهل القرآن ، لا توسَّدوا القرآن ، واتلوه حَقّ تلاوته من آناء الليل والنهار ، وتغنوه وتَقَنَّوه ، واذكروا ما فيه لعلكم تفلحون ، ولا تستعجلوا ثوابه ، فإن له ثوابًا** »(٤٥٧) .

وفي حديث عقبة بن عامر نحوه ، كما تقدم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعيد ، حدثنا ابن لَهِيعَة ، عن مِشْرَح ، عن عقبة بن عامر قال : قال رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم : « **لو أن القرآن جُعِل في إهاب ثم ألقي في النار ما احترق** »(٤٥٨) .

= فضالة ، وتميم إلا بهذا الإسناد ، تفرد به إسماعيل . وأورده في مجمع الزوائد (٢٦٧/٢) وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، وفيه إسماعيل بن عياش ، ولكنه من روايته عن الشاميين وهي مقبولة .

(٤٥٥) – تاريخ دمشق (١٠/١٧ مخطوط) .

(٤٥٦) – المعجم الكبير ٢٨٩٩ – (١٣٢/٣) ، وقال الهيثمي في المجمع (١٦١/٧) : « فيه إسحاق المدني وهو ضعيف » ، ورواه أبو نعيم في تاريخ أصبهان (٣٢٣/٢) ، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٢٥٣) ، وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢٩٣/١) ، والفوائد المجموعة (٣٠٧) . وأمالي الشجري (٨٤/١) ، وابن القيسراني في تذكرة الموضوعات (٣٦١) .

(٤٥٧) – **إسناده ضعيف** قال الهيثمي في المجمع (٢٥٢/٢) : « رواه الطبراني في الكبير وفيه أبو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف » ، ورواه البيهقي في الشعب (١٨٥٢ هـ) ، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٢٦٠/١) ، وابن عساكر في تاريخه (٥٩٥/٤ ، ٥٩٦) .

(٤٥٨) – **إسناده حسن** رواه أحمد ١٧٤١٤ – (١٥١/٤) ، ورواه أحمد ١٧٤٥٦ – (١٥٤/٤) من حديث أبي عبد الرحمن عبد اللَّه بن يزيد ، عن ابن لهيعة ، ١٧٤٦٧ – (١٥٥/٤) من حديث حجاج عن ابن لهيعة ، ورواه الفريابي في فضائل القرآن ، باب : في فضل القرآن وقراءته ، من حديث =

تفرد به . قيل : معناه : أن الجسد الذي يقرأ القرآن لا تمسه النار .

وفي سُنَن ابن ماجه من طريق المغيرة بن نَهِيكٍ ، عن عقبة بن عامر مرفوعًا : « **من تعلم القرآن**[١] **ثم تركه فقد عصاني** »(٤٥٩) .

وفي حديث رواه أبو يعلى من طريق ليث ، عن مجاهد ، عن أبي سعيد مرفوعًا : « **عليك بتقوى الله ، فإنها رأس كل خير ، وعليك بالجهاد ، فإنه رهبانية**[٢] **الإسلام ، وعليك بِذِكْرِ**

= عبد الله بن يزيد ، عن ابن لهيعة به ، ومن حديث قتيبة بن سعيد ، عن ابن لهيعة أيضًا . ورواه أيضًا أبو عبيد في فضائل القرآن (٥٤) ، وأبو يعلى في مسنده (٢٨٤/٣) حديث (١٧٤٥) ، والدارمي (٤٣٠/٢) في فضائل القرآن ، باب : من قرأ القرآن ، ورواه ابن عدي (٢٤٦٠/٦) ، والطبراني (١٧/رقم ٨٥٠ ، و٤٩٨) ، وقال الهيثمي في المجمع (١٥٨/٧) : رواه أحمد ، وأبو يعلى ، والطبراني ، وفيه ابن لهيعة ، وفيه خلاف ، وفسره بعض رواة أبي يعلى بأن من جمع القرآن ثم دخل النار ، فهو شر من الخنزير .

وأورده الذهبي في الميزان (٦٨٠/٢) ، وقال الذهبي : قال خالد بن خداش : قال لي ابن وهب : ما رفعه لنا ابن لهيعة قط في أول عمره .

ورواه ابن عدي (١٩٣٣/٥) ، والطبراني (٥٩٠١) ، وابن حبان في الضعفاء (١٤٨/٢) من حديث عبد الوهاب بن الضحاك ، عن عبد العزيز بن أبي حازم ، عن أبيه ، عن سهل بن سعد . وأورده ابن طاهر في التذكرة وقال : قال البخاري : عبد الوهاب عنده عجائب ، وقال ابن حبان : لا يحتج به وأنكر عليه هذا الحديث .

وقال ابن طاهر: وهذا لقنوه عبد الوهاب فتلقنه وحدث به . قال عبدان الأهوازي : رأيت البغداديين لقنوه عبد الوهاب بحضرتي فمنعتهم فتلقن .

ورواه ابن عدي (٢٠٤١/٦) والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث عصمة بن مالك بإسنادٍ ضعيف .

(٤٥٩) - **كذا ذكره ابن كثير** ، وقد رواه ابن ماجة في كتاب الجهاد ، باب : الرمي في سبيل الله بلفظ : « **من تعلم الرمي ... الحديث** » . برقم (٢٨١٤) من حديث ابن وهب ، عن ابن لهيعة ، عن عثمان بن نعيم الرعيني ، عن المغيرة بن نهيك ، به .

---

[١] - في سنن ابن ماجة : « الرمي » .

[٢] - رهبانية الإسلام : الرهبانية في الأصل مذهب ابتدعته النصارى ، وأصلها من الرَّهْبَة : الخوف ، كانوا يترهَّبون بالتخلِّي من أشغال الدنيا ، وتَرْك مَلاذِّها والزهد فيها ، والعزلة عن أهلها ، وتَعمُّد مشاقِّها ، حتى إن منهم من كان يخصي نفسه ، ويضع السلسلة في عنقه ، وغير ذلك من أنواع التعذيب ، فنفى النبي صلى الله عليه وسلم كل هذه الأمور عن الإسلام ، ونهى المسلمين عنها ، واستبدلهم الله بخير منها ، ألا وهو الجهاد ، يريد أن الرهبان وإن تركوا الدنيا وزهدوا فيها وتخلوا عنها ، فلا تَرْكَ ولا زُهْدَ ولاتخلِّي أكثر من بذلِ النفس في سبيل الله ، وكما أنه ليس عند النصارى عملٌ أفضل من الترهُّب ، ففي الإسلام لاعملَ أفضلُ من الجهاد .. والرُّهْبان : جمع راهب ، وقد يقع على الواحد ، ويجمع على رهابين ورهابنة ، والرهبنة فَعْلَنَة منه ، أو فَعْلَلَة على تقدير أصلية النون وزيادتها ، والرهبانية منسوبة إلى الرهبنة بزيادة الألف . نهاية بتصرف [٢٨٠/٢ ، ٢٨١] .

الله وتلاوة القرآنِ ، فإنَّه نورٌ لك في الأرض وذكرٌ لك في السماء ، واخْزُنْ لسانَكَ إلا من خَيْرٍ ، فإنَّك بذلك تَغْلِب الشيطان »(٤٦٠) .

وهكذا أذكُرُ آثارًا مرويّةً عن ابن أُمِّ عَبْد - عبد الله بن مسعود - أحدِ قُرَّاء القرآن مِنَ الصَّحَابةِ المأمورِ بالتلاوة على نحوهم .

روى الطبراني ، عن الدَّبَرِيِّ ، عن عبد الرزاق ، عن مَعْمَرٍ ، عن أبي إسحاق ، قال : قال ابن مسعود : كل آية في كتاب الله خيرٌ مما في السماء والأرض(٤٦١) .

ومن طريق شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن مرّة قال ابن مسعود : من أراد العلم فليثور القرآن ، فإن فيه علم الأولين والآخرين(٤٦٢) .

---

(٤٦٠) - **إسناده ضعيف** ، والحديث في مسند أبي يعلى ١٠٠٠ - (٢/٢٨٤) ، وليث بن أبي سليم ضعيف . ورواه أحمد ١١٧٩٠ - (٣/٨٢) من طريق حسين ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن الحجاج ابن مروان الكلاعي وعقيل بن مدرك السلمي ، عن أبي سعيد ، وهذا إسناده حسن . الحجاج بن مروان الكلاعي ، قال ابن حجر في « التعجيل » (ت ١٨٦) : ليس بالمشهور ، وحديثه في المسند مقرون بعقيل بن مدرك . والكلاعي بفتح الكاف . نسبة إلى قبيلة ، يقال لها : كلاع ، نزلت الشام ، وأكثرهم نزل حمص . وعقيل بن مدرك السلمي أو الخولاني ، أبو الأزهر ، الشامي ، ذكره ابن حبان في « الثقات » (٧/٢٩٤) وقال الذهبي : وثق ، وقال ابن حجر : مقبول . وإسماعيل بن عياش صدوق في روايته عن أهل بلده ، مخلطٌ في غيرهم . وهذه الرواية عن أهل بلده فإنه حمصي . والحديث ذكره الهيثمي في « المجمع » (٤/ ٢١٨) وقال : رواه أحمد وأبو يعلى ..... ورجال أحمد ثقات ، وفي إسناد أبي يعلى ليث بن أبي سليم وهو مدلس » . وهى عند الطبراني في « الصغير » ، وابن الضُّريس في « فضائل القرآن » (٦٨) . من طريق يعقوب القمي ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن أبي سعيد ، به ، وزاد فيه : « **واخزن لسانك إلا من خير ، فإنك بذلك تغلب الشيطان** » - وقد سقط « مجاهد » عند ابن الضُّريس ؛ فليستدرك هناك ، والله المستعان . وهذه الزيادة الأخيرة أخرجها ابن أبي الدنيا في « الصمت وآداب اللسان » (٩١) من طريق إسماعيل بن عياش ، حدثني عقيل بن مُدرك أن رجلًا قال لأبي سعيد : أوصني ... فذكره موقوفًا . وذكره الهيثمي (١٠/٣٠٤) مطولًا ، وقال : رواه الطبراني في « الصغير » وفيه ليث بن أبي سليم وهو مدلس وقد وثق ، هو وبقية رجاله . وقال المنذري في « الترغيب والترهيب » (٣/٥٣٢) : رواه الطبراني في الصغير وأبو الشيخ في الثواب ، كلاهما من رواية ليث بن أبي سليم ، ورواه ابن أبي الدنيا وأبو الشيخ أيضًا مرفوعًا عليه مختصرًا .

وانظر الحديث في مسند أحمد (٣/٢٦٦) من مسند أنس بن مالك . وفي الباب عن أبي ذر ، عند أبي نعيم في « الحلية » (١/١٦٦-١٦٨) وصححه ابن حبان (٢/٣٦١) ، وهو عند أحمد (٢/٦٢٩) . (٥/ ١٧٨،١٧٩) مختصرًا .

(٤٦١) - **إسناده منقطع** بين أبي إسحاق ، وابن مسعود ، وهو في المعجم الكبير ٨٦٦٢ - (٩/١٤٥) ، ورواه عبد الرزاق في مصنفه (٥٩٩٢) .

(٤٦٢) - **سنده صحيح** ، وهو المعجم الكبير ٨٦٦٥ ، ٨٦٦٦ - (٩/١٤٦) ، ورواه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد ص (١٥٧) ، وابن أبي شيبة (١٤/٩٤) (١٠/٤٨٥) ، وابن المبارك في الزهد (٨١٤) والفريابي (٧٨) .

ومن طريق سُفيان وشعبة ، عن سلمة بن كُهَيل ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله قال : إنّ هذا القرآن ليس فيه حرف إلّا له حدٌّ ، ولكلِّ حد مَطْلَعٌ(٤٦٣) .

ومن حديث الثوري ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن سيار أبي الحكم ، عن ابن مسعودٍ أنه قال : أعربوا هذا القرآن فإنه عربيٌّ ، وسيجيءُ قوم يَثْقَفُونه وليسوا بخياركم(٤٦٤) .

والثوري ، عن عاصم ، عن زِرٍّ ، عن ابن مسعود قال : أديموا النظر في المصحف ، وإذا اختلفتم في ياء أو تاء فاجعلوها ياءً ، ذكّروا القرآن فإنه مذكَّر(٤٦٥) .

وقال عبد الرزاق ، عن إسرائيل ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن شَدَّاد بن مَعْقِل ، سَمِعْتُ ابن مسعود يقول : إن أول ما تفقدونَ من دينكم الأمانة ، وآخر ما يبقى من دينكم الصلاة ، وَلَيُصَلِّيَنَّ قومٌ لا خَلَاقَ لهم ، ولينزعنَّ القرآن من بين أظهركم . قالوا : يا أبا عبد الرحمن ، ألسنا نقرأ القرآن وقد أثبتناه في مصاحفنا ؟ قال : يُسْرَى على القرآن ليلًا فَيُذْهَبُ به من أجواف الرجال فلا يبقى في الأرض منه شيء – وفي رواية : لا يبقى في مصحف منه شيءٌ – ويصبح الناس فُقَراءَ كالبهائم . ثم قرأ عبد الله : ﴿ **وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا** ﴾ (٤٦٦) .

وقال الطبراني : حدثنا علي بن عبد العزيز ، حدثنا أبو نعيم ، حدثني شعبة ، عن علي بن بذيمةَ ، عن أبي عبيدة بن عبد الله ، عن أبيه قال : من قرأ القرآن في أَقَلَّ من ثلاثٍ فهو راجز(٤٦٧) .

قال هشام عن الحسَنِ : إنه بلغه عن ابن مسعود مثلُ ذلك .

ومن طريق الأعمش ، عن أبي وائلٍ قال : كان عبد الله بن مسعود يقل الصوم ، فيقال له في

---

(٤٦٣) – **سنده صحيح** ، وهو في المعجم الكبير ٨٦٦٧ – (١٤٦/٩) .

(٤٦٤) – المعجم الكبير ٨٦٨٦ – (١٥٠/٩) . وفي إسناده عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم وهو ضعيف .

(٤٦٥) – المعجم الكبير ٨٦٩٦ ، ٨٦٩٧ – (١٥٢/٩) ، ورواه عبد الرزاق (٥٩٧٩) ، وابن أبي شيبة (١٠/ ٥٣١) ، والبيهقي في الشعب (٢٠٢٨ هـ) .

(٤٦٦) – المعجم الكبير ٨٧٠٠ – (١٥٣/٩) ، والمصنف لعبد الرزاق (٥٩٨٠) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٢/٧ ، ٣٣٠) : رجاله رجال الصحيح غير شداد بن معقل ، وهو ثقة ، والآية في [الإسراء : ٨٦] .

(٤٦٧) – **إسناده ضعيف لانقطاعه بين أبي عبيدة ، وابن مسعود** ، وهو في المعجم الكبير ٨٧٠١ ، ٨٧٠٢ ، ٨٧٠٣ ، ٨٧٠٤ ، ٨٧٠٥ – (١٥٤/٩) ، ورواه ابن أبي شيبة (٥٠١/٢) ، والفريابي (١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨) .

ذلك ، فيقول : إني إذا صُمْتُ ضَعُفْتُ عن القراءةِ والصلاة ، والقراءة والصلاة أحبُّ إليَّ(٤٦٨) .

(٤٦٨) - المعجم الكبير ٨٨٦٨ ، ٨٨٦٩ ، ٨٨٧٥ - (١٩٥/٩) ، ورواه ابن أبي شيبة (٥٠٩/١٠) ، وعبد الرزاق (٧٩٠٣) ، وأورده في مجمع الزوائد (١٣٥/١٠) وقال : ورجاله رجال الصحيح .

[مقدمة مفيدة تذكر في أول التفسير قبل الفاتحة

قال أبو بكر بن الأنباري : حدّثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي ، حدثنا الحجاج بن منهال ، حدّثنا همام ، عن قتادة ؛ قال : نزل في المدينة من القرآن البقرة وآل عمران ، والنساء والمائدة ، وبراءة والرعد ، والنحل والحج ، والنور والأحزاب ، ومحمد ، والفتح ، والحجرات والرحمن ، والحديد والمجادلة ، والحشر ، والممتحنة ، والصف ، والجمعة ، والمنافقون والتغابن والطلاق و﴿ **يا أيها النبي لم تحرم** ﴾ إلى رأس العشر و ﴿ **إذا زلزلت** ... ﴾ و﴿ **إذا جاء نصر الله** ﴾ هؤلاء السور نزلت بالمدينة وسائر السور بمكة .

فأما عدد آيات القرآن العظيم فستة آلاف آية ، ثم اختلف فيما زاد على ذلك على أقوال : فمنهم من لم يزد على ذلك ، ومنهم من قال : ومائتا آية وأربع آيات ، وقيل : وأربع عشرة آية ، وقيل : ومائتان وتسع عشرة آية ، وقيل : ومائتان وخمس وعشرون آية ، أو ست وعشرون آية ، وقيل : ومائتان وست وثلاثون ، حكى ذلك أبو عمرو الداني في كتابه البيان(٤٦٩) .

وأما كلماته ؛ فقال الفضل بن شاذان ، عن عطاء بن يسار : سبعٌ وسبعون ألف كلمة ، وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمة .

وأما حروفه ؛ فقال عبد اللّٰه بن كثير عن مجاهد : هذا ما أحصينا من القرآن ، وهو ثلثمائة ألف حرف ، وأحد وعشرون ألف حرف ، ومائة وثمانون حرفًا .

وقال الفضل عن عطاء بن يسار : ثلثمائة ألف حرف وثلاثة وعشرون ألفًا وخمسة عشرة حرفًا .

وقال سلام أبو محمد الحماني : إن الحجاج جمع القراء والحفاظ والكتاب فقال : أخبروني عن القرآن كله كم من حرف هو ؟ قال : فحسبنا فأجمعوا أنه ثلثمائة ألف وأربعون ألفًا وسبعمائة وأربعون حرفًا .

قال : فأخبروني عن نصفه فإذا هو إلى الفاء من قوله في الكهف : ﴿ **وليتلطف** ﴾

وثلثه الأول عند رأس مائة آية من براءة ، والثاني على رأس مائة أو إحدى ومائة من الشعراء ، والثالث إلى آخره

وسُبعه الأول إلى الدال من قوله تعالى : ﴿ **فمنهم من آمن به ومنهم من صدّ** ﴾ والسبع الثاني إلى التاء من قوله تعالى في سورة الأعراف : ﴿ **أولئك حبطت** ﴾ والثالث إلى الألف الثانية من قوله

---

(٤٦٩) - تفسير القرطبي (٦٥/١) .

تعالى في الرعد: ﴿أكلها﴾، والرابع إلى الألف في الحج من قوله: ﴿جعلنا منسكًا﴾ والخامس إلى الهاء من قوله في الأحزاب: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة﴾، والسادس إلى الواو من قوله تعالى في الفتح: ﴿الظانين بالله ظن السوء﴾، والسابع إلى آخر القرآن.

قال سلام أبو محمد: علمنا ذلك في أربعة أشهر.

قالوا: وكان الحجاج يقرأ في كل ليلة ربع القرآن، فالأول إلى آخر الأنعام والثاني إلى ﴿وليتلطف﴾ من سورة الكهف، والثالث إلى آخر الزمر، والرابع إلى آخر القرآن.

وقد حكى الشيخ أبو عمرو الداني في كتابه (البيان) خلافًا في هذا كله، فالله أعلم(٤٧٠).

وأما (التحزيب والتجزئة) فقد اشتهرت الأجزاء من ثلاثين كما في الرُبعات بالمدارس وغيرها، وقد ذكرنا فيما تقدم الحديث الوارد في تحزيب الصحابة للقرآن، والحديث في مسند الإمام أحمد، وسنن أبي داود وابن ماجة وغيرهم عن أوس بن حذيفة(٤٧١)؛ أنه سأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته: كيف تُحزبون القرآن؟ قالوا: ثلث وخمس وسبع وتسع وأحد عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل حتى تختم.

[فصل]

واختلف في معنى السورة مما هي مشتقة فقيل: من الإبانة والارتفاع، قال النابغة:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

فكأن القارئ ينتقل بها من منزلة إلى منزلة.

وقيل: لشرفها وارتفاعها كسور البلدان، وقيل: سميت سورة لكونها قطعة من القرآن وجزءًا

(٤٧٠) - انظر: تفسير القرطبي (١/٦٤).

(٤٧١) - **ضعيف**: ضعفه الشيخ الألباني. والحديث رواه أحمد ١٦٢١٤ - (٤/٩)، ورواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب: تحزيب القرآن (٢/٥٥ - ٥٦) حديث (١٣٩٣) من طريق مسدد، وعبد الله بن سعيد، عن قران بن تمام وأبي خالد، عن عبد الله به. وابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: في كم يستحب يختم القرآن. من طريق أبي بكر بن أبي شيبة، ثنا أبو خالد الأحمر، عن عبد الله به. (١/٤٢٧) حديث (١٣٤٥). والطبراني في الكبير (١/٢٢٠) حديث (٥٩٩).

من حديث عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي، عن عثمان بن عبد الله بن أوس الثقفي، عن جده أوس بن حذيفة.

وعبد الله بن عبد الرحمن الطائفي: صدوق، يخطئ ويهم. روى له البخاري في الأدب ومسلم، وغيرهما.

وعثمان بن عبد الله بن أوس: قال في التقريب: مقبول، روى له أبو داود وابن ماجه.

والحديث ضعفه الشيخ الألباني في ضعيف أبي داود حديث ٢٩٧.

منه مأخوذٌ من أسآر الإناء وهو البقية . وعلى هذا فيكون أصلها مهموزًا . وإنما خففت الهمزة فأبدلت الهمزة واوًا لانضمام ماقبلها .

وقيل : لتمامها وكمالها ؛ لأن العرب يسمون الناقة التامة سورة .

(**قلت**) : ويحتمل أن يكون من الجمع والإحاطة لآياتها كما يسمى سور البلد لإحاطته بمنازله ودوره .

وجمع السورة سوَر بفتح الواو ، وقد يجمع على سورات وسوارات .

وأما الآية فمن العلامة على انقطاع الكلام الذي قبلها عن الذي بعدها وانفصالها ، أي : هي بائنة عن أختها ومنفردة ، قال اللّٰه تعالى : ﴿ **إن آية ملكه** ﴾ وقال النابغة

توهمت آيات لها فعرفتها لستة أعوام وذا العام سابع

وقيل: لأنها جماعة حروف من القرآن وطائفة منه ، كما يقال : خرج القوم بآياتهم أي بجماعاتهم ، قال الشاعر(٤٧٢) :

خرجنا من النقبين لا حي مثلنا بآيتنا نزجي اللقاح المطافلا

وقيل: سميت آية لأنها عجب يعجز البشر عن التكلم بمثلها .

قال سيبويه : وأصلها أيية مثل أكمة وشجرة ، تحركت الياء وانفتح ماقبلها ؛ فقلبت ألفًا فصارت آية بهمزة بعدها مدة .

وقال الكسائي : أصلها آيية على وزن آمنة فقلبت ألفًا ثم حذفت لالتباسها .

وقال الفراء : أصلها أيّية - بتشديد الياء الأولي - فقلبت ألفًا كراهة التشديد ، فصارت آية وجمعها آي وآياي وآيات .

وأما الكلمة ؛ فهي اللفظة الواحدة ، وقد تكون على حرفين ، مثل : « ما » و« لا » ونحو ذلك . وقد تكون أكثر ، وأكثر ماتكون عشرة أحرف مثل : ﴿ **ليستخلفنهم** ﴾ و﴿ **أنلزمكموها** ﴾ و﴿ **فأسقيناكموه** ﴾ . وقد تكون الكلمة الواحدة آية ، مثل : والفجر ، والضحى ، والعصر ، وكذلك الم ، وطه ، ويس ، وحم ، في قول الكوفيين ، وحم ، وعسق ، عندهم كلمتان وغيرهم لا يسمي هذه آيات بل يقول : هذه فواتح السور .

وقال أبو عمرو الداني : لا أعلم كلمة هي وحدها آية إلا قوله تعالى ﴿ **مدهامتان** ﴾ بسورة الرحمن .

---

(٤٧٢) - البيت لبرج بن مسهر الطائي ، وهو في تفسير القرطبي (٦٦/١) .

[فصل]

قال القرطبي(٤٧٣) : أجمعوا على أنه ليس في القرآن شيء من التراكيب الأعجمية ، وأجمعوا أن فيه أعلامًا من الأعجمية ، كإبراهيم ، ونوح ، ولوط ، واختلفوا هل فيه شيء من غير ذلك بالأعجمية ؟ فأنكر ذلك الباقلاني والطبري وقالا : ما وقع فيه مما يوافق الأعجمية فهو من باب ماتوافقت فيه اللغات][١] .

(٤٧٣) - تفسير القرطبي (٦٨/١) .

[١] - هذه المقدمة التي بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

ســـورة الفـاتحة

[بسم الله الرحمن الرحيم

يقال لها : الفاتحة ، أي : فاتحةُ الكتاب خطًّا ، وبها تفتح[١] القراءة في الصلوات[٢] ، ويقال لها أيضًا : (أم الكتاب) عند الجمهور ، كرهه[٣] أنس . والحسن وابن سيرين كرها تسميتها بذلك .

قال الحسن وابن سيرين : إنما ذلك اللوح المحفوظ .

وقال الحسن : الآيات المحكمات هن أم الكتاب . ولذا[٤] كرها أيضًا أن يقال لها : (أم القرآن).

وقد ثبت في الصحيح عند الترمذي ، وصححه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **الحمد لله رب العالمين أم القرآن ، وأم الكتاب ، والسبع المثاني ، والقرآن العظيم** »(١) .

ويقال لها : (الحمد) ويقال لها : (الصلاة) ؛ لقوله صلي الله عليه وسلم عن ربه : « **قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ؛ قال الله : حمدني عبدي ...** »(٢) . الحديث .

فسُميت الفاتحة صلاة لأنها شرط فيها ، ويقال لها : (الشفاء) ؛ لما رواه الدارمي عن أبي سعيد مرفوعًا : « **فاتحة الكتاب شفاء من كل سُم** »(٣) .

---

(١) - **صحيح** ، رواه البخاري في تفسير القرآن برقم (٤٧٠٤) ولفظه : « **أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم** » ، ورواه أبو داود باللفظ الذي أورده ابن كثير في كتاب الصلاة ، باب : فاتحة الكتاب برقم (١٤٥٧) دون قوله : « **والقرآن العظيم** » ، ورواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الحجر برقم (٣١٢٤) دون قوله : « **رب العالمين** » و « **والقرآن العظيم** » .

(٢) - **صحيح** ، رواه مسلم في الصلاة برقم (٣٩٥) ، وأبو داود في الصلاة ، باب : من ترك القراءة في صلاته بفاتحة الكتاب (٨٢١) ، والترمذي في التفسير ، باب : سورة الفاتحة برقم (٢٩٥٣) ، والنسائي في الافتتاح ، باب : ترك القراءة بفاتحة الكتاب رقم (٩٠٩) ، ورواه ابن ماجه في الأدب ، باب : ثواب القرآن رقم (٣٧٨٤) ، ورواه مالك في النداء للصلاة برقم (١٨٩) ، ورواه أحمد ٧٢٨٩ ، ٧٨٢٣ ، ٩٩٣٤ - (٢٤١/٢ ، ٢٨٥ ، ٤٦٠) ، والبيهقي في الشعب ٢٣٦١ - (٤٤٥/٢ - ٤٤٦) .

(٣) - تبع الحافظُ ابن كثير - القرطبيَّ في عزوه الحديث للدارمي ، والذي في الدارمي : « **فاتحة الكتاب** =

---

[١] - في ن : تفتتح . [٢] - في ن : الصلاة .

[٣] - في الأصلين ، و "ت" : ذكره . والمثبت من نفسير القرطبي (١١١/١) .

[٤] - صوابه : كذا .

ويقال لها : (الرقية) ؛ لحديث أبي سعيد في الصحيح حين رقى بها الرجل السليم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **وما يدريك أنها رقية ؟** »(٤) .

وروى الشعبي عن ابن عباس أنه سماها : (أساس القرآن) ، قال : وأساسها بسم الله الرحمن الرحيم .

وسماها سفيان بن عيينة : (بالواقية) ، وسماها يحيى بن أبي كثير : (الكافية) ؛ لأنها تكفي عما عداها ، ولا يكفي ماسواها عنها ، كما جاء في بعض الأحاديث المرسلة(٥) : « **أم القرآن عِوض من غيرها ، وليس [ ][١] غيرها عوض منها** »(٦) .

= **شفاء من كل داء** » من حديث عبد الملك بن عمير ، عن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، مرسلًا . وقال السيوطي : رجاله ثقات . والحديث بلفظ : « **شفاء من كل داء** » أخرجه أحمد ، والبيهقي في شعب الإيمان برقم ٢٣٧٠ – (٢/٤٥٠) من حديث عبد الملك بن عمير مرسلاً . وقال : وهذا منقطع وهو شاهد لما تقدم .

ورواه البيهقي في الشعب أيضاً برقم ٢٣٦٧ – (٢/٤٥٠) – وقال السيوطي : بسندٍ جيد – من حديث عبد الله بن جابر (*).

(*) في شعب الإيمان المطبوعة : جاء الحديث من طريق علي بن هاشم ، عن أبيه ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر بن عبد الله مرفوعاً ... « **فاتحة الكتاب فيها شفاء من كل داء** » .

والحديث بلفظ : « **فاتحة الكتاب شفاء من السم** » رواه البيهقي في شعب الإيمان برقم ٢٣٦٨ – (٢/٤٥٠) وفي إسناده سلّام ، وهو الطويل وهو متروك . وزيد العمي وهو ضعيف . وعزاه السيوطي في الدر المنثور إلى سعيد بن منصور في سننه ، من حديث أبي سعيد الخدري . وإلى أبي الشيخ في كتاب الثواب من وجه آخر ، عن أبي سعيد وأبي هريرة مرفوعاً ، مثله . وأورده الشوكاني بلفظ : « **شفاء من كل سقم** » . وعزاه لسعيد بن منصور ، والبيهقي في الشعب .

(٤) – أخرجه البخاري في كتاب الإجارة ، باب : ما يُعطى في الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب (٢٢٧٦) وأطرافه (٥٠٠٧،٥٧٣٦،٥٧٤٩) ، ومسلم في كتاب السلام ، باب : جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار برقم ٦٥ – (٢٢٠١) ، وأبو داود في كتاب البيوع ، باب : في كسب الحجام برقم (٣٤١٨) ، وكتاب الطب ، باب : كيف الرقى ؟ برقم (٣٩٠٠) ، والترمذي في كتاب الطب ، باب : ما جاء في أخذ الأجر على التعويذ برقم (٢٠٦٥) ، والنسائي في عمل اليوم والليلة من الكبرى ، باب : ما يقول على الملدوغ (١٠٨٦٧،١٠٨٦٨) ، (٢٥٤/٦،٢٥٥) ، وابن ماجه في كتاب التجارات ، باب : أجر الراقي برقم (٢١٥٦) ، وأحمد (١٠٩٩٨ ، ١١٤١٥ ، ١١٠٨٤،١١٤٨٨،١١٨٠٣) (٢/٣ ، ٤٤ ، ١٠،٥٠،٨٣) .

(٥) – كذا قال الحافظ ابن كثير ، ولم أعرف وجه الإرسال ، فالحديث مرفوعٌ ، متصلُ الإسناد .

(٦) – أخرجه الدارقطني (٣٢٢/١) ، والحاكم (٢٣٨/١) من حديث محمد بن خلاد الإسكندراني ، عن أشهب بن عبد العزيز ، عن ابن عيينة ، عن ابن شهاب ، عن محمود بن الربيع ، عن عبادة =

---

[١] – في ر : من .

ويقال لها: (سورة الصلاة) و (الكنز)، ذكرهما الزمخشري في كشافه(٧)][١].

وهي مكية [قاله ابن عباس وقتادة وأبو العالية][٢]، وقيل: مدنية. [قاله أبو هريرة ومجاهد وعطاء بن يسار والزهري][٣] ويقال: نزلت مرتين، مرة بمكة، ومرة بالمدينة. [والأول أشبه لقوله تعالى: ﴿ولقد آتيناك سبعًا من المثاني﴾][٤] والله تعالى أعلم.

[وحكى أبو الليث السمرقندي أن نصفها نزل بمكة، ونصفها الآخر نزل بالمدينة، وهو غريب جدًّا، نقله القرطبي عنه][٥]، وهي سبع آيات بلا خلاف، [وقال عمرو بن عبيد: ثمانٍ. وقال حسين الجعفي: ستة، وهذان القولان شاذان][٦] وإنما اختلفوا في البسملة هل هي آية مستقلة من أولها كما هو المشهور [عن][٧] جمهور قرّاء الكوفة، وقول جماعة من الصحابة والتابعين وخلق من الخلف - أو بعض آية، أو لا تعدّ من أوّلها بالكلية، كما هو قول أهل المدينة من القرّاء والفقهاء؟ على ثلاثة أقوال [كما] سيأتي [تقريرها][٨] في موضعه إن شاء الله تعالى وبه الثقة.

قالوا: وكلماتها خمس وعشرون كلمة، وحروفها مائة وثلاثة عشر حرفًا.

قال البخاري في أول كتاب التفسير: وسميت (أم الكتاب) لأنه يُبدأ بكتابتها في المصاحف، ويُبدأ بقراءتها في الصلاة. وقيل: إنما سميت بذلك لرجوع معاني القرآن كله إلى ماتضمنته.

قال ابن جرير(٨): والعرب تسمي كل جامع أمرًا أو مقدم لأمر إذا كانت له توابع تتبعه هو لها

= ابن الصامت، به. وقال الدارقطني: تفرد به محمد بن خلاد، عن أشهب، عن ابن عيينة. وإنما المحفوظ عن الزهري بهذا السند: «**لا تجزئ صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن**»، والله أعلم. وقال الحاكم: قد اتفق الشيخان على إخراج هذا الحديث عن الزهري، من أوجه مختلفة، بغير هذا اللفظ، ورواة هذا الحديث أكثرهم أئمة، وكلهم ثقات وعلى شرطهما. قال: ولهذا الحديث شواهد بألفاظ مختلفة لم يخرجاه وأسانيدها مستقيمة اهـ.

وقول الحاكم رحمه الله: «ورواة هذا الحديث أكثرهم أئمة، وكلهم ثقات، وعلى شرطهما». فيه نظر؛ فإن محمد بن خلاد الإسكندراني: قال الذهبي (٥٣٧/٣): لا يدرى من هو، انفرد بهذا الخبر من حديث عبادة بن الصامت - مرفوعاً - **أم القرآن عوض من غيرها وما منها عوض**. وقال أبو سعيد بن يونس: يروي مناكير، وهو إسكندراني يكنى أبا عبد الله.

(٧) - الكشاف (٤/١).

(٨) - في تفسيره (١٠٧/١ - ١٠٨).

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من ز، خ.
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من ز، خ.
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من ز، خ.
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من ز، خ.
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من ز، خ.
[٦] - سقط من ز.
[٧] - في ت: عند.
[٨] - في «خ، ز»: «تفسيرها».

إمام جامع - أُمًّا، فتقول للجلدة التي تجمع الدماغ: أم الرأس، ويسمون لواء الجيش ورايتهم التي يجتمعون تحتها أمًّا، واستشهد بقول ذي الرُّمة:

على رأسه أم لنا نقتدي بها جماع أمور [ليس نعصي][١] لها أمرًا

يعني: الرمح.

قال: وسميت مكة (أمّ القرىٰ) لتقدّمها أمام جميعها وجمعها ما سواها، وقيل: لأن الأرض دحيت منها[٢]. ويقال لها أيضًا: (الفاتحة)؛ لأنها تفتتح بها القراءة، وافتتحت الصحابة بها كتابة المصحف الإمام، وصح تسميتها بالسبع المثاني. قالوا: لأنها تثنىٰ في الصلاة، فتقرأ في كل ركعة، وإن كان للمثاني معنى آخر غير هذا، كما سيأتي بيانه في موضعه، إن شاء اللّٰه تعالى.

قال الإمام أحمد(٩): حدّثنا يزيد بن هارون، أنبأنا ابن أبي ذئب، [وهاشم بن هاشم][٣] عن ابن أبي ذئب، عن المقبري، عن أبي هريرة، عن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم؛ أنه قال [في أمّ][٤] القرآن: «**هي أمّ القرآن، وهي السبع المثاني، وهي القرآن العظيم**». ثم رواه عن إسماعيل بن عمر، عن ابن أبي ذئب، به.

وقال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: حدّثني يونس بن عبد الأعلى، أنبأنا[٥] ابن وهب، أخبرني ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة - رضي اللّٰه عنه - عن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم؛ قال: «**هي أمّ القرآن، وهي فاتحة الكتاب، وهي السبع المثاني**»(١٠).

وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن موسىٰ بن مردويه في تفسيره: حدّثنا أحمد بن محمد بن زياد، حدّثنا محمد بن غالب بن حرب، حدّثنا إسحاق بن عبد الواحد الموصلي، حدّثنا المعافى ابن عمران، عن عبد الحميد بن جعفر، عن نوح بن أبي بلال، عن المقبري، عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم: «**الحمد للّٰه رب العالمين سبع آيات، بسم اللّٰه الرحمن الرحيم إحداهنّ، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم، وهي أمّ الكتاب وفاتحة الكتاب**»(١١).

---

(٩) - **صحيح**، رواه أحمد حديث ٩٧٨٧، ٩٧٨٩ - (٢/٤٤٨). وهاشم بن هاشم؛ صوابه: هاشم بن القاسم. واللّٰه أعلم.

(١٠) - تفسير ابن جرير ١٠٧ - (١/٤٧).

(١١) - إسحاق بن عبد الواحد الموصلي: قال النسائي: لا أعرفه. وقال أبو علي الحافظ النيسابوري فيما نقله عنه ابن الجوزي: متروك الحديث. وقال الخطيب: لا بأس به. وقال الذهبي: بل هو واهٍ. =

---

[١] - في خ: لا نعاصي. وفي «ز»: ليس نعاصي.

[٢] - في «ز، وخ»: من تحتها.

[٣] - في خ، ز: «وهشام بن هشام».

[٤] - في ز: لأم.

[٥] - في خ: «أخبرنا».

وقد رواه الدارقطني[١٢] أيضًا عن أبي هريرة مرفوعًا بنحوه أو مثله، وقال: كلهم ثقات. وروى البيهقي عن علي[١٣] وابن عباس[١٤] وأبي هريرة[١٥] أنهم فسروا قوله تعالى: ﴿**سبعًا من المثاني**﴾ بالفاتحة، وأن البسملة هي الآية السابعة منها. وسيأتي تمام هذا عند البسملة.

[وقد روى الأعمش، عن إبراهيم؛ قال: قيل لابن مسعود: لِمَ لَمْ تكتب الفاتحة في مصحفك؟ فقال: لو كتبتها؛ لكتبتها في أول كل سورة[١٦]. قال أبو بكر بن أبي داود - يعني - حيث يقرأ في الصلاة؛ قال: واكتفيت بحفظ المسلمين لها عن كتابتها.

وقد قيل: إن الفاتحة أول شيء أنزل من القرآن، كما ورد في حديثٍ رواه البيهقي[١٧] في دلائل النبوة، ونقله الباقلاني - أحد أقوال ثلاثة، وقيل: ﴿**يا أيها المدثر**﴾ كما في حديث جابر[١٨] في

= وذكره ابن حبان في الثقات. وقال في التقريب: تكلم فيه بعضهم (الميزان ١/١٩٥، التهذيب ١/٢١٢).

(١٢) - سنن الدارقطني (٣١٢/١)، ورواه الطبراني في الأوسط ٥١٠٢ - (٢٠٨/٥)، ورواه البيهقي (٤٥/٢)، وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن نوح بن أبي بلال إلا عبد الحميد بن جعفر، تفرد به علي ابن ثابت.

(١٣) - حديث علي رواه البيهقي (٤٥/٢) من حديث أسباط بن نصر، عن السدي، عن عبدِ خيرٍ، عن علي. وأسباط بن نصر: أخرج له مسلم؛ إلا أنهم تكلموا فيه. قال النسائي: ليس بالقوي. وقال أبو نعيم: ضعيف، أحاديثه عامتها سقط، مقلوب الأسانيد. وإسماعيل السدي أخرج له أيضاً مسلم. وتكلموا فيه، ضعفه ابن مهدي وابن معين، وقال السعدي: كذاب. وأساء الشعبي القول فيه.

(١٤) - حديث ابن عباس رواه أيضاً البيهقي (٤٥/٢) من حديث عبد الملك بن جريج، عن أبيه، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس. وعبد العزيز بن جريج والد عبد الملك: قال البخاري: لا يتابع في حديثه. وذكره ابن حبان في الثقات. وقال ابن حجر: لين.

(١٥) - حديث أبي هريرة عند البيهقي (٤٥/٢، ٣٧٦/٢ - ٣٧٧) من حديث عبد الحميد بن جعفر، عن نوح بن أبي بلال، عن سعيد، عن أبي هريرة به مرفوعًا. وقال: كذلك رواه أبو بكر الحنفي، عن عبد الحميد بن جعفر؛ قال: ثم لقيت نوحًا فحدثني به، عن سعيد، عن أبي هريرة موقوفًا غير مرفوع. قال البيهقي: وروينا عن علي وابن عباس وغيرهما ما دل على ذلك.

وعبد الحميد بن جعفر: ضعفه القطان والثوري، وقال صاحب الجوهر النقي: وأبو بكر الحنفي أجل من عبد الحميد بلا شك.

وروى هذه الأثار عبد الرزاق في مصنفه (٢٦٠٩/٢)، والطحاوي في المشكل (٩٧/٢)، والطبري (٥٤/١٤ - ٥٥)، والبيهقي (٢١٤١، ٢١٤٢ هـ)، والحاكم (٢٥٧/٢)، وابن عبد البر (٢١٢/٢٠).

(١٦) - إبراهيم بن يزيد النخعي أحد الأئمة كان يدلس وهو مكثر من الإرسال، وجماعة من الأئمة صححوا مراسيله، وخص البيهقي ذلك بما أرسله عن ابن مسعود اهـ (من جامع التحصيل للعلائي).

(١٧) - دلائل النبوة للبيهقي (١٥٨/٢) وقال البيهقي: «فهذا منقطع».

(١٨) - روى البخاري في صحيحه: حدثنا يحيى، حدثنا وكيع، عن علي بن المبارك، عن يحيى =

الصحيح. وقيل: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ وهذا هو الصحيح كما سيأتي تقريره في موضعه، والله المستعان][١] .

ذكر ما ورد في فضل الفاتحة

قال الإمام أحمد بن محمد بن حنبل(١٩) - رحمه الله تعالى - في مسنده: حدّثنا يحيى بن سعيد، عن شعبة، حدّثني خُبيب بن عبد الرحمن، عن حفص بن عاصم، عن أبي سعيد بن المعلىٰ، رضي الله عنه؛ قال: كنت أصلي فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم أجبه حتى صليت فأتيته[٢] ، فقال: «**ما منعك أن تأتيني؟**». قال: قلت: يا رسول الله؛ إني كنت أصلي. قال: «**ألم يقل الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾؟**». ثم قال: «**لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد**». قال: فأخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج من المسجد قلت: يا رسول الله؛ إنك قلت: لأعلمنك أعظم سورة في القرآن. قال: «**نعم، ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته**».

وهكذا رواه البخاري، عن مسدّد وعلي بن المديني - كلاهما - عن يحيى بن سعيد القطان، به.

= ابن أبي كثير: سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن؟ قال: ﴿**يا أيها المدثر**﴾ قلت: يقولون: ﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق**﴾ فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله، رضي الله عنهما، عن ذلك، وقلت له مثل الذي قلت، فقال جابر: لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم .... الحديث.

(١٩) - **صحيح**، رواه أحمد ١٧٩٠٥ - (٢١١/٤)، و١٥٧٧٢ - (٤٥٠/٣)، ورواه البخاري في كتاب التفسير، باب: ما جاء في فاتحة الكتاب حديث (٤٤٧٤)، وأطرافه (٤٦٤٧)، (٤٧٠٣)، (٥٠٠٦)، وأبو داود في كتاب الصلاة، باب: فاتحة الكتاب حديث ١٤٥٨ - (٧١/٢)، والنسائي في كتاب الافتتاح، باب: تأويل قول الله عز وجل: ﴿**ولقد آتيناك سبعًا من المثاني والقرآن العظيم**﴾ رقم ٩١٣- (٢ / ١٣٩)، وفي الكبرى في كتاب فضائل القرآن، باب: فضل فاتحة الكتاب حديث ٨٠١٠ - (١١/٥)، وفي كتاب التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿**ولقد آتيناك سبعًا من المثاني والقرآن العظيم**﴾ حديث ١١٢٧٥ - (٣٧٥/٦)، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الأدب، باب: ثواب القرآن (٢/ ١٢٤٤) حديث (٣٧٨٥)، والدارمي ١٤٩٢ - (٤١٧/١)، وابن حبان (٥٦/٣)، وابن خزيمة ٨٦٢، ٨٦٣ - (٣٨/٢)، وأبو يعلى ٦٨٣٧ - (٢٢٥/١٢)، والطبراني ٧٦٨، ٧٦٩ - (٣٠٣/٢٢)، والبيهقي (٧ / ٦٤) كلهم من طريق شعبة، عن خبيب بن عبد الرحمن، عن حفص، عن عاصم، عن أبي سعيد بن المعلى.

[١] - سقط من ز. [٢] - في ز، خ: «وأتيته».

[ورواه في موضع آخر من التفسير ، وأبو داود والنسائي وابن ماجة من طرق عن شعبة ، به] .

ورواه الواقدي عن محمد بن معاذ الأنصاري ، عن خُبيب بن عبد الرحمن ، عن حفص ابن عاصم ، عن أبي سعيد بن المعلي ، عن أبي بن كعب فذكر نحوه (٢٠) .

وقد وقع في الموطأ للإمام مالك بن أنس (٢١) - رحمه الله - ما ينبغي التنبيه عليه ، فإنه رواه مالك ، عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب الحرقي ؛ أنّ أبا سعيد مولى ابن عامر[١] بن كريز أخبرهم ؛ أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى أبي بن كعب وهو يصلي في المسجد ، فلما فرغ من صلاته لحقه ؛ قال : فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على يدي وهو يريد أن يخرج من باب المسجد ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : « **إني لأرجو أن لا تخرج من باب المسجد حتى تعلم سورة ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في القرآن**[٢] **مثلها** » . قال أبي - رضي الله عنه - : فجعلت أبطئ في المشي رجاء ذلك ، ثم قلت : يا رسول الله ؛ ما[٣] السورة التي وعدتني ؟ قال : « **كيف تقرأ إذا افتتحت الصلاة ؟** » قال : فقرأت عليه ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾ حتى أتيتُ على آخرها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **هي هذه السورة ، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيت** » .

---

(٢٠) - الواقدي : متهم بالكذب ، وشيخه مجهول .

(٢١) - الموطأ (٨٣/١) ، ورواه الحاكم (٥٧٧/١) والعلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب مولى الحرقة ، والحرقة : امرأة من جهينة ، وهي فخذ من أفخاذ جهينة ، ينسب إليها الحرقيون . وهو من تابعي أهل المدينة ، كان ابن معين لا يرضاه ، وليس قوله فيه بشيء . قال أحمد بن زهير : سمعت يحيى بن معين يقول : العلاء بن عبد الرحمن ليس بذاك . قال : وسمعت يحيى بن معين يقول : لم يزل الناس يتقون حديث العلاء بن عبد الرحمن . قال أبو عمر بن عبد البر : ليت شعري أين الناس الذين كانوا يتقون حديثه ، وقد حدث عنه هؤلاء الأئمة الجلة وجماعة غيرهم كثير ؟! وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : سمعت أبي يقول : العلاء بن عبد الرحمن ثقة ، وأبو سعيد مولى عامر بن كريز : لا يوقف له على اسم ، وهو معدود في أهل المدينة ، وحديثه هذا مرسل .

قال ابن عبد البر في التمهيد (٢١٧/٢٠) : ولم يختلف الرواة على مالك في إسناد هذا الحديث وخالفه فيه غيره ، خالفه شعبة ، والدراوردي ، وعبد الرحمن بن إبراهيم ، وإسماعيل بن جعفر ، وإبراهيم بن طهمان ، وجماعة فرووه ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : مر النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، على أبي بن كعب ، وهو قائم يصلي ... فذكر الحديث بنحوه ، رواه النسائي في تفسيره (٢٢٥) ، والترمذي (٢٨٧٥) ، وقال : حسن صحيح ، ورواه الدارمي (٣٢٠/٢ - ٣٢١) ، وأحمد (٢/ ٤١٢ - ٤١٣) .

---

[١] - في ت : ابن عامر.

[٢] - في خ : « الفرقان » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

فأبو سعيد هذا ليس بأبي سعيد بن المعلى ، كما اعتقده ابن الأثير في جامع الأصول(٢٢) ومن تبعه ، فإنّ ابن المعلى صحابي أنصاري ، وهذا تابعي من موالي خزاعة ، وذاك الحديث متصل صحيح ، وهذا ظاهره أنه منقطع ، إن لم يكن سمعه أبو سعيد هذا من أبي بن كعب ، فإن كان قد سمعه منه فهو على شرط مسلم ، واللّٰه أعلم .

على أنه قد روي عن أبي بن كعب من غير وجه ، كما قال الإمام أحمد(٢٣) :

حدثنا عفان ، حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم ، حدثنا العلاء[١] بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة - رضي اللّٰه تعالى عنه - قال : خرج رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم على أبي بن كعب وهو يصلي ، فقال : « **يا أبي** » فالتفت ثم لم يجبه ، ثم قال : « **أبي** » . فخفف ثم انصرف إلى رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم فقال : السلام عليك أي رسول اللّٰه . فقال : « **وعليك السلام ، ما منعك - أي أبي - إذ دعوتك أن تجيبني ؟** » . فقال : أي رسول اللّٰه ؛ إني كنت في الصلاة . قال : « **أو لست تجد فيما أوحي اللّٰه[٢] إليّ ﴿استجيبوا للّٰه وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ ؟** » قال : بلى يا رسول اللّٰه ؛ لا أعود . قال : « **أتحب أن أعلمك سورة لم ينزل لا[٣] في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها ؟** » قلت : نعم ، أي رسول اللّٰه . قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم : « **إني لأرجو أن لا أخرج من هذا الباب حتى تعلمها** » . قال : فأخذ رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم بيدي يحدّثني وأنا أتبطأ مخافة أن يبلغ قبل أن يقضي الحديث ، فلما دنونا من الباب قلت : أي رسول اللّٰه ؛ ما السورة التي وعدتني ؟ قال : « **ما تقرأ في الصلاة ؟** » قال : فقرأت عليه أمّ القرآن ، قال : « **والذي نفسي بيده ما أنزل اللّٰه[٤] في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها ، إنها السبع المثاني** » .

ورواه الترمذي عن قتيبة ، عن الدراوردي ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه

(٢٢) - جامع الأصول (٤٦٦/٨) .

(٢٣) - المسند (٤١٣،٤١٢/٢) ، وعبد الرحمن بن إبراهيم : قال الدوري عن ابن معين : ثقة . وقال العجلي : ثقة . وقال النسائي : ليس بالقوي . وقال أبو زرعة : لا بأس ، أحاديثه مستقيمة . وقال أبو حاتم : ليس بقوي . روى عن العلاء بن عبد الرحمن حديثاً منكراً . وقال أبو داود : وهو عندي منكر الحديث ، وعن ابن معين : ليس بشيء . وقال العقيلي : منكر الحديث ، وأخرج له الدارقطني حديثاً من طريقه ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، وضعفه به . وقال ابن حبان : منكر الحديث ، يروي ما لا يتابع عليه ، وليس بالمشهور في العدالة ، على أن التنكب عن أخباره أولى . إلا أنه قد توبع ، تابعه عبد العزيز بن محمد عند الترمذي ، كما في الحديث التالي ، وعبد الحميد بن جعفر عند عبد اللّٰه بن أحمد كما سيأتي بعد حديثين . =

[١] - في ز ، خ : « المعلى » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - سقط من : ز ، خ .

فذكره ، وعنده : « **إنها من السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته** » .

ثم قال : هذا حديث حسن صحيح . وفي الباب عن أنس بن مالك(٢٤) .

ورواه عبد الله بن الإمام[١] أحمد(٢٥) ، عن إسماعيل [ ][٢] أبي معمر ، عن أبي أسامة، عن عبد الحميد بن جعفر ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن أبي بن كعب فذكره مطوّلًا بنحوه أو قريبًا منه .

وقد رواه الترمذي والنسائي جميعًا(٢٦) عن أبي عمار حسين بن حريث ، عن الفضل بن موسى ، عن عبد الحميد بن جعفر ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن أبي بن كعب ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثل أمّ القرآن ، وهي السبع المثاني ، وهي مقسومة بيني وبين عبدي نصفين**[٣] » .

هذا لفظ النسائي . وقال الترمذي : حديث[٤] حسن غريب .

= ورواه الترمذي في أبواب ثواب القرآن ، باب : ما جاء في فضل فاتحة الكتاب ، رقم (٢٨٧٥) ، ورواه النسائي في تفسيره (٢٢٥) ، والدارمي (٢/ ٣٢٠ - ٣٢١) ، وابن جرير (١٤/ ٤٠) ، وابن خزيمة (٢/ ٣٧ - ٣٨) ، وأبو يعلى (١١/ ٣٦٧) ، والطحاوي في المشكل (١/ ٤٦٧ - ٤٦٨) .

(٢٤) - حديث أنس - صحيح - رواه النسائي في فضائل القرآن من الكبرى برقم (٨٠١١) ، وفي اليوم والليلة (٧٢٣) ، وابن حبان (١٧١٣ موارد) ، والحاكم (١/ ٥٦٠) ، والبيهقي في الشعب ٢٣٥٨ - (٢/ ٤٤٤ - ٤٤٥) ، وزاد السيوطي في الدر (١/ ٥) نسبته إلى أبي ذر الهروي في فضائله ، ولفظه .... « **ألا أخبرك بأفضل القرآن ؟** » قال : فتلا عليه ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ . وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم . قلت : في إسناده علي بن عبد الحميد المَعْنى - ووقع في عمل اليوم والليلة : علي بن عبد المجيد - لم يخرج له مسلم شيئًا . والحديث أورده الألباني في الصحيحة برقم (١٤٩٩) .

(٢٥) - إسماعيل بن إبراهيم بن معمر : ثقة مأمون ، وأبو أسامة هو حماد بن أسامة ، ثقة ثبت ، والحديث في زوائد المسند حديث ٢١١٧٢ - (٥/ ١١٤) .

(٢٦) - أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الحجر (٣١٢٤) . ثم ذكر نحوه بمعناه من حديث قتيبة : حدثنا عبد العزيز بن محمد ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة . وقال الترمذي : حديث عبد العزيز بن محمد أطول وأتم ، وهذا أصح من حديث عبد الحميد بن جعفر ، وهكذا روى غير واحدٍ عن العلاء بن عبد الرحمن . ورواه النسائي في كتاب الافتتاح ، باب : تأويل قوله تعالى : ﴿ **ولقد آتيناك سبعًا من المثاني والقرآن العظيم** ﴾ (٢/ ١٣٩/ رقم: ٩١٤) . ورواه ابن خزيمة في صحيحه (١/ ٢٥٢/ رقم: ٥٠٠، ٥٠١) . وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٥٥٧ ، ٢/ ٢٥٧ - ٢٥٨، و٢/ ٣٥٤) وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .

---

[١] - سقط من: ز ، خ . [٢] - في ت : بن .
[٣] - سقط من ز . [٤] - سقط من ز ، خ .

وقال الإمام أحمد(٢٧) : حدثنا محمد بن عُبيد ، حدّثنا هاشم - يعني بن البريد - حدّثنا عبد اللّٰه بن محمد بن[١] عقيل ، عن ابن جابر ؛ قال : انتهيتُ إلى رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم وقد أهراق الماء ، فقلت : السلام عليك يا رسول اللّٰه ؛ فلم يردَّ عليَّ ، قال : فقلت : السلام عليك يا رسول اللّٰه ؛ فلم يردّ عليّ ، [قال : فقلت : السلام عليك يا رسول اللّٰه ؛ فلم يردَّ عليَّ ، قال][٢] : فانطلق رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم يمشي وأنا خلفه حتى دخل رحله ، ودخلت أنا المسجد ، فجلستُ كئيبًا حزينًا ، فخرج عليَّ رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم [و][٣] قد تطهر ، فقال : « **عليك السلام ورحمة اللّٰه ، وعليك السلام ورحمة اللّٰه ، وعليك السلام ورحمة اللّٰه** » . ثم قال : « **ألا أخبرك - يا عبد اللّٰه بن جابر - بأخير [٤] سورة في القرآن ؟** » . قلت : بلى يا رسول اللّٰه . قال : « **اقرأ الحمد للّٰه رب العالمين حتى تختمها** » .

هذا إسناد جيد ، وابن عقيل هذا[٥] يحتج[٦] به الأئمة الكبار ، وعبد اللّٰه بن جابر هذا هو الصحابي ، ذكر ابن الجوزي أنه هو العبدي ، واللّٰه أعلم .

ويقال : إنه عبد اللّٰه بن جابر الأنصاري البياضي(٢٨) ، فيما ذكره الحافظ ابن عساكر .

واستدلوا بهذا الحديث وأمثاله على تفاضل بعض الآيات والسور على بعض ، كما هو المحكي عن كثير من العلماء ، منهم إسحاق بن راهويه ، وأبو بكر بن العربي ، وابن « الحصار »[٧] من المالكية ، وذهبت طائفة أخرى[٨] إلى أنه لا تفاضل في ذلك ؛ لأنّ الجميع كلام اللّٰه ، ولئلا

(٢٧) - الحديث في المسند برقم ١٧٦٤٧ - (١٧٧/٤) ، ورواه البيهقي في الشعب (٢١٥٣ هـ) ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٣١٠/٥) ، وقال : رواه أحمد وفيه عبد اللّٰه بن محمد بن عقيل ، وهو سيء الحفظ ، وحديثه حسن ، وبقية رجاله ثقات .

(٢٨) - وهو الذي رجحه الحافظ ابن حجر في كتابه « تعجيل المنفعة » (٧٢٦/١ - ٧٢٧) . قال الحافظ : عبد اللّٰه بن جابر الأنصاري البياضي ، له صحبة ورواية ، وعنه عقبة بن أبي عائشة ... قلت : الحديث الذي رواه عقبة بن أبي عائشة أخرجه الطبراني وابن السكن ، وأما أحمد فإنما أخرج له حديثاً آخر من طريق عبد اللّٰه بن محمد بن عقيل ، عنه .

وقال في ترجمة عبد اللّٰه بن جابر العبدي : وحديثه " في فضل قراءة الحمد " رواه عنه عبد اللّٰه بن محمد بن عقيل . قلت - ابن حجر - : الحديث الذي في فضل قراءة الحمد هو حديث البياضي المذكور قبل هذا ، وهو الذي أخرجه له أحمد ... اهـ .

[١] - في خ : « عن » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في المسند : بخير .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - في خ : « تحتج » .
[٧] - في خ : « القصال » ، وفي ز : القصار .
[٨] - في ز : أخر .

[يوهم التفضيل نقص][١] المفضل عليه ، وإن كان الجميع فاضلًا . نقله القرطبي عن الأشعري وأبي بكر الباقلاني ، وأبي حاتم بن حبان البستي ، ويحيى بن يحيى ، ورواية عن الإمام مالك أيضًا.

حديث آخر

قال البخاري في فضائل القرآن (٢٩) : حدّثنا محمد بن المثنىٰ ، حدّثنا وهب ، حدّثنا هشام ، عن محمد ، عن معبد[٢] ، عن أبي سعيد الخدري ؛ قال : كنا في مسير لنا فنزلنا ، فجاءت جارية فقالت : إن سيد الحي سليم ، وإنّ نفرنا غُيّبٌ ، فهل منكم راقٍ ؟ فقام معها[٣] رجل ما كنا نأبنه[٤] برقية ، فرقاه فبرأ ، فأمر له بثلاثين شاة وسقانا لبنًا ، فلما رجع قلنا له : أكنت تحسن رقية أو كنت ترقي ؟ قال : لا ، مارقيت إلا بأمّ الكتاب . قلنا : لا تحدثوا شيئًا حتى نأتي – أو[٥] نسأل – رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ، فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبي صلى اللَّه عليه وسلم ، فقال : « **وماكان يدريه أنها رقية اقسموا واضربوا لي بسهم** » .

وقال أبو معمر : حدّثنا عبد الوارث ، حدّثنا هشام ، حدّثنا محمد بن سيرين ، حدّثني معبد ابن سيرين ، عن أبي سعيد الخدري بهذا .

وهكذا رواه مسلم وأبو داود من رواية هشام، وهو ابن حسان ، عن ابن سيرين به(٣٠) .

وفي بعض روايات مسلم(٣١) لهذا الحديث أنّ أبا سعيد الخدري هو الذي رقى ذلك السليم – يعني اللديغ – يسمونه بذلك تفاؤلًا .

(٢٩) – صحيح البخاري ، باب : فضل فاتحة الكتاب حديث رقم (٥٠٠٧) .

(٣٠) – رواه مسلم في السلام برقم (٢٢٠١) ، ورواه أبو داود في البيوع ، باب : كسب الأطباء برقم (٣٤١٩) .

(٣١) – لم أقف عليه عند مسلم ، وقد رواه أحمد برقم ١١٠٨٤ – (١٠/٣) وأخرجه الترمذي في كتاب الطب ، باب : ما جاء في أخذ الأجر على التعويذ برقم (٢٠٦٣) ، والنسائي في الكبرى – كتاب عمل اليوم والليلة – باب : ما يقول على الملدوغ . (١٠٨٦٦) ، (١٠٨٦٩) (٢٥٤/٦،٢٥٥) . وابن ماجه في كتاب التجارات ، باب : أجر الراقي (٢١٥٦) ، وعبد بن حميد (٨٦٦) ، وابن حبان في صحيحه (٦١١٢) (٤٧٦/١٣–٤٧٧) . والدارقطني (٦٣/٣–٦٤) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥٣/٨–٥٤) . من طرق عن الأعمش ، عن جعفر بن إياس ، عن أبي نضرة ، به . وقال الترمذي : حديث حسن صحيح [ط الدعاس ، وتحفة الأشراف] ، ورواه أحمد (٥٠/٣) .

[١] – في ز : يوهن الفضل القضاء . [٢] – في خ : « معد » .

[٣] – في ز ، خ : « منا » .

[٤] – أبنه : عابه ، ورماه بخلة سوء ، والمعنى : ما كنا نعلم أنه يرقي فنعيبه بذلك .

[٥] – زيادة من : ز ، خ .

حديث آخر :

روى مسلم في صحيحه والنسائي في سننه من حديث أبي الأحوص سلام بن سليم(٣٢) ، عن عمار بن رُزَيْق[١] ، عن عبد اللَّه بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ؛ قال : بينا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم وعنده جبريل ؛ إذ سمع نقيضًا فوقه ، فرفع جبريل بصره إلى السماء ، فقال : هذا باب قد فتح من السماء ما فتح قَطُّ . قال : فنزل منه ملك ، فأتى النبي صلى اللَّه عليه وسلم ، فقال : أبشر بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك : فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة ، لن تقرأ حرفًا منهما إلا أوتيته . وهذا لفظ النسائي ولمسلم نحوه .

حديث آخر

قال مسلم(٣٣) : حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي - هو ابن راهويه - حدثنا سفيان بن عيينة ، عن العلاء - يعني ابن عبد الرحمن بن يعقوب الحُرقي - عن أبيه ، عن أبي هريرة ، رضي اللَّه عنه ، عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم ؛ قال : « **من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج - ثلاثًا - غير تمام** » . فقيل لأبي هريرة : إنا نكون وراء[٢] الإمام فقال[٣] : اقرأ بها في نفسك ، فإني سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم يقول : قال اللَّه عز وجل : « **قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، ولعبدي ماسأل** ، [**فإذا**[٤] **قال العبد** : ﴿ **الحمد للَّه رب العالمين** ﴾ قال اللَّه تعالى : حمدني عبدي . وإذا قال : ﴿ **الرحمن الرحيم** ﴾ **قال اللَّه : أثنىٰ عليَّ عبدي ، فإذا قال :** ﴿ **مالك يوم الدين** ﴾ **قال اللَّه : مجَّدَني عبدي . وقال مرة : فوض إليَّ عبدي ، فإذا قال :** ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ **قال : هذا بيني وبين عبدي ، ولعبدي ماسأل**][٥] ، **فإذا قال :** ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين** ﴾ . **قال : هذا لعبدي ولعبدي ماسأل** » [ ][٦]

وهكذا رواه النسائي عن إسحاق بن راهويه

وقد روياه أيضًا(٣٤) ، عن قتيبة ، عن مالك ، عن العلاء ، عن أبي السائب مولى هشام بن

(٣٢) - رواه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها برقم (٨٠٦) ، والنسائي في الافتتاح ٩١٢ - (١٣٨/٢) .

(٣٣) - رواه مسلم في الصلاة ، حديث ٣٨ - (٣٩٥) .

(٣٤) - رواه مسلم في الصلاة ، حديث ٣٩ - (٣٩٥) ، ورواه النسائي في الكبرى برقم (٨٠١٢) ، وفي الصغرى (١٣٥/٢) .

[١] - في ر ، ز : زريق .
[٢] - في خ : خلف .
[٣] - في ز : قال .
[٤] - في ز : وإذا .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٦] - في خ ، ز : آمين .

زُهرة[١] ، عن أبي هريرة به ، وفي هذا السياق : « **فنصفها لي ونصفها لعبدي ، ولعبدي ماسأل** » .

وهكذا[٢] رواه ابن إسحاق عن العلاء(٣٥) .

وقد رواه مسلم من حديث ابن جريج عن العلاء عن أبي السائب هكذا(٣٦)

ورواه أيضًا من حديث [ابن أبي أويس][٣] عن العلاء ، عن أبيه وأبي السائب كلاهما عن أبي هريرة(٣٧)

وقال الترمذي : هذا حديث حسن ، وسألت أبا زرعة عنه ؟ فقال : كلا الحديثين صحيح ، من قال : عن العلاء ، عن أبيه ، وعن العلاء ، عن أبي السائب(٣٨) .

وقد روى هذا الحديث عبد اللّٰه بن الإمام أحمد(٣٩) من حديث العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن أبي بن كعب مطولًا .

وقال[٤] ابن جرير(٤٠) : حدّثنا صالح بن مسمار المروزي ، حدّثنا زيد بن الحباب ، حدّثنا عنبسة ابن سعيد ، عن مُطرف بن طريف ، عن سعد بن إسحاق بن [٥] كعب بن عجرة ، عن جابر بن عبد اللّٰه ؛ قال : قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم : « **قال اللّٰه تعالى : « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، وله ما سأل » فإذا قال العبد : ﴿ الحمد للّٰه رب العالمين ﴾ قال : « حمدني عبدي » وإذا قال : ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ قال : « أثنى عليّ عبدي » . ثم قال :**

---

(٣٥) – رواه أحمد (٢٨٦/٢) ، والبخاري في القراءة (٧٣) ، وابن جرير (٨٦/١) ، والبيهقي في القراءة (٥٧، ٥٨) .

(٣٦) – رواه مسلم في الصلاة برقم ٤٠ – (٣٩٥) .

(٣٧) – رواه مسلم في الصلاة ، حديث ٤١ – (٣٩٥) .

(٣٨) – سنن الترمذي برقم (٢٩٥٣) .

(٣٩) – لم نعثر عليه في المسند .

(٤٠) – **إسناده جيد** : تفسير ابن جرير ٢٢٤ – (٢٠١/١) ، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٩ – (١٧/١) من طريق زيد بن الحباب ، به .

---

[١] – في ز ، خ : عروة » . [٢] – في ز ، خ : « كذا » .

[٣] – وقع في صحيح مسلم : أبو أويس . وهو عبد الله بن عبدالله بن أويس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي ، أبو أويس المدني والد إسماعيل ابن أبي أويس وأبي بكر بن أبي أويس وهو ابن ابن عم مالك بن أنس وصهره على أخته ، روى له الجماعة سوى البخاري .

[٤] – في خ : « قال » . [٥] – في ت : عن .

« **هذا لي وله ما بقي** » . وهذا غريب من هذا الوجه(٤١) .

ثم الكلام على ما يتعلق بهذا الحديث مما يختص بالفاتحة[١] من وجوه :

(**أحدها**) أنه قد أطلق فيه لفظ الصلاة ، والمراد القراءة كقوله تعالى : ﴿ **ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلًا** ﴾ أي : بقراءتك ، كما جاء مصرحًا به في الحديث[٢] الصحيح عن ابن عباس(٤٢) ، وهكذا قال في هذا الحديث : « **قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، فنصفها لي ، ونصفها لعبدي ، ولعبدي ما سأل** » ثم بين [تفصيل[٣] هذه القسمة][٤] في قراءة الفاتحة ، فدل على عظمة[٥] القراءة في الصلاة ، وأنها من أكبر أركانها ، إذ[٦] أطلقت العبادة وأريد بها[٧] جزء واحد منها وهو القراءة ، كما أطلق لفظ القراءة والمراد به الصلاة في قوله : ﴿ **وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودًا** ﴾ والمراد صلاة الفجر ، كما جاء مصرحًا به في الصحيحين(٤٣) من أنه يشهدها[٨] ملائكة الليل وملائكة النهار ، فدلَّ هذا كله على أنه لابد من القراءة في الصلاة ، وهو اتفاق من العلماء ، ولكن اختلفوا في مسألة نذكرها في الوجه الثاني ، وذلك أنه هل[٩] يتعين للقراءة في الصلاة [ ][١٠] فاتحة الكتاب أم تجزئ هي [أو غيرها][١١] ؟ على قولين مشهورين :

فعند أبي حنيفة رحمه اللّٰه ومن وافقه من أصحابه وغيرهم أنها لا تتعين ، بل مهما قرأ به من القرآن أجزأه في الصلاة ، واحتجوا بعموم قوله تعالى : ﴿ **فاقرءوا ما تيسر من القرآن** ﴾ وبما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة في قصة المسيء صلاته أن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم قال له : « **إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن** » . قالوا : فأمره بقراءة ما تيسر ، ولم يعين له الفاتحة ولا غيرها ، فدلَّ على ما قلناه[١٢] .

---

(٤١) - قال الشيخ أحمد شاكر - رحمه اللّٰه تعالى - في تعليقه على ابن جرير : ولعله يريد أنه لم يروه أحدٌ من حديث جابر ؛ إلا بهذا الإسناد ، وليس من ذلك بأس ، وقد ثبت معناه من حديث أبي هريرة ، فهو شاهدٌ قوي لصحته .

(٤٢) - رواه البخاري في كتاب التوحيد ، رقم (٧٤٩٠) ، ومسلم في كتاب الصلاة ، حديث ١٤٥- (٤٤٦) .

(٤٣) - رواه البخاري في الأذان برقم (٦٤٩) ، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة برقم (٦٤٩) .

---

[١] - في ز : بحكم الفاتحة .
[٢] - زيادة من : ز ، خ .
[٣] - في ز : تفضيل .
[٤] - في خ : « تفضيل هذه القراءة » .
[٥] - في ز : عظم .
[٦] - في ز : إذا .
[٧] - في ز : به .
[٨] - في خ : « تشهدها » .
[٩] - سقط من : ز ، خ .
[١٠] - في ر : غير .
[١١] - في ز : « و غيرها » .
[١٢] - في ت : « قلنا » .

(**والقول الثاني**) أنه يتعين[١] قراءة الفاتحة في الصلاة ، ولا تجزئ الصلاة بدونها ، وهو قول بقية الأئمة : مالك ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وأصحابهم وجمهور العلماء ، واحتجوا على ذلك بهذا الحديث المذكور حيث قال - صلوات الله وسلامه عليه - : « **من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأمّ القرآن فهي خداج** » والخداج هو الناقص كما فسر [ ][٢] في الحديث [« **غير تمام** »][٣] .

واحتجوا أيضًا بما ثبت في الصحيحين(٤٤) من حديث الزهري عن محمود بن الربيع عن عبادة ابن الصامت ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لا صلاة لمن لم[٤] يقرأ بفاتحة الكتاب** » .

وفي صحيح ابن خزيمة وابن حبان عن أبي هريرة (٤٥) - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لا تجزئ صلاة لا يقرأ فيها بأمّ القرآن** » . والأحاديث في هذا الباب كثيرة ، ووجه المناظرة هاهنا يطول ذكره ، وقد أشرنا إلى [مأخذهم في ذلك][٥] ، رحمهم الله .

ثم إن مذهب الشافعي وجماعة من أهل العلم أنه تجب قراءتها في كل ركعة .

وقال آخرون : إنما[٦] تجب قراءتها[٧] في معظم الركعات ، وقال الحسن وأكثر البصريين : إنما تجب قراءتها[٨] في ركعة واحدة من الصلوات[٩] أخذًا بمطلق الحديث : « **لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب** » . وقال أبو حنيفة وأصحابه والثوري والأوزاعي : لا تتعين[١٠] قراءتها ، بل لو قرأ بغيرها أجزأه لقوله تعالى : ﴿ **فاقرءوا[١١] ما تيسر من القرآن** ﴾ [كما تقدم][١٢] ، والله أعلم .

---

(٤٤) - رواه البخاري في الأذان برقم (٧٥٦) ، ومسلم في الصلاة برقم (٣٩٤) .

(٤٥) - صحيح ابن خزيمة برقم ٤٩٠ - (٢٤٨/١) ، وصحيح ابن حبان برقم (٤٥٧ موارد) ، ورواه أحمد (٤٥٧/٢ ، ٤٧٨) ، والطحاوي في شرح المعاني (٢١٦/١) ، وفي المشكل (٢٣/٢) وقال ابن حبان : لم يقل في خبر العلاء هذا : « لا تجزئ » إلا شعبة ، ولا عنه إلا وهب بن جرير ، ومحمد بن كثير .

---

[١] - في ت : « تتعين » .
[٢] - في ت : به .
[٣] - في ت : « غير تام » .
[٤] - في ز : لا .
[٥] - في ز : مآخذهم .
[٦] - في خ : « إنها » .
[٧] - في ز ، خ : « في إنها » .
[٨] - في ز ، خ « في إنها » .
[٩] - في ز : الصلاة .
[١٠] - في خ : « يتعين » .
[١١] - في ز : فاقرأ .
[١٢] - زيادة من : ز ، خ .

وقد روى ابن ماجة من حديث أبي سفيان السعدي عن أبي نضرة عن أبي سعيد مرفوعًا : « **لا صلاة لمن لم يقرأ في كل ركعة بالحمد وسورة في فريضة أو غيرها** »(٤٦) . وفي صحة هذا نظر ، وموضع[١] تحرير هذا كله في كتاب الأحكام الكبير ، والله أعلم .

(والوجه الثالث) هل تجب[٢] قراءة الفاتحة على المأموم ؟ فيه ثلاثة أقوال للعلماء :

(أحدها) أنه تجب عليه قراءتها ، كما تجب على إمامه لعموم الأحاديث المتقدمة .

(والثاني) لا تجب على المأموم قراءة بالكلية لا الفاتحة ولا غيرها لا في الصلاة الجهرية ولا السرية ، لما رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده(٤٧) عن جابر بن عبد الله ، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال : « **من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة** » ، ولكن في إسناده ضعف . ورواه مالك عن وهب بن كيسان ، عن جابر من كلامه(٤٨) .

وقد روي هذا الحديث من طرق ولا يصح شيء منها عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، والله أعلم .

(والقول الثالث) أنه تجب القراءة على المأموم في السرية لما تقدم ، ولا تجب في الجهرية لما ثبت في صحيح مسلم(٤٩) عن أبي موسى الأشعري ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(٤٦) – **إسناده ضعيف** ، والحديث في سنن ابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : القراءة خلف الإمام برقم (٨٣٩) ، وقال البوصيري في الزوائد (٢٩١/١) : « هذا إسناد ضعيف ، أبو سفيان السعدي واسمه طريف بن شهاب ، وقيل : ابن سعد ، قال ابن عبد البر : أجمعوا على ضعفه » ، وأبو سفيان قد توبع ، تابعه قتادة ، فرواه عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد مرفوعًا بلفظ : « **أمرنا أن نقرأ بفاتحة الكتاب وما تيسر** » ، أخرجه أبو داود في السنن برقم (٨١٨) ، وابن حبان في صحيحه .

(٤٧) – **إسناده ضعيف** : والحديث رواه أحمد في المسند من حديث جابر ، وهو الجعفي – ضعيف رافضي – عن أبي الزبير – مدلس وقد عنعن – عن جابر برقم ١٤٦٨٥ – (٣٣٩/٣) ، ورواه عبد بن حميد حديث (١٠٥٠) ، وابن ماجة في كتاب إقامة السنة ، باب : إذا قرأ الإمام فأنصتوا (٢٧٧/١) ، حديث ٨٥٠ . كلاهما من طريق الحسن بن صالح ، عن جابر الجعفي ، عن أبي الزبير ، به . قال الحافظ في التلخيص الحبير (٤٢٠/١) : **فائدة** : حديث : « **من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة** » مشهور من حديث جابر وله طرق عن جماعة من الصحابة كلها معلولة .

(٤٨) – رواه البيهقي في السنن الكبرى (١٦٠/٢) من طريق مالك ، وقال : « **هذا هو الصحيح عن جابر من قوله ، غير مرفوع** » .

(٤٩) – رواه مسلم في الصلاة برقم (٤٠٤) ، ورواه أبو داود في الصلاة ، باب : التشهد برقم (٩٧٢) ، من حديث سليمان التيمي ، عن قتادة ، عن أبي غلاب ، عن حطان ، عن أبي موسى ، به .

وقال الدارقطني : وقد خالف التيمي جماعة منهم : هشام الدستوائي ، وشعبة ، وسعيد ، وأبان ، =

---

[١] – في ز : وموضح . [٢] – في خ : « يجب » .

«**إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا كبر فكبروا، وإذا قرأ فأنصتوا**» . وذكر بقية الحديث .

وكذا رواه أهل السنن[٥٠] أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ أنه قال : «**وإذا قرأ فأنصتوا**» . وقد صححه مسلم بن الحجاج أيضًا[٥١] ، فدل هذان الحديثان على صحة هذا القول ، وهو قولٌ قديمٌ للشافعي - رحمه الله - ورواية عن الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى - والغرض من ذكر هذه المسائل هاهنا بيان اختصاص سورة الفاتحة بأحكام لا تتعلق بغيرها من السور ، والله أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر البزار[٥٢] : حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، حدّثنا غسان بن عبيد ، عن

= وهمام ، وأبو عوانة ، ومعمر ، وعدي بن أبي عمارة . رووه عن قتادة ولم يقل أحد منهم : «**وإذا قرأ فأنصتوا**» ، وقد روى عمر بن عامر متابعة التيمي ، وعمر ليس بالقوي - تركه يحيى القطان - وفي اجتماع أصحاب قتادة على خلاف التيمي دليل على وهمه والله أعلم . قال في العلل : ولعله شبه عليه لكثرة من خالفه من الثقات .

(٥٠) - رواه أبو داود في الصلاة ، باب : الإمام يصلي من قعود برقم (٦٠٤) ، والنسائي في الافتتاح (٢/ ١٤١،١٤٢) ، وابن ماجة في إقامة الصلاة ، باب : إذا قرأ الإمام فأنصتوا برقم (٨٤٦) قال أبو داود : « وهذه الزيادة : «**وإذا قرأ فأنصتوا**» ليست بمحفوظة ، الوهم عندنا من أبي خالد »

قال البخاري : الليث وبكر بن مضر قد رويا الحديث عن ابن عجلان ، عن عدد من شيوخه ولم يذكرا عنه هذه الزيادة . وأن سهيل بن أبي صالح ، وأبا سلمة ، وهمامًا ، وأبا يونس وغير واحد عن أبي هريرة عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، رووا هذا الحديث فلم يذكر أحد منهم هذه الزيادة .

وقال ابن خزيمة : إن الأخبار المتواترة عن أبي هريرة بالأسانيد الصحيحة الثابتة المتصلة بهذه القصة ليس في شيء منها : «**وإذا قرأ فأنصتوا**» إلا خبر أبي خالد ، ولا يعتد أهل الحديث بروايته .

قال البيهقي : والحديث في الصحيح من حديث أبي صالح وأبي الزناد ، عن الأعرج ، وأبي يونس وهمام ، وأبي علقمة الهاشمي ، كلهم عن أبي هريرة ، ليس في شيء من روايات هؤلاء : «**وإذا قرأ فأنصتوا**» . وذكر البيهقي أن الأحاديث في الصحيح - حديث عائشة ، وجابر وأنس - ليس فيها كلها هذه الزيادة .

وقال الدوري : سمعت يحيى بن معين يقول في حديث أبي خالد الأحمر عن ابن عجلان : « وإذا قرأ فأنصتوا » قال : ليس بشيء ولم يثبته ووهنه .

(٥١) - ذكر ذلك مسلم عقب حديث ٦٣ - (٤٠٤) : .... قال أبو إسحاق : قال أبو بكر ابن أخت أبي النضر في هذا الحديث ؛ فقال مسلم : تريد أحفظ من سليمان ؟ فقال له أبو بكر : فحديث أبي هريرة ؟ فقال : هو صحيح - يعني : « وإذا قرأ فأنصتوا » فقال : هو عندي صحيح . فقال له : لِمَ لَمْ تضعه ههنا ؟ قال : ليس كل شيء عندي صحيح وضعته ههنا ، إنما وضعت ههنا ما أجمعوا عليه .

(٥٢) - رواه البزار ، كما في كشف الأستار برقم (٣١٠٩) وفيه غسان بن عبيد ، قال ابن عدي : « الضعف على أحاديثه بيِّنٌ » . وقال عباس وآخر عن يحيى : ثقة ، يروي جامع سفيان . وروى الجنيد عن يحيى : ضعيف . وقال الدارقطني : صالح ، وضعفه أحمد (الميزان٣/٣٣٤ - ٣٣٥) . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢١/١٠) وقال : رواه البزار ، وفيه غسان بن عبيد ، وهو ضعيف ووثقه ابن حبان .

أبي عمران الجوني ، عن أنس - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد فقد أمنت من كل شيء إلا الموت** » .

[الكلام على][١] تفسير الاستعاذة [وأحكامها][٢]

قال الله تعالى : ﴿ **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم** ﴾.

فهذه ثلاث آيات ليس لهنّ رابعة في معناها ، وهو أن الله تعالى يأمر بمصانعة العدوّ الإنسي والإحسان إليه ؛ ليردّه عنه[٣] طبعه الطيب الأصل إلى الموالاة[٤] والمصافاة ، ويأمر بالاستعاذة به من العدوّ الشيطاني لا محالة إذ لا يقبل مصانعة ولا إحسانًا ، ولا يبتغي غير هلاك ابن آدم ؛ لشدة العداوة بينه وبين أبيه آدم من قبل ، كما قال تعالى : ﴿ **يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **إن الشيطان لكم عدوّ فاتخذوه عدوًّا إنما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير** ﴾ وقال : ﴿ **أفتتخذونه وذريّته أولياء من دوني وهم لكم عدوّ بئس للظالمين بدلًا** ﴾ وقد أقسم للوالد آدم عليه السلام أنه له[٥] لمن الناصحين وكذب فكيف معاملته لنا وقد قال : ﴿ **فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين** ﴾ وقال الله تعالى : ﴿ **فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون** ﴾ .

قالت طائفة من القرّاء وغيرهم : يتعوّذ[٦] بعد القراءة واعتمدوا على ظاهر سياق الآية ولدفع الإعجاب بعد فراغ العبادة ، وممن ذهب إلى ذلك حمزة فيما ذكره ابن قلوقا[٧] عنه وأبو حاتم السجستاني ، حكى ذلك أبو القاسم يوسف بن علي بن جُبارة الهذلي المغربي في كتابه "الكامل" ، وروي عن أبي هريرة أيضًا وهو غريب ، [ونقله محمد بن عمر الرازي في تفسيره عن ابن سيرين في رواية عنه قال : وهو قول إبراهيم النخعي وداود بن علي الأصبهاني الظاهري .

---

[١] - سقط من ر .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ز : الموادة .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - في ز : نتعوذ .
[٧] - في خ : « ملوما » ، وفي ز : فلوفا .

وحكى القرطبي(٥٣) ، عن أبي بكر بن العربي ، عن المجموعة ، عن مالك - رحمه الله - أنّ القارئ يتعوّذ بعد الفاتحة . واستغربه ابن العربي(٥٤) ! . وحكى قولاً ثالثًا وهو الاستعاذة أوّلا وآخرًا جمعًا بين الدليلين ، نقله الرازي][١] . والمشهور الذي عليه الجمهور أنّ الاستعاذة إنما تكون قبل التلاوة لدفع الوساوس فيها ، ومعنى الآية عندهم ﴿**فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم**﴾ [أي إذا أردت القراءة كقوله تعالى : ﴿**إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم**﴾ . الآية][٢] . أي إذا أردتم القيام ، والدليل على ذلك الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك .

قال الإمام أحمد بن حنبل(٥٥) - رحمه الله - : حدثنا محمد بن الحسن [بن أتش][٣] ، حدثنا جعفر بن سليمان ، عن علي بن علي الرفاعي اليشكري ، عن أبي المتوكل الناجي ، عن أبي سعيد الخدري ؛ قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل فاستفتح صلاته وكبر قال : « **سبحانك اللّهم وبحمدك ، وتبارك اسمك وتعالى جدّك ، ولا إله غيرك - ويقول : لا إله إلا الله - ثلاثًا - ثم يقول : أعوذ بالله السميع العليم ، من الشيطان الرجيم ، من همزه ونفخه ونفثه [ويقول الله أكبر ثلاثاً ، ثم يقول : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه**][٤] » .

(٥٣) - تفسير القرطبي (٨٨/١) .

(٥٤) - أحكام القرآن (١١٧٦/٣) .

(٥٥) - المسند برقم ١١٤٨٩ - (٥٠/٣) ، **والحديث صحيح** : محمد بن الحسن بن أَتَش اليَماني ، قال أحمد : كان من القدرية الكبار ، ووثقه أبو حاتم وأحمد بن صالح ، وذكره ابن حبان في الثقات (٩/ ٦٩) ، وقال النسائي : ليس بثقة ، وقال مرة : متروك ، قال ابن حجر في التهذيب (١٠٠/٩) : كلام النسائي فيه غير مقبول ، لأن أحمد ، وعلي بن المديني لا يرويان إلا عن مقبول مع قول أحمد بن صالح فيه ، وفي « التقريب » صدوق فيه لين رمي بالقدر . وجعفر بن سليمان هو الضبعي أبو سليمان البصري ، صدوق زاهد . وعلي بن علي ؛ قال أحمد : لم يكن به بأس ؛ إلا أنه رفع أحاديث ، ووثقه يحيى بن معين وأبو زرعة ، وقال النسائي : لا بأس به ، وتكلم فيه يحيى بن سعيد ، وفي التقريب : لا بأس به رمي بالقدر . والحديث أخرجه أبو داود : كتاب الصلاة ، باب : من رأى الاستفتاح « بسبحانك اللّهم وبحمدك » (٧٧٥) ، والترمذي : كتاب الصلاة ، باب : ما يقول عند افتتاح الصلاة (٢٤٢) ، والنسائي : كتاب الافتتاح ، باب : نوع آخر من الذكر بين افتتاح الصلاة وبين القراءة (١٣٢/٢) ، وفي الكبرى (٩٧٢،٩٧٣) (٣١٣/١،٣١٤) . وابن أبي شيبة في المصنف ، كتاب الصلاة ، باب : فيما يفتتح به الصلاة (٢٦٣/١) ، وعنه ابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : افتتاح الصلاة (٨٠٤) ، وعبد الرزاق في المصنف (٢٥٥٤) ، والطحاوي في شرح معاني الآثار (١٩٧/١-١٩٨) ، وابن خزيمة في صحيحه (٤٦٧) ، وأبو يعلى في مسنده (١١٠٨) (٣٥٨/٢) ، والبيهقي =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٤] - زيادة من المسند .

وقد رواه أهل السنن الأربعة[٥٦] من رواية جعفر بن سليمان، عن علي بن علي، وهو الرفاعي.

وقال الترمذي: هو أشهر حديث في هذا الباب، وقد فسر الهمز بالموتة وهي الخنق، والنفخ بالكبر، والنفث بالشعر.

كما رواه أبو داود وابن ماجة[٥٧] من حديث شعبة، عن عمرو بن مرّة، عن عاصم العنزي، عن نافع بن جبير بن مطعم، عن أبيه؛ قال: رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه [وعلى آله][١] وسلم حين دخل في الصلاة قال: « **الله أكبر كبيرًا - ثلاثًا - [الحمد لله كثيرًا ثلاثًا][٢] ، سبحان الله بكرة وأصيلاً - ثلاثًا - اللّهم؛ إني أعوذ بك من الشيطان من همزه ونفخه ونفثه** ». قال عمرو: همزه الموتة، ونفخه الكبر، ونفثه الشعر.

= في الكبرى (٣٥،٣٤/٢) والمزي في تهذيب الكمال (٧٦/٢١) ترجمة علي بن علي. وقال الترمذي: « حديث أبي سعيد أشهر حديث في هذا الباب .... وقد تُكلم في إسناد حديث أبي سعيد، كان يحيى ابن سعيد يتكلم في علي بن علي الرفاعي، وقال أحمد: لا يصح الحديث. وأجاب الشيخ الألباني عن ذلك في الإرواء (٥١/١-٥٢) فقال: ولعل هذا لا ينفي أن يكون حسنًا؛ فإن رجاله كلهم ثقات، وعلي هذا وإن تكلم فيه يحيى بن سعيد فقد وثقه يحيى بن معين ووكيع وأبو زرعة ..... قلت « أي الألباني »: وهذا لا يوجب إهدار حديثه، بل يحتج به حتى يظهر خطؤه، وهنا ما روى شيئًا منكرًا ».

قلت: وهناك علة أخرى للحديث أشار إليها أبو داود بعد إخراجه الحديث فقال: « وهذا الحديث يقولون: هو عن علي بن علي، عن الحسن مرسلًا، الوهم من جعفر ».

لكن يشهد لبعضه حديث جبير بن مطعم الآتي وهو عند أبي داود (٧٦٤)، وابن ماجه (٨٠٧).

وصححه ابن خزيمة (٤٦٨)، وابن حبان (١٧٧٨)، والحاكم (٢٣٥/١)، ووافقه الذهبي. وحديث عبد الله بن مسعود عند ابن ماجه (٨٠٨)، والطيالسي (٣٩٦)، وأبي يعلى (٤٩٩٤) وصححه ابن خزيمة (٤٧٢)، وفي الباب أيضًا عن ابن عمر عند مسلم في المساجد ومواضع الصلاة، باب: ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة (١٥٠) (٦٠١)، وعن عائشة عند أبي داود (٧٧٦)، والترمذي (٢٤٣)، وابن ماجه (٨٠٦)، وصححه الشيخ الألباني في الإرواء (٣٤١).

(٥٦) - انظر الحديث السابق.

(٥٧) - رواه أبو داود في الصلاة، باب: ما يستفتح به الصلاة من الدعاء برقم (٧٦٤)، وابن ماجة في إقامة الصلاة، باب: الاستعاذة في الصلاة برقم (٨٠٧)، ورواه أحمد (٨٥/٤)، وابن خزيمة (٤٦٨)، والبخاري في التاريخ (٤٨٨/٢/٣ - ٤٨٩)، والطيالسي (٩٤٧)، وأبو يعلى (٧٣٩٨/١٣)، وابن الجارود (١٨٠)، والطبراني في الكبير (١٥٦٨/٦)، ورواه ابن حبان في صحيحه برقم (٤٤٣)، والحاكم (٢٣٥/١)، والبيهقي (٣٥/٢) من طريق شعبة، به، ورواه المزي في تهذيبه في ترجمة عاصم العنزي. قال الحاكم: صحيح الإسناد، وعاصم العنزي: مجهول، ما وثقه إلا ابن حبان. قال ابن حبان: عاصم العنزي يروي عن نافع بن جبير بن مطعم، عن أبيه قال: كان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ. [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

وقال ابن ماجة(٥٨) : حدّثنا علي بن المنذر ، حدّثنا ابن فضيل ، حدثنا عطاء بن السائب ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، عن ابن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « **اللّهم ؛ إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم وهمزه ونفخه ونفثه** » .

قال : همزه الموتة ، [ونفخه الكبر ، ونفثه الشعر][١] .

وقال الإمام أحمد(٥٩) : حدّثنا إسحاق بن يوسف ، حدّثنا شريك ، عن يعلى بن عطاء ، عن

= إذا دخل في الصلاة قال : ... فذكره . كذا قال شعبة عن عمرو بن مرة ، عن عاصم العنزي ، وقال مسعر : عن عمرو ابن مرة ، عن رجل من عنزة ، رواه أبو داود (٧٦٥) ، وأحمد (٤/٨٠ - ٨١) ، والطبراني (١٥٦٩) ، والخطيب في تاريخه (١٣گ٤٣٦ - ٤٣٧) . وقال ابن إدريس : عن حصين ، عن عمرو بن مرة ، عن عباد بن عاصم ، عن نافع بن جبير ، رواه ابن أبي شيبة (١/٢٣١ ، ٢٣٨ ، ١٠/ ١٩٢) ، وأحمد (٤/٨٣) ، وابن خزيمة (٤٦٩) ، والطبراني (٢/٥٧٠) ، وقال عباد بن العوام : عن حصين ، عن عمرو بن مرة ، عن عمار بن عاصم ، عن نافع بن جبير ، ذكره البخاري ، وهو عند ابن عياش ، عن عبد العزيز بن عبيد الله بن حمزة بن صهيب ، عن عبد الرحمن بن نافع بن جبير بن مطعم ، عن أبيه بطوله . وقال البخاري : وهذا لا يصح . قال الحافظ في التهذيب : قلت : وقال البزار : اختلفوا في اسم العنزي ، رواه وهو غير معروف . وقال ابن خزيمة : وعاصم العنزي ، وعباد بن عاصم مجهولان ، لا يدرى من هما ولا يعلم الصحيح ما روى حصين ، أو شعبة - هكذا فرق بينهما ابن خزيمة ، وكذا البخاري ، وابن أبي حاتم ، وابن حبان (التاريخ الكبير ٦/٤٨٨، الثقات ٥/٤٣٨ ، ٧/٢٥٨ ، تهذيب التهذيب ٥/٤٨، تهذيب الكمال ١٣/٥٣٤) .

(٥٨) - رواه ابن ماجة برقم (٨٠٨) ، ورواه أحمد ٣٨٣٠ - (١/٤٠٤) ، وابن أبي شيبة (١٠/١٨٥ - ١٨٦) ، وأبو يعلى (٨/٤٩٩٤ ، ٩/٥٠٧٧) والحاكم (١/٢٠٧) ، والبيهقي (٢/٢٦) ، وابن خزيمة في صحيحه برقم (٤٧٢) ، من طريق محمد بن فضيل به ، وقال البوصيري في الزوائد (١/٢٨٥) : في إسناده مقال ؛ فإن عطاء بن السائب اختلط بآخر عمره ، وسمع منه محمد بن فضيل بعد الاختلاط ، وفي سماع أبي عبد الرحمن السلمي من ابن مسعود كلام . قال شعبة : لم يسمع . وقال أحمد : أرى قول شعبة وهمًا ، وقال البخاري في الكبير (٣/١/٧٣) ، وفي الصغير (١/٢٠١) سمع عليًا وعثمان وابن مسعود . وقال أبو عمرو الداني : أخذ أبو عبد الرحمن القراءة عرضًا عن عثمان وعلي وابن مسعود ا هـ . وقال الحاكم : صحيح وقد استشهد البخاري بعطاء بن السائب .

وقد تابع ابن فضيل ورقاء بن عمر ، وعمرو بن رزيق ، فروياه عن عطاء بن السائب ، رواه أحمد ٣٨٢٨ - (١/٤٠٣) من طرق عمرو ، وأبو يعلى (٩/٥٣٨٠) من طريق عمرو ، والبيهقي (٢/٣٦) من طرق عمرو ، وورقاء ، وقد سمعا منه بعد الاختلاط أيضًا .

وخالفهم حماد بن سلمة فرواه عن عطاء بن السائب ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، عن ابن مسعود أنه كان يتعوذ في الصلاة من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه ، رواه الطيالسي (٣٧١ ص ٤٩) وعنه البيهقي (٢/٣٦) ، ورواه الطبراني في الكبير (٩/٩٣٠٢) وحماد روى عن عطاء قبل الاختلاط وبعده .

(٥٩) - المسند برقم ٢٢٢٧٥ - (٥/٢٥٣) . =

[١] - في ز ، خ : « نفثه : الشعر ، ونفخه : الكبر » .

رجل حدثه ؛ أنه سمع أبا أمامة الباهلي ؛ يقول : كان رسول اللّٰه - صلى اللّٰه عليه وسلم - إذا قام إلى الصلاة كبر ثلاثًا ثم قال : « **لا إله إلا اللّٰه** » . ثلاث مرات و « **وسبحان اللّٰه وبحمده** » ثلاث مرات . ثم قال : « **أعوذ باللّٰه من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه** » .

وقال الحافظ أبو يعلي أحمد بن علي بن المثنىٰ الموصلي في مسنده(٦٠) : حدثنا عبد اللّٰه بن عُمر ابن أبان الكوفي ، حدثنا علي بن هاشم بن البريد ، عن يزيد بن زياد ، عن عبد الملك بن عُمير ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبي بن كعب - رضي اللّٰه عنه - قال : تلاحى رجلان عند النبي صلى اللّٰه عليه وسلم فتمزع أنف أحدهما غضبًا ، فقال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم : « **إني لأعلم شيئًا لو قاله لذهب**[١] **عنه ما يجد : أعوذ باللّٰه من الشيطان الرجيم** »

وكذا رواه النسائي في اليوم والليلة(٦١) ، عن يوسف بن عيسى المروزي ، عن الفضل بن موسى ، عن يزيد بن زياد بن أبي الجعد ، به .

وقد روى هذا الحديث أحمد بن حنبل ، عن أبي سعيد ، عن زائدة ، وأبو داود عن يوسف ابن موسى ، عن جرير بن عبد الحميد ، والترمذي والنسائي في اليوم والليلة عن بندار ، عن ابن مهدي ، عن الثوري ، والنسائي أيضًا من حديث زائدة بن قدامة - ثلاثتهم ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن معاذ بن جبل - رضي اللّٰه عنه - قال : استب رجلان عند النبي صلى اللّٰه عليه وسلم ، فغضب أحدهما غضبًا شديدًا حتى خيل إليَّ أنّ أحدهما يتمزع أنفه من شدّة غضبه ، فقال النبي صلى اللّٰه عليه وسلم : « **إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد من الغضب** » . فقال : ما هي يارسول اللّٰه ؟ قال : « **يقول : اللّٰهم ؛ إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم** » . قال : فجعل معاذ يأمره فأبى وجعل يزداد غضبًا . وهذا لفظ أبي داود(٦٢) .

= **والحديث إسناده ضعيف** ، لجهالة شيخ يعلى بن عطاء ، وشريك القاضي - رحمه الله تعالى - : تُكلم فيه لسوء حفظه ، لكن تابعه حماد بن سلمة عند أحمد (٢٥٣/٥) . والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٦٥/٢) وعزاه لأحمد وقال : « وفيه من لم يسم » .

(٦٠) - لم نعثر على هذا الحديث في مسند أبي يعلى ، ولا في المطالب العالية ، ولا في مجمع الزوائد ، وقد أورده الضياء في المختارة من طريق أبي يعلى ١٢٣٦ - (٤٣٦/٣) .

(٦١) - سنن النسائي الكبرى برقم (١٠٢٢٣) .

(٦٢) - المسند (٥/ ٢٤٠ ، ٢٤٤) ، ورواه أبو داود في الأدب ، ما يقال عند الغضب برقم (٤٧٨٠) والترمذي في الدعوات برقم (٣٤٥٢) ، والنسائي في الكبرى برقم (١٠٢٢١،١٠٢٢٢) ، وابن السني في اليوم والليلة (٤٥٤) ، والضياء في المختارة (١٢٣٧) وعزاه في الدر المنثور (٣٦٥/٥) لابن مردويه . وأعله الترمذي بالإرسال لأن عبد الرحمن بن أبي ليلى لم يدرك معاذاً .

---

[١] - في ز ، خ : « ذهب » .

وقال الترمذي : مرسل ، يعني أنّ عبد الرحمن بن أبي ليلى لم يلق معاذ بن جبل فإنه مات قبل سنة عشرين .

(قلت) : وقد يكون عبد الرحمن بن أبي ليلى سمعه من أبي بن كعب كما تقدّم ، وبلغه عن معاذ بن جبل ، فإنّ هذه القصة شهدها غير واحد من الصحابة رضي اللّه عنهم .

قال البخاري : حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن عدي بن ثابت ؛ قال : قال سليمان بن صرد - رضي اللّه عنه - : استب رجلان عند النبي صلى اللّه عليه وسلم ونحن عنده جلوس ، فأحدهما يسب صاحبه مغضبًا قد احمرّ وجهه ، فقال النبي صلى اللّه عليه وسلم : « **إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه مايجده ، لو قال : أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم** » . فقالوا للرجل : ألا تسمع ما يقول رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ؟! قال : إني لست بمجنون(٦٣) .

وقد رواه أيضًا مع مسلم وأبي داود والنسائي من طرق متعددة عن الأعمش ، به(٦٤) .

وقد جاء في الاستعاذة أحاديث كثيرة يطول ذكرها هاهنا ، وموطنها كتاب الأذكار وفضائل الأعمال ، واللّه أعلم .

وقد روي أن جبريل - عليه السلام - أوّل ما نزل بالقرآن على رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أمره بالاستعاذة ، كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير(٦٥) :

حدّثنا أبو كريب ، حدثنا[١] عثمان بن سعيد ، حدثنا بشر بن عمارة ، حدثنا أبو روق ، عن الضحاك ، عن عبد اللّه بن عباس ؛ قال : أوّل ما نزل جبريل على محمد صلى اللّه عليه وسلم ؛ قال : « يا محمد ؛ استعذ » قال : « **أستعيذ [باللّه السميع][٢] العليم من الشيطان الرجيم** » ثم

(٦٣) - رواه البخاري في الأدب ، باب : الحذر من الغضب برقم (٦١١٥) .

(٦٤) - رواه مسلم في البر والصلة ، والآداب برقم (٢٦١٠) ، وأبو داود في الأدب ، باب : ما يقال عند الغضب برقم (٤٧٨١) ، والنسائي في الكبرى برقم (١٠٢٢٤،١٠٢٢٥) .

(٦٥) - تفسير ابن جرير ١٣٧ - (١١٣/١) . وبشر بن عمارة : قال أبو حاتم : ليس بالقوي في الحديث . وقال البخاري تعرف وتنكر . وقال النسائي : ضعيف . وقال ابن حبان : كان يخطىء حتى خرج عن حد الاحتجاج به إذا انفرد . وقال ابن عدي : لم أر في أحاديثه حديثًا منكرًا وهو عندي حديثه إلى الاستقامة أقرب . قلت : وقال البرقاني عن الدارقطني : متروك . وقال العقيلي : لا يتابع على حديثه . وقال الساجي مثل البخاري . وأما أبو روق واسمه عطية بن الحارث : فثقة .

وأما الانقطاع الذي أشار إليه ابن كثير ، فهو بين الضحاك وابن عباس .

[١] - سقط من : خ . [٢] - في ز : بالسميع .

قال : « قل : بسم اللّٰه الرحمن الرحيم » ثم قال ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾ قال عبد اللّٰه : وهي أوّل سورة أنزلها اللّٰه على محمد صلى اللّٰه عليه وسلم بلسان جبريل.

وهذا الأثر غريب ، وإنما ذكرناه ليُعرف فإنّ في إسناده ضعفًا وانقطاعًا ، واللّٰه أعلم.

[مسألة

وجمهور العلماء على أنّ الاستعاذة مستحبة ليست بمتحتمة يأثم تاركها ، وحكى الرازي عن عطاء بن أبي رباح وجوبها في الصلاة وخارجها كلما أراد القراءة ، قال : وقال ابن سيرين : إذا تعوّذ مرّة واحدة في عمره فقد كفى في إسقاط الوجوب ، واحتج الرازي لعطاء بظاهر الآية ﴿ **فاستعذ** ﴾ وهو أمر ظاهره الوجوب ، وبمواظبة النبي صلى اللّٰه عليه وسلم عليها ؛ ولأنها تدرأ شر الشيطان ، ومالا يتم الواجب إلا به فهو واجب ؛ ولأنّ الاستعاذة أحوط ، وهو أحد مسالك الوجوب.

وقال بعضهم : كانت واجبة على النبي صلى اللّٰه عليه وسلم دون أمّته ، وحكي عن مالك أنه لا يتعّوذ في المكتوبة ويتعوّذ لقيام رمضان في أوّل ليلة منه.

مسألة

وقال الشافعي في الإملاء : يجهر بالتعوّذ وإن أسرّ فلا يضر ، وقال في الأمّ بالتخيير ؛ لأنه أسر ابن عمر وجهر أبو هريرة ، واختلف قول الشافعي فيما عدا الركعة الأولى ، هل يستحب التعوّذ فيها على قولين ، ورجح عدم الاستحباب ، واللّٰه أعلم.

فإذا قال المستعيذ : أعوذ باللّٰه من الشيطان الرجيم كفى ذلك عند الشافعي وأبي حنيفة ، وزاد بعضهم : أعوذ باللّٰه السميع العليم ، وقال آخرون : بل يقول : أعوذ باللّٰه من الشيطان الرجيم ، إن اللّٰه هو السميع العليم ، قاله الثوري والأوزاعي ، وحُكي عن بعضهم أنه يقول : أستعيذ باللّٰه من الشيطان الرجيم ؛ لمطابقة أمر الآية ؛ ولحديث الضحاك عن ابن عباس المذكور ، والأحاديث الصحيحة كما تقدّم أولى بالاتباع من هذا ، واللّٰه أعلم.

مسألة

ثم الاستعاذة في الصلاة إنما هي للتلاوة وهو قول أبي حنيفة ومحمد. وقال أبو يوسف : بل للصلاة فعلى هذا يتعوذ المأموم ، وإن كان لا يقرأ ويتعوذ في العيد بعد الإحرام ، وقبل تكبيرات العيد ، والجمهور بعدها قبل القراءة. ومن لطائف الاستعاذة أنها طهارة للفم مما كان يتعاطاه من اللغو والرفث وتطيب له ، وتهيؤ لتلاوة كلام اللّٰه ، وهي استعانة باللّٰه ، واعتراف له بالقدرة ، وللعبد

بالضعف والعجز عن مقاومة هذا العدوّ المبين الباطني الذي لا يقدر على منعه ودفعه إلا اللَّه الذي خلقه، ولا يقبل مصانعة، ولا يدارىٰ بالإحسان، بخلاف العدو من نوع الإنسان كما دلت على ذلك آيات من القرآن في ثلاث من المثاني، وقال تعالى: ﴿**إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا**﴾. وقد نزلت الملائكة لمقاتلة العدو البشري، فمن قتله العدو الظاهري البشري كان شهيدًا، ومن قتله العدو الباطني كان طريدًا، ومن غلبه العدو الظاهري كان مأجورًا، ومن قهره العدو الباطني كان مفتونًا أو موزورًا، ولما كان الشيطان يرى الإنسان من حيث لا يراه استعاذ منه بالذي يراه ولا يراه الشيطان.

فصل

والاستعاذة هي الالتجاء إلى اللَّه تعالى، والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر، والعياذة تكون لدفع الشر، واللياذ يكون لطلب جلب الخير، كما قال المتنبي:

يا من ألوذ به فيما أؤمله ومن أعوذ به ممن أحاذره
[لا يجبر الناس عظمًا أنت كاسره ولا يهيضون عظمًا أنت جابره](٦٦) [١]

ومعنى أعوذ باللَّه من الشيطان الرجيم، أي: أستجير بجناب اللَّه من الشيطان الرجيم[٢] أن يضرني في ديني أو دنياي أو يصدني عن فعل ما أمرت به، أو يحثني على فعل ما نهيت عنه، فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا اللَّه؛ ولهذا أمر اللَّه تعالى بمصانعة شيطان الإنس ومداراته بإسداء الجميل إليه ليردّه طبعه عما هو فيه من الأذى، وأمر بالاستعاذة به من شيطان الجنّ؛ لأنه لا يقبل رشوة ولا يؤثر فيه جميل؛ لأنه شرير بالطبع، ولا يكفه عنك إلا الذي خلقه، وهذا المعنى في ثلاث آيات من القرآن لا أعلم لهن رابعة، قوله تعالى في الأعراف: ﴿**خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين**﴾ فهذا فيما يتعلق بمعاملة الأعداء من البشر ثم قال: ﴿**وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ باللَّه إنه سميع عليم**﴾ وقال تعالى في سورة قد أفلح المؤمنون: ﴿**ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون**﴾ وقال تعالى في سورة حم السجدة: ﴿**ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا**

(٦٦) - ذكر البيتين الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (١١/٢٧٥)، وقال: «وقد بلغني عن شيخنا العلامة شيخ الإسلام أحمد بن تيمية - رحمه اللَّه - أنه كان ينكر على المتنبي هذه المبالغة في مخلوق ويقول: إنما يصلح هذا لجناب اللَّه - سبحانه وتعالى - وأخبرني العلامة شمس الدين ابن القيم - رحمه اللَّه - أنه سمع الشيخ تقي الدين المذكور يقول: ربما قلت هذين البيتين في السجود أدعو اللَّه بما تضمناه من الذل والخضوع».

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ. [٢] - سقط من ز.

وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم ﴾ .

والشيطان في لغة العرب مشتق من شطن إذا بعُد، فهو بعيد بطبعه عن طباع البشر، وبعيد بفسقه عن كل خير، وقيل: مشتق من شاط؛ لأنه مخلوق من نار، ومنهم من يقول: كلاهما صحيح في المعنى، ولكن الأول أصح، وعليه يدل كلام العرب، قال أمية بن أبي الصلت في ذكر ما أوتي سليمان عليه الصلاة والسلام:

أيما شاطن عصاه عكاه ثم يُلقى[١] في السجن والأغلال[٢]

فقال: أيما شاطن، ولم يقل: أيما شائط. وقال النابغة الذبياني، وهو زياد بن عمرو بن معاوية ابن جابر بن ضباب[٣] بن يربوع بن مرة بن سعد بن ذبيان:

نأتْ بسعاد عنك نوى شطون فبانت والفؤاد بها رهين

يقول: بعدت بها طريق بعيدة. و [قال سيبويه: العرب تقول: تشيطن فلان، إذا فَعَلَ فِعْلَ الشياطين، ولو كان من شاط، لقالوا: تشيط][٤] فالشيطان[٥] مشتق من البعد على الصحيح؛ ولهذا يسمون كل ما تمرّد من جني وإنسي وحيوان شيطانًا، قال الله تعالى: **﴿ وكذلك جعلنا لكل نبيٍّ عدوًّا شياطين الإنس والجنّ يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا ﴾** .

وفي مسند الإمام أحمد(٦٧) عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه

---

(٦٧) - رواه أحمد في المسند برقم ٢١٦٢٩، ٢١٦٣٥ - (١٧٨/٥، ١٧٩) في حديث طويل. ورواه النسائي (٢٧٥/٨)، والطيالسي (٤٧٨)، والبزار كما في كشف الأستار (١٦٠)، والبيهقي في الشعب (٣٥٧٦ هـ)، رووه مطولاً ومختصراً من طرقٍ عن المسعودي، عن أبي عمر، ويقال: أبو عمرو - عن عبيد بن الخشخاش، ويقال: الحسحاس- عن أبي ذر، وأبو عمر هذا تركه الدارقطني، وكذا عبيد أيضاً، ووثقه ابن حبان، وقال البخاري: عبيد بن الخشخاش لم يذكر سماعاً من أبي ذر. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ١٥٩، ١٦٠) وقال «رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط بنحوه، وعند النسائي طرف منه، وفيه المسعودي، وهو ثقة، ولكنه اختلط.

ورواه أحمد من حديث أبي أمامة ٢٢٣٣٨ - (٢٦٥/٥) ثنا أبو المغيرة، ثنا معان بن رفاعة، حدثني عليّ بن يزيد، عن القاسم أبي عبد الرحمن، عن أبي أمامة ... فذكره في حديثٍ طويل. وأخرجه الطبراني في الكبير (٨ / ٢٥٨، ٢٥٩ / رقم: ٧٨٧١) من نفس طريق أحمد، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٥٩) وقال: «رواه أحمد والطبراني في الكبير، ومداره على علي بن يزيد، وهو ضعيف».

---

[١] - في ز: يلقي بي.

[٢] - في حاشية ز: في نسخة: والأكبال. [٣] - في ز، خ: «صباب».

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ. [٥] - في ز، خ: «والشيطان».

وسلم: « **يا أبا ذر، تعوذ بالله من شياطين الإنس والجن** » فقلت: أو للإنس شياطين ؟ **قال: « نعم »**

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر أيضًا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **يقطع الصلاةَ المرأة، والحمار، والكلب الأسود** ». فقلت: يارسول الله؛ ما بال الكلب الأسود من الأحمر من[١] الأصفر ؟ فقال: « **الكلب الأسود شيطان** »(٦٨).

وقال ابن وهب: أخبرني هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه؛ أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ركب برذونًا فجعل يتبختر به، فجعل يضربه فلا يزداد إلا تبخترًا، فنزل عنه وقال: ماحملتموني إلا على شيطان، مانزلت عنه حتى أنكرت نفسي. إسناده صحيح(٦٩).

والرجيم فعيل بمعنى مفعول، أي: إنه مرجوم مطرود عن الخير كله، كما قال تعالى: ﴿**ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجومًا للشياطين**﴾ وقال تعالى: ﴿**إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظًا من كل شيطان مارد لا يسمّعون إلى الملإ الأعلى ويقذفون من كل جانب دحورًا ولهم عذاب واصب إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب**﴾ وقال تعالى: ﴿**ولقد جعلنا في السماء بروجًا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين**﴾ إلى غير ذلك من الآيات، [وقيل: رجيم بمعنى راجم؛ لأنه يرجم الناس بالوساوس والربائث(٧٠)، والأول أشهر وأصح][٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١)

افتتح بها الصحابة كتاب الله، واتفق العلماء على أنها بعض آية من سورة النمل، ثم اختلفوا هل هي آية مستقلة في أول كل سورة، أو من [أول] كل سورة كتبت في أوّلها، أو أنها بعض آية من أول[٣] كل سورة، أو أنها[٤] كذلك في الفاتحة دون غيرها، أو أنها إنما[٥] كتبت للفصل لا أنها آية على أقوال للعلماء سلفًا وخلفًا وذلك مبسوط في غير هذا الموضع.

---

(٦٨) - رواه مسلم في الصلاة برقم ٢٦٥ - (٥١٠).

(٦٩) - رواه ابن جرير في تفسيره ١٣٦ - (١١١/١) من طريق يونس بن عبد الأعلى، عن ابن وهب، به.

(٧٠) - يقال: ربثته عن الأمر: إذا حبسته وثبطته، والربائث: جمع ربيثة، وهي الأمر يحبس الإنسان عن مهامّه. النهاية (١٨٢/٢).

---

[١] - سقط من: خ.

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ. [٣] - زيادة من ز، خ.

[٤] - سقط من ز. [٥] - سقط من: خ.

وفي سنن أبي داود بإسناد صحيح عن ابن عباس(٧١) -رضي الله عنهما- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يعرف فصل السورة حتى ينزل عليه[١] ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم**﴾.

وأخرجه الحاكم أبو عبد الله النيسابوري في مستدركه أيضًا، ورُوي مرسلًا عن سعيد بن جبير.

وفي صحيح ابن خزيمة عن أم سلمة(٧٢) - رضي الله عنها - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ البسملة في أول الفاتحة في الصلاة وعدّها آية لكنه من رواية عمر بن هارون البلخي، وفيه ضعف، عن ابن جريج، عن ابن أبي مليكة، عنها.

وروى له الدارقطني(٧٣) متابعًا[٢] عن أبي هريرة مرفوعًا، وروى مثله(٧٤) عن علي وابن عباس وغيرهما، وممن حُكي عنه أنها آية من كل سورة إلا براءة: ابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، وأبو هريرة، وعلي. ومن التابعين: عطاء، وطاوس، وسعيد بن جبير، ومكحول، والزهري، وبه يقول

---

(٧١) - رواه أبو داود في الصلاة، باب: من جهر بها برقم (٧٨٨)، ورواه البيهقي في الكبرى (٢/٤٢)، وفي الشعب (٢١٢٥ هـ) من طريق أبي داود، ورواه ابن عبد البر في التمهيد (٢٠/٢١٠) من طريق أبي داود، عن قتيبة بسنده موصولاً، والبزار (٢١٨٧)، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٢/٢٥٥ - ٢٥٦)، والحاكم (١/٢٣١)، وعنه البيهقي في المعرفة (٢/٣٦٥ - ٣٦٦)، وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين، وقال الذهبي في تلخيص المستدرك بعد أن ذكر الحديث عن ابن عباس: أما هذا فثابت. وقال الهيثمي: رواه البزار بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح. وقد رواه أبو داود في المراسيل (٣٦) عن سعيد بن جبير، وقال: المرسل أصح، ورواه الحميدي مرسلاً (٥٢٨)، وكذا الطحاوي في المشكل (١٣٧٦)، وعبد الرزاق (٢٦١٧).

(٧٢) - **إسناده ضعيف**، عمر بن هارون: قال ابن حبان: كان ممن يروي عن الثقات المعضلات، ويدعي شيوخًا لم يرهم، وكان ابن مهدي حسن الرأي فيه. قال ابن الجنيد: سمعت يحيى بن معين يقول: عمر ابن هارون كذاب، وعن يحيى بن معين قال: عمر بن هارون البلخي ليس بشيء. قال أبو حاتم: كان عمر بن هارون صاحب سنة وفضل وسخاء، وكان أهل بلده يبغضونه لتعصبه في السنة وذبه عنها، ولكن كان شأنه في الحديث ما وصفت، وفي التعديل ما ذكرت، والمناكير في روايته تدل على صحة ما قال يحيى بن معين فيه. وقد حسن القول فيه جماعة من شيوخنا، كان يصلهم في كل سنة بصلات كثيرة من الدراهم والثياب وغيرها، يبعث إليهم من بلخ إلى بغداد.

والحديث في صحيح ابن خزيمة برقم (٤٩٣). ورواه الحاكم في المستدرك (١/٢٣٣)، ورواه البيهقي (٢/٤٤) وقال الحاكم: عمر بن هارون أصل في السنة. ولم يخرجاه وإنما خرجته شاهداً.

(٧٣) - سنن الدارقطني ١٧ - (١/٣٠٦).

(٧٤) - سنن الدارقطني (١/٣٠٢) عن علي بن أبي طالب، وطرقه كلها ضعيفة، (١/٣٠٣) عن ابن عباس من طريقين ضعيفين، وسيأتي كلام العلماء على الجهر بالبسملة.

---

[١] - سقط من: خ. [٢] - في خ: «متابعة».

عبد اللَّه بن المبارك، والشافعي، وأحمد بن حنبل في رواية عنه، وإسحاق بن راهويه، وأبو عبيد القاسم بن سلام رحمهم اللَّه.

وقال مالك وأبو حنيفة وأصحابهما: ليست آية من الفاتحة، ولا من غيرها من السور.

وقال الشافعي في قول في[١] بعض طرق مذهبه: هي آية من الفاتحة وليست من غيرها، وعنه أنها بعض آية من أول كل سورة وهما غريبان.

وقال داود: هي آية مستقلة في أول كل سورة لا منها، وهذا رواية عن الإمام أحمد [بن حنبل][٢] وحكاه أبو بكر الرازي عن أبي الحسن الكرخي، وهما من أكابر أصحاب أبي حنيفة رحمهم اللَّه(٧٥).

هذا ما يتعلق بكونها آية[٣] من الفاتحة أم لا.

فأما[٤] ما يتعلق بالجهر بها فمفرعٌ على هذا، فمن رأى أنها ليست [من الفاتحة][٥] فلا يجهر بها، وكذا من قال: إنها آية من أولها، وأما من قال: بأنها من أوائل السور فاختلفوا، فذهب الشافعي - رحمه اللَّه - إلى أنه يجهر بها مع الفاتحة والسورة، وهو مذهب طوائف من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين سلفًا وخلفًا، فجهر بها من الصحابة أبو هريرة، وابن عمر، وابن عباس، ومعاوية؛ وحكاه ابن عبد البر والبيهقي عن عُمر وعلي، ونقله الخطيب عن الخلفاء الأربعة، وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وهو غريب. ومن التابعين عن سعيد بن جبير، وعكرمة، وأبي قلابة، والزهري، وعلي بن الحسين وابنه محمد، وسعيد بن المسيب، وعطاء، وطاوس، ومجاهد، وسالم، ومحمد بن كعب القرظي، [ومحمد بن عبيد][٦]، وأبي بكر ابن[٧] محمد بن عمرو بن حزم، وأبي وائل، وابن سيرين، ومحمد بن المنكدر، وعلي بن عبد اللَّه بن عباس وابنه محمد، ونافع مولى ابن عمر، وزيد بن أسلم، وعمر بن عبد العزيز، والأزرق بن قيس، وحبيب بن أبي ثابت، وأبي الشعثاء، ومكحول، وعبد اللَّه بن معقل ابن مقرن. زاد البيهقي: وعبد اللَّه بن صفوان، ومحمد بن الحنفية. زاد ابن عبد البر: وعمرو بن دينار.

والحجة في ذلك أنها بعض الفاتحة، فيجهر بها كسائر أبعاضها. وأيضًا فقد روى النسائي في

(٧٥) - ولشيخ الإسلام ابن تيمية تفصيل في هذه المسألة، فراجعه في الفتاوى (٢٢/٤٣٨-٤٤٣).

[١] - سقط من: خ.
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٣] - سقط من ز.
[٤] - في خ: «وأما».
[٥] - في ز: منها.
[٦] - سقط من: ز، خ.
[٧] - سقط من: خ.

سننه ، وابن خزيمة ، وابن حبان في صحيحيهما[١] (٧٦) ، والحاكم في مستدركه عن أبي هريرة ؛ أنه صلى فجهر في قراءته بالبسملة ، وقال بعد أن فرغ : إني لأشبهكم صلاة برسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم . وصححه الدارقطني والخطيب والبيهقي وغيرهم .

وروى أبو داود والترمذي ، عن ابن عباس(٧٧) ؛ أن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم كان يفتتح الصلاة ببسم اللّٰه الرحمن الرحيم . ثم قال الترمذي : وليس إسناده[٢] بذاك .

وقد رواه الحاكم في مستدركه ، عن ابن عباس(٧٨) ؛ قال : كان رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه

---

(٧٦) - **صحيح** ، رواه النسائي في كتاب الافتتاح ، باب : قراءة بسم اللّٰه الرحمن الرحيم برقم ٩٠٥ - (٢/ ١٣٤) ، وابن الجارود (١٨٤) ، وابن خزيمة برقم (٤٩٩) ، وابن حبان برقم (٤٥٠ موارد » ، والحاكم في المستدرك (١/٢٣٢) ، والبيهقي (٢/٤٦ ، ٥٨) .

(٧٧) - **ضعيف** ، وكذا عزاه المزي في التحفة (٥/٢٦٥) ، ورواه الترمذي في الصلاة ، باب : من رأى الجهر ببسم اللّٰه الرحمن الرحيم برقم (٢٤٥) ، والدارقطني (١/٣٠٤) ، والبيهقي (٢/٤٧) ، ورواه العقيلي (١/ ٨٠ - ٨١) ، وابن عدي (١/٣٠٥) - جميعاً من حديث معتمر بن سليمان ؛ قال : حدثني إسماعيل بن حماد ، عن أبي خالد ، عن ابن عباس ، به . أما العقيلي فرواه في ترجمة إسماعيل بن حماد بن أبي سليمان وقال : حديثه غير محفوظ ويحكيه عن مجهول ثم ذكر الحديث . وأما ابن عدي فرواه في ترجمة إسماعيل من طريق إسماعيل ، عن أبي خالد ، عن ابن عباس ، ومن طريق إسماعيل ، عن عمران ، عن ابن عباس ، وقال : وهذا الحديث لا يرويه إلا معتمر وهو غير محفوظ ، سواء قال : عن أبي خالد ، أو عن عمران بن خالد جميعاً مجهولين . أما الزيلعي فقال (١/٣٤٦ ، ٣٤٧) : أبو خالد هو الوالبي . واسمه هرمز . وقال المارديني في الجوهر النقي (١/٤٧) : مجهول . وأما ابن حجر فقال (في التلخيص) : قال البزار ، وابن حبان : هو الوالبي ، وقيل : لا يصح ذلك .

ويقال : هرم ؛ قال عنه ابن حجر في التقريب : مقبول . وقال الذهبي في الكاشف : صدوق . وقال الخزرجي في الخلاصة : قال ابن عدي : في حديثه لين . وقال أبو حاتم : صالح الحديث .

(٧٨) - **ضعيف جداً** ، والحديث في المستدرك (١/٢٠٨) وفي إسناده عبد اللّٰه بن عمرو بن حسان ، كذبه الدارقطني ، وقال علي بن المديني : يضع الحديث . وقال العقيلي : أحاديثه مقلوبة . وقال أبو حاتم : ليس بشيء ، ضعيف الحديث ، كان لا يصدق (الميزان ٢/٤٦٨) (الجرح ٥/١١٩) لذلك تعقب الذهبي الحاكم على تصحيحه فقال : « عبد اللّٰه بن عمرو بن حسان المذكور في إسناده كذبه غير واحد ، ومثل هذا لا يخفى على المصنف » - أي الحاكم . وقال الزيلعي : هذا الحديث غير صريح ، ولا صحيح . فأما كونه غير صريح فإنه ليس فيه أنه في الصلاة ، وأما غير صريح فإن فيه عبد اللّٰه بن عمرو الواقعي ثم ذكر أقوال العلماء فيه .

وقد روى الطحاوي في المشكل (١٣٧٥) بإسنادٍ جيد عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان جبريل عليه السلام إذا نزل على رسول ، الله صلىٰ الله عليه وسلم ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ علم أن السورة قد انقضت .

---

[١] - في ت : « صحيحهما » . [٢] - سقط من : خ .

وسلم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم . ثم قال : صحيح .

وفي صحيح البخاري ، عن أنس بن مالك(٧٩) ؛ أنه سئل عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : كانت قراءته مدًّا ، ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم ، يمدّ بسم الله ، ويمدّ الرحمن ، ويمدّ الرحيم .

وفي مسند الإمام أحمد ، وسنن أبي داود ، وصحيح ابن خزيمة ، ومستدرك الحاكم ، عن أمّ سلمة(٨٠) - رضي الله عنها - أنها[١] قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين** ﴾. وقال الدارقطني إسناده صحيح .

وروى [الإمام أبو عبد الله][٢] الشافعي - رحمه الله - والحاكم في مستدركه عن أنس(٨١) ؛ أن معاوية صلى بالمدينة فترك البسملة فأنكر عليه من حضره[٣] من المهاجرين ذلك ، فلما صلى المرة الثانية بسمل .

وفي هذه الأحاديث والآثار التي أوردناها كفايةٌ ومقنع في الاحتجاج لهذا القول عما عداها . فأمّا المعارضات والروايات الغريبة وتطريقها وتعليلها وتضعيفها وتقريرها فله موضع آخر .

وذهب آخرون إلى أنه لا يجهر بالبسملة في الصلاة ، وهذا هو الثابت عن الخلفاء الأربعة وعبد الله بن مغفل وطوائف من سلف التابعين والخلف ، وهو مذهب أبي حنيفة والثوري وأحمد ابن حنبل . وعند الإمام مالك أنه لا يقرأ البسملة بالكلية لا جهرًا ولا سرًّا ، واحتجوا بما في صحيح

(٧٩) - رواه البخاري في فضائل القرآن ، باب : مد القراءة برقم (٥٠٤٦) .

(٨٠) - رواه أحمد في المسند ٢٦٦٩٢ - (٣٠٢/٦) ، وأبو داود في سننه في كتاب الحروف والقراءات - أول الكتاب (٤٠٠١) . والترمذي في جامعه في كتاب القراءات ، باب : في فاتحة الكتاب (٢٩٢٧) . والحاكم في المستدرك (٢٣٢/١) .

(٨١) - رواه الحاكم في المستدرك (٢٣٣/١) ، من حديث عبد المجيد بن عبد العزيز ، عن ابن جريج ، أخبرني عبد الله بن عثمان بن خثيم ، أن أبا بكر بن حفص بن عمر أخبر أن أنس بن مالك قال : صلى معاوية ... فذكر الحديث بطوله . ثم قال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ؛ فقد احتج بعبد المجيد ابن عبد العزيز ، وسائر الرواة متفق على عدالتهم ، وهو علة لحديث شعبة وغيره عن قتادة - على علو قدره - يدلس ويأخذ عن كل أحد ، وإن كان قد أدخل في الصحيح حديث قتادة فإن في ضده شواهد أحدها ما ذكرنا ، ورواه الدارقطني (٣١١/١) .

[١] - زيادة من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز : حضر .

مسلم عن عائشة (٨٢) - رضي اللَّه عنها - قالت: كان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد للَّه رب العالمين، وبما في الصحيحين عن أنس بن مالك (٨٣)؛ قال: صليت خلف النبي صلى اللَّه عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان، فكانوا يستفتحون[١] بالحمد للَّه رب العالمين. ولمسلم: لا يذكرون بسم اللَّه الرحمن الرحيم في أوّل قراءة ولا في[٢] آخرها، ونحوه في السنن [ ][٣] عن عبد اللَّه بن مغفل (٨٤) - رضي اللَّه عنه - فهذه مآخذ الأئمة - رحمهم اللَّه - في هذه المسألة[٤]، وهي قريبة؛ لأنهم أجمعوا على صحة صلاة من جهر بالبسملة ومن أسرَّ، وللَّه الحمدُ والمنّة.

(٨٢) - رواه مسلم في الصلاة برقم ٢٤٠ - (٤٩٨).

(٨٣) - رواه البخاري في الأذان، باب: ما يقول بعد التكبير برقم (٧٤٣)، ومسلم في الصلاة برقم ٥٠ - (٣٩٩). وليس عند البخاري: «وعثمان».

(٨٤) - رواه الترمذي في الصلاة، باب: ما جاء في ترك الجهر ببسم اللَّه الرحمن الرحيم برقم (٢٤٤)، والنسائي في الافتتاح، باب: ترك قراءة بسم اللَّه الرحمن الرحيم في فاتحة الكتاب ٩٠٨ - (٢/١٣٥) وابن ماجة في إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: افتتاح القراءة برقم (٨١٥)، ورواه أحمد (٤/٨٥، ٥/ ٥٤ - ٥٥)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (١/٢٠٢)، والبيهقي (٢/٥٠).

قال الزيلعي في نصب الراية (١/٣٣٢): حديث آخر: رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة من حديث أبي نعامة الحنفي واسمه قيس بن عباية، ثنا بن عبد اللَّه بن مغفل قال: سمعني أبي وأنا أقول: بسم اللَّه الرحمن الرحيم فقال: أي بني إياك والحدث قال: ولم أر أحدًا من أصحاب رسول اللَّه، صلى اللَّه عليه وسلم، كان أبغض إليه الحدث في الإسلام يعني منه قال: وصليت مع النبي، صلى اللَّه عليه وسلم، ومع أبي بكر ومع عمر ومع عثمان فلم أسمع أحدًا منهم يقولها فلا تقلها أنت، إذا صليت فقل: الحمد للَّه رب العالمين انتهى

قال الترمذي: حديث حسن والعمل عليه عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي، صلى اللَّه عليه وسلم، منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم ومن بعدهم من التابعين، وبه يقول سفيان الثوري وابن المبارك وأحمد وإسحاق: لا يرون الجهر ببسم اللَّه الرحمن الرحيم في الصلاة، ويقولها في نفسه، انتهى.

قال النووي في الخلاصة: وقد ضعف الحفاظ هذا الحديث وأنكروا على الترمذي تحسينه كابن خزيمة وابن عبد البر والخطيب وقالوا: إن مداره على ابن عبد اللَّه بن مغفل وهو مجهول، انتهى

ورواه أحمد في مسنده من حديث أبي نعامة، عن بني عبد اللَّه بن مغفل قالوا: كان أبونا إذا سمع أحدًا منا يقول: بسم اللَّه الرحمن الرحيم يقول: أي بني، صليت مع النبي، صلى اللَّه عليه وسلم، وأبي بكر وعمر فلم أسمع أحدًا منهم يقول: بسم اللَّه الرحمن الرحيم، انتهى.

ورواه الطبراني في معجمه عن عبد اللَّه بن بريدة عن ابن عبد اللَّه بن مغفل عن أبيه مثله.

ثم أخرجه عن أبي سفيان طريف بن شهاب، عن يزيد بن عبد اللَّه بن مغفل، عن أبيه قال: صليت =

[١] - في ت: يفتتحون.
[٢] - سقط من ز.
[٣] - في ز: [و].
[٤] - في ز: البسملة.

= خلف إمام فجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ، فلما فرغ من صلاته قلت : ما هذا ؟! غُيِّب عنا هذه التي أراك تجهر بها فإني قد صليت مع النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ومع أبي بكر وعمر فلم يجهروا بها انتهى .

فهؤلاء ثلاثة رووا هذا الحديث عن ابن عبد الله بن مغفل ، عن أبيه ، وهم أبو نعامة الحنفي قيس بن عباية وقد وثقه ابن معين وغيره ، وقال ابن عبد البر : هو ثقة عند جميعهم . وقال الخطيب : لا أعلم أحدًا رماه ببدعة في دينه ، ولا كذب في روايته ، وعبد الله بن بريدة ، وهو أشهر من أن يثنى عليه ، وأبو سفيان السعدي وهو إن تكلم فيه ولكنه يعتبر به ، ما تابعه عليه غيره من الثقات ، وهو الذي سمى ابن عبد الله بن مغفل : يزيد ، كما هو عند الطبراني فقط ، فقد ارتفعت الجهالة عن ابن عبد الله بن مغفل برواية هؤلاء الثلاثة عنه .

وقد تقدم في مسند الإمام أحمد ، عن أبي نعامة ، عن بني عبد الله بن مغفل ، وبنوه الذي يروي عنهم يزيد وزياد ومحمد ، والنسائي وابن حبان وغيرهما يحتجون بمثل هؤلاء مع أنهم ليسوا مشهورين بالرواية ، ولم يرو واحد منهم حديثًا منكرًا ، ليس له شاهد ولا متابع ، حتى يجرح بسببه ، وإنما رووا ما رواه غيرهم من الثقات ، فأما يزيد فهو الذي سُمي في هذا الحديث ، وأما محمد فروى له الطبراني عنه عن أبيه ؛ قال : سمعت النبي ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : « **ما من إمام يبيت غاشًا لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة** » وزياد أيضًا روى له الطبراني عنه ، عن أبيه ، مرفوعًا : « **لا تخذفوا فإنه لا يصاد به صيد ولا ينكأ العدو ولكنه يكسر السن ويفقأ العين** » انتهى

وبالجملة فهذا حديث صريح في عدم الجهر بالتسمية ، وهو وإن لم يكن من أقسام الصحيح فلا ينزل عن درجة الحسن ، وقد حسنه الترمذي ، والحديث الحسن يحتج به ، لا سيما إذا تعددت شواهده ، وكثرت متابعاته ، والذين تكلموا فيه وتركوا الاحتجاج به لجهالة ابن عبد الله بن مغفل قد احتجوا في هذه المسألة بما هو أضعف منه ، بل احتج الخطيب بما يعلم هو أنه موضوع ، ولم يحسن البيهقي في تضعيف هذا الحديث ، إذ قال بعد أن رواه في كتاب المعرفة من حديث أبي نعامة بسنده المتقدم ومتن السنن : هذا حديث تفرد به أبو نعامة قيس بن عباية ، وأبو نعامة وابن عبد الله بن مغفل لم يحتج بهما صاحبا الصحيح .

فقوله : « تفرد به أبو نعامة » ، ليس بصحيح ، فقد تابعه عبد الله بن بريدة وأبو سفيان كما قدمناه ، وقوله : « وأبو نعامة وابن عبد الله بن مغفل لم يحتج بهما صاحبا الصحيح » ليس هذا لازمًا في صحة الإسناد ، ولئن سلمنا فقد قلنا : إنه حسن ، والحسن يحتج به ، وهذا الحديث مما يدل على أن ترك الجهر عندهم كان ميراثًا عن نبيهم ، صلى الله عليه وسلم ، يتوارثه خلفهم عن سلفهم ، وهذا وحده كاف في المسألة لأن الصلوات الجهرية دائمة صباحًا ومساءًا ، فلو كان عليه السلام يجهر بها دائمًا لما وقع فيه اختلاف ، ولا اشتباه ، ولكان معلومًا بالاضطرار ، ولما قال أنس : لم يجهر بها ، عليه السلام ، ولا خلفاؤه الراشدون ، ولا قال عبد الله بن مغفل ذلك أيضًا ، وسماه حدثًا ، ولما استمر عمل أهل المدينة في محراب النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ومقامه على ترك الجهر يتوارثه آخرهم عن أولهم ، وذلك جار عندهم مجرى الصاع والمد ، بل أبلغ من ذلك ؛ لاشتراك جميع المسلمين في الصلاة ، ولأن الصلاة تتكرر كل يوم وليلة ، وكم من إنسان لا يحتاج إلى صاع ولا مد ، ومن يحتاجه يمكث مدة لا يحتاج إليه ، ولا يظن عاقل أن أكابر الصحابة والتابعين وأكثر أهل العلم كانوا يواظبون على خلاف ما كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم يفعله .

فصل فى فضلها

قال الإمام العالم الحبر العابد أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم رحمه اللَّه في تفسيره(٨٥) : حدثنا أبي ، حدثنا جعفر بن مسافر ، حدّثنا زيد بن المبارك الصنعاني ، حدّثنا سلّام بن وهب الجَنَدي ، حدّثنا أبي ، عن طاوس ، عن ابن عباس ؛ أنّ عثمان بن عفان سأل رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم عن بسم اللَّه الرحمن الرحيم ؟ فقال : « **هو اسم من أسماء اللَّه ، وما بينه وبين اسم اللَّه الأكبر إلا كما بين سواد العينين وبياضهما من القرب** » .

وهكذا رواه أبو بكر بن مردويه ، عن سليمان بن أحمد ، عن علي بن المبارك ، عن زيد بن المبارك ، به .

وقد روى الحافظ ابن مردويه من طريقين(٨٦) ، عن إسماعيل بن عياش ، عن إسماعيل بن يحيى ، عن مسعر ، عن عطية ، عن أبي سعيد ؛ قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **إنّ عيسى بن مريم عليه السلام أسلمته أمّه إلى الكتاب ليعلمه ، فقال[١] له المعلم : اكتب . فقال[٢] : ما أكتب ؟ قال : باسم اللَّه . قال له عيسى : [وما باسم][٣] اللَّه ؟ قال المعلم : ما أدري . قال له عيسى : الباء بهاء اللَّه ، والسين سناؤه ، والميم مملكته[٤] ، واللَّه إله الآلهة ، والرحمن رحمن الدنيا والآخرة ، والرحيم رحيم الآخرة** » .

وقد رواه ابن جرير من حديث إبراهيم بن العلاء[٥] الملقب زبريق[٦] ، عن إسماعيل بن عياش ،

---

(٨٥) - **موضوع** ، والحديث في تفسير ابن أبي حاتم ٥ - (١٢/١) ، ورواه الخطيب في تاريخه (٣١٣/٧) ، والحاكم في المستدرك (٥٥٢/١) ، والبيهقي في الشعب (٢١٢٣ هـ) من طريق زيد بن المبارك ، به . ورواه العقيلي في ترجمة سلام بن وهب الجندي وقال : لا يتابع على حديثه ، ولا يعرف إلا به . وقال الذهبي في ترجمة سلام بن وهب في الميزان (١٨٢/٢ ت ٣٣٥٨) : « أتى بخبر منكر ، بل كذب » ثم ساق هذا الخبر .

(٨٦) - **موضوع** ، رواه ابن جرير ١٤٠ - (١٢١/١) ، وانظر ١٤٥ ، ١٤٧ - (١٢٥/١ ، ١٢٧) ، ورواه ابن عدي في الكامل (٣٠٣/١) بمثل طريق ابن جرير ، وقال ابن عدي : « هذا حديث باطل الإسناد لا يرويه غير إسماعيل . وقال : إسماعيل هذا يحدث عن الثقات بالبواطيل » . ا.هـ . ومن طريقه - أي ابن عدي - أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (١٨٦) - وقال : موضوع ، ثم قال : ما يصنع مثل هذا الحديث إلا ملحد ، يريد شين الإسلام ، أو جاهل في غاية الجهل ، وقلة المبالاة بالدين - وأخرجه ابن حبان (١٢٦/١ - ١٢٧) وقال : إسماعيل يروي الموضوعات عن الثقات ، وما لا أصل له عن الأثبات ، لا يحل الرواية عنه ، ولا الاحتجاج به بحال .

---

[١] - في ز ، خ : « قال » . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين في خ : « وما لباسم » . [٤] - في ز ك ملكته .
[٥] - في ز : المعلى . [٦] - في ت ، ر : ابن زبريق .

عن إسماعيل بن يحيى، عن ابن أبي مليكة، عمن حدّثه، عن ابن مسعود.

ومسعر، عن عطية، عن أبي سعيد؛ [قال: قال رسول][١] اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم... فذكره. وهذا غريب جدًّا، وقد يكون صحيحًا إلى من دون رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم، وقد[٢] يكون من الإسرائيليات لا من المرفوعات، واللَّه أعلم.

وقد روى جويبر(٨٧) عن الضحاك نحوه من قِبَله.

وقد روى ابن مَرْدُوَيْه من حديث يزيد بن أبي خالد، عن سليمان بن بريدة. وفي رواية عن عبد الكريم أبي أمية، عن ابن[٣] بريدة، عن أبيه؛ أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم؛ قال: «**أنزلت عليَّ آية لم تنزل[٤] على نبي غير سليمان بن داود وغيري، وهي بسم اللَّه الرحمن الرحيم**»(٨٨).

وروى بإسناده عن عبد الكبير[٥] بن المعافى بن عمران، عن أبيه، عن عمر بن ذرّ، عن عطاء بن أبي رباح، عن جابر بن عبد اللَّه؛ قال: لما نزل ﴿**بسم اللَّه الرحمن الرحيم**﴾ هرب الغيم إلى المشرق، وسكنت الرياح، وهاج البحر، وأصغت البهائم بآذانها، ورجمت الشياطين من السماء، وحلف اللَّه تعالى بعزته وجلاله أن لا يسمى اسمه على شيء إلا بارك فيه(٨٩).

[وقال وكيع، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن ابن مسعود؛ قال: من أراد أن ينجيه اللَّه من الزبانية التسعة عشر فليقرأ ﴿**بسم اللَّه الرحمن الرحيم**﴾ فيجعل اللَّه له من كل حرف منها جُنَّة من كل واحد. ذكره ابن عطية والقرطبي، ووجهه ابن عطية(٩٠) [ونظّره] بحديث: «**لقد**

(٨٧) - جويبر: متروك.

(٨٨) - عبد الكريم أبو أمية: ضعيف، قاله في التقريب.

ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٣٠٦/٩) من طريق عبد الكريم أبي أمية، عن ابن بريدة، عن أبيه، به، مرفوعًا.

ورواه الدارقطني في السنن ٢٩ - (٣١٠/١) من طريق سلمة بن صالح، عن يزيد بن أبي خالد، عن عبد الكريم أبي أمية، عن ابن بريدة نحوه، ورواه البيهقي (٦٢/١٠) وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن ابن بريدة إلا عبد الكريم، ولا عنه إلا يزيد، تفرد به سلمة.

وسلمة هو ابن صالح: قال الذهبي: تركوه. وسيأتي قول الحافظ ابن كثير: «هذا حديث غريب، وإسناده ضعيف» عند تفسير الآية: ٣٠ من سورة النمل.

(٨٩) - وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٦/١) للثعلبي في تفسيره.

(٩٠) - المحرر الوجيز لابن عطية (٥٤/١).

[١] - في ز، خ: «عن النبي». [٢] - سقط من: خ.
[٣] - في خ: «أبي». [٤] - في ز: ينزل.
[٥] - في ر: عبد الكريم الكبير. وفي ز: عبد الكريم. وعبد الكبير: ثقة.

رأيت بضعة وثلاثين ملكًا يبتدرونها »(٩١) . لقول الرجل : ربنا ولك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه . من أجل أنها بضعة وثلاثون حرفًا وغير ذلك][١] .

وقال الإمام أحمد بن حنبل في مسنده(٩٢) : حدّثنا محمد بن جعفر ، حدّثنا شعبة ، عن عاصم ؛ قال : سمعت أبا تميمة يحدث عن رديف النبي صلى اللّه عليه وسلم ، قال : عُثر بالنبي صلى اللّه عليه وسلم [ ][٢] فقلت : تَعِسَ الشيطان . فقال النبي صلى اللّه عليه وسلم : « **لا تقل : تعس الشيطان ، فإنك إذا قلت : تعس الشيطان ، تعاظم وقال : بقوّتي صرعتُه ، وإذا قلتَ : باسم اللّه ، تصاغر حتى يصير مثل الذباب** » . هكذا وقع في رواية الإمام أحمد .

وقد روى النسائي في اليوم والليلة(٩٣) ، وابن مردويه في تفسيره من حديث خالد الحذاء ، عن أبي تميمة - وهو الهجيمي[٣] - عن أبي المليح بن أسامة بن عُمير ، عن أبيه ؛ قال : كنت رديف النبي صلى اللّه عليه وسلم فذكره ، وقال : « **لا تقل هكذا ، فإنه يتعاظم حتى يكون كالبيت ، ولكن قل : باسم اللّه ، فإنه يصغر حتى يكون كالذبابة[٤]** » .

فهذا من تأثير بركة باسم اللّه ؛ ولهذا تستحب في أول كل عمل وقول ، فتستحب في أول الخطبة لما جاء : « **كلُّ أمرٍ[٥] لا يبدأ فيه ببسم اللّه [الرحمن الرحيم][٦] فهو أجذم** »(٩٤) .

(٩١) - رواه البخاري في كتاب الأذان ، باب : (١٢٦) برقم (٧٩٩) من حديث رفاعة بن رافع ، رضي اللّه عنه .

(٩٢) - أبو تميمة الهجيمي : هو طريف بن مجالد - قال الذهبي في الكاشف : وثق . والحديث رواه أحمد برقم ٢٠٦٤٨ ، ٢٠٦٤٩ ، ٢٠٧٤٧ - (٥٩/٥ ، ٧١) ، (٣٦٥/٣) ، وعبد الرزاق (٢٠٨٩٩/١١) ، والطحاوي في مشكل الآثار (١٥٩/١) ، والبغوي في شرح السنة (٣٥٣/١٢ - ٣٥٤) ، ورواه الحاكم (٢٩٢/٤) من طريق يزيد بن زريع ، عن خالد الحذاء ، عن أبي تميمة ، عن رديف النبي ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، مثله ، وصححه الحاكم ، وردَّه الذهبي بالمخالفة ، وقد خالف وهب بن بقية ؛ يزيد بن زريع في إسناده ، فرواه عن خالد الحذاء ، عن أبي تميمة ، عن أبي المليح ، عن رجل كان ردف النبي ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، وساق الحديث . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ١٣١ ، ١٣٢) ، وعزاه لأحمد وقال : « رواه أحمد بأسانيد ورجالها كلها رجال الصحيح » . ورواه أبو داود من حديث خالد الحذاء ، عن أبي تميمة ، عن عامر ، ويقال : عمير أبو المليح بن أسامة الهذلي ، عن رجل فذكره ، في كتاب الأدب ، باب : (٨٥) حديث رقم (٤٩٨٢) .

(٩٣) - رواه النسائي في الكبرى برقم (١٠٣٨٩) ورواه من طريق ابن المبارك عن خالد الحذاء ، عن أبي تميمة ، عن أبي المليح ، عن ردف رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، وقال النسائي : « وهو الصواب » .

(٩٤) - **ضعيف جداً** ، رواه بهذا اللفظ الخطيب في « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » (١٢٨/٢) =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط منز ، خ . [٢] - في المسند : حمارُه .
[٣] - في خ : « الجهمي » ، في ز : الجهيم . [٤] - في خ : « كالذباب » .
[٥] - في ز ، خ : « خطبة » . [٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[وتستحب البسملة عند دخول الخلاء ؛ لما ورد من الحديث في ذلك(٩٥)][١] ، وتستحب في أول الوضوء ؛ لما جاء في مسند الإمام أحمد والسنن من رواية أبي هريرة وسعيد بن زيد وأبي سعيد

= من طريق مبشر بن إسماعيل ، عن الأوزاعي ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٩٥) - روي من حديث علي ، وأنس ، وأبي سعيد ، وأبي هريرة ، رضي الله عنهم ، أما حديث علي ، فقد رواه الترمذي في كتاب الصلاة ، باب : ما ذكر من التسمية عند دخول الخلاء برقم (٦٠٦) ، وابن ماجه في الطهارة وسننها ، باب : ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء - كلاهما من طريق محمد بن حميد الرازي ، حدثنا الحكم بن بشير بن سليمان ، ثنا خلاد الصفار ، عن الحكم بن عبد الله النصري ، عن أبي إسحاق ، عن أبي جحيفة ، عن علي ، رضي الله عنه ، مرفوعًا بلفظ : « **ستر ما بين أعين الجن وعورات بني آدم إذا دخل أحدهم الخلاء أن يقول : بسم الله** » . وقال الترمذي : هذا حديث غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وإسناده ليس بذاك القوي . وقال : وقد رُوي عن أنس ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أشياء غير هذا . قال الألباني : وله ثلاث علل - أي حديث علي - : الأولى : عنعنة أبي إسحاق ، واختلاطه . الثانية : الحكم بن عبد الله النصري : فإنه مجهول الحال . الثالثة : محمد بن حميد الرازي فإنه وإن كان موصوفاً بالحفظ فهو مطعون فيه حتى كذبه بعضهم كأبي زرعة وغيره ، وأشار البخاري لتضعيفه جداً بقوله : فيه نظر . اهـ باختصار (الإرواء ١/٨٨ - ٨٩) .

وحديث أنس - الذي أشار إليه الترمذي - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١/٢٠٥) بلفظ : « **ستر ما بين أعين الجن وعورات بني آدم إذا وضعوا ثيابهم أن يقولوا بسم الله** » . وقال : رواه الطبراني في الأوسط (٧٠٦٦) بإسنادين أحدهما فيه سعيد بن مسلمة الأموي ، ضعفه البخاري وغيره ، ووثقه ابن حبان وابن عدي ، وبقية رجاله موثقون . وأخرجه ابن السني (ص ٨) . وأخرجه ابن عدي (٣/٣٨٠) .

ولابن أبي شيبة عن أنس : كان إذا دخل الكنيف قال : « بسم الله ، اللَّهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث .

وأخرج ابن السني (ص ٨) عن أنس ، عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم قال : « **هذه الحشوش محتضرة ، فإذا دخل أحدكم الخلاء فليقل : بسم الله** » .

وروى أحمد بن منيع في مسنده - كما عزاه له ابن حجر في المطالب العالية (٤٠) ، والبوصيري في الإتحاف - من حديث محمد بن الفضل بن عطية ، عن زيد العمي ، عن جعفر العبدي ، عن أبي سعيد الخدري : « **سترة ما بين أعين الجن وعورات بني آدم إذا وضع الرجل ثوبه أن يقول : بسم الله** » . وقال ابن حجر : محمد ضعيف . وقد خالفه سعيد بن مسلمة ، عن الأعمش ، عن زيد العمي ، عن أنس أخرجه ابن عدي في الكامل (٣/٣٨٠) ، والطبراني في الدعوات (٢/٣٦٨) ، والأوسط (٧٠٦٦) وأما البوصيري فقال : قلت : زيد العمي ضعيف .

وروى ابن السني - كما في الكنز ١٧٦٠ - (٥/٨٤) - من حديث أبي هريرة مرفوعاً : « **هذه الحشوش محتضرة فإذا دخل أحدكم فليقل : بسم الله** .

وعن أبي العالية قال : ستر بين الجن وعورات بني آدم أن يقول الرجل : بسم الله . أخرجه سعيد بن منصور - كما في الكنز ٢٥٩٣ - (٥/١٢٦) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

مرفوعًا: «**لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه**»(٩٦) . وهو حديث حسن.

---

(٩٦) – حديث أبي هريرة رواه الإمام أحمد : (٤١٨/٢) . وأبو داود في كتاب الطهارة ، باب : التسمية على الوضوء (رقم : ١٠١) . وفي العلل الكبير للترمذي : باب : ١٢ – في التسمية عند الوضوء . وابن ماجه : كتاب الطهارة وسننها ، باب : ما جاء في التسمية على الوضوء (١ / ١٤٠/ رقم : ٣٩٩) . والدارقطني : (١ / ٧٩) . والحاكم : (١ / ١٤٦) . والبيهقي : (٤١/١) . من طريق محمد بن موسى المخزومي ، عن يعقوب بن سلمة ، عن أبيه ، عن أبي هريرة بلفظ : «**لا صلاة لمن لا وضوء له ، ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه**» . قال ابن حجر : ورواه الحاكم من هذا الوجه ، فقال : يعقوب بن أبي سلمة ، وادعى أنه الماجشون وصححه لذلك ، والصواب أنه الليثي ، قال البخاري : لا يعرف له سماع من أبيه ، ولا لأبيه من أبي هريرة ، وأبوه ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : ربما أخطأ وهذه عبارة عن ضعفه ؛ فإنه قليل الحديث جدًّا ، ولم يروِ عنه سوى ولده ؛ فإذا كان يخطيء مع قلة ما روى ، فكيف يوصف بكونه ثقة ! . قال ابن الصلاح : انقلب إسناده على الحاكم ، فلا يحتج لثبوته بتخريجه له . وتبعه النووي ، وقال ابن دقيق العيد : لو سلم للحاكم أنه يعقوب بن أبي سلمة الماجشون ، واسم أبي سلمة : دينار ، فيحتاج إلى معرفة حال أبي سلمة ، وليس له ذكر في شيء من كتب الرجال ، فلا يكون أيضًا صحيحًا .

قال في البدر المنير : وحاصل ما يعلل به هذا الحديث : الضعف والانقطاع ؛ أما الضعف : فيعقوب بن سلمة لا أعرف حاله ، وقال الذهبي في الميزان (٢٥٢/٤) : شيخ ، ليس بعمدة . وأما أبوه : فلم يعرف حاله المزي ، ولا الذهبي ، وإنما قال في الميزان : لم يرو عنه غير ولده . وأما الانقطاع : فقال الترمذي في علله : سألت محمدًا – يعني البخاري – عن هذا الحديث فقال : محمد بن موسى المخزومي : لا بأس به مقارب الحديث ، ويعقوب بن سلمة المدني لا يعرف له سماع من أبيه ، ولا يعرف لأبيه سماع من أبي هريرة . قال : وأغرب ابن الجوزي فقال في كتابه التحقيق : هذا حديث جيد . ا هـ من البدر .

قال ابن حجر : وله طريق أخرى عند الدارقطني (٧١/١) ، والبيهقي (٤٤/١) من طريق محمود بن محمد الظفري ، عن أيوب بن النجار ، عن يحيى ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة بلفظ : «**ما توضأ من لم يذكر اسم الله عليه ، وما صلى من لم يتوضأ**» ومحمود ليس بالقوي ، وأيوب قد سمعه يحيى بن معين يقول : لم أسمع من يحيى بن أبي كثير إلا حديثًا واحدًا : «**التقى آدم وموسى ...**» .
وقد ورد الأمر بذلك من حديث أبي هريرة ، ففي الأوسط للطبراني – : (رقم : ٤٠١) من مجمع البحرين – من طريق عليّ بن ثابت ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : «**يا أبا هريرة ؛ إذا توضأت فقل : باسم الله والحمد لله ، فإن حَفَظَتَك لا تزال تكتب لك الحسنات ، حتى تُحدث من ذلك الوضوء**» ، قال : تفرد به عمرو بن أبي سلمة ، عن إبراهيم بن محمد ، عنه ، وفيه أيضًا (٢ / ل ٢٨٤) كما هو في مجمع البحرين (رقم : ٤٠٠) من طريق الأعرج ، عن أبي هريرة رفعه : «**إذا استيقظ أحدكم من نومه ، فلا يدخل يده في الإناء حتى يغسلها ، ويسمي قبل أن يدخلها**» ، تفرد بهذه الزيادة عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة ، وهو متروك ، عن هشام بن عروة ، عن أبي الزناد ، عنه .

أما حديث سعيد بن زيد : فسئل أحمد عن حديث سعيد بن زيد فقال : لا يثبت . (الضعفاء للعقيلي ١/ ١٧٧) . وقال ابن الجوزي في العلل المتناهية (٣٣٧/١) : هذا حديث لا يثبت عن رسول الله =

ومن العلماء من أوجبها عند الذكر هاهنا ، ومنهم من قال بوجوبها مطلقًا ، وكذا تستحب عند

= صلى اللّهالله عليه وسلم . وقال البخاري : أبو ثفال المري ؛ عن رباح بن عبد الرحمن : في حديثه نظر . وقال الترمذي : قال البخاري : أحسن شيء في هذا الباب : هذا الحديث .

والحديث رواه الترمذي أبواب الطهارة ، باب : ما جاء في التسمية عند الوضوء (رقم : ٢٥) . والبزار ، وأحمد (٤/٧٠) ، وابن ماجة كتاب الطهارة وسننها ، باب : ما جاء في التسمية في الوضوء (رقم : ٣٩٨) ، والدارقطني (١ / ٧٢ ، ٧٣) ، والعقيلي (١ / ١٧٧) ترجمة : ثمامة بن حصين الشاعر ، والحاكم (٤ / ٦٠) . من طريق عبد الرحمن بن حرملة ، عن أبي ثفالٍ ، عن رباحٍ بن عبد الرحمن بن أبي سفيان بن حويطب ، عن جدته ، عن أبيها ، قال : سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم يقول : ... فذكره . لفظ الترمذي قال : وقال محمد : أحسن شيء في هذا الباب حديث رباح ، ولابن ماجة بزيادة « **لا صلاة لمن لا وضوء له** » وصرح العقيلي ، والحاكم بسماع بعضهم من بعض ، وزاد « **ولا يؤمن بالله من لا يؤمن بي ، ولا يؤمن بي من لا يحب الأنصار** » وزاد الحاكم في روايته : حدثتني جدتي أسماء بنت سعيد بن زيد بن عمرو ، أنها سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ... فأسقط منه ذكر أبيها ، وقال الدارقطني في العلل : اختلف فيه ، فقال وهيب ، وبشر بن المفضل ، وغير واحد هكذا ، وقال حفص ابن ميسرة ، وأبو معشر ، وإسحاق بن حازم : عن ابن حرملة ، عن أبي ثفال ، عن رباح ، عن جدته : أنها سمعت ... ولم يذكروا أباها ، ورواه الدراوردي ، عن أبي ثفال ، عن رباح ، عن ابن ثوبان مرسلاً ، ورواه صدقة مولى آل الزبير ، عن أبي ثفال ، عن أبي بكر بن حويطب مرسلًا ، وأبو بكر بن حويطب هو رباح المذكور ، قاله الترمذي . قال الدارقطني : والصحيح قول وهيب وبشر بن المفضل ومن تابعهما . وفي المختارة للضياء من مسند الهيثم بن كليب من طريق وهيب ، عن عبد الرحمن بن حرملة ، سمع أبا غالب سمعت رباح بن عبد الرحمن ، حدثتني جدتي : أنها سمعت أباها ... كذا قال . قال الضياء : المعروف أبو ثفال ، بدل أبي غالب ، وهو كما قال . وصحح أبو حاتم وأبو زرعة في العلل روايتهما أيضًا ، بالنسبة إلى من خالفهما ، لكن قالا : إن الحديث ليس بصحيح ؛ أبو ثفال ورباح مجهولان ، وزاد ابن القطان : أن جدة رباح أيضًا لا يعرف اسمها ، ولا حالها .كذا قال . فأما هي فقد عرف اسمها من رواية الحاكم ، ورواه البيهقي أيضًا مصرحًا باسمها . وأما حالها فقد ذكرت في الصحابة ، وإن لم يثبت لها صحبة فمثلها لا يسأل عن حالها . وأما أبو ثفال فروى عنه جماعة ، وقال البخاري : في حديثه نظر . وهذه عادته فيمن يضعفه ، وذكره ابن حبان في الثقات ، إلا أنه قال : لست بالمعتمد على ما تفرد به . فكأنه لم يوثقه . وأما رباح فمجهول ، قال ابن القطان : فالحديث ضعيف جدًّا . وقال البزار : أبو ثفال مشهور ، ورباح وجدته لا نعلمهما رويا إلا هذا الحديث ، ولا حدث عن رباح إلا أبو ثفال ، فالخبر من جهة النقل لا يثبت .

أما حديث أبي سعيد : فرواه أحمد (٣ / ٤١) ، والدارمي (١ / ١٨٧ / رقم : ٦٩١) ، والترمذي في العلل باب : ١٢ / باب في التسمية عند الوضوء . وابن ماجه كتاب الطهارة وسننها ، باب : ما جاء في التسمية في الوضوء (رقم : ٣٩٧) ، وابن عدي (٦ / ٦٧) ترجمة : كثير بن زيد . وابن السكن والبزار ، والدارقطني (١ / ٧١) ، والحاكم (١ / ١٤٧) ، والبيهقي (١ / ٤٣) ، من طريق كثير بن زيد ، عن رُبيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد ، بلفظ حديث الباب ، وزعم ابن عدي أن زيد بن الحباب تفرد به عن كثير ، وليس كذلك ، فقد رواه الدارقطني (١ / ٧١) من حديث أبي عامر العقدي ، وابن ماجه كتاب الطهارة وسننها ، باب : ما جاء في التسمية في الوضوء (رقم : ٣٩٧) . من حديث =

الذبيحة في مذهب الشافعي وجماعة، وأوجبها آخرون عند الذكر، ومطلقًا في قول بعضهم، كما سيأتي بيانه في موضعه [إن شاء الله.

وقد ذكر الرازي في تفسيره في فضل البسملة أحاديث، منها: عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال: «**إذا أتيتَ أهلك فسمِّ الله، فإنه إن وجد لك ولد كتب لك بعدد أنفاسه وأنفاس ذريته حسناتٌ**». وهذا لا أصل له، ولا رأيته في شيء من الكتب المعتمد عليها ولا غيرها][١] .

وهكذا تستحب عند الأكل؛ لما في صحيح مسلم؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال لربيبه عُمر بن أبي سلمة: «**قل: باسم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك**»(٩٧) .

ومن العلماء من أوجبها والحالة هذه، وكذلك تستحب عند الجماع؛ لما في الصحيحين(٩٨) عن ابن عباس؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال: «**لو أن أحدهم**[٢] [**إذا أراد أن يأتي**][٣] **أهله قال: باسم الله، اللهم، جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن يقدر بينهما ولد لم يضره الشيطان أبدًا**».

ومن هاهنا ينكشف لك أن القولين عند النحاة في تقدير المتعلق بالباء -في قولك: ﴿**باسم الله**﴾ هل هو اسم أو فعل- متقاربان، وكلٌّ قد ورد به القرآن، أما من قدره باسم، تقديره (باسم الله) ابتدائي فلقوله[٤] تعالى: ﴿**وقال: اركبوا فيها بسم الله مجريها**[٥] **ومرساها**

= أبي أحمد الزبيري، وأما حال كثير بن زيد، فقال ابن معين: ليس بالقوي. وقال أبو زرعة: صدوق فيه لين. وقال أبو حاتم: صالح الحديث ليس بالقوي يكتب حديثه. ورُبيح؛ قال أبو حاتم: شيخ، وقال الترمذي عن البخاري: منكر الحديث، وقال أحمد: ليس بالمعروف، وقال المروزي: لم يصححه أحمد، وقال: ليس فيه شيء يثبت. وقال البزار: روى عنه فُليح بن سليمان، وكثير بن زيد، وكثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف، وكل ما روي في هذا الباب فليس بقوي، ثم ذكر أنه روى عن كثير بن زيد، عن الوليد بن رباح، عن أبي هريرة، وقال العقيلي: الأسانيد في هذا الباب فيها لين. وقد قال أحمد بن حنبل: إنه أحسن شيء في هذا الباب. وقال السعدي: سئل أحمد عن التسمية، فقال: لا أعلم فيه حديثًا صحيحًا، أقوى شيء فيه حديث كثير بن زيد، عن رُبيح، وقال إسحاق بن راهويه: هو أصح ما في الباب.

(٩٧) - رواه مسلم في كتاب الأشربة برقم ١٠٨ - (٢٠٢٢)، ولفظه: «**يا غلام اكل بيمينك، وكل مما يليك**»، وهو عند البخاري في الأطعمة، باب: التسمية على الطعام، والأكل باليمين برقم (٥٣٧٦) .

(٩٨) - رواه البخاري في الوضوء، باب: التسمية على كل حال وعند الوقاع برقم (١٤١) . ومسلم في كتاب النكاح برقم ١١٦ - (١٤٣٤) .

[١] - سقط من ز، خ .
[٢] - في خ: أحدكم .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز، خ: «أتي» .
[٤] - في خ: «فكقوله» .
[٥] - في خ: «مجراها» .

إن ربي لغفور رحيم﴾. ومن قدره بالفعل [أمرًا أو خبرًا نحو: ابدأ باسم الله، أو ابتدأت باسم الله][١]، فلقوله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ وكلاهما صحيح؛ فإن الفعل لابد له من مصدر، فلك أن تقدر الفعل ومصدره، وذلك بحسب الفعل الذي سميت قبله، إن كان قيامًا أو قعودًا، أو أكلاً أو شربًا، أو قراءة أو وضوءًا أو صلاة، فالمشروع ذكر اسم[٢] الله في الشروع في ذلك كله تبركًا وتيمُّنًا واستعانة على الإتمام والتقبل، والله أعلم.

ولهذا روى ابن جرير، وابن أبي حاتم، من حديث بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: إن أول ما نزل به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم؛ قال: يا محمد؛ قل: أستعيذ بالله[٣] السميع[٤] العليم من الشيطان الرجيم. ثم قال: قل: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾. قال: قال له جبريل: قل[٥] باسم الله يا محمد. يقول: اقرأ بذكر الله ربك، وقم واقعد بذكر الله تعالى. لفظ ابن جرير(٩٩).

وأمّا مسألة الاسم هل هو المسمى أو غيره ففيها للناس ثلاثة أقوال: [أحدها: أنّ الاسم هو المسمى، وهو قول أبي عبيدة وسيبويه، واختاره الباقلاني وابن فورك، وقال الرازي - وهو محمد ابن عمر المعروف بابن خطيب الري - في مقدّمات تفسيره: قالت الحشوية والكرامية والأشعرية: الاسم نفس المسمى وغير نفس التسمية. وقالت المعتزلة: الاسم غير المسمى و غير التسمية. والمختار عندنا أنّ الاسم غير المسمى وغير التسمية، ثم نقول: إن كان المراد بالاسم هذا اللفظ الذي هو أصوات متقطعة وحروف مؤلفة، فالعلم الضروري حاصل أنه غير المسمى، وإن كان المراد بالاسم ذات المسمى، فهذا يكون من باب إيضاح الواضحات وهو عبث، فثبت أنّ الخوض في هذا البحث على جميع التقديرات يجري مجرى العبث.

ثم شرع يستدل على مغايرة الاسم للمسمى بأنه قد يكون الاسم موجودًا والمسمى مفقودًا، كلفظة المعدوم، وبأنه قد يكون للشيء أسماء متعدّدة كالمترادفة، وقد يكون الاسم واحدًا والمسميات متعدّدة، كالمشترك، وذلك دال على تغاير الاسم والمسمى، وأيضًا فالاسم لفظ وهو عرض، والمسمى قد يكون ذاتًا ممكنة أو واجبة بذاتها، وأيضًا فلفظ النار والثلج لو كان هو المسمى لوَجد اللافظ بذلك حرَّ النار أو بردَ الثلج ونحو ذلك، ولا يقوله عاقل، وأيضًا فقد قال الله تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنّ لله تسعة وتسعين

(٩٩) - **في سنده ضعف وانقطاع**، والحديث في تفسير ابن جرير ١٣٩ - (١١٧/١)، وابن أبي حاتم ٦ - (١٣/١) وبشر بن عمارة تقدمت ترجمته برقم (٥٩).

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ. [٢] - سقط من: ز، خ.
[٣] - سقط من: ز، خ. [٤] - في ز، خ: «بالسميع».
[٥] - سقط من: ز، خ.

اسمًا » . فهذه أسماء كثيرة والمسمى واحد وهو اللّٰه تعالى ، وأيضًا فقوله : ﴿ولله الأسماء﴾ أضافها إليه كما قال : ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ ونحو ذلك فالإضافة تقتضي المغايرة ، وقوله تعالى : ﴿فادعوه بها﴾ أي فادعوا اللّٰه بأسمائه ، وذلك دليل على أنها غيره ، واحتج من قال الاسم هو المسمى بقوله تعالى : ﴿تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام﴾ والمتبارك هو اللّٰه تعالى ، والجواب أنّ الاسم معظم لتعظيم الذات المقدّسة ، وأيضًا فإذا قال الرجل : زينب طالق . يعني : امرأته ؛ طلقت ، ولو كان الاسم غير المسمى لما وقع الطلاق .

والجواب أن المراد أنّ الذات المسماة بهذا الاسم طالق .

قال الرازي : وأمّا التسمية فإنها جعل الاسم معينًا لهذه الذات فهي غير الاسم أيضًا ، واللّٰه أعلم][١] .

﴿الله﴾ عَلَمٌ على الرب تبارك وتعالى ، يقال : إنه الاسم الأعظم ؛ لأنه يوصف بجميع الصفات كما قال تعالى : ﴿هو اللّٰه الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم * هو اللّٰه الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان اللّٰه عما يشركون * هو اللّٰه الخالق البارئ المصوّر له الأسماء الحسنى * يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾ . فأجرىٰ الأسماء الباقية كلها صفات له كما قال تعالى : ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ وقال تعالى : ﴿قل ادعوا اللّٰه أو ادعوا الرحمن أيًّا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾.

وفي الصحيحين(١٠٠) عن أبي هريرة ؛ أنّ رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم ؛ قال : « **إنّ لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا ، من أحصاها دخل الجنة** » .

[وجاء تعدادها في رواية الترمذي وابن ماجة(١٠١) ، وبين الروايتين اختلاف زيادة ونقصان ، وقد

(١٠٠) – رواه البخاري في كتاب الشروط ، باب : ما يجوز من الاشتراط ، وفي الدعوات ، باب : لله مائة اسم غير واحدة ، وفي التوحيد ، باب : إن لله مائة اسم إلا واحدة برقم (٢٧٣٦، ٦٤١٠، ٧٣٩٢) ، ومسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار برقم ٦ – (٢٦٧٧) .

(١٠١) – رواه الترمذي في كتاب الدعوات ، باب : أسماء اللّٰه الحسنى بالتفصيل برقم (٣٥٠٢) ، رواه عن إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني ، حدثني صفوان بن صالح ، ثنا الوليد بن مسلم ، ثنا شعيب بن أبي حمزة ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، به . وقال : هذا حديث غريب . حدثنا به غير واحدٍ ، عن صفوان بن صالح ولا نعرفه إلا من حديث صفوان بن صالح ، وهو ثقة عند أهل الحديث . قال : وقد روى آدم بن أبي إياس هذا الحديث بإسنادٍ غير هذا عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وذكر فيه الأسماء وليس له إسناد صحيح . =

[١] – بياض في ز ، خ ، وكتب ناسخ ز : كذا بالأصل .

ذكر الرازي في تفسيره عن بعضهم أنَّ للَّه خمسة آلاف اسم ، ألف في الكتاب والسنة الصحيحة ، وألف في التوراة ، وألف في الإنجيل ، وألف في الزبور ، وألف في اللوح المحفوظ][١] .

وهو اسم لم يُسَمَّ به غيره تبارك وتعالى ؛ ولهذا لا يعرف في كلام العرب له[٢] اشتقاق من فعل

= ورواه البغوي (١٢٥٧) من طريق إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني ، عن صفوان بن صالح ، عن الوليد بن مسلم.

ورواه الحاكم (١٦/١) من حديث موسى بن أيوب النصيبي ، وصفوان بن صالح قال : حدثنا الوليد بن مسلم .

ورواه البيهقي (٢٧/١٠) من طريق جعفر بن محمد الفريابي ، عن صفوان بن صالح ، عن الوليد بن مسلم ، ثنا شعيب بن أبي حمزة ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة . وفي الأسماء والصفات .

والحديث رواه ابن حبان في صحيحه ٨٠٨ - (٨٨/٣ - ٩٠) من ثلاث طرق ، عن صفوان بن صالح ، عن الوليد بن مسلم .

وقال الحاكم : هذا حديث قد خرجاه في الصحيحن بأسانيد صحيحة دون ذكر الأسامي فيه والعلة فيه عنهما أن الوليد بن مسلم تفرد بسياقته بطوله ، وذكر الأسامي فيه ولم يذكرها غيره ، وليس هذا بعلة فإني لا أعلم اختلافاً بين أئمة الحديث أن الوليد بن مسلم أوثق وأحفظ ، وأعلم وأجل من أبي اليمان ، وبشر بن شعيب ، وعلي بن عياش ، وأقرانهم من أصحاب شعيب .

ثم نظرنا فوجدنا الحديث قد رواه عبد العزيز بن الحصين ، عن أيوب السختياني وهشام بن حسان جميعاً عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم بطوله .

ورواه ابن ماجة في الدعاء ، باب : أسماء اللَّه عز وجل برقم (٣٨٦١) . عن هشام بن عمار ، ثنا عبد الملك بن محمد الصنعاني ، ثنا أبو المنذر زهير بن محمد التميمي ، ثنا موسى بن عقبة ، حدثني عبد الرحمن الأعرج ، عن أبي هريرة فذكره .

ورواه الحاكم (١٦/١) من طريق خالد بن مخلد ، عن عبد العزيز بن حصين بن الترجمان ، ثنا أيوب السختياني ، وهشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة . وقال الحاكم : فيه عبد العزيز بن الحصين ، وهو ثقة . قال الذهبي : بل ضعفوه .

وقال البوصيري في الزوائد (٢٠٧/٣) : لم يخرج أحد من الأئمة الستة عدد أسماء اللَّه الحسنى من حديث أبي هريرة ، ولا من غيره سوى ابن ماجه والترمذي لكن طريق الترمذي بغير هذا السياق ، وبزيادة ونقص وتقديم وتأخير ، وطريق الترمذي أصح شيء في هذا الباب ، قلت - البوصيري - : رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرك من حديث أبي هريرة أيضاً ، وإسناد طريق ابن ماجه ضعيف ؛ لضعف عبد الملك بن محمد الصنعاني . اهـ كلامه .

وأما طريق الحاكم ففيها عبد العزيز بن الحصين بن الترجمان ، قال البخاري : ليس بالقوي عندهم . وقال ابن معين : ضعيف . وقال مسلم : ذاهب الحديث . وقال ابن عدي : الضعف على روايته بين . وأورد له العقيلي في الضعفاء حديث الأسماء ، وقال : لا يتابع عليه وفيه لين ، واضطراب . وقال الآجري : سألت أبا داود عنه فقال : متروك الحديث . وقال البغوي : ضعيف الحديث . وضعفه علي بن المديني جداً ،=

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - سقط من ز .

يفعل[١] ، فذهب من ذهب من النحاة إلى أنه اسم جامد لا اشتقاق له ، [وقد نقله القرطبي(١٠٢) عن جماعة من العلماء ، منهم : الشافعي ، والخطابي ، وإمام الحرمين ، والغزالي ، وغيرهم . ورُوي عن الخليل وسيبويه أنّ الألف واللام فيه لازمة ، قال الخطابي : ألا ترى أنك تقول : ياالله ، ولا تقول : يا الرحمن ، فلولا أنه من أصل الكلمة لما جاز إدخال حرف النداء على الألف واللام][٢] ، وقيل : إنه مشتق . واستدلوا عليه بقول رؤبة بن العجاج :

لله درّ الغانيات المده سبحن واسترجعن من تألهي(١٠٣)

فقد صرح الشاعر بلفظ المصدر ، وهو التأله من أله يأله إلاهة وتألهًا ، كما روي [عن ابن عباس أنه][٣] قرأ : (ويذرك وإلاهتك) قال : عبادتك . أي أنه كان يُعبد ولا يَعبد ، وكذا قال مجاهد وغيره ، [وقد استدل بعضهم على كونه مشتقًا بقوله تعالى : ﴿ **وهو الله في السموات وفي الأرض** ﴾ كما قال تعالى : ﴿ **وهو الذى في السماء إله وفي الأرض إله** ﴾ ونقل سيبويه عن الخليل أنّ أصله إلاه مثل فعال ، فأدخلت الألف واللام بدلاً من الهمزة . قال سيبويه : مثل الناس أصله أناس . وقيل : أصل الكلمة لاه ، فدخلت الألف واللام للتعظيم وهذا اختيار سيبويه . قال الشاعر :

لاه ابن عمك لا أفضلت في حسب عني ولا أنت دياني فتخزوني(١٠٤)

قال القرطبي : بالخاء المعجمة ؛ أي فتسوسني .

وقال الكسائي والفرّاء : أصله الإله ، حذفوا الهمزة ، وأدغموا اللام الأولى في الثانية ، كما قال : ﴿ **لكنا هو الله ربي** ﴾ أي : لكن أنا ، وقد قرأها كذلك الحسن .

قال القرطبي : ثم قيل : هو مشتق من وله إذا تحير . والوله : ذهاب العقل ، يقال : رجل واله وامرأة ولهى [وماء موله][٤] ، إذا أرسل في الصحراء ، فالله تعالى يحير أولئك في الفكر في حقائق صفاته ، فعلى هذا يكون [أصل إلاه][٥] ولاه فأبدلت الواو همزة ، كما قالوا في وشاح :

= وقال النسائي في التمييز : ليس بثقة . ولا يكتب حديثه . قال ابن حجر : وأعجب من كل ما تقدم أن الحاكم أخرج له في المستدرك وقال : إنه ثقة . (الميزان ٢/٦٢٧ ، اللسان ٤/٢٨ ، ٢٩) .

(١٠٢) - تفسير القرطبي (١/١٠٣) .

(١٠٣) - البيت في اللسان ، مادة « مده » وفي تفسير ابن جرير (١/١٢٣) .

(١٠٤) - البيت لذي الإصبع العدواني ، وهو من شواهد ابن عقيل على شرح الألفية برقم (٢٠٨) ، ولسان العرب ، مادة « ل و ه » .

[١] - في خ : « تفعل » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : أن ابن عباس قرأ .
[٤] - في ر : مولوهة .
[٥] - زيادة من القرطبي .

إشاح ووسادة إسادة.

وقال الرازي: وقيل: إنه مشتق من ألهت إلى فلان، أي: سكنت إليه، فالعقول لا تسكن إلا إلى ذكره، والأرواح لا تفرح إلا بمعرفته؛ لأنه الكامل على الإطلاق دون غيره، قال اللَّه تعالى: ﴿**ألا بذكر اللَّه تطمئن القلوب**﴾ قال: وقيل: من لاه يلوه إذا احتجب.

وقيل: اشتقاقه من أله الفصيل أولع بأمّه، والمعنى أن العباد مألوهون[١] مولعون بالتضرع إليه في كل الأحوال. قال: وقيل: مشتق من أله الرجل يأله إذا فزع من أمر نزل به، فألهه أي أجاره، فالمجير لجميع الخلائق من كل المضار هو اللَّه سبحانه؛ لقوله تعالى: ﴿**وهو يجير ولا يجار عليه**﴾ وهو المنعم لقوله تعالى: ﴿**وما بكم من نعمة فمن اللَّه**﴾ وهو المطعم لقوله تعالى: ﴿**وهو يُطْعِم ولا يُطْعَم**﴾ وهو الموجد؛ لقوله تعالى: ﴿**قل كل من عند اللَّه**﴾ وقد اختار الرازي أنه اسم غير مشتق ألبتة، قال: وهو قول الخليل وسيبويه وأكثر الأصوليين والفقهاء.

ثم أخذ يستدل على ذلك بوجوه؛ منها: أنه لو كان مشتقًا لاشترك في معناه كثيرون.

ومنها: أن بقية الأسماء تذكر صفات له، فتقول: اللَّه الرحمن الرحيم الملك القدوس. فدل على أنه ليس بمشتق، قال: فأما قوله تعالى: ﴿**العزيز الحميد اللَّه**﴾ على قراءة الجر فجعل ذلك من باب عطف البيان، ومنها قوله تعالى: ﴿**هل تعلم له سميًا**﴾ وفي الاستدلال بهذه على كون هذا الاسم جامدًا غير مشتق نظر، واللَّه أعلم

وحكى الرازي عن بعضهم أن اسم اللَّه تعالى عبراني لا عربي، ثم ضعفه وهو حقيق بالتضعيف كما قال، وقد حكى الرازي هذا القول ثم قال: واعلم أن الخلائق قسمان؛ واصلون إلى ساحل بحر المعرفة، ومحرومون قد بقوا في ظلمات الحيرة وتيه الجهالة، فكأنهم قد فقدوا عقولهم وأرواحهم، وأما الواجدون فقد وصلوا إلى عرصة النور، وفسحة الكبرياء والجلال، فتاهوا في ميادين الصمدية، وبادوا في عرصة الفردانية، فثبت أن الخلائق كلَهم والهون في معرفته، ورُوي عن الخليل بن أحمد أنه قال: لأن الخلق يألهون إليه بفتح اللام وكسرها لغتان.

وقيل: إنه مشتق من الارتفاع، فكانت العرب تقول لكل شيء مرتفع: لاها. وكانوا يقولون: إذا طلعت الشمس: لاهت. وقيل: إنه مشتق من أله الرجل إذا تعبد، وتأله إذا تنسك. وقرأ ابن عباس ﴿**ويذرك وإلاهتك**﴾][٢] وأصل ذلك الإله فحذفت الهمزة التي هي فاء الكلمة، فالتقت اللام التي هي[٣] عينها مع اللام الزائدة في أولها للتعريف، فأدغمت إحداهما في الأخرى، فصارتا

---

[١] - في اللسان: مولهون.

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ. [٣] - سقط من: ز، خ.

في اللفظ لامًا واحدة مشدّدة، وفخمت تعظيمًا فقيل: اللّه.

﴿ **الرحمن الرحيم** ﴾ اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة. ورحمن أشدّ مبالغة من رحيم، [وفي كلام ابن جرير][١] ما يفهم منه[٢] حكاية الاتفاق على هذا، وفي تفسير بعض السلف ما يدل على ذلك، كما تقدّم في الأثر عن عيسى -عليه السلام- أنه قال: والرحمن رحمن الدنيا والآخرة، والرحيم رحيم الآخرة.

[وزعم بعضهم أنه غير مشتق؛ إذ لو كان كذلك لاتصل بذكر المرحوم وقد قال: ﴿ **وكان بالمؤمنين رحيمًا** ﴾ وحكى ابن الأنبارى في الزاهر عن المبرد أن الرحمن اسم عبراني ليس بعربي، وقال أبو إسحاق الزجاج في معاني القرآن: وقال أحمد بن يحيى: الرحيم عربي والرحمن عبراني؛ فلهذا جمع بينهما.

قال أبو إسحاق: وهذا القول مرغوب عنه.

وقال القرطبي: والدليل على أنه مشتق ما خرّجه الترمذي(١٠٥) وصححه عن عبد الرحمن ابن عوف -رضي اللّه عنه- أنه سمع رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقول: « **قال اللّه تعالى أنا الرحمن، خلقت الرَّحِم وشققت لها اسمًا من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته** ».

قال: وهذا نصٌّ في الاشتقاق فلا معنى للمخالفة والشقاق. قال: وإنكار العرب لاسم الرحمن

(١٠٥) - رواه الترمذي في أبواب البر والصلة، باب: ما جاء في قطيعة الرحم برقم (١٩٠٧) من طريق سفيان، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن عبد الرحمن بن عوف، رضي اللّه عنه، وقال الترمذي: حديث سفيان، عن الزهري، حديث صحيح، وروى معمر هذا الحديث، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن رداد الليثي، عن عبد الرحمن بن عوف - ومعمر، كذا يقول البخاري: وحديث معمر خطأ. وقال الترمذي: وفي الباب عن أبي سعيد، وابن أبي أوفى، وعامر بن ربيعة، وأبي هريرة، وجبير بن مطعم.

ورواه أبو داود في الزكاة، باب: صلة الرحم حديث (١٦٩٤).

والطريق الأول: اختلف في سماع أبي سلمة بن عبد الرحمن من أبيه، والصحيح أنه لم يسمع كما قال يحيى ابن معين، والبخاري (العلائي ص ٢١٣).

والطريق الثاني: رداد الليثي: لم يروه عنه إلا أبو سلمة، ولم يوثقه معتبر.

ورواه أحمد (١٩١/١) من طريق يحيى بن أبي كثير، عن إبراهيم بن عبد اللّه بن قارظ أن أباه حدثه أنه دخل على عبد الرحمن بن عوف ....

قال ابن حجر: وللمتن متابع، رواه أبو يعلى بسند صحيح من طريق عبد اللّه بن قارظ، عن عبد الرحمن بن عوف من غير ذكر أبي الرداد فيه، وأخرجه أحمد (٤٩٨/٢) من حديث أبي هريرة بسند حسن.

[١] - في خ: وفي كلامه - أي ابن جرير. [٢] - سقط من: خ.

لجهلهم بالله وبما وجب له .

قال القرطبى : ثم قيل : هما بمعنى واحد كندمان ونديم . قاله أبو عبيد ، وقيل : ليس بناء فعلان كفعيل ؛ فإن فعلان لا يقع إلا على مبالغة الفعل نحو قولك : رجل غضبان للرجل الممتلئ غضبًا ، وفعيل قد يكون بمعنىٰ الفاعل والمفعول .

قال أبو علي الفارسي : الرحمن اسم عام فى جميع أنواع الرحمة يختص به الله تعالى ، والرحيم إنما هو من جهة المؤمنين قال الله تعالى : **﴿ وكان بالمؤمنين رحيمًا ﴾** .

وقال ابن عباس هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر . أى أكثر رحمة ، ثم حكى عن الخطابي وغيره أنهم استشكلوا هذه الصفة ، وقالوا : لعله أرفق كما فى الحديث : **« إن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله ، وإنه يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف »**(١٠٦) .

وقال ابن المبارك : الرحمن إذا سئل أعطى ، والرحيم إذا لم يسأل يغضب . وهذا كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وابن ماجة من حديث أبى صالح الفارسي الخوزي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« من لم يسأل الله يغضب عليه »**(١٠٧) .

---

(١٠٦) – رواه مسلم في البر والصلة ، والآداب برقم ٧٧ – (٢٥٩٣) من حديث عائشة ، رضي الله عنها ، ورواه أبو داود في الأدب ، باب : في الرفق برقم (٤٨٠٧) من حديث عبد الله بن مغفل ، رضي الله عنه . ورواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة (٣٦٨٨) .

(١٠٧) – رواه الترمذي في الدعوات ، باب : من لم يسأل الله يغضب عليه ، برقم (٣٣٧٣) ، وابن ماجة في الدعاء ، باب : فضل الدعاء برقم (٣٨٢٧) .

وأخرجه أحمد ٩٦٩٩ ، ٩٧١٧ ، ١٠١٨١ – (٢/ ٤٤٢، ٤٤٣ ، ٤٧٧) من حديث مروان الفزاري ووكيع عن أبي المليح – صبيح – عن أبي صالح .

والبخاري في الأدب (٦٥٨) والبزار والحاكم (٤٩١/١) كلهم من طريق أبي صالح الخوزي – بضم الخاء المعجمة وسكون الواو ثم زاي – عن أبي هريرة . وقال الترمذي : وقد روى وكيع وغير واحد عن أبي المليح هذا الحديث ولا نعرفه إلا من هذا الوجه . وأبو المليح اسمه صبيح . سمعت محمداً يقول وقال : يقال له الفارسي .

ورواه أحمد ٩٧١٧ ، ١٠١٨١ – (٤٤٣/٢ ، ٤٧٧) ، وابن ماجه في كتاب الدعاء ، باب : فضل الدعاء برقم (٣٨٢٧) بلفظ : من لم يدعُ الله ... .

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (٩٥/١١) : « وهذا الخوزى مختلف فيه ، ضعفه ابن معين ، وقواه أبو زرعة ، وظن الحافظ ابن كثير – [سورة غافر آية ٦٠](*) – أنه أبو صالح السمان فجزم بأن أحمد تفرد بتخريجه ، وليس كما قال ، فقد جزم شيخه المزي في الأطراف بما قلته . ووقع في رواية البزار والحاكم عن أبي صالح الخوزي سمعت أبا هريرة .

(*) – قال الحافظ ابن كثير [في سورة غافر آية ٦٠] : تفرد به أحمد ، وهذا إسناد لا بأس به . =

وقال بعض الشعراء

لا تطلبن بني آدم حاجة وسل الذي أبوابه لا تغلق
الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسأل يغضب (١٠٨)[١]

وقال ابن جرير(١٠٩) : حدّثنا السري بن يحيىٰ التميمي ، حدّثنا عثمان بن زفر ، سمعت العرزمي يقول : ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ قال : ﴿ الرحمن ﴾ لجميع الخلق ، ﴿ الرحيم ﴾ قال : بالمؤمنين .

قالوا : ولهذا قال : ﴿ ثم استوىٰ على العرش الرحمن ﴾ ، وقال : ﴿ الرحمن على العرش استوىٰ ﴾ فذكر الاستواء باسمه الرحمن ليعم جميع خلقه برحمته ، وقال : ﴿ وكان بالمؤمنين رحيمًا ﴾ [فخصهم باسمه الرحيم][٢] ، قالوا : فدلَّ على أن الرحمن أشد مبالغة في الرحمة لعمومها فى الدارين لجميع خلقه ، والرحيم خاصة بالمؤمنين .

لكن جاء فى الدعاء المأثور : « رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما »(١١٠) . [واسمه تعالى الرحمن خاص به لم يُسَمَّ به غيره ، كما قال تعالى : ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّاما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ وقال تعالى : ﴿ واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ﴾ ولما تجهر مسيلمة الكذاب وتسمى برحمن اليمامة ، كساه الله جلباب الكذب وشهره به ، فلا يقال إلا مسيلمة الكذاب ، فصار يُضرب به المثل فى الكذب بين أهل الحضر من أهل المدر ، وأهل الوبر من أهل البادية والأعراب][٣] .

وقد زعم بعضهم أن الرحيم أشد مبالغة من الرحمن ؛ لأنه أكد به ، والمؤكِّد[٤] لا يكون إلا أقوى من المؤكَّد . والجواب : أن هذا ليس من باب التوكيد ، وإنما هو من باب النعت ، ولا يلزم فيه

= ولم أره ذكر أن أبا صالح هو السمان بل قال : وأبو صالح هذا هو الخوزي سكن شعب الخوز قاله البزار في مسنده .

(١٠٨) - ذكره القرطبي في التفسير (١٠٦/١) غير منسوب .

(١٠٩) - الأثر في تفسير ابن جرير ١٤٦ - (١٢٧/١) .

(١١٠) - دعاء : « رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما » رواه الحاكم (٥١٥/١) وصححه ، وتعقبه الذهبي فقال : قلت : الحكم ليس بثقة . وقال الحافظ المنذري في الترغيب (٦١٦/٢) : رواه البزار (٣١٧٧/٤) ، والحاكم والأصبهاني في الترغيب (١٢٤٥) ، والطبراني في الدعاء (١٠٤١) ، والبيهقي في الدلائل (٦/ ١٧١ ، ١٧٢) كلهم من طريق الحكم بن عبد الله الأيلي . وقال الحاكم : صحيح الإسناد . قال المنذري : كيف والحكم متروك متهم ؟! . والقاسم مع ما قيل فيه لم يسمع من عائشة - كذا قال - وقد جاء مصرحاً في المستدرك أنه ابن محمد وليس فيه كلام ، وهو كثير الرواية عن عائشة . وأورد الهيثمي (١٨٦/١٠) فقال : فيه الحكم بن عبد الله الأيلي وهو متروك .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من :ز ، خ . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٤] - في ز ، خ : « والتأكيد » .

ما ذكروه، وعلى هذا فيكون تقدير[١] اسم اللّه الذي لم يسم به[٢] أحد غيره، ووصفه أولًا بالرحمن الذي منع من التسمية به لغيره، كما قال تعالى: ﴿**قل ادعوا اللّه أو ادعوا الرحمن أيًّا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى**﴾. وإنما تجمهر مسيلمة اليمامة في التسمي به، ولم يتابعه على ذلك إلا من كان معه في الضلالة[٣].

وأما الرحيم فإنه [تعالى وصف][٤] به غيره، حيث قال: ﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم**﴾. كما وصف غيره بغير ذلك من أسمائه [كما قال تعالى][٥]: ﴿**إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعًا بصيرًا**﴾. والحاصل أن من أسمائه تعالى ما يسمى به غيرُه، ومنها ما لا يسمى به غيره، كاسم[٦] اللّه والرحمن والخالق والرزاق ونحو ذلك، فلهذا بدأ باسم اللّه ووصفه بالرحمن؛ لأنه أخص وأعرف من الرحيم؛ لأن التسمية أولاً إنما تكون بأشرف[٧] الأسماء فلهذا ابتدأ بالأخص فالأخص.

فإن قيل: فإذا كان الرحمن أشد مبالغة فهلا اكتفي به عن الرحيم؟. فقد روي عن عطاء الخراساني ما معناه، أنه لما تسمى غيره تعالى بالرحمن، جيء بلفظ الرحيم ليقطع التوهم بذلك، فإنه لا يوصف بالرحمن الرحيم إلا اللّه تعالى، كذا رواه ابن جرير عن عطاء، ووجَّهَه بذلك واللّه أعلم.

وقد زعم بعضهم أن العرب لا تعرف الرحمن، حتى رد اللّه عليهم ذلك بقوله: ﴿**قل: ادعوا اللّه أو ادعوا الرحمن أيًّاما تدعوا فله الأسماء الحسنى**﴾؛ ولهذا قال كفار قريش يوم الحديبية، لما قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم لعلي: «**اكتب «بسم اللّه الرحمن الرحيم»** فقالوا: لا نعرف الرحمن ولا الرحيم. رواه البخاري(١١١).

وفي بعض الروايات: لا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة. وقال تعالى: ﴿**وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا: وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورًا**﴾. والظاهر أن إنكارهم هذا إنما هو جحود وعناد وتعنّت في كفرهم؛ فإنه[٨] قد[٩] وجد في [أشعارهم في][١٠] الجاهلية تسمية اللّه تعالى بالرحمن.

---

(١١١) - رواه البخاري في كتاب الشروط، باب: الشروط في الجهاد ... برقم (٢٧٣١، ٢٧٣٢).

---

[١] - في ز: تقديم.
[٢] - سقط من: خ.
[٣] - في ز: الضلال.
[٤] - في خ: «وصف تعالى».
[٥] - في ز، خ: في «قوله».
[٦] - في ز، خ: كاسمه.
[٧] - في ز، خ: بأشهر.
[٨] - في ز، خ: «وإنه».
[٩] - سقط من: ز، خ.
[١٠] - ما بين المعكوفتين في ز، خ: «أشعار».

قال ابن جرير: وقد أنشد بعض الجاهلية الجهال:

ألا ضربت تلك الفتاة هجينها ألا قضب الرحمن ربي يمينها(١١٢)

وقال سلامة بن جندل الطهوي:

عَجِلْتُم علينا عَجْلَتَيْنا[١] عليكم وما يشأِ الرحمنُ يَعْقِدْ ويُطْلِقِ(١١٣)

وقال ابن جرير(١١٤): حدّثنا أبو كريب، حدّثنا عثمان بن سعيد، حدّثنا بشر بن عمارة، حدّثنا أبو روق، عن الضحاك، عن عبد الله بن عباس قال: الرحمن: الفعلان من الرحمة، هو من كلام العرب. وقال ﴿**الرحمن الرحيم**﴾ الرفيق الرقيق بمن أحب أن يرحمه، والبعيد الشديد على من أحب أن يعنف عليه، وكذلك أسماؤه كلها.

وقال ابن جرير(١١٥) أيضًا[٢]: حدّثنا محمد بن بشار، حدّثنا حماد بن مسعدة، عن عوف عن الحسن قال: الرحمن اسم ممنوع.

وقال ابن أبي حاتم(١١٦): حدّثنا أبو سعيد بن[٣] يحيى بن سعيد القطان، حدّثنا زيد بن الحباب، حدّثني أبو الأشهب، عن الحسن قال: [الرحمن] اسم لا يستطيع الناس أن ينتحلوه، تسمى به تبارك وتعالى.

[وقد جاء في حديث أم سلمة(١١٧) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقطع قراءته حرفًا حرفًا ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم* الحمد لله رب العالمين* الرحمن الرحيم* مالك يوم**

---

(١١٢) - تفسير ابن جرير (١/١٣١).

(١١٣) - تفسير ابن جرير (١/١٣١).

(١١٤) - **إسناده ضعيف لضعف بشر بن عمارة. والضحاك لم يلق ابن عباس**. والحديث في تفسير ابن جرير ١٤٨ - (١/١٢٩).

(١١٥) - تفسير ابن جرير ١٥٠ - (١/١٣٤).

(١١٦) - **إسناده حسن**، أبو سعيد هو أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان، وأبو الأشهب هو جعفر ابن حيان السعدي العطاردي ثقة، والحديث في تفسير ابن أبي حاتم ٧ - (١/١٣).

(١١٧) - رواه أحمد في المسند ٢٦٦٩٢ - (٦/٣٠٢)، وأخرجه أبو داود في سننه في كتاب الحروف والقراءات أول الكتاب (رقم: ٤٠٠١) والترمذي في جامعه في كتاب القراءات، باب: في فاتحة الكتاب (رقم: ٢٩٢٧) كلهم من طريق يحيى بن سعيد الأموي، به.

---

[١] - في ز، خ: «عجلتنا». [٢] - زيادة من: ز، خ.

[٣] - زيادة من خ، وتفسير ابن أبي حاتم.

الدين ﴾ فقرأ بعضهم كذلك وهم طائفة ، ومنهم من وصلها بقوله ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ وكُسِرت الميم لالتقاء الساكنين وهم الجمهور . وحكى الكسائي من الكوفيين عن بعض العرب أنها تقرأ بفتح الميم وصلة الهمزة فيقولون : بسم اللّه الرحمن الرحيم الحمد للّه رب العالمين . فنقلوا حركة الهمزة إلى الميم بعد تسكينها كما قُرِئَ قوله تعالى : ﴿ **الم * اللّه لا إله إلا هو** ﴾ قال ابن عطية : ولم ترد هذه قراءة عن أحد فيما علمت][١] .

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾

[القراء السبعة على ضم الدال في قوله : ﴿ **الحمدُ للّه** ﴾ هو مبتدأ وخبر ، وروي عن سفيان ابن عيينة ، ورؤبة بن العجاج أنهما قالا : ﴿ **الحمدَ للّه** ﴾ بالنصب وهو على إضمار فعل . وقرأ ابن أبي عبلة ﴿ **الحمدُ لُلّه** ﴾ بضم الدال واللام إتباعًا للثاني الأول ، وله شواهد لكنه شاذ . وعن الحسن وزيد بن علي ﴿ **الحمدِ للّه** ﴾ بكسر الدال إتباعًا للأوّل الثاني][٢] .

قال أبو جعفر بن جرير [رحمه اللّه] : معنى[٣] ﴿ **الحمد للّه** ﴾ الشكر للّه خالصًا دون سائر ما يعبد من دونه ، ودون كل ما برأ من خلقه ، بما أنعم على عباده من النعم التي لا يحصيها العدد ، ولا يحيط بعددها غيره أحد ؛ في تصحيح الآلات لطاعته ، وتمكين جوارح أجسام المكلفين لأداء فرائضه ، مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق ، وغذاهم به من نعيم العيش ، من غير استحقاق منهم ذلك عليه ، ومع ما نبههم عليه ودعاهم إليه ، من الأسباب المؤدية إلى دوام الخلود في دار المقام في النعيم المقيم ، فلربنا الحمد على ذلك كله أولًا وآخرًا .

[وقال ابن جرير رحمه اللّه : ﴿ **الحمد للّه** ﴾ ثناء أثنى به على نفسه ، وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه فكأنه قال : قولوا : الحمد للّه][٤] قال : وقد قيل : إن قول القائل : [الحمد للّه][٥] ، ثناء عليه [بأسمائه الحسنى وصفاته العلى][٦] ، وقوله : (الشكر للّه) ثناء عليه بنعمه وأياديه . ثم شرع في ردّ ذلك بما حاصله : أن جميع أهل المعرفة بلسان العرب يوقعون كلاً من الحمد والشكر مكان الآخر ، [وقد نقل السلمي هذا المذهب أنهما سواء عن جعفر الصادق وابن عطاء من الصوفية .

وقال ابن عباس :﴿ **الحمد للّه** ﴾ كلمة كل شاكر .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في خ : « يعني » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز ، خ : « بأسمائه العلى وصفاته الحسنى » .

وقد استدل القرطبي(١١٨) لابن جرير بصحة قول القائل : الحمد للّه شكرًا][١] . وهذا الذي ادعاه [ابن جرير][٢] فيه نظر ؛ لأنه اشتهر عند كثير من العلماء من المتأخرين أن الحمد هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية ، والشكر لا يكون إلا على المتعدية ، ويكون بالجَنان واللسان والأركان ، كما قال الشاعر :

أفادتكم[٣] النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

ولكنهم[٤] اختلفوا أيهما أعم ، الحمد أو الشكر ؟ على قولين ، والتحقيق أن بينهما عمومًا وخصوصًا ، فالحمد أعم من الشكر من حيث ما يقعان عليه ؛ لأنه يكون على الصفات اللازمة والمتعدية ، تقول : حمدته لفروسيته ، وحمدته لكرمه ، وهو أخص ؛ لأنه لا يكون إلا بالقول . والشكر أعم من حيث ما يقعان عليه[٥] ؛ لأنه يكون بالقول والفعل[٦] والنية كما تقدّم ، وهو أخص ؛ لأنه لا يكون إلا على الصفات المتعدية ، لا يقال شكرته لفروسيته . وتقول : شكرته على كرمه وإحسانه إليَّ . هذا حاصل ما حرره بعض المتأخرين ، واللّه أعلم .

وقال أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري : الحمد نقيض الذم ، تقول : حمدت الرجل أحمده حمدًا ومحمدة فهو حميد ومحمود ، والتحميد أبلغ من الحمد ، والحمد أعم من الشكر . وقال في الشكر : هو الثناء على المحسن بما أولاكه من المعروف ، يقال : شكرته وشكرت له . وباللام أفصح .

[وأما المدح فهو أعم من الحمد ؛ لأنه يكون للحي وللميت وللجماد أيضًا ، كما يمدح الطعام والمكان ونحو ذلك ، ويكون قبل الإحسان وبعده وعلى الصفات المتعدية واللازمة أيضًا فهو أعم][٧] .

ذكر أقوال السلف في الحمد

قال ابن أبي حاتم(١١٩) : حدثنا أبي ، حدّثنا أبو معمر القطيعي ، حدّثنا حفص ، عن حجاج عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس - رضي اللّه عنهما - قال : قال عمر - رضي اللّه عنه - : قد عَلِمْنَا

(١١٨) - تفسير القرطبي (١٣٤/١) .
(١١٩) - **إسناده ضعيف لتدليس الحجاج بن أرطاة** ، والحديث في تفسير ابن أبي حاتم ١٢ - (١٤/١) .

[١] - سقط من :ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٣] - في ز : أفادتهم .
[٤] - في ز : ولكن . [٥] - في ز ، خ : « به » .
[٦] - في ز : والعمل . [٧] - ما بين المعكوفتين سقط من :ز ، خ .

سبحان الله [....][١] ولا إله إلا الله فما الحمد لله ؟ فقال علي : كلمة رضيها الله لنفسه .

ورواه غير أبي معمر ، عن حفص فقال : قال عمر لعلي - وأصحابه عنده - : لا إله إلا الله وسبحان الله والله أكبر قد عرفناها ، فما الحمد لله ؟ قال علي : كلمة أحبها [الله تعالى] لنفسه ، ورضيها لنفسه ، وأحب أن تقال (١٢٠) .

وقال علي بن زيد بن جدعان (١٢١) ، عن يوسف بن مهران قال : قال ابن عباس : ﴿**الحمد لله**﴾ : كلمة الشكر وإذا قال العبد : الحمد لله ، قال : شكرني عبدي . رواه ابن أبي حاتم .

وروى أيضًا هو وابن جرير ، من حديث بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس أنه قال : الحمد لله هو الشكر لله ، [والاستخذاء له][٢] ، والإقرار له بنعمه وهدايته وابتدائه وغير ذلك .

وقال كعب الأحبار (١٢٢) : الحمد لله ثناء الله . وقال الضحاك : الحمد ؛ رداء الرحمن . وقد ورد الحديث بنحو ذلك .

قال ابن جرير (١٢٣) : حدّثنا[٣] سعيد بن عمرو السكوني ، حدّثنا بقية بن الوليد ، حدّثني عيسىٰ ابن إبراهيم ، عن موسى بن أبي حبيب ، عن الحكم بن عمير - وكانت له صحبة - قال : قال

---

(١٢٠) - قال أبو حاتم ١٣ - (١/١٥) ، و٣٤٧ - (١/١١٧) : كذا رواه أبو معمر القطيعي ، عن حفص . وحدثنا به الأشج ؛ فقال : ثنا حفص - وخالفه فيه - فقال فيه : قال عمر لعلي ، رضي الله عنهما ، وأصحابه عنده ... لا إله إلا الله ، والحمد لله ، والله أكبر ؛ قد عرفناها ، فما سبحان الله ؟ فقال علي : كلمة أحبها لنفسه ، ورضيها لنفسه ، وأحب أن تقال . كذا هو عند ابن أبي حاتم - السؤال فيه عن سبحان الله - والذي نقله ابن كثير - رحمه الله - ذكر فيه أن السؤال عن الحمد لله ، فانتبه لذلك .

(١٢١) - تفسير ابن جرير (١٥١) ، وابن أبي حاتم (٩) .

(١٢٢) - تفسير ابن جرير (١٥٣) ، وابن أبي حاتم (١٠) .

(١٢٣) - **إسناده ضعيف جدًا** ، والحديث في تفسير ابن جرير ١٥٢ - (١/١٣٦) .

عيسى بن إبراهيم : قال البخاري والنسائي : منكر الحديث . وقال يحيى : ليس بشيء . وقال أبو حاتم متروك الحديث . وقال النسائي أيضاً متروك . قال الذهبي في الميزان : عيسى متروك (الميزان ٣/٣٠٨) .

وقال : موسى بن أبي حبيب ضعفه أبو حاتم ، وله عن الحكم بن عمير - رجل قيل له صحبة - والذي أرى أنه لم يلقه ، وموسى مع ضعفه متأخر عن لقي صحابي كبير ، وإنما أعرف له رواية عن علي بن الحسين ، يروي عنه إبراهيم بن إسحاق الصيني أحد التلفى - (الميزان ٤/٢٠٢) .

والحكم بن عُمير ، ذكره أبو نعيم في الصحابة (١/١٥٦) وقال : تفرد بالرواية عنه موسى بن أبي حبيب =

---

[١] - في خ : « والحمد لله » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٣] - في خ : « حدثني » .

رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **إذا قلتَ : الحمد للَّه رب العالمين فقد شكرت اللَّه ، فزادك** » .

وقد روى الإمام أحمد بن حنبل(١٢٤) : حدّثنا روح ، حدّثنا عوف ، عن الحسن ، عن الأسود ابن سريع ، قال : قلت : يا رسول اللَّه ؛ ألا أنشدك محامد حمدت بها ربي تبارك وتعالى ؟ فقال : « **أما إنّ ربك يحب الحمد** » .

ورواه النسائي عن علي بن حجر ، عن ابن علية ، عن يونس بن عبيد ، عن الحسن ، عن الأسود ابن سريع ، به .

وروى [أبو عيسى الحافظ][١] الترمذي والنسائي وابن ماجة من حديث موسىٰ بن إبراهيم بن كثير ، عن طلحة بن خراش[٢] عن جابر بن عبد اللَّه ؛ قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **أفضل الذكر لا إله إلا اللَّه ، وأفضل الدعاء الحمد للَّه** »(١٢٥) . وقال الترمذي : حسن غريب .

= وذكره الحافظ في الإصابة ، وقال : قال ابن أبي حاتم عن أبيه : روى عن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، أحاديث منكرة يرويها عيسى بن إبراهيم - وهو ضعيف - عن موسى بن أبي حبيب - وهو ضعيف - عن عمه الحكم .

(١٢٤) - **حسن ، إسناده ضعيف** ، الحسن البصري مدلس ، وقد عنعن هنا ، ولم يصرح بالسماع ، وقد نقل العلائي عن علي بن المديني : أن الحسن البصري لم يسمع من الأسود بن سريع ، وعليه فيكون الحديث فيه انقطاع ، بين الحسن والأسود .

ورواه أحمد ١٥٦٢٨ - (٣/٤٣٥) ، والبخاري في الأدب المفرد برقم (٨٥٩) ، والحاكم (٣/٦١٤) ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وحسنه الألباني في « صحيح الأدب المفرد » .

وأخرجه النسائي في كتاب النعوت من الكبرى ، باب : الحب والكراهية حديث ٧٧٤٥ - (٤/٤١٦) .

ورواه ابن أبي حاتم (١١٥٩) ، وابن جرير (١٥٤) ، والطبراني في الكبير (١/٨٢٠ - ٨٢٥ ، ٨٣٦) وفي الأوسط ، وأبو نعيم في المعرفة (٨٩٧) ، والطحاوي في شرح المعاني (٤/٢٩٨) ، والبيهقي في الشعب (٤٠٥٧) ، وابن عدي (٥/١٧٦٣) ، والحاكم (٣/٦١٤) ، والقضاعي في مسند الشهاب (١٠٨٢) ، وقد تابع الحسنَ عبدُ الرحمن بن أبي بكرة : رواه الحاكم (٣/٦١٥) ، والطبراني في الكبير (١/٨٤٤) ، وعنه أبو نعيم في المعرفة (٨٩٩) ، وفي الحلية (١/٤٦) ، وقال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن الزهري إلا إبراهيم بن سعد ، تفرد به معمر بن بكار ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد ، فردّه الذهبي بقوله : معمر له مناكير » .

(١٢٥) - **حسنه الترمذي** ، وموسى بن إبراهيم بن كثير : وثقه ابن حبان (٧/٤٤٩) وقال : كان ممن يخطئ ، وذكره الذهبي في الميزان وقال : مدني صالح . وفي التقريب : صدوق يخطئ . والحديث رواه الترمذي في الدعوات ، باب : ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة ، برقم (٣٣٨٠) ، والنسائي في الكبرى برقم (١٠٦٦٧) ، وابن ماجه في كتاب الأدب ، باب : فضل الحامدين برقم (٣٨٠٠) ، ورواه ابن حبان ٨٤٦ - (٣/١٢٦) ، والحاكم (١/ ٤٩٨، ٥٠٣) وصححه ، ورواه أيضاً ابن أبي الدنيا =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٢] - في خ : « حراش » .

[وروى ابن ماجة عن أنس بن مالك[١٢٦] - رضي اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **ما أنعم اللَّه على عبد نعمة فقال : الحمد للَّه ، إلا كان الذي أعطى أفضل مما أخذ** » .

وقال القرطبي في تفسيره : وفي نوادر الأصول عن أنس عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم قال : « **لو أنّ الدنيا بحذافيرها في يد رجل من أمّتي ، ثم قال : الحمد للَّه لكان الحمد للَّه أفضل من ذلك** »[١٢٧] .

قال القرطبي وغيره : أي لكان إلهامه الحمد للَّه أكثر نعمة عليه من نعم الدنيا ؛ لأنّ ثواب الحمد لا يفنى ونعيم الدنيا لا يبقى .

قال اللَّه تعالى : ﴿ **المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابًا وخير أملاً** ﴾ .

وفي سنن ابن ماجة عن ابن عمر[١٢٨] : أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم حدثهم : « **أن عبدًا**

= في الشكر (١٠٢) ، والطبراني في الدعاء (١٤٨٣) ، وابن عبد البر في التمهيد (٦/٤٢ - ٤٣) ، والبيهقي في الشعب (٤٠٦١ هـ) ، وفي الأسماء والصفات (١/١٧٩) ، وفي الدعوات الكبير (١١٧) ، والأصبهاني في الترغيب (٢٤٨١) ، والبغوي في شرح السنة (٥/٤٩) .

(١٢٦) - الحديث رواه ابن ماجه في كتاب الأدب ، باب : فضل الحامدين برقم (٣٨٠٥) من طريق أبي عاصم ، عن شبيب بن بشر ، عن أنس ، به . ورواه الطبراني في الأوسط (١٣٧٩) ، والبيهقي في الشعب (٤٠٩١ هـ) ، وشبيب بن بشر : وثقه ابن معين ، وقال أبو حاتم وغيره : لين الحديث (الميزان ٢/ ٢٦٣) . وقال البوصيري في الزوائد (٣/١٩٢) : « هذا إسناد حسن ، شبيب بن بشر مختلف فيه » . وقال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن شبيب إلا عاصم .

(١٢٧) - قال الألباني في السلسلة الضعيفة (٢/٢٦٧) : « موضوع » ، ورواه ابن عساكر (١٥/٢٧٦/٢) عن أبي المفضل - محمد بن عبد اللَّه بن محمد بن همام بن المطلب الشيباني : حدثني محمد بن عبد الحي بن سويد الحربي الحافظ ، نا زريق ، نا عمران بن موسى الجند يسابوري - نزيل بردعة - نا سورة بن زهير الغامري - من أهل البصرة - حدثني هشيم ، عن الزبير بن عدي ، عن أنس بن مالك مرفوعًا . وهذا موضوع آفته أبو المفضل هذا ، قال الخطيب (٥/٤٦٦،٤٦٧) : « كان يروى غرائب الحديث وسؤالات الشيوخ ، فكتب الناس عنه ، بانتخاب الدارقطني ، ثم بان كذبه ، فمزقوا حديثه ، وأبطلوا روايته ، وكان بعد يضع الأحاديث للرافضة . قال حمزة بن محمد بن طاهر الدقاق : كان يضع الحديث ، وكان له سمت ووقار . وقال لي الأزهري : كان أبو المفضل دجالًا كاذبًا » . ورواه ابن عساكر عنه في ترجمة أبي المفضل هذا ، ومن بينه وبين هشيم لم أعرفهم غير زريق ، والظاهر أنه ابن محمد الكوفي ، روى عن حماد بن زيد ، قال الذهبي : « ضعفه الأمير ابن ماكولا » . اهـ من الضعيفة

(١٢٨) - **إسناده ضعيف** ، رواه ابن ماجة في كتاب الأدب ، باب : فضل الحامدين برقم (٣٨٠١) =

من عباد الله قال : يا رب ؛ لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك . فعضلت بالملكين فلم يدريا كيف يكتبانها فصعدا إلى الله فقالا : يا ربنا ؛ إنّ عبدًا قد قال مقالة لا ندري كيف نكتبها . قال الله – وهو أعلم بما قال عبده : ماذا قال عبدي ؟ قالا : يا رب ، إنه قال : لك الحمد يا رب كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك . فقال الله لهما : اكتباها كما قال عبدي حتى يلقاني فأجزيه بها » .

وحكى القرطبي(١٢٩) عن طائفة أنهم قالوا : قول العبد : الحمد لله رب العالمين أفضل من قوله : لا إله إلا الله ؛ لاشتمال الحمد لله رب العالمين على التوحيد مع الحمد .

وقال آخرون : لا إله إلا الله أفضل ؛ لأنها تفصل بين الإيمان والكفر ، وعليها يقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، كما ثبت في الحديث المتفق عليه(١٣٠) .

وفي الحديث الآخر [ ](١٣١) : « **أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله وحده لا شريك له** » . وقد تقدّم عن جابر مرفوعًا : « **أفضل الذكر لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله** » . وحسنه الترمذي][١] .

= من طريق صدقة بن بشير ، عن قدامة بن إبراهيم ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، ورواه الطبراني في الكبير (١٣٢٩٧/١٢) ، والبيهقي في الشعب (٤٠٧٧هـ) ، وقال البوصيري في الزوائد (١٩١/٣) : « هذا إسناد فيه مقال ، قدامة بن إبراهيم ذكره ابن حبان في الثقات ، وصدقة بن بشير لم أر من جرحه ولا من وثقه ، وباقي رجال الإسناد ثقات . قال : ورواه أحمد من هذا الوجه » .

(١٢٩) – القرطبي (١٣٢/١) .

(١٣٠) – رواه البخاري في كتاب الزكاة ، باب : وجوب الزكاة ١٣٩٩ ، وله طرف في كتاب الجهاد ، ورواه مسلم ٣٢ : ٣٥ – (٢٠ ، ٢١) .

(١٣١) – رواه الترمذي في السنن برقم (٣٥٨٥) من طريق حماد بن أبي حميد ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده به ، بلفظ : « **خير الدعاء دعاء يوم عرفة ، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير** » . وقال الترمذي : « هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وحماد بن أبي حميد هو محمد بن أبي حميد ، وهو أبو إبراهيم الأنصاري المديني وليس بالقوي عند أهل الحديث . قال الألباني وإسناده فيه ضعف .

وأخرج الأصبهاني في الترغيب : عن أبي مروان ، ثنا عبد العزيز بن محمد ، عن عمرو بن أبي عمرو ، عن المطلب مرسلاً مختصراً بلفظ : « **أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة ، وإن أفضل ما أقوله أنا وما قال النبيون من قبلي : لا إله إلا الله** » .

قال الألباني (الصحيحة ١٥٠٢) : وهذا مرسل حسن الإسناد ، المطلب هو ابن عبد الله بن حنطب صدوق ، ومن دونه ثقات رجال مسلم غير أبي مروان ، وهو محمد بن عثمان بن خالد الأموي صدوق يخطئ كما قال في التقريب . قال حفظه الله : وجملة القول أن الحديث ثابت بمجموع هذه الشواهد والله أعلم

---

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

والألف واللام في الحمد لاستغراق جميع أجناس الحمد وصنوفه لله تعالى، كما جاء في الحديث(١٣٢) : « **اللّهم لك الحمد كله، ولك الملك كله، وبيدك الخير كله، وإليك يرجع الأمر كله** ». الحديث.

﴿رَبِّ العَالَمِين﴾

والربُّ هو المالك المتصرف، ويطلق في اللغة على السيد وعلى المتصرف للإصلاح. وكل ذلك صحيح في حق الله تعالى، [ولا يستعمل الرب لغير الله بل بالإضافة تقول: رب الدار، رب كذا. وأما الرب فلا يقال إلا لله عزَّ وجلَّ، وقد قيل: إنه الاسم الأعظم][١] والعالمين جمع عالَم،

= وروى الطبراني في فضائل عشر ذي الحجة من حديث قيس بن الربيع، عن الأغر بن الصباح، عن خليفة بن حصين، عن علي مرفوعاً: « **أفضل ما قلت أنا والنبيون عشية عرفة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير** ». قال الألباني: وهذا إسناد لا بأس به في الشواهد. رجاله ثقات غير قيس بن الربيع فهو سيء الحفظ فحديثه حسن بما له من الشواهد.

(١٣٢) - وَرَدَ من حديث حذيفة، وأبي سعيد، وسعد بن أبي وقاص، رضي الله عنهم،

فحديث حذيفة رواه أحمد ٢٣٤٦٢ - (٣٩٦/٥): ثنا عفان، ثنا همام، ثنا الحجاج بن فرافصة، حدثني رجل، عن حذيفة بن اليمان: أنه أتى النبي صلَّى الله عليه وسلم فقال: بينما أنا أصلي، إذ سمعت متكلمًا يقول: **اللّهم لك الحمد كله، ولك الملك كله، بيدك الخير كله، إليك يرجع الأمر كله، علانيته وسره، فأهل أن تحمد، إنك على كل شيءٍ قدير، اللّهم اغفر لي جميع ما مضى من ذنبي، واعصمني فيما بقي من عمري، وارزقني عملًا زاكيًا ترضى به عني**. فقال النبي، صلَّى الله عليه وسلم: « **ذاك مَلَك أتاك يعلمك تحميد ربك** ». وإسناده ضعيف لجهالة الراوي عن حذيفة. والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٥/١٠، ٩٦) وعزاه لأحمد، وقال: «وفيه راو لم يسم، وبقية رجاله ثقات».

وأما حديث أبي سعيد، فرواه البيهقي في شعب الإيمان برقم (٤٤٠٠) والديلمي في الفردوس (٦٨١٧) من طريق خالد بن يزيد، عن ابن أبي ذئب، عن زيد بن أسلم، عن عطاء، عن أبي سعيد الخدري.

وقال البيهقي: قال أبو عبد الله - يعني الحاكم - تفرد به خالد بن يزيد العمري، عن ابن أبي ذئب.

وخالد بن يزيد هذا كذبه أبو حاتم، ويحيى، وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الأثبات واستنكر له ابن عدي في الكامل عدة أحاديث ثم قال: ولخالد بن يزيد، عن الثوري وابن أبي ذئب وغيرهم غير ما ذكرت وعامتها مناكير.

وأما حديث سعد، فرواه البيهقي في شعب الإيمان برقم (٤٣٩٩) من طريق أبي بلج، عن مصعب بن سعد، عن أبيه سعد بن أبي وقاص. وأبو بلج: يحيى بن سليم وثقه جماعة، وضعفه آخرون وقال البخاري: فيه نظر.

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

[وهو كل موجود سوى الله عز وجل][١] ، والعالَم جمعٌ لا واحد له من لفظه ، والعوالم أصناف المخلوقات [في السموات][٢] وفي البر والبحر ، وكل قرن منها وجيل يسمى[٣] عالمًا أيضًا.

قال بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ . الحمد لله الذي له الخلق كله ، السموات والأرضون ، وما[٤] فيهنّ وما بينهنّ ، مما نعلم ومما[٥] لا نعلم .

وفي رواية سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس - رب الجنّ والإنس ؛ وكذلك قال سعيد ابن جبير ومجاهد وابن جريج ، وروي عن علي [نحوه][٦] .

وقال ابن أبي حاتم : بإسناد لا يعتمد عليه .

[واستدل القرطبي لهذا القول بقوله تعالى : ﴿ **ليكون للعالمين نذيرًا** ﴾ . وهم الجنّ والإنس .

قال الفراء وأبو عبيد : العالم عبارة عما يعقل وهم : الإنس والجنّ ، والملائكة والشياطين ، ولا يقال للبهائم عالم .

وعن زيد بن أسلم وأبي محيصن : العالم كل ماله روح ترفرف][٧] وقال قتادة : ﴿ **رب العالمين** ﴾ كل صنف عالَم . [وقال الحافظ ابن عساكر في ترجمة مروان بن محمد - وهو أحد خلفاء بني أمية ، وهو يعرف بالجعد ، ويلقب بالحمار - أنه قال : خلق الله سبعة عشر ألف عالم ؛ أهل السموات وأهل الأرض عالم واحد ، وسائرهم لا يعلمهم إلا الله عزَّ وجلَّ][٨] .

وقال أبو جعفر الرازي : عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى : ﴿ **رب العالمين** ﴾ قال الإنس عالم ، والجن عالم ، وما سوى ذلك ثمانية عشر ألف عالم أو أربعة عشر ألف عالم - هو يشك - من[٩] الملائكة على الأرض ، وللأرض أربع زوايا ، في كل زاوية ثلاثة آلاف عالم ، وخمسمائة عالم خلقهم الله[١٠] لعبادته .

رواه ابن جرير وابن أبي حاتم . [وهذا كلام غريب يحتاج مثله إلى دليل صحيح][١١] .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من: ز ، خ.
[٤] - في ز : ومن .
[٥] - في ز : ما .
[٦] - سقط من: ز ، خ.
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٩] - سقط من: ز ، خ.
[١٠] - سقط من: ز، خ.
[١١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وقال ابن أبي حاتم(١٣٣) : حدثنا أبي ، حدّثنا هشام بن خالد ، حدّثنا الوليد بن مسلم ، حدّثنا الفرات - يعني ابن الوليد - عن مغيث[١] بن سمي ، عن تُبَيع - يعني الحميري - في قوله تعالى : ﴿**رب العالمين**﴾ قال : العالمين ألف أمّة فستمائة في البحر ، وأربعمائة في البر .

[وحكي مثله عن سعيد بن المسيب][٢] ، وقد روي نحو هذا مرفوعًا .

كما قال الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنىٰ في مسنده : حدّثنا محمد بن المثنىٰ ، حدّثنا عبيد بن واقد القيسي أبو عباد ، حدّثني محمد بن عيسىٰ بن كيسان ، حدّثنا محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد اللّٰه قال : قلّ[٣] الجراد في سنة من سني عمر التي وليَ فيها فسأل عنه ، فلم يخبر بشيء ، فاغتم لذلك ، فأرسل راكبًا يضرب إلى اليمن[٤] وآخر إلى الشام ، وآخر إلى العراق ، يسأل هل رُئيَ من الجراد شيءٌ أم لا ؟ قال : فأتاه الراكب الذي من قِبَل اليمن بقبضة من جراد فألقاها بين يديه ، فلما رآها كبر ثم قال : سمعت رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم يقول : « **خلق اللّٰه ألف أمّة ؛ ستمائة في البحر ، وأربعمائة في البر ، فأوّل شيء [يهلك][٥] من هذه الأمم الجراد ، فإذا هلك تتابعت مثل النظام إذا قطع سلكه** »(١٣٤) .

---

(١٣٣) - رواه ابن أبي حاتم ١٦ - (١٦/١) . وجاء في النسخ وأصل تفسير ابن أبي حاتم « معتب » ، وفي كتب الرجال « مغيث » . [التاريخ (٢٤/٨) ، تهذيب الكمال (٣٤٨/٢٨) ، تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٢٨) ، الكاشف (٢٨٤/٢)] .

(١٣٤) - رواه أبو يعلى كما في مسنده - لعله - الكبير ، ومن طريقه ابن حبان في « المجروحين » (٢٥٦/٢ ، ٢٥٧) وكذا ذكره المصنف من طريقه في « البداية والنهاية » (٣٠/١) . وذكره في مجمع الزوائد (٧/ ٣٢٥) ، وأخرجه ابن عدي في « الكامل » (١٩٩٠/٥) (٢٢٤٩/٦) وأبو الشيخ في « العظمة » (٥/رقم ١٢٨٥) والخطيب في تاريخه (٢١٧/١١ ، ٢١٨) - ومن طريقه ابن الجوزي في « الموضوعات » (٣/ ١٣،١٤) - والبيهقي في « الشعب » (١٠٣٢/٧،١٠٣٣) من طريق عبيد بن واقد به ، وقال ابن حبان : « وهذا شيء لاشك أنه موضوع ليس هذا من كلام رسول اللّٰه - صلى اللّٰه عليه وسلم ».

وعلته عبيد بن واقد وشيخه ، قال المصنف في « البداية » : عبيد بن واقد أبو عباد البصري ضعفه أبو حاتم ، وقال ابن عدي : عامة ما يرويه لا يتابع عليه ، وشيخه أضعف منه . قال الفلاس والبخاري : منكر الحديث ، وقال أبو زرعة : لا ينبغي أن يحدث عنه ، وضعفه ابن حبان والدارقطني وأنكر عليه ابن عدي هذا الحديث بعينه وغيره واللّٰه أعلم » .

وضعف إسناده السيوطي في « الدر المنثور » (٣٦/١) وتعقب ابن الجوزي في إيراد هذا الحديث في « الموضوعات » فقال في « اللآلىء » (٨٢/١) « لم يتهم محمد بن عيسى بكذب ، بل وثقه بعضهم فيما نقله الذهبي ، وقال ابن عدي : أنكر عليه هذا الحديث ، وحديث آخر أخرجه أبو الشيخ =

---

[١] - في ز ، خ ، ر : معتب .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « قتل » .
[٤] - في ز ، خ : « كذا » .
[٥] - في خ : « هلكت » .

[و][١] محمد بن عيسى هذا[٢] - وهو الهلالي - ضعيف .

[وحكى البغوي عن سعيد بن المسيب أنه قال : للّٰه ألف عالم ؛ ستمائة في البحر ، وأربعمائة في البر . وقال وهب بن منبه : للّٰه ثمانية عشر ألف عالم ، الدنيا عالم منها . وقال مقاتل : العوالم ثمانون ألفًا وقال كعب الأحبار : لا يعلم عدد العوالم إلا اللّٰه عز وجل . نقله كله البغوي .

وحكى القرطبي عن أبي سعيد الخدري أنه قال : إن للّٰه أربعين ألف عالم ، الدنيا من شرقها إلى مغربها عالم واحد منها .

وقال الزجاج : العالم كل ما خلق اللّٰه في الدنيا والآخرة .

قال القرطبي : وهذا هو الصحيح أنه شامل لكل العالمين كقوله : ﴿ **قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين** ﴾ والعالم مشتق من العلامة قلت : لأنه علم دال على وجود خالقه وصانعه ووحدانيته ، كما قال ابن المعتز :

فيا عجبًا كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد][٣]

وقوله تعالى :

= في « العظمة » والبيهقي في « شعب الإيمان » - واقتصر الحافظ - يعني ابن حجر - على تضعيفه ، وتابع السيوطي في تعقبه ابن عَرّاق في « تنزيه الشريعة » (١/١٩٠) ويبدو أن المصنف يذهب إلى تضعيفه فحسب أيضًا فإنه قال : محمد بن عيسى هذا - وهو الهلالي - ضعيف » وكذا ضعفه الهيثمي حيث قال في « المجمع » : فيه عبيد بن واقد القيسي وهو ضعيف ، وضعفه أيضاً البوصيري فقال - في الاتحاف (٣٤٥/٦ هامش المطالب - قرطبة) - « إسناده ضعيف ؛ لضعف محمد بن عيسى بن كيسان » والحق أن هذا الحديث إن لم يكن موضوعًا ، فهو ضعيف جدًّا ، فإن محمد بن عيسى هذا - فوق ما نقله ابن كثير من كلام الأئمة فيه - فقد اتهمه ابن طاهر المقدسي في « معرفة التذكرة » (٤٢٠) وقال فيه ابن حبان : يروى عن محمد ابن المنكدر العجائب ، وعن الثقات الأوابد ، لا يجوز الاحتجاج بخبره إذا انفرد ، وقال الذهبي في « المغني » (٦٦٢/١) : « ضعفوه بمرّة » وأما ما نقله ابن عدي : إسناده إلى نعيم بن حماد ، حدثني عبيد بن واقد ، عن محمد بن عيسى أبو يحيى الهلالي وكان ثقة » وهذا ما عناه الذهبي في « الميزان » (٥/ ت ٨٠٣) - ونقله عنه السيوطي في كلامه المتقدم - بقوله : « ووثقه بعضهم » فإنه مردود لأنه توثيق من ضعيف يحتاج إلى من يُعدِّله ، ولم يوجد فكيف يقبل تعديل لغيره !! وباللّٰه التوفيق وانظر « التهذيب » (٣/ ٤١ - الرسالة).

[١] - زيادة من خ . [٢] - في ز ، خ : « هكذا » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣﴾

تقدم الكلام عليه في البسملة بما أغنىٰ عن إعادته .

[قال القرطبي إنما وصف نفسه بالرحمن الرحيم بعد قوله : رب العالمين ؛ ليكون من باب قرن الترغيب بعد الترهيب . كما قال تعالى : ﴿ **نبىء عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم** ﴾ وقوله تعالى : ﴿ **إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم** ﴾ .

قال : فالربُّ فيه ترهيب ، والرحمن الرحيم ترغيب .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **لو يعلم المؤمن ما عند اللَّه من العقوبة ما طمع في جنته أحد ، ولو يعلم الكافر ما عند اللَّه من الرحمة ما قنط من رحمته أحد** »(١٣٥)][١] .

﴿مَٰلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤﴾

قرأ بعض القراء ﴿ **مالك** ﴾ وقرأ آخرون ﴿ **مَلِك** ﴾ .

وكلاهما صحيح متواتر في السبع .

[ويقال : ملك بكسر اللام وبإسكانها . ويقال : مليك أيضا ، وأشبع نافع كسرة الكاف فقرأ : (ملكي يوم الدين) وقد رجَّح كلا من القراءتين مرجِّحون من حيث المعنى ، وكلاهما صحيحة حسنة . ورجح الزمخشري ملك ؛ لأنها قراءة أهل الحرمين ، ولقوله : ﴿ **لمن الملك اليوم** ﴾ ، وقوله : ﴿ **قوله الحق وله الملك** ﴾ وحكي عن أبي حنيفة أنه قرأ ﴿ **مَلَكَ يوم الدين** ﴾ على أنه فعل وفاعل ومفعول وهذا شاذ غريب جدًا][٢] .

وقد روىٰ أبو بكر بن أبي داود(١٣٦) في ذلك شيئًا غريبًا حيث قال : حدّثنا أبو عبد الرحمن

---

(١٣٥) – رواه مسلم في التوبة برقم ٢٣ – (٢٧٥٥) .

(١٣٦) – رواه أبو بكر بن أبي داود في المصاحف (ص ٩٣) ، وعدي بن الفضل : ساقط . وروى الحاكم في المستدرك (٢/٢٣٢) من طريق ابن فضيل ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة أن النبي ، صلى اللَّه عليه وسلم قرأ : « مَلِكِ يوم الدين »

وروى أبو بكر بن أبي داود في المصاحف (ص ٩٤) عن هشام بن يونس ، عن حفص – يعني : ابن غياث =

---

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

الأَذْرميُّ ، حدّثنا عبد الوهاب عن[١] عدي بن الفضل ، عن أبي المطرف ، عن ابن شهاب - أنه بلغه أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم وأبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية وابنه يزيد بن معاوية كانوا يقرءون : ﴿ **مالك يوم الدين** ﴾ قال ابن شهاب : وأول من أحدث « ملك » مروان .

(قلت) : مروان عنده علم بصحة ما قرأه ، لم يطلع عليه ابن شهاب ، واللَّه أعلم .

وقد روي من طرق متعدّدة(١٣٧) أوردها ابن مردويه أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم كان يقرؤها : ﴿ **مالك يوم الدين** ﴾ ، ومالك مأخوذ من المِلك كما قال تعالى : ﴿ **إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون** ﴾ وقال : ﴿ **قل أعوذ برب الناس * ملك الناس** ﴾ ، وملك مأخوذ من المُلك كما قال تعالى : ﴿ **لمن الملك اليوم للَّه الواحد القهار** ﴾ وقال : ﴿ **قوله الحق وله الملك** ﴾ ، وقال : ﴿ **الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يومًا على الكافرين عسيرًا** ﴾ .

وتخصيص[٢] الملك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه ؛ لأنه قد تقدّم الإخبار بأنه رب العالمين ، وذلك عام في الدنيا والآخرة ، وإنما أضيف إلى يوم الدين ؛ لأنه لا يدعي أحد هنالك شيئًا ، ولا يتكلم أحد إلا بإذنه . كما قال تعالى : ﴿ **يوم يقوم الروح والملائكة صفًّا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابًا** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلّا همسًا** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد** ﴾ .

وقال الضحاك : عن ابن عباس : ﴿ **مالك يوم الدين** ﴾ يقول : لا يملك أحد في ذلك اليوم معه حكمًا ، كملكهم في الدنيا . قال : ويوم الدين يوم الحساب للخلائق وهو يوم القيامة ، يدينهم[٣] بأعمالهم إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر ، إلا من عفا عنه . وكذلك قال غيره من الصحابة والتابعين والسلف وهو ظاهر .

وحكى ابن جرير عن بعضهم أنه ذهب إلى [أن][٤] تفسير مالك يوم الدين - أنه القادر على

= عن ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، عن أم سلمة قالت : **قام رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم من الليل فقرأ الحمد للَّه فقطعها وقرأ** « **مَلِكِ يوم الدين** » . وروى نحوه (ص ٩٤) عن بعض أزواج النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم .

وروى الحاكم في المستدرك (٢٣٢/٢) من طريق ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، عن أم سلمة أنها كانت تقرأ : « مَلِكِ يوم الدين » .

قال أبو بكر بن أبي داود : سمعت أبي يقول في هذا الحديث : إنما هو حديث تقطيع القراءة والترسل فيها وأما قوله ﴿ مَلِكِ ﴾ فيقال : إنها قراءة ابن جريج لا أنه رواها عن ابن أبي مليكة .

(١٣٧) - انظر كتاب المصاحف لأبي بكر بن أبي داود ص ٩٣ .

[١] - في الأصلين : بن . والمثبت من المصاحف . [٢] - في ز ، خ : « وتخصص » .
[٣] - في ز : يدنيهم . [٤] - زيادة من ز .

إقامته، ثم شرع يضعفه

والظاهر أنه لا منافاة بين هذا القول وما تقدّم، وأن كلًّا من القائلين هذا[١] القول وبما قبله يعترف بصحة القول الآخر ولا ينكره، ولكن السياق أدل على المعنى الأوّل من هذا. كما قال تعالى: ﴿**الملك يومئذ الحق للرحمن**﴾. والقول الثاني يشبه[٢] قوله تعالى: ﴿**ويوم يقول كن فيكون**﴾، والله أعلم.

[والملك في الحقيقة هو الله عزَّ وجلَّ قال الله تعالى: ﴿**هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام**﴾.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة(١٣٨) -رضي الله عنه- مرفوعًا: «**أخنع اسم عند الله رجل تسمى بملك الأملاك، ولا مالك إلا الله**».

وفيهما(١٣٩) عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟ أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟**». وفي القرآن العظيم ﴿**لمن الملك اليوم لله الواحد القهار**﴾ فأمّا تسمية غيره في الدنيا بملك فعلى سبيل المجاز. كما قال تعالى: ﴿**إن الله قد بعث لكم طالوت ملكًا**﴾ ﴿**وكان وراءهم ملك**﴾ ﴿**إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكًا**﴾.

وفي الصحيحين(١٤٠): «**مثل الملوك على الأسرة**».

---

(١٣٨) - رواه البخاري في الأدب من صحيحه، باب: أبغض الأسماء إلى الله برقم (٦٢٠٦). ومسلم في الآداب برقم (٢١٤٣)، وأبو داود في الأدب، باب: في تغيير الاسم القبيح برقم (٤٩٦١)، والترمذي في الأدب، باب: ما يكره من الأسماء برقم (٢٨٣٧)، ورواه أحمد (٧٢٨٥)، جميعاً من حديث أبي هريرة.

(١٣٩) - رواه البخاري في التفسير، باب: قوله تعالى ﴿ والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات ﴾ برقم (٤٨١٢)، وأطرافه في الرقاق (٦٥١٩)، وفي التوحيد (٧٣٩٢)، ومسلم في صفة القيامة والجنة والنار (٢٧٨٧)، وابن ماجه في المقدمة، باب: فيما أنكرت الجهمية برقم (١٩٢)، وأحمد (٨٦٤٦)، والدارمي في الرقاق (٢٧٩٩)، جميعاً من حديث أبي هريرة.

(١٤٠) - رواه البخاري في الجهاد والسير، باب: الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء برقم (٢٧٨٩). وفي الجهاد والسير برقم (٢٨٧٨)، وفي الاستئذان (٦٢٦٢)، وفي التعبير (٧٠٠٢)، ورواه مسلم في الإمارة برقم (١٩١٢)، والترمذي في فضائل الجهاد عن رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، باب: ما جاء في غزو البحر (١٦٤٥)، والنسائي في الجهاد، باب: فضل الجهاد في البحر (٣١٧١)، وأحمد (٣/ ٢٤٠)، ومالك في الجهاد، باب: الترغيب في الجهاد (١٠١١). جميعاً من حديث أنس بن مالك في حديث طويل.

---

[١] - في ز، خ: «بهذا». [٢] - في خ: «شبه».

والدين: الجزاء والحساب. كما قال تعالى: ﴿**يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق**﴾ وقال: ﴿**أئنا لمدينون**﴾ أي: مجزيون محاسبون، وفي الحديث: «**الكيّس من دان نفسه وعَمِل لما بعد الموت**»(١٤١). أي: حاسب نفسه. كما قال عمر رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتأهبوا للعرض الأكبر على من لا تخفى عليه أعمالكم ﴿**يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية**﴾][١].

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾

[قرأ السبعة والجمهور بتشديد الياء من « إياك »، وقرأ عمرو بن فايد بتخفيفها مع الكسر، وهي قراءة شاذة مردودة؛ لأن « إيا » ضوء الشمس، وقرأ بعضهم « أياك » بفتح الهمزة وتشديد الياء، وقرأ بعضهم: هياك بالهاء بدل الهمزة، كما قال الشاعر:

فهياك والأمر الذي إن تراحبت ... موارده ضاقت عليك مصادره

و« نستعين » بفتح النون أوّل الكلمة في قراءة الجميع سوى يحيى بن وثاب، والأعمش فإنهما كسراها. وهي لغة بني أسد وربيعة وبني تميم][٢].

والعبادة في اللغة من الذلة يقال: طريق معبّد وبعير معبد أي مذلّل، وفي الشرع عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف.

وقدّم المفعول وهو إياك وكرّر للاهتمام والحصر، أي لا نعبد إلا إياك، ولا نتوكل إلا عليك، وهذا هو كمال الطاعة. والدين يرجع كله إلى هذين المعنيين. وهذا كما قال بعض السلف: الفاتحة سر القرآن وسرها هذه الكلمة ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ فالأوّل تبرؤ من الشرك،

---

(١٤١) - **ضعيف**، رواه الترمذي (٢٤٥٩) وحسنه، وابن ماجه (٤٢٦٠)، وأحمد (١٢٤/٤)، وفي الزهد ص (٣٨)، وابن المبارك في الزهد (١٧١)، والطيالسي (١١٢٢)، والطبراني في الكبير (٧١٤٣/٧)، وفي مسند الشاميين (١٤٨٥)، والحاكم (٥٧/١، ٢٥١/٤)، والبيهقي في الكبرى (٣٦٩/٣)، وفي الشعب (١٠٥٤٦)، وأبو نعيم في الحلية (٢٦٧/١، ٢٦٨، ١٧٤/٨)، والخطيب في التاريخ (٥٠/١٢) من طريق أبي بكر بن أبي مريم، عن ضمرة بن حبيب، عن شداد بن أوس مرفوعاً، وقال الحاكم: صحيح على شرط البخاري، وتعقبه الذهبي فقال: لا، والله، في سنده أبو بكر بن أبي مريم، وهو واهٍ. وقال ابن عدي (٤٧٣/٢): ولأبي بكر بن أبي مريم غير ما ذكرت من الحديث، والغالب على حديثه الغرائب، وقل ما يوافقه الثقات، وأحاديثه صالحة، وهو ممن لا يحتج بحديثه، وله متابعة عند الطبراني بسندٍ ضعيف جدًا (٧١٤١/٧).

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من :ز، خ.

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ.

والثاني تبرؤ من الحول والقوّة والتفويض إلى اللَّه عزَّ وجلَّ ، وهذا المعنى في غير آية من القرآن ، كما قال تعالى : ﴿ **فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما يعملون**[١] ﴾ . ﴿ **قل : هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا** ﴾ . ﴿ **رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلًا** ﴾ . وكذلك هذه الآية الكريمة : ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ .

وتحوّل الكلام من الغيبة إلى المواجهة بكاف الخطاب ، وهو مناسبه ؛ لأنه لما أثنى على اللَّه تعالى فكأنه اقترب وحضر بين يدي اللَّه تعالى ، فلهذا قال : ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ . وفي هذا دليل على أن أوّل السورة خبر من اللَّه تعالى بالثناء على نفسه الكريمة بجميل صفاته الحسنى ، وإرشاد لعباده بأن[٢] يثنوا عليه بذلك ؛ ولهذا لا تصح صلاة من لم يقل ذلك وهو قادر عليه . كما جاء في الصحيحين(١٤٢) ، عن عبادة بن الصامت أنَّ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قال : « **لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة[٣] الكتاب** » .

وفي صحيح مسلم(١٤٣) ، من حديث العلاء بن عبد الرحمن [مولى الحُرَقة][٤] ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **يقول اللَّه تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، فنصفها لي ، ونصفها لعبدي ، ولعبدي ما سأل ، إذا قال العبد : ﴿ الحمد للَّه رب العالمين ﴾ قال اللَّه[٥] : حمدني عبدي . وإذا قال : ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ قال اللَّه[٦] : أثنى عليَّ عبدي . فإذا قال : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ قال اللَّه : مجدني عبدي . فإذا[٧] قال : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ قال : هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل . فإذا قال : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ قال : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل** » .

وقال الضحاك عن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - : ﴿ **إياك نعبد** ﴾ يعني إياك نوحد ونخاف ونرجو يا ربنا لا غيرك ﴿ **وإياك نستعين** ﴾ [على طاعتك وعلى أمورنا كلها .

وقال قتادة ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾][٨] يأمركم أن تخلصوا له العبادة ، وأن تستعينوه على

(١٤٢) - رواه البخاري في كتاب الأذان ، باب (٩٥) برقم (٧٥٦) ، ومسلم في الصلاة برقم (٣٩٤) ، والحديث رواه أبو داود في الصلاة ، باب : من ترك القراءة في صلاته برقم (٨٢٢) ، والترمذي في الصلاة ، باب : ما جاء في أنه لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب برقم (٢٤٧) . وفي باب : ما جاء في القراءة خلف الإمام برقم (٣١١) . والنسائي في الافتتاح برقم (٩١٠ ، ٩١١) .

(١٤٣) - رواه مسلم في الصلاة برقم ٢٨ - (٣٩٥) .

[١] - في ت : « تعملون » .
[٢] - في ز : أن .
[٣] - في ز : فاتحة .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - سقط من : ز ،خ .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز : وإذا .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

أموركم[١] . وإنما قدّم : ﴿ **إياك نعبد** ﴾ على ﴿ **وإياك نستعين** ﴾ لأن العبادة له هي المقصودة ، والاستعانة وسيلة إليها ، والاهتمام والحزم هو[٢] تقديم[٣] ما هو الأهم فالأهم والله أعلم .

[فإن قيل : فما معنى النون في قوله تعالى : ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ فإن كانت للجمع فالداعي واحد ، وإن كانت للتعظيم فلا يناسب هذا المقام . وقد أجيب بأن المراد من ذلك الإخبار عن جنس العباد ، والمصلي فرد منهم ، ولا سيما إن كان في جماعة أو إمامهم فأخبر عن نفسه وعن إخوانه المؤمنين بالعبادة التي خلقوا لأجلها ، وتوسط لهم بخير .

ومنهم من قال : يجوز أن تكون للتعظيم كأن العبد قيل له : إذا كنت داخل العبادة فأنت شريف ، وجاهك عريض فقل : ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ . وإن كنت خارج العبادة فلا تقل نحن ولا فعلنا ، ولو كنت في مائة ألف أو ألف ألف لاحتياج الجميع إلى الله عزَّ وجلَّ وفقرهم إليه .

ومنهم من قال : ﴿ **إياك نعبد** ﴾ ألطف في التواضع من إياك عَبَدْنا ؛ لما في الثاني من تعظيم نفسه ، من جعله نفسه وحده أهلاً لعبادة الله تعالى الذي لايستطيع أحد أن يعبده حق عبادته ، ولا يثني عليه كما يليق به ، والعبادة مقام عظيم يشرف به العبد لانتسابه إلى جناب الله تعالى كما قال بعضهم :

لا تدعني إلا بيا عبدها فإنه أشرف أسمائي

وقد سمى الله رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبده في أشرف مقاماته فقال : ﴿ **الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب** ﴾ ﴿ **وأنه لما قام عبد الله يدعوه** ﴾ ﴿ **سبحان الذي أسرىٰ بعبده ليلاً** ﴾ فسماه عبدًا عند إنزاله عليه ، وعند قيامه في الدعوة ، وإسرائه به ، وأرشده إلى القيام بالعبادة في أوقات يضيق صدره من تكذيب المخالفين حيث يقول : ﴿ **ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** ﴾ .

وقد حكىٰ الرازي في تفسيره عن بعضهم : أنّ مقام العبودية أشرف من مقام الرسالة ؛ لكون العبادة تصدر من الخلق إلى الحق ، والرسالة من الحق إلى الخلق . قال : ولأن الله يتولّىٰ مصالح عبده والرسول يتولّىٰ مصالح أمته .

وهذا القول خطأ ، والتوجيه أيضًا ضعيف لا حاصل له ، ولم يتعرّض له الرازي بتضعيف ولا ردّ . وقال بعض الصوفية : العبادة إما لتحصيل ثواب أو درء عقاب . قالوا : وهذا ليس بطائل إذ

---

[١] - في ز ، خ : « أمركم » .
[٢] - سقط من : م .
[٣] - في ز ، خ : « أن يقدم » .

مقصوده تحصيل مقصوده، وإما للتشريف بتكاليف اللّٰه تعالى.

وهذا أيضا عندهم ضعيف، بل العالي أن يعبد اللّٰه لذاته المقدسة الموصوفة بالكمال قالوا: ولهذا يقول المصلي: أصلي للّٰه. ولو كان لتحصيل الثواب ودرء العقاب لبطلت الصلاة.

وقد ردّ ذلك عليهم آخرون وقالوا: كون العبادة للّٰه عزَّ وجلَّ لا ينافي أن يطلب معها ثوابًا ولا أن يدفع عذابًا، كما قال ذلك الأعرابي: أما إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ، إنما أسأل اللّٰه الجنة وأعوذ به من النار. فقال النبي صلى اللّٰه عليه وسلم: «**حولها ندندن**»(١٤٤).

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾

قراءة الجمهور بالصاد وقرىء السراط، وقرئ بالزاي، قال الفراء: وهي لغة بني عذرة وبني كلب][١]. لما تقدّم الثناء على المسئول تبارك وتعالى ناسب أن يعقب بالسؤال كما قال: «**فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل**». وهذا أكمل أحوال السائل، أن يمدح مسئوله، ثم يسأله حاجته [وحاجة إخوانه المؤمنين بقوله: ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾][٢] لأنه أنجح للحاجة وأنجع للإجابة، ولهذا أرشد اللّٰه تعالى إليه لأنه الأكمل.

وقد يكون السؤال بالإخبار عن حال السائل واحتياجه، كما قال موسى -عليه السلام-: ﴿**رب إني لما أنزلت إليَّ من خير فقير**﴾ وقد يتقدّمه مع ذلك وصف المسئول كقول ذي النون: ﴿**لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين**﴾. وقد يكون بمجرّد الثناء على المسئول، كقول الشاعر:

---

(١٤٤) - **صحيح**، رواه أحمد في المسند ١٥٩٤٣ - (٣/٤٧٤)، وأبو داود في الصلاة، باب: في تخفيف الصلاة برقم (٧٩٢)، كلاهما من حديث سليمان بن مهران الأعمش، عن أبي صالح، عن بعض أصحاب النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم.

ورواه ابن ماجه في الصلاة، باب: في التشهد، والصلاة على النبي، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم (٩١٠) وفي الدعاء، باب: الجوامع من الدعاء (٣٨٤٧) وابن حبان في صحيحه برقم (٥١٤ موارد) من طريق الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، رضي اللّٰه عنه. وقال البوصيري في زوائده: إسناده صحيح ورجاله ثقات. وصححه الألباني في صحيح أبي داود حديث ٧١٠. وصحيح ابن ماجه حديث ٧٤٢.

وقوله: «حولها ندندن» وروي: «عنهما ندندن» الدَّنْدَنة: أن يتكلم الرجل بالكلام تُسمَع نغمته ولا يُفْهَم، وهو أرفع من الهينمة قليلاً. والضمير في حولهما للجنة والنار: أي حولهما ندندن وفي طلبهما، ومنه دندن الرجل إذا اختلف في مكان واحدٍ مجيئًا وذهابًا. وأمَّا عنهما ندندن فمعناه أن دندنتنا صادرة عنهما وكائنة بسببهما. نهاية [٢/١٣٧].

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ. [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

أأذكرُ حاجتي أم قد كفانِي حياؤك إنَّ شيمتَكَ الحياءُ
إذا أثنىٰ عليك المرءُ يومًا كفاهُ مِنْ تعرضِه الثناءُ

والهداية هاهنا الإرشاد والتوفيق، وقد تُعدى الهداية بنفسها كما [ها هنا][١] : ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم** ﴾ فتضمن معنى ألهمنا أو وفقنا أو ارزقنا أو أعطنا، ﴿ **وهديناه النجدين** ﴾ أي: بينا له الخير والشر وقد تعدى بإلى كقوله تعالى: ﴿ **اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم** ﴾. ﴿ **فاهدوهم إلى صراط الجحيم** ﴾ وذلك بمعنى الإرشاد والدلالة، وكذلك قوله تعالى: ﴿ **وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم** ﴾ وقد تُعدى باللام كقول أهل الجنة: ﴿ **الحمد لله الذي هدانا لهذا** ﴾ أي وفقنا لهذا وجعلنا له أهلًا[٢].

وأما الصراط المستقيم فقال الإمام أبو جعفر بن جرير: أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعًا على أن الصراط المستقيم هو: الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه.

وكذلك في لغة جميع العرب، فمن ذلك قول جرير بن عطية الخطفي:

أميـر المؤمنين علـى صراط إذا اعـوج الموارد مستقيم

قال: والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصر. قال: ثم تستعيرُ العرب الصراط فتستعمله في كل قول وعمل وُصف باستقامة أو اعوجاج، فتصف المستقيم باستقامته والمعوج باعوجاجه.

ثم اختلفت عبارات المفسرين من السلف والخلف في تفسير الصراط، وإن كان يرجع حاصلها إلى شيء واحد وهو المتابعة لله وللرسول، فروي أنه كتاب الله.

قال ابن أبي حاتم(١٤٥) : حدّثنا الحسن بن عرفة، حدّثني يحيى بن يمان، عن حمزة الزيات، عن سعد - [وهو أبو[٣] المختار الطائي][٤] - عن ابن أخي الحارث الأعور، عن الحارث الأعور، عن علي ابن أبي طالب [- رضي الله عنه -] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **الصراط المستقيم كتاب الله** ».

وكذلك رواه ابن جرير من حديث حمزة بن حبيب الزيات، [وقد تقدّم في فضائل القرآن][٥] وقد رواه أحمد والترمذي (١٤٦) من رواية الحارث الأعور، عن علي مرفوعًا « **وهو حبل الله**

(١٤٥) - **ضعيف جداً** : في سنده ابن أخي الحارث مجهول، والحارث: ضعيف، وسعد الطائي مجهول. والحديث في تفسير ابن أبي حاتم ٣٢ - (١/٢٠).

(١٤٦) - **ضعيف جدًا كالذي قبله**، رواه أحمد (١/٩١) ورواه الترمذي في فضائل القرآن، باب: ما جاء في فضل القرآن برقم (٢٩٠٦). وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده =

[١] - في خ: هنا.
[٢] - سقط من ز.
[٣] - في ز: ابن.
[٤] - سقط من: خ.
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم».

وقد روي هذا موقوفًا عن علي -رضي الله عنه-، وهو أشبه(١٤٧)، والله أعلم.

وقال الثوري عن منصور عن أبي وائل، عن عبد الله قال(١٤٨): الصراط المستقيم كتاب الله. وقيل: هو الإسلام. وقال الضحاك: عن ابن عباس قال: قال جبريل لمحمد عليهما السلام: قل يا محمد: اهدنا الصراط المستقيم. يقول: اهدنا الطريق[١] الهادي، وهو دين الله الذي لا عوج فيه.

وقال ميمون بن مهران(١٤٩): عن ابن عباس، في قوله تعالى: **﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾** قال: ذاك الإسلام.

وقال إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: **﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾** قالوا: هو الإسلام(١٥٠).

= مجهول وفي الحارث مقال.

(١٤٧) - رواه موقوفًا ابن جرير في تفسيره ١٧٥ - (١٧٢/١) وقد سبق الكلام على هذا الحديث في فضائل القرآن.

(١٤٨) - ورواه ابن جرير (١٧٧)، والحاكم (٢٥٨/٢)، وقال: صحيح على شرط الشيخين. كذا قال، وبالنظر إلى تمام الإسناد يتبين لك عدم صحة قوله - رحمه الله - فقد رواه من طريق الحسن بن علي بن عفان، عن أبي داود الحفري عمر بن سعد، عن الثوري، فالحفري من رجال مسلم دون البخاري، والحسن بن علي من رجال ابن ماجه وحده.

(١٤٩) - تفسير ابن جرير برقم ١٨٠ - (١٧٤/١) من حديث موسى بن سهل الرازي، عن يحيى بن عوف، عن الفرات بن السائب، عن ميمون، به. الفرات بن السائب: أبو سليمان وقيل: أبو المعلى الجزري، عن ميمون بن مهران، قال البخاري: منكر الحديث تركوه. وقال يحيى بن معين: ليس بشيء. وقال الدارقطني وغيره: متروك. وقال أحمد بن حنبل: قريب من محمد بن زياد الطحان في ميمون يتهم بما يتهم به ذاك. وقال أحمد: كذاب أعور يضع الحديث. وقال أبو حاتم الرازي: ضعيف الحديث، منكر الحديث. وقال الساجي: تركوه. وقال النسائي: متروك الحديث. وقال عباس: عن يحيى بن معين: منكر الحديث. وقال أبو أحمد الحاكم: ذاهب الحديث. وقال ابن عدى: له أحاديث غير محفوظة، وعن ميمون مناكير (اللسان ٤٣٠/٤، الكشف الحثيث ٢٠٨. التاريخ الكبير ١٣٠/٧، الكامل ٢٢/٦).

(١٥٠) - ابن جرير برقم (١٦٨، ١٨٢)، والحاكم (٢٥٨/٢)، وأبو صالح هو مولى أم هانئ، واسمه باذام، ويقال: باذان، وفيه كلام كثير، والصواب في حاله أنه ضعيف، وهو يروي في التفسير =

[١] - في ز، خ: «الصراط».

وقال عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر(١٥١) : ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم** ﴾ قال : الإسلام ، هو أوسع مما بين السماء والأرض .

وقال ابن الحنفية(١٥٢) في قوله تعالى : ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم** ﴾ قال : هو دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم(١٥٣) : ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم** ﴾ قال : هو الإسلام .

وفي معنى هذا ؛ الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده ، حيث قال : حدّثنا الحسن بن سوار أبو العلاء ، حدّثنا ليث - يعني ابن سعد - عن معاوية بن صالح - أنّ عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، حدّثه عن أبيه ، عن النواس بن سمعان ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **ضرب الله مثلاً صراطًا مستقيمًا وعلى جنبتي**[١] **الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى باب الصراط داع يقول يا أيها الناس ، ادخلوا الصراط [جميعًا ولاتعوجوا . وداع يدعو من فوق**[٢] **الصراط]**[٣] ، **فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئًا من تلك الأبواب قال : ويحك ! لا تفتحه ، فإنك إن تفتحه تلِجْه . فالصراط الإسلام ، والسوران حدود الله ، والأبواب المفتحة محارم الله ، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله ، والداعي من فوق الصراط**[٤] **واعظ الله في**[٥] **قلب كل مسلم** » .

وهكذا رواه ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث الليث بن سعد به(١٥٤) .

ورواه الترمذي والنسائي جميعًا(١٥٥) ، عن علي بن حجر ، عن بقية ، عن بحير بن سعد ، عن

= ما لم يتابعه أهل التفسير عليه فيما قاله ابن عدي ، لكنه متابع بأبي مالك الغفاري .

(١٥١) - ابن نصر في السنة (٢٥) ، وابن جرير (١٧٨) ، والحاكم (٢/٢٥٨ - ٢٥٩) ، وإسناده حسن ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد .

(١٥٢) - ابن جرير بإسنادٍ ضعيف (١٨١) .

(١٥٣) - ابن جرير (١٨٥) .

(١٥٤) - المسند ١٧٦٨٥ - (٤/١٨٢) ، وتفسير ابن أبي حاتم ٣٣ - (١/٢١) مختصراً ، وتفسير ابن جرير ١٨٦ ، ١٨٧ - (١/١٧٦) مختصراً . والبيهقي في الشعب (٧٢١٦) ، والأصبهاني في الترغيب (٧٤٣) ، والطحاوي في مشكل الآثار (٢/٤٢٣) ، (٣/٣٥) ، وابن أبي عاصم في السنة (١٩) . والحسن ابن سوار : صدوق .

(١٥٥) - رواه الترمذي في الأمثال ، باب : ما جاء في مثل الله عز وجل لعباده بنحوه =

[١] - في خ : « جانبي » . [٢] - في المسند : جوف .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز : من .

خالد بن معدان، عن جبير بن نفير، عن النوّاس بن سمعان، به.

وهو إسناد حسن صحيح، والله أعلم.

وقال مجاهد(١٥٦) : ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ قال: الحق. وهذا أشمل، ولا منافاة بينه وبين ما تقدّم.

وروى ابن أبي حاتم وابن جرير(١٥٧)، من حديث أبي النضر هاشم بن القاسم، حدثنا[١] حمزة ابن المغيرة، عن عاصم الأحول، عن أبي العالية: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ قال: هو النبي صلى الله عليه وسلم وصاحباه من بعده. قال عاصم: فذكرنا ذلك للحسن، فقال: صدق أبو العالية، ونصح.

وكل هذه الأقوالِ صحيحةٌ، وهي متلازمة؛ فإنّ من اتبع النبي صلى الله عليه وسلم واقتدى باللذين من بعده أبي بكر وعمر - فقد اتبع الحق، ومن اتبع الحق فقد اتبع الإسلام، ومن اتبع الإسلام فقد اتبع القرآن، وهو كتاب الله وحبله المتين، وصراطه المستقيم، فكلها صحيحة يصدّق بعضها بعضًا، ولله الحمد.

وقال الطبراني(١٥٨) : حدثنا محمد بن الفضل السقطي، حدثنا إبراهيم بن مهدي المصيصي، حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عبد الله قال ﴿الصراط المستقيم﴾ الذي تركنا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولهذا قال الإمام أبو جعفر بن جرير - رحمه الله -: والذي هو أولى بتأويل هذه الآية عندي - أعني - ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ أن يكون معنيًّا به: وفقنا للثبات على ما ارتضيته، ووفقت له من أنعمت عليه من عبادك من قول وعمل، وذلك هو الصراط المستقيم؛ لأنّ من وفق لما وفق له من أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين[٢] فقد وفق للإسلام، وتصديق الرسل والتمسك بالكتاب، والعمل بما أمره الله به والانزجار عما زجره عنه، واتباع منهاج النبي

= حديث ٢٨٥٩، النسائي في الكبرى برقم (١١٢٣٣)، وأحمد ١٧٦٨٧ - (١٨٢/٤)، وأخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب الإيمان (٧٣/١).

(١٥٦) - ابن أبي حاتم (٣٥).

(١٥٧) - تفسير ابن أبي حاتم ٣٤ - (٢١/١)، وتفسير ابن جرير ١٨٤ - (١٧٥/١)، وأورده السيوطي في الدر المنثور، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن عدي، وابن عساكر. ورواه الحاكم عن أبي العالية عن ابن عباس وصححه (٢٥٩/٢).

(١٥٨) - المعجم الكبير ١٠٤٥٤ - (٢٤٥/١٠) وسنده صحيح.

[١] - في خ: أنبأنا. [٢] - سقط من: ز، خ.

صلى اللَّه عليه وسلم ومنهاج الخلفاء الأربعة وكل عبد صالح، وكل ذلك من الصراط المستقيم.

(فإن قيل) : فكيف يسأل المؤمن الهداية في كل وقت من صلاة وغيرها وهو متصف بذلك؟ فهل[١] هذا من باب تحصيل الحاصل أم لا ؟

فالجواب أن لا، ولولا احتياجه ليلًا ونهارًا إلى سؤال الهداية لما أرشده اللَّه تعالى إلى ذلك، فإنّ العبد مفتقر في كل ساعة وحالة إلى اللَّه تعالى، في تثبيته على الهداية ورسوخه فيها، وتبصره وازدياده منها، واستمراره عليها، فإنّ العبد لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا إلا ما شاء اللَّه، فأرشده تعالى إلى أن يسأله في كل وقت أن يمده بالمعونة والثبات والتوفيق، فالسعيد من وفقه اللَّه تعالى لسؤاله، فإنه تعالى قد تكفل بإجابة الداعي إذا دعاه، ولا سيما المضطر المحتاج المفتقر إليه آناء الليل وأطراف النهار.

وقد قال تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا آمنوا باللَّه ورسوله والكتاب الذي نزّل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل**﴾. الآية. فقد أمر الذين آمنوا بالإيمان، وليس [ذلك من باب][٢] تحصيل الحاصل ؛ لأنّ المراد الثبات والاستمرار والمداومة على الأعمال المعينة على ذلك، واللَّه أعلم.

[وقال تعالى، آمرًا لعباده المؤمنين أن يقولوا : ﴿**ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب**﴾ وقد كان الصدّيق - رضي اللَّه عنه - يقرأ بهذه الآية في الركعة الثالثة من صلاة المغرب بعد الفاتحة سرًّا، فمعنى قوله تعالى : ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾ استمرّ بنا عليه ولا تعدل بنا إلى غيره][٣] (١٥٩).

صِرَاطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧

قد تقدّم الحديث فيما إذا قال العبد : اهدنا الصراط المستقيم إلى آخرها أن اللَّه يقول : «**هذا لعبدي ولعبدي ما سأل**». وقوله تعالى : ﴿**صراط الذين أنعمت عليهم**﴾ مفسر للصراط المستقيم، وهو بدل منه عند النحاة، ويجوز أن يكون عطف بيان، واللَّه أعلم.

والذين [أنعم اللَّه][٤] عليهم هم المذكورون في سورة النساء حيث قال تعالى : ﴿**ومن يطع اللَّه والرسول فأولئك مع الذين أنعم اللَّه عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين**

---

(١٥٩) - مالك في الموطأ، وعبد الرزاق (٢/٢٦٩٨)، وابن المنذر في الأوسط (٣/١١٢).

---

[١] - في ز : وهل. [٢] - في ز، خ : في ذلك.
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ. [٤] - في ز، خ : «أنعمت».

وحسن أولئك رفيقًا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليمًا﴾ .

وقال الضحاك(١٦٠) : عن ابن عباس : صراط الذين أنعمت عليهم بطاعتك ، وعبادتك ، من ملائكتك ، وأنبيائك ، والصدّيقين ، والشهداء ، والصالحين ، وذلك نظير ما قال ربنا تعالى : **﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم﴾** الآية .

وقال أبو جعفر الرازي : عن الربيع بن أنس : **﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾** قال : هم النبيّون .

وقال ابن جريج(١٦١) : عن ابن عباس : هم المؤمنون . وكذا قال مجاهد . وقال وكيع : هم المسلمون . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هم : النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه .

والتفسير المتقدّم عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أعم[١] وأشمل ، [والله أعلم][٢] .

وقوله تعالى : **﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾** [قرأ الجمهور **﴿غير﴾** بالجر على النعت . قال الزمخشري : وقريء بالنصب على الحال ، وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب ، ورويت عن ابن كثير ، وذو الحال الضمير في عليهم ، والعامل أنعمت عليهم][٣] يعني اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ممن تقدّم وصفهم ونعتهم ، وهم : أهل الهداية والاستقامة ، والطاعة لله ورسله ، وامتثال أوامره وترك نواهيه وزواجره - غير صراط المغضوب عليهم - وهم[٤] الذين فسدت إرادتهم[٥] ، فعلموا الحق وعدلوا عنه ، ولا صراط الضالين [وهم الذين][٦] فقدوا[٧] العلم ، فهم هائمون في الضلالة لا يهتدون إلى الحق . وأكد الكلام بـ " لا " ، ليدل على أن ثَمَّ مسلكين فاسدين ، وهما طريقتا اليهود والنصارى .

وقد زعم بعض النحاة أنَّ غير هاهنا استثنائية ، فيكون على هذا منقطعًا لاستثنائهم من المنعم عليهم وليسوا منهم ، وما أوردناه أولى لقول[٨] الشاعر(١٦٢) :

كأنك من جِمال بني أقيش يقعقع عند رجليه بشنٍّ

---

(١٦٠) - رواه ابن جرير (١٨٨) ، وابن أبي حاتم (٣٨) ، والضحاك لم يسمع من ابن عباس فهو ضعيف .

(١٦١) - ابن جريج لم يسمع من ابن عباس ، فهو منقطع ، ورواه الطبري (١٩٠) .

(١٦٢) - هو النابغة الذبياني ، والبيت في تفسير ابن جرير (١/١٧٩) ، وهو في ديوانه (١٩٨) .

---

[١] - في خ : أشد .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ز : إراداتهم .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٧] - في ز ، خ : «فقد» .

[٨] - في ز ، خ : كقول .

أي : كأنك جمل من جمال بني أقيش ، فحذف الموصوف واكتفى بالصفة ، وهكذا غير المغضوب عليهم [أي : غير صراط المغضوب عليهم][١] اكتفي بالمضاف إليه عن ذكر المضاف ، وقد دلّ عليه سياق الكلام وهو قوله تعالى : ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم** ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ **غير المغضوب عليهم** ﴾ . ومنهم من زعم أنّ « لا » . في قوله تعالى : ﴿ **ولا الضالين** ﴾ زائدة ، وأنّ تقدير الكلام : عنده غير المغضوب عليهم والضالين ، واستشهد ببيت العجاج :

في بئر لا حور[٢] سعىٰ[٣] وما شعر(١٦٣)

أي في بئر حور[٤] ، والصحيح ما قدمناه ؛ ولهذا روى أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب فضائل القرآن(١٦٤) عن [أبي معاوية][٥] ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عمر بن الخطاب - رضي اللّه عنه - أنه كان يقرأ ﴿ **غير المغضوب عليهم وغير الضالين** ﴾ . [وهذا إسناد صحيح ، وكذلك حكي عن أبيّ بن كعب أنه قرأ كذلك][٦] ، وهو محمول على أنه صدر منهما[٧] على وجه التفسير .

فيدل على ما قلناه من أنه إنما جيء - « بلا[٨] » - لتأكيد النفي [لئلا يتوهم أنه معطوف على الذين أنعمت عليهم][٩] ، وللفرق بين الطريقتين لتجتنب كل واحد[١٠] منهما ، فإن طريقة أهل الإيمان مشتملة على العلم بالحق والعمل به ، واليهود فقدوا العمل ، والنصارى فقدوا العلم ؛ ولهذا كان الغضب لليهود ، والضلال للنصارىٰ ؛ لأن من علم وترك استحق الغضب بخلاف من لم يعلم . والنصارىٰ لما كانوا قاصدين شيئًا لكنهم لا يهتدون إلى طريقه[١١] ؛ لأنهم لم يأتوا الأمر من بابه ، وهو اتباع الرسول الحق - ضلوا ، وكل من اليهود والنصارى ضال مغضوب عليه ، لكن أخص أوصاف اليهود الغضب ، [كما قال تعالى عنهم : ﴿ **من لعنه اللّه وغضب عليه** ﴾][١٢] ، وأخص أوصاف النصارى الضلال [كما قال تعالى عنهم : ﴿ **قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرًا وضلوا عن سواءِ السبيل** ﴾][١٣] . وبهذا جاءت الأحاديث والآثار .

---

(١٦٣) - البيت في تفسير ابن جرير (١/١٩٠) .

(١٦٤) - فضائل القرآن (ص ٢٨٩ - ٢٩٠) ، وسعيد بن منصور (١٧٧) ، وابن أبي داود (٥١) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز ، خ : « جور » .
[٣] - في خ : سرى .
[٤] - في ز ، خ : « جور » .
[٥] - في الفضائل : معاوية .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز : منه .
[٨] - في ز ، خ : « بها » .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[١٠] - سقط من : ز ، خ .
[١١] - في خ : « طريقة » .
[١٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[١٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[وذلك واضح بيّن فيما][١] قال الإمام أحمد :

حدّثنا محمد بن جعفر ، ثنا شعبة قال[٢] سمعت سماك بن حرب ، يقول[٣] : سمعت عباد بن حبيش ، يحدّث عن عدي بن حاتم قال : جاءت خيلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذوا عمتي وناسًا ، فلما أتوا بهم إلى[٤] رسول الله صلى الله عليه وسلم صُفوا له ، فقالت : يا رسول الله ؛ ناء الوافد ، وانقطع الولد ، وأنا عجوز كبيرة . ما بي من خدمة ، فمُنَّ عليَّ مَنَّ الله عليك ! قال : « **من وافدك ؟** » . قالت : عدي بن حاتم . قال : « **الذي فرّ من الله ورسوله** » . قالت : فمنّ علي ، فلما رجع ، ورجل إلى جنبه ، ترى أنه علي ، قال : سليه حملانا[٥] ، فسألته ، فأمر لها قال : فأتتني فقالت : لقد فعلت فعلة ما كان أبوك[٦] يفعلها ، فإنه [قد] أتاه فلان فأصاب منه ، وأتاه فلان فأصاب منه ، فأتيته فإذا عنده امرأة وصبيان أو صبي ، وذكر قربهم من النبي صلى الله عليه وسلم قال : فعرفت أنه ليس بملك كسرىٰ ولا قيصر ، فقال : « **يا عدي ؛ ما أفرك ؟ أن يقال : لا إله إلا الله ؟ فهل من [ ][٧] إله إلا الله ؟ قال : ما أفرك أن يقال : الله أكبر ؟ فهل شيء أكبر من الله عزَّ وجلَّ ؟** » . قال : فأسلمت فرأيت وجهه استبشر وقال : « **إن المغضوب عليهم[٨] اليهود ، وإنّ الضالين النصارىٰ** »(١٦٥) . وذكر الحديث .

ورواه الترمذي من حديث سماك بن حرب ، وقال : حسن غريب لا نعرفه إلا من حديثه .

---

(١٦٥) - المسند ١٩٤٣٨ - (٣٧٨/٤) ، وأخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة فاتحة الكتاب برقم (٢٩٥٣) ، وابن حبان في صحيحه (٧٢٠٦) (١٨٣/١٦-١٨٤) بنحوه مختصرًا . والطبراني في الكبير (٢٣٦) ورقم (٢٣٧) والمزي في تهذيب الكمال (١١٠/١٤) (٩٨/١٧-٩٩،١٠٠) ، والبيهقي في الدلائل (٣٣٩/٥-٣٤٠) من طرق عن سماك بن حرب ، عن عباد بن حبيش عن عدي بن حاتم ، به . وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث سماك بن حرب . وذكره الهيثمي في المجمع (٢١١/٦) مطولًا وقال : « رواه أحمد والطبراني ، ورجاله رجال الصحيح غير عباد بن حبيش ، وهو ثقة ، وفي الصحيح وغيره بعضه . اهـ

قلت : عباد بن حبيش : ذكره الذهبي في الميزان (٧٩/٣) ت (٤١١٢) وقال : « شيخ لسماك بن حرب . لا يعرف ، له عن عدي بن حاتم » . وقال الحافظ ابن حجر في التهذيب (٧٩/٥) (١٥٢) : جهله ابن القطان . وقال في التقريب ت (٣١٢٤) : مقبول . وذكره البخاري في التاريخ الكبير (٣٣/٦) ت (١٥٩٨) ، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٧٨/٦) ت (٤٠١) ، ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلًا . ومثل هذا لا يُحسَّن حديثه إلا إذا توبع ، ولم أقف على متابعة له بذكر الحديث بطوله هكذا ، =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من ز ، خ : [٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في خ : « حملا » . [٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز ، خ : لا . [٨] - سقط من : خ .

(قلت) : وقد رواه حماد بن سلمة(١٦٦) ، عن سماك ، عن مُرِّي بن قَطَرِيّ ، عن عدي بن حاتم قال : سألت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم عن قوله اللَّه تعالى : ﴿ **غير المغضوب عليهم** ﴾ قال : « هم اليهود » ﴿ **ولا الضالين** ﴾ قال : « **النصارىٰ هم الضالون** » .

وهكذا رواه سفيان بن عيينة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي ، عن عدي بن حاتم ، به(١٦٧) .

وقد روي حديث عدي هذا من طرق ، وله ألفاظ كثيرة يطول ذكرها .

وقال عبد الرزاق (١٦٨) : أخبرنا معمر ، عن بُدَيل العُقَيلي ، أخبرني عبد اللَّه بن شقيق أنه أخبره من سمع [رسول اللَّه][١] صلى اللَّه عليه وسلم وهو بوادي القُرىٰ ، وهو على فرسه ، وسأله رجل من بني القين ، فقال : يا رسول اللَّه ؛ من هؤلاء ؟ قال : « **المغضوب عليهم** – وأشار إلى اليهود – **والضالون هم النصارىٰ** » .

وقد رواه الجُرَيري وعروة وخالد الحَذَّاء عن عبد اللَّه بن شقيق ، فأرسلوه (١٦٩) ، ولم يذكروا من سمع النبي صلى اللَّه عليه وسلم .

ووقع في رواية عروة تسمية عبد اللَّه بن عمر ، فاللَّه أعلم .

وقد روى ابن مَرْدُويه من حديث إبراهيم بن طهمان ، عن بديل بن ميسرة ، عن عبد اللَّه بن شقيق عن أبي ذرّ قال : سألت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم عن المغضوب عليهم؟ قال : « **اليهود** » . قال : قلت : [ ][٢] الضالين[٣] ؟ قال : « **النصارى** »(١٧٠) .

= ولكن بعض فقرات الحديث صحيحة . والحديث أخرجه مختصرًا جدًّا الترمذي (٢٩٥٤) (١٨٧/٥) . وأبو داود الطيالسي (١٠٤٠) ولم يذكر عباد بن حبيش ، وإنما قال : « عمن سمع عدي بن حاتم » ، وابن حبان في صحيحه (٦٢٤٦) (١٣٩/١٤-١٤٠) ، (٧٣٦٥) (٣٦٥/١٦-٣٦٦) .

(١٦٦) – رواه ابن جرير في تفسيره ١٩٥ – (١٨٦/١) . وإسناده حسن .

(١٦٧) – رواه الحميدي في مسنده (٤٠٦/٢) عن سفيان ، به .

(١٦٨) – تفسير عبد الرزاق (٣٧/١) ، ورواه من طريقه ابن جرير في تفسيره ١٩٨ – (١٨٧/١) ، ورواه أحمد (٣٢/٥ – ٣٣) ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٣١١/٦) وقال : رجاله رجال الصحيح .

(١٦٩) – رواه ابن جرير في تفسيره (١٨٦/١،١٨٧) .

(١٧٠) – قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٥٩/٨) : « أخرجه ابن مردويه بإسناد حسن عن أبي ذر » .

---

[١] – في خ : « النبي » . [٢] – في ز ، خ : قال .

[٣] – في ز ، خ : « الضالون » .

وقال السُّدي: عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود، وعن أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ﴿**غير المغضوب عليهم**﴾: هم اليهود، ﴿**ولا الضالين**﴾: هم النصارى.

وقال الضحاك وابن جريج، عن ابن عباس: ﴿**غير المغضوب عليهم**﴾: اليهود[١]، ﴿**ولا الضالين**﴾: النصارى.

وكذا[٢] قال الربيع بن أنس، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وغير واحد. وقال ابن أبي حاتم: ولا أعلم بين المفسرين في هذا اختلافًا.

وشاهد ما قاله هؤلاء الأئمة من أن اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضالون، الحديث المتقدم، وقوله تعالى في خطابه مع بني إسرائيل في [سورة][٣] البقرة: ﴿**بئس ما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيًا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين**﴾. وقال في المائدة: ﴿**قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانًا [وأضل عن سواء السبيل]**[٤] ﴾. وقال تعالى: ﴿**لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون**﴾.

وفي السيرة(١٧١) عن زيد بن عمرو بن نفيل - أنه لما خرج هو وجماعة من أصحابه إلى الشام يطلبون الدين الحنيف، قالت له اليهود: إنك لن تستطيع الدخول معنا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله. فقال: أنا من غضب الله أفر، وقالت له النصارى: إنك لن تستطيع الدخول معنا حتى تأخذ بنصيبك من سخط الله. فقال: لا أستطيعه. فاستمرَّ على فطرته، وجانب عبادة الأوثان ودين المشركين، ولم يدخل مع أحد من اليهود ولا النصارىٰ.

وأما أصحابه فتنصروا ودخلوا في دين النصرانية؛ لأنهم وجدوه أقرب من دين اليهود إذ ذاك، وكان منهم ورقة بن نوفل حتى هداه الله بنبيه لما بعثه آمن بما وجد من الوحي، رضي الله عنه.

[**مسألة**: والصحيح من مذاهب العلماء أنه يغتفر الإخلال بتحرير ما بين الضاد والظاء لقرب

(١٧١) - انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢٢٤/١)، وأخرجه البخاري مطولاً (١٤٢/٧ - ١٤٣)، وعزاه في الإصابة بهذا السياق لأبي يعلى والبغوي، والروياني والطبراني والحاكم.

[١] - سقط من: خ.
[٢] - في ز: وكذلك.
[٣] - سقط من: ز، خ.
[٤] - في ز، خ: وأضل سبيلًا.

مخرجيهما وذلك أنّ الضاد مخرجها من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس، ومخرج الظاء من طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا؛ ولأن كلًّا من الحرفين من الحروف المجهورة، ومن الحروف الرخوة، ومن الحروف المطبقة، فلهذا كله اغتفر استعمال أحدهما مكان الآخر لمن لا يميز ذلك، والله أعلم. وأما حديث: «**أنا أفصح من نطق بالضاد**»(١٧٢) فلا أصل له، والله أعلم][١].

[فصل]

اشتملت هذه السورة الكريمة، وهي سبع آيات، على حمد الله وتمجيده والثناء عليه، بذكر أسمائه الحسنى المستلزمة لصفاته العليا[٢]، وعلى ذكر المعاد وهو يوم الدين، وعلى إرشاده[٣] عبيده إلى سؤاله والتضرع إليه، والتبرؤ من حولهم وقوّتهم، وإلى إخلاص العبادة له وتوحيده بالألوهية تبارك وتعالى، وتنزيهه أن يكون له شريك أو نظير أو مماثل، وإلى سؤالهم إياه الهداية إلى الصراط المستقيم وهو الدين القويم، وتثبيتهم عليه حتى يفضي بهم ذلك إلى جواز الصراط الحسي يوم القيامة، المفضي بهم إلى جنات النعيم في جوار النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

واشتملت على الترغيب في الأعمال الصالحة ليكونوا مع أهلها يوم القيامة، والتحذير من مسالك الباطل، لئلا يحشروا مع سالكيها يوم القيامة وهم المغضوب عليهم والضالون. وما أحسن ما جاء إسناد الإنعام إليه في قوله تعالى ﴿**صراط الذين أنعمت عليهم**﴾ وحذف الفاعل في الغضب في قوله تعالى: ﴿**غير المغضوب عليهم**﴾ وإن كان هو الفاعل لذلك في الحقيقة كما قال تعالى: ﴿**ألم تر إلى الذين تولوا قومًا غضب الله عليهم**﴾. الآية.

وكذلك إسناد الضلال إلى من قام به، وإن كان هو الذي أضلهم بقدره كما قال تعالى: ﴿**من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليًّا مرشدًا**﴾، وقال: ﴿**من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون**﴾ إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أنه سبحانه هو المنفرد بالهداية والإضلال، لا كما تقول الفرقة القدرية ومن حذا حذوهم من أن العباد هم الذين يختارون ذلك ويفعلونه، ويحتجون على بدعتهم[٤] بمتشابه من القرآن، ويتركون ما يكون فيه صريحًا في الرد عليهم.

وهذا حال أهل الضلال والغي، وقد ورد في الحديث الصحيح: «**إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم**»(١٧٣). يعني في قوله تعالى: ﴿**فأما الذين في**

---

(١٧٢) - كشف الخفا (١/ ٢٠٠ - ٢٠١)، ونقل عن السيوطي أنه قال في اللآلئ: معناه صحيح، ولكن لا أصل له، وهو في الفوائد المجموعة (ص ٣٢٧).

(١٧٣) - رواه البخاري في تفسير القرآن من صحيحه، باب: منه آيات محكمات برقم (٤٥٤٧)، =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ. [٢] - في ز: العلى.

[٣] - في ز، خ: «إرشاد». [٤] - في ز: بدعهم.

قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ﴾ فليس - بحمد الله - لمبتدع في القرآن حجة صحيحة ؛ لأن القرآن جاء ليفصل الحق من الباطل ، مفرقًا بين الهدى والضلال ، وليس فيه تناقض ولا اختلاف ؛ لأنه من عند الله تنزيل من حكيم حميد .

[فصل]

يستحب لمن قرأ الفاتحة أن يقول بعدها آمين ، [مثل يس][١] ، ويقال : أمين بالقصر أيضًا ، ومعناه : اللَّهم ؛ استجب ، والدليل على [استحباب التأمين][٢] مارواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي عن وائل بن حجر(١٧٤) ، قال : سمعت النبي صلى اللَّه عليه وسلم قرأ **﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾** فقال : « **آمين** » . مدّ بها صوته ، ولأبي داود : رفع بها صوته . وقال

= ومسلم في العلم من صحيحه برقم (٢٦٦٥) ، ورواه أبو داود برقم (٤٥٩٨) ، والترمذي برقم (٢٦٦٥) ، وابن ماجه في المقدمة (٤٧) ، ورواه أحمد كلهم من حديث عائشة ، رضي اللَّه عنها .

(١٧٤) - المسند ١٨٨٩٥ ، ١٨٨٩٦ - (٤/ ٣١٥ و ٣١٦) ثنا وكيع ، ثنا سُفْيَان ، عن سَلَمَة بن كهيل ، عن حجر بن عنبس ، عن وائل بن حجر ، قال: سمعت النبي صلَّى اللَّه عليه وسلم قرأ : **﴿ ولا الضالين ﴾ فقال: « آمين »** يمد بها صوته . - حَدَّثَنَا عبد اللَّه ، حدثني أبِي ، ثنا عبدالرحمٰن قال: وقال شعبة: وخفض بها صوته . والحديث رواه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب : التأمين وراء الإمام - (١/ ٢٤٦/ح ٩٣٢) . والترمذي في سننه ، أبواب الصلاة ، باب : ما جاء في التأمين (٢/ ٢٧/ ح ٢٤٨ ، ٢٤٩) وقال أبو عيسى : حديث وائل بن حجر حديث حسن . ورواه النسائي في كتاب الافتتاح ، باب : قول المأموم إذا عطس خلف الإمام (٢/ ١٤٥) وله في الكبرى (٩١٤) . وابن ماجه في سننه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : الجهر بآمين (١/ ٢٧٨/ح ٨٥٥) وكتاب الأدب ، باب : فضل الحامدين (٢/ ١٢٤٩/ح ٣٨٠٢) . ورواه الدارمي أيضًا (١٢٥٠) ، والدارقطني (١/ ٣٣٤ ، ٣٣٥) . وقال أبو عيسى : وسمعت محمدًا يقول : حديث سفيان أصح مَن حديث شعبة في هذا ، وأخطأ شعبة في مواضع من هذا الحديث ، فقال عن حجر أبي العنبس ، وإنما هو حجر بن عنبس ويكنى أبا السكن ، وزاد فيه عن علقمة بن وائل ، وليس فيه عن علقمة ، وإنما هو : عن حجر بن عنبس عن وائل بن حجر ، وقال : وخفض بها صوته ، وإنما هي ومد بها صوته .

قال الحافظ في التلخيص الحبير : حديث وائل بن حجر : صليت خلف النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فلما قال : ولا الضالين ، قال : « **آمين** » ومد بها صوته ، الترمذي ، وأبو داود والدارقطني وابن حبان ، من طريق الثوري ، عن سلمة بن كهيل ، عن حجر بن عنبس ، عنه ، وفي رواية أبي داود ، ورفع بها صوته ، وسنده صحيح وصححه الدارقطني ، وأعله ابن القطان ، بحجر بن عنبس ، وأنه لا يعرف ، وأخطأ في ذلك ، بل هو ثقة معروف ، قيل : له صحبة ، ووثقه يحيى بن معين وغيره ، وتصحف اسم أبيه علىٰ بن حزم ، فقال فيه : حجر بن قيس ، وهو مجهول ، وهذا غير مقبول منه ، ورواه ابن ماجة من طريق أخرى ، عن عبد الجبار بن وائل ، عن أبيه ، قال: صليت مع النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فلما قال : « **ولا الضالين** » ، قال « **آمين** » فسمعناها منه ورواه أحمد والدارقطني من هذا الوجه بلفظ « **مد بها صوته** » =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - في ز ، خ : « ذلك » .

الترمذي: هذا حديث حسن. وروي عن علي وابن مسعود وغيرهم(١٧٥).

وعن أبي هريرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تلا ﴿**غير المغضوب عليهم ولا الضالين**﴾ قال: «**آمين**»، حتى يسمع من يليه من الصف الأوّل. رواه أبو داود وابن ماجة وزاد

= **قال الترمذي في جامعه**: رواه شعبة عن سلمة بن كهيل، فأدخل بين حجر، ووائل، علقمة بن وائل، فقال: «**وخفض بها صوته**» قال: وسمعت محمدًا يقول: حديث سفيان أصح، وأخطأ فيه شعبة في مواضع، قال: عن حجر أبي العنبس، إنما هو أبو السكن، وزاد فيه علقمة وليس فيه علقمة، وقال: «**خفض بها صوته**» وإنما هو «**ومد بها صوته**» وكذا قال أبو زرعة. قال الترمذي: وروى العلاء بن صالح، عن سلمة نحو رواية سفيان، وقال أبو بكر الأثرم: اضطرب فيه شعبة، في إسناده ومتنه، ورواه سفيان فضبطه، ولم يضطرب في إسناده ولا في متنه. **وقال الدارقطني**: يقال: وهم فيه شعبة، وقد تابع سفيان، محمد بن سلمة بن كهيل، عن أبيه، وقال ابن القطان: اختلف شعبة، وسفيان فيه، فقال شعبة: خفض، وقال الثوري: رفع، وقال شعبة: حجر أبي العنبس، وقال الثوري: حجر بن عنبس، وصوب البخاري، وأبو زرعة، قول الثوري، وما أدري لِمَ لَمْ يصوبا القولين حتى يكون حجر بن عنبس هو أبو العنبس؟ قلت: وبهذا جزم ابن حبان في الثقات، أن كنيته كاسم أبيه، ولكن قال البخاري: إن كنيته أبو السكن، ولا مانع أن يكون له كنيتان، قال: واختلفا أيضًا في شيء آخر، فالثوري يقول: حجر، عن وائل، وشعبة يقول: حجر، عن علقمة بن وائل، عن أبيه، قلت: لم يقف ابن القطان على ما رواه أبو مسلم الكجي في سننه: حدثنا عمرو بن مرزوق، ثنا شعبة، عن سلمة بن كهيل، عن حجر، عن علقمة بن وائل، عن وائل، قال: وقد سمعه حجر من وائل قال: صلى النبي، صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث، وهكذا رواه أبو داود الطيالسي في مسنده عن شعبة، عن سلمة، سمعت حجرًا أبا العنبس، سمعت علقمة بن وائل، عن وائل، قال: وسمعته من وائل، فبهذا تنتفي وجوه الاضطراب عن هذا الحديث، وما بقي إلا التعارض الواقع بين شعبة، وسفيان فيه في الرفع والخفض، وقد رجحت رواية سفيان بمتابعة اثنين له بخلاف شعبة، فلذلك جزم النقاد بأن روايته أصح، والله أعلم.

(**تنبيه**) احتج الرافعي بحديث وائل على استحباب الجهر بآمين، وقال في أماليه: يجوز حمله على أنه تكلم بها على لغة المد، دون القصر من جهة اللفظ، ولكن رواية من قال: رفع صوته، تبعد هذا الاحتمال، ولهذا قال الترمذي عقبه: وبه يقول غير واحد، يرون أنه يرفع صوته.

(**فائدة**) قال ابن أبي حاتم في العلل: سألت أبي عن حديث، حدثناه أحمد بن عثمان بن حكيم، ثنا بكر بن عبد الرحمن، عن عيسى بن المختار، عن ابن أبي ليلى، عن سلمة بن كهيل، عن حجية بن عدي، عن علي: أنه سمع النبي، صلى الله عليه وسلم يقول: «**آمين**» حين يفرغ من قراءة فاتحة الكتاب، فقال: هذا عندي خطأ، إنما هو حجر بن عنبس، عن وائل، وهذا من ابن أبي ليلى فإنه كان سيئ الحفظ، قلت: وروى المطلب بن زياد، عن ابن أبي ليلى أيضًا، عن عدي بن ثابت، عن زر بن حبيش، عن علي نحوه، فقال: هذا خطأ.

(١٧٥) – حديث علي رواه ابن ماجه (٨٥٤)، وابن أبي حاتم في العلل (٢٥١/١)، وقال البوصيري: هذا إسناد ضعيف، وفيه مقال، وابن أبي ليلى وهو محمد بن عبد الرحمن ضعفه الجمهور، وله شاهد من حديث وائل بن حجر .. اهـ. =

فيه[١] : يرتج بها المسجد(١٧٦) . والدارقطني وقال : هذا إسناد حسن .

وعن بلال أنه قال : يا رسول اللّه ؛ لا تسبقني بآمين . رواه أبو داود(١٧٧) .

[ونقل أبو نصر القشيري عن الحسن وجعفر الصادق ، أنهما شدّدا الميم من آمين مثل **﴿آمّين البيت الحرام﴾**][٢] . قال أصحابنا وغيرهم : ويستحب ذلك لمن هو خارج الصلاة ، ويتأكد في حق المصلي ، وسواء كان منفردًا أو إمامًا أو مأمومًا وفي جميع الأحوال ؛ لما جاء في الصحيحين(١٧٨) عن أبي هريرة - رضي اللّه عنه - أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال : « **إذا أمّن الإمام فأمِّنوا ؛ فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه** » .

ولمسلم أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال : « **إذا قال أحدكم في الصلاة : آمين والملائكة في السماء : آمين ، فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدّم من ذنبه** »(١٧٩) .

[قيل بمعنى من وافق تأمينه تأمين الملائكة في الزمان ، وقيل : في الإجابة ، وقيل : في صفة الإخلاص][٣] .

وفي صحيح مسلم(١٨٠) عن أبي موسى مرفوعًا : « **إذا[٤] قال - يعني - الإمام : ﴿ولا الضالين﴾ فقولوا : آمين ، يجبكم[٥] اللّه** » .

= وقال أبو حاتم : هذا عندي خطأ إنما هو سلمة ، عن حجر أبي العنبس ، عن وائل بن حجر ، عن النبي ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، ثم قال أبو حاتم : كان ابن أبي ليلى سيئ الحفظ .

(١٧٦) - رواه أبو داود في الصلاة ، باب : التأمين وراء الإمام برقم (٩٣٤) ، وابن ماجة في إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : الجهر بآمين برقم (٨٥٣) ، وابن عبد البر في التمهيد (١٣/٧) ، وأبو يعلى (١١/ ٦٢٢٠) ، وقال البوصيري (٢٩٦/١) : هذا إسناد ضعيف ، أبو عبد اللّه لا يعرف حاله ، وبشر ضعفه أحمد ، وقال ابن حبان : يروي الموضوعات . .

(١٧٧) - منقطع رواه أبو داود في الصلاة ، باب : التأمين وراء الإمام برقم (٩٣٧) ، ورواه أحمد ٢٣٩٩٠ - (١٢/٦) ، وابن خزيمة (٥٧٣/١) .

(١٧٨) - رواه البخاري في الأذان برقم (٧٨٠) ، وأطرافه (٧٨١ ، ٧٨٢ ، ٤٤٧٥ ، ٦٤٠٢) ومسلم في الصلاة برقم (٤١٠) .

(١٧٩) - رواه مسلم في الصلاة برقم ٧٤ - (٤١٠) .

(١٨٠) - رواه مسلم ٦٢ - (٤٠٤) ، وأبو داود (٩٧٢) ، وأحمد برقم ١٩٦٤٩ - (٤٠١/٤) .

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ز : وإذا .
[٥] - في ز : يحبكم .

وقال جويبر[١] : عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : قلت : يا رسول اللَّه ، ما معنى آمين ؟ قال : **« رب افعل »** (١٨١) .

[وقال الجوهري : معنى آمين : كذلك فليكن .

وقال الترمذي : معناه لا تخيب رجاءنا . وقال الأكثرون : معناه اللَّهم ، استجب لنا .

وحكى القرطبي(١٨٢) عن مجاهد وجعفر الصادق وهلال بن يساف أن آمين اسم من أسماء اللَّه تعالى .

وروي عن ابن عباس مرفوعًا ولا يصح ، قاله أبو بكر بن العربي المالكي][٢] .

وقال أصحاب مالك : لا يؤمّن الإمام ويؤمّن المأموم ؛ لما رواه مالك عن سمي ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة أنّ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قال : [**« وإذا قال – يعني الإمام – : ﴿ولا الضالين﴾ فقولوا : آمين »** (١٨٣) . الحديث][٣] .

واستأنسوا أيضًا بحديث أبي موسى عند مسلم : **« وإذا قرأ ﴿ولا الضالين﴾ فقولوا : آمين »** . وقد قدّمنا في المتفق عليه **« إذا أمّن الإمام فأمّنوا »** ، وأنه عليه الصلاة والسلام كان يؤمّن إذا قرأ **﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾** .

وقد اختلف أصحابنا في الجهر بالتأمين للمأموم في الجهرية ، وحاصل الخلاف أنّ الإمام إن نسي التأمين جهر المأموم به قولاً واحدًا ، وإن أمّن الإمام جهرًا فالجديد أنه لا يجهر المأموم ، وهو مذهب أبي حنيفة ورواية عن مالك ؛ لأنه ذكرٌ من الأذكار فلا يجهر به كسائر أذكار الصلاة . والقديم أنه يجهر به وهو مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، والرواية الأخرى عن مالك لما تقدّم : **« حتى يرتج المسجد »** .

ولنا قول آخر ثالث : أنه إن كان المسجد صغيرًا لم يجهر المأموم ؛ لأنهم يسمعون قراءة الإمام ،

---

(١٨١) – جويبر هالك ، والضحاك : قيل : لم يسمع من ابن عباس . ورواه الثعلبي في تفسيره كما في الدر المنثور (٤٥/١) من طريق الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس مثله ، وهو ضعيف جدًّا ؛ لأن الكلبي تالف .

(١٨٢) – تفسير القرطبي (١٢٨/١) .

(١٨٣) – الموطأ (٨٧/١) ، ورواه البخاري في صحيحه برقم (٧٩٦) ، ومسلم في صحيحه برقم (٤٠٩) من طريق مالك ، به .

---

[١] – في ز : جوهر . [٢] – سقط من ز .
[٣] – بياض في ز ، وقال الناسخ : كذا بالأصل .

وإن كان كبيرًا جهر ليبلغ التأمين من في أرجاء المسجد، والله أعلم.

وقد روى الإمام أحمد في مسنده عن عائشة (١٨٤) - رضي الله عنها - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت عنده اليهود فقال: « **إنهم لن[١] يحسدونا على شيء كما يحسدونا على الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى القبلة التي هدانا الله لها[٢] وضلوا عنها، وعلى قولنا خلف الإمام: آمين** ».

ورواه ابن ماجة(١٨٥) ، ولفظه: « **ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين** ».

وله عن ابن عباس (١٨٦) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « **ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على قول: آمين، فأكثروا من قول: آمين** ». وفي إسناده طلحة بن عمرو، وهو ضعيف.

وروى ابن مردويه عن أبي هريرة؛ أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « **آمين: خاتم رب العالمين على عباده المؤمنين** »(١٨٧) .

وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **أعطيت آمين في الصلاة وعند الدعاء، لم يعط أحد قبلي إلا أن يكون موسى، كان موسى يدعو وهارون يؤمّن، فاختموا الدعاء بآمين، فإنّ الله يستجيبه لكم** »(١٨٨) .

---

(١٨٤) - المسند (١٣٥/٦)، والبيهقي (٥٦/٢) مطولاً، والبخاري في التارسخ (٢٢/١/١) مختصراً.

(١٨٥) - رواه ابن ماجة برقم (٨٥٦) من طريق حماد بن سلمة، عن سهيل، عن أبي صالح، عن أبيه، عن عائشة مرفوعًا، وقال البوصيري في الزوائد (٢٩٧/١): « هذا إسناد صحيح احتج مسلم بجميع رواته ».

(١٨٦) - رواه ابن ماجة برقم (٨٥٧) من طريق يزيد بن صبيح، عن طلحة بن عمرو، عن عطاء، عن ابن عباس مرفوعًا. وقال البوصيري (٢٩٨/١): هذا إسنادٌ ضعيف لاتفاقهم على ضعف طلحة بن عمرو.

(١٨٧) - **ضعيف جدًا**، ورواه ابن عدي في الكامل (٤٤٠/٦) من طريق مؤمل، عن أبي أمية بن يعلى عن المقبري، عن أبي هريرة به، وقال ابن عدي: « لا يرويه عن أبي أمية بن يعلى - وإن كان ضعيفًا - غير مؤمل هذا ». ورواه الطبراني في الدعاء (٢١٩).

(١٨٨) - ورواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده كما في « بغية الباحث ١٦٧» من طريق عبد العزيز بن أبان، ثنا زربي - مولى خالد - عن أنس بن مالك، به، وزربى بن عبد الرحمن واهٍ ضعيف، وعبد العزيز بن أبان متروك؛ إلا أنه توبع من حرمي بن عمارة، وعبد الصمد بن عبد الوارث - كلاهما عن زربي، رواه ابن خزيمة (١٥٨٦).

---

[١] - في ز: لم. [٢] - سقط من: ز، خ.

(**قلت**) : ومن هنا نزع بعضهم في الدلالة بهذه الآية الكريمة وهي قوله تعالى : ﴿ **وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالًا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعانِّ سبيل الذين لا يعلمون** ﴾ . فذكر الدعاء عن موسى وحده ، ومن سياق الكلام ما يدل على أنّ هارون أمّن ، فنزل منزلة من دعا ، لقوله تعالى : ﴿ **قد أجيبت دعوتكما** ﴾ فدلَّ ذلك على أنّ من أمّن على دعاء فكأنما قاله ، فلهذا قال من قال : إنّ المأموم لا يقرأ ؛ لأنّ تأمينه على قراءة الفاتحة بمنزلة قراءتها ، [ولهذا جاء في الحديث : « **من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة** » [رواه أحمد في مسنده][١] ، وكان بلال يقول : لا تسبقني بآمين [يا رسول الله ؛][٢] فدل هذا المنزع على أن المأموم لا قراءة عليه في الجهرية ، والله أعلم][٣] .

ولهذا قال ابن مردويه : حدثنا أحمد بن الحسن ، حدثنا عبد الله بن محمد بن سلام ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا جرير ، عن ليث بن أبي سليم ، عن كعب ، عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إذا قال الإمام : ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ فقال : آمين ، فتوافق آمين أهل الأرض آمين أهل السماء ، غفر الله للعبد ما تقدّم من ذنبه ، ومثل من لا يقول : آمين ، كمثل رجل غزا مع قوم ، فاقترعوا فخرجت سهامهم ، ولم يخرج سهمه ، فقال : لِمَ لم يخرج سهمي ؟ فقيل : إنك لم تقل آمين** »(١٨٩) .

---

(١٨٩) - **إسناده ضعيف** ، ورواه أبو يعلى في مسنده ٦٤١١ - (٢٩٦/١١) عن أبي خيثمة ، عن جرير ، به ، وليث ابن أبي سليم ضعيف ، وقال السيوطي في الدر المنثور : إسناده جيد .

---

[١] - سقط من ز . [٢] - سقط من ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

بسم الله الرحمن الرحيم

[تفسير][١] سورة البقرة

[مدنية وآياتها ست وثمانون ومائتان][٢]

ذكر ماورد في فضلها :

قال الإمام أحمد : حدّثنا عارم ، حدّثنا معتمر ، عن أبيه ، عن رجل ، عن أبيه ، عن معقل ابن يسار : أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال : « **البقرة سنام القرآن وذروته ، نزل مع كل آية منها ثمانون مَلَكًا ، واستخرجت ﴿اللّه لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ من تحت العرش ، فوصلت[٣] بها ، أو فوصلت[٤] بسورة البقرة ، ويس : قلب القرآن ، لا يقرؤها رجل يريد اللّه والدار الآخرة إلا غفر له ، واقرءوها على موتاكم** »(١) . انفرد به أحمد .

وقد رواه أحمد أيضًا ، عن عارم ، عن عبد اللّه بن المبارك ، عن سليمان التيمي ، عن أبي عثمان - وليس بالنهدي - عن أبيه ، عن معقل بن يسار ، قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : « **اقرءوها على موتاكم** »(٢) يعني يس .

فقد تبيّنا[٥] بهذا الإسناد معرفة المبهم في الرواية الأولى . وقد أخرج هذا الحديث على هذه

---

(١) - **إسناده ضعيف** ، والحديث رواه أحمد حديث ٢٠٨٥١ - (٥/٢٥) ، وأخرجه الطبراني في الكبير (٢٠/ ٢٢٠، ٢٣٠، ٢٣١/رقم : ٥١١، ٥٤١) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/٣١١) وقال : « قلت : في سنن أبي داود منه طرف ، رواه أحمد ، وفيه راوٍ لم يسم ، وبقية رجاله رجال الصحيح ، ورواه الطبراني وأسقط المبهم » .

وأخرج النسائي في عمل اليوم والليلة (١٠٧٥) منه : « **يس قلب القرآن** ... » عن محمد بن عبد الأعلى ، عن معتمر ، عنه ، به ، وأخرج الروياني من أوله إلى « ... **تحت العرش** » (١٣٠٧) عن عمرو بن علي ، عن معتمر ، عنه ، به ، وأخرج أبو الشيخ في الأمثال (٢٧٤) : « **البقرة سنام القرآن وذروته** » ، عن محمد بن عبد الأعلى ، عن معتمر ، عنه ، به ، ورواه الطيالسي (٩٣١) من حديث ابن المبارك ، عن سليمان التيمي ، عن رجل ، عن أبيه ، عن معقل بن يسار مرفوعًا : « **اقرأوا يس على موتاكم** » . وأخرجه الروياني بتمامه (١٢٨٤) دون ذكر والد شيخ سليمان التيمي . إلا أن محققه زاده من عنده .

(٢) - **إسناده ضعيف** ، والحديث رواه أحمد حديث ٢٠٨٥٢ - (٥/٢٥) .

---

[١] - زيادة من ز .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - عند الروياني : فُضِّلت .
[٤] - عند الروياني : فُضِّلت .
[٥] - في ز ، خ : بينا .

الصفة في الرواية الثانية أبو داود، والنسائي، وابن ماجة(٣).

وقد روى الترمذي من حديث حكيم بن جبير - وفيه ضعف - عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «**لكل شيء سنامٌ، وإن سنام القرآن سورة**[١] **البقرة، وفيها آية هي سيدة آي القرآن: آية الكرسي**»(٤).

(٣) - **ضعيف**، أخرجه أبو داود في كتاب الجنائز، باب: القراءة عند الميت رقم (٣١٢١). والنسائي في الكبرى في كتاب عمل اليوم والليلة، باب: ما يقرأ على الميت رقم (١٠١٩٣، ١٠٩١٤)، وابن ماجة في كتاب الجنائز، باب: ما جاء فيما يقال عن المريض إذا حضر رقم (١٤٤٨)، كلهم من حديث معقل بن يسار. وأبو عثمان لم يوثقه سوى ابن حبان، وقال الذهبي في الميزان: لا يعرف، قال ابن المديني: مجهول لم يرو عنه غير سليمان التيمي. وأبوه لا يعرف أيضًا. قال ابن القطان: أبو عثمان هذا لا يعرف، ولا روى عنه غير سليمان التيمي، وإذا لم يكن هو معروفًا فأبوه أبعد من أن يعرف، وهو إنما روى عنه. وقال الدارقطني كما في التلخيص: هذا حديث ضعيف الإسناد مجهول المتن، ولا يصح في الباب حديث. والحديث رواه أيضًا ابن أبي شيبة (٧٤/٤) والحاكم (٥٦٥/١) والبيهقي (٣٨٣/٣) والطيالسي (٩٣١) والطبراني في الكبير (٢١٩/٢٠) وابن حبان (٣/٥) - بعضهم يقول: عن أبي عثمان، عن أبيه، وبعضهم يقول: عن أبي عثمان، عن معقل. وقال الحاكم: أوقفه يحيى بن سعيد، وغيره، عن سليمان التيمي، والقول فيه قول ابن المبارك، إذ الزيادة من الثقة مقبولة.

(٤) - **إسناده ضعيف**، رواه الترمذي برقم (٢٨٧٨)، وعبد الرزاق (٦٠١٩)، وابن نصر في قيام الليل (ص ١١٧)، والحميدي (٩٩٤)، ومن طريقه الحاكم في المستدرك (٥٦٠/١ - ٥٦١) (٢٥٩/٢)، وابن عدي في الكامل (٦٣٧/٢) والبيهقي في الشعب (٢٣٧٥) من طريق حكيم بن جبير، به.

وقال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث حكيم بن جبير، وقد تكلم شعبة في حكيم بن جبير وضعفه. وأما الحاكم فقال: صحيح الإسناد، والشيخان لم يخرجا عن حكيم بن جبير لوهم في رواياته؛ إنما لغلوه في التشيع.

وحكيم بن جبير الأسدي ويقال: مولى الحكم بن أبي العاص الثقفي الكوفي؛ قال أحمد: ضعيف الحديث مضطرب. وقال ابن معين: ليس بشيء. وقال ابن المديني: سألت يحيى بن سعيد عنه فقال: كم روى إنما روى شيئًا يسيرًا قلت: من تركه؟ قال: شعبة، من أجل حديث الصدقة - وقال معاذ بن معاذ: قلت لشعبة: حدثني بحديث حكيم بن جبير، قال: أخاف النار. وقال القطان عن شعبة نحو ذلك. وقال يعقوب بن شيبة: ضعيف الحديث. وقال ابن أبي حاتم: سألت أبا زرعة عنه فقال: في رأيه شيء. قلت: ما محله؟ قال: الصدق إن شاء اللَّه. وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث منكر الحديث له رأي غير محمود نسأل اللَّه السلامة، غال في التشيع. وقال البخاري: كان شعبة يتكلم فيه. وقال النسائي: ليس بالقوي. وقال الدارقطني: متروك. قلت: وقول شعبة فيه يدل على أنه ترك الرواية عنه. وقال ابن مهدي: إنما روى أحاديث يسيرة وفيها منكرات. وقال الفلاس: كان يحيى يحدث عنه. وكان عبد الرحمن لا يحدث عنه. وقال البخاري في التاريخ: كان يحيى وعبد الرحمن لا يحدثان عنه. وقال الساجي: غير ثبت في الحديث، فيه ضعف. وروى عنه الحسن بن صالح حديثًا منكرًا. وقال الآجري عن أبي داود: ليس بشيء.

[١] - سقط من: ز، خ.

وفي مسند أحمد وصحيح مسلم والترمذي والنسائي من حديث سُهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة [رضي الله عنه]: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، فإن البيت الذي يقرأ[١] فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان**»(٥) وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام(٦): حدثني ابن أبي مريم، عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن سنان بن سعد، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الشيطان يخرج من البيت إذا سمع سورة البقرة تقرأ فيه**».

سنان بن سعد، ويقال بالعكس، وثقه ابن معين، واستنكر حديثه أحمد بن حنبل وغيره.

---

(٥) - **صحيح**، والحديث في المسند (٢/٢٨٤، ٣٣٧، ٣٧٨، ٣٨٨)، وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها برقم ٢١٢ - (٧٨٠)، وسنن الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب: فضل سورة البقرة، وآية الكرسي برقم (٢٨٧٧) وسنن النسائي الكبرى برقم (٨٠١٥). ورواه ابن حبان (٦٣٥ موارد)، وابن أبي شيبة مختصرًا (٢/٢٥٦).

(٦) - هو في فضائل القرآن (ص ٢٢٨). وابن لهيعة: ضعيف. وقد تابعه عمرو بن الحارث، عن يزيد بن أبي حبيب بسنده سواء، رواه الفريابي (٣٨) من طريق ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، وابن لهيعة. وهذا بالإضافة إلى متابعة عمرو بن الحارث فهو من رواية ابن وهب، عن ابن لهيعة، وقد حسنها بعض أهل العلم.

وسعد بن سنان ويقال: سنان بن سعد الكندي المصري، روى عن أنس، وعنه يزيد بن أبي حبيب وحده، فالليث بن سعد يقول: عن يزيد، عن سعد بن سنان، وعمرو بن الحارث وابن لهيعة يقولان: عن يزيد، عن سنان بن سعد، وروى ابن إسحاق عن يزيد عنه أحاديث، سماه في بعضها سعد بن سنان، وفي بعضها سنان بن سعد، وفي بعضها سعيد بن سنان، وقال ابن حبان في الثقات: حدث عنه المصريون وأرجو أن يكون الصحيح سنان بن سعد، وقد اعتبرت حديثه فرأيت ما روى عن سنان بن سعد يشبه أحاديث الثقات، وما روى عن سعد بن سنان وسعيد بن سنان فيه المناكير كأنهما اثنان. وقال محمد بن علي الوراق عن أحمد ابن حنبل: لم أكتب أحاديث سنان بن سعد لأنهم اضطربوا فيها؛ فقال بعضهم: سعد بن سنان، وبعضهم: سنان بن سعد، وقال عبد الله بن أحمد، عن أبيه: تركت حديثه لأنه مضطرب غير محفوظ قال: وسمعته مرة أخرى يقول: يشبه حديثه حديث الحسن لا يشبه حديث أنس. وقال ابن أبي خيثمة: سألت ابن معين عن سعد بن سنان الذي روى عنه يزيد بن أبي حبيب؛ فقال: ثقة. وقال أبو داود: قلت لأحمد بن صالح: سنان بن سعد سمع أنسًا فغضب من إجلاله له. وقال الجوزجاني: سعد بن سنان أحاديثه واهية. وقال النسائي: منكر الحديث. قلت: وقال ابن سعد: سنان بن سعد منكر الحديث. وقال البخاري: سنان بن سعد، وعنه أحمد بن حنبل، وحكى البخاري الخلاف في اسمه ثم قال: والصحيح سنان، وكذا صوبه ابن يونس، وذكر أن محمد بن يزيد بن أبي زياد الثقفي روى عنه أيضًا، وقال ابن معين: سمع عبد الله بن يزيد من سنان بن سعد بعدما اختلط.

---

[١] - في ن: تقرأ.

وقال أبو عبيد(٧) : حدّثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبي الأحوص ، عن عبد اللَّه - يعني ابن مسعود - رضي اللَّه عنه - قال : **إن الشيطان يفرّ من البيت يسمع فيه سورة البقرة**.

ورواه النسائي(٨) في « اليوم والليلة » . وأخرجه الحاكم في مستدركه من حديث شعبة ، ثم قال الحاكم : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

وقال ابن مَرْدُويه : حدثنا أحمد بن كامل ، حدثنا أبو إسماعيل الترمذي ، حدثنا أيوب بن سليمان بن بلال ، حدثني أبو بكر بن أبي أويس ، عن سليمان بن بلال ، عن محمد بن عجلان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد اللَّه بن مسعود قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **لا أُلْفِيَنَّ أحدكم يضع إحدى رجليه على الأخرى يتغنّىٰ ، ويدع سورة البقرة يقرؤها ، فإن الشيطان ينفر**[١] **من البيت الذي**[٢] **تقرأ فيه سورة البقرة ، وإن أصفر البيوت الجَوْفُ ، الصِّفْر من كتاب اللَّه** »(٩) . وهكذا رواه النسائي في « اليوم والليلة » عن محمد بن نصر ، عن أيوب بن سليمان به .

[وروى الدارمي في مسنده[٣] (١٠) ، عن ابن مسعود قال : **ما من بيت تقرأ فيه سورة البقرة**

(٧) - **رجاله رجال الصحيح** ، أبو الأحوص هو عوف بن مالك ، والحديث في فضائل القرآن لأبي عبيد (ص ٢٢٩) .

(٨) - النسائي في الكبرى برقم (١٠٨٠٠) . والحاكم في المستدرك (١/٥٦١ ، ٢/٢٦٠) .

(٩) - أيوب بن سليمان بن بلال : ثقة ، لينه الساجي بلا حجة . وأبو بكر بن أبي أويس - واسمه عبد الحميد ابن عبد اللَّه - : ثقة مشهور بكنيته . وسليمان بن بلال : ثقة . ورواه النسائي في الكبرى برقم (١٠٩٧٧) ، ورواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٢٢٤٨) (٧٧٦٦) من طريق حلو بن السرى ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد اللَّه به مرفوعًا ، وقال : لم يرو هذا الحديث عن حلو بن السري إلا الحارث بن محمد ، تفرد به يعقوب بن إسحاق أبو يوسف القلوسي وخالفهما - أي ابن عجلان وحلو بن السرى - شعبة ، فرواه عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد اللَّه فوقفه ، أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن برقم (١٧٥) وشعبة أوثق الناس في أبي إسحاق ، ورواه ابن الضريس في فضائل القرآن برقم (١٦٤) من طريق إبراهيم الهجري ، عن أبي الأحوص ، عن عبد اللَّه موقوفًا . وكذا رواه الدارمي من حديث إبراهيم الهجري ، عن أبي الأحوص ، عن عبد اللَّه موقوفًا أيضًا برقم (٣٤٩٧) . ورواه البيهقي في الشعب (٢٣٧٩) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/٣١٢ - ٣١٣) وقال : رواه الطبراني في الصغير وفيه **ابن إسحاق** وهو مدلس ، ومن لم أعرفهم . ثم أورده (٦/٣١٣) وقال : رواه الطبراني في الأوسط وفيه من لا أعرفهم .

(١٠) - سنن الدارمي برقم (٣٣٧٨) من طريق فطر ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد اللَّه ، به . وإسناده حسن .

[١] - في ز ، خ : « يفر » . [٢] - زيادة من : خ .

[٣] - كذا في ت ، ز ، خ .

إلا خرج منه الشيطان وله ضراط.

وقال(١١) : **إن لكل شيء سنامًا، وإن سنام القرآن سورة البقرة، وإن لكل شيء لبابًا، وإن لباب القرآن المفصل.**

وروى(١٢) أيضًا من طريق الشعبي قال: قال عبد الله بن مسعود: **من قرأ عشر آيات من سورة البقرة في ليلة لم يدخل ذلك البيت شيطان تلك الليلة: أربع من أولها، وآية الكرسي، وآيتان بعدها، وثلاث آيات من آخرها.**

وفي رواية(١٣) : **لم يقربه ولا أهله يومئذٍ شيطان، ولا شيء يكرهه، ولا يقرأن على مجنون إلا أفاق**][١] .

وعن سهل بن سعد[٢] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **إن لكل شيء سنامًا، وإن[٣] سنام القرآن البقرة، وإن من قرأها في بيته ليلة لم يدخله شيطان[٤] ثلاث ليال، ومن قرأها في بيته نهارًا لم يدخله شيطان[٥] ثلاثة أيام** ».

رواه أبو القاسم الطبراني(١٤) وأبو حاتم بن حبان في صحيحه [وابن مردويه من حديث الأزرق

---

(١١) - سنن الدارمي برقم (٣٣٨٠) من طريق حماد بن سلمة، عن عاصم، عن أبي الأحوص، عن عبد الله، به. ورواه من طرق حماد به ابن الضريس في فضائل القرآن رقم (١٧٨). ورواه الطبراني (٨٦٤٤) والحاكم وصححه. والبيهقي (٢٣٧٦) دون قوله: « **وإن لكل شيء لبابًا** ... » وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٩/٧) وقال: رواه الطبراني، وفيه عاصم بن بهدلة، وهو ثقة وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(١٢) - **منقطع**، والحديث في سنن الدارمي برقم (٣٣٨٥). من طريق جعفر بن عون، عن أبي العميس، عن الشعبي به. والشعبي لم يسمع من ابن مسعود، وأخرجه الطبراني (٨٦٧٣).

(١٣) - سنن الدارمي برقم (٣٣٨٦). من طريق عمرو بن عاصم، عن حماد، عن عاصم، عن الشعبي به. ورواه ابن الضريس (١٧٩) بمعناه، من طريق حسين الجعفي، عن زائدة، عن عاصم، عن عامر الشعبي، به.

(١٤) - **ضعيف**، خالد بن سعيد: قال العقيلي: لا يتابع على حديثه. وأورد له هذا الحديث. والحديث في المعجم الكبير ٥٨٦٤ - (١٦٣/٦)، ورواه أبو يعلى (٧٥٥٤)، وابن حبان برقم (١٧٢٧ موارد). ورواه العقيلي (٦/٢)، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (١٠١/١)، والبيهقي في الشعب (٢٣٧٨)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٣١١/٦- ٣١٢) وقال: رواه الطبراني، وفيه سعيد بن خالد الخزاعي المدني، وهو ضعيف - كذا قال: سعيد بن خالد، وكذلك هو في الطبراني -.

وأورده الحافظ في المطالب من طريق أبي يعلى (٣٩١٨) وقال: ورواه من طريقه ابن حبان.

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

[٢] - في ز، خ: « سعيد ».

[٣] - سقط من: ز، خ.

[٤] - في ت، ش: « الشيطان ».

[٥] - في ت، ش: « الشيطان ».

ابن علي ، حدثنا حسان بن إبراهيم ، حدثنا خالد بن سعيد المدني ، عن أبي حازم ، عن سهل ، به . وعند ابن حبان : خالد بن سعيد المديني][١] .

وقد روى الترمذي والنسائي وابن ماجة من حديث عبد الحميد بن جعفر ، عن سعيد المقبري ، عن عطاء مولى أبي أحمد ، عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال : بعث[٢] رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم بعثًا[٣] وهم ذوو عددٍ فاستقرأهم ، فاستقرأ كل واحدٍ منهم - يعني - ما معه من القرآن ، فأتى على رجل من أحدثهم سنًا ، فقال : **« ما معك يا فلان ؟ »** . فقال[٤] : معي كذا وكذا وسورة البقرة . فقال : **« أمعك سورة البقرة ؟ »** . قال : نعم . قال : **« اذهب فأنت أميرهم »** . فقال رجل من أشرافهم : واللَّه ما منعني أن أتعلم سورة[٥] البقرة إلا أني خشيت أن لا أقوم بها . فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : **« تعلموا القرآن واقرءوه ؛ فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه وقام به كمثل جراب محشوّ مسكًا يفوح ريحه في كل مكان ، ومثل من تعلمه فيرقد وهو في جوفه كمثل جراب [أوكي على][٦] مسك »** (١٥) .

هذا لفظ رواية[٧] الترمذي ، ثم قال : هذا حديث[٨] حسن . ثم رواه من حديث الليث ، عن سعيدٍ ، عن عطاء مولى أبي أحمد مرسلًا ، فاللَّه أعلم .

وقال البخاري (١٦) : وقال الليث : حدثني يزيد بن الهاد ، عن محمد بن إبراهيم ، عن أسيد

(١٥) - **ضعيف** ، عطاء مولى أبي أحمد ؛ أورده الذهبي في الميزان (٣/٢٠٩) . وقال الذهبي : لا يكاد يعرف . وقال ابن عدي : بعض حديثه عن سعيد مما لا يتابع عليه . وقال الحافظ : مقبول - أي عند المتابعة - والحديث في سنن الترمذي ، أبواب فضائل القرآن ، باب : ما جاء في سورة البقرة وآية الكرسي برقم (٢٨٧٦) ، وسنن النسائي الكبرى برقم (٨٧٤٩) ، وابن ماجه في المقدمة برقم (٢١٧) . وابن خزيمة (١٥٠٩) ، وعنه ابن حبان (١٧٨٩ موارد) ، والبزار ، وابن نصر (ص ٢٥) ، والحاكم (١/٤٤٣) والحديث رواه ابن عدي (٥/١٧٠٣) من حديث عمر بن طلحة بن علقمة بن وقاص الليثي ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، به مختصرًا . وقال البزار : هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي ، صلى اللَّه عليه وسلم ، إلا من حديث أبي هريرة بهذا الإسناد ، وعطاء مولى أبي أحمد لا نعلمه حدث عن أبي هريرة إلا بهذا الإسناد ، ولا حدث عنه إلا سعيد المقبري . وقال الترمذي : هذا حديث حسن . وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه !!! . وهو في ضعيف الجامع (٢٤٥٢) وضعاف السنن المذكورة .

وقول الحاكم رحمه اللَّه : " صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه " خطأ بَيِّن ؛ فعطاء لم يرو له الشيخان ، وعبد الحميد لم يحتج به البخاري .

(١٦) - صحيح البخاري في فضائل القرآن باب : نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن برقم (٥٠١٨) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ز ، خ : « ساو » .
[٤] - في ز : قال .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - في خ : « حشى » ، وفي ز : أولي .
[٧] - في ز : رواة .
[٨] - سقط من ز .

ابن حُضير[١] - رضي اللّٰه عنه - قال: بينما[٢] هو يقرأ من الليل سورة البقرة، وفرسه مربوطة عنده، إذ جالت الفرس، فسكت فسكنت، فقرأ فجالت الفرس، فسكت فسكنت، ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف، وكان ابنه يحيى قريبًا منها فأشفق أن تصيبه، فلما أخذه رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها، فلما أصبح حدّث النبي صلى اللّٰه عليه وسلم فقال: «**اقرأ يا ابن حُضير**». قال: فأشفقت يا رسول اللّٰه؛ أن تطأ يحيىٰ وكان منها قريبًا، فرفعت رأسي وانصرفت إليه، فرفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظُلة فيها أمثال المصابيح، فخرجت حتى لا أراها. قال: «**وتدري ما ذاك؟**» قال: لا. قال: «**تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارىٰ منهم**».

وهكذا رواه الإمام العالم[٣] أبو عبيد القاسم بن سلام(١٧)، في كتاب فضائل القرآن عن عبد اللّٰه بن صالح[٤] ويحيى بن بكير، عن الليث، به.

وقد رُوي من [وجه آخر][٥] عن أسيد بن حضير كما تقدم(١٨)، واللّٰه أعلم.

وقد وقع نحو من هذا لثابت بن قيس بن شماس[٦] - رضي اللّٰه عنه - وذلك فيما رواه أبو عبيد(١٩) - حدّثنا عباد بن عباد، عن جرير بن حازم، عن عمه[٧] جرير بن زيد[٨]: أن أشياخ أهل المدينة حدّثوه أن رسول اللّٰه - صلى اللّٰه عليه وسلم - قيل له: ألم تر ثابت بن قيس بن شماس لم تزل داره البارحة تزهر مصابيحَ؟!. قال: «**فلعله قرأ سورة البقرة**».

قال: فسئل ثابت فقال: قرأت سورة البقرة. وهذا إسناد جيد، إلا أن فيه إبهامًا، ثم هو مرسل، واللّٰه أعلم.

ذكر[٩] ما ورد في فضلها مع آل عمران

(١٧) - الحديث في فضائل القرآن (ص ٦٣)، ورواه البيهقي في الدلائل (٨٤/٧)، وأبو نعيم في المعرفة رقم ٨٧٦ - (٢٥٥/٢) والحافظ في تغليق التعليق (٣٨٧/٤).

(١٨) - فضائل القرآن لأبي عبيد ص (٦٥).

(١٩) - فضائل القرآن لأبي عبيد (ص ٦٥ - ٦٦).

[١] - في ز: الحضير.
[٢] - في ز: بينا.
[٣] - في ز: العلم.
[٤] - في الفضائل: عبد الله بن صباح.
[٥] - في ز: وجوه أخر.
[٦] - في ز: الشماس.
[٧] - سقط من: ز، خ.
[٨] - في ز، خ: يزيد.
[٩] - سقط من ز.

قال[١] الإمام أحمد(٢٠) : حدّثنا أبو نعيم ، حدّثنا بشير بن المهاجر ، حدّثني عبد اللَّه بن بريدة ، عن أبيه قال : كنت جالسًا عند النبي صلى اللَّه عليه وسلم فسمعته يقول : « **تعلموا سورة البقرة ؛ فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا تستطيعها البطلة** » .

قال[٢] : ثم سكت ساعة ثم قال : « **تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان ، يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان(٢١) ، أو فرقان من طير صواف ، وإن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب ، فيقول له : هل تعرفني ؟ فيقول : ما أعرفك . فيقول : أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر ، وأسهرت ليلك ، وإن كل تاجر من وراء تجارته ، وإنك اليوم من وراء كل تجارة ، فيعطى المُلك بيمينه والخُلد بشماله ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، ويُكسى والداه حلتين لا يقوم[٣] لهما أهل الدنيا ، فيقولان : بِمَ كُسينا هذا ؟ فيقال : بأخذ ولدكما القرآن ، ثم يقال : اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها ، فهو في صعود مادام يقرأ هذًا[٤] كان أو ترتيلًا** » .

وروى ابن ماجة(٢٢) من حديث بشير بن المهاجر [ ][٥] بعضه ، وهذا إسناد حسنٌ على شرط مسلم ؛ فإن بشيرًا هذا أخرج له مسلم ووثقه ابن معين ، وقال النسائي : ليس به بأس . إلا أن الإمام أحمد قال فيه : هو منكر الحديث ، قد اعتبرت أحاديثه فإذا هي تجيء بالعجب . وقال البخاري : يخالف في بعض حديثه . وقال أبو حاتم الرازي : يكتب حديثه ولا يحتج به . وقال ابن عدي :

(٢٠) - الحديث في المسند برقم ٢٣٠٥٦ - (٣٤٨/٥) ، ورواه الدارمي (٣٢٤/٢) ، وابن أبي شيبة (١٠/ ٤٩٢ - ٤٩٣) ، ومن طريقه ابن الضريس في الفضائل (٩٩) ، والعقيلي في الضعفاء (١٤٤/١) ، والبيهقي في الشعب (١٨٣٥ هـ) وقال العقيلي : لا يصح في هذا الباب شيء - يعني : « **وإن القرآن يلقى صاحبه** » ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٥٩) وقال : « وروى ابن ماجة منه طرفًا - رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح » . وأخرجه ابن عدي في ترجمة بشير (٤٥٤/٢) وقال : ولبشير أحاديث غير ما ذكرت عن ابن بريدة وغيره ، وقد روى ما لا يتابع عليه ، وهو ممن يكتب حديثه ، وإن كان فيه بعض الضعف ، وأورده الحافظ ابن طاهر في الذخيرة (١١٥٧/٢) وقال : وبشير لا يتابع على أكثر أحاديثه ، وهو متروك الحديث . وقد رُوي من حديث ابن عباس ، رواه ابن عدي في الكامل (١٨٧٤/٥) من طريق عاصم بن هلال ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس . وعاصم ضعيف .

(٢١) - الغياية : كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه كالسحابة وغيرها (النهاية ٤٠٣/٣) .

(٢٢) - أخرجه ابن ماجة في كتاب الأدب ، باب : ثواب القرآن (رقم : ٣٧٨١) من طريق علي بن محمد ، عن وكيع ، به . وبشير لم يرو له مسلم إلا حديثًا واحدًا في الحدود ، وخالفه في سياقه سليمان بن بريدة .

[١] - في ز ، خ : وقال .
[٢] - في خ : ثم قال .
[٣] - في خ : « تقوم » .
[٤] - في خ : « هذا » .
[٥] - في ز ، خ : به .

روى ما لا يتابع عليه . وقال الدراقطني : ليس بالقوي .

(**قلت**) : ولكن لبعضه شواهد ، فمن ذلك حديث أبي أمامة الباهلي ، قال الإمام أحمد (٢٣) : حدّثنا عبد الملك بن عمرو ، حدّثنا هشام ، عن يحيى بن أبي[١] كثير ، عن أبي سلام ، عن أبي أمامة ، قال : سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقول : « **اقرءوا القرآن ؛ فإنه شافع لأصحابه يوم القيامة ، اقرءوا الزهراوين : البقرة وآل عمران ، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان ، أو كأنهما فرقان من[٢] طير صواف يُحاجان عن أهلهما** » ثم قال : « **اقرءوا البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة** » .

وقد رواه مسلم(٢٤) في الصلاة من حديث معاوية بن سلام ، عن أخيه زيد بن سلام ، عن جده أبي سلام - ممطور الحبشي - عن أبي أمامة - صدي بن عجلان الباهلي[٣] - به .

الزهراوان : المنيران[٤] ، والغياية[٥] : ما أظلك من فوقك . والفرق : القطعة من الشيء ، والصواف : المصطفة المتضامة . والبطلة : السحرة . ومعنى لا تستطيعها ؛ أي : لا يمكنهم حفظها . وقيل : لا تستطيع النفوذ[٦] في قارئها ، واللّه أعلم .

ومن ذلك حديث النواس بن سمعان ، قال الإمام أحمد (٢٥) : حدّثنا يزيد بن عبد ربه ، حدّثنا الوليد بن مسلم ، عن محمد بن مهاجر ، عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشي ، عن جبير بن نفير قال : سمعت النواس بن سمعان الكلابي ، يقول : سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقول : « **يؤتىٰ بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به ، تقدمهم سورة البقرة وآل عمران** » . وضرب لهما رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعدُ ، قال : « **كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرقٌ ، أو كأنهما فرقان من طير صواف[٧] يحاجان عن صاحبهما** » .

---

(٢٣) - **صحيح** ، وهو في المسند حديث ٢٢٢٤٦ - (٥/٢٤٩) ، و(٥/٢٥٥ ، ٢٥٧) وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١/١٨) لابن زنجويه في فضائل القرآن ، ومن طريق رواه البغوي في شرح السنة ١١٩٣ - (٤/ ٢٥٦) ، والطبراني (٨/٧٥٤٢، ٧٥٤٣) ، وابن الضريس (٩٨) ، والحاكم (١/٥٦٤) ، والروياني في مسنده ١٢٥٤ - (٢/٣٠٥) والبيهقي في الشعب (١٨٢٧هـ) .

(٢٤) - رواه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها برقم ٢٥٢ - (٨٠٤) .

(٢٥) - المسند حديث ١٧٦٨٨ - (٤/١٨٣) ، والبخاري في الكبير (٤/٢/١٤٧ - ١٤٨) ، والبيهقي في الشعب (٢١٥٧ هـ) .

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - زيادة من ز .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ن : المنيرتان .
[٥] - في ز ، خ : « الغاية » .
[٦] - في ز ، خ : « التفرد » .
[٧] - في ز : صاف .

ورواه مسلم(٢٦) عن إسحاق بن منصور، عن يزيد[١] بن عبد ربه، به.

والترمذي(٢٧)، من حديث الوليد بن عبد الرحمن الجرشي، به. وقال: حسن غريب.

وقال أبو عبيد(٢٨): حدّثنا حجاج، عن حماد بن سلمة[٢]، عن عبد الملك بن عمير، قال: قال حماد: أحسبه عن أبي منيب، عن عمه[٣]، أن رجلًا قرأ البقرة وآل عمران فلما قضى صلاته قال له كعب: أقرأت البقرة وآل عمران؟ قال: نعم. قال: فوالذي نفسي بيده إن فيهما اسم اللَّه الذي إذا دُعي به استجاب. قال: فأخبرني به. قال: لا، واللَّه لا أخبرك به، ولو أخبرتك به لأوشكت أن تدعوه بدعوة أَهْلَكُ فيها أنا وأنت.

وحدّثنا(٢٩) عبد اللَّه بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن سليم بن عامر، أنه سمع أبا أمامة يقول: إن أخًا لكم أُرِي في المنام أن الناس يسلكون في صدع جبل وعر طويل، وعلى رأس الجبل شجرتان خضراوان تهتفان[٤]: هل فيكم من يقرأ سورة البقرة؟ [ ][٥] هل فيكم من يقرأ سورة آل عمران؟ قال: فإذا قال الرجل: نعم دنتا[٦] منه بأعذاقهما حتى يتعلق بهما فتخطران[٧] به الجبل.

وحدّثنا(٣٠) عبد اللَّه بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن أبي عمران، أنه سمع أم الدرداء تقول: إن رجلًا ممن [قد][٨] قرأ القرآن أغار على جار له فقتله، وإنه أقيد منه[٩] فقتل، فمازال القرآن ينسل منه سورة سورة حتى بقيت البقرة وآل عمران جمعة، ثم إن آل عمران انسلت منه، وأقامت البقرة جمعة، فقيل لها: ﴿**ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد**﴾ قال: فخرجت

(٢٦) - رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل قراءة القرآن وسورة البقرة رقم ٢٥٣ - (٨٠٥).

(٢٧) - سنن الترمذي في كتاب فضائل القرآن، باب: ما جاء في سورة آل عمران حديث (٢٨٨٣).

(٢٨) - فضائل القرآن (ص ٢٣٥ - ٢٣٦). ورواه ابن الضريس في فضائله (٨٥).

(٢٩) - فضائل القرآن (ص ٢٣٦)، والدارمي (٣٢٤/٢).

(٣٠) - فضائل القرآن (ص ٢٣٦)، وسنده حسن وأبو عمران؛ مختلف في اسمه، وثقه ابن حبان، وقال أبو حاتم: صالح.

[١] - في ز: محمد.
[٢] - في ز: سلم.
[٣] - ف ز: عمر.
[٤] - في ز، خ: «يهتفان».
[٥] - في ت: [و].
[٦] - في ز، خ: «دنيا».
[٧] - في خ: «فيخطران».
[٨] - زيادة من ز ومن الفضائل.
[٩] - في ت، خ: به.

كأنها السحابة العظيمة .

قال أبو عبيد : أراه يعني أنهما كانتا معه في قبره تدفعان[١] عنه وتؤنسانه ، فكانتا من آخر ما بقي معه من القرآن .

وقال أيضًا(٣١) : حدّثنا أبو مسهر الغساني ، عن سعيد بن عبد العزيز التنوخي ، أن يزيد بن الأسود الجُرَشي كان يحدث أنه من قرأ البقرة وآل عمران في يوم برئ من النفاق حتى يمسي ، ومن قرأهما في ليلة برئ من النفاق حتى يصبح . قال : فكان يقرؤهما كل يوم وليلة سوى جزئه .

وحدّثنا(٣٢) يزيد ، عن وقاء[٢] بن إياس ، عن سعيد بن جبير قال : قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : من قرأ البقرة وآل عمران في ليلة كان - أو كتب - من القانتين .

فيه انقطاع ، ولكن ثبت في الصحيح[٣] (٣٣) : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم [وآله وسلم][٤] قرأ بهما في ركعة واحدة .

(ذكر[٥] ما ورد في فضل السبع الطول[٦])

قال أبو عبيد (٣٤) : حدّثنا هشام بن إسماعيل الدمشقي ، عن محمد بن شعيب ، عن سعيد ابن بشير ، عن قتادة ، عن أبي المليح ، عن واثلة بن الأسقع ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(٣١) - فضائل القرآن (ص ٢٣٧) .

(٣٢) - فضائل القرآن (ص ٢٣٧) ، ورواه سعيد بن منصور في تفسيره (٤٨٥) ، ومن طريقه البيهقي في الشعب (٢٢٠١ هـ) ، وسعيد بن جبير لم يدرك عمر ، ووقاء بن إياس : قال أبو حاتم : صالح الحديث . وقال أبو أحمد الحاكم : ليس بالمتين عندهم ، وقال يحيى بن سعيد : ما هو بالذي يعتمد عليه . وقال آخر : صدوق . وقال النسائي : ليس بالقوي . (الميزان ٤/٣٣٥) .

(٣٣) - الحديث في صحيح مسلم في صلاة المسافرين وقصرها ٢٠٣ - (٧٧٢) ، والنسائي برقم ١٠٠٩ - (١٧٧/٢) ، ١٦٦٤ - (٣/ ٢٢٥ - ٢٢٦) من حديث حذيفة ، رضي الله عنه .

(٣٤) - **حسن** ، سعيد بن بشير ؛ ضعيف في قتادة ، وقد تابعه عمران بن داور ، عن قتادة ، كما هو عند أحمد وغيره ، والحديث في فضائل القرآن (ص ٢٢٥) ، ورواه ابن جرير في تفسيره ١٢٦ - (١/١٠٠) من طريق رواد بن الجراح ، عن سعيد بن بشير ، به ، ورواه أحمد ١٧٠٣٢- (٤/١٠٧) : ثنا سليمان بن داود - أبو داود الطيالسي ؛ قال : أنا عمران القطان ، عن قتادة ، عن أبي المليح الهذلي ، عن واثلة بن الأسقع ، ورواه الطيالسي ١٠١٢ - (١٣٦) ، ورواه ابن جرير في تفسيره ١٢٦ - (١/١٠٠) من طريق الطيالسي ، عن عمران - أبي العوام - عن قتادة ، به ، ورواه ابن جرير في تفسيره ١٢٩ - (١/١٠١) من طريق ليث بن أبي

[١] - في ت : « يدفعان » .
[٢] - في خ : ورقاء
[٣] - في خ : الصحيحين .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في خ : « الطوال » وهي ساقطة من ز .

« أعطيت السبع الطول[١] مكان التوراة ، وأعطيت المئين[٢] مكان الإنجيل ، وأعطيت المثاني مكان الزبور ، وفضلت بالمفصل » .

هذا حديث غريب ، وسعيد بن [ ][٣] بشير ، فيه لين .

وقد رواه أبو عبيد(٣٥) عن عبد اللَّه بن صالح ، عن الليث ، عن سعيد بن أبي هلال ، قال : بلغنا أنّ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قال ... فذكره ، واللَّه أعلم .

ثم قال (٣٦) : حدّثنا إسماعيل بن جعفر ، عن عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب بن عبد اللَّه ابن حنطب ، عن حبيب بن هند الأسلمي ، عن عروة ، عن عائشة رضي اللَّه عنها عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم قال : **« من أخذ السبع فهو حَبْر »** .

وهذا أيضًا غريب ، وحبيب بن هند بن أسماء بن هند بن حارثة الأسلمي ، روى عنه عمرو بن أبي عمرو ، وعبد اللَّه بن أبي بكرة[٤] ، وذكره أبو حاتم الرازي ولم يذكر فيه جرحًا ، فاللَّه أعلم .

وقد رواه الإمام أحمد(٣٧) عن سليمان بن داود وحسين ، كلاهما عن إسماعيل بن جعفر ، به .

سليم ، عن أبي بردة ، عن أبي المليح ؛ به نحوه ، وأخرجه الطبراني في الكبير (٢٢/ ٧٥ - ٧٦) حديث (١٨٥ - ١٨٧) ، والحميدي في مسنده (١٩١٨) ، وأورده الهيثمي (١٥٨/٧) ، وقال : رواه أحمد والطبراني بنحوه . وأورده (٤٦/٧) وقال : رواه أحمد ، وفيه عمران القطان ، وثقه ابن حبان وغيره وضعفه النسائي وغيره ، وبقية رجاله ثقات ، ورواه ابن الضريس في فضائله - مرسلًا - من حديث عبد الأعلى ، عن وهيب ، عن خالد ، عن أبي قلابة مرفوعًا ص (٨٢ ، ١٢٧) ، وابن جرير أيضًا ١٢٧ - (١٠٠/١) .

(٣٥) - **معضل** ، والحديث في فضائل القرآن (ص ٢٢٥ - ٢٢٦) . ثم قال بعده : قال عبد اللَّه : لم يحفظ الليث عن سعيد إلا ثلاثة أحاديث هذا أحدها .

(٣٦) - حبيب بن هند ترجمه البخاري ، وابن أبي حاتم ، ولم يذكرا فيه جرحًا ، ولا تعديلًا ، وذكره ابن حبان في الثقات (ت الكبير ٣٢٧/٢ ، والجرح ١١٠/٣ ، والثقات ١٤١/٤ ، ١٧٧/٦ ، والتعجيل ٤٢٥/١) والحديث في فضائل القرآن (ص ٢٢٦) .

(٣٧) - المسند حديث ٢٤٥٥٣ - (٧٣/٦) ، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٥٦٤/١) ، والبزار كما في كشف الأستار (٩٥/٣/رقم: ٢٣٢٧) ، والطحاوي في المشكل (١٥٤/٢) ، والبغوي في شرح السنة (٤/ ٤٦٨) ، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٠٨/١٠) ، كلهم عن عمرو بن أبي عمرو ، به . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٢/٧) وقال : « رواه أحمد والبزار ، ورجال البزار رجال الصحيح غير حبيب ابن هند الأسلمي ، وهو ثقة ، ورواه بإسناد آخر رجاله رجال الصحيح ، ورواه بإسناد آخر عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلى اللَّه عليه وسلم قال ... مثله ، ولكن سقط من الإسناد رجل » .

---

[١] - سقط من : خ ز .
[٢] - في خ : « المئن » .
[٣] - في خ : أبي .
[٤] - في ز : بكر .

ورواه أيضًا عن أبي سعيد(٣٨) ، عن سليمان بن بلال ، عن حبيب بن [هند ، عن][١] عروة ، عن عائشة ؛ أنّ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قال : « **من أخذ السبع الأول من القرآن فهو حَبْر** » .

قال أحمد(٣٩) : وحدّثنا حسين ، حدثنا ابن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم ، مثله .

قال عبد اللَّه بن أحمد : وهذا أرى فيه ، عن أبيه ، عن الأعرج ، ولكن كذا كان في الكتاب فلا أدري [أغفله أبي][٢] أو كذا هو مرسل .

[وروى الترمذي(٤٠) ، عن أبي هريرة أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم بعث بعثًا وهم ذوو عدد ، وقدّم عليهم أحدثهم سنًّا لحفظه سورة البقرة ، وقال له : « **اذهب فأنت أميرهم** » . وصححه الترمذي][٣]

ثم قال أبو عبيد(٤١) : حدّثنا هشيم ، أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير في قوله تعالى : ﴿**ولقد آتيناك سبعًا من المثاني**﴾ قال : هي السبع الطول : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، ويونس . قال : وقال مجاهد : هي السبع الطول[٤] .

وهكذا قال مكحول وعطية بن قيس وأبو محمد الفارسي [و][٥] شداد بن [عبيد اللَّه][٦] ويحيىٰ بن الحارث الذماري في تفسير الآية بذلك ، وفي تعدادها ، وأنّ يونس هي السابعة .

فصل

[البقرة نزلت بالمدينة][٧]

---

(٣٨) - المسند حديث ٢٤٦٤٢ - (٦/٨٢) .

(٣٩) - **إسناده ضعيف** ، وهو في المسند حديث ٢٤٥٥٤ - (٦/٧٣) .

(٤٠) - الحديث في سنن الترمذي ، أبواب فضائل القرآن ، باب : ما جاء في سورة البقرة وآية الكرسي برقم (٢٨٧٦) . وتقدم برقم (١٥) .

(٤١) - فضائل القرآن لأبي عبيد ص (٢٢٧) ، وابن جرير (٤/٥٣) ، والبيهقي في الشعب (٢١٩٥ هـ) .

---

[١] - في ز : عبد .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - سقط من خ .

[٤] - في خ : « الطوال » .

[٥] - سقط من ز .

[٦] - في ن : أوس .

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

والبقرة جميعها مدنية بلا خلاف، [وهي من أوائل ما نزل بها، لكن قوله تعالى فيها: ﴿ **واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله** ﴾ الآية، يقال: إنها آخر ما نزل من القرآن ويحتمل أن تكون منها، وكذلك آيات الربا من آخر ما نزل، وكان خالد بن معدان يسمي البقرة فسطاط القرآن][١].

قال بعض العلماء: وهي مشتملة على ألف خبر، وألف أمر، وألف نهي.

وقال العادّون: آياتها مائتان وثمانون وسبع آيات، وكلماتها ستة آلاف كلمة ومائة وإحدى وعشرون كلمة، وحروفها خمسة وعشرون ألفًا وخمسمائة حرف، فالله أعلم.

قال ابن جريج(٤٢): عن عطاء، عن ابن عباس: نزلت بالمدينة سورة البقرة.

وقال خصيف(٤٣): عن مجاهد، عن عبد الله بن الزبير، قال: نزلت[٢] بالمدينة سورة البقرة.

وقال الواقدي(٤٤): حدثني الضحاك بن عثمان، عن أبي الزناد، عن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبيه، قال: نزلت البقرة بالمدينة. وهكذا قال غير واحد من الأئمة والعلماء والمفسرين ولا خلاف فيه.

وقال ابن مردويه: حدّثنا محمد بن معمر، حدّثنا الحسن بن علي بن الوليد الفارسي[٣]، حدّثنا خلف بن هشام، وحدّثنا عبيس[٤] بن ميمون، عن موسى بن أنس بن مالك، عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **لا تقولوا سورة البقرة ولا سورة آل عمران ولا سورة النساء وكذا القرآن كله، ولكن قولوا: السورة[٥] التي يذكر فيها البقرة، والتي يذكر فيها آل عمران، وكذا القرآن كله** »(٤٥).

---

(٤٢) – رواه ابن الضريس (١٨)، وعزاه في الدر المنثور (١٧/١) لأبي جعفر النحاس، في الناسخ والمنسوخ، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل من طرقٍ عن ابن عباس، وعطاء الخرساني لم يسمع من ابن عباس.

(٤٣) – خصيف هو ابن عبد الرحمن: ضعيف، والحديث عزاه في الدر المنثور (١٧/١) لابن مردويه.

(٤٤) – الواقدي: متروك.

(٤٥) – منكر، والحديث رواه الطبراني في الأوسط برقم (٣٤٥٠ مجمع البحرين)، والبيهقي في شعب الإيمان برقم (٢٥٨٢)، والعقيلي في الضعفاء (٤١٨/٣)، وابن الجوزي في الموضوعات (٢٥٠/١) من طريق عبيس ابن ميمون، عن موسى بن أنس، به، وهو في اللآلئ المصنوعة (٢٣٩/١)، وقال البيهقي: « عُبيس بن

---

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من: خ.

[٢] – في ز: انزل.

[٣] – سقط من ز.

[٤] – في ز، خ: عيسى، وهو تحريف.

[٥] – في ز، خ: « سورة ».

هذا حديث غريب لا يصح رفعه، وعبيس[١] بن ميمون هذا هو أبو[٢] سلمة الخوّاص، وهو ضعيف الرواية، لا يحتج به، وقد ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود أنه رمى الجمرة من بطن الوادي، فجعل البيت عن يساره، ومنى عن يمينه، ثم قال: هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة. أخرجاه (٤٦).

وروى ابن مردويه (٤٧)، من حديث شعبة، عن عقيل بن طلحة، عن عتبة بن فرقد[٣]، قال: رأى النبي صلى الله عليه وسلم في أصحابه تأخرًا فقال: «**يا أصحاب سورة البقرة**». وأظنّ هذا كان يوم حنين حين ولوا مدبرين، أمر العباس فناداهم - «**يا أصحاب الشجرة**» - يعني: أهل بيعة الرضوان - وفي رواية: «**يا أصحاب سورة[٤] البقرة**» - لينشطهم[٥] بذلك، فجعلوا يقبلون من كل وجه.

وكذلك يوم اليمامة مع أصحاب مسيلمة، جعل الصحابة يفرون لكثافة [جيش بني][٦]

ميمون منكر الحديث، وهذا لا يصح، وإنما روى عن ابن عمر من قوله». وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٧/٧) وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عُبيس بن ميمون وهو متروك.

(٤٦) - صحيح البخاري، كتاب الحج، باب: رمي الجمار من بطن الوادي برقم (١٧٤٧)، ومسلم في كتاب الحج، برقم ٣٠٥ - (١٢٩٦).

(٤٧) - رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٣٣/١٧) من طريق علي بن قتيبة، عن شعبة، عن عقيل بن طلحة، به، ورواه ابن أبي عاصم، من طريق أسد بن قتيبة، عن عقيل بن طلحة، به، وأورده الهيثمي (٣٣٧/٥) وقال: رواه الطبراني، وفيه علي بن قتيبة وهو ضعيف.

ورواه عبد الرزاق (٩٧٤١/٥)، ومن طريق عبد الرزاق رواه مسلم ٧٦ - (١٧٧٥)، وأحمد (١٧٧٥) من حديث كثير بن العباس، عن أبيه.

ورواه أحمد ١٧٧٦ - (٢٠٧/١) من حديث كثير بن عباس قال: كان عباس وأبو سفيان - يعني ابن الحارث - معه - يعني النبي، صلى الله عليه وسلم، فخطبهم وقال: «**الآن حمي الوطيس - وقال -: نادِ يا أصحاب سورة البقرة**».

ورواه أحمد في فضائل الصحابة ١٧٧٦ - (٩٢٨/٢) من حديث كثير بن العباس، به.

ورواه أبو يعلى - من حديث أنس - في مسنده ٣٦٠٦ - (٢٨٩/٦)، والطبراني في الأوسط (٢٧٥٨) من طريق عمرو بن عاصم، عن أبي العوام، عن معمر، عن الزهري، عن أنس، رضي الله عنه. وأورده الهيثمي (١٨١/٦) وعزاه لأبي يعلى والطبراني وقال: رجالهما رجال الصحيح غير عمران بن داور القطان، وهو أبو العوام، وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه ابن معين وغيره.

---

[١] - في ز، خ: عيسى.
[٢] - في ز: ابن.
[٣] - في ز، خ: «مربد».
[٤] - سقط من ز.
[٥] - في ز: ينشطهم.
[٦] - في خ: «حسدى»، وفي ز: حشري

حنيفة ، فجعل المهاجرون والأنصار يتنادون يا أصحاب سورة البقرة ! حتى فتح اللّه عليهم(٤٨) ، رضي اللّه عن أصحاب رسول اللّه أجمعين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾

قد اختلف المفسرون في الحروف المقطعة التي في أوائل السور ؛ فمنهم من قال : هي مما استأثر اللّه بعلمه ، فردّوا علمها إلى اللّه ولم يفسروها .

[حكاه القرطبي في تفسيره(٤٩) عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود رضي اللّه عنهم أجمعين ، وقاله عامر الشعبي وسفيان الثوري والربيع بن خُثيم ، واختاره أبو حاتم بن حبان][١] .

ومنهم من فسرها ، واختلف هؤلاء في معناها ؛ فقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : إنما هي أسماء السور . [قال العلامة أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري في تفسيره(٥٠) : وعليه إطباق الأكثر . ونقل عن سيبويه أنه نص عليه][٢] ويعتضد لهذا[٣] بما ورد في الصحيحين(٥١) عن أبي هريرة أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة ﴿ الم ﴾ السجدة ، و ﴿ **هل أتىٰ على الإنسان** ﴾.

وقال سفيان الثوري(٥٢) : عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، أنه قال : ﴿ الم ﴾ ، و ﴿حم﴾ ، و

(٤٨) – رواه عبد الرزاق (٩٤٦٥/٥) عن معمر ، وابن أبي شيبة في المصنف (٥٠٢/١٢) عن وكيع ، وسعيد بن منصور ، عن يعقوب بن عبد الرحمن ، ثلاثتهم ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : « كان شعار أصحاب النبي ، صلى اللّه عليه وسلم ، يوم مسيلمة : يا أصحاب سورة البقرة » .

(٤٩) – تفسير القرطبي (١٥٤/١) .

(٥٠) – الكشاف (١٠/١) .

(٥١) – رواه البخاري في الجمعة ، باب : ما يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة برقم (٨٩١) ، ومسلم في الجمعة برقم ٦٥ ، ٦٦ – (٨٨٠) .

(٥٢) – رواه ابن جرير برقم (٢٣٠) ، وعزاه السيوطي في الدر لابن المنذر ، وأبي الشيخ ، وقد قيل : إن ابن أبي نجيح لم يسمع التفسير من مجاهد ، قاله يحيى بن سعيد القطان ، ولكن الواسطة بينهما هو القاسم بن أبي بزة ، وهو ثقة ، قال ابن حبان : لم يسمع التفسير من مجاهد غير القاسم ، وكل من يروي عن مجاهد

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٣] – في ز : هذا .

﴿المص﴾، و ﴿ص﴾ فواتح افتتح الله بها القرآن.

وكذا قال غيره عن مجاهد(٥٣)، وقال مجاهد (٥٤) في رواية أبي حذيفة موسى بن مسعود، عن شبل، عن ابن أبي نجيح، عنه أنه قال: ﴿ الم ﴾ اسم من أسماء القرآن.

وهكذا قال قتادة وزيد بن أسلم(٥٥).

ولعل هذا يرجع إلى معنى قول عبد الرحمن بن زيد [بن أسلم][١] : إنه اسم من أسماء السور؛ فإن كل سورة يطلق عليها اسم القرآن، فإنه يبعد أن يكون المص اسمًا[٢] للقرآن كله؛ لأن المتبادر إلى فهم سامع من يقول: قرأت المص، إنما ذلك عبارة عن[٣] سورة الأعراف لا لمجموع القرآن، والله أعلم.

وقيل: هي اسم من أسماء الله تعالى، فقال الشعبي: فواتح السور من أسماء الله تعالى. وكذلك قال سالم بن عبد الله، وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير. وقال شعبة: عن السدي: بلغني أن ابن عباس قال: ﴿ الم ﴾ اسم من أسماء الله الأعظم. هكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث شعبة.

ورواه(٥٦) ابن جرير عن بندار، عن ابن مهدي، عن شعبة، قال: سألت السدي عن حم و طس و الم؛ فقال: قال ابن عباس: هي اسم الله الأعظم.

وقال ابن جرير (٥٧): وحدّثنا محمد بن المثنى، حدّثنا أبو النعمان، حدّثنا شعبة، عن إسماعيل السدي، عن مرة الهمداني قال: قال عبد الله:... فذكر نحوه.

[وحكي مثله عن علي وابن عباس][٤]. وقال علي بن أبي طلحة: عن ابن عباس(٥٨): هو

التفسير إنما أخذه من كتاب القاسم.

(٥٣) - رواه ابن جرير برقم (٢٢٨، ٢٣١)، وابن أبي حاتم برقم (٥١) من طريق ابن جريج.

(٥٤) - رواه ابن جرير برقم (٢٢٦).

(٥٥) - رواه عبد الرزاق (٣٩/١)، ومن طريقه ابن جرير (٢٢٥).

(٥٦) - تفسير ابن جرير ٢٣٣ - (٢٠٦/١). وفيه (محمد بن المثنى) بدل (بندار - محمد بن بشار).

(٥٧) - تفسير ابن جرير ٢٣٤ - (٢٠٦/١).

(٥٨) - رواه ابن جرير برقم (٢٣٦)، وعلي بن طلحة لم يسمع من ابن عباس، ولم يره.

---

[١] - سقط من ز.

[٢] - في ز: اسم.

[٣] - سقط من: ز، خ.

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

قسم أقسم اللَّه به ، وهو من أسماء اللَّه تعالى .

وروى ابن أبي حاتم(٥٩) وابن جرير من حديث ابن عُليّة عن خالد الحذاء ، عن عكرمة ، أنه قال : ﴿ الم ﴾ قسم .

ورويا(٦٠) أيضًا من حديث شريك بن عبد اللَّه ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي الضحىٰ ، عن ابن عباس : ﴿ الم ﴾ قال : أنا اللَّه أعلم .

وكذا قال سعيد بن جبير(٦١) .

وقال السدي عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني[١] عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى اللَّه عليه وسلم(٦٢) : ﴿ الم ﴾ قال : أما[٢] الم فهي حروف استفتحت من حروف هجاء أسماء[٣] اللَّه تعالى .

وقال أبو جعفر الرازي(٦٣) : عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية في قوله تعالى : ﴿ الم ﴾ قال : هذه الأحرف الثلاثة من التسعة والعشرين حرفًا دارت فيها الألسن كلها ، ليس منها حرف إلا وهو مفتاح اسم من أسمائه ، وليس منها حرف إلا وهو من آلائه وبلائه ، وليس منها حرف إلا وهو في مدة أقوام[٤] وآجالهم .

قال عيسىٰ ابن مريم – عليه السلام – وعجب فقال : وأعجب أنهم ينطقون بأسمائه ، ويعيشون في رزقه ، فكيف يكفرون به . فالألف مفتاح اسمه اللَّه . واللام مفتاح اسمه لطيف ، والميم مفتاح اسمه مجيد ، فالألف آلاء اللَّه ، واللام لطف اللَّه ، والميم مجد اللّه ، والألف ستة[٥] واللام ثلاثون [ ][٦] ، والميم أربعون [ ][٧] .

(٥٩) – **إسناده صحيح** ، وهو في تفسير ابن أبي حاتم ٥٢ – (٣٠/١) ، وتفسير ابن جرير ٢٣٧ – (٢٠٧/١).

(٦٠) – **إسناده ضعيف** ؛ لضعف شريك ، واختلاط عطاء ، وهو في تفسير ابن أبي حاتم ٤٣ – (٢٧/١) وتفسير ابن جرير ٢٣٨ – (٢٠٧/١) .

(٦١) – رواه ابن جرير (٢٣٩) .

(٦٢) – رواه ابن جرير (٢٤٠) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٦٥/١) .

(٦٣) – تفسير ابن أبي حاتم ٤٩ – (٢٨/١) .

[١] – في خ : الهمذاني .
[٢] – سقط من ز .
[٣] – في ز ، خ : « اسم » .
[٤] – في ز : قوم .
[٥] – في ت ، وابن جرير : « سنة » .
[٦] – في ت وابن جرير : سنة .
[٧] – في ت وابن جرير : سنة .

هذا لفظ ابن أبي حاتم.

ونحوه رواه ابن جرير(٦٤)، ثم شرع يوجه كل واحد من هذه الأقوال ويوفق بينها، وأنه لا منافاة بين كل[١] واحد منها وبين الآخر، وأن الجمع ممكن، فهي أسماء للسور، ومن أسماء اللَّه تعالى يفتتح بها السور، فكل حرف منها دل على اسم من أسمائه وصفة من صفاته، كما افتتح سورًا كثيرة بتحميده وتسبيحه وتعظيمه.

قال: ولا مانع من دلالة الحرف منها على اسم من أسماء اللَّه، وعلى صفة من صفاته، وعلى مدة وغير ذلك، كما ذكره الربيع بن أنس، عن أبي العالية؛ لأن الكلمة الواحدة تطلق على معاني كثيرة، كلفظة الأمة فإنها تطلق ويراد به الدين، كقوله تعالى: ﴿**إنا وجدنا آباءنا على أمة**﴾، وتطلق ويراد بها الرجل المطيع للَّه كقوله تعالى: ﴿**إن إبراهيم كان أمة قانتًا للَّه حنيفًا ولم يك من المشركين**﴾. وتطلق ويراد بها الجماعة كقوله: ﴿**وجد عليه أمة من الناس يسقون**﴾ وقوله: ﴿**ولقد بعثنا في كل أمة رسولًا**﴾ وتطلق ويراد بها الحين من الدهر كقوله تعالى: ﴿**وقال الذي نجا منهما وادّكر بعد أمة**﴾ أي بعد حين على أصح القولين، قال: فكذلك هذا.

هذا حاصل كلامه موجهًا، ولكن هذا ليس كما ذكره أبو العالية، فإن أبا العالية زعم أن الحرف دل على هذا وعلى هذا، وعلى هذا معًا، ولفظة الأمة وما أشبهها من الألفاظ المشتركة في الاصطلاح إنما دل في القرآن في كل موطن على معنى واحد دل عليه سياق الكلام، فأما حمله على مجموع محامله إذا أمكن فمسألة مختلف فيها بين علماء الأصول، ليس هذا موضع البحث فيها، واللَّه أعلم.

ثم إن لفظة[٢] الأمة تدل[٣] على كل [من معانيها][٤] في سياق الكلام بدلالة الوضع، فأما دلالة الحرف الواحد على اسم يمكن أن يدل على اسم آخر من غير أن يكون أحدهما أولى من الآخر في التقدير أو الإضمار بوضع ولا بغيره، فهذا مما لا يفهم إلا بتوقيف؛ والمسألة مختلف فيها، وليس فيها إجماع حتى يحكم به.

وما أنشدوه من الشواهد على صحة إطلاق الحرف الواحد على بقية الكلمة، فإن في السياق ما يدل على ما حذف بخلاف هذا، كما قال الشاعر:

قلنا لها قفي لنا فقالت قاف لاتحسبي أنا نسينا الإيجاف[٥]

---

(٦٤) - تفسير ابن جرير ٢٤٣ - (٢٠٨/١) موقوفًا على الربيع بن أنس.

---

[١] - سقط من ز.
[٢] - في ز: لفظ.
[٣] - في ز: يدل.
[٤] - في ز: معانيه.
[٥] - في ز، خ: «الإلحاف». والإيجاف: حث الدابة على سرعة السير، وهو الوجيف.

تعني وقفت.

وقال الآخر:

ما للظليم عَالَ[١] كَيْفَ لا يا ينـقَـدُّ عنـه جلـده إذا يـا

فقال ابن جرير: كأنه أراد أن يقول: إذا يفعل كذا وكذا، فاكتفى بالياء من يفعل.

وقال الآخر:

بـالخيـر خيـرات وإن شـرًّا فـا ولا أريـد الـشـرَّ إلا أن تـا

يقول: وإن شرًّا فشر، ولا أريد الشر إلا أن تشاء، فاكتفىٰ بالفاء والتاء من الكلمتين عن بقيتهما، ولكن هذا ظاهر من سياق الكلام، والله أعلم.

[قال القرطبي(٦٥): وفي الحديث «من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة» الحديث قال سفيان: هو أن يقول في اقتل «اق»][٢].

(٦٥) - تفسير القرطبي (١٥٦/١)، والحديث رواه ابن ماجة في الديات، باب: التغليظ في قتل مسلم ظلمًا برقم (٢٦٢٠)، والبيهقي (٢٢/٨)، وأبو يعلى ٥٩٠٠ - (٣٠٦/١٠)، ورواه العقيلي (٣٨٢/٤)، وابن الجوزي في الموضوعات (١٠٤/٣)، وابن عدي (٢٧١٤/٧ - ٢٧١٥)، والبيهقي في الكبرى (٢٢/٨)، من طريق يزيد بن أبي زياد، عن الزهري، عن سعيد، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، به، مرفوعًا، وقال البوصيري في الزوائد (٣٣٤/٢): «هذا إسناد ضعيف، يزيد بن أبي زياد الدمشقي قال فيه البخاري وأبو حاتم: منكر الحديث»، ونقل الذهبي في الميزان (٤٢٥/٤) وابن حجر في التلخيص (١٨٧٠) أن أبا حاتم الرازي قال: «باطل، موضوع»، ونقل ابن الجوزي عن أحمد قال: ليس هذا الحديث بصحيح. وقال ابن عدي: ليس بمحفوظ، وكل رواياته مما لا يتابع عليه.

ورواه الطبراني في الكبير ١١١٠٢ - (٧٩/١١) من حديث العوام بن حوشب، عن مجاهد، عن ابن عباس قال قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «**من شرك في دمٍ حرام بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله**».

ورواه البيهقي (٢٢/٨) من حديث نوح بن الهيثم، عن الفرج بن فضالة، عن الضحاك، عن الزهري - معضلًا - يرفعه. وفرج: مُضعف.

وقد رواه أبو نعيم في الحلية (٥/ ٧٤) من طريق حكيم بن نافع، عن خلف بن حوشب، عن الحكم بن عتيبة، عن سعيد بن المسيب، سمعت عمر فذكره. وقال: تفرد به حكيم، عن خلف.

قال الحافظ: وأورده ابن الجوزي في الموضوعات (١٠٤/٣) من طرق أخرى، منها عن أبي سعيد الخدري بلفظ: «**يجيء القاتل يوم القيامة مكتوبًا بين عينيه: آيس من رحمة الله**». وأعله بعطية، ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة، ومحمد لا يستحق أن يحكم على أحاديثه بالوضع - وثقه صالح جزرة، وقال ابن

[١] - في ز، خ: «غال». [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

وقال خصيف(٦٦) : عن مجاهد أنه قال : فواتح السور كلها ﴿ق وص وحم وطسم والر﴾ وغير ذلك هجاء موضوع .

وقال بعض أهل العربية : هي حروف من حروف المعجم استغني بذكر ما ذكر منها في أوائل السور عن ذكر بواقيها التي هي تتمة الثمانية والعشرين حرفًا ، كما يقول القائل : ابني يكتب في ا ب ت ث ، أي في حروف المعجم الثمانية والعشرين ، فيستغنى بذكر بعضها عن مجموعها . حكاه ابن جرير(٦٧) .

قلت : مجموع الحروف المذكورة في أوائل السور بحذف المكرر منها أربعة عشر حرفًا ، وهي - ا ل م ص ر ك هـ ي ع ط س ح ق ن - يجمعها قولك : نصٌّ حكيمٌ قاطعٌ لهُ سرٌّ . وهي نصف الحروف عددًا والمذكور منها أشرف من المتروك ، وبيان ذلك من صناعة التصريف .

[قال الزمخشري(٦٨) : وهذه الحروف الأربعة عشر مشتملة على أصناف أجناس الحروف يعني من المهموسة والمجهورة ، ومن الرخوة والشديدة ، ومن المطبقة والمفتوحة ومن المستعلية والمنخفضة ، ومن حروف القلقلة . وقد سردها مفصلة ثم قال : فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته . وهذه الأجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة منها ، وقد علمت أن معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله][١] ، ومن هاهنا لخص[٢] بعضهم في هذا المقام كلامًا فقال : لا شك أن هذه الحروف لم ينزلها سبحانه وتعالى عبثًا ولا سدىً ، ومن قال من الجهلة : إنه في القرآن ما هو تعبد لا معنى له بالكلية فقد أخطأ خطأً كبيرًا ، فتعين أن لها معنى في نفس الأمر ، فإن صح لنا فيها عن المعصوم شيء قلنا به ، وإلا ، وقفنا حيث وقفنا وقلنا : ﴿آمنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِندِ ربِّنا﴾ . ولم يجمع العلماء فيها على[٣] شيء معين ، وإنما اختلفوا فمن ظهر له بعض الأقوال بدليل فعليه اتباعه ، وإلا فالوقف حتى يتبين . هذا مقام .

المقام الآخر في الحكمة التي اقتضت إيراد هذه الحروف في أوائل السور ، ما هي ؟ مع قطع

عدي : لم أر له حديثًا منكرًا وهو على ما وصف لي أنه لا بأس به . وأما عبد الله بن أحمد بن حنبل فقال : كذاب . وقال ابن خراش : كان يضع الحديث . وقال البرقاني : لم أزل أسمعهم يذكرون أنه مقدوح فيه . (الميزان ٦٤٢/٣) - وأما عطية فضعيف ، لكن حديثه يحسنه الترمذي إذا توبع .

(٦٦) - رواه ابن جرير (٢٤٢) ، وعزاه السيوطي في الدر (٢٣/١) لابن المنذر .

(٦٧) - تفسير ابن جرير (٢٠٩/١) .

(٦٨) - الكشاف (١٣/١) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - في ز : لحظ .

[٣] - سقط من ز .

النظر عن معانيها في أنفسها ؛ فقال بعضهم : إنما ذكرت ليعرف[١] بها أوائل السور .

حكاه ابن جرير (٦٩) وهذا ضعيف ؛ لأن الفصل حاصل بدونها ، فيما لم تذكر فيه ، وفيما ذكرت فيه البسملة[٢] تلاوة وكتابة .

وقال آخرون : بل ابتدئ بها لتُفْتَحَ لاستماعها أسماع المشركين ، إذ[٣] تواصوا بالإعراض عن القرآن ، حتى إذا استمعوا له تُلي[٤] عليهم المؤلَّف منه .

حكاه ابن جرير أيضًا (٧٠) ، وهو ضعيف أيضًا ؛ لأنه لو كان كذلك لكان ذلك في جميع السور لا يكون في بعضها ، بل غالبها ليس كذلك ، ولو كان كذلك أيضًا لانبغي الابتداء بها في أوائل الكلام معهم ، سواء كان افتتاح سورة أو غير ذلك .

ثم إن هذه السورة والتي تليها أعني البقرة وآل عمران مدنيتان ليستا خطابًا للمشركين ، فانتقض ما ذكروه بهذه الوجوه .

وقال آخرون : بل إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بيانًا لإعجاز القرآن ، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله ، هذا مع أنه مركب[٥] من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها .

وقد حكى هذا المذهب الرازي في تفسيره عن المبرد وجمع من المحققين .

وحكى القرطبيُّ عن الفراء وقطرب نحو هذا .

وقرره الزمخشري في كشافه ونصره أتم نصر ، وإليه ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج المزي وحكاه لي عن ابن تيمية .

[قال الزمخشري : ولم ترد كلها مجموعة في أول القرآن ، وإنما كررت ليكون أبلغ في التحدي والتبكيت ، كما كررت قصص كثيرة ، وكرر التحدي بالصريح في أماكن .

قال : وجاء منها على حرف واحد كقوله - ﴿ص﴾ ﴿ن﴾ ﴿ق﴾ - وحرفين مثل ﴿ **حم** ﴾ وثلاثة مثل ﴿ **الم** ﴾ وأربعة مثل ﴿ **المر** ﴾ ﴿ **والمص** ﴾ وخمسة مثل ﴿ **كهيعص** ﴾ ﴿ **وحم**

(٦٩) - تفسير ابن جرير (١/ ٢٢٠ - ٢٢٤) .
(٧٠) - تفسير ابن جرير (١/ ٢١٠) .

[١] - في ز : لنعرف .
[٢] - في ز : بالبسملة .
[٣] - في خ : « إذا » .
[٤] - في ز : تلا .
[٥] - سقط من : ز ، خ .

عسق﴾ لأن أساليب كلامهم على هذا من الكلمات، ما هو على حرف وعلى حرفين وعلى ثلاثة وعلى أربعة وعلى خمسة لا أكثر من ذلك.

(قلت [١]) : ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف فلابد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن، وبيان إعجازه وعظمته، وهذا معلوم بالاستقراء، وهو الواقع [في تسع وعشرين سورة][٢]، ولهذا يقول تعالى: **﴿الم * ذلك الكتاب لاريب فيه﴾ ﴿الم * الله لا إله إلا هو الحي القيوم * نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه﴾**، **﴿المص * كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه﴾**، **﴿الر * كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم﴾**، **﴿الم * تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين﴾**، **﴿حم * تنزيل من الرحمن الرحيم﴾ ﴿حم عسق * كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم﴾** وغير ذلك من الآيات الدالة على صحة ما ذهب إليه هؤلاء لمن أمعن النظر، والله أعلم.

وأما من زعم أنها دالة على معرفة المدد، وأنه يستخرج من ذلك أوقات الحوادث والفتن والملاحم، فقد ادعى ما ليس له، وطار في غير مطاره، وقد ورد في ذلك حديث ضعيف، وهو مع ذلك أدل على بطلان هذا المسلك من التمسك به على صحته، وهو ما رواه محمد بن إسحاق ابن يسار - صاحب المغازي(٧١) -: حدّثني الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، عن جابر ابن عبد الله بن رئاب[٣] قال: مر أبو ياسر بن أخطب في رجال من يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو فاتحة سورة البقرة: **﴿الم * ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾** فأتى أخاه حُيي بن أخطب في رجال من اليهود فقال: تعلمون والله لقد سمعت محمدًا يتلو فيما أنزل الله تعالى عليه: **﴿الم * ذلك الكتاب﴾** فقال: أنت سمعته؟ قال: نعم. قال: فمشى حُيي بن أخطب في أولئك النفر من اليهود[٤] إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا محمد، ألم تذكر أنك تتلو فيما أنزل الله عليك: **﴿الم * ذلك الكتاب﴾**؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«بلى»**. فقالوا: جاءك[٥] بهذا جبريل من عند الله؟ فقال: **«نعم»** قالوا: لقد بعث الله قبلك أنبياء ما نعلمه بيّن لنبي منهم ما مدة ملكه وما أجل أمته غيرك، فقام[٦] حُييّ بن أخطب وأقبل على من كان معه، فقال لهم: الألف واحدة، واللام ثلاثون، والميم أربعون، فهذه إحدى وسبعون سنة، [أفتدخلون في دين نبي إنما مدة ملكه وأجل أمته إحدى وسبعون سنة؟][٧] ثم أقبل على رسول

---

(٧١) - رواه البخاري في التاريخ الكبير (٢/ ٢٠٧ - ٢٠٨)، وابن جرير في تفسيره ٢٤٦ - (١/٢١٦ - ٢١٨) من طريق ابن إسحاق، وهو في السيرة النبوية لابن هشام (٢/١٩٤ - ١٩٥).

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٣] - في خ: «زياب».
[٤] - في ز: يهود.
[٥] - في ز: أجاءك.
[٦] - في ز: فقال.
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.

الله ، صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ! هل مع هذا غيره ؟ فقال : « نعم » قال : ماذاك ؟ قال : ﴿المص﴾ قال : هذه أثقل وأطول ؛ الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والصاد سبعون[١] ، فهذه إحدى وثلاثون[٢] ومائة[٣] سنة . هل مع هذا يا محمد غيره ؟ قال : « نعم » قال : ما ذاك[٤] ؟ قال ﴿الر[٥]﴾ .قال : هذا[٦] أثقل وأطول الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والراء مائتان ، فهذه إحدى وثلاثون ومائتا[٧] سنة . [فهل مع هذا يا محمد غيره ؟ قال : « نعم » ، [قال : ماذا ؟ قال][٨] ﴿المر﴾ قال : هذه أثقل وأطول ؛ الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون والراء مائتان ، فهذه إحدى وسبعون ومائتان][٩] . ثم قال : لقد لُبِّسَ علينا أمرك يا محمد ؛ حتى ما ندري أقليلًا أعطيت أم كثيرًا ، ثم قال : قوموا عنه ، ثم قال أبو ياسر لأخيه حيي بن أخطب ولمن معه من الأحبار : ما يدريكم ؟ لعله قد جمع هذا لمحمد كله ، إحدى وسبعون ، وإحدى وثلاثون ومائة ، وإحدى وثلاثون ومائتان ، وإحدى وسبعون ومائتان ، فذلك سبعمائة وأربع سنين .

فقالوا : لقد تشابه علينا أمره فيزعمون أن هؤلاء الآيات نزلت فيهم : **﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات﴾**.

فهذا الحديث[١٠] مداره على محمد بن السائب الكلبي وهو ممن[١١] لا يحتج بما انفرد به ، ثم كان مقتضى هذا المسلك إن كان صحيحًا أن يحسب[١٢] ما لكل حرف من الحروف الأربعة عشر التي ذكرناها وذلك يبلغ منه جملة كثيرة ، وإن حُسبت مع التكرر فأطم[١٣] وأعظم ، والله أعلم .

ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾

قال ابن جريج(٧٢) : قال ابن عباس : ذلك الكتاب أي[١٤] : هذا الكتاب ، وكذا[١٥] قال

(٧٢) - **منقطع** ، ابن جريج لم يسمع من ابن عباس .

[١] - في ن : تسعون .
[٢] - هكذا وجد في خ ، م ، والأصح « إحدى وأربعون ومائة » .
[٣] - مكررة في خ .
[٤] - في خ : « ماذا » .
[٥] - في ز : ﴿المر﴾
[٦] - في ز ، خ : « هذه » .
[٧] - في خ : « إحد وسبعون ومائتان » .
[٨] - سقط من ز .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[١٠] - سقط من ز .
[١١] - في ز ، خ : « مما » .
[١٢] - في ز : بحسب .
[١٣] - في ت : فأتم .
[١٤] - سقط من : ز ، خ .
[١٥] - سقط من : خ .

مجاهد وعكرمة، وسعيد بن جبير والسدى، ومقاتل بن حيان[١] وزيد بن أسلم، وابن جريج أن ذلك بمعنى هذا، والعرب تقارض بين اسمي[٢] الإشارة، فيستعملون كلًّا منهما مكان الآخر، وهذا معروف في كلامهم. [وقد حكاه البخاري عن معمر بن المثنى أبي عبيدة وقال الزمخشري ذلك إشارة إلى ﴿الم﴾ كما قال تعالى: ﴿لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك﴾ وقال تعالى: ﴿ذلكم حكم الله يحكم بينكم﴾ وقال: ﴿ذلكم الله﴾ وأمثال ذلك مما أشير به إلى ما تقدم ذكره، والله أعلم.

وقد ذهب بعض المفسرين فيما حكاه القرطبى(٧٣) وغيره إلى أن ذلك إشارة إلى القرآن الذي وعد الرسول صلى الله عليه وسلم بإنزاله عليه أو التوراة أو الإنجيل أو نحو ذلك فى أقوال عشرة. وقد ضعف هذا المذهب كثيرون، والله أعلم][٣].

والكتاب: القرآن.

ومن قال :إن المراد بذلك الكتاب الإشارة إلي التوراة والإنجيل كما حكاه ابن جرير[٤] (٧٤) وغيره فقد أبعد النجعة، وأغرق فى النزع، وتكلّف ما لا علم له به.

والريب: الشك.

قال السديُّ: عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود، وعن أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم(٧٥): ﴿لا ريب فيه﴾: لا شك فيه.

وقال أبو الدرداء(٧٦) وابن عباس(٧٧)، ومجاهد وسعيد بن جبير، وأبو مالك ونافع مولى ابن عمر، وعطاء وأبو العالية، والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان[٥]، والسديُّ وقتادة، وإسماعيل بن أبي خالد - وقال ابن أبي حاتم: لا أعلم في هذا خلافًا.

---

(٧٣) - تفسير القرطبي (١/١٥٧، ١٥٨).

(٧٤) - تفسير ابن جرير (١/٢٢٧ - ٢٢٨).

(٧٥) - تفسير ابن جرير (٢٥٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥٥).

(٧٦) - تفسير ابن أبي حاتم (٥٥)، وأحمد في الزهد (١١).

(٧٧) - تفسير ابن جرير (٢٥٥، ٢٥٦)، بإسنادين ضعيفين.

---

[١] - في ز، خ: «مقاتل بن حبان». [٢] - في ز: هذين الاسمين.

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ. [٤] - في ز، خ: «ابن جبير».

[٥] - في خ: «مقاتل بن حبان».

[وقد يستعمل الريب فى التهمة قال جميل :

بثينة قالت يا جميل أربتني فقلت كلانا يا بثين مريب

واستعمل أيضًا فى الحاجة كما قال بعضهم :

قضينا من تهامة كل ريب وخيبر ثم أجمعنا السيوفا][١]

ومعنى الكلام هنا[٢] أن هذا الكتاب [و][٣] هو القرآن لا شك فيه أنه نزل من عند اللّه كما قال اللّه تعالى فى السجدة : ﴿**الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين**﴾. [وقال بعضهم : هذا خبر ومعناه النهي أي : لا ترتابوا فيه][٤] ومن القرّاء من يقف على قوله تعالى : ﴿**لا ريب**﴾ ويبتدئ بقوله تعالى : ﴿**فيه هدىً للمتقين**﴾ والوقف على [قوله تعالى] : ﴿**لا ريب فيه**﴾ أولى للآية التي ذكرناها[٥] ؛ ولأنه يصير قوله تعالى : ﴿**هدىً**﴾ صفة للقرآن وذلك أبلغ من كون فيه هدىً.

وهدًى يحتمل من حيث العربية أن يكون مرفوعًا على النعت ومنصوبًا على الحال وخصت الهداية المتقين كما قال : ﴿**قل هو للذين آمنوا هدىً وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد**﴾. ﴿**وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارًا**﴾ إلى غير ذلك من الآيات الدالة[٦] على اختصاص المؤمنين بالنفع بالقرآن ؛ لأنه هو[٧] في نفسه هدى ولكن لا يناله إلا الأبرار كما قال تعالى : ﴿**يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين**﴾.

وقد قال السدي عن أبي مالك ، و[٨] عن أبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرّة الهمداني عن ابن مسعود ، وعن أناس[٩] من أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم(٧٨) : ﴿**هدى للمتقين**﴾ يعني نورًا للمتقين.

وقال الشعبي : هدى من الضلالة.

وقال سعيد بن جبير : تبيان للمتقين. وكل[١٠] ذلك صحيح.

---

(٧٨) - تفسير ابن جرير (٢٦٠ ، ٢٦٣).

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - زيادة من ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من :ز ، خ .
[٥] - في ز : ذكرنا .
[٦] - سقط من : ز ، خ.
[٧] - سقط من : م.
[٨] - سقط من : خ .
[٩] - في ز ، خ : « ناس ».
[١٠] - مكررة في خ .

وقال السدى : عن أبى مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : ﴿ هدى للمتّقين ﴾ قال : هم المؤمنون .

وقال محمد بن إسحاق ، عن محمد [بن أبي محمد][١] مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة أو عن[٢] سعيد بن جبير ، عن ابن عباس(٧٩) : ﴿ للمتقين ﴾ : أي الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى ، ويرجون رحمته في التصديق بما جاء به .

وقال أبو روق عن الضحاك عن ابن عباس : ﴿ للمتقين ﴾ قال : المؤمنين[٣] الذين يتقون الشرك بي ، ويعملون بطاعتي .

وقال سفيان الثوري : عن رجل ، عن الحسن البصري قوله تعالى(٨٠) : ﴿ للمتقين ﴾ قال : اتقوا ما حرم اللّه[٤] عليهم ، وأدّوْا ما افترض اللّه[٥] عليهم .

وقال أبو بكر بن عياش : سألني الأعمش عن ﴿ المتقين ﴾ ، قال : فأجبته . فقال لي : سل عنها الكلبي ، فسألته ، فقال : الذين يجتنبون كبائر الإثم قال[٦] : فرجعت إلى الأعمش ، فقال : نرَى[٧] أنه كذلك ولم ينكره .

وقال قتادة : ﴿ للمتقين ﴾ هم الذين نعتهم اللّه[٨] بقوله : ﴿ **الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة** ﴾ الآية و[٩] التي بعدها .

واختار ابن جرير(٨١) أن الآية تعم ذلك كله ، وهو كما قال .

وقد روى الترمذي وابن ماجة(٨٢) من رواية أبي عقيل عبد اللّه بن عقيل ، عن عبد اللّه بن

(٧٩) - تفسير ابن جرير (٢٦٢) ، وابن أبي حاتم (٦٢) ، وإسناده ضعيف .
(٨٠) - تفسير ابن جرير (٢٦١) .
(٨١) - تفسير ابن جرير (١/٢٣٣ - ٢٣٤) .
(٨٢) - **ضعيف** ، والحديث رواه الترمذي في أبواب صفة القيامة برقم (٢٤٥١) ، وابن ماجة في الزهد ، باب الورع والتقوى برقم (٤٢١٥) ، ورواه عبد بن حميد (٤٨٤) ، والبخاري في التاريخ (٣/١/١٥٨) ، وابن

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - زيادة من ز ، خ .
[٣] - في ز : للمؤمنين .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - سقط من : م .
[٧] - في ز : ترى : أي .
[٨] - سقط من ز .
[٩] - سقط من : ز ، خ .

يزيد ، عن ربيعة بن يزيد ، وعطية بن قيس ، عن عطية السعدي قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم « **لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرًا مما[١] به بأس** » . ثم قال الترمذي : حسن غريب .

وقال ابن أبي حاتم(٨٣) : حدّثنا أبي ، حدّثنا عبد اللَّه بن عمران ، حدثنا إسحاق بن سليمان - يعني الرازي - عن المغيرة بن مسلم ، عن ميمون أبي حمزة قال : كنت جالسًا عند أبي وائل ، فدخل علينا رجل يقال له : أبو عفيف - من أصحاب معاذ ، فقال له شقيق بن سلمة : يا أبا عفيف ؛ ألا تحدّثنا عن معاذ بن جبل ! قال : بلىٰ ، سمعته يقول : يحبس الناس يوم القيامة في بقيع واحد فينادي مناد : أين المتقون ؟ فيقومون في كنف من الرحمن لا يحتجب اللَّه منهم ولا يستتر . قلت : من المتقون ؟ قال : قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان وأخلصوا للَّه العبادة ، فيمرون إلى الجنة .

[ويطلق الهدىٰ ويراد به ما يقرّ في القلب من الإيمان ، وهذا لا يقدر على خلقه في قلوب العباد إلا اللَّه عزَّ وجلَّ .

قال اللَّه تعالى : ﴿ **إنك لا تهدي من أحببت** ﴾ . وقال : ﴿ **ليس عليك هداهم** ﴾ .

وقال : ﴿ **من يضلل اللَّه فلا هادي له** ﴾ وقال : ﴿ **من يهد اللَّه فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا** ﴾ إلى غير ذلك من الآيات ، ويطلق ويراد به بيان الحق وتوضيحه والدلالة عليه والإرشاد إليه ، قال اللَّه تعالى : ﴿ **وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم** ﴾ وقال : ﴿ **إنما أنت منذر ولكل قوم هاد** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى** ﴾ وقال : ﴿ **وهديناه النجدين** ﴾ على تفسير من قال : المراد بهما الخير والشر . وهو الأرجح ، واللَّه أعلم ، وأصل التقوى : التوقي مما يكره ، لأن أصلها وقىٰ من الوقاية قال النابغة :

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد

أبي حاتم في التفسير (٦٠) ، والطبراني في الكبير (٤٤٦/١٧) ، والحاكم (٣١٩/٤) ، والبيهقي في سننه (٥/ ٣٣٥) ، وفي الشعب (٥٣٦١ هـ) ، والقضاعي في مسند الشهاب (٩٠٩ : ٩١٢) ، وعزاه السيوطي في الدر (٢٤/١) لأحمد ، ولم نقف عليه ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد ، قال ابن القطان : عبد اللَّه بن يزيد لا أعرف روى عنه إلا أبو عقيل ومحمد بن سعد ، ولا تعرف حاله . وفي الميزان : قال الجوزجاني : أحاديثه منكرة .

(٨٣) - **ضعيف** ، والحديث في تفسير ابن أبي حاتم ٦١ - (٣٣/١) في إسناده ميمون القصاب ، قال أحمد : متروك الحديث ، وقال الدارقطني ضعيف . وقال أبو حاتم : يكتب حديثه . وقال البخاري : ليس بالقوي عندهم . وقال النسائي : ليس بثقة .

---

[١] - في ز : لما .

وقال الآخر:

فألقت قناعًا دونه الشمس واتقت بأحسن موصولين كف ومعصم

وقد قيل: إن عمر بن الخطاب - رضي اللّه عنه - سأل أبي بن كعب عن التقوىٰ، فقال له: أما سلكت طريقًا ذا شوك؟ قال: بلى. قال: فما عملت؟ قال: شمرت واجتهدت. قال: فذلك التقوىٰ. وقد أخذ هذا المعنى ابن المعتز فقال:

خل الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى
واصنع كماشٍ فوق أر ض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة إنّ الجبال من الحصى

وأنشد أبو الدرداء يومًا:

يريد المرء أن يؤتى مناه ويأبى اللّه إلا ما أرادا
يقول المرء فائدتي ومالي وتقوى اللّه أفضل ما استفادا

وفي سنن ابن ماجة(٨٤) عن أبي أمامة - رضي اللّه عنه - قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: «**ما استفاد المرء بعد تقوىٰ اللّه خيرًا من زوجة صالحة؛ إن نظر إليها سرته، وإن أمرها أطاعته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله**»][١].

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾

قال أبو جعفر الرازي، عن العلاء بن المسيب بن رافع، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد اللّه(٨٥) قال: الإيمان التصديق.

---

(٨٤) - **ضعيف**، والحديث رواه ابن ماجة في النكاح، باب: أفضل النساء برقم (١٨٥٧) من طريق عثمان بن أبي العاتكة، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة رضي اللّه عنه، ورواه الطبراني (٧٨٨١/٨)، وقال البوصيري في الزوائد (٧٠/٢): «هذا إسناد فيه علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف - **كذا قال** - وعثمان بن أبي العاتكة مختلف فيه». وله شاهد من حديث عبد اللّه بن عمرو، رواه مسلم وغيره. ورواه النسائي من طريق أبي هريرة، وأبو داود في سننه، وأبو بكر بن أبي شيبة في مسنده من حديث ابن عباس رض اللّه عنهما .اهـ - وفي المطبوعة من سنن ابن ماجه: «علي بن يزيد»، وهو الصواب، وهو الألهاني، وقول البوصيري السابق: إنه علي بن زيد بن جدعان، ليس بصحيح، وانظر تحفة الأشراف (١٧٩/١)، وتهذيب الكمال (٣٩٧/١٩).

(٨٥) - تفسير ابن جرير (٢٧١).

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

وقال علي بن أبي طلحة وغيره: عن ابن عباس(٨٦) رضي الله عنهما : ﴿**يؤمنون**﴾: يصدّقون.

وقال معمر، عن الزهري: الإيمان: العمل(٨٧).

وقال أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس(٨٨) : ﴿**يؤمنون**﴾: يخشون.

قال ابن جرير(٨٩) وغيره: والأولى أن يكونوا موصوفين بالإيمان بالغيب قولًا واعتقادًا وعملًا. قال: وقد تدخل الخشية لله في معنى الإيمان، الذي هو تصديق القول بالعمل، والإيمان كلمة جامعة للإقرار بالله وكتبه ورسله، وتصديق الإقرار بالفعل.

(**قلت**): أما الإيمان في اللغة فيطلق على التصديق المحض، وقد يستعمل في القرآن والمراد به ذلك، كما قال تعالى: ﴿**يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين**﴾ وكما قال إخوة يوسف لأبيهم: ﴿**وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين**﴾ وكذلك إذا استعمل مقرونًا مع الأعمال كقوله تعالى: ﴿**إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾ فأما إذا استعمل مطلقًا فالإيمان الشرعي المطلوب لا يكون إلا اعتقادًا وقولًا وعملًا، هكذا ذهب إليه أكثر الأئمة، بل قد حكاه الشافعي وأحمد بن حنبل وأبو عبيد وغير واحد إجماعًا أن الإيمان: قول وعمل، يزيد وينقص. وقد ورد فيه آثار كثيرة، وأحاديث أوردنا الكلام فيها في أول شرح البخاري، ولله الحمد والمنة.

ومنهم[١] من فسره بالخشية كقوله[٢] تعالى: ﴿**إن الذين يخشون ربهم بالغيب**﴾ وقوله: ﴿**من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب**﴾ والخشية خلاصة الإيمان والعلم، كما قال تعالى[٣]: ﴿**إنّما يخشى الله من عباده العلماء**﴾.

[وقال بعضهم: يؤمنون بالغيب كما يؤمنون بالشهادة، وليسوا كما قال تعالى: عن المنافقين: ﴿**وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون**﴾ وقال: ﴿**إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون**﴾ فعلى هذا يكون قوله: بالغيب حالًا، أي: في حال كونهم غيبًا عن

(٨٦) - تفسير ابن جرير (٢٦٨).

(٨٧) - تفسير ابن جرير (٢٧٠).

(٨٨) - تفسير ابن جرير (٢٦٩).

(٨٩) - تفسير ابن جرير (٢٣٥/١).

[١] - سقط من: خ.

[٢] - في ز، خ: «لقوله».

[٣] - سقط من: خ.

الناس][١] .

وأما الغيب المراد هاهنا فقد اختلفت عبارات السلف فيه ، وكلها صحيحة ترجع إلى أن الجميع مراد .

قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية(٩٠) في قوله تعالى : ﴿ **يؤمنون بالغيب** ﴾ قال : يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وجنته وناره ولقائه ، ويؤمنون بالحياة بعد الموت وبالبعث ، فهذا غيب كله . وكذا قال قتادة بن دعامة .

وقال السُّدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرّة الهمداني عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : أما الغيب فما غاب عن العباد من أمر الجنة وأمر النار وما ذكر في القرآن .

وقال محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة - أو عن سعيد بن جبير - عن ابن عباس(٩١) : ﴿ **بالغيب** ﴾ قال : بما جاء منه - يعني من الله تعالى . وقال سفيان الثوري عن عاصم عن زر قال : الغيب : القرآن .

وقال عطاء بن أبي رباح(٩٢) : من آمن بالله فقد آمن بالغيب .

وقال إسماعيل بن أبي خالد : ﴿ **يؤمنون بالغيب** ﴾ قال : بغيب الإسلام .

وقال زيد بن أسلم : ﴿ **الذين يؤمنون بالغيب** ﴾ قال بالقدر .

فكل هذه متقاربة [في معنى][٢] واحد ؛ لأن جميع هذه المذكورات من الغيب الذي يجب الإيمان به .

وقال سعيد بن منصور(٩٣) : حدّثنا : أبو[٣] معاوية ، عن الأعمش ، عن عمارة بن عمير ، عن عبد الرحمن بن يزيد قال : كنا عند عبد الله بن مسعود جلوسًا ، فذكرنا

---

(٩٠) - تفسير ابن جرير (٢٧٦) ، وابن أبي حاتم (٦٧) .

(٩١) - تفسير ابن جرير (٢٧٣) .

(٩٢) - رواه ابن أبي حاتم برقم (٧٠) .

(٩٣) - سنن سعيد بن منصور برقم (١٨٠) ، وابن أبي حاتم (٦٦) ، وابن منده في الإيمان (٢٠٩) ، والحاكم (٢٦٠/٢) وقال : على شرط الشيخين .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في خ : « بمعنى » . [٣] - في ز ، خ : « ابن معاوية » .

أصحاب النبي صلى اللَّه عليه وسلم وما سبقونا[١] به، قال: فقال عبد اللَّه: إن أمر محمد صلى اللَّه عليه وسلم كان بينًا لمن رآه، والذي لا إله غيره ما آمن أحد قط إيمانًا أفضل من إيمان بغيب. ثم قرأ: ﴿**الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب**﴾ إلى قوله ﴿**المفلحون**﴾.

وهكذا رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم في مستدركه من طرق، عن الأعمش به(٩٤). وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وفي معنى هذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد(٩٥): حدّثنا أبو المغيرة، أخبرنا[٢] الأوزاعي، حدّثني أسيد[٣] بن عبد الرحمن، عن خالد بن دريك، عن ابن مُحَيريز[٤] قال: قلت لأبي جمعة: حدّثنا حديثًا سمعته من رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم، قال: نعم، أحدّثك حديثا جيدًا، تغدينا مع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ومعنا أبو عبيدة بن الجراح، فقال: يا رسول اللَّه؛ [هل][٥] أحد خير منّا؟ أسلمنا معك وجاهدنا معك؟ قال: «**نعم، قوم من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني**».

طريق أخرى: قال أبو بكر بن مردويه في تفسيره(٩٦):

---

(٩٤) - تفسير ابن أبي حاتم ٦٦ - (٣٤/١)، والمستدرك (٢٦٠/٢).

(٩٥) - المسند حديث ١٧٠٢٧ - (١٠٦/٤)، ورواه الدارمي حديث (٢٧٤٧) بنفس الإسناد، وأخرجه الطبراني في الكبير حديث (٣٥٣٧ - ٣٥٣٩) (٢٢/٤ - ٢٤)، والحاكم في المستدرك (٨٥/٤)، وأبو يعلى في مسنده ١٥٥٩ - (١٢٨/٣)، ورواه البخاري في خلق أفعال العباد صـ ٥٠ برقم (١٢٤)، وفي التاريخ (٣١١/٢/١)، وابن أبي عاصم (٢١٣٦)، وابن عساكر (١٨٧/٨ - ١٨٨) من حديث عبد اللَّه بن صالح قال: ثنا معاوية بن صالح، عن ابن جبير قال: قدم علينا أبو جمعة الأنصاري ... فذكره نحوه. وذكره الهيثمي في المجمع (١٠ / ٦٩) وقال: رواه أحمد وأبو يعلى، والطبراني بأسانيد، وأحد أسانيد أحمد رجاله ثقات. اهـ. وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة (٣٣/٤): «واختلف فيه على الأوزاعي، فقال الأكثر: عن أسيد، عن خالد بن دريك، عن ابن محيريز. وقال ابن شماسة: عن الأوزاعي، عن أسيد، عن صالح بن محمد: حدثني أبو جمعة به» قال الحافظ: وأغرب البزار فزعم أن الأوزاعي تفرد بالرواية عنه وذكر ابن عساكر: أن الأوزاعي روى عن أسيد بن عبد الرحمن عنه؛ فسمى أباه: محمدًا؛ قال: والصواب صالح بن جبير. (التهذيب ٣٨٣/٤ - ٣٨٤). وقال في فتح الباري (٦/٧): «إسناده حسن».

(٩٦) - رواه الطبراني في المعجم الكبير ٣٥٤٠ - (٢٣/٤) عن بكر بن سهل، عن عبد اللَّه بن صالح به، ومن طريق ضمرة بن ربيعة به، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٥/١٠ - ٦٦) وقال: رواه الطبراني واختلف في رجاله.

---

[١] - في ز، خ: «سبقوا».

[٢] - في ز، خ: «حدثنا».

[٣] - في ت: «أسد».

[٤] - في ز، خ: «ابن جبير».

[٥] - سقط من: خ.

حدّثنا عبد الله بن جعفر، حدّثنا إسماعيل بن عبد الله بن مسعود، حدّثنا عبد الله بن صالح، حدّثنا معاوية بن صالح، [عن صالح][١] بن جبير قال: قدم علينا أبو جمعة الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المقدس ليصلي فيه، ومعنا يومئذ رجاء بن حيوة [رضي الله عنه] فلما انصرف[٢] خرجنا نشيعه، فلما أراد الانصراف قال: إن لكم جائزة وحقًّا أحدّثكم بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم. قلنا: هات رحمك الله! قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا معاذ بن جبل عاشر عشرة، فقلنا: يا رسول الله، هل من قوم أعظم منّا أجرًا[٣]، آمنا بالله[٤] واتبعناك؟ قال: **«ما يمنعكم من ذلك ورسول الله بين أظهركم يأتيكم بالوحي من السماء، بل قوم من بعدكم يأتيهم كتاب بين لوحين يؤمنون به ويعملون بما فيه، أولئك أعظم منكم أجرًا»**. مرتين

ثم رواه من حديث ضمرة بن ربيعة، عن مرزوق بن نافع (٩٧)، عن صالح بن جبير، عن أبي جمعة بنحوه.

وهذا الحديث فيه دلالة على العمل بالوجادة التي اختلف فيها أهل الحديث كما قررته في أول شرح البخاري؛ لأنه مدحهم على ذلك، وذكر أنهم أعظم أجرًا من هذه الحيثية لا مطلقًا.

وكذا الحديث الآخر الذي رواه الحسن بن عرفة العبدي، حدّثنا إسماعيل بن عياش الحمصي، عن المغيرة بن قيس التميمي، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«أي الخلق أعجب إليكم إيمانًا؟»** قالوا الملائكة. [قال: **«وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم؟»**. قالوا: فالنبيون.][٥] قال **«وما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم؟»**. قالوا: فنحن. قال: **«وما لكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم؟»**. قال: فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: **«ألا إن أعجب الخلق إليّ إيمانًا لقومٌ يكونون من بعدكم يجدون صحفًا فيها كتاب يؤمنون بما فيها»**(٩٨).

---

(٩٧) - رواه الطبراني (٣٥٤١)، ومرزوق بن نافع: ذكره ابن حبان في الثقات (١٨٩/٩).

(٩٨) - جزء الحسن بن عرفة برقم (١٩)، ومن طريقه البيهقي في الدلائل (٣٥٨/٦)، ورواه الخطيب في شرف أصحاب الحديث (٦١)، وأبو القاسم الأصبهاني في الترغيب (٤٨)، وإسناده ضعيف لعلتين: الأولى: إسماعيل بن عياش رواه عن المغيرة بن قيس، وهو من روايته عن غير الشاميين - أهل بلده - وهي ضعيفة، والثانية: المغيرة؛ قال ابن أبي حاتم (٢٢٧/٨): منكر الحديث.

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ. [٢] - في ز: انصرفنا.

[٣] - في ز، خ: «أجرًا منا». [٤] - في ز: بك.

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.

قال أبو حاتم الرازي : المغيرة بن قيس البصري منكر الحديث .

[**قلت**] : ولكن قد روى أبو يعلى في مسنده (٩٩) ، وابن مردويه في تفسيره ، والحاكم في مستدركه من حديث محمد بن أبي حميد - وفيه ضعف - عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عمر ، عن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم بمثله أو نحوه .

وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

وقد رُوي نحوه عن[١] أنس بن مالك مرفوعًا(١٠٠) ، واللّٰه أعلم .

وقال ابن أبي حاتم(١٠١) : [حدّثنا أبي][٢] حدّثنا عبد اللّٰه بن محمد المسندي ، حدّثنا إسحاق ابن إدريس ، أخبرني إبراهيم بن جعفر بن محمود بن سلمة الأنصاري ، أخبرني جعفر بن محمود ، عن جدته نُوَيلة[٣] بنت أسلم قالت : صليت الظهر - أو العصر - في مسجد بني حارثة ، فاستقبلنا مسجد إيلياء فصلينا سجدتين ، ثم جاءنا من يخبرنا أنّ رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم قد استقبل البيت[٤] الحرام ، فتحول النساء مكان الرجال والرجال مكان النساء فصلينا السجدتين الباقيتين ونحن مستقبلو[٥] البيت الحرام .

قال إبراهيم : فحدثني رجال من بني حارثة أنّ رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم حين بلغه ذلك

(٩٩) - **ضعيف** ، وهو في مسند أبي يعلى ١٦٠ - (١٤٧/١) ، والمستدرك (٨٥/٤) ، والبزار (٢٨٣٩/٣) ، والعقيلي (٢٣٨/٤) ، والخطيب في شرف أصحاب الحديث (٣٦ - ٣٧) ، وابن عساكر (٥٤٨/١٦) ، وقال البزار : إنما نعرف هذا من حديث محمد بن أبي حميد ، وهو مدني ، ليس بالقوي ، حدث بهذا وبحديث آخر لم يتابع عليه . وتعقب الذهبي الحاكمَ فقال : « بل محمد بن أبي حميد ضعفوه » .

(١٠٠) - رواه البزار في مسنده برقم (٢٨٤٠كشف الأستار) وهو في مختصر زوائد البزار (٢٠٧١) من طريق سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن أنس رضي اللّٰه عنه ، وقال : « غريب من حديث أنس » . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٥/١٠) وقال : رواه البزار ، وفيه سعيد بن بشير ، وقد اختلف فيه ، فوثقه قوم وضعفه آخرون وبقية رجاله ثقات .

(١٠١) - **إسناده ضعيف جدًا** ، وهو تفسير ابن أبي حاتم ٧٣ - (٣٦/١) وفي إسناده إسحاق بن إدريس قال البخاري « تركه الناس » . وقال ابن معين : « يضع الحديث » ، ورواه الطبراني في المعجم الكبير ٥٣٠ - (٢٠٧/٢٤) ، وابن الأثير في أسد الغابة (٤٤/٧) ، من طريق إبراهيم بن حمزة الزبيري - وهي متابعة لإسحاق بن إدريس - عن إبراهيم بن جعفر ، عن أبيه ، به نحوه ، وأورده في مجمع الزوائد (١٤/٢) وقال : ورجاله موثقون .

[١] - زيادة من ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - ويقال: تويلة . ويقال : بديلة .
[٤] - في ز : بيت .
[٥] - في ز ، خ : مستقبلون ، والمثبت من تفسير ابن أبي حاتم .

قال : «**أولئك قوم آمنوا بالغيب**» .

هذا حديث غريب من هذا الوجه .

قال ابن عباس : ﴿**ويقيمون الصلاة**﴾ أي يقيمون الصلاة بفروضها .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس : إقامة الصلاة إتمام[١] الركوع والسجود والتلاوة والخشوع والإقبال عليها فيها .

وقال قتادة : إقامة الصلاة المحافظة على مواقيتها ووضوئها وركوعها وسجودها .

وقال مقاتل بن حيان[٢] : إقامتها المحافظة على مواقيتها وإسباغ الطهور فيها ، وتمام ركوعها وسجودها وتلاوة القرآن فيها ، والتشهد والصلاة على النبي صلى اللّه عليه وسلم ، فهذا إقامتها .

وقال علي بن أبي طلحة وغيره : عن ابن عباس : ﴿**ومما رزقناهم ينفقون**﴾ قال : زكاة أموالهم .

وقال السدي عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن أناس من أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : ﴿**ومما رزقناهم ينفقون**﴾ قال : [هي[٣]] نفقة الرجل على أهله ، وهذا قبل أن تنزل الزكاة .

وقال جويبر(١٠٢) عن الضحاك : كانت النفقات قرباتٍ[٤] يتقربون بها إلى اللّه تعالى على قدر ميسرتهم وجهدهم ، حتى نزلت فرائض الصدقات سبع آيات في سورة براءة ، مما يذكر فيهنّ الصدقات هنّ الناسخات المثبتات .

وقال قتادة : ﴿**ومما رزقناهم ينفقون**﴾ فأنفقوا مما أعطاكم اللّه هذه الأموال ، عواري وودائع عندك يا بن آدم ؛ يوشك أن تفارقها .

واختار ابن جرير أنّ الآية عامة في الزكاة والنفقات ، فإنه قال : وأولى التأويلات وأحقها بصفة القوم أن يكونوا لجميع اللازم لهم في أموالهم ، مؤدين زكاة كان ذلك أو نفقة من لزمته نفقته ، من أهلٍ أو[٥] عيال وغيرهم ، ممن يجب[٦] عليهم نفقته بالقرابة والملك وغير ذلك ؛ لأنّ اللّه تعالى عم

(١٠٢) - جويبر : تالف ، وهو عند ابن جرير في تفسيره (٢٨٧) .

[١] - في خ : «تمام» .
[٢] - في خ : «مقاتل بن حبان» .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز : قرباناً .
[٥] - في ز ، خ : «و» .
[٦] - في ز ، خ : «تجب» .

وصفهم ومدحهم بذلك، وكل من الإنفاق والزكاة ممدوح به محمود عليه.

(**قلت**) : كثيرًا ما يقرن اللّه تعالى بين الصلاة والإنفاق من الأموال ؛ فإن الصلاة حق اللّه وعبادته وهي مشتملة على توحيده والثناء عليه، وتمجيده والابتهال إليه، ودعائه والتوكل عليه، والإنفاق هو [ ][1] الإحسان إلى المخلوقين بالنفع المتعدي إليهم، وأولى الناس بذلك القرابات والأهلون والمماليك ثم الأجانب، فكل من النفقات الواجبة والزكاة المفروضة داخل في قوله تعالى : ﴿ **وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ** ﴾، ولهذا ثبت في الصحيحين(١٠٣) عن ابن عمر رضي اللّه عنهما أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال : « **بُني الإسلام على خمس : شهادةِ أن لا إله إلا اللّه ، [وأن محمدًا رسول اللّه ،][2] وإقامِ الصلاةِ ، وإيتاءِ الزكاةِ ، وصومِ رمضانَ ، وحجِ البيتِ الحرام[3]** » . والأحاديث في هذا كثيرة.

وأصل الصلاة في كلام العرب : الدعاء، قال الأعشى :

لها حارس لا يبرحُ الدّهر بيتها ... وإن ذُبِحَت صلّى عليها وَزَمْزَما

وقال أيضا[4] :

وقابلها الريح في دنها ... وصلى على دنها وارتسم

أنشدهما ابن جرير مستشهدًا على ذلك.

وقال الآخر [وهو الأعشى أيضا][5] :

تقول بنتي[6] وقد قَرَّبتُ مرتحلًا ... يارب جنِّب أبي الأوصابَ والوَجَعَا

عليكِ مثلُ الذي صليت[7] فاغتمضي ... نومًا فإن لِجَنبِ المرء مُضطجعًا[8]

يقول : عليك من الدعاء مثل الذي دعوت[9] لي، وهذا ظاهر. ثم استعملت الصلاة في الشرع في ذات الركوع والسجود والأفعال المخصوصة في الأوقات المخصوصة، بشروطها المعروفة، وصفاتها وأنواعها المشهورة.

---

(١٠٣) - صحيح البخاري في كتاب الإيمان، باب : دعاؤكم إيمانكم برقم (٨)، وصحيح مسلم كتاب الإيمان، برقم ١٩ - (١٦).

---

[١] - في ن : من.

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ.

[٣] - زيادة في : خ.

[٤] - في ز، خ : « الآخر ».

[٥] - سقط من ز.

[٦] - في ز : بنيتي.

[٧] - في م : « ضليت ».

[٨] - في خ : « معتطجعًا ».

[٩] - في ز، خ : « دعيت ».

قال ابن جرير : وأرى أن الصلاة المفروضة سميت صلاة ؛ لأن المصلي يتعرض لاستنجاح طلبته من ثواب اللَّه بعمله، مع ما يسأل ربه فيها[١] من حاجته[٢] .

[وقيل : هي مشتقة من الصلوين إذا تحركا في الصلاة عند الركوع والسجود، وهما عرقان يمتدان من الظهر حتى يكتنفا عجب الذنب .

ومنه سمي المصلي وهو التالي للسابق في حلبة الخيل، وفيه نظر .

وقيل : هي مشتقة من الصلي وهو الملازمة للشيء من قوله تعالى : ﴿ **لا يصلاها** ﴾ أي لا يلزمها ويدوم فيها : ﴿ **إلا الأشقى** ﴾ .

وقيل : مشتقة من تصلية الخشبة في النار لتقوَّم، كما أن المصلي يقوِّم عوجه بالصلاة : ﴿ **إن الصلاة تنهَى عن الفحشاء والمنكر ولذكر اللَّه أكبر** ﴾ واشتقاقها من الدعاء أصح وأشهر، واللَّه أعلم][٣] .

وأما الزكاة فسيأتي الكلام عليها في موضعه إن شاء اللَّه تعالى .

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾

قال ابن عباس(١٠٤) : ﴿ **والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك** ﴾ أي : يصدّقون بما جئت به من اللَّه، وما جاء به من قبلك من المرسلين لا يفرّقون بينهم، ولا يجحدون ما جاءوهم به من ربهم

﴿ **وبالآخرة هم يوقنون** ﴾ أي بالبعث والقيامة، والجنة والنار، والحساب والميزان .

وإنما سميت الآخرة ؛ لأنها بعد الدنيا، وقد اختلف المفسرون في الموصوفين هاهنا هل هم الموصوفون بما تقدم من قوله تعالى : ﴿ **الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ ومن هم ؟ على ثلاثة أقوال حكاها ابن جرير :

أحدها أن الموصوفين أوّلًا هم الموصوفون ثانيا، وهم كل مؤمن، مؤمنو العرب ومؤمنو[٤] أهل الكتاب وغيرهم. قاله مجاهد وأبو العالية والربيع بن أنس وقتادة .

(١٠٤) - رواه ابن جرير (٢٨٩)، وابن أبي حاتم (٨٠) بإسنادٍ ضعيف .

[١] - زيادة من خ . [٢] - في ز، خ : « حاجاته » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ . [٤] - سقط من : خ .

والثاني: هما واحد وهم مؤمنو أهل الكتاب.

وعلى هذين تكون الواو عاطفة صفات على صفات كما قال تعالى: ﴿**سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى**﴾.

وكما قال الشاعر:

إلى الملك القَرْم وابن الهُمام ... وليثِ الكتيبة[١] في المُزْدَحَم

فعطف الصفات بعضها على بعض، والموصوف واحد.

والثالث: أن الموصوفين أوّلًا مؤمنو العرب، والموصوفون ثانيًا بقوله: ﴿**والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك**﴾. الآية مؤمنو[٢] أهل الكتاب. نقله السدي في تفسيره عن ابن عباس، وابن مسعود، وأناس من الصحابة[٣]، واختاره ابن جرير - رحمه الله - ويستشهد لما قال بقوله تعالى: ﴿**وإنّ من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله**﴾. الآية. وبقوله تعالى: ﴿**الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون، وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا، ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون**﴾، وبما[٤] ثبت في الصحيحين (١٠٥) من حديث الشعبي، عن أبي بردة، عن أبي موسى، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي، ورجل مملوك أدّى حق الله وحق مواليه، ورجل أدب جاريته فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها**».

وأما ابن جرير فما استشهد على صحة ما قال إلا بمناسبة، وهي أن الله تعالىٰ وصف في أول هذه السورة المؤمنين والكافرين، فكما أنه صنف الكافرين إلى صنفين: كافر، ومنافق، فكذلك المؤمنون صنفهم إلى صنفين: عربي، وكتابي.

(**قلت**): والظاهر قول مجاهد، فيما رواه الثوري عن رجل، عن مجاهد. ورواه غير واحد عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، أنه قال: أربع آيات من أوّل[٥] سورة البقرة في نعت المؤمنين، وآيتان في نعت الكافرين، وثلاث عشرة في المنافقين.

---

(١٠٥) - صحيح البخاري، كتاب العلم، باب: تعليم الرجل أمته وأهله رقم (٩٧) وصحيح مسلم، كتاب الإيمان برقم ٢٤١ - (١٥٤) بمعناه.

---

[١] - في ز: الكثيبة.

[٢] - في ز، خ: «المؤمنى».

[٣] - في ز، خ: «أصحابه».

[٤] - سقط من: خ.

[٥] - سقط من ز.

فهذه الآيات الأربع عامة[١] في كل مؤمن اتصف بها من عربي وعجمي، وكتابي من إنسي وجني، وليس تصح واحدة من هذه الصفات بدون الأخرى، بل كل واحدة مستلزمة للأخرىٰ وشرط معها، فلا يصح الإيمان بالغيب وإقام الصلاة والزكاة إلا مع الإيمان بما جاء به الرسول [صلى الله عليه وسلم] وما جاء به من قبله من [الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين][٢] والإيقان بالآخرة، كما أنّ هذا لا يصح إلا بذاك.

وقد أمر الله تعالىٰ المؤمنين بذلك، كما قال: ﴿**يا أيها الذين آمنوا آمِنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل**﴾. الآية. وقال تعالى: ﴿**ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم**﴾. الآية وقال تعالى: ﴿[**يا أيها الذين أوتوا الكتاب**][٣]؛ **آمنوا بما نزلنا مصدّقًا لما معكم**﴾. وقال تعالى: ﴿**قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم**﴾. وأخبر تعالى عن المؤمنين كلهم[٤] بذلك فقال تعالى: ﴿**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله** [**لا نفرق بين أحد من رسله**][٥] ﴾ وقال تعالى: ﴿**والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرّقوا بين أحد منهم أولئك سوف نؤتيهم أجورهم** ﴾. إلى[٦] غير ذلك من الآيات الدالة على أمر جميع المؤمنين بالإيمان بالله ورسله وكتبه.

لكن لمؤمني أهل الكتاب خصوصية، وذلك أنهم يؤمنون بما بأيديهم[٧] مفصلًا، فإذا دخلوا في الإسلام وآمنوا به مفصلًا كان لهم على ذلك الأجر مرتين، وأما غيرهم فإنما يحصل له الإيمان بما تقدم مجملًا. كما جاء في الصحيح(١٠٦): «**إذا حدّثكم أهل الكتاب** [**فلا تكذبوهم ولا تصدّقوهم**][٨]، و[**لكن**][٩] **قولوا: آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم**».

(١٠٦) - صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: ﴿**قولوا آمنّا بالله وما أنزل إلينا**﴾ برقم (٤٤٨٥) وانظر (٧٣٦٢، ٧٥٤٢) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، وليس في واحدٍ منهم «**إذا حدثكم أهل الكتاب**»، ولفظه: كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم: «**لا تصدقوا أهل الكتاب، ولا تكذبوهم** ﴿**وقولوا آمنا بالله**﴾ **الآية**. وروى أبو داود نحوه برقم (٣٦٤٤) من حديث أبي نملة - رضي الله عنه - وكذلك أحمد (١٣٦/٤)، وعبد الرزاق (٢٠٠٥٩/١١)، وابن حبان (١١٠ موارد).

[١] - في ن: عامات.
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ. [٣] - في ز، خ: «يا أهل الكتاب».
[٤] - سقط من: خ. [٥] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٦] - في ز، خ: و. [٧] - في خ: «في أيديهم».
[٨] - في ز، خ: «فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم». [٩] - سقط من: ز، خ.

ولكن قد يكون إيمان كثير من العرب بالإسلام [الذي][1] بعث به محمد صلى اللّه عليه وسلم أتم وأكمل وأعم وأشمل من إيمان من دخل منهم في الإسلام ، فهم وإن حصل لهم أجران من تلك الحيثية ، فغيرهم [قد][2] يحصل له من التصديق ما ينيف ثوابه على الأجرين اللذين حصلا لهم ، واللّه أعلم .

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥﴾

يقول اللّه تعالى ﴿ **أولئك** ﴾ أي المتصفون بما تقدّم من الإيمان بالغيب وإقام الصلاة ، والإنفاق من الذي رزقهم اللّه ، والإيمان بما أنزل اللّه [3] إلى الرسول ومن قبله من الرسل ، والإيقان بالدار الآخرة ، وهو يستلزم الاستعداد لها من الأعمال الصالحة وترك المحرّمات - ﴿ **على هدى** ﴾ أي : على[4] نور وبيان وبصيرة من اللّه تعالى . ﴿ **وأولئك هم المفلحون** ﴾ أي في الدنيا والآخرة .

وقال محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد(١٠٧) ، عن عكرمة - أو سعيد بن جبير - عن ابن عباس : ﴿ **أولئك على هدى من ربهم** ﴾ أي : على نور من ربهم ، واستقامة على ما جاءهم به[5] . ﴿ **وأولئك هم المفلحون** ﴾ . أي الذين أدركو ما طلبوا ، ونجوا من شرّ ما منه هربوا .

وقال ابن جرير(١٠٨) : وأمّا معنى قوله تعالى : ﴿ **أولئك على هدى من ربهم** ﴾ فإنّ معنى ذلك : أنهم[6] على نور من ربهم وبرهان واستقامة وسداد بتسديده[7] إياهم وتوفيقه لهم .

وتأويل قوله تعالى : ﴿ **وأولئك هم المفلحون** ﴾ أي المنجحون المدركون ما طلبوا عند اللّه بأعمالهم وإيمانهم باللّه وكتبه ورسله ، من الفوز بالثواب ، والخلود في الجنات ، والنجاة مما أعدّ اللّه لأعدائه من العقاب .

وقد حكى ابن جرير قولًا عن بعضهم أنه أعاد اسم الإشارة في قوله تعالى : ﴿ **أولئك على**

(١٠٧) - محمد بن أبي محمد : قال الذهبي في الميزان (٢٦/٤) : لا يعرف ، وهو عند ابن جرير (٢٩٣ ، ٢٩٤) ، وابن أبي حاتم (٨٤ ، ٨٨) .

(١٠٨) - تفسير ابن جرير (٢٤٩/١) .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - زيادة من ز .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في م : « فإنهم » .
[٧] - في ز : بتسدسد الله .

هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ إلى مؤمني أهل الكتاب الموصوفين بقوله تعالى[١] : **﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك﴾** . الآية .

على ما تقدم من الخلاف .

[ ][٢] : وعلى هذا فيجوز أن يكون قوله تعالى **﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك﴾** منقطعًا[٣] مما[٤] قبله ، وأن يكون[٥] مرفوعًا على الابتداء وخبره **﴿[أولئك على هدًى من ربهم][٦]﴾** **﴿أولئك هم المفلحون﴾** . واختار أنه عائد إلى[٧] جميع من تقدم ذكره من مؤمني العرب وأهل الكتاب ؛ لما رواه السدّي عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرّة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن أناس من أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : أما الذين يؤمنون بالغيب ، فهم المؤمنون من العرب والذين يؤمنون بما أنزل إليك [وما أنزل من قبلك هم][٨] المؤمنون من أهل الكتاب ، ثم جمع الفريقين فقال : **﴿أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾** .

وقد تقدّم من الترجيح أنّ ذلك صفة للمؤمنين[٩] عامّة ، والإشارة عائدة عليهم ، واللّه أعلم .

وقد نقل هذا عن مجاهد وأبي العالية والرّبيع بن أنس وقتادة ، رحمهم اللّه .

وقال ابن أبي حاتم(١٠٩) : حدّثنا أبي ، حدّثنا يحيى بن عثمان بن صالح المصري ، حدّثنا أبي ، حدثنا ابن لهيعة ، حدّثني عبيد اللّه بن المغيرة ، عن أبي الهيثم - واسمه سليمان بن عمرو[١٠] - عن عبد اللّه بن عمرو ، عن النبي صلى اللّه عليه وسلم وقيل له : يا رسول اللّه ! إنا نقرأ من القرآن فنرجو ، ونقرأ من القرآن فنكاد أن نيأس - أو كما قال - قال : فقال : « **أفلا[١١] أخبركم عن أهل الجنة وأهل النار ؟** » قالوا : بلى يا رسول اللّه ، قال : **﴿الم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾** إلى - قوله تعالى- **﴿المفلحون﴾ هؤلاء أهل الجنة** » . قالوا : إنا نرجو أن نكون

---

(١٠٩) - تفسير ابن أبي حاتم ٨٦ - (١/٤٠) . وفي إسناده ابن لهيعة ، وهو متكلم فيه . وعثمان بن صالح المصري : أورد له الذهبي (٣/٤٠) في الميزان حديثين ، ثم نقل عن أبي حاتم قوله : هذا كذب . وقال الذهبي : صدوق ، لينه أحمد بن صالح المصري ؛ فإن أحمد بن صالح قال : دعه ، دعه .

---

[١] - سقط من : خ.
[٢] - في ز قال .
[٣] - في ز : متقطعاً .
[٤] - في خ : « عما » .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .
[٧] - في ز : على .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٩] - في ز : للمؤمنين .
[١٠] - في ز ، خ : « عبيد » .
[١١] - في ز ، خ : « ألا » .

هؤلاء. ثم قال: « ﴿ إنّ الذين كفروا سواء عليهم ﴾ إلى قوله ﴿ عظيم ﴾ هؤلاء أهل النار» . قالوا لسنا هم يا رسول الله. قال: «أجل» .

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾

يقول تعالى: ﴿ **إنّ الذين كفروا** ﴾ أي غطوا الحقّ[١] وستروه، وقد كتب الله تعالى عليهم ذلك، سواء عليهم إنذارُك وعدمُه، فإنهم لا يؤمنون بما جئتهم، به. كما قال تعالى: ﴿ **إنّ الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم** ﴾ وقال تعالى: في حق المعاندين من أهل الكتاب: ﴿ **ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك** ﴾. الآية. أي إنّ من كتب الله عليه الشقاوة فلا مُسْعِدَ له، ومن أضلَّه فلا هادي له، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات، وبلغهم الرسالة، فمن استجاب لك فله الحظ الأوفر، ومن تولى فلا تحزن عليهم [ولا يهمنك ذلك][٢] ﴿ **فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب** ﴾ و ﴿ **إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل** ﴾.

وقال علي[٣] بن أبي طلحة: عن ابن عباس(١١٠) في قوله تعالى: ﴿ **إنّ الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون** ﴾ قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرصُ أن يؤمن جميع الناس ويُتابعوه على الهدى، فأخبره الله تعالى أنه لا يؤمن إلا من سبق له من الله السعادة في الذكر الأول، ولا يضل إلا من سبق له من الله الشقاوة[٤] في الذكر الأول.

وقال محمد بن إسحاق: حدّثني محمد بن أبي محمد(١١١)، عن عكرمة - أو سعيد بن جبير - عن ابن عباس: ﴿ **إنّ الذين كفروا** ﴾ أي بما أنزل إليك، وإن قالوا: إنا قد آمنا بما جاءنا قبلك ﴿ **سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون** ﴾. أي: إنهم قد كفروا بما عندهم من ذكرك، وجحدوا ما أخذ عليهم من الميثاق، وقد كفروا بما جاءك وبما عندهم مما جاءهم به غيرك، فكيف يسمعون منك إنذارًا وتحذيرًا وقد كفروا بما عندهم من علمك.

وقال أبو[٥] جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية قال: نزلت هاتان الآيتان في

(١١٠) - رواه ابن جرير (٢٩٧)، والبيهقي (١٤٦) في الأسماء والصفات، والطبراني (١٣٠٢٥/١٢)، وسنده ضعيف لانقطاعه.

(١١١) - محمد بن أبي محمد: مجهول، والأثر عند ابن جرير في تفسيره (٢٩٥)، وابن أبي حاتم (٩٢).

[١] - في ز: الكفر.
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.
[٣] - سقط من: خ.
[٤] - في ز: الشقاء.
[٥] - في ز: ابن.

قادة الأحزاب، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿**ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمةَ الله كفرًا وأحلوا قومهم دار البوار [جهنم يصلونها]**[١] ﴾ والمعنى الذي ذكرناه أوّلا، وهو المروي عن ابن عباس في رواية علي[٢] ابن أبي طلحة - أظهر، ويفسر ببقية الآيات التي في معناها والله أعلم.

وقد ذكر ابن أبي حاتم(١١٢) هاهنا حديثًا، فقال: حدثنا أبي، حدّثنا يحيى بن عثمان بن صالح المصري، حدثنا أبي، حدّثنا ابن لهيعة، حدثني عبيد الله[٣] بن المغيرة، عن أبي الهيثم، عن عبد الله بن عمرو، قال: قيل: يا رسول الله! إنا نقرأ من القرآن نرجو[٤]، ونقرأ فنكاد أن نيأس. فقال: «**ألا أخبركم**». ثم قال: ﴿**إنّ الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم**[٥] **أم لم تنذرهم لا يؤمنون**﴾ **هؤلاء أهل النار**». قالوا: لسنا هم يا رسول الله؟ قال: «أجل».

[وقوله تعالى ﴿**لا يؤمنون**﴾ محله من الإعراب أنه جملة مؤكدة للتي قبلها.

﴿**سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم**﴾ أي هم كفار في كلا الحالين؛ فلهذا أكد ذلك بقوله تعالى: ﴿**لا يؤمنون**﴾، ويحتمل أن يكون لا يؤمنون خبرًا لأنّ تقديره: إن الذين كفروا لا يؤمنون، ويكون قوله تعالى: ﴿**سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم**﴾ جملة معترضة والله أعلم][٦].

خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾

قال السدّي: ختم الله؛ أي: طبع الله.

وقال قتادة في هذه الآية: استحوذ عليهم الشيطان إذ أطاعوه، فختم الله على قلوبهم، وعلى سمعهم، وعلى أبصارهم غشاوة، فهم لا يبصرون هدًى، ولا يسمعون ولا يفقهون ولا يعقلون.

وقال ابن جريج(١١٣): قال مجاهد: ﴿**ختم الله على قلوبهم**﴾ قال: [نبئت أن][٧]

---

(١١٢) - تفسير ابن أبي حاتم ٩١ - (٤٢/١). وإسناده ضعيف.

(١١٣) - تفسير ابن جرير (٢٥٩/١). ونقل العلائي في جامع التحصيل: قال ابن الجنيد: سألت يحيى بن معين سمع ابن جريج من مجاهد؟ قال: في حرف أو حرفين في القراءة لم يسمع غير ذلك، وكذلك قال البرديجي.

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ. [٢] - سقط من: ز، خ.

[٣] - في ز، خ: عبد الله. والمثبت من تفسير ابن أبي حاتم.

[٤] - في ت: «فنرجوا». [٥] - في ز: أنذرتهم.

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

[٧] - في ز: الطبع ينبت، والمثبت من تفسير الطبري.

الذنوب على القلب تحف[١] به من كل نواحيه حتى تلتقي عليه، فالتقاؤها عليه الطبع، والطبع الختم. قال ابن جريج: الختم على القلب والسمع.

قال ابن جريج: وحدّثني عبد اللّه بن كثير أنه سمع مجاهدًا يقول: الران أيسر من الطبع، والطبع أيسر من الإقفال، والإقفال أشدّ من[٢] ذلك كله.

وقال الأعمش: أرانا مجاهد بيده، فقال: كانوا يُرَون أنّ القلب في مثل هذه[٣] - يعني الكف، فإذا أذنب العبد ذنبًا ضم منه، وقال بأصبعه الخنصر هكذا، فإذا أذنب ضم، وقال بإصبع أخرى، فإذا أذنب ضم، وقال بأصبع أخرى هكذا، حتى ضم أصابعه كلها، [قال: ثم][٤] يطبع عليه بطابع.

[وقال مجاهد][٥]: كانوا يُرَون أنّ ذلك الرين[٦]. ورواه ابن جرير عن أبي كريب، عن وكيع، عن الأعمش، عن مجاهد، بنحوه.

قال ابن جرير: وقال بعضهم: إنما معنى قوله تعالى: ﴿ **ختم اللّه على قلوبهم** ﴾ إخبار من اللّه عن تكبرهم وإعراضهم عن الاستماع لما دُعوا إليه من الحق، كما يقال: إنّ فلانًا لأصم عن هذا الكلام، إذا امتنع من سماعه، ورفع نفسه عن تفهمه تكبرًا.

قال: وهذا لا يصح؛ لأن اللّه تعالى قد أخبر أنه هو الذي ختم على قلوبهم وأسماعهم.

[(قلت): وقد أطنب الزمخشري(١١٤) في تقرير ما ردّه ابن جرير هاهنا، وتأوّل الآية من خمسة أوجه وكلها ضعيفة جدًّا، وما جرّأه على ذلك إلا اعتزاله؛ لأنّ الختم على قلوبهم ومنعها من وصول الحق إليها قبيح عنده، يتعالى اللّه عنه في اعتقاده، ولو فهم قوله تعالى: ﴿ **فلما زاغوا أزاغ اللّه قلوبهم** ﴾، وقوله: ﴿ **ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أوّل مرّة ونذرهم في طغيانهم يعمهون** ﴾، وما أشبه ذلك من الآيات الدالة على أنه تعالى إنما ختم على قلوبهم، وحال بينهم وبين الهدى جزاء وفاقًا على تماديهم في الباطل وتركهم الحق، وهذا عدل منه تعالى حسن وليس بقبيح، فلو أحاط علمًا بهذا لما قال ما قال، واللّه أعلم.

قال القرطبي: وأجمعت الأمّة على أنّ اللّه عز وجل قد وصف نفسه بالختم والطبع على قلوب

---

(١١٤) - تفسير الزمخشري (٢١/١).

---

[١] - في ز: فتحف، والمثبت من تفسير الطبري.
[٢] - سقط من ز.
[٣] - في ز: هذا.
[٤] - في خ: ثم قال.
[٥] - في ز: قال مجاهد: و.
[٦] - في خ: «الدين».

الكافرين مجازاة لكفرهم، كما قال: ﴿بل طبع اللَّه عليها بكفرهم﴾. وذكر حديث تقليب القلوب(١١٥): و «يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك»(١١٦)، وذكر حديث حذيفة الذي في الصحيح(١١٧)، عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قال: «**تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا، فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا(*) فلا تضره فتنة ما دامت السمٰوٰتُ والأرض، والآخر أسود مربادًا كالكوز مُجخيًا، لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا**» الحديث][١] .

قال [ابن جرير(١١٨)][٢] : والحق عندي في ذلك ما صح بنظيره الخبر عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم، وهو ما حدّثنا به محمد بن بشار، حدّثنا صفوان بن عيسى، حدّثنا ابن عجلان، عن القعقاع، عن أبي صالح، عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «**إنّ المؤمن إذا أذنب ذنبًا كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستعتب[٣] صقل قلبه وإن زاد زادت حتى تعلو قلبه، فذلك الران الذي قال اللَّه تعالى: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾**» .

---

(١١٥) - يعني حديث أبي موسى الأشعري مرفوعًا: «**مثل القلب مثل ريشة يقلبها الرياح بفلاةٍ**»، رواه أحمد (١٩٧١٦) من حديث عفان، ثنا عبد الواحد بن زياد، ثنا عاصم الأحول، عن أبي كبشة، قال: سمعت أبا موسى يقول على المنبر: قال رسول اللَّه، صلى اللَّه عليه وسلم، فذكره، ورواه ابن ماجه (٨٨)، وابن أبي عاصم في السنة (٢٢٨) كلاهما من طريق يزيد الرقاشي -: وهو ضعيف - عن غنيم بن قيس، عن أبي موسى مرفوعًا، ورواه أحمد (١٩٨١١) (٤/٤١٩)، وعبد بن حميد (٥٣٥)، وابن أبي عاصم في السنة (١/١٠٢) حديث (٢٢٧)، والبغوي في شرح السنة (١/١٦٤) (٨٧) من حديث يزيد بن هارون، عن الجريري، عن غنيم بن قيس، عن أبي موسى مرفوعًا، وقال أحمد: ولم يرفعه إسماعيل، عن الجريري. وقال الألباني في تعليقه على السنة: إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات، على شرط مسلم.

(١١٦) - رواه النسائي في الكبرى (٤/٤١٤)، وابن ماجه (١٩٩)، وأحمد (٤/١٨٢)، وابن أبي عاصم في السنة (٢١٩، ٢٣٠)، وابن حبان (٢٤١٩) موارد، والحاكم (٢/٢٨٩، ٤/٣٢١)، والطبراني في الدعاء (١٢٦٢).

(١١٧) - حديث حذيفة رواه مسلم في الإيمان ٢٣١ - (١٤٤)، وأحمد (٥/٣٨٦، ٤٠٥).

(*) - قال القاضي عياض رحمه اللَّه: ليس تشبيهه للصفا بيانًا لبياضه، لكن لصفة أخرى: لشدته على عقد الإيمان وسلامته من الخلل، وأن الفتن لم تلصق به، ولم تؤثر فيه، كالصفا، وهو الحجر الأملس الذي لا يعلق به شيء.

(١١٨) - تفسير ابن جرير ٣٠٤ - (١/٢٦٠)، ورواه أحمد ٧٩٣٩ - (٢/٢٩٧)، ورواه الحاكم (٢/٥١٧).

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

[٣] - في الطبري: واستغفر

وهذا الحديث من هذا الوجه قد رواه الترمذي والنسائي(١١٩) ، عن قتيبة ، عن الليث بن سعد وابن ماجة عن هشام بن عمار ، عن حاتم بن إسماعيل والوليد بن مسلم ، ثلاثتهم عن محمد ابن عجلان ، به .

وقال الترمذي : حسن صحيح .

ثم قال ابن جرير : فأخبر رسول[١] اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : أنّ الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلقتها ، وإذا أغلقتها أتاها حينئذ الختم من قِبل اللَّه تعالى والطبع ، فلا يكون للإيمان إليها مسلك ، ولا للكفر عنها[٢] مخلص ، فذلك هو الختم والطبع الذي ذكر[٣] في قوله تعالى : ﴿ **ختم اللَّه على قلوبهم وعلى سمعهم** ﴾ نظير الطبع والختم على ما تدركه الأبصار من الأوعية والظروف التي لا يوصل إلى ما فيها إلا بفض ذلك عنها ثم حلها ، فكذلك لا يصل الإيمان إلى قلوب من وصف اللَّه أنه ختم على قلوبهم وعلى سمعهم إلا بعد فض خاتمه وحله رباطها عنها .

واعلم أنّ الوقف التام على قوله تعالى : ﴿ **ختم اللَّه على قلوبهم وعلى سمعهم** ﴾ وقوله : ﴿ **وعلى أبصارهم غشاوة** ﴾ جملة تامة ؛ فإنّ الطبع يكون على القلب وعلى السمع ، والغشاوة - وهي الغطاء - تكون على البصر ، كما قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن أناس من أصحاب رسول[٤] اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم(١٢٠) في قوله : ﴿ **ختم اللَّه على قلوبهم وعلى سمعهم** ﴾ [ ][٥] يقول : فلا يعقلون ولا يسمعون ، يقول وجعل على أبصارهم غشاوة ، يقول : على أعينهم فلا يبصرون .

وقال ابن جرير(١٢١) : حدّثني محمد بن سعد ، حدّثنا أبي ، حدّثني عمي الحسين بن الحسن ،

(١١٩) - الترمذي في التفسير ، باب : ومن سورة ويل للمطففين برقم (٣٣٣٤) ، والنسائي في الكبرى برقم (١١٦٥٨) ، وابن ماجة في الزهد ، باب : ذكر الذنوب برقم (٤٢٤٤) ، وابن حبان (١٧٧١ موارد) ، والحاكم (٥١٧/٢) ، والبيهقي (١٨٨/١٠) وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وصححه الحاكم على شرط مسلم .

(١٢٠) - رواه ابن جرير (٣٠٨) ، ورواه ابن أبي حاتم (٩٥) موقوفًا على السدي .

(١٢١) - **ضعيف** ، والحديث في تفسير ابن جرير ٣٠٥ - (٢٦٣/١) . وهذا إسناد مسلسل بالضعفاء ، محمد ابن سعد بن محمد بن الحسن بن عطية العوفي : لين ، وأبوه سعد بن محمد بن الحسن ضعيف جدًا . والحسين بن الحسن بن عطية ضعيف كذلك . والحسن بن عطية ضعيف أيضًا ، وكذلك عطية بن سعد العوفي .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في ز ، خ : « منها » .
[٣] - في ز : ذكره الله .
[٤] - في خ : « النبي » .
[٥] - في خ : و .

عن أبيه، عن جدّه، عن ابن عباس ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم﴾، والغشاوة على أبصارهم.

وقال(١٢٢) و[١] حدّثنا القاسم، حدّثنا الحسين - يعني ابن داود وهو سنيد - حدثني حجاج - وهو ابن محمد الأعور - حدّثني ابن جريج قال: الختم على القلب والسمع، والغشاوة على البصر، قال الله تعالى: ﴿فإن يشأ الله يختم على قلبك﴾، وقال: ﴿وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة﴾.

قال ابن جرير: ومن نصب غشاوة من قوله تعالى: ﴿وعلى أبصارهم غشاوة﴾، فيحتمل[٢] أنه نصبها بإضمار فعل، تقديره: وجعل على أبصارهم غشاوة، ويحتمل أن يكون نصبها على الإتباع على محل: ﴿وعلى سمعهم﴾ كقوله تعالى: ﴿وحور عين﴾ وقول الشاعر:

عَلَفْتُها[٣] تبنًا وماء باردًا حتى شَتَتْ هَمَّالَةً عيناها

وقال[٤] الآخر:

ورأيت زَوْجَكِ في الوغى متقلّدًا سيفًا ورُمْحا

تقديره: وسقيتها ماء باردًا، ومعتقلًا رمحًا.

لما تقدّم وصف المؤمنين في صدر السورة بأربع آيات، ثم عرف حال الكافرين بهاتين الآيتين، شرع تعالى في بيان حال المنافقين الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، ولما كان أمرهم يشتبه على كثير من الناس أطنب في ذكرهم بصفات متعدّدة، كلٌّ منها نفاق، كما أنزل سورة براءة فيهم، وسورة المنافقين فيهم، وذكرهم في سورة النور وغيرها من السور؛ تعريفًا لأحوالهم لتجتنب، ويجتنب من تلبس بها أيضًا فقال تعالى:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾

النفاق: هو إظهار الخير وإسرار الشر، وهو أنواع: اعتقادي: وهو الذي يخلد صاحبه في النار، وعملي: وهو من أكبر الذنوب، كما سيأتي تفصيله في موضعه، إن شاء الله تعالى، وهذا

(١٢٢) - تفسير ابن جرير ٣٠٦ - (١/٢٦٥).

[١] - زيادة من: ز، خ.
[٢] - في ت: «يحتمل».
[٣] - في ز: فَعَلَفْتُها.
[٤] - في ز: وقول.

كما قال ابن جريج : المنافق يخالف قوله فعله ، وسره علانيته ، ومدخله مخرجه ، ومشهده مَغِيبهُ .

وإنما نزلت صفات المنافقين في السور المدنية ؛ لأنّ مكة لم يكن فيها نفاق بل كان خلافه ، من الناس من كان يظهر الكفر مُسْتَكْرَهًا وهو في الباطن مؤمن ، فلما هاجر رسول اللَّه صلى اللَّه تعالى[١] عليه وعلى آله[٢] وسلم إلى المدينة ، وكان بها الأنصار من الأوس والخزرج ، وكانوا في جاهليتهم يعبدون الأصنام ، على طريقة مشركي العرب ، وبها اليهود من أهل الكتاب على طريقة أسلافهم ، وكانوا ثلاث قبائل ؛ بنو قينقاع حلفاء الخزرج ، وبنو النضير وبنو قريظة حلفاء الأوس ، فلما قدم رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم المدينة ، وأسلم من أسلم من الأنصار من قبيلتي الأوس والخزرج ، وقل من أسلم من اليهود إلا عبد اللَّه بن سلام رضي اللَّه عنه ، ولم يكن إذ ذاك نفاق أيضًا ؛ لأنه لم يكن للمسلمين بعد شوكة تخاف ، بل قد كان عليه الصلاة والسلام وَادَعَ اليهود وقبائل كثيرة من أحياء العرب حوالي المدينة ، فلما كانت وقعة بدر العظمى وأظهر اللَّه كلمته وأعلى[٣] الإسلام وأهله ، قال عبد اللَّه بن أبي ابن سلول ، وكان رأسًا في المدينة ، وهو من الخزرج وكان سيد الطائفتين في الجاهلية ، وكانوا قد عزموا على أن يملكوه عليهم ، فجاءهم الخيرُ وأسلموا واشتغلوا عنه ، فبقي في نفسه من الإسلام وأهله ، فلما كانت وقعة بدر - قال : هذا أمر قد تَوَجَّه . فأظهر الدخول في الإسلام ، ودخل معه طوائف ممن هو على طريقته ونِحلته وآخرون من أهل الكتاب ، فمن ثَمَّ وجد النفاق في أهل المدينة ومن حولها من الأعراب ، فأمّا المهاجرون فلم يكن فيهم أحد [نافق] ، لأنه لم يكن أحد يهاجر مُكرَهًا ، بل يهاجر فيترك[٤] ماله وولده وأرضه رغبة فيما عند اللَّه في الدار الآخرة .

قال محمد بن إسحاق : حدّثني محمد بن أبي محمد(١٢٣) ، عن عكرمة - أو سعيد بن جبير - عن ابن عباس : ﴿**ومن الناس من يقول آمنا باللَّه وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين**﴾ يعني المنافقين من الأوس والخزرج ومن كان على أمرهم. وكذا فسرها بالمنافقين [من الأوس والخزرج][٥] أبو العالية والحسن وقتادة والسدّي .

ولهذا نبّه اللَّه سبحانه على صفات المنافقين ؛ لئلا يغتر بظواهر[٦] أمرهم المؤمنون ، فيقع بذلك فساد عريض من عدم الاحتراز منهم ، ومن اعتقاد إيمانهم ، وهم كفار في نفس الأمر ، وهذا من المحذورات الكبار أن يظن بأهل الفجور خير ، فقال تعالى : ﴿**ومن الناس من يقول آمنا باللَّه وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين**﴾ أي يقولون ذلك قولًا ليس وراءه شيء آخر ، كما قال تعالى :

---

(١٢٣) - محمد بن أبي محمد مجهول ، وهو عند ابن جرير (٣١٢) ، وابن أبي حاتم (١٠٤) .

---

[١] - سقط من : خ.
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - في ت : « وأعز » .
[٤] - في ز : ويترك .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز : بظاهر .

﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول اللّٰه [واللّٰه يعلم إنك لرسوله][١] ﴾ أي : إنما يقولون[٢] ذلك إذا جاءوك فقط ، لا في نفس الأمر ، ولهذا يؤكدون في[٣] الشهادة بإن ولام التأكيد في خبرها . كما أكدوا قولهم : آمنا باللّٰه وباليوم الآخر ، وليس الأمر كذلك ، كما [كذبهم اللّٰه][٤] في شهادتهم ، وفي خبرهم هذا بالنسبة إلى اعتقادهم ، بقوله تعالى : ﴿واللّٰه يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾ ، وبقوله : ﴿وما هم بمؤمنين﴾ .

وقوله تعالى : ﴿يخادعون اللّٰه والذين آمنوا﴾ أي بإظهارهم ما أظهروه من الإيمان مع إسرارهم الكفر ، يعتقدون بجهلهم أنهم يخدعون اللّٰه بذلك ، وأنّ ذلك نافعهم عنده ، وأنه يروج عليه كما قد يروج على بعض المؤمنين ، كما قال تعالى : ﴿يوم يبعثهم اللّٰه جميعًا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون﴾ . ولهذا قابلهم على اعتقادهم ذلك بقوله : ﴿وما يخدعون[٥] إلا أنفسهم وما يشعرون﴾ . يقول : وما يغرّون بصنيعهم هذا ولا يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون بذلك من أنفسهم ، كما قال تعالى : ﴿إنّ المنافقين يخادعون اللّٰه وهو خادعهم﴾ .

ومن القرّاء من قرأ : ﴿ وما يخدعون[٦] إلا أنفسهم ﴾ وكلا القراءتين ترجع إلى معنى واحد .

قال ابن جرير : فإن قال قائل : كيف يكون المنافق للّٰه وللمؤمنين مخادعًا وهو لا يظهر بلسانه خلاف ما هو له معتقد إلا تقية ؟ .

قيل : لا تمتنع العرب من أن تسمي من أعطى بلسانه غير الذي في ضميره تقية لينجو مما هو له خائف مخادعًا ، فكذلك المنافق سُمي مخادعًا للّٰه وللمؤمنين ، بإظهاره ما أظهره[٧] بلسانه تقية ، بما يخلص[٨] به من القتل والسبي[٩] والعذاب العاجل ، وهو لغير ما أظهره[١٠] مستبطن وذلك من فعله - وإن كان خداعًا للمؤمنين في عاجل الدنيا - فهو لنفسه بذلك من فعله خادعٌ ؛ لأنه يظهر لها بفعله ذلك بها أنه يعطيها أمنيتها ، ويسقيها كأس سرورها ، وهو موردها [ ][١١] حياض عطبها ، ومجرعها به كأس عذابها ، ومُزيرُها من غضب اللّٰه وأليم عقابه ما لا قِبَلَ لها به ، فذلك خديعته نفسه ظنًّا منه - مع إساءته إليها في أمر معادها - أنه[١٢] إليها محسن ، كما قال تعالى :

---

[١] - ما بين المكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز : نقول .
[٣] - زيادة من : ز ، خ .
[٤] - في ز : أكذبهم .
[٥] - في ز ، خ : « يخادعون » .
[٦] - في ت : « يخادعون » .
[٧] - في ز ، خ : « أظهر » .
[٨] - في ز ، خ : « تخلص » .
[٩] - في ز ، خ : « السبا » .
[١٠] - في ز : أظهر .
[١١] - في تفسير الطبري به .
[١٢] - في خ : « أن » .

﴿ وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾ إعلامًا منه عباده المؤمنين أنّ المنافقين بإساءتهم إلى أنفسهم في إسخاطهم عليها ربهم بكفرهم وشكهم وتكذيبهم غير شاعرين ولا دارين ، ولكنهم على عمياء[١] من أمرهم مقيمون .

وقال ابن أبي حاتم(١٢٤) : أنبأنا علي بن المبارك [فيما كتب إلي ، حدثنا زيد بن المبارك][٢] ، حدثنا محمد بن ثور ، عن ابن جريج في قوله تعالى : ﴿ يخادعون الله ﴾ قال : يظهرون لا إله إلا الله يريدون أن يحرزوا بذلك دماءهم وأموالهم ، وفي أنفسهم غير ذلك .

وقال سعيد : عن قتادة : ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون[٣] إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾ نعت المنافق عند كثير خَنِعُ الأخلاق ، يصدّق بلسانه وينكر بقلبه ، ويخالف بعمله ، يصبح على حال ويمسي على غيره ، ويمسي على حال ويصبح على غيره ، و[٤] يتكفأ تكفأ السفينة كلما هبت ريح هبّ معها .

فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾

قال السدي : عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرّة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن أناس من أصحاب رسول[٥] الله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية : ﴿ في قلوبهم مرض ﴾ قال : شك ، ﴿ فزادهم الله مرضًا ﴾ قال : شكًّا(١٢٥) .

وقال ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة - أو سعيد بن جبير - عن ابن عباس ﴿ في قلوبهم مرض ﴾ قال : شك(١٢٦) .

وكذلك قال مجاهد وعكرمة ، والحسن البصري وأبو العالية ، والربيع بن أنس وقتادة .

وعن عكرمة وطاوس ، ﴿ في قلوبهم مرض ﴾ يعني : الرياء[٦] .

وقال الضحاك : عن ابن عباس : ﴿ في قلوبهم مرض ﴾ قال : نفاق : ﴿ فزادهم الله مرضا ﴾

(١٢٤) - تفسير ابن أبي حاتم ١٠٧ - (٤٦/١) وسنده جيد .
(١٢٥) - رواه ابن جرير (٣٢٤) .
(١٢٦) - رواه ابن جرير (٣٢٢) ، وابن أبي حاتم (١١٢ ، ١١٤) وسنده ضعيف .

[١] - في ت : « عمى »
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - في ت : « يخدعون » .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - في خ : « النبي » .
[٦] - في ز : الزنا .

قال : نفاقًا . وهذا كالأول[١٢٧] .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ﴿ **في قلوبهم مرض** ﴾ قال : هذا مرض في الدين وليس مرضًا في الأجساد ، وهم المنافقون .

والمرض : الشك الذي دخلهم في الإسلام : ﴿ **فزادهم اللّه مرضًا** ﴾ قال : زادهم رجسًا ، وقرأ : ﴿ **فأمّا الذين آمنوا فزادتهم إيمانًا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسًا إلى رجسهم** ﴾ . قال : شرًّا إلى شرهم ، وضلالة إلى ضلالتهم .

وهذا الذي قاله عبد الرحمن - رحمه اللّه - حسنٌ ، وهو الجزاء من جنس العمل ، وكذلك قاله الأوّلون ، وهو نظير قوله تعالى أيضًا : ﴿ **والذين اهتدوا زادهم هدىً وآتاهم تقواهم** ﴾ .

[وقوله : ﴿ **بما كانوا يكذبون** ﴾ وقرئ : ﴿ **يكذِّبون** ﴾ وقد كانوا متصفين بهذا وهذا ، فإنهم كانوا كذبة ، ويكذِّبون بالغيب يجمعون بين هذا وهذا .

وقد سئل القرطبي وغيره من المفسرين عن حكمة كفه -عليه الصلاة والسلام- عن قتل المنافقين مع علمه بأعيان بعضهم ؟ وذكروا أجوبة عن ذلك ؛ منها ما ثبت في الصحيحين[١٢٨] أنه صلى اللّه عليه وسلم قال لعمر - رضي اللّه عنه - : « **أكره أن يتحدث العرب أن محمدًا يقتل أصحابه** »

ومعنى هذا خشية أن يقع بسبب ذلك تغير لكثير من الأعراب عن الدخول في الإسلام ، ولا يعلمون حكمة قتله لهم ، وأنّ قتله إياهم إنما هو على الكفر ، فإنهم إنما يأخذونه بمجرّد ما يظهر لهم ، فيقولون : إن محمدًا يقتل أصحابه .

قال القرطبي : وهذا قول علمائنا وغيرهم ، كما كان يعطي المؤلفة مع علمه بسوء اعتقادهم .

قال ابن عطية : وهي طريقة أصحاب مالك نص عليه محمد بن الجهم والقاضي إسماعيل والأبهري وعن ابن الماجشون .

ومنها ما قال مالك : إنما كف رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم عن المنافقين ليبين لأمّته أن

---

(١٢٧) - رواه ابن جرير (٣٢٣) ، وابن أبي حاتم (١١١) ، وسنده ضعيف .

(١٢٨) - رواه البيهقي (١٩٨/٨ ، ٣٢/٩ - ٣٣) ، وفي الدلائل (٢٥٧/٥ - ٢٥٨) من طريق ابن إسحاق معضلًا ، وروى نحوه البخاري (٥٤٦/٦ ، ٦٤٨/٨ ، ٦٥٢ الفتح) ، ومسلم ٦٣ - (٢٥٨٤) ، وأحمد (٣٣٨/٣ ، ٣٩٢ - ٣٩٣) ، وأبو يعلى (١٨٢٤ ، ١٩٥٧) ، وابن حبان (٥٩٩٠ ، ٦٥٨٢) ، والطحاوي في المشكل (٢٣٩/٤) من حديث جابر .

الحاكم لا يحكم بعلمه .

قال القرطبي : وقد اتفق العلماء عن بكرة أبيهم على أنّ القاضي لا يقتل بعلمه . وإن اختلفوا في سائر الأحكام .

قال : ومنها ما قال الشافعي : إنما مَنَعَ رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم من قتل المنافقين ما كانوا يظهرونه من الإسلام مع العلم بنفاقهم ؛ لأنّ ما يظهرونه يَجُبُّ ما قبله .

ويؤيد هذا قوله – عليه الصلاة والسلام – في الحديث المجمع على صحته في الصحيحين(١٢٩) وغيرهما : « **أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا اللّٰه ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على اللّٰه عز وجل** » .

ومعنى هذا أن من قالها جرت عليه أحكام الإسلام ظاهرًا ، فإن كان يعتقدها وجد ثواب ذلك في الدار الآخرة ، وإن لم يعتقدها لم ينفعه [في الآخرة] جريان الحكم عليه في الدنيا ، وكونه كان خليط أهل الإيمان ﴿ **ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرّتكم الأماني حتى جاء أمر اللّٰه** ﴾ الآية . فهم يخالطونهم في بعض المحشر ، فإذا حقت المحقوقية تميزوا منهم وتخلفوا بعدهم ﴿ **وحيل بينهم وبين ما يشتهون** ﴾ ولم يمكنهم أن يسجدوا معهم ، كما نطقت بذلك الأحاديث .

ومنها : ما قاله بعضهم أنه إنما لم يقتلهم لأنه كان يخاف[١] من شرهم مع وجوده – عليه الصلاة والسلام – بين أظهرهم يتلو عليهم آيات اللّٰه مبينات ، فأما بعده فيقتلون إذا أظهروا النفاق وعلمه المسلمون .

قال مالك : المنافق في عهد الرسول صلى اللّٰه عليه وسلم هو الزنديق اليوم .

(**قلت**): وقد اختلف العلماء في قتل الزنديق إذا أظهر الكفر ، هل يستتاب أم لا ؟ أو يفرق بين أن يكون داعية أم لا ؟ أو يتكرّر منه ارتداده أم لا ، أو يكون إسلامه ورجوعه من تلقاء نفسه ، أو بعد أن ظُهِر عليه ؟ على أقوال متعدّدة ، موضع بسطها وتقريرها وعزوها كتاب « الأحكام » .

[**تنبيه**] : قول من قال : كان – عليه الصلاة والسلام – يعلم أعيان بعض المنافقين ، إنما مستنده حديث حذيفة بن اليمان(١٣٠) في تسمية أولئك الأربعة عشر منافقًا في غزوة تبوك ، الذين

(١٢٩) – البخاري في كتاب الإيمان برقم (٢٥) ومسلم في الإيمان برقم ٣٦ – (٢٢) من حديث ابن عمر رضي اللّٰه عنهما .

(١٣٠) – رواه مسلم ٩ : ١١ – (٢٧٧٩) ، وأحمد (٥/٣٩٠) .

[١] – في ن : لا يخاف .

هموا أن يفتكوا برسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم في ظلماء الليل عند عقبة هناك ، عزموا على أن ينفروا به الناقة ليسقط عنها ، فأوحى اللّه إليه أمرهم فأطلع على ذلك حذيفة ولعل الكف عن قتلهم كان لمدرك من هذه المدارك أو لغيرها ، واللّه أعلم .

فأمّا غير هؤلاء فقد قال اللّه تعالى : ﴿ **وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم** ﴾ الآية . وقال تعالى : ﴿ **لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلًا ، ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلًا** ﴾ ففيها دليل على أنه لم يغر بهم ولم يدرك على أعيانهم ، وإنما كان تذكر له صفاتهم فيتوسمها في بعضهم ، كما قال تعالى : ﴿ **ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول** ﴾

وقد كان من أشهرهم بالنفاق عبد اللّه بن أبيّ ابن سلول ، وقد شهد عليه زيد بن أرقم بذلك الكلام الذي سبق في صفات المنافقين ، ومع هذا لما مات صلى عليه النبي صلى اللّه عليه وسلم وشهد دفنه كما يفعل ببقية المسلمين ، وقد عاتبه عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه فيه فقال : « **إني أكره أن تتحدّث العرب أنّ محمدًا يقتل أصحابه** » .

وفي رواية في الصحيح : « **إني خيرت فاخترت** » . وفي رواية(١٣١) : « **لو أعلم أني لو زدت على السبعين يغفر له لزدت**][١] » .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾

قال السدي في تفسيره عن أبي مالك و[عن][٢] أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مُرّة الطَّيِّب الهمداني[٣] ، عن ابن مسعود ، وعن أناس[٤] من أصحاب النبي[٥] صلى اللّه عليه وسلم : ﴿ **وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون** ﴾ [قال : هم المنافقون][٦] ، أمّا ﴿ **لا تفسدوا في الأرض** ﴾ قال : الفساد هو الكفر ، والعمل بالمعصية .

وقال أبو جعفر : عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية في قوله تعالى : ﴿ **وإذا قيل لهم لا**

(١٣١) - رواه البخاري برقم (١٣٦٦) من حديث ابن عمر .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ز ، خ : « ناس » .
[٥] - في خ : « رسول الله » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .

تفسدوا في الأرض﴾ قال : يعني لا تعصوا في الأرض ، وكان فسادهم ذلك معصية اللَّه ؛ لأنه من عصى اللَّه في الأرض أو أمر بمعصيته[١] فقد أفسد في الأرض ؛ لأنّ صلاح الأرض والسماء بالطاعة .

وهكذا قال الربيع بن أنس وقتادة .

وقال ابن جريج : عن مجاهد : **﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض﴾** قال : إذا ركبوا معصية اللَّه فقيل لهم : لا تفعلوا كذا وكذا ، قالوا : إنما نحن على الهدى ، مصلحون .

وقد قال وكيع وعيسى بن يونس وعَثّام[٢] بن علي ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو عن عباد بن عبد اللَّه الأسدي(١٣٢) ، عن سلمان الفارسي : **﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون﴾** قال سلمان : لم يجئ أهل هذه الآية بعد .

وقال ابن جرير(١٣٣) : حدّثني أحمد بن عثمان بن حكيم ، حدّثنا عبد الرحمن بن شريك ، حدثني أبي ، عن الأعمش ، عن زيد بن وهب وغيره ، عن سلمان الفارسي[٣] في هذه الآية ، قال : ما جاء هؤلاء [بَعْدُ[٤]] .

قال ابن جرير (١٣٤) : يحتمل أن سلمان [- رضي اللَّه عنه -] أراد بهذا أن الذين يأتون بهذه الصفة أعظم فسادا من الذين كانوا في زمن[٥] النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - لا أنه عنى أنه لم يمض ممن تلك صفته أحد .

قال ابن جرير (١٣٥) : فأهل النفاق مفسدون في الأرض بمعصيتهم فيها ربهم ، وركوبهم فيها ما نهاهم عن ركوبه ، وتضييعهم فرائضه وشكهم في دينه الذي لا يُقْبَلُ من أحد عملٌ إلا بالتصديق به والإيقان بحقيقته ، وكذبِهم المؤمنين بدعواهم غير ما هم عليه مقيمون[٦] من الشك

(١٣٢) - رواه ابن جرير (٣٣٧) ، وابن أبي حاتم (١٢٣) ، وعباد بن عبد اللَّه الأسدي : أورده الذهبي في الميزان (٣٦٨/٢) وقال : قال البخاري : سمع منه المنهال بن عمرو ، فيه نظر . قال ابن المديني : ضعيف الحديث ، وذكره ابن حبان في الثقات .

(١٣٣) - تفسير ابن جرير ٣٣٨ - (٢٨٨/١) ، وعبد الرحمن بن شريك ذكره ابن حبان في الثقات . وقال أبو حاتم : واهي الحديث .

(١٣٤) - تفسير ابن جرير (٢٨٩/١) .

(١٣٥) - تفسير ابن جرير (٢٨٩/١) .

[١] - في ز : بمعصية لله . [٢] - في ز ، خ : « غنام » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ ، وهي مثبتة عند الطبري .
[٥] - في ز : زمان . [٦] - في ز ، خ : « مقيمين » .

والريب، ومظاهرتهم أهل التكذيب بالله وكتبه ورسله على أولياء الله إذا وجدوا إلى ذلك سبيلًا، فذلك إفساد المنافقين في الأرض، وهم يحسبون أنهم بفعلهم ذلك مصلحون فيها.

وهذا الذي قاله حسن؛ فإن من الفساد في الأرض اتخاذ المؤمنين الكافرين أولياء كما قال تعالى: ﴿**والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلّا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**﴾ فقطع الله الموالاة بين [المؤمنين والكافرين] كما قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانًا مبينًا**﴾، ثم قال: ﴿**إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرًا**﴾، فالمنافق لما كان ظاهره الإيمان اشتبه أمره على المؤمنين، فكأن الفساد من جهة المنافق حاصلٌ؛ لأنه هو الذي غرّ المؤمنين بقوله الذي لا حقيقة له، ووالى الكافرين على المؤمنين، ولو أنه استمر على حاله الأول لكان شره أخف، ولو أخلص العمل لله وتطابق قوله وعمله لأفلح وأنجح، ولهذا قال تعالى: ﴿**وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون**﴾ أي نريد أن نداري الفريقين من المؤمنين والكافرين، ونصطلح مع هؤلاء وهؤلاء، كما قال محمد بن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد(١٣٦)، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿**وإذا قيل لهم لاتفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون**﴾ أي إنما نريد الإصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب. يقول الله: ﴿**ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون**﴾ يقول: ألا إن هذا الذي يعتمدونه ويزعمون أنه إصلاح هو عين الفساد، ولكن من جهلهم لا يشعرون بكونه فسادًا.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

يقول تعالى: وإذا قيل للمنافقين: آمنوا كما آمن الناس، أي كإيمان الناس بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والجنة والنار وغير ذلك، مما أخبر المؤمنون[١] به وعنه، وأطيعوا الله ورسوله في امتثال الأوامر وترك الزواجر ﴿**قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء**﴾ يعنون - لعنهم الله - أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم - رضي الله عنهم - قاله أبو العالية والسدي في تفسيره بسنده عن ابن عباس وابن مسعود وغير واحد من الصحابة(١٣٧)، وبه يقول الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم، يقولون: أنصير نحن وهؤلاء بمنزلة واحدة وعلى طريقة واحدة وهم سفهاء؟!.

(١٣٦) - محمد بن أبي محمد: مجهول، ورواه ابن جرير (٣٤١)، وابن أبي حاتم (١٢٤).
(١٣٧) - رواه ابن جرير (٣٤٤).

[١] - في ت: «المؤمنين».

والسفهاء جمع سفيه، كما أن الحكماء جمع حكيم [والحلماء جمع حليم][١] ، والسفيه هو الجاهل الضعيف الرأي، القليل المعرفة بمواضع المصالح والمضار، ولهذا سمى اللَّه النساء والصبيان سفهاء في قوله تعالى : ﴿ **ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل اللَّه لكم قيامًا** ﴾، قال عامة علماء التفسير[٢] : هم النساء والصبيان.

وقد تولى اللَّه سبحانه جوابهم في هذه المواطن كلها فقال : ﴿ **ألا إنهم هم السفهاء** ﴾ فأكد وحصر السفاهة فيهم.

﴿ **ولكن لا يعلمون** ﴾ يعني ومن تمام جهلهم أنهم لا يعلمون بحالهم في الضلالة والجهل، وذلك أردى لهم، وأبلغ في العمى والبعد عن الهدى.

وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾

يقول تعالى : وإذا لقي هؤلاء المنافقون المؤمنين قالوا : ﴿ **آمنا** ﴾ أي أظهروا لهم الإيمان والموالاة والمصافاة، غرورًا منهم للمؤمنين ونفاقًا ومصانعة وتقية، وليَشْركوهم فيما أصابوا من خير ومغنم، ﴿ **وإذا خلوا إلى شياطينهم** ﴾ يعني : و[٣] إذا انصرفوا و[٤] ذهبوا و[٥] خلصوا إلى شياطينهم، فضمَّن ﴿ **خلوا** ﴾ معنى انصرفوا، لتعديته بإلى، ليدل على الفعل المضمر والفعل الملفوظ به. ومنهم من قال : « إلى » هنا[٦] بمعنى « مع »، والأول أحسن وعليه يدور كلام ابن جرير.

وقال السدّي عن أبي مالك : ﴿ **خلوا** ﴾ يعني مضوا، و ﴿ **شياطينهم** ﴾ يعني : سادتهم [وكبراءهم ورؤساءهم][٧] من أحبار اليهود ورءوس المشركين والمنافقين.

قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة الهمداني[٨] ، عن ابن مسعود، وعن[٩] ناس من أصحاب النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - ﴿ **وإذا خلوا إلى شياطينهم** ﴾ يعني[١٠] : هم رءوسهم في الكفر.

وقال الضحاك عن ابن عباس : وإذا خلوا إلى أصحابهم وهم شياطينهم.

---

[١] - سقط من ز.
[٢] - في ز ، خ : « السلف ».
[٣] - زيادة من : ز ، خ.
[٤] - في ز : أو.
[٥] - في ز : أو.
[٦] - في ز : ههنا.
[٧] - في ز : وكبراؤهم ورؤساؤهم.
[٨] - سقط من : ز ، خ.
[٩] - سقط من : ز ، خ.
[١٠] - سقط من : ز ، خ.

وقال محمد بن إسحاق: عن محمد بن أبي محمد(١٣٨) ، عن عكرمة أو[١] سعيد بن جبير، عن ابن عباس : ﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم﴾ من يهود الذين يأمرونهم بالتكذيب وخلاف ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم . وقال مجاهد : ﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم﴾ إلى أصحابهم من المنافقين والمشركين.

وقال قتادة: ﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم﴾ قال : إلى رءوسهم وقادتهم في الشرك والشر.

وبنحو ذلك فسره أبو مالك وأبو العالية والسدي والربيع بن أنس.

قال ابن جرير : وشياطين كل شيء[٢] مَرَدَتُه ، ويكون الشيطان من الإنس والجن، كما قال تعالى : ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوًا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا﴾.

وفي المسند (١٣٩) عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «تعوَّذ بالله من شياطين الإنس والجن» فقلت : يا رسول الله ! أو[٣] للإنس شياطين ؟ قال : «نعم».

وقوله تعالى : ﴿قالوا إنا معكم﴾ قال محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس(١٤٠) أي إنا على مثل ما أنتم عليه ﴿إنما نحن مستهزءون﴾ أي إنما نحن نستهزئ بالقوم ونلعب بهم.

---

[٣] - - محمد بن أبي محمد : مجهول ، وهو عند ابن جرير (٣٥٠) ، وابن أبي حاتم (١٣٧) .

(١٣٩) - ضعيف ، وهو في المسند ٢١٦٢٩ - (١٧٨/٥) ثنا وكيع ، ثنا المسعودي ، أنبأني أبو عمر الدمشقي ، عن عبيد بن الخشخاش ، عن أبي ذر .... وأبو عمر الدمشقي قال الدارقطني : متروك . وعبيد ابن الخشخاش : قال الحافظ : روى عن أبي ذر في الاستعاذة من شياطين الإنس والجن ، وعنه أبو عمر الدمشقي ذكره ابن حبان في الثقات . قال الحافظ : قلت : وقال : روى عنه الكوفيون ، وقال البخاري لم يذكر سماعًا من أبي ذر ، وضعفه الدارقطني . وأخرجه أيضًا البزار كما في كشف الأستار (١ / ٩٣ ، ٩٤/ رقم : ١٦٠) . والطبراني في الأوسط كما في مجمع البحرين (١ / ٢٦٨ - ٢٦٩ / رقم : ٣١٣) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ١٥٩ ، ١٦٠) وقال « رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط بنحوه ، وعند النسائي طرف منه ، وفيه المسعودى وهو ثقة ، ولكنه اختلط . ورواه أحمد من حديث أبي أمامة ٢٢٣٣٨ - (٢٦٥/٣) ، وفي إسناده علي بن يزيد الألهاني : منكر الحديث .

(١٤٠) - رواه ابن جرير (٣٥٠) ، وابن أبي حاتم (١٤١) .

---

[١] - في ز ، خ: «أن».

[٢] - في خ: «نبي». [٣] - في خ: «و».

وقال الضحاك عن ابن عباس (١٤١) : ﴿[قالوا][١] **إنما نحن مستهزءون**﴾ ساخرون بأصحاب محمد صلى اللّٰه عليه وسلم . وكذلك قال الربيع بن أنس وقتادة .

وقوله تعالى جوابًا لهم ومقابلة على صنيعهم : ﴿**اللّٰه يستهزئ بهم ويمدّهم في طغيانهم يعمهون**﴾ .

وقال ابن جرير : أخبر الله تعالى أنه فاعل بهم ذلك يوم القيامة في قوله [تعالى] : ﴿**يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورًا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب**﴾ الآية ، وقوله تعالى : ﴿**ولا يحسبن**[٢] **الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين**﴾ الآية ، قال : فهذا وما أشبهه من استهزاء اللّٰه تعالى ذكره وسخريته ومكره وخديعته للمنافقين وأهل الشرك به ، عند قائل هذا القول ومتأوّل هذا التأويل .

قال : وقال آخرون : بل استهزاؤه بهم توبيخه إياهم ، ولومه لهم على ما ركبوا من معاصيه ، والكفر به .

قال : وقال آخرون : هذا وأمثاله على سبيل الجواب ، كقول الرجل لمن يخدعه إذا ظفر به : أنا الذي خدعتك . ولم يكن منه خديعة ، ولكن قال ذلك إذا صار الأمر إليه .

قالوا : وكذلك قوله تعالى : ﴿**ومكروا ومكر اللّٰه واللّٰه خير الماكرين**﴾ و ﴿**اللّٰه يستهزئ بهم**﴾ على الجواب واللّٰه لا يكون منه المكر ولا الهزء . والمعنى أنّ المكر والهزء حاق بهم .

وقال آخرون قوله تعالى : ﴿**إنما نحن مستهزءون اللّٰه يستهزئ بهم**﴾ ، وقوله : ﴿**يخادعون اللّٰه وهو خادعهم**﴾ ، وقوله : ﴿**فيسخرون منهم سخر اللّٰه منهم**﴾ و ﴿**نسوا اللّٰه فنسيهم**﴾ ، وما أشبه ذلك إخبار من اللّٰه تعالى أنه مجازيهم جزاء الاستهزاء ، ومعاقبهم عقوبة الخداع ، فأخرج خبره عن جزائه[٣] إياهم وعقابه لهم مُخْرَجَ خبره عن فعلهم الذي عليه استحقوا العقاب في اللفظ ، وإن اختلف المعنيان كما قال تعالى : ﴿**وجزاء**[٤] **سيئة سيئة مثلها [فمن عفا وأصلح فأجره على اللّٰه]**[٥] ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿**فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه [بمثل ما اعتدى عليكم]**[٦] ﴾ فالأوّل ظلم والثاني عدل ، فهما وإن اتفق لفظاهما فقد اختلف معناهما .

(١٤١) - رواه ابن جرير (٣٥٩) ، وابن أبي حاتم (١٤٢) ، وسنده ضعيف .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في خ : « تحسبن » .
[٣] - في ز ، خ : « جوابه » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز ، خ .

قال : وإلى هذا المعنى وجهوا كل ما في القرآن من نظائر ذلك .

[قال : وقال آخرون : إنّ معنى ذلك][١] أنّ اللّه أخبر عن المنافقين أنهم إذا خَلَوا إلى مردتهم قالوا : إنا معكم على دينكم ، في تكذيب محمد [صلى اللّه تعالى عليه وآله وسلم] وما جاء به ، وإنما نحن بما نظهر لهم من قولنا لهم : [صدقنا بمحمد عليه السلام وبما جاء به][٢] مستهزِئون ، فأخبر الله تعالى أنه يستهزئ بهم فيظهر لهم من أحكامه في الدنيا ، يعني من عصمة[٣] دمائهم وأموالهم خلافَ الذي لهم عنده في الآخرة يعني من العذاب والنكال(١٤٢) .

ثم شرع ابن جرير يوجه هذا القول وينصره ؛ لأنّ المكر والخداع والسخرية على وجه اللعب والعبث منتفٍ عن اللّه -عز وجل- بالإجماع ، وأما على وجه الانتقام والمقابلة بالعدل والمجازاة فلا يمتنع ذلك .

قال : وبنحو ما قلنا فيه رُوي الخبر عن ابن عباس :

حدثنا(١٤٣) أبو كريب ، حدثنا عثمان ، حدثنا بشر ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ **اللّه يستهزئ بهم** ﴾ قال : يسخر بهم للنقمة منهم .

وقوله تعالى : ﴿ **ويمدّهم في طغيانهم يعمهون** ﴾ قال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني[٤] ، عن ابن مسعود ، وعن أناس[٥] من [أصحاب النبي صلى اللّه عليه وسلم][٦] يمدهم : يملي لهم(١٤٤) .

وقال مجاهد : يزيدهم .

[وقال تعالى : ﴿ **أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون** ﴾ وقال : ﴿ **سنستدرجهم من حيث لا يعلمون** ﴾ قال بعضهم : كلما أحدثوا ذنبًا أحدث لهم نعمة وهي في الحقيقة نقمة .

(١٤٢) - تفسير ابن جرير (٣٠٣/١) .

(١٤٣) - تفسير ابن جرير ٣٦٣ - (٣٠٥/١) ، وسنده ضعيف جدًا .

(١٤٤) - رواه ابن جرير (٣٦٤) ، وابن أبي حاتم (١٤٤) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - سقط من : ز ، خ ، ومثبت في تفسير الطبري .

[٣] - سقط من ز .

[٤] - سقط من: ز ، خ.

[٥] - في ز : ناس .

[٦] - في ز ، خ: « الصحابة » .

وقال تعالى : ﴿ **فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين** ﴾][١] .

قال ابن جرير : والصواب نزيدهم على وجه الإملاء والترك لهم في عُتُوّهم وتمردهم ، كما قال تعالى : ﴿ **ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون** ﴾ .

والطغيان هو المجاوزة في الشيء كما قال تعالى : ﴿ **إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية** ﴾ .

وقال الضحاك عن ابن عباس : ﴿ **في طغيانهم يعمهون** ﴾ في كفرهم يتردّدون(١٤٥) .

وكذا[٢] فسره السدي بسنده عن الصحابة ، وبه يقول أبو العالية وقتادة والربيع بن أنس ومجاهد وأبو مالك وعبد الرحمن بن زيد في كفرهم وضلالتهم .

قال ابن جرير : والعَمَه : الضلال ، يقال : عمه فلان يَعْمَه عَمَهًا وعُمُوهًا إذا ضلَّ .

قال : وقوله : ﴿ **في طغيانهم يعمهون** ﴾ في ضلالتهم[٣] ، وكفرهم الذي قد[٤] غمرهم دنسه وعلاهم رجسه ، يتردّدون حيارى ضُلَّالًا ، لا يجدون إلى المخرج منه سبيلًا ؛ لأن اللَّه تعالى قد طبع على قلوبهم وختم عليها ، وأعمى أبصارهم عن الهدى ، وأغشاها فلا يبصرون رشدًا ولا يهتدون سبيلًا .

[وقال بعضهم : العمى في العين ، والعمه في القلب .

وقد يستعمل العمى في القلب أيضًا ، قال اللَّه تعالى : ﴿ **فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور** ﴾ ، وتقول : عمه الرجل يعمه عموهًا فهو عمه ، وعامه وجمعه عُمه ، وذهبت إبله العمهاء إذا لم يدر أين ذهبت][٥] .

أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾

---

(١٤٥) - رواه ابن جرير (٣٦٦) ، وابن أبي حاتم (١٤٨) ، وسنده ضعيف جدًا .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - في ز ، خ : « وكذلك » .
[٣] - في ز : ضلالهم . [٤] - زيادة من : ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

قال السدي في تفسيره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة : ﴿**أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى**﴾ قال : أخذوا الضلالة وتركوا الهدى .

وقال ابن إسحاق : عن محمد بن أبي محمد(١٤٦) ، عن عكرمة أو عن سعيد [بن جبير][١] ، عن ابن عباس : ﴿**أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى**﴾ أي : الكفر بالإيمان .

وقال مجاهد : آمنوا ثم كفروا .

وقال قتادة : استحبوا الضلالة على الهدى .

وهذا الذي قاله قتادة يشبهه في المعنى قوله تعالى في ثمود : ﴿**وأما**[٢] **ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى**﴾ .

وحاصل قول المفسرين فيما تقدم أن المنافقين عَدَلُوا عن الهدى إلى الضلال[٣] ، واعتاضوا عن الهدى بالضلالة ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿**أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى**﴾ أي : بذلوا الهدىٰ ثمنًا للضلالة ، وسواء في ذلك من كان منهم قد حصل له الإيمان ثم رجع عنه إلى الكفر ، كما قال تعالى فيهم : ﴿**ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطُبع على قلوبهم**﴾ . أو أنهم استحبوا الضلالة على الهدى ، كما قد[٤] يكون حال فريق آخر[٥] منهم ، فإنهم أنواع وأقسام ، ولهذا قال تعالى : ﴿**فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين**﴾ .

[أي : ما ربحت صفقتهم في هذه البيعة ﴿**وما كانوا مهتدين**﴾][٦] أي : راشدين في صنيعهم ذلك .

وقال ابن جرير(١٤٧) : حدثنا بشر ، حدثنا يزيد ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿**فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين**﴾ قد والله رأيتموهم خرجوا من الهدى إلى الضلالة ، ومن الجماعة إلى الفرقة ، ومن الأمن إلى الخوف ، ومن السنة إلى البدعة .

---

(١٤٦) - محمد بن أبي محمد : لا يعرف ، وهو عند ابن جرير (٣٨٠) ، وابن أبي حاتم (١٥٣) .
(١٤٧) - تفسير ابن جرير - ٣٨٥ - (٣١٢/١) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ت : « فأما » .
[٣] - في ز ، خ : « الضلالة » .
[٤] - زيادة من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وهكذا رواه ابن أبي حاتم(١٤٨) من حديث يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة ، بمثله سواء .

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾

[يقال : مَثَل ومِثْل ومَثِيل أيضًا والجمع أمثال ، قال اللَّه تعالى : ﴿ **وتلك الأمثالُ نضربُها للناس وما يعقلها إلا العالمون** ﴾][١] ، وتقريرُ هذا المثل أن اللَّه سبحانه شبههم في اشترائهم الضلالة بالهدى ، وصيرورتهم بعد البصيرة[٢] إلى العمى ، بمن استوقد نارًا ، فلما أضاءت ما حوله وانتفع بها وأبصر بها ما عن يمينه وشماله وتأنس بها ، فبينا هو كذلك إذ طُفئت ناره وصار في ظلام شديد لا يبصر ولا يهتدي ، وهو مع هذا[٣] أصم لا يسمع ، أبكم لا ينطق ، أعمى لو كان ضياء لما أبصر ، فلهذا لا يرجع إلى ما كان عليه قبل ذلك ، فكذلك هؤلاء المنافقون في استبدالهم الضلالة عوضًا عن الهدى ، واستحبابهم الغي على الرشد ، وفي هذا المثل دلالة على أنهم آمنوا ثم كفروا ، كما أخبر تعالى[٤] عنهم في غير هذا الموضع ، واللَّه أعلم .

[وقد حكى هذا الذي قلناه الرازي في تفسيره عن السدي ، ثم قال : والتشبيه هاهنا في غاية الصحة ؛ لأنهم بإيمانهم اكتسبوا أولًا نورًا ثم بنفاقهم ثانيًا أبطلوا ذلك فوقعوا في حيرة عظيمة ، فإنه لا حيرة أعظم من حيرة الدين][٥] .

وزعم ابن جرير أن المضروب لهم المثل هاهنا لم يؤمنوا في وقت من الأوقات ، واحتج بقوله تعالى : ﴿ **ومن الناس من يقول آمنا باللَّه وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين** ﴾ .

والصواب : أنّ هذا إخبار عنهم في حال نفاقهم وكفرهم ، وهذا لا ينفي أنه كان حصل لهم إيمان قبل ذلك ، ثم سُلبوه وطبع على قلوبهم ، ولم يستحضر ابن جرير - رحمه الله - هذه الآية هاهنا وهي قوله تعالى : ﴿ **ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون** ﴾ . فلهذا[٦] وجه هذا المثل بأنهم استضاءوا بما أظهروه من كلمة الإيمان - أي في الدنيا - ثم أعقبهم ظلمات يوم القيامة .

قال : وصح ضرب مثل الجماعة بالواحد ، كما قال : ﴿ **رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم**

---

(١٤٨) - تفسير ابن أبي حاتم (١٥٧) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - في ز ، خ : « التبصرة » .
[٣] - في ز ، خ : « ذلك » . [٤] - في ز ، خ : « عنهم تعالى » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٦] - في خ : « فهذا » .

كالذي يغشى عليه من الموت﴾ أي : كدوران [عيني] الذي يغشى عليه من الموت ، وقال تعالى : ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾ [وقال تعالى : ﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارًا﴾ . وقال بعضهم : تقدير الكلام مثل قصتهم كقصة الذين استوقدوا نارًا][١] .

[وقال بعضهم : المستوقد واحد لجماعة معه . وقال آخرون : الذي هاهنا بمعنى الذين ، كما قال الشاعر :

وإنّ الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد][٢] (١٤٩)

قلت : وقد التفت في أثناء المثل من الواحد[٣] إلى الجمع في قوله تعالى : ﴿فلما أضاءت ما حوله ذهب اللّٰه بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عميٌ فهم لا يرجعون﴾ . وهذا أفصح في الكلام وأبلغ في النظام ، وقوله تعالى : ﴿ذهب اللّٰه بنورهم﴾ أي أذهب عنهم ما[٤] ينفعهم ، وهو النور ، وأبقى لهم ما يضرهم ، وهو الإحراق والدخان . ﴿وتركهم في ظلمات﴾ وهو ما هم فيه من الشك والكفر والنفاق : ﴿لا يبصرون﴾ لايهتدون إلى سبل خير ولا يعرفونها ، وهم مع ذلك ﴿صم﴾ لا يسمعون خيرًا ﴿بكم﴾ لا يتكلمون بما ينفعهم ﴿عميٌ﴾ في ضلالة وعماية البصيرة ، كما قال تعالى : ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ فلهذا لا يرجعون إلى ما كانوا عليه من الهداية التي باعوها بالضلالة .

(ذكر أقوال المفسرين من السلف بنحو ما ذكرناه)

قال السدّي في تفسيره(١٥٠) عن أبي مالك و[٥] عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرّة الهمداني[٦] عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة ، في قوله تعالى : ﴿فلما أضاءت ما حوله﴾ زعم أنّ ناسًا دخلوا في الإسلام مَقْدَم نبي اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم المدينة ثم إنهم نافقوا ، وكان[٧] مثلهم كمثل رجل كان في ظلمة ، فأوقد نارًا ، فلما أضاءت [ ][٨] ما حوله من قذى أو أذى فأبصره حتى عرف ما يتقي منه[٩] ، فبينما هو كذلك إذ طفئت ناره فأقبل لا يدري ما يتقي

(١٤٩) - البيت للأشهب بن رميلة ، كما في اللسان ، مادة « فلج » .

(١٥٠) - رواه ابن جرير (٣٨٨) ، وابن أبي حاتم (١٦٢) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : الوحدة .
[٤] - في خ : بما .
[٥] - زيادة من : ز ، خ .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز ، خ : « فكان » .
[٨] - في ز : له .
[٩] - في ز : منها .

من أذى ، فكذلك[١] المنافق كان في ظلمة الشرك فأسلم فعرف الحلال والحرام ، والخير من[٢] الشرِّ ، فبينما هو كذلك إذ كفر ، فصار لا يعرف الحلال من الحرام ، ولا الخير من الشرِّ .

وقال مجاهد : ﴿ **فلما أضاءت ما حوله** ﴾ أمّا إضاءة النار فإقبالهم[٣] إلى المؤمنين والهدى .

وقال عطاء الخراساني في قوله تعالى : ﴿ **مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا** ﴾ قال : هذا[٤] مثل المنافق ، يبصر أحيانًا ويعرف أحيانًا ، ثم يدركه عمى القلب .

و[٥] قال ابن أبي حاتم : وروي عن عكرمة والحسن ، والسدّي والربيع بن أنس نحو قول عطاء الخراساني .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، في قوله تعالى : ﴿ **مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا** ﴾ إلى آخر الآية ؛ قال : هذه صفة المنافقين ، كانوا قد آمنوا حتى أضاء الإيمان في قلوبهم ، كما أضاءت النار لهؤلاء الذين استوقدوا نارًا[٦] ، ثم كفروا فذهب الله بنورهم فانتزعه ، كما ذهب بضوء هذه النار فتركهم في ظلمات لا يبصرون .

وقال العوفي عن ابن عباس(١٥١) في هذه الآية ، قال : أمّا[٧] النور فهو إيمانهم الذي كانوا يتكلمون به ، وأمّا الظلمة فهي ضلالتهم وكفرهم [الذي كانوا][٨] يتكلمون به ، وهم قوم كانوا على هدى ثم نُزع منهم فعتوا بعد ذلك .

وأمّا قول ابن جرير ، فيشبه ما رواه علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس(١٥٢) في قوله تعالى : ﴿ **مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا** ﴾ قال : هذا مثل ضربه الله للمنافقين أنهم كانوا يعتزون بالإسلام ، فيناكحهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم الفيء ، فلما ماتوا سلبهم الله ذلك العزَّ كما سُلب صاحب النار ضَوءه .

[وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية : ﴿ **مثلهم كمثل الذي**][٩] **استوقد نارًا** ﴾ فإنما ضوء النار ما أوقدتها فإذا خمدت ذهب نورها ، وكذلك المنافق ، كلما تكلم

[٩] - - رواه ابن جرير (٣٨٩) ، وسنده ضعيف جدًا .

(١٥٢) - رواه ابن جرير (٣٨٧) ، وابن أبي حاتم (١٥٨) ، وإسناده ضعيف .

---

[١] - في ز ، خ : « فذلك » .

[٢] - في ت : و ..

[٣] - في ز : فإقباله .

[٤] - زيادة من : ز ، خ .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

[٧] - سقط من : ز ، خ .

[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

بكلمة الإخلاص، بلا إله إلا اللّه، أضاء له، فإذا شك وقع في الظلمة.

وقال الضحاك [في قوله][١] : ﴿ذهب اللّه بنورهم﴾ [أمّا نورهم][٢] فهو إيمانهم الذي تكلموا به.

وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة (١٥٣) : ﴿مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا فلما أضاءت ما حوله﴾ فهي لا إله إلا اللّه، أضاءت لهم فأكلوا بها وشربوا وأمنوا في الدنيا، ونكحوا النساء، وحقنوا دماءهم، حتى إذا ماتوا ذهب اللّه بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون.

وقال سعيد عن قتادة في هذه الآية : إنّ[٣] المعنى أنّ المنافق تكلم بلا إله إلا اللّه فأضاءت له في الدنيا، فناكح بها المسلمين، وغازاهم بها، ووارثهم بها وحقن بها دمه وماله، فلما كان عند الموت سُلبها المنافق ؛ لأنه[٤] لم يكن لها أصل في قلبه، ولا حقيقة في عمله.

﴿وتركهم في ظلمات [لا يبصرون][٥]﴾ قال علي بن أبي[٦] طلحة عن ابن عباس : ﴿وتركهم في ظلمات لا يبصرون﴾ يقول : في عذاب إذا ماتوا (١٥٤).

وقال محمد[٧] بن إسحاق : عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة - أو سعيد [بن جبير][٨] - عن ابن عباس (١٥٥) : ﴿وتركهم في ظلمات﴾ أي يبصرون الحق ويقولون به، حتى [إذا خرجوا][٩] من ظلمة الكفر [أطفئوه بكفرهم][١٠] ونفاقهم فيه، فتركهم اللّه في ظلمات الكفر، فهم لا يبصرون هدًى ولا يستقيمون على حق.

وقال السدي في تفسيره بسنده : ﴿وتركهم في ظلمات﴾ فكانت الظلمة نفاقهم.

وقال الحسن البصري : ﴿وتركهم في ظلمات لا يبصرون﴾ فذلك حين يموت المنافق، فيظلم عليه عمله عمل السوء، فلا يجد له عملًا من خيرٍ عمل به يصدق به قول لا إله إلّا اللّه[١١].

---

(١٥٣) - رواه عبد الرزاق في تفسيره (٣٩/١)، وعنه ابن جرير (٣٩١)، وابن أبي حاتم (١٦٤).

(١٥٤) - رواه ابن جرير (٣٨٧)، وابن أبي حاتم (١٦٧).

(١٥٥) - رواه ابن جرير (٣٨٦)، وابن أبي حاتم (١٦٨).

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ.
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ.
[٣] - سقط من: ز، خ.
[٤] - في ز، خ: «لأنها».
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ.
[٦] - سقط من: ز، خ.
[٧] - سقط من: ز، خ.
[٨] - سقط من ز.
[٩] - في ز : خرجوا به.
[١٠] - في ز : اطفئوا بكفرهم به.
[١١] - في ز، خ: «هو».

﴿صم بكم عمي﴾ قال السدي بسنده : ﴿صم بكم [عميّ][١] ﴾ فهم خرس عمي .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس(١٥٦) : ﴿صم بكم عميّ﴾ يقول : لا يسمعون الهدى ولا يبصرونه ولا يعقلونه . وكذا قال أبو العالية وقتادة بن دعامة .

﴿فهم لا يرجعون﴾ قال ابن عباس(١٥٧) : أي لا يرجعون إلى هدى ، وكذا قال الربيع بن أنس .

وقال السدي بسنده : ﴿صم بكم عمي فهم لا يرجعون﴾ إلى الإسلام .

وقال قتادة : ﴿فهم لا يرجعون﴾ أي : لا يتوبون ، ولا هم يذكرون .

أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾

وهذا مثل آخر ضربه الله تعالى لضرب آخر من المنافقين ، وهم قوم يظهر لهم الحق تارة ، ويشكون تارة أخرى ، فقلوبهم في حال شكهم وكفرهم وترددهم ﴿كصيب﴾ والصيب : المطر ، قاله ابن مسعود(١٥٨) وابن عباس(١٥٩) وناس من الصحابة ، [وأبو العالية ومجاهد ، وسعيد بن جبير][٢] وعطاء ، والحسن البصري ، وقتادة ، وعطية العَوْفي ، وعطاء الخراساني ، والسُّدّي ، والربيع بن أنس .

وقال الضحاك : هو السحاب .

والأشهر هو المطر نزل من السماء ، في حال ظلمات ، وهي الشكوك والكفر والنفاق .

---

(١٥٦) - رواه ابن جرير (٣٩٩) ، وابن أبي حاتم (١٧٣) .

(١٥٧) - رواه ابن أبي حاتم (١٧٨) ، وسنده ضعيف .

(١٥٨) - ابن جرير (٤٠٨) .

(١٥٩) - ابن جرير (٤٠٥) .

---

[١] - سقط من : ز ، خ.

[٢] - مكرر في : خ.

و ﴿رعد﴾ وهو ما يزعج القلوب من الخوف ، فإن من شأن المنافقين الخوف الشديد والفزع ، كما قال تعالى : ﴿**يحسبون كل صيحة عليهم**﴾ وقال ﴿**ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مُدَّخَلا لولوا إليه وهم يجمحون**﴾ .

والبرق : هو ما يلمع في قلوب هؤلاء الضرب من المنافقين في بعض الأحيان ، من نور الإيمان ، ولهذا قال : ﴿**يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين**﴾ أي : ولا[١] يُجْدي عنهم حذرهم شيئًا ؛ لأن الله محيط بهم[٢] بقدرته ، وهم تحت مشيئته وإرادته ، كما قال : ﴿**هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود بل الذين كفروا في تكذيب والله من ورائهم محيط**﴾ . بهم[٣] .

ثم قال ﴿**يكاد البرق يخطف أبصارهم**﴾ [أي لشدته][٤] وقوته في نفسه ، وضعف بصائرهم ، وعدم ثباتها للإيمان ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (١٦٠) : ﴿**يكاد البرق يخطف أبصارهم**﴾ يقول : يكاد محكم القرآن يدل على عورات المنافقين .

وقال ابن إسحاق : حدّثني محمد بن أبي محمد (١٦١) ، عن عكرمة - أو سعيد بن جبير - عن ابن عباس : ﴿**يكاد البرق يخطف أبصارهم**﴾ أي : لشدة[٥] ضوء الحق ﴿**كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا**﴾ أي : كلما ظهر لهم من الإيمان شيء استأنسوا به واتبعوه ، وتارة تَعْرِضُ لهم الشكوك أظلمت قلوبَهم فوقفوا حائرين .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (١٦٢) : ﴿**كلما أضاء لهم مشوا فيه**﴾ يقول : كلما أصاب المنافقين من عز الإسلام اطمأنوا إليه ، وإذا[٦] أصاب الإسلامَ نكبةٌ قاموا ليرجعوا إلى الكفر ، كقوله تعالى : ﴿**ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به**﴾ .

وقال محمد بن إسحاق ، عن محمد [بن أبي محمد][٧] (١٦٣) ، عن عكرمة - أو سعيد [بن جبير][٨] - عن ابن عباس : ﴿**كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا**﴾ أي : يعرفون

---

(١٦٠) - ابن أبي حاتم (٢٠٤) ، وابن جرير (٤٥٤) مطولًا .

(١٦١) - محمد بن أبي محمد : لا يعرف . وهو عند ابن جرير (٤٥١) مطولًا ، وابن أبي حاتم (٢٠٧) مختصرًا .

(١٦٢) - رواه ابن جرير (٤٥٤) ، وابن أبي حاتم (٢٠٩) وسنده ضعيف .

(١٦٣) - محمد بن أبي محمد : لا يعرف . وهو عند ابن أبي حاتم (٢١٢) ، وابن جرير (٤٥١) .

---

[١] - في ز ، خ : « لا » .
[٢] - زيادة من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز ، خ : لشدته أي .
[٥] - في ز : بشدة .
[٦] - في ز : وإن .
[٧] - سقط من ز .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

الحق ويتكلمون به ، فهم في قولهم به على استقامة ، فإذا ارتكسوا منه إلى الكفر ﴿**قاموا**﴾ أي : متحيرين .

وهكذا قال أبو العالية والحسن البصري وقتادة [والربيع بن أنس][١] والسدي بسنده عن الصحابة ، وهو أصح وأظهر ، والله أعلم .

وهكذا يكونون يوم القيامة عندما يعطى الناس النور بحسب إيمانهم ؛ فمنهم من يعطى من النور ما يضيء له مسيرة فراسخ وأكثر من ذلك وأقل من ذلك ، ومنهم من يطفأ نوره تارة ويضيء له أخرىٰ ، [ومنهم من يمشي][٢] على الصراط تارة ويقف أخرى ، ومنهم من يطفأ نوره بالكلية وهم الخُلّص من المنافقين ، الذين قال تعالى : فيهم ﴿**يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورًا**﴾ . وقال في حق المؤمنين : ﴿**يوم ترىٰ المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بُشراكم اليوم جنات [تجري من تحتها الأنهار][٣]**﴾ الآية . وقال تعالى : ﴿**يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه [نورهم يسعى][٤] بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير**﴾ .

(ذكر الحديث الوارد في ذلك)

قال سعيد بن أبي عروبة ، [عن قتادة][٥] في قوله تعالى : ﴿**يوم ترى المؤمنين والمؤمنات**﴾ الآية : ذكر لنا أن [نبي الله][٦] صلى الله عليه وسلم كان يقول : « **من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة إلى عدن ، [أو بين صنعاء][٧] ودون ذلك ، حتى إن من المؤمنين من لا يضيء نوره إلا موضع قدميه** » . رواه ابن جرير(١٦٤) .

ورواه ابن أبي حاتم من حديث عمران بن دَاوَر القطان عن قتادة ، بنحوه .

وهذا كما قال المنهال بن عمرو ، عن قيس بن السكن ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : يؤتون نورهم على قدر أعمالهم ، فمنهم من يؤتى[٨] نوره كالنخلة ، ومنهم من يؤتى[٩] نوره كالرجل

---

(١٦٤) - مرسل ، ومراسيل قتادة من أضعف المراسيل ، وهو عند ابن جرير (٢٧ /١٢٨) وسيأتي في سورة الحديد .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : « فيمشي » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - في خ : « يسعى نورهم » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - في خ : « النبي » .
[٧] - في الطبري : (٢٢٢/٢٧) أبين فصنعاء .
[٨] - في ز ، خ : « يرى » .
[٩] - في ز ، خ : « يرى » .

القائم ، وأدناهم نورًا على إبهامه يطفأ مرة ويتقد[١] مرة .

وهكذا[٢] رواه ابن جرير(١٦٥) ، عن ابن مثنى ، عن ابن إدريس ، عن أبيه ، عن المنهال .

وقال ابن أبي حاتم(١٦٦) : حدّثنا أبي ، حدّثنا علي بن محمد الطنافسي[٣] ، حدّثنا ابن إدريس ، سمعت [أبي يذكر][٤] عن المنهال بن عمرو ، عن قيس بن السكن ، عن عبد الله [بن مسعود][٥] : ﴿ **نورهم يسعى بين أيديهم** ﴾ قال : على قدر أعمالهم [يمرّون على الصراط][٦] ؛ منهم من نوره مثل الجبل ، ومنهم من نوره مثل النخلة ، وأدناهم نورًا من نوره في إبهامه يتقد مرة ويطفأ أخرىٰ .

وقال ابن أبي حاتم أيضًا[٧] (١٦٧) : حدّثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي[٨] ، حدّثنا أبو يحيى الحماني[٩] ، حدثنا عتبة بن اليقظان[١٠] ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال ليس أحد من أهل التوحيد إلا يعطى نورًا يوم القيامة ، فأما المنافق فيطفأ نوره ، فالمؤمن مشفق[١١] مما يرى من إطفاء نور المنافقين ، فهم يقولون : ربنا ؛ أتمم لنا نورنا .

وقال الضحاك بن مزاحم : يعطي كل من كان يظهر الإيمان في الدنيا يوم القيامة نورًا ؛ فإذا انتهى إلى الصراط طفيء نور المنافقين ، فلما رأى ذلك المؤمنون أشفقوا فقالوا : ربنا ؛ أتمم لنا نورنا .

فإذا تقرر هذا صار الناس أقسامًا : مؤمنون[١٢] خُلص وهم الموصوفون بالآيات الأربع في أول البقرة ، وكفارٌ خُلص وهم الموصوفون بالآيتين بعدها ، ومنافقون وهم قسمان : خلص وهم المضروب لهم المثل الناري ، ومنافقون يتردّدون[١٣] تارة يظهر لهم لُمَعٌ من الإيمان وتارة يخبو ، وهم أصحاب المثل[١٤] المائي ، وهم أخف حالًا من الذين قبلهم .

---

(١٦٥) - رواه ابن جرير (١٢٨/٢٧) ، وأخرجه ابن أبي شيبة (٢٩٩/١٣) ، ومن طريقه الحاكم (٤٧٨/٢) .

(١٦٦) - أورده السيوطي في الدر المثور (٥٢/٨) ، وعزاه لابن أبي شيبة ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، والحاكم وصححه . وانظر الذي قبله .

(١٦٧) - عتبة بن اليقظان : وثقه النسائي ، وقال علي بن الجنيد : لا يساوي شيئًا وذكره ابن حبان في الثقات .

---

[١] - في ز ، خ : « يقد » .
[٢] - في ز ، خ : « هكذا » .
[٣] - في ز : الطيالسي .
[٤] - في ز ، خ : « أبي بكر » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - سقط من : خ ، وفي ز : الأحمس .
[٩] - في خ : « الجماني » .
[١٠] - في ز ، خ : « القطان » .
[١١] - في ز : يشفق .
[١٢] - في ت : مؤمنين .
[١٣] - في خ : « مترددون » .
[١٤] - في خ : « الشك » .

وهذا المقام يشبه من بعض الوجوه ما ذُكر في سورة النور، من ضرب مثل المؤمن وما جعل اللَّه في قلبه من الهدى والنور بالمصباح في الزجاجة التي كأنها كوكب دُري، وهي قلب المؤمن المفطور على الإيمان واستمداده من الشريعة الخالصة الصافية الواصلة إليه من غير كدر ولا تخليط، كما سيأتي تقريره في موضعه، إن شاء اللَّه.

ثم ضرب مثل العُبّاد من الكفار، الذين يعتقدون أنهم على شيء وليسوا على شيء، وهم أصحاب الجهل المركب في قوله تعالى : ﴿ **والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا** ﴾ الآية.

ثم ضرب مثل الكفار الجُهّال الجَهْلَ البسيط، وهم الذين قال تعالى فيهم[١] : ﴿ **أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل اللَّه له نورًا فما له من نور** ﴾، فقسم الكفار هاهنا إلى قسمين : داعية، ومقلد، كما ذكرهما في أول سورة الحج [﴿ **ومن الناس من يجادل في اللَّه بغير علم ويتبع كل شيطان مريد** ﴾ وقال بعده : ﴿ **ومن الناس من يجادل في اللَّه بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير** ﴾[٢] وقد قسم اللَّه المؤمنين في أوّل[٣] الواقعة وفي آخرها، وفي سورة الإنسان إلى قسمين: سابقون[٤] وهم المقرّبون، وأصحابُ يمين وهم الأبرار.

فتلخص من مجموع هذه الآيات الكريمات أن المؤمنين صنفان : مقرّبون وأبرار، وأن الكافرين صنفان : دعاة ومقلدون ؛ وأنّ المنافقين أيضًا صنفان : منافق خالص، ومنافق فيه شعبة من نفاق، كما جاء في الصحيحين(١٦٨)، عن عبد اللَّه بن عمرو، عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم : « **ثلاث من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه واحدة منهنّ كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها من إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان** ».

استدلوا به على أنّ الإنسان قد تكون[٥] فيه شعبة من إيمان وشعبة من نفاق ؛ إما عملي، لهذا[٦] الحديث، أو اعتقادي، كما دلت عليه الآية، كما ذهب إليه طائفة من السلف، وبعض العلماء، ما تقدم وكما سيأتي، إن شاء اللَّه تعالى .

---

(١٦٨) – رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب : علامات النفاق برقم (٣٤) ومسلم في الإيمان برقم ١٠٦ – (٥٨) ولفظه : « **أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا – والرابعة – وإذا خاصم فجر** ».

---

[١] – زيادة من ز، خ.
[٢] – في ز الآية الثانية قبل الأولى.
[٣] – في ز، خ : سورة.
[٤] – في ت: « سابقين ».
[٥] – في ز : يكون.
[٦] – في خ : « كهذا ».

قال الإمام أحمد(١٦٩) : حدّثنا أبو النضر ، حدّثنا أبو[١] معاوية [- يعني شيبان -][٢] عن ليث ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البَخْتري[٣] ، عن أبي سعيد ، قال : قال رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم : « **القلوب أربعة : قلب أجرد ، فيه مثل السراج يزهر ، وقلب أغلف مربوط على غلافه ، وقلب منكوس ، وقلب مصفح ، فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن سراجه فيه نوره ، وأما القلب الأغلف فقلب الكافر ، [وأما القلب المنكوس فقلب المنافق الخالص][٤] ، عرف ثم أنكر ، وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق ، ومَثَل الإيمان فيه[٥] كمثل البقلة ، يَمُدّها الماء الطيب ، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يَمُدّها القيح والدم ، فأي المادتين[٦] غلبت على الأخرى غلبت عليه** » . وهذا إسناد[٧] جيد حسن .

وقوله تعالى : ﴿**ولو شاء اللَّه لذهب بسمعهم وأبصارهم إن اللَّه على كل شيء قدير**﴾ .

قال محمد بن إسحاق : حدّثني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس(١٧٠) في قوله تعالى : ﴿**ولو شاء اللَّه لذهب بسمعهم وأبصارهم**﴾ قال : لِما تركوا

---

(١٦٩) - المسند (١٧/٣) ، وإسناده ضعيف لعلتين : الأولى : الإرسال ؛ فإن أبا البختري لم يسمع من أبي سعيد ، قاله أبو داود ، عقب إخراج حديث له عن أبي سعيد - كتاب الزكاة ، باب : ما تجب فيه الزكاة ، حديث ١٥٥٩ - : « وأبو البختري لم يسمع من أبي سعيد » . ونقله عنه ابن حجر في التهذيب . وأبو البختري ، اسمه سعيد بن فيروز بن أبي عمران الطائي الكوفي . وقال ابن أبي حاتم عن أبيه - في المراسيل - : لم يدرك أبا ذر ، ولا أبا سعيد . وذكره ابن حبان في الثقات وقال : سعيد بن فيروز ، ويقال : سعيد بن عمران ، وقيل غير ذلك ، وقال ابن سعد : كان كثير الحديث ، يرسل حديثه ، ويروي عن الصحابة ، ولم يسمع من كثير أحد ، فما كان من حديثه سماعًا فهو حسن ، وما كان غيره فهو ضعيف . وقال عنه في التقريب : ثقة ثبت ، فيه تشيع قليل ، كثير الإرسال . والعلة الثانية : هي أنه من طريق ليث وهو ابن أبي سليم ، واسم أبيه أيمن ، وقيل : أنس ، وقيل غير ذلك ، وهو صدوق اختلط جدًّا ، ولم يتميز حديثه ، فتُرك ، قاله ابن حجر . وقال الذهبي : فيه ضعف يسير من سوء حفظه ، كان ذا صلاة وصيام ، وعلم كثير ، وبعضهم احتج به . روى له مسلم مقرونًا . وأما عمرو بن مرة ، فهو ثقة . والحديث أخرجه الطبراني في الصغير (١٠٩/٢ - ١١٠) ، وأبو نعيم في الحلية (٣٨٥/٤) ، وقال أبو نعيم : وقد رواه جرير ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البختري ، عن حذيفة مرسلًا . وقال أيضًا الحافظ ابن كثير في تفسيره - سورة النور آية ٢٠ - : إسناده جيد ولم يخرجوه . والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٦٣) وقال : رواه أحمد والطبراني في الصغير ، وفي إسناده ليث بن أبي سليم .

(١٧٠) - رواه ابن جرير (٤٧٠) ، وابن أبي حاتم (٢١٤) .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - سقط من : خ ، وفي ز : يعني : سبان.
[٣] - في ز : البحتري .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - في ز ، خ : « منه » .
[٦] - في ز : المدتين .
[٧] - في ز ، خ : « إحسان » .

من الحق بعد معرفته .

﴿ إن اللّه على كل شيء قدير ﴾ .

قال ابن عباس[١](١٧١) : أي إن اللّه على كل ما أراد بعباده من نقمة أو عفو قدير .

وقال ابن جرير : إنما وصف اللّه تعالى نفسه بالقدرة على كل شيء في هذا الموضع ؛ لأنه حذر المنافقين بأسه وسطوته ، وأخبرهم أنه بهم محيط ، وعلى إذهاب أسماعهم وأبصارهم قدير . ومعنى ﴿ قديرٌ ﴾ : قادر ، كما أن معنى عليم عالم .

[وذهب ابن جرير ومن تبعه من المفسرين إلى أن هذين المثلين مضروبان لصنف واحد من المنافقين ، وتكون « أو » في قوله تعالى : ﴿ أو كصيب من السماء ﴾ بمعنى الواو كقوله تعالى : ﴿ ولا تطع منهم آثمًا أو كفورًا ﴾ أو تكون للتخيير ، أي : اضرب لهم مثلًا بهذا وإن شئت بهذا .

قال القرطبي(١٧٢) : « أو » للتساوي ، مثل جالس الحسن أو ابن سيرين ، على ما وجهه الزمخشري(١٧٣) أن كلًّا منهما مساو للآخر في إباحة الجلوس إليه ، ويكون معناه على قوله : سواء ضربت لهم مثلًا بهذا أو بهذا فهو مطابق لحالهم .

(**قلت**) : وهذا يكون باعتبار جنس المنافقين ؛ فإنهم أصناف ، ولهم أحوال وصفات ، كما ذكرها اللّه تعالى في سورة براءة ، ومنهم ، ومنهم ، ومنهم ، يذكر أحوالهم وصفاتهم وما يعتمدونه من الأفعال والأقوال ، فجعل هذين المثلين لصنفين منهم أشد مطابقة لأحوالهم وصفاتهم ، واللّه أعلم .

كما ضرب المثلين في سورة النور لصنفي الكفار الدعاة والمقلدين في قوله تعالى : ﴿ **والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة** ﴾ إلى أن قال : ﴿ **أو كظلمات في بحر لجي** ﴾ الآية . فالأول للدعاة الذين هم في جهل مركب ، والثاني لذوي الجهل البسيط من الأتباع المقلدين ، واللّه أعلم بالصواب][٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٢١)

(١٧١) - رواه ابن أبي حاتم (٢١٢) .
(١٧٢) - القرطبي (١/٢١٥) .
(١٧٣) - الكشاف (١/٣٣) .

[١] - عند ابن أبي حاتم : « ابن إسحاق » . [٢] - سقط من ز .

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

شرع تبارك وتعالى في بيان[١] وحدانية ألوهيته ، بأنه تعالى هو المنعم على عبيده ، بإخراجهم من العدم إلى الوجود ، وإسباغه عليهم النعم الظاهرة والباطنة ، بأن جعل لهم الأرض فراشًا ، أي مهدًا كالفراش ، مقررة[٢] موطأة مثبتة بالرواسي الشامخات ، والسماء بناء وهو السقف ، كما قال في الآية الأخرى : ﴿**وجعلنا السماء سقفًا محفوظًا وهم عن آياتها معرضون**﴾ وأنزل [لهم][٣] من السماء ماء - والمراد به السحاب هاهنا - في وقته عند احتياجهم إليه ، فأخرج لهم به من أنواع الزروع والثمار ما هو مشاهدٌ ؛ رزقًا لهم ولأنعامهم ، كما قرر هذا في غير موضع من القرآن ، ومن أشبه آية[٤] بهذه الآية قوله تعالى : ﴿ [ ][٥] **الذي جعل لكم الأرض قرارًا والسماء بناء وصوّركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين**﴾ . ومضمونه أنه الخالق الرازق مالك الدار وساكنيها ورازقهم ، فبهذا[٦] يستحق أن يعبد وحده ولا يُشرَك به غيره ، ولهذا قال : ﴿**فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون**﴾ .

وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال : قلت : يا رسول الله ؛ أي الذنب أعظم ؟ قال : « **أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك ...** »(١٧٤) الحديث . وكذا حديث معاذ : « **أتدري ما حق الله على عباده ؟ أن يعبدوه لا يشركوا به شيئًا ...** »(١٧٥) الحديث ، وفي الحديث الآخر : « **لا يقولنّ أحدكم ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن ليقل : ما شاء الله ، ثم شاء فلان** »(١٧٦) .

وقال حماد بن سلمة : حدّثنا عبد الملك بن عمير ، عن رِبْعيّ بن حِراش[٧] ، عن الطفيل ابن

---

(١٧٤) - البخاري في التفسير برقم (٤٧٦١) ، ومسلم في الإيمان برقم ١٤١ -(٨٦) .

(١٧٥) - رواه البخاري في كتاب التوحيد ، باب : ما جاء في دعاء النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أمته .... برقم (٧٣٧٣) ، ومسلم في كتاب الإيمان ، برقم ٤٨ - (٣٠) .

(١٧٦) - صحيح ، رواه أبو داود في كتاب الأدب ، باب : لا يقل أحدكم : خبثت نفسي برقم (٤٩٨٠) ، ورواه النسائي برقم (٩٨٥) في عمل اليوم والليلة ، ورواه أحمد (٣٨٤/٥ ، ٣٩٤ ، ٣٩٨) ، وابن أبي الدنيا في الصمت (٣٤١) ، وابن أبي شيبة (١١٧/٩ ، ٣٤٦/١٠) ، والطيالسي (٤٣٠) ، وابن السني (٦٧١) ، والطحاوي (٩٠/١) ، والبيهقي في الكبرى (٢١٦/٣) من حديث حذيفة ، رضي الله عنه .

---

[١] - سقط من : خ.
[٢] - في ز ، خ : « مقدرة » .
[٣] - سقط من خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز : الله .
[٦] - في : خ « فهذا » .
[٧] - في ز : خراش .

سَخْبرَة[١] أخي عائشة أم المؤمنين لأمها ، قال : رأيت فيما يرى النائم ، كأني أتيت على نفر من اليهود ، فقلت : من أنتم ؟ فقالوا : نحن اليهود . قلت : إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون : عُزَير ابن اللَّه . قالوا : وإنكم[٢] لأنتم القوم لولا أنكم تقولون : ما شاء اللَّه وشاء محمد . قال : ثم مررت بنفر من النصارى ، فقلت : من أنتم ؟ قالوا : نحن النصارى . قلت : إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون : المسيح ابن اللَّه . قالوا : وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون : ما شاء اللَّه وشاء محمد . فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت ، ثم أتيت النبي صلى اللَّه عليه وسلم فأخبرته فقال : « **هل أخبرت بها أحدًا ؟** » فقلت : نعم . فقام فحمد اللَّه وأثنىٰ عليه ثم قال : « **أما بعد ، فإن طُفَيلًا رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم ، وإنكم قلتم : كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها ، فلا تقولوا : ما شاء اللَّه وشاء محمد ، ولكن قولوا : ما شاء اللَّه وحده** » . هكذا رواه ابن مردويه في تفسير هذه الآية من حديث حماد بن سلمة به (١٧٧) ، وأخرجه ابن ماجة(١٧٨) من وجه آخر عن عبد الملك بن عمير به ، بنحوه .

وقال سفيان بن سعيد الثوري ، عن الأجلح بن عبد اللَّه الكندي ، عن يزيد بن الأصم ، عن ابن عباس قال : قال رجل للنبي صلى اللَّه عليه وسلم : ما شاء اللَّه وشئت . فقال : « **أجعلتني[٣] للَّه ندًّا ؟ قل : ما شاء اللَّه وحده** » .

رواه ابن مردويه وأخرجه النسائي وابن ماجة(١٧٩) من حديث عيسىٰ بن يونس ، عن الأجلح ،

(١٧٧) - ورواه الإمام أحمد في المسند ٢٠٧٥١ - (٧٢/٥) من طريق بهز ، وعفان ، عن حماد بن سلمة ، به ، وابن أبي عاصم في الآحاد (٢٧٤٣) ، والطبراني في الكبير (٨٢١٤/٨) ، والحاكم (٤٦٣/٣) .

(١٧٨) - رواه ابن ماجة في كتاب الكفارات ، باب : النهي أن يقال : ما شاء اللَّه وشئت ، عقب حديث (٢١١٨) من حديث محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ، ثنا أبو عاونة ، عن عبد الملك ، عن ربعي بن حراش ، عن الطفيل ، به نحوه ، وقال البوصيري في الزوائد (١٥١/٢) : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات على شرط مسلم ، رواه الدارمي في مسنده - كذا قال - عن يزيد بن هارون ، عن شعبة ، عن عبد الملك بن عمير ، به ، ورواه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده ، عن عفان ، عن حماد بن سلمة ، عن عبد الملك بن عمير فذكره مطولًا جدًا . وكذا رواه أبو يعلى من طريق عبد الملك ، به .

(١٧٩) - رواه النسائي في الكبرى برقم (١٠٨٢٥) ، وابن ماجة في كتاب الكفارات ، باب : النهي أن يقال : ما شاء اللَّه وشئت برقم (٢١١٧) ، ورواه البخاري في الأدب المفرد (٧٨٣) ، وأحمد (٢١٤/١ ، ٢٢٤، ٢٨٣ ، ٣٤٧) ، وابن أبي شيبة (١١٧/٩ - ١١٨ ، ٣٤٦/١٠) ، وابن أبي الدنيا في الصمت (٣٤٢) ، وابن السني (٦٧٢) ، والطحاوي في المشكل (٩٠/١) ، والطبراني في الكبير (١٣٠٠٥ ، ١٣٠٠٦) ، وأبو نعيم في الحلية (٩٩/٤) ، والبيهقي (٢١٧/٣) ، وقال البوصيري في الزوائد (١٥٠/١) : هذا إسناد فيه الأجلح بن عبد اللَّه ، مختلف فيه ، ضعفه أحمد ، وأبو حاتم والنسائي ، وأبو داود وابن سعد ، =

[١] - في ز ، خ : « سميرة » . [٢] - في ز ، خ : « وأنتم » .
[٣] - في ز ، خ : « أجعلت » .

به .

وهذا كله صيانة وحماية لجناب التوحيد ، واللّه أعلم .

وقال محمد بن إسحاق : حدّثني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة - أو سعيد بن جبير - عن ابن عباس قال : قال اللّه تعالى : ﴿ **يا أيها الناس اعبدوا ربكم** ﴾ للفريقين جميعًا من الكفار والمنافقين ، أي : وحدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم(١٨٠) .

وبه عن ابن عباس (١٨١) : ﴿ **فلا تجعلوا للّه أندادًا وأنتم تعلمون** ﴾ أي : لا تشركوا باللّه غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر ، وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم يرزقكم غيره ، وقد علمتم أن الذي يدعوكم إليه الرسول ، صلى اللّه عليه وسلم ، من التوحيد[١] هو الحق الذي[٢] لا شكَّ فيه . وهكذا قال قتادة .

وقال ابن أبي حاتم (١٨٢) : حدثنا أحمد بن عمرو بن أبي عاصم ، حدثنا أبي عمرو ، حدثنا أبي - الضحاك بن مخلد - أبو عاصم ، حدثنا شبيب بن بشر ، حدثنا عكرمة ، عن ابن عباس ، في قول اللّه عز وجل : ﴿ **فلا تجعلوا للّه أندادًا** ﴾ قال : الأنداد هو الشرك ، أخفى من دبيب النمل على صفاة[٣] سوداء في ظلمة الليل ، وهو أن يقول : واللّه ، وحياتك يا فلان ، وحياتي ويقول : لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص البارحة ، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص ، وقول الرجل لصاحبه : ما شاء اللّه وشئت ، وقول الرجل : لولا اللّه وفلان . لا تجعل فيها « فلان » ، هذا كله به شرك .

وفي الحديث(١٨٣) أن رجلًا قال لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : ما شاء اللّه وشئت . فقال : « **أجعلتني للّه ندًّا** » .

وفي الحديث الآخر(١٨٤) : « **نعم القوم أنتم لولا أنكم تنددون ، تقولون : ما شاء اللّه وشاء**

= ووثقه ابن معين والعجلي ويعقوب بن سفيان ، وباقي رجال الإسناد ثقات . رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس أيضًا . ورواه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده إلا أنه قال : « **جعلتني للّه عدلًا ! قل : ما شاء اللّه** » .

(١٨٠) - رواه ابن جرير (٤٧٢) ، وابن أبي حاتم (٢١٦) .

(١٨١) - رواه ابن جرير (٤٨٦) ، وابن أبي حاتم (٢٣٢) .

(١٨٢) - ابن أبي حاتم ٢٣٠ - (٨١/١) ، وسنده جيد .

(١٨٣) - تقدم .

(١٨٤) - النسائي (٦/٧) من حديث قتيلة بنت صيفي ، وأحمد (٣٧١/٦ - ٣٧٢) ، وابن الأثير في =

---

[١] - في ز : توحيده . [٢] - سقط من ز .

[٣] - في ز ، خ : « صفا » .

فلان».

قال أبو العالية: ﴿**فلا تجعلوا لله أندادًا**﴾ أي [عدلاء شركاء] .

وهكذا قال الربيع بن أنس وقتادة، والسدي وأبو مالك، وإسماعيل بن أبي خالد.

وقال مجاهد: ﴿**فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون**﴾ قال: تعلمون أنه إله واحد في التوراة والإنجيل.

(ذكر حديث في معنى هذه الآية الكريمة)

قال الإمام أحمد(١٨٥) : حدثنا عفان، حدثنا أبو خلف - موسى بن خلف، وكان يُعَدُّ من البُدَلاء - حدثنا يحيى بن أبي كثير، عن زيد بن سلام، عن جده ممطور، عن الحارث الأشعري أن نبي الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «**إن الله -عزَّ وجلَّ- أمر يحيىٰ بن زكريا -عليه السلام- بخمس كلمات، أن يعمل بهنّ، وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهنّ، فكاد**[١] **أن**[٢] **يبطئ بها**[٣] ، **فقال له عيسى -عليه السلام-: إنك قد أمرت بخمس كلمات أن تعمل بهنّ وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهنّ، فإما أن تبلغهنّ وإما أن أبلغهن. فقال: ياأخي، إني أخشى إن سبقتني أن أعذب أو يخسف بي قال: فجمع يحيى بن زكريا بني إسرائيل في بيت المقدس، حتى امتلأ المسجد، فقعد على الشرف، فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثم قال: إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن، وآمركم أن تعملوا بهنّ، [وأولهنّ]**[٤] **أن تعبدوا الله [و]**[٥] **لا تشركوا به شيئًا، فإن مثل ذلك مَثَلُ رجل اشترى عبدًا من خالص ماله بوَرِق أو ذهب، فجعل يعمل ويؤدي غلته**[٦] **إلى غير سيده، فأيكم يسره أن يكون عبده كذلك؟ وإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وآمركم بالصلاة؛ فإن الله**

= أسد الغابة (٢٣٩/٧)، وصححه الحافظ في الفتح (٣٨٩/٤).

(١٨٥) - صحيح، والحديث في المسند ١٧٢١٩ - (١٣٠/٤)، وأخرجه الترمذي في كتاب الأمثال، باب: ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة (١٣٦/٥) حديث (٢٨٦٣)، والنسائي في التفسير، وفي السير من السنن الكبرى، والطيالسي (١١٦١، ١١٦٢)، وأبو يعلى (١٥٧١/٣)، وابن خزيمة (٣/ ١٨٩٥)، والحاكم في المستدرك (١/ ١١٧، ١١٨، ٢٣٦، ٤٢١)، والطبراني في الكبير (٣٢٤/٣) حديث (٣٤٢٧)، وابن حبان كما في الموارد (١٢٢٢)، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب. وصححه الألباني في صحيح الترمذي حديث ٢٢٩٨.

---

[١] - في ز: وكان، والمثبت من المسند.
[٢] - سقط من ز.
[٣] - سقط من ز.
[٤] - سقط من المسند.
[٥] - سقط من ز.
[٦] - في ز، خ: «الذي عليه».

ينصب وجهه لوجه عبده ما لم يلتفت ، فإذا صليتم فلا تلتفتوا ، وآمركم بالصيام ، فإن مثل ذلك كمثل رجل معه صرة من مسك في عصابة ، كلهم يجد ريح المسك ، وإن خلوف فم الصائم أطيب عند اللَّه من ريح المسك ، وآمركم بالصدقة ، فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدوّ فشدّوا يديه إلى عنقه وقدّموه ليضربوا عنقه ، وقال لهم : هل لكم أن أفتدي نفسي منكم[١] ؟ فجعل يفتدي نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فك نفسه ، وآمركم بذكر اللَّه كثيرًا ؛ فإن[٢] مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدّو سِرَاعًا في أثره ، فأتى حصنًا حصينًا فتحصن فيه ، وإن العبد أحصنُ ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر اللَّه .

قال : وقال رسول اللَّه – صلى اللَّه عليه وسلم – : « **وأنا آمركم بخمس ، اللَّهُ أمرني بهنّ : الجماعة ، والسمع ، والطاعة ، والهجرة ، والجهاد في سبيل اللَّه ؛ فإنه من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع رِبْقة[٣] الإسلام من عنقه ، إلا أن يراجع ، ومن دعا بدعوىٰ الجاهلية[٤] فهو من جُثَى(١٨٦) جهنم** » .

قالوا : يا رسول اللَّه ؛ وإن صام وصلَّى[٥] ؟ [فقال : « **وإن صام وصلَّى][٦] وزعم أنه مسلم ؛ فادعوا المسلمين بأسمائهم [على ما][٧] سماهم اللَّه –عزَّ وجلَّ– المسلمين المؤمنين عباد اللَّه** » .

هذا حديث حسن ، والشاهد منه في هذه الآية قوله : « **وإن اللَّه خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئًا** » .

[وهذه الآية دالة على توحيده تعالى بالعبادة وحده لا شريك له ، وقد استدل بها كثير من المفسرين – كالرازي وغيره – على وجود الصانع تعالى ، وهي دالة على ذلك بطريق الأولى ؛ فإن من تأمّل هذه الموجودات السفلية والعلوية ، واختلاف أشكالها وألوانها ، وطباعها ومنافعها ، ووضعها في مواضع النفع بها محكمة – علم قدرة خالقها وحكمته ، وعلمه وإتقانه ، وعظيم سلطانه ، كما قال بعض الأعراب وقد سئل : ما الدليل على وجود الرب تعالى ؟ فقال : يا سبحان اللَّه ! إن البعرة لتدل على البعير ، وإن أثر الأقدام لتدل على المسير ، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ؟ ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير ؟

(١٨٦) – الجثا : جمع جُثوة – بالضم – وهو الشيء المجموع . النهاية (٢٣٩/١) .

[١] – سقط من : ز ، خ .
[٢] – في ز : وإن .
[٣] – في ز : زبق.
[٤] – في ز : جاهلية .
[٥] – في ز : وإن صلى .
[٦] – سقط من ز .
[٧] – في ز : بل بما .

وحكى الرازي عن الإمام مالك أنّ الرشيد سأله عن ذلك ، فاستدل له باختلاف اللغات والأصوات والنغمات ، وعن أبي حنيفة أنّ بعض الزنادقة سألوه عن وجود الباري تعالى ، فقال لهم : دعوني فإني مفكر في أمر قد أخبرت عنه ، ذكروا لي أنّ سفينة في البحر موقرة ، فيها أنواع من المتاجر وليس بها أحد يحرسها ولا يسوقها ، وهي مع ذلك تذهب وتجيء وتسير بنفسها ، وتخترق الأمواج العظام حتى تتخلص منها ، وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحد . فقالوا : هذا شيء لايقوله عاقل. فقال : وَيْحَكم ! هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسفلي ، وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة أليس لها صانع ؟ فبهت القوم ورجعوا إلى الحق وأسلموا على يديه .

وعن الشافعي أنه سئل عن وجود الصانع فقال : هذا ورق التوت طعمه واحد ؛ تأكله الدود فيخرج منه الإبريسم ، وتأكله النحل فيخرج منه العسل ، وتأكله الشاة والبقر والأنعام فتلقيه بعرًا وروثًا ، وتأكله الظباء فيخرج منها المسك ، وهو شيء واحد .

وعن الإمام أحمد بن حنبل أنه سئل عن ذلك فقال : هاهنا حصن حصين أملس ، ليس له باب ولا منفذ ، ظاهره كالفضة البيضاء ، وباطنه كالذهب الإبريز ، فبينا هوكذلك إذ انصدع جداره ، فخرج منه حيوان سميع بصير ، ذو شكل حسن وصوت مليح .

يعني بذلك البيضة إذا خرج منها الدجاجة ، وسئل أبو نواس عن ذلك فأنشد :

تأمّل في نبات الأرض وانظر   إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات   بأحداق هي الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات   بأن اللّه ليس له شريك

وقال ابن المعتز :

فياعجبًا كيف يعصى الإلـ   ـه أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية   تدل على أنه واحد

وقال آخرون : من تأمل هذه السموات في ارتفاعها واتساعها ، وما فيها من الكواكب الكبار والصغار النيرة من السيارة ومن الثوابت ، وشَاهَدَها كيف تدور مع الفلك العظيم ، في كل يوم وليلة دويرة ، ولها في أنفسها سير يخصها ، ونظر إلى البحار المكتنفة للأرض من كل جانب ، والجبال الموضوعة في الأرض لتقرّ ويسكن ساكنوها ، مع اختلاف أشكالها وألوانها كما قال تعالى : **﴿ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيبُ سُود ، ومن الناس والدوَابِّ والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى اللّه من عباده العلماءُ﴾** .

وكذلك هذه الأنهار السارحة من قطر إلى قطر للمنافع، وما ذرأ في الأرض من الحيوانات المتنوّعة، والنبات المختلف الطعوم والأراييح، والأشكال [والألوان] مع اتحاد طبيعة التربة والماء - استدل على وجود الصانع وقدرته العظيمة، وحكمته ورحمته [بخلقه]، ولطفه بهم وإحسانه إليهم، وبره بهم لا إله غيره ولارب سواه عليه توكلت وإليه أنيب، والآيات في القرآن الدالة على هذا المقام كثيرة جدًّا][١] .

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾

ثم شرع تعالى في تقرير النبوّة بعد أن قرّر أنه لا إله إلا هو، فقال مخاطبًا للكافرين: ﴿ **وإن كنتم في ريب مما نزّلنا على عبدنا** ﴾ يعني محمدًا صلى اللّه تعالى عليه وآله وسلم ﴿ **فأتوا بسورة** ﴾ من مثل ما جاء به إن زعمتم أنه من عند غير اللّه، فعارضوه بمثل ما جاء به، واستعينوا على ذلك بمن شئتم من دون اللّه فإنكم لا تستطيعون ذلك.

قال ابن عباس(١٨٧) ﴿ **شهداءكم** ﴾ أعوانكم. [أي قومًا آخرين يساعدونكم على ذلك][٢] .

وقال السدي: عن أبي مالك: شركاءكم[٣] أي استعينوا بآلهتكم في ذلك يمدّونكم وينصرونكم[٤]

وقال مجاهد: ﴿ **وادعوا شهداءكم** ﴾ قال: ناس يشهدون به. [يعني حكام الفصحاء][٥] .

وقد تحدّاهم اللّه تعالى بهذا في غير موضع من القرآن، فقال [في سورة « القصص »: ﴿ **قل: فأتوا بكتاب من عند اللّه هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين** ﴾. وقال][٦] في سورة سبحان: ﴿ **قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا** ﴾. وقال في سورة هود: ﴿ **أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون اللّه إن كنتم صادقين** ﴾.

---

(١٨٧) - رواه ابن جرير (٤٩٦)، وابن أبي حاتم (٢٤١) بإسنادٍ ضعيف.

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٣] - في ز: شركاؤكم.
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

وقال في سورة يونس: ﴿**وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل**[١] **الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين**﴾.

وكل هذه الآيات مكية، ثم تحدّاهم بذلك أيضًا في المدينة فقال في هذه الآية: ﴿**وإن كنتم في ريب**﴾ أي شك ﴿**مما نزلنا على عبدنا**﴾ يعني محمدًا -صلى الله عليه وسلم- ﴿**فأتوا بسورة من مثله**﴾ يعني من مثل القرآن، قاله مجاهد وقتادة، واختاره ابن جرير [الطبري والزمخشري والرازي، ونقله عن عمر، وابن مسعود، وابن عباس، والحسن البصري، وأكثر المحققين، ورجّح ذلك بوجوه من أحسنها أنه تحدّاهم كلهم متفرّقين ومجتمعين، سواء في ذلك أميهم وكتابيهم، وذلك أكمل في التحدّي وأشمل من أن يتحدى آحادهم الأميين ممن لايكتب ولا يعاني شيئًا من العلوم][٢]، وبدليل قوله تعالى: ﴿**فأتوا بعشر سور مثله**﴾ وقوله: ﴿**لايأتون بمثله**﴾ وقال بعضهم: من مثل محمد -صلى الله عليه وسلم- يعني من رجل أمي مثله.

والصحيح الأول؛ لأن التحدي عام لهم كلهم مع أنهم أفصح الأمم، وقد تحدّاهم بهذا في مكة والمدينة مرّات عديدة، مع شدّة عداوتهم له وبغضهم لدينه، ومع هذا عجزوا عن ذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿**فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا**﴾ ولن لنفي التأبيد [في المستقبل][٣]، أي ولن تفعلوا ذلك أبدًا. [وهذه أيضًا معجزة أخرى، وهو أنه أخبر خبرًا جازمًا قاطعًا مقدمًا غير خائف ولا مشفق أن هذا القرآن لا يعارض بمثله أبد][٤] [الآبدين ودهر الداهرين، وكذلك وقع الأمر، لم يعارض من لدنه إلى زمننا هذا، ولا يمكن، وأنى يتأتى ذلك لأحد، والقرآن كلام الله خالق كل شيء، وكيف يشبه كلام الخالق كلام المخلوقين، ومن تدبر القرآن، وجد فيه من وجوه الإعجاز فنونًا ظاهرة وخفية من حيث اللفظ، ومن جهة المعنى. قال الله تعالى: ﴿**الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير**﴾ فأحكمت ألفاظه وفصلت معانيه أو بالعكس على الخلاف، فكل من لفظه ومعناه فصيح لا يجارى ولايداني؛ فقد أخبر عن مغيبات ماضية ووقعت طبق ما أخبر سواء بسواء، وأمر بكل خير ونهى عن كل شر، كما قال تعالى: ﴿**وتمت كلمة ربك صدقًا وعدلًا**﴾ أي: صدقًا في الإخبار، وعدلًا في الأحكام، فكله حق وصدق وعدل وهدى، ليس فيه مجازفة ولا كذب ولا افتراء، كما يوجد في أشعار العرب وغيرهم من الأكاذيب والمجازفات التي لايحسن شعرهم إلا بها، كما قيل في الشعر: إنّ أعذبه أكذبه، وتجد القصيدة الطويلة المديدة قد استعمل غالبها في وصف النساء أو الخيل أو الخمر، أو في مدح شخص معين أو فرس أو ناقة أو حرب أو كائنة أو مخافة أو سبع، أو شيء من المشاهدات المتعينة التي لاتفيد شيئًا إلا قدرة المتكلم المعين على الشيء الخفي أو الدقيق، أو إبرازه إلى الشيء الواضح، ثم تجد له فيه بيتًا أو بيتين أو أكثر

[١] - في خ: «وتفصيل كل شيء». [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ. [٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

هي بيوت القصيد وسائرها هذر لاطائل تحته .

وأما القرآن فجميعه فصيح في غاية نهايات البلاغة ، عند من يعرف ذلك تفصيلًا وإجمالًا ، ممن فهم كلام العرب وتصاريف التعبير ، فإنه إن تأملت أخباره وجدتها في غاية الحلاوة ، سواء كانت مبسوطة أو وجيزة ، وسواء تكررت أم لا ، وكلما تكررت حلا وعلا ، لا يخلق عن كثرة الردّ ، ولا يمل منه العلماء ، وإن أخذ في الوعيد والتهديد جاء منه ما تقشعر منه الجبال الصُم الراسيات ، فما ظنك بالقلوب الفاهمات ، وإن وعد أتىٰ بما يفتح القلوب والآذان ، ويشوق إلى دار السلام ومجاورة عرش الرحمن ، كما قال في الترغيب : ﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرّة أعين جزاء بما كانوا يعملون** ﴾ . وقال : ﴿ **وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ، وأنتم فيها خالدون** ﴾ . وقال في الترهيب : ﴿ **أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر** ﴾ . ﴿ **أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور ، أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبًا فستعلمون كيف نذير** ﴾ .

وقال في الزجر : ﴿ **فكلًّا أخذنا بذنبه** ﴾ وقال في الوعظ : ﴿ **أفرأيت إن متعناهم سنين ، ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ماكانوا يمتعون** ﴾ إلى غير ذلك من أنواع الفصاحة والبلاغة والحلاوة ، وإن جاءت الآيات في الأحكام والأوامر والنواهي اشتملت على الأمر بكل معروف حسن نافع طيب محبوب ، والنهي عن كل قبيح رذيل دنيء ، كما قال ابن مسعود وغيره من السلف : إذا سمعت اللّه تعالى يقول في القرآن : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ فارعها سمعك ؛ فإنها خير يأمر به ، أو شر ينهى عنه .

ولهذا قال تعالى : ﴿ **يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم** ﴾ الآية . وإن جاءت الآيات في وصف المعاد ، وما فيه من الأهوال ، وفي وصف الجنة والنار ، وما أعدّ اللّه فيهما لأوليائه وأعدائه من النعيم والجحيم ، والملاذ والعذاب الأليم ، بشرت به وحذرت وأنذرت ، ودعت إلى فعل الخيرات واجتناب المنكرات ، وزهّدت في الدنيا ورغبت في الأخرى ، وثبّتت على الطريقة المثلىٰ ، وهدت إلى صراط اللّه المستقيم ، وشرعه القويم ، ونفت عن القلوب رجس الشيطان الرجيم][1] .

ولهذا ثبت في الصحيحين(١٨٨) عن أبي هريرة – رضي اللّه عنه – أن رسول اللّه صلى اللّه عليه

(١٨٨) – صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب : كيف نزل الوحي وأول ما نزل برقم (٤٩٨١) ، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان برقم ٢٣٩ – (١٥٢) .

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وسلم قال: «ما [من الأنبياء من نبي][١] إلا قد أعطي من الآيات [ما مثله آمن عليه البشر][٢] ، وإنما [كان الذي أوتيت][٣] وحيًا أوحاه الله إليَّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة». لفظ مسلم.

وقوله [صلى الله عليه وسلم] : «وإنما كان الذي أوتيت[٤] وحيًا» أي الذي اختصصت[٥] به من بينهم هذا القرآن المعجز للبشر أن يعارضوه ، بخلاف غيره من الكتب الإلهية ، فإنها ليست معجزة [عند كثير من العلماء][٦] ، والله أعلم. وله [عليه الصلاة والسلام] من الآيات الدالة على نبوته وصدقه فيما جاء به ما[٧] لا يدخل تحت حصر ، ولله الحمد والمنة.

[وقد قرر بعض المتكلمين الإعجاز بطريق يشمل قول أهل السنة وقول المعتزلة في الصرفة ، فقال : إن كان هذا القرآن معجزًا في نفسه ، لا يستطيع البشر الإتيان بمثله ، ولا في قواهم معارضته ، فقد حصل المدعى وهو المطلوب ، وإن كان في إمكانهم معارضته بمثله ، ولم يفعلوا ذلك مع شدة عداوتهم له ، كان ذلك دليلًا على أنه من عند الله ، لصرفه إياهم عن معارضته مع قدرتهم على ذلك ، وهذه الطريقة وإن لم تكن مرضية - لأن القرآن في نفسه معجز ، لا يستطيع البشر معارضته كما قررنا - إلا أنها تصلح على سبيل التنزل والمجادلة والمنافحة عن الحق. وبهذه الطريقة أجاب الرازي في تفسيره عن سؤاله في السور القصار ؛ كالعصر ، وإنا أعطيناك الكوثر][٨].

وقوله تعالى : ﴿فاتقوا النار التي وَقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾ أما الوَقود بفتح الواو فهو ما يُلقى في النار لإضرامها كالحطب ونحوه ، كما قال تعالى : ﴿وأما القاسِطون فكانوا لجهنم حطبًا﴾ وقال تعالى : ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حَصَبُ جهنمَ أنتم لها واردون [لو كان هؤلاء آلهةً ما وَرَدُوها وكلٌّ فيها خالدون][٩] ﴾.

والمراد بالحجارة هاهنا هي حجارة الكبريت العظيمة السوداء[١٠] الصلبة المنتنة ، وهي أشدّ الأحجار حرًّا إذا حميت ، أجارنا اللهُ منها!

وقال عبد[١١] الملك بن ميسرة الزرّاد ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن عمرو بن ميمون ، عن

---

[١] - في ت : «ما من نبي من الأنبياء».
[٢] - في ت : «ما آمن على مثله البشر».
[٣] - في ت : «وإنما الذي كان أوتيته».
[٤] - في ت : «أوتيته».
[٥] - في ز : اختصيت.
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ.
[٧] - سقط من ز.
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.
[١٠] - في ز : السود.
[١١] - في ز : عبيد.

عبد اللّٰه بن مسعود في قوله تعالى : ﴿وَقُودُها الناس والحجارة﴾ قال : هي حجارة من كبريت ، خلقها اللّٰه يوم خلق السموات والأرض في السماء الدنيا ، يُعدها للكافرين .

رواه ابن جرير ، وهذا لفظه ، وابن أبي حاتم ، والحاكم في مستدركه ، وقال : على شرط الشيخين(١٨٩) .

وقال السدي في تفسيره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرّة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة : ﴿فاتقوا[١] النار التي وقودها الناس والحجارة﴾ . أما الحجارة فهي حجارة في النار من كبريت أسود يعذبون به مع النار(١٩٠) .

وقال مجاهد : حجارة من كبريت أنتن من الجيفة . وقال أبو جعفر محمد بن علي : حجارة من كبريت . وقال ابن جريج : حجارة من كبريت أسود في النار . وقال لي[٢] عمرو بن دينار : أصلب من هذه الحجارة وأعظم .

[وقيل : المراد بها حجارة الأصنام والأنداد التي كانت تُعبد من دون اللّٰه ، كما قال تعالى : ﴿إنكم وما تعبدون من دون اللّٰه حصب جهنم﴾ الآية ، حكاه القرطبي والرازي ، ورجحه على الأوّل ، قال : لأن أخذ النار في حجارة الكبريت ليس بمستنكر ، فجعلُها هذه الحجارة أولى .

وهذا الذي قاله ليس بقوي ؛ وذلك أن النار إذا أضرمت بحجارة الكبريت كان ذلك أشدّ لحرها وأقوىٰ لسعيرها ، ولا سيما على ما ذكره السلف من أنها حجارة من كبريت معدة لذلك ، ثم إن أخذ النار بهذه الحجارة أيضًا مشاهد ، وهذا الجص يكون أحجارًا فيعمل فيه بالنار حتى يصير كذلك .

وكذلك سائر الأحجار تفجرها النار وتحرقها ، وإنما سيق هذا في حرّ هذه النار التي وعدوا بها وشدة اضرامها وقوة لهبها كما قال تعالى : ﴿كلما خَبَتْ زِدْنَاهُم سعيرًا﴾ .

وهكذا رجح القرطبي أن المراد بها الحجارة التي تُسعر بها النار لتحمر ويشتد لهبها ، قال : ليكون ذلك أشد عذابًا لأهلها .

قال : وقد جاء في الحديث عن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم أنه قال : « كل مؤذٍ في

(١٨٩) - تفسير ابن جرير ٥٠٣ - (٣٨١/١) ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢٤٥ - (٨٥/١) والمستدرك (٢/ ٢٦١) . وعبد الرزاق (٤٠/١) ، وهناد في الزهد (٦٣) ، والطبراني (٩٠٢٦/٩) .وقول الحاكم : على شرط الشيخين فيه نظر ؛ فإن عبد الرحمن بن سابط من رجال مسلم دون البخاري .

(١٩٠) - رواه ابن جرير (٥٠٥) .

[١] - في ز : اتقوا . [٢] - سقط من : خ .

النار»(١٩١). وهذا الحديث ليس بمحفوظ ولا معروف. ثم قال القرطبي : وقد فسر بمعنيين:

أحدهما أن كل من آذى الناس دخل النار.

والآخر أن كل ما يؤذي في النار يتأذى به أهلها من السباع والهوام وغير ذلك][١] .

وقوله تعالى : ﴿**أُعِدَّتْ للكافرين**﴾ الأظهر أن الضمير في أعدت ، عائد إلى النار التي وقودها الناس والحجارة ، ويحتمل عوده إلى الحجارة ، كما قال ابن مسعود ، ولا منافاة بين القولين في المعنى ؛ لأنهما متلازمان.

وأعدت ؛ أي : أرصدت وحصلت للكافرين بالله ورسوله ، كما قال ابن إسحاق ، عن محمد ، عن عكرمة - أو سعيد بن جبير - عن ابن عباس : ﴿**أعدت للكافرين**﴾ أي : لمن كان على مثل ما أنتم عليه من الكفر.

[وقد استدل كثير من أئمة السنة بهذه الآية على أن النار موجودة الآن ، لقوله تعالى : ﴿**أعدت**﴾ أي أرصدت وهُيئت ، وقد وردت أحاديث كثيرة في ذلك منها : «**تحاجّت الجنة والنار**»(١٩٢) . ومنها : «**استأذنت النار ربها فقالت : ربِّ أَكَلَ بعضي بعضًا. فأذِنَ لها بنفسين نفسٍ في الشتاء ، ونفسٍ في الصيف**»(١٩٣) .

وحديث ابن مسعود : سمعنا وجبة فقلنا ما هذه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**هذا حجر أُلقي به من شفير جهنم منذ سبعين سنة ، الآن وصل إلى قعرها**». **وهو عند مسلم**(١٩٤)

---

(١٩١) - **موضوع** ، رواه الخطيب في تاريخ بغداد (١١/٢٩٩) من طريق المفيد عن الأشج ، عن علي رضي الله عنه به ، مرفوعًا . وآفته عثمان بن الخطاب بن عبد الله العوام البلوي الأشج المغربي أبو عمرو يعرف بأبي الدنيا قال الخطيب : والعلماء من أهل النقل لا يثبتون قوله ولا يحتجون بحديثه . وقال أيضًا : حدث ببغداد خمسة أحاديث حفظت منها ثلاثة ، هذا أحدها ، وما علمت أن أحدًا ببغداد كتب عنه حرفًا واحدًا ، ولم يكن عندي بذاك الثقة . وقال الذهبي في المغني : كذبوه . ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١١/٩٢) وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/٢٦٣) . وقال ابن الجوزي : هذا حديث لا يصح ، والأشج غير موثوق بقوله عند العلماء . وقال المناوي في فيض القدير : وأورده الذهبي في المتروكين ، وقال : خبر غريب .

(١٩٢) - البخاري (٤٨٥٠) ، ومسلم ٣٦ - (٢٨٤٦) .

(١٩٣) - رواه البخاري (٥٣٧) ، وأحمد (٢/٢٣٨) .

(١٩٤) - رواه مسلم من حديث أبي هريرة في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها برقم ٣١ - (٢٨٤٤) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وحديث صلاة الكسوف (١٩٥) ، وليلة الإسراء ، وغير ذلك من الأحاديث المتواترة في هذا المعنىٰ ، وقد خالفت المعتزلة بجهلهم في هذا ووافقهم القاضي منذر بن سعيد البلوطي قاضي الأندلس .

(تنبيه ينبغي الوقوف عليه)

قوله تعالى : ﴿ **فَأْتُوا بسورة من مثله** ﴾ ، وقوله في سورة يونس : ﴿ **بسورة مثله** ﴾ يعم كل سورة في القرآن طويلة كانت أو قصيرة ؛ لأنها نكرة في سياق الشرط فتعُم ، كما هي في سياق النفي عند المحققين من الأصوليين ، كما هو مقرر في موضعه ، فالإعجاز حاصل في طوال السور وقصارها ، وهذا ما لا أعلم فيه نزاعًا بين الناس سلفًا وخلفًا .

وقد قال الرازي في تفسيره : فإن قيل قوله تعالى : ﴿ **فأتوا بسورة من مثله** ﴾ يتناول سورة الكوثر ، وسورة العصر ، وقل يا أيها الكافرون ، ونحن نعلم بالضرورة أن الإتيان بمثله أو بما يقرب منه ممكن . فإن قلتم : إن الإتيان بمثل هذه السور خارج عن مقدار البشر ، كان مكابرة ، والإقدام على هذه المكابرات مما يطرق بالتهمة إلى الدين . (**قلنا**) : فلهذا السبب اخترنا الطريق الثاني . **وقلنا** : إن بلغت هذه السورة في الفصاحة حدّ الإعجاز فقد حصل المقصود ، وإن لم يكن كذلك كان امتناعهم من المعارضة مع شدة دواعيهم إلى توهين أمره معجزًا ، فعلى التقديرين يحصل المعجز . هذا لفظه بحروفه .

والصواب أن كل سورة من القرآن معجزة ، لا يستطيع البشر معارضتها طويلة كانت أو قصيرة ، قال الشافعي - رحمه الله - لو تدبر الناس هذه السورة لكفتهم : ﴿ **والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** ﴾ .

وقد رُوينا عن عمرو بن العاص أنه وفد على مسيلمة الكذاب قبل أن يسلم ، فقال له مسيلمة : ماذا أُنزل على صاحبكم بمكة في هذا الحين ؟ فقال له عمرو : لقد أُنزل عليه سورة وجيزة بليغة ، فقال : وما هي ؟ فقال ﴿ **والعصر إنّ الإنسان لفي خسر** ﴾ ففكر ساعة ثم رفع رأسه فقال : ولقد أنزل عليّ مثلها . فقال : وما هو ؟ فقال : يا وبر يا وبر ، إنما أنت أذنان وصدر ، وسائرك حفر نقر . ثم قال : كيف ترى يا عمرو ؟ فقال له عمرو : والله إنك لتعلم أني لأعلم أنك تكذب][١] .

وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا

(١٩٥) - حديث ابن عباس في الخسوف رواه البخاري (٨٣/١) ، ومسلم ١٧ - (٩٠٧) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

﴿ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾

لما ذكر تعالى ما أعدّه لأعدائه من الأشقياء الكافرين به وبرسله من العذاب والنكال، عطف بذكر حال أوليائه من السعداء المؤمنين به وبرسله، الذين صدّقوا إيمانهم[١] بأعمالهم الصالحة.

وهذا معنى تسمية القرآن مثاني على أصح أقوال العلماء، كما سنبسطه في موضعه، وهو أن يذكر الإيمان ويتبع بذكر الكفر أو عكسه، أو حال السعداء[٢] ثم الأشقياء[٣] أو عكسه، وحاصله ذكر الشيء ومقابله.

وأمّا ذكر الشيء ونظيره فذاك التشابه، كما سنوضحه إن شاء اللّه، فلهذا قال تعالى: ﴿**وَبَشِّر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنّ لهم جنات تجري من تحتها الأنهار**﴾ [فوصفها بأنها تجري من تحتها الأنهار][٤]، كما وصف النار بأن وقودها الناسُ والحجارة، ومعنى ﴿**تجري من تحتها الأنهار**﴾ أي: من تحت أشجارها وغرفها.

وقد جاء في الحديث(١٩٦) أنّ أنهارها تجري في[٥] غير أخدود، وجاء في الكوثر أنّ حافتيه[٦] قباب اللؤلؤ المجوّف، ولا منافاة بينهما، وطينها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والجوهر، نسأل اللّه من فضله إنه هو البر الرحيم.

وقال ابن أبي حاتم(١٩٧): قرئَ على الربيع بن سليمان، حدّثنا أسد بن موسى، حدثنا ابن ثوبان، عن عطاء بن قُرّة، عن عبد اللّه بن ضمرة، عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: «**أنهار الجنة تُفَجَّر من تحت تلال أو[٧] من تحت جبال المسك**».

---

(١٩٦) - رواه أبو نعيم في الحلية (٦/٢٠٥)، وفي صفة الجنة (٣١٦) من حديث أنس بن مالك، وإسناده ضعيف.

(١٩٧) - **إسناده حسن من أجل ابن ثوبان**، وعبد اللّه بن ضمرة: وثقه العجلي وابن حبان. والحديث في تفسير ابن أبي حاتم ٢٥٣ - (١/٨٧)، ورواه أبو نعيم في صفة الجنة برقم (٣١٣) من طريق الربيع بن سليمان، به، ورواه ابن حبان في صحيحه برقم (٢٦٢٢ موارد) من حديث أسد بن موسى، عن ابن ثوبان، به، ورواه العقيلي (٢/٣٢٦)، والبيهقي في البعث (٢٦٦).

---

[١] - في ز، خ: أيمانهم الصادقة.

[٢] - في ز: البعداء.

[٣] - في ز، خ: الأتقياء.

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

[٥] - في ز: من.

[٦] - في ز: حافتاه.

[٧] - في ز، خ: «أخر».

وقال [أيضًا(١٩٨)][١] : حدّثنا أبو سعيد، حدّثنا وكيع، عن الأعمش، عن عبد الله [بن مرّة، عن مسروق قال: قال عبد الله][٢] : أنهار الجنة تفجر من جبل مسك.

وقوله تعالى: ﴿كلما رُزِقُوا منها من ثمرة رِزْقًا قالوا هذا الذي رُزقنا من قبل﴾. قال[٣] السدي في تفسيره، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرّة، عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة قالوا: ﴿هذا الذي رزقنا من قبل﴾ قال: إنهم أتوا بالثمرة في الجنة، فلما نظروا إليها قالوا: هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا(١٩٩).

وهكذا قال قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، ونصره[٤] ابن جرير.

وقال عكرمة: ﴿قالوا هذا الذي رزقنا من قبل﴾ قال: معناه مثل الذي كان بالأمس. وكذا قال الربيع بن أنس.

وقال مجاهد: يقولون: ما أشبهه به!

قال ابن جرير: وقال آخرون: بل تأويل ذلك: هذا الذي رزقنا من ثمار الجنة من قبل هذا[٥]؛ لشدة[٦] مشابهة بعضه بعضًا لقوله تعالى: ﴿وأتوا به متشابهًا﴾ قال سُنَيد بن داود(٢٠٠) : حدثنا شيخ من أهل المصيصة، عن الأوزاعي، عن يحيىٰ بن أبي كثير، قال: يؤتى أحدهم بالصحفة [من الشيء][٧] فيأكل منها، ثم يؤتىٰ بأخرى فيقول: هذا الذي أتينا به من قبل. فتقول الملائكة: كُلْ، فاللون واحد والطعم مختلف.

وقال ابن أبي حاتم(٢٠١) : حدثنا أبي، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا عامر بن يسَاف، عن يحيىٰ بن أبي كثير قال: عُشب الجنة الزعفران، وكثبانها المسك، ويطوف عليهم الولدان بالفواكه فيأكلونها، ثم يؤتون بمثلها، فيقول لهم أهل الجنة: هذا الذي أتيتمونا آنفًا به. فتقول[٨] لهم

(١٩٨) - رواه ابن أبي حاتم (٢٥٥)، وابن أبي شيبة (١٣/ ٩٦)، والبيهقي (٢٦٧)، وعبد الرزاق (١١/ ٢٠٨٧٣).

(١٩٩) - رواه ابن جرير (٥١٢)، وابن أبي حاتم (٢٥٨) عن السدي قوله.

(٢٠٠) - ابن جرير (٥١٨).

(٢٠١) - **إسناده حسن**، والحديث عند ابن أبي حاتم ٢٦٢ - (١/ ٩٠)، وأبو نعيم في صفة الجنة (٣٥٣).

[١] - سقط من: ز، خ.
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.
[٣] - في ز: وقال.
[٤] - في ز: ونصر.
[٥] - في خ: «هذه».
[٦] - في خ: «الشدة».
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٨] - في ز: فيقول.

الولدان : كلوا فإن اللون واحد والطعم مختلف . وهو قول اللّه تعالى : **﴿وأتوا به متشابهًا﴾** .

وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية : **﴿وأتوا به متشابهًا﴾** قال : يشبه بعضه بعضًا ، ويختلف في الطعم .

وقال ابن أبي حاتم : ورُوي عن مجاهد والربيع بن أنس والسدي نحو ذلك .

وقال ابن جرير بإسناده(٢٠٢) : عن السدي في تفسيره ، عن أبي مالك ، وعن[١] أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرّةٍ عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة في قوله تعالى : **﴿وأتوا به متشابهًا﴾** يعني : في اللون والمرأى[٢] . وليس يشتبه في الطعم .

وهذا اختيار ابن جرير .

وقال عكرمة : **﴿وأُتوا به متشابهًا﴾** قال : يشبه ثمر الدنيا ، غير أنّ ثمر الجنة أطيب .

وقال سفيان الثوري عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس : لا يشبه شيء مما في الجنة ما في الدنيا إلا في الأسماء(٢٠٣) .

وفي رواية ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء .

ورواه[٣] ابن جرير من رواية الثوري ، وابن أبي حاتم من حديث أبي معاوية ، كلاهما عن الأعمش ، به .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى : **﴿وأتوا به متشابهًا﴾** قال : يعرفون أسماءه كما كانوا في الدنيا : التفاح بالتفاح ، والرمان بالرمان ، قالوا في الجنة : هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا ، وأتوا به متشابهًا ، يعرفونه وليس هو مثله في الطعم .

وقوله تعالى : **﴿ولهم فيها أزواجٌ مُطَهَّرة﴾** قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس : مطهرة من القذر والأذىٰ .

وقال مجاهد : من الحيض والغائط والبول والنخام والبزاق والمني والولد . وقال قتادة : مطهرة من الأذى والمأثم . وفي رواية عنه : لا حيض ولا كلف . ورُوي عن عطاء والحسن والضحاك وأبي

(٢٠٢) - رواه ابن جرير (٥٢٤) .

(٢٠٣) - رواه ابن جرير (٥٣٤) .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : «والرأى» .

[٣] - في ز ، خ : «رواه» .

صالح وعطية والسدي نحو ذلك .

وقال ابن جرير(٢٠٤) : حدثني يونس بن عبد الأعلى ، أنبأنا[١] ابن وهب ، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال : المطهرة التي لا تحيض ، قال : وكذلك خلقت حوّاء - عليها السلام - حتى عصت ، فلما عصت قال الله تعالى : إني خلقتك مطهرة ، وسأدميك كما أدميت هذه الشجرة . وهذا غريب .

وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه : حدثنا إبراهيم بن محمد ، حدثني جعفر بن محمد بن حرب ، وأحمد بن محمد الجُوري[٢] قالا : حدثنا محمد بن عبيد الكندي ، حدثنا عبد الرزاق ابن عمر البَزيعيّ ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : ﴿ **ولهم فيها أزواج مطهرة** ﴾ قال : من الحيض والغائط ، والنخاعة[٣] والبزاق(٢٠٥) .

هذا حديث غريب ، وقد رواه الحاكم في مستدركه ، عن محمد بن يعقوب ، عن الحسن ابن علي بن عفان ، عن محمد بن عبيد ، به . وقال : صحيح على شرط الشيخين .

وهذا الذي ادّعاه فيه نظر ؛ فإنّ عبد الرزاق بن عمر البزيعيّ هذا قال فيه أبو حاتم بن حبان البستي : لا يجوز الاحتجاج به(٢٠٦) .

(**قلت**) : والأظهر أنّ هذا من كلام قتادة ، كما تقدّم ، والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ **وهم فيها خالدون** ﴾ هذا هو تمام السعادة ، فإنهم مع هذا النعيم في مقام أمين من الموت والانقطاع ، فلا آخر له ولا انقضاء ، بل في نعيم سرمدي أبدي على الدوام ، والله المسئول أن يحشرنا في زمرتهم إنه جواد كريم ، بر رحيم .

۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ

(٢٠٤) - رواه ابن جرير (٥٥٠) .

(٢٠٥) - ورواه أبو نعيم في صفة الجنة برقم (٣٦٣) من طريق عبد الله بن محمد بن يعقوب ، عن محمد بن عبيد به . وقال الحافظ في الفتح : لا يصح إسناده ؛ إلا أنه قال في تغليق التعليق (٤٩٩/٣) : إسناده لا بأس به .

(٢٠٦) - المجروحين (١٦٠/٢) وتمام كلام ابن حبان : يقلب الأخبار ، ويسند المراسيل لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد ، ثم ذكر الحديث ، وقال : وهذا قول قتادة رفعه ، لا أصل له من كلام النبي صلىٰ الله عليه وسلم.

[١] - في خ : « أخذنا » .

[٢] - في ز ، خ : « الحوازى » .

[٣] - في خ : « النخامة » .

ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾

قال السدي في تفسيره(٢٠٧) : عن أبي مالك ، وعن أبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة : لما ضرب الله هذين المثلين للمنافقين ، يعني قوله تعالى : ﴿ **مَثَلُهم كَمَثَلِ الذي استوقد نارًا** ﴾ ، وقوله : ﴿ **أو كَصَيِّب من السماء** ﴾ الآيات الثلاث ، قال المنافقون : الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال ، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية إلى قوله تعالى ﴿ **هم الخاسرون** ﴾ .

وقال عبد الرزاق(٢٠٨) ، عن[١] معمر ، عن قتادة : لما ذكر الله تعالى العنكبوت والذباب قال المشركون : ما بال العنكبوت والذباب يذكران ؟ فأنزل الله : ﴿ **إن الله لا يَسْتَحْيي أن يضربَ مَثَلًا مّا بعوضة فما فوقها** ﴾ .

وقال سعيد : عن قتادة : أي : إنّ الله لا يَسْتَحْيي من الحق أن يذكر شيئا ما ، قلّ أو كثر ، وإن الله [ذكر][٢] في كتابه [الذباب و][٣] العنكبوت قال أهل الضلالة : ما أراد الله من ذكر هذا ؟ فأنزل الله : ﴿ **إن الله لا يَسْتَحْيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها** ﴾ .

قلت : العبارة الأولى عن قتادة فيها[٤] إشعار أنّ هذه الآية مكية ، وليس كذلك ، وعبارة رواية سعيد [عن قتادة][٥] أقرب ، والله أعلم .

وروى ابن جريج عن مجاهد نحو هذا الثاني عن قتادة .

وقال ابن أبي حاتم : روي عن الحسن وإسماعيل بن أبي خالد نحو قول السدي وقتادة .

---

(٢٠٧) - ابن جرير (٥٥٤) .

(٢٠٨) - تفسير عبد الرزاق (٤١/١) ومن طريقه ابن جرير (٥٥٨) ، وابن أبي حاتم (٢٧٤) .

---

[١] - في ز : بن .

[٢] - زيادة من : ز ، خ .

[٣] - سقط من ز .

[٤] - زيادة من : خ .

[٥] - سقط من ز .

وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس في هذه الآية قال : هذا مَثَلٌ ضربه الله للدنيا ، إذْ البعوضة[١] تحيا ما جاعت ، فإذا سمنت ماتت . وكذلك مثل هؤلاء القوم الذين ضرب الله[٢] لهم هذا المثل في القرآن ، إذا امتلئوا من الدنيا ريًّا أخذهم الله عند ذلك ، ثم تلا : ﴿ **فلمَّا نَسُوا ما ذُكِّروا به فتحنا عليهم أبوابَ كلِّ شيء** ﴾ .

هكذا رواه ابن جرير ، ورواه ابن أبي حاتم ، من حديث أبي جعفر ، عن الربيع [بن أنس][٣] ، عن أبي العالية ، بنحوه ، فالله أعلم .

فهذا اختلافهم في سبب النزول ، وقد اختار ابن جرير ما حكاه السُّدي ؛ لأنه أمسّ بالسورة ، وهو مناسب ، ومعنى الآية أنه تعالى أخبر أنه لا يستحيي أي : لا يستنكف ، وقيل : لا يخشى أن يضرب مثلًا ما ، أي مثل كان ، بأي شيء كان صغيرًا كان[٤] ، أو كبيرًا .

و« ما » هاهنا للتقليل[٥] ، وتكون بعوضة منصوبة على البدل ، كما تقول : لأضربن ضربًا ما ، فيصدق بأدنى شيء ، [أو تكون « ما » نكرة موصوفة ببعوضة][٦] ، واختار ابن جرير أنّ « ما » موصولة ، وبعوضة معربة بإعرابها ، قال : وذلك سائغ في كلام العرب ، أنهم يعربون صلة « ما ومن » بإعرابهما ؛ لأنهما يكونان معرفة تارة ، ونكرة أخرى ، كما قال حسان بن ثابت :

يَكْفِي[٧] بِنَا فَضْلًا عَلَى من غَيرِنَا حُبُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ إِيَّانَا

قال : ويجوز أن تكون بعوضة منصوبة بحذف الجار ، وتقدير الكلام : إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلًا ما بين بعوضة إلى ما فوقها .

[وهذا الذي اختاره الكسائي والفراء ، وقرأ الضحاك وإبراهيم بن أبي عبلة ﴿ **بعوضةٌ** ﴾ بالرفع .

قال ابن جني : وتكون صلة لـ « ما » ، وحذف العائد ، كما في قوله : ﴿ **تمامًا على الذي أحسن** ﴾ أي : على الذي هو أحسن .

وحكى سيبويه : ما أنا بالذي قائل لك شيئًا ، أي : بالذي هو قائل لك شيئًا][٨] .

وقوله تعالى : ﴿ **فما فوقها** ﴾ فيه قولان :

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - زيادة من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في خ : « التعليل » .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - في ت ، وتفسير الطبري : « وكفى » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

أحدهما : فما دونها في الصغر والحقارة ، كما إذا وُصف رجل باللؤم والشح ، فيقول السامع : نعم ، وهو فوق ذلك . يعني : فيما وصفت ، [وهذا قول الكسائي وأبي عبيد . قاله الرازي وأكثر المحققين .

وفي الحديث : « **لو أن الدنيا تزن عند اللَّه جناح بعوضة لما سقى كافرًا منها شربة ماء** »(٢٠٩)][١] .

والثاني : فما فوقها فما هو أكبر منها ، لأنه ليس شيء أحقر ولا أصغر من البعوضة .

وهذا [قول قتادة بن دعامة][٢] واختيار ابن جرير ، [فإنه يؤيده ما رواه مسلم ، عن عائشة ، رضي اللَّه عنها ، : أن رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، قال : « **ما من مسلم يُشَاك شَوْكَةً فما فوقها إلا كُتب له بها درجةٌ ومُحيت عنه بها خطيئةٌ** »(٢١٠)][٣] .

فأخبر أنه لا يستصغر شيئًا يضرب به مثلًا ، ولو كان في الحقارة والصغر كالبعوضة ، [كما لا يستنكف عن خلقها ، كذلك لا يستنكف من ضرب المثل بها][٤] ، كما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت في قوله : ﴿ **يا أيها الناس ضُرِبَ مَثَلٌ فاسْتَمِعُوا له إن الذين تَدْعُونَ من دون اللَّه لن يخلقوا ذبابًا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذبابُ شيئًا لا يستنقذوه منه ضَعُفَ الطالبُ والمطلوبُ** ﴾ وقال : ﴿ **مَثَلُ الذين اتخذوا من دون اللَّه أولياءَ كَمَثَلِ العَنْكَبُوتِ اتَّخذتْ بيتًا وإنَّ أوهنَ البُيُوتِ لَبيتُ العنكبوتِ لو كانوا يعلمون** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **ألم تَرَ كيف ضرب اللَّه مثلًا كلمةً طيبةً كشجرة طيبة أصلُها ثابتٌ وفرعُها في السماء تُؤْتِي أُكُلَها كلَّ حينٍ بإذن ربها ويضرب اللَّه الأمثال للناس[٥] لعلهم يتذكرون وَمَثَلُ كلمةٍ خبيثةٍ كشجرةٍ خبيثةٍ اجْتُثَّتْ من**

---

(٢٠٩) - **إسناده ضعيف** ، رواه الترمذي في الزهد ، باب : ما جاء في هوان الدنيا على اللَّه ، عز وجل ، برقم (٢٣٢٠) ، من طريق عبد الحميد بن سليمان ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد ، رضي اللَّه عنه ، به ، مرفوعًا ، وقال أبو عيسى : هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه . وفي الباب عن أبي هريرة . ورواه العقيلي (٣/٤٦) ، وابن عدي في الكامل (٥/١٩٥٦) ، وأبو نعيم في الحلية (٣/٢٥٣) - جميعهم من طريق عبد الحميد بن سليمان . ورواه ابن ماجه من طريق زكريا بن منظور (٤١١٠) ، وكذا الحاكم (٤/٣٠٦) ، ورواه الطبراني (٦/٥٩٢١) من طريق زمعة بن صالح - ثلاثتهم : عبد الحميد ، وزكريا ، وزمعة - عن أبي حازم . وقال الحاكم : صحيح الإسناد فردَّه الذهبي بقوله : زكريا ضعفوه . وزمعة وعبد الحميد أيضًا ضعيفان .

(٢١٠) - صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب برقم ٤٦ - (٢٥٧٢) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٥] - سقط من : خ .

فوق الأرض ما لها من قرار يُثَبِّتُ اللَّه الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وَيُضِلُّ اللَّه الظالمين ويفعل اللَّه ما يشاء ﴾ . وقال تعالى : ﴿ ضرب اللَّه مثلا عبدًا مملوكًا لا يَقْدِرُ علي شيء ﴾ الآية . ثم قال : ﴿ وضرب اللَّه مَثَلًا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كَلٌّ على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخيرٍ [هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل][١] ﴾ الآية . كما قال : ﴿ ضرب لكم مثلًا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم ﴾ الآية . وقال: ﴿ ضرب اللَّه مثلًا رجلا فيه شركاء متشاكسون ﴾ . الآية . وقال[٢] : ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾ . وفي القرآن أمثال كثيرة . قال بعض السلف : إذا سمعتُ المثل في القرآن فلم أفهمه بكيتُ على نفسي ؛ لأن اللَّه تعالى قال[٣] : ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾ .

وقال مجاهد في قوله تعالى : ﴿ إن اللَّه لا يستحيي أن يضرب مثلًا ما بعوضة فما فوقها ﴾ الأمثال صغيرها وكبيرها يؤمن بها المؤمنون[٤] ويعلمون أنها الحق من ربهم ، ويهديهم اللَّه بها .

وقال قتادة : ﴿ فأمّا الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم ﴾ أي : يعلمون أنه كلام الرحمن ، وأنه من عند اللَّه .

وروي عن مجاهد والحسن والربيع بن أنس نحو ذلك .

وقال أبو العالية : ﴿ فأمّا الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم ﴾ يعني : هذا المثل . ﴿ وأمّا الذين كفروا فيقولون ماذا أراد اللَّه بهذا مثلًا ﴾ كما قال في سورة المدثر : ﴿ وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدَّتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانًا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض[٥] والكافرون ماذا أراد اللَّه بهذا مثلًا كذلك يضل اللَّه من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾ . وكذلك قال هاهنا : ﴿ يضل به كثيرًا ويهدي به كثيرًا وما يضل به إلا الفاسقين ﴾ .

قال السُّدي في تفسيره : عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة : يضل به كثيرًا يعني به المنافقين ، ويهدي به كثيرًا يعني به المؤمنين ، فيزيد هؤلاء ضلالة إلى ضلالتهم[٦] لتكذيبهم بما قد علموه حقًّا يقينًا ، من المثل الذي ضربه

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - في ز : وقد قال تعالى .
[٣] - في ز : يقول . [٤] - في ز ، خ : « الأولون » .
[٥] - سقط من ز . [٦] - في ز : ضلالهم .

اللَّه بما ضربه [لهم ، وأنه لما ضُرب][١] له موافق ، فذلك إضلال اللَّه إياهم به ، ﴿ **ويهدي به** ﴾ يعني : المثل[٢] كثيرًا من أهل الإيمان والتصديق ، فيزيدهم هدى إلى هداهم وإيمانًا إلى إيمانهم ؛ لتصديقهم بما قد علموه حقًّا يقينًا أنه موافق لما[٣] ضربه اللَّه له مثلًا وإقرارهم به ، وذلك هداية من اللَّه لهم به ﴿ **وما يضل به إلا الفاسقين** ﴾ [قال : هم المنافقون .

وقال أبو العالية : ﴿ **وما يضل به إلا الفاسقين** ﴾][٤] قال : هم أهل النفاق . وكذا قال الربيع ابن أنس .

وقال ابن جريج(٢١١) : عن مجاهد ، عن ابن عباس : ﴿ **وما يضل به إلا الفاسقين** ﴾ : قال : يقول : يعرفه الكافرون فيكفرون به .

وقال قتادة : ﴿ **وما يضل به إلا الفاسقين** ﴾ فسقوا فأضلهم اللَّه على فسقهم .

وقال ابن أبي حاتم(٢١٢) : حُدِّثت عن إسحاق بن سليمان ، عن أبي سنان ، عن عمرو بن مرة ، عن مصعب بن سعد ، عن سعد ﴿ **يضل به كثيرًا** ﴾ يعني : الخوارج .

وقال شعبة(٢١٣) ، عن عمرو بن مرة ، عن مصعب بن سعد ، قال : سألت أبي فقلت : قوله تعالى : ﴿ **الذين ينقضون عهد اللَّه من بعد ميثاقه** ﴾ إلى آخر الآية ، فقال : هم الحرورية .

وهذا الإسناد [إن][٥] صح عن سعد بن أبي وقاص - رضي اللَّه عنه - فهو تفسير على المعنى ، لا أن الآية أريد منها التنصيص على الخوارج ، الذين خرجوا على عليٍّ بالنهروان ؛ فإن أولئك لم يكونوا حال نزول الآية ، وإنما هم داخلون بوصفهم فيها مع من دخل ؛ لأنهم سموا خوارج لخروجهم عن[٦] طاعة الإمام والقيام بشرائع الإسلام .

والفاسق في اللغة : هو الخارج عن الطاعة أيضًا ، وتقول العرب : فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرتها ، ولهذا يقال للفأرة : فويسقة لخروجها عن جحرها للفساد .

وثبت في الصحيحين عن عائشة : أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قال : « **خمس فواسق**

---

(٢١١) - رواه ابن أبي حاتم برقم (٢٨٧) .

(٢١٢) - رواه ابن أبي حاتم برقم (٢٨٢) ، وإسناده ضعيف .

(٢١٣) - رواه ابن أبي حاتم (٢٨٨ ، ٢٩٣) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - في ز : بالمثل .
[٣] - في ز ، خ : « ما » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - في ر : وإن .
[٦] - في ز : على .

يُقْتَلن في الحِل والحرَم: الغراب، والحدأة، والعقرب، والفارة، والكلب العقور»(٢١٤).

فالفاسق يشمل الكافر والعاصي، ولكن فسق الكافر أشد وأفحش، والمراد من الآية الفاسق الكافر، والله أعلم؛ بدليل أنه وصفهم بقوله تعالى: ﴿**الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون**﴾.

وهذه الصفات صفات الكفار المباينة لصفات المؤمنين، كما قال تعالى في سورة الرعد ﴿**أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولو الألباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب**﴾ الآيات. إلى أن قال: ﴿**والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار**﴾.

وقد اختلف أهل التفسير في معنى العهد الذي وصف هؤلاء الفاسقين بنقضه، فقال بعضهم: هو وصية الله إلى خلقه وأمره إياهم بما أمرهم به من طاعته، ونهيه إياهم عما نهاهم عنه من معصيته في كتبه وعلى لسان رسله، ونقضهم ذلك هو[١] تركهم العمل به.

وقال آخرون: بل هي في كفار أهل الكتاب والمنافقين منهم، وعهد الله الذي نقضوه هو ما أخذه الله عليهم في التوراة من العمل بما فيها واتباع محمد صلى الله عليه وسلم إذا بعث والتصديق به، وبما جاء به من عند ربهم، ونقضهم ذلك هو جحودهم به بعد معرفتهم بحقيقته وإنكارهم ذلك، وكتمانهم علم ذلك عن[٢] الناس بعد إعطائهم الله من أنفسهم الميثاق ليبيننه للناس ولا يكتمونه، فأخبر تعالى أنهم نبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنًا قليلًا، وهذا اختيار ابن جرير - رحمه الله - و[هو][٣] قول مقاتل بن حيان.

وقال آخرون: بل عنى بهذه الآية جميع أهل الكفر والشرك والنفاق، وعهده إلى جميعهم في توحيده ما[٤] وضع لهم[٥] من الأدلة الدالة على ربوبيته، وعهده إليهم في أمره ونهيه ما[٦] احتج به لرسله من المعجزات التي لا يقدر أحد من الناس غيرهم أن يأتي بمثلها[٧]، الشاهدة لهم على صدقهم[٨].

---

(٢١٤) - صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: إذا وقع الذباب .... برقم (٣٣١٤)، وصحيح مسلم في الحج برقم ٦٧ - (١١٩٨).

---

[١] - في ز: و.
[٢] - سقط من ز.
[٣] - سقط من ز.
[٤] - في ز: بما.
[٥] - في ز: إليهم.
[٦] - في ز: بما.
[٧] - في ز، خ: «بمثله».
[٨] - في ز: صدقه.

قالوا: ونقضهم ذلك تركهم الإقرار بما قد تبينت[١] لهم صحته بالأدلة وتكذيبهم الرسل والكتب مع علمهم أن ما أتوا به حق، وروي عن مقاتل بن حيان أيضًا نحو هذا، وهو حسن.

[وإليه مال الزمخشري فإنه قال: فإن قلت: فما المراد بعهد الله ؟ قلت: ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد، كأنه أمر وصاهم به ووثقه عليهم، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ **وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى** ﴾ إذ أخذ الميثاق عليهم من الكتب المنزلة عليهم كقوله ﴿ **وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم** ﴾][٢].

وقال آخرون: العهد الذي ذكره تعالى هو العهد الذي أخذه عليهم حين أخرجهم من صلب آدم الذي وصف في قوله: ﴿ **وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم**[٣] **وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى** [**شهدنا**][٤] ﴾. الآيتين، ونقضهم ذلك تركهم الوفاء به وهكذا روي عن مقاتل بن حيان أيضًا، حكى هذه الأقوال ابن جرير في تفسيره.

وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿ **الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه** ﴾ إلى قوله: ﴿ **أولئك هم الخاسرون** ﴾ قال: هي ست خصال من المنافقين إذا كانت فيهم الظَّهْرَة على الناس أظهروا هذه الخصال: إذا حدّثوا كذبوا، وإذا وعدوا أخلفوا، وإذا ائتمنوا خانوا، ونقضوا عهد الله من بعد ميثاقه، وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل، وأفسدوا في الأرض، وإذا كانت الظَّهْرَةُ عليهم أظهروا الخصال الثلاث[٥]: إذا حدّثوا كذبوا، وإذا وعدوا أخلفوا، وإذا ائتمنوا خانوا، وكذا قال الربيع بن أنس أيضًا، وقال السدي في تفسيره بإسناده: قوله تعالى: ﴿ **الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه** ﴾ قال: هو ما عُهد إليهم في القرآن فأقروا به ثم كفروا فنقضوه.

وقوله: ﴿ **ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل** ﴾ قيل: المراد به صلة الأرحام والقرابات، كما فسره قتادة، كقوله تعالى: ﴿ **فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم** ﴾ ورجحه ابن جرير، وقيل: المراد[٦] أعم من ذلك، فكل ما أمر الله بوصله وفعله قطعوه وتركوه.

وقال مقاتل بن حيان في قوله تعالى: ﴿ **أولئك هم الخاسرون** ﴾ قال: في الآخرة، وهذا كما قال تعالى: ﴿ **أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار** ﴾.

وقال الضحاك: عن ابن عباس (٢١٥): كلُّ شيء نسبه الله إلى غير أهل الإسلام من اسم مثل

(٢١٥) – رواه ابن جرير (٥٧٥)، وسنده ضعيف.

[١] – في ز: ثبتت.
[٢] – ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٣] – في ز: ذرياتهم.
[٤] – سقط من: خ.
[٥] – سقط من: ز، خ.
[٦] – سقط من: ز، خ.

خاسر، فإنما يعني به الكفر، وما نسبه إلى أهل الاسلام فإنما يعني به الذنب.

وقال ابن جرير في قوله تعالى: ﴿**أولئك هم الخاسرون**﴾: الخاسرون جمع خاسر، وهم الناقصون أنفسهم حظوظهم بمعصيتهم اللّه من رحمته، كما يخسر الرجل في تجارته بأن يوضع من رأس ماله في بيعه، وكذلك المنافق والكافر خسر بحرمان اللّه إياه رحمته التي خلقها لعباده في القيامة أحوج ما كانوا إلى رحمته، يقال منه: خسر الرجل يخسر خَسْرًا وخُسْرانًا وخَسَارًا، كما قال جرير بن عطية.

إن سَلِيطًا في الخَسَارِ إنَّه أولادُ قَومٍ خُلِقُوا أقِنَّه

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٨)

يقول تعالى محتجًا على [وجوده وقدرته][١]، وأنه الخالق المتصرف في عباده: ﴿**كيف تكفرون باللّه**﴾ أي: كيف تجحدون وجوده، أو تعبدون معه غيره ؟! ﴿**وكنتم أمواتًا فأحياكم**﴾ أي: وقد كنتم عدمًا فأخرجكم إلى الوجود، كما قال تعالى: ﴿**أم خُلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خَلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون**﴾ وقال تعالى: ﴿**هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا**﴾ والآيات في هذا كثيرة.

وقال سفيان الثوري عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه(٢١٦) - ﴿**قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا**﴾. قال: هي التي في البقرة ﴿**وكنتم أمواتًا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم**﴾.

وقال ابن جريج: عن عطاء(٢١٧)، عن ابن عباس: ﴿**كنتم أمواتًا فأحياكم ثم يميتكم ثم يُحييكم**﴾ أمواتًا في أصلاب آبائكم، لم تكونوا شيئًا حتى خلقكم، ثم يميتكم موتة الحق، ثم يحييكم حين يبعثكم. قال: وهي مثل قوله تعالى: ﴿**أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين**﴾. وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿**ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين**﴾ قال: كنتم ترابًا قبل أن يخلقكم، فهذه ميتة، ثم أحياكم فخلقكم فهذه حياة، ثم يميتكم فترجعون إلى القبور فهذه

---

(٢١٦) - رواه ابن جرير (٥٧٧)، وابن أبي حاتم (٣٠١)، والطبراني (٩/٩٠٤٤)، والحاكم (٥/٤٣٧) وقال: على شرط الشيخين، وإنما هو على شرط مسلم وحده.

(٢١٧) - رواه ابن أبي حاتم (٣٠٣)، وابن جرير (١/١٨٦ الحلبي)، وعطاء هو الخرساني، لم يسمع من ابن عباس، فهو منقطع.

---

[١] - في ت: وجود قدرته.

ميتة أخرى، ثم يبعثكم يوم القيامة فهذه حياة أخرى[١] . فهذه ميتتان وحياتان، فهو كقوله ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ﴾.

وهكذا روي عن السُّدي بسنده، [ ][٢] عن أبي مالك وعن أبي صالح، عن ابن عباس وعن مرة، عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة، وعن أبي العالية والحسن البصري ومجاهد وقتادة وأبي صالح والضحاك وعطاء الخراساني نحو ذلك.

وقال الثوري عن السدي، عن أبي صالح: ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون ﴾ قال: يحييكم في القبر، ثم يميتكم.

وقال ابن جرير، عن يونس، عن ابن وهب، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: خلقهم في[٣] ظهر آدم [ثم أخذ][٤] عليهم الميثاق، ثم أماتهم ثم خلقهم في الأرحام، ثم أماتهم ثم أحياهم يوم القيامة، وذلك كقوله تعالى: ﴿ قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ﴾.

وهذا غريب والذي قبله، والصحيح ما تقدّم عن ابن مسعود وابن عباس، وأولئك الجماعة من التابعين، وهو كقوله تعالى: ﴿ قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ الآية [وعبر عن الحال قبل الوجود بالموت لجامع ما يشتركان فيه من عدم الإحساس، كما قال تعالى في الأصنام: ﴿ أموات غير أحياء وما يشعرون ﴾ الآية. وقال: ﴿ وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبًّا فمنه يأكلون ﴾][٥] .

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

لما ذكر تعالى دلالة من خلقهم وما يشاهدونه في أنفسهم، ذكر دليلًا آخرَ مما يشاهدونه من خَلْق السموات والأرض فقال: ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا ثم استوى إلى السماء فسوّاهن سبع سموات ﴾ أي قصد إلى السماء، والاستواء هاهنا تضمن معنى القصد و[٦] الإقبال؛ لأنه عُدي بإلى ح ﴿ فسوّاهن ﴾ أي: فخلق السماء سبعًا، والسماء هاهنا اسم جنس، فلهذا قال: ﴿ فسوّاهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم ﴾ أي: وعلمه محيط بجميع ما خلق. كما قال: ﴿ ألا يعلم من خلق ﴾، وتفصيل هذه الآية في سورة حم السجدة ،

---

[١] – سقط من: ز، خ.
[٢] – في ز، خ: [و] .
[٣] – في ز: من.
[٤] – في ز: فأخذ.
[٥] – ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٦] – في ز: أو.

وهو قوله تعالى : ﴿ قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادًا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو كرهًا قالتا أتينا طائعين فقضاهنّ سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظًا ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ .

ففي هذا دلالة على أنه تعالى ابتدأ بخلق الأرض أولًا ، ثم خلق السموات سبعًا ، وهذا شأن البناء أن يبدأ بعمارة أسافله ثم أعاليه بعد ذلك ، وقد صرح المفسرون بذلك ، كما سنذكره بعد هذا إن شاء اللَّه . فأما قوله تعالى : ﴿ أأنتم أشد خلقًا أم السماء بناها رفع سمكها فسوّاها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها متاعًا لكم ولأنعامكم ﴾ فقد قيل : إن « ثم » هاهنا إنما هي لعطف الخبر على الخبر لا لعطف الفعل على الفعل ، كما قال الشاعر :

قـل لمن سـاد ثـم سـاد أبـوه ثم[١] قد ساد قبل[٢] ذلك جده

وقيل : إن الدحيَ كان بعد خلق[٣] السموات .

رواه علي[٤] بن أبي طلحة عن ابن عباس (٢١٨) .

وقد قال السدي في تفسيره (٢١٩) ، عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مُرّة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة : ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا ثم استوى إلى السماء فسوّاهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم ﴾ قال : إن اللَّه تبارك وتعالى كان عرشه على الماء ، ولم يخلق شيئًا غير ما خلق قبل الماء ، فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخانًا ، فارتفع فوق الماء فسما عليه ، فسماه سماء ، ثم أيبس الماء فجعله أرضًا واحدة ، ثم فتقها فجعلها سبع أرضين في يومين في الأحد والإثنين ، فخلق الأرض على حوت ، والحوتُ هو [النون][٥] الذي ذكره اللَّه في القرآن ﴿ ن والقلم ﴾ ، والحوت في الماء ، والماء على ظهر صفاة ، والصفاة على ظهر ملك ، والملك على صخرة ، والصخرة في الريح ، وهي الصخرة التي ذكر لقمان ليست في السماء ولا في الأرض ، فتحرك الحوت فاضطرب فتزلزلت الأرض فأرسى عليها

---

[٥] - - رواه ابن جرير برقم (٥٩٤) ، وعلي لم يسمع من ابن عباس كما تقدم .

(٢١٩) - رواه ابن جرير (٥٩١) ، والبيهقي في الأسماء (٢/١١٨ - ١١٩) ، وابن ابي حاتم (٣٠٧) .

---

[١] - سقط من .

[٢] - في ز : بعد .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

الجبال فقرّت، فالجبال تفخر على الأرض، فذلك قوله تعالى: ﴿[وألقى في الأرض][١] رواسي أن تميد بكم﴾، وخلق الجبال فيها، وأقواتَ أهلها وشجرها[٢] وما ينبغي لها في يومين؛ في الثلاثاء والأربعاء، وذلك حين يقول: ﴿قل[٣] أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادًا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها﴾ يقول: أنبت شجرها ﴿وقدّر فيها أقواتها﴾ [يقول: أقواتها][٤] لأهلها ﴿في أربعة أيام سواء للسائلين﴾ يقول: من سأل فهكذا الأمر ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان﴾ وذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس، فجعلها سماء واحدة، ثم فتقها فجعلها سبع سموات في يومين؛ في الخميس والجمعة، وإنما سُمي يوم الجمعة؛ لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض ﴿وأوحى في كل سماء أمرها﴾ قال: خلق اللَّه في كل سماء خلقها من الملائكة والخلق الذي فيها من البحار وجبال البرد ومما[٥] لا يعلم[٦]، ثم زين السماء الدنيا بالكواكب فجعلها زينة وحفظًا تُحْفَظُ من الشياطين، فلما فرغ من خلق ما أحب استوى على العرش [فذلك حين يقول: ﴿خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ ويقول: ﴿كانتا رَتْقًا ففتقناهما [وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾.

وقال ابن جرير(٢٢٠): حدثني المثنى، حدثنا عبد اللَّه بن صالح، حدثني أبو معشر، عن سعيد ابن أبي سعيد، عن عبد اللَّه بن سلام أنه قال: إن اللَّه بدأ الخلق يوم الأحد فخلق الأرضين في الأحد والإثنين، وخلق الأقوات والرواسي في الثلاثاء والأربعاء، وخلق السموات في الخميس والجمعة، وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة، فخلق فيها آدم على عَجَل، فتلك الساعة التي تقوم فيها الساعة.

وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا﴾ قال: خلق اللَّه الأرض قبل السماء فلما خلق الأرض[٧] ثار[٨] منها دخان، فذلك حين يقول: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فسوّاهن سبع سموات﴾ قال: بعضهن فوق بعض، وسبع أرضين، يعني بعضهن تحت بعض.

---

(٢٢٠) - رواه ابن جرير (٥٩٥)، وأبو الشيخ في العظمة (٨٨٢)، وإسناده ضعيف لضعف أبي معشر واسمه نجيح بن عبد الرحمن. وأخرجه ابن منده في التوحيد (٦١)، والبيهقي في الأسماء (٢/١٢٣- ١٢٤)، وابن عبد البر (٤٨/٢٣)، والفريابي في القدر بإسنادٍ آخر صحيح.

---

[١] - في ز، خ: «جعل».
[٢] - في ز، خ: «وسخرها».
[٣] - سقط من: ز، خ.
[٤] - سقط من ز.
[٥] - في ز: وما.
[٦] - في ز، خ: «نعلم».
[٧] - سقط من: ز، خ.
[٨] - في ز، خ: «بان».

[وهذه الآية دالة على أنّ الأرض خُلقت قبل السماء، كما قال في آية السجدة : ﴿ **قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادًا ذلك رب العالمين، وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين، ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو كرهًا قالتا أتينا طائعين، فقضاهنّ سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظًا ذلك تقدير العزيز العليم** ﴾ فهذه وهذه دالتان على أنّ الأرض خُلقت قبل السماء، وهذا ما لا أعلم فيه نزاعًا بين العلماء إلا ما نقله ابن جرير، عن قتادة أنه زعم أنّ السماء خُلقت قبل الأرض، وقد توقف في ذلك القرطبي في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **أأنتم أشد خلقًا أم السماء بناها رفع سمكها فسوّاها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها** ﴾ .

قالوا : فذكر خلق السماء قبل الأرض

وفي صحيح البخاري(٢٢١) أن ابن عباس سئل عن هذا بعينه فأجاب بأنّ الأرض خلقت قبل السماء، وأنّ الأرض إنما دُحيت بعد خلق السماء، وكذلك أجاب غير واحد من علماء التفسير قديمًا وحديثًا، وقد حرّرنا ذلك في سورة النازعات، وحاصل ذلك أنّ الدحي مفسر بقوله تعالى : ﴿ **والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها** ﴾ ففسر الدحي بإخراج ما كان مودعًا فيها بالقوة إلى الفعل لما أكملت صورة المخلوقات الأرضية، ثم السماوية، دحا بعد ذلك الأرض فأخرجت ما كان مودعًا فيها من المياه، فنبتت النباتات على اختلاف أصنافها وصفاتها وألوانها وأشكالها، وكذلك جرت هذه الأفلاك، فدارت بما فيها من الكواكب الثوابت والسيارة، والله سبحانه وتعالى أعلم][١] .

وقد ذكر ابن أبي حاتم(٢٢٢) وابن مردويه في تفسير هذه الآية - الحديث الذي رواه مسلم

---

(٢٢١) - صحيح البخاري، كتاب التفسير (٨/٥٥٥ - ٥٥٦ الفتح).

(٢٢٢) - تفسير ابن أبي حاتم ٣٠٥ - (١٠٣/١) ، وصحيح مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم برقم (٢٧٨٩) ، وسنن النسائي الكبرى برقم (١١٠١٠) ، ورواه أحمد (٣٢٧/٢) ، وأبو يعلى (٥١٣/١٠ - ٥١٤) ، وابن منده في التوحيد رقم (٥٨) ، وابن جرير في التفسير (٩٥/٢٤) ، وأخرجه ابن معين في تاريخه رواية الدوري برقم (٢١٠) ، ومن طريقه الدولابي (١٥٧/١) ، وذكره البخاري في التاريخ (٤١٣/١ ، ٤١٤) ، من طريق إسماعيل بن أمية به، ثم قال : وقال بعضهم : عن أبي هريرة عن كعب وهو أصح . والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٥٠/٢ - ٢٥٦) ، قال البيهقي : هذا حديث أخرجه مسلم في كتابه عن سريج بن يونس وغيره، عن حجاج بن محمد، وزعم بعض أهل العلم بالحديث أنه غير محفوظ لمخالفته =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

والنسائي في التفسير أيضًا، من رواية ابن جُرَيج قال: أخبرني إسماعيل بن أمية، عن أيوب بن خالد، عن عبد الله بن رافع مولى أمّ سلمة، عن أبي هريرة قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال: «**خلق الله التربة يوم السبت، وخلق الجبال فيها يوم الأحد، وخلق الشجر فيها يوم الإثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة من آخر ساعة من ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل**».

وهذا الحديث من غرائب صحيح مسلم وقد تكلم عليه علي بن المديني، والبخاري، وغير واحد من الحفاظ، وجعلوه من كلام كعب، وأنّ أبا هريرة إنما سمعه من كلام[١] كعب الأحبار، وإنما اشتبه على بعض الرواة فجعلوه[٢] مرفوعًا، وقد حرّر ذلك البيهقي.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

يخبر تعالى بامتنانه على بني آدم، بتنويهه بذكرهم في الملإ الأعلى قبل إيجادهم، فقال تعالى: ﴿**وإذ قال ربك للملائكة**﴾ أي واذكر يا محمد إذ قال ربك للملائكة، واقصص على قومك ذلك[٣]، وحكى ابن جرير عن بعض أهل العربية [-وهو أبو عبيدة -][٤] أنه زعم أن «إذ» هاهنا زائدة، وأنّ تقدير الكلام «وقال ربك»، وردّه ابن جرير.

[قال القرطبي: وكذا ردّه جميع المفسرين حتى قال الزجاج: هذا اجتراء من أبي عبيدة][٥]. ﴿**إني جاعل في الأرض خليفة**﴾ أي: قومًا يخلف[٦] بعضهم بعضًا قرنًا بعد قرن وجيلًا بعد

= ما عليه أهل التفسير وأهل التواريخ، وزعم بعضهم أن إسماعيل بن أمية إنما أخذه عن إبراهيم بن أبي يحيى، عن أيوب بن خالد، وإبراهيم غير محتج به. قال علي بن المديني: وما أرى إسماعيل بن أمية أخذ هذا إلا من إبراهيم بن أبي يحيى. قلت: وقد تابعه على ذلك موسى بن عبيدة الربذي، عن أيوب بن خالد؛ إلا أن موسى بن عبيدة ضعيف، وروي عن بكر بن الشرود، عن إبراهيم بن أبي يحيى، عن صفوان بن سليم، عن أيوب بن خالد، وإسناده ضعيف، والله أعلم.

وللعلامة عبد الرحمن المعلمي كلام متين في تصحيح هذا الحديث ورد الشبه عنه في كتابه «الأنوار الكاشفة» (ص ١٨٥ - ١٩٠).

[١] - سقط من ز.
[٢] - في ز، خ: «فجعله».
[٣] - في ز: ذاك.
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٦] - في ز، خ: «تخلف».

جيل، كما قال تعالى: ﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض﴾ وقال[١]: ﴿ويجعلكم خلفاء الأرض﴾ وقال: ﴿ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون﴾ وقال: ﴿فَخَلَفَ من بعدهم خَلْفٌ﴾ [وقرئ في الشاذ: (إني جاعل في الأرض خليقة) حكاها الزمخشري وغيره، ونقل القرطبي، عن زيد بن علي][٢] وليس المراد هاهنا بالخليفة آدم عليه السلام فقط [كما يقوله طائفة من المفسرين، وعزاه القرطبي إلى ابن عباس وابن مسعود وجميع أهل التأويل، وفي ذلك نظر بل الخلاف في ذلك كثير حكاه الرازي في تفسيره وغيره، والظاهر أنه لم يرد آدم عينًا][٣]؛ إذ لو كان كذلك لما حسن قول الملائكة: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ فإنهم إنما[٤] أرادوا أن من هذا الجنس من يفعل ذلك، وكأنهم علموا ذلك بعلم خاص، أو بما فهموه من الطبيعة البشرية، [فإن الله][٥] أخبرهم أنه يخلق هذا الصنف من صلصال من حمإ مسنون، [أو فهموا من الخليفة أنه الذي يفصل بين الناس ما يقع بينهم من المظالم ويردعهم عن المحارم والمآثم، قاله القرطبي][٦]، أو أنهم قاسوهم[٧] على من سبق، كما سنذكر أقوال المفسرين في ذلك.

وقول الملائكة هذا ليس على وجه الاعتراض على الله، ولا على وجه الحسد لبني آدم، كما قد يتوهمه بعض المفسرين، [وقد وصفهم الله تعالى بأنهم لا يسبقونه بالقول، أي لا يسألونه شيئًا لم يأذن لهم فيه، وهاهنا لما أعلمهم بأنه سيخلق في الأرض خلقًا، قال قتادة: وقد تقدّم إليهم أنهم يفسدون فيها فقالوا: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ الآية][٨]، وإنما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك، يقولون: يا ربنا! ما الحكمة في خلق هؤلاء مع أن منهم من يفسد في الأرض ويسفك الدماء، فإن كان المراد عبادتك، فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك، أي نصلي لك، كما سيأتي، أي: ولا يصدر منا شيء من ذلك وهلا[٩] وقع الاقتصار علينا؟ قال الله تعالى - مجيبًا لهم عن هذا السؤال -: ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾ [أي إني[١٠] أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هذا الصنف على المفاسد التي ذكرتموها ما لا تعلمون][١١] أنتم، فإني سأجعل فيهم الأنبياء، وأرسل فيهم الرسل، ويوجد منهم[١٢] الصدّيقون والشهداء، والصالحون والعباد، والزهاد والأولياء، والأبرار والمقرَّبون، والعلماء العاملون والخاشعون والمحبون له تبارك وتعالى المتبعون رسله، صلوات الله وسلامه عليهم.

---

[١] - سقط من: ز، خ.
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٤] - زيادة من: ز، خ.
[٥] - ما بين المعكوفتين زيادة من: ز، خ.
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٧] - في ز: قاسوه.
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٩] - في ز، خ: «هلا لا».
[١٠] - زيادة من ز.
[١١] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.
[١٢] - في ز، خ: «فيهم».

[وقد ثبت في الصحيح(٢٢٣) أن الملائكة إذا صعدت إلى الرب تعالى بأعمال عباده يسألهم - وهو أعلم - كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون .

وذلك لأنهم يتعاقبون فينا ، ويجتمعون في صلاة الصبح وفي صلاة العصر ، فيمكث هؤلاء ، ويصعد أولئك بالأعمال . كما قال -عليه الصلاة والسلام- : « **يرفع إليه عمل الليل قبل النهار ، وعمل النهار قبل الليل** »(٢٢٤) . فقولهم : أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون من تفسير قوله لهم : ﴿ **إني أعلم ما لا تعلمون** ﴾ وقيل معنى قوله جوابًا لهم : ﴿ **إني أعلم ما لا تعلمون** ﴾ إني لي حكمة مفصلة في خلق هؤلاء والحالة ما ذكرتم لا تعلمونها . وقيل :إنه جواب ﴿ **ونحن نسبح بحمدك ونقدّس لك** ﴾ فقال : ﴿ **إني أعلم ما لا تعلمون** ﴾ أي : من وجود إبليس بينكم ، وليس هو كما وصفتم أنفسكم به . وقيل : بل تضمن قولهم : ﴿ **أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك** ﴾ طلبًا منهم أن يسكنوا الأرض بدل بني آدم ، فقال اللّٰه تعالى لهم : ﴿ **إني أعلم ما لا تعلمون** ﴾ من أن بقاءكم في السماء أصلح لكم وأليق بكم . ذكرها الرازي مع غيرها من الأجوبة ، واللّٰه أعلم][١] .

ذكر أقوال المفسرين ببسط ما ذكرناه

قال ابن جرير(٢٢٥) : حدثني القاسم بن الحسن ، [قال حدثنا الحسين ، قال][٢] حدثني الحجاج ، عن جرير بن حازم ، ومبارك [عن الحسن ، وأبي بكر][٣] ، عن الحسن وقتادة قالوا : قال اللّٰه للملائكة : ﴿ **إني جاعل في الأرض خليفة** ﴾ قال لهم : إني فاعل .

وهذا ، معناه أنه أخبرهم بذلك .

وقال السدّي : استشار الملائكة في خلق آدم . رواه ابن أبي حاتم قال : وروي عن قتادة

---

(٢٢٣) - صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة برقم ٢١٠ - (٦٣٢) من حديث أبي هريرة ، رضي اللّٰه عنه .

(٢٢٤) - رواه مسلم برقم ٢٩٣ ، ٢٩٤ - (١٧٩) ، وابن ماجه (١٩٥) ، وأحمد (٤٠٤/٤) ، وابن أبي عاصم في السنة (٦١٤) ، وابن خزيمة في التوحيد (٢٨، ٢٩ ، ٣٠ ، ١٠٠) من حديث أبي موسى الأشعري ، رضي اللّٰه عنه .

(٢٢٥) - تفسير ابن جرير رقم ٥٩٧ - (٤٤٧/١) ، وأبو بكر هو الهذلي : ضعفه ابن المديني جدًّا ، وقال ابن معين : ليس بشيء . والحسين هو ابن داود الملقب بسنيد . والمبارك هو ابن فضالة ، مدلس وقد عنعن ؛ إلا أنه صرح بالتحديث عند ابن أبي حاتم ٣١٦ - (١٠٧/١) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

نحوه(٢٢٦) .

وهذه العبارة إن لم ترجع إلى معنى الإخبار ففيها تساهل، وعبارة الحسن وقتادة في رواية ابن جرير أحسن، واللّٰه أعلم.

﴿ في الأرض ﴾ قال ابن أبي حاتم(٢٢٧) : حدثنا أبي، حدثنا [أبو سلمة][١] ، حدثنا حماد، حدثنا عطاء بن السائب، عن عبد الرحمن بن سابط أن رسول اللّٰه، صلى اللّٰه عليه وسلم، قال: «**دُحِيت الأرض من مكة، وأول من طاف بالبيت الملائكة، فقال اللّٰه : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾** يعني مكة».

وهذا مرسل، وفي سنده ضعف، وفيه مُدْرَج، وهو أن المراد بالأرض مكة، واللّٰه أعلم. فإن الظاهر أن المراد بالأرض أعم من ذلك، [واللّٰه أعلم][٢] .

﴿ **خليفة** ﴾ قال السدي في تفسيره(٢٢٨) ، عن أبي مالك وعن أبي صالح، عن ابن عباس - وعن مرة، عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة: إن اللّٰه تعالى قال للملائكة: ﴿ **إني جاعل في الأرض خليفة** ﴾ قالوا: ربنا وما يكون ذلك الخليفة؟ قال: يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون [ ][٣] ويقتل بعضهم بعضًا.

قال ابن جرير(٢٢٩) : فكان تأويل الآية على هذا ﴿ **إني جاعل في الأرض خليفة** ﴾ مني[٤] ، يخلفني في الحكم [بالعدل][٥] بين خلقي، وإن ذلك الخليفة هو آدم ومن قام مقامه في طاعة اللّٰه والحكم بالعدل بين خلقه، وأما الإفساد وسفك الدماء بغير حقها فمن غير خلفائه.

قال ابن جرير: وإنما معنى الخلافة التي ذكرها اللّٰه إنما هي خلافة قَرْنٍ منهم قَرْنًا، قال: والخليفة الفعيلة، من قولك: خلف فلان فلانًا في هذا الأمر، إذا قام مقامه فيه بعده، كما قال تعالى: ﴿ **ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون** ﴾ ، ومن ذلك قيل للسلطان الأعظم: خليفة؛ لأنه خلف الذي كان قبله فقام بالأمر مقامه، فكان منه خلفًا.

---

(٢٢٦) - رواه ابن أبي حاتم ٣١٥ - (١٠٧/١) . وقال محققه: هذا خبر منكر.

(٢٢٧) - تفسير ابن أبي حاتم ٣١٨ - (١٠٨/١) ، ورواه ابن جرير (٥٩٦) ، وعزاه السيوطي في الدر (٤٦/١) لابن عساكر، وعطاء بن السائب اختلط؛ إلا أن حماد بن سلمة سمع منه قبل الاختلاط.

(٢٢٨) - رواه ابن جرير برقم (٦٠٥) .

(٢٢٩) - تفسير ابن جرير (٤٥٠/١) .

---

[١] - في ز : ابن سلم.

[٢] - زيادة من: ز ، خ.

[٣] - في خ : وقال : .

[٤] - في خ: «متى».

[٥] - زيادة من ز ، خ.

قال: وكان محمد بن إسحاق يقول في قوله تعالى: ﴿**إني جاعل في الأرض خليفة**﴾ يقول: ساكنًا وعامرًا يعمرها ويسكنها خلقًا ليس منكم.

[قال ابن جرير(٢٣٠)][١]: وحدثنا أبو كريب، حدثنا عثمان[٢] بن سعيد، حدثنا بشر ابن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس قال: إن[٣] أول من سكن الأرض الجن، فأفسدوا فيها وسفكوا فيها الدماء، وقتل بعضهم بعضًا، قال: فبعث الله إليهم إبليس، فقتلهم إبليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال، ثم خلق آدم وأسكنه إياها فلذلك قال: ﴿**إني جاعل في الأرض خليفة**﴾.

وقال سفيان الثوري(٢٣١): عن عطاء بن السائب، عن ابن سابط ﴿**إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء**﴾ قال: يعنون به[٤] بني آدم.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: قال الله للملائكة: إني أريد أن أخلق في الأرض خلقًا وأجعل فيها خليفة، وليس لله -عز وجل- خلق إلا الملائكة، والأرض ليس فيها خلق، قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها!.

وقد تقدّم ما رواه السُّدّي، عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من الصحابة أن الله أعلم الملائكة بما تفعله[٥] ذرّية آدم، فقالت الملائكة ذلك، وتقدم آنفًا ما رواه الضحاك، عن ابن عباس أن الجن أفسدوا في الأرض قبل بني آدم، فقالت الملائكة ذلك، فقاسوا هؤلاء بأولئك.

وقال ابن أبي حاتم(٢٣٢): حدثنا أبي، حدثنا علي بن محمد الطنافسي، حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن بُكَير بن الأخنس، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو، قال: كان الجن[٦] بنو الجان، في الأرض قبل أن يُخلق آدم بألفي سنة، فأفسدوا في الأرض، وسفكوا الدماء، فبعث الله جندًا من الملائكة فضربوهم حتى ألحقوهم بجزائر البحور، فقال الله للملائكة: ﴿**إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء قال إني أعلم ما لاتعلمون**﴾.

---

(٢٣٠) - **ضعيف، منقطع** والحديث في تفسير ابن جرير ٦٠١ - (١/ ٤٥٠). وروى الحاكم معناه (٢/ ٢٦١).

(٢٣١) - رواه ابن جرير (٦٠٣، ٦٠٨)، وابن أبي حاتم (٣٢٧).

(٢٣٢) - تفسير ابن أبي حاتم ٣٢٢ - (١/ ١٠٩)، ورواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٦١) بسنده من طريق أبي معاوية، عن ابن عباس - لا عن عبد الله بن عمرو - وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٢] - في ز، خ: «عمر».
[٣] - سقط من: ز، خ.
[٤] - سقط من: ز، خ.
[٥] - في خ: «يفعله» وفي ز: يفعل.
[٦] - سقط من: ز، خ.

وقال أبو جعفر الرازي: عن الربيع [بن أنس][١] ، عن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿ **إني جاعل في الأرض خليفة** ﴾ إلى قوله ﴿ **وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون** ﴾ . قال: خلق الله الملائكة يوم الأربعاء ، وخلق الجن يوم الخميس ، وخلق آدم يوم الجمعة ؛ فكفر قوم من الجن ، فكانت الملائكة تهبط إليهم في الأرض فتقاتلهم [ببغيهم][٢] فكانت الدماء بينهم ، وكان[٣] الفساد في الأرض ، فمن ثم قالوا: ﴿ **أتجعل فيها من يفسد فيها** ﴾ كما أفسدت الجن ﴿ **ويسفك الدماء** ﴾ كما سفكوا.

قال ابن أبي حاتم(٢٣٣) : وحدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا مبارك بن فضالة ، حدثنا الحسن قال: قال الله للملائكة : ﴿ **إني جاعل في الأرض خليفة** ﴾ ، قال لهم: إني فاعل. [أفاضوا برأيهم][٤] ، فعلمهم علمًا وطوى عنهم علمًا ، علمه ولم يعلموه ، فقالوا بالعلم الذي علمهم : ﴿ **أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء** ﴾ ﴿ **قال إني أعلم ما لاتعلمون** ﴾ .

قال الحسن: إن الجن كانوا في الأرض يفسدون ويسفكون الدماء ، ولكن جعل الله في قلوبهم أن ذلك سيكون ، فقالوا بالقول الذي عَلَّمهم .

وقال عبد الرزاق(٢٣٤) عن معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ **أتجعل فيها من يفسد فيها** ﴾ .

كان الله[٥] أعلمهم أنه إذا كان في الأرض خَلْق أفسدوا فيها وسفكوا الدماء ، فذلك حين قالوا : ﴿ **أتجعل فيها من يفسد فيها** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم(٢٣٥) : حدثنا أبي ، حدثنا هشام الرازي ، حدثنا ابن المبارك ، عن معروف ،

(٢٣٣) - تفسير ابن أبي حاتم ٣٢٤ - (١١٠/١) ، ورواه ابن جرير (٦١١) ، ومبارك بن فضالة مدلس ؛ إلا أنه صرح بالتحديث .

(٢٣٤) - تفسير عبد الرزاق (٤٢/١) ومن طريقه ابن جرير (٦١٠) ، وابن أبي حاتم (٣٢٦) .

(٢٣٥) - تفسير ابن أبي حاتم ٣٢٨ - (١١٢/١) ، وهو ضعيف لجهالة الراوي عن أبي جعفر ، ومعروف بن خربوذ - مولى عثمان ، قال ابن أبي خيثمة عن ابن معين : ضعيف . وقال أبو حاتم : يكتب حديثه ، قال : ويقال : إن الناس أخذوا عنه شعر بديل ، وذكره ابن حبان في الثقات ، له في البخاري حديثه عن أبي الطفيل ، عن علي ، في العلم ، وعند الباقين حديثه عن أبي الطفيل أنه رأى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في الحج . قلت : وقال أحمد : ما أدري كيف حديثه . وقال الساجي : صدوق . وقال ابن حبان =

[١] - سقط من: ز ، خ.
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز : فكان .
[٤] - من " ز " و ابن أبي حاتم ، وفي ت : [آمنوا بربهم] .
[٥] - سقط من: ز ، خ.

يعني ابن خَرّبوذ المكي، عمن سمع أبا جعفر محمد بن علي يقول: السِّجِلّ ملك، وكان هاروت وماروت من أعوانه، وكان له في[١] كل يوم ثلاث لمحات ينظرهن في أمّ الكتاب، فنظر نظرة لم تكن له فأبصر فيها خلق آدم وما فيه من الأمور، فأَسَرَّ ذلك إلى هاروت وماروت، وكانا من أعوانه، فلما قال اللّه تعالى: ﴿**إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء**﴾. قالا[٢] ذلك استطالة على الملائكة.

وهذا أثر غريب، وبتقدير صحته إلى أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين الباقر، فهو نقله عن أهل الكتاب، وفيه نكارة توجب ردّه، واللّه أعلم. ومقتضاه: أن الذين قالوا ذلك إنما كانوا اثنين فقط، وهو خلاف السياق.

وأغرب منه ما رواه ابن أبي حاتم أيضًا، حيث قال(٢٣٦): حدثنا أبي، حدثنا هشام بن عبيد[٣] اللّه، حدّثنا عبد اللّه بن يحيى بن أبي كثير، قال سمعت أبي يقول: إنّ الملائكة الذين قالوا ﴿**أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك**﴾ كانوا عشرة آلاف، فخرجت نار من عند اللّه فأحرقتهم.

= في الضعفاء: كان يشتري الكتب فيحدث بها ثم تغير حفظه، فكان يحدث على التوهم، فكأنه ترجم لغيره، فإن هذه الصفة مفقودة في حديث معروف (التهذيب).

وهشام بن عبيد اللّه الرازي السِبتي، بكسر السين المهملة، قال أبو حاتم الرازي: صدوق، وقد قال أبو حاتم: ما رأيت أعظم قدرًا منه، ومن أبي مسهر بدمشق، وكان يقول: لقيت ألفًا وسبعمائة شيخ وانفقت في العلم سبعمائة ألف درهم، وأما ابن حبان فذكره في الضعفاء فقال: كان يهم ويخطئ على الثقات، وروى عن ابن أبي ذئب، عن نافع، عن ابن عمر رفعه: «**الدجاج غنم فقراء أمتي، والجمعة حج فقرائها**» وروى عن مالك، عن الزهري، عن أنس مرفوعًا: «**مثل أمتي مثل المطر ...**» الحديث، قال الذهبي في الميزان: كلاهما باطلان.

قلت: ذكر الدارقطني أنه تفرد بحديث مالك، وأنه وهم فيه، فدخل عليه حديث في حديث، وأما الأول: فأخرجه ابن حبان، عن عبد اللّه بن محمد القيراطي، عن عبد اللّه بن يزيد محمش عنه، ومحمش تقدم في العبادلة - في الميزان أنه كان يتهم بوضع الحديث فبرئ هشام من عهدته. اهـ من التهذيب.

(٢٣٦) - تفسير ابن أبي حاتم ٣٢٩ - (١١٢/١)، وعبد اللّه بن يحيى بن أبي كثير اليمامي روى عن أبيه وجعفر بن محمد بن علي، قال أبو طالب عن أحمد: ثقة لا بأس به. وقال أبو حاتم: صدوق. وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن عدي: لم أجد للمتقدمين فيه كلامًا، ولا أعرف له ما أنكره؛ إلا حديث النهي عن أكل أذني القلب، ورواه عن أبيه، عن رجل من الأنصار مرفوعًا، وأرجو أنه لا بأس به. قلت: قال البخاري: أثنى عليه مسدد لقيه باليمامة أي عبد اللّه. التهذيب.

وأما يحيى بن أبي كثير: فهو كثير الإرسال، ومراسيله قال عنها يحيى القطان: شبه الريح.

---

[١] - سقط من ز. [٢] - في ز: قالوا.

[٣] - في خ: «ابن أبي عبد اللّه».

وهذا أيضًا إسرائيلي منكر كالذي قبله، والله أعلم.

قال ابن جريج(٢٣٧) : إنما تكلموا بما أعلمهم الله[١] أنه كائن من خلق آدم، فقالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء.

قال ابن جرير: وقال بعضهم: إنما قالت الملائكة ما قالت: ﴿**أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء**﴾؛ لأنّ الله أذن لها[٢] في السؤال عن ذلك، بعد ما أخبرها[٣] أن ذلك كائن من بني آدم، فسألته الملائكة فقالت - على[٤] التعجب منها -: وكيف يعصونك يارب وأنت خالقهم؟ فأجابهم ربهم: ﴿**إني أعلم ما لاتعلمون**﴾ يعني: أن ذلك كائن منهم وإن لم تعلموه أنتم [ومن بعض ما][٥] ترونه لي طائعًا.

قال: وقال بعضهم ذلك من الملائكة على وجه الاسترشاد عما لم يعلموا من ذلك، فكأنهم قالوا: يارب! خبرنا، مسألة استخبار منهم، لا على وجه الإنكار. واختاره ابن جرير.

[وقال سعيد، عن قتادة قوله تعالى: ﴿**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة**﴾ قال: استشار الملائكة في خلق آدم، فقالوا: ﴿**أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء**﴾ وقد علمت الملائكة أنه لاشيء أكره عند الله من سفك الدماء والفساد في الأرض ﴿**ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لاتعلمون**﴾. فكان في علم الله أنه سيكون من تلك الخليقة أنبياء ورسل وقوم صالحون وساكنوا الجنة، قال: وذكر لنا عن ابن عباس أنه كان يقول: إن الله لما أخذ في خلق آدم عليه السلام، قالت الملائكة: ما الله خالق خلقًا أكرم عليه منا ولا أعلم منا، فابتلوا بخلق آدم - وكل خَلْق مُبتَلى - كما ابتُليت السموات والأرض بالطاعة، فقال الله تعالى ﴿**ائتيا طوعًا أو كرها قالتا أتينا طائعين**﴾

وقوله تعالى][٦] : ﴿**ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك**﴾ قال عبد الرزاق(٢٣٨) عن معمر، عن قتادة: التسبيحُ: التسبيحُ، والتقديس: الصلاة.

وقال السدي(٢٣٩) : عن أبي مالك، وعن أبي صالح عن ابن عباس - وعن مرة، عن ابن

---

(٢٣٧) - أخرجه ابن جرير ٦١٦ - (٤٦٩/١).

(٢٣٨) - تفسير عبد الرزاق (٤٢/١).

(٢٣٩) - رواه ابن جرير (٦١١).

---

[١] - سقط من ز.

[٢] - في ت: لهم.

[٣] - في ت: أخبرهم.

[٤] - سقط من: ز، خ.

[٥] - في ز: ومن يعصيني ممن.

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

مسعود، وعن ناس من الصحابة ﴿**ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك**﴾ قال: يقولون: نصلي لك.

وقال مجاهد: ﴿**ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك**﴾ قال: نعظمك ونكبرك.

وقال الضحاك: التقديس: التطهير.

وقال محمد بن إسحاق: ﴿**ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك**﴾ قال: لانعصي، ولا نأتي شيئًا تكرهه.

وقال ابن جرير: التقديس هو التعظيم والتطهير، ومنه قولهم: سبوح قُدُّوس، يعني بقولهم: سبوح: تنزيه له[١]، وبقولهم: قدوس: طهارة وتعظيم له، وكذلك[٢] قيل للأرض: أرض مقدّسة، يعني بذلك المطهرة. فمعنى قول الملائكة إذًا: ﴿**ونحن نسبح بحمدك**﴾، ننزهك ونبرئك مما يضيفه إليك أهلُ الشرك بك ﴿**ونقدس لك**﴾، ننسبك إلى ما هو من صفاتك، من الطهارة من الأدناس وما أضاف إليك أهل الكفر بك.

[وفي صحيح مسلم(٢٤٠)، عن أبي ذرّ - رضي الله عنه - أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل: أي الكلام أفضل؟ قال: «**ما اصطفى الله لملائكته: سبحان الله وبحمده**».

وروى البيهقي(٢٤١) عن عبد الرحمن بن قرط أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أُسري به سمع تسبيحًا في السموات العلى: «**سبحان العلي الأعلى، سبحانه وتعالى**»][٣]. ﴿**قال إني أعلم ما لاتعلمون**﴾ و[٤] قال قتادة: فكان في علم الله أنه سيكون في[٥] تلك الخليقة[٦] أنبياء

(٢٤٠) - رواه مسلم في الذكر والدعاء والتوبة، برقم (٢٧٣١). ورواه الترمذي في الدعوات برقم (٣٥٩٣). ورواه أحمد (١٦١/٥) والبخاري في الأدب (٦٣٨).

(٢٤١) - رواه الطبراني في الأوسط (٣٧٤٢)، وكذا عزاه للبيهقي في الأسماء والصفات السيوطي في الدر (١٨٣/٤). ورواه أبو نعيم في الحلية (٧/٢) من طريق مسكين بن ميمون، عن عروة بن رويم، عن عبد الرحمن بن قرط، رضي الله عنه، به، مرفوعًا، ومسكين بن ميمون: قال الذهبي (١٠١/٤): لا أعرفه، وخبره منكر، وذكر له هذا الحديث، وكذا تبعه الحافظ في اللسان (٢٨/٦)، والهيثمي في المجمع (٧٨/١)، ومسكين هذا وثقه ابن معين (٤٧١/٤ تاريخ الدوري) وأورده ابن شاهين في الثقات، وابن حبان (٥٠٥/٧)، وعبد الرحمن بن قرط الثمالي الحمصي: قال ابن معين والبخاري وأبو حاتم: كان من أهل الصفة، وروى البخاري وابن السكن من طريق سكين المؤذن: حدثني عروة بن رويم، عن عبد الرحمن بن قرط أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ليلة أسري به إلى المسجد الأقصى كان بين المقام =

[١] - في ز: لله.
[٢] - في ز: ولذلك.
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٤] - زيادة من: خ.
[٥] - في ز: من.
[٦] - في ز: الخليفة.

ورسل وقوم صالحون وساكنو الجنة.

وسيأتي عن ابن مسعود وابن عباس وغير[١] واحد من الصحابة والتابعين أقوال في حكمة قوله تعالى: ﴿قال إني أعلم ما لاتعلمون﴾.

[وقد استدل القرطبي وغيره بهذه الآية على وجوب نصب الخليفة ليفصل بين الناس فيما اختلفوا فيه، ويقطع تنازعهم، وينتصر لمظلومهم من ظالمهم، ويقيم الحدود، ويزجر عن تعاطي الفواحش، إلى غير ذلك من الأمور المهمة التي لا تمكن إقامتها إلا بالإمام، وما لايتم الواجب إلا به فهو واجب.

والإمامة تُنال بالنص، كما يقوله طائفة من أهل السنة في أبي بكر، أو بالإيماء إليه كما يقول آخرون منهم، أو باستخلاف الخليفة آخر بعده. كما فعل الصديق بعمر بن الخطاب، أو بتركه شورى في جماعة صالحين كذلك كما فعله عمر، أو باجتماع أهل الحل والعقد على مبايعته، أو بمبايعة واحد منهم له فيجب التزامها عند الجمهور، وحكى على ذلك إمام الحرمين الإجماع، والله أعلم.

أو بقهر واحد الناس على طاعته فتجب لئلا يؤدّي ذلك إلى الشقاق والاختلاف، وقد نص عليه الشافعي.

وهل يجب الإشهاد على عقد الإمامة؟ فيه خلاف؛ فمنهم من قال: لا يشترط، وقيل: بلى، ويكفي شاهدان، وقال الجبائي: يجب أربعة، وعاقد ومعقود له، كما ترك عمر - رضي الله عنه - الأمر شورى بين ستة، فوقع الأمر على عاقد وهو عبد الرحمن بن عوف، ومعقود له وهو عثمان، واستنبط وجوب الأربعة الشهود من الأربعة الباقين، وفي هذا نظر، والله أعلم.

ويجب أن يكون ذكرًا حرًا بالغًا عاقلًا مسلمًا عدلًا مجتهدًا بصيرًا سليم الأعضاء خبيرًا بالحروب والآراء قرشيًا على الصحيح، ولا يشترط الهاشمي، ولا المعصوم من الخطأ، خلافًا للغلاة الروافض، ولو فسق الإمام هل ينعزل أم لا؟ فيه خلاف، والصحيح أنه لا ينعزل لقوله - عليه الصلاة والسلام - «**إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان**»(٢٤٢).

= وزمزم، جبرائيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، فطارا به حتى بلغ السماوات السبع، فلما رجع قال: سمعت تسبيحًا في السماوات العلا .... الحديث. وأخرجه سعيد بن منصور، عن سكين لكن أرسله.
وسيأتي عند تفسير الآية: ٤٤ من سورة الإسراء.

(٢٤٢) - رواه البخاري في الفتن، باب: قول النبي، صلى الله عليه وسلم: **سترون بعدي أمورًا** برقم (٧٠٥٥)، ومسلم في الإمارة برقم ٤٢ - (١٧٠٩) من حديث عبادة بن الصامت، رضي الله عنه.

[١] - في خ: «وعن».

وهل له أن يعزل نفسه ؟ فيه خلاف ، وقد عزل الحسن بن علي - رضي الله عنه - نفسه وسلم الأمر إلى معاوية ، لكن هذا لعذر ، وقد مُدح على ذلك .

فأما نصب إمامين في الأرض أو أكثر فلا يجوز ؛ لقوله - عليه الصلاة والسلام - « **من جاءكم وأمركم جميع يريد أن يفرق بينكم فاقتلوه كائنًا من كان** »(٢٤٣) .

وهذا قول الجمهور ، وقد حكى الإجماع على ذلك غيرُ واحدٍ ؛ منهم إمام الحرمين ، وقالت الكرامية : يجوز اثنين فأكثر ، كما كان علي ومعاوية إمامين واجبي الطاعة ، قالوا : وإذا جاز بعث نبيين في وقت واحد وأكثر ، جاز ذلك في الإمامة ؛ لأن النبوة أعلى رتبة بلا خلاف ، وحكى إمام الحرمين عن الأستاذ أبي إسحاق أنه جوّز نصب إمامين فأكثر إذا تباعدت الأقطار واتسعت الأقاليم بينهما ، وتردد إمام الحرمين في ذلك

قلت : وهذا يشبه حال خلفاء بني العباس بالعراق ، والفاطميين بمصر ، والأمويين بالمغرب ، ولنقرر هذا كله في موضع آخر من كتاب « الأحكام » . إن شاء الله تعالى][١] .

وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبۡحَـٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٣٣﴾

هذا مقام ذَكَرَ الله تعالى فيه شرف آدم على الملائكة ، بما اختصه [به][٢] من علم أسماء كل شيء دونهم ، وهذا كان بعد سجودهم له ، وإنما قدّم هذا الفصل على ذاك لمناسبة ما بين هذا المقام وعدم علمهم بحكمة[٣] خلق الخليفة[٤] ، حين سألوا عن ذلك ، فأخبرهم تعالى بأنه يعلم ما لايعلمون ؛ ولهذا ذكر الله هذا المقام عقيب هذا ؛ ليبين لهم شرف آدم بما فضل به عليهم في العلم ، فقال تعالى : ﴿**وعلم آدم الأسماء كلها**﴾ .

(٢٤٣) - رواه مسلم في الإمارة من صحيحه برقم ٦٠ - (١٨٥٢) من حديث عرفجة ، رضي الله عنه .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - زيادة من ز .
[٣] - في خ : « بحكم » .
[٤] - في خ : « الخليقة » .

وقال السدي عمن حدّثه عن ابن عباس(٢٤٤) : ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ قال: علمه[١] أسماء ولده إنسانًا [إنسانًا][٢] والدواب، فقيل: هذا الحمار، هذا الجمل، هذا الفرس.

وقال الضحاك عن ابن عباس(٢٤٥) : ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ [قال: هي هذه الأسماء][٣] التي يتعارف بها الناس إنسان، ودواب[٤]، وسماء[٥]، وأرض، وسهل، وبحر، وخيل[٦]، وحمار، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها.

وروى ابن أبي حاتم وابن جرير(٢٤٦) من حديث عاصم بن كليب عن سعيد بن معبد[٧]، عن ابن عباس: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ قال: علمه اسم الصحفة والقدر؟ قال: نعم حتى الفسوة والفُسَيَّة[٨].

وقال مجاهد: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ قال: علمه[٩] اسم كل دابة، وكل طير، وكل شيء.

وكذلك رُوي عن سعيد بن جبير وقتادة وغيرهم من السلف أنه علمه أسماء كل شيء. وقال الربيع في رواية عنه: أسماء الملائكة.

وقال حميد الشامي: أسماء النجوم.

وقال عبد الرحمن بن زيد: علمه أسماء ذريته كلهم.

واختار ابن جرير أنه علمه أسماء الملائكة وأسماء الذرية؛ لأنه قال: ﴿ثم عرضهم﴾ وهذا عبارة عما يعقل. وهذا الذي رجح به ليس بلازم، فإنه لا ينفي أن يدخل معهم غيرهم، ويعبر عن الجميع بصيغة من يعقل للتغليب. كما قال تعالى: ﴿والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن

(٢٤٤) - ابن أبي حاتم (٣٤٠)، وسنده ضعيف.
(٢٤٥) - ابن جرير (٦٤٦)، وسنده ضعيف.
(٢٤٦) - تفسير ابن أبي حاتم ٣٤١ - (١/١١٥)، ورواه ابن جرير ٦٥١ - (١/٤٨٣)، وسعيد بن معبد: ذكره البخاري (٢/١/٤٦٨)، وابن أبي حاتم (٢/١/٦٣) ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً.

[١] - في ز، خ: «عرض عليه».
[٢] - سقط من ز.
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.
[٤] - في ز، خ: «دابة».
[٥] - سقط من: ز، خ.
[٦] - في ز، خ: «جمل».
[٧] - في خ: «سعيد».
[٨] - في خ: «الفسو».
[٩] - في ز: علم.

الله على كل شيء قدير﴾.

[وقد قرأ عبد الله بن مسعود ﴿ ثم عرضهن ﴾ . وقرأ أبي بن كعب : ﴿ ثم عرضها ﴾ ، أي : السموات][١] .

والصحيح أنه علمه أسماء الأشياء كلها ذواتها وصفاتها[٢] وأفعالها ، كما قال ابن عباس : حتى الفسوة والفُسَيّة ، يعني : أسماء الذوات والأفعال المكبر والمصغر ؛ ولهذا قال البخاري في تفسير هذه الآية في[٣] كتاب التفسير من صحيحه(٢٤٧) :

حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدّثنا هشام ، حدثنا قتادة ، عن أنس بن مالك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال- وقال لي خليفة : حدّثنا يزيد بن زُرَيع ، حدّثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « يجتمع المؤمنون يوم القيامة ، فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا ؟ فيأتون آدم فيقولون : أنت أبو الناس ، خلقك الله بيده ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء ، فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا ، فيقول : لست هُنَاكُم ، ويذكر ذنبه فيستحي ، فيقول[٤] : ائتوا نوحًا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض ، فيأتونه فيقول : لست هناكم ، ويذكر سؤاله ربه ما ليس له به علم فيستحي ، فيقول : ائتوا خليل الرحمن ، فيأتونه ، فيقول : لست هناكم . فيقول[٥] : ائتوا موسى عبدًا كلمه[٦] الله وأعطاه التوراة ، فيأتونه ، فيقول : لست هناكم . ويذكر قتل النفس بغير نفس ؛ فيستحي من ربه . فيقول[٧] : ائتوا عيسى عَبْدَ الله ورسوله وكَلِمَةَ الله وروحه ، فيأتونه[٨] ، فيقول : لست هناكم ، ائتوا محمدًا عبدًا غَفَر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فيأتوني ، فأنطلق حتى أستأذن على ربي فيؤذن لي ، فإذا رأيت ربي وقعتُ ساجدًا ، فيدعني ما شاء الله ، ثم يقال : ارفع رأسك ، وسل تعطه ، وقُل يسمع ، واشفع تشفع ، فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه ، ثم أشفع فَيَحُدُّ لي حدًّا فأدخلهم الجنة ، ثم أعود إليه ، فإذا[٩] رأيت ربي مثله ، ثم أشفع فيحد لي حدًّا فأدخلهم الجنة ، [ثم أعود الثالثة][١٠] ، ثم أعود الرابعة فأقول : ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود .

هكذا ساق البخاري هذا الحديث هاهنا ، وقد رواه مسلم والنسائي من حديث هشام ، وهو ابن

---

(٢٤٧) - البخاري في كتاب التفسير باب : وعلم آدم الأسماء كلها برقم (٤٤٧٦) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ز : من .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في خ : « كلم » .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - سقط من ز .
[٩] - في ز : وإذا .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

أبي عبد الله الدستوائي، عن قتادة، به(٢٤٨).

وأخرجه مسلم والنسائي وابن ماجة من حديث سعيد، و[١] هو ابن أبي عروبة، عن قتادة(٢٤٩).

ووجه إيراده هاهنا والمقصود منه قوله - عليه الصلاة والسلام - «فيأتون آدم فيقولون: أنت أبو الناس خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء».

فدل هذا على[٢] أنه علمه[٣] أسماء جميع المخلوقات؛ ولهذا قال ﴿**ثم عرضهم على الملائكة**﴾ يعني المسميات، كما قال عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن قتادة قال: ثم عرض تلك الأسماء على الملائكة: ﴿**فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين**﴾.

وقال السدي في تفسيره(٢٥٠): عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس - وعن مرّة، عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة ﴿**وعلم آدم الأسماء كلها**﴾ ثم عرض الخلْق على الملائكة.

وقال ابن جريج، عن مجاهد ﴿**ثم عرضهم**﴾: عرض أصحاب الأسماء على الملائكة.

وقال ابن جرير(٢٥١): حدثنا القاسم، حدثنا الحسين، حدثني الحجاج، عن جرير بن حازم ومبارك بن فضالة، عن الحسن - وأبي بكر، عن الحسن وقتادة - قالا: علمه اسم كل شيء، [وجعل يسمي كل شيء][٤] باسمه، وعُرضت عليه أمّة، أمّة.

وبهذا الإسناد عن الحسن وقتادة، في قوله تعالى: ﴿**إن كنتم صادقين**﴾. إني لم أخلق خلقًا إلا كنتم أعلم منه، فأخبروني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين.

وقال الضحاك: عن ابن عباس(٢٥٢): ﴿**إن كنتم صادقين**﴾ إن كنتم تعلمون أني[٥] لم

(٢٤٨) - مسلم في الإيمان برقم (١٩٣)، والنسائي في الكبرى برقم (١٠٩٨٤).
(٢٤٩) - مسلم في الإيمان برقم (١٩٣)، والنسائي في الكبرى برقم (١١٢٤٣)، وابن ماجة في الزهد، باب: ذكر الشفاعة برقم (٤٣١٢).
(٢٥٠) - رواه ابن جرير (٦٦٢)، وابن أبي حاتم (٣٤٥).
(٢٥١) - رواه ابن جرير (٦٦٧).
(٢٥٢) - رواه ابن جرير (٦٧١)، وسنده ضعيف.

[١] - سقط من ز.
[٢] - سقط من ز.
[٣] - سقط من ز.
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.
[٥] - سقط من ز.

أجعل في الأرض خليفة.

وقال السدي(٢٥٣) عن أبي مالك، وعن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مرّة، عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة: ﴿إن كنتم صادقين﴾ أنّ بني آدم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء.

وقال ابن جرير: وأولى الأقوال في ذلك تأويل ابن عباس ومن قال بقوله، ومعنى ذلك فقال: أنبئوني بأسماء من عَرَضْتُه عليكم أيها[١] الملائكة القائلون: أتجعل فيها[٢] من يفسد فيها[٣] ويسفك الدماء؟ من غيرنا، أم منا، فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك إن كنتم صادقين في قِيلكم، إني إنْ جعلت خليفتي في الأرض من غيركم عصاني و[٤] ذريته وأفسدوا وسفكوا الدماء، وإن جعلتكم فيها أطعتموني واتبعتم[٥] أمري بالتعظيم لي والتقديس، فإذا[٦] كنتم لاتعلمون أسماء هؤلاء الذين عرضت عليكم وأنتم تشاهدونهم، فأنتم بما هو غير موجود من الأمور الكائنة التي لم توجد أحرى أن تكونوا[٧] غير عالمين. **﴿قالوا سبحانك لاعلم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾.**

هذا تقديس وتنزيه من الملائكة للّه تعالى أن يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء، وأن يعلموا شيئًا إلا ما علمهم اللّه تعالى؛ ولهذا قالوا: **﴿سبحانك لاعلم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم [الحكيم][٨]﴾** أي: العليم بكل شيء، الحكيم في خلقك وأمرك، وفي تعليمك من تشاء ومنعك من تشاء، لك الحكمة في ذلك والعدل التام.

قال ابن أبي حاتم(٢٥٤): حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا حفص بن غياث، عن حجاج، عن ابن أبي مليكة، عن ابن عباس: سبحان اللّه. قال: تنزيه اللّه نفسه عن السوء، قال[٩]: ثم قال عمر لعلي - وأصحابه عنده -: لا إله إلا اللّه قد عرفناها، فما سبحان اللّه؟ فقال له علي: كلمة أحبها اللّه لنفسه، ورضيها، وأحب أن تقال.

---

(٢٥٣) - رواه ابن جرير (٦٧٢).

(٢٥٤) - **إسناده ضعيف**، والحديث في تفسير ابن أبي حاتم ٣٤٧ - (١/١١٧). والحجاج هو ابن أرطأة مدلس وقد عنعن.

---

[١] - في ز: أيتها.
[٢] - في ز: في الأرض.
[٣] - في ز: في الأرض.
[٤] - سقط من ز.
[٥] - في ز، خ: «أتيتم».
[٦] - في ز: فإذًا إذا.
[٧] - في خ: «يكونوا».
[٨] - سقط من: خ.
[٩] - زيادة من: ز، خ.

قال(٢٥٥) : وحدثنا أبي، حدثنا ابن نفيل، حدثنا النضر بن عربي[١] قال: سأل رجل ميمون ابن مهران عن «سبحان الله» قال[٢] : اسم يُعَظِّمُ اللّه به ويحاشى به من السوء.

وقوله تعالى: ﴿**قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون**﴾.

قال زيد بن أسلم: قال: أنت جبرائيل، أنت ميكائيل، أنت إسرافيل، حتى عدّد الأسماء كلها، حتى بلغ الغراب.

وقال مجاهد في قول اللّه: ﴿**قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم**﴾ قال اسم الحمامة، والغراب، واسم كل شيء.

وروي عن سعيد بن جبير، والحسن، وقتادة نحو ذلك. فلما ظهر فضل آدم - عليه السلام - على الملائكة - عليهم السلام - في سرده ما[٣] علمه اللّه تعالى من أسماء الأشياء، قال اللّه تعالى للملائكة: ﴿**ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون**﴾ أي: ألم أتقدم إليكم أني أعلم الغيب الظاهر والخفي؛ كما قال تعالى: ﴿**وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى**﴾. وكما قال تعالى إخبارًا عن الهدهد أنه قال لسليمان: ﴿**ألا يسجدوا للّه الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون اللّه لا إله إلا هو رب العرش العظيم**﴾.

وقيل في معنى[٤] قوله تعالى ﴿**وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون**﴾ غيرُ ما ذكرناه؛ فروى الضحاك عن ابن عباس ﴿**وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون**﴾ قال: يقول[٥] : أعلم السر كما أعلم العلانية، يعني ما كتَم إبليس في نفسه من الكبر والاغترار.

وقال السدي(٢٥٦) : عن أبي مالك، وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابه قال: قولهم: ﴿**أتجعل فيها من يفسد فيها** [**ويسفك الدماء**﴾. الآية][٦] . فهذا الذي أبدوا ﴿**وما كنتم تكتمون**﴾ يعني: ما أسر إبليس في نفسه من الكبر، وكذلك قال سعيد بن جبير ومجاهد والسدي والضحاك والثوري، [واختاره مالك و][٧] ابن

(٢٥٥) - تفسير ابن أبي حاتم ٣٤٨ - (١١٧/١)، وإسناده حسن.

(٢٥٦) - رواه ابن جرير (٦٧٩).

---

[١] - في ز، خ: «عدي».

[٢] - في ز، خ: «فقال».

[٣] - في ز: من.

[٤] - زيادة من ز.

[٥] - زيادة من: ز، خ.

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

[٧] - في ت: «اختار ذلك».

جرير .

وقال أبو العالية والربيع بن أنس والحسن وقتادة : هو قولهم : لم يخلق ربنا خلقًا إلا كنا أعلم منه وأكرم عليه منه .

وقال أبو جعفر الرازي : عن الربيع بن أنس : ﴿ **وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون** ﴾ فكان الذي أبدوا هو[١] قولهم : ﴿ **أتجعل فيها من يفسد فيها [ويسفك الدماء]**[٢] ﴾ وكان الذي كتموا بينهم قولهم : لم يخلق ربنا خلقًا إلا كنا[٣] نحن أعلم منه وأكرم . فعرفوا أن اللَّه فضل عليهم آدم في العلم والكرم .

وقال ابن جرير(٢٥٧) : حدّثنا يونس ، حدّثنا ابن وهب ، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قصة الملائكة وآدم فقال اللَّه للملائكة : كما لم تعلموا هذه الأسماء فليس لكم علم ، إنما أردت أن أجعلهم ليفسدوا فيها ، هذا عندي قد علمته ، ولذلك أخفيت عنكم أني أجعل فيها من يعصيني ومن يطيعني ، قال : وقد[٤] سبق من اللَّه ﴿ **لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين** ﴾ قال : ولم تعلم الملائكة ذلك ولم يدروه ، قال : فلما[٥] رأوا ما أعطى اللَّه آدم من العلم أقرّوا له بالفضل .

وقال ابن جرير : وأولى الأقوال في ذلك قول ابن عباس ، وهو أن معنى قوله تعالى ﴿ **وأعلم ما تبدون** ﴾ وأعلم - مع علمي غيب السموات والأرض - ما تظهرونه[٦] بألسنتكم ﴿ **وما كنتم [تكتمون** ﴾ تخفونه][٧] في أنفسكم ، فلا يخفى عليَّ شيء ، سواء عندي سرائركم وعلانيتكم .

والذي أظهروه بألسنتهم قولهم : أتجعل فيها من يفسد فيها ، والذي كانوا يكتمونه[٨] ما كان منطويا عليه إبليس من الخلاف على اللَّه في أوامره[٩] ، والتكبر عن طاعته .

قال : وصح ذلك كما تقول العرب : قُتِل الجيش وهُزموا ، وإنما قتل الواحد أو[١٠] البعض ، وهزم الواحد أو[١١] البعض ، فيخرج الخبر عن المهزوم منه و[١٢] المقتول مخرج الخبر عن جميعهم ، كما قال تعالى : ﴿ **إن الذين ينادونك من وراء الحجرات** ﴾ ذُكِر أن الذي نادى إنما كان واحدًا من بني تميم ، قال : وكذلك قوله : ﴿ **وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون** ﴾ .

---

(٢٥٧) - تفسير ابن جرير ٦٧٧ - (٤٩٧/١) . وسنده صحيح .

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في ز : ولما .
[٦] - في ت : تظهرون .
[٧] - في ت : تخفون .
[٨] - في ت : « يكتمون » .
[٩] - في ز : أمره .
[١٠] - في ز : و .
[١١] - في ز : و .
[١٢] - في ز ، خ : « أو » .

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾

وهذه كرامة عظيمة من اللَّه تعالى لآدم، امتن بها على ذريته، حيث أخبر أنه تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم، وقد دل على ذلك أحاديث أيضًا كثيرة، منها حديث الشفاعة المتقدم، وحديث موسى - عليه السلام - «**رب أرني آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنة، فلما اجتمع به قال: أنت آدم الذي خلقه اللَّه [١] بيده، ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته ...**»(٢٥٨). قال - وذكر الحديث كما سيأتي [إن شاء اللَّه][٢].

وقال ابن جرير(٢٥٩): حدّثنا أبو كريب، حدّثنا عثمان بن سعيد، حدّثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس قال: كان إبليس من حي من أحياء الملائكة يقال لهم: الجن، خلقوا من نار السموم، من بين الملائكة، وكان اسمه الحارث، وكان خازنًا من خزان الجنة، قال: وخلقت الملائكة كلهم من نور غير هذا الحي، قال: وخلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار، [وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا ألهبت.

قال: وخلق الإنسان من طين][٣]، فأول من سكن الأرض الجن فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء[٤]، وقتل بعضهم بعضًا.

قال: فبعث اللَّه إليهم إبليس في جند من الملائكة، وهم هذا الحي الذين[٥] يقال لهم: الجن - فقتلهم إبليس ومن معه، حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال، فلما فعل إبليس ذلك اغتر في نفسه، فقال: قد صنعت شيئًا لم يصنعه أحد.

قال: فاطلع اللَّه على ذلك من قلبه، ولم تطلع[٦] عليه الملائكة الذين كانوا معه، فقال اللَّه تعالى للملائكة الذين كانوا[٧] معه: ﴿**إني جاعل في الأرض خليفة**﴾ فقالت الملائكة مجيبين له: ﴿**أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء**﴾ كما أفسدت الجن وسفكت الدماء، وإنما بعثتنا عليهم لذلك؟ فقال اللَّه تعالى: ﴿**إني أعلم ما لاتعلمون**﴾. يقول: إني قد اطلعت

---

(٢٥٨) - رواه أبو داود في كتاب السنة، باب: في القدر، برقم (٤٧٠٢).

(٢٥٩) - تفسير ابن جرير ٦٠٦ - (١/٤٥٥)، وابن أبي حاتم (٣٦٦)، وأصله متفق عليه كما سيأتي إن شاء اللَّه.

---

[١] - سقط من.

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

[٤] - سقط من: ز، خ.

[٥] - في ز، خ: «الذي».

[٦] - في ز، خ: «يطلع».

[٧] - سقط من ز.

من[١] قلب إبليس على ما لم تطلعوا عليه من كبره واغتراره. قال: ثم أمر بتربة آدم فرفعت، فخلق اللَّه آدم من طين لازب، واللازب اللزج الصلب[٢]، من حمإٍ مسنون منتن، وإنما كان حمأً مسنونًا بعد التراب، فخلق منه آدم بيده.

قال: فمكث أربعين ليلة جسدًا ملقى، وكان[٣] إبليس يأتيه فيضربه برجله، فيصلصل [أي][٤] فيصوت قال: فهو قول اللَّه تعالى: ﴿**من صلصال كالفخار**﴾ يقول: كالشيء المنفرج الذي ليس بمصمت.

قال: ثم يدخل في فيه ويخرج من دبره، ويدخل من دبره ويخرج من فِيه، ثم يقول: لست شيئًا للصلصلة، وَلِشَيْءٍ مَا خُلِقْتَ ولئن سُلِّطت عليك لأهلكنك، ولئن سلطتَ عليَّ لأعصينك[٥].

قال: فلما نفخ اللَّه فيه من روحه، أتت النفخة من قِبل رأسه فجعل لايجري شيء منها في جسده إلا صار لحمًا ودمًا، فلما انتهت النفخة إلى سرته نظر إلى جسده فأعجبه [ما رأى من جسده][٦] فذهب لينهض فلم يقدر، فهو قول اللَّه تعالى: ﴿**وكان[٧] الإنسان عجولًا**﴾ قال: ضَجِرًا[٨] لا صبْرَ له على سراء ولا ضراء.

قال: فلما تمت النفخة في جسده عطس، فقال: «الحمد للَّه رب العالمين» - بإلهام اللَّه - فقال اللَّه له: «يرحمك اللَّه يا آدم!». قال: ثم قال تعالى: للملائكة الذين كانوا مع إبليس خاصة دون الملائكة الذين في السموات -: اسجدوا لآدم؛ فسجدوا كلهم أجمعون إلا إبليس أبى واستكبر، لما كان حدّث نفسه من الكبر والاغترار.

فقال: لا أسجد له، وأنا خير منه وأكبر سنًّا وأقوى خلقًا، خلقتني من نار وخلقته من طين. يقول: إن النار أقوى من الطين. قال: فلما أبىٰ إبليس أن يسجد أبلسه اللَّه، أي[٩]: آيسه من الخير كله، وجعله شيطانًا رجيمًا عقُوبة لمعصيته.

ثم علّم آدم الأسماء كلها، وهي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس إنسان ودابة، وأرض وسهل، وبحر وجبل وحمار، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها.

---

[١] - في ز، خ: «علي».
[٢] - في ز، خ: «الطيب».
[٣] - في خ: «فكان».
[٤] - سقط من: ز، خ.
[٥] - في ز، خ: «لأعطينك».
[٦] - ما بين المعكوفتين في خ: «فأعجبه».
[٧] - في ز: وخلق.
[٨] - في خ: «ضجر».
[٩] - سقط من: خ.

ثم عرض هذه الأسماء على أولئك الملائكة يعني: الملائكة الذين كانوا مع إبليس، الذين خلقوا من نار السموم وقال لهم: ﴿ **أنبئوني بأسماء هؤلاء** ﴾ أي[١] يقول: أخبروني بأسماء هؤلاء ﴿ **إن كنتم صادقين** ﴾ إن كنتم تعلمون لِم أجعل في الأرض خليفة.

قال: فلما علمت الملائكة موجدة الله عليهم فيما تكلموا به من علم الغيب، الذي لايعلمه غيره، الذي ليس لهم به علم ﴿ **قالوا سبحانك** ﴾ تنزيهًا لله من أن يكون أحد يعلم الغيب غيره - و[٢] تبنا إليك ﴿ **لاعلم لنا إلا ما علمتنا** ﴾ تبريًّا منهم من علم الغيب، إلا ما علمتنا كما علمت آدم فقال: ﴿ **يا آدم أنبئهم بأسمائهم** ﴾ يقول: أخبرهم بأسمائهم ﴿ **[فلما أنبأهم بأسمائهم]**[٣] **قال ألم أقل لكم** ﴾ أيتها[٤] الملائكة خاصة ﴿ **إني أعلم غيب السموات والأرض** ﴾ ولا يعلم غيري ﴿ **وأعلم ما تبدون** ﴾ يقول: ما تظهرون ﴿ **وما كنتم تكتمون** ﴾ يقول: أعلم السر كما أعلم العلانية، يعني ما كتم إبليس في نفسه من الكبر والاغترار.

هذا سياق غريب، وفيه أشياء فيها نظر، يطول مناقشتها، وهذا الإسناد إلى ابن عباس يروى به تفسير مشهور.

وقال السدي في تفسيره(٢٦٠) ، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس - وعن مرة، عن ابن مسعود، وعن أناس من أصحاب النبي[٥] صلى الله عليه وسلم لما فرغ الله من خلق ما أحب استوى على العرش، فجعل إبليس على مُلك السماء[٦] الدنيا، وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن، وإنما سموا الجن؛ لأنهم خزان الجنة، وكان إبليس مع مُلكه خازنًا، فوقع في صدره [كبر][٧] وقال: ما أعطاني الله هذا إلا لمزية لي على الملائكة.

فلما وقع ذلك الكبر في نفسه اطلع الله على ذلك منه فقال[٨] الله للملائكة: ﴿ **إني جاعل في الأرض خليفة** ﴾ فقالوا[٩] : ربنا؛ وما يكون ذلك الخليفة؟ قال: يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضًا.

قالوا: [ربنا] أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال: إني أعلم ما لاتعلمون . يعني: من شأن إبليس. فبعث الله[١٠] جبريل إلى الأرض ليأتيه

---

(٢٦٠) - رواه ابن جرير (٦٠٧).

---

[١] - سقط من: ز، خ.
[٢] - سقط من: خ.
[٣] - سقط من: ز، خ.
[٤] - في ز، خ: «أيها».
[٥] - في خ: «رسول الله».
[٦] - في ز: سماء.
[٧] - سقط من: ز، خ، وهي زيادة من الطبري.
[٨] - في خ: «وقال».
[٩] - في ز، خ: «قالوا».
[١٠] - سقط من: ز، خ.

بطين منها ، فقالت الأرض : إني أعوذ بالله منك أن تقبض[١] مني أو تشينني ، فرجع ولم يأخذ ، وقال : ربِ مني عاذت بك فأعذتها ، فبعث ميكائيل ، فعاذت منه فأعاذها[٢] ، فرجع فقال كما قال جبريل ، فبعث ملك الموت فعاذت منه ، فقال : وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفذ أمره ، فأخذ من وجه الأرض وخلط ، ولم يأخذ من مكان واحد ، وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء ؛ فلذلك خرج بنو آدم مختلفين ، فصعد به فَبَلّ التراب حتى عاد طينًا لازبًا ، واللازب هو الذي يلتزق بعضه ببعض ، ثم قال للملائكة : ﴿ **إني خالق بشرًا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين** ﴾ فخلقه الله بيده لئلا يتكبر إبليس عنه ، ليقول له : تتكبر عما عملت بيديّ ، ولم أتكبر أنا عنه بخلقه بشرًا ، فكان جسدًا من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة ، فمرّت به الملائكة ففزعوا منه لما رأوه ، وكان أشدهم فزعًا منه[٣] إبليس ، فكان يمّر به فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفخار تكون له صلصلة فذلك[٤] حين يقول : ﴿ **من صلصال كالفخار** ﴾ ويقول : لأمر ما خلقت .

ودخل من فيه فخرج من دبره ، وقال للملائكة : لاترهبوا من هذا ؛ فإن ربكم صمد وهذا أجوف ، لئن سلطت عليه لأهلكنه ، فلما بلغ الحين الذي يريد الله عز وجل أن ينفخ فيه الروح قال للملائكة : إذا نفختُ فيه من روحي فاسجدوا له ، فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح في رأسه عطس فقالت الملائكة : قل : الحمد لله ، [فقال : الحمد لله][٥] ، فقال له الله : « رحمك ربك » .

فلما دخلت الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة ، فلما دخل الروح إلى جوفه اشتهى الطعام ، فوثب قبل أن تبلغ الروح رجليه عجلان إلى ثمار الجنة ، فذلك حين يقول الله تعالى : ﴿ **خُلق الإنسان من عجل** ﴾ ﴿ **فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين** ﴾ ﴿ **أبى واستكبر وكان من الكافرين** ﴾ .

قال الله له : ما منعك أن تسجد إذ أمرتك لما خلقتُ بيدي ؟ قال : أنا خير منه ، لم أكن لأسجد لبشر[٦] خلقته من طين .

قال الله له : ﴿ **فاهبط**[٧] **منها فما يكون لك** ﴾ يعني ما ينبغي لك ﴿ **أن تتكبر فيها فاخرج**[٨] **إنك من الصاغرين** ﴾ والصغار هو الذل .

---

[١] - في تفسير الطبري : تنقص .
[٢] - في ز ، خ : « فعاذها » .
[٣] - زيادة في : خ .
[٤] - في ز، خ : « بذلك » .
[٥] - زيادة من : ز ، خ .
[٦] - في ز ، خ : « لمن » .
[٧] - في : اخرج .
[٨] - في ز ، خ : « اخرج » .

قال: ﴿**وعلم آدم الأسماء كلها**﴾ ثم عرض الخلق على الملائكة ﴿**فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين**﴾ أن بني آدم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء، فقالوا له[١]: ﴿**سبحانك لاعلم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم**﴾ قال الله: ﴿**يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون**﴾.

قال: قولهم: ﴿**أتجعل فيها من يفسد فيها**﴾ فهذا الذي أبدوا ﴿[**وما كنتم**][٢] **تكتمون**﴾ يعني ما أسر إبليس في نفسه من الكبر.

فهذا الإسناد إلى هؤلاء الصحابة مشهور في تفسير السّديّ، ويقع فيه إسرائيليات كثيرة، فلعل بعضها مدرج[٣] ليس من كلام الصحابة، أو أنهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة، والله أعلم. والحاكم يروي في مستدركه بهذا الإسناد بعينه أشياء، ويقول: على شرط البخاري(٢٦١).

والغرض أن الله تعالى لما أمر الملائكة بالسجود لآدم، دخل إبليس في خطابهم؛ لأنه - وإن لم يكن من عنصرهم - إلا أنه كان قد تشبه بهم وترسم[٤] بأفعالهم، فلهذا دخل في الخطاب لهم، وذم في مخالفة الأمر، وسنبسط المسألة إن شاء الله تعالى عند قوله تعالى: ﴿**إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه**﴾.

ولهذا قال محمد بن إسحاق، عن خلاد(٢٦٢)، عن عطاء، عن طاوس، عن ابن عباس قال: كان إبليس قبل أن يركب المعصية من الملائكة اسمه عزازيل، وكان من سكان الأرض، وكان من أشد الملائكة اجتهادًا، وأكثرهم علمًا، فذلك[٥] دعاه إلى الكبر، وكان من حي يسمون حنًّا[٦].

وفي رواية عن خلاد، عن عطاء، عن طاوس - أو مجاهد - عن ابن عباس، أو غيره، بنحوه(٢٦٣).

---

(٢٦١) - كذا قال الحافظ. ولم أقف على قول الحاكم: «على شرط البخاري»، وإنما يقول: «على شرط مسلم»، والله أعلم. والصواب - والله أعلم - أن الإسناد ليس على شرط واحدٍ منهما.

(٢٦٢) - رواه ابن جرير ٦٨٦ - (١/٥٠٢). وخلاد هو ابن عبد الرحمن، ثقة. ولكن السند إلى ابن إسحاق ضعيف.

(٢٦٣) - رواه ابن جرير ٦٨٧ - (١/٥٠٧). وإسناده كالذي قبله.

---

[١] - زيادة من ز.
[٢] - في ز: وأعلم ما.
[٣] - في ز، خ: «مدرجًا».
[٤] - في ت: «توسم».
[٥] - في ز: فلذلك.
[٦] - في ز، خ: «جنًّا».

وقال ابن أبي حاتم(٢٦٤) : حدثنا أبي ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا عباد - يعني ابن العوّام - عن سفيان بن حسين ، عن يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان إبليس اسمه عزازيل ، وكان من أشراف[١] الملائكة من ذوي الأجنحة الأربعة ، ثم أبلس[٢] بعد .

وقال سُنَيد[٣] ، عن حجاج، عن ابن جريج (٢٦٥) ، قال : قال ابن عباس : كان إبليس من أشراف الملائكة وأكرمهم قبيلة ، وكان خازنًا على الجنان ، وكان له سلطان سماء الدنيا ، وكان له سلطان على[٤] الأرض .

وهكذا روى الضحاك وغيره عن ابن عباس ، سواء(٢٦٦) .

وقال صالح مولى التَّوأمة[٥] (٢٦٧) عن ابن عباس : إن من الملائكة قَبيلًا يقال لهم : الجن ، وكان[٦] إبليس منهم ، وكان [يسوس][٧] مابين السماء والأرض ، فعصى ، فمسخه اللّه شيطانًا رجيمًا . رواه ابن جرير .

وقال قتادة ، عن سعيد بن المسيب : كان إبليس رئيس ملائكة سماء الدنيا(٢٦٨) .

وقال ابن جرير(٢٦٩) : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا عدي[٨] بن أبي عدي ، عن عوف ، عن الحسن قال : ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط ، وإنه لأصل الجن ، كما أن آدم أصل الإنس .

وهذا إسناد صحيح عن الحسن . وهكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم سواء .

---

(٢٦٤) - **رجال إسناده ثقات** ، والحديث في تفسير ابن أبي حاتم ٣٦٥ - (١٢٢/١) .

(٢٦٥) - **منقطع** ، ابن جريج لم يسمع من ابن عباس . والأثر رواه ابن جرير ٦٨٩ - (٥٠٣/١) .

(٢٦٦) - **منقطع** ، الضحاك لم يسمع من ابن عباس ، وهو عند ابن جرير (٦٨٥) .

(٢٦٧) - ابن جرير (٦٩٠ ، ٧٠٠) وصالح مولى التوأمة : صدوق ، اختلط ، وروى أثره هذا ابن كثير معلقًا ؛ فلم نعرف الراوي عنه ليتبين لنا هل روى عنه قبل الاختلاط أم بعده ؛ إلا أن ابن جرير رواه ٦٩٠ - (٥٠٤/١) من حديث ابن جريج ، عن صالح ، به . وابن جريج ممن روى عنه قبل الاختلاط . ورواه من طريق شريك بن أبي نمر برقم ٧٠٠ - (٥٠٧/١) .

(٢٦٨) - رواه ابن جرير ٦٩٢ - (٥٠٤/١) .

(٢٦٩) - رواه ابن جرير ٦٩٦ - (٥٠٦/١) .

---

[١] - في ز ، خ : « أشرف » .
[٢] - في خ : « إبليس » .
[٣] - في خ : « سفيان » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في خ : « التومة » .
[٦] - في ز : فكان .
[٧] - في ت : « يوسوس » .
[٨] - سقط من : ز ، خ .

وقال شهر بن حوشب: كان إبليس من الجن الذين طردتهم الملائكة، فأسره بعض الملائكة فذهب به إلى السماء. رواه ابن جرير.

وقال سنيد بن داود(٢٧٠): حدثنا هشيم، أنبأنا عبد الرحمن بن يحيىٰ، عن موسى بن نمير، وعثمان بن سعيد بن كامل، عن سعد بن مسعود قال: كانت الملائكة تقاتل الجن، فسبي إبليس وكان صغيرًا، فكان مع الملائكة، يتعبد[١] معها، فلما أمروا بالسجود لآدم سجدوا[٢]، فأبى إبليس فلذلك قال تعالى: ﴿**إلا إبليس كان من الجن**﴾.

وقال ابن جرير(٢٧١): حدثنا محمد بن سنان القزاز، حدثنا أبو عاصم، عن شريك، عن رجل، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: إن اللّٰه خلق خلقًا فقال: اسجدوا لآدم. فقالوا: لانفعل. فبعث اللّٰه عليهم نارًا فأحرقتهم[٣]. ثم خلق خلقًا آخر فقال: ﴿**إني خالق بشرًا من طين**﴾ اسجدوا لأدم. قال: فأبوا. فبعث اللّٰه عليهم نارًا فأحرقتهم. ثم خلق هؤلاء، فقال: اسجدوا لآدم. قالوا: نعم. وكان إبليس من أولئك الذين أبوا أن يسجدوا لآدم.

وهذا غريب ولا يكاد يصح إسناده، فإن فيه رجلًا مبهمًا ومثله لايحتج به، واللّٰه أعلم.

وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿**وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم**﴾ فكانت الطاعة للّٰه، والسجدة لآدم أكرم الله آدم بها[٤] أن أسجد له ملائكته.

وقال في قوله تعالى: ﴿فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾ حسد عدو اللّٰه إبليس آدم عليه السلام، على ما أعطاه اللّٰه من الكرامة، وقال: أنا ناري وهذا طيني. وكان بدء الذنوب الكبر، استكبر عدو اللّٰه أن يسجد لآدم عليه السلام.

وقال بعض الناس: كان هذا سجود تحية وسلام وإكرام، كما قال تعالى: ﴿**ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدًا وقال: يا أبت، هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقًا**﴾

وقد كان هذا مشروعًا في الأمم الماضية، ولكنه نسخ في ملتنا. قال معاذ: قدمت الشام فرأيتهم يسجدون لأساقفتهم وعلمائهم، فأنت يا رسول اللّٰه؛ أحق أن يسجد لك. فقال: «**لا، لو كنت آمرًا بشرًا أن يسجد لبشر، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها**»(٢٧٢).

---

(٢٧٠) - رواه ابن جرير ٦٩٩ - (١/٥٠٧)، وسنده ضعيف.

(٢٧١) - تفسير ابن جرير ٧٠٢ - (١/٥٠٨)، وسنده ضعيف.

(٢٧٢) - ورد من حديث جماعة من الصحابة منهم معاذ، وزيد بن أرقم، وعبد اللّٰه بن أبي أوفى =

---

[١] - في ز، خ: «فتعبد». [٢] - في ز، خ: «فسجدوا».

[٣] - في خ: «فحرقهم»، وفي ز: تحرقهم. [٤] - سقط من: ز، خ.

ورجحه الرازي وقال بعضهم: بل كانت السجدة لله وآدم قبلة فيها. كما قال تعالى: ﴿ **أقم الصلاة لدلوك الشمس** ﴾ وفي هذا التنظير نظر، والأظهر أن القول الأول أولى، والسجدة لآدم إكرامًا وإعظامًا واحترامًا وسلامًا، وهي طاعة لله عز وجل؛ لأنها امتثال لأمره تعالى.

وقد قوّاه الرازي في تفسيره وضعف ما عداه من القولين الآخرين؛ وهما: كونه جُعل قبلة إذ لا يظهر فيه شرف.

والآخر: أن المراد بالسجود الخضوع لا الانحناء ووضع الجبهة على الأرض. وهو ضعيف كما قال.

وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿ **فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين** ﴾ حسد عدوّ الله إبليس آدم عليه السلام، على ما أعطاه الله من الكرامة، وقال: أنا ناريٌّ وهذا طينيٌّ، وكان بدء الذنوب الكبر، استكبر عدوّ الله أن يسجد لآدم عليه السلام.

قلت: وقد ثبت في الصحيح «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر**»(٢٧٣).

= وأبي هريرة، وأنس، وقيس بن سعد، وعائشة، وسلمان، رضي الله عنهم.

فرواه أحمد في المسند ٢٢٠٨٢، ٢٢٠٨٣ - (٢٢٧/٥) من حديث الأعمش، عن أبي ظبيان، عن معاذ ابن جبل، ومن حديث الأعمش، قال: سمعت أبا ظبيان يحدث، عن رجل من الأنصار، عن معاذ بن جبل فذكره، وأبو ظبيان لم يلق معاذًا ولا أدركه، قاله ابن حزم، كما في التهذيب، وإسناده الآخر فيه مجهول. وأخرجه الطبراني في الكبير (٢٠/ ١٧٤، ١٧٥رقم: ٣٧٣) من حديث أبي ظبيان، عن معاذ. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٣٠٩) وقال: «رواه البزار بتمامه، وأحمد باختصار، ورجاله رجال الصحيح، وكذلك طريق من طرق أحمد، وروى الطبراني بعضه».

ورواه الترمذي (١١٥٩) من حديث أبي هريرة، وكذا ابن حبان (١٢٩١)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٢٩١).

ورواه البزار كما في كشف الأستار (٢/ ٢٧٩/رقم: ١٤٦٨) من حديث صدقة بن عبد الله، عن سعيد ابن أبي عروبة، عن قتادة، عن القاسم الشيباني، وهو ابن عوف، عن زيد بن أرقم؛ قال: بعث رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، معاذًا إلى الشام ... فذكر الحديث. وأورده الهيثمي (٣١٠/٤) وقال: رواه البزار والطبراني في الكبير والأوسط، وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح؛ خلا صدقة بن عبد الله السمين، وثقه أبو حاتم وجماعة، وضعفه البخاري وجماعة. اهـ.

وأخرجه أحمد ١٩٤٦١ - (٣٨١/٤)، وابن ماجة، كتاب: النكاح، باب: حق الزوج على المرأة (١٨٥٣)، والبيهقي في الكبرى (٢٩٢/٧)، وصححه ابن حبان (٤١٧١/٩) من حديث عبد الله بن أبي أوفى، وإسناده حسن. وانظر الإرواء (٥٤/٣ - ٥٨).

(٢٧٣) - رواه مسلم في الإيمان برقم ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩ - (٩١) من حديث عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه.

وقد كان في قلب إبليس من الكبر والكفر والعناد ما اقتضى طرده وإبعاده عن جناب الرحمة وحضرة القدس.

وقال ابن أبي حاتم(٢٧٤) حدثنا أبو[١] سعيد الأشج، حدثنا أبو أسامة، حدثنا صالح بن حيان، حدثنا عبد الله بن بريدة: قوله تعالى: ﴿**وكان من الكافرين**﴾ من الذين أبوا، فأحرقتهم النار.

وقال أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية: ﴿**وكان من الكافرين**﴾ يعني: من العاصين.

وقال السدي: ﴿**وكان من الكافرين**﴾ الذين لم يخلقهم الله يومئذ[٢] يكونون بعد.

وقال محمد بن كعب القرظي: ابتدأ الله خلق إبليس على الكفر والضلالة، وعمل بعمل الملائكة، فصيره الله إلى ما [أبتدأه] عليه خلقه من الكفر، قال الله تعالى: ﴿**وكان من الكافرين**﴾.

[وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿**وإذ قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم**﴾ فكانت الطاعة لله والسجدة لآدم أكرم الله آدم بها أن أسْجَدَ له ملائكته.

قال بعض المعربين: وكان من الكافرين، أي: وصار من الكافرين بسبب امتناعه، كما قال: ﴿**فكان من المغرقين**﴾ وقال: ﴿**فتكونا من الظالمين**﴾ وقال الشاعر:

بتيهاء قفرٍ والمطيُّ كأنها قطا الحزن قد كانت فراخًا بيوضها

أي قد صارت.

وقال ابن فورك: تقديره وقد كان في علم الله من الكافرين.

ورجحه القرطبي وذكر هاهنا مسألة فقال: قال علماؤنا: من أظهر الله على يديه ممن ليس بنبي كرامات وخوارق العادات فليس ذلك دالًا على ولايته خلافًا لبعض الصوفية والرافضة. هذا لفظه.

ثم استدل على ما قال بأنا لا نقطع بهذا الذي جرى الخارق على يديه أنه يوافي الله بالإيمان وهو لا يقطع لنفسه لذلك، يعني: والولي الذي يقطع له بذلك الأمر.

(٢٧٤) - **ضعيف، صالح بن حيان**: قال البخاري: فيه نظر، وقال أبو حاتم: ليس بالقوي، وضعفه يحيى ابن معين (التاريخ ٧٥/٢/٢) (الجرح ٣٩٨/٤) والأثر رواه ابن أبي حاتم ٣٧٠ - (١٢٣/١).

[١] - في ز: ابن.   [٢] - مكانها بياض في: ز، خ.

قلت : وقد استدل بعضهم على أن الخارق قد يكون على يد غير الولي ، بل قد يكون على يد الفاجر والكافر أيضًا بما ثبت عن ابن صياد أنه قال : هو الدخ حين خبأ له رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ **فارتقب يوم تأت السماء بدخان مبين** ﴾ (٢٧٥) . وبما كان يصدر عنه أنه كان يملأ الطريق إذا غضب حتى ضربه عبد الله بن عمر ، وبما ثبتت به الأحاديث عن الدّجال بما يكون على يديه من الخوارق الكثيرة ؛ من أنه يأمر السماء أن تمطر فتمطر ، والأرض أن تنبت فتنبت ؛ وتتبعه كنوز الأرض مثل اليعاسيب ؛ وأن يقتل ذلك الشاب ثم يحييه ، إلى غير ذلك من الأمور المهولة .

وقد قال يونس بن عبد الأعلى الصدفي : قلت للشافعي : كان الليث بن سعد يقول : إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء [ ] [١] فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة .

فقال الشافعي : قصر الليث - رحمه الله - بل إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة .

وقد حكى الرازي وغيره قولين للعلماء هل المأمور بالسجود لآدم خاص بملائكة الأرض أو عام بملائكة السموات والأرض ؟ وقد رجح كلًّا من القولين طائفة ، وظاهر الآية الكريمة العموم ﴿ **فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس** ﴾ فهذه أربعة أوجه مقوية للعموم ، والله أعلم][٢] .

وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾

يقول الله تعالى إخبارًا عما أكرم به آدم : بعد أن أمر الملائكة بالسجود له ، فسجدوا إلا إبليس : إنه أباحه الجنة يسكن منها حيث يشاء ، ويأكل منها ما شاء ، رغدًا ، أي : هنيئًا واسعًا طيبًا .

وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه ، من حديث محمد بن عيسى الدامغاني : حدّثنا سلمة بن الفضل ، عن ميكائيل ، عن ليث ، عن إبراهيم التيمي ، عن أبيه ، عن أبي ذر ، قال : قلت : يا رسول الله ؛ أرأيت آدم أنبيًا كان ؟ قال : « **نعم نبيًا رسولًا** ، [**كلمه الله قِبَلًا**] » [**يعني عيانًا** . **فقال**][٣] : ﴿ **اسكن أنت وزوجك الجنة** ﴾ (٢٧٦) .

(٢٧٥) - رواه البخاري (٢١٨/٣ الفتح) ومسلم ٥٦٠ ، ٥٦١ - (١٠) .
(٢٧٦) - ورواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١٠/١) من طريق أبي عمر الشامي ، عن عبيد الخشخاش ،

[١] - في ر : ويطير في الهواء .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

وقد اختلف في الجنة التي أسكنها آدم، أهي في السماء أم[١] في الأرض ؟ والأكثرون على الأول، [وحكى القرطبي عن المعتزلة والقدرية القول بأنها في الأرض][٢] ، وسيأتي تقرير ذلك في سورة الأعراف إن شاء الله تعالى، وسياق الآية يقتضي أن حوّاء خلقت قبل دخول آدم الجنة .

وقد صرح بذلك محمد بن إسحاق حيث قال(٢٧٧) : لما فرغ الله من معاتبة إبليس، أقبل على آدم وقد علمه الأسماء كلها فقال : ﴿ **يا آدم أنبئهم بأسمائهم** ﴾ إلى قوله : ﴿ **إنك أنت العليم الحكيم** ﴾ قال : ثم[٣] ألقيت السِّنَة على آدم فيما بلغنا عن أهل الكتاب - من أهل التوراة وغيرهم من أهل العلم، عن ابن عباس وغيره - ثم أخذ ضلعًا من أضلاعه من شقه الأيسر، ولأم مكانه لحمًا، وآدم نائم لم يهُب من نومه حتى خلق الله من ضلعه تلك زوجته حوّاء، فسوّاها امرأة ليسكن إليها، فلما كُشِف عنه السنة وهبَّ من نومه، رآها إلى جنبه، فقال : - فيما يزعمون والله أعلم - « لحمي ودمي وروحي[٤] » . فسكن[٥] إليها، فلما زوّجه الله وجعل له سكنًا من نفسه قال له قِبَلًا[٦] : ﴿ **يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدًا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين** ﴾ .

ويقال : إن خلق حوّاء كان بعد دخوله الجنة كما قال السدي في خبر[٧] ذكره عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس - وعن مرّة، عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة(٢٧٨) : أخرج إبليس من الجنة، وأسكن آدم الجنة، فكان يمشي فيها وحْشًا ليس له زوج يسكن إليه، فنام نومة فاستيقظ، وعند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه، فسألها : ما أنت ؟ قالت : امرأة . قال : ولم خلقت ؟ قالت : لتسكن إليّ . قالت له الملائكة : - ينظرون ما بلغ من علمه - ما اسمها[٨] يا آدم ؟ قال : حوّاء، قالوا[٩] : ولم [سميت][١٠] حوّاء ؟ قال : إنها خلقت من شيء

عن أبي ذر بنحوه، ورواه أبو الشيخ في العظمة برقم (١٠١٦) من طريق جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبي أمامة، عن أبي ذر بنحوه، ورواه أحمد في المسند ٢٣٣٨٩ - (٢٦٥/٥) من طريق علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة مرفوعًا بنحوه .

ورواه الطبراني في الأوسط (٤٢٥٩) (٧٣٣٥)، وقال عقب الأول : لم يروه عن إبراهيم إلا ليث، ولا عن ليث إلا ميكال، وهو شيخ كوفي، ولا نعلمه أسند حديثاً غير هذا . وزاد عقب الثاني : ولا عن ميكال إلا سلمة بن الفضل .

(٢٧٧) - ابن جرير برقم (٧١١) .

(٢٧٨) - ابن جرير برقم (٧١٠) .

[١] - في ز : أو .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في التفسير : زوجتي .
[٥] - في خ : « يسكن » .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - في : ز، خ « تفسيره » .
[٨] - في ز : اسمه .
[٩] - في ز، خ : « قال » .
[١٠] - سقط من : ز، خ .

حي(٢٧٩) . قال الله : ﴿يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدًا حيث شئتما﴾ .

وأمّا قوله تعالى : ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾ فهو اختبار من الله تعالى وامتحان لآدم . وقد اختلف في هذه الشجرة ، ما هي ؟ فقال السدي : عمن حدّثه ، عن ابن عباس(٢٨٠) : الشجرة التي نُهي عنها آدم - عليه السلام - هي الكَرْم . وكذا قال سعيد بن جبير ، والسدي ، والشعبي ، وجَعْدة بن هُبَيْرة ، ومحمد بن قيس .

وقال السدي أيضًا في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس وعن مرّة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة : ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾ هي الكرم .

وتزعم يهود أنها الحنطة .

وقال ابن جرير وابن أبي حاتم(٢٨١) : حدّثنا محمد بن إسماعيل بن سمرة الأحمسي ، حدّثنا أبو يحيىٰ الحماني[١] ، حدّثنا النضر أبو عمر الخزّاز[٢] ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : الشجرة التي نُهي عنها آدم [- عليه السلام -] هي السنبلة .

وقال عبد الرزاق(٢٨٢) : أنبأنا[٣] ابن عيينة وابن المبارك ، عن الحسن بن عمارة ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : هي السنبلة .

وقال : محمد بن إسحاق عن رجل من أهل العلم ، [ ][٤] ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : هي البر .

وقال ابن جرير(٢٨٣) : وحدّثني المثنى بن إبراهيم ، حدّثنا مسلم بن إبراهيم ، حدّثنا القاسم ، حدّثني رجل من بني تميم ، أن ابن عباس كتب إلى أبي الجلد[٥] يسأله [٦] عن الشجرة التي أكل

(٢٧٩) - ابن منده في التوحيد برقم (٨١) .

(٢٨٠) - ابن جرير برقم (٧٣٠) .

(٢٨١) - **ضعيف جدًّا** ، النضر بن عبد الرحمن أبو عمر : قال البخاري : منكر الحديث . وأبو يحيى الحماني عبد الحميد بن عبد الرحمن مختلف فيه . والحديث عند ابن أبي حاتم ٣٨١ - (١٢٦/١) . وابن جرير ٧١٨ - (٥١٦/١ - ٥١٧) .

(٢٨٢) - رواه ابن جرير بإسناده إلى عبد الرزاق برقم ٧٢٥ - (٥١٨/١) . والحسن بن عمارة : ضعيف بل متروك .

(٢٨٣) - تفسير ابن جرير ٧٢٣ - (٥١٧/١) . وإسناده ضعيف ؛ لجهالة الرجل من بني تميم .

[١] - في خ : « الجماني » .

[٢] - في ز ، خ : « الخراز » .   [٣] - في ز ، خ : « حدثنا » .

[٤] - في ت ، ر : [عن حجاج] وقد سقط من : ز ، خ ، وتفسير الطبري .

[٥] - في ز : مجلد .   [٦] - في ز : فسأله .

منها آدم والشجرة التي تاب عندها آدم . فكتب إليه [أبو الجلد][١] : سألتني عن الشجرة التي نُهِيَ عنها آدم وهي السنبلة ، وسألتني عن الشجرة التي تاب عندها آدم وهي الزيتونة .

وكذلك فسره الحسن البصري ، ووهب بن منبه ، وعطية العوفي ، وأبو مالك ومحارب بن دثار ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى .

وقال محمد بن إسحاق عن بعض أهل اليمن ، عن وهب بن منبه أنه كان يقول : هي[٢] البر ، ولكن الحبة منها في الجنة ككلَى البقر ، و[٣] ألين من الزبد وأحلى من العسل .

وقال سفيان الثوري : عن حصين ، عن أبي مالك : ﴿**ولا تقربا هذه الشجرة**﴾ قال : النخلة .

وقال ابن جرير : عن مجاهد : ﴿**ولا تقربا هذه الشجرة**﴾ قال : التينة[٤] ، وبه قال قتادة وابن جريج .

وقال أبو جعفر الرازي : عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، كانت الشجرة من أكل منها أحدث ، ولا ينبغي أن يكون في الجنة حدث .

وقال عبد الرزاق(٢٨٤) : حدثنا عمر بن عبد الرحمن بن مُهْرِب قال : سمعت وهب بن منبه يقول : لما أسكن اللّٰه آدم وزوجته الجنة ونهاه عن أكل الشجرة ، وكانت شجرة غصونها متشعب بعضها في[٥] بعض ، وكان لها ثمر تأكله الملائكة لخلدهم ، وهي الثمرة[٦] التي نهى اللّٰه عنها آدم وزوجته .

فهذه أقوال ستة في تعيين[٧] هذه الشجرة .

قال الإمام العلامة أبو جعفر بن جرير (٢٨٥) - رحمه اللّٰه - : والصواب في ذلك أن يقال : إنّ اللّٰه جلَّ ثناؤه نهى آدم وزوجته عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة ، دون سائر أشجارها فأكلا منها ، ولا علم عندنا بأي شجرة كانت على التعيين ؛ لأنّ اللّٰه لم يضع لعباده دليلًا على ذلك في القرآن ولا من السنة الصحيحة .

---

(٢٨٤) - رواه ابن جرير بإسناده إلى عبد الرزاق ٧٤٢ - (٥٢٥/١) .
(٢٨٥) - تفسير ابن جرير (٥٢٠/١،٥٢١) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - في ز : من .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ز ، خ : « تينة » .
[٥] - في ت : « من » .
[٦] - في ت : « الشجرة » .
[٧] - في ت : « تفسير » .

وقد قيل: كانت شجرة البر وقيل: كانت شجرة العنب، وقيل: كانت شجرة التين. وجائز أن تكون[١] واحدة منها، وذلك عِلْمٌ إذا عُلِمَ لم ينفع العالمَ به علمُه، وإن جَهِلَهُ جاهلٌ لم يضره جهله به، والله أعلم.

[وكذلك رجح الإبهام الرازي في تفسيره وغيره وهو الصواب][٢].

وقوله تعالى: ﴿فأزلهما الشيطان عنها﴾. يصح أن يكون الضمير في قوله: ﴿عنها﴾ عائدًا إلى الجنة، فيكون معنى الكلام كما قرأ[٣] عاصم بن بَهْدلة، وهو ابن أبي النَّجُود: فأزالهما، أي: فنحاهما، ويصح أن يكون عائدًا على أقرب المذكورين، وهو الشجرة، فيكون معنى الكلام كما قال الحسن وقتادة: «فأزلهما»، أي: من قَبِيلِ الزلل، فعلى هذا يكون تقدير الكلام ﴿فأزلهما الشيطان عنها﴾ أي: بسببها، كما قال تعالى: ﴿يؤفك عنه من أفك﴾ أي: يصرف بسببه من هو مأفوك؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فأخرجهما مما كانا فيه﴾ أي: من اللباس والمنزل الرحب والرزق الهنيء والراحة.

﴿وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾. أي[٤]: قرار وأرزاق وآجال ﴿إلى حين﴾ أي: إلى وقت مؤقت ومقدار معين، ثم تقوم القيامة.

وقد ذكر المفسرون من السلف كالسُّدّي بأسانيده، وأبي العالية، ووهب بن منبه وغيرهم، هاهنا أخبارًا إسرائيلية عن قصة الحَيَّة[٥] وإبليس، وكيف جرى من دخول إبليس إلى[٦] الجنة ووسوسته، وسنبسط ذلك، إن شاء الله، في سورة الأعراف، فهناك القصة أبسط منها هاهنا، والله الموفق.

وقد قال ابن أبي حاتم هاهنا(٢٨٦): حدثنا علي بن الحسن[٧] بن إشكاب، حدثنا علي بن

---

(٢٨٦) - علي بن عاصم: صدوق يخطئ ويصر، وقد تابعه يونس بن محمد، عند أحمد في الزهد، والحسن لم يسمع من أبي بن كعب - وقد رواه عن عُتي، عن أبي - كما عند الحاكم والبيهقي، وقتادة مدلس، وقد عنعن؛ إلا أنه صرح عند أحمد في الزهد بالتحديث، والحديث في تفسير ابن أبي حاتم ٣٩٢- (١٢٩/١)، ورواه أحمد في الزهد ص ٤٨، من حديث يونس بن محمد المؤدب، ثنا شيبان، عن قتادة، حدثنا الحسن، عن أبي مرفوعًا، وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٣١/١)، والحاكم في المستدرك (٢٦٢/٢)، والبيهقي في البعث والنشور ص (١٧٥) من طريق عبد الوهاب بن عطاء، عن سعيد ابن أبي عروبة، عن قتادة، عن الحسن، عن عتي، عن أبي مرفوعًا. وصححه الحاكم مع اختلاف في الألفاظ. وقد رواه الحاكم مختصرًا موقوفًا على أبي (٥٤٤/٢).

---

[١] - في خ: «يكون».
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٣] - في خ: «قال».
[٤] - سقط من: ز، خ.
[٥] - في ز، خ: «الجنة».
[٦] - سقط من: ز، خ.
[٧] - في خ، وابن أبي حاتم: «الحسين».

عاصم ، عن سعيد بن أبي عَرُوبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن أبي بن كعب ، قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **إن الله خلق آدم رجلا طُوَالا ، كثير شعر الرأس ، كأنه نخلة سَحُوق ، فلما ذاق الشجرة سقط عنه لباسه ، فأوّل ما بدا منه عورته ، فلما نظر إلى عورته جعل يَشْتَدُّ في الجنة فأخذت شَعْرَه شجرةٌ ، فنازعها ، فناداه الرحمن يا آدم ؛ مني تَفِرُّ ؟ فلما سمع كلام الرحمن ، قال : يا رب ؛ لا ، ولكن استحياء** » .

قال (٢٨٧) : وحدثني جعفر بن أحمد بن الحكم القرشي[١] سنة أربع وخمسين ومائتين ، حدثنا سليمان[٢] بن منصور بن عمار ، حدثنا علي بن عاصم ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أبي ابن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لما ذاق آدم من الشجرة فرّ [٣] هاربًا ، فتعلقت شجرة بشعره ، فنودي يا آدم ؛ أفرارًا مني ؟ قال بل حياء منك . قال : يا آدم ؛ اخرج من جواري ؛ فبعزتي لا يساكنني فيها من عصاني ، ولو خلقت مثلك ملء الأرض خلقًا ثم عصوني لأسكنتهم دار العاصين** » .

هذا حديث غريب ، وفيه انقطاع ، بل إعضال بين قتادة وأبي بن كعب ، رضي الله عنه[٤] !

وقال الحاكم (٢٨٨) : حدّثنا[٥] أبو بكر بن بَالُويَه[٦] عن محمد بن أحمد بن النضر ، عن معاوية بن عمرو ، عن زائدة ، عن عمار بن [ ][٧] معاوية البَجَلي ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : ما أسكن آدم الجنة إلا ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس .

ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .

[وقال عبد بن حميد في تفسيره . حدّثنا روح ، عن هشام ، عن الحسن ، قال : لبث آدم في الجنة ساعة من نهار ، تلك الساعة ثلاثون ومائة سنة من أيام الدنيا][٨] .

وقال أبو جعفر الرازي (٢٨٩) : عن الربيع بن أنس قال : خرج[٩] آدم من الجنة للساعة التاسعة

---

(٢٨٧) - تفسير ابن أبي حاتم ٣٩٣ - (١٣٠/١) .

(٢٨٨) - رواه الحاكم (٥٤٢/٢) ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . قلت : عمار بن معاوية لم يرو له البخاري . وقال أحمد : لم يسمع من سعيد بن جبير شيئًا (العلائي ص ٢٤١) . فالأثر منقطع .

(٢٨٩) - رواه ابن أبي حاتم بإسناده إلى أبي جعفر الرازي برقم ٣٩٤ - (١٣١/١) .

---

[١] - في ز ، خ : « القونسى » . وعند ابن أبي حاتم : القومسي .

[٢] - عند ابن أبي حاتم : سليم .

[٣] - في ز : مر .

[٤] - في ت : « عنهما » .

[٥] - في ز ، خ : « أخبرنا » .

[٦] - في خ : « حالويه » .

[٧] - في ز ، خ : أبي .

[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٩] - في خ : « أخرج » .

أو العاشرة ، فأخرج آدم معه غصنًا من شجر الجنة على رأسه تاج من شجر الجنة ، وهو الإكليل من ورق الجنة .

وقال السدي : قال اللَّه تعالى : ﴿ اهبطوا منها جميعًا ﴾ فهبطوا ونزل[١] آدم بالهند ، [ونزل معه الحجر الأسود ، وقبضة من ورق الجنة فبثه بالهند][٢] فنبتت شجرة[٣] الطيب ، فإنما أصل ما يجاء به من [الطيب من الهند][٤] من قبضة الورق التي[٥] هبط بها آدم ، وإنما قبضها [آدم حين أخرج من الجنة][٦] أسفًا على الجنة حين أخرج منها .

وقال عمران بن عيينة(٢٩٠) عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : أهبط آدم من الجنة بدَحْناء أرض بالهند[٧] .

وقال ابن أبي حاتم(٢٩١) : حدّثنا أبو زرعة ، حدّثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدّثنا جرير ، عن عطاء ، عن سعيد ، عن ابن عباس ؛ قال : أهبط آدم - عليه السلام - إلى أرض يقال لها دَحْناء ، بين مكة والطائف .

وعن الحسن البصري قال : أهبط آدم بالهند ، وحواء بجدة ، وإبليس بدستميسان من البصرة على أميال ، وأهبطت الحية بأصبهان . رواه ابن أبي حاتم(٢٩٢) .

وقال [أبو محمد][٨] بن أبي حاتم(٢٩٣) : حدّثنا محمد بن عمار بن الحارث ، حدّثنا محمد ابن سعيد بن سابق ، حدّثنا عمرو بن أبي قيس ، عن الزبير[٩] بن عدي ، عن ابن عمر قال : أهبط آدم بالصفا وحواء بالمروة .

---

(٢٩٠) - رواه ابن أبي حاتم بإسناده إلى عمران بن عيينة برقم ٣٩٧ - (١٣١/١) ، ورواه الحاكم (٥٤٢/٢) من حديث عمرو بن علي ، عن عمران بن عيينة ، به . وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وإسناده ضعيف ، عمران بن عيينة : قال أبو حاتم : يأتي بالمناكير ، ووصفه العقيلي بالوهم . وعطاء بن السائب : اختلط .

(٢٩١) - رواه ابن أبي حاتم ٣٩٨ - (١٣٢/١) . وجرير سمع من عطاء بعد الاختلاط .

(٢٩٢) - رواه ابن أبي حاتم ٣٩٩ - (١٣٢/١) ، وفي إسناده عباد بن ميسرة : لين الحديث . وصدقة بن عمرو الغساني ، وهو مجهول .

(٢٩٣) - تفسير ابن أبي حاتم : ٣٩٦ - (١٣١/١) .

---

[١] - في ز : فنزل .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « شجر » .
[٤] - في ز ، خ : « من الهند من الطيب » .
[٥] - في ز ، خ : « الذي » .
[٦] - زيادة من : خ .
[٧] - في ت : « الهند » .
[٨] - سقط من : ز ، خ .
[٩] - سقط من ز ، وفي خ : « ابن الزبير » .

وقال رجاء بن أبي سلمة(٢٩٤) : أهبط آدم - عليه السلام - يداه على ركبتيه مطأطئًا رأسه، وأهبط إبليس مشبكًا[١] بين أصابعه رافعًا رأسه إلى السماء.

قال عبد الرزاق(٢٩٥) : قال معمر: أخبرني عوف عن قسامة بن زهير، عن أبي موسى قال: إن الله حين أهبط آدم من الجنة إلى الأرض، علمه صنعة كل شيء، وزوده من ثمار الجنة، فثماركم هذه من ثمار الجنة، غير أن هذه تتغير وتلك لا تتغير.

وقال الزهري: عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها». رواه مسلم والنسائي(٢٩٦).

[وقال الرازي: اعلم أن في هذه الآية تهديدًا عظيمًا عن كل المعاصي من وجوه: (الأوّل): إنما يتصوّر ما جرى على آدم بسبب إقدامه على هذه الزلة الصغيرة، كان على وجل شديد من المعاصي، قال الشاعر:

يا ناظرا يرنو بعينَيْ راقدِ ومشاهدًا للأمر غير مشاهدِ
تَصِلُ الذنوبَ إلى الذنوب وترتجي دَرَجَ الجِنَانِ ونيل فوز العابدِ
أنسيتَ ربَّك حين أخرج آدمًا منها إلى الدنيا بذنب واحدِ

قال ابن القاسم:

ولكننا سبي العدو فهل ترى نعود إلى أوطاننا ونسلم

قال الرازي: عن فتح الموصلي أنه قال: كنا قومًا من أهل الجنة، فسبانا إبليس إلى الدنيا، فليس لنا إلا الهم والحزن حتى نرد إلى الدار التي أخرجنا منها.

فإن قيل: فإذا كانت جنة آدم التي أخرج منها في السماء - كما يقول الجمهور من العلماء -

(٢٩٤) - رواه ابن أبي حاتم بإسناده ٣٩٥ - (١٣١/١)، وفي إسناده ضمرة، وهو ابن ربيعة: ذكر الساجي أنه يهم، ويروي أحاديث مناكير.

(٢٩٥) - تفسير عبد الرزاق (٤٣/١ - ٤٤)، ومن طريقه ابن أبي حاتم (٤٢١)، ورواه البزار (٢٢٤٥ كشف الأستار)، وابن جرير (٥٣٧)، والحاكم (٥٤٣/٢)، من طرقٍ عن قسامة بن زهير، فذكره عن أبي موسى موقوفاً.

ورواه البزار (٢٣٤٤ كشف) مرفوعاً، وقال: لا نعلم رفعه إلا ربعي.

(٢٩٦) - رواه مسلم في كتاب الجمعة، برقم ١٧ - (٨٥٤)، والنسائي في كتاب الجمعة، باب: ذكر فضل يوم الجمعة برقم ١٣٧٣ - (٨٩/٣).

[١] - في ز، خ: «مشتبكًا».

فكيف تمكن إبليس من دخول الجنة وقد طرد من هنالك طردًا قدريًا، والقدري لا يخالف ولا يمانع ؟ فالجواب : أن هذا بعينه استدل به من يقول : إن الجنة التي كان فيها آدم في الأرض لا في السماء .

كما قد بسطنا هذا في أول كتابنا البداية والنهاية ، وأجاب الجمهور بأجوبة : أحدها : أنه منع من دخول الجنة مكرمًا ، فأما على وجه السرقة والإهانة فلا يمتنع ؛ ولهذا قال بعضهم - كما جاء في التوراة : إنه دخل في فم الحية إلى الجنة . وقد قال بعضهم : يحتمل أنه وسوس لهما وهو خارج باب الجنة .

وقال بعضهم : يحتمل أنه وسوس لهما وهو في الأرض وهما في السماء ، ذكرها الزمخشري وغيره . وقد أورد القرطبي(٢٩٧) هاهنا أحاديث في الحيات وقتلهن وبيان حكم ذلك فأجاد وأفاد][١] .

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾

قيل : إن هذه الكلمات[٢] مفسرة بقوله تعالى : ﴿**قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين**﴾ .

وروي هذا[٣] عن مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وأبي العالية ، والربيع بن أنس ، والحسن وقتادة ، ومحمد بن كعب القرظي ، وخالد بن معدان ، وعطاء الخراساني ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

وقال أبو إسحاق السبيعي(٢٩٨) عن رجل من بني تميم ، قال : أتيت ابن عباس فسألته قلت[٤] : ما الكلمات التي تلقى آدم من ربه ؟ قال : علم شأن الحج .

وقال سفيان الثوري(٢٩٩) : عن عبد[٥] العزيز بن رُفيع ، أخبرني من سمع عبيد بن عمير - وفي رواية أخبرني مجاهد ، عن عبيد بن عمير - أنه قال : قال آدم : يا رب ؛ خطيئتي التي أخطأتُ شيءٌ كتبته عليَّ قبل أن تخلقني أو شيء ابتدعتُه من قِبَلِ نفسي ؟ قال « بل شيء[٦] كتبتُه عليك

---

(٢٩٧) - تفسير القرطبي (٣١٣/١-٣١٧) .

(٢٩٨) - ابن أبي حاتم برقم (٤١٢) .

(٢٩٩) - رواه ابن أبي حاتم برقم (٤١٣) ، وابن جرير برقم (٧٨١ ، ٧٨٤) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - في خ : « الآيات » .

[٣] - زيادة من : ز ، خ . [٤] - زيادة من : خ .

[٥] - سقط من : خ . [٦] - سقط من : ز ، خ .

قبل أن أخلقك » قال : فكما كتبته علي فاغفر[١] لي . قال فذلك قوله تعالى : ﴿ **فتلقى آدم من ربه كلمات [فتاب عليه][٢]** ﴾ .

وقال السدّي(٣٠٠) : عمن حدثه ، عن ابن عباس : ﴿ **فتلقى آدم من ربه كلمات** ﴾ قال : قال آدم - عليه السلام - : يا رب ؛ ألم تخلقني بيدك ؟ قيل له : بلىٰ . قال[٣] : [ونفخت في من روحك ؟ قيل له : بلى][٤] وعطستُ ، فقلتَ : يرحمك اللَّه ، وسبقت رحمتُكَ غضَبَك ؟ قيلَ له : بلىٰ . وكتبت عليَّ أن أعمل هذا ؟ قيل له : بلىٰ . قال : أرأيت[٥] إن تبت هل أنت راجعي إلى الجنة ؟ قال : نعم .

وهكذا[٦] رواه العوفي ، وسعيد بن جبير ، وسعيد بن مَعْبَد ، عن ابن عباس ، بنحوه .

ورواه الحاكم في مستدركه من حديث سعيد[٧] بن جبير ، عن ابن عباس ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه(٣٠١) . وهكذا فسره السدّي وعطية العَوْفي .

وقد رَوى ابن أبي حاتم(٣٠٢) هاهنا حديثًا شبيهًا بهذا فقال : حدثنا علي بن الحسين[٨] ابن إشكاب ، حدثنا علي بن عاصم ، عن سعيد بن أبي عَرُوبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن أبي ابن كعب قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **قال آدم - عليه السلام - : أرأيت يا رب ؛ إن تبتُ ورجعتُ أعائدي إلى الجنة ؟ قال : نعم . فذلك قوله :** ﴿ **فتلقى آدم من ربه كلمات** ﴾ . وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، وفيه انقطاع .

وقال أبو جعفر الرازي : عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى : ﴿ **فتلقى آدم من ربه كلمات [فتاب عليه][٩]** ﴾ . قال : إن آدم لما أصاب الخطيئة قال : يا رب ؛ أرأيت إن تبت وأصلحت ؟ قال اللَّه : « إذًا أُرجعك إلى الجنة » . فهي من الكلمات ، ومن الكلمات أيضًا : ﴿ **ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين** ﴾ .

---

(٣٠٠) - ابن أبي حاتم برقم (٤١١) .

(٣٠١) - المستدرك (٢/٥٤٥) ، وقال : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، ورواه ابن جرير برقم (٧٧٥) .

(٣٠٢) - تفسير ابن حاتم ٤١٠ - (١/١٣٥) ، والحسن لم يسمع من أُبيٍّ فهو منقطع ، وهو الذي أشار إليه ابن كثير .

---

[١] - في ز ، خ : « فاغفره » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين مكرر في خ .

[٥] - في ز : أفرأيت .

[٦] - في ز ، خ : « كذا » .

[٧] - زيادة من : ز ، خ .

[٨] - في ز ، خ : « الحسن » .

[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وقال ابن أبي نَجيح: عن مجاهد، أنه كان يقول في قول اللّه تعالى: ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات [فتاب عليه][١]﴾ قال الكلمات اللَّهُمَّ؛ لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب؛ إني ظلمت نفسي فاغفر لي، إنك خير الغافرين، اللَّهُمَّ؛ لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب؛ إني ظلمت نفسي [[فارحمني][٢]، إنك خير الراحمين، اللَّهُمَّ لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي][٣] فتب علي، إنك أنت التواب الرحيم.

وقوله تعالى: ﴿إنه هو التواب الرحيم﴾ أي: إنه يتوب على من تاب إليه وأناب كقوله: ﴿ألم يعلموا[٤] أن اللّه هو يقبل التوبة عن عباده﴾. وقوله: ﴿ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه [ثم يستغفر اللّه يجد اللّه غفورًا رحيمًا][٥]﴾. الآية. وقوله: ﴿ومن تاب وعمل صالحًا [فإنه يتوب إلى اللّه متابا][٦]﴾. إلى[٧] غير ذلك من الآيات الدالة على أنه تعالى يغفر الذنوب؛ ويتوب على من يتوب، وهذا من لطفه بخلقه ورحمته بعبيده، لا إله إلا هو التواب الرحيم.

قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾

يقول تعالى مخبرًا عما أنذر به آدم وزوجته وإبليس حين[٨] أهبطهم من الجنة -والمراد الذرية- إنه سينزل الكتب، ويبعث الأنبياء والرسل، كما قال أبو العالية: الهُدَى الأنبياء والرسل والبينات[٩] والبيان، وقال مقاتل بن حَيَّان: الهدى محمد صلى اللّه عليه وسلم، وقال الحسن: الهدى القرآن، وهذان القولان صحيحان، وقول أبي العالية أعَمّ.

﴿فمن تَبع هدايَ﴾ أي: من أقبل على ما أُنزلتْ به الكتب، وأُرسلتْ به الرسل ﴿فلا خوف عليهم﴾ أي: فيما يستقبلونه[١٠] من أمر الآخرة ﴿ولا هم يحزنون﴾ على ما فاتهم من أمور الدنيا، كما قال في سورة طه ﴿قال اهبطا منها جميعًا بعضكم لبعض عدوّ فإمّا يأتينكم مني هدىً فمن اتَّبع هدايَ فلا يضل ولا يشقى﴾

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.
[٢] - في ز: فاغفر لي.
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.
[٤] - في خ: «تعلموا».
[٥] - زيادة من: ز، خ.
[٦] - في ز، خ: «و».
[٧] - في خ: «حتى».
[٨] - سقط من: خ.
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[١٠] - في ز: يستقبلون.

قال ابن عباس: فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكًا ونحشره يوم القيامة أعمىٰ﴾. كما قال هاهنا: ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ أي مخلدون فيها، لا محيد لهم عنها، ولا محيص.

وقد أورد ابن جرير - رحمه الله - هاهنا حديثًا ساقه من طريقين عن أبي مَسْلَمة سعيد بن يزيد عن أبي نضرة المنذر بن مالك بن قطعة عن أبي سعيد - واسمه سعد بن مالك بن سِنَان الخدري - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا[١] يموتون فيها ولا يحيون، و[٢] لكن أقوام[٣] أصابتهم النار بخطاياهم أو بذنوبهم فأماتتهم[٤] إماتة، حتى إذا صاروا فحمًا أذن في الشفاعة**».

وقد رواه مسلم من حديث شعبة، عن أبي سلمة، به(٣٠٣).

[وذكر هذا الإهباط الثاني لما تعلق به ما بعده من المعنى المغاير للأول، وزعم بعضهم أنه تأكيد وتكرير، كما يقال: قم. قم. وقال آخرون: بل الإهباط الأول من الجنة إلى السماء الدنيا، والثاني من سماء الدنيا إلى الأرض. والصحيح الأول، والله أعلم][٥].

يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾

يقول تعالى آمرًا بني إسرائيل بالدخول[٦] في الإسلام، ومتابعة محمد عليه من الله أفضل الصلاة والسلام، ومُهَيّجًا لهم بذكر أبيهم إسرائيل، وهو نبي الله يعقوب عليه السلام، وتقديره: يا بني العبد الصالح المطيع لله؛ كونوا مثل أبيكم في متابعة الحق، كما تقول: يا بن الكريم؛ افعل كذا. يا بن الشجاع؛ بارز الأبطال. يا بن العالم؛ اطلب العلم. ونحو ذلك.

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدًا شكورًا﴾. فإسرائيل هو يعقوب - عليه السلام - بدليل ما رواه أبو داود الطيالسي، حدثنا عبد الحميد بن بهرام، عن شهر ابن حوشب، قال: حدثني عبد الله بن عباس قال: حضرت عصابة من اليهود نبي الله صلى الله عليه

(٣٠٣) - تفسير ابن جرير ٧٩٧ - (٥٥٢/١)، ورواه مسلم في كتاب الإيمان برقم ٣٠٦ - (١٨٥).

---

[١] - سقط من ز، خ.
[٢] - سقط من: ز، خ.
[٣] - في ز: أقوامًا.
[٤] - في ز: فأماتهم.
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٦] - في خ: «في الدخول».

وآله وسلم فقال لهم: «**هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب ؟**» قالوا : اللَّهُمّ ؛ نعم . فقال النبي صلى اللَّه عليه وسلم : «**اللَّهُمَّ ؛ اشهد**»(٣٠٤) .

وقال الأعمش : عن إسماعيل بن رجاء ، عن عمير[١] مولى ابن عباس . عن [عبد اللَّه][٢] بن عباس : أن إسرائيل كقولك : عبد اللَّه(٣٠٥) .

وقوله تعالى : ﴿**اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم**﴾ قال مجاهد : نعمة اللَّه التي أنعم بها عليهم فيما سمى وفيما سوى ذلك ، أن[٣] فجر لهم الحجر ، وأنزل عليهم المن والسلوى ، ونجاهم[٤] من عبودية آل فرعون .

وقال أبو العالية : نعمته أن جعل منهم الأنبياء والرسل ، وأنزل عليهم الكتب .

قلت : وهذا كقول موسى - عليه السلام - لهم : ﴿**يا قوم اذكروا نعمة اللَّه عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكًا وآتاكم مالم يؤت أحدًا من العالمين**﴾ . يعني : في زمانهم .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن أبي محمد(٣٠٦) ، عن عكرمة - أو سعيد بن جبير - عن ابن عباس ، في قوله تعالى : ﴿**اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم**﴾ أي : بلائي عندكم وعند آبائكم لما كان نجاهم به من فرعون وقومه ، [وقال تعالى] ﴿**وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم**﴾ . قال : بعهدي الذي أخذت في[٥] أعناقكم للنبي محمد صلى اللَّه عليه وسلم إذا[٦] [جاءكم أوف بعهدكم ، أي :][٧] أنجز لكم ما وعدتكم[٨] عليه بتصديقه واتباعه ، بوضع ما كان عليكم من الإصر والأغلال التي كانت في أعناقكم بذنوبكم التي كانت من أحداثكم .

[وقال الحسن البصري : هو قوله تعالى : ﴿**ولقد أخذ اللَّه ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبًا وقال اللَّه إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم اللَّه قرضًا حسنًا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار**﴾ . الآية .

---

(٣٠٤) - **إسناده حسن** ، رواه الطيالسي في حديث طويل برقم ٢٧٣١ ص ٣٥٦ - ٣٥٧ . ورواه أحمد في المسند ٢٤٧١ - (٢٧٣/١) عن حسين ، عن عبد الحميد بن بهرام ، به .

(٣٠٥) - رواه ابن جرير برقم (٧٩٨) .

(٣٠٦) - مجهول ، وهو عند ابن جرير برقم (٨٠١) ، وابن أبي حاتم برقم (٤٣٨) ، وسنده ضعيف .

---

[١] - في ز ، خ : «عمه» .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز ، خ : «وأنجاهم» .
[٥] - في ز : من .
[٦] - في ز ، خ : «إذ» .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٨] - في خ : «وعدكم» .

وقال آخرون هو الذي أخذ اللّٰه عليهم في التوراة ، أنه سيبعث من بني إسماعيل نبيًّا عظيمًا يطيعه جميع الشعوب ، والمراد به محمد صلى اللّٰه عليه وسلم ، فمن اتبعه غفر اللّٰه له ذنبه ، وأدخله الجنة ، وجعل له أجرين .

وقد أورد الرازي بشارات كثيرة عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بمحمد صلى اللّٰه عليه وسلم][١] ، وقال أبو العالية ﴿وأوفوا بعهدي﴾ قال : عهده إلى عباده دين[٢] الإسلام أن يتبعوه .

وقال الضحاك(٣٠٧) : عن ابن عباس ﴿أوف بعهدكم﴾ قال : أرضَ[٣] عنكم وأدخلكم الجنة . وكذا قال السدي ، والضحاك ، وأبو العالية ، والربيع بن أنس .

وقوله تعالى : ﴿وإياي فارهبون﴾ أي فاخشون ، قاله أبو العالية ، والسدي ، والربيع بن أنس ، وقتادة .

وقال ابن عباس في قوله تعالى : ﴿وإياي فارهبون﴾ : أي أنزل بكم ما أنزلت[٤] بمن كان قبلكم من آبائكم من النَّقِمات التي قد عرفتم من المسخ وغيره .

وهذا انتقال من الترغيب إلى الترهيب ، فدعاهم إليه بالرغبة والرهبة ، لعلهم يرجعون إلى الحق ، واتباع الرسول ، صلى اللّٰه عليه وسلم ، والاتعاظ بالقرآن وزواجره ، وامتثال أوامره وتصديق أخباره ، واللّٰه [يهدي من][٥] يشاء إلى [صراط مستقيم][٦] .

ولهذا قال ﴿وآمنوا بما أنزلت مصدقًا لما معكم﴾ يعني به القرآن الذي أنزله على محمد [صلى اللّٰه عليه وسلم] النبي الأمي العربي ، بشيرًا ونذيرًا وسراجًا منيرًا ، مشتملًا على الحق من اللّٰه تعالى ، مصدقًا لما بين يديه من التوراة والإنجيل .

قال أبو العالية - رحمه اللّٰه - في قوله تعالى : ﴿وآمنوا بما أنزلت مصدقًا لما معكم﴾ يقول [يا معشر أهل الكتاب ؛ آمنوا بما أنزلت مصدقًا لما معكم ، يقول][٧] لأنهم يجدون محمدًا صلى اللّٰه عليه وسلم مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل .

وروي عن مجاهد والربيع بن أنس وقتادة نحو ذلك .

---

(٣٠٧) - رواه ابن جرير برقم (٨٠٩) ، وابن أبي حاتم برقم (٤٤١ ، ٤٤٤) ، وسنده ضعيف .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز : دينه .
[٣] - في ز : أرضي .
[٤] - في ز : أنزل .
[٥] - في ز ، خ : « الهادي لمن » .
[٦] - في ز ، خ : « صراطه المستقيم » .
[٧] - سقط من ز .

وقوله: ﴿ولا تكونوا أوّل كافر به﴾ [قال بعض المعربين: أول فريق كافر به أو نحو ذلك][١].

قال ابن عباس(٣٠٨): ولا تكونوا أول كافر به وعندكم فيه من العلم ما ليس عند غيركم.

و[٢] قال أبو العالية: يقول ولا تكونوا أول من كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم.

[يعني من جنسكم أهل الكتاب بعد سماعكم بمبعثه][٣]. وكذا قال الحسن والسدي والربيع ابن أنس.

واختار ابن جرير أن الضمير في قوله ﴿به﴾ عائد على القرآن الذي تقدم ذكره في قوله ﴿بما أنزلت﴾.

وكلا القولين صحيح؛ لأنهما متلازمان؛ لأن من كفر بالقرآن فقد كفر بمحمد [صلى الله عليه وسلم][٤] ومن كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم، فقد كفر بالقرآن.

وأما قوله: ﴿أول كافر به﴾ فيعني به أول من كفر به من بني إسرائيل؛ لأنه قد تقدمهم من كفار قريش وغيرهم من العرب بشر كثير، وإنما المراد أول من كفر به من بني إسرائيل مباشرة، فإنّ يهود المدينة أول بني إسرائيل خوطبوا بالقرآن، فكفرهم به يستلزم أنهم أول من كفر به من جنسهم.

وقوله تعالى: ﴿ولا تشتروا بآياتي ثمنًا قليلًا﴾ يقول: لا تعتاضوا عن الإيمان بآياتي وتصديق رسولي بالدنيا وشهواتها فإنها قليلة فانية، كما قال عبد الله بن المبارك(٣٠٩): أنبأنا[٥] عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن هارون بن يزيد[٦] قال: سئل الحسن - يعني البصري - عن قوله تعالى: ﴿ثمنًا قليلًا﴾ قال: الثمن القليل: الدنيا بحذافيرها.

وقال ابن لهيعة(٣١٠): حدّثني عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير، في قوله تعالى: ﴿ولا تشتروا بآياتي ثمنًا قليلًا﴾ وإن آياته كتابه الذي أنزله[٧] إليهم، وإن الثمن القليل الدنيا

---

(٣٠٨) - ابن جرير برقم (٨١٩)، وابن أبي حاتم برقم (٤٥٠).
(٣٠٩) - رواه ابن أبي حاتم في تفسيره برقم (٤٥٦)، وابن أبي الدنيا في ذم الدنيا برقم (٤٩٧).
(٣١٠) - رواه ابن أبي حاتم بإسنادٍ ضعيف برقم (٤٥٤).

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٢] - زيادة من: ز، خ.
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.
[٥] - في خ: «أخبرنا».
[٦] - في خ: «شريد».
[٧] - في ز: أنزل.

وشهواتها.

وقال السدي: ﴿ **ولا تشتروا بآياتي ثمنًا قليلًا** ﴾ يقول لا تأخذوا طمعًا[١] قليلًا ولا[٢] تكتموا اسم اللَّه لذلك الطمع وهو الثمن.

وقال أبو جعفر: عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿ **ولا تشتروا بآياتي ثمنًا قليلًا** ﴾ يقول: لا تأخذوا عليه أجرًا، قال: وهو مكتوب عندهم في الكتاب الأول: يا بن آدم؛ عَلِّمْ مجانًا كما عُلِّمْتَ مجانًا.

[**وقيل**: معناه لا تعتاضوا عن البيان والإيضاح ونشر العلم النافع في الناس بالكتمان واللبس؛ لتستمروا على رياستكم في الدنيا القليلة الحقيرة الزائلة عن قريب.

وفي سنن أبي داود، عن أبي هريرة (٣١١) - رضي اللَّه عنه - قال: قال: رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: « **من تعلم علمًا مما يبتغى به وجه اللَّه لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا (لم يُرَحْ رائحة الجنة)[٣] يوم القيامة** ».

فأمّا تعليم العلم بأجرة؛ فإن كان قد تعين عليه فلا يجوز أن يأخذ عليه أجرة، ويجوز أن يتناول من بيت المال ما يقوم به حاله وعياله، فإن لم يحصل له منه شيء وقطعه التعليم عن التكسب فهو كما لم يتعين عليه، وإذا لم يتعين عليه فإنه يجوز أن يأخذ عليه أجرة عند مالك والشافعي وأحمد وجمهور العلماء. كما في صحيح البخاري عن أبي سعيد(٣١٢) في قصة اللديغ « **إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب اللَّه** ».

وقوله في قصة المخطوبة: « **زَوَّجْتُكَهَا بما معك من القرآن** »(٣١٣).

فأما حديث عبادة بن الصامت أنه علّم رجلًا من أهل الصفة شيئًا من القرآن، فأهدى له قوسًا، فسأل عنه رسول اللَّه، صلى اللَّه عليه وسلم، فقال: « **إن أحببت أن تطوّق بقوس من نار فاقْبَلْه** » فتركه.

(٣١١) - رواه أبو داود في كتاب العلم، باب: في طلب العلم لغير اللَّه برقم (٣٦٦٤). وابن ماجه في المقدمة برقم (٢٥٢)، ورواه أحمد (٣٣٨/٢)، وابن أبي شيبة (٥٤٣/٨)، وابن حبان (٨٩)، والحاكم (٨٥/١)، والعقيلي (٤٦٧/٣).

(٣١٢) - رواه البخاري في الطب، باب: الشروط في الرقية بفاتحة الكتاب برقم (٥٧٣٧).

(٣١٣) - رواه البخاري في الوكالة، باب: وكالة المرأة الإمام في النكاح، برقم (٢٣١٠) و(٥١٤٩) من حديث سهل بن سعد، رضي اللَّه عنه.

[١] - سقط من: ز، خ.

[٢] - سقط من: خ.

[٣] - في سنن أبي داود: لم يجد عرف الجنة.

رواه أبو داود(٣١٤)

وروي مثله عن أبي بن كعب مرفوعًا(٣١٥)، فإن صح إسناده فهو محمول عند كثير من العلماء، منهم أبو عمر بن عبد البر، على أنه لما علَّمه اللَّه لم يجز بعد هذا أن يعتاض عن ثواب اللَّه بذلك القوس، فأمّا إذا كان من أوّل الأمر على التعليم بالأجرة فإنه يصح كما في حديث اللديغ وحديث سهل في المخطوبة، واللَّه أعلم.

وقوله [١] ﴿وإياي فاتقون﴾ قال ابن أبي حاتم(٣١٦): حدثنا أبو عمر الدوري، حدثنا أبو

(٣١٤) - **ضعيف**، رواه أبو داود في البيوع والتجارات، باب: كسب المعلم برقم (٣٤١٦). وابن ماجه في التجارات، باب: الأجرة على تعليم القرآن حديث (٢١٥٧). ورواه الحاكم (٢/٤١)، والبيهقي (٦/١٢٥) جميعهم من حديث مغيرة بن زياد الموصلي، عن عبادة بن نسي، عن الأسود بن ثعلبة، عن عبادة، به. وقال المنذري: وفي إسناده المغيرة بن زياد - أبو هاشم الموصلي - وقد وثقه وكيع، ويحيى بن معين، وتكلم فيه جماعة، وقال الإمام أحمد: ضعيف الحديث، حدث بأحاديث مناكير، وكل حديث رفعه فهو منكر. ونقل البيهقي عن علي بن المديني قوله: رواه مغيرة بن زياد، عن عبادة بن نسي، عن الأسود بن ثعلبة، عن عبادة بن الصامت، وإسناده كله معروف؛ إلا الأسود بن ثعلبة؛ فإنا لا نحفظ عنه إلا هذا الحديث. قال البيهقي: وقد قيل: عن عبادة بن نسي، عن جنادة بن أبي أمية، عن عبادة فذكره. ثم قال: وكذلك رواه أبو المغيرة، عن بشر - وقال: هذا حديث مختلف فيه على عبادة بن نسي كما ترى، وحديث ابن عباس، وأبي سعيد أصح إسنادًا منه.

والأسود بن ثعلبة: ذكره ابن حبان في الثقات، وصحح الحاكم حديثه هذا. وقال ابن عبد البر: حديث معروف عند أهل العلم لأنه روي عن عبادة من وجهين. وقد حفظ عنه ثلاثة أحاديث.

(٣١٥) - رواه ابن ماجه في سننه في كتاب التجارات، باب: الأجر على تعليم القرآن (٢١٥٨)، ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٦/١٢٥) من طريق عبد الرحمن بن أبي مسلم، عن عطية بن قيس، عن أبي بن كعب رضي اللَّه عنه، به، مرفوعًا، قال البيهقي: وهو منقطع.

وفي الزوائد (٢/١٦٥): هذا إسناد مضطرب، قاله الذهبي (٢/٥٦٧) في ترجمة عبد الرحمن بن سلم. وقال العلائي في المراسيل (٢٣٩): عطية بن قيس، عن أبي بن كعب مرسل. وقال الذهبي أيضًا: ما روى عنه - يعني - عبد الرحمن بن سلم، سوى ثور بن يزيد.

قال ابن التركماني: وعطية هذا تابعي، ذكر صاحب الكمال عن أبي مسهر أنه ولد في عهد النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم، فعلى هذا روايته عن أبي محمولة على الاتصال. وقد ذكر قاسم بن أصبغ هذا الحديث من جهة أبي إدريس الخولاني، عن أبي، وذكره صاحب الميزان في ترجمة شبابة بن سوار... ثم قال: مرسل جيد الإسناد. وقال المزي في أطرافه: رواه موسى بن علي بن رباح، عن أبيه، عن أبي. ورواه محمد بن جحادة، عن رجل يقال له: أبان عن أبي.

قال البيهقي: ورُوي من وجهٍ آخر ضعيف عن أبي الدرداء، ثم ذكر الحديث ثم ذكر عن دحيم أنه ليس له أصل.
قال ابن التركماني: قلت: أخرجه البيهقي هنا بسند جيد فلا أدري ما وجه ضعفه وكونه لا أصل له.

(٣١٦) - رواه ابن أبي حاتم ٤٥٧ - (١/١٤٧)، وسنده حسن.

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

إسماعيل المؤدب ، عن عاصم الأحول ، عن أبي العالية ، عن طلق بن حبيب قال : التقوىٰ أن تعمل بطاعة اللَّه رجاء رحمة اللَّه على نور من اللَّه ، والتقوىٰ أن تترك معصية اللَّه [مخافة عذاب اللَّه][١] ، على نور من اللَّه [تخاف عقاب اللَّه][٢] .

ومعنى قوله : ﴿ وإياي فاتقون ﴾ أنه تعالى يتوعدهم فيما يتعمدونه[٣] من كتمان الحق وإظهار خلافه ، ومخالفتهم الرسول صلوات اللَّه وسلامه عليه .

﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾

يقول تعالى ناهيًا لليهود عما كانوا يتعمدونه[٤] من تلبيس[٥] الحق بالباطل وتمويهه به ، وكتمانهم الحق وإظهارهم الباطل : ﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون ﴾ . فنهاهم عن الشيئين معًا ، وأمرهم بإظهار الحق والتصريح به ؛ ولهذا قال الضحاك : عن ابن عباس(٣١٧) : ﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل ﴾ لا[٦] تخلطوا [الحق بالباطل والصدق بالكذب][٧] .

وقال أبو العالية : ﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل ﴾ يقول : ولا تخلطوا الحق بالباطل ، وأدّوا النصيحة لعباد اللَّه من أمّة[٨] محمد - صلى اللَّه عليه وسلم - .

ويروى[٩] عن سعيد بن جبير والربيع بن أنس نحوه .

وقال قتادة ﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل ﴾ [ ][١٠] ولا تلبسوا اليهودية والنصرانية بالإسلام ، [وأنتم تعلمون][١١] أنّ دين اللَّه الإسلام ، وأنّ اليهودية والنصرانية بدعة ليست من اللَّه .

وروي عن الحسن البصري نحو ذلك .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن أبي محمد(٣١٨) ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ،

---

(٣١٧) - ابن جرير برقم (٨٢٣) ، وسنده ضعيف .

(٣١٨) - مجهول ، وهو عند ابن جرير برقم (٨٣٢) ، وابن أبي حاتم برقم (٤٦١) .

---

[١] - زيادة من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز : يعتمدونه .

[٤] - في ز ، خ : « يعتمدونه » .

[٥] - في ز ، خ : « تلبيسهم » .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٨] - في ز ، خ : « أمر » .

[٩] - في ز : وروي .

[١٠] - في ز ، خ : « قال » .

[١١] - سقط من ز .

عن ابن عباس ﴿وتكتموا الحق وأنتم تعلمون﴾ . أي : لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولي وبما جاء به، وأنتم تجدونه مكتوبًا[١] عندكم فيما تعلمون من الكتب التي بأيديكم. وروي عن أبي العالية نحو ذلك.

وقال مجاهد، والسدي، وقتادة، والربيع بن أنس ﴿وتكتموا الحق﴾ يعني: محمدًا، صلى الله عليه وسلم .

[(قلت) : ﴿وتكتموا﴾ يحتمل أن يكون مجزومًا، ويحتمل أن يكون منصوبًا، أي لا تجمعوا بين هذا وهذا، كما يقال: لا تأكل السمك وتشرب اللبن، قال الزمخشري: وفي مصحف ابن مسعود: وتكتمون الحق، أي: في حال كتمانكم الحق ﴿وأنتم تعلمون﴾ حال أيضًا، ومعناه: وأنتم تعلمون الحق، ويجوز أن يكون المعنى: وأنتم تعلمون ما في ذلك من الضرر العظيم على الناس من إضلالهم عن الهدى المُفْضِي بهم إلى النار، إن سلكوا ما تبدونه لهم من الباطل المشوب بنوع من الحق؛ لتروّجوه عليهم، والبيان: الإيضاح، وعكسه الكتمان وخلط الحق بالباطل][٢] .

﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين﴾ قال مقاتل: قوله تعالى لأهل الكتاب: ﴿وأقيموا الصلاة﴾ أمرهم أن يصلوا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- [﴿وآتوا الزكاة﴾ أمرهم أن يؤتوا الزكاة أي يدفعونها إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-][٣] ﴿واركعوا مع الراكعين﴾ أمرهم أن يركعوا مع الراكعين من أمّة محمد صلى الله عليه وسلم، يقول: كونوا معهم ومنهم.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس(٣١٩) : [وآتوا الزكاة][٤] يعني بالزكاة طاعة الله والإخلاص.

وقال وكيع عن أبي جناب[٥] (٣٢٠) ، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله ﴿وآتوا الزكاة﴾ قال: ما يوجب الزكاة، قال: مائتان فصاعدًا.

وقال مبارك بن فضالة عن الحسن، في قوله تعالى: ﴿وآتوا الزكاة﴾ قال: فريضة واجبة، لا تنفع الأعمال إلا بها[٦] وبالصلاة.

(٣١٩) - رواه ابن أبي حاتم برقم (٤٦٨) .

(٣٢٠) - أبو جناب: ضعيف، واسمه: يحيى بن أبي حية، وهو عند ابن أبي حات برقم (٤٦٩) .

[١] - سقط من ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين زيادة من: ز، خ .

[٥] - في خ: «خباب» .

[٦] - في ز، خ: «به» .

وقال ابن أبي حاتم (٣٢١) : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا جرير ، عن أبي حيان التيمي ، عن الحارث العُكلي في قوله تعالى : ﴿ وآتوا الزكاة ﴾ قال : صدقة الفطر .

[وقوله تعالى : ﴿ واركعوا مع الراكعين ﴾ أي : وكونوا مع المؤمنين في أحسن أعمالهم ، ومن أخص ذلك وأكمله الصلاة .

وقد استدل كثير من العلماء بهذه الآية على وجوب الجماعة ، وأُبسط ذلك في كتاب « الأحكام الكبير » إن شاء اللّٰه تعالى ، وقد تكلم القرطبي على مسائل الجماعة والإمامة فأجاد][١] .

﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾

يقول تعالى كيف يليق بكم - يا معشر أهل الكتاب ، وأنتم تأمرون الناس بالبر -وهو جماع الخير - أن تنسوا أنفسكم ، فلا تأتمرون[٢] بما تأمرون الناس به ، وأنتم مع ذلك تتلون الكتاب ، وتعلمون ما فيه على من قصّر في أوامر اللّٰه ؟ أفلا تعقلون ما أنتم صانعون بأنفسكم ، فتنتبهوا[٣] من رقدتكم ، وتتبصروا[٤] من عمايتكم ؟

وهذا كما قال عبد الرزاق (٣٢٢) عن معمر عن قتادة في قوله تعالى : ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ﴾ قال : كان بنو إسرائيل يأمرون الناس بطاعة اللّٰه وبتقواه وبالبر ، ويخالفون ؛ فعيَّرهم اللّٰه -عز وجل- . وكذلك قال السدي .

وقال ابن جريج : ﴿ أتأمرون الناس بالبر ﴾ أهلُ الكتاب والمنافقون ، كانوا يأمرون الناس بالصوم والصلاة ، وَيَدَعون العمل بما يأمرون به الناس ؛ فعيرهم اللّٰه بذلك ، [فمن أمر بخير][٥] فليكن أشدّ الناس فيه مسارعة .

وقال محمد بن إسحاق ، عن محمد ، عن عكرمة - أو سعيد [بن جبير][٦] - عن ابن عباس ﴿ وتنسون أنفسكم ﴾ أي : تتركون أنفسكم ﴿ وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾ أي : تنهون الناس عن الكفر بما عندكم من النبوّة والعهد من التوراة ، وتتركون أنفسكم أي وأنتم تكفرون بما

(٣٢١) - تفسير ابن أبي حاتم ٤٧٢ - (١٥٠/١) . ورجال إسناده ثقات .

(٣٢٢) - تفسير عبد الرزاق (٤٤/١) ، وابن جرير برقم (٨٤٣) ، وابن أبي حاتم برقم (٤٧٨) ، وسنده صحيح .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - في ز : تأتمروا .
[٣] - في ز ، خ : « فتنتبهوا » . [٤] - في ز ، خ : « وتتبصروا » .
[٥] - بياض في ز . [٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

فيها من عهدي إليكم في تصديق رسولي، وتنقضون ميثاقي وتجحدون[١] ما تعلمون من كتابي(٣٢٣).

وقال الضحاك(٣٢٤): عن ابن عباس في هذه الآية يقول: أتأمرون الناس بالدخول في دين محمد صلى اللَّه عليه وسلم وغير ذلك مما أمرتم به من إقام الصلاة، وتنسون أنفسكم؟

وقال أبو جعفر بن جرير(٣٢٥): حدثني علي بن الحسن، حدثنا مسلم الجَرمي، حدثنا مخلد ابن الحسين، عن أيوب السختياني عن أبي قلابة في قول اللَّه تعالى: ﴿ **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب** ﴾ قال: قال أبو الدرداء -رضي اللَّه عنه-: لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات اللَّه، ثم يرجع إلى نفسه فيكون لها أشدّ مقتًا.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في هذه الآية هؤلاء اليهود إذا جاء الرجل يسألهم عن الشيء ليس فيه حق ولا رشوة ولا شئ أمروه بالحق؛ فقال اللَّه تعالى: ﴿ **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون** ﴾.

والغرض: أنّ اللَّه تعالى ذمّهم على هذا الصنيع، ونبههم على خطئهم في حق أنفسهم، حيث كانوا يأمرون بالخير ولا يفعلونه، وليس المراد ذمهم على أمرهم بالبر مع تركهم له؛ بل على تركهم له، فإن الأمرَ بالمعروف معروفٌ، وهو واجب على العالم، ولكن [الواجب و][٢] الأولى بالعالم أن يفعله مع من أمرهم به، ولا يتخلف عنهم، كما قال شعيب عليه السلام: ﴿ **وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا باللَّه عليه توكلت وإليه أنيب** ﴾.

فكُلٌّ من الأمر بالمعروف وفعله واجب، لا يسقط أحدهما بترك الآخر على أصح قولي العلماء من السلف والخلف. وذهب بعضهم إلى أنّ مرتكب المعاصي لا ينهى غيره عنها، وهذا ضعيف،

---

(٣٢٣) - رواه ابن جرير برقم (٨٤٠)، وابن أبي حاتم برقم (٤٧٧) مختصراً.

(٣٢٤) - ابن جرير برقم (٨٤١). وسنده ضعيف

(٣٢٥) - رواه ابن جرير ٨٤٦ - (٢/٨)، وابن أبي شيبة (١٦٧/٨ ع)، والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٢١٠). ومسلم الجرمي: هو مسلم بن أبي مسلم، أورده ابن حبان في الثقات (١٥٨/٩) وقال: ربما أخطأ، وقال الأزدي: حدث بأحاديث لا يتابع عليها، وأورد له البيهقي حديثاً من وجهين عنه، وقال: غير قوي. قال الحافظ: وليس في إسناده من ينظر فيه غير مسلم هذا (اللسان ٣٨/٦). وأبو قلابة: اسمه عبد اللَّه بن زيد: قال الحافظ: ثقة، فاضل كثير الإرسال. قال العجلي: فيه نصب يسير. وذكره العلائي في المدلسين. وقال الذهبي: ثقة في نفسه؛ إلا أنه يدلس عمن لحقهم، وعمن لم يلحقهم، وكان له صحف يحدث منها، ويدلس.

---

[١] - في ز: تحجون.

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

وأضعف منه تمسكهم بهذه الآية ؛ فإنه لا حجة لهم فيها .

والصحيح أن العالم يأمر بالمعروف وإن لم يفعله ، وينهى عن المنكر وإن ارتكبه ، [قال مالك : عن ربيعة : سمعت سعيد بن جبير يقول : لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ، ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء ما ، ما أمر أحد بالمعروف ، ولا نهى عن منكر . قال مالك : وصدق ، مَنْ ذا الذي ليس فيه شيء ؟

(قلت):][١] ولكنه والحالة هذه مذموم على ترك الطاعة وفعله المعصية ؛ لعلمه بها ومخالفته على بصيرة ؛ فإنه ليس من يعلم كمن لا يعلم ؛ ولهذا جاءت الأحاديث في الوعيد على ذلك ، كما قال الإمام أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير (٣٢٦) :

حدّثنا أحمد بن المعلى الدمشقي ، والحسن بن علي المعمري ، قالا : حدّثنا هشام بن عمار ، حدّثنا علي بن سليمان الكلبي ، حدّثنا الأعمش ، عن أبي تميمة الهُجَيمي ، عن جندب بن عبد اللّه رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : **« مَثَل العالِم الذي يُعلِّم الناس الخير ولا يعمل به ؛ كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه »** .

هذا حديث غريب من هذا الوجه .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد بن حنبل (٣٢٧) في مسنده[٢] : حدّثنا وكيع ، حدثنا حماد ابن سلمة ، عن علي بن زيد - هو ابن جدعان - عن أنس بن مالك - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم : **« مررت ليلة أسري بي على قوم شفاهُهم تُقْرضُ بمقاريض من نار . قال : قلت : من هؤلاء ؟ قالوا : خطباء أمّتك[٣] من أهل الدنيا ، ممن كانوا يأمرون**

---

(٣٢٦) - المعجم الكبير ١٦٨١ - (١٦٥/٢) وقال الهيثمي في المجمع (١٨٥/١) : « رجاله موثقون » . ورواه الخطيب في اقتضاء العلم العمل (٧٠) . وصححه الألباني في تعليقه عليه .

(٣٢٧) - **إسناده ضعيف ، لضعف علي بن زيد بن جدعان** ؛ إلا أنه توبع عند ابن حبان ، وابن أبي حاتم وأبي نعيم ، والحديث في المسند ١٢٢٣١- (١٢٠/٣) ، ورواه أحمد حديث ١٢٨٧٩ - (١٨٠/٣) ، ١٣٤٤٥ - (٢٣١/٣) ، ١٣٥٤٠ - (٢٣٩/٣) ، ورواه أبو يعلى حديث ٣٩٩٦ ، ٣٩٩٢ من حديث علي بن زيد أيضًا ، عن أنس . ورواه ابن المبارك في الزهد برقم ٨١٩ . وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث ٥٣ . وهو في الدر المنثور للسيوطي (١٢٦/١) ، وقد عزاه لابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد (١٢٢٢) ، والبزار ، وابن أبي داود في البعث ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في الشعب . ورواه أبو نعيم في الحلية (٤٣/٨ - ٤٤) من طريق ابن مصفى ، حدثنا بقية ، حدثنا إبراهيم بن أدهم ، حدثنا مالك ابن دينار ، عن أنس . ورواه أيضاً في الحلية (١٧٢/٨) من طريق عبد اللّه بن موسى ، عن ابن المبارك ، عن سليمان التيمي ، عن أنس .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - في خ : « سنده » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

الناس بالبر وينسون أنفسهم، وهم يتلون الكتاب، أفلا يعقلون؟» .

ورواه عبد بن حميد في مسنده(٣٢٨) وتفسيره عن الحسن بن موسى، عن حماد بن سلمة، به[١] .

ورواه ابن مردويه في تفسيره(٣٢٩) ، من حديث يونس بن محمد المؤدّب والحجاج بن منهال كلاهما عن حماد بن سلمة به، وكذا رواه يزيد بن هارون، عن حماد بن سلمة، به[٢] .

ثم قال ابن مردويه: حدّثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم، حدّثنا موسى بن هارون، حدّثنا إسحاق بن إبراهيم التستري ببلخ، حدّثنا مكي بن إبراهيم، حدّثنا عمر بن قيس، عن علي بن زيد، عن ثمامة، عن أنس؛ قال: سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: «**مررت ليلة أسري بي على أناس تقرض شفاههم وألسنتهم بمقاريض من نار. قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء خطباء أمّتك، الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم**».

وأخرجه ابن حبان في صحيحه(٣٣٠) ، وابن أبي حاتم، وابن مردويه أيضًا من حديث هشام الدستوائي، عن المغيرة - يعني ابن حبيب ختن مالك بن دينار [- عن مالك بن دينار][٣] ، عن ثمامة، عن أنس بن مالك قال: لما عُرج برسول الله - صلى الله عليه وسلم - مرّ بقوم تُقرض شفاهُهم فقال: «**يا جبريل! مَنْ هؤلاء؟ قال: هؤلاء الخطباء من أمّتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم؛ أفلا يعقلون؟**».

حديث آخر، قال الإمام أحمد(٣٣١) : حدثنا يعلى بن عبيد، حدّثنا الأعمش، عن أبي وائل قال: قيل لأسامة، وأنا رديفه: ألا تكلم عثمان؟ فقال: [ألا][٤] إنكم تُرَون أني لا أكلمه، ألا أسمعكم! إني لأكلمه[٥] فيما بيني وبينه ما دون أن أفتتح أمرًا - لا أحب أن أكون أوّل من افتتحه، والله لا أقول لرجل إنك خير الناس وإن كان عليّ أميرًا - بعد أن[٦] سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول[٧] . قالوا: وما سمعته يقول؟ قال: سمعته يقول: «**يُجاء بالرجل يوم**

(٣٢٨) - المنتخب (١٢٢٢)، وأحمد (٢٣٩/٣ - ٢٤٠) .

(٣٢٩) - رواه أحمد (٢٣١/٣)، والطيالسي (٢٠٦٠) .

(٣٣٠) - صحيح ابن حبان برقم (٣٥ موارد) وتفسير ابن أبي حاتم ٤٧٦ - (١٥١/١) . والمغيرة بن حبيب: قال البخاري: كان صدوقًا عدلًا، ووثقه ابن حبان، وقال: يغرب. وقال الأزدي: منكر الحديث.

(٣٣١) - المسند ٢١٨٧٥ - (٢٠٥/٥) وانظر (٢٠٧/٥، ٢٠٩)، والبيهقي =

[١] - سقط من ز .

[٢] - سقط من: خ.

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ .

[٤] - زيادة من ز .

[٥] - في ز: لا أكلمه .

[٦] - في ز: إذ .

[٧] - سقط من ز .

القيامة، فيلقى في النار، فتندلق[١] (٣٣٢) به أقتابه، فيدور بها في النار كما يدور الحمار برحاه، فيطيف به أهل النار فيقولون: يا فلان! ما أصابك؟ ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه».

ورواه البخاري ومسلم، من حديث سليمان بن مهران[٢] الأعمش، به نحوه(٣٣٣).

[وقال أحمد: حدّثنا سيار بن حاتم، حدّثنا جعفر بن سليمان، عن ثابت، عن أنس قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: «**إن اللّه يعافي الأمّيين يوم القيامة ما لا يعافي العلماء**»(٣٣٤).

وقد ورد في بعض الآثار: «إنه يغفر للجاهل سبعين مرة حتى يغفر للعالم مرّة واحدة، ليس من يعلم كمن لا يعلم، وقال تعالى: ﴿**قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، إنما يتذكر أولوا الألباب**﴾.

وروى ابن عساكر في ترجمة الوليد بن عقبة، عن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال: «**إنّ أناسًا**

= في الكبرى (١٠/٩٤ - ٩٥)، وفي الشعب (١٣/٧١٦١).

(٣٣٢) - الاندلاق: خروج الشيء من مكانه، يريد خروج أمعائه من جوفه. النهاية (٢/١٣٠).

(٣٣٣) - أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب: صفة النار وأنها مخلوقة (رقم: ٣٢٦٧) وطرفه في (٧٠٩٨). ومسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب: عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله رقم (٢٩٨٩). كلاهما من طريق الأعمش، به.

(٣٣٤) - **حديث منكر**، قاله أحمد بن حنبل فيما نقله عنه السيوطي في اللآلئ، ورواه الخطيب في اقتضاء العلم (٨٠)، ورواه أبو نعيم في الحلية (٢/٣٣١، ٩/٢٢٣)، ورواه أبو بكر المروزي في الورع (٣/٢) والرامهرمزي في الفاصل ص ١٤٣. وابن عساكر في ذم من لا يعمل بعلمه، والضياء المقدسي في المختارة (١/٥٠١) كلهم من طريق الإمام أحمد به، وقال أبو نعيم: «هذا حديث غريب تفرد به سيار، عن جعفر، ولم نكتبه إلا من حديث أحمد بن حنبل». وقال عبد اللّه بن أحمد: «هذا حديث منكر، حدثني به أبي، وما حدثني به إلا مرة». وأورده الذهبي في ترجمة جعفر بن سليمان الضبعي (١٥٠٥). وأورده السيوطي في اللآلئ (١/١١٧) وقال: قال أحمد: حديث منكر، وأورده ابن الجوزي في الواهيات (١/١٣٣) وأورده المقدسي في المختارة، وهما طرفا نقيض.

قال الألباني: علته سيار أبو حاتم، أورده الذهبي في الضعفاء، وقال: قال القواريري: كان معي في الدكان لم يكن له عقل. قيل: أتتهمه؟ قال: لا. وقال غيره: صدوق، سليم الباطن، وضعفه ابن المديني وغيره. قلت - الألباني -: وكأنه لذلك لم يورده في المسند، وقول عبد اللّه هذا ذكره الضياء أيضًا عقب الحديث فيتعجب منه كيف أورده في المختارة! وكذلك أورده ابن قدامة في المنتخب، وزاد: قال المروزي: قال أبو عبد اللّه: الخطأ من جعفر، ليس هذا من قبل سيار - كذا قال الإمام، وجعفر خير من سيار، وحسبه أنه احتج به مسلم، واللّه أعلم.

---

[١] - في خ: «فيتدلق». [٢] - في ز، خ: «يزيد أن».

من أهل الجنة يطلعون على أناس من أهل النار فيقولون : بم دخلتم النار ؟ فوالله ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمنا منكم ، فيقولون إنا كنا نقول ولا نفعل»(٣٣٥) .

ورواه من حديث الطبراني(٣٣٦) ، عن أحمد بن يحيى الخباز الرملي ، عن زهير بن عباد الرواسي ، عن أبي بكر [الدَّاهري] عبد الله بن حكيم ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي ، عن الوليد بن عقبة فذكره][١] .

وقال الضحاك : عن ابن عباس(٣٣٧) : أنه جاءه رجل ، فقال : يا ابن عباس ، إني أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر ، قال أَوَبَلَغتَ ذلك ؟ قال : أرجو . قال : إن لم تخش أن تُفْتَضَح بثلاث آيات من كتاب الله فافعل . قال : وما هنّ ؟ قال : قوله تعالى : ﴿ **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم** ﴾ . أَحْكَمْتَ هذه ؟ قال : لا . قال فالحرف الثاني ؟ قال : قوله تعالى : ﴿ **لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون** ﴾ . أحكمت هذه ؟ قال : لا . قال : فالحرف الثالث ؟ قال : قول العبد الصالح شعيب عليه السلام : ﴿ **وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه [إن أريد إلا الإصلاح]**[٢] ﴾ أحكمت هذه الآية ؟ قال : لا . قال : فابدأ بنفسك .

رواه ابن مَرْدُويه في تفسيره .

وقال الطبراني(٣٣٨) : حدّثنا عبدان بن أحمد ، حدّثنا زيد بن الحريش ، حدّثنا عبد الله بن خِرَاش ، عن العوام بن حوشب ، عن المسيب بن رافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **من دعا الناس إلى قول أو عمل ولم يعمل هو به لم يزل في ظل سخط الله حتى يكف أو يعمل ما قال ، أو دعا إليه** » .

[إسناده فيه ضعف . وقال إبراهيم النخعي إني لأكره القصص لثلاث آيات ؛ قوله تعالى :

---

(٣٣٥) - **ضعيف جدًا** ، رواه ابن عساكر (١٧/ل ٨٦٧) ، ورواه الطبراني في الكبير (٢٢/رقم ٤٠٥) ، وفي الأوسط (٩٩) ، ورواه الخطيب في اقتضاء العلم العمل برقم (٧٣) ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٨٥) وقال : رواه الطبراني في الكبير ، وفيه أبو بكر عبد الله بن حكيم الداهري ، وهو ضعيف جدًا . وانظر : مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٢٦/٣٣٦) .

(٣٣٦) - **إسناده ضعيف جدًا** ، أبو بكر الداهري : اتهموه بالوضع . وزهير بن عباد ضعيف .

(٣٣٧) - البيهقي في الشعب (١٣/٧١٦٢) .

(٣٣٨) - **إسناده ضعيف** ، ورواه أبو نعيم في الحلية (٢/٧) ، من طريق الطبراني ، وقال الهيثمي في المجمع (٧/٢٧٦) : « فيه عبد الله بن خراش وثقه ابن حبان وقال : يخطئ ، وضعفه الجمهور ، وبقية رجاله ثقات » .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - سقط من : ز ، خ .

﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ﴾ وقوله **﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾** وقوله إخبارًا عن شعيب **﴿ وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب]**[١] **﴾** .

وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾

يقول تعالى آمرًا عبيده ، فيما يؤملون من خير الدنيا [والآخرة][٢] بالاستعانة بالصبر والصلاة ، كما [قال مقاتل][٣] بن حيّان في تفسير هذه الآية : استعينوا على طلب الآخرة بالصبر على الفرائض ، والصلاة .

فأما الصبر فقيل : إنه الصيام ، نص عليه مجاهد .

[قال القرطبي وغيره : ولهذا يسمى رمضان شهر الصبر ، كما نطق به الحديث][٤] . وقال سفيان الثوري : عن أبي إسحاق ، عن جُرَيّ بن كليب ، عن رجل من بني سليم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **الصوم نصف الصبر** »(٣٣٩) .

وقيل : المراد بالصبر الكف عن المعاصي ؛ ولهذا قرنه بأداء العبادات وأعلاها فعل الصلاة .

---

(٣٣٩) – الحديث رواه أحمد ، ثنا معاذ بن معاذ ، أنا شُعْبَة ، أنا أبو إسحق الهمداني ، عن جريّ النهدي ، عن رجل من بني سليم ... ١٨٣٤٠ (٢٦٠/٤) وجري النهدي : وهو ابن كليب النهدي الكوفي ، قال الحافظ في التقريب ت (٩٢١) : مقبول – أي عند المتابعة – وأبو إسحاق الهمداني : هو السبيعي – مدلس وقد عنعن – وتابعه عاصم بن أبي النجود عند أحمد حديث ٢٣٢٠٥ . ويونس بن أبي إسحاق حديث ٢٣١٧٩ ، ٢٣٢٦٦. ورواه الترمذي في كتاب الدعوات ، باب : (٨٧) حديث ٣٥١٩ . والدارمي في سننه في كتاب الصلاة ، باب : ما جاء في الطهور حديث ٦٦٠ (١٣٢/١) . والبيهقي في شعب الإيمان (٢٩١/٣) حديث ٣٥٧٥ . من طريق أبي الأحوص وشعبة ، عن أبي إسحاق ، عن جري النهدي ، عن رجل من بني سليم ؛ قال : عرض رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في يدي أو في يده ... الحديث . ورواه أحمد في مسنده حديث ٢٣١٧٩ ، ٢٣٢٠٥ ، ٢٣٢٤٥ ، ٢٣٢٦٦ (٣٦٥/٥ ، ٣٧٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٢/١) . وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن . والحديث ضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الترمذي (٣٧٦٥) .

ورواه ابن ماجه ١٧٤٥ – (٥٥٥/١) من حديث أبي هريرة ، وفي إسناده ، موسى بن عبيدة ، وهو ضعيف.

---

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] – سقط من : ز ، خ .

[٣] – في خ : « كما قال تعالى مقاتل .. » وهو خطأ . [٤] – سقط من : ز ، خ .

و[١] قال ابن أبي حاتم(٣٤٠) : [حدثني أبي حدّثنا][٢] عبيد الله بن حمزة بن إسماعيل، حدّثنا إسحاق بن سليمان، عن أبي سنان، عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قال: الصبر صبران؛ صبر عند المصيبة حسن، وأحسن منه الصبر عن محارم الله.

قال[٣] : وروي عن الحسن البصري نحو قول عمر.

وقال ابن المبارك: عن ابن لَهِيعة، عن مالك بن دينار، عن سعيد بن جبير قال: الصبر: اعتراف العبد لله بما أصيب[٤] فيه، واحتسابه عند الله ورجاء ثوابه، وقد يجزع الرجل وهو يتجلد، لا يُرى منه إلا الصبر.

وقال أبو العالية في قوله تعالى[٥] : ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ قال[٦] : على مرضاة الله، واعلموا أنها من طاعة الله.

وأما قوله: ﴿والصلاة﴾ فإن الصلاة من أكبر العون على الثبات في الأمر، كما قال تعالى: **﴿اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر﴾** الآية.

وقال الإمام أحمد(٣٤١) : حدّثنا خلف بن الوليد، حدّثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، عن عكرمة بن عمار، عن محمد بن عبد الله الدؤلي قال: قال عبد العزيز أخو[٧] حذيفة - قال حذيفة - يعني ابن اليمان - رضي الله عنه - : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى.

ورواه أبو داود، [عن محمد بن عيسى، عن يحيى بن زكريا، عن عكرمة بن عمار كما

(٣٤٠) - **منقطع**، وهو في تفسير ابن أبي حاتم برقم ٤٨٨ - (١٥٥/١) . أبو سنان: وهو سعيد بن سنان، لم يسمع من عمر.

(٣٤١) - المسند ٢٣٤٠٦ - (٣٨٨/٥) ، وأخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب: وقت قيام النبي، صلى الله عليه وسلم، من الليل (رقم: ١٣١٩) . وعبد العزيز بن أخي حذيفة: قال الذهبي في الميزان (٦٣٩/٢) : لا يعرف.

[١] - زيادة من ز، خ.
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.
[٣] - سقط من: ز، خ.
[٤] - في ز، خ: «أصاب».
[٥] - سقط من: خ.
[٦] - سقط من: خ.
[٧] - في المسند و أبي داود: ابن أخي. وفي أطراف المسند: (أخو) ،وصوَّب أبو نعيم، ووافقه الحافظ أنه (ابن أخي حذيفة) . وصوَّب ابن أبي حاتم، وابن حبان أنه (أخو حذيفة) .

سيأتي][١] .

وقد رواه ابن جرير(٣٤٢) من حديث ابن جريج، عن عكرمة بن عمار، عن محمد بن عبيد ابن أبي قدامة، عن عبد العزيز بن اليمان، عن حذيفة قال: كان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.

[ورواه بعضهم عن عبد العزيز ابن أخي حذيفة - ويقال: أخي حذيفة - مرسلًا عن النبي صلى اللّه عليه وسلم.

وقال محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة: حدّثنا سهل بن عثمان العسكري، حدّثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة قال: قال عكرمة بن عمار: قال محمد بن عبد اللّه الدؤلي: قال عبد العزيز قال حذيفة: رجعت إلى النبي صلى اللّه عليه وسلم ليلة الأحزاب وهو مشتمل في شملة يصلي، وكان إذا حزبه أمر صلى(٣٤٣) .

حدّثنا [عبد اللّه][٢] بن معاذ، حدّثنا أبي، حدّثنا شعبة، عن أبي إسحاق، سمع حارثة بن مضرب، سمع عليًا - رضي اللّه عنه - يقول: لقد رأيتنا ليلة بدر وما فينا إلا نائم غير رسول اللّه، صلى اللّه عليه وسلم، يصلي ويدعو حتى أصبح(٣٤٤)][٣] .

قال ابن جرير: وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه مر بأبي هريرة وهو منبطح على بطنه فقال له: «أشكنب[٤] دَرْدْ» [ومعناه: أيوجعك بطنك! قال نعم][٥] . قال: «**قم فصل فإن الصلاة شفاء**»(٣٤٥) .

---

(٣٤٢) - تفسير ابن جرير ٨٤٩ - (١٢/٢) .

(٣٤٣) - تعظيم قدر الصلاة برقم ٢١٢ - (٢٣١/١) .

(٣٤٤) - تعظيم قدر الصلاة برقم ٢١٣ - (٢٣١/١) ، والحديث رواه النسائي في الكبرى (٨٢٣) ، ورواه أحمد (١٠٢٣ ، ١١٦١) ، والطيالسي (١١٦) ، وأبو يعلى (٢٨٠ ، ٣٠٥) ، وابن خزيمة (٨٩٩/٢) ، وابن حبان (٢٢٥٧) ، والبيهقي في الدلائل (٤٩/٣) ، من حديث شعبة ، به .

(٣٤٥) - منكر ، وهو في تفسير ابن جرير (١٣/٢) . والحديث رواه أحمد (٣٩٠/٢ ، ٤٠٣) ، ورواه ابن ماجه ٣٤٥٨ - (١١٤٤/٢) . وابن حبان في المجروحين (١٩٦/١) ، وابن عدي في الكامل (٩٨٥/٣) ، تمام في فوائده (١١٤٣) ، والعقيلي (٤٨/٢) ، وابن الجوزي في الواهيات (١٧٠/١ ، ١٧١) وفي إسناد ابن ماجه : ليث بن أبي سليم ، وهو ضعيف . وداود بن علية : وهو ضعيف أيضاً ، قال ابن حبان : منكر الحديث جدًّا يروي عن الثقات ما لا أصل له ، وعن الضعفاء ما لا يعرف . وقال ابن حبان أيضاً : =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - صوابه : عبيد اللّه .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٤] - في خ : «أسلب» .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

قال ابن جرير(٣٤٦) : وقد حدّثنا محمد بن العلاء ويعقوب بن إبراهيم قالا: حدّثنا ابن عُلَيَّة ، حدّثنا عيينة[١] بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، أن ابن عباس نُعِي إليه أخوه قُثَم[٢] ، وهو في سفر ، فاسترجع ثم تنحّى عن الطريق ، فأناخ فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس ، ثم قام يمشي إلى راحلته وهو يقول ﴿ **واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين** ﴾ .

وقال سُنَيد[٣] : عن حجاج ، عن ابن جريج ﴿ **واستعينوا بالصبر والصلاة** ﴾ قال : إنهما مَعونتان على رحمة الله ، والضمير في قوله ﴿ **وإنها لكبيرة[٤]** ﴾ عائد إلى الصلاة ، نص عليه مجاهد ، واختاره ابن جرير .

ويحتمل أن يكون عائدًا على ما يدل[٥] عليه الكلام وهو الوصية بذلك ، كقوله تعالى : في قصة قارون ﴿ **وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليّ حميم وما يُلَقَّاها إلا الذين صبروا** [**وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم** ﴾ أي وما يلقى هذه الوصية إلا الذين صبروا][٦] ، وما يلقاها ، أي : يؤتاها ويلهمها إلا ذو حظ عظيم .

وعلى كل تقدير فقوله تعالى : ﴿ **وإنها لكبيرة** ﴾ أي مشقة ثقيلة إلا على الخاشعين ، و[٧] قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس يعني المصدقين بما أنزل الله . وقال مجاهد : المؤمنين حقًّا ، وقال أبو العالية : إلا على الخاشعين : الخائفين ، وقال مقاتل بن حيان : إلا على الخاشعين ، يعني به : المتواضعين .

وقال الضحاك : ﴿ **وإنها لكبيرة** ﴾ قال : إنها لثقيلة إلا على الخاضعين لطاعته ، الخائفين سطواته ، المصدقين بوعده ووعيده .

وهذا يشبه ما جاء في الحديث : « **لقد سألت عن عظيم ، وإنه ليسير على من يسره الله عليه** »(٣٤٧) .

= وقد رُوي هذا الحديث عن أبي هريرة موقوفاً ، وهو أصح . والموقوف رواه البخاري في تاريخه الصغير (٢/ ٢٥٨) ، والعقيلي (٢/٤٨) ، وابن عدي (٣/٩٨٥) ، وابن الجوزي ١/١٧٠) .

(٣٤٦) - تفسير ابن جرير ٨٥٢ - (٢/١٤) . وإسناده صحيح .

(٣٤٧) - **حسن بطرقه** ، رواه أحمد في المسند ٢٢١١٤ - (٥/٢٣١) من حديث عبد الرزاق ، عن معمر =

---

[١] - في ز ، خ : ابن عيينة .

[٢] - في خ : « قثم » .

[٣] - في خ : « سعيد » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ز ، خ : « دل » .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٧] - زيادة في خ .

وقال ابن جرير : معنى الآية : واستعينوا أيها الأحبار من أهل الكتاب ، بحبس أنفسكم على طاعة اللّٰه ، وبإقامة الصلاة المانعة من الفحشاء والمنكر ، المقربة من رضاء اللّٰه ، العظيمة إقامتها إلا على [الخاشعين ، أي][١] المتواضعين للّٰه[٢] المستكينين[٣] لطاعته المتذللين من مخافته .

هكذا قال ، والظاهر أن الآية وإن كانت خطابًا في سياق إنذار بني إسرائيل ، فإنهم لم يقصدوا بها على سبيل التخصيص ، وإنما هي عامّة لهم ولغيرهم . واللّٰه أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ **الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم إليه راجعون** ﴾ هذا من تمام الكلام الذي قبله ، أي : وإنّ الصلاة أو الوَصَاة لثقيلة إلا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم ، أي : [يعلمون أنهم محشورون][٤] إليه يوم القيامة معروضون[٥] عليه ، وأنهم إليه راجعون ، أي : أمورهم راجعة إلى مشيئته ، يحكم فيها ما يشاء بعدله ؛ فلهذا لما أيقنوا بالمعاد والجزاء سَهُل عليهم فِعلُ الطاعات وترك المنكرات .

فأما قوله : ﴿ **يظنون أنهم ملاقو ربهم** ﴾ فقال[٦] ابن جرير ، رحمه اللّٰه : العرب قد تسمي اليقين ظنًّا ، والشك ، ظنًّا ، نظير تسميتهم الظلمة « سُدْفة »[٧] ، والضياء « سُدْفة »[٨] ، والمغيث « صارخًا » ، والمستغيث « صارخًا » ، وما أشبه ذلك من الأسماء التي يسمى بها الشيء وضدّه ، كما قال دريد بن الصِّمة :

فقلت لهم ظُنُّوا بألفي مُدَجَّجٍ[٩] سَرَاتُهُمُ في الفَارِسِيِّ[١٠] المُسَرَّدِ[١١]

=عن عاصم بن أبي النجود ، عن أبي وائل ، عن معاذ رضي اللّٰه عنه . وأخرجه الترمذي في كتاب الإيمان ، باب : ما جاء في حرمة الصلاة (رقم : ٢٦١٦) . وقال : هذا حديث حسن صحيح ، والنسائي في الكبرى في كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع** ﴾ (١١٣٩٤) ، وابن ماجة في كتاب الفتن ، باب : كف اللسان في الفتنة (رقم : ٣٩٧٣) كلهم من طريق معمر ، عن عاصم بن أبي النجود ، به . ورواه أحمد ٢٢١٣١ - (٥/٢٣٣) من حديث شعبة ، عن الحكم ، قال : سمعت عروة بن النزال - أو النزال بن عروة ، يحدث عن معاذ بن جبل - قال شعبة : فقلت له : سمعه من معاذ ؟ قال : لم يسمعه منه . وقد أدركه - أنه قال : يا رسول اللّٰه ! أخبرني بعمل يدخلني الجنة .... فذكر مثل حديث معمر ، عن عاصم ، أنه ... قال الحكم : وسمعته من ميمون بن أبي شبيب . ورواه ٢٢١٦٧ - (٥/٢٣٧).

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز : المستكنين .
[٤] - في ز : يحشرون .
[٥] - في ز : معرضون .
[٦] - في ن : وقال .
[٧] - في ز : شدفة .
[٨] - في ز : شدفة .
[٩] - في ز : مدحج .
[١٠] - في خ : « بالفارسى » .
[١١] - في ز : المسود .

يعني بذلك تيقنوا بألفي[١] مدجج[٢] يأتيكم، وقال عَمِيرة[٣] بن طارق:

بأن[٤] تغتزوا قومي وأقعُدَ فيكم وأجعلَ مني الظنَّ غيبًا[٥] مرجَّما

يعني وأجعل مني اليقين غيبًا[٦] مرجمًا، قال والشواهد من أشعار العرب وكلامها على أنّ الظن في معنى اليقين أكثر من أن تحصر، وفيما ذكرنا لمن وفق لفهمه كفاية؛ ومنه قول اللّه تعالى ﴿ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها﴾، ثم قال [ابن جرير(٣٤٨)][٧]

حدثنا محمد بن بشار، حدثنا أبو عاصم، حدثنا سفيان، عن جابر، عن مجاهد قال: كل ظنّ في القرآن يقين، أي: ظننت وظنوا.

وحدثني المثنى(٣٤٩)، حدثنا إسحاق، حدثنا أبو داود الحفري، عن سفيان، عن ابن[٨] أبي نجيح، عن مجاهد، قال: كل ظن في القرآن فهو علم، وهذا سند صحيح.

وقال أبو جعفر الرازي: عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم﴾ قال: الظن هاهنا يقين.

قال ابن أبي حاتم: وروي عن مجاهد، والسدي، والربيع بن أنس، وقتادة نحو قول أبي العالية.

وقال سُنَيد: عن حجاج، عن ابن جريج ﴿الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم﴾ [علموا أنهم ملاقوا ربهم][٩] كقوله ﴿إني ظننت أني ملاق حسابيه﴾ يقول: علمت.

وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

(قلت): وفي الصحيح(٣٥٠) أنّ اللّه تعالى يقول للعبد يوم القيامة: «**ألم أزوِّجك، ألم**

---

(٣٤٨) - تفسير ابن جرير ٨٦٢ - (١٩/٢). وجابر هو ابن يزيد الجعفي: ضعيف.
(٣٤٩) - تفسير ابن جرير ٨٦٣ - (١٩/٢).
(٣٥٠) - صحيح مسلم برقم ١٦ - (٢٩٦٨)، والترمذي (٢٤٢٨).

---

[١] - في خ: «ألفي».
[٢] - في ز: مدحج.
[٣] - في ز، خ: «عمير».
[٤] - في خ: «وإن».
[٥] - في ز: عيبًا.
[٦] - في ز: عيبًا.
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٨] - سقط من ز.
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز و خ.

أكرمك ، ألم[١] **أسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس**(٣٥١) **وتربع**(٣٥٢) » فيقول : بلى . فيقول اللَّه تعالى[٢] : « **أفظننت أنك ملاقيَّ ؟** » [فيقول : لا][٣] . فيقول اللَّه : « **اليوم أنساك كما نسيتني** » ، وسيأتي مبسوطًا عند قوله تعالى : ﴿ **نسوا اللَّه فنسيهم** ﴾ [إن شاء اللَّه تعالى][٤] .

يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾

يذكرهم تعالى بسالف[٥] نعمه على آبائهم وأسلافهم ، وما كان فضلهم به من إرسال الرسل منهم ، وإنزال الكتب عليهم و[٦] على سائر الأمم من أهل زمانهم ، كما قال تعالى : ﴿ **ولقد اخترناهم على علم على العالمين** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة اللَّه عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكًا وآتاكم ما لم يؤت أحدًا من العالمين** ﴾ .

وقال أبو جعفر الرازي : عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية في قوله تعالى : ﴿ **وأني فضلتكم على العالمين** ﴾ قال : بما أعطوا من الملك والرسل والكتب على عَالَم من كان في ذلك الزمان ؛ فإنّ لكل زمان عالماً .

ورُوي عن مجاهد ، والربيع بن أنس ، وقتادة ، وإسماعيل بن أبي خالد نحو ذلك ، ويجب الحمل على هذا ؛ لأنّ هذه الأمّة[٧] أفضل منهم لقوله تعالى : خطابًا لهذه الأمّة : ﴿ **كنتم خير أمّة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون باللَّه ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرًا لهم** ﴾ وفي المسانيد[٨] والسنن ، عن معاوية بن حَيْدَة[٩] القُشَيري(٣٥٣) قال : قال

(٣٥١) - رأس القومَ ، يرأسهم ، رئاسة : إذا صار رئيسهم ، ومُقَدَّمهم . النهاية (١٧٦/٢) .

(٣٥٢) - تربع : أي تأخذ ربع الغنيمة . يقال : ربعت القوم ؛ أربعهم : إذا أخذت ربع أموالهم ، مثل عشرتهم أعشرهم . يريد : ألم أجعلك رئيساً مطاعاً ؛ لأن الملك كان يأخذ ربع الغنيمة في الجاهلية ، دون أصحابه . النهاية (١٨٦/٢) .

(٣٥٣) - رواه أحمد ٢٠٠٦٥ - (٤٤٧/٤) ، ورواه أحمد برقم ٢٠٠٧٣ ، ٢٠٠٧٧ ، ٢٠٠٩٧ (٥/٥) ، وأخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة آل عمران ، حديث (٣٠٠١) ، (٥/ ٢١١) . وابن ماجه في كتاب الزهد ، باب : صفة أمة محمد ، صلى اللَّه عليه وسلم ، حديث (٤٢٨٧- ٤٢٨٨) ، (١٤٣٣/٢) . والدارمي في كتاب الرقاق ، باب : في قول النبي ، صلى اللَّه عليه وسلم : « **أنتم خير الأمم** » حديث (٢٧٦٣) ، (٢٢١/٢) . =

[١] - في ز ، خ : « و » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : سالف .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - في خ : « الآية » .
[٨] - في ز ، خ : « المساند » .
[٩] - في خ : « جندة » .

رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم «**أنتم تُوفُونَ سبعين أمّة، أنتم خيرها وأكرمها على اللَّه**». والأحاديث في هذا كثيرة تذكر عند قوله تعالى: ﴿**كنتم خير أمّة أخرجت للناس**﴾.

[وقيل: المراد تفضيل بنوع مّا من الفضل على سائر الناس، ولا يلزم تفضيلهم مطلقًا، حكاه الرازي، وفيه نظر. وقيل إنهم فُضّلوا على سائر الأمم لاشتمال أمّتهم على الأنبياء منهم، حكاه القرطبي في تفسيره، وفيه نظر؛ لأنّ العالمين عام يشتمل من قبلهم ومن بعدهم من الأنبياء، فإبراهيم الخليل قبلهم وهو أفضل من سائر أنبيائهم، ومحمد بعدهم وهو أفضل من جميع الخلق، وسيد ولد آدم في الدنيا والآخرة، صلوات اللَّه وسلامه عليه.][١]

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

لما ذكرهم تعالى بنعمه أولًا، عطف على ذلك التحذير من حُلُول نقمه بهم يوم القيامة فقال ﴿**واتقوا يومًا**﴾ يعني: يوم القيامة ﴿**لا تجزي نفس عن نفس شيئًا**﴾ أي: لا يغني أحد عن أحد، كما قال ﴿**ولا تزر وازرة وزر أخرى**﴾ وقال ﴿**لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه**﴾ وقال ﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يومًا لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئًا**﴾ فهذه أبلغ المقامات أنّ كلًّا من الوالد وولده لا يغني أحدهم عن الآخر شيئًا

وقوله تعالى: ﴿**ولا يقبل منها شفاعة**﴾ يعني: من[٢] الكافرين، كما قال: ﴿**فما تنفعهم شفاعة الشافعين**﴾ وكما قال عن أهل النار: ﴿**فما لنا من شافعين ولا صديق حميم**﴾

وقوله تعالى: ﴿**ولا يؤخذ منها عدل**﴾ أي لا يقبل منها فداء، كما قال تعالى: ﴿**إنّ الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبًا ولو افتدى به**﴾ وقال ﴿**إنّ الذين كفروا لو أنّ لهم ما في الأرض جميعًا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم**﴾ وقال تعالى: ﴿**وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها**﴾. وقال ﴿**فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا [مأواكم النار هي مولاكم][٣]**﴾ الآية، فأخبر تعالى أنهم إن[٤] لم يؤمنوا برسوله ويتابعوه على ما بعثه به، ووافوا اللَّه يوم القيامة على ما هم عليه، فإنه لا ينفعهم قرابة قريب ولا شفاعة ذي جاه، ولا يقبل منهم فداء ولو بملء الأرض ذهبًا، كما قال تعالى: ﴿**من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة**﴾ وقال ﴿**لا بيع فيه ولا خلال**﴾.

= والطبراني في «الكبير» برقم (١٠٢٣-١٠٢٤-١٠٢٥)، (١٩/٤٢٢-٤٢٣).

[١] - سقط من: ز، خ. [٢] - في ز: عن.
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ. [٤] - سقط من: خ.

[قال سنيد : حدّثني حجاج ، حدّثني ابن جريج ، قال : قال مجاهد : قال ابن عباس : ﴿ **ولا يؤخذ منها عدل** ﴾ قال : بدل ، والبدل الفدية ، وقال السدّي : أمّا عدل فيعدلها من العدل ، يقول : لو جاءت بملء الأرض ذهبًا تفتدي به ما تُقُبِّل منها ، وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم][١] ، وقال أبو جعفر الرازي : عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية في قوله : ﴿ **ولا يؤخذ[٢] منها عدل** ﴾ يعني : فداء .

قال ابن أبي حاتم : وروي عن أبي مالك ، والحسن ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، والربيع بن أنس نحو ذلك .

وقال عبد الرزاق أنبأنا[٣] الثوري ، عن الأعمش ، عن إبراهيم التيمي ، عن أبيه ، عن علي - رضي الله عنه - في حديث طويل : قال : والصرف والعدل التطوّع والفريضة(٣٥٤) .

وكذا قال الوليد بن مسلم ، عن عثمان بن أبي العاتكة ، عن عمير بن هانئ .

وهذا القول غريب هاهنا[٤] ، والقول الأوّل أظهر في تفسير هذه الآية ، وقد ورد حديث يقوّيه ، وهو ما قال ابن جرير :

حدّثني نجيح بن إبراهيم ، حدّثنا علي بن حكيم ، حدّثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن عَمْرو بن قيس المُلائي ، عن رجل من بني أمية من أهل الشام - أحسن عليه الثناء - قال : قيل : يا رسول الله ، ما العدل ؟ قال : « **العدل الفدية** »(٣٥٥) .

وقوله تعالى : ﴿ **ولا هم ينصرون** ﴾ أي : ولا أحد يغضب لهم فينصرهم وينقذهم من عذاب الله ، كما تقدم من أنه لا يعطف عليهم ذو قرابة ولا ذو جاه ، ولا يقبل منهم فداء ، هذا كله من جانب التلطف ، ولا لهم ناصر من أنفسهم ، ولا من غيرهم ، كما قال ﴿ **فما له من قوّة ولا ناصر** ﴾ أي : إنه تعالى لا يقبل فيمن كفر به فدية ولا شفاعة ، ولا ينقذ أحدًا من عذابه منقذٌ ، [ولا يخلصه منه أحد][٥] ولا يجيره منه أحد ، كما قال تعالى : ﴿ **وهو يجير ولا يجار عليه** ﴾ وقال ﴿ **فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد** ﴾ وقال ﴿ **ما لكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون** ﴾ وقال ﴿ **فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا**

(٣٥٤) - رواه ابن أبي حاتم برقم (٥٠٦) .

(٣٥٥) - **مرسل أو منقطع** ، فالرجل المبهم مجهول ، والراجح أنه تابعي ، فيكون الحديث مرسلاً أو معضلاً ، والحديث في تفسير ابن جرير ٨٨٦ - (٣٤/٢) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ت : يقبل .
[٣] - في خ : « أخبرنا » .
[٤] - في ز ، خ : « هنا » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

عنهم﴾ الآية .

وقال الضحاك(٣٥٦) عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿**ما لكم لا تناصرون**﴾ مالكم اليوم لا تمانَعُون منا ، هيهات ! ليس ذلك لكم اليوم .

قال ابن جرير : وتأويل قوله : ﴿**ولا هم ينصرون**﴾ يعني : أنهم يومئذ لا ينصرهم ناصر ، كما لا يشفع لهم شافع ، ولا يقبل منهم عدل ولا فدية . بَطَلت هنالك المحاباة ، واضمحلت الرشى والشفاعات ، وارتفع من القوم التناصر والتعاون ، وصار الحكم إلى [الجبار العدل][١] الذي لا ينفع لديه الشفعاء ولا[٢] النصراء ، فيجزي بالسيئة مثلها وبالحسنة أضعافها ، وذلك نظير قوله تعالى : ﴿**وقفوهم إنهم مسئولون ما لكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون**﴾ .

وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾

يقول تعالى : واذكروا يا بني إسرائيل نعمتي عليكم ؛ ﴿**إذ نجيناكم من آل فرعون** [**يسومونكم سوء العذاب**][٣] ﴾ ، أي : خلصتكم منهم ، وأنقذتكم من أيديهم صحبة موسى عليه السلام ، وقد كانوا يسومونكم ، أي يوردونكم ويذيقونكم ويولونكم سوء العذاب ، وذلك أن فرعون - لعنه اللَّه - كان قد رأى رؤيا هالته ؛ رأى نارًا خرجت من بيت المقدس فدخلت بيوت القبط ببلاد مصر ، إلا بيوت بني إسرائيل ، مضمونها : أن زوال ملكه يكون على يدي رجل من بني إسرائيل ، ويقال : بل تحدث سمَّاره عنده بأن بني إسرائيل يتوقعون خروج رجل منهم ، يكون لهم به دولة ورفعة ، وهكذا جاء في [حديث الفُتُون ،][٤] كما سيأتي في موضعه ، [في سورة طه ،][٥] إن شاء اللَّه تعالى ، فعند ذلك أمر فرعون - لعنه اللَّه - بقتل كل ذَكَر يولد بعد ذلك من بني إسرائيل ، وأن تترك البنات ، وأمر باستعمال بني إسرائيل في مشاق الأعمال وأراذلها .

وهاهنا فسر العذاب بذبح الأبناء ، وفي سورة إبراهيم عطف عليه ، كما قال ﴿**يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم**﴾ ، وسيأتي تفسير ذلك في أول سورة القصص ، إن شاء اللَّه تعالى ، وبه الثقة والمعونة والتأييد . [ومعنى يسومونكم : يولونكم قاله أبو

(٣٥٦) - ابن جرير برقم (٨٨٧) ، وسنده ضعيف .

[١] - في ز ، خ : « عدل الجبار » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز ، خ : « الحديث المضون » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

عبيدة. كما يقال: سامه خطة خسف، إذا أولاه إياها. قال عمرو بن كلثوم:

إذا ما المَلْكُ سام الناسَ خَسْفًا أبَـيْنا أن نُـقِـرَّ الخسْـفَ فينـا

وقيل: معناه يديمون عذابكم. كما يقال: سائمة الغنم من إدامتها الرعي، نقله القرطبي. وإنما قال هاهنا: ﴿**يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم**﴾ ليكون ذلك تفسيرًا للنعمة عليهم في قوله: ﴿**يسومونكم سوء العذاب**﴾ ثم فسره بهذا لقوله هاهنا: ﴿**اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم**﴾ وأما في سورة إبراهيم: فلما قال: ﴿**وذكرهم بأيام الله**﴾ أي: بأياديه ونعمه عليهم، فناسب أن يقول هناك: ﴿**يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم**﴾ فعطف عليه الذبح ليدل على تعدد النعم والأيادي على بني إسرائيل][١] .

وفرعون عَلَمٌ على كل من ملك مصر، كافرًا [من العماليق وغيرهم][٢] ، كما أن قيصر علم على كل من ملك الروم مع الشام كافرًا، وكذلك كسرى لمن[٣] ملك الفرس، وتُبّع لمن ملك اليمن كافرًا، [والنجاشي لمن ملك الحبشة، وبطليموس لمن ملك الهند][٤] ، ويقال: كان اسم فرعون الذي كان في زمن[٥] موسى عليه السلام الوليد بن مصعب [بن الريان][٦] ، وقيل: مصعب بن الريان، [فكان من سلالة عمليق بن الأود بن إرم بن سام بن نوح وكنيته أبو مرة، وأصله فارسي من إصطخر][٧] ، وأيًّاما كان فعليه[٨] لعنة الله.

وقوله تعالى: ﴿**وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم**﴾.

قال ابن جرير: وفي الذي فعلنا بكم من إنجائنا إياكم مما كنتم فيه من عذاب آل[٩] فرعون، بلاء لكم من ربكم عظيم، أي: نعمة عظيمة عليكم في ذلك.

وقال علي بن أبي طلحة: عن ابن عباس(٣٥٧) قوله تعالى: ﴿**بلاء من ربكم عظيم**﴾ قال: نعمة.

وقال مجاهد: ﴿**بلاء من ربكم عظيم**﴾ قال: نعمة. من ربكم عظيمة، وكذا[١٠] قال أبو العالية وأبو مالك والسدي وغيرهم، وأصل البلاء الاختبار، وقد يكون بالخير والشر، كما قال

(٣٥٧) - ابن جرير برقم (٨٩٩)، وابن أبي حاتم برقم (٥١١).

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٣] - في ز، خ: «لكل من».
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٥] - في ز، خ: «زمان».
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.
[٨] - في ز، خ: «فعله».
[٩] - سقط من: خ.
[١٠] - في ز، خ: «وكذلك».

تعالى : ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾ ، وقال ﴿وبلوناهم بالحسنات والسيئات [لعلهم يرجعون][١] ﴾ . قال ابن جرير : وأكثر ما يقال في الشر : بلوته أبلوه بَلاَءً ، وفي الخير أبليه إبلاء وبلاء ، قال زهير بن أبي سلمى :

جَزَى اللَّه بالإحسان ما فَعَلا بِكُمْ وأبلاهما خَيْرَ البلاء الذي يَبْلُو

قال فجمع بين اللغتين ؛ لأنه أراد : فأنعم اللَّه عليهما خير النعم التي يَخْتَبِرُ بها عباده .

[وقيل : المراد بقوله ﴿وفي ذلكم بلاء﴾ إشارة إلى ما كانوا فيه من العذاب المهين ، من ذبح الأبناء واستحياء النساء . قال القرطبي : وهذا قول الجمهور ولفظه بعد ما حكى القول الأول ، ثم قال : وقال الجمهور الإشارة إلى الذبح ونحوه ، والبلاء هاهنا في الشر ، والمعنى : وفي الذبح مكروه وامتحان][٢] .

وقوله تعالى : ﴿وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون﴾ معناه : وبعد أن أنقذناكم من آل فرعون ، وخرجتم مع موسى عليه السلام ، خرج فرعون في طلبكم ، ففرقنا بكم البحر ، كما أخبر تعالى عن ذلك مفصلًا كما سيأتي في مواضعه ، ومن أبسطها ما[٣] في سورة الشعراء [إن شاء اللَّه][٤] .

﴿فأنجيناكم﴾ . أي خلصناكم منهم ، وحجزنا بينكم وبينهم ، وأغرقناهم وأنتم تنظرون ، ليكون ذلك أشفى لصدوركم ، وأبلغ في إهانة عدوكم .

قال عبد الرزاق (٣٥٨) : أنبأنا معمر ، عن أبي إسحاق الهَمْداني ، عن عمرو بن ميمون الأَوْدي في قوله تعالى : ﴿وإذ فرقنا بكم البحر﴾ إلى قوله ﴿وأنتم[٥] تنظرون[٦] ﴾ . قال لما خرج موسى ببني إسرائيل ، بلغ ذلك فرعون ، فقال : لا تتبعوهم حتى تصيح الديكة . قال فواللَّه ما صاح ليلتئذ[٧] ديك حتى أصبحوا ، فدعا بشاة فَذُبحت ، ثم قال لا أفرغ من كبدها[٨] حتى يجتمع إليَّ ستمائة ألف من القبط ، فلم يفرغ من كبدها[٩] حتى اجتمع إليه ستمائة ألف من القبط ، [ثم سار][١٠] فلما أتى موسى البحر قال له رجل من أصحابه يقال له يوشع بن نون أين أَمَرَ[١١]

---

(٣٥٨) - تفسير عبد الرزاق (١/٤٥) ، وهو عند ابن جرير برقم (٩٠٨) ، وابن أبي حاتم برقم (٥١٢) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ز ، .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز ، خ : « ينظرون » .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - في ز ، خ : « لبدها » .
[٩] - في ز ، خ : « لبدها » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[١١] - في ز : أمرك .

ربك ؟ قال أمامك . يشير إلى البحر . فأقحم[١] يوشع فرسَه في البحر حتى بلغ الغَمْرَ ، فذهب به الغمر ، ثم رجع ، فقال أين أمَرَ[٢] ربك يا موسى ؟ فوالله ما كذبتَ ، ولا[٣] كذِبتَ ، فعل ذلك ثلاث مرات ، ثم أوحى الله إلى موسى: ﴿**أن اضرب بعصاك البحر**﴾ فضربه ﴿**فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم**﴾ - يقول مثل الجبل - ثم سار موسى ومن معه ، وأتبعهم فرعون في طريقهم ، حتى إذا تتاموا فيه أطبقه الله عليهم ، فلذلك قال ﴿**وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون**﴾ .

وكذلك قال غير واحد من السلف ، كما سيأتي بيانه في موضعه ، وقد ورد أن هذا اليوم كان يوم عاشوراء ، كما قال الإمام أحمد(٣٥٩) :

حدّثنا عفان ، حدّثنا عبد الوارث ، حدّثنا أيوب ، عن عبد الله بن سعيد بن جبير ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فرأى اليهود يصومون يوم عاشوراء ، فقال : « **ما هذا اليوم الذي تصومون** » . قالوا هذا يوم صالح ، هذا يوم نجى الله عزَّ وجلَّ فيه بني إسرائيل من عدوهم[٤] ، فصامه موسى عليه السلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أنا أحق بموسى منكم** » فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر بصومه .

وروى هذا الحديثَ البخاريُّ ومسلمٌ والنسائي وابن ماجة(٣٦٠) ، من طرق ، عن أيوب السختياني ، به نحو ما تقدم .

وقال أبو يعلى الموصلي : حدّثنا أبو الربيع ، حدّثنا سلام - يعني ابن سليم - عن زيد العَمّيّ ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **فلق الله البحر لبني إسرائيل يوم عاشوراء** »(٣٦١) .

وهذا ضعيف من هذا الوجه ؛ فإن زيدًا العمّيّ فيه ضعف ، وشيخه يزيد الرقاشي أضعف منه .

---

(٣٥٩) - **صحيح** ، والحديث في المسند (١/٢٩١ ، ٣١٠ ، ٣٣٦)

(٣٦٠) - صحيح البخاري ، كتاب صلاة التراويح ، باب : صوم يوم عاشوراء برقم (٢٠٠٤) ، وصحيح مسلم في كتاب الصيام برقم ١٢٨ - (١١٣٠) ، وابن ماجه في الصيام ، باب : صوم يوم عاشوراء (١٧٣٤) .

(٣٦١) - **إسناده ضعيف** جدًا ؛ لضعف زيد العمي ، ويزيد بن أبان الرقاشي ، والحديث في مسند أبي يعلى ٤٠٩٤ - (٧/١٣٣) ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/١٨٨) وقال : رواه أبو يعلى ، وفيه يزيد الرقاشي ، وفيه كلام وقد وثق . وأورده في المطالب ٣٨٢١ - (٨/٤٣٨) .

---

[١] - في ز ، خ : « فاقتحم » .
[٢] - في ز : أمرك .
[٣] - في خ : « أوما » ، وفي ز : وما .
[٤] - في ز ، خ : « غرقهم » .

﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾

يقول تعالى: واذكروا نعمتي عليكم في عفوي عنكم، لَمَّا عبدتم العجل بعد ذهاب موسى لميقات ربه، عند انقضاء أمد المواعدة، وكانت أربعين يومًا، وهي المذكورة في الأعراف، في قوله تعالى: ﴿**وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر**﴾ قيل: إنها ذو القعدة بكماله وعشر من ذي الحجة، وكان ذلك بعد خلاصهم من قوم فرعون، وإنجائهم من البحر.

وقوله تعالى: ﴿**وإذ آتينا موسى الكتاب**﴾ يعني التوراة ﴿**والفرقان**﴾ وهو ما يَفْرق بين الحق والباطل، والهدى والضلال، ﴿**لعلكم تهتدون**﴾. وكان ذلك أيضًا بعد خروجهم من البحر، كما دل عليه سياق الكلام في سورة الأعراف. ولقوله تعالى: ﴿**ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدىً ورحمة لعلهم يتذكرون**﴾.

[وقيل: الواو زائدة، والمعنى ولقد آتينا موسى الكتاب الفرقان، وهذا غريب. وقيل: عطف عليه، وإن كان المعنى واحدًا، كما في قول الشاعر:

وقَدَّمَتِ الأدِيمَ لراقشيه فألفى قولها كذبا ومينا

وقال الآخر:

ألَا حبَّذا هندٌ وأرضٌ بها هندُ وهندٌ أتى مِنْ دونها النأيُ والبعدُ

فالكذب هو المين، والنأي هو البعد. وقال عنترة:

حُيِّيتَ مِنْ طَلَلٍ تقادم عَهْدُه أقْوَى وأقْفَرَ بعدَ أُمِّ الهيثم

فعطف الإقفار على الإقواء وهو هو][1].

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

هذه صفةُ توبته تعالى على بني إسرائيل من عبادة العجل[١] ، قال الحسن البصري - رحمه الله - في قوله تعالى : ﴿**وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل**﴾ .

فقال : ذلك حين وقع في قلوبهم من شأن عبادتهم العجل ما وقع ، حين قال الله تعالى : ﴿**ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا**﴾ . الآية .

قال : فذلك حين يقول موسى : ﴿**يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل**﴾ .

وقال أبو العالية ، وسعيد بن جبير ، والربيع بن أنس : ﴿**فتوبوا إلى بارئكم**﴾ . أي إلى خالقكم .

قلت : وفي قوله هاهنا ﴿**إلى[٢] بارئكم**﴾ تنبيه على عظَم جرمهم . أي فتوبوا إلى الذي خلقكم ، وقد عبدتم معه غيره .

وقد[٣] روى النسائي وابن جرير وابن أبي حاتم(٣٦٢) ، من حديث يزيد بن هارون ، عن الأصبغ بن زيد الورّاق ، عن القاسم بن أبي أيوب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال الله تعالى : إن توبتهم أن يقتل كل رجل منهم كل [من لقي[٤]][٥] من والد وولد ، فيقتله بالسيف ، ولا يبالي من قتل في ذلك الموطن .

فتاب أولئك الذين كانوا خفي على موسى وهارون ما اطلع الله على[٦] ذنوبهم ، فاعترفوا بها وفعلوا ما أمروا به ، فغفر الله للقاتل والمقتول . وهذا قطعة من حديث الفُتُون ، وسيأتي في سورة طه بكماله ، إن شاء الله .

وقال ابن جرير(٣٦٣) : حدثني عبد الكريم بن الهيثم ، حدثنا إبراهيم بن بَشَّار ، حدثنا سفيان بن عيينة ، قال : قال أبو سعيد : عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال قال موسى لقومه : ﴿**فتوبوا[٧] إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم**﴾ ،

---

(٣٦٢) - سنن النسائي الكبرى برقم (١١٣٢٦) ، وابن جرير (١٦٤/١٦ حلبي) ، وابن أبي حاتم ٥٣١ - (١٦٨/١) ، وأبو يعلى (٢٦١٨/٥) ، والطحاوي في المشكل (٦٦) وأصبغ بن زيد : وثقه يحيى بن معين ، وأبو داود ، والدارقطني ، وقال أبو حاتم ، والنسائي : ليس به بأس ، وضعفه ابن سعد وابن حبان ، وفي التقريب : صدوق يغرب . والقاسم بن أبي أيوب : ثقة .

(٣٦٣) - تفسير ابن جرير ٩٣٦ - (٧٣/٢) وسنده صحيح .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في خ : « بقى » .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - في ز ، خ : « من » .
[٧] - في ز ، خ : « توبوا » .

قال: أمر موسى قومه - عن[١] أمر ربه عز وجل - أن يقتلوا أنفسهم، قال[٢]: واحتبى الذين عبدوا[٣] العجل فجلسوا، وقام الذين لم يعكفوا على العجل، فأخذوا الخناجر بأيديهم، وأصابتهم ظُلّة شديدة، فجعل يقتل بعضهم بعضًا، فانجلت الظُلّة عنهم، وقد أجلوا عن سبعين ألف قتيل، كل من قتل منهم كانت له توبة، وكل من بقي كانت له توبة.

وقال ابن جريج(٣٦٤): أخبرني القاسم [بن أبي بَزَّة][٤]: أنه سمع سعيد بن جُبَير ومجاهدًا يقولان في قوله تعالى: ﴿**فاقتلوا أنفسكم**﴾ قالا: قام بعضهم إلى بعض بالخناجر، يقتل[٥] بعضهم بعضًا، لا يحنو رجل على قريب ولا بعيد حتى ألوى موسى بثوبه، فطرحوا ما بأيديهم، فكشف عن سبعين ألف قتيل. وأن اللَّه أوحى إلى موسى: أن حَسْبي فقد اكتفيت، فذلك حين ألوى موسى بثوبه.

[وروي عن علي - رضي اللَّه عنه - نحو ذلك][٦]. وقال قتادة: أمر القوم بشديد من الأمر، فقاموا يتناحرون بالشفار يقتل بعضهم بعضًا، حتى بلغ اللَّه فيهم نقمته، فسقطت الشفار من أيديهم، فأمسك عنهم القتل فجعله لحَيِّهم توبة وللمقتول شهادة.

وقال الحسن البصري: أصابتهم ظلمة حنْدس(٣٦٥)، فقتل بعضهم بعضًا، ثم انكشف عنهم، فجعل توبتهم في ذلك.

وقال السدّي: في قوله: ﴿**فاقتلوا أنفسكم**﴾ قال: فاجتلد الذين عبدوه والذين لم يعبدوه بالسيوف، فكان من قُتل من الفريقين شهيدًا، حتى كثر القتل، حتى كادوا أن يهلكوا حتى قتل منهم[٧] سبعون ألفًا، وحتى دعا موسى وهارون ربنا أهلكت بني إسرائيل، ربنا البقيةَ البقيةَ؛ فأمرهم أن يلقوا[٨] السلاح وتاب عليهم، فكان من قتل منهم من الفريقين شهيدًا، ومن بقي مكفرًا عنه؛ فذلك قوله ﴿**فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم**﴾.

وقال الزهري: لما أُمرت بنو إسرائيل بقتل أنفسها، برزوا ومعهم موسى، فاضطربوا بالسيوف وتطاعنوا بالخناجر، وموسى رافع يديه، حتى إذا أفنوا بعضهم، قالوا[٩]: يا نبي اللَّه؛ ادع اللَّه لنا، وأخذوا بعضُديه يسندون يديه، فلم يزل أمرهم على ذلك، حتى إذا قبل اللَّه توبتهم قبض أيديهم

(٣٦٤) - تفسير ابن جرير ٩٣٥ - (٧٣/٢)، وابن أبي حاتم برقم (٥٣٢).
(٣٦٥) - حُندس: أي شديدة السواد.

[١] - في ز: من.
[٢] - سقط من: ز، خ.
[٣] - في ز، خ: «عكفوا على».
[٤] - في ز، خ: «بن أبي بره».
[٥] - في ز، خ: «فقتل».
[٦] - سقط من: ز، خ.
[٧] - في ز: بينهم.
[٨] - في ز، خ: «يضعوا».
[٩] - في ز: فقالوا.

بعضهم عن بعض، فألقوا السلاح وحزن موسى وبنو إسرائيل للذي كان من القتل فيهم، فأوحى الله جل ثناؤه إلى موسى ما يحزنك؟ أما من قُتل منهم[١] فحيٌّ عندي يرزقون، وأما من بقي فقد قبلت توبته. فسُرَّ بذلك موسى وبنو إسرائيل.

رواه ابن جرير(٣٦٦) بإسناد جيد عنه.

وقال ابن إسحاق لما رجع موسى إلى قومه، وأحرق العجل وذَرّاه في اليم، خرج إلى ربه بمن اختار من قومه فأخذتهم الصاعقة، ثم بُعثوا، فسأل موسى ربه التوبة لبني إسرائيل من عبادة العجل. فقال[٢] : لا، إلا أن يقتلوا أنفسهم، قال: فبلغني أنهم قالوا لموسى نَصبر لأمر الله، فأَمَرَ موسى: من لم يكن عَبَدَ العجل أن يقتل من عبده، فجلسوا بالأفنية وأصْلَتَ [عليهم القومُ][٣] السيوف، فجعلوا يقتلونهم، وبكى موسى، وبَهَشَ[٤] (٣٦٧) إليه النساء والصبيان، يطلبون العفو عنهم، فتاب الله[٥] عليهم، وعفا عنهم، وأمر موسى أن ترفع عنهم السيوف.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: لما رجع موسى إلى قومه، وكانوا سبعين[٦] رجلًا قد اعتزلوا مع هارون العجل لم يعبدوه. فقال لهم موسى: انطلقوا إلى موعد ربكم. فقالوا يا موسى؛ ما من توبة؟ قال بلى، ﴿**اقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم**﴾. الآية. فاخترطوا السيوف والجِرَزَة[٧] (٣٦٨) والخناجر والسكاكين.

قال: وبعث عليهم ضبابة. قال فجعلوا يتلامسون بالأيدي، ويقتل بعضهم بعضًا. قال ويلقى الرجل أباه وأخاه فيقتله وهو[٨] لا يدري. قال ويتنادون فيها[٩]، رحم الله عبدًا صبر نفسه[١٠] حتى يبلغ الله رضاه، قال فقتلاهم شهداء، وتِيبَ على أحيائهم ثم قرأ ﴿**فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم**﴾.

وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾

(٣٦٦) - ابن جرير برقم (٩٤١).
(٣٦٧) - بهش إليه: أسرع.
(٣٦٨) - جمع جُرز، وهو العمود من الحديد.

[١] - في ز: منكم.
[٢] - في ز: قال.
[٣] - ما بين المعكوفتين في خ: «القوم عليهم».
[٤] - في خ: «يهس». وفي ز: هش.
[٥] - سقط من: ز، خ.
[٦] - في ز، خ: «سبعون».
[٧] - في ز: الحررة، وهي سقط من: خ.
[٨] - سقط من ز.
[٩] - سقط من: ز، خ.
[١٠] - سقط من: ز، خ.

يقول تعالى : واذكروا نعمتي عليكم في بعثي لكم بعد الصعق ؛ إذ سألتم رؤيتي جهرة عيانًا ، مما لا يستطاع لكم ولا لأمثالكم ، كما قال ابن جريج : قال ابن عباس في هذه الآية : ﴿ **وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى اللَّه جهرة** ﴾ قال : علانية(٣٦٩) .

وكذا قال إبراهيم بن طهمان عن عباد بن إسحاق ، عن أبي الحويرث ، عن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى : ﴿ **لن نؤمن لك حتى نرى اللَّه جهرة** ﴾ أي : علانية ، أي : حتى نرى اللَّه(٣٧٠) .

وقال قتادة والربيع بن أنس : ﴿ **حتى نرى اللَّه جهرة** ﴾ أي عيانًا . وقال أبو جعفر . عن الربيع بن أنس : هم السبعون الذين اختارهم موسى فساروا معه . قال[١] فسمعوا كلامًا ، فقالوا : ﴿ **لن نؤمن لك حتى نرى اللَّه جهرة** ﴾ . قال : فسمعوا صوتًا فصعقوا ، يقول : ماتوا .

وقال مروان بن الحكم ، فيما خطب به على منبر مكة : الصاعقة : صيحة من السماء .

وقال السدي في قوله : ﴿ **فأخذتكم الصاعقة** ﴾ الصاعقة[٢] : نار .

وقال عروة بن رُوَيم في قوله : ﴿ **وأنتم تنظرون** ﴾ قال فصُعق بعضهم وبعضٌ ينظرون ، ثم بُعث هؤلاء وصُعق هؤلاء .

وقال السدي : ﴿ **فأخذتكم الصاعقة** ﴾ فماتوا ، فقام موسى يبكي ويدعو اللَّه ، ويقول : رب ؛ ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم ، ﴿ **لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منَّا** ﴾ . فأوحى اللَّه إلى موسى : أنّ هؤلاء السبعين ممن اتخذوا العجل ، ثم إنّ اللَّه أحياهم فقاموا وعاشوا[٣] رجلٌ رجلٌ ، ينظر بعضهم إلى بعض : كيف يحيون ؟ قال : فذلك قوله تعالى : ﴿ **ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون** ﴾ .

وقال الربيع بن أنس : كان موتُهم عقوبة لهم ، فبعثوا من بعد الموت ليستوفوا آجالهم . وكذا قال قتادة .

وقال ابن جرير(٣٧١) : حدّثنا محمد بن حميد ، حدّثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق ، قال : لما رجع موسى إلى قومه فرأى ما هم عليه من عبادة العجل ، وقال لأخيه وللسامري ما قال ، وحَرَّق العجل وذرّاه في اليم ، اختار موسى منهم سبعين رجلًا ؛ الخيِّر فالخيِّر ، وقال : انطلقوا

---

(٣٦٩) - رواه ابن جرير برقم (٩٤٧) ، وسنده ضعيف .

(٣٧٠) - رواه ابن أبي حاتم برقم (٥٣٨) ، وفي سنده ضعف .

(٣٧١) - تفسير ابن جرير ٩٥٧ - (٨٦/٢ - ٨٧)، وسنده ضعيف جدًّا .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : وعاش .

إلى اللَّه وتوبوا [إلى اللَّه][١] مما صنعتم ، واسألوه[٢] التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم ، صوموا وتطهروا وطهِّروا ثيابكم .

فخرج بهم إلى طور سيناء لميقات وَقَّتَهُ له ربه ، وكان لا يأتيه إلا بإذن منه وعِلْم ، فقال له السبعون ، فيما ذكر لي حين صنعوا ما أمرهم به وخرجوا للقاء اللَّه - قالوا : يا موسى ؛ اطلب لنا إلى ربك نسمع كلام ربنا ، فقال أفعل ، فلما دنا موسى من الجبل ، وقع عليه الغمام حتى تغشى الجبل كله ، ودنا موسى فدخل فيه ، وقال للقوم ادنوا - وكان موسى إذا كلمه اللَّه[٣] وقع على جبهته نور ساطع ، لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه - فضرب دونه بالحجاب ، ودنا القوم حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجودًا فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه : افعل ولا تفعل . فلما فرغ إليه من أمره انكشف عن موسى الغمام ، فأقبل إليهم فقالوا لموسى : ﴿ **لن نؤمن لك حتى نرى اللَّه جهرة** ﴾ فأخذتهم الرجفة ، وهي الصاعقة ، فماتوا جميعًا ، وقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب إليه ، ويقول ﴿ **رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي** ﴾ قد سَفِهوا ، أفتهلك من ورائي من بني إسرائيل بما يفعل السفهاء منا ؟ أي : إنّ هذا لهم هلاك ، و[٤] اخترت منهم سبعين[٥] رجلًا ، الخَيِّر فالخَيِّر ، أرجع إليهم وليس معي منهم رجل واحد ، فما الذي يصدّقوني به ويأمنوني عليه بعد هذا ؟ ﴿ **إنا هُدْنا إليك** ﴾ فلم يزل موسى يناشد ربه - عزَّ وجلَّ - ويطلب إليه حتى ردَّ إليهم أرواحهم ، وطلب إليه التوبة لبني إسرائيل من عبادة العجل ، فقال : لا إلا أن يقتلوا أنفسهم .

هذا سياق محمد بن إسحاق .

وقال إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير : لما تابت بنو إسرائيل من عبادة العجل وتاب اللَّه عليهم بقتل[٦] بعضهم لبعض[٧] - كما أمرهم اللَّه[٨] به - أمر اللَّهُ موسى أن يأتيه في كل أناس من بني إسرائيل ، يعتذرون إليه من عبادة العجل ، ووعدهم موسى ، فاختار موسى قومَه سبعين رجلًا على عَينه ، ثم ذهب بهم ليعتذروا ، وساق البقية .

[وهذا السياق يقتضي أنّ الخطاب توجه إلى بني إسرائيل ، في قوله : ﴿ **وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى اللَّه جهرة** ﴾ والمراد : السبعون المختارون منهم ، ولم يحك كثير من المفسرين سواه ، وقد أغرب الرازي في تفسيره حين حكى في قصة هؤلاء السبعين : أنهم بعد إحيائهم قالوا : يا موسى ؛ إنك لا تطلب من اللَّه شيئًا إلا أعطاك فادعه أن يجعلنا أنبياء ، فدعا بذلك ، فأجاب اللَّه

---

[١] - سقط من خ .
[٢] - في خ : « وسلوه » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - في ت : تسعين .
[٦] - في خ : « يقتل » .
[٧] - في ز : بعضًا .
[٨] - سقط من ز .

دعوته .

وهذا غريب جدًّا ؛ إذ لا يعرف في زمان موسى نبيٌّ سوى هارون ثم يوشع بن نون ، وقد غلط أهل الكتاب أيضًا في دعواهم أن هؤلاء رأوا اللَّه عز وجل ؛ فإنّ موسى الكليم - عليه السلام - قد سأل ذلك فمنع منه ، كيف يناله هؤلاء السبعون .

القول الثاني في الآية][١] :

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في تفسير هذه الآية قال لهم موسى - لما رجع من عند ربه بالألواح قد كتب فيها التوراة فوجدهم يعبدون العجل ، فأمرهم بقتل أنفسهم ، ففعلوا ، فتاب اللَّه عليهم - فقال : إن هذه الألواح فيها كتاب اللَّه ؛ فيه أمركم الذي أمركم به ونهيكم الذي نهاكم عنه . فقالوا : ومن يأخذه بقولك أنت ؟ لا واللَّه حتى نرى اللَّه جهرة ، حتى يطلع اللَّه علينا ويقول[٢] : هذا كتابي فخذوه ، فماله لا يكلمنا كما يكلمك أنت يا موسى ؛ وقرأ قول اللَّه : ﴿**لن نؤمن لك حتى نرى اللَّه جهرة**﴾ قال : فجاءت غضبة من اللَّه ، فجاءتهم صاعقة بعد التوبة ، فصَعَقَتهم فماتوا أجمعون ، قال : ثم أحياهم اللَّه من بعد موتهم ، وقرأ قول اللَّه ﴿**ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون**﴾ : فقال لهم موسى : خذوا كتاب اللَّه . فقالوا : لا ، فقال : أي شيء أصابكم ؟ فقالوا[٣] : أصابنا أنا متنا ثم حيينا ، قال : خذوا كتاب اللَّه . قالوا : لا . فبعث اللَّه ملائكة فنتقت الجبل فوقهم . [وهذا السياق يدل على أنهم كلفوا بعد ما أحيوا .

وقد حكى الماوردي في ذلك قولين : أحدهما أنه سقط التكليف عنهم لمعاينتهم الأمر جهرة حتى صاروا مضطرين إلى التصديق .

والثاني : أنهم مكلفون لئلا يخلو عاقل من تكليف . قال القرطبي : وهذا هو الصحيح ؛ لأن معاينتهم للأمور الفظيعة لا تمنع تكليفهم ؛ لأن بني إسرائيل قد شاهدوا أمورًا عظامًا من خوارق العادات وهم في ذلك مكلفون، وهذا واضح ، واللَّه أعلم][٤] .

وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

لما ذكر تعالى ما[٥] دفعه عنهم من[٦] النقم ، شرع يذكرهم أيضا بما أسبغ عليهم من النعم ،

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - في ز ، خ : « فيقول » .
[٣] - في ز : قالوا . [٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من: ز ، خ. [٦] - سقط من ز .

فقال: ﴿**وظللنا عليكم الغمام**﴾ وهو جمع غمامة، سُمي بذلك، لأنه يَغُمّ السماء أي: يواريها ويسترها. وهو السحاب الأبيض، ظُلّلوا به في التيه ليقيهم حرّ الشمس، كما رواه النسائي وغيره عن ابن عباس في حديث الفُتُون قال: ثم ظلل عليهم في التيه بالغمام.

و[١] قال ابن أبي حاتم: وروي عن ابن عمر والربيع بن أنس، وأبي مِجْلَز والضحاك والسدي نحو قول ابن عباس، وقال الحسن وقتادة: ﴿**وظللنا عليكم الغمام**﴾: كان هذا في البرية، ظلل عليهم الغمام من الشمس.

وقال ابن جرير[٢]: قال آخرون: وهو غمام أبرد من هذا وأطيب.

وقال ابن أبي حاتم(٣٧٢): حدّثنا أبي، حدّثنا أبو حذيفة، حدّثنا شبل، عن ابن أبي نَجِيح، عن مجاهد ﴿**وظللنا عليكم الغمام**﴾ قال: ليس بالسحاب، هو الغمام الذي يأتي اللّه فيه يوم القيامة، ولم يكن إلا لهم.

وهكذا رواه ابن جرير(٣٧٣)، عن المثنى بن إبراهيم، عن أبي حذيفة.

وكذا رواه الثوري، وغيره، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد(٣٧٤).

وكأنه يريد - واللّه أعلم - أنه ليس من زيِّ هذا السحاب بل أحسن منه وأطيب وأبهى منظرًا، كما قال سنيد في تفسيره عن حجاج بن محمد، عن ابن جريج قال: قال ابن عباس: ﴿**وظللنا عليكم الغمام**﴾ قال: غمام أبرد من هذا وأطيب، وهو[٣] الذي يأتي اللّه فيه في قوله ﴿**هل ينظرون إلا أن يأتيهم اللّه في ظلل من الغمام [والملائكة]**[٤]﴾ وهو الذي جاءت فيه الملائكة يوم بدر. قال ابن عباس: وكان معهم في التّيه.

وقوله تعالى: ﴿**وأنزلنا عليكم المنّ**﴾ اختلفت عبارات المفسرين في المنّ ما هو؟ فقال علي ابن أبي طلحة: عن ابن عباس: كان المنّ ينزل عليهم على الأشجار، فيغدون إليه فيأكلون منه ما شاءوا(٣٧٥).

---

(٣٧٢) - رواه ابن أبي حاتم برقم (٥٥٣).
(٣٧٣) - رواه ابن جرير برقم (٩٦٣).
(٣٧٤) - رواه ابن جرير برقم (٩٦٢).
(٣٧٥) - رواه ابن أبي حاتم برقم (٥٥٦).

---

[١] - زيادة من ز، خ.
[٢] - في ز، خ: «جريج».
[٣] - في خ: «وهذا».
[٤] - سقط من ز.

وقال مجاهد: المنّ صمغة. وقال عكرمة: المنّ شيء أنزله الله عليهم مثل: الطل، يشبه[١] الرُّبّ الغليظ.

وقال السدي: قالوا: يا موسى؛ كيف لنا بما هاهنا؟ أين الطعام؟ فأنزل الله عليهم المنّ، فكان يسقط[٢] على شجرة[٣] الزنجبيل.

وقال قتادة: كان المنّ ينزل عليهم[٤] في محلتهم سُقُوط الثلج، أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، يسقط عليهم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، يأخذ الرجل منهم قدر ما يكفيه يومه ذلك، فإذا تعدى ذلك فسد ولم يبق حتى إذا كان يوم سادسه - ليوم[٥] جمعته - أخذ ما يكفيه ليوم سادسه ويوم سابعه؛ لأنه كان يوم عيد لا يشخَص فيه لأمر[٦] معيشته ولا يطلبه لشيء، وهذا كله في البرية.

وقال الربيع بن أنس: المنّ شراب كان ينزل عليهم مثل العسل، فيمزجونه بالماء ثم يشربونه.

وقال وهب بن منبه - وسئل عن المنّ - فقال: خُبز الرقاق مثل الذرة، أو مثل النَقيّ. وقال أبو جعفر بن جرير: حدثني محمد[٧] بن إسحاق، حدثنا أبو أحمد، حدثنا إسرائيل، عن جابر، عن عامر - وهو الشعبي - قال: عسلكم هذا جزء من سبعين جزءًا من المنّ.

وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: إنه العسل. ووقع في شعر أمية بن أبي الصلت حيث قال.

فرأى اللّه أنهم بِمَضِيع ... لا بذي مَزْرَع ولا مَثْمُورا
فسناها عليهمُ غاديات ... وتَرى مُزْنهم خلايا وخورا
عسلا ناطفًا وماء فراتًا ... وحليبًا ذا بهجة مرمورا

فالناطف: هو السائل، والحليب المرمور: الصافي منه.

والغرض أنّ عبارات المفسرين متقاربة في شرح المنّ؛ فمنهم من فسره بالطعام، ومنهم من فسره بالشراب. والظاهر - والله أعلم - أنه كل ما امتن الله به عليهم من طعام وشراب وغير ذلك، مما ليس لهم فيه عمل ولا كَدٌّ، فالمنّ المشهور إن أُكل وحده كان طعامًا وحلاوة، وإن مزج مع الماء صار شرابًا طيبًا، وإن ركب مع غيره صار نوعًا آخر، ولكن ليس هو المراد من الآية وحده،

[١] - في ت: «شبه».
[٢] - في خ: «ينزل».
[٣] - في ز: الشجرة.
[٤] - سقط من ز.
[٥] - في خ: «كيوم».
[٦] - في خ: «أمر».
[٧] - في ز، خ: «أحمد».

والدليل على ذلك قول البخاري(٣٧٦) :

حدثنا أبو نعيم ، حدثنا سفيان ، عن عبد الملك بن[١] عمرو بن حُرَيث عن سعيد بن زيد - رضي اللَّه عنه - قال : قال النبي ، صلى اللَّه عليه وسلم : « **الكمأة(٣٧٧) من المنّ(٣٧٨) ، وماؤها شفاء للعين** » .

وهذا الحديث رواه الإمام أحمد ، عن سفيان بن عيينة ، عن عبد الملك - وهو ابن عمير - به .

وأخرجه الجماعة(٣٧٩) في كتبهم ؛ إلا أبا داود ، من طرق عن عبد الملك -وهو ابن عمير - به .

وقال الترمذي : حسن صحيح .

ورواه البخاري ومسلم والنسائي من رواية الحكم ، عن الحسن العُرَني ، عن عَمرو بن حريث ، به(٣٨٠) .

وقال الترمذي(٣٨١) : حدثنا أبو عبيدة بن أبي السفر ، ومحمود بن غيلان قالا حدثنا سعيد ابن عامر ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **العجوة من الجنة ، وفيها شفاء من السم ، والكمأة من المن ، وماؤها شفاء للعين** » .

تفرد بإخراجه الترمذي ثم قال : هذا حديث حسن غريب ، [لا نعرفه إلا من حديث محمد

---

(٣٧٦) - صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب : قوله ﴿ وأنزلنا عليكم الغمام ... ﴾ برقم (٤٤٧٨) والمسند (١/١٨٧) .

(٣٧٧) - الكَمْأَة جمع : كمأ ، وهو فُطْرٌ من الفصيلة الكمئية ، وهي أرضيَّة تنتفخ حاملاتِ أبواغها فتُجْنَى وتؤكل مطبوخة ، ويختلف حجمها بحسب الأنواع . المعجم الوسيط [٢/٨٢٩]

(٣٧٨) - المَنّ ؛ أي : هي مِمَّا مَنَّ اللَّه به على عباده . وقيل : شبهها بالمَنِّ ، وهو العسل الحُلْوُ الذي ينزل من السماء عَفْوًا بلا عِلاجٍ . وكذلك الكمأة لا مؤونة فيها ببَذْرٍ ولا سَقْيٍ . نهاية [٤/٣٦٦]

(٣٧٩) - صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، سورة الأعراف ، باب : ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا ﴾ برقم (٤٦٣٩) ، ومسلم في الأشربة برقم (٢٠٤٩) ، والترمذي في الطب ، باب : ما جاء في الكمأة والعجوة برقم (٢٠٦٧) ، والنسائي في الكبرى برقم (٦٦٦٧) .

(٣٨٠) - صحيح البخاري ، كتاب الطب ، باب : المن شفاء للعين برقم (٥٧٠٨) ، ومسلم في الأشربة برقم (٢٠٤٩) ، والنسائي في الكبرى برقم (١٠٩٨٨) .

(٣٨١) - الترمذي في الطب ، باب : ما جاء في الكمأة والعجوة برقم (٢٠٦٦) .

---

[١] - في ز : عن .

ابن عمرو، وإلا من حديث سعيد بن عامر، عنه،][1] وفي الباب عن سعيد بن زيد وأبي سعيد وجابر.

كذا قال. وقد رواه الحافظ أبو بكر بن مَرْدُويه في تفسيره(٣٨٢)، من طريق آخر، عن أبي هريرة، فقال: حدّثنا أحمد بن الحسن بن أحمد البصري، حدّثنا أسلم بن سهل، حدّثنا القاسم بن عيسى، حدّثنا طلحة بن عبد الرحمن، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: **«الكمأة من المن، وماؤها شفاء للعين»**.

وهذا حديث غريب من هذا الوجه، وطلحة بن عبد الرحمن هذا [السلمي الواسطي][2]، يكنى: بأبي محمد، وقيل: أبو سليمان المؤدب. قال فيه الحافظ أبو أحمد بن عدي: روى عن قتادة أشياء لا يتابع عليها(٣٨٣).

ثم قال الترمذي[3]: حدّثنا محمد بن بشار، حدّثنا معاذ بن هشام، حدّثنا أبي، عن قتادة، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة أن ناسًا من أصحاب النبي صلى اللّه عليه وسلم قالوا: الكمأة جُدَري الأرض، فقال نبي اللّه صلى اللّه عليه وسلم: **«الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين، والعجوة من الجنة وهي شفاء من السم»**.

وهذا الحديث قد رواه النسائي عن محمد بن بشار، به(٣٨٤).

وعنه، عن غندر، عن شعبة، عن أبي بشر جعفر بن إياس، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة، به(٣٨٥).

وعن محمد بن بشار، عن عبد الأعلى، عن خالد الحذاء، عن شهر بن حوشب. بقصة الكمأة فقط(٣٨٦).

---

(٣٨٢) - إسناده ضعيف جدًا، لضعف طلحة بن عبد الرحمن، وانظر الكامل (١٤٣٢/٤ - ١٤٣٣).

(٣٨٣) - الكامل لابن عدي (١١٤/٤).

(٣٨٤) - رواه الترمذي برقم (٢٠٦٨) والنسائي في الكبرى برقم (٦٦٧١) عن نصير بن الفرج، عن معاذ بن هشام، به، ولم أقف عليه، عن محمد بن بشار، وقد ذكره المزى، عن محمد بن بشار في تحفة الأشراف (١١٢/١٠). وإسناده ضعيف لضعف شهر.

(٣٨٥) - سنن النسائي الكبرى برقم (٦٦٧٣). وإسناده ضعيف لضعف شهر.

(٣٨٦) - سنن النسائي الكبرى برقم (٦٦٧٢). وإسناده ضعيف لضعف شهر.

---

[١] - وعبارة الترمذي هكذا: من هذا الوجه، وهو من حديث محمد بن عمرو، ولا نعرفه إلا من حديث سعيد بن عامر عن محمد بن عمرو.

[٢] - في ز: يسلمي واسطي. [٣] - سقط من: ز، خ.

وروى[١] النسائي أيضًا وابن ماجة[٢] [من حديث][٣] محمد بن بشار، عن أبي عبد الصمد عبد العزيز بن عبد الصمد، عن مطر الوراق، عن شهر بقصة العجوة عند النسائي، وبالقصتين عند ابن ماجة(٣٨٧).

وهذه الطريق منقطعة بين شهر بن حوشب وأبي هريرة؛ فإنه لم يسمع[٤] منه، بدليل ما رواه النسائي في الوليمة من سننه عن علي بن الحسين الدرهمي، عن عبد الأعلى، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم، عن أبي هريرة قال: خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهم يذكرون الكمأة، وبعضهم يقول: جدري الأرض. فقال: **«الكمأة من المن، وماؤها شفاء للعين»**(٣٨٨).

وروي، عن شهر [بن حوشب][٥]، عن أبي سعيد وجابر، كما قال الإمام أحمد (٣٨٩):

حدّثنا أسباط بن محمد، حدّثنا الأعمش، عن جعفر بن إياس، عن شهر بن حوشب، عن جابر بن عبد الله، وأبي سعيد الخدري قالا: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: **«الكمأة من المن، وماؤها شفاء للعين، والعجوة من الجنة وهي شفاء من السم»**.

وقال النسائي في الوليمة أيضًا: حدّثنا محمد بن بشار، حدّثنا محمد بن جعفر، حدّثنا شعبة،

(٣٨٧) - سنن ابن ماجة في كتاب الطب، باب: الكمأة والعجوة برقم (٣٤٥٥).

(٣٨٨) - سنن النسائي الكبرى برقم (٦٦٧٠).

(٣٨٩) - المسند (٤٨/٣) وإسناده ضعيف من أجل شهر بن حوشب. وأسباط بن محمد هو ابن عبد الرحمن بن خالد بن ميسرة أبو محمد الكوفي، قال ابن معين: ثقة، وقال مرة: ليس به بأس، وكان يخطيء عن سفيان، وقال النسائي: ليس به بأس، وقال أبو حاتم: صالح، وقال ابن سعد: كان ثقة صدوقًا؛ إلا أن فيه بعض الضعف، وفي التقريب: ثقة ضُعِّف في الثوري من التاسعة. ع.
وأخرجه ابن ماجه - كتاب الطب، باب: الكمأة والعجوة (٣٤٥٣) حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، ثنا أسباط بن محمد، به.
وأخرجه النسائي في الكبرى - كتاب الأطعمة، باب: الاختلاف علي أبي بشر (٦٦٧٤) (١٥٧/٤). من طريق أبي خيثمة، قال: ثنا الأعمش، به - مختصرًا.
وأخرجه ابن ماجه، والنسائي (٦٦٧٧). من طريقين عن الأعمش، عن جعفر بن إياس، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد، بنحوه. وقال البوصيري في الزوائد: إسناده حسن، وشهر مختلف فيه، لكن قيل: الصواب عن أبي هريرة كما في رواية غير المصنف. =

[١] - في خ: ورواه.
[٢] - في ز، خ: «عن».
[٣] - سقط من: خ.
[٤] - في ز: يسمعه.
[٥] - سقط من ز.

[عن أبي بشر جعفر بن إياس، عن شهر بن حوشب، عن أبي سعيد وجابر - رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**الكمأة من المن، وماؤها شفاء للعين**»(٣٩٠).

ثم رواه أيضًا [ ][١] ابن ماجة من طرق عن الأعمش][٢] عن أبي بشر، عن شهر عنهما، به(٣٩١).

وقد رويا[٣] - أعني النسائي وابن ماجة من حديث سعيد بن مسلم كلاهما عن الأعمش، عن جعفر بن إياس، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد. زاد النسائي جابر[٤]، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**الكمأة من المن، وماؤها شفاء للعين**»(٣٩٢).

ورواه ابن مردويه، عن أحمد بن عثمان، عن عباس الدوري، عن لاحق بن صواب، عن عمار بن رُزَيق، عن الأعمش، كابن ماجة.

وقال ابن مَرْدُويه أيضًا حدّثنا أحمد بن عثمان، حدثنا عباس الدوري، حدثنا الحسن بن الربيع، حدثنا أبو الأحوص، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبي سعيد الخدري؛ قال: خرج علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفي يده كمآت[٥]

= لكن للحديث إسناد آخر عن أبي سعيد مرفوعًا - بلفظ مختصر -

أخرجه النسائي (٦٦٧٨) (١٥٨/٤)، وابن أبي شيبة في المصنف - كتاب الطب، باب: في الكمأة (٢) (٤٦٢/٥)، وأبو يعلى في مسنده (١٣٤٨) (٥٠١/٢)، وعنه ابن حبان في صحيحه (٦٠٧٤) (١٣/ ٤٣٨): وفي الموارد (١٤٠٢) (٣٨٢/٤-٣٨٣). من طريق شيبان، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبي سعيد الخدري؛ قال: خرج علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفي يده أكْمُؤٌ فقال «**هؤلاء من المن، وماؤها شفاء للعين**». وهذا إسناد صحيح على شرط البخاري.

وفي الباب عن سعيد بن زيد عند البخاري في التفسير، باب: «وظللنا عليكم الغمام» (٤٤٧٨).

ومسلم في الأشربة، باب: فضل الكمأة ومداواة العين بها (٢٠٤٩)، والترمذي في الطب، باب: ما جاء في الكمأة والعجوة (٢٠٦٨)، وابن ماجه (٣٤٥٤)، وتقدم (١٨٧/١، ١٨٨).

(٣٩٠) - لم أقف عليه في المطبوع من سنن النسائي الكبرى، وعزاه المزي له في التحفة (١٨٩/٢).

(٣٩١) - أخرجه ابن ماجه - كتاب الطب، باب: الكمأة والعجوة (٣٤٥٣) حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، ثنا أسباط بن محمد، به.

(٣٩٢) - سنن النسائي الكبرى برقم (٦٦٧٦-٦٦٧٧)، وسنن ابن ماجة برقم (٣٤٥٣) لكن وقع في سنن النسائي عن جرير عن الأعمش، والله أعلم.

---

[١] - في ز: [و].

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.

[٣] - في ز، خ: «روياه».

[٤] - في ز: وجابر.

[٥] - في خ: «كموات».

فقال: «**الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين**».

وأخرجه النسائي، عن عمرو بن منصور، عن الحسن بن الربيع، به(٣٩٣)

ثم [ ][١] رواه أيضًا، عن عبد الله بن إسحاق، عن الحسن بن سلام، عن عبيد الله بن موسى، عن شيبان[٢]، عن الأعمش، به.

وكذا رواه النسائي(٣٩٤)، عن أحمد بن عثمان بن حكيم، عن عبيد الله بن موسى[٣].

وقد روي من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - كما قال ابن مردويه.

حدثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم، حدثنا حمدون بن أحمد، حدثنا حوثرة بن أشرس، حدثنا حماد، عن شعيب بن الحبحاب عن أنس أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تدارءوا[٤] في الشجرة التي اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار، فقال بعضهم: نحسبه[٥] الكمأة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الكمأة من المن، وماؤها شفاء للعين، والعجوة من الجنة، وفيها شفاء من السم**»(٣٩٥).

وهذا الحديث محفوظ أصله من رواية حماد بن سلمة. وقد روى الترمذي والنسائي(٣٩٦) من طريقه شيئًا من هذا، والله أعلم.

وروي عن شهر، عن ابن عباس، كما رواه النسائي أيضًا في الوليمة عن أبي بكر أحمد بن علي بن سعيد، عن عبد الله بن عون الخراز[٦]، عن أبي عبيدة الحداد، عن عبد الجليل بن عطية، عن شهر، عن عبد الله بن عباس [عن النبي][٧] صلى الله عليه وسلم قال: «**الكمأة من المن، وماؤها شفاء للعين**»(٣٩٧).

(٣٩٣) - لم أقف عليه في المطبوع من سنن النسائي الكبرى، وقد أورده المزي في تحفة الأشراف (٣٨٨/٣ حديث ٤١٣١) وعزاه للنسائي في الكبرى، كتاب التفسير.

(٣٩٤) - سنن النسائي الكبرى برقم (٦٦٧٨).

(٣٩٥) - ورواه ابن عدي في الكامل (٣٧٠/٢) من طريق حسان بن سياه، عن ثابت، عن أنس بنحوه. وقال ابن عدي: وحسان بن سياه له أحاديث غير ما ذكرت، وعامتها لا يتابعه غيره عليها، والضعف يتبين على رواياته، وأحاديثه.

(٣٩٦) - رواه الترمذي برقم (٣١١٩)، والنسائي في الكبرى برقم (١١٢٦٢).

(٣٩٧) - سنن النسائي الكبرى برقم (٦٦٦٩)، ورواه الطبراني (١٣٠١٠/١٢)، وسنده ضعيف =

[١] - في ت: ابن مردويه.

[٢] - في خ: «سفيان».

[٣] - سقط من: خ.

[٤] - في ز، خ: «تداروا».

[٥] - في خ: «هي».

[٦] - في ز، خ: «الجزار».

[٧] - في خ: «أن رسول الله».

فقد اختلف -كما ترى - فيه على شهر بن حوشب ، ويحتمل عندي أنه حفظه ورواه من هذه الطرق كلها ، وقد سمعه من بعض الصحابة وبلغه عن بعضهم ؛ فإن الأسانيد إليه جيدة ، وهو لا يتعمد الكذب ، وأصل الحديث محفوظ عن رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- كما تقدم من رواية سعيد بن زيد [رضي اللّه عنه][١] .

وأما السلوى فقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس السلوى طائر شبيه[٢] بالسُّمَانَى ، كانوا يأكلون منه(٣٩٨) .

وقال السدي في خَبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح عن ابن عباس - وعن مُرّة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس[٣] من الصحابة : السلوى : طائر يشبه السُّمَانى(٣٩٩) .

وقال ابن أبي حاتم(٤٠٠) : حدّثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدّثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، حدثنا قرة بن خالد ، عن جهضم ، عن ابن عباس قال : السلوى : هو السُّمَانى .

وكذا قال مجاهد والشعبي والضحاك والحسن ، وعكرمة والربيع بن أنس ، رحمهم اللّه تعالى[٤] ، وعن عكرمة : أمّا السلوى فَطَيْر كطير يكون بالجنة ، أكبر من العصفور ، أو نحو ذلك .

وقال قتادة : السلوى كان[٥] من طير إلى الحمرة ، تحشُرها[٦] عليهم الريحُ الجنوبُ ، وكان الرجل يذبح منها قدر ما يكفيه يومه ذلك ، فإذا تعدّى فسد ولم يبق عنده ، حتى إذا كان يوم سادسه ليوم جمعته أخذ ما يكفيه ليوم سادسه ويوم سابعه ؛ لأنه كان يوم عبادة لا يشخص فيه[٧] لشيء ولا يطلبه .

وقال وهب بن منبه : السلوى : طير سمين مثل الحمام ، كان يأتيهم فيأخذون منه من سبت إلى سبت . وفي رواية عن وهب ، قال : سألتْ بنو إسرائيل موسى -عليه السلام- اللحم ، فقال اللّه : لأطعمنهم من أقل لحم يعلم في الأرض ، فأرسل عليهم ريحًا ، فأذرت عند مساكنهم

= لضعف عبد الجليل بن عطية ، وثقه ابن معين ، ولينه البخاري ، وقال أبو أحمد الحاكم : حديثه ليس بالقائم.

(٣٩٨) - ابن أبي حاتم برقم (٥٦٤) .

(٣٩٩) - ابن جرير برقم (٩٧٩) .

(٤٠٠) - تفسير ابن أبي حاتم برقم (٥٦٣) .

---

[١] - سقط من: «خ» .

[٢] - في ت : «يشبه» .

[٣] - في ز ، خ: «أناس» .

[٤] - سقط من: خ .

[٥] - سقط من: ز ، خ .

[٦] - في ز : يحشرها .

[٧] - في ز ، خ: «منه» .

السلوى، وهو السمانى[١]، مثل ميل في ميل قيدَ رمح في[٢] السماء، فخبؤا[٣] للغد[٤] فنتن اللحم وخَنِزَ الخبز.

وقال السدي: لما دخل بنو إسرائيل التيه، قالوا لموسى عليه السلام: كيف لنا بما هاهنا؟ أين الطعام؟ فأنزل اللّه عليهم المنّ، فكان ينزل [٥] على شجر[٦] الزنجبيل، والسلوى وهو طائر يشبه السمانى أكبر منه، فكان يأتي أحدهم فينظر إلى الطير، فإن كان سمينًا ذبحه وإلا أرسله، فإذا سمن أتاه، فقالوا: هذا الطعام، فأين الشراب؟ فأُمِر موسى فضرب بعصاه الحجر، فانفجرت منه اثنتا[٧] عشرة عينًا، فشرب كل سِبْط من عين، فقالوا: هذا الشراب، فأين الظل؟ فَظَلَّلَ عليهم الغمام، فقالوا: هذا الظل، فأين اللباس؟ فكانت ثيابهم تطول[٨] معهم كما تطول الصبيان، ولا يَنخرق لهم ثوب فذلك قوله تعالى: ﴿**وظللنا عليكم[٩] الغمام وأنزلنا عليكم[١٠] المنّ والسلوى**﴾، وقوله: ﴿**وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا[١١] عشرة عينًا قد علم كل أناس مشربهم، [كلوا واشربوا من رزق اللّه ولا تعثوا في الأرض مفسدين][١٢]**﴾.

وروي عن وهب بن منبه، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم نحو ما قاله السدي.

وقال سنيد: عن حجاج، عن ابن جريج قال: قال ابن عباس: خُلق لهم في التيه ثياب لا تخرق ولا تدرن، قال ابن جريج: فكان[١٣] الرجل إذا أخذ من المن والسلوى فوق طعام يوم فسد، إلا أنهم كانوا يأخذون في يوم الجمعة طعام يوم السبت فلا يصبح فاسدًا.

[قال ابن عطية(٤٠١): السلوىٰ طير بإجماع المفسرين، وقد غلط الهذلي في قوله: إنه العسل، وأنشد في ذلك مستشهدًا.

وقاسمها باللّه جهدًا لأنتم ألذ من السلوى إذا ما أشورها

قال: فظنّ أنّ للسلوى عسلًا. قال القرطبي: دعوى الإجماع لا يصح؛ لأن المؤرج أحد علماء اللغة والتفسير قال: إنه العسل، واستدل ببيت الهذلي هذا، وذكر أنه كذلك في لغة كنانة؛

(٤٠١) - المحرر الوجيز لابن عطية (١/٢٢٩).

[١] - في ز، خ: «السمان».
[٢] - في ز، خ: «إلى».
[٣] - سقط من ز.
[٤] - في ز: للعيد.
[٥] - في ز: يسقط.
[٦] - في ز: الشجر.
[٧] - في ز، خ: «اثنتى».
[٨] - في ز: يطول.
[٩] - في ز: عليهم.
[١٠] - في ز: عليهم.
[١١] - في ز، خ: «اثنتى».
[١٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[١٣] - في ز: وكان.

لأنه يسلى به ومنه عين سلوان .

وقال الجوهري : السلوى : العسل ، واستشهد ببيت الهذلي أيضًا . والسلوانة بالضم : خرزة كانوا يقولون إذا صب عليها ماء المطر فشربها العاشق سلا ، قال الشاعر :

شربتُ على سُلوانةٍ ماءَ مُزْنةٍ فلا وجديدِ العيش يامَيُّ ما أسلو

واسم ذلك الماء : السلوان ، وقال بعضهم : السلوان دواء يشفي الحزين فيسلوا ، والأطباء يسمونه مفرج . قالوا : والسلوى جمع بلفظ الواحد أيضًا ، كما يقال سماني للمفرد والجمع ، وويلي كذلك .

وقال الخليل : واحده سلواة وأنشد :

وإني لتعروني لذكراك هِزَّة كما انتفض السَّلواة من بَلَلِ القطر

وقال الكسائي : السلوى واحدة وجمعه سلاوى . نقله كله القرطبي(٤٠٢)][١] .

وقوله تعالى : ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ أمر إباحة وإرشاد وامتنان ، وقوله تعالى : ﴿وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ ، أي : أمرناهم بالأكل مما رزقناهم وأن يعبدوا ، كما قال ﴿كلوا من رزق ربكم واشكروا له﴾ فخالفوا وكفروا فظلموا أنفسهم ، هذا مع ما شاهدوه من الآيات البينات ، والمعجزات القاطعات ، وخوارق العادات ؛ ومن هاهنا تتبين فضيلة أصحاب محمد [صلى الله عليه وسلم] ورضي عنهم على سائر أصحاب الأنبياء ، في صبرهم وثباتهم وعدم تعنتهم ، [مع ما][٢] كانوا معه في أسفاره وغزواته ؛ منها عام تبوك ، في ذلك القيظ والحرّ الشديد والجهد ، لم يسألوا خرق عادة ، ولا إيجادَ أمر ، مع أن ذلك كان سهلًا على النبي[٣] صلى الله عليه وسلم ، ولكن لما أجهدهم الجوع سألوه في تكثير طعامهم ، فجمعوا ما معهم فجاء قدر مَبْرك الشاة ، فدعا الله [٤] فيه ، وأمرهم فملئوا كل وعاء معهم ، وكذا لما احتاجوا إلى الماء سأل الله تعالى فجاءتهم[٥] سحابة فأمطرتهم ، فشربوا وسقوا الإبل وملئوا سقيتهم[٦] ، ثم نظروا فإذا هي لم تجاوز العسكر . فهذا هو الأكمل في الاتباع[٧] : المشي مع قدر الله ، مع متابعة الرسول - صلى الله عليه وسلم

وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ

(٤٠٢) - تفسير القرطبي (١/٤٠٨) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - في ز ، خ : «كما» .
[٣] - في خ : «الرسول» . [٤] - سقط من ز .
[٥] - في خ : «فجاءت» . [٦] - في ز ، خ : «أسقيتهم» .
[٧] - في ت : اتباع .

﴿سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٥٩)﴾

يقول تعالى لائمًا لهم على نكولهم عن الجهاد، ودخول الأرض المقدّسة، لما قدموا من بلاد مصر صحبة موسى - عليه السلام - فأمروا بدخول الأرض المقدّسة التي هي ميراث لهم عن أبيهم إسرائيل، وقتال من فيها من العماليق الكفرة، فنكلوا عن قتالهم وضعفوا واستحسروا، فرماهم اللّه تعالى في التيه عقوبة لهم، كما ذكره تعالى في سورة المائدة، ولهذا[١] كان أصح القولين أن هذه البلدة هي بيت المقدس، كما نص على ذلك السديُّ والرّبيعُ بن أنسٍ وقتادةُ، [وأبو مسلم الأصفهانيُّ وغير واحد. وقد قال اللّه تعالى حاكيًا عن موسى: **﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدّسة التي كتب اللّه لكم ولا ترتدوا﴾**. الآيات][٢] . وقال آخرون: هي أريحا، [ويحكى عن ابن عباس، وعبد الرحمن ابن زيد][٣] ، وهذا بعيد؛ لأنها ليست على طريقهم، وهم قاصدون بيت المقدس، لا أريحا، [وأبعد من ذلك قول من ذهب إلى أنها مصر، حكاه الرازي في تفسيره، والصحيح الأول أنها بيت المقدس][٤] ، [وهذا كان لما][٥] خرجوا من التيه بعد أربعين سنة مع يوشع بن نون - عليه السلام - وفتحها اللّه عليهم عشية جمعة، وقد حبست لهم الشمس يومئذ قليلًا حتى أمكن الفتح، وأما أريحا فقرية ليست مقصودة لبني إسرائيل، ولما فتحوها أمروا أن يدخلوا الباب باب البلد **﴿سجدًا﴾** أي شكرًا للّه تعالى على ما أنعم به عليهم من الفتح والنصر، وردّ بلدهم إليهم وإنقاذهم من التيه والضلال.

[قال العوفي في تفسيره عن ابن عباس(٤٠٣) أنه كان يقول في قوله تعالى: **﴿وادخلوا الباب سجدًا﴾** أي ركعًا][٦] .

وقال ابن جرير: حدّثنا محمد بن بشار، حدّثنا أبو أحمد الزبيري، حدّثنا سفيان، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله **﴿وادخلوا الباب سجدًا﴾** قال: ركعًا من باب صغير.

---

(٤٠٣) - رواه ابن جرير برقم (١٠٠٦)، وسنده ضعيف جدًّا.

---

[١] - في ز، خ: «وهذا».
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٥] - في ز، خ: «ولهذا خرجوا».
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

ورواه الحاكم من حديث سفيان، به. ورواه ابن أبي حاتم من حديث سفيان - وهو الثوري - به(٤٠٤). وزاد: فدخلوا من قبل أستاههم.

[وقال الحسن البصري: أمروا أن يسجدوا على وجوههم حال دخولهم، واستبعده الرازي وحكى عن بعضهم أن المراد هاهنا في السجود الخضوع لتعذر حمله على حقيقته][١] وقال خصيف: قال عكرمة: قال ابن عباس: كان الباب قِبَل القِبلة.

وقال [ابن عباس][٢] ومجاهد والسدي وقتادة[٣] والضحاك: هو باب الحطة من باب إيلياء بيت المقدس.

[وحكى الرازي عن بعضهم أنه عنى بالباب جهة من جهات القبلة][٤]

وقال خصيف: قال عكرمة: قال ابن عباس: فدخلوا على شق(٤٠٥).

وقال السدي: عن أبي سعيد الأزدي، عن أبي الكنود(٤٠٦)، عن عبد الله بن مسعود قيل لهم ادخلوا الباب سجدًا، فدخلوا مقنعي رؤوسهم أي: رافعي رؤوسهم خلاف ما أمروا.

وقوله [تعالى: ﴿وقولوا حطةٌ﴾ قال الثوري: عن الأعمش، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿وقولوا حطة﴾][٥] قال: مغفرة، استغفروا.

وروي عن عطاء والحسن وقتادة والربيع بن أنس، نحوه.

وقال الضحاك عن ابن عباس: ﴿وقولوا[٦] حطةٌ﴾ قال: قولوا: هذا الأمر حق، كما قيل لكم(٤٠٧).

وقال عكرمة: قال[٧]: قولوا: لا إله إلا الله.

---

(٤٠٤) - تفسير ابن جرير ١٠٢٤ - (١١٣/٢)، والمستدرك (٢٦٢/٢)، وتفسير ابن أبي حاتم ٥٨٠ - (١/ ١٨٢). وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. قلت: المنهال من رجال البخاري دون مسلم.

(٤٠٥) - رواه ابن أبي حاتم برقم (٥٨١).

(٤٠٦) - ابن أبي حاتم برقم (٥٨٣) بسندٍ ضعيف.

(٤٠٧) - ابن جرير برقم (١٠١٧)، وابن أبي حاتم برقم (٥٨٥)، وإسناده ضعيف.

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

[٣] - سقط من: ز، خ.

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

[٦] - في ز، خ: «وقوله:».

[٧] - زيادة من: خ.

وقال الأوزاعي : كتب ابن عباس إلى رجل قد سماه يسأله عن قوله تعالى : ﴿ وقولوا حطة ﴾ فكتب إليه أن أقرّوا بالذنب .

وقال الحسن وقتادة : أي احطط عنا خطايانا ﴿ نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين ﴾ وقال[١] : هذا جواب الأمر ، أي : إذا فعلتم ما أمرناكم ؛ غفرنا لكم الخطيئات وضعفنا لكم الحسنات .

وحاصل الأمر : أنهم أمروا أن يخضعوا للَّه تعالى عند الفتح بالفعل والقول ، وأن يعترفوا بذنوبهم ويستغفروا منها ، والشكر على النعمة عندها ، والمبادرة إلى ذلك من[٢] المحبوب [عند اللَّه][٣] تعالى ، كما قال تعالى ﴿ إذا جاء نصر اللَّه والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين اللَّه أفواجًا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا ﴾ . فسره بعض الصحابة بكثرة الذكر والاستغفار عند الفتح والنصر ، وفسره ابن عباس : بأنه نُعي إلى رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - أجله فيها ، وأقرّه على ذلك عمر - رضي اللَّه عنه - .

ولا منافاة بين أن يكون قد أمر بذلك عند ذلك ونعي إليه روحه الكريمة أيضًا ، ولهذا كان عليه الصلاة والسلام يظهر عليه الخضوع جدًّا عند النصر ، كما روي أنه كان يوم الفتح - فتح مكة - داخلًا إليها من الثنية العليا ، وإنه لخاضع لربه حتى أن عثنونه ليمس مورك رحله ، [شكرًا للَّه][٤] على ذلك .

ثم لما دخل البلد اغتسل وصلّى ثماني ركعات وذلك ضحىً ، وقال[٥] بعضهم : هي صلاة الضحى . وقال آخرون : بل هي صلاة الفتح ؛ فاستحبوا للإمام وللأمير[٦] إذا فتح بلدًا أن يصلي فيه ثماني ركعات عند أول دخوله ، كما فعل سعد بن أبي وقاص - رضي اللَّه عنه - لما دخل إيوان كسرى صلى فيه ثماني ركعات ، والصحيح[٧] أنه يفصل بين كل ركعتين بتسليم ، وقيل يصليها كلها بتسليم واحد ، واللَّه أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ فبدَّل الذين ظلموا قولًا غير الذي قيل لهم ﴾ .

قال البخاري(٤٠٨) : حدّثني محمد ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن ابن المبارك ، عن

(٤٠٨) - صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، سورة البقرة ، باب : ﴿ وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية ... ﴾ برقم (٤٤٧٩) . ورواه النسائي في الكبرى برقم (١٠٩٨٩) ، وبرقم (١٠٩٩٠) .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز : عن .
[٣] - في ز ، خ : « للَّه » .
[٤] - يشكر اللَّه .
[٥] - في ز ، خ : « فقال » .
[٦] - في ز : الأمير .
[٧] - سقط من ز .

معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال **«قيل لبني إسرائيل ﴿ادخلوا الباب سجدًا وقولوا حطة﴾ فدخلوا يزحفون على أستاههم، فبدلوا وقالوا: حطة حبة في شعرة».**

ورواه النسائي: عن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، عن عبد الرحمن بن مهدي، به موقوفًا. وعن محمد بن عبيد بن محمد، عن ابن المبارك ببعضه مسندًا في قوله تعالى: **﴿حطة﴾** قال: فبدلوا[١]، فقالوا: حبة.

وقال عبد الرزاق: أنبأنا معمر، عن همام بن منبه، أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله لبني إسرائيل **﴿ادخلوا الباب سجدًا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم﴾** فبدلوا، ودخلوا[٢] الباب يزحفون على أستاههم فقالوا: حبة في شعرة».

وهذا حديث صحيح رواه البخاري، عن إسحاق بن نصر، ومسلم عن محمد بن رافع، والترمذي، عن عبد [الرحمن][٣] بن حميد، كلهم عن عبد الرزاق، به(٤٠٩).

وقال الترمذي حسن صحيح.

وقال محمد بن إسحاق: كان تبديلهم، كما حدثني صالح بن كيسان، عن صالح مولى التوأمة[٤]، عن أبي هريرة، وعمن لا أتهم عن ابن عباس: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: **«دخلوا الباب - الذي أمروا أن يدخلوا فيه سجدًا - يزحفون على أستاههم، وهم يقولون: حنطة في شعيرة»**(٤١٠).

وقال أبو داود(٤١١): حدثنا أحمد بن صالح، حدثنا سليمان بن داود، حدثنا عبد الله ابن وهب، حدثنا هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: **«قال الله لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجدًا**

(٤٠٩) - صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأعراف، باب: قوله: ﴿وقولوا حطة﴾ برقم (٤٦٤١)، ومسلم في التفسير برقم ١ - (٣٠١٥)، والترمذي في التفسير، تفسير سورة البقرة برقم (٢٩٥٦).

(٤١٠) - صالح: ضعيف واختلط، والحديث رواه ابن جرير في تفسيره ١٠٢٠ - (١١٢/٢)، و١٠٢١ - (١١٢/٢) عن محمد بن إسحاق، قال: حدثت عن محمد بن أبي محمد، عن سعيد أو عكرمة، عن ابن عباس فذكره.

(٤١١) - رواه أبو داود في الحروف والقراءات برقم (٤٠٠٦) وسنده حسن.

[١] - في ز: بدلوا.
[٢] - في خ: «فدخلوا».
[٣] -
[٤] - في خ: «التومة».

وقولوا: حطة نغفر لكم خطاياكم». ثم قال أبو داود: حدّثنا جعفر بن مسافر، حدّثنا ابن أبي فديك، عن هشام بن سعد بمثله[١].

هكذا رواه منفردًا به في كتاب الحروف مختصرًا.

وقال ابن مردويه: حدّثنا عبد اللَّه بن جعفر، حدّثنا إبراهيم بن مهدي[٢]، حدثنا أحمد ابن محمد بن المنذر القزاز، حدّثنا محمد بن إسماعيل بن أبي[٣] فديك، عن[٤] هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري، قال: سرنا مع رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - حتى إذا كان من آخر الليل، أجزنا في ثنية [٥] يقال لها: ذات الحنظل، فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: **«ما مثل هذه الثنية الليلة إلا كمثل الباب الذي قال اللَّه لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجدًا وقولوا: حطة نغفر لكم خطاياكم»**(٤١٢).

وقال سفيان الثوري: عن أبي إسحاق، عن البراء: ﴿**سيقول السفهاء من الناس**﴾ قال: اليهود، قيل لهم: ادخلوا الباب سجدًا. قال: ركعًا، وقولوا حطة، أي[٦]: مغفرة، فدخلوا على أستاههم، وجعلوا يقولون: حنطة حمراء فيها شعيرة، فذلك قول اللَّه تعالى: ﴿**فبدل الذين ظلموا قولًا غير الذي قيل لهم**﴾.

وقال الثوري(٤١٣): عن السدّي، عن أبي سعد[٧] الأزدي، عن أبي الكنود، عن ابن مسعود: وقولوا: حطة فقالوا: حنطة حبة حمراء فيها شعيرة؛ فأنزل اللَّه: ﴿**فبدل الذين ظلموا قولًا غير الذي قيل لهم**﴾.

وقال أسباط(٤١٤): عن السدّي، عن مرّة، عن ابن مسعود أنه قال: إنهم قالوا: هُطّي سمعاتا[٨] أزبة[٩] مزبا[١٠]، فهي بالعربية: حبة[١١] حنطة حمراء مثقوبة[١٢] فيها شعرة

---

(٤١٢) - ورواه البزار في مسنده برقم (١٨١٢) عن إسحاق بن بهلول، عن محمد بن إسماعيل بن أبي فديك به، نحوه، وقال الهيثمي في المجمع (٦/١٤٤): «رجاله ثقات».

(٤١٣) - رواه ابن جرير برقم (١٠٢٣)، وابن أبي حاتم برقم (٥٩٢).

(٤١٤) - رواه ابن جرير برقم (١٠٩٢)، وابن أبي حاتم برقم (٥٩٣).

---

[١] - في ز: مثله.
[٢] - في ز: فهد.
[٣] - سقط من ز.
[٤] - في ز: ثنا.
[٥] - في ز: سرية.
[٦] - سقط من: ز، خ.
[٧] - في ز: سعيد.
[٨] - في خ: «سمعاثا».
[٩] - في خ: «أزبه».
[١٠] - في ز، خ: «مربا».
[١١] - في ز: حبط.
[١٢] - في ز: مستوبة.

سوداء، فذلك قوله تعالى: ﴿**فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم**﴾.

وقال الثوري(٤١٥): عن الأعمش، عن المنهال، عن سعيد، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿**ادخلوا الباب سجدًا**﴾ قال[١] ركعًا من باب صغير، فدخلوا[٢] من قبل أستاههم، وقالوا حنطة، فذلك[٣] قوله تعالى: ﴿**فبدّل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم**﴾.

وهكذا روي عن عطاء ومجاهد، وعكرمة والضحاك، والحسن وقتادة، والربيع بن أنس ويحيى بن رافع. وحاصل ما ذكره المفسرون وما دل عليه السياق من الحديث: أنهم بدّلوا أمر اللَّه لهم من الخضوع بالقول والفعل، فأمروا أن يدخلوا سجدًا، فدخلوا يزحفون على أستاههم من قِبَل أستاههم رافعي رؤوسهم، وأمروا أن يقولوا: حطة، أي: احطط عنا ذنوبنا [وخطايانا][٤]، فاستهزءوا فقالوا: حنطة في شعيرة[٥]. وهذا في غاية ما يكون من المخالفة والمعاندة؛ ولهذا أنزل اللَّه بهم بأسه وعذابه بفسقهم، وهو خروجهم عن طاعته؛ ولهذا قال: ﴿**فأنزلنا على الذين ظلموا رجزًا من السماء بما كانوا يفسقون**﴾.

وقال الضحاك عن ابن عباس: كل شيء في كتاب اللَّه من الرجز يعني به العذاب(٤١٦).

وهكذا روي عن مجاهد، وأبي مالك، والسدّي، والحسن، وقتادة أنه العذاب. وقال أبو العالية الرجز: الغضب، وقال الشعبي: الرجز؛ إمّا الطاعون، وإمّا البرد. وقال سعيد بن جبير: هو الطاعون.

وقال ابن أبي حاتم(٤١٧): حدّثنا أبو سعيد الأشج، حدّثنا وكيع، عن[٦] سفيان، عن حبيب ابن أبي ثابت، عن إبراهيم بن سعد - يعني بن أبي وقاص - عن سعد بن مالك وأسامة بن زيد وخزيمة بن ثابت - رضي اللَّه عنهم - قالوا: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «**الطاعون رجز عذاب[٧]، عذب به من كان قبلكم**».

وهكذا رواه النسائي من حديث سفيان الثوري به(٤١٨).

---

(٤١٥) - رواه ابن جرير برقم (١٠٢٤)، وابن أبي حاتم برقم (٥٩٤).

(٤١٦) - ابن جرير برقم (١٠٤٢).

(٤١٧) - تفسير ابن أبي حاتم ٥٩٥ - (١/١٨٦)، وورواه مسلم ٩٧ - (٢٢١٨).

(٤١٨) - سنن النسائي الكبرى برقم (٧٥٣٣).

---

[١] - سقط من: ز، خ.

[٢] - في ز: يدخلون.

[٣] - في ز، خ: «فهو».

[٤] - سقط من ز.

[٥] - في ز، خ: «شعرة».

[٦] - في خ: «حدثنا».

[٧] - سقط من: خ.

وأصل الحديث في الصحيحين(٤١٩) من حديث حبيب بن أبي ثابت : « **إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها** » . الحديث .

قال ابن جرير(٤٢٠) : أخبرني يونس بن عبد الأعلى ، عن ابن وهب ، عن يونس ، عن الزهري قال[١] : أخبرني عامر بن سعد بن أبي وقاص ، عن أسامة بن زيد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنّ هذا الوجع والسَّقَم رجز عذِّبَ به بعض الأمم قبلكم » . وهذا الحديث أصله مخرّج في الصحيحين ، من حديث الزهري ، ومن حديث مالك ، عن محمد بن المنكدر ، وسالم أبي النضر ، عن عامر بن سعد ، بنحوه(٤٢١) .

﴿ وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾

يقول تعالى : واذكروا نعمتي عليكم في إجابتي لنبيكم موسى - عليه السلام - حين استسقاني لكم ، وتيسيري لكم الماء ، وإخراجه لكم من حجر يحمل معكم ، وتفجيري الماء لكم[٢] منه من ثنتي عشرة عينًا ، لكل سبط من أسباطكم عين قد عرفوها ، فكلوا من المنّ والسلوى ، واشربوا من هذا الماء الذي أنبعته لكم بلا سعي منكم [ولا كدّ][٣] ، واعبدوا[٤] الذي سخر لكم ذلك ﴿ **ولا تعثوا في الأرض مفسدين** ﴾ ولا تقابلوا النعم بالعصيان فَتُسْلَبُوها .

وقد بسطه[٥] المفسرون في كلامهم ، كما قال ابن عباس ، رضي الله عنه ، : وجُعِلَ بين ظهرانيهم حجر مربع ، وأمر موسى - عليه السلام - فضربه بعصاه ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا ، في كل ناحية منه ثلاث عيون ، وأعلم كل سبط عينهم يشربون منها لا يرتحلون من مَنْقَلة إلا وجدوا ذلك معهم بالمكان الذي كان منهم بالمنزل الأول .

وهذا قطعة من الحديث الذي رواه النسائي ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وهو حديث الفتون

(٤١٩) - صحيح البخاري برقم (٥٧٢٨) ، وصحيح مسلم برقم ٩٧ - (٢٢١٨) .
(٤٢٠) - تفسير ابن جرير ١٠٣٦ - (١١٦/٢) .
(٤٢١) - صحيح البخاري برقم (٦٩٧٤،٣٤٧٣) ، وصحيح مسلم برقم ٩٨ - (٢٢١٨) .

[١] - سقط من : ز ، خ . [٢] - سقط من ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين في خ : « ولا كدر » . [٤] - في خ : « اعبدوا » .
[٥] - في ز : بسط .

الطويل .

وقال عطية العوفي (٤٢٢) : وجعل لهم حجرًا مثل رأس الثور يحمل على ثور، فإذا نزلوا منزلًا وضعوه فضربه موسى - عليه السلام - بعصاه، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا، فإذا ساروا حملوه على ثور فاستمسك الماء.

وقال عثمان بن عطاء الخراساني: عن أبيه كان لبني إسرائيل حجر، فكان يضعه هارون ويضربه موسى بالعصا.

وقال قتادة: كان حجرًا طوريًّا من الطور، يحملونه معهم حتى إذا نزلوا ضربه موسى بعصاه.

[وقال الزمخشري: وقيل: كان من رخام، وكان ذراعًا في ذراع، وقيل: مثل رأس الإنسان، وقيل كان من الجنة، طوله عشرة أذرع، على طول موسى، وله شعبتان يتقدان في الظلمة، وكان يحمل على حمار. قال: وقيل: أهبطه آدم من الجنة فتوارثوه، حتى وقع إلى شعيب، فدفعه إليه مع العصا. وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل فقال له جبريل: ارفع هذا الحجر؛ فإن فيه قدرة، ولك فيه معجزة، فحمله في مخلاته. قال الزمخشري: ويحتمل أن تكون اللام للجنس لا للعهد، أي اضرب الشيء الذي يقال له الحجر.

وعن الحسن لم يأمره أن يضرب حجرًا بعينه. قال: وهذا أظهر في المعجزة وأبين في القدرة، فكان يضرب الحجر بعصاه فينفجر، ثم يضربه فييبس فقالوا: إن فقد موسى هذا الحجر عطشنا، فأوحى الله إليه أن يكلم الحجارة فتنفجر، ولا يمسها بالعصا لعلهم يقرّون، والله أعلم][١] .

وقال يحيى بن النضر: قلت لجويبر: كيف علم كل أناس مشربهم؟ قال: كان موسى يضع الحجر، ويقوم من كل سبط رجل، ويضرب موسى الحجر فينفجر منه اثنتا[٢] عشرة عينًا، فينتضح من كل عين على رجل، فيدعو ذلك الرجل سبطه إلى تلك العين.

وقال الضحاك (٤٢٣) : قال ابن عباس: لما كان بنو إسرائيل في التيه شق لهم من الحجر أنهارًا.

وقال سفيان الثوري (٤٢٤) : عن أبي سعيد، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: ذلك في التيه، ضرب لهم موسى الحجر فصار فيه اثنتا[٣] عشرة عينًا من ماء، لكل سبط منهم عين يشربون

---

(٤٢٢) - ابن أبي حاتم برقم (٦٠٣) ، وسنده إلى عطية العوفي حسن .

(٤٢٣) - ابن أبي حاتم برقم (٦٠٧) .

(٤٢٤) - ابن جرير برقم (١٠٤٥) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ .

[٢] - في ز، خ: «اثنتى» .

[٣] - في ز، خ: «اثنتى» .

منها.

وقال مجاهد نحو قول ابن عباس.

وهذه القصة شبيهة بالقصة التي[١] في سورة الأعراف، ولكن تلك مكية؛ فلذلك كان الإخبار عنهم بضمير الغائب؛ لأن الله تعالى يقص [ ][٢] على رسوله [صلى الله عليه وسلم] ما[٣] فعل بهم. وأمّا في هذه السورة - وهي البقرة - فهي[٤] مدنية؛ فلهذا كان الخطاب فيها[٥] متوجهًا إليهم.

وأخبر هناك بقوله ﴿**فانبجست منه اثنتا[٦] عشرة عينًا**﴾ وهو أول الانفجار، وأخبر هاهنا بما آل إليه الحال[٧] آخرًا وهو الانفجار فناسب ذكر الانفجار[٨] هاهنا وذاك هناك، والله أعلم.

[وبين السياقين تباين من عشرة أوجه لفظية ومعنوية، قد سأل عنها الزمخشري في تفسيره، وأجاب عنها بما عنده، والأمر في ذلك قريب، والله أعلم][٩].

وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ

يقول تعالى: واذكروا نعمتي عليكم في إنزالي عليكم المن والسلوى، طعامًا طيبًا نافعًا هنيئًا سهلًا، واذكروا دبركم وضجركم مما رزقناكم[١٠]، وسؤالكم موسى استبدال ذلك بالأطعمة الدنية من البقول ونحوها مما سألتم.

وقال الحسن البصري - رحمه الله - فبطروا ذلك ولم[١١] يصبروا عليه، وذكروا عيشهم الذي كانوا فيه، وكانوا قومًا أهل أعداس وبصل وبقل[١٢] وفوم، فقالوا ﴿**يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها**﴾. [وإنما قالوا على طعام واحد، وهم يأكلون المنّ والسلوى؛ لأنه لا يتبدل ولا يتغير

---

[١] - في ز: المذكورة.
[٢] - في ز: ذلك.
[٣] - في ز: عما.
[٤] - في ز: فإنها.
[٥] - سقط من: ز، خ.
[٦] - في ز، خ: «اثنتى».
[٧] - في ز، خ: «الأمر».
[٨] - في ز، خ: «هذا».
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[١٠] - في ز: رزقتكم.
[١١] - في ز: فلم.
[١٢] - في ز: بقول.

كل يوم فهو مأكل واحد][١] . فالبقول والقثاء والعدس والبصل كلها معروفة، وأما الفوم[٢] فقد اختلف السلف في معناه؛ فوقع في قراءة ابن مسعود وثومها بالثاء، وكذا[٣] فسره مجاهد في رواية ليث بن أبي سليم، عنه، بالثوم[٤] . وكذا الربيع بن أنس وسعيد بن جبير.

وقال ابن أبي حاتم(٤٢٥) : حدثنا أبي، حدثنا عمرو بن رافع، حدثنا أبو عمارة يعقوب بن إسحاق البصري، عن يونس، عن الحسن في قوله: ﴿وفومها﴾ قال: قال ابن عباس: الثوم.

قالوا: وفي اللغة القديمة: فوّموا لنا [بمعنى اختبزوا][٥] ، وقال ابن جرير: فإن كان ذلك صحيحًا فإنه من الحروف المبدلة، كقولهم: وقعوا في عاثور شر، وعافور شر. وأثافي وأثاثي. ومغافير ومغاثير، وأشباه[٦] ذلك مما تقلب الفاء ثاء. والثاء فاء لتقارب مخرجيهما، والله أعلم.

وقال آخرون: الفوم الحنطة، وهو البر الذي يعمل منه الخبز.

قال ابن أبي حاتم(٤٢٦) : حدثنا يونس بن عبد الأعلى. قراءةً، أنبأنا[٧] ابن وهب قراءةً[٨] ، حدثني نافع بن أبي نعيم: أن ابن عباس سئل عن قول الله: ﴿وفومها﴾ ما فومها؟ قال: الحنطة. قال ابن عباس. أما سمعت قول أحيحة بن الجلاح وهو يقول:

قد كنت أغنى[٩] الناس شخصًا واحدًا ... ورد المدينة عن زراعة فوم

وقال ابن جرير(٤٢٧) : حدثنا علي بن الحسن[١٠] ، حدثنا مسلم الجَرمي[١١] ، حدثنا عيسى ابن يونس، [عن رشدين بن كريب][١٢] ، عن أبيه، عن ابن عباس في قول الله تعالى: ﴿وفومها﴾ قال: الفوم الحنطة بلسان بني هاشم.

---

(٤٢٥) - رواه ابن أبي حاتم ٦١٩ - (١/١٩٣) ، وفي إسناده أبو عمارة يعقوب بن إسحاق : قال ابن أبي حاتم : ما أرى بحديثه بأسًا . وقال ابن عدي : روى ما لا يتابع عليه . والحسن لم يسمع من ابن عباس .

(٤٢٦) - رواه ابن أبي حاتم ٦١٨ - (١/١٩٢) ، ورواه ابن جرير (١٠٧٦) ، ونافع بن أبي نعيم لم يدرك ابن عباس فهو منقطع . ورواه الطبراني (١٠/١٠٥٩٧) ، وفي إسناده جويبر ، وهو هالك .

(٤٢٧) - رشدين بن كريب : ضعيف ، والأثر في تفسير ابن جرير : ١٠٧٥ - (٢/١٢٨ - ١٢٩) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : والتوم .
[٣] - في ز : « وكذلك » .
[٤] - في خ : بالثاء .
[٥] - في ز : « يعين اختبروا » .
[٦] - في ز ، خ : « وما أشبه » .
[٧] - في خ : « أخبرنا » .
[٨] - سقط من : ز ، خ .
[٩] - في ز : أعني .
[١٠] - في ت ، خ : الحسين .
[١١] - في خ : « الحرمى » .
[١٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

وكذا قال علي بن أبي طلحة(٤٢٨) والضحاك(٤٢٩) ، [عن ابن عباس][١] ، وعكرمة(٤٣٠) عن ابن عباس أن الفوم الحنطة .

وقال سفيان الثوري : عن ابن جريج ، عن مجاهد وعطاء : ﴿ **وفومها** ﴾ قالا : و[٢] خبزها .

وقال هشيم : عن يونس ، عن الحسن وحصين ، عن أبي مالك : ﴿ **وفومها** ﴾ قال : الحنطة .

وهو قول عكرمة والسدي والحسن البصري وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم ، فاللَّه[٣] أعلم .

[وقال الجوهري : الفوم : الحنطة ، وقال ابن دريد : الفوم : السنبلة . وحكى القرطبي عن عطاء وقتادة أن الفوم كل حب يختبز . قال : وقال بعضهم هو الحمص لغة شامية ، ومنه يقال لبائعه : فامي مغير عن فومي][٤] ، قال البخاري وقال بعضهم : الحبوب التي تؤكل كلها فوم . وقوله تعالى : ﴿ **قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير** ﴾ فيه تقريع لهم وتوبيخ على ما سألوا من هذه الأطعمة الدنية مع ما هم فيه من العيش الرغيد ، والطعام الهنيء الطيب النافع . وقوله تعالى : ﴿ **اهبطوا مصرًا** ﴾ هكذا هو منوّن مصروف مكتوب بالألف في المصاحف الأئمة العثمانية ، وهو قراءة الجمهور بالصرف .

قال ابن جرير : ولا أستجيز القراءة بغير ذلك لإجماع المصاحف على ذلك .

وقال ابن عباس (٤٣١) : ﴿ **اهبطوا مصرًا** ﴾ قال مصرًا من الأمصار ، رواه ابن أبي حاتم من حديث أبي سعد البقال سعيد بن المرزبان ، عن عكرمة ، عنه .

قال : وروي عن السدي وقتادة والربيع بن أنس نحو ذلك .

وقال ابن جرير : وقع في قراءة أبي بن كعب وابن مسعود (اهبطوا مصر) من غير إجراء يعني من غير صرف . ثم روي عن أبي العالية والربيع بن أنس أنهما فسرا ذلك بمصر فرعون .

وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبي العالية والربيع[٥] ، وعن الأعمش أيضًا .

(٤٢٨) - ابن جرير (١٠٧٣) .

(٤٢٩) - ابن جرير برقم (١٠٧٤) ، وسنده ضعيف .

(٤٣٠) - ابن أبي حاتم برقم (٦١٧) ، وفي إسناده متروك .

(٤٣١) - ابن أبي حاتم برقم (٦٢٢) ، وأبو سعد البقال : متروك .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - سقط من ز .

[٣] - في ز : واللَّه . [٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

وقال ابن جرير : ويحتمل أن يكون المراد مصر فرعون على قراءة الإجراء أيضًا . ويكون ذلك من باب[١] الاتباع لكتابة المصحف ، كما في قوله تعالى : ﴿قواريرًا ، قواريرًا﴾ . ثم توقف في المراد ما هو ؛ أمصر فرعون أم[٢] مصر من الأمصار ؟ وهذا الذي قاله فيه نظر ، والحق أنّ المراد مصر من الأمصار كما روي عن ابن عباس وغيره ، والمعنى على ذلك ؛ لأنّ موسى عليه السلام يقول لهم هذا الذي سألتم ليس بأمر عزيز ، بل هو كثير في أي بلد دخلتموه[٣] وجدتموه ، فليس يساوي مع دناءته وكثرته في الأمصار أن أسأل اللّٰه فيه ؛ ولهذا قال ﴿**أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرًا فإنّ لكم ما سألتم**﴾ أي ما طلبتم ، ولما كان سؤالهم هذا من باب البطر والأشر ولا ضرورة[٤] فيه لم يجابوا إليه ، واللّٰه أعلم .

وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

يقول تعالى : ﴿ **وضربت عليهم الذلة والمسكنة** ﴾ . أي : وضعت عليهم وألزموا بها شرعًا وقدرًا ، أي : لا يزالون مستذَلِّين ، من وَجَدَهم استذلهم وأهانهم ، وضرب عليهم الصغار ، وهم مع ذلك في أنفسهم أذلاء متمسكنون[٥] .

وقال الضحاك : عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وضربت عليهم الذلة والمسكنة** ﴾ قال : هم أصحاب النيالات ، يعني الجزية (٤٣٢).

وقال عبد الرزاق(٤٣٣) : عن معمر ، عن الحسن وقتادة في قوله تعالى : ﴿ **وضربت عليهم الذلة**[٦] ﴾ قال : يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون . وقال الضحاك ﴿ **وضربت عليهم الذلة** ﴾ قال : الذل[٧] . وقال الحسن : أذلهم اللّٰه فلا منعة لهم ، وجعلهم اللّٰه تحت أقدام المسلمين ، ولقد أدركتهم هذه الأمّة[٨] وإنّ المجوس لتجبيهم الجزية .

(٤٣٢) - رواه ابن أبي حاتم برقم (٦٢٦) وسنده ضعيف جدًا .

(٤٣٣) - تفسير عبد الرزاق (٤٧/١) ، وابن جرير برقم (١٠٨٨) ، وابن أبي حاتم برقم (٦٢٧) .

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز : أو .
[٣] - في ت : دخلتموها .
[٤] - في ز : ضرورية .
[٥] - في ز : متمسكنين .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - في ز : الدلة .
[٨] - في ز ، خ : « الآية » .

وقال أبو العالية والربيع بن أنس والسدي : المسكنة الفاقة . وقال عطية العوفي : الخراج . وقال الضحاك : الجزية . وقوله تعالى : ﴿ **وباءوا بغضب من اللَّه** ﴾ قال الضحاك : استحقوا الغضب من اللَّه .

وقال الربيع بن أنس : فحدث عليهم غضب من اللَّه . وقال سعيد بن جبير ﴿ **وباءوا بغضب من اللَّه** ﴾ . [يقول : استوجبوا سخطًا ، وقال ابن جرير : يعني بقوله : ﴿ **وباءوا بغضب من اللَّه** ﴾][1] انصرفوا ورجعوا ، ولا يقال باءوا إلا موصولًا : إمّا بخير وإمّا بشر ، يقال منه : باء فلان بذنبه يبوء به بوءًا وبواء . ومنه قوله تعالى : ﴿ **إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك** ﴾ ، يعني : تنصرف متحملهما وترجع بهما ، قد صارا عليك دوني . فمعنى الكلام إذًا : فرجعوا منصرفين متحملين غضب اللَّه ، قد صار عليهم من اللَّه غضب ، ووجب عليهم [من اللَّه][2] سخط .

وقوله تعالى : ﴿ **ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات اللَّه ويقتلون النبيين بغير الحق** ﴾ يقول تعالى : هذا الذي جازيناهم [به][3] من الذلة والمسكنة ، وإحلال الغضب بهم ؛ بسبب استكبارهم عن اتباع الحق ، وكفرهم بآيات اللَّه ، وإهانتهم حملة الشرع – وهم الأنبياء وأتباعهم– فانتقصوهم [إلى أن][4] أفضى بهم الحال إلى أن قتلوهم ، فلا كفر[5] أعظم من هذا ، أنهم كفروا بآيات اللَّه ، وقتلوا أنبياء [اللَّه بغير][6] الحق ؛ ولهذا جاء في الحديث المتفق على صحته أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قال : « **الكِبْرُ بَطَرُ الحق وغَمْطُ الناس** »(٤٣٤) .

وقال الإمام أحمد (٤٣٥) [رحمه اللَّه] حدثنا إسماعيل ، عن ابن عون ، عن عمرو بن سعيد ، عن حميد بن عبد الرحمن قال : قال ابن مسعود : كنت لا أحجب عن النجوى ، ولا عن كذا ولا عن كذا ، قال : [فأتيت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم][7] وعنده مالك بن مرارة الرهاوي[8] ، فأدركته من آخر حديثه ، وهو يقول : يا رسول اللَّه ، قد قسم لي من الجمال ما ترى فما أحب أن أحدًا من الناس فضلني بشراكين فما فوقهما ، أفليس ذلك هو البغي ؟ فقال : « **لا ليس ذلك [ ][9] من البغي ، ولكن البغي من بطر – أو قال – سفه الحق وغمط الناس** » . يعني : رد

(٤٣٤) – رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان : برقم ١٤٧ – (٩١) من حديث عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه . وهو عند البخاري في تاريخه (٢/١/٣) ولم أقف عليه عند البخاري في صحيحه .
(٤٣٥) – المسند (٣٨٥/١) .

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] – ما بين المعكوفتين في خ : « منه » .
[٣] – زيادة من ز .
[٤] – ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « حتى » .
[٥] – في ز : كبر .
[٦] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٧] – في خ : « فأتيته » .
[٨] – في خ : « الهاوى » .
[٩] – في ز : هو .

الحق وانتقاص الناس والازدراء بهم والتعاظم عليهم . ولهذا لما ارتكب بنو إسرائيل ما ارتكبوه من الكفر بآيات الله [وقتلهم أنبياءه][١] ، أحل الله بهم بأسه الذي لا يردّ ، وكساهم ذلا في الدنيا موصولًا بذل الآخرة جزاء وفاقًا .

قال أبو داود الطيالسي(٤٣٦) : حدثنا شعبة ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن أبي معمر ، عن عبد الله بن مسعود قال : كانت بنو إسرائيل في اليوم تقتل ثلاثمائة نبي ، ثم يقيمون سوق بقلهم من[٢] آخر النهار .

وقد قال الإمام أحمد(٤٣٧) : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا أبان ، حدثنا عاصم ، عن أبي وائل ، عن عبد الله يعني : ابن مسعود أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « **أشدّ الناس[٣] عذابًا يوم القيامة : رجل قتله نبي أو قتل نبيًا ، وإمام ضلالة ، وممثل من الممثلين** » .

وقوله تعالى : ﴿ **ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون** ﴾ وهذه علة أخرى في مجازاتهم[٤] بما جوزوا به ، أنهم كانوا يعصون ويعتدون ، فالعصيان : فعل المناهي ، والاعتداء : المجاوزة في حد المأذون فيه أو المأمور به ، والله أعلم .

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾

لما بيَّن تعالى حال من خالف أوامره ، وارتكب زواجره ، وتعدّى في فعل ما [لا إذن][٥] فيه ، وانتهك المحارم ، وما أحل بهم من النكال - نبه تعالى على أن مَنْ أحسن من الأمم السالفة[٦] وأطاع ؛ فإن له جزاءَ الحسنى ، وكذلك الأمر إلى قيام الساعة ؛ كل من اتبع الرسول النبي الأمي فله السعادة الأبدية ، ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه ، ولا هم يحزنون على ما يتركونه ويخلفونه ، كما قال تعالى : ﴿ **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ وكما تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار في قوله : ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون** ﴾ .

---

(٤٣٦) - لم نعثر عليه في مسند الطيالسي المطبوع .
(٤٣٧) - المسند (١/٤٠٧) .

---

[١] - في ز ، خ : « وقتل أنبيائهم » .
[٢] - في ز : في .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ز : مجرايهم .
[٥] - في ز : أذن .
[٦] - في خ : « السابقة » .

قال ابن أبي حاتم(٤٣٨) : حدّثنا [أبي][١] حدثنا ابن أبي عمر العدني[٢] ، حدّثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : قال سلمان رضي الله عنه : سألت النبي ، صلى الله عليه وسلم ، عن أهل دين كنتُ معهم ، فذكرتُ من صلاتهم وعبادتهم ، فنزلت : ﴿ **إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر** ﴾ [إلى آخر][٣] الآية .

وقال السدي : ﴿ **إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً** ﴾ الآية ، نزلت في أصحاب سلمان الفارسي ، بينا هو يحدّث النبي ، صلى الله عليه وسلم ، إذ ذكر أصحابه ، فأخبره خبرهم ، فقال : كانوا [يصلون ويصومون] ، ويؤمنون بك ، ويشهدون أنك ستبعث نبيًا ، فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم ، قال له نبي الله ، صلى الله عليه وسلم : « **ياسلمان ، هم من أهل النار** » . فاشتد ذلك على سلمان ، فأنزل الله هذه الآية ، فكان إيمان اليهود : أنه من تمسك بالتوراة [وسنة موسى عليه السلام ، حتى جاء عيسى . فلما جاء عيسى ؛ كان من تمسك بالتوراة][٤] ، وأخذ بسنة موسى فلم يدعها ولم يتبع عيسى ، كان هالكًا . وإيمان النصارى : أن من تمسك بالإنجيل منهم ، وشرائع عيسى ، كان مؤمنًا مقبولًا منه[٥] ، حتى جاء محمد صلى الله عليه وسلم فمن لم يتبع محمدًا ، صلى الله عليه وسلم ، منهم ويدع ما كان عليه من سنة عيسى والإنجيل ؛ كان هالكًا(٤٣٩) .

وقال ابن أبي حاتم : وروي عن سعيد بن جبير نحو هذا .

(**قلت**) : وهذا لا ينافي ما روى علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ﴿ **إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر** ﴾ الآية - قال[٦] - فأنزل الله بعد ذلك : ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين** ﴾ .

فإن هذا الذي قاله [ابن عباس][٧] إخبار عن أنه لايقبل من أحد طريقة ولا عملًا ، إلا ما كان موافقًا لشريعة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، بعد أن بعثه بما بعثه به ، فأما قبل ذلك ؛ فكل من اتبع الرسول في زمانه فهو على هدى وسبيل ونجاة ، فاليهود أتباع موسى عليه السلام الذين كانوا يتحاكمون إلى التوراة في زمانهم .

---

(٤٣٨) - رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٣٨ - (١٩٨/١) ، وهو منقطع فإن مجاهدًا لم يسمع من سلمان .

(٤٣٩) - رواه ابن أبي حاتم بإسناده إلى السدي ، من حديث أبي زرعة ، عن عمرو بن حماد ، ثنا أسباط ، عن السدي ، به . وهذا إسناد فيه ضعف ، وانقطاع بين السدي وسلمان .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - في ز ، خ : « العوفى » .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - في ز : منهم .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز ، خ .

واليهود [١] من الهوادة وهي المودّة ، أو التهوّد وهو التوبة ؛ كقول[٢] موسى - عليه السلام - : ﴿ **إنا هدنا إليك** ﴾ أي تُبنا ، فكأنهم سُمُّوا بذلك في الأصل لتوبتهم ومودتهم في بعضهم لبعض[٣] [وقيل : لنسبتهم إلى يهودا أكبر أولاد يعقوب ، وقال أبو عمرو بن العلاء : لأنهم يتهوّدون أي يتحرّكون عند قراءة التوراة][٤] ، فلما بُعث عيسى صلى اللّه عليه وسلم وجب على بني إسرائيل اتباعه ، والانقياد له ، فأصحابه وأهل دينه هم النصارى ، وسُموا بذلك لتناصرهم فيما بينهم ، وقد يقال لهم : أنصار أيضًا ، كما قال عيسى عليه السلام : ﴿ **من أنصاري إلى اللّه قال الحواريون نحن أنصار اللّه** ﴾ وقيل : إنهم إنما سموا بذلك من أجل أنهم نزلوا أرضًا يقال لها : ناصرة ، قاله قتادة وابن جريج ، وروُي عن ابن عباس أيضا واللّه أعلم .

والنصارى جمع نصران كنشاوى جمع نشوان ، وسكارى جمع سكران ، ويقال للمرأة : نصرانة ، قال الشاعر :

نصرانة لم تحَنَّفِ(٤٤٠)

فلما بعث اللّه محمدًا ، صلى اللّه عليه وسلم ، خاتمًا للنبيين ، ورسولًا إلى بني آدم على الإطلاق ، وجب عليهم تصديقه فيما أخبر ، وطاعته فيما أمر ، والانكفاف عما عنه زجر . وهؤلاء هم المؤمنون حقًّا[٥] ، وسميت أمة محمد صلى اللّه عليه وسلم مؤمنين ؛ لكثرة إيمانهم وشدّة إيقانهم ؛ ولأنهم يؤمنون بجميع الأنبياء الماضية والغيوب الآتية . وأما الصابئون فقد اختلف فيهم ؛ فقال سفيان الثوري : عن ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد قال : الصابئون قوم بين المجوس واليهود والنصارى ، ليس لهم دين ، وكذا رواه ابن أبي نجيح عنه ، وروي عن عطاء وسعيد بن جبير نحو ذلك .

وقال أبو العالية والربيع بن أنس والسدي وأبو الشعثاء جابر بن زيد والضحاك [وإسحاق بن راهوية][٦] : الصابئون فرقة من أهل الكتاب يقرءون الزبور (٤٤١) .

[ولهذا قال أبو حنيفة وإسحاق : لا بأس بذبائحهم ومناكحتهم][٧] وقال هشيم ، عن

(٤٤٠) - أورده ابن جرير بتمامه (١٤٤/٢) وهو لأبي الأخزر الحماني ، وتمامه :

فكلتاهما خرَّت وأسجد رأسها كما سجدت نصرانة لم تحنفِ

(٤٤١) - قول أبي العالية والسدي ؛ رواهما ابن جرير بإسناده إليهما في تفسيره برقم ١١١٠، ١١١١ - (١٤٧/٢) .

[١] - في ز : والتهود .
[٢] - في ز : لقول .
[٣] - في ز : بعض .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : ز ، خ.
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

مطرف : كنا عند الحكم بن عتيبة فحدّثه رجل من أهل[١] البصرة عن الحسن أنه كان يقول في الصابئين : إنهم كالمجوس ، فقال الحكم : ألم أخبركم بذلك ؟ .

وقال عبد الرحمن بن مهدي : عن معاوية بن عبد الكريم : سمعت الحسن ذكر الصابئين فقال : هم قوم يعبدون الملائكة .

[وقال ابن جرير(٤٤٢) : حدّثنا محمد بن عبد الأعلى ، حدّثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن الحسن قال : [أخبر] زياد أن الصابئين يصلون إلى القبلة ويصلون الخمسة ، قال : فأراد أن يضع عنهم الجزية ، قال : فخُبِّر بعدُ أنهم يعبدون الملائكة][٢] . وقال أبو جعفر الرازي : بلغني أن الصابئين قوم يعبدون الملائكة ، ويقرءون الزبور ويصلون للقبلة[٣] ، وكذا قال سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة .

وقال ابن أبي حاتم(٤٤٣) : حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني ابن أبي الزناد ، عن أبيه ، قال : الصابئون قوم مما يلي العراق ، وهم بكوثى[٤] وهم يؤمنون بالنبيين كلهم ، ويصومون من كل سنة ثلاثين يومًا ، ويصلون إلى اليمن كل يوم خمس صلوات .

وسئل وهب بن منبه عن الصابئين فقال : الذي يعرف اللّه وحده ، وليست له شريعة يعمل بها ، ولم يحدث كفرًا .

وقال عبد اللّه بن وهب : قال عبد الرحمن بن زيد : الصابئون أهل[٥] دين من الأديان ، كانوا بجزيرة الموصل يقولون : لا إله إلا اللّه ، وليس لهم عمل ولا كتاب ولانبي إلا قول : لا إله إلا اللّه ، قال[٦] : ولم يؤمنوا برسول ؛ فمن أجل ذلك كان المشركون يقولون للنبي صلى اللّه عليه وسلم وأصحابه : هؤلاء الصابئون ، يشبّهونهم بهم ، يعني : في قول[٧] : لا إله إلا اللّه .

[وقال الخليل : هم قوم يشبه دينهم دين النصارىٰ إلا أن قبلتهم نحو مَهَب الجنوب ، يزعمون أنهم على دين نوح عليه السلام . وحكى القرطبي ، عن مجاهد والحسن وابن أبي نجيح : أنهم قوم

(٤٤٢) - رواه ابن جرير برقم ١١٠٨ - (١٤٧/٢) .

(٤٤٣) - رواه ابن أبي حاتم برقم ٦٤٥ - (٢٠٠/١ - ٢٠١) . وهو ضعيف ؛ لضعف عبد الرحمن بن أبي الزناد : قال ابن معين : ضعيف ، وعنه : ليس بشيء . وعنه : لا يحتج به . وكذا قال أبو حاتم ، وضعفه النسائي ، وقال أحمد : مضطرب الحديث ، ووثقه مالك . وقال ابن عدي : هو ممن يكتب حديثه . وعن أحمد : ضعيف . وقال يحيى بن معين : هو أثبت الناس في هشام بن عروة .

[١] - سقط من ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : «إلى القبلة» .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - في ت «قوله» .

تركَّب دينهم بين اليهود والمجوس ، ولا تؤكل ذبائحهم ، [قال ابن عباس] : ولا تنكح نساؤهم . قال القرطبي(٤٤٤) : والذي تحصل من مذهبهم ، فيما ذكره بعض العلماء ، أنهم موحدون ويعتقدون تأثير النجوم وأنها فاعلة[١] ؛ ولهذا أفتى أبو سعيد الإصطخري بكفرهم للقادر بالله حين سأله عنهم .

واختار الرازي أن الصابئين قوم يعبدون الكواكب بمعنى أن الله جعلها قبلة للعبادة والدعاء ، أو بمعنى أن الله فوض تدبير أمر هذا العالم إليها .

قال : وهذا القول هو المنسوب إلى الكشدانيين(٤٤٥) الذين جاءهم إبراهيم - عليه السلام - رادًّا عليهم ومبطلاً لقولهم][٢] .

وأظهر الأقوال - والله أعلم - قول مجاهد ومتابعيه[٣] ووهب بن منبه أنهم قوم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا المشركين ، وإنما هم قوم[٤] باقون على فطرتهم ، ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويقتفونه ؛ ولهذا كان المشركون ينبزون(٤٤٦) من أسلم بالصابئ ، أي أنه قد خرج عن سائر أديان أهل الأرض إذ ذاك .

وقال بعض العلماء : الصابئون الذين لم تبلغهم دعوة نبي ، والله أعلم .

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٦٣) ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٦٤) ﴾

يقول تعالى مذكرًا بني إسرائيل ما أخذ عليهم من العهود والمواثيق بالإيمان به وحده لا شريك له واتباع رسله ، وأخبر تعالى أنه لما أخذ عليهم الميثاق رفع الجبل فوق[٥] رءوسهم ليقروا بما عوهدوا عليه ، ويأخذوه بقوة وحزم وهمة[٦] وامتثال ، كما قال تعالى : **﴿ وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ﴾** فالطور : هو

(٤٤٤) - القرطبي (١/٤٣٤ - ٤٣٥).
(٤٤٥) - هم طائفة من عبدة الكواكب - كما في تاج العروس .
(٤٤٦) - ينبزون : يلقبون .

[١] - في القرطبي (١/٤٣٤) : فعالة .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في خ : « متابعته » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز : على .
[٦] - زيادة من : ز ، خ .

الجبل ، كما (فسره به في)[١] الأعراف ، ونصَّ على ذلك ابن عباس ومجاهد ، وعطاء وعكرمة ، والحسن والضحاك ، والربيع بن أنس وغير واحد ، وهذا ظاهر .

وفي رواية عن ابن عباس - الطور : ما أنبت من الجبال ، وما لم يُنْبِتْ فليس بطور .

وفي حديث الفتون عن ابن عباس أنهم لما امتنعوا عن الطاعة رفع عليهم الجبل ليسمعوا .

وقال السدي : فلما أبوا أن يسجدوا أمر الله الجبل أن يقع عليهم ، فنظروا إليه وقد غشيهم ، فسقطوا سُجَّدًا ، فسجدوا[٢] على شق ونظروا بالشق الآخر ، فرحمهم الله فكشفه عنهم ، فقالوا : والله[٣] ما سجدة أحب إلى الله من سجدة كشف بها العذاب عنهم ، فهم يسجدون كذلك ، وذلك قول الله تعالى : ﴿ **ورفعنا فوقكم الطور** ﴾ .

وقال الحسن في قوله : ﴿ **خذوا ما آتيناكم بقوة** ﴾ يعني : التوراة .

وقال أبو العالية والربيع بن أنس : بقوة أي : بطاعة . وقال مجاهد : بقوة : بعمل بما فيه . وقال قتادة : ﴿ **خذوا ما آتيناكم بقوة** ﴾ القوة الجد وإلا قذفته[٤] عليكم .

[قال : فأقروا بذلك : أنهم يأخذون ما أوتوا بقوة . ومعنى قوله : وإلا قذفته عليكم : أي][٥] : أسقطته عليكم ، يعني : الجبل .

وقال أبو العالية والربيع : ﴿ **واذكروا ما فيه** ﴾ يقول : اقرءوا ما في التوراة واعملوا به .

وقوله تعالى : ﴿ **ثم توليتم من بعد ذلك** ﴾ يقول تعالى : ثم بعد هذا الميثاق المؤكد العظيم توليتم عنه وانثنيتم ونقضتموه ﴿ **فلولا فضل الله عليكم ورحمته** ﴾ أي : بتوبته[٦] عليكم وإرساله النبيين والمرسلين إليكم ﴿ **لكنتم من الخاسرين** ﴾ بنقضكم ذلك الميثاق في الدنيا والآخرة .

وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾

يقول تعالى : ﴿ **ولقد علمتم** ﴾ يا معشر اليهود ؛ ما حل من البأس بأهل القرية التي عصت أمر الله ، وخالفوا عهده وميثاقه ، فيما أخذه عليهم من تعظيم السبت والقيام بأمره ؛ إذ كان مشروعًا لهم فتحيَّلوا على اصطياد الحيتان في يوم السبت ، بما وضعوه لها من الشصوص والحبائل والبرك

---

[١] - في ز ، خ : « فسر بآية » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ز ، خ : « دفنته » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز : توبته .

قبل يوم السبت ، فلما جاءت يوم السبت على عادتها في الكثرة نشبت بتلك الحبائل والحيل ، فلم تخلص منها[١] يومها ذلك ، فلما كان الليل أخذوها بعد انقضاء السبت .

فلما فعلوا ذلك مسخهم اللّٰه إلى صورة القردة ، وهي أشبه شيء بالأناسي في الشكل الظاهر وليست بإنسان حقيقة ، فكذلك أعمال هؤلاء وحيَلهم لما كانت مشابهة للحق في الظاهر ومخالفة له في الباطن ، كان جزاؤهم من جنس عملهم .

وهذه القصة مبسوطة في سورة الأعراف حيث يقول تعالى : ﴿ **واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرَّعًا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون** ﴾ . القصة بكمالها .

وقال السدي : أهل هذه القرية هم أهل « أيلة » ؛ وكذا قال قتادة ، وسنورد أقوال المفسرين هناك مبسوطة إن شاء اللّٰه وبه الثقة .

وقوله تعالى : ﴿ **فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين** ﴾ . قال[٢] ابن أبي حاتم(٤٤٧) : حدثنا أبي ، حدثنا أبو حذيفة ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نَجيح ، عن مجاهد : ﴿ **فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين** ﴾ قال : مُسخت قلوبهم ولم يمسخوا قردة ، وإنما هو مثل ضربه اللّٰه ﴿ **كمثل الحمار يحمل أسفارًا** ﴾ .

ورواه ابن جرير(٤٤٨) ، عن المثنى ، عن أبي حذيفة .

وعن(٤٤٩) محمد بن عمرو[٣] الباهلي ، عن أبي عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، به .

وهذا سند جيد عن مجاهد ، وقول غريب خلاف الظاهر من السياق في هذا المقام وفي غيره ،

(٤٤٧) - رواه ابن أبي حاتم ٦٧٧ - (١/٢٠٩) . وأبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي : قال الذهبي (٤/ ٢٢١) : أحد شيوخ البخاري . صدوق إن شاء اللّٰه ، يهم ، تكلم فيه أحمد ، وضعفه الترمذي ، وقال ابن خزيمة : لا أحتج به . وقال عمرو بن علي : لا يحدث عنه من يبصر الحديث . وقال أبو أحمد الحاكم : ليس بالقوي عندهم . وقال إبراهيم بن يعقوب : سمعت أحمد يقول : كأن سفيان الذي يحدث عنه أبو حذيفة ليس هو سفيان الذي يحدث عنه الناس . وقال بندار : ضعيف الحديث . وقال أبو حاتم : صدوق معروف بالثوري . وقال أحمد : هو من أهل الصدق .

(٤٤٨) - رواه ابن جرير : ١١٤٧ - (١/١٧٥) .

(٤٤٩) - رواه ابن جرير : ١١٤٣ - (١/١٧٢) .

[١] - سقط من : ز ، خ . [٢] - في ز : وقال .

[٣] - في ز : عمر .

قال اللّٰه تعالى : ﴿ **قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند اللّٰه من لعنه اللّٰه وغضب عليه ، وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت** ﴾ . الآية .

وقال العوفي في تفسيره ، عن ابن عباس : ﴿ **فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين** ﴾ : فجعل اللّٰه[١] منهم القردة والخنازير . فزعم أن شباب القوم صاروا قردة ، وأن[٢] المشيخة صاروا خنازير .

وقال شيبان النحوي عن قتادة : ﴿ **فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين** ﴾ : فصار القوم قردة[٣] تَعَاوَى لها أذناب بعدما كانوا رجالًا ونساءً .

وقال عطاء الخراساني : نودوا : يا أهل القرية ﴿ **كونوا قردة خاسئين** ﴾ . فجعل الذين نهوهم يدخلون عليهم فيقولون : يا فلان ؛ ألم ننهكم ؟ فيقولون برءوسهم : أي بلى .

وقال ابن أبي حاتم(٤٥٠) : حدّثنا علي بن الحسين[٤] ، حدّثنا عبد اللّٰه بن محمد بن ربيعة بالمصيصة ، حدثنا محمد بن مسلم - يعني الطائفي - عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : إنما كان الذين اعتدوا في السبت فجعلوا قردة فُوَاقا[٥] (٤٥١) ثم هلكوا . ما كان للمسخ نسل .

وقال الضحاك(٤٥٢) ، عن ابن عباس : فمسخهم اللّٰه قردة بمعصيتهم : يقول إذ لا يحيون في الأرض إلا ثلاثة أيام ، قال : ولم يعش مسخ قط فوق ثلاثة أيام ، ولم يأكل ولم يشرب ولم ينسل . وقد خلق اللّٰه القردة والخنازير وسائر الخَلْق في الستة الأيام[٦] التي ذكرها[٧] اللّٰه في كتابه ، فمسخ هؤلاء القوم في صورة القِرَدة ، وكذلك يفعل بمن يشاء كما يشاء ، ويحوّله كما يشاء .

وقال أبو جعفر الرازي : عن الربيع ، عن أبي العالية في قوله : ﴿ **كونوا[٨] قردة خاسئين** ﴾ قال : يعني : أذلة صاغرين ، ورُوي عن مجاهد وقتادة والربيع وأبي مالك ، نحوه .

(٤٥٠) - **إسناده ضعيف** : عبد اللّٰه بن محمد بن ربيعة : قال الذهبي في الميزان : أحد الضعفاء ، أتى عن مالك بمصائب (الميزان ٢/٤٨٨) . ومحمد بن مسلم استشهد به مسلم ، وضعفه أحمد بن حنبل ووثقه يحيى بن معين وغيره (الميزان ٤/٤٠) . والحديث في تفسير ابن أبي حاتم حديث ٦٧٥ - (١/٢٠٩) .

(٤٥١) - فواقًا : قدر ما بين الحلبتين من الوقت .

(٤٥٢) - منقطع - الضحاك لم يلق ابن عباس ، وهو عند ابن جرير (١١٣٨) مطولًا .

[١] - سقط من ز .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « قرودًا » .
[٤] - في ت : الحسن .
[٥] - في خ : « فراما » ، وفي ز : فراقاً .
[٦] - في ت : أيام .
[٧] - في ز ، خ : « ذكر » .
[٨] - سقط من : ز ، خ .

وقال محمد بن إسحاق : عن داود بن [ ][١] الحصين(٤٥٣) ، عن عكرمة ، قال : قال ابن عباس : إن اللَّه إنما افترضَ على بني إسرائيل اليوم الذي افترض عليكم في عيدكم - يوم الجمعة - فخالفوا إلى السبت فعظموه ، وتركوا ما أمروا به ، فلما أبوا إلا لزوم السبت ابتلاهم اللَّه فيه [فحرم عليهم ما أحل لهم في غيره ، وكانوا في قرية بين أيلة والطور ، يقال لها : مدين][٢] فحرم اللَّه[٣] عليهم في السبت الحيتانَ : صيدها وأكلها . وكانوا إذا كان يوم السبت أقبلت إليهم شُرَّعًا إلى ساحل بحرهم ، حتى إذا ذهب السبت ذهبن فلم يروا حُوتًا صغيرًا ولا كبيرًا ، حتى إذا كان يومُ السبت أتين شُرَّعًا ، حتى إذا ذهب السبت ذهبن فكانوا كذلك ، حتى إذا[٤] طال عليهم الأمد ، وقَرِموا[٥] (٤٥٤) إلى الحيتان ، عمد رجل منهم فأخذ حوتًا سرًّا يوم السبت ، فخزمه بخيط ، ثم أرسله في الماء ، وأوتد له وتدًا في الساحل فأوثقه ، ثم تركه حتى إذا كان الغد جاء فأخذه ، أي : إني لم آخذه في يوم السبت ، فانطلق[٦] به فأكله ، حتى إذا كان يوم السبت الآخر عاد لمثل ذلك ، ووجد الناسُ ريح الحيتان ، فقال أهل القرية : واللَّه لقد وجدنا ريح الحيتان ، ثم عثروا على صنع[٧] ذلك الرجل . قال : ففعلوا كما فعل ، وأكلوا[٨] سرًّا زمانًا طويلًا ، لم يعجل اللَّه عليهم بعقوبة[٩] حتى صادوها علانية وباعوها [في الأسواق][١٠] . فقالت طائفة منهم من أهل البقية[١١] : وَيْحَكُم ! اتقوا اللَّه ، ونَهوهم عما كانوا[١٢] يصنعون ، فقالت طائفة أخرى لم تأكلِ الحيتان ، ولم تنه القوم عما[١٣] صنعوا : ﴿ **لم تعظون قومًا اللَّه مهلكهم أو معذبهم عذابًا شديدًا قالوا معذرة إلى ربكم** ﴾ . لسُخطنا أعمالهم ﴿ **ولعلهم يتقون** ﴾ .

قال ابن عباس : فبينا هم على ذلك أصبحت تلك البقية في أنديتهم ومساجدهم فقدوا الناس

(٤٥٣) - **سنده ضعيف جدًّا** ، وهو عند ابن جرير (١١٣٩) ، وداود بن الحصين : قال أبو داود : أحاديثه عن عكرمة مناكير . وقال علي بن المديني : ما رواه عن عكرمة فمنكر . وقال أبو حاتم : لولا أن مالكًا روى عنه لترك حديثه . (الميزان ٢/٥) .

(٤٥٤) - يقال : قَرِمَ اللحم ، أي اشتدت شهوته إليه .

[١] - في ت ، خ : أبي .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - سقط من: خ.
[٤] - زيادة من ز .
[٥] - في ز : وقربوا .
[٦] - في ز ، خ: « ثم انطلق » .
[٧] - فيت : « صنيع » .
[٨] - في ت : « وصنعوا » .
[٩] - في ت : « العقوبة » .
[١٠] - في ز : بالأسواق .
[١١] - في خ : « البقعة » .
[١٢] - سقط من: خ.
[١٣] - في خ : « كما » .

فلم[١] يروهم[٢] ، قال : فقال بعضهم لبعض : إن للناس لشأنًا[٣] فانظروا ما هو ؟ فذهبوا ينظرون في دورهم ، فوجدوها مغلقة عليهم ، قد دخلوها ليلًا فغلقوها على أنفسهم ، كما يغلق الناس على أنفسهم فأصبحوا فيها قردة ، و[٤] إنهم ليعرفون الرجل بعينه وإنه لقرد ، والمرأة بعينها وإنها لقردة ، والصبي بعينه وإنه لقرد . قال : قال[٥] ابن عباس : فلولا ما ذكر اللَّه أنه نجى[٦] الذين نهوا عن السوء لقد أهلك اللَّه[٧] الجميع منهم . قال : وهي القرية التي قال [اللَّه][٨] جل ثناؤه لمحمد صلى اللَّه عليه وسلم : ﴿ **واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر** ﴾ . الآية . وروى الضحاك عن ابن عباس(٤٥٥) نحوًا من هذا .

وقال السدي في قوله تعالى : ﴿ **ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين** ﴾ . قال : هم[٩] أهل « أيلة » ، وهي القرية التي كانت حاضرة البحر ، فكانت الحيتان إذا كان يوم السبت - وَقَدْ حرم اللَّه على اليهود أن يعملوا في السبت شيئًا - لم يبق في البحر حوتٌ إلا خرج ، حتى يخرجن خراطيمهن من الماء ، فإذا كان يوم الأحد لَزِمْنَ مقل[١٠](٤٥٦) البحر فلم يُرَ منهن شيء حتى يكون يوم السبت ، فذلك قوله تعالى : ﴿ **واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرّعًا ويوم لايسبتون لا تأتيهم** ﴾ .

فاشتهى بعضهم السمك فجعل الرجل يحفر الحفيرة ، ويجعل لها نهرًا إلى البحر ، فإذا كان يوم السبت فتح النهر فأقبل الموج بالحيتان يضربها حتى يلقيها في الحفيرة ، فيريد الحوت أن يخرج فلا يطيق من أجل قلة ماء النهر ، فيمكث فيها[١١] ، فإذا كان يوم الأحد جاء فأخذه ، فجعل الرجل يشوي السمك فيجد جاره ريحه فيسأله فيخبره ، فيصنع مثل ما صنع جاره حتى فشا فيهم أكل السمك ، فقال لهم علماؤهم : ويحكم ! إنما تصطادون يوم السبت ، وهو لا يحل لكم ، فقالوا : إنما صدناه يوم الأحد حين أخذناه ، فقال الفقهاء[١٢] : لا ، ولكنكم صِدْتُموه يوم فتحتم[١٣] له[١٤] الماء فدخل، قال : وغلبوا أن ينتهوا .

---

(٤٥٥) - ابن جرير برقم (١١٣٨) وسنده ضعيف .

(٤٥٦) - المقل : أسفل البئر ، ومغاص البحر .

---

[١] - في ز ، خ : « فلا » .
[٢] - في ز : يرونهم .
[٣] - في ت : « شأنًا » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز : يقول .
[٦] - في ز ، خ : « أنجى » .
[٧] - سقط من ز .
[٨] - زيادة من ز .
[٩] - في ز ، خ : « فهم » .
[١٠] - في ت : سفل . والمثبت من ز ، خ .
[١١] - سقط من : ز ، خ .
[١٢] - في ز ، خ : « العلماء » .
[١٣] - في ز ، خ : « فتحكم » .
[١٤] - سقط من : ز ، خ .

فقال بعض الذين نهوهم لبعض : ﴿ **لم تعظون قومًا اللّه مهلكهم أو معذبهم عذابًا شديدًا** ﴾ . يقول : لم تعظوهم ، وقد وعظتموهم فلم يطيعوكم ، فقال بعضهم : ﴿ **معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون** ﴾ . فلما أبوا قال المسلمون : واللّه لا نُسَاكنكم في قرية واحدة .

فقسموا القرية بجدار ، ففتح المسلمون بابًا والمعتدون في السبت بابًا ، ولعنهم داود – عليه السلام – فجعل المسلمون يخرجون من بابهم ، والكفار من بابهم ، فخرج المسلمون ذات يوم ولم يفتح الكفار بابهم ، فلما أبطئوا عليهم تسوّر[١] المسلمون عليهم الحائط ، فإذا هم قردة يثب بعضهم على بعض ، ففتحوا عنهم ، فذهبوا في الأرض ، فذلك قول اللّه تعالى : ﴿ **فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين** ﴾ . وذلك حين يقول : ﴿ **لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم** ﴾ . الآية . فهم القردة .

(**قلت**) : والغرض من هذا السياق عن هؤلاء الأئمة بيان خلاف ما ذهب إليه مجاهد ، رحمه اللّه ، من أن مسخهم إنما كان معنويًا لا صوريًا ؛ بل الصحيح أنه معنوي صوري . واللّه تعالى أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ **فجعلناها نكالًا [لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين]**[٢] ﴾ . قال بعضهم : الضمير في ﴿ **فجعلناها** ﴾ . عائد على القردة ، [وقيل : على الحيتان][٣] ، وقيل : على العقوبة ، وقيل : على القرية ، حكاها ابن جرير .

والصحيح أن الضمير عائد على القرية ، أي فجعل اللّه هذه القرية – والمراد أهلها – بسبب اعتدائهم في سبتهم ﴿ **نكالًا** ﴾ . أي : عاقبناهم عقوبة فجعلناها[٤] عبرة ، كما قال اللّه[٥] عن فرعون : ﴿ **فأخذه اللّه نكال الآخرة والأولى** ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ **لما بين يديها وما خلفها** ﴾ . أي : من القرىٰ ، [قال ابن عباس : يعني جعلناها بما أحللنا بها من العقوبة عبرة لما حولها من القرىٰ][٦] . كما قال تعالى : ﴿ **ولقد أهلكنا ماحولكم من القرىٰ وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون** ﴾ . ومنه قوله تعالى : ﴿ **أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها** ﴾ . الآية . على أحد الأقوال ، فالمراد : لما بين يديها وما خلفها في[٧] المكان ، كما قال محمد بن إسحاق : عن داود بن الحصين(٤٥٧) ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : لما بين يديها من القرىٰ وما خلفها من القرىٰ ، وكذا قال سعيد بن جبير : ﴿ **لما بين يديها وما خلفها** ﴾ . قال[٨] : من بحضرتها من

---

(٤٥٧) – منكر ، وهو عند ابن جرير برقم (١١٥٦) ، وابن أبي حاتم برقم (٦٨١) .

---

[١] – في ز : تسوروا .
[٢] – ما بين المعكوفتين زيادة من : ز ، خ .
[٣] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] – في ز ، خ : « فجعلناهم » .
[٥] – في خ : « تعالى » .
[٦] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٧] – في ز . خ : « من » .
[٨] – سقط من : ز ، خ .

الناس يومئذ .

ورُوي عن إسماعيل بن أبي خالد وقتادة وعطية العوفي ﴿ فجعلناها نكالاً لما بين يديها ﴾ . قال : ما كان[١] قبلها من الماضين في شأن السبت .

وقال أبو العالية والربيع وعطية : ﴿ وما خلفها ﴾ لمن[٢] بقي بعدهم من الناس من بني إسرائيل أن يعملوا مثل عملهم . وكان هؤلاء يقولون : المراد لما[٣] بين يديها وما خلفها في الزمان .

وهذا مستقيم بالنسبة إلى من يأتي بعدهم من الناس أن يكون أهل تلك القرية عبرة لهم ، وأمّا بالنسبة إلى من سلف قبلهم من الناس فكيف يصح هذا الكلام أن تفسر الآية به وهو أن تكون عبرة لمن سبقهم ؟ و[٤] هذا لعل أحدًا من الناس لايقوله بعد تصوره ؛ فتعين أن المراد بما بين يديها وما خلفها في المكان ، وهو ماحولها من القرى ، كما قاله ابن عباس وسعيد بن جبير ، والله أعلم .

وقال أبو جعفر الرازي : عن الربيع [بن أنس][٥] ، عن أبي العالية ﴿ فجعلناها نكالا لما بين يديها [وما خلفها][٦] ﴾ . [ ][٧] أي : عقوبة لما خلا من ذنوبهم[٨] .

وقال ابن أبي حاتم : وروي عن عكرمة ومجاهد ، والسدي [والحسن وقتادة والربيع بن أنس نحو ذلك] [٩] [وحكى القرطبي عن ابن عباس والسدي] [والفراء ، وابن عطية : ﴿ لما بين يديها ﴾ . من ذنوب القوم ، ﴿ وما خلفها ﴾ . لمن يعمل بعدها مثل تلك الذنوب . وحكى الرازي ثلاثة أقوال ؛ أحدها : أن المراد لما بين يديها وما خلفها من تقدّمها من القرىٰ بما عندهم من العلم بخبرها بالكتب المتقدمة ومن بعدها] .

[والثاني : المراد بذلك من بحضرتها من القرى والأمم . والثالث : أنه تعالى جعلها عقوبة لجميع ما ارتكبوه من قبل هذا الفعل وما بعده ، وهو قول الحسن .

(قلت) : وأرجح الأقوال : المراد بما بين يديها وما خلفها ، من بحضرتها من القرىٰ ، التي يبلغهم خبرها وما حل بها ، كما قال الله تعالى : ﴿ ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى ﴾ الآية ، وقال تعالى : ﴿ ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة ﴾ . الآية . وقال تعالى : ﴿ أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها ﴾ . فجعلهم عبرة ونكالاً لمن في زمانهم ، وموعظة لمن

---

[١] - زيادة من : ز ، خ . [٢] - في ت : « لما » .
[٣] - في ز ، خ : « بما » . [٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٧] - في ز : في المكان ، وما حولها من القرى [٨] - في ز ، خ : « دونهم » .
[٩] - زيادة من ز .

يأتي بعدهم بالخبر المتواتر عنهم ، ولهذا قال : ﴿ **وموعظة للمتقين** ﴾][١] : وقوله تعالى : ﴿ **وموعظة للمتقين** ﴾ .

قال محمد بن إسحاق : عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ﴿ **وموعظة للمتقين** ﴾ : الذين من بعدهم إلى يوم القيامة(٤٥٨) .

وقال الحسن وقتادة : ﴿ **وموعظة للمتقين** ﴾ بعدهم ، فيتقون[٢] نقمة الله ، ويحذرونها.

وقال السدي وعطية العوفي : ﴿ **وموعظة للمتقين** ﴾ قال : أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

(قلت) : المراد بالموعظة هاهنا الزاجر ، أي : جعلنا ما أحللنا بهؤلاء من البأس والنكال في مقابلة ما ارتكبوه من محارم الله وما تحيلوا به من الحيل ؛ فليحذر المتقون صنيعهم لئلا يصيبهم ما أصابهم ، كما قال الإمام أبو عبد الله [ابن بطة][٣] : حدّثنا أحمد بن محمد بن مسلم[٤] ، حدّثنا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني ، حدّثنا يزيد بن هارون ، حدّثنا محمد بن عمرو ، [عن أبي سلمة] عن أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « **لا ترتكبوا[٥] ما ارتكب اليهود ، فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل** »(٤٥٩) .

وهذا إسناد جيد ، وأحمد بن محمد بن مسلم هذا وثّقه الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي ، وباقي رجاله مشهورون على شرط الصحيح ، والله أعلم .

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾

يقول تعالى : واذكروا - يا بني إسرائيل - نعمتي عليكم في خرق العادة لكم في شأن البقرة ، وبيان القاتل من هو بسببها ، وإحياء الله المقتول ، ونصه على من قتله منهم .

[مسألة

(٤٥٨) - ابن جرير برقم (١١٦٦) ، وابن أبي حاتم برقم (٦٨٩) .

(٤٥٩) - أحمد بن محمد مسلم - أو سلم كما ورد اسمه في غير ما موضع من الإبانة - لم نقف على ترجمته . والحديث في جزء الخلع وإبطال الحيل لابن بطة (ص ٢٤) . وجود إسناده ابن القيم في إغاثة اللهفان (٥١٣/١) ، وحسنه في تهذيب السنن (١٠٣/٥) ، ومن قبله ابن تيمية في الفتاوى (٢٩/٢٩) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - في ز ، خ : « فيتقوا » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٤] - كذا في الأصلين وفي الإبانة : سلم .

[٥] - في ز ، خ : « تركبوا » .

الإبلُ تنحر ، والغنم تذبح ، واختلفوا في البقر ، فقيل : تذبح ، وقيل : تنحر ، والذبح أولى لنص القرآن ولقرب منحرها من مذبحها .

قال ابن المنذر : ولا أعلم خلافاً في حل ما ذبح مما ينحر ، أو نحر ما يذبح ، غير أن مالكاً كره ذلك . وقد يكره الإنسانُ ما لا يحرمه .

قال أبو عبد الله وكان نزول قصة البقرة على موسى عليه السلام في أمر القتيل قبل نزول القسامة في التوراة].

[(ذكر بسط القصة)][١]

[كما] [٢] قال ابن أبي حاتم : [ ] [٣] حدّثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدّثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا[٤] هشام بن حَسَّان ، عن محمد بن سيرين ، عن عَبِيدة السلماني ، قال : كان رجل من بني إسرائيل عقيمًا لايولد له ، وكان له مال كثير ، وكان ابنُ أخيه وارثَه فقتله ، ثم احتمله ليلًا فوضعه على باب رجل منهم ، ثم أصبحَ يَدعيه عليهم حتى تسلحوا ، وركب بعضهم إلى بعض . فقال ذوو الرأي منهم[٥] والنهى : علام يقتل بعضكم بعضًا وهذا رسول الله فيكم ؟ فأتوا موسى -عليه السلام- فذكروا ذلك له، فقال : ﴿ **إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوًا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين** ﴾ . قال : فلو لم [٦] يعترضوا لأجزأت عنهم أدنى بقرة ، ولكنهم شدّدوا فشدد عليهم ، حتى انتهوا إلى البقرة التي أمروا بذبحها ، فوجدوها عند رجل ليس له بقرة غيرها ، فقال: والله لا أنقصها من مِلء جلدها ذهبًا ، فأخذوها بملء جلدها ذهبًا فذبحوها ، فضربوه ببعضها فقام ، فقالوا : من قتلك ؟ فقال : هذا - لابن أخيه - ثم مال ميتًا ، فلم يُعْطَ من ماله شيئًا[٧] ؛ فلم يُوَرَّث قاتل بعد .

ورواه ابن جرير(٤٦٠) من حديث أيوب ، عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة ، بنحو من ذلك ، والله أعلم .

---

(٤٦٠) - **إسناده صحيح** : والحديث في تفسير عبد الرزاق (٤٨/١) ، وابن حاتم حديث ٦٩٥ - (٢١٤/١) ، وتفسير ابن جرير برقم ١١٧٢ - (٣٣٧/١) . ورواه البيهقي في سننه (٢٢٠/٦) من حديث يزيد ابن هارون ، به .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - زيادة من : ز ، خ .
[٣] - في خ : ثم . [٤] - في خ : «أخبرنا» .
[٥] - سقط من : خ. [٦] - سقط من ز .
[٧] - في ز : شيئ .

ورواه [عبد بن حميد][١] في تفسيره أنبأنا[٢] يزيد بن هارون . به .

ورواه آدم بن أبي إياس في تفسيره عن أبي جعفر - هو الرازي[٣] - عن هشام بن حسان ، به .
وقال آدم بن أبي إياس في تفسيره : أنبأنا[٤] أبو جعفر الرازي ، عن الربيع ، عن أبي العالية في قول الله تعالى : ﴿ **إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة** ﴾ قال : و[٥] كان رجل من بني إسرائيل ، وكان غنيًا ، ولم يكن له ولد ، وكان له قريب وكان وارثه ، فقتله ؛ ليرثه ، ثم ألقاه على مجمع الطريق ، وأتى موسى - عليه السلام - فقال له : إن قريبي قُتل ، وأتى إلى أمر عظيم ، وإني لا أجد أحدًا يبين لي من قتله غيرك يا نبي الله ؛ قال : فنادى موسى في الناس فقال : أنشد الله من كان عنده من هذا علم إلا بينه لنا ، فلم يكن عندهم علم ، فأقبل القاتل على موسى - عليه السلام - فقال له : أنت نبي الله فسل[٦] لنا ربك أن يبين لنا ، فسأل ربه فأوحى الله إليه ﴿ **إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة** ﴾ . فعجبوا من ذلك ، فقالوا : ﴿ **أتتخذنا هزوا**[٧] **قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض** ﴾ . يعني : لا هَرِمة ﴿ **ولا بكر** ﴾ . يعني : ولا صغيرة ﴿ **عوان بين ذلك** ﴾ . أي : نصفٌ بين البكر والهرمة ﴿ **قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها** ﴾ . [أي : صاف لونها][٨] ﴿ **تسر الناظرين** ﴾ . أي : تعجب الناظرين ﴿ **قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إنّ البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون قال إنه يقول إنها بقرة لاذلول** ﴾ . أي : لم يذلِّلها[٩] العمل ﴿ **تثير الأرض** ﴾ . يعني : وليست بذلول تثير الأرض ، ﴿ **ولا تسقي الحرث** ﴾ . يعني[١٠] : ولا تعمل في الحرث ﴿ **مسلمة** ﴾ . يعني : مسلمة من العيوب ﴿ **لاشية فيها** ﴾ . يقول : لابياض فيها ﴿ **قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون** ﴾ . قال : ولو أن القوم حين أمروا بذبح[١١] بقرة استعرضوا بقرة من البقر فذبحوها لكانت إياها ، ولكن[١٢] شدّدوا على أنفسهم فشدّد الله عليهم ، ولولا أنّ القوم استثنوا فقالوا : ﴿ **وإنا إن شاء الله لمهتدون** ﴾ . لما هدوا إليها أبدًا ، فبلغنا أنهم لم يجدوا البقرة التي نعتت لهم إلا عند عجوز و[١٣] عندها يتامى ، وهي القَيِّمَة عليهم ، فلما علمت أنه[١٤] لايزكو[١٥] لهم غيرها ، أضعفت عليهم الثمن ، فأتوا موسى فأخبروه أنهم لم يجدوا هذا النعت إلا عند فلانة ، وأنها سألتهم أضعاف

---

[١] - ما بين المعكوفتين في خ : «عنه» .
[٢] - في خ : «أبا» .
[٣] - في خ : الرزي .
[٤] - في خ : «حدثنا» .
[٥] - زيادة من : ز ، خ .
[٦] - في خ : «فاسأل» .
[٧] - في ز : هزأ .
[٨] - سقط من : ز ، خ .
[٩] - في ز ، خ : «يذلها» .
[١٠] - في ز : يقول .
[١١] - في خ : «أن يذبحوا» .
[١٢] - في ز ، خ : «ولكنهم» .
[١٣] - سقط من : ز ، خ .
[١٤] - في خ : «أنهم» .
[١٥] - في خ : «يزنوا» .

ثمنها ، فقال لهم[١] موسى : إن اللَّه قد خفف عليكم فشددتم على أنفسكم فأعطوها رضاها وحكمها ، ففعلوا واشتروها فذبحوها ، فأمرهم موسى - عليه السلام - أن يأخذوا عظمًا منها فيضربوا به القتيل ، ففعلوا فرجع إليه روحه فسمى لهم قاتله ، ثم عاد ميتًا كما كان ، فأخذ قاتله - وهو الذي كان أتى موسى عليه السلام فشكا إليه - [فقتله اللَّه][٢] على أسوأ عمله .

وقال محمد بن جرير(٤٦١) : حدثني محمد[٣] بن سعد[٤] ، حدثني أبي ، حدثني عمي ، حدثني أبي ، عن أبيه[٥] عن ابن عباس في قوله في شأن البقرة : وذلك أن شيخًا من بني إسرائيل على عهد موسى عليه السلام كان مكثرًا من المال ، وكان بنو أخيه فقراء لامال لهم ، وكان الشيخ لا ولد له ، وكان[٦] بنو أخيه ورثته ، فقالوا : ليت عمنا قد مات فورثنا ماله ، وإنه لما تطاول عليهم ألّا يموت عمهم أتاهم الشيطان فقال لهم : هل لكم إلى أن تقتلوا عمكم ، فترثوا ماله ، وتغرموا أهل المدينة التي لستم بها دِيَتَهُ ؛ وذلك أنهما كانتا[٧] مدينتين ، كانوا في إحداهما[٨] ، وكان القتيل إذا قتل وطرح[٩] بين المدينتين ، قيس ما بين القتيل والقريتين فأيتهما[١٠] كانت أقرب إليه غَرِمَت الدية ، وأنهم لما سوّل لهم الشيطان ذلك ، وتطاول عليهم ألا يموت عمهم عمدوا إليه فقتلوه ، ثم عمدوا فطرحوه على باب المدينة التي ليسوا فيها . فلما أصبح أهل المدينة جاء بنو أخي الشيخ ، فقالوا : عمنا قُتل على باب مدينتكم ، فواللَّه لتغرمنّ لنا دية عمنا . قال أهل المدينة : نقسم باللَّه ما قتلنا ، ولا علمنا قاتلًا ، ولا فتحنا باب مدينتنا منذ أغلق حتى أصبحنا .

وإنهم عمدوا إلى موسى - عليه السلام - فلما أتوه ، قال بنو أخي الشيخ : عمنا وجدناه مقتولًا على باب مدينتهم ، وقال أهل المدينة : نقسم باللَّه ما قتلناه ، ولا فتحنا باب المدينة من حين أغلقناه حتى أصبحنا ، وإن جبريل جاء بأمرالسميع العليم إلى موسى - عليه السلام - فقال : قل لهم : ﴿ **إن اللَّه يأمركم أن تذبحوا بقرة** ﴾ . فتضربوه ببعضها .

وقال السدي(٤٦٢) : ﴿ **وإذ قال موسى لقومه إن اللَّه يأمركم أن تذبحوا بقرة** ﴾ قال : كان رجل من بني إسرائيل مكثرًا من المال ، وكانت له ابنة ، وكان له ابن أخ محتاج ، فخطب إليه ابن

---

(٤٦١) - رواه ابن جرير برقم ١١٨٠ - (١٨٨/٢) ، وإسناده مسلسل بالضعفاء ، وقد تقدم هذا الإسناد .
(٤٦٢) - تفسير ابن جرير برقم ١١٧٤ - (١٨٥/٢ - ١٨٧) .

---

[١] - زيادة من : ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز ، خ : سعيد .
[٥] - في خ : « جده » . وفي ز زيادة : عن جده .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - في ز ، خ : « كانا » .
[٨] - في ز : إحديهما .
[٩] - في ز : فطرح .
[١٠] - في . فأيهما .

أخيه ابنته ، فأبى أن يزوجه فغضب الفتى ، وقال : واللَّه لأقتلن عمي ولآخذن ماله ، ولأنكحن ابنته ، ولآكلنّ ديته ، فأتاه الفتى وقد قدم تجار في بعض أسباط بني إسرائيل ، فقال : يا عم ؛ انطلق معي فخذ لي من تجارة هؤلاء القوم ، لعلي أن أصيب منها[١] ، فإنهم إذا رأوك معي أعطوني ؛ فخرج العم مع الفتى ليلاً ، فلما بلغ الشيخ ذلك السبط قتله الفتى ، ثم رجع إلى أهله ، فلما أصبح جاء كأنه يطلب عمه - كأنه لا يدري أين هو - فلم يجده ، فانطلق نحوه ، فإذا هو بذلك السبط مجتمعين عليه ، فأخذهم وقال : قتلتم عمي فأدّوا إليَّ ديته ، فجعل يبكي ويحثو التراب على رأسه وينادي : واعماه ، فرفعهم إلى موسى فقضى عليهم بالدية . فقالوا له : يا رسول اللَّه ؛ ادع لنا ربك حتى يبين لنا من صاحبه ، فيؤخذ صاحب الجريمة[٢] فواللَّه إنّ ديته علينا لهينة ، [ولكن نستحي][٣] أن نعير به . فذلك حين يقول اللَّه تعالى : ﴿ **وإذ قتلتم نفسًا فادّارأتم فيها واللَّه مخرج ما كنتم تكتمون** ﴾ فقال لهم موسى [عليه السلام] : ﴿ **إن اللَّه يأمركم أن تذبحوا بقرة** ﴾ . قالوا : نسألك عن القتيل وعمن قتله ، وتقول : اذبحوا بقرة ، أتهزأ بنا ؟ ﴿ **قال أعوذ باللَّه أن أكون من الجاهلين** ﴾ .

قال ابن عباس (٤٦٣) : فلو اعترضوا[٤] بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم ، ولكنهم شدّدوا ، وتعنتوا على موسى ، فشدد اللَّه عليهم . فقالوا : ﴿ **ادع لنا ربك يبين لنا ماهي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك** ﴾ . والفارض : الهرمة التي لاتلد ، والبكر : التي لم تلد إلا ولدًا واحدًا . والعوان : النَّصَفُ التي بين ذلك ، التي قد ولدت وولد ولدها ﴿ **فافعلوا ما تؤمرون قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول** [**إنها بقرة صفراء فاقع لونها** ﴾ . قال : نقي لونها ﴿ **تسر الناظرين** ﴾ . قال : تعجب الناظرين ﴿ **قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي إنّ البقر تشابه علينا وإنا إن شاء اللَّه لمهتدون قال إنه يقول**][٥] **إنها بقرة لاذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لاشية فيها** ﴾ . من بياض ولا سواد ولا حمرة ﴿ **قالوا الآن جئت بالحق** ﴾ . فطلبوها فلم يقدروا عليها . وكان رجل في بني إسرائيل ، من أبر الناس بأبيه ، وإن رجلًا مرّ به معه لؤلؤ يبيعه -وكان أبوه نائمًا تحت رأسه المفتاح - فقال له الرجل : تشتري مني هذا اللؤلؤ بسبعين ألفًا ؟ فقال له[٦] الفتى : كما أنت حتى يستيقظ أبي فآخذه منك بثمانين ألفًا ؛ قال[٧] الآخر : أيقظ أباك وهو لك بستين ألفًا ، فجعل التاجر يحط له حتى بلغ[٨] ثلاثين ألفًا ، وزاد الآخر على أن ينتظر أباه حتى يستيقظ حتى بلغ مائة ألف ، فلما أكثر عليه قال : واللَّه لا أشتريه منك بشيء أبدًا ، وأبىٰ أن يوقظ أباه فعوضه اللَّه من ذلك اللؤلؤ أن جعل له تلك البقرة ، فمرت به بنو إسرائيل يطلبون

(٤٦٣) - ابن أبي حاتم برقم (٦٩٨) .

[١] - في ز : فيها .
[٢] - في ز ، خ : « الفرصة » .
[٣] - في ز : ولكنا نستحيي .
[٤] - في خ : « أعرضوا » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٦] - سقط من ز ، خ .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - سقط من ز .

البقرة ، وأبصروا البقرة عنده ، فسألوه أن يبيعهم إياها بقرة ببقرة ، فأبىٰ ، فأعطوه ثنتين فأبى ، فزادوه حتى بلغوا عشرة[١] فأبىٰ[٢] فقالوا : واللَّه لانتركك حتى نأخذها منك . فانطلقوا به إلى موسى عليه السلام فقالوا : يا نبي اللَّه ؛ إنا وجدناها عند هذا ، فأبى أن يعطيناها وقد أعطيناه ثمنًا ، فقال له موسى : أعطهم بقرتك . فقال[٣] : يارسول اللَّه ، أنا أحق بمالي . فقال : صدقت ، وقال للقوم : أرضوا صاحبكم ، فأعطوه وزنها ذهبًا ، فأبى ، فأضعفوا له مثل ما أعطوه وزنها ، حتى أعطوه وزنها عشر مرات ذهبًا فباعهم إياها وأخذ ثمنها ، فذبحوها . قال : اضربوه ببعضها ، فضربوه بالبَضْعة التي بين الكتفين ، فعاش ، فسألوه[٤] : من قتلك ؟ فقال لهم : ابن أخي قال : أَقْتلُهُ فآخذ ماله وأنكح ابنته . فأخذوا الغلام فقتلوه .

وقال سنيد(٤٦٤) : حدثنا حجاج - هو ابن محمد - عن ابن جريج ، عن مجاهد ، وحجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس - دخل حديث بعضهم في حديث بعض - قالوا : إن سبطًا من بني إسرائيل لما رأوا كثرة شرور الناس ، بنوا مدينة فاعتزلوا شرور الناس ، فكانوا إذا أمسوا لم يتركوا أحدًا منهم خارجًا إلا أدخلوه ، وإذا افتتحوا قام رئيسهم فنظر وأشرف ، فإذا لم ير شيئًا فتح المدينة ، فكانوا مع الناس حتى يمسوا ، قال : وكان رجل من بني إسرائيل له مال كثير ، ولم يكن له وارث غير أخيه ، فطال عليه حياته فقتله ليرثه ، ثم حمله فوضعه على باب المدينة ، ثم كمن في مكان هو وأصحابه ، قال : فأشرف[٥] رئيس المدينة على باب المدينة فنظر فلم ير شيئًا ففتح الباب ، فلما رأى القتيل ردّ الباب فناداه أخو المقتول وأصحابه : هيهات ! قتلتموه ثم تردّون الباب ! وكان موسى لما رأى القتل كثيرًا في أصحابه - بني إسرائيل - كان إذا رأى القتيل بين ظهراني القوم أخذهم ، فكاد يكون بين أخي المقتول وبين أهل المدينة قتال حتى لبس الفريقان السلاح ، ثم كف بعضهم عن بعض فأتوا موسى فذكروا له شأنهم ، قالوا : يا موسى[٦] ؛ إن هؤلاء قتلوا قتيلاً ، ثم ردوا الباب . وقال أهل المدينة : يا رسول اللَّه ؛ قد عرفت اعتزالنا الشرور وبنينا مدينة كما رأيت ، نعتزل شرور الناس ، واللَّه[٧] ما قتلنا ولا علمنا قاتلاً . فأوحى اللَّه تعالى إليه أن يذبحوا بقرة ، فقال لهم موسى : ﴿ **إن اللَّه يأمركم أن تذبحوا بقرة** ﴾ .

وهذه السياقات عن عبيدة وأبي العالية والسدي وغيرهم فيها اختلاف ما ، و[٨] الظاهر أنها

(٤٦٤) - ورواه ابن جرير في تفسيره برقم ١١٨٢ - (١٨٨/٢) من طريق سنيد ، واسمه حُسين ، ضُعِف مع إمامته ومعرفته ! لكونه كان يلقن شيخه الحجاج بن محمد (التقريب) .

[١] - في خ : « عشرا » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ز ، خ : « قال » .
[٤] - في ز : فسلوه .
[٥] - في خ : « فشرف » .
[٦] - في ز ، خ : « رسول اللَّه » .
[٧] - سقط من ز .
[٨] - زيادة من : ز ، خ .

مأخوذة من كتب بني إسرائيل ، وهي مما يجوز نقلها ولكن لا تصدّق ولا تُكَذّب ؛ فلهذا لايعتمد عليها إلا ما وافق الحق عندنا ، والله أعلم .

﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾

أخبر تعالى عن تعنت بني إسرائيل وكثرة سؤالهم لرسولهم ، ولهذا[١] لما ضيقوا على أنفسهم ضيق الله[٢] عليهم ، ولو أنهم ذبحوا أي بقرة كانت لوقعت الموقع عنهم ، كما قال ابن عباس وعَبِيدةُ وغير واحد ، ولكنهم شدّدوا فشدّد عليهم فقالوا : ﴿ **ادع لنا ربك يبين لنا ماهي** ﴾ . أي[٣] : ما هذه البقرة ؟ وأي شيء صفتها .

قال ابن جرير(٤٦٥) : حدّثنا أبو كريب ، حدّثنا عَثّام[٤] بن علي ، عن الأعمش ، عن المنهال ابن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لو أخذوا أدنى بقرة لاكتفوا بها ، ولكنهم شددوا فشدّد الله عليهم .

إسناد صحيح ، وقد رواه غير واحد عن ابن عباس ، وكذا قال عبيدة والسدي ، ومجاهد وعكرمة ، وأبو العالية وغير واحد .

وقال ابن جريج : قال لي[٥] عطاء : لو أخذوا أدنى بقرة لكفتهم[٦] .

---

(٤٦٥) - رواه ابن جرير برقم ١٢٣٥ - (٢/٢٠٤) .

---

[١] - في ت : «وهذا» .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ز ، خ : « عثمان » .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - في ز : كفتهم .

قال ابن جريج : قال رسول اللّٰه ، صلى اللّٰه عليه وسلم : « **إنما أمروا بأدنى بقرة ، ولكنهم لما شدّدوا على أنفسهم شدّد اللّٰه عليهم ، وايم اللّٰه ، لو أنهم لم يستثنوا لما[١] بُيِّنَتْ لهم آخر الأبد** »(٤٦٦) .

﴿ **قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر** ﴾ . أي : لا كبيرة هرمة ولا صغيرة لم يلحقها الفحل ، كما قاله أبو العالية والسدي ، ومجاهد وعكرمة ، وعطية العوفي وعطاء الخراساني ووهب ابن منبه والضحاك والحسن وقتادة ، وقاله ابن عباس أيضًا .

وقال الضحاك عن ابن عباس(٤٦٧) : ﴿ **عوان بين ذلك** ﴾ . [يقول : نَصَفٌ][٢] بين الكبيرة والصغيرة ، وهي أقوى ما يكون من الدواب والبقر وأحسن ما تكون[٣] ، وروي عن عكرمة ومجاهد ، وأبي العالية والربيع بن أنس ، وعطاء الخراساني والضحاك نحو ذلك .

وقال السدي : العوان : النَّصَف التي بين ذلك التي قد[٤] ولدت ، وولد ولدها .

وقال هشيم : عن جويبر(٤٦٨) عن كثير بن زياد ، عن الحسن في البقرة : كانت بقرة وحشية .

وقال ابن جريج : عن عطاء ، عن ابن عباس(٤٦٩) : من لبس نعلاً صفراء لم يزل في سرور ما دام لابسها ؛ وذلك قوله تعالى ﴿ **صفراء فاقع لونها تسر الناظرين** ﴾ وكذا قال مجاهد ووهب ابن منبه : إنها كانت صفراء .

وعن ابن عمر(٤٧٠) : كانت صفراء الظِّلف . وعن سعيد بن جبير : كانت صفراء القرن والظلف .

وقال ابن أبي حاتم(٤٧١) : حدّثنا أبي ، حدّثنا نصر بن علي ، حدّثنا نوح[٥] بن قيس ، أنبأنا أبو رجاء ، عن الحسن في قوله تعالى : ﴿ **بقرة صفراء فاقع لونها** ﴾ . قال : سوداء شديدة السواد .

---

(٤٦٦) - **مرسل** بل معضل رواه ابن جرير في تفسيره برقم ١٢٤٢ - (٢/٢٠٥) .
(٤٦٧) - رواه ابن جرير برقم (١٢١٠) ، وابن أبي حاتم برقم (٧٠٤) وإسناده ضعيف .
(٤٦٨) - جويبر : متروك الحديث ، وهو عند ابن أبي حاتم برقم (٧٠٩) ، وابن جرير برقم (١٢٢١) .
(٤٦٩) - رواه ابن أبي حاتم برقم (٧١٠) والطبراني (١٠/١٠٦١٢) .
(٤٧٠) - رواه ابن أبي حاتم برقم (٧١٢) .
(٤٧١) - **إسناده صحيح** ، والحديث عند ابن أبي حاتم برقم ٧١٤ - (١/٢٢٠) .

---

[١] - في ز : ما .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في خ : « يكون » .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - في ز : فرح .

وهذا غريب ، والصحيح الأوّل ؛ ولهذا أكد صفرتها بأنه ﴿ **فاقع لونها** ﴾ .

وقال عطية العوفي : ﴿ **فاقع لونها** ﴾ . [تكاد تسود][١] من صفرتها .

وقال سعيد بن جبير : ﴿ **فاقع لونها** ﴾ . قال : صافية اللون . وروي عن أبي العالية والربيع ابن أنس ، والسدّي والحسن وقتادة نحوه .

وقال شريك عن مغراء ، عن ابن عمر : ﴿ **فاقع لونها** ﴾ . قال : صاف [٢] .

وقال العوفي في تفسيره عن ابن عباس : ﴿ **فاقع لونها** ﴾ . شديدة الصفرة ، تكاد من صفرتها تبيض .

وقال السدّي : ﴿ **تسر الناظرين** ﴾ . أي : تعجب الناظرين . وكذا قال أبو العالية وقتادة والربيع بن أنس .

وقال وهب بن منبه : إذا نظرت إلى جلدها يُخَيَّل إليك أنّ شعاع الشمس يخرج من جلدها .

[وفي التوراة أنها كانت حمراء ، فلعل هذا خطأ في التعريب ، أو كما قال الأول : إنها كانت شديدة الصفرة تضرب إلى حمرة وسواد ، والله أعلم][٣] .

وقوله تعالى : ﴿ **إنّ البقر تشابه علينا** ﴾ أي[٤] : لكثرتها ، فميِّز لنا هذه البقرة وصفها وجلِّها لنا ﴿ **وإنا إن شاء الله** ﴾ إذا بينتها لنا ﴿ **لمهتدون** ﴾ إليها .

وقال ابن أبي حاتم(٤٧٢) : حدّثنا أحمد بن يحيى الأودي الصوفي ، حدّثنا أبو سعيد أحمد ابن داود الحداد ، حدّثنا سرور بن المغيرة الواسطي - ابن أخي منصور بن زاذان - عن عباد بن منصور ، عن الحسن ، عن أبي رافع ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لولا أنّ بني إسرائيل قالوا : ﴿ وإنا إن شاء الله لمهتدون ﴾ لما[٥] أعطوا ولكن استثنوا** » .

---

(٤٧٢) - **إسناده ضعيف** : عباد بن منصور : ضعفوه وترجمته في الميزان (٣٧٦/٣) . وسرور بن المغيرة ذكره الذهبي في الميزان (١١٦/٢) وقال : ذكره الأزدي وتكلم فيه . وقال أبو حاتم (٣٢٥/٤) : شيخ . وأورده في اللسان (١١/٣) . وابن حبان في الثقات : (٤٣٧/٦) والحديث في تفسير ابن أبي حاتم برقم ٧٢٧ - (١/ ٢٢٣) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في خ : « يكاد يسود » .

[٢] - في ز : صافي .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ز ، خ : « ما » .

ورواه الحافظ أبو بكر بن مردويه(٤٧٣) في تفسيره من وجه آخر ، عن سرور بن المغيرة ابن[١] زاذان ، عن عباد بن منصور ، عن الحسن ، عن حديث أبي رافع ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **لولا أنّ بني إسرائيل قالوا ﴿ وإنا إن شاء الله لمهتدون ﴾ ما أعطوا أبدًا ، ولو أنهم اعترضوا بقرة من البقر فذبحوها لأجزأت عنهم ، ولكنهم شدّدوا فشدّد الله عليهم** » .

وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة ، كما تقدم مثله عن السدّي ، والله أعلم .

﴿ قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث ﴾ . أي : إنها ليست مذللة بالحراثة ، ولا معدّة للسقي في [السانية] بل هي مكرّمة حسنة[٢] صبيحة **﴿ مسلمة ﴾** . صحيحة لا عيب فيها **﴿ لا شية فيها ﴾** أي : ليس فيها لون غير لونها .

وقال عبد الرزاق(٤٧٤) عن معمر عن قتادة : **﴿ مسلمة ﴾** يقول : لا عيب فيها ، وكذا قال أبو العالية والربيع ، وقال مجاهد : **﴿ مسلمة ﴾** من الشية .

وقال عطاء الخراساني : **﴿ مسلمة ﴾** القوائم والخلق

﴿ لا شية فيها ﴾ قال مجاهد : لا بياض ولا سواد . وقال أبو العالية والربيع والحسن وقتادة : ليس فيها بياض . وقال عطاء الخراساني : **﴿ لا شية فيها ﴾** قال : لونها واحد بهيم . وروي عن عطية العوفي ، ووهب بن منبه ، وإسماعيل بن أبي خالد نحو ذلك .

وقال السدّي : **﴿ لا شية فيها ﴾** من بياض ولا سواد ولا حمرة ، وكل هذه الأقوال متقاربة في المعنى .

[وقد زعم بعضهم أنّ المعنى في ذلك قوله تعالى : **﴿ إنها بقرة لا ذلول ﴾** ليست بمذللة بالعمل ، ثم استأنف فقال **﴿ تثير الأرض ﴾** أي : يعمل عليها بالحراثة لكنها لا تسقي الحرث . وهذا ضعيف ؛ لأنه فسر الذلول التي [لم] تذلل بالعمل بأنها لا تثير الأرض ولا تسقي الحرث ، كذا قرره القرطبي وغيره][٣] . **﴿ قالوا الآن جئت بالحق ﴾** [ ][٤] قال قتادة : الآن بيّنْتَ لنا . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : وقبل ذلك ، والله قد جاءهم الحق .

(٤٧٣) - **إسناده ضعيف** : فيه عباد بن منصور ، وهو ضعيف .

(٤٧٤) - رواه ابن جرير برقم (١٢٥٩) ، وابن أبي حاتم برقم (٧٣٨) .

[١] - في ت : عن . [٢] - في خ : « حسناء » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٤] - في خ : و .

﴿ فذبحوها وما كادوا يفعلون ﴾ . قال الضحاك عن ابن عباس : كادوا ألَّا يفعلوا ، ولم يكن ذلك الذي أرادوا ؛ لأنهم أرادوا ألَّا يذبحوها .

يعني أنهم مع هذا البيان ، وهذه الأسئلة والأجوبة والإيضاح ما ذبحوها إلا بعد الجهد ، وفي هذا ذمٌّ لهم ؛ وذلك أنه لم يكن غرضهم إلا التعنت ؛ فلهذا ما كادوا يذبحونها[١] .

وقال محمد بن كعب ومحمد بن قيس : ﴿ فذبحوها وما كادوا يفعلون ﴾ . لكثرة ثمنها .

وفي هذا نظر ؛ لأن كثرة ثمنها لم يثبت إلا من نقل بني إسرائيل ، كما تقدم من حكاية أبي العالية والسدي ، ورواه العوفي عن ابن عباس . وقال عبيدة ومجاهد ووهب بن منبه وأبو العالية ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : إنهم اشتروها بمال كثير ، وفيه اختلاف ، ثم قد قيل في ثمنها غير ذلك

وقال عبد الرزاق (٤٧٥) : أنبأنا ابن عيينة ، أخبرني محمد بن سوقة ، عن عكرمة قال : [ما كان ثمنها إلا ثلاثة دنانير .

وهذا إسناد جيد عن عكرمة][٢] ، والظاهر أنه نقله عن أهل الكتاب أيضًا .

و[٣] قال ابن جرير وقال آخرون : لم يكادوا أن يفعلوا ذلك خوف الفضيحة ، إن اطلع الله على قاتل القتيل الذي اختصموا فيه .

ولم يسنده عن أحد ، ثم اختار أن الصواب في ذلك أنهم لم يكادوا يفعلون ذلك لغلاء ثمنها ، وللفضيحة . وفي هذا نظر ؛ بل الصواب - والله أعلم - ما تقدم من رواية الضحاك عن ابن عباس على ما وجهناه ، وبالله التوفيق .

[مسألة

استدل بهذه الآية في حصر صفات هذه البقرة حتى تعينت أو تم تقييدها بعد الإطلاق على صحة السلم في الحيوان ، كما هو مذهب مالك والأوزاعي ، والليث والشافعي ، وأحمد وجمهور العلماء سلفًا وخلفًا ؛ بدليل ما ثبت في الصحيحين (٤٧٦) عن النبي صلى الله عليه وسلم : « لا

(٤٧٥) - تفسير عبد الرزاق (١/٥٠) .

(٤٧٦) - صحيح البخاري بلفظ : « **لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها إلى زوجها كأنه ينظر إليها** » . من حديث ابن مسعود في كتاب النكاح ، باب : لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها إلى زوجها برقم (٥٢٤١) . ورواه أيضًا

[١] - في ز : يذبحوها .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

تنعت المرأةُ المرأة لزوجها كأنه ينظر إليها » وكما وصف النبي صلى الله عليه وسلم إبل الدية في قتل الخطأ وشبه العمد بالصفات المذكورة بالحديث ، وقال أبو حنيفة والثوري والكوفيون : لا يصح السلم في الحيوان ؛ لأنه لا تنضبط أحواله ، وحُكي مثله عن ابن مسعود وحذيفة بن اليمان ، وعبد الرحمن بن سمرة وغيرهم][١] .

﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣) ﴾

قال البخاري : ﴿ **فادّارأتم فيها** ﴾ . اختلفتم .

وهكذا قال مجاهد فيما رواه ابن أبي حاتم(٤٧٧) ، عن أبيه ، عن أبي حذيفة ، عن شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد أنه قال في قوله تعالى : ﴿ **وإذ قتلتم نفسًا فادارأتم فيها** ﴾ . اختلفتم .

وقال عطاء الخراساني والضحاك : اختصمتم فيها ، وقال ابن جريج : ﴿ **وإذ قتلتم نفسًا فادارأتم فيها** ﴾ . قال : قال بعضهم : أنتم قتلتموه . وقال آخرون[٢] : بل أنتم قتلتموه ، وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

﴿ **والله مخرج ما كنتم تكتمون** ﴾ . قال مجاهد : ما تغيبون .

وقال ابن أبي حاتم(٤٧٨) : حدّثنا عمرو بن سلم[٣] البصري ، حدثنا محمد بن الطفيل العبدي ، حدّثنا صدقة بن رستم ، سمعت المسيب بن رافع يقول : ما عمل رجل حسنة في سبعة أبيات إلا أظهرها الله ، وما عمل رجل سيئة في سبعة أبيات إلا أظهرها الله ؛ وتصديق ذلك في كلام الله ﴿ **والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها** ﴾ . هذا البعض أيُّ شيء كان

أبو داود في النكاح ، باب : ما يؤمر به من غض البصر (٢١٥٠) والترمذي في الأدب ، باب : كراهية مباشرة الرجل الرجل والمرأة المرأة (٢٧٩٢) ، والنسائي في عشرة النساء من الكبرى حديث (٩٢٣١) . وأحمد برقم (٣٦٠٩، ٣٦٦٨) **ولم نقف عليه عند مسلم** .

(٤٧٧) - رواه ابن أبي حاتم ٧٥١ - (٢٢٨/١) .

(٤٧٨) - **صدقة بن رستم** : أورده الذهبي في الميزان وقال : قال أبو حاتم ما به بأس ، صدوق . وقال ابن حبان : يروي عن الأثبات ما لا يشبه حديث الثقات وهمًا ، وقال البخاري : لم يصح حديثه . ومحمد بن الطفيل : صدوق . والحديث في تفسير ابن أبي حاتم برقم ٧٥٤ - (٢٢٩/١) . ورواه البيهقي في شعب الإيمان (٦٩٤٥/٥ هـ) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز : الآخرون . [٣] - في ت : مسلم .

من أعضاء هذه البقرة ، فالمعجزة حاصلة به وخرق العادة به كائن ، وقد كان معينًا في نفس الأمر ، فلو كان في تعيينه لنا فائدة تعود علينا في أمر الدين أو الدنيا لبينه اللَّه تعالى لنا ، ولكنه[١] أبهمه ولم يجيء من طريق صحيح عن معصوم بيانه ، فنحن نبهمه كما أبهمه اللَّه .

ولهذا قال ابن أبي حاتم(٤٧٩) : حدّثنا أحمد بن سنان ، حدثنا عفان[٢] بن مسلم ، حدّثنا عبد الواحد بن زياد ، حدّثنا الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : إن أصحاب بقرة بني إسرائيل طلبوها أربعين سنة حتى وجدوها عند رجل في بقر له ، وكانت بقرة تعجبه ، قال : فجعلوا يعطونه بها فيأبى حتى أعطوه [ملء مسكها][٣] دنانير ، فذبحوها فضربوه - يعني القتيل - بعضوٍ منها ، فقام تَشْخُب أوداجه دمًا ، فقالوا له : مَنْ قتلك ؟ قال : قتلني فلان .

وكذا قال الحسن وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : إنه ضرب ببعضها .

وفي رواية عن ابن عباس أنهم ضربوه بالعظم الذي يلي الغضروف .

وقال عبد الرزاق : أنبأنا[٤] معمر قال : قال أيوب عن ابن سيرين ، عن عبيدة : ضربوا القتيل ببعض لحمها ، و[٥] قال معمر : قال قتادة : ضربوه[٦] بلحم فخذها فعاش ، فقال : قتلني فلان(٤٨٠) .

وقال [وكيع بن الجراح في تفسيره][٧] : حدّثنا[٨] النضر بن عربي ، عن عكرمة : ﴿ **فقلنا اضربوه ببعضها** ﴾ : فضرب بفخذها فقام ؛ فقال : قتلني فلان .

قال ابن أبي حاتم : ورُوي عن مجاهد وقتادة وعكرمة[٩] ، نحو ذلك .

وقال السدي : فضربوه بالبَضْعة التي بين الكتفين فعاش ، فسألوه ، فقال : قتلني ابن أخي .

وقال أبو العالية : أمرهم موسى - عليه السلام - أن يأخذوا عظمًا من عظامها ، فيضربوا به

(٤٧٩) - رواه ابن أبي حاتم برقم ٧٥٥ - (٢٢٩/١) . وعبد الواحد بن زياد : قال في التقريب : ثقة ، في حديثه ، عن الأعمش وحده مقال . - قلنا : قد روى الشيخان حديثه عن الأعمش - والمنهال بن عمرو : وثقه ابن معين ، والنسائي والعجلي ، وفي التقريب : صدوق ربما وهم .

(٤٨٠) - تفسير عبد الرزاق (٤٩/١) .

[١] - في ز : ولكن .
[٢] - في ز ، خ : « عثمان » .
[٣] - في خ : « مثلها » .
[٤] - في خ : « أخبرنا » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في ز ، خ : « فضربوه » .
[٧] - في ز ، خ : « أبو أسامة »
[٨] - في ز ، خ : « عن » .
[٩] - سقط من : ز ، خ .

القتيل ، ففعلوا ، فرجع إليه روحه ، فسمى لهم قاتله ، ثم عاد ميتًا كما كان .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : فضربوه ببعض آرابها .

وقيل : بلسانها . [وقيل : بعجب ذنبها][١] . وقوله تعالى : ﴿ **كذلك يحيي الله الموتى** ﴾ أي : فضربوه فحيي ، ونبه تعالى على قدرته وإحيائه الموتى بما شاهدوه من أمر القتيل . جعل تبارك وتعالى ذلك الصنع حجة لهم على المعاد ، وفاصلاً ما كان بينهم من الخصومة والفساد ، والله تعالى قد ذكر في هذه السورة ما[٢] خلقه من[٣] إحياء الموتى في خمسة مواضع ؛ ﴿ **ثم بعثناكم من بعد موتكم** ﴾ . وهذه القصة ، وقصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ، وقصة الذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها ، وقصة إبراهيم عليه السلام والطيور الأربعة .

ونبه[٤] تعالى بإحياء الأرض بعد موتها على إعادة الأَجسام بعد صيرورتها رميمًا ، كما قال أبو داود الطيالسي(٤٨١) :

حدّثنا شعبة ، أخبرني يعلى بن عطاء قال : سمعت وكيع بن عُدُس يحدث عن أبي رَزِين العقيلي رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ؛ كيف يحيي الله الموتى ؟ قال : « **أما مررت بواد مُمحل ، ثم مررت به خَضِرًا ؟** » قال : بلى قال : « **كذلك النشور** » . أو قال : « **كذلك يحيي الله الموتى** » . **وشاهد هذا قوله تعالى : ﴿ وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبًّا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون ﴾** .

[مسئلة]

استدل لمذهب الإمام مالك في كون قول الجريح : فلان قتلني لوثًا بهذه القصة ؛ لأن القتيل لما حيي سُئل عمن قتله ، فقال : فلان قتلني ، فكان ذلك مقبولاً منه ، لأنه لايخبر حينئذ إلا بالحق ، ولا يتهم والحالة هذه ، ورجحوا ذلك لحديث أنس : أن يهوديًا قتل جارية على أوضاح لها ، فرضخ رأسها بين حجرين ، فقيل : من فعل بك هذا ؟ أفلان ؟ أفلان ؟ حتى ذكروا اليهودي ، فأومأت برأسها ، فأخذ اليهودي ، فلم يزل به حتى اعترف ، فأمر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أن يرضخ رأسه بين حجرين(٤٨٢) .

---

(٤٨١) - مسند الطيالسي برقم (١٠٨٩) صـ (١٤٧) .

(٤٨٢) - رواه البخاري في كتاب الخصومات ، باب : ما يذكر في الإشخاص والخصومة بين المسلم واليهودي برقم (٢٤١٣) .

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ت : «مما» .

[٣] - في ز : في .

[٤] - في ز ، خ : « وينبه » .

وعند مالك إذا كان لوثًا حلف أولياء القتيل قسامة ، وخالف الجمهور في ذلك ، ولم يجعلوا قول القتيل في ذلك لوثًا][١] .

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٧٤)

يقول تعالى توبيخًا لبني إسرائيل وتقريعًا لهم على ما شاهدوه من آيات اللَّه تعالى وإحيائه الموتى : ﴿ **ثم قست قلوبكم من بعد ذلك** ﴾ كله ﴿ **فهي كالحجارة** ﴾ . التي لا تلين أبدًا ؛ ولهذا نهى اللَّه المؤمنين عن مثل حالهم فقال : ﴿ **ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر اللَّه وما نزل من الحق ولا يكونوا[٢] كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون** ﴾ .

و[٣] قال العوفي في تفسيره : عن ابن عباس : لما ضُرب المقتول ببعض البقرة جلس أحيا ما كان قط ، فقيل له : من قتلك ؟ قال[٤] : بنو أخي قتلوني ، ثم قبض فقال بنو أخيه حين [قبضه اللَّه][٥] : ما قتلناه ، فكذبوا بالحق بعد إذ رأوه فقال اللَّه : ﴿ **ثم قست قلوبكم من بعد ذلك** ﴾ . يعني : بني أخي الشيخ ﴿ **فهي كالحجارة أو أشد قسوة** ﴾ فصارت قلوب بني إسرائيل مع طول الأمد قاسية ، بعيدة عن الموعظة بعد ما شاهدوه من الآيات والمعجزات ، فهي في قسوتها كالحجارة التي لا علاج للينها ، أو أشد قسوة من الحجارة ؛ فإن[٦] من الحجارة ما يتفجر[٧] منها العيون [الجارية بالأنهار][٨] ، ومنها ما يشقق فيخرج منه الماء وإن لم يكن جاريًا ، ومنها ما يهبط من رأس الجبل من خشية اللَّه ، وفيه إدراك لذلك بحسبه[٩] ، كما قال : ﴿ **تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم إنه كان حليمًا غفورًا** ﴾ .

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد : إنه كان يقول : كل حجر يتفجر منه الماء ، أو يتشقق[١٠] عن

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - في خ : « تكونوا » .
[٣] - زيادة من : ز ، خ . [٤] - في ز : فقال .
[٥] - في ز ، خ : « قُبض ، واللَّهِ » . [٦] - في خ : « فإنه » .
[٧] - في ت : « تتفجر » . [٨] - في ت : « بالأنهار الجارية » .
[٩] - سقط من : خ . وفي ز : لحسبه . [١٠] - في ز : ينشق .

ماء ، أو يتردى[١] من رأس جبل ، لمن خشية الله ، نزل بذلك القرآن .

وقال محمد بن إسحاق : حدّثني محمد بن أبي محمد(٤٨٣) عن عكرمة - أو سعيد بن جبير - عن ابن عباس ﴿ **وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله** ﴾ . أي : وإن من الحجارة لألين من قلوبكم عمَّا تدعون إليه من الحق ﴿ **وما الله بغافل عما تعملون** ﴾ .

[وقال أبو علي الجبائي في تفسيره ﴿ **وإن منها لما يهبط من خشية الله** ﴾ . هو سقوط البرد من السحاب .

قال القاضي الباقلاني : وهذا تأويل بعيد . وتبعه في استبعاده الرازي ، وهو كما قال ؛ فإن هذا خروج عن اللفظ بلا دليل ، والله أعلم][٢] .

وقال ابن أبي حاتم(٤٨٤) : حدثنا أبي ، حدّثنا هشام بن عمار ، حدثنا الحكم بن هشام الثقفي ، حدثني يحيى بن أبي طالب - يعني يحيى بن يعقوب - في قوله تعالى : ﴿ **وإنّ من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار** ﴾ . قال : هو كثرة البكاء ﴿ **وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء** ﴾ . قال : قليل البكاء ﴿ **وإن منها لما يهبط من خشية الله** ﴾ قال : بكاء القلب ، من غير دموع العين .

[وقد زعم بعضهم أن هذا من باب المجاز ، وهو إسناد الخشوع إلى الحجارة ، كما أسندت الإرادة إلى الجدار في قوله : ﴿ **يريد أن ينقض** ﴾ قال الرازي والقرطبي وغيرهما من الأئمة : ولا حاجة إلى هذا ؛ فإن الله تعالى يخلق فيها هذه الصفة ، كما في قوله تعالى : ﴿ **إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها** ﴾ وقال : ﴿ **تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن** ﴾ . الآية . وقال : ﴿ **والنجم والشجر يسجدان** ﴾ ﴿ **أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله** ﴾ الآية ﴿ **قالتا أتينا طائعين** ﴾ ﴿ **لو أنزلنا هذا القرآن على جبل** ﴾ الآية ﴿ **وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله** ﴾ الآية . وفي الصحيح : « **هذا جبل يحبنا ونحبه** » ، وكحنين الجذع المتواتر خبره ، وفي صحيح مسلم : « **إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث ، إني لأعرفه الآن** » وفي صفة الحجر

(٤٨٣) - مجهول ، وهو عند ابن أبي حاتم برقم ٧٧٠ - (١/٢٣٣ ، ٢٣٤) ، وإسناده ضعيف . وهو في السيرة (٢/١٨٢) ، وعند ابن جرير (١/٣٦٤ حلبي) .

(٤٨٤) - رواه ابن أبي حاتم ٧٦٥ - (١/٢٣٢) . وإسناده ضعيف . هشام بن عمار : صدوق مكثر له ما ينكر . والحكم بن هشام الثقفي : وثقه ابن معين ، وأبو داود ، والعجلي ، وقال أبو حاتم : لا نحتج به . ويحيى بن يعقوب : قال أبو حاتم : محله الصدق ، وقال البخاري : منكر الحديث .

[١] - في ز : تردى . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

الأسود أنه يشهد لمن استلمه بحق يوم القيامة ، وغير ذلك مما في معناه][١] .

تنبيه

اختلف علماء العربية في معنى قوله تعالى : ﴿ **فهي كالحجارة أو أشد قسوة** ﴾ بعد الإجماع على استحالة كونها للشك ، فقال بعضهم : « أو » هاهنا بمعنى الواو ، تقديره : فهي كالحجارة وأشدّ قسوة ، كقوله تعالى : ﴿ **ولا تطع منهم آثمًا أو كفورًا** ﴾ ، [﴿ **عذرًا أو نذرًا** ﴾][٢] وكما قال النابغة الذبياني[٣] :

قالت : ألا ليتما هذا الحمامُ لنا إلى[٤] حَمَامتنا أو نِصْفُه فَقَدِ

تريد : ونصفه . قاله ابن جرير . وقال جرير بن عطية :

نال الخِلافَةَ أو كانت له قدرًا كما أتى ربَّه موسى على قَدَرِ

قال ابن جرير : يعني نال الخلافة ، وكانت له قدرًا .

وحكى القرطبي قولًا : أنها للتخيير ، أي : مثلاً لهذا وهذا ، وهذا مثل : جَالِسِ الحسنَ أو ابنَ سيرين .

وكذا حكاه الرازي في تفسيره وزاد قولًا آخر : إنها للإبهام بالنسبة إلى المخاطب ، كقول القائل : أكلت خبزًا أو تمرًا ، وهو يعلم أيهما أكل ، وقال آخر : إنها بمعنى قول القائل : [كُلْ] حلوًا أو حامضًا ، أي : لا يخرج عن واحد منهما . أي : وقلوبكم صارت كالحجارة أو أشد قسوة منها ، لا تخرج عن واحد من هذين الشيئين ، والله أعلم][٥] .

وقال آخرون : « أو » هاهنا بمعنى " بل " ، تقديره[٦] : فهي كالحجارة بل أشدّ قسوة ، وكقوله : ﴿ **إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية** ﴾ ، ﴿ **وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون** ﴾ ﴿ **فكان قاب قوسين أو أدنىٰ** ﴾ وقال آخرون : معنى ذلك ﴿ **فهي كالحجارة أو أشد قسوة** ﴾ عندكم ، حكاه ابن جرير .

وقال آخرون : المراد بذلك الإبهام على المخاطب كما قال أبو الأسود :

أحبّ محمَّدًا حُبًّا شديدًا وعبَّاسًا وحمزة والوصيَّا
فإن يك حُبُّهم رشدًا أصبه ولست بمخطيء إن كان غيًّا

قال ابن جرير : قالوا : ولا شك أن أبا الأسود لم يكن شاكًّا في أن حب من سمى رَشَدٌ ،

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في خ : « الرماني » . [٤] - في ز : على .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٦] - في خ : « فتقديره » .

ولكنه أبهم على من خاطبه ، قال : وقد ذكر عن أبي الأسود أنه لما قال هذه الأبيات قيل له : شككت ؟ فقال : كلا والله . ثم انتزع[١] بقول[٢] الله تعالى : ﴿ **وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين** ﴾ فقال : أوَ[٣] كان شاكًا من أخبر بهذا : في الهادي منهم من الضلال ؟ .

[وقال بعضهم : معنى ذلك : فقلوبكم[٤] لا تخرج عن أحد هذين المثلين ؛ إما أن تكون مثل الحجارة في القسوة ، وإما أن تكون أشد منها قسوة .

قال ابن جرير : ومعنى ذلك][٥] - على هذا التأويل - : فبعضها كالحجارة قسوة ، وبعضها أشدّ قسوة من الحجارة . وقد رجحه ابن جرير مع توجيه غيره .

(قلت) : وهذا القول الأخير يبقى[٦] شبيهًا بقوله تعالى : ﴿ **مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا** ﴾ مع قوله : ﴿ **أو كصيب من السماء** ﴾ ، وكقوله : ﴿ **والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة** ﴾ مع قوله : ﴿ **أو كظلمات في بحر لجي** ﴾ . الآية . أي : إن منهم من [هو هكذا][٧] ، ومنهم من [هو هكذا][٨] ، والله أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه : حدّثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، حدثنا محمد بن أيوب ، حدثنا محمد بن عبد الله بن أبي الثلج ، حدثنا علي بن حفص ، حدثنا إبراهيم بن عبد الله ابن حاطب ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « **لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله ؛ فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة القلب ، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي** » .

رواه الترمذي (٤٨٥) في كتاب الزهد من جامعه ، عن محمد بن عبد الله بن أبي الثلج ، صاحب الإمام أحمد ، به .

ومن وجه آخر عن إبراهيم بن عبد الله بن الحارث بن حاطب ، به . وقال : غريب لا نعرفه إلا من حديث إبراهيم .

---

(٤٨٥) - **ضعيف** ، والحديث في سنن الترمذي برقم (٢٤١١) ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث إبراهيم بن عبد الله بن حاطب ، وأورده الإمام مالك في الموطأ (٢/٩٨٦) بلاغًا عن عيسى عليه السلام . وانظره في الضعيفة لشيخنا الألباني حفظه الله تعالى حديث (٩٢٠) وانظر أيضًا (٩٠٨) .

---

[١] - في ز ، خ : «أسرع» .
[٢] - في ز : يقول .
[٣] - في خ: «و» .
[٤] - في ز : فقلوبهم .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - في ز ، خ : « كهذا » .
[٨] - في ز ، خ : « كهذا » .

[وروى البزار(٤٨٦) عن أنس مرفوعًا : « **أربع من الشقاء : جمود العين ، وقساوة القلب ، وطول الأمل ، والحرص على الدنيا** »][١] .

﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٧٦) أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٧) ﴾

يقول تعالى : ﴿ **أفتطمعون** ﴾ أيها المؤمنون ﴿ **أن يؤمنوا** [٢] **لكم** ﴾ أي : ينقاد لكم بالطاعة هؤلاء الفرقة الضالة من اليهود ، الذين شاهد آباؤهم من الآيات البينات ما شاهدوه ، ثم قست قلوبهم من بعد ذلك ﴿ **وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه** ﴾ أي[٣] : يتأوّلونه على غير تأويله ﴿ **من بعدما عقلوه** ﴾ أي : فهموه على الجلية ومع هذا يخالفونه على بصيرة ﴿ **وهم يعلمون** ﴾ أنهم مخطئون فيما ذهبوا إليه من تحريفه وتأويله ، وهذا المقام شبيه بقوله تعالى ﴿ **فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرّفون الكلم عن مواضعه** ﴾ .

قال محمد بن إسحاق(٤٨٧) : حدثني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس أنه قال : ثم قال الله تعالى لنبيه - صلى الله عليه وسلم - ولمن معه من المؤمنين يؤيسهم منهم : ﴿ **أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله** ﴾ وليس

(٤٨٦) - ضعيف ، وهو في كشف الأستار برقم (٣٢٣٠) ، ومختصر زوائد البزار ٢٠٠٣ - (٤٥٦/٢) من طريق هانئ بن المتوكل ، عن عبد الله بن سليمان وأبان عن أنس به مرفوعًا ، وقال البزار : « عبد الله بن سليمان حدث بأحاديث لم يتابع عليها » ، وقال ابن حجر : وهانئ ضعيف . وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٢٦) : « وفيه هانئ بن المتوكل ، وهو ضعيف » . وقال ابن حبان : هانئ بن المتوكل : كثرت المناكير في روايته ولا يجوز الاحتجاج به . وأورد الحديث ابن الجوزي في الموضوعات وقال ابن الجوزي : وعبد الله بن سليمان مجهول .

والحديث في الحلية (١٧٥/٦) من طريق صالح المري ، عن يزيد الرقاشي عن أنس . وإسناده ضعيف لضعف صالح المري ، ويزيد : متروك .

(٤٨٧) - السيرة (١٨٢/٢) ، وابن أبي حاتم ٧٧٣ - (٢٣٤/١) وإسناده ضعيف .

[١] - سقط من : ز ، خ . [٢] - في ز : يؤمن .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

قوله : [يسمعون كلام الله][١] : يسمعون[٢] التوراة . كلهم قد سمعها ، ولكنهم الذين سألوا موسى رؤية ربهم فأخذتهم الصاعقة فيها .

قال محمد بن إسحاق فيما حدثني بعض أهل العلم : إنهم قالوا لموسى ، يا موسى ، قد حيل بيننا وبين رؤية الله تعالى فأسمعنا كلامه حين يكلمك . فطلب ذلك موسى إلى ربه تعالى ، فقال : نعم مُرْهُم فليتطهروا ، وليطهروا ثيابهم ويصوموا ففعلوا ،ثم خرج بهم حتى أتوا الطور ، فلما غشيهم الغمام أمرهم موسى أن يسجدوا [فوقعوا سجودًا][٣] ، وكلمه ربه تعالى فسمعوا[٤] كلامه يأمرهم وينهاهم حتى عقلوا عنه ما سمعوا ، ثم انصرف بهم إلى بني إسرائيل، فلما جاءوهم حرّف فريق منهم ما أمرهم به ، [وقالوا حين قال موسى لبني إسرائيل : إن الله قد أمركم بكذا وكذا ، قال ذلك الفريق الذين ذكرهم الله ؛ إنما قال كذا وكذا خلافًا لما قال الله عز وجل لهم][٥] ، فهم الذين عنى الله لرسوله صلى الله عليه وسلم .

وقال السدي ﴿ **وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرّفونه** ﴾ قال : هي التوراة ، حرّفوها .

وهذا الذي ذكره السدي أعم مما ذكره ابن عباس وابن إسحاق ، وإن كان قد اختاره ابن جرير لظاهر السياق ، فإنه ليس يلزم من سماع كلام الله أن يكون منه ، كما سمعه الكليم موسى ابن عمران - عليه الصلاة والسلام- وقد قال الله تعالى : ﴿ **وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله** ﴾ أي : مُبلَّغًا إليه ؛ ولهذا قال قتادة في قوله : ﴿ **ثم يحرّفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون** ﴾ قال : هم اليهود ، و[٦] كانوا يسمعون كلام الله ثم يحرّفونه من بعد ما عقلوه ووعوه .

وقال مجاهد : الذين يحرّفونه والذين يكتمونه هم العلماء منهم .

وقال أبو العالية : عمدوا إلى ما أنزل الله في [ ][٧] كتابهم ، من نعت محمد صلى الله عليه وسلم، فحرّفوه عن مواضعه ، وقال السدي ﴿ **وهم يعلمون** ﴾ أي : أنهم أذنبوا . وقال ابن وهب: قال ابن زيد في قوله : ﴿ **يسمعون كلام الله ثم يحرّفونه** ﴾ قال : التوراة التي أنزلها الله عليهم يحرّفونها ؛ يجعلون الحلال فيها حرامًا [والحرام فيها حلالًا][٨] والحق فيها باطلًا ، والباطل فيها حقًّا ، إذا جاءهم المحق برشوة أخرجوا له كتاب الله ، وإذا جاءهم المبطل

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز ، خ: « سمعوا » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - في خ: « فلما سمعوا » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - زيادة من: ز ، خ.
[٧] - في ز ، خ: « نعت » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.

برشوة أخرجوا له ذلك الكتاب ، فهو فيه محق ، وإن جاءهم[١] أحد يسألهم شيئًا[٢] ليس فيه حق ، ولا رشوة ، ولا شيء ، أمروه بالحق ، فقال اللَّه لهم : ﴿ **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون** ﴾ .

و[٣] قوله تعالى : ﴿ **وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا [آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض]**[٤] ﴾ . الآية .

قال محمد بن إسحاق : حدثنا[٥] محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو - سعيد بن جبير - عن ابن عباس ﴿ **وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا** ﴾ . أي : بصاحبكم رسول اللَّه ، ولكنه إليكم خاصة ﴿ **وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا** ﴾ . لا تحدثوا العرب بهذا ؛ فإنكم قد كنتم تستفتحون به عليهم ، فكان منهم . فأنزل اللَّه : ﴿ **وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدّثونهم بما فتح اللَّه عليكم ليحاجوكم به عند ربكم** ﴾ . أي : تقرّون بأنه نبي ، وقد علمتم أنه قد أخذ له الميثاق عليكم[٦] باتباعه ، وهو يخبرهم أنه النبي الذي كنا ننتظر ، ونجد في كتابنا . اجحدوه ولا تقرّوا به . يقول اللَّه تعالى : ﴿ **أو لا يعلمون أن اللَّه يعلم ما يسرون وما يعلنون** ﴾ .

وقال الضحاك : عن ابن عباس : يعني المنافقين من اليهود ، كانوا إذا لقوا أصحاب محمد صلى اللَّه عليه وسلم قالوا : آمنا .

وقال السدي(٤٨٨) : هؤلاء ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا ، وكذا قال الربيع بن أنس وقتادة وغير واحد من السلف والخلف ، حتى قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فيما رواه ابن وهب عنه : كان رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، قد قال : « **لا يدخلن علينا قصبة المدينة إلا مؤمن** » فقال رؤساؤهم من أهل الكفر والنفاق : اذهبوا فقولوا : آمنا ، واكفروا إذا رجعتم إلينا ، فكانوا يأتون المدينة بالبكَر[٧] يرجعون إليهم بعد العصر . وقرأ قول اللَّه تعالى : ﴿ **وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون** ﴾ . وكانوا يقولون إذا دخلوا المدينة : نحن مسلمون ؛ ليعلموا خبر رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم وأمره ، فإذا رجعوا رجعوا إلى الكفر ، فلما أخبر اللَّه نبيه صلى اللَّه عليه وسلم قطع ذلك عنهم فلم يكونوا يدخلون .

---

(٤٨٨) - رواه ابن جرير في تفسيره ١٣٤٩ - (٢/٢٥٤) عن يونس ، عن ابن وهب ، به . وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ضعيف جدًا .

[١] - في ز ، خ : « جاء » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - في خ : « حدثني » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز : بالبُكير .

وكان المؤمنون يظنون أنهم مؤمنون ، فيقولون : أليس قد قال الله لكم : كذا وكذا ؟ فيقولون : بلى . فإذا رجعوا إلى قومهم - [يعني : الرؤساء][1] - قالوا : ﴿ **أتحدّثونهم بما فتح الله عليكم** ﴾ . الآية .

وقال أبو العالية : ﴿ **أتحدّثونهم بما فتح الله عليكم** ﴾ . يعني : بما أنزل الله[2] عليكم في كتابكم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال عبد الرزاق (٤٨٩) عن معمر عن قتادة : ﴿ **أتحدّثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم** ﴾ . قال : كانوا يقولون : سيكون نبي . فخلا بعضهم [إلى بعض][3] ، فقالوا :﴿ **أتحدّثونهم بما فتح الله عليكم** ﴾ .

قول آخر في المراد بالفتح :

قال ابن جريج : حدثني القاسم بن أبي بَزّة عن مجاهد(٤٩٠) ، في قوله تعالى : ﴿ **أتحدّثونهم بما فتح الله عليكم** ﴾ . قال : قام النبي صلى الله عليه وسلم يوم قريظة تحت حصونهم ، فقال : « **يا إخوان القردة والخنازير ، ويا عبدة الطاغوت** » . فقالوا : من أخبر بهذا[4] الأمر محمدًا ؟ ما خرج هذا القول إلا منكم ﴿ **أتحدّثونهم بما فتح الله عليكم** ﴾ . بما حكم الله للفتح ، ليكون لهم حجة عليكم . قال ابن جريج : عن مجاهد هذا حين أرسل إليهم عليًا ، فآذوا محمدًا صلى الله عليه وسلم .

وقال السدي ﴿ **أتحدّثونهم بما فتح الله عليكم** ﴾ - من العذاب - ﴿ **ليحاجوكم به عند ربكم** ﴾ . هؤلاء ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا ، فكانوا[5] يحدّثون المؤمنين من العرب بما عُذّبوا به ، فقال بعضهم لبعض : ﴿ **أتحدّثونهم بما فتح الله عليكم** ﴾ من العذاب ، ليقولوا : نحن أحب إلى الله منكم ، وأكرم على الله منكم .

وقال عطاء الخراساني ﴿ **أتحدّثونهم بما فتح الله عليكم** ﴾ يعني : بما قضىٰ لكم وعليكم .

وقال الحسن البصري : هؤلاء اليهود كانوا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا : آمنا ، وإذا خلا بعضهم إلى بعض قال بعضهم : لا تحدثوا أصحاب محمد بما فتح الله عليكم مما في كتابكم ؛ فيحاجوكم

(٤٨٩) - تفسير عبد الرزاق (١/٥٠) .

(٤٩٠) - مرسل . وهو عتند ابن جرير ١٣٤٧ - (٢/٢٥٢ - ٢٥٣) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : « ببعض » . [٤] - في خ : « هذا » .

[٥] - في ز ، خ : « وكانوا » .

به عند ربكم ، فيخصموكم .

وقوله تعالى : ﴿ أو لا يعلمون أنّ اللّه يعلم ما يسرون وما يعلنون ﴾ . قال أبو العالية : يعني ما أسروا من كفرهم بمحمد ، صلى اللّه عليه وسلم ، وتكذيبهم به ، وهم[١] يجدونه مكتوبًا عندهم . وكذا قال قتادة .

وقال الحسن ﴿ أن اللّه يعلم مايسرون ﴾ . قال : كان ما أسروا أنهم كانوا إذا تولوا عن أصحاب محمد ، صلى اللّه عليه وسلم ، وخلا بعضهم إلى بعض ، تناهوا أن يخبر أحد[٢] منهم أصحاب محمد ، صلى اللّه عليه وسلم ، بما فتح اللّه عليهم مما في كتابهم ، خشية أن يحاجهم أصحاب محمد ، صلى اللّه عليه وسلم ، بما في كتابهم عند ربهم . ﴿ وما يعلنون ﴾ يعني : حين قالوا لأصحاب محمد صلى اللّه عليه وسلم : آمنا . وكذا قال أبو العالية والربيع وقتادة .

وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾

يقول تعالى : ﴿ ومنهم أمّيون ﴾ أي : ومن أهل الكتاب . قاله مجاهد . والأمّيون جمع أمّي ، وهو الرجل الذي لا يحسن الكتابة . قاله أبو العالية والربيع ، وقتادة وإبراهيم النخعي ، وغير واحد ، وهو ظاهر في قوله تعالى : ﴿ لا يعلمون الكتاب ﴾ أي : لا يدرون ما فيه ؛ ولهذا في صفات النبي صلى اللّه عليه وسلم : أنه الأمي[٣] ؛ لأنه لم يكن يحسن الكتابة ، كما قال تعالى : ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذًا لارتاب المبطلون ﴾ . وقال - عليه الصلاة والسلام - : « إنا أمّة أمّية ، لا نكتب ولا نحسب ، الشهر هكذا وهكذا وهكذا » . الحديث ، أي : لا نفتقر في عباداتنا ومواقيتها إلى كتاب ولا حساب . وقال [تبارك] وتعالى : ﴿ هو الذي بعث في الأمّيين رسولاً منهم ﴾ .

وقال ابن جرير : نسبت العرب من لا يكتب ولا يَخُط من الرجال إلى أمّه في جهله بالكتاب ، دون أبيه . قال : وقد روي عن ابن عباس رضي اللّه عنهما[٤] قول خلاف هذا ، وهو ما حدثنا ، به(٤٩١) :

---

(٤٩١) - هذا إسنادٌ فيه ضعف وانقطاع - كما تقدم ، والحديث في تفسير ابن جرير ١٣٥٨ - (٢/ ٢٥٨ ، ٢٥٩) . بشر بن عُمارة : ضعفه النسائي ومشاه غيره . وقال البخاري : يعرف وينكر . وقال ابن عدي:=

---

[١] - في ز : وهو .
[٢] - في خ : « واحد » .
[٣] - في خ : « أمى » .
[٤] - في ز ، خ : « عنه » .

أبو كريب ، حدثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ ومنهم أمّيون ﴾ قال : الأمّيون قوم لم يصدّقوا رسولاً أرسله اللّه ، ولا كتابًا أنزله اللّه ، فكتبوا كتابًا بأيديهم ، ثم قالوا لقوم سفلة جُهَّال : هذا من عند اللّه . وقال : قد أخبر أنهم يكتبون بأيديهم ، ثم سماهم أمّيين لجحودهم كتب اللّه ورسله . ثم قال ابن جرير : وهذا التأويل تأويل على خلاف ما يعرف من كلام العرب المستفيض بينهم . وذلك أنّ الأمّي عند العرب الذي لا يكتب .

قلت : ثم في صحة هذا عن ابن عباس بهذا الإسناد نظر ، واللّه أعلم .

و[١] قوله تعالى : ﴿ إلا أماني ﴾ قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس : إلا أماني : إلا أحاديث .

وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ إلا أماني ﴾ يقول : إلا قولاً يقولونه بأفواههم كذبًا . وقال مجاهد : إلا كذبًا . وقال سنيد : عن حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ﴿ ومنهم أمّيون لا يعلمون الكتاب إلا أماني ﴾ . قال : أناس من اليهود[٢] لم يكونوا يعلمون من الكتاب شيئًا ، وكانوا يتكلمون بالظن بغير ما في كتاب اللّه ، ويقولون : هو من الكتاب ، أماني يتمنونها . وعن الحسن البصري ، نحوه .

وقال أبو العالية والربيع وقتادة : ﴿ إلا أماني ﴾ يتمنون على اللّه ما ليس لهم .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ﴿ إلا أماني ﴾ قال : تمنوا فقالوا : نحن من أهل الكتاب . وليسوا منهم .

قال ابن جرير (٤٩٢) : والأشبه بالصواب قول الضحاك عن ابن عباس . وقول[٣] مجاهد : إن الأمّيين الذين وصفهم اللّه تعالى أنهم لا يفقهون من الكتاب الذي أنزله[٤] اللّه تعالى على موسى - شيئًا ، ولكنهم يَتَخَرَّصُون[٥] الكذب ، ويَتَخَرَّصُون[٦] الأباطيل كذبًا وزورًا . والتمني[٧] في هذا الموضع هو تخلق الكذب وتخرصه[٨] . ومنه الخبر المروي عن عثمان بن عفان ، رضي اللّه عنه ، ما تغنيت ولا تمنيت . يعني : ما تخرصت[٩] الباطل ولا تخلقت[١٠] الكذب .

= حديث بشر بن عمارة عندي إلى الاستقامة أقرب (الميزان ١/٣٢١) . والضحاك لم يسمع من ابن عباس .

(٤٩٢) - تفسير ابن جرير (٢/٢٦٢) .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز : يهود .
[٣] - في ت : وقال .
[٤] - في ز : أنزل .
[٥] - في خ : « يتحرصون » .
[٦] - في خ : « يتحرصون » .
[٧] - في ز : والمتمني .
[٨] - في خ : « وتحرضه » .
[٩] - في خ : « تحرصت » .
[١٠] - في ت : اختلقت .

[وقيل : المراد بقوله إلا أماني بالتشديد والتخفيف أيضًا أي : إلا تلاوة ، فعلى هذا يكون استثناء منقطعًا ، واستشهدوا على ذلك بقوله تعالى : ﴿ **إلا إذا تمنى** ﴾ أي تلا ﴿ **ألقى الشيطان في أمنيته** ﴾ الآية . وقال كعب بن مالك الشاعر :

تمنَّى كتاب اللَّه أوّل ليلِهِ وآخره لاقى حمام المقادر

وقال آخر :

تمنى كتاب اللَّه آخر ليلِهِ تمني داود الكتاب على رسل][١]

وقال محمد بن إسحاق(٤٩٣) : حدثني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ﴿ **لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون** ﴾ . أي[٢] : ولا يدرون ما فيه ، وهم يجحدون[٣] نبوتك بالظن .

وقال مجاهد ﴿ **وإن هم إلا يظنون** ﴾ : يكذبون .

وقال قتادة وأبو العالية والربيع : يظنون باللَّه[٤] الظنون بغير الحق .

وقوله تعالى : ﴿ **فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون : هذا من عند اللَّه ؛ ليشتروا به ثمنًا قليلاً** ﴾ . الآية هؤلاء صنف آخر من اليهود ، وهم الدعاة إلى الضلال بالزور والكذب على اللَّه ، وأكل أموال الناس بالباطل .

[والويل : الهلاك والدمار][٥] ، وهي كلمة مشهورة في اللغة . وقال سفيان الثوري : عن زياد بن فَيَّاض ، سمعت أبا عياض يقول : ويل : صديد في أصل جهنم .

وقال عطاء بن يسار : الويل : واد في جهنم لو سيرت فيه الجبال لماعت .

وقال ابن أبي حاتم(٤٩٤) : حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن

---

(٤٩٣) - رواه ابن جرير (١٣٦٢) ، وإسناده ضعيف .

(٤٩٤) - **إسناده ضعيف** ، وهو في تفسير ابن أبي حاتم ٨٠٣ - (٢٤٣/١) . ورواه أحمد بزيادة في آخره برقم ١١٧٢٩ - (٧٥/٣) ، وأخرجه عبد بن حميد في « المنتخب » (٩٢٤) ثنا الحسن بن موسى ، به . ومن طريقه الترمذي في التفسير ، باب : ومن سورة الأنبياء ، عليهم السلام (٣١٦٤) وأخرجه أبو يعلى في مسنده (١٣٨٣/٢) حدثنا زهير ، حدثنا الحسن بن موسى ، به . وأسد بن موسى في « الزهد » (١٥) حدثنا ابن لهيعة ، به . والبيهقي في « البعث » (٤٨٧) من طريق كامل ، ثنا ابن لهيعة ، به . وقال

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ،خ . [٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في خ : « يجدون » . [٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

الحارث ، عن درّاج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، قال : « **ويل : واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفًا قبل أن يبلغ قعره** » .

ورواه الترمذي (٤٩٥) ، عن عبد بن حميد عن الحسن بن موسى ، عن[١] ابن لهيعة ، عن درّاج ، به . وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة .

(قلت) : لم ينفرد به ابن لهيعة كما ترىٰ ، ولكن الآفة ممن بعده ، وهذا الحديث بهذا الإسناد - مرفوعًا - منكرٌ، واللَّه أعلم .

وقال ابن جرير (٤٩٦) : حدّثنا المثنىٰ ، حدّثنا إبراهيم بن عبد السلام بن صالح التستري[٢] ، حدثنا علي بن جرير ، عن حماد بن سلمة ، عن عبد الحميد بن جعفر ، عن كنانة العدوي ، عن عثمان بن عفان ، رضي اللَّه عنه ، عن رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم : ﴿ **فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون** ﴾ . قال : « **الويل : جبل في النار ، وهو الذي أنزل في اليهود ؛ لأنهم حرّفوا التوراة ، زادوا فيها ما أحبوا ، ومحوا منها ما يكرهون ، ومحوا اسم محمد صلى اللَّه عليه وسلم من التوراة ولذلك غضب اللَّه عليهم فرفع بعض التوراة ؛ فقال تعالى : ﴿ فويل**

الترمذي : هذا حديث غريب ، لا نعرفه مرفوعًا إلا من حديث ابن لهيعة . قلنا : لم ينفرد برفعه ابن لهيعة كما قال الترمذي بل تابعه عمرو بن الحارث ، عن دراج ، به . كما في حديثنا هذا ، وكما عند الطبري في « تفسيره » (٣٧٨/١) ، وابن حبان في « صحيحه » (٧٤٦٧/١٦) ، وهو في « الموارد » (٢٦١٠/٨) . من طريق عبد اللَّه بن وهب عنه ، به .

وأخرجه الحاكم في « المستدرك » (٥٩٦/٤) ، والبيهقي في « البعث » (٤٦٥) . من طريقين عن ابن وهب ، به مطولًا ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي . وتابع ابن وهب ، رشدين بن سعد ، عن عمرو ، به مطولًا . أخرجه نعيم بن حماد في « زوائد الزهد لابن المبارك » (٣٣٤) ومن طريق ابن المبارك رواه البغوي في « شرح السنة » (٤٤٠٩/١٥) . وعلى ذلك فالآفة ليست من ابن لهيعة ، وإنما من رواية دراج ، عن أبي الهيثم .

وقد جاء موقوفًا من نفس طريق المرفوع أخرجه الحاكم (٥٣٤/٢) ، ومن طريقه البيهقي (٤٦٤) بلفظ : « **الويل وادٍ في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفًا ، قبل أن يفرغ من حساب الناس** » . وقال الحاكم : صحيح الإسناد .

والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١٥٩/١) إلى ابن أبي الدنيا في « صفة النار » وابن مردويه .

(٤٩٥) - **ضعيف** ، وهو في سنن الترمذي كتاب تفسير القرآن ، باب : سورة الأنبياء ، برقم (٣١٦٤) . وانظر التعليق السابق .

(٤٩٦) - تفسير ابن جرير ١٣٦٨ ، ١٣٩٥ - (٢٦٨/٢ ، ٢٧١) .

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ز : العشيري ، والمثبت من ابن جرير .

لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴾ » .

وهذا غريب أيضًا جدًّا .

[وعن ابن عباس : الويل : المشقة من العذاب . وقال الخليل بن أحمد : الويل شدّة الشر . وقال سيبويه : ويل لمن وقع في الهلكة ، وويح لمن أشرف عليها . وقال الأصمعي : الويل تفجع ، والويل ترحم . وقال غيره : الويل الحزن . وقال الخليل : وفي معنى ويل ويح وويش وويه وويك وويب ، ومنهم من فرّق بينها .

وقال بعض النحاة : إنما جاز الابتداء بها وهي نكرة ؛ لأن فيها معنى الدعاء ، ومنهم من جوّز نصبها بمعنى ألزمهم ويلًا . (قلت) : لكن لم يقرأ بذلك أحد][١] .

وعن عكرمة عن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، **﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ﴾** قال : هم أحبار اليهود . وكذا قال سعيد : عن قتادة : هم اليهود .

وقال سفيان الثوري : عن عبد الرحمن بن علقمة سألت ابن عباس ، رضي الله عنه ، عن قوله تعالى : **﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ﴾** قال : نزلت في المشركين وأهل الكتاب .

وقال السديُّ : كان ناس من اليهود كتبوا كتابًا من عندهم ، يبيعونه من العرب ، ويحدثونهم أنه[٢] من عند الله ، ليأخذوا[٣] به ثمنًا قليلًا .

وقال الزهري : أخبرني عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس أنه قال : يا معشر المسلمين ، كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء ، [وكتاب الله][٤] الذي أنزله[٥] على نبيه أحدث أخبار الله تقرءونه[٦] غضًّا لم يَشِب ؟ ، وقد حدَّثكم الله تعالى أن أهل الكتاب قد بدلوا كتاب الله وغيروه ، وكتبوا بأيديهم الكتاب ، وقالوا : هو من عند الله ؛ ليشتروا به ثمنًا قليلًا ، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مُسَاءلتهم ، ولا والله ما رأينا منهم أحدًا قط سألكم عن الذي أنزل إليكم .

رواه البخاري من طرق ، عن الزهري(٤٩٧) .

وقال الحسن بن أبي الحسن البصري : الثمن القليل : الدنيا بحذافيرها .

---

(٤٩٧) - صحيح البخاري في الشهادات ، باب : لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها برقم (٢٦٨٥) وانظر (٧٣٦٣ ، ٧٥٢٣) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ،خ .

[٢] - سقط من خ .

[٣] - في ز : فيأخذوا .

[٤] - في ز : وكتابكم .

[٥] - في ز : أنزل الله .

[٦] - في خ : « تعرفونه » .

وقوله تعالى : ﴿ **فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون** ﴾ . أي : فويل لهم مما كتبوا بأيديهم من الكذب والبهتان والافتراء ، وويل لهم مما أكلوا به من السحت ، كما قال الضحاك عن ابن عباس - رضي الله عنهما - : ﴿ **فويل لهم** ﴾ يقول : فالعذاب عليهم ، من الذي كتبوا بأيديهم من ذلك الكذب ﴿ **وويل لهم مما يكسبون** ﴾ يقول : مما يأكلون به الناس السفلة وغيرهم .

وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً ۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓ ۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٠﴾

يقول تعالى إخبارًا عن اليهود فيما نقلوه وادّعوه لأنفسهم ، من أنهم لن تمسهم النار إلا أيامًا معدودة ، ثم ينجون منها ، فردّ اللّه عليهم ذلك بقوله تعالى : ﴿ **قل أتخذتم عند اللّه عهدًا** ﴾ . أي : بذلك ، فإن كان قد وقع عهد[١] فهو لا يُخلف عهده ، ولكن هذا ما جرى ولا كان ؛ ولهذا أتى « بأم » التي بمعنى : بل ، أي : بل تقولون على اللّه ما لا تعلمون من الكذب والافتراء عليه .

قال محمد بن إسحاق ، عن سيف بن سليمان ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، إنّ اليهود كانوا يقولون : إنّ[٢] هذه الدنيا سبعة آلاف سنة ، وإنما نُعَذَّبُ بكل ألف سنة يومًا في النار ، وإنما هي سبعة أيام معدودة[٣] ، فأنزل اللّه تعالى : ﴿ **وقالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة** ﴾ إلى قوله : ﴿ **خالدون** ﴾ .

ثم رواه عن محمد(٤٩٨) ، عن سعيد أو عكرمة ، عن ابن عباس بنحوه[٤] .

وقال العوفي عن ابن عباس : ﴿ **وقالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة** ﴾ : اليهود قالوا : لن تمسنا النار إلا أربعين ليلة(٤٩٩) .

[زاد غيره : وهي مدة عبادتهم العجل . وحكاه القرطبي عن ابن عباس وقتادة][٥] . وقال الضحاك : قال ابن عباس : زعمت اليهود أنهم وجدوا في التوراة مكتوبًا أنّ ما بين طرفي جهنم

---

(٤٩٨) - رواه ابن أبي حاتم برقم (٨١٨) .

(٤٩٩) - ابن جرير برقم (١٤٠٥) وسنده ضعيف جدًّا .

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز : معدودات .

[٤] - في خ : « نحوه » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

مسيرة أربعين سنة إلي أن ينتهوا إلى شجرة الزقوم ، التي هي نابتة[١] في أصل الجحيم ، وقال أعداء[٢] الله : إنما نُعذَّب حتى ننتهي إلى شجرة الزقوم ، فتذهب جهنم وتهلك[٣] . فذلك قوله تعالى : ﴿ **وقالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة** ﴾ .

وقال عبد الرزاق(٥٠٠) : عن معمر عن قتادة : ﴿ **وقالوا : لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة** ﴾ يعني : الأيام التي عبدنا فيها العجل .

وقال عكرمة : خاصمت اليهود رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا : لن ندخل النار إلا أربعين ليلة ، وسيخلفنا فيها[٤] قوم آخرون - يعنون[٥] محمدًا صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، رضي الله عنهم ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بيده على رءوسهم : « بل أنتم خالدون مخلدون لا يخلفكم إليها أحد » . فأنزل الله عز وجل : ﴿ **وقالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة** ﴾ . الآية .

وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه - رحمه الله - : حدّثنا عبد الله بن جعفر ، حدّثنا محمد بن محمد بن صخر ، حدّثنا أبو عبد الرحمن المقرئ ، حدثنا ليث بن سعد ، حدّثني سعيد بن أبي سعيد ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فيها سُم ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « **اجمعوا لي من كان من اليهود هاهنا** » . فقال لهم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **من أبوكم ؟** » قالوا : فلان . قال : « **كذبتم؛ بل أبوكم فلان** » . فقالوا : صدقت وبَرِرت .

ثم قال لهم : « **هل أنتم صادقيَّ عن شيء إن سألتكم عنه ؟** » . قالوا : نعم ، يا أبا القاسم ؛ وإن كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا . فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **من أهل النار ؟** » . فقالوا : نكون فيها يسيرًا ثم تخلفونا فيها . فقال لهم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **اِخسَئُوا ، والله لا نخلفكم فيها أبدًا** » . ثم قال لهم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **هل أنتم صادقيَّ عن شيء إن سألتكم عنه ؟** » . قالوا : نعم ، يا أبا القاسم؛ قال[٦] : « **هل جعلتم في هذه الشاة سُمًّا ؟** » فقالوا : نعم . قال : « **فما[٧] حملكم على ذلك ؟** » . فقالوا : أردنا ؛ إن كنت كاذبًا أن نستريح منك ، وإن كنت نبيًّا لم يضرك .

---

(٥٠٠) - تفسير عبد الرزاق (٥١/١) .

---

[١] - في ز ، خ : « ثابتة » .
[٢] - في خ : « عهد » .
[٣] - في خ : « لعلك » .
[٤] - في ز ، خ : « إليها » .
[٥] - في ز ، خ : « يعني » .
[٦] - في ز : فقال .
[٧] - في ز : ما .

ورواه الإمام[١] أحمد والبخاري والنسائي من حديث الليث بن سعد بنحوه(٥٠١) .

بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾

يقول تعالى : ليس الأمر كما تمنيتم ولا كما تشتهون ؛ بل الأمر أنه مَنْ عمل سيئة وأحاطت به خطيئته ، وهو من وافى يوم القيامة وليست[٢] له حسنة ؛ بل جميع أعماله[٣] سيئات ؛ فهذا من أهل النار [﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾][٤] [أي[٥] : آمنوا باللّه ورسوله ، وعملوا الصالحات][٦] من العمل الموافق للشريعة فهم[٧] من أهل الجنة ، وهذا المقام شبيه بقوله تعالى : ﴿ **ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءًا يُجْزَ به ولا يجد له من دون اللّه وليًا ولا نصيرًا ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرًا** ﴾ .

قال محمد بن إسحاق(٥٠٢) : حدّثني محمد بن أبي محمد ، عن سعيد -أو عكرمة- عن ابن عباس ﴿ **بلى من كسب سيئة** ﴾ . أي : عمل مثل[٨] أعمالكم ، وكفر بمثل ما كفرتم به ، حتى يحيط به كفره ، فما له من حسنة .

وفي رواية عن ابن عباس ، قال : الشرك(٥٠٣) .

قال ابن أبي حاتم(٥٠٤) : وروي عن أبي وائل وأبي العالية ومجاهد ، وعكرمة ، والحسن وقتادة

(٥٠١) - المسند ٩٨٢٦ - (٢/٤٥١) وصحيح البخاري في الجزية والموادعة ، باب : إذا غدر المشركون بالمسلمين ، هل يعفى عنهم برقم (٣١٦٩) ، وأطرافه (٤٢٤٩ ، ٥٧٧٧) ، وسنن النسائي الكبرى برقم (١١٣٥٥) .

(٥٠٢) - رواه ابن أبي حاتم ٨٢٧ - (١/٢٥٠) . و٨٣٠ - (١/٢٥٢) وابن جرير ١٤٢٠ - (٢/٢٨٠) .

(٥٠٣) - رواه ابن أبي حاتم بإسناد ضعيف إلى ابن عباس برقم ٨٢ - (١/٢٥١) .

(٥٠٤) - ابن أبي حاتم (١/٢٥١) .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في ز : وليس .
[٣] - في ز ، خ : «عمله» .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - في ز : والذين .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .
[٧] - في ز : فهو .
[٨] - في ز ، خ : «بمثل» .

والربيع بن أنس ، نحوه .

وقال الحسن أيضًا والسدي : السيئة : الكبيرة من الكبائر(٥٠٥) .

وقال ابن جريج عن مجاهد ﴿ **وأحاطت به خطيئته** ﴾ . قال : بقلبه .

وقال أبو هريرة وأبو وائل وعطاء والحسن : ﴿ **وأحاطت به خطيئته** ﴾ . قالوا[١] : أحاط به شركه .

وقال الأعمش ، عن أبي رزين ، عن الربيع بن خُثَيم ﴿ **وأحاطت به خطيئته** ﴾ قال : الذي يموت على خطايا[٢] من قبل أن يتوب . وعن السدي وأبي رزين . نحوه .

وقال أبو العالية ومجاهد والحسن في رواية عنهما ، وقتادة والربيع بن أنس : ﴿ **وأحاطت به خطيئته** ﴾ الكبيرة الموجبة ، وكل هذه الأقوال متقاربة في المعنى ، والله أعلم . ويذكر هاهنا الحديث الذي رواه الإمام أحمد حيث قال(٥٠٦) :

حدّثنا سليمان بن داود ، حدّثنا [عمران عن قتادة][٣] ، عن عبد ربه ، عن أبي عياض ، [ ][٤] عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - : أنّ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « **إياكم ومحقرات الذنوب ، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه** » . وإنّ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ضرب لهنّ مثلًا ، كمثل قوم نزلوا بأرض فلاة ، فحضر صنيع القوم ، فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود ، والرجل يجيء بالعود ، حتى جمعوا سوادًا ، وأجَجوا نارًا ، فأنضجوا ما قذفوا فيها .

---

(٥٠٥) - رواه ابن أبي حاتم بإسناده ٨٢٨ - (٢٥١/١) .

(٥٠٦) - المسند ٣٨١٨ - (٤٠٢/١) . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٩/١٠) وقال : رواه أحمد والطبراني في الأوسط ورجالهما رجال الصحيح غير عمران بن داور القطان وقد وثق . وهو تساهل من الحافظ الهيثمي رحمه الله تعالى ؛ فإن عبد ربه - وهو ابن أبي يزيد - قال ابن المديني : مجهول - لم يرو له شيء في الصحيحين . وأبو عياض تفرد بالرواية عنه عبد ربه ، ولم يرو له إلا أبو داود والكسائي .

ورواه أحمد من حديث سهل بن سعد ٢٢٩١٤ - (٣٣١/٥) . ثنا أنس بن عياض ، حدثني أبوحازم - لا أعلمه إلا عن سهل بن سعد - قال : قال رسول الله ، صلّى الله عليه وسلم : « **إياكم ومحقرات الذنوب ، فإنما مثل محقرات الذنوب كقوم نزلوا في بطن واد ، فجاء ذا بِعُودٍ ، وجاء ذا بعود ، حتى أنضجوا خُبْزَتَهم ، وإن محقراتِ الذنوب متى يؤخذ بها صاحبُها تهلكه** » . أخرجه الطبراني في الكبير (٦/ ١٦٥، ١٦٦/رقم: ٥٨٧٢). وفي الصغير (٢/ ٣٢٧/رقم: ٨٨٧). وفي الأوسط كما في =

---

[١] - في ز : قال .
[٢] - في خ : « خطاياه » .
[٣] - في ز : عمر بن قتادة ، وفي خ : عمرو بن قتادة .
[٤] - في خ زيادة : عن عبد ربه .

وقال محمد بن إسحاق : حدّثني محمد ، عن سعيد - أو عكرمة - عن ابن عباس ﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون** ﴾ أي : من آمن بما كفرتم به[١] . وعمل بما[٢] تركتم من دينه ، فلهم الجنة خالدين فيها . يخبرهم أن الثواب بالخير والشر مقيم على أهله [لا انقطاع له أبدًا][٣] .

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

يُذكِّر تبارك وتعالى بني إسرائيل بما أمرهم به من الأوامر ، وأخذه ميثاقهم على ذلك ، وأنهم تولوا عن ذلك كله ، وأعرضوا قصدًا وعمدًا ، وهم يعرفونه ويذكرونه ، فأمرهم تعالى أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا . وبهذا أمر جميع خلقه ؛ ولذلك خلقهم ، كما قال تعالى : [﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾ وقال تعالى][٤] : ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا اللّه واجتنبوا الطاغوت** ﴾ وهذا هو أعلى الحقوق وأعظمها ، وهو حق اللّه تبارك وتعالى أن يعبد وحده لا شريك له ، ثم بعده حق المخلوقين ، وآكدهم وأولاهم بذلك حق الوالدين ؛ ولهذا يقرن [تبارك و][٥] تعالى [كثيراً][٦] بين حقه وحق الوالدين ، كما قال تعالى : ﴿ **أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير** ﴾ وقال تبارك وتعالى : ﴿ **وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانًا** ﴾ الآية . إلى أن قال : ﴿ **وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل** ﴾

وفي الصحيحين(٥٠٧) ، عن ابن مسعود ، قلت : يا رسول اللّه ؛ أيُّ العمل أفضل ؟ قال :

= مجمع البحرين (٨/ ٢٦١، ٢٦٢/رقم: ٥٠٨٠). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٩٠) وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، والطبراني في الثلاثة من طريقين، ورجال أحدهما رجال الصحيح غير عبد الوهاب بن عبد الحكم، وهو ثقة.

ورواه من حديث عائشة (٦/ ٧٠ ، ١٥١) .

(٥٠٧) - صحيح البخاري ، كتاب مواقيت الصلاة ، باب : فضل الصلاة لوقتها برقم (٥٢٧) وأطرافه (٥٩٧٠، ٧٥٣٤) وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان برقم ١٣٧ - (٨٥) .

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز : ما .
[٣] - في ز ، خ : «أبدًا لا انقطاع له» .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - في ز : اللّه .
[٦] - زيادة من ز .

« **الصلاة على وقتها** » قلت : ثم أي ؟ قال : « **بر الوالدين** » قلت : ثم أي ؟ قال : « **الجهاد في سبيل الله** » ولهذا جاء في الحديث الصحيح(٥٠٨) : أنّ رجلا قال : يا رسول الله ؛ من أَبَرُّ ؟ قال : « **أمك** » قال : ثم من ؟ قال : « **أمك** » قال : ثم من ؟ قال : « **أباك ، ثم أدناك ثم**[١] **أدناك** ».

[وقوله تعالى : ﴿ **لا تعبدون إلا الله** ﴾ قال الزمخشري : خبر بمعنى الطلب وهو آكد ، وقيل : كان أصله : أن لا تعبدوا إلا الله ،كما قرأها من قرأها من السلف فحذفت أن فارتفع ، وحكى عن أبي ، وابن مسعود أنهما قرآها : (لا تعبدوا إلا الله) ونقل هذا التوجيه القرطبي في تفسيره عن سيبويه . قال : واختاره الكسائي والفراء][٢]

قال ﴿ **واليتامى** ﴾ وهم الصغار الذين لا كاسب لهم من الآباء : ﴿ **والمساكين** ﴾ الذين لا يجدون ما ينفقون على أنفسهم وأهليهم ، وسيأتي الكلام على هذه الأصناف عند آية النساء ، التي أمرنا الله تعالى بها صريحًا في قوله : ﴿**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا وبالوالدين إحسانًا** ﴾ الآية .

وقوله تعالى : ﴿ **وقولوا للناس حسنا** ﴾ أي : كلموهم طيّبًا ولِينُوا لهم جانبًا ، ويدخل في ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمعروف ، كما قال الحسن البصري في قوله تعالى : ﴿**وقولوا للناس حسنًا** ﴾ فالحُسْن من القول : يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويحلم ويعفو ويصفح ، ويقول للناس حسنًا كما قال الله ، وهو كل خُلُقٍ حسن رضيه الله .

وقال الإمام أحمد(٥٠٩) : حدّثنا روح ، حدّثنا أبو عامر الخَزَّاز ، عن أبي عمران الجَوْني ، عن عبد الله بن الصامت ، عن أبي ذر رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **لا**

(٥٠٨) - جاء ذلك من حديث معاوية بن حيدة ، أخرجه أبو داود في كتاب الأدب ، باب : في بر الوالدين برقم (٥١٣٩) . والترمذي في كتاب البر والصلة ، باب : ما جاء في بر الوالدين برقم (١٨٩٧) . وأحمد ٢٠٠٧٦ - (٣/٥) .كلهم من طريق بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده ، به . وقال الترمذي : وهذا حديث حسن . ومن حديث كليب بن منفعة ، عن أبيه ، عن جده ، رواه أبو داود في السنن برقم (٥١٤٠) ومن طريقه ذكره البخاري في تاريخه معلقًا . وأخرج البخاري في صحيحه (٥٩٧١) من حديث أبي زرعة بن جرير ، عن أبي هريرة قال : جاء رجل إلى النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ؛ من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : « **أمك** » قال : ثم من ؟ قال : « **ثم أمك** » قال : ثم من ؟ قال : « **ثم أمك** » قال : ثم من ؟ قال : « **ثم أبوك** » . ورواه مسلم ٤٠٣ - (٢٥٤٨) وابن ماجه (٢٧٠٦) بنحوه وفي حديثهما : « **ثم أمك** » مرتين .

(٥٠٩) - المسند ٢١٦٠٢ - (١٧٣/٥) ، وأخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب (رقم : ٢٦٢٦) . والترمذي في كتاب الأطعمة ، باب : ما جاء في إكثار ماء المرقة (رقم : ١٨٣٣) . كلاهما من طريق صالح ابن رستم ، به .

[١] - سقط من ز . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

تحقرن من المعروف شيئًا ، وإن لم تجد فَالْقَ أخاك بوجه منطلق[١] » .

وأخرجه مسلم في صحيحه ، والترمذي [وصححه][٢] من حديث [أبي عامر الخزّاز][٣] ، واسمه صالح بن رستم ، به .

وناسب أن يأمرهم بأن يقولوا للناس حسنًا ، بعد ما أمرهم بالإحسان إليهم بالفعل ؛ فجمع بين طرفي الإحسان الفعلي والقولي ، ثم أكد الأمر بعبادته والإحسان إلى الناس بالمعيّن من ذلك ، وهو الصلاة والزكاة ، فقال : ﴿ **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** ﴾ وأخبر أنهم تولوا[٤] عن ذلك كله ، أي : تركوه وراء ظهورهم ، وأعرضوا عنه على عمد بعد العلم به ، إلا القليل منهم . وقد أمر اللَّه تعالى هذه الأمة بنظير ذلك في سورة النساء ، بقوله : ﴿ **واعبدوا اللَّه ولا تشركوا به شيئًا وبالوالدين إحسانًا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجُنُب والصاحب بالجَنْب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن اللَّه لا يحب من كان مختالاً فخورًا** ﴾ فقامت هذه الأمة[٥] من ذلك بما لم تقم به أمة من الأمم قبلها وللَّه الحمد والمنة .

ومن النقول الغريبة هاهنا ما ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره(٥١٠) : حدثنا أبي ، حدّثنا محمد بن خلف العسقلاني ، حدّثنا عبد اللَّه بن يوسف [- يعني التنيسي -][٦] حدثنا خالد ابن صبيح ، عن حميد بن عقبة ، عن أسد بن وداعة أنه كان يخرج من منزله فلا يلقى يهوديًّا ولا نصرانيًّا إلا سلم عليه فقيل له : ما شأنك تسلم على اليهودي والنصراني ؟ فقال : إن اللَّه تعالى يقول : ﴿**وقولوا للناس حسنًا** ﴾ وهو السلام . قال : وروي عن عطاء الخراساني ، نحوه .

(قلت) : وقد [ثبت في][٧] السنة أنهم لا يبدءون بالسلام واللَّه أعلم(٥١١) .

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ

(٥١٠) - رواه ابن أبي حاتم برقم ٨٥٢ - (٢٥٩/١) .

(٥١١) - أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب السلام برقم ١٣ - (٢١٦٧) عن أبي هريرة ، رضي اللَّه عنه ، أن رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، قال : « **لا تبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام ، فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه** » .

[١] - في المسند : طلق .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٣] - في خ : « أبي عمران الجوني » .
[٤] - في ز ، خ : « نزلوا » . [٥] - في خ : « الآية » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٧] - في ز : ثبتت .

فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَـٰرِهِمْ تَظَـٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ تُفَـٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾

يقول اللَّه تبارك وتعالى ، منكرًا على اليهود الذين كانوا في زمان رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم بالمدينة ، وما كانوا يعانونه من القتال مع الأوس والخزرج ، وذلك أن الأوس والخزرج - وهم الأنصار - كانوا في الجاهلية عُبّاد أصنام ، وكانت بينهم حروب كثيرة ، وكانت يهود المدينة ثلاث قبائل : بنو قينقاع ، وبنو النضير حلفاء الخزرج ، وبنو قريظة حلفاء الأوس ، فكانت الحرب إذا نشبت بينهم قاتل كل فريق مع حلفائه ، فيقتل اليهودي أعداءه ، وقد يقتل اليهودي الآخر من[١] الفريق الآخر ، وذلك حرام عليه في دينه ونص كتابه ، ويخرجونهم من بيوتهم ، وينهبون ما فيها من الأثاث والأمتعة والأموال ، ثم إذا وضعت الحرب أوزارها استفكوا الأسارى من الفريق المغلوب ، عملًا بحكم التوراة ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ **أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض** ﴾ ولهذا قال تعالى : ﴿ **وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم** ﴾ أي : لا يقتل بعضكم بعضًا ، ولا يخرجه من منزله ، ولا يظاهر عليه ، كما قال تعالى : ﴿ **فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم [ذلكم خير لكم عند بارئكم]**[٢] ﴾ وذلك أنّ أهل [الملة الواحدة] [٣] بمنزلة النفس الواحدة ، كما قال - عليه الصلاة والسلام - : « **مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتواصلهم بمنزلة الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحُمَّى والسهر** » .

[وقوله تعالى] : ﴿ **ثم أقررتم وأنتم تشهدون** ﴾ أي : ثم أقررتم بمعرفة[٤] هذا الميثاق وصحته ، وأنتم تشهدون به .

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ .

[٣] - في ز : البلد الواحد .

[٤] - في ز : لمعرفة .

﴿ ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقًا منكم من ديارهم [تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارىٰ تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم][١] ﴾ الآية .

و[٢] قال محمد بن إسحاق بن يسار ، حدثني محمد بن أبي محمد ، عن سعيد بن جبير - أو عكرمة - عن ابن عباس **﴿ ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم ﴾** الآية . قال : أنَّبهم اللَّه بذلك[٣] من فعلهم ، وقد حرَّم عليهم في التوراة سفك دمائهم ، وافترض عليهم فيها فداء أسراهم ، فكانوا فريقين : طائفة منهم بنو قينقاع - وهم[٤] حلفاء الخزرج ، والنضير ، وقريظة ، وهم[٥] حلفاء الأوس - فكانوا[٦] إذا كانت بين الأوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج ، وخرجت النضير وقريظة مع الأوس ، يظاهر كل واحد من الفريقين حلفاءه على إخوانه حتى يتسافكوا دماءهم بينهم ، وبأيديهم التوراة يعرفون فيها ما عليهم وما لهم . والأوس والخزرج أهل شرك يعبدون الأوثان ، و[٧] لا يعرفون جنة ولا نارًا ، ولا بعثًا ولا قيامة ، ولا كتابًا ، ولا حلالًا ولا حرامًا ، فإذا وضعت الحرب أوزارها افتدوا أسراهم ، تصديقًا لما في التوراة ، وأخذًا به - بعضهم من بعض - يفتدي بنو قينقاع ما كان من أسراهم في أيدي الأوس ، ويفتدي النضير وقريظة ما كان في أيدي الخزرج منهم ، ويطلون(٥١٢) ما أصابوا من دمائهم[٨] ، وقتلى[٩] من قتلوا منهم فيما بينهم ، مظاهرة لأهل الشرك عليهم .

يقول اللَّه - تعالى ذكره - [حيث أنَّبهم][١٠] بذلك **﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ﴾** أي : تفادونهم[١١] بحكم التوراة ، وتقتلونهم[١٢] ، وفي حكم التوراة أن لا يقتل[١٣] ، ولا[١٤] يخرج[١٥] من داره ، ولا[١٦] يظاهر عليه من يُشْرك باللَّه ، ويعبد الأوثان من دونه ، ابتغاء عرض الدنيا . ففي ذلك من فعلهم مع الأوس والخزرج - فيما بلغني - نزلت هذه القصة(٥١٣) .

---

(٥١٢) - طلَّ دمه : أبطله ، وأهدره .

(٥١٣) - انظر : السيرة النبوية لابن هشام (١٨٨/٢) وتفسير ابن جرير برقم ١٤٧١ - (٣٠٥/٢) .

---

[١] - زيادة من : ز ، خ .
[٢] - زيادة من : ز ، خ .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ز : وأنهم .
[٥] - في ز ، خ : « وأنهم » .
[٦] - في خ : « وكانوا » .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - في ز ، خ : « الدماء » .
[٩] - في ز : وقتلوا .
[١٠] - في ز : حين أنبأهم .
[١١] - في ز ، خ : « يفادونهم » .
[١٢] - في ز ، خ : « ويقتله » .
[١٣] - في ز ، خ : « يفعل » .
[١٤] - سقط من : ز ، خ .
[١٥] - في ز ، خ : « يخرجه » .
[١٦] - سقط من : خ .

وقال أسباط ، عن السدي : كانت قريظة حلفاء الأوس ، وكانت النضير حلفاء الخزرج ، فكانوا يقتتلون في حرب سُمَير ، فيقاتل بنو قريظة مع حلفائها النضير وحلفاءهم ، وكانت النضيرُ تقاتل قريظة وحلفاءها ، ويغلبونهم[١] فيخرّبون ديارهم ويخرجونهم منها ، فإذا أسر رجل من الفريقين كليهما[٢] جمعوا له حتى يفدوه . فتعيرهم العرب بذلك ويقولون : كيف تقاتلونهم وتفدونهم ؟ قالوا : إنا أمرنا أن نفديهم ، وحرّم علينا قتالهم : قالوا : فلم تقاتلونهم ؟ قالوا : إنا نستحي[٣] أن تُستَذلَ[٤] حلفاؤنا[٥] . فذلك حين عيرهم الله تبارك وتعالى ، فقال تعالى : ﴿ **ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقًا منكم من ديارهم** ﴾ الآية .

وقال شعبة ، عن السدي : نزلت هذه الآية في قيس بن الخَطِيم[٦] : ﴿ **ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقًا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان** ﴾ الآية . وقال أسباط ، عن السدي ، عن عبد خير[٧] ، قال : غزونا مع سلمان بن ربيعة الباهلي بَلَنْجَر فحاصرنا أهلها ففتحنا المدينة ، وأصبنا سبايا ، واشترى عبد الله بن سلام يهودية بسبعمائة ، فلما مرَّ برأس الجالوت ، نزل به فقال له عبد الله : يا رأس الجالوت ؛ هل لك في عجوز هاهنا من أهل دينك تشتريها مني ؟ قال : نعم ، قال : أخذتها بسبعمائة درهم . قال : فإني أربحك سبعمائة أخرى . قال : فإني قد حلفت أن لا أنقصها من أربعة آلاف . قال : لا حاجة لي فيها . قال : والله لتشترينها[٨] مني أو لتكفُرَنَّ بدينك الذي أنت عليه . قال : ادن مني ، فدنا منه ، فقرأ في أذنه التي في التوراة : إنك لا تجد مملوكًا من بني إسرائيل إلا اشتريته فأعتقته ﴿ **وإن يأتوكم أسارى تفادوهم**[٩] **وهو محرم عليكم إخراجهم** ﴾ قال : أنت عبد الله بن سلام ؟ قال : نعم . قال : فجاء بأربعة آلاف ، فأخذ عبد الله ألفين ، وردّ عليه ألفين .

وقال آدم بن أبي إياس في تفسيره : حدثنا أبو جعفر - يعني الرازي - حدثنا الربيع بن أنس(٥١٤) ، أخبرنا أبو العالية : أنّ عبد الله بن سلام مَرَّ على رأس الجالوت بالكوفة ، وهو يفادي من النساء من لم يقع عليها العرب ، ولا يفادي من وقع عليها العرب ، فقال عبد الله بن سلام : أما إنه مكتوب عندك في كتابك أن تفاديهنّ كلهنّ .

والذي[١٠] أرشدت إليه الآية الكريمة ، وهذا السياق ذمُّ اليهود في قيامهم بأمر التوراة التي

---

(٥١٤) - رواه ابن جرير برقم (١٤٨٠) .

---

[١] - في ز ، خ : « ويلعنونهم » .
[٢] - في ز ، خ : « كلاهما » .
[٣] - في ز : نستحيي .
[٤] - في خ : « يستدل » .
[٥] - في ز : بحلفائنا .
[٦] - في ز ، خ : « الحطيم » .
[٧] - في خ : « جبر » .
[٨] - في ز ، خ : لتشتريها » .
[٩] - في ز : تفدوهم .
[١٠] - في ز ، خ : « والتي » .

يعتقدون صحتها ، ومخالفة شرعها مع معرفتهم بذلك وشهادتهم له بالصحة ؛ فلهذا لا يؤتمنون على ما فيها ، ولا على نقلها ، ولا يصدقون فيما يكتمونه من صفة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ونعته ، ومبعثه ومخرجه ، ومهاجره ، وغير ذلك من شئونه ، التي قد[١] أخبرت بها الأنبياء قبله [عليهم الصلاة والسلام][٢] .

واليهود عليهم لعائن اللّه يتكاتمونه بينهم ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ **فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا** ﴾ أي : بسبب مخالفتهم شرع اللّه وأمره ﴿ **ويوم القيامة يردّون إلى أشد العذاب** ﴾ جزاء على ما كتموه من كتاب اللّه الذي بأيديهم ﴿ **وما اللّه بغافل عما تعملون**[٣] **أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة** ﴾ أي : استحبوها على الآخرة واختاروها ﴿ **فلا يخفف عنهم العذاب** ﴾ ، أي : لا يفتر عنهم ساعة واحدة ﴿ **ولا هم ينصرون** ﴾ أي : وليس لهم ناصر ينقذهم مما هم فيه من العذاب الدائم السرمدي ، ولا يجيرهم[٤] منه .

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾

ينعت تبارك وتعالى بني إسرائيل بالعتوّ والعناد والمخالفة والاستكبار على الأنبياء ، وأنهم إنما يتبعون أهواءهم ، فذكر تعالى أنه آتى موسى[٥] الكتاب - وهو التوراة - فحرفوها وبدلوها ، وخالفوا أوامرها وأولوها ، وأرسل الرسل والنبيين من بعده الذين يحكمون بشريعته كما قال تعالى : ﴿ **إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب اللّه وكانوا عليه شهداء** ﴾ الآية . ولهذا قال تعالى : ﴿ **وقفينا من بعده بالرسل** ﴾ قال السدي ، عن أبي مالك : أتبعنا . وقال غيره : أردفنا . والكل قريب ، كما قال تعالى : ﴿ **ثم أرسلنا رسلنا تترى** ﴾ حتى ختم أنبياء بني إسرائيل بعيسى ابن مريم ، فجاء بمخالفة التوراة في بعض الأحكام ؛ ولهذا أعطاه اللّه تعالى من البينات ، وهي : المعجزات . قال ابن عباس : من إحياء الموتى ، وخلقه من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيرًا[٦] بإذن اللّه ، وإبرائه الأسقام ، وإخباره بالغيوب ، وتأييده[٧] بروح القدس -وهو جبريل عليه السلام - ما يدلهم [به][٨] على صدقه فيما جاءهم به . فاشتد تكذيب بني إسرائيل له ،

---

[١] - زيادة من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ز ، خ : « يعملون » .
[٤] - في ز ، خ : « يجزيهم » .
[٥] - في ز ، خ : « بني إسرائيل » .
[٦] - في ز : طائراً .
[٧] - في ز ، خ : « والتأييد » .
[٨] - زيادة من ز .

وحسدُهم وعنادُهم لمخالفته التوراة في البعض ، كما قال تعالى إخبارًا عن عيسى : ﴿ **ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم** ﴾ الآية . فكانت بنو إسرائيل تعامل الأنبياء عليهم السلام أسوأ المعاملة ؛ [ففريقًا يكذبون ، وفريقًا يكذبونه و] يقتلونه ، وما ذاك إلا لأنهم كانوا يأتونهم بالأمور المخالفة لأهوائهم وآرائهم ، وبإلزامهم بأحكام التوراة التي قد تصرفوا في مخالفتها ؛ فلهذا كان [ذلك يشق][١] عليهم فيكذبونهم ، وربما قتلوا بعضهم ؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ **أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقًا كذبتم وفريقًا تقتلون** ﴾.

والدليل على أن روح القدس هو جبريل - كما نص عليه ابن مسعود في تفسير هذه الآية ، وتابعه على ذلك [ابن عباس][٢] ومحمد بن كعب القرظي[٣] وإسماعيل بن أبي[٤] خالد ، والسدي ، والربيع بن أنس ، وعطية العوفي ، وقتادة مع قوله تعالى : ﴿ **نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين** ﴾ - ما[٥] قال البخاري : وقال ابن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن عُروة ، عن عائشة : إن رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، وضع لحسان بن ثابت مِنْبَرًا في المسجد ، فكان ينافح عن رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، فقال رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم : « **اللَّهُمَّ ؛ أَيِّدْ حسان بروح القدس كما نافح عن نبيك**[٦] » . وهذا[٧] من البخاري تعليق(٥١٥) .

وقد رواه أبو داود في سننه ، [عن لُوَين][٨] ، والترمذي ، عن علي بن حجر ، وإسماعيل بن موسى الفزاري ، ثلاثتهم ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، وهشام بن عروة ، كلاهما عن عروة ، عن عائشة به(٥١٦) . وقال الترمذي : حسن صحيح ، وهو حديث أبي الزناد .

(٥١٥) - وكذا عزاه المزى في تحفة الأشراف (١٢/١٠) للبخاري ، وقال الحافظ ابن حجر في « النكت الظراف » : « لم أر هذا الموضع في صحيح البخاري ، وقد وصله أحمد والطبراني ٣٥٨٠ - (٣٧/٤) وصححه الحاكم » . وعبد الرحمن بن أبي الزناد : ضعيف ، ضعفه يحيى بن معين ، وأحمد بن حنبل ، وابن مهدي ، وعلي بن المديني ، والنسائي ، وابن عدي ، وابن حبان .

(٥١٦) - رواه أبو داود في كتاب الأدب ، باب : ما جاء في الشعر برقم (٥٠١٥) ، والترمذي في الأدب ، باب : ما جاء في إنشاد الشعر برقم (٢٨٤٦) . ورواه الطبراني (٣٧/٤) رقم (٣٥٨٠) من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن عروة ، عن عائشة ، وأحمد ٢٤٤٨١ - (٧٢/٦) ، والحاكم (٥٥٤/٣) .

[١] - في ز ، خ : « يشق ذلك » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - زيادة من : ز ، خ .
[٤] - زيادة من : ز ، خ .
[٥] - في خ : « كما » .
[٦] - في ز ، خ : « نبيه » .
[٧] - في ت : « فهذا » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

وفي الصحيحين(٥١٧) : من حديث سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة : أن عمر بن الخطاب مر بحسان ، وهو ينشد الشعر في المسجد ، فلحظ إليه[١] ، فقال : قد كنت أنشد فيه ، وفيه من هو خير منك ، ثم التفت إلى أبي هريرة فقال : أنشدك اللَّه ، أسمعتَ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم يقول : « **أجب عني ، اللَّهُمَّ ، أيده بروح القدس** » ؟ فقال : اللَّهُمَّ نعم .

وفي بعض الروايات : أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قال لحسان : « **اهجهم - أو هاجهم - وجبريل معك** » .

[وفي شعر حسان قوله :

وجبريل رسول اللَّه فينا وروح القدس ليس به خفاء][٢]

وقال محمد بن إسحاق : حدّثني [عبد اللَّه بن][٣] عبد الرحمن بن أبي حسين المكي ، عن شهر بن حوشب الأشعري : أن نفرًا من اليهود سألوا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم فقالوا : أخبرنا عن الروح . فقال : « **أنشدكم باللَّه وبأيامه عند بني إسرائيل ، هل تعلمون أنه جبريل وهو الذي يأتيني** ؟ » قالوا : نعم(٥١٨) .

[وفي صحيح ابن حبان ، عن ابن مسعود أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قال : « **إن روح القدس نفث في روعي : أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها ، فاتقوا اللَّه وأجملوا في الطلب**][٤] »(٥١٩) .

---

(٥١٧) - صحيح البخاري كتاب بدء الخلق ، باب : ذكر الملائكة ، صلوات اللَّه عليهم ، برقم (٣٢١٢) وصحيح مسلم فضائل الصحابة برقم ١٥١ - (٢٤٨٥) .

(٥١٨) - **مرسل** ، ورواه ابن جرير في تفسيره ١٤٨٩ - (٣٢٠/٢) من طريق ابن حميد ، عن سلمة ، عن ابن إسحاق ، به ، وشهر بن حوشب كثير الإرسال ، والأوهام ، ضعفه يحيى بن سعيد ، وشعبة ، والجوزجاني ، موسى بن هارون ، وأبو حاتم الرازي ، وابن حبان ، وابن عدي ، ووثقه أحمد ، وابن معين ، وقال أبو زرعة : لا بأس به . وروى له مسلم مقرونًا ، وحسن له أحمد ما روى عبد الحميد بن بهرام ، عنه .

(٥١٩) - **إسناده ضعيف** ، رواه البغوي في شرح السنة برقم ٤١١١ ، ٤١١٢ ، ٤١١٣ - (٣٠٣/١٤ - ٣٠٥) من طرق ، عن زبيد اليامي ، عن ابن مسعود - أو عمن أخبره عن ابن مسعود ، عن ابن مسعود ، به مرفوعًا . ورواه القضاعي في مسند الشهاب حديث ١١٥١ (١٨٥/٢) من طريق زبيد اليامي ، عمن أخبره ، عن ابن مسعود ، به ، ورواه الحاكم (٤/٢) من حديث ابن أبي بكير ، عن الليث بن سعد ، عن خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن سعيد بن أبي أمية الثقفي ، عن يونس بن بكير ، عن ابن مسعود ولفظه « .... **إن جبريل عليه السلام ألقى في روعي أن أحدًا منكم لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه فاتقوا اللَّه أيها الناس وأجملوا في الطلب** » .

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - زيادة من : ز ، خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

أقوال أخر

قال ابن أبي حاتم(٥٢٠) : حدّثنا أبو زرعة ، حدّثنا منجاب[١] بن الحارث ، حدّثنا بشر ، عن أبي روق عن الضحاك ، عن ابن عباس ﴿ وأيدناه[٢] بروح القدس ﴾ قال : هو الاسم الأعظم[٣] الذي كان عيسى يُحيي به الموتى .

وقال ابن جرير(٥٢١) : حدثت[٤] عن المنجاب ... فذكره .

و[٥] قال ابن أبي حاتم : وروي عن سعيد بن جبير نحو ذلك .

[ونقله القرطبي عن عبيد بن عمير أيضًا قال : وهو الاسم الأعظم][٦] . وقال [ابن أبي نجيح][٧] : الروح هو حفظة على الملائكة .

وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس : القدس هو الرب تبارك وتعالى . وهو قول كعب ، [وحكى القرطبي عن مجاهد والحسن البصري أنهما قالا : القدس هو اللّه تعالى ، وروحه جبريل . فعلى هذا يكون القول الأوّل][٨] . وقال السدي : القدس البركة .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : القدس الطهر .

وقال ابن جرير(٥٢٢) : حدّثنا يونس بن عبد الأعلى ، أنبأنا[٩] ابن وهب قال : قال ابن زيد في قوله تعالى : ﴿ وأيدناه بروح القدس ﴾ قال : أيد اللّه عيسى بالإنجيل روحًا ، كما جعل القرآن روحًا كلاهما روح من اللّه ، كما قال تعالى : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا ﴾ .

ثم قال ابن جرير : وأولى التأويلات في ذلك بالصواب قولُ من قال : الروح في هذا الموضع جبريل ؛ لأن اللّه - عز وجل - أخبر أنه أيد عيسى به كما أخبر في قوله تعالى : ﴿ إذ قال اللّه يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلًا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ﴾ الآية . فذكر أنه أيده به ، فلو كان

---

(٥٢٠) - إسناده فيه ضعف وانقطاع - تقدم بيانه ، والحديث عند ابن أبي حاتم ٨٩٢ - (١/٢٧٠) .

(٥٢١) - تفسير ابن جرير برقم ١٤٩١ - (٣/٣٢١) .

(٥٢٢) - تفسير ابن جرير برقم ١٤٩٠ - (٣/٣٢١) .

---

[١] - في خ : « سنجاب » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز ، خ : « حديث » .

[٥] - سقط من ز .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٧] - في خ : « ابن أبي حاتم » .

[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٩] - في خ : « أخبرنا » .

الروح الذي أيده به هو الإنجيل ، لكان قوله : ﴿ **إذ أيدتك بروح القدس** ﴾ ، ﴿ **وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل** ﴾ تكرير قول لا معنى له ، والله [سبحانه وتعالى] أعز وأجل[١] أن يخاطب عباده بما لا يفيدهم به[٢] .

(قلت) : ومن الدليل على أنه جبريل ما تقدم في أول السياق ، ولله الحمد . [وقال الزمخشري : ﴿ **بروح القدس** ﴾ بالروح المقدسة كما تقول : حاتم الجود ، ورجل صدق ، ووصفها بالقدس كما قال : ﴿ **وروح منه** ﴾ فوصفه بالاختصاص والتقريب تكرمة . وقيل : لأنه لم تضمه الأصلاب والأرحام الطوامث ، وقيل : بجبريل ، وقيل : بالإنجيل ، كما قال في القرآن : ﴿ **روحًا من أمرنا** ﴾ وقيل : باسم الله الأعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره ، فتضمن كلامه قولًا آخر ، وهو أنَّ المراد روح عيسى نفسه المقدّسة المطهرة . وقال الزمخشري في قوله تعالى : ﴿ **فريقًا كذبتم وفريقًا تقتلون** ﴾ إنما لم يقل : وفريقًا قتلتم ؛ لأنه أراد بذلك وصفهم في المستقبل أيضًا ؛ لأنهم حاولوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم بالسُّمِّ والسحر ، وقد قال عليه السلام في مرض موته : « **ما زالت أكلة خيبر تعاودني ، فهذا أوان انقطاع أبهري** » .

(قلت) : وهذا الحديث في صحيح البخاري(٥٢٣) وغيره][٣] .

وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

قال محمد بن إسحاق(٥٢٤) ، حدّثني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة - أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ **وقالوا قلوبنا غلف** ﴾ أي : في أكنة .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ﴿ **وقالوا قلوبنا غلف** ﴾ أي : لا تفقه .

(٥٢٣) - رواه البخاري تعليقًا في المغازي ، باب : مرض النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، ووفاته برقم (٤٤٢٨) بلفظ : « **يا عائشة : ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم** » . وهذا الحديث بهذا اللفظ - الذي أورده ابن كثير ، وفيه زيادة : « **كل عام** » - رواه ابن عدي في كامله (١٢٣٩/٣) ، والذهبي في الميزان (١٥٦/٢) . وأبو نعيم وابن السني - كلاهما في الطب النبوي . ورواه البيهقي (١١/١٠) وأورده في فيض القدير (٤٤٨/٥) . وفي إسناد هذا الخبر سعيد بن محمد الوراق : قال ابن معين : ليس بشيء . وقال ابن سعد وغيره : ضعيف . وقال النسائي : ليس بثقة . وقال الدارقطني : متروك . وقال ابن عدي : يتبين الضعف على رواياته . وروى عنه أحمد بن حنبل وعلي بن حرب وجماعة .

(٥٢٤) - رواه ابن جرير برقم ١٤٩٨ - (٣٢٥/٢) ، وإسناده ضعيف .

[١] - سقط من : خ. [٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وقال العوفي(٥٢٥) ، عن ابن عباس ﴿ **وقالوا قلوبنا غلف** ﴾ هي : القلوب المطبوع عليها .

وقال مجاهد : ﴿ **وقالوا : قلوبنا غلف** ﴾ : عليها غشاوة .

وقال عكرمة : عليها طابع ، وقال أبو العالية : أي لا تفقه[١] ، وقال السدي : يقولون عليها غلاف ، وهو الغطاء .

وقال عبد الرزاق : عن مَعْمَر ، عن قتادة [فلا تعي ولا تفقه ، قاله مجاهد وقتادة .

وقرأ ابن عباس : ﴿ **غُلُف** ﴾ بضم اللام ، وهو جمع غلاف ، أي : قلوبنا أوعية لكل علم فلا تحتاج إلى علمك قاله ابن عباس وعطاءٍ .

﴿ **بل لعنهم الله بكفرهم** ﴾ أي : طردهم الله وأبعدهم من كل خير .

﴿ **فقليلًا ما يؤمنون** ﴾ قال قتادة : معناه لا يؤمن منهم إلا القليل][٢] ﴿ **وقالوا قلوبنا غلف** ﴾ هو كقوله ﴿ **وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه** ﴾ .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله : ﴿ **غلف** ﴾ قال : تقول[٣] : قلبي في غلاف فلا يخلص إليه مما[٤] تقول[٥] شيء[٦] ، وقرأ : ﴿ **وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه** ﴾ .

وهذا هو[٧] الذي رجحه ابن جرير ، واستشهد بما رُوي من حديث عمرو بن مرّة الجملي[٨] ، عن أبي البختري ، عن حذيفة قال : « **القلوب أربعة** »(٥٢٦) فذكر منها : « **وقلب أغلف**

(٥٢٥) - رواه ابن جرير برقم ١٥٠٠ - (٣٢٦/٢) وإسناده ضعيف .

(٥٢٦) - رواه ابن جرير برقم ١٤٩٧ - (٣٢٤/٣) وإسناده منقطع . فقد نص في التهذيب على أن أبا البختري لم يدرك حذيفة . وقد رُوي مرفوعًا من حديث أبي سعيد . رواه أحمد بن حنبل - (١٧/٣) والطبراني في الصغير (١٠٩/٢ - ١١٠) ، وأبو نعيم في الحلية (٣٨٥/٤) . من حديث ليث بن أبي سليم عن عمرو بن مرة ، عن أبي البختري ، عن أبي سعيد - وإسناده ضعيف لعلتين : الأولى : الإرسال ؛ فإن أبا البختري لم يسمع من أبي سعيد ، قاله أبو داود ، عقب إخراج حديث له عن أبي سعيد - كتاب الزكاة ، باب : ما تجب فيه الزكاة ، حديث ١٥٥٩ - : « وأبو البختري لم يسمع من أبي سعيد » . ونقله عنه ابن حجر في التهذيب . وأبو البختري ، اسمه سعيد بن فيروز بن أبي عمران الطائي الكوفي . وقال ابن أبي حاتم عن أبيه - في المراسيل - : لم يدرك أبا ذر ، ولا أبا سعيد . وذكره ابن حبان في الثقات وقال : سعيد بن

[١] - في ز : نفقه .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : « يقول » .

[٤] - في ز ، خ : « ما » .

[٥] - في خ : « يقول » .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

[٧] - زيادة من : ز ، خ .

[٨] - في ز : الحملي .

مغضوب عليه ، وذاك قلب الكافر » .

وقال ابن أبي حاتم(٥٢٧) : حدّثنا محمد بن عبد الرحمن العَرْزَميّ ، أنبأنا[١] أبي ، عن جدّي ، عن قتادة ، عن الحسن في قوله : ﴿ **قلوبنا غلف** ﴾ قال : لم تختن .

وهذا القول يرجع معناه إلى ما تقدّم من عدم طهارة قلوبهم وأنها بعيدة من الخير .

قول آخر : قال الضحاك عن ابن عباس(٥٢٨) [في قوله][٢] ﴿ **وقالوا قلوبنا غلف** ﴾ قال : يقولون[٣] : قلوبنا غلف[٤] مملوءة علمًا لا تحتاج[٥] إلى علم محمد ، ولا غيره .

وقال عطية العوفي [ ][٦] ﴿ **وقالوا قلوبنا غلف** ﴾ : أي : أوعية[٧] للعلم .

وعلى هذا المعنى جاءت قراءة بعض الأنصار فيما حكاه ابن جرير ﴿ **وقالوا قلوبنا غلُف** ﴾ بضم اللام ، [نقلها الزمخشري][٨] أي : جمع غلاف ، أي : أوعية ، بمعنى أنهم ادّعوا أن قلوبهم مملوءة بعلم لا يحتاجون معه إلى علم آخر ، كما كانوا يَمُنُّون بعلم التوراة ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ **بل لعنهم الله بكفرهم فقليلًا ما يؤمنون** ﴾ . أي : ليس الأمر كما ادّعوا ؛ بل قلوبهم ملعونة مطبوع عليها ، كما قال في سورة النساء : ﴿ **وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلًا** ﴾ .

وقد اختلفوا في معنى قوله تعالى : ﴿ **فقليلًا ما يؤمنون** ﴾ وقوله : ﴿ **فلا يؤمنون إلا قليلًا** ﴾ .

فيروز ، ويقال : سعيد بن عمران ، وقيل غير ذلك ، وقال ابن سعد : كان كثير الحديث ، يرسل حديثه ، ويروي عن الصحابة ، ولم يسمع من كثير أحد ، فما كان من حديثه سماعًا فهو حسن ، وما كان غيره فهو ضعيف . وقال عنه في التقريب : ثقة ثبت ، فيه تشيع قليل ، كثير الإرسال . والعلة الثانية : هي أنه من طريق ليث وهو ابن أبي سليم ، واسم أبيه أيمن ، وقيل : أنس ، وقيل غير ذلك ، وهو صدوق اختلط جدًّا ، ولم يتميز حديثه ، فتُرك ، قاله ابن حجر . وقال الذهبي : فيه ضعف يسير من سوء حفظه ، كان ذا صلاة وصيام ، وعلم كثير ، وبعضهم احتج به . روى له مسلم مقرونًا . وأما عمرو بن مرة ، فهو ثقة . وقال أيضًا الحافظ ابن كثير في تفسيره - سورة النور آية ٢٠ - : إسناده جيد ولم يخرجوه . والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٣/١) وقال : رواه أحمد والطبراني في الصغير ، وفي إسناده ليث بن أبي سليم .

(٥٢٧) - **إسناده ضعيف** ، والحديث عند ابن أبي حاتم برقم ٩٠٢ - (٢٧٣/١) .

(٥٢٨) - ابن جرير برقم ١٥١٣ - (٣٢٧/٢) .

---

[١] - في ز ، خ : « حدثنا » .

[٢] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : « قالوا » .

[٤] - في ت : عن ابن عباس ، والمثبت موافق لما في الطبري (٣٢٧/٢) ، والأصلين - ز ، خ .

[٥] - في ز : نحتاج .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٧] - في خ : « أواعية » .

[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

فقال بعضهم : فقليل من يؤمن منهم . وقيل فقليل إيمانهم ، بمعنى أنهم يؤمنون بما جاءهم به موسى من أمر المعاد والثواب والعقاب ، ولكنه إيمان[١] لا ينفعهم ؛ لأنه مغمور[٢] بما كفروا به من الذي جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال بعضهم : إنما[٣] كانوا غير مؤمنين بشيء ، وإنما قال : ﴿ **فقليلاً ما يؤمنون** ﴾ وهم بالجميع كافرون ، كما تقول العرب : قلما[٤] رأيت مثل هذا قط . تريد : ما رأيت مثل هذا قط .

[وقال الكسائي : تقول العرب : من زنى بأرض قلما تنبت . أي : لا تنبت شيئًا][٥] حكاه[٦] ابن جرير ، رحمه الله ، والله أعلم .

وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾

يقول تعالى ﴿ **ولما جاءهم** ﴾ يعني : اليهود . ﴿ **كتاب من عند الله** ﴾ وهو القرآن الذي أنزل على محمد - صلى الله عليه وسلم - مصدّق لما معهم ، يعني : من التوراة وقوله : ﴿ **وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا** ﴾ . أي : وقد كانوا من قبل مجيء هذا الرسول بهذا الكتاب يستنصرون بمجيئه على أعدائهم من المشركين إذا قاتلوهم ، يقولون : إنه سيبعث نبي في آخر الزمان نقتلكم معه قتل عاد وإرم .

كما قال محمد بن إسحاق (٥٢٩) ، عن عاصم بن[٧] عمر بن قتادة ، [عن قتادة][٨] الأنصاري ، عن أشياخ منهم قال : قالوا[٩] : فينا والله وفيهم ، يعني : في الأنصار وفي اليهود الذين كانوا جيرانهم ، نزلت هذه القصة ، يعني : ﴿ **ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به** ﴾ . قالوا[١٠] : كنا قد علوناهم قهرًا[١١] دهرًا في الجاهلية ، ونحن أهل شرك وهم أهل كتاب ،

(٥٢٩) - رواه ابن جرير برقم ١٥١٩ - (٢/٣٣٢) ، والسيرة (٢/١٩٠) .

[١] - في ز ، خ : « إنما » .
[٢] - في ز : معمور .
[٣] - في ز ، خ : « إنهم » .
[٤] - في خ : « قط » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز ، خ : « حكاها » .
[٧] - في خ : « عن » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٩] - سقط من : ز ، خ .
[١٠] - في خ : « قال » .
[١١] - سقط من : ز ، خ .

فكانوا يقولون : إن نبيًا يُبعث الآن نتبعه ، قد أظل زمانه فنقتلكم[١] معه قتل عاد وإرم ، فلما بعث اللَّه رسوله من قريش واتبعناه[٢] كفروا به ، يقول اللَّه تعالى : ﴿ **فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة اللَّه على الكافرين** ﴾ .

وقال الضحاك عن ابن عباس (٥٣٠) في قوله : ﴿ **وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا** ﴾ . قال : يستظهرون ، يقولون : نحن نعين محمدًا عليهم ، وليسوا كذلك[٣] بل[٤] يكذبون .

وقال محمد بن إسحاق (٥٣١) : أخبرني محمد بن أبي محمد ، أخبرني عكرمة - أو سعيد بن جبير - عن ابن عباس أن يهودًا كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، قبل مبعثه ، فلما بعثه اللَّه من العرب كفروا به ، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه ، فقال لهم معاذ بن جبل ، وبشر بن البراء بن مَعْرُور ، [أخو بني][٥] سلمة : يا معشر يهود ؛ اتقوا اللَّه وأسلموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ، صلى اللَّه عليه وسلم ، ونحن أهل شرك ، وتخبروننا[٦] بأنه مبعوث ، وتصفونه لنا بصفته . فقال سَلاَم بن مِشْكم[٧] أخو بني النضير : ما جاءنا بشيء نعرفه ، وما هو بالذي كنا نذكر لكم . فأنزل اللَّه في ذلك من قولهم : ﴿ **ولما جاءهم كتاب من عند اللَّه مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة اللَّه على الكافرين** ﴾ . الآية[٨] .

وقال العوفي (٥٣٢) : عن ابن عباس : ﴿ **وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا** ﴾ . يقول : يستنصرون بخروج محمد ، صلى اللَّه عليه وسلم ، [على مشركي العرب ، يعني بذلك أهل الكتاب ، فلما بعث محمد ، صلى اللَّه عليه وسلم][٩] ورأوه من غيرهم كفروا به وحسدوه .

---

(٥٣٠) - رواه ابن جرير برقم (١٥٣٢) ، وسنده ضعيف .
(٥٣١) - انظر : السيرة النبوية لابن هشام (٢/١٩٦) وتفسير ابن جرير ١٥٢٠ - (٢/٢٣٣ - ٢٣٤) .
(٥٣٢) - رواه ابن جرير برقم ١٥٢٢ - (٢/٣٣٤) ، وسنده ضعيف .

---

[١] - في ز ، خ : « نقتلكم » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « لذلك » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : « وداود بن ... » .
[٦] - في ز : وتخبرونا .
[٧] - في خ : « مسلم » .
[٨] - سقط من : ز ، خ .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

وقال أبو العالية : كانت اليهود تستنصر بمحمد ، صلى اللّٰه عليه وسلم ، على مشركي العرب ، يقولون : اللّٰهُمَّ ، ابعث هذا النبي الذي نجده مكتوبًا عندنا حتى نعذب المشركين ونقتلهم . فلما بعث اللّٰه محمدًا ، صلى اللّٰه عليه وسلم ، ورأوا أنه من غيرهم ، كفروا به حسدًا للعرب ، وهم يعلمون أنه رسول اللّٰه ، صلى اللّٰه عليه وسلم ، فقال اللّٰه تعالى : ﴿ **فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة اللّٰه على الكافرين** ﴾ .

وقال قتادة : ﴿ **وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا** ﴾ . قال : وكانوا يقولون : إنه سيأتي نبي ﴿ **فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به** ﴾ .

وقال مجاهد : ﴿ **فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة اللّٰه على الكافرين** ﴾ [قال : هم اليهود][١] .

بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾

قال مجاهد : ﴿ **بئسما اشتروا به أنفسهم** ﴾ يهود شروا الحق بالباطل ، وكتمانَ ما جاءَ به مُحَمَّد . صلى اللّٰه عليه وسلم ، بأن يبينوه .

وقال السدي : ﴿ **بئسما اشتروا به أنفسهم** ﴾ يقول : باعوا به أنفسهم . يعني : بئسما اعتاضوا لأنفسهم فَرَضُوا[٢] به ، [وعدلوا إليه من الكفر بما أنزل اللّٰه على محمد - صلى اللّٰه عليه وسلم - عن تصديقه وموازرته ونصرته][٣] ، وإنما حملهم على ذلك البغي والحسد والكراهية ﴿ **أن[٤] ينزل اللّٰه من فضله على من يشاء من عباده** ﴾ . ولا حسد أعظم من هذا .

و[٥] قال ابن إسحاق : عن محمد عن عكرمة - أو سعيد - عن ابن عباس : ﴿ **بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل اللّٰه بغيًا أن ينزل اللّٰه من فضله على من يشاء من عباده** ﴾ . أي : أن اللّٰه جعله من غيرهم ﴿ **فباءوا بغضب على غضب** ﴾ . قال ابن عباس : فالغضب على الغضب ، فغضبه عليهم فيما كانوا ضيعوا من التوراة وهي معهم ، وغضب عليهم[٦] بكفرهم بهذا النبي الذي بعث[٧] اللّٰه إليهم .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - في ز : ورضوا .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز : لأن .

[٥] - زيادة من : خ .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

[٧] - في ز ، خ : « أحدث » .

(**قلت**) : ومعنى باءوا : أي[١] استوجبوا واستحقوا واستقروا بغضب على غضب ، وقال أبو العالية : غضب الله عليهم بكفرهم بالإنجيل وعيسى ، ثم غضب الله عليهم بكفرهم بمحمد ، صلى الله عليه وسلم ، وبالقرآن[٢] .

و[عن عكرمة وقتادة مثله][٣] . قال السدي : أما الغضب الأول فهو حين غضب عليهم في العِجْل ، وأما الغضب[٤] الثاني فغَضِب عليهم حين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم .

[وعن ابن عباس مثله][٥] . وقوله تعالى : ﴿ **وللكافرين عذاب مهين** ﴾ . لما كان كفرهم سببه البغي والحسد ، ومنشأ ذلك التكبر قوبلوا بالإهانة والصغار في الدنيا والآخرة ، كما قال تعالى : ﴿ **إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين** ﴾ . [أي : صاغرين حقيرين ذليلين راغمين][٦] .

وقد قال الإمام أحمد(٥٣٣) : [حدثنا يحيى][٧] ، حدثنا ابن عجلان ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « **يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور[٨] الناس ، يعلوهم كل شيء من الصغار ، حتى يدخلوا سجنًا في جهنم ، يقال له : بُولَسُ ، تعلوهم[٩] نار الأنيار ، يسقون من طينة الخبال : عُصارةِ أهل النار** » .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾

---

(٥٣٣) - المسند ٦٦٧٧ - (١٧٩/٢) . وهو عند الترمذي برقم (٢٤٩٢) وفي الرقائق من الكبرى للنسائي ، ورواه البخاري في الأدب المفرد (٥٥٧) ، والحميدي ٥٩٨ - (٢٧٤/٢) ، وابن أبي الدنيا في التواضع والخمول ٢٢٣) .

---

[١] - زيادة من ز .
[٢] - في ز ، خ : « والقرآن عليهما السلام » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - زيادة من : ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٨] - في خ : « صورة » .
[٩] - في ز : فتعلوهم .

يقول تعالى : ﴿ **وإذا قيل لهم** ﴾ أي : لليهود وأمثالهم من أهل الكتاب : ﴿ **آمنوا بما أنزل الله**﴾ [أي] [١] على محمد صلى الله عليه وسلم ، وصدقوه واتبعوه ﴿ **قالوا نؤمن بما أنزل علينا**﴾ أي : يكفينا الإيمان بما أنزل علينا من التوراة والإنجيل ، ولا نقر إلا بذلك ﴿**ويكفرون بما وراءه** ﴾ يعني بما بعد[٢] بعده ﴿ **وهو الحق مصدقًا لما معهم** ﴾ أي : وهم يعلمون أن ما أنزل على محمد ، صلى الله عليه وسلم ، الحق ﴿ **مصدقًا** ﴾ منصوب[٣] على الحال ، أي : في حال تصديقه[٤] لما معهم من التوراة والإنجيل ، فالحجة قائمة عليهم بذلك ، كما قال تعالى : ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم** ﴾ . ثم[٥] قال تعالى : ﴿ **فلم تقتلون أنبياء الله من قبل [إن كنتم مؤمنين]**[٦] ﴾ أي : إن كنتم صادقين في دعواكم الإيمان بما أنزل إليكم فَلِمَ قتلتم الأنبياء الذين جاءوكم بتصديق التوراة التي بأيديكم ، والحكم بها وعدم نسخها ، وأنتم تعلمون صدقهم ؟ قتلتموهم بغيًا وعنادًا واستكبارًا على رسل الله ، فلستم تتبعون إلا مجرد الأهواء والآراء والتشهي ، كما قال تعالى : ﴿ **أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقًا كذبتم وفريقًا تقتلون** ﴾ .

وقال السدي في هذه الآية : يعيرهم الله تبارك وتعالى ﴿ **قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين** ﴾ .

وقال أبو جعفر بن جرير : قل يا محمد ، ليهود بني إسرائيل الذين[٧] إذا قلت لهم : آمنوا بما أنزل الله قالوا : نؤمن بما أنزل علينا : لم تقتلون - إن كنتم يا معشر يهود[٨] ، مؤمنين بما أنزل الله عليكم - [أنبياء الله][٩] ؟ وقد حرم الله في الكتاب الذي أنزل عليكم قتلهم[١٠] ؛ بل أمركم فيه باتباعهم وطاعتهم وتصديقهم ، وذلك من الله تكذيب لهم في قولهم : نؤمن بما أنزل علينا ، وتعييرٌ لهم .

﴿ **ولقد جاءكم موسى بالبينات** ﴾ أي : بالآيات الواضحات[١١] ، والدلائل القاطعات[١٢] على أنه رسول الله ، وأنه لا إله إلا الله ، و[الآيات][١٣] البينات هي : الطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، والعصا ، واليد ، وفرق البحر ، وتظليلهم بالغمام ، والمن ،

---

[١] - زيادة من ز .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في خ : « تصديقهم » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - في ز : اليهود .
[٩] - في ز ، خ : « أنبياءه » .
[١٠] - في خ : « قبلهم » .
[١١] - في ز ، خ : « الواضحة » .
[١٢] - في ز : القاطعة .
[١٣] - سقط من : ز ، خ .

والسلوى، والحجر وغير ذلك من الآيات التي شاهدوها، ﴿ **ثم اتخذتم العجل** ﴾ أي: معبودًا من دون اللَّه في زمان موسى وأيامه[١]، وقوله: ﴿ **من بعده** ﴾ أي: من بعد ما ذهب عنكم إلى الطور لمناجاة اللَّه - عز وجل - كما قال تعالى: ﴿ **واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسدًا له خوار** ﴾. ﴿ **وأنتم ظالمون** ﴾ [أي وأنتم ظالمون][٢] في هذا الصنيع الذي صنعتموه من عبادتكم العجل، وأنتم تعلمون أنه لا إله إلا اللَّه، كما قال تعالى: ﴿ **ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين** ﴾.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

يعدد سبحانه[٣] وتعالى عليهم خطأهم، ومخالفتهم للميثاق وعتوهم وإعراضهم[٤] عنه، حتى رفع الطور عليهم حتى قبلوه، ثم خالفوه؛ ولهذا قال[٥]: ﴿ **قالوا سمعنا وعصينا** ﴾. وقد تقدّم تفسير ذلك.

﴿ **وأُشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم** ﴾. قال عبد الرزاق: عن معمر عن قتادة ﴿ **وأُشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم**[٦] ﴾. قال: أشربوا [في قلوبهم][٧] حبه حتى خلص ذلك إلى قلوبهم. وكذا قال أبو العالية والربيع بن أنس.

وقال الإمام أحمد(٥٣٤): حدثنا عصام بن خالد، حدثني[٨] أبو بكر بن عبد اللَّه بن أبي مريم الغساني، عن خالد بن محمد الثقفي، عن بلال بن أبي الدرداء، عن أبي الدرداء، عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم: قال « **حبك الشيء يُعْمي وَيُصِمُّ** ».

---

(٥٣٤) - **إسناده ضعيف** من أجل أبي بكر بن أبي مريم، وبلال بن أبي الدرداء: ثقة روى له أبو داود. وخالد بن محمد الثقفي: ثقة، روى له أبو داود. والحديث في المسند ٢١٧٨٣، ٢١٧٨٤ - (١٩٤/٥) وأخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب: في الهوى (رقم: ٥١٣٠)، ورواه أحمد ٢٧٥٨٨ - (٦/ ٤٥٠)، وعبد بن حميد (٢٠٥) والقضاعي في مسند الشهاب ٢١٩ - (١٥٧/١)، والطبراني في مسند الشاميين ١٤٥٤ - (٣٤٠/٢)، ١٤٦٨ - (٣٤٦/٢).

---

[١] - في ز، خ: «وآياته».
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.
[٣] - في خ: «تبارك».
[٤] - سقط من ز.
[٥] - زيادة من: ز، خ.
[٦] - سقط من: ز، خ.
[٧] - ما بين المعكوفتين زيادة من: ز، خ.
[٨] - في خ: «حدثنا».

ورواه أبو داود ، عن حيوة بن شريح ، عن بقية ، عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم ، به .

وقال السدي : أخذ موسى - عليه السلام - العجلَ فذبحه [ثم حرقه][١] بالمبرد ، ثم ذراه[٢] في البحر ، فلم يبق بحر يجري يومئذ إلا وقع فيه شيء منه[٣] ثم قال لهم موسى : اشربوا منه . فشربوا ، فمن كان يحبه خرج على شاربيه الذهب ؛ فذلك حين يقول الله[٤] تعالى : ﴿ وأشربوا في قلوبهم العجل ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم(٥٣٥) : حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن رجاء ، حدثنا[٥] إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمارة بن عبدٍ[٦] وأبي عبد الرحمن السلمي ، عن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، قال : عمد موسى إلى العجل ، فوضع عليه المبارد[٧](٥٣٦) ، فبرده[٨] بها[٩] وهو على شاطىء نهر ، فما شرب أحد من ذلك الماء ممن كان يعبد العجل إلا اصفرّ وجهه مثل الذهب .

وقال سعيد بن جبير : ﴿ وأشربوا في قلوبهم العجل ﴾ . [قال : لما أحرق العجل][١٠] بُرِد ، ثم نسف ، فحسوا الماء حتى عادت وجوههم كالزعفران .

[وحكى القرطبي عن كتاب القشيري أنه ما شرب أحد منه ممن عبد العجل إلا جنّ ، ثم قال القرطبي : وهذا شيء غير ما هاهنا ؛ لأن المقصود من هذا السياق أنه ظهر على شفاههم ووجوههم ، والمذكور هاهنا أنهم أشربوا في قلوبهم العجل ، يعني في حال عبادتهم له ، ثم أنشد قول النابغة في زوجه عثمة :

تغلغل حُبُّ عَثْمَةَ في فؤادي ... فباديه مع الخافي يسيرُ
تغلغل حيث لم يبلغ شراب ... ولا حزن ولم يبلغ سرور

(٥٣٥) - تفسير ابن أبي حاتم برقم ٩٣٦ - (٢٨٢/١) ، وعمارة بن عبدٍ : قال أحمد : مستقيم الحديث ، لا يرو عنه غير أبي إسحاق ، وقال أبو حاتم : شيخ مجهول ، لا يحتج بحديثه ، وذكره ابن حبان في الثقات ، روى له النسائي حديثًا واحدًا (تهذيب الكمال ٢٥٢/٢١) ، وهو متابع بأبي عبد الرحمن السلمي ، وهو ثقة كثير الحديث ، قال البخاري : سمع عليًا ، وقال ابن أبي حاتم : ليس تثبت روايته عن علي (جامع التحصيل ص ٢٠٨) .

(٥٣٦) - المبارد : جمع مبرد ، وهو ما يحك به الحديد حتى يذوبه . الصحاح (٢٤٦/٢) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز ، خ : « ذر » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في خ : « أخبرنا » ،. وفي ز : أنبأنا .
[٦] - في ز ، خ : « عبد الله » . وفي ت : عمير ، وكلاهما خطأ .
[٧] - في خ : « النار » .
[٨] - في ز ، خ : « فبرد » .
[٩] - سقط من : ز ، خ .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

أكاد إذا ذكرتُ العهد منها أطير لو أن إنسانًا يطيرُ][١]

وقوله[٢] : ﴿ قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين ﴾ . أي : بئسما تعتمدونه في قديم الدهر وحديثه من كفركم بآيات اللَّه ، ومخالفتكم الأنبياء ، ثم اعتمادكم في كفركم بمحمد صلى اللَّه عليه وسلم وهذا أكبر ذنوبكم وأشد الأمور عليكم ؛ إذ كفرتم بخاتم الرسل وسيد الأنبياء والمرسلين المبعوث إلى الناس أجمعين ، فكيف تدعون لأنفسكم الإيمان ، وقد فعلتم هذه الأفاعيل القبيحة ؛ من نقضكم المواثيق ، وكفركم بآيات اللَّه ، وعبادتكم العجل [من دون اللَّه][٣] ؟ !

﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٩٤) وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ (٩٥) وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ (٩٦) ﴾

قال محمد بن إسحاق(٥٣٧) : حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة - أو سعيد بن جبير - عن ابن عباس رضي اللَّه عنه : يقول اللَّه تعالى لنبيه محمد[٤] صلى اللَّه عليه وسلم : ﴿ **قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند اللَّه خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين** ﴾ . أي : ادعوا بالموت على أي الفريقين أكذب ، فأبوا ذلك على رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ﴿ **ولن يتمنوه أبدًا بما قدمت أيديهم واللَّه عليم بالظالمين** ﴾ . أي : بِعِلْمِهِمْ[٥] بما عندهم من العلم بك ، والكفر بذلك ، ولو تمنوه يوم قال لهم ذلك ما بقي على الأرض يهودي إلا مات .

وقال الضحاك(٥٣٨) : عن ابن عباس : ﴿ **فتمنوا الموت** ﴾ : فسلوا[٦] الموت .

وقال عبد الرزاق(٥٣٩) : عن معمر ، عن عبد الكريم الجزري ، عن عكرمة ، قوله : ﴿ **فتمنوا**

(٥٣٧) - **إسناده ضعيف** ، وهو عند ابن جرير ١٥٧١ - (٥٤٦/٢) ، وابن أبي حاتم (٩٤٢) .
(٥٣٨) - **إسناده ضعيف** ، وهو عند ابن جرير (١٥٦٨).
(٥٣٩) - **إسناده صحيح** ، وهو عند ابن أبي حاتم ٩٤٣ - (٢٨٥/١) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - في خ : « وقال » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز : يَعْلَمُهم .
[٦] - في خ : « فسألوا » .

الموت إن كنتم صادقين ﴾ قال : قال ابن عباس : لو تمنى اليهود[١] الموت لماتوا .

وقال ابن أبي حاتم(٥٤٠) : حدثنا أبي ، حدثنا علي بن محمد الطنافسي ، حدثنا عثام ، سمعت الأعمش قال : لا أظنه إلا عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لو تمنوا الموت لشرق أحدهم بريقه .

وهذه أسانيد صحيحة إلى ابن عباس .

وقال ابن جرير في تفسيره : وبلغنا أنّ النبي[٢] صلى اللَّه عليه وسلم قال : « **لو أنّ اليهود تمنوا الموت لماتوا ، ولرأوا مقاعدهم من النار ، ولو خرج الذين يباهلون رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، لرجعوا لا يجدون أهلًا ، ولا مالاً** » .

حدّثنا بذلك أبو كريب ، حدثنا زكريا بن عدي ، حدثنا عبيد اللَّه بن عمرو ، عن عبد الكريم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم .

ورواه الإمام أحمد(٥٤١) ، عن إسماعيل بن يزيد الرقي ، حدثنا فرات ، عن عبد الكريم ، به .

وقال ابن أبي حاتم(٥٤٢) : حدثنا الحسن بن أحمد ، حدثنا إبراهيم بن عبد اللَّه بن بشار ، حدثنا سرور بن المغيرة ، عن عباد بن منصور ، عن الحسن ؛ قال : قول اللَّه ما كانوا ليتمنوه[٣] أبدًا[٤] بما قدّمت أيديهم . قلت : أرأيتك لو أنهم أحبوا الموت حين قيل لهم ﴿ **تمنوا الموت**[٥] ﴾ أتراهم كانوا ميتين ؟ قال : لا واللَّه ، ما كانوا ليموتوا لو تمنوا الموت ، وما كانوا ليتمنوه وقد قال اللَّه - ما سمعتَ - : ﴿ **ولن يتمنوه أبدًا بما قدمت أيديهم واللَّه عليم بالظالمين** ﴾ .

وهذا غريب عن الحسن . ثم هذا الذي فسر به ابن عباس الآية هو المتعين ، وهو الدعاء على

---

(٥٤٠) - رواه ابن أبي حاتم برقم ٩٤١ - (١/٢٨٤) .

(٥٤١) - تفسير ابن جرير برقم ١٥٦٦ - (٢/٣٦٢) ، والمسند ٢٢٢٥ - (١/٢٤٨) . ورواه أبو يعلى رقم ٢٦٠٤ - (٤/٤٧١) ، والنسائي في الكبرى ١١٠٦١ - (٦/٣٠٨) . وإسماعيل بن يزيد الرقي : قال الحسيني : فيه جهالة . وقال في التعجيل : بل هو معروف وهو مترجم في التهذيب (التعجيل (١/٣١٢) . وقد رجح الشيخ شاكر رحمه اللَّه تعالى أنهما اثنان . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٢٢٨) وقال : رواه أحمد وأبو يعلى ورجال أبي يعلى رجال الصحيح .

(٥٤٢) - رواه ابن أبي حاتم ٩٤٦ - (١/٢٨٥) . وإسناده ضعيف ؛ لضعف عباد بن منصور .

---

[١] - في خ : « اليهودي » .

[٢] - في خ : « الرسول » .

[٣] - في خ : « يتمنوه » .

[٤] - زيادة من : ز ، خ .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

أي الفريقين أكذب منهم ، أو من المسلمين على وجه المباهلة ، ونقله ابن جرير عن قتادة وأبي العالية والربيع بن أنس رحمهم اللَّه تعالى !

ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة الجمعة : ﴿ **قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء للَّه من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولا يتمنونه أبدًا بما قدمت أيديهم واللَّه عليم بالظالمين قل إن الموت الذي تفرّون منه فإنه ملاقيكم ثم تردّون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** ﴾ . فهم - عليهم لعائن اللَّه تعالى ! - لما زعموا أنهم أبناء اللَّه وأحباؤه ، وقالوا : لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارىٰ ، دعوا إلى المباهلة ، والدعاء على أكذب الطائفتين منهم ، أو من المسلمين .

فلما نكلوا[١] عن ذلك عَلِم كل أحد أنهم ظالمون ؛ لأنهم لو كانوا جازمين بما هم فيه لكانوا أقدموا على ذلك ، فلما تأخروا علم كذبهم ، وهذا كما دعا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم وفد نجران من النصارى بعد قيام الحجة عليهم في المناظرة ، وعتوهم وعنادهم - إلى المباهلة ، فقال اللَّه تعالى : ﴿ **فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة اللَّه على الكاذبين** ﴾ .

فلما رأوا ذلك قال بعض القوم لبعض : واللَّه لئن باهلتم هذا النبي لا يبقى منكم عين تَطْرِفُ ، فعند ذلك [جنحوا للسلم][٢] وبذلوا[٣] الجزية عن يد ، وهم صاغرون ، فضربها عليهم ، وبعث معهم أبا[٤] عبيدة بن الجراح - رضي اللَّه عنه - أمينًا . ومثل هذا المعنى ، أو قريب منه [قول اللَّه][٥] تعالى لنبيه صلى اللَّه عليه وسلم أن يقول للمشركين : ﴿ **قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدًّا** ﴾ . أي : من كان في الضلالة منا أو منكم ، فزاده اللَّه مما هو فيه ، ومدّ له ، واستدرجه ، كما سيأتي تقريره في موضعه ، إن شاء اللَّه تعالى .

فأما من فسر الآية على معنى ﴿ **[قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند اللَّه خالصة من دون الناس فتمنوا الموت][٦] إن كنتم صادقين** ﴾ . أي : [إن كنتم صادقين][٧] في دعواكم فتمنوا الآن الموت ، ولم يتعرض هؤلاءِ للمباهلة ، كما قرره[٨] طائفة من المتكلمين وغيرهم ، ومال إليه ابن جرير بعد ما قارب القول الأول ؛ فإنه قال(٥٤٣) : القول في تأويل[٩] قوله تعالى : ﴿ **قل إن**

(٥٤٣) - تفسير ابن جرير برقم (٢/٣٦٢ ، ٣٦٣) .

---

[١] - في ز ، خ : « تكلموا » .
[٢] - في خ : « جنحوا إلى السلم » .
[٣] - في ز : بذل .
[٤] - في خ : « أبو » .
[٥] - في خ : « قوله » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - زيادة من : خ .
[٨] - في خ : « قدره » .
[٩] - في ز ، خ : « تفسير » .

كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ﴾ . الآية[١] . فهذه[٢] الآية مما احتج الله سبحانه لنبيه به صلى الله عليه وسلم على اليهود الذين كانوا بين ظهراني مُهَاجَره ، وفضح بها أحبارهم وعلماءهم ، وذلك أن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم [أن يدعوهم][٣] إلى قضية عادلة بينه وبينهم ، فيما كان بينه وبينهم من الخلاف ، كما أمره أن يدعو الفريق الآخر[٤] من النصارى إذ خالفوه في عيسى [ابن مريم][٥] - عليه السلام - وجادلوه فيه ، إلى فاصلة بينه وبينهم من المباهلة . فقال لفريق اليهود : إن كنتم محقين فتمنوا الموت ؛ فإنّ ذلك غير ضارّ بكم إن كنتم محقين ، فيما تدعون من الإيمان ، وقرب المنزلة من الله ، بل أعطيكم أمنيتكم من الموت إذا تمنيتم ، فإنما تصيرون إلى الراحة من تعب الدنيا ونصبها ، وكدر عيشها ، والفوز بجوار الله في جناته ، إن كان الأمر كما تزعمون من أن الدار الآخرة لكم خاصة دوننا ، وإن لم تعطوها علم الناس أنكم المبطلون ، ونحن المحقون في دعوانا ، وانكشف أمرنا وأمركم لهم[٦] ؛ فامتنعت اليهود من الإجابة إلى ذلك لعلمها[٧] أنها إن تمنت الموت هلكت فذهبت دنياها ، وصارت إلى خزي الأبد في آخرتها ، كما امتنع فريق النصارى [الذين جادلوا النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في عيسى - إِذ دعوا للمباهلة - من المباهلة][٨] .

فهذا الكلام منه أوله حسن ، وأما آخره ففيه نظر ، وذلك أنه لا تظهر الحجة عليهم على هذا التأويل ؛ إذ يقال : إنه[٩] لا يلزم من كونهم يعتقدون أنهم صادقون[١٠] في دعواهم أن يتمنوا الموت ، فإنه لا ملازمة بين وجود الصلاح وتمني الموت ، وكم من صالح لا يتمنى الموت ؛ بل يودّ أن يعمر ليزداد[١١] خيرًا ، وترتفع درجته في الجنة ، كما جاء [في الحديث][١٢] : « **خيركم من طال عمره ، وحسن عمله** »(٥٤٤) .

---

(٥٤٤) - جاء من حديث عبد الله بن بسر ، وأبي بكرة ، وأبي هريرة وجابر رضي الله عنهم ، فأما حديث عبد الله بن بسر ، فرواه الترمذي في الزهد ، باب : ما جاء في طول العمر للمؤمن ، برقم (٢٣٢٩) وقال : « هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه » ، وأما حديث أبي بكرة ، فرواه الترمذي في باب :شر الناس من طال عمره وساء عمله برقم (٢٣٣٠) وقال : « هذا حديث حسن صحيح » ، وأما حديث أبي هريرة ، فرواه أحمد في المسند ٧٢١١ - (٢/٢٣٥) . وحديث جابر رواه عبد بن حميد (١٠٨٦) .

---

[١] - سقط من: ز ، خ .
[٢] - في ز ، خ: « وهذه » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز ، خ: « آخر » .
[٥] - سقط من: ز ، خ .
[٦] - سقط من: ز ، خ .
[٧] - في ز ، خ: « لعلمهم » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٩] - سقط من: ز ، خ .
[١٠] - في خ: « صادقين » .
[١١] - في ز : ليزاد .
[١٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

ولهم مع ذلك أن يقولوا على هذا : فها أنتم تعتقدون أيها[١] المسلمون ؛ أنكم أصحاب الجنة ، وأنتم لا تتمنون في حال الصحة الموت[٢] ، فكيف تلزموننا[٣] بما لا يلزمكم[٤] ؟!

وهذا كله إنما نشأ من تفسير الآية على هذا المعنى ، فأما على تفسير ابن عباس ، فلا يلزم عليه[٥] شيء من ذلك ؛ بل قيل لهم كلام نَصَفٌ : إن كنتم تعتقدون أنكم أولياء اللَّه[٦] من دون الناس ، وأنكم أبناء اللَّه وأحباؤه ، وأنكم من[٧] أهل الجنة ، ومن عداكم من[٨] أهل النار ، فباهلوا على ذلك ، وادعوا على الكاذبين منكم ، أو من غيركم ، واعلموا أنّ المباهلة تستأصل الكاذب لا محالة .

فلما تيقنوا ذلك وعرفوا صدقه ، نكلوا عن المباهلة لما يعلمون من كذبهم وافترائهم ، وكتمانهم الحق من صفة الرسول صلى اللَّه عليه وسلم ونعته ، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، ويتحققونه . فعلم كل أحد باطلهم ، وخزيهم ، وضلالهم ، وعنادهم ، عليهم لعائن اللَّه المتتابعة إلى يوم القيامة !!

[وسميت هذه المباهلة تمنّيًا ؛ لأنّ كل محق يودّ لو أهلك اللَّه المبطل المناظر له ، ولا سيما إذا كان في ذلك حجة له في بيان حقه وظهوره ، وكانت المباهلة بالموت ؛ لأن الحياة عندهم عزيزة عظيمة ؛ لما يعلمون من سوء مآلهم بعد الموت][٩] ، ولهذا قال تعالى : ﴿ **ولن يتمنوه أبداً بما قدّمت أيديهم واللَّه عليم بالظالمين ولتجدنهم أحرص الناس على حياة** ﴾ . أي : على طول عُمْر ، لما يعلمون من مآلهم السيىء ، وعاقبتهم عند اللَّه الخاسرة ؛ لأن الدنيا سجن المؤمن ، وجنة الكافر ، فهم يودون لو تأخروا عن مقام الآخرة بكل ما أمكنهم ، وما [يحاذرون منه][١٠] واقع بهم لا محالة ، حتى وَهُمْ أحرص من المشركين الذين لا كتاب لهم ، وهذا من باب عطف [الخاص على العام][١١] .

قال ابن أبي حاتم(٥٤٥) : حدّثنا أحمد بن سنان ، حدّثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ **ومن الذين أشركوا** ﴾ قال : الأعاجم .

---

(٥٤٥) - تفسر ابن أبي حاتم برقم ٩٥١ - (٢٨٦/١) ، والمستدرك (٢٦٣/٢) .

---

[١] - مكررة في خ.
[٢] - سقط من: خ.
[٣] - في ز : تلزمونا .
[٤] - في ز : نلزمكم .
[٥] - سقط من: ز ، خ.
[٦] - في خ: «لله».
[٧] - سقط من: ز ، خ.
[٨] - سقط من: ز ، خ.
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[١٠] - في ز ، خ: «يحذرون».
[١١] - في خ: «العام على الخاص».

وكذا[١] رواه الحاكم في مستدركه من حديث الثوري ، وقال : صحيح على شرطهما ، ولم يخرجاه . قال : وقد اتفقا على سند تفسير الصحابي .

وقال الحسن البصري : ﴿ **ولتجدنهم أحرص الناس على حياة** ﴾ . قال : المنافق أحرص الناس على حياة ، وهو أحرص على الحياة من المشرك ﴿ **يودّ أحدهم** ﴾ . أي : يودّ[٢] أحد اليهود ، كما يدل عليه نظم السياق .

وقال أبو العالية : ﴿ **يودّ أحدهم** ﴾ أي[٣] : أحد[٤] المجوس ، وهو يرجع إلى الأوّل ﴿ **لو يعمر ألف سنة** ﴾ . قال الأعمش : عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ﴿ **يودّ أحدهم لو يعمر ألف سنة** ﴾ . قال[٥] : هو كقول الفارسي « زه هزارسال » يقول : عشرة آلاف[٦] سنة ، وكذا روي عن سعيد بن جبير نفسه أيضًا .

وقال ابن جرير(٥٤٦) : حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق قال[٧] : سمعت أبي [عليًا][٨] يقول : حدثنا[٩] أبو حمزة ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ **يودّ أحدهم لو يعمر ألف سنة** ﴾ قال : هو قول الأعاجم : « [**هزار سال نوروز مهرجان**][١٠] » .

وقال مجاهد : ﴿ **يودّ أحدهم لو يعمر ألف سنة** ﴾ قال : حَبَّبَتْ [إليهم الخطيئةُ طولَ العمر][١١] .

وقال محمد[١٢] بن إسحاق(٥٤٧) ، عن محمد [بن أبي محمد][١٣] عن[١٤] سعيد - أو عكرمة - عن ابن عباس ﴿ **وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر** ﴾ أي : و[١٥] ما هو بمنجيه من

(٥٤٦) - ابن جرير ١٥٩١ - (٣٧٢/٢) .

(٥٤٧) - **إسناده ضعيف** ، وهو عند ابن أبي حاتم (٩٥٥) ، وفي السيرة النبوية (١٩١/٢) .

[١] - سقط من ز .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ز ، خ : « يعني » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في ز ، خ : « ألف » .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٩] - في ز ، خ : « أخبرنا » .
[١٠] - في الطبري : « سال زه نوروز مهرجان حر » .
[١١] - في خ : إليهم طول الخطيئة وطول العمر .
[١٢] - في ت : « مجاهد » .
[١٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[١٤] - في خ : « بن » .
[١٥] - سقط من : خ .

العذاب ، وذلك أن المشرك لا يرجو بعثًا بعد الموت ، فهو يحب طول الحياة ، وأن اليهودي لو[١] عرف مآله في الآخرة من الخزي ما[٢] ضيع ما عنده من العلم .

وقال العوفي(٥٤٨) : عن ابن عباس : ﴿ **وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر** ﴾ قال : هم الذين عادوا جبريل . وقال أبو العالية وابن عمر : فما ذاك بمغيثه من العذاب ، ولا منجيه منه .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم [في هذه الآية][٣] : يهود أحرص على الحياة من هؤلاء ، وقد ود هؤلاء لو[٤] يعمر أحدهم ألف سنة ، وليس ذلك بمزحزحه من العذاب لو عُمِّرَ ، كما أنّ عمر إبليس لم ينفعه ، إذ كان كافرًا . ﴿ **والله بصير بما يعملون** ﴾ أي : خبير بصير بما يعمل عباده من خير وشر ، وسيجازي كل عامل بعمله .

قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾

قال الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري - رحمه الله - : أجمع أهل العلم بالتأويل جميعًا ، أنّ هذه الآية نزلت جوابًا لليهود من بني إسرائيل ، إذ زعموا أن جبريل عدوّ لهم ، وأن ميكائيل وليٌّ لهم ، ثم اختلفوا في السبب الذي من أجله قالوا ذلك . فقال بعضهم : إنما كان سبب قيلهم ذلك من أجل مناظرة جرت بينهم ، وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم في[٥] أمر نبوّته .

(ذكر من قال ذلك)

حدثنا أبو كريب ، حدثنا يونس بن بكير ، عن عبد الحميد بن بَهرام ، عن شهر بن حَوشب ، عن ابن عباس أنه قال : حضرت عصابةٌ من اليهود إلى[٦] رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا أبا القاسم ، حدِّثْنا عن خلال نسألك عنهن ، لا يعلمهنّ إلا نبي ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **سلوا عما شئتم ، ولكن اجعلوا لي ذمة الله ، وما أخذ يعقوب على بنيه ، لئن أنا حدثتكم [عن شيء][٧] فعرفتموه لتتابعني[٨] على الإسلام** » فقالوا : ذلك لك . فقال رسول

(٥٤٨) - رواه ابن جرير ١٦٠٣ - (٣٧٦/٢) ، وإسناده ضعيف جدًّا .

[١] - في ز ، خ : « قد » .
[٢] - في ز ، خ : « بما » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز ، خ : « أن » .
[٥] - في ز : من .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز ، خ : « شيئًا » .
[٨] - في ز ، خ : « لتبايعني » .

اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **سلوني عما شئتم** » فقالوا : أخبرنا عن أربع خلال نسألك عنهنّ : أخبرنا أيّ الطعام[١] حرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ؟ وأخبرنا كيف ماء المرأة وماء الرجل ؟ وكيف يكون الذكر منه والأنثى ؟ وأخبرنا بهذا النبي الأمي في التوراة ومن[٢] وليّه من الملائكة ؟ فقال النبي صلى اللَّه عليه وسلم : « **عليكم عهد اللَّه لئن أنا أنبأتكم لتتابعني**[٣] ؟ » فأعطوه ماشاء من عهد وميثاق ، فقال : « **نشدتكم بالذي أنزل التوراة على موسى ، هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب مرض مرضًا شديدًا ، فطال سقمه منه ، فنذر للَّه نذرًا ؛ لئن عافاه اللَّه من سقمه ليُحَرِّمَنَّ أحبَّ الطعام والشراب إليه ، وكان أحب الطعام إليه لحوم**[٤] **الإبل ، وأحب الشراب إليه ألبانها** » فقالوا : اللَّهم نعم . فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **اللَّهم اشهد عليهم ، وأنشدكم باللَّه الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى ، هل تعلمون أن ماء الرجل [غليظ أبيض] وأن ماء المرأة [رقيق أصفر] ، فأيهما علا كان له الولد ، والشبه بإذن اللَّه [عز وجل] ، وإذا علا ماء الرجل ماء المرأة كان الولد ذكرًا بإذن اللَّه ، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل كان الولد أنثى بإذن اللَّه [عز وجل]** ». قالوا : اللَّهم نعم . قال : « **اللَّهم اشهد - قال : - وأنشدكم [باللَّه الذي]**[٥] **أنزل التوراة على موسى ، هل تعلمون أن هذا النبي الأمي تنام عيناه ولا ينام قلبه ؟** » قالوا : اللَّهم نعم ، قال : « **اللَّهم اشهد** » قالوا : أنت الآن ، فحدثنا من وليك من الملائكة ، فعندها نجامعك أو نفارقك . قال : « **فإن وليي جبريل ، ولم يبعث اللَّه نبيًا قط إلا وهو وليه** » قالوا : فعندها نفارقك ، ولو كان وليك سواه من الملائكة تابعناك وصدقناك . قال : « **فما يمنعكم**[٦] **أن تصدقوه ؟** » قالوا : إنه عدوُّنا ؛ فأنزل اللَّه - عز وجل - : ﴿ **قل من كان عدوًّا لجبريل [فإنه نزله على قلبك بإذن اللَّه مصدقًا لما بين يديه]** ﴾ إلى قوله : ﴿ **لو كانوا يعلمون** ﴾ فعندها باءوا بغضب على غضب(٥٤٩) .

وقد رواه الإمام أحمد في مسنده(٥٥٠) ، عن أبي النضر هاشم بن القاسم ، وعبد بن حميد في تفسيره ، عن أحمد بن يونس كلاهما ، عن عبد الحميد بن بَهرام به .

ورواه الإمام أحمد أيضًا(٥٥١) ، عن الحسين بن محمد المروزي ، عن عبد الحميد به[٧] ،

---

(٥٤٩) - **إسناده حسن** وهو في تفسير ابن جرير ١٦٠٥ - (٢/٣٧٧ - ٣٨٠) .

(٥٥٠) - **إسناده حسن** ، وهو في المسند ٢٥١٤ - (١/٢٧٨) . ورواه ابن سعد (١/١/١١٢ - ١١٦) .

(٥٥١) - **إسناده حسن** ، وهو في المسند ٢٤٧١ - (١/٢٧٣) .

---

[١] - في خ : « طعام » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في خ : « لتبايعني » .

[٤] - في ز ، خ : « لحمان » .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - في ز ، خ : « منعكم » .

[٧] - زيادة من : ز ، خ .

بنحوه.

وقد رواه محمد بن إسحاق بن يسار، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين، عن شهر بن حوشب، فذكره مرسلًا(٥٥٢)، وزاد فيه. قالوا: فأخبرنا عن الروح؟ قال: «**أنشدكم بالله وبآياته عند بني إسرائيل، هل تعلمون أنه جبريل، وهو الذي يأتيني؟**» قالوا: اللَّهم[١] نعم، ولكنه [عدو لنا]، وهو مَلَكٌ إنما يأتي بالشدة، وسفك الدماء، فلولا ذلك لاتبعناك[٢]؛ فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿**قل[٣] من كان عدوًّا لجبريل [فإنه نزله على قلبك بإذن الله]**[٤]﴾ إلى قوله ﴿**كأنهم[٥] لا يعلمون**﴾.

وقال الإمام أحمد(٥٥٣): حدثنا أبو أحمد، حدثنا عبد الله بن الوليد العجلي، عن بكير ابن شهاب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: أقبلت يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا[٦]: يا أبا القاسم، إنا نسألك عن خمسة أشياء، فإن أنبأتنا بهنّ عرفنا أنك نبي، واتبعناك، فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيل على بنيه إذ قال: ﴿**والله على ما نقول وكيل**﴾، قال: «**هاتوا**» قالوا: أخبرنا عن علامة النبي؟ قال: «**تنام عيناه ولا ينام قلبه**». قالوا: أخبرنا كيف تؤنث المرأة وكيف يذكر الرجل؟ قال: «**يلتقي الماءان، فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة؛ أذكرت[٧]، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل، أنثت**» قالوا: أخبرنا ما حرم إسرائيل على نفسه؟ قال: «**كان يشتكي عرق النسا فلم يجد شيئًا يلائمه إلا ألبان كذا وكذا**» - قال أحمد: قال بعضهم: يعني: الإبل؛ فحرم لحومها - قالوا: صدقت. قالوا: أخبرنا ما هذا الرعد؟ قال: «**مَلَكٌ من ملائكة[٨] الله - عز وجل - موكل بالسحاب، بيديه - أو في [يديه - مِخْراق][٩] من نار، يزجر به السحاب، يسوقه حيث أمره الله - عز وجل -**» قالوا: فما هذا الصوت الذي نسمع؟ قال[١٠]: «**صوته**» قالوا: صدقت. قالوا[١١]: إنما بقيت واحدة، وهي التي نتابعك إن أخبرتنا بها[١٢]، إنه ليس من نبي إلا و[١٣] له مَلَك يأتيه بالخبر فأخبرنا من

(٥٥٢) - رواه ابن جرير برقم (١٦٠٦)، وإسناده إلى ابن إسحاق ضعيف.

(٥٥٣) - **إسناده صحيح** وهو في المسند ٢٤٨٣ - (١/٢٧٤) ورواه الترمذي في تفسير القرآن، باب: سورة الرعد برقم (٣١١٧) ورواه النسائي في الكبرى برقم (٩٠٧٢). وقال الترمذي: حسن صحيح غريب.

[١] - سقط من: ز، خ.
[٢] - في ز، خ: «اتبعناك».
[٣] - سقط من: ز، خ.
[٤] - ما بين المعكوفتين زيادة من: ز، خ.
[٥] - زيادة من: ز، خ.
[٦] - في ز، خ: «قالوا».
[٧] - في ز: ذكرت.
[٨] - في خ: «الملائكة».
[٩] - في ز، خ: «يده محراق».
[١٠] - في خ: «قالوا».
[١١] - سقط من: ز، خ.
[١٢] - سقط من: ز، خ.
[١٣] - سقط من: ز، خ.

صاحبك ؟ قال : « **جبريل عليه السلام** » قالوا : جبريل ذاك الذي[١] ينزل بالحرب ، والقتال ، والعذاب عدونا ، لو قلتَ ميكائيل الذي ينزل بالرحمة ، [والقطر والنبات] لكان ؛ فأنزل اللَّه تعالى : ﴿ **قل من كان عدوًّا لجبريل [فإنه نزله على قلبك بإذن اللَّه]** ﴾ إلى آخر الآية.

ورواه الترمذي والنسائي من حديث عبد اللَّه بن الوليد به ، وقال الترمذي : حسن غريب .

وقال سنيد(٥٥٤) في تفسيره عن حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، أخبرني القاسم بن أبي بزة[٢] : **أن يهود سألوا النبي صلى اللَّه عليه وسلم عن[٣] صاحبه الذي ينزل عليه بالوحي قال : « جبريل »** قالوا : فإنه لنا عدو ، ولا يأتي إلا بالشدة ، والحرب ، والقتال ؛ فنزلت[٤] : ﴿ **قل[٥] من كان عدوًّا لجبريل** ﴾ الآية ، قال ابن جريج : و[٦] قال مجاهد : قالت يهود : يا محمد ، ما ينزل جبريل إلا بشدة وحرب وقتال ؛ فإنه لنا عدوّ ؛ فنزل : ﴿ **قل[٧] من كان عدوًّا لجبريل** ﴾ الآية .

وقال البخاري(٥٥٥) : قوله تعالى : ﴿ **من كان عدوًّا لجبريل** ﴾ الآية[٨] ، قال عكرمة : جبر ، وميك[٩] وإسراف : عبد ، وإيل : اللَّه .

حدثنا عبد اللَّه بن مُنِير[١٠] ، سمع عبد اللَّه بن بكر ، حدثنا حُمَيد ، عن أنس بن مالك قال : سمع عبد اللَّه بن سلام بمقدم رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ، وهو في أرض يخترف[١١] [- يجتني - الثمر][١٢] فأتى النبيَّ ، صلى اللَّه عليه وسلم ، فقال : إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهنّ إلا نبي ؛ ما أوّل أشراط الساعة ؟ وما أوّل طعام أهل الجنة ؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه ؟ قال : « **أخبرني بهن جبريل آنفًا** » قال : جبريل ؟ قال : « **نعم** » قال : ذاك عدوّ اليهود من الملائكة ، فقرأ هذه الآية : ﴿ **من كان عدوًّا لجبريل فإنه نزله على قلبك** ﴾ ، « و[١٣] **أمّا أوّل أشراط الساعة : فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب ، وأمّا أوّل طعام يأكله أهل الجنة :**

---

(٥٥٤) - رواه ابن جرير ١٦٠٧ - (٢/٣٨٠) وإسناده ضعيف .

(٥٥٥) - رواه البخاري في التفسير ، باب : ﴿ **من كان عدوًّا لجبريل** ﴾ برقم (٤٤٨٠) .

---

[١] - في خ : « عز وجل » .

[٢] - في ز : مرة . في خ : « برة » .

[٣] - في ز : من .

[٤] - في ز : فنزل .

[٥] - سقط من ز .

[٦] - زيادة من : خ .

[٧] - سقط من : خ .

[٨] - زيادة من : خ .

[٩] - في ز : ميل .

[١٠] - في ز ، خ : « نمير » .

[١١] - في خ : « يحترق » .

[١٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[١٣] - سقط من : ز ، خ .

فزيادة كبد الحوت ، وإذا سبق [ماء الرجل][١] **ماء المرأة نزع الولد ، وإذا سبق ماء المرأة نزعت أنثى**[٢] » قال : أشهد ألَّا إله إلا اللَّه ، وأشهد أنك رسول اللَّه . يا رسول اللَّه ، إنّ اليهود قوم بُهتٌ ، وإنهم [ ][٣] إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني ، فجاءت اليهود فقال [لهم النبي صلى اللَّه عليه وسلم][٤] : « **أي رجل عبد اللَّه بن سلام فيكم ؟** » قالوا : خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا قال : « **أرأيتم إن أسلم عبد اللَّه بن سلام ؟** » فقالوا : أعاذه اللَّه من ذلك ! فخرج عبد اللَّه فقال : أشهد ألَّا إله إلا اللَّه ، وأشهد[٥] أن محمدًا رسول اللَّه ، فقالوا : هو[٦] شرّنا وابنُ شرّنا ؛ فانتقصوه فقال[٧] : هذا الذي كنت أخاف يا رسول اللَّه .

انفرد به البخاري من هذا الوجه ،

وقد أخرجه[٨] (٥٥٦) من وجه آخر عن أنس بنحوه .

وفي صحيح مسلم (٥٥٧) ، عن ثوبان مولى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ، قريب من هذا السياق ، كما سيأتي في موضعه . [إن شاء اللَّه تعالى][٩] وحكاية البخاري [كما تقدم][١٠] عن عكرمة هو المشهور أن « إيل » هو اللَّه . وقد رواه سفيان الثوري ، عن خصيف ، عن عكرمة.

[ورواه عبد بن حميد ، عن إبراهيم بن الحكم ، عن أبيه عن عكرمة][١١] ورواه ابن جرير (٥٥٨) ، عن الحسين بن يزيد الطحان ، عن إسحاق بن منصور ، عن قيس بن[١٢] عاصم ، عن عكرمة أنه قال : إن[١٣] جبريل اسمه عبد اللَّه ، وميكائيل : اسمه[١٤] عبيد اللَّه ، إيل : اللَّه .

ورواه يزيد النحوي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، مثله سواء . كذا قال غير واحد من السلف

---

(٥٥٦) - صحيح البخاري في أحاديث الأنبياء ، باب : خلق آدم وذريته برقم (٣٣٢٩) من طريق مروان بن معاوية عن حميد ، عن أنس ، وصحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب (٥١) برقم (٣٩٣٨) من طريق بشر بن المفضل ، عن حميد ، عن أنس .

(٥٥٧) - صحيح مسلم ، كتاب الحيض برقم ٣٤ - (٣١٥) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين مكررة في خ .

[٢] - زيادة من : خ .

[٣] - في خ : قبل .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٥] - سقط من : خ .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

[٧] - في ز ، خ : « قال » .

[٨] - في ز ، خ : « أخرجاه » .

[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[١٠] - في ز ، خ : ما تقدم .

[١١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[١٢] - في ز : عن .

[١٣] - سقط من ز .

[١٤] - سقط من : خ .

- كما سيأتي قريبًا - ومن الناس من يقول : « إيل » عبارة عن عبد ، والكلمة الأخرى هي اسم اللَّه ؛ لأن كلمة إيل لا تتغير في الجميع ، فوزانه : عبد اللَّه ، عبد الرحمن ، عبد الملك ، عبد القدوس ، عبد السلام ، عبد الكافي ، عبد الجليل ، فعبدٌ موجودة[١] في هذا كله ، واختلفت الأسماء المضاف إليها ، وكذلك جبريل ، وميكائيل ، [وعزرائيل ، وإسرافيل] ونحو ذلك ، وفي كلام غير العرب يقدمون المضاف إليه على المضاف ، واللَّه أعلم .

ثم قال ابن جرير : وقال آخرون : بل كان سبب قيلهم ذلك ؛ من أجل مناظرة جرت بين عمر ابن الخطاب ، رضي اللَّه عنه ، وبينهم ، في أمر النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - .

(ذكر من قال ذلك)

حدثني محمد بن المثنى(٥٥٩) حدثني رِبْعِي بن عُلَيّة ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، قال : نزل عمر الروحاء ، فرأى رجالاً يبتدرون أحجارًا يصلون إليها ، فقال : ما بال[٢] هؤلاء ؟ قالوا : يزعمون أن رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، صلى هاهنا ، قال : فكره ذلك ، وقال : إيما[٣] رسول اللَّه ، صلى اللَّه تعالى عليه وسلم ، أدركته الصلاة بواد فصلاها ، ثم ارتحل فتركه ، ثم أنشأ يحدثهم فقال : كنت أشهد اليهود يوم مِدْراسهم ، فأعجب من التوراة و[٤] كيف تصدق الفرقان ؟ ومن القرآن[٥] كيف يصدق التوراة ؟ فبينما[٦] أنا عندهم ذات يوم قالوا : يا ابن الخطاب ؛ ما من أصحابك أحد أحب إلينا منك .

قلت : ولم ذلك ؟ قالوا : لأنك[٧] تغشانا وتأتينا ، قلت : إني آتيكم ، فأعجب من الفرقان[٨] كيف يصدق التوراة ؟ ومن التوراة كيف تصدق[٩] الفرقان ؟ قال : وَمَرَّ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم فقالوا : يا ابن الخطاب ؛ ذاك صاحبكم ، فَالْحَقْ به .

قال[١٠] : فقلت[١١] لهم عند ذلك : نشدتكم باللَّه الذي لا إله إلا هو ، وما استرعاكم من

---

(٥٥٨) - تفسير ابن جرير برقم ١٦٢١ - (٣/٣٩٠) .

(٥٥٩) - مرسل ، وهو تفسير ابن جرير ١٦٠٨ - (٢/ ٣٨١ - ٣٨٢) .

---

[١] - في ز ، خ : « فعند من جوزه » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : إنما ، والمثبت من ابن جرير .
[٤] - زيادة من : خ .
[٥] - في ز : الفرقان .
[٦] - في ز ، خ : « فبينا » .
[٧] - في ز : أنك .
[٨] - في ز ، خ : « القرآن » .
[٩] - في خ : « يصدق » .
[١٠] - في خ : « فقال » .
[١١] - في خ : « قلت » .

حقه ، وما[١] استودعكم من كتابه ، أتعلمون أنه رسول اللّٰه ؟ قال : فسكتوا ، فقال لهم عالمهم وكبيرهم : إنه قد غلظ عليكم فأجيبوه ، [قالوا : فأنت][٢] عالمنا ، وكبيرنا فأجبه أنت . قال : أما إذ نشدتنا بما نشدتنا به ؛ فإنا نعلم أنه رسول اللّٰه .

قال[٣] : قلت : ويحكم فأنَّى هلكتم ، قالوا : إنا[٤] لم نهلك . قال[٥] : قلت : كيف ذلك[٦] ، وأنتم تعلمون أنه رسول اللّٰه ، و[٧] لا تتبعونه ، ولا تصدقونه ؟ قالوا : إن لنا عدوًّا من الملائكة وَسِلْمًا من الملائكة ، وإنه قرن بنبوّته عدوّنا من الملائكة .

قال : قلت : ومن عدوّكم ؟ ومن سلمكم ؟ قالوا : عدوّنا جبريل ، وسلمنا ميكائيل . [قال : قلت : وفيم عاديتم جبريل ، وفيم سالمتم ميكائيل ؟][٨] قالوا : إن جبريل ملك الفظاظة والغلظة ، والإعسار ، والتشديد ، والعذاب ، ونحو هذا ، وإن ميكائيل ملك الرحمة ، والرأفة ، والتخفيف ، ونحو هذا .

قال : قلت : وما منزلتهما من ربهما عز وجل ؟ قالوا : أحدهما عن يمينه ، والآخر عن يساره . قال : قلت : فواللّٰهِ[٩] الذي لا إله إلا هو ، إنهما والذي بينهما لعدوّ لمن عاداهما ، وسلم لمن سالمهما ، و[١٠] ما ينبغي لجبريل أن يسالم عدوّ ميكائيل ، وما ينبغي لميكائيل أن يسالم عدوّ جبريل ، قال : ثم قمت فاتبعت النبي صلى اللّٰه عليه وسلم فلحقته ، وهو خارج من خَوْخة[١١] [- باب صغير كالنافذة الكبيرة ، وتكون بين بيتين ينصب عليها باب -][١٢] لبني فلان ، فقال : يا ابن الخطاب ، ألا أقرئك آيات نزلن قبل ، فقرأ عليَّ : ﴿ **من كان عدوًّا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن اللّٰه** ﴾ حتى قرأ هذه[١٣] الآيات ، قال : قلت : بأبي وأمي أنت[١٤] يا رسول اللّٰه ؛ والذي بعثك بالحق لقد جئت وأنا [أريد أن][١٥] أخبرك ، فأسمع[١٦] اللطيف الخبير قد سبقني إليك بالخبر .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز ، خ : « فقالوا : أنت » .
[٣] - زيادة من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - زيادة من ز ، خ .
[٦] - في ز ، خ : « ذاك » .
[٧] - في ز ، خ : « ثم » .
[٨] - ما بين المعكوفتين زيادة من : خ .
[٩] - زيادة من : خ .
[١٠] - سقط من : ز ، خ .
[١١] - كذا في ز ، خ ، وعند ابن جرير : مخرفة ، وهو الصواب ، والمخرفة : البستان ، أو سكة بين صفين من النخل .
[١٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[١٣] - زيادة من : ز ، خ .
[١٤] - سقط من : ز ، خ .
[١٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[١٦] - في ز : وأسمع .

وقال ابن أبي حاتم (٥٦٠) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة ، عن مجالد ، أنبأنا[١] عامر قال : انطلق عمر بن الخطاب إلى اليهود فقال : أنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى ، هل تجدون محمدًا في كتبكم ؟ قالوا : نعم . قال : فما يمنعكم أن تتبعوه ؟ قالوا : إن الله لم يبعث رسولاً إلا جعل له من الملائكة كفلاً ، وإن جبريل كفل محمدًا ، وهو الذي يأتيه ، وهو عدوّنا من الملائكة ، وميكائيل سلمنا ، لو كان ميكائيل هو الذي يأتيه أسلمنا ، قال : فإني أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى ، ما منزلتهما من رب العالمين ؟ قالوا : جبريل عن يمينه ، وميكائيل عن شماله .

قال عمر : وإني أشهد ما ينزلان إلا بإذن الله ، وما كان ميكائيل ليسالم عدوّ جبريل ، وما كان جبرائيل ليسالم عدوّ ميكائيل ، فبينما[٢] هو عندهم إذ مرّ النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالوا : هذا صاحبك يا بن الخطاب ؛ فقام إليه عمر ، فأتاه ، وقد أنزل الله - عز وجل - عليه : ﴿ **من كان عدوًا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدوّ للكافرين** ﴾ .

وهذان الإسنادان يدلان على أن الشعبي حدّث به عن عمر ، ولكن فيه انقطاع بينه وبين عمر ؛ فإنه لم يدرك وفاته ، والله أعلم .

وقال ابن جرير (٥٦١) : حدثنا بشر ، حدثنا يزيد بن زُرَيع ، عن سعيد ، عن[٣] قتادة قال : ذُكر لنا أن عمر بن الخطاب انطلق ذات يوم إلى اليهود ، فلما أبصروه[٤] رحبوا به ؛ فقال لهم عمر : أما والله ما جئتكم لحبكم ، ولا لرغبة[٥] فيكم ، ولكن جئت لأسمع منكم ، فسألهم وسألوه ، فقالوا ، مَنْ صاحبُ صاحبِك ؟ فقال لهم : جبريل ، فقالوا : ذاك عدوّنا من أهل السماء ، يُطلِعُ محمدًا على سرنا ، وإذا جاء جاء بالحرب[٦] والسَّنَة[٧] ، ولكن صاحب صاحبنا ميكائيل ، وكان إذا جاء جاء الخصب والسلم ، فقال لهم عمر : هل[٨] تعرفون جبريل ، وتنكرون محمدًا صلى الله عليه وسلم ؟ ففارقهم عمر عند ذلك ، وتوجه نحو النبي صلى الله عليه وسلم ليحدّثه حديثهم فوجده قد أنزلت عليه هذه الآية : ﴿ **قل من كان عدوًا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله** ﴾ الآيات .

---

(٥٦٠) - الحديث في تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٩٠) . وفي إسناده ضعف ، وانقطاع .

---

[١] - في ز ، خ : « أبا » .
[٢] - في ز ، خ : « فبينا » .
[٣] - في خ : « بن » .
[٤] - في خ : « انصرفوا » ، وفي ز : انصرف .
[٥] - في ز ، خ : « للرغبة » .
[٦] - في ز ، خ : الحرب ، والمثبت من ابن جرير .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - سقط من : ز ، خ .

ثم قال : حدثني المثنى(٥٦٢) ، حدثنا آدم ، حدثنا أبو جعفر ، عن قتادة قال : بلغنا أن عمر أقبل إلى[١] اليهود يومًا ، فذكر نحوه ، وهذا [ ][٢] أيضا منقطع ، وكذلك رواه أسباط ، عن السدّي ، عن عمر مثل هذا أو نحوه ، وهو منقطع أيضًا .

وقال ابن أبي حاتم (٥٦٣) : حدثنا محمد بن عمار ، حدثنا عبد الرحمن [يعني الدَّشْتَكي][٣] ، حدثنا[٤] أبو جعفر ، عن حصين بن عبد الرحمن ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى : أن يهوديًا لقي[٥] عمر بن الخطاب فقال : إن جبريل الذي يذكر صاحبكم عدوّ لنا . فقال عمر : ﴿ **من كان عدوًّا للّه وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن اللّه عدوّ للكافرين** ﴾ قال : فنزلت على لسان عمر ، رضي اللّه عنه .

[ورواه عبد بن حميد ، عن أبي النضر هاشم بن القاسم ، عن أبي جعفر هو الرازي][٦]

وقال ابن جرير(٥٦٤) : حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا هشيم ، أخبرنا حصين بن[٧] عبد الرحمن ، عن ابن أبي ليلى في قوله تعالى : ﴿ **من كان عدوًّا لجبريل** ﴾ قال : قالت اليهود للمسلمين : لو أن ميكائيل كان هو[٨] الذي ينزل عليكم لتبعناكم ؛ فإنه ينزل بالرحمة والغيث ، وإن جبريل ينزل بالعذاب والنقمة ، فإنه [عدوّ لنا][٩] ، قال : فنزلت هذه الآية .

[حدثني(٥٦٥) يعقوب ، قال][١٠] : حدثنا هشيم ، أخبرنا عبد الملك ، عن عطاء بنحوه .

وقال عبد الرزاق(٥٦٦) : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ **قل من كان عدوًّا لجبريل** ﴾ قال : قالت اليهود : إن جبريل [عدوّ لنا][١١] ؛ لأنه ينزل بالشدة والسَّنَة ، وإن ميكائيل ينزل

---

(٥٦١) - رواه ابن جرير ١٦١٠ - (٣٨٣/٢) ، وإسناده منقطع بين قتادة ، وعمر .

(٥٦٢) - تفسير ابن جرير ١٦١١- (٣٨٣/٢) ، وإسناده منقطع بين قتادة ، وعمر .

(٥٦٣) - تفسير ابن أبي حاتم ٩٦٧ - (٢٩١/١) ، وهذا منقطع ، ابن أبي ليلى لم يدرك عمر .

(٥٦٤) - تفسير ابن جرير برقم ١٦١٥ - (٣٨٦/٣) .

(٥٦٥) - تفسير ابن جرير برقم ١٦١٦ - (٣٨٦/٣) .

(٥٦٦) - تفسير عبد الرزاق (٥٣/١) .

---

[١] - في خ : « على » .

[٢] - في ت : [في تفسير آدم وهو]

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٤] - في ز ، خ : « أخبرنا » .

[٥] - في ز : أتى .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٧] - في خ : « عن » .

[٨] - سقط من : ز ، خ .

[٩] - ما بين المعكوفتين في خ : « لنا عدو » .

[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[١١] - في خ : « عدونا » .

بالرخاء والعافية والخصب ، فجبريل عدونا ، فقال اللَّه تعالى : [﴿ **من كان عدوًّا لجبريل** ﴾ . الآية .

وأما تفسير الآية فقوله تعالى][١] : ﴿ **قل من كان عدوًّا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن اللَّه** ﴾ أي : من عادى جبريل ؛ فليعلم أنه الروح الأمين الذي نزل بالذكر الحكيم ، على قلبك من اللَّه بإذنه له في ذلك ، فهو رسول من رسل اللَّه مَلَكي ، ومن عادى رسولاً ، فقد عادى جميع الرسل ، [كما أنّ من آمن برسول ، فإنه يلزمه الإيمان بجميع الرسل][٢] ، وكما أنّ من كفر برسول فإنه يلزمه الكفر بجميع الرسل ، كما قال تعالى : ﴿ **إنّ الذين يكفرون باللَّه ورسله ويريدون أن يفرّقوا بين اللَّه ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقًّا وأعتدنا للكافرين عذابًا مهينًا** ﴾ . الآيتين . فحكم عليهم بالكفر المحقق إذ آمنوا ببعض الرسل ، وكفروا ببعضهم ، وكذلك من عادى جبريل فإنه عدوّ للَّه ؛ لأن جبريل لا ينزل بالأمر من تلقاء نفسه ، وإنما ينزل بأمر ربه ، كما قال : ﴿ **وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيًّا** ﴾ الآية . وقال تعالى : ﴿ **وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين** ﴾ .

وقد روى البخاري في صحيحه (٥٦٧) ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **من عادى لي وليًّا فقد بارزني بالحرب** » ؛ ولهذا غضب اللَّه لجبريل على من عاداه ، فقال تعالى : ﴿ **من كان عدوًّا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن اللَّه مصدّقًا لما بين يديه** ﴾ أي : من الكتب المتقدّمة ﴿ **وهدى وبشرى للمؤمنين** ﴾ أي : هدى لقلوبهم ، وبشرى لهم بالجنة ، وليس ذلك إلا للمؤمنين ، كما قال تعالى : ﴿ **قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد** ﴾ . الآية . وقال تعالى : ﴿ **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارًا** ﴾ . الآية .

ثم قال تعالى : ﴿ **من كان عدوًّا للَّه وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن اللَّه عدو للكافرين** ﴾ . يقول تعالى : من عاداني وملائكتي ورسلي - ورسله تشمل[٣] رسله من الملائكة والبشر كما قال تعالى : ﴿[ ][٤] **اللَّه يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس** ﴾ .

﴿ **وجبريل وميكال**[٥] ﴾ ، وهذا من باب عطف الخاص على العام ، فإنهما دخلا في الملائكة ،ثم عموم الرسل ، ثم خُصِّصَا[٦] بالذكر ؛ لأن السياق في الانتصار لجبريل ، وهو السفير

(٥٦٧) - صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب : التواضع برقم (٦٥٠٢) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « يشمل » .
[٤] - في خ : إن .
[٥] - في خ : « ميكائيل » .
[٦] - في خ : « خصصنا » .

بين اللَّه وأنبيائه ، وقرن معه[١] ميكائيل في اللفظ ؛ لأن اليهود زعموا أن جبريل عدوّهم وميكائيل وليهم[٢] ، فأعلمهم [اللَّه تعالى][٣] أن[٤] من عادى واحدًا منهما ؛ فقد عادى الآخر ، وعادى اللَّه أيضًا ؛ لأنه أيضًا ينزل على [أنبياء اللَّه][٥] بعض الأحيان ، كما قرن برسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم في ابتداء الأمر ، ولكن جبريل أكثر ، وهي وظيفته ، وميكائيل موكل بالنبات والقطر ، هذاك بالهدى ، وهذا بالرزق ، كما أن إسرافيل موكل [بالنفخ في الصور للبعث][٦] يوم[٧] القيامة ؛ ولهذا جاء في الصحيح(٥٦٨) : أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم كان إذا قام من الليل يقول : « **اللَّهم رب جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك ، فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختُلِفَ فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم** » ، وقد تقدّم ما حكاه البخاري ، ورواه ابن جرير ، عن عكرمة ، وغيره[٨] أنه قال : جبر[٩] وميك وإسراف : عبيد[١٠] ، وإيل : اللَّه .

وقال ابن أبي حاتم(٥٦٩) : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن إسماعيل بن رجاء ، عن عمير مولى ابن عباس ، [عن ابن عباس][١١] قال : إنما كان قوله جبريل كقوله : عبد اللَّه ، وعبد الرحمن ، وقيل[١٢] جبر : عبد ، وإيل : اللَّه .

وقال محمد بن إسحاق(٥٧٠) : عن الزهري ، عن علي بن الحسين قال : أتدرون[١٣] ما اسم جبريل من أسمائكم ؟ قلنا : لا . قال : اسمه عبد[١٤] اللَّه ، قال : فتدرون ما اسم ميكائيل من أسمائكم ؟ قلنا لا . قال اسمه عبيد[١٥] اللَّه ، وكل اسم مرجعه إلى إيل فهو إلى اللَّه [- عز وجل -] .

قال ابن أبي حاتم(٥٧١) : وروي عن [عكرمة ، ومجاهد] والضحاك ، ويحيى بن يعمر نحو

(٥٦٨) - رواه ابن أبي حاتم برقم ٩٧١ - (١/٢٩٢) .
(٥٧١) - ابن أبي حاتم (١/٢٩٣) .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : « عدوهم » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - في خ : « أنه » .
[٥] - في ز ، خ : « الأنبياء » .
[٦] - في ز ، خ : بالصور للنفخ للبعث .
[٧] - في ز : ليوم .
[٨] - سقط من : خ .
[٩] - في ز ، خ : « جر » .
[١٠] - في ز ، خ : « عبد » .
[١١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[١٢] - في ز ، خ : « وقال » .
[١٣] - في ز ، خ : « تدرون » .
[١٤] - في خ : « عبيد » .
[١٥] - في خ : « عبد » .

ذلك ، ثم [ ][١] قال حدثني[٢] أبي ، حدثنا أحمد بن أبي الحَوَاري ، حدثني عبد العزيز بن عمير قال : اسم جبريل في الملائكة خادم اللَّه ، قال : فحدَّثتُ به أبا سليمان الداراني فانتفض ، وقال : لَهَذا الحديثُ أحبُّ إليَّ من كلِ شيءٍ في دفتر كان بين يديه .

وفي جبريل وميكائيل لغات وقراءات ، تذكر في كتب اللغة والقراءات ، [ولم نطول][٣] كتابنا هذا بسرد ذلك ، إلا أن يدور فهم المعنى عليه ، أو يرجع الحكم في ذلك إليه ، وباللَّه الثقة ، وهو المستعان .

وقوله تعالى : ﴿ **فإن اللَّه**[٤] **عدوّ للكافرين** ﴾ فيه إيقاع المُظْهَر مكان المضمر حيث لم يقل : فإنه عدوّ للكافرين ؛ بل قال : ﴿ **فإن اللَّه عدوّ للكافرين** ﴾ كما قال الشاعر :

لا أرى الموتَ يسبِقُ الموتَ شيء[٥] نغص[٦] الموتُ ذا[٧] الغنى والفقيرا

وقال الآخر[٨] :

ليتَ الغرابَ غداةَ ينعَبُ دائبًا كان الغرابُ مُقطَّعَ الأوداجِ

وإنما أظهر [اللَّه هذا][٩] الاسم هاهنا ؛ لتقرير[١٠] هذا المعنى وإظهاره ، وإعلامهم أن من عادى وليًّا[١١] للَّه فقد عادى اللَّه ، ومن عادى اللَّه فإن اللَّه عدوّ له ، ومن كان اللَّه عدوّه ، فقد خسر الدنيا والآخرة ، كما تقدّم الحديث : « **من عادى لي وليًّا فقد بارزني بالحرب** » (٥٧٢) ، وفي الحديث الآخر : « **إني لأثأر لأوليائي كما يثأر الليث الحَرِبُ** » . وفي الحديث[١٢] الصحيح : « **وَمَنْ كنتُ خَصْمَهُ خَصَمْتُه** » .

﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ

(٥٧٢) - رواه البخاري (٦٥٠٢) في تاب الرقاق ، باب : التواضع .

[١] - في خ : " و " .
[٢] - في خ : « حدثنا » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - زيادة من : خ .
[٥] - في ز ، خ : « شيئًا » .
[٦] - في ز ، خ : « سبق » .
[٧] - في ز ، خ : « و » .
[٨] - في ز : للآخر .
[٩] - سقط من : ز ، خ .
[١٠] - في ز : لتقدير .
[١١] - في ز ،خ : « أولياء » .
[١٢] - سقط من : ز ، خ .

أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾
وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ
الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ
هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ
فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ
مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا
لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ
لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ
خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾

قال الإمام أبو جعفر بن جرير(٥٧٣) في قوله تعالى : ﴿ **ولقد أنزلنا إليك آيات بينات** ﴾ . الآية[١] . أي : أنزلنا إليك يا محمد ؛ علامات واضحات دالات[٢] على نبوّتك ، وتلك الآيات هي ما حواه[٣] كتاب الله من خفايا علوم اليهود ، ومكنونات سرائر أخبارهم ، وأخبار أوائلهم من بني إسرائيل ، والنبأ عما تضمنته كتبهم التي لم يكن يعلمها إلا أحبارُهم وعلماؤهم ، وما حرّفه أوائلهم وأواخرهم ، وبدّلوه من أحكامهم ، التي كانت في التوراة .

فأطلع الله في كتابه الذي أنزله على نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - فكان في ذلك من أمره الآيات البينات لمن أنصف نفسه ، ولم يدعه[٤] إلى هلاكها الحسد والبغي ؛ إذ كان في فطرة كل ذي فطرة صحيحة تصديق من أتي بمثل ما جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم - من الآيات البينات التي وَصَفَ من غير تَعَلّم تعلّمه من بشر[٥] ، ولا أخذ شيئًا منه عن آدمي .

كما قال الضحاك : عن ابن عباس (٥٧٤) : ﴿ **ولقد أنزلنا إليك آيات بينات** ﴾ يقول : فأنت

(٥٧٣) - ابن جرير (٣٩٧/٢) .
(٥٧٤) - رواه ابن جرير برقم ١٦٣٠ - (٣٩٧/٢) .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في ز ، خ : « دلالات » .
[٣] - في ز ، خ : « حكاه » .
[٤] - في ز : يدعها .
[٥] - في خ : « بشرى » .

تتلوه عليهم وتخبرهم به غدوة وعشية ، وبين ذلك ، وأنت عندهم أمّي لا[١] تقرأ كتابًا ، وأنت تخبرهم بما في أيديهم على وجهه ، يقول اللَّه تعالى [لهم في ذلك][٢] عبرة وبيان ، وعليهم حجة لو كانوا يعلمون .

وقال محمد بن إسحاق (٥٧٥) : حدّثني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة - أو سعيد بن جبير - عن ابن عباس ؛ قال : قال ابن صوريا الفطيُوني[٣] لرسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - : يا محمد ؛ ما جئتنا بشيء نعرفه ، وما أنزل اللَّه عليك من آية بينة فنتبعك . فأنزل اللَّه في ذلك من قوله : ﴿ **ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر**[٤] **بها إلا الفاسقون** ﴾ .

وقال مالك بن الصيف[٥] (٥٧٦) - حين بُعث رسولُ اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - وذكّرهم ما أخذ عليهم من الميثاق ، وما عهد إليهم في محمد - صلى اللَّه عليه وسلم - : واللَّه ما عَهِد إلينا في محمد [صلى اللَّه عليه وسلم] ولا أخذ علينا ميثاقًا ؛ فأنزل اللَّه تعالى : ﴿ **أَوَ كلما عاهدوا عهدًا نبذه فريق منهم** ﴾ .

وقال الحسن البصري : في قوله : ﴿ **بل أكثرهم لا يؤمنون** ﴾ . قال : نعم ليس في الأرض عهد يعاهدون عليه إلا نقضوه ونبذوه ، يعاهدون اليوم وينقضون غدًا .

وقال السدي : لا يؤمنون بما جاء به محمد صلى اللَّه عليه وسلم . وقال قتادة : نبذه فريق منهم ، أي نقضه فريق منهم .

وقال ابن جرير(٥٧٧) : أصل النبذ الطرح والإلقاء ، ومنه سُمي اللقيط منبوذًا ، ومنه سُمي النبيذ وهو التمر والزبيب إذا طرحا في الماء . قال أبو الأسود الدؤلي :

نظرتَ إلى عنوانه فنبذْتَه كنبذك نعلًا أخْلَقَتْ من نعالكا

قلت : فالقوم ذمهم اللَّه بنبذهم العهود التي تقدم اللَّه إليهم في التمسك بها والقيام بحقها ؛ ولهذا أعقبهم ذلك التكذيب بالرسول المبعوث إليهم ، وإلى الناس كافة ، الذي في كتبهم نعتُه ، وصفتُه وأخباره ، وقد أُمروا فيها باتباعه ، ومؤازرته ، ومناصرته ، كما قال تعالى : ﴿ **الذين يتبعون**

(٥٧٥) - رواه ابن جرير برقم ١٦٣٧ ، ١٦٣٨ - (٣٩٨/٢) ، والسيرة (١٩٦/٢) .
(٥٧٦) - رواه ابن جرير برقم ١٦٣٩ - (٤٠٠/٢) ، والسيرة لابن هشام (١٩٦/٢) .
(٥٧٧) - تفسير ابن جرير (٤٠١/٢) .

[١] - في خ : لم .
[٢] - في ز ، خ : « في ذلك لهم » .
[٣] - في ز ، خ : « النطيوني » .
[٤] - في ز ، خ : « يجحد » .
[٥] - في ز ، خ : « الضيف » .

الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل ﴾ الآية . وقال هاهنا **﴿ ولما جاءهم رسول من عند اللّه مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب اللّه وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ﴾** . الآية . أي : طرح[١] طائفة منهم كتاب اللّه الذي بأيديهم مما فيه البشارة بمحمد صلى اللّه عليه وسلم وراء ظهورهم ، أي : تركوها كأنهم لا يعلمون ما فيها ، وأقبلوا على تعلم السحر واتباعه ، ولهذا أرادوا كيدًا برسول[٢] اللّه صلى اللّه عليه وسلم وسحروه في مُشْط ومُشَاقة وجُفّ طلعة ذَكَر تحت راعوثة[٣](٥٧٨) ببئر[٤] ذي أروان ،وكان الذي تولى ذلك منهم رجل يقال له : لبيد بن الأعصم – لعنه اللّه وقبحه[٥] فأطلع[٦] اللّه على ذلك رسوله ، صلى اللّه عليه وسلم ، وشفاه منه وأنقذه ، كما ثبت ذلك مبسوطًا في الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين – رضي اللّه عنها – كما سيأتي بيانه .

و[٧] قال السدي : **﴿ ولما جاءهم رسول من عند اللّه مصدق لما معهم ﴾** قال : لما جاءهم محمد صلى اللّه عليه وسلم عارضوه بالتوراة فخاصموه بها ، فاتفقت التوراة والقرآن ، فنبذوا التوراة وأخذوا بكتاب آصف ، وسحر هاروت وماروت ، فلم يوافق القرآن فذلك قوله : **﴿ كأنهم لا يعلمون ﴾** .

وقال قتادة في قوله : **﴿ كأنهم لا يعلمون ﴾** قال : إن القوم كانوا يعلمون ولكنهم نبذوا علمهم ، وكتموه ، وجحدوا به .

وقال العوفي في تفسيره : عن ابن عباس في قوله تعالى : **﴿ واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ﴾** الآية . وكان حين ذهب ملك سليمان ارتد فئام[٨] (٥٧٩) من الجن والإنس واتبعوا الشهوات ، فلما أرجع[٩] اللّه إلى سليمان مُلْكَه ، وقام الناس على الدين كما كان ، أو أن سليمان ظهر على كتبهم فدفنها تحت كرسيه ، وتوفي سليمان عليه السلام حِدْثَان ذلك ، فظهر الإنس والجن على الكتب بعد وفاة سليمان وقالوا : هذا كتاب من اللّه نزل على سليمان وأخفاه عنا[١٠] فأخذوا به فجعلوه دينًا ؛ فأنزل اللّه تعالى **﴿ ولما جاءهم رسول من عند اللّه مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب اللّه وراء ظهورهم كأنهم**

(٥٧٨) – الراعوثة : حجر في أعلى البئر ، يقف عليه المستقي .
(٥٧٩) – الفئام : الجماعة من الناس .

[١] – في خ : «أطرح» .
[٢] – في ز : لرسول .
[٣] – في ز : راعونة .
[٤] – في ز : بئر .
[٥] – سقط من: ز ، خ .
[٦] – في خ : «فأطلعه» .
[٧] – زيادة من: خ .
[٨] – في خ : «قيام» .
[٩] – في ز ، خ : «رجع» .
[١٠] – في ز ، خ : «منا» .

لا يعلمون ﴾. الآية . واتبعوا الشهوات التي كانت [تتلو الشياطين][١] ، وهي المعازف، واللعب ، وكل شيء يصد عن ذكر الله .

وقال ابن أبي حاتم(٥٨٠) : حدّثنا أبو سعيد الأشج ، حدّثنا أبو أسامة ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان[٢] آصف كاتب سليمان ، وكان يَعْلَمُ الاسم الأعظم ، وكان يكتب كل شيء بأمر سليمان ، ويدفنه تحت كرسيه ، فلما مات سليمان أخرجته[٣] الشياطين ، فكتبوا بين كل سطرين سحرًا وكفرًا ، وقالوا : هذا الذي كان سليمان يعمل بها .

قال[٤] : فأكفره[٥] جُهَّالُ الناس وَسَبُّوه ، ووقف [علماء الناس][٦] ، فلم يزل [جهال الناس] [٧] يسبونه حتى أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم : **﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ﴾** .

وقال ابن جرير(٥٨١) : حدّثني أبو السائب سلم[٨] بن جنادة السُّوائي ، حدّثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان سليمان - عليه السلام - إذا أراد أن يدخل الخلاء ، أو يأتي شيئًا من نسائه أعطى الجرادة - وهي امرأته[٩] - خاتمه ، فلما أراد الله أن يبتلي سليمان - عليه السلام - بالذي ابتلاه به ، أعطى الجرادة ذات يوم خاتَمه ، فجاء الشيطان في صورة سليمان فقال لها : هاتي خاتمي ، فأخذه فلبسه ، فلما لبسه دانت له الشياطين ، والجن ، والإنس .

قال : فجاءها سليمان ، فقال لها : هاتي خاتمي . فقالت : كذبت ، لست سليمان ، قال : فعرف سليمان أنه بلاء ابْتُلي به . قال : فانطلقت الشياطين فكتبت في تلك الأيام كتبًا فيها سحر وكفر ، ثم دفنوها تحت كرسي سليمان ، ثم أخرجوها وقرءوها[١٠] على الناس ، وقالوا : إنما كان سليمان يغلب الناس بهذه الكتب ، قال فبرئَ الناس من سليمان ، وأكفروه حتى بعث الله محمدًا صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه : **﴿ وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ﴾** .

---

(٥٨٠) - تفسير ابن أبي حاتم برقم ٩٨٨ - (٢٩٧/١) .
(٥٨١) - تفسير ابن جرير برقم ١٦٦٠ - (٤١٤/٢)

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز ، خ : « قال » .
[٣] - في ز ، خ : « أخرجه » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في ز ، خ : « فألفوه » .
[٦] - في ز : علماؤهم .
[٧] - في ز : جهالهم .
[٨] - في ز : مسلم .
[٩] - في ز : امرأة .
[١٠] - في ز ، خ : « فقرءوها » .

ثم قال ابن جرير (٥٨٢) : حدّثنا ابن حميد ، حدّثنا جرير عن حصين بن عبد الرحمن ، عن عمران - وهو ابن الحارث - قال : بينما[١] نحن عند ابن عباس - رضي اللّه عنهما - إذ جاء رجل فقال له : من أين جئت ؟ قال : من العراق . قال : من أيّه ؟قال : من الكوفة قال : فما الخبر؟ قال : تركتهم يتحدثون أن عليًا خارج إليهم ، ففزع ثم قال : ما تقول لا أبالك ؟ لو شعرنا ما نكحنا نساءه ولا قسمنا ميراثه ، أما إني سأحدثكم عن ذلك ، إنه كانت الشياطين يسترقون السمع من السماء ، فيجيء أحدهم بكلمة حق قد سمعها ، فإذا جُرِّب منه وصُدق كذب معها سبعين كذبة . قال : فَتَشْرَبُها قلوب الناس ، قال : فأطلع اللّه عليها سليمان - عليه السلام - فدفنها تحت كرسيه ، فلما توفي سليمان - عليه السلام - قام شيطانُ الطريق فقال : أفلا أدلكم على كنزه[٢] المُمَنَّع الذي لا كنز له مثله؟ تحت الكرسي . فأخرجوه ، فقالوا : هذا سحره[٣] فتناسخها الأمم - حتى بقاياها ما يتحدث به أهل العراق - فأنزل اللّه عز وجل : ﴿ **واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا** ﴾ . الآية .

وروى الحاكم في مستدركه ، عن أبي زكريا العَنْبري ، عن محمد بن عبد السلام ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن جرير ، به(٥٨٣) .

وقال السدي في قوله تعالى : ﴿ **واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان** ﴾ أي : على عهد سليمان ، قال : كانت الشياطين تصعد إلى السماء ، فتقعد منها مقاعد للسمع ، فيستمعون من كلام الملائكة ما[٤] يكون في الأرض من موت ، أو غيب ، أو أمر ، فيأتون الكهنة ، فيخبرونهم ، فتُحَدِّثُ الكهنةُ الناسَ ، فيجدونه كما قالوا ، فلما[٥] أمنتهم الكهنة كذبوا لهم ؛ وأدخلوا فيه غيره ، فزادوا مع كل كلمة سبعين كلمة ، فاكتتب الناسُ ذلك الحديث في الكتب ، وفشا ذلك[٦] في بني إسرائيل أن الجن تعلم الغيب ، فبعث سليمانُ في الناس فجمع تلك الكتب فجعلها في صندوق ، ثم دفنها تحت كرسيه ، ولم يكن أحد من الشياطين يستطيع أن يدنو من الكرسي إلا احترق . وقال : لا أسمع أحدًا يذكر أن الشياطين يعلمون الغيب إلا ضربتُ عنقه .

فلما مات سليمان ، عليه السلام ، وذهبت العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمان ، وخلف من بعد ذلك خَلْف - تمثل الشيطان[٧] في صورة إنسان ، ثم أتى نفرًا من بني اسرائيل ، فقال لهم :

---

(٥٨٢) - تفسير ابن جرير برقم ١٦٦٢ - (٢/٤١٥) .

(٥٨٣) - المستدرك (٢/٢٦٥) .

---

[١] - في ز ، خ : « بينا » .

[٢] - في خ : « كنز » .

[٣] - في ز ، خ : « سحر » .

[٤] - في ز : مما .

[٥] - في ز : حتى إذا .

[٦] - سقط من ز .

[٧] - في ز : شيطان .

هل أدلكم على كنز لا تأكلونه أبدًا ؟ قالوا : نعم . قال : فاحفروا تحت الكرسي ، وذهب[١] معهم ، وأراهم[٢] المكان وقام ناحية ، فقالوا له[٣] فادنُ . فقال[٤] : لا ، ولكنني[٥] هاهنا في أيديكم ، فإن لم تجدوه فاقتلوني ، فحفروا فوجدوا تلك الكتب ؛ فلما أخرجوها قال الشيطان : إن سليمان إنما كان يضبط الإنس ، والشياطين ، والطير بهذا السحر . ثم طار وذهب .

وفشا في الناس أن سليمان إنما[٦] كان ساحرًا ، واتخذت بنو إسرائيل تلك الكتب ، فلما جاء محمد صلى اللّه عليه وسلم خاصموه بها ، فذلك حين يقول اللّه تعالى : ﴿ **وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا** ﴾ .

وقال الربيع بن أنس : إن اليهود سألوا محمدًا صلى اللّه عليه وسلم زمانًا عن أمور من التوراة ، لا يسألونه عن شيء من ذلك إلا أنزل اللّه سبحانه وتعالى عليه[٧] ما سألوه[٨] عنه ، فيخصمهم ، فلما رأوا ذلك قالوا : هذا أعلم بما أنزل اللّه إلينا منا .

وإنهم سألوه عن السحر ، وخاصموه به ، فأنزل اللّه عز وجل : ﴿ **واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر** ﴾ . وإن الشياطين عمدوا إلى كتابٍ فكتبوا فيه السحر ، والكهانة ، وما شاء اللّه من ذلك ، فدفنوه تحت كرسي[٩] مجلس سليمان ، وكان سليمان[١٠] - عليه السلام - لا يعلم الغيب .

فلما فارق سليمان الدنيا استخرجوا ذلك السحر ، وخدعوا الناس ، وقالوا : هذا علم كان سليمان يكتمه ويحسده[١١] الناس عليه ، فأخبرهم النبي - صلى اللّه عليه وسلم - بهذا الحديث فرجعوا من عنده ، وقد حزنوا[١٢] [وقد][١٣] أدحض اللّه حجتهم .

وقال مجاهد في قوله تعالى : ﴿ **واتبعو ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان** ﴾ قال : كانت الشياطين تستمع[١٤] الوحي ، فما سمعوا من كلمة زادوا فيها مائتين مثلها . فأرسل سليمان ، عليه السلام ، إلى ما كتبوا من ذلك ، فلما توفي سليمان وجدته[١٥] الشياطين وعلمته[١٦] الناس ، وهو

---

[١] - مكرر في : خ .
[٢] - في ز ، خ : « فأراهم » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في خ : « قال » .
[٥] - في ز : ولكني .
[٦] - زيادة من : خ .
[٧] - زيادة من : ز ، خ .
[٨] - في ز ، خ : « سألوا » .
[٩] - سقط من : ز ، خ .
[١٠] - زيادة من : ز ، خ .
[١١] - في ز ، خ . « يحسد » .
[١٢] - في ز ، خ : « خزيوا » .
[١٣] - في خ : « قد » ،. وفي : ز [و]
[١٤] - في ز ، خ : « تسمع » .
[١٥] - في ز ، خ : « وحدثته » .
[١٦] - في ز ، خ : « فعلمته » .

السحر .

وقال سعيد بن جبير : كان سليمان - عليه السلام - يتتبع[١] ما في أيدي الشياطين من السحر فيأخذه منهم ، فيدفنه تحت كرسيه في بيت خزانته ، فلم تقدر[٢] الشياطين أن يصلوا إليه ، فدبت إلى الإنس فقالوا لهم : أتدرون ما[٣] العلم الذي كان سليمان يسخر به الشياطين والرياح وغير ذلك ؟ قالوا : نعم . قالوا : فإنه في بيت خزانته وتحت كرسيه ، فاستثار به الإنسُ ، واستخرجوه ، [وعملوا به][٤] ، فقال أهل الحجا[٥] : كان سليمان يعمل بهذا ، وهذا سحر . فأنزل اللّٰه تعالى على لسان[٦] نبيه محمد صلى اللّٰه عليه وسلم براءة سليمان - عليه السلام - فقال تعالى : ﴿ **واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا** ﴾ .

وقال محمد بن إسحاق بن يسار : عمدت الشياطين حين عرفت موت سليمان بن داود - عليه السلام - فكتبوا أصناف السحر : « من كان يحب أن يبلغ كذا وكذا فليفعل[٧] كذا وكذا » ، حتى إذا صنفوا أصناف السحر جعلوه في كتاب ، ثم ختموه[٨] بخاتم على نقش خاتم سليمان ، وكتبوا في[٩] عنوانه : هذا ما كتب آصف بن برخيا الصديق للملك سليمان بن داود [عليهما السلام] من ذخائر كنوز العلم .

ثم دفنوه تحت كرسيه ، واستخرجته بعد ذلك بقايا بني إسرائيل حتى أحدثوا ما أحدثوا ، فلما عثروا عليه قالوا : واللّٰه ما كان ملك[١٠] سليمان [بن داود][١١] إلا بهذا ؛ فأفشوا السحر في الناس ، فتعلموه[١٢] وعلموه[١٣] ، [فليس هو][١٤] في أحد أكثر منه في اليهود لعنهم اللّٰه !

فلما ذكر رسول اللّٰه - صلى اللّٰه عليه وسلم - فيما نزل عليه من اللّٰه - سليمان بن داود وعدَّه فيمن عدّ[١٥] من المرسلين . قال من كان بالمدينة من اليهود[١٦] : ألا تعجبون من محمد ، يزعم أن ابن داود كان نبيًا ، واللّٰه ما كان إلا ساحرًا . وأنزل اللّٰه في[١٧] ذلك من[١٨] قولهم : ﴿ **واتبعوا**

---

[١] - في ز ، خ : « يتبع » .
[٢] - في ز ، خ : « يقدر » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز : فعملوا بها .
[٥] - في خ : « الحجاز » .
[٦] - زيادة من : ز ، خ .
[٧] - في ز : فليقل .
[٨] - في خ : « ختمو » .
[٩] - سقط من : ز ، خ .
[١٠] - سقط من : ز ، خ .
[١١] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز ، خ .
[١٢] - في خ : « وتعلموه » .
[١٣] - في ز : وليس .
[١٤] - في ز : وعملوه .
[١٥] - في ز : عده .
[١٦] - في ز : يهود .
[١٧] - سقط من : ز ، خ .
[١٨] - في ز ، خ : « في » .

ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ﴾ . الآية .

وقال ابن جرير(٥٨٤) : حدّثنا القاسم ، حدّثنا حسين حدثنا[١] حجاج عن أبي بكر ، عن شَهْر ابن حَوْشب قال : لما سُلِبَ سليمان عليه السلام ملكه ، كانت الشياطين تكتب السحر في غيبة سليمان . فكتبت : « من أراد أن يأتي كذا وكذا فليستقبل الشمس ، وليقل كذا وكذا ؛ ومن أراد أن يفعل كذا وكذا ، فليستدبر الشمس ، وليقل كذا وكذا ؛ فكتبتْه وجعلتْ عنوانَه : هذا ما كتب آصف بن برخيا للملك سليمان بن داود - عليهما السلام - من ذخائر كنوز العلم » . ثم دفنته تحت كرسيه ، فلما مات سليمان - عليه السلام - قام إبليس لعنه اللَّه ! خطيبًا ، فقال[٢] : يا أيها الناس ؛ إن سليمان لم يكن نبيًّا ، إنما كان ساحرًا ، فالتمسوا سحره في متاعه ، وبيوته . ثم دلهم على المكان الذي دفن فيه . فقالوا : واللَّه لقد كان سليمان ساحرًا ، هذا سحره ، بهذا تَعَبَّدَنا ، وبهذا قهرنا .

فقال[٣] المؤمنون : بل كان نبيًّا مؤمنًا . فلما بعث اللَّه النبي محمدًا[٤] صلى اللَّه عليه وسلم [جعل يذكر الأنبياء][٥] حتى[٦] ذكر داود وسليمان فقالت اليهود : انظروا إلى محمد يخلط الحق بالباطل . يذكر سليمان مع الأنبياء . إنما كان ساحرًا يركب الريح ، فأنزل اللَّه تعالى : **﴿ واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان [وما كفر سليمان][٧] ﴾** . الآية .

وقال[٨] ابن جرير(٥٨٥) : حدّثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعاني ، قال : حدثنا المعتمر بن سليمان قال : سمعت عمران بن حُدَير[٩] ، عن أبي مِجْلزَ قال : أخذ سليمان - عليه السلام - من كل دابة عهدًا ، فإذا أصيب رجل فسأل بذلك العهد ، خلي عنه ، فزاد[١٠] الناس السجع والسحر ، وقالوا : هذا يعمل به سليمان [بن داود عليهما السلام] ؛ فقال اللَّه تعالى : **﴿ وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ﴾** .

وقال ابن أبي حاتم(٥٨٦) : حدّثنا [عصام بن رَوّاد][١١] ، حدّثنا آدم ، حدّثنا المسعودي ، عن

(٥٨٤) - رواه ابن جرير برقم ١٦٦٦ - (٢/٤١٦) .
(٥٨٥) - تفسير ابن جرير برقم ١٦٦١ - (٢/٤١٤) .
(٥٨٦) - رواه ابن أبي حاتم برقم ٩٨٩ - (١/٢٩٨) .

[١] - في ت : بن
[٢] - في ز ، خ : « قال » .
[٣] - في ز : وقال .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : . خ .
[٦] - في ز ، خ : « حين » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٨] - في خ : « حدثنا » .
[٩] - في ز ، خ : « جرير » .
[١٠] - في الطبري : فرأى . قال محققه رحمه اللَّه ، والصواب ما في الطبري .
[١١] - في خ : « عاصم بن داود » .

زياد مولى ابن مصعب عن الحسن ﴿ **واتبعوا ما تتلو الشياطين** ﴾ . قال : ثلث الشعر ، وثلث السحر ، وثلث الكهانة .

وقال(٥٨٧) : حدثنا الحسن بن أحمد ، حدّثنا إبراهيم بن عبد الله بن بشار الواسطي ، حدّثني شُرور[١] بن المغيرة ، عن عباد بن منصور ، عن الحسن ﴿ **واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان** ﴾ وتبعته[٢] اليهود على ملكه . وكان السحر قبل ذلك في الأرض لم يزل بها ، ولكنه إنما اتبع على ملك سليمان .

فهذه نبذة من أقوال أئمة السلف في هذا المقام ، ولا يخفى ملخص القصة والجمع بين أطرافها ، وأنه لا تعارض بين السياقات على اللبيب الفَهِم ، والله الهادي .

وقوله تعالى : ﴿ **واتبعو ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان** ﴾ أي : واتبعت اليهود الذين أوتوا الكتاب من[٣] بعد إعراضهم عن كتاب الله الذي بأيديهم ومخالفتهم لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ما تتلوه[٤] الشياطين ، أي : [ما ترويه وتخبر به][٥] وتحدثه الشياطين على ملك سليمان . وعدّاه ب « على » ؛ لأنه ضمن « تتلو » « تكذب » .

وقال ابن جرير : « على » هاهنا بمعنى « في » ، أي : تتلو في ملك سليمان . ونقله عن ابن جُرَيج ، وابن إسحاق (قلت) : والتضمين أحسن وأولى ، والله أعلم .

وقول الحسن البصري - رحمه الله - : « و[٦] قد كان السحر قبل زمان[٧] سليمان بن داود » صحيح لا شك فيه ؛ لأنّ السحرة كانوا في زمان موسى - عليه السلام - وسليمان بن داود بعده ، كما قال تعالى : ﴿ **ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله** ﴾ . الآية . ثم ذكر[٨] القصة بعدها ، وفيها : ﴿ **وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة** ﴾ . وقال قوم صالح - وهم قبل إبراهيم الخليل عليه السلام - لنبيهم صالح : ﴿ **إنما أنت من المسَحَّرِين** ﴾ [أي : المسحورين على المشهور][٩] .

و[١٠] قوله تعالى : ﴿ **وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى**

(٥٨٧) - رواه ابن أبي حاتم برقم ٩٩٢ - (٢٩٩/١) . وفيه عباد بن منصور ، وهو ضعيف .

[١] - في ز : مسرور .
[٢] - في ز : واتبعته .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ز ، خ : « تتلوا » .
[٥] - في ز ، خ : « ما ترونه وتخبرونه » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز : زمن .
[٨] - سقط من : ز ، خ .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[١٠] - زيادة من : ز ، خ .

يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه ﴾ . اختلف الناس في هذا المقام ؛ فذهب بعضهم إلى أنّ « ما » نافية ، أعني : التي في قوله : ﴿ **وما أنزل على الملكين** ﴾

[قال القرطبي : ما نافية ، ومعطوف في قوله : ﴿ **وما كفر سليمان** ﴾ ثم قال : ﴿ **ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين** ﴾ وذلك أن اليهود كانوا يزعمون أنه نزل به جبريل ، وميكائيل ؛ فأكذبهم اللّه ، وجعل قوله : ﴿ **هاروت وماروت** ﴾ بدلًا من الشياطين .

قال : وصح ذلك ؛ إما لأنّ الجمع يطلق على الاثنين ، كما في قوله تعالى : ﴿ **فإن كان له إخوة** ﴾ ، أو لكونهما لهما أتباع ، أو ذُكرا من بينهم لتمردهما . تقدير الكلام عنده : يعلمون الناس السحر ببابل وهاروت ، وماروت . ثم قال : وهذا أولى ما حملت عليه الآية ، وأصح ، ولا يلتفت إلى ما سواه][١] .

وروى ابن جرير بإسناده(٥٨٨) ، من طريق العوفي ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت** ﴾ الآية . يقول : لم ينزل اللّه السحر . وبإسناده عن الربيع بن أنس في قوله : ﴿ **وما أنزل على الملكين** ﴾ قال : ما أنزل اللّه عليهما السحر .

قال ابن جرير : فتأويل الآية على هذا ﴿ **واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان** ﴾ من السحر ، وما كفر سليمان ، ولا أنزل اللّه السحر على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر [وما أنزل على الملكين][٢] ببابل هاروت ، وماروت .

فيكون قوله :﴿ **ببابل هاروت وماروت** ﴾ من المؤخر الذي معناه المقدَّم . قال : فإن قال لنا قائل : كيف[٣] وجه تقديم ذلك ؟ قيل : وجه تقديمه أن يقال : ﴿ **واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان** ﴾ [من السحر][٤] ، وما كفر سليمان ، وما أنزل اللّه السحر [٥] على الملكين ، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت ، فيكون معنيًا بالملكين جبريل وميكائيل - عليهما السلام - لأنّ سحرة[٦] اليهود فيما ذكر كانت تزعم : أن اللّه أنزل السحر على لسان جبريل ، وميكائيل إلى سليمان بن داود ، فأكذبهم اللّه بذلك ، وأخبر نبيه محمدًا ، صلى اللّه عليه وسلم أن جبريل ، وميكائيل لم ينزلا بسحر ، وبرّأ سليمان - عليه السلام - مما

(٥٨٨) - رواه ابن جرير برقم ١٦٧٠ - (٤١٩/٢) ، وسنده ضعيف .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين زيادة من : خ .
[٣] - في ز : وكيف .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - زيادة من : ز ، خ .

نحلوه من السحر ، وأخبرهم أن السحر من عمل الشياطين ، وأنها تعلم الناس ذلك ببابل ، وأن الذين يعلمونهم ذلك رجلان : اسم أحدهما هاروت ، واسم الآخر ماروت ، فيكون هاروت وماروت على هذا التأويل ترجمة عن الناس ، وردًّا عليهم .

هذا لفظه بحروفه(٥٨٩) .

وقد قال ابن أبي حاتم(٥٩٠) : حدثت[١] عن عُبَيد اللَّه بن موسى ، أخبرنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية ﴿ **وما أنزل على الملكين** ﴾ قال : ما أنزل اللَّه[٢] على جبريل ، وميكائيل السحر .

[قال ابن أبي حاتم(٥٩١)][٣] : وحدثنا الفضل[٤] بن شاذان ، حدثنا محمد بن عيسى ، حدثنا [معلى] - يعني ابن أسد - حدثنا بكر - يعني ابن مصعب - حدثنا الحسن بن أبي جعفر : أن عبد الرحمن بن أبزى كان يقرؤها : « **وما أنزل على الملكين داود وسليمان** » .

وقال أبو العالية : لم ينزل عليهما السحر ، يقول[٥] : عَلِما الإيمان والكفر ، فالسحر من الكفر ، فهما ينهيان عنه أشدّ النهي . رواه ابن أبي حاتم .

ثم شرع ابن جرير في رد هذا القول ، وأن (ما) بمعنى الذي ، وأطال القول في ذلك ، وادَّعى أن هاروت وماروت ملكان أنزلهما اللَّه إلى الأرض ، وأذن لهما في تعليم السحر ؛ اختبارًا لعباده ؛ وامتحانًا ، بعد أن بيَّن لعباده أن ذلك مما ينهى عنه على ألسنة الرسل ، وادعى : أن هاروت وماروت مطيعان في تعليم ذلك ؛ لأنهما امتثلا ما أمرا به .

وهذا الذي سلكه غريب جدًّا ، وأغرب منه قول من زعم : أن هاروت وماروت قبيلان من الجن [كما زعمه ابن حزم][٦] .

وروى ابن أبي حاتم(٥٩٢) بإسناده ، عن الضحاك بن مزاحم : أنه كان يقرؤها ﴿ **وما أنزل على الملكين** ﴾ ويقول : هما علجان من أهل بابل .

وَوَجّه أصحاب هذا القول الإنزالَ بمعنى الخَلْق ، لا بمعنى الإيحاء ، في قوله تعالى : ﴿ **وما**

---

(٥٨٩) - تفسير ابن جرير (٤١٩/٢،٤٢٠) .

(٥٩٠) - **إسناده ضعيف** ، والحديث عند ابن أبي حاتم برقم ١٠٠٦ - (٣٠٢/١) .

(٥٩١) - رواه ابن حاتم ١٠٠٧ - (٣٠٢/١) .

---

[١] - في ز ، خ : « حديث » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - في خ : « الفضيل » .

[٥] - في ز : بقول .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

أنزل على الملكين ﴾ كما قال تعالى : ﴿ **وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج** ﴾ ، ﴿ **وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد** ﴾ ، ﴿ **وينزل**[١] **لكم من السماء رزقًا** ﴾ . وفي الحديث : « **ما أنزل اللَّه داء إلا أنزل له دواء** »(٥٩٣) ، وكما يقال : « أنزل اللَّه الخير والشر » .

[وحكى القرطبي عن ابن عباس ، وابن أبزى ، والحسن البصري : أنهم قرءوا ﴿ **وما أنزل على الملكين** ﴾ بكسر اللام ، وقال ابن أبزى : وهما داود وسليمان . قال القرطبي : فعلى هذا تكون ما نافية أيضًا][٢] .

وذهب آخرون إلى الوقف على قوله : ﴿ **يعلمون الناس السحر** ﴾ [وما : نافية][٣] قال ابن جرير : حدثني يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرنا الليث ، عن يحيى بن سعيد ، عن القاسم بن محمد : وسأله رجل عن قول اللَّه تعالى ﴿ **يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت** ﴾ قال الرجل : يعلمان الناس السحر ، و[٤] ما أنزل عليهما ، أو يعلمان الناس ما لم ينزل عليهما ؟ فقال القاسم : ما أبالي أيتهما كانت(٥٩٤) .

ثم روى عن يونس ، عن أنس بن عياض ، عن بعض أصحابه : أن القاسم قال في هذه القصة : لا أبالي أي ذلك كان ، إني آمنت به(٥٩٥) .

وذهب كثيرون من السلف إلى أنهما كانا ملكين من السماء ، وأنهما أنزلا إلى الأرض فكان من أمرهما ما كان ، وقد ورد في ذلك حديث مرفوع ، رواه الإمام أحمد في مسنده - رحمه اللَّه - كما سنورده إن شاء اللَّه تعالى ، وعلى هذا فيكون الجمع بين هذا ، وبين ما ورد[٥] من الدلائل على عصمة الملائكة - أنّ هذين سبق في علم اللَّه لهما هذا ، فيكون تخصيصًا لهما ، فلا تعارض حينئذ ، كما سبق في علمه من أمر إبليس ما سبق ، وفي قول : إنه كان من الملائكة : لقوله تعالى : ﴿ **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبىٰ** ﴾ إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك ، مع أنّ شأن هاروت وماروت على

(٥٩٢) - إسناده ضعيف ، فيه شعيب بن كيسان : ذكره البخاري في الضعفاء ، ولينه العقيلي ، والأثر عند ابن أبي حاتم ١٠٠٩ - (٣٠٣/١) . ، وفيه أيضًا ثابت بن جابان : مستور الحال .

(٥٩٣) - رواه البخاري (٥٦٧٨) والنسائي في الطب وابن ماجه (٣٤٣٩) من حديث أبي هريرة .
ورواه النسائي في الوليمة والطب وابن ماجه من حديث ابن مسعود (٣٤٣٨) .

(٥٩٤) - رواه ابن جرير برقم ١٦٧٨ - (٤٢٣/٢) .

(٥٩٥) - رواه ابن جرير برقم ١٦٧٩ - (٤٢٣/٢ ، ٤٢٤) .

[١] - في خ : « وتنزل » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - في ز ، خ : « ثبت » .

ما ذكر، أخف مما وقع من إبليس لعنه اللّٰه تعالى !

[وقد حكاه القرطبي، عن علي، وابن مسعود، وابن عباس، وابن عمر، وكعب الأحبار، والسدي، والكلبي][١] .

(ذكر الحديث الوارد في ذلك إن صح سنده ورفعه وبيان الكلام عليه)

قال الإمام أحمد بن حنبل - رحمه اللّٰه تعالى - في مسنده(٥٩٦) : حدثنا يحيى بن أبي بكير[٢]، حدثنا زهير بن محمد، عن موسى بن جبير، عن نافع، عن عبد اللّٰه بن عمر رضي اللّٰه عنهما أنه سمع نبي اللّٰه - صلى اللّٰه عليه وسلم - يقول : « إن آدم - عليه السلام - لما أهبطه اللّٰه إلى الأرض، قالت الملائكة : أي رب، ﴿ **أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون** ﴾ . قالوا : ربنا نحن أطوع لك من بني آدم. قال اللّٰه تعالى للملائكة : هلموا ملكين من الملائكة حتى نهبطهما إلى الأرض [فننظر كيف يعملان. قالوا : ربنا هاروت وماروت. فأهبطا إلى الأرض][٣] ومثلت لهما الزهرة، امرأة من أحسن البشر، فجاءتهما، فسألاها نفسها، فقالت : لا واللّٰه حتى تتكلما[٤] بهذه الكلمة من الإشراك، فقالا : واللّٰه لا نشرك باللّٰه شيئًا أبدًا. فذهبت عنهما، ثم رجعت بصبي تحمله؛ فسألاها نفسها، فقالت : لا واللّٰه حتى تقتلا هذا الصبي. فقالا : لا[٥] ، واللّٰه لا نقتله أبدًا، فذهبت ثم[٦] رجعت[٧] بقدح خمر تحمله، فسألاها نفسها. فقالت : لا، واللّٰه حتى تشربا هذا الخمر، فشربا فسكرا فوقعا عليها، وقتلا الصبي، فلما أفاقا قالت المرأة : واللّٰه ما تركتما شيئًا أبيتماه عليّ إلا قد فعلتماه حين سكرتما. فخُيرا بين عذاب الدنيا، وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا؛ وهكذا رواه أبو حاتم [ ][٨] ابن حبان في صحيحه عن الحسن بن سفيان، عن أبي بكر ابن أبي شيبة، عن يحيى بن أبي بُكير، به.

وهذا حديث غريب من هذا الوجه، ورجاله كلهم ثقات من رجال الصحيحين، إلا موسى ابن جبير هذا، وهو الأنصاري السلمي مولاهم المديني الحذاء، روى عن ابن عباس، وأبي أمامة ابن سهل بن حنيف، ونافع، وعبد اللّٰه بن كعب[٩] بن مالك، رَوَى عنه ابنه عبد السلام، وبكر

(٥٩٦) - **ضعيف**، والحديث في المسند ٦١٧٨ - (٢/١٣٤)، وابن حبان برقم (١٧١٧) « موارد » وقال أبو حاتم في العلل (٢/٦٩) : « هذا حديث منكر ».

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ.
[٢] - في ز، خ : « بكر ».
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ.
[٤] - في ز : تكلما.
[٥] - سقط من : خ.
[٦] - سقط من : خ.
[٧] - في خ : « فرجعت ».
[٨] - في خ : [و]
[٩] - في خ : « سعد ».

ابن مضر، وزهير بن محمد، وسعيد بن سلمة، وعبد الله بن لهيعة، وعمرو بن الحارث، ويحيى ابن أيوب. وروى له أبو داود، وابن ماجة، وذكره ابن أبي حاتم في كتاب الجرح والتعديل، ولم يحك فيه شيئًا[١] من هذا، ولا هذا فهو مستور الحال(٥٩٧)، وقد تفرد به عن نافع مولى ابن عمر عن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم -. وروي له متابع من وجه آخر، عن نافع كما قال ابن مردويه:

حدثنا دعلج بن أحمد، حدثنا هشام [بن علي بن هشام][٢]، حدثنا عبد الله بن رجاء، حدثنا سعيد بن سلمة، حدثنا موسى بن سرجس[٣]، عن نافع، عن ابن عمر، سمع النبي، صلى الله عليه وسلم، يقول... فذكره بطوله.

وقال أبو جعفر بن جرير - رحمه الله -(٥٩٨): حدثنا القاسم، حدثنا الحسين - وهو سنيد بن داود صاحب التفسير - حدثنا الفرج بن فضالة، عن معاوية بن صالح، عن نافع قال: سافرت مع ابن عمر، فلما كان من آخر الليل، قال: يا نافع؛ انظر، طلعت الحمراء؟ قلت لا - مرتين أو ثلاثًا - ثم قلت: قد طلعت، قال: لا مرحبًا بها ولا أهلًا.

قلت: سبحان الله! نجم مسخر سامع مطيع. قال: ما قلت لك إلا ما سمعت من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أو قال: قال لي رسول الله -صلى الله عليه وسلم -: « إن الملائكة قالت: يارب؛ كيف صبرك على بني آدم في الخطايا[٤] والذنوب؟ قال: إني ابتليتهم وعافيتكم. قالوا: لو كنا مكانهم ما عصيناك. قال: فاختاروا ملكين منكم. قال[٥]: فلم يألوا جهدًا أن يختاروا، فاختاروا هاروت وماروت، وهذان أيضًا غريبان جدًّا.

وأقرب ما يكون[٦] في هذا أنه من رواية عبد الله بن عمر، عن كعب الأحبار، لا عن النبي، صلى الله عليه وسلم، كما قال عبد الرزاق في تفسيره، عن الثوري، عن موسى بن عقبة، عن سالم، عن ابن عمر، عن كعب الأحبار[٧] قال: ذكرت الملائكة أعمال بني آدم، وما يأتون من الذنوب، فقيل لهم: اختاروا منكم اثنين؛ فاختاروا هاروت وماروت، فقال[٨] لهما: إني أرسل

---

(٥٩٧) - الجرح والتعديل (١٣٩/٨) وذكره ابن حبان في الثقات (٤٥١/٧) وقال: « يخطيء ويخالف ».

(٥٩٨) - **ضعيف**، والحديث في تفسير ابن جرير ١٦٨٨ - (٤٣٣/٢). الفرج بن فضالة: قال البخاري: منكر الحديث.

---

[١] - زيادة من: ز، خ.

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

[٣] - في خ: « سرخس ».

[٤] - في ز، خ: « الخطأ ».

[٥] - في ز: قالوا.

[٦] - سقط من: ز، خ.

[٧] - سقط من: ز، خ.

[٨] - في ز، خ: « فقيل ».

إلى بني آدم رسلًا ، ليس[١] بيني وبينكم رسول ، انزلا لا تشركا بي شيئًا ، ولا تزنيا ، ولا تشربا الخمر . قال كعب : فو اللَّه ما أمسيا من يومهما الذي أهبطا فيه حتى استكملا جميع ما نُهيا عنه .

ورواه ابن جرير من طريقين(٥٩٩) ، عن عبد الرزاق ، به .

وروراه ابن أبي حاتم(٦٠٠) ، عن أحمد بن عصام ، عن مؤمّل ، عن سفيان الثوري ، به .

ورواه ابن جرير أيضًا(٦٠١) : حدثني المثنى ، حدثنا المعلى - وهو ابن أسد - حدثنا عبد العزيز ابن المختار ، عن موسى بن عقبة ، حدثني سالم أنه سمع عبد اللَّه يحدث عن كعب الأحبار ، فذكره .

فهذا أصح وأثبت إلى عبد اللَّه بن عمر من الإسنادين المتقدمين ، وسالم أثبت في[٢] أبيه من[٣] مولاه نافع . فدار الحديث ، ورجع إلى نقل كعب الأحبار ، عن كتب بني إسرائيل ، واللَّه أعلم .

ذكر الآثار الواردة في ذلك عن الصحابة والتابعين
رضي اللَّه عنهم أجمعين

قال ابن جرير(٦٠٢) : حدثني المثنى ، حدثنا الحجاج ، حدثنا حماد ، عن خالد الحذاء ، عن عمير بن سعيد ، قال : سمعت عليًّا - رضي اللَّه عنه - يقول : كانت الزهرة امرأة جميلة من أهل فارس ، وإنها خاصمت إلى الملكين هاروت وماروت ، فراوداها عن نفسها ، فأبت عليهما إلا أن يعلماها الكلام الذي إذا تكلم به أحدٌ[٤] يعرج به إلى السماء ، فعلماها فتكلمت به[٥] فعرجت إلى السماء ، فمسخت كوكبًا .

وهذا الإسناد رجاله ثقات ، وهو غريب جدًّا .

وقال ابن أبي حاتم(٦٠٣) : حدثنا الفضل بن شاذان ، حدثنا محمد بن عيسىٰ ، حدثنا

(٥٩٩) - تفسير عبد الرزاق (٥٣/١) ، وتفسير ابن جرير ١٦٨٤ - (٤٢٩/٢) .
(٦٠٠) - تفسير ابن أبي حاتم برقم ١٠١٣ - (٣٠٦/١) .
(٦٠١) - تفسير ابن جرير برقم ١٦٨٥ - (٤٣٠/٢) .
(٦٠٢) - رواه ابن جرير ١٦٨٣ - (٤٢٩/٢) ، ورواه الحاكم مطولًا (٢٦٥/٢ - ٢٦٦) .
(٦٠٣) - تفسير ابن أبي حاتم ١٠٠٨ - (٣٠٣/١) . ورواه الحاكم (٢٦٥/٢) .

[١] - في ز ، خ : « فليس » .
[٢] - في خ : « من » .
[٣] - في خ : « في » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من ز .

إبراهيم بن موسى ، أخبرنا[١] أبو معاوية ، عن [ابن أبي خالد] [٢] ، عن عمير بن سعيد ، عن علي - رضي اللَّه عنه - قال : هما ملكان[٣] من ملائكة السماء . يعني : ﴿ **وما أنزل على الملكين** ﴾ .

ورواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره بسنده ، عن مغيث ، عن مولاه جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جده ، عن علي - مرفوعًا ، وهذا لا يثبت من هذا الوجه .

ثم رواه من طريقين آخرين ، عن جابر ، عن أبي الطفيل ، عن علي - رضي اللَّه عنه -قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **لعن اللَّه الزهرة ؛ فإنها هي التي فتنت[٤] الملكين هاروت وماروت** » . وهذا أيضًا لا يصح(٦٠٤) ، وهو منكر جدًّا ، واللَّه أعلم .

وقال ابن جرير(٦٠٥) : حدّثني المثنى بن إبراهيم ، حدثنا الحجاج بن منهال ، حدثنا حماد ، عن علي بن زيد ، عن أبي عثمان النهدي ، عن ابن مسعود ، وابن عباس أنهما قالا جميعًا : لما كثر بنو آدم وعصوا ، دعت الملائكة عليهم والأرض والجبال : ربنا لا [تمهلهم][٥] تهلكهم[٦] فأوحى اللَّه إلى الملائكة : إني [أزلت[٧] الشهوة والشيطان من قلوبكم][٨] [وأنزلت الشهوة والشيطان في قلوبهم][٩] ، ولو نزلتم لفعلتم أيضًا .

قال : فحدّثوا أنفسهم أن لو ابتلوا اعتصموا ، فأوحى اللَّه إليهم أن اختاروا ملكين من أفضلكم ، فاختاروا هاروت وماروت ، فأهُبطا إلى الأرض ، وأنزلت الزهرة إليهما في صورة امرأة من أهل فارس [يسمونها بيذخت][١٠] ، قال[١١] : فوقعا بالخطيئة ، فكانت الملائكة يستغفرون للذين آمنوا ﴿ **ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما** ﴾ فلما وقعا بالخطيئة استغفروا لمن في الأرض ﴿ **ألا إن اللَّه هو الغفور الرحيم** ﴾ فخُيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، فاختارا عذاب الدنيا .

---

(٦٠٤) - ورواه ابن السني في عمل اليوم والليلة برقم (٦٥٤) من طريق عيسى بن يونس ، عن أخيه إسرائيل عن جابر ، عن أبي الطفيل ، عن علي ، به .

(٦٠٥) - تفسير ابن جرير برقم ١٦٨٢- (٤٢٨/٢) .

---

[١] - في ز ، خ : « حدثنا » .

[٢] - في ز ، خ : خالد .

[٣] - في ز ، خ : « ملكين » .

[٤] - في ز ، خ : « قتلت » .

[٥] - سقط من : خ .

[٦] - في حاشية ز ، وابن جرير : لعله : ألا تهلكهم .

[٧] - في ز : أنزلت .

[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٩] - سقط من ز .

[١٠] - سقط من : ز ، خ .

[١١] - في ز : قالا .

وقال ابن أبي حاتم(٦٠٦) : حدثنا أبي ، حدثنا عبد اللّه بن جعفر الرقي ، أخبرنا[١] عبيد اللّه - يعني ابن عمرو - عن زيد بن أبي أنيسة ، عن المنهال بن عمرو ، ويونس بن خباب ، عن مجاهد قال : كنت نازلًا على عبد اللّه بن عمر في سفر ، فلما كان ذات ليلة قال لغلامه : انظر ! هل[٢] طلعت الحمراء ؟ لا مرحبًا بها ولا أهلًا ، ولا حياها اللّه ، هي صاحبة الملَكين ، قالت الملائكة : يارب[٣] ؛ كيف تَدَعُ عصاة بني آدم وهم يسفكون الدم الحرام ، وينتهكون محارمك ، ويفسدون في الأرض ؟

قال : إني قد ابتليتهم ، فلعل[٤] إن[٥] ابتليتكم[٦] بمثل الذي ابتليتهم به فعلتم كالذي يفعلون . قالوا : لا . قال : فاختاروا من خياركم اثنين ، فاختاروا هاروت وماروت ، فقال لهما : إني مهبطكما إلى الأرض ، وعاهد إليكما ألَّا تشركا ، ولا تزنيا ، ولا تخونا ، فأهبطا إلى الأرض وألقى عليهما الشهوة[٧] ، وأهبطت لهما الزهرة في أحسن صورة امرأة ، فتعرّضت لهما ، فراوداها [٨] عن نفسها .

فقالت : إني على دين لا يصح[٩] لأحد أن يأتيني إلا من كان على مثله . قالا : وما دينك . قالت : المجوسية ، قالا : الشرك ! هذا شيء لا نقرّ به ، فمكثت عنهما ما شاء اللّه تعالى ، ثم تعرّضت لهما فراوداها [١٠] عن [١١] نفسها . فقالت : ما شئتما ، غير أن لي زوجًا ، وأنا أكره أن يطّلع على هذا مني فأفتضح ، فإن أقررتما لي بديني ، وشرطتما لي أن تصعدا بي إلى السماء فعلت . فأقرّا لها بدينها وأتياها فيما يريان ، ثم صعدا بها إلى السماء ، فلما انتهيا بها إلى السماء اخْتُطِفَتْ منهما ، وقطعت أجنحتهما ، فوقعا خائفين نادمين يبكيان ، وفي الأرض نبي يدعو بين الجمعتين ، فإذا كان يوم الجمعة أجيب . فقالا : لو أتينا فلانًا فسألناه فطلب لنا التوبة ! ، فأتياه ، فقال : رحمكما اللّه ، كيف يطلب التوبة[١٢] أهلِ الأرض لأهل السماء ؟ ! قالا : إنا قد ابْتُلِينا ، قال : ائتياني يوم الجمعة . فأتياه ، فقال : ما أُجِبْتُ فيكما بشيء ، ائتياني في الجمعة الثانية ،

(٦٠٦) - تفسير ابن أبي حاتم ١٠١٤ - (٣٠٦/١، ٣٠٧) . ويونس بن خباب : منكر الحديث ، وهو متابع بالمنهال بن عمرو .

[١] - في خ : « ثنا » .
[٢] - سقط من : ز
[٣] - في ز : رب .
[٤] - في ز : فعل ، وفي خ : قبل .
[٥] - في خ : « أن » .
[٦] - في خ : « أبتليكم » .
[٧] - في ز ، خ : « الشبق » .
[٨] - في ز : فأراداها .
[٩] - في خ : « يصلح » .
[١٠] - في ز : فأراداها .
[١١] - في ز : على .
[١٢] - سقط من : ز ، خ .

فأتياه ، فقال : اختارا فقد خيّرتما ؛ إن احببتما[١] معافاة الدنيا وعذاب الآخرة ، وإن أحببتما فعذاب الدنيا وأنتما يوم القيامة على حكم اللَّه ، فقال أحدهما : إن الدنيا لم يمض منها إلا قليل[٢] . وقال الآخر ويحك ! إني قد أطعتك في الأمر الأوّل ، فأطعني الآن ، إن عذابًا يفنى ليس كعذاب يبقى . فقال[٣] : و[٤] إننا يوم القيامة على حكم اللَّه ، فأخاف أن يعذبنا ، قال : لا ، إني أرجو إن علم اللَّه أنّا قد اخترنا عذاب الدنيا مخافة عذاب الآخرة أن لا يجمعهما علينا . قال : فاختارا عذاب الدنيا ، فجعلا في بكرات من حديد في قليب مملوءة من نار ، عاليهما سافلهما . وهذا إسناد جيد إلى عبد اللَّه بن عمر . وقد تقدّم في رواية ابن جرير من حديث معاوية ابن صالح ، عن نافع ، عنه ، رفعه . وهذا أثبت وأصح إسنادًا . ثم هو - واللَّه أعلم - من رواية ابن عمر . عن كعب . كما تقدّم بيانه [من رواية][٥] سالم ، عن أبيه . وقوله إن الزهرة نزلت على[٦] صورة امرأة حسناء ، وكذا في المروي عن علي ، فيه غرابة جدًّا .

وأقرب ماورد في ذلك ما قال ابن أبي حاتم(٦٠٧) ، حدثنا عصام بن رواد[٧] ، حدثنا آدم ، أخبرنا[٨] أبو جعفر ، حدثنا الربيع بن أنس ، عن قيس بن عباد ، عن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - قال : لما وقع الناس من بعد آدم - عليه السلام - فيما وقعوا فيه من المعاصي والكفر باللَّه ، قالت الملائكة في السماء : يارب ؛ هذا العالم الذي إنما خلقتهم لعبادتك وطاعتك ، [ ][٩] قد وقعوا فيما وقعوا فيه ، وركبوا الكفر ، وقتل النفس ، وأكل المال الحرام ، والزنا ، والسرقة ، وشرب الخمر . فجعلوا يدعون عليهم ، ولا يعذرونهم ، فقيل : إنهم في غيب فلم يعذروهم . فقيل لهم : اختاروا منكم من أفضلكم مَلَكين ، آمرهما وأنهاهما . فاختاروا هاروت وماروت ، فأهُبطا إلى الأرض ، وجعل لهما شهوات بني آدم ، وأمرهما اللَّه أن يعبداه ولا يشركا به شيئًا ، ونُهيا عن قتل النفس الحرام ، وأكل المال الحرام ، وعن الزنا ، والسرقة ، وشرب الخمر . فلبثا في الأرض زمانًا يحكمان بين الناس بالحق ، وذلك في زمن[١٠] إدريس - عليه السلام - وفي ذلك الزمان امرأة حُسْنُها في النساء كحسن الزهرة في سائر الكواكب ، وأنهما أتيا عليها فخضعا لها في القول ، وأراداها[١١] على نفسها ، فأبت إلا أن يكونا على أمرها وعلى دينها ، فسألاها[١٢] عن دينها ، فأخرجت لهما صنمًا . فقالت : هذا أعبده . فقالا : لا حاجة لنا في عبادة هذا فذهبا

---

(٦٠٧) - تفسير ابن أبي حاتم برقم ١٠١٢ - (٣٠٥/١) .

---

[١] - في ت : « خيرتما » .
[٢] - في خ : « القليل » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - زيادة من : خ .
[٥] - في ز ، خ : « عن » .
[٦] - في ت : « في » .
[٧] - في خ : « داود » .
[٨] - في خ : « حدثنا » .
[٩] - في خ : " و "
[١٠] - في خ : « زمان » .
[١١] - في خ : « وراوداها » .
[١٢] - في خ : « فسألا » .

[فغبرا ما شاء الله][١] ، ثم أتيا عليها فأراداها على نفسها ، [ففعلت مثل ذلك][٢] . فذهبا ، ثم أتيا عليها فراوداها على نفسها ، فلما رأت أنهما قد أبيا أن يعبدا الصنم قالت لهما : اختارا أحد الخلال الثلاث : إما أن تعبدا هذا الصنم ، [وإما أن تقتلا هذه النفس][٣] وإما أن تشربا هذه الخمر . فقالا : كل هذا لا ينبغي ، وأهون هذا شرب الخمر . فشربا الخمر . [فأخذت فيهما][٤] فواقعا المرأة ، فخشيا أن يخبر الإنسان عنهما فقتلاه ، فلما ذهب عنهما السكر ، وعلما ما وقعا فيه من الخطيئة ، أرادا أن يصعدا إلى السماء ، فلم يستطيعا ، وحيل بينهما وبين ذلك ، وكُشِفَ الغطاء فيما بينهما ، وبين أهل السماء ، فنظرت الملائكة إلى ما وقعا فيه ، فعجبوا كل العجب ، وعرفوا أنه من كان في غيب فهو أقل خشية ، فجعلوا بعد ذلك يستغفرون لمن في الأرض ، فنزل في ذلك : ﴿ **والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض** ﴾ . فقيل لهما : اختارا عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة . فقالا : أما عذاب الدنيا فإنه ينقطع ويذهب ، وأما عذاب الآخرة فلا انقطاع له ، فاختارا عذاب الدنيا ، فجُعِلا ، ببابل فهما يعذبان .

وقد رواه الحاكم في مستدركه مطوّلًا عن أبي زكريا العنبري ، عن محمد بن عبد السلام ، عن إسحاق بن راهويه ، عن حكام بن سلم الرازي[٥] - وكان ثقة - عن أبي جعفر الرازي ، به ، ثم قال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . فهذا أقرب ما روي في شأن الزهرة ، والله أعلم(٦٠٨) .

وقال ابن أبي حاتم(٦٠٩) : حدثنا أبي ، حدثنا مسلم[٦] حدثنا القاسم بن الفضل الحُدَّاني[٧] ، حدثنا يزيد - يعني الفارسي - عن ابن عباس قال[٨] : إن أهل سماء الدنيا أشرفوا على أهل الأرض فرأوهم يعملون المعاصي ، فقالوا : يارب ؛ أهل الأرض كانوا[٩] يعملون بالمعاصي . فقال الله : أنتم معي ، وهم في[١٠] غيب عني . فقيل لهم : اختاروا منكم ثلاثة ، فاختاروا منهم ثلاثة على أن يهبطوا إلى الأرض ، على أن يحكموا بين أهل الأرض ، وجعل فيهم شهوة الآدميين ، فأمروا أن لا يشربوا خمرًا ، ولا يقتلوا نفسًا ، ولا يزنوا ، ولا يسجدوا لوثن . فاستقال منهم واحد فأقيل ، فأهبط اثنان إلى الأرض ، فأتتهما امرأة من أحسن الناس يقال لها : مناهية .

---

(٦٠٨) - وقد أبطل الإمام ابن حزم قصة هاروت وماروت ورد على من ادعى شربهما الخمر وارتكابهما الزنا والقتل في كتابه الفصل (٣/٣٠٣-٣٠٨)، (٦١/٤-٦٥) .

(٦٠٩) - تفسير ابن أبي حاتم برقم ١٠١٥ - (٣٠٨/١) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - مكررة في خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز : الدارزي .
[٦] - في ز ، خ : « سالم » .
[٧] - في ز ، خ : « الحراني » .
[٨] - زيادة من : ز ، خ .
[٩] - سقط من : ز ، خ .
[١٠] - سقط من : ز ، خ .

فهوياها جميعًا ، ثم أتيا منزلها ، فاجتمعا عندها ، فأراداها فقالت لهما : لا ، حتى تشربا خمري ، وتقتلا ابن جاري ، وتسجدا لوثني . فقالا : لانسجد . ثم شربا من الخمر ، ثم قتلا ، ثم سجدا . فأشرف أهل السماء عليهما . فقالت لهما : أخبراني بالكلمة التي[١] إذا قلتماها طِرْتُما ؟ . فأخبراها . فطارت ، فمسخت جمرة ، وهي هذه الزهرة ، وأما هما فأرسل إليهما سليمان بن داود فَخَيَّرَهُما بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة . فاختارا عذاب الدنيا . فهما مناطان بين السماء والأرض .

وهذا السياق فيه زيادات كثيرة ، وإغراب ونكارة . والله أعلم بالصواب .

وقال عبد الرزاق(٦١٠) : قال معمر : قال قتادة والزهري : عن عبيد الله بن عبد الله ﴿ **وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت** ﴾ : كانا ملكين من الملائكة ، فأهبطا ليحكما بين الناس . وذلك أن الملائكة سخروا من حكام بني آدم ، فحاكمت إليهما امرأة ، فحافا لها . ثم ذهبا يصعدان فحيل بينهما وبين ذلك ، ثم[٢] خُيِّرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، فاختارا عذاب الدنيا . وقال معمر : قال قتادة : فكانا يعلمان الناس السحر فأخذ عليهما أن لا يعلما[٣] أحدًا حتى يقولا : إنما نحن فتنة فلا تكفر .

وقال أسباط : عن السدى أنه قال : كان[٤] من أمر هاروت وماروت أنهما طعنا على أهل الأرض فى أحكامهم فقيل لهما : إنى أعطيت بني أدم عشرًا من الشهوات فبها يعصونني ، قال هاروت وماروت : ربنا لو أعطيتنا تلك الشهوات ثم نزلنا لحكمنا بالعدل ، فقال لهما : انزلا فقد أعطيتكما تلك الشهوات العشر ، فاحكما بين الناس ، فنزلا ببابل دنياوند[٥] فكانا يحكمان ، حتى إذا أمسيا عرجا ، فإذا أصبحا هبطا ، فلم يزالا كذلك حتى أتتهما امرأة تخاصم زوجها ، فأعجبهما [ ][٦] حسنها واسمها بالعربية زهرة[٧] ، وبالنبطية[٨] بيذخت[٩] وبالفارسية أناهيد[١٠] . فقال أحدهما لصاحبه : إنها لتعجبني ، قال الآخر : قد أردت أن أذكر لك فاستحييت منك ، فقال الآخر ، هل لك أن أذكرها لنفسها ؟ قال نعم ، ولكن كيف لنا بعذاب الله ؟ قال الآخر : إنا لنرجو رحمة الله .

(٦١٠) - تفسير عبد الرزاق (٥٣/١) .

[١] - في خ : « الذي » .
[٢] - في ز : و .
[٣] - في ت : « يعلمان » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ت : « دنباوند » .
[٦] - في ز : من .
[٧] - في ز : الزهرة .
[٨] - في ز : بالقبطية .
[٩] - في ز ، خ: « بيدخت » .
[١٠] - في ز : أناهيذ .

فلما جاءت تخاصم زوجها ذكر إليها نفسها، فقالت: لا، حتى تقضيا لي على زوجي، فقضيا لها على زوجها، ثم واعدتهما خربة من الخرب يأتيانها فيها، فأتياها لذلك، فلما أراد الذى يواقعها قالت: ما أنا بالذي أفعل حتى تخبراني بأى كلام تصعدان إلى السماء، وبأي كلام تنزلان منها؛ فأخبراها فتكلمت، فصعدت، فأنساها الله - تعالى - ما تنزل[١] به فثبتت[٢] مكانها وجعلها الله كوكبًا؛ فكان عبد الله بن عمر كلما رآها لعنها وقال[٣] هذه التي فتنت هاروت وماروت، فلما كان الليل أرادا أن يصعدا فلم يطيقا، فعرفا الهلكة، فخيرا بين[٤] عذاب الدنيا و[٥] عذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا فعلقا ببابل وجعلا يكلمان الناس كلامهما وهو السحر.

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد: أما شأن هاروت وماروت، فإن الملائكة عجبت من ظلم بني، آدم وقد جاءتهم الرسل والكتب والبينات، فقال لهم ربهم - تعالى - : اختاروا منكم ملكين أنزلهما يحكمان فى الأرض [بين بنى آدم][٦]، فاختاروا فلم يألوا هاروت وماروت، فقال لهما حين أنزلهما: أعجبتما[٧] من بني آدم من ظلمهم و[ ][٨] معصيتهم وإنما تأتيهم الرسل والكتب من وراء وراء، وأنتما ليس بينى وبينكما رسول، فافعلا كذا وكذا، ودعا كذا و[٩] كذا، فأمرهما بأمر ونماهماشم[١٠] نزلا على ذلك ليس أحد أطوع لله منهما، فحكما فعدلا. فكانا يحكمان النهار بين بنى آدم، فإذا أمسيا عرجا، فكانا مع الملائكة، وينزلان حين يصبحان، فيحكمان فيعدلان، حتى أنزلت عليهما الزهرة في أحسن صورة امرأة تخاصم، فقضيا عليها، فلما قامت وجد كل واحد منهما في نفسه، فقال أحدهما لصاحبه: وجدت مثل الذى وجدت؟ قال: نعم. فبعثا إليها أن ائتنا نقض لك. فلما رجعت قالا وقضيا لها، فأتتهما، فتكشفا لها عن عورتهما، وإنما كانت شهوتهما[١١] في أنفسهما، ولم يكونا كبنى آدم في شهوة النساء ولذتها. فلما بلغا ذلك، واستحلا افتتنا، فطارت الزهرة فرجعت حيث كانت. فلما أمسيا عرجا فزُجرا فلم يؤذن لهما، ولم تحملهما أجنحتهما، فاستغاثا برجل من بنى آدم، فأتياه. فقالا: ادع لنا ربك. فقال: كيف يشفع أهل الأرض لأهل السماء؟ قالا: سمعنا ربك يذكرك بخير في السماء. فوعدهما يوما، وغدا يدعو لهما فدعا لهما، فاستجيب له، فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فنظر أحدهما إلى صاحبه. فقال: ألا تعلم أن أفواج عذاب الله في الآخرة كذا وكذا في الخلد، وفي الدنيا تسع مرات مثلها؟ فأمرا أن ينزلا ببابل، فثم عذابهما. وزعم أنهما معلقان في

---

[١] - في ز: تنزل.

[٢] - في ز، خ: «فبقيت».

[٣] - في ز: فقال.

[٤] - سقط من ز.

[٥] - في ز: من.

[٦] - ما بين المعكوفتين زيادة من: ز، خ.

[٧] - في ز، خ: «أعجبتم».

[٨] - في ز: من.

[٩] - زيادة من: خ.

[١٠] - في ز، خ: «ونهاهما ثم».

[١١] - في ز: سوءتهما.

الحديد مطويان، يصفقان بأجنحتهما.

وقد روى في قصة[١] هاروت وماروت عن جماعة من التابعين، كمجاهد، والسدى، والحسن، وقتادة، وأبي العالية، والزهرى، والربيع بن أنس، ومقاتل بن حيان[٢]، وغيرهم، وقصها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين، وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى، وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب فيها، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله - تعالى - والله أعلم بحقيقة الحال.

وقد ورد [في ذلك][٣] أثر غريب، وسياق عجيب في ذلك؛ أحببنا أن ننبه عليه. قال الإمام أبو جعفر بن جرير(٦١١) - رحمه الله تعالى -: حدثنا الربيع بن سليمان، أخبرنا ابن وهب، أخبرني ابن أبي الزناد، حدّثني هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة زوج النبي، صلى الله عليه وسلم، أنها قالت: قدمت [عليّ امرأة][٤] من أهل دومة الجندل، جاءت تبتغي رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بعد موته حداثة ذلك، تسأله [ ][٥] أشياء دخلت فيه من أمر السحر، ولم تعمل به قالت عائشة، رضي الله عنها، لعروة: يا ابن أختي؛ فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فيشفيها، فكانت[٦] تبكي حتى إني لأرحمها، وتقول: إني أخاف أن أكون قد هلكت، كان لي زوج فغاب عني، فدخلت على عجوز، فشكوت ذلك إليها، فقالت: إن فعلت ما آمرك به فأجعله يأتيك، فلما كان الليل جاءتني بكلبين أسودين، فركبت أحدهما وَرَكِبَتْ الآخر، فلم يكن كشيء[٧] حتى وقفنا ببابلَ، وإذا برجلين معلقين بأرجلهما. فقالا: ما جاء بك؟ فقلت[٨]: أتعلم[٩] السحر؟ فقالا: إنما نحن فتنة فلا تكفري، فارجعي، فأبيت، وقلت[١٠]: لا. قالا: فاذهبي إلى ذلك التنور، فبولي فيه. فذهبت ففزعت ولم أفعل، فرجعت إليهما، فقالا: أفعلت؟ فقلت: نعم. فقالا: هل رأيت شيئًا؟ فقلت: لم أرى[١١] شيئًا. فقالا: لم تفعلي، ارجعي إلى بلادك، ولا تكفري فَأَرْبَبْتُ[١٢]، وأبيت فقالا: اذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه. [فذهبت فاقشعررت، وخفت، ثم رجعت إليهما وقلت: قد

(٦١١) - تفسير ابن جرير برقم ١٦٩٥ - (٢/٤٣٩-٤٤١). وابن أبي الزناد ضعيف.

[١] - في ز: قضية.
[٢] - في خ: «مقاتل».
[٣] - سقط من ز.
[٤] - في ز، خ: «امرأة على».
[٥] - في ز: عن.
[٦] - في ز: كانت ز.
[٧] - في ز: لشيء.
[٨] - في ز، خ: «فقلنا».
[٩] - في ز، خ: «نتعلم».
[١٠] - في ز: فقلت.
[١١] - في خ: «أر».
[١٢] - في ز، خ: «فأربت».

فعلت . فقالا : فما رأيت ؟ فقلت : لم أرِ شيئًا . فقالا : كذبت ؛ لم تفعلي ، ارجعي إلى بلادك ولا تكفري ؛ فإنك على رأس أمرك ، فَأَرَبْتُ وأبيت . فقالا : اذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه][١] فذهبت إليه فبلت[٢] فيه ، فرأيت فارسًا مقنعًا بحديد [خرج مني][٣] ، فذهب في السماء وغاب حتى ما أراه ، فجئتهما فقلت : قد فعلت . فقالا : فما رأيت ؟ قلت : رأيت فارسًا مقنعًا خرج[٤] مني[٥] فذهب في السماء حتى ما أراه . فقالا : صدقت ، ذلك إيمانك خرج منك . اذهبي . فقلت للمرأة : والله ما أعلم شيئًا ، وما قالا لي شيئًا . فقالت : بلى لم تريدي شيئًا إلا كان : خذي هذا القمح فابذر[٦] ؛ فبذرت ، وقلت : اطلعي فأطلعت[٧] ، وقلت : [احقلي فأحقلت][٨] ثم قلت : افركي ، فأفركت ، ثم قلت : أيبسي فأيبست ، ثم قلت : اطحني فأطحنت ، ثم قلت : اخبزي فأخبزت ، فلما رأيت أني لا أريد شيئًا إلا كان ، سُقِطَ في يدي ، وندمت ، - والله - يا أم المؤمنين ؛ والله[٩] ما فعلت شيئًا قط ، ولا أفعله أبدًا .

ورواه ابن أبي حاتم(٦١٢) عن الربيع بن سليمان ، به[١٠] مطولًا كما تقدم . وزاد بعد قولها : ولا أفعله أبدًا : فسألت أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، حداثة وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهم يومئذ متوافرون ، فما دَرَوْا ما يقولون لها ، وكلهم هاب ، وخاف أن يفتيها بما لا يعلمه ، إلا أنه قد قال لها ابن عباس - أو بعض من كان عنده لو كان أبواك حيين أو أحدهما ؟ .

قال هشام : فلو جاءتنا أفتيناها بالضمان . قال ابن أبي الزناد : وكان هشام يقول : إنهم كانوا من أهل الورع والخشية [١١] من الله . ثم يقول هشام : لو جاءتنا مثلها اليوم لوجدت نَوْكَى ، أهل حمق وتكلف بغير علم .

فهذا إسناد جيد إلى عائشة - رضي الله عنها - .

وقد استدل بهذا الأثر من ذهب إلى أن الساحر له تمكن في قلب الأعيان ؛ لأن هذه المرأة بذرت ، واستغلت في الحال .

(٦١٢) - تفسير ابن أبي حاتم برقم ١٠٢٩ - (١/٣١٢) ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٨/١٣٧) من طريق الربيع بن سليمان به مطولًا .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : « فبالت » .
[٣] - في ز ، خ : فخرج
[٤] - في خ : منه .
[٥] - في ز ، خ : « منه » .
[٦] - في خ : « فاندري » .
[٧] - في خ : « فطلقت » .
[٨] - في ز ، خ : « اجعلى فأجعلت » .
[٩] - سقط من ز .
[١٠] - سقط من : خ .
[١١] - في ز : وخشية .

وقال آخرون : بل ليس له القدرة[١] إلا على التخييل ، كما قال تعالى : ﴿ سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم ﴾ وقال تعالى : ﴿ يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى ﴾ . واستدل به على أن بابل المذكورة في القرآن هي بابل العراق ، لا بابل دُنباوند[٢] كما قاله السدي وغيره ، ثم إن الدليل على أنها بابل العراق ما قال ابن أبي حاتم(٦١٣) :

حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا أحمد بن صالح ، حدّثني ابن وهب ، حدّثني ابن لهيعة ، ويحيى بن أزهر ، عن عمار بن سعد المرادي ، عن أبي صالح الغفاري[٣] : أن علي بن أبي طالب – رضي اللّٰه عنه – [مرّ ببابل وهو يسير ، فجاء المؤذن يؤذنه بصلاة العصر ، فلما برز منها أمر المؤذن فأقام الصلاة ، فلما فرغ][٤] قال : إن حبيبي – صلى اللّٰه عليه وسلم – نهاني أن أصلي [بأرض المقبرة ، ونهاني أن أصلي][٥] ببابل فإنها ملعونة .

وقال أبو داود(٦١٤) : حدثنا سليمان بن داود ، أخبرنا ابن وهب ، حدثني ابن لهيعة ، ويحيى ابن أزهر ، عن عمار بن سعد المرادي ، عن أبي صالح الغفاري[٦] : أن عليًا مر ببابل ، وهو يسير ، فجاءه المؤذن يؤذنه بصلاة العصر ، فلما برز منها أمر المؤذن ، فأقام الصلاة ، فلما فرغ قال : إن حبيبي ، صلى اللّٰه عليه وسلم ، نهاني : أن أصلي في المقبرة ، ونهاني : أن أصلي بأرض بابل ، فإنها ملعونة .

حدّثنا أحمد بن صالح ، حدّثنا ابن وهب ، أخبرني يحيى بن أزهر، وابن لهيعة ، عن حجاج[٧] بن شداد ، عن أبي صالح الغفاري[٨] ، عن علي ، بمعنى حديث سليمان بن داود قال : فلما « خرج » مكان « برز » .

وهذا الحديث حسن عند الإمام أبي داود ، لأنه رواه، وسكت عليه[٩] ، ففيه من الفقه كراهيةُ الصلاة بأرض بابل ، كما تكره بديار ثمود الذين نهى رسول اللّٰه –صلى اللّٰه عليه وسلم– عن الدخول إلى منازلهم ، إلا أن يكونوا باكين .

---

(٦١٣) – تفسير ابن أبي حاتم برقم ١٠١٠ – (٣٠٤/١) . وأبو صالح الغفاري – سعيد بن عبد الرحمن – عن علي مرسل – العلائي ص ١٨٢ –

(٦١٤) – سنن أبي داود برقم (٤٩٠،٤٩١) .

---

[١] – في ز : قدرة .

[٢] – في ز ، خ : « دنياوند » .

[٣] – في خ : « النقاري » .

[٤] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٥] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٦] – في خ : « النقاري » .

[٧] – في ز ، خ : « الحجاج » .

[٨] – في خ : « الغفاري » .

[٩] – في ز ، خ : « عنه » .

قال أصحاب الهيئة : وبعد ما بين بابل ، وهي من إقليم العراق ، عن البحر المحيط الغربي ، [ويقال له][١] « أوقيانوس[٢] » سبعون درجة .

ويسمون هذا طولاً ، وأمّا عرضها ، وهو بعد[٣] ما بينها وبين وسط الأرض من ناحية الجنوب وهو المسامت لخط الاستواء ، اثنان[٤] وثلاثون درجة ، والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ **وما يعلمان من أحدٍ حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر** ﴾ قال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن قيس بن عباد ، عن ابن عباس قال : فإذا أتاهما الآتي يريد السحر نهياه أشدّ النهي ، وقالا له : إنما نحن فتنة فلا تكفر ، وذلك أنهما علما الخير والشر ، والكفر والإيمان ، فعرفا أن السحر من الكفر . قال[٥] : فإذا أبى عليهما أمراه أن يأتي مكان كذا وكذا ، فإذا أتاه عاين الشيطانَ فعلّمه ، فإذا تعلم خرج منه النور ، فنظر إليه ساطعًا في السماء فيقول : يا حسرتاه يا ويله[٦] ماذا أصنع ؟ .

وعن الحسن البصري أنه قال في تفسير هذة الآية : نعم أُنزل الملكان بالسحر ، ليعلما[٧] الناس البلاء الذي أراد الله أن يبتلي به الناس ، فأخذ عليهما الميثاق أن لا يعلما أحدًا حتى يقولا : إنما نحن فتنة فلا تكفر . رواه ابن أبي حاتم .

وقال قتادة : كان أخذ عليهما أن لايعلما أحدًا حتى يقولا : إنما نحن فتنة - أي : بلاء ابتلينا به فلا تكفر . وقال السدّي : إذا أتاهما إنسان يريد السحر ، وعظاه ، وقالا له : لا تكفر ، إنما نحن فتنة . فإذا أبىٰ قالا له : ائت هذا الرماد ، فَبُلْ عليه . فإذا بال عليه ، خرج منه نور فسطع حتى يدخل السماء ، وذلك الإيمان .

وأقبل شيء أسودُ كهيئة الدخان حتى يدخل في مسامعه[٨] وكلِّ شيء . وذلك غضب الله . فإذا أخبرهما بذلك علماه السحر ؛ فذلك قول الله تعالى : ﴿ **وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر** ﴾ . الآية .

وقال سُنيد : عن حجاج عن ابن جريج في هذه الآية : لا يجترىء على السحر إلا كافر .

---

[١] - في ز : ويقابله .
[٢] - في ز ، خ : « أولياوس » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ز ، خ : « ثنتان » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في خ : « ويلاه » .
[٧] - في خ : « ليعلم » .
[٨] - في خ : « السماع » .

وأما الفتنة : فهي المحنة ، والاختبار ، ومنه قول الشاعر :

وقـد فُـتِنِ النَّـاسُ في ديـنـهـم وخـلَّـى ابـنُ عـفـان شـرًا طـويـلا

وكذلك[١] قوله تعالى ، إخبارًا عن موسى - عليه السلام - حيث قال : ﴿ **إن هي إلا فتنتك** ﴾ أي : ابتلاؤك ، واختبارك ، وامتحانك ﴿ **تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء** ﴾ الآية[٢] .

وقد استدل بعضهم بهذه الآية على تكفير من تعلم السحر ، ويُستَشْهَدُ له بالحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البزار(٦١٥) ، حدّثنا محمد بن المثنى ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن همام ، عن عبد اللَّه قال : « **من أتى كاهنًا ، أو ساحرًا فصدّقه بما يقول ، فقد كفر بما أُنزل على محمد صلى اللَّه عليه وسلم** » . **وهذا إسناد جيد ، وله شواهد أخر** .

وقوله تعالى : ﴿ **فيتعلمون منهما ما يفرّقون به بين المرء وزوجه** ﴾ . أي : فيتعلم الناس من هاروت وماروت من علم السحر ما يتصرفون به فيما يتصرفون فيه من الأفاعيل المذمومة ؛ ما إنهم ليفرّقون به بين الزوجين مع ما بينهما من الخلطة والائتلاف .

وهذا من صنيع الشياطين ، كما رواه مسلم في صحيحه(٦١٦) ، من حديث الأعمش ، عن أبي سفيان طلحة بن نافع ، عن جابر بن عبد اللَّه - رضي اللَّه عنه ، عن النبي ، صلى اللَّه عليه وسلم ، قال : « **إن الشيطان ليضع[٣] عرشه على الماء ، ثم يبعث سراياه في الناس ، فأقربهم[٤] عنده منزلةً أعظمهم عنده فتنة ، يجيء أحدهم فيقول : ما زلت بفلان حتى تركتُه وهو يقول كذا وكذا . فيقول إبليس : لا واللَّه ما صنعت شيئًا ، ويجيء أحدهم فيقول : ما تركتُه حتى فرّقت بينه ، وبين أهله قال : فَيُقَرِّبُه ويدنيه ، ويلتزمه ، ويقول : نعم أنت** » .

وسبب التفريق بين الزوجين بالسحر ، ما يخيل إلى الرجل ، أو المرأة من الآخر من سوء منظر ، أو خلق ، أو نحو ذلك ، أو عقد ، أو بغضة ، أو نحو ذلك من الأسباب المقتضية للفرقة ، والمرء عبارة عن الرجل ، وتأنيثه امرأة ، ويثنَّى كل منهما ولا يجمعان ، واللَّه أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ **وما هم بضارّين به من أحد إلا بإذن اللَّه** ﴾ . قال سفيان الثوري : إلا بقضاء اللَّه . وقال محمد بن إسحاق : إلا بتخلية اللَّه بينه وبين ما أراد . وقال الحسن البصري : ﴿ **وما**

---

(٦١٥) -

(٦١٦) - صحيح مسلم في صفات المنافقين وأحكامهم برقم (٢٨١٣) .

---

[١] - في ز : وكذا .

[٢] - زيادة من : ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : « يضع » .

[٤] - في خ : « أقلهم » .

هم بضارّين به من أحد إلا بإذن الله ﴾ قال : نعم ، من شاء الله سلطهم عليه ، ومن لم يشإِ الله[١] لم يسلط ، ولا يستطيعون ضر أحد إلا بإذن الله ، كما قال الله تعالى . وفي رواية عن الحسن أنه قال : لا يضرُّ هذا السحر إلا من دخل فيه .

وقوله تعالى : **﴿ ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ﴾** أي : يضرهم في دينهم ، وليس له نفع يوازي ضرره .

﴿ ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ﴾ . أي : ولقد علم اليهود الذين استبدلوا بالسحر عن متابعة الرسول[٢] صلى الله عليه وسلم لمن فعل فعلهم ؛ ذلك أنه ما له في الآخرة من خلاق .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، والسدّي : من نصيب ، [وقال عبد الرازق : عن معمر ، عن قتادة : ما له في الآخرة من جهة عند الله ، وقال عبد الرازق ، وقال الحسن : ليس له دين][٣] .

وقال سعد[٤] : عن قتادة : **﴿ ما له في الآخرة من خلاق ﴾** . قال : ولقد[٥] علم أهل الكتاب فيما عهد الله إليهم ؛ أن الساحر لا خلاق له في الآخرة .

وقوله تعالى : **﴿ ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ﴾** ، **﴿ ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون ﴾** . يقول تعالى : **﴿ ولبئس ﴾** البديل : ما استبدلوا به من السحر عوضًا عن الإيمان ، ومتابعة الرسل ، لو كان لهم[٦] علم بما وعظوا به . **﴿ ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير ﴾** . أي : ولو أنهم آمنوا بالله ورسله[٧] ، واتقوا المحارم ، لكان مثوبةُ الله على ذلك خيرًا لهم ، مما[٨] استخاروا لأنفسهم ورضُوا به ، كما قال تعالى : **﴿ وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون ﴾** .

وقد يستدل بقوله : **﴿ ولو أنهم آمنوا واتقوا ﴾** من ذهب إلى تكفير الساحر ، كما هو رواية عن الإمام أحمد بن حنبل(٦١٧) ، وقول طائفة من السلف . وقيل : بل لا يكفر ، ولكن حدُّه ضربُ عنقِه ، لما رواه الشافعي ، وأحمد بن حنبل رحمهما الله قال[٩] : أخبرنا سفيان [- هو ابن

(٦١٧) - رواه عبد الله بن أحمد في مسائل أبيه ، ط . المكتب الإسلامي برقم (١٠٤٢) عن أبيه عن سفيان به .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في ز ، خ : « الرسل » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز ، خ : « سعيد » .
[٥] - في ز : وقد .
[٦] - في خ : « له » .
[٧] - في ز : بما .
[٨] - سقط من : خ .
[٩] - سقط من : ز ، خ .

عيينة -][١] عن عمرو بن دينار أنه سمع بِجَالَةَ بن عَبَدَةَ يقول : كتب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : أن اقتلوا كلَّ ساحر، وساحرة . قال : فقتلنا ثلاث سواحر . وقد أخرجه البخاري(٦١٨) في صحيحه أيضًا . وهكذا صحَّ أن حفصة أمَّ المؤمنين سحرتها جاريةٌ لها ، فأمرت بها فقتلت(٦١٩) . قال الإمام أحمد بن حنبلٍ :[صح عن][٢] ثلاثة[٣] من أصحاب النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في قتل الساحر .

وروى الترمذي(٦٢٠) من حديث إسماعيل بن مسلم ، عن الحسن ، عن جندب الأزدي أنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « **حدّ الساحر ضربه بالسيف** » .

ثم قال : لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه ، وإسماعيل بن مسلم يضعف في الحديث ، والصحيح عن الحسن ، عن جندب موقوفًا .

قلت : قد رواه الطبراني(٦٢١) من وجه آخر، عن الحسن ، عن جندب مرفوعًا ، والله أعلم.

وقد روي من طرق متعددة أنّ الوليد بن عقبة كان عنده ساحر يلعب بين يديه ، فكان يضرب رأس الرجل ، ثم يصيح به فيردّ إليه رأسه ، فقال الناس : سبحان الله يحيي الموتى ! ورآه رجل من صالحي المهاجرين ، فلما كان الغد جاء مشتملًا على سيفه ، وذهب يلعب لعبه ذلك ، فاخترط الرجل سيفه فضرب عنق الساحر ، وقال : إن كان صادقًا[٤] فَلْيحيي نفسَهُ . وتلا قوله تعالى : ﴿ **أفتأتون السحر وأنتم تبصرون** ﴾ فغضب الوليد إذ لم يستأذنه في ذلك ؛ فسجنه ثم أطلقه(٦٢٢) ، والله أعلم .

و[٥] قال الإمام[٦] أبو بكر الخلال : أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدّثني أبي ، حدثنا

---

(٦١٨) - رواه أحمد (١٦٥٧) ، والشافعي في الرسالة (١١٨٣) ، وفي الأم (٩٦/٦) ، والطيالسي مختصراً (٢٢٥) ، والبخاري مطولاً (١٨٤/٦ - ١٨٥) ، والبيهقي في الكبرى (٢٤٧/٨ - ٢٤٨) .

(٦١٩) - رواه عبد الله بن أحمد في مسائل أبيه ، ط . المكتب الإسلامي برقم (١٥٤٣) عن أبيه عن يحيى ابن سعيد ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر : أن حفصة سحرتها جاريتها ، فذكره .

(٦٢٠) - سنن الترمذي برقم (١٤٦٠) .

(٦٢١) - الكبير (١٦١/٢) من طريق محمد بن الحسن بن سيار ، عن خالد العبد عن الحسن عن سمرة به .

(٦٢٢) - الرجل الذي قتله هو جندب بن كعب ، انظر القصة في : أسد الغابة لابن الأثير في ترجمة جندب ابن كعب (٣٦١/١) وفي الإصابة للحافظ ابن حجر (٢٥١/١) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : « فثلاثة » .

[٤] - في ز ، خ : « ساحرًا » .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

يحيىٰ بن سعيد ، حدّثني أبو إسحاق ، عن حارثة ، قال : كان[١] عند بعض الأمراء رجل يلعب فجاء جندب مشتملاً على سيفه فقتله ، قال[٢] : أراه كان ساحرًا .

وحمل الشافعي - رحمه اللَّه - قصة عمر وحفصة على سحر يكون شركًا ، واللَّه أعلم .

(فصل)

حكى أبو عبد اللَّه الرازي في " تفسيره " عن المعتزلة ؛ أنهم أنكروا وجود السحر ، قال : وربما كَفَّروا من اعتقد وجوده ، قال : وأمّا أهلُ السنة فقد جوّزوا أن يقدر الساحر أن يطير في الهواء ، ويقلب الإنسان حمارًا[٣] والحمار إنسانًا ؛ إلا أنهم قالوا : إن اللَّه يخلق الأشياء عندما يقول الساحر تلك الرقىٰ والكلمات المعينة ، فأما أن يكون المؤثر في ذلك هو الفلك ، والنجوم ، فلا ، خلافًا للفلاسفة ، والمنجمين ، والصابئة ، ثم استدل على وقوع السحر ، وأنه بخلق اللَّه تعالى ، بقوله تعالى : ﴿ **وما هم بضارّين به من أحد إلا بإذن اللَّه** ﴾ ومن الأخبار : بأن رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، سُحِرَ ، وأن السحر عمل فيه ، وبقصة تلك المرأة مع عائشة - رضي اللَّه عنها - وما ذكرت تلك المرأة من إتيانها بابلَ ، وتعلمها السحر .

قال : وبما يذكر في هذا الباب من الحكايات الكثيرة ، ثم قال بعد هذا[٤] :

(**المسألة الخامسة**) في أنّ العلم بالسحر ليس بقبيح ولا محظور : اتفق المحققون على ذلك ، لأنّ العلم لذاته شريف ، وأيضًا لعموم قوله تعالى : ﴿ **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون** ﴾ . ولأنّ[٥] السحر لو لم يكن[٦] يُعْلَم لما أمكن الفرق بينه وبين المعجزة ، والعلم بكون المعجز[٧] معجزًا واجب ، وما يتوقف الواجب عليه فهو واجب ، فهذا يقتضي أن يكون تحصيل العلم بالسحر واجبًا ومايكون واجبًا ، فكيف[٨] يكون حرامًا وقبيحًا ؟ ! .

هذا لفظه بحروفه في هذه المسألة ، وهذا الكلام فيه نظر من وجوه :

أحدها[٩] قوله : العلم بالسحر ليس بقبيح شرعًا[١٠] ، [إن عنىَ به ليس بقبيح عقلاً][١١] ، فمخالفوه من المعتزلة يمنعون هذا ، وإن عنى أنه ليس بقبيح شرعًا ، ففي هذة الآية الكريمة تبشيع

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز ، خ : « فقال » .
[٣] - في خ : « أو » .
[٤] - في خ : « هذه » .
[٥] - مكررة في خ : بلفظ « ولئن » .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - في ز ، خ : « المعجزة » .
[٨] - في ز : كيف .
[٩] - في ت : « أحدهما » .
[١٠] - زيادة من : خ .
[١١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

لتعلم السحر ، [وفي الصحيح(٦٢٣) : « **من أتى عرافًا أو[١] كاهنًا فقد كفر بما أنزل على محمد** »][٢] . وفي السنن(٦٢٤) : « **من عقد عقدة ، ونفث فيها فقد سحر** » . وقوله : « ولا محظور[٣] - اتفق المحققون على ذلك » . كيف لايكون [محظورًا مع][٤] ما[٥] ذكرناه من الآية والحديث ؟ ! واتفاقُ المحققين يقتضي أن يكون قد[٦] نصَّ على هذه المسألة أئمة العلماء ، أو أكثرهم ، وأين نصوصهم على ذلك ؟ ثم إدخاله علم[٧] السحر في عموم قوله تعالى : ﴿ **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون** ﴾ . فيه نظر ؛ لأنّ هذه الآية إنما دلت على مدح العالمين بالعلم الشرعي ، وَلِم قُلْتَ إن هذا منه ؟ ثم[٨] ترقيه[٩] إلى وجوب تعلمه بأنه لا يحصل العلم

(٦٢٣) - **صحيح** ، رواه أحمد ٩٥٣٢ - (٤٢٩/٢) من حديث عوف ، عن خلاس ، عن أبي هريرة ، والحسن عن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بلفظ : « **من أتى كاهنًا أو عرافًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد** . ورواه الحاكم (٨/١) وعنه البيهقي في الكبرى (١٣٥/١) من حديث روح ، عن عوف ، عن خلاس ومحمد بن سيرين ، عن أبي هريرة ، به . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرطهما جميعًا من حديث محمد بن سيرين ولم يخرجاه ، وحدَّث البخاري ، عن إسحاق ، عن روح ، عن عوف ، عن خلاس ومحمد ، عن أبي هريرة قصة موسى أنه آدر .

ورواه أبو يعلى الموصلي (٥٤٠٨/٩) من حديث عبد الرحمن بن سلام ، عن إبراهيم بن طهمان ، عن أبي إسحاق ، عن هبيرة بن بريم ، عن عبد اللّٰه بن مسعود - موقوفًا - ولفظه : « **من أتى عرافًا أو ساحرًا أو كاهنًا فسأله فصدقه بما يقول - فقد كفر بما أنزل على محمد** » . ورواه أبو داود الطيالسي حديث ٣٨٢ (صـ ٥٠) : حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن هبيرة بن يريم ، عن عبد اللّٰه - موقوفًا - قال : « **من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد** » . ورواه البزار ٢٠٦٧ - (٤٤٣/٢) . وقال البزار : ورواه غير واحد عن أبي إسحاق ، عن هبيرة ، عن عبد اللّٰه . وذكره الهيثمي (١١٨/٥) وقال : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح ، خلا هبيرة بن يريم ، وهو ثقة .

وهو عند مسلم برقم ١٣٥ - (٢٢٣٠) من حديث بعض أزواج النبي ، صلى اللّٰه عليه وسلم - مرفوعًا - بلفظ : **من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة** . ورواه أحمد أيضًا برقم ١٦٦٩٣ - (٦٨/٤) ، و ٢٣٣٢٨ - (٣٨٠/٥) . ورواه البيهقي في الكبرى (١٣٨/٨) .

(٦٢٤) - **إسناده ضعيف منقطع** ، رواه النسائي في كتاب : تحريم الدم ، باب : « الحكم في السحرة » (٧/ ١١٢) ثنا عمرو بن علي ، ثنا أبو داود ، ثنا عباد بن ميسرة المِنْقَرِيّ ، عن الحسن ، عن أبي هريرة مرفوعًا . والحسن لم يسمع من أبي هريرة عند الجمهور - كما قال المنذري في « الترغيب والترهيب » [٣٢/٤] وانظر جامع التحصيل صـ ١٦٤ - وعبّاد بن ميسرة لين الحديث عابد ، وأورده الذهبي في الميزان (٣٧٨/٢) وقال : هذا الحديث لا يصح للين عباد وانقطاعه . وقال ابن حجر في التلخيص الحبير (٤١/٤) : وهو

[١] - في ز : و .
[٢] - ما بين المعكوفتين مكررة في خ .
[٣] - في ز ، خ : « محظورًا » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين في خ : « فما » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - سقط من : خ .
[٩] - في خ : « ترقية » .

بالمعجز إلا به ، ضعيف بل فاسد ؛ لأن أعظم معجزات رسولنا عليه الصلاة والسلام هي القرآن العظيم ، الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد . ثم إن[١] العلم بأنه معجز لا يتوقف على علم السحر أصلًا ، ثم من المعلوم بالضرورة أن الصحابة والتابعين ، وأئمة المسلمين وعامتهم ، كانوا يعلمون المعجز ، ويفرّقون بينه وبين غيره ، ولم يكونوا يعلمون السحر ، ولا تعلموه ولا علّموه ، والله أعلم .

ثم قد ذكر أبو عبد الله الرازي أن[٢] أنواع السحر ثمانية -(الأول) : سحر الكلدانيين والكشدانيين ، الذين كانوا يعبدون الكواكب السبعة[٣] المتحيرة ، وهي السيارة ، وكانوا يعتقدون أنها مدبرة العالم ، وأنها تأتي بالخير والشر ، وهم الذين بعث الله[٤] إليهم إبراهيم الخليل ، صلى الله عليه وسلم ، مبطلًا لمقالتهم ، ورادًّا[٥] لمذهبهم[٦] ، وقد استقصى في (كتاب السر المكتوم ، في مخاطبة الشمس والنجوم) المنسوب إليه ، كما[٧] ذكره[٨] القاضي ابن خلكان وغيره ، ويقال : إنه تاب منه ، وقيل : بل[٩] صنفه على وجه إظهار الفضيلة لا على سبيل الاعتقاد . وهذا هو المظنون به ، إلا أنه ذكر فيه طرائقهم[١٠] في مخاطبة كلٍّ من هذه الكواكب السبعة ، وكيفية ما يفعلون وما يلبسونه وما يتنسكون[١١] به .

قال : (والنوع الثاني) - سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية[١٢] ، ثم استدل على أن الوهمَ له تأثير ، بأن الإنسان يمكنه أن يمشي على الجسر الموضوع على وجه الأرض ، ولا يمكنه المشي عليه إذا كان ممدودًا على نهر أو نحوه ، قال : وكما أجمعت الأطباء على نهي المرعوف عن النظر إلى الأشياء الحمر ، والمصروع إلى[١٣] الأشياء القوية اللمعان أو الدوران ، وما ذلك[١٤] إلا لأن النفوس خلقت مطيعةً[١٥] للأوهام .

قال : ولقد[١٦] اتفق العقلاء على أن الإصابة بالعين حق .

ضعيف . وأورده الألباني في ضعيف الجامع حديث (٥٧٠٢) . وقد استنكر له - يعني : عباد - الحافظ ابن عدي هذا الحديث ، فأورده في « الكامل » [١٦٤٨/٤] .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في ت : وردًا .
[٦] - في ز : لمذاهبهم .
[٧] - في ز ، خ : « فيما » .
[٨] - في ت : ذكرها .
[٩] - في ز ، خ : « أنه » .
[١٠] - في ت : طريقهم .
[١١] - في ت : « يتمسكون » .
[١٢] - سقط من : خ .
[١٣] - في خ : « على » .
[١٤] - في خ : « ذاك » .
[١٥] - في ز ، خ : « منطبعة » .
[١٦] - في ز ، خ : « وقد » .

وله أن يستدل على ذلك بما ثبت في الصحيح (٦٢٥) : أن رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - قال : **« العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين »** .

قال : فإذا عرفت هذا فنقول : النفس التي تفعل هذه الأفاعيل قد تكون قوية جدًّا ، فتستغني في هذه الأفاعيل[١] عن الاستعانة بالآلات والأدوات ، وقد تكون ضعيفة ؛ فتحتاج إلى الاستعانة بهذة الآلات .

وتحقيقُه أن النفس إذا كانت [مستعلية على][٢] البدن شديدة الانجذاب إلى عالم السموات ، صارت كأنها روح من الأرواح السماوية ؛ فكانت قوية على التأثير في مواد هذا العالم ، وإذا كانت ضعيفة شديدة التعلق بهذة الذات[٣] البدنية ، فحينئذ لايكون لها تصرفٌ ألبتة إلا في هذا البدن . ثم أرشد إلى مداواة هذا الداء بتقليل الغذاء ، والانقطاع عن [الناس][٤] [والرياضة][٥].

(قلت) : وهذا الذي يشير إليه هو التصرف بالحال ، وهو على قسمين : تارة تكون[٦] حالًا صحيحة شرعية يتصرف [بها فيما][٧] أمر اللَّه ورسوله [صلى اللَّه عليه وسلم] ، ويترك[٨] ما نهى اللَّه تعالى عنه ورسوله ، صلى اللَّه عليه وسلم ، فهذه[٩] الأحوال مواهبُ من اللَّه تعالى ؛ وكراماتٌ للصالحين من هذه الأمة ، ولا يسمى هذا سحرًا في الشرع .

وتارة تكون الحالة فاسدة لا يمتثل صاحبها ما أمر اللَّه ورسوله ، صلى اللَّه عليه وسلم ، ولا يتصرف بها في ذلك . فهذه حال الأشقياء المخالفين للشريعة ، ولا يدل إعطاء اللَّه إياهم هذه الأحوال على محبته لهم ، كما أن الدجال - لعنه اللَّه - له من[١٠] الخوارق للعادات ما دلت عليه الأحاديث الكثيرة مع أنه مذموم شرعًا لعنه اللَّه ! . وكذلك من شابهه من مخالفي الشريعة المحمدية ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام . وبسط هذا يطول جدًّا ؛ وليس هذا موضعه .

قال : (والنوع الثالث) من السحر : الاستعانة [بالأرواح[١١] الأرضية][١٢] ؛ وهم الجن خلافًا للفلاسفة والمعتزلة : وهم على قسمين : مؤمنين[١٣] ، وكفار وهم الشياطين .

---

(٦٢٥) - رواه مسلم في كتاب السلام برقم ٤٢ - (٢١٨٨) من حديث عبد اللَّه بن عباس رضي اللَّه عنه .

---

[١] - في ز ، خ : « الأفعال » .

[٢] - في ز ، خ : مشتغلة عن » .

[٣] - في ز ، خ : « اللذات » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في خ : « النظر »

[٥] - في ن : والرياء » .

[٦] - في ز : يكون .

[٧] - ما بين المعكوفتين في خ : فيها » .

[٨] - في ز ، خ : « وترك » .

[٩] - في ز ، خ : « وهذه » .

[١٠] - في ت: «مع» .

[١١] - سقط من : خ .

[١٢] - في ز : بالأرضية .

[١٣] - في ز ، خ : « مؤمنون » .

قال : واتصال النفوس الناطقة بها أسهل من اتصالها بالأرواح السماوية ، لما بينهما من المناسبة والقرب ، ثم إن أصحاب الصنعة ، وأرباب التجربة شاهدوا أن الاتصال بهذه الأرواح الأرضية يحصل بأعمال سهلة قليلة من الرقىٰ والدخن[١] والتجريد . وهذا النوع هو المسمى بالعزائم وعمل التسخير[٢] .

(النوع الرابع) من السحر : التخييلات[٣] والأخذ بالعيون والشعبذة ، ومبناه على[٤] أن البصر قد يخطىء ، ويشتغل بالشيء المعين دون غيره ؛ ألا ترىٰ أن المشعبذ الحاذق يظهر عمل شيء يذهل أذهان الناظرين به ، ويأخذ عيونهم إليه ، حتى إذا استفرغهم الشغل بذلك الشيء بالتحديق و[٥] نحوه ، عمل شيئًا آخر عملًا بسرعة شديدة ، وحينئذ يُظهر لهم شيئًا[٦] آخر غير ما انتظروه ، فيتعجبون منه جدًّا ، ولو أنه سكت [ولم تكلم][٧] بما يصرف الخواطر إلى ضد ما يريد أن يعمله ، ولم تتحرك النفوس والأوهام إلى غير ما يريد إخراجه ، لفطن الناظرون لكل ما يفعله .

(قال) : وكلما كانت الأحوال التي تفيد حسن البصر نوعًا من أنواع الخلل أشدَّ ، كان العملُ أحسن ، مثل أن يجلس[٨] المشعبذ في موضع مضيء جدًّا - أو مظلم - فلا تقف القوة الناظرة[٩] على أحوالها بكلالها ، والحالة هذه .

(قلت) : وقد قال بعض المفسرين : إن سحر السحرة بين يدي فرعون إنما كان من باب الشعبذة ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ **فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى** ﴾ قالوا : ولم تكن تسعى في نفس الأمر . والله أعلم .

(النوع الخامس من السحر) : الأعمال العجيبة التي تظهر من تركيب الآلات المركبة من النسب الهندسية ؛ كفارس على فرس في يده بوق ، كلما مضت[١٠] ساعة من النهار ضرب بالبوق ، من غير أن يمسه أحد ، ومنها الصور التي تصورها الروم والهند ، حتى لا يفرق الناظر بينها وبين الإنسان ، حتى يصوروها[١١] ضاحكة وباكية .

إلى أن قال : فهذه الوجوه من لطيف أمور المخاييل .

---

[١] - في ز ، خ : « الدخل » .
[٢] - في ز : تسخير .
[٣] - في خ : التخيلات .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - في خ : « شيء » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ت : « وما يتكلم » .
[٨] - في خ : « يحبس » .
[٩] - في خ : « الباطنة » .
[١٠] - في خ : « مضت » .
[١١] - في خ : « يصورونها » .

قال : وكان سحر سحرة فرعون من هذا القبيل .

(**قلت**) : يعني ما قاله بعض المفسرين : إنهم عمدوا إلى تلك الحبال ، والعصي ، فحشوها زئبقًا ، فصارت تتلوى بسبب ما فيها من ذلك الزئبق ، فيخيل إلى الرائي أنها تسعى باختيارها .

قال الرازي : ومن هذا الباب تركيب صندوق الساعات ، ويندرج في هذا الباب علم جَرِّ الأثقال بالآلات الخفيفة .

قال : وهذا في الحقيقة لاينبغي أن يعد من باب السحر ، لأن لها أسبابًا معلومة يقينية من اطَّلع عليها قدر عليها .

(**قلت**) : ومن هذا القبيل حيل النصارى على عامتهم ، بما يرونهم إياه من الأنوار ؛ كقضية قمامة الكنيسة التي لهم ببيت المقدس ، وما يحتالون به من إدخال النار خفيةً إلى الكنيسة ، وإشعال ذلك القنديل بصنعة لطيفة تروج على العوام منهم ، وأما الخواص فهم معترفون بذلك ، ولكن يتأولون : أنهم يجمعون شمل أصحابهم على دينهم ، فيرون ذلك سائغًا لهم ، وفيه شبهة للجهلة الأغبياء من متعبدي الكرّامية ، الذين يرون جواز وضع الأحاديث في الترغيب والترهيب ، فيدخلون في عداد من قال رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - فيهم : « **من كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار** »(٦٢٦) وقوله : « **حدثوا عني ولا تكذبوا علي ؛ فإنه من يكذب عليَّ يلج النار** »(٦٢٧) .

ثم ذكر هاهنا حكاية عن بعض الرهبان ، وهو أنه سمع صوت طائر حزين الصوت ، ضعيف الحركة ، فإذا سمعته الطيور ترقُّ له ، فتذهب فتلقي في وكره من ثمر الزيتون ليتبلغ به ، فعمد هذا الراهب إلى صنعة طائر على شكله ، وتوصّل إلى أن جعله أجوفَ ، فإذا دخلته الريح يُسمع له صوتٌ كصوت ذلك الطائر ، وانقطع في صومعة ابتناها ، وزعم أنها على قبر بعض صالحيهم ، وعلق ذلك الطائر في مكان منها ، فإذا كان زمان الزيتون فتح بابًا من ناحيته فيدخل الريح إلى داخل هذه الصورة ، فيسمع صوتَها كُلُّ طائر في شكله أيضًا ، فتأتي الطيور ، فتحمل من الزيتون شيئًا كثيرًا ، فلا ترى النصارى إلا ذلك الزيتون في هذه الصومعة ، ولا يدرون ما سببه ، ففتنهم

---

(٦٢٦) - هذا الحديث من الأحاديث المتواترة رواه جمع من الصحابة عن النبي ، صلى اللَّه عليه وسلم ، عدَّهم الإمام الطبراني في جزء له فزادوا على الستين ، وانظره في : صحيح البخاري في كتاب العلم ، باب : إثم من كذب على النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم برقم (١٠٧) من حديث الزبير ، وحديث (١١٠) من حديث أبي هريرة ، رضي اللَّه عنهما ، وفي مقدمة صحيح مسلم برقم ٢ ، ٣ ، ٤ - (٢ ، ٣، ٤) من حديث أنس وأبي هريرة والمغيرة رضي اللَّه عنهم .

(٦٢٧) - رواه البخاري برقم (١٠٦) - دون قوله : « **حدثوا عني** » - وكذا رواه مسلم في مقدمة صحيحه برقم ١ - (١) كلاهما من حديث علي رضي اللَّه عنه .

بذلك ، وأوهم أن هذا من كرامات صاحب هذا القبر ، عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة .

قال الرازي : (النوع السادس من السحر) : الاستعانة بخواص الأدوية ؛ يعني في الأطعمة والدهانات ، قال : واعلم أنه لا سبيل إلى إنكار الخواص ؛ فإن تأثير المغناطيس مشاهد .

(**قلت**) : يدخل في هذا القبيل كثير ممن يدعي الفقر ، ويتحيل على جهلة الناس بهذه الخواص ، مدعيًا أنها أحوال له من مخالطة النيران ، ومسك الحيات إلى غير ذلك من المحالات .

قال : (النوع السابع من السحر) تعليق القلب ، وهو أن يدعي الساحر أنه عرف الاسم الأعظم ، وأن الجن يطيعونه وينقادون له في أكثر الأمور ، فإذا اتفق أن يكون السامع لذلك ضعيف العقل ، قليل التمييز ؛ اعتقد أنه حق ، وتعلق قلبه بذلك ، وحصل في نفسه نوع من الرعب ، والمخافة ، فإذا حصل الخوف ضعفت القوى الحساسة ؛ فحينئذ يتمكن الساحر أن يفعل ما يشاء .

(قلت) : هذا النمط يقال له : التنبلة ، وإنما يروج على ضعفاء العقول من بني آدم ، وفي علم الفراسة ما يرشد إلى معرفة كامل العقل من ناقصه ، فإذا كان المتنبل حاذقًا في علم الفراسة عرف من ينقاد له من الناس من غيره .

قال : (النوع الثامن من السحر) السعي بالنميمة ، والتضريب من وجوه خفيفة لطيفة ، وذلك شائع في الناس .

(**قلت**) : النميمة على قسمين : تارة تكون على وجه التحريش بين الناس ، وتفريق قلوب المؤمنين ، فهذا حرام متفق عليه ، فأما إن كانت على وجه الإصلاح بين الناس ، وائتلاف كلمة المسلمين ، كما جاء في الحديث : « **ليس بالكذاب من ينم خيرًا** »[(٦٢٨)] ، أو يكون على وجه التخزيل والتفريق بين جموع الكفرة ؛ فهذا أمر مطلوب ، كما جاء في الحديث : « **الحرب خدعة** »[(٦٢٩)] ، وكما فعل نعيم بن مسعود في تفريقه بين كلمة الأحزاب ، وبين قريظة ، وجاء إلى هؤلاء ، فنمى إليهم عن هؤلاء كلامًا ، ونقل من هؤلاء إلى أولئك شيئًا آخر ، ثم لأم بين ذلك ، فتناكرت النفوس وافترقت . وإنما يحذو على مثل هذا الذكاء والبصيرة النافذة ، والله المستعان .

---

(٦٢٨) - **متفق عليه** من حديث أم كلثوم بنت عقبة بلفظ : « **ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرًا أو يقول خيرًا** » رواه البخاري في الصلح ، باب : ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس حديث ٢٦٩٢. ورواه مسلم في البر حديث ١٠١ - (٢٦٠٥) .

(٦٢٩) - **متفق عليه** من حديث جابر بن عبد الله ، رواه البخاري في الجهاد والسير ، باب : الحرب خدعة ، حديث ٣٠٣٠ ، ومسلم ١٧ - (١٧٣٩) ، ورواه أبو داود ٢٦٣٦ ، والترمذي ١٦٧٥ ، والنسائي في السير من الكبرى . وقد رُوي من حديث علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن عباس ، وكعب بن مالك ، وأبي هريرة وعائشة .

ثم قال الرازي : فهذه جملة الكلام في أقسام السحر، وشرح أنواعه، وأصنافه .

(**قلت**) : وإنما أدخل كثيرًا من هذه الأنواع المذكورة في فن السحر ، للطافة مداركها ؛ لأن السحر في اللغة : عبارة عمّا لطف وخفي سببه . ولهذا جاء في الحديث : « **إن من البيان لسحرًا** »[٦٣٠] . وسمي السحور لكونه يقع خفيًّا آخر الليل . والسَّحْرُ : الرئة ، وهي محل الغذاء ، وسميت بذلك ؛ لخفائها ؛ ولطف مجاريها إلى أجزاء البدن ، وغضونه ، كما قال أبو جهل يوم بدر لعتبة : انتفخ سَحْرك أي : انتفخت رئته من الخوف . وقالت عائشة – رضي اللّه عنها – : توفي رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم – بين سحري ونحري[٦٣١] . وقال تعالى : ﴿ **سحروا أعين الناس** ﴾ ، أي أخفوا عنهم عملهم ، واللّه أعلم .

وقال أبو عبد اللّه القرطبي : وعندنا أن السحر حق ، وله حقيقة يخلق اللّه عنده ما يشاء خلافًا للمعتزلة ، وأبي إسحاق الإسفرايني من الشافعية ، حيث قالوا : إنه تمويه ، وتخييل . قال : ومن السحر ما يكون بخفة اليد كالشعوذة ، والشعوذي : البريد ؛ لخفة سيره .

قال ابن فارس : وليست هذه الكلمة من كلام البادية .

قال القرطبي : ومنه ما يكون كلامًا يحفظ ، ورقيً من أسماء اللّه تعالى ، وقد يكون من عهود الشياطين ، ويكون أدوية ، وأدخنة ، وغير ذلك . قال : وقوله عليه السلام : « **إن من البيان لسحرًا** » يحتمل أن يكون مدحًا كما تقوله طائفة ، ويحتمل أن يكون ذمًّا للبلاغة قال : وهذا أصح . قال : لأنها تصوب الباطل حتى توهم السامع أنه حق ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « **فلعل بعضكم أن يكون ألحنَ بحجته من بعض فأقضي له** »[٦٣٢] الحديث .

---

(٦٣٠) – **صحيح** ، رواه البخاري من حديث ابن عمر في النكاح ، باب الخطبة ، حديث ٥١٤٦ . وفي الطب باب : وإن من البيان لسحرًا حديث ٥٧٦٧ ، ورواه الترمذي في البر ، باب : ما جاء في أن من البيان سحرًا حديث ٢٠٢٩ . ورواه أبو داود في الأدب ، باب : المتشدق بالكلام ، حديث ٥٠٠٧ . ورواه مسلم من حديث عمار في الجمعة برقم ٤٧ – (٨٦٩) . وقد رُوي من حديث عبد اللّه بن عباس ، رواه أبو داود حديث ٥٠١١ ، والترمذي ٢٨٤٥ ، وابن ماجه ٣٧٥٦. ورواه أبو داود من حديث بريدة بن الحصيب حديث ٥٠١٢ .

(٦٣١) – رواه البخاري في المغازي ، باب : مرض النبي ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، ووفاته برقم ٤٤٥١ . ورواه مسلم في فضائل الصحابة حديث ٨٤ – (٢٤٤٣) ، وأحمد حديث ٢٤٣٢٧ – (٤٨/٦) .

(٦٣٢) – **متفق عليه من حديث أم سلمة** ، رواه البخاري في الشهادات حديث (٢٦٨٠) ، وفي الأحكام حديث (٧١٦٩) ، وفي الحيل حديث (٦٩٦٧) . ورواه مسلم في الأقضية حديث (١٧١٣) . وهو عند الترمذي في الأحكام حديث (١٣٣٩) ، وعند أبي داود في الأقضية برقم (٣٥٨٣) ، وعند النسائي في أدب القضاة حديث (٥٤٠١) . وعند ابن ماجه في الأحكام حديث (٢٣١٧) ، وعند أحمد ٢٦٦٠١ – (٢٩٠/٦) .

وهو عند أحمد من حديث أبي هريرة .

(فصل)

وقد ذكر الوزير أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة ، رحمه الله ، في كتابه (الإشراف على مذاهب الأشراف) بابًا في السحر ؛ فقال : أجمعوا على أن السحر له حقيقة إلا أبا حنيفة ، فإنه قال : لاحقيقة له عنده .

واختلفوا فيمن يتعلم السحر ، ويستعمله ، فقال أبو حنيفة ، ومالك ، وأحمد : يكفر بذلك .

ومن أصحاب أبي حنيفة من قال : إنْ تعلمه ليتقيه ، أو ليجتنبه فلا يكفر ، ومن تعلمه معتقدًا جوازه ، أو أنه ينفعه كفر .

وكذا من اعتقد أن الشياطين تفعل له ما يشاء فهو كافر .

وقال الشافعي رحمه الله : إذا تعلم السحر ؛ قلنا له : صف لنا سحرك . فإن وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة ، وأنها تفعل ما يلتمس منها فهو كافر ، وإن كان لا يوجب الكفر ، فإن اعتقد إباحته فهو كافر .

قال ابن هبيرة : وهل يقتل بمجرد فعله واستعماله ؟ فقال مالك وأحمد[١] : نعم . وقال الشافعي ، وأبو حنيفة : لا . فأمّا إن قتل بسحره إنسانًا فإنه يقتل عند مالك ، والشافعي ، وأحمد .

وقال أبو حنيفة : لا يقتل ، حتى يتكرر منه ذلك ، أو يقر بذلك في حق شخص معين . وإذا قتل ، فإنه يقتل حدًّا عندهم ، إلا الشافعي ، فإنه قال : يقتل والحالة هذه قصاصًا .

قال : وهل إذا تاب الساحر تقبل توبته ؟ فقال مالك ، وأبو حنيفة ، وأحمد في المشهور عنهم[٢] : لا تقبل . وقال الشافعي وأحمد في الرواية الأخرى : تقبل .

وأما ساحر أهل الكتاب فعند أبي حنيفة فإنه يقتل ، كما يقتل الساحر المسلم .

وقال مالك ، [وأحمد والشافعي]: لايقتل . يعني لقصة لبيد بن الأعصم .

واختلفوا في المسلمة الساحرة ، فعند أبي حنيفة أنها لا تقتل ، ولكن تحبس . وقال الثلاثة : حكمها حكم الرجل ، والله أعلم .

وقال أبو بكر الخلال(٦٣٣) : أخبرنا أبو بكر المروزي ، قال : قُرِئَ على أبي عبد الله - يعني

(٦٣٣) - عمر بن هارون هو البلخي : قال يحيى بن معين : كذاب خبيث ، ورواه أبو بكر الخلال في كتابه " الجامع " " أهل الملل والردة والزنادقة وتارك الصلاة والفرائض " ص ٥٣٢ حديث ١٣٥٦ .

[١] - سقط من : خ.   [٢] - في خ : « عنهما » .

أحمد بن حنبل - : عمر بن هارون ، حدثنا يونس ، عن الزهري قال : يقتل ساحر المسلمين ، ولا يقتل ساحر المشركين ؛ لأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سحرته امرأة من اليهود فلم يقتلها .

[وقد نقل القرطبي ، عن مالك رحمه الله أنه قال في الذمي إذا سحر : يقتل إن قتل سِحْرُهُ ، وحكى ابن خويز منداد ، عن مالك روايتين في الذمي إذا سحر :

إحداهما : أنه يستتاب فإن أسلم ، وإلا قتل

والثانية : أنه يُقْتَل وإن أسلم .

وأمّا الساحر المسلم ، فإن تضمّن كفرًا ؛ كفر عند الأئمة الأربعة وغيرهم ، لقوله تعالى : ﴿ **وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر** ﴾ ، لكن قال مالك : إذا ظُهِرَ عليه لم تقبل توبته ؛ لأنه كالزنديق ، فإن تاب قبل أن يُظهر عليه وجاءنا][1] [تائبًا قبلناه ، فإن قَتَلَ سِحْرُهُ قُتِلَ.

قال الشافعي : فإن قال : لم أتعمد القتل فهو مخطىء تجب عليه الدية .

(**مسألة**) وهل يُسْأَلُ الساحرُ حلًّا لسحره ؟ فأجازه سعيد بن المسيب ، فيما نقله نقلًا عنه البخاري ، وقال عامر الشعبي : لا بأس بالنشرة(٦٣٤) . وكره ذلك الحسن البصري ، وفي الصحيح عن عائشة أنها قالت : يا رسول الله ! هلا تنشرت ؟ فقال : « **أمّا الله فقد شفاني ، وخشيت أن أفتح على الناس شرًّا** »(٦٣٥) ، وحكى القرطبي عن وهب أنه قال : يؤخذ سبع ورقات من سدر ، فتدق بين حجرين ، ثم تضرب بالماء ، ويقرأ عليها آية الكرسي ، ويشرب منها المسحور ثلاث حسوات ، ثم يغتسل بباقيه ، فإنه يذهب مابه ، وهو جيد للرجل الذي يؤخذ عن امرأته

(**قلت**) : أنفع ما يستعمل لإذهاب السحر ما أنزل الله على رسوله في إذهاب ذلك وهو المعوذتان ، وفي الحديث : « **لم يتعوذ المتعوذ بمثلهما** »(٦٣٦) وكذلك قراءة آية الكرسي ؛ فإنها مطردة للشيطان][2] .

(٦٣٤) - النُشرة ؛ بالضم : ضرب من الرقية ، والعلاج ، يعالج به من كان ظن أن به مَسًّا من الجن . النهاية (٥/٥٤) ، وقيل : هي حل السحر عن المسحور ، وهي نوعان ، أحدهما : حل بسحر مثله ، وهو الذي من عمل الشيطان ، والثاني : النشرة ؛ الرقية ، والتعوذات ، والأدوية ، والدعوات المباحة ، فهذا جائز .

(٦٣٥) - **متفق عليه** ، رواه البخاري في كتاب الطب ، باب : السحر برقم (٥٧٦٦) ، ومسلم في كتاب السلام برقم ٤٣ - (٢١٨٩) .

(٦٣٦) - رواه النسائي في السنن (٢٥١/٨) من حديث عقبة بن عامر ، رضي الله عنه .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

انتهى بحمد اللّه وتوفيقه الجزء الأول

ويليه إن شاء اللّه تعالى الجزء الثاني وأوله تفسير قوله تعالى :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤) مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ (١٠٥)﴾

تفسير القرآن العظيم

للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء
إسماعيل بن كثير الدمشقي
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

هذه الطبعة أول طبعة مقابلة على النسخة الأزهرية
وكذلك على نسخة كاملة بدار الكتب المصرية

تحقيق

مصطفى السيد محمد — محمد السيد رشاد
محمد فضل العجماوي — علي أحمد عبد الباقي
حسن عباس قطب

المجلد الثاني

مؤسسة قرطبة
طباعة . نشر . توزيع
جيزة - ت : ٥٨١٥٠٢٧

مكتبة أولاد الشيخ للتراث
٣٦ ش اليابان - عمرانية غربية - جيزة
ت : ٥٦٢٨٣١٨ - ٥٦١١٤٤٢

رقم الإيداع : ٢٠٠٠/٩٣٤٩

الترقيم الدولى : I.S.B.N
977 - 5234 - 33 - 6

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر هاتف: ٤٣٠٧٥٢٦-٢٠٥٥٦٨٨ القاهرة

تفسير
القرآن العظيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ (١٠٤) مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ (١٠٥)﴾

نهى اللَّه تعالى عباده[١] المؤمنين أن يتشبهوا بالكافرين في مقالهم، وفعالهم، وذلك أن اليهود كانوا يُعانُون من الكلام ما فيه توريةٌ لما يقصدونه من التنقص[٢] عليهم لعائن اللَّه؛ فإذا أرادوا أن يقولوا: اسمع لنا. يقولون: راعنا. يورُّون بالرعونة، كما قال تعالى: ﴿ **من الذين هادوا يحرّفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليًا بألسنتهم وطعنًا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرًا لهم وأقوم ولكن لعنهم اللَّه بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلًا** ﴾ وكذلك جاءت الأحاديث بالإخبار عنهم بأنهم كانوا إذا سَلَّموا إنما يقولون: السامُ عليكم، والسام: هو الموت، ولهذا أمرنا أن نرد عليهم بـ«وعليكم»(٦٢٤). وإنه يستجاب لنا فيهم، ولا يستجاب لهم فينا.

والغرض أن اللَّه - تعالى - نهى المؤمنين عن مشابهة الكافرين قولًا وفعلًا، فقال: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم** ﴾.

وقال الإمام أحمد (٦٢٥): حدثنا أبو النضر، حدثنا عبد الرحمن بن ثابت، حدثنا حسان ابن عطية[٣]، عن أبي مُنيب الجُرَشي[٤]، عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه، صلى اللَّه عليه وسلم: « **بعثت بين يدي الساعة بالسيف، حتى يعبد اللَّه وحده لا شريك له،**

(٦٢٤) - الصواب أن يقال في هذا المقام: «عليكم» بدون الواو؛ وذلك أنه إذا حذف "الواو" صار قولهم الذي قالوه بعينه مردودٌ عليهم، وبإدخال الواو يقع الاشتراك معهم، والدخول فيما قالوه؛ لأن الواو حرف للعطف والجمع بين الشيئين. معالم السنن للخطابي (٨/٧٥).

(٦٢٥) - **إسناده حسن**، والحديث في المسند برقم ٥٦٦٧ - (٢/٩٢)، و٥١١٥، ٥١١٤ - (٢/٥٠). وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/٤٩) وقال: رواه أحمد، وفيه عبد الرحمن بن ثابت، وثقه ابن المديني وغيره، وضعفه أحمد وغيره، وبقية رجاله ثقات. وقال السخاوي: فيه ضعف، ولكن له شواهد. وقال ابن تيمية: سنده جيد. وقال ابن حجر في الفتح: سنده حسن.

[١] - سقط من: خ.
[٢] - في ت: «التنقيص».
[٣] - في خ: «بن ثابت».
[٤] - في خ: «الحرسى».

وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، [وجعلت الذلة][١] ، والصغار على من خالف أمري ، ومن تشبه بقوم فهو منهم » .

وروى أبو داود (٦٢٦) عن عثمان بن أبي شيبة ، عن أبي النضر هاشم بن القاسم به : « **من تشبه بقوم فهو منهم** » ففيه دلالة على النهي الشديد ، والتهديد ، والوعيد ، على التشبه بالكفار في أقوالهم ، وأفعالهم ، ولباسهم ، وأعيادهم ، وعباداتهم ، وغير ذلك من أمورهم التي لم تشرع لنا ، ولم تُقَرر عليها .

و[٢] قال ابن أبي حاتم(٦٢٧) : حدثنا أبي ، حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، حدثنا مسعر ، عن مَعْن وعون - أو أحدهما - أنّ رجلًا أتى عبد الله بن مسعود فقال : اعهد إليَّ ، فقال : إذا سمعت الله يقول : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ فارعها سمعك ، فإنه خير يأمر به ، أو شر ينهى عنه .

وقال الأعمش ، عن خيثمة ، قال : ما تقرءون[٣] في القرآن ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ فإنه في التوراة : يا أيها المساكين .

وقال محمد بن إسحاق(٦٢٨) : حدّثني محمد بن أبي محمد ، عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس ﴿ **راعنا** ﴾ أي : أرعنا سمعك .

وقال الضحاك (٦٢٩) : عن ابن عباس ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا** ﴾ . قال : كانوا يقولون للنبي - صلى الله عليه وسلم - : أرعنا سمعك ، وإنما ﴿ **راعنا** ﴾ كقولك : عاطنا .

وقال ابن أبي حاتم(٦٣٠) : وروي عن أبي العالية ، وأبي مالك ، والربيع بن أنس ، وعطية العوفي ، وقتادة ، نحو ذلك .

(٦٢٦) - **إسناد حسن** ، كالذي قبله ، والحديث في سنن أبي داود في كتاب اللباس ، باب : في لبس الشهرة برقم (٤٠٣١) .

(٦٢٧) - **رجاله ثقات** ، والحديث في تفسير ابن أبي حاتم ١٠٤٤ - (٣١٧/١) . ورواه أبو عبيد في فضائل القرآن (٧٤ - و٧٥) ، وأحمد في الزهد (١٥٨) - كلاهما من طريق مسعر به ؛ إلا أنه عند أحمد عن مسعر ، عن معن قال : قال عبد الله .. وعنده زيادة في أوله . ورواه أبو نعيم في الحلية (١٣٠/١) من طريق أحمد بن حنبل ، عن وكيع ، عن مسعر ، به ، كما عند أحمد .

(٦٢٨) - **إسناده ضعيف** ، ورواه ابن جرير برقم ١٧٢٥ - (٤٦٠/٢) .

(٦٢٩) - **إسناده ضعيف** ، ورواه ابن أبي حاتم بإسناده ١٠٤٥ - (٣١٧/١) ، وابن جرير ١٧٣١ - (٤٦١/٢) .

(٦٣٠) - أوردها ابن أبي حاتم (٣١٧/١) وقول عطية وقتادة أخرجهما ابن جرير (٤٦٩/١ حلبي) .

[١] - في المسند : وجُعل الذل .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في خ : « يقرئون » .

وقال مجاهد(٦٣١) : ﴿ لاتقولوا راعنا ﴾ : لاتقولوا خلافًا . وفي رواية : لاتقولوا : اسمع منا ونسمع منك .

وقال عطاء(٦٣٢) : ﴿ لاتقولوا راعنا ﴾ كانت لغة تقولها[١] الأنصار فنهى الله عنها .

وقال الحسن(٦٣٣) : ﴿ لاتقولوا راعنا ﴾ قال : الراعنُ من القولِ السخريُّ منه . نهاهم الله أن يسخروا من قول محمد - صلى الله عليه وسلم - وما يدعوهم إليه من الإسلام .

وكذا روي عن ابن جريج أنه قال مثله .

وقال أبو صخر : ﴿ لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا ﴾ قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا أدبر ناداه من كانت له حاجة من المؤمنين ، فيقول[٢] : أرعنا سمعك ، فأعظم الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقال ذلك له .

وقال السدي : كان رجل من اليهود من بني قينقاع ، يدعى[٣] رفاعة بن زيد ، يأتي النبيَّ ، صلى الله عليه وسلم ، فإذا لقيه فكلمه قال : أرعني سمعك ، واسمع غير مُسْمَع ، وكان المسلمون يحسبون أن الأنبياء كانت تفخم بهذا ، فكان ناس منهم يقولون : اسمع غير مسمع : غَيْرَ صاغر . وهي كالتي في سورة النساء . فتقدم[٤] الله إلى المؤمنين ألّا يقولوا : راعنا .

وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بنحو من هذا .

قال ابن جرير (٦٣٤) : والصواب من القول في ذلك عندنا : أن الله نهى المؤمنين : أن يقولوا لنبيه صلى الله عليه وسلم : راعنا ؛ لأنها كلمة كرهها[٥] الله تعالى أن يقولها لنبيه صلى الله عليه وسلم نظير الذي ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **لاتقولوا للعنب الكرم ؛ ولكن قولوا : الحبلة ، ولا تقولوا : عبدي ولكن قولوا : فتاي** »(٦٣٥) وما أشبه ذلك .

---

(٦٣١) - رواه ابن أبي حاتم ١٠٤٧ - (٣١٨/١) .

(٦٣٢) - رواه ابن أبي حاتم ١٠٤٦ - (٣١٨/١) .

(٦٣٣) - رواه ابن أبي حاتم ١٠٤٨ - (٣١٨/١) .

(٦٣٤) - تفسير ابن جرير (٤٦٣/٢) .

(٦٣٥) - روى مسلم من حديث علقمة بن وائل ، عن أبيه ، في كتاب الأدب حديث (٢٢٤٨) : **لا تقولوا الكرم ولكن قولوا : الحبلة - يعني العنب** . ورواه الدارمي بلفظٍ مقاربٍ في الأشربة حديث ٢١١٤ . ورواه أحمد من حديث أبي هريرة حديث ٧٥٠٩ بلفظ : **لا تسموا العنب الكرم** . وهو عند البخاري في الأدب ، باب : لا تسبوا الدهر رقم ٦١٩٢ . ومسلم في الأدب برقم (٢٢٤٧) .

---

[١] - زيادة من : خ .

[٢] - في ت : « يقول » .

[٣] - في ت : ويدعى .

[٤] - في خ : « فيقدم » .

[٥] - في ت : « كره » .

وقوله تعالى : ﴿ **ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم** ﴾ يبين [تعالى بذلك] شدة عداوة الكافرين من أهل الكتاب والمشركين ، الذين حذر الله[١] تعالى من مشابهتهم للمؤمنين ؛ ليقطع المودّة بينهم وبينهم . وينبه[٢] تعالى على ما أنعم به على المؤمنين من الشرع التام الكامل ، الذي شرعه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم حيث يقول تعالى : ﴿ **والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم** ﴾ .

۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾

قال ابن أبي طلحة(٦٣٦) : عن ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿ **ما ننسخ من آية** ﴾ ما نبدل من آية .

وقال ابن جريج ، عن مجاهد : ﴿ **ما ننسخ من آية** ﴾ أي[٣] : ما نَمْحُ[٤] من آية .

وقال ابن أبي نَجيح(٦٣٧) ، عن مجاهد : ﴿ **ما ننسخ من آية** ﴾ قال : نثبت خطها ونبدّل حكمها . [حدّث به][٥] عن أصحاب عبد الله بن مسعود .

وقال ابن أبي حاتم(٦٣٨) : وروي عن أبي العالية ومحمد بن كعب القرظي ، نحو ذلك .

وقال الضحاك : ﴿ **ما ننسح من آية** ﴾ : ما نُنْسِكَ[٦] . وقال عطاء : أما ﴿ **ما ننسخ** ﴾ : فما نترك من القرآن . وقال ابن أبي حاتم : يعني تُرِك فلم ينزل على محمد ، صلى الله عليه وسلم .

وقال السدي ﴿ **ما ننسخ من آية** ﴾ نَسْخُها : قَبْضُها .

---

(٦٣٦) - **إسناده ضعيف** ، ورواه ابن جرير برقم ١٧٤٧ - (٤٧٣/٢) .

(٦٣٧) - ابن أبي حاتم ١٠٦٢ - (٣٢٢/١) .

(٦٣٨) - ابن أبي حاتم ١٠٦٢ - (٣٢٢/١) .

---

[١] - سقط من : خ.

[٢] - في ت : « ونبه » .

[٣] - سقط من : خ.

[٤] - في خ : « ما نمحوا » .

[٥] - عند ابن أبي حاتم : حدثنيه . وعند الطبري : حدثت به .

[٦] - في خ : « ما نسيك » .

وقال ابن أبي حاتم(٦٣٩) : يعني : قبضها رفعها مثل قوله : « الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة » وقوله « **لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى لهما ثالثًا** »(٦٤٠) .

وقال ابن جرير : ﴿ **ما ننسخ من آية** ﴾ ما ننقل من حُكْم آية إلى غيره ، فنبدّله ونغيره ؛ وذلك أن يحول الحلال حرامًا ، والحرام حلالًا ، والمباح محظورًا ، والمحظور مباحًا . ولا يكون ذلك إلا في الأمر ، والنهي ، والحظر ، والإطلاق ، والمنع ، والإباحة ، فأما الأخبار فلا يكون فيها ناسخ ، ولا منسوخ .

وأصل النسخ : من نسخ الكتاب ؛ وهو نقله من نسخة [إلى][١] أخرى غيرها ، فكذلك معنى نسخ الحكم إلى غيره ؛ إنما هو تحويله ، ونقل عبادة إلى غيرها[٢] ، وسواء نسخ حكمها أو خطها ، [إذ هي][٣] في كلتا حالتيها منسوخة .

وأما علماء الأصول ، فاختلفت عباراتهم في حد النسخ ، والأمر في ذلك قريب ؛ لأن معنى النسخ الشرعي معلوم عند العلماء ، وخَصَّ بعضهم أنه رفع الحكم بدليل شرعي متأخر ، فاندرج في ذلك نسخ الأخف بالأثقل ، وعَكسُه ، والنسخ لا[٤] إلى بدل . وأما تفاصيل أحكام النسخ ، وذكر أنواعه ، وشروطه ، فمبسوط[٥] في فَنّ أصول الفقه .

وقال الطبراني(٦٤١) : حدثنا أبو شبيل[٦] عبيد الله بن عبد الرحمن بن واقد ، حدثنا أبي ، حدثنا العباس بن الفضل ، عن سليمان بن أرقم ، عن الزهري ، عن سالم ، عن أبيه ، قال : قرأ رجلان سورة أقرأهما رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فكانا يقرآن بها ، فقاما ذات ليلة يصليان ، فلم يقدرا منها على حرف ، فأصبحا غاديين على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فذكرا ذلك له ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **إنها مما نسخ ، وأنسي ، فالهوا عنها** » فكان الزهري يقرؤها : ﴿ **ما ننسخ من آيه أو ننسها** ﴾ بضم النون الخفيفة .

---

(٦٣٩) - ابن أبي حاتم (٣٢٣/١) .

(٦٤٠) - جزء من حديث متفق عليه ، رواه البخاري في الرقاق باب : ما يتقى من فتنة المال حديث ٦٤٣٦. ومسلم في الزكاة ١١٦ - (١٠٨) ، وروره مسلم بمعناه حديث ١١٨ - (١٠٤٩) . وهو عندهما من حديث أنس بمعناه .

(٦٤١) - **إسناده ضعيف جدًا** ، والحديث في المعجم الكبير (٢٨٨/١٢) . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٣١٥/٦) وقال : وفيه سليمان بن أرقم ، وهو متروك .

---

[١] - سقط من : خ.
[٢] - في خ : « غيره » .
[٣] - في ز : وهي .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في ت : فمبسوطة .
[٦] - سقط من : خ .

[ ][١] سليمان بن أرقم : ضعيف .

[وقد روى أبو بكر بن الأنباري ، عن أبيه ، عن نصر بن داود [عن] أبي عبيد ، عن عبد الله بن صالح ، عن الليث عن يونس وعقيل ، عن ابن شهاب ، عن أبي أمامة بن سهل ابن حنيف مثله مرفوعًا ، ذكره القرطبي (٦٤٢)][٢]

وقوله تعالى : ﴿ أو ننسها ﴾ فقرئ على وجهين : ننسأها وننسها ، فأمّا من قرأها : نَنْسأَها بفتح النون والهمزة بعد السين فمعناه : نؤخرها .

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسأها ﴾ يقول : ما نبدل من آية ، أو نتركها لا نبدلها .

و[٣] قال مجاهد عن أصحاب ابن مسعود : أو ننسأها نثبت خطها ونبدل حكمها .

وكما[٤] قال عبيد بن عُمَير ، ومجاهد ، وعطاء : أو ننسأها : نؤخرها ونرجئها .

وقال عطية العوفي : ﴿ أو ننسأها ﴾ : نؤخرها فلا ننسخها .

وقال السدي مثله أيضًا ، وكذا الربيع بن أنس .

وقال الضحاك : ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسأها ﴾ يعني الناسخ من المنسوخ .

وقال أبو العالية : ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسأها ﴾ أي : نؤخرها عندنا .

وقال ابن أبي حاتم (٦٤٣) : حدثنا عبيد الله بن إسماعيل البغدادي ، حدثنا خلف ، حدثنا الخفاف ، عن إسماعيل - يعني ابن مسلم - عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبير ،

---

(٦٤٢) - القرطبي (٢/٦٣) ، وأبو أمامة : ولد في حياة النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، له رؤية ولم يسمع من النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، معدود في الصحابة ، وقال ابن سعد : كان ثقة . والحديث رواه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، عن الليث ... فذكره . ورواه الطحاوي بلفظٍ مقاربٍ في مشكل الآثار برقم (٢٠٣٤) من طريق ابن وهب ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، عن أبي أمامة به ، وبرقم (٢٠٣٥) من طريق شعيب بن أبي حمزة ، عن الزهري ، عن أبي أمامة به . وقال الطحاوي : هكذا حدثنا يونس بهذا الحديث ، فلم يتجاوز به أبا أمامة ، وأصحاب الحديث يدخلون هذا في المسند ؛ لأن أبا أمامة ممن ولد في عهد النبي صلىٰ الله عليه وسلم ويقول أهله : إن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان سماه أسعد باسم أبي أمامة أسعد بن زرارة .

(٦٤٣) - **إسناده ضعيف** ، إسماعيل بن مسلم ضعيف ، والحديث رواه ابن أبي حاتم ١٠٧٠ - (١/٣٢٥) .

---

[١] - في خ : قال .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - زيادة من : خ .

عن ابن عباس قال : خطبنا عمر - رضي اللّٰه عنه - فقال : يقول اللّٰه عزّ وجل : ﴿ **ما ننسخ من آية أو ننسأها** ﴾ أي : نؤخرها .

وأما على قراءة ﴿ **أو نُنْسها** ﴾ فقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ **ما ننسخ من آية أو ننسها** ﴾ قال : كان اللّٰه [عز وجل][١] ينسي نبيه صلى اللّٰه عليه وسلم ما يشاء ، وينسخ ما يشاء .

وقال ابن جرير(٦٤٤) : حدثنا سوار بن عبد اللّٰه ، حدثنا خالد بن الحارث ، حدثنا عوف ، عن الحسن ، أنه قال في قوله : ﴿ **أو ننسها** ﴾ قال : إن نبيكم صلى اللّٰه عليه وسلم أقرئَ قرآنًا ثم نسيه .

وقال ابن أبي حاتم(٦٤٥) : حدثنا أبي ، حدثنا ابن نُفيل ، حدثنا محمد بن الزبير الحراني ، عن الحجاج - يعني الجزري - عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان مما ينزل اللّٰه على النبي ، صلى اللّٰه عليه وسلم ، الوحي بالليل وينساه بالنهار ، فأنزل اللّٰه - عز وجل - : ﴿ **ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها** ﴾ .

قال أبو حاتم : قال لي أبو جعفر بن نفيل : ليس هو الحجاج بن أرطاة ، هو شيخ لنا جَزَري .

وقال عبيد بن عمير : ﴿ **أو ننسها** ﴾ : نرفعها من عندكم .

وقال ابن جرير(٦٤٦) : حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا هشيم ، عن يعلي بن عطاء ، عن القاسم بن ربيعة قال : سمعت سعد بن أبي وقاص يقرأ : ﴿ **ما ننسخ من آية أو تَنْسَهَا** ﴾ قال : قلت له : فإن سعيد بن المسيب يقرأ : ﴿ **أو تُنْسَها** ﴾ قال : فقال سعد : إنّ القرآن لم ينزل على المسيب ، ولا على آل المسيب قال اللّٰه - جل ثناؤه - : ﴿ **سنقرئك فلا تنسى** ﴾ ﴿ **واذكر ربك إذا نسيت** ﴾ .

وكذا رواه عبد الرزاق(٦٤٧) ، عن هشيم .

---

(٦٤٤) - تفسير ابن جرير ١٧٤٥ ، ١٧٥٤ - (٢/٤٧٢ ، ٤٧٤) .

(٦٤٥) - **إسناده ضعيف** ، محمد بن الزبير الحراني منكر الحديث ، والحجاج بن تميم الجزري الرقي : قال النسائي ليس بثقة . وقال الأزدي : ضعيف . وقال ابن عدي : ليس له كثير رواية ، ورواياته ليست بالمستقيمة . والحديث عند ابن أبي حاتم ١٠٦٥ - (١/٣٢٣) . ورواه ابن عدي (٦/٢٢٤٣) .

(٦٤٦) - تفسير ابن جرير ١٧٥٥ - (٢/٤٧٥) . والقاسم بن ربيعة ذكره ابن حبان في الثقات وقال ابن حجر في (التهذيب ٨/٣٢٠) : قرأت بخط الذهبي : ما حدث عنه سوى يعلى .

(٦٤٧) - تفسير عبد الرزاق (١/٥٥) .

---

[١] - في خ : « تعالى » .

وأخرجه الحاكم في مستدركه(٦٤٨) من حديث أبي حاتم الرازي ، عن آدم ، عن شعبة ، عن يعلى[١] بن عطاء ، به . وقال : على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .

قال ابن أبي حاتم : وروي عن محمد بن كعب ، وقتادة ، وعكرمة ، نحو قول سعيد .

وقال الإمام أحمد(٦٤٩) : أخبرنا يحيى ، حدثنا سفيان الثوري ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال عمر : عليٌّ أقضانا ، وأُبيٌّ أقرؤنا ، وإنا لندع بعض ما يقول أُبي ، وأُبي يقول : سمعت رسول اللَّه -صلى اللَّه عليه وسلم- يقول ، فلن أدعه لشيء . واللَّه يقول : ﴿ **ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها** ﴾ .

وقال البخاري (٦٥٠) : [حدثنا عمرو بن علي] [٢] حدثنا يحيى ، حدثنا سفيان ، عن حبيب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : قال عمر : أقرؤنا أُبي ، وأقضانا علي ، وإنا لندع من قول أُبي ؛ وذلك أنّ أبيًّا يقول : لا أدع شيئًا سمعته من رسول اللَّه -صلى اللَّه عليه وسلم- وقد قال اللَّه : ﴿ **ما ننسخ من آية أو ننسها** ﴾ .

وقوله : ﴿ **نأت بخير منها أو مثلها** ﴾ أي في الحكم بالنسبة إلى مصلحة المكلفين ، كما قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ **نأت بخير منها** ﴾ يقول : خير لكم في المنفعة ، وأرفق بكم .

وقال أبو العالية : ﴿ **ما ننسخ من آية** ﴾ فلا نعمل بها ﴿ **أو ننسأها** ﴾ أي : نرجئها عندنا ، نأت بها أو نظيرها .

وقال السدي : ﴿ **نأت بخير منها أو مثلها** ﴾ يقول : نأت بخير من الذي نسخناه ، أو مثل الذي تركناه .

وقال قتادة : ﴿ **نأت بخير منها أو مثلها** ﴾ يقول : آية فيها تخفيف ، فيها رخصة ، فيها أمر ، فيها نهي .

---

(٦٤٨) - يعلى بن عطاء - ثقة - من رجال مسلم دون البخاري ، وإن كان روى له البخاري في القراءة خلف الإمام . والقاسم بن ربيعة - مقبول - أي عند المتابعة ، ذكره ابن حبان وحده في الثقات - لم يرو له سوى النسائي . ولم يرو عنه سوى يعلى بن عطاء . **لذا فقول الحاكم : على شرط الشيخين ، فيه نظر .**

(٦٤٩) - **صحيح** ، والحديث في المسند حديث ٢١١٦٢ - (١١٣/٥) .

(٦٥٠) - أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ **ما تنسخ من آية أو ننسأها** ﴾ (٨/ ١٦ - ١٧/ رقم: ٤٤٨١). وطرفه في (٥٠٠٥)

---

[١] - في خ: «معلى». [٢] - سقط من ز .

وقوله : ﴿ **ألم تعلم أنّ اللّه على كل شيء قدير ألم تعلم أنّ اللّه له ملك السموات والأرض ومالكم من دون اللّه من ولي ولا نصير** ﴾ يرشد تعالى عباده[١] بهذا إلى أنه المتصرف في خلقه بما يشاء ، فله الخلق والأمر ، وهو المتصرف ، فكما يخلقهم كما يشاء ، ويسعد من يشاء ، ويشقي من يشاء ، ويصح من يشاء ، ويمرض من يشاء ، ويوفق من يشاء ، ويخذل من يشاء ، كذلك يحكم في عباده بما يشاء ، فيحل ما يشاء ، ويحرم ما يشاء ، ويبيح ما يشاء ، ويحظر ما يشاء ، وهو الذي يحكم ما يريد لا معقب لحكمه ، ولا يُسأل عما يفعل وهم يسألون ، ويختبر عباده وطاعتهم لرسله بالنسخ ، فيأمر بالشيء لما فيه من المصلحة التي يعلمها - تعالى - ثم ينهى عنه لما يعلمه تعالى . فالطاعة كل الطاعة في امتثال أمره ، واتباع رسله في تصديق ما أخبروا ، وامتثال ما أمروا ، وترك ما عنه زجروا ، وفي هذا المقام رد عظيم ، وبيان بليغ لكفر اليهود ، وتزييف شبهتهم - لعنهم اللّه - في دعوى استحالة النسخ إما عقلًا ، كما زعمه بعضهم جهلًا وكفرًا ، وإما نقلًا كما تخرصه آخرون منهم افتراءً وإفكًا .

قال الإمام أبو جعفر بن جرير(٦٥١) - رحمه اللّه - : فتأويل الآية ألم تعلم يا محمد أن لي ملك السموات والأرض ، وسلطانهما دون غيري أحكم فيهما وفيما فيهما ، بما أشاء ، وآمر فيهما ، وفيما فيهما بما أشاء ، وأنهى عما أشاء ، وأنسخ ، وأبدل ، وأغير من أحكامي التي أحكم بها في عبادي بما أشاء إذا أشاء ، وأقرّ فيهما ما أشاء .

ثم[٢] قال : وهذا الخبر وإن كان خطابًا من اللّه تعالى لنبيه صلى اللّه عليه وسلم على وجه الخبر عن عظمته ، فإنه منه جل ثناؤه تكذيب لليهود الذين أنكروا نسخ أحكام التوراة ، وجحدوا نبوّة عيسى ومحمد - عليهما الصلاة والسلام - لمجيئهما بما جاءا به من عند اللّه بتغيير ما غير اللّه من حكم التوراة ، فأخبرهم اللّه : أنّ له ملك السموات والأرض وسلطانهما ، وأنّ الخلق أهل مملكته وطاعته ، وعليهم السمع والطاعة لأمره ونهيه ، وأن له أمرهم بما شاء ، ونهيهم عما يشاء ، ونسخ ما يشاء ، وإقرار ما يشاء ، وإنشاء ما يشاء من إقراره ، وأمره ، ونهيه .

(**قلت**) : الذي يحمل اليهود على البحث في مسألة النسخ إنما هو الكفر والعناد ، فإنه ليس في العقل ما يدل على امتناع النسخ في أحكام اللّه - تعالى - لأنه يحكم ما يشاء كما أنه[٣] يفعل ما يريد ، مع[٤] أنه قد وقع ذلك في كتبه المتقدّمة ، وشرائعه الماضية ؛ كما أحلَّ لآدم تزويج بناته من بنيه ، ثم حرّم ذلك . وكما أباح لنوح بعد خروجه من السفينة أكل جميع الحيوانات ، ثم نسخ حل بعضها ، وكان نكاح الأختين مباحًا لإسرائيل وبنيه ، وقد حرّم ذلك في شريعة التوراة

(٦٥١) - التفسير (٢/٤٨٨) .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - سقط من : خ .

وما بعدها ، [وأمر إبراهيم - عليه السلام - بذبح ولده ثم نسخ قبل الفعل ، وأمر جمهور بني إسرائيل بقتل من عبد العجل منهم ، ثم رفع عنهم القتل كيلا يستأصلهم القتل][١] وأشياء كثيرة يطول ذكرها ، وهم يعترفون بذلك ويصدفون[٢] عنه .

وما يجاب به عن هذه الأدلة بأجوبة لفظية ، فلا يصرف الدلالة في المعنى ، إذ هو المقصود كما في كتبهم مشهورًا من البشارة بمحمد صلى اللّٰه عليه وسلم والأمر باتباعه ، فإنه يفيد وجوب متابعته - عليه الصلاة والسلام - وأنه لا يُقْبَل عملٌ إلا على شريعته

وسواء قيل : إن الشرائع المتقدمة مُغَيّاة إلى بعثته عليه السلام ، فلا يسمى ذلك نسخًا كقوله: ﴿ **ثم أتموا الصيام إلى الليل** ﴾ وقيل : إنها مطلقة وإن شريعة محمد - صلى اللّٰه عليه وسلم - نسختها ، فعلى كل تقدير فوجوبُ متابعته[٣] متعيّنٌ ؛ لأنه جاء بكتاب هو آخر الكتب عهدًا باللّٰه تبارك وتعالى .

[ففي هذا المقام بَيَّنَ تعالى جواز النسخ ردًّا على اليهود عليهم لعنة اللّٰه ؛ حيث قال تعالى : ﴿ **ألم تعلم أن اللّٰه على كل شيء قدير ألم تعلم أن اللّٰه له ملك السموات والأرض** ﴾ الآية ، فكما أن له الملك بلا منازع ؛ فكذلك له الحكم بما يشاء ﴿ **ألا له الخلق والأمر** ﴾ وقرئ في سورة آل عمران - التي نزل صدرها خطابًا مع أهل الكتاب - وقوع النسخ في قوله تعالى : ﴿ **كل الطعام كان حلًا لبني إسرائيل إلا ما حرّم إسرائيل على نفسه** ﴾ الآية . كما سيأتي تفسيرها ، والمسلمون كلهم متفقون على جواز النسخ في أحكام اللّٰه تعالى ؛ لما له في ذلك من الحكمة البالغة ، وكلهم قال بوقوعه .

وقال أبو مسلم الأصبهاني المفسر : لم يقع شيء من ذلك في القرآن .

وقوله ضعيف مردود مرذول . وقد تعسف في الأجوبة عما وقع من النسخ ، فمن ذلك قضية العدّة بأربعة أشهر وعشر بعد الحول لم يُجب على ذلك بكلام مقبول ، وقضية تحويل القبلة إلى الكعبة عن بيت المقدس لم يُجب بشيء ، ومن ذلك نسخ مصابرة المسلم لعشرة من الكفرة إلى مصابرة الاثنين ، ومن ذلك نسخ وجوب الصدقة قبل مناجاة الرسول - صلى اللّٰه عليه وسلم - وغير ذلك ، واللّٰه أعلم][٤] .

أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - في خ : « ويصدقون » .
[٣] - في خ : « اتباعه » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

﴿ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ ﴾

نهى الله تعالى المؤمنين[١] في هذه الآية الكريمة ، عن كثرة سؤال النبي ، صلى الله عليه وسلم ، عن الأشياء قبل كونها ، كما قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تُبدَ لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآنُ تُبدَ لكم** ﴾ أي : وإن تسألوا عن تفصيلها بعد نزولها تبين لكم ، ولا تسألوا عن الشيء قبل كونه ؛ فلعله أن يحرم من أجل تلك المسألة .

ولهذا جاء في الصحيحين[٢] (٦٥٢) : « **إنّ[٣] أعظم المسلمين جرمًا من سأل[٤] عن شيء لم يحرّم ؛ فحرّم من أجل مسألته** » ، ولما سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الرجل يجد مع امرأته رجلًا(٦٥٣) ، فإن تكلم تكلم بأمر عظيم ، وإن سكت سكت عن مثل ذلك ، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل وعابها ، ثم أنزل الله حكم الملاعنة ؛ ولهذا ثبت في الصحيحين (٦٥٤) من حديث المغيرة بن شعبة : أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : كان ينهى عن قيل وقال ، [وإضاعة المال ، وكثرة السؤال][٥] . وفي صحيح مسلم(٦٥٥) : « **ذروني ما تركتكم ، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ؛ فإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ، وإن نهيتكم عن شيء فاجتنبوه** » . وهذا إنما قاله بعد ما أخبرهم أنَّ الله كتب عليهم الحج ، فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثلاثًا . ثم قال عليه السلام : « **لا ، ولو قلت : نعم لوجبت ، ولو وجبت لما استطعتم** » ثم قال : « **ذروني ما تركتكم** » الحديث ، وهكذا قال أنس بن مالك(٦٥٦) : نهينا أن نسأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن شيء ؛

---

(٦٥٢) - رواه البخاري في كتاب الاعتصام ، باب : ما يكره من كثرة السؤال برقم (٧٢٨٩) ، ومسلم في كتاب الفضائل برقم ١٣٢ - (٢٣٥٨) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

(٦٥٣) - رواه البخاري في كتاب الطلاق ، باب : من جوز الطلاق ثلاثًا ، وباب : اللعان ومن طلق بعد اللعان برقم (٥٢٥٩ ، ٥٣٠٨) ، ومسلم في كتاب اللعان برقم (١٤٩٢) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه .

(٦٥٤) - رواه البخاري في الزكاة ، برقم (١٤٧٧) ورواه مسلم في كتاب الأقضية برقم ١٢ ، ١٣ ، ١٤ - (٥٩٣) .

(٦٥٥) - رواه مسلم في كتاب الحج برقم ٤١٢ - (١٣٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٦٥٦) - رواه مسلم في كتاب الإيمان ، برقم ١٠ ، ١١ - (١٢) .

---

[١] - سقط من : خ.

[٢] - في خ : « الصحيح » .

[٣] - سقط من : خ.

[٤] - في ت : « يسأل » .

[٥] - في خ : « وكثرة السؤال ، وإضاعة المال » ا.هـ.

فكان يعجبنا أن يأتي الرجل من أهل[١] البادية فيسأله ونحن نسمع .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي(٦٥٧) في مسنده : أخبرنا أبو كريب ، حدثنا إسحاق بن سليمان ، عن أبي سنان ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب ، قال : إن[٢] كان ليأتي عليَّ السنة أريد أن أسأل رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم ، عن الشيء فأتهيب منه ، وإن كنا لنتمنى الأعراب .

وقال البزار(٦٥٨) : حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا ابن فضيل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : ما رأيت قومًا خيرًا من أصحاب محمد صلى اللّه عليه وسلم ؛ [ما سألوه][٣] إلا عن ثنتي عشرة مسألة ، كلها في القرآن ﴿ **يسألونك عن الخمر والميسر** ﴾ ﴿ **يسألونك عن الشهر الحرام** ﴾ ﴿ **ويسألونك عن اليتامى** ﴾ يعني هذا وأشباهَهُ .

وقوله تعالى : ﴿ **أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل** ﴾ أي : بل تريدون ، أو هي على بابها في الاستفهام ، وهو إنكاري ، وهو يعمّ المؤمنين والكافرين ؛ فإنه ، عليه الصلاة[٤] والسلام ، رسول اللّه إلى الجميع ، كما قال - تعالى - : ﴿ **يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابًا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا اللّه جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم** ﴾ .

قال محمد بن إسحاق(٦٥٩) : حدّثني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، أو سعيد ، عن ابن عباس قال : قال رافع بن حُرَيمَلَةَ - أو وهب بن زيد : يا محمد ! ائتنا بكتاب تُنَزِّلُه علينا من السماء نقرؤه ، وفجّر لنا أنهارًا نتّبعْك ونصدقك . فأنزل اللّه من قولهم : ﴿ **أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل** ﴾ .

وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية في قوله - تعالى - : ﴿ **أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل** ﴾ قال : قال رجل : يا رسول اللّه !

---

(٦٥٧) - لم نعثر عليه في المطبوع من مسند أبي يعلى .

(٦٥٨) - رواه أبو يعلى - كما في المطالب حديث ٣٩٥٥ - من حديث زهير ، عن ابن فضيل ، به . ورواه الدارمي (١٢٧) من حديث عبد اللّه بن محمد بن أبي شيبة ، عن ابن فضيل ، به ، وفيهما « ثلاث عشرة » بدل « ثنتي عشرة » ، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١١/٤٥٤) من طريق عبد اللّه بن عمر بن أبان ، عن محمد بن فضيل ، به ، مطولًا . وأورده في مجمع الزوائد (١/١٥٩) وقال : رواه الطبراني في الكبير وفيه عطاء بن السائب وهو ثقة ، ولكنه اختلط ، وبقية رجاله ثقات .

(٦٥٩) - **إسناده ضعيف** ، وهو عند ابن جرير برقم ١٧٧٧ - (٢/٤٩٠) .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - سقط من : خ .

لو كانت كَفَّارتنا[١] ككفَّارات[٢] بني إسرائيل ؟ فقال النبي صلى اللَّه عليه وسلم : « **اللَّهم لا نبغيها** – ثلاثًا – ما أعطاكم اللَّه خيرٌ مما أعطى بني إسرائيل ؛ كانت بنو إسرائيل إذا أصاب أحدهم الخطيئة وجدها مكتوبة على بابه ، وكفارتها ، فإن كَفَّرها كانت له خزيًا[٣] في الدنيا ، وإن لم يكفرها كانت له خزيًا في الآخرة ، فما أعطاكم اللَّه خير مما أعطى بني إسرائيل » قال : ﴿ **ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه ثم يستغفر اللَّه يجد اللَّه غفورًا رحيمًا** ﴾ وقال : « **الصلوات الخمس من الجمعة إلى الجمعة كفارات**[٤] **لما بينهن** » وقال : « **من هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه ؛ وإن عملها كتبت سيئة واحدة ، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة ، وإن عملها كتبت له عشر أمثالها ، ولا يهلك على اللَّه إلا هالك** » فأنزل اللَّه : ﴿ **أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل** ﴾ .

وقال مجاهد : ﴿ **أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل** ﴾ : أن يريهم اللَّه جهرةً ؟ قال : سألت قريش محمدًا صلى اللَّه عليه وسلم أن يجعل لهم الصَّفَا ذهبًا قال : « **نعم وهو لكم كالمائدة لبني إسرائيل** [**إن كفرتم** » **فأبوا ورجعوا**][٥] .

وعن السدي ، وقتادة نحو هذا ، واللَّه أعلم .

والمراد أن اللَّه ذمَّ من سأل الرسول صلى اللَّه عليه وسلم عن شيء على وجه التعنت والاقتراح ، كما سألت بنو إسرائيل موسى – عليه السلام – تعنتًا ، وتكذيبًا ، وعنادًا . قال اللَّه تعالى : ﴿ **ومن يتبدل الكفر بالإيمان** ﴾ أي : ومن يَشْتَرِ الكفر بالإيمان ﴿ **فقد ضل سواء السبيل** ﴾ أي : فقد خرج عن الطريق المستقيم إلى الجهل والضلال . وهكذا حال الذين عدلوا عن تصديق الأنبياء واتباعهم ، والانقياد لهم إلى مخالفتهم ، وتكذيبهم والاقتراح عليهم بالأسئلة التي لا يحتاجون إليها على وجه التعنت والكفر ، كما قال تعالى : ﴿ **ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة اللَّه كفرا وأحلوا قومهم دار البوار ، جهنم يصلونها وبئس القرار** ﴾ .

وقال أبو العالية : يتبدل الشدة بالرخاء .

وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟

[١] – في خ : « كفاراتنا » .
[٢] – في خ : « كفارات » .
[٣] – في خ : « خيرا » .
[٤] – في خ : « كفارة » .
[٥] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾

يحذر تعالى عباده المؤمنين عن سلوك طريق الكفار من أهل الكتاب ، ويُعْلِمُهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر[١] ، وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين ، مع علمهم بفضلهم ، وفضل نبيهم ، ويأمر عبادَهُ المؤمنين بالصفح والعفو ، أو[٢] الاحتمال حتى يأتي أمر الله من النصر ، والفتح . ويأمرهم بإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، ويحثهم على ذلك ، ويرغبهم فيه ، كما قال محمد ابن إسحاق : حدّثني محمد بن أبي محمد(٦٦٠) ، عن سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان حُيَي بن أخطب ، وأبو ياسر بن أخطب من أشد يهود للعرب حسدًا ؛ إذ خصهم الله برسوله ، صلى الله عليه وسلم ، وكانا جاهدين في ردّ الناس عن الإسلام ما استطاعا ، فأنزل الله فيهما : ﴿ **ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم** ﴾ الآية .

وقال عبد الرزاق(٦٦١) ، عن معمر ، عن الزهري ، في قوله تعالى : ﴿ **ودّ كثير من أهل الكتاب** ﴾ قال : هو كعب بن الأشرف .

وقال ابن أبي حاتم(٦٦٢) : حدثنا أبي ، حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، عن الزهري ، أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ، عن أبيه ، أن كعب بن الأشرف اليهودي كان شاعرًا ، وكان يهجو النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، وفيه[٣] أنزل الله ﴿ **ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم** ﴾ إلى قوله : ﴿ **فاعفوا واصفحوا** ﴾ .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس : أن رسولًا أميًا يخبرهم بما في أيديهم من الكتب والرسل والآيات ، ثم يصدق بذلك كله مثل تصديقهم ، ولكنهم جحدوا ذلك كفرًا ، وحسدًا ، وبغيًا ، وكذلك قال الله تعالى : ﴿ **كفارًا حسدًا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق** ﴾ يقول : من بعد ما أضاء لهم الحق ، لم يجهلوا منه شيئًا ، ولكن الحسد حملهم على الجحود ، فعيرهم ووبخهم ، ولامهم أشدَّ الملامة ، وشرع لنبيه - صلى الله عليه وسلم - وللمؤمنين ما هم عليه من التصديق والإيمان ، والإقرار بما أنزل الله عليهم ، وما أنزل من

---

(٦٦٠) - **إسناده ضعيف** ، وهو عند ابن جرير (١٧٨٨) ، وهو في السيرة لابن هشام ١٩٧/٢) .

(٦٦١) - تفسير عبد الرزاق (٥٥/١) .

(٦٦٢) - **إسناده صحيح** ، والحديث عند ابن أبي حاتم ١٠٩٠ - (٣٣١/١ - ٣٣٢) .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في خ : «و» .
[٣] - في خ : «وفيهم» .

قبلهم بكرامته، وثوابه الجزيل، ومعونته لهم .

وقال الربيع بن أنس : ﴿ **من عند أنفسهم** ﴾ من قبل أنفسهم .

وقال أبو العالية : ﴿ **من بعد ما تبين لهم الحق** ﴾ من بعد ما تبين لهم[١] أن محمدًا رسول الله يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل ، فكفروا به حسدًا ، وبغيًا ؛ إذ كان من غيرهم ، وكذا قال قتادة ، والربيع بن أنس ، والسدي .

وقوله تعالى : ﴿ **فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره** ﴾ مثل قوله تعالى : ﴿ **ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرًا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور** ﴾ الآية .

و[٢] قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس(٦٦٣) في قوله : ﴿ **فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره** ﴾ نَسَخَ ذلك قولُه : ﴿ **فاقتلوا[٣] المشركين حيث وجدتموهم** ﴾ وقولُه : ﴿ **قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وهم صاغرون** ﴾ فَنَسَخَ هذا عفوَهُ عن المشركين ، وكذا قال أبو العالية ، والربيع بن أنس ، وقتادة ، والسدي : إنها منسوخة بآية السيف ، ويرشد إلى ذلك أيضًا قوله تعالى : ﴿ **حتى يأتي الله بأمره** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم(٦٦٤) ، حدثنا أبي ، حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، عن الزهري ، أخبرني عروة بن الزبير : أن أسامة بن زيد أخبره قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه يعفون عن المشركين، وأهل الكتاب، كما أمرهم الله ، ويصبرون على الأذى قال الله : ﴿ **فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير** ﴾ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأول من العفو ما أمره[٤] الله به ، حتى أذن الله فيهم بالقتل[٥] ، فقتل الله به من قتل من صناديد قريش . وهذا إسناده صحيح ، ولم أره في شيء من الكتب الستة [ولكن له أصل في الصحيحين(٦٦٥) عن أسامة بن زيد][٦] .

(٦٦٣) - رواه ابن جرير برقم ١٧٩٦ - (٥٠٣/٢) .

(٦٦٤) - **إسناده صحيح** ، والحديث في تفسير ابن أبي حاتم ١٠٩٥ - (٣٣٣/١) .

(٦٦٥) - رواه البخاري في التفسير حديث (٤٥٦٦) . وفي الأدب برقم (٦٢٠٧) ، ورواه مسلم برقم (١٧٩٨) .

[١] - زيادة من : خ .

[٢] - زيادة من : خ .

[٣] - في خ : « واقتلوا » .

[٤] - في خ : « أمر » .

[٥] - في خ : « بقتل » .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

وقوله تعالى : ﴿ **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عن الله** ﴾ يَحُثهم[١] تعالى على الاشتغال بما ينفعهم وتَعُود عليهم عاقبتهُ يوم القيامة ، من إقامة[٢] الصلاة وإيتاء الزكاة ؛ حتى يمكن لهم الله النصر في الحياة الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد ﴿ **يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار** ﴾ ولهذا قال تعالى : ﴿ **إن الله بما تعملون[٣] بصير** ﴾ يعني : أنه تعالى لا يغفل عن عمل عامل ، ولا يضيع لديه ، سواء كان خيرًا ، أو شرًا ؛ فإنه سيجازي كل عامل بعمله .

وقال أبو جعفر بن جرير في قوله تعالى : ﴿ **إن الله بما تعملون[٤] بصير** ﴾ : وهذا الخبر من الله للذين خاطبهم بهذه الآيات من المؤمنين ، أنهم مهما فعلوا من خير أو شر ، سرًا أو علانية ، فهو به بصير ، لا يخفى عليه منه شيء ؛ فيجزيهم بالإحسان خيرًا ، وبالإساءة مثلها . وهذا الكلام ، وإن كان [قد خرج][٥] مخرج الخبر ، فإن فيه وعدًا ، ووعيدًا ، وأمرًا ، وزجرًا ، وذلك أنه أعلم القوم أنه بصير بجميع أعمالهم ؛ ليجدّوا في طاعته - إذ كان ذلك مُدَّخرًا لهم عنده حتى يثيبهم[٦] عليه ، كما قال تعالى : ﴿ **وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله** ﴾ - وليحذروا معصيته .

قال : وأما قوله : ﴿ **بصير** ﴾ فإنه مبصر ، صُرف إلى « بصير » كما صرف مُبْدع إلى « بديع » ، ومؤلم إلى « أليم » ، [والله أعلم][٧] .

وقال ابن أبي حاتم(٦٦٦) : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا ابن بكير ، حدثني ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي الخير ، عن عقبة بن عامر ، قال : رأيت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم [يفسر في][٨] هذه الآية : ﴿ **سميع بصير** ﴾ ، يقول : بكل شيء بصير .

وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (١١١) بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١١٢) وَقَالَتِ

(٦٦٦) - **في إسناده ضعف من أجل ابن لهيعة** ، والحديث في تفسير ابن أبي حاتم (٣٣٦/١) .

[١] - في خ : « يحث » .
[٢] - في خ : « إقام » .
[٣] - في خ : « يعملون » .
[٤] - « يعملون » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في خ : « يثبتهم » .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - في ابن أبي حاتم : يقتري .

ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾

يبين تعالى اغترار اليهود والنصارى بما هم فيه ؛ حيث ادّعت كل طائفة من اليهود والنصارى : أنه لن يدخل الجنة إلا من كان على ملتها ، كما أخبر اللَّه عنهم في سورة المائدة أنهم قالوا : ﴿ **نحن أبناء اللَّه وأحباؤه** ﴾ . فأكذبهم اللَّه تعالى بما أخبرهم أنه معذبهم[١] بذنوبهم ، ولو كانوا كما ادّعوا لما كان الأمر كذلك ، وكما تقدّم من دعواهم : أنه لن تمسهم النار إلا أيامًا معدودة ، ثم ينتقلون إلى الجنة ، وردّ عليهم تعالى في ذلك ، وهكذا قال لهم في هذه الدعوىٰ التي ادّعَوْها[٢] بلا دليل ، ولا حجة ، ولا بينة فقال : ﴿ **تلك أمانيهم** ﴾ .

وقال أبو العالية : أماني : تمنَّوْها على اللَّه بغير حق . وكذا قال قتادة ، والربيع بن أنس .

ثم قال تعالى : ﴿ **قل** ﴾ أي : يا محمد ، ﴿ **هاتوا برهانكم** ﴾ .

قال أبو العالية ، ومجاهد ، والسدي ، والربيع بن أنس : حجتكم . وقال قتادة : بيّنتكم على ذلك ﴿ **إن كنتم صادقين** ﴾ أي[٣] فيما[٤] تدعونه .

ثم قال تعالى : ﴿ **بلى من أسلم وجهه للَّه وهو محسن** ﴾ أي : من أخلص العمل للَّه وحده لا شريك له ، كما قال تعالى : ﴿ **فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي للَّه ومن اتبعن** ﴾ . الآية.

وقال أبو العالية والربيع : ﴿ **بلى من أسلم وجهه للَّه** ﴾. يقول : من أخلص للَّه .

وقال سعيد بن جبير : ﴿ **بلى من أسلم** ﴾ : أخلص ﴿ **وجهه** ﴾ ، قال : دينه ﴿ **وهو محسن** ﴾ أي : متبع[٥] فيه الرسولَ ، صلى اللَّه عليه وسلم ، فإن للعمل المتقبل شرطين : أحدَهما[٦] أن يكون خالصًا للَّه وحده ، والآخر : أن يكون صوابًا موافقًا للشريعة ، فمتى كان خالصًا ، ولم يكن صوابًا لم يتقبل ؛ ولهذا قال [رسول اللَّه][٧] صلى اللَّه عليه وسلم : « **من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ** » رواه مسلم من حديث عائشة ، عنه ، عليه الصلاة والسلام .

---

[١] - في خ : « يعذبهم » .

[٢] - في خ : « ادعو » .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - في ز ، خ : كما .

[٥] - في ت : « يتبع » .

[٦] - مكررة في خ .

[٧] - سقط من : خ .

فعمل الرهبان ومن شابههم ، وإن فرض أنهم مخلصون[١] فيه لله ؛ فإنه لا يتقبل منهم حتى يكون ذلك متابعًا للرسول ، صلى الله عليه وسلم ، المبعوث إليهم وإلى الناس كافة ، وفيهم وأمثالهم قال الله تعالى : ﴿ **وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورًا** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا** ﴾ و[قال تعالى : ﴿ **وجوه يومئذ خاشعة ، عاملة ناصبة ، تصلى نارًا حامية ، تسقى من عين آنية** ﴾][٢] . وروي عن أمير المؤمنين عمر ، رضي الله عنه ،أنه تأوّلها في الرهبان كما سيأتي .

وأما إن كان العمل موافقًا للشريعة في الصورة الظاهرة ، ولكن لم يخلص عامله القصد لله تعالى فهو أيضًا مردود على فاعله ، وهذا حال [المرائين والمنافقين] كما قال تعالى : ﴿ **إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلًا** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **فويلٌ للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون** ﴾ ولهذا قال تعالى : ﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملًا صالحًا ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا** ﴾ وقال في هذه الآية الكريمة : ﴿ **بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن** ﴾ .

وقوله : ﴿ **فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ ضَمِن لهم تعالى على ذلك تحصيل الأجور ، وآمنهم مما يخافون من المحذور فـ : ﴿ **لا خوف عليهم** ﴾ فيما يستقبلونه ، ﴿ **ولا هم يحزنون** ﴾ على ما مضى مما يتركونه . كما قال سعيد بن جبير فـ : ﴿ **لا خوف عليهم** ﴾ يعني في الآخرة ﴿ **ولا هم يحزنون** ﴾ [يعني : لا يحزنون][٣] للموت .

وقوله تعالى : ﴿ **وقالت اليهود ليست النصارىٰ على شيء وقالت النصارىٰ ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب** ﴾ يبين[٤] به تعالى تناقضَهُم ، وتباغضَهُم ، وتعاديهم ، وتعاندهم ، كما قال محمد بن إسحاق (٦٦٧) : حدّثني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة - أو سعيد بن جبير - عن ابن عباس قال : لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أتتهم أحبار يهود فتنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رافع بن حُرَيملة : ما أنتم على شيء ، وكَفَرَ بعيسى وبالإنجيل ، وقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود : ما أنتم على شيء وجَحَدَ بنبوّة موسى ، وكفر بالتوراة . فأنزل الله تعالى

(٦٦٧) - **إسناده ضعيف** ، ورواه ابن جرير ١٨١١ - (٢/٥١٣) .

[١] - « يخلصون » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - في ت : « بين » .

في ذلك من قولهما : ﴿ **وقالت اليهود ليست النصارىٰ على شيء وقالت النصارىٰ ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب** ﴾ . قال : إن كلاً يتلو في كتابه تصديق من كفر به ، أي : يكفر اليهود بعيسىٰ وعندهم التوراة ، فيها ما أخذ اللَّه عليهم على لسان موسى بالتصديق بعيسىٰ ، وفي الإنجيل ما جاء به عيسىٰ بتصديق موسىٰ ، وما جاء به[١] من التوراة من عند اللَّه ، وكل[٢] يكفر بما في يد[٣] صاحبه .

وقال مجاهد في تفسير هذه الآية : قد كانت أوائل اليهود والنصارىٰ على شيء .

وقال قتادة : ﴿ **وقالت اليهود ليست النصارىٰ على شيء** ﴾ قال : بلى[٤] قد كانت أوائل النصارىٰ على شيء ، ولكنهم ابتدعوا وتفرقوا . ﴿ **وقالت النصارىٰ ليست اليهود على شيء** ﴾ قال : بلى[٥] ، قد كانت أوائل اليهود على شيء ، ولكنهم ابتدعوا وتفرّقوا .

وعنه رواية أخرى ؛ كقول أبي العالية ، والربيع بن أنس في تفسير هذه الآية : ﴿ **وقالت اليهود ليست النصارىٰ على شيء وقالت النصارىٰ ليست اليهود على شيء** ﴾ . هؤلاء أهل الكتاب الذين كانوا على عهد رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - وهذا القول يقتضي أن كلًّا من الطائفتين صدقت فيما رمت به الطائفة الأخرى ، ولكن ظاهر سياق الآية يقتضي ذمهم فيما قالوه مع[٦] علمهم بخلاف ذلك . ولهذا قال تعالى : ﴿ **وهم يتلون الكتاب** ﴾ أي : وهم يعلمون أن[٧] شريعة التوراة والإنجيل ، كل منهما قد كانت مشروعة في وقت ، ولكنهم[٨] تجاحدوا فيما بينهم عنادًا ، وكفرًا ، ومقابلة للفاسد بالفاسد ، كما تقدم عن ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة في الرواية الأولى عنه في تفسيرها ، واللَّه أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ **كذلك قال الذين [ ][٩] لا يعلمون مثل قولهم** ﴾ يبَيِّنُ[١٠] بهذا جهل اليهود ، والنصارىٰ فيما تقابلوا به من القول ، وهذا من باب [الإيماء والإشارة][١١] وقد اخْتُلف فيمن عُني بقوله تعالى : ﴿ **الذين لا يعلمون** ﴾ [فقال الربيع بن أنس ، وقتادة ﴿ **كذلك قال الذين لا يعلمون** ﴾ . قالا : قالت النصارىٰ مثل قول اليهود وقيلهم][١٢] .

---

[١] - زيادة من : خ .
[٢] - في خ : « وكفر » .
[٣] - في خ : « يدي » .
[٤] - في ز ، خ : « بل » .
[٥] - في ز ، خ : « بل » .
[٦] - في ت : من .
[٧] - زيادة من : خ .
[٨] - في ز ، خ : « ولكن » .
[٩] - في ز ، من قبلهم .
[١٠] - في ت : « بين » .
[١١] - ما بين المعكوفتين في خ : « الإيمان والإسارة » .
[١٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

وقال ابن جريج : قلت لعطاء : من هؤلاء الذين لا يعلمون ؟ قال : أمم كانت قبل اليهود والنصارىٰ وقبل التوراة والإنجيل .

وقال السدي : ﴿ **كذلك قال الذين لا يعلمون** ﴾ فهم العرب ، قالوا : ليس محمد على شيء .

واختار أبو جعفر بن جرير أنها عامّة تصلح للجميع ، وليس ثم دليل قاطع يعين واحدًا من هذه الأقوال ، والحمل على الجميع أولى ، والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ **فاللَّه يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون** ﴾ أي : إنه تعالى يجمع بينهم يوم المعاد ، ويفصل بينهم بقضائه العدل الذي لا يجور فيه ، ولا يظلم مثقال ذرّة . وهذه الآية كقوله تعالى في سورة الحج : ﴿ **إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن اللَّه يفصل بينهم يوم القيامة إن اللَّه على كل شيء شهيد** ﴾ ، وكما قال تعالى : ﴿ **قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم** ﴾ .

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾

اختلف المفسرون في المراد من الذين منعوا مساجد اللَّه وسَعَوا في خرابها على قولين :

(أحدِهما) : ما رواه العوفي في تفسيره ، عن ابن عباس(٦٦٨) في قوله : ﴿ **ومن أظلم ممن منع مساجد اللَّه أن يذكر فيها اسمه** ﴾ قال : هم النصارىٰ .

وقال مجاهد : هم النصارىٰ . كانوا يطرحون في بيت المقدس الأذى ، ويمنعون الناس أن يصلوا فيه .

وقال عبد الرزاق(٦٦٩) ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ **وسعى في خرابها** ﴾ قال : هو بُخْتنَصّر وأصحابه ، خرّب بيت المقدس ، وأعانه على ذلك النصارىٰ .

وقال سعيد ، عن قتادة : قال : أولئك أعداء اللَّه النصارىٰ ، حملهم بغض اليهود على أن أعانوا بختنَصّر البابلي المجوسي على تخريب بيت المقدس .

---

(٦٦٨) - **إسناده ضعف جدًا** ، ورواه ابن جرير ١٨٢٠ - (٢/٥٢٠) .

(٦٦٩) - رواه ابن جرير برقم ١٨٢٤ - (٢/٥٢٠) .

وقال السدّي : كانوا ظاهروا بختنصر على خراب بيت المقدس حتى خربه ، وأمر به أن تطرح فيه الجيف ، وإنما أعانه الروم على خرابه من أجل أن بني إسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا .

وروي نحوه عن الحسن البصري .

(القول الثاني) ما رواه ابن جرير(٦٧٠) : حدثني يونس بن عبد الأعلى ، حدثنا[١] ابن وهب قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ **ومن أظلم ممن منع مساجد اللّٰه أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها** ﴾ قال : هؤلاء المشركون الذين[٢] حالوا بين رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم يوم الحديبية وبين أن يدخل مكة حتى نحر هديه بذي طُوَى وهادنهم ، وقال لهم : « **ما كان أحد يَصُدّ عن هذا البيت ، وقد كان الرجل يلقى قاتل أبيه وأخيه فلا يصدّه** » ، فقالوا : لا يدخل علينا من قتل آباءنا يوم بدر وفينا باق .

وفي قوله : ﴿ **وسعى في خرابها** ﴾ قال : إذ قطعوا من يعمرها بذكره ، ويأتيها للحج والعمرة .

وقال ابن أبي حاتم(٦٧١) : ذكر عن سلمة : قال : قال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة - أو سعيد بن جبير - عن ابن عباس أن قريشًا منعوا النبي ، صلى اللّٰه عليه وسلم ، الصلاة عند الكعبة في المسجد الحرام ، فأنزل اللّٰه : ﴿ **ومن أظلم ممن منع مساجد اللّٰه أن يذكر فيها اسمه** ﴾ .

ثم اختار ابن جرير القول الأول ، واحتج بأن قريشًا لم تسع في خراب الكعبة ، وأما الروم فسعوا في تخريب بيت المقدس .

(**قلت**) : والذي يظهر - واللّٰه أعلم - القول الثاني ، كما قاله ابن زيد . وروي عن ابن عباس ؛ لأن النصارى إذا منعت اليهود الصلاة في البيت المقدس ؛ كان دينهم أقوم من دين اليهود ، وكانوا أقرب منهم ، ولم يكن ذكر اللّٰه من اليهود مقبولاً إذ ذاك ؛ لأنهم لُعنوا من قبل على لسان داود وعيسىٰ بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون .

وأيضًا فإنه تعالى لما وجه الذم في حق اليهود والنصارى ، شرع في ذم المشركين الذين أخرجوا الرسول ، صلى اللّٰه عليه وسلم ، وأصحابه من مكة ، ومنعوهم من الصلاة في المسجد الحرام ، وأما اعتماده على أن قريشًا لم تسع في خراب الكعبة ، فأي خراب أعظم مما فعلوا ؟ أخرجوا عنها رسول اللّٰه ، صلى اللّٰه عليه وسلم ، وأصحابه ، واستحوذوا عليها بأصنامهم ، وأندادهم ،

---

(٦٧٠) - رواه ابن جرير برقم ١٨٢٦ - (٥٢١/٢) .

(٦٧١) - ابن أبي حاتم رقم ١١١٧ - (٣٤١/١) .

[١] - في خ : « أخبرنا » . [٢] - في خ : « حين » .

وشركهم ، كما قال تعالى : ﴿ **وما لهم ألا يعذبهم اللَّه وهم يصدّون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد اللَّه شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون إنما يعمر مساجد اللَّه من آمن باللَّه واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا اللَّه فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **هم الذين كفروا وصدّوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفًا أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرّة بغير علم ليدخل اللَّه في رحمته من يشاء لو تَزَيّلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابًا أليمًا** ﴾ . فقال تعالى : ﴿ **إنما يعمر مساجد اللَّه من آمن باللَّه واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتىٰ الزكاة ولم يخش إلا اللَّه** ﴾ فإذا كان من هو كذلك مطرودًا منها مصدودًا عنها ، فأي خراب لها أعظم من ذلك؟ وليس المراد بعمارتها زخرفتها ، وإقامة صورتها فقط ؛ إنما عمارتها بذكر اللَّه فيها ، وإقامة شرعه فيها ، ورفعها عن الدنس والشرك .

وقوله تعالى : ﴿ **أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين** ﴾ هذا خبر معناه : الطلب ، أي : لا تُمكنوا هؤلاء - إذا قدرتم عليهم - من دخولها إلا تحت الهدنة والجزية ؛ ولهذا لما فتح رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، مكة أمر من العام القابل في سنة تسع أن ينادى برحاب مِنَى : « **ألا لا يحجن بعد العام مشرك ، ولا يطوفن بالبيت عُريان ، ومن كان له أجل فأجله إلى مدته** »(٦٧٢) وهذا كان تصديقًا ، وعملًا بقوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا** ﴾ الآية . و[١] قال بعضهم: ما كان ينبغي لهم أن يدخلوا مساجد اللَّه إلا خائفين على حال التهيب ، وارتعاد الفرائص من المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلًا أن يستولوا عليها ، ويمنعوا المؤمنين منها .

والمعنى : ما كان الحق والواجب إلا ذلك لولا ظلم الكفرة وغيرهم .

وقيل : إن هذا بشارة من اللَّه للمسلمين : أنه سيُظْهِرُهم على المسجد الحرام ، وعلى سائر المساجد ، وأنه يذل المشركين لهم ؛ حتى لا يدخل[٢] المسجد الحرام أحد منهم إلا خائفًا ، يخاف أن يؤخذ فيعاقب ، أو يُقتل إن لم يسلم ، وقد أنجز اللَّه هذا الوعد كما تقدم من منع المشركين من دخول [المسجد الحرام][٣] ، وأوصى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم أن لا يبقى بجزيرة العرب دينان ، وأن يجلى اليهود والنصارىٰ منها وللَّه الحمد والمنة .

---

(٦٧٢) - رواه الترمذي في تفسير القرآن ، باب : ومن سورة التوبة ، من حديث ابن عباس حديث ٣٠٩١ ، وقال : حسن غريب من حديث ابن عباس ، ومن حديث علي حديث ٣٠٩٢ وقال : حسن صحيح .

---

[١] - زيادة من : خ .
[٢] - في خ : « يدخلوا » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في خ : « الحرم » .

وما ذاك إلا لتشريف أكناف المسجد الحرام، وتطهير البقعة التي بعث اللَّه فيها رسوله إلى الناس كافة بشيرًا ونذيرًا صلوات اللَّه وسلامه[١] عليه .

وهذا هو الخزي لهم في الدنيا ؛ لأن الجزاء من جنس العمل ، فكما صدوا المؤمنين عن المسجد الحرام صُدوا عنه ، وكما أجلوهم من مكة [أجلوا عنها][٢] .

﴿ **ولهم في الآخرة عذاب عظيم** ﴾ على ما انتهكوا من حرمة البيت ، وامتهنوه من نصب الأصنام حوله ، ودعاء غير اللَّه عنده والطواف به عُرْيًا ، وغير ذلك من أفاعيلهم التي يكرهها اللَّه ورسوله صلى اللَّه عليه وسلم .

وأمّا من فسر بيت المقدس فقال كعب الأحبار : إن النصارى لما ظهروا على بيت المقدس خرَّبوه ، فلما بعث اللَّه محمدًا ، صلى اللَّه عليه وسلم، أنزل عليه : ﴿ **ومن أظلم ممن منع مساجد اللَّه أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين** ﴾ . الآية ، فليس في الأرض نصراني يدخل بيت المقدس إلا خائفًا ، وقال السدي : فليس في الأرض رومي يدخله اليوم إلا وهو خائف أن تُضْرَبَ[٣] عُنُقُه ، أو قد أخيف بأداء الجزية فهو يؤديها .

وقال قتادة : لا يدخلون المساجد إلا مسارقة .

قلت : وهذا لا ينفي أن يكون داخلًا في معنى عموم الآية ؛ فإن النصارى لما ظلموا بيت المقدس ، بامتهان الصخرة التي كانت تصلي إليها اليهود ، عُوقبوا شرعًا وقَدَرًا بالذلة فيه ، إلا في أحيان من الدهر امتحن[٤] بهم بيت المقدس . وكذلك اليهودُ لما عَصَوا اللَّه فيه أيضًا أعظمَ من عصيان النصارى كانت عقوبتهم أعظمَ ، واللَّه أعلم .

وفسر هؤلاء الخزي في الدنيا بخروج المهدي ، عند السدي ، وعكرمة ، ووائل بن داود . وفسره قتادة بأداء الجزية عن يد وهم صاغرون .

والصحيح أن الخزي في الدنيا أعم من ذلك كله .

وقد ورد الحديث بالاستعاذة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ، كما قال الإمام أحمد(٦٧٣) : حدثنا الهيثم بن خارجة ، حدثنا محمد بن أيوب بن ميسرة بن حَلْبَس ، سمعت أبي يحدث عن

---

(٦٧٣) - بسر بن أرطأة ، ويقال : ابن أبي أرطأة ، قال الحافظ المزي : حديث بسر بن أبي أرطاة عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم ، وقيل : لم يسمع منه . وقال الحافظ : من صغار الصحابة . قال المنذري : =

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في خ : « أجلوهم منها » .
[٣] - في ت : « يضرب » .
[٤] - في خ : « اشتحن » .

بُشر[١] بن أرطاة قال : كان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، يدعو : « **اللّهم ؛ أحسن عاقبتنا في الأمور كلها ، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة** » .

وهذا حديث حسن ، وليس في شيء من الكتب الستة ، وليس لصحابيِّه ؛ وهو بُشر[٢] بن أرطاة ، حديث سواه ، وسوى حديث : « **لا تقطع الأيدي في الغزو** [٣] » (٦٧٤) .

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١١٥)

وهذا - واللّه أعلم - فيه تسلية للرسول صلى اللّه عليه وسلم وأصحابه الذين أخرجوا من مكة ، وفارقوا مسجدهم ، ومُصَلاَّهم ، وقد كان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يصلي بمكة إلى بيت

= قرشي عامري كنيته أبو عبد الرحمن اختلف في صحبته ، وقيل : له صحبة ، وقيل : لا صحبة له ، وإن مولده قبل وفاة النبي ، صلى اللّه عليه وسلم ، بسنتين وله أخبار مشهورة ، وكان يحيى بن معين لا يحسن الثناء عليه وهذا يدل على أنه لا صحبة له ، وغمزه الدارقطني . واللّه عز وجل أعلم . اهـ كلامه رحمه اللّه . ومحمد ابن أيوب بن ميسرة بن حلبس : قال الحافظ في التعجيل : صالح لا بأس به ، ليس بمشهور . قال : وأورده النباتي في الضعفاء في ذيل الكامل ، قال الذهبي في الميزان : وما فيه مغمز - أي مطعن - اهـ . ولعل مستند النباتي قول أبي حاتم : ليس بمشهور ، ففهم من ذلك أنه عند أبي حاتم مجهول ، وليس كذلك ، بل مراد أبي حاتم أنه لم يشتهر في العلم اشتهار غيره من أقرانه ، مثل سعيد بن عبد العزيز وأنظاره ، وقد ذكره ابن حبان في الثقات (٧/ ٣٨٥، ٤٣٢) في الطبقة الثالثة ، وقال : كنيته أبو بكر . وأيوب بن ميسرة : وثقه ابن حبان . قال ابن حجر : لم يذكر ابن عساكر في الرواة عنه إلا ابنه محمدًا ، والهيثم بن عمران . قال البخاري : كان أكبر من أخيه يونس . وكذا قال أبو مسهر نحوه وزاد : وكان أفقه ، وكان يفتي في الحلال والحرام . نقله العلائي في تاريخه عنه . والحديث في المسند برقم ١٧٦٧٩ - (١٨١/٤) . والحديث أخرجه ابن حبان كما في الموارد (٢٤٢٤) ، (٢٤٢٥) ، والطبراني في الكبير (٢/ ٣٣) حديث (١١٩٦) - (١١٩٨) ، والبخاري في التاريخ الكبير (٣٠/١) ، وابن عدي في الكامل (٢/ ٤٣٨) ، والحاكم في المستدرك (٥٩١/٣) من حديث بكر بن سهل الدمياطي ، ثنا محمد بن المبارك الصوري ، ثنا إبراهيم بن أبي شيبان ، حدثني يزيد بن عبيدة بن أبي المهاجر ، حدثني يزيد مولى بسر ، به . وذكره الهيثمي (١٧٨/١٠) وقال : رواه أحمد والطبراني ، ورجال أحمد ثقات .

(٦٧٤) - الحديث رواه أبو داود في كتاب الحدود ، باب : في الرجل يسرق في الغزو يقطع حديث (٤٤٠٨) ، والترمذي في الحدود ، باب : ما جاء أن لا يقطع الأيدي في الغزو حديث ١٤٥٠ . وقال أبو عيسى : حديث غريب . ورواه النسائي في كتاب قطع السارق ، باب : القطع في السفر بلفظ : « **لا تقطع الأيدي في السفر** » . (٩١/٨) . ورواه أحمد برقم ١٧٦٧٧ ، ١٧٦٧٨ - (١٨١/٤) والطبراني في الكبير (٣٣/٢) حديث (١١٩٥) وقوى إسناده ابن حجر في الإصابة (٢٤٣/١ - ٢٤٤) .

---

[١] - في خ : « بشر » .

[٢] - في خ : « بشر » .

[٣] - في خ : « الفرر » .

المقدس والكعبةُ بين يديه ، فلما قدم المدينة وَجَّه(٦٧٥) إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا ، أو سبعة عشر شهرًا ، ثم صرفه اللَّه إلى الكعبة بَعْدُ ، ولهذا يقول تعالى : ﴿ **ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله** ﴾ .

قال أبو عبيد القاسم بن سلام(٦٧٦) في كتاب « الناسخ والمنسوخ » : حدثنا حجاج بن محمد ، أخبرنا ابن جريج ، وعثمان بن عطاء ، عن عطاء ، عن ابن عباس ؛ قال : أول ما نسخ لنا من القرآن فيما ذكر لنا - واللَّه أعلم - شأنُ القبلة ، قال اللَّه تعالى : ﴿ **ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله** ﴾ فاستقبل رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم فصلى نحو بيت المقدس ، وترك البيت العتيق ، ثم [صرفه الله إلى بيته العتيق ونسخها] [١] . فقال : ﴿ **ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره** ﴾ .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : كان أول ما نسخ من القرآن القبلة . وذلك أن رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، لما هاجر إلى المدينة - وكان أهلها اليهود - أمره اللَّه أن يستقبل بيت المقدس ؛ ففرحت اليهود ، فاستقبلها رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، بضعةَ عَشَرَ شهرًا ، وكان رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم، يحب قبلة إبراهيم ، فكان يدعو وينظر إلى السماء ، فأنزل اللَّه ﴿ **قد نرى تقلب وجهك في السماء** ﴾ إلى قوله : ﴿ **فولوا وجوهكم شطره** ﴾ فارتاب من ذلك اليهود ، وقالوا : ﴿ **ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها** ﴾ [فأنزل اللَّه][٢] : ﴿ **قل لله المشرق والمغرب** ﴾ وقال : ﴿ **فأينما تولوا فثم وجه الله** ﴾ .

وقال عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ **فأينما تولوا فثم وجه الله** ﴾ ، قال : قبلة اللَّه أينما توجهت شرقًا أو غربًا . وقال مجاهد : ﴿ **فأينما تولوا فثم وجه الله** ﴾ حيثما كنتم فلكم قبلة تستقبلونها : الكعبة .

---

(٦٧٥) - وَجَّه إلى الشيء : توجه ، بمعنى وجهه إليه .

(٦٧٦) - الناسخ والمنسوخ رقم (٢١) ، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٤٦/١) من طريق حجاج بن محمد به ، ورواه الحاكم في المستدرك (٢٦٧/٢) من طريق ابن جريج ، عن عطاء ، به . وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا السياق » .

نقول : عطاء هو الخراساني - كما هو موجود في الناسخ والمنسوخ - وعطاء الخراساني : لم يسمع من ابن عباس - العلائي ص ٢٣٨ - وقال يحيى بن سعيد : ابن جريج ، عن عطاء الخراساني : ضعيف ، إنما هو كتاب دفعه إليه - العلائي ص ٢٣٠ - وابن جريج متابع من عثمان بن عطاء إلا أن عثمان ضعيف .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز هكذا : صرفه الله إلى البيت العتيق ، ونسخها وصرفه إلى البيت العتيق .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

وقال ابن أبي حاتم(٦٧٧) بعد رواية الأثر المتقدم ، عن ابن عباس في نسخ القبلة ، عن عطاء ، عنه : وروي عن أبي العالية ، والحسن ، وعطاء الخراساني ، وعكرمة ، وقتادة ، والسدي ، وزيد بن أسلم نحو ذلك .

وقال ابن جرير(٦٧٨) : وقال آخرون : بل أنزل الله هذه الآية قبل أن يفرض التوجه إلى الكعبة ، وإنما أنزلها تعالى ، ليعلم نبيه - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه أن لهم التوجه بوجوههم للصلاة حيث شاءوا من نواحي المشرق والمغرب ؛ لأنهم لا يوجهون وجوههم وجهًا من ذلك ، وناحية إلّا كان جلّ ثناؤه في ذلك الوجه وتلك الناحية ؛ لأن له تعالى المشارق والمغارب ، وأنه لا يخلو منه مكان ، كما قال تعالى : ﴿ [**ولا أدنى من ذلك**][١] **ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا** ﴾ قالوا : ثم نسخ ذلك بالفرض الذي فَرَضَ عليهم التوجُّهَ إلى المسجد الحرام ، هكذا قال .

وفي قوله : « وأنه تعالى لا يخلو منه مكان » إن أراد علمه تعالى ، فصحيح ، فإن علمه ، تعالى محيط بجميع المعلومات ، وأما ذاته تعالى فلا تكون محصورة في شي من خلقه ، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا .

قال ابن جرير(٦٧٩) : وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية على رسول الله - صلى الله عليه وسلم إذنًا من الله أن يصلي [المتطوع] حيث توجه من شرق أو غرب ، في مسيره في سفره ، وفي حال المسايفة وشدة الخوف .

حدثنا أبو كريب ، حدثنا ابن إدريس ، حدّثنا عبد الملك - هو ابن أبي سليمان - عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عمر : أنه كان يصلي حيث توجهت به راحلته ويذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يفعل ذلك ، ويتأول هذه الآية ﴿ **فأينما تولوا فثم وجه الله** ﴾ .

ورواه مسلم(٦٨٠) ، والترمذي ، والنسائي ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه من طرق ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، به .

وأصله في الصحيحين(٦٨١) من حديث ابن عمر ، وعامر بن ربيعة ، من غير ذكر الآية .

---

(٦٧٧) - ابن أبي حاتم (٣٤٦/١) .

(٦٧٨) - تفسير ابن جرير (٥٢٨/٢) .

(٦٧٩) - تفسير ابن جرير (٥٣٠/٢) .

(٦٨٠) - رواه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها برقم (٧٠٠) ، والترمذي في تفسير القرآن برقم (٢٩٥٨) وسنن النسائي في الصلاة (٢٤٤/١) ، وتفسير ابن أبي حاتم (٣٤٤/١) .

(٦٨١) - رواه البخاري في تقصير الصلاة ، باب : صلاة التطوع على الدواب ، وباب : الإيماء على الدابة برقم (١٠٩٣ ، و١٠٩٧) ، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها برقم ٤٠ - (٧٠١) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

وفي صحيح البخاري (٦٨٢) من حديث نافع ، عن ابن عمر : أنه كان إذا سئل عن صلاة الخوف وصفها ثم قال : فإن كان خوف أشد من ذلك صلوا رجالًا قيامًا على أقدامهم ، وركبانًا مستقبلي القبلة وغير مستقبليها .

قال نافع : ولا أرى ابن عمر ذكر ذلك إلا عن النبي ، صلى اللّه عليه وسلم .

[**مسألة** : ولم يفرق الشافعي - في المشهور عنه - بين سفر المسافة ، وسفر العدو ، فالجميع عنه يجوز التطوع فيه على الراحلة ، وهو قول أبي حنيفة خلافًا لمالك وجماعته ، واختار أبو يوسف وأبو سعيد الإصطخري التطوع على الدابة في المصر ، وحكاه أبو يوسف ، عن أنس بن مالك - رضي اللّه عنه - واختاره أبو جعفر الطبري ، حتى للماشي أيضًا][١] .

قال ابن جرير : وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية في قوم عُمِّيَتْ عليهم القبلة ، فلم يعرفوا شَطْرها ، فصلوا على أنحاء مختلفة فقال اللّه تعالى : لي المشارق والمغارب فأنى[٢] وليتم وجوهكم فهنالك وجهي ، وهو قبلتكم - فيعلمكم[٣] بذلك أن صلاتكم ماضية .

حدّثنا (٦٨٣) أحمد بن إسحاق الأهوازي ، حدثنا أبو أحمد الزبيري ، حدثنا أبو الربيع السمان ، عن عاصم بن عبيد اللّه ، عن عبد اللّه بن عامر بن ربيعة ، عن أبيه قال : كنا مع رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم ، في ليلة سوداء مظلمة ، فنزلنا منزلًا ، فجعل الرجلُ يأخذ الأحجارَ ، فيعمل مسجدًا يصلي فيه . فلما أصبحنا إذا نحن قد صلينا إلى غير القبلة ، فقلنا: يا رسول اللّه ! لقد صلينا ليلتنا هذه لغير القبلة ، فأنزل اللّه تعالى : ﴿ **وللّه المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه اللّه إن اللّه واسع عليم** ﴾ الآية .

ثم رواه(٦٨٤) عن سفيان بن وكيع ، عن أبيه ، عن أبي الربيع السمان ، بنحوه .

ورواه الترمذي (٦٨٥) عن محمود بن غيلان ، عن وكيع . وابن ماجه ، عن يحيى بن حكيم ، عن أبي داود ، عن أبي[٤] الربيع السمان .

(٦٨٢) - رواه البخاري في كتاب التفسير ، باب : وقوموا للّه قانتين برقم (٤٥٣٥) .

(٦٨٣) - **إسناده ضعيف ، لضعف عاصم بن عبيد الله** ، رواه ابن جرير ١٨٤١ - (٢/٥٣١) .

(٦٨٤) - ابن جرير ١٨٤٣ - (٢/٥٣٢) .

(٦٨٥) - **ضعيف** ، والحديث في سنن الترمذي في أبواب الصلاة ، باب : ما جاء في الرجل يصلي لغير القبلة برقم (٣٤٥) ، وفي التفسير برقم (٢٩٦٠) وعند ابن ماجة في إقامة الصلاة ، باب : من يصلي لغير القبلة وهو لا يعلم برقم (١٠٢٠) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في خ : « فأنى » .

[٣] - في ز ، خ : « فعليكم » .

[٤] - سقط من : خ .

ورواه ابن أبي حاتم(٦٨٦) ، عن الحسن بن محمد بن الصباح ، عن سعيد بن سليمان ، عن أبي الربيع السمان : واسمه أشعث بن سعيد البصري - وهو ضعيف الحديث .

وقال الترمذي : هذا حديث حسن[١] . ليس إسناده بذاك ، ولا نعرفه إلا من حديث أشعث السمان ، وأشعث يُضَعَّف في الحديث .

قلت : وشيخه عاصم أيضًا ضعيف .

قال البخاري : منكر الحديث . وقال ابن معين : ضعيف لا يحتج به . وقال ابن حبان : متروك ، والله أعلم .

وقد رُوي من طريق أخرى عن جابر .

وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه الآية : حدثنا إسماعيل بن علي بن إسماعيل ، حدثنا الحسن بن علي بن شبيب ، حدثني أحمد بن عبد الله بن الحسن ، قال : وجدت في كتاب أبي : حدثنا عبد الملك العرزمي، عن عطاء ، عن جابر قال : بَعَث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سَرِيَّة كنت فيها ، فأصابتنا ظلمة فلم نعرف القبلة ، فقالت طائفة منا : قد عرفنا القبلة ، هي هاهنا قِبل الشمال فصلوا وخطوا خطوطًا ، فلما أصبحوا وطلعت الشمس أصبحت تلك الخطوط لغير القبلة . فلما قفلنا من سفرنا سألْنَا النبيَّ ، صلى الله عليه وسلم ، فسكت ، وأنزل الله تعالى : ﴿ **ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله** ﴾ .

ثم رواه من حديث محمد بن عبيد الله العَرزَمي ، عن عطاء ، عن جابر ، به(٦٨٧) .

وقال الدارقطني : قرئَ على عبد الله بن عبد العزيز - وأنا أسمع - حدثكم داود بن عمرو ، حدثنا محمد بن يزيد الواسطي ، عن محمد بن سالم ، عن عطاء ، عن جابر قال : كنا مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في مسير فأصابنا غيم ، فتحيرنا ، فاختلفنا في القبلة : فصلى كل رجل[٢] منا على حدة ، وجعل أحدنا يخط بين يديه ؛ لنعلم أمكنتنا ، فذكرنا ذلك للنبي ، صلى الله عليه وسلم ، فلم يأمرنا بالإعادة ، وقال : قد أجزأت صلاتكم .

---

(٦٨٦) - **ضعيف** ، والحديث في تفسير ابن أبي حاتم (٣٤٤/١) .

(٦٨٧) - **ضعيف** ، ورواه الدارقطني في السنن (٢٧١/١) من طريق إسماعيل بن علي ، عن الحسن بن علي ابن شبيب ، به ، ورواه البيهقي في السنن الكبرى (١٢/٢) من طريق محمد بن الحارث ، عن أحمد بن عبيد الله قال : وجدت في كتاب أبي فذكر مثله ، ورواه أيضًا (١٠/٢) من طريق محمد بن يزيد الواسطي ، عن محمد بن عبيد الله العرزمي ، عن عطاء ، به .

---

[١] - في الترمذي : حسن غريب . [٢] - زيادة من : خ .

ثم قال الدارقطني : كذا قال : عن محمد بن سالم . وقال غيره : عن محمد بن [عبيد الله][١] العَرْزمي ، عن عطاء ، وهما ضعيفان (٦٨٨) .

ثم رواه ابن مردويه أيضًا من حديث الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس : أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بعث سَرِيَّة فأخذتهم ضبابة ، فلم يهتدوا إلى القبلة ، فصلوا لغير القبلة . ثم استبان لهم بعد ما طلعت الشمس أنهم صلوا لغير القبلة . فلما جاءوا إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حدثوه ؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية : ﴿ **ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله** ﴾ .

وهذه الأسانيد فيها ضعف ، ولعله يشدُّ بعضها بعضًا . وأما إعادة الصلاة لمن تبين له خطؤه ففيها قولان للعلماء ، وهذه دلائل على عدم القضاء ، والله أعلم .

قال ابن جرير (٦٨٩) : وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية في سبب النجاشي ، كما حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا [هشام بن معاذ][٢] ، حدثني أبي ، عن قتادة : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن أخًا لكم قد مات فصلوا عليه . قالوا : نصلي على رجل ليس بمسلم ؟. قال فنزلت : ﴿ **وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله** ﴾ ، [قال قتادة][٣] فقالوا : فإنه كان لا يصلي إلى القبلة فأنزل الله : ﴿ **ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله** ﴾ .

وهذا غريب والله أعلم .

[وقد قيل : إنه كان يصلي إلى بيت المقدس قبل أن يبلغه الناسخ إلى الكعبة ، كما حكاه القرطبي عن قتادة .

وذكر القرطبي (٦٩٠) : أنه لما مات ، صلى عليه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . فأخذ بذلك من ذهب إلى الصلاة على الغائب . قال : وهذا خاص عند أصحابنا من ثلاثة أوجه أحدها : أنه

(٦٨٨) - **ضعيف** ، وهو في سنن الدارقطني (٢٧١/١) ورواه الحاكم في المستدرك (٢٠٦/١) من طريق داود ابن عمرو ، به ، وقال : « هذا حديث صحيح رواته كلهم ثقات غير محمد بن سالم فإني لا أعرفه بعدالة ولا جرح » . قال الذهبي : قلت : « هو أبو سهل واه » .

(٦٨٩) - **ضعيف لإرساله** ، والحديث في تفسير ابن جرير ١٨٤٤ - (٥٣٢/٢) .

(٦٩٠) - تفسير القرطبي (٨٢/٢)

[١] - في ت : « عبد الله » .

[٢] - في خ : « معاذ بن هشام » .

[٣] - مكرر في خ .

عليه السلام شاهده حين [سُوِّي] عليه طويت له الأرض . والثاني : أنه لما لم يكن عنده من يصلي عليه ، واختاره ابن العربي . قال القرطبي : ويبعد أن يكون ملك مسلم ليس عنده أحد من قومه على دينه ، وقد أجاب ابن العربي عن هذا : لعلهم لم يكن عندهم شرعية الصلاة على الميت . وهذا جواب جيد . والثالث : أنه - عليه الصلاة والسلام - إنما صلى عليه ليكون ذلك كالتأليف لبقية الملوك ، والله أعلم][١] .

وقد أورد الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه الآية من حديث أبي معشر ، عن محمد بن عمرو بن علقمة ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ما بين المشرق والمغرب قبلة لأهل المدينة وأهل الشام ، وأهل العراق** » . وله مناسبة هاهنا ،

وقد أخرجه الترمذي(٦٩١) ، وابن ماجة من حديث أبي معشر - واسمه نجيح بن عبد الرحمن السندي[٢] المدني - به : « **ما بين المشرق والمغرب قبلة** » . وقال الترمذي : وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة ، وتكلم بعض أهل العلم في أبي معشر من قِبَلِ حفظِه .

ثم قال الترمذي : حدثني الحسن بن أبي بكر المروزي ، حدثنا المعلى بن منصور ، حدثنا عبد الله بن جعفر المخرمي[٣] ، عن عثمان بن محمد [بن المغيرة الأخنسي][٤] ، عن سعيد[٥] المقبري ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « **ما بين المشرق والمغرب قبلة** (٦٩٢) » ، ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح . وحُكِي عن البخاري أنه قال : هذا أقوى من حديث أبي معشر وأصح . قال الترمذي: وقد روي عن غير واحد من الصحابة : « **ما بين المشرق والمغرب قبلة** » - منهم عمر بن الخطاب(٦٩٣) ، وعلي ، وابن عباس ، رضي الله عنهم ، أجمعين . وقال ابن عمر : إذا جعلت المغرب عن يمينك والمشرق عن يسارك ، فما بينهما قبلة ، إذا استقبلت القبلة .

ثم قال ابن مردويه(٦٩٤) : حدثنا علي بن أحمد بن عبد الرحمن ، حدثنا يعقوب بن [يوسف]

---

(٦٩١) - **ضعيف** ، رواه الترمذي في أبواب الصلاة ، باب : ما جاء في ابتداء القبلة ، برقم (٣٤٢) ، وابن ماجة في إقامة الصلاة ، باب : القبلة برقم (١٠١١) .

(٦٩٢) - رواه الترمذي في أبواب الصلاة ، باب : ما جاء في ابتداء القبلة برقم (٣٤٤) .

(٦٩٣) - حديث عمر رواه مالك في الموطأ ، في الصلاة ، باب : ما جاء في القبلة ، من حديث نافع عنه موقوفًا برقم ٤٦٠ .

(٦٩٤) - رواه الدارقطني (١/٢٧٠) من طريق يعقوب بن يوسف ، والبيهقي (٢/٩) والصواب وقفه . =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - في خ: « السدى » .

[٣] - في خ : « الخرمى » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٥] - في ت : أبي سعيد

مولى بني هاشم ، حدثنا شعيب بن أيوب ، حدثنا ابن نمير ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « **ما بين المشرق والمغرب قبلة** » .

وقد رواه الدارقطني والبيهقي : وقال : المشهور عن ابن عمر ، عن عمر ، رضي الله عنهما ، قوله .

قال ابن جرير(٦٩٥) : ويحتمل : فأينما تولوا وجوهكم في دعائكم لي فهنالك وجهي أستجيب لكم دعاءكم ، كما حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثني حجاج ، قال : قال ابن جريج : قال مجاهد لما نزلت : ﴿ **ادعوني أستجب لكم** ﴾ قالوا : إلى أين ؟ فنزلت ﴿ **فأينما تولوا فثم وجه الله** ﴾ .

قال ابن جرير(٦٩٦) : [ومعنى قوله][١] : ﴿ **إن الله واسع** ﴾ يسع خلقه كلهم بالكفاية والإفضال والجود[٢] .

وأما قوله : ﴿ **عليم** ﴾ فإنه يعني : عليم بأعمالهم ، ما يغيب عنه منها شيء ، ولا يعزب[٣] عن علمه ، بل هو بجميعها عليم .

وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾

اشتملت هذه الآية الكريمة ، والتي تليها[٤] على الرد على النصارى - عليهم لعائن الله - وكذا من أشبههم من اليهود ، ومن مشركي العرب ، ممن جعل الملائكة بنات الله ، فأكذب الله جميعهم في دعواهم ، وقولهم : إنّ لله ولدًا ؛ فقال تعالى : ﴿ **سبحانه** ﴾ أي : تعالى ، وتقدّس ، وتنزه عن ذلك علوًّا كبيرًا ﴿ **بل له ما في السموات والأرض** ﴾ ، أي : ليس

= قال ابن أبي حاتم في العلل ٥٣٨ - (١٨٤/١) : « سئل أبو زرعة عن حديث رواه يزيد بن هارون ، عن محمد ابن عبد الرحمن ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : « **ما بين المشرق والمغرب قبلة** » قال أبو زرعة : « هذا وهم ، الحديث حديث ابن عمر موقوف » .

(٦٩٥) - تفسير ابن جرير ١٨٤٧ - (٥٣٤/٢) .

(٦٩٦) - تفسير ابن جرير (٥٣٧/٢) .

---

[١] - في خ : « ويعني بقوله » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في خ : « تغرب » .

[٤] - في خ : « قبلها » .

الأمر كما افتروا ، وإنما له ملك السموات والأرض [ومن فيهنّ][١] ، وهو المتصرف فيهم ، وهو خالقهم ، ورازقهم ، ومقدرهم ومسخرهم ، ومسيرهم ، ومصرفهم كما يشاء ، والجميع عبيد له ، وملك له ، فكيف يكون له ولد منهم ؟ ! والولد إنما يكون متولدًا من شيئين متناسبين ، وهو تبارك ، وتعالى ليس له نظير ، ولا مشارك في عظمته وكبريائه ، ولا صاحبة له ، فكيف يكون له ولد ؟ كما قال تعالى : ﴿ **بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا لقد جئتم شيئًا إدًا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًا أن دعوا للرحمن ولدًا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدًا إن كل من في السموات والأرض إلا آت الرحمن عبدًا لقد أحصاهم وعدّهم عدًا وكلهم آتيه يوم القيامة فردًا** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **قل هو اللَّه أحد * اللَّه الصمد * لم يلد * ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد** ﴾ .

فقرّر تعالى في هذه الآيات الكريمة أنه السيد العظيم ، الذي لا نظير له ، ولا شبيه له ، وأنّ جميع الأشياء غيره مخلوقة له مربوبة ؛ فكيف يكون له منها ولد ؟ ولهذا قال البخاري(٦٩٧) في تفسير هذه الآية[٢] من البقرة :

حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب عن عبد اللَّه بن أبي حُسَين ، حدثنا نافع بن جبير - هو ابن مطعم - عن ابن عباس ، عن النبي ، صلى اللَّه عليه وسلم ، قال : « **قال اللَّه تعالى : كذبني ابن آدم ، ولم يكن له ذلك ، [وشتمني ، ولم يكن له ذلك][٣] ، فأمّا تكذيبه إياي ، فيزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان ، وأما شتمه إياي فقوله : إنّ[٤] لي ولدًا فسبحاني[٥] أن أتخذ صاحبة ، أو[٦] ولدًا** » .

انفرد به البخاري من هذا الوجه .

وقال ابن مردويه(٦٩٨) : حدثنا أحمد بن كامل ، حدثنا محمد بن إسماعيل الترمذي ، حدثنا [إسحاق بن محمد الفَرْوي][٧] ، حدثنا مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم : « **يقول اللَّه تعالى : كذبني ابن آدم ، وما[٨] ينبغي**

---

(٦٩٧) - رواه البخاري في التفسير ، باب : وقالوا اتخذ اللَّه ولدًا سبحانه ، برقم (٤٤٨٢) .

(٦٩٨) - رواه البخاري في التفسير برقم (٤٩٧٤) من طريق شعيب ، عن أبي الزناد ، به ، وفيه : « **لم ألد ، ولم أولد** ..... ».

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في خ : « الآيات » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في خ : « سبحاني » .
[٦] - في خ : « و » .
[٧] - في ت ، ر : « محمد بن إسحاق بن محمد الفروى » .
[٨] - في خ : « لم » .

له أن يكذبني ، وشتمني وما[١] ينبغي له أن يشتمني ، فأمّا[٢] تكذيبه إياي فقوله : لن يعيدني كما بدأني ، وليس أوّل الخلق بأهون عليّ من إعادته . وأما شتمه[٣] إياي فقوله : اتخذ الله ولدًا . وأنا الله الأحد الصمد ﴿ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد ﴾ .

وفي الصحيحين(٦٩٩) : عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله ؛ إنهم يجعلون له ولدًا ، وهو يرزقهم ، ويعافيهم** » .

وقوله تعالى : ﴿ **كل له قانتون** ﴾ قال ابن أبي حاتم(٧٠٠) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أسباط ، عن مطرِّف ، عن عطية ، عن ابن عباس قال : ﴿ **قانتين** ﴾ مصلين .

وقال عكرمة وأبو مالك : ﴿ **كل له قانتون** ﴾ مقرون له بالعبودية ، وقال سعيد بن جبير : ﴿**كل له قانتون** ﴾ يقول : الإخلاص ، وقال الربيع بن أنس يقول : ﴿ **كل له قانتون**﴾ أي[٤] : قائم يوم القيامة ، وقال السدي : ﴿ **كل له قانتون** ﴾ أي[٥] : مطيعون يوم القيامة .

وقال خصيف ، عن مجاهد : ﴿ **كل له قانتون** ﴾ ، قال : مطيعون ، كن إنسانًا فكان ، وقال : كن حمارًا فكان .

وقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿ **كل له قانتون** ﴾ : مطيعون ، يقول : طاعة الكافر في سجود ظله وهو كاره .

وهذا القول عن[٦] مجاهد - وهو اختيار ابن جرير - يجمع[٧] الأقوال كلها ، وهو أنّ القنوت هو الطاعة ، والاستكانة إلى الله ، وهو[٨] شرعي وقدري ، كما قال تعالى : ﴿ **ولله يسجد من في السموات والأرض طوعًا وكرهًا وظلالهم بالغدوّ والآصال** ﴾ .

وقد روي[٩] حديث فيه بيان القنوت في القرآن ، ما هو المراد به ، كما قال ابن أبي حاتم(٧٠١) : حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، حدّثنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث : أن

---

(٦٩٩) - رواه البخاري في الأدب ، باب : الصبر على الأذى برقم (٦٠٩٩) ، ورواه مسلم في صفة القيامة والجنة والنار برقم (٢٨٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري ، رضي الله عنه .

(٧٠٠) - **إسناده ضعيف** ؛ لضعف عطية العوفي ، والحديث عند ابن أبي حاتم حديث ١١٣٨ - (٣٤٩/١) .

(٧٠١) - **إسناده ضعيف** ، والحديث في تفسير ابن أبي حاتم ١١٣٥ - (٣٤٨/١) وانظر الحديث التالي .

---

[١] - في خ : « لم » .
[٢] - في خ : « أما » .
[٣] - في ت : « شتمته » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في خ : « يقول » .
[٦] - في خ : « من » .
[٧] - في خ : « بجميع » .
[٨] - في خ : « وذلك » .
[٩] - في خ : « ورد » .

درّاجًا أبا السمح حدّثه ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « **كل حرف من القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة** » .

وكذا رواه الإمام أحمد(٧٠٢) ، عن حسن بن موسى ، عن ابن لهيعة ، عن دَرّاج بإسناده ، مثله .

ولكن هذا الإسناد ضعيف لا يعتمد عليه ، ورفع هذا الحديث منكر ، وقد يكون من كلام الصحابي ، أو من دونه ، والله أعلم . وكثيرًا ما يأتي بهذا الإسناد تفاسير فيها نَكَارَة ؛ فلا يغتر بها ، فإنّ السند ضعيف ، والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ **بديع السموات والأرض** ﴾ أي : خالقهما على غير مثال سبق ، قال مجاهد والسدي : وهو مقتضى اللغة ، ومنه يقال للشيء المحدث : بدعة . كما جاء في [صحيح مسلم][١] : « **فإن كل محدثة بدعة** »(٧٠٣) ، والبدعة على قسمين : تارة تكون بدعة[٢] شرعية ، كقوله : « **فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة** »(٧٠٤) ، وتارة تكون بدعة لغوية ، كقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب(٧٠٥) - رضي الله عنه - عن جمعه إياهم على صلاة التراويح واستمرارهم : نِعْمَتِ البدعةُ هذه .

---

(٧٠٢) - **إسناده ضعيف** ؛ لضعف رواية دراج ، عن أبي الهيثم . رواه أحمد ١١٧٢٨ - (٧٥/٣) ، وأخرجه أبو يعلى في مسنده (١٣٧٩/٢) حدثنا الحسن بن موسى ، به . وابن جرير في « تفسيره » (٢٦٥/٣ - ٢٦٦) من طريق محمد بن حرب ، قال : ثنا ابن لهيعة به ، وأخرجه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (٢/ ٥٣١) ، وابن حبان في « صحيحه » (٣٠٩/٢) ، وفي « الموارد » (١٧٢٣/٥) ، والطبراني في « الأوسط » (٥١٨١/٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣٢٥/٨) . من طريق عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن دراج ، به . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٣٢٣/٦) وقال : « رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني في الأوسط ، وفي إسناد أحمد وأبي يعلى ابنُ لهيعة وهو ضعيف » . وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٢٠٨/١) إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، والنحاس في « ناسخه » وأبي نصر السِّجزيِّ في « الإبانة » والضياء في « المختارة » .

(٧٠٣) - رواه مسلم في الجمعة برقم (٨٦٧) من حديث جابر رضي الله عنه بلفظ : «...... وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة .... » .

(٧٠٤) - رواه أبو داود في السنة ، باب : لزوم السنة حديث (٤٦٠٧) من حديث العرباض بن سارية ، وكذا رواه أحمد ، والدارمي في المقدمة ، باب : اتباع السنة حديث ٩٥ .

(٧٠٥) - رواه البخاري في صلاة التراويح ، باب : فضل من قام رمضان رقم (٢٠١٠) . ومالك في الموطأ في النداء للصلاة ، باب : ما جاء في قيام رمضان رقم ٢٥٢ .

---

[١] - في خ : « الصحيح لمسلم » . [٢] - في خ : « بدعية » .

وقال ابن جرير(٧٠٦) : و﴿ بديع السموات والأرض ﴾ مبدعهما[١] ، وإنما هو مُفْعِل فصرف إلى فَعيل ، كما صُرف المؤلم إلى الأليم[٢] ، والمُسمع إلى السميع . ومعنى المبدع[٣] : المنشىء والمحدث ما لا يسبقه إلى إنشاء مثله وإحداثه أحد . قال : ولذلك سُمي المبتدع في الدين مبتدعًا ؛ لإحداثه فيه ما لم يسبقه[٤] إليه غيرُه ، وكذلك كل محدث فعلًا أو قولًا[٥] لم يتقدّمه[٦] فيه متقدّم ؛ فإن العرب تسميه مبتدعًا . ومن ذلك قول أعشى ثعلبة في مدح هوذة بن علي الحنفي :

يرعى[٧] إلى قول سادات الرجال إذا أبدَوا له الحزْمَ أو ما شاءهُ ابتَدعا

أي : يحدث ما شاء .

قال ابن جرير(٧٠٧) : فمعنى الكلام ؛ سبحان الله أن[٨] يكون له[٩] ولد ، وهو مالك ما في السموات والأرض ، تشهد[١٠] له جميعها بدلالتها عليه بالوحدانية ، وتقرّ له بالطاعة ، وهو بارئها وخالقها وموجدها من غير أصل ، ولا مثال احتذاها عليه . وهذا إعلام من الله لعباده أن ممن يشهد له بذلك المسيح ، الذي أضافوا إلى الله بُنُوّته ، وإخبار منه لهم أن الذي ابتدع السموات ، والأرض من غير أصل وعلى غير مثال ، هو الذي ابتدع المسيح عيسى[١١] من غير والد بقدرته .

وهذا من ابن جرير - رحمه الله - كلام جيد وعبارة صحيحة .

وقوله تعالى : ﴿ وإذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون ﴾ . يبين بذلك تعالى كمال قدرته ، وعظيم سلطانه ، وأنه إذا قدّر أمرًا وأراد كونه ، فإنما يقول له : كن ، أي : مرة واحدة ، فيكون ، أي : فيوجد على وفق ما أراد ، كما قال تعالى : ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون ﴾ وقال تعالى : ﴿ إنما قولنا[١٢] لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر ﴾ وقال الشاعر :

(٧٠٦) - تفسير ابن جرير (٢/٥٤٠) .

(٧٠٧) - تفسير ابن جرير (٢/٤٥١) .

[١] - في خ : « مبدعها » .

[٢] - في خ : « أليم » .

[٣] - في خ : « البديع » .

[٤] - في ت : « يسبق » .

[٥] - في خ : « و » .

[٦] - في ت : « يتقدم » .

[٧] - زيادة من : خ .

[٨] - في خ : « أنى » .

[٩] - في خ : « لله » .

[١٠] - في خ : « يشهد » .

[١١] - سقط من : خ .

[١٢] - في خ : « أمرنا » .

إذا ما أراد اللّه أمرًا فإنَّما يقول له كن قولة فيكونُ

ونبه تعالى بذلك أيضًا على أنه خلق عيسى بكلمة : كن ، فكان كما أمره اللّه تعالى ، قال اللّه تعالى : ﴿ **إن مثل عيسى عند اللّه كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون** ﴾ .

وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾

قال محمد بن إسحاق(٧٠٨) : حدّثني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس ، قال : قال رافع بن حُرَيملة لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : يامحمد ! إن كنت رسولًا من اللّه كما تقول ، فقل للّه فليكلمنا حتى نسمع كلامه . فأنزل اللّه في ذلك من قوله : ﴿ **وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا اللّه أو تأتينا آية** ﴾ [وقال مجاهد ﴿ **وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا اللّه أو تأتينا آية** ﴾][١] . قال : النصارى تقوله .

وهو اختيار ابن جرير ، قال : لأن[٢] السياق فيهم ، وفي ذلك نظر .

[وحكي القرطبي ﴿ **لولا يكلمنا اللّه** ﴾ : أي يخاطبنا بنبوّتك يا محمد . قلت : وهو ظاهر السياق واللّه أعلم][٣] .

وقال أبو العالية ، والربيع بن أنس ، وقتادة ، والسدي في تفسير هذه الآية : هذا قول كفار العرب ﴿ **كذلك قال الذين من قبلهم [مثل قولهم]**[٤] ﴾ قالوا : هم اليهود والنصارى ، ويؤيد[٥] هذا القول ، وأن القائلين ذلك هم مشركو العرب قوله تعالى : ﴿ **وإذا**[٦] **جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل اللّه اللّه أعلم حيث يجعل رسالاته سيصيب الذين أجرموا صغار عند اللّه وعذاب شديد بما كانوا يمكرون** ﴾ . الآية . وقوله تعالى : ﴿ **وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعًا** ﴾ إلى قوله : ﴿ **قل**

---

(٧٠٨) - **إسناده ضعيف** ، ورواه ابن جرير ١٨٦٢ - (٥٥١/٢) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - في خ : « لا » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٥] - في خ : « يريد » .

[٦] - في خ : « وإن » .

سبحان ربي هل كنت إلا بشرًا رسولًا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوًا عتوًّا كبيرا ﴾ الآية ، وقوله تعالى: ﴿ بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفًا منشَّرة ﴾ إلى غير ذلك من الآيات الدالة على كفر مشركي العرب ، وعتوّهم[١] وعنادهم ، وسؤالهم ما لا حاجة لهم به ، إنما هو الكفر والمعاندة ، كما قال من قبلهم من الأمم الخالية من أهل الكتابين وغيرهم ، كما قال تعالى : ﴿ يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابًا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا اللَّه جهرة ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى اللَّه جهرة ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ تشابهت قلوبهم ﴾ أي أشبهت قلوب مشركي العرب قلوب من تقدّمهم في الكفر والعناد والعتوّ ، كما قال تعالى ﴿ كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون ؟ ﴾ الآية . وقوله تعالى : ﴿ قد بينا الآيات لقوم يوقنون ﴾ ، أي : قد أوضحنا الدلالات على صدق الرسل بما لا يحتاج معها إلى سؤال آخر وزيادة أخرى ، لمن أيقن ، وصدق ، واتبع الرسل ، وفهم ما جاءوا به عن[٢] اللَّه تبارك وتعالى ، وأما من ختم اللَّه على قلبه وسمعه[٣] ، وجعل على بصره غشاوة ، فأولئك الذين قال اللَّه تعالى فيهم : ﴿ إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ﴾ .

إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

قال ابن أبي حاتم(٧٠٩) ، حدّثنا أبي ، حدثنا عبد الرحمن بن صالح ، حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن عبيد اللَّه الفَزَاري[٤] ، عن شيبان النحوي ، أخبرني قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن النبي ، صلى اللَّه عليه وسلم ، قال : « أنزلت عليّ ﴿ إنا أرسلناك بالحق بشيرًا ونذيرًا ﴾ ، قال : بشيرًا بالجنة ، ونذيرًا من النار » . وقوله : ﴿ ولا تسأل عن أصحاب الجحيم ﴾ قراءة أكثرهم[٥] : ﴿ ولا تُسأل ﴾ بضم التاء على الخبر . وقراءة أبي بن كعب ﴿ وما تسأل ﴾. وفي قراءة ابن مسعود ﴿ ولن تسئل عن أصحاب الجحيم ﴾ نقلها[٦] ابن جرير(٧١٠) أي : لا نسألك عن كفر من كفر بك ، كقوله[٧] : ﴿ فإنما عليك البلاغ وعلينا

(٧٠٩) - **فيه عنعنة قتادة ، وهو مدلس** ، وعبد الرحمن بن محمد بن عبيد اللَّه الفزاري : قال أبو حاتم ليس بقوي (٢٨٢/٥) . والحديث في تفسير ابن أبي حاتم ١١٥٥ ، ١١٥٦ - (٣٥٤/١) .

(٧١٠) - تفسير ابن جرير (٥٥٨/٢) .

[١] - في خ : « وغيرهم » .
[٢] - في خ : « من » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في خ : « البزازى » .
[٥] - في خ : « بعضهم » .
[٦] - في خ : « نقلهما » .
[٧] - سقط من : خ .

الحساب ﴾ . وكقوله تعالى : ﴿ **فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر** ﴾ . الآية . وكقوله تعالى ﴿ **نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد** ﴾ وأشباه ذلك من الآيات . وقرأ آخرون : ﴿ **ولا تَسْأَلْ عن أصحاب الجحيم** ﴾ بفتح التاء على النهي ، أي لا تسأل عن حالهم ، كما قال عبد الرزاق(٧١١) : أخبرنا الثوري ، عن موسى بن عُبَيدة ، عن محمد ابن كعب القرظي ، قال : قال رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم : « **ليت شعري ! ما فعل أبواي؟ ليت شعري ! ما فعل أبواي ؟ ليت شعري ! ما فعل أبواي ؟** » فنزلت : ﴿ **ولا تسأل عن أصحاب الجحيم** ﴾ ، فما ذكرهما حتى توفاه اللَّه - عز وجل - .

ورواه ابن جرير(٧١٢) ، عن أبي كُريب ، عن وكيع عن موسى بن عبيدة [- وقد تكلموا فيه - عن محمد بن كعب][١] به مثله .

[وقد حكاه القرطبي ، وهذا كما يقال : لا تسأل عن فلان أي : قد بلغ فوق ما تحسب . وقد ذكرنا في التذكرة : أن اللَّه أحيا له أبويه حتى آمنا به . وأجبنا عن قوله : « **إن أبي وأباك في النار** ». قلت : والحديث المروي في حياة أبويه - عليه السلام - ليس في شيء من الكتب الستة ، ولا غيرها ، وإسناده ضعيف ، واللَّه أعلم][٢] .

ثم قال [ابن جرير][٣] (٧١٣) : وحدّثني القاسم ، حدثنا الحسين ، حدّثني حجاج ، عن ابن جريج ، أخبرني داود بن أبي عاصم : أنّ النبي ، صلى اللَّه عليه وسلم ، قال ذات يوم : « **أين أبواي ؟** » **فنزلت** : ﴿ **إنا أرسلناك بالحق بشيرًا ونذيرًا ولا تَسْأَل عن أصحاب الجحيم** ﴾ . وهذا مرسل كالذي قبله .

وقد رَدَّ ابن جرير هذا القول المروي عن محمد بن كعب ، وغيره في ذلك ؛ لاستحالة الشك من الرسول ، صلى اللَّه عليه وسلم ، في أمر أبويه ، واختار القراءة الأولى .

وهذا الذي سلكه هاهنا فيه نظر ؛ لاحتمال أن هذا كان في حال استغفاره لأبويه قبل أن يعلم أمرهما ، فلما علم ذلك تبرأ منهما ، وأخبر عنهما أنهما من أهل النار . [كما ثبت هذا في الصحيح][٤] ولهذا أشباه كثيرة ونظائر، ولا يلزم ما ذكره ابن جرير ، واللَّه أعلم .

---

(٧١١) - **ضعيف** ، والحديث في تفسير عبد الرزاق (٧٨/١) ومحمد بن كعب القرظي تابعي ، فالحديث مرسل ، والمرسل لا تقوم به حجة . وموسى بن عبيدة ، ضعيف جدًّا .

(٧١٢) - **ضعيف كالذي قبله** ، والحديث في تفسير ابن جرير (٥٥٨/٢) .

(٧١٣) - **ضعيف لإرساله** ، والحديث في تفسير ابن جرير (٥٥٩/٢) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

وقال الإمام أحمد(٧١٤) : حدثنا موسى بن داود ، حدّثنا فُليح بن سليمان ، عن هلال بن علي ، عن عطاء بن يسار ، قال : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت : أخبرني عن صفة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في التوراة فقال : أجل ، والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن : يا أيها النبي ؛ إنا أرسلناك شاهدًا ، ومبشرًا ، ونذيرًا ، وحِرْزًا للأميين ، وأنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، لا فظ ، ولا غليظ ، ولا سخاب في الأسواق ، ولا يدفع [بالسيئةِ السيئةَ][١] ، ولكن [يعفو ويغفر][٢] ، ولن يقبضه حتى يقيم[٣] به الملة العوجاء ، بأن يقولوا : لا إله إلا الله ؛ فيفتح به أعينًا عُمْيًا ، وآذانًا صمًّا ، وقلوبًا غُلْفًا .

انفرد بإخراجه البخاري(٧١٥) ، فرواه في البيوع عن محمد بن سنان ، عن فُلَيح ، به ، .

وقال : تابعه عبد العزيز بن أبي سلمة ، عن هلال ، وقال سعيد : عن هلال ، عن عطاء ، عن عبد الله بن سلام .

ورواه(٧١٦) في التفسير عن عبد الله ، عن عبد العزيز بن أبي سلمة ، عن هلال ، عن عطاء ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، به . فذكر نحوه ، فعبد الله هذا هو ابن صالح ، كما صرح به في كتاب الأدب . وزعم أبو مسعود الدمشقي[٤] أنه عبد الله بن رجاء .

وقد رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه الآية من البقرة ، عن أحمد بن الحسن بن أيوب ، عن محمد بن أحمد بن البراء ، عن المعافى بن سليمان ، عن فليح ، به . وزاد : قال عطاء : ثم لقيت كعب الأحبار ، فسألته ، فما اختلفا في حرف ، إلا أن كعبًا قال بِلُغَتِهِ : أعينًا عمومي ، وآذانًا صمومي ، وقلوبًا غلوفًا .

وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾

(٧١٤) - **إسناده على شرط البخاري** ؛ على كلام في فليح بن سليمان ، والحديث في المسند ٦٦٢٢ - (١٧٤/٢)

(٧١٥) - رواه البخاري في باب : كراهية السخب في السوق برقم (٢١٢٥) .

(٧١٦) - رواه البخاري في سورة الفتح ، باب : إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا ، برقم (٤٨٣٨) .

[١] - في خ : « السيئة بالسيئة » .

[٢] - في خ : « يعفو وتغفر » .

[٣] - في خ : « تتم » .

[٤] - سقط من : خ .

قال ابن جرير : يعني بقوله جل ثناؤه : ﴿ **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم** ﴾ وليست اليهود - يا محمد - ولا النصارىٰ براضية عنك أبدًا ، فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم[١] ، وأقبلْ على طلب رضا اللَّه في دعائهم إلى ما بعثك اللَّه به من الحق .

وقوله تعالى : ﴿ **قل إنّ هدى اللَّه هو الهدى** ﴾ أي : قل يا محمد : إن هدى اللَّه الذي بعثني به هو الهدىٰ ، يعني هو الدين المستقيم الصحيح الكامل الشامل .

قال قتادة : في قوله : ﴿ **قل إن هدى اللَّه هو الهدى** ﴾ قال : خصومة عَلَّمَها اللَّه محمدًا صلى اللَّه عليه وسلم وأصحابه ، يخاصمون بها أهل الضلالة .

قال قتادة : وبلغنا أن رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، كان يقول : « و[٢] **لا تزال طائفة من أمّتي يقاتلون**[٣] **على الحق ظاهرين ، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر اللَّه** »(٧١٧) .

(**قلت**) : هذا الحديث مخرّج في الصحيح عن عبد اللَّه بن عمرو(٧١٨) .

﴿ **ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من اللَّه من ولي ولا نصير** ﴾ فيه تهديد ، ووعيد شديد للأمّة عن اتباع طرائق اليهود والنصارى ، بعدما علموا من القرآن والسنة ، عياذًا باللَّه من ذلك ، فإن الخطاب مع الرسول ، [والأمر لأمّته][٤].

[وقد استدل كثير من الفقهاء بقوله : ﴿ **حتى تتبع ملتهم** ﴾ حيث أفرد الملة ، على أن الكفر كله ملة واحدة ، كقوله تعالى : ﴿ **لكم دينكم ولي دين** ﴾ . فعلى هذا لا يتوارث المسلمون والكفار ، وكل منهم يرث قرينه ، سواء كان من أهل دينه أم لا ؛ لأنهم كلهم ملة واحدة ، وهذا مذهب الشافعي ، وأبي حنيفة ، وأحمد في رواية عنه . وقال في الرواية الأخرى كقول مالكٍ : إنه لا يتوارث أهل ملتين شتى كما جاء في الحديث (٧١٩) ، واللَّه أعلم][٥].

(٧١٧) - **إسناده ضعيف لانقطاعه .**

(٧١٨) - رواه مسلم برقم بلفظ : **لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر اللَّه ، قاهرين لعدوهم ، لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك** في كتاب الإمارة برقم ١٧٦ - (١٩٢٤) .

(٧١٩) - رُوي من حديث عبد اللَّه بن عمرو ، وجابر بن عبد اللَّه ، وأسامة بن زيد . أما حديث عبد اللَّه بن عمرو : فرواه أبو داود في الفرائض ، باب : هل يرث المسلم الكافر برقم (٢٩١١) ، وابن ماجه في الفرائض ، باب : ميراث أهل الإسلام من أهل الشرك برقم (٢٧٣١) . وأما حديث أسامة بن زيد فهو متفق عليه بلفظ : « **لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم** » . رواه البخاري في الفرائض ، باب : =

[١] - في خ : « وموافقهم » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في خ : « يقتتلون » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في خ : « والأمة » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

وقوله : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته ﴾ [ ][١] قال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة : هم اليهود والنصارى . وهو قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، واختاره ابن جرير .

وقال سعيد ، عن قتادة : هم أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن أبي حاتم(٧٢٠) : حدثنا أبي ، حدثنا إبراهيم بن موسى ، وعبد الله بن عمران الأصبهاني ، قالا : [حدثنا يحيى بن يمان][٢] ، حدثنا أسامة بن زيد ، عن أبيه ، عن عمر ابن الخطاب : ﴿ يتلونه حق تلاوته ﴾ قال : إذا مر بذكر الجنة ، سأل الله الجنة ، وإذا مر بذكر النار ، تعوّذ بالله من النار .

وقال أبو العالية : قال ابن مسعود : « والذي نفسي بيده إن حق تلاوته أن يُحِلّ حلاله ويحرّم حرامه ، ويقرأه كما أنزله الله ، ولا يحرّف الكلم عن مواضعه ، ولا يتأوّل منه شيئًا على[٣] غير تأويله » .

وكذا رواه عبد الرزاق(٧٢١) ، عن معمر ، عن قتادة ومنصور بن المعتمر ، عن ابن مسعود .

وقال السدّي(٧٢٢) : عن أبي مالك ، عن ابن عباس في هذه الآية ، قال : يُحِلون حلاله ويحرّمون حرامه ، ولا يحرّفونه عن مواضعه .

وقال ابن أبي حاتم : وروي عن ابن مسعود نحو ذلك .

وقال الحسن البصري : يعملون بمحكمه ، ويؤمنون بمتشابهه ، وَيَكِلُون ما أشكل عليهم إلى

= لا يرث المسلم الكافر ..... ، برقم (٦٧٦٤) . ومسلم في الفرائض برقم ١ - (١٦١٤) . وأبو داود في الفرائض ، باب : هل يرث المسلم الكافر برقم (٢٩٠٩) . والترمذي في الفرائض ، باب : إبطال الميراث بين المسلم والكافر برقم (٢١٠٧) . والنسائي في الفرائض من الكبرى ، وابن ماجه في الفرائض ، باب : ميراث أهل الإسلام من أهل الشرك برقم (٢٧٢٩) . وحديث جابر رواه الترمذي في الفرائض ، باب : لا يتوارث أهل ملتين ، برقم (٢١٠٨) وقال : هذا حديث غريب .

(٧٢٠) - زيد بن أسلم لم يسمع من عمر ، وأسامة بن زيد بن أسلم : ضعيف من قبل حفظه . ويحيى بن يمان: ضعفه أحمد والنسائي وابن نمير ، واختلف قول يحيى ، فضعفه مرة ، وقال مرة : ليس به بأس وقال الذهبي : صالح الحديث . وقال ابن حجر : صدوق عابد يخطئ كثيرًا وقد تغير . والحديث في تفسير ابن أبي حاتم ١١٦٧ - (٣٥٧/١) .

(٧٢١) - عبد الرزاق في تفسيره (٥٦/١ - ٥٧)

(٧٢٢) - رواه ابن جرير برقم ١٨٨٧ - (٥٦٦/٢) .

---

[١] - في خ : و .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٣] - سقط من: خ .

عالمه .

وقال ابن أبي حاتم(٧٢٣) : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا إبراهيم بن موسى ، أخبرنا ابن أبي زائدة ، أخبرنا داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **يتلونه حق تلاوته** ﴾ قال : يتبعونه حق اتباعه ، ثم قرأ : ﴿ **والقمر إذا تلاها** ﴾ يقول : اتبعها .

قال : وروي عن عكرمة ، وعطاء ، ومجاهد ، وأبي رزين ، وإبراهيم النخَعي نحوُ ذلك .

وقال سفيان الثوري : حدثنا زُبَيد ، عن مُرَّة ، عن عبد الله بن مسعود في قوله : ﴿ **يتلونه حق تلاوته** ﴾ قال : يتبعونه حق اتباعه .

[قال القرطبي(٧٢٤) : وروى نصر بن عيسىٰ ، عن مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في قوله : ﴿ **يتلونه حق تلاوته** ﴾ قال : « **يتبعونه حق تلاوته** » ثم قال : في إسناده غير واحد من المجهولين فيما ذكره الخطيب ، إلا أن معناه صحيح .

وقال أبو موسى الأشعري : من يتبع القرآن يهبط به على رياض الجنة .

وقال عمر بن الخطاب : هم الذين إذا مروا بآية رحمة سألوها من الله ، وإذا مررا بآية عذاب استعاذوا منها .

قال : وقد روي هذا المعنى عن النبي - صلى الله عليه وسلم(٧٢٥) - : أنه كان إذا مر بآية رحمة سأل ، وإذا مر بآية عذاب تعوّذ][١] .

وقوله : ﴿ **أولئك يؤمنون به** ﴾ خبر عن : ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته** ﴾ . أي : من أقام كتابه من أهل الكتب المنزلة على الأنبياء المتقدّمين حق إقامته آمن بما أرسلتك به يامحمد ؛ كما قال تعالى : ﴿ **ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم** ﴾ الآية . وقال : ﴿ **قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم** ﴾ أي : إذا أقمتموها حق

(٧٢٣) - رواه ابن أبي حاتم ١١٦٦ - (٣٥٧/١) . ورجال إسناده ثقات .

(٧٢٤) - القرطبي (٩٥/٢) .

(٧٢٥) - رواه أبو داود في الصلاة ، باب : ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده ، برقم (٨٧١) ، والترمذي - وقال : حسن صحيح - في أبواب الصلاة ، باب : ما جاء في التسبيح في الركوع والسجود برقم (٢٦٢) ، ورواه النسائي ، وابن ماجة في إقامة الصلاة ، باب : ما جاء في القراءة في صلاة الليل برقم (١٣٥١) . جميعهم من حديث صلة بن زفر ، عن حذيفة ، وأصله عند مسلم برقم ٢٠٣ - (٧٧٢) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

الإقامة ، وآمنتم بها حق الإيمان ، وصدّقتم ما فيها من الإخبار بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ، وصفته ، والأمر باتباعه ، ونصره ، ومؤازرته - قادكم ذلك إلى الحق ، واتباع الخير في الدنيا والآخرة ، كما قال تعالى : ﴿ **الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل** ﴾ .. الآية . وقال تعالى : ﴿ **قل آمنوا به**[١] **أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرّون للأذقان سجدًا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولًا** ﴾ ، أي : إن كان ما وعدنا به من شأن محمد ، صلى الله عليه وسلم ، لواقعًا . وقال تعالى :﴿ **الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **وقل للذين أوتوا الكتاب والأمّيين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد** ﴾ ، ولهذا قال تعالى : ﴿ **ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون** ﴾ ، كما قال تعالى : ﴿ **ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده** ﴾ . وفي الصحيح : « **والذي نفسي بيده ، لا يسمع بي أحد من هذه الأمّة : يهودي ولا نصراني ، ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار** »(٧٢٦) .

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢٢ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ١٢٣ ﴾

و[٢] قد تقدّم نظير هذه الآية في صدر السورة ، وكرّرت هاهنا ، للتأكيد ، والحث على اتباع الرسول النبي الأمي ، الذي يجدون صفته في كتبهم ، ونعته ، واسمه ، وأمره ، وأمّته . يحذرهم من كتمان هذا ، وكتمان ما أنعم به عليهم ، وأمرهم أن يذكروا نعمة الله عليهم ، من النعم الدنيوية والدينية . ولا يحسدوا بني عمهم من العرب على ما رزقهم الله من إرسال الرسول الخاتم منهم، ولا يحملهم[٣] ذلك الحسد على مخالفته ، وتكذيبه ، والحيد[٤] عن موافقته ، صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين .

---

(٧٢٦) - رواه مسلم في الإيمان من حديث أبي هريرة بمعناه برقم ٢٤٠ - (١٥٣) .

---

[١] - في خ : « بالله » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في خ : « ولا يحملنهم » .
[٤] - في خ : « والحيدة » .

﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾

يقول تعالى منبهًا على شرف إبراهيم خليله – عليه السلام – وأن اللَّه جعله إمامًا للناس يقتدى به في التوحيد [حين] قام بما كلفه اللَّه تعالى به من الأوامر والنواهي ؛ ولهذا قال : ﴿ وإذ[١] ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات ﴾ أي : واذكر يا محمد ، لهؤلاء المشركين ، وأهل الكتابين الذين ينتحلون ملة إبراهيم ، وليسوا عليها ، وإنما الذي هو عليها مستقيم ، فأنت والذين معك من المؤمنين ، اذكر لهؤلاء ابتلاء اللَّه إبراهيم ، أي : اختباره له بما كلفه به من الأوامر والنواهي ﴿ فأتمهن ﴾ أي : قام بهن كلهن ، كما قال تعالى : ﴿ وإبراهيم الذي وفّى ﴾ أي : وفّى جميع ما شرع له ؛ فعمل به صلوات اللَّه عليه ، وقال تعالى : ﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتًا للَّه حنيفًا ولم يك من المشركين * [شاكرًا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم * وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين * ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين][٢] ﴾ وقال تعالى : ﴿ قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينًا قيمًا ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين ﴾ [وقال تعالى] : ﴿ ما كان إبراهيم يهوديًا ولا نصرانيًا ولكن كان حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين * إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا واللَّه ولي المؤمنين ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ بكلمات ﴾ أي : بشرائع ، وأوامر ، ونواهٍ ، فإن الكلمات تطلق ويراد بها الكلمات القدرية ، كقوله – تعالى – عن مريم – عليها السلام – : ﴿ وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين ﴾ . وتطلق ، ويراد بها الشرعية ، كقوله تعالى : ﴿ وتمت كلمة[٣] ربك صدقًا وعدلًا ﴾ أي : كلماته الشرعية . وهي إما خبر صدق ، وإمّا طلب عدل إن كان أمرًا أو نهيًا ، ومن ذلك هذه الآية الكريمة : ﴿ وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن ﴾ أي : قام بهنّ . قال : ﴿ إني جاعلك للناس إمامًا ﴾ أي : جزاء على ما فَعَل ، كما قام بالأوامر ، وترك الزواجر ، جعله اللَّه للناس قدوة ، وإمامًا يقتدى به ، ويحتذى حذوه .

وقد اختُلِف في تفسير الكلمات التي اختبر اللَّه بها إبراهيم الخليل – عليه السلام – فروي عن ابن عباس في ذلك روايات : فقال عبد الرزاق(٧٢٧) ، عن معمر ، عن قتادة ، قال ابن عباس : ابتلاه اللَّه بالمناسك . وكذا رواه أبو إسحاق السَّبِيعي ، عن التميمي ، عن ابن عباس .

---

(٧٢٧) – تفسير ابن جرير ١٩٢٦ – (١٣/٣) .

---

[١] – سقط من : خ.

[٢] – ما بين المعكوفتين مكرر في خ.

[٣] – في خ : « كلمات ».

وقال عبد الرزاق(٧٢٨) أيضًا : أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ﴿ وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات ﴾ قال : ابتلاه الله بالطهارة : خمس في الرأس ، وخمس في الجسد ؛ في الرأس : قص الشارب ، والمضمضة ، والاستنشاق ، والسواك ، وفَرْق الرأس . وفي الجسد : تقليم الأظفار ، وحلق العانة ، والختان ، ونتف الإبط ، وغسل أثر الغائط والبول بالماء .

قال ابن أبي حاتم(٧٢٩) : وروي عن سعيد بن المسيب ، ومجاهد ، والشعبي ، والنخعي ، وأبي صالح ، وأبي الجلد ، نحو ذلك .

(قلت) : وقريب من هذا ما ثبت في صحيح مسلم(٧٣٠) عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « **عَشْرٌ من الفطرة : قص الشارب ، وإعفاء اللحية ، والسواك ، واستنشاق الماء ، وقص الأظفار ، وغسل البَرَاجم ، ونتف الإبط ، وحلق العانة ، وانتقاص الماء** » . قال مصعب : ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة .

قال وكيع : انتقاص الماء يعني : الاستنجاء .

وفي [الصحيحين][١] ، عن أبي هريرة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « **الفطرة خمس : الختان ، والاستحداد ، وقص الشارب ، وتقليم الأظفار ، ونتف الإبط** » ولفظه لمسلم(٧٣١) .

وقال ابن أبي حاتم(٧٣٢) : أنبأنا يونس بن عبد الأعلى قراءةً ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني ابن

(٧٢٨) - تفسير عبد الرزاق (٥٧/١) . ورواه الحاكم (٢٦٦/٢) وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(٧٢٩) - ابن أبي حاتم (٣٥٩/١) .

(٧٣٠) - رواه مسلم في كتاب الطهارة ، برقم ٥٦ - (٢٦١) . من حديث مصعب بن شيبة ، عن طلق بن حبيب ، عن عبد الله بن الزبير ، عن عائشة فذكره . ومصعب بن شيبة : قال في الميزان (١٢٠/٤) : قال أبو حاتم : لا يحمدونه . وقال غيره : ثقة . وقال الدارقطني : ليس بالقوي . وقال أحمد : أحاديثه مناكير . ثم ذكر له حديثًا أخرجه أبو داود ، ثم قال : مصعب ضعيف . ولذا فقد انتقد الدارقطني مسلمًا في إخراجه هذا الحديث وقال : إن النسائي قال : إن مصعب بن شيبة منكر الحديث ، وأن الصحيح وقفه على عائشة .

(٧٣١) - رواه البخاري في كتاب اللباس ، باب : قص الشارب برقم (٥٨٨٩) ، ورواه مسلم في الطهارة ، برقم ٤٩ - (٢٥٧) .

(٧٣٢) - رواه ابن أبي حاتم ١١٧٥ - (٣٦١/١) . وإسناده حسن فهو من رواية ابن وهب ، عن ابن لهيعة

[١] - في ت : « الصحيح » .

لهيعة ، عن [ابن هُبَيرة][١] ، عن حَنَش[٢] بن عبد اللَّه الصنعاني ، عن ابن عباس : أنه كان يقول في تفسير[٣] هذه الآية : ﴿ وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن ﴾ ، قال : عَشْرٌ : ستٌّ في الإنسان ، وأربعٌ في المشاعر ، فأمّا التي في الإنسان : حلق العانة ، ونتف الإبط ، والختان ، وكان ابن هبيرة يقول : هؤلاء الثلاثة واحدة ، وتقليم الأظفار ، وقص الشارب ، والسواك ، وغسل يوم الجمعة . والأربعة التي في المشاعر : الطواف ، والسعي بين الصفا والمروة ، ورمي الجمار ، والإفاضة .

وقال داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال : ما ابتلي بهذا الدين أحد فقام به كله إلا إبراهيم ، قال اللَّه تعالى : ﴿ وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن ﴾ قلت له : وما الكلمات التي ابتلى اللَّه إبراهيم بهن فأتمهن ؟ قال : الإسلام ثلاثون سهمًا : منها عشر آيات في براءة ﴿ التائبون العابدون ﴾ إلى آخر الآية ، وعشر آيات في أول سورة ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ و﴿ سأل سائل بعذاب واقع ﴾ وعشر آيات في الأحزاب ﴿ إن المسلمين والمسلمات ﴾ إلى آخر الآية ، فأتمهن كلهن ، فكتبت[٤] له براءة . قال اللَّه : ﴿ وإبراهيم الذي وفّى ﴾ .

هكذا رواه الحاكم(٧٣٣) ، وأبو جعفر بن جرير ، وأبو محمد بن أبي حاتم ، بأسانيدهم إلى داود بن أبي هند ، به . وهذا لفظ ابن أبي حاتم .

وقال محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن سعيد ، أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : الكلمات التي ابتلى اللَّه بهن[٥] إبراهيم فأتمهن : فراق قومه في اللَّه[٦] حين أمر بمفارقتهم ، ومحاجته نمروذ في اللَّه حين[٧] وقفه على ما وقفه عليه من خطر الأمر الذي فيه خلافه ، وصبره على قذفه إياه في النار ، ليحرقوه في اللَّه على هول ذلك من أمرهم ، والهجرة بعد ذلك من وطنه وبلاده في اللَّه حين أمره بالخروج عنهم ، وما أمره به من الضيافة والصبر عليها بنفسه[٨] وماله ، وما ابتلي به من ذبح ابنه حين أمره بذبحه ، فلما مضى على ذلك من اللَّه كلّه ، وأخلصه للبلاء قال اللَّه له : ﴿ أسلم قال أسلمت لرب العالمين ﴾ على ما كان من خلاف الناس وفراقهم .

---

(٧٣٣) - تفسير ابن جرير ١٩٠٨ ، ١٩٠٩ - (٨/٣) وفي إسناد الثاني : خارجة بن مصعب - الراوي عن داود وهو ضعيف ، ورواه ابن أبي حاتم ١١٧٣ - (٣٦٠/١) . وفي إسناده : عدي - وهو ابن عبد الرحمن ، الراوي عن داود - وهو مستور ، وفيه أيضًا سعيد بن عبد الجبار الزبيدي ، وهو متهم بالكذب.

---

[١] - في خ : « أبي هريرة » .
[٢] - في خ : « حسن » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في خ : « فكتب » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في خ : « أمته » .
[٧] - في خ : « حتى » .
[٨] - سقط من : خ .

وقال ابن أبي حاتم(٧٣٤) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا إسماعيل بن عُلَيَّة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن - يعني البصري : ﴿ **وإذ ابتلى إبراهيم ربُّه بكلمات فأتمهن**[١] ﴾ قال : ابتلاه بالكوكب فرضي عنه ، وابتلاه بالقمر فرضي عنه ، وابتلاه بالشمس فرضي عنه ، وابتلاه بالهجرة فرضي عنه ، وابتلاه بالختان فرضي عنه ، [وابتلاه بابنه فرضي عنه][٢] .

وقال ابن جرير(٧٣٥) : حدثنا بشر بن معاذ ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كان الحسن يقول : إي واللَّه لقد ابتلاه[٣] بأمر فصبر عليه : ابتلاه بالكوكب والشمس ، والقمر ، فأحسن في ذلك ، وعرف أن ربَّه دائمٌ لا يزول فوجه وجهه للذي فطر السموات والأرض حنيفًا وما كان من المشركين ، ثم ابتلاه بالهجرة فخرج من بلاده وقومه حتى لحق بالشام ، مهاجرًا إلى اللَّه ، ثم ابتلاه بالنار قبل الهجرة ، فصبر على ذلك ، وابتلاه اللَّه بذبح ابنه والختان ، فصبر على ذلك .

وقال عبد الرزاق (٧٣٦) ، أخبرنا معمر ، عمن سمع الحسن يقول في قوله : ﴿ **وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات** ﴾ قال : ابتلاه اللَّه بذبح ولده ، وبالنار ، والكوكب ، [والقمر ، والشمس].

وقال أبو جعفر بن جرير(٧٣٧) : حدثنا ابن بشار ، [حدثنا سَلْم بن قتيبة][٤] ، حدثنا أبو هلال ، عن الحسن : ﴿ **وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات** ﴾ قال : ابتلاه بالكوكب ، والشمس[٥] ، والقمر ، فوجده صابرًا .

وقال العوفي في تفسيره ، عن ابن عباس : ﴿ **وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهنّ** ﴾ ، فمنهنّ : ﴿ **قال**[٦] **إني جاعلك للناس إماما** ﴾ ، ومنهنّ : ﴿ **وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل**[٧] ﴾ ، ومنهنّ الآيات في شأن المنسك والمقام الذي جعل لإبراهيم ، والرزق الذي رزق ساكنو البيت ، ومحمد بعث في دينهما .

---

(٧٣٤) - تفسير ابن أبي حاتم ١١٧٨ - (٣٦٢/١) .

(٧٣٥) - رواه ابن جرير ١٩٣٤ - (١٤/٣) .

(٧٣٦) - **إسناده ضعيف لجهالة الراوي عن الحسن** ، والحديث في تفسير عبد الرزاق (٥٧/١) .

(٧٣٧) - رواه ابن جرير ١٩٣٦ - (١٤/٣) . وأبو هلال : محمد بن سليم : وثقه أبو داود ، وقال أبو حاتم : محله الصدق ، ليس بذاك المتين . وقال النسائي : ليس بالقوي . وقال ابن معين : صدوق يرمى بالقدر .

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - في خ : « لابتلاه » .

[٤] - في خ : « حدثنا سالم حدثنا قتبة » .

[٥] - في خ : « وبالشمس » .

[٦] - سقط من : خ .

[٧] - سقط من : خ .

وقال ابن أبي حاتم(٧٣٨) : حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدثنا شبابة ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في[١] قوله تعالى : ﴿ **وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهنّ** ﴾ ، قال الله لإبراهيم : إني مبتليك بأمر فما هو ؟ قال : تجعلني للناس إمامًا ؟ قال نعم : قال : ومن ذرّيتي ؟ ﴿ **قال لا ينال عهدي الظالمين** ﴾ . قال : تجعل البيت مثابة للناس؟ قال : نعم . قال : وأمْنًا ؟ قال : نعم : قال : وتجعلنا مسلمين لك ومن ذرّيتنا أمّة مسلمة لك . قال : نعم : قال : وترزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله ؟ قال : نعم .

قال ابن أبي نجيح : سمعته عن عكرمة ، فعرضته على مجاهد فلم ينكره .

وهكذا رواه ابن جرير(٧٣٩) من غير وجه ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد .

وقال سفيان الثوري : عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ **وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهنّ** ﴾ قال : ابتلي بالآيات التي بعدها : ﴿ **إني جاعلك للناس إمامًا قال ومن ذرّيتي قال لا ينال عهدي الظالمين** ﴾ .

وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس : ﴿ **وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات** ﴾ قال : الكلمات : ﴿ **إني جاعلك للناس إمامًا** ﴾ وقوله : ﴿ **وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنًا** ﴾ وقوله : ﴿ **واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى** ﴾ وقوله : ﴿ **وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل**﴾ الآية ، وقوله : ﴿ **وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل** ﴾ الآية ، قال : فذلك كله من الكلمات التي ابتلي بهنّ إبراهيم .

وقال السدي : الكلمات التي ابتلى بهنّ إبراهيمَ ربُّه ﴿ **ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذرّيتنا أمّة مسلمة لك** ﴾ إلى قوله : ﴿ **ربنا وابعث فيهم رسولًا منهم** ﴾ .

[وقال القرطبي(٧٤٠) : وفي الموطأ وغيره(٧٤١) ، عن يحيى بن سعيد ، أنه سمع سعيد بن

(٧٣٨) - تفسير ابن أبي حاتم ١١٧٩ - (٣٦٢/١) .

(٧٣٩) - تفسير ابن جرير برقم ١٩١٧، ١٩١٨ ، ١٩١٩ ، ١٩٢١ - (١١/٣) .

(٧٤٠) - تفسير القرطبي (٩٨/٢) .

(٧٤١) - رواه ابن أبي شيبة في المصنف في كتاب الأوائل ، باب : أول ما فعل ، ومن فعله برقم (٦) من حديث ابن نمير ، عن يحيى بن سعيد ، عن ابن المسيب : **إن إبراهيم أول من أضاف الأضياف ، وأول الناس اختتن ، وأول الناس قلم أظفاره ، وجز شاربه واستحد** . ورواه البيهقي في الشعب برقم (٨٦٤٢) من حديث سعيد بن المسيب قال : **إبراهيم عليه السلام أول من اختتن ، وأول من قرى الضيف** =

[١] - سقط من : خ .

المسيب يقول : إبراهيم - عليه السلام - أوّل من اختتن ، وأوّل من ضاف الضيف ، [وأول من استحد][١] وأوّل من قلم أظفاره ، وأوّل من قص الشارب ، وأوّل من شاب فلما رأى الشيب قال : يا رب ! ما هذا ؟ قال : وقار . قال : يا رب ! زدني وقارًا .

وذكر ابن أبي شيبة عن سعد بن إبراهيم ، عن أبيه قال : أوّل من خطب على المنابر إبراهيم عليه السلام ، قال غيره : وأوّل من برد البريد ، وأوّل من ضرب بالسيف ، وأوّل من استاك ، وأوّل من استنجى بالماء ، وأوّل من لبس السراويل .

وروي [عن] معاذ بن جبل قال : قال رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - : « **إنْ أتخذ المنبرَ فقد اتخذه أبي إبراهيم ، وإن أتَّخِذ العصا فقد اتخذها أبي إبراهيم** »

(**قلت**) : هذا الحديث لا يثبت واللَّه أعلم : ثم شرع القرطبي يتكلم على ما يتعلق بهذه الأشياء من الأحكام الشرعية][٢] .

قال أبو جعفر بن جرير(٧٤٢) ما حاصله : أنَّهُ يجوز أن يكون المراد بالكلمات جميع ما ذكر ، وجائز أن يكون بعض ذلك ، ولا يجوز الجزم بشيء منها أنه المراد على التعيين ؛ إلا بحديث ، أو إجماع . قال : ولم يصح في ذلك خبر بنقل الواحد ، ولا بنقل الجماعة الذي يجب التسليم له .

قال : غَيْرَ أنه قد روي عن النبي ، صلى اللَّه عليه وسلم ، في نظير معنى ذلك خبران : أحدهما ما[٣] حدثنا به أبو كريب ، حدثنا رشدين[٤] بن سعد ، حدثني [زَبَّان بن فائد][٥] ، عن سهل بن معاذ بن أنس قال : كان النبي ، صلى اللَّه عليه وسلم ، يقول : « **ألا أخبركم لم سمى اللَّه إبراهيم خليله : الذي وفى لأنه كان يقول كلما أصبح ، وكلما أمسى : ﴿ سبحان اللَّه حين تمسون وحين تصبحون [وله الحمد في السموات والأرض وعشيًا وحين تظهرون]**[٦] ﴾ [إلى

= **وأول من رأى الشيب** ، .... ورواه البيهقي في الشعب برقم (٨٦٤١) من حديث سعيد عن أبي هريرة مرفوعًا : **إن إبراهيم أول من أضاف الضيف ، وأول من قص الشارب ، وأول من رأى الشيب ، وأول من قص الأظافر ، وأول من اختتن بقدومه ابن عشرين ومائة سنة** . وروى الطبراني بإسناده في كتاب الأوائل (١٠) من حديث أبي هريرة مرفوعًا : **أول من أضاف الأضياف إبراهيم عليه السلام** . وروى بنفس الإسناد أيضًا (١١) : **أول من اختتن إبراهيم عليه السلام** . وأخرج ابن أبي الدنيا في قرى الضيف عن أبي هريرة : **أول من أضاف الضيف إبراهيم عليه السلام** .

(٧٤٢) - ابن جرير في تفسيره (١٥/٣) .

---

[١] - زيادة من القرطبي .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - في خ : « راشد » .

[٥] - في خ : « ريان بن قائد » .

[٦] - سقط من : خ .

آخر][1] الآية (٧٤٣) .

قال : والآخر منهما(٧٤٤) ما[2] حدثنا به أبو كريب ، أخبرنا[3] الحسن بن[4] عطية ، أخبرنا[5] إسرائيل ، عن جعفر بن الزبير ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، قال : قال رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم : ﴿**وإبراهيم الذي وفَّى**﴾ قال[6] : « **أتدرون ما وفَّى** ؟ قالوا : اللَّه ورسوله أعلم قال : « **وفي عمل يومه ، أربع ركعات في النهار** » .

ورواه آدم في تفسيره ، عن حماد بن سلمة ، وعبد بن حميد ، عن يونس بن محمد ، عن حماد بن سلمة ، عن جعفر بن الزبير ، به .

ثم شرع ابن جرير يضعف هذين الحديثين ، وهو كما قال ؛ فإنه لا يجوّز[7] روايتهما إلا ببيان ضعفهما ، وضعفهما من وجوه عديدة : فإنّ كلًا من السندين مشتمل على غير واحد من الضعفاء ، مع ما في متن الحديث مما يدل على ضعفه ، واللَّه أعلم .

ثم قال ابن جرير : ولو قال قائل : إنّ الذي قاله مجاهد ، وأبو صالح ، والربيع بن أنس أولى بالصواب [من القول الذي قاله غيرهم][8] كان مذهبًا ، لأنّ[9] قوله : ﴿ **إني جاعلك للناس**

(٧٤٣) - زبان بن فائد : ضعفه أحمد وابن معين وغيرهما ، وقال ابن حبان : منكر الحديث جدًّا ، يتفرد عن سهل بن معاذ بنسخة كأنها موضوعة ، لا يحتج به . وقال أبو حاتم : شيخ صالح . وقال الليث بن سعد : لو أراد زبان أن يزيد في العبادة مقدار خردلة ما وجد لها موضعًا . وقال ابن يونس : كان على مظالم مصر وكان من أعدل ولاتهم . وسهل بن معاذ بن أنس الجهني : قال أبو بكر بن أبي خيثمة عن ابن معين : ضعيف . وذكره ابن حبان في الثقات . قال ابن حجر : لكن قال : لا يعتبر حديثه ما كان من رواية زبان بن فائد عنه ، وذكره في الضعفاء فقال : منكر الحديث جدًّا ، فلست أدري أوقع التخليط في حديثه منه أو من زبان ؟ فإن كان من أحدهما فالأخبار التي رواها ساقطة ، وإنما اشتبه هذا لأن راويها عن سهل زبان إلا الشيء بعد الشيء ، وزبان ليس بشيء . وقال العجلي : مصري تابعي ثقة . بخ د ت ق . ورشدين بن سعد : ضعيف . والحديث رواه أحمد في المسند برقم ١٥٦٦٦ - (٤٣٩/٣) . من حديث ابن لهيعة عن زبان عن سهل ، به . ورواه الطبراني في الكبير (١٩٢/٢٠) حديث ٤٢٧ - ٤٢٨ . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٧/١٠) وقال : رواه الطبراني وفيه ضعفاء وثقوا .

(٧٤٤) - تفسير ابن جرير (١٥/٣) . وعلته جعفر بن الزبير ، وهو : ضعيف جدًّا . وقال ابن حبان : روى عن القاسم مولى معاوية أشياء كأنها موضوعة . وقال أبو حاتم : روى جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة نسخة موضوعة أكثر من مئة حديث . وقال البخاري : متروك الحديث ، تركوه .

[1] - في خ : « حتى يختم » .
[2] - سقط من : خ .
[3] - في خ : « حدثنا » .
[4] - في ت : « عن » .
[5] - في خ : « حدثنا » .
[6] - سقط من : خ .
[7] - في خ : « لا تجوز » .
[8] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[9] - في خ : « فإن » .

إمامًا ﴾ وقوله : ﴿ وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين ﴾ الآية ، وسائر الآيات التي هي نظير ذلك كالبيان عن الكلمات التي ذكر اللَّه أنه ابتلى بهنّ إبراهيم .

(قلت) : والذي قاله أوّلًا من أنّ[١] الكلمات تشمل[٢] جميع ما ذكر ، أقوى من هذا الذي جوّزه من قول مجاهد ومن قال مثله ؛ لأنّ السياق يعطي غير ما قالوه ، واللَّه أعلم .

وقوله : ﴿ قال ومن ذرّيتي قال لا ينال عهدي الظالمين ﴾ قال[٣] لما جعل اللَّه إبراهيم إمامًا ، سأل اللَّه أن تكون الأئمةُ من بعده من ذرّيته ، فأجيب إلى ذلك ، وأخبر أنه سيكون من ذرّيته ظالمون ، وأنه لا ينالهم عهد اللَّه ، ولا يكونون أئمة فلا يقتدى بهم . والدليل على أنه أجيب إلى طلبته قوله تعالى في سورة العنكبوت : ﴿ وجعلنا في ذرّيته النبوّة والكتاب ﴾ فكل نبي أرسله[٤] اللَّه ، وكل كتاب أنزله اللَّه بعد إبراهيم ، ففي ذرّيته صلوات اللَّه وسلامه عليه .

وأما قوله تعالى : ﴿ قال لا ينال عهدي الظالمين ﴾ فقد اختلفوا في ذلك ، فقال خصيف ، عن مجاهد في قوله : ﴿ قال لا ينال عهدي الظالمين ﴾ . قال : إنه سيكون في ذرّيتك ظالمون .

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد : ﴿ قال لا ينال عهدي الظالمين ﴾ . قال : لا يكون لي إمام ظالم ، وفي رواية لا أجعل إمامًا ظالمًا يقتدىٰ به .

وقال سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿ قال لا ينال عهدي الظالمين ﴾ . قال : لا يكون إمام ظالم يقتدىٰ به .

وقال ابن أبي حاتم(٧٤٥) ، حدثنا أبي ، حدثنا مالك بن إسماعيل ، أخبرنا[٥] شريك ، عن منصور ، عن مجاهد في قوله : ﴿ ومن ذرّيتي ﴾ قال : أمّا من كان منهم صالحًا فسأجعله[٦] إمامًا يقتدىٰ به ، وأما من كان ظالمًا ، فلا ، ولا نُعْمَةَ عين .

وقال سعيد بن جبير : ﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾ : المراد به المشرك ، لا يكون إمامَ ظالمٍ . يقول : لا يكون إمام مشرك .

وقال ابن جريج : عن عطاء ، قال : ﴿ إني جاعلك للناس إمامًا قال ومن ذرّيتي ﴾ فأبى أن يجعل من ذرّيته إمامًا ظالمًا قلت لعطاء : ما عهده ؟ قال : أمره .

---

(٧٤٥) - تفسير ابن أبي حاتم برقم ١١٨٨ - (٣٦٥/١) .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في خ : « يشمل » .
[٣] - زيادة من : خ .
[٤] - في خ : « أرسل » .
[٥] - في خ : « حدثنا » .
[٦] - في الأصلين : أجعله .

وقال ابن أبي حاتم(٧٤٦) : حدثنا[١] عمرو بن ثور - القيساري[٢] - فيما كتب إليّ ، حدثنا الفريابي[٣] ، حدثنا إسرائيل ، حدّثنا سماك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال اللَّه لإبراهيم : ﴿ **إني جاعلك للناس إمامًا قال ومن ذرّيتي** ﴾ . فأبى أن يفعل ، ثم قال : ﴿ **لا ينال عهدي الظالمين** ﴾ .

وقال محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن سعيد -أو عكرمة - عن ابن عباس : ﴿ **قال ومن ذرّيتي قال لا ينال عهدي الظالمين** ﴾ يخبره أنه كائن في ذرّيته ظالم لا ينال عهده ، ولا ينبغي أن يوليه شيئًا من أمره ، وإن كان من ذرّية خليله ، ومحسن ستنفذ فيه دعوته ، وتبلغ له فيه ما أراد من مسألته .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : ﴿ **لا ينال عهدي الظالمين** ﴾ . قال : يعني لا عهد لظالم عليك في ظلمه ، أن تطيعه فيه .

وقال ابن جرير(٧٤٧) : [حدثنا المثنى][٤] ، حدّثنا إسحاق ، حدثنا عبد الرحمن بن عبد اللَّه ، عن إسرائيل، عن مسلم الأعور ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ؛ قال : ﴿ **لا ينال عهدي الظالمين** ﴾ قال : ليس للظالمين عهد ، وإن عاهدته فانتقضه .

وروي عن مجاهد ، وعطاء ، ومقاتل بن حيان نحو ذلك.

وقال الثوري ، عن هارون بن عنترة ، عن أبيه ، قال : ليس لظالم عهدٌ .

وقال عبد الرزاق(٧٤٨) : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ **لا ينال عهدي الظالمين** ﴾ قال : لا ينال عهد اللَّه في الآخرة الظالمين ، فأمّا في الدنيا فقد ناله الظالم فأمن به ، وأكل وعاش .

وكذا قال إبراهيم النخعي ، وعطاء ، والحسن ، وعكرمة .

وقال الربيع بن أنس : عهدُ اللَّه الذي عهد إلى عباده دينه ، يقول : لا ينال دينه الظالمين ، ألا ترى أنه قال : ﴿ **وباركنا عليه وعلى إسحاق ومن ذرّيتهما محسنٌ وظالم لنفسه مبين** ﴾ يقول : ليس كل ذرّيتك يا إبراهيم على الحق .

---

(٧٤٦) - رواه ابن أبي حاتم ١١٨٥ - (٣٦٤/١) . وسماك مضطرب الحديث في عكرمة خاصة .

(٧٤٧) - تفسير ابن جرير ١٩٥٥ - (٢٢/٣) . ومسلم الأعور : متروك الحديث .

(٧٤٨) - تفسير عبد الرزاق (٥٨/١) .

---

[١] - في خ : « أخبرنا » .

[٢] - في خ : « القسارى » .

[٣] - في خ : « الفرياني » .

[٤] - سقط من : خ .

وكذا رُوي عن أبي العالية، وعطاء، ومقاتل بن حيان[١] .

وقال جويبر عن الضحاك : لا ينال طاعتي عدوّ لي يعصيني ، ولا أنحلها إلا وليًّا لي يطيعني .

وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه : حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن حامد ، حدثنا أحمد بن عبد اللَّه بن سعيد الأسدي ، حدثنا سليم بن سعيد الدامغاني ، حدثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن سعد[٢] بن عبيدة ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، عن علي بن أبي طالب ، عن النبي ، صلى اللَّه عليه وسلم، قال : « ﴿ لا ينال [عهدي الظالمين][٣] ﴾ قال[٤] : لا طاعة إلا في المعروف »(٧٤٩) .

وقال السدي : ﴿ **لا ينال عهدي الظالمين** ﴾ يقول : عهدي : نبوّتي .

فهذه أقوال مفسري السلف في هذه الآية على ما نقله ابن جرير ، وابن أبي حاتم رحمهما اللَّه تعالى . واختار ابن جرير أن هذه الآية - وإن كانت ظاهرة في الخبر ، أنه لا ينال عهد اللَّه بالإمامة ظالمًا ، ففيها[٥] إعلام من اللَّه لإبراهيم الخليل - عليه السلام - أنه سيوجد من ذرّيتك من هو ظالم لنفسه ، كما تقدّم عن مجاهد وغيره ، واللَّه أعلم .

[وقال ابن خويز منداد المالكي : الظالم لا يصلح أن يكون خليفةً ، ولا حاكمًا ، ولا مفتيًا ، ولا شاهدًا ، ولا راويًا][٦] .

وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى

قال العوفي عن ابن عباس قوله تعالى : ﴿ **وإذ جعلنا البيت مثابة للناس** ﴾ يقول : لا يقضون منه وطرًا ؛ يأتونه ، ثم يرجعون إلى أهليهم ، ثم يعودون إليه .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : مثابة للناس ، يقول : يثوبون .

---

(٧٤٩) - رواه بمعناه وفيه قصة : البخاري في المغازي ، باب : سرية عبد اللَّه بن حذافة السهمي برقم (٤٣٤٠) وفي خبر الآحاد برقم (٧٢٥٧) ، ومسلم في الإمارة برقم (١٨٤٠) ، وأبو داود في الجهاد ، باب : في الطاعة برقم (٢٦٢٥) ، والنسائي في البيعة باب : جزاء من أمر بمعصية فأطاع ( ) ، والطيالسي (١٠٩) وأحمد (٩٤/١) من طرق عن علي .

---

[١] - في خ : « بن حبان » .
[٢] - في ت : « سعيد » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في ت : « فيها » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

رواهما[١] ابن جرير .

وقال ابن أبي حاتم(٧٥٠) : أخبرنا[٢] أبي ، أخبرنا[٣] عبد الله بن رجاء ، أخبرنا إسرائيل[٤] ، عن مسلم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ **وإذ جعلنا البيت مثابة للناس** ﴾ قال : يثوبون إليه ، ثم يرجعون . قال : وروي عن أبي العالية ، وسعيد بن جبير في رواية ، وعطاء ، ومجاهد ، والحسن ، وعطية ، والربيع بن أنس ، والضحاك نحو ذلك .

وقال ابن جرير(٧٥١) : حدّثني عبد الكريم بن أبي عمير ، حدّثني الوليد بن مسلم قال : قال أبو عمرو - يعني الأوزاعي - : حدّثني عبدة بن أبي لبابة ، في قوله تعالى : ﴿ **وإذ جعلنا البيت مثابة للناس** ﴾ قال : لا ينصرف عنه منصرف وهو يرى أنه قد قضى منه وطرًا .

وحدّثني يونس ، عن ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : ﴿ **وإذ جعلنا البيت مثابة للناس** ﴾ قال : يثوبون إليه من البلدان كلها ويأتونه .

[وما أحسن ما قال الشاعر في هذا المعنى أورده القرطبي(٧٥٢) :

جعل البيت مثابًا لهم ليس منه الدهر يقضون الوطر][٥]

وقال سعيد بن جبير - في الرواية الأخرى - وعكرمة ، وقتادة ، وعطاء الخراساني : ﴿ **مثابة للناس** ﴾ أي : مجمعًا .

﴿ **وأمنًا** ﴾ قال الضحاك عن ابن عباس : أي أمنًا للناس .

وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية : ﴿ **وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنًا** ﴾ يقول : أمنًا من العدوّ ، وأن يحمل فيه السلاح ، وقد كانوا في الجاهلية يتخطف الناس من حولهم ، وهم آمنون لا يُسْبَون .

وروي عن مجاهد وعطاء ، والسدي ، وقتادة ، والربيع بن أنس قالوا : من دخله كان آمنًا .

---

(٧٥٠) - رواه ابن أبي حاتم ١٢٠٠ - (٣٦٨/١) . وفيه مسلم بن كيسان الأعور : متروك الحديث . وهناك راوٍ آخر يسمى مسلم يروي عن مجاهد وهو مسلم بن عمران ، ومسلم بن عمران ثقة من رجال الستة .

(٧٥١) - رواه ابن جرير في تفسيره برقم ١٩٦٨ - (٢٧/٣) وفي إسناده الوليد بن مسلم مدلس ، ولم يصرح بالسماع ولا بالتحديث .

(٧٥٢) - تفسير القرطبي (١١٠/٢) .

---

[١] - في خ : « رواه » .

[٢] - في خ : « حدثنا » .

[٣] - في خ : « حدثنا » .

[٤] - في خ : « إسماعيل » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

ومضمون ما فسر به هؤلاء الأئمة هذه الآية : أن اللّه تعالى يذكر شرف البيت ، وما جعله موصوفًا به شرعًا وقدرًا ؛ من كونه مثابةً للناس ، أي : جعله محلًا تشتاق إليه الأرواح ، وتحن إليه ، ولا تقضي منه وطرًا ، ولو تردّدت إليه كل عام ، استجابةً من اللّه تعالى لدعاء خليله إبراهيم ، عليه السلام ، في قوله : ﴿ **فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم** ﴾ إلى أن قال : ﴿ **ربنا وتقبل دعاء**﴾ ويصفه تعالى بأنه جعله آمنًا ؛ من دخله أمن ، ولو كان قد فعل ما فعل، ثم دخله كان آمنًا .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : كان الرجل يلقى قاتل [أبيه وأخيه][١] فيه فلا يَعْرِض له ، كما وصف[٢] في سورة المائدة بقوله تعالى : ﴿ **جعل اللّه الكعبة البيت الحرام قيامًا للناس**﴾ ، أي : يُرفع عنهم بسبب تعظيمها السوءُ ، كما قال ابن عباس : لو لم يحج الناس هذا البيت لأطبق اللّه السماء على الأرض . وما هذا الشرف إلا لشرف بانيه أوّلًا وهو خليل الرحمن ، كما قال تعالى : ﴿ **وإذ بوّأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئًا**﴾ وقال تعالى : ﴿ **إن أوّل بيت وضع للناس للذي ببكة مباركًا وهدى للعالمين * فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنًا** ﴾ .

وفي هذه الآية الكريمة نبّه على مقام إبراهيم مع الأمر بالصلاة عنده . فقال : ﴿ **واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى** ﴾ وقد اختلف المفسرون في المراد بالمقام[٣] ما هو ؟

فقال ابن أبي حاتم(٧٥٣) : حدثنا عمرو بن شبة[٤] النميري ، حدّثنا أبو خلف - يعني عبد اللّه ابن عيسى - حدثنا داود بن أبي هند ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : ﴿ **واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى** ﴾ قال : مقام إبراهيم الحرم كله . وروي عن مجاهد ، وعطاء مثل ذلك .

وقال أيضًا[٥] (٧٥٤) : حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدّثنا حجاج ، عن ابن جريج قال : سألت عطاء عن ﴿ **واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى** ﴾ فقال : سمعت ابن عباس قال : أما مقام إبراهيم الذي ذُكر هاهنا ، فمقام إبراهيم هذا الذي في المسجد . ثم قال : و﴿ **مقام إبراهيم** ﴾ يَعُدُّ كثيرٌ مقامَ إبراهيم الحجَّ كلَّه . ثم فسره[٦] لي عطاء فقال : التعريف ،

(٧٥٣) - رواه ابن أبي حاتم برقم ١٢٠٧ - (٣٧١/١) . وإسناده ضعيف لضعف عبد اللّه بن عيسى : أورده في الميزان (٤٧٠/٢) وقال : قال أبو زرعة : منكر الحديث . وقال ابن عدي : يروي عن يونس وداود بن أبي هند ما لا يوافقه عليه الثقات ، أحاديثه أفراد كلها . وقال النسائي : ليس بثقة .

(٧٥٤) - تفسير ابن أبي حاتم ١٢٠٦ - (٣٧١/١) .

[١] - في خ : «أخيه أو أخيه» .
[٢] - في خ : «وصفها» .
[٣] - سقط من: خ .
[٤] - في خ : «شيبة» .
[٥] - سقط من: خ .
[٦] - في خ : «فسر» .

وصلاتان بعرفة ، والمشعر ، ومنى ، ورمي الجمار ، والطواف بين الصفا والمروة . فقلت : أفسره ابن عباس ؟ قال : لا . ولكن قال : مقام إبراهيم الحجُّ كلّه . قلت : أسمعت ذلك لهذا أجمع ؟ قال : نعم ، سمعته منه .

وقال سفيان الثوري عن عبد الله بن مسلم عن سعيد بن جبير : ﴿ **واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى** ﴾ قال : الحِجْر مقام إبراهيم [نبي الله][1] قد جعله الله رحمة ، فكان يقوم عليه ويناوله إسماعيل الحجارة . ولو غسل رأسه كما يقولون لاختلف رجلاه .

[وقال السُّدي : المقام : الحجر الذي وضعته زوجة إسماعيل تحت قدم إبراهيم حتى غسلت رأسه . حكاه القرطبي وضعفه ورجّحه غيره ، وحكاه الرازي في تفسيره ، عن الحسن البصري ، وقتادة ، والربيع بن أنس][2] .

وقال ابن أبي حاتم(٧٥٥) : حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن ابن جريج ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، سمع جابرًا يحدّث عن حجة النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : لما طاف النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال له عمر : هذا مقامُ أبينا إبراهيم ؟ قال: نعم . قال : أفلا نتخذه مصلىً ؟ فأنزل الله عز وجل : ﴿ **واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى** ﴾ .

وقال عثمان بن أبي شيبة(٧٥٦) : أخبرنا[3] أبو أسامة ، عن زكريا ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة قال : قال عمر : قلت : يا رسول الله ! هذا مقام خليلِ ربِّنا ؟ قال : نعم . قال : أفلا نتخذه مصلّىً ؟ فنزلت : ﴿ **واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى** ﴾ .

وقال ابن مردويه : حدثنا دعلج بن أحمد ، حدثنا غيلان بن عبد الصمد ، حدثنا مسروق بن المرزبان ، حدثنا زكريا بن أبي زائدة ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عمر بن الخطاب ، أنه مرّ بمقام إبراهيم ، فقال : يا رسول الله ، أليس نقوم[4] بمقام خليل ربنا ؟ قال: بلى . قال : أفلا نتخذه مصلىً ؟ فلم يلبث إلا يسيرًا حتى نزلت : ﴿ **واتخذوا من مقام**

(٧٥٥) – تفسير ابن أبي حاتم ١٢٠٥ – (١/٣٧٠) . وعبد الوهاب بن عطاء : صدوق ربما أخطأ .

(٧٥٦) – منقطع أبو ميسرة عمرو بن شرحبيل ؛ قال أبو زرعة : حديثه عن عمر مرسل – العلائي ص ٢٤٤ . ورواه الدارقطني في « الأفراد » كما في « أطراف الغرائب والأفراد » لابن القيسراني (ق٣١) وقال : « غريب من حديث أبي إسحاق عن أبي ميسرة – عمرو بن شرحبيل – عن عمر ، تفرد به زكريا بن أبي زائدة عنه » .

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] – في خ : « حدثنا » .
[٤] – في خ : « تقوم » .

إبراهيم مصلى﴾ .

وقال ابن مردويه ، حدثنا محمد بن أحمد بن محمد القزويني ، حدثنا علي بن الحسين ، بن الجنيد ، حدثنا هشام بن خالد ، حدثنا الوليد ، عن مالك بن أنس ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر قال : لما وقف رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، يوم فتح مكة عند مقام إبراهيم ، قال له عمر : يا رسول اللَّه ! هذا مقام إبراهيم الذي قال اللَّه : **﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلًى﴾** ؟ قال : نعم .

قال الوليد : قلت لمالك : هكذا حدثك **﴿ واتخذوا ﴾** ؟ قال : نعم . هكذا وقع في هذه الرواية . وهو غريب .

وقد روىٰ النسائي(٧٥٧) من حديث الوليد بن مسلم نحوه .

وقال البخاري(٧٥٨) : باب قوله : **﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ ﴿مثابة﴾** : يثوبون : يرجعون .

حدّثنا مسدد ، حدثنا يحيى ، عن حميد ، عن أنس بن مالك ، قال : قال عمر بن الخطاب : وافقت ربي في ثلاث ، أو وافقني ربي في ثلاث ، قلت : يا رسول اللَّه ! لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلّىٰ ؟ فنزلت : **﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾** . وقلت : يا رسول اللَّه ! يدخل عليك البر والفاجر ؛ فلو أمرت أمهاتِ المؤمنين بالحجاب ، فأنزل اللَّه آية الحجاب . قال : وبلغني معاتبة النبي ، صلى اللَّه عليه وسلم ، بعض نسائه فدخلت عليهن فقلت : إن انتهيتن ، أو ليبدلن اللَّه رسولَهُ خيرًا منكن ، حتى أتيتُ إحدى نسائه ، فقالت : يا عمر ! أما في رسول اللَّه ما يعظ نساءه حتى تعظهنَّ أنت ، فأنزل اللَّه : **﴿ عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن مسلمات[١]﴾** .. الآية .

وقال ابن أبي مريم : أخبرنا يحيى بن أيوب ، حدّثني حميد قال : سمعت أنسًا ، عن عمر ، رضي اللَّه عنهما .

هكذا ساقه البخاري هاهنا ، وعلق الطريق الثانية عن شيخه سعيد بن الحكم المعروف بابن أبي مريم المصري . وقد تفرد بالرواية عنه البخاريُّ من بين أصحاب الكتب الستة . وروى عنه الباقون بواسطةٍ ، وغرضه من تعليق هذا الطريق ليبين فيه اتصال إسناد الحديث ، وإنما لم يسنده ؛ لأن

(٧٥٧) – النسائي في الحج ، باب : القراءة في ركعتي الطواف ، حديث ٢٩٦٣ (٥/٢٣٦) .

(٧٥٨) – صحيح البخاري في كتاب التفسير برقم (٤٤٨٣) .

[١] – سقط من : خ .

يحيى بن أيوب الغافقي فيه شيء ، كما قال الإمام أحمد فيه : هو سيىء الحفظ ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد [٧٥٩] : حدّثنا هشيم ، حدثنا حميد ، عن أنس قال : قال عمر رضي الله عنه : وافقت ربي عز وجل في ثلاث ؛ قلت : يا رسول الله ! لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلّىٰ ؟ فنزلت : ﴿ **واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى** ﴾ . وقلت : يا رسول الله ! إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر ، فلو أمرتهن أن يحتجبن؟ فنزلت آية الحجاب . واجتمع على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – نساؤه في الغيرة . فقلت لهنّ : ﴿ **عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن** ﴾ فنزلت كذلك ، ثم رواه أحمد[٧٦٠] عن يحيى وابن أبي عدي ، كلاهما عن حميد ، عن أنس ، عن عمر أنه قال : وافقت ربي في ثلاث ، أو وافقني ربي في ثلاث فذكره .

وقد رواه البخاري[٧٦١] ، عن عمرو بن عون ، والترمذي ، عن أحمد بن منيع ، والنسائي عن يعقوب بن إبراهيم الدورقي ، وابن ماجة عن محمد بن الصباح ، كلهم عن هشيم بن بشير ، به .

ورواه الترمذي[٧٦٢] أيضًا عن عبد بن حميد ، عن حجاج بن منهال ، عن حماد بن سلمة ، والنسائي عن هناد ، عن يحيى بن أبي زائدة ، كلاهما عن حميد – وهو ابن تيرويه الطويل – به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

ورواه الإمام علي بن المديني ، عن يزيد بن زريع عن حميد ، به . وقال : هذا من صحيح الحديث ، وهو بصري .

ورواه الإمام مسلم بن الحجاج[٧٦٣] في صحيحه بسند آخر ؛ ولفظ آخر ؛ فقال : حدثنا عقبة ابن مُكرمَ ، أخبرنا سعيد بن عامر ، عن جويرية بن أسماء ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن عمر ، قال : وافقت ربي في ثلاث : في الحجاب ، وفي أسارى بدر ، وفي مقام إبراهيم .

وقال أبو حاتم الرازي[٧٦٤] : حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري ، حدثنا حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ؛ قال : قال عمر بن الخطاب : وافقني ربي في ثلاث ، أو وافقت ربي [في

(٧٥٩) – المسند (٢٣/١) .

(٧٦٠) – رواية يحيى في المسند (٣٦/١) ورواية ابن أبي عدي (٢٤/١) .

(٧٦١) – رواه البخاري في التفسير برقم (٤٩١٦) وسنن الترمذي في التفسير ، سورة البقرة ، برقم (٢٩٦٠) وسنن النسائي الكبرى برقم (١١٦١١) وسنن ابن ماجة برقم (١٠٠٩) .

(٧٦٢) – سنن الترمذي في التفسير برقم (٢٩٥٩) وسنن النسائي الكبرى برقم (١٠٩٩٨) .

(٧٦٣) – صحيح مسلم في كتاب فضائل الصحابة ، برقم (٢٣٩٩) .

(٧٦٤) – ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٨٨/٧) من طريق أبي حاتم الرازي ، به .

ثلاث][1] : قلت : يا رسول الله ! لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلّىٰ ؟ فنزلت : ﴿ **واتخذوا من مقام إبراهيم مصلّىٰ** ﴾ ، وقلت : يا رسول الله ؛ لو حجبت النساء فنزلت آية الحجاب ، والثالثة : لما مات عبد الله بن أُبَيّ ، جاء رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ليصلي عليه . قلت : يا رسول الله ! تصلي على هذا الكافر المنافق ! فقال : إيهًا(٧٦٥) عنك يا بنَ الخطاب فنزلت : ﴿ **ولا تصلّ على أحد منهم مات أبدًا ولا تقم على قبره** ﴾ .

وهذا إسناد صحيح أيضًا ، ولا تعارض بين هذا ولا هذا ، بل الكل صحيح ، ومفهوم العدد إذا عارضه منطوق قُدم عليه ، والله أعلم .

وقال ابن جريج : أخبرني جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، رمل ثلاثة أشواط ، ومشى أربعًا ، حتى إذا فرغ عمد إلى مقام إبراهيم ، فصلى خلفه ركعتين ، ثم قرأ : ﴿ **واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى** ﴾ .

وقال ابن جرير(٧٦٦) : حدثنا يوسف بن سلمان ، حدثنا حاتم بن إسماعيل ، حدثنا جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر قال : استلم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الركن ، فرمل ثلاثًا ، ومشى أربعًا ، ثم تقدم[2] إلى مقام إبراهيم فقرأ : ﴿ **واتخذوا من مقام إبراهيم مصلّىٰ** ﴾ فجعل المقام بينه وبين البيت ، فصلى ركعتين .

وهذا قطعة من الحديث الطويل الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث حاتم بن إسماعيل .

وروى البخاري(٧٦٧) بسنده ، عن عمرو بن دينار ، قال : سمعت ابن عمر يقول : قدم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فطاف بالبيت سبعًا ، وصلى خلف المقام ركعتين .

فهذا كله مما يدل على أنّ المراد بالمقام إنما هو الحَجَر الذي كان إبراهيم – عليه السلام – يقوم عليه لبناء الكعبة ، لما ارتفع الجدار أتاه إسماعيل – عليه السلام – به ؛ ليقوم فوقه ، ويناوله الحجارة فيضعها بيده لرفع الجدار ، و[3] كلما كمل ناحية انتقل إلى الناحية الأخرى ، يطوف حول

---

(٧٦٥) – أي كفّ واسكتْ .

(٧٦٦) – تفسير ابن جرير ٢٠٠٣ – (٣٦/٣) وهو قطعة من حديث جابر الطويل في صفة حجة النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وقد رواه مسلم في كتاب الحج ، باب : حجة النبي ، صلى الله عليه وسلم ، برقم ١٤٧، ١٤٨– (١٢١٨) . وعند أحمد برقم ١٤٤٨٢ – (٣٢٠/٣ – ٣٢١) .

(٧٦٧) – رواه البخاري في الصلاة ، باب : واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ، وفي العمرة ، باب : متى يحل المعتمر برقم (٣٩٥،١٧٩٣) .

---

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] – في خ : « نفذ » .

[٣] – سقط من : خ .

الكعبة ، وهو واقف عليه ، كلما فرغ من جدار نقله إلى الناحية التي تليها ، و[١] هكذا ، حتى تم جدارات الكعبة ، كما سيأتي بيانه في قصة إبراهيم، وإسماعيل في بناء البيت ، من رواية ابن عباس عند البخاري . وكانت آثار قدميه ظاهرة فيه، ولم يزل هذا معروفًا تعرفه العرب في جاهليتها ؛ ولهذا قال أبو طالب في قصيدته المعروفة اللامية :

وموطىء إبراهيم في الصخر رطبة على قدميه حافيًا غير ناعل

وقد أدرك المسلمون ذلك فيه أيضًا . كما قال عبد الله بن وهب : أخبرني يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب : أن أنس بن مالك حدثهم ، قال : رأيت المقام فيه أثر أصابعه - عليه السلام - وأخمص قدميه ، غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم .

وقال ابن جرير(٧٦٨) : حدثنا بشر بن معاذ ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ **واتخذوا من مقام إبراهيم مصلي** ﴾ ، إنما أمروا أن يصلوا عنده و[٢] لم يؤمروا بمسحه . وقد تكلفت هذه الأمة شيئًا ما تكلفته الأمم قبلها ، ولقد ذكر لنا من رأى أثر عقبه ، وأصابعه فيه ، فما زالت هذه الأمة يمسحونه حتى اخلولق وانمحى .

(**قلت**) : وقد كان هذا المقام ملصقًا بجدار الكعبة قديمًا ، ومكانه معروف اليوم إلى جانب الباب مما يلي الحجر يمنة الداخل من الباب في البقعة المستقلة هناك ، وكان الخليل - عليه السلام - لما فرغ من بناء البيت وضعه إلى جدار الكعبة ، أو أنه انتهى عنده البناء فتركه هناك ؛ ولهذا - والله أعلم - أمر بالصلاة هناك عند الفراغ من الطواف ، وناسب أن يكون عند مقام إبراهيم حيث انتهى بناء الكعبة فيه ، وإنما أخره عن جدار الكعبة أميرُ المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه - أحد الأئمة المهديين ، والخلفاء الراشدين ، الذين أمرنا باتباعهم ، وهو أحد الرجلين اللذين قال فيهما رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر** »(٧٦٩) وهو الذي نزل القرآن بوفاقه في الصلاة عنده ، ولهذا لم ينكر ذلك أحدٌ من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين .

قال عبد الرزاق(٧٧٠) عن ابن جريج . حدثني عطاء وغيره من أصحابنا ، قال : أول من نقله عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه .

(٧٦٨) - رواه ابن جرير برقم ٢٠٠٠ - (٣/٣٥) .

(٧٦٩) - أخرجه الحميدي برقم (٤٤٩) ، وأحمد (٥/٣٢٨) ، والترمذي (٣٦٦٢) ، وابن ماجه (٩٧) . قال الترمذي : هذا حديث حسن ، وكان سفيان بن عيينة يدلس هذا الحديث فربما ذكره عن زائدة ، عن عبد الملك بن عمير ، وربما لم يذكر فيه " عن زائدة " .

(٧٧٠) - المصنف لعبد الرزاق برقم ٨٩٥٥ - (٥/٤٨) .

[١] - سقط من: خ. [٢] - سقط من : خ .

[وقال عبد الرزاق(٧٧١) - أيضًا - عن معمر ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد قال : أول من أخر المقام إلى موضعه الآن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه][١] .

وقال الحافظ أبو بكر أحمد [بن الحسين بن علي][٢] البيهقي ، أخبرنا أبو [الحسين ابن][٣] الفضل القطان ، أخبرنا القاضي أبو بكر أحمد بن كامل ، حدّثنا أبو إسماعيل محمد ابن إسماعيل السلمي ، حدّثنا أبو ثابت ، حدثنا الدراوردي ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي اللّه عنها : أن المقام كان في زمان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وزمان أبي بكر ، رضي اللّه عنه ، ملتصقًا بالبيت ، ثم أخره عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه ، وهذا إسناد صحيح مع ما تقدم .

وقال ابن أبي حاتم(٧٧٢) : حدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي عمر العَدَني[٤] قال : قال سفيان [يعني ابن عيينة][٥] وهو إمام المكيين في زمانه : كان المقام في سُقْع[٦] البيت على عهد رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم ، فحوله عمر إلى مكانه بعد النبي صلى اللّه عليه وسلم ، وبعد قوله : ﴿ **واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى** ﴾ . قال : ذهب السيل به بعد تحويل عمر إياه من موضعه هذا ، فرده عمر إليه .

وقال سفيان : لا أدري كم بينه وبين الكعبة قبل تحويله ؟ . قال سفيان : لا أدري أكان لاصقًا بها أم لا ؟ فهذه الآثار متعاضدة على ما ذكرناه ، واللّه أعلم .

وقد قال الحافظ أبو بكر بن مَرْدُويه : حدثنا أبو عمرو [وهو أحمد بن محمد بن حكيم][٧] حدثنا محمد بن عبد الوهاب [بن أبي تمام][٨] ، حدثنا آدم [هو ابن أبي إياس][٩] في تفسيره ، حدثنا شريك ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد قال : قال عمر [بن الخطاب][١٠] : يا رسول اللّه ! لو صلينا خلف المقام ؟ فأنزل اللّه : ﴿ **واتخذوا من مقام إبراهيم مصلّى** ﴾ فكان المقام عند البيت ، فحوله رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم ، إلى

(٧٧١) - المصنف لعبد الرزاق برقم ٨٩٥٣ - (٥/٤٧ - ٤٨) .
(٧٧٢) - تفسير ابن أبي حاتم ١٢٠٩ - (١/٣٧٢) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - في خ : « بن علي بن الحسين » .
[٣] - ما بين المعكوفتين زيادة من : خ .
[٤] - في خ : « المدني » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٦] - مكانها في المخطوطة بياض .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

موضعه هذا . قال مجاهد : و[١] كان عمر يرى الرأي ؛ فينزل به القرآن(٧٧٣) .

هذا مرسل عن مجاهد ، وهو مخالف لما تقدم من رواية عبد الرزاق ، عن معمر ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد أن[٢] أول من أخّر المقام إلى موضعه الآن عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه ، وهذا أصح من طريق ابن مَرْدُويه ، مع اعتضاد هذا بما تقدم ، واللَّه أعلم .

وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾

قال الحسن البصري : قوله : ﴿ **وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل** ﴾ قال : أمرهما اللَّه أن يطهراه من الأذى ، والنجس ، ولا يصيبه من ذلك شيء .

وقال ابن جُرَيج : قلت لعطاء : ما عهده ؟ قال : أمره .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ﴿ **وعهدنا إلى إبراهيم** ﴾ ، أي : أمرناه . كذا ، قال . والظاهر أن هذا الحرف إنما عُدِّيَ بإلى لأنه في معنى : تقدمنا وأوحينا .

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس (٧٧٤) : قوله : ﴿ **أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين** ﴾ . قال : من الأوثان .

وقال مجاهد ، وسعيد بن جبير : ﴿ **طهرا بيتي للطائفين** ﴾ : إن ذلك من الأوثان ، والرفث[٣] وقول الزور ، والرجس .

---

(٧٧٣) - قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٦٩/٨) : « إسناده ضعيف » .
(٧٧٤) - ابن أبي حاتم ١٢١٤ - (٣٧٣/١) .

---

[١] - في خ : « قد » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في خ : « والريب » .

قال ابن أبي حاتم(٧٧٥) : وروي عن عُبَيد بن عمير ، وأبي العالية ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعطاء وقتادة : ﴿ أن طهرا بيتي ﴾ . أي : بلا إله إلا الله ، من الشرك .

وأما قوله تعالى : ﴿ للطائفين ﴾ فالطواف بالبيت معروف ،وعن سعيد بن جبير أنه قال في قوله تعالى : ﴿ للطائفين ﴾ يعني من أتاه من غُرْبة ﴿ والعاكفين ﴾ المقيمين فيه . [وهكذا روي عن قتادة والربيع بن أنس أنهما فسرا العاكفين بأهله المقيمين فيه][١] كما قال سعيد بن جبير.

وقال يحيى القطان عن عبد الملك - هو ابن أبي سليمان - عن عطاء في قوله : ﴿ والعاكفين ﴾ قال : من انتابه من الأمصار فأقام عنده ، وقال لنا ونحن مجاورون : أنتم من العاكفين .

وقال وكيع ، عن أبي بكر الهذلي(٧٧٦) ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : إذا كان جالسًا فهو من العاكفين .

وقال ابن أبي حاتم(٧٧٧) : حدثنا أبي ، حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا ثابت ، قال : قلت لعبد الله بن عبيد بن عمير : ما أراني إلا مُكَلِّم الأمير : أن أمنع الذين ينامون في المسجد الحرام ، فإنهم يُجْنِبون ويُحدثون . قال : لا تفعل ؛ فإن ابن عمر سئل عنهم ، فقال : هم العاكفون .

[ورواه عبد بن حميد ، عن سليمان بن حرب ، عن حماد بن سلمة ، به][٢] .

(**قلت**) : وقد ثبت في الصحيح(٧٧٨) : أن ابن عمر كان ينام في مسجد الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وهو عَزَب[٣] .

وأما قوله تعالى : ﴿ والركع السجود ﴾ فقال وكيع عن أبي بكر الهذلي(٧٧٩) ، عن عطاء ،

---

(٧٧٥) - ابن أبي حاتم ١٢١٦ - (٣٧٤/١) .

(٧٧٦) - رواه ابن أبي حاتم ١٢٢١ - (٣٧٥/١) عن أبي سعيد الأشج ، عن وكيع ، به ، وأبو بكر الهذلي : لين الحديث . ضعفه أحمد وغيره ، وقال غندر وابن معين : لم يكن بثقة . وقال أبو حاتم : لين يكتب حديثه . وقال النسائي : ليس بثقة . وقال البخاري : ليس بالحافظ عندهم (الميزان : ٤٩٧/٤) .

(٧٧٧) - رواه ابن أبي حاتم ١٢٢٤ - (٣٧٦/١) .

(٧٧٨) - صحيح البخاري برقم (٤٤٠) .

(٧٧٩) - رواه ابن أبي حاتم ١٢١٧ - (٣٧٤/١) عن أبي سعيد الأشج ، وعمرو الأودي كلاهما عن وكيع به .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - في خ : « غريب » .

عن ابن عباس : ﴿ **والرُّكع السجود** ﴾ ، قال : إذا كان مصليًا فهو من الركع السجود ، وكذا قال عطاء ، وقتادة .

وقال ابن جرير ، رحمه الله : فمعنى الآية : وأمرنا إبراهيم ، وإسماعيل بتطهير بيتي للطائفين ، والتطهير الذي أمرهما به في البيت هو : تطهيره من الأصنام ، وعبادة الأوثان فيه ، ومن الشرك ، ثم أورد سؤالًا فقال : فإن قيل : فهل كان قبل بناء إبراهيم عند البيت شيء من ذلك الذي أمر بتطهيره منه ؟ وأجاب بوجهين :

(**أحدِهما**) أنه أمرهما بتطهيره مما كان يعبد عنده زَمَانَ قوم نوح من الأصنام ، والأوثان ؛ ليكون ذلك سنة لمن بعدهما[١] ؛ إذ كان الله تعالى قد جعل إبراهيم إمامًا يقتدىٰ ، به . كما قال عبد الرحمن بن زيد ﴿ **أن طهرا بيتي** ﴾ قال : من الأصنام التي يعبدون ، التي كان المشركون يعظمونها .

(**قلت**) : وهذا الجواب مُفَرَّع على أنه كان يعبد عنده أصنام قبل إبراهيم ، عليه السلام ، ويحتاج إثبات هذا إلى دليل عن المعصوم محمد [صلى الله عليه وعلى آله وسلم][٢] .

(**والجواب الثاني**) : أنه أمرهما أن يخلصا في بنائه لله وحده لا شريك له ، فيبنياه مطهرًا من الشرك والريب ، كما قال جلَّ ثناؤه : ﴿ **أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خيرٌ أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار** ﴾ . قال : فذلك[٣] قوله : ﴿ **وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي** ﴾ . أي : ابنيا بيتي على طهر من الشرك بي والريب ، كما قال السدي : ﴿ **أن طهرا بيتي** ﴾ ابنيا بيتي للطائفين .

وملخص هذا الجواب : أن الله تعالى أمر إبراهيم ، وإسماعيل عليهما السلام أن يبنيا الكعبة على اسمه وحده لا شريك له ، للطائفين به والعاكفين عنده ، والمصلين إليه من الرُّكع السجود . كما قال تعالى : ﴿ **وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئًا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والرُّكع السُّجود** ﴾ الآيات .

[وقد اختلف الفقهاء : أيهما أفضل الصلاةُ عند البيت أو الطواف به ؟ فقال مالك رحمه الله : الطواف به لأهل الأمصار أفضل . وقال الجمهور : الصلاة أفضل مطلقًا ، وتوجيه كلٍ منهما يذكر في كتاب الأحكام][٤] ، والمراد من ذلك الردُّ على المشركين الذين يشركون بالله عند بيته ، المؤسس على عبادته وحده لا شريك له ، ثم مع ذلك يصدون أهله المؤمنين عنه كما قال تعالى : ﴿ **إنّ الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه**

---

[١] - في خ : « بعدهما ليكون ذلك » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - في خ : « فكذلك » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ .

ثم ذكر : أن البيت إنما أسس لمن يعبد الله وحده لا شريك له ، وإمّا[١] بطواف أو صلاة ، فذكر في سورة الحج أجزاءها الثلاثة : قيامها ، وركوعها ، وسجودها ، ولم يذكر العاكفين ؛ لأنه تقدم ﴿ **سواء العاكف فيه والباد** ﴾ وفي هذه الآية الكريمة ذكر الطائفين والعاكفين ، واكتفى بذكر الركوع ، والسجود عن القيام ؛ لأنه قد علم أنه لا يكون ركوع ولا سجود إلا بعد قيام ، وفي ذلك[٢] أيضًا ردٌّ على من لا يحجه من أهل الكتابين : اليهود ، والنصارى ؛ لأنهم يعتقدون فضيلة إبراهيم الخليل وعظمته ، ويعلمون أنه بَنَىٰ هذا البيت للطواف في الحج والعمرة ، وغير ذلك ، وللاعتكاف والصلاة عنده ، وهم لا يفعلون شيئًا من ذلك ، فكيف[٣] يكونون مقتدين بالخليل ؛ وهم لا يفعلون ما شرع الله له ؟ ! وقد حج البيتَ موسى بن عمران وغيره من الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- كما أخبر بذلك المعصوم ، الذي ﴿ **لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى** ﴾ .

وتقدير الكلام إذًا : ﴿ **وعهدنا إلى إبراهيم** ﴾ أي تقدّمنا بوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل ﴿ **أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود** ﴾ أي طهراه من الشرك والريب ، وابنياه خالصًا لله ، معقلًا للطائفين ، والعاكفين ، والركع السجود .

وتطهير المساجد مأخوذ من هذه الآية الكريمة ، ومن قوله تعالى : ﴿ **في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال** ﴾ . ومن السنة من أحاديث كثيرة ، من الأمر بتطهيرها ، وتطييبها وغير ذلك ، من صيانتها من الأذى والنجاسات ، وما أشبه ذلك ؛ ولهذا قال عليه السلام : « **إنما بنيت المساجد لما بنيت له** »(٧٨٠) . وقد جمعت في ذلك جزءًا على حده ، ولله الحمد والمنة .

[وقد اختلف الناس في أول من بنى الكعبة فقيل : الملائكة قبل آدم ، روي هذا عن أبي جعفر الباقر محمد بن علي بن الحسن ، ذكره القرطبي ، وحكى لفظه ، وفيه غرابه . وقيل : آدم عليه السلام .

رواه عبد الرزاق ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، وسعيد بن المسيب ، وغيرهم : أن آدم بناه من خمسة أجبل من حراء ، وطور سيناء زيتا ، وجبل لبنان ، والجودي ، وهذا غريب أيضًا . وروي عن ابن عباس ، وكعب الأحبار ، وقتادة ، وعن وهب بن منبه : أن أول من بناه شيث عليه السلام . وغالب من يذكر هذا إنما يأخذه من كتب أهل الكتاب . وهي مما لا يصدق ، ولا

(٧٨٠) - رواه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة ، برقم ٨٠ - (٥٦٩) من حديث بريدة رضي الله عنه .

[١] - في خ : إما .
[٢] - في خ : « هلك » .
[٣] - في خ : « فكيف لا » .

يكذب ، ولا يعتمد عليها بمجردها . وأما إذا صح حديث في ذلك فعلى الرأس والعين][١] .

وقوله تعالى : ﴿ **وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدًا آمنًا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر** ﴾

قال الإمام أبو جعفر بن جرير(٧٨١) : حدثنا ابن بشار قال : حدثنا عبد الرحمن بن مَهْدي ، حدثنا سفيان ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **إن إبراهيم حرم بيت الله وأمَّنه ، وإني حرمت المدينة ما بين لابتيها فلا يُصَاد صيدها ولا يقطع عِضَاهُهَا** » .

وهكذا رواه النسائي(٧٨٢) ، عن محمد بن بشار ، عن بندار ، به .

وأخرجه مسلم(٧٨٣) ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، وعمرو الناقد ، كلاهما عن أبي أحمد الزبيري ، عن سفيان الثوري .

وقال [ابن جرير][٢] أيضًا(٧٨٤) : حدثنا أبو كريب ، وأبو السائب قالا[٣] : حدّثنا ابن إدريس . وحدثنا أبو كريب ، حدثنا عبد الرحيم الرازي ، قالا جميعًا : سمعنا أشعث ، عن نافع ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إن إبراهيم كان عبدَ الله وخليله ، وإني عبدُ الله ورسوله ، وإن إبراهيم حرم مكة ، وإني حرمت المدينة ما بين لابتيها ، عِضَاهَهَا وصَيدَها ، لا يحمل فيها سلاح لقتال ، ولا يقطع منها شجرة إلا لعلف بعير** » .

وهذه الطريق غريبة ، ليست في شيء من الكتب الستة ، وأصل الحديث في صحيح مسلم من

(٧٨١) - **إسناده على شرط مسلم** : وأبو الزبير محمد بن مسلم : مدلس وقد عنعن . والحديث في تفسير ابن جرير برقم ٢٠٢٩ - (٣/٤٨) .

اللابة : الحرة ، وهي الأرض ذات الحجارة السود التي قد ألبستها لكثرتها ، وجمعها لابات . النهاية (٤/ ٢٧٤) واللابتان : هما الحرتان بجانبي المدينة .

والعضاة : كل شجر عظيم له شوك ، وقيل : العظيم من الشجر مطلقًا .

(٧٨٢) - رواه النسائي في الكبرى برقم (٤٢٨٤) .

(٧٨٣) - رواه مسلم في الحج بلفظ : **إن إبراهيم حرم مكة** .... ، ٤٥٨ - برقم (١٣٦٢) .

(٧٨٤) - **إسناده ضعيف** ، **أشعث** هو ابن سوار : **ضعيف** ، والحديث في تفسير ابن جرير ٢٠٣٠ - (٣/ ٤٨) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - سقط من : خ .

وجه آخر ، عن أبي هريرة رضي اللّه عنه ، قال : كان الناس إذا رأوا أوّل الثمر ، جاءوا به إلى رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم ، فإذا أخذه رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال : « **اللّهم ، بارك لنا في ثمرنا ، وبارك لنا في مدينتنا ، وبارك لنا في صاعنا ، وبارك لنا في مُدّنا ، اللّهم ؛ إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك ، وإني عبدك ونبيك . وإنه دعاك لمكة ، وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ، ومِثْلِهِ معه** » ثم يدعو أصْغَرَ وليد له فيعطيه ذلك الثمر . وفي لفظ « **بركةً مع بركةٍ** » . ثم يعطيه أصغر من يحضره من الولدان - لفظ مسلم(٧٨٥) .

ثم قال ابن جرير(٧٨٦) : حدّثنا أبو كريب ، حدّثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا بكر بن مضر ، عن ابن الهاد ، عن أبي بكر بن محمد ، عن عبد اللّه بن عمرو بن عثمان ، عن رافع بن خديج ، قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : « **إن إبراهيم حرم مكة ، وإني أحرم ما بين لابتيها** » .

انفرد بإخراجه مسلم ، فرواه عن قتيبة ، عن بكر بن مضر ، به . ولفظه كلفظه سواء .

وفي الصحيحين(٧٨٧) عن أنس بن مالك قال : قال رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم ، لأبي طلحة : « **التمس لي غلامًا من غلمانكم يخدمني** » فخرج بي أبو طلحة يردفني وراءه ، فكنت أخدم رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم ، كلما نزل . وقال في الحديث : ثم أقْبَل حتى إذا بدا له أحد قال : « **هذا جبل**[١] **يحبنا ونحبه** » ، فلما أشرف على المدينة قال : « **اللّهم ، إني أحرم ما بين جبليها ، مثل ما حرم به إبراهيم مكة ، اللّهم ، بارك لهم في مُدِّهِم وصاعهم** » . وفي لفظ لهما : « **اللّهم [بارك لهم في مكيالهم ، و]**[٢] **بارك لهم في صاعهم ، وبارك لهم في مدهم** » . زاد البخاري : يعني أهل المدينة .

ولهما أيضًا عن أنس : أن رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم قال : « **اللّهم اجعل بالمدينة ضِعْفَي ما جعلته بمكة من البركة** »(٧٨٨) .

وعن عبد اللّه بن زيد بن عاصم - رضي اللّه عنه - عن النبي صلى اللّه عليه وسلم : « **إن إبراهيم حرّم مكة ، ودعا لها ، وحرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة ، ودعوت لها في مدها**

---

(٧٨٥) - رواه مسلم في الحج برقم ٤٧٣ - (١٣٧٣) .

(٧٨٦) - تفسير ابن جرير ٢٠٣١ - (٣/٤٩) . ورواه مسلم في الحج برقم ٤٥٦ - (١٣٦١) .

(٧٨٧) - رواه البخاري في الجهاد برقم (٢٨٩٣) ، وأطرافه في (٥٤٢٥ ، ٦٣٦٣) ، ومسلم في الحج برقم ٤٦٢ - (١٣٦٥) ، واللفظ لمسلم .

(٧٨٨) - رواه البخاري في فضائل المدينة برقم (١٨٨٥) ، ومسلم في الحج برقم ٤٦٦ - (١٣٦٩) .

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

وصاعها مثل ما دعا إبراهيم لمكة » .

رواه البخاري(٧٨٩) وهذا لفظه ، ومسلم ولفظه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **« إن إبراهيم حرم مكة ، ودعا لأهلها ، وإني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة ، وإني دعوت لها في صاعها ومدها بمثل ما دعا به إبراهيم لأهل مكة »** .

وعن أبي سعيد ، رضي الله عنه ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم قال : **« اللَّهم ، إنَّ إبراهيم حَرَّم مكة فجعلها حرامًا ، وإني حرمت المدينة حرامًا ما بين مَأزِمَيها**[١] (٧٩٠) **. ألّا**[٢] **يُهْرَاق فيها دم ، ولا يحمل فيها سلاح لقتال ، ولا يُخْبط فيها شجرة إلا لعلف اللَّهم ، بارك لنا في مدينتنا ، اللَّهم ، بارك لنا في صاعنا ، اللَّهم ؛ بارك لنا في مدنا ، اللَّهم ، اجعل مع البركة بركتين »** الحديث رواه مسلم(٧٩١) .

والأحاديث في تحريم المدينة كثيرة ، وإنما أوردنا منها ما هو متعلق بتحريم إبراهيم ، عليه السلام ، لمكة لما في ذلك من مطابقة الآية الكريمة .

[وتمسك بها من ذهب إلى أن تحريم مكة إنما كان على لسان إبراهيم الخليل ، وقيل : إنها محرمة منذ خلقت مع الأرض ، وهذا أظهر وأقوى ، والله أعلم][٣] .

وقد وردت أحاديث أُخَرُ تدلُّ على أن الله تعالى حرم مكة قبل خلق السموات والأرض ، كما جاء في الصحيحين(٧٩٢) عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يوم فتح مكة : **« إن هذا البلد حَرَّمه الله يوم خلق السموات والأرض ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة . [وإنه لم يُحِل القتال فيه لأحد قبلي ، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة]**[٤] **. لا يعضد شوكه ؛ ولا ينفر صيده ، ولا تُلْتَقَطُ لُقَطَتُهُ إلا من عرّفها ، ولا يُخْتَلى خَلاهَا »** . فقال العباس : يا رسول الله ! إلا الإذْخَر فإنه

(٧٨٩) - رواه البخاري في البيوع ، باب : بركة صاع النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ومده برقم (٢١٢٩) . ومسلم في الحج برقم ٤٥٤ - (١٣٦٠) .

(٧٩٠) - المأزم : الجبل ، وقيل : هو المضيق بين جبلين ، ونحوه ، والأول هو الصواب هنا ، ومعناه ما بين جبليها .

(٧٩١) - رواه مسلم في الحج برقم ٤٧٥ - (١٣٧٤) .

(٧٩٢) - رواه البخاري في الجنائز ، باب : الإذخر والحشيش في القبر ، وفي جزاء الصيد ، باب : لا يحل القتال بمكة برقم (١٣٤٩ ، ١٨٣٤) وأطرافه : (١٥٨٧، ٣١٨٩، ٣٠٧٧) ، ورواه مسلم في الحج برقم ٤٤٥ - (١٣٥٣) .

[١] - في خ : « مأزمها » .

[٢] - في خ : « بألا » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

لقينهم ، ولبيوتهم فقال : « **إلا الإذخر**(٧٩٣) » ، وهذا لفظ مسلم .

ولهما(٧٩٤) عن أبي هريرة نحو من ذلك .

ثم قال البخاري(٧٩٥) بعد ذلك : و[١] قال أبان بن صالح : عن الحسن بن مسلم ، عن صفية بنت شيبة : سمعت النبي ، صلى اللّٰه عليه وسلم ، مثله .

وهذا الذي علقه البخاري رواه الإمام أبو عبد اللّٰه بن ماجه (٧٩٦) ، عن محمد بن عبد اللّٰه بن نُمَير[٢] ، عن يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، عن[٣] أبان بن صالح ، عن الحسن ابن مسلم بن يَنَّاق ، عن صفية بنت شيبة ، قالت : سمعت [رسول اللّٰه][٤] صلى اللّٰه عليه وسلم يخطب عام الفتح ، فقال : « **يأيها الناس ، إن اللّٰه حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ، فهي حرام إلى يوم القيامة ، لا يُعْضَد شجرها ، ولا ينفر صيدها ، ولا يأخذ لُقْطَتَهَا إلا مُنْشِد** » . فقال العباس : إلا الإذخر فإنه للبيوت والقبور ، فقال رسول اللّٰه ، صلى اللّٰه عليه وسلم : « **إلا الإذْخِر** » .

وعن أبي شُرَيح العدوي أنه قال لعَمْرو بن سعيد - وهو يبعث البعوث إلى مكة : ائذن لي أيها الأمير أن أحدثك قولًا قام به رسول اللّٰه ، صلى اللّٰه عليه وسلم ، الغَدَ من يوم الفتح ، سَمِعَتْهُ أذناي ، ووعاه قلبي ، وأبصرته عيناي حين تكلم به ، إنه حمد اللّٰه وأثنى عليه ثم قال : « **إن مكة حرمها اللّٰه ولم يحرمها الناس ، فلا يحل لامرئ يؤمن باللّٰه واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا ، ولا يعضد بها شجرة ، فإن أحد ترخص بقتال رسول اللّٰه صلى اللّٰه تعالى[٥] عليه وآله[٦] وسلم ، فقولوا : إن اللّٰه أذن لرسوله ، ولم يأذن لكم ، وإنما أذِنَ لي فيها ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ؛ فليبلغِ الشاهدُ الغائبَ** » فقيل لأبي

---

(٧٩٣) - الإذخر : نبات طيب الرائحة ، تُسقَّف به البيوت فوق الخشب .

(٧٩٤) - رواه البخاري في كتاب العلم ، باب : كتابة العلم برقم (١١٢) وأطرافه (٢٤٣٤ ، ٦٨٨٠) ومسلم في الحج برقم ٤٤٧ - (١٣٥٥) .

(٧٩٥) - البخاري في الجنائز ، باب : الإذخر والحشيش في القبر ، عقب حديث (١٣٤٩) .

(٧٩٦) - رواه ابن ماجة ، كتاب المناسك ، باب : فضل مكة ، برقم (٣١٠٩) ، ومحمد بن إسحاق ، مدلس ، وقد صرح بالتحديث عند ابن ماجه ، وأبان بن صالح : قال الحافظ : وثقه الأئمة ، ووهم ابن حزم فجهله ، وابن عبد البر فضعفه . وقال في الزوائد : في إسناده أبان بن صالح ، وهو ضعيف .

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - في خ : « نمر » .

[٣] - عند ابن ماجه : ثنا .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٥] - سقط من : خ .

[٦] - سقط من : خ .

شُرَيح : ما قال لك عمرو ؟ قال : أنا أعلم بذلك منك[١] يا أبا شريح ، وإن الحرم لا يعيذ عاصيًا ، ولا فارًّا بدم ، ولا فارًّا بِخَرَبَة[٢](٧٩٧) .

رواه البخاري(٧٩٨) ، ومسلم ، وهذا لفظه ، فإذا علم هذا فلا منافاة بين هذه الأحاديث الدالة على أن اللَّه حَرّم مكة يوم خلق السموات والأرض ، وبين الأحاديث الدالة على أن إبراهيم عليه السلام حرمها ؛ لأن إبراهيم بلغ عن اللَّه حكمه فيها ، وتحريمه إياها ، وأنها لم تزل بلدًا حرامًا عند اللَّه قبل بناء إبراهيم عليه السلام لها ، كما أنه قد كان رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، مكتوبًا عند اللَّه خاتم النبيين ؛ وإن آدم لمنجَدل في طينته ، ومع هذا قال إبراهيم عليه السلام : ﴿ **ربنا وابعث فيهم رسولًا منهم** ﴾ الآية . وقد أجاب اللَّه دعاءه بما سبق في علمه وقدره . ولهذا جاء في الحديث أنهم قالوا : يا رسول اللَّه ؛ أخبرنا عن بَدْء أمرك . فقال : « **دعوة أبي إبراهيم [عليه السلام][٣] ، وبشرى عيسى بن مريم ، ورأت أمي كأنه خرج منها نور أضاءت[٤] له قصور الشام** » .

أي : أخبرنا عن بدء ظهور أمرك . كما سيأتي قريبًا ، إن شاء اللَّه .

وأما مسألة تفضيل مكة على المدينة كما هو قول الجمهور ، أو المدينة على مكة كما هو مذهب مالك وأتباعه ، فتذكر في موضع آخر بأدلتها إن شاء اللَّه ، وبه الثقة . وقوله تعالى إخبارًا عن الخليل أنه قال : ﴿ **رب اجعل هذا بلدًا آمنًا** ﴾ أي : من الخوف ، لا يَرْعَبُ أهله ، وقد فعل اللَّه ذلك شرعًا وقدرًا ، كقوله تعالى : ﴿ **ومن دخله كان آمنًا** ﴾ وقوله : ﴿ **أو لم يروا أنا جعلنا حرمًا آمنًا ويتخطف الناس من حولهم** ﴾ . إلى غير ذلك من الآيات ، وقد تقدمت الأحاديث في تحريم القتال فيها ، وفي صحيح مسلم(٧٩٩) ، عن جابر سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم يقول : « **لا يحل لأحد أن يحمل بمكة السلاح** » وقال في هذه السورة : ﴿ **رب اجعل هذا بلدًا آمنًا** ﴾ [أي اجعل هذه البقعة بلدًا آمنًا][٥] ، وناسب

(٧٩٧) - الخربة أصلها : العيب ، والمراد بها ها هنا الذي يفرّ بشيء ، يريد أن ينفرد به ، ويغلب عليه ، مما لا تجيزه الشريعة ، والخارب أيضًا : سارق الإبل خاصة ، ثم نقل إلى غيرها اتساعًا ، وقد جاء في سياق الحديث في كتاب البخاري أن الخربة الجناية ، والبليّة .

(٧٩٨) - رواه البخاري في جزاء الصيد ، باب : لا يعضد شجر الحرم برقم (١٨٣٢) ، ومسلم في الحج برقم ٤٤٦ - (١٣٥٤) .

(٧٩٩) - رواه مسلم في الحج من حديث أبي الزبير - مدلس ، وقد عنعن - عن جابر برقم ٤٤٩ - (١٣٥٦) .

[١] - سقط من : خ .

[٢] - في خ : « بجزية » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٤] - في ت : « أضاء » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

هذا ؛ لأنه قبل بناء الكعبة ، وقال تعالى في سورة إبراهيم : ﴿ **وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنًا** ﴾ وناسب هذا هناك ؛ لأنه - والله أعلم - كأنه وقع دعاء مرة ثانية بعد بناء البيت واستقرار أهله به ، وبعد مولد إسحاق الذي هو أصغر سنًّا من إسماعيل بثلاث عشرة سنة ، ولهذا قال في آخر الدعاء : ﴿ **الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء** ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ **وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلًا ثم أضطرّه إلى عذاب النار وبئس المصير** ﴾ .

قال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب : ﴿ **قال ومن كفر فأمتعه قليلًا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير** ﴾ قال : هو من قول الله تعالى ، وهذا قول مجاهد وعكرمة ، وهو الذي صوّبه ابن جرير - رحمه الله - . قال : وقرأ آخرون : ﴿ **قال ومن كفر فأَمتعه قليلًا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير** ﴾ . فجعلوا ذلك من تمام دعاء إبراهيم ، كما رواه أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية قال : كان ابن عباس يقول : ذلك قول إبراهيم ، يسأل ربَّه أن من كفر فأَمْتِعْه قليلًا .

وقال أبو جعفر ، عن ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد : ﴿ **ومن كفر فأمتعه قليلًا** ﴾ يقول : ومن كفر ، فأرزقه قليلًا أيضًا ﴿ **ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير** ﴾ .

وقال محمد بن إسحاق : لما عزل إبراهيم عليه السلام الدعوة عمن أبى الله أن يجعل له الولاية - انقطاعًا إلى الله ومحبته ، وفراقًا لمن خالف أمره ، وإن كانوا من ذريته ، حين عرف أنه كائن منهم [ ][1] ظالم [لا يناله][2] عهده ، بخبر الله له بذلك - قال الله تعالى : ﴿ **ومن كفر** ﴾ فإني أرزق البر والفاجر ، وأمتعه قليلًا .

وقال حاتم بن إسماعيل ، عن حُمَيد الخرّاط ، عن عَمّار الدُّهني[3] ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ **رب اجعل هذا بلدًا آمنًا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر** ﴾ ، قال ابن عباس : كان إبراهيم يحجُرها على المؤمنين دون الناس ، فأنزل الله ﴿ **ومن كفر** ﴾ أيضًا أرزقهم كما أرزق المؤمنين ، أأخلق خلقًا لا أرزقهم ؟ أمتعهم قليلًا ، ثم أضطرهم إلى عذاب النار وبئس المصير . ثم قرأ ابن عباس : ﴿ **كلًّا نمدّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورًا** ﴾ رواه ابن مردويه . وروي عن عكرمة ومجاهد نحو ذلك أيضًا . وهذا كقوله تعالى : ﴿ **قل إنّ الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا**

---

[١] - في خ : أنه .
[٢] - في خ : « ألّا ينال » .
[٣] - في خ : « الذهبي » .

ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ **ومن كفر فلا يحزنك كفره إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا إنّ اللَّه عليم بذات الصدور نمتعهم قليلًا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ** ﴾ ، وقوله : ﴿ **ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفًا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابًا وسررًا عليها يتكئون ، وزخرفًا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين** ﴾ ، وقوله : ﴿ **ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير** ﴾ أي : ثم ألجئه بعد متاعه في الدنيا وبسطنا عليه من ظلها إلى عذاب النار وبئس المصير . ومعناه : أن اللَّه تعالى ينظرهم ويمهلهم ، ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر ، كقوله تعالى : ﴿ **وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإليّ المصير** ﴾ وفي الصحيحين(٨٠٠) : « **لا أحد أصبر على أذى سمعه من اللَّه ؛ إنهم يجعلون له ولدًا وهو يرزقهم ويعافيهم** » ، وفي الصحيح(٨٠١) أيضًا : « **إن اللَّه ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفْلِته** » ، ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ **وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد** ﴾ .

[وقرأ بعضهم : ﴿ **قال ومن كفر فأمتعه قليلًا** ﴾ ، الآية . جعله من تمام دعاء إبراهيم . وهي قراءة شاذة مخالفة للقراء السبعة . وتركيب السياق يأبى معناها ، واللَّه أعلم ؛ فإن الضمير في قال راجع إلى اللَّه تعالى في قراءة الجمهور ، والسياق يقتضيه ، وعلى هذه القراءة الشاذة يكون الضمير في قال عائدًا على إبراهيم . وهذا خلاف نظم الكلام ، واللَّه سبحانه هو العلام][١] .

وأما قوله تعالى : ﴿ **وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذرّيتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم** ﴾ فالقواعد : جمع قاعدة ، وهي السارية والأساس ، يقول تعالى : واذكر يا محمد لقومك بناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام البيت ، ورفْعَهما القواعد منه ، وهما يقولان : ﴿ **ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم** ﴾ ، [وحكى القرطبي وغيره عن أبيّ ، وابن مسعود أنهما كانا يقرآن : ﴿ **وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ويقولان ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم** ﴾ .

(قلت) : ويدل على هذا قولهما بعده : ﴿ **ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك** ﴾ الآية][٢] ، فهما في عمل صالح ، وهما يسألان اللَّه تعالى أن يتقبل منهما ، كما روى ابن

(٨٠٠) - تقدم .

(٨٠١) - رواه البخاري في التفسير ، سورة هود ، برقم (٤٦٨٦) ومسلم في البر والصلة برقم ٦١ - (٢٥٨٣) من حديث أبي موسى الأشعري رضي اللَّه عنه .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

أبي حاتم من حديث محمد بن يزيد بن خُنيس المكي ، عن وُهَيب بن الوَرْد أنه قرأ : ﴿ **وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا** ﴾ ، ثم يبكي ويقول : يا خليل الرحمن ، ترفع قوائم بيت الرحمن ، وأنت مُشْفِق ألَّا يتقبل[١] منك . وهذا كما حكى اللَّه تعالى عن حال المؤمنين المخلصين في قوله: ﴿ **والذين يؤتون ما آتوا** ﴾ أي : يعطون ما أعطوا من الصدقات ،والنفقات ، والقربات ﴿ **وقلوبهم وجلة** ﴾ ، أي : خائفة ألَّا يتقبل منهم . كما جاء في[٢] الحديث الصحيح ، عن عائشة ، عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم كما سيأتي في موضعه .

وقال بعض المفسرين : الذي كان يرفع القواعد هو إبراهيم ، والداعي إسماعيل ؛ والصحيح أنهما كانا يرفعان ، ويقولان كما سيأتي بيانه .

وقد روى البخاري هاهنا حديثًا سنورده ، ثم نُتبِعه بآثار متعلقة بذلك .

قال البخاري(٨٠٢) رحمه اللَّه : حدثنا عبد اللَّه بن محمد ، حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن أيوب السَّختياني ، وكثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة - يزيد أحدهما على الآخر - عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - قال : أول ما اتخذ النساء المِنْطَق من قِبَل أم إسماعيل عليهما السلام اتخذت منطقًا ؛ ليعفِّي أثرها على سارة ، ثم جاء بها إبراهيم ، وبابنها إسماعيل عليهما السلام وهي ترضعه ، حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زَمْزم في أعلى المسجد ، وليس بمكة يومئذ أحد ، وليس بها ماء ، فوضعهما هنالك ، ووضع عندهما جرابًا فيه تمر ، وسِقَاءً فيه ماء ، ثم قفَّى إبراهيم ، عليه السلام ، منطلقًا ، فتبعته أم إسماعيل فقالت : ياإبراهيم ! أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس[٣] ولاشيء ؟ فقالت له ذلك مرارًا ، وجعل لا يلتفت إليها ، فقالت[٤] : آللَّه أمرك بهذا ؟ قال نعم. قالت : إذًا لا يضيعنا ، ثم رجعت . فانطلق إبراهيم ، عليه السلام ، حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه ، استقبل بوجهه البيت ، ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه ، فقال[٥] : ﴿ **ربنا[٦] إني أسكنت من ذرّيتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرّم** ﴾ حتى بلغ : ﴿ **يشكرون** ﴾ ، وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل عليهما السلام ، وتشرب من ذلك الماء ، حتى إذا نَفِدَ[٧] ماء السقاء عطشت ، وعطش ابنها ، وجعلت تنظر إليه يتلوى - أو قال : يتلبط -

(٨٠٢) - رواه البخاري في أحاديث الأنبياء برقم (٣٣٦٤) .

[١] - في خ : « يقبل » .
[٢] - في خ : « به » .
[٣] - في خ : « أنس » .
[٤] - في خ : « قالت » .
[٥] - في خ : « قال » .
[٦] - في خ : « ربِّ » .
[٧] - في خ : « نفذ » .

فانطلقت كراهية أن تنظر إليه ، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها[١] ، فقامت عليه ، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدًا ؟ فلم تر أحدًا ، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طَرَفَ درعها ، ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي ، ثم أتت المروة ، فقامت عليها ، فنظرت[٢] هل ترى أحدًا ؟ ، فلم ترى أحدًا . ففعلت ذلك سبع مرات ، قال ابن عباس : قال النبي ، صلى اللّه عليه وسلم : « **فلذلك سعى الناس بينهما** » .

فلما أشرفت على المروة سمعت صوتًا فقالت : « صه » -تريد نفسها -ثم تَسَمَّعت فسمعت أيضًا ، فقالت : قد أسمعت إن كان عندك غواث ، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم ، فبحث بعقبه ، أو قال بجناحه حتى ظهر الماء ، فجعلت تُحَوِّضُهُ ، وتقول بيدها هكذا ، وجعلت تغرف من الماء في سقائها ، [وهو يفور][٣] بعد ما تغرف . قال ابن عباس : قال النبي ، صلى اللّه عليه وسلم : « **يرحم اللّه أم إسماعيل ؛ لو تركت زمزم -أو قال : لو لم تغرف من الماء -لكانت زمزم عينًا معينًا** » .

قال[٤] : فشربت وأرضعت ولدها ، فقال لها الملك : لا تخافي الضيعة ؛ فإن هاهنا بيتًا للّه ، عز وجل ، يبنيه[٥] هذا الغلام وأبوه ، وإن اللّه - عز وجل - لا يضيع أهله . وكان البيت مرتفعًا من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله ، فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جُرْهُم ، أو أهل بيت من جرهم ، مقبلين من طريق كَدَاء فنزلوا في أسفل مكة ، فرأوا طائرًا عائفًا فقالوا : إن هذا الطائر ليدور[٦] على الماء ، لَعَهْدُنا بهذا الوادي وما فيه ماء ، فأرسلوا جَرِيًا أو جريين ، فإذا هم بالماء ، فرجعوا فأخبروهم بالماء ، فأقبلوا . قال : وأم إسماعيل عند الماء . فقالوا : أتأذنين لنا أن ننزل عندك ؟ قالت : نعم . ولكن لا حق لكم في الماء عندنا[٧] ، قالوا : نعم .

قال [عبد اللّه][٨] بن عباس : فقال النبي ، صلى اللّه عليه وسلم : « **فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأنس** » . فنزلوا ، وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم ، حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم ، وشب الغلام ، وتعلم العربية منهم ، وأنْفَسَهم ، وأعجبهم حين شب ، فلما أدرك زوّجوه امرأة منهم ، وماتت أم إسماعيل عليهما السلام ، فجاء إبراهيم بعد ما تزوّج إسماعيل ليطالع تَرِكَتَه فلم يجد إسماعيل ، فسأل امرأته عنه فقالت : خرج يبتغي لنا . ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت : نحن بشرٍّ ، نحن في ضيق وشدّة . وشكت إليه . قال : فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ، وقولي له : يغير عتبة بابه . فلما جاء إسماعيل كأنه أنس شيئًا فقال :

---

[١] - في خ : « تليها » .
[٢] - في خ : « ونظرت » .
[٣] - في خ : « وهى تفور » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في خ : « ينى » .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - زيادة من : خ .

هل جاءكم من أحد ؟ قالت : نعم ، جاءنا شيخ كذا وكذا ، فسأل عنك ، فأخبرته ، وسألني كيف عيشنا ؟ فأخبرته أننا[١] في جهد وشدّة . قال : فهل أوصاك بشيء ؟ قالت : نعم ، أمرني أن أقرأ عليك السلام ، ويقول : غَيِّر عتبة بابك . قال : ذاك أبي . وقد[٢] أمرني أن أفارقك ، فالحقي بأهلك ، فطلقها ، وتزوّج منهم بأخرى ، فلبث عنهم إبراهيم ما شاء اللَّه ، ثم أتاهم بعد فلم يجده ، فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت : خرج يبتغي لنا . قال : كيف أنتم ؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم ؟ . فقالت : نحن بخير وسعة ، وأثنت على اللَّه عز وجل . قال : ما طعامكم ؟ قالت : اللحم . قال : فما شرابكم ؟ قالت : الماء . قال « اللَّهم بارك لهم في اللحم والماء - قال النبي صلى اللَّه عليه وسلم : « **ولم يكن لهم يومئذ حَبٌ ، ولو كان لهم لدعا لهم فيه** » قال : فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه ، قال : فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ، ومريه يثبت عتبة بابه ، فلما جاء إسماعيل عليه السلام قال: هل أتاكم من أحد ؟ قالت : نعم [أتانا شيخ حسن الهيئة ، وأثنت عليه ، فسألني عنك ، فأخبرته ، فسألني كيف عيشنا ؟ فأخبرته أنا بخير . قال : فأوصاك بشيء ؟ قالت : نعم][٣] ، هو يقرأ عليك السلام ، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك ، قال : ذاك أبي ، وأنت العتبة ، أمرني أن أمسكك . ثم لبث عنهم ما شاء اللَّه عز وجل ، ثم جاء بعد ذلك ، وإسماعيل يَبْري نَبْلًا له تحت دوحة قريبًا من زمزم ، فلما رآه قام إليه[٤] ، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد ، والولد بالوالد ، ثم قال : يا إسماعيل ! إنّ اللَّه عز وجل أمرني بأمر قال : فاصنع ما أمرك ربك عز وجلِ ، قال : وتعينني؟ قال : وأعينك . قال : فإن اللَّه أمرني أن أبني هاهنا بيتًا ، وأشار إلى أكَمَةٍ مرتفعة على ما حولها ، قال : فعند ذلك رفعا القواعد من البيت . فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة ، وإبراهيم يبني ، حتى إذا ارتفع البناء ، جاء بهذا الحجر فوضعه له ، فقام عليه وهو يبني ، وإسماعيل يناوله الحجارة ، وهما يقولان : ﴿ **ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم** ﴾ قال : فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان : ﴿ **ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم** ﴾ .

[ورواه عبد بن حميد ، عن عبد الرزاق ، به مطولًا][٥] .

ورواه ابن أبي حاتم(٨٠٣) ، عن أبي عبد اللَّه محمد بن حماد [الطهراني] . وابن جرير ، عن أحمد بن ثابت الرازي ، كلاهما عن عبد الرزاق به مختصرًا .

---

(٨٠٣) - تفسير ابن أبي حاتم برقم ١٢٤٤ - (٣٨١/١) ، وابن جرير ٢٠٥٥ - (٦٧/٣) .

---

[١] - في خ : « أني » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

وقال أبو بكر بن مردويه(٨٠٤) : حدثنا إسماعيل بن علي بن إسماعيل ، حدثنا بشر بن موسى ، حدثنا أحمد بن محمد الأزرقي ، حدثنا مسلم بن خالد الزنجي ، عن عبد الملك بن جريج ، عن كثير بن كثير ، قال : كنت أنا وعثمان بن أبي سليمان ، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين في ناس مع سعيد بن جبير ، في أعلى المسجد ليلًا ، فقال سعيد بن جبير : سلوني قبل ألّا تروني. فسألوه عن المقام . فأنشأ يحدثهم عن ابن عباس ، فذكر الحديث بطوله .

ثم قال البخاري(٨٠٥) : حدّثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو ، حدثنا إبراهيم بن نافع ، عن كثير بن كثير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما كان بين إبراهيم وبين أهله ما كان ، خرج بإسماعيل وأم إسماعيل ، ومعهم شَنَّة فيها ماء ، فجعلت أم إسماعيل ، تشرب من الشنة ، فيَدِرُّ لبنُها على صبيها ، حتى قدم مكة فوضعهما تحت دوحة ، ثم رجع إبراهيم [إلى أهله][١] فاتبعته أم إسماعيل ، حتى لما[٢] بلغوا كَدَاء نادته من وراءه : يا إبراهيم ، إلى من تتركنا ؟ قال : إلى الله عز وجل . قالت : رضيت بالله . قال : فرجعت فجعلت تشرب من الشنة ، ويدر لبنها على صبيها[٣] حتى لما فَني الماء ، قالت : لو ذهبت فنظرت لعلي أحس أحدًا . [قال فذَهَبَت فصعدت الصفا ، فنظرت ، ونظرت ، هل تحس أحدًا ، فلم تحس أحدًا][٤] . فلما بلغت الوادي سعت حتى أتت المروة ، ففعلت ذلك أشواطًا [حتى أتمت سبعًا][٥] ، ثم قالت : لو ذهبت فنظرت؛ ما فعل - تعني[٦] الصبي - فذهبت فنظرت فإذا هو على حاله كأنه ينشغ[٧] للموت ، فلم تقرها نفسها ، فقالت : لو ذهبت فنظرت لعلي أحس أحدًا قال: فذهبت فصعدت الصفا ، فنظرت ونظرت فلم تحس أحدًا ، حتى أتمت سبعًا ، ثم قالت : لو ذهبت فنظرت ما فعل ، فإذا هي بصوت ، فقالت: أغث إن كان عندك خير ، فإذا جبريل عليه السلام قال : فقال بعقبه هكذا ، وغمز عقبه على الأرض . قال : فانبثق الماء ، فَدَهَشَتْ[٨] أم إسماعيل ، فجعلت تحفر .

قال : فقال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : « **لو تركته لكان الماء ظاهرًا** » .

(٨٠٤) - مسلم بن خالد : ضعفه غير واحد ، وأحمد بن محمد الأزرقي روى له البخاري . وكثير بن كثير : ثقة .

(٨٠٥) - رواه البخاري في أحاديث الأنبياء برقم (٣٣٦٥) .

[١] - زيادة من : خ .

[٢] - زيادة من : خ .

[٣] - في خ : « نفسها » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٦] - زيادة من : خ .

[٧] - في خ : « ينشغ » .

[٨] - في خ : « فذهبت » .

قال : فجعلت تشرب من الماء ويدر لبنها على صبيها .

قال فمر ناس من جرهم ببطن الوادي ، فإذا هم بطير ، كأنهم أنكروا ذلك ، وقالوا ما يكون الطير إلا على ماء ، فبعثوا رسولهم فنظر ، فإذا هو بالماء . فأتاهم فأخبرهم ، فأتوا إليها فقالوا : يا أم إسماعيل ، أتأذنين لنا أن نكون معك - أو نسكن معك ؟ - فبلغ ابنُها ونكح منهم امرأة .

قال : ثم إنه بدا لإبراهيم صلى الله عليه وسلم ، فقال لأهله : إني مطلع تركتي . قال : فجاء فسلم ، فقال : أين إسماعيل ؟ قالت امرأته : ذهب يصيد . قال : قولي له إذا جاء : غير عتبة بابك ، فلما أخبرته ، قال : أنت ذاك ، فاذهبي إلى أهلك .

قال : ثم إنه بدا لإبراهيم فقال لأهله : إني مطلع تركتي ، قال فجاء فقال : أين إسماعيل ؟ فقالت امرأته : ذهب يصيد ، فقالت : ألا تنزل فتطعم وتشرب ، فقال : ما طعامكم وما شرابكم ؟ قالت : طعامنا اللحم وشرابنا الماء ، قال : اللّهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم .

قال : فقال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : « **بَرَكَة بدعوة إبراهيم** » .

قال : ثم إنه بدا لإبراهيم صلى الله عليه وسلم فقال لأهله : إني مطلع تركتي . فجاء فوافق إسماعيل من وراء زمزم يصلح نبلًا له . فقال : يا إسماعيل ، إن ربَّك ، عز وجل ، أمرني أن أبني له بيتًا . فقال : أطِعْ ربك عز وجل . قال : إنه قد أمرني أن تعينني عليه ، فقال : إذن أفعل -أو كما قال - قال : فقاما ، فجعل إبراهيم يبني ، وإسماعيل يناوله الحجارة ، ويقولان : ﴿ **ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم** ﴾ قال : حتى ارتفع البناء ، وضَعُف الشيخ عن نقل الحجارة ، فقام على حَجَر المقام ، فجعل يناوله الحجارة ، ويقولان : ﴿ **ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم** ﴾ .

هكذا رواه من هذين الوجهين في كتاب الأنبياء .

والعجب أن الحافظ أبا عبد الله الحاكم رواه في كتابه « المستدرك »(٨٠٦) عن أبي العباس الأصم ، عن محمد بن سنان القَزَّاز[١] ، عن أبي علي عبيد الله بن عبد المجيد الحنفي ، عن إبراهيم بن نافع ، به . وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه . كذا قال . وقد رواه البخاري كما ترى ، من حديث إبراهيم بن نافع ، وكأن فيه اختصارًا ، فإنه لم يذكر فيه شأن[٢] الذبح ، وقد جاء في الصحيح أن قرني الكبش كانا معلقين بالكعبة ، وقد جاء أن إبراهيم عليه السلام كان يزور أهله بمكة على البراق سريعًا ، ثم يعود إلى أهله بالبلاد

(٨٠٦) - لم نعثر عليه عند الحاكم في المستدرك .

---

[١] - في خ : البزار . [٢] - سقط من : خ .

المقدسة ، واللَّه أعلم ، والحديث - واللَّه أعلم - إنما فيه مرفوع أماكن صرح بها ابن عباس ، عن النبي ، صلى اللَّه عليه وسلم .

وقد ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في هذا السياق ما يخالف بعض هذا ، كما قال ابن جرير(٨٠٧) : حدثنا محمد بن بشار ، ومحمد بن المثنى قالا : حدثنا مؤمل ، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة بن مضرِّب ، عن علي بن أبي طالب ، قال : لما أمر إبراهيم ببناء البيت ، خرج معه إسماعيل وهاجرُ . قال : فلما قدم مكة رأى على رأسه في موضع البيت مثل الغمامة ، فيه مثل الرأس . فكلمه ، قال : يا إبراهيم ابن على ظلي ، أو قال[١] : على قدري ، ولا تَزِد ولاتنقص . فلما بنى خرج ، وخلف إسماعيل وهاجر ، فقالت هاجر : يا إبراهيم إلى من تكلنا ؟ قال : إلى اللَّه ، قالت : انطلق ، فإنه لا يضيعنا . قال : فعطش إسماعيل عطشًا شديدًا ، قال : فصعدت هاجر إلى الصفا فنظرت فلم تر شيئًا ، [حتى أتت المروة فلم تر شيئًا][٢] ، ثم رجعت إلى الصفا ، فنظرت فلم تر شيئًا ، [حتى أتت المروة لم تر شيئًا ، ثم رجعت إلى الصفا فنظرت فلم تر شيئًا][٣] ، حتى فعلت ذلك سبع مرات فقالت : يا إسماعيل ! مت[٤] حيث لا أراك ، فأتته وهو يفحص برجله من العطش . فناداها جبريل فقال لها : من أنت ؟ قالت : أنا هاجر أمّ ولد إبراهيم . قال : فإلى من وكلكما ؟ . قالت : وكلنا إلى اللَّه . قال : وكلكما إلى كافٍ . قال : ففحص الغلام الأرض بأصبعه ، فنبعت زمزم. فجعلت تحبس الماء فقال : دعيه فإنه[٥] رواء . ففي هذا السياق [أنه بنى][٦] البيت قبل أن يفارقهما ، وقد يحتمل أنه كان محفوظًا : أن يكون أوّلًا وضع له محوطًا وتحجيرًا ، لا أنه بناه إلى أعلاه ، حتى كبر إسماعيل فبنياه معًا ، كما قال اللَّه[٧] تعالى .

ثم قال ابن جرير(٨٠٨) : حدثنا هناد بن السَّرِيّ ، حدّثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن خالد ابن عرعرة : أن رجلًا قام إلى علي ، رضي اللَّه عنه ، فقال : ألا تخبرني عن البيت ، أهو أوّل بيت وضع في الأرض ؟ فقال : لا . ولكنه أول بيت وضع فيه البركة مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمنًا ، وإن شئت أنبأتك كيف بني ، إن اللَّه أوحى إلى إبراهيم : أنِ ابنِ لي بيتًا في الأرض ،

---

(٨٠٧) - تفسير ابن جرير ٢٠٥٧ - (٣/٦٨ - ٦٩) . ومؤمل بن إسماعيل : ضعيف يعتبر به . قال البخاري فيه : منكر الحديث ، وقال ابن حجر : صدوق سيىء الحفظ . وأبو إسحاق مدلس وقد عنعن .

(٨٠٨) - تفسير ابن جرير ٢٠٥٨ - (٣/٧٠ - ٧١) .

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٤] - في خ : من .

[٥] - في خ : « فإنها » .

[٦] - في خ : « أن بناء » .

[٧] - زيادة من : خ .

قال : فضاق إبراهيم بذلك ذرعًا ، فأرسل اللّه السكينة ، وهي ريح خجوج(٨٠٩) ، ولها رأسان فأتبع أحدهما صاحبه ، حتى انتهت إلى مكة ، فتطوّت(٨١٠) على موضع البيت كطي الحجفة ، وأمر إبراهيم أن يبني حيث تستقر السكينة ، فبنى إبراهيم ، وبقي الحجر ، فذهب الغلام [يبغي][١] شيئًا . فقال إبراهيم : ابغني حجرًا كما آمرك . قال : فانطلق الغلام يلتمس له حجرًا ، فأتاه به ، فوجده قد ركب الحجر الأسود في مكانه . فقال : يا أبت ! من آتاك بهذا الحجر ؟ فقال : آتاني به من لا يتكل على بنائك ، جاء به جبريل -عليه السلام- من السماء ، فأتماه .

وقال ابن أبي حاتم(٨١١) : حدّثنا محمد بن عبد اللّه بن يزيد المقري ، حدثنا سفيان ، عن بشر ابن عاصم ، عن سعيد بن المسيب ، عن كعب الأحبار ، قال : كان البيت غثاءة على الماء قبل أن يخلق اللّه الأرض بأربعين عامًا ، ومنه دحيت الأرض .

قال سعيد : وحدثنا علي بن أبي طالب : أن إبراهيم أقبل من أرض أرمينية ، ومعه السكينة تدله على تبوُّءِ البيت كما تتبوّأ العنكبوت بيتًا ، قال : فكشفت عن أحجار لايطيق الحجرَ إلا ثلاثون رجلًا . قلت : يا أبا محمد ، فإن اللّه يقول : ﴿ **وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل** ﴾ قال : كان ذلك بعد .

وقال السُّدي : إن اللّه -عز وجل- أمر إبراهيم أن يبني البيت هو وإسماعيل : ابنيا بيتيَ للطائفين والعاكفين ، والركع السجود ، فانطلق إبراهيم [عليه السلام] حتى أتى مكة ، فقام هو وإسماعيل وأخذا المعاول لا يدريان أين البيت ، فبعث اللّه ريحًا ، يقال لها : ريح الخجوج ، لها جناحان ورأس في صورة حية ، فكشفت لهما ما حول الكعبة عن أساس البيت الأوّل ، واتبعاها بالمعاول يحفران حتى وضعا الأساس ، فذلك حين يقول تعالى : [﴿**وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت**﴾][٢] ، ﴿**وإذ بوّأنا لإبراهيم مكان البيت**﴾ ، فلما بنيا القواعد فبلغا مكان الركن . قال إبراهيم لإسماعيل : يا بني اطلب لي حجرًا حسنًا أضعه هاهنا . قال : يا أبت ، إني كسلانُ لَغِب . قال : علي بذلك ، [فانطلق فطلب له حجرًا ، فجاءه بحجر فلم يرضه ، فقال : ائتنى بحجر أحسن من هذا][٣] فانطلق يطلب له حجرًا ، فأتاه[٤] جبريل بالحجر الأسود من الهند ، وكان أبيض ياقوتة بيضاء مثل الثَّغامة

(٨٠٩) - يقال: ريح خجوج ، أي شديدة المرور في غير استواء .

(٨١٠) - أي استدارت كالترس ، وهو تفعلت من الطي .

(٨١١) - تفسير ابن أبي حاتم ١٢٤٥ - (١/٣٨١) .

[١] - سقط من : خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين زيادة من : خ . [٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٤] - في خ : وجاءه .

وكان آدم هبط به من الجنة فاسود من خطايا الناس ، فجاءه إسماعيل بحجر فوجده عند الركن ، فقال: يا أبه ! من جاءك بهذا ؟ قال : جاء به من هو أنشط منك ، فبنيا وهما يدعوان الكلمات التي ابتلى إبراهيمَ ربُّه ، فقال : ﴿ **ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم** ﴾ .

وفي هذا السياق ما يدل على أن قواعد البيت كانت مبنية قبل إبراهيم ، وإنما هُديَ إبراهيم إليها وبُوِئَ لها . وقد ذهب إلى هذا[١] ذاهبون ، كما قال الإمام عبد الرزاق(٨١٢) : أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ **وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت** ﴾ قال : القواعد التي كانت قواعد البيت قبل ذلك .

وقال عبد الرزاق أيضًا (٨١٣) ، أخبرنا هشام بن حسان ، عن سوّار ختن عطاء ، عن عطاء بن أبي رباح ، قال : لما أهبط آدم من الجنة ، كانت رجلاه في الأرض ورأسه في السماء ، يسمع[٢] كلام أهل السماء ، ودعاءهم ، يأنس إليهم ، فهابته الملائكة ، حتى شكت إلى اللَّه في دعائها وصلاتها . فخفضه اللَّه تعالى إلى الأرض ، فلما فقد ما كان يسمع منهم استوحش حتى شكا ذلك إلى اللَّه في دعائه ، وفي صلاته ، فوَجّه إلى مكة ، فكان موضع قَدَمه قرية ، وخَطْوُه مفازة ، حتى انتهى إلى مكة ، وأنزل اللَّه ياقوتة من ياقوت الجنة ، فكانت على موضع البيت الآن . فلم يزل يطوف به حتى أنزل اللَّه الطوفان ، فرفعت تلك الياقوتة ، حتى بعث اللَّه إبراهيم عليه السلام ، فبناه . وذلك قول اللَّه تعالى : ﴿ **وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت** ﴾ .

وقال عبد الرزاق(٨١٤) : أخبرنا ابن جريج ، عن عطاء ، قال : قال آدم : يارب[٣] إني لا أسمع أصوات الملائكة ، قال : بخطيئتك ، ولكن اهبط إلى الأرض ، فابن لي بيتًا ، ثم أحفُفْ به ، كما رأيت الملائكة تحف ببيتي الذي في السماء ، فيزعم الناس أنه بناه من خمسة أجبل : من حراء ، وطور زيتا ، وطور سيناء ، [وجبل لبنان][٤] ، والجودي . وكان رَبَضَهُ من حراء ، فكان هذا بناء آدم حتى بناه إبراهيم عليه السلام بعد .

وهذا صحيح إلى عطاء ، ولكن في بعضه نكارة ، واللَّه أعلم .

وقال عبد الرزاق أيضًا(٨١٥) : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : وضع اللَّه البيتَ مع آدم

---

(٨١٢) - تفسير عبد الرزاق (١/٥٨ - ٥٩) .

(٨١٣) - رواه ابن جرير في تفسيره ٢٠٤١ - (٣/٥٩) من طريق الحسن بن يحيى ، عن عبد الرزاق ، به .

(٨١٤) - رواه ابن جرير في تفسيره ٢٠٣٧ - (٣/٥٧ - ٥٨) من طريق الحسن بن يحيى ، عن عبد الرزاق ، به .

(٨١٥) - رواه ابن جرير في تفسيره ٢٠٤٢ - (٣/٥٩) من طريق الحسن بن يحيى ، عن عبد الرزاق ، به .

---

[١] - في خ : « ذلك » .

[٢] - في خ : « فسمع » .

[٣] - زيادة من ابن جرير .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[حين][١] أهبط اللَّه آدم إلى الأرض ، وكان مهبطه بأرض الهند ، وكان رأسه في السماء ورجلاه في الأرض ، فكانت الملائكة تهابه ، فنقص إلى ستين ذراعًا ، فحزن آدم[٢] إذ فقد أصوات الملائكة وتسبيحهم ، فشكا ذلك إلى اللَّه ، عز وجل ، فقال اللَّه : يا آدم ، إني قد أهبطت لك بيتًا تطوف به كما يطاف حول عرشي ، وتصلي عنده كما يُصلى عند عرشي ، فانطلق إليه آدم ، فخرج ومُدّ له في خَطْوِه ، فكان بين كل خطوتين مفازة ؛ فلم تزل تلك المفازة بعد ذلك ، فأتى آدم البيت فطاف به ، ومن بعده من الأنبياء .

وقال ابن جرير(٨١٦) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يعقوب القمي[٣] ، عن حفص بن حميد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : وضع اللَّه[٤] البيت على أركان الماء ، على أربعة أركان ، قبل أن تخلق الدنيا بألفي عام ، ثم دحيت الأرض من تحت البيت .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني [عبد اللَّه][٥] بن أبي نجيح ، عن مجاهد وغيره من أهل العلم ، إن اللَّه لما بوّأ إبراهيم مكان البيت خرج إليه من الشام - وخرج معه بإسماعيل ، وبأمّه هاجر ، وإسماعيل طفل صغير يرضع ، وحملوا فيما حدّثني على البراق ، ومعه جبريل يدله على موضع البيت ، ومعالم الحرم ، وخرج معه جبريل ، فكان لا يمر بقرية إلا قال : أبهذه أمرت يا جبريل ؟ فيقول جبريل : امضه ، حتى قدم به مكة ، وهي إذ ذاك عضاه سَلَم وَسَمُر ، وبها أناس يقال لهم : العماليق خارج مكة وما حولها ، والبيت يومئذ ربوة حمراء مدرة ، فقال إبراهيم لجبريل : أهاهنا أمرت أن أضعهما ؟ قال : نعم . فعمد بهما إلى موضع الحجر فأنزلهما فيه ، وأمر هاجر أم إسماعيل أن تتخذ فيه عريشًا ، فقال : ﴿ **ربنا**[٦] **إني أسكنت من ذرّيتي بوادٍ غير ذي ذرع عند بيتك المحرّم** ﴾ إلى قوله : ﴿ **لعلهم يشكرون** ﴾ .

وقال عبد الرزاق(٨١٧) : أخبرنا هشام بن حسان ، أخبرني حميد ، عن مجاهد ؛ قال : خلق اللَّه موضع هذا البيت قبل أن يخلق شيئًا بألفي سنة ، وأركانه في الأرض السابعة وكذا قال ليث ابن أبي سليم ، عن مجاهد : القواعد في الأرض السابعة .

وقال ابن أبي حاتم(٨١٨) : حدّثنا أبي ، أخبرنا[٧] عَمْرو بن رافع ، أخبرنا[٨] عبد الوهاب ابن

---

(٨١٦) - رواه ابن جرير ٢٠٤٦ - (٦١/٣) .

(٨١٧) - رواه ابن جرير في تفسيره ٢٠٤٩ - (٦٢/٣) من طريق الحسن بن يحيى ، عن عبد الرزاق ، به .

(٨١٨) - ابن أبي حاتم ١٢٤١ - (٣٨٠/١) . وقال محققه : وإسناده ضعيف ، ومتنه منكر .

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في خ : « العمى » .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٦] - في خ : « ربِّ » .

[٧] - في خ : « حدثنا » .

[٨] - في خ : « حدثنا » .

معاوية ، عن عبد المؤمن بن خالد ، عن علباء بن أحمر : أن ذا القرنين قدم مكة فوجد إبراهيم ، وإسماعيل يبنيان قواعد البيت من خمسة أجبل . فقال : ما لكما ولأرضي ؟ فقالا : نحن عبدان مأموران ، أمرنا ببناء هذه الكعبة . قال : فهاتا بالبينة على ما تدعيان . فقامت خمسة أكبش ، فقلن : نحن نشهد : إن إبراهيم ، وإسماعيل عبدان مأموران أمرا ببناء هذه الكعبة . فقال : قد رضيت وسلمت ، ثم مضى .

وذكر الأزْرَقي في تاريخ مكة أن ذا القرنين طاف مع إبراهيم عليه السلام بالبيت ، وهذا يدل على تقدّم زمانه ، والله أعلم .

وقال البخاري(٨١٩) - رحمه الله - قوله تعالى : ﴿ **وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل** ﴾ الآية : القواعد أساسه ، واحدها قاعدة . والقواعد من النساء واحدتها قاعدُ[١] .

حدثنا إسماعيل ، حدّثني مالك ، عن ابن شهاب ، عن سالم بن عبد الله : أن عبد الله بن محمد ابن أبي بكر ، أخبر عبد الله بن عمر ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **ألم تَرَي أن قومك حين بنوا [البيت اقتصروا][٢] عن قواعد إبراهيم** » ؟ فقلت : يا رسول الله ، ألا تردّها على قواعد إبراهيم ؟ قال : « **لولا حِدْثان قومك بالكفر** » . فقال عبد الله بن عمر : لئن كانت عائشةُ سمعت هذا من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ؛ ما أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك استلام الركنين اللذين يليان الحِجْر إلا أن البيت لم يُتَمَّم على قواعد إبراهيم عليه السلام .

وقد رواه في الحج عن القعنبي[٣] ، وفي أحاديث الأنبياء عن عبد الله بن يوسف . ومسلم عن يحيى بن يحيى ، ومن حديث ابن وهب . والنسائي من حديث عبد الرحمن بن القاسم ، كلهم عن مالك ، به(٨٢٠) .

ورواه مسلم أيضًا(٨٢١) من حديث نافع قال : سمعت عبد الله بن [محمد بن][٤] أبي بكر ابن أبي قُحَافة يحدث عن عبد الله بن عُمَر ، عن عائشة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية - أو قال بكفر - لأنفقت كنز الكعبة في سبيل الله** ،

---

(٨١٩) - صحيح البخاري ، كتاب : التفسير برقم (٤٤٨٤) .

(٨٢٠) - صحيح البخاري برقم (١٥٨٣، ٣٣٦٨) ، ومسلم في الحج برقم ٣٩٨ - (١٣٣٣) ، والنسائي في المناسك ، باب : بناء الكعبة (٥/٢١٤) .

(٨٢١) - رواه مسلم في الحج برقم ٤٠٠ - (١٣٣٣) .

---

[١] - في خ : « غير » .

[٢] - في خ : « الكعبة أقصروا » .

[٣] - في خ : « التعنبي » .

[٤] - ما بين المعكوفتين زيادة من : خ .

ولجعلت بابها بالأرض ، ولأدخلت فيها من الحِجْر » .

وقال البخاري(٨٢٢) : حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن الأسود قال : قال لي ابن الزبير : كانت عائشة تسر إليك حديثًا كثيرًا فما حدثتك في الكعبة ؟ قال : قلت : قالت لي : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **يا عائشة ! لولا قومُك حديثٌ عهدهم – فقال ابن الزبير : بكفر – لنقضت الكعبة ، فجعلت لها بابين : بابًا يدخل منه الناس وبابا يخرجون منه** » ففعله ابن الزبير .

انفرد بإخراجه البخاري فرواه هكذا في كتاب العلم من صحيحه .

وقال مسلم في صحيحه(٨٢٣) : حدّثنا يحيى بن يحيى ، أخبرنا أبو معاوية ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لولا حداثة عهد قومك بالكفر لنقضت الكعبة ، ولجعلتها على أساس إبراهيم ، فإن قريشًا حين بنت البيت استقصرت ، ولجعلت لها خَلْفًا** » .

قال : وحدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، وأبو كُرَيب ، قالا : حدثنا ابن نُمَير ، عن هشام بهذا الإسناد انفرد به مسلم

قال(٨٢٤) : وحدّثني محمد بن حاتم ، حدّثني محمد[١] بن مهدي ، أخبرنا[٢] سَلِيم بن حيان ، عن سعيد – يعني ابن ميناء – قال : سمعت عبد الله بن الزبير يقول : حدّثتني خالتي – يعني عائشة رضي الله عنها – قالت : قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : «**ياعائشة ! لولا قومك حديثو عهد بشرك ، لهدمت الكعبة فألزقتها بالأرض ، ولجعلت لها بابين بابًا شرقيًا ، وبابًا غربيًا ، وزدت فيها ستة أذرع من الحِجْر ، فإن قريشًا اقتصرتها حيث بنت الكعبة** » انفرد به أيضًا .

ذكر بناء قريش الكعبة بعد إبراهيم الخليل عليه السلام بمدد طويلة وقبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس سنين

وقد نقل معهم في الحجارة ، وله من العمر خمس وثلاثون سنة صلوات الله وسلامه عليه دائمًا

(٨٢٢) – رواه البخاري في العلم ، باب : من ترك بعض الاختيار ... برقم (١٢٦) .

(٨٢٣) – صحيح مسلم ، كتاب الحج برقم ٣٩٨ – (١٣٣٣) .

(٨٢٤) – صحيح مسلم ، كتاب الحج برقم ٣٩٨ – (١٣٣٣) .

[١] – سقط من : خ . [٢] – في خ : « حدثنا » .

إلى يوم الدين .

قال محمد بن إسحاق بن يسار في السيرة(٨٢٥) : ولما بلغ رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، خمسًا وثلاثين سنة ، اجتمعت قريش لبنيان الكعبة ، وكانوا يَهُمُّون بذلك ؛ ليسقِّفوها[١] ويهابون هدمها ، وإنما كانت رَضْمًا فوق القامة ، فأرادوا رفعها وتسقيفها ، وذلك أن نفرًا سرقوا كنز الكعبة ، وإنما كان يكون في بئر في جوف الكعبة ، وكان الذي وجد عنده الكنز دويك ، مولى بني مُلَيح بن عمرو من خزاعة ، فقطعت قريش يده ، ويزعم الناس : أن الذين سرقوه وضعوه عند دويك ، وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جُدّة لرجل من تجار الروم ، فتحطمت ، فأخذوا خشبها فأعدّوه لتسقيفها ، وكان بمكة رجل قبطي نجار ، فهيأ لهم في أنفسهم بعض ما يصلحها ، وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي كانت تطرح فيها ما يُهْدَى لها كل يوم فتتشرّق على جدار الكعبة ، وكانت مما يهابون ، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد إلا احْزَأَلَّتْ وكَشَّتْ وفتحت فاها ، فكانوا يهابونها . فبينا هي يومًا تَتَشرّق على جدار الكعبة ، كما كانت تصنع ، بعث اللَّه إليها طائرًا فاختطفها ، فذهب بها ؛ فقالت قريش : إنا لنرجو أن يكون اللَّه قد رضي ما أردنا ، عندنا عامل رفيق ، وعندنا خشب ، وقد كفانا اللَّه الحيَّة .

فلما أجمعوا أمرهم في هدمها وبنيانها ؛ قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن عَبْد بنِ عمران بن مخزوم - فتناول من الكعبة حجرًا ، فوثب من يده ، حتى رجع إلى موضعه ، فقال : يا معشر قريش ، لا تُدخلوا في بنيانها من كسبكم إلا طيبًا ، لا يدخل فيها مهر بَغِي ، ولا بيع ربًا ، ولا مظلمة أحد من الناس .

قال ابن إسحاق : والناس ينحلون هذا الكلام للوليد[٢] بن المغيرة بن عبد اللَّه بن عُمَر بن مخزوم .

قال : ثم إن قريشًا تجزّأت الكعبة ، فكان شق الباب لبني عبد مناف وزُهرة ، وكان ما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضموا إليهم ، وكان ظَهر الكعبة لبني جُمَح وسَهْم . وكان شق الحِجْر لبني عبد الدار بن قُصَيّ ، ولبني أسد بن عبد العزّى بن قصي ، ولبني عدي بن كعب بن لُؤَيّ ، وهو الحَطيم .

ثم إن الناس هابوا هدمها ، وفَرِقوا منه ، فقال الوليد بن المغيرة : أنا أبدؤكم في هدمها ، فأخذ المعول ، ثم قام عليها ، وهو يقول اللَّهم لم تُرَعْ ، اللَّهم إنا لا نريد إلا الخير ، ثم هدم من ناحية

(٨٢٥) - سيرة ابن هشام (١/١٢٤ صُبيح) .

[١] - في خ : « ليسقفونها » .
[٢] - في خ : « الوليد » .

الركنين ، فتربص الناس تلك الليلة ، وقالوا : ننظر ؛ فإن أصيب لم نهدم منها شيئًا ، ورددناها كما كانت ، وإن لم يصبه شيء فقد رضي الله ما صنعنا ، فأصبح الوليد من ليلته غاديًا على عمله ، فهدم وهدم الناس معه ، حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس ، أساس إبراهيم عليه السلام ، أفضوا إلى حجارة خضر كالأسنة آخذ بعضها بعضًا .

قال : فحدّثني بعض من يروي الحديث ، أن رجلًا من قريش ممن كان يهدمها ، أدخل عتلة بين حجرين منها ليقلع بها أيضًا أحدهما ، فلما تحرك الحجر تَنَقَّضَتْ مكة بأسرها ، فانتهوا عن ذلك الأساس .

قال ابن إسحاق : ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها ، كل قبيلة تجمع على حدة ، ثم بَنَوْها ، حتى بلغ البنيان موضع الركن - يعني الحجر الأسود - فاختصموا فيه ، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى ، حتى تحاوروا وتخالفوا ، وأعدّوا للقتال ، فقرّبت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دمًا ، ثم تعاقدوا هم و بنو عدي بن كعب بن لُؤَيّ على الموت ، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة ، فسموا « لَعَقَةَ الدم » فمكثت قريش على ذلك أربع ليال ، أو خمسًا ، ثم إنهم اجتمعوا في المسجد فتشاوروا وتناصفوا . فزعم بعض أهل الرواية : أن أبا أمية ابن المغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم ، وكان عامئذ أسن قريش كلهم ؛ قال : يا معشر قريش ، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أوّلَ من يدخل من باب هذا المسجد ، يقضي بينكم فيه ، ففعلوا[١] ، فكان أوّلَ داخلٍ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، رضينا ، هذا محمد ؛ فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر ، قال صلى الله عليه وسلم : « **هَلُمّ إليّ ثوبًا** » . فأُتي به ، فأخذ الركن - يعني الحجر الأسود - فوضعه فيه بيده ، ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم ارفعوه جميعًا . ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه ، وضعه هو بيده صلى الله عليه وسلم ثم بُني عليه .

وكانت قريش تسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه الوحي : (الأمين) . فلما فرغوا من البنيان ، وبنوها على ما أرادوا : قال الزبير بن عبد المطلب ، فيما كان من أمر الحيّة التي كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لها :

عجبت لما تصوبت العُقَاب ... إلى الثعبان وهي لها اضطراب
وقد كانت يكون لها كشيشٌ ... وأحيانًا يكون لها وثاب
إذا قمنا إلى التأسيس شدت ... تُهَيِّبُنا البناءَ وقد تُهَابُ
فلما أن خشينا الزَّجْرَ جاءت ... عُقَابٌ تتلئب لها انصباب
فضمتها إليها ثم خَلَّتْ ... لنا البنيان ليس لها حجاب

---

[١] - سقط من : خ .

فَقُمْنَا حاشدين إلى بناء لنا منه[١] القواعِدُ والتراب
غداة نُرَفِّع التأسيس منه وليس على مُسَوِّينا[٢] ثياب
أعزّ به المليك بني لُؤَي فليس لأصله منهم ذَهاب
وقد حشدت هناك بنو عدي ومرة قد تقدَّمها كلاب
فبوّأنا المليكُ بذاك عِزّا وعند اللّه يُلْتَمَسُ الثواب

قال ابن إسحاق : وكانت الكعبة على عهد النبي ، صلى اللّه عليه وسلم ، ثمانية عشرَ ذراعًا ، وكانت تُكسى القباطي ، ثم كسيت بَعْدُ البرود ، وأول من كساها الديباجَ الحجاجُ بن يوسف .

(**قلت**) : ولم تزل على بناء قريش حتى احترقت[٣] في أول إمارة عبد اللّه بن الزبير ، بعد سنة ستين . وفي آخر[٤] ولاية يزيد بن معاوية ، لما حاصروا ابن الزبير ، فحينئذ نقضها ابن الزبير إلى الأرض ، وبناها على قواعد إبراهيم عليه السلام ، وأدخل لها الحجر وجعل فيها بابًا شرقيًا وبابًا غربيًا ملصقين بالأرض ، كما سمع ذلك من خالته عائشة أم المؤمنين [رضي اللّه عنها][٥] ، [عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم][٦] ، ولم تزل كذلك مدة إمارته حتى قتله الحجاج ، فردّها إلى ما كانت عليه بأمر عبد الملك بن مروان له بذلك ، كما قال مسلم بن حجاج في صحيحه(٨٢٦) :

حدثنا هَنَّاد بن السَّرِيّ ، حدثنا ابن أبي زائدة ، أخبرنا ابن أبي سليمان ، عن عطاء ، قال : لما احترق البيت زمن يزيد بن معاوية حين غزاها أهل الشام ، فكان من أمره ما كان ، تركه ابن الزبير حتى قدم الناس الموسم يريد أن يُجَرِّئَهم[٧] أو يحزبهم على أهل الشام ، فلما صدر الناس قال : يا أيها الناس ؛ أشيروا عليَّ في الكعبة أنقضها ثم أبني بناءها ، أو أصلح ما وَهِيَ منها ؟ قال ابن عباس : فإني قد فُرِق لي رأي فيها : أرى أن تصلح ما وَهِيَ منها ، وتدع بيتًا أسلم الناس عليه ، وأحجارًا أسلم الناس عليها ، وبعث عليها النبي ، صلى اللّه عليه وسلم . فقال ابن الزبير : لو كان أحدهم احترق بيته ما رضي حتى يجدده ، فكيف بيت ربكم عز وجل إني مستخير ربي ثلاثًا ثم عازم على أمري ، فلما مضت ثلاث أجمع رأيه على أن ينقضها ، فتحاماها الناس أن ينزل بأول الناس يصعد فيه أمر من السماء ، حتى صعده رجل ، فألقى منه حجارة ، فلما لم يره الناس أصابه شيء ، تتابعوا ، فنقضوه حتى بلغوا به الأرض ، فجعل ابن الزبير أعمدة يستر عليها الستور ، حتى ارتفع بناؤه ، وقال ابن الزبير : إني سمعت عائشة رضي اللّه عنها تقول : إنّ النبي ، صلى اللّه عليه وسلم قال : « **لولا أن الناس**

---

[١] - في خ : « لمنه » والصواب ما أُثبت .
[٢] - في خ : « مساوينا » .
[٣] - في خ : « أحرقت » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين زيادة من : خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٧] - سقط من :خ .

حديثٌ عهدهم بكفر ، وليس عندي من النفقة ما يقويني على بنائه ، لكنت أدخلت فيه من الحجر خمسة أذرع ، ولجعلت له بابًا يدخل الناس منه ، وبابًا يخرجون منه » قال : فأنا أجد ما أنفق ، ولست أخاف الناس . قال : فزاد فيه خمسة أذرع من الحجر ، حتى أبدى له[١] أُسًّا نظر الناس إليه ، فبنى عليه البناء ، وكان طول الكعبة ثمانية عشر ذراعًا ، فلما زاد فيه استقصره ، فزاد في طوله عشرة أذرع ، وجعل له بابين : أحدهما يدخل منه ، والآخر يخرج منه .فلما قتل ابن الزبير ؛ كتب الحجاج إلى عبد الملك يخبره بذلك ، ويخبره أن ابن الزبير قد وضع البناء [على أسٍّ][٢] نظر إليه العدول من أهل مكة ، فكتب إليه عبد الملك : إنا لسنا من تلطيخ ابن الزبير في شيء ، أما ما زاده في طوله فأقره . وأما ما زاد فيه من الحجر فرده إلى بنائه ، وسدّ الباب الذي فتحه فنقضه ، وأعاده إلى بنائه .

وقد رواه النسائي في سننه(٨٢٧) ، عن هناد ، عن يحيى بن أبي زائدة ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء ، عن ابن الزبير ، عن عائشة بالمرفوع منه ، ولم يذكر القصة ، وقد كانت السنة إقرار ما فعله عبد اللَّه بن الزبير رضي اللَّه عنهما[٣] ، لأنه هو الذي ودّه رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، ولكن خشي أن تنكره[٤] قلوب بعض الناس ؛ لحداثة عهدهم بالإسلام ، وقربِ عهدهم من الكفر ، ولكن خفيت هذه السنة على عبد الملك بن مروان ، ولهذا لما تحقق ذلك عن عائشة ؛ أنها روت ذلك عن رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، قال : وددنا أنا تركناه وما تولى .

كما قال مسلم(٨٢٨) : حدّثني محمد بن حاتم ، حدّثنا محمد بن بكر ، أخبرنا ابن جريج[٥] ، سمعت عبد اللَّه بن عُبَيد بن عمير ، والوليد بن عطاء ، يحدثان عن الحارث بن عبد اللَّه بن أبي ربيعة ، قال عبد اللَّه بن عبيد : وَفَدَ الحارث بن [عبد اللَّه][٦] على عبد الملك بن مروان في خلافته ، فقال عبد الملك : ما أظن أبا خُبَيب - يعني : ابن الزبير - سمع من عائشة ما كان يزعم أنه سمعه منها ، قال الحارث : بلى ، أنا سمعته منها . قال : سمعتها تقول ماذا ؟ قال : قالت : قال رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم : **« إن قومك استقصروا من بنيان البيت ، ولولا حداثة عهدهم بالشرك ، أعدت ماتركوا منه ، فإن بدا لقومك من بعدي أن يبنوه ، فَهَلُمّي لأُرِيَكِ**

---

(٨٢٦) - صحيح مسلم ، كتاب الحج برقم ٤٠٢ - (١٣٣٣) .

(٨٢٧) - سنن النسائي ، كتاب المناسك ، باب : الحجر (٢١٨/٥) .

(٨٢٨) - صحيح مسلم في الحج ، برقم ٤٠٣ - (١٣٣٣) .

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - في خ : « عنه » .

[٤] - في خ : « تنكر » .

[٥] - في الأصلين ابن جرير ، والمثبت من صحيح مسلم .

[٦] - في خ : « عبيد اللَّه » .

ما تركوا منه » ، **فأراها قريبًا من سبعة أذرع .**

هذا حديث عبد اللَّه بن عبيد بن عمير . وزاد عليه الوليد بن عطاء : قال النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - : « **وجعلت لها بابين موضوعين في الأرض : شرقيًا وغربيًا . وهل تدرين لِمَ كان قومك رفعوا بابها ؟** » قالت : قلت : لا . قال : « **تعزُّزًا ألَّا يدخلها إلا من أرادوا ، فكان الرجل إذا هو أراد أن يدخلها يَدَعُونه حتى يرتقي ، حتى إذا كاد أن يدخل دفعوه فسقط** » . قال عبد الملك : فقلت للحارث : أنت سمعتها تقول هذا ؟ قال : نعم . قال : فنكت ساعة بعصاه ، ثم قال : وَدِدْت أني تركته وما تَحَمَّل .

قال مسلم (٨٢٩) : وحدّثناه محمد بن عمرو بن جبلة ، حدّثنا أبو عاصم (ح)[١] وحدّثنا عَبْدُ ابن حُمَيد ، أخبرنا عبد الرزاق - كلاهما عن ابن جريج - بهذا الإسناد ، مثل حديث ابن بكر .

قال (٨٣٠) : وحدثني محمد بن حاتم ، حدّثنا عبد اللَّه بن بكر السهمي ، حدّثنا حاتم بن أبي صغيرة ، عن أبي قَزَعَة ؛ أن عبد الملك بن مروان ، بينما هو يطوف بالبيت إذ قال : قاتل اللَّهُ ابنَ الزبير ؛ حيث يكذب على أم المؤمنين ، يقول : سمعتها تقول : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **يا عائشة ، لولا حِدْثَانُ قومك بالكفر ؛ لنقضت الكعبة حتى أَزيد فيها من الحِجْرِ ، فإن قومك قصَّروا في البنيان** » . فقال الحارث بن عبد اللَّه بن أبي ربيعة : لاتقل هذا يا أمير المؤمنين ، فإني[٢] سمعت أم المؤمنين تحدث هذا . قال : لو كنت سمعته قبل أن أهدمه ، لتركته على ما بنى ابن الزبير . فهذا الحديث كالمقطوع به إلى عائشة أم المؤمنين ؛ لأنه[٣] قد روي عنها من طرق صحيحة متعددة ، عن الأسود بن يزيد ، والحارث ابن عبد اللَّه بن أبي ربيعة ، وعبد اللَّه ابن الزبير ، وعبد اللَّه بن محمد بن أبي بكر الصدِّيق ، وعروة بن الزبير فدلّ هذا على صواب ما فعل[٤] ابن الزبير ، فلو ترك لكان جيدًا .

ولكن بعد ما رجع الأمر إلى هذا الحال ، فقد كره بعض العلماء أن يغير عن حاله ، كما ذكر عن أمير المؤمنين هارون الرشيد ، أو أبيه المهدي ، أنه سأل الإمام مالكًا عن هدم الكعبة ، وردها إلى[٥] ما فعله ابن الزبير ، فقال له مالك : يا أمير المؤمنين ؛ لا تجعل كعبة اللَّه مَلْعَبَةَ للملوك ، لا يشاء أحد أن يهدمها إلا هدمها . فترك ذلك الرشيد .

---

(٨٢٩) - صحيح مسلم في الحج ، برقم (١٣٣٣) .
(٨٣٠) - صحيح مسلم في الحج ، برقم ٤٠٤ - (١٣٣٣) .

---

[١] - في خ : « حينئذٍ » .
[٢] - في خ : « فأنا » .
[٣] - في خ : « لأنها » .
[٤] - في خ : « فعله » .
[٥] - في خ : « علي » .

نقله عياض والنووي . ولا تزال - والله أعلم - هكذا إلى آخر الزمان ، إلى أن يخرّبها ذو السويقتين من الحبشة ، كما ثبت ذلك في الصحيحين(٨٣١) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :« **يخرّب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة** » أخرجاه .

وعن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **كأني به أسود أفحَجَ يقلعها حجرًا حجرًا** » رواه البخاري(٨٣٢) .

وقال الإمام أحمد بن حنبل في مسنده(٨٣٣) ، أخبرنا[١] أحمد بن عبد الملك الحراني ، أخبرنا[٢] محمد بن سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **يخرّب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة ، ويسلبها حليتها ، ويجردها[٣] من كسوتها . ولكأني أنظر إليه أصَيلع أفَيدع يضرب عليها بمسحاته ومعوله** » .

الفدع : زيغ بين القدم[٤] وعظم الساق .

وهذا والله أعلم إنما يكون بعد خروج يأجوج ومأجوج ، لما جاء في صحيح البخاري (٨٣٤) عن أبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ليُحَجَّنّ[٥] البيتُ وليُعْتَمَرنّ بعد خروج يأجوج ومأجوج** » .

وقوله تعالى حكاية لدعاء إبراهيم وإسماعيل ، عليهما السلام : ﴿ **ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم**﴾ .

قال ابن جرير : يعنيان بذلك : واجعلنا مستسلمين لأمرك ، خاضعين لطاعتك ، لا نشرك معك في الطاعة أحدًا سواك ، ولا في العبادة غيرك .

---

(٨٣١) - رواه البخاري في الحج ، باب : قوله تعالى : ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام قيامًا للناس .... ، وباب : هدم الكعبة برقم (١٥٩١، ١٥٩٦) ومسلم في الفتن وأشراط الساعة برقم ٥٧ - (٢٩٠٩) .

(٨٣٢) - رواه البخاري في الحج ، باب : هدم الكعبة برقم (١٥٩٥) .

(٨٣٣) - المسند (٢/٢٢٠) .

(٨٣٤) - رواه البخاري في الحج ، باب : قوله تعالى : ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام قيامًا للناس .... برقم (١٥٩٣) .

---

[١] - في خ : « حدثنا » .

[٢] - في خ : « حدثنا » .

[٣] - في خ : « وتجردها » .

[٤] - في م : « القدم » .

[٥] - في خ : « لتحجن » .

وقال ابن أبي حاتم(٨٣٥) : حدثنا أبي ، حدثنا إسماعيل بن رجاء بن حيان الحصني القرشي ، حدثنا معقل بن عبيد الله ، عن عبد الكريم ﴿ **واجعلنا مسلمين لك** ﴾ ، قال : مخلصين لك ﴿ **ومن ذرّيتنا أمّة مسلمة لك** ﴾ قال : مخلصة .

وقال أيضًا(٨٣٦) : حدثنا علي بن الحسين ، أخبرنا[١] المُقدَّمي ، حدثنا سعيد بن عامر ، عن سلام بن أبي مطيع في هذه الآية : ﴿ **واجعلنا مسلمين** ﴾ ، قال : كانا مسلمين ، ولكنهما سألاه الثبات .

وقال عكرمة : ﴿ **ربنا واجعلنا مسلمين لك** ﴾ قال الله : قد فعلت ﴿ **ومن ذريتنا أمة مسلمة لك** ﴾ قال الله : قد فعلت . وقال السدي : ﴿ **ومن ذريتنا أمة مسلمة لك** ﴾ يعنيان : العرب .

و[٢] قال ابن جرير : والصواب أنه يعم العرب وغيرهم ؛ لأن من ذرية إبراهيم بني إسرائيل ، وقد قال الله تعالى : ﴿ **ومن قوم موسى أمّة يهدون بالحق وبه يعدلون** ﴾ .

(قلت) : وهذا الذي قاله ابن جرير لا ينفيه السدي ؛ فإن تخصيصهم بذلك لا ينفي من عداهم ، والسياق إنما هو في العرب ، ولهذا قال بعده : ﴿ **ربنا وابعث فيهم رسولًا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم** ﴾ الآية . والمراد بذلك محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد بعث فيهم ، كما قال تعالى : ﴿ **هو الذي بعث في الأمّيين رسولًا منهم** ﴾ ومع هذا لا ينفي رسالته إلى الأحمر والأسود ؛ لقوله تعالى : ﴿ **قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا** ﴾ وغير ذلك من الأدلة القاطعة .

وهذا الدعاء من إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، كما أخبرنا الله تعالى عن عباده المؤمنين المتقين ، في قوله : ﴿ **والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرّياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إمامًا** ﴾ . وهذا القدر مرغوب فيه شرعًا ؛ فإن من تمام محبة عبادة الله تعالى ، أن يُحب أن يكون من صُلبه من يعبد الله وحده لا شريك له ؛ ولهذا لما قال الله تعالى لإبراهيم عليه السلام : ﴿ **إني جاعلك للناس إمامًا** ﴾ قال : ﴿ **ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين** ﴾ . وهو قوله : ﴿ **واجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام** ﴾ ، وقد ثبت في صحيح مسلم(٨٣٧) ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **إذا مات ابن آدم انقطع عمله ، إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له** » .

(٨٣٥) - ابن أبي حاتم برقم ١٢٥٥ - (٣٨٥/١) . وإسماعيل بن رجاء : ثقة .

(٨٣٦) - ابن أبي حاتم برقم ١٢٥٣ - (٣٨٤/١) . وسلام ثقة ، في روايته عن قتادة ضعف .

(٨٣٧) - رواه مسلم في الوصية برقم ١٤ - (١٦٣١) .

[١] - في خ : « حدثنا » . [٢] - زيادة من : خ .

﴿ وأرنا مناسكنا ﴾ قال ابن جريج : عن عطاء : ﴿ وأرنا مناسكنا ﴾ أخرجها لنا ، وعلمناها . وقال مجاهد : ﴿ وأرنا مناسكنا ﴾ مذابحنا . وروي عن عطاءٍ أيضًا ، وقتادة نحو ذلك .

وقال سعيد بن منصور(٨٣٨) : حدثنا عتَّاب بن بشير ، عن خُصَيف ، عن مجاهد ، قال : قال إبراهيم : ﴿ أرنا مناسكنا ﴾ ، فأتاه جبرائيل ، فأتى به البيت ، فقال : ارفع القواعد ، فرفع القواعد وأتم البنيان . ثم أخذ بيده فأخرجه ، فانطلق به إلى الصفا ، قال : هذا من شعائر الله . [ثم انطلق به إلى المروة ، فقال : هذا من شعائر الله][١] . ثم انطلق به نحو منى ، فلما كان من العقبة ، إذا إبليس قائم عند الشجرة ، فقال : كَبِّر وارمه ، فكبَّر ورماه . ثم انطلق إبليس ، فقام عند الجمرة الوسطى ، فلما جاز به جبريل وإبراهيم ، قال[٢] له : كبر وارمه ، فكبر ورماه . فذهب الخبيث إبليس ، وكان الخبيث أراد أن يُدْخل في الحج شيئًا فلم يستطع ، فأخذ بيد إبراهيم حتى أتى به المشعر الحرام ، فقال : هذا المشعر الحرام . فأخذ بيد إبراهيم حتى أتى به عرفات ، قال : قد عرفت ما أريتك ؟ قالها ثلاث مرات . قال : نعم .

وروي عن أبي مجلز وقتادة نحو ذلك .

وقال أبو داود الطيالسي (٨٣٩) : حدثنا حماد بن سلمة عن [أبي عاصم][٣] الغنوي ، عن أبي الطفيل ، عن ابن عباس قال : إن إبراهيم لما أُرِيَ أوامر المناسك ، عرض له الشيطان عند المسعى ، فسابقه إبراهيم ، ثم انطلق به جبريل حتى أتى به منى فقال : [هذا مُنَاخ الناس][٤] . فلما انتهى إلى جمرة العقبة تعرض له الشيطان ، فرماه بسبع حصيات ، حتى ذهب [ثم أتى به الجمرة الوسطى فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات ، حتى ذهب][٥] . ثم أتى به الجمرة[٦] القصوى [فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات][٧] ، حتى ذهب ، فأتى به جَمْعًا ، فقال : هذا المشعر . ثم أتى به عرفة . فقال : هذه عرفة . فقال له جبريل : أعرفت ؟ .

---

(٨٣٨) - **إسناده ضعيف** ، لضعف خصيف بن عبد الرحمن .

(٨٣٩) - مسند الطيالسي برقم (٢٦٩٧) . وأبو عاصم الغنوي : أورده الذهبي في الميزان (٤/٥٤٢) وقال : قال أبو حاتم : لا أعرفه ، ولا أعرف روى عنه غير حماد بن سلمة ، وقال ابن معين : ثقة . وقال الحافظ في التقريب : مقبول - أي عند المتابعة .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - في خ : « فقال » .
[٣] - في : « أبي العاصم » .
[٤] - في خ : « مناخ الناس هذا » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٦] - في خ : « جمرة » .
[٧] - ما بين المعكوفتين زيادة من : خ .

﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩﴾

يقول تعالى إخبارًا عن تمام دعوة إبراهيم لأهل الحرم أن يبعث اللَّه فيهم رسولًا منهم ، أي من ذرية إبراهيم ، وقد وافقت هذه الدعوة المستجابة قدر اللَّه السابق في تعيين محمد صلوات اللَّه وسلامه عليه رسولًا في الأميين ، إليهم وإلى سائر الأعجمين من الإنس والجن ، كما قال الإمام أحمد(٨٤٠) : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن معاوية بن صالح ، حدثنا[١] سعيد بن سُوَيد الكلبي ، عن عبد الأعلى بن هلال السلمي ، عن العرباض بن سارية : قال : قال رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم : « **إني عند اللَّه لخاتم النبيين ، وإن آدم لمنجدل في طينته ، وسأنبئكم بأول ذلك ، دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى بي ، ورؤيا أمي التي رأت ، وكذلك أمهات النبيين يَرَيْنَ** » .

وكذلك[٢] رواه ابن وهب ، والليث ، وكاتبه عبد اللَّه بن صالح ، عن معاوية بن صالح ، وتابعه أبو بكر بن أبي مريم ، عن سعيد بن سُوَيد ، به .

وقال الإمام أحمد(٨٤١) أيضًا : حدثنا أبو النضر ، حدثنا الفرج ، حدثنا لقمان بن عامر ، قال : سمعت أبا أمامة قال : قلت : يا رسول اللَّه ! ماكان أول بدء أمرك ؟ قال : « **دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى بي**[٣] ، **ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام** » .

---

(٨٤٠) - المسند ١٧٢٠٠ - (١٢٧/٤) . وسعيد بن سويد الكلبي : ذكره ابن حبان في الثقات . وقال البخاري : لم يصح حديثه - يعني الذي رواه معاوية عنه مرفوعًا : « **إني عبد اللَّه وخاتم النبيين ....** » وخالفه ابن حبان والحاكم فصححاه ، فقال الحاكم " في المستدرك ٤١٨/٢" : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

وعبد الأعلى بن هلال السلمي : ترجمه البخاري في الكبير (٦٨/٦) ولم يذكر فيه جرحًا ، وكذا ابن أبي حاتم ، ولم يذكر أيضًا فيه جرحًا (٢٥/١/٣) ويستدرك على الحافظ في التعجيل . والحديث أخرجه الطبراني في الكبير (٢٥٢/١٨) حديث (٦٢٩) - (٦٣١) . وقال الهيثمي في المجمع (٢٢٦/٨) : وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سويد وثقه ابن حبان .

(٨٤١) - **إسناده ضعيف من أجل الفرج بن فضالة** . والحديث في المسند ٢٢٣٦١ - (٢٦٢/٥) . وأخرجه الطبراني في الكبير (٨ / ٢٠٥ ، ٢٠٦ / رقم : ٧٧٢٩) من طرق عن فرج بن فضالة ، به . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ٢٢٢) وعزاه لأحمد والطبراني وقال عن إسناد أحمد : « وإسناده حسن ، وله شواهد تقويه » .

---

[١] - في خ : « عن » . [٢] - في خ : « وكذا » .

[٣] - سقط من : خ .

والمراد : أن أول من نوه بذكره وشهره في الناس إبراهيم عليه السلام - ولم يزل ذكره في الناس مذكورًا مشهورًا سائرًا حتى أفصح به خاتم أنبياء بني إسرائيل نسبًا ، وهو عيسى بن مريم عليه السلام ، حيث قام في بني إسرائيل خطيبًا ، وقال : ﴿ **إني رسول الله إليكم [مصدقًا لما بين يدي من التوراة][١] ومبشرًا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد** ﴾ . ولهذا قال في هذا الحديث : دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى بن مريم .

وقوله : « ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام ! » . قيل : كان منامًا رأته حين حملت به ، وقصته على قومها فشاع فيهم واشتهر بينهم ، وكان ذلك توطئة ، وتخصيص الشام بظهور نوره إشارة إلى استقرار دينه وثبوته ببلاد الشام ، ولهذا تكون[٢] الشام في آخر الزمان . معقلًا للإسلام وأهله ، وبها ينزل عيسى بن مريم إذا نزل بدمشق بالمنارة الشرقية البيضاء منها ، ولهذا جاء في الصحيحين : « **لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ، حتى يأتي أمر الله ، وهم كذلك** »(٨٤٢) ، وفي صحيح البخاري : « **وهم بالشام** »(٨٤٣) .

و[٣] قال أبو جعفر الرازي : عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، في قوله : ﴿ **ربنا وابعث فيهم رسولًا منهم** ﴾ يعني أمة محمد صلى الله عليه وسلم . فقيل له : قد أستجيب لك ، وهو كائن في آخر الزمان . وكذا قال السدي وقتادة .

وقوله تعالى : ﴿ **ويعلمهم الكتاب** ﴾ ، يعني القرآن : ﴿ **والحكمة** ﴾ يعني : السنة ، قاله الحسن ، وقتادة ، ومقاتل بن حيان ، وأبو مالك ، وغيرهم . وقيل : الفهم في الدين . ولا منافاة .

﴿ **ويزكيهم** ﴾ قال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس ، يعني : طاعة الله ، والإخلاص .

وقال محمد بن إسحاق : ﴿ **ويعلمهم الكتاب والحكمة** ﴾ قال : يعلمهم الخير فيفعلوه ،

(٨٤٢) - هذا لفظ حديث ثوبان عند مسلم في كتاب الإمارة برقم ١٧٠ - (١٩٢٠) . وهو عند البخاري في كتاب التوحيد ، باب : قول الله تعالى : ﴿ **إنما قولنا لشيء إذا أردناه** ﴾ برقم (٧٤٦٠) من حديث معاوية رضي الله عنه ، وبرقم (٧٤٥٩) من حديث المغيرة رضي الله عنه . ورواه أيضًا مسلم بنحوه من حديث معاوية في كتاب الإمارة برقم ١٧٤ - (١٠٣٧) ، ومن حديث المغيرة برقم ١٧١ - (١٩٢١) .

(٨٤٣) - رواه البخاري في كتاب التوحيد ، باب : قول الله تعالى : ﴿ **إنما قولنا لشيء إذا أردناه** ﴾ برقم (٧٤٦٠) من حديث معاذ رضي الله عنه .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - في خ . « يكون » .

[٣] - زيادة من : خ .

والشر فيتقوه ، ويخبرهم برضا الله عنهم إذا أطاعوا[١] ؛ ليستكثروا[٢] من طاعته ، ويجتنبوا[٣] ما يسخطه[٤] من معصيته .

وقوله : ﴿ **إنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ أي : العزيز الذي لا يعجزه شيء ، وهو قادر على كل شيء ، الحكيم في أفعاله وأقواله ، فيضع الأشياء في محالها ؛ لعلمه وحكمته وعدله .

وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾

يقول تبارك وتعالى ردًّا [على الكفار][٥] فيما ابتدعوه وأحدثوه من الشرك بالله ، المخالف لملة إبراهيم الخليل إمام الحنفاء ؛ فإنه جرد توحيد ربه تبارك وتعالى ، فلم يدع معه غيره ، ولا أشرك به طرفة عين ، وتبرأ من كل معبود سواه ، وخالف في ذلك سائر قومه ، حتى تبرأ من أبيه فقال ﴿ **يا قوم إني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين** ﴾ ، [وقال تعالى : ﴿ **وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين** ﴾][٦] وقال تعالى ﴿ **وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو للَّه تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **إن إبراهيم كان أمة قانتًا للَّه حنيفًا ولم يك من المشركين شاكرًا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين** ﴾ ولهذا وأمثاله قال تعالى : ﴿ **ومن يرغب عن ملة إبراهيم** ﴾ أي : عن طريقته ومنهجه ، فيخالفها ويرغب عنها ﴿ **إلا من سفه نفسه** ﴾ أي ظلم نفسه بسفهه وسوء تدبيره بتركه الحق إلى الضلال ، حيث خالف طريق من اصطفي في الدنيا للهداية والرشاد من حداثة سنه ، إلى أن اتخذه اللَّه خليلًا وهو في الآخرة من الصالحين السعداء ، [فمن ترك][٧] طريقه هذا ومسلكه وملته واتبع طرق الضلالة والغي ، فأي سفه أعظم من هذا ؟ أم أي ظلم أكبر من هذا كله[٨] ؟ ، كما قال تعالى : ﴿ **إن الشرك لظلم**

[١] - في خ : « أطاعوه » .
[٢] - في خ : « واستكثروا » .
[٣] - في خ : « وتجنبوا » .
[٤] - في خ : « السخط » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في خ : مكررة .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٧] - ما بين المعكوفتين في خ : « فترك » .
[٨] - سقط من : خ .

عظيم ﴾ .

وقال أبو العالية وقتادة : نزلت هذه الآية في اليهود ؛ أحدثوا طريقًا ليست من عند الله ، وخالفوا ملة إبراهيم فيما أحدثوه ، ويشهد لصحة هذا القول قول الله تعالى : ﴿ **ما كان إبراهيم يهوديًا ولا نصرانيًا ولكن كان حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين** ﴾

وقوله تعالى : ﴿ **إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين** ﴾ أي : أمره الله تعالى بالإخلاص له ، والاستسلام والانقياد ، فأجاب إلى ذلك شرعًا وقدرًا . وقوله : ﴿ **ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب** ﴾ ، أي : وصى بهذه الملة - وهي الإسلام - لله [أو يعود الضمير على الكلمة ، وهي قوله : ﴿ **أسلمت لرب العالمين** ﴾][١] ، لحرصهم[٢] عليها ومحبتهم لها حافظوا عليها ، إلى حين الوفاة ، ووصوا أبناءهم بها من بعدهم .

[كقوله تعالى : ﴿ **وجعلها كلمة باقية في عقبه** ﴾ ، وقد قرأ بعض السلف : ويعقوبَ بالنصب عطفًا على بنيه ، كأن إبراهيم وصى بنيه وابنَ ابنِه يعقوبَ بن إسحاق ، وكان حاضرًا ذلك . وقد ادعى القشيري فيما حكاه القرطبي عنه : أن يعقوب إنما ولد بعد وفاة إبراهيم ، ويحتاج مثل هذا إلى دليل صحيح ، والظاهر - والله أعلم - أن إسحاق ولد له يعقوب في حياة الخليل وسارة ؛ لأن البشارة وقعت بهما في قوله : ﴿ **فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب** ﴾ ، وقد قرئ بنصب يعقوب هاهنا على نزع الخافض ، فلو لم يوجد يعقوب في حياتهما ؛ لما كان لذكره من بين ذرية إسحاق كبير فائدة ، وأيضًا فقد قال الله تعالى في سورة العنكبوت : ﴿ **ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب** ﴾ الآية ، وقال في الآية الأخرى : ﴿ **ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة** ﴾ وهذا يقتضي أنه وجد في حياته ، وأيضا فإنه باني بيت المقدس ، كما نطقت بذلك الكتب المتقدمة ، وثبت في الصحيحين(٨٤٤) من حديث أبي ذر ، قلت : يا رسول الله ! أيُّ مسجد وضع أولُ ؟ قال : « **المسجد الحرام** » قلت : ثم أي . قال : « **بيت المقدس** » . قلت : كم بينهما ؟ قال : « **أربعون سنة** » الحديث .

فزعم ابن حبان أن بين سليمان - الذي اعتقد أنه باني بيت المقدس وإنما كان جدده بعد خرابه وزخرفه - وبين إبراهيم أربعين سنة ، وهذا مما أنكر على ابن حبان ؛ فإن المدة بينهما تزيد على ألوف السنين ، والله أعلم ، وأيضًا فإن وصية يعقوب لبنيه سيأتي ذكرها قريبًا ، وهذا يدل على أنه

(٨٤٤) - رواه البخاري في أحاديث الأنبياء باب (١٠) برقم (٣٣٦٦) ورواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة برقم ١ - (٥٢٠) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٢] - في خ : « لحرفتهم » .

هاهنا من جملة الموصين ، وقوله :][١] ﴿ **يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾ أي : أحسنوا في حال الحياة ، والزموا هذا ليرزقكم الله الوفاة عليه . فإنّ المرء يموت غالبًا على ما كان عليه ، ويبعث على ما مات عليه ، وقد أجرى الله الكريم عادته بأن من قصد الخير وفق له ويسر عليه ، ومن نوى صالحًا ثبت عليه ؛ وهذا لا يعارض ما جاء في الحديث الصحيح[٢] : « **إن[٣] الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة ، حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع أو ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار ، فيدخلها . وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار ، حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع أو ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل الجنة ، [فيدخلها** »(٨٤٥) .

لأنه قد جاء في بعض روايات هذا الحديث : « **فيعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس ، ويعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس** » (٨٤٦)][٤] وقد قال الله تعالى : ﴿ **فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى[٥] وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى** ﴾ .

أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

يقول تعالى محتجًا على المشركين من العرب أبناء إسماعيل ، وعلى الكفار من بني إسرائيل - وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم - عليهم[٦] السلام - بأن يعقوب لما حضرته الوفاة ، وصى

(٨٤٥) - البخاري من حديث ابن مسعود في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب : خلق آدم وذريته برقم (٣٣٣٢) ، وطرفه (٦٥٩٤) . ورواه مسلم في القدر (٢٦٤٣) ، وأبو داود في السنة (٤٠٨٥) ، والترمذي في القدر (٢١١٣) وابن ماجه (٧٦) . وأحمد برقم (٣٩٢٤ إحياء التراث) .

(٨٤٦) - رواه البخاري برقم (٢٨٩٨) من حديث سهل بن سعد ، وطرفه (٤٢٠٢ ، ٤٢٠٧)، ورواه مسلم (١١٢) في الإيمان ، وأحمد (٢٢٣٠٦ إحياء التراث) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في خ : « فإن » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٥] - سقط من : خ .

[٦] - في خ : « عليه » .

بنيه بعبادة اللَّه وحده لا شريك له ، فقال لهم : ﴿ **ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلٰهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق** ﴾ ، وهذا من باب التغليب ؛ لأن إسماعيل عمه .

[قال النحاس : والعرب تسمي العم أبًا ، نقله القرطبي ، وقد استدل بهذه الآية الكريمة من جعل الجد أبًا ، وحجب به الإخوة ، كما هو قول الصديق ، حكاه البخاري عنه من طريق ابن عباس وابن الزبير ، ثم قال البخاري : ولم يختلف عليه ، وإليه ذهبت عائشة أم المؤمنين . وبه يقول الحسن البصري وطاووس ، وعطاء ؛ وهو مذهب أبي حنيفة ، وغير واحد من السلف والخلف . وقال مالك ، والشافعي ، وأحمد في المشهور عنه : إنه يقاسم الإخوة . وحُكي ذلك عن عمر ، وعثمان وعلي ، وابن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وجماعة من السلف والخلف . واختاره صاحبا أبي حنيفة : القاضي أبو يوسف ، ومحمد بن الحسن .ولتقريرها موضع آخر .

وقوله][١] ﴿ **إلهًا واحدًا** ﴾ : أي : نوحده بالألوهية ، ولا نشرك به شيئًا غيره ، ﴿ **ونحن له مسلمون** ﴾ : أي : مطيعون خاضعون ؛ كما قال تعالى : ﴿ **وله أسلم من في السموات والأرض طوعًا وكرهًا وإليه يرجعون**[٢] ﴾ والإسلام : هو ملة الأنبياء قاطبة ، وإن تنوعت شرائعهم ، واختلفت مناهجهم ، كما قال تعالى : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي**[٣] **إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾ . والآيات في هذا كثيرة ، والأحاديث ، فمنها قوله [صلى اللَّه عليه وسلم][٤] : « **نحن معشر الأنبياء أولاد عَلّات ديننا واحد ....**»(٨٤٧) .

وقوله تعالى : ﴿ **تلك أمة قد خلت** ﴾ ، أي : مضت ﴿ **لها ما كسبت ولكم ما كسبتم** ﴾ ، أي : إن السلف الماضين من آبائكم من الأنبياء والصالحين لا ينفعكم انتسابكم إليهم إذا[٥] لم تفعلوا خيرًا يعود نفعه عليكم ؛ فإن لهم أعمالهم التي عملوها ، ولكم أعمالكم ﴿ **ولا تسألون عما كانوا يعملون** ﴾ .

وقال أبو العالية والربيع وقتادة ﴿ **تلك أمة قد خلت** ﴾ : يعني : إبراهيم وإسماعيل ،

---

(٨٤٧) - رواه البخاري في أحاديث الأنبياء ، باب : قول اللَّه تعالى : ﴿ واذكر في الكتاب مريم ... ﴾ برقم (٣٤٤٢، ٣٤٤٣) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه . وأولاد العلات : هم الإخوة من الأب وأمهاتهم شتى .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - في خ : « ترجعون » .

[٣] - في خ : « يوحي » .

[٤] - في خ : « عليه السلام » .

[٥] - في خ : « إذ » .

وإسحاق ، ويعقوب ، والأسباط .

[ولهذا جاء في الأثر : « **من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه** »(٨٤٨) .][١]

وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾

قال محمد بن إسحاق(٨٤٩) : حدثني محمد بن أبي محمد ، حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال عبد اللَّه بن صوريا الأعور لرسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم : ما الهدى إلا ما نحن عليه ، فاتبعنا يا محمد تهتد . وقالت النصارى مثل ذلك ، فأنزل اللَّه -عز وجل- : ﴿ **وقالوا كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **قل بل ملة إبراهيم حنيفًا** ﴾ أي لا نريد ما دعوتمونا[٢] إليه من اليهودية والنصرانية ، بل نتبع : ﴿ **ملة إبراهيم حنيفًا** ﴾ أي مستقيمًا . قاله محمد بن كعب القرظي ، وعيسى بن جارية[٣] .

وقال خصيف ، [عن مجاهد][٤] مخلصًا . وروى علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : حاجًّا(٨٥٠) . وكذا روي عن الحسن والضحاك وعطية والسدي .

وقال أبو العالية : الحنيف الذي يستقبل البيت بصلاته، ويرى أن حجه عليه إن استطاع إليه سبيلًا .

وقال مجاهد ، والربيع بن أنس : حنيفًا ، أي[٥] متبعًا ، وقال أبو قلابة : الحنيف الذي يؤمن بالرسل كلهم من أوّلهم إلى آخرهم .

وقال قتادة : الحنيفية شهادة ألَّا إله إلا اللَّه ؛ يدخل فيها تحريم الأمهات والبنات والخالات والعمات ، وما حرّم اللَّه عز وجل ، والختان .

---

(٨٤٨) - رواه مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعاً برقم (٢٦٩٩) ، وأبو داود (٢١٥٨) ، والترمذي (٢٩٤٥) .

(٨٤٩) - **إسناده ضعيف** ، ورواه ابن جرير ٢٠٩٠ - (٣/١٠١ - ١٠٢) ، وابن أبي حاتم ١٣٠٠ - (١/٣٩٦).

(٨٥٠) - **إسناده منقطع** ، ورواه ابن جرير ٢٠٩٧ - (٣/١٠٦) ، وابن أبي حاتم ١٣٠١ - (١/٣٩٦) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - في خ : « دعوتم » .

[٣] - في خ : « حارثة » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٥] - سقط من : خ .

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ ﴾

أرشد اللّٰه تعالى عباده المؤمنين إلى الإيمان بما أنزل إليهم بواسطة رسوله محمد - صلى اللّٰه عليه وسلم - مفصلًا ، وما أنزل على الأنبياء المتقدمين مجملًا ، ونص على أعيان من الرسل ، وأجمل ذكر بقية الأنبياء ، وألَّا[١] يفرّقوا بين أحد منهم ، بل يؤمنوا بهم كلهم ، ولا يكونوا كمن قال اللّٰه فيهم ﴿ **ويريدون أن يفرّقوا بين اللّٰه ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلًا أولئك هم الكافرون حقًا** ﴾ الآية .

وقال البخاري(٨٥١) : حدّثنا محمد بن بشار ، حدثنا عثمان بن عُمَر ، أخبرنا علي بن المبارك ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ؛ قال : كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وآله وسلم : « **لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم** و[٢] ﴿**قولوا آمنا باللّٰه وما أنزل إلينا**﴾ » الآية .

وقد روى مسلم وأبو داود والنسائي من حديث عثمان بن حكيم ، عن سعيد بن يسار ، عن ابن عباس(٨٥٢) ؛ قال : كان رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم أكثر ما يصلي الركعتين اللتين قبل الفجر بـ﴿**آمنا باللّٰه وما أنزل إلينا**﴾ الآية ، والأخرى بـ ﴿ **آمنا باللّٰه واشهد بأنّا مسلمون** ﴾ .

وقال أبو العالية والربيع وقتادة : الأسباط بنو يعقوب اثنا عشر رجلًا ، ولد كل رجل منهم أمّة من الناس ، فسموا الأسباط .

[وقال الخليل بن أحمد وغيره : الأسباط في بني إسرائيل ، كالقبائل في بني إسماعيل . وقال الزمخشري في الكشاف : الأسباط حفدة يعقوب ، ذراري أبنائه الاثنى عشر . وقد نقله الرازي

(٨٥١) - رواه البخاري في التفسير ، سورة البقرة ، باب : ﴿ **قولوا آمنا باللّٰه وما أنزل إلينا** ﴾ برقم (٤٤٨٥) .

(٨٥٢) - رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين ، برقم ٩٩ - (٧٢٧) وأبو داود في الصلاة ، باب : تخفيفهما - يعني ركعتي الفجر - برقم (١٢٥٩) ، والنسائي في الافتتاح (١٥٥/٢) . ورواه أحمد في المسند برقم ٢٠٢٨ ، ٢٠٨٦ .

[١] - في خ : « وأنهم » .

[٢] - سقط من : ت .

عنه وقرّره ولم يعارضه .

وقال البخاري : الأسباط قبائل في بني إسرائيل ، وهذا يقتضي أن المراد بالأسباط هاهنا شعوب بني إسرائيل ، وما أنزل اللَّه من الوحي على الأنبياء الموجودين منهم . كما قال موسى لهم : ﴿ **اذكروا نعمة اللَّه عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكًا** ﴾ الآية .

وقال تعالى : ﴿ **وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطًا** ﴾ قال القرطبي : وسموا الأسباط : من السبط وهو التتابع ، فهم جماعة ، وقيل : أصله : من السبط بالتحريك وهو الشجر ، أي : في الكثرة بمنزلة الشجرة الواحدة سبطة . وقال الزجاج : ويبين لك هذا ، ما حدّثنا محمد بن جعفر الأنباري ، حدثنا أبو نجيد الدقاق ، حدثنا الأسود بن عامر ، حدثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كل الأنبياء من بني إسرائيل إلا عشرة: نوح وهود وصالح ، وشعيب ، وإبراهيم ، وإسحاق ، ويعقوب ، وإسماعيل ، ومحمد عليهم الصلاة والسلام . قال القرطبي : السبط : الجماعة والقبيلة ، والراجعون إلى أصل واحد][١] .

وقال قتادة : أمر اللَّه المؤمنين أن يؤمنوا به ، ويصدّقوا بكتبه كلها وبرسله .

وقال سليمان بن حبيب : إنما أمرنا أن نؤمن بالتوراة والإنجيل ، ولا نعمل بما فيهما .

وقال ابن أبي حاتم(٨٥٣) :حدثنا محمد بن محمد بن مصعب الصوري ، أخبرنا مؤمّل ، حدثنا عبيد اللَّه بن أبي حميد ، عن أبي المليح ، عن معقل بن يسار ، قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **آمنوا بالتوراة والزبور والإنجيل ، وليسعكم القرآن** » .

فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾

يقول تعالى : ﴿ **فإن آمنوا [بمثل ما آمنتم به]**[٢] ﴾ ، [يعني : الكفار من أهل الكتاب ، وغيرهم بمثل ما آمنتم به ، يا][٣] أيها المؤمنون من الإيمان بجميع كتب اللَّه ورسله ، ولم يفرّقوا بين أحد منهم ﴿ **فقد اهتدوا** ﴾ أي : فقد أصابوا الحق ، وأرشدوا إليه . ﴿ **وإن تولوا** ﴾ أي عن

(٨٥٣) - تفسير ابن أبي حاتم ١٣١٢ - (١/٤٠٠) ، وفي إسناده عبيد اللَّه بن أبي حميد متفق على ضعفه ويروي عن أبي المليح عجائب . انظر : الميزان (٣/٥) والتهذيب (٧/٩) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

الحق إلى الباطل، بعد قيام الحجة عليهم: ﴿ **فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله** ﴾ أي: فسينصرك عليهم، ويظفرك بهم ﴿ **وهو السميع العليم** ﴾.

وقال ابن أبي حاتم(٨٥٤): قرئ على يونس بن عبد الأعلى، حدثنا ابن وهب، حدثنا زياد بن يونس، حدّثنا نافع بن أبي نعيم، قال: أرسل إليَّ بعض الخلفاء مصحف عثمان [بن عفان][١] ليصلحه، قال زياد: فقلت له: إن الناس ليقولون: إن مصحفه كان في حجره حين قتل، فوقع الدم على ﴿ **فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم** ﴾ فقال نافع: بصرت عيني بالدم على هذه الآية وقد قَدُم.

وقوله: ﴿ **صبغة الله** ﴾ قال الضحاك عن ابن عباس: دين الله.

وكذا روي عن مجاهد وأبي العالية، وعكرمة، وإبراهيم، والحسن، وقتادة، والضحاك، وعبد الله بن كثير، وعطية العوفي، والربيع بن أنس، والسدي نحو ذلك.

[وانتصاب صبغة الله: إما على الإغراء؛ كقوله: ﴿ **فطرتَ الله** ﴾ أي الزموا ذلك عليكموه. وقال بعضهم: بدلًا من قوله: ﴿ **ملة إبراهيم** ﴾. وقال سيبويه: هو مصدر مؤكد انتصب عن قوله: ﴿ **آمنا بالله** ﴾، كقوله: ﴿ **وعد الله** ﴾][٢].

وقد ورد في حديث رواه ابن أبي حاتم(٨٥٥)، وابن مردويه من رواية أشعث بن إسحاق، [عن جعفر بن أبي المغيرة][٣] عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: أن نبي الله صلى الله عليه وسلم، قال: « **إن بني إسرائيل قالوا: يا موسى هل يصبغ ربك؟ فقال: اتقوا الله. فناداه ربه: يا موسى، سألوك هل يصبغ ربك؟ فقل: نعم: أنا أصبغ الألوان: الأحمر والأبيض والأسود، والألوان كلها من صبغي. وأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ﴾** ».

كذا وقع في رواية ابن مردويه مرفوعًا، وهو في رواية ابن أبي حاتم موقوف، وهو أشبه إن صح إسناده، والله أعلم.

﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ

(٨٥٤) - تفسير ابن أبي حاتم ١٣٢١ - (١/٤٠٢).

(٨٥٥) - تفسير ابن أبي حاتم١٣٢٣ - (١/٤٠٣) ومن طريقه أبو الشيخ في العظمة برقم ١٣٨ - (٢/٤٥٢).

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: م.

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.

[٣] - زيادة من ابن أبي حاتم، ومن العظمة.

مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

يقول الله[١] تعالى مرشدًا نبيه – صلوات الله وسلامه عليه – إلى درء مجادلة المشركين : ﴿ قل أتحاجوننا في الله ﴾ . أي : أتناظروننا في توحيد الله ، والإخلاص له ، والانقياد ، واتباع أوامره ، وترك زواجره ، ﴿ وهو ربنا وربكم ﴾ المتصرف فينا وفيكم ، المستحق لإخلاص الإلهية له وحده لا شريك له ، ﴿ ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ﴾ . أي : نحن برآء منكم [ومما تعبدون][٢] ، وأنتم برآء منا ، كما قال في الآية الأخرى : ﴿ وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون ﴾ . وقال تعالى : ﴿فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن ﴾ إلى آخر الآية . وقال تعالى إخبارًا عن إبراهيم : ﴿ وحاجه قومه قال : أتحاجوني في الله ﴾ . إلى آخر الآية . وقال تعالى : ﴿ألم تر إلى الذي حاجَّ إبراهيم في ربّه ﴾ . الآية .

وقال في هذه الآية الكريمة : ﴿ [ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم][٣] ونحن له مخلصون ﴾ أي نحن براء منكم ، كما أنتم براء منا ، ونحن له مخلصون ؛ أي : في العبادة والتوجه . ثم أنكر تعالى عليهم في دعواهم أن إبراهيم ومن ذكر بعده من الأنبياء والأسباط كانوا على ملتهم : إما اليهودية ، وإما[٤] النصرانية ، فقال : ﴿ قل أأنتم أعلم أم الله ﴾ يعني : بل الله أعلم ، وقد أخبر أنهم لم يكونوا هودًا ولا نصارى ، كما قال تعالى : ﴿ ما كان إبراهيم يهوديًا ولا نصرانيًا ولكن كان حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين ﴾ . الآية والتي بعدها .

وقوله : ﴿ ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ﴾ .

قال الحسن البصري : كانوا يقرءون في كتاب الله الذي أتاهم ؛ إن الدين الإسلام ، وإن محمدًا رسول الله ، وإن إبراهيم وإسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب ، والأسباط كانوا برآء من اليهودية والنصرانية ، فشهد الله بذلك ، وأقروا به على أنفسهم لله ، فكتموا شهادة الله عندهم في[٥] ذلك .

---

[١] – سقط من : خ .
[٢] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] – في خ : « أو » .
[٥] – في ت : « من » .

وقوله : ﴿ **وما الله بغافل عما تعملون** ﴾ تهديد ، ووعيد شديد ، أي إن[١] علمه محيط بعملكم ، وسيجزيكم عليه . ثم قال تعالى : ﴿ **تلك أمة قد خلت** ﴾ . أي : قد مضت ، ﴿ **لها ما كسبت ولكم ما كسبتم** ﴾ . أي : لهم أعمالهم ، ولكم أعمالكم ، ﴿ **ولا تُسألون عما كانوا يعملون** ﴾ وليس يغني عنكم انتسابكم إليهم ، من غير متابعة منكم لهم ، ولا تغترّوا بمجرّد النسبة إليهم ، حتى تكونوا [منقادين مثلهم][٢] لأوامر الله ، واتباع رسله الذين[٣] بعثوا مبشرين ومنذرين ، فإنه من كفر بنبي واحد فقد كفر بسائر الرسل ، ولا سيما من كفر بسيد الأنبياء ، وخاتم المرسلين ، ورسول رب العالمين إلى جميع الإنس والجن من سائر المكلفين ، صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى سائر أنبياء الله أجمعين

۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾

[قيل : المراد بالسفهاء هاهنا مشركو العرب ، قاله الزجاج . وقيل : أحبار يهود ، قاله مجاهد . وقيل : المنافقون ، قاله السدي . والآية عامة في هؤلاء كلهم ، والله أعلم][٤] .

قال البخاري(٨٥٦) : حدثنا أبو نعيم ، سمع زهيرًا ، عن أبي إسحاق ، عن البراء - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا ، أو سبعة عشر شهرًا ، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل[٥] البيت ، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر ، وصلى معه قوم ، فخرج رجل ممن كان صلى معه ، فمرّ[٦] على أهل المسجد ، وهم راكعون ،

(٨٥٦) - رواه البخاري في كتاب التفسير ، باب : سورة البقرة ، باب : قوله تعالى ﴿ **سيقول السفهاء ...** ﴾ برقم (٤٤٨٦) .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في خ : « مثلهم منقادين » .
[٣] - في خ : « الذي » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - في خ : « قبلة » .
[٦] - في خ : « يمر » .

فقال : أشهد بالله ؛ لقد صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم قبل مكة ، فداروا كما هم قبل البيت ؛ وكان الذي قد[١] مات على القبلة قبل أن تحول قبل البيت رجالًا قتلوا ، لم ندر ما نقول فيهم ، فأنزل الله -عز وجل- : ﴿ **وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم** ﴾ .

انفرد به البخاري من هذ الوجه . ورواه مسلم من وجه آخر(٨٥٧) .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي نحو بيت[٢] المقدس ، ويكثر النظر إلى السماء ، ينتظر أمر الله ، فأنزل الله : ﴿ **قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام** ﴾ . فقال رجال[٣] من المسلمين : وددنا لو علمنا عِلْم من مات منا قبل أن نصرف[٤] إلى القبلة ، وكيف بصلاتنا نحو بيت المقدس ، فأنزل الله : ﴿ **وما كان الله ليضيع إيمانكم** ﴾ ، وقال السفهاء من الناس - وهم أهل الكتاب - : ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ؟ فأنزل الله : ﴿ **سيقول السفهاء من الناس ...** ﴾ . إلى آخر الآية .

وقال ابن أبي حاتم(٨٥٨) : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا الحسن بن عطية ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صلى نحو بيت المقدس ستَّة عشر أو سبعة عشر شهرًا ، وكان يحب أن يوجه نحو الكعبة ، فأنزل الله : ﴿ **قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام** ﴾ . قال : فوجه نحو الكعبة . وقال السفهاء من الناس - [وهم][٥] اليهود - : ﴿ **ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها** ﴾ فأنزل الله : ﴿ **قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم** ﴾ .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس(٨٥٩) : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة ؛ أمره الله تعالى أن يستقبل بيت المقدس ، ففرحت اليهود ، فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر شهرًا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب قبلة إبراهيم ، فكان يدعو

---

(٨٥٧) - صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة برقم ١١ -(٥٢٥) .
(٨٥٨) - ابن أبي حاتم ١٣٢٨ - (٢٤٨/١) .
(٨٥٩) - رواه ابن أبي حاتم بإسناده إلى علي بن أبي طلحة ١٣٢٩ - (٢٤٨/١) .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في خ : « البيت » .
[٣] - في ز ، خ : « رجل » .
[٤] - في خ : « تصرف » .
[٥] - في خ : « هم » .

اللّه ، وينظر إلى السماء ، فأنزل اللّه -عز وجل- : ﴿ **فولوا وجوهكم شطره** ﴾ . أي نحوه فارتاب من ذلك اليهود ، وقالوا : ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ؟ فأنزل اللّه : ﴿ **قل : للّه المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم** ﴾ .

وقد جاء في هذا الباب أحاديث كثيرة ، وحاصل الأمر : أنه قد كان رسول اللّه - صلى اللّه عليه وسلم - أُمِرَ باستقبال الصخرة من بيت المقدس ، فكان بمكة يصلي بين الركنين ، فتكون[١] بين يديه الكعبة ، وهو مستقبل صخرة بيت المقدس ، فلما هاجر إلى المدينة تعذر الجمع بينهما ، فأمره اللّه بالتوجه إلى بيت المقدس ، [قاله ابن عباس ، والجمهور .

ثم اختلف هؤلاء هل كان الأمر به بالقرآن أو بغيره ؟ على قولين : وحكى القرطبي في تفسيره عن عكرمة وأبي العالية والحسن البصري : أنّ التوجه إلى بيت المقدس ، كان باجتهاده عليه السلام .

والمقصود : أنّ التوجه إلى بيت المقدس بعد مقدمه صلى اللّه عليه وسلم المدينة][٢] ، واستمرّ[٣] الأمر على ذلك بضعة عشر شهرًا ، وكان يكثر الدعاء والابتهال أن يوجه إلى الكعبة ، التي هي قبلة إبراهيم -عليه السلام- فأجيب إلى ذلك ، وأمر بالتوجه إلى البيت العتيق ، فخطب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم الناسَ فأعلمهم[٤] بذلك ، وكان أوّل صلاة صلاها إليها صلاة العصر ، كما تقدم في الصحيحين ، من رواية البراء .

ووقع عند النسائي(٨٦٠) من رواية أبي سعيد بن المعلى أنها الظهر . وقال : [كنت أنا وصاحبي أوّل من صلى إلى الكعبة .

وذكر غير واحد من المفسرين ، وغيرهم ، أن تحويل القبلة نزل على رسول اللّه ، وقد صلى ركعتين من الظهر ، وذلك في مسجد بني سلمة فسمي مسجد القبلتين ، وفي حديث نويلة بنت مسلم ، أنهم جاءهم الخبر بذلك في صلاة الظهر ، قالت : فتحوّل الرجالُ مكان النساءِ ، والنساءُ مكانَ الرجالِ . ذكره الشيخ أبو عمر بن عبد البر النمري][٥] .

وأما أهل قباء فلم يبلغهم الخبر إلى صلاة الفجر من اليوم الثاني ، كما جاء في الصحيحين ،

(٨٦٠) - سنن النسائي الكبرى برقم (١١٠٠٤) .
(٨٦١) - رواه البخاري في الصلاة ، باب : ما جاء في القبلة برقم (٤٠٣) ، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة برقم ١٣ - (٥٢٦) .

[١] - في ز ، خ : « فيكون » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « فاستمر » .
[٤] - في خ : « وأعلمهم » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

عن ابن عمر(٨٦١) - رضي الله عنهما - أنه قال : بينما الناس بقباء في صلاة الصبح ، إذ جاءهم آت ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم [قد أنزل عليه الليلة قرآن][١] ، وقد أمر أن يستقبل الكعبة ، فاستقبلوها . وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة .

وفي هذا دليل على أنّ الناسخ لا يلزم حكمه إلا بعد العلم به ، وإن تقدم نزوله وإبلاغه ؛ لأنهم لم يؤمروا بإعادة العصر والمغرب والعشاء ، والله أعلم .

ولما وقع هذا حصل لبعض الناس من أهل النفاق والريب ، والكفرة من اليهود ارتياب وزيغٌ عن الهدىٰ ، وتخبيطٌ وشكٌ ، وقالوا : ﴿ **ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها** ﴾ أي : قالوا[٢] : ما لهؤلاء تارة يستقبلون كذا ، وتارة يستقبلون كذا ؟! فأنزل الله جوابهم في قوله : ﴿ **قل لله المشرق والمغرب** ﴾ . أي : الحكم والتصرف والأمر كلُّه لله : ﴿ **فأينما[٣] تولوا فثم وجه الله** ﴾ و ﴿ **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله** ﴾ . أي : الشأن كله في امتثال أوامر الله ، فحيثما وجهنا توجهنا ، فالطاعة في امتثال أمره ، ولو وجهنا في كل يوم مراتٍ إلى جهات متعدّدة ، فنحن عبيده ، وفي تصرفه[٤] ، وخدّامه ، فحيثما وجهنا توجهنا ، وهو تعالى له بعبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه وأمّته عنايةٌ عظيمة ، إذ هداهم إلى قبلة إبراهيم خليل الرحمن ، وجعل توجههم إلى الكعبة المبنية[٥] على اسمه تعالى ، وحده لا شريك له أشرف بيوت الله في[٦] الأرض ؛ إذ هي بناء[٧] إبراهيم الخليل عليه السلام ؛ ولهذا قال : ﴿ **قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم** ﴾ .

وقد روى الإمام أحمد(٨٦٢) عن علي بن عاصم ، عن حصين[٨] بن عبد الرحمن ، عن عُمَر[٩] بن قيس ، عن محمد بن الأشعث ، عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعني : في أهل الكتاب : « **إنهم لا يحسدوننا[١٠] على شيء ، كما يحسدوننا[١١] على يوم الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها ، وعلى القبلة التي هدانا**

(٨٦٢) - المسند حديث (٢٥١٤١) - (١٣٤/٦) . وعلي بن عاصم : صدوق يخطئ ويُصر . وعمر بن قيس : صدوق ربما وهم . ومحمد بن الأشعث : مقبول ، ووهم من ذكره في الصحابة .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « وحيثما » .
[٤] - في ز ، خ : « تصريفه » .
[٥] - في ز ، خ : « المكية » .
[٦] - في ز ، خ : « و » .
[٧] - في ز ، خ : « بناية » .
[٨] - في ز ، خ : « فضيل » .
[٩] - في ز ، خ : « عمرو » .
[١٠] - في ز ، خ : « يحسدونا » .
[١١] - في ز ، خ : « يحسدونا » .

اللَّه لها ، وضلوا عنها ، وعلى قولنا خلف الإمام : آمين » .

وقوله تعالى : ﴿ **وكذلك جعلناكم أمّة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدًا** ﴾ يقول تعالى : إنما حوّلناكم إلى قبلة إبراهيم - عليه السلام - واخترناها لكم ؛ لنجعلكم خيار الأمم ، لتكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم ؛ لأنّ الجميع معترفون لكم بالفضل ، والوسط هاهنا الخيار والأجود ، كما يقال [قريش][١] : أوسط العرب نسبًا ودارًا ، أي : خيرها .

وكان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم وسطًا في قومه ، أي أشرفهم نسبًا ، ومنه الصلاة الوسطى التي هي أفضل الصلوات ، وهي العصر ، كما ثبت في الصحاح وغيرها ، ولما جعل اللَّه هذه الأمّة وسطًا ، خصها بأكمل الشرائع ، وأقوم المناهج ، وأوضح[٢] المذاهب ، كما قال تعالى : ﴿ **هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدًا عليكم وتكونوا شهداء على الناس** ﴾ .

وقال الإمام أحمد(٨٦٣) : حدّثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **يدعى نوح يوم القيامة ، فيقال له : هل بلغت ؟ فيقول : نعم ، فيدعى قومه ، فيقال لهم : هل بلغكم ؟ فيقولون : ما أتانا من نذير ، وما أتانا من أحد ، فيقال لنوح : من يشهد لك ؟ فيقول : محمد وأمّته . قال : فذلك قوله : ﴿ وكذلك جعلناكم أمّة وسطًا ﴾** . قال : « [**الوسط**][٣] **العدل ، فتدعون فتشهدون له بالبلاغ ، ثم أشهد عليكم** ».

رواه البخاري(٨٦٤) ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه من طرق عن الأعمش .

وقال الإمام أحمد أيضًا(٨٦٥) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي

---

(٨٦٣) - **صحيح** ، وهو في المسند ١١٢٩٩ - (٣٢/٣) .

(٨٦٤) - أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ، باب : قول الله عز وجل ﴿ **ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه** ﴾ (٣٣٣٩) ، وكتاب التفسير باب : ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطا ...** ﴾ (٤٤٨٧) ، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب : ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطًا** ﴾ (٧٣٤٩) . والترمذي في كتاب تفسير القرآن برقم (٢٩٦١) . والنسائي في الكبرى في كتاب التفسير برقم (١١٠٠٧) (٢٩٢/٦) . وابن ماجه في كتاب الزهد باب : صفة أمة محمد صلى الله عليه وسلم برقم (٤٢٨٢)

(٨٦٥) - **صحيح** ، وهو في المسند ١١٥٧٤ - (٥٨/٣) .

---

[١] - في خ : في .

[٢] - في خ : « وأصح » .

[٣] - في ز ، خ : « والوسط » .

سعيد الخدري قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجلان وأكثر من ذلك ، فيدعى قومه فيقال لهم : هل بلغكم هذا ؟ فيقولون : لا . فيقال له : هل بلغت قومك ؟ فيقول : نعم . فيقال : من يشهد لك ؟ فيقول : محمد وأمّته ؛ فيدعىٰ بمحمد وأمّته ؛ فيقال لهم : هل بلغ هذا قومه ؟ فيقولون : نعم . فيقال : وما علمكم ؟ فيقولون : جاءنا نبينا صلى اللَّه عليه وسلم ، فأخبرنا أنّ الرسل قد بلغوا ، فذلك قوله عز وجل : ﴿وكذلك جعلناكم أمّة وسطًا﴾ قال : عدلًا : ﴿ لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدًا﴾**» .

وقال الإمام[١] أحمد أيضًا(٨٦٦) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم في قوله تعالى : **﴿ وكذلك جعلناكم أمّة وسطا﴾** ، قال : «**عدلًا**» .

وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه(٨٦٧) ، وابن أبي حاتم ، من حديث عبد الواحد بن زياد ، عن أبي مالك الأشجعي ، عن المغيرة بن عتيبة عن[٢] نهاس[٣] ، حدثني مكاتب[٤] لنا ، عن جابر بن عبد اللَّه ، عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم قال : « **أنا وأمّتي يوم القيامة على كوم مشرفين على الخلائق ، ما من الناس أحد إلا ودّ أنه منا ، وما من نبي كذبه قومه إلا ونحن نشهد : أنه قد بلغ رسالة ربه عز وجل** » .

وروى الحاكم في مستدركه(٨٦٨) ، وابن مردويه أيضًا - واللفظ له - من حديث مصعب بن ثابت ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن جابر بن عبد اللَّه ، قال : شهد رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم جنازة في بني سلمة ، وكنت إلى جانب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ، فقال بعضهم : واللَّه[٥] يا رسول اللَّه ؛ [لنعم المرء كان ، لقد كان عفيفًا مسلمًا ، وكان ... وأثنوا

---

(٨٦٦) - **صحيح** ، وهو في المسند ١١٠٨٢ - (٩/٣) .

(٨٦٧) - **إسناده ضعيف لجهالة الراوي عن جابر** ، والحديث رواه ابن جرير في تفسيره (١٤٧/٣) من طريق ابن فضيل عن أبي مالك الأشجعي ، به .

(٨٦٨) - المستدرك (٢٦٨/٢) وتعقبه الذهبي بقوله : « فيه مصعب بن ثابت ليس بالقوي » . ومصعب بن ثابت : قال أحمد : أراه ضعيف الحديث لم أر الناس يحمدون حديثه . وقال ابن معين : ضعيف . وقال مرة : ليس بشيء . وقال أبو حاتم : صدوق كثير الحديث ليس بالقوي . وذكره ابن حبان في الثقات . وقال ابن سعد : كان كثير الحديث يستضعف . وقال الدارقطني : ليس بالقوي . (تهذيب التهذيب ١٠/ ١٥٨ ، ١٥٩) .

---

[١] - سقط من : خ ، ز.

[٢] - في ز : عن .

[٣] - في خ : « نباس » .

[٤] - في ز ، خ : « مكتب » .

[٥] - سقط من : خ .

عليه خيرًا ، فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **أنت بما[١] تقول ؟** » فقال الرجل : اللَّه أعلم بالسرائر ، فأمّا الذي بدا لنا منه فذاك ، فقال النبي صلى اللَّه عليه وسلم : « **وجبت** » ، ثم شهد جنازة في بني حارثة ، وكنت إلى جانب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ، فقال بعضهم : يا رسول اللَّه][٢] ؛ بئس[٣] المرءُ كان ، إن كان لفظًا غليظًا ، فأثنوا عليه شرًّا . فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم لبعضهم : « **أنت بالذي[٤] تقول** » ؟ فقال الرجل : اللَّه أعلم بالسرائر ، فأمّا الذي بدا لنا منه فذاك . فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **وجبت** » . قال مصعب بن ثابت : فقال لنا عند ذلك محمد بن كعب : صدق رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ثم قرأ : ﴿ **وكذلك جعلناكم أمّة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدًا** ﴾ .

ثم قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

وقال الإمام أحمد(٨٦٩) : حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا داود بن أبي الفرات ، عن عبد اللَّه بن بريدة ، عن أبي الأسود ، أنه قال : أتيت المدينة فوافقتها وقد وقع بها مرض ، فهم يموتون موتًا ذريعًا ، فجلست إلى عمر بن الخطاب ، فمرّت به جنازة ، فأُثني على صاحبها خيرٌ ، فقال : وجبت ، وجبت . ثم مر بأخرى فأُثني عليها شرٌّ ، فقال عمر : وجبت ، فقال أبو الأسود : ما وجبت يا أمير المؤمنين ؟ قال : قلت كما قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم : « **أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله اللَّه الجنة** » قال : فقلنا : وثلاثة ؟ قال : فقال[٥] : « **وثلاثة** » ، قال : فقلنا : واثنان ؟ قال : « **واثنان** » . ثم لم نسأله عن الواحد .

وكذا رواه البخاري ، والترمذي ، والنسائي من حديث داود بن أبي الفرات به .

وقال[٦] ابن مردويه : حدثنا أحمد بن عثمان بن يحيى ، حدثنا أبو قلابة الرقاشي ، حدثني أبو الوليد ، حدثنا نافع بن عمر ، حدثني أمية بن صفوان ، عن أبي بكر بن أبي زهير الثقفي ، عن أبيه[٧] ، قال : سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم بالنَّباوة يقول : « **يوشك أن تعلموا خياركم من شراركم** » قالوا : بم يا رسول اللَّه ؟ قال : « **بالثناء الحسن والثناء السيئ أنتم شهداء اللَّه في الأرض** » ورواه ابن ماجه(٨٧٠) ، عن [أبي بكر بن أبي شيبة ، عن يزيد بن

---

(٨٦٩) - المسند (٢٢/١) ، والبخاري في الجنائز ، باب : ثناء الناس على الميت برقم (١٣٦٨) والترمذي في الجنائز ، باب : ما جاء في الثناء الحسن على الميت برقم (١٠٥٩) والنسائي (٥٠/٤) .

(٨٧٠) - رواه ابن ماجة برقم (٤٢٢١) وقال البوصيري في الزوائد (٣٠١/٣) : « إسناد صحيح ، رجاله ثقات » .

---

[١] - في المستدرك : الذي .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - في خ : « لبئس » .

[٤] - في المستدرك : الذي .

[٥] - زيادة من : خ .

[٦] - في خ : « قال » .

[٧] - في ز ، خ : « لبيد » .

هارون .

ورواه الإمام أحمد(٨٧١) ، عن يزيد بن هارون وعبد الملك بن عمرو وسريج ، عن نافع بن عمر ، به][١] .

وقوله تعالى : ﴿ **وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله** ﴾ يقول تعالى : إنما شرعنا[٢] لك يا محمد التوجه أولًا إلى بيت المقدس ، ثم صرفناك عنها إلى الكعبة ، ليظهر حال من يتبعك ويطيعك ويستقبل معك حيثما توجهت ، ممن ينقلب على عقبيه ، أي مرتدًّا عن دينه ﴿ **وإن كانت لكبيرة** ﴾ أي : هذه الفعلة - وهو صرف التوجه عن بيت المقدس إلى الكعبة - أي : وإن كان هذا لأمرًا عظيمًا في النفوس ، إلا على الذين هدى الله قلوبهم ، وأيقنوا بتصديق الرسول ، وأنّ كل ما جاء به فهو الحق الذي لا مرية فيه ، وأنّ الله يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، فله أن يكلف عباده بما شاء ، وينسخ ما يشاء ، وله الحكمة التامّة والحجة البالغة في جميع ذلك ، بخلاف الذين في قلوبهم مرض ؛ فإنه[٣] كلما حدث أمر أحدث لهم شكًا ، كما يحصل للذين آمنوا إيقان وتصديق ، كما قال الله تعالى : ﴿ **وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانًا فأمّا الذين آمنوا فزادتهم إيمانًا وهم يستبشرون وأمّا الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسًا إلى رجسهم** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارًا** ﴾ . ولهذا كان من ثبت على تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه في ذلك ، وتوجه حيث أمره الله من غير شك ولا ريب من سادات الصحابة . وقد ذهب بعضهم إلى أنّ السابقين[٤] الأوّلين من المهاجرين والأنصار هم الذين صلوا القبلتين .

وقال البخاري(٨٧٢) في تفسير هذه الآية :

حدثنا مسدّد ، حدثنا يحيى ، عن سفيان ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر قال : بينا الناس يصلون الصبح في مسجد قباء ؛ إذ جاء رجل فقال : قد أنزل على النبي صلى الله عليه

---

(٨٧١) - لم نجد في المطبوع من المسند طريق يزيد بن هارون ، وذكرها الحافظ ابن حجر في أطراف المسند (٢٣١/٦) . وطريق عبد الملك في المسند (٤١٦/٣) ، وأما طريق سريج ففي المسند (٤٦٦/٦) .

(٨٧٢) - صحيح البخاري برقم (٤٤٨٨) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في خ : « شرعت » .

[٣] - في ز ، خ : « فإن » .

[٤] - في ز ، خ : « للسابقين » .

وسلم قرآن ، وقد أمر أن يستقبل الكعبة ؛ فاستقبلوها . فتوجهوا إلى الكعبة .

وقد رواه مسلم(٨٧٣) من وجه آخر ، عن ابن عمر . ورواه الترمذي(٨٧٤) من[١] حديث سفيان الثوري ، وعنده أنهم كانوا ركوعًا ، فاستداروا كما هم إلى الكعبة ، وهم ركوع . وكذا رواه[٢] مسلم(٨٧٥) من حديث حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس ، مثله . وهذا يدل على كمال طاعتهم لله ولرسوله ، وانقيادهم لأوامر الله عز وجل ، رضي الله عنهم أجمعين .

وقوله : ﴿ **وما كان الله ليضيع إيمانكم** ﴾ أي : صلاتكم إلى بيت المقدس قبل ذلك ، لا[٣] [ ][٤] يضيع ثوابها عند الله . وفي الصحيح(٨٧٦) ، من حديث أبي إسحاق السبيعي ، عن البراء قال : مات قوم كانوا يصلون نحو بيت المقدس ، فقال الناس : ما حالهم في ذلك ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ **وما كان الله ليضيع إيمانكم** ﴾ .

[ورواه الترمذي(٨٧٧) ، عن ابن عباس ، وصححه][٥]

وقال ابن إسحاق : حدثني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ **وما كان الله ليضيع إيمانكم** ﴾ أي : بالقبلة الأولى ، وتصديقكم نبيكم ، واتباعه إلى القبلة الأخرى ، أي : ليعطيكم أجرهما جميعًا ﴿ **إن الله بالناس لرءوف رحيم** ﴾ .

وقال الحسن البصري : ﴿ **وما كان الله ليضيع إيمانكم** ﴾ أي : ما كان الله ليضيع محمدًا صلى الله عليه وسلم ، وانصرافكم معه حيث انصرف ، ﴿ **إن الله بالناس لرءوف رحيم** ﴾ .

وفي الصحيح(٨٧٨) أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى امرأة من السبي قد فرق بينها وبين

(٨٧٣) - صحيح مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة برقم ١٣ - (٥٢٦) .
(٨٧٤) - سنن الترمذي كتاب الصلاة ، باب : ما جاء في ابتداء القبلة برقم (٣٤١) .
(٨٧٥) - صحيح مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة برقم ١٥ - (٥٢٧) .
(٨٧٦) - سبق تخريج الحديث قريبًا .
(٨٧٧) - رواه الترمذي في تفسير القرآن ، باب : سورة البقرة برقم (٢٩٦٤) .
(٨٧٨) - رواه البخاري من حديث عمر بن الخطاب في كتاب الأدب ، باب : رحمة الولد وتقبيله ومعانقته برقم (٥٩٩٩) . ومسلم في التوبة برقم ٢٢ - (٢٧٥٤) .

[١] - في خ : « عن » .
[٢] - في ز ، خ : « روى » .
[٣] - في ت : « ما » .
[٤] - في ز ، خ : كان .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

ولدها ، فجعلت كلما وجدت صبيًّا من السبي ؛ أخذته ، فألصقته بصدرها ، وهي تدور على ولدها ، فلما وجدته ضمته إليها وألقمته ثديها . فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **أترون هذه طارحة ولدها في النار ، وهي تقدر على ألَّا تطرحه ؟**» قالوا : لا يا رسول اللَّه . قال : «**فواللَّه ؛ للَّه أرحم بعباده من هذه بولدها** » .

قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس(٨٧٩) : كان أول ما نُسخ من القرآن القبلة ، وذلك أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة ، وكان أكثرَ أهلها اليهودُ ، فأمره اللَّه أن يستقبل بيت المقدس ؛ ففرحت اليهود ، فاستقبلها رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم بضعة عشر شهرًا ، وكان يحب قبلة إبراهيم ؛ فكان يدعو إلى اللَّه وينظر إلى السماء ، فأنزل اللَّه : ﴿ **قد نرى تقلب وجهك في السماء** ﴾ إلى قوله : ﴿ **فولوا وجوهكم شطره** ﴾ . فارتابت[١] من ذلك اليهود ، وقالوا : ﴿ **ما ولَّاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل للَّه المشرق والمغرب**﴾ ، وقال : ﴿ **فأينما تولوا فثمَّ وجه اللَّه** ﴾ ، وقال اللَّه تعالى : ﴿ **وما جعلنا القبلةَ التي كنت عليها إلا لنعلمَ من يتبعُ الرسولَ ممن ينقلبُ على عقبيه** ﴾ .

وروى ابن مردويه من حديث القاسم العمري ، عن عمه عبيد اللَّه بن عمر ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ قال : كان النبي صلى اللَّه عليه وسلم إذا سلم من صلاته إلى بيت المقدس رفع رأسه إلى السماء . فأنزل اللَّه : ﴿ **فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام** ﴾ إلى الكعبة إلى الميزاب[٢] يؤم به جبرائيل عليه السلام .

وروى الحاكم(٨٨٠) في « مستدركه » من حديث شعبة ، عن يعلى بن[٣] عطاء ، عن[٤] يحيى

(٨٧٩) – رواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن أبي صالح كاتب الليث – صدوق كثير الغلط ، ثبت في كتابه ، وكانت فيه غفلة – عن معاوية بن صالح – صدوق له أوهام – عن علي بن أبي طلحة – منقطع – عن ابن عباس به برقم ١٣٥٥ – (٢٥٣/١) .

(٨٨٠) – المستدرك (٢٦٩/٢) . ويعلى بن عطاء : ثقة ، من رجال مسلم . ويحيى بن قمطة : أورده ابن أبي حاتم (١٨١/٩) ، والبخاري (٢٦٩/٨) ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً . وذكره ابن حبان في الثقات (٥٢٩/٥) .

[١] – في ز ، خ : « فارتاب » .
[٢] – في خ : « الميزان » .
[٣] – في خ : « عن » .
[٤] – في ز ، خ : « بن » .

ابن قمطة[١] ، قال : رأيت عبد اللّه بن عمرو جالسًا في المسجد الحرام ، بإزاء الميزاب ، فتلا هذه الآية : ﴿ **فلنولينك قبلة ترضاها** ﴾ قال : نحو ميزاب الكعبة .

ثم قال : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

ورواه ابن أبي حاتم(٨٨١) ، عن الحسن بن عرفة ، عن هشيم[٢] ، عن يعلى بن عطاء ، به .

وهكذا قال غيره ، وهو أحد قولي الشافعي رضي اللّه عنه : إن الغرض إصابة عين الكعبة[٣] .

والقول الآخر - وعليه الأكثرون - أن المراد المواجهة[٤] كما رواه الحاكم(٨٨٢) ، من حديث [أبي إسحاق][٥]، عن عمير بن زياد الكندي ، عن علي [بن أبي طالب][٦] رضي اللّه عنه ؛ ﴿**فول وجهك شطر المسجد الحرام** ﴾ قال : شطره : قِبَلَهُ . ثم قال : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

وهذا قول أبي العالية ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، والربيع بن أنس ، وغيرهم . وكما تقدم في الحديث الآخر : « **ما بين المشرق والمغرب قبلة** » .

[وقال القرطبي : روى ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس - رضي اللّه عنهما - أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال : « **البيت قبلة لأهل المسجد ، والمسجد قبلة لأهل الحرم ، والحرم قبلة لأهل الأرض في مشارقها ومغاربها من أمتي** »(٨٨٣)][٧] .

و[٨]قال أبو نعيم الفضل بن دكين : حدّثنا زهير ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، أن النبي صلى اللّه عليه وسلم صلى قِبَل بيت المقدس ستة عشر شهرًا، أو سبعة عشر شهرًا ، وكان يعجبه قبلته قِبَل البيت ، وأنه صلى صلاة العصر ، وصلى معه قوم ، فخرج رجل ممن كان يصلي معه ، فمرّ

(٨٨١) - ابن أبي حاتم ١٣٥٧ - (٢٥٣/١) .

(٨٨٢) - المستدرك (٢٦٩/٢) . وأبو إسحاق : مدلس ، وقد عنعن . وعميرة بن زياد الكندي : ذكره ابن حبان في الثقات (٢٨٠/٥) والبخاري في التاريخ (٦٩/٧) وابن سعد في الطبقات (٢٠٣/٦) وابن أبي حاتم (٢٤/٧) . ووثقه العجلي (١٩٣/٢) .

(٨٨٣) - رواه البيهقي في السنن الكبرى (٩/٢ - ١٠) من طريق عمر بن حفص ، عن ابن جريج به ، وقال البيهقي : « تفرد به عمر بن حفص المكي وهو ضعيف لا يحتج به ، وروى بإسناد آخر ضعيف ، عن عبد الله بن حبشي كذلك مرفوعًا ، ولا يحتج بمثله ، والله أعلم » .

---

[١] - في حاشية (ز) : قطمة . وعليها علامة (خ)
[٢] - في ت : « هشام » .
[٣] - في ز ، خ : « القبلة » .
[٤] - في ز : « الوجهة » .
[٥] - في ت : محمد بن إسحاق .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٨] - زيادة من : خ .

على أهل المسجد ، وهم راكعون ، فقال : أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مكة فداروا كما هم قِبَلَ البيت(٨٨٤) .

وقال عبد الرزاق(٨٨٥) : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال[١] : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرًا ، أو سبعة عشر شهرًا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يحول نحو الكعبة ، فنزلت : ﴿ **قد نرى تقلب وجهك في السماء** ﴾ فصرف إلى الكعبة .

وروى النسائي (٨٨٦) ، عن أبي سعيد بن المعلى قال : كنا نغدو إلى المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنمر على المسجد فنصلي فيه ، فمررنا يومًا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد على المنبر ، فقلت : لقد حدث أمر ، فجلست ، فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : ﴿ **قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها** ﴾ حتى فرغ من الآية ، فقلت لصاحبي : تعال نركع ركعتين قبل أن ينزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فنكون أول من صلى ، فتوارينا فصليناهما ، ثم نزل النبي صلى الله عليه وسلم فصلى للناس الظهر يومئذٍ .

وكذا روى ابن مردويه عن ابن عمر : أن أول صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة صلاة الظهر ، وأنها الصلاة الوسطى ، والمشهور أن[٢] أول صلاة صلاها إلى الكعبة صلاة العصر ؛ ولهذا تأخر الخبر عن أهل قباء إلى صلاة الفجر .

وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدّثنا الحسين بن إسحاق التستري ، حدّثنا رجاء بن[٣] محمد السقطي ، حدّثنا إسحاق بن إدريس ، حدّثنا إبراهيم بن جعفر ، حدّثني أبي ، عن جدته أم أبيه نويلة بنت مسلم قالت : صلينا الظهر ، أو العصر في مسجد بني حارثة ، فاستقبلنا مسجد إيلياء ، فصلينا ركعتين ، ثم جاء من يحدّثنا : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استقبل البيت الحرام ، فتحوّل النساء مكان الرجال ، والرجال مكان النساء ، فصلينا السجدتين الباقيتين ؛ ونحن مستقبلون البيت الحرام ؛ فحدثني رجل من بني حارثة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **أولئك رجال يؤمنون بالغيب**»(٨٨٧) .

(٨٨٤) - رواه البخاري في كتاب التفسير من صحيحه ، باب : ﴿ **سيقول السفهاء ....** ﴾ برقم (٤٤٨٦) عن أبي نعيم به وفيه زيادة .

(٨٨٥) - رواه ابن أبي حاتم ، عن الحسن بن أبي الربيع ، عن عبد الرزاق به برقم ١٣٥٤ - (٢٥٢/١ - ٢٥٣) .

(٨٨٦) - سنن النسائي الكبرى (١١٠٠٤) .

(٨٨٧) - **إسناده ضعيف** ، والحديث رواه الطبراني في المعجم الكبير (٤٣/٢٥) وقال الهيثمي في المجمع =

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في خ : « أنها » .
[٣] - في ز ، خ : « عن » .

[وقال ابن مردويه أيضًا][١] : حدثنا محمد بن علي بن دحيم ، حدّثنا أحمد بن حازم ، حدّثنا مالك بن إسماعيل النهدي ، حدّثنا قيس ، عن زياد بن علاقة ، عن عمارة بن أوس ، قال : بينما نحن في الصلاة نحو بيت المقدس ، ونحن ركوع ، إذ نادى[٢] مناد بالباب : إن القبلة قد حوّلت إلى الكعبة . قال : فأشهد على إمامنا أنه انحرف فتحوّل هو والرجال والصبيان ، وهم ركوع نحو الكعبة(٨٨٨) .

وقوله : ﴿ **وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره** ﴾ . أمر تعالى باستقبال الكعبة من جميع جهات الأرض : شرقًا ، وغربًا ، وشمالاً ، وجنوبًا ، ولا يستثنى من هذا شيء سوى النافلة في حال السفر ، فإنه يصليها حيثما توجه قالبه وقلبه نحو الكعبة ، وكذا في حال المسايفة في القتال يصلي على كل حال ، وكذا من جهل جهة القبلة يصلي باجتهاده ، وإن كان مخطئًا في نفس الأمر ؛ لأن اللّه تعالى لا يكلف نفسًا إلا وسعها .

[**مسألة** وقد استدل المالكية بهذه الآية على أنّ المصلي ينظر أمامه ، لا إلى موضع [سجوده ، كما ذهب إليه الشافعي ، وأحمد ، وأبو حنيفة . قال المالكية : بقوله : ﴿ **فول وجهك شطر المسجد الحرام** ﴾ فلو نظر إلى موضع سجوده ، لاحتاج أن يتكلف ذلك بنوع من الانحناء ، وهو ينافي كمال القيام . وقال بعضهم : ينظر المصلي في قيامه إلى صدره . وقال شريك القاضي : ينظر في حال قيامه إلى موضع سجوده ، كما قال جمهور الجماعة ؛ لأنه أبلغ في الخضوع ، وآكد في الخشوع ، وقد ورد به الحديث ، وأمّا في حال ركوعه فإلى موضع قدميه ، وفي حال سجوده إلى موضع أنفه ، وفي حال قعوده إلى حجره][٣] .

وقوله : ﴿ **وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم** ﴾ أي : واليهود الذين أنكروا استقبالكم الكعبة ، وانصرافكم عن بيت المقدس ، يعلمون أن اللّه تعالى سيوجهك إليها بما في كتبهم عن أنبيائهم من النعت والصفة لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وأمّته ، وما خصه[٤] اللّه تعالى

= (١٤/٢) : « فيه إسحاق بن إدريس الاسواري وهو ضعيف متروك » .

(٨٨٨) - **إسناده ضعيف** : والحديث في طبقات ابن سعد بمعناه (٣٨١/٤) . وقيس بن الربيع : ضعيف (المجروحين ٢١٦/٢) . وعمارة بن أوس : أورده في الإصابة (٥٧٧/٤) وقال : قال البخاري له صحبة ، وكذا قال ابن حبان وزاد : إني لست أعتمد على إسناده وحديثه . وأخرج ابن أبي خيثمة والبغوي من طريق قيس بن الربيع ، عن زياد بن علاقة .... فذكره بمعناه ، وقال : تفرد به قيس وهو ضعيف . وأخرجه الطبراني من رواية عبد الملك بن حسين ، عن زياد بن علاقة ، عن عمارة بن رويبة اهـ . ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٣٥/١) عن شبابة عن قيس عن زياد به .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - في خ : « أتى » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٤] - في ز : « حصه » .

به وشرفه من الشريعة الكاملة العظيمة ، ولكن أهل الكتاب يتكاتمون ذلك بينهم حسدًا وكفرًا وعنادًا ، ولهذا تهدّدهم[١] تعالى بقوله : ﴿ **وما اللَّه بغافل عما يعملون** ﴾ .

وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾

يخبر تعالى عن كفر اليهود وعنادهم ومخالفتهم ، ما يعرفونه من شأن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ، وأنه لو أقام عليهم كل دليل على صحة ما جاءهم به لما اتبعوه وتركوا أهواءهم ، كما قال تعالى : ﴿ **إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم** ﴾ ؛ ولهذا قال هٰهنا : ﴿ **ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وما أنت بتابع قبلتهم** ﴾ إخبار[٢] عن شدة متابعة الرسول صلى اللَّه عليه وسلم لما أمره اللَّه تعالى به ، وأنه كما هم متمسكون[٣] بآرائهم وأهوائهم[٤] ؛ فهو أيضًا متمسك[٥] بأمر اللَّه وطاعته واتباع مرضاته ، وأنه لا يتبع أهواءهم في جميع أحواله ، وما كان متوجهًا إلى بيت المقدس ؛ لكونها[٦] قبلة اليهود ، وإنما ذلك عن أمر اللَّه تعالى ، ثم حذر تعالى من مخالفة الحق الذي يعلمه العالم إلى الهوى ؛ فإن العالم الحجة عليه أقوم من غيره ، ولهذا قال مخاطبًا للرسول ، والمراد به[٧] الأمة : ﴿ **ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذًا لمن الظالمين** ﴾ .

ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾

يخبر تعالى أن علماء أهل الكتاب يعرفون صحة ما جاءهم به الرسول صلى اللَّه عليه وسلم ، كما يعرف أحدهم ولده ، والعرب كانت تضرب المثل في صحة الشيء بهذا ، كما جاء في

---

[١] - في ز : « يهددهم » .
[٢] - في خ : « إخبارًا » .
[٣] - في ت : « مستمسكون » .
[٤] - في ز : « وأعوانهم » .
[٥] - في ت : « مستمسك » .
[٦] - في ز ، خ : « لأنها » .
[٧] - سقط من : ز ، خ .

الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل معه صغيرٌ : « **ابنكَ هذا ؟**» قال : نعم يا رسول الله ، أشهد به . قال : « **أما إنه لا يجني عليك ولا تجني عليه** »(٨٨٩) .

[قال القرطبي : ويروى عن عمر ، أنه قال لعبد الله بن سلام : أتعرف محمدًا كما تعرف ولدك ؟ قال : نعم وأكثر ، نزل الأمين من السماء على الأمين في الأرض بنعته فعرفته ، وإني لا أدري ما كان من أمّه .

قلت : وقد يكون المراد ﴿ **يعرفونه كما يعرفون أبناءهم** ﴾ من بين أبناء الناس كلهم ، لا يشك أحد ولا يمترى في معرفة ابنه إذا رآه من أبناء الناس كلهم][١] .

ثم أخبر تعالى أنهم مع هذا التحقق والإيقان[٢] العلمي ﴿ **ليكتمون الحق** ﴾ أي : ليكتمون الناس ما في كتبهم من صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، ﴿ **وهم يعلمون** ﴾ . ثم ثَبّت تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ، والمؤمنين وأخبرهم بأن ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك ، فقال : ﴿ **الحق من ربك فلا تكونن من الممترين** ﴾ .

وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾

قال العوفي ، عن ابن عباس : ﴿ **ولكلٍ وجهة هو موليها** ﴾ يعني بذلك أهل الأديان ، يقول: لكل [ ][٣] قبلة يرضونها ، ووجهة الله حيث توجه المؤمنون .

وقال أبو العالية : لليهودي وجهة هو موليها ، وللنصراني وجهة هو موليها ، وهداكم أنتم أيتها[٤] الأمّة إلى[٥] القبلة التي هي القبلة . وروي عن مجاهد وعطاء ، والضحاك ، والربيع بن أنس ، والسدي نحو هذا .

---

(٨٨٩) - رواه أحمد في المسند ١٧٥٣٨ ، ١٧٥٣٩ - (١٦٣/٤) ، وأبو داود في السنن ، كتاب الديات ، باب : لا يؤخذ أحد بجريرة أخيه أو أبيه ، برقم (٤٤٩٥) ، والنسائي في القسامة ، باب : هل يؤخذ أحد بجريرة أحد ، برقم (٤٨٣٢) . والبيهقي في السنن الكبرى في كتاب الجنايات ، باب : إيجاب القصاص على القاتل دون غيره (٨٧/٨) . والدارمي في الديات ، باب : لا يؤاخذ أحد بجناية غيره (١٩٨/٢ - ١٩٩) . والحميدي في مسنده بنحوه حديث ٨٦٦ . وابن الجارود في المنتقى (٧٧٠) . وابن حبان كما في الموارد (٥٢٢) كتاب الديات ، باب : لا يجني أحد على أحد . وعبد الله بن أحمد في زوائده =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ر : الإتقان .
[٣] - في ر : قبيلة .
[٤] - في خ : « أيها » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .

وقال مجاهد في الرواية الأخرى [ ][١] : ولكن أمر كل قوم أن يصلوا إلى الكعبة .

وقرأ ابن عباس وأبو جعفر الباقر وابن عامر ﴿ **ولكلٍ وجهة هو مولاها** ﴾ .

وهذه الآية شبيهة بقوله تعالى : ﴿ **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا [ولو شاء الله لجعلكم أمّة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم][٢] فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعًا** ﴾ .

وقال هاهنا : ﴿ **أينما تكونوا يأت بكم الله جميعًا إن الله على كل شيء قدير** ﴾ ، أي : هو قادر على جمعكم من الأرض ، وإن تفرّقت أجسادكم وأبدانكم .

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾

هذا أمر ثالث من الله تعالى باستقبال المسجد الحرام من جميع أقطار الأرض .

[وقد اختلفوا في حكمة هذا التكرار ثلاث مرات : فقيل : تأكيد ؛ لأنه أول ناسخ وقع في الإسلام على ما نص عليه ابن عباس وغيره . وقيل : بل هو منزل على أحوال ؛ فالأمر الأول لمن هو مشاهد الكعبة ، والثاني لمن هو في مكة غائبًا عنها ، والثالث لمن هو في بقية البلدان . هكذا وجهه فخر الدين الرازي .

وقال القرطبي : الأوّل لمن هو بمكة ، والثاني : لمن هو في بقية الأمصار ، والثالث لمن خرج في الأسفار ورجح هذا الجواب القرطبي .

= على المسند (٢/٢٢٦ ، ٢٢٧) . من حديث أبي رمثة رضي الله عنه . وصححه الألباني في الإرواء (٧/ ٣٣٢) حديث (٢٣٠٣) .

ورواه ابن ماجه – من حديث الخشخاش العنبري – رضي الله عنه – في الديات ، باب : لا يجني أحد على أحد برقم (٢٦٧١) . وقال في الزوائد إسناده كلهم ثقات إلا أن هشيماً كان يدلس ، وليس للخشخاش سوى هذا الحديث الموجود عند ابن ماجه ، وليس له في بقية الأصول الخمسة .

[١] – في ر : والحسن . [٢] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وقيل : إنما ذكر ذلك لتعلقه بما قبله ، أو بعده من السياق ، فقال أوّلا : ﴿ **قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها** ﴾ ، إلى قوله : ﴿ **وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما اللّه بغافل عما يعملون** ﴾ فذكر في هذا المقام إجابته إلى طلبته ، وأمره بالقبلة التي كان يود التوجه إليها ويرضاها ، وقال في الأمر الثاني : ﴿ **ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك وما اللّه بغافل عما تعملون** ﴾ فذكر أنه الحق من اللّه ، وارتقاءه المقام الأوّل ؛ حيث كان موافقًا لرضا الرسول صلى اللّه عليه وسلم ، فبين أنه الحق أيضًا من اللّه يحبه ويرتضيه .

وذكر في الأمر الثالث حكمة قطع حجة المخالف من اليهود الذين كانوا يتحججون باستقبال الرسول إلى قبلتهم ، وقد كانوا يعلمون بما في كتبهم أنه سيصرف إلى قبلة إبراهيم عليه السلام إلى الكعبة وكذلك مشركو العرب انقطعت حجتهم لما صرف الرسول صلى اللّه عليه وسلم عن قبلة اليهود إلى قبلة إبراهيم التي هي أشرف ، وقد كانوا يعظمون الكعبة وأعجبهم استقبال الرسول إليها.

وقيل غير ذلك من الأجوبة عن حكمة التكرار . وقد بسطها الرازي وغيره ، واللّه أعلم][١] .

وقوله : ﴿ **لئلا يكون للناس عليكم حجة** ﴾ أي : أهل الكتاب ، فإنهم يعلمون من صفة هذه الأمة التوجه إلى الكعبة فإذا فقدوا ذلك من صفتها ربما احتجوا بها على المسلمين ، أو[٢] لئلا يحتجوا بموافقة المسلمين إياهم في التوجه إلي بيت المقدس . وهذا أظهر .

قال أبو العالية : ﴿ **لئلا يكون للناس عليكم حجة** ﴾ يعني به أهل الكتاب حين قالوا : صرف محمد إلى الكعبة ، وقالوا : اشتاق الرجل إلى بيت أبيه ودين قومه . وكان حجتهم على النبي صلى اللّه عليه وسلم انصرافه[٣] إلى البيت الحرام أن قالوا : سيرجع إلى ديننا كما رجع إلى قبلتنا .

قال ابن أبي حاتم(٨٩٠) : وروي عن مجاهد ، وعطاء ، والضحاك ، والربيع بن أنس ، وقتادة ، والسدّي نحو هذا . وقال هؤلاء في قوله: ﴿ **إلّا الذين ظلموا منهم** ﴾ يعني مشركي قريش .

ووجه بعضهم حجة الظَّلَمةِ - وهي داحضة - أن قالوا : إن هذا الرجل يزعم أنه على دين إبراهيم ، فإن كان توجهه إلى بيت المقدس على ملة إبراهيم ، فلِمَ رجع عنه ؟ والجواب : أن اللّه

---

(٨٩٠) - ابن أبي حاتم ١٣٨٩ - (١/٢٥٩) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - في ت : « و » .

[٣] - في خ : « الصرافة » .

تعالى اختار له التوجه إلى بيت المقدس أوّلًا لما له تعالى في ذلك من الحكمة ، فأطاع ربه تعالى في ذلك ، ثم صرفه إلى قبلة إبراهيم وهي الكعبة ، فامتثل أمر اللَّه في ذلك أيضًا ، فهو - صلوات اللَّه وسلامه عليه - مطيع للَّه في جميع أحواله ، لا يخرج عن أمر اللَّه طرفة عين ، وأمّته تبع له .

وقوله : ﴿ **فلا تخشوهم واخشوني** ﴾ أي : لا تخشوا شبه الظلمة المتعنتين ، وأفردوا الخشية لي ؛ فإنه تعالى هو أهل أن يخشى منه .

وقوله : ﴿ **ولأتم نعمتي عليكم** ﴾ عطف على ﴿ **لئلا يكون للناس عليكم حجة** ﴾ أي[١] : ولأتم نعمتي عليكم فيما شرعت[٢] لكم من استقبال الكعبة ؛ لتكمل لكم الشريعة من جميع وجوهها ﴿ **ولعلكم تهتدون** ﴾ أي : إلى ما ضلت عنه الأمم هديناكم إليه وخصصناكم به ؛ ولهذا كانت هذه الأمة أشرف الأمم وأفضلها .

كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ (١٥١) فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ (١٥٢)

يذّكر تعالى عباده المؤمنين ما أنعم به عليهم من بعثة الرسول محمد صلى اللَّه عليه وسلم إليهم ، يتلو عليهم آيات اللَّه مبينات ، ويزكيهم ، أي يطهرهم من رذائل الأخلاق ، ودنس النفوس ، وأفعال الجاهلية ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور ، ويعلمهم الكتاب : وهو[٣] القرآن ، والحكمة : وهي السنة ، ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون . فكانوا في الجاهلية الجهلاء يسفهون بالقول الفرى[٤] ، فانتقلوا ببركة رسالته ، ويمن سفارته ، إلى حال الأولياء ، وسجايا العلماء ، فصاروا أعمق الناس علمًا ، وأبرّهم قلوبًا ، وأقلهم[٥] تكلفًا ، وأصدقهم[٦] لهجة ، وقال تعالى : ﴿ **لقد منّ اللَّه على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولًا [من أنفسهم][٧] يتلو عليهم آياته ويزكيهم** ﴾ الآية . وذمَّ من لم يعرف قدر هذه النعمة ، فقال تعالى : ﴿ **ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة اللَّه كفرًا وأحلوا قومهم دار البوار** ﴾ .

قال ابن عباس : يعني [بنعمة اللَّه][٨] محمدًا صلى اللَّه عليه وسلم ؛ ولهذا ندب اللَّه المؤمنين

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز ، خ : « شرعته » .
[٣] - في خ : « وهى » .
[٤] - في خ : « الفراء » .
[٥] - في ز ، خ : « وأقلها » .
[٦] - في ز ، خ : « وأصدقها » .
[٧] - في ز ، خ : منهم .
[٨] - سقط من : ز ، خ .

إلى الاعتراف بهذه النعمة ومقابلتها بذكره وشكره . فقال : ﴿ **فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون** ﴾ .

قال مجاهد في قوله : ﴿ **كما أرسلنا فيكم [رسولًا منكم]**[١] ﴾ يقول : كما فعلت فاذكروني .

قال عبد الله بن وهب : عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم : أن موسى عليه السلام قال : يا رب ؛ كيف أشكرك ؟ قال له ربه : « **تذكرني ولا تنساني ، فإذا ذكرتني فقد شكرتني ، وإذا نسيتني فقد كفرتني** » .

وقال الحسن البصري ، وأبو العالية ، والسدي ، والربيع بن أنس : إن الله يذكر من ذكره ، ويزيد من شكره ، ويعذب من كفره .

وقال بعض السلف في قوله تعالى : ﴿ **اتقوا الله حق تقاته** ﴾ قال : هو أن يطاع فلا يعصى ، ويذكر فلا ينسى ، ويشكر فلا يكفر .

وقال ابن أبي حاتم(٨٩١) : حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، أخبرنا يزيد بن هارون ، أخبرنا عمارة الصيدلاني، حدثنا مكحول الأزدي قال : قلت لابن عمر : أرأيت قاتل النفس ، وشارب الخمر ، والسارق ، والزاني يذكر الله ، وقد قال الله تعالى : ﴿ **فاذكروني أذكركم** ﴾ ؟! قال : إذا ذكر الله هذا ذكره الله بلعنته ، حتى يسكت .

وقال الحسن البصري في قوله : ﴿ **فاذكروني أذكركم** ﴾ قال : اذكروني فيما أوجبت[٢] عليكم ، أذكركم فيما أوجبت لكم على نفسي .

وعن سعيد بن جبير ، اذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي ، وفي رواية : برحمتي .

وعن ابن عباس في قوله : ﴿ **فاذكروني أذكركم** ﴾ قال : ذكر الله إياكم أكبر[٣] من ذكركم إياه .

وفي الحديث الصحيح(٨٩٢) « **يقول الله تعالى : من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ،**

(٨٩١) - ابن أبي حاتم ١٣٩٧ - (١/٢٦٠) ، وعمارة بن زاذان الصيدلاني - قال ابن عدي (٥/٨٠) : وهو عندي لا بأس به ممن يكتب حديثه . وفي التاريخ الكبير (٦/٥٠٥) : ربما يضطرب في حديثه . وأورده العقيلي في الضعفاء وذكر قول البخاري . وقال الحافظ : صدوق كثير الخطأ .

(٨٩٢) - رواه البخاري في التوحيد برقم (٧٤٠٥) ، ومسلم في التوبة والذكر والدعاء برقم (٢٦٧٥) .

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ز ، خ : « أفترضت » .

[٣] - في ز : « أكثر » .

ومن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منه » .

قال الإمام أحمد(٨٩٣) : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن أنس قال[١] : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **قال اللَّه - عز وجل - : يا بن آدم ؛ إن ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي ، وإن ذكرتني في ملإ ذكرتك في ملإ من الملائكة - أو قال في[٢] ملإ خير منه[٣] - وإن دنوت مني شبرًا دنوت منك ذراعًا ، وإن دنوت مني ذراعًا دنوت منك باعًا ، وإن أتيتني تمشي أتيتك أهرول** » .

صحيح الإسناد . أخرجه البخاري من حديث قتادة . وعنده قال قتادة : اللَّه أقرب بالرحمة .

وقوله تعالى : ﴿ **واشكروا لي ولا تكفرون** ﴾ أمر اللَّه تعالى بشكره ، ووعد على شكره بمزيد الخير ، فقال : ﴿ **وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد** ﴾ .

وقال الإمام أحمد(٨٩٤) : حدّثنا روح ، حدّثنا شعبة ، عن الفضيل بن فضالة ، رجل من قيس - حدّثنا أبو رجاء العطاردي ، قال : خرج علينا عمران بن حصين[٤] ، وعليه مطرف من خز لم نره عليه قبل ذلك ولا بعده ، فقال : إن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قال : « **من أنعم اللَّه عليه نعمة فإن اللَّه يحب أن يرى أثر نعمته على خلقه** » ، وقال روح مرة : « **على عبده** » .

---

(٨٩٣) - المسند ١٢٢٥٤ ، ١٢٤٢٧ - (٣/ ١٢٢ ، ١٣٨) ، ورواه البخاري في التوحيد ، باب : ذكر النبي صلى اللَّه عليه وسلم وروايته عن ربه حديث (٧٥٣٦) .

(٨٩٤) - المسند ١٩٩٨٨ - (٤/٤٣٨) . والفضيل بن فضالة القيسي : صدوق . والحديث أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » : برقم : (٢٨١) (١٨/١٣٥) ، ورقم (٤١٨) ، (١٨/١٨١) . والبيهقي في « شعب الإيمان » برقم : (٦٢٠٠) (٥/١٦٣) . وابن سعد في « الطبقات الكبرى » : (٧/٧) . من طريق الفضيل بن فضالة ، عن أبي رجاء العطاردي ، عن عمران بن حصين : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **إن الله إذا أنعم على عبد نعمة يحب أن يرى أثر نعمته عليه** » اهـ . وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » : (٥/١٣٥) وقال : رواه أحمد والطبراني ، ورجال أحمد ثقات اهـ .

وله شاهد من حديث أبي الأحوص عوف بن مالك بن نضلة : عن أبيه مرفوعًا : رواه أحمد (٣/٤٧٣) . وله شاهد آخر من حديث أبي هريرة . أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » برقم : (٦٢٠٢) ، (٥/ ١٦٣) .

وذكره الشيخ الألباني (حفظه الله) في « سلسلة الأحاديث الصحيحة » برقم : (١٢٩٠) ، (٣/٢٨٠-٢٨١) . من طريق **مفضل بن فضالة** عن أبي رجاء العطاردي عن عمران به . وقد ضعفه من هذا الطريق فقال : قلت : وهذا إسناد ضعيف ، رجاله ثقات غير المفضل هذا وهو ابن أبي أمية أبو مالك البصري ، أخو مبارك ضعيف . اهـ . وصححه بشواهده .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ز : « منهم » .
[٤] - في خ : « الحصين » .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَـٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾

لما فرغ تعالى من بيان الأمر بالشكر شرع في بيان الصبر ، والإرشاد إلى[١] الاستعانة بالصبر والصلاة ، فإن العبد إما أن يكون في نعمة فيشكر عليها ، أو في نقمة فيصبر عليها ؛ كما جاء في الحديث : « **عجبًا للمؤمن ! لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرًا له ؛ إن أصابته سراء فشكر ، كان خيرًا له ، وإن أصابته ضراء فصبر ، كان خيرًا له** » .

وبين تعالى أن أجود ما يستعان به على تحمل المصائب الصبر والصلاة ، كما تقدّم في قوله : ﴿ **واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين** ﴾ . وفي الحديث أن[٢] رسول الله صلى الله عليه وسلم كان[٣] إذا حزبه[٤] أمر صلى(٨٩٥) .

والصبر صبران : فصبر على ترك المحارم والمآثم ، وصبر على فعل الطاعات والقربات ، والثاني أكثر ثوابًا ؛ لأنه المقصود ،[ ][٥] . كما قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : الصبر في بابين : الصبر لله بما أحب وإن ثقل على الأنفس والأبدان ، والصبر[٦] لله عما كره وإن نازعت إليه الأهواء ؛ فمن كان هكذا فهو من الصابرين الذين يسلم عليهم إن شاء الله .

وقال علي بن الحسين زين العابدين : إذا جمع الله الأولين والآخرين ينادي منادٍ : أين الصابرون ليدخلوا الجنة قبل الحساب ؟ قال : فيقوم عنق من الناس ، فتتلقاهم الملائكة ، فيقولون : إلى أين يا بني آدم ؟ فيقولون : إلى الجنة . فيقولون : قبل[٧] الحساب ؟ قالوا : نعم . قالوا : ومن أنتم ؟ قالوا : نحن[٨] الصابرون . قالوا : وما كان صبركم ؟ قالوا : صبرنا على طاعة الله ، وصبرنا عن معصية الله ، حتى توفّانا الله . قالوا : أنتم كما قلتم ، ادخلوا الجنة ، فنعم أجر العاملين .

---

(٨٩٥) - رواه أبو داود في كتاب الصلاة باب : وقت قيام النبي صلى الله عليه وسلم من الليل برقم (١٣١٩) من حديث عبد العزيز ابن أخي حذيفة عن حذيفة رضي الله عنه . وقال المنذري : ذكر بعضهم أنه روي مرسلاً . ورواه أحمد في المسند ٢٣٤٠٦ - (٣٨٨/٥) وتقدم الكلام عليه (٢٢٧) .

---

[١] - في ر : و .
[٢] - في ز ، خ : « كان » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في خ : « حزنه » .
[٥] - في ر : [وأما الصبر الثالث وهو الصبر على المصائب والنوائب ، فذاك أيضًا واجب كالاستغفار من المعايب] .
[٦] - في خ : « وصبر » .
[٧] - في ز : وقبل .
[٨] - سقط من : ز .

(قلت) : ويشهد لهذا قوله تعالى : ﴿ **إنما يوفَّى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾ .

وقال سعيد بن جبير : الصبر اعتراف العبد للَّه بما أصاب منه ، واحتسابه عند اللَّه رجاء ثوابه ، وقد يجزع الرجل وهو متجلد لا يرى منه إلا الصبر .

وقوله تعالى : ﴿ **ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل اللَّه أموات بل أحياء** ﴾ يخبر تعالى أن الشهداء في برزخهم أحياء يرزقون ، كما جاء في صحيح مسلم(٨٩٦) : « **أنّ أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش ، فاطلع عليهم ربك اطّلاعةً ، فقال : ماذا تبغون ؟ فقالوا : يا ربنا ! وأي شيء نبغي وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك ؟ ثم عاد إليهم بمثل هذا ، فلما رأوا أنهم لا يتركون من أن يسألوا ، قالوا : نريد أن تردّنا إلى الدار الدنيا ، فنقاتل في سبيلك ، حتى نقتل فيك مرة أخرى - لما يرون من ثواب الشهادة - فيقول الرب - جل جلاله - : إني كتبت أنهم إليها لا يرجعون** » .

وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد(٨٩٧) ، عن الإمام الشافعي ، عن الإمام مالك ، عن الزهري ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، عن أبيه قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **نسمة المؤمن طائر تعلق في شجر الجنة ، حتى يرجعه اللَّه إلى جسده يوم يبعثه** » .

ففيه دلالة لعموم المؤمنين أيضًا ، وإن كان الشهداء قد خصصوا بالذكر في القرآن تشريفًا لهم ، وتكريمًا ، وتعظيمًا .

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) ﴾

---

(٨٩٦) - صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، رقم ١٢١ - (١٨٨٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه - وساقه ابن كثير رحمه الله تعالى بمعناه .

(٨٩٧) - المسند ١٥٨٢٠ - (٣/٤٥٥) و١٥٨١٨ ، ١٥٨١٩ . والحديث أخرجه النسائي في كتاب الجنائز ، باب : أرواح المؤمنين عن قتيبة ٢٠٧٣ - (٤ / ١٠٨) . وابن ماجه عن سويد بن سعيد (٢ / ١٤٢٨) حديث (٤٢٧١) . كلاهما عن مالك به . وسيأتي عند تفسير (آية ١٦٩ آل عمران) وسيأتي قول الحافظ ابن كثير رحمه الله : وهو بإسناد صحيح عزيز عظيم اجتمع فيه ثلاثة من الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبعة .

أخبر تعالى أنه يبتلي عباده : أي يختبرهم ويمتحنهم ، كما قال تعالى : ﴿ **ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم** ﴾ ، فتارة بالسراء وتارة بالضراء من خوف وجوع ، كما قال تعالى : ﴿ **فأذاقها اللَّه لباس الجوع والخوف** ﴾ فإن الجائع والخائف كل منهما يظهر ذلك عليه ؛ ولهذا قال : لباس الجوع والخوف . وقال هاهنا : ﴿ **بشيء من الخوف والجوع** ﴾ أي بقليل من ذلك ﴿ **ونقص من الأموال** ﴾ أي : ذهاب بعضها ﴿ **والأنفس** ﴾ كموت الأصحاب ، والأقارب ، والأحباب ﴿ **والثمرات** ﴾ أي : لا تُغِل الحدائق والمزارع كعادتها ، كما قال بعض السلف : فكانت بعض النخيل لا تثمر غير واحدة . وكل هذا وأمثاله مما يختبر اللَّه به عباده؛ فمن صبر أثابه ، ومن قنط أحل به عقابه ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ **وبشر الصابرين** ﴾ .

وقد حكي بعض المفسرين أن المراد من الخوف هاهنا خوف اللَّه ، وبالجوع صيام رمضان ، وبنقص[١] الأموال : الزكاة ، والأنفس : الأمراض . والثمرات : الأولاد .

وفي هذا نظر ، واللَّه أعلم .

ثم بين تعالى من الصابرون الذين شكرهم ، فقال : ﴿ **الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا للَّه وإنا إليه راجعون** ﴾ أي : تسلوا بقولهم هذا عما أصابهم ، وعلموا أنهم ملك للَّه يتصرف في عبيده بما يشاء ، وعلموا أنه لا يضيع لديه مثقال ذرّة يوم القيامة ، فأحدث لهم ذلك اعترافهم بأنهم عبيده ، وأنهم إليه راجعون في الدار الآخرة ؛ ولهذا أخبر تعالى عما أعطاهم على ذلك ، فقال : ﴿ **أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة[٢]** ﴾ أي : ثناء من اللَّه عليهم ورحمة[٣] . قال سعيد بن جبير : أي : أمنة من العذاب .

﴿ **وأولئك هم المهتدون** ﴾ قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : نعم العدلان ونعمت العلاوة ﴿ **أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة** ﴾ فهذان العدلان ﴿ **وأولئك هم المهتدون** ﴾ فهذه العلاوة ، وهي ما توضع بين العدلين ، وهي زيادة في الحمل ، فكذلك هؤلاء أعطوا ثوابهم وزيدوا أيضًا .

وقد ورد في ثواب الاسترجاع ، وهو قول اللَّه[٤] : ﴿ **إنا للَّه وإنا إليه راجعون** ﴾ عند المصائب أحاديث كثيرة . فمن ذلك ما رواه الإمام أحمد(٨٩٨) [حيث قال][٥] :

---

(٨٩٨) - صحيح ، والحديث في المسند ١٦٣٩٣ - (٢٧/٤) .

---

[١] - في ز ، خ : « ونقص » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : ت .

[٤] - سقط من : ت .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

حدّثنا يونس [بن محمد][١] ، حدثنا ليث - يعني ابن سعد[٢] - عن يزيد بن عبد اللّه بن أسامة بن الهاد ، عن عمرو بن أبي عمرو ، عن المطلب[٣] ، عن أم سلمة ؛ قالت : أتاني أبو سلمة يومًا من عند رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ؛ فقال : لقد سمعت من رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قولًا سررت به . قال : « **لا يصيب أحدًا من المسلمين مصيبةٌ فيسترجع عند مصيبته ، ثم يقول : اللهم أجُرني في مصيبتي وأخلف لي خيرًا منها ، إلا فعل ذلك به** » ، قالت أم سلمة : فحفظت ذلك منه ، فلما توفي أبو سلمة استرجعت وقلت : اللهم ؛ أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منه[٤] ، ثم رجعت إلى نفسي فقلت من أين لي خير[٥] من أبي سلمة ؟ فلما انقضت عدّتي استأذن عليَّ رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، وأنا أدبغ إهابًا لي ، فغسلت يدي من القرَظ ، وأذنت له ، فوضعت له وسادة أدم حشوها ليف ، فقعد عليها ، فخطبني إلى نفسي ، فلما فرغ من مقالته قلت : يا رسول اللّه ، ما بي ألّا يكون بك الرغبة، ولكني امرأة فيَّ غيرةٌ شديدة ، فأخاف أن ترى مني شيئًا يعذبني اللّه به ، وأنا امرأة قد دخلت في السن ، وأنا ذات عيال ، فقال : « **أمّا ما ذكرت من الغيرة ، فسوف يذهبها اللّه عز وجل عنك ، وأما ما ذكرت من السن فقد أصابني مثل الذي أصابك ، وأما ما ذكرت من العيال فإنما عيالك عيالي** » . قالت : فقد سلمت لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، فتزوجها رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، فقالت أم سلمة بعد : أبدلني اللّه بأبي سلمة خيرًا منه - رسولَ اللّه صلى اللّه عليه وسلم .

وفي صحيح مسلم(٨٩٩) ، عنها أنها قالت : سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقول : « **ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول : ﴿ إنا للّه وإنا إليه راجعون ﴾ اللهم ؛ أجرني في مصيبتي ، واخلف لي خيرًا منها ، [إلا آجره اللّه في مصيبته ، وأخلف له خيرًا منها** »][٦] . قالت فلما توفي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، فأخلف اللّه لي خيرًا منه - رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم .

وقال الإمام أحمد(٩٠٠) : حدّثنا يزيد وعباد بن عباد ، قالا : حدثنا هشام بن أبي هشام ،

---

(٨٩٩) - مسلم في كتاب الجنائز ، باب : ما يقال عند المصيبة ، من طريق يحيى بن أيوب ، وقتيبة ، وابن حجر ، عن إسماعيل بن جعفر ، عن سعد بن سعيد ، عن عمر بن كثير بن أفلح ، عن ابن سفينة . عن أم سلمة به نحوه . (٣١٢/٦) حديث (٣ - ٩١٨) . وحديث (٤ ، ٥ - ٩١٨) .

(٩٠٠) - إسناده ضعيف جداً والحديث في المسند ١٧٣٤ - (٢٠١/١) . هشام بن أبي هشام هو هشام بن زياد : متروك ، ضعفه البخاري ، والنسائي ، وابن معين . وأمه لا يعرف من هي . وقوله : حدثنا عباد =

---

[١] - ما بين العكوفتين سقط من : ز .
[٢] - في خ : « أسعد » .
[٣] - في خ : « المطلبي » .
[٤] - في ت : « منها » .
[٥] - في ز ، خ : « خيرًا » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[حدثنا][١]عباد بن زياد ، عن أمه ، عن فاطمة بنة الحسين ، عن أبيها الحسين بن علي ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ قال : « **ما من مسلم ولا مسلمة يصاب بمصيبة ، فيذكرها وإن طال عهدها** – وقال عباد : **قدم عهدها – فيحدث لذلك استرجاعًا ، إلّا جدّد الله له عند ذلك فأعطاه مثل أجرها يوم أصيب** » .

ورواه ابن ماجة(٩٠١) في « **سننه** » ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن وكيع ، عن هشام بن[٢] زياد ، عن أمه ، عن فاطمة بنت الحسين ، عن أبيها .

وقد رواه إسماعيل بن علية ، ويزيد بن هارون ، عن هشام بن[٣] زياد ، عن أبيه (كذا)[٤] ، عن فاطمة ، عن أبيها .

وقال الإمام أحمد(٩٠٢) : حدثنا يحيى بن إسحاق السالحيني ، أخبرنا حماد بن سلمة ، عن أبي سنان ؛ قال : دفنت ابنًا لي ، فإني لفي القبر إذ أخذ بيدي أبو طلحة – يعني الخولاني – فأخرجني ، وقال لي[٥] : ألا أبشرك . قلت : بلى . قال : حدثني الضحاك بن عبد الرحمن ابن[٦] عرزب ، عن أبي موسى ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **قال الله : يا ملك الموت ؛ قبضت ولد عبدي ؛ قبضت قرة عينه وثمرة فؤاده . قال : [نعم . قال][٧] : فماذا[٨] قال ؟ قال :**

ابن زياد : صوابه : قال عباد : ابن زياد . أي أن عباد بن عباد حين سمى شيخه ذكر اسم أبيه لا كنيته . وأما يزيد بن هارون فذكر الكنية فقط . **وانظر الحديث التالي**

(٩٠١) – **إسناده ضعيف جداً** والحديث في سنن ابن ماجة ، في الجنائز ، باب : ما جاء في الصبر على المصيبة برقم (١٦٠٠) وقال البوصيري في الزوائد (٥٢٨/١) : هذا إسناد فيه هشام بن زياد وهو ضعيف ، هكذا رواه ابن أبي شيبة في مسنده ، ورواه أحمد بن منيع في مسنده : حدثنا يزيد ، أنبأ هشام بن أبي هشام ، عن أمه ، عن فاطمة بنت الحسين .... فذكره بإسناده ومعناه ، وقد اختلف النسخ : هل هو عن أبيه أو عن [عمه] – كذا في الزوائد – ولا يعرف لهما حال .

ورواه يعقوب بن إبراهيم الدورقي عن ابن علية ، عن هشام بن زياد ، عن أبيه ، عن فاطمة ، وتابعه أحمد ابن أبي السرح ، عن يزيد بن هارون ، عن هشام .

(٩٠٢) – **حسن** ، والحديث في المسند برقم ١٩٧٧٩ – (٤١٥/٤) . وأخرجه الترمذي في كتاب الجنائز ، باب : فضل المصيبة إذا احتسب ، حديث (١٠٢١) (٣٤١/٣) . وعبد بن حميد (٥٥١) . وابن حبان في كتاب الجنائز ، باب : ما جاء في الصبر وثواب الأمراض ، حديث (٢٩٤٨) (٧٢١٠) . ونعيم بن حماد في زوائد الزهد لابن المبارك (١٠٨) . كلهم من طريق حماد بن سلمة به. وقال الترمذي : حسن غريب . =

---

[١] – صوابه : قال ..
[٢] – في ز : « عن » .
[٣] – في خ : « عن » .
[٤] – سقط من : خ .
[٥] – سقط من : ز ، خ .
[٦] – في ز ، خ : « عن » .
[٧] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٨] – في ز : « فما » .

حمدك واسترجع . قال : ابنوا له بيتًا في الجنة وسموه بيت الحمد » .

ثم رواه عن علي بن إسحاق ، عن عبد الله بن المبارك ، فذكره .

وهكذا رواه الترمذي ، عن سويد بن نصر ، عن ابن المبارك به ، وقال : حسن غريب . واسم أبي سنان عيسى بن سنان .

﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾

قال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود الهاشمي ، أخبرنا إبراهيم بن سعد ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ؛ قالت : قلت : أرأيت قول الله تعالى : **﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوّف بهما ﴾** . قلت : فوالله ما على أحد جناح ألّا[١] يتطوّف بهما . فقالت عائشة : بئسما قلت يا بن أختي ؛ [إنها لو كانت][٢] على ما أوّلتها[٣] عليه ، كانت فلا جناح عليه ألّا[٤] يطوّف بهما ، ولكنها إنما أنزلت ؛ أن الأنصار كانوا قبل أن يسلموا [ ][٥] يهلون لمناة الطاغية ، التي كانوا يعبدونها عند المشلل[٦] ؛ وكان من أهلَّ لها يتحرّج أن يطوّف بالصفا والمروة ، فسألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

= وعزاه الألباني في الصحيح (٣٩٨/٣) للثقفي في « الثقفيات » (٢/١٥/٣) . عن عبدالحكم بن ميسرة الحارثي أبي يحيى : ثنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري مرفوعًا . وقال : غريب من حديث الثوري لا أعرفه إلا من هذا الوجه ، ورواه الضحاك بن عبد الرحمن ابن عرزب وغيره عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه . وحسنه الألباني بمجموع الطرق انظر الصحيحة (١٤٠٨) .

(٩٠٣) - المسند ٢٥٢٢٣ - (١٤٤/٦) ، وأخرجه البخاري في كتاب الحج ، باب : وجوب الصفا والمروة وجعل من شعائر الله (رقم : ١٦٤٣) وأطرافه في (١٧٩٠ ، ٤٤٩٥ ، ٤٨٦١) . ومسلم في كتاب الحج ، (رقم : ١٢٧٧) . وأبو داود في كتاب المناسك ، باب : أمر الصفا والمروة . (١٨١/٢ - ١٨٢/ رقم : ١٩٠١) . والترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة البقرة (رقم : ٢٩٦٥) . والنسائي في كتاب مناسك الحج ، باب : ذكر الصفا والمروة (٢٣٧/٥ - ٢٣٩) . وابن ماجة في كتاب المناسك ، باب : السعي بين الصفا والمروة (رقم : ٢٩٨٦) . كلهم من طريق عروة به .

[١] - في خ : « أن » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٣] - في ز ، خ : « أولها » .

[٤] - في خ : « أن » .

[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « كانوا » .

[٦] - المشلل : بضم الميم وفتح الشين وتشديد اللام الأولى وفتحها : موضع بين مكة والمدينة . نهاية [٤/ ٣٣٤] .

فقالوا: يا رسول اللّه ؛ إنا كنا نتحرّج أن نطوّف بالصفا والمروة في الجاهلية . فأنزل اللّه عز وجل : ﴿ **إن الصفا والمروة من شعائر اللّه [فمن حج البيت أو اعتمر][١] فلا جناح عليه أن يطوّف بهما** ﴾ ، قالت عائشة : ثم قد سنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم الطواف بهما . فليس لأحد أن يدع الطواف بهما ، أخرجاه في الصحيحين(٩٠٣) .

وفي رواية عن الزهري أنه قال : فحدثت بهذا الحديث أبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فقال لي[٢] : [إن هذا][٣] العلم ماكنت سمعته ، ولقد سمعت رجالاً من أهل العلم يقولون : إن الناس - إلا من ذكرت عائشة - كانوا يقولون : إن طوافنا بين هذين الحجرين من أمر الجاهلية . وقال آخرون من الأنصار : إنما أمرنا بالطواف بالبيت ولم نؤمر بالطواف بين الصفا والمروة ، فأنزل اللّه تعالى ﴿ **إن الصفا والمروة من شعائر اللّه** ﴾ قال أبو بكر بن عبد الرحمن : فلعلها نزلت في هؤلاء وهؤلاء .

ورواه البخاري(٩٠٤) من حديث مالك ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة بنحو ما تقدم .

ثم قال البخاري(٩٠٥) : حدّثنا محمد بن يوسف ، حدّثنا سفيان ، عن عاصم بن سليمان ؛ قال : سألت أنسًا عن الصفا والمروة .. قال : كنا نرى أنهما[٤] من أمر الجاهلية ، فلما جاء الإسلام أمسكنا عنهما ، فأنزل اللّه عز وجل ﴿ **إن الصفا والمروة من شعائر اللّه** ﴾ .

[وذكر القرطبي في تفسيره عن ابن عباس قال : كانت الشياطين تفرق بين الصفا والمروة الليل كله ، وكانت بينهما آلهة ، فلما جاء الإسلام سألوا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم عن الطواف بينهما فنزلت هذه الاية .

وقال الشعبي : كان إساف على الصفا وكانت نائلة على المروة ، وكانوا يستلمونهما ، فتحرجوا بعد الإسلام من الطواف بينهما ، فنزلت هذه الآية .

(قلت) ذكر محمد بن إسحاق في كتاب السيرة أن إسافًا ونائلة كانا بشرين ، فزنيا داخل الكعبة ، فمسخا حجرين ، فنصبتهما قريش تجاه الكعبة ليعتبر بهما الناس ، فلما طال عهدهما عبدا ثم حولا إلى الصفا والمروة ، فنصبا هنالك ، فكان من طاف بالصفا والمروة يستلمهما ؛ ولهذا][٥]

(٩٠٤) - صحيح البخاري (٤٤٩٥) .
(٩٠٥) - صحيح البخاري برقم (٤٤٩٦) .

[١] - في خ : « إلى قوله تعالى » .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - في ز ، خ : « وهذا » .
[٤] - في ز : « ذلك » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[يقول أبو طالب في قصيدته المشهورة :

وحيث ينيخ الأشعرون ركابهم   لمفضَي السيول من إساف ونائل][١]

وفي « صحيح مسلم(٩٠٦) » من[٢] حديث جابر الطويل ، وفيه : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ من طوافه بالبيت ، عاد إلى الركن ، فاستلمه ، ثم خرج من باب الصفا ، وهو يقول : ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله ﴾ . ثم قال : « أبدأ بما بدأ الله به » وفي رواية النسائي « ابدءوا بما بدأ الله به » .

وقال الإمام أحمد(٩٠٧) : حدّثنا سريج ، حدّثنا عبد الله بن المؤمل ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن صفية بنت شيبة ، عن حبيبة بنت أبي تَجْرَاة ، قالت : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بين الصفا والمروة ، والناس بين يديه ، وهو وراءهم ، وهو يسعى حتى أرى ركبتيه من شدة السعي يدور به إزاره ، وهو يقول : « اسعَوا فإن الله كتب عليكم السعي » .

ثم رواه الإمام أحمد(٩٠٨) ، عن عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن واصل مولى أبي عيينة ، عن موسى بن عُبَيدة ، عن صفية بنت شيبة ، أن امرأة أخبرتها أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة يقول : « كتب عليكم السعيُ ، فاسعَوا » .

---

(٩٠٦) - مسلم ، كتاب الحج ، برقم ١٤٧ - (١٢١٨) .

(٩٠٧) - إسناده ضعيف والحديث في المسند ٢٧٤٧٥ ، ٢٧٤٧٤ - (٤٢١/٦) . ورواه الدارقطني من حديث يونس بن محمد ، ومعاذ بن هانئ ، عن ابن المؤمل ، عن عبدالله بن الحصين ، عن عطاء ، عن صفية بنت شيبة ، عن حبيبة (٢/٢٥٥) . والحديث رواه الشافعي ، وإسحاق بن راهويه والحاكم وسكت عنه . وأعله ابن عدي في الكامل بابن المؤمل وأسند تضعيفه عن أحمد والنسائي وابن معين . ورواه الدارقطني من حديث الواقدي عن علي بن محمد العمري عن منصور الحجبي عن أمه عن برة بنت أبي تجزأة . والواقدي : متروك .

قال ابن أبي حاتم في العلل (٢٦٩/١) : سألت أبي عن حديث رواه سعيد بن سليمان ، عن عبد الله بن المؤمل ، عن عطاء ، عن صفية بنة شيبة ، عن حبيبة بنة أبي تجزأة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في السعي بين الصفا والمروة . قال أبي : رواه غير سعيد ، عن عبد الله بن المؤمل ؛ فقال : عن عمر بن عبد الرحمن بن محيض ، عن صفية بنة شيبة ، عن حبيبة بنة أبي تجزأة وأما الشافعي فروى عن ابن المؤمل ، عن عمر بن عبد الرحمن بن محيض ، عن عطاء ، عن صفية بنت شيبة ، عن حبيبة بنت أبي تجزأة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

والحديث رواه الطبراني في الكبير (٢٤ / ٢٢٦) برقم (٥٧٣) : قال : ثنا عبد الله ، ثنا أبي ، عن الشافعي ، ثنا عبد الله بن المؤمل به « وجعله عن صفية بنت شيبة عن حبيبة به »

(٩٠٨) - المسند ٢٧٥٧٠ - (٤٣٧/٦) . وإسناده ضعيف لضعف موسى بن عبيدة .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .   [٢] - سقط من : ز ، خ .

وقد استدل بهذا الحديث على مذهب[١] من يرى أن[٢] السعي بين الصفا والمروة ركن في الحج ، كما هو مذهب الشافعي ، ومن وافقه ، [ورواية عن أحمد ، وهو المشهور عن مالك][٣] . وقيل : إنه واجب وليس بركن . [فإن تركه عمدًا أو سهوًا جبره بدم، وهو رواية عن أحمد وبه يقول طائفة][٤] . وقيل : بل مستحب [وإليه ذهب أبو حنيفة والثوري والشعبي وابن سيرين، وروي عن أنس وابن عمر وابن عباس، وحكي عن مالك في العتبية . قال القرطبي : واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ **فمن تطوع خيرًا** ﴾][٥] . والقول الأول أرجح ؛ لأنه عليه السلام طاف بينهما وقال : « **لتأخذوا عني مناسككم** » ، فكل ما فعله في حجته تلك واجب لابد من فعله في الحج ، إلا ما خرج بدليل ، والله أعلم .

[وقد تقدم قوله - عليه السلام - « **اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي** »][٦] فقد بيّن الله تعالى أن الطواف بين الصفا والمروة من شعائر الله ، أي : مما شرع الله تعالى لإبراهيم الخليل في مناسك الحج ، وقد تقدم في حديث ابن عباس أن أصل ذلك مأخوذ من تطواف[٧] هاجر وتَرْدادها بين الصفا والمروة في طلب الماء لولدها لما نَفَد ماؤهما وزادهما ، حين تركهما إبراهيم - عليه السلام - هنالك ، وليس[٨] عندهما أحد من الناس ، فلما خافت على ولدها الضيعة هنالك ، ونفد ما عندهما قامت تطلب الغوث من الله -عز وجل- فلم تزل تتردد في هذه البقعة المشرفة بين الصفا والمروة متذللة خائفة وجلة مضطرة فقيرة إلى الله عز وجل ، حتى كشف الله كربتها ، وآنس غربتها ، وفرج شدتها ، وأنبع لها زمزم التي ماؤها « **طعام طُعْم ، وشفاء سُقْم** » ، فالساعي بينهما ينبغي له أن يستحضر فقره وذُلَّه وحاجته إلى الله في هداية قلبه ، وصلاح حاله ، وغفران ذنبه ، وأن يلتجئ إلى الله -عز وجل- ليزيح ما هو به من النقائص والعيوب ، وأن يهديه إلى الصراط[٩] المستقيم ، وأن يثبته عليه إلى مماته ، وأن يحوله من حاله الذي هو عليه من الذنوب والمعاصي إلى حال الكمال والغفران والسداد والاستقامة ، كما فعل بهاجر ، عليها السلام .

[وقوله : ﴿ **فمن تطوع خيرًا** ﴾ قيل : زاد في طوافه بينهما على قدر الواجب ؛ ثامنة وتاسعة ونحو ذلك .

وقيل : يطوف بينهما في حجة تطوع أو عمرة تطوع . وقيل : المراد تطوع خيرًا في سائر

---

[١] - في ز : « من يذهب » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ت : « طواف » .
[٨] - في ز ، خ : « ليس » .
[٩] - في ز : « صراطه » .

العبادات . حكى ذلك الرازي وعزى الثالث إلى الحسن البصري ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **فإن الله شاكر عليم** ﴾ أي : يثيب على القليل بالكثير ، ﴿ **عليم** ﴾ بقدر الجزاء فلا يبخس أحدًا ثوابه و﴿ **لا يظلم مثقال ذرّة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرًا عظيمًا** ﴾][١] .

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾

هذا وعيد شديد لمن كتم ما جاءت به الرسل من الدلالات البينة على المقاصد الصحيحة والهدى النافع للقلوب من بعد ما بينه الله تعالى لعباده في كتبه التي أنزلها على رسله .

قال أبو العالية : نزلت في أهل الكتاب ، كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم . ثم أخبر أنهم يلعنهم كل شيء على صنيعهم ذلك ، فكما أن العالِم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في الماء والطير في الهواء ، فهؤلاء بخلاف العلماء ، فيلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون .

وقد ورد في الحديث المسند(٩٠٩) من طرائق[٢] يشد بعضها بعضًا ، عن أبي هريرة ، وغيره ؛ أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « **من سئل عن علم ، فكتمه ، ألجم يوم القيامة بلجام من نار** » .

والذي في الصحيح(٩١٠) عن أبي هريرة أنه قال : لولا آية في كتاب الله ما حدّثت أحدًا شيئًا : ﴿ **إنّ الذين يكتمون ما أنزلنا[٣] من البينات والهدى** ﴾. الآية .

وقال ابن أبي حاتم(٩١١) : حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا عمار بن محمد ، عن ليث بن أبي

(٩٠٩) - المسند (٢٦٣/٢ ، ٣٠٥ ، ٣٥٣ ، ٣٤٤ ، ٢٩٦ ، ٤٩٥) .

(٩١٠) - صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب : حفظ العلم برقم (١١٨) .

(٩١١) - رواه ابن أبي حاتم ١٤٤٤ - (٢٦٩/١) . وإسناده ضعيف .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - في ز ، خ : « طرق » .

[٣] - في خ : « أنزل الله » .

سليم ، عن المنهال بن عمرو ، عن زاذان - أبي[١] عُمَر - عن البراء بن عازب ؛ قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة ، فقال : « **إنّ الكافر يضرب ضربة بين عينيه فيسمع صوته كل دابة غير الثقلين ، فتلعنه كل دابة سمعت صوته ، فذلك قول الله تعالى : ﴿ أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾** » يعني : دواب الأرض .

[ورواه ابن ماجة(٩١٢) ، عن محمد بن الصباح ، عن [عمار][٢] بن محمد به][٣].

وقال عطاء بن أبي رباح : كل دابة والجنّ والإنس .

وقال مجاهد : إذا أجدبت الأرض قالت[٤] البهائم : هذا من أجل عصاة بني آدم لعن الله عصاة بني آدم .

وقال أبو العالية والربيع بن أنس وقتادة : **﴿ ويلعنهم اللاعنون ﴾** : [ ][٥] يعني تلعنهم ملائكة الله والمؤمنون .

[وقد جاء في الحديث : « **أنّ العالم يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر** »(٩١٣) . وجاء في هذه الآية أنّ كاتم العلم يلعنه الله والملائكة والناس أجمعون ، واللاعنون أيضًا وهم كل فصيح وأعجمي ؛ إمّا بلسان المقال أو الحال] أو كل من كان له عقل يوم القيامة ، [والله أعلم][٦] .

ثم استثنى الله تعالى من هؤلاء من تاب إليه ، فقال : **﴿ إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا ﴾** أي : رجعوا عما كانوا فيه ، وأصلحوا أعمالهم [وأحوالهم][٧] ، وبينوا للناس ما كانوا يكتمونه[٨] **﴿ فأولئك أتوب عليهم وأنا التوّاب الرحيم ﴾** . وفي هذا دلالة على أنّ الداعية إلى كفر أو بدعة إذا تاب إلى الله تاب الله عليه .

وقد ورد أنّ الأمم السابقة[٩] لم تكن التوبة تقبل من مثل هؤلاء منهم ، ولكن هذا من شريعة

(٩١٢) - لم نقف عليه في سنن ابن ماجه .

(٩١٣) - رواه الدارمي في المقدمة باب : في فضل العلم والعالم برقم (٣٤٣) ولفظه : « **معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر** » .

[١] - في ز : « بن » .
[٢] - في خ : عامر .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ر .
[٤] - في خ : « قال » .
[٥] - في ز : « يلعنهم » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٧] - زيادة من ر
[٨] - في ز ، خ : « كتموه » .
[٩] - في ز ، خ : « السالفة » .

نبي التوبة ونبي الرحمة صلوات الله وسلامه عليه .

ثم أخبر تعالى عمن كفر به واستمرّ به الحال إلى مماته بأنّ ﴿ **عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها** ﴾ أي : في اللعنة التابعة[١] لهم إلى يوم القيامة ، ثم المصاحبة لهم في نار جهنم التي ﴿ **لا يخفف عنهم العذاب** ﴾ فيها ، أي : لا[٢] ينقص عما هم فيه ﴿ **ولا هم ينظرون** ﴾ أي : لا يغير عنهم ساعة واحدة ، ولا يفتر بل هو متواصل دائم ، فنعوذ بالله من ذلك .

وقال أبو العالية وقتادة : إنّ الكافر يوقف يوم القيامة فيلعنه الله ، ثم تلعنه الملائكة ، ثم يلعنه[٣] الناس أجمعون .

[فصل

لا خلاف في جواز لعن الكفار ، وقد كان عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ومن بعده من الأئمة يلعنون الكفرة في القنوت وغيره ، فأمّا الكافر المعين فقد ذهب جماعة من العلماء إلى أنه لا يلعن ؛ لأنا لا ندري بما يختم الله له ، واستدل بعضهم بالآية ﴿ **إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين** ﴾ . وقالت طائفة أخرى : بل يجوز لعن الكافر المعين . واختاره الفقيه أبو بكر بن العربي المالكي . ولكنه احتج بحديث فيه ضعف ، واستدل غيره بقوله – عليه السلام – في قصة الذي كان يؤتى به سكران ، فيحدّه ، فقال رجل : لعنه الله ، ما أكثر ما يؤتى به ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله** »(٩١٤) ، فدل على أنّ من لا يحب الله ورسوله يلعن ، والله أعلم][٤] .

﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾

يخبر تعالى عن تفرّده بالإلهية ، وأنه لا شريك له ، ولا عديل له ، بل هو الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لا إله إلا هو وأنه الرحمن الرحيم . وقد تقدّم تفسير هذين الاسمين في أوّل الفاتحة[٥] ، وفي الحديث عن شهر بن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد بن السكن ، عن رسول الله

---

(٩١٤) – رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الحدود ، باب : ما يكره من لعن شارب الخمر ، وإنه ليس بخارج من الملة برقم (٦٧٨٠) من حديث عمر رضي الله عنه .

---

[١] – في ز : « البالغة » .
[٢] – سقط من : خ .
[٣] – في خ : « تلعنه » .
[٤] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] – في ز ، خ : « السورة » .

صلى اللَّه عليه وسلم أنه قال : « اسم اللَّه الأعظم في هاتين الآيتين : ﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ﴾ و﴿ الم اللَّه لا إله إلا هو [الحي القيوم][١] ﴾ »(٩١٥) . ثم ذكر الدليل على تفرّده بالإلهية [بتفرده][٢] بخلق السموات والأرض وما فيهما ، وما بين ذلك مما ذرأ وبرأ من المخلوقات الدالة على وحدانيته ، فقال :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾

يقول تعالى : ﴿ إنّ في خلق السموات والأرض ﴾ تلك في ارتفاعها ولطافتها[٣] واتساعها وكواكبها السيارة والثوابت ودوران فلكها ، وهذه الأرض في كثافتها[٤] وانخفاضها وجبالها ، وبحارها وقفارها ، وَوِهَادها وعُمْرانها ، وما فيها من المنافع ، واختلاف الليل والنهار ، هذا يجيء ثم يذهب ، ويخلفه الآخر ويعقبه ، لا يتأخر عنه لحظة ، كما قال تعالى : ﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ﴾ وتارة يطول هذا ويقصر هذا ، وتارة يأخذ هذا من هذا ثم يتعاوضان[٥] ، كما قال تعالى : ﴿ يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ﴾ أي : يزيد من هذا في هذا ، ومن هذا في هذا ﴿ والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ﴾ أي : في تسخير البحر لحمل السفن من جانب إلى جانب لمعاش الناس ، والانتفاع بما عند أهل ذلك الإقليم ، ونقل هذا إلى هؤلاء وما عند أولئك إلى هؤلاء ﴿ وما أنزل اللَّه من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ﴾ كما قال تعالى : ﴿ وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبًّا فمنه يأكلون ﴾ إلى قوله : ﴿ ومما لا يعلمون ﴾ .

(٩١٥) – رواه أحمد (٤٦١/٦) وأبو داود في كتاب الصلاة ، باب : الدعاء برقم (١٤٩٦) ، والترمذي في الدعوات ، باب : جامع الدعوات برقم (٣٤٧٨) ، وابن ماجه في الدعاء ، باب : اسم الله الأعظم حديث (٣٨٥٥) – وابن أبي شيبة (٢٧٢/١٠) والدارمي (٤٥٠/٢) وابن أبي حاتم ١٤٦٠ – (٢٧٢/١) والطبراني في الدعاء (١١٣) ، وفي الكبير (١٧٤/٢٤) – جميعهم من طريق عبيد الله بن أبي زياد القداح – ليس بالقوي – عن شهر – صدوق كثير الإرسال والأوهام – به . وقال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح » .

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] – زيادة من ز .
[٣] – سقط من : ز ، خ . [٤] – سقط من : ز ، خ .
[٥] – في خ : « يتعارضان » ، وفي ز : « يتقارضان » .

﴿ وبث فيها من كل دابة ﴾ أي على اختلاف أشكالها وألوانها ومنافعها وصغرها وكبرها ، وهو يعلم ذلك كله ويرزقه ، لا يخفى عليه [شيء من ذلك][١] ، كما قال تعالى : **﴿ وما من دابة في الأرض إلا على اللَّه رزقها ويعلم مستقرّها ومستودعها كل في كتاب مبين ﴾** . **﴿ وتصريف الرياح ﴾** أي : فتارة[٢] تأتي بالرحمة وتارة تأتي بالعذاب ، و[٣]تارة تأتي مبشرة بين يدي السحاب ، وتارة تسوقه ، وتارة تجمعه ، وتارة تفرّقه ، وتارة تصرفه ، [ثم تارة تأتي من الجنوب - وهي الشامية - وتارة تأتي من ناحية اليمن ، وتارة صبا وهي الشرقية التي تصدم وجه الكعبة وتارة دبورًا وهي غربية تفد من ناحية دبر الكعبة . وقد صنف الناس في الرياح والمطر والأنواء كتبًا كثيرة فيما يتعلق بلغاتها وأحكامها ، وبسط ذلك يطول هاهنا ، واللَّه أعلم][٤] .

﴿ والسحاب المسخر بين السماء والأرض ﴾ [أي : سائر بين السماء والأرض مسخر][٥] إلى ما يشاء[٦] اللَّه من الأراضي والأماكن ، كما يصرفه اللَّه[٧] تعالى **﴿ لآيات لقوم يعقلون ﴾** أي[٨] في هذه الأشياء دلالات بينة على وحدانية اللَّه تعالى ، كما قال تعالى :**﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ، الذين يذكرون اللَّه قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلًا سبحانك فقنا عذاب النار ﴾** .

وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه (٩١٦) : أخبرنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، حدّثنا أبو سعيد الدَّشْتَكِيّ ، حدّثني أبي ، عن أبيه ، عن أشعث بن إسحاق ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد

---

(٩١٦) - **أشعث بن إسحاق** : ذكره البخاري (٤٢٨/١) وابن أبي حاتم (٢٦٩/٢) ونقل قول ابن معين : ثقة . ووثقه ابن حبان (١٢٨/٨) .

وجعفر بن أبي المغيرة : ذكره ابن حبان في الثقات ونقل ابن حبان في الثقات عن أحمد بن حنبل توثيقه ، وقال ابن مندة : ليس بالقوي في سعيد بن جبير ، وقال أبو نعيم الأصبهاني : اسم أبي المغيرة دينار وذكره البخاري وابن أبي حاتم ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً (الجرح ٤٩٠/٢) (التاريخ ٢٠٠/٢) وفي التقريب : صدوق يهم .

وأبو سعيد الدشتكي : عبد الله بن سعد قال في التقريب : صدوق . وذكره البخاري (١٠٧/٥) وابنأبي حاتم (٩٤/٥) .

والحديث رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/١٢) من طريق يحيى الحماني عن يعقوب القمي ، عن جعفر بن أبي المغيرة به نحوه .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « من ذلك شيء ». [٢] - في ز ، خ : « تارة » .
[٣] - سقط من : ز . [٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : « يسخر » . [٦] - في خ : « شاء » .
[٧] - سقط في : ز . [٨] - في ز : « أن » .

ابن جبير ، عن ابن عباس ؛ قال : أتت قريش محمدًا صلى اللَّه عليه وسلم ؛ فقالوا : يا محمد ؛ إنا[١] نريد أن تدعو ربك أن يجعل لنا الصفا ذهبًا ، فنشتري به الخيل والسلاح ، فنؤمن بك ونقاتل معك . قال : « **أوثقوا[٢] لي لئن دعوت ربي فجعل لكم الصفا ذهبًا لتؤمنن بي** » . فأوثقوا له ، فدعا ربه فأتاه جبريل فقال : إن ربك قد أعطاهم الصفا ذهبًا على أنهم إن لم يؤمنوا بك عذبهم عذابًا لم يعذبه أحدًا من العالمين . قال محمد صلى اللَّه عليه وسلم : « **رب لا ، بل دعني وقومي فلأَدْعُهم يومًا بيوم** » ، فأنزل اللَّه هذه الآية ﴿ **إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس** ﴾ الآية .

ورواه ابن أبي حاتم(٩١٧) من وجه آخر ، عن جعفر بن أبي المغيرة به . وزاد في آخره : وكيف يسألونك عن الصفا وهم يرون من الآيات ما هو أعظم من الصفا .

وقال ابن أبي حاتم أيضًا(٩١٨) : حدّثنا أبي ، حدّثنا أبو حذيفة ، حدّثنا شبل ، عن ابن[٣] أبي نجيح ، عن عطاء ، قال : نزلت[٤] على النبي صلى اللَّه عليه وسلم بالمدينة : ﴿ **وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم** ﴾ . فقال كفار قريش بمكة : كيف يسع الناس إله واحد ؟ فأنزل اللَّه تعالى ﴿ **إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس** ﴾ إلى قوله ﴿ **لآيات لقوم يعقلون** ﴾ .

فبهذا يعلمون أنه إله واحد ، وأنه إله كل شيء ، وخالق كل شيء .

وقال وكيع(٩١٩) [بن الجراح][٥] : حدّثنا سفيان ، عن أبيه ، عن أبي الضحى قال : لما نزلت : ﴿ **وإلهكم إله واحد** ﴾ إلى آخر الآية قال المشركون : إن كان هكذا فليأتنا بآية . فأنزل اللَّه- عز وجل- ﴿ **إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار** ﴾ إلى قوله ﴿ **يعقلون** ﴾ .

ورواه آدم بن أبي إياس ، عن أبي جعفر - هو الرازي - عن سعيد بن مسروق والد سفيان ، عن أبي الضحى ، به .

---

(٩١٧) - رواه ابن أبي حاتم برقم ١٤٦٥- (٢٧٣/١) من حديث عبد الرحمن بن عمر الزهري الصهباني رسته ، عن ابن مهدي - يعني عبد الرحمن - عن يعقوب بن عبد الله الأشعري ، عن جعفر به .

(٩١٨) - رواه ابن أبي حاتم برقم ١٤٦٤ - (٢٧٢/١) .

(٩١٩) - رواه ابن جرير عن سفيان بن وكيع عن أبيه به ٢٣٩٩ - (٢٦٩/٣) .

---

[١] - في ز : « إنما » .
[٢] - في خ : « وثقوا » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « نزل » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾

يذكر تعالى حال المشركين به في الدنيا، وما لهم في الدار الآخرة، حيث جعلوا له[١] أندادًا، أي: أمثالًا ونظراء يعبدونهم معه ويحبونهم كحبه، وهو الله لا إله إلا هو، ولا ضد له ولا ند له، ولا شريك معه.

وفي «**الصحيحين**(٩٢٠)» عن عبد الله بن مسعود قال[٢]: قلت: يا رسول الله؛ أي الذنب أعظم؟ قال: «**أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك**».

وقوله: ﴿**والذين آمنوا أشد حبًّا لله**﴾ ولحبهم لله وتمام معرفتهم به، وتوقيرهم، وتوحيدهم له، لا يشركون به شيئًا؛ بل يعبدونه وحده ويتوكلون عليه، ويلجئون في جميع أمورهم إليه. ثم توعد تعالى المشركين به الظالمين لأنفسهم بذلك فقال: ﴿**ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعًا**﴾ [قال بعضهم: تقدير الكلام: لو عاينوا العذاب لعلموا حينئذ أن القوة لله جميعا][٣]، أي: إن الحكم له وحده لا شريك له، وأن جميع الأشياء تحت قهره وغلبته وسلطانه ﴿**وأن الله شديد العذاب**﴾ كما قال: ﴿**فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد**﴾ يقول: لو علموا ما يعاينونه[٤] هنالك، وما يحل بهم من الأمر الفظيع المنكر الهائل على شركهم وكفرهم - لانتهوا عما هم فيه من الضلال.

ثم أخبر عن كفرهم بأوثانهم وتبرئ المتبوعين من التابعين، فقال: ﴿**إذ تبرأ الذين اتبعوا من**

(٩٢٠) - البخاري في التفسير - سورة البقرة، باب: قوله تعالى: ﴿**فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون**﴾ برقم (٤٤٧٧) وصحيح مسلم في الإيمان برقم ١٤١ - (٨٦).

[١] - سقط من: ز.
[٢] - سقط من: ز، خ.
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٤] - في ز، خ: «يقنتونه».

الذين اتبعوا ﴾ تبرأت منهم الملائكة الذين كانوا يزعمون أنهم يعبدونهم في الدار[١] الدنيا ، فتقول الملائكة : **﴿ تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون ﴾** ويقولون : **﴿ سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ﴾** .

والجن أيضًا تتبرأ منهم و[يتنصلون][٢] من عبادتهم لهم ، كما قال تعالى : **﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون اللّٰه من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾** . وقال تعالى : **﴿ واتخذوا من دون اللّٰه آلهة ليكونوا لهم عزًّا كلّا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدًّا ﴾** .

وقال الخليل لقومه : **﴿ إنما اتخذتم من دون اللّٰه أوثانًا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضًا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ﴾** . وقال تعالى : **﴿ ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين * قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين * وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر باللّٰه ونجعل له أندادًا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون ﴾** . وقال تعالى : **﴿ وقال الشيطان لما قضي الأمر إن اللّٰه وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتموني من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم ﴾**.

وقوله : **﴿ ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب ﴾** أي : عاينوا عذاب اللّٰه ، وتقطعت بهم الحيل ، وأسباب الخلاص ، ولم يجدوا عن النار معدلًا ولا مصرفًا .

قال عطاء ، عن ابن عباس : **﴿ وتقطعت بهم الأسباب ﴾** قال : المودة . وكذا قال مجاهد في رواية ابن أبي نجيح .

وقوله : **﴿ وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا ﴾** أي : لو أن لنا عودة إلى الدار الدنيا حتى نتبرأ من هؤلاء ومن عبادتهم ، فلا نلتفت إليهم ، بل نوحد اللّٰه وحده بالعبادة ، وهم كاذبون في هذا ، بل لو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه [وإنهم لكاذبون][٣] . كما أخبر اللّٰه[٤] تعالى عنهم بذلك ؛ ولهذا قال : **﴿ كذلك يريهم اللّٰه أعمالهم حسرات**

---

[١] - في ز : « دار » .

[٢] - سقط من : خ ، وفي ز : « وينتصلون » . [٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - سقط من : خ .

عليهم ﴾ [أي : تذهب وتضمحل كما قال تعالى : ﴿ **وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورًا** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف** ﴾ الآية . وقال تعالى : ﴿ **والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء** ﴾ الآية ؛ ولهذا قال تعالى][١] : ﴿ **وما هم بخارجين من النار** ﴾ .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾

لما بين تعالى أنه لا إله إلا هو ، وأنه المستقل بالخلق ، شرع يبين أنه الرزاق[٢] لجميع خلقه ، فذكر في[٣] مقام الامتنان ؛ أنه أباح لهم أن يأكلوا مما [في الأرض][٤] في حال كونه حلالًا من الله طيبًا ، أي : مستطابًا في نفسه غير ضار للأبدان ولا للعقول ، ونهاهم عن اتباع خطوات الشيطان ، وهي : طرائقه ومسالكه فيما أضل أتباعه فيه من تحريم البحائر والسوائب والوصائل ونحوها مما كان زينة لهم في جاهليتهم ، كما في حديث عياض بن حمار[٥] الذي في « **صحيح مسلم**(٩٢١) » عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **يقول الله تعالى : إن كل ما أمنحه عبادي فهو لهم حلال** - وفيه - **وإني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم**[٦] (*) **عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت**[٧] **لهم** » .

وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه(٩٢٢) : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا محمد بن عيسى بن شيبة المصري ، حدثنا الحسن[٨] بن عبد الرحمن [الاحتياطي ، حدثنا][٩] أبو عبد الله

---

(٩٢١) - مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها برقم ٦٣ - (٢٨٦٥) .

(٩٢٢) - **ضعيف** ، والحسن الاحتياطي قال ابن عدي (٧٤٦/٢ - ٧٤٧) : يسرق الحديث ، منكر عن الثقات ، ولا يشبه حديثه حديث أهل الصدق . والحديث رواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٦٤٩٥) . وقال : لا يروى عن ابن جريج إلا بهذا الإسناد تفرد به الاحتياطي . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩١/١) وقال: رواه الطبراني في الصغير وفيه من لم أعرفهم . واشار الحافظ المنذري إلى ضعفه في الترغيب (١٢/٣) . وضعفه الألباني في الضعيفة (١٨١٢) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في خ : « الرزاق » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٥] - في خ : « حماد » .

[٦] - في ز ، خ : « فاختالتهم » .

[٧] - في خ : « أحلت » .

[٨] - في ز ، خ : الحسين

[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

الجوزجاني - رفيق إبراهيم بن أدهم - حدثنا ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : تليت هذه الآية عند النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ **يأيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيبًا** ﴾ فقام سعد بن أبي وقاص فقال : يا رسول الله ؛ ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة ، فقال : « **يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذي نفس محمد بيده [إن الرجل لَيَقذف][١] اللقمةَ الحرامَ في جَوْفه ما[٢] يُتَقَبَّل منه أربعين يومًا ، وأيما عبد نبت لحمه من السحت والربا فالنار أولى به** » .

وقوله : ﴿ **إنه لكم عدوّ مبين** ﴾ تنفير عنه وتحذير منه ، كما قال : ﴿ **إن الشيطان لكم عدوّ فاتخذوه عدوّا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً** ﴾ .

وقال قتادة ، والسدي في قوله : ﴿ **ولا تتبعوا خطوات الشيطان** ﴾ : كل معصية لله فهي من خطوات الشيطان .

وقال عكرمة : هي نزغات الشيطان . وقال مجاهد : خطاه ، أو قال : خطاياه .

وقال أبو مِجْلَز : هي النذور في المعاصي .

وقال الشعبي : نذر رجل أن ينحر ابنه فأفتاه مسروق بذبح كبش . وقال : هذا من خطوات الشيطان .

وقال أبو الضحىٰ ، عن مسروق : أتي عبد الله بن مسعود بضرع وملح ، فجعل يأكل ، فاعتزل رجل من القوم ، فقال ابن مسعود : ناولوا صاحبكم . فقال : لا أريده . فقال : أصائم أنت ؟ قال : لا . قال : فما شأنك ؟ قال حرمت أن آكل ضرعًا أبدًا . فقال ابن مسعود : هذا من خطوات الشيطان ، فاطْعَم وكَفِّر عن يمينك .

رواه[٣] ابن أبي حاتم(٩٢٣) .

وقال أيضًا(٩٢٤) : حدثنا أبي ، حدثنا حسان بن عبد الله المصري[٤] ، عن سليمان التيمي ، عن أبي رافع ، قال : غضبت يومًا[٥] على امرأتي ، فقالت : هي يومًا يهودية ويومًا نصرانية ، وكل

(٩٢٣) - ابن أبي حاتم ١٥٠٣ - (٢٨٠/١) .
(٩٢٤) - ابن أبي حاتم ١٥٠٢ - (٢٨٠/١) .

[١] - في خ : مكانها بياض .
[٢] - في ز ، خ : « لا » .
[٣] - في ز : « رواهن » .
[٤] - في خ : « البصري » .
[٥] - سقط من : ز .

مملوك لها حر إن لم تطلق امرأتك . فأتيت عبد الله بن عمر فقال : إنما هذه من خطوات الشيطان . وكذلك قالت زينب بنت أم سلمة ، وهي يومئذ أفقه امرأة في المدينة . وأتيت عاصمًا[١] وابن عمر فقالا مثل ذلك .

وقال [عبد بن حميد][٢] : حدثنا[٣] أبو نعيم ، عن شريك ، عن عبد الكريم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : ما كان من يمين أو نذر في غضب فهو من خطوات الشيطان ، وكفارته كفارة يمين .

وقوله : ﴿ **إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون** ﴾ أي : إنما يأمركم عدوكم الشيطان بالأفعال السيئة ، وأغلظ منها الفاحشة كالزنا ونحوه ، وأغلظ من ذلك وهو القول على الله بلا علم ، فيدخل في هذا كل كافر وكل مبتدع أيضًا .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ (١٧٠) وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (١٧١)

يقول تعالى : (وإذا) قيل لهؤلاء الكفرة من المشركين : اتبعوا ما أنزل الله على رسوله ، واتركوا ما أنتم عليه[٤] من الضلال والجهل ، قالوا في جواب ذلك : بل نتبع ما ألفينا ، أي : وجدنا عليه آباءنا أي من عبادة الأصنام والأنداد . قال الله تعالى منكرًا عليهم : ﴿ **أو لو كان آباؤهم** ﴾ أي : الذين يقتدون بهم ويقتفون أثرهم ﴿ **لا يعقلون شيئًا ولا يهتدون** ﴾ أي : ليس لهم فهم ولا هداية .

وروى ابن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس أنها نزلت في طائفة من اليهود ، دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، فقالوا : بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ؛ فأنزل الله هذه الآية .

ثم ضرب لهم تعالى مثلًا ، كما قال تعالى : ﴿ **للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء** ﴾ فقال :

---

[١] - في ز : « عاصم » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « عبد الله » ، وفي ز : « عبد » .

[٣] - في خ : « ثنا » . [٤] - في ز ، خ : « فيه » .

﴿ و[١]**مثل الذين كفروا** ﴾ أي : فيما هم فيه من الغي والضلال والجهل ، كالدواب السارحة التي لا تفقه [ما يقال لها ؛ بل إذا نعق بها راعيها - أي دعاها إلى ما يرشدها - لا تفقه][٢] ما يقول ولا تفهمه ، بل إنما تسمع صوته فقط .

هكذا روي عن ابن عباس ، وأبي العالية ، ومجاهد ، وعكرمة ، وعطاء ، والحسن ، وقتادة ، وعطاء الخراساني ، والربيع بن أنس ، نحو هذا .

[وقيل : إنما هذا مثل ضرب لهم في دعائهم الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل شيئًا ، اختاره ابن جرير . والأوّل أولى ؛ لأن الأصنام لا تسمع شيئًا ولا تعقله ولا تبصره ولا بطش لها ولا حياة فيها][٣] . وقوله : ﴿ **صم بكم عمي** ﴾ أي صم عن سماع الحق ، بكم لا يتفوّهون به ، عُمي عن رؤية طريقه ومسلكه ﴿ **فهم لا يعقلون** ﴾ أي : لا يعقلون شيئًا ولا يفهمونه .

[كما قال تعالى : ﴿ **والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ اللَّه يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم** ﴾][٤] .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾

يقول تعالى آمرًا عباده المؤمنين بالأكل من طيبات ما رزقهم تعالى ، وأن يشكروه تعالى على ذلك إن كانوا عبيده ، والأكل من الحلال سبب لتقبل الدعاء والعبادة ، كما أن الأكل من الحرام يمنع قبول الدعاء والعبادة[٥] ، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد(٩٢٥) حدّثنا أبو النضر ، حدثنا الفضيل بن مرزوق ، عن عدي بن ثابت ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **أيها الناس إن اللَّه طيب لا يقبل إلا طيبًا** ،

(٩٢٥) - المسند (٣٢٨/٢) ومسلم في الزكاة برقم ٦٥ - (١٠١٥) والترمذي في تفسير القرآن ، سورة البقرة برقم (٢٩٨٩) .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : ز ، خ .

وإن اللّه أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال : ﴿ يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحًا إني بما تعملون عليم ﴾ وقال : ﴿ يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ . ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ، يمد يديه إلى السماء : يارب يارب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذي بالحرام ، فأنّى يستجاب لذلك ؟! » .

ورواه مسلم في « **صحيحه** » ، والترمذي من حديث فضيل[١] بن مرزوق .

ولما امتن تعالى عليهم برزقه ، وأرشدهم إلى الأكل من طيبه ، ذكر أنه لم يحرّم عليهم من ذلك إلا الميتة ، وهي التي تموت حتف أنفها من غير تذكية ، وسواء كانت منخنقة ، أو موقوذة ، أو متردية ، أو نطيحة ، أو قد عدا عليها السبع ، [وقد خصص الجمهور من ذلك ميتة البحر لقوله تعالى ﴿ **أحل لكم صيد البحر وطعامه** ﴾ على ما سيأتي إن شاء اللّه . وحديث العنبر في الصحيح وفي المسند والموطأ والسنن قوله عليه السلام في البحر : « **هو الطهور ماؤه الحل ميتته** »(٩٢٦) .

---

(٩٢٦) - صحيح ، أخرجه مالك في الموطأ ، كتاب الطهارة ، باب : الطهور للوضوء (١٢) ، ومن طريقه أبو داود في الطهارة ، باب : الوضوء بماء البحر (٨٣) ، والترمذي في الطهارة ، باب : ما جاء في ماء البحر أنه طهور (٦٩) ، والنسائي في الطهارة ، باب : ماء البحر (١/ ٥٠) ، وفي التيمم ، باب : الوضوء بماء البحر (١٧٦/١) ، وابن ماجه في الطهارة وسننها ، باب : الوضوء بماء البحر (٣٨٦) ، وفي الصيد ، باب : الطافي من صيد البحر (٣٢٤٦) ، وأحمد (٢٣٧/٢ ، ٣٦١ ، ٣٩٣) ، والدارمي (٧٣٥ ، ٢٠١٧) ، وابن الجارود (٤٣) ، والبغوي في « شرح السنة » (٢٨١) ، والبيهقي في « السنن » (٣/١) ، والدارقطني (٣٦/١) ، والبخاري في « التاريخ الكبير » (٤٧٨/٣) ، وصححه ابن حبان (١٢٤٣) ، وهو في الموارد (١١٩) ، وابن خزيمة (١١١) ، والحاكم (١٤٠/١) ووافقه الذهبي .

وأخرجه أحمد (٣٩٢/٢) ، والحاكم (١٤١/١) من طرق ثلاثة عن صفوان ، به ، ووقع عند أحمد : « عن أبي بردة » ، بدلًا من « المغيرة بن أبي بردة » .

وأخرجه أحمد أيضًا (٣٧٨/٢) ، والبخاري في « التاريخ » (٤٧٨/٣) ، والدارمي (٧٣٤) ، والحاكم (١٤١/١) ، والبيهقي (٣/١) من طريق الجلاح أبي كثير عن سعيد بن سلمة عن المغيرة ، به .

لكن وقع عند الدارمي عن عبد الله بن سعيد المخزومي ، عن المغيرة بن أبي بردة عن أبيه عن أبي هريرة ، فزاد « عن أبيه » بين المغيرة وأبي هريرة ، وسمى سعيد بن سلمة « عبد الله بن سعيد » . وهذا اختلاف في اسم « سعيد بن سلمة » كما قال البيهقي في السنن (٣/١) ، وقال أيضًا - فيما نقله عنه الزيلعي في نصب الراية (٩٧/١) - : « ... وإنما لم يخرجه البخاري ، ومسلم في صحيحيهما لاختلاف وقع في اسم سعيد ابن سلمة ، والمغيرة بن أبي بردة » .

قلت : وتابع سعيد بن سلمة عن المغيرة - به - يزيدُ بن محمد القرشي عند الحاكم (١٤٢/١) والبيهقي .

قال الزيلعي : ولا يضر اختلاف من اختلف عليه فيه ، فإن مالكًا قد أقام إسناده عن صفوان بن سليم ، وتابعه الليث بن سعد عن يزيد عن الجلاح ، كلاهما عن سعيد بن سلمة عن المغيرة بن أبي بردة ، ثم =

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

وروى الشافعي وأحمد وابن ماجة والدارقطني حديث ابن عمر مرفوعًا : « **أحل لنا ميتتان ودمان : السمك والجراد والكبد والطحال** »(٩٢٧) وسيأتي تقرير ذلك إن شاء الله في سورة المائدة .

[مسألة] ولبن الميتة وبيضها المتصل بها نجس عند الشافعي وغيره ؛ لأنه جزء منها .

وقال مالك في رواية : هو طاهر ؛ إلا أنه ينجس بالمجاورة . وكذلك أنفحة الميتة فيها الخلاف ، والمشهور عندهم أنها نجسة . وقد أوردوا على أنفسهم أكل الصحابة من جبن المجوس فقال القرطبي في التفسير هاهنا : يخالط اللبن منها يسير ويُعفى عن قليل النجاسة إذا خالط الكثير من المائع .

وقد روى ابن ماجة(٩٢٨) من حديث سيف بن هارون ، عن سليمان التيمي ، عن أبي عثمان

= يزيد ابن محمد القرشي عن المغيرة بن أبي بردة عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فصار الحديث بذلك صحيحًا .

وقال الترمذي في « العلل » رقم (٢٣) : سألت محمد بن إسماعيل البخاري عن هذا الحديث فقال : هو حديث صحيح . ونقل الحافظ ابن حجر في « تهذيب التهذيب » (١٠/٢٣٠) تصحيح هذا الحديث عن ابن خزيمة ، وابن حبان ، وابن المنذر ، والخطابي ، والطحاوي ، وابن مندة ، والحاكم وابن حزم ، والبيهقي ، وعبد الحق .

(٩٢٧) - ترتيب المسند للشافعي (٢ / ١٧٣) ، وأحمد : (٢ / ٩٧) ، وابن ماجة : كتاب الصيد ، باب : صيد الحيتان والجراد (٢ / ١٠٧٣ / رقم : ٣٢١٨) وكتاب الأطعمة ، باب : الكبد والطحال (٢ / ١١٠١ ، ١١٠٢ / رقم : ٣٣١٤) . والدارقطني : (٤ / ٢٧٢) ، والبيهقي في الكبرى (١ / ٢٥٤) ، ١٠ / ٧) من رواية عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن ابن عمر . ورواه الدارقطني من رواية سليمان بن بلال ، عن زيد بن أسلم موقوفًا . قال : وهو أصح . وكذا صحح الموقوف أبو زرعة وأبو حاتم .

وعبد الرحمن بن زيد ضعيف متروك . وقال أحمد : حديثه هذا منكر . وقال البيهقي : رفع هذا الحديث أولاد زيد بن أسلم : عبد الله ، وعبد الرحمن ، وأسامة ، وقد ضعفهم ابن معين ، وكان أحمد بن حنبل يوثق عبد الله . قلت - ابن حجر - : رواه الدارقطني (٤/٢٧١ - ٢٧٢) وابن عدي (١/٣٩٧) من رواية عبد الله بن زيد بن أسلم ، قال ابن عدي : الحديث يدور على هؤلاء الثلاثة . قلت - ابن حجر - : تابعهم شخص أضعف منهم ، وهو أبو هاشم كثير بن عبد الله الأبلي ، أخرجه ابن مردويه في تفسير سورة الأنعام من طريقه ، عن زيد بن أسلم به ، بلفظ : « **يحل من الميتة اثنان ، ومن الدم اثنان ، فأما الميتة : فالسمك والجراد ، وأما الدم : فالكبد والطحال** » ورواه المسور بن الصلت أيضًا ، عن زيد بن أسلم ، لكنه خالف في إسناده ، قال : عن عطاء ، عن أبي سعيد مرفوعًا . أخرجه الخطيب - في تاريخ بغداد (١٣ / ٢٤٥) ترجمة المسور بن الصلت . وذكره الدارقطني في العلل ، والمسور كذاب ، نعم الرواية الموقوفة التي صححها أبو حاتم وغيره ، هي في حكم المرفوع ؛ لأن قول الصحابي : أحل لنا كذا ، وحرم علينا كذا ، مثل قوله : أمرنا بكذا ، ونهينا عن كذا ، فيحصل الاستدلال بهذه الرواية ؛ لأنها في معنى المرفوع . والله أعلم .

(٩٢٨) - سيف بن هارون : قال ابن معين : سنان أوثق من أخيه سيف وهو فوقه ، وسيف ليس بشيء =

النهدي ، عن سلمان - رضي الله عنه - : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السمن والجبن والفراء فقال : « **الحلال ما أحل الله في كتابه ، والحرام ما حرّم الله في كتابه ، وما سكت عنه فهو ممَّا عفا عنه** »][١]. وكذلك حرّم عليهم لحم الخنزير ، سواء ذكي ، أو مات حتف أنفه ، ويدخل شحمه في حكم لحمه ، إما تغليبًا ، أو أن اللحم يشمل ذلك ، أو بطريق القياس على رأي ؛ وكذلك[٢] حرّم عليهم ما أهل به لغير الله وهو ما ذبح على غير اسمه تعالى من الأنصاب والأنداد والأزلام ، ونحو ذلك مما كانت الجاهلية ينحرون له .

[وذكر القرطبي ، عن ابن عطية ، أنه نقل عن الحسن البصري ، أنه سئل عن امرأة عملت عرسًا للعبها فنحرت فيه جزورًا ، فقال : لا تؤكل لأنها ذبحت لصنم .

وأورد القرطبي ، عن عائشة - رضي الله عنها - أنها سئلت عما يذبحه العجم لأعيادهم فيهدون منه المسلمين ، فقالت : ما ذبح لذلك اليوم فلا تأكلوا منه وكلوا من أشجارهم][٣] .

ثم أباح تعالى تناول ذلك عند الضرورة والاحتياج إليها عند فقد غيرها من الأطعمة فقال : ﴿ **فمن اضطر غير باغ ولا عاد** ﴾ أي : في غير بغي ولا عدوان ، وهو مجاوزة الحد ﴿ **فلا إثم عليه** ﴾ أي : في أكل ذلك ﴿ **إن الله غفور رحيم** ﴾ .

وقال مجاهد : فمن اضطر غير باغ ولا عاد ، قاطعًا للسبيل ، أو مفارقًا للأئمة ، أو خارجًا في معصية الله ، فله الرخصة ، ومن خرج باغيًا ، أو عاديًا ، أو في معصية الله فلا رخصة له ، وإن اضطرّ إليه ، وكذا روي عن سعيد بن جبير .

= وقال مرة : سنان أحسنهما حالاً . وقال مرة : سيف ليس بذاك . وقال الآجري عن أبي داود : ليسا بشيء . وقال النسائي : ضعيف . وقال الدارقطني : ضعيف متروك . وقال أبو سعيد الأشج : ثنا أبو نعيم ، ثنا سيف بن هارون وكان ثقة . وقال ابن عدي : له أحاديث ليست بالكثيرة وفي رواياته بعض النكرة روى له الترمذي وابن ماجة حديثًا واحد .... وفيه : « **الحلال ما أحل الله في كتابه** » وقال مهنأ عن أحمد : أحاديثه منكرة . وقال أبو أحمد الحاكم : ليس بالقوي عندهم . وقال ابن حبان يروي عن الأثبات الموضوعات وصحح ابن جرير حديثه في تهذيبه . (التهذيب) .

والحديث رواه ابن ماجة في كتاب الأطعمة ، باب: الجبن والسمن برقم (٣٣٦٧)

ورواه الترمذي في اللباس ، باب : ما جاء في لبس الفراء برقم (١٧٢٦) من طريق سيف بن هارون به وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه . وروى سفيان وغيره عن سليمان التيمي - عن أبي عثمان ، عن سلمان قوله ، كأن الحديث الموقوف أصح ، وسألت البخاري عن هذا الحديث فقال : ما أراه محفوظًا ، روى سفيان عن سليمان التيمي عن أبي عثمان ، عن سلمان موقوفًا ، قال البخاري : وسيف بن هارون مقارب الحديث ، وسيف بن محمد ، عن عاصم ذاهب الحديث .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وقال سعيد في رواية عنه ، ومقاتل بن حيان : غير باغ : يعني غير مستحله .

وقال السدي : غير باغ يبتغي فيه شهوته .

وقال [آدم بن أبي إياس : حدثنا ضمرة ، عن عثمان بن][١] عطاء - وهو[٢] الخراساني - [في قوله : غير باغ][٣] ، [عن أبيه قال][٤] : لا يشوي من الميتة ليشتهيَه ، ولا يطبخه ولا يأكل إلا العُلْقَة ، ويحمل معه ما يبلغه الحلال ، فإذا بلغه ألقاه . [وهو قوله : ﴿ ولا عاد ﴾ ويقول : لا يعدو به الحلال][٥] .

وعن ابن عباس : لا يشبع منها . وفسره السدي بالعدوان . وعن ابن عباس ﴿ غير باغ ولا عاد ﴾ قال : غير باغ في الميتة ولا عاد في أكله .

وقال قتادة : ﴿ فمن اضطر غير باغ ولا عاد ﴾ [قال : غير باغ في الميتة أي][٦] في أكله أن يتعدّى حلالًا إلى حرام . وهو يجد عنه مندوحة .

[وحكى القرطبي عن مجاهد في قوله : ﴿ فمن اضطر ﴾ أي : أكره على ذلك بغير اختياره .

[مسألة] ذكر القرطبي إذا وجد المضطر ميتة وطعام الغير بحيث لا قطع فيه ولا أذى ، فإنه لا يحل له أكل الميتة ، بل يأكل طعام الغير بغير خلاف - كذا قال - ثم قال : وإذا أكله والحالة هذه [هل يضمن أم لا ؟ فيه قولان هما روايتان عن مالك .

ثم أورد من سنن ابن ماجة(٩٢٩) من حديث شعبة ، عن أبي إياس جعفر بن أبي وحشية ، سمعت عباد بن شرحبيل العنزي قال : أصابتنا عامًا مخمصة ، فأتيت المدينة ، فأتيت حائطًا ، فأخذت سنبلًا ففركته وأكلته وجعلت منه في كسائي ، فجاء صاحب الحائط فضربني وأخذ

---

(٩٢٩) - عباد بن شرحبيل : قال البغوي وأبو الفتح الأزدي ما روى عنه غيره - يعني جعفر - وقال ابن السكن : في صحبته نظر .

والحديث رواه ابن ماجة في التجارات ، باب : من مر على ماشية قوم أو حائطٍ ، هل يصيب منه ؟ برقم (٢٢٩٨) . ورواه أبو داود في الجهاد ، باب : في ابن السبيل يأكل من التمر ويشرب من اللبن . ورواه أحمد ١٧٥٦٨ - (١٦٦/٤) . والنسائي في كتاب القضاة ، باب : الاستعداء (٢٤٠/٨) . والبيهقي في كتاب الضحايا ، باب : ما يحل للمضطر من مال الغير (٢/١٠) . والحاكم في المستدرك في كتاب الأطعمة (١٣٣/٤). وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين زيادة من ز ، خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

ثوبي ، فأتيت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فأخبرته فقال للرجل : « **ما أطعمته إذ كان جائعًا – [أو ساغباً][١] – ولا علمته إذ كان جاهلًا** » ، فأمره فردّ إليه ثوبه وأمر له بوسق من طعام أو نصف وسق ، إسناد صحيح قوي جيد . وله شواهد كثيرة ، من ذلك حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده : سئل رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم عن الثمر المعلق فقال : « **من أصاب منه من ذي حاجة بفيه غير متخذ خُبنة فلا شيء عليه** » الحديث(٩٣٠)][٢] .

وقال مقاتل بن حيان في قوله : ﴿ **فلا إثم عليه إن اللّه غفور رحيم** ﴾ فيما أكل من اضطرار ، وبلغنا – واللّه أعلم – أنه لا يزاد على ثلاث لقم .

وقال سعيد بن جبير : غفور لما أكل من الحرام . رحيم ؛ إذ أحل له الحرام في الاضطرار .

وقال وكيع : حدثنا الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق قال : من اضطر فلم يأكل ولم يشرب ، ثم مات دخل النار .

[وهذا يقتضي أن أكل الميتة للمضطر عزيمة لا رخصة ، قال أبو الحسن الطبري – المعروف بالكيا الهراسي – رفيق الغزالي في الاشتغال : وهذا هو الصحيح عندنا كالإفطار للمريض في رمضان ونحو ذلك][٣] .

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿١٧٦﴾

(٩٣٠) – رواه أبو داود في الحدود حديث (٤٣٩٠) وفي اللقطة ، باب : التعريف باللقطة ، حديث (١٧١٠) ، ورواه الترمذي في البيوع برقم (١٢٨٩) ورواه النسائي في قطع السارق ، باب :الثمر يسرق بعد أن يؤويه الجرين ٤٩٥٧ – (٨٥/٤) ، ورواه ابن ماجه في الحدود (٢٥٩٦) ورواه أحمد ، وقال الترمذي : « هذا حديث حسن » .

وقوله : خبنة : الخبنة: معطوف الإزار ، وطرف الثوب ، أي لا يأخذ في ثوبه . يقال : أخبن الرجل إذا خبأ شيئاً في خبنة ثوبه أو سراويله اهـ . من النهاية .

[١] – زيادة من ابن ماجه . [٢] – ما بين المعكوفتين سقط من ر ، خ .

[٣] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ

يقول تعالى : ﴿ **إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب** ﴾ يعني : اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم التي بأيديهم ، مما يشهد[١] له بالرسالة والنبوة ، فكتموا ذلك لئلا تذهب رياستهم وما كانوا يأخذونه من العرب من الهدايا والتحف على تعظيمهم إياهم ، فخشوا - لعنهم الله ! - إن أظهروا ذلك أن يتبعه الناس ويتركوهم ، فكتموا ذلك إبقاء على ما كان يحصل لهم من ذلك ، وهو نزر[٢] يسير ، فباعوا أنفسهم بذلك ، واعتاضوا عن الهدى ، واتباع الحق وتصديق الرسول والإيمان بما جاء عن الله بذلك النزر[٣] اليسير ، فخابوا وخسروا في الدنيا والآخرة ؛ أما في الدنيا فإن الله أظهر لعباده صدق رسوله ، بما نصبه وجعله معه من الآيات الظاهرات والدلائل[٤] القاطعات ، فصدّقه الذين كانوا يخافون أن يتبعوه ، وصاروا عونًا له على قتالهم ، وباءوا بغضب على غضب ، وذمّهم الله في كتابه في غير [ ][٥] موضع .

فمن[٦] ذلك هذه الآية الكريمة ﴿ **إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنًا قليلًا** ﴾ وهو : عرض الحياة الدنيا ﴿ **أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار** ﴾ أي : إنما يأكلون ما يأكلونه في مقابلة كتمان الحق نارًا تأجج في بطونهم يوم القيامة ، كما قال تعالى : ﴿ **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا إنما يأكلون في بطونهم نارًا وسيصلون سعيرًا** ﴾ ، وفي الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **إن[٧] الذي يأكل أو يشرب في آنية الذهب والفضة إنما يُجَرْجِرُ في بطنه نار جهنم** »(٩٣١).

وقوله : ﴿ **ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم** ﴾ وذلك لأنه تعالى غضبان عليهم ؛ لأنهم كتموا وقد علموا ، فاستحقوا الغضب ، فلا ينظر إليهم ولا يزكيهم ، أي : يثني عليهم ويمدحهم ، بل يعذبهم عذابًا أليمًا .

وقد ذكر ابن أبي حاتم(٩٣٢) : وابن مردويه هاهنا حديث الأعمش ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ثلاثة لا يكلمهم الله ، ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم [ولهم عذاب][٨] أليم : شيخ زانٍ ، وملك كذاب ، وعائل مستكبر** ».

(٩٣١) - رواه مسلم في اللباس والزينة برقم ٢ - (٢٠٦٥) ، من حديث أم سلمة رضي الله عنها .
ورواه البخاري في كتاب الأشربة ، باب : آنية الفضة برقم (٥٦٣٤) - وكذا مسلم ١ - (٢٠٦٥) وابن ماجه (٣٤١٣) - مقتصرين على ذكر الفضة - من حديث أم سلمة رضي الله عنها .

(٩٣٢) - ابن أبي حاتم ١٥٣٦ - (٢٨٦/١) . والحديث رواه مسلم في كتاب الإيمان من صحيحه برقم ١٧٢ - (١٠٧) .

[١] - في ت : « تشهد » .
[٢] - في خ : « نذر » .
[٣] - في خ : « النذر » .
[٤] - في خ : « الدلالات » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « ما » .
[٦] - في ز : « من » .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

ثم قال تعالى مخبرًا عنهم : ﴿ **أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى** ﴾ أي : اعتاضوا عن الهدى وهو نشر ما في كتبهم من صفة الرسول وذكر مبعثه والبشارة به[١] من كتب الأنبياء واتباعه وتصديقه ، استبدلوا عن ذلك واعتاضوا عنه بالضلالة وهو تكذيبه والكفر به ، وكتمان صفاته في كتبهم ﴿ **والعذاب بالمغفرة** ﴾ أي : اعتاضوا عن المغفرة بالعذاب ، وهو ما تعاطوه من أسبابه المذكورة .

وقوله تعالى : ﴿ **فما أصبرهم على النار** ﴾ يخبر تعالى أنهم في عذاب شديد عظيم هائل ، يتعجب[٢] من رآهم فيها من صبرهم على ذلك مع[٣] شدّة ما هم فيه من العذاب والنكال والأغلال ، عياذًا بالله من ذلك .

[وقيل معنى قوله : ﴿ **فما أصبرهم على النار** ﴾ أي : فما أدومهم لعمل المعاصي التي تفضي بهم إلى النار][٤] .

وقوله تعالى : ﴿ **ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق** ﴾ أي : إنما استحقوا هذا العذاب الشديد ؛ لأن الله تعالى أنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وعلى الأنبياء قبله كتبه بتحقيق الحق وإبطال الباطل ، وهؤلاء اتخذوا آيات الله هزوا ، فكتابهم يأمرهم بإظهار العلم ونشره ، فخالفوه وكذبوه . وهذا الرسول الخاتم يدعوهم إلى الله تعالى ، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، وهم يكذبونه ويخالفونه ويجحدونه ويكتمون صفته ، فاستهزءوا بآيات الله المنزلة على رسله ؛ فلهذا استحقوا العذاب والنكال ؛ ولهذا قال : ﴿ **ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق ، وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد** ﴾ .

۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾

[١] - زيادة من : ز ، خ .
[٢] - في ز : « يعجب » .
[٣] - في ز ، خ : « من » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

اشتملت هذه الآية الكريمة على جمل عظيمة ، وقواعدَ عميمة ، وعقيدة مستقيمة ، كما قال ابن أبي حاتم(٩٣٣) : حدّثنا أبي ، حدّثنا عبيد بن هشام الحلبي ، حدّثنا عبيد الله بن عمرو ، عن عامر بن شُقَي ، عن عبد الكريم ، عن مجاهد ، عن أبي ذر : أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الإيمان ؟ فتلا عليه : ﴿ **ليس البر أن تولوا وجوهكم** ﴾ إلى آخر الآية . قال : ثم سأله أيضًا ، فتلاها عليه ، ثم سأله فقال : « **إذا عملت حسنة أحبها**[١] **قلبك ، وإذا عملت سيئة أبغضها**[٢] **قلبك** » .

وهذا منقطع ؛ فإن مجاهدًا لم يدرك أبا ذر فإنه مات قديمًا .

وقال المسعودي : حدّثنا القاسم بن عبد الرحمن قال : جاء رجل إلى أبي ذر ، فقال : ما الإيمان ؟ فقرأ عليه هذه الآية ﴿ **ليس البر أن تولوا وجوهكم** ﴾ حتى فرغ منها . فقال الرجل : ليس عن البر سألتك . فقال أبو ذر : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عما سألتني عنه[٣] ، فقرأ عليه هذه الآية ، فأبى أن يرضى كما أبيت أن ترضى ، فقال له رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأشار بيده : « **المؤمن إذا عمل حسنة سرته ورجا ثوابها ، وإذا عمل سيئة أحزنته وخاف عقابها** »(٩٣٤) .

رواه ابن مردويه وهذا أيضًا منقطع ، والله أعلم .

وأمّا الكلام على تفسير هذه الآية ، فإن الله تعالى لما أمر المؤمنين أولًا بالتوجه إلى بيت المقدس ، ثم حوّلهم إلى الكعبة ، شق ذلك على نفوس طائفة من أهل الكتاب ، وبعض المسلمين ، فأنزل الله تعالى بيان حكمته في ذلك ، وهو أن المراد إنما هو طاعة الله عز وجل وامتثال أوامره والتوجه حيثما وجه ، واتباع ما شرع ، فهذا هو البر والتقوى والإيمان الكامل ، وليس في لزوم التوجه إلى جهة من المشرق ، أو[٤] المغرب برٌّ ولا طاعةٌ إن لم يكن عن أمر الله وشرعه ؛ ولهذا قال : ﴿ **ليس البر**

---

(٩٣٣) - رواه ابن أبي حاتم ١٥٣٩ - (٢٨٧/١) . ورواه محمد بن نصر في " تعظيم قدر الصلاة " برقم (٤٠٩) من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن عبد الكريم ، عن مجاهد به . ورواه الحاكم (٢٧٢/٢) من طريق موسى بن أعين ، عن عبد الكريم به نحوه ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ، وتعقبه الذهبي : فقال : «كيف وهو منقطع ؟! » .

(٩٣٤) - ذكره ابن كثير معلقاً عن المسعودي وقد رواه محمد بن نصر في " تعظيم قدر الصلاة " برقم (٤٠٨) من طريق عبد الله بن يزيد المقرئ والملائي ، كلاهما عن المسعودي به نحوه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور وعزاه لإسحاق بن راهويه في مسنده ، وعبد بن حميد وابن مردويه عن القاسم بن عبد الرحمن .

---

[١] - في خ : « أبغضها » ، وفي ز : « فأحبها » . [٢] - في خ : « أحبها » .

[٣] - سقط من : ز ، خ . [٤] - في ز : « إلى » .

أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ﴾ . الآية كما قال في الأضاحي والهدايا : ﴿ **لن ينال الله لحومُها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم** ﴾ .

وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية : ليس البر أن تصلوا ولا تعملوا ، فهذا حين تحول من مكة إلى المدينة ، ونزلت الفرائض ، والحدود ، فأمر الله بالفرائض والعمل بها .

وروي عن الضحاك ، ومقاتل نحو ذلك .

وقال أبو العالية : كانت اليهود تُقبل قبل المغرب ، وكانت النصارى تقبل قبل المشرق ، فقال الله تعالى : ﴿ **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب** ﴾ يقول : هذا كلام الإيمان ، وحقيقته العمل . وروي عن الحسن ، والربيع بن أنس مثله .

وقال مجاهد : ولكن البر ما ثبت في القلوب من طاعة الله عز وجل .

وقال الضحاك : ولكن البر و[١]التقوى : أن تؤدوا الفرائض على وجوهها .

وقال الثوري : ﴿ **ولكن البر من آمن بالله** ﴾ الآية . قال : هذه أنواع البر كلها ، وصدق رحمه الله ؛ فإن من اتصف بهذه الآية ، فقد دخل في عرى الإسلام كلها ، وأخذ بمجامع الخير كله ، وهو الإيمان بالله ، و[٢]أنه لا إله إلا هو ، وصدق بوجود الملائكة الذين هم سفرة بين الله ورسله . ﴿ **والكتاب** ﴾ وهو اسم جنس يشمل الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء حتى ختمت بأشرفها ، وهو القرآن المهيمن على ما قبله من الكتب ، الذي انتهى إليه كل خير ، واشتمل على كل سعادة في الدنيا والآخرة ، ونسخ به كل ما سواه من الكتب قبله ، وآمن بأنبياء[٣] الله كلهم من أولهم إلى خاتمهم محمد ، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين !

وقوله : ﴿ **وآتى المال على حبه** ﴾ أي : أخرجه وهو محب له ، راغب فيه . نص على ذلك ابن مسعود ، وسعيد بن جبير ، وغيرُهما من السلف والخلف ، كما ثبت في الصحيحين(٩٣٥) من حديث أبي هريرة مرفوعًا : « **أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنىٰ ، وتخشىٰ الفقر** » .

---

(٩٣٥) - رواه البخاري في الزكاة ، باب : فضل صدقة الشحيح الصحيح (١٤١٩) . وفي الوصايا ، باب : الصدقة عند الموت (٢٧٤٨) . ومسلم في الزكاة برقم (١٠٣٢) ، وهو عند أبي داود في الوصايا (٢٨٦٥) . والنسائي في الوصايا (٣٦١١) وأحمد ٧١٥٦ - (٢/ ٢٣١) .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « وهو » .
[٣] - في ز ، خ : « أنبياء » .

وقد روى الحاكم في مستدركه(٩٣٦) من حديث شعبة ، والثوري ، عن منصور ، عن زبيد ، عن مرة ، عن ابن مسعود قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ﴿ **وآتى المال على حبه** ﴾ **أن تعطيه وأنت صحيح شحيح ، تأمل الغنىٰ وتخشىٰ الفقر** » .

ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(**قلت**) : وقد رواه وكيع ، عن الأعمش . وسفيان ، عن زبيد ، عن مرة ، عن ابن مسعود موقوفًا ، وهو أصح ، والله أعلم .

وقال تعالى : ﴿ **ويطعمون الطعام على حبه مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا ، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكورًا** ﴾ . [وقال تعالى : ﴿ **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون** ﴾][١] . وقوله : ﴿ **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** ﴾ نمط آخر أرفع من هذا وهو أنهم آثروا بما هم مضطرون إليه ، وهؤلاء أعطوا وأطعموا ما هم محبون له .

وقوله : ﴿ **ذوي القربى** ﴾ وهم قرابات الرجل ، و[٢]هم أولى من أعطى من الصدقة ، كما ثبت في الحديث : « **الصدقة على المساكين صدقة ، وعلى ذوي الرحم ثنتان صدقة وصلة ، فهم أولى الناس بك ، وببرك ، وإعطائك** »(٩٣٧) ، وقد أمر الله تعالى بالإحسان إليهم في غير ما موضع من كتابه العزيز .

﴿ **واليتامىٰ** ﴾ هم : الذين لا كاسب لهم وقد مات آباؤهم ، وهم ضعفاء صغار دون البلوغ والقدرة على التكسب ، وقد قال عبد الرزاق : أنبأنا[٣] معمر ، عن جويبر ، عن الضحاك ، عن النزال[٤] ابن سبرة ، عن علي ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **لا يُتْمَ بعد**

---

(٩٣٦) - رواه الحاكم في المستدرك (٢/٢٧٢) وهو عنده موقوفاً وليس مرفوعاً ، وليس فيه " شعبة " .

(٩٣٧) - رواه الترمذي في كتاب الزكاة ، باب : ما جاء في الصدقة على ذى القرابة برقم (٦٥٨) من حديث ابن عون ، عن حفصة بنت سيرين ، عن الرَّباب بنت صُلَيع ، عن سلمان بن عامر مرفوعاً . والنسائي في كتاب الزكاة ، باب : الصدقة على الأقارب ٢٥٨٢ - (٥/٩٢) . وفي الكبرى ٢٣٦٣ - (٢/٤٩) ، وابن ماجه ١٨٤٤ - (١/٥٩١) ، ورواه أحمد (٤/١٧)(١٦٢٧٧) (٤/٢٤١) ، والدارمي ١٦٨٠ ، ١٦٨١ - (١/٤٨٨) . وابن حبان ٣٣٤٤ - (٨/١٣٢) . وابن خزيمة ٢٠٦٧ - (٣/٢٧٨) و٢٣٨٥ - (٤/٧٧) . والحاكم (١/٥٦٤) ، والبيهقي (٤/١٧٤) (٧/٢٧) . والطبراني في الكبير ٦٢٠٤ ، ٦٢٠٥، ٦٢٠٦ ، ٦٢٠٧ ، ٦٢١٠ ، ٦٢١١ ، ٦٢١٢ - (٦/٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦) . وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني ١١٣٦ - (٢/٣٦٣) . =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - سقط من : ز .

[٣] - في خ : « أخبرنا » .

[٤] - في خ : « المنهال » ، وفي حاشية ز « النزال » ، وفي المتن : « المنهال » .

حُلُم »(٩٣٨) .

﴿ والمساكين ﴾ وهم : الذين لا يجدون ما يكفيهم في قوتهم وكسوتهم وسكناهم ، فيعطون

= وقال الحاكم : صحيح على شرط البخاري ووافقه الذهبي

قال شيخنا الألباني حفظه الله تعالى : وليس كذلك فإن الرباب هذه إنما أخرج لها البخاري تعليقًا ، ثم هي لا تعرف إلا برواية حفصة بنت سيرين عنها كما قال الذهبي نفسه في الميزان وقد وثقها ابن حبان وصحح حديثها هذا . وهو في هذا تابع لشيخه ابن خزيمة فقد صحح الحديث أيضًا كما في بلوغ المرام وكذا صححه أبو حاتم الرازى كما في التلخيص .

قال الشيخ : ولا أدري ما وجه هذا التصحيح لا سيما عن أبي حاتم ؛ فإنه معروف بتشدده في التصحيح والقواعد الحديثية تأبى مثل هذا التصحيح لتفرد حفصة ، عن الرباب كما تقدم ، ومعنى ذلك أنها مجهولة فكيف يصحح حديثها ؟! مع عدم وجود شاهد له ؛ إلا حديث أنس وهو معلول بمخالفة سعيد بن عامر للثقات كما سبق بيانه .

ورواه الطبراني في الكبير ٤٧٢٣ - (١٠١/٥) والأوسط من حديث أبي طلحة ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، وفيه من لم أعرفه .

ورواه الطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة مرفوعاً ٧٨٣٤ - (٢٠٦/٨) .

(٩٣٨) - **إسناد ضعيف جداً ، جويبر : متروك الحديث .**

ورواه أبو داود في الوصايا ، باب : ما جاء متى ينقطع اليتم (٢٨٧٣) من حديث أحمد بن صالح ، عن يحيى بن محمد المديني ، عن عبد الله بن خالد بن سعيد بن أبي مريم ، عن أبيه ، عن سعيد بن عبدالرحمن بن يزيد بن رقيش أنه سمع شيوخاً من بني عمرو بن عوف ومن خاله عبد الله بن أبي أحمد قال : قال علي بن أبي طالب : حفظت عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لا يتم بعد احتلام ولا صمات يوم إلى الليل** » . ومن طريق أبي داود رواه البيهقي (٥٧/٦) .

ورواه الطبراني في الأوسط ٢٩٢١ - (٢٠٢/١) من حديث أحمد بن صالح به . وقال : قال أحمد بن صالح : عبد الله بن أبي أحمد بن جحش من كبار تابعي المدينة قد لقي عمر بن الخطاب ، وهو أكبر من سعيد بن المسيب لا يروى هذا الحديث عن عبد الله بن أبي أحمد إلا بهذا الإسناد تفرد به أحمد بن صالح.

ورواه الطبراني في الصغير من حديث محمد بن عبيد بن ميمون التبان عن أبيه ، عن محمد بن جعفر بن أبي كثير عن موسى بن عقبة عن أبان بن تغلب عن إبراهيم عن علقمة عن علي (١٥٨/٢) . وقال : لم يروه عن أبان إلا موسى بن عقبة ، ولا عن موسى إلا محمد بن جعفر ولا عن محمد إلا عبيد التبان تفرد به محمد بن سليمان عن محمد بن عبيد .

وقد روي من حديث أنس : رواه البزار ، وفيه يحيى بن يزيد بن عبد الملك النوفلي وهو ضعيف (مجمع الزوئد ٢٢٦/٤) .

ومن حديث حنظلة : رواه الطبراني (١٤/٤) . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٢٦/٤) وقال : ورجاله ثقات. وقد روي من حديث جابر بن عبد الله رواه الطيالسي ١٧٦٧ - (٢٤٣) . والحارث ٣٥٧ - (٤٣٩/١) والبيهقي (٣١٩/٧) وفيه حرام بن عثمان . ورواه الشهاب (٣٩/٢) من حديث محمد بن المنكدر عن أبيه مرفوعاً .

ما تسدّ به حاجتهم ، وخلتهم ، وفي الصحيحين (٩٣٩) عن أبي هريرة : أن رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم قال : « **ليس المسكين [بهذا الطوّاف الذي ترده التمرة والتمرتان ، واللقمة واللقمتان ، ولكن المسكين]**[١] **الذي لا يجد غنى يغنيه ، ولا يفطن له فيتصدق عليه** » .

﴿ **وابن السبيل** ﴾ وهو : المسافر المجتاز الذي قد فرغت نفقته ، فيعطى ما يوصله إلى[٢] بلده ، وكذا الذي يريد سفرًا في طاعة ، فيعطى ما يكفيه في ذهابه وإيابه ، ويدخل في ذلك الضيف ، كما قال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس أنه قال : ابن السبيل هو الضيف الذي ينزل بالمسلمين. وكذا قال مجاهد ، وسعيد بن جبير، وأبو جعفر الباقر ، والحسن، وقتادة ، والضحاك ، والزهري ، والربيع بن أنس ، ومقاتل بن حيان .

﴿ **والسائلين** ﴾ وهم : الذين يتعرضون للطلب ، فيعطون من الزكوات[٣] ، والصدقات كما قال الإمام أحمد(٩٤٠) :

حدّثنا وكيع ، وعبد الرحمن قالا : حدّثنا سفيان ، عن مصعب بن محمد ، عن يعلى بن أبي يحيىٰ ، عن فاطمة بنت الحسين[٤] عن أبيها - قال عبد الرحمن : حسين بن علي - قال : قال رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم : « **للسائل حق ، وإن جاء على فرس** » . رواه أبو داود .

---

(٩٣٩) - البخاري في الزكاة ، باب : قول الله تعالى : ﴿ **لا يسألون الناس إلحافاً ...** ﴾ برقم (١٤٧٩) وانظر (١٤٧٩ ، ٤٥٣٩) ومسلم في الزكاة برقم (١٠٣٩) .

(٩٤٠) - رواه الإمام أحمد ١٧٣٠ - (٢٠١/١) . ورواه أبو داود في الزكاة ، باب : حق السائل برقم (١٦٦٥) . والبيهقي (٢٣/٧) . والطبراني في الكبير ٢٨٩٣ - (١٣٠/٣) .

قال السيوطي في مرقاة الصعود : وقد انتقد الحافظ سراج الدين القزويني على المصابيح أحاديث وزعم أنها موضوعة ، ورد عليه الحافظ العلائي في كراسة ، ثم أبو الفضل ابن حجر ، منها هذا الحديث .

قال العلائي : أما الطريق الأولى فإنها حسنة ؛ مصعب وثقه ابن معين وغيره . قال فيه أبو حاتم : صالح ، ولا يحتج به . وتوثيق الأولين أولى بالاعتماد ، ويعلى بن أبي يحيى قال فيه أبو حاتم : مجهول ، ووثقه ابن حبان فعنده زيادة علم على من لم يعلم حاله(*) ، وقد أثبت أبو عبد الله محمد بن يحيى بن الحذاء سماع الحسين عن جده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال أبو علي بن السكن وأبو القاسم البغوي وغيرهما : كل رواياته مراسيل ، فعلى هذا هي مرسل صحابي وجمهور العلماء على الاحتجاج بها .

فأما على الرواية الثانية : فقد بين فيها أنه سمع ذلك من أبيه علي ، عن النبي صلى الله عليه وسلم . وزهير ابن معاوية متفق على الاحتجاج به ، ولكن شيخه لم يسمه والظاهر أنه يعلى بن أبي يحيى المتقدم .

وبالجملة : الحديث حسن ، ولا يجوز نسبته إلى الوضع انتهى

وقال المنذري : في إسناده يعلى بن أبي يحيى سئل عنه أبو حاتم الرازي فقال : مجهول . وقال أبوعلي =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في خ : « الزكاة » . [٤] - في ز : « حسين » .

﴿ **وفي الرقاب** ﴾ وهم : المكاتبون الذين لا يجدون ما يؤدونه في كتابتهم .

وسيأتي الكلام على كثير من هذه الأصناف في آية الصدقات من براءة ، إن شاء الله تعالى .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدّثنا أبي ، حدثنا يحيى بن عبد الحميد ، حدثنا شريك ، عن أبي حمزة ، عن الشعبي ، حدثتني فاطمة بنت قيس : أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أفي المال حق سوى الزكاة ؟ قالت : فتلا عليَّ ﴿ **وآتى المال على حبه** ﴾ .

ورواه ابن مَرْدُوَيه من حديث آدم بن أبي إياس ، ويحيى بن عبد الحميد كلاهما ، عن شريك ، عن أبي حمزة ، عن الشعبي ، عن فاطمة بنت قيس قالت : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **في المال حق سوى الزكاة** » ، ثم قرأ[١] ﴿ **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وفي الرقاب** ﴾ .

[وأخرجه ابن ماجة ، والترمذي (٩٤١) ، وضعف أبا حمزة ميمونًا الأعور ، وقد رواه بيان[٢] ، وإسماعيل بن سالم عن الشعبي][٣] . وقوله : ﴿ **وأقام الصلاة وآتى الزكاة** ﴾ أي : وأتم أفعال الصلاة في أوقاتها بركوعها وسجودها ، وطمأنينتها ، وخشوعها على الوجه الشرعي المرضي .

وقوله : ﴿ **وآتى الزكاة** ﴾ يحتمل أن يكون المراد به زكاة النفس ، وتخليصها[٤] من الأخلاق الدنيئة الرذيلة ، كقوله : ﴿ **قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها** ﴾ . وقول موسى لفرعون : ﴿ **هل لك إلى أن تزكى * وأهديك إلى ربك فتخشى** ﴾ وقوله تعالى : ﴿ **وويل للمشركين * الذين لا يؤتون الزكاة** ﴾ .

= سعيد بن السكن . قد روي من وجوه صحاح حضور الحسين بن علي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعبه بين يديه وتقبيله إياه ، فأما الرواية التي تأتي عن الحسين بن علي ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلها مراسيل .

وقال أبو القاسم البغوي في معجمه نحوًا من ذلك . وقال أبو عبد الله محمد بن يحيى بن الحذاء : سمع النبي صلى الله عليه وسلم ورآه ولم يكن بينه وبين أخيه الحسن إلا طهر واحد . انتهى .

ورواه الطبراني من حديث الهرماس بن زياد ٥٣٥ - (٢٠٣/٢٢) .

(٩٤١) - **ضعيف** ، والحديث رواه الترمذي في الزكاة ، باب : ما جاء أن في المال حقًّا سوى الزكاة ، برقم (٦٥٩) وابن ماجة في الزكاة ، باب : ما أدي زكاته فليس بكنز برقم (١٧٨٩) وقال الترمذي : « هذا حديث ليس إسناده بذاك ، وأبو حمزة يضعف في الحديث ، وقد روى بيان وإسماعيل بن سالم عن الشعبي قوله ، وهو أصح » .

---

[١] - في ز ، خ : « تلا » .
[٢] - في ز ، خ : سيار .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز ، خ : « وتخلصها » .

ويحتمل أن يكون المراد زكاة المال ، كما قاله سعيد بن جبير ، ومقاتل بن حيان ، ويكون المذكور من إعطاء هذه الجهات ، والأصناف المذكورين إنما هو التطوع ، والبر ، والصلة ؛ ولهذا تقدم في الحديث عن فاطمة بنت قيس : أن في المال حقًّا سوى الزكاة ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **والموفون بعهدهم إذا عاهدوا** ﴾ كقوله : ﴿ **الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق** ﴾ وعكس هذه الصفة النفاق ، كما صح في[١] الحديث : « **آية المنافق ثلاث[٢] : إذا حدّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان** »(٩٤٢) ، وفي الحديث الآخر « **إذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر** »(٩٤٣) .

وقوله : ﴿ **والصابرين في البأساء والضراء وحين[٣] البأس** ﴾ أي : في حال الفقر ، وهو البأساء ، وفي حال المرض والأسقام وهو الضراء . ﴿ **وحين البأس** ﴾ أي في حال القتال والتقاء الأعداء ، قاله ابن مسعود ، وابن عباس ، وأبو العالية ، ومرة الهمداني ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، وقتادة ، والربيع بن أنس ، والسدي ، ومقاتل بن حيان ، وأبو مالك ، والضحاك ، وغيرهم .

وإنما نصب ﴿ **الصابرين[٤]** ﴾ على المدح والحث على الصبر في هذه الأحوال ؛ لشدته وصعوبته ، والله أعلم ، وهو المستعان وعليه التكلان .

وقوله : ﴿ **أولئك الذين صدقوا** ﴾ أي : هؤلاء الذين اتصفوا بهذه الصفات هم الذين صدقوا في إيمانهم ؛ لأنهم حققوا الإيمان القلبي بالأقوال ، والأفعال ، فهؤلاء هم الذين صدقوا ﴿ **وأولئك هم المتقون** ﴾ ؛ لأنهم اتقوا المحارم ، وفعلوا الطاعات .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾

---

(٩٤٢) - رواه مسلم من حديث أبي هريرة في كتاب الإيمان ، برقم ١٠٧ - (٥٩) .

(٩٤٣) - رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه في كتاب الإيمان برقم ١٠٦ - (٥٨) .

---

[١] - زيادة من : ز ، خ .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - مكررة في خ .

[٤] - في ز : « والصابرين » .

يقول تعالى : ﴿ **كتب عليكم** ﴾ العدل في القصاص أيها المؤمنون ، [فاقتلوا][١] حركم بحركم ، وعبدكم بعبدكم ، وأنثاكم بأنثاكم ، ولا تتجاوزوا ، وتعتدوا كما اعتدى من قبلكم ، وغيروا حكم الله فيهم ، وسبب ذلك قريظة ، والنضير ؛ كانت بنو النضير قد غزت قريظة في الجاهلية وقهروهم ، فكان إذا قتل النضري القرظي لايقتل به ، بل يفادى بمائة وسق من التمر ، وإذا قتل القرظي النضري قتل به ، وإن فادوه فدوه بمائتي وسق من التمر ضعف دية القرظي ، فأمر الله بالعدل في القصاص ، ولا يُتبَع سبيل المفسدين المحرّفين المخالفين لأحكام الله فيهم ، كفرًا وبغيًا ، فقال تعالى : ﴿ **كتب عليكم القصاص في القتلى الحرّ بالحرّ والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى** ﴾ .

وذكر في سبب[٢] نزولها ما رواه الإمام أبو[٣] محمد بن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا يحيى بن عبد الله [بن بُكير ، حدثني عبد الله][٤] [بن لهيعة][٥]، حدثني عطاء بن دينار ، عن سعيد بن جبير ، في قول الله تعالى :﴿ **يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى** ﴾ يعني إذا كان عمدًا ، الحرّ بالحرّ . وذلك أن حيين من العرب اقتتلوا في الجاهلية قبل الإسلام بقليل ، فكان بينهم قتل وجراحات ، حتى[٦] قتلوا العبيد ، والنساء ، فلم يأخذ بعضهم من بعض حتى أسلموا ، فكان أحد الحيين يتطاول على الآخر في العدة والأموال ، فحلفوا أن لا يرضوا حتى يقتل بالعبد منا الحرّ منهم ، وبالمرأة[٧] منا الرجل منهم ، فنزلت فيهم . ﴿ **الحرّ بالحرّ والعبد بالعبد والأنثىٰ بالأنثىٰ** ﴾ منها منسوخة نسختها ﴿ **النفس بالنفس** ﴾. وقال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس في قوله : ﴿ **والأنثى بالأنثى** ﴾ وذلك أنهم كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة ، ولكن يقتلون الرجل بالرجل ، والمرأة بالمرأة ، فأنزل الله : ﴿ **النفس بالنفس والعين بالعين** ﴾ فجعل الأحرار في القصاص سواء فيما بينهم من العمد رجالهم ونساؤهم في النفس وفيما دون النفس ، وجعل العبيد مستوين فيما بينهم من العمد في النفس ، وفيما دون النفس رجالهم ونساؤهم ، وكذلك روي عن أبي مالك أنها منسوخة بقوله : ﴿ **النفس بالنفس** ﴾.

[**مسألة** : ذهب أبو حنيفة إلى أنّ الحرّ يقتل بالعبد لعموم آية المائدة . وإليه ذهب الثوري وابن أبي ليلى وداود ، وهو مروي عن عليّ ، وابن مسعود ، وسعيد بن المسيب ، وإبراهيم النخعي ، وقتادة والحكم . وقال البخاري وعلي بن المديني وإبراهيم النخعي والثوري في رواية عنه : ويقتل السيد بعبده لعموم حديث الحسن ، عن سمرة : « **من قتل عبده قتلناه ، ومن جدع عبده**

---

[١] - ما بين المعكوفتين زيادة من ز .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - في ز ، خ : « ابن أبي لهيعة » .
[٦] - في ز ، خ : « قد » .
[٧] - في ز ، خ : « المرأة » .

جدعناه ، ومن خصاه خصيناه »[٩٤٤] . وخالفهم الجمهور فقالوا : لا يقتل الحرّ بالعبد ؛ لأن العبد سلعة لو قُتل خطأً لم يجب فيه دية ، وإنما تجب فيه قيمته ؛ ولأنه لا يقاد بطرفه ففي النفس بطريق الأولى . وذهب الجمهور إلى أن المسلم لا يقتل بالكافر ؛ لما ثبت في البخاري[٩٤٥] ، عن علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لا يقتل مسلم بكافر** » ، ولا يصح حديث ولا تأويل يخالف هذا . وأما أبو حنيفة فذهب إلى أنه يُقتل به لعموم آية المائدة .

[مسألة] قال الحسن وعطاء : لا يقتل الرجل بالمرأة لهذه الآية ، وخالفهم الجمهور لآية المائدة ولقوله عليه السلام : « **المسلمون تتكافأ دماؤهم** »[٩٤٦] ، وقال الليث : إذا قتل الرجل امرأته لا يقتل بها خاصة .

[مسألة] ومذهب الأئمة الأربعة والجمهور أن الجماعة يقتلون بالواحد . قال عمر في غلام قتله سبعة فقتلهم ، وقال : لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم . ولا يعرف له في زمانه مخالف من الصحابة وذلك كالإجماع . وحكي عن الإمام أحمد رواية : أن الجماعة لا يقتلون بالواحد ولا يقتل بالنفس إلا نفس واحدة . وحكاه ابن المنذر عن معاذ وابن الزبير وعبد الملك بن مروان والزهري وابن سيرين وحبيب بن أبي ثابت . ثم قال ابن المنذر : وهذا أصح ولا حجة

---

(٩٤٤) - رواه أبو داود في الديات ، باب : من قتل عبده أو مثّل به هل يقاد منه ؟ برقم (٤٥١٥،٤٥١٦) - مفرقاً - والترمذي في الديات ، باب : الرجل يقتل عبده برقم (١٤١٤) . والنسائي في القسامة ، باب : القود من السيد للمولى ، باب : القصاص في السن ٤٧٣٦ ، ٤٧٣٧ ، ٤٧٥٣ ، ٤٧٥٤ - (٨/٢٠ ، ٢١ ، ٢٦) . وابن ماجه في الديات ، باب : هل يقتل الحر بالعبد (٢٦٦٣) ببعضه .

وقال الترمذي : « هذا حديث حسن غريب » .

(٩٤٥) - البخاري في كتاب العلم ، باب : كتابة العلم برقم (١١١) ، وانظر (٣٠٤٧) .

(٩٤٦) - رواه أحمد (٢/١٨٠) ، وأبو داود في كتاب الديات ، باب : أيقاد المسلم بالكافر ؟ (رقم : ٤٥٣١) ، وابن ماجة في كتاب الديات ، باب : المسلمون تتكافأ دماؤهم (رقم : ٢٦٨٥) من حديث عبد الله بن عمرو .

ورواه أبو داود في كتاب الديات ، باب : أيقاد المسلم بالكافر ؟ (رقم : ٤٥٣٠) ، والنسائي في كتاب القسامة ، باب : القود بين الأحرار والمماليك في النفس ، وباب : سقوط القود من المسلم للكافر (٨ / ١٩ / ٢٠ ، ٢٤ / رقم : ٤٧٣٤ ، ٤٧٣٥ ، ٤٧٤٥ ، ٤٧٤٦) ، والحاكم (٢/١٤١) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

ورواه ابن ماجة في كتاب الديات ، باب : المسلمون تتكافأ دماؤهم برقم (٢٦٨٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

ورواه ابن ماجة : كتاب الديات ، باب : المسلمون تتكافأ دماؤهم (رقم : ٢٦٨٤) من حديث معقل بن يسار .

ورواه ابن حبان في صحيحه من حديث ابن عمر . ورواه الحاكم من حديث أبي هريرة .

لمن أباح قتل الجماعة . وقد ثبت عن ابن الزبير ما ذكرناه ، وإذا اختلف الصحابة فسبيله النظر][١] .

[وقوله : ﴿ فمن عُفِيَ له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ﴾ . قال مجاهد : عن ابن عباس][٢] ﴿ فمن عُفي له من أخيه شيء ﴾ فالعفو أن يقبل الدية في العمد ، وكذا رُوي عن أبي العالية ، وأبي الشعثاء ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعطاء ، والحسن ، وقتادة ، ومقاتل بن حيان .

وقال[٣] الضحاك : عن ابن عباس ﴿ فمن عُفِيَ له من أخيه شيء ﴾ يعني[٤] : فمن تُرِكَ[٥] له من أخيه ﴿ شيء[٦] ﴾ ، يعني[٧] : أخذ الدية بعد استحقاق الدم ، وذلك العفو ﴿ فاتباع بالمعروف ﴾ يقول : فعلى الطالب اتباع بالمعروف إذا قبل الدية ﴿ وأداء إليه بإحسان ﴾ يعني : من القاتل من غير ضرر ، ولا مَعْك يعني : المدافعة . وروى الحاكم من حديث سفيان ، عن عمرو ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : ويؤدّي المطلوب بإحسان . وكذا قال سعيد بن جبير ، وأبو[٨] الشعثاء جابر بن زيد والحسن ، وقتادة ، وعطاء الخراساني ، والربيع بن أنس ، والسدي ، ومقاتل بن حيان .

[[مسألة] قال مالك - رحمه الله - في رواية ابن القاسم عنه وهو المشهور ، وأبو حنيفة وأصحابه والشافعي وأحمد في أحد قوليه : ليس لولي الدم أن يعفو على الدية إلا برضا القاتل ، وقال الباقون : له أن يعفو عليها وإن لم يرض .

[مسألة] وذهب طائفة من السلف إلى أنه ليس للنساء عفو ، منهم الحسن وقتادة والزهري وابن شبرمة والليث والأوزاعي ، وخالفهم الباقون][٩].

وقوله : ﴿ ذلك تخفيف من ربكم ورحمة ﴾ يقول تعالى : إنما شرع لكم أخذ الدية في العمد تخفيفًا[١٠] من الله عليكم ، ورحمة بكم ، مما[١١] كان محتومًا على الأمم قبلكم من القتل ، أو العفو ، كما قال[١٢] سعيد بن منصور :

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - بياض في ز ، خ .
[٤] - في ز : « يقول » .
[٥] - في خ : تركه .
[٦] - في ز : « بعد » .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - في ز : « أو » .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[١٠] - في ز : « تخفيف » .
[١١] - في ز : « بما » .
[١٢] - في ز : « وقال » .

حدّثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، أخبرني مجاهد ، عن ابن عباس قال : كُتب على بني إسرائيل القصاص في القتلى ، ولم يكن فيهم العفو ، فقال اللَّه لهذه الأمة : ﴿ **كُتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عُفِيَ له من أخيه شيء** ﴾ فالعفو : أن يقبل الدية في العمد ، ذلك تخفيف مما كتب على من كان قبلكم ﴿ **فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان** ﴾(٩٤٧) .

وقد رواه غير واحد عن عمرو ، وأخرجه ابن حبان (٩٤٨) في « **صحيحه** » ، عن عمرو بن دينار ، به ، ورواه جماعة عن مجاهد ، عن ابن عباس ، بنحوه .

وقال قتادة : ﴿ **ذلك تخفيف من ربكم** ﴾ : رحم اللَّه هذه الأمة ، وأطعمهم الدية ، ولم تحل لأحد قبلهم ، فكان أهل التوراة إنما هو القصاص وعفو ليس بينهم أَرْش ، وكان أهل الإنجيل إنما هو عفو أمروا به ، وجعل لهذه الأمة القصاص والعفو والأَرْشَ .

وهكذا روي عن سعيد بن جبير ، ومقاتل بن حيان ، والربيع بن أنس نحو هذا .

وقوله : ﴿ **فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم** ﴾ يقول تعالى : فمن قتل بعد أخذ الدية أو قبولها فله عذاب من اللَّه أليم موجع شديد .

وهكذا[١] روي عن ابن عباس ، ومجاهد ، وعطاء ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة ، والربيع ابن أنس ، والسدي ، ومقاتل بن حيان : أنه هو الذي يقتل بعد أخذ الدية ،

كما قال محمد بن إسحاق : عن الحارث بن فضيل ، عن سفيان بن أبي العوجاء ، عن أبي شريح الخزاعي : أن النبي ، صلى اللَّه عليه وسلم ، قال : « **من أصيب بقتل ، أو خبل ، فإنه يختار إحدى ثلاث : إما أن يقتص ، وإما أن يعفو ، وإما أن يأخذ الدية ، فإن أراد الرابعة فخذوا على يديه . ومن اعتدى بعد ذلك فله نار جهنم خالدًا فيها** »(٩٤٩) رواه أحمد .

---

(٩٤٧) - سنن سعيد بن منصور برقم (٢٤٦) بتحقيق د. الحميد .

(٩٤٨) - صحيح ابن حبان (٦٠١/٧) « الإحسان » .

(٩٤٩) - إسناده ضعيف : سفيان بن أبي العوجاء السلمي : ضعيف .

والحديث في المسند ١٦٤٢٧ - (٣١/٤) . وأخرجه أبو داود في كتاب الديات ، باب : الإمام يأمر بالعفو في الدم ، من طريق موسى بن إسماعيل ، ثنا حماد ، أنا محمد بن إسحٰق ، عن الحارث به . حديث (٤٤٩٦) . وابن ماجة في كتاب الديات ، باب : من قتل له قتيل ، من طريق أبي بكر وعثمان بن أبي شيبة ، ثنا جرير . حديث (٢٦٢٣) . والدارقطني (٣ / ٩٦) . وابن الجارود (٧٧٤) في المنتقى . والبيهقي (٨ / ٥٢) . والبخاري في التاريخ الكبير (٣/ ٢٢٤) . وضعف الشيخ الألباني إسناده ؛ انظر الإرواء (٧/ ٢٧٨) .

---

[١]- في ز ، خ : « كذا » .

وقال سعيد بن أبي عروبة : عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **لا أعافي رجلاً قتل بعد أخذ الدية** »(٩٥٠) يعني لا أقبل منه الدية بل أقتله .

وقوله : ﴿ **ولكم في القصاص حياة** ﴾ يقول تعالى : وفي شرع القصاص لكم ، وهو قتل القاتل ، حكمة عظيمة لكم ، وهي بقاء المُهَج وصونها ؛ لأنه إذا علم القاتل أنه يقتل انكف عن صنيعه ، فكان في ذلك حياة للنفوس[١] ، وفي الكتب المتقدّمة : القتل أنفى للقتل . فجاءت هذه العبارة في القرآن أفصح ، وأبلغ ، وأوجز .

﴿ **ولكم في القصاص حياة** ﴾ قال أبو العالية : جعل الله القصاص حياة لكم[٢] ، [فكم من][٣] رجل يريد أن يقتل ، فتمنعه مخافة أن يقتل .

وكذا روي عن مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وأبي مالك ، والحسن ، وقتادة ، والربيع بن أنس ، ومقاتل ابن حيان .

﴿ **يا أولي الألباب لعلكم تتقون** ﴾ يقول : يا أولي العقول ، والأفهام ، والنُّهى لعلكم تنزجرون[٤] ، وتتركون[٥] محارم الله ، ومآثمه ، والتقوى اسم جامع لفعل الطاعات ، وترك المنكرات .

كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ

---

(٩٥٠) - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٢١/١) وعزاه لسمويه في فوائده ،
ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٥٤/٨) من طريق سعيد بن أبي عروبة ، عن مطر ، عن الحسن مرسلًا
وروى أبو داود في كتاب الديات ، باب : من قتل بعد أخذ الدية برقم (٤٥٠٧) من طريق حماد ، عن مطر ، قال : وأحسبه عن الحسن ، عن جابر بن عبد الله رضي عنه مرفوعًا : « **لا أعفي من قتل بعد أخذه الدية** » . - والحسن لم يسمع من جابر - ورواه البيهقي من طريق أبي داود (٥٤/٨) .
ورواه الطيالسي من حديث حماد بن سلمة ، عن مطر الوراق ، عن رجل ، عن جابر مرفوعاً : « **لا أعافي أحداً قتل بعد أخذ الدية** » .

(٩٥١) - رواه أحمد ١٧٧١٤ ، ١٧٧١٥ ، ١٧٧١٦ - (٤ / ١٨٦ ، ١٨٧) والترمذي في الوصايا ، =

---

[١] - في ز ، خ : « النفوس » .
[٢] - زيادة من ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « في » .
[٤] - في ز : « تبرحون » .
[٥] - في ز : « فتتركون » .

عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٨١) فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٨٢)

اشتملت هذه الآية الكريمة على الأمر بالوصية للوالدين والأقربين ، وقد كان ذلك واجبًا على أصح القولين قبل نزول آية المواريث ، فلما نزلت آية الفرائض نسخت هذه ، وصارت المواريث المقدّرة فريضة من الله ، يأخذها أهلوها حتمًا من غير وصية ، ولا تحمل منة[١] الموصي ؛ ولهذا جاء في[٢] الحديث الذي[٣] في السنن وغيرها عن عمرو بن خارجة قال : سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يخطب وهو يقول : « **إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث** »(٩٥١) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن عُليّة ، عن يونس بن عبيد ، عن محمد بن سيرين قال : جلس ابن عباس فقرأ سورة البقرة حتى أتى هذه الآية ﴿ **إن ترك خيرًا الوصية للوالدين والأقربين** ﴾ فقال : نسخت هذه الآية .

وكذا رواه سعيد بن منصور ، عن هشيم ، عن يونس ، به .

ورواه الحاكم في « **مستدركه** » وقال : صحيح على شرطهما(٩٥٢) .

= باب : ما جاء لا وصية لوارث برقم (٢١٢١) والنسائي في الوصايا ، باب : إبطال الوصية للوارث ، ٣٦٤١ - (٢٤٧/٦) ورواه ابن ماجة بنحوه في الوصايا ، باب : لا وصية لوارث برقم (٢٧١٢) . جميعهم من حديث قتادة ، عن شهر بن حوشب ، عن عبد الرحمن بن غنم ، عن عمرو به .

ورواه الدارقطني في كتاب الوصايا (١٥٢/٤) والبيهقي (٢٦٤/٦) . والطبراني في الكبير (٣٢/١٧ - ٣٤) حديث (٦٠) - (٧٢) .

قال في البدر المنير : وشهر تركوه ؛ أي طعنوا فيه . ومن جملة ما أنكر عليه ما قاله في هذا الحديث عن عمرو بن خارجة أنه كان تحت جران ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم والجران بطن العنق مما يلي الأرض . وهذا مجرد استبعاد وهو ممكن . ورواه ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن عمرو بن خارجة . قلت : ورواه همام والحجاج بن أرطأة وعبد الرحمن بن عبد الله المسعودي والحسن بن دينار وغيرهم عن قتادة فلم يذكروا ابن غنم - الراوي عن عمرو بن خارجة - ا.هـ من البدر .

(٩٥٢) - سنن سعيد بن منصور برقم (٢٥٢) بتحقيق الدكتور الحميد ، والمستدرك (٢٧٣/٣) .

[١] - في خ : « أمانة » ، وفي ز : « مانة » . [٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : الذي .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس(٩٥٣) في قوله : ﴿ **الوصية للوالدين والأقربين** ﴾ قال : كان لا يرث مع الوالدين غيرهما إلا وصية للأقربين ، فأنزل الله آية الميراث ، فبين ميراث الوالدين ، وأقرّ وصية الأقربين في ثلث مال الميت .

وقال ابن أبي حاتم(٩٥٤) : حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدثنا حجاج بن محمد ، أخبرنا ابن جريج ، وعثمان بن عطاء ، [عن عطاء][١] ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **الوصية للوالدين والأقربين** ﴾ نسختها هذه الآية : ﴿ **للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبًا مفروضًا** ﴾ .

ثم قال ابن أبي حاتم (٩٥٥) : وروي عن ابن عمر ، وأبي موسى ، وسعيد بن المسيب[٢] ، والحسن ، ومجاهد ، وعطاء ، وسعيد بن جبير ، ومحمد بن سيرين ، وعكرمة ، وزيد بن أسلم ، والربيع بن أنس ، وقتادة ، والسدي ، ومقاتل بن حيان ، وطاوس ، وإبراهيم النخعي ، وشريح ، والضحاك ، والزهري : أن هذه الآية منسوخة نسختها آية الميراث .

والعجب من أبي عبد الله محمد بن عمر الرازي - رحمه الله - كيف حكى في « **تفسيره الكبير** » عن أبي مسلم الأصفهاني : أن هذه الآية غير منسوخة ، وإنما هي مفسرة بآية المواريث ، ومعناه : كتب عليكم ما أوصى الله به من توريث الوالدين والأقربين . من قوله : ﴿ **يوصيكم الله في أولادكم** ﴾ قال : وهو قول أكثر المفسرين ، والمعتبرين من الفقهاء . قال : ومنهم من قال : إنها منسوخة فيمن يرث ، ثابتة فيمن لا يرث ، وهو مذهب ابن عباس ، والحسن ، ومسروق ، وطاوس ، والضحاك ، ومسلم بن يسار ، والعلاء بن زياد .

(قلت) : وبه قال أيضًا سعيد بن جبير ، والربيع بن أنس ، وقتادة ، ومقاتل بن حيان . ولكن على قول هؤلاء[٣] لا يسمى هذا نسخًا في اصطلاحنا المتأخر ؛ لأن آية [المواريث إنما][٤] رفعت حكم بعض أفراد ما دل عليه عموم آية الوصاية ؛ لأن الأقربين أعم ممن يرث ومن لا يرث ، فرفع[٥] حكم من يرث[٦] ، بما عين له ، وبقي الآخر على ما دلت عليه الآية الأولى ، وهذا إنما يتأتى على قول بعضهم : إن الوصاية في ابتداء الإسلام إنما كانت ندبًا حتى نسخت . فأمّا من يقول : إنها كانت واجبة - وهو الظاهر من سياق الآية - فيتعين أن تكون منسوخة بآية الميراث . كما قاله

(٩٥٣) - رواه ابن جرير بإسناده ٢٦٤٦ - (٣٨٩/٣) .
(٩٥٤) - تفسير ابن أبي حاتم ١٦٠٤ - (٢٩٩/١) .
(٩٥٥) - تفسير ابن أبي حاتم (٢٩٩/١) .

[١] - ما بين المعكوفتين في سقط من : ز .
[٢] - في ز : « أطيب » .
[٣] - في خ : « هذا » .
[٤] - في ز : « الميراث لهما » .
[٥] - في ز : « فرعت » .
[٦] - سقط من : ز .

أكثر المفسرين والمعتبرين[١] من الفقهاء ، فإن وجوب الوصية للوالدين ، والأقربين الوارثين[٢] منسوخ بالإجماع ، بل منهي عنه للحديث المتقدم : « **إن اللَّه قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث** » . فآية الميراث حكم مستقل ، ووجوب من عند اللَّه لأهل الفروض وللعصبات رفع بها حكم هذه بالكلية .

بقي الأقارب الذين لا ميراث لهم ، يستحب له أن يوصي لهم من الثلث استئناسًا بآية الوصية وشمولها ، ولما ثبت في « **الصحيحين**(٩٥٦) » ، عن ابن عمر قال : قال رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم : « **ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده** » ، قال ابن عمر : ما مرّت عليّ ليلة منذ سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم يقول ذلك إلا وعندي وصيتي .

والآيات والأحاديث بالأمر ببر الأقارب والإحسان إليهم ، كثيرة جدًّا .

وقال عبد بن حميد في « **مسنده** »(٩٥٧) : أخبرنا عبيد اللَّه ، عن مبارك بن حسان ، عن نافع قال : قال عبد اللَّه : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **يقول اللَّه تعالى : يا ابن آدم ؛ ثنتان لم يكن لك واحدة منهما : جعلت لك نصيبًا في مالك حين أخذت بكظمك ، لأطهرك به وأزكيك ، وصلاة عبادي عليك بعد انقضاء أجلك** » .

وقوله : ﴿ **إن ترك خيرًا** ﴾ أي : مالًا . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وعطاء ، وسعيد بن جبير ، وأبو العالية ، وعطية العوفي ، والضحاك ، والسدي ، والربيع بن أنس ، ومقاتل بن حيان ، وقتادة ، وغيرهم .

ثم منهم من قال : الوصية مشروعة سواء قل المال ، أو كثر كالوراثة ، ومنهم من قال : إنما يوصي إذا ترك مالًا جزيلًا ، ثم اختلفوا في مقداره ، فقال ابن أبي حاتم (٩٥٨) :

حدثنا محمد بن عبد اللَّه بن يزيد المقري[٣] ، أخبرنا سفيان ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال

---

(٩٥٦) - البخاري في كتاب الوصايا ، باب : الوصايا برقم (٢٧٣٨) ومسلم في كتاب الوصية ، برقم ١ - (١٦٢٧) .

(٩٥٧) - مبارك بن حسان : لين الحديث ، قال أبو داود : منكر الحديث . وقال النسائي : ليس بالقوي في حديثه شيء . وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : يخطيء ويخالف . وقال الأزدي : متروك يرمى بالكذب وقال ابن عدي روى أشياء غير محفوظة . (التهذيب ١٠/٢٤) .

(٩٥٨) - تفسير ابن أبي حاتم ١٦٠٢ - (١/٢٩٩) .

---

[١] - في ز ، خ : « المعتبرون » . [٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز ، خ : « المقبري » .

: قيل لعلي رضي اللَّه عنه : إن رجلًا من قريش قد مات ، وترك ثلثمائة دينار ، أو أربعمائة [دينار][١] ولم يوصِ . قال : ليس بشيء ، إنما قال اللَّه : ﴿ **إن ترك خيرًا** ﴾ .

[وقال أيضًا(٩٥٩)][٢] : وحدثنا هارون بن إسحاق الهمداني، حدثنا عبدة - يعني ابن سليمان - عن هشام بن عروة ، عن أبيه : أن عليًا دخل على رجل من قومه يعوده ، فقال له : أوصي[٣] ؟ فقال له علي : إنما قال اللَّه : ﴿ **إن ترك خيرًا الوصية** ﴾ ، إنما تركت شيئًا يسيرًا ، فاتركه لولدك .

وقال الحكم بن أبان(٩٦٠) : حدثني عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ **إن ترك خيرًا** ﴾ قال ابن عباس : من لم يترك ستين دينارًا لم يترك خيرًا . قال الحكم[٤] : قال طاوس : لم يترك خيرًا من لم يترك ثمانين دينارًا . وقال قتادة : كان يقال ألفًا فما فوقها .

وقوله : ﴿ **بالمعروف** ﴾ أي : بالرفق والإحسان ، كما قال ابن أبي حاتم(٩٦١) .

حدثنا الحسن بن أحمد ، حدثنا إبراهيم بن عبد اللَّه بن يسار ، حدثني سرور بن المغيرة ، عن عباد بن منصور ، عن الحسن ، قوله : ﴿ **كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت** ﴾ فقال : نَعَم ، الوصية حق ، على كل مسلم أن يوصي إذا حضره الموت بالمعروف غير المنكر .

والمراد بالمعروف أن يوصي لأقربيه[٥] وصية لا تجحف بورثته ، من غير إسراف ولا تقتير[٦] ، كما ثبت في « **الصحيحين** »(٩٦٢) أن سعدًا قال : يا رسول اللَّه ؛ إن لي مالًا ولا يرثني إلا ابنة لي ، أفأوصي بثُلثي مالي ؟ قال : « **لا** » ، قال : فبالشطر ؟ قال : « **لا** » ، قال : فالثلث ؟ قال : « **الثلث والثلث كثير ، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس** » .

---

(٩٥٩) - تفسير ابن أبي حاتم ١٥٩٩ - (١/٢٩٨ - ٢٩٩) .

(٩٦٠) - تفسير ابن أبي حاتم ١٦٠١ - (١/٢٩٩) . من رواية حفص بن عمر العدني عن الحكم بن أبان ، وحفص بن عمر العدني ضعيف - كما في التقريب .

(٩٦١) - تفسير ابن أبي حاتم ١٥٩٨ - (١/٢٩٨) . وعباد بن منصور : ضعيف .

(٩٦٢) - رواه البخاري في الجنائز ، باب : رثاء النبي سعد بن خولة برقم (١٣٩٦) وأطرافه (٣٩٣٦ ، ٤٤٠٩ ، ٦٣٧٣) . ومسلم في الوصية برقم (١٦٢٨) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين زيادة من ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « قال » .

[٣] - في ز ، خ : « أأوصي » .

[٤] - في ز ، خ : « الحاكم » .

[٥] - في خ : « أقاربه » .

[٦] - في ز : « تعتبر » .

وفي « **صحيح البخاري** »(٩٦٣) : أن ابن عباس قال : لو أن الناس غضوا من الثلث إلى الربع ، فإن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال : « **الثلث ، والثلث كثير** » .

وروى الإمام أحمد(٩٦٤) : عن أبي سعيد مولى بني[١] هاشم ، عن [ذيال بن عبيد][٢] بن حنظلة ، سمعت حنظلة بن جذيم[٣] بن حنيفة : أن جدّه حنيفة : أوصى ليتيم في حجره بمائة من الإبل ، فشق ذلك على بنيه ، فارتفعوا إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم . فقال حنيفة : إني أوصيت ليتيم لي بمائة من الإبل ، [كنا نسميها][٤] المطية ، فقال النبي[٥] صلى اللّه عليه وسلم : « **لا ، لا ، لا . الصدقة خمس وإلا فعشر ، وإلا فخمس عشرة ، وإلا فعشرون ، وإلا فخمس وعشرون ، وإلا فثلاثون ، وإلا فخمس وثلاثون ، فإن كثرت[٦] فأربعون** » .

وذكر الحديث بطوله .

وقوله : ﴿ **فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدّلونه [إن اللّه سميع عليم]**[٧] ﴾ يقول تعالى : فمن بدل الوصية وحرّفها ، فغير حكمها وزاد فيها أو نقص ، ويدخل في ذلك الكتمان لها بطريق الأولى ﴿ **فإنما إثمه على الذين يبدّلونه** ﴾ . قال ابن عباس وغير واحد : وقد[٨] وقع أجر الميت على اللّه ، وتعلق الإثم بالذين بدّلوا ذلك . ﴿ **إن اللّه سميع عليم** ﴾ أي : قد اطلع على ما أوصى به الميت ، وهو عليم بذلك ، وبما بدله الموصى إليهم .

وقوله تعالى : ﴿ **فمن خاف من موص جنفًا أو إثمًا** ﴾ قال ابن عباس ، وأبو العالية ، ومجاهد والضحاك ، والربيع بن أنس ، والسدي : الجَنَف : الخطأ . وهذا يشمل أنواع الخطإ كلها ، بأن زادوا وارثًا بواسطة أو وسيلة ، كما إذا أوصى ببيعه الشيء الفلاني محاباة ، أو أوصى لابن ابنته ليزيدها ، أو نحو ذلك من الوسائل ، إمّا مخطئًا غير عامد ، بل بطبعه وقوّة شفقته من غير تبصر ، أو متعمدًا آثمًا في ذلك ، فللوصي - والحالة هذه - أن يصلح القضية ، ويعدل في الوصية على الوجه الشرعي ، ويعدل عن الذي أوصى به الميت إلى ما هو أقرب الأشياء إليه وأشبه الأمور به ، جمعًا بين مقصود الموصي والطريق الشرعي .

---

(٩٦٣) - رواه البخاري في كتاب الوصايا ، باب : الوصية بالثلث برقم (٢٧٤٣) .
(٩٦٤) - المسند ٢٠٧٢٢ - (٦٧/٥) .

---

[١] - في ز ، خ : « أبي » .
[٢] - في ز : « ديال بن عتبة » .
[٣] - في ز ، خ : « خديم » .
[٤] - بياض في ز ، خ .
[٥] - في خ : « الرسول » .
[٦] - في خ : « أكثرت » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٨] - سقط من : خ .

وهذا الإصلاح والتوفيق ليس من التبديل في شيء ؛ ولهذا عطف هذا فبينه على النهي عن[١] ذلك[٢] ، ليعلم أن هذا ليس من ذلك[٣] بسبيل ، والله أعلم .

وقد قال ابن أبي حاتم(٩٦٥) : حدّثنا العباس بن الوليد بن مزيد[٤] قراءة ، أخبرني أبي ، عن الأوزاعي ، قال الزهري : حدّثني [ ][٥] عروة ، عن عائشة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه قال : « **يُرَدُّ من صَدَقة الجانف[٦] في حياته ما يُرَدُّ من وصية المجنف عند موته** » .

وهكذا رواه أبو بكر بن مردويه : من حديث العباس بن الوليد به[٧] .

قال ابن أبي حاتم : وقد أخطأ فيه الوليد بن مزيد[٨] ، وهذا الكلام : إنما هو عن عروة فقط . وقد رواه الوليد بن مسلم ، عن الأوزاعي ، فلم يجاوز به عروة .

وقال ابن مردويه أيضًا (٩٦٦) : حدّثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، حدثنا إبراهيم بن يوسف ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا عمر بن المغيرة ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **الجنف[٩] في الوصية من الكبائر** » .

وهذا في رفعه أيضًا نظر .

وأحسن ما ورد في هذا الباب ما قال عبد الرزاق (٩٦٧) : حدثنا معمر ، عن أشعث بن عبد الله ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إن الرجل ليعمل بعمل أهل[١٠] الخير سبعين سنة ، فإذا أوصى حاف في وصيته ، فيختم له بشر**

(٩٦٥) - ورواه أبو داود في المراسيل برقم (١٩٤) من طريق عباس بن الوليد بن مزيد ، عن أبيه ، عن الأوزاعي ، به . قال العباس : حدثنا به مرة ، عن عروة ، ومرة عن عروة ، عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم رواه أبو داود برقم (١٩٥) عن عروة مرسلًا ، وبرقم (١٩٦) عن الزهري مرسلًا .

(٩٦٦) - ورواه الدارقطني في السنن (١٥١/٤) ، والعقيلي في الضعفاء (١٨٩/٣) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٢٧١/٦) من طريق عمر بن المغيرة به نحوه ، ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٢٧١/٦) من طريق هشيم عن داود به موقوفًا ، وقال : « هذا هو الصحيح موقوف ، وكذلك رواه ابن عيينة وغيره عن داود موقوفًا ، وروي من وجه آخر مرفوعًا ، ورفعه ضعيف .

(٩٦٧) - المصنف برقم (١٦٤٥٥) ورواه أبو داود في الوصايا ، باب : كراهية الإضرار في الوصية ، برقم (٢٨٦٧) والترمذي في الوصايا ، باب : الضرار في الوصية ، برقم (٢١١٧) ، وابن ماجه في =

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز ، خ : « لذلك » .
[٣] - في ز : « ذاك » .
[٤] - في خ : يزيد » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « عن » .
[٦] - في ز : « الحايف » .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - في خ : « يزيد » .
[٩] - في ز ، خ : الحيف » .
[١٠] - سقط من : خ .

عمله ، فيدخل النار . وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة ، فيعدل في وصيته ، فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة » . قال أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم : ﴿ **تلك حدود الله فلا تعتدوها** ﴾ . الآية[١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ (١٨٤) ﴾

يقول تعالى مخاطبًا للمؤمنين من هذه الأمّة ، وآمرًا لهم بالصيام ، وهو الإمساك عن الطعام والشراب والوقاع بنية خالصة لله - عز وجل - لما فيه من زكاة النفوس[٢] وطهارتها ، وتنقيتها من الأخلاط [الرديئة ، والأخلاق][٣] الرذيلة . وذكر [أنه كما][٤] أوجبه عليهم فقد أوجبه على من كان قبلهم ، فلهم فيه أسوة حسنة[٥] ، وليجتهد هؤلاء في أداء هذا الفرض أكمل مما فعله أولئك ، كما قال تعالى : ﴿ **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا ولو شاء الله لجعلكم أمّة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات** ﴾ الآية ؛ ولهذا قال هاهنا : ﴿ **يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾ ؛ لأن الصوم فيه تزكية للبدن ، وتضييق لمسالك الشيطان ؛ ولهذا ثبت[٦] في « **الصحيحين** »(٩٦٨) : « **يا معشر الشباب ؛ من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له**

= الوصايا ، باب : الحيف في الوصية برقم (٢٧٠٤) من طريق أشعث بن عبد الله بن جابر ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة بمعناه وفيه : « **ستين سنة** » بدل « **سبعين سنة** » ، وقال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح غريب » .

والأشعث بن عبد الله بن جابر : وثقه يحيى بن معين ، والنسائي ، وقال أحمد : لا بأس به ، وقال العقيلي: في حديثه وهم . وتعقبه الذهبي في الميزان وقال : قول العقيلي : في حديثه وهم ليس بمسلم إليه ، وأنا أتعجب كيف لم يخرج له البخاري ومسلم . وشهر مختلف فيه على ما تقدم .

(٩٦٨) - البخاري في الصوم باب : الصوم لمن خاف على نفسه العزبة برقم (١٩٠٥) وانظر (٥٠٦٥، ٥٠٦٦) ، ومسلم في كتاب النكاح برقم (١٤٠٠) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

[١] - سقط من : خ . [٢] - في ز ، خ : « النفس » .
[٣] - سقط من : خ ، وفي ز : « الرذيلة والأخلاق » .
[٤] - في ز : « كما » . [٥] - سقط من : ز .
[٦] - سقط من : ز .

وجاء » ، ثم بين مقدار الصوم ، وأنه ليس في كل يوم لئلا يشق على النفوس فتضعف عن حمله وأدائه ، بل في أيام معدودات . وقد كان هذا في ابتداء الإسلام يصومون من كل شهر ثلاثة أيام ، ثم نسخ ذلك بصوم شهر رمضان ، كما سيأتي بيانه . وقد روي أن الصيام كان[١] أوّلًا كما[٢] كان عليه الأمم قبلنا ، من كل شهر ثلاثة أيام ، عن معاذ وابن مسعود ، وابن عباس ، وعطاء ، وقتادة ، والضحاك بن مزاحم . وزاد : لم يزل هذا مشروعًا من زمان نوح إلى أن نسخ اللَّه ذلك بصيام شهر رمضان .

وقال عباد بن منصور(٩٦٩) : عن الحسن البصري : ﴿ **يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أيامًا معدودات** ﴾ فقال : نعم ، واللَّه لقد كتب الصيام على كل أمّة قد[٣] خلت كما كتبه علينا شهرًا كاملًا وأيامًا معدودات : عددًا معلومًا . وروي عن السدي نحوه .

وروى ابن أبي حاتم(٩٧٠) : من حديث أبي عبد الرحمن المقري ، حدثنا سعيد بن أبي أيوب ، حدثني عبد اللَّه بن الوليد ، عن أبي الربيع - رجل من أهل المدينة - عن عبد اللَّه بن عمر قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **صيام رمضان كتبه اللَّه على الأمم قبلكم** » في حديث طويل اختصر منه ذلك .

وقال أبو جعفر الرازي (٩٧١) : عن الربيع بن أنس ، عمن حدثه ، عن ابن عمر قال : أنزلت : ﴿ **كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم** ﴾ كتب عليهم إذا صلى أحدهم[٤] العتمة ونام حرم عليه الطعام والشراب والنساء إلى مثلها .

قال ابن أبي حاتم(٩٧٢) : وروي عن ابن عباس وأبي العالية ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، ومقاتل بن حيان ، والربيع بن أنس ، وعطاء الخراساني نحو ذلك .

وقال عطاء الخراساني(٩٧٣) : عن ابن عباس : ﴿ **كما كتب على الذين من قبلكم** ﴾ يعني

(٩٦٩) - ابن أبي حاتم ١٦٢٦ - (٣٠٥/١) وعباد بن منصور : ضعيف .

(٩٧٠) - ابن أبي حاتم ١٦٢٥ - (٣٠٤/١) وعزاه الحافظ ابن حجر في الفتح (١٧٨/٨) لابن أبي حاتم وقال : « في إسناده مجهول » .

(٩٧١) - ابن أبي حاتم بإسناده ١٦٢٧ - (٣٠٥/١) .

(٩٧٢) - ابن أبي حاتم (٣٠٥/١) .

(٩٧٣) - ابن أبي حاتم ١٦٢٨ - (٣٠٥/١) .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ، خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .

بذلك أهل الكتاب . وروي عن الشعبي والسدي ، وعطاء الخراساني ، مثله .

ثم بين حكم الصيام على ما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام ، فقال : ﴿ **فمن كان منكم مريضًا أو على سفر فعدّة من أيام أخر** ﴾ أي : المريض والمسافر لا يصومان في حال المرض والسفر ، لما في ذلك من المشقة عليهما ، بل يفطران ويقضيان بعدة ذلك من أيام أخر .

وأما الصحيح المقيم الذي يطيق الصيام ، فقد كان مخيرًا بين الصيام وبين الإطعام ، إن شاء صام ، وإن شاء أفطر ، وأطعم عن كل يوم مسكينًا ، فإن أطعم أكثر من مسكين عن كل يوم فهو خير ، وإن صام فهو أفضل من الإطعام ، قاله ابن مسعود وابن عباس ، ومجاهد [وطاوس ، ومقاتل بن حيان][١] وغيرهم من السلف ، ولهذا قال تعالى : ﴿ **وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ، فمن تطوع خيرًا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون** ﴾ .

و[٢]قال الإمام أحمد(٩٧٤) : حدّثنا أبو النضر ، حدّثنا المسعودي ، حدّثنا عمرو بن مرّة ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن معاذ بن جبل - رضي اللّه عنه - قال : أحيلت الصلاة ثلاثة أحوال ، وأحيل الصيام ثلاثة أحوال ، فأما أحوال الصلاة : فإنّ النبي صلى اللّه عليه وسلم قدم المدينة وهو يصلي سبعة عشر شهرًا إلى بيت المقدس ، ثم إن اللّه عز وجل أنزل عليه : ﴿ **قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها** ﴾ . الآية . فوجهه اللّه إلى مكة . هذا حول . قال : وكانوا يجتمعون للصلاة ويُؤْذِنُ بها بعضهم بعضًا حتى نقسوا ، أو كادوا ينقسون . ثم إن رجلًا من الأنصار ، يقال له عبد اللّه بن زيد [بن ثعلبة بن عبد ربه][٣] أتى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، فقال : يا رسول اللّه ؛ إني رأيت فيما يرى النائم ولو قلت : إني لم أكن نائمًا لصدقت ، أني بينا أنا بين النائم واليقظان ، إذ رأيت شخصًا عليه ثوبان أخضران فاستقبل القبلة ، فقال : اللّه أكبر اللّه أكبر ، أشهد ألّا إله إلا اللّه -مثنى -حتى فرغ من الأذان ، ثم أمهل ساعة ، ثم قال مثل الذي قال ، غير أنه يزيد[٤] في ذلك : قد قامت الصلاة -مرتين[٥] - قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: « علمها بلالًا فليؤذن بها » ، فكان بلال أول من أذن بها . قال : وجاء عمر بن الخطاب -رضي اللّه عنه - فقال : يا رسول اللّه ؛ [إنه][٦] قد طاف بي مثل الذي طاف به غير أنه سبقني ، فهذان حالان[٧] .

---

(٩٧٤) - المسند ٢٢٢٢٣ - (٢٤٦/٥) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - في خ : « مزيد » .
[٥] - في ز : « قد قامت الصلاة » .
[٦] - ما بين المعكوفتين زيادة من ز .
[٧] - في ز : « حولان » .

قال : وكانوا يأتون الصلاة وقد[١] سبقهم النبي صلى اللّٰه عليه وسلم ببعضها ، فكان الرجل يشير إلى الرجل أن[٢] كم صلَّىٰ ؟ فيقول : واحدة أو اثنتين ، فيصليهما ، ثم يدخل مع القوم في صلاتهم ، قال : فجاء معاذ فقال : لا أجده على حال أبدًا إلا كنت عليها ، ثم قضيت ما سبقني . قال : فجاء وقد سبقه النبي صلى اللّٰه عليه وسلم ببعضها ، قال : فثبت معه ، فلما قضى رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم ، قام فقضى ، فقال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم : « إنه قد سن لكم معاذ فهكذا فاصنعوا » . فهذه ثلاثة أحوال .

وأما أحوال الصيام : فإن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم قدم المدينة ، فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام وصام عاشوراء ، ثم إن اللّٰه فرض عليه الصيام ، وأنزل اللّٰه تعالى ﴿ **يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين** ﴾ ، فكان من شاء صام ، ومن شاء أطعم مسكينًا ، فأجزأ ذلك عنه .

ثم إن اللّٰه عز وجل أنزل الآية الأخرى : ﴿ **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن** ﴾ إلى قوله : ﴿ **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** ﴾ . فأثبت اللّٰه صيامه على المقيم الصحيح ، ورخص فيه للمريض والمسافر ، وثبت الإطعام للكبير الذي لا يستطيع الصيام ، فهذان حالان[٣] .

قال : وكانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا ، فإذا ناموا امتنعوا ، ثم إن رجلًا من الأنصار يقال له صرمة ، كان يعمل صائمًا حتى أمسى فجاء إلى أهله فصلَّىٰ العشاء ، ثم نام فلم يأكل ولم يشرب ، حتى أصبح ، فأصبح صائمًا ، فرآه رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم وقد جهد جهدًا شديدًا [فقال : « ما لي أراك قد جهدت جهدًا شديدًا][٤] ؟ قال : يا رسول اللّٰه ؛ إني عملت أمس فجئت حين جئت ، فألقيت نفسي فنمت ، فأصبحت حين أصبحت صائمًا . قال : وكان عمر قد أصاب من النساء بعد ما نام ، فأتى النبي صلى اللّٰه عليه وسلم فذكر له ذلك ، فأنزل اللّٰه - عز وجل - : ﴿ **أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم** ﴾ إلى قوله : ﴿ **ثم أتموا الصيام إلى الليل** ﴾ .

وأخرجه أبو داود في « **سننه** » ، والحاكم في « **مستدركه** » من حديث المسعودي ، به(٩٧٥) .

وقد أخرج البخاري ومسلم(٩٧٦) : من حديث الزهري ، عن عروة ، عن عائشة أنها قالت :

---

(٩٧٥) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب : كيف الأذان (١/ ١٣٦- ١٣٩/رقم: ٥٠٦، ٥٠٧) .
وابن خزيمة في صحيحه (١/ ١٩٧ ١٩٩/رقم: ٣٨١، ٣٨٣) .
(٩٧٦) البخاري في التفسير ، باب : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام .. ﴾ برقم (٤٥٠٢) =

---

[١] - في ز : « قد » .
[٢] - في ز ، خ : إذا
[٣] - في ز : « حولان » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من ز .

كان عاشوراء يصام ، فلما نزل فرض[١] رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر . وروى البخاري(٩٧٧) عن ابن عمر وابن مسعود مثله .

وقوله تعالى[٢] : ﴿ **وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين** ﴾ كما قال معاذ - رضي الله عنه - : كان في ابتداء الأمر من شاء صام ، ومن شاء أفطر وأطعم عن كل يوم مسكينًا .

وهكذا روى البخاري عن سلمة بن الأكوع ، أنه قال : لما نزلت : ﴿ **وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين** ﴾ كان من أراد أن يفطر يفتدي ، حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها(٩٧٨) .

وروى أيضًا(٩٧٩) : من حديث عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : هي منسوخة .

وقال السدي : عن مرة ، عن عبد الله قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ **وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين** ﴾ قال : يقول : ﴿ **وعلى الذين يطيقونه** ﴾ أي : يتجشمونه . قال عبد الله : فكان من شاء صام ومن شاء أفطر وأطعم مسكينًا . ﴿ **فمن تطوع** ﴾ قال : يقول أطعم مسكينًا آخر ﴿ **فهو خير له** ﴾ وأن تصوموا خير لكم فكانوا[٣] كذلك حتى نسختها : ﴿ **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** ﴾ .

وقال البخاري أيضًا(٩٨٠) : أخبرنا[٤] إسحاق ، أخبرنا روح ، حدّثنا زكريا بن إسحاق ، حدّثنا عمرو بن دينار ، عن عطاء ، سمع ابن عباس يقرأ ﴿ **وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين** ﴾ . قال ابن عباس : ليست منسوخة ، هو الشيخ[٥] الكبير ، والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما ، فيطعمان مكان كل يوم مسكينًا .

وهكذا روى غير واحد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، نحوه .

= ومسلم في كتاب الصيام برقم (١١٢٥) .

(٩٧٧) حديث ابن عمر عند البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام .. ﴾ برقم (٤٥٠١) ، وحديث ابن مسعود في عند البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام .. ﴾ برقم (٤٥٠٣) .

(٩٧٨) البخاري في التفسير ، باب : ﴿ ومن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ برقم (٤٥٠٧) .

(٩٧٩) - البخاري في التفسير ، باب : ﴿ ومن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ برقم (٤٥٠٦) .

(٩٨٠) البخاري في التفسير ، باب : ﴿ أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً ...... ﴾ برقم (٤٥٠٥) .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في خ : « فكان » .
[٤] - في خ : « حدثنا » .
[٥] - في خ : « الشيخ » .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة(٩٨١) : حدثنا عبد الرحيم بن سليمان ، عن أشعث بن سوار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال[١] : نزلت هذه الآية ﴿ **وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين** ﴾ في الشيخ الكبير الذي لا يطيق الصوم ثم ضعف ، فرخص له أن يطعم مكان كل يوم مسكينًا .

وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه(٩٨٢) : حدثنا محمد بن أحمد ، حدثنا الحسين[٢] بن محمد ابن بِهرام المخرمي ، حدثنا وهب بن بقية ، حدثنا خالد بن عبد الله ، عن ابن أبي ليلى قال : دخلت على عطاء في رمضان وهو يأكل فقال : قال ابن عباس : نزلت هذه الآية ﴿ **وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين** ﴾ فكان من شاء صام ومن شاء أفطر وأطعم مسكينًا ، ثم نزلت هذه الآية فنسخت الأولى ، إلا الكبير الفاني إن شاء أطعم عن كل يوم مسكينًا وأفطر .

فحاصل الأمر أن النسخ ثابت في حق الصحيح المقيم بإيجاب الصيام عليه ، لقوله : ﴿ **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** ﴾ ، وأما الشيخ الفاني الهرم[٣] الذي لا يستطيع الصيام فله[٤] أن يفطر ولا قضاء عليه ؛ لأنه ليست له حال يصير إليها يتمكن فيها من القضاء ، ولكن هل يجب عليه [إذا أفطر][٥] أن يطعم عن كل يوم مسكينًا إذا كان ذا جِدة ؟ فيه قولان للعلماء : أحدهما : لا يجب عليه إطعام ؛ لأنه ضعيف عنه لسنه فلم يجب عليه فدية كالصبي ؛ لأنّ الله لا يكلف نفسًا إلا وسعها ، وهو أحد قولي الشافعي ، والثاني : وهو الصحيح وعليه أكثر العلماء : أنه يجب عليه فدية عن كل يوم كما فسره ابن عباس ، وغيره من السلف على قراءة من قرأ : ﴿ **وعلى الذين يطيقونه** ﴾ أي يتجشمونه ، كما قاله ابن مسعود وغيره ، وهو اختيار البخاري فإنه قال : وأما الشيخ الكبير إذا لم يطق الصيام ، فقد أطعم أنس بعد ما كبر عامًا أو عامين عن[٦] كل يوم مسكينًا خبزًا ولحمًا وأفطر(٩٨٣) .

وهذا الذي علقه البخاري قد أسنده الحافظ أبو يعلى الموصلي في « **مسنده** » ، فقال(٩٨٤) :

---

(٩٨١) - أشعث بن سوار : ضعيف أخرج له مسلم في المتابعات .

(٩٨٢) - الحسين بن محمد : ثقة . وكذلك وهب بن بقية .

(٩٨٣) البخاري في التفسير ، باب : ﴿ أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً ......﴾ قبل رقم (٤٥٠٥) .

(٩٨٤) مسند أبي يعلى (٢٠٤/٧) ، وقال الهيثمي في المجمع (١٦٤/٣) : « رجاله رجال الصحيح » لكنه منقطع .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في خ : « الحسن » ، وفي ز : « الحسنى » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

حدثنا عُبَيد الله بن معاذ ، حدثنا أبي ، حدثنا عمران ، عن أيوب بن أبي تميمة قال : ضعف أنس عن الصوم ، فصنع جفنة من ثريد فدعا ثلاثين مسكينًا فأطعمهم .

ورواه عبد بن حميد : عن روح بن عبادة ، عن عمران – وهو ابن حُدَير[١] – عن أيوب ، به .

ورواه عبد –أيضًا – : من حديث ستة من أصحاب أنس [عن أنس][٢] بمعناه .

ومما يلتحق بهذا المعنى الحامل والمرضع ، إذا خافتا على أنفسهما أو ولديهما ، ففيهما خلاف كثير بين[٣] العلماء ، فمنهم من قال : يفطران ويفديان ، ويقضيان . وقيل : يفديان فقط ولا قضاء . وقيل : يجب القضاء بلا فدية . وقيل : يفطران ولا فدية ، ولا قضاء . وقد بسطنا هذه المسألة مستقصاة في كتاب الصيام الذي أفردناه . ولله الحمد والمنة .

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾

يمدح تعالىٰ شهر الصيام من بين سائر الشهور ، بأن اختاره من بينهن[٤] لإنزال القرآن العظيم فيه ، وكما اختصه بذلك قد ورد الحديث بأنه الشهر الذي كانت الكتب الإلٰهية تنزل فيه علىٰ الأنبياء .

قال الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله(٩٨٥) – : حدثنا أبو سعيد مولىٰ بني هاشم ، حدثنا عمران أبو العوّام ، عن قتادة ، عن أبي المليح ، عن واثلة – يعني ابن الأسقع – أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **أنزلت صحف إبراهيم في أوّل ليلة في[٥] رمضان ، [وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان][٦] والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان ، وأنزل الله**

(٩٨٥) المسند ١٧٠٣٤ – (١٠٧/٤) . ورواه البيهقي في الكبرى (١٨٨/٩) . والطبراني في الكبير رقم ١٨٥ – (٧٥/٢٢) . ورواه ابن أبي حاتم ١٦٤٩ – (٣١٠/١) . وابن جرير ٢٨١٤ – (٤٤٦/٣) .

[١] – في خ : « جدير » .
[٢] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] – في ز : « من » .
[٤] – في ز ، خ : « بينهم » .
[٥] – في ز ، خ : « من » .
[٦] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان » .

وقد روي من حديث جابر بن عبد الله وفيه : أنّ الزبور أنزل[١] لثنتي عشرة خلت من رمضان ، والإنجيل لثماني عشرة ، والباقي كما تقدم ، رواه ابن مردويه .

وأما الصحف والتوراة والزبور والإنجيل ، فنزل كل منها على النبي الذي أنزل عليه جملة واحدة ، وأما القرآن فإنما نزل جملة واحدة إلى بيت العزة من السماء الدنيا ، وكان ذلك في شهر رمضان ، في ليلة القدر منه ، كما قال تعالى : ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة القدر** ﴾ ، وقال : ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة مباركة** ﴾ ، ثم نزل بعدُ مفرقًا بحسب الوقائع على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هكذا روي من غير وجه ، عن ابن عباس ، كما قال إسرائيل : عن السدي ، عن محمد بن أبي المجالد ، عن مقسم عن ابن عباس : أنه سأل[٢] عطية بن الأسود ، فقال : وقع في قلبي الشك من[٣] قول الله تعالى : ﴿ **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن** ﴾ ، وقوله : ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة مباركة** ﴾ ، وقوله : ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة القدر** ﴾ ، وقد أنزل في شوّال ، وفي ذي القعدة ، وفي ذي الحجة ، وفي المحرّم ، وصفر ، وشهر ربيع . فقال ابن عباس : إنه أنزل في رمضان في ليلة القدر وفي ليلة مباركة جملة واحدة ، ثم أنزل على مواقع النجوم ترتيلًا في الشهور والأيام . رواه ابن أبي حاتم(٩٨٦) وابن مردويه ، وهذا لفظه .

وفي رواية سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : أنزل القرآن في النصف من شهر رمضان إلى سماء الدنيا فجعل في بيت العزة ، ثم أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة ؛ لجواب كلام الناس .

وفي رواية عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : نزل القرآن في شهر رمضان في ليلة القدر إلى هذه السماء الدنيا جملة واحدة ، وكان الله يحدث لنبيه ما يشاء ، ولا يجيء المشركون بمثل يخاصمون به إلا جاءهم الله بجوابه ، وذلك قوله : ﴿ **وقال الذين كفروا لولا نزل[٤] عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلًا * ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان** ﴾ هذا مدح للقرآن الذي أنزله الله هدى

---

(٩٨٦) - ابن أبي حاتم ١٦٥٠ - (٣١٠/١) . وابن جرير ٢٨٢٢ - (٤٤٨/٣) .

---

[١] - في ز : « نزل » .
[٢] - في ز : « سأله » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « أنزل » .

لقلوب العباد ممن آمن به وصدقه واتبعه ﴿ **وبينات** ﴾ أي : ودلائل وحجج بينة ، واضحة ، جلية لمن فهمها وتدبرها ، دالة علىٰ صحة ما جاء به من الهدىٰ المنافي[١] للضلال ، والرشد المخالف للغي[٢] ، ومفرقًا بين الحق والباطل ، والحلال والحرام .

وقد روي عن بعض السلف : أنه كره أن يقال إلا : « **شهر رمضان** » ولا يقال : « **رمضان** » ،

قال ابن أبي حاتم(٩٨٧) : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن بكار بن الريان ، حدثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القُرَظي وسعيد - هو المقبري - عن أبي هريرة قال : لا تقولوا : رمضان ، فإنّ رمضان اسم من أسماء اللَّه تعالىٰ[٣] ، ولكن قولوا : شهر رمضان .

قال ابن أبي حاتم : وقد روي عن مجاهد ، ومحمد بن كعب نحو ذلك ، ورخص فيه ابن عباس ، وزيد بن ثابت ،

(قلت) : أبو معشر : هو نجيح بن عبد الرحمن المدني إمام المغازي والسير ، ولكن فيه ضعف ، وقد رواه ابنه محمد عنه ، فجعله مرفوعًا ، عن أبي هريرة ، وقد أنكره عليه الحافظ ابن عدي[٤] وهو جدير بالإنكار ، فإنه متروك ، وقد وهم في رفع هذا الحديث ، وقد انتصر البخاري رحمه اللَّه في كتابه لهذا فقال : « باب يقال رمضان »(٩٨٨) ، وساق أحاديث [في ذلك][٥] منها : « **من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه** »(٩٨٩) ونحو ذلك .

وقوله : ﴿ **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** ﴾ هذا إيجاب حَتْم علىٰ من شهد استهلال الشهر - أي : كان مقيمًا في البلد حين[٦] دخل شهر رمضان ، وهو صحيح في بدنه - أن يصوم لا محالة ، ونسخت هذه الآية الإباحة[٧] المتقدمة لمن كان صحيحًا مقيمًا أن يفطر ، ويفدي بإطعام مسكين عن كل يوم ، كما تقدم بيانه . ولما حتَّم الصيام أعاد ذكر الرخصة

---

(٩٨٧) - رواه ابن أبي حاتم ١٦٤٨ - (١/٣١٠) .

(٩٨٨) الترجمة في الصحيح (٤/١١٢) : « باب هل يقال رمضان أو شهر رمضان ، ومن رأى كله واسعًا » .

(٩٨٩) - رواه البخاري في الإيمان ، باب : صوم رمضان احتساباً من الإيمان برقم (٣٨) ورواه برقم (١٩١٠، ٢٠١٤) .

---

[١] - في ز : « النافي » .
[٢] - في ز : « للعمسي » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - مكانها بياض في ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز : « حتى » .
[٧] - في ز : « للإباحة » .

للمريض والمسافر[١] في الإفطار ، بشرط القضاء فقال : ﴿ **ومن كان مريضًا أو علىٰ سفر فعدة من أيام أخر** ﴾ معناه : ومن كان به مرض في بدنه يشق عليه الصيام معه ، أو يؤذيه ، أو كان علىٰ سفر أي : في حال السفر[٢] ، فله أن يفطر فإذا أفطر فعليه عدة[٣] ما أفطره في السفر من الأيام ، ولهذا قال : ﴿ **يريد اللَّه بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** ﴾ أي : إنما رخص لكم في الفطر في حال المرض وفي السفر مع تحتمه في حق المقيم الصحيح ، تيسيرًا[٤] عليكم ورحمة بكم .

وهاهنا مسائل تتعلق بهذه الآية :

(إحداها[٥]) : أنه قد ذهب طائفة من السلف إلىٰ أن من كان مقيمًا في أول الشهر ، ثم سافر في أثنائه فليس له الإفطار بعذر السفر والحالة هذه لقوله : ﴿ **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** ﴾ . وإنما يباح الإفطار لمسافر استهل الشهر وهو مسافر . وهذا القول غريب نقله أبو محمد بن حزم في كتابه المحلى ، عن جماعة من الصحابة والتابعين . وفيما حكاه عنهم نظر ، واللَّه أعلم . فإنه قد ثبتت[٦] السنة عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه خرج في شهر رمضان لغزوة الفتح ، فصام[٧] حتىٰ بلغ الكديد ، ثم أفطر وأمر الناس بالفطر ، أخرجه صاحبا الصحيح(٩٩٠) .

(الثانية) ذهب آخرون من الصحابة والتابعين إلىٰ وجوب الإفطار في السفر لقوله : ﴿ **فعدة من أيام أخر** ﴾ ، والصحيح قول الجمهور ؛ أن الأمر في ذلك علىٰ التخيير وليس بحتم ؛ لأنهم كانوا يخرجون مع رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم في شهر رمضان قال : فمنا الصائم ومنا المفطر ، فلم يعب الصائم علىٰ المفطر ، ولا المفطر علىٰ الصائم(٩٩١) . فلو كان الإفطار هو الواجب لأنكر عليهم الصيام ، بل الذي ثبت من فعل رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه كان في مثل هذه الحالة[٨] صائمًا لما ثبت في الصحيحين(٩٩٢) عن أبي الدرداء قال[٩] :

---

(٩٩٠) البخاري في الصوم ، باب : إذا صام أياماً من رمضان ثم سافر برقم (١٩٤٤) وأطرافه (١٩٤٨ ، ٢٩٥٤ ، ٤٢٧٥ ، ٤٢٧٦ ، ٤٢٧٨ ، ٤٢٧٩) ، ومسلم في الصيام برقم (١١١٣) .

(٩٩١) رواه البخاري في الصوم من حديث أنس بن مالك ، باب : لم يعب أصحاب النبي ﷺ بعضهم بعضاً في الصوم ومسلم في الصيام من صحيحه برقم (١١١٨) .

(٩٩٢) البخاري في الصوم ، باب : إذا صام أياماً من رمضان ثم سافر برقم (١٩٤٥) ، ومسلم في الصيام برقم (١١٢٢) .

---

[١] - في ز : « والمسافر » .
[٢] - في ز : « سفر » .
[٣] - في ز ، خ : « بعدة » .
[٤] - في ز : « تيسرًا » .
[٥] - في ز : « أحدهما » .
[٦] - في ز : « ثبت » .
[٧] - في ت : « فسار » .
[٨] - في ز : « الحال » .
[٩] - سقط من : ز ، خ .

خرجنا مع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم [في شهر رمضان][١] في حر شديد حتىٰ إن كان أحدنا ليضع يده علىٰ رأسه [من شدّة الحر][٢] ، وما فينا صائم إلا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وعبد اللّٰه بن رواحة .

(الثالثة) قالت[٣] طائفة منهم الشافعي : الصيام في السفر أفضل من الإفطار [لفعل النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كما تقدم ، وقالت[٤] طائفة : بل الإفطار أفضل][٥] أخذًا بالرخصة ولما ثبت عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أنه سئل عن الصوم في السفر ؛ فقال : « **من أفطر فحسن ، ومن صام فلا جناح عليه** »(٩٩٣) ، وقال في حديث آخر : « **عليكم برخصة اللّٰه التي رخص لكم** »(٩٩٤) ، وقالت طائفة : هما سواء لحديث عائشة ؛ أن حمزة ابن عمرو الأسلمي قال : يا رسول اللّٰه ؛ إني كثير الصيام أفأصوم في السفر ؟ قال[٦] « **إن شئت فصم ، وإن شئت فأفطر** »(٩٩٥) . وهو في الصحيحين ، وقيل : إن شق الصيام فالإفطار أفضل ، لحديث جابر أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم رأىٰ رجلًا قد ظلل عليه فقال : « **ما هذا** » ؟ قالوا : صائم ، فقال : « **ليس من البر الصيام في السفر** » ، أخرجاه(٩٩٦) ، فأمّا إن رغب عن السنة ، ورأىٰ أن الفطر مكروه إليه ، فهذا يتعين عليه الإفطار ويحرم عليه الصيام والحالة هذه ، لما جاء في مسند الإمام أحمد وغيره ، عن ابن عمر وجابر وغيرهما : من لم يقبل رخصة اللّٰه كان عليه من الإثم مثل جبال عرفة (٩٩٧) .

(الرابعة) القضاء هل يجب متتابعًا ، أو يجوز فيه التفريق ؟ فيه قولان : (أحدهما) أنه يجب التتابع ؛ لأن القضاء يحكي الأداء (والثاني) لا يجب التتابع بل إن شاء فرّق وإن

(٩٩٣) - رواه الدارقطني وصححه عن حموة بن عمرو الأسلمي .

(٩٩٤) - رواه النسائي في الصوم ، باب : العلة التي من أجلها قيل ذلك وذكر الاختلاف ... (٢٢٥٨) من حديث جابر بن عبد الله .

(٩٩٥) رواه البخاري في الصوم برقم (١٩٤٢ ، ١٩٤٣) ومسلم في الصيام برقم (١١٢١) .

(٩٩٦) البخاري من حديث جابر في الصوم برقم (١٩٤٦) ، ومسلم في الصوم برقم (١١١٥) .

(٩٩٧) حديث ابن عمر في المسند (٧١/٢) (٥٣٩٢) وفي إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف ، وشيخه أبو طعمة - قال الحافظ : مقبول - . وحديث جابر لم نقف عليه .

وقد روي من حديث عقبة عامر ، رواه أحمد (١٥٨/٤) وفي إسناده أيضاً ابن لهيعة ، وشيخه رزيق الثقفي : مجهول.

[١] - سقط من : ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز : « قال » .

[٤] - في ز : « قال » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٦] - في ز : « فقال » .

شاء تابع ، وهذا قول جمهور السلف والخلف ، وعليه ثبتت الدلائل ؛ لأن التتابع إنما وجب في الشهر ، لضرورة أدائه في الشهر ، فأمّا بعد انقضاء رمضان فالمراد صيام أيام عدّة ما أفطر ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **فعدّة من أيام أخر** ﴾ ، ثم قال تعالىٰ : ﴿ **يريد اللَّه بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** ﴾ ، قال الإمام أحمد : حدثنا أبو سلمة الخزاعي ، حدثنا أبو[١] هلال ، عن حميد بن هلال العدوي ، عن أبي قتادة ، عن الأعرابي الذي سمع النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « **إن خير دينكم أيسره ، إن خير دينكم أيسره** »(٩٩٨) .

وقال أحمد أيضًا(٩٩٩) : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا[٢] عاصم بن هلال ، حدثنا غاضرة[٣] بن عروة الفقيمي ، حدثني[٤] أبي عروة قال : كنا ننتظر النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فخرج [ ][٥] يقطر رأسه من وضوء أو غسلٍ فصلىٰ ، فلما قضىٰ الصلاة جعل الناس يسألونه : علينا حرج[٦] في كذا ؟ فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن دين اللَّه في يسر** » - ثلاثًا يقولها - ورواه الإمام أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه الآية : من حديث مسلم بن إبراهيم ، عن عاصم بن هلال ، به .

وقال الإمام أحمد(١٠٠٠) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، قال : [ ][٧] حدثنا أبوالتياح ، سمعت أنس بن مالك يقول : إن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **يسروا ولا تعسروا ، وسكنوا ولا تنفروا** » ، أخرجاه في الصحيحين .

---

(٩٩٨) رواه أحمد في المسند برقم ١٥٩٨٢ - (٤٧٩/٣) ومن حديث محجن بن الأدرع برقم ١٩٠٣٠ - (٣٣٨/٤) و ٢٠٣٩٨ ، ٢٠٤٠٠ - (٣٢/٥) . وفي إسناده رجاء بن أبي رجاء ، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٠/ ٢٩٧/ح ٧٠٤). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٣١١)، وقال: رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح خلا رجاء، وقد وثقه ابن حبان ، ورجاء : قال الحافظ: مقبول .

(٩٩٩) **إسناده ضعيف** . عاصم بن هلال : قال في التقريب : فيه لين . وغاضرة : قال ابن المديني : مجهول . وذكره ابن حبان في ثقاته . والحديث في المسند ٢٠٧٢٦ - (٦٩/٥) وأخرجه الطبراني في الكبير (١٧/ ١٤٦ ، ١٤٧ / رقم : ٣٧٢) . وأبو يعلى في مسنده (١٢/ ٢٧٤/ رقم : ٦٨٦٣) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦١/١ ، ٦٢) وقال : « رواه أحمد والطبراني في الكبير وأبو يعلى ، وفيه عاصم بن هلال ، وثقة أبو حاتم وأبو داود ، وضعفه النسائي وغيره ، وغاضرة لم يرو عنه غير عاصم ، هكذا ذكر المزي » .

(١٠٠٠) المسند ١٣١٩٩ - (٢٠٩/٣) ، ورواه البخاري في كتاب العلم ، باب : العلم قبل القول والعمل حديث ٦٩ ، وطرفه حديث ٦١٢٥ . ورواه مسلم حديث ٨ - (١٧٣٤) . والنسائي في العلم من الكبرى حديث ٥٨٩٠ - (٤٤٩/٣) .

---

[١] - في ز : « ابن » . [٢] - في ز : « أنا » .

[٣] - في ز : « عاضره » وفي خ : عامر .

[٤] - ما بين المعكوفتين مكررة في ز : « حدثني » . [٥] - في ز ، خ : رجل .

[٦] - في ز : « خرج » . [٧] - في ز ، خ : قال .

وفي الصحيحين(١٠٠١) أيضًا[١] : أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال لمعاذ وأبي موسىٰ حين بعثهما إلىٰ اليمن : « **بشرا ، ولا تنفرا ، ويسرا ، ولا تعسرا ، وتطاوعا ، ولا تختلفا** » .

وفي السنن ، والمسانيد : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **بعثت بالحنيفية السمحة** »(١٠٠٢) .

وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره : حدثنا عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا يحيىٰ بن أبي طالب ، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء ، حدثنا أبو مسعود الجريري[٢] ، عن عبد الله ابن شقيق ، عن محجن[٣] بن الأدرع : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم رأىٰ رجلًا يصلي [فتراه ببصره][٤] ساعة فقال : « **أتراه يصلي صادقًا ؟** » ، قال : قلت : يا رسول الله هذا أكثر أهل المدينة صلاة ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لا تسمعه فتهلكه** » ، وقال : « **إن الله إنما[٥] أراد بهذه الأمة اليسر ولم يرد بهم العسر** »(١٠٠٣) .

ومعنىٰ قوله تعالى : ﴿ **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة** ﴾ أي إنما أرخص لكم في الإفطار للمرض والسفر ، ونحوهما من الأعذار ؛ لإرادته بكم اليسر ، وإنما أمركم بالقضاء لتكملوا عدة شهركم .

وقوله : ﴿ **ولتكبروا الله علىٰ ما هداكم** ﴾ أي ولتذكروا الله عند انقضاء عبادتكم كما قال : ﴿ **فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرًا** ﴾ ، وقال : ﴿ **فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرًا لعلكم تفلحون** ﴾ ، وقال : ﴿ **وسبح[٦] بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب * ومن**

(١٠٠١) البخاري في كتاب المغازي ، باب : بعث أبي موسى ومعاذ إلىٰ اليمن قبل حجة الوداع برقم (٤٣٤١، ٤٣٤٢ ، ٤٣٤٥) ، ومسلم في الجهاد والسير برقم ٧ - (١٧٣٣) .

(١٠٠٢) - رواه الإمام أحمد ٢٢٣٩١ - (٢٦٦/٥) ، والطبراني في الكبير ٧٨٦٨ - (٢٥٧/٨) كلاهما من حديث علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة في حديث طويل . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٧٩/٥) وعزاه لأحمد والطبراني في الكبير ، وقال : وفيه علي بن يزيد الألهاني وهو ضعيف .

(١٠٠٣) ورواه أحمد في المسند ٢٠٣٩٨ ، ٢٠٣٩٩ ، ٢٠٤٠٠ - (٣٢/٥) من طرق عن عبد الله بن شقيق عن محجن نحوه .

(١٠٠٤) ورواه ابن جرير في تفسيره (٤٨٠/٣) من طريق جرير به .

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ز ، خ : « الحريري » .

[٣] - في ز : « محجر » .

[٤] - في ز : « فتراه بصره » .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - في ز : « فسبح » .

الليل فسبحه وأدبار السجود ﴾ ، ولهذا جاءت السنة باستحباب التسبيح ، والتحميد ، والتكبير بعد الصلوات المكتوبات .

وقال ابن عباس : ما كنا نعرف انقضاء صلاة رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم إلا بالتكبير ، ولهذا أخذ كثير من العلماء مشروعية التكبير في عيد الفطر من هذه الآية : ﴿ **ولتكملوا العدة ولتكبروا اللّٰه علىٰ ما هداكم** ﴾ ، حتىٰ ذهب داود بن علي الأصبهاني الظاهري إلىٰ وجوبه في عيد الفطر ؛ لظاهر الأمر في قوله : ﴿ **ولتكبروا اللّٰه** [**علىٰ ما هداكم**][١] ﴾ ، وفي مقابلته مذهب أبي حنيفة - رحمه اللّٰه - أنه لا يشرع التكبير في عيد الفطر ، والباقون علىٰ استحبابه علىٰ اختلاف في تفاصيل بعض الفروع بينهم .

وقوله : ﴿ **ولعلكم تشكرون** ﴾ أي إذا قمتم بما أمركم اللّٰه من طاعته[٢] بأداء فرائضه ، وترك محارمه ، وحفظ حدوده ، فلعلكم أن تكونوا من الشاكرين بذلك .

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

قال ابن أبي حاتم(١٠٠٤) : حدثنا أبي [حدثنا][٣] يحيىٰ بن المغيرة ، أخبرنا جرير ، عن عبدة ابن أبي برزة السجستاني[٤] ، عن الصُّلْب[٥] بن حكيم بن معاوية بن حيدة القشيري ، عن أبيه ، عن جده ، أن أعرابيًّا قال : يا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليك وسلم أقريب ربنا فنناجيه ، أم بعيد [فنناديه ؟ فسكت النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم][٦] فأنزل اللّٰه : ﴿ **وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعانِ** [**فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي** ﴾ إذا أمرتهم أن يدعوني فدعوني استجبت » . ورواه ابن جرير : عن محمد بن حميد الرازي ، عن جرير به][٧] .

ورواه ابن مردويه ، وأبو الشيخ الأصبهاني : من حديث محمد بن أبي حميد ، عن جرير به .

وقال عبد الرزاق(١٠٠٥) أخبرنا جعفر بن سليمان ، عن عوف ، عن الحسن قال : سأل أصحاب رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم [النبي صلى الله عليه وسلم][٨] : أين ربنا ؟

(١٠٠٥) ورواه ابن جرير في تفسيره (٤٨١/٣) من طريق عبد الرزاق به .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز ، خ : « طاعاته » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .
[٤] - في ز ، خ : « السختياني » .
[٥] - في ز ، خ : الصلت وهو تصحيف ، وانر المؤتلف والمختلف (١٤٣٠/٣) .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

فأنزل الله عز وجل : ﴿ **وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعِ إذا دعانِ** ﴾ الآية .

وقال ابن جريج : عن عطاء أنه بلغه لما نزلت : ﴿ **وقال ربكم ادعوني أستجب لكم** ﴾ قال الناس [لو نعلم][١] : أي ساعة ندعو ؟ فنزلت ﴿ **وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعِ إذا دعانِ** ﴾ .

وقال الإمام أحمد(١٠٠٦) : حدّثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي ، حدّثنا خالد الحذاء ، عن أبي عثمان النهدي ، عن أبي موسىٰ الأشعري قال : كنا مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في غزوة[٢] ، فجعلنا لانصعد شرفًا ، ولا نعلو شرفًا ، ولا نهبط واديًا إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير ، قال : فدنا منا فقال : « **يا أيها الناس اربعوا[٣] علىٰ أنفسكم ، فإنكم لا تدعون أصم ، ولا غائبًا ، إنما تدعون سميعًا بصيرًا ، إن الذي تدعون أقرب إلىٰ أحدكم من عنق راحلته ، يا عبد الله بن قيس ، ألا أعلمك كلمة من كنوز الجنة ؟ لاحول ولا قوة إلا بالله** » .

أخرجاه في الصحيحين ، وبقية الجماعة من حديث أبي عثمان النهدي ، واسمه عبد الرحمن ابن [مل عنه][٤] بنحوه.

وقال الإمام أحمد(١٠٠٧) : حدّثنا سليمان بن داود ، حدثنا[٥] شعبة ، حدثنا قتادة ، عن أنس رضي الله عن أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **يقول الله تعالىٰ : أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا دعاني** » .

وقال الإمام أحمد(١٠٠٨) أيضًا[٦] : حدّثنا علي بن إسحاق ، أنبأنا عبد الله ، أنبأنا عبد

(١٠٠٦) المسند ١٩٦٥٣ ، ١٩٥٧٧، ١٩٦٢٩ – (٤٠٢/٤، ٣٩٤ ، ٣٩٩ – ٤٠٠) . وأخرجه البخاري في كتاب الجهاد ، باب : ما يكره من رفع الصوت في التكبير ، حديث (٢٩٩٢) وأطرافه في (٤٢٠٥ ، ٦٣٨٤ ، ٦٤٠٩ ، ٦٦١٠، ٨٣٨٦) . ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب : استحباب خفض الصوت بالذكر ، حديث ٤٤ : ٤٧ – (٢٧٠٤) .

(١٠٠٧) المسند ١٣٢١٦ – (٢١٠/٣) . ورواه البخاري في التوحيد ، باب : ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وروايته عن ربه (٧٥٣٦) ، من طريق شعبة عن قتادة عن أنس .

(١٠٠٨) كريمة بنت أبي حسحاس : قال الحافظ في التقريب : ثقة . وقال الذهبي في الميزان (٦٠٩/٤) : تفرد عنها إسماعيل بن أبي المهاجر . وذكرها ابن حبان في الثقات ، وإسماعيل ثقة روى له الشيخان . =

---

[١] – في ز : « له تعلم » . [٢] – في ز ، خ : « غزاة » .

[٣] – ي أرفقوا بأنفسكم ، واخفضوا أصواتكم .

[٤] – ما بين المعكوفتين في خ : « زيد » ، وفي ز : « بياض » .

[٥] – في خ : « عن » . [٦] – سقط من : ز .

الرحمن ابن يزيد بن جابر ، حدّثنا إسماعيل بن عبيد[١] الله ، عن كريمة بنت [ ][٢] حسحاس[٣] المزنية[٤] قالت : حدّثنا أبو هريرة : أنه سمع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **قال الله تعالىٰ[٥] : أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه** » .

(قلت) : وهذا كقوله تعالىٰ : ﴿ **إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** ﴾ ، كقوله[٦] لموسىٰ وهارون عليهما السلام : ﴿ **إنني معكما أسمع وأرىٰ** ﴾ ، والمراد من هذا أنه تعالىٰ لا يخيب دعاء داعٍ ، ولا يشغله عنه شيء ، بل هو سميع الدعاء ، ففيه[٧] ترغيب في الدعاء ، وأنه لا يضيع لديه تعالىٰ ، كما قال[٨] الإمام أحمد(١٠٠٩) :

حدّثنا يزيد ، حدّثنا رجل ، أنه سمع أبا عثمان - وهو[٩] النهدي - يحدّث عن سلمان - يعني الفارسي رضي الله عنه - عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « **إن الله تعالىٰ ليستحي[١٠] أن يبسط العبد إليه يديه يسأله فيهما خيرًا فيردهما خائبتين** » - قال يزيد : سموا لي هذا الرجل فقالوا : جعفر بن ميمون .

وقد رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة من حديث جعفر بن ميمون صاحب الأنماط به ، وقال

= وكذلك عبد الرحمن بن يزيد بن جابر . والحديث في المسند (٥٤٠/٢) . ورواه ابن حبان (٨١٥) من حديث أيوب بن سويد ، عن الأوزاعي ، عن إسماعيل به .

ورواه أحمد (٥٤٠/٢) ، وابن ماجه في الأدب ، باب : فضل الذكر (٣٧٩٢) عن محمد بن مصعب ، والبغوي في شرح السنة (١٢٤٢) والحاكم (٤٩٦/١) . كلهم من طريق الأوزاعي ، عن إسماعيل بن عبيد الله ، عن أم الدرداء ، عن أبي هريرة وصححه الحاكم .

وعلقه البخاري في التوحيد (٤٩٩/١٣) ووصله في خلق أفعال العباد (ص ٨٧) .

وقال البوصيري : في إسناده محمد بن مصعب القرقساني ، قال فيه صالح بن محمد : ضعيف . لكن رواه ابن حبان في صحيحه من طريق أيوب بن سويد عن الأوزاعي أيضاً ، وأيوب بن سويد ضعيف .

(١٠٠٩) المسند ٢٣٨٢١ - (٤٣٨/٥) . وأخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب : الدعاء (رقم : ١٤٨٨) . والترمذي في كتاب الدعوات ، باب : رقم (١٠٥) (رقم : ٣٥٥٦) . وقال : هذا حديث حسن غريب . وابن ماجة في كتاب الدعاء ، باب : رفع اليدين في الدعاء (رقم : ٣٨٦٥) . كلهم من طريق جعفر بن ميمون به .

---

[١] - في ز ، خ : « عبد » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ت : «خشخاش » .
[٤] - في ز : « المدينية » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في خ : « قوله » .
[٧] - في ز : « وفيه » .
[٨] - في ز : « وقال » .
[٩] - في ز : « هو » .
[١٠] - في ز : « ليستحيي » .

الترمذي : حسن غريب ، ورواه بعضهم ولم يرفعه .

و[١]قال الشيخ الحافظ أبو الحجاج المزي[٢] رحمه الله في أطرافه(١٠١٠) : وتابعه أبو همام محمد بن الزبرقان عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي به .

وقال الإمام[٣] أحمد أيضًا(١٠١١) : حدّثنا أبو عامر ، حدّثنا علي عن[٤] أبي المتوكل الناجي ، عن أبي سعيد : أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **ما من مسلم يدعو الله عز وجل بدعوة ليس فيها إثم ، ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدىٰ ثلاث خصال : إمّا أن يعجل له دعوته ، وإما أن يدخرها له في الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها** » ، قالوا : إذًا نكثر[٥] ، قال : « **الله أكثر** » .

وقال عبد الله بن الإمام أحمد(١٠١٢) : حدّثنا إسحاق بن منصور الكوسج ، أنبأنا محمد بن يوسف ، حدّثنا ابن[٦] ثوبان ، عن أبيه ، عن مكحول ، عن جبير بن نفير ، أن عبادة بن الصامت حدثهم : أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **ما علىٰ ظهر الأرض من رجل مسلم يدعو الله -عز وجل- بدعوة إلا آتاه الله إياها ، أو كف عنه من السوء مثلها ، ما لم يدع بإثم ، أو قطيعة رحم** » .

(١٠١٠) تحفة الأشراف (٤/٢٩) .

(١٠١١) صحيح - والحديث في المسند ١١١٤٧ - (٣/١٨) . وأخرجه البخاري في الأدب المفرد - (٧١٠) . وابن أبي شيبة في المصنف - كتاب الدعاء ، باب : في فضل الدعاء - (٤) - (٧/٢٤) . وعنه عبد بن حميد في المنتخب - (٩٣٧) . وأبو يعلى في مسنده - (١٠١٩) - (٢/٢٩٦) . والحاكم في المستدرك - (١/٤٩٣) ، وابن عبد البر في التمهيد - (٥/٣٤٣،٣٤٤) . من طرق عن علي بن علي الرفاعي به . وقال الحاكم : صحيح الإسناد إلا أن الشيخين لم يخرجاه عن علي بن على الرفاعي ووافقه الذهبي . وذكره الهيثمي في « المجمع » - (١٠/١٥١-١٥٢) وقال : رواه أحمد وأبو يعلى بنحوه والبزار والطبراني في الأوسط ، ورجال أحمد وأبي يعلى وأحد إسنادي البزار رجاله رجال الصحيح غير علي بن علي الرفاعي وهو ثقة . وأخرجه الطبراني في الأوسط (٤٣٦٨) وفي « الصغير » - (٢/٩٢) من طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن أبي المتوكل الناجي به . وهذا إسناد ضعيف ؛ لضعف سعيد بن بشير لاسيما في قتادة ، وعنعنة قتادة وهو معروف بالتدليس .

(١٠١٢) رواه عبد الله في زوائده على المسند (٥/٣٢٩) . وابن ثوبان هو عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان : صدوق يخطئ وتغير بأخرة . ورواه الترمذي في الدعوات ، باب : في انتظار الفرج (٣٥٦٨) . ورواه الطبراني في الدعاء مطولاً برقم (٨٦) ، وفيه مسلمة بن علي : متروك . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/١٤٧) وعزاه إلى أحمد والترمذي والطبراني في الأوسط (١٤٧) .

---

[١] - زيادة من : ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « المزني » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - في خ : « بن » .

[٥] - في خ : « يكثر » .

[٦] - في ز ، خ : « أبو » .

ورواه الترمذي : عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، عن محمد بن يوسف الفريابي ، عن ابن ثوبان - وهو عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان - به ، وقال : حسن صحيح غريب من هذا الوجه .

وقال الإمام مالك(١٠١٣) : عن ابن شهاب ، عن أبي عبيد مولىٰ ابن أزهر ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ، يقول : دعوت فلم يستجب لي** » .

أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك به ، وهذا لفظ البخاري رحمه الله ، وأثابه الجنة .

وقال مسلم [في صحيحه][١] (١٠١٤) : حدثني أبو الطاهر ، حدّثنا ابن وهب ، أخبرني معاوية بن صالح ، عن ربيعة بن يزيد ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن أبي هريرة عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أنه قال : « **لايزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ، ما لم يستعجل** » ، قيل : يا رسول الله و[٢]ما الاستعجال ؟ قال : « **يقول قد دعوت ، وقد دعوت ، فلم أر يستجاب لي ، فيستحسر[٣] عند ذلك ، ويترك الدعاء** » .

وقال الإمام أحمد (١٠١٥) : حدثنا عبد الصمد ، حدّثنا أبو[٤] هلال ، عن قتادة ، عن أنس أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **لايزال العبد بخير[٥] ما لم يستعجل** » ، قالوا : وكيف يستعجل ؟ قال : « **يقول قد دعوت ربي فلم يستجب لي** » .

وقال الإمام[٦] أبو جعفر الطبري في تفسيره : حدّثني يونس بن عبد الأعلىٰ ، حدّثنا ابن وهب ، حدّثني أبو صخر : أن يزيد بن عبد الله بن قسيط حدثه ، عن عروة بن الزبير ، عن

(١٠١٣) الموطأ (٢١٣/١) ، وصحيح البخاري برقم (٦٨٤٠) ، ومسلم في الذكر والدعاء ، والتوبة والاستغفار ٩٠ ، ٩١ - (٢٧٣٥) .

(١٠١٤) رواه مسلم في الذكر والدعاء ، والتوبة والاستغفار برقم ٩٢ - (٢٧٣٥) .

(١٠١٥) المسند ١٣٢٢٢ ، ١٣٠٣١ - (٢١٠/٣ ، ١٩٣) . ورواه أبو يعلى (٢٨٦٥/٥) وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٣٠٩/٦) من طريق الربيع ، عن يزيد عن أنس . وذكره في مجمع الزوائد (١٠ / ١٥٠) وقال : رواه أحمد وأبو يعلى بنحوه والبزار والطبراني في الأوسط وفيه أبو هلال الراسبي وهو ثقة وفيه خلاف ، وبقية رجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح .

[١] - ما بين المعكوفتين في : ز « أيضا » . [٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - يقال : حسر واستحسر : إذا أعيا وانقطع عن الشيء والمراد هنا أنه ينقطع عن الدعاء .

[٤] - في ز ، خ : « ابن » . [٥] - في خ : « حال » .

[٦] - سقط من : ز .

عائشة - رضي اللَّه عنها - أنها قالت : ما من عبد مؤمن يدعو اللَّه بدعوة ، فتذهب حتىٰ تعجل[١] له في الدنيا ، أو تؤخر[٢] له في الآخرة ، إذا [هو][٣] لم يعجل ، أو يقنط ، قال عروة : قلت : يا أمّاه كيف عجلته وقنوطه ؟ قالت : يقول : سألت فلم أُعْطَ[٤] ، ودعوت فلم أُجَبْ .

قال ابن قسيط : وسمعت سعيد بن المسيب يقول كقول عائشة سواء .

وقال الإِمام أحمد(١٠١٦) : حدّثنا حسن ، حدّثنا ابن لهيعة ، حدثنا بكر بن عمرو ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي[٥] ، عن عبد اللَّه بن عمرو أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **القلوب أوعية ، وبعضها أوعىٰ من بعض ، فإذا سألتم اللَّه أيها الناس ، فاسألوه ، وأنتم موقنون[٦] بالإِجابة ، فإن الله لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل** » .

وقال ابن مردويه : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن[٧] أيوب ، حدّثنا إسحاق بن إبراهيم بن أبي بن[٨] نافع بن [معد يكرب][٩] ببغداد ، حدثني [ابن أبي][١٠] نافع [حدثني أبي نافع][١١] بن [معد يكرب][١٢] قال : كنت أنا وعائشة سألت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم عن آية[١٣] ﴿ **أجيب دعوة الداع إذا دعانِ** ﴾ ، قال : « **يارب مسألة عائشة** » ، فهبط جبريل فقال : « **اللَّه يقرئك[١٤] السلام ، هذا عبدي الصالح بالنية الصادقة ، وقلبه نقي ، يقول يارب فأقول لبيك فأقضي حاجته** »(١٠١٧) .

(١٠١٦) إسناده ضعيف من أجل ابن لهيعة ، وبكر بن عمرو ذكره ابن حبان في الثقات . وقال ابن القطان : لا تُعلم عدالته ، وإنما هو من الشيوخ الذين لا يعرفون بالعلم ، وإنما وقعت لهم روايات أخذت عنهم ، بنحو ذلك وصفه أحمد بن حنبل ، فإنه سئل عنه فقال : يُروىٰ عنه . وسئل عنه أبو حاتم فقال : شيخ . وقال الدارقطني : يعتبر به . والحديث في المسند ٦٦٥٥ - (١٧٧/٢) . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٤٨) وقال : رواه أحمد وإسناده حسن .

(١٠١٧) **إسناده ضعيف جدًّا** ، إسحاق بن إبراهيم : أورده الحافظ في لسان الميزان وقال : قال الدارقطني : دجال . قلت : نقل هذا عنه حمزة بن يوسف السهمي .

والحديث رواه ابن عدي .

---

[١] - في خ : « يعجل » .
[٢] - في ز ، خ : « تدخر » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .
[٤] - في ز : « أعطه » .
[٥] - في خ : « الجيلي » .
[٦] - في ز ، خ : « مؤمنون » .
[٧] - في ز ، خ : « بن » .
[٨] - زيادة من : ز ، خ .
[٩] - في خ : « مهدي كرب » .
[١٠] - في ز ، خ : « أبي ابن » .
[١١] - ما بين المعكوفتين زيادة من خ .
[١٢] - في خ : « مهدي كرب » .
[١٣] - في ز ، خ : « الآية » .
[١٤] - في ز : « يقراوك » .

وهذا[١] حديث غريب من هذا الوجه .

وروىٰ ابن مردويه : من حديث الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس[٢] ، حدثني جابر ابن عبد اللَّه : أن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قرأ ﴿ **وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعانِ** ﴾ الآية ، فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **اللهم أمرت بالدعاء ، وتوكلت بالإجابة ؛ لبيك اللهم لبيك لبيك**[٣] **لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك ، والملك لا شريك لك ، أشهد أنك فرد أحد صمد ، لم تلد ولم تولد ، ولم يكن لك كفوًا أحد ، وأشهد أن وعدك حقّ ولقاءك**[٤] **حق ، والجنة حق ، والنار حق والساعة آتية لا ريب فيها ، وأنت تبعث من في القبور** »(١٠١٨) .

وقال الحافظ أبو بكر البزار(١٠١٩) : وحدثنا[٥] الحسن بن يحيىٰ الأرزي[٦] ، ومحمد بن يحيىٰ القُطَعي[٧] قالا : حدثنا الحجاج بن منهال ، حدثنا صالح المري ، عن الحسن ، عن أنس : أن[٨] النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « **يقول اللَّه تعالىٰ : يا ابن آدم ، واحدة لك ، وواحدة لي ، وواحدة فيما بيني وبينك ، فأما التي لي فتعبدني ، لا**[٩] **تشرك بي شيئًا ، وأمّا التي لك فما عملت من شيء ، [أو من عمل]**[١٠] **وفيتكه ، وأمّا التي بيني وبينك فمنك الدعاء وعليّ الإجابة** » .

= ذكره ابن الأثير - نافع بن عمرو بن معد يكرب - في أسد الغابة (٢٠٦/٥) وقال : روى حديثه محمد بن إسحاق ، عن إسحاق بن إبراهيم بن أُبَي بن نافع بن معد يكرب ، عن جده أُبَي ، عن أبيه نافع بن معد يكرب أنه قال ... فذكر مثله . ثم قال ابن الأثير : أخرجه أبو موسى وقال : عند ابن إسحاق هذا ، وعند غيره : عن إسحاق بن إبراهيم أحاديث .

(١٠١٨) إسناده ضعيف جدًّا : الكلبي : متروك الحديث ورواه الديلمي في مسند الفردوس برقم (١٧٩٨) ، وابن أبي الدنيا في الدعاء كما في الدر المنثور (٤٧٤/١) .

(١٠١٩) **إسناده ضعيف** ، والحديث في كشف الأستار رقم (١٩) ومختصر زوائد البزار رقم (١٩) وقال البزار : تفرد به صالح المري ، وصالح المري ضعفه الأئمة . ورواه أبو يعلى ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٥١/١) وقال : رواه أبو يعلى والبزار ، وفي إسناده صالح المري وهو ضعيف . وتدليس الحسن أيضاً. =

[١] - في ز : « هذا » .
[٢] - في ز ، خ : « عياش » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز ، خ : « ولقاؤك » .
[٥] - في ز : « حدثنا » .
[٦] - في خ : « الأزدي » .
[٧] - في خ : « القطيعي » ، وفي ز : « السطعي » بدون نقط .
[٨] - في ز ، خ : « عن » .
[٩] - في خ : « ولا » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وفي ذكره تعالىٰ هذه الآية الباعثة علىٰ الدعاء متخللة بين أحكام الصيام - : إرشاد إلىٰ الاجتهاد في الدعاء عند إكمال العدّة ، بل وعند كل فطر . كما رواه الإمام أبو داود الطيالسي في مسنده(١٠٢٠) : حدثنا أبو محمد المليكي ، عن عمرو [- هو ابن شعيب بن محمد بن عبد اللّٰه بن عمرو - عن أبيه ، عن جده عبداللّٰه بن عمرو][١] قال : سمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « **للصائم عند إفطاره دعوة مستجابة** » ، فكان عبد اللّٰه بن عمرو إذا أفطر دعا أهله وولده ودعا .

وقال أبو عبد اللّٰه محمد بن يزيد بن ماجة في سننه(١٠٢١) : حدّثنا هشام بن عمار ، أخبرنا الوليد بن مسلم ، عن إسحاق بن عبيد اللّٰه المدني ، عن عبد اللّٰه بن أبي مليكة ، عن عبد اللّٰه بن عمرو قال : قال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إن للصائم عند فطره لدعوة[٢] ما ترد** » ، قال عبد اللّٰه بن أبي مليكة : سمعت عبد اللّٰه بن عمرو يقول إذا أفطر : **اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي** .

وفي مسند الإمام أحمد(١٠٢٢) ، وسنن [الترمذي ، والنسائي][٣] وابن ماجة عن أبي هريرة قال : قال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ثلاثة لا تردّ دعوتهم : الإمام العادل ، والصائم حتىٰ يفطر ، ودعوة المظلوم يرفعها اللّٰه دون الغمام يوم القيامة ، وتفتح[٤] لها أبواب السماء ، ويقول بعزتي لأنصرنك ولو بعد حين** » .

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ

= وقد روي من حديث سلمان أورده في مجمع الزوائد (٥١/١) وقال : رواه الطبراني في الكبير ، وفي إسناده حميد بن الربيع ، وثقه غير واحد لكنه مدلس وفيه ضعف .

(١٠٢٠) مسند الطيالسي برقم (٢٢٦٢) .

(١٠٢١) رواه ابن ماجة في الصوم ، باب : في الصائم لا ترد دعوته برقم (١٧٥٣) ، وقال البوصيري في الزوائد (٣٨/٢) : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات ، رواه الحاكم في المستدرك (٤٢٢/١) عن عبد العزيز بن عبدالرحمن الدباس ، عن محمد بن علي بن يزيد ، عن الحكم بن موسى ، عن الوليد ، حدثنا إسحاق فذكره . ورواه البيهقي من طريق إسحاق بن عبيد الله . قال عبد العظيم المنذري في كتاب الترغيب له: وإسحاق هذا مدني لا يعرف . قلت : قال الذهبي في الكاشف : صدوق ، وذكره ابن حبان في الثقات . اهـ .

(١٠٢٢) المسند (٤٤٥/٢) ، ورواه الترمذي في الدعوات ، باب : سبق المفردون برقم (٣٥٩٨) ، والنسائي ، وابن ماجة في الصوم ، باب : في الصائم لا ترد دعوته برقم (١٧٥٢) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في هامش المخطوط . [٢] - في خ : « دعوة » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في خ : « النسائي والترمذي » [٤] - في ز : « ويفتح » .

عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾

هذة رخصة من اللّٰه تعالىٰ للمسلمين ، ورفع لما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام ، فإنه كان إذا أفطر أحدهم إنما يحل له الأكل ، والشرب ، والجماع إلىٰ صلاة العشاء ، أو ينام قبل ذلك ، فمتىٰ نام ، أو صلّىٰ العشاء حرم عليه الطعام والشراب والجماع إلىٰ الليلة القابلة ، فوجدوا من ذلك مشقة كبيرة ، والرفث هنا هو الجماع ؛ قاله ابن عباس ، وعطاء ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وطاوس ، وسالم بن عبد اللّٰه ، وعمرو بن دينار ، والحسن ، وقتادة ، والزهري ، والضحاك ، وإبراهيم النخعي ، والسدّي ، وعطاء الخراساني ، ومقاتل بن حيان .

وقوله : ﴿ **هنّ لباس لكم وأنتم لباس لهنّ** ﴾ قال ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، وقتادة ، والسدّي ، ومقاتل بن حيان : يعني[١] هن سكن لكم وأنتم سكن لهن .

وقال الربيع بن أنس : هنّ لحاف لكم ، وأنتم لحاف لهنّ ، وحاصله أنّ الرجل والمرأة كل منهما يخالط الآخر ، ويماسه ، ويضاجعه ، فناسب أن يرخص لهم في المجامعة في ليل رمضان لئلا يشق ذلك عليهم ويحرجوا ، قال الشاعر :

إذا ما الضجيع [ثنىٰ جيدها][٢] تداعت فكانت عليه لباسا

وكان السبب في نزول هذه الآية كما تقدّم في حديث معاذ الطويل ، وقال أبو إسحاق : عن البراء بن عازب قال : كان أصحاب النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم إذا كان الرجل صائمًا ، فنام قبل أن يفطر لم يأكل إلىٰ مثلها ، وإن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائمًا ، وكان[٣] يومه ذاك[٤] يعمل في أرضه ، فلما حضر الإفطار أتىٰ امرأته فقال : هل عندكِ طعام ؟ قالت : لا ولكن[٥] أنطلق فأطلب لك ، فغلبته عينه فنام ، وجاءت امرأته فلما رأته نائمًا قالت : خيبة لك ! أنمت ؟ فلما انتصف النهار غُشي عليه ، فذكر ذلك للنبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فنزلت هذه الآية :

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في : خ « مناحيدها » .
[٣] - في ز : « ذلك » .
[٤] - في ز : « ذلك » .
[٥] - سقط من ت .

﴿ **أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلىٰ نسائكم** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **وكلوا واشربوا حتىٰ يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر** ﴾ ، ففرحوا بها فرحًا شديدًا (١٠٢٣) .

ولفظ البخاري هاهنا من طريق أبي إسحاق سمعت البراء قال : لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله ، وكان رجال يخونون أنفسهم ، فأنزل اللَّه [عليهم][١] : ﴿ **علم اللَّه أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم** ﴾(١٠٢٤) .

وقال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس قال : كان المسلمون في شهر رمضان إذا صلوا العشاء حرم عليهم النساء ، والطعام إلىٰ مثلها من القابلة ، ثم إن أناسًا من المسلمين أصابوا من النساء ، والطعام في شهر رمضان بعد العشاء منهم عمر بن الخطاب ، فشكوا ذلك إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه ، عليه وسلم ، فأنزل اللَّه تعالىٰ : ﴿ **علم اللَّه أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن** ﴾ الآية ، وكذا روىٰ العوفي عن ابن عباس .

وقال موسىٰ بن عقبة : عن كريب ، عن ابن عباس قال : إن الناس كانوا قبل أن ينزل في الصوم ما نزل فيهم يأكلون ، ويشربون ، ويحل لهم شأن النساء ، فإذا نام أحدهم لم يطعم ، ولم يشرب ، ولم[٢] يأتي أهله حتىٰ يفطر من القابلة ، فبلغنا أن عمر بن الخطاب بعد ما نام ووجب عليه الصوم وقع علىٰ أهله ، ثم جاء إلىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال : أشكو إلىٰ اللَّه وإليك الذي صنعت قال : « **وما[٣] صنعت ؟** » قال : إني سولت لي نفسي فوقعت علىٰ أهلي بعدما نمت وأنا أريد الصوم ، فزعموا أن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **ما كنتَ خليقًا أن تفعل** » ، فنزل الكتاب : ﴿ **أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلىٰ نسائكم** ﴾ .

وقال سعيد بن أبي عروبة : عن قيس بن سعد ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن أبي هريرة في قول اللَّه تعالىٰ : ﴿ **أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلىٰ نسائكم** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **ثم أتموا الصيام إلىٰ الليل** ﴾ قال : كان المسلمون قبل أن تنزل هذه الآية إذا صلوا العشاء الآخرة ، حرم عليهم الطعام والشراب والنساء حتىٰ يفطروا ، وإن عمر بن الخطاب أصاب أهله بعد صلاة العشاء ، وإن صرمة بن قيس الأنصاري غلبته عيناه[٤] بعد صلاه المغرب فنام ، ولم يشبع من الطعام ، ولم يستيقظ حتىٰ صلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم العشاء ، فقام فأكل وشرب ، فلما أصبح أتىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فأخبره بذلك ، فأنزل اللَّه عند ذلك : ﴿ **أحل لكم ليلة**

(١٠٢٣) هذا الحديث رواه الطبرى في تفسيره (٣/٤٩٥) .

(١٠٢٤) البخاري في تفسير القرآن ، باب : ﴿ أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ...﴾ برقم (٤٥٠٨).

---

[١] - ما بين المعكوفتين زيادة من ز .

[٢] - في ز : « ولا » .

[٣] - في ز : « وماذا » .

[٤] - في خ : « عينه » .

الصيام الرفث إلىٰ نسائكم ﴾ يعني بالرفث : مجامعة النساء ﴿ **هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم اللَّه أنكم كنتم تختانون أنفسكم** ﴾ يعني[١] تجامعون النساء ، وتأكلون ، وتشربون بعد العشاء ﴿ **فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن** ﴾ يعني : جامعوهن ﴿ **وابتغوا ما كتب اللَّه لكم** ﴾ يعني : الولد ﴿ **وكلوا واشربوا حتىٰ يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلىٰ الليل** ﴾ ، فكان ذلك عفوًا من اللَّه ورحمة .

وقال هشيم : عن حصين بن عبد الرحمن ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ قال : قام عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه فقال : يارسول اللَّه ؛ إني أردت أهلي البارحة علىٰ ما يريد الرجل من[٢] أهله ، فقالت : إنها قد نامت فظننتها تعتل فواقعتها ، فنزل في عمر : ﴿ **أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلىٰ نسائكم** ﴾ .

وهكذا رواه شعبة : عن عمرو بن مرة ، عن ابن أبي ليلىٰ به(١٠٢٥) .

وقال أبو جعفر بن جرير(١٠٢٦) : حدّثني المثنىٰ ، حدثنا سويد ، أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن لهيعة ، حدثني موسىٰ بن جبير مولىٰ بني سلمة ، أنه سمع عبد اللَّه بن كعب بن مالك يحدث ، عن أبيه قال : كان الناس في رمضان إذا صام الرجل فأمسىٰ فنام ، حرم عليه الطعام والشراب والنساء حتىٰ يفطر من الغد ، فرجع عمر بن الخطاب من عند النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ذات ليلة وقد سمر عنده ، فوجد امرأته قد نامت ، فأرادها فقالت : إني قد نمت ، فقال : ما نمت ، ثم وقع بها ، وصنع كعب بن مالك مثل ذلك ، فغدا عمر بن الخطاب إلىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فأخبره ، فأنزل اللَّه : ﴿ **علم اللَّه أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن** ﴾ الآية .

وهكذا روي عن مجاهد ، وعطاء ، وعكرمة والسدي[٣] وقتادة ، وغيرهم في سبب نزول هذه الآية في عمر بن الخطاب ومن صنع كما صنع ، وفي صرمة بن قيس ، فأباح الجماع والطعام والشراب في جميع الليل رحمة ورخصة ورفقًا .

وقوله : ﴿ **وابتغوا ما كتب اللَّه لكم** ﴾ قال أبو هريرة ، وابن عباس ، وأنس ، وشريح القاضي ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وعطاء ، والربيع بن أنس ، والسدي ، وزيد ابن أسلم ، والحكم بن عتيبة ، ومقاتل بن حيان ، والحسن البصري ، والضحاك ،

(١٠٢٥) رواه ابن جرير في تفسيره ٢٩٣٥ - (٤٩٣/٣) من طريق شعبة عن عمرو بن مرة به .

(١٠٢٦) تفسير الطبرى ٢٩٤١ - (٤٩٦/٣) . ورواه أحمد (٤٦٠/٣) .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - زيادة من : ز ، خ .
[٣] - زيادة من : ز ، خ .

وقتادة وغيرهم : يعني : الولد .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ﴿ **وابتغوا ما كتب اللَّه لكم** ﴾ يعني : الجماع .

وقال عمرو بن مالك البكري : عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس ﴿ **وابتغوا ما كتب اللَّه لكم** ﴾ قال : ليلة القدر ، ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر قال : قال قتادة : ابتغوا[١] الرخصة التي كتب اللَّه لكم [وقال سعيد عن قتادة ﴿ **وابتغوا ما كتب الله لكم**﴾][٢] يقول ما أحل اللَّه لكم .

وقال عبد الرزاق أيضًا أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عطاء بن أبي رباح قال : قلت لابن عباس : كيف تقرأ هذه الآية ﴿ **وابتغوا** ﴾ أو ﴿ **اتبعوا** ﴾ ؟ قال : أيتهما شئت عليك بالقراءة الأولىٰ .

واختار ابن جرير أن الآية أعم من هذا كله .

وقوله : ﴿ **وكلوا واشربوا حتىٰ يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلىٰ الليل** ﴾ أباح تعالىٰ الأكل والشرب مع ما تقدّم من إباحة الجماع في أي الليل شاء الصائم إلىٰ أن يتبين ضياء الصباح من سواد الليل ، وعبر عن ذلك بالخيط الأبيض من الخيط الأسود ، ورفع اللبس بقوله : ﴿ **من الفجر** ﴾ كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أبو عبد اللَّه البخاري(١٠٢٧) : حدّثني[٣] ابن أبي مريم ، حدثنا أبو غسان محمد بن مطرف ، حدثنا أبو حازم ، عن سهل بن سعد قال : أنزلت : ﴿ **وكلوا واشربوا حتىٰ يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود** ﴾ [ولم ينزل][٤] : ﴿ **من الفجر** ﴾ ، وكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجليه الخيط الأبيض والخيط الأسود ، فلا يزال يأكل حتىٰ يتبين له رؤيتهما فأنزل اللَّه بعد : ﴿ **من الفجر** ﴾ ، فعلموا أنما يعني الليل والنهار .

قال الإمام أحمد (١٠٢٨) : حدثنا هشيم[٥] ، أخبرنا حصين ، عن الشعبي ، أخبرني عدي بن حاتم قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ **وكلوا واشربوا حتىٰ يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط**

(١٠٢٧) البخاري في تفسير القرآن ، باب : ﴿ **وكلوا واشربوا حتىٰ يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود** ﴾ برقم (٤٥١١) .

(١٠٢٨) المسند ١٩٤٢٧ - (٣٧٧/٤) .

---

[١] - في ز : « وابتغوا » .

[٢] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : « حدثنا » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٥] - في خ : « حثيم » .

الأسود ﴾ عمدت إلىٰ عقالين أحدهما أسود والآخر أبيض قال : فجعلتهما تحت وسادتي ، قال : فجعلت[١] أنظر إليهما فلا[٢] يتبين[٣] لي الأبيض من الأسود [ ][٤] ، فلما أصبحت غدوت إلىٰ[٥] رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فأخبرته بالذي صنعت ، فقال : « **إن وسادك إذًا لعريض ، إنما ذلك[٦] بياض النهار و[٧] سواد الليل** » .

أخرجاه في الصحيحين(١٠٢٩) من غير وجه عن عدي ، ومعنىٰ قوله إن وسادك إذًا لعريض ، أي : إن كان [ليسع لوضع][٨] الخيط الأبيض والأسود المرادين من هذه الآية [تحتها ، فإنهما][٩] بياض النهار وسواد الليل ، فيقتضي أن يكون بعرض المشرق والمغرب .

وهكذا وقع في رواية البخاري مفسرًا بهذا ، حدثنا موسىٰ بن إسماعيل ، حدثنا أبو عوانة ، عن حصين ، عن الشعبي ، عن عدي قال : أخذ عدي عقالًا [أبيض و][١٠] عقالًا أسود حتىٰ كان بعض الليل نظر فلم يستبينا[١١] ، فلما أصبح قال : يا رسول اللَّه ؛ جعلت تحت وسادتي ، قال : « [**إن وسادك إذًا لعريض**][١٢] **إن كان الخيط الأبيض والأسود تحت وسادتك** » (١٠٣٠) .

وجاء في بعض الألفاظ : « **إنك لعريض القفا** » ، ففسره بعضهم بالبلادة وهو ضعيف ؛ بل يرجع إلىٰ هذا ؛ لأنه إذا كان وساده عريضًا فقفاه أيضًا عريض ، واللَّه أعلم . ويفسره رواية البخاري أيضًا[١٣] : حدثنا قتيبة ، حدثنا جرير ، عن مطرف ، عن الشعبي ، عن عدي بن حاتم ، قال : قلت : يارسول اللَّه ؛ ما الخيط الأبيض من الخيط الأسود أهما[١٤] الخيطان ؟ قال : « **إنك لعريض القفا إن أبصرت الخيطين ، ثم قال : لا بل هو سواد الليل وبياض النهار** »(١٠٣١) .

(١٠٢٩) البخاري في الصوم ، باب : **﴿ وكلوا واشربوا حتىٰ يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود ﴾** ، وفي التفسير برقم (١٩١٦ ، ٤٥٠٩) ، ومسلم في الصيام برقم (١٠٩٠) .

(١٠٣٠) البخاري في تفسير القرآن ، باب : **﴿ وكلوا واشربوا حتىٰ يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود ﴾** برقم (٤٥٠٩) .

(١٠٣١) البخاري في تفسير القرآن ، باب : **﴿ وكلوا واشربوا حتىٰ يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود ﴾** برقم (٤٥١٠) .

[١] - في ز : « جعلت » .
[٢] - في ت: « فلما » .
[٣] - في ت : « تبين » .
[٤] - في ت : أمسكت .
[٥] - في ز ، خ : « على » .
[٦] - في ز : « ذاك » .
[٧] - في ت : « من » .
[٨] - في ز ، خ : « يسع لوضع »
[٩] - في خ : « تحتهما فإنهما »
[١٠] - زيادة من ز ، خ
[١١] - في ز : « يتبينا »
[١٢] - ما بين المعكوفتين مكرر في خ
[١٣] - سقط من : خ
[١٤] - في خ : « هما »

وفي إباحته تعالىٰ جواز الأكل إلىٰ طلوع الفجر دليل علىٰ استحباب السحور ؛ لأنه من باب الرخصة والأخذ بها محبوب ، ولهذا وردت السنة الثابتة عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بالحث علىٰ السحور ، ففي الصحيحين عن أنس قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **تسحروا فإن في السحور بركة** »(١٠٣٢) وفي صحيح مسلم عن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إن فصل[١] ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحور[٢]** »(١٠٣٣) .

وقال الإمام أحمد(١٠٣٤) : حدثنا إسحاق بن عيسىٰ - هو ابن الطباع - حدثنا عبد الرحمن ابن زيد ، عن أبيه ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **السحور أكله بركة فلا تدعوه ، ولو أن أحدكم تجرّع[٣] جرعة من ماء ؛ فإن اللّٰه وملائكته يصلون علىٰ المتسحرين** » .

وقد ورد في الترغيب في السحور أحاديث كثيرة حتىٰ ولو بجرعة من ماء تشبهًا بالآكلين ، ويستحب تأخيره إلىٰ قريب انفجار الفجر كما جاء في الصحيحين ، عن أنس بن مالك ، عن زيد ابن ثابت قال : تسحرنا مع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، ثم قمنا إلىٰ الصلاة ، قال أنس : قلت لزيد : كم كان بين الأذان والسحور ؟ قال : قدر خمسين آية(١٠٣٥) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا موسىٰ بن داود ، حدثنا ابن لهيعة ، عن سالم بن غيلان[٤] ، عن

(١٠٣٢) البخاري في الصوم ، باب : بركة السحور من غير إيجاب برقم (١٩٢٣) ، و مسلم في الصيام برقم (١٠٩٥) .

(١٠٣٣) مسلم في الصيام برقم (١٠٩٦) .

(١٠٣٤) المسند ١١٤١٢ - (٤٤/٣) . وفي إسناده عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف . وقد رواه أيضاً أحمد ١١١٠٠ - (١٢/٣) عن إسماعيل ، عن هشام الدستوائي ؛ قال : ثنا يحيى بن أبي كثير ، عن أبي رفاعة ، عن أبي سعيد الخدري به

وأبو رفاعة : ويقال فيه : رفاعة بن عوف ، أبو مطيع ، قال في التقريب : مقبول . وذكره الذهبي في الكاشف ، فيمن اسمه رفاعة ، قال : رفاعة ، ويقال : أبو رفاعة ، ويقال : أبو مطيع ، عن أبي سعيد ، وعنه محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان . ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا . (٣٩٧/١) . وله ذكرٌ في التاريخ الكبير(٣٢٣/٣) ، والجرح والتعديل (٣٧١/٩) والحديث ذكره الهيثمي في المجمع (١٥٣/٣) وقال : رواه أحمد وفيه أبو رفاعة ، ولم أجد من وثقه ولا جرحه ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(١٠٣٥) البخاري في الصوم ، باب : قدر كم بين السحور وصلاة الفجر برقم (١٩٢١) ، ومسلم في الصيام برقم (١٠٩٧) .

[١] - في ز : « فضل » .

[٢] - في خ : « السخر » ، وفي ز : « السحر » . [٣] - في خ : « يجرع » .

[٤] - في ز : « عيالان » .

سليمان بن أبي عثمان ، عن عدي بن حاتم الحمصي ، عن أبي ذر قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **لاتزال أمتي بخير ما عجلوا الإفطار ، وأخروا السحور** »(١٠٣٦) .

وقد ورد في[١] أحاديث كثيرة أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم سماه الغداء المبارك ، وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد ، والنسائي ، وابن ماجة من رواية حماد بن سلمة ، عن عاصم بن بهدلة ، عن زر بن حبيش ، عن حذيفة [بن اليمان][٢] قال : تسحرنا مع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وكان النهار إلا أن الشمس لم[٣] تطلع(١٠٣٧) .

وهو حديث تفرّد به عاصم بن أبي النجود ، قاله النسائي ، وحمله علىٰ أن المراد قرب النهار كما قال تعالىٰ : ﴿ **فإذا بلغن أجلهنّ فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهنّ بمعروف** ﴾ أي قاربن انقضاء العدة ، فإما إمساك بمعروف[٤] أو ترك للفراق[٥] ، وهذا الذي قاله هو المتعين حمل الحديث عليه ، أنهم تسحروا ولم يتيقنوا طلوع الفجر حتىٰ إن بعضهم ظنّ طلوعه ، وبعضهم لم يتحقق ذلك ، وقد روي عن طائفة كبيرة[٦] من السلف أنهم تسامحوا في السحور عند مقاربة الفجر ، روي مثل هذا عن أبي بكر ، وعمر ، وعلي ، وابن مسعود ، وحذيفة ، وأبي هريرة ، وابن عمر ، وابن عباس ، وزيد بن ثابت ، وعن طائفة كبيرة[٧] من التابعين منهم : محمد بن علي بن الحسين ، وأبو مجلز ، وإبراهيم النخعي ، وأبو الضحىٰ ، وأبو وائل ، وغيره من أصحاب ابن مسعود ، وعطاء ، والحسن ، والحكم بن عتيبة ، ومجاهد ، وعروة بن الزبير ، وأبو الشعثاء جابر بن زيد ، وإليه ذهب الأعمش ومعمر[٨] بن راشد ، وقد حررنا أسانيد ذلك في كتاب الصيام المفرد ، ولله الحمد .

وحكىٰ أبو جعفر بن جرير في تفسيره عن بعضهم : أنه إنما يجب الإمساك من طلوع

(١٠٣٦) المسند ٢١٣٩٢ ، ٢١٥٨٩ - (١٤٧/٥ ، ١٧٢) وإسناده ضعيف ، فيه سليمان بن أبي عثمان : قال في التعجيل : مجهول . ص (١٦٦) . وعدي بن حاتم الحمصي ، ويقال : حاتم بن عدي : مجهول ، وذكره ابن حبان في ثقاته . وابن لهيعة ضعيف ، تقدم مراراً . والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣ / ١٥٤) وقال « رواه أحمد وفيه سليمان بن أبي عثمان ؛ قال أبو حاتم : مجهول » .

(١٠٣٧) المسند ٢٣٤٦٨ - (٣٩٦/٥) ، وأخرجه النسائي في كتاب الصيام ، باب : تأخير السحور وذكر الاختلاف على زر فيه (١٤٢/٤) (رقم : ٢١٥٢) . وابن ماجة في كتاب الصيام ، باب : ما جاء في تأخير السحور (رقم : ١٦٩٥) .

---

[١] - زيادة من : ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين زيادة من : خ .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : « الفراق » .
[٦] - في خ : « كثيرة » .
[٧] - في ز : « كثيرة » .
[٨] - في ت : « وجابر » .

الشمس ، كما يجوز الإفطار بغروبها .

(قلت) : وهذا القول ما أظن أحدًا من أهل العلم يستقر له قدم عليه لمخالفته نص القرآن في قوله : ﴿ **وكلوا واشربوا حتىٰ يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلىٰ الليل** ﴾ ، وقد ورد في الصحيحين من حديث القاسم عن عائشة(١٠٣٨) : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **لا يمنعكم[١] أذان بلال عن سحوركم ، فإنه ينادي بليل ، فكلوا واشربوا حتىٰ تسمعوا أذان ابن أم مكتوم ، فإنه لا يؤذن حتىٰ يطلع الفجر** » ، لفظ البخاري .

وقال الإمام أحمد (١٠٣٩) : حدثنا موسىٰ بن داود ، حدثنا محمد بن جابر ، عن قيس بن طلق ، عن أبيه أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **ليس الفجر المستطيل في الأفق ، ولكنه المعترض الأحمر** » .

ورواه أبو داود ، والترمذي ولفظهما(١٠٤٠) : « **كلوا واشربوا ولا يهيدنكم[٢] الساطعُ المصعِد ، فكلوا واشربوا حتىٰ يعترض لكم الأحمر** » .

وقال[٣] ابن جرير[٤] : حدثنا محمد بن المثنىٰ ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا شعبة ،

(١٠٣٨) البخاري في الصوم ، باب : قول النبي ﷺ : « لا يمنعكم من سحوركم أذان بلال » برقم (١٩١٨) ، وأطرافه (٦١٧ ، ٦٢٠ ، ٦٢٣ ، ٢٦٥٦ ، ٧٢٤٨) ، ومسلم في الصيام برقم (١٠٩٢) . دون ذكر أوله ، وأما طرفه الأول فقد رواه البخاري من حديث ابن مسعود (٦٢١) وكذلك مسلم (١٠٩٣) ، وقد روي من حديث سمرة ، وأنس .

(١٠٣٩) محمد بن جابر : وهو ابن سيار اليمامي ؛ قال البخاري في الضعفاء : ليس بالقوي . وقال في الصغير: يتكلمون فيه . وقال ابن معين : كان أعمى ، واختلط عليه حديثه ، وهو ضعيف . وقال النسائي : ضعيف . وضعفه أبو حاتم وأبو زرعة . وقال ابن عدي : خالف في أحاديث ، ومع ما تكلم فيه من تكلم يكتب حديثه . وقال ابن حجر : صدوق ، ذهبت كتبه فساء حفظه ، وخلط كثيراً ، وعمي فصار يلقن ، ورجحه أبو حاتم على ابن لهيعة .

وهذا الحديث بهذا الإسناد ساقط من مطبوعة المسند ، وقد استدركناه والحمد لله في طبعتنا ، وقد رواه أحمد عن موسى ، ثنا محمد بن جابر ، عن عبد الله بن النعمان ، عن قيس بن طلق ، عن أبيه ، ورواه أحمد عن أبي زكريا السيلحيني ، عن محمد بن جابر ، عن قيس بن طلق ، عن أبيه به المسند ١٦٣٣٩ ، ١٦٣٤٠ - (٢٣/٤) .

(١٠٤٠) رواه أبو داود في كتاب الصوم ، باب : وقت السحور ، من طريق محمد بن عيسى ، ثنا ملازم =

---

[١] - في ت : « يمنعكم » . [٢] - في خ : « يهتد لكم » .
وأصل الهيد : الحركة . وقد هدت الشيء أهيده هيدًا ، إذا حركته وأزعجته .
[٣] - في ز : « بياض » . [٤] - في ز ، خ : « بن جريج » .

عن شيخ من بني قشير ، سمعت سمرة بن جندب يقول : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **لا يغرنكم نداء بلال ، وهذا البياض حتي ينفجر الفجر أو يطلع الفجر** »(١٠٤١) .

ثم رواه من حديث شعبة وغيره ، عن سوادة بن حنظلة ، عن سمرة قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **لا يمنعكم[١] من سحوركم أذان بلال ، ولا الفجر المستطيل ولكن الفجر المستطير في الأفق** »(١٠٤٢) .

قال : وحدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن علية ، عن عبد اللّه بن سوادة القشيري ، عن أبيه ، عن سمرة بن جندب ، قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **لا يغرنكم أذان بلال ، ولا هذا البياض - [لعمود الصبح - حتىٰ][٢] يستطير** »(١٠٤٣) .

ورواه مسلم في صحيحه(١٠٤٤) ، عن زهير بن حرب ، عن إسماعيل بن إبراهيم - هو[٣] ابن علية - مثله[٤] سواء .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا ابن المبارك ، عن سليمان[٥] التيمي ، عن أبي عثمان النهدي ، عن ابن مسعود قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **لا يمنعن أحدكم أذان بلال عن سحوره - أو قال : نداء[٦] بلال - فإن بلالاً يؤذن بليل - أو قال[٧] : ينادي**

= ابن عمرو ، عن عبد اللّه بن النعمان به . (٣٠٤/٢) حديث (٢٣٤٨) . والترمذي في كتاب الصوم باب : ما جاء في بيان الفجر (٨٥/٣) حديث (٧٠٥) . وقال أبو عيسى : حديث طلق بن علي حديث حسن غريب .

(١٠٤١) - رواه أحمد ثنا عفان ، ثنا همام ، حدثني سَوَادة ، قال : سمعت سَمُرَة بن جندب يقول فذكره ٢٠١٤٥ - (٩/٥) .

وعن وكيع ، ثنا أبو هلال ، عن سوادة بن حنظلة ، عن سَمُرَة بن جندب برقم ٢٠٢٠٦٦ - (١٤/٥) .

(١٠٤٢) رواه أحمد عن محمد بن جعفر وورح عن شعبة به برقم (٢٠١٢٧) - (٧/٥) . و عن يزيد بن هارون ، أنا شعبة ، قال : سمعت سوادة القشيري يحدث ، عن سَمُرَة بن جندب ٢٠٢٥٢ - (٥/ ١٨).

(١٠٤٣) - ورواه أحمد في المسند ٢٠١٩٧ - (١٣/٥) .

(١٠٤٤) أخرجه مسلم في كتاب الصوم ، (رقم : ١٠٩٤) .

---

[١] - في ز ، خ : « يمنعكم » .

[٢] - في ز : « تعمدوا الصبح حين » .

[٣] - في ز ، خ : « يعني » .

[٤] - في ز ، خ : « بمثله » .

[٥] - في ز ، خ : « سلمان » .

[٦] - سقط من : خ ، وغير واضحة في : ز .

[٧] - سقط من : خ .

لينبه نائمكم ، وليرجع قائمكم ، وليس الفجر أن يقول هكذا أو هكذا حتىٰ يقول[١] هكذا » ، ورواه من وجه آخر عن التيمي به(١٠٤٥) .

وحدثني الحسن بن الزبرقان النخعي ، حدثنا أبو أسامة ، عن محمد بن أبي ذئب ، عن الحارث بن عبد الرحمن ، عن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **الفجر فجران : فالذي كأنه ذَنَب السِّرحان[٢] لا يحرم شيئًا ، وأما[٣] [ ][٤] المستطير الذي يأخذ الأفق ، فإنه يحل الصلاة ويحرم الطعام[٥]** »(١٠٤٦) ، وهذا مرسل جيد .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا ابن جريج ، عن عطاء قال[٦] : سمعت ابن عباس يقول : هما فجران : فأما الذي يسطع في السماء ، فليس يحل ولا يحرم شيئًا ، ولكن الفجر الذي يستنير[٧] علىٰ رءوس الجبال هو الذي يحرم الشراب .

و[٨]قال عطاء : فأما إذا سطع سطوعًا في السماء - وسطوعه أن يذهب في السماء طولًا - فإنه لا يحرم به شراب للصائم[٩] ، ولا صلاة ، ولا يفوت به الحج[١٠] ، ولكن إذا انتشر علىٰ رءوس الجبال حرم الشراب للصيام وفات الحج .

وهذا إسناد صحيح إلىٰ ابن عباس وعطاء ، وهكذا روي عن غير واحد من السلف رحمهم اللَّه .

(مسألة) ومِنْ جَعْلِهِ تعالىٰ الفجر غاية لإباحة الجماع والطعام ، والشراب لمن أراد الصيام ، يستدل علىٰ أنه من أصبح جنبًا فليغتسل وليتم صومه ولا حرج عليه ، وهذا مذهب الأئمة الأربعة

(١٠٤٥) ورواه البخاري في صحيحه برقم (٦٢١ ، ٥٢٩٨) ، ومسلم في صحيحه برقم (١٠٩٣) من طريق أبي عثمان النهدي به .

(١٠٤٦) تفسير ابن جرير ٢٩٩٥ - (٥١٤/٣) . والحسن بن الزبرقان : قال أبو حاتم : شيخ . وأبو أسامة هو حماد بن أسامة ، ثقة حافظ ثبت . ومحمد بن أبي ذئب ثقة حافظ . ومحمد بن عبد الرحمن ثقة . ورواه البيهقي (٢١٥/٤) . ورواه الحاكم موصولاً بذكر جابر بن عبد الله (١٩١/١) وقال : إسناده صحيح .

---

[١] - في خ : « تقول » .
[٢] - السرحان : الذئب .
[٣] - في ز ، خ : وإنما ، والمثبت من تفسير ابن جرير .
[٤] - في ت : هو .
[٥] - في ز ، خ : « الصوم » .
[٦] - زيادة من : ز ، خ .
[٧] - في خ : « يستبين » .
[٨] - سقط من : ز ، خ .
[٩] - في ز : « لصيام » .
[١٠] - في ز : « حج » .

وجمهور العلماء سلفًا وخلفًا ؛ لما رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة ، وأم سلمة رضي اللَّه عنهما أنهما قالتا : كان رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يصبح جنبًا من جماع غير احتلام ، ثم يغتسل ويصوم(١٠٤٧) .

وفي حديث أم سلمة عندهما : ثم لا يفطر ولا يقضي .

وفي صحيح مسلم عن عائشة أن رجلًا قال : يا رسول اللَّه ؛ تدركني الصلاة وأنا جنب فأصوم ؟ فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **وأنا تدركني الصلاة وأنا جنب فأصوم** »(١٠٤٨) . فقال : لست مثلنا يا رسول اللَّه ، قد غفر اللَّه لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فقال : « **واللَّه إني لأرجو أن أكون أخشاكم وأعلمكم بما أتقي** » .

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد(١٠٤٩) : حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه قال : « **إذا نودي للصلاة صلاة الصبح وأحدكم جنب فلا يصم يومئذ** » فإنه حديث جيد الإسناد علىٰ شرط الشيخين كما ترىٰ ، وهو في الصحيحين(١٠٥٠) عن أبي هريرة عن الفضل بن عباس[١] [عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ،

وفي سنن النسائي عنه ، عن أسامة بن زيد والفضل بن عباس][٢] ولم يرفعه(١٠٥١) .

فمن العلماء من علل هذا الحديث بهذا ، ومنهم من ذهب إليه ، ويحكىٰ هذا عن أبي هريرة ، وسالم ، وعطاء ، وهشام بن عروة ، والحسن البصري ، ومنهم من ذهب إلىٰ التفرقة بين أن يصبح جنبًا نائمًا ، فلا حرج[٣] عليه ؛ لحديث عائشة وأم سلمة ، أو مختارًا ، فلا صوم له ؛ لحديث أبي هريرة ، يُحكىٰ هذا عن عروة ، وطاوس ، والحسن ، ومنهم من فرق بين الفرض فيتمه ويقضيه[٤] ، وأما النفل فلا يضره ، رواه الثوري : عن منصور ، عن إبراهيم النخعي ، وهو

(١٠٤٧) البخاري في الصوم ، باب : الصائم يصبح جنباً برقم (١٩٢٥ ، ١٩٢٦) ، وباب : اغتسال الصائم (١٩٣٠ ، ١٩٣١ ، ١٩٣٢) ومسلم في الصيام برقم ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٠ - (١١٠٩) .

(١٠٤٨) مسلم في الصيام برقم ٩٧ - (١١١٠) .

(١٠٤٩) المسند ٨١٣٠ - (٣١٤/٢) .

(١٠٥٠) البخاري في الصوم ، باب : الصائم يصبح جنباً برقم (١٩٢٥) ، ومسلم في الصيام برقم٧٥ - (١١٠٩) .

(١٠٥١) سنن النسائي الكبرى برقم (٢٩٣٣ ، ٢٩٣٤) .

---

[١] - في خ : « عياش » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - زيادة من : خ .

[٤] - في خ : « ويقتضيه » .

رواية عن الحسن البصري أيضًا ، ومنهم من ادعىٰ نسخ حديث أبي هريرة بحديث[١] عائشة ، وأم سلمة ، ولكن لا تاريخ معه .

وادعىٰ ابن حزم أنه منسوخ بهذه الآية الكريمة[٢] وهو بعيد أيضًا وأبعد[٣] إذ لا تاريخ ، بل الظاهر من التاريخ خلافه ، ومنهم من حمل حديث أبي هريرة علىٰ نفي الكمال ، فلا صوم له ؛ لحديث عائشة وأم سلمة الدالين علىٰ الجواز ، وهذا المسلك أقرب الأقوال[٤] وأجمعها ، والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ **ثم أتموا الصيام إلىٰ الليل** ﴾ يقتضي الإفطار عند غروب الشمس حكمًا شرعيًا ، كما جاء في الصحيحين(١٠٥٢) عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إذا أقبل الليل من هاهنا وأدبر النهار من هاهنا فقد أفطر الصائم** » .

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر** » أخرجاه أيضًا (١٠٥٣) .

وقال الإمام أحمد (١٠٥٤) : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا الأوزاعي ، حدثني قرة بن عبد الرحمن ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **يقول الله عز وجل إن أحب عبادي إلي أعجلهم فطرًا** » ، ورواه الترمذي من غير وجه ، عن الأوزاعي به ، وقال : هذا حديث حسن غريب .

وقال أحمد أيضًا(١٠٥٥) : حدثنا عفان ، حدثنا عبيد[٥] الله بن إياد[٦] ، سمعت إياد بن لقيط ، [قال :][٧] سمعت ليلىٰ ، امرأة بشير بن الخصاصية قالت : أردت أن أصوم يومين

(١٠٥٢) البخاري في الصوم باب : متى يحل فطر الصائم برقم (١٩٥٤) ، ومسلم في الصيام برقم (١١٠٠).

(١٠٥٣) البخاري في الصوم ، باب : تعجيل الإفطار ، برقم ١٩٥٧ ، ومسلم في الصيام برقم (١٠٩٨) .

(١٠٥٤) المسند ٧٢٤٠ - (٢/٢٣٨) ، ورواه الترمذي في الصوم ، باب : ما جاء في تعجيل الإفطار برقم (٧٠٠ ، ٧٠١) . وأورده الألباني في ضعيف الترمذي ، وضعيف الجامع برقم (٣٨٩) .

(١٠٥٥) ليلى امرأة بشير : ترجم لها الحافظ في التقريب : باسم : الجهدمة ، امرأة بشير بن الخصاصية صحابية يقال : كان النبي صلىٰ الله عليه وسلم غير اسمها فجعله ليلى . وإياد بن لقيط : ثقة . وعبيد الله بن =

---

[١] - في ز ، خ : « بحديثي » .

[٢] - زيادة من : ز ، خ .

[٣] - زيادة من : ز ، خ .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في خ : « عبد » .

[٦] - في ز : « زياد » .

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .

مواصلة ، فمنعني بشير وقال : إن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم نهىٰ عنه ، وقال : « **يفعل ذلك النصارىٰ ، ولكن صوموا كما أمركم اللّٰه ﴿ ثم[١] أتموا الصيام إلىٰ الليل ﴾ فإذا كان الليل فأفطروا** » .

ولهذا ورد في الأحاديث الصحيحة النهي عن الوصال ، وهو أن يصل [صوم يوم][٢] بيوم آخر ولا يأكل بينهما شيئًا ، قال الإمام أحمد : حدّثنا عبد الرزاق ، حدّثنا معمر ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **لا تواصلوا** » ، قالوا : يا رسول اللّٰه إنك تواصل ، قال : « **فإني لست مثلكم ، إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني**[٣] » ، قال : فلم ينتهوا عن الوصال ، فواصل بهم النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يومين وليلتين ثم رأوا الهلال فقال : « **لو تأخر الهلال لزدتكم** » كالمنكل بهم[٤] .

وأخرجاه في الصحيحين من حديث الزهري ، به(١٠٥٦) .

وكذلك أخرجا النهي عن الوصال من حديث أنس وابن عمر (١٠٥٧) .

وعن عائشة ، رضي اللّٰه عنها ، قالت : نهىٰ رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، عن الوصال رحمة لهم ، فقالوا[٥] : إنك تواصل ، قال : « **إني لست كهيئتكم ، إني يطعمني ربي ويسقيني**[٦] »(١٠٥٨) .

فقد ثبت النهي عنه من غير وجه ، وثبت أنه من خصائص النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وأنه

= إياد وثقه ابن معين والنسائي وابن حبان ولينه البزار وحده . والحديث في المسند ٢٢٠٥٠ - (٥/٢٢٥) . وأخرجه الطبراني في الكبير (٢/ ٤٤/ رقم : ١٢٣١) . من طرق عن عبيد الله بن إياد بن لقيط به . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٥٨) وعزاه لأحمد والطبراني في الكبير وقال: « وليلى لم أجد من ذكرها، وبقية رجاله رجال الصحيح » .

(١٠٥٦) رواه أحمد ٧٧٧٣ - (٢/٢٨١) والبخاري في الصوم ، باب : التنكيل لمن أكثر الوصال برقم (١٩٦٥) ، وفي الحدود ، باب : كم التعزير والأدب برقم (٦٨٥١) وفي التمني (٧٢٤٢) وفي الاعتصام (٧٢٩٩) ، ومسلم في الصيام برقم (١١٠٥) .

(١٠٥٧) حديث أنس عند البخاري في الصوم ، باب الوصال برقم (١٩٦١) ، وعند مسلم في الصيام برقم (١١٠٤) ، وحديث ابن عمر عند البخاري في الصوم ، برقم (١٩٦٢) ، وعند مسلم في الصيام برقم (١١٠٢) .

(١٠٥٨) البخاري في الصوم ، باب : الوصال برقم (١٩٦٤) ، ومسلم في الصوم برقم (١١٠٥) .

---

[١] - في خ : « و » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ت : يومًا .
[٣] - في ز : « ليسقين » .
[٤] - في ت : « لهم » .
[٥] - في خ : « قال » ، وفي ز : « قالوا » .
[٦] - في ز : « بسقين » .

كان يقوىٰ علىٰ ذلك ويعان ، والأظهر أن ذلك الطعام والشراب في حقه إنما كان معنويًّا لاحسيًّا ، وإلا فلا يكون مواصلًا مع الحسي ولكن كما قال الشاعر :

لها أحاديث من[١] ذكراك تشغلها عن الشراب وتلهيها عن الزاد

وأما من أحب أن يمسك بعد غروب الشمس إلىٰ وقت السحر فله ذلك ، كما في حديث أبي سعيد الخدري - رضي اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لاتواصلوا ، فأيكم أراد أن يواصل فليواصل إلىٰ السحر** » ، قالوا : فإنك تواصل يا رسول اللَّه ، قال : « **إني لست كهيئتكم ، إني أبيت لي مُطعم يطعمني وساقٍ يسقيني**[٢] » ، أخرجاه في الصحيحين أيضًا(١٠٥٩) .

وقال ابن جرير(١٠٦٠) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا أبو إسرائيل العبسي[٣] ، عن أبي بكر بن حفص ، عن أم ولد حاطب بن أبي بلتعة أنها مرت برسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وهو يتسحر ، فدعاها إلىٰ الطعام ، فقالت : إني صائمة ، قال : « **وكيف تصومين** » ؟ فذكرت ذلك للنبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال : « **أين أنت من وصال آل محمد من السحر إلىٰ السحر** » .

وقال الإمام أحمد(١٠٦١) : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا إسرائيل ، عن عبد الأعلىٰ ، عن محمد ابن علي ، عن علي أن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم كان يواصل من السحر إلىٰ السحر .

وقد روىٰ ابن جرير عن عبد اللَّه بن الزبير (١٠٦٢) ، وغيره من السلف ؛ أنهم كانوا يواصلون الأيام المتعددة ، وحمله منهم علىٰ أنهم كانوا يفعلون ذلك رياضة لأنفسهم ، لا أنهم كانوا يفعلونه عبادة ، واللَّه أعلم .

ويحتمل أنهم كانوا يفهمون من النهي أنه إرشادي من باب الشفقة ، كما جاء في حديث عائشة : « **رحمة لهم** » فكان ابن الزبير ، وابنه عامر ومن سلك سبيلهم يتجشمون ذلك

(١٠٥٩) البخاري في الصوم ، باب : الوصال برقم (١٩٦٣) . ومسلم ( ) .

(١٠٦٠) تفسير ابن جرير ٣٠٣٥ - (٥٣٧/٣ ، ٥٣٨) . وإسناده ضعيف لضعف أبي إسرائيل العبسي ، وهو إسماعيل بن خليفة الملائي .

(١٠٦١) إسناده ضعيف لضعف عبد الأعلى بن عامر الثعلبي ، والحديث في المسند برقم ٧٠٠ ، ١١٩٤ - (٩١/١ ، ١٤١) . ورواه عبد الأعلى في الموضع الأول عن أبي عبد الرحمن السلمي .

(١٠٦٢) - تفسير ابن جرير برقم ٣٠٢٨ - (٥٣٥/٣) .

[١] - في خ : « في » . [٢] - في ز : « يسقين » .

[٣] - في ت : « العنسي » .

ويفعلونه ؛ لأنهم كانوا يجدون قوّة عليه ، وقد ذكر عنهم أنهم كانوا أول ما يفطرون علىٰ السمن والصبر ؛ لئلا تتخرق[١] الأمعاء بالطعام أولًا ، وقد روي عن ابن الزبير أنه كان يواصل سبعة أيام ويصبح في اليوم السابع أقواهم وأجلدهم .

وقال أبو العالية : إنما فرض اللَّه الصيام بالنهار ، فإذا جاء الليل[٢] فمن شاء أكل ومن شاء لم يأكل .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد** ﴾ قال[٣] علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : هذا في الرجل يعتكف في المسجد في رمضان ، أو في غير رمضان ، فحرم اللَّه عليه أن ينكح النساء ليلًا أو[٤] نهارًا حتىٰ يقضي اعتكافه .

وقال الضحاك : كان الرجل إذا اعتكف فخرج من المسجد جامع إن شاء ، فقال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد** ﴾ أي لا تقربوهنّ مادمتم عاكفين في المسجد ولا في غيره ، وكذا قال مجاهد ، وقتادة ، وغير واحد أنهم كانوا يفعلون ذلك حتىٰ نزلت هذه الآية .

قال ابن أبي حاتم (١٠٦٣) : وروي[٥] عن ابن مسعود ، ومحمد بن كعب ، ومجاهد ، وعطاء ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك ، والسدي ، والربيع بن أنس ، ومقاتل ، قالوا : لايقربها وهو معتكف . وهذا الذي حكاه عن هؤلاء هو الأمر المتفق عليه عند العلماء : أن المعتكف يحرم عليه النساء مادام معتكفًا في مسجده ، ولو ذهب إلىٰ منزله لحاجة لابد له منها ، فلا يحل له أن يتلبث[٦] فيه إلا بمقدار ما يفرغ من حاجته تلك من قضاء الغائط أو الأكل[٧] ، وليس له أن يقبل امرأته ولا أن[٨] يضمها إليه ، ولا يشتغل بشيء سوىٰ اعتكافه ، ولا يعود[٩] المريض لكن يسأل عنه وهو مارّ في طريقه .

وللاعتكاف أحكام مفصلة في بابه[١٠] : منها ما هو مجمع عليه بين العلماء ، ومنها ما هو مختلف فيه ، وقد ذكرنا قطعة صالحة من ذلك في آخر كتاب الصيام ، ولله الحمد والمنة[١١] .

(١٠٦٣) - تفسير ابن أبي حاتم (٣١٩/١) .

---

[١] - في ز : « تتحرق » .
[٢] - في خ : « بالليل » .
[٣] - في ز : « وقال » .
[٤] - زيادة من ز .
[٥] - في ز : « وروي » .
[٦] - في ت : « يثبت » .
[٧] - في خ : « أكل » .
[٨] - سقط من : خ .
[٩] - في خ : « تعود » .
[١٠] - في ت : « بابها » .
[١١] - سقط من : ز ، خ .

ولهذا كان الفقهاء المصنفون يتبعون كتاب الصيام بكتاب الاعتكاف اقتداء بالقرآن العظيم ، فإنه نبه علىٰ ذكر الاعتكاف بعد ذكر الصوم ، وفي ذكره تعالىٰ الاعتكاف بعد الصيام إرشاد ، وتنبيه علىٰ الاعتكاف في الصيام ، أو في آخر شهر الصيام ، كما [ثبتت][١] السنة عن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، أنه كان يعتكف العشر الأواخر من شهر رمضان حتىٰ توفاه اللّٰه عز وجل ثم اعتكف أزواجه من بعده ، أخرجاه(١٠٦٤) من حديث عائشة أم المؤمنين رضي اللّٰه عنها .

وفي الصحيحين(١٠٦٥) أن صفية بنت حيي كانت تزور النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وهو معتكف في المسجد ، فتحدثت عنده ساعة ، ثم قامت لترجع إلىٰ منزلها ، وكان ذلك ليلًا ، فقام النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ليمشي معها حتىٰ تبلغ دارها ، وكان منزلها في دار أسامة بن زيد في جانب المدينة ، فلما كان ببعض الطريق لقيه رجلان من الأنصار ، فلما رأيا النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أسرعا - وفي رواية تواريا - أي حياء من النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم لكون أهله معه ، فقال لهما [النبي][٢] صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **علىٰ رسلكما إنها صفية بنت حيي** » أي : [لاتسرعا ، واعلما أنها صفية بنت حيي][٣] أي زوجتي ، فقالا : سبحان اللّٰه يا رسول اللّٰه فقال [صلىٰ اللّٰه عليه وسلم] : « **إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرىٰ الدم ، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئًا ، أو قال شرًّا** » .

قال الشافعي رحمه اللّٰه : أراد عليه السلام أن يعلم أمّته التبري من التهمة في محلها ؛ لئلا يقعا في محذور ، وهما كانا أتقىٰ من[٤] أن يظنا بالنبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم شيئًا ، واللّٰه أعلم ، ثم المراد بالمباشرة إنما هو الجماع ، ودواعيه من تقبيل ومعانقة ، ونحو ذلك ، فأما معاطاة الشيء ، ونحوه فلا بأس به ، فقد ثبت في الصحيحين(١٠٦٦) عن عائشة رضي اللّٰه عنها أنها قالت : كان رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، يدني إليّ رأسه ، فأرجله ، وأنا حائض ، وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان ، قالت عائشة : ولقد كان المريض يكون في البيت فما أسأل عنه إلا وأنا

(١٠٦٤) البخاري في الاعتكاف ، باب : اعتكاف النساء برقم (٢٠٣٣) ، ومسلم في الصيام برقم (١١٧٢) واللفظ لمسلم .

(١٠٦٥) البخاري في الاعتكاف ، باب : هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد برقم (٢٠٣٥) وأطرافه ٢٠٣٨ ، ٢٠٣٩ ، ٣١٠١ ، ٣٢٨١ ، ٦٢١٩ ، ٧١٧١) ، ومسلم في السلام برقم ٢٤ - (٢١٧٥) من حديث صفية رضي الله عنها .

(١٠٦٦) البخاري في الاعتكاف ، باب : لا يدخل البيت إلا لحاجة برقم (٢٠٢٩) ، ومسلم في الحيض برقم ٧ - (٢٩٧) .

---

[١] - في ت : « ثبت في » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - سقط من : ز .

مارّة .

وقوله : ﴿ **تلك حدود اللَّه** ﴾ أي هذا الذي بيناه ، وفرضناه ، وحددناه من الصيام ، وأحكامه ، وما أبحنا فيه ، وما حرمنا ، وذكرنا[١] غاياته ، ورخصه ، وعزائمه حدود اللَّه أي : شرعها اللَّه ، وبينها بنفسه ، ﴿ **فلا تقربوها** ﴾ أي : لا تجاوزوها وتتعدوها[٢] ، وكان الضحاك ، ومقاتل يقولان في قوله تعالى : ﴿ **تلك حدود اللَّه** ﴾ أي : المباشرة في الاعتكاف .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : يعني هذه الحدود الأربعة ، ويقرأ ﴿ **أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلىٰ نسائكم** ﴾ حتىٰ يبلغ : ﴿**ثم أتموا الصيام إلىٰ الليل** ﴾ ، قال : وكان أبي وغيره من مشيختنا يقولون هذا ، ويتلونه علينا ﴿ **كذلك يبين اللَّه آياته للناس** ﴾ أي : كما بين الصيام وأحكامه ، وشرائعه ، وتفاصيله ، كذلك يبين سائر الأحكام علىٰ لسان عبده ، ورسوله محمد ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، ﴿ **للناس لعلهم يتقون** ﴾ أي : يعرفون كيف يهتدون ، وكيف يطيعون كما قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **هو الذي ينزل علىٰ عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلىٰ النور وإن اللَّه بكم لرءوف رحيم** ﴾ .

وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾

قال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس هذا في الرجل يكون عليه مال ، وليس عليه فيه بينة ، فيجحد المال ، ويخاصم إلىٰ الحكام وهو يعرف أن الحق عليه وهو يعلم : أنه آثم آكل حرام .

وكذا روي ، عن مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة والسدي ، ومقاتل ابن حيان ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنهم قالوا : لا تخاصم وأنت تعلم أنك ظالم . وقد ورد في الصحيحين عن أم سلمة (١٠٦٧) : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **ألا إنما أنا بشر ، وإنما يأتيني الخصم ، فلعل بعضكم أن يكون ألحن[٣] بحجته من بعض [فأقضي له][٤] ، فمن قضيت له ، بحق مسلم ، فإنما هي[٥] قطعة من نار ، فليحملها ، أو**

(١٠٦٧) البخاري في المظالم ، باب : إثم من خاصم في باطل وهو يعلمه برقم (٢٤٥٨) ، وأطرافه (٢٦٨٠، ٦٩٦٧ ، ٧١٦٩ ، ٧١٨١ ، ٧١٨٥) ، ومسلم في الأقضية برقم ٤ - (١٧١٣) من حديث أم سلمة رضي الله عنها .

---

[١] - في ز ، خ : « وذكر » . [٢] - في خ : « وتعتذوها » .

[٣] - أي : أعرف وأفطن بحجته من خصمه يقال : لحن فلان يلحن لحنًا إذا فطن .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٥] - سقط من : ز .

ليذرها » . فدلت هذه الآية الكريمة ، وهذا الحديث على أن حكم الحاكم لا يغير الشيء في نفس الأمر ، فلا يحل في نفس الأمر حرامًا هو حرام ، ولا يحرم حلالًا هو حلال ، وإنما هو ملزم[١] في الظاهر ، فإن طابق [ما][٢] في نفس الأمر فذاك ، وإلا فللحاكم أجره ، وعلى المحتال وزره ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقًا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون** ﴾ أي : تعلمون بطلان ما تدعونه وتروجونه[٣] في كلامكم .

قال قتادة : اعلم يا بن آدم : [أن قضاء][٤] القاضي لا يحل لك حرامًا ، ولا يُحِقُّ لك باطلًا ، وإنما يقضي القاضي بنحو ما يرى ، وتشهد[٥] به الشهود ، والقاضي بشر يخطئ ويصيب ، واعلموا أن من قُضِيَ له بباطل : أن خصومته لم تنقض حتى يجمع الله بينهما يوم القيامة ، فيقضي على المبطل للمحق بأجود مما قضى به للمبطل على المحق في الدنيا .

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾

قال العوفي : عن ابن عباس سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأهلة ، فنزلت هذه الآية : ﴿ **يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج** ﴾ يعلمون بها حل دَيْنهم ، وعدة نسائهم ، ووقت حجهم .

و[٦]قال أبو جعفر : عن الربيع ، عن أبي العالية : بلغنا أنهم قالوا : يا رسول الله ، لم خلقت الأهلة ؟ فأنزل الله : ﴿ **يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس** ﴾ . يقول : جعلها الله مواقيت لصوم المسلمين ، وإفطارهم ، وعدة نسائهم ، ومحل دَيْنهم .

وكذا روي عن عطاء ، والضحاك ، وقتادة ، والسدي ، والربيع بن أنس ، نحو ذلك .

وقال عبد الرزاق : عن عبد العزيز بن أبي رَوّاد ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **جعل الله الأهلة مواقيت للناس ، فصوموا لرؤيته ، وأفطروا لرؤيته ، فإن غم عليكم ، فعدوا ثلاثين يومًا** » .

---

[١] - في ز : « يلزم » . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .
[٣] - في خ : « ترجون » ، وفي ز : « تروجون » . [٤] - في ز : « إن قضى » .
[٥] - في خ : « ويشهد » . [٦] - سقط من : خ .

ورواه الحاكم في مستدركه ، من حديث ابن أبي رواد ، به(١٠٦٨) . وقال : [كان ثقة][١] عابدًا مجتهدًا شريف النسب ، فهو صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

ورواه[٢] محمد بن جابر : عن قيس بن طلق ، عن أبيه قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **جعل اللَّه الأهلة ، فإذا رأيتم الهلال ، فصوموا ، وإذا رأيتموه ، فأفطروا ، فإن أغمي عليكم فأكملوا العدة ثلاثين** »(١٠٦٩) .

وكذا روي من حديث أبي هريرة (١٠٧٠) ، ومن كلام علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه .

وقوله : ﴿ **وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقىٰ وأتوا البيوت من أبوابها** ﴾ . قال البخاري(١٠٧١) : حدثنا عبيد اللَّه بن موسىٰ ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره ، فأنزل اللَّه : ﴿ **وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقىٰ وأتوا البيوت من أبوابها** ﴾ .

وكذا رواه أبو داود الطيالسي(١٠٧٢) : عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : كانت الأنصار إذا قدموا من سفرهم[٣] لم يدخل الرجل من قبل بابه ، فنزلت هذه الآية .

وقال الأعمش : عن أبي سفيان ، عن جابر : كانت قريش تدعىٰ الحمس ، وكانوا يدخلون من الأبواب في الإحرام ، وكانت الأنصار ، وسائر العرب لا يدخلون من باب في الإحرام ، فبينا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم في بستان إذ خرج من بابه ، وخرج معه قطبة[٤] بن عامر [من

(١٠٦٨) المستدرك (٤٢٣/١) .

(١٠٦٩) رواه أحمد في المسند ١٦٣٤٢ - (٢٣/٤) من حديث إسحاق بن عيسى عن محمد بن جابر به . وإسناده ضعيف من أجل محمد بن جابر . ورواه أحمد ١٦٣٣٨ (٢٣/٤) . والحديث أخرجه الطبراني في الكبير (٣٩٧/٨) حديث (٢٨٣٧) ، (٨٢٣٨) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد والطبراني في الكبير وفيه محمد بن جابر اليمامي وهو صدوق ولكنه ضاعت كتبه ، وقبِلَ التلقين .

(١٠٧٠) حديث أبي هريرة رواه البخاري في كتاب الصوم من صحيحه ، باب : إذا رأيتم الهلال فصوموا .... برقم (١٩٠٩) وفيه : « **فأكملوا عدة شعبان** » ، ومسلم في كتاب الصيام من صحيحه برقم ١٩ ، ٢٠ - (١٠٨١) .

(١٠٧١) البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿**وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها** .. ﴾ برقم (٤٥١٢).

(١٠٧٢) - مسند الطيالسي رقم ٧١٧ ص (٩٨) .

---

[١] - سقط من المستدرك .

[٢] - في ت : « وقال » ، وفي ز : « بياض » . [٣] - في ز : « سفر » .

[٤] - في خ : « وطبة » .

الأنصار][١] فقالوا : يا رسول الله : إن قطبة[٢] بن عامر رجل فاجر[٣] ، وإنه خرج معك من الباب ، فقال[٤] له : « **ما حملك علىٰ ما صنعت ؟** » قال : رأيتك فعلته ، ففعلت كما فعلت . فقال : إني أحمس . قال له : فإن ديني دينك . فأنزل الله : ﴿ **وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقىٰ وأتوا البيوت من أبوابها** ﴾ .

رواه ابن أبي حاتم ، ورواه العوفي ، عن ابن عباس بنحوه ، وكذا روي عن مجاهد ، والزهري ، وقتادة ، وإبراهيم النخعي ، والسدي ، والربيع بن أنس .

وقال الحسن البصري : كان أقوام من أهل الجاهلية إذا أراد أحدهم سفرًا ، و[٥]خرج من بيته يريد سفره الذي خرج له ، ثم بدا له بعد خروجه : أن يقيم ، ويدع سفره ، لم يدخل البيت من بابه ، ولكن يتسوّره من قبل ظهره ، فقال الله تعالىٰ : ﴿ **وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها** ﴾ . الآية .

وقال محمد بن كعب : كان الرجل إذا اعتكف لم يدخل منزله من باب البيت ، فأنزل الله هذه الآية .

وقال عطاء بن أبي رباح : كان أهل يثرب إذا رجعوا من عيدهم [دخلوا منازلهم][٦] من ظهورها ، ويرون[٧] أن ذلك أدنىٰ إلىٰ البر ، فقال الله تعالىٰ : ﴿ **وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها** ﴾ [ ][٨] .

وقوله : ﴿ **واتقوا الله لعلكم تفلحون** ﴾ أي اتقوا الله ، فافعلوا ما أمركم به ، واتركوا ما نهاكم عنه ﴿ **لعلكم تفلحون** ﴾ غدًا إذا وقفتم بين يديه فيجازيكم بأعمالكم[٩] علىٰ التمام والكمال .

وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ

---

[١] - في ز : « الأنصاري » . [٢] - في خ : « وطبة » .

[٣] - في ز ، خ ، ت : تاجر ، وليس لها معنى في هذا السياق والمثبت من تفسير الطبري وابن أبي حاتم والإصابة .

[٤] - في ز : « فقالوا » . [٥] - في ز ، خ : « أو » .

[٦] - في خ : « يأتوا البيوت » ، وفي ز : « بياض » .[٧] - في ز ، خ : « ويروي » .

[٨] - ما بين المعكوفتين في ت : [ولا يرون أن ذلك أدنى غلى البر] .

[٩] - ما بين المعكوفتين في خ : « فيجزيكم بأعمالكم » .

مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾

قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية في قوله تعالىٰ : ﴿ **وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم** ﴾ قال : هذه أول آية نزلت في القتال بالمدينة ، فلما نزلت كان رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يقاتل من قاتله ، ويكف عمن كف عنه حتىٰ نزلت سورة براءة .

وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم حتىٰ قال : هذه منسوخة بقوله : ﴿ **فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم** ﴾ ، وفي هذا نظر ؛ لأن قوله : ﴿ **الذين يقاتلونكم** ﴾ إنما هو تهييج وإغراء بالأعداء الذين همتهم قتال الإسلام وأهله ، أي : كما يقاتلونكم فقاتلوهم[١] أنتم كما قال : ﴿ **وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة** ﴾ ، ولهذا قال في هذه الآية : ﴿ **واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم** ﴾ أي : لتكن[٢] همتكم منبعثة علىٰ قتالهم كما أن[٣] همتهم منبعثة[٤] علىٰ[٥] قتالكم وعلىٰ[٦] إخراجهم من بلادهم التي أخرجوكم منها قصاصًا .

وقوله : ﴿ **ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين** ﴾ أي : قاتلوا في سبيل الله ، ولا تعتدوا في ذلك ، ويدخل في ذلك ارتكاب المناهي - كما قاله[٧] الحسن البصري - من المثلة ، والغلول ، وقتل النساء ، والصبيان ، والشيوخ الذين لا رأي لهم ، ولا قتال فيهم ، والرهبان ، وأصحاب الصوامع ، وتحريق الأشجار ، وقتل الحيوان لغير مصلحة كما قال ذلك ابن عباس ، وعمر بن عبد العزيز ، ومقاتل بن حيان وغيرهم ، ولهذا جاء في صحيح مسلم عن بريدة(١٠٧٣) : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان يقول : « **اغزوا في سبيل الله ، قاتلوا[٨] من كفر بالله ، اغزوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليدًا[٩]** [**ولا أصحاب الصوامع** » ، رواه الإمام أحمد][١٠] .

(١٠٧٣) رواه مسلم في الجهاد والسير برقم (١٧٣١) ، وأحمد في المسند (٣٥٢/٥) .

---

[١] - في خ : « فاقتلوهم » .
[٢] - في ت : « لتكون » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز ، خ : « إلى » .
[٦] - في خ : « إلى » .
[٧] - في ز ، خ : « قال » .
[٨] - سقط من : ز ، خ .
[٩] - في ت : « الوليد » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وعن ابن عباس قال : كان رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم إذا بعث جيوشه قال : « **اخرجوا باسم اللَّه ، قاتلوا في سبيل اللَّه من كفر باللَّه ، لا تغدروا**[١] **، ولا تغلوا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا الولدان ، ولا أصحاب الصوامع** »(١٠٧٤) ، رواه الإمام أحمد .

ولأبي داود عن أنس مرفوعًا نحوه(١٠٧٥) ، وفي الصحيحين عن ابن عمر قال : وُجِدت امرأة في بعض مغازي النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم مقتولة ، فأنكر رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قتل النساء والصبيان(١٠٧٦) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا مصعب بن سلام ، حدثنا الأجلح ، عن قيس بن أبي مسلم ، عن ربعي بن حراش[٢] قال : سمعت حذيفة يقول : ضرب لنا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أمثالًا [واحد ، وثلاثة ، وخمسة ، وسبعة ، وتسعة ، وأحد عشر][٣] وترك سائرها ، قال : « **إن قومًا كانوا أهل ضعف ، ومسكنة قاتلهم أهل تجبر وعداوة**[٤] **، فأظهر اللَّه أهل الضعف عليهم ، فعمدوا**[٥] **إلىٰ عدوّهم فاستعملوهم وسلطوهم ، فأسخطوا اللَّه عليهم إلىٰ يوم القيامة**[٦] »(١٠٧٧) .

(١٠٧٤) رواه أحمد من حديث أبي القاسم بن أبي الزناد ، قال : أخبرني ابن أبي حبيبة ، عن داود بن الحصين، عن عكرمة ، عن ابن عباس به مرفوعاً ٢٧٢٨ - (١/٣٠٠) . وأورده في مجمع الزوائد (٥/ ٣١٦ - ٣١٧) وعزاه لأحمد وأبي يعلى والبزار والطبراني في الكبير والأوسط ثم قال : وفي رجال البزار إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة وثقه أحمد وضعفه الجمهور . وبقية رجال البزار رجال الصحيح .

(١٠٧٥) رواه أبو داود في الجهاد ، باب : في دعاء المشركين من حديث حسن بن صالح ، عن خالد بن الفرز عن أنس به مرفوعاً برقم (٢٦١٤) . وخالد بن الفرز تفرد بالرواية عنه الحسن بن صالح ، قال النسائي : لا أعلم أحداً روى عنه غير الحسن بن صالح ، وقال يحيى بن معين : ليس بذاك ، وقال أبو حاتم : شيخ .

(١٠٧٦) رواه البخاري في الجهاد والسير ، باب : قتل الصبيان في الحرب ، وقتل النساء في الحرب برقم (٣٠١٤ ، ٣٠١٥) ، ومسلم في الجهاد والسير برقم ٢٤ - (١٧٤٤) .

(١٠٧٧) قيس بن أبي مسلم ، واسم أبي مسلم رمانة : ذكره البخاري (٧/١٥٤) وابن أبي حاتم (٧/٩٦) وابن حبان (٧/٣٢٨) وقال في التعجيل (١/٣٤٦) : وذكره ابن خلفون في الثقات .
والأجلح : قال ابن سعد (١/٣٥٠) : كان ضعيفًا جدًّا . وقال العجلي (١/٢١٢) : جائز الحديث وليس بالقوي في عداد الشيوخ . وذكره البخاري في التاريخ (٢/٦٨) وقال : يقال : اسمه يحيى . وذكره ابن حبان في المجروحين (١/١٧٥) وقال : كان لا يدرك ما يقول ، يجعل أبا سفيان أبا الزبير ويقلب الأسامي .
وقال ابن عدي (١/٤٢٦) : له أحاديث صالحة غير ما ذكرت يروي عنه الكوفيون وغيرهم ولم أجد له شيئاً منكراً يجاوز الحد لا إسناداً ولا متناً وهو أرجو أنه لا بأس به إلا أنه يعد من شيعة الكوفة وهو =

---

[١] - في ت : « تعتدوا » .
[٢] - في ز : « خراش » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .
[٤] - في ز : « عداء » .
[٥] - في ز : « فعموا » .
[٦] - في ز : « يلقونه » .

هذا حديث حسن الإسناد ، ومعناه أن هؤلاء الضعفاء لما قدروا علىٰ الأقوياء ، فاعتدوا عليهم ، فاستعملوهم[١] فيما لا يليق بهم ، أسخطوا اللَّه عليهم بسبب هذا الاعتداء ، والأحاديث والآثار في هذا كثيرة جدًّا .

ولما كان الجهاد فيه إزهاق النفوس وقتل الرجال نبه تعالىٰ علىٰ أن ما هم مشتملون عليه من الكفر باللَّه والشرك به والصدّ عن سبيله أبلغ وأشدّ ، وأعظم ، وأطم من القتل ، ولهذا قال : ﴿ **والفتنة أشدّ من القتل** ﴾ قال أبو مالك أي : ما أنتم مقيمون عليه أكبر من القتل .

وقال أبو العالية ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك ، والربيع بن أنس في قوله : ﴿ **والفتنة أشدّ من القتل** ﴾ يقول : الشرك أشد من القتل .

وقوله : ﴿ **ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام** ﴾ كما جاء في الصحيحين : « **إن هذا البلد حرّمه اللَّه يوم خلق السمٰوات والأرض ، فهو حرام بحرمة اللَّه إلىٰ يوم [القيامة ، ولم يحل لي]**[٢] **إلا ساعة من نهار ، وإنها ساعتي هذه حرام بحرمة اللَّه إلىٰ يوم القيامة]**[٣] **، لا يُعْضَد**[٤] **شجره ، ولا يختلىٰ**[٥] **خلاه**[٦] **، فإن أحد ترخص بقتال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقولوا : إن اللَّه أذن لرسوله ولم يأذن لكم** »[(١٠٧٨)] .

يعني بذلك صلوات اللَّه وسلامه عليه قتاله أهله[٧] يوم فتح مكة ، فإنه فتحها عنوة وقتلت رجال منهم[٨] عند الخندمة[٩] ، وقيل : صلحًا لقوله : « **من أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن** » .

= عندي مستقيم الحديث صدوق .

والحديث في المسند ٢٣٥٦٤ - (٤٠٧/٥) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٣٢/٥، ٢٣٣) وعزاه لأحمد وقال : « وفيه الأجلح الكندى ، وهو ثقة ، وقد ضُعف ، وبقية رجاله ثقات » .

(١٠٧٨) البخاري في الحج ، باب : لا يحل القتال بمكة برقم (١٨٣٤) وأطرافه (١٣٤٩ ، ١٥٨٧ ، ١٨٣٣، ٢٠٩٠ ، ٢٧٨٣ ، ٢٨٢٥ ، ٣٠٧٧ ، ٣١٨٩ ، ٤٣١٣) ، ومسلم في الحج برقم (١٣٥٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

---

[١] - في ز ، خ : « واستعملوهم » .

[٢] - ما بين المكوفتين سقط من خ .

[٣] - ما بين المكوفتين سقط من : خ .

[٤] - عضد الشجرة :قطعها .

[٥] - في ز : « يختلى » .

[٦] - الخلا مقصور : النبات الرطب الرقيق ما دام رطبًا ، اختلاؤه : قطعه . النهاية (٧٥/٢) .

[٧] - في ز ، خ : « أهلها » .

[٨] - في خ : « به » .

[٩] - مكانها بياض في خ . والخندمة : جبل بمكة (معجم البلدان (٤٤٩/٢) .

وقوله : ﴿ **حتىٰ يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين** ﴾ يقول تعالىٰ : ولا[١] تقاتلوهم عند المسجد الحرام إلا أن يبدءوكم بالقتال فيه ، فلكم حينئذ قتالهم ، وقتلهم دفعًا للصيال[٢] ، كما بايع النبي صلىٰ الله عليه وسلم أصحابه يوم الحديبية تحت الشجرة علىٰ القتال لما تألبت عليه بطون قريش ومن والاهم من أحياء ثقيف ، والأحابيش عامئذ ، ثم كف الله القتال بينهم فقال : ﴿ **وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم** ﴾ ، وقال : ﴿ **ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيَّلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابًا أليمًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم** ﴾ أي : فإن تركوا القتال في الحرم ، وأنابوا إلىٰ الإسلام ، والتوبة فإن الله يغفر ذنوبهم ، ولو كانوا قد قتلوا المسلمين في حرم الله ؛ فإنه تعالىٰ لا يتعاظمه ذنب أن يغفره لمن تاب منه إليه .

ثم أمر الله[٣] تعالىٰ بقتال الكفار ﴿ **حتىٰ لا تكون فتنة** ﴾ أي : شرك قاله ابن عباس ، وأبو العالية ، ومجاهد ، والحسن ، وقتادة ، والربيع ، ومقاتل بن حيان ، والسدي ، وزيد بن أسلم .

﴿ **ويكون الدين لله** ﴾ أي يكون دين الله هو الظاهر العالي علىٰ سائر الأديان كما ثبت في الصحيحين عن أبي موسىٰ الأشعري قال : سئل النبي صلىٰ الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية ، ويقاتل رياء ، أيّ ذلك في سبيل الله ؟ فقال : « **من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله** »(١٠٧٩) ، وفي الصحيحين : « **أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عَصَموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم علىٰ الله** »(١٠٨٠) .

وقوله : ﴿ **فإن انتهوا فلا عدوان إلا علىٰ الظالمين** ﴾ يقول تعالىٰ : فإن انتهوا عما هم فيه من الشرك ، وقتال المؤمنين فكفوا عنهم ، فإن من قاتلهم بعد ذلك فهو ظالم ، ولا عدوان إلا علىٰ الظالمين ، وهذا معنىٰ قول مجاهد : لا يقاتل إلا من قاتل ، أو يكون تقديره : فإن انتهوا ، فقد

(١٠٧٩) البخاري في كتاب العلم ، باب : من سأل وهو قائم عالماً جالساً برقم (١٢٣) وانظر (٢٨١٠ ، ٣١٢٦ ، ٧٤٥٨) ، ومسلم في الإمارة برقم ١٥٠ - (١٩٠٤) .

(١٠٨٠) البخاري في كتاب الإيمان ، باب : ﴿ **فإن تابوا وأقاموا الصلاة ...** ﴾ برقم (٢٥) ، ومسلم في الإيمان برقم ٣٦ - (٢٢) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

---

[١] - في ز : « لا » .

[٢] - في ت : « للصائل » ، والصيال : القهر والعدوان .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

تخلصوا من الظلم - وهو الشرك - فلا عدوان عليهم بعد ذلك ، والمراد بالعدوان هاهنا المعاقبة ، والمقاتلة كقوله : ﴿ **فمن اعتدىٰ عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدىٰ عليكم** ﴾ ، وقوله : ﴿ **وجزاء سيئة سيئة مثلها** ﴾ ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به** ﴾ ، ولهذا قال[١] عكرمة وقتادة : الظالم الذي أبىٰ أن يقول : لا إله إلا اللَّه .

وقال البخاري(١٠٨١) : قوله[٢] : ﴿ **وقاتلوهم حتىٰ لا تكون فتنة ....** ﴾ الآية :

حدّثنا محمد بن بشار ، حدثنا عبد الوهاب ، حدثنا عبيد اللَّه ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : أتاه رجلان في فتنة ابن الزبير فقالا : إن الناس ضُيِّعُوا[٣] ، وأنت ابنُ عمر ، وصاحب النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فما يمنعك أن تخرج ؟ فقال : يمنعني أن اللَّه حرّم دم أخي ، قالا : ألم يقل اللَّه : ﴿ **وقاتلوهم حتىٰ لا تكون فتنة** ﴾ ؟ فقال[٤] : قاتلنا حتىٰ لم تكن فتنة ، وكان الدين لله ، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتىٰ تكون فتنة وحتىٰ[٥] يكون الدين لغير اللَّه .

وزاد عثمان بن صالح : عن ابن وهب ، [قال][٦] أخبرني فلان وحيوة بن شريح ، عن بكر ابن عمر المعافري ، أن بكير بن عبد اللَّه حدثه ، عن نافع أن رجلًا أتىٰ ابن عمر فقال : يا أبا عبد الرحمن ما حملك علىٰ أن تحج عامًا وتعتمر[٧] عامًا ، وتترك الجهاد في سبيل اللَّه عز وجل ، وقد علمت ما رغب اللَّه فيه ؟ فقال : يا ابن أخي بني الإِسلام علىٰ خمس : الإِيمان باللَّه ورسوله ، والصلوٰت الخمس ، وصيام رمضان ، وأداء الزكاة ، وحج البيت ، قال[٨] : يا أبا عبد الرحمن ألا تسمع ما ذكر اللَّه في كتابه : ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما علىٰ الأخرىٰ فقاتلوا التي تبغي حتىٰ تفيء إلىٰ أمر اللَّه** ﴾ ﴿ **وقاتلوهم حتىٰ لا تكون فتنة** ﴾ ، قال : فعلنا علىٰ عهد رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وكان الإِسلام قليلًا ، فكان الرجل يفتن في دينه إما قتلوه أو عذبوه حتىٰ كثر الإِسلام فلم تكن فتنة .

قال : فما قولك في علي وعثمان ؟ قال : أمّا عثمان فكان [اللَّه عفا عنه][٩] ، وأمّا أنتم فكرهتم أن يعفو[١٠] عنه ، وأمّا علي فابن عم رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم وختنه ، فأشار بيده فقال : هذا بيته حيث[١١] ترون .

(١٠٨١) البخاري في التفسير برقم (٤٥١٣ - ٤٥١٥) .

---

[١] - في خ : « وقال » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز ، خ : « صنعوا » .
[٤] - في ز : « قال » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .
[٧] - في ت : « وتقيم » .
[٨] - في خ : « قالوا » .
[٩] - ما بين المعكوفتين بياض في ز ، خ .
[١٠] - في خ : « تعفوا » .
[١١] - في ز : « حين » .

﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ (١٩٤) ﴾

قال عكرمة : عن ابن عباس ، والضحاك ، والسدي ، وقتادة ، ومقسم ، والربيع بن أنس ، وعطاء وغيرهم : لما سار رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم معتمرًا في سنة ست من الهجرة ، وحبسه المشركون عن الدخول والوصول إلىٰ البيت ، وصدوه بمن معه من المسلمين في ذي القعدة ، وهو شهر حرام ، حتىٰ قاضاهم علىٰ الدخول من قابل ، فدخلها في السنة الآتية هو ومن كان[١] معه من المسلمين ، وأقصَّه[٢] اللَّه منهم ، فنزلت في ذلك هذه الآية : ﴿ **الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص** ﴾ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن عيسىٰ ، حدثنا ليث بن سعد ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد اللَّه قال : لم يكن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يغزو في الشهر الحرام إلا أن يُغْزىٰ ويغزو[٣] ، فإذا حضره أقام حتىٰ ينسلخ(١٠٨٢) .

هذا إسناد صحيح ، ولهذا لما بلغ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم وهو مُخَيِّم بالحديبية أن عثمان قد[٤] قتل ، وكان قد بعثه في رسالة إلىٰ المشركين بايع أصحابه وكانوا ألفًا وأربعمائة ، تحت الشجرة علىٰ قتال المشركين ، فلما بلغه أن عثمان لم يقتل كف عن ذلك ، وجنح إلىٰ المسالمة والمصالحة ، فكان ما كان .

وكذلك لما فرغ من قتال هوازن يوم حنين ، وتحصن فَلُّهم[٥] بالطائف ، عدل إليها فحاصرها ، ودخل ذو القعدة وهو محاصر لها بالمنجنيق ، واستمر عليها إلىٰ كمال أربعين يومًا كما ثبت في الصحيحين عن أنس(١٠٨٣) ، فلما كثر القتل في أصحابه انصرف عنها ولم تفتح ، ثم كر راجعًا إلىٰ مكة ، واعتمر من الجعرانة حيث قسم غنائم حنين ، وكانت عمرته هذه في ذي القعدة أيضًا عام ثمان . صلوات اللَّه وسلامه عليه .

(١٠٨٢) المسند ١٤٧٥٦ ، ١٤٦٢٥ - (٣/٣٤٥ ، ٣٣٤) . وأبو الزبير وإن كان مدلسًا إلا أن الراوي عنه الليث بن سعد ، فهو محمول على السماع . ورواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/٣٤٦-٣٤٧) . وأبو جعفر النحاس في ناسخه (ص١٢١-١٢٢) من طرق عن ليث وهو ابن سعد عن أبي الزبير به . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/٦٩) وقال . رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(١٠٨٣) الحديث بهذا المعنى في صحيح مسلم برقم (١٠٥٩) .

---

[١] - زيادة من خ

[٢] - أقصَّ فلانًا من غريمه مكنه من القصاص . وأخذ له بحقه

[٣] - في ز « يغزوا » [٤] زيادة من ز ح

[٥] الفَلُّ المنهزم ويطلق على الواحد والجمع

وقوله : ﴿ **فمن اعتدىٰ عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدىٰ عليكم** ﴾ أمر بالعدل حتىٰ في المشركين كما قال : ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به** ﴾ ، وقال : ﴿ **وجزاء سيئة سيئة مثلها** ﴾ .

وروىٰ علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أن قوله : ﴿ **فمن اعتدىٰ عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدىٰ عليكم** ﴾ نزلت بمكة حيث لا شوكة ولا جهاد ، ثم نسخ بآية القتال[١] بالمدينة ، وقد رد هذا القول ابن جرير وقال : بل هذه[٢] الآية مدنية بعد عمرة القضية ، وعزا ذلك إلىٰ مجاهد رحمه الله .

وقوله : ﴿ **واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين** ﴾ أمر لهم بطاعة الله وتقواه ، وإخبار بأنه تعالىٰ مع الذين اتقوا بالنصر والتأييد في الدنيا والآخرة .

وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾

قال البخاري : حدثنا إسحاق ، أخبرنا النضر ، أخبرنا شعبة ، عن سليمان ، قال[٣] : سمعت أبا وائل ، عن حذيفة ﴿ **وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلىٰ التهلكة** ﴾ قال : نزلت في النفقة(١٠٨٤) .

ورواه ابن أبي حاتم(١٠٨٥) ، عن الحسن بن محمد بن الصباح ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش به مثله ، قال : وروي عن ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وعطاء ، والضحاك ، والحسن ، وقتادة ، والسدي ، ومقاتل بن حيان نحو ذلك .

وقال الليث بن سعد : عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أسلم أبي عمران قال : حمل رجل من المهاجرين بالقسطنطينية علىٰ صف العدو حتىٰ خرقه ومعنا أبو أيوب الأنصاري ، فقال ناس : ألقىٰ بيده إلىٰ التهلكة ! فقال أبو أيوب : نحن أعلم بهذه الآية ، إنما نزلت فينا ، صحبنا رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وشهدنا معه المشاهد ، ونصرناه ، فلما فشا الإسلام وظهر ، اجتمعنا معشر الأنصار نجيًا ، فقلنا : قد أكرمنا الله بصحبة نبيه صلىٰ الله عليه وسلم ونصره حتىٰ

(١٠٨٤) البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ **وأنفقوا في سبيل الله ...** ﴾ برقم (٤٥١٦) .
(١٠٨٥) - تفسير ابن أبي حاتم ١٧٧٤ - (٣٣١/١) .

[١] - في ز : « الجهاد » . [٢] - زيادة من : ز ، خ .
[٣] - زيادة من : خ .

فشا الإِسلام وكثر أهله ، وكنا قد آثرناه علىٰ الأهلين والأموال والأولاد ، وقد وضعت الحرب أوزارها ، فنرجع إلىٰ أهلينا ، وأولادنا فنقيم فيهما ، فنزلت فينا : ﴿ **وأنفقوا في سبيل اللَّه ولا تلقوا بأيديكم إلىٰ التهلكة** ﴾ فكانت التهلكة الإِقامة في الأهل والمال ، وترك الجهاد .

رواه أبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وعبد بن حميد في تفسيره ، وابن أبي حاتم ، وابن جرير ، وابن مردويه ، والحافظ أبو يعلي في مسنده ، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم في مستدركه ، كلهم من حديث يزيد بن أبي حبيب به(١٠٨٦) .

وقال الترمذي : حسن صحيح غريب ، وقال الحاكم : علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه .

ولفظ أبي داود عن أسلم أبي عمران : كنا بالقسطنطينية ، وعلىٰ أهل مصر عقبة بن عامر ، وعلىٰ أهل الشام رجل - [يريد][١] فضالة بن عبيد- ، فخرج من المدينة صف عظيم من الروم ، فصففنا لهم ، فحمل رجل من المسلمين علىٰ الروم حتىٰ دخل فيهم ، ثم خرج إلينا ، فصاح الناس إليه فقالوا : سبحان اللَّه ! ألقىٰ بيده إلىٰ التهلكة ، فقال أبو أيوب : يا أيها الناس ، إنكم لتتأولون هذه الآية علىٰ غير التأويل ، وإنما نزلت فينا معشر الأنصار ، وإنا لما أعز اللَّه دينه وكثر ناصروه قلنا فيما بيننا : لو أقبلنا علىٰ أموالنا فأصلحناها ، فأنزل اللَّه هذه الآية .

وقال أبو بكر بن عياش : عن أبي إسحاق السبيعي قال : قال رجل للبراء بن عازب : إن حملت علىٰ العدو وحدي فقتلوني أكنت ألقيت بيدي إلىٰ التهلكة ؟ قال : لا ، قال اللَّه لرسوله : ﴿ **فقاتل في سبيل اللَّه لا تكلف إلا نفسك** ﴾ ، [وإنما هذه][٢] في النفقة .

رواه ابن مردويه ، وأخرجه[٣] الحاكم في مستدركه(١٠٨٧) من حديث إسرائيل عن أبي إسحاق به وقال : صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه .

ورواه الثوري وقيس بن الربيع عن أبي إسحاق عن البراء فذكره ، وقال بعد قوله : ﴿ **لا تكلف إلا نفسك** ﴾ : ولكن التهلكة أن يذنب الرجل الذنب ، فيلقي بيده إلىٰ التهلكة ولا

(١٠٨٦) رواه أبو داود في كتاب الجهاد ، باب : ﴿ **ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** ﴾ برقم (٢٥١٢) ، والترمذي في تفسير سورة البقرة برقم (٢٩٧٢) ، والنسائي في الكبرى برقم (١١٠٢٩) ، وتفسير الطبرى ٣٧١٩ ، ٣٧٢٠ - (٣/٥٩٠) ، وصحيح ابن حبان كما في الموارد رقم (١٦٦٧) ، والمستدرك (٢/ ٢٧٥). ورواه أبو داود الطيالسي (٥٩٩) . وابن أبي حاتم (١/٣٣٠- ٣٣١) وذكره السيوطي في الدر المنثور وزاد نسبته إلى الطبراني والبيهقي في سننه .

(١٠٨٧) المستدرك (٢/٢٧٥) .

[١] - في ت : « يزيد بن » وهو تصحيف وتحريف .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « إنما هذا » . [٣] - سقط من : ز .

يتوب .

وقال ابن أبي حاتم(١٠٨٨) : حدّثنا أبي ، حدثنا أبو صالح كاتب الليث[١] ، [حدّثني الليث][٢] ، حدّثنا عبد الرحمن بن خالد بن مسافر ، عن ابن شهاب ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، أن عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث أخبره أنهم حاصروا دمشق ، فانطلق رجل من أزد شنوءة ، فأسرع إلىٰ العدو وحده ليستقبل[٣] ، فعاب ذلك عليه المسلمون ، ورفعوا حديثه إلىٰ عمرو بن العاص ، فأرسل إليه عمرو فرده ، وقال عمرو : قال اللَّه : ﴿ **ولا تلقوا بأيديكم إلىٰ التهلكة** ﴾ .

وقال عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله تعالىٰ : ﴿ **وأنفقوا في سبيل اللَّه ولا تلقوا بأيديكم إلىٰ التهلكة** ﴾ قال[٤] : ليس ذلك في القتال ، إنما هو في النفقة أن تمسك بيدك عن النفقة في سبيل اللَّه ، ولا تلق بيدك إلىٰ التهلكة .

وقال حماد بن سلمة ، عن داود ، عن الشعبي ، عن الضحاك بن أبي جبيرة ، قال : كانت الأنصار يتصدقون وينفقون من أموالهم ، فأصابتهم سنة فأمسكوا عن النفقة في سبيل اللَّه ، فنزلت : ﴿ **ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** ﴾ .

وقال الحسن البصري ﴿ **ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** ﴾ قال : هو البخل .

وقال سماك بن حرب ، عن النعمان بن بشير في قوله : ﴿ **ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** ﴾ أن يذنب الرجل الذنب فيقول : لا يغفر لي ! فأنزل اللَّه : ﴿ **ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن اللَّه يحب المحسنين** ﴾ ، رواه ابن مردويه .

وقال ابن أبي حاتم : وروي عن عَبيدة السَّلماني والحسن وابن سيرين وأبي قلابة نحو ذلك ، يعني نحو قول النعمان بن بشير ، إنها في الرجل يذنب الذنب فيعتقد أنه لا يغفر له ، فيلقي بيده إلىٰ التهلكة ، أي : يستكثر من الذنوب فيهلك ، ولهذا روىٰ علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : التهلكة عذاب اللَّه .

وقال ابن أبي حاتم وابن جرير جميعًا (١٠٨٩) : حدثنا يونس ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني

(١٠٨٨) - تفسير ابن أبي حاتم ١٧٤٧ - (٣٣٢/١) .

(١٠٨٩) تفسير ابن أبي حاتم ١٧٤٦ - (٣٣١/١) وتفسير ابن جرير ٣١٥١ - (٥٨٤/٣) .

---

[١] - في ز ، خ : « الكتب » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - في تفسير ابن أبي حاتم : ليستقتل .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

أبو صخر ، عن القرظي [محمد بن كعب][١] أنه كان يقول في هذه الآية : ﴿ **ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** ﴾ قال : كان القوم في سبيل الله فيتزود الرجل ، فكان أفضل زادًا من الآخر ، [أنفق البائس من زاده][٢] حتىٰ لا يبقىٰ من زاده شيء ، أحب أن يواسي صاحبه ، فأنزل الله : ﴿ **وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** ﴾ .

وبه قال ابن وهب أيضًا(١٠٩٠) : أخبرني عبد الله بن عياش[٣] ، عن زيد بن أسلم في قول الله : ﴿ **وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** ﴾ ، وذلك أن رجالًا كانوا يخرجون في بعوث يبعثها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بغير نفقة ، فإمّا أن يقطع بهم ، وإما كانوا عيالًا [٤]، فأمرهم الله أن يستنفقوا مما رزقهم الله ، ولا يلقوا بأيديهم إلىٰ التهلكة ، والتهلكة أن يهلك رجال من الجوع والعطش أو من المشي . وقال لمن بيده فضل : ﴿ **وأحسنوا إن الله يحب المحسنين** ﴾ .

ومضمون الآية الأمر بالإنفاق في سبيل الله في سائر وجوه القربات ووجوه الطاعات ، وخاصة صرف الأموال في قتال الأعداء وبذلها فيما يقوىٰ به المسلمون علىٰ عدوّهم ، والإخبارعن ترك فعل[٥] ذلك بأنه هلاك ودمار لمن[٦] لزمه واعتاده ، ثم عطف بالأمر بالإحسان وهو أعلىٰ مقامات الطاعة فقال : ﴿ **وأحسنوا إن الله يحب المحسنين** ﴾ .

وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ (١٩٦)

لما ذكر تعالىٰ أحكام الصيام وعطف بذكر الجهاد شرع في بيان المناسك ، فأمر بإتمام الحج والعمرة ، وظاهر السياق إكمال أفعالهما بعد الشروع فيهما ؛ ولهذا قال بعده : ﴿ **فإن**

(١٠٩٠) - تفسير ابن أبي حاتم ١٧٤٥ - (١/٣٣١) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « أنفقوا الباقين » [٣] - في خ : « عباس » .
[٤] - أي عالة يعتمدون على غيرهم في نفقاتهم . [٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « إن » .

أحصرتم ﴾ أي : صددتم عن الوصول إلىٰ البيت ومنعتم من إتمامهما ؛ ولهذا اتفق العلماء علىٰ أن الشروع في الحج والعمرة ملزم سواء قيل بوجوب العمرة أو باستحبابها ، كما هما قولان للعلماء ، وقد ذكرناهما بدلائلهما في كتاب[١] الأحكام مستقصىٰ ، ولله الحمد والمنة .

وقال شعبة : عن عمرو بن مرة ، عن عبد اللّٰه بن سلمة[٢] ، عن علي أنه قال في هذه الآية **﴿ وأتموا الحج والعمرة ﴾** قال : [أن تحرم][٣] من دويرة أهلك .

وكذا قال ابن عباس وسعيد بن جبير وطاوس .

وعن سفيان الثوري أنه قال [في هذه الآية : إتمامهما][٤] أن تحرم من أهلك لا تريد إلا الحج والعمرة ، وتهل من الميقات ليس أن تخرج لتجارة ولا لحاجة ، حتىٰ إذا كنت قريبًا من مكة قلت : لو حججت أو اعتمرت ، وذلك يجزئ ، ولكن التمام أن تخرج له ولا تخرج لغيره .

وقال مكحول : إتمامهما إنشاؤهما جميعًا من الميقات .

و قال عبد الرزاق(١٠٩١) : أخبرنا معمر ، عن الزهري ؛ قال : بلغنا أن عمر قال في قول اللّٰه : **﴿ وأتموا الحج والعمرة لله ﴾** : من تمامهما[٥] أن تفرد [كل واحد][٦] منهما من الآخر ، وأن تعتمر[٧] في غير أشهر الحج ، إن اللّٰه تعالىٰ يقول : **﴿ الحج أشهر معلومات ﴾**

وقال هشيم ، عن ابن عون ، قال[٨] : سمعت القاسم بن محمد يقول : إن العمرة في أشهر الحج ليست بتامّة ، فقيل له [فالعمرة في المحرّم][٩] ، قال : كانوا يرونها تامّة ، وكذا روي عن قتادة بن دعامة رحمهما اللّٰه .

وهذا القول فيه نظر ؛ لأنه قد ثبت أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم اعتمر أربع عمر كلها في ذي القعدة : [عمرة الحديبية في ذي القعدة سنة ست ، وعمرة القضاء في ذي القعدة][١٠] سنة سبع ، وعمرة الجعرانة في ذي القعدة سنة ثمان ، وعمرته التي مع حجته أحرم بهما معًا في

(١٠٩١) - رواه ابن أبي حاتم عن أحمد بن منصور الرمادي عن عبد الرزاق به برقم ١٧٥٨ - (١/٣٣٤) .

---

[١] - في ت : « كتابنا » . [٢] - في ز : « مسلمة » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في خ : « ائت الحرم » ، وفي ز : « أن الحرم » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « تمامهما » . [٥] - في ز : « تمامها » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في خ : « كلّ » . [٧] - في خ : « يعتمر » .
[٨] - سقط من : ت .
[٩] - ما بين المعكوفتين في خ : « العمرة في اليوم » ، وفي ز : « العمرة في المحرّم » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

ذي القعدة سنة عشر ، وما[١] اعتمر قط في غير ذلك بعد هجرته ، ولكن قال لأمّ هانئ[٢] . « **عمرة في رمضان تعدل حجة معي** »(١٠٩٢) . وما ذاك إلا لأنها قد عزمت على الحج معه عليه السلام فاعتاقت عن ذلك بسبب الظهر[٣] ، كما هو مبسوط في الحديث عند البخاري ، ونص سعيد بن جبير على أنه من خصائصها ، والله أعلم .

وقال السدي في قوله : ﴿ **وأتموا الحج والعمرة لله** ﴾ أي : أقيموا الحج والعمرة .

وقال علي بن أبي[٤] طلحة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وأتموا الحج والعمرة لله** ﴾ يقول من أحرم [بحج أو بعمرة][٥] فليس له أن يحل حتىٰ يتمهما ، تمام الحج يوم النحر إذا رمىٰ جمرة العقبة [وطاف بالبيت][٦] وبالصفا والمروة فقد حل .

وقال قتادة : عن زرارة ، عن ابن عباس أنه قال : الحج عرفة ، والعمرة الطواف . وكذا روىٰ الأعمش عن إبراهيم ، عن علقمة في قوله : ﴿ **وأتموا الحج والعمرة لله** ﴾ قال : هي قراءة عبد الله : (وأقيموا[٧] الحج والعمرة[٨] إلىٰ البيت) لا تجاوز بالعمرة البيت . قال إبراهيم : فذكرت

(١٠٩٢) الحديث في صحيح البخاري . كتاب جزاء الصيد ، باب : حج النساء برقم (١٨٦٣) من حديث ابن عباس - مرفوعاً - أنه قال لأم سنان الأنصارية - وليس عن أم هانئ - ... فذكره .

وقد أخرج هذا الحديث مبهماً - بدون ذكر اسم الصحابية - مالك في الحج حديث ٦٦ - (٣٤٦/١) عن أبي بكر بن عبد الرحمن .

وكذلك رواه البخاري برقم (١٨٦٢) ، ومسلم ٢٢١ - (١٢٥٦) كلاهما من حديث ابن عباس .

ورواه البخاري كما ذكرنا ، ومسلم في الحج ٢٢٢ - (١٢٥٦) وجاء عندهما أنها « أم سنان » . ورواه ابن حبان (٦ / ٥ / رقم : ٣٦٩١) . والطبراني (١١ / ١٤٨ / رقم : ١١٣٢٢) . من وجه آخر ، عن ابن عباس قال : جاءت أم سليم فقالت : حج أبو طلحة وابنه ، وتركاني . فقال : « **يا أم سليم ،** =

---

[١] - في خ : « ولا » .

[٢] - يبدو أن إيراد سم أم هانئ بنت أبي طالب في هذه القصة سبق قلم من المصنف ؛ لأن البخاري - - لم يذكر « أم هانئ » في أي طريق من طرق هذا الحديث ، والصواب أنها أم سنان الأنصارية . وانظر تخريج الحديث .

[٣] - يعني الدابة التي تحج عليها ، فإن في الحديث أن النبي ﷺ سألها عما منعها من الحج ؟ فقالت : « أبو فلان - تعني زوجها - حج على أحدهما ، والآخر يسقي أرضًا لنا » .

[٤] - سقط من . خ .

[٥] - ما بين المعكوفتين في خ : « بالحج والعمرة » ، وفي ر : « بالحج أو العمرة » .

[٦] - ما بين المعكوفتين في ح : « وزار البيت » .

[٧] - في خ . ر : وأتموا والمثبت من تفسير الطبري (٧/٤) .

[٨] - في ر : « إلى عمرة » .

ذلك لسعيد بن جبير ، فقال : كذلك قال ابن عباس .

وقال سفيان : عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة أنه قال : وأقيموا الحج والعمرة إلىٰ البيت . [وكذا روىٰ الثوري أيضًا عن إبراهيم ، عن منصور ، عن إبراهيم : أنه قرأ : (وأقيموا الحج والعمرة إلىٰ البيت)][١] .

وقرأ الشعبي : (وأتموا الحج والعمرةُ لله) برفع العمرة وقال : ليست بواجبة ، وروي عنه خلاف ذلك .

وقد وردت أحاديث كثيرة من طرق متعدّدة ، عن أنس وجماعة من الصحابة ؛ أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم جمع في إحرامه بحج وعمرة ، وثبت عنه في الصحيح أنه قال لأصحابه : « **من كان معه هدي فليهل بحج وعمرة** »(١٠٩٣)

وقال في الصحيح أيضًا : « **دخلت العمرة في الحج إلىٰ يوم القيامة** » .

وقد روىٰ الإمام أبو محمد بن أبي حاتم في سبب نزول هذه الآية حديثًا غريبًا فقال : حدثنا

= عمرة تجزيك عن حجة » . فإن صح حمل على تعدد القصة ، فقد رواه الطبراني (٢٢ / ٣٢٤ / رقم : ٨١٦). من حديث أبي طليق أن امرأته أم طليق قالت : يا نبي الله ، ما يعدل الحج ؟ قال : « **عمرة في رمضان** » . ورواه أصحاب السنن - أبو داود : في كتاب المناسك ، باب : العمرة (رقم : ١٩٨٨) . والترمذي في كتاب الحج ، باب : ماجاء في عُمرة رمضان (رقم : ٩٣٩) . والنسائي في الكبرى : كتاب الحج ، باب : فضل العمرة في رمضان (رقم : ٤٢٢٧) . وابن ماجة : كتاب المناسك ، باب : العمرة في رمضان (رقم: ٢٩٩٣) ، والحاكم (٤٨٢/١) . من حديث أم معقل وهي التي يقال لها : أم الهيثم » .
وفي الباب عن جابر أخرجه ابن ماجة في كتاب المناسك ، باب : العمرة في رمضان (رقم : ٢٩٩٥) . وسنده صحيح ، وعن يوسف بن عبد الله بن سلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من الأنصار وامرأته : « **اعتمرا في رمضان ، فإن عمرة فيه لكما كحجة** » . أخرجه النسائي في الكبرى - كتاب الحج ، باب : فضل العُمرة في رمضان (رقم : ٤٢٢٤) ، وعن أبي معقل أنه جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه ، أخرجه النسائي في الكبرى - كتاب الحج ، باب : فضل العُمرة في رمضان (رقم : ٤٢٢٨) . أيضًا ، وعن وهب بن خنبش، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **عمرة في رمضان تعدل حجة** » . أخرجه النسائي في الكبرى - كتاب الحج ، باب : فضل العمرة في رمضان (رقم : ٤٢٢٥) . وأخرجه ابن ماجة في كتاب المناسك ، باب : العُمرة في رمضان (رقم : ٢٩٩١ ، ٢٩٩٢) . من الوجه المذكور لكن سماه هرم بن خنبش ، وعن علي مثله أخرجه البزار كما في البحر الزخار - المعروف بمسند البزار : (٢ / ٢٣٨ / رقم : ٦٣٦) . ، وعن أنس مثله أخرجه ابن عبد البر (في التمهيد ٢٢ / ٦٠) . بإسناد ضعيف .

(١٠٩٣) صحيح مسلم برقم (١٢٣٦) من حديث أسماء رضي الله عنها .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من ر ، خ

علي بن الحسين ، حدثنا أبو عبد اللَّه الهروي ، حدثنا غسان الهروي ، حدثنا إبراهيم بن طهمان ، عن عطاء ، عن صفوان بن أمية أنه قال : جاء رجل إلىٰ النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، متضمخ[١] بالزعفران عليه جبة فقال : كيف تأمرني يا رسول اللَّه في عمرتي ؟ قال : فأنزل اللَّه ﴿ **وأتموا الحج والعمرة** ﴾ فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أين السائل عن العمرة ؟** » فقال : ها أنا ذا . فقال له : « **ألق عنك ثيابك ، ثم اغتسل ، واستنشق ما استطعت ، ثم ما كنت [صانعًا] في حجك فاصنعه في عمرتك** »(١٠٩٤) .

هذا حديث غريب وسياق عجيب ، والذي ورد في الصحيحين عن يعلىٰ بن أمية في قصة الرجل الذي سأل النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم وهو بالجعرانة فقال : كيف ترىٰ في رجل أحرم بالعمرة وعليه جبة وخلوق ، فسكت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ثم جاءه الوحي ، ثم رفع رأسه فقال : « **أين السائل ؟** » فقال : ها أنا ذا ، فقال : « **أما الجبة فانزعها ، وأما الطيب الذي بك فاغسله ، ثم ما كنت صانعًا في حجك فاصنعه في عمرتك** »(١٠٩٥) .

ولم يذكر فيه الغسل ، والاستنشاق ، ولا ذكر نزول هذه[٢] الآية ، وهو عن يعلىٰ بن أمية لا صفوان بن أمية ، فاللَّه أعلم .

وقوله : ﴿ **فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي** ﴾ ذكروا أن هذه الآية نزلت في سنة ست - أي عام الحديبية - حين حال المشركون بين رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم وبين الوصول إلىٰ البيت ، وأنزل اللَّه في ذلك سورة الفتح بكمالها ، وأنزل لهم رخصة أن يذبحوا ما معهم من الهدي وكان سبعين بدنة ، [وأن يحلقوا رءوسهم][٣] ، وأن يتحللوا من إحرامهم ، فعند ذلك أمرهم ، عليه السلام ، بأن يحلقوا رءوسهم ، وأن[٤] يتحللوا ، فلم يفعلوا ؛ انتظارًا للنسخ حتىٰ [خرج ، فحلق][٥] رأسه ففعل الناس ، وكان منهم من قصر رأسه ولم يحلقه ، فلذلك قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **رحم اللَّه المحلقين** » ، قالوا : والمقصرين يا رسول اللَّه ، فقال في الثالثة : « **والمقصرين** »(١٠٩٦) ، وقد كانوا اشتركوا في

(١٠٩٤) صحيح مسلم برقم (١٢١٨) من حديث جابر رضي الله عنه .

(١٠٩٥) ورواه ابن عبد البر في التمهيد (٢/ ٢٥١) من طريق محمد بن سابق ، عن إبراهيم بن طهمان ، عن أبي الزبير ، عن عطاء ، عن صفوان بن أمية به .

(١٠٩٦) رواه مسلم في صحيحه برقم (١٣٠١) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه .

---

[١] - التمضخ : التلطخ بالطيب وغيره والإكثار منه .

[٢] - سقط من : ر ، خ

[٣] - سقط من : ر ، خ .

[٤] - سقط من : ر ، خ

[٥] - ما بين المعكوفتين في ح « خرج . بحلق » . وفي ر « صرح بحلق »

هديهم ذلك كل سبعة في بدنة ، وكانوا ألفا وأربعمائة ، وكان منزلهم بالحديبية خارج الحرم ، وقيل : بل كانوا علىٰ طرف الحرم ، فالله أعلم .

ولهذا اختلف العلماء هل يختص الحصر بالعدو ، فلا يتحلل إلا من حصره عدو لا مرض ولا غيره ، علىٰ قولين : فقال ابن أبي حاتم : حدّثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقري ، حدّثنا سفيان ، عن[١] عمرو بن دينار ، عن ابن عباس ، وابن طاوس ، عن أبيه عن ابن عباس ، وابن أبي نجيح ، عن ابن عباس أنه قال : لا حصر إلا حصر العدو ، فأما من أصابه مرض ، أو وجع ، أو ضلال فليس عليه شيء ، إنما قال الله تعالىٰ : ﴿ **فإذا أمنتم** ﴾ [فليس الأمن حصرًا][٢] .

قال : وروي عن ابن عمر ، وطاوس ، والزهري ، وزيد بن أسلم نحو ذلك .

والقول الثاني : أن الحصر أعم من أن يكون بعدو أو مرض أو ضلال وهو التوهان عن الطريق ، أو نحو ذلك ، قال[٣] الإمام أحمد : حدّثنا يحيىٰ بن سعيد ، حدّثنا حجاج [ ][٤] الصواف ، عن يحيىٰ بن أبي كثير ، عن عكرمة ، عن الحجاج بن عمرو الأنصاري قال : سمعت رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يقول : « **من كسر ، أو عرج فقد حل وعليه حجة أخرىٰ** » ، قال : فذكرت ذلك لابن عباس ، وأبي هريرة فقالا : صدق .

وأخرجه أصحاب الكتب الأربعة من حديث يحيىٰ بن أبي كثير ، به(١٠٩٧) ، وفي رواية لأبي داود وابن ماجة : « من عرج ، أو كسر ، أو مرض » فذكر معناه .

ورواه ابن أبي حاتم : عن الحسن بن عرفة ، عن إسماعيل بن علية عن الحجاج بن أبي عثمان الصواف ، به ، ثم قال : وروي عن ابن مسعود ، وابن الزبير ، وعلقمة ، وسعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، ومجاهد ، والنخعي ، وعطاء ، ومقاتل بن حيان أنهم قالوا : الإحصار من عدو أو مرض أو كسر .

وقال الثوري : الإحصار من كل شيء آذاه . وثبت في الصحيحين عن عائشة : أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، دخل علىٰ ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب ، فقالت : يا رسول

(١٠٩٧) المسند (٣/٤٥٠) ، وسنن أبي داود برقم (١٨٦٢) ، وسنن الترمذي برقم (٩٤٠) ، وسنن النسائي (٥/١٩٨) ، وسنن ابن ماجة برقم (٣٠٧٨) .

---

[١] - في ز ، خ : « بن » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « فليست الأمن حصر » .

[٣] - في خ : « وقال » . [٤] - في ت : ابن .

اللَّه ؛ إني أريد الحج وأنا شاكية ، فقال : « **حجي واشترطي أن محلي حيث حبستني** »(١٠٩٨).

ورواه مسلم عن ابن عباس بمثله(١٠٩٩) ، فذهب من ذهب من العلماء إلىٰ صحة الاشتراط في الحج لهذا الحديث ، وقد علق الإمام محمد بن إدريس الشافعي القول بصحة هذا المذهب علىٰ صحة هذا الحديث ، قال البيهقي وغيره من الحفاظ : وقد[١] صح ، ولله الحمد .

وقوله : ﴿ **فما استيسر من الهدي** ﴾ ، قال الإمام مالك : عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن علي بن أبي طالب أنه كان يقول : ﴿ **فما استيسر من الهدي** ﴾ شاة ، وقال ابن عباس : الهدي من الأزواج الثمانية من الإبل ، والبقر ، والمعز ، والضأن .

وقال الثوري : عن حبيب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **فما استيسر من الهدي** ﴾ قال : شاة . وكذا قال عطاء ، ومجاهد وطاوس ، وأبو العالية ، ومحمد بن علي بن الحسين ، وعبد الرحمن بن القاسم ، والشعبي ، والنخعي ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك ، ومقاتل بن حيان ، وغيرهم مثل ذلك ، وهو مذهب الأئمة الأربعة .

وقال ابن أبي حاتم : حدّثنا أبو سعيد الأشج ، حدّثنا أبو خالد الأحمر ، عن يحيىٰ بن سعيد ، عن القاسم ، عن عائشة ، وابن عمر أنهما كان لا يريان ما استيسر من الهدي إلا من الإبل ، والبقر .

قال : وروي عن سالم ، والقاسم ، وعروة بن الزبير ، وسعيد بن جبير نحو ذلك .

(قلت) : والظاهر أن مستند هؤلاء فيما ذهبوا إليه قضية الحديبية ، فإنه[٢] لم ينقل عن أحد منهم أنه ذبح في تحلله ذلك[٣] شاة ، وإنما ذبحوا الإبل ، والبقر ، [ففي الصحيحين(١١٠٠) عن جابر قال : أمرنا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أن نشترك في الإبل ، والبقر][٤] كل سبعة منا في بقرة .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **فما استيسر من الهدي** ﴾ قال : بقدر يسارته .

(١٠٩٨) صحيح البخاري برقم (٥٠٨٩) ، وصحيح مسلم برقم (١٢٠٧) .

(١٠٩٩) صحيح مسلم برقم (١٢٠٨) .

(١١٠٠) صحيح مسلم برقم (١٣١٨) .

---

[١] - في خ : « فقد » .

[٢] - في ز : « فإنهم » .

[٣] - في ز : « ذاك » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من ز .

وقال العوفي : عن ابن عباس إن[١] كان موسرًا فمن الإبل ، وإلا فمن البقر وإلا فمن الغنم .

وقال هشام بن عروة : عن أبيه ﴿ **فما استيسر من الهدي** ﴾ قال : إنما ذلك فيما بين الرخص والغلاء .

والدليل على صحة قول الجمهور فيما ذهبوا إليه من إجزاء ذبح الشاة في الإحصار : أن الله أوجب ذبح ما استيسر من الهدي ، أي : مهما تيسر مما يسمى هديًا ، والهدي من بهيمة الأنعام وهي : الإبل ، والبقر ، والغنم ، كما قاله الحبر البحر ترجمان القرآن ، وابن عم رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت(١١٠١) : أهدى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، مرة غنمًا .

وقوله : ﴿ **ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله** ﴾ معطوف على قوله : ﴿ **وأتموا الحج والعمرة لله** ﴾ وليس معطوفًا على قوله : ﴿ **فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي** ﴾ كما زعمه ابن جرير رحمه الله تعالى ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عام الحديبية لما حصرهم كفار قريش عن الدخول إلى الحرم حلقوا وذبحوا هديهم خارج الحرم ، فأما في حال الأمن والوصول إلى الحرم فلا يجوز الحلق ﴿ **حتى يبلغ الهدي محله** ﴾ ويفرغ الناسك من أفعال الحج والعمرة إن كان قارنًا ، أو من فعل أحدهما إن كان مفردًا ، أو متمتعًا كما ثبت في الصحيحين عن حفصة أنها قالت : يا رسول الله ما شأن الناس حلوا من العمرة ولم تحل أنت من عمرتك ؟ فقال : « **إني لبدت رأسي ، وقلدت هديي فلا أحل حتى أنحر** »(١١٠٢) .

وقوله : ﴿ **فمن كان منكم مريضًا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك** ﴾ قال البخاري : حدّثنا آدم ، حدّثنا شعبة ، عن عبد الرحمن بن الأصبهاني ، سمعت عبد الله بن معقل قال : قعدت إلى كعب بن عجرة في هذا المسجد - يعني مسجد الكوفة - فسألته عن فدية من صيام فقال[٢] : حملت إلى النبي صلى الله عليه وسلم والقمل يتناثر على وجهي فقال : « **ما كنت أرى أن الجهد بلغ بك هذا ! أما تجد شاة ؟** » ، قلت : لا ، قال : « **صم ثلاثة أيام ، أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام واحلق رأسك** » ، فنزلت فيَّ خاصة وهي لكم عامة(١١٠٣) .

(١١٠١) صحيح البخاري برقم (١٧٠١) ، وصحيح مسلم برقم (١٣٢١) .

(١١٠٢) صحيح البخاري برقم (١٧٢٥) ، وصحيح مسلم برقم (١٢٢٩) .

(١١٠٣) صحيح البخاري برقم (٤٥١٧) .

[١] - في خ : « أنه » .

[٢] - في ز ، خ : « قال » .

وقال الإمام أحمد(١١٠٤) : حدثنا إسماعيل ، حدثنا أيوب ، عن مجاهد ، عن عبد الرحمن ابن أبي ليلىٰ ، عن كعب بن عجرة قال : أتىٰ علي النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم وأنا أوقد تحت قدر والقمل يتناثر علىٰ وجهي أو قال حاجبي ، فقال : « **يؤذيك هوام رأسك ؟** » ، قلت : نعم. قال : « **فاحلقه وصم ثلاثة أيام ، أو أطعم ستة مساكين ، أو انسك نسيكة** » قال أيوب : لا أدري بأيتهن بدأ .

وقال أحمد أيضًا(١١٠٥) : حدثنا هشيم ، حدثنا أبو بشر ، عن مجاهد ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ ، عن كعب بن عجرة قال : كنا مع رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم بالحديبية ، ونحن محرمون ، وقد حصره المشركون ، وكانت لي وفرة[١] فجعلت الهوام تساقط علىٰ وجهي ، فمرّ بي رسول الله صلىٰ اللّه عليه وسلم فقال : « **أيؤذيك هوام رأسك ؟**» ، فأمره أن يحلق ، قال : ونزلت هذه الآية : ﴿ **فمن كان منكم مريضًا أو به أذىٰ من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك** ﴾ .

وكذا رواه عفان[٢] عن شعبة عن أبي بشر - وهو جعفر بن إياس - به(١١٠٦) ، وعن شعبة عن الحكم عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ به ، وعن شعبة ، عن داود ، عن الشعبي ، عن كعب بن عجرة نحوه .

ورواه الإمام مالك(١١٠٧) : عن [حميد بن][٣] قيس ، عن مجاهد ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ ، عن كعب بن عجرة ، فذكر نحوه .

وقال سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة : عن أبان بن صالح ، عن الحسن البصري ، أنه سمع كعب بن عجرة يقول : فذبحت شاة ، رواه[٤] ابن مردويه ، وروى أيضًا من حديث عمر ابن قيس ، سندل[٥] - وهو ضعيف - عن عطاء ، عن ابن عباس قال : قال رسول اللّه ، صلىٰ

(١١٠٤) المسند (٢٤١/٤) حديث (١٨١٥٩) .

(١١٠٥) المسند (٢٤١/٤) حديث (١٨١٥٣) .

(١١٠٦) رواية عفان لم نجدها في المسند المطبوع ، وهي في أطراف المسند لابن حجر (٢١٩/٥) .

(١١٠٧) الموطأ (٤١٧/١) .

---

[١] - الوفرة : شعر الرأس إذا وصل إلى شحمة الأذن . النهاية (٢١٠/٥) .

[٢] - سقط من : خ ، وفي ز : « مهملة » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، وفي ز : « بياض » .

[٤] - في خ : « ورواه » .

[٥] - سقط من : خ .

الله عليه وسلم : « **النسك شاة ، والصيام ثلاثة أيام ، والطعام فرق بين ستة** »(١١٠٨) ، وكذا روي عن علي ، ومحمد ابن كعب ، وعلقمة[١] ، وإبراهيم ، ومجاهد ، وعطاء ، والسدي ، والربيع بن أنس .

وقال ابن أبي حاتم(١١٠٩) : أخبرنا يونس بن عبد الأعلىٰ ، أخبرنا عبد الله بن وهب ، أن مالك ابن أنس حدثه ، عن عبد الكريم بن مالك الجزري ، عن مجاهد ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ ، عن كعب بن عُجرة أنه كان مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فآذاه القمل في رأسه ، فأمره رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أن يحلق رأسه وقال : « **صم ثلاثة أيام ، أو أطعم ستة مساكين مُدّين مدّين لكل إنسان ، أو انسك شاة ، أيَّ ذلك فعلت أجزأ عنك** » .

وهكذا روىٰ ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **ففدية من صيام أو صدقة أو نسك** ﴾ قال : إذا كان [أو ، أو][٢] فأية أخذت أجزأ عنك .

قال ابن أبي حاتم ، ورُوي عن مجاهد ، وعكرمة ، وعطاء ، وطاوس ، والحسن ، وحميد الأعرج ، وإبراهيم النخعي ، والضحاك نحو ذلك .

(قلت) : وهو مذهب الأئمة الأربعة ، وعامّة العلماء ، أنه يخير في هذا المقام ، إن شاء صام ، وإن شاء تصدّق بفرق ، وهو ثلاثة آصع لكل مسكين نصف صاع ، وهو مدّان ، وإن شاء ذبح شاة ، وتصدّق بها علىٰ الفقراء ، أيَّ ذلك فعل أجزأه ، ولما كان لفظ القرآن في بيان الرخصة جاء بالأسهل فالأسهل ﴿ **ففدية من صيام أو صدقة أو نسك** ﴾ . ولما أمر النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، كعب بن عجرة بذلك أرشده إلىٰ الأفضل فالأفضل فقال : « **انسك شاة ، أو أطعم ستة مساكين ، أوصم ثلاثة أيام** » فكل حسن في مقامه ، ولله الحمد والمنة .

وقال ابن جرير(١١١٠) : حدثنا أبو كريب : حدثنا أبو بكر بن عياش قال : ذكر الأعمش قال : سأل إبراهيمُ سعيدَ بن جبير عن هذه الآية ﴿ **ففدية من صيام أوصدقة أو نسك** ﴾ فأجابه يقول : يحكم عليه طعام ، فإن كان عنده اشترىٰ شاة ، وإن لم يكن قوّمت الشاة دراهم ، وجُعل مكانها طعام ، فتصدّق ، وإلا صام لكل[٣] نصف صاع يومًا ، قال إبراهيم :

(١١٠٨) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥١٥/١) وعزاه لابن مردويه والواحدى.

(١١٠٩) الحديث في الموطأ (٤١٧/١) .

(١١١٠) تفسير ابن جرير (٧٤/٤) .

---

[١] - في ز ، خ : « وعكرمة » . [٢] - في ز : « أو » .

[٣] - في ز : « بكل » .

كذلك سمعت علقمة يذكر قال : لما [قام][١] قال لي سعيد بن جبير : من هذا ؟ ما أظرفه[٢] ! قال : قلت : هذا إبراهيم . فقال ما أظرفه[٣] ! كان يجالسنا ، قال : فذكرت ذلك لإبراهيم . قال : فلما قلت يجالسنا انتفض منها .

وقال ابن جرير أيضًا: حدثنا ابن أبي عمران ، حدثنا عبيد[٤] اللَّه بن معاذ ، عن أبيه ، عن أشعث ، عن الحسن في قوله : ﴿ **ففدية من صيام أو صدقة أو نسك** ﴾ قال : إذا كان بالمحرم أذىٰ من رأسه حلق ، وافتدىٰ بأي هذه الثلاثة شاء ، والصيام عشرة أيام ، والصدقة علىٰ عشرة مساكين كل مسكين مكوكين [٥]، مكوكًا من تمر ، ومكوكًا من بر ، والنسك شاة .

وقال قتادة : عن الحسن ، وعكرمة في قوله : ﴿ **ففدية من صيام أو صدقة أو نسك** ﴾ قال : إطعام عشرة مساكين .

وهذان القولان من سعيد بن جبير ، وعلقمة ، والحسن ، وعكرمة قولان غريبان فيهما نظر ؛ لأنه قد ثبتت السّنة في حديث كعب بن عجرة بصيام[٦] ثلاثة أيام لا ستة ، أو إطعام ستة مساكين ، أو نسك شاة ، وأن ذلك علىٰ التخيير كما دل عليه سياق القرآن ، وأما هذا الترتيب ، فإنما هو معروف في قتل الصيد كما هو نص القرآن ، وعليه أجمع الفقهاء هناك بخلاف هذا واللَّه أعلم .

وقال هشيم : أخبرنا ليث ، عن طاوس أنه كان يقول : ما كان من دم ، أو طعام فبمكة ، وما كان من صيام فحيث شاء ، وكذا قال مجاهد ، وعطاء ، والحسن .

وقال هشيم ، أخبرنا حجاج ، وعبد الملك وغيرهما ، عن عطاء أنه كان يقول : ما كان من دم فبمكة ؛ وما كان من طعام وصيام فحيث شاء ، وقال هشيم : أخبرنا يحيىٰ بن سعيد ، عن يعقوب بن خالد ، أخبرنا أبو أسماء مولىٰ[٧] ابن جعفر قال : حج عثمان بن عفان ، ومعه علي والحسين بن علي ، فارتحل عثمان ، قال أبو أسماء : وكنت مع ابن جعفر ، فإذا نحن برجل نائم ، وناقته عند رأسه ، قال : فقلت أيها النائم[٨] ! فاستيقظ ، فإذا الحسين بن علي ، قال فحمله ابن جعفر حتىٰ أتينا به السقيا ، قال : فأرسل إليَّ علي ومعه أسماء بنت عميس ، قال : فمرّضناه[٩] نحوًا من عشرين ليلة ، قال : قال علي للحسين ما الذي تجد ؟ قال :

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .
[٢] - في ز ، خ : « أطرفه » .
[٣] - في خ : « أطرفه » .
[٤] - في ز : « عبد » .
[٥] - المكوك : مكيال يختلف وزنه ومقداره باختلاف البلاد .
[٦] - في خ : « فصيام » .
[٧] - غير واضحة في خ .
[٨] - في ز ، خ : « النئوم » .
[٩] - في خ : « فمرضناه » .

فأومأ بيده إلىٰ رأسه ، قال : فأمر به علي فحلق رأسه ، ثم دعا ببدنة فنحرها ، فإن كانت هذه الناقة عن الحلق ففيه أنه نحرها دون مكة . وإن كانت عن التحلل[١] فواضح .

وقوله : ﴿ **فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلىٰ الحج فما استيسر من الهدي** ﴾ أي : فإذا[٢] تمكنتم من أداء المناسك ، فمن كان منكم متمتعًا بالعمرة إلىٰ الحج ، وهو يشمل من أحرم بهما ، أو أحرم بالعمرة أولًا فلما فرغ منها أحرم بالحج ، [وهذا هو التمتع][٣] الخاص ، وهو المعروف في كلام الفقهاء . والتمتع[٤] العام يشمل القسمين ، كما دلت عليه الأحاديث الصحاح ، فإن من الرواة من يقول : تمتع رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم . وآخر يقول قرن . ولا خلاف أنه ساق هديًا . وقال تعالىٰ : ﴿ **فمن تمتع بالعمرة إلىٰ الحج فما استيسر من الهدي** ﴾ . أي : فليذبح ما قدر عليه من الهدي . وأقله شاة وله أن يذبح البقر ؛ لأن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ذبح عن نسائه البقر .

وقال الأوزاعي : عن يحيىٰ بن أبي كثير ، عن أبي مسلم ، عن أبي هريرة : أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، ذبح بقرة عن نسائه ، وكن متمتعات . رواه أبو بكر بن مردويه (١١١١).

وفي هذا دليل علىٰ مشروعية[٥] التمتع كما جاء في الصحيحين عن عمران بن حصين(١١١٢) قال : نزلت آية المتعة في كتاب اللَّه وفعلناها مع رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم . ثم لم ينزل قرآن يحرمها[٦] ، ولم ينه عنها ، حتىٰ مات . قال رجل برأيه ما شاء ، قال البخاري : يقال : إنه عمر ، وهذا الذي قاله البخاري قد جاء مصرحًا به : أن عمر رضي الله عنه كان ينهىٰ الناس عن التمتع ويقول : إنْ نأخذ[٧] بكتاب اللَّه فإن اللَّه يأمر بالتمام يعني قوله : ﴿ **وأتموا الحج والعمرة** ﴾ ، وفي نفس الأمر لم يكن عمر رضي اللَّه عنه ينهىٰ عنها محرمًا لها ، إنما كان ينهىٰ عنها ليكثر[٨] قصد الناس للبيت حاجين ومعتمرين ، كما قد صرح به ، رضي اللَّه عنه .

وقوله : ﴿ **فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة** ﴾ ، يقول تعالىٰ : فمن لم يجد هديًا ، فليصم ثلاثة أيام في الحج ، أي : في أيام المناسك . قال

(١١١١) ورواه أبو داود في السنن برقم (١٧٥١) من طريق الوليد عن الأوزاعي به .
(١١١٢) صحيح البخاري برقم (٤٥١٨) ، وصحيح مسلم برقم (١٢٢٦) .

[١] - بياض في خ .
[٢] - في ز ، خ : « إذا » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في خ : « وهو غير التمتع » ، وفي ز : « وهو غير المتمتع » .
[٤] - في : « والمتمتع » .
[٥] - في ز ، خ : « شرعية » .
[٦] - في ز ، خ : « يحرمه » .
[٧] - في ز ، خ : « يأخذ » .
[٨] - في : ز ، خ . « ليكن » .

العلماء : والأولىٰ أن يصومها قبل يوم عرفة في العشر ، قاله عطاء . أو من حين يحرم ، قاله ابن عباس وغيره ؛ لقوله ﴿ في الحج ﴾ ، ومنهم من يجوز صيامها من أول شوّال ، قاله طاوس ومجاهد وغير واحد . وجوز الشعبي صيام يوم عرفة وقبله يومين ، وكذا قال مجاهد ، وسعيد بن جبير ، والسدي ، وعطاء ، وطاوس ، والحكم ، والحسن ، وحماد ، وإبراهيم ، وأبو جعفر الباقر ، والربيع ، ومقاتل بن حيان . وقال العوفي ، عن ابن عباس : إذا لم يجد هديًا فعليه صيام ثلاثة أيام في الحج قبل يوم عرفة ، فإذا[١] كان يوم عرفة الثالث ، فقد تم صومه ، وسبعة إذا رجع إلىٰ أهله .

وكذا روىٰ أبو إسحاق عن وبرة[٢] ، عن ابن عمر قال : يصوم يومًا قبل يوم[٣] التروية ، ويوم التروية ، ويوم عرفة . وكذا روي عن[٤] جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن علي أيضًا .

فلو لم يصمها أو بعضها قبل العيد فهل يجوز أن يصومها في أيام التشريق ؟ فيه قولان للعلماء ، وهما للإمام الشافعي أيضًا ، القديم منهما : أنه يجوز له صيامها لقول عائشة ، وابن عمر في صحيح البخاري : لم يرخص في أيام التشريق أن يصمن إلا لمن لا يجد الهدي(١١١٣) .

هكذا رواه مالك ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة . وعن سالم ، عن ابن عمر ، وقد روي من غير وجه عنهما(١١١٤) .

ورواه سفيان ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن علي أنه كان يقول : من فاته صيام ثلاثة أيام في الحج صامهن أيام التشريق . وبهذا يقول عبيد بن عمير[٥] الليثي ، وعكرمة ، والحسن البصري ، وعروة بن الزبير ؛ وإنما قالوا ذلك لعموم قوله : ﴿ **فصيام ثلاثة أيام في الحج** ﴾ .

والجديد من القولين : أنه لا يجوز صيامها أيام التشريق ، لما رواه مسلم (١١١٥) : عن نُبَيْشَةَ الهذلي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **أيام التشريق أيام أكل وشرب ، وذكر الله عز وجل** » .

وقوله : ﴿ **وسبعة إذا رجعتم** ﴾ فيه قولان : (أحدهما) : إذا رجعتم [إلىٰ رحالكم] في

(١١١٣) صحيح البخاري برقم (١٩٩٧) .
(١١١٤) الموطأ : (٤٢٦/١) .
(١١١٥) صحيح مسلم برقم (١١٤١) .

---

[١] - في ز : « فإن » .
[٢] - بياض في ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - زيادة من : ز ، خ .
[٥] - في خ : « عمر » .

الطريق ؛ ولهذا قال مجاهد : هي رخصة إذا شاء صامها في الطريق . وكذا قال عطاء بن أبي رباح .

والقول (الثاني) : إذا رجعتم إلىٰ أوطانكم .

قال عبد الرزاق (١١١٦) : أخبرنا الثوري ، عن يحيىٰ بن سعيد ، عن سالم ، سمعت ابن عمر قال : ﴿ **فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم** ﴾ قال : إذا رجع إلىٰ أهله .

وكذا روي عن سعيد بن جبير ، وأبي العالية ، ومجاهد ، وعطاء ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة ، والزهري ، والربيع بن أنس . وحكى علىٰ ذلك أبو جعفر بن جرير الإجماع .

وقد قال البخاري (١١١٧) : حدّثنا يحيىٰ بن بُكَير ، حدّثنا الليث ، عن عُقَيل ، عن ابن شهاب ، عن سالم بن عبد اللّٰه : أن ابن عمر قال : تمتع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة إلىٰ الحج ، وأهدىٰ فساق معه[١] الهدي من ذي الحليفة ، وبدأ رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فأهلَّ بالعمرة ، ثم أهل بالحج ، فتمتع الناس مع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، بالعمرة إلىٰ الحج ، فكان من الناس من أهدىٰ فساق الهدي ، ومنهم من لم يهد . فلما قدم النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، مكة قال للناس : « **من كان منكم أهدىٰ فإنه لا يحل لشيء حرم منه حتىٰ يقضي حجه ، ومن لم يكن منكم[٢] أهدىٰ فليطف بالبيت وبالصفا والمروة وليقصّر وليحلل ثم ليهل بالحج ، فمن لم يجد هديًا فليصم ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلىٰ أهله** » . وذكر تمام الحديث .

قال الزهري : وأخبرني عروة ، عن عائشة ، بمثل ما أخبرني سالم عن أبيه ، والحديث مخرج في الصحيحين(١١١٨) من حديث الزهري به .

وقوله : ﴿ **تلك عشرة كاملة** ﴾ قيل : تأكيد ، كما تقول العرب : رأيت بعيني ، وسمعت بأذني ، وكتبت بيدي . وقال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **ولا طائر يطير بجناحيه** ﴾ ، وقال : ﴿ **ولا تخطه بيمينك** ﴾ ، وقال : ﴿ **وواعدنا[٣] موسىٰ ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة** ﴾ .

(١١١٦) تفسير عبد الرزاق (٩٣/١) .

(١١١٧) صحيح البخاري برقم (١٦٩١) .

(١١١٨) صحيح البخاري برقم (١٦٩٢) ، وصحيح مسلم برقم (١٢٢٨) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - سقط من : « ز » .

[٣] - في ز : « وعدنا » .

وقيل[١] : [معنى ﴿ كاملة ﴾ الأمر بإكمالها وإتمامها اختاره ابن جرير][٢] ، وقيل[٣] : معنى[٤] ﴿ كاملة ﴾ أي : مجزئة[٥] عن الهدي .

قال[٦] هشيم : عن عباد بن راشد ، عن الحسن البصري في قوله : ﴿ تلك عشرة كاملة ﴾ قال : من الهدي .

وقوله : ﴿ ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام ﴾ ، قال ابن جرير : واختلف أهل التأويل فيمن عني بقوله : ﴿ لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام ﴾ بعد إجماع جميعهم على أن أهل الحرم معنيون به ، وأنه لا متعة لهم ، فقال بعضهم : عنى بذلك أهل الحرم خاصة دون غيرهم .

حدّثنا ابن بشار ، حدّثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان -هو الثوري - قال : قال ابن عباس ومجاهد : هم أهل الحرم ، وكذا روىٰ ابن المبارك عن الثوري ، وزاد الجماعة عليه .

وقال قتادة : ذكر لنا أن ابن عباس كان يقول : يا أهل مكة ؛ لا متعة لكم ، أحلت لأهل الآفاق وحرمت عليكم ، إنما يقطع أحدكم واديًا أو قال يجعل بينه وبين الحرم واديا ثم[٧] يهل بعمرة .

وقال عبد الرزاق : حدّثنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه قال : المتعة للناس لا لأهل مكة من لم يكن أهله من الحرم . وذلك[٨] قول اللَّه -عز وجل- : ﴿ ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام ﴾ ، قال : وبلغني عن ابن عباس مثل قول طاوس .

وقال آخرون : هم أهل الحرم ومن بينه وبين المواقيت كما قال عبد الرزاق(١١١٩) :

أخبرنا [معمر ، عن][٩] عطاء قال : من كان أهله دون المواقيت فهو كأهل مكة لا يتمتع .

وقال عبد اللَّه بن المبارك ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن[١٠] جابر ، عن مكحول في قوله : ﴿ ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام ﴾ قال : من كان دون الميقات .

(١١١٩) تفسير عبد الرزاق (٩٣/١) .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز ، خ : « معناه » .
[٥] - في خ : « مخبر به » .
[٦] - في ز ، خ : « قاله » .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - في خ : «وكذا » .
[٩] - ما بين المعكوفتين مكرر في خ .
[١٠] - في خ : « بن » .

وقال ابن جريج : عن عطاء ﴿ **ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام** ﴾ قال : عرفة ومرّ[١] وعُرنة[٢] وضَجْنان والرجيع .

وقال عبد الرزاق : حدثنا معمر ، سمعت الزهري ، يقول : من كان أهله على يوم أو نحوه تمتع ، وفي رواية عنه : اليوم واليومين ، واختار ابن جرير في ذلك مذهب الشافعي أنهم أهل الحرم ومن كان منه على مسافة [لا يقصر][٣] فيها الصلاة ، لأن من كان كذلك يعد حاضرًا لا مسافرًا ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **واتقوا الله** ﴾ أي : فيما أمركم و[ما نهاكم][٤] ﴿ **واعلموا أن الله شديد العقاب** ﴾ أي : لمن خالف أمره وارتكب ما عنه زجره .

ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾

اختلف أهل العربية في قوله : ﴿ **الحج أشهر معلومات** ﴾ فقال بعضهم : تقديره الحج حج أشهر معلومات ، فعلى هذا التقدير يكون الإحرام بالحج فيها أكمل من الإحرام [به][٥] فيما عداها ، وإن كان ذاك صحيحًا ، والقول بصحة الإحرام بالحج في جميع السنة مذهب مالك وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه ، وبه يقول إبراهيم النخعي والثوري والليث بن سعد ، واحْتُجَّ لهم بقوله تعالى : ﴿ **يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج** ﴾ وبأنه أحد النسكين فصحَّ الإحرام به في جميع السنة كالعمرة .

وذهب الشافعي رحمه الله إلى أنه لا يصح الإحرام بالحج إلا في أشهره ، فلو أحرم به قبلها لم ينعقد إحرامه به ، وهل ينعقد عمرة ؟ فيه قولان عنه ، والقول بأنه لا يصح الإحرام بالحج إلا في أشهره مروي عن ابن عباس وجابر ، وبه يقول عطاء وطاوس ومجاهد ، رحمهم الله ، والدليل عليه قوله تعالى : ﴿ **الحج أشهر معلومات** ﴾ [وظاهره التقدير الآخر الذي ذهب إليه النحاة ، وهو أن وقت الحج أشهر معلومات][٦] ، فخصصه بها من بين سائر شهور السنة ، فدل على أنه لا يصح قبلها كميقات الصلاة .

---

[١] - في ت : « ومزدلفة » .
[٢] - سقط من ت .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « لا تقصر » .
[٤] - في ز : « وما نهاكم » .
[٥] - ما بين المعكوفتين زيادة من ز .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وقال الشافعي رحمه اللّه : أخبرنا مسلم بن خالد ، عن ابن جريج ، أخبرني عمرو بن عطاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ أنه قال : لا ينبغي لأحد أن يحرم بالحج إلا في شهور الحج من أجل قول اللّه تعالىٰ : ﴿ **الحج أشهر معلومات** ﴾ .

وكذا رواه ابن أبي حاتم ، عن أحمد بن يحيىٰ بن مالك السوسي[١] ، عن حجاج بن محمد الأعور ، عن ابن جريج به ، ورواه ابن مردويه في تفسيره من طريقين ، عن حجاج بن أرطاة ، عن الحكم بن عتيبة[٢] ، عن مقسم ، عن ابن عباس ؛ أنه قال : من السنة أن[٣] لا يحرم بالحج إلا في أشهر الحج .

وقال ابن خزيمة في صحيحه (١١٢٠) : حدّثنا أبو كريب ، حدّثنا[٤] أبو خالد الأحمر ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس ؛ قال : لا يحرم بالحج إلا في أشهر الحج ، [فإن من سنة الحج أن يحرم بالحج في أشهر الحج][٥] ، وهذا إسناد صحيح ، وقول الصحابي من السنة كذا في حكم المرفوع عند الأكثرين ، ولاسيما قول ابن عباس تفسيرًا للقرآن وهو ترجمانه .

وقد ورد فيه حديث مرفوع ، قال ابن مردويه : حدثنا عبد الباقي بن قانع[٦] ، حدّثنا الحسن ابن المثنىٰ ، حدثنا أبو حذيفة ، حدثنا سفيان عن أبي الزبير عن جابر ، عن النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم ؛ أنه قال : « **لا ينبغي لأحد أن يحرم بالحج إلا في أشهر الحج** » .

وإسناده لا بأس به ، ولكن[٧] رواه الشافعي والبيهقي (١١٢١) : من طرق ، عن ابن جريج ، عن أبي الزبير ؛ أنه سمع جابر بن عبد اللّه يسأل : أيهل بالحج قبل أشهر الحج ؟ فقال : لا .

وهذا الموقوف أصح وأثبت من المرفوع ، ويبقىٰ حينئذٍ مذهب صحابي يتقوىٰ بقول ابن عباس : من السنة أن لا يحرم بالحج إلا في أشهره ، واللّه أعلم .

وقوله : ﴿ **أشهر معلومات** ﴾ ، قال البخاري (١١٢٢) : قال ابن عمر : هي شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة ، وهذا الذي علقه البخاري عنه[٨] بصيغة الجزم رواه ابن جرير (١١٢٣)

(١١٢٠) صحيح ابن خزيمة برقم (٢٥٩٦) .
(١١٢١) الأم للشافعي (١٣٦/٢) ، والسنن الكبرى للبيهقي (٣٤٣/٤) .
(١١٢٢) صحيح البخاري (٤١٩/٣) « فتح » .

[١] - في ز ، خ : « السرسي » .
[٢] - في خ : « عيينة » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - في خ : « حدثنا نافع » .
[٧] - وفي ز : « لكن » .
[٨] - سقط من : ت .

موصولا[١] : حدّثنا[٢] أحمد بن حازم بن أبي غرزة[٣] ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا ورقاء ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ﴿ **الحج أشهر معلومات** ﴾ قال : شوال وذو القعدة وعشر من[٤] ذي الحجة .

إسناده[٥] صحيح ، وقد رواه الحاكم أيضًا في مستدركه(١١٢٤) ؛ عن الأصم ، عن الحسن بن علي بن عفان ، عن عبد الله بن نمير ، عن عبيد[٦] الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، فذكره وقال : هو[٧] علىٰ شرط الشيخين .

(قلت) : وهو مروي عن عمر ، وعلي ، وابن مسعود ، وعبد الله بن الزبير ، وابن عباس ، وعطاء ، وطاوس ، ومجاهد ، وإبراهيم النخعي ، والشعبي ، والحسن ، وابن سيرين ، ومكحول ، وقتادة ، والضحاك بن مزاحم ، والربيع بن أنس ، ومقاتل بن حيان . وهو مذهب الشافعي ، وأبي حنيفة ، وأحمد بن حنبل ، وأبي يوسف ، وأبي ثور ، رحمهم الله . واختار هذا القول ابن جرير ، قال : وصح إطلاق الجمع علىٰ شهرين وبعض الثالث للتغليب ، كما تقول العرب : رأيته[٨] العام ، ورأيته اليوم ، وإنما وقع ذلك في بعض العام واليوم [قال الله تعالى][٩] : ﴿ **فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه** ﴾ وإنما تعجل في يوم ونصف يوم[١٠] .

وقال الإمام مالك بن أنس [والشافعي في القديم][١١] : هي شوّال وذو القعدة وذو الحجة بكماله ، وهو رواية عن ابن عمر أيضًا ، قال ابن جرير :

حدثنا أحمد بن إسحاق ، حدثنا أبو أحمد ، حدثنا شريك ، عن إبراهيم بن[١٢] مهاجر ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ؛ قال : شوال وذو القعدة وذو الحجة .

وقال ابن أبي حاتم في تفسيره(١١٢٥) : حدثنا يونس بن عبد الأعلىٰ ، حدثنا ابن وهب ،

(١١٢٣) تفسير ابن جرير (١١٦/٤) .

(١١٢٤) المستدرك (٢٧٦/٢) .

(١١٢٥) ورواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (١٦٩٣) « مجمع البحرين » من طريق محمد بن ثواب عن حصين بن مخارق به .

---

[١] – سقط من : ز ، خ .
[٢] – في خ : « حدثني » .
[٣] – في ت : « زغرة » .
[٤] – سقط من : ز .
[٥] – في ز : « إسناد » .
[٦] – في خ : « عبد » .
[٧] – سقط من : ز ، خ .
[٨] – في ز ، خ : « زرته » .
[٩] – ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[١٠] – سقط من : ز ، خ .
[١١] – ما بين المعكوفتين في ز ، خ : مكانه بياض .
[١٢] – في ز ، خ : « عن » .

أخبرني ابن جريج ؛ قال : قلت لنافع : أسمعت عبد اللّٰه بن عمر يسمي شهور الحج ؟ قال : نعم ، كان عبد اللّٰه يسمي [شوّالًا وذا القعدة وذا الحجة][١] ، قال ابن جريج : وقال ذلك ابن شهاب وعطاء وجابر بن عبد اللّٰه صاحب النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وهذا إسناد صحيح إلىٰ ابن جريج ، وقد حكي هذا أيضًا عن طاوس ومجاهد ، وعروة بن الزبير ، والربيع بن أنس وقتادة ، وجاء فيه حديث مرفوع لكنه موضوع ، رواه الحافظ ابن مردويه ، من طريق حصين بن مخارق - وهو متهم بالوضع - عن يونس بن عبيد ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي أمامة قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « الحج أشهر معلومات شوّال وذو القعدة وذو الحجة » .

وهذا كما رأيت لا يصح رفعه ، واللّٰه أعلم .

وفائدة مذهب مالك أنه إلىٰ آخر ذي الحجة بمعنىٰ أنه مختص بالحج ، فيكره الاعتمار في بقية ذي الحجة ، لا أنه يصح الحج بعد ليلة النحر .

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن قيس ابن مسلم ، عن طارق بن شهاب ؛ قال : قال عبد اللّٰه : الحج أشهر معلومات ، ليس فيها عمرة . وهذا إسناد صحيح .

قال ابن جرير : وإنما أراد من ذهب إلىٰ أن أشهر الحج شوال وذو القعدة وذو الحجة ، أن هذه الأشهر ليست أشهر العمرة ، إنما هي للحج ، وإن كان عمل الحج قد انقضىٰ بانقضاء أيام منىٰ ، كما قال محمد بن سيرين : ما أحد من أهل العلم يشك في أن عمرة في غير أشهر الحج أفضل من عمرة في أشهر الحج .

وقال ابن عون : سألت القاسم بن محمد ، عن العمرة في أشهر الحج .. فقال : كانوا لا يرونها تامّة .

(قلت) : وقد ثبت عن عمر وعثمان رضي اللّٰه عنهما أنهما كانا يحبان الاعتمار في غير أشهر الحج ، وينهيان عن ذلك في أشهر الحج ، واللّٰه أعلم .

وقوله : ﴿ **فمن فرض فيهن الحج** ﴾ أي : أوجب بإحرامه حجًا - فيه دلالة علىٰ لزوم الإحرام بالحج والمضي فيه . قال ابن جرير : أجمعوا علىٰ أن المراد من الفرض هاهنا الإيجاب والإلزام[٢] .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ﴿ **فمن فرض فيهن الحج** ﴾ يقول : من أحرم بحج

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « شوّال وذو القعدة وذو الحجة » .

[٢] - في ز : « الالتزام » .

أو عمرة ، وقال عطاء : الفرض : الإِحرام ، وكذا قال إبراهيم والضحاك وغيرهم .

وقال ابن جريج : أخبرني[١] عمر بن عطاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ أنه قال : ﴿ **فمن فرض فيهن الحج** ﴾ فلا ينبغي أن يلبي بالحج ثم يقيم بأرض .

قال ابن أبي حاتم : وروي عن ابن مسعود وابن عباس ، وابن الزبير ومجاهد ، وعطاء وإبراهيم النخعي ، وعكرمة والضحاك ، وقتادة وسفيان الثوري ، والزهري ومقاتل بن حيان نحو ذلك .

وقال طاوس والقاسم بن محمد : هو التلبية .

وقوله : ﴿ **فلا رفث** ﴾ أي : من أحرم بالحج أو العمرة ، فليجتنب الرفث ، وهو الجماع ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **أحِلَّ لكم ليلة الصيام الرفث إلىٰ نسائكم** ﴾ وكذلك يحرم تعاطي دواعيه من المباشرة والتقبيل ونحو ذلك ، وكذلك التكلم به بحضرة النساء .

قال ابن جرير : حدثني يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني يونس أن نافعًا أخبره أن عبد اللَّه بن عمر كان يقول : الرفث إتيان النساء والتكلم بذلك للرجال[٢] والنساء إذا ذكروا ذلك بأفواههم .

قال ابن وهب : وأخبرني أبو صخر ، عن محمد بن كعب مثله .

قال ابن جرير (١١٢٦) : وحدثنا محمد بن بشار ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن رجل ، عن أبي العالية الرياحي ، عن ابن عباس ؛ أنه كان يحدو وهو محرم وهو يقول :

وَهُنَّ يَمْشِينَ بنا هَمِيسا إنْ يَصْدُقِ الطَّيْرُ نَنَكْ لَمِيسَا

قال أبو العالية : فقلت تكلم بالرفث وأنت محرم ؟ قال : إنما الرفث ما قيل عند النساء .

ورواه الأعمش ، عن زياد بن حصين ، عن أبي العالية ، عن ابن عباس فذكره .

وقال ابن جرير أيضًا (١١٢٧) : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا ابن أبي عدي ، عن عوف ، حدثني زياد بن حصين ، حدثني أبي حصين بن قيس ؛ قال : أصعدت مع ابن عباس في الحاجّ[٣] وكنت خليلًا له ، فلما كان بعد إحرامنا قال ابن عباس : فأخذ بذنب بعيره فجعل يلويه [وهو يرتجز][٤] ويقول :

(١١٢٦) تفسير ابن جرير (٤/١٢٦) .

(١١٢٧) تفسير ابن جرير (٤/١٢٦) .

[١] - في خ : « حدثني جبير بن » ، وفي ز : « ثنا بن حر » .

[٢] - في ز : « الرجال » .

[٣] - في خ : « الحج » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في خ : « ويرتجز » .

وهن يمشين بنا هميسا إن تصدق[١] الطير ننك لميسا

قال : فقلت أترفث وأنت محرم ؟ فقال إنما الرفث ما قيل عند النساء .

وقال عبد الله بن طاوس ، عن أبيه ، سألت ابن عباس عن قول الله عز وجل : ﴿ فلا رفث ولا فسوق ﴾ قال : الرفث التعريض بذكر الجماع ، وهي العَرَابة في كلام العرب ، وهو أدنىٰ الرفث .

وقال عطاء بن أبي رباح : الرفث الجماع وما دونه من قول الفحش ، وكذا قال عمرو بن دينار ، وقال عطاء : كانوا يكرهون العَرَابة وهو التعريض [بذكر الجماع][٢] وهو محرم .

وقال طاوس : هو أن يقول[٣] للمرأة : إذا حللت أصبتك ، وكذا قال أبو العالية .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : الرفث غشيان النساء والقبلة[٤] والغمز ، وأن يعرض لها بالفحش من الكلام ونحو ذلك .

وقال ابن عباس أيضًا وابن عمر : الرفث غشيان النساء ، وكذا قال سعيد بن جبير ، وعكرمة ومجاهد ، وإبراهيم وأبو العالية ، و عطاء ومكحول [وعطاء الخراسانى][٥] وعطاء بن يسار ، وعطية وإبراهيم النخعي ، والربيع والزهري ، والسدي ومالك بن أنس ومقاتل بن حيان وعبد الكريم بن مالك ، والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم .

وقوله : ﴿ ولا فسوق ﴾ ، قال مقسم وغير واحد عن ابن عباس : هي المعاصي ، وكذا قال عطاء ومجاهد ، وطاوس وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، ومحمد بن كعب ، والحسن وقتادة ، وإبراهيم النخعي والزهري ومكحول والربيع بن أنس ، وعطاء بن يسار ، وعطاء الخراساني ، ومقاتل بن حيان .

وقال محمد بن إسحاق : عن نافع ، عن ابن عمر ؛ قال : الفسوق [ما أصيب من معاصي الله صيدًا][٦] أو غيره ، وكذا روىٰ ابن وهب : عن يونس ، عن نافع ؛ أن عبد الله بن عمر كان يقول : الفسوق إتيان معاصي الله في الحرم .

وقال آخرون : الفسوق هاهنا السباب قاله ابن عباس وابن عمر ، وابن الزبير ومجاهد ،

[١] - في ز ، خ : « يصدق » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٣] - في ز ، خ : « تقول » .
[٤] - في ز : « القبل » .
[٥] - ما بين المعكوفتين مكانه في ز ، خ بياض ، وبعده : « ابن أبان » .
[٦] - كذا في ز ، خ ، وفي ت : [ما أصيب من معاصي الله به صيدًا] وكلتا العبارتين يغلفهما الغموض واللبس .

والسدي وإبراهيم النخعي[١] والحسن ، وقد يتمسك لهؤلاءِ بما ثبت في الصحيح (١١٢٨) : « **سباب المسلم فسوق وقتاله[٢] كفر** » .

[ولهذا رواه هاهنا الحبر أبو محمد بن أبي حاتم من حديث سفيان الثوري عن زبيد عن أبي وائل عن عبد اللَّه عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **سباب المسلم فسوق وقتاله كفر** » ، وروي من حديث عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن مسعود عن أبيه(١١٢٩) ، ومن حديث أبي إسحاق عن محمد بن سعد عن أبيه(١١٣٠)][٣] .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : الفسوق هاهنا الذبح للأصنام ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **أو فسقًا أهل لغير اللَّه به** ﴾ ، وقال الضحّاك : الفسوق التنابز بالألقاب .

والذين قالوا : الفسوق هاهنا هو[٤] جميع المعاصي [معهم الصواب] ، كما نهىٰ تعالىٰ عن الظلم في الأشهر الحرم ، وإن كان في جميع السنة منهيًّا عنه ، إلا أنه في الأشهر الحرم آكد - ولهذا قال : ﴿ **منها أربعة حرم ذلك الدين القيّم فلا تظلموا فيهنّ أنفسكم** ﴾ - وقال في الحرم : ﴿ **ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم** ﴾ .

واختار ابن جرير أن الفسوق هاهنا هو ارتكاب ما نهي عنه في الإحرام من قتل الصيد ، وحلق الشعر ، وقلم الأظفار ، ونحو ذلك كما تقدم عن ابن عمر ، وما ذكرناه أولىٰ[٥] ، واللَّه أعلم . وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي حازم عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **من حج هذا البيت فلم يرفث ، ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّه** »(١١٣١) .

وقوله : ﴿ **ولا جدال في الحج** ﴾ فيه قولان :

أحدهما : ولا مجادلة في وقت الحج ، وفي مناسكه ، وقد بينّه اللَّه أتم بيان ، ووضحه أكمل إيضاح ، كما قال وكيع : عن العلاء بن عبد الكريم : سمعت مجاهدًا يقول : ﴿ **ولا جدال في**

(١١٢٨) ورواه البخاري في صحيحه برقم (٦٠٤٤) ، ومسلم في صحيحه برقم (٦٣) من طريق منصور بن المعتمر عن أبي وائل به .

(١١٢٩) رواه الترمذي في السنن برقم (٢٦٣٤) ، والنسائي في السنن (١٢٢/٧) .

(١١٣٠) رواه ابن ماجة في السنن برقم (٣٩٤١) .

(١١٣١) صحيح البخاري برقم (١٥٢١) ، وصحيح مسلم برقم (١٣٥٠) .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « وقتله » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز ، خ : « هى » .

[٥] - في ز : « أدنى » .

الحج ﴾ قد بين اللّه أشهر الحج فليس فيه جدال بين الناس .

وقال ابن أبي نجيح : عن مجاهد ﴿ **ولا جدال في الحج** ﴾ [قال : لا شهر ينسأ ولا جدال في الحج][١] قد تبين ، ثم ذكر كيفية ما كان المشركون يصنعون في النسيء الذي ذمّهم اللّه به .

وقال الثوري : عن عبد العزيز بن رفيع[٢] ، عن مجاهد في قوله : ﴿ **ولا جدال في الحج** ﴾ قال : قد استقام الحج فلا جدال فيه ، وكذا قال السدي .

وقال هشيم : أخبرنا حجاج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ﴿ **ولا جدال في الحج** ﴾ قال : المراء في الحج ، وقال عبد اللّه بن وهب : قال مالك : قال اللّه تعالىٰ : ﴿ **ولا جدال في الحج** ﴾ فالجدال في الحج واللّه أعلم أن قريشًا كانت تقف عند المشعر الحرام بالمزدلفة ، وكانت العرب وغيرهم يقفون بعرفة ، وكانوا يتجادلون ، يقول هؤلاءِ : نحن أصوب ، ويقول هؤلاءِ : نحن أصوب ، فهذا فيما نرىٰ واللّه أعلم .

وقال ابن وهب : عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم كانوا يقفون مواقف مختلفة يتجادلون ، كلهم يدعي أن موقفه موقف إبراهيم ، [فقطعه اللّه حين][٣] أعلم نبيه بالمناسك .

وقال ابن وهب : عن أبي صخر ، عن محمد بن كعب قال : كانت قريش إذا اجتمعت بمنىٰ قال هؤلاء : حجنا أتم من حجكم ، وقال هؤلاء : حجنا أتم من حجكم .

وقال حماد بن سلمة[٤] : عن جبر[٥] بن حبيب عن القاسم بن محمد أنه قال : الجدال في الحج أن يقول بعضهم الحج غدًا ، ويقول بعضهم : الحج[٦] اليوم .

وقد اختار ابن جرير مضمون هذه الأقوال ، وهو قطع التنازع في مناسك الحج [والله أعلم][٧] .

(والقول الثاني) : أن المراد بالجدال هاهنا المخاصمة .

قال ابن جرير : حدّثنا عبد الحميد بن بيان ، حدّثنا إسحاق ، عن شريك ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد اللّه بن[٨] مسعود في قوله : ﴿ **ولا جدال في الحج** ﴾ قال : أن تماري صاحبك حتىٰ تغضبه .

---

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] – في ز ، خ : « ربيع » .
[٣] – ما بين المعكوفتين في ز : « بقطعه أنه من » .
[٤] – في ز : « مسلمة » .
[٥] – في ز : « حـر » .
[٦] – سقط من : ز ، خ .
[٧] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٨] – في ز ، خ : « هو ابن » .

وبهذا الإسناد إلىٰ أبي إسحاق عن التميمي : سألت ابن عباس عن الجدال قال : المراء تماري صاحبك حتىٰ تغضبه . وكذا[١] روىٰ مقسم ، والضحاك عن ابن عباس ، وكذا قال أبو العالية ، وعطاء ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، وجابر بن زيد ، وعطاء الخراساني ، ومكحول ، والسدي ، ومقاتل بن حيان وعمرو بن دينار والضحاك والربيع بن أنس وإبراهيم النخعي وعطاء بن يسار والحسن وقتادة والزهري .

وقال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس ﴿ **ولا جدال في الحج** ﴾ [قال : الجدال][٢] المراء والملاحاة حتىٰ تُغْضب[٣] أخاك وصاحبك ، فنهىٰ اللَّه عن ذلك .

وقال إبراهيم النخعي ﴿ **ولا جدال في الحج** ﴾ قال : كانوا يكرهون الجدال ، وقال محمد ابن إسحاق : عن نافع ، عن ابن عمر قال : الجدال [في الحج][٤] : السباب والمنازعة ، وكذا روىٰ ابن وهب ، عن يونس ، عن نافع : أن ابن عمر كان يقول : الجدال في الحج : السباب والمراء والخصومات ، وقال ابن أبي حاتم : وروي عن ابن[٥] الزبير ، والحسن ، وإبراهيم ، وطاوس ، ومحمد بن كعب قالوا : الجدال المراء .

وقال عبد اللَّه بن المبارك : عن يحيىٰ بن بشير ، عن عكرمة ﴿ **ولا جدال في الحج** ﴾ والجدال : الغضب ، أن تُغْضب[٦] عليك مسلمًا ، إلا أن تستعتب[٧] مملوكًا ، فتغضبه من غير أن تضربه فلا بأس عليك إن شاء اللَّه .

(قلت) : ولو ضربه لكان جائزًا سائغًا ، والدليل علىٰ ذلك ما رواه الإمام أحمد(١١٣٢) :

حدثنا عبد اللَّه بن إدريس ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن يحيىٰ بن عباد بن عبد اللَّه بن الزبير ، عن أبيه ، أنَّ أسماء بنت أبي بكر قالت : خرجنا مع رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم حجاجًا ، حتىٰ إذا كنا بالعرج نزل رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم فجلست عائشة إلىٰ جنب رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وجلست إلىٰ جنب أبي ، وكانت زمالة[٨] أبي بكر ، وزمالة رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم واحدة مع غلام أبي بكر ، فجلس أبو[٩] بكر ينتظره إلىٰ أن

(١١٣٢) المسند (٦/٣٤٤) (٢٧٠٢٨) ، وأخرجه أبو داود في كتاب المناسك ، باب : المحرم يؤدب غلامه =

---

[١] - في ز : « وكذلك » .
[٢] - ما بين المعكوفتين زيادة من ز .
[٣] - في ز ، خ : « يغضب » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في خ : « يغضب » .
[٧] - في ز : « تستغيب » .
[٨] - أي مركوبهما وأداتُهما وما كان معهما في السفر . النهاية (٢/٣١٣) .
[٩] - في خ : « أبي » .

يطلع عليه ، فأطلع وليس معه بعيره فقال : أين بعيرك ؟ فقال : أضللته البارحة ، فقال أبو بكر : بعير واحد تضله ؟ فطفق يضربه ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يتبسم ويقول : « **انظروا إلىٰ هذا المحرم ما يصنع !** » .

وهكذا أخرجه أبو داود ، وابن ماجة من حديث ابن إسحاق ، ومن هذا الحديث حكىٰ بعضهم عن بعض السلف أنه قال : من تمام الحج ضرب الجمال ، ولكن يستفاد من قول النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، عن أبي بكر رضي الله عنه : « **انظروا إلىٰ هذا المحرم ما يصنع !** » كهيئة الإنكار اللطيف أن الأولىٰ ترك ذلك والله أعلم .

وقد قال الإمام عبد بن حميد في مسنده(١١٣٣) : حدّثنا عبيد الله بن موسىٰ عن موسىٰ بن عبيدة ، عن أخيه عبد الله بن عبيدة ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **من قضىٰ نسكه ، وسلم المسلمون من لسانه ويده غفر له ما تقدم من ذنبه** » .

وقوله : ﴿ **وما تفعلوا من خير يعلمه الله** ﴾ لما نهاهم عن إتيان القبيح قولًا وفعلًا[١] ، حثهم علىٰ فعل الجميل ، وأخبرهم أنه عالم به ، وسيجزيهم عليه أوفر الجزاء يوم القيامة .

وقوله : ﴿ **وتزودوا فإن خير الزاد التقوىٰ** ﴾ ، قال العوفي : عن ابن عباس : كان أناس يخرجون من أهليهم ليست معهم أزودة يقولون نحج بيت الله ولا يطعمنا ؟ فقال الله : تزودوا ما يكف وجوهكم عن الناس .

وقال ابن أبي حاتم: حدّثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقري[٢] ، حدّثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة قال : إن ناسًا كانوا يحجون بغير زاد فأنزل الله : ﴿ **وتزودوا فإن خير الزاد التقوىٰ** ﴾ .

وكذا رواه ابن جرير : عن عمرو - وهو الفلاس[٣] - عن ابن عيينة [به][٤] .

قال ابن أبي حاتم : وقد روىٰ هذا الحديث ورقاء ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : وما يرويه ابن عيينة أصح .

= (١٦٩/٢/رقم : ١٨١٨) . وابن ماجة في كتاب المناسك ، باب : التوقي في الإحرام . (٩٧٨/٢/رقم/ ٢٩٣٣) . كلاهما من طريق عبد الله بن إدريس به .

(١١٣٣) المنتخب لعبد بن حميد برقم (١١٤٨) وموسى بن عبيدة ضعيف .

---

[١] - زيادة من : خ ، وفي ز : « وفعالًا » .
[٢] - في ز ، خ : « المصري » .
[٣] - في ز : « العالاس » .
[٤] - ما بين المعكوفتين زيادة من ز .

(قلت) : قد رواه النسائي (١١٣٤) : عن سعيد بن عبد الرحمن المخزومي ، عن سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : كان ناس يحجون بغير زاد فأنزل اللَّه : ﴿ **وتزودوا فإن خير الزاد التقوىٰ** ﴾ .

وأمّا حديث ورقاء فأخرجه [البخاري عن[١] يحيىٰ بن بشر[٢] ، عن[٣] شبابة ، وأخرجه][٤] أبو داود : عن أبي[٥] مسعود أحمد بن الفرات الرازي ، ومحمد بن عبد اللَّه المخرّمي[٦] ، عن شبابة ، عن ورقاء ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ، ويقولون : نحن المتوكلون ؛ فأنزل اللَّه ﴿ **وتزودوا فإن خير الزاد التقوىٰ** ﴾ (١١٣٥) .

ورواه عبد بن حميد في تفسيره عن شبابة ، ورواه ابن حبان في صحيحه من حديث شبابة به .

وروىٰ ابن جرير(١١٣٦) ، وابن مردويه : من حديث عمرو بن عبد الغفار ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : كانوا إذا أحرموا ومعهم أزوادهم رموا بها واستأنفوا زادًا آخر فأنزل اللَّه تعالىٰ : ﴿ **وتزودوا فإن خير الزاد التقوىٰ** ﴾ ، فنهوا عن ذلك ، وأمروا أن يتزودوا الدقيق ، والسويق ، والكعك ، وكذا قال ابن الزبير ، وأبو العالية ، ومجاهد ، وعكرمة ، والشعبي ، والنخعي ، وسالم بن عبد اللَّه ، وعطاء الخراساني ، وقتادة ، والربيع بن أنس ، ومقاتل بن حيان .

وقال سعيد بن جبير : فتزودوا[٧] الدقيق والسويق والكعك .

وقال وكيع [بن الجراح][٨] في تفسيره حدّثنا سفيان ، عن محمد بن سوقة ، عن سعيد بن جبير ﴿ **وتزودوا** ﴾ قال : الخشكنانج والسويق ، وقال وكيع أيضًا : حدّثنا إبراهيم المكي ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عمر قال : إن من كرم الرجل طيب زاده في السفر ، وزاد فيه حماد بن سلمة : عن أبي ريحانة أن ابن عمر كان يشترط علىٰ من صحبه الجودة[٩] .

(١١٣٤) سنن النسائي الكبرى برقم (١١٠٣٣) .
(١١٣٥) صحيح البخاري برقم (١٥٢٣) ، وسنن أبي داود برقم (١٧٣٠) .
(١١٣٦) تفسير ابن جرير (٤/١٥٦) .

---

[١] - في ز : « ثنا » .
[٢] - في ز : « بشير » .
[٣] - في ز : « ثنا » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - في خ : « ابن » .
[٦] - في خ : « المخزومي » .
[٧] - في خ : « يتزودوا » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٩] - في ز : « الجوذة » .

وقوله : ﴿ **فإن خير الزاد التقوىٰ** ﴾ لما أمرهم بالزاد للسفر في الدنيا ، أرشدهم إلىٰ زاد الآخرة وهو استصحاب التقوىٰ إليها ، كما قال : ﴿ **وريشًا ولباس التقوىٰ ذلك خير** ﴾ ، لما ذكر اللباس الحسي ، نبه مرشدًا إلىٰ اللباس المعنوي ، وهو الخشوع ، والطاعة ، والتقوىٰ ، وذكر أنه خير من هذا وأنفع .

قال عطاء الخراساني في قوله : ﴿ **فإن خير الزاد التقوىٰ** ﴾ : يعني زاد الآخرة .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني(١١٣٧) : حدّثنا عبدان ، حدّثنا هشام بن عمار ، حدّثنا مروان ابن معاوية ، عن إسماعيل ، عن قيس عن[١] جرير بن عبد اللّٰه ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **من يتزود في الدنيا ينفعه في الآخرة** » .

وقال مقاتل بن حيان : لما نزلت هذه الآية ﴿ **وتزودوا** ﴾ قام رجل من فقراء المسلمين فقال[٢] : يا رسول اللّٰه ما نجد زادًا نتزوده ، فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **تزودْ ما تكفّ به وجهك عن الناس وخير ما تزودتم التقوىٰ** » ، رواه ابن أبي حاتم .

وقوله : ﴿ **واتقون يا أولي الألباب** ﴾ ، يقول : واتقوا عقابي ونكالي وعذابي ، لمن خالفني ولم يأتمر بأمري ، يا ذوي العقول والأفهام .

(١١٣٧) المعجم الكبير (٢/٣٠٥) ، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٣١١) : « رجاله رجال الصحيح » .

[١] - في ت : « بن » . [٢] - سقط من : ز .

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (١٩٨)﴾

قال البخاري(١١٣٨) : حدثنا محمد ، أخبرني ابن عيينة ، عن عمرو[١] ، عن ابن عباس قال : كانت عكاظ ، ومَجَنَّة[٢] ، وذو المجاز أسواقًا[٣] في الجاهلية ، فتأثموا[٤] أن يتَّجروا في المواسم ، فنزلت : ﴿ **ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلًا من ربكم** ﴾ في مواسم الحج .

وهكذا رواه عبد الرزاق(١١٣٩) ، وسعيد بن منصور ، وغير واحد : عن سفيان بن عيينة ، به[٥] .

ولبعضهم : فلما جاء الإسلام تأثموا أن يتجروا ، فسألوا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عن ذلك ، فأنزل الله هذه الآية ، وكذا[٦] رواه ابن جريج : عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس قال : كان متَّجر الناس في الجاهلية عكاظ ، و مجنة وذو المجاز ، فلما كان الإسلام كأنهم كرهوا ذلك حتى نزلت هذه الآية .

وروى أبو داود وغيره(١١٤٠) : من حديث يزيد بن أبي زياد ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : كانوا يتقون البيوع والتجارة في الموسم والحج ، يقولون : أيام ذكر فأنزل الله : ﴿ **ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلًا من ربكم** ﴾ .

(١١٣٨) - رواه البخاري في التفسير ، باب : ﴿ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم ﴾ برقم (٤٥١٩) وأطرافه (١٧٧٠ ، ٢٠٥٠ ، ٢٠٩٨) .

(١١٣٩) - تفسير عبد الرزاق ، وسنن سعيد بن منصور برقم (٣٤٧) .

(١١٤٠) - رواه أبو داود في المناسك ، باب : التجارة في الحج برقم (١٧٣١) . ولفظه : عن عبد الله بن عباس قال : قرأ هذه الآية ﴿ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم ﴾ قال : كانوا لا يتجرون بمنى فأمروا بالتجارة إذا أفاضوا من عرفات وقال المنذري : في إسناده يزيد بن أبي زياد وقد تكلم فيه جماعة من الأئمة وأخرج له مسلم في المتابعة .

---

[١] - في ز ، خ : « عمر » .

[٢] - « بلا نقط » في خ .

[٣] - في ز ، خ : « أسواق » .

[٤] - في ز : « فتأتموا » .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - في ز ، خ : « وكذلك » .

وقال ابن جرير(١١٤١) : حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا هشيم ، أخبرنا حجاج ، عن عطاء ، عن ابن عباس أنه قال : (**ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلًا من ربكم في مواسم الحج**) .

وقال علي بن أبي طلحة (١١٤٢) : عن ابن عباس في هذه الآية : لا حرج عليكم في الشراء ، والبيع قبل الإحرام وبعده ، وهكذا روىٰ العوفي عن ابن عباس .

وقال وكيع(١١٤٣) : حدثنا طلحة بن عمرو الحضرمي ، عن عطاء ، عن ابن عباس : أنه كان يقرأ (**ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلًا من ربكم في مواسم الحج**).

ورواه عبد بن حميد ، عن محمد بن الفضل ، عن حماد بن زيد ، عن عبيد اللّه بن أبي يزيد ، سمعت ابن الزبير يقرأ [﴿ **ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلًا من ربكم** ﴾ في مواسم الحج][١] ، وهكذا فسرها مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، ومنصور بن المعتمر ، وقتادة ، وإبراهيم النخعي ، والربيع بن أنس ، وغيرهم .

وقال ابن جرير(١١٤٤) : حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا شبابة بن سوار ، حدثنا شعبة ، عن أبي أميمة قال : سمعت ابن عمر سئل عن الرجل يحج ومعه تجارة فقرأ ابن عمر ﴿ **ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلًا من ربكم** ﴾ .

وهذا موقوف وهو قوي جيد ، وقد روي مرفوعًا .

(١١٤١) - تفسير ابن جرير (١٦٦/٤) رقم (٣٧٧٢) .

(١١٤٢) - تفسير الطبري (١٦٢/٤) رقم (٣٧٦١) .

(١١٤٣) - تفسير الطبري (١٦٥/٤) رقم (٣٧٦٨) . وطلحة بن عمرو بن عثمان الحضرمي المكي : قال عمرو بن علي : كان يحيى وعبد الرحمن لا يحدثان عنه . وقال أحمد : لا شيء متروك الحديث . وقال ابن معين : ليس بشيء ضعيف . وقال الجوزجاني : غير مرضي في حديثه . وقال أبو حاتم : ليس بقوي لين عندهم . وقال البخاري : ليس بشيء ، كان يحيى بن معين سيئ الرأي فيه . وقال أبو داود : ضعيف . وقال النسائي : متروك الحديث . وقال أيضا : ليس بثقة . وروى له ابن عدي أحاديث وقال روى عنه قوم ثقات وعامة ما يرويه لا يتابع عليه . وقال الدارقطني : ضعيف . وذكره الفسوي في باب من يرغب عن الرواية عنه . وقال ابن حبان : كان ممن يروي عن الثقات ما ليس من أحاديثهم لا يحل كتب حديثه ولا الرواية عنه إلا على جهة التعجب (التهذيب) .

(١١٤٤) - تفسير الطبري (١٦٥/٤) رقم (٣٧٧٠) .

---

[١] - في ز ، خ : « فذكر مثله سواء » .

قال أحمد(١١٤٥) : حدثنا أسباط ، حدثنا الحسن بن عمرو الفقيمي[١] ، عن [أبي][٢] أمامة التيمي قال : قلت لابن عمر : إنا نكري فهل لنا من حج ؟ قال : أليس تطوفون[٣] بالبيت ، وتأتون المعروف[٤] ، وترمون الجمار ، وتحلقون رءوسكم ؟ قال : قلنا : بلىٰ . فقال ابن عمر : جاء رجل إلىٰ[٥] النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فسأله عن الذي سألتني فلم يجبه حتىٰ نزل عليه جبريل بهذه الآية : ﴿ **ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلًا من ربكم** ﴾ فدعاه النبي صلىٰ الله عليه وسلم فقال : « **أنتم حجاج** » .

وقال عبد الرزاق(١١٤٦) : أخبرنا الثوري ، عن العلاء بن المسيب ، عن رجل من بني تميم قال : جاء رجل إلىٰ عبد الله بن عمر فقال : يا أبا عبد الرحمن ! إنا قوم نكري ، ويزعمون أنه ليس لنا حج ، قال : ألستم تحرمون كما يحرمون ، وتطوفون كما يطوفون ، وترمون كما يرمون ، قال : بلىٰ . قال : فأنت حاج ، ثم قال ابن عمر : جاء رجل إلىٰ النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فسأله عما سألت عنه فنزلت هذه الآية : ﴿ **ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلًا من ربكم** ﴾ .

ورواه عبد [بن حميد في تفسيره][٦] : عن عبد الرزاق ، به .

وهكذا روىٰ هذا الحديث ابن حذيفة : عن الثوري مرفوعًا ، وهكذا روي من غير هذا الوجه مرفوعًا(١١٤٧) .

فقال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا عباد بن العوام[٧] ، عن العلاء بن المسيب ، عن أبي أمامة التيمي قال : قلت لابن عمر : إنا أناس نكري في هذا الوجه إلىٰ

(١١٤٥) - أسباط : ثقة ، ضُعِّف في الثوري . والحسن بن عمرو : ثقة ثبت . وأبو أمامة : قال المنذري : لا يعرف اسمه ، روىٰ عنه العلاء بن المسيب والفقيمي ، وقال أبو زرعة : لا بأس به . وفي التقريب : مقبول - أي عند المتابعة - والحديث في المسند (٢/١٥٥) (٦٤٣٤) . ورواه أبو داود في المناسك ، باب : الكري برقم (١٧٣٣). من طريق العلاء بن المسيب عن أبي أمامة به . ورواه ابن خزيمة في صحيحه برقم (٣٠٥١) من طريق مروان بن معاوية عن العلاء بن المسيب ، به . ورواه الطبري (٤/١٦٤) رقم (٣٧٦٥).

(١١٤٦) - رواه الطبري في تفسيره (٤/١٦٩) (٣٧٨٩) من طريق عبد الرزاق ، به .

(١١٤٧) - سنن سعيد بن منصور برقم (٣٥٢) .

[١] - في ز ، خ : عمر التميمي » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في خ : « تطوف » .
[٤] - في ز ، خ : « المعرف » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في خ : « الله » ، وسقط من : ز .
[٧] - في ز : « عوام » .

مكة ، وإن أناسًا[١] يزعمون : أنه لا حج لنا ، فهل ترىٰ لنا حجًا ؟ قال : ألستم تحرمون ، وتطوفون بالبيت وتقضون المناسك ؟ قال : قلت : بلىٰ[٢] . قال : فأنتم حجاج ، ثم قال : جاء رجل إلىٰ النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فسأله عن الذي سألت فلم يدر ما يعود عليه[٣] ، أو قال : فلم يرد عليه شيئًا حتىٰ نزلت : ﴿ **ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلًا من ربكم** ﴾ ، فدعا الرجل فتلاها عليه وقال : « **أنتم حجاج** » .

وكذا رواه مسعود[٤] بن سعد ، وعبد الواحد بن زياد ، وشريك القاضي : عن العلاءِ بن المسيب به مرفوعًا .

وقال ابن جرير(١١٤٨) : حدثني طليق[٥] بن محمد الواسطي ، حدثنا أسباط - هو ابن محمد - أخبرنا الحسن بن عمرو - وهو الفقيمي - عن أبي أمامة التيمي قال : قلت لابن عمر : إنا قوم نكري فهل لنا من حج ؟ فقال : أليس تطوفون بالبيت ، وتأتون المعروف[٦] ، وترمون الجمار ، وتحلقون رءوسكم ؟ قلنا : بلىٰ . قال : جاء رجل إلىٰ النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فسأله عن الذي سألتني عنه فلم يدرِ ما يقول له حتىٰ نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية : ﴿ **ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلًا من ربكم** ﴾ إلىٰ آخر الآية . وقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أنتم حجاج** » .

وقال ابن جرير(١١٤٩) : حدثني أحمد بن إسحاق ، حدثنا أبو[٧] أحمد ، [حدثنا مندل][٨] ، عن عبد الرحمن بن المهاجر ، عن أبي صالح مولىٰ عمر قال : قلت : يا أمير المؤمنين ! كنتم تتجرون في الحج ؟ قال : وهل كانت معايشهم إلا في الحج ؟

وقوله تعالىٰ : ﴿ فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا اللَّه عند المشعر الحرام ﴾ .

إنما صرف عرفات - وإن كان علمًا علىٰ مؤنث - لأنه في الأصل جمع كمسلمات ومؤمنات ، سُمِّيَ به بقعة معينة فروعي فيه الأصل فصرف ، اختاره ابن جرير .

وعرفة : موضع الوقوف[٩] في الحج ، وهي عمدة أفعال الحج ، ولهذا روىٰ الإمام أحمد ،

(١١٤٨) - تفسير الطبري (١٦٤/٤) (٣٧٦٥) .

(١١٤٩) - تفسير الطبري (١٦٨/٤) رقم (٣٧٨٨) .

[١] - في ز ، خ : « ناسًا » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في خ : « ابن مسعود » .

[٥] - مهملة بدون نقط في ز.

[٦] - في ر ، خ : المعرف .

[٧] - في خ : « أبوا » .

[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من ح

[٩] - في ز : « الموقف » .

وأهل السنن بإسناد صحيح(١١٥٠) : عن الثوري ، عن بكير ، عن عطاء ، عن عبد الرحمن بن يعمر الديلي قال : سمعت رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، يقول : « **الحج عرفات - ثلاثًا - فمن أدرك عرفة قبل أن يطلع الفجر فقد أدرك ، وأيام منىٰ ثلاثة فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ، ومن تأخر فلا إثم عليه** » .

ووقت الوقوف من الزوال يوم عرفة إلىٰ طلوع الفجر الثاني من يوم النحر ؛ لأن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وقف في حجة الوداع بعد أن صلىٰ الظهر إلىٰ أن غربت الشمس وقال لنا[١] : « **لتأخذوا[٢] عني مناسككم** »(١١٥١) .

وقال في هذا الحديث : « **فمن أدرك عرفة قبل أن يطلع الفجر فقد أدرك** » ، وهذا مذهب مالك ، وأبي حنيفة ، والشافعي رحمهم اللّٰه ، وذهب الإمام أحمد إلىٰ أن وقت الوقوف من أول يوم عرفة ، واحتج[٣] بحديث الشعبي ، عن عروة بن مضرس بن حارثة بن لام الطائي قال : أتيت رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، بالمزدلفة حين خرج إلىٰ الصلاة ، فقلت : يا رسول اللّٰه ، إني جئت من [جبلي طيئ][٤] أكللت راحلتي ، وأتعبت نفسي ، واللّٰه ما تركت من حَبْل(*) إلا وقفت عليه فهل لي[٥] من حج ؟ فقال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **من شهد صلاتنا هذه فوقف معنا حتىٰ ندفع ، وقد وقف بعرفة قبل ذلك ليلًا أو نهارًا فقد تم حجه وقضىٰ تفثه** » .

(١١٥٠) - المسند (٤/ ٣٠٩ - ٣١٠ ، ٣٣٥) (١٨٨٢٨ ، ١٩٠٠٧) ، ورواه أبو داود في سننه في كتاب المناسك، باب : من لم يدرك عرفة (٢: ١٩٦/ح ١٩٤٩). والنسائي في سننه في كتاب مناسك الحج، باب : في من لم يدرك الصبح مع الإمام بالمزدلفة (٥/ ٢٦٤). والترمذي في سننه في كتاب الحج، باب : ما جاء فيمن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج (٣/ ٢٣٧/ح ٨٨٩، ٨٩٠). وابن ماجه في سننه في كتاب المناسك، باب : من أتى عرفة قبل الفجر ليلة جمع (٢/ ١٠٠٣/ح ٣٠١٥) والبخاري - تعليقًا- في التاريخ الكبير (٥/ ٢٤٣). وابن خزيمة (٢٨٢٢)، والطحاوي (٢/ ٢٠٩، ٢١٠)، والدارقطني (٢/ ٢٤٠)، والحاكم (١/ ٤٦٤) (٢/ ٢٧٨) وصححه، ووافقه الذهبي، والدارمي (٢/ ٥٩)، والطيالسى (١٣٠٩، ١٣١٠)، والحميدى (٨٩٩)، والبغوى (٢٠٠١).

(١١٥١) - رواه مسلم في صحيحه برقم (١٢٩٧) من حديث جابر رضي الله عنه . والنسائي في المناسك (٣٠٦٢) ، وأحمد (٣/٣١٨)

---

[١] - زيادة من : خ . [٢] - في خ : « خذوا » .

[٣] - في ز ، خ : « واحتجوا » . [٤] - في خ : « جبل طيئ » .

(*) في ز ، خ ، ت : جبل . وهو تحريف ، والحبل : المستطيل من الرمْل ، وقيل : الضخم منه

[٥] - بياض في ز ، خ

رواه الإمام أحمد ، وأهل السنن ، وصححه الترمذي(١١٥٢) .

ثم قيل : إنما سميت عرفات لما رواه عبد الرزاق(١١٥٣) : أخبرني ابن جريج قال : قال ابن المسيب : قال علي بن أبي طالب : بعث الله جبريل عليه السلام إلىٰ إبراهيم [صلىٰ الله عليه وسلم][١] فحج به ، حتىٰ إذا أتىٰ عرفة قال : عرفت ، وكان قد أتاها مرة قبل ذلك ، فلذلك سميت عرفة .

وقال ابن المبارك(١١٥٤) : عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء قال : إنما سميت عرفة ، لأن[٢] جبريل كان يري إبراهيم المناسك ، فيقول : عرفت عرفت ، فسميت[٣] عرفات .

وروي نحوه عن ابن عباس(١١٥٥) ، [وابن عمر][٤] وأبي مجلز فالله أعلم .

وتسمىٰ عرفات : المشعر الحرام[٥] ، والمشعر الأقصىٰ ، وإلال علىٰ وزن هلال ، ويقال للجبل في وسطها : جبل الرحمة ، قال أبو طالب في قصيدته المشهورة :

وبالمشعر الأقصىٰ إذا قصدوا له ... إلال إلىٰ تلك [الشراج القوابل][٦]

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا حماد بن الحسن بن عنبسة ، حدثنا أبو عامر ، عن زمعة - هو

(١١٥٢) - المسند (١٥/٤) (١٦٢٥٦) ، ورواه أبو داود في كتاب المناسك (الحج) ، باب : من لم يدرك إلا عرفة ، من طريق مسدد ، ثنا يحيى ، عن إسماعيل ، ثنا عامر ، عن عروة به . (١٩٦/٢) حديث (١٩٥٠) . والترمذي في كتاب الحج ، باب : ما جاء فيمن أدرك الإمام بجمع ، من طريق أبي بكر بن أبي شيبة ، ثنا وكيع ، ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن عامر به . (٢٣٨/٣) حديث (٨٩١) . وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح . والنسائي في كتاب مناسك الحج ، باب : فيمن لم يدرك صلاة الصبح .. من طريق سعيد بن عبد الرحمن ، ثنا سفيان ، عن إسماعيل وداود وزكريا به . (٥/ ٢٦٣-٢٦٤) . وابن ماجة في كتاب المناسك ، باب من أتى عرفة قبل الفجر ليلة جمع ، في سننه (١٠٠٤/٢) حديث (٣٠١٦) . وابن حبان كما في الموارد (١٠١٠) . وابن الجارود في المنتقى (٤٦٧) . والبيهقى في الكبرى (١١٦/٥) . والطبرانى في الكبير (١٤٩/١٧) حديث (٣٧٧) - (٣٩٤) . والطحاوى في شرح المعانى (١/ ٤٠٨) . وصححه الشيخ الألبانى في الإرواء (١٠٦٦) ، وصححه في صحاح السنن المذكورة.

(١١٥٣) - تفسير الطبري (١٧٣/٤) رقم (٣٧٩٤) .

(١١٥٤) - تفسير الطبري (١٧٤/٤) رقم (٣٧٩٦) .

(١١٥٥) - تفسير الطبري (١٧٣/٤) رقم (٣٧٩٥) .

---

[١] - في خ : « عليه السلام » .

[٢] - في ز : « أن » .

[٣] - في خ : « فسمي » .

[٤] - في خ : « وأبي عمرو »

[٥] - في ز : « الحالال » . في ح « خلال »

[٦] - في ز « الشرج التوابل » ح « السرج التوابل »

ابن صالح - عن سلمة - هو ابن وَهْرام[١] - عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان أهل الجاهلية يقفون بعرفة حتىٰ إذا كانت الشمس علىٰ رءوس الجبال كأنها العمائم علىٰ رءوس الرجال دفعوا ، فأخر رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، الدفعة من عرفة حتىٰ غربت الشمس .

ورواه ابن مردويه من حديث زمعة بن صالح وزاد : ثم وقف بالمزدلفة ، وصلىٰ الفجر بغلس حتىٰ إذا أسفر كل شيء وكان في الوقت الآخر دفع ، وهذا حسن[٢] الإسناد .

وقال ابن جريج : عن محمد بن قيس ، عن المسور بن مخرمة قال : خطبنا رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وهو بعرفات فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال : « **أما بعد** » - وكان إذا خطب خطبة قال : « **أما بعد - فإن هذا اليوم الحج الأكبر ، ألا وإن أهل الشرك والأوثان كانوا يدفعون في هذا اليوم قبل أن تغيب الشمس إذا كانت الشمس في رءوس الجبال كأنها عمائم الرجال في وجوهها ، [وإنا ندفع بعد أن تغيب الشمس ، وكانوا يدفعون من المشعر الحرام بعد أن تطلع الشمس إذا كانت في رءوس الجبال كأنها عمائم الرجال في وجوهها][٣] وإنا ندفع قبل أن تطلع الشمس مخالفاً هدينا هدي أهل الشرك** » .

هكذا رواه ابن مردويه وهذا لفظه ، والحاكم في مستدركه(١١٥٦) ، كلاهما من حديث عبد الرحمن بن المبارك العيشي[٤] ، عن عبد الوارث[٥] بن سعيد ، عن ابن جريج به ، وقال الحاكم : صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه ، قال : وقد صح وثبت بما ذكرناه سماع المسور من رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، لا كما يتوهمه بعض[٦] أصحابنا أنه ممن له رؤية بلا سماع .

وقال وكيع : عن شعبة ، عن إسماعيل بن رجاء الزبيدي[٧] ، عن المعرور بن سويد قال : رأيت عمر رضي الله عنه حين دفع من عرفة كأني أنظر إليه ، رجلاً[٨] أصلع علىٰ بعير له يُوضِع(*) وهو يقول : إنا وجدنا الإفاضة هي الإيضاع

وفي حديث جابر بن عبد الله (الطويل) الذي في صحيح مسلم(١١٥٧) قال فيه : (فلم يزل

(١١٥٦) - المستدرك (٢/٢٧٧) .

(١١٥٧) - صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب : حجة النبي ﷺ ، الحديث (١٢١٨)

---

[١] - في ز ، خ : « وهدام » .
[٢] - في خ : « أحسن » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - في خ : « المعيشي » .
[٥] - في ز ، خ : « الرزاق » .
[٦] - في ز ، خ : « رعاع » .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - في ر : « رجل » .

(*) يقال : وضع البعير يضع وضعًا ، وأوضعه راكبه إيضاعًا ، إذا حمله على سرعة السَّير . النهاية [١٩٦/٥] .

واقفًا - يعني بعرفة - حتىٰ غربت[١] الشمس وذهبت[٢] الصفرة قليلًا حتىٰ غاب القرص وأردف أسامة خلفه ودفع رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وقد شنق[٣] للقصواء الزمام ، حتىٰ إن رأسها ليصيب مورك رحله ، ويقول بيده اليمنىٰ : « **أيها الناس ! السكينة السكينة** » كلما أتىٰ جبلًا من الجبال أرخى لها قليلًا حتىٰ تصعد ، حتىٰ أتىٰ المزدلفة فصلىٰ بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ، ولم يسبح بينهما شيئًا ثم اضطجع ، حتىٰ طلع الفجر فصلىٰ الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة ، ثم ركب القصواء حتىٰ أتىٰ المشعر الحرام ، فاستقبل القبلة فدعا اللَّه وكبَّره وهلَّله ووحده فلم يزل واقفًا حتىٰ أسفر جدًّا فدفع قبل أن تطلع الشمس) .

وفي الصحيحين[٤](١١٥٨) عن أسامة بن زيد أنه سئل : كيف كان يسير[٥] رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم حين دفع ؟ قال : كان يسير العنق فإذا وجد فجوة نص ، والعنق هو انبساط السير ، والنص[٦] فوقه .

وقال ابن أبي حاتم : أخبرنا أبو محمد بن بنت الشافعي فيما كتب إليَّ ، عن أبيه أو عمه[٧] ، عن سفيان بن عيينة . قوله : ﴿ **فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا اللَّه عند المشعر الحرام** ﴾ وهي الصلاتين جميعًا .

وقال أبو إسحاق السبيعي ، عن عمرو بن ميمون : سألت عبد اللَّه بن عمرو عن المشعر الحرام فسكت ، حتىٰ إذا هبطت أيدي رواحلنا بالمزدلفة ، قال : أين السائل عن المشعر الحرام ؟ هذا المشعر الحرام .

وقال عبد الرزاق(١١٥٩) : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن سالم ؛ قال : قال ابن عمر : المشعر الحرام المزدلفة كلها .

(١١٥٨) - صحيح البخاري ، كتاب الحج ، باب : السير إذا دفع من عرفة ، الحديث (١٦٦٦) ، وفي الجهاد ، باب : السرعة في السير ، حديث (٢٩٩٩) ، وفي المغازي ، باب حجة الوداع ، حديث (٤٤١٣) ، ومسلم في الحج ، باب : الإفاضة من عرفات إلى المزدلفة ..... حديث (١٢٨٦)

(١١٥٩) - رواه الطبري في تفسيره (٤/١٧٧ ، ١٧٨) من طريق عبد الرزاق ، به .

---

[١] - في خ : « عربت » . [٢] - في ز : « وبدت » .

[٣] - في ز ، خ : « سبق » . وشنق ؛ أي : ضمّغ وضيَّق .

[٤] - في ز : « الصحيح » .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - في ز ، خ : « والعنق » . [٧] - في ز : « عمر » .

وقال هشيم : عن حجاج ، عن نافع ، عن ابن عمر ؛ أنه سئل عن قوله : ﴿ **فاذكروا الله عند المشعر الحرام** ﴾ قال : فقال : هو الجبل وما حوله .

وقال عبد الرزاق(١١٦٠) : أخبرنا معمر ، عن المغيرة ، عن إبراهيم ؛ قال : رآهم ابن عمر يزدحمون علىٰ قزح ، فقال : علام يزدحم هؤلاء ؟ كل ما هاهنا مشعر .

وروي عن ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، ومجاهد ، والسدي ، والربيع بن أنس ، والحسن ، وقتادة ؛ أنهم قالوا : هو ما بين الجبلين .

وقال ابن جريج : قلت لعطاء : أين المزدلفة ؟ قال : إذا أفضت[١] من مأزمي عرفة فذلك إلىٰ محسر ، قال : وليس المأزمان مأزمي[٢] عرفة من المزدلفة ولكن مفضاهما ، قال : فقف بينهما إن شئت ، قال : وأحب أن تقف دون قزح هلم إلينا من أجل طريق الناس .

(**قلت**) : والمشاعر هي المعالم الظاهرة ، وإنما سميت المزدلفة المشعر الحرام ؛ لأنها داخل الحرم ، وهل الوقوف بها ركن في الحج لا يصح إلا به ، كما ذهب إليه طائفة من السلف وبعض أصحاب الشافعي ، منهم : القفال وابن خزيمة ؛ لحديث عروة بن مضرس ؟ أو واجب كما هو أحد قولي الشافعي يجبر بدم ؟ أو مستحب لا يجب بتركه شيء كما هو القول الآخر ؟

في ذلك ثلاثة أقوال للعلماء لبسطها موضع آخر غير هذا ، والله أعلم .

وقال عبد الله بن المبارك : عن سفيان الثوري ، عن زيد بن أسلم ؛ أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ؛ قال : « **عرفة كلها موقف وارفعوا عن عرنة**[٣] ، **وجمع كلها موقف إلا محسرًا** » . هذا حديث مرسل .

وقد قال الإمام أحمد(١١٦١) : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا سعيد بن عبد العزيز ، حدثني سليمان

(١١٦٠) - رواه الطبري في تفسيره (١٧٧/٤ ، ١٧٨) من طريق عبد الرزاق ، به .

(١١٦١) - المسند (٨٢/٤) (١٨٨٠١ ، ١٨٨٠٢) . والحديث أخرجه ابن حبان كما في الموارد (حديث ١٠٠٨) . والطبراني (١٣٨/٢) حديث (١٥٨٣) . والبيهقي (٢٣٩/٥) . وابن حزم في المحلى (٧/ ١٨٨). وسليمان بن موسى : صدوق ، في حديثه بعض لين ، وخلط قبل موته بقليل . قال الهيثمي في المجمع (٢٨/٤) : رواه أحمد وروى الطبراني في الأوسط عنه : « أيام التشريق كلها ذبح » ورجال أحمد وغيره ثقات . اهـ . وقال (٢٥٤/٣) : ورواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير ؛ إلا أنه قال : « **وكل فجاج مكة منحر** » . ورجاله موثقون . اهـ .

[١] - في خ . « أفضيت » . [٢] - في خ : « مأزما » .

[٣] - في ز : « عرجه » ، خ : « عرفه » .

ابن موسىٰ ، عن جبير بن مطعم ، عن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ؛ قال : « **كل عرفات موقف ، وارفعوا عن عرنة**[١] ، **وكل مزدلفة موقف ، وارفعوا عن محسر ، وكل فجاج مكة مَنْحَر ، وكل أيام التشريق ذبح** » .

وهذا أيضًا منقطع ؛ فإن سليمان بن موسىٰ هذا - وهو الأشدق - لم يدرك جبير بن مطعم ، ولكن رواه الوليد بن مسلم ، وسويد بن عبد العزيز ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن سليمان ، فقال الوليد - [ابن لجبير][٢] - ابن مطعم ، عن أبيه ، [وقال سويد ، عن نافع بن جبير بن مطعم ، عن أبيه][٣] ، عن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فذكره ، واللّٰه أعلم .

وقوله : ﴿ **واذكروه كما هداكم** ﴾ تنبيه لهم علىٰ ما أنعم اللّٰه[٤] به عليهم ، من الهداية والبيان ، والإرشاد إلىٰ مشاعر الحج ، علىٰ ما كان عليه من الهداية لإبراهيم الخليل ، عليه السلام ؛ ولهذا قال : ﴿ **وإن كنتم من قبله لمن الضالين** ﴾ قيل : من قبل هذا الهدي ، وقيل : القرآن ، وقيل : الرسول والكل متقارب ومتلازم وصحيح .

ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾

﴿ **ثم** ﴾ هاهنا لعطف خبر علىٰ خبر وترتيبه عليه ، كأنه تعالىٰ أمر الواقف بعرفات أن يدفع إلىٰ المزدلفة ، ليذكر اللّٰه عند المشعر الحرام ، وأمره أن يكون وقوفه مع جمهور الناس بعرفات ، كما كان جمهور الناس يصنعون ، يقفون بها إلا قريشًا ، فإنهم لم يكونوا يخرجون من الحرم ، فيقفون في طرف الحرم عند أدنىٰ الحل ، ويقولون : نحن أهل اللّٰه في بلدته ، وقطان بيته .

وقال البخاري(١١٦٢) : حدثنا علي بن عبد اللّٰه ، حدثنا محمد بن حازم ، حدثنا هشام ، عن أبيه ، عن عائشة ؛ قالت : كانت[٥] قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة ، وكانوا يسمون الحُمْس وكان سائر العرب يقفون بعرفات ، فلما جاء الإسلام أمر اللّٰه نبيه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، أن يأتي عرفات ، ثم يقف بها ثم يفيض منها ، فذلك قوله : ﴿ **من حيث أفاض الناس** ﴾ .

(١١٦٢) - صحيح البخاري في التفسير ، باب : ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾ برقم (٤٥٢٠) .

---

[١] - في ز ، خ : « عرفات » .
[٢] - في خ : « عن ابن جبير » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في خ : « كان » .

وكذا قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة والسدي وغيرهم . واختاره ابن جرير ، وحكىٰ عليه الإِجماع [رحمهم الله][١] .

وقال الإمام أحمد(١١٦٣) : حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه قال : أضللت بعيرًا لي بعرفة ، فذهبت أطلبه ، فإذا النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم واقف ، قلت : إنّ هذا من الحُمْس ما شأنه هاهنا ؟ .

أخرجاه في الصحيحين ثم رواه[٢] البخاري(١١٦٤) ، من حديث موسىٰ بن عقبة ، عن كريب ، عن ابن عباس ما يقتضي أن المراد بالإِفاضة هاهنا هي الإِفاضة من المزدلفة إلىٰ منىٰ لرمي الجمار ، فاللّٰه أعلم . وحكاه ابن جرير عن الضحاك بن مزاحم فقط . قال : والمراد بالناس : إبراهيم عليه السلام . وفي رواية عنه : الإِمام[٣] . قال ابن جرير : ولولا إجماع الحجة علىٰ خلافه لكان هو الأرجح .

وقوله : ﴿ **واستغفروا اللّٰه إن اللّٰه غفور رحيم** ﴾ كثيرًا ما يأمر اللّٰه بذكره بعد قضاء العبادات ، ولهذا ثبت في صحيح مسلم ؛ أن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، كان إذا فرغ من الصلاة يستغفر اللّٰه[٤] ثلاثًا(١١٦٥) . وفي الصحيحين أنه ندب إلىٰ التسبيح والتحميد والتكبير ، ثلاثًا وثلاثين وثلاثًا وثلاثين (١١٦٦) .

وقد روىٰ ابن جرير(١١٦٧) هٰهنا حديث [العباس][٥] بن مرداس السلمي في استغفاره صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، لأمته عشية عرفة ، وقد أوردناه في جزء جمعناه في فضل يوم عرفة .

(١١٦٣) - المسند (٤/٨٠) ، وصحيح البخاري ، كتاب الحج ، باب : الوقوف بعرفة برقم (١٦٦٤) ، وصحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب : في الوقوف ، وقوله تعالى : (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) برقم (١٢٢٠) .

(١١٦٤) - صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب : ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ﴾ برقم (٤٥٢١) .

(١١٦٥) - صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب استحباب الذكر بعد الصلاة ، وبيان صفته حديث (٥٩١) من حديث ثوبان .

(١١٦٦) - ورد ذلك عن جمع من الصحابة من ذلك ما أخرجه البخاري في الأذان ، باب الذكر بعد الصلاة حديث (٨٤٣) ، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة ، باب : استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته حديث (٥٩٥) من حديث أبي هريرة .

(١١٦٧) - تفسير الطبري (٤/١٩٢) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

[٢] - في خ : « روى » .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « ابن عباس » .

وأورد ابن مردويه هاهنا الحديث الذي رواه البخاري ، عن شدّاد بن أوس ، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **سيد الاستغفار أن يقول العبد : اللهم ؛ أنت ربي لا إله إلا أنت ، خلقتني وأنا عبدك ، وأنا علىٰ عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك عليّ ، وأبوء بذنبي ، فاغفر لي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . من قالها في ليلة فمات في ليلته دخل الجنة ، ومن قالها في يومه فمات دخل الجنة** »(١١٦٨) .

وفي الصحيحين(١١٦٩) عن عبد الله بن عمرو ؛ أن أبا بكر قال : يا رسول الله علمني دعاء أدعو به في صلاتي ؟ فقال[١] : « **قل : اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا ، ولا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفر لي مغفرة من عندك ، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم** » .

والأحاديث في الاستغفار كثيرة .

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۚ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ﴾

يأمر تعالىٰ بذكره والإكثار منه بعد قضاء المناسك وفراغها ، وقوله : ﴿ **كذكركم آباءكم** ﴾ اختلفوا في معناه ؛ فقال ابن جريج ، عن عطاء : هو كقول الصبي أبه أمّه ، يعني كما يلهج الصبي بذكر أبيه وأمّه ، فكذلك أنتم فالهجوا بذكر الله بعد قضاء النسك . وكذا قال الضحاك والربيع بن أنس . وروىٰ ابن جرير من طريق العوفي ، عن ابن عباس نحوه .

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس : كان أهل الجاهلية يقفون في الموسم ، فيقول الرجل منهم : كان أبي يطعم ، ويحمل الحمالات ، ليس لهم ذكر غير فعال آبائهم . فأنزل الله

(١١٦٨) - صحيح البخاري كتاب الدعوات ، باب أفضل الاستغفار حديث (٦٣٠٦) . وطرفه حديث (٦٣٢٣)

(١١٦٩) - صحيح البخاري كتاب التوحيد ، باب : ﴿وكان الله سميعًا بصيرًا﴾ الحديث (٧٣٨٧ ، ٧٣٨٨) ، ومسلم في الذكر والدعاء والتوبة ، باب : استحباب خفض الصوت بالذكر حديث (٢٧٠٥) .

[١] - في ز : « قال » .

علىٰ محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **فاذكروا اللَّه كذكركم آباءكم أو أشدّ ذكرًا** ﴾ .

قال ابن أبي حاتم : [ورويٰ السدي ، عن][١] أنس بن مالك ، وأبي وائل ، وعطاء بن أبي رباح في أحد قوليه ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة في إحدىٰ روايتيه ، ومجاهد والسدي ، وعطاء الخراساني ، والربيع بن أنس ، والحسن وقتادة ، ومحمد بن كعب ، ومقاتل بن حيان نحو ذلك . وهكذا حكاه ابن جرير أيضًا[٢] عن جماعة ، واللَّه أعلم .

والمقصود منه الحث علىٰ كثرة الذكر للَّه ، عز وجل ؛ ولهذا كان انتصاب قوله أو أشدّ ذكرًا علىٰ التمييز : تقديره كذكركم آباءكم أو أشد منه ذكرًا ، و« أو » هاهنا لتحقيق المماثلة في الخبر ، كقوله : ﴿ **فهي كالحجارة أو أشد قسوة** ﴾ ، وقوله : ﴿ **يخشون الناس كخشية اللَّه أو أشد خشية** ﴾ ، ﴿ **وأرسلناه**[٣] **إلىٰ مائة ألف أو يزيدون** ﴾ ، ﴿ **فكان قاب قوسين أو أدنىٰ** ﴾ ، فليست هاهنا للشك قطعًا ، وإنما هي لتحقيق المخبر عنه كذلك أو أزيد منه . ثم إنه تعالىٰ أرشد إلىٰ دعائه بعد كثرة ذكره ، فإنه مظنة الإجابة ، وذمّ من لا يسأله إلا في أمر دنياه وهو معرض عن أخراه ، فقال : ﴿ **فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق** ﴾ أي : من نصيب ولا حظ ، وتضمن هذا الذم والتنفير عن التشبه بمن هو كذلك . قال سعيد بن جبير : عن ابن عباس : كان قوم من الأعراب يجيئون إلىٰ الموقف ، فيقولون : اللهم اجعله عام غيث وعام خصب وعام ولاد حسن ، لا يذكرون من أمر الآخرة شيئًا ، فأنزل اللَّه فيهم : [﴿ **فمن الناس**][٤] **من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق** ﴾ ، وكان يجيء بعدهم آخرون [من المؤمنين][٥] فيقولون : ﴿ **ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار** ﴾ ، فأنزل اللَّه : ﴿ **أولئك لهم نصيب مما كسبوا واللَّه سريع الحساب** ﴾ ، ولهذا مدح من يسأله للدنيا والآخرة[٦] فقال : ﴿ **ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار** ﴾ ، فجمعت هذه الدعوة كل خير في الدنيا ، وصرفت كل شر ، فإن[٧] الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية ودار رحبة ، وزوجة حسنة ، ورزق واسع ، وعلم نافع ، وعمل صالح ، ومركب هنيء وثناء جميل ، إلىٰ غير ذلك مما اشتملت عليه عبارات المفسرين ، ولا منافاة بينها ، فإنها كلها مندرجة في الحسنة في الدنيا ، وأمّا الحسنة في الآخرة فأعلىٰ ذلك دخول الجنة وتوابعه من[٨] الأمن من الفزع الأكبر في العرصات ، وتيسير

---

[١] - في ز ، خ : « وروي عن » .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - في خ : « فأرسلناه » .
[٤] - في ز ، خ : « ومنهم » .
[٥] - في ز : بياض ، وسقط من : خ .
[٦] - في ز : « الأخرى » .
[٧] - في خ : « وإن » .
[٨] - سقط من : خ .

الحساب ، وغير ذلك من أمور الآخرة الصالحة . وأما النجاة من النار فهو يقتضي تيسير أسبابه في الدنيا من اجتناب المحارم والآثام ، وترك الشبهات والحرام .

وقال القاسم أبو عبد الرحمن : من أُعطِي قلبًا شاكرًا ، ولسانا ذاكرًا ، وجسدًا صابرًا ، فقد أوتي في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، ووقي عذاب النار .

ولهذا وردت السنة بالترغيب في هذا الدعاء ، فقال[١] البخاري : حدثنا أبو معمر ، حدثنا عبد الوارث ، عن عبد العزيز ، عن أنس بن مالك ؛ قال : كان النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، يقول : « **اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار** »(١١٧٠) .

وقال الإمام أحمد(١١٧١) : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا عبد العزيز بن صهيب [ ][٢] [قال : سأل قتادة أنسًا : أي دعوة كان أكثر ما يدعوها النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ؟ قال : يقول][٣] : « **اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار** » ، [وكان أنس إذا أراد أن يدعو بدعوة دعا بها ، وإذا أراد أن يدعو بدعاء دعا بها فيه ، و][٤]رواه مسلم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا عبد السلام بن شداد - يعني أبا طالوت - قال : كنت عند أنس بن مالك ، فقال له ثابت : إن إخوانك يحبون أن تدعو لهم ، فقال : « اللهم ربنا[٥] ؛ آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » وتحدّثوا ساعة حتىٰ إذا أرادوا القيام ؛ قال : يا أبا حمزة ؛ إنّ إخوانك يريدون القيام فادع اللّٰه لهم ، فقال : أتريدون[٦] أن أشقق لكم [ ][٧] الأمور إذا آتاكم اللّٰه في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، ووقاكم عذاب النار ، فقد آتاكم الخير كله .

(١١٧٠) - صحيح البخاري كتاب التفسير ، باب : ﴿ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة .....﴾ الحديث (٤٥٢٢) ، وأخرجه في كتاب الدعوات ، باب : قول النبي ﷺ : « ربنا آتنا في الدنيا حسنة » حديث (٦٣٨٩) عن مسدد عن عبد الوارث به .

(١١٧١) - المسند (٣ / ١٠١) ، وأخرجه مسلم في الذكر والدعاء حديث (٢٦٩٠) وأبو داود في كتاب الصلاة ، باب الاستغفار حديث (١٥١٩) من طريق إسماعيل بن علية به .

---

[١] - في خ : « وقال » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « عن أنس » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « عن أنس قال : كان أكثر دعوة يدعو بها رسول الله صلى الله عليه وسلم » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : م .
[٦] - في خ : « تريدون » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ت : « من » .

وقال أحمد أيضًا (١١٧٢) : حدثنا محمد بن أبي عدي ، عن حميد [وعبد الله بن بكر السهمي حدثنا حميد][١] عن ثابت ، عن أنس ؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عاد رجلًا من المسلمين قد صار مثل الفرخ ، فقال له رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **هل تدعو الله بشيء أو تسأله إياه ؟** » قال : نعم كنت أقول : اللهم ، ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم « **سبحان الله لا تطيقه أو لا تستطيعه**[٢] **فهلا قلت : ﴿ ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ﴾** » قال : فدعا الله فشفاه .

انفرد بإخراجه مسلم فرواه من حديث ابن أبي عدي ، به .

وقال الإمام الشافعي : أخبرنا سعيد بن سالم القدّاح ، عن ابن جريج ، عن يحيىٰ بن عبيد مولىٰ السائب ، عن أبيه ، عن عبد الله [بن السائب][٣] ؛ أنه سمع النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يقول فيما بين الركن اليماني والركن الأسود : « **﴿ ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ﴾** »(١١٧٣) . ورواه الثوري عن ابن جريج كذلك .

وروىٰ ابن ماجة (١١٧٤) ، عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، نحو ذلك ، [وفي سنده ضعف ، والله أعلم][٤] .

وقال ابن مردويه : حدثنا عبد الباقي ، أخبرنا أحمد بن القاسم بن مساور ، حدثنا سعيد ابن سليمان ، عن إبراهيم بن سليمان ، عن عبد الله بن هرمز ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما مررت علىٰ الركن إلا رأيت عليه ملكًا يقول آمين ، فإذا مررتم عليه فقولوا : ﴿ ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ﴾** » .

(١١٧٢) - المسند (٣ / ١٠٧) ، وأخرجه مسلم في الذكر ، والدعاء والتوبة حديث (٢٦٨٨) ، والترمذي في الدعوات ، باب ما جاء في عقد التسبيح باليد حديث (٣٤٨٧) والنسائي في عمل اليوم والليلة (١٠٥٣) من طريق حميد الطويل به .

(١١٧٣) - رواه البغوي في شرح السنة (١٢٨/٧) من طريق الشافعي به ، ورواه ابن حبان في صحيحه برقم (١٠٠١) « موارد » من طريق يحيى القطان ، عن ابن جريج به نحوه .

(١١٧٤) - سنن ابن ماجة كتاب المناسك ، باب : أفضل الطواف حديث (٢٩٥٧) ، وابن عدي في الكامل ، وفي إسناده حميد بن أبي سوية ، ويقال : ابن أبي سويد ، قال ابن عدي : «حدث عنه إسماعيل ابن عياش - منكر الحديث » . وحميد هذا مكي وابن عياش ضعيف في روايته عن غير الشاميين .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - في خ : « تستطيقه » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

وقال الحاكم في مستدركه(١١٧٥) : أخبرنا أبو زكريا العنبري ، حدثنا محمد بن عبد السلام ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، أخبرنا جرير ، عن الأعمش ، عن مسلم[١] البطين ، عن سعيد بن جبير ؛ قال : جاء رجل إلىٰ ابن عباس فقال : إني أجرت نفسي من قوم علىٰ أن يحملوني ، ووضعت لهم من أجرتي علىٰ أن يدعوني أحج معهم ، أفيجزي ذلك ؟ فقال[٢] : أنت من الذين قال الله : ﴿ **أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب** ﴾ ، ثم قال الحاكم : صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه .

۞ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾

قال ابن عباس : الأيام المعدودات أيام التشريق ، والأيام المعلومات أيام العشر .

وقال عكرمة : ﴿ **واذكروا الله في أيام معدودات** ﴾ يعني : التكبير في[٣] أيام التشريق بعد الصلوات المكتوبات : الله أكبر الله أكبر .

وقال الإمام أحمد (١١٧٦) : حدثنا وكيع ، حدثنا موسىٰ بن علي ، عن أبيه قال : سمعت عقبة بن عامر ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام ، وهي[٤] أيام أكل وشرب [ ][٥]** » .

وقال الإمام[٦] أحمد أيضًا(١١٧٧) : حدثنا هشيم ، أخبرنا خالد ، عن أبي المليح ، عن نبيشة الهذلي ، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله** » . ورواه[٧] مسلم أيضًا ، وتقدّم حديث جبير بن مطعم : « **عرفة كلها موقف ، وأيام**

(١١٧٥) - المستدرك (٢/٢٧٧) .

(١١٧٦) - المسند (٤/١٥٣) وأخرجه أبو داود في الصوم ، باب صيام أيام التشريق حديث (٢٤١٩) ، والترمذي ، في الصوم ، باب ما جاء في كراهية الصوم في أيام التشريق حديث (٧٧٣) ، والنسائي في مناسك الحج ، باب النهي عن صوم يوم عرفة (٥/٢٥٢) من طريق موسى بن علي به .

(١١٧٧) - المسند (٥/٧٥) ، صحيح مسلم ، كتاب الصيام برقم (١١٤١) .

[١] - في خ : « سالم » .
[٢] - في خ : « قال » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في خ : « هي » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ت : « وذكر الله » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز ، خ : « رواه » .

التشريق كلها ذبح » . وتقدم أيضًا[١] حديث عبد الرحمن بن يعمر الديلي : « **وأيام منىٰ ثلاثة ، فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ، ومن تأخر فلا إثم عليه »** .

وقال ابن جرير(١١٧٨) : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، وخلاد بن أسلم ؛ قالا : حدثنا هشيم ، عن عمرو[٢] بن أبي سلمة ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ؛ أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، [قال : « **أيام التشريق أيام طعم وذكر اللَّه** » .

وحدثنا خلّاد بن أسلم(١١٧٩) ، حدثنا روح ، حدثنا صالح ، حدثني ابن شهاب ، عن سعيد ابن المسيب ، عن أبي هريرة : أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ،][٣] بعث عبد اللَّه بن حذافة يطوف في منىٰ : « **لا تصوموا هذه الأيام ، فإنها أيام أكل وشرب وذكر اللَّه ، عز وجل** » .

وحدثنا يعقوب(١١٨٠) ، حدثنا هشيم ، عن سفيان بن حسين ، عن الزهري ؛ قال : بعث رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم عبد اللَّه بن حذافة ، فنادىٰ في أيام التشريق ، فقال : « **إن هذه الأيام[٤] أيام أكل وشرب وذكر اللَّه ، إلا من كان عليه صوم من هدي** » .

زيادة حسنة ولكن مرسلة . وبه قال هشيم(١١٨١) : عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عمرو بن دينار ؛ أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، بعث بشر بن سحيم ، فنادىٰ في أيام التشريق فقال : « **إن هذه أيام[٥] أكل وشرب وذكر اللَّه** » .

(١١٧٨) - تفسير الطبري (٤ / ٢١١) (٣٩١١) ، وأخرجه أحمد في مسنده (٢ / ٢٢٩) عن هشيم به ، وفي (٢ / ٣٨٧) عن عفان ، عن أبي عوانة ، عن عمرو بن أبي سلمة به ، وابن ماجة في كتاب الصيام ، باب : ما جاء في النهي عن صيام أيام التشريق حديث (١٧١٩) عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة به كلهم بلفظ : « أيام منى أيام أكل وشرب » .

(١١٧٩) - تفسير الطبري (٤ / ٢١١) (٣٩١٢) ، وأخرجه أحمد في المسند (٢ / ٥١٣ ، ٥٣٥) والنسائي في (الكبرى) ، والطحاوي (٤٢٨/١) عن روح به .

(١١٨٠) - تفسير الطبري (٤ / ١٠١) (٣٤٧١) ، (٢١٣/٤) (٣٩١٥) وهو مرسل وسفيان بن حسين ثقة لكن ضعفوه في الزهري .

(١١٨١) - أخرجه الطبري في تفسيره (٢١٢/٤) (٣٩١٤) عن يعقوب عن هشيم به . وهو مرسل . وقد وصله النسائي في الكبرى من طريق شعبة ، عن عمرو بن دينار ، عن نافع بن جبير ، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ عن النبي ﷺ به .

وأخرجه أحمد (٤ / ٣٣٥) ، والنسائي في كتاب الإيمان وشرائعه ، باب : تأويل قوله عز وجل : ﴿قالت=

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - سقط من : م .

[٥] - في ز : « الأيام » .

وقال هشيم (١١٨٢) ، عن ابن أبي ليلىٰ ، عن عطاء ، عن عائشة ؛ قالت : نهىٰ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، عن صوم أيام التشريق ، قال : « **هي[١] أيام أكل وشرب وذكر اللَّه** » .

وقال محمد بن إسحاق(١١٨٣) ، عن حكيم بن حكيم ، عن مسعود بن الحكم الزرقي ، عن أمه قالت : لكأني[٢] أنظر إلىٰ عليّ علىٰ بغلة رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، البيضاء حتىٰ وقف علىٰ شعب الأنصار ، وهو يقول : يا أيها الناس ، إنها ليست بأيام صيام إنما هي أيام أكل وشرب وذكر اللَّه[٣] .

وقال مقسم عن ابن عباس : الأيام المعدودات أيام التشريق أربعة أيام : يوم النحر ، وثلاثة أيام[٤] بعده .

وروي عن ابن عمر ، وابن الزبير ، وأبي موسىٰ ، وعطاء ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وأبي مالك ، وإبراهيم النخعي ، [ويحيىٰ بن أبي كثير][٥] والحسن ، وقتادة ، والسدي ، والزهري ، والربيع بن أنس ، والضحاك ، ومقاتل بن حيان ، وعطاء الخراساني ، ومالك بن أنس ، وغيرهم مثل ذلك .

وقال علي بن أبي طالب : هي ثلاثة : يوم النحر ، ويومان بعده ، اذبح في أيهن شئت ، وأفضلها أولها . والقول الأوّل هو المشهور ، وعليه دل ظاهر الآية الكريمة ، حيث قال : ﴿ **فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه** ﴾ ، فدل علىٰ ثلاثة بعد النحر .

= **الأعراب آمنا .....**﴾ (١٠٤/٨) وابن خزيمة (٢٩٦٠) من طريق عمرو بن دينار ، عن نافع ، عن بشر ابن سحيم أن رسول الله ﷺ خطب أيام التشريق فقال : « **لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، وإن هذه الأيام أيام أكل وشرب** » وأخرجه أحمد (٤١٥/٣) ، (٣٣٥/٤) والنسائي في الكبرى ، وابن ماجة في كتاب الصيام ، باب : ما جاء في النهي عن صيام أيام التشريق حديث (١٧٢٠) من طريق حبيب بن أبي ثابت عن نافع بن بشر به .

(١١٨٢) - أخرجه الطبري في تفسيره (٢١٢/٤) (٣٩١٣) ، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٤٢٨/١) من طريق أبي المليح ، عن عائشة به وصحح العلامة أحمد شاكر إسناده .

(١١٨٣) - رواه الطبري في تفسيره (٢١٣/٤) (٣٩١٦) من طريق ابن علية عن ابن إسحاق به . وأخرجه ابن خزيمة (٢١٤٧) والحاكم (١/ ٤٣٤ ، ٤٣٥) من طريق عبد الأعلى عن ابن إسحاق به . وأخرجه أحمد (٩٢/١) من طريق إبراهيم بن سعد ، عن ابن إسحاق قال : حدثني عبد الله بن أبي سلمة عن مسعود بن الحكم به ، وصحح إسناده العلامة أحمد شاكر في تعليقه على المسند .

---

[١] - في خ : « وهي » .
[٢] - في ز ، خ : « فكأني » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : م .
[٥] - سقط من : ز ، خ .

ويتعلق بقوله : ﴿ **واذكروا الله في أيام معدودات** ﴾ ذكر الله علىٰ الأضاحي ، وقد تقدم أن[١] الراجح في ذلك مذهب الشافعي رحمه الله ، وهو أن وقت الأضحية من يوم النحر إلىٰ آخر أيام التشريق ، ويتعلق به أيضًا الذكر المؤقت خلف الصلوات والمطلق في سائر الأحوال ، وفي وقته أقوال للعلماء ؛ أشهرها الذي عليه العمل أنه من صلاة الصبح يوم عرفة إلىٰ صلاة العصر من آخر أيام التشريق وهو آخر النفر الآخر ، وقد جاء فيه حديث رواه الدارقطني(١١٨٤) ولكن لا يصح مرفوعًا ، والله أعلم . وقد ثبت أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يكبر في قبته ، فيكبر أهل السوق بتكبيره حتىٰ ترتج منىٰ تكبيرًا .

ويتعلق بذلك أيضًا التكبير وذكر الله عند رمي الجمرات كل يوم من أيام التشريق ، وقد جاء في الحديث الذي رواه أبو داود وغيره(١١٨٥) : « **إنما جعل الطواف بالبيت ، والسعي بين الصفا والمروة ، ورمي الجمار ، لإقامة ذكر الله عز وجل** » . [ولما ذكر الله تعالىٰ النفر الأوّل والثاني ، وهو تفرق الناس من موسم الحج إلىٰ سائر الأقاليم والآفاق بعد اجتماعهم في المشاعر والمواقف قال : ﴿ **واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون** ﴾ كما قال : ﴿ **وهو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون** ﴾][٢] .

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾

قال السدي : نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي ، جاء إلىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وأظهر الإسلام وفي باطنه خلاف ذلك ، وعن ابن عباس : أنها نزلت في نفر من المنافقين تكلموا في خبيب وأصحابه - الذين قتلوا بالرجيع وعابوهم ، فأنزل الله في[٣] ذم المنافقين ومدح خبيب[٤]

(١١٨٤) - سنن الدارقطني (٤٩/٢ ، ٥٠) من طرق عن جابر رضي الله عنه .

(١١٨٥) - سنن أبي داود كتاب المناسك ، باب : في الرمل ، حديث (١٨٨٨) عن عائشة ، وأخرجه أحمد (٦ / ٦٤ ، ٧٥ ، ١٣٨) ، والترمذي (٩٠٢) ، وابن خزيمة (٢٧٣٨ ، ٢٨٨٢ ، ٢٩٧٠) .

[١] - في ز ، خ : « وأن » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز : « خبيبًا » .

وأصحابه : ﴿ **ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله** ﴾ .

[وقيل : بل ذلك عام في المنافقين كلهم وفي المؤمنين كلهم ، وهذا قول قتادة ومجاهد والربيع ابن أنس وغير واحد ، وهو الصحيح .

وقال ابن جرير(١١٨٦) : حدّثني يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني الليث بن سعد ، عن خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن القرظي ، عن نوف - وهو البكالي - وكان ممن يقرأ الكتب - قال : إني لأجد صفة ناس من هذه الأمة في كتاب الله المنزل : قوم يحتالون على الدنيا بالدين ، ألسنتهم أحلى من العسل ، وقلوبهم أمر من الصبر ، يلبسون للناس مسوك الضأن ، وقلوبهم قلوب الذئاب ، يقول الله تعالى : فعليّ يجترئون وبي يغترون ، حلفت بنفسي لأبعثن عليهم فتنة تترك الحليم فيها حيران ، قال القرظي : تدبرتها في القرآن ، فإذا هم المنافقون ، فوجدتها ﴿ **ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه** ﴾ الآية .

وحدّثني محمد بن أبي معشر(١١٨٧) ، أخبرني أبو معشر نجيح قال : سمعت سعيدًا المقبري يذاكر محمد بن كعب القرظي ، فقال سعيد : إن في بعض الكتب : إن عبادًا ألسنتهم أحلى من العسل ، وقلوبهم أمر من الصبر ، لبسوا للناس مُسُوك الضأن من اللين ، يجترُّون الدنيا بالدين ، قال الله تعالى : عليّ تجترئون وبي تغترون ؟ وعزتي لأبعثن عليهم فتنة تترك الحليم منهم حيران ، فقال محمد بن كعب : هذا في كتاب الله ، فقال سعيد : وأين هو من كتاب الله ، قال : قول الله : ﴿ **ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا** ﴾ الآية ، فقال سعيد : قد عرفت فيمن أنزلت هذه الآية ، فقال محمد بن كعب : إن الآية تنزل في الرجل ثم تكون عامة بعد . وهذا الذي قاله القرظي حسن صحيح .

وأما قوله : ﴿ **ويُشهد الله على ما في قلبه** ﴾ فقرأه ابن محيصن (**ويَشهد الله**) بفتح الياء وضم الجلالة ، ﴿ **على ما في قلبه** ﴾ ومعناه أن هذا وإن أظهر لكم الحيل ، لكن الله يعلم من قلبه القبيح كقوله تعالى : ﴿ **إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون** ﴾ .

وقراءة الجمهور بضم الياء ونصب الجلالة ﴿ **ويُشهد الله على ما في قلبه** ﴾ ومعناه أنه يظهر للناس الاسلام ، ويبارز الله بما في قلبه من الكفر والنفاق كقوله تعالى : ﴿ **يستخفون**][١]

(١١٨٦) - تفسير الطبري (٢٣٢/٤) (٣٩٦٥) .

(١١٨٧) - تفسير الطبري (٢٣١/٤) (٣٩٦٤) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[**من الناس ولا يستخفون من الله** ﴾ الآية ، هذا معنىٰ ما رواه ابن إسحاق(١١٨٨) ، عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس .

وقيل : معناه أنه إذا أظهر للناس الإسلام حلف ، وأشهد الله لهم أن الذي في قلبه موافق للسانه ، وهذا المعنىٰ صحيح ، وقاله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، واختاره ابن جرير وعزاه إلىٰ ابن عباس وحكاه عن مجاهد ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **وهو ألد الخصام** ﴾ الألد في اللغة : الأعوج . ﴿ **وتنذر به قومًا لُدًّا** ﴾ أي عوجا ، وهكذا المنافق في حال خصومته يكذب ويزور عن الحق ولا يستقيم معه ، بل يفتري ويفجر كما ثبت في الصحيح(١١٨٩) عن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أنه قال : « **آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر** » .

وقال البخاري(١١٩٠) : حدّثنا قبيصة ، حدّثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة ترفعه ، قال : « **إن أبغض الرجال إلىٰ الله الألد الخَصِم** » .

قال : وقال عبد الله بن يزيد : حدّثنا سفيان ، حدّثنا ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **إن أبغض الرجال إلىٰ الله الألد الخصم** » (١١٩١) .

وهكذا رواه عبد الرزاق عن معمر ، في قوله : ﴿ **وهو ألد الخصام** ﴾ ، عن ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **إن أبغض الرجال إلىٰ الله الألد الخَصِم** »(١١٩٢) .

وقوله : ﴿ **وإذا تولىٰ سعىٰ في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد** ﴾ أي : هو أعوج المقال ، سيئ الفعال ، فذلك قوله وهذا فعله ، كلامه كذب][١]

(١١٨٨) - أخرجه الطبري في تفسيره (٤ / ٢٣٠) (٣٩٦٢) .

(١١٨٩) - تقدم في تفسير الآية ١٧٧

(١١٩٠) - صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب (وهو ألد الخصام) حديث (٤٥٢٣) ، وفيه : «أبغض الرجال ...... إلى آخر الحديث دون حرف التوكيد (إن) » . وأخرجه في كتاب المظالم ، باب قول الله تعالى : ﴿وهو ألد الخصام﴾ ، حديث (٢٤٥٧) ، وفي كتاب الأحكام ، باب الألد الخصم حديث (٧١٨٨) ، ومسلم في كتاب العلم ، حديث (٢٦٦٨) من طريق ابن جريج به .

(١١٩١) - صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب : ﴿ هو ألد الخصام ﴾ عقب الحديث (٤٥٢٣) .

(١١٩٢) - تفسير عبد الرزاق (٩٧/١) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[واعتقاده فاسد ، وأفعاله قبيحة .

والسعي هٰهنا هو القصد كما قال إخبارًا عن فرعون : ﴿ **ثم أدبر يسعىٰ * فحشر فنادىٰ * فقال أنا ربكم الأعلىٰ * فأخذه الله نكال الآخرة والأولىٰ * إنّ في ذلك لعبرة لمن يخشىٰ** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلىٰ ذكر الله** ﴾ أي اقصدوا واعمدوا ناوين بذلك صلاة الجمعة ، فإن السعي الحسي إلىٰ الصلاة منهي عنه بالسنة النبوية : « **إذا أتيتم الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون ، وأتوها وعليكم السكينة والوقار** » .

فهذا المنافق ليس له همة إلا الفساد في الأرض ، وإهلاك الحرث ، وهو محل نماء الزروع والثمار ،][١] والنسل ، وهو نتاج الحيوانات اللذين لا قوام للناس إلا بهما .

وقال مجاهد : إذا سعىٰ في الأرض فسادًا[٢] ، منع الله القطر ، فهلك الحرث والنسل ﴿ **والله لا يحب الفساد** ﴾ أي لا يحب من هذه صفته ، ولا من يصدر منه ذلك .

وقوله : ﴿ **وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم** ﴾ أي : إذا وعظ هذا الفاجر في مقاله وفعاله ، وقيل له : اتق الله ، وانزع عن قولك وفعلك ، وارجع إلىٰ الحق - امتنع وأبىٰ ، وأخذته الحمية والغضب بالإثم ، أي : بسبب ما اشتمل عليه من الآثام ، وهذه الآية شبيهة بقوله تعالىٰ : ﴿ **وإذا تتلىٰ عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون[٣] عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير** ﴾ ؛ ولهذا قال في هذه الآية : ﴿ **فحسبه جهنم ولبئس المهاد** ﴾ أي هي كافيته عقوبة في ذلك .

وقوله : ﴿ **ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله** ﴾ ، لما أخبر عن المنافقين بصفاتهم الذميمة ذكر صفات المؤمنين الحميدة فقال : ﴿ **ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله** ﴾ .

قال[٤] ابن عباس ، وأنس ، وسعيد بن المسيب ، وأبو عثمان النهدي ، وعكرمة ، وجماعة : نزلت في صهيب بن سنان الرومي ، وذلك أنه لما أسلم بمكة ، وأراد الهجرة ، منعه الناس أن يهاجر بماله ، وإن أحب أن يتجرّد منه ويهاجر ، فعل ، فتخلص[٥] منهم وأعطاهم ماله ، فأنزل الله فيه هذه الآية ، فتلقاه عمر بن الخطاب وجماعة إلىٰ طرف الحرة ، فقالوا له : ربح البيع ! فقال : وأنتم فلا أخسر الله تجارتكم ، وما ذاك ؟ فأخبروه أن الله أنزل فيه هذه

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ت : « إفسادًا » .
[٣] - في خ : « يتلى » .
[٤] - في ز ، خ : « وقال » .
[٥] - في ز : « ويخلص » .

الآية ، ويروىٰ أنّ رسول اللّٰه ، ﷺ ، قال له : « **ربح البيع صهيب ! ربح البيع صهيب !** » .

قال ابن مردويه(١١٩٣) : حدّثنا محمد بن إبراهيم ، حدّثنا محمد بن عبد اللّٰه [بن رسته ،][١] حدّثنا سليمان بن داود ، حدّثنا جعفر بن سليمان الضبي ، حدّثنا عوف ، عن أبي عثمان النهدي ، عن صهيب ؛ قال : لما أردت الهجرة من مكة إلىٰ النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قالت لي قريش : يا صهيب ، قدمت إلينا ولا مال لك ، وتخرج أنت ومالك ؟! واللّٰه لا يكون ذلك أبدًا ، فقلت لهم : أرأيتم إن دفعت إليكم مالي ، تخلون عني ؟ قالوا : نعم ، فدفعت إليهم مالي ، فخلوا عني ، فخرجت حتىٰ قدمت المدينة ، فبلغ ذلك النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فقال : « **ربح صهيب ! ربح صهيب !** » مرتين .

وقال حماد بن سلمة (١١٩٤) ، عن علي بن زيد ، عن سعيد بن المسيب ؛ قال : أقبل صهيب مهاجرًا نحو النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فاتبعه نفر من قريش ، فنزل عن راحلته ، وانتثل(*)[٢] ما في كنانته ، ثم قال : يا معشر قريش ؛ قد علمتم أني من أرماكم رجلًا ، وأنتم واللّٰه لا تصلون إليّ حتىٰ أرمي كل[٣] سهم في كنانتي ، ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء ، ثم افعلوا ما شئتم ، وإن شئتم دللتكم علىٰ مالي وقنيتي[٤] بمكة وخليتم سبيلي ، قالوا : نعم ، فلما قدم علىٰ النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال : « **ربح البيع ! ربح البيع !** » ، قال : ونزلت : ﴿ **ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات اللّٰه واللّٰه رءوف بالعباد** ﴾ .

وأمّا الأكثرون فحملوا ذلك علىٰ أنها نزلت في كل مجاهد في سبيل اللّٰه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **إن اللّٰه اشترىٰ من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل اللّٰه فيقتلون ويقتلون وعدًا عليه حقًّا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفىٰ بعهده من اللّٰه فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم** ﴾ ، ولما حمل هشام بن عامر بين الصفين أنكر عليه بعض الناس ، فرد عليهم عمر بن الخطاب وأبو هريرة وغيرهما ، وتلوا هذه الآية : ﴿ **ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات اللّٰه واللّٰه رؤوف بالعباد** ﴾ .

(١١٩٣) - ورواه ابن سعد في الطبقات (٢٢٧/٢) عن هوذة ، عن عوف ، عن أبي عثمان قال : بلغني أن صهيبًا ... فذكر نحوه ، ورواه ابن سعد في الطبقات (٢٢٨/٢) ، وأبو نعيم في الحلية (١٥١/١) من طريق علي بن زيد عن سعيد بن المسيب ، فذكر نحو القصة . وأخرج نحوه الحاكم في المستدرك (٣/ ٤٠٠) ، والبيهقي في دلائل النبوة (٥٢٢/٢) من طريق سعيد بن المسيب عن صهيب نحوه .

(١١٩٤) - أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢ / ٣٦٨) (١٩٣٩) وأبو نعيم في الحلية (١٥١/١) من طريق حماد بن سلمة به .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

(*) أي : أخرج ما فيها من سهام .

[٢] - في خ : « وانتشل » .

[٣] - في ت : « بكل » .

[٤] - في ز : « وقينتى » ، خ : « وفتيتي » . والقنية : ما يكتسب ويدخر .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٠٨) فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٠٩) ﴾

يقول الله[١] تعالىٰ آمرًا عباده المؤمنين به المصدقين برسوله ؛ أن يأخذوا بجميع عرىٰ الإسلام وشرائعه ، والعمل بجميع أوامره ، وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك .

قال العوفي : عن ابن عباس ومجاه د ، وطاوس والضحاك ، وعكرمة وقتادة ، والسدي وابن زيد في قوله : ﴿ **ادخلوا في السلم** ﴾ يعني : الإسلام .

وقال الضحاك - عن ابن عباس - وأبو العالية والربيع بن أنس ﴿ **ادخلوا في السلم** ﴾ يعني : الطاعة ، وقال قتادة أيضًا : الموادعة[٢] .

وقوله : (كافة) قال ابن عباس ومجاهد ، وأبو العالية وعكرمة ، والربيع [بن أنس][٣] ، والسدي ومقاتل بن حيان ، وقتادة والضحاك : جميعًا ،. وقال مجاهد : أي : اعملوا بجميع الأعمال ، ووجوه البر .

وزعم عكرمة أنها نزلت في نفر[٤] ممن أسلم من اليهود وغيرهم ، كعبد الله بن سلام وأسد بن عبيد وثعلبة وطائفة استأذنوا رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، في أن يسبتوا ، وأن يقوموا بالتوراة ليلًا ، فأمرهم الله بإقامة شعائر الإسلام ، والاشتغال بها عما عداها ، وفي ذكر عبدالله بن سلام مع هؤلاء نظر ، [إذ يبعد][٥] أن يستأذن في إقامة السبت ، وهو مع تمام إيمانه بتحقق نسخه ورفعه وبطلانه والتعويض عنه بأعياد الإسلام .

ومن المفسرين من يجعل قوله : ﴿ **كافة** ﴾ حالًا من الداخلين ، أي : ادخلوا في الإسلام كلكم ، والصحيح : الأول ؛ وهو أنهم أمروا كلهم[٦] أن يعملوا بجميع شعب الإيمان وشرائع الإسلام ، وهي كثيرة جدًّا ، ما استطاعوا منها ، كما قال[٧] ابن أبي حاتم(١١٩٥) : أخبرنا علي بن الحسين ، أخبرنا أحمد بن الصباح ، أخبرني الهيثم بن يمان ، حدثنا إسماعيل

(١١٩٥) - تفسير ابن أبي حاتم (٢ / ٣٦٩) (١٩٤٤) .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - بياض في : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٤] - في ز : « نفس » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في خ : « ويبعد » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز : « وقال » .

ابن زكريا ، حدثني محمد بن عون ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة** ﴾ كذا قرأها بالنصب يعني مؤمني أهل الكتاب ، فإنهم كانوا مع الإيمان بالله مستمسكين[١] ببعض أمور[٢] التوراة والشرائع التي أنزلت فيهم ، فقال الله : ﴿ **ادخلوا في السلم كافة** ﴾ يقول : ادخلوا في شرائع دين محمد ، صلىٰ الله عليه وسلم ، ولا تدعوا منها شيئًا ، وحسبكم الإيمان[٣] بالتوراة وما فيها .

وقوله : ﴿ **ولا تتبعوا خطوات الشيطان** ﴾ أي : اعملوا الطاعات ، واجتنبوا ما يأمركم به الشيطان فـ ﴿ **إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون** ﴾ ، و﴿ **إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير** ﴾ ، ولهذا قال : ﴿ **إنه لكم عدوّ مبين** ﴾ ، قال مطرف : أغش[٤] عباد الله لعبيد الله الشيطان .

وقوله : ﴿ **فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات** ﴾ أي : عدلتم عن الحق بعد ما قامت عليكم الحجج ، فاعلموا أن الله عزيز [ ][٥]في انتقامه ، لا يفوته هارب ، ولا يغلبه غالب ، حكيم في أحكامه ونقضه وإبرامه ؛ ولهذا قال أبو العالية وقتادة والربيع بن أنس : عزيز في نقمته ، حكيم في أمره . وقال محمد بن إسحاق : العزيز في نصره ممن كفر به إذا شاء ، الحكيم في عذره وحجته إلىٰ عباده .

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾

يقول تعالىٰ مهددًا للكافرين بمحمد صلوات الله وسلامه عليه : ﴿ **هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة** ﴾ يعني يوم القيامة ؛ لفصل القضاء بين الأوّلين والآخرين ، فيجزي كل عامل بعمله ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًّا فشر ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور** ﴾ كما قال : ﴿ **كلا إذا دكت الأرض دكًا دكًا * وجاء ربك والملك صفًا صفًا * وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنىٰ له الذكرىٰ** ﴾ ، وقال : ﴿ **هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك** ﴾ الآية .

وقد ذكر الإمام أبو جعفر بن جرير - هٰهنا - حديث الصور بطوله من أوله ، عن أبي هريرة عن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وهو حديث مشهور ساقه غير واحد من أصحاب المسانيد

---

[١] - في خ : « متمسكين » . [٢] - في ز ، خ : « أمر » .
[٣] - في ز ، خ : « بالإيمان » .
[٤] - في خ : « الغش » . [٥] - في ت : أي .

وغيرهم ، وفيه : أن الناس إذا اهتموا[١] لموقفهم في العرصات ، تشفعوا[٢] إلىٰ ربهم بالأنبياء واحدًا واحدًا من آدم فمن بعده[٣] ، فكلهم يحيد عنها ، حتىٰ ينتهوا إلىٰ محمد صلىٰ الله عليه وسلم فإذا جاءوا إليه قال : « **أنا لها ، أنا لها** » ، **فيذهب فيسجد لله تحت العرش** ، ويشفع عند الله في أن يأتي لفصل[٤] القضاء بين العباد ، فيشفعه الله ، ويأتي في ظلل من الغمام بعد ما تنشق السماء الدنيا ، وينزل من فيها من[٥] الملائكة ، ثم الثانية ثم الثالثة إلىٰ السابعة ، وينزل حملة[٦] العرش والكروبيون . قال : وينزل الجبار عز وجل في ظلل من الغمام والملائكة ، ولهم زجل من[٧] تسبيحهم يقولون : سبحان [ذي الملك والملكوت !][٨] سبحان رب العرش والجبروت سبحان الحي الذي لا يموت سبحان الذي يميت الخلائق ولا يموت سبوح قدوس ، رب الملائكة والروح ، قدوس قدوس سبحان ربنا الأعلىٰ ، سبحان ذي السلطان والعظمة ، سبحانه ، أبدًا أبدًا (١١٩٦) .

وقد أورد الحافظ أبو بكر بن مردويه - هاهنا - أحاديث فيها غرابة ، والله أعلم ، فمنها ما رواه : من حديث المنهال بن عمرو ، عن أبي عبيدة بن عبد الله بن ميسرة[٩] ، عن مسروق ، عن ابن مسعود ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **يجمع الله الأوّلين والآخرين لميقات يوم معلوم قيامًا ، شاخصة أبصارهم إلىٰ السماء ، ينتظرون فصل القضاء ، وينزل الله في ظلل من الغمام من العرش إلىٰ الكرسي** »(١١٩٧) .

وقال[١٠] ابن أبي حاتم(١١٩٨) : حدثنا أبو زرعة ، حدّثنا أبو بكر بن عطاء بن مقدم ، حدثنا

(١١٩٦) - تفسير الطبري (٤ / ٢٦٦ ، ٢٦٨) (٤٩٣٩) قال : حدثنا أبو كريب ، عن عبد الرحمن بن محمد المحاربي ، عن إسماعيل بن رافع المديني ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن رجل من الأنصار ، عن محمد ابن كعب القرظي ، عن أبي هريرة به مرفوعًا ، وإسناده ضعيف جدًا لضعف إسماعيل بن رافع ، والراوي عن محمد بن كعب مبهم . وسيأتي الحديث مرة أخرى في تفسير الآية (٧٣) من سورة الأنعام . وانظر تعليق العلامة أحمد شاكر على تفسير الطبري (٤/٢٦٨) .

(١١٩٧) - رواه الطبراني في المعجم الكبير (٩/٤١٦ ، ٤١٧) من طريقين عن المنهال بن عمرو به مطولًا .

(١١٩٨) - تفسير ابن أبي حاتم (٢ / ٣٧٢) (١٩٥٨) .

---

[١] - في ز ، خ : « أقيموا » .
[٢] - في ز ، خ : « يشفعوا » .
[٣] - في ز ، خ : « بعدهم » .
[٤] - في ز : « بفصل » .
[٥] - في ز : « ما » .
[٦] - في ز : « عليه » ، خ : « عليهم » .
[٧] - في ز : « في » .
[٨] - ما بين المعكوفتين في ز : « الملك ذي الملكوت » .
[٩] - في ز ، خ : « مسعود » .
[١٠] - في ز ، خ : « قال » .

معتمر بن سليمان ، سمعت عبد الجليل القيسي يحدّث عن عبد اللَّه بن عمرو ﴿ **هل ينظرون إلا أن يأتيهم اللَّه في ظلل من الغمام** ﴾ الآية ، قال : يهبط حين يهبط ، وبينه وبين خلقه سبعون ألف حجاب منها النور والظلمة والماء ، فيصوت الماء في تلك الظلمة صوتًا تنخلع له القلوب .

قال (١١٩٩) : وحدّثنا أبي ، حدثنا محمد بن الوزير الدمشقي ، حدّثنا الوليد قال : سألت زهير ابن محمد عن قول اللَّه : ﴿ **هل ينظرون إلا أن يأتيهم اللَّه في ظلل من الغمام** ﴾ قال : ظلل من الغمام : منظوم [من الياقوت][١] مكلل بالجوهر والزبرجد .

وقال ابن أبي نجيح (١٢٠٠) : عن مجاهد ﴿ **في ظلل من الغمام** ﴾ قال : هو غير السحاب ، ولم يكن قط إلا لبني إسرائيل في تيههم حين تاهوا .

وقال أبو جعفر الرازي (١٢٠١) : عن الربيع بن أنس عن أبي العالية : ﴿ **هل ينظرون إلا أن يأتيهم اللَّه في ظلل من الغمام والملائكة** ﴾ يقول : والملائكة يجيئون في ظلل من الغمام ، واللَّه تعالىٰ يجيء فيما يشاء ، وهي في بعض القراءات[٢] : (هل ينظرون إلا أن يأتيهم اللَّه والملائكة في ظلل من الغمام) ، وهي كقوله : ﴿ **ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا** ﴾ .

سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن بني إسرائيل : كم[٣] شاهدوا مع موسىٰ من آية بينة ، أي : حجة قاطعة بصدقه[٤] فيما جاءهم به ، كـ : يده ، وعصاه ، وفلقه البحر ، وضربه الحجر ، وما كان من تظليل الغمام عليهم في شدّة الحر ، ومن إنزال المنّ والسلوىٰ ، وغير ذلك من الآيات الدالات علىٰ وجود الفاعل المختار ، وصدق من جرت هذه الخوارق علىٰ يديه ، ومع هذا أعرض كثير

(١١٩٩) - تفسير ابن أبي حاتم (٢ / ٣٧٣) (١٩٦٢) .

(١٢٠٠) - أخرجه ابن جرير (٢٦٣/٤) (٤٠٣٤) ، وابن أبي حاتم (٣٧٢/٢) (١٩٦١) من طريق ابن أبي نجيح به .

(١٢٠١) - أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٧٣/٢) (١٩٦٣) بسنده إلى أبي جعفر الرازي

---

[١] - في ز ، خ : « بالياقوت » .

[٢] - في ز ، خ : « القراءة » .

[٣] - في ز : « قد » .

[٤] - في ز : « على صدقه » .

منهم عنها ، وبدلوا نعمة الله كفرًا[١] أي : استبدلوا بالإيمان بها الكفر بها[٢] والإعراض عنها ﴿ **ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإنّ الله شديد العقاب** ﴾ ، كما قال تعالىٰ إخبارًا عن كفار قريش : ﴿ **ألم تر إلىٰ الذين بدلوا نعمة الله كفرًا وأحلوا قومهم دار البوار * جهنم يصلونها وبئس القرار** ﴾ .

ثم أخبر تعالىٰ عن تزيينه الحياة الدنيا للكافرين الذين رضوا بها واطمأنوا إليها ، وجمعوا الأموال ، ومنعوها عن[٣] مصارفها التي أمروا بها مما يرضي الله عنهم ، وسخروا من الذين آمنوا الذين أعرضوا عنها ، وأنفقوا ما حصل لهم منها في طاعة ربهم ، وبذلوه[٤] ابتغاء وجه الله ، فلهذا فازوا بالمقام الأسعد ، والحظ الأوفر يوم معادهم ، فكانوا فوق أولئك في محشرهم ، ومنشرهم ، ومسيرهم ومأواهم ، فاستقرّوا في الدرجات في أعلىٰ عليين ، وخلد أولئك في الدركات في أسفل السافلين ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **والله يرزق من يشاء بغير حساب** ﴾ أي : يرزق من يشاء من خلقه ويعطيه عطاءً كثيرًا جزيلًا بلا حصر ، ولا تعداد في الدنيا والآخرة ، كما جاء في الحديث : « **ابن آدم أنفق ، أنفق عليك** »(١٢٠٢) ، وقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **أنفق بلال[٥] ولا تخش من ذى العرش إقلالًا[٦]** »(١٢٠٣) ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه** ﴾ ، وفي الصحيح : « **أن ملكين [ينزلان من السماء صبيحة][٧] كل يوم يقول أحدهما : اللهم أعط منفقًا[٨] خلفًا ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكًا[٩] تلفًا** » ، وفي الصحيح(١٢٠٤) : « **يقول ابن آدم : مالي مالي**

(١٢٠٢) - أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿وكان عرشه على الماء﴾ حديث (٤٦٨٤) ، وفي التوحيد باب : قول الله تعالى : ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ ...... حديث (٧٤ ٩٦) ، ومسلم في كتاب الزكاة حديث (٩٩٣) من حديث أبي هريرة .

(١٢٠٣) - رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/١٩٢) من طريق يحيى بن وثاب ، عن مسروق ، عن عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا ، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (٢/٥١) .

(١٢٠٤) - أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق حديث (٢٩٥٩) من حديث عبد الله بن الشخير . وأخرجه أحمد (٤ / ٢٤ ، ٢٦) ، والترمذي في كتاب الزهد حديث (٢٣٤٢) ، وفي كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة التكاثر حديث (٣٣٥٤) .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من ت .
[٣] - في خ : « من » .
[٤] - في ز : « وبذلوا » .
[٥] - في ز : « بلالًا » .
[٦] - في ت : « إجلالًا » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٨] - في ز : « منفق » .
[٩] - في ز : « ممسك » .

، [**وهل لك من مالك**][١] **إلا ما أكلت فأفنيت ، وما لبست فأبليت ، وما تصدّقت فأمضيت ، وما سوىٰ ذلك فذاهب وتاركه للناس** » .

وفي مسند الإمام أحمد عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أنه قال : « **الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له** »(١٢٠٥) .

كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾

قال ابن جرير(١٢٠٦) : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا أبو داود ، أخبرنا همام ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان بين نوح وآدم عشرة قرون ، كلهم علىٰ شريعة من الحق ، فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، قال : وكذلك هي في قراءة عبد الله (**كان الناس أمّة واحدة فاختلفوا**) .

ورواه الحاكم في مستدركه : من حديث بندار ، [ ][٢] محمد بن بشار ثم قال : صحيح الإسناد[٣] ولم يخرجاه .

وكذا روىٰ أبو جعفر الرازي(١٢٠٧) : عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب أنه كان يقرؤها : (**كان الناس أمّة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين**) .

(١٢٠٥) - المسند (٦/٧١) (٢٤٥٣٠) من حديث حسين بن محمد ، قال : ثنا دويد ، عن أبي إسحق ، عن عروة ، عائشة رضي الله عنها . وعزاه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٢٨٨) لأحمد وقال : «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير دويد وهو ثقة » .

(١٢٠٦) - تفسير الطبري (٤ / ٢٧٥) (٤٠٤٨) ، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢ / ٥٤٦ ، ٥٤٧) عن أبي نصر الخفاف ، عن أحمد بن سلمة ، عن محمد بن بشار به .

(١٢٠٧) - أخرجه الطبري في تفسيره (٤ / ٢٧٧ ، ٢٧٨) (٤٠٥٤) .

---

[١] - في ز ، خ : « وإن مالك من مالك » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « عن » . وهي زيادة مقحمة .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

وقال عبد الرزاق(١٢٠٨) : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ **كان الناس أمّة واحدة** ﴾ قال : كانوا على الهدىٰ جميعًا ﴿ **فاختلفوا فبعث اللَّه النبيين مبشرين ومنذرين** ﴾ فكان أوّل نبي بُعِثَ نوحًا ، وهكذا قال مجاهد كما قال ابن عباس أولًا .

وقال العوفي عن ابن عباس : ﴿ **كان الناس أمّة واحدة** ﴾ يقول : كانوا كفارًا ﴿ **فبعث اللَّه النبيين مبشرين ومنذرين** ﴾ ، والقول الأوّل عن ابن عباس أصح سندًا ومعنىً ؛ لأن الناس كانوا علىٰ ملة آدم عليه السلام حتىٰ عبدوا الأصنام ، فبعث اللَّه إليهم نوحًا عليه السلام ، فكان أوّل رسول بعثه اللَّه إلىٰ أهل الأرض .

ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيًا بينهم** ﴾ أي : من بعد ما قامت الحجج عليهم ، وما حملهم علىٰ ذلك إلا البغي من بعضهم[١] علىٰ بعض ﴿ **فهدىٰ اللَّه الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه واللَّه يهدي من يشاء إلىٰ صراط مستقيم** ﴾ .

وقال عبد الرزاق(١٢٠٩) : حدثنا معمر ، عن سليمان الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة [في قوله] : ﴿ **فهدىٰ اللَّه الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه** ﴾ الآية ، قال : قال النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **نحن الآخرون الأوّلون يوم القيامة ، نحن أوّل الناس دخولًا الجنة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، وأوتيناه من بعدهم ، فهدانا اللَّه لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه**[٢] **، فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه فهدانا اللَّه له ، فالناس لنا فيه تبع ، فغدًا لليهود وبعد غدٍ للنصارىٰ** » .

ثم رواه عبد الرزاق : عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن أبي هريرة .

وقال ابن وهب(١٢١٠) : عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه في قوله : ﴿ **فهدىٰ اللَّه**

(١٢٠٨) - تفسير عبد الرازق (١ / ٩٩) ومن طريقه الطبري في تفسيره (٤ / ٢٧٦) (٤٠ ٤٩) ، وابن أبي حاتم (٣٧٦/٢) (١٩٨٥) .

(١٢٠٩) - أخرجه أحمد في مسنده (٢ / ٢٧٤)، عن عبد الرزاق به . وأخرجه أحمد (٢ / ٢٤٩) ، ومسلم في كتاب الجمعة حديث (٨٥٥) من طريق الأعمش به . وأخرجه أحمد (٢ / ٢٧٤) والنسائي في الكبرى من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن أبي هريرة مرفوعًا .
وأخرجه البخاري في الجمعة ، باب : هل على من لم يشهد الجمعة الغسل ..... الحديث (٨٩٦) وفي أحاديث الأنبياء باب : ٥٤ حديث (٣٤٨٦) .

(١٢١٠) - أخرجه الطبري في تفسيره (٢٨٤/٤) (٤٠٦١) وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٧٨/٢) =

---

[١] - في ز : « بعض » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ﴾ : فاختلفوا في يوم الجمعة ، فاتخذ اليهود يوم السبت ، والنصارىٰ يوم الأحد ، فهدىٰ اللَّه أمّة محمد ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، ليوم الجمعة ، واختلفوا في القبلة ، فاستقبلت النصارىٰ المشرق واليهود بيت المقدس ، فهدىٰ اللَّه أمة محمد للقبلة ، واختلفوا في الصلاة ، فمنهم من يركع ولا يسجد ، ومنهم من يسجد ولا يركع ، ومنهم من يصلي وهو يتكلم ، ومنهم من يصلي وهو يمشي ، فهدىٰ اللَّه أمّة محمد للحق من ذلك ، واختلفوا في الصيام ، فمنهم من يصوم بعض النهار ، ومنهم من يصوم عن بعض الطعام ، فهدىٰ اللَّه أمّة محمد للحق من ذلك ، واختلفوا في إبراهيم عليه السلام ، فقالت اليهود : كان يهوديًا ، وقالت النصارىٰ : كان نصرانيًا ، وجعله اللَّه حنيفًا مسلمًا[١] ، فهدىٰ اللَّه أمّة محمد للحق من ذلك ، واختلفوا في عيسىٰ عليه السلام ، فكذبت به اليهود وقالوا لأمه بهتانًا عظيمًا ، وجعلته النصارىٰ إلهًا وولدًا ، وجعله اللَّه روحه وكلمته ، فهدىٰ اللَّه أمّة محمد ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، للحق من ذلك .

وقال الربيع بن أنس في قوله : **﴿ فهدىٰ اللَّه الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ﴾** أي : عند الاختلاف أنهم كانوا علىٰ ما جاءت به الرسل قبل الاختلاف ، أقاموا علىٰ الإخلاص للَّه عز وجل وحده وعبادته لا شريك له وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، فأقاموا علىٰ الأمر الأوّل الذي كان قبل الاختلاف ، واعتزلوا الاختلاف ، وكانوا شهداء علىٰ الناس يوم القيامة ، شهودًا علىٰ قوم نوح ، وقوم هود ، وقوم صالح ، وقوم شعيب ، وآل فرعون أن رسلهم قد بلغوهم ، وأنهم قد كذبوا رسلهم .

وفي قراءة أبي بن كعب : (وليكونوا شهداء علىٰ الناس يوم القيامة واللَّه يهدي من يشاء إلىٰ صراط مستقيم) ، وكان أبو العالية يقول : في هذه الآية المخرج من الشبهات والضلالات والفتن .

وقوله : **﴿ بإذنه ﴾** أي : بعلمه بهم [وبما هداهم][٢] له ؛ قاله[٣] ابن جرير **﴿ واللَّه يهدي من يشاء ﴾** أي : من خلقه **﴿ إلىٰ صراط مستقيم ﴾** أي : وله الحكمة[٤] والحجة البالغة ، وفي صحيح البخاري ومسلم[٥] عن عائشة(١٢١١) : أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، كان إذا قام من الليل يصلي يقول : « **اللهم رب جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، فاطر السموات**

= (١٩٩٤) عن يونس بن عبد الأعلى ، عن ابن وهب به .

(١٢١١) - صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها حديث (٧٧٠) ، ولم أقف على هذا الحديث في صحيح البخاري .

[١] - سقط من : خ .

[٢] - في ز : « بإهداهم » .

[٣] - في خ : « قال » .

[٤] - في ز : « الحكم » .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلىٰ صراط مستقيم » ، وفي الدعاء المأثور : « اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً ووفقنا لاجتنابه ، ولا تجعله ملتبسًا علينا فنضل ، واجعلنا للمتقين إمامًا » .

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (٢١٤)

يقول تعالىٰ : ﴿ **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة** ﴾ قبل أن تبتلوا ، وتختبروا ، وتمتحنوا كما فعل بالذين من قبلكم من الأمم ، ولهذا قال : ﴿ **ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء** ﴾ وهي الأمراض ، والأسقام ، والآلام ، والمصائب ، والنوائب .

قال ابن مسعود ، وابن عباس ، وأبو العالية ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، ومرّة الهَمداني[١] ، والحسن[٢] وقتادة ، والضحاك ، والربيع ، والسدي ، ومقاتل بن حيان : ﴿ **البأساء** ﴾ : الفقر [ ][٣] ﴿ **والضراء** ﴾ : السقم .

﴿ **وزلزلوا** ﴾ خوفًا من الأعداء زلزالًا شديدًا ، وامتحنوا امتحانًا عظيمًا ، كما جاء في الحديث الصحيح عن خباب بن الأرت(١٢١٢) قال : قلنا : يا رسول الله ، ألا تستنصر لنا ؟ ألا تدعو الله لنا فقال : « **إن من كان قبلكم [كان أحدهم][٤] يوضع المنشار[٥] على مفرق رأسه ، فيخلص إلىٰ قدميه ، لا يصرفه ذلك عن دينه ، [ويمشط بأمشاط][٦] الحديد ما بين لحمه وعظمه لا يصرفه ذلك عن دينه** » ، ثم قال[٧] : « **والله ، ليتمنّ الله هذا الأمر حتىٰ يسير الراكب من صنعاء إلىٰ حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على**

(١٢١٢) – أخرجه البخاري في كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام حديث (٣٦١٢) ، وفي مناقب الأنصار باب : ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة حديث (٣٨٥٢) ، وفي كتاب الإكراه ، باب : من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر حديث (٦٩٤٣) من حديث قيس عن خباب به .

[١] – في ت : « الهمذاني » .
[٢] – سقط من : خ .
[٣] – في ز : « قال ابن عباس » .
[٤] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] – في ز : « الميشار » .
[٦] – في خ : « ويوشر بميشار » .
[٧] – سقط من : ز ، خ .

غنمه ، ولكنكم قوم[١] تستعجلون » .

وقال اللّه تعالىٰ : ﴿ **الم * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمنّ اللّه الذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين** ﴾ .

وقد حصل من هذا جانب عظيم للصحابة ، رضي اللّه تعالىٰ عنهم ، في يوم الأحزاب كما قال اللّه تعالىٰ : ﴿ **إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون باللّه الظنونا * هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالًا شديدًا * وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا اللّه ورسوله إلا غرورًا** ﴾ الآيات .

ولما سأل هرقل أبا سفيان(١٢١٣) : هل قاتلتموه ؟ قال : نعم ، قال : فكيف كانت[٢] الحرب بينكم ؟ قال : سجالًا ، يدال علينا وندال عليه ، قال : كذلك الرسل تبتلىٰ ، ثم تكون لها العاقبة[٣] .

وقوله : ﴿ **مثل الذين خلوا من قبلكم** ﴾ أي : سننهم ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **فأهلكنا أشدّ منهم بطشًا ومضىٰ مثل الأوّلين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وزلزلوا حتىٰ يقول الرسول والذين آمنوا معه متىٰ نصر اللّه** ﴾ أي : يستفتحون علىٰ أعدائهم ، ويدعون بقرب الفرج ، والمخرج عند ضيق الحال والشدّة . قال اللّه تعالىٰ : ﴿ **ألا إنّ نصر اللّه قريب** ﴾ ، كما قال : ﴿ **فإنّ مع العسر يسرًا إنّ مع العسر يسرًا** ﴾ .

وكما تكون الشدة ينزل من النصر مثلها ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ألا إن نصر اللّه قريب** ﴾ ، [وفي حديث أبي رزين : « **عجب ربك من قنوط عباده وقُرب غيثه ، فينظر إليهم قنطين فيظل يضحك ، يعلم أن فرجهم قريب** »(١٢١٤) الحديث][٤] .

يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ

(١٢١٣) – حديث هرقل رواه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الوحي برقم (٧) من حديث ابن عباس .

(١٢١٤) – رواه أحمد (١١/٤ ، ١٢) (١٦٢٣٥) (١٦٢٤٩) وأخرجه ابن ماجة في المقدمة ، باب : فيما أنكرت الجهمية (٦٤/١) حديث (١٨١) من طريق أبي بكر بن أبي شيبة ، ثنا يزيد به . وأخرجه الطبراني في الكبير (٢٠٧/١٩) حديث (٤٦٩) . وقال البوصيري في الزوائد : هذا إسناد فيه مقال ، وكيع ذكره ابن حبان في الثقات ، وذكره الذهبي في الميزان ، وباقي رجاله احتج بهم مسلم .

[١] – سقط من : ز ، خ .

[٢] – في ز : « كان » .

[٣] – في خ : « العافية » .

[٤] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾

قال مقاتل بن حيان : هذه الآية في نفقة التطوّع ، وقال السدي : نسختها الزكاة وفيه نظر ، ومعنىٰ الآية : يسألونك كيف ينفقون ؟ قاله ابن عباس ، ومجاهد ، فبين لهم تعالىٰ ذلك فقال : ﴿ **قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامىٰ والمساكين وابن السبيل** ﴾ أي : اصرفوها في هذه الوجوه ، كما جاء في[١] الحديث : « **أمّك ، وأباك** ، [**وأختك ، وأخاك**][٢] **ثم أدناك أدناك** »(١٢١٥) وتلا ميمون بن مهران هذه الآية ثم قال : هذه مواضع النفقة ما ذكر فيها طبلًا ولا مزمارًا ولا تصاوير الخشب ولا كسوة الحيطان .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **وما تفعلوا من خير فإنّ اللّٰه به عليم** ﴾ أي مهما صدر منكم من فعل معروف فإن اللّٰه يعلمه ، وسيجزيكم علىٰ ذلك أوفر الجزاء ، فإنه لا يظلم أحدًا[٣] مثقال ذرة .

كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾

هذا إيجاب من اللّٰه تعالىٰ للجهاد علىٰ المسلمين أن يكفوا شر الأعداء عن حوزة الإسلام .

وقال الزهري : الجهاد واجب[٤] علىٰ كل أحد غزا أو قعد ، فالقاعد عليه إذا استعين أن يعين ، وإذا استغيث أن يغيث ، وإذا استنفر أن ينفر ، وإن لم يحتج إليه قعد .

(قلت) : ولهذا ثبت في الصحيح : « **من مات ولم يغز ، ولم يحدث نفسه بالغزو - مات ميتة جاهلية** »(١٢١٦) ، وقال عليه السلام يوم الفتح : « **لا هجرة** [**بعد الفتح**][٥] ،

(١٢١٥) - جزء من حديث أخرجه أحمد في مسنده (٢٢٦/٢) من طريقين عن أبي رمثة التميمي .
وجزء من حديث أخرجه أحمد (٦٤/٤) ، (٣٧٧/٥) عن الأشعث بن سليم ، عن أبيه ، عن رجل من بني يربوع .

(١٢١٦) - أخرجه مسلم في الإمارة حديث (١٩١٠) ، وأبو داود في كتاب الجهاد ، باب : كراهية ترك الغزو ، حديث (٢٥٠٢) ، والنسائي في الجهاد ، باب : التشديد في ترك الجهاد (٨/٦) من حديث أبي هريرة .

---

[١] - زيادة من : ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ت : « وجب » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا »(١٢١٧) .

وقوله : ﴿ **وهو كره لكم** ﴾ أي شديد عليكم ومشقة ، وهو كذلك ؛ فإنه إما أن يقتل ، أو يجرح ، مع مشقة السفر ، ومجالدة الأعداء .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **وعسىٰ أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم** ﴾ أي : لأن القتال يعقبه النصر والظفر علىٰ الأعداء ، والاستيلاء علىٰ بلادهم ، وأموالهم وذراريهم ، وأولادهم .

﴿ **وعسىٰ أن تحبوا شيئًا وهو شر لكم** ﴾ وهذا عام في الأمور كلها ، قد يحب المرء شيئًا وليس له فيه خيرة ولا مصلحة ، ومن ذلك القعود عن القتال ، قد يعقبه استيلاءُ العدو علىٰ البلاد والحكم .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **والله يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾ أي هو أعلم بعواقب الأمور منكم وأخبر بما فيه صلاحكم في دنياكم وأخراكم ، فاستجيبوا له وانقادوا لأمره لعلكم ترشدون .

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ
أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ
ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾

قال ابن أبي حاتم(١٢١٨) : حدّثنا أبي ، حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، حدثني الحضرمي ، عن أبي السوار ، عن جندب بن عبد الله : أن رسول

(١٢١٧) - أخرجه البخاري في كتاب جزاء الصيد ، باب : لا يحل القتال بمكة حديث (١٨٣٤) ، وفي الجهاد والسير ، باب : فضل الجهاد والسير حديث (٢٧٨٣) ، وفي باب : وجوب النفير ، وما يجب من الجهاد والنية ، حديث (٢٨٢٥) ، ومسلم في كتاب الحج ، حديث (١٣٥٣) من حديث ابن عباس .

(١٢١٨) - تفسير ابن أبي حاتم (٢/٣٨٤) (٢٠٢٢) ، وأخرجه الطبري في تفسيره (٤/٣٠٦ ، ٣٠٧)(٤٠٨٤) ، والبيهقي في سننه (٩/١١ ، ١٢) من طريق المعتمر به .

اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، بعث رهطًا ، وبعث عليهم أبا عبيدة بن الجراح[١] ، فلما ذهب ينطلق بكىٰ صبابة إلىٰ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فجلس [فحبسه][٢] ، فبعث عليهم مكانه عبد اللَّه بن جحش ، وكتب له كتابًا وأمره ألَّا يقرأ الكتاب حتىٰ يبلغ مكان كذا وكذا ، وقال : « **لا تكرهن أحدًا علىٰ السير معك من أصحابك** » ، فلما قرأ الكتاب استرجع وقال : سمعًا وطاعة للَّه ولرسوله ، فخبرهم الخبر وقرأ عليهم الكتاب ، فرجع رجلان وبقي بقيتهم ، فلقوا ابن الحضرمي فقتلوه ، ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب ، أو من جمادىٰ ، فقال المشركون للمسلمين : قتلتم في الشهر الحرام ! فأنزل اللَّه : ﴿ **يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير** ﴾ الآية .

وقال السدي : عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن ابن مسعود ﴿ **يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير** ﴾ الآية . وذلك أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، بعث سرية وكانوا سبعة نفر ، عليهم عبد اللَّه بن جحش الأسدي ، وفيهم عمار بن ياسر وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وسعد بن أبي وقاص ، وعتبة بن غزوان السلمي[٣] حليف لبني[٤] نوفل ، وسهيل بن بيضاء ، وعامر بن فهيرة ، وواقد بن عبد اللَّه اليربوعي حليف لعمر بن الخطاب ، وكتب لابن جحش كتابًا وأمره ألَّا يقرأه حتىٰ ينزل بطن ملل[٥] ، فلما نزل بطن ملل[٦] فتح الكتاب ، فإذا فيه : « **أن سر ، حتىٰ تنزل بطن نخلة**(*) » ، فقال لأصحابه : من كان يريد الموت فليمض وليوص ، فإنني موص وماض لأمر رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فسار ، فتخلف عنه سعد بن أبي وقاص وعتبة ، أضلا راحلة لهما فأتيا بحران[٧] يطلبانها ، وسار ابن جحش إلىٰ بطن نخلة ، فإذا هو بالحكم بن كيسان ، والمغيرة بن عثمان [وعمرو بن الحضرمي][٨] وعبد الله بن المغيرة ، وانفلت المغيرة وقتل عمرو، قتله واقد بن عبد الله ، فكانت أول غنيمة غنمها أصحاب [النبي] صلىٰ اللَّه عليه وسلم .

فلما رجعوا إلى المدينة بالأسيرين[٩] وما أصابوا من المال أراد[١٠] أهل مكة أن يفادوا الأسيرين [فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « **حتى ننظر ما فعل صاحبانا** » فلما رجع سعد وصاحبه فادىٰ بالأسيرين، ففجر][١١] عليه المشركون . وقالوا : إن محمدًا يزعم أنه يتبع طاعة اللَّه ،

---

[١] - في ز ، خ : « الحارث » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في خ : « السليمي » .
[٤] - في ز ، خ : « أبي » .
[٥] - [٦] - في ت : « نخلة » . وملل : موضع بين مكة والمدينة ، على بعد سبعة عشر ميلًا من المدينة .
(*) بطن نخلة : قرية قريبة من المدينة على طريق البصرة . معجم البلدان [١/٥٥٣] .
[٧] - في ز : « بحوبان » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٩] - في ز : « بأسيرين » .
[١٠] - في خ : « أرادوا » .
[١١] - ما بين المعكوفتين بياض في ز ، خ .

وهو أول من استحل الشهر الحرام وقتل صاحبنا في رجب ، فقال المسلمون : إنما قتلناه في جمادىٰ وقيل :[١] في أول [ليلة من][٢] رجب وآخر ليلة من جمادىٰ - وغمد المسلمون سيوفهم حين دخل شهر رجب ، فأنزل[٣] اللّٰه يعير أهل مكة : ﴿ **يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير** ﴾ لا يحل ، وما صنعتم أنتم يا معشر المشركين أكبر من القتل في الشهر الحرام ، حين كفرتم باللّٰه وصددتم عن محمد ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وأصحابه ، وإخراج أهل المسجد الحرام منه حين أخرجوا محمدًا ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وأصحابه[٤] أكبر من القتل عند اللّٰه .

وقال العوفي : عن ابن عباس ﴿ **يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير** ﴾ وذلك أن المشركين صدّوا رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وردوه عن المسجد في شهر حرام ، قال[٥] : ففتح اللّٰه علىٰ نبيه في شهر حرام من العام المقبل ، فعاب المشركون علىٰ رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم القتال في شهر حرام ، فقال اللّٰه : ﴿ **وصد عن سبيل اللّٰه وكفرٌ به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند اللّٰه** ﴾ من القتال فيه ، وأن محمدًا ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وبعث سرية ، فلقوا عمرو[٦] بن الحضرمي ، وهو مقبل من الطائف في آخرليلة من جمادىٰ وأول ليلة من رجب ، وإن أصحاب محمد ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، كانوا يظنون أن تلك الليلة من جمادىٰ ، وكانت أول رجب ولم يشعروا ، فقتله رجل منهم ، وأخذوا ما كان معه ، وأن المشركين أرسلوا يعيرونه بذلك ، فقال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل اللّٰه وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه** ﴾ : إخراج أهل المسجد الحرام أكبر من الذي أصاب أصحاب محمد ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، والشرك أشد منه .

وهكذا روىٰ أبو سعيد البقال[٧] ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أنها نزلت في سرية عبد اللّٰه ابن جحش وقتل عمرو بن الحضرمي . وقال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن السائب الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال : نزل فيما كان من مصاب عمرو بن الحضرمي ﴿ **يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه** ﴾ إلىٰ آخر الآية .

وقال عبد الملك بن هشام - راوي السيرة - عن زياد بن عبد اللّٰه البكائي[٨] ، عن محمد بن إسحاق بن يسار المدني رحمه اللّٰه في كتاب السيرة له أنه قال : وبعث[٩] رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه

---

[١] - في ز ، خ : « وقتل » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في خ : « وأنزل » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : ز ، و بياض في خ .
[٦] - في ز : « عمر » .
[٧] - في ز ، خ : « المنهال » .
[٨] - سقط من : خ .
[٩] - في ز : « يعني » .

عليه وسلم ، عبد اللّٰه بن جحش بن رئاب الأسدي في رجب ، مقفله من بدر الأولىٰ ، وبعث معه ثمانية[١] رهط من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد ، وكتب له كتابًا وأمره ألّا ينظر فيه حتىٰ يسير يومين ثم ينظر فيه ، فيمضي لما أمره به ولا يستكره من أصحابه أحدًا ، وكان أصحاب عبد اللّٰه بن جحش [ ][٢] من المهاجرين ، ثم من بني عبد شمس بن عبد مناف أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، ومن حلفائهم : عبد اللّٰه بن جحش وهو أمير القوم ، وعكاشة بن محصن بن حُرْثان أحد بني أسد بن خزيمة حليف لهم ، ومن بني نوفل بن عبد مناف عتبة بن غزوان بن جابر حليف لهم ، ومن بني[٣] زهرة ابن كلاب سعد بن أبي وقاص ، ومن بني [كعب بن عدي بن][٤] عامر بن ربيعة حليف لهم من عنز[٥] ابن وائل ، وواقد بن عبد اللّٰه بن عبد مناف بن عرين[٦] بن ثعلبة بن يربوع أحد بني تميم حليف لهم ، وخالد بن البكير أحد بني سعد بن ليث حليف لهم ، ومن بني الحارث بن فهر سهيل بن بيضاء .

فلما سار عبد اللّٰه بن جحش يومين فتح الكتاب ، فنظر فيه[٧] فإذا فيه : إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتىٰ تنزل نخلة بين مكة والطائف ترصد بها قريشًا ، وتعلم لنا من أخبارهم ، فلما نظر عبد اللّٰه بن جحش في الكتاب قال : سمعًا وطاعة ، ثم قال لأصحابه : قد أمرني رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أن أمضي إلىٰ نخلة أرصد بها قريشًا حتىٰ آتيه منهم بخبر ، وقد نهاني أن أستكره أحدًا منكم ، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ، فأما أنا فماض لأمر رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فمضىٰ ومضىٰ معه أصحابه ، لم يتخلف عنه منهم أحد ، فسلك علىٰ الحجاز ، حتىٰ إذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له : بحران ، أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرًا لهما كانا يعتقبانه ، فتخلفا عليه في طلبه ، ومضىٰ عبد اللّٰه بن جحش ، وبقية أصحابه حتىٰ نزل نخلة ، فمرت به عير لقريش تحمل زبيبًا ، وأدمًا وتجارة من تجارة قريش فيها عمرو بن الحضرمي [- واسم الحضرمي عبد اللّٰه بن عباد أحد الصَّدِف -][٨] ، وعثمان بن عبد اللّٰه بن المغيرة ، وأخوه نوفل ابن عبد اللّٰه المخزوميان ، والحكم بن كيسان مولىٰ هشام بن المغيرة .

فلما رآهم القوم هابوهم ، وقد نزلوا قريبًا منهم ، فأشرف لهم عكاشة بن محصن ، وكان قد

---

[١] - في ز : « ثماني » .
[٢] - في ز ، خ : « خمس » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز ، خ : « عدي بن كعب » .
[٥] - في خ : « غير » .
[٦] - في خ : « عزير » .
[٧] - سقط من خ .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

حلق رأسه ، فلما رأوه أمِنوا وقالوا : عُمّار لا بأس عليكم منهم ، وتشاور القوم فيهم وذلك في آخر يوم من رجب ، فقال القوم : واللَّه لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلُنَّ الحرم فليمتنعُنَّ منكم به[١] ، ولئن قتلتموهم لتقتلُنَّهُمْ في الشهر الحرام ، فتردّد القوم وهابوا الإقدام عليهم ، ثم شجعوا أنفسهم عليهم ، وأجمعوا على[٢] قتل من قدروا عليه منهم ، وأخذ ما معهم ، فرمىٰ واقد بن عبد اللَّه التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله ، واستأسر عثمان بن عبد اللَّه ، والحكم بن كيسان [وأفلت القوم نوفل بن عبد اللَّه] فأعجزهم ، وأقبل عبد اللَّه بن جحش ، وأصحابه بالعير ، والأسيرين حتىٰ قدموا علىٰ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، المدينة .

قال ابن إسحاق : وقد ذكر بعض آل عبد اللَّه بن جحش : أن عبد اللَّه قال لأصحابه : إن لرسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، مما غنمنا الخمس ، وذلك قبل أن يفرض اللَّه[٣] الخمس من المغانم ، فعزل لرسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، خمس العير ، وقسم سائرها بين أصحابه .

قال ابن إسحاق : فلما قدموا علىٰ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « **ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام** » ، فوقف العير والأسيرين ، وأبىٰ أن يأخذ من ذلك شيئًا ، فلما قال ذلك رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، أُسْقِط في أيدي القوم ، وظنوا[٤] أنهم قد هلكوا ، وعنفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا ، وقالت قريش : قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم ، وأخذوا فيه الأموال ، وأسروا فيه الرجال ، فقال من يرد عليهم من المسلمين ممن كان بمكة : إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان ، وقالت اليهود[٥] - تفاءلوا بذلك علىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم - : عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد اللَّه ، [عمرو عمرت الحرب ، والحضرمي حضرت الحرب ، وواقد بن عبد اللَّه][٦] وقدت الحرب ، فجعل اللَّه عليهم ذلك لا لهم ، فلما أكثر الناس في ذلك أنزل اللَّه علىٰ رسول[٧] اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل اللَّه وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند اللَّه والفتنة أكبر من القتل** ﴾ أي : إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام ، فقد صدوكم عن سبيل اللَّه مع الكفر به وعن المسجد الحرام ، وإخراجكم منه وأنتم أهله ﴿ **أكبر عند اللَّه** ﴾ من قتل من قتلتم منهم ﴿ **والفتنة أكبر من القتل** ﴾ أي : قد كانوا يفتنون المسلم عن[٨] دينه حتىٰ يردّوه إلىٰ الكفر بعد إيمانه ، فذلك

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - في ز : « فظنوا » .

[٥] - في ز ، خ : « يهود » .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٧] - في ز ، خ : « رسوله » .

[٨] - في ت : « في » .

أكبر عند اللَّه من القتل ﴿ **ولا يزالون يقاتلونكم حتىٰ يردوكم عن دينكم إن استطاعوا** ﴾ أي : ثم هم مقيمون علىٰ أخبث ذلك وأعظمه غير تائبين ولا نازعين .

قال ابن إسحاق : فلما نزل القرآن بهذا من الأمر ، وفرج اللَّه عن المسلمين ما كانوا فيه من الشدّة[١] ، قبض رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، [وآله وسلم] العير والأسيرين ، وبعثت[٢] إليه قريش في فداء عثمان بن عبد اللَّه ، والحكم بن كيسان ، فقال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لا نفديكموهما حتىٰ يقدم صاحبانا** » - يعني : سعد بن أبي وقاص ، وعتبة بن غزوان - « **فإنا نخشاكم عليهما ، فإن تقتلوهما نقتل صاحبيكم** » ، فقدم سعد وعتبة ، ففداهما[٣] رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، منهم .

فأما الحكم بن كيسان فأسلم وحسن إسلامه وأقام عند رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم حتىٰ قتل يوم بئر معونة شهيدًا ، وأما عثمان بن عبد اللَّه فلحق بمكة فمات بها كافرًا .

قال ابن إسحاق : فلما تجلىٰ عن عبد اللَّه بن جحش ، وأصحابه ما كانوا[٤] [فيه حين][٥] نزل القرآن طمعوا في الأجر ، فقالوا : يا رسول اللَّه ، أنطمع أن تكون لنا غزوة نعطىٰ فيها أجر المجاهدين ؟ فأنزل اللَّه عز وجل : ﴿ **إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل اللَّه أولئك يرجون رحمة اللَّه واللَّه غفور رحيم** ﴾ ، فوضعهم[٦] اللَّه من ذلك علىٰ أعظم الرجاء ، قال ابن إسحاق : والحديث في هذا عن الزهري ، ويزيد بن رومان عن عروة .

وقد روىٰ يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير قريبًا من هذا السياق ، وروىٰ موسىٰ بن عقبة عن الزهري نفسه نحو ذلك .

وروىٰ شعيب بن أبي حمزة عن الزهري ، عن عروة بن الزبير نحوًا من هذا أيضًا ، وفيه : فكان ابن الحضرمي أول قتيل قتل بين المسلمين والمشركين ، فركب وفد من كفار قريش حتىٰ قدموا علىٰ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، بالمدينة ، فقالوا : أيحل القتال في الشهر الحرام ؟ فأنزل اللَّه : ﴿ **يسألونك عن الشهر الحرام** ﴾ الآية ، وقد استقصىٰ ذلك الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب دلائل النبوة (١٢١٩) .

ثم قال ابن هشام : عن زياد ، عن ابن[٧] إسحاق ، وقد ذكر عن بعض آل عبد اللَّه أن اللَّه

(١٢١٩) - أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣ / ١٨ ، ١٩) .

[١] - في ز : « الشفق » ، وسقط من : خ .

[٢] - في ز : « وبعث » .

[٣] - في خ : « وأفداهما » .

[٤] - في ت : « كان » .

[٥] - بياض مكانها في ز ، خ .

[٦] - في ز ، خ : « فوضع » .

[٧] - سقط من : ز ، خ .

قسم الفيء حين أحله ، فجعل أربعة أخماسه[١] لمن أفاءه وخُمسًا إلىٰ اللَّه ورسوله ، فوقع علىٰ ما كان عبد اللَّه بن جحش صنع في تلك العير (١٢٢٠) .

قال ابن هشام : وهي أول غنيمة غنمها المسلمون ، وعمرو بن الحضرمي أول من قتل المسلمون ، وعثمان بن عبد اللَّه والحكم بن كيسان أول من أسر المسلمون (١٢٢١) .

قال ابن إسحاق : فقال أبو بكر الصديق رضي اللَّه عنه في غزوة عبد اللَّه بن جحش ، ويقال بل عبد اللَّه بن جحش قالها حين قالت قريش : قد أحل محمد وأصحابه الشهر الحرام ، فسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه المال وأسروا فيه الرجال ، قال ابن هشام : هي لعبد اللَّه بن جحش .

تعدون[٢] قتلًا في الحرام عظيمة ... وأعظم منه لو يرىٰ الرشد راشد
صدودكم عما يقول محمد ... وكفر به واللَّه راء وشاهد
وإخراجكم من مسجد اللَّه أهله ... لئلا يرىٰ للَّه في البيت ساجد
فإنا وإن عيرتمونا بقتله ... وأرجف بالإسلام باغ وحاسد
سقينا من ابن الحضرمي رماحنا ... بنخلة لما أوقد الحرب واقد
دمًا وابن عبد اللَّه عثمان بيننا ... ينازعه غُلٌّ من القِدّ[٣] عاند[٤]

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢١٩) فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٠) ﴾

قال الإمام أحمد (١٢٢٢) : حدّثنا خلف بن الوليد ، حدّثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة ، عن عمر أنه قال : لما نزل تحريم الخمر قال : اللهم ، بين لنا في الخمر بيانًا شافيًا ،

(١٢٢٠) - السيرة النبوية لابن هشام (١/٦٠٥) .

(١٢٢١) - السيرة النبوية لابن هشام (١/٦٠٥) .

(١٢٢٢) - المسند (١/٥٣) (٣٧٨) ، وأخرجه أبو داود في الأشربة ، باب : في تحريم الخمر =

[١] - في ز ، خ : « أخماس » .
[٢] - في خ : « يمدون » .
[٣] - في ت ، خ : « القيد » .
[١] في خ : « عايد » .

فنزلت هذه الآية التي في البقرة ﴿ **يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير** ﴾ ، فدعي عمر ، فقرئت عليه ، فقال : اللهم ، بين لنا في الخمر بيانًا شافيًا فنزلت الآية التي في النساء ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارىٰ** ﴾ ، فكان منادي رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، إذا أقام الصلاة نادىٰ : أن لا يقربن الصلاة سكران ، فدعي عمر ، فقرئت عليه ، فقال : اللهم ، بين لنا في الخمر بيانًا شافيًا ، فنزلت الآية التي في المائدة ، فدعي عمر ، فقرئت عليه ، فلما بلغ : ﴿ **فهل أنتم منتهون** ﴾ قال عمر : انتهينا انتهينا .

وهكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي من طرق عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، وكذا رواه ابن أبي حاتم ، وابن مردويه من طريق الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة - واسمه عمرو ابن شرحبيل - الهمداني الكوفي ، عن عمر وليس له عنه سواه ، لكن [ ][١] قال أبو زرعة : لم يسمع منه ، واللَّه أعلم .

وقال علي بن المديني : هذا إسناد[٢] صالح صحيح[٣] . وصححه الترمذي ، وزاد ابن أبي حاتم بعد قوله : (انتهينا) : إنها تذهب المال وتذهب العقل . وسيأتي هذا الحديث أيضًا مع ما رواه أحمد من طريق أبي هريرة أيضًا عند قوله في سورة المائدة : ﴿ **إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون** ﴾ الآيات .

فقوله : ﴿ **يسألونك عن الخمر والميسر** ﴾ أما الخمر فكما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي اللَّه عنه - : إنه كل ما خامر العقل ؛ كما سيأتي بيانه في سورة المائدة ، وكذا الميسر وهو القمار .

وقوله : ﴿ **قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس** ﴾ أما إثمهما فهو في الدين ، وأما المنافع فدنيوية من حيث أن فيها نفع البدن ، وتهضيم الطعام ، وإخراج الفضلات ، وتشحيذ بعض الأذهان ، ولذة الشدة المطربة التي فيها كما قال حسان بن ثابت في جاهليته :

ونشربُها فتتركنا ملوكًا وأُسدًا لا ينهنهها[٤] اللقاء

وكذا بيعها والانتفاع بثمنها ، وما كانُ يقمّشُه بعضُهم من الميسر فينفقه علىٰ نفسه ، أو

= حديث (٣٦٧٠) ، والترمذي في تفسير القرآن ، باب : ومن سورة المائدة حديث (٣٠٤٩) ، والنسائي في كتاب الأشربة ، باب تحريم الخمر (٢٨٦/٨) من طرق عن إسرائيل به . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢ / ٣٨٨ ، ٣٨٩) (٢٠٤٤) من طريق سفيان عن أبي إسحاق به . والحديث صحح إسناده العلامة أحمد شاكر في تعليقه على المسند .

[١] - في ت : « قد » .
[٢] - في ز ، خ : « الإسناد » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ت : ينهنهنا .

عياله ، ولكن هذه المصالح لا توازي مضرته ومفسدته الراجحة ؛ لتعلقها بالعقل والدين ؛ ولهذا قال [اللَّه تعالىٰ][١] : ﴿ **وإثمهما أكبر من نفعهما** ﴾ ، ولهذا كانت هذه الآية ممهدة لتحريم الخمر علىٰ البتات ، ولم تكن مصرحة بل معرضة ، ولهذا قال عمر رضي اللَّه عنه لما قرئت عليه : اللهم بين لنا في الخمر بيانًا شافيًا ، حتىٰ نزل التصريح بتحريمها في سورة المائدة ﴿ **يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر اللَّه وعن الصلاة فهل أنتم منتهون** ﴾ ، وسيأتي الكلام علىٰ ذلك في سورة المائدة إن شاء اللَّه تعالىٰ وبه الثقة .

قال ابن عمر والشعبي ، ومجاهد ، وقتادة ، والربيع بن أنس ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : إن[٢] هذه أول آية نزلت في الخمر ﴿ **يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير** ﴾ ثم نزلت الآية التي في سورة النساء ، ثم [نزلت الآية][٣] التي في [سورة][٤] المائدة فحرمت الخمر .

وقوله : ﴿ [ ][٥]**يسألونك ماذا ينفقون قل العفو** ﴾ قرئ بالنصب وبالرفع وكلاهما حسن متجه قريب .

قال ابن أبي حاتم(١٢٢٣) : حدثنا أبي ، حدّثنا موسىٰ بن إسماعيل ، حدّثنا أبان ، حدّثنا يحيىٰ : أنه بلغه أن معاذ بن جبل وثعلبة أتيا رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقالا : يارسول اللَّه ، إن لنا أرقاء وأهلين من أموالنا ، فأنزل اللَّه : ﴿ **ويسألونك ماذا ينفقون** ﴾ .

وقال الحكم[٦] عن مقسم ، عن ابن عباس ﴿ **ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو** ﴾ قال : ما يفضل عن أهلك .

وكذا روي عن ابن عمر ، ومجاهد ، وعطاء ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب والحسن ، وقتادة ، والقاسم ، وسالم ، وعطاء الخراساني ، والربيع بن أنس ، وغير واحد أنهم قالوا في قوله : ﴿ **قل العفو** ﴾ : يعني الفضل ، وعن طاوس : اليسير من كل شيء ، وعن الربيع أيضًا : أفضل مالك وأطيبه . والكل يرجع إلىٰ الفضل .

(١٢٢٣) - تفسير ابن أبي حاتم (٢/٣٩٣) (٢٠٦٨) . وإسناده منقطع ، بين يحيى ومعاذ مفاوز .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز .
[٥] - في خ : « و » .
[٦] - في ز : « الحاكم » .

وقال عبد بن حميد في تفسيره : حدّثنا هوذة بن خليفة ، عن عوف ، عن الحسن ، [في الآية][1] ﴿ ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو ﴾ قال : ذلك ألَّا تجهد[2] مالك ثم تقعد تسأل الناس .

ويدل علىٰ ذلك ما رواه ابن جرير(١٢٢٤) : حدّثنا علي بن مسلم ، حدّثنا أبو عاصم ، عن ابن عجلان ، عن المقبري ، عن أبي هريرة قال : قال رجل : يا رسول الله ، عندي دينار، قال : « **أنفقه علىٰ نفسك** » ، قال : عندي آخر ، قال : « **أنفقه علىٰ أهلك** » ، قال : عندي آخر ، قال : « **أنفقه علىٰ ولدك** » ، قال : عندي آخر ، قال : « **فأنت أبصر** » .

وقد رواه مسلم في صحيحه .

وأخرج[3] مسلم أيضًا عن جابر(١٢٢٥) : أنّ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال لرجل : « **ابدأ بنفسك فتصدق عليها ، فإن فضل شيء فلأهلك ، فإن فضل شيء عن أهلك فلذي قرابتك ، فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا** » .

وعنده عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **خير الصدقة ما كان عن ظهر غنىٰ ، واليد العليا خير من اليد[4] السفلىٰ ، وابدأ بمن تعول** »(١٢٢٦) .

وفي الحديث أيضًا : « **ابن آدم ، إنك إن تبذل الفضل خير لك ، وإن تمسكه شر لك ، ولا**

(١٢٢٤) - تفسير الطبري (٣٤٠/٤) (٤١٧٠) ، وأخرجه الحميدي (١١٧٦) ، وأحمد (٢ / ٢٥١ ، ٤٧١) ، والبخاري في الأدب المفرد (١٩٧) ، وأبو داود في كتاب الزكاة ، باب : في صلة الرحم حديث (١٦٩١) ، والنسائي في كتاب الزكاة ، (٦٢/٥) ، من طرق عن ابن عجلان به .
وقول المصنف : « وقد رواه مسلم في صحيحه » . وهم ، وكذا قال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على تفسير الطبري ، وانظر تحفة الأشراف (١٣٠٤١/٩) .

(١٢٢٥) - صحيح مسلم ، كتاب الزكاة حديث (٩٩٧) ، وأخرجه أبو داود في كتاب العتق ، باب في بيع المدبر حديث (٣٩٥٧) والنسائي في الزكاة ، باب : أي الصدقة أفضل (٥ / ٦٩ ، ٧٠) ، وفي البيوع ، باب بيع المدبر (٧ / ٣٠٤) من حديث أبي الزبير عن جابر .

(١٢٢٦) - أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الزكاة ، باب : لا صدقة إلّا عن ظهر غنى الحديث (١٤٢٦) من حديث أبي هريرة ، وأطرافه في (١٤٢٨ ، ٥٣٥٥ ، ٥٣٥٦) ، وليس الحديث في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ، وإنما رواه مسلم في الزكاة (١٠٣٤) من حديث حكيم بن حزام .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : « يجهد » .
[٣] - في ت : « وأخرجه » .
[٤] - سقط من : ز .

تلام على كفاف»(١٢٢٧) .

ثم قد قيل : إنها منسوخة بآية الزكاة كما رواه علي بن أبي طلحة ، والعوفي عن ابن عباس ، وقاله عطاء الخراساني ، والسدي ، وقيل : مبينة بآية الزكاة قاله مجاهد وغيره ، وهو أوجه .

وقوله : ﴿ **كذلك يبيّن الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون * في الدنيا والآخرة** ﴾ أي : كما فصل لكم هذه الأحكام ، وبينها ، وأوضحها ، كذلك يبين لكم سائر الآيات في أحكامه ، ووعده ووعيده لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة .

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس يعني : في زوال الدنيا ، وفنائها ، وإقبال الآخرة ، وبقائها .

وقال ابن أبي حاتم(١٢٢٨) : حدّثنا أبي ، حدّثنا علي بن محمد الطنافسي ، حدّثنا أبو أسامة ، عن الصعق التميمي قال : شهدت الحسن ، وقرأ هذه الآية من البقرة ﴿ **لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة** ﴾ قال : هي والله لمن تفكر فيها ؛ ليعلم أن الدنيا دار بلاءٍ ثم دار فناء ، وليعلم أن الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء .

وهكذا قال قتادة ، وابن جريج وغيرهما .

وقال عبد الرزاق(١٢٢٩) ، عن معمر ، عن قتادة : لتعلموا[١] فضل الآخرة على الدنيا . وفي رواية عن قتادة : فآثروا الآخرة على الأولى .

وقوله : ﴿ **ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم** ﴾ الآية .

قال ابن جرير(١٢٣٠) : حدّثنا سفيان بن وكيع ، حدّثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما نزلت ﴿ **ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن** ﴾ و ﴿ **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا إنما يأكلون في بطونهم نارًا وسيصلون سعيرًا** ﴾ انطلق

(١٢٢٧) - أخرجه مسلم في كتاب الزكاة ، حديث (١٠٣٦) ، والترمذي في كتاب الزهد ، باب : (٣٢) حديث (٢٣٤٣) ، وأحمد (٥/ ٢٦٢) من حديث أبي أمامة .

(١٢٢٨) - تفسير ابن أبي حاتم (٢ / ٣٩٤) (٢٠٧٦) .

(١٢٢٩) - أخرجه الطبري في تفسيره (٣٤٨/٤) (٤١٧٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢ / ٣٩٤) (٢٠٧٧) من طريق عبد الرزاق به .

(١٢٣٠) - تفسير الطبري (٣٥٠/٤) (٤١٨٣) ، وأخرجه أحمد (٣٢٥/١) (٣٠٠٢) ، وأبو داود في =

---

[١] - في ز ، خ : « ليعلموا » .

من كان عنده يتيم ، فعزل طعامه من طعامه ، وشرابه من شرابه ، فجعل يفضل له الشيء من طعامه فيحبس له حتىٰ يأكله أو يفسد ، فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فأنزل اللّٰه : ﴿ **ويسألونك عن اليتامىٰ قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم** ﴾ فخلطوا طعامهم بطعامهم ، وشرابهم بشرابهم .

وهكذا رواه أبو داود ، والنسائي ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، والحاكم في مستدركه من طرق عن عطاء بن السائب ، به .

وكذا رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، وكذا رواه السدي عن أبي مالك ، وعن أبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرّة عن ابن مسعود بمثله ، وهكذا ذكر غير واحد في سبب نزول هذه الآية ؛ كمجاهد ، وعطاء ، والشعبي ، وابن أبي ليلىٰ ، وقتادة ، وغير واحد من السلف والخلف .

قال وكيع [بن الجراح][١] (١٢٣١) : حدّثنا هشام الدستوائي ، عن حماد ، عن إبراهيم قال : قالت عائشة رضي اللّٰه عنها : إني لأكره أن يكون مال اليتيم عندي عُرَّة(*)[٢] حتىٰ أخلط طعامه بطعامي وشرابه بشرابي .

فقوله : ﴿ **قل إصلاح لهم خير** ﴾ أي : علىٰ حدة ﴿ **وإن تخالطوهم فإخوانكم** ﴾ أي : وإن خلطتم طعامكم بطعامهم ، وشرابكم بشرابهم فلا بأس عليكم ؛ لأنهم إخوانكم في الدين ؛ ولهذا قال : ﴿ **واللّٰه يعلم المفسد من المصلح** ﴾ أي يعلم من قصده ونيته الإفساد أو الإصلاح .

وقوله : ﴿ **ولو شاء اللّٰه لأعنتكم إن اللّٰه عزيز حكيم** ﴾ أي : ولو شاء اللّٰه[٣] لضيق عليكم وأحرجكم ، ولكنه وسع عليكم ، وخفف عنكم ، وأباح لكم مخالطتهم بالتي هي أحسن ، [كما][٤] قال تعالىٰ : ﴿ **ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن** ﴾ ، بل قد جوّز الأكل منه للفقير بالمعروف ؛ إما بشرط ضمان البدل لمن أيسر أو مجانًا كما سيأتي بيانه في

= كتاب الوصايا ، باب : مخالطة اليتيم في الطعام حديث (٢٨٧١) ، والنسائي في كتاب الوصايا ، باب : ما للوصي من مال اليتيم إذا قام عليه (٦ / ٢٥٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٣٩٥) (٢٠٨١) ، والحاكم (٢/ ٢٧٨) ، والبيهقي (٥/ ٢٥٨ ، ٢٥٩) ، (٦/٥) من طريق عطاء بن السائب به .

(١٢٣١) - أخرجه الطبري في تفسيره (٣٥٥/٤) (٤٢٠٠) عن أبي كريب ، عن وكيع به .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

(*) قال في النهاية : « هى القَذَر وعَذِرة الناس » [٢٠٥/٣] .

[٢] - في ز : « عدة » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - في ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

سورة النساء إن شاء اللّه وبه الثقة .

﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٢١) ﴾

هذا تحريم من اللّه عز وجل علىٰ المؤمنين أن يتزوجوا المشركات من عبدة الأوثان ، ثم إن[١] كان عمومها مرادًا ، وأنه يدخل فيها كل مشركة من كتابية ووثنية ، فقد خص من ذلك نساء أهل الكتاب بقوله : ﴿ **والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن [محصنين غير مسافحين][٢]** ﴾ .

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله : ﴿ **ولا تنكحوا المشركات حتىٰ يؤمن** ﴾ : استثنىٰ اللّه من ذلك نساء أهل الكتاب ، وهكذا قال[٣] مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد ابن جبير ، ومكحول ، والحسن ، والضحاك ، وزيد بن أسلم ، والربيع بن أنس ، وغيرهم .

وقيل : بل المراد بذلك المشركون[٤] من عبدة الأوثان ، ولم يرد أهل الكتاب بالكلية ، والمعنىٰ قريب من الأول ، واللّه أعلم .

فأمّا ما رواه ابن جرير (١٢٣٢) : حدّثني عبيد بن آدم بن أبي إياس العسقلاني ، حدّثنا أبي ، حدثنا عبد الحميد بن بهرام الفزاري ، حدّثنا شهر بن حوشب قال : سمعت عبد اللّه بن عباس يقول : نهىٰ رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، عن أصناف النساء إلا ما كان من المؤمنات والمهاجرات ، وحرّم كل ذات دين غير الإسلام . قال اللّه عز وجل : ﴿ **ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله** ﴾ ، وقد نكح طلحة بن عبيد اللّه يهودية ، ونكح حذيفة بن اليمان نصرانية ، فغضب عمر بن الخطاب غضبًا شديدًا حتىٰ هم أن يسطو عليهما ، فقالا : نحن نطلق يا أمير المؤمنين ولا تغضب ، فقال : لئن حل طلاقهن لقد حل نكاحهن ، لكني أنتزعهن منكم صَغَرة قَمَأة .

(١٢٣٢) - تفسير الطبري (٤/٣٦٤) (٤٢٢١) ، وفي إسناده شهر بن حوشب وقد تكلم فيه .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « محصنات غير مسافحات » .

[٣] - سقط من : ز . [٤] - في ز : « المشركين » .

فهو حديث غريب جدًّا ، وهذا الأثر [غريب عن عمر][١] أيضًا .

قال أبو جعفر بن جرير(١٢٣٣) رحمه اللَّه بعد حكايته الإجماع علىٰ إباحة تزويج الكتابيات : وإنما كره عمر ذلك لئلا يزهد الناس في المسلمات ، أو لغير ذلك من المعاني ، كما حدّثنا أبوكريب ، حدّثنا ابن إدريس ، حدّثنا الصلت بن بهرام ، عن شقيق قال : تزوج حذيفة يهودية ، [فكتب إليه عمر : خل سبيلها ، فكتب إليه : أتزعم أنها حرام فأخلي سبيلها ؟][٢] فقال : لا أزعم أنها حرام ، ولكني أخاف أن تعاطوا الموسات[٣] منهن .

وهذا إسناد صحيح ، وروىٰ الخلال عن محمد بن إسماعيل ، عن وكيع ، عن الصلت نحوه .

وقال ابن جرير(١٢٣٤) : حدّثني موسىٰ بن عبد الرحمن المسروقي[٤] ، حدثنا محمد بن بشر ، حدثنا سفيان[٥] بن سعيد ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن زيد بن وهب[٦] قال : قال عمر بن الخطاب : المسلم يتزوج النصرانية ، ولا يتزوج النصراني المسلمة .

قال : وهذا أصح إسنادًا من الأول .

ثم قال(١٢٣٥) : وقد حدثنا تميم بن المنتصر ، أخبرنا إسحاق الأزرقي[٧] ، عن شريك ، عن أشعث بن سوار ، عن الحسن ، عن جابر بن عبد اللَّه قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **نتزوج نساء أهل الكتاب ، ولا يتزوجون نساءنا** » .

ثم قال : وهذا الخبر وإن كان في إسناده ما فيه ، فالقول به لإجماع الجميع من الأمة [على صحة القول][٨] به ، كذا قال ابن جرير رحمه اللَّه .

(١٢٣٣) - تفسير الطبري (٣٦٦/٤) برقم (٤٢٢٣) وأخرجه البيهقي (١٧٢/٧) من طريق سفيان عن الصلت به .

(١٢٣٤) - تفسير الطبري (٣٦٦/٤) (٤٢٢٢) ، وأخرجه البيهقي في (١٧٢/٧) من طريق سفيان به .

(١٢٣٥) - تفسير الطبري (٣٦٧/٤) (٤٢٢٤) ، وإسناده فيه مقال ؛ فإن الحسن مختلف في سماعه من جابر ابن عبد الله ، انظر جامع التحصيل ص (١٩٧) . وتعليق الشيخ شاكر على تفسير الطبري .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « عن عمر غريب » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في ز ، خ : « المؤمنات » .

[٤] - في ز : « المروى » ، خ : « المروزي » .

[٥] - في ز : « شقيق » .

[٦] - في ز ، خ : « وهيب » .

[٧] - في ز : « الأزرق » .

[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي ، حدثنا وكيع ، عن جعفر ابن برقان ، عن ميمون بن مهران ، عن ابن عمر : أنه كره نكاح أهل الكتاب ، وتأول ﴿ **ولا تنكحوا المشركات حتىٰ يؤمن** ﴾ .

[وقال البخاري (١٢٣٦) : وقال ابن عمر : لا أعلم شركًا أعظم من أن تقول : ربها عيسىٰ][١] .

وقال [أبو بكر][٢] الخلال الحنبلي : حدّثنا محمد بن [أبي][٣] هارون ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ح .

وأخبرني محمد بن علي ، حدثنا صالح بن أحمد : أنهما سألا أبا عبد اللّٰه أحمد بن حنبل عن قول اللّٰه : ﴿ **ولا تنكحوا المشركات حتىٰ يؤمن** ﴾ قال : مشركات العرب الذين يعبدون الأصنام[٤] .

وقوله : ﴿ **ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم** ﴾ قال السدي : نزلت في عبد اللّٰه ابن رواحة ، كانت له أمة سوداء ، فغضب عليها فلطمها ، ثم فزع فأتىٰ رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فأخبره خبرها[٥] ، فقال له : « **ما هي ؟** » ، قال : تصوم ، وتصلي ، وتحسن الوضوء ، وتشهد أن لا إله إلا اللّٰه ، وأنك رسول اللّٰه ، فقال : « **يا [ ]**[٦] **عبد اللّٰه ، هذه مؤمنة** » ، فقال : والذي بعثك بالحق لأعتقنها ، ولأتزوجنها ، ففعل ، فطعن عليه ناس من المسلمين ، وقالوا نكح أمته[٧] ، وكانوا يريدون أن ينكحوا إلىٰ المشركين ، وينكحوهم رغبة في أحسابهم ، فأنزل اللّٰه : ﴿ **ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم** ﴾ ﴿ **ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم** ﴾ .

وقال عبد بن حميد (١٢٣٧) : حدّثنا جعفر بن عون ، حدثنا عبد الرحمن بن زياد الإفريقي ، عن [عبد اللّٰه بن يزيد ، عن عبد اللّٰه بن عمرو] [٨]، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **لا**

(١٢٣٦) – صحيح البخاري ، كتاب الطلاق ، باب قول الله تعالى : ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ......﴾ الحديث (٥٢٨٥) .

(١٢٣٧) – المنتخب من مسند عبد بن حميد (٣٢٨) ، وأخرجه ابن ماجة في كتاب النكاح ، باب : تزويج ذات الدين حديث (١٨٥٩) من طريق عبد الرحمن المحاربي وجعفر بن عون ، عن عبد الرحمن بن زياد =

---

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٢] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٣] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] – في ز : « الأوثان » .
[٥] – في ز ، خ : « خبرها » .
[٦] – ما بين المعكوفتين في خ : « أبا » .
[٧] – في ز : « أمة » .
[٨] – في ز : عبد الله بن عمرو .

تنكحوا النساء لحسنهن فعسىٰ حسنهن أن يرديهن ، ولا تنكحوهن علىٰ أموالهن ؛ فعسىٰ أموالهن أن تطغيهن[١] ، **وانكحوهن علىٰ الدين ، فلأمة سوداء خرماء ذات دين أفضل** » ، والإفريقي ضعيف .

وقد ثبت في الصحيحين(١٢٣٨) ، عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **تنكح المرأة لأربع : لمالها ، [ولحسبها ، ولجمالها]**[٢] ، **ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك** » ولمسلم عن جابر مثله(١٢٣٩) ، وله عن[٣] ابن عمر : أنّ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **الدنيا متاع ، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة** »(١٢٤٠) .

وقوله : ﴿ **ولا تنكحوا المشركين حتىٰ يؤمنوا** ﴾ أي : لا تزوجوا الرجال المشركين النساء المؤمنات كما قال تعالىٰ : ﴿ **لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم** ﴾ أي : ولرجل مؤمن – ولو كان عبدًا حبشيًا – خير من مشرك[٤] ، وإن كان رئيسًا سريًا ، ﴿ **أولئك يدعون إلىٰ النار** ﴾ أي : معاشرتهم ومخالطتهم تبعث عل حب الدنيا ، واقتنائها ، وإيثارها علىٰ الدار الآخرة ، وعاقبة ذلك وخيمة ، ﴿ **والله يدعو إلىٰ الجنة والمغفرة بإذنه** ﴾ أي : بشرعه ، وما أمر به ، وما نهىٰ عنه ﴿ **ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون** ﴾ .

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ

= الأفريقي به . وإسناده ضعيف لضعف الافريقي ، وانظر زوائد ابن ماجة للبوصيري (٢/٧١) .

(١٢٣٨) – أخرجه البخاري في كتاب النكاح ، باب : الأكفاء في الدين ، حديث (٥٠٩٠) ، ومسلم في كتاب الرضاع ، حديث (١٤٦٦) من حديث أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة به .

(١٢٣٩) – أخرجه مسلم في كتاب الرضاع حديث (٧١٥) (٥٤) ، وأخرجه أحمد (٣/٣٠٢) ، والترمذي في كتاب النكاح ، باب : ما جاء أن المرأة تنكح على ثلاث خصال حديث (١٠٨٦) ، والنسائي في باي النكاح ، باب : على ما تنكح المرأة (٦/ ٦٥) ، وابن ماجة في كتاب النكاح باب : تزويج الأبكار حديث (١٨٦٠) من حديث عطاء بن أبي رباح عن جابر به .

(١٢٤٠) – صحيح مسلم كتاب الرضاع حديث ٦٤ – (١٤٦٧) (١٠/٨٢) من حديث عبد الله بن عمرو.

[١] – في ز : « يطغيهن » .

[٢] – في ز : « وحسبها وجمالها » . [٣] – في ز : « في » .

[٤] – في ز : « المشرك » .

وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾

قال الإمام أحمد(١٢٤١) : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس : أن اليهود كانوا[١] إذا حاضت المرأة منهم لم يؤاكلوها ، ولم يجامعوها في البيوت ، فسأل أصحاب النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فأنزل اللَّه عز وجل : ﴿ **ويسألونك عن المحيض قل هو أذىٰ فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتىٰ يطهرن فإذا تطهرن** ﴾ حتىٰ فرغ من الآية ، فقال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **اصنعوا كل شيء إلا النكاح** » ، فبلغ ذلك اليهود فقالوا : ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئًا إلا خالفنا فيه ، فجاء أسيد بن حضير ، وعباد بن بشر فقالا : يا رسول اللَّه ، إن اليهود قالت : كذا وكذا أفلا نجامعهن ؟ فتغير وجه رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، حتىٰ ظننا أن قد وجد عليهما ، فخرجا ، فاستقبلتهما[٢] هدية من لبن إلىٰ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فأرسل في آثارهما ، فسقاهما ، فعرفا أن لم يجد عليهما .

رواه مسلم من حديث حماد [ ][٣] بن سلمة .

فقوله : ﴿ **فاعتزلوا النساء في المحيض** ﴾ : يعني الفرج ؛ لقوله : « **اصنعوا[٤] كل شيء إلا الجماع[٥]** » ، ولهذا ذهب كثير من العلماء - أو أكثرهم - إلىٰ أنه يجوز مباشرة الحائض فيما عدا الفرج .

قال أبو داود(١٢٤٢) [ ][٦] : حدثنا موسىٰ بن إسماعيل ، حدثنا حماد ، عن أيوب ، عن عكرمة ، عن بعض أزواج النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : أن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، كان إذا أراد من الحائض شيئًا ، ألقىٰ علىٰ فرجها ثوبًا .

وقال أبو داود(١٢٤٣) أيضًا[٧] : حدثنا القعنبي ، حدثنا عبد اللَّه - يعني ابن عمر بن

(١٢٤١) - المسند (١٣٢/٣) وصحيح مسلم برقم (٣٠٢) .
(١٢٤٢) - سنن أبي داود برقم (٢٧٢) .
(١٢٤٣) - سنن أبي داود برقم (٢٧٠) .

[١] - في ز : « كانت » .
[٢] - في ز : « فاستقبلهما » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في خ : ت : « بن زيد » . وهي زيادة مقحمة .
[٤] - في خ : « افعلوا » .
[٥] - في خ : « النكاح » .
[٦] - في خ ، ت : « أيضًا » .
[٧] - سقط من : ز .

غانم[١] - عن عبد الرحمن - يعني : ابن زياد - عن عمارة بن غُرَاب ، أن [عمة له][٢] حدّثته : أنها سألت عائشة فقالت[٣] : إحدانا تحيض ، وليس لها ولزوجها فراش إلا فراش واحد ، قالت : أخبرك بما صنع رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : دخل فمضىٰ إلىٰ مسجده -قال أبو داود : تعني مسجد بيتها - فما انصرف حتىٰ غلبتني عيني ، وأوجعه البرد فقال : « **ادني مني** » ، فقلت : إني حائض ، فقال : « **اكشفي عن فخذيك** » ، فكشفت فخذي ، فوضع خده وصدره علىٰ فخذي ، وحنيت عليه [حتىٰ دفئ][٤] ونام ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم

وقال أبو جعفر بن جرير(١٢٤٤) : حدثنا ابن بشار ، حدثنا عبد الوهاب ، حدثنا أيوب ، عن كتاب أبي قلابة : أن مسروقًا ركب إلىٰ عائشة ، فقال : السلام علىٰ النبي وعلىٰ أهله . فقالت عائشة : [مرحبًا مرحبًا][٥] . فأذنوا له فدخل فقال : إني أريد أن أسألك عن شيء وأنا أستحي ، فقالت : إنما أنا أمك ، وأنت ابني ، فقال : ما للرجل من امرأته وهي حائض ؟ فقالت : له كل شيء إلا فرجها .

ورواه أيضًا (١٢٤٥) : عن حميد بن مسعدة ، عن يزيد بن زريع ، عن عيينة بن عبد الرحمن ابن جوشن[٦] ، عن مروان الأصفر ، عن مسروق قال : قلت لعائشة : ما يحل للرجل من امرأته إذا كانت حائضًا ؟ قالت : كل شيء إلا الجماع . وهذا قول ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن ، وعكرمة .

وروىٰ ابن جرير أيضًا(١٢٤٦) : عن أبي كريب ، عن ابن أبي زائدة ، عن حجاج ، عن ميمون ابن مهران ، عن عائشة قالت : له ما فوق الإزار .

(قلت)[٧] : ويحل[٨] مضاجعتها ، ومؤاكلتها بلا خلاف .

قالت عائشة (١٢٤٧) : كان رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يأمرني فأغسل رأسه ، وأنا

(١٢٤٤) - تفسير الطبري (٣٧٨/٤) (٤٢٤٥) .

(١٢٤٥) - تفسير الطبري (٣٧٧/٤) (٤٢٤٢) .

(١٢٤٦) - تفسير الطبري (٣٧٨/٤) (٤٢٤٦) .

(١٢٤٧) - أخرجه البخاري في كتاب الحيض ، (٢٩٧) . وطرفه في (٧٥٤٩) . ومسلم في كتاب الحيض ، (رقم : ٣٠١) .

---

[١] - بياض في ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين بياض في ز ، خ .

[٣] - في ز : « قالت » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « بردتي » .

[٥] - في ز : « ابنَ عائشة » .

[٦] - في ز ، خ : « حرس » .

[٧] - سقط من : ز .

[٨] - في ز : « وتحل » .

حائض ، وكان يتكئ في حجري وأنا حائض ، فيقرأ القرآن .

وفي الصحيح(١٢٤٨) عنها قالت : كنت أتعرق(*) العِرْقَ ، وأنا حائض ، فأعطيه النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فيضع فمه في الموضع الذي وضعت فمي فيه ، وأشرب الشراب ، فأناوله ، فيضع فمه في الموضع الذي كنت أشرب منه[١] .

وقال أبو داود(١٢٤٩) : حدثنا مسدد ، حدثنا يحيىٰ ، عن جابر بن صبح ، [ ][٢] سمعت خلاسًا[٣] الهَجَري قال : سمعت عائشة تقول : كنت أنا ورسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم نبيت في الشعار(**) الواحد ، وأنا[٤] حائض طامث ، فإن أصابه مني شيء غسل مكانه لم يَعْدُه ، وإن أصابه[٥] - يعني ثوبه - شيء[٦] غسل مكانه لم يَعْدُه ، وصلىٰ فيه .

فأما ما رواه أبو داود(١٢٥٠) : حدثنا سعيد بن عبد الجبار ، حدثنا عبد العزيز - يعني : ابن محمد - عن أبي اليمان ، عن أم ذرة[٧] ، عن عائشة أنها قالت : كنت إذا حضت نزلت عن المثال[٨] علىٰ الحصير ، فلم نَقْرُبْ[٩] رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، ولم نَدْنُ[١٠] منه حتىٰ نطهر[١١] - فهو محمول علىٰ التنزه والاحتياط .

وقال آخرون : إنما تحل له مباشرتها فيما عدا ما تحت الإزار ، كما ثبت في الصحيحين ، عن ميمونة بنت الحارث الهلالية قالت : كان النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، إذا أراد أن يباشر امرأة من نسائه أمرها فاتزرت وهي حائض(١٢٥١) . وهذا لفظ البخاري ، ولهما عن عائشة

(١٢٤٨) - صحيح مسلم برقم (٣٠٠) .

(*) العرق : العظم إذا أخذ عنه معظم اللحم . وتعرقت العظم وعرقته واعترقته : إذا أخذت عنه اللحم بأسنانك .

(١٢٤٩) - سنن أبي داود برقم (٢٦٩) .

(**) الاعار : ما ولي جسد الإنسان دون ما سواه من الثياب .

(١٢٥٠) - سنن أبي داود برقم (٢٧١) .

(١٢٥١) - صحيح البخاري برقم (٣٠٣) ، وصحيح مسلم برقم (٢٩٤) .

[١] - سقط من : ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « قال » .

[٣] - في ز : « خلاس » .

[٤] - في ز : « وإني » .

[٥] - في ز : « أصاب » .

[٦] - في ز : « شيئًا » .

[٧] - في خ : « درة » .

[٨] - بياض في ز ، خ .

[٩] - في ز ، خ : « يقرب » .

[١٠] - في ز ، خ : « يدن » .

[١١] - في ز ، خ : « يطهر » .

نحوه(١٢٥٢) .

وروى الإمام أحمد(١٢٥٣) ، وأبو داود والترمذي ، وابن ماجة من حديث العلاء ، عن حزام ابن حكيم ، عن عمه عبد الله بن سعد الأنصاري : أنه سأل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : ما يحل لي من امرأتي وهي حائض ؟ قال : « [ ][١] **ما فوق الإزار** » .

ولأبي داود أيضًا(١٢٥٤) عن معاذ بن جبل ، قال : سألت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عما يحل لي من امرأتي وهي حائض . قال : « **ما فوق الإزار ، والتعفف عن ذلك أفضل** » ، وهو رواية عن عائشة كما تقدم ، وابن عباس ، وسعيد بن المسيب ، وشريح .

فهذه الأحاديث وما شابهها حجة من ذهب إلى أنه يحل [ ][٢] ما فوق الإزار منها ، وهو أحد القولين في مذهب الشافعي رحمه الله ، الذي رجحه كثير من العراقيين وغيرهم . ومأخذهم[٣] : أنه حريم الفرج ، فهو حرام ، لئلا يتوصل إلى تعاطي ما حرم الله عز وجل الذي أجمع العلماء على تحريمه ، وهو المباشرة في الفرج ، ثم من فعل ذلك فقد أثم ، فيستغفر[٤] الله ويتوب إليه . وهل يلزمه مع ذلك كفارة أم لا ؟ فيه قولان :

(أحدهما) : نعم ، لما رواه الإمام أحمد(١٢٥٥) ، وأهل السنن : عن ابن عباس ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في الذي يأتي امرأته وهي حائض ، يتصدق بدينار ، أو نصف دينار . وفي لفظ الترمذي : « **إذا كان دمًا أحمر فدينار ، وإذا[٥] كان دمًا أصفر فنصف دينار** » .

وللإمام أحمد أيضًا عنه : أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، جعل في الحائض تصاب دينارًا ، فإن [أصابها وقد][٦] أدبر الدم[٧] عنها ولم تغتسل فنصف دينار .

(١٢٥٢) - صحيح البخاري حديث (٣٠٠) ، وصحيح مسلم حديث (٢٩٣) .
(١٢٥٣) - المسند (٣٤٢/٤) ، وسنن أبي داود برقم (٢١٢) ، سنن الترمذي برقم (١٣٣) ، وسنن ابن ماجة حديث (٦٥١) .
(١٢٥٤) - سنن أبي داود برقم (٢١٣) .
(١٢٥٥) - المسند (٢٣٠/١) ، وسنن أبي داود برقم (٢٦٦) ، وسنن الترمذي برقم (١٣٦) ، وسنن النسائي الكبرى برقم (٢٨٢) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « لك » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « له » .
[٣] - في ز « ومأخذه » .
[٤] - في ز : « ويستغفر » .
[٥] - في ز : « وإن » .
[٦] - في خ : « العلاء بن الحارث » .
[٧] - سقط من : ز ، خ .

(والقول الثاني) : وهو الصحيح الجديد من مذهب الشافعي ، وقول الجمهور : أنه لا شيء في ذلك ، بل يستغفر اللَّه عز وجل ؛ لأنه لم يصح عندهم رفع هذا الحديث ؛ فإنه قد روي مرفوعًا ، كما تقدم ، وموقوفًا وهو الصحيح عند كثير من أئمة الحديث ، فقوله تعالىٰ : ﴿ **ولا تقربوهن حتىٰ يطهرن** ﴾ : تفسير لقوله : ﴿ **فاعتزلوا النساء في المحيض** ﴾ ، ونهي عن قربانهن بالجماع ما دام الحيض موجودًا ، ومفهومه حله إذا انقطع .

[ ][١] .

وقوله : ﴿ **فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم اللَّه** ﴾ فيه ندب ، وإرشاد إلىٰ غشيانهن بعد الاغتسال ، وذهب ابن حزم إلىٰ وجوب الجماع بعد كل حيضة ، لقوله : ﴿ **فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم اللَّه** ﴾ ، وليس له في ذلك مستند ؛ لأن هذا أمر بعد الحظر . وفيه أقوال لعلماء الأصول : منهم من يقول : إنه للوجوب كالمطلق ، وهؤلاءِ يحتاجون إلىٰ جواب ابن حزم ، ومنهم من يقول : إنه للإباحة ، ويجعلون تقدم النهي عليه قرينة صارفة له عن الوجوب ، وفيه نظر . والذي ينهض عليه الدليل أنه يرد الحكم إلىٰ ما كان عليه الأمر قبل النهي ، [فإذا كان][٢] واجبًا فواجب كقوله تعالى : ﴿ **فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين** ﴾ ، أو مباحًا فمباح كقوله تعالى : ﴿ **وإذا حللتم فاصطادوا** ﴾ ﴿ **فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض** ﴾ ، وعلىٰ هذا القول تجتمع الأدلة ، وقد حكاه الغزالي وغيره ، واختاره بعض أئمة المتأخرين ، وهو الصحيح ، وقد اتفق العلماء علىٰ أن المرأة إذا انقطع حيضها لا تحل حتىٰ تغتسل بالماء ، أو تتيمم إن تعذر ذلك عليها بشرطه ، إلا أن أبا حنيفة رحمه اللَّه يقول ، فيما إذا انقطع دمها لأكثر الحيض- وهو عشرة أيام عنده - : إنها تحل بمجرّد الانقطاع ، ولا تفتقر إلىٰ غسل ، واللَّه أعلم .

وقال ابن عباس : ﴿ **حتىٰ يطهرن** ﴾ أي : من الدم ﴿ **فإذا تطهرن** ﴾ أي : بالماء . وكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، ومقاتل بن حيان ، والليث بن سعد ، وغيرهم .

وقوله : ﴿ **من حيث أمركم اللَّه** ﴾ قال ابن عباس ، ومجاهد ، وغير واحد : يعني الفرج ، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : ﴿ **فأتوهن من حيث أمركم اللَّه** ﴾ يقول : في الفرج ،

---

[١] - ما بين المعكوفتين جاء في ز ، في هذا الموضع ما نصه [قال الإمام أبو عبد اللَّه أحمد بن محمد بن حنبل فيما أملاه في الطاعة : وقوله : ﴿ **ويسألونك عن المحيض قل هو أذىٰ فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتىٰ يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث** ﴾ الآية ، الطهر يدل علىٰ أن يقربها ، فلما قالت ميمونة وعائشة : كانت إحدانا إذا حاضت اتزرت ودخلت مع رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم في شعاره ، دل ذلك علىٰ إنه إنما أراد الجماع] .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « فإن » .

ولا تعدوه[١] إلىٰ غيره ، فمن فعل شيئًا من ذلك هذا[٢] فقد اعتدىٰ .

وقال ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة : ﴿ **من حيث أمركم الله** ﴾ أي : أن تعتزلوهن . وفيه دلالة حينئذ علىٰ تحريم الوطء في الدبر ، كما سيأتي تقريره قريبًا [إن شاء الله تعالىٰ][٣] .

وقال أبو رَزين ، وعكرمة ، والضحاك ، وغير واحد : ﴿ **فأتوهن من حيث أمركم الله** ﴾ يعني : طاهرات غير حيض ، ولهذا قال تعالى : ﴿ **إن الله يحب التوابين** ﴾ أي : من الذنب ، وإن تكرر غشيانه ، ﴿ **ويحب المتطهرين** ﴾ أي : المتنزهين عن الأقذار والأذىٰ ، وهو ما نهوا عنه من إتيان الحائض ، أو في غير المأتىٰ .

وقوله : ﴿ **نساؤكم حرث لكم** ﴾ قال ابن عباس : الحرث موضع الولد ﴿ **فأتوا حرثكم أنىٰ شئتم** ﴾ أي[٤] : [كيف شئتم][٥] مقبلة ، ومدبرة في صمام واحد ، كما ثبتت بذلك الأحاديث .

قال البخاري (١٢٥٦) : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا سفيان ، عن ابن المنكدر[٦] قال : سمعت جابرًا قال : كانت اليهود تقول : إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول ، فنزلت : ﴿ **نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنىٰ شئتم** ﴾ ، ورواه مسلم ، وأبو داود من حديث سفيان الثوري به[٧] .

وقال ابن أبي حاتم(١٢٥٧) : حدثنا يونس بن عبد الأعلىٰ ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني مالك ابن أنس ، وابن جريج ، وسفيان بن سعيد الثوري : أنّ محمد بن المنكدر[٨] حدثهم : أن[٩] جابر بن عبد الله أخبره : أن اليهود قالوا للمسلمين : من أتىٰ امرأة وهي مدبرة جاء الولد أحول ، فأنزل الله -عز وجل- : ﴿ **نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنىٰ شئتم** ﴾ .

(١٢٥٦) - أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿نسائكم حرث لكم .....﴾ ، الحديث (٤٥٢٨) ، وأخرجه مسلم في كتاب النكاح ، الحديث (١٤٣٥) من طريق سفيان ، عن محمد بن المنكدر به .

(١٢٥٧) - تفسير ابن أبي حاتم (٢/٤٠٤ ، ٤٠٥) (٢١٣٣) ، وقد تقدم الحديث من طريق سفيان ، وأخرجه الدارمي في كتاب النكاح ، باب : النهي عن إتيان النساء في أدبارهن حديث (٢٢٢٠) من طريق مالك به . وأخرجه النسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (٣٠٦٤) من حديث ابن جريج به .

---

[١] - في ز : « يعدوه » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - في خ : « المكندر » .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - في خ : « المكندر » .
[٩] - في ز ، خ : « عن » .

قال ابن جريج في الحديث : فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **مقبلة ، ومدبرة إذا كان ذلك في الفرج** » .

وفي[١] حديث بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة القشيري ، عن أبيه ، عن جده أنه قال : يا رسول الله ، نساؤنا ما نأتي منها وما نذر ؟ قال : « **حرثك ، ائت حرثك أنىٰ شئت ، غير ألَّا تضرب الوجه ، ولا تقبح ، ولا تهجر إلا في المبيت** » ، الحديث(١٢٥٨) رواه أحمد وأهل السنن .

حديث آخر : قال ابن أبي حاتم(١٢٥٩) : حدثنا يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني ابن لهيعة ، عن يزيد ابن أبي حبيب ، عن عامر بن يحيىٰ ، عن حنش[٢] بن عبد لله ، عن عبد الله بن عباس قال : أتىٰ ناس من حمير إلىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فسألوه عن أشياء ، فقال له رجل : إني أجب(*) النساء ، فكيف ترىٰ [في ذلك][٣] ؟ فأنزل الله : ﴿ **نساؤكم حرث لكم [فأتوا حرثكم][٤] [أنىٰ شئتم** ﴾ ،

ورواه الإمام أحمد(١٢٦٠) : حدثنا يحيىٰ بن غيلان حدثنا ، رشدين ، حدثني الحسن بن ثوبان ، عن عامر بن يحيىٰ المعافري ، عن حنش ، عن ابن عباس قال : أنزلت هذه الآية ﴿ **نساؤكم حرث لكم** ﴾ في أناس من الأنصار أتوا النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فسألوه ، فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **ائتها علىٰ كل حال إذا كان في الفرج** »][٥] .

(حديث آخر) : قال أبو جعفر الطحاوي في كتابه مشكل الحديث : حدثنا أحمد بن داود ابن موسىٰ ، حدثنا يعقوب بن كاسب ، حدثنا عبد الله بن نافع ، عن هشام بن سعد ، عن زيد

(١٢٥٨) - أخرجه أحمد في المسند (٥ / ٣ ، ٥) ، وأبو داود في النكاح ، باب : في حق المرأة على زوجها حديث (٢١٤٣) ، والنسائي في الكبرى (٩١٦٠) من طريق بهز بن حكيم به . وأخرجه أحمد (٤/ ٤٤٧) ، والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (١١٣٩٥) ، وابن ماجة (١٨٥٠) من طريق حكيم ابن معاوية عن أبيه به ، دون قوله : « حرثك أئت حرثك أنَّى شئت » .

(١٢٥٩) - تفسير ابن أبي حاتم (٢ / ٤٠٤) (٢١٣٠) ، ورواه الطبري في تفسيره (٤/٤١٣) (٤٣٤٨) ، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/٢٣٧) من طريق ابن لهيعة به.

(*) التجبية : هى أن يأتي الرجل المرأة منكبة على وجهها .

(١٢٦٠) - مسند أحمد (١/ ٢٦٨) (٢٤١٤) ، وإسناده ضعيف لضعف رشدين بن سعد .

[١] - في ز : « ففي » .
[٢] - في خ : « حس » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

ابن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري : أنّ رجلًا أصاب امرأة في دبرها ، فأنكر الناس عليه ذلك ، فأنزل الله[١] : ﴿ **نساؤكم حرث لكم** ﴾ الآية ، ورواه ابن جرير ، عن [يونس و][٢]عن يعقوب به(١٢٦١) .

[ورواه الحافظ أبو يعلىٰ الموصلي(١٢٦٢) عن الحارث بن سريح ، عن عبد الله بن نافع ، به][٣] .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا وهيب ، حدثنا عبد الله بن عثمان ابن خثيم ، عن عبد االرحمن بن سابط قال : دخلت علىٰ حفصة بنت[٤] عبد الرحمن ابن أبي بكر فقلت : إني سائلك عن أمر ، وإني أستحي أن أسألك ، قالت : فلا تستح يا ابن أخي . قال : عن إتيان النساء في أدبارهن ؟ قالت : حدثتني أم سلمة أن الأنصار كانوا يجبون النساء ، وكانت اليهود تقول : إنه من جبّىٰ امرأته كان الولد أحول ، فلما قدم المهاجرون المدينة نكحوا في نساء الأنصار فجبوهن ، فأبت امرأة أن تطيع زوجها وقالت : لن تفعل ذلك حتىٰ آتي رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فدخلت علىٰ أم سلمة فذكرت لها ذلك ، فقالت : اجلسي حتي يأتي رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فلما جاء رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، استحيت الأنصارية أن [تسأل رسول صلىٰ الله عليه وسلم][٥] ، فخرجت فحدثت أمّ سلمة رسول لله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال : « **ادعي الأنصارية** » ، فدعتها[٦] ، فتلا عليها هذه الآية ﴿ **نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنىٰ شئتم** ﴾ « **صمامًا واحدًا** » .

ورواه الترمذي : عن بندار ، عن ابن مهدي ، عن سفيان ، عن ابن خثيم ، به (١٢٦٣) ، وقال : حسن .

(قلت) : وقد روي من طريق حماد بن أبي حنيفة ، عن أبيه ، عن ابن[٧] خثيم[٨] ، عن

(١٢٦١) - مشكل الآثار برقم (٦١١٨) .

(١٢٦٢) - مسند أبي يعلى (٢/٣٥٤) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ٣٢٢) : رواه أبو يعلى عن شيخه الحارث بن سريج القفال ، وهو ضعيف كذاب . قلت : تابعه يعقوب بن كاسب كما تقدم قريبًا .

(١٢٦٣) - المسند (٦ / ٣٠٥) ، وأخرجه أحمد (٦ / ٣١٠ ، ٣١٨) ، والدارمي في الطهارة ، باب : إتيان النساء في أدبارهن حديث (١١٢٤) ، والترمذي في تفسير القرآن ، باب : ومن سورة البقرة =

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - بياض في خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز ، خ : « بنة » .

[٥] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « تسأله » .

[٦] - في ز ، خ : « فدعيت » .

[٧] - في ز : « أبي » .

[٨] - في خ : « أبي خثيم » .

يوسف بن ماهك ، عن حفصة أم المؤمنين : أن امرأة أتتها فقالت : إن زوجي يأتيني مجبية ومستقبلة ، فكرهته . فبلغ ذلك [رسول الله][١] صلى الله عليه وسلم فقال :« **لا بأس إذا كان في صمام واحد** »(١٢٦٤) .

(حديث آخر) : قال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا يعقوب - يعني القُمِّي - عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : جاء عمر بن الخطاب إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ؛ هلكت ، قال : « **ما الذي أهلكك ؟** » قال : حوّلت رحلي البارحة ، قال[٢] فلم يردّ عليه شيئًا ، [ ][٣] فأوحى الله إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، هذه الآية : ﴿ **نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم** ﴾ ، « **أقبل وأدبر ، واتق الدبر والحيضة** » .

و[٤]رواه الترمذي عن عبد بن حميد ، عن حسن بن موسى الأشيب ، به(١٢٦٥) . وقال : حسن غريب .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن غيلان ، حدثنا رشدين ، حدثني الحسن ، عن ثوبان ، عن عامر بن يحيى المعافرى ، عن حنش[٥] ، عن ابن عباس قال : أنزلت هذه الآية : ﴿ **نساؤكم حرث لكم** ﴾ في أناس من الأنصار أتوا النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فسألوه ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « **ائتها[٦] على كل حال إذا كان في الفرج** »(١٢٦٦) .

وقال الحافظ أبو يعلى(١٢٦٧) : حدثنا الحارث بن سريج ، حدثنا عبد الله بن نافع ، حدثنا هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد قال : أثفر رجل امرأته

= حديث (٢٩٧٩) من طريق عبد الله بن عثمان بن خيثم ه .

(١٢٦٤) - مسند أبي حنيفة برقم (١٠٢) ، وفي إسناده حماد بن أبي حنيفة ضعفه ابن عدي وغيره من قبل حفظه ، ميزان الإعتدال (١/٥٩٠) .

(١٢٦٥) - المسند (١/٢٩٧) (٢٧٠٣) ، وأخرجه الترمذي في تفسير القرآن ، باب : ومن سورة البقرة ، حديث (٢٩٨٠) من طريق عبد بن حميد ، عن الحسن به ، والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (٥٤٦٩) من طريق يونس بن محمد ، عن يعقوب القمي به .

(١٢٦٦) - المسند (١/٢٦٨) .

(١٢٦٧) - مسند أبي يعلى (٢/٣٥٤) ، وقال الهيثمي في المجمع (٦/٣١٩) : « شيخه الحارث بن سريج ، ضعيف كذاب » ولكنه توبع ، تابعه يعقوب بن حميد ، فرواه عن عبد الله بن نافع ، عن هشام ، عن زيد=

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « النبي » .
[٢] - زيادة من : ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « قال » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في خ : « حس » .
[٦] - في ز ، خ : « آتها » .

علىٰ عهد رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقالوا : أثفر[١] فلان امرأته ، فأنزل اللَّه عز وجل : ﴿ **نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنىٰ شئتم** ﴾ .

وقال أبو داود(١٢٦٨) : حدثنا عبد العزيز بن يحيىٰ أبو الأصبغ ، قال : حدثني محمد - يعني : ابن سلمة - عن محمد بن إسحاق ، عن أبان بن صالح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : إن ابن عمر -واللَّه يغفر له - أوهم ، إنما كان أهل[٢] هذا الحي من الأنصار ، وهم أهل وثن مع هذا الحي من يهود ، وهم أهل كتاب ، وكانوا يرون لهم فضلًا عليهم في العلم ، فكانوا يقتدون بكثيرًا[٣] من فعلهم ، وكان من أمر أهل الكتاب لا يأتون النساء إلا علىٰ حرف ، وذلك أستر ما تكون المرأة ، فكان هذا الحي من الأنصار قد أخذوا بذلك من فعلهم ، وكان هذا الحي من قريش يشرحون النساء شرحًا منكرًا ، ويتلذذون بهنّ[٤] مقبلات ومدبرات ومستلقيات ، فلما قدم المهاجرون المدينة تزوّج رجل منهم امرأة من الأنصار ، فذهب يصنع بها ذلك ، فأنكرته عليه وقالت : إنما كنا نؤتىٰ علىٰ حرف فاصنع ذلك وإلا فاجتنبني ، فسرىٰ أمرهما ، فبلغ ذلك[٥] [رسول اللَّه][٦] ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فأنزل اللَّه : ﴿ **نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنىٰ شئتم** ﴾ أي : مقبلات ومدبرات ومستلقيات ، يعني : بذلك موضع الولد .

تفرّد به أبو داود ، ويشهد له بالصحة ما تقدم [ ][٧] من الأحاديث ، ولا سيما رواية أمّ سلمة ، فإنها مشابهة لهذا السياق .

وقد روىٰ هذا الحديث الحافظ أبو القاسم الطبراني(١٢٦٩) من طريق[٨] محمد بن إسحاق ،

= ابن أسلم به ، أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار برقم (٦١١٨) وقد سبق .

(١٢٦٨) - سنن أبي داود ، كتاب النكاح ، باب : في جامع النكاح حديث (٢١٦٤) ، وأخرجه الدارمي في الطهارة ، حديث (١١٢٥) ، والطبري في تفسيره (٤٠٩/٤) (٤٣٣٧) ، (٤٣٣٨) ، والحاكم في المستدرك (١٩٠/٢) ، والبيهقي في السنن (١٩٥/٧) وصححه الحاكم على شرط مسلم .

(١٢٦٩) - المعجم الكبير (٧٧/١١) .

---

[١] - كذا في ز ، خ ، ت . وفي مسند أبي يعلى : أبعر وهو تحريف ، ولعل الصواب (أثفر) بالثاء والفاء كما هاهنا ، فقد جاء في القاموس المحيط (ص ٤٥٨) : الثَّفر - ويضم - للسباع والمخالب : كالحياء للناقة أو مسلك القضيب منها ، والاستثفار : أن يدخل إزاره بين فخذيه ملويًا ، وإدخال الكلب ذنبه بينه فخذيه ملويًا ، وإدخال الكلب ذنبه بين فخذيه حتى يلزقه ببطنه ، وأثفرتُه بيعة سوء ، أي : ألزقتها باسته » . اهـ .

[٢] - زيادة من : ز ، خ .

[٣] - في ت : « كثيرًا » .

[٤] - في خ : « منهن » .

[٥] - زيادة من : ز ، خ .

[٦] - في خ : « الرسول » .

[٧] - في ز ، خ : « له » .

[٨] - في خ : « حديث » .

عن أبان بن صالح ، عن مجاهد قال : عرضت المصحف علىٰ ابن عباس من فاتحته إلىٰ خاتمته ، أوقفه [ ][١] عند كل آية منه ، وأسأله عنها ، حتىٰ انتهيت إلىٰ هذه الآية : ﴿ **نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنىٰ شئتم** ﴾ ، فقال ابن عباس : إن هذا الحي من قريش كانوا يشرحون النساء بمكة ويتلذذون بهنّ ... فذكر القصة بتمام سياقها .

وقول[٢] ابن عباس : إن ابن عمر - والله يغفر له - أوهم ، كأنه[٣] يشير إلىٰ ما رواه البخاري(١٢٧٠) : حدثنا إسحاق ، حدثنا النضر بن شميل ، أخبرنا ابن عون ، عن نافع قال : كان ابن عمر إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتىٰ يفرغ منه[٤] ، فأخذت عليه يومًا فقرأ سورة البقرة حتىٰ انتهىٰ إلىٰ مكان قال : أتدري فيم أنزلت ؟ قلت : لا ، قال : أنزلت في كذا وكذا ، ثم مضىٰ.

وعن عبد الصمد قال : حدثني أبي ، حدثني أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ﴿ **فأتوا حرثكم أنىٰ شئتم** ﴾ قال : أن[٥] يأتيها في . [........][٦] .

هكذا رواه البخاري(١٢٧١) ، وقد تفرّد به من [هذا الوجه][٧] .

وقال ابن جرير(١٢٧٢) : حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن علية ، حدثنا ابن عون ، عن نافع قال : قرأت ذات يوم ﴿ **نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنىٰ شئتم** ﴾ ، فقال ابن عمر : أتدري فيم نزلت ؟ قلت : لا . قال : نزلت في إتيان النساء في أدبارهنّ .

وحدثني أبو قلابة(١٢٧٣) ، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، حدثني أبي ، عن أيوب ،

(١٢٧٠) - صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب : ﴿نسائكم حرث لكم .....﴾ حديث (٤٥٢٦) .

(١٢٧١) - صحيح البخاري في التفسير ، باب : ﴿ نسائكم حرث لكم ....﴾ حديث (٤٥٢٧) ، وعزاه الحافظ في الفتح ، لإسحاق في مسنده ، وفي تفسيره بالإسناد المذكور .

(١٢٧٢) - تفسير الطبري (٤ / ٤٠٤) (٤٣٢٦) ، وأنظر فتح الباري (٨/١٩٠) ، والتلخيص الحبير (٣/ ١٨٤) .

(١٢٧٣) - تفسير الطبري (٤/٤٠٦) (٤٣٣١) ، وأخرجه البخاري في التفسير ، باب : ﴿ نسائكم حرث

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « عليه » .

[٢] - في ت : « وقال » .

[٣] - في ز ، خ : « وكأنه » .

[٤] - في ز : « عنه » .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - بياض في جميع النسخ ، وفي فتح الباري (٨/١٣٠) : « كذا وقع في جميع النسخ ، لم يُذكر ما بعد الظرف وهو المجرور ، ووقع في الجمع بين الصحيحين للحميدي : يأتيها في الفرج . وهو من عنده بحسب ما فهمه » .

[٧] - في خ : « هذه الوجوه » .

عن نافع ، عن ابن عمر ﴿ فأتوا حرثكم أنىٰ شئتم ﴾ قال : في الدبر .

روي من حديث مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر ، ولا يصح (١٢٧٤) .

وروىٰ النسائي(١٢٧٥) : عن محمد بن عبد اللَّه بن عبد الحكم ، عن أبي بكر بن أبي أويس[١] ، عن سليمان بن بلال ، عن زيد بن أسلم ، عن ابن عمر : أن رجلًا أتىٰ امرأته في دبرها ، فوجد في نفسه من ذلك وجدًا شديدًا ، فأنزل اللَّه : ﴿ **نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنىٰ شئتم** ﴾ .

قال أبو حاتم الرازي(١٢٧٦) : لو كان هذا عند زيد بن أسلم ، عن ابن عمر لما أولع الناس بنافع . وهذا تعليل منه لهذا الحديث .

وقد رواه عبد اللَّه بن نافع ، [الصائغ][٢] عن داود بن قيس ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء ابن يسار ، عن ابن عمر فذكره . وهذا الحديث[٣] محمول علىٰ ما تقدّم ، وهو أنه يأتيها في قبلها من دبرها ، لما رواه النسائي أيضًا ، عن علي بن عثمان النفيلي عن سعيد بن عيسىٰ ، عن الفضل بن فضالة ، عن عبد اللَّه بن سليمان الطويل ، عن كعب بن علقمة ، عن أبي النضر : أنه أخبره أنه قال لنافع مولىٰ ابن عمر : إنه قد أكثر عليك القول : إنك تقول عن ابن عمر : إنه أفتىٰ أن تؤتىٰ[٤] النساء في أدبارهنّ قال : كذبوا عليَّ ، ولكن سأحدثك كيف كان الأمر : إن ابن عمر عرض المصحف يومًا وأنا عنده حتىٰ بلغ : ﴿ **نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنىٰ شئتم** ﴾ . فقال : يا نافع ، هل تعلم[٥] من أمر هذه الآية ؟ قلت : لا . قال : إنا كنا معشر قريش نجبي النساء ، فلما دخلنا المدينة ونكحنا نساء الأنصار ، أردنا منهنّ مثلما كنا نريد ، فإذا هنَّ قد كرهن ذلك وأعظمنه ، وكانت نساء الأنصار قد أخذن بحال اليهود ، إنما يؤتين علىٰ جنوبهن ، فأنزل اللَّه : ﴿ **نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنىٰ شئتم** ﴾(١٢٧٧) .

لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم .....﴾ حديث (٤٥٢٧) عن إسحاق بن راهويه عن عبد الصمد به .

(١٢٧٤) - انظر فتح الباري (٨/١٩٠) ، والتلخيص الحبير (٣/١٨٤) .

(١٢٧٥) - سنن النسائي الكبرى برقم (٨٩٨١) .

(١٢٧٦) - العلل لابن أبي حاتم (١ / ٤٠٨ ، ٤٠٩) (١٢٢٥) .

(١٢٧٧) - سنن النسائي الكبرى برقم (٨٩٧٨)..

---

[١] - في ز : « ابن أويس » .

[٢] - ما بين المعكوفتين بياض في ز ، خ ، وأكملناه من العلل [١/٤٠٩] .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - في ز ، خ : « يؤتى » .

[٥] - سقط من : خ .

وهذا إسناد صحيح ، وقد رواه ابن مردويه : عن الطبراني، عن الحسين بن إسحاق ، عن زكريا بن يحيىٰ كاتب[١] العمري ، عن مفضل بن فضالة ، عن عبد اللّٰه بن عياش ، عن كعب بن علقمة ، فذكره .

وقد روينا عن ابن عمر خلاف ذلك صريحًا ، وأنه لا يباح ولا يحل كما سيأتي ، وإن كان قد نسب هذا القول إلىٰ طائفة من فقهاء المدينة وغيرهم ، وعزاه بعضهم إلىٰ الإمام مالك في كتاب السر[٢] ، وأكثر الناس ينكر أن يصح ذلك عن الإمام مالك رحمه اللّٰه . وقد وردت الأحاديث المروية من طرق متعددة بالزجر عن فعله وتعاطيه ، فقال الحسن بن عرفة(١٢٧٨) :

حدّثنا إسماعيل بن عياش ، عن سهيل[٣] بن أبي صالح ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **استحيوا ، إن اللّٰه لا يستحيي من الحق ، لا يحل [أن تأتوا][٤] النساء في حشوشهن** » .

وقال الإمام أحمد(١٢٧٩) : حدثنا عبدالرحمن ، حدثنا سفيان ، عن عبداللّٰه بن شدّاد[٥] ، عن خزيمة بن ثابت أنّ رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، نهىٰ أن يأتي الرجل امرأته في دبرها .

(طريق أخرىٰ) : قال أحمد(١٢٨٠) :حدثنا يعقوب ، سمعت أبي يحدث عن يزيد بن عبد اللّٰه بن أسامة بن الهاد ، أن عبيد اللّٰه بن الحصين الوالبي حدثه ، أن هرمي بن عبد اللّٰه الواقفي[٦] حدثه ، أن خزيمة بن ثابت الخطمي حدثه ، أن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال : « **لا يستحيي اللّٰه من الحق ، لا يستحيي الله من الحق- ثلاثًا- لا تأتوا**

(١٢٧٨) - ورواه الدارقطني في السنن (٣/٢٨٨) من طريق الحسن بن عرفة به .

(١٢٧٩) - المسند (٥ / ٢١٣) (٢١٩٤٣) ، وأطرافه (٢١٩٤٨، ٢١٩٤٨، ٢١٩٥١، ٢١٩٤٨، ٢١٩٦٧) . وأخرجه النسائي في الكبرى : كتاب عشرة النساء باب ذكرا اختلاف الناقلين لخبر خزيمه ابن ثابت في إتيان النساء في أعجازهن . (٥/ ٣١٦، ٣١٧/ رقم ٨٩٨٢- ٨٩٨٨) . وباب ذكر الإختلاف على عبد الله بن على بن السائب (٥/ ٣١٨، ٣١٩/ رقم : ٨٩٩٨ ٨٩٩٥). وابن ماجة : كتاب النكاح باب النهي عن إتيان النساء في أدبارهن (١/ ٦١٩/ رقم : ١٩٢٤) . كلاهما من حديث خزيمة ابن ثابت .

(١٢٨٠) - المسند (٥ / ٢١٥) ، وأخرجه النسائي في الكبرى (٨٩٨٥ ، ٨٩٨٦) ، وابن ماجة في النكاح=

---

[١] - في ت : « الكاتب » .
[٢] - في ز ، خ : « السير » .
[٣] - في ز ، خ : « سهل » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في : ز « مأتى » ، وفي خ : « أن تأتى » .
[٥] - في ز ، خ : « سداد » .
[٦] - في ز : « الواقعي » .

النساء في أعجازهن » ، ورواه النسائي ، وابن ماجة من طرق عن خزيمة بن ثابت ، وفي إسناده اختلاف كثير .

(حديث آخر) : قال أبو عيسىٰ الترمذي والنسائي(١٢٨١) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو خالد الأحمر، عن الضحاك بن عثمان ، عن مخرمة بن سليمان ، عن كريب ، عن ابن عباس قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **لاينظر اللّٰه إلىٰ رجل أتىٰ رجلًا أو امرأة في الدبر** » ، ثم قال الترمذي[١] : هذا حديث حسن غريب .

وهكذا أخرجه ابن حبان في صحيحه وصححه ابن حزم أيضًا .

ولكن رواه النسائي(١٢٨٢) أيضًا[٢] ، عن هناد ، عن وكيع ، عن الضحاك به موقوفًا .

وقال [ ][٣] : أخبرنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه : أن رجلًا سأل ابن عباس عن إتيان المرأة في دبرها ، فقال[٤] : تسألني عن الكفر ؟!

[إسناده صحيح][٥] ، وكذا رواه النسائي من طريق ابن المبارك ، عن عكرمة به[٦] نحوه .

[وقال عبد أيضًا في تفسيره : حدثنا إبراهيم بن الحاكم ، عن أبيه ، عن عكرمة قال : جاء رجل إلىٰ ابن عباس وقال : كنت آتي أهلي في دبرها وسمعت قول اللّٰه : ﴿ **نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنىٰ شئتم** ﴾ فظننت أن ذلك لي حلال ، فقال : يا لُكَع ، إنما قوله : ﴿ **فأتوا حرثكم أنىٰ شئتم** ﴾ قائمة وقاعدة ومقبلة ومدبرة في أقبالهن ، لا تعدوا ذلك إلىٰ غيره][٧] .

= باب : النهي عن إتيان النساء في أدبارهم حديث (١٩٢٤) من طرق عن خزيمة بن ثابت به ، وانظر الاختلاف في إسناده في السنن الكبرى للنسائي (٥ / ٣١٦ ، ٣١٩) والتلخيص الحبير (٣ / ١٧٩ ، ١٨٠) (١٢٠) ، وأخرجه الترمذي في كتاب الرضاع ، باب : ما جاء في كراهية إتيان النساء في أدبارهن حديث (١١٦٥) ، والنسائي في الكبرى - كما في تحفة الأشراف (٦٣٦٣) - وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٦٣/٣) ، وابن حبان في صحيحه - كما في موارد الظمآن (١٣٠٢ ، ١٣٠٣) - من طريق أبي خالد الأحمر به .

(١٢٨١) - سنن الترمذي برقم (١١٦٥) ، وسنن النسائي الكبري برقم (٩٠٠١، ٩٠٠٢) . وابن حبان برقم (١٣٠٢) « موارد » .

(١٢٨٢) - سنن النسائي الكبرى (٩٠٠٢) ، وانظر تحفة الأشراف (٦٣٦٣) .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين في خ : « عبد الله » .
[٤] - في خ : « قال » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - سقط من : ز ، خ .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(١٢٨٣) : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا همام[١] ، حدثنا قتادة ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، أن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « **الذي يأتي امرأته في دبرها هي اللوطية الصغرىٰ** » .

وقال عبد اللَّه بن أحمد(١٢٨٤) : حدثني هدبة ، حدثنا همام قال : سئل قتادة عن الذي يأتي امرأته في دبرها ، فقال قتادة : حدثنا عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، أن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **هي اللوطية الصغرىٰ** » .

قال قتادة : وحدثني عقبة بن وَسَّاج ، عن أبي الدرداء قال : وهل يفعل ذلك إلا كافر ؟ .

وقد روىٰ هذا الحديث (١٢٨٥) : يحيىٰ بن سعيد القطان ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أبي[٢] أيوب ، عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص من[٣] قوله . وهذا أصح ، واللَّه أعلم .

وكذلك رواه عبد بن حميد(١٢٨٦) ، عن[٤] يزيد بن هارون ، عن حميد الأعرج ، عن عمرو ابن شعيب ، عن أبيه ، عن عبد اللَّه بن عمرو موقوفا من قوله .

(طريق أخرىٰ) : قال جعفر الفريابي[٥] (١٢٨٧) : حدثنا قتيبة ، حدثنا ابن لهيعة ، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي ، عن عبد اللَّه بن عَمْرو قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **سبعة لا ينظر اللَّه إليهم يوم القيامة ، ولا يزكيهم ، ويقول : ادخلوا النار مع الداخلين : الفاعل ، والمفعول به ، والناكح يده ، وناكح**

(١٢٨٣) - في المسند (٢/٢١٠) .

(١٢٨٤) - زوائد عبد الله على المسند (٢ / ٢١٠) (٦٩٦٧) ، وأخرجه الطيالسي كما في الدر المنثور (١ / ٤٧٢) ومن طريقه البيهقي (١٩٨/٧) ، أحمد (١٨٢/٢ ، ٢١٠) ، والنسائي في الكبرى - كما في تحفة الأشراف (٨٧٧٥) - من طريق همام به .

(١٢٨٥) - أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٦٣/٣) عن عبد الأعلى عن قتادة به .

(١٢٨٦) - أخرجه النسائي في الكبرى - كما في تحفة الأشراف (٨٧٢٠) من طريق سفيان ، عن حميد الأعرج به .

(١٢٨٧) - ورواه أبو الشيخ في مجلس من حديثه (١/٦٢ ، ٢) ، وابن بشران في الأمالي (١/٨٦ ، ٢) من طرق عن عبد الرحمن بن زياد الأفريقي به . ا.هـ مستفادًا من إرواء الغليل للألباني (٥٩/٨) .

---

[١] - في خ : « هشام » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز : « أنا » ، خ : « أخبرنا » .

[٥] - في خ : « العرياني » .

البهيمة ، وناكح المرأة في دبرها ، وجامع بين المرأة وابنتها ، والزاني بحليلة جاره ، والمؤذي[١] جاره حتىٰ يلعنه » .

ابن لهيعة وشيخه ضعيفان .

(حديث آخر) قال الإِمام أحمد(١٢٨٨) : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا سفيان ، عن عاصم ، عن عيسىٰ بن حطان[٢] ، عن مسلم بن سلام ، عن علي بن طلق ، قال : نهىٰ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، أن تؤتىٰ النساء في أدبارهنّ ، فإن اللَّه لا يستحيي من الحق .

وأخرجه أحمد أيضًا(١٢٨٩) ، عن أبي معاوية . وأبو عيسىٰ الترمذي من طريق أبي معاوية أيضًا ، عن عاصم الأحول ، به . وفيه زيادة ، وقال : هو حديث حسن .

ومن الناس من يورد هذا الحديث في مسند علي بن أبي طالب ، كما وقع في مسند الإِمام أحمد بن حنبل (١٢٩٠) ، والصحيح أنه علي بن طلق .

(حديث آخر) : قال الإِمام أحمد(١٢٩١) : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن سهيل[٣] ابن أبي صالح ، عن الحارث بن مُخَلَّد ، [عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلىٰ اللَّه عليه وسلم][٤] : « **إن الذي يأتي امرأته في دبرها لاينظر اللَّه إليه** » .

(١٢٨٨) - هذا الحديث بهذا الإسناد ساقط من مطبوعة المسند الميمنية ، وأورده الحافظ ابن كثير في جامع المسانيد ، والحافظ ابن حجر في الأطراف (٣٨٤/٤) .

(١٢٨٩) - هذا الحديث بهذا الإسناد ساقط من مطبوعة المسند الميمنية ، وأورده الحافظ ابن كثير في جامع المسانيد ، والحافظ ابن حجر في الأطراف (٣٨٤/٤) . ورواه الترمذي حديث ١١٦٤ . وقال الترمذي : حديث حسن . وقال : سمعت محمدًا - يعني البخاري - يقول : لا أعرف لعلي بن طلق عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم غير هذا الحديث الواحد ولا أعرف هذا الحديث من حديث طلق بن علي السحيمي وكأنه رأى أن هذا رجل آخر من أصحاب النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم . ورواه الدارمي حديث ١١٤١ ، من حديث عبد الواحد بن زياد عن عاصم ، به - نحوه . .

(١٢٩٠) - المسند (٨٦/١) .

(١٢٩١) - المسند (٢ / ٢٧٢) ، وأخرجه في (٢/ ٣٤٤) عن عفان ، عن وهيب ، عن سهل به ، وأخرجه ابن ماجة في كتاب النكاح ، باب : النهي عن إتيان النساء في أدبارهن حديث (١٩٢٣) عن ابن أبي الشوارب عن عبد العزيز بن المختار ، عن سهل بن أبي صالح به .

---

[١] - في خ : « ومؤذى » .

[٢] - في ز : « حطانى » . [٣] - في ز : « سهل » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال] .

[وقال أحمد أيضًا][١] (١٢٩٢) : حدثنا عفان ، حدثنا وهيب ، حدثنا سهيل ، عن الحارث ابن[٢] مخلد ، عن أبي هريرة يرفعه[٣] قال : قال رسول للّٰه صلىٰ للّٰه عليه وسلم « **لا ينظر اللّٰه إلىٰ رجل جامع امرأته في دبرها** » .

[وكذا رواه ابن ماجة من طريق سهيل[٤] .

[وقال أحمد أيضًا(١٢٩٣)][٥] : حدثنا وكيع ، عن سهيل بن أبي صالح ، عن الحارث ابن مُخَلَّد ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ملعون من أتىٰ امرأته[٦] في دبرها** »][٧] .

و[٨]هكذا رواه أبو داود والنسائي من طريق وكيع ، به .

« **طريق أخرىٰ** » : قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني[٩] : أخبرنا أحمد [بن القاسم][١٠] بن الريان ، حدثنا أبو عبد الرحمن النسائي ، حدثنا هناد ومحمد بن إسماعيل واللفظ له ، قالا : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن سهيل[١١] بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ملعون من أتىٰ امرأة في دبرها** » .

ليس هذا الحديث هكذا في سنن النسائي ، وإنما الذي فيه [عن سهيل][١٢] ، عن الحارث بن مخلد ، كما تقدم .

قال شيخنا الحافظ أبو عبد اللّٰه الذهبي : ورواية أحمد بن القاسم بن الريان هذا الحديث بهذا السند ، وهم منه ، وقد ضعفوه .

(١٢٩٢) - المسند (٣٤٤/٢) .

(١٢٩٣) - المسند (٤٤٤/٢ ، ٤٧٩) ، وأخرجه أبو داود في النكاح ، باب : في جامع النكاح حديث (٢١٦٢) ، والنسائي في الكبرى (٩٠١٥) ، من طريق وكيع به ، وانظر تحفة الاشراف (١٢٢٣٧) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٢] - في ز ، خ : « عن » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز : « سهل » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٦] - في ز : « امرأة » .

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٨] - سقط من : ز .

[٩] - في ز ، خ : « الأصفهاني » .

[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[١١] - في ز ، خ : « سهل » .

[١٢] - في ز ، خ : « سهل » .

(طريق أخرىٰ) : رواها[١] مسلم بن خالد الزنجي ، عن العلاءِ بن عبدالرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « **ملعون من أتىٰ النساء في أدبارهن** » .

ومسلم بن خالد فيه كلام ، واللَّه أعلم .

(طريق أخرىٰ) رواها الإمام أحمد وأهل السنن(١٢٩٤) : من حديث حماد بن سلمة ، عن حكيم الأثرم ، عن أبي تميمة الهُجَيمي ، عن أبي هريرة أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « **من أتىٰ حائضًا أو امرأة في دبرها ، أو كاهنًا فصدقه ، فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد** » .

وقال الترمذي : ضعف البخاري هذا الحديث . والذي قاله البخاري في حديث[٢] الترمذي عن أبي تميمة : لا يتابع[٣] في حديثه(١٢٩٥) .

(طريق أخرىٰ) : قال النسائي(١٢٩٦) : حدثنا عثمان بن عبد اللَّه ، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن من كتابه ، عن عبد الملك بن محمد الصنعاني ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن الزهري عن أبي سلمة - رضي اللَّه عنه - عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « **استحيوا من اللَّه حق الحياء ، لا تأتوا النساء في أدبارهنّ** » .

تفرّد به النسائي من هذا الوجه .

قال حمزة بن محمد الكناني الحافظ : هذا حديث منكر باطل من حديث الزهري ، ومن حديث أبي سلمة ، ومن حديث سعيد ، فإن كان عبد الملك سمعه من سعيد ، فإنما سمعه بعد الاختلاط ، وقد رواه الزهري عن أبي سلمة أنه كان ينهى عن ذلك ، فأما عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فلا ، انتهىٰ كلامه(١٢٩٧) .

(١٢٩٤) - أخرجه أحمد في مسنده (٢ / ٤٠٨ ، ٤٧٦) ، والدارمي في كتاب الطهارة ، باب : من أتى امرأته في دبرها حديث (١١٤١) ، وأبو داود في كتاب الطب ، باب : في الكاهن ، حديث (٣٩٠٤) ، والترمذي في أبواب الطهارة ، باب : ما جاء في كراهية إتيان الحائض حديث (١٣٥) ، والنسائي في الكبرى الحديث (٩٠١٦) ، وابن ماجة في الطهارة ، باب : النهي عن إتيان الحائض ، حديث (٦٣٩) من طرق عن حماد بن سلمة به .

(١٢٩٥) - التاريخ الكبير (١٧/٣) .

(١٢٩٦) - سنن النسائي الكبرى برقم (٩٠١٠) .

(١٢٩٧) - انظر تحفة الاشراف (١١ / ٢٥) (١٥١٣٩) .

[١] - في خ : « ورواه » .

[٢] - في ز ، خ : « حكيم » .

[٣] - في خ : « تتابع » .

وقد أجاد وأحسن الانتقاد ، إلا أن عبد الملك [بن محمد][١] الصنعاني لا يعرف أنه اختلط ، ولم يذكر ذلك أحد غير حمزة الكناني وهو ثقة ، ولكن تكلم فيه دحيم ، وأبو حاتم ، وابن حبان وقال : لا يجوز الاحتجاج به ، والله[٢] أعلم . وقد تابعه زيد بن يحيىٰ بن عبيد ، عن سعيد بن عبد العزيز . وروي من طريقين آخرين ، عن أبي سلمة ، ولا يصح منهما شيء .

(طريق أخرىٰ) : قال النسائي(١٢٩٨) : حدثنا إسحاق بن منصور ، حدّثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان الثوري ، عن ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد ، عن أبي هريرة قال : إتيان الرجال النساء في أدبارهنّ كفر .

ثم رواه عن بندار ، عن عبد الرحمن ، به ، قال : من أتىٰ امرأة[٣] في دبرها ملك كفره(١٢٩٩) .

هكذا رواه النسائي(١٣٠٠) : من طريق الثوري ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن أبي هريرة موقوفًا .

وكذا رواه من طريق علي بن بَذِيمة ، عن مجاهد ، عن أبي هريرة موقوفًا .

ورواه بكر بن خنيس ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **من أتىٰ شيئًا من الرجال والنساء في الأدبار فقد كفر** »(١٣٠١) .

والموقوف أصح ، وبكر بن خنيس ضعفه غير واحد من الأئمة ، وتركه آخرون .

(حديث آخر) : قال محمد بن أبان البلخي(١٣٠٢) : حدثنا وكيع ، حدثنا زمعة بن صالح ، عن ابن طاوس ، عن أبيه وعن عمرو بن دينار ، عن عبد الله بن يزيد بن الهاد قالا : قال عمر بن الخطاب : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن الله لا يستحيي من الحق ، لاتأتوا النساء**

(١٢٩٨) - سنن النسائي الكبرى برقم (٩٠١٨) ، وأخرجه ابن ابي شيبة (٣ / ٣٦٣) من طريق حفص عن ليث به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٧٢/١) إلى عبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، والبيهقي .

(١٢٩٩) - سنن النسائي الكبرى برقم (٩٠١٩) .

(١٣٠٠) - سنن النسائي الكبرى برقم (٩٠٢١) .

(١٣٠١) - رواه العقيلي في الضعفاء الكبير (١٤٩/١) .

(١٣٠٢) - أخرجه وكيع ، والبراز - كما في الدر المنثور (١ / ٤٧٢) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد =

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في خ : « فالله » . [٣] - في ز : « امرأته » .

في أدبارهن » .

وقد رواه النسائي(١٣٠٣) : حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقاني ، عن عثمان بن اليمان ، عن زمعة بن صالح ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن الهاد ، عن عمر قال : لا تأتوا النساء في أدبارهنّ .

وحدّثنا إسحاق بن إبراهيم(١٣٠٤) ، حدّثنا يزيد بن أبي حكيم ، عن زمعة بن صالح ، عن عمرو بن دينار ، عن طاوس ، عن عبد الله بن الهاد الليثي ، قال : قال عمر رضي الله عنه : استحيوا من الله ، فإن الله لا يستحيي من الحق ، لا تأتوا النساء في أدبارهن . و[١] الموقوف أصح .

(حديث آخر) : قال الإمام أحمد(١٣٠٥) : حدثنا غندر ، ومعاذ بن معاذ قالا : حدثنا شعبة ، عن عاصم الأحول ، عن عيسىٰ بن حطان ، عن مسلم بن سلام ، عن طلق بن يزيد ، - أو : يزيد بن طلق - ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **إن الله لا يستحيي من الحق ، لا تأتوا النساء في أستاههنّ** » .

وكذا رواه غير واحد ، عن شعبة . ورواه عبد الرزاق : عن معمر ، عن عاصم الأحول ، عن عيسىٰ بن حطان ، عن مسلم بن سلام ، عن طلق بن علي ، والأشبه أنه علي بن طلق كما تقدم ، والله أعلم .

(حديث آخر) : قال أبو بكر الأثرم في سننه(١٣٠٦) : حدثنا أبو مسلم الحَرَمي ، حدثنا أخي أنيس بن إبراهيم ، أن أباه إبراهيم بن عبد الرحمن بن القعقاع أخبره ، عن أبيه أبي القعقاع ، عن ابن مسعود ، رضي الله عنه ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **محاش النساء حرام** » .

وقد رواه إسماعيل بن علية(١٣٠٧) ، وسفيان الثوري ، وشعبة وغيرهم : عن أبي عبد الله

= (٣٠٢،٣٠١/٤) وعزاه إلى أبي يعلى ، والطبراني في الكبير ، والبراز ورجال أبي يعلى رجال الصحيح خلا يعلى بن اليمان وهو ثقة . وانظر الكلام على طرق الحديث العلل لأبي الحسن الدارقطني (١٦٧/٢) .

(١٣٠٣) - سنن النسائي الكبري برقم (٩٠٠٨) .

(١٣٠٤) - سنن النسائي الكبرى برقم (٩٠٠٩) .

(١٣٠٥) - ذكره الحافظ ابن حجر في أطراف المسند (٣٨٤/٤) من طريق غندر في مسند علي بن طلق ، ولا أدري كيف وقع هنا يزيد بن طلق ، وقد بين الحافظ الصواب في ذلك ، والله أعلم .

(١٣٠٦) - ورواه الدولابي في الكنى (٨٥/٢) .

(١٣٠٧) - أخرجه ابن أبي شيبة (٣٦٣/٣) ، والدارمي في الطهارة ، باب : من أتى امرأته في دبرها حديث=

---

[١] - سقط من : خ .

الشقري - واسمه : سلمة بن تمام ، ثقة - عن أبي القعقاع ، عن ابن مسعود ، موقوفًا ، وهو أصح .

(طريق أخرىٰ) : قال ابن عدي : حدثنا أبو عبد اللّٰه المحاملي ، حدّثنا سعيد بن يحيىٰ الأموي ، حدثنا محمد بن حمزة ، عن يزيد[١] بن رفيع ، عن أبي عبيدة ، عن عبد اللّٰه قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **لا تأتوا[٢] النساء في أعجازهن** »(١٣٠٨) .

محمد بن حمزة هو الجزري وشيخه فيهما مقال .

وقد روي من حديث أبي بن كعب(١٣٠٩) ، والبراء بن عازب ، وعقبة بن عامر (١٣١٠) ، وأبي ذر وغيرهم ، وفي كل منها مقال لا يصح معه الحديث ، واللّٰه أعلم .

وقال الثوري : عن الصلت بن بهرام ، عن أبي المعتمر ، عن أبي جويرية قال : سأل رجل عليًا عن إتيان المرأة في دبرها ، فقال :سفلت سفل اللّٰه بك ! ألم تسمع قول اللّٰه عز وجل : ﴿ **أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين** ﴾ .

وقد تقدم قول ابن مسعود ، وأبي الدرداء ، وأبي هريرة ، وابن عباس ، وعبد اللّٰه بن عمرو في تحريم ذلك ، وهو الثابت بلا شك عن عبد اللّٰه بن عمر ، رضي اللّٰه تعالىٰ عنهما[٣] ، أنه يحرمه .

قال أبو محمد(١٣١١) [عبد الله بن عبد الرحمن][٤] [الدارمي][٥] في مسنده : حدثنا عبد اللّٰه بن صالح ، حدّثنا الليث ، عن الحارث بن يعقوب ، عن سعيد بن يسار أبي الحباب

= (١١٤١) ، والبيهقي في سننه (٧/١٩٩) من طريق أبي عبد الله الشقري به .

(١٣٠٨) - الكامل لابن عدي (٣/٢٠٦) وقال الحافظ في التلخيص (٣/١٨١) : «إسناد واهٍ».

(١٣٠٩) - حديث أبي بن كعب رواه البيهقي في شعب الإيمان برقم (٥٤٥٧) من طريق أبي قلابة ، عن زر بن حبيش ، عن أبي بن كعب به .

(١٣١٠) - حديث عقبة بن عامر رواه ابن عدي في الكامل (٤/١٤٨) من طريق ابن لهيعة ، عن مشرح بن هاعان ، عن عقبة به .

(١٣١١) - سنن الدارمي ، كتاب الطهارة ، باب : من أتى امرأته في دبرها حديث (١١٤٨) ، وانظر الدر المنثور (١/٤٧٤) .

---

[١] - في ز : « زيد » .

[٢] - في خ : « تأتون » .

[٣] - في خ : « عنه » .

[٤] - في ت : « عبد الرحمن بن عبد الله » .

[٥] - ما بين المعكوفتين في خ : « بن الدارمي » .

قال : قلت لابن عمر : ما تقول في الجواري أنحمض[١] لهنّ ؟ قال : وما التحميض[٢] ؟ فذكر الدبر ، فقال : وهل يفعل ذلك أحد من المسلمين ؟! .

وكذا رواه ابن وهب وقتيبة[٣] ، عن الليث به ، وهذا إسناد صحيح ، ونص صريح منه بتحريم ذلك ، فكل ما ورد عنه[٤] مما يحتمل ويحتمل فهو مردود إلىٰ هذا المحكم[٥] .

وقال ابن جرير(١٣١٢) : حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، حدثنا أبو زيد [أحمد ابن][٦] عبد الرحمن بن أحمد بن أبي الغمر[٧] ، حدثني عبد الرحمن بن القاسم ، عن مالك بن أنس أنه قيل له : يا أبا عبد الله ، إن الناس يروون عن سالم بن عبد الله أنه قال : كذب العبد أو العلج علىٰ أبي [عبد الله][٨] ، فقال مالك : أشهد علىٰ يزيد بن رومان أنه أخبرني ، عن سالم ابن عبد الله ، عن ابن عمر مثل ما قال نافع . فقيل له : فإن الحارث بن يعقوب يروي عن أبي الحباب[٩] سعيد بن يسار : أنه سأل ابن عمر فقال له : يا أبا عبد الرحمن ، إنا نشتري الجواري أفنحمض[١٠] لهنّ ؟ فقال : وما التحميض[١١] ؟ فذكر له الدبر ، فقال ابن عمر : أف ! أف ! [وهل يفعل][١٢] ذلك مؤمن - أو قال : مسلم - ؟ فقال مالك : أشهد علىٰ ربيعة لأخبرني ، عن أبي الحباب[١٣] ، عن ابن عمر ، مثل ما قال نافع .

وروىٰ النسائي (١٣١٣) : عن الربيع بن سليمان ، عن أصبغ بن الفرج الفقيه ، حدثنا عبد الرحمن بن القاسم قال[١٤] : قلت لمالك : إن عندنا بمصر الليث بن سعد يحدّث ، عن الحارث ابن يعقوب ، عن سعيد بن يسار قال : قلت لابن عمر : إنا نشتري الجواري

(١٣١٢) - تفسير الطبري (٤/ ٤٠٥) (٤٣٢٩) ، وقع هنا خطأ في إسناد هذا الحديث في اسم ابن أبي الغمر نبه عليه العلامة أحمد محمد شاكر في تعليقه على تفسير الطبري ، والصواب أن اسمه عبد الرحمن بن أحمد بن أبي الغمر ، وهو مترجم في تهذيب الكمال . ورواية الحارث بن يعقوب عن أبي الحباب أخرجها الطحاوي في (شرح معاني الآثار) (٣/ ٤١) .

(١٣١٣) - سنن النسائي الكبرى برقم (٨٩٧٩) .

---

[١] - في خ : « أنحمص » .
[٢] - في خ : « التحميص » .
[٣] - في خ : « قتيبية » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز ، خ : « الحكم » .
[٦] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز ، خ .
[٧] - في ز ، « المعمر » ، خ : « معمر » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٩] - في خ : « الخباب » .
[١٠] - في خ : « أنحمض » .
[١١] - في خ : « التحميص » .
[١٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « أيفعل » .
[١٣] - في خ : « الخباب » .
[١٤] - سقط من : ز .

فَنُحمِّض[١] لهن ، قال : وما التحميض[٢] ؟ قلت : نأتيهن في أدبارهن ، فقال : أف ! أف ! أو يعمل هذا مسلم ؟ فقال لي مالك : فأشهد علىٰ ربيعة لحدّثني[٣] عن سعيد بن يسار أنه سأل ابن عمر فقال : لا بأس به

وروىٰ النسائي أيضًا(١٣١٤) من طريق يزيد بن رومان ، عن عبيد اللَّه بن عبد اللَّه [بن عمر][٤] : أن ابن عمر كان لا يرىٰ بأسًا أن يأتي الرجل المرأة في دبرها .

وروىٰ معمر بن عيسىٰ عن مالك : أن ذلك حرام .

وقال أبو بكر بن زياد النيسابوري : حدّثني إسماعيل بن حصن ، حدثني إسماعيل ابن روح ، سألت مالك بن أنس : ما تقول في إتيان النساء في أدبارهن ؟ قال : ما أنتم إلا قوم عرب ، هل يكون الحرث إلا موضع الزرع ؟! لا تعدوا الفرج ، قلت : يا أبا عبد اللَّه ، إنهم يقولون إنك تقول ذلك ، قال : يكذبون علي ، يكذبون علي .

فهذا هو الثابت عنه ، وهو قول أبي حنيفة ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وأصحابهم قاطبة . وهو قول سعيد بن المسيب ، وأبي سلمة ، وعكرمة ، وطاوس ، وعطاء ، وسعيد بن جبير ، وعروة بن الزبير ، ومجاهد بن جبر ، والحسن ، وغيرهم من السلف أنهم أنكروا ذلك أشد الإنكار ، ومنهم من يطلق علىٰ فاعله الكفر ، وهو مذهب جمهور العلماء ، وقد حكي في هذا شيء عن بعض فقهاء أهل المدينة حتىٰ حكوه عن الإمام مالك ، وفي صحته عنه نظر .

قال الطحاوي : روىٰ أصبغ بن الفرج ، عن عبد الرحمن بن القاسم قال : ما أدركت أحدًا أقتدي به في ديني يشك [في][٥] أنه حلال ، يعني وطء المرأة في دبرها ، ثم قرأ : ﴿ **نساؤكم حرث لكم** ﴾ ثم قال : فأي شيء أبين من هذا ؟ هذه حكاية الطحاوي ، وقد روىٰ الحاكم ، والدارقطني ، والخطيب البغدادي ، عن الإمام مالك من طرق ما يقتضي إباحة ذلك .

ولكن في الأسانيد ضعف شديد ، وقد استقصاها شيخنا الحافظ أبو عبد اللَّه الذهبي في جزء جمعه في ذلك ، واللَّه أعلم .

وقال الطحاوي : حكىٰ لنا محمد بن عبد اللَّه بن عبد الحكم أنه سمع الشافعي يقول : ما صح عن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، في تحليله ولاتحريمه شيء . والقياس أنه حلال ، وقد روىٰ ذلك

(١٣١٤) - سنن النسائي الكبرى برقم (٨٩٨٠) .

---

[١] - في خ : فنحمص .

[٢] - في خ: « التحميص » .

[٣] - في خ : « حدثني » .

[٤] - زيادة من : ز ، خ .

[٥] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز .

أبو بكر الخطيب عن أبي سعيد الصيرفي ، عن أبي العباس الأصم ، سمعت محمد بن عبدالله ابن عبد الحكم ، سمعت الشافعي يقول ، فذكره . قال أبو نصر بن الصباغ : كان الربيع يحلف بالله الذي لا إله إلا هو : لقد كذب - يعني : ابن عبد الحكم - علىٰ الشافعي في ذلك ؛ لأن[١] الشافعي نص علىٰ تحريمه في ستة كتب من كتبه ، والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ وقدموا لأنفسكم ﴾ أي : من فعل الطاعات مع امتثال ما أنهاكم[٢] عنه من ترك المحرمات ، ولهذا قال : ﴿ واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه ﴾ أي : فيحاسبكم علىٰ أعمالكم جميعها[٣] .

﴿ وبشر المؤمنين ﴾ أي : المطيعين لله فيما أمرهم ، التاركين ما عنه زجرهم .

وقال ابن جرير (١٣١٥) : حدّثنا القاسم ، حدّثنا الحسين ، حدّثني محمد بن كثير ، عن عبدالله بن واقد[٤] ، عن عطاء قال : أراه عن ابن عباس : ﴿ وقدموا لأنفسكم ﴾ قال : تقول[٥] با سم الله ، التسمية عند الجماع .

وقد ثبت في صحيح البخاري(١٣١٦) ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لو أن أحدكم[٦] إذا أراد أن يأتي أهله قال : بسم الله اللهم جنبنا الشيطان ، وجنب الشيطان ما رزقتنا ، فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان أبدًا** » .

وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾

يقول تعالىٰ : لا تجعلوا أيمانكم بالله تعالىٰ مانعة لكم من البر ، وصلة الرحم إذا حلفتم علىٰ تركها ؛ كقوله تعالىٰ : ﴿ **ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربىٰ والمساكين**

(١٣١٥) - تفسير الطبري (٤ / ٤١٧) (٤٣٥٠) .

(١٣١٦) - صحيح البخاري ، كتاب الوضوء ، باب التسمية على كل حال ، وعند الوقاع حديث (١٤١) ، وأطرافه عند البخاري في (٣٢٧١ ، ٣٢٨٣ ، ٥١٦٥ ، ٦٣٨٨ ، ٧٣٩٦) . وأخرجه مسلم في النكاح ، حديث (١٤٣٤) من حديث ابن عباس .

---

[١] - في ز ، خ : « فإن » .

[٢] - في ز : « نهاكم » .

[٣] - في ز ، خ : « جميعًا » .

[٤] - في خ : « وافر » .

[٥] - في ز : « يقول » .

[٦] - في ز : « أحدهم » .

والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ﴾ فالاستمرار على اليمين آثمٌ لصاحبها من الخروج منها بالتكفير . كما قال البخاري :

حدّثنا إسحاق بن إبراهيم ، أخبرنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **نحن الآخرون السابقون يوم القيامة** » . وقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **والله ، لأن يَلِجَّ أحدكم بيمينه في أهله آثمُ له عند الله من أن يعطي كفارته التي افترض الله عليه** » .

وهكذا رواه مسلم(١٣١٧) ، عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق ، به ، ورواه أحمد عنه ، به .

ثم قال البخاري (١٣١٨) : حدثنا إسحاق بن منصور ، حدثنا يحيىٰ بن صالح ، حدثنا معاوية - هو ابن سلام- ، عن يحيىٰ - وهو ابن أبي كثير - عن عكرمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **من استلج في أهله بيمين فهو أعظم إثما ، ليس تغني[١] الكفارة** » .

وقال علي بن [أبي][٢] طلحة ، عن ابن عباس[٣] في قوله تعالىٰ : ﴿ **ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم** ﴾ قال : لا تجعلن عرضة ليمينك ألَّا تصنع الخير . ولكن كفر عن يمينك واصنع[٤] الخير .

وكذا[٥] قال مسروق ، والشعبي ، وإبراهيم النخعي ، ومجاهد ، وطاوس ، وسعيد بن جبير ، وعطاء ، وعكرمة ، ومكحول والزهري ، والحسن ، وقتادة ، ومقاتل بن حيان ، والربيع ابن أنس ، والضحاك ، وعطاء الخراساني ، والسدي [رحمهم الله] ويؤيد ما قاله

(١٣١٧) - صحيح البخاري في الأيمان ، والنذور باب : ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ......﴾ ، (٦٦٢٤ ، ٦٦٢٥) ، وأخرجه مسلم في الأيمان حديث (١٦٥٥) ، وأخرجه أحمد في المسند (٢/ ٢٧٨،٣١٧) عن عبد الرزاق به . وأخرجه ابن ماجة في كتاب الكفارات ، باب : النهي أن يستلج الرجل في يمينه ولا يكفر حديث (٢١١٤) ، من طريق محمد بن حميد المعمري ، عن معمر به .

(١٣١٨) - صحيح البخاري ، كتاب الأيمان ، والنذور ، باب : ﴿لا يؤخذكم الله باللغو في أيمانكم ......﴾ حديث (٦٦٢٦) وأخرجه ابن ماجة في الكفارات ، باب : النهي أن يستلج الرجل في يمينه ولا يكفر حديث (٢١١٤) عن محمد بن يحيى ، ثنا ابن صالح الوحاظي به .

---

[١] - في خ : « يعني » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - في ز : « أو اصنع » .

[٥] - في ز : « وهكذا » .

هؤلاء الجمهور ما ثبت في الصحيحين (١٣١٩) ، عن أبي موسىٰ الأشعري رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه و صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إني واللَّه إن شاء اللَّه لا أحلف علىٰ يمين فأرىٰ غيرها خيرًا منها إلا أتيت الذي هو خير وتحللتها** » ، وثبت فيهما أيضًا(١٣٢٠) : أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال لعبد الرحمن بن سمرة : « **يا عبد الرحمن بن سمرة ، لاتسأل الإمارة ، فإنك إن أعطيتها عن[١] غير مسألة أعنت عليها ، وإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها ، وإذا حلفت علىٰ يمين فرأيت غيرها خيرًا منها ، فأتِ الذي هو خير ، وكفر عن يمينك** » .

ورویٰ مسلم عن أبي هريرة : أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « **من حلف علىٰ يمين فرأىٰ غيرها خيرًا منها ، فليكفر عن يمينه ، وليفعل الذي هو خير**»(١٣٢١) .

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو سعيد مولىٰ بني هاشم ، حدثنا خليفة بن خياط ، حدثني عمرو ابن شعيب ، عن أبيه ، عن جده : أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « **من حلف علىٰ يمين فرأىٰ غيرها خيرًا منها فَتَرْكُها كفارتها** »(١٣٢٢) .

ورواه أبو داود من طريق عبيد[٢] اللَّه بن الأخنس ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لا نذر ولا يمين فيما لا يملك ابن آدم ، ولا في معصية اللَّه ، ولا في قطيعة رحم ، ومن حلف علىٰ يمين فرأىٰ غيرها خيرًا منها فليدعها ، وليأت الذي هو خير ، فإن تركها كفارتها** »(١٣٢٣) .

ثم قال أبو داود : والأحاديث عن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، كلها : « **فليكفر عن**

(١٣١٩) - أخرجه البخاري ، في كتاب فرض الخمس ، باب : ومن الدليل على أن الخمس لنوائب المسلمين الحديث (٣١٣٣) ، ومسلم في كتاب الأيمان حديث (١٦٤٩) من حديث زهدم الجرمي عن أبي موسى به .

(١٣٢٠) - أخرجه البخاري في الأيمان والنذور ، باب : ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ......﴾ حديث (٦٦٢٢) ، وفي كتاب الأحكام ، باب : من لم يسأل الإمارة أعانه الله عليها حديث (٧١٤٦) ، وباب : من سأل الإمارة وكل إليها حديث (٧١٤٧) ، ومسلم في الأيمان حديث (١٦٥٢) من حديث الحسن عن عبد الرحمن بن سمرة .

(١٣٢١) - صحيح مسلم ، كتاب الأيمان : حديث (١٦٥٠) ، وأخرجه أحمد (٢ / ٣٦١) ، والترمذي في كتاب النذور ، باب : ما جاء في الكفارة قبل الحنث ، حديث (١٥٣٠) ، والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (١٢٧٣٨) من حديث أبي صالح عن أبي هريرة .

(١٣٢٢) - المسند (١٨٥/٢) .

(١٣٢٣) - سنن أبي داود ، كتاب الأيمان والنذور ، باب : فيمن حلف على طعام لا يأكله ، حديث=

[١] - في خ : « من » .
[٢] - في ز : « عبد » .

يمينه » ، وهي الصحاح .

وقال ابن جرير(١٣٢٤) : حدثنا علي بن سعيد الكندي ، حدثنا علي بن مسهر ، عن حارثة ابن محمد ، عن عمرة ، عن عائشة قالت : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **من حلف علىٰ يمين قَطِيعَة رحم أو معصية ، فَبِرُّه أن يحنَث فيها ويرجع عن[١] يمينه** » .

وهذا حديث ضعيف ؛ لأن حارثة هذا[٢] هو ابن أبي الرجال محمد بن عبد الرحمن ، متروك الحديث ، ضعيف عند الجميع ، ثم روىٰ ابن جرير عن ابن جبير ، وسعيد بن المسيب ، ومسروق ، والشعبي : أنهم قالوا : لا يمين في معصية ، ولا كفارة عليها .

وقوله : ﴿ **لا يؤاخذكم اللَّه باللغو في أيمانكم** ﴾ أي : لايعاقبكم ، ولا يلزمكم بما صدر منكم من الأيمان اللاغية ، وهي التي لا يقصدها الحالف ، بل تجري علىٰ لسانه عادة من غير تعقيد ولا تأكيد ، كما ثبت في الصحيحين(١٣٢٥) من حديث الزهري ، عن حُمَيد بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **من حلف فقال في حلفه : واللات والعزىٰ ، فليقل لا إله إلا اللَّه** » . فهذا قاله لقوم حديثي عهد[٣] بجاهلية ، قد أسلموا ، وألسنتهم قد ألفت ما كانت عليه من الحلف باللات من غير قصد ، فأمروا أن يتلفظوا بكلمة الإخلاص ، كما تلفظوا بتلك الكلمة من غير قصد ، لتكون هذه بهذه ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم** ﴾ الآية ، وفي[٤] الآية الأخرىٰ [في المائدة][٥] ﴿ **ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان** ﴾ .

قال أبو داود(١٣٢٦) : (باب لغو اليمين) حدثنا حميد بن مسعدة الشامي ، حدثنا حسان -

= (٣٢٧٤) عن المنذر بن الوليد ، عن عبد الله بن بكلر ، عن عبيد الله بن الأخنس به .

(١٣٢٤) - تفسير الطبري (٤/٤٤٢) ، وأخرجه ابن ماجة في الكفارات ، باب : من قال : كفارنها تركها حديث (٢١١٠) عن علي بن محمد ، عن عبد الله بن نمير ، عن حارثة بن أبي الرجال به .

(١٣٢٥) - صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب : ﴿أفرأيتم اللات والعزى﴾ حديث (٤٨٦٠) ، وفي الأدب ، باب : من لم ير إكفار من قال ذلك متأولًا أو جاهلًا حديث (٦١٠٧) ، وفي كتاب الاستئذان ، باب : كل لهو باطل إذا شغله عن طاعة الله ...حديث (٦٣٠١) ، وفي الأيمان والنذور ، باب : لا يحلف باللات والعزى ولا بالطواغيت ، حديث (٦٦٥٠) ، ومسلم في كتاب الأيمان ، حديث (١٦٤٧) من طريق الزهري به .

(١٣٢٦) - سنن أبي داود كتاب الأيمان ، والنذور ، الحديث (٣٢٥٤) .

[١] - في خ : « من » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز : « أعهد » .

[٤] - في ز : « كما قال » .

[٥] - زيادة من : ز ، خ .

يعني ابن إبراهيم - حدثنا إبراهيم - يعني الصائغ - عن عطاء : في[١] اللغو في اليمين ، قال : قالت عائشة : إنّ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « [ ][٢] **هو كلام الرجل في بيته : كلا واللَّه ، وبلىٰ[٣] واللَّه** » .

ثم قال أبو داود : رواه داود بن أبي الفرات ، عن إبراهيم الصائغ ، عن عطاء ، عن عائشة موقوفًا ، ورواه الزهري ، وعبد الملك ، ومالك بن مغول كلهم ، عن عطاء ، عن عائشة موقوفًا ، أيضًا

(قلت) : وكذا رواه ابن جريج ، وابن أبي ليلىٰ ، عن عطاء ، عن عائشة موقوفًا ، ورواه ابن جرير(١٣٢٧) : عن هناد[٤] ، عن وكيع ، وعبدة ، وأبي معاوية ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة في قوله : ﴿ **لا يؤاخذكم اللَّه باللغو في أيمانكم** ﴾ قالت[٥] : لا واللَّه ، وبلىٰ[٦] واللَّه .

ثم رواه : عن محمد بن حميد ، عن سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن هشام ، عن أبيه ، عنها . وبه ، عن ابن إسحاق ، عن الزهري ، عن القاسم ، عنها . وبه عن سلمة[٧] ، عن ابن أبي نجيح ، عن عطاء ، عنها .

وقال عبد الرزاق(١٣٢٨) : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة في قوله : ﴿ **لا يؤاخذكم اللَّه باللغو في أيمانكم** ﴾ قالت[٨] : هم القوم يتدارءون في الأمر ، فيقول هذا : لا واللَّه ، وبلىٰ واللَّه وكلا واللَّه . يتدارءون في الأمر : لا تعقد عليه قلوبهم .

وقد قال ابن أبي حاتم(١٣٢٩) : حدّثنا هارون بن إسحاق الهمداني ، حدّثنا عبدة - يعني ابن

(١٣٢٧) - تفسير الطبري (٤ / ٤٢٨) (٤٣٧٧) .

(١٣٢٨) - أخرجه الطبري في تفسيره (٤/٤٢٩) (٤٣٨٣) بسنده إلى عبد الرزاق وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١/٤٨٠) إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

وأخرجه البخاري في صحيحه في التفسير ، باب : ﴿لا يؤخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾ حديث (٤٦١٣) ، وفي الأيمان والنذور ، باب : ﴿لا يؤخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾ حديث (٦٦٦٣) ، والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (١٧٣١٦) من حديث هشام بن عروة عن أبيه به بمعناه .

(١٣٢٩) - تفسير ابن أبي حاتم (٢ / ٤٠٨) (٢١٥٢)

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ت : « اللغو في اليمين » .

[٣] - في خ : « بلىٰ » .

[٤] - في ز : « عباد » .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - في خ : « بلىٰ » .

[٧] - في خ : « إسحاق » .

[٨] - في ز : « قال » .

سليمان - عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة في قول الله : ﴿ **لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم** ﴾ قالت : هو قول الرجل : لا والله وبلىٰ والله .

وحدّثنا أبي(١٣٣٠) ، حدثنا أبو صالح كاتب الليث ، حدثني ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة قال : كانت عائشة تقول : إنما اللغو في المزاحة والهزل ، وهو قول الرجل : لا والله ، وبلىٰ والله . فذاك لا كفارة فيه ، إنما الكفارة فيما عقد عليه قلبه أن يفعله ، ثم لا يفعله .

ثم قال ابن أبي حاتم : وروي عن ابن عمر ، وابن عباس - في أحد أقواله - والشعبي ، وعكرمة في أحد قوليه ، وعطاء ، والقاسم بن محمد ، ومجاهد في أحد قوليه ، وعروة بن الزبير ، وأبي صالح ، والضحاك في أحد قوليه ، وأبي قلابة ، والزهري ، نحو ذلك .

(الوجه الثاني) : قُرِئَ علىٰ يونس بن عبد الأعلىٰ(١٣٣١) ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني الثقة ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة : أنها كانت تتأول هذه الآية يعني قوله : ﴿ **لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم** ﴾ وتقول : هو[١] الشيء يحلف عليه أحدكم ، لا يريد منه إلا الصدق ، فيكون علىٰ غير ما حلف عليه .

ثم قال : وروي عن أبي هريرة ، وابن عباس في أحد قوليه ، وسليمان بن يسار ، وسعيد ابن جبير ، ومجاهد في أحد قوليه ، وإبراهيم النخعي في أحد قوليه ، والحسن ، وزرارة بن أوفىٰ ، وأبي مالك ، وعطاء الخراساني ، وبكر بن عبد الله ، وأحد قولىٰ عكرمة ، وحبيب بن أبي ثابت ، والسدي ، ومكحول ، ومقاتل ، وطاوس ، وقتادة ، والربيع بن أنس . ويحيىٰ بن سعيد ، وربيعة ، نحو ذلك .

وقال ابن جرير(١٣٣٢) : حدثنا محمد بن موسىٰ الحَرَشي[٢] ، حدثنا عبيد[٣] الله بن ميمون المرادي[٤] ، حدثنا عوف الأعرابي ، عن الحسن بن أبي الحسن ، قال : مر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بقوم ينتضلون[٥] - يعني يرمون - ومع النبي صلىٰ الله عليه وسلم رجل من أصحابه ، فرمىٰ[٦] رجل من القوم فقال : أصبت والله ، وأخطأت والله ! فقال الذي مع النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، للنبي ، صلىٰ الله عليه وسلم : حنث الرجل يا رسول الله . قال : « **كلا ، أيمان**

(١٣٣٠) - تفسير ابن أبي حاتم (٢ / ٤٠٨) (٢١٥٣) .

(١٣٣١) - تفسير ابن أبي حاتم (٢ / ٤٠٨) (٢١٥٤) .

(١٣٣٢) - تفسير الطبري (٤/٤٤٤) (٤٤٥٨) ، وضعف إسناده الشيخ أحمد شاكر في تعليقه =

---

[١] - في ز : « هذا » .

[٢] - في ز ، خ : « الجرشي » .

[٣] - في ز ، خ : عبد .

[٤] - في خ : « المراي » .

[٥] - في ز : « يتنضلون » ، خ : « ينتصلون » .

[٦] - في ز : « فعلى » .

الرماة لغو لا كفارة فيها ولا عقوبة » . هذا مرسل حسن عن الحسن .

وقال ابن أبي حاتم : وروي عن عائشة القولان جميعًا .

حدثنا عصام بن رواد(١٣٣٣) ، أخبرنا آدم ، حدثنا شيبان ، عن جابر ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن عائشة قالت : هو قوله : لا واللَّه ، وبلىٰ واللَّه ، وهو يرىٰ أنه صادق ، ولا يكون كذلك .

(أقوال أخر) : قال عبد الرزاق(١٣٣٤) : عن هُشَيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم : هو الرجل : يحلف علىٰ[١] الشيء ثم ينساه .

وقال زيد بن أسلم : هو قول الرجل : أعمىٰ اللَّه[٢] بصري إن لم أفعل كذا وكذا ، أخرجني اللَّه من مالي[٣] إن لم آتك غدًا ؛ فهو هذا .

قال ابن أبي حاتم(١٣٣٥) : وحدثنا علي بن الحسين ، حدثنا مسدد [ ][٤] ، حدثنا خالد ، أخبرنا عطاء ، عن طاوس ، عن ابن عباس قال : لغو اليمين أن تحلف وأنت غضبان .

وأخبرني أبي(١٣٣٦) ، أخبرنا أبو الجماهر حدثنا سعيد بن بشير ، حدثني أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لغو اليمين أن تحرم ما أحل اللَّه لك ، فذلك ما ليس عليك فيه كفارة . وكذا روي عن سعيد بن جبير .

وقال أبو داود (١٣٣٧) : (باب اليمين في الغضب) حدثنا محمد بن المنهال ، أنبأنا يزيد بن زريع ، حدثنا حبيب المعلم ، عن عمرو بن شعيب ، عن سعيد بن المسيب : أن أخوين من

= على الطبري ، والحديث لم يعزه السيوطي في الدر المنثور (٤٨١/١) لغير الطبري .

(١٣٣٣) - تفسير ابن أبي حاتم (٢ / ٤٠٩) (٢١٥٥) .

(١٣٣٤) - تفسير عبد الرازق (١٠٥/١) ومن طريقه ابن أبي حاتم (٤٠٩/٢) (٢١٥٨) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٨١/١) إلى عبد بن حميد .

(١٣٣٥) - تفسير ابن أبي حاتم (٤٠٩/٢) (٢١٦١) ، وأخرجه ابن جرير في تفسيره (٤٣٨/٤) (٤٤٣٣) ، والبيهقي (٤٩/١٠) من طريق طاوس عن ابن عباس به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٨١/١) لسعيد ابن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(١٣٣٦) - تفسير ابن ابي حاتم (٤١٠/٢) (٢١٦٣) .

(١٣٣٧) - سنن أبي داود ، كتاب الايمان والنذور ، باب : اليمين في قطيعة الرحم ، حديث (٣٢٧٢) . ووقع فيه : « باب اليمين في قطيعة الرحم » .

---

[١] - في ز ، خ : « عن » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في خ : « حالي » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ت : « بن خالد » .

الأنصار كان بينهما ميراث ، فسأل أحدهما صاحبه القسمة ، فقال[١] : إن عدت تسألني عن[٢] القسمة ، فكل مالي في رتاج الكعبة ، فقال [له عمر][٣] : إن الكعبة غنية عن مالك ، كفر عن يمينك وكلم أخاك ، سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « **لا يمين عليك ، ولا نذر في معصية الرب عز وجل ولا في قطيعة الرحم ، و فيما لا تملك** » .

وقوله : ﴿ **ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم** ﴾ قال ابن عباس ، ومجاهد ، وغير واحد : هو أن يحلف علىٰ الشيء وهو يعلم أنه كاذب . قال مجاهد وغيره : وهي كقوله تعالىٰ : ﴿ **ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان** ﴾ الآية .

﴿ **واللَّه غفور حليم** ﴾ أي غفور لعباده حليم عليهم[٤] .

﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ ﴾

الإيلاء : الحلف ، فإذا حلف الرجل أن لا يجامع زوجته مدّة ، فلا يخلو : إما أن تكون[٥] أقل من أربعة أشهر أو أكثر منها ، فإن كانت أقل فله أن ينتظر انقضاء المدة ثم يجامع امرأته ، وعليها أن تصبر وليس لها مطالبته بالفيئة في هذه المدة ، وهذا كما ثبت في الصحيحين(١٣٣٨) عن عائشة : أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم و آلي من نسائه شهرًا ، فنزل لتسع وعشرين ، وقال : « **الشهر [يكون][٦] تسع وعشرون** » ، ولهما(١٣٣٩) عن عمر بن الخطاب نحوه .

فأما إن زادت المدة علىٰ أربعة أشهر ، فللزوجة مطالبة الزوج عند انقضاء أربعة أشهر . إما أن يفيء - أي : يجامع - ، وإما أن يطلق ، فيجبره الحاكم علىٰ هذا ، أو هذا ؛ لئلا يضر بها . ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **للذين يؤلون من نسائهم** ﴾ أي : يحلفون علىٰ ترك الجماع من نسائهم . فيه دلالة علىٰ أن الإيلاءَ يختص بالزوجات دون الإماء ، كما هو مذهب الجمهور . ﴿ **تربص**

(١٣٣٨) - أخرجه مسلم في الصيام ، حديث (١٠٨٣) من حديث الزهري عن عائشة ، ولم أقف عليه في صحيح البخاري من حديث عائشة .

(١٣٣٩) - أخرجه البخاري في كتاب المظالم ، حديث (٢٤٦٨) ، وفي النكاح ، باب : موعظة الرجل ابنته حال زواجها حديث (٥١٩١) ، ومسلم في كتاب الطلاق حديث (١٤٧٩) من حديث ابن عباس عن عمر .

[١] - في ز : « قال » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز ، خ : « ابن عمر » .
[٤] - في خ : « عنهم » .
[٥] - في خ : « يكون » .
[٦] - ما بين المعكوفتين زيادة من ز .

أربعة أشهر ﴾ أي : ينتظر[١] الزوج أربعة أشهر من حين الحلف ، ثم يوقف ويطالب بالفيئة[٢] أو الطلاق ، ولهذا قال : ﴿ فإن فاءوا ﴾ أي : رجعوا إلىٰ ما كانوا عليه ، وهو كناية عن الجماع ، قاله ابن عباس ، ومسروق ، والشعبي ، وسعيد بن جبير ، وغير واحد ، ومنهم ابن جرير رحمه الله ﴿ فإن الله غفور رحيم ﴾ أي : لما سلف من التقصير في حقهن بسبب اليمين . وقوله : ﴿ فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم ﴾ فيه دلالة لأحد قولي العلماء - وهو القديم عن الشافعي - أن المولي إذا فاء بعد الأربعة الأشهر أنه لا كفارة عليه ، ويعتضد بما تقدم في [الحديث عند][٣] الآية التي قبلها ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « من حلف علىٰ يمين فرأىٰ غيرها خيرًا منها فتركها كفارتها » . كما رواه أحمد(١٣٤٠) ، وأبو داود ، [ ][٤] والذي عليه الجمهور وهو الجديد من مذهب الشافعي - : أن عليه الكفارة ؛ لعموم وجوب التكفير علىٰ كل حالف ، كما تقدّم أيضًا في الأحاديث الصحاح . والله أعلم .

[وقوله : ﴿ وإن عزموا الطلاق ﴾ فيه دلالة علىٰ [أن الطلاق لا يقع][٥] بمجرد مضي الأربعة أشهر ، كقول الجمهور [من المتأخرين][٦] ، وذهب آخرون إلىٰ أنه يقع بمضي الأربعة[٧] أشهر تطليقة ، وهو مروي بأسانيد صحيحة عن عمر ، وعثمان ، وعلي ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وابن عمر ، وزيد بن ثابت ، وبه يقول ابن سيرين ، ومسروق[٨] ، والقاسم ، وسالم ، والحسن ، وأبو سلمة ، وقتادة ، وشريح القاضي ، وقبيصة بن ذؤيب ، وعطاء ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن ، وسليمان بن طرخان التيمي ، وإبراهيم النخعي ، والربيع ابن أنس ، والسدي .

ثم قيل : إنها تطلق بمضي الأربعة أشهر طلقة رجعية ، قاله سعيد بن المسيب ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، ومكحول ، وربيعة ، والزهري ، ومروان[٩] بن الحكم . وقيل : إنها تطلق طلقة بائنة ، روي عن علي ، وابن مسعود ، وعثمان ، وابن عباس ، وابن عمر ، وزيد بن ثابت ، وبه يقول عطاء ، وجابر[١٠] بن زيد ، ومسروق ، وعكرمة ، والحسن ، وابن سيرين ، ومحمد بن الحنفية ، وإبراهيم ، وقبيصة ابن ذؤيب ، وأبو حنيفة ،

(١٣٤٠) - المسند (٢/١٨٥) ، وسنن أبي داود برقم (٣٢٧٤) .

---

[١] - في خ : « ينظر » .
[٢] - بياض في خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ت : « والترمذي » .
[٥] - في ز : « أنه لا يقع الطلاق » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٧] - في خ : « أربعة » .
[٨] - سقط من : ز .
[٩] - في ز : « ومسروق » .
[١٠] - في ز : « ومحمد » .

والثوري ، والحسن بن صالح ، فكل[١] من قال : إنها تطلق بمضي الأربعة أشهر أوجب عليها العدّة ، إلا ما روي عن ابن عباس ، وأبي الشعثاء : إنها إن كانت حاضت ثلاث حيض فلا عدّة عليها وهو قول الشافعي . و[٢]الذي عليه الجمهور من[٣] المتأخرين[٤] : أنه يوقف فيطالب إمّا بهذا ، وإمّا بهذا ، ولا يقع عليها[٥] بمجرد مضيها طلاق .

و[٦]روىٰ مالك(١٣٤١) ، عن نافع ، عن عبد اللَّه بن عمر أنه قال : إذا آلىٰ الرجل من امرأته لم يقع عليها[٧] طلاق ، وإن مضت أربعة أشهر ، حتىٰ يوقف ، فإما أن يطلق ، وإمّا أن يفيء . وأخرجه البخاري .

وقال الشافعي رحمه اللَّه(١٣٤٢) : أخبرنا سفيان بن عيينة ، عن يحيىٰ بن سعيد ، عن سليمان ابن يسار[٨] قال : أدركت بضعة عشر من أصحاب النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، كلهم يوقف المولي . قال الشافعي : وأقل ذلك ثلاثة عشر .

ورواه الشافعي عن علي رضي اللَّه عنه(١٣٤٣) : أنه يوقف المولي ، ثم قال : وهكذا نقول ، وهو موافق لما رويناه عن عمر ، وابن عمر ، وعائشة ، وعثمان ، وزيد بن ثابت ، وبضعة عشر من أصحاب النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم . هكذا قال الشافعي ، رحمه اللَّه .

قال ابن جرير : حدّثنا ابن أبي مريم ، حدّثنا يحيىٰ بن أيوب ، عن عبيد اللَّه بن عمر ، عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه قال : سألت اثني عشر رجلًا من الصحابة عن الرجل يولي من امرأته ، فكلهم يقول : ليس عليه شيء حتىٰ تمضي الأربعة الأشهر فيوقف ، فإن فاء وإلا طلق .

ورواه الدارقطني(١٣٤٤) من طريق سهيل[٩] .

(١٣٤١) - الموطأ (٥٥٦/٢) ، ومن طريقه أخرجه البخاري في كتاب الطلاق ، باب : قول الله تعالى ﴿ للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر ﴾ حديث (٥٢٩١) .

(١٣٤٢) - الأم (٢٤٧/٥) ومن طريقه البيهقي في السنن (٣٧٦/٧) .

(١٣٤٣) - الأم (٢٤٧/٥) ومن طريقه البيهقي في السنن (٣٧٧/٧) وانظر مصنف ابن أبي شيبة (٤/ ٩٧،٩٨) .

(١٣٤٤) - وأخرجه الدارقطني في سننه (٦١/٤) ، ومن طريقه البيهقي (٣٧٧/٧) .

---

[١] - في ز : « وكل » .
[٢] - في ز : « وبل » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز : « عليه » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في خ : « عليه » .
[٨] - في ز : « بشار » .
[٩] - في ز : « سَهْل » .

(قلت) : وهو مروي عن عمر ، وعثمان ، وعلي ، وأبي الدرداء ، وعائشة أم المؤمنين ، وابن عمر وابن عباس ، وبه يقول سعيد بن المسيب ، وعمر بن عبد العزيز ، ومجاهد ، وطاوس ، ومحمد بن كعب والقاسم ، وهو مذهب مالك ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وأصحابهم رحمهم اللَّه . وهو اختيار ابن جرير أيضًا . وهو قول الليث ، وإسحٰق بن راهويه ، وأبي عبيد ، وأبي ثور ، وداود ، وكل هؤلاء قالوا : إن لم يفئ ألزم بالطلاق ، فإن لم يطلق طلق عليه الحاكم ، والطلقة تكون رجعية ، له رجعتها في العدة .

[وانفرد مالك بأن قال : لا يجوز له رجعتها حتىٰ يجامعها في العدة][١] ، وهذا غريب جدًّا][٢] .

وقد ذكر الفقهاء وغيرهم في مناسبة تأجيل المولي بأربعة أشهر الأثر الذي رواه الإمام مالك ابن أنس - رحمه اللَّه - في الموطأ ، عن عمرو بن دينار قال : خرج عمر بن الخطاب من الليل فسمع امرأة تقول .

تطاول هذا الليل واسود جانبه ... وأرقني ألا خليل ألاعبه
فو اللَّه ، لولا اللَّه أني أراقبه ... لحرك من هذا السرير جوانبه

فسأل عمر(١٣٤٥) ابنته حفصة - رضي اللَّه عنها - : كم أكثر ما تصبر المرأة عن زوجها ؟ فقالت : ستة أشهر أو أربعة أشهر . فقال عمر : لا أحبس أحدًا من الجيوش أكثر من ذلك .

وقال محمد بن إسحاق ، عن السائب بن جبير - مولىٰ ابن عباس ، وكان قد أدرك أصحاب النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : ما زلت أسمع حديث عمر : أنه خرج ذات ليلة يطوف بالمدينة ، وكان يفعل ذلك كثيرًا ، إذ[٣] مر بامرأة من نساء العرب مغلقة بابها [وهي][٤] تقول :

تِطاول هذا الليل وازورّ جانبُهْ ... وأرَّقَنِي ألَّا ضجيعَ أُلاعِبُهْ
أُلاعِبُه طورًا وطورًا كأنَّما ... بدا [قمرًا في][٥] ظلمة الليل حاجبُهْ
يسرّ به من كان يلهو بقربه ... لطيف الحشا لا يحتويه أقاربُهْ
فو اللَّه لولا اللَّه لا شيء غيره ... لنقض من هذا السرير جوانبُهْ

(١٣٤٥) - ذكره الحافظ ابن كثير في مسند الفاروق (٤٢٢/١) ، ونقله القرطبي في التفسير (١٠٨/٣) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين يأتي في المخطوط قبل الآيات البادئة بـ « والمطلقات يتربصن .... » .
[٣] - في ز : « و » .
[٤] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « الموالى » .

ولكنني أخشىٰ رقيبًا موكلًا بأنفاسنا لا يَفْتُر الدهرَ كاتبُهْ
[مخافةَ رَبِّي والحياءُ يصدُّني وإكرام بعلي أن تُنالَ مراكبُهْ][١]

ثم ذكر بقية ذلك كما تقدم أو نحوه(١٣٤٦) . وقد روي هذا من طرق وهو من المشهورات[٢] .

﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ﴾

هذا أمر من الله سبحانه وتعالىٰ للمطلقات المدخول بهن من ذوات الأقراء ، بأن يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ، أي : بأن تمكث إحداهن بعد طلاق زوجها لها ثلاثة قروء ، ثم تتزوج إن شاءت . وقد أخرج الأئمة الأربعة من هذا العموم الأمة إذا طلقت ، فإنها تعتد عندهم بقرءين ؛ لأنها علىٰ النصف من الحرة ، والقرء لا يتبعض ، فكمل[٣] لها قرءان ، ولما رواه ابن جرير ، عن مظاهر بن أسلم المخزومي المدني ، عن القاسم ، عن عائشة : أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **طلاق الأمة تطليقتان ، وعدتها[٤] حيضتان** » .

رواه أبو داود ، والترمذي ، وابن ماجة(١٣٤٧) ، ولكن مظاهر هذا ضعيف بالكلية . وقال الحافظ الدارقطني وغيره : الصحيح[٥] أنه من قول القاسم بن محمد نفسه .

(١٣٤٦) - ذكره الحافظ ابن كثير في مسند الفاروق (٤٢٢/١) .

(١٣٤٧) - أخرجه أبو داود في الطلاق ، باب : في سنة طلاق العبد ، حديث (٢١٨٩) ، والترمذي في الطلاق ، باب : ما جاء آية طلاق الأمة تطليقتان حديث (١١٨٢) ، وابن ماجة في الطلاق ، باب في طلاق الأمة وعدتها حديث (٢٠٨٠) والدارمي في الطلاق ، باب : طلاق الأمة حديث (٢٢٩٩) والدارقطني (٤ / ٣٩) ، والحاكم (٢٠٠/٢) ، والبيهقي (٣٦٩/٧ ، ٣٧٠) من طريق مظاهر بن أسلم به .
وقال أبو داود : حديث مجهول . وقال الترمذي : حديث غريب لا نعرفه مرفوعًا إلا من حديث مظاهر ابن أسلم . ومظاهر لا نعرف له في العلم غير هذا الحديث .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز . [٢] -
[٣] - في ز : « فكملت » ، خ : « تكملت » . [٤] - في ز ، خ : « وعليها » .
[٥] - سقط من : خ .

ورواه ابن ماجة من طريق عطية العوفي ، عن ابن عمر مرفوعًا(١٣٤٨) . قال الدارقطني : والصحيح ما رواه سالم ونافع ، عن ابن عمر قوله . وهكذا روي عن عمر بن الخطاب . قالوا : ولم يعرف بين الصحابة خلاف .

وقال بعض السلف : بل عدتها كعدة الحرة ؛ لعموم الآية ، ولأن هذا أمر جبلي ، فكان الحرائر والإماء في هذا سواء [والله أعلم][١] . حكىٰ هذا القول الشيخ أبو عمر بن عبد البر ، عن محمد بن سيرين ، وبعض أهل الظاهر ، وضعفه .

وقد قال ابن أبي حاتم(١٣٤٩) : حدّثنا أبي ، حدّثنا أبو اليمان ، حدثنا إسماعيل - يعني : ابن عياش - عن عمرو بن مهاجر ، عن أبيه : أن أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية قالت : طلقت علىٰ عهد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن للمطلقة عدة ، فأنزل الله عز وجل ، حين طلقت أسماء العدة للطلاق ، فكانت أول من نزلت فيها العدة للطلاق ، يعني: ﴿ **والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء** ﴾ .

وهذا حديث غريب من هذا الوجه . وقد اختلف السلف والخلف والأئمة في المراد بالأقراء ما هو ؟ علىٰ قولين : .

(أحدهما) : أن المراد بها[٢] الأطهار ، وقال مالك في الموطأ : عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة أنها قالت : انتقلت حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر ، حين دخلت في الدم من الحيضة الثالثة ، قال الزهري : فذكرت ذلك لعمرة بنت عبد الرحمن فقالت : صدق عروة . وقد جادلها في ذلك ناس فقالوا : إن الله تعالىٰ يقول في كتابه : ﴿ **ثلاثة قروء** ﴾ فقالت عائشة : صدقتم ، وتدرون ما الأقراء ؟ إنما الأقراء الأطهار(١٣٥٠) .

وقال مالك : عن ابن شهاب ، سمعت أبا بكر بن عبد الرحمن يقول : ما أدركت أحدًا من فقهائنا إلا وهو يقول ذلك - يريد قول عائشة . وقال مالك : عن نافع ، عن عبد الله بن عمر ، أنه كان يقول : إذا طلق الرجل امرأته ، فدخلت في الدم من الحيضة الثالثة ، فقد برئت منه وبرئ

(١٣٤٨) - أخرجه ابن ماجة في الطلاق ، باب : خيار الأمة إذا اعتقت حديث (٢٠٧٩) ، والدارقطني (٤/ ٣٨) ، والبيهقي (٣٦٩/٧) من طريق عمر بن شبيب . عن عطية العوفي به . قال الحافظ في التلخيص (٣/ ٢١٣،٢١٢) : في إسناده عمر بن شبيب وعطية العوفي وهما ضعيفان .

(١٣٤٩) - تفسير ابن أبي حاتم (٤١٤/٢) (٢١٨٦) ، وأخرجه أبو داود في كتاب الطلاق ، باب : في عدة المطلقة ، حديث (٢٢٨١) ، والبيهقي (٤١٤/٧) من طريق إسماعيل بن عياش به .

(١٣٥٠) - الموطأ (٥٧٧/٢) .

[١] - زيادة من : ز ، خ . [٢] - في ز ، خ : « بهما » .

منها . و[١]قال مالك : وهو الأمر عندنا . وروي مثله عن ابن عباس ، وزيد بن ثابت ، وسالم والقاسم ، وعروة ، وسليمان بن يسار ، وأبي بكر بن عبد الرحمن ، وأبان بن عثمان ، وعطاء بن أبي رباح وقتادة ، والزهري ، وبقية الفقهاء السبعة ، وهو مذهب مالك والشافعي [وغير واحد وداود وأبي ثور وهو رواية عن أحمد ، واستدلوا عليه بقوله تعالىٰ ﴿ **فطلقوهن لعدتهن** ﴾ أي في الأطهار . ولما كان الطهر الذي يطلق فيه محتسبًا دل علىٰ أنه أحد الأقراء الثلاثة المأمور بها ، ولهذا قال هؤلاءِ : إن المعتدة تنقضي عدتها وتبين من زوجها بالطعن في الحيضة الثالثة ، وأقل مدة تصدق فيها المرأة في انقضاء عدتها اثنان وثلاثون يومًا ولحظتان][٢] .

واستشهد أبو عبيدة وغيره علىٰ ذلك بقول الشاعر وهو الأعشىٰ :

ففي كل عام أنت جاشِمُ غزوة ... تشد لأقصاها عَزِيمَ عزائكا
مُوَرِّثة عدًّا وفي الحي رفعة ... لما ضاع فيها من قروء نسائكا

يمدح أميرًا من أمراء العرب آثر الغزو علىٰ المقام حتىٰ ضاعت أيام الطهر من نسائه لم يواقعهن فيها .

(والقول الثاني) : أن المراد بالأقراء : الحيض فلا تنقضي العدة حتىٰ تطهر من الحيضة الثالثة ، زاد آخرون : وتغتسل منها . وأقل وقت تصدق[٣] فيه المرأة[٤] في انقضاء عدتها ثلاثة وثلاثون يومًا ولحظة . قال الثوري : عن منصور ، عن إبراهيم ، عن علقمة قال : كنا عند عمر بن الخطاب - رضي اللَّه عنه - فجاءته امرأة فقالت : إن زوجي فارقني بواحدة أو اثنتين ، فجاءني [وقد وضعت مائي][٥] وقد نزعت ثيابي وأغلقت بابي . فقال عمر لعبد اللَّه يعني[٦] : بن مسعود - : [ما ترىٰ ؟ قال :][٧] أراها امرأته ، ما دون أن تحل لها الصلاة ، قال عمر[٨] : وأنا أرىٰ ذلك(١٣٥١) .

وهكذا روي عن أبي بكر الصديق ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وأبي الدرداء ، وعبادة بن الصامت وأنس بن مالك ، وابن مسعود ، ومعاذ ، وأبي بن كعب ، وأبي موسىٰ الأشعري ،

(١٣٥١) - أخرجه الطبري في تفسيره (٥٠٣،٥٠٢/٤) (٤٦٨٢) وابن أبي حاتم في تفسيره (٤١٥/٢) (٢١٨٨) بسنديهما إلى سفيان الثوري به . وأخرجه عبد الرزاق - كما في الدر المنثور (٤٩٠/١) - ومن طريق البيهقي في سننه (٧ / ٤١٧) عن الثوري به . وأخرجه الطبري في تفسيره (٤٦٧٥ ، ٤٦٧٦ ، ٤٦٧٧) من طرق عن عمر به نحوه . وعزاه السيوطي في الدر المنثور إلى عبد بن حميد أيضًا .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « يصدق » .
[٤] - في ز : « المراد » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - زيادة من : ز ، خ .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٨] - سقط من : ز .

وابن عباس ، وسعيد بن المسيب ، وعلقمة ، والأسود ، وإبراهيم ، ومجاهد ، وعطاء ، وطاوس ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، ومحمد بن سيرين ، والحسن ، وقتادة ، والشعبي ، والربيع ، ومقاتل بن حيان ، والسدي ، ومكحول والضحاك ، وعطاء الخراساني ، أنهم قالوا : الأقراء : الحيض .

وهذا مذهب أبي حنيفة وأصحابه ، وأصح الروايتين عن الإمام أحمد بن حنبل ، وحكىٰ عنه الأثرم أنه قال : الأكابر من أصحاب رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يقولون : الأقراء : الحيض . وهو مذهب الثوري ، والأوزاعي ، وابن أبي ليلىٰ ، وابن شبرمة ، والحسن بن صالح بن حَيّ[١] وأبي عبيد ، وإسحاق بن راهويه .

ويؤيد هذا ما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود والنسائي(١٣٥٢) : من طريق المنذر بن المغيرة[٢] ، عن عروة بن الزبير ، عن فاطمة بنت أبي حبيش ، أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال لها : « **دعي الصلاة أيام أقرائك** » . فهذا لو صح لكان صريحًا ، في أن القرء هو الحيض ، [ولكن المنذر هذا قال فيه أبو حاتم : مجهول ليس بمشهور . وذكره ابن حبان في الثقات] .

وقال ابن جرير (١٣٥٣) : أصل القرء في كلام العرب : الوقت ؛ لمجيء الشيء المعتاد مجيئه في وقت معلوم ، ولإدبار الشيء المعتاد إدباره لوقت معلوم . وهذه العبارة تقتضي أن يكون مشتركا بين هذا وهذا ، وقد ذهب إليه بعض الأصوليين ، والله أعلم . وهذا قول الأصمعي : إن القرء هو الوقت . وقال أبو عمرو بن العلاءِ : العرب تسمي الحيض : قرءًا ، وتسمي الطهر : قرءًا ، وتسمي الطهر والحيض جميعًا قرءًا . وقال الشيخ أبو عمر بن عبد البر : لا يختلف أهل العلم بلسان العرب ، والفقهاء أن القرء يراد به : الحيض ، ويراد به : الطهر ، وإنما اختلفوا في المراد من الآية ما هو ؟ علىٰ قولين .

(١٣٥٢) – لم أقف عليه بهذا اللفظ عند أبي داود أو النسائي وأخرجه أبو داود في الطهارة ، باب : في المرأة تستحاض ، ومن قال : تدع الصلاة في عدة الأيام التي كانت تحيض حديث (٢٨٠) ، والنسائي في الطهارة ، باب : ذكر الأقراء (١/١٢١) ، وفي الحيض ، باب : ذكر الأقراء (١/١٨٣ ، ١٨٤) ، وفي الطلاق ، باب : الأقراء (٦/ ٢١١) وفي الكبرى (٢١٢) من طريق بكير بن عبد الله الأشج عن المنذر بن المغيرة ، عن عروة بن الزبير : أن فاطمة بنت أبي حبيش حدثته أنها سألت رسول الله ﷺ : فشكت إليه الدم ، فقال لها رسول الله ﷺ : « إنما ذلك عرق ، فانظري إذا أتى قرؤك فلا تصلي ، فإذا مر قرؤك فتطهري ثم صلي ما بين القرء إلى القرء » . وقد ورد الحديث من طرق أخرى . ينظر تخريجها في التلخيص الحبير (١/٣٢٩ وما بعدها) .

(١٣٥٣) – تفسير الطبري (٤ / ٥١١) .

---

[١] – في خ : « حييّ » . [٢] – في خ : « المعتبر » .

وقوله : ﴿ **ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن** ﴾ أي : من حبل ، أو حيض . قاله ابن عباس ، وابن عمر ، ومجاهد ، والشعبي ، والحكم بن عُتَيْبَة ، والربيع بن أنس ، والضحاك وغير واحد .

وقوله : ﴿ **إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر** ﴾ تهديد لهن علىٰ قول خلاف الحق ، ودل هذا علىٰ أن المرجع في هذا إليهن ؛ لأنه أمر لا يعلم إلا من جهتهن ، ويتعذر[١] إقامة البينة غالبًا علىٰ ذلك ، فرد الأمر إليهن وتُوُعِّدْنَ فيه ؛ لئلا تخبر[٢] بغير الحق ، إما استعجالًا منها لانقضاء العدة ، أو رغبة منها في تطويلها ؛ لما لها في ذلك من المقاصد ، فأمرت أن تخبر بالحق في ذلك من غير زيادة ولا نقصان .

وقوله : ﴿ **وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحًا** ﴾ أي : و[٣]زوجها الذي طلقها أحق بردتها[٤] ما دامت في عدتها ، إذا كان مراده بردتها[٥] الإصلاح والخير . وهذا في الرجعيات ، فأما المطلقات البوائن فلم يكن حال نزول هذه الآية مطلقة بائن ، وإنما صار ذلك لما حصروا في الطلقات الثلاث ، فأما حال نزول هذه الآية فكان الرجل أحق برجعة امرأته وإن طلقها مائة مرة ، فلما قصروا في الآية التي بعدها علىٰ ثلاث طلقات[٦] ، صار للناس مطلقة بائن وغير بائن . وإذا تأملت هذا تبين لك ضعف[٧] ما سلكه بعض الأصوليين ، من استشهادهم علىٰ مسألة عود الضمير هل يكون مخصصًا[٨] لما تقدمه من لفظ العموم أم لا ؟ - : بهذه الآية الكريمة ؛ فإن التمثيل بها غير مطابق[٩] لما ذكروه ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **ولهنّ مثل الذي عليهنّ بالمعروف** ﴾ أي : ولهنّ علىٰ الرجال من الحق مثل ما للرجال عليهن ، فليؤدّ كل واحد منهما إلىٰ الآخر ما يجب عليه بالمعروف ، كما ثبت في صحيح مسلم(١٣٥٤) ، عن جابر ، أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال في خطبته في حجة الوداع : « **فاتقوا الله في النساء ؛ فإنكم أخذتموهنّ بأمان[١٠] الله ، واستحللتم فروجهنّ بكلمة الله ، ولكم عليهنّ ألّا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه ، فإن فعلن ذلك فاضربوهنّ ضربًا غير مبرح ، ولهنّ رزقهنّ وكسوتهنّ بالمعروف** » .

(١٣٥٤) - صحيح مسلم كتاب الحج ، حديث (١٢١٨) ، وهو جزء من حديث جابر الطويل في صفة حجة النبي ﷺ وقد تقدم .

---

[١] - في ز ، خ : « وتتعذر » .
[٢] - في خ : « تخبرن » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ت : « بردها » .
[٥] - في ت : « بردها » .
[٦] - في ت : « تطليقات » .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - في خ : « تخصيصًا » .
[٩] - في ت : « مطلق » .
[١٠] - في ت : « بأمانة » .

وفي حديث بهز بن حكيم ، بن[١] معاوية بن حيدة القشيري ، عن أبيه ، عن جده أنه قال : يا رسول الله ، ما حق زوجة أحدنا ؟ قال : « **أن**[٢] **تطعمها إذا طعمت ، وتكسوها إذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ، ولا تقبح ، ولا تهجر إلا في البيت** »(١٣٥٥) .

وقال وكيع : عن بشير بن سليمان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : إني لأحب أن أتزين للمرأة كما أحب أن تتزين لي المرأة ؛ لأن الله يقول : ﴿ **ولهنّ مثل الذي عليهنّ بالمعروف** ﴾ . رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم(١٣٥٦) .

وقوله : ﴿ **وللرجال عليهنّ درجة** ﴾ أي : في الفضيلة ، وفي الخَلْق والخُلُق ، والمنزلة ، وطاعة الأمر ، والإنفاق ، والقيام بالمصالح ، والفضل في الدنيا والآخرة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **الرجال قوّامون علىٰ النساء بما فضل الله بعضهم علىٰ بعض وبما أنفقوا من أموالهم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **والله عزيز حكيم** ﴾ أي عزيز في انتقامه ممن عصاه وخالف أمره ، حكيم في أمره وشرعه وقدره .

ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾

هذه الآية الكريمة[٣] رافعة لما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام من أن الرجل كان أحق برجعة امرأته ، وإن طلقها [مائة مرّة][٤] ما دامت في العدّة ، فلما كان هذا فيه ضرر علىٰ الزوجات

(١٣٥٥) - رواه أبو داود في السنن برقم (٢١٤٣) .

(١٣٥٦) - أخرجه الطبري في تفسيره (٤/٥٣٢) (٤٧٦٨) ، وابن أبي حاتم (٢/٤١٧) (٢١٩٦) ، وعزاه السيوطي أيضًا في الدر المنثور (١/ ٣٩٣) إلى وكيع ، وسفيان بن عيينة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

---

[١] - في ت : « عن » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

قصرهم اللَّه - عز وجل - إلىٰ ثلاث طلقات[١] ، وأباح الرجعة في المرة والثنتين ، وأبانها بالكلية في الثالثة : فقال : ﴿ **الطلاق مرّتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان** ﴾ .

قال أبو داود رحمه اللَّه في سننه(١٣٥٧) : (باب : [ ][٢] نسخ المراجعة بعد الطلقات الثلاث) حدثنا أحمد بن محمد المروزي ، حدثني علي بن الحسين بن واقد ، عن أبيه ، عن يزيد النحوي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ **والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهنّ أن يكتمن ما خلق اللَّه في أرحامهنّ** ﴾ الآية . وذلك أن الرجل كان إذا طلق امرأته فهو أحق برجعتها ، وإن طلقها ثلاثًا ، فنسخ ذلك فقال : ﴿ **الطلاق مرّتان** ﴾ الآية .

ورواه النسائي : عن زكريا بن يحيىٰ ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن علي بن الحسين - به .

وقال ابن أبي حاتم(١٣٥٨) : حدثنا هارون بن إسحاق ، حدثنا عبدة - يعني : ابن سليمان - ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه : أن رجلًا قال لامرأته : لا أطلقك أبدًا ، ولا أؤويك[٣] أبدًا ، قالت : وكيف ذلك ؟ قال : أطلقك حتىٰ إذا دنا أجلك راجعتك ، فأتت رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فذكرت ذلك له ، فأنزل اللَّه عز وجل : ﴿ **الطلاق مرتان** ﴾ . وهكذا رواه ابن جرير في تفسيره : من طريق جرير بن عبد الحميد وابن إدريس .

ورواه عبد بن حميد في تفسيره ، عن جعفر بن عون ، كلهم عن هشام ، عن أبيه قال : كان الرجل أحق برجعة امرأته وإن طلقها ما شاء ، مادامت في العدة ، وإن رجلًا من الأنصار تغضب[٤] علىٰ امرأته فقال : واللَّه لا أؤويك[٥] ولا أفارقك ، قالت : وكيف ذلك ؟ قال : أطلقك فإذا دنا أجلك راجعتك ، ثم أطلقك فإذا دنا أجلك راجعتك . فذكرت ذلك لرسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فأنزل اللَّه عز وجل : ﴿ **الطلاق مرتان** ﴾ ، قال : فاستقبل الناس الطلاق ، من كان طلق ومن لم يكن طلق ، وقد رواه أبو بكر بن مردويه من طريق محمد بن سليمان ، [.....][٦] عن يعلىٰ بن شبيب - مولىٰ الزبير - عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة - فذكره بنحو ما تقدم .

(١٣٥٧) - سنن أبي داود ، كتاب الطلاق ، باب : نسخ المراجعة بعد التطليقات الثلاث حديث (٢١٩٥) . وسنن النسائي (٢١٢/٦) .

(١٣٥٨) - تفسير ابن أبي حاتم (٤١٨/٢) (٢٢٠٦) ، وأخرجه الطبري في تفسيره (٥٣٩/٤ ، ٥٤٠) (٤٧٧٩ ، ٤٧٨٠) ، والترمذي في الطلاق ، باب : حديث (١١٩٢) من طريق عبد اللَّه بن إدريس عن هشام به . ورواه مالك في الموطأ (٥٨٨/٢) عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، به مرسلًا .

---

[١] - في خ : « تطليقات » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ت : « في » .
[٣] - في ز : « أورثك » ، خ : « أوريك » .
[٤] - في ت : « غضب » .
[٥] - في ز : « أورثك » ، خ : « أوريك » .
[٦] - بياض في خ

ورواه الترمذي : عن قتيبة ، عن يعلي بن شبيب - به . ثم رواه عن أبي كريب ، عن ابن إدريس ، عن هشام ، عن أبيه - مرسلًا . وقال : هذا أصح .

ورواه الحاكم في مستدركه(١٣٥٩) : من طريق يعقوب بن حميد بن كاسب[١] ، عن يعلى بن شبيب به وقال : صحيح الإِسناد .

ثم قال ابن مردويه : [حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، حدثنا إسماعيل بن عبد الله][٢] ، حدثنا محمد بن حميد ، حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : لم يكن للطلاق وقت ، يطلق الرجل امرأته ثم يراجعها ما لم تنقض العدة ، وكان بين رجل من الأنصار وبين أهله بعض[٣] ما يكون بين الناس ، فقال : والله لأتركنك لا أيمًا ولا ذات زوج ، فجعل يطلقها حتىٰ إذا كادت[٤] العدة أن تنقضي راجعها ، ففعل ذلك مرارًا ، فأنزل الله عز وجل فيه : ﴿ **الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان** ﴾ ، فوقَّت الطلاق ثلاثًا ، لا رجعة فيه بعد الثالثة ، حتىٰ تنكح زوجًا غيره . وهكذا روي عن قتادة مرسلًا .

وذكره السدي وابن زيد وابن جرير كذلك ، واختار أن هذا تفسير هذه الآية[٥] .

وقوله : ﴿ **فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان** ﴾ أي : إذا طلقتها واحدة أو اثنتين ، فأنت مخير فيها ما دامت عدتها باقية ، بين أن تردها إليك ناويًا الإِصلاح بها والإِحسان إليها ، وبين أن تتركها حتىٰ تنقضي عدتها ، فتبين منك ، وتطلق سراحها محسنًا إليها ، لا تظلمها من حقها شيئًا ، ولا تضارّ بها .

و[٦]قال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس قال : إذا طلق الرجل امرأته تطليقتين ، فليتق الله [في ذلك أي][٧] في الثالثة ، فإمّا أن يمسكها بمعروف فيحسن صحابتها ، أو يسرحها بإحسان ، فلا يظلمها من حقها شيئًا .

وقال ابن أبي حاتم(١٣٦٠) : أخبرنا يونس بن عبد الأعلىٰ قراءة ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني سفيان الثوري ، حدثني إسماعيل بن سميع قال : سمعت أبا رَزين يقول : جاء رجل إلىٰ النبي ،

(١٣٥٩) - المستدرك (٢/٢٧٩) وعنه البيهقي في السنن (٧ / ٣٣٣) وتعقب الذهبيُ الحاكمَ بأن يعقوب بن حميد ضعفه غير واحد .

(١٣٦٠) - تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٤١٩) (٢٢١٠) والحديث عزاه السيوطي في الدر المنثور (١/٤٩٥) =

[١] - في ز ، خ : « حاسب » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - في ز : « كانت » .

[٥] - في خ : « الأقوال » .

[٦] - سقط من : ز .

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقال : يا رسول اللَّه ، أرأيت قول اللَّه عز وجل : ﴿ **فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان** ﴾ أين الثالثة ؟ قال : « **التسريح بإحسان** » .

ورواه عبد بن حميد في تفسيره (١٣٦١) ، ولفظه : أخبرنا يزيد بن أبي حكيم ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن سميع ، أن[١] أبا رزين الأسدي يقول : قال رجل : يا رسول اللَّه ؛ أرأيت قول اللَّه : ﴿ **الطلاق مرتان** ﴾ ، فأين الثالثة ؟ قال : « **التسريح بإحسان الثالثة** » .

ورواه الإمام أحمد أيضًا(١٣٦٢) . وهكذا رواه سعيد بن منصور ، عن خالد بن عبد اللَّه ، و[٢] [إسماعيل بن زكريا وأبي معاوية][٣] عن إسماعيل بن سميع ، عن أبي رزين - به .

وهكذا[٤] رواه [ابن مردويه أيضًا : من طريق][٥] قيس بن الربيع ، عن إسماعيل ابن سميع ، عن أبي رزين - به مرسلًا .

ورواه ابن مردويه أيضًا[٦] (١٣٦٣) : من طريق عبد الواحد بن زياد ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أنس بن مالك ، عن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فذكره .

ثم قال : حدّثنا عبد اللَّه بن أحمد بن عبد الرحيم ، حدّثنا أحمد بن يحيىٰ ، حدثنا عبيد اللَّه ابن جرير بن جبلة ، حدثنا ابن[٧] عائشة ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك

= إلى وكيع ، وعبد الرزاق ، وسعيد بن منصور وأحمد وعبد بن حميد ، وأبوداود في ناسخه وابن جرير ، وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس وابن مردويه ، والبيهقي ، وهو مرسل فإن أبا رزين تابعي لا صحبة له .

(١٣٦١) - ورواه الطبري في تفسيره (٤/٥٤٥) (٤٧٩٢ ، ٤٧٩٣) من طريق يحيى بن سعيد وابن مهدى ، كلاهما عن سفيان الثوري به .

(١٣٦٢) - عزاه المصنف هنا للمسند وكذا السيوطي في الدر لكن وهمه العلامة أحمد شاكر في تعليقه على تفسير الطبري (٤/٥٤٦) فقال : (ووهم الحافظ ابن كثير - رحمه الله - وهمًا شديدًا ، إذ نسب هذا الحديث المرسل لرواية المسند) .

ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٧/٣٤٠) من طريق سعيد بن منصور به ، ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (٥/٢٥٩) عن أبي معاوية به .

(١٣٦٣) - ورواه الدارقطني في السنن (٤/٤) من طريق ليث بن حماد ، عن عبد الواحد بن زياد به ، وقال:=

---

[١] - في ز : « سمعت » .

[٢] - في ت : « عن » . والصواب ما أثبتناه ، لأن إسماعيل بن زكريا ومحمد بن خازم الضرير - أبا معاوية - من شيوخ سعيد بن منصور .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - في خ : « كذا » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٦] - سقط من : ز .

[٧] - في ز ، خ : « أبو » .

قال : جاء رجل إلىٰ النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقال : يا رسول اللَّه ؛ ذكر اللَّه الطلاق مرتين ، فأين الثالثة ؟ قال : « ﴿ **إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان** ﴾ »(١٣٦٤) .

وقوله : ﴿ **ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئًا** ﴾ أي : لا يحل لكم أن تضاجروهنّ وتضيقوا عليهن ؛ ليفتدين منكم بما أعطيتموهن من الأصدقة أو ببعضه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة** ﴾ .

فأما إن وهبته المرأة شيئًا عن طيب نفس منها فقد قال تعالىٰ : ﴿ **فإن طبن لكم عن شيء منه نفسًا فكلوه هنيئًا مريئًا** ﴾ ، وأما إذا تشاقق الزوجان ، ولم تقم المرأة بحقوق الرجل وأبغضته[١] ، ولم تقدر علىٰ معاشرته - فلها أن تفتدي منه بما أعطاها ، ولا حرج عليها في بذلها له[٢] ، [ولا حرج][٣] عليه في قبول ذلك منها ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئًا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود اللَّه فإن خفتم ألا يقيما حدود اللَّه فلا جناح عليهما فيما افتدت به** ﴾ الآية .

فأما إذا لم يكن لها عذر ، وسألت الافتداء منه ، فقد قال ابن جرير (١٣٦٥) :

حدثنا ابن بشار ، حدثنا عبد الوهاب ح[٤] . وحدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن علية قالا جميعًا : حدثنا أيوب ، عن أبي قلابة ، [عمن حدثه][٥] ، عن ثوبان : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **أيما امرأة سألت زوجها طلاقها [في غير ما بأس][٦] ، فحرام عليها رائحة الجنة** » .

وهكذا رواه الترمذي(١٣٦٦) : عن بندار ، عن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي - به .

= « كذا قال عن أنس ، والصواب عن إسماعيل بن سميع عن أبي رزين مرسل عن النبي صلى الله عليه وسلم» .

(١٣٦٤) - ورواه الدارقطني في السنن (٣/٤ ، ٤) من طريق عبد الله بن جرير بن جبلة به ، وصححه ابن القطان في بيان الوهم والإبهام ، وانظر كلامه في تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي (١٤٢/١) .

(١٣٦٥) - تفسير الطبري (٤ / ٥٦٩) (٤٨٤٣) ، وأخرجه الترمذي في الطلاق ، باب : ما جاء في المختلعات حديث (١١٨٧) ، عن بندار بالإسناد الذي ذكره المصنف عقب هذا الحديث وأخرجه أحمد (٥/ ٢٧٧) ، عن إسماعيل عن أيوب به .

(١٣٦٦) - سنن الترمذي برقم (١١٨٧) .

---

[١] - في ز : « أو بغضته » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « ولا » ، وسقط من : خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في خ : « عن جدته » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ت : « في غير ما بأس » .

وقال : حسن . قال : ويروىٰ عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أبي أسماء ، عن ثوبان . ورواه بعضهم عن أيوب بهذا الإِسناد ، ولم يرفعه .

وقال الإِمام أحمد(١٣٦٧) : [حدثنا عبد الرحمن][١] حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن أبي قلابة قال : وذكر أبا أسماء وذكر ثوبان قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أيما امرأة سألت زوجها الطلاق في غير [ما][٢] بأس ، فحرام عليها رائحة الجنة** » .

وهكذا رواه أبو داود ، وابن ماجة ، وابن جرير من حديث حماد بن زيد - به .

(طريق أخرىٰ) : قال ابن جرير(١٣٦٨) : حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن ليث ، عن أبي إدريس ، عن ثوبان مولىٰ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، عن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، أنه قال : « **أيما امرأة سألت زوجها الطلاق في غير ما بأس ، حرم اللَّه عليها رائحة الجنة** » . وقال : « **المختلعات هنّ المنافقات** » .

ثم رواه ابن جرير والترمذي جميعًا(١٣٦٩) : عن أبي كريب ، عن مزاحم بن ذَوّاد[٣] بن عُلْبَة ، عن أبيه ، عن ليث - [هو ابن أبي سليم][٤] - عن أبي الخطاب ، عن أبي زرعة ، عن أبي إدريس ، عن ثوبان قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **المختلعات هنّ المنافقات** » . ثم قال الترمذي : غريب من هذا الوجه ، وليس إسناده بالقوي .

(حديث آخر) : قال ابن جرير(١٣٧٠) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا حفص بن بشر ، حدثنا

(١٣٦٧) - المسند (٥/٢٨٣) ، والدارمي في الطلاق ، باب : النهي عن أن تسأل المرأة زوجها طلاقها حديث (٢٢٧٥) ، وأبو داود في الطلاق ، باب في الخلع حديث (٢٢٢٦) ، وابن ماجة في الطلاق ، باب : كراهية الخلع للمرأة حديث (٢٠٥٥) ، والطبري في تفسيره (٤/٥٧٠ ، ٥٧١) (٤٨٤٤) والحاكم (٢ / ٢٠٠) ، والبيهقي (٧/ ٣١٦) من طريق حماد به ، وأخرجه ابن أبي شيبة (٤/١٨٢) عن أبي أسامة عن أيوب به .

(١٣٦٨) - تفسير الطبري (٤/ ٥٦٨) (٤٨٤٠) ، وهو عبارة عن حديثين : الأول تقدم من حديث أبي أسماء الرحبي عن ثوبان ، والثاني يأتي بعد هذا .

(١٣٦٩) - أخرجه الترمذي في الطلاق ، باب : ما جاء في المختلعات حديث (١١٨٦) ، والطبري في تفسيره (٤/ ٥٦٨) (٤٨٤١) بالإسناد المذكور ، قال الترمذي : « هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وليس إسناده بالقوي) قلت : زواد بن علبة ، وليث ضعيفان ، وأبو الخطاب ، وأبو زرعة مجهولان .

(١٣٧٠) - تفسير الطبري (٤/ ٥٦٨ ، ٥٦٩) (٤٨٤٢) ، وإسناده ضعيف ، ذكره الهيثمي في مجمع

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٢] - سقط من : خ .

[٣] - في خ : « داود » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : عن ابن سليم » ، خ : « ابن ابن أبي سليم » .

قيس بن الربيع ، عن أشعث بن سوار ، عن الحسن، عن ثابت بن يزيد ، عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن المختلعات المنتزعات هن المنافقات** » . غريب من هذا الوجه ضعيف .

[(حديث آخر) : قال الإمام أحمد(١٣٧١) : حدثنا عفان ، حدثنا وهيب ، حدثنا أيوب ، عن الحسن ، عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال[١] : « **المختلعات والمنتزعات هن المنافقات** »][٢] .

(حديث آخر) : قال ابن ماجة(١٣٧٢) : حدثنا بكر بن خلف أبو بشر ، حدثنا أبو عاصم ، عن جعفر بن يحيىٰ بن ثوبان ، عن عمه عمارة بن ثوبان ، عن عطاء ، عن ابن عباس : أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **لا تسأل امرأة زوجها الطلاق في غير كنهه[٣] فتجد ريح الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا** » .

ثم قد[٤] قال طائفة كثيرة من السلف وأئمة الخلف : إنه لا يجوز الخلع إلا أن يكون الشقاق والنشوز من جانب المرأة ، فيجوز للرجل حينئذ قبول الفدية ، واحتجوا بقوله تعالىٰ : ﴿ **ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئًا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله** ﴾ ، قالوا : فلم يشرع الخلع[٥] إلا في هذه الحالة[٦] ، فلا [يجوز في غيرها][٧] إلا بدليل ، والأصل عدمه ، وممن ذهب إلىٰ هذا ابن عباس ، وطاوس ، وإبراهيم ، وعطاء ، والحسن[٨] والجمهور حتىٰ قال مالك والأوزاعي : لو أخذ منها شيئًا وهو مضارّ لها وجب رده إليها ، وكان الطلاق رجعيًا .

الزوائد (٨/٥) و قال : (رواه الطبري وفيه قيس بن الربيع وثقه الثوري وشعبة وفيه ضعف ، وبقية رجاله رجال الصحيح) . وانظر تعليق الشيخ أحمد شاكر على تفسير الطبري .

(١٣٧١) - المسند (٤١٤/٢) ، وأخرجه النسائي في الطلاق ، باب : ما جاء في الخلع (١٦٨/٦) ، والبيهقي (٣١٦/٧) من طريق وهيب بن خالد به . وعند النسائي : قال الحسن : لم أسمعه من غير أبي هريره ، وقال النسائي الحسن لم أسمع من أبي هريره شيئًا . وانظر ذلك في جامع التحصيل (ص ١٩٦-١٩٧) .

(١٣٧٢) - سنن ابن ماجه ، كتاب الطلاق ، باب : كراهية الخلع للمرأة حديث (٢٠٥٤) ، وضعف إسناده البوصيري في مصباح الزجاجة (٢/ ١٣٣) .

---

[١] - زيادة من : ز ، خ .

(*) أي : لا يمكن الاجتماع بيننا ، والبد من أن تفترق .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : موضعه بعد الفقرة التي تليها .

[٣] - في خ : « كهه » .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - في خ : « الخلق » .

[٦] - في خ : « الآية » .

[٧] - في في ز : « يجوز في غيره » ، خ : « تجور في غيره » .

[٨] - سقط من : ز ، خ .

قال مالك : وهو الأمر الذي أدركت الناس عليه . وذهب الشافعي رحمه اللّه إلىٰ أنه يجوز الخلع في حال الشقاق ، وعند الاتفاق بطريق الأولىٰ والأحرىٰ ، وهذا قول جميع أصحابه قاطبة . وحكىٰ الشيخ أبو عمر بن عبد البر في كتاب « **الاستذكار** » له ، عن بكر بن عبداللّه المزني أنه ذهب إلىٰ أن الخلع منسوخ بقوله : ﴿ **وآتيتم إحداهن قنطارًا فلا تأخذوا منه شيئًا** ﴾ .

ورواه ابن جرير عنه(١٣٧٣) . وهذا قول ضعيف ومأخذ مردود علىٰ قائله .

وقد ذكر ابن جرير رحمه اللّه أن هذه الآية نزلت في شأن ثابت بن قيس بن شماس[١] وامرأته حبيبة بنت عبد اللّه بن أبي ابن سلول ، ولنذكر طرق حديثها[٢] واختلاف ألفاظه ،

قال الإمام مالك في موطئه (١٣٧٤) : عن يحيىٰ بن سعيد ، عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة ، أنها أخبرته عن حبيبة بنت سهل الأنصارية : أنها كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس[٣] ، وأنّ رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، خرج إلىٰ الصبح فوجد حبيبة بنت سهل عند بابه في الغَلَس ، فقال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **من هذه ؟** » ، قالت : أنا حبيبة بنت سهل ، فقال : « **ما شأنك ؟** » فقالت : لا أنا ولا ثابت بن قيس(*) - لزوجها - فلما جاء زوجها[٤] ثابت بن قيس قال له رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **هذه حبيبة بنت سهل قد ذكرت ما شاء اللّه أن تذكر** » ، فقالت حبيبة : يا رسول اللّه ، كل ما أعطاني عندي ، فقال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **خذ منها** » ، فأخذ منها ، وجلست في أهلها .

وهكذا رواه الإمام أحمد ، عن عبد الرحمن بن مهدي ، عن مالك بإسناده مثله .

ورواه أبو داود(١٣٧٥) ، عن القعنبي ، [عن مالك . والنسائي][٥] عن محمد بن مسلمة ، عن ابن القاسم ، عن مالك - به .

(حديث آخر) : عن عائشة ، قال أبو داود وابن جرير(١٣٧٦) : حدّثنا محمد بن معمر ،

(١٣٧٣) - تفسير الطبري (٤ / ٥٨٠) (٤٨٧٧ ، ٤٨٧٨) .

(١٣٧٤) - الموطأ (٢ / ٥٦٤) ، ومن طريق أخرجه أحمد في المسند (٦ / ٤٣٣) ، وأبو داود في الطلاق ، باب في الخلع حديث (٢٢٢٧) والنسائي في الطلاق ، باب ما جاء في الخلع (٦ / ١٦٩) ، وابن حبان (١٣٢٦ - موارد) ، والبيهقي ٧ / ٣١٢ -٣١٣ .

(١٣٧٥) - سنن أبي داود برقم (٢٢٢٧) ، وسنن النسائي (١٦٩/٦) .

(١٣٧٦) - سنن أبي داود في الطلاق ، باب : في الخلع حديث (٢٢٢٨) وتفسير الطبري =

---

[١] - في ز ، خ : « الشماس » .

[٢] - في خ : « حديثهما » .

[٣] - في ز ، خ : « الشماس » .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

حدّثنا أبو عامر ، حدّثنا أبو عمرو السدوسي ، عن [عبد اللَّه][١] يعنى : ابن أبي بكر - عن عمرة ، عن عائشة : أن حبيبة بنت سهل كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس ، فضربها فكسر نُغْضَها(*)[٢] ، فأتت [رسول الله][٣] صلىٰ اللَّه عليه وسلم بعد الصبح فاشتكته إليه ، فدعا رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، ثابتًا فقال : « **خذ بعض مالها وفارقها** » . قال : ويصلح ذلك يا رسول اللَّه ؟ قال : « **نعم** » ، قال : فإني[٤] أصدقتها حديقتين فهما بيدها ، فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **خذهما وفارقها** » ، ففعل .

وهذا لفظ ابن جرير . وأبو عمرو السدوسي- هو سعيد بن سلمة بن أبي الحسام - .

(حديث آخر) فيه ، عن ابن عباس رضي اللَّه عنه .

قال البخاري (١٣٧٧) : حدثنا أزهر بن جميل[٥] ، حدثنا عبد الوهاب الثقفي ، حدثنا خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن امرأة ثابت بن قيس بن شماس أتت النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقالت : يا رسول اللَّه ، ما أَعْتِبُ[٦] عليه في خلق ولا دين ، ولكني[٧] أكره الكفر في الإِسلام . فقال[٨] رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أتردين عليه حديقته ؟** » قالت : نعم . قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **اقبل الحديقة وطلقها تطليقة** » .

وكذا رواه النسائي (١٣٧٨) عن أزهر بن جميل[٩] بإسناده مثله .

ورواه البخاري (١٣٧٩) أيضًا به[١٠] عن إسحاق الواسطي ، عن خالد - هو ابن عبد اللَّه

= (٤ / ٥٥٤) (٤٨٠٨) ، وأخرجه البيهقي (٧ / ٣١٥) من طريق عبدالله بن رجاء عن أبي عمر والسدوس سعيد بن سلمة بن أبي الحسام به .

(*) النُّغْض - ويفتح - والناغض :أعلى الكتف . وقيل : هو العظم الرقيق الذي على طرفه .

(١٣٧٧) - صحيح البخاري في الطلاق ، باب الخلع ، وكيف الطلاق فيه ؟ حديث (٥٢٧٣) ، وهو عند النسائي في الطلاق باب : ما جاء في الخلع (٦ / ١٦٩) عن أزهر بن جميل به .

وأخرجه ابن ماجه في الطلاق ، باب : المختلعة تأخذ ما أعطاها حديث (٢٠٥٦) من طريق عكرمة به .

(١٣٧٨) - سنن النسائي (١٦٩/٦) .

(١٣٧٩) - صحيح البخاري برقم (٥٢٧٤) .

[١] - في ز ، خ : « عبيد الله » .
[٢] - في ز ، خ وسنن أبي داود : « بعضها » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ت : « الرسول » .
[٤] - في ت : « إني » .
[٥] - في خ : « جبل » .
[٦] - في ز ، خ : « أعيب » .
[٧] - في ز ، خ : « ولكن » .
[٨] - في ز ، خ : « قال » .
[٩] - في خ : « جبل » .
[١٠] - سقط من : ز ، خ .

الطحان - عن خالد - هو ابن مهران الحذاء - عن عكرمة ، [عن ابن عباس][١] به نحوه .

وهكذا رواه البخاري أيضًا(١٣٨٠) من طرق عن أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، به ، وفي بعضها أنها قالت : (لا أطيقه) تعني : بغضًا . وهذا الحديث من أفراد البخاري من هذا الوجه .

ثم قال(١٣٨١) : حدثنا سليمان بن[٢] حرب ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا أيوب ، عن عكرمة : أن جميلة رضي اللَّه عنها - كذا قال - والمشهور أن اسمها حبيبة كما تقدم .

قال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره : حدثنا موسى بن هارون ، حدثنا أزهر بن مروان الرقاشي ، حدثنا عبد الأعلى ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن عكرمة عن ابن عباس : أن جميلة بنت سلول[٣] أتت النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فقالت : والله ، ما أعتب على ثابت بن قيس ابن شماس في دين ولا خلق ، ولكنني[٤] أكره الكفر بعد الإسلام ، ولا أطيقه بغضًا . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « **تردين[٥] عليه حديقته ؟** » قالت : نعم ، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن يأخذ منها حديقته ، ولا يزداد .

وهكذا رواه ابن ماجة (١٣٨٢) عن أزهر بن مروان بإسناده - مثله سواء ، وهذا إسناد جيد مستقيم ، ورواه أيضًا أبو القاسم البغوي ، عن عبيد الله القواريري عن عبد الأعلى - مثله .

لكن قال ابن جرير(١٣٨٣) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يحيىٰ بن واضح ، حدثنا الحسين بن واقد ، عن ثابت ، عن عبد اللَّه بن رباح ، عن جميلة بنت [عبد اللَّه بن][٦] أبي ابن سلول : أنها كانت تحت ثابت بن قيس ، فنشزت عليه ، فأرسل إليها النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال : « **يا جميلة ، ما كرهت من ثابت ؟** » ، قالت : واللَّه ما كرهت منه دينًا ولا خلقًا إلا أني كرهت دمامته ، فقال لها : « **أتردين عليه[٧] الحديقة ؟** » ، قالت : نعم ، فردت الحديقة ،

(١٣٨٠) - صحيح البخاري برقم (٥٢٧٥ ، ٥٢٧٦) .
(١٣٨١) - صحيح البخاري برقم (٥٢٧٧) .
(١٣٨٢) - أخرجه ابن ماجه في الطلاق ، باب : المختلعة تأخذ ما أعطاها حديث (٢٠٥٦) عن أزهر بن مروان به ، وأخرجه البيهقي (٣١٣/٧) من طريق همام ، عن قتادة ص ٢٣٦ .
(١٣٨٣) - تفسير الطبري (٤ / ٥٥٦) (٤٨١٠) .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « السلول » .
[٤] - في ز : « ولكنى » .
[٥] - في ز ، خ : « تردى » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٧] - سقط من : ز ، خ .

وفرق بينهما .

و[١]قال ابن جرير أيضًا(١٣٨٤) : حدثنا محمد بن عبد الأعلىٰ ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، قال قرأت علىٰ فضيل ، عن أبي جرير : أنه سأل عكرمة : هل[٢] كان للخلع أصل ؟ قال : كان ابن عباس يقول : إن أول خلع كان في الإسلام في أخت عبد اللَّه بن أبي ، أنها أتت رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقالت : يا رسول اللَّه ، لا يجمع رأسي ورأسه شيء أبدًا ، إني رفعت جانب الخباء فرأيته قد[٣] أقبل في عدة ، فإذا هو أشدهم سوادًا ، وأقصرهم قامة ، وأقبحهم وجهًا . فقال[٤] زوجها : يا رسول اللَّه ، إني قد[٥] أعطيتها أفضل مالي ؛ حديقة لي ، فإن ردت علي حديقتي ، قال : « **ما تقولين ؟** » قالت : نعم ، وإن شاء زدته ، قال : ففرق بينهما .

(حديث آخر) : قال ابن ماجة(١٣٨٥) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن حجاج ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ؛ قال : كانت حبيبة بنت سهل تحت ثابت ابن قيس بن شماس ، وكان رجلًا دميمًا ، فقالت : يا رسول اللَّه ، واللَّه لولا مخافة اللَّه إذا دخل علي بصقت[٦] في وجهه ، فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أتردين عليه حديقته ؟** » ، قالت : نعم ، فردت عليه حديقته ، قال : ففرق رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، بينهما .

وقد اختلف الأئمة - رحمهم اللَّه - في أنه هل يجوز للرجل أن يفاديها بأكثر مما أعطاها ؟ فذهب الجمهور إلىٰ جواز ذلك ، لعموم قوله تعالىٰ : ﴿ **فلا جناح عليهما فيما افتدت به** ﴾ .

وقال[٧] ابن جرير(١٣٨٦) : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن علية ، أخبرنا أيوب ، عن كَثِير مولىٰ سَمُرَةَ ؛ أن عمر أتي بامرأة ناشز ، فأمر بها إلىٰ بيت كثير الزِّبل ، ثم دعا بها فقال :

(١٣٨٤) - تفسير الطبري (٤ / ٥٥٢) (٤٨٠٧) .

(١٣٨٥) - سنن ابن ماجة، باب المختلعة تأخذ ما أعطاها برقم (٢٠٥٧) ، وقال البوصيري في الزوائد (٢/ ١٣٤) : « هذا إسناد ضعيف ؛ لتدليس الحجاج وهو ابن أرطاة » .

(١٣٨٦) - تفسير الطبري (٤ / ٥٧٦) (٤٨٦٠) ، وأخرجه عبد الرازق - كما في الدر المنثور ١ / ٥٠٢ - ومن طريقه ابن جرير - (٤٨٦١) عن معمر بالإسناد الذي ذكره المصنف عقب هذا ، وأخرجه البيهقي في السنن (٧ / ٣١٥) من طريق سفيان عن أيوب به . وعزاه السيوطي أيضاً في الدر إلى عيد بن حميد .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « أنه » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ز ، خ : « قال » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في ز : « بسقت » .
[٧] - في ز : « قال » .

كيف وجدت ؟ فقالت : ما وجدت راحة منذ كنت عنده إلا هذه الليالي[١] التي كنت[٢] حبستني . فقال لزوجها : اخلعها ولو من قُرْطِها .

ورواه عبد الرزاق ، عن معمر ، عن أيوب ، عن كثير [مولىٰ سمرة][٣] فذكر مثله ، وزاد : فحبسها فيه[٤] ثلاثة أيام .

وقال[٥] سعيد بن أبي عروبة(١٣٨٧) ، عن قتادة ، عن حميد بن عبد الرحمن : إن امرأة أتت عمر بن الخطاب فشكت زوجها ، فأباتها في بيت الزبل ، فلما أصبحت قال لها : كيف[٦] وجدت مكانك ؟ قالت : ما كنت عنده ليلة أقر لعيني من هذه الليلة ، فقال : خذ ولو عِقَاصها .

وقال البخاري(١٣٨٨) : وأجاز عثمان الخلع دون عقاص رأسها .

وقال[٧] عبد الرزاق(١٣٨٩) : أخبرنا معمر ، عن عبد اللَّه بن محمد بن عقيل ؛ أن الرُّبَيِّع بنت معوذ بن عفراء حدّثته قالت : كان لي زوج يُقِلّ[٨] [علي الخير][٩] إذا حضرني ، ويحرمني إذا غاب عني ، قالت : فكانت مني زلة[١٠] يومًا ، فقلت : أختلع منك بكل شيء أملكه ؟ قال : نعم . قالت : ففعلت ، قالت : فخاصم عمي معاذ بن عفراء إلىٰ عثمان [بن عفان][١١] ، فأجاز الخلع ، وأمره أن يأخذ عقاص رأسي فما دونه ، أو قالت : ما دون عقاص الرأس .

ومعنىٰ هذا أنه يجوز أن يأخذ منها كل ما بيدها من قليل وكثير ، ولا يترك لها سوىٰ عقاص شعرها . وبه يقول ابن عمر وابن عباس ، ومجاهد وعكرمة ، وإبراهيم النخعي ، وقبيصة ابن ذؤيب ، والحسن بن صالح ، وعثمان البتّيّ ، وهذا مذهب مالك والليث والشافعي وأبي

(١٣٨٧) - أخرجه الطبري في تفسيره (٥٧٦/٤) عن ابن بشار ومحمد بن يحيى عن عبد الأعلى عن سعيد به .

(١٣٨٨) - صحيح البخاري في الطلاق ، باب الخلع ، وكيف الطلاق فيه (٩ / ٣٠٦ - الفتح) .

(١٣٨٩) - تفسير الطبري (٥٧٨/٤) (٤٨٧٠) عن الحسن بن يحيى ، عن عبدالرزاق به ، وأخرجه البيهقي (٣١٥/٧) من طريق روح عن عبدالله بن محمد به بمعناه .

---

[١] - في ت : « الليلة » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « مولى ابن سمرة » .
[٤] - سقط من : ز ، خ : « له » .
[٥] - في ت : « قال » .
[٦] - في ت : « وكيف » .
[٧] - في خ : « قال » .
[٨] - غير واضحة بالأصل .
[٩] - في ز : « علمه الحر » .
[١٠] - في ز ، خ : « وله » .
[١١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

ثور ، واختاره ابن جرير .

وقال أصحاب أبي حنيفة رحمهم اللَّه : إن كان الإِضرار من قبلها جاز أن يأخذ منها ما أعطاها ، ولا يجوز الزيادة عليه ، فإن ازداد جاز في القضاء ، وإن كان الإِضرار من جهته لم يجز أن يأخذ منها شيئًا ، فإن أخذ جاز في القضاء .

وقال الإِمام أحمد ، وأبو عبيد ، وإسحاق بن راهويه : لا يجوز أن يأخذ منها[١] أكثر مما أعطاها . وهذا قول سعيد بن المسيب وعطاء ، وعمرو بن شعيب ، والزهري وطاوس ، والحسن والشعبي ، وحماد بن أبي سليمان ، والربيع بن أنس .

وقال معمر والحكم : كان علي يقول : لا يأخذ من المختلعة فوق ما أعطاها . وقال الأوزاعي : القضاة لا يجيزون أن يأخذ منها أكثر مما ساق إليها .

(قلت) : ويستدل لهذا القول بما تقدّم من رواية قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قصة ثابت بن قيس ، فأمره رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم و أن يأخذ منها الحديقة ولا يزداد ، وبما روىٰ عبد بن حميد(١٣٩٠) حيث قال : أخبرنا قبيصة ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء ؛ أن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، كره أن يأخذ منها أكثر مما أعطاها - يعني : المختلعة - وحملوا معنىٰ الآية علىٰ معنىٰ ﴿ **فلا جناح عليهما فيما افتدت به** ﴾ أي : من الذي أعطاها ؛ لتقدم قوله : ﴿ **ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئًا إلا أن يخافا أن لا يقيما حدود اللَّه فإن خفتم أن لا يقيما حدود اللَّه فلا جناح عليهما فيما افتدت به** ﴾ أي : من ذلك .

وهكذا كان يقرؤها الربيع بن أنس : (فلا جناح عليهما فيما افتدت به منه) رواه ابن جرير(١٣٩١) ، ولهذا قال بعده : ﴿ **تلك حدود اللَّه فلا تعتدوها ومن يتعد حدود اللَّه فأولئك هم الظالمون** ﴾ .

(فصل)

قال الشافعي : اختلف أصحابنا في الخلع ، فأخبرنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن طاوس ، عن ابن عباس في رجل طلق امرأته تطليقتين ، ثم اختلعت منه بعد ، يتزوّجها إن

(١٣٩٠) - أخرجه البيهقي في السنن (٧ / ٣١٤) من طريق أبي نعيم ، وقبيصة عن سفيان به . وأخرجه سعيد بن منصور (١٤٢٨) ومن طريقه البيهقي عن سفيان عن ابن جريج به . وأخرجه الطبري في تفسيره (٤ / ٥٧٤) (٤٨٤٨) من طريق مؤمن عن سفيان به .

(١٣٩١) - تفسير الطبري (٥٧٣/٤) (٤٨٤٥) .

[١] - سقط من : ت .

شاء ؛ لأن الله تعالىٰ يقول : ﴿ **الطلاق مرتان** ﴾ قرأ إلىٰ : ﴿ **أن يتراجعا** ﴾ . قال الشافعي ، وأخبرنا سفيان ، عن عمرو ، عن عكرمة قال : كل شيء أجازه المال فليس بطلاق .

وروىٰ غير الشافعي(١٣٩٢) : عن سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن طاوس ، عن ابن عباس ؛ أن إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص سأله فقال : رجل طلق امرأته تطليقتين ، ثم اختلعت منه أيتزوّجها ؟ قال : نعم ، ليس الخلع بطلاق ، ذكر الله الطلاق في أول الآية وآخرها ، والخلع فيما بين ذلك ، فليس الخلع بشيء ، ثم قرأ ، ﴿ **الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان** ﴾ وقرأ : ﴿ **فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتىٰ تنكح زوجًا غيره** ﴾ .

وهذا الذي ذهب إليه ابن عباس رضي الله عنهما[١] من[٢] أن الخلع ليس بطلاق ، وإنما هو فسخ هو رواية عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وابن عمر ، وهو قول طاوس وعكرمة ، وبه يقول أحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، وأبو ثور ، وداود بن علي الظاهري ، وهو مذهب الشافعي في القديم ، وهو ظاهر الآية الكريمة .

والقول الثاني في الخلع أنه طلاق بائن إلا أن ينوي أكثر من ذلك . قال مالك(١٣٩٣) عن هشام ابن عروة ، عن أبيه ، عن جُمْهان[٣] مولىٰ الأسلميين ، عن أم بكر الأسلمية أنها اختلعت من زوجها عبد الله بن خالد بن أسيد ، فأتيا عثمان بن عفان في ذلك فقال : تطليقة إلا أن تكون سميت شيئًا ، فهو ما سميت . قال الشافعي : ولا أعرف جُمْهان[٤] . وكذا ضعف أحمد [ابن حنبل][٥] هذا الأثر ، والله أعلم .

وقد روي نحوه[٦] عن عمر وعلي ، وابن مسعود وابن عمر ، وبه يقول سعيد بن المسيب والحسن ، وعطاء وشريح ، والشعبي ، وإبراهيم ، وجابر بن زيد ، وإليه ذهب مالك ، وأبو حنيفة وأصحابه ، والثوري والأوزاعي ، وعثمان البتي[٧] ، والشافعي في الجديد ، غير أن

(١٣٩٢) - أخرجه البيهقي في السنن (٧ / ٣١٦) بسنده إلى سفيان به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١ / ٥٠١) إلى عبدالرزاق في المصنف ، وابن المنذر .

(١٣٩٣) - أخرجه الشافعي في الأم (٥/١٨١) ومن طريقه البيهقي في السنن (٧ / ٣١٦) عن مالك عن هشام به . وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٤ / ٨٤) عن وكيع عن هشام به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١ / ٥٠١) أيضاً لمالك وعبدالرزاق .

---

[١] - في ز ، خ : « عنه » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في ز : « جهان » .

[٤] - في ز : « جهان » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٦] - في ز : « غيره » .

[٧] - في ز ، خ : « الليثي » .

الحنفية عندهم أنه متىٰ نوىٰ المخالع بخلعه تطليقة أو اثنتين أو أطلق - فهو واحدة بائنة ، وإن نوىٰ ثلاثًا فثلاث . وللشافعي قول آخر في الخلع ، وهو : أنه متىٰ لم يكن بلفظ الطلاق ، وعري عن النية - فليس هو بشيء بالكلية .

[مسألة]

وذهب [مالك][١] وأبو حنيفة ، والشافعي وأحمد ، وإسحاق [بن راهويه][٢] في رواية عنهما ، وهي المشهورة إلىٰ أن المختلعة عدّتها عدة المطلقة بثلاثة قروء ، إن كانت ممن تحيض ، وروي ذلك عن عمر وعلي وابن عمر . وبه يقول سعيد بن المسيب ، وسليمان بن يسار ، وعروة وسالم ، وأبو سلمة ، وعمر بن عبد العزيز ، وابن شهاب ، والحسن ، والشعبي ، وإبراهيم النخعي ، وأبو عياض ، وخِلَاس بن عمْرو[٣] ، وقتادة ، وسفيان الثوري ، والأوزاعي ، والليث بن سعد ، وأبو عبيد . قال الترمذي : وهو قول أكثر أهل العلم من الصحابة وغيرهم . ومأخذهم في هذا أن الخلع طلاق ، فتعتدّ كسائر المطلقات .

والقول الثاني أنها تعتدّ بحيضة واحدة تستبرئ بها رحمها .

قال ابن أبي شيبة(١٣٩٤) : حدثنا يحيىٰ بن سعيد ، عن عبيد اللّٰه بن عمر ، عن نافع ؛ أن الرُّبيِّع اختلعت من زوجها ، فأتىٰ عمُّها عثمانَ ، رضي اللّٰه عنه ؛ فقال : تعتد بحيضة[٤] ، قال : وكان ابن عمر يقول : تعتد ثلاث حيض ، حتىٰ قال هذا عثمان ، فكان ابن عمر يفتي به ويقول : عثمان خيرنا وأعلمنا .

وحدثنا عبدة(١٣٩٥) ، عن عبيد اللّٰه ، عن نافع ، عن ابن عمر ؛ قال : عدّة المختلعة حيضة .

وحدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي[٥] (١٣٩٦) ، عن ليث ، عن طاوس ، عن ابن عباس ؛ قال : عدّتها حيضة . وبه يقول عكرمة وأبان بن عثمان ، وكل من تقدم ذكره ممن يقول : « إن الخلع فسخ » يلزمه القول بهذا ، واحتجوا لذلك بما رواه أبو داود والترمذي(١٣٩٧) ؛ حيث قال

(١٣٩٤) - المصنف لابن أبي شيبة (٥/١١٤) .
(١٣٩٥) - مصنف ابن أبي شيبة (٤ / ٨٧) ، وأخرجه أبو داود في الطلاق ، باب : في الخلع (٢٢٣٠) من طريق مالك عن نافع به .
(١٣٩٦) - مصنف ابن أبي شيبة (٤ / ٨٧) .
(١٣٩٧) - سنن أبو داود في الطلاق ، باب : ما جاء في الخلع ، حديث (٢٢٢٩) ، والترمذي في =

[١] - في خ : « أبومالك » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في خ : « عمر » .
[٤] - في ز : « حيضة » .
[٥] - في ز ، خ : « البخاري » .

كل واحد منهما : حدثنا محمد بن عبد الرحيم البغدادي ، حدثنا علي بن بحر ، حدثنا هشام بن يوسف ، عن معمر ، عن عمرو بن مسلم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن امرأة ثابت بن قيس اختلعت من زوجها علىٰ عهد النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فأمرها النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، أن تعتد بحيضة . ثم قال الترمذي[١] : حسن غريب .

وقد رواه عبد الرزاق عن معمر ، عن عمرو بن مسلم ، عن عكرمة مرسلًا .

(حديث آخر) : قال الترمذي(١٣٩٨) : حدّثنا محمود بن غيلان ، حدثنا الفضل بن موسىٰ ، عن سفيان ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن - وهو مولىٰ آل طلحة - عن سليمان ابن يسار ، عن الربيع بنت معوذ بن عفراء ؛ أنها اختلعت علىٰ عهد رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فأمرها النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أو أمرت - أن تعتد بحيضة . قال الترمذي : الصحيح أنها أمرت أن تعتد بحيضة .

(طريق أخرىٰ) : قال ابن ماجة(١٣٩٩) : حدّثنا علي بن سلمة النيسابوري ، حدثنا يعقوب ابن إبراهيم بن سعد ، حدثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، أخبرني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت ، عن [ ][٢] ، عن الربيع بنت معوذ بن عفراء ؛ قال : قلت لها : حدثيني حديثك . قالت : اختلعت من زوجي ، ثم جئت فسألت [ ][٣] : ماذا علي من العدة ؟ فقال : لا عدة عليك إلا أن يكون[٤] حديث عهد بك ، فتمكثين عنده حتىٰ تحيضي[٥] حيضة . قالت : وإنما أتبع في ذلك قضاء رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، في مريم

= الطلاق باب ما جاء في الخلع حديث (١١٨٥م) . وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢ / ٢٠٦) وعنه البيهقي في السنن (٧ / ٤٥٠) من طريق على بن بحر به . لكن روى هذا الحديث عبدالرزاق عن معمر فأرسله أخرجه الحاكم وعنه البيهقي بسنده إلى عبدالرزاق .

(١٣٩٨) - سنن الترمذي في الطلاق ، باب : ما جاء في الخلع حديث (١١٨٥) . وأخرجه البيهقي (٧ / ٤٥٠) من طريق الفضل بن موسى به . ثم رواه البيهقي من طريق وكيع عن سفيان به فذكره وليس فيه من أمرها ولا أن ذلك كان على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - وقال البيهقي : وهذا أصح ... . وقد روينا في كتاب الخلع أنها اختلعت من زوجها زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه / .

(١٣٩٩) - سنن ابن ماجه في كتاب الطلاق ، باب عدة المختلعة حديث (٢٠٥٨) = وأخرجه النسائي في الطلاق ، باب : عدة المختلعة (١٨٦/٦) من طريق يعقوب بن إبراهيم به .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين خ ، سنن ابن ماجة : عن عبادة بن الصامت . وهو تحريف وزيادة مقدمة في السند . راجع تحفة الأشراف [١٥٨٣٦/١١] .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ت : « عثمان » .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - في خ : « تحيضين » .

المَغَالِيَّة ، وكانت تحت ثابت ابن قيسٍ ، فاختلعت منه .

وقد روىٰ ابن لَهِيعة ، عن أبي الأسود ، عن أبي سلمة . وعن[١] محمد بن عبد الرحمن ابن ثوبان ، عن الربيع[٢] بنت معوذ[٣] ؛ قالت : سمعت رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، يأمر امرأة ثابت بن قيس حين اختلعت منه أن تعتد بحيضة .

[مسألة]

وليس للمخالع أن يراجع المختلعة في العدة بغير رضاها عند الأئمة الأربعة وجمهور العلماء ؛ لأنها قد ملكت نفسها بما بذلت له من العطاء . وروي عن عبد اللّٰه بن أبي أوفىٰ ، وماهان الحنفي ، وسعيد بن المسيب والزهري ؛ أنهم قالوا : إن ردّ إليها الذي أعطاها جاز له رجعتها في العدة بغير رضاها . وهو اختيار أبي[٤] ثور ، رحمه اللّٰه . وقال سفيان الثوري : إن كان الخلع بغير لفظ الطلاق فهو فرقة ، ولا سبيل له عليها ، وإن كان سمّىٰ[٥] طلاقًا فهو أملك لرجعتها ما دامت في العدة . وبه يقول داود بن علي الظاهري ، واتفق الجميع علىٰ أن للمختلع أن يتزوّجها في العدة ، وحكىٰ الشيخ أبو عمر بن عبد البر عن فِرْقَةٍ أنه لا يجوز له ذلك ، كما لا يجوز لغيره ، وهو قول شاذ مردود .

[مسألة]

وهل له أن يوقع عليها طلاقًا آخر في العدة ؟ فيه ثلاثة أقوال للعلماء :

(أحدها[٦]) ليس له ذلك ؛ لأنها قد ملكت نفسها وبانت منه . وبه يقول ابن عباس ، وابن الزبير ، وعكرمة ، وجابر بن زيد ، والحسن البصري ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق ابن راهويه ، وأبو ثور .

(والثاني) قال مالك : إن أتبع الخلع طلاقًا[٧] من غير سكوت بينهما ، وقع ، وإن سكت بينهما لم يقع . قال ابن عبد البر : وهذا يشبه ما روي عن عثمان ، رضي اللّٰه عنه .

(والثالث) أنه يقع عليها الطلاق بكل حال ما دامت في العدة ، وهو قول أبي حنيفة وأصحابه ، والثوري والأوزاعي ، وبه يقول سعيد بن المسيب ، وشريح ، وطاوس ، وإبراهيم والزهري ، والحكم ، وحماد بن أبي سليمان ، وروي ذلك عن ابن مسعود وأبي الدرداء ،

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز : « ربيع » .
[٣] - في خ : « مسعود » .
[٤] - في ز : « أبو » .
[٥] - في ت : « يسمىٰ » .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - في خ : « فطلاقًا » .

قال ابن عبد البر : وليس ذلك بثابت عنهما .

وقوله : ﴿ **تلك حدود اللَّه فلا تعتدوها ومن يتعد حدود اللَّه فأولئك هم الظالمون** ﴾ أي : هذه الشرائع التي شرعها لكم هي حدوده ، فلا تتجاوزوها . كما ثبت في الحديث الصحيح(١٤٠٠) : « **إن اللَّه حدّ حدودًا فلا تعتدوها ، وفرض فرائض فلا تضيعوها ، وحرّم محارم فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة لكم من**[١] **غير نسيان ، فلا تسألوا عنها** » .

وقد يستدل بهذه الآية من ذهب إلىٰ أن جمع[٢] الطلقات الثلاث بكلمة واحدة حرام ، كما هو مذهب المالكية ومن وافقهم ، وإنما السنة عندهم أن يطلق واحدة واحدة ؛ لقوله : ﴿ **الطلاق مرتان** ﴾ . ثم قال : ﴿ **تلك حدود اللَّه فلا تعتدوها ومن يتعد حدود اللَّه فأولئك هم الظالمون** ﴾ ويقوون ذلك بحديث محمود بن لبيد الذي رواه النسائي في سننه(١٤٠١) ؛ حيث قال : حدثنا سليمان بن داود ، أخبرنا ابن وهب ، عن مخرمة بن[٣] بكير ، عن أبيه ، عن محمود بن لبيد ، قال : أخبر رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعًا ، فقام غضبان ثم قال : « **أيلعب بكتاب اللَّه وأنا بين أظهركم ؟ !** » حتىٰ قام رجل فقال : يا رسول اللَّه ، ألا أقتله ؟ فيه انقطاع .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتىٰ تنكح زوجًا غيره** ﴾ أي : إنه إذا طلق الرجل امرأته طلقة ثالثة بعد ما أرسل عليها الطلاق مرتين ، فإنها تحرم عليه ﴿ **حتىٰ تنكح زوجًا غيره** ﴾ أي : حتىٰ يطأها زوج آخر في نكاح صحيح ، فلو وطئها واطئ في غير نكاح ، ولو في ملك اليمين[٤] لم تحل للأوّل ؛ لأنه ليس بزوج ، وهكذا لو تزوّجت ، ولكن لم يدخل بها الزوج لم تحل للأوّل ، واشتهر بين كثير من الفقهاء أن سعيد بن المسيب رحمه اللَّه أنه[٥] يقول : يحصل المقصود من تحليلها للأوّل بمجرّد العقد علىٰ الثاني . وفي صحته عنه نظر ، علىٰ أن الشيخ أبا عمر ابن عبد البر قد حكاه عنه في الاستذكار ، فاللَّه أعلم .

(١٤٠٠) - رواه الحاكم في المستدرك (١١٥/٤) ومن طريقه البيهقي في السنن (١٠ / ١٢) من طريق داود بن أبي هند ، عن مكحول ، عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه به مرفوعًا ، وتصحيح الحافظ له هنا متعقب ، فإن الحديث فيه انقطاع واختلاف ذكرهما الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١٥٠/٢) ط . الرسالة .

(١٤٠١) - سنن النسائي في الطلاق ، باب الثلاث المجموعة وما فيه من التغليظ (٦ / ١٤٢) .

---

[١] - سقط من : ت .

[٢] - في ز ، خ : « جميع » .

[٣] - في ز ، خ : « عن » .

[٤] - في ز : « يمينى » .

[٥] - في ز : « بأنه » .

وقد قال أبو جعفر بن جرير رحمه الله(١٤٠٢) : حدثنا ابن بشار ، حدثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن علقمة بن مرثد ، عن سالم بن رزين ، عن سالم بن عبد الله ، عن سعيد بن المسيب ، عن ابن عمر ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، في الرجل يتزوّج المرأة فيطلقها قبل أن يدخل بها ألبتة ، فيتزوّجها زوج آخر فيطلقها ، قبل أن يدخل بها : أترجع إلىٰ الأوّل ؟ قال : « **لا ، حتىٰ تذوق عسيلته ويذوق عسيلتها** » .

هكذا وقع في رواية ابن جرير ، وقد رواه الإمام أحمد(١٤٠٣) ؛ فقال :

حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن علقمة بن مرثد ؛ قال[١] : سمعت سالم بن رزين يحدث ، عن سالم بن عبد الله - يعني : ابن عمر - عن سعيد بن المسيب ، عن ابن عمر ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، في الرجل تكون له المرأة فيطلقها[٢] ، ثم يتزوّجها رجل فيطلقها قبل أن يدخل بها ، فترجع إلىٰ زوجها الأوّل ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **حتىٰ تذوق[٣] العسيلة** » .

وهكذا رواه النسائي(١٤٠٤) عن عمرو بن علي الفلاس ، وابن ماجة عن محمد بن بشار بندار[٤] ، كلاهما عن محمد [بن][٥] جعفر غُنْدَر ، عن شعبة ، به كذلك . فهذا من رواية سعيد بن المسيب ، عن ابن عمر مرفوعًا ، علىٰ خلاف ما يحكىٰ عنه ، فبعيد أن يخالف ما رواه بغير مستند ، والله أعلم .

وقد روىٰ أحمد أيضًا والنسائي وابن جرير[٦] هذا الحديث(١٤٠٥) من طريق سفيان الثوري ، عن علقمة بن مرثد ، عن رزين بن سليمان الأحمري ، عن ابن عمر ؛ قال : سئل النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، عن الرجل يطلق امرأته ثلاثًا فيتزوجها آخر ، فيغلق الباب ويرخي الستر ، ثم

(١٤٠٢) - تفسير الطبري (٤ / ٥٩٦) (٤٩٠٢) ، وهو بإسنادين آخرين عنده برقم (٤٩٠٣ ، ٤٩٠٤) وأسانيده كلها ضعيفة كما قال العلامة أحمد شاكر . وانظر التالي .

(١٤٠٣) - المسند (٢ / ٨٥) وأخرجه النسائي في الطلاق ، باب : إحلال المطلقة ثلاثاً والنكاح الذي يحلها به (٦ / ١٤٨ - ١٤٩) ، وابن ماجة في النكاح ، باب : الرجل يطلق امرأته ثلاثاً فتزوج . . . حديث (١٩٣٣) ، من طريق محمد ابن جعفر به . وانظر التالي .

(١٤٠٤) - سنن النسائي (١٤٨/٦) ، وسنن ابن ماجة برقم (١٩٣٣) .

(١٤٠٥) - أخرجه أحمد (٢ / ٢٥ ، ٦٢) ، والنسائي ، في الطلاق ، باب إحلال المطلق ثلاثاً (٦ / ١٤٩)، وابن جرير في تفسيره (٤ / ٥٩٦) (٤٩٠٤) .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز : « يطلقها » .

[٣] - في ز : « يذوق » .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٦] - في خ : « ماجة » .

يطلقها قبل أن يدخل بها : هل تحل للأوّل ؟ قال : « **لا ، حتىٰ تذوق[١] العسيلة** » .

وهذا لفظ أحمد ، وفي رواية لأحمد : سليمان بن رزين .

(حديث آخر) : قال الإمام أحمد(١٤٠٦) : حدثنا عفان ، حدثنا محمد بن دينار ، حدثنا يحيىٰ بن يزيد الهنائي[٢] ، عن أنس بن مالك : أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، سئل عن رجل كانت تحته امرأة فطلقها ثلاثًا فتزوجت بعده رجلًا ، فطلقها قبل أن يدخل بها : أتحل لزوجها الأول ؟ فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لا ، حتىٰ يكون[٣] الآخر قد[٤] ذاق [من][٥] عسيلتها وذاقت من عسيلته** » .

وهكذا[٦] رواه ابن جرير ، عن محمد بن إبراهيم الأنماطي ، عن هشام بن عبد الملك ، حدّثنا محمد بن دينار ، فذكره .

(قلت) : ومحمد بن دينار « بن صندل » أبو بكر الأزدي ثم الطاحي[٧] البصري ، ويقال له ابن أبي الفرات : اختلفوا فيه فمنهم من ضعفه ، ومنهم من قواه وقبله وحسن له . وذكر[٨] أبو داود أنه تغير قبل موته ، فاللَّه أعلم .

(حديث آخر) : قال ابن جرير(١٤٠٧) : حدّثنا عبيد بن آدم بن أبي إياس العسقلاني ، حدثنا أبي ، حدثنا شيبان ، حدثنا يحيىٰ بن أبي كثير ، عن أبي الحارث الغفاري ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، في المرأة يطلقها زوجها ثلاثًا ، فتتزوج زوجًا غيره ، فيطلقها قبل أن يدخل بها ، فيريد الأول أن يراجعها ، قال : « **لا حتىٰ يذوق [ ][٩] عسيلتها** » .

ثم رواه من وجه آخر عن شيبان ، وهو ابن عبد الرحمن ، به . وأبو الحارث غير معروف .

(١٤٠٦) - المسند (٣ / ٢٨٤) ، وأخرجه الطبري في تفسيره (٤ / ٥٩٤) (٥٩٠٠) ، والطبراني في الأوسط (٢٣٧٢) والبيهقي (٧ / ٣٧٥ - ٣٧٦) من طريق محمد بن دينار به ، وانظر مجمع الزوائد (٤/٣٤٣).

(١٤٠٧) - تفسير الطبري (٤ / ٥٩٣) (٤٨٩٩) ، وأخرجه ابن أبي شيبة (٣ / ٣٧٨) عن الحسين بن موسى الأشيب ، والطبري في تفسيره (٤ / ٥٩٣) (٤٨٩٨) من طريق سعد بن حفص الطلحي ، كلاهما عن شيبان به .

---

[١] - في ز ، خ : « يذوق » .
[٢] - في خ : « الهمداني » .
[٣] - في خ : « تكون » .
[٤] - في ز ، خ : « حتى » .
[٥] - سقط من : ت .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في خ : « الطائي » .
[٨] - في ز : « وقال » .
[٩] - ما بين المعكوفتين في ت : « الآخر » .

(حديث آخر) : قال ابن جرير :

[حدثنا ابن مثنى][١] حدثنا يحيىٰ ، عن عبيد اللَّه ، حدثنا القاسم ، عن عائشة ؛ أن رجلًا طلق امرأته ثلاثًا ، فتزوجت زوجًا فطلقها قبل أن يمسها ، فسئل رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : أتحل للأول ؟ فقال : « **لا حتىٰ يذوق من عسيلتها ، كما ذاق الأول** » .

أخرجه البخاري ومسلم والنسائي(١٤٠٨) من طرق عن عبيد اللَّه بن عمر العمري ، عن القاسم ابن عبد الرحمن بن أبي بكر ، عن عمته عائشة ، به .

(طريق أخرىٰ) : قال ابن جرير : حدثنا عبيد اللَّه[٢] بن إسماعيل الهَبَّاري ، وسفيان ابن وكيع ، وأبو هشام الرفاعي ، قالوا : حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة ؛ قالت : سئل النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، عن رجل طلق امرأته ، فتزوجت رجلًا غيره ، فدخل بها ، ثم طلقها قبل أن يواقعها ، أتحل لزوجها الأول ؟ فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لا تحل لزوجها الأول حتىٰ يذوق الآخر عسيلتها وتذوق عسيلته** » .

وكذا رواه أبو داود ، عن مسدد ، والنسائي(١٤٠٩) ، عن أبي كريب ، كلاهما عن أبي معاوية - وهو محمد بن خازم الضرير - به .

(طريق أخرىٰ) : قال مسلم في صحيحه(١٤١٠) : حدثنا محمد بن العلاءِ الهمداني ، حدثنا أبو أسامة ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة : أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، سئل عن المرأة يتزوجها الرجل فيطلقها ، فتتزوج رجلًا آخر[٣] فيطلقها قبل أن يدخل بها : أتحل لزوجها الأول ؟ قال : « **لا حتىٰ يذوق عسيلتها** » .

(١٤٠٨) - تفسير الطبري (٥٩٢/٤) (٤٨٩٦) ، وأخرجه النسائي في كتاب الطلاق ، باب : إحلال المطلقة ثلاثًا (١٤٨/٦) عن محمد بن المثنى به ، وأخرجه أحمد (١٩٣/٦) ، والبخاري في الطلاق ، باب : من جوز الطلاق الثلاث ، حديث : (٥٢٦١) ، ومسلم في النكاح ، حديث (١٤٣٣) (١١٥) من طريق عبيدالله بن عمر به .

(١٤٠٩) - تفسير الطبري (٤ / ٥٨٩) (٤٨٨٨) ، وأخرجه ابن أبي شيبة (٣ / ٣٧٧) ، وأحمد (٦ / ٤٢)، وأبو داود في الطلاق ، باب المبتوتة لا يرجع إليها زوجها حتى تنكح غيره حديث (٢٣٠٩) ، والنسائي في الطلاق ، باب : الطلاق للتي تنكح زوجاً ثم لا يدخل بها (٦ / ١٤٦) من طريق أبي معاوية به.

(١٤١٠) - صحيح مسلم في النكاح ، برقم (١٤٣٣) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

[٢] - سقط من : خ . [٣] - سقط من : خ .

قال مسلم : وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا ابن[١] فضيل (ح[٢]) . وحدثنا أبو كريب ، حدثنا أبو معاوية ، جميعًا عن هشام بهذا الإِسناد .

وقد رواه البخاري(١٤١١) من طريق أبي معاوية محمد بن خازم ، عن هشام ، به .

وتفرد به مسلم من الوجهين الآخرين .

وهكذا رواه ابن جرير(١٤١٢) من طريق عبد الله بن المبارك ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة مرفوعًا بنحوه ، - أو مثله - وهذا إسناد جيد .

وكذا رواه ابن جرير أيضًا ، من طريق علي بن زيد بن جُدْعان ، عن امرأة أبيه أمينة أم محمد ، عن عائشة ، عن النبي ، صلىٰ اللّٰه تعالىٰ عليه وآله وسلم ، بمثله(١٤١٣) .

وهذا السياق مختصر من الحديث الذي رواه البخاري : حدثنا عمرو بن علي ، حدّثنا يحيىٰ ، عن هشام [بن عروة][٣] ، حدثني أبي ، عن عائشة [ ][٤] عن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم .

وحدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا عبدة ، عن هشام بن [عروة][٥] ، عن أبيه ، عن عائشة : أن رفاعة القرظي تزوج امرأة ثم طلقها ، [فتزوجت آخر][٦] فأتت النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فذكرت له[٧] أنه لا يأتيها ، وأنه ليس معه إلا مثل هدبة الثوب ، فقال : « **لا ، حتىٰ تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك** »(١٤١٤) .

تفرد به من هذين الوجهين [ ][٨] .

(١٤١١) - صحيح البخاري كتاب الطلاق ، باب من قال لإمرأته : أنت على حرام حديث (٥٢٦٥) ، وأخرجه في باب : إذا طلقها ثلاثاً ثم تزوجت بعد العدة زوجاً غيره فلم يمسها حديث (٥٣١٧) من طريقين عن هشام به .

(١٤١٢) - تفسير الطبري (٤/٥٩٠) (٤٨٨٩) .

(١٤١٣) - تفسير الطبري (٤ / ٥٩٢) (٤٨٩٧) ، وأخرجه أحمد في المسند (٦ / ٩٦) من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد به .

(١٤١٤) - صحيح البخاري برقم (٥٣١٧) .

---

[١] - في ز : « أبو » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ت : « مرفوعًا » .

[٥] - في ز ، خ : « عبدة » .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

[٧] - سقط من : خ .

[٨] - ما بين المعكوفتين في ت : « هذا الوجه » .

(طريق أخرىٰ) : قال الإمام أحمد(١٤١٥) : حدثنا عبد الأعلىٰ ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت : دخلت امرأة رفاعة القرظي ، وأنا وأبو بكر عند النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فقالت : إن رفاعة طلقني ألبتة ، وإن عبد الرحمن بن الزبير تزوجني ، وإنما عنده مثل الهُدْبَة ، وأَخَذَتْ هدبة من جلبابها ، وخالد بن سعيد بن العاص بالباب لم يؤذن له ، فقال . يا أبا بكر ، ألا تنهىٰ هذه عما تجهر به بين يدي [رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؟][١] ، فما زاد رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، علىٰ التبسم ، وقال[٢] رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **كأنك تريدين أن ترجعي إلىٰ ، رفاعة ؟ لا حتىٰ تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك** » .

وهكذا رواه البخاري(١٤١٦) من حديث عبد الله بن المبارك ، ومسلم من حديث عبد الرزاق ، والنسائي من حديث يزيد بن زريع ، ثلاثتهم عن مَعْمَر ، به .

وفي حديث عبد الرزاق عند[٣] مسلم : أن رفاعة طلقها آخر ثلاث تطليقات .

وقد رواه الجماعة(١٤١٧) إلا أبا داود من طريق سفيان بن عيينة ، والبخاري من طريق عقيل ، ومسلم من طريق يونس بن يزيد [وعنده : آخر ثلاث تطليقات ، والنسائي من طريق أيوب بن موسىٰ ، ورواه صالح بن أبي الأخضر][٤] كلهم[٥] ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، به .

(١٤١٥) - المسند (٣٤/٦) ، وأخرجه الحميدي (٢٢٦) ، وأحمد (٣٧/٦ ، ٢٢٦) ، والدارمي في كتاب الطلاق ، باب : ما يحل المرأة لزوجها الذي طلقها حديث (٢٢٧٢) ، والبخاري في الشهادات ، باب : شهادة المختبىء ، حديث ٢٦٣٩) ، وفي الطلاق ، باب : من جوز الطلاق الثلاث حديث (٥٢٦٠) ، وفي اللباس ، باب الإزار المهدب حديث (٥٧٩٢) ، وفي الأدب ، باب : التبسم والضحك حديث (٦٠٨٤) ، ومسلم في النكاح في حديث (١٤٣٣) ، والترمذي في النكاح ، باب : ما جاء فيمن يطلق امرأته ثلاثاً ، حديث (١١١٨) ، والنسائي في النكاح ، باب : النكاح الذي تحل به المطلقة ثلاثاً لمطلقها (١٤٦/٦) ، وباب : إحلال المطلقة ثلاثاً (١٤٨/٦) ، وابن ماجه في النكاح ، باب : الرجل يطلق امرأته ثلاثاً حديث (١٩٣٢) من طرق عن الزهري به .

(١٤١٦) - صحيح البخاري برقم (٦٠٨٤) ، وصحيح مسلم برقم (١٤٣٣) ، وسنن النسائي (١٤٦/٦) .

(١٤١٧) - صحيح البخاري برقم (٢٦٣٩) ، وصحيح مسلم برقم (١٤٣٣) ، سنن الترمذي برقم (١١١٨) ، وسنن النسائي الكبرى برقم (٥٦٠٤) ، وسنن ابن ماجة برقم (١٤٣٣) من طريق يونس بن يزيد .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - في ت : « فقال » .

[٣] - في ز : « عن » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - سقط من : خ .

وقال مالك(١٤١٨) : عن المِسْوَر بن رفاعة القرظي ، عن الزبير بن عبد الرحمن بن الزبير : أن رفاعة بن سموال طلق امرأته تميمة بنت وهب في عهد رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، ثلاثًا ، فنكحت عبد الرحمن بن الزبير ، فاعترض[١] عنها ، فلم يستطع أن يمسها ، ففارقها ، فأراد رفاعة [ابن سموال][٢] أن ينكحها ، وهو زوجها الأول الذي كان طلقها ، فذكر ذلك لرسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فنهاه عن تزويجها وقال : « **لا تحل لك حتىٰ تذوق العسيلة** » .

هكذا[٣] رواه أصحاب الموطأ[٤] ، عن مالك ، وفيه انقطاع .

وقد رواه إبراهيم بن طهمان ، وعبد اللّٰه بن وهب ، عن مالك ، عن رفاعة ، عن الزبير ، ابن عبد الرحمن [بن الزبير][٥] ، عن أبيه فوصله .

[فصل]

والمقصود من الزوج الثاني أن يكون راغبًا في المرأة ، قاصدًا لدوام عشرتها ، كما هو المشروع من التزويج ، واشترط[٦] الإمام مالك مع ذلك أن يطأها الثاني وطئًا مباحًا ، فلو وطئها وهي مُحْرمة أو صائمة ، أو معتكفة ، أو حائض ، أو نُفَساء ، أو والزوج صائم ، أو محرم ، أو معتكف لم تحل للأول بهذا الوطء . وكذا لو كان الزوج الثاني ذميًا لم تحل للمسلم بنكاحه ؛ لأن أنكحة الكفار باطلة عنده ، واشترط الحسن البصري - فيما حكاه عنه الشيخ أبو عمر بن عبد البر - أن يُنتزِلَ الزوجُ الثاني ، وكأنه تمسك بما فهمه من قوله عليه الصلاة[٧] والسلام : « **حتىٰ تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك** » ، ويلزم علىٰ هذا أن تنزل[٨] المرأة أيضًا . وليس المراد بالعسيلة المني ؛ لما رواه الإمام أحمد والنسائي عن عائشة رضي اللّٰه عنها أن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال[٩] : « **ألا إن العسيلة الجماع** »(١٤١٩) .

(١٤١٨) - الموطأ (٥٣١/١) ، وعنه الشافعي في الأم (٢٢٩/٥) والبيهقي في السنن (٣٧٥/٧) . وأخرجه البيهقي (٧ / ٣٧٥) بسنده إلى ابن وهب عن مالك عن المسور عن الزبير بن عبدالرحمن عن أبيه. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١ / ٥٠٦) من حديث عبدالرحمن بن الزبير إلى البزار ، والطبراني . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤ / ٣٤٣) : رجاله ثقات .

(١٤١٩) - مسند أحمد (٦٢/٦) من حديث أبي عبدالملك المكي ، عن ابن أبي مليكة عن عائشة ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٤٤/٤) : وفيه أبو عبد الملك المكي ، ولم أعرفه بغير هذا الحديث =

[١] - في ز ، خ : « فأعرض » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : « كذا » .

[٤] - في خ : « الموطات » .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - في ز ، خ : « واشترط » .

[٧] - سقط من : خ .

[٨] - في خ : « ينزل » .

[٩] - سقط من : خ .

فأما إذا كان الثاني إنما قَصْدُه أن يحلها للأول ، فهذا هو المحلل الذي وردت الأحاديث بذمه ولعنه ، ومتىٰ صرح بمقصوده في العقد بطل النكاح عند جمهور الأئمة .

ذكر الأحاديث الواردة في ذلك

(الحديث الأول) عن ابن مسعود رضي اللّه عنه ، قال الإمام أحمد(١٤٢٠) : حدثنا الفضل ابن دكين ، حدثنا سفيان ، عن أبي قيس ، عن هزيل[١] ، عن عبد اللّه قال : لعن رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، الواشمة والمستوشمة ، والواصلة والمستوصله(*)[٢] ، والمحلل والمحلل له ، وآكل الربا وموكله .

ثم رواه أحمد والترمذي ، والنسائي من غير وجه(١٤٢١) ، عن سفيان - وهو الثوري - عن أبي قيس - واسمه عبد الرحمن بن ثروان الأودي[٣] - عن هزيل بن شرحبيل الأودي[٤] ، عن عبد اللّه بن مسعود ، عن النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم به[٥] . ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . قال : والعمل علىٰ هذا عند أهل العلم من الصحابة ، منهم : عمر ، وعثمان ، وابن عمر ، وهو قول الفقهاء من التابعين ، ويروىٰ ذلك عن علي ، وابن مسعود ، وابن عباس .

(طريق أخرىٰ) : عن ابن مسعود ، قال الإمام أحمد (١٤٢٢) : حدثنا زكريا بن عدي ، حدثنا عبيد اللّه ، عن عبد الكريم ، عن أبي الواصل ، عن ابن مسعود ، عن رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، قال : « **لعن اللّه المحلل والمحلل له** » .

(طريق أخرىٰ) : روىٰ الإمام أحمد(١٤٢٣) ، والنسائي من حديث الأعمش ، عن عبد اللّه ابن

= وبقية رجاله رجال الصحيح) . ولم أقف على الحديث عند النسائي .

(١٤٢٠) - المسند (٤٤٨/١) .

(*) الوشم : أن يغرز الجلد بإبرةٌ ثم يحشىٰ بكُحْل فيزرقّ أثره أو يخضرّ والمستوشمة : التي يفعل بها ذلك . وأما الواصلة : فهى التي تصل شعرها بشعر آخر زُورٍ والمستوصلة :التي تأمر من يفعل بها ذلك .

(١٤٢١) - أخرجه أحمد (١ / ٤٦٢) والدارمي (٢٢٦٣ ، ٢٥٣٨) ، والترمذي في النكاح ، باب : ما جاء في المحل والمحلل له (١١٢٠) ، والنسائي في الطلاق ، باب : إحلال المطلقة ثلاثًا وما فيه من التغليظ (٦/ ١٤٩) من طرق عن سفيان به .

(١٤٢٢) - المسند (٤٥٠/١) .

(١٤٢٣) - أخرجه أحمد (٤٦٤/١) ، والنسائي في سننه في الزينة ، باب : المتوشمات وذكر الاختلاف =

---

[١] - في ز ، خ : « الهذيل » .

[٢] - في خ : « الموصولة » .

[٣] - في ز ، خ : « الأزدى » .

[٤] - في خ : « الأزدي » .

[٥] - سقط من :خ .

مرة ، عن الحارث الأعور ، عن عبد الله بن مسعود قال : آكل الربا وموكله ، وشاهداه ، وكاتبه إذا علموا به ، والواصلة والمستوصلة ، ولاوي(*) الصدقة والمتعدي[١] فيها ، والمرتد على[٢] عقبيه إعراضًا[٣] بعد هجرته ، والمحلل والمحلل له ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة .

(الحديث الثاني) عن علي - رضي الله عنه - قال الإمام أحمد (١٤٢٤) :

حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا سفيان ، عن جابر ، عن الشعبي ، عن الحارث ، عن علي قال : لعن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، آكل الربا وموكله ، وشاهديه وكاتبه ، والواشمة والمستوشمة للحُسن ، ومانع الصدقة ، والمحلل[٤] والمحلل له ، وكان ينهى عن النوح .

وكذا رواه عن غُنْدَر ، عن شعبة ، عن جابر - وهو ابن يزيد الجعفي - ، عن الشعبي ، عن الحارث ، عن علي ، به . وكذا رواه من حديث إسماعيل بن أبي خالد ، وحصين بن عبد الرحمن ومجالد بن سعيد ، وابن عون ، عن عامر الشعبي به .

وقد رواه أبو داود ، والترمذي ، وابن ماجة من حديث الشعبي ، به(١٤٢٥) .

ثم قال أحمد(١٤٢٦) : حدثنا محمد بن عبد الله ، حدثنا[٥] إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن علي قال : لعن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، صاحب الربا ، وآكله ، وكاتبه ، وشاهده ، والمحلل ، والمحلل له .

(الحديث الثالث) عن جابر رضي الله عنه ، قال الترمذي(١٤٢٧) :

= على عبدالله بن مرة والشعبي في هذا (١٤٧/٨) وابن حبان (١١٤٥ - موارد) من طريق الأعمش به .

(*) اسم فاعل من « لواه » بمعنى : صرفه . والمقصود : مانع الصدقة .

(١٤٢٤) - المسند (١٠٧/١) (٨٤٤) ، وأخرجه أحمد (١/ ٨٣ ، ٨٧ ، ١٠٧ ، ١٢١ ، ١٥٠ ، ١٥٨) ، وأبو داود في النكاح ، باب : في التحليل حديث (٢٠٧٦ ، ٢٠٧٧) ، والترمذي في النكاح ، باب : ما جاء في المحلل والمحلل له ، حديث (١١١٩) ، والنسائي في الزينة ، باب : المتوشمات ، وذكر الاختلاف على عبدالله بن مرة عن الشعبي في هذا (٨ / ١٤٧) ، وابن ماجه في النكاح ، باب المحلل والمحلل له حديث (١٩٣٥) من طرق عن الشعبي به .

(١٤٢٥) - سنن أبي داود برقم (٢٠٧٦) ، وسنن الترمذي (١١١٩) وسنن ابن ماجة برقم (١٩٣٥) .

(١٤٢٦) - المسند (١ / ٨٨) ، وأخرجه في (١ / ٩٣) عن خلف بن الوليد عن إسرائيل به .

(١٤٢٧) - سنن الترمذي ، كتاب النكاح رقم (١١١٩) .

---

[١] - في خ : « المعتدي » . [٢] - في ت : « عن » .
[٣] - في ز ، خ : « إعراصًا » . وهو تصحيف . [٤] - في ز : « المحل » .
[٥] - في خ : « عن » .

حدثنا أبو سعيد الأشج ، أخبرنا أشعث بن عبد الرحمن بن زُبَيْد اليَامِي[١] ، حدثنا مجالد ، عن الشعبي ، عن جابر بن عبد الله ، وعن الحارث ، عن علي : أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، لعن المحلل والمحلل له . ثم قال : وليس إسناده بالقائم . ومجالد ضعفه غير واحد من أهل العلم ، منهم أحمد بن حنبل . قال : ورواه ابن نمير ، عن مجالد[٢] ، عن الشعبي ، عن جابر بن عبد الله ، عن علي ، قال : وهذا وهم من ابن نمير ، والحديث الأول أصح .

(الحديث الرابع) عن عقبة بن عامر رضي الله عنه ، قال أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة(١٤٢٨) :

حدثنا يحيىٰ بن عثمان بن صالح المصري ، حدثنا أبي ، سمعت الليث بن سعد يقول : قال أبو المصعب مشْرَح[٣] - هو ابن هاعان - : قال عقبة بن عامر : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ألا أخبركم بالتيس المستعار ؟** » ، قالوا : بلىٰ يا رسول الله ، قال : « **هو المحلل[٤] ، لعن الله المحلل[٥] والمحلل له** » .

تفرد به ابن ماجة ، وكذا رواه إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني ، عن عثمان بن صالح ، عن الليث - به . ثم قال : كانوا ينكرون[٦] علىٰ عثمان في هذا الحديث إنكارًا شديدًا .

(قلت) : عثمان هذا أحد الثقات روىٰ عنه البخاري في صحيحه ، ثم قد تابعه غيره ، فرواه جعفر الفريابي : عن العباس المعروف بابن فريق ، عن أبي صالح عبد الله بن صالح ، عن الليث [به ، فبرئ من عهدته ،][٧] والله أعلم .

(الحديث الخامس) عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال ابن ماجة(١٤٢٩) :

حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا أبو عامر ، عن زمعة بن صالح ، عن سلمة بن وَهْرَام[٨] ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لعن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، المحلل والمحلل له .

(١٤٢٨) - سنن ابن ماجه في النكاح ، باب : المحلل والمحلل له حديث (١٩٣٦) ، وأخرجه الحاكم (٢/ ١٩٩) ، والبيهقي (٢٠٨/٧) من طريق الليث به ، وقال البوصيري في الزوائد (١٩٩/٢) : إسناده مختلف فيه من أجل أبي مصعب .

(١٤٢٩) - سنن ابن ماجه في النكاح ، باب : المحلل والمحلل له حديث (١٩٣٤) ، وضعف البوصيري =

---

[١] - في ز : « الإيامى » ، خ : « الامامي » .
[٢] - في ز ، خ : « مجاهد » .
[٣] - في ز ، خ : « سرح » .
[٤] - في ز ، خ : « المحل » .
[٥] - في ز ، خ : « المحل » .
[٦] - في ز ، خ : « منكرون » .
[٧] - مكانها بياض في ز ، خ .
[٨] - في و ، خ : « وهدام » .

(طريق أخرىٰ) : قال الإِمام الحافظ خطيب دمشق أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني[١] السعدي : حدثنا ابن أبي مريم ، حدثنا إبراهيم بن إسماعيل [بن أبي حبيبة][٢] ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : سئل رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، [عن نكاح المحلل][٣] ، قال : « **لا ، إلا نكاح رغبة لا نكاح دُلْسَة ولا استهزاء بكتاب اللَّه ، ثم يذوق عسيلتها** »(١٤٣٠) .

ويتقوىٰ هذان الإِسنادان بما رواه أبو بكر بن أبي شيبة (١٤٣١) : عن حميد بن عبد الرحمن ، عن موسىٰ بن أبي الفرات ، عن عمرو بن دينار ، عن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، بنحو من هذا . فيتقوىٰ كل من هذا المرسل ، والذي قبله بالآخر ، واللَّه أعلم .

(الحديث السادس) عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه ، قال الإِمام أحمد (١٤٣٢) :

حدّثنا أبو عامر ، حدّثنا عبد اللَّه - هو ابن جعفر - عن عثمان بن محمد عن المقبري ، عن أبي هريرة قال : لعن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، المحلل[٤] والمحلل له .

وهكذا رواه أبو بكر بن أبي شيبة والجوزجاني والبيهقي(١٤٣٣) من طريق عبد اللَّه بن جعفر القرشي وقد وثقه أحمد بن حنبل وعلي بن المديني ، ويحيىٰ بن معين وغيرهم ، وأخرج له مسلم في صحيحه عن عثمان بن محمد الأخنسي وثقه ابن معين ، عن سعيد المقبري ، وهو متفق عليه .

(الحديث السابع) عن ابن عمر - رضي اللَّه عنهما - ، قال الحاكم في مستدركه(١٤٣٤) : حدّثنا أبو العباس الأصم ، حدّثنا محمد بن إسحاق الصنعاني ، حدّثنا سعيد بن أبي مريم ، حدّثنا

= إسناده في مصباح الزجاجة (٢/١٠٢) لضعف زمعة بن صالح . .

(١٤٣٠) - ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١١/٢٢٦) من طريق إسحاق بن محمد الفروي ، عن إبراهيم بن أبي حبيبة به .

(١٤٣١) - مصنف ابن أبي شيبة في النكاح ، باب في الرجل يطلق امرأته فيتزوجها رجل ليحلها له . (٣ / ٣٩٢) .

(١٤٣٢) - المسند (٢ / ٣٢٢) ، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣ / ٣٩٢) ، والبيهقي (٧ / ٢٠٨) من طريق عبدالله بن جعفر به .

(١٤٣٣) - المصنف لابن أبي شيبة (٤/٢٩٦) ، وسنن البيهقي الكبرى (٧/٢٠٨) .

(١٤٣٤) - المستدرك (٢ / ١٩٩) ، ومن طريقه البيهقي في السنن (٧ / ٢٠٨) .

---

[١] - في خ : « الجورجاني » .

[٢] ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « ابن أبي حنيفة » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : « المحل » .

أبو غسان[١] محمد بن مطرف المدني ، عن عمر بن نافع ، عن أبيه أنه قال : جاء رجل إلىٰ ابن عمر ، فسأله عن رجل طلق امرأته ثلاثًا ، فتزوجها أخ له من غير مؤامرة منه ، ليحلها لأخيه : هل تحل للأول ؟ فقال : لا ، إلا نكاح رغبة . كنا نعد هذا سفاحًا علىٰ عهد رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم . ثم قال : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

وقد رواه الثوري : عن عبد اللّه بن نافع ، عن أبيه ، عن ابن عمر - به . وهذه الصيغة مشعرة بالرفع ، وهكذا روىٰ أبو بكر بن أبي شيبة والجوزجاني ، وحرب الكرماني ، وأبو بكر الأثرم ، من حديث الأعمش ، عن المسيب بن رافع ، عن قبيصة بن جابر ، عن عمر أنه قال : لا أوتىٰ بمحلل[٢] ولا محلل له إلا رجمتهما(١٤٣٥) .

وروىٰ البيهقي من حديث ابن لَهيعة ، عن بُكَير بن الأشج ، عن سليمان بن[٣] يسار[٤] : أن عثمان بن عفان رُفع إليه رجل تزوج امرأة ليحلها لزوجها ، ففرق بينهما . وكذا روي عن علي وابن عباس ، وغير واحد من الصحابة ، رضي اللّه عنهم .

وقوله : ﴿ **فإن طلقها** ﴾ أي : الزوج الثاني بعد الدخول بها ﴿ **فلا جناح عليهما أن يتراجعا** ﴾ أي : المرأة والزوج الأول ﴿ **إن ظنا أن يقيما حدود اللّه** ﴾ أي : يتعاشرا بالمعروف . [قال مجاهد : إن ظنا أن نكاحهما علىٰ غير دلسة][٥] . ﴿ **وتلك حدود اللّه** ﴾ أي شرائعه وأحكامه ﴿ **يبينها** ﴾ أي : يوضحها ﴿ **لقوم يعلمون** ﴾ .

وقد اختلف الأئمة ، رحمهم اللّه ، فيما إذا طلق الرجل امرأته طلقة أو طلقتين ، وتركها حتىٰ انقضت عدتها ، ثم تزوجت بآخر فدخل بها ، ثم طلقها فانقضت عدتها ، ثم تزوجها الأول : هل تعود إليه بما بقي من الثلاث كما هو مذهب مالك ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وهو قول طائفة من الصحابة رضي اللّه عنهم ؟ أو يكون الزوج الثاني قد هدم ما قبله من الطلاق ، فإذا عادت إلىٰ الأول تعود بمجموع الثلاث ، كما هو مذهب أبي حنيفة وأصحابه رحمهم اللّه ؟ وحجتهم أن الزوج الثاني إذا هدم الثلاث فلأن يهدم ما دونها بطريق الأولىٰ والأحرىٰ ، واللّه أعلم .

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ

(١٤٣٥) - أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣/٣٩١) ، والبيهقي (٧/٢٠٨) من طريق أبي معاوية عن الأعمش به ، وعزاه السيوطي أيضًا في الدر المنثور (١/٥٠٧) إلى عبدالرزاق ، وأبي بكر الأثرم .

[١] - في ز ، خ : « أبو يمان » .
[٢] - في ز ، خ : « بمحل » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - سقط من : ز ، خ .

هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾

هذا أمر من الله عز وجل للرجال إذا طلق أحدهم المرأة طلاقًا له عليها فيه رجعة ، أن يحسن في أمرها إذا انقضت عدتها ولم يبق منها إلا مقدار ما يمكنه فيه رجعتها ، فإما أن يمسكها ، أي : يرتجعها إلىٰ عصمة نكاحه بمعروف ، وهو أن يشهد علىٰ رجعتها ، وينوي عشرتها بالمعروف ، أو يسرحها ، أي : يتركها حتىٰ تنقضي عدتها ، ويخرجها من منزله بالتي هي أحسن من غير شقاق[١] ولا مخاصمة ولا تقابح ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **ولا تمسكوهن ضرارًا لتعتدوا** ﴾ قال ابن عباس ومجاهد ، ومسروق ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك ، والربيع ، ومقاتل بن حيان ، وغير واحد : كان الرجل يطلق المرأة ، فإذا قاربت انقضاء العدة راجعها ضرارًا لئلا تذهب إلىٰ غيره ، ثم يطلقها فتعتد ، فإذا شارفت علىٰ انقضاء العدة طلق لتطول عليها العدة ، فنهاهم الله عن ذلك وتوعدهم عليه فقال : ﴿ **ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه** ﴾ أي : بمخالفته أمر الله تعالىٰ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ولا تتخذوا آيات الله هزوًا** ﴾ قال ابن جرير عند هذه الآية (١٤٣٦) :

أخبرنا أبو كريب ، أخبرنا إسحاق بن منصور ، عن عبد السلام بن حرب ، عن يزيد بن عبدالرحمن ، عن أبي العلاء الأودي[٢] ، عن حميد بن عبد الرحمن ، عن أبي موسىٰ أنّ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، غضب علىٰ الأشعريين ، فأتاه أبو موسىٰ فقال : يارسول الله ، أغضبت علىٰ الأشعريين ؟ فقال : « **يقول أحدكم (قد طلقت قد راجعت) ليس هذا طلاق المسلمين ، طلقوا المرأة في قُبُل(*) عدتها** » .

ثم رواه من وجه آخر ، عن أبي خالد الدالاني[٣] - وهو يزيد بن عبد الرحمن - وفيه كلام .

وقال مسروق : هو الذي يطلق في غير كُنْهِه ، ويضار امرأته بطلاقها وارتجاعها ، لتطول عليها العدة .

وقال الحسن ، وقتادة ، وعطاء الخراساني ، والربيع ، ومقاتل بن حيان : هو الرجل يطلق

(١٤٣٦) - تفسير الطبري (٥ / ١٤) .

(*) أي في أول عدتها حتى يمكنها الدخول في العدة والشروع فيها فتكون لها محسوبة . النهاية [٩/٤] .

---

[١] - في ز ، خ : « شنان » .

[٢] - في خ : « الأزدي » .

[٣] - في ز ، خ : « الدلال » .

ويقول : كنت لاعبا ، أو يعتق ، أو ينكح ويقول : كنت لاعبًا . فأنزل اللّه : ﴿ **ولا تتخذوا آيات اللّه هزوًا** ﴾ ، فألزم اللّه بذلك .

وقال ابن مردويه : حدّثنا إبراهيم بن محمد ، حدّثنا أبو أحمد الصيرفي ، حدّثني جعفر ابن محمد السمسار ، عن إسماعيل بن يحيىٰ ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : طلق رجل امرأته وهو يلعب ، لا يريد الطلاق ؛ فأنزل اللّه : ﴿ **ولا تتخذوا آيات اللّه هزوًا** ﴾ . فألزمه رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم و الطلاق .

وقال ابن أبي حاتم [(١٤٣٧)] : حدّثنا عصام بن رَوّاد ، حدّثنا آدم ، حدثنا المبارك بن فضالة ، عن الحسن ، هو البصري ، قال : كان الرجل يطلق ويقول : كنت لاعبًا ، ويعتق ويقول : كنت لاعبًا . وينكح ويقول : كنت لاعبًا . فأنزل اللّه : ﴿ **ولا تتخذوا آيات اللّه هزوًا** ﴾ ، وقال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **من طلق ، أو أعتق ، أو نكح أو أنكح ، جادًا أو لاعبًا ، فقد جاز عليه** » .

وكذا رواه ابن جرير : من طريق الزهري ، عن سليمان بن أرقم ، عن الحسن - مثله . وهذا مرسل .

وقد رواه ابن مردويه ، من طريق عمرو بن عبيد ، عن الحسن ، عن أبي الدرداء - موقوفًا عليه . وقال أيضًا[(١٤٣٨)] :

حدثنا أحمد بن الحسن بن أيوب ، حدثنا يعقوب بن أبي يعقوب ، حدثنا يحيىٰ بن عبد الحميد ، حدثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل بن سلمة ، عن الحسن ، عن عبادة بن الصامت في قول اللّه تعالىٰ : ﴿ **ولا تتخذوا آيات اللّه هزوًا** ﴾ قال : كان الرجل علىٰ عهد النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم ، يقول للرجل : زوّجتك ابنتي ، ثم يقول : كنت لاعبًا . ويقول : قد أعتقت ، ويقول : كنت لاعبًا . فأنزل اللّه : ﴿ **ولا تتخذوا آيات اللّه هزوا** ﴾ ، فقال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **ثلاث من قالهن لاعبًا أوغير لاعب ، فهن جائزات عليه : الطلاق ، والعتاق ، والنكاح** » .

والمشهور في هذا الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة[(١٤٣٩)] : من طريق عبد

(١٤٣٧) - تفسير ابن أبي حاتم (٢ / ٤٢٥) (٢٢٤٨) ، والطبري (١٤/٥) ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (٤ / ٨١) من طريق آخر ، فرواه عن عيسى بن يونس ، عن عمرو ، عن الحسن ، به .

(١٤٣٨) - ورواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده برقم (٥٠١) « زوائده » من طريق آخر ، فرواه من طريق ابن لهيعة ، عن عبيد الله بن أبي جعفر ، عن عبادة بن الصامت به مرفوعًا .

(١٤٣٩) - أخرجه أبو داود في الطلاق ، باب في الطلاق على الهزل حديث (٢١٩٤) ، والترمذي في

الرحمن بن حبيب بن أَرْدَك[١] ، عن عطاء ، عن ابن ماهك ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **ثلاث[٢] جدّهن جدّ ، وهزلهن جدّ : النكاح ، والطلاق ، والرجعة** » . وقال الترمذي : حسن غريب .

وقوله : ﴿ **واذكروا نعمة اللَّه عليكم** ﴾ أي : في إرساله الرسول بالهدى والبينات إليكم ﴿ **وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة** ﴾ أي السنة ﴿ **يعظكم به** ﴾ أي : يأمركم وينهاكم ويتوعدكم علىٰ ارتكاب المحارم ﴿ **واتقوا اللَّه** ﴾ أي : فيما تأتون وفيما تذرون ﴿ **واعلموا أن اللَّه بكل شيء عليم** ﴾ أي : فلا يخفىٰ عليه شيء من أموركم السرية والجهرية ، وسيجازيكم علىٰ ذلك .

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ﴾

قال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس(١٤٤٠) : نزلت هذه الآية في الرجل يطلق امرأته طلقة أو طلقتين ، فتنقضي عدتها ، ثم يبدو له [أن يتزوجها][٣] وأن يراجعها ، وتريد المرأة ذلك ، فيمنعها أولياؤها من ذلك ، فنهىٰ اللَّه أن يمنعوها .

وكذا روىٰ العوفي ، عنه(١٤٤١) ، [أيضًا][٤] .

وكذا قال مسروق ، وإبراهيم النخعي ، والزهري ، والضحاك : إنها نزلت في ذلك(١٤٤٢) .

الطلاق باب : ما جاء في الجد والهزل في الطلاق حديث (١١٨٤) ، وابن ماجه في الطلاق ، باب من طلق أو نكح أو راجع لاهيًا حديث (٢٠٣٩) ، والحاكم (٢ / ١٩٨) ، والبيهقي (٧ / ٣٤٠ - ٣٤١) من طريق عبدالرحمن بن حبيب به .

(١٤٤٠) - رواه ابن جرير (٥/٢٢) رقم (٤٩٤٠)

(١٤٤١) - تفسير ابن جرير (٥/٢٢) (٤٩٤١)

(١٤٤٢) - تفسير الطبري (٤٩٤٢ ، ٤٩٤٣ ، ٤٩٤٤ ، ٤٩٤٥) .

---

[١] - في خ : « أدرك » .
[٢] - في خ : « ثلاثة » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في خ : « تزويجها » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وهذا الذي قالوه ظاهر من الآية ، وفيها دلالة على أن المرأة لا تملك [أن تزوّج][١] نفسها ، وأنه لا بد في تزويجها من ولي ، كما قاله الترمذي وابن جرير عند هذه الآية ، كما جاء في الحديث : « **لاتزوّج المرأةُ المرأةَ ، ولا تزوّج المرأة نفسها ، فإن الزانية هي التي تزوّج نفسها** »(١٤٤٣) .

وفي الأثر الآخر (١٤٤٤) « **لا نكاح إلا بولي مرشد وشاهدي عدل** » .

وفي هذه المسألة نزاع بين العلماء محرّر في موضعه من كتب الفروع ، وقد قررنا ذلك في كتاب « **الأحكام** » ، ولله الحمد والمنة .

وقد روي أن هذه الآية نزلت في معقل بن يسار المزني[٢] وأخته ، فقال البخاري - رحمه الله - في كتابه الصحيح عند[٣] تفسير هذه الآية(١٤٤٥) : حدثنا عبيد[٤] الله بن سعيد ، حدثنا أبو عامر العَقَدي[٥] ، حدثنا عبّاد بن راشد ، حدثنا الحسن قال[٦] : حدثني مَعْقل بن يسار قال : كانت لي[٧] أخت تخطب إليّ .

قال البخاري : وقال إبراهيم ، عن يونس ، عن الحسن ، حدثني[٨] معقل بن يسار (ح)[٩] .

وحدثنا أبو معمر ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا يونس ، عن الحسن : أن أخت معقل بن يسار طلقها زوجها ، فتركها حتى انقضت عدتها ، فخطبها ، فأبى معقل ، فنزلت : ﴿ **فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن** ﴾ .

(١٤٤٣) - ورواه ابن ماجة في السنن برقم (١٨٨٢) من طريق محمد بن مروان عن هشام بن حسان ، عن محمد ابن سيرين ، عن أبي هريرة مرفوعًا به ، وقال البوصيري في الزوائد (٨٤/٢) : « هذا إسناد مختلف فيه » .

(١٤٤٤) - الشافعي في الأم (٥/ ٢٢) . والبيهقي في الكبرى (٧/ ١١٢، ١٢٤) . من طريق ابن خثيم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس موقوفًا

(١٤٤٥) - صحيح البخاري ، كتاب التفسير حديث (٤٥٢٩) . وسنن أبي داود ، كتاب النكاح ، باب : في العضل حديث (٢٠٨٧) ، وسنن الترمذي ، كتاب التفسير ، تفسير سورة البقرة حديث (٢٩٨١) ، وتفسير الطبري (١٧/٥ ، ١٨) (٤٩٢٧، ٤٩٢٨ ، ٤٩٢٩ ، ٤٩٣٠ ، ٤٩٣١) ولم يعزه المزي في تحفة الأشراف لسنن ابن ماجة .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز ، خ : « عن » .

[٤] - في ز : « عبد » .

[٥] - في ز ، خ : « العبدي » .

[٦] - سقط من : ز .

[٧] - في خ : « إلى » .

[٨] - في خ : « عن » .

[٩] - سقط من : خ .

وهكذا رواه أبو داود ، والترمذي ، [وابن ماجة] ، وابن أبي حاتم ، وابن جرير ، وابن مردويه من طرق متعددة ، عن الحسن ، عن معقل بن يسار - به .

وصححه الترمذي أيضًا ، ولفظه عن معقل بن يسار : أنه زوّج أخته رجلًا من المسلمين علىٰ عهد رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فكانت عنده ما كانت ، ثم طلقها تطليقة لم يراجعها حتىٰ انقضت العدة[١] ، فهويها وهَوِيَتْه ثم خطبها مع الخُطَّاب ، فقال له : يالُكع [بن لكع][٢] ، أكرمتك بها ، وزوّجتكها ، فطلقتها ، واللّٰه لا ترجع إليك أبدًا آخر ما عليك ، قال : فعلم اللّٰه حاجته إليها ، وحاجتها إلىٰ بعلها ، فأنزل اللّٰه : ﴿ **وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **وأنتم لا تعلمون** ﴾ ، فلما سمعها معقل قال : سمع لربي وطاعة ، ثم دعاه فقال : أزوّجك وأكرمك . زاد ابن مردويه : وكفرت عن يميني .

ورویٰ ابن جرير (١٤٤٦) ، عن ابن جريج قال : هي جُمْل بنت يسار ، كانت[٣] تحت[٤] أبي البَدّاح .

وقال سفيان الثوري (١٤٤٧) : عن أبي إسحاق السبيعي قال : هي فاطمة بنت يسار .

وهكذا ذكر غير واحد من السلف : أن هذه الآية نزلت في معقل بن يسار وأخته .

وقال السدي (١٤٤٨) : نزلت في جابر بن عبد اللّٰه وابنة عم له . والصحيح الأول ، واللّٰه أعلم .

وقوله : ﴿ **ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن باللّٰه واليوم الآخر** ﴾ [أي : هذا الذي نهيناكم عنه مِن منْع الولايا أن يتزوّجن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف يأتمر به ويتعظ به وينفعل له ﴿ **من كان منكم** ﴾ أيها الناس ﴿ **يؤمن باللّٰه واليوم الآخر** ﴾][٥] أي : يؤمن بشرع اللّٰه ويخاف وعيد اللّٰه وعذابه في الدار الآخرة ، وما فيها من الجزاء ﴿ **ذلكم أزكىٰ لكم وأطهر** ﴾ أي : اتباعكم شرع اللّٰه في ردّ المولیات إلىٰ أزواجهن ، وترك الحمية في ذلك أزكىٰ لكم وأطهر لقلوبكم ﴿ **واللّٰه يعلم** ﴾ أي : من المصالح فيما يأمر به وينهىٰ عنه

(١٤٤٦) - تفسير ابن جرير (٥/٢٠) رقم (٤٩٣٣) .
(١٤٤٧) - تفسير الطبري (٤٩٣٦) .
(١٤٤٨) - تفسير الطبري (٥/٢١) رقم (٤٩٣٩).

[١] - في ت : « عدتها » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . وكذا سنن الترمذي .
[٣] - في خ : « كاتب » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

﴿ وأنتم لا تعلمون ﴾ أي : الخيرة فيما تأتون ، ولا فيما تذرون .

۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾

هذا إرشاد من اللّه تعالىٰ للوالدات أن يرضعن أولادهنّ كمال الرضاعة ، وهي سنتان ، فلا اعتبار بالرضاعة بعد ذلك ؛ ولهذا قال : ﴿ لمن أراد أن يتم الرضاعة ﴾ وذهب أكثر الأئمة إلىٰ[١] أنه لا يحرم من الرضاعة إلا ما كان دون الحولين ، فلو ارتضع المولود وعمره فوقهما[٢] لم يحرم .

قال الترمذي(١٤٤٩) : (باب ما جاء أن الرضاعة لا تحرم إلا في الصغر دون الحولين) حدّثنا قتيبة ، حدثنا أبو عوانة ، عن هشام بن عروة [٣] ، عن فاطمة بنت المنذر ، عن أم سلمة قالت : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **لا يحرم من الرضاع إلا ما[٤] فتق الأمعاء في الثدي وكان قبل الفطام** » .

وقال[٥] هذا حديث حسن صحيح ، والعمل علىٰ هذا عند أكثر أهل العلم من أصحاب رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم ، وغيرهم : أن الرضاعة لا تحرم إلا ما[٦] كان دون الحولين ، وما كان بعد الحولين الكاملين فإنه لا يحرم شيئًا . وفاطمة بنت المنذر [بن الزبير][٧] بن العوام ، وهي امرأة هشام بن عروة .

(**قلت**) : تفرّد الترمذي برواية هذا الحديث ، ورجاله علىٰ شرط الصحيحين ، ومعنىٰ قوله : « **إلا ما كان في الثدي** » أي : في محل[٨] الرضاعة قبل الحولين ، كما جاء في الحديث الذي

(١٤٤٩) - سنن الترمذي ، كتاب الرضاع برقم (١١٥٢) .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في ز : « فوقها » .
[٣] - في بعض نسخ الترمذي : « عن أبيه » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في خ : « من » .
[٧] - في خ : « بن أبي الزبير » .
[٨] - في ز : « حال » .

رواه أحمد(١٤٥٠) ، عن وكيع وغُنْدَر ، عن شعبة ، عن عدي بن ثابت ، عن البراء بن عازب قال : لما مات إبراهيم ابن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **إن له مرضعًا في الجنة** » .

وهكذا أخرجه البخاري من حديث شعبة .

وإنما قال عليه السلام ذلك ؛ لأن ابنه إبراهيم [عليه السلام][١] مات وله[٢] سنة و[٣] عشرة أشهر ، فقال : « **إن له مرضعًا في الجنة** » يعني[٤] : تكمل رضاعه .

ويؤيده ما رواه الدارقطني(١٤٥١) من طريق الهيثم بن جميل ، عن سفيان بن عيينة ، عن عمرو ابن دينار ، عن ابن عباس قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **لا يُحرّم من الرضاع إلا ما كان في الحولين** » ، ثم قال : و[٥] لم يسنده عن ابن عيينة غير الهيثم بن جميل ، وهو ثقة حافظ .

(**قلت**) : وقد رواه الإمام مالك في الموطأ(١٤٥٢) ، عن ثور بن يزيد [٦] ، عن ابن عباس - مرفوعًا . ورواه الدراوردي ، عن ثور ، عن عكرمة ، عن ابن[٧] عباس[٨] و[٩] زاد : « **وما كان بعد الحولين فليس بشيء** » ، وهذا أصح .

وقال أبو دواد الطيالسي(١٤٥٣) ، عن جابر قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **لا رضاع بعد فصال ، ولا يُتْمَ بعد احتلام**[١٠] » ، وتمام الدلالة من هذا الحديث في قوله تعالىٰ : ﴿ **وفصاله في عامين أن اشكر لي** ﴾ وقال : ﴿ **وحمله وفصاله ثلاثون شهرًا** ﴾ . والقول بأن الرضاعة لا تحرم بعد الحولين مروي[١١] عن علي وابن عباس ، وابن مسعود ، وجابر ، وأبي هريرة [وابن عمر][١٢] وأمّ سلمة ، وسعيد بن المسيب ، وعطاء ، والجمهور ، وهو مذهب

(١٤٥٠) - المسند (٤/٣٠٠) ، وصحيح البخاري ، كتاب الجنائز برقم (١٣٨٢) .

(١٤٥١) - سنن الدارقطني (٤/١٧٤) .

(١٤٥٢) - الموطأ (٢/٦٠٢) .

(١٤٥٣) - مسند الطيالسي حديث (١٧٦٧)

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - في ز ، خ : زيد .

[٧] - سقط من : خ .

[٨] - سقط من : ز ، خ .

[٩] - سقط من : خ .

[١٠] - في ز ، خ : « احلام » .

[١١] - في ت : «يروى » .

[١٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

الشافعي ، وأحمد ، وإسحاق ، والثوري ، وأبي يوسف ، ومحمد ، ومالك في رواية ، و[١] عنه أن مدته سنتان وشهران ، وفي رواية : وثلاثة أشهر .

وقال أبو حنيفة : سنتان وستة أشهر .

وقال زُفَر بن الهُذَيل : ما دام يرضع فإلىٰ ثلاث سنين ، وهذا رواية عن الأوزاعي .

قال مالك : ولو فطم الصبي دون الحولين فأرضعته امرأة بعد فصاله لم يحرم ؛ لأنه قد صار بمنزلة الطعام ، وهو رواية عن الأوزاعي ، وقد روي عن عمر وعلي أنهما قالا : لا رضاع بعد فصال ، فيحتمل أنهما أرادا الحولين كقول الجمهور ، سواء فطم أو لم يفطم ، ويحتمل أنهما أرادا الفعل ، كقول مالك ، والله أعلم .

وقد روي في الصحيح[٢] عن عائشة (١٤٥٤) - رضي الله عنها - : أنها كانت ترىٰ رضاع الكبير يؤثر في التحريم ، وهو قول عطاء بن أبي رباح والليث بن سعد ، وكانت عائشة تأمر بمن تختار أن يدخل عليها من الرجال لبعض نسائها فترضعه ، وتحتج في ذلك بحديث سالم مولىٰ أبي حذيفة ، حيث أمر النبي صلىٰ الله عليه وسلم امرأة أبي حذيفة أن ترضعه ، وكان كبيرًا ، فكان يدخل عليها بتلك الرضاعة ، وأبىٰ ذلك سائر أزواج النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، ورأين ذلك من الخصائص ، وهو قول الجمهور .

وحجة الجمهور - منهم الأئمة الأربعة ، والفقهاء السبعة ، والأكابر من الصحابة ، وسائر أزواج[٣] رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم سوىٰ عائشة - ما ثبت في الصحيحين(١٤٥٥) ، عن عائشة أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **انظرنَ من إخوانكن ، فإنما الرضاعة من المجاعة** » .

وسيأتي الكلام علىٰ مسائل الرضاع وفيما يتعلق برضاع الكبير عند قوله تعالىٰ : ﴿ **وأمّهاتكم اللاتي أرضعنكم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وعلىٰ المولود له رزقهنّ وكسوتهنّ بالمعروف** ﴾ أي : وعلىٰ والد الطفل نفقة الوالدات وكسوتهن بالمعروف ، أي : بما جرت به عادة أمثالهنّ في بلدهنّ من غير إسراف ، ولا إقتار ، بحسب قدرته في يساره وتوسطه وإقتاره ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **لينفق ذو سعة**

(١٤٥٤) - صحيح مسلم حديث ٣٠ - (١٤٥٥) .

(١٤٥٥) - صحيح البخاري ، كتاب الشهادات ، باب : الشهادة على الأنساب ... حديث (٢٦٤٧) ، صحيح مسلم ، كتاب الرضاع حديث (١٤٥٥) .

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - في ت : « الصحيحين » .

[٣] - في خ : « أصحاب » .

من سعته ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه اللّه ، لا يكلف اللّه نفسًا إلا ما آتاها ، سيجعل اللّه بعد عسر يسرا ﴾ قال الضحاك : إذا طلّق زَوْجَته وله منها ولد ، فأرضعت له ولده ، وجب علىٰ الوالد نفقتها وكسوتها بالمعروف .

وقوله : ﴿ **لا تضارّ والدة بولدها** ﴾ أي : لا تدفعه عنها لتضر أباه بتربيته ، ولكن ليس لها دفعه إذا[١] ولدته حتىٰ تسقيه اللّبأ الذي لا يعيش بدون تناوله غالبًا ، ثم بعد هذا لها دفعه عنها إذا[٢] شاءت ، ولكن إن كانت مضارة لأبيه فلا يحل لها ذلك ، كما لا يحل له انتزاعه منها لمجرد الضرار لها ؛ ولهذا قال : ﴿ **ولا مولود له بولده** ﴾ أي : بأن يريد أن ينتزع الولد منها إضرارًا بها ، قاله مجاهد وقتادة والضحاك ، والزهري ، والسدي ، والثوري ، وابن زيد ، وغيرهم .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وعلىٰ الوارث مثل ذلك** ﴾ قيل : في عدم الضرار لقريبه[٣] ، قاله مجاهد والشعبي ، والضحاك .

وقيل : عليه مثل ما علىٰ والد الطفل من الإنفاق علىٰ والدة الطفل ، والقيام بحقوقها ، وعدم الإضرار بها ، وهو قول الجمهور .

وقد استقصىٰ[٤] ذلك ابن جرير في تفسيره . وقد استدل بذلك من ذهب من الحنفية والحنبلية إلىٰ وجوب نفقة الأقارب بعضهم علىٰ بعض ، وهو مروي عن عمر بن الخطاب وجمهور السلف ، ويُرَشَّح ذلك[٥] بحديث الحسن عن سَمُرة مرفوعًا : « **من ملك ذا رَحِمٍ مَحْرَمٍ عتق عليه** »(١٤٥٦) .

وقد ذكر أن الرضاعة بعد الحولين ربما ضرت الولد ؛ إما في بدنه ، أو عقله .

و[٦] قال سفيان الثوري ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة : أنه رأىٰ امرأة ترضع بعد

(١٤٥٦) - رواه أبو داود في كتاب العتق ، باب : فيمن ملك ذا رحم محرم حديث (٣٩٤٩) ، والترمذي في الأحكام ، باب : فيمن ملك ذا رحم محرم حديث (١٣٦٥) من طريق عاصم الأحول عن الحسن به ، ورواه النسائي في الكبرى (١٧٣/٣) ، ورواه ابن ماجه في العتق ، باب : من ملك ذا رحم حديث (٢٥٢٤) وقال الترمذي : « هذا حديث لا نعرفه مسندًا إلا من حديث حماد بن سلمة ، وقد روىٰ بعضهم هذا الحديث عن قتادة عن الحسن ، عن عمر شيئًا من هذا » . ولفظه عندهم : « **من ملك ذا رحم محرم فهو حر** » .

---

[١] - في خ : « إن » .
[٢] - في ز : « إن » .
[٣] - في خ : « تقريبه » .
[٤] - في ز : بياض ، خ : « روى » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز : « وقد » .

الحولين فقال : لا ترضعيه .

وقوله : ﴿ فإن أرادا فصالًا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما ﴾ أي : فإن اتفق والدا[١] الطفل علىٰ فطامه قبل الحولين ، ورأيا في ذلك مصلحة له ، وتشاورا في ذلك واجتمعا[٢] عليه ، فلا جناح عليهما في ذلك ، فيؤخذ منه : أن انفراد أحدهما بذلك دون الآخر لا يكفي ، ولا يجوز لواحد منهما أن يستبدَّ بذلك من غير مشاورة الآخر ، قاله الثوري وغيره .

وهذا فيه احتياط للطفل ، وإلزام للنظر في أمره ، وهو من رحمة اللَّه بعباده ، حيث حجر علىٰ الوالدين في تربية طفلهما ، وأرشدهما إلىٰ ما يصلحهما ويصلحه[٣] ، كما قال في سورة الطلاق : ﴿ فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف وإن تعاسرتم فسترضع له أخرىٰ ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف ﴾ أي : إذا اتفقت الوالدة والوالد علىٰ أن يتسلم منها الولد ؛ إما لعذر[٤] منها أو عذر[٥] له ، فلا جناح عليهما في بذله ، ولا عليه في قبوله منها إذا سلمها أجرتها الماضية بالتي هي أحسن ، واسترضع لولده غيرها بالأجرة بالمعروف . قاله غير واحد .

وقوله : ﴿ واتقوا اللَّه ﴾ أي : في جميع أحوالكم ﴿ واعلموا أن اللَّه بما تعملون بصير ﴾ أي : فلا يخفىٰ عليه شيء من أحوالكم وأقوالكم .

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾

هذا أمر من اللَّه للنساء اللاتي يتوفىٰ عنهن أزواجهن أن : يعتددن أربعة أشهر وعشر ليال ، وهذا الحكم يشمل الزوجات المدخول بهن وغير المدخول بهن بالإجماع ، ومستنده في غير المدخول بها عموم الآية الكريمة ، وهذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأهل السنن وصححه الترمذي (١٤٥٧) : أن ابن مسعود سئل عن رجل تزوج امرأة فمات عنها ، ولم يدخل بها ولم

(١٤٥٧) - المسند (٢٨٠/٤) (١٨٥١٢) ، ورواه أبو داود (٢٣٧/٢) حديث (٢١١٤) في كتاب النكاح =

---

[١] - في خ : « والد » .
[٢] - في ت : « وأجمعا » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ز ، خ : « بعذر » .
[٥] - في ت : « لعذر » .

يفرض لها ؛ فترددوا إليه مرارًا[١] في ذلك ، فقال : أقول فيها برأيي ، فإن يك[٢] صوابًا فمن اللَّه ، وإن يك[٣] خطأ فمني ومن الشيطان ، [واللَّه ورسوله بريئان منه][٤] : لها الصداق كاملًا .

وفي لفظ : لها صداق مثلها ، لا وكس ، ولا شَطَطَ (*) ، وعليها العدّة ، ولها الميراث ، فقام معقل بن يسار الأشجعي فقال : سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قضىٰ به في بَرْوَعَ بنت وَاشِق ؛ ففرح عبد اللَّه بذلك فرحًا شديدًا .

وفي رواية : فقام رجال من أشجع فقالوا : نشهد أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قضىٰ به في بَرْوَع بنت وَاشِق .

ولا يخرج من ذلك إلا المتوفَّىٰ عنها زوجها وهي حامل ؛ فإن عدتها بوضع الحمل ، ولو لم تمكث بعده سوىٰ لحظة ؛ لعموم قوله : ﴿ **وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن** ﴾ ، وكان ابن عباس يرىٰ أن عليها أن تتربص بأبعد الأجلين من الوضع ، أو أربعة أشهر وعشر للجمع بين الآيتين ، وهذا مأخذ جيد ومسلك قوي ، لولا ما ثبتت به السنة في حديث سُبَيعة الأسلمية المخرَّج في الصحيحين من غير وجه (١٤٥٨) : أنها[٥] توفي عنها زوجها سعد بن خولة ، وهي حامل ، فلم تنشب (**) أن وضعت حملها بعد وفاته . وفي رواية : فوضعت حملها بعده بليال ، فلما تَعَلَّتْ (***) من نفاسها تجملت للخُطَّاب ، فدخل عليها أبو السنابل بن بَعْكَك

= باب : فيمن تزوج ولم يسم طلاقًا حتى مات . والترمذي (٣/٤٥٠) حديث (١١٤٥) في كتاب النكاح ، وباب : ما جاء في الرجل يزوج المرأة فيموت عنها قبل أن يطرص لها . والنسائي (٦ / ١٢١ - ١٢٢) في كتاب النكاح ، باب : إباحة التزويج بغير طلاق . وابن ماجه (١ / ٦٠٩) حديث (١٨٩١) في كتاب النكاح ، باب : الرجل يتزوج ولا يفرض لها فيموت على ذلك . والطبراني في الكبير (٢٠ / ٢٣١ - ٢٣٢) حديث (٥٤٢ - ٥٤٦) . وصححه الشيخ الألباني انظر الإرواء (١٩٣٩) .

(*) الوكس : النقص . والشطط : الجور .

(١٤٥٨) - صحيح البخاري ، كتاب الطلاق حديث (٥٣١٩) ، وصحيح مسلم ، كتاب الطلاق حديث (١٤٨٤) .

(**) أي : لم تلبث .

(***) أي ارتفعت وطُهرت . ويجوز أن يكون من قولهم : تعلى الرجل من علته إذا برأ منها . أي خرجت من نفاسها وسلمت . (النهاية ٣/٢٩٣)

[١] - في ز : « شهرًا » .
[٢] - في خ : « يكن » .
[٣] - في خ : « يكن » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز : « أنه » .

فقال لها : مالي أراك متجملة ؟ لعلك ترجين النكاح ؟! والله ما أنت بناكح حتىٰ يمر عليك أربعة أشهر وعشر . قالت سبيعة : فلما قال لي ذلك جمعتُ عليَّ ثيابي حين أمسيت ، فأتيت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فسألته عن ذلك ، فأفتاني بأني قد حَلَلْتُ حين وضعتُ حملي[١] ، وأمرني بالتزويج إن بدا لي .

قال أبو عمر بن عبد البر : وقد روي أن ابن عباس رجع إلىٰ حديث سُبَيعة ، يعني : لما احْتُجَّ عليه به . قال : ويصحح ذلك عنه أن أصحابه أفتوا بحديث سبيعة ، كما هو قول أهل العلم قاطبة .

وكذلك يُستثنىٰ من ذلك الزوجة إذا كانت أَمَةً ؛ فإن عدتها علىٰ النصف من عدة الحرة ، [شهران وخمس ليال ، علىٰ قول الجمهور ؛ لأنها لما كانت علىٰ النصف من الحرة][٢] في الحد ، فكذلك فلتكن علىٰ النصف منها[٣] في العدّة .

ومن العلماء - كمحمد بن سيرين وبعض الظاهرية - من يسوي بين الزوجات الحرائر والإِماء في هذا المقام ؛ لعموم الآية ؛ ولأن العدة من باب الأمور الجِبِلِّيَّة التي تستوي فيها الخليقة .

وقد ذكر سعيد بن المسيب وأبو العالية وغيرهما : أن الحكمة في جعل عدة الوفاة أربعة أشهر وعشرًا ؛ لاحتمال اشتمال الرحم علىٰ حمل ، فإذا انتظر به هذه المدة ظهر إن كان موجودًا ، كما جاء في حديث ابن مسعود الذي في الصحيحين وغيرهما (١٤٥٩) : « **إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يومًا [ ][٤] ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث إليه المَلَكُ فينفخ فيه الروح** » ، فهذه ثلاث أربعينات بأربعة أشهر والاحتياط بعشر بعدها لما قد ينقص بعض الشهور ، ثم لظهور الحركة بعد نفخ الروح فيه ، والله أعلم .

قال سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة : سألت سعيد بن المسيب : ما بال العشرة ؟ قال : فيه ينفخ الروح .

وقال الربيع بن أنس : قلت لأبي العالية : لم صارت هذه العشر مع الأشهر الأربعة ؟ قال : لأنه ينفخ فيه الروح .

(١٤٥٩) - صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق حديث (٣٢٠٨) ، وأطرافه (٣٠٨٥ ، ٦١٠٥ ، ٦٩٠٠)، وصحيح مسلم ، كتاب القدر حديث (٢٦٤٣) . ورواه أبو داود في القدر حديث (٤٧٨١) ، والترمذي في القدر حديث (٢٠٦٣) .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - في خ : « من الحرة » .
[٤] - في ت : نطفة .

رواهما ابن جرير ، ومن هاهنا ذهب الإمام أحمد في رواية عنه إلىٰ أن عدة أم الولد عدة الحرة هاهنا ؛ لأنها صارت فِراشا كالحرائر[١] ، وللحديث الذي رواه الإمام أحمد(١٤٦٠) ، عن يزيد بن هارون ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن رجاء بن حيوة ، عن قبيصة بن ذؤيب ، عن عمرو بن العاص أنه قال : لا تَلْبِسُوا(*) علينا سنة نبيِّنا ، عدة أم الولد إذا توفي عنها سيدها أربعة أشهر وعشر .

ورواه أبو داود عن قتيبة[٢] ، عن غندر ، وعن ابن المثنى[٣] ، عن عبد الأعلىٰ ، وابن ماجة عن عليّ بن محمد ، عن الربيع[٤] ، ثلاثتهم ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن مطر الوراق ، عن رجاء بن حيوة ، عن قبيصة ، عن عمرو بن العاص فذكره .

وقد روي عن الإمام أحمد أنه أنكر هذا الحديث ، وقيل : إن قبيصة لم يسمع عمرًا ، وقد ذهب إلىٰ القول بهذا الحديث طائفة من السلف ؛ منهم سعيد بن المسيب ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، وابن سيرين ، وأبوعياض ، والزهري ، وعمر بن عبد العزيز ، وبه كان يأمر يزيد ابن عبد الملك بن مروان ، وهو أمير المؤمنين ، وبه يقول الأوزاعي وإسحاق بن راهويه ، وأحمد بن حنبل في رواية عنه ، وقال طاوس وقتادة : عدة أم الولد إذا توفي عنها سيدها نصف عدة الحرة ؛ شهران وخمس ليال .

(١٤٦٠) - المسند (٢٠٣/٤) (١٧٨٥٥) . والحديث أخرجه أبو داود (٢٩٤/٢) حديث (٢٣٠٨) في كتاب الطلاق ، باب : في عدة أم الولد. وابن ماجه (٦٧٣/١) حديث (٢٠٨٣) في كتاب الطلاق ، باب : عدة أم الولد. وابن حبان كما في موارد الظمآن (١٣٣٣) . والحاكم (٢٠٩/٢) وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي . والبيهقي (٤٤٧/٧) ، باب : استبراء أم الولد. وقال البيهقي : ورواه سليمان بن موسى ، عن رجاء بن حيوة ، عن قبيصة ، عن عمرو موقوفاً أيضاً ، ورفعه قتادة ومطر ، والموقوف أصح . وقبيصة لم يسمع من عمرو . ورواه الدارقطني حديث ٢٤٦ (٣٠٩/٣) . وأبو يعلى حديث ٧٣٤٩ ، و ٧٣٣٨ . ورواه ابن أبي شيبة في الطلاق (١٦٢/٥) . وابن حزم في المحلى (١١/ ٣٠٤) . وقال البيهقي : وأخبرنا أبو بكر بن الحارث الفقيه قال : قال أبو الحسن الدارقطني الحافظ : قبيصة لم يسمع من عمرو ، والصواب : لا تلبسوا علينا ديننا - موقوف - . والحديث ذكره عبد الله في العلل قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا الوليد ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن سليمان بن موسى ، عن رجاء بن حيوة ، عن قبيصة بن ذئيب ، عن عمرو ابن العاص قال : عدة أم الولد عدة الحرة . قال عبد الله : قال أبي : قلت للوليد : من حدثكم ؟ قال : سعيد . قال أبي : هذا حديث منكر . وروى البيهقي عن أحمد أنه قال : هذا حديث منكر .

(*) - اللبس : اختلاط الأمر .

---

[١] - في خ : « للحرائر » .

[٢] - في خ : « حذيفة » .

[٣] - في ز ، خ : « مثنى » .

[٤] - في ز ، خ : « وكيع » .

وقال أبو حنيفة وأصحابه ، والثوري والحسن بن صالح بن حيي : تعتد بثلاث حِيَضٍ ، وهو قول علي ، وابن مسعود ، وعطاء ، وإبراهيم النخعي ، وقال مالك والشافعي وأحمد في المشهور عنه : عدتها حيضة ، وبه يقول ابن عمر والشعبي ، ومكحول والليث ، وأبو عبيد ، وأبو ثور ، والجمهور .

قال الليث : ولو مات وهي حائض أجزأتها . وقال مالك : فلو كانت ممن لا تحيض فثلاثة أشهر . وقال الشافعي والجمهور : شهر ، وثلاثةٌ أحبُّ إلي . والله أعلم .

وقوله : ﴿ **فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير** ﴾ يستفاد من هذا وجوب الإِحداد على المتوفى عنها زوجها مدة عدتها لما ثبت في الصحيحين من غير وجه(١٤٦١) [عن أم حبيبة ، وزينب بنت جحش ، أمي المؤمنين][١] ؛ أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشرًا** » . وفي الصحيحين أيضًا عن أم سلمة (١٤٦٢) ؛ أن امرأة قالت : يا رسول الله ؛ إن ابنتي توفي عنها زوجها وقد اشتكت عينها ، أفنكحلها ؟ فقال : « **لا** » ، كل ذلك يقول : « **لا** » ، مرتين أو ثلاثا - ثم قال : « **إنما هي أربعة أشهر وعشر ، وقد كانت إحداكن في الجاهلية تمكث سنة** » ، قالت زينب بنت أم سلمة : كانت المرأة إذا توفي عنها زوجها دخلت حِفْشًا(*) ، ولبست شر[٢] ثيابها ، ولم تمس طيبًا ولا شيئًا حتى تمر بها سنة ، ثم تخرج فتُعطى بعرة فترمي بها ، ثم تؤتى بدابة حمار أو شاة أو طير فتفتض به ، فقلما تفتض بشيء إلا مات .

ومن هاهنا ذهب كثيرون[٣] من العلماء إلى أن هذه الآية ناسخة للآية التي بعدها ، وهي قوله : ﴿ **والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا وصية لأزواجهم متاعًا إلى الحول غير إخراج** ﴾ الآية ، كما قاله ابن عباس وغيره ، وفي هذا نظر كما سيأتي تقريره .

والغرض أن الإِحداد هو عبارة عن ترك الزينة من الطيب ، ولبس ما يدعوها إلى الأزواج ، من

(١٤٦١) - صحيح البخاري ، كتاب الطلاق ، حديث (٥٣٣٧) ، وصحيح مسلم ، كتاب الطلاق حديث (١٤٨٦) من حديث زينب بنت جحش رضي الله عنها ، وصحيح البخاري ، كتاب الطلاق برقم (٥٣٣٤) ، وصحيح مسلم برقم (١٤٨٦) من حديث أم حبيبة رضي الله عنها .

(١٤٦٢) - صحيح البخاري ، كتاب الطلاق رقم (٥٣٣٦) ، وصحيح مسلم ، كتاب الطلاق رقم (١٤٨٨).

(*) - أي بيتًا صغيراً حقيرًا قريب السقف .

---

[١] - ما بين المعكوفتين زيادة من : خ .

[٢] - مكانها في ز ، خ : بياض .

[٣] - في خ : « كثير » .

ثياب وحلي وغير ذلك ، وهو واجب في عدة[١] الوفاة ، قولًا واحدًا ، ولا يجب[٢] فى عدة الرجعية قولًا واحدًا ، وهل يجب في عدة البائن ؟ فيه قولان :

ويجب الإحداد علىٰ جميع الزوجات المتوفىٰ عنهن أزواجهن ، سواء في ذلك الصغيرة والآيسة ، والحرة ، والأمَة ، والمسلمة ، والكافرة ؛ لعموم الآية[٣] .

وقال الثوري وأبو حنيفة وأصحابه : لا إحداد[٤] علىٰ الكافرة . وبه يقول أشهب ، وابن[٥] نافع من أصحاب مالك ، وحجة قائل هذه المقالة قوله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد علىٰ ميت فوق ثلاث إلا علىٰ زوج أربعة أشهر وعشرًا** » . قالوا : فجعله تعبدًا ، وألحق أبو حنيفة وأصحابه و[٦] الثوري الصغيرة بها لعدم التكليف ، وألحق أبو حنيفة وأصحابه الأَمَةَ المسلمة لنقصها ، ومحل تقرير ذلك كله في كتب الأحكام والفروع ، والله الموفق للصواب .

[وقوله : ﴿ **فإذا بلغن أجلهن** ﴾ أي : انقضت عدتهن ، قاله الضحاك والربيع بن أنس ﴿ **فلا جناح عليكم** ﴾ قال الزهري : أي علىٰ أوليائها ﴿ **فيما فعلن** ﴾ يعني : النساء التي انقضت عدتهن ، قال العوفى ، عن ابن عباس : إذا طلقت المرأة أو مات عنها زوجها فإذا انقضت عدتها فلا جناح عليها أن تتزين وتتصنع وتتعرض للتزويج ، فذلك المعروف .

وروي عن مقاتل بن حيان نحوه ، وقال ابن جريج ، عن مجاهد ﴿ **فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف** ﴾ قال : هو النكاح الحلال الطيب . وروي عن الحسن والزهري والسدى نحو ذلك][٧] .

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًاۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **ولا جناح عليكم** ﴾ أن تعرضوا بخطبة النساء في عدتهن من وفاة أزواجهن

---

[١] - في ز : « هذه » .

[٢] - في ز : « تجب » .

[٣] - مكانها في ز : بياض .

[٤] - في ت : « حداد » .

[٥] - مكانها في ز : بياض .

[٦] - سقط من : ز .

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

من غير تصريح .

قال الثوري وشعبة وجرير وغيرهم ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء ﴾ قال : التعريض أن يقول[١] : إني أريد التزويج ، وإني أحب امرأة ؛ من أمرها ، ومن[٢] أمرها ؛ يعرض لها بالقول بالمعروف .

[وفي رواية : وددت إن الله رزقني امرأة ونحو هذا ، ولا][٣] ينصب[٤] للخطبة[٥].

وفي رواية : إني لا أريد أن أتزوج غيرك إن شاء الله ، ولوددت أني وجدت امرأة صالحة ، ولا ينصب[٦] لها ما دامت في عدتها .

ورواه البخاري تعليقًا (١٤٦٣) فقال : وقال لي طلق بن غنام ، عن زائدة ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ﴿ ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء ﴾ هو أن يقول : إني أريد التزويج ، وإن النساء لَمِنْ حاجتي ، ولوددت أن[٧] يُيَسَّرَ لي امرأة صالحة .

وهكذا قال مجاهد وطاوس ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وإبراهيم النخعي ، والشعبي والحسن ، وقتادة ، والزهري ، ويزيد بن قسيط ، ومقاتل بن حيان ، والقاسم بن محمد ، وغير واحد من السلف والأئمة في التعريض : إنه يجوز للمتوفىٰ عنها زوجها من غير تصريح لها[٨] بالخطبة ، وهكذا حُكْمُ المطلقة المبتوتة يجوز التعريض لها ، كما قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم لفاطمة بنت قيس - حين طلقها زوجها أبو عمرو بن حفص آخر ثلاث تطليقات ، فأمرها أن تعتد في بيت ابن أم مكتوم ، وقال لها - : « فإذا حللت فآذنيني » ، فلما حلت خطب عليها أسامة بن زيد مولاه فزوجها إياه(١٤٦٤) . فأمّا المطلقة الرجعية فلا خلاف في أنه لا يجوز لغير زوجها التصريح بخطبتها ولا[٩] التعريض لها ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ أو أكننتم في أنفسكم ﴾ أي : أضمرتم في أنفسكم من[١٠] خطبتهن ، وهذا كقوله[١١] تعالىٰ : ﴿ وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ﴾ ، وكقوله : ﴿ وأنا أعلم بما[١٢] أخفيتم وما أعلنتم ﴾ ؛ ولهذا قال : ﴿ علم الله أنكم ستذكرونهن ﴾ أي :

(١٤٦٣) - صحيح البخاري ، كتاب النكاح رقم (٥١٢٤) .
(١٤٦٤) - رواه مسلم في كتاب الطلاق حديث (١٤٨٠) .

[١] - في ز : « تقول » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - سقط من : خ . ونصب الشي : أظهره .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في ز ، خ : « ينصب » .
[٧] - في ز : « أنه » .
[٨] - سقط من : ز .
[٩] - سقط من خ .
[١٠] - سقط من : ز .
[١١] - في خ : « قوله » .
[١٢] - في ز : « ما » .

في أنفسكم ، فرفع الحرج عنكم في ذلك ، ثم قال : ﴿ **ولكن لا تواعدوهن سرًا** ﴾ قال أبو مجلز وأبو الشعثاء - جابر بن زيد - والحسن البصري ، وإبراهيم النخعي ، وقتادة والضحاك ، والربيع ابن أنس ، وسليمان التيمي ، ومقاتل بن حيان والسدي : يعني الزنىٰ ، وهو معنىٰ رواية العوفي عن ابن عباس ، واختاره ابن جرير[١] .

وقال[٢] علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (١٤٦٥) : ﴿ **ولكن لا تواعدوهن سرًا** ﴾ : لا تقل[٣] لها : إني عاشق ، وعاهديني أن لا تتزوجي غيري ، ونحو هذا .

وهكذا رُوي عن سعيد بن جبير والشعبي ، وعكرمة وأبي الضحىٰ ، والضحاك والزهري ، ومجاهد والثوري : هو أن يأخذ ميثاقها أن لا تتزوج غيره ، وعن مجاهد : هو قول الرجل للمرأة : لا تفوتيني بنفسك فإني ناكحك .

وقال قتادة : هو أن يأخذ عهد المرأة وهي في عدتها أن لا تنكح غيره ، فنهىٰ اللَّه عن ذلك ، وقدم فيه وأحل الخطبة والقول بالمعروف .

وقال ابن زيد : ﴿ **ولكن لا تواعدوهن سرًا** ﴾ هو : أن يتزوجها في العدة سرًا[٤] ، فإذا حلت أظهر ذلك .

وقد يحتمل أن تكون الآية عامة في جميع ذلك ؛ ولهذا قال ﴿ **إلا أن تقولوا قولًا معروفًا** ﴾ قال ابن عباس ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، والسدي والثوري ، وابن زيد : يعني به ما تقدم من إباحة التعريض ، كقوله : إني فيك لراغب ونحو ذلك .

وقال محمد بن سيرين : قلت لعبيدة : ما معنىٰ قوله : ﴿ **إلا أن تقولوا قولًا معروفًا** ﴾ قال : يقول لوليها : لا تسبقني بها ، يعني : لا تُزَوِّجْها حتىٰ تُعْلِمَني . رواه ابن أبي حاتم .

وقوله : ﴿ **ولا تعزموا عقدة النكاح حتىٰ يبلغ الكتاب أجله** ﴾ يعني : ولا تعقدوا العقد بالنكاح حتي تنقضي العدة .

قال ابن عباس ومجاهد ، والشعبي وقتادة ، والربيع بن أنس ، وأبو مالك ، وزيد بن أسلم ، ومقاتل بن حيان ، والزهري وعطاء الخراساني ، والسدي والثوري والضحاك : ﴿ **حتىٰ يبلغ الكتاب أجله** ﴾ يعني : [ولا تعقدوا العقد بالنكاح][٥] حتىٰ تنقضي العدة .

(١٤٦٥) - تفسير الطبري (٥/١٠٧) (٥١٥٤)

[١] - في ز : « خزيمة » .
[٢] - في ت : « قاله » .
[٣] - في ز : « يقل » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وقد أجمع العلماء علىٰ أنه لا يصح العقد في مدة العدة ، واختلفوا فيمن تزوج أمرأة في عدتها فدخل بها ، فإنه يفرق بينهما ، وهل تحرم[١] عليه أبدًا ؟ علىٰ قولين : الجمهور [علىٰ][٢] أنها لا تحرم عليه ؛ بل له أن يخطبها إذا انقضت عدتها ، وذهب الإمام مالك إلىٰ أنها تحرم عليه علىٰ التأبيد ، واحتج في ذلك بما رواه عن ابن شهاب وسليمان بن يسار(١٤٦٦) : أن عمر رضي الله عنه قال : أيما امرأة نكحت في عدتها ؛ فإن كان[٣] زوجها الذي [تزوج بها][٤] لم يدخل بها فرق[٥] بينهما ، [ثم اعتدت بقية عدتها من زوجها الأول ، ثم كان الآخر خاطبًا من الخطاب ، وإن كان دخل بها فرق بينهما ، ثم اعتدّت بقية عدتها من زوجها الأول][٦] ، ثم اعتدّت من الآخر ثم لم ينكحها أبدًا .

وقالوا[٧] : ومأخذ هذا أن الزوج لما استعجل ما أَجَّلَ اللَّه عُوقب بنقيض قصده فحرمت عليه علىٰ التأبيد ، كالقاتل يحرم الميراث ، وقد روىٰ الشافعي هذا الأثر عن مالك . قال البيهقي : وذهب إليه في القديم ، ورجع عنه في الجديد ؛ لقول علي : إنها تحل له .

(قلت) : [ ][٨] : ثم هو منقطع عن عمر . وقد روىٰ الثوري ، عن أشعث ، عن الشعبي ، عن مسروق ؛ أن عمر رجع عن ذلك ، وجعل لها مهرها ، وجعلهما يجتمعان .

وقوله : ﴿ واعلموا أن اللَّه يعلم ما في أنفسكم فاحذروه ﴾ توعدهم علىٰ ما يقع في ضمائرهم من أمور النساء ، وأرشدهم إلىٰ إضمار الخير دون الشر ، ثم لم يؤيسهم[٩] من رحمته ، ولم يقنطهم من عائدته ، فقال : ﴿ واعلموا أن اللَّه غفور حليم ﴾ .

لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾

أباح تبارك وتعالىٰ طلاق المرأة بعد العقد عليها وقبل الدخول بها . قال ابن عباس وطاوس ، وإبراهيم والحسن البصري : المس : النكاح ؛ بل ويجوز أن يطلقها قبل الدخول بها والفرض لها إن كانت مفوضة ، وإن كان في هذا إنكسار لقلبها ؛ ولهذا أمر تعالىٰ بإمتاعها ، وهو تعويضها عما

(١٤٦٦) - الموطأ ، كتاب النكاح ، باب : جامع ما لا يجوز من النكاح (٢/٥٣٥) (١١٣٧).

[١] - في خ : « يحرم » .
[٢] - سقط من خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز ، خ : « تزوجها » . وفي الموطأ : زوجها
[٥] - في ز : « وفرق » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٧] - في ز ، خ : « قالوا » .
[٨] - في ت : قال .
[٩] - في خ : « يوسيهم » .

فاتها بشيء تعطاه من زوجها بحسب حاله علىٰ الموسع قدره وعلىٰ المقتر قدره .

وقال سفيان الثوري ، عن إسماعيل بن أمية ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (١٤٦٧) ؛ قال : متعة الطلاق أعلاه الخادم ، ودون ذلك الورق ، ودون ذلك الكسوة .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس (١٤٦٨) : إن كان موسرًا متعها بخادم أو شبه[١] ذلك ، وإن كان معسرًا متَّعها[٢] بثلاثة أثواب .

[وقال الشعبي : أوسط ذلك درع وخمار وملحفة وجلباب ،][٣] قال : وكان شريح يمتع بخمسمائة (١٤٦٩) .

وقال عبد الرزاق(١٤٧٠) : أخبرنا معمر ، [عن أيوب ، عن ابن سيرين][٤] ؛ قال : كان يمتع بالخادم ، أو بالنفقة ، أو بالكسوة . قال : ومتع الحسن بن علي بعشرة آلاف ، ويُروىٰ أن المرأة قالت : متاعٌ قليلٌ من حبيبٍ مفارقٍ .

وذهب أبو حنيفة - رحمه الله - إلىٰ أنه متىٰ تنازع الزوجان في مقدار المتعة وجب لها عليه نصف مهر مثلها . وقال الشافعي في الجديد : لا يجبر الزوج علىٰ قدر معلوم إلا علىٰ[٥] أقل ما يقع عليه اسم المتعة ، وَأَحَبُّ ذلك إلي أن يكون أقله ما تجزئ فيه الصلاة ، وقال في القديم : لا أعرف في المتعة قدرًا[٦] إلا أني أستحسن ثلاثين درهمًا ، كما روي عن ابن عمر - رضي الله عنهما[٧] .

وقد اختلف العلماء أيضًا : هل تجب المتعة لكل مطلقة ، أو إنما تجب المتعة[٨] لغير المدخول بها التي لم يفرض لها ؟ علىٰ أقوال :

أحدها : أنها تجب المتعة لكل مطلقة ؛ لعموم قوله تعالىٰ : ﴿ **وللمطلقت متاع بالمعروف حقًا**

(١٤٦٧) - ورواه الطبري في تفسيره (١٢٣/٥) (٥٢٠٢) من طريق عبد الرزاق به .
(١٤٦٨) - تفسير الطبري (١٢١/٥) (٥١٩٣) .
(١٤٦٩) - تفسير الطبري (١٢١/٥) (٥١٩٦) .
(١٤٧٠) - تفسير الطبري (١٢١/٥) (٥١٩٧) .

[١] - في ت : « نحو » .
[٢] - في ز : « أمتعها » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ت ، ز : « عن أيوب بن سيرين » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « وقتًا » .
[٧] - في ز ، خ : « عنه » .
[٨] - سقط من : ز ، خ .

علىٰ المتقين ﴾ ولقوله تعالىٰ : ﴿ **يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحًا جميلًا** ﴾ [وقد كن مفروضًا لهن ومدخولًا بهن][١] ، وهذا قول سعيد بن جبير ، وأبي العالية ، والحسن البصري ، وهو أحد قولي الشافعي ، ومنهم من جعله الجديد الصحيح ، واللَّه سبحانه وتعالىٰ أعلم .

(**القول الثاني**) : أنها تجب للمطلقة إذا طلقت قبل المسيس ، وإن كانت مفروضًا لها ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحًا جميلًا** ﴾ قال شعبة وغيره ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ؛ قال : نسخت هذه الآيةُ التي في الأحزاب الآية التي في البقرة .

وقد روىٰ البخاري في صحيحه(١٤٧١) ، عن سهل بن سعد وأبي أسيد أنهما قالا : تزوج رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أميمة بنت شراحيل[٢] ، فلما أُدْخِلَتْ عليه بسط يده إليها ، فكأنها كرهت ذلك ، فأمر أبا أسيد أن يجهزها ويكسوها ثوبين رازقيين(*) .

(**والقول الثالث**) : أن المتعة إنما تجب للمطلقة إذا لم يدخل بها ولم يفرض لها ، فإن كان قد دخل بها وجب لها مهر مثلها إذا كانت مفوضة ، وإن كان قد فرض لها وطلقها قبل الدخول وجب لها[٣] عليه شطره ، فإن دخل بها استقر الجميع وكان ذلك عوضًا لها عن المتعة ، وإنما المصابة التي لم يفرض لها ولم يدخل بها ، فهذه التي دلت هذه الآية الكريمة علىٰ وجوب متعتها ، وهذا قول ابن عمر ومجاهد ، ومن العلماء من استحبها لكل مطلقة ممن عدا المفوضة المفارقة قبل الدخول ، وهذا ليس بمنكور ، وعليه تحمل آية التخيير في الأحزاب ؛ ولهذا قال اللَّه تعالىٰ: ﴿ **وللمطلقات متاع بالمعروف حقًّا على المتقين**[٤] ﴾ ومن العلماء من يقول : إنها مستحبة مطلقًا .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا كثير بن شهاب القزويني ، حدثنا محمد بن سعيد بن سابق ، حدثنا عمرو - يعني : ابن أبي قيس - عن أبي إسحاق ، عن الشعبي قال : ذكروا له المتعة : أيحبس[٥] فيها ؟ فقرأ : ﴿ **علىٰ الموسع قدره وعلى المقتر قدره** ﴾ قال الشعبي : واللَّه ما رأيت أحدًا حبس فيها ، واللَّه لو كانت واجبة لحبس فيها القضاة .

(١٤٧١) - صحيح البخاري ، كتاب الطلاق حديث (٥٢٥٧) .

(*) - الرازقية : ثياب كتان بيض .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - في ت : « شرحبيل » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ز ، خ : « المحسنين » .

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾

وهذه الآية الكريمة[١] مما يدل على اختصاص المتعة بما دلت عليه الآية الأولى ، حيث إنما أوجب في هذه الآية نصف المهر المفروض ، إذا[٢] طلق الزوج قبل الدخول ، فإنه لو كان ثَمَّ واجب آخر من متعة لَبَيَّنَهَا ، لا سيما وقد قرنها بما قبلها من اختصاص المتعة بتلك الآية[٣] ، والله أعلم .

وتشطير الصداق[٤] - والحالة هذه - أمر مجمع عليه بين العلماء ، لاخلاف بينهم في ذلك ، فإنه متى كان قد سمى لها صداقًا ، ثم فارقها قبل دخوله بها ، فإنه يجب لها نصف ما سمى من الصداق ، إلا أن عند الثلاثة : أنه يجب جميع الصداق إذا خلا بها الزوج ، وإن لم يدخل بها ، وهو مذهب الشافعي في القديم ، وبه حكم الخلفاء الراشدون . لكن قال الشافعي : أخبرنا مسلم بن خالد ، أخبرنا ابن جريج[٥] ، عن ليث بن أبي سليم ، عن طاوس ، عن ابن عباس ؛ أنه قال في الرجل يتزوج المرأة فيخلو بها ولا يمسها ثم يطلقها : ليس [لها][٦] إلا نصف الصداق ؛ لأن[٧] الله يقول : **﴿ وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم ﴾** قال الشافعي : هذا أقوى ، وهو ظاهر الكتاب .

قال البيهقي : وليث بن أبي سليم وإن كان غير محتج به فقد رويناه[٨] من حديث ابن أبي طلحة عن ابن عباس ؛ فهو يقوله .

وقوله : **﴿ إلا أن يعفون ﴾** أي : النساء عما وجب لها على زوجها من النصف ، فلا يجب لها عليه شيء .

قال السدي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس في قوله : **﴿ إلا أن يعفون ﴾** قال : إلا أن تعفو الثيب فتدع حقها .

---

[١] - في خ : « الحبس » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ز ، خ : « الحالة » .
[٤] - في ز : « الطلاق » .
[٥] - في ز ، خ : « جرير » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .
[٧] - في ز ، خ : « ولأن » .
[٨] - في ز : « روينا » .

قال الإِمام أبو محمد بن أبي حاتم - رحمه اللّه - : وروي عن شريح ، وسعيد بن المسيب ، وعكرمة ومجاهد ، والشعبي والحسن ، ونافع وقتادة ، وجابر بن زيد ، وعطاء الخراساني ، والضحاك والزهري ، ومقاتل بن حيان ، وابن سيرين ، والربيع بن أنس والسدي نحو ذلك ، قال : وخالفهم محمد بن كعب القرظي ، فقال : ﴿ **إلا أن يعفون** ﴾ يعني : الرجال ، وهو قول شاذ ، لم يتابع عليه . انتهىٰ كلامه .

وقوله : ﴿ **أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح** ﴾ قال ابن أبي حاتم : ذُكر عن ابن لهيعة ، حدثني عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم قال[1] : « **ولي عقدة النكاح الزوج** » .

وهكذا أسنده ابن مردويه من حديث عبد اللّه بن لهيعة ، به(١٤٧٢) .

[وقد أسنده ابن جرير(١٤٧٣) ، عن ابن لهيعة ، عن عمرو بن شعيب][2] ؛ أن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم - فذكره ، ولم يقل : عن أبيه عن جده ، فاللّه أعلم .

ثم قال ابن أبي حاتم رحمه اللّه(١٤٧٤) : وحدثنا يونس بن حبيب ، حدثنا أبو داود ، حدثنا جرير[3] - يعني : ابن أبي[4] حازم - عن عيسىٰ - يعني : ابن عاصم - قال : سمعت شريحًا يقول : سألني علي بن أبي طالب عن الذي بيده عقدة النكاح . فقلت له : هو ولي المرأة . فقال علي : لا ؛ بل هو الزوج .

ثم قال : وفي إحدىٰ الروايات عن ابن عباس ، وجبير بن مطعم ، وسعيد بن المسيب ، وشريح في أحد قوليه ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد والشعبي ، وعكرمة ونافع ، ومحمد بن سيرين ، والضحاك ومحمد بن كعب القرظي ، وجابر بن زيد ، وأبي مجلز ، والربيع بن أنس ، وإياس بن معاوية ، ومكحول ومقاتل بن حيان أنه الزوج .

(**قلت**) : وهذا هو الجديد من قول الشافعي ، ومذهب أبي حنيفة وأصحابه والثوري وابن شبرمة والأوزاعي ، واختاره ابن جرير ، ومأخذ هذا القول أن الذي بيده عقدة النكاح حقيقةً

(١٤٧٢) - ورواه الدارقطني في السنن (٢٧٩/٣) من طريق قتيبة عن ابن لهيعة به ، وذكر البيهقي في السنن الكبرى (٢٥١/٨) وقال : « هذا غير محفوظ ، وابن لهيعة غير محتج به ، والله أعلم » .

(١٤٧٣) - تفسير الطبري (١٥٧/٥) (٥٣٥٥).

(١٤٧٤) - ورواه ابن جرير (١٥١/٥)(٥٣١٦ ، ٥٣١٩) .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٣] - في ت : « جابر » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

الزوجُ ، فإن بيده عقدها وإبرامها ونقضها وانهدامها ، وكما أنه لا يجوز للولي أن يهب شيئًا من مال المولية للغير فكذلك في الصداق .

قال : والوجه الثاني : حدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي مريم ، حدثنا محمد بن مسلم ، حدثنا عمرو بن دينار ، عن ابن عباس رضي اللّٰه عنهما في الذي ذكر اللّٰه بيده عقدة النكاح - قال : ذلك أبوها ، أو أخوها ، أو من لاتُنكح إلا بإذنه .

وروي عن علقمة والحسن ، وعطاء وطاوس ، والزهري وربيعة ، وزيد بن أسلم ، وإبراهيم النخعي ، وعكرمة في أحد قوليه ، ومحمد بن سيرين في أحد قوليه : أنه الولي ، وهذا مذهب مالك ، وقول الشافعي القديم ، ومأخذه أن الولي هو الذي أكسبها إياه ، فله التصرف فيه بخلاف سائر مالها .

وقال ابن جرير(١٤٧٥) : حدّثنا سعيد بن الربيع الرازي ، حدّثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة قال : أذن اللّٰه في العفو وأمر به ، فأيُّ امرأةٍ عَفَتْ جاز عفوها ، فإن شَحَّتْ وضنَّت عفا وليها ، وجاز عفوه .

وهذا يقتضي صحة عفو الولي وإن كانت رشيدة ، وهو مروي عن شريح ، لكن أنكر عليه الشعبي ، فرجع عن ذلك ، وصار إلىٰ أنه الزوج ، وكان يباهل عليه .

وقوله : ﴿ **وأن تعفوا أقرب للتقوىٰ** ﴾ قال ابن جرير : قال بعضهم : خوطب به الرجال والنساء .

حدثني يونس(١٤٧٦) ، أخبرنا ابن وهب ، سمعت ابن جريج يحدّث ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ﴿ **وأن تعفوا أقرب للتقوىٰ** ﴾ قال : أقربهما للتقوىٰ الذي يعفو .

وكذا روي عن الشعبي وغيره ، وقال مجاهد والنخعي ، والضحاك ومقاتل بن حيان ، والربيع ابن أنس والثوري : الفضل هاهنا أن تعفو المرأة عن شَطْرِها ، أو إتمام الرجل الصداق لها ؛ ولهذا قال : ﴿ **ولا تنسوا الفضل بينكم** ﴾ أي : الإحسان ، قاله سعيد . وقال الضحاك وقتادة والسدي وأبو وائل : المعروف : يعني : لا تهملوه [بل استعملوه][١] بينكم .

وقد قال أبو بكر بن مردويه (١٤٧٧) : حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، حدثنا موسىٰ بن إسحاق ، حدثنا عقبة[٢] بن مكرم ، حدثنا يونس بن بكير ، حدثنا عبيد اللّٰه بن الوليد الرصافي ،

(١٤٧٥) - تفسير الطبري (٥/١٥٠) (٥٣١٢) .

(١٤٧٦) - تفسير الطبري (٥/١٦٢) (٥٣٦١) .

---

[١] - زيادة من ز ..

[٢] - في خ : « عتبة » .

عن عبد الله بن عبيد ، عن علي بن أبي طالب : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال :« **ليأتين علىٰ الناس زمان عضوض ، يعض المؤمن[١] علىٰ ما في يده وينسىٰ الفضل ، وقد قال الله تعالىٰ : ﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم ﴾ ، شرار يبايعون كل مضطر** » وقد نهىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن بيع المضطر ، وعن بيع الغَرر ، فإن كان عندك خير فعد به علىٰ أخيك ، ولا تزده هلاكًا إلىٰ هلاكه ؛ فإن المسلم أخو المسلم لا يحزنه ولا يحرمه .

وقال سفيان عن أبي هارون ؛ قال : رأيت عون بن عبد الله في مجلس القرظي ، فكان عون يحدثنا - ولحيته ترش من البكاء - ويقول : صحبت الأغنياء فكنت من أكثرهم همًّا حين رأيتهم أحسن[٢] ثيابًا ، وأطيب ريحًا ، وأحسن مركبًا[٣] ، وجالست الفقراء فاسترحت بهم ، وقال : ﴿ **ولا[٤] تنسوا الفضل بينكم** ﴾ إذا أتاه السائل وليس عنده شيء فَلْيَدْعُ له . رواه ابن أبي حاتم .

﴿ **إن الله بما تعملون بصير** ﴾ [أي : لا يخفىٰ عليه شيء من أموركم وأحوالكم ، وسيجزي كل عامل بعمله][٥] .

حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾

يأمر الله[٦] تعالىٰ بالمحافظة علىٰ الصلوات في أوقاتها ، وحفظ حدودها وأدائها في أوقاتها ، كما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود(١٤٧٨) قال : سألت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : أي العمل أفضل ؟ قال : « **الصلاة على وقتها** » . قلت : ثم أي ؟ قال : « **الجهاد في سبيل الله** » . قلت : ثم أي ؟ قال : « **بر الوالدين** » . قال : حدثني بهنّ رسول الله صلىٰ الله عليه

(١٤٧٧) - وقد جاء من وجه آخر ، رواه أحمد في المسند (١١٦/١) ، وأبو داود في البيوع حديث (٣٣٨٢) من طريق أبي عامر المزني ، عن شيخ من بني تميم ، عن علي موقوفًا عليه بنحوه . وقال المنذري : فيه رجل مجهول .

(١٤٧٨) - صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب : فضل الصلاة لوقتها حديث (٥٢٧ ، ٥٩٧٠) ، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان (٨٥) .

[١] - في ز : « المؤمنين » .
[٢] - في خ : « أكثر » .
[٣] - في ز ، خ : « بركًا مني » .
[٤] - في خ : « لا » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٦] - سقط من : ز .

وسلم ، ولو استزدته لزادني .

وقال الإمام أحمد(١٤٧٩) : حدثنا يونس ، حدثنا ليث ، عن عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم ، عن القاسم بن غنام ، عن جدّته أم أبيه الدنيا[١] ، عن جدّته أمّ فروة - وكانت[٢] ممن بايع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم - [أنها سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم][٣] وذَكَرَ الأعمال فقال : « **إن أحب الأعمال إلىٰ الله تعجيل الصلاة لأوّل وقتها** » .

وهكذا رواه أبو داود والترمذي وقال : لانعرفه إلا من طريق العمري ، وليس بالقوي عند أهل الحديث .

وخص تعالىٰ من بينها بمزيد التأكيد الصلاةَ الوسطىٰ ، وقد اختلف السلف والخلف فيها : أي صلاة هي ؟ فقيل : إنها الصبح . حكاه مالك في الموطأ بلاغًا عن علي وابن عباس ، وقال هشيم وابن علية وغندر وابن أبي عدي وعبد الوهاب وشريك وغيرهم ، عن[٤] عوف الأعرابي ، عن أبي رجاء العطاردي قال : صليت خلف ابن عباس الفجر فقنت فيها ورفع يديه ، ثم قال : هذه الصلاة الوسطى التي أمرنا أن نقوم فيها قانتين . رواه ابن جرير(١٤٨٠) .

ورواه أيضًا(١٤٨١) من حديث عوف ، عن خلاس بن عمرو ، عن ابن عباس مثله سواء .

وقال ابن جرير(١٤٨٢) : حدثنا ابن بشار ، حدثنا عبد الوهاب ، حدثنا عوف ، عن أبي المنهال ، عن أبي العالية ، عن ابن عباس ؛ أنه صلىٰ الغداة في مسجد البصرة ، فقنت قبل الركوع وقال : هذه الصلاة الوسطىٰ التي ذكرها الله في كتابه ، فقال : ﴿ **حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين** ﴾ .

وقال أيضا(١٤٨٣) : حدثنا محمد بن عيسىٰ الدامغاني ، أخبرنا ابن المبارك ، أخبرنا الربيع بن أنس ، عن أبي العالية قال : صليت خلف عبد الله بن قيس بالبصرة[٥] صلاة الغداة ، فقلت لرجل من أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ جانبي : ما الصلاة الوسطىٰ ؟ قال : هذه الصلاة .

(١٤٧٩) - المسند (٦/٢٧٤) ، وسنن أبي داود برقم (٤٢٦) ، وسنن الترمذي برقم (١٧٠) .

(١٤٨٠) - تفسير الطبري (٥/٢١٥ ، ٢١٦) (٥٤٨٤ ، ٥٤٨٥ ، ٥٤٨٦).

(١٤٨١) - تفسير الطبري (٥/٢١٨) (٥٤٨١) .

(١٤٨٢) - تفسير الطبري (٥/٢١٦ ، ٢١٧) (٥٤٧٨) .

(١٤٨٣) - تفسير الطبري (٥/٢١٧) (٥٤٨٠) .

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - في خ : « كانت » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٤] - في خ : « من » .

[٥] - في ز : « بالمعرة » ، خ : « بالمعدة » .

وروى(١٤٨٤) من طريق أخرى[١] ، عن الربيع ، عن أبي العالية أنه صلىٰ مع أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم صلاة الغداة ، فلما أن فرغوا قال[٢] قلت لهم : أيتهنّ الصلاة الوسطىٰ ؟ قالوا : التي صليتَها قبل .

وقال أيضًا(١٤٨٥) : حدثنا ابن بشار ، حدثنا ابن عثمة ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن جابر بن عبد الله قال : الصلاة الوسطىٰ صلاة الصبح .

وحكاه ابن أبي حاتم ، عن ابن عمر ، وأبي أمامة ، وأنس ، وأبي العالية ، وعبيد بن عمير ، وعطاء ومجاهد ، وجابر بن زيد ، وعكرمة ، والربيع بن أنس ،[.....][٣] ورواه ابن جرير(١٤٨٦) عن عبد الله بن شداد بن الهاد أيضًا ، وهو الذي نص عليه الشافعي - رحمه الله - محتجًا بقوله [تعالىٰ] : ﴿ وقوموا لله قانتين ﴾ والقنوت عنده في صلاة الصبح .

ومنهم من قال : هي وسطىٰ باعتبار أنها لا تقصر ، وهي[٤] بين صلاتين رباعيتين مقصورتين وترد[٥] المغرب . وقيل : لأنها بين صلاتي ليل[٦] جهريتين وصلاتي نهار سريتين .

وقيل : إنها صلاة الظهر قال أبو داود الطيالسي في مسنده(١٤٨٧) : حدّثنا ابن أبي ذئب ، عن الزبرقان - يعني : ابن عمرو - عن زهرة - يعني : ابن معبد - قال : كنا جلوسًا عند زيد بن ثابت ، فأرسلوا إلىٰ أسامة فسألوه عن الصلاة الوسطىٰ ، فقال : هي الظهر ، كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يصليها بالهجير .

وقال أحمد(١٤٨٨) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، حدثني عمرو بن أبي حكيم ، سمعت الزبرقان يحدث ، عن عروة بن الزبير ، عن زيد بن ثابت قال : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يصلي الظهر بالهاجرة ، ولم يكن يصلي صلاةً أشد علىٰ أصحاب رسول الله صلىٰ الله

(١٤٨٤) - تفسير الطبري (٥/٢١٨) (٥٤٨٢) .

(١٤٨٥) - تفسير الطبري (٥/٢١٨ ، ٢١٩) (٥٤٨٣) .

(١٤٨٦) - تفسير ابن جرير (٥٤٨٨) .

(١٤٨٧) - مسند الطيالسي (٦٢٨) .

(١٤٨٨) - المسند (٥/١٨٣) (٢١٦٧٨) والحديث أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب : في وقت صلاة العصر (١ / ١١١ / رقم : ٤١١) . والنسائي في الكبرى في كتاب الصلاة الأول ، باب : تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ﴾ (١ / ١٥٢ / رقم : ٣٥٧) . كلاهما من طريق محمد بن المثنى به .

[١] - في ز ، خ : مكانها بياض .
[٢] - زيادة من : خ .
[٣] - في خ : مكانها بياض .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في خ : « وتروى » .
[٦] - في ز ، خ : « ليلتين » .

عليه وسلم منها فنزلت : ﴿ **حافظوا علىٰ الصلوات والصلاة الوسطىٰ وقوموا للَّه قانتين** ﴾ وقال : إن قبلها صلاتين وبعدها صلاتين .

ورواه أبو داود في سننه من حديث شعبة به .

وقال أحمد أيضًا(١٤٨٩) : حدثنا يزيد ، حدثنا ابن أبى ذئب[١] عن الزبرقان : أن رهطًا من قريش مر بهم زيد بن ثابت وهم مجتمعون ، فأرسلوا إليه غلامين لهم يسألانه عن الصلاة الوسطىٰ ، فقال : هي [ ][٢] العصر ، فقام إليه رجلان منهم فسألاه فقال : هي الظهر . ثم انصرفا إلىٰ أسامة بن زيد فسألاه ، فقال : هي الظهر ، إن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم كان يصلي الظهر بالهجير فلا يكون وراءه إلا الصف والصفان ، والناس في قائلتهم وفي تجارتهم ؛ فأنزل اللَّه ﴿ **حافظوا علىٰ الصلوات والصلاة الوسطىٰ وقوموا للَّه قانتين** ﴾ قال : فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم :« **لَينتهينَّ رجال أو لأحرِّقن بيوتهم** » .

و[٣] الزبرقان : هو ابن عمرو بن أمية الضمري ، لم يدرك أحدًا من الصحابة ، والصحيح ما تقدم من روايته عن زهرة بن معبد وعروة بن الزبير .

وقال شعبة وهمام : عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، عن ابن عمر ، عن زيد بن ثابت قال : الصلاة الوسطىٰ صلاة الظهر .

وقال أبو داود الطيالسي وغيره : عن شعبة ، أخبرني عمر بن سليمان من ولد عمر بن الخطاب قال : سمعت عبد الرحمن بن أبان بن عثمان يحدث ، عن أبيه ، عن زيد بن ثابت قال : « **الصلاة الوسطىٰ هي الظهر** » .

ورواه ابن جرير عن زكريا بن يحيىٰ بن أبي زائدة ، عن عبد الصمد ، عن شعبة ، عن عمر بن سليمان به عن زيد بن ثابت في حديث رفعه قال : « **الصلاه الوسطىٰ صلاة الظهر** » .

وممن رُوي عنه أنها الظهر : ابن عمر ، وأبو سعيد ، وعائشة علىٰ اختلاف عنهم ، وهو قول عروة بن الزبير ، وعبد اللَّه بن شداد بن الهاد ، ورواية عن أبي حنيفة رحمهم اللَّه .

(١٤٨٩) - المسند (٥/٢٠٦) (٢١٨٨٣). وأخرجه النسائي في الكبرى في كتاب الصلاة الأول ، باب : تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ **حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى** . . . ﴾ (١ / ١٥١ ، ١٥٢ / رقم : ٣٥٦) . وابن ماجة في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب : التغليظ في التخلف من الجماعة (١/٢٦٠/ رقم:٧٩٥) . كلاهما من طريق ابن أبي ذئب به .

---

[١] - في ز ، خ : « وهب » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : ز .

وقيل : إنها صلاة العصر ، قال الترمذي والبغوي - رحمهما الله - : وهو قول أكثر علماء الصحابة ، وغيرهم ، وقال القاضي الماوردي : هو قول جمهور التابعين . وقال الحافظ أبو عمر بن عبدالبر : هو قول أكثر أهل الأثر . وقال أبو محمد بن عطية [في تفسيره][1] : وهو قول جمهور الناس . وقال الحافظ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطي في كتابه المسمىٰ بـ « **كشف المغطى في تبيين الصلاة الوسطىٰ** » : وقد نص فيه أنها العصر ، وحكاه عن عمر ، وعلي ، وابن مسعود ، وأبي أيوب ، وعبد الله بن عمرو ، وسمرة بن جندب ، وأبي هريرة ، وأبي سعيد ، وحفصة ، وأمّ حبيبة ، وأمّ سلمة ، وعن ابن عمر ، وابن عباس ، وعائشة علىٰ الصحيح عنهم ، وبه قال عبيدة ، وإبراهيم النخعي ، وزر بن حبيش وسعيد بن جبير ، وابن سيرين ، والحسن وقتادة والضحاك والكلبي ومقاتل وعبيد بن أبي[2] مريم وغيرهم ، وهو مذهب أحمد بن حنبل ، قال القاضي الماوردي : والشافعي . قال ابن المنذر : وهو الصحيح عن [أبي حنيفة ، و][3] أبي يوسف ، ومحمد ، واختاره ابن حبيب المالكي - رحمهم الله - .

(ذكر الدليل علىٰ ذلك)

قال الإمام أحمد(١٤٩٠) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، [عن مسلم ، عن شتير بن شكل عن علي قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يوم الأحزاب : « **شغلونا عن الصلاة الوسطىٰ ؛ صلاة العصر ، ملأ الله قلوبهم وبيوتهم نارًا** » ، ثم صلاها بين العشاءين المغرب والعشاء .

وكذا رواه مسلم(١٤٩١) من حديث أبي معاوية محمد بن خازم الضرير ، والنسائي من طريق عيسىٰ بن يونس كلاهما ، عن الأعمش][4] ، [عن مسلم][5] بن صبيح ، [ ][6] أبي الضحىٰ ، عن شتير بن شكل بن حميد ، عن علي بن أبي طالب ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم مثله .

(١٤٩٠) - المسند (٨١/١) .

(١٤٩١) - صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة حديث (٦٢٧) ، وسنن النسائي الكبرى برقم (١١٠٤٥) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٦] - في ت : عن ..

وقد رواه مسلم أيضًا(١٤٩٢) من طريق شعبة، عن الحكم بن عتيبة[١] ، عن يحيىٰ بن الجزار ، عن علي [بن أبي طالب][٢] به .

وأخرجه الشيخان(١٤٩٣) وأبو داود والترمذي والنسائي وغير واحد من أصحاب المساند والسنن والصحاح من طرق[٣] يطول ذكرها عن عبيدة السلماني عن علي به .

ورواه الترمذي والنسائي(١٤٩٤) من طريق الحسن البصري عن علي به ، قال الترمذي : ولا يعرف سماعه منه .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن [زر قال][٤] : قلت لعبيدة : سل عليًا عن الصلاة الوسطىٰ . فسأله فقال : كنا نراها الفجر أو الصبح حتىٰ سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول يوم الأحزاب : « **شغلونا عن الصلاة[٥] الوسطىٰ ؛ صلاة العصر ، ملأ اللَّه قبورهم وأجوافهم و[٦] بيوتهم نارًا** » . ورواه ابن جرير(١٤٩٥) ، عن بندار ، عن ابن مهدي به .

وحديث يوم الأحزاب وشغلُ المشركين رسولَ اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم وأصحابَه عن أداء صلاة العصر يومئذ مروي عن جماعة من الصحابة يطول ذكرهم ، وإنما المقصود رواية من نص منهم في روايته أن الصلاة الوسطىٰ هي صلاة العصر . وقد رواه مسلم أيضًا(١٤٩٦) من حديث ابن مسعود والبراء بن عازب - رضي اللَّه عنهما - .

(حديث آخر) : قال الإمام أحمد(١٤٩٧) : حدثنا عفان ، حدثنا همام ، عن قتادة ، عن

(١٤٩٢) - صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة حديث (٦٢٧) .
(١٤٩٣) - صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير حديث (٢٩٣١) وطرفه (٤١١١) ، وصحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة حديث (٦٢٧) ، وسنن أبي داود ، كتاب الصلاة حديث (٤٠٩) ، وسنن الترمذي ، كتاب التفسير حديث (٢٩٨٤) ، وسنن النسائي (٢٣٦/١) .
(١٤٩٤) - لم أقع على هذا الطريق ولم يذكره المزي في تحفة الأشراف .
(١٤٩٥) - تفسير الطبري (١٨٤/٥) .
(١٤٩٦) - صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة حديث (٦٢٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، وحديث (٦٣٠) من حديث البراء رضي الله عنه .
(١٤٩٧) - المسند (٢٢/٥) (٢٠٣٠٤) .

[١] - في ز ، خ : « عيينة » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٣] - في خ : « طريق » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في خ : « زرقا » .
[٥] - في ز : « صلاة » .
[٦] - في ت : « أو » .

الحسن ، عن سمرة : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **صلاة[١] الوسطىٰ صلاة العصر** » .

وحدثنا بهز وعفان(١٤٩٨) قالا : حدثنا أبان ، حدثنا قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : ﴿ **حافظوا علىٰ الصلوات والصلاة الوسطىٰ** ﴾ وسماها لنا : أنها هي صلاة العصر .

وحدثنا محمد بن جعفر وروح(١٤٩٩) قالا : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة ابن جندب : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **هي العصر** » . قال ابن جعفر : سُئل عن صلاة الوسطىٰ .

ورواه الترمذي(١٥٠٠) من حديث سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة . وقال : حسن صحيح . وقد سمع منه

[حديث آخر][٢] وقال ابن جرير(١٥٠١) : حدثنا أحمد بن منيع ، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن التيمي ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم :« **الصلاة الوسطىٰ صلاة العصر** » .

(طريق أخرىٰ بل حديث آخر) : و[٣] قال ابن جرير(١٥٠٢) : حدثني المثنىٰ ، حدثنا سليمان بن أحمد الحَرَشي الواسطي ، حدثنا الوليد بن مسلم ، قال : أخبرني صدقة بن خالد ، حدثني خالد بن دهقان ، عن خالد بن سبلان ، عن كهيل بن حرملة قال : سئل أبو هريرة عن الصلاة الوسطىٰ فقال : اختلفنا فيها كما اختلفتم فيها ؛ ونحن بفناء بيت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وفينا الرجل الصالح أبو هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، فقال : أنا أعلم لكم ذلك ، فقام فاستأذن على رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فدخل عليه ، ثم خرج إلينا فقال : أخبرنا أنها صلاة العصر . غريب من هذا الوجه جدًّا .

(١٤٩٨) - المسند (٥/٨) (٢٠١٣٩).

(١٤٩٩) - المسند (٥/٧) (٢٠١٣٠) .

(١٥٠٠) - سنن الترمذي ، كتاب الصلاة ، باب : ما جاء في صلاة الوسطى أنها العصر (١/٣٤٠-٣٤٢/ رقم :١٨٢) . وقال : حديث الحسن عن سمرة حديث صحيح . وفي كتاب تقسيم القرآن ، باب : ومن سورة البقرة (٥ / ٢١٧ / رقم :٢٩٨٣) . وقال : هذا حديث حسن صحيح من طريق سعيد عن قتادة عن الحسن به .

---

[١] - في خ : « الصلاة » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : ز .

(حديث آخر) : قال ابن جرير(١٥٠٣) : حدثنا أحمد بن إسحاق ، حدثنا أبو أحمد ، حدثنا عبد السلام ، عن سالم مولىٰ أبي بصير ، حدثني إبراهيم بن يزيد الدمشقي قال : كنت جالسًا عند عبد العزيز بن مروان فقال : يا فلان ، اذهب إلىٰ فلان فقل له : أي شيء سمعت من رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم في الصلاة الوسطىٰ ؟ فقال رجل جالس[١] : أرسلني أبو بكر وعمر ، وأنا غلام صغير أسأله عن الصلاة الوسطىٰ ، فأخذ إصبعي الصغير فقال : « **هذه** [ ][٢] **الفجر** » ، وقبض التي تليها فقال : « **هذه الظهر** » ، ثم قبض الإبهام فقال : « **هذه المغرب** » ، ثم قبض التي تليها فقال : « **هذه العشاء** » ، ثم قال : « **أيُّ أصابعك بقيتْ ؟** » فقلت : الوسطىٰ فقال : « **أيُّ الصلاة بقيتْ ؟** » فقلت : العصر . [فقال : « **هي العصر** »][٣] . غريب أيضًا جدًّا[٤] .

(حديث آخر) : قال ابن جرير(١٥٠٤) : حدّثني محمد بن عوف الطائي ، حدثنا محمد ابن إسماعيل بن عياش ، حدثني أبي ، حدثني ضمضم بن زرعة ، عن شريح بن عبيد ، عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **الصلاة الوسطىٰ صلاة العصر** » إسناده[٥] لا بأس به .

(حديث آخر) : قال أبو حاتم بن حبان في صحيحه(١٥٠٥) : حدثنا أحمد بن يحيىٰ بن زهير ، حدثنا الجراح بن مخلد ، حدثنا عمرو بن عاصم ، حدثنا همام بن مورق العجلي ، عن أبي الأحوص ، عن عبد اللَّه قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **صلاة الوسطىٰ صلاة العصر** » .

وقد روىٰ الترمذي (١٥٠٦) من حديث محمد بن طلحة بن مصرف ، [عن زبيد اليامي][٦] ، عن مرة الهمْداني ، عن ابن مسعود قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **صلاة**

(١٥٠١) - تفسير الطبري (١٨٩/٥) .
(١٥٠٢) - الطبري (١٩١/٥) .
(١٥٠٣) - تفسير الطبري (١٩٦/٥) .
(١٥٠٤) - تفسير الطبري (١٩٨/٥) وقول الحافظ : إسناده لا بأس به ، متعقب ؛ فإن في إسناده ضعفًا وانقطاعًا .
(١٥٠٥) - صحيح ابن حبان (١٧٤٦) « الإحسان » .
(١٥٠٦) - سنن الترمذي في أبواب الصلاة حديث (١٨١) . وفي التفسير (٢٩٨٥) .

---

[١] - سقط من خ .
[٢] - في ت : صلاة .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في خ : « إسناد » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

الوسطىٰ صلاة العصر » ، ثم قال : حسن صحيح .

وأخرجه مسلم في صحيحه(١٥٠٧) من طريق محمد بن طلحة به ، ولفظه : **« شغلونا عن الصلاة الوسطىٰ صلاة العصر »** الحديث .

فهذه نصوص في المسألة لا تحتمل شيئًا ، ويؤكد ذلك الأمر بالمحافظة عليها ، وقوله صلىٰ الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ، من رواية الزهري ، عن سالم ، عن أبيه : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : **« من فاتته[١] صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله »**(١٥٠٨) .

وفي الصحيح أيضًا(١٥٠٩) ، من حديث الأوزاعي ، عن يحيىٰ بن أبي كثير ، عن أبي قلابة ، عن أبي المهاجر ، عن بريدة بن الحصيب ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : **« بكروا بالصلاة في يوم الغيم ؛ فإنه من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله »** .

وقال الإمام أحمد(١٥١٠) : حدثنا يحيىٰ بن إسحاق ، أخبرنا ابن لهيعة ، عن عبد الله بن هبيرة ، عن أبي تميم ، عن أبي نضرة الغفاري قال : صلىٰ بنا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في واد من أوديتهم يقال له المخمص - صلاة العصر فقال : **« إن هذه الصلاة [صلاة العصر][٢] عُرضت علىٰ الذين من قبلكم فضيعوها ، ألا ومن صلاها ضُعِّفَ له أجره مرتين ، أَلا ولا صلاة بعدها حتىٰ تروا الشاهد »** .

ثم قال : رواه عن يحيى بن إسحاق ، عن الليث ، عن خير[٣] بن نعيم ، عن عبد الله بن هبيرة به .

وهكذا رواه مسلم والنسائي جميعًا ، عن قتيبة ، عن الليث .

(١٥٠٧) - صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة حديث (٦٢٨) .

(١٥٠٨) - صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة حديث (٦٢٦) ، والنسائي (١/٢٥٤ - ٢٥٥) ، وابن ماجه (٦٨٥) ، وأحمد (٢/٨٠ ، ١٣٤ ، ١٤٥) .

(١٥٠٩) - ليس في شيء من الصحيحين ، وإنما هو في سنن ابن ماجه ، كتاب الصلاة ، باب : ميقات الصلاة في الغيم حديث (٦٩٤) . وأحمد (٥/٣٦١) وانظر تحفة الأشراف (٢/ ٩٥ ، ٤/ ٢٠) وجامع المسانيد (٢/١٥١ ، ٢٥٢) . وأخرجه البخاري في مواقيت الصلاة ، باب : من ترك العصر حديث (٥٥٣) وطرفه (٥٩٤) من طريق أبي قلابة عن أبي المليح قال : كنا مع بريدة في يوم ذي غيم فقال : بكروا بالصلاة فإن النبي ﷺ قال : **« من ترك صلاة العصر حبط عمله »** .

(١٥١٠) - المسند (٦/٣٩٧) (٦/٣٩٦ - ٣٩٧) ، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها حديث (٨٣٠) . والنسائي (١/٢٥٩) .

[١] - في و ، خ : « فاته » .
[٢] - سقط من ت .
[٣] - في ز ، خ : « جبير » .

ورواه مسلم أيضًا من حديث محمد بن إسحاق ، حدثني يزيد بن أبي حبيب كلاهما ، عن خير[١] بن نعيم الحضرمي ، عن عبد اللَّه ابن هبيرة السبائي به .

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد أيضًا(١٥١١) : حدثنا إسحاق ، أخبرنا مالك ، عن زيد ابن أسلم ، عن القعقاع بن حكيم ، عن أبي يونس مولىٰ عائشة قال : أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفًا قالت : إذا بلغت هذه الآية : ﴿ **حافظوا علىٰ الصلوات والصلاة الوسطىٰ** ﴾ فآذنّي ، فلما بلغتها آذنتُها فَأَمْلَتْ عليَّ : (حافظوا علىٰ الصلوات والصلاة الوسطىٰ وصلاة العصر وقوموا للَّه قانتين) قالت : سمعتها من رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وهكذا رواه مسلم عن يحيىٰ بن يحيىٰ عن مالك به .

وقال ابن جرير(١٥١٢) : حدثني المثنىٰ ، حدثنا الحجاج ، حدثنا حماد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : كان في مصحف عائشة : (حافظوا علىٰ الصلوات والصلاة الوسطىٰ وهي صلاة العصر) ، وهكذا رواه من طريق الحسن البصري : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قرأها كذلك .

وقد روىٰ الإمام مالك أيضًا(١٥١٣) ، عن زيد بن أسلم ، عن عمرو بن رافع قال : كنت أكتب مصحفًا لحفصة زوج النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقالت : إذا بلغت هذه الآية فآذنّي ﴿ **حافظوا علىٰ الصلوات والصلاة الوسطىٰ** ﴾ ، فلمابلغتها آذنتها فأملت علي : (حافظوا علىٰ الصلوات والصلاة الوسطىٰ وصلاة العصر وقوموا للَّه قانتين) .

وهكذا رواه محمد بن إسحاق بن يسار(١٥١٤) فقال : حدثني أبو جعفر محمد بن علي ، ونافع مولىٰ ابن عمر ، أن عمرو[٢] بن رافع قال ... فذكر مثله ، وزاد : كما حفظتها من النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم .

(طريق أخرىٰ عن حفصة) : قال ابن جرير(١٥١٥) : حدثنا محمد بن بشار[٣] ، حدثنا

(١٥١١) - المسند (٦/٧٣) ، وهو في الموطأ (١/١٣٨) ومن طريق مالك رواه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة حديث (٦٢٩) .

(١٥١٢) - تفسير الطبري (٥/١٧٥) (٥٣٩٧) .

(١٥١٣) - الموطأ (١/١٣٩) ومن طريقه البيهقي في السنن (١/٤٦٢) .

(١٥١٤) - رواه أبو يعلى في مسنده (٧١٢٩) وعنه ابن حبان في صحيحه (١٧٢٢) موارد والبيهقي (١/ ٤٦٢ ، ٤٦٣)

(١٥١٥) - تفسير الطبري (٥/٢٠٨ ، ٢٠٩) (٥٤٦١) .

---

[١] - في خ : « جبير » .

[٢] - في ز : « عمر » . [٣] - في ز ، خ : « يسار » .

محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن عبد الله بن يزيد الأزدي ، عن سالم بن عبد الله : أن حفصة أمرت[١] إنسانا أن يكتب لها مصحفا فقالت : إذا بلغت هذه الآية : ﴿ حافظوا علىٰ الصلوات والصلاة الوسطىٰ ﴾ فآذني ، فلما بلغ آذَنها فقالت : اكتب : (حافظوا علىٰ الصلوات والصلاة الوسطىٰ وصلاة العصر) .

(طريق أخرىٰ) : قال ابن جرير(١٥١٦) : حدثني ابن المثنىٰ[٢] ، حدثنا عبد الوهاب ، حدثنا [عبيد الله][٣] ، عن نافع : أن حفصة أمرت مولىٰ لها أن يكتب لها مصحفا فقالت : إذا بلغت هذه الآية : ﴿ حافظوا علىٰ الصلوات والصلاة الوسطىٰ ﴾ فلا تكتبها حتىٰ أُمْلِيَها عليك ، كما سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقرؤها ، فلما بلغها أمرته فكتبها : (حافظوا علىٰ الصلوات والصلاة الوسطىٰ وصلاة العصر وقوموا لله قانتين) . قال نافع : فقرأتُ ذلك المصحف فرأيت فيه الواو .

وكذا روىٰ ابن جرير عن ابن عباس ، [وعبيد بن عمير][٤] أنهما قرآ كذلك .

وقال ابن جرير(١٥١٧) : حدّثنا أبو كريب ، حدّثنا عبدة ، حدّثنا محمد بن عمرو ، [ ][٥] حدّثني أبو سلمة ، عن عمرو بن رافع مولىٰ عمر قال : كان في مصحف حفصة : (حافظوا علىٰ الصلوات والصلاة الوسطىٰ وصلاة العصر وقوموا لله قانتين) .

وتقرير المعارضة : أنه عطف صلاة العصر علىٰ الصلاة الوسطىٰ بواو العطف التي[٦] تقتضي[٧] المغايرة ، فدل ذلك علىٰ أنها غيرها ، وأجيب علىٰ[٨] ذلك بوجوه ؛

(أحدها) : أن هذا إنْ روي علىٰ أنه خبر ؛ فحديث عليٍّ أصح وأصرح منه ، وهذا يحتمل أن تكون الواو زائدة ، كما في قوله : ﴿ وكذلك نفصل[٩] الآيات ولتستبين سبيل المجرمين * وكذلك نري إبراهيم ملكوت السمٰوات والأرض وليكون من الموقنين ﴾ .

(١٥١٦) - تفسير الطبري (٥/٢٠٩) (٥٤٦٢) .

(١٥١٧) - تفسير الطبري (٥/٢١١) (٥٤٦٤) .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في خ : « مثنى » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ت : « عبد الله » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « وعبيد الله بن عمر » ، خ : « وعبد الله بن عمر » .
[٥] - في ز ،خ : « و » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في خ : « يقتضى » .
[٨] - في ز : « عن » ، خ : « تحت » .
[٩] - في ز : « نصرف » .

أو تكون لعطف الصفات لا لعطف الذوات كقوله ﴿ ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ ، وكقوله : ﴿ سبح اسم ربك الأعلىٰ * الذي خلق فسوىٰ * والذي قدّر فهدىٰ * والذي أخرج المرعىٰ ﴾ ، وأشباه ذلك كثيرة

وقال الشاعر :

إلىٰ الملك القَرْم وابن الهُمام ولَيثُ الكتيبة في المزدحم

وقال أبو دؤاد[١] الإيادي :

سُلط الموتُ والمنونُ عليهم فلهم في صَدىٰ المقابر هام(١٥١٨)

والموت هو المنون ، و[٢] قال [عدي بن زيد العبادي][٣] :

فقدّمت الأديمَ لراهشَيْهِ فألفىٰ[٤] قولها كذبًا ومَيْنا(*) (١٥١٩)

والكذب هو المين ، وقد نص سيبويه شيخ النحاة علىٰ جواز قول القائل : مررت بأخيك وصاحبك ، ويكون الصاحب هو الأخ نفسه ، والله أعلم .

وأمّا إن روي علىٰ أنه قرآن فإنه لم يتواتر ، فلا[٥] يثبت بمثل خبر الواحد قرآن ؛ ولهذا لم يثبته أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه في المصحف ، الإمام ولا قرأ بذلك أحد من القراء الذين تثبت الحجة بقراءتهم ، لا من السبعة ولا من[٦] غيرهم . ثم قد روي ما يدل علىٰ نسخ هذة التلاوة المذكورة في هذا الحديث .

قال مسلم(١٥٢٠) : أخبرنا إسحاق بن راهويه ، أخبرنا يحيىٰ بن آدم ، عن فضيل بن مرزوق ، عن شقيق بن عقبة ، عن البراء بن عازب قال : نزلت : (حافظوا علىٰ الصلوات وصلاة العصر) فقرأناها علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ما شاء الله ، ثم نسخها الله عز وجل فأنزل : ﴿ حافظوا علىٰ الصلوات والصلاة الوسطىٰ ﴾ فقال له زاهر - رجل كان مع شقيق - : أفهي العصر ؟ قال : قد حدثتك كيف نزلت ، وكيف نسخها الله عز وجل ؟

(١٥١٨) - البيت في اللسان ، (٤١٧/٣) مادة « منن » (٦٢٥/١٢) (هوم) (٤٥٤/١٤) صدى .

(١٥١٩) - البيت لعدي بن ثابت ، انظر لسان العرب لابن منظور ، مادة « مين » (٤٢٥/١٣) .

(١٥٢٠) - صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، حديث (٦٣٠) .

[١] - في ز ، خ : « داود » .
[٢] - زيادة من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين في خ : « زيد بن عدي العقادي » .
[٤] - في خ : « فألقى » .
[٥] - في ت : « فلم » .
[٦] - سقط من : ز .

قال مسلم : ورواه الأشجعي ، عن الثوري ، عن الأسود ، عن شقيق .

(قلت) : وشقيق هذا لم يروِ له مسلم سوىٰ هذا الحديث الواحد ، واللَّه أعلم . فعلىٰ هذا تكون هذه التلاوة - وهي تلاوة الجادة - ناسخة للفظ رواية عائشة وحفصة ، ولمعناها إن كانت الواو دالة علىٰ المغايرة ، وإلا فللفظها فقط ، واللَّه أعلم .

وقيل : إن الصلاة الوسطىٰ هي صلاة المغرب ، رواه ابن أبي حاتم(١٥٢١) عن ابن عباس ، وفي إسناده نظر ؛ فإنه رواه عن أبيه ، عن أبي الجماهر[١] ، عن سعيد بن بشير[٢] ، عن قتادة ، عن أبي الخليل ، عن عمه ، عن ابن عباس قال : صلاة الوسطىٰ المغرب . وحكىٰ هذا القول ابن جرير عن قبيصة بن ذؤيب ، وحكي أيضا عن قتادة علىٰ اختلاف عنه ، ووجه هذا القول بعضهم بأنها وسطىٰ في العدد بين الرباعية والثنائية ، وبأنها وتر المفروضات ، وبما جاء فيها من الفضيلة ، واللَّه أعلم .

وقيل : إنها العشاء الأخيرة ، اختاره علي بن أحمد الواحدي في تفسيره المشهور ، وقيل : هي واحدة من الخمس لا بعينها ، وأبهمت فيهن كما أبهمت ليلة القدر في الحول ، ، أو الشهر أو العشر ، ويحكىٰ هذا القول عن سعيد بن المسيب ، وشريح القاضي ، ونافع مولىٰ ابن عمر ، والربيع بن خيثم ، ونقل أيضًا عن زيد بن ثابت ، واختاره إمام الحرمين الجويني في نهايته .

وقيل : بل الصلاة الوسطىٰ مجموع الصلوات الخمس . رواه ابن أبي حاتم عن ابن عمر(١٥٢٢) ، وفي صحته أيضًا نظر ، والعجب أن هذا القول اختاره الشيخ أبو عمر بن عبد البر النمري إمام ما وراء البحر ، وإنها لإحدىٰ الكبر ؛ إذ اختار مع اطلاعه وحفظه ما لم يقم عليه دليل من كتاب ، ولا سنة ، ولا أثر .

وقيل : إنها صلاة العشاء وصلاة الفجر . وقيل : بل هي صلاة الجماعة . وقيل : صلاة الجمعة . وقيل : صلاة الخوف . وقيل : بل صلاة عيد الفطر . وقيل : بل صلاة عيد[٣] الأضحىٰ . وقيل : الوتر . وقيل : الضحىٰ . وتوقف فيها آخرون لَمَّا تعارضت عندهم الأدلة ولم يظهر لهم وجه الترجيح ، ولم يقع الإجماع علىٰ قول واحد ؛ بل لم يزل التنازع فيها موجودًا من زمان[٤] الصحابة وإلىٰ الآن .

(١٥٢١) - تفسير ابن أبي حاتم (٢/٤٤٨) (٢٣٧٥) .

(١٥٢٢) - تفسير ابن أبي حاتم (٢/٤٤٨) .

---

[١] - في خ : « الجماهير » .

[٢] - في ز ، خ : « مسعر » .

[٣] - زيادة من : خ .

[٤] - في خ : « زمن » .

قال ابن جرير(١٥٢٣) : حدّثني محمد بن بشار[١] وابن المثنىٰ[٢] ، قالا : حدّثنا محمد بن جعفر ، حدّثنا شعبة قال : سمعت قتادة يحدث عن سعيد بن المسيب قال : كان أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، مختلفين في الصلاة الوسطىٰ هكذا ، وشبك بين أصابعه .

وكل هذه الأقوال فيها ضعف بالنسبة إلىٰ التي قبلها ، وإنما المدار ومعترك النزاع في الصبح والعصر ، وقد ثبتت السنة بأنها العصر فتعيَّن المصير إليها .

وقد روىٰ الإمام [ ][٣] أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي رحمهما الله في كتاب فضائل الشافعي - رحمه الله - حدّثنا أبي ، حدثنا حرملة بن يحيىٰ التُجيبي[٤] يقول : قال الشافعي : كل ما قلت فكان عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم خلاف[٥] قولي مما يصح ، فحديث النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، أولىٰ ولا تقلدوني .

وكذا روىٰ الربيع ، والزعفراني ، وأحمد بن حنبل ، عن الشافعي ، وقال موسىٰ أبو الوليد بن أبي الجارود ، عن الشافعي : إذا صح الحديث وقلت قولا فأنا راجع عن قولي ، وقائل بذلك . فهذا من سيادته وأمانته ، وهذا نفس إخوانه من الأئمة ، رحمهم الله ورضي الله عنهم أجمعين آمين ، ومن هاهنا قطع القاضي الماوردي بأن مذهب الشافعي رحمه الله : أن صلاة الوسطىٰ هي صلاة العصر ، وإن كان قد نص في الجديد وغيره : أنها الصبح ؛ لصحة الأحاديث أنها العصر ، وقد وافقه علىٰ هذه الطريقة جماعة من محدثي المذهب ، ولله الحمد والمنة .

ومن الفقهاء في المذهب من ينكر أن تكون هي العصر [مذهبًا للشافعي][٦] ، وصمموا علىٰ أنها الصبح قولا واحدا . قال الماوردي : ومنهم من حكىٰ في المسألة قولين ، ولتقرير[٧] المعارضات والجوابات موضع آخر غير هذا وقد أفردناه علىٰ حدة ، ولله الحمد والمنة .

وقوله تعالىٰ : ﴿ وقوموا لله قانتين ﴾ أي : خاشعين ذليلين مستكينين[٨] بين يديه ، وهذا الأمر مستلزم ترك الكلام في الصلاة لمنافاته إياها ؛ ولهذا لما امتنع النبي صلىٰ الله عليه وسلم من[٩] الرد علىٰ ابن مسعود حين سلم عليه ، وهو في الصلاة اعتذر إليه بذلك ، وقال : « **إن في الصلاة**

(١٥٢٣) - تفسير الطبري (٥/٢٢١) (٥٤٩٢) .

---

[١] - في خ : « يسار » .
[٢] - في خ : « مثنى » .
[٣] - في خ : أحمد .
[٤] - في ت : بخلاف .
[٥] - في ت : « اللخمي » .
[٦] - في ت : « مذهب الشافعي » .
[٧] - في ز ، خ : « ولتقرر » .
[٨] - في ز ، خ : « مستكنين » .
[٩] - في ز : « في » .

لشغلا » .

وفي صحيح مسلم(١٥٢٤) : أنه صلىٰ الله عليه وسلم قال لمعاوية بن الحكم السلمي[١] حين تكلم في الصلاة : « **إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس ، إنما هي التسبيح والتكبير وذكر الله** » .

وقال الإمام أحمد [بن حنبل][٢] (١٥٢٥) : حدّثنا يحيىٰ بن سعيد ، عن إسماعيل ، حدّثني الحارث بن شُبيل[٣] ، عن أبي عمرو الشيباني ، عن زيد بن أرقم قال : كان الرجل يكلم صاحبه في عهد النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، في الحاجة في الصلاة حتىٰ نزلت هذه الآية : ﴿ **وقوموا الله قانتين** ﴾ فأمرنا بالسكوت . رواه الجماعة سوىٰ ابن ماجة به من طرق عن إسماعيل به .

وقد أشكل هذا الحديث علىٰ جماعة من العلماء ، حيث ثبت عندهم أن تحريم الكلام في الصلاة كان بمكة قبل الهجرة إلىٰ المدينة وبعد الهجرة إلىٰ أرض الحبشة ، كما دل علىٰ ذلك حديث ابن مسعود الذي في الصحيح قال : كنا نسلم علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم قبل أن[٤] نهاجر إلىٰ الحبشة وهو في الصلاة فيرد علينا ، قال : فلما قَدِمْنَا سلمت عليه فلم يرد عليَّ فأخذني ما قَرُبَ وما بَعُدَ ، فلما سلَّم قال : « **إني لم أرد عليك إلا أني كنت في الصلاة ، وإن الله يحدث من أمره ما يشاء ، وإن مما أحدث ألَّا تكلموا في الصلاة** »(١٥٢٦) .

وقد كان ابن مسعود ممن أسلم قديمًا وهاجر إلىٰ الحبشة ، ثم قدم منها إلىٰ مكة مع من قدم

(١٥٢٤) - صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، حديث (٥٣٧) .

(١٥٢٥) - المسند (٣٦٨/٤) (١٩٣٣٣) ، ورواه البخاري في كتاب العمل في الصلاة ، باب : « ما يُنهى من الكلام في الصلاة » (٧٢/٣) . حديث ١٢٠٠، حديث ٤٥٣٤ ورواه أيضًا في كتاب التفسير باب : « وقوموا لله قانتين » (١٩٨/٨) . ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، وباب : « تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة » (٣٦/٥) ٣٥ - ٥٣٩. والترمذي في كتاب السهو ، باب : « ما جاء في نسخ الكلام في الصلاة » (٢٥٦/٢) . ٤٠٥ ، ٢٩٨٦ ، ٢٩٨٦ م . وأبو داود في كتاب الصلاة ، باب : « النهي عن الكلام في الصلاة » (٢٤٩/١) ٩٤٩. والنسائي في التفسير الكبرىٰ كتاب التفسير باب (٤٣) قوله : جل ثناؤه ﴿ **وقوموا لله قانتين** ﴾ (٣٠٤/٦) (١١٠٤٧) . ورواه ابن خزيمة حديث ٨٥٦ ، و ٨٥٧.

(١٥٢٦) - صحيح البخاري ، كتاب العمل في الصلاة حديث (١١٩٩ ، ٣٨٧٥) ، وصحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة حديث (٥٣٨) .

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٣] - في خ : « شبل » .

[٤] - سقط من : ز .

فهاجر إلىٰ المدينة ، وهذه الآية : ﴿ **وقوموا لله قانتين** ﴾ مدنية بلا خلاف ، فقال قائلون : إنما أراد زيد بن أرقم - بقوله[١] : كان الرجل يكلم أخاه في حاجته في الصلاة - الإخبار عن [جنس الناس][٢] ، واستدل علىٰ تحريم ذلك بهذه الآية بحسب ما فهمه[٣] منها ، والله أعلم .

وقال[٤] آخرون : إنما أراد أن ذلك قد وقع بالمدينة بعد الهجرة إليها ، ويكون ذلك قد أبيح مرتين وحرم مرتين ، كما اختار ذلك قوم من أصحابنا وغيرهم ، والأول أظهر ، والله أعلم .

وقال الحافظ أبو يعلىٰ (١٥٢٧) : حدثنا بشر بن الوليد ، حدثنا إسحاق [بن يحيىٰ][٥] ، عن المسيب ، عن ابن مسعود قال : كنا نسلم[٦] بعضنا علىٰ بعض في الصلاة ، فمررت برسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فسلمت عليه فلم يرد علي ، فوقع في نفسي أنه نزل فيَّ شيء ، فلما قضىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم صلاته قال : « **وعليك السلام أيها المسلم ورحمة الله ، إن الله عز وجل يحدث من**[٧] **أمره ما يشاء ، فإذا كنتم في الصلاة فاقنتوا ولا تكلموا** » .

وقوله : ﴿ **فإن خفتم فرجالا أو ركبانًا فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون** ﴾ لما أمر تعالىٰ عباده بالمحافظة علىٰ الصلوات ، والقيام بحدودها ، وشدد الأمر بتأكيدها ذكر الحال التي[٨] يشتغل الشخص فيها عن أدائها علىٰ الوجه الأكمل ، وهي حال القتال والتحام الحرب فقال : ﴿ **فإن خفتم فرجالًا أو ركبانًا** ﴾ أي : فصلوا علىٰ أي حال كان رجالا أو ركبانا ، يعني : مستقبلي القبلة وغير مستقبلهما ، كما قال مالك (١٥٢٨) : عن نافع : أن[٩] ابن عمر كان إذا سُئل عن صلاة الخوف وَصَفَهَا ، ثم قال : فإن كان خوف أشد من ذلك صلوا رجالا علىٰ أقدامهم ، أو ركبانا ؛ مستقبلي القبلة أو غير مستقبليها . قال نافع : لا أرىٰ ابن عمر ذكر ذلك إلا عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم . ورواه البخاري ، وهذا لفظه ومسلم . ورواه البخاري أيضًا[١٠] من وجه آخر ، عن ابن جريج ، عن موسىٰ بن عقبة ،

(١٥٢٧) - ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١٣٧/١٠) من طريق عاصم عن المسيب عن ابن مسعود به نحوه .

(١٥٢٨) - الموطأ (١٨٤/١) ومن طريقه البخاري حديث (٤٥٣٥) . وطرفه حديث (٩٤٣) . ورواه مسلم حديث (٨٣٩) .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ت : « جنس الكلام » .
[٣] - في خ : « فهم » .
[٤] - في خ : « قال » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في خ : « ابن يحيى بن يحيى » .
[٦] - في ت : « يسلم » .
[٧] - في خ : « في » .
[٨] - في ت : « الذي » .
[٩] - في ز : « عن » .
[١٠] - سقط من : خ .

عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم نحوه ، أو قريبًا منه . ولمسلم أيضًا عن ابن عمر قال : فإن كان خوف أشد من ذلك فَصَلِّ راكبًا ، أو قائمًا تومئ إيماء .

وفي حديث عبد اللَّه بن أنيس الجهني لما بعثه النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم إلىٰ خالد بن سفيان الهذلي ليقتله وكان نحو عرنة[١] و[٢] عرفات ، فلما واجهه حانت صلاة العصر قال : فخشيت أن تفوتني ، فجعلت أصلي وأنا أومئ إيماء ... الحديث بطوله ، رواه أحمد وأبو داود بإسناد جيد(١٥٢٩) ، وهذا من رخص اللَّه التي رخص لعباده ، ووضعه الآصار(*) والأغلال عنهم .

وقد روىٰ ابن أبي حاتم(١٥٣٠) من طريق شبيب بن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال في هذه الآية : يصلي الراكب علىٰ دابته ، والراجل علىٰ رجليه .

قال : وروي عن الحسن ومجاهد ومكحول ، والسدي ، والحكم ، ومالك ، والأوزاعي ، والثوري ، والحسن بن صالح نحو ذلك ، وزاد : ويومىء برأسه أينما توجه .

ثم قال(١٥٣١) : حدّثنا أبي ، حدثنا[٣] [أبو غسان][٤] ، حدثنا [ذَوّاد - يعني : ابن عُلية -][٥] عن مطرف ، عن عطية ، عن جابر بن عبد اللَّه قال : إذا كانت المسايفة فليومئ برأسه إيماء حيث كان وجهه ، فذلك قوله : ﴿ **فرجالا أو ركبانا** ﴾ .

وروي عن الحسن ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعطاء ، وعطية ، والحكم ، وحماد ، وقتادة نحو ذلك . وقد ذهب الإمام أحمد - فيما نص عليه - إلىٰ أن صلاة الخوف تُفعل في بعض الأحيان ركعة واحدة إذا تلاحم الجيشان ، وعلىٰ ذلك يُنَزَّلُ الحديث الذي رواه مسلم ، وأبو داود ، والنسائي وابن ماجة ، وابن جرير من حديث أبي عوانة الوضاح[٦] بن عبد اللَّه اليشكري ، زاد مسلم والنسائي وأيوب بن عائذ ، كلاهما ، عن بكير بن الأخنس

(١٥٢٩) - المسند (٣/٤٩٦) (١٦٠٩٥) ، والحديث رواه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب : صلاة الطالب (٢/ ١٨) حديث (١٢٤٩) . وابن خزيمة في صحيحه (٢/ ٩١ ٩٢) حديث ٩٨٢ ، ٩٨٣ . وأبو يعلى في مسنده حديث ٩٠٥ . البيهقي (٣/ ٢٢٢) . والحديث ضعفه الشيخ الألباني في الارواء (٥٨٩) . وضعفه في ضعيف أبي داود حديث ٢٧١ .

(١٥٣٠) - تفسير ابن أبي حاتم (٢/٤٥٠) (٢٣٨٢)

(١٥٣١) - تفسير ابن أبي حاتم (٢/٤٥٠) (٢٣٨٣)

---

[١] - في خ : عرفة .

[٢] - في خ : « و » .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « أبو نحسان » ، وسقط من : خ .

[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : داود بن علية . وهو تحريف .

[٦] - سقط من : خ .

الكوفي ، عن مجاهد ، عن ابن عباس(١٥٣٢) قال : فرض اللّٰه الصلاة علىٰ لسان نبيكم صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في الحَضَر أربعًا ، وفي[١] السفر ركعتين ، وفي[٢] الخوف ركعة ، وبه قال الحسن البصري وقتادة والضحاك وغيرهم .

[وقال ابن جرير (١٥٣٣) : حدثنا ابن بشار ، حدثنا ابن مهدي ، عن شعبة قال : سألت الحكم وحمادًا وقتادة عن صلاة المسايفة فقالوا : ركعة . وهكذا رویٰ الثوري عنهم سواء][٣] .

وقال ابن جرير أيضًا(١٥٣٤) : حدثني سعيد بن عمرو السكوني ، حدثنا بقية بن الوليد ، حدثنا المسعودي ، حدثنا يزيد الفقير ، عن جابر بن عبد اللّٰه قال : صلاة الخوف ركعة . واختار هذا القول ابن جرير .

وقال البخاري(١٥٣٥) : باب الصلاة عند مناهضة الحصون ولقاء العدو ، وقال الأوزاعي : إن كان تهيأ الفتح ولم يقدروا علىٰ الصلاة صلوا إيماء ، كل امرئ لنفسه ، فإن لم يقدروا علىٰ الايماء أخروا الصلاة حتىٰ ينكشف القتال ، و[٤] يأمنوا فيصلوا ركعتين ، فإن لم يقدروا صلوا ركعة وسجدتين ، فإن لم يقدروا لا يجزيهم[٥] التكبير ويؤخرونها حتىٰ يأمنوا . وبه قال مكحول وقال أنس بن مالك : حضرت مناهضة حصن تشتر عند إضاءة الفجر ، واشتدّ اشتعال القتال ، فلم يقدروا علىٰ الصلاة ، فلم نصل إلا بعد ارتفاع النهار ، فصليناها ونحن مع أبي موسىٰ فَفُتِحَ لنا . قال أنس : وما يسرني بتلك الصلاة الدنيا وما فيها .

هذا لفظ البخاري . ثم استشهد علىٰ ذلك بحديث تأخيره صلىٰ اللّٰه عليه وسلم صلاة العصر يوم الخندق ؛ لعذر[٦] المحاربة إلىٰ غيبوبة الشمس ، وبقوله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بعد ذلك لأصحابه لما جهزهم إلىٰ بني قريظة : « **لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني**

(١٥٣٢) - صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها حديث (٦٨٧) ، وسنن أبي داود كتاب الصلاة (١٢٤٧) ، وسنن النسائي ، كتاب الصلاة (١/٢٢٦ ، ٣/١١٨ ، ١١٩ ، ١٦٩) ، وسنن ابن ماجة برقم (١٠٦٨) ، وتفسير الطبري (٥/٢٤٧) .

(١٥٣٣) - تفسير الطبري (٥/٢٤٢) (٥٥٥٥) .

(١٥٣٤) - تفسير الطبري (٥/٢٤٣) (٥٥٦٣) .

(١٥٣٥) - صحيح البخاري (٢/٥٠٣) « فتح » .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - في خ : « أو » .

[٥] - في ز : « يجزئهم » .

[٦] - في ز ، خ : « بعذر » .

قريظة »[١٠٣٦] . فمنهم من أدركته الصلاة في الطريق فصلوا وقالوا : لم يُرِدْ منا رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم إلا تعجيل السير ، ومنهم من أدركته فلم يصلِّ إلىٰ أن غربت الشمس في بني قريظة ، فلم[١] يعنف واحدًا من الفريقين ، وهذا يدل علىٰ اختيار البخاري لهذا القول ، والجمهور علىٰ خلافه ، ويعولون علىٰ أن صلاة الخوف علىٰ الصفة التي ورد بها القرآن في سورة النساء ، ووردت بها الأحاديث لم تكن مشروعة في غزوة الخندق ، وإنما شرعت بعد ذلك ، وقد جاء مصرحا بهذا في حديث أبي سعيد وغيره ، وأما مكحول والأوزاعي والبخاري فيجيبون بأن مشروعية صلاة الخوف بعد ذلك لا تنافي[٢] جواز ذلك ؛ لأن هذا حال نادر خاص فيجوز فيه مثل ما قلنا ؛ بدليل صنيع الصحابة زمن عمر في فتح تستر ، وقد اشتهر ولم ينكر ، واللّه أعلم .

وقوله : ﴿ **فإذا أمنتم فاذكروا اللّه** ﴾ أي : أقيموا صلاتكم كما أُمِرْتُم فأتموا[٣] ركوعها وسجودها ، وقيامها ، وقعودها ، وخشوعها ، وهجودها ﴿ **كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون** ﴾ أي : مثل ما أنعم عليكم ، وهداكم للإيمان ، وعلمكم ما ينفعكم في الدنيا والآخرة ، فقابلوه بالشكر والذكر ، كقوله بعد ذكر صلاة الخوف : ﴿ **فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت علىٰ المؤمنين كتابا موقوتا** ﴾ وستأتي الأحاديث الواردة في صلاة الخوف وصفاتها في سورة النساء عند قوله تعالىٰ : ﴿ **وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة** ﴾ الآية .

وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾

قال الأكثرون : هذه الآية منسوخة بالتي قبلها ، وهي قوله : ﴿ **يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرًا** ﴾ .

قال البخاري[١٠٣٧] : حدثنا أمية ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن حبيب ، عن ابن أبي مليكة ،

(١٠٣٦) - صحيح البخاري ، كتاب الخوف (٩٤٦) ، وكتاب المغازي حديث (٤١١٩) .

(١٠٣٧) - صحيح البخاري ، كتاب التفسير حديث (٤٥٣٠) .

[١] - في خ : « ولم » .

[٢] - في ز ، خ : « ينافى » .

[٣] - في ز : « وأتموا » .

قال ابن الزبير : قلت لعثمان بن عفان ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا ﴾ قد نسختها الآية الأخرىٰ فَلِمَ تكتبها أو تَدَعُها ؟ قال : يا بن أخي ، لا أغير شيئًا منه من مكانه .

ومعنىٰ هذا الإشكال الذي قاله ابن الزبير لعثمان : إذا كان حكمها قد نسخ بالأربعة الأشهر[١] فما الحكمة في إبقاء رسمها مع زوال حكمها ، وبقاء رسمها بعد التي نسختها يوهم بقاء حكمها ؟ فأجابه أمير المؤمنين بأن هذا أمر توقيفي ، وأنا وجدتها مثبتة في المصحف كذلك بعدها ؛ فأثبتها حيث وجدتها .

قال ابن أبي حاتم(١٠٣٨) : حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، وعثمان بن عطاء ، عن عطاء ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا وصية لأزواجهم متاعًا إلى الحول غير إخراج ﴾ فكان للمتوفىٰ عنها زوجها نفقتها وسكناها في الدار سنة ، فنسختها آية المواريث ، فجعل لهن الثمن أو الربع مما ترك الزوج ، ثم قال : وروي عن أبي موسىٰ الأشعري وابن الزبير ، ومجاهد وإبراهيم وعطاء[٢] والحسن وعكرمة ، وقتادة والضحاك ، وزيد بن أسلم والسدي ، ومقاتل بن حيان ، وعطاء الخراساني ، والربيع بن أنس - : أنها منسوخة .

وروي من طريق علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ؛ قال (١٠٣٩) : كان الرجل إذا مات وترك امرأته اعتدت سنة في بيته ينفق عليها من ماله ، ثم أنزل الله بعد : ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرًا ﴾ فهذه عدة المتوفىٰ عنها زوجها إلا أن تكون حاملًا ؛ فعدتها أن تضع ما في بطنها وقال : ﴿ ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم ﴾ فبين ميراث المرأة وترك الوصية والنفقة .

قال : وروي عن مجاهد والحسن ، وعكرمة وقتادة ، والضحاك والربيع ، ومقاتل بن حيان ، قالوا : نسختها ﴿ أربعة أشهر وعشرًا ﴾ .

قال : وروي عن سعيد بن المسيب ؛ قال : نسختها التي في الأحزاب : ﴿ يأيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ﴾ الآية ، (قلت) : وروي عن مقاتل[٣] و[٤] قتادة أنها منسوخة بآية الميراث .

(١٠٣٨) - تفسير ابن أبي حاتم (٤٥١/٢) (٢٣٩٠) .
(١٠٣٩) - تفسير ابن أبي حاتم (٤٥٢/٢) (٢٣٩١) . وتفسير الطبري (٥٥٧٤)

[١] - في ز ، خ : « أشهر » .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز .

وقال البخاري(١٥٤٠) : حدثنا إسحاق بن منصور[١] ، حدثنا روح ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا ﴾ قال : كانت هذه العدة تعتد عند أهل زوجها واجب ، فأنزل الله : ﴿ **والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا وصية لأزواجهم متاعًا إلىٰ الحول غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروف** ﴾ قال : جعل الله [لها][٢] تمام السنة سبعة أشهر وعشرين ليلة وصية ، إن شاءت سكنت في وصيتها ، وإن شاءت خرجت ، وهو قول الله : ﴿ **غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم** ﴾ فالعدة كما هي واجب عليها ، زعم ذلك عن مجاهد رحمه الله ، وقال عطاء : قال ابن عباس : [نسخت هذه الآية][٣] عدتها عند أهلها ، فتعتد حيث شاءت ، وهو قول الله تعالىٰ : ﴿ **غير إخراج** ﴾ قال عطاء : إن شاءت اعتدت عند أهلها وسكنت في وصيتها ، وإن شاءت خرجت ؛ لقول الله : ﴿ **فلا جناح عليكم فيما فعلن** ﴾ قال عطاء : ثم جاء الميراث فنسخ السكنىٰ ، فتعتد حيث شاءت ولا سكنىٰ لها ، ثم أسند البخاري عن ابن عباس مثل ما تقدم عنه بهذا[٤] القول الذي عوَّل عليه مجاهد وعطاء ، من أن هذه الآية لم تدل علىٰ وجوب الاعتداد سنة - كما زعمه الجمهور - حتىٰ يكون ذلك منسوخًا بالأربعة الأشهر وعشر ، وإنما دلت علىٰ أن ذلك كان من باب الوصاة بالزوجات أن يمكَّنَّ من السُّكنىٰ في بيوت أزواجهن بعد وفاتهم حولًا كاملًا إن اخترن ذلك ؛ ولهذا قال : ﴿ **وصية لأزواجهم** ﴾ أي : يوصيكم الله بهن وصية ، كقوله : ﴿ **يوصيكم الله في أولادكم** ﴾ الآية ، وقوله[٥] : ﴿ **وصية من الله** ﴾ وقيل : إنما انتصب علىٰ معنىٰ : فلتوصوا[٦] بهن وصية ، وقرأ آخرون بالرفع : ﴿**وصيةٌ**﴾(*) ، علىٰ معنىٰ : كتب عليكم وصية ، واختارها ابن جرير ، ولا يمنعن من ذلك لقوله : ﴿ **غير إخراج** ﴾ فأما إذا انقضت عدتهن بالأربعة أشهر والعشر[٧] أو بوضع الحمل ، واخترن الخروج والانتقال من ذلك المنزل ، فإنهن لا يمنعن من ذلك ؛ لقوله : ﴿ **فإن خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروف** ﴾ وهذا القول له اتجاه وفي اللفظ مساعدة له ، وقد اختاره جماعة منهم : الإمام أبو العباس بن تيمية ، ورده آخرون منهم : الشيخ أبو عمر بن عبد البر .

وقول عطاء ومن تابعه علىٰ أن ذلك منسوخ بآية الميراث ، إن أرادوا ما زاد علىٰ الأربعة أشهر

(١٥٤٠) - صحيح البخاري ، كتاب التفسير حديث (٤٥٣١) .

---

[١] - مكانها بياض في : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين زيادة من ز.

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز : « فهذا » .

[٥] - في ز : « وقال » .

[٦] - في ز ، خ : « فليتوصوا » .

[٧] - في ت : « عشر » .

والعشر فَمُسَلَّم ، وإن أرادوا أن سكنىٰ الأربعة أشهر والعشر لا تجب في تركة الميت ، فهذا محل خلاف بين الأئمة ، وهما قولان للشافعي ، رحمه اللَّه .

وقد استدلوا علىٰ وجوب السكنىٰ في منزل الزوج بما رواه مالك في موطئه(١٥٤١) ، عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عُجْرة ؛ عن عمته زينب بنت كعب بن عجرة : أن الفُرَيْعَة بنت مالك بن سنان ، وهي أخت أبي سعيد الخدري - رضي اللَّه عنهما - أخبرتها أنها جاءت إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم تسأله[١] أن ترجع إلىٰ أهلها في بني خدرة ، فإن زوجها خرج في طلب أعْبُدٍ له أبقوا(*) ، حتىٰ إذا كان بطرف القدوم لحقهم فقتلوه قالت : فسألت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أن أرجع إلىٰ أهلي في بني خدرة ؛ فإن زوجي لم يتركني في منزل[٢] يملكه ولا نفقة ، قالت : فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **نعم** » . قالت: فانصرفت حتىٰ إذا كنتُ في الحجرة ناداني رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم - أو أمر بي - فنوديت له فقال : « **كيف قلت ؟** » فرددت عليه القصة التي ذكرت له من شأن زوجي ، فقال : « **اسكني[٣] في بيتك حتىٰ يبلغ الكتاب أجله** » . قالت : فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشرًا ، قالت : فلما كان عثمان بن عفان أرسل إليَّ فسألني عن ذلك فأخبرته فاتبعه وقضىٰ به .

وكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث مالك به .

ورواه النسائي أيضًا وابن ماجة من طرق عن سعد بن إسحاق به ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقوله : ﴿ [وللمطلقات متاع][٤] **بالمعروف حقًّا على المتقين** ﴾ قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : لما نزل قوله تعالىٰ : [﴿ **متاعًا بالمعروف حقًّا علىٰ المحسنين** ﴾ قال رجل : إن شئتُ

(١٥٤١) - الموطأ (٥٩١/٢) . أخرجه أبو داود في كتاب الطلاق ، باب : في المتوفى عنها تنتقل . (٣٠٠/٢/ رقم : ٢٣٠٠) . والترمذي في كتاب الطلاق ، باب : ما جاء أين تعتد المتوفى عنها زوجها . (٤٩٩/٣ - ٥٠١/رقم : ١٢٠٤) . والنسائي في كتاب الطلاق ، باب : مقام المتوفى عنها زوجها في بيتها حتى تحل . (٦/ ١٩٩، ٢٠٠/رقم : ٣٥٢٨ - ٣٥٤٠) . وباب : عدة المتوفى عنها زوجها من يوم يأتيها الخبر . (٦/ ٢٠٠، ٢٠١/رقم : ٣٥٣٢) . وفي الكبرى في كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ **والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا** ﴾ . (٣٠٣/٦/رقم : ١١٠٤٤) . وابن ماجة في كتاب الطلاق ، باب : أين تعتد المتوفى عنها زوجها . (١/ ٦٥٤، ٦٥٥/رقم : ٢٠٣١) . ورواه أحمد (٣٧٠/٦ ، ٤٢٠) .

(*) أبق العبد : هرب .

[١] - في ز ، خ : « فسألته » .
[٢] - في ت : « مسكن » .
[٣] - في ت : « أمكني » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « متاعًا » .

أحسنتُ ففعلتُ ، وإن شئتُ لم أفعل ؛ فأنزل الله هذه الآية][١] : ﴿ وللمطلقات متاع بالمعروف حقًّا على المتقين[٢] ﴾ ، [ ][٣] وقد استدل بهذه الآية من ذهب من العلماء إلىٰ وجوب المتعة لكل مطلقة ، سواء كانت مفوّضة ، أو مفروضًا لها ، أو مطلقة[٤] قبل المسيس ، أو مدخولًا بها ، وهو قول عن الشافعي رحمه الله ، وإليه ذهب سعيد بن جبير وغيره من السلف ، واختاره ابن جرير ، ومن لم يوجبها مطلقًا يخصص من هذا العموم مفهوم قوله تعالىٰ : ﴿ لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعًا بالمعروف حقًّا على المحسنين ﴾ وأجاب الأولون : بأن هذا من باب ذكر بعض أفراد العموم فلا تخصيص علىٰ المشهور المنصور[٥] ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ كذلك يبين الله لكم آياته ﴾ أي : في إحلاله وتحريمه ، وفروضه وحدوده ، فيما أمركم به[٦] ، ونهاكم عنه ، وبينه[٧] ووضحه وفسره ، ولم يتركه مجملًا في وقت احتياجكم إليه ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ أي : تفهمون وتتدبرون .

۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

روي عن ابن عباس أنهم كانوا أربعة آلاف ، وعنه : كانوا ثمانية آلاف ، وقال أبو صالح : تسعة آلاف ، وعن ابن عباس : أربعون ألفًا . وقال وهب بن منبه وأبو مالك : كانوا بضعة وثلاثين ألفًا .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز . [٢] - في ز : « المحسنين » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « قال رجل : إن شئت أحسنت ففعلت ، وإن شئت لم أفعل فأنزل الله هذه الآية : ﴿ وللمطلقات متاع بالمعروف حقًّا على المتقين ﴾ .
[٤] - في خ : « مطلقًا » . [٥] - في خ : « المنصوص » .
[٦] - سقط من : ز ، خ . [٧] - في خ : « بينه » .

وروىٰ ابن أبي حاتم عن ابن عباس ؛ قال : كانوا أهل قرية يقال لها داوردان . وكذا قال السدي وأبو صالح وزاد : من قِبَلِ واسط ، وقال سعيد بن عبد العزيز : كانوا من أهل أذرعات ، وقال ابن جريج عن عطاء قال : هذا مَثَلٌ ، وقال علي بن عاصم : كانوا من أهل ذاوردان[١] ؛ قرية علىٰ فرسخ من قبل[٢] واسط .

وقال وكيع بن الجرّاح في تفسيره : حدّثنا سفيان ، عن ميسرة بن حبيب النهدي ، عن المنهال ابن عمرو الأسدي ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ﴿ **ألم تر إلىٰ الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت** ﴾ قال : كانوا أربعة آلاف ، خرجوا فرارًا من الطاعون ، قالوا : نأتي أرضًا ليس بها موت ، حتىٰ إذا كانوا بموضع كذا وكذا قال اللّٰه لهم : ﴿ **موتوا** ﴾ فماتوا ، فمرّ عليهم نبي من الأنبياء فدعا ربه أن يحييهم فأحياهم ، فذلك قوله عز وجل : ﴿ **ألم تر إلىٰ الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت** ﴾ الآية .

وذكر غير واحد من السلف أنّ هؤلاءِ القوم كانوا أهل بلدة في زمان بني إسرائيل ، استوخموا أرضهم ، وأصابهم بها[٣] وباء شديد ، فخرجوا فرارًا من الموت هاربين[٤] إلىٰ البرية ، فنزلوا واديًا أفيح ، فملئوا ما بين عدوتيه ، فأرسل اللّٰه إليهم ملكين ؛ أحدهما من أسفل الوادي ، والآخر من أعلاه ، فصاحا بهم صيحة واحدة ؛ فماتوا عن آخرهم موتة رجل واحد ، فحيزوا إلىٰ حظائر ، وبُني عليهم جدران وفنوا[٥] وتمزقوا وتفرّقوا ، فلما كان بعد دهر مرّ بهم نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له : حزقيل ، فسأل اللّٰه أن يحييهم علىٰ يديه ، فأجابه إلىٰ ذلك ، وأمره أن يقول : أيتها[٦] العظام البالية ، إنّ اللّٰه يأمرك أن تجتمعي ، فاجتمع عظام كل جسد بعضها إلىٰ بعض ، ثم أمره فنادىٰ : أيتها[٧] العظام ، إن اللّٰه يأمرك بأن تكتسي لحمًا وعصبًا وجلدًا ، فكان ذلك وهو يشاهده ، ثم أمره فنادىٰ : أيتها الأرواح ، إنّ اللّٰه يأمرك أن ترجع كل روح إلىٰ الجسد الذي كانت تعمره ، فقاموا أحياء ينظرون ، قد أحياهم اللّٰه[٨] بعد رقدتهم الطويلة وهم يقولون : سبحانك لا إله إلا أنت .

وكان في إحيائهم عبرة ودليل قاطع علىٰ وقوع المعاد الجسماني يوم القيامة ؛ ولهذا قال : ﴿ **إن اللّٰه لذو فضل علىٰ الناس** ﴾ أي[٩] : فيما يريهم من الآيات الباهرة ، والحجج القاطعة ، والدلالات الدامغة[١٠] ﴿ **ولكن أكثر الناس لا يشكرون** ﴾ أي : لا يقومون

---

[١] - في خ : « داوردان » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز ، خ : « فيها » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ز : « وقبور » .

[٦] - في ز : « أيها » .

[٧] - في ز : « أيها » .

[٨] - سقط من : خ .

[٩] - سقط من : ز .

[١٠] - في خ : « الواضحة » .

بشكر ما أنعم اللَّه به عليهم في دينهم ودنياهم .

وفي هذه القصة عبرة ودليل علىٰ أنه لن يغني حَذَرٌ من قَدَر ، وأنه لا ملجأ من اللَّه إلا إليه ، فإنّ هؤلاءِ خرجوا[١] فرارًا من الوباء طلبًا[٢] لطول الحياة ، فَعُوملوا بنقيض قصدهم ، وجاءهم الموت سريعًا في آنٍ واحدٍ .

ومن هذا القبيل الحديث الصحيح الذي رواه الإمام أحمد(١٠٤٢) : حدّثنا إسحاق بن عيسىٰ ، أخبرنا مالك ،

وعبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، كلاهما عن الزهري ، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن ابن زيد بن الخطاب ، [عن عبد اللَّه بن الحارث بن نوفل][٣] ، عن عبد اللَّه بن عباس ؛ أنّ عمر بن الخطاب خرج إلىٰ الشام ، حتىٰ إذا كان بَسرْغ[٤](*) لقيه أمراء الأجناد ؛ أبو عبيدة بن الجرّاح وأصحابه ، فأخبروه أنّ الوباء قد وقع بالشام ، فذكر الحديث ، فجاءه عبد الرحمن بن عوف ، وكان متغيبًا لبعض حاجته ، فقال : إنّ عندي من هذا علمًا ؛ سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « **إن كان بأرض وأنتم بها[٥] فلا تخرجوا فرارًا منه ، وإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه** » فَحَمِدَ اللَّه عمرُ ثم انصرف .

وأخرجاه في الصحيحين من حديث الزهري ، به .

طريق أخرىٰ لبعضه : قال أحمد(١٠٤٣) : حدّثنا حجاج ويزيد العمي[٦] ؛ قالا : أخبرنا ابن أبي ذئب ، عن الزهري ، عن سالم ، عن عبد اللَّه بن عامر بن ربيعة أن عبد الرحمن بن عوف أخبر عمر وهو في الشام ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أن هذا السّقَم عُذّبَ به الأمم قبلكم ، فإذا سمعتم به في أرض فلا تدخلوها ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها[٧] فلا تخرجوا فرارًا منه[٨]** » . قال : فرجع عمر من الشام ، وأخرجاه في الصحيحين من حديث مالك عن الزهري بنحوه[٩] .

(١٠٤٢) - المسند (١/١٩٤) (١٦٨٣) ، وصحيح البخاري ، كتاب الطب حديث (٥٧٢٩) ، وصحيح مسلم ، كتاب السلام حديث (٢٢١٩) .

(*) قرية بوادي تبوك .

(١٠٤٣) - المسند (١/١٩٣) (١٦٧٨) ، وصحيح البخاري ، كتاب الطب ، حديث (٥٧٣٠) ، وصحيح مسلم ، كتاب السلام ، حديث (٢٢١٩) .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في خ : « وطلبًا » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - في خ : « بسوغ » .
[٥] - في خ : « فيها » .
[٦] - في ز ، خ : « العني » .
[٧] - في ز ، خ : « فيها » .
[٨] - سقط من : ت .
[٩] - في ز : « نحوه » .

وقوله : ﴿ **وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم** ﴾ أي : كما أن الحذر لا يغني من القدر ، كذلك الفرار من الجهاد وتجنبه لا يقرّب أجلًا ولا يباعده[١] ؛ بل الأجل المحتوم والرزق المقسوم مقدّر مقنن لا يزاد فيه ولا ينقص منه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلىٰ أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقىٰ ولا تظلمون فتيلا * أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة** ﴾ . وروينا عن أمير الجيوش ومقدّم العساكر وحامي حوزة الإسلام وسيف الله المسلول علىٰ أعدائه أبي سليمان خالد بن الوليد رضي الله عنه أنه قال وهو في سياق الموت(١٥٤٤) : لقد شهدت كذا وكذا موقفا ، وما من عضو من أعضائي إلا وفيه رمية أو طعنة أو ضربة ، وهأنذا[٢] أموت علىٰ فراشي كما يموت العير ، فلا نامت أعين[٣] الجبناء . يعني : أنه يتألم لكونه[٤] ما مات قتيلًا في الحرب ، ويتأسف علىٰ ذلك ، ويتألم أن يموت علىٰ فراشه .

وقوله : ﴿ **من ذا الذي يقرض الله قرضًا حسنًا فيضاعفه له أضعافًا كثيرة** ﴾ يحث تعالىٰ عباده علىٰ الإنفاق في سبيل الله ، وقد كرّر تعالىٰ هذه الآية في كتابه العزيز في غير موضع ، وفي حديث النزول[٥] : « **[من يقرض][٦] غير عديم ولا ظلوم؟** » ،

وقد قال ابن أبي حاتم(١٥٤٥) : حدّثنا الحسن بن عرفة ، حدّثنا خلف بن خليفة ، عن حميد الأعرج ، عن عبد الله بن الحارث ، عن عبد الله بن مسعود ؛ قال : لما نزلت : ﴿ **من ذا الذي يقرض الله قرضًا حسنًا فيضاعفه له** ﴾ قال[٧] أبو الدحداح الأنصاري : يا رسول الله ؛ وإن الله -عز وجل- ليريد منا القرض ؟ قال : « **نعم ، يا أبا الدحداح** » . قال : أرني يدك يا رسول الله . قال : فناوله يده . قال : فإني قد أقرضت ربي -عز وجل- حائطي . قال[٨] : وحائط له فيه ستمائة نخلة ، وأمّ الدحداح فيه وعيالها ، قال : فجاء أبو الدحداح

(١٥٤٤) - انظر : مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٢٦/٨) .

(١٥٤٥) - جزء الحسن بن عرفة برقم (٨٧) ورواه سعيد بن منصور في السنن برقم (٤١٧) تحقيق الدكتور الحميد ، ومن طريقه رواه الطبراني في المعجم الكبير (٣٠١/٢٢) عن خلف بن خليفة به نحوه ، وحميد الأعرج ضعيف ، لكم للحديث شواهد من حديث أنس وعمر رضي الله عنهما .

---

[١] - في خ : « يبعده » .

[٢] - في خ : « وهذأنا » .

[٣] - في ز : « عين » .

[٤] - في ز : « الذي » .

[٥] - مكانها في خ : بياض .

[٦] - في خ : « من تعرض » .

[٧] - كررت في : ز ، خ .

[٨] - سقط من : ز ، خ .

فناداها : يا أمّ الدحداح ، قالت : لبيك . قال : اخرجي ، فقد أقرضته ربي عز وجل .

وقد رواه ابن مردويه من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عمر - رضي الله عنه - مرفوعًا بنحوه .

وقوله : ﴿ **قرضًا حسنًا** ﴾ روي عن عمر وغيره من السلف : هو النفقة في سبيل الله . وقيل : هو النفقة على العيال . وقيل : هو التسبيح والتقديس .

وقوله : ﴿ **فيضاعفه له أضعافًا كثيرة** ﴾ ، كما قال تعالى : ﴿ **مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء** ﴾ الآية ، وسيأتي الكلام عليها .

وقال الإمام أحمد(١٠٤٦) : حدثنا يزيد ، أخبرنا مبارك بن فضالة ، عن علي بن زيد ، عن أبي عثمان النهدي ؛ قال : أتيت أبا هريرة رضي الله عنه فقلت له : إنه بلغني أنك تقول : إن الحسنة تضاعف ألف ألف حسنة . فقال : وما أعجبك من ذلك ؟ لقد سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « **إن الله يضاعف الحسنة ألفي ألف حسنة** » .

هذا حديث غريب ، وعلي بن زيد بن جدعان عنده مناكير ، لكن رواه ابن أبي حاتم من وجه آخر ، فقال:

حدّثنا أبو خلاد سليمان بن خلاد المؤدّب ، حدثنا يونس بن محمد المؤدب ، حدثنا محمد بن عقبة الرباعي [١] ، عن زِياد الجصاص ، عن أبي عثمان النهدي ؛ قال : لم يكن أحد أكثر

(١٠٤٦) -« المسند » (٢/ ٥٢١، ٥٢٢) وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٠/١٤٨) وقال : « رواه أحمد بإسنادين ، والبزار بنحوه وأحد إسنادي أحمد جيد » في الإسنادين علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف ، واختلف عليه فيه فقال أبو الحسن الدارقطني في « العلل » (٨/س ١٥٥٨) : « يرويه علي بن زيد بن جدعان ، واختلف عنه فرواه سفيان بن حسين - عند البزار في مسنده (٢٤٢/٢٠١) مستفاد من هامش « العلل » - ومبارك بن فضالة - عند أحمد (٢/٢٩٦) وابن جرير (٥/٥١٠٩) - وسليمان بن المغيرة عن علي بن زيد عن أبي عثمان النهدي عن أبي هريرة ورفعوه إلى النبي ﷺ ووقفه شعبة وغيره - كذا وابن أبي هند عند ابن أبي شيبة في « المصنف » (٨/١٨٧) - عن علي بن زيد عن أبي عثمان عن أبي هريرة قوله . ورواه زياد الجصاص - عند ابن أبي حاتم (٦/١٠٠٣٠) ومن أحد طرقه سيذكره المصنف عند آية رقم ٣٨ / سورة التوبة وزياد ضعيف - عن أبي عثمان ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ مرفوعًا وتابعه أبان ابن أبي عياش عند عبد الرزاق في تفسيره (١/١٦٠) وأبان متروك - عن أبي عثمان عن أبي هريرة =

---

[١] - كذا في ز ، خ . وجاء في الجرح والتعديل (٨/٣٦) : محمد بن عقبة روى عن زياد الجصاص ، روى عنه يونس بن محمد المؤدب . حدثنا عبد الرحمن قال : سألت أبي عنه ؟ فقال : شيخ . قلت : فإن يونس ابن محمد يقول : الرفاعي ، قال : ليس هو الرفاعي هو من قبيلة أخرى . اهـ

مجالسة لأبي هريرة مني ، فَقَدِمَ قبلي حاجًّا ، قال : وقدمت بعده ، فإذا أهل البصرة يأثرون عنه أنه قال : سمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « **إن اللّٰه يضاعف الحسنة ألف ألف حسنة** » ، فقلت : ويحكم ! واللّٰه ما كان أحد أكثر مجالسة لأبي هريرة مني ، فما سمعت هذا الحديث ، قال : فتحملت أريد أن ألحقه فوجدته قد انطلق حاجًّا ، فانطلقت إلىٰ الحج أن ألقاه في هذا الحديث ، فلقيته لهذا فقلت : يا أبا هريرة ، ما حديث سمعت أهل البصرة يأثرون عنك ؟ قال : ما هو ؟ قلت : زعموا أنك تقول : إن اللّٰه يضاعف الحسنة ألف ألف حسنة . قال : يا أبا عثمان ، وما تعجب من ذا ؟ واللّٰه يقول : ﴿ **من ذا الذي يقرض اللّٰه قرضًا حسنًا فيضاعفه له أضعافًا كثيرة** ﴾ ويقول : ﴿ **فما**[١] **متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل** ﴾ والذي نفسي بيده ، لقد سمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « **إن اللّٰه يضاعف الحسنة ألفي ألف حسنة** » .

وفي معنىٰ هذا الحديث ما رواه الترمذي وغيره (١٠٤٧) من طريق عمرو بن دينار ، عن سالم ، عن عبد اللّٰه بن عمر بن الخطاب : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **من دخل سوقا من الأسواق فقال : لا إله إلا اللّٰه ، وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو علىٰ كل شيء قدير - كتب اللّٰه له ألف ألف حسنة ، ومحا عنه ألف ألف سيئة** » الحديث .

وقال ابن أبي حاتم(١٠٤٨) : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن بسام ، حدثنا أبو إسماعيل المؤدّب ، عن عيسىٰ بن المسيب ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : لما نزلت : ﴿ **مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل اللّٰه كمثل حبة أنبتت سبع سنابل** ﴾ إلىٰ آخرها ، فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **رَبِّ زد أمّتي** » ، فنزلت : ﴿ **من ذا الذي يقرض اللّٰه قرضًا حسنًا فيضاعفه اللّٰه له أضعافًا كثيرة** ﴾ قال : « **رب زد أمّتي** » ؛ فنزلت : ﴿ **إنما يوفىٰ الصابرون**

= عن النبى ﷺ مرفوعًا من رواية أبى سليم عبيد بن يحيى الكوفي وقع إلى الرقة - ثقة - عن أبى بكر بن عياش عن أبان وقال محمد بن إشكاب عن سعيد بن عامر عن أبان عن أبى عثمان عن أبى هريرة موقوفًا ، وقيل : عن ثابت البنانى عن أبى عثمان النهدى عن أبى ذر عن النبى ﷺ » والحديث ذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٥٥٤/١) (٢٩١/٢) ، (١٢١/٣) وعزاه إلى أحمد وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن جرير وابن مردويه .

(١٠٤٧) - سنن الترمذي ، كتاب الدعوات حديث (٣٤٢٩) ، وابن ماجه (٢٢٣٥) وأحمد (٤٧/١) وقال الترمذي : « عمرو بن دينار شيخ بصري ليس بالقوي في الحديث ، وقد تكلم فيه بعض أصحاب الحديث» .

(١٠٤٨) - ورواه ابن حبان في صحيحه برقم (١٦٤٨) « موارد » من طريق حفص المقرىء ، عن أبي إسماعيل المؤدب به .

---

[١] - في ز ، خ : « وما » .

أجرهم بغير حساب ﴾ .

وروىٰ ابن أبي حاتم أيضًا[١] ، عن كعب الأحبار ، أنه جاء رجل فقال : إني سمعت رجلا يقول : من قرأ ﴿ قل هو الله أحد ﴾ مرّة واحدة بنىٰ الله له عشرة آلاف ألف غرفة من در وياقوت في الجنة ، أفأصدّق بذلك ؟ قال : نعم ، أوَعجبتَ من ذلك ؟ قال : نعم . وعشرين ألف ألف ، وثلاثين ألف ألف ، وما لا[٢] يحصي ذلك إلا الله ، ثم قرأ : ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضًا حسنًا فيضاعفه له أضعافًا كثيرة ﴾ فالكثير من الله لا يحصى .

وقوله : ﴿ والله يقبض ويبسط ﴾ أي : أنفقوا ولا تبالوا فالله هو الرزاق يضيق علىٰ من يشاء [من عباده][٣] في الرزق ، ويوسعه علىٰ آخرين ، و[٤] له الحكمة البالغة في ذلك ﴿ وإليه ترجعون ﴾ أي : يوم القيامة .

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾

قال عبد الرزاق : عن معمر ، عن قتادة : هذا النبي هو يوشع بن نون .

قال ابن جرير : يعني : ابن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب ، وهذا القول بعيد ؛ لأن هذا كان بعد موسىٰ بدهر طويل ، وكان ذلك في زمان داود عليه السلام ، كما هو مصرح به في القصة ، وقد كان بين داود وموسىٰ ما ينيف عن ألف سنة ، والله أعلم .

وقال السدي : هو شمعون . وقال مجاهد : هو شمويل عليه السلام ، وكذا قال محمد ابن إسحاق ، عن وهب بن منبه : وهو شمويل بن بالي بن علقمة بن يرخام[٥] ابن إليهو[٦] بن

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - زيادة من : ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - زيادة من : خ .
[٥] - في ز ، « نزخام » ، خ : « ترخام » .
[٦] - في ز ، خ : « اليهو » .

تهو[١] بن[٢] صوف[٣] بن[٤] علقمة بن ماحث[٥] بن عموصا[٦] بن عزريا بن صفينيه[٧] بن علقمة بن أبي ياسف[٨] بن قارون ابن يصهر ابن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام .

وقال وهب بن منبه وغيره : كان بنو إسرائيل بعد موسىٰ عليه السلام علىٰ طريق الاستقامة مدّة من الزمان ، ثم أحدثوا الأحداث ، وعبد بعضهم الأصنام ، ولم يزل بين أظهرهم من الأنبياء من يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويقيمهم علىٰ منهج التوراة ؛ إلىٰ أن فعلوا ما فعلوا ، فسلط الله عليهم أعداءهم ، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وأسروا خلقًا كثيرًا ، وأخذوا منهم بلادًا كثيرة ولم يكن أحد يقاتلهم إلا غلبوه ؛ وذلك أنهم كان عندهم حكم[٩] التوراة والتابوت الذي كان في قديم[١٠] الزمان ، وكان ذلك موروثًا لخلفهم عن سلفهم إلىٰ موسىٰ الكليم عليه الصلاة والسلام ، فلم يزل بهم تماديهم علىٰ الضلال حتىٰ استلبه منهم بعض الملوك في بعض الحروب ، وأخذ التوراة من أيديهم ، ولم يبق من يحفظها فيهم إلا القليل ، وانقطعت النبوّة من أسباطهم ، ولم يبق من سبط لاوي الذي يكون فيه الأنبياء إلا امرأة حامل من بعلها وقد قتل ، فأخذوها فحبسوها في بيت ، واحتفظوا بها ، لعل الله يرزقها غلامًا يكون نبيًّا لهم ، ولم تزل المرأة تدعو الله عز وجل أن يرزقها غلامًا ؛ فسمع الله لها ووهبها غلامًا فسمته شمويل [أي : سمع الله][١١] دعائي[١٢] ، ومنهم من يقول : شمعون ، وهو بمعناه ، فشب ذلك الغلام ، ونشأ فيهم ، وأنبته الله نباتًا حسنا ، فلما بلغ سن الأنبياء أوحىٰ الله إليه ، وأمره بالدعوة إليه ، وتوحيده ، فدعا بني إسرائيل فطلبوا منه أن يقيم لهم ملكا يقاتلون معه أعداءهم ، وكان الملك أيضًا قد باد فيهم ، فقال لهم النبي : فهل عسيتم إن أقام الله لكم ملكا ألا [تقاتلوا و][١٣] تفوا بما التزمتم من القتال معه ؟ ! ﴿ **قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا** ﴾ أي : و[١٤] قد أخذت[١٥] منا البلاد ، وسبيت الأولاد قال الله تعالىٰ : ﴿ **فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم**

---

[١] - في ز ، خ : « بهرض » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في ز : « ماحب » ، خ : « احب » .
[٦] - في ز ، خ : « عمرصا » .
[٧] - في ز ، خ : « صفية » .
[٨] - في ز ، خ : « ياشف » .
[٩] - زيادة من : خ .
[١٠] - في خ : « فيه » .
[١١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[١٢] - سقط من : ز ، خ .
[١٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[١٤] - سقط من : خ .
[١٥] - في ز ، خ : « أخذ » .

بالظالمين ﴾ أي : ما وفوا بما وعدوا ؛ بل نكل عن الجهاد أكثرهم والله عليم بهم .

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾

أي : لما طلبوا من نبيهم أن يعين لهم ملكًا منهم ، فعين لهم طالوت ، وكان رجلًا من آحادهم[١] ، ولم يكن من بيت الملك فيهم ؛ لأن الملك [فيهم][٢] كان في سبط يهوذا ، ولم يكن هذا من ذلك السبط فلهذا قالوا : ﴿ أنىٰ يكون له الملك علينا ﴾ [أي : كيف يكون ملكًا علينا][٣] ﴿ ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال ﴾ أي : ثم هو مع هذا فقير لا مال له يقوم بالملك . وقد ذكر بعضهم أنه كان سقاء. وقيل : دباغًا . وهذا اعتراض منهم علىٰ نبيهم ، وتعنت ، وكان الأولىٰ بهم طاعة وقول معروف ، ثم قد أجابهم النبي قائلًا : ﴿ إنّ الله اصطفاه عليكم ﴾ أي : اختاره لكم من بينكم ، والله أعلم به منكم . يقول : لست أنا الذي عينته من تلقاء نفسي ، بل الله أمرني به لما طلبتم مني ذلك ، ﴿ وزاده بسطة في العلم والجسم ﴾ أي : وهو مع هذا أعلم منكم ، وأنبل ، وأشكل منكم ، وأشدّ قوةً وصبرًا في الحرب ، ومعرفة بها ، أي : أتم علمًا وقامة منكم ، ومن هاهنا ينبغي أن يكون الملك ذا علم ، وشكل حسن ، وقوة شديدة في بدنه ونفسه . [ثم قال : ﴿ والله يؤتي ملكه من يشاء ﴾ أي هو الحاكم الذي ما شاء فعل .

ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، لعلمه وحكمته ، ورأفته بخلقه ولهذا قال : ﴿ والله واسع عليم ﴾ أي : هو واسع الفضل ، ﴿ يختص برحمته من يشاء ﴾ عليم بمن يستحق الملك ممن لا يستحقه] .

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

---

[١] - في خ : « أجنادهم » .

[٢] - ما بين المعكوفتين زيادة من ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

يقول لهم نبيهم : إن علامة بركة ملك طالوت عليكم ، أن يرد الله عليكم التابوت الذي كان أخذ منكم . ﴿ **فيه سكينة من ربكم** ﴾ قيل : معناه : فيه وقار وجلالة .

قال عبد الرزاق : عن معمر ، عن قتادة : ﴿ **فيه سكينة** ﴾ أي : وقار .

وقال الربيع : رحمة . وكذا روي عن العوفي ، عن ابن عباس . وقال ابن جريج : سألت عطاء عن قوله : ﴿ **فيه سكينة من ربكم** ﴾ قال : ما تعرفون من آيات الله ، فتسكنون إليه . [وكذا قال الحسن البصري][١] .

وقيل : السكينة طست من ذهب كانت تغسل فيه قلوب الأنبياء ، أعطاها الله موسىٰ – عليه السلام – فوضع فيها الألواح ، [ ][٢] رواه السدي ، عن أبي مالك ، عن ابن عباس . وقال سفيان الثوري : عن سلمة بن كهيل ، عن أبي الأحوص ، عن علي ، قال : السكينة لها وجه كوجه الإنسان ، ثم هي ريح[٣] هفافة .

وقال ابن جرير(١٥٤٩) : حدثني [ابن][٤] المثنىٰ ، حدثنا أبو داود ، حدثنا شعبة ، وحماد بن سلمة ، وأبو الأحوص ، كلهم عن سماك ، عن خالد بن عرعرة ، عن علي ، قال : السكينة ريح خجوج(*) ، ولها رأسان .

وقال مجاهد : لها جناحان ، وذَنَب . وقال محمد بن إسحاق : عن وهب بن منبه : السكينة رأس هرّة ميتة ، إذا صرخت في التابوت بصراخ هرّ أيقنوا بالنصر ، وجاءهم الفتح . وقال عبد الرزاق : أخبرنا بكار بن عبد الله ، أنه سمع وهب بن منبه يقول : السكينة روح من الله تتكلم إذا اختلفوا في شيء تكلم فتخبرهم[٥] ببيان[٦] ما يريدون .

وقوله : ﴿ **وبقية مما ترك آل موسىٰ وآل هارون** ﴾ قال ابن جرير(١٥٥٠) : أخبرنا ابن مثنىٰ ، حدثنا أبو الوليد ، حدثنا حماد ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في هذه الآية : ﴿ **وبقية مما ترك آل موسىٰ وآل هارون** ﴾ قال : عصاه ورضاض الألواح .

وكذا قال قتادة ، والسدي ، والربيع بن أنس ، وعكرمة ، وزاد : والتوراة .وقال أبو صالح :

(١٥٤٩) – تفسير الطبري (٣٢٧/٥) حديث (٥٦٧١) .

(*) ريح خجوج : أي شديدة المرور في غير استواء . النهاية (١١/٢) .

(١٥٥٠) – تفسير الطبري (٣٣١/٥) حديث (٥٦٨٥) .

---

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] – في ز : « و » .
[٣] – في ت : « روح » .
[٤] – سقط من : ز ، خ .
[٥] – في ز ، خ : « فأخبرهم » .
[٦] – سقط من : خ .

﴿ وبقية مما ترك آل موسىٰ ﴾ يعني : عصا موسىٰ ، وعصا هارون ، ولوحين[١] [من التوراة ، والمن . وقال عطية بن سعد : عصا موسىٰ ، وعصا هارون][٢] وثياب موسىٰ ، وثياب هارون ، ورضاض الألواح .

وقال عبد الرزاق : سألت الثوري عن قوله : ﴿ وبقية مما ترك آل موسىٰ وآل هارون ﴾ فقال: منهم من يقول قفيز من منٍّ ، ورضاض الألواح . ومنهم من يقول : العصا والنعلان .

وقوله : ﴿ تحمله الملائكة ﴾ قال ابن جريج : قال ابن عباس : جاءت الملائكة تحمل التابوت بين السماء والأرض ، حتىٰ وضعته بين يدي طالوت ، والناس ينظرون . وقال السدي : أصبح التابوت في دار طالوت فآمنوا بنبوة شمعون ، وأطاعوا طالوت . وقال عبد الرزاق ، عن الثوري عن بعض أشياخه : جاءت به الملائكة تسوقه علىٰ[٣] عجلة علىٰ بقرة . وقيل : علىٰ بقرتين .

وذكر غيره : أن التابوت كان بأريحا ، وكان المشركون لما أخذوه وضعوه في بيت آلهتهم تحت صنمهم الكبير ، فأصبح التابوت علىٰ رأس الصنم ، فأنزلوه فوضعوه تحته ، فأصبح كذلك ، فسمروه تحته ، فأصبح الصنم مكسر القوائم ، ملقىٰ بعيدًا ، فعلموا أن هذا أمر من اللّٰه لا قِبَلَ لهم به ، فأخرجوا التابوت من بلدهم ، فوضعوه في بعض القرىٰ[٤] فأصاب أهلها داء في رقابهم ، فأمرتهم جارية من سبي بني إسرائيل أن يردّوه إلىٰ بني إسرائيل ، حتىٰ يخلصوا من هذا الداء ، فحملوه علىٰ بقرتين فسارتا به ، لا يقربه أحد إلا مات حتىٰ اقتربتا من بلد بني إسرائيل ، فكسرتا النيرين ، ورجعتا ، وجاء بنو إسرائيل فأخذوه ، فقيل : إنه تسلمه داود عليه السلام ، وأنه لما قام إليهما حَجَلَ(*) من فرحه بذلك . وقيل : شابان منهم . فاللّٰه أعلم .

وقيل : كان التابوت بقرية من قرىٰ فلسطين [يقال لها][٥] : أزدرد .

وقوله : ﴿ إن في ذلك لآية لكم ﴾ أي : علىٰ صدقي فيما جئتكم به من النبوّة ، وفيما أمرتكم به من طاعة طالوت ﴿ إن كنتم مؤمنين ﴾ أي : باللّٰه واليوم الآخر .

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟

(*) ـ الحجل : أن يرفع رجلًا ويقف على الأخرى من الفرح .

[١] ـ في ز : « ولوحان » ، وسقط من : خ .
[٢] ـ ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] ـ سقط من : ز ، خ .
[٤] ـ في ز ، خ : « القرايا » .
[٥] ـ سقط من : خ .

مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن طالوت ملك بني إسرائيل ، حين خرج في جنوده ، ومن أطاعه من ملإ بني إسرائيل ، وكان جيشه يومئذ - فيما ذكره السدي - ثمانين ألفًا . فالله أعلم . أنه قال : ﴿ **إن الله مبتليكم** ﴾ أي : مختبركم بنهر . قال ابن عباس ، وغيره : وهو نهر بين الأردن وفلسطين . يعني : نهر الشريعة المشهور .

﴿ **فمن شرب منه فليس مني** ﴾ أي : فلا يصحبني اليوم في هذا الوجه ﴿ **ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده** ﴾ أي : فلا بأس عليه قال الله تعالىٰ : ﴿ **فشربوا منه إلا قليلًا منهم** ﴾ قال ابن جريج : قال ابن عباس : من اغترف منه بيده رَوِيَ ، ومن شرب منه لم يرو وكذا رواه السدي ، عن أبي مالك ، عن ابن عباس . وكذا قال قتادة ، وابن شوذب .

وقال السدي : كان الجيش ثمانين ألفًا ، فشرب منه[١] ستة وسبعون ألفًا ، وتبقىٰ معه أربعة آلاف . كذا قال .

وقد روىٰ ابن جرير (١٥٥١) من طريق إسرائيل ، وسفيان الثوري ، ومسعر بن كدام ، عن أبي إسحاق السبيعي ، عن البراء بن عازب ، قال : كنا نتحدّث أن أصحاب محمد صلىٰ الله عليه وسلم الذين كانوا يوم بدر ثلاثمائة وبضعة عشر ، علىٰ عدة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر ، وما جاز[٢] معه إلا مؤمن .

ورواه البخاري(١٥٥٢) عن عبد الله بن رجاء ، عن إسرائيل بن يونس بن[٣] أبي إسحاق ، [عن جده] ، عن البراء قال : « **كنّا - أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم - نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت ، الذين جازوا معه النهر ، ولم يجاوز معه إلا**

(١٥٥١) - تفسير الطبري (٣٢٧/٥) .

(١٥٥٢) - صحيح البخاري برقم (٣٩٥٨) .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ت : « جازه » .

[٣] - في ت : « عن » .

مؤمن بضعة عشر وثلاثمائة » .

ثم رواه من حديث سفيان الثوري وزهير عن أبي إسحاق [ ][١] عن البراء بنحوه(١٥٥٣) .

ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده** ﴾ أي : استقلوا أنفسهم عن لقاء عدوّهم لكثرتهم فشجعهم علماؤهم العالمون[٢] ؛ بأن وعد اللّٰه حق ، فإنّ النصر من عند اللّٰه ، ليس عن كثرة عَدد ولا عُدد . ولهذا قالوا : ﴿ **كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن اللّٰه واللّٰه مع الصابرين** ﴾ .

وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٥٠ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٥١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٥٢

أي : لما واجه حزب الإيمان ، وهم قليل من أصحاب طالوت ، لعدوهم أصحاب جالوت ، وهم عدد كثير ﴿ **قالوا ربنا أفرغ علينا صبرًا** ﴾ أي[٣] : [أنزل علينا صبرًا][٤] من عندك ﴿ **وثبت أقدامنا** ﴾ أي : في لقاء الأعداء ، وجنبنا الفرار والعجز ﴿ **وانصرنا علىٰ القوم الكافرين** ﴾ .

قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **فهزموهم بإذن الله** ﴾ أي : غلبوهم وقهروهم بنصر اللّٰه لهم . ﴿ **وقتل داود جالوت** ﴾ ذكروا في الإسرائيليات أنه قتله بمقلاع كان في يده ، رماه به فأصابه فقتله ، وكان طالوت قد وعده إن قتل جالوت أن يزوّجه ابنته ، ويشاطره نعمته ، ويشركه في أمره ، فوفىٰ له ، ثم آل الملك إلىٰ داود - عليه السلام - مع ما منحه اللّٰه به من النبوّة العظيمة . ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وآتاه اللّٰه الملك** ﴾ الذي كان بيد طالوت ﴿ **والحكمة** ﴾ أي : النبوّة بعد شمويل

(١٥٥٣) - صحيح البخاري ، كتاب المغازي حديث (٣٩٥٧) من حديث زهير ورقم (٣٩٥٩) من حديث سفيان .

---

[١] - في ت : عن جده .

[٢] - في ز ، خ : « العالمين » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

﴿ **وعلمه مما يشاء** ﴾ أي : مما يشاء الله من العلم الذي اختصه به صلىٰ الله عليه وسلم .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض** ﴾ أي : [لولا الله][١] يدفع عن قوم بآخرين كما دفع عن بني إسرائيل بمقاتلة طالوت وشجاعة داود لهلكوا . كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدّمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرًا** ﴾ . الآية .

وقال ابن جرير(١٥٥٤) رحمه الله حدثني أبو[٢] حميد الحمصي - أحمد بن المغيرة - حدثنا يحيىٰ بن سعيد ، حدثنا حفص بن سليمان ، عن محمد بن سوقة ، عن وبرة بن عبد الرحمن ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء** » . ثم قرأ ابن عمر : ﴿ **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض** ﴾ .

وهذا إسناد ضعيف ؛ فإن يحيىٰ بن سعيد هذا[٣] هو أبو زكريا[٤] العطار الحمصي ، وهو ضعيف جدًّا[٥] .

ثم قال ابن جرير (١٥٥٥) : حدثنا أبو حميد الحمصي ، حدثنا يحيىٰ بن سعيد ، حدثنا عثمان بن عبد الرحمن ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن الله ليصلح بصلاح الرجل المسلم ولده ، وولد ولده ، وأهل دويرته ، ودويرات حوله ، ولا يزالون في حفظ الله - عز وجل - ما دام فيهم** » .

وهذا أيضًا غريب ضعيف ؛ لما تقدم أيضًا .

وقال أبو بكر بن مردويه(١٥٥٦) : حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، أخبرنا علي بن إسماعيل بن حماد ، أخبرنا أحمد بن محمد بن يحيىٰ بن سعيد ، أخبرنا زيد بن الحباب[٦] ، حدثني حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أبي أسماء ، عن ثوبان

(١٥٥٤) - تفسير الطبري (٣٧٤/٥) (٥٧٥٣) . والعقيلي في الضعفاء (٤٠٤/٤) ، وابن عدي (٢٧٤/٣) .
(١٥٥٥) - تفسير الطبري (٣٧٥/٥) (٥٧٥٤) .
(١٥٥٦) - ورواه عبد الرزاق في المصنف برقم (٢٠٤٥٧) عن معمر ، عن أيوب عن أبي قلابة مرسلًا .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « لولاه » .
[٢] - في ز ، خ : « ابن » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في خ : « الخباب » .

- رفع الحديث - قال : « **لا يزال فيكم سبعة بهم تنصرون ، وبهم تمطرون ، وبهم ترزقون ، حتىٰ يأتي أمر الله** » .

[وقال ابن مردويه أيضًا(١٠٥٧)][١] : وحدثنا محمد بن أحمد ، حدثنا محمد بن جرير بن يزيد ، حدثنا أبو معاذ - [نهار بن][٢] عثمان الليثي -أخبرنا زيد بن الحباب[٣] ، أخبرني عمر البزار ، عن عنبسة الخوّاص ، عن قتادة ، عن أبي قلابة ، عن أبي الأشعث الصنعاني ، عن عبادة بن الصامت ، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **الأبدال في أمّتي ثلاثون : بهم تقوم الأرض ، وبهم تمطرون[٤] ، وبهم تنصرون[٥]** » قال قتادة : إني لأرجو أن يكون الحسن منهم .

وقوله : ﴿ **ولكن الله ذو فضل علىٰ العالمين** ﴾ أي : مَنٍّ عليهم ، ورحمةٍ بهم ؛ يدفع عنهم ببعضهم بعضًا ، وله الحكم والحكمة والحجة علىٰ خلقه في جميع أفعاله وأقواله . ثم قال تعالىٰ : ﴿ **تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين** ﴾ أي : هذه آيات الله التي قصصناها عليك من أمر الذين ذكرناهم . ﴿ **بالحق** ﴾ ، أي : بالواقع الذي كان [الأمر عليه] ، المطابق لما بأيدي أهل الكتاب من الحق الذي يعلمه علماء بني إسرائيل .

﴿ **وإنك** ﴾ أي : يا محمد ﴿ **لمن المرسلين** ﴾ وهذا توكيد وتوطئة للقسم .

۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟

(١٠٥٧) - ورواه الطبراني في المعجم الكبير من طريق محمد بن الفرج ، عن زيد بن الحباب به ، وقال الهيثمي في المجمع (٦٣/١٠) : « رواه الطبراني من طريق عمرو البزار ، عن عنبسة الخواص ، وكلاهما لم أعرفه ، وبقية رجاله رجال الصحيح » . ورواه أحمد (٣٢٢/٥) من طريق الحسن بن ذكوان عن عبد الواحد بن قيس عن عبادة بنحوه . وقال الإمام أحمد : منكر .

فائدة : قال الإمام ابن القيم في المنار المنيف (ص ١٣٦) : « أحاديث الأبدال والأقطاب ، والأغوات ، والنقباء ، والنجباء ، والأوتاد ، كلها باطلة علىٰ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وأقرب ما فيها : « **لا تسبوا أهل الشام فإن فيهم البدلاء ، كلما مات رجل منهم أبدل الله مكانه رجلاً آخر** » ذكره أحمد ، ولا يصح أيضًا ، فإنه منقطع » . وانظر المقاصد الحسنة (٣٢ - ٣٤) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - في خ : « الخباب » .
[٤] - في ز ، خ : « يمطرون » .
[٥] - في ز ، خ : « ينصرون » .

فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾

يخبر تعالىٰ أنه فضل بعض الرسل علىٰ بعض ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولقد فضلنا بعض النبيين علىٰ بعض وآتينا داود زبورًا** ﴾ وقال هاهنا : ﴿ **تلك الرسل فضلنا بعضهم علىٰ بعض منهم من كلم الله** ﴾ يعني : موسىٰ ، ومحمدًا صلىٰ اللّه عليهما وسلم ، وكذلك آدم ، كما ورد به الحديث المروي في صحيح ابن حبان ، عن أبي ذر - رضي اللّه عنه - .

﴿ **ورفع بعضهم درجات** ﴾ كما ثبت في حديث الإسراء ، حين رأىٰ النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم الأنبياء في السماوات بحسب تفاوت منازلهم عند اللّه عز وجل . (**فإن قيل**) : فما الجمع بين هذه الآية وبين الحديث الثابت في الصحيحين (١٥٥٨) عن أبي هريرة قال : استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود ، فقال اليهودي في قسم يقسمه : لا والذي اصطفىٰ موسىٰ علىٰ العالمين . فرفع المسلم يده فلطم بها وجه اليهودي ، فقال : أي : خبيث ! وعلىٰ محمد صلىٰ اللّه عليه وسلم . فجاء اليهودي إلىٰ النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم ، فاشتكىٰ علىٰ المسلم ، فقال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **لا تفضلوني علىٰ الأنبياء ، فإن الناس يصعقون يوم القيامة ، فأكون أول من يفيق ، فأجد موسىٰ باطشًا بقائمة العرش ، فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور** » ؟ فقال[١] : «**فلا**[٢] **تفضلوني علىٰ الأنبياء** » وفي رواية : « **لا تفضلوا بين الأنبياء** » . فالجواب من وجوه :

(**أحدها**) : أن هذا كان قبل أن يعلم بالتفضيل . وفي هذا نظر .

(**الثاني**) : أن هذا قاله من باب الهضم والتواضع .

(**الثالث**) : أن هذا نهي عن التفضيل في مثل هذه[٣] الحال التي تحاكموا فيها عند التخاصم والتشاجر .

(**الرابع**)[٤] : لا تفضلوا بمجرد الآراء والعصبية .

(١٥٥٨) - صحيح البخاري ، كتاب الخصومات حديث (٣٤٠٨) ، وصحيح مسلم ، كتاب الفضائل حديث (٢٣٧٣) .

---

[١] - زيادة من : ز ، خ .

[٢] - في ز : « لا » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز : « والرابع » .

(الخامس) : ليس مقام التفضيل إليكم ، وإنما هو إلىٰ اللَّه عز وجل وعليكم الانقياد والتسليم له والإيمان به .

وقوله : ﴿ **وآتينا عيسىٰ بن مريم البينات** ﴾ أي : الحجج والدلائل القاطعات علىٰ صحة ما جاء بني إسرائيل به من أنه عبد اللَّه ورسوله إليهم ﴿ **وأيدناه بروح القدس** ﴾ يعني : أن اللَّه أيده بجبريل عليه السلام .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ولو شاء اللَّه ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء اللَّه ما اقتتلوا** ﴾ أي : بل كل ذلك عن قضاء اللَّه وقدره . ولهذا قال : ﴿ **ولكن اللَّه يفعل ما يريد** ﴾ .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾

يأمر تعالىٰ [عباده][١] بالإنفاق مما رزقهم في سبيله – سبيل الخير – ليدخروا ثواب ذلك عند ربهم ومليكهم ، وليبادروا إلىٰ ذلك في هذه الحياة الدنيا ﴿ **من قبل أن يأتي يوم** ﴾ يعني : يوم القيامة ﴿ **لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة** ﴾ أي : لا يباع أحد من نفسه ، ولا يفادىٰ بمال لو بذله ، ولو جاء بملء الأرض ذهبًا ، ولا تنفعه خلة أحد – يعني صداقته – بل ولا نسابته ، كما قال : ﴿ **فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون** ﴾ ﴿ **ولا شفاعة** ﴾ أي : ولا تنفعهم شفاعة الشافعين . وقوله ﴿ **والكافرون هم الظالمون** ﴾ مبتدأ محصور في خبره ، أي : [ولا ظالم][٢] أظلم ممن وافىٰ اللَّه يومئذ كافرًا .

وقد روىٰ ابن أبي حاتم ، عن عطاء بن دينار ، أنه قال : الحمد للَّه الذي قال : ﴿ **والكافرون هم الظالمون** ﴾ ولم يقل : والظالمون هم الكافرون .

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

[١] – سقط من ت .

[٢] – في ز ، خ : « والظالم » .

وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾

هذه آية الكرسي ، ولها شأن عظيم ، قد صح الحديث عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بأنها أفضل آية في كتاب الله .

[ ][١] قال الإمام أحمد (١٥٥٩) : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا سفيان ، عن سعيد الجريري ، عن أبي السليل ، عن عبد الله بن رباح ، عن أبي - هو ابن كعب - أن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم سأله : « **أي آية في كتاب الله أعظم؟** » . قال : الله ورسوله أعلم . فرددها مرارًا، ثم قال أبي : آية الكرسي . قال : « **ليهنك العلم أبا المنذر ، والذي نفسي بيده إن لها لسانًا وشفتين ، تقدّس الملك عند ساق العرش** » . وقد رواه مسلم ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن عبد الأعلىٰ بن عبد الأعلىٰ ، عن الجريري ، به . وليس عنده زيادة : «**والذي نفسي بيده ...** » **إلخ** .

(حديث آخر عن أبي أيضًا ، في فضل آية الكرسي) .

قال الحافظ أبو يعلىٰ الموصلي ، حدّثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدّثنا مبشر ، عن الأوزاعي ، عن يحيىٰ بن أبي كثير ، عن عبدة[٢] بن أبي لبابة ، عن عبد الله بن أبي بن كعب ، أنّ أباه أخبره ، أنه كان له جرن فيه تمر ، قال : فكان أبي يتعاهده ، فوجده ينقص ، قال : فحرسه ذات ليلة ، فإذا هو بدابة شبيه الغلام المحتلم ، قال : فسلمت عليه[٣] ، فردّ السلام .

قال[٤] : فقلت : ما أنت؟ جني أم إنسي؟ قال : جني . قال : قلت : ناولني يدك . قال : فناولني يده[٥] ، فإذا يد كلب ، وشعر كلب . فقلت : هكذا خلق الجنّ ؟ قال : لقد علمت الجنّ ما فيهم أشدّ مني ، قلت : فما حملك علىٰ ما صنعت؟ قال : بلغني أنك رجل تحب الصدقة ، فأحببنا أن نصيب من طعامك . قال : فقال له أبي : فما الذي يجيرنا منكم؟ قال : هذه الآية آية الكرسي . ثم غدا إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم فأخبره ، فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **صدق الخبيث** » .

وهكذا رواه الحاكم في مستدركه(١٥٦٠) ، من حديث أبي داود الطيالسي ، عن حرب بن

(١٥٥٩) - المسند (١٤١/٥) ، وصحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها حديث (٨١٠) .

(١٥٦٠) - المستدرك (٥٦٢/١) وفيه انقطاع ، وقد جاء من طريق آخر ، فرواه ابن حبان في صحيحه برقم (١٧٢٤) « موارد » من طريق الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن ابن لأبي بن كعب ، عن أبيه كعب أنه أخبره ... فذكر نحوه .

---

[١] - في خ : « و » ..

[٢] - في ت : « عبيدة » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - سقط من : ز .

شدّاد ، عن يحيىٰ بن أبي كثير ، عن الحضرمي بن لاحق ، عن محمد بن عمرو بن أبي بن كعب ، عن جدّه به . وقال الحاكم[١] : صحيح الإِسناد ولم يخرجاه .

(طريق أخرىٰ) قال الإِمام أحمد(١٥٦١) : حدّثنا محمد بن جعفر ، حدّثنا عثمان بن غياث ، قال : سمعت أبا السليل ، قال : كان رجل من أصحاب النبي صلىٰ الله عليه وسلم يحدث الناس حتىٰ يكثر[٢] عليه ، فيصعد علىٰ سطح بيت فيحدث الناس ، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أي آية في القرآن أعظم؟** » فقال رجل : ﴿ **الله لا إله إلا هو الحي القيوم** ﴾ . قال : فوضع يده بين كتفي ، فوجدت بردها بين ثديي - أو قال : فوضع يده بين ثديي ، فوجدت بردها بين كتفي - وقال : « **ليهنك العلم يا أبا المنذر** » .

(حديث آخر) عن الأسقع البكري ، قال الحافظ أبو القاسم الطبراني(١٥٦٢) : حدثنا أبو يزيد القراطيسي ، حدثنا يعقوب بن أبي عباد المكي ، حدثنا مسلم بن خالد ، عن ابن جريج ، أخبرني عمر بن عطاء ، أن مولىٰ ابن الأسقع - رجل صدق - أخبره عن الأسقع البكري : أنه سمعه يقول : إن النبي صلىٰ الله عليه وسلم جاءهم في صفة المهاجرين فسأله إنسان : أي آية في القرآن أعظم؟ فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم** ﴾ حتىٰ انقضت الآية .

(حديث آخر) عن أنس ، قال الإِمام أحمد(١٥٦٣) : حدثنا عبد الله بن الحارث[٣] ، حدثني سلمة بن وردان ، أن أنس بن مالك حدثه ، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم سأل رجلًا من صحابته فقال : « **أي فلان ، هل تزوّجت؟** » قال : لا وليس عندي ما أتزوّج به . قال : « **أو ليس معك « قل هو الله أحد» ؟** » . قال : بلىٰ . قال : « **ربع القرآن** » . قال[٤] : « **أليس معك «قل يا أيها الكافرون»؟** » قال : بلىٰ . قال : « **ربع القرآن** » . قال : « **أليس معك «إذا زلزلت»؟** » قال : بلىٰ . قال : « **ربع القرآن** » . قال[٥] : « **أليس معك «إذا جاء نصر الله»؟** » . قال : بلىٰ . قال : « **ربع القرآن** » . قال[٦] : « **أليس معك «آية الكرسي**

(١٥٦١) - المسند (٥٨/٥) .

(١٥٦٢) - المعجم الكبير (٣٣٤/١) وقال الهيثمي في المجمع (٣٢١/٦) : « فيه راوٍ لم يسم وقد وثق ، وبقية رجاله ثقات » .

(١٥٦٣) - المسند (٢٢١/٣) .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في خ : « يكثروا » .

[٣] - في خ : « الحريث » .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - سقط من : ز .

﴿ **اللّه لا إله إلا هو** ﴾؟ » قال : بلىٰ . قال : « **ربع القرآن** » .

(حديث آخر) عن أبي ذر - جندب بن جنادة - قال الإمام أحمد(١٥٦٤) : حدثنا وكيع بن الجراح ، حدثنا المسعودي ، أنبأني أبو عمر الدمشقي ، عن عبيد بن الخشخاش[١] ، عن أبي ذر ، - رضي اللّه عنه - ، قال : أتيت النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم وهو في المسجد فجلست ، فقال : « **يا أبا ذر هل صليت؟** » قلت : لا . قال : « **قم فصل** » . قال : فقمت فصليت ، ثم جلست . فقال : « **يا أبا ذر ، تعوذ باللّه من شر شياطين الإنس والجن** » . قال : قلت : يا رسول اللّه ؛ أو[٢] للإنس شياطين ؟! قال : « **نعم** » . قال : قلت : يا رسول اللّه ؛ الصلاة ؟ قال : « **خير موضوع[٣] من شاء أقل ومن شاء أكثر** » . قال : قلت : يا رسول اللّه فالصوم ؟ قال : « **فرض مجزئ وعند اللّه مزيد** » . قلت : يا رسول اللّه ؛ فالصدقة ؟ قال : « **أضعاف مضاعفة** » . قلت : يا رسول اللّه ؛ فأيها أفضل ؟ قال : « **جهد من مقل أو سِر إلىٰ فقير** » . قلت : يا رسول اللّه ؛ أي الأنبياء كان أوّل ؟ قال : « **آدم** » . قلت : يا رسول اللّه ؛ ونبي كان ؟ قال : « **نعم ، نبي مكلم** » . قال[٤] قلت : يا رسول اللّه ؛ كم المرسلون ؟ قال : ثلثمائة وبضعة عشر ؛ جمًّا غفيرًا » وقال مرّة : « **وخمسة عشر** » . قال[٥] : قلت : يا رسول اللّه ؛ أيما أنزل عليك أعظم؟ قال : «**آية الكرسي ﴿ اللّه لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾** » [ورواه النسائي][٦] [ ][٧] .

(حديث آخر) عن أبي أيوب - خالد بن زيد الأنصاري - رضي اللّه عنه وأرضاه ، قال الإمام أحمد(١٥٦٥) : [حدثنا أبو أحمد][٨] حدثنا سفيان ، عن ابن أبي ليلىٰ ، عن أخيه [عن] عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ ، عن أبي[٩] أيوب ، أنه كان في سَهْوَة[١٠] (*) له ، وكانت الغول تجيء فتأخذ ، فشكاها إلىٰ النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم فقال : « **إذا[١١] رأيتها فقل باسم اللّه أجيبي رسول اللّه** » قال : فجاءت فقال لها ،[......][١٢] فأخذها فقالت : إني لا أعود .

(١٥٦٤) - المسند (١٧٨/٥) ، وسنن النسائي (٢٧٥/٨) .

(١٥٦٥) - المسند (٤٢٣/٥) ، وسنن الترمذي برقم (٢٨٨٠) .

(*) السهوة : بيت صغير منحدر في الأرض سبيه بالخزانة .

---

[١] - في ز ، خ : « الحسحاس .

[٢] - في ز ، خ : « و » .

[٣] - في ز : « موضع » .

[٤] - زيادة من : ز ، خ .

[٥] - سقط من ت

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٧] - ما بين المعكوفتين في ز : « عن » .

[٨] - زيادة من المسند ، والأطراف (٥٥/٦) .

[٩] - سقط من : خ .

[١٠] - في ز ، خ : « سهرة » .

[١١] - في ت : « فإذا » .

[١٢] - ما بين المعكوفتين بياض في خ .

فأرسلها . فجاء ، فقال له النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ما فعل أسيرك ؟** » قال : أخذتها فقالت : إني لا أعود . فأرسلتها . فقال : « **إنها عائدة** » فأخذتها مرتين أو ثلاثًا ، كل ذلك تقول[١] : لا أعود . وأجيء[٢] إلىٰ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فيقول : « **ما فعل أسيرك ؟** » . فأقول[٣] : أخذتها فتقول : لا أعود . فيقول : « **إنها عائدة** » . فأخذتها[٤]، فقالت : أرسلني وأعلمك شيئًا تقوله ، فلا يقربك شيء : آية الكرسي . فأتىٰ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فأخبره فقال : « **صدقت وهي كذوب** » .

ورواه الترمذي في فضائل القرآن عن بندار ، عن أبي أحمد الزبيري ، به . وقال : حسن غريب. [والغول في لغة العرب الجان إذا تبدىٰ في الليل][٥] .

وقد ذكر البخاري هذه القصة عن أبي هريرة(١٥٦٦) ، فقال في كتاب فضائل القرآن ، وفي كتاب الوكالة ، وفي صفة إبليس من صحيحه : قال عثمان بن الهيثم - أبو عمرو - : حدثنا عوف ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة ، قال : وكّلني رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان ، فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام ، فأخذته وقلت : لأرفعنك إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم . قال : دعني[٦] فإني[٧] محتاج وعلي عيال ، ولي حاجة شديدة . قال : فخليت عنه فأصبحت ، فقال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **يا أبا هريرة ، ما فعل أسيرك البارحة ؟** » قال : قلت يا رسول اللّٰه ، شكا حاجة شديدة وعيالًا[٨] فرحمته وخليت سبيله .

قال : « **أما إنه قد كذبك وسيعود** » . فعرفت أنه سيعود ؛ لقول رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : «**إنه سيعود**» ، فرصدته ، فجاء يحثو من الطعام ، فأخذته فقلت : لأرفعنَّك إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال : دعني فإني محتاج وعليَّ عيال ، لا أعود . فرحمته ، وخليت سبيله، فأصبحت ، فقال لي رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **يا أبا هريرة ؛ ما فعل أسيرك البارحة ؟** » . قلت : يا رسول اللّٰه شكا حاجة وعيالًا فرحمته ، فخليت سبيله . قال : « **أما إنه قد كذبك وسيعود** » . فرصدته الثالثة ، فجاء يحثو من الطعام ، فأخذته ، فقلت : لأرفعنَّك إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وهذا آخر ثلاث مرات ، أنك تزعم أنك لا تعود ، ثم تعود . فقال : دعني أعلمك كلمات ينفعك اللّٰه بها . قلت : [وما

(١٥٦٦) - صحيح البخاري برقم (٢٣١١، ٣٢٧٥ ، ٢٣١١) .

---

[١] - في خ : « يقول » .
[٢] - في ز ، خ : « ويجيء » .
[٣] - في ز : « فيقول » .
[٤] - في ز ، خ : « فأخذها » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في خ : « إني » .
[٨] - في خ : « وعياله » .

هُنَّ][١] ؟ قال : إذا أويت إلىٰ فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿ **اللَّه لا إله إلا هو الحي القيوم** ﴾ حتىٰ تختم الآية ، فإنك لن يزال عليك من اللَّه حافظ ولا يقربك شيطان حتىٰ تصبح . فخليت سبيله . فأصبحت ، فقال لي رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **ما فعل أسيرك البارحة ؟** » قلت : يارسول اللَّه ؛ زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني اللَّه بها ، فخليت سبيله . قال : « **ما هي ؟** » قال : قال لي : إذا أويت إلىٰ فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتىٰ تختم الآية ﴿ **اللَّه لا إله إلا هو الحي القيوم** ﴾ وقال لي : لن يزال عليك من اللَّه حافظ ، ولا يقربك شيطان حتىٰ تصبح . وكانوا أحرص شيء علىٰ الخير . فقال النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أما إنه صدقك وهو كذوب ، تعلم من تخاطب من ثلاث ليال يا أبا هريرة ؟** » . قلت[٢] : لا . قال : « **ذاك شيطان** » .

كذا رواه البخاري معلقًا بصيغة الجزم .

وقد رواه النسائي في اليوم والليلة(١٥٦٧) ، عن إبراهيم بن يعقوب ، عن عثمان بن الهيثم ... فذكره .

وقد روي من وجه آخر عن أبي هريرة بسياق آخر قريب من هذا ، فقال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره : حدثنا محمد بن عبد اللَّه بن عمرويه الصفار ، حدثنا أحمد بن زهير بن حرب ، أنبأنا مسلم بن إبراهيم ، أنبأنا إسماعيل بن مسلم العبدي ، أنبأنا أبو المتوكل الناجي ، أن أبا هريرة كان معه مفتاح بيت الصدقة ، وكان فيه تمر ، فذهب يومًا ففتح الباب فوجد التمر قد أخذ منه ملء كف ، ودخل يومًا آخر فإذا قد أخذ منه ملء كف ، ثم دخل يومًا آخر ثالثًا فإذا قد أخذ منه مثل ذلك ، فشكىٰ ذلك أبو هريرة إلىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال له النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **تحب أن تأخذ صاحبك هذا** » . قال : نعم . قال : « **فإذا فتحت الباب فقل : سبحان من سخرك محمد !** » . فذهب ففتح الباب ، فقال : سبحان من سخرك محمد . فإذا هو قائم بين يديه . قال : يا عدو اللَّه ؛ أنت صاحب هذا ؟ قال : نعم ، دعني فإني لا أعود ، ما كنت آخذا[٣] إلا لأهل بيت من الجن فقراء . فخلىٰ عنه ، ثم عاد الثانية ، ثم عاد الثالثة ، فقلت : أليس قد عاهدتني ألا تعود ؟ لا أدعك اليوم حتىٰ أذهب بك إلىٰ النبي صلىٰ اللَّه تعالىٰ عليه وآله وسلم . قال : لا تفعل ، فإنك إن تدعني علمتك كلمات ، إذا أنت قلتها لم يقربك أحد من الجن صغير ولا كبير ، ذكر ولا أنثىٰ . قال له : لتفعلن ؟ قال : نعم . قال : ما هنّ ؟ قال : ﴿ **اللَّه لا إله إلا هو**

(١٥٦٧) - سنن النسائي الكبرى برقم (١٠٧٩٥) .

[١] - في ز ، خ : « ما هى » .
[٢] - في خ : « قال » .
[٣] - في ز : « آخذ » .

الحي القيوم ﴾ قرأ آية الكرسي حتىٰ ختمها فتركه ، فذهب ، [فلم يعد][١] . فذكر ذلك أبو هريرة للنبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال له رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أما علمت أن ذلك كذلك؟** » .

وقد رواه النسائي(١٠٦٨) ، عن أحمد بن محمد بن عبيد اللَّه ، عن شعيب بن حرب ، عن إسماعيل بن مسلم ، عن أبي المتوكل ، عن أبي هريرة ، به .

وقد تقدّم لأبي بن كعب كائنة مثل هذه[٢] أيضًا . فهذه ثلاث وقائع .

(قصة أخرىٰ) قال أبو عبيد في كتاب الغريب(١٠٦٩) : حدثنا أبو معاوية ، عن أبي عاصم الثقفي ، عن الشعبي ، عن عبد اللَّه بن مسعود قال : خرج رجلٌ من الإِنس فلقيه رجل من الجن فقال : هل لك أن تصارعني ، فإن صرعتني علمتك آية إذا قرأتها حين تدخل بيتك لم يدخله شيطان ؟ فصارعه ، فصرعه . فقال : إني أراك ضئيلًا شخّيتًا كأن ذراعيك ذراعا كلب ، أفهكذا أنتم أيها الجن كلكم ، أم أنت من بينهم؟ فقال : إني بينهم لضليع ،فعاودني ، فصارعه ، فصرعه الإِنسي . فقال : تقرأ آية الكرسي ، فإنه لا يقرأها أحد إذا دخل بيته إلا خرج الشيطان وله خَبَجٌ كخبج الحمار . فقيل لابن مسعود : أهو عمر؟ فقال : من عسىٰ أن يكون إلا عمر .

قال أبو عبيد : الشخّيت[٣] الضئيل النحيف الجسم ، والخبج[٤] بالخاء المعجمة ، ويقال بالحاء[٥] المهملة[٦] : الضراط .

(حديث آخر) عن أبي هريرة ؛ قال الحاكم أبو عبد اللَّه في مستدركه(١٠٧٠) : حدثنا علي بن حمشاذ ، حدثنا بشر بن موسىٰ ، حدثنا الحميدي ، حدثنا سفيان ، حدثني حكيم بن جبير الأسدي ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **سورة البقرة فيها آية سيد آي القرآن ، لا تقرأ في بيت فيه شيطان إلا خرج منه : آية الكرسي** » .

(١٠٦٨) - سنن النسائي الكبرى برقم (١٠٧٩٤) .
(١٠٦٩) - غريب الحديث لأبي عبيد (٦٣/٢) .
(١٠٧٠) - المستدرك (٢٥٩/٢) .

---

[١] - في ز ، خ : « فأبعد » .
[٢] - في ز : « هذا » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز : « والخبج » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز : « بالمهملة » .

وكذا رواه من طريق آخر عن زائدة(١٥٧١) ، عن حكيم بن جبير ، ثم قال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . كذا قال . وقد رواه الترمذي من حديث زائدة ، ولفظه : « **لكل شيء سنام ، وسنام القرآن سورة البقرة ، وفيها آية هي سيدة آي القرآن : آية الكرسي** » . ثم قال : غريب لا نعرفه إلا من حديث حكيم بن جبير ، وقد تكلم فيه شعبة ، وضعفه .

(قلت) : وكذا ضعفه أحمد ويحيىٰ بن معين ، وغير واحد من الأئمة ، وتركه ابن مهدي ، وكذبه السعدي .

(حديث آخر) : قال ابن مردويه(١٥٧٢) : حدثنا عبد الباقي بن قانع[١] ، أخبرنا عيسىٰ بن محمد المروزي ، أخبرنا عمر بن محمد البخاري ، أخبرنا أبي ، أخبرنا عيسىٰ بن موسىٰ - غنجار - عن عبد الله بن كيسان ، حدثنا يحيىٰ ، أخبرنا يحيىٰ بن عقيل ، عن يحيىٰ بن يعمر ، عن ابن عمر ، عن عمر بن الخطاب ، أنه خرج ذات يوم إلىٰ الناس وهم سماطات(*) فقال : أيكم يخبرني بأعظم آية في القرآن . فقال ابن مسعود : علىٰ الخبير سقطت ، سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **أعظم آية في القرآن ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾** » .

(حديث آخر) : في اشتمالها علىٰ اسم الله الأعظم .

قال الإمام أحمد(١٥٧٣) : حدثنا محمد بن بكر[٢] ، أنبأنا عبيد الله بن أبي زياد ، حدثنا شهر بن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد بن السكن ، قالت : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول في هاتين الآيتين **﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾** و **﴿ الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾** : « **إن فيهما اسم الله الأعظم** » .

وكذا رواه أبو داود عن مسدد ، والترمذي عن علي بن خشرم ، وابن ماجة عن أبي بكر بن أبي شيبة ثلاثتهم ، عن عيسىٰ بن يونس ، عن عبيد الله بن أبي زياد ، به .

وقال الترمذي : حسن صحيح .

(١٥٧١) - المستدرك (٢/٢٥٩) .

(١٥٧٢) - ورواه الجوزقاني في الأباطيل برقم (٧١٢) من طريق عيسى بن موسى غنجار به .

(*) أي : جماعات .

(١٥٧٣) - المسند (٦/٤٦١) . وسنن أبي داود برقم (١٤٩٦) ، وسنن الترمذي برقم (٣٤٧٨) ، وسنن =

---

[١] - في ز ، خ : نافع . [٢] - في ت : « بكير » .

(حديث آخر) في معنىٰ هذا عن أبي أمامة رضي اللَّه عنه . قال ابن مردويه(١٥٧٤) : أخبرنا عبد الرحمٰن بن نمير ، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل ، أخبرنا هشام بن عمار ، أنبأنا الوليد بن مسلم ، أخبرنا عبد اللَّه بن العلاء بن زبر[١] ، أنه سمع القاسم ابن[٢] عبد الرحمن يحدث عن أبي أمامة يرفعه قال : « **اسم اللَّه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في ثلاث : سورة البقرة ، وآل عمران ، وطه** » . و[٣] قال هشام - وهو ابن عمار خطيب دمشق - : أما البقرة ، فاللَّه لا إله إلا هو الحي القيوم ، وفي آل عمران : ﴿ **الم اللَّه لا إله إلا هو الحي القيوم** ﴾ وفي طه: ﴿ **وعنت الوجوه للحي القيوم** ﴾ .

(حديث آخر) عن أبي أمامة في فضل قراءتها بعد الصلاة المكتوبة . قال أبو بكر بن مردويه : حدثنا محمد بن محرز بن مساور الأدمي ، أخبرنا جعفر بن محمد بن الحسن ، أخبرنا الحسين بن بشر - بطرسوس - أخبرنا محمد بن حمير ، أخبرنا محمد بن زياد ، عن أبي أمامة ، قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **من قرأ دبر كل صلاة مكتوبة آية الكرسي لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت** » .

وهكذا رواه النسائي في اليوم والليلة(١٥٧٥) ، عن الحسين بن بشر ، به ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث محمد بن حمير - وهو الحمصي - من رجال البخاري أيضًا .

فهو إسناد علىٰ شرط البخاري . وقد زعم أبو الفرج بن الجوزي : أنه حديث موضوع(١٥٧٦) ، واللَّه أعلم .

وقد روىٰ ابن مردويه من حديث علي(١٥٧٧) ، والمغيرة بن شعبة(١٥٧٨) ، وجابر بن عبد اللَّه ، نحو هذا الحديث .

= ابن ماجة برقم (٣٨٥٥) .

(١٥٧٤) - ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٨/٢٨٢) ، والطحاوي في مشكل الآثار برقم (١٧٦) من طرق عن هشام بن عمار به نحوه .

(١٥٧٥) - سنن النسائي الكبرى برقم (٩٩٢٨) .

(١٥٧٦) - الموضوعات (١/٢٤٤) .

(١٥٧٧) - حديث علي رواه أيضًا البيهقي في شعب الإيمان برقم (٢٣٩٥ من طريق نهشل عن أبي إسحاق الهمداني عن حبة العرني عن علي رضي الله عنه .

(١٥٧٨) - حديث المغيرة رواه أبو نعيم في الحلية (٣/٢٢١) من طريق عمر بن إبراهيم ، عن محمد =

---

[١] - في ز، خ : زيد

[٢] - في ز ، خ : « أبا » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

ولكن في إسناد كل منهما ضعف .

وقال ابن مردويه أيضًا(١٥٧٩) : حدثنا محمد بن الحسن بن زياد المقري ، أخبرنا يحيىٰ بن درستويه المروزي ، أخبرنا زياد بن إبراهيم ، أخبرنا أبو حمزة السكري ، عن المثنىٰ ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن أبي موسىٰ الأشعري ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : **« أوحىٰ الله إلىٰ موسىٰ بن عمران عليه السلام : أن اقرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة ، فإنه من يقرأها في دبر كل صلاة مكتوبة أجعل له قلب الشاكرين ، ولسان الذاكرين ، وثواب النبيين[١] ، وأعمال الصدّيقين ، ولا يواظب علىٰ ذلك إلا نبي ، أو صديق ، أو عبد امتحنت قلبه للإيمان ، أو أريد قتله في سبيل الله »** .

وهذا حديث منكر جدًا .

(حديث آخر) في[٢] أنها تحفظ من قرأها في أول النهار وأول الليل .

قال أبو عيسىٰ الترمذي(١٥٨٠) : حدثنا يحيىٰ بن المغيرة - أبو سلمة المخزومي المديني - أخبرنا ابن أبي فديك ، عن عبد الرحمن المُليكي ، عن زُرارة بن مُصعب ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : **« من قرأ : حم ، المؤمن إلىٰ ﴿إليه المصير﴾ ، وآية الكرسي حين يصبح - حفظ بهما حتىٰ يمسي ، ومن قرأهما حين يمسي حفظ بهما حتىٰ يصبح »** . ثم قال : هذا حديث غريب ، وقد تكلم بعض أهل العلم في عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي مُليكة المُليكي من قِبَلِ حفظه .

وقد ورد في فضلها أحاديث أخر تركناها اختصارًا ؛ لعدم صحتها وضعف أسانيدها : كحديث علي في قراءتها عند الحجامة أنها تقوم مقام حجامتين ، وحديث أبي هريرة في[٣] كتابتها في اليد اليسرىٰ بالزعفران سبع مرات ، وتلحس للحفظ وعدم النسيان ، أوردهما ابن مردوية وغير ذلك .

وهذه الآية مشتملة علىٰ عشر جمل مستقلة

فقوله : **﴿ الله لا إله إلا هو ﴾** إخبار بأنه المنفرد بالإلهية لجميع الخلائق **﴿ الحي القيوم ﴾**

ابن كعب، عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه .

(١٥٧٩) - وفيه محمد بن الحسن النقاش ، قال البرقاني كل حديثه منكر . وقال الخطيب : حديثه مناكير . وروى نحوه من حديث جابر رضي الله عنه لكنه ضعيف .

(١٥٨٠) - سنن الترمذي برقم (٢٨٧٩) .

[١] - في ز ، خ : « المنبيين » .
[٢] - في خ : « وفي » .
[٣] - بياض في خ .

أي: الحي في نفسه الذي لا يموت أبدًا ، القيم[١] لغيره . وكان عمر يقرأ : القيام . فجميع الموجودات مفتقرة إليه ، وهو غني عنها ، ولا قوام لها بدون أمره ؛ كقوله : ﴿ **ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره** ﴾ .

وقوله ﴿ **لاتأخذه سنة ولانوم** ﴾ أي : لايعتريه نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه ، بل هو قائم علىٰ كل نفس بما كسبت ، شهيد علىٰ كل شيء ، لا يغيب عنه شيء ، ولا يخفىٰ عليه خافية ، ومن تمام القيومية أنه لا يعتريه سنة ولانوم . فقوله ﴿ **لا تأخذه** ﴾ أي : لاتغلبه سنة ؛ وهي الوسن والنعاس ، ولهذا قال : ﴿ **ولا نوم** ﴾ لأنه أقوىٰ من السِّنة .

وفي الصحيح(١٥٨١) ، عن أبي موسىٰ ، قال : قام فينا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بأربع كلمات فقال : « **إن اللّٰه لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل النهار قبل عمل الليل ، وعمل الليل قبل عمل النهار ، حجابه النور أو النار ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهىٰ إليه بصره من خلقه** » .

وقال عبد الرزّاق : أخبرنا معمر ، أخبرني الحكم بن أبان ، عن عكرمة مولىٰ ابن عباس في قوله : ﴿ **لا تأخذه سنة ولانوم** ﴾ أن موسىٰ - عليه السلام - سأل الملائكة : هل ينام اللّٰه -عز وجل- ؟ فأوحىٰ اللّٰه تعالىٰ إلىٰ الملائكة وأمرهم أن يؤرقوه ثلاثًا ، فلا يتركوه ينام ، ففعلوا ، ثم أعطوه قارورتين فأمسكهما ، ثم تركوه وحذروه أن يكسرهما ، قال : فجعل ينعس وهما في يده ؛ في كل يد واحدة . قال : فجعل ينعس وينبه ، وينعس وينبه ، حتىٰ نعس نعسة فضرب إحداهما بالأخرىٰ ، فكسرهما . قال معمر : إنما هو مثلٌ ضَرَبَهُ اللّٰه عز وجل . يقول : فكذلك السموات والأرض في يديه[٢].

وهكذا رواه ابن جرير(١٥٨٢) ، عن الحسن بن يحيىٰ ، عن عبد الرزاق ، فذكره . وهو من أخبار بني إسرائيل ، وهو مما يعلم أن موسىٰ - عليه السلام - لا يخفىٰ عليه مثل هذا من أمر اللّٰه عز وجل وأنه منزه عنه .

وأغرب من هذا كله الحديث الذي رواه ابن جرير (١٥٨٣) :

(١٥٨١) - صحيح مسلم برقم (١٧٩) .

(١٥٨٢) - تفسير الطبري (٣٩٣/٥) .

(١٥٨٣) - تفسير الطبري (٣٩٤/٥) وقال الحافظ ابن حجر في ترجمة أمية بن شبل : « له حديث منكر رواه عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن أبي هريرة مرفوعًا قال « وقع في نفس موسى عليه السلام : هل =

---

[١] - في خ : « المقيم » .

[٢] - في خ : « يده » .

حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل ، حدثنا هشام بن يوسف ، عن أمية بن شبل ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ،عن أبي عكرمة عن أبي هريرة ، قال : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يحكي عن موسىٰ - عليه السلام - علىٰ المنبر ، قال : **« وقع في نفس موسىٰ : هل ينام الله ؟ فأرسل الله إليه ملكًا فأرقه ثلاثًا ، ثم أعطاه قارورتين في كل يد قارورة ، وأمره أن يحتفظ بهما ، قال : فجعل ينام ، وكادت[١] يداه تلتقيان[٢] فيستيقظ[٣] فيحبس إحداهما علىٰ الأخرىٰ ، حتىٰ نام نومة فاصطفقت يداه فانكسرت القارورتان ، قال : « ضرب الله - عز وجل - له[٤] مثلًا ؛ إن الله لو كان ينام لم تستمسك السماء والأرض »** . وهذا حديث غريب جدًا ، والأظهر أنه إسرائيلي ، لا مرفوع ، والله أعلم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن القاسم بن عطية ،حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الدشتكي، حدثني أبي ، عن أبيه ، حدثنا أشعث بن إسحاق ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، [عن سعيد بن جبير][٥] ، عن ابن عباس ، أن بني إسرائيل قالوا : يا موسىٰ ؛ هل ينام ربك؟ قال : اتقوا الله . فناداه ربه عز وجل : يا موسىٰ ؛ سألوك : هل ينام ربك ؟ ، فخذ زجاجتين في يديك ، فقم الليل ، ففعل موسىٰ ، فلما ذهب من الليل ثلث نعس فوقع[٦] لركبتيه ، ثم انتعش فضبطهما ، حتىٰ إذا كان آخر الليل نعس ، فسقطت[٧] الزجاجتان فانكسرتا ، فقال : يا موسىٰ ؛ لو كنت أنام لسقطت السموات والأرض فهلكن[٨] كما هلكت الزجاجتان في يديك . فأنزل[٩] الله عز وجل علىٰ نبيه صلىٰ الله عليه وسلم آية الكرسي .

وقوله : ﴿ **له ما في السموات ومافي الأرض** ﴾ إخبار بأن الجميع عبيده ، وفي[١٠] ملكه وتحت قهره وسلطانه ، كقوله : ﴿ **إنْ كل من في السمواتِ والأرض إلا آتي الرحمن عبدًا لقد أحصاهم وعدّهم عدًّا وكلهم آتيه يوم القيامة فردًا** ﴾ وقوله : ﴿ **من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه** ﴾ كقوله : ﴿ **وكم من ملك في السموات لاتغني شفاعتهم شيئًا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضىٰ** ﴾ . وكقوله : ﴿ **ولا يشفعون إلا لمن ارتضىٰ** ﴾ وهذا من عظمته وجلاله وكبريائه عز وجل، أنه لا يتجاسر أحد علىٰ أن يشفع لأحد[١١] عنده إلا [أن يأذن][١٢]

=ينام الله ؟ » الحديث رواه هشام بن يوسف وخالفه معمر ، عن الحكم ، عن عكرمة فوقفه ، وهذا أقرب ، ولا يسوغ أن يكون هذا وقع في نفس موسى عليه السلام ، وإنما روى أن بني إسرائيل سألوا موسى عن ذلك».

[١] - في ز : « وكاد » .
[٢] - في ز ، خ : « يلتقيان » .
[٣] - في ز ، خ : « يستيقظ » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز : « فرفع » .
[٧] - في ز : « فسقط » .
[٨] - في ز : « لهلكن » .
[٩] - في خ : « وأنزل » .
[١٠] - سقط من : ز ، خ .
[١١] - سقط من : ز ، خ .
[١٢] - في خ : « بأذنه » .

له في الشفاعة ، كما في حديث الشفاعة (١٥٨٤) : « **آتي تحت العرش فأخر ساجدًا ، فيدعني ما شاء اللَّه أن**[١] **يدعني ، ثم يقال : ارفع رأسك وقل تسمع**[٢] **، واشفع تشفع . (قال) : فيحدّ لي حدًّا فأدخلهم الجنة** » .

وقوله : ﴿ **يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم** ﴾ دليل علىٰ إحاطة علمه بجميع الكائنات ؛ ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، كقوله إخبارًا عن الملائكة : ﴿ **وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيًا** ﴾ وقوله : ﴿ **ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء** ﴾ أي : لايطلع أحد من علم اللَّه علىٰ شيء إلا بما أعلمه اللَّه عز وجل وأطلعه عليه .

ويحتمل أن يكون المراد : لايطلعون علىٰ شيء من علم ذاته وصفاته إلا بما أطلعهم اللَّه عليه ، كقوله : ﴿ **ولا يحيطون به علمًا** ﴾ وقوله : ﴿ **وسع كرسيه السموات والأرض** ﴾ .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا ابن إدريس ، عن مطرف بن طريف ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله : ﴿ **وسع كرسيه السموات والأرض** ﴾ قال : علمه .

وكذا رواه ابن جرير من حديث عبد اللَّه بن إدريس ، وهشيم ؛ كلاهما عن مطرف بن طريف به . قال ابن أبي حاتم : وروي عن سعيد بن جبير مثله .

ثم قال ابن جرير : وقال آخرون : الكرسي موضع القدمين .

ثم رواه عن أبي موسىٰ ، والسدي ، والضحاك ، ومسلم البطين .

وقال شجاع بن مخلد في تفسيره : أخبرنا أبو عاصم عن سفيان ، عن عمار الدهني ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : سئل النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم ، عن قول اللَّه عز وجل : ﴿ **وسع كرسيه السموات والأرض** ﴾ قال : « **كرسيه : موضع قدميه، والعرش : لا يقدر قدره إلا اللَّه عز وجل** » .

كذا أورد هذا الحديث الحافظ أبو بكر بن مردويه(١٥٨٥) من طريق شجاع بن مخلد الفلاس

(١٥٨٤) - حديث الشفاعة مخرج في الصحيحين من حديث أنس - رضي الله عنه - وسيأتي سياقه وذكر طرقه عند تفسير الآية : ٧٩ من سورة الإسراء .

(١٥٨٥) - ورواه الخطيب في تاريخ بغداد (٩/٢٥١) من طريق شجاع بن مخلد به .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ز ، خ : « يسمع » .

فذكره ؛ وهو غلط . وقد رواه وكيع في تفسيره : حدثنا سفيان ، عن عمار الدهني ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ، قال : [ ][١] الكرسي : موضع القدمين ، والعرش : لا يقدر أحد قدره .

وقد رواه[٢] الحاكم في مستدركه(١٥٨٦) ، عن أبي العباس محمد بن أحمد المحبوبي ، عن محمد بن معاذ ، عن أبي عاصم ، عن سفيان -وهو الثوري- بإسناده عن ابن عباس ، موقوفًا مثله . وقال : صحيح عن شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وقد رواه ابن مردويه ، من طريق الحكم بن ظهير الفزاري الكوفي - وهو متروك - عن السدي ، [عن أبيه][٣] عن أبي هريرة ، مرفوعًا . ولا يصح أيضًا .

وقال السدي : عن أبي مالك : الكرسي تحت العرش . وقال السدي : السموات والأرض في جوف الكرسي ، والكرسي بين يدي العرش .

وقال الضحاك : عن ابن عباس : لو أن السموات السبع والأرضين السبع بسطن ، ثم وصلن بعضهن إلىٰ بعض ، ما كن في سعة الكرسي إلا بمنزلة الحلقة في المفازة . ورواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم .

وقال ابن جرير (١٥٨٧) : حدثني يونس ، أخبرني ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : حدثني أبي، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس** » .

قال : وقال أبو ذر : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهراني[٤] فلاة من الأرض** » .

وقال أبو بكر بن مردويه (١٥٨٨) : أخبرنا سليمان بن أحمد ، أخبرنا عبد الله بن وهب الغزّي ،

(١٥٨٦) - المستدرك (٢٨٢/٢) ورواه ابن أبي شيبة في صفة العرش برقم (٦١) من طريق أبي عاصم عن سفيان به موقوفًا .

(١٥٨٧) - تفسير الطبري (٣٩٩/٥) وهو منقطع ، وقد جاء موصولًا ، فرواه ابن ابي شيبة في صفة العرش برقم (٥٨) من طريق المختار بن غسان ، عن إسماعيل بن سلم ، عن ابي إدريس الخولاني ، عن أبي ذر الغفاري - رضي الله عنه - مرفوعًا بنحوه . وسيأتي أيضًا موصولًا من طريق آخر وهو الذي يليه من رواية ابن مردويه .

(١٥٨٨) - وفي إسناده محمد بن أبي السري العسقلاني ، ضعفه أبو حاتم ووثقه ابن معين ، وقال ابن عدي : كثير الغلط .

---

[١] - في خ : موضع .
[٢] - في ز : « روى » .
[٣] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز ، خ .
[٤] - في ت : « ظهراني » .

أخبرنا محمد بن أبي السَّرِيِّ العسقلاني ، أخبرنا محمد بن [عبد الله][١] التميمي ، عن القاسم بن محمد الثقفي ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن أبي ذر الغفاري ، أنه سأل النبي صلىٰ الله عليه وسلم عن الكرسي . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **والذي نفسي بيده ما السموات السبع ، والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، وإن فضل العرش علىٰ الكرسي كفضل الفلاة علىٰ تلك الحلقة** » .

وقال الحافظ أبو يعلىٰ الموصلي في مسنده(١٠٨٩) : حدثنا زهير ، حدثنا ابن أبي بكير ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الله بن خليفة ، عن عمر – رضي الله عنه – قال : أتت امرأة إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم فقالت : ادع الله أن يدخلني الجنة .

قال : فعظم الرب تبارك وتعالىٰ وقال : « **إن كرسيه وسع السموات والأرض وإن له أطيطًا كأطيط الرحل الجديد[٢] من ثقله** » .

وقد رواه الحافظ البزار في مسنده المشهور(١٠٩٠) ، وعبد بن حميد ، وابن جرير في تفسيريهما والطبراني ، وابن أبي عاصم في كتابي السنة لهما ، والحافظ الضياء في كتابه المختار ، من حديث أبي إسحاق السبيعي ، عن عبد الله بن خليفة ، وليس بذاك المشهور ، وفي سماعه من عمر نظر . ثم منهم من يرويه عنه عن عمر موقوفًا ، ومنهم من يرويه [عن عمر][٣] مرسلًا (١٠٩١) ، ومنهم من يزيد في متنه زيادة غريبة ، ومنهم من يحذفها .

وأغرب[٤] من هذا حديث جبير بن مطعم في صفة العرش .

كما رواه أبو داود في كتاب السنة من سننه(١٠٩٢) ، والله أعلم .

وقد روىٰ ابن مردويه وغيره أحاديث عن بريدة ، وجابر ، وغيرهما ، في وضع الكرسي يوم القيامة لفصل القضاء . والظاهر [أن ذلك][٥] غير المذكور في هذه الآية .

وقد زعم بعض المتكلمين علىٰ علم الهيئة من الإسلاميين : أن الكرسي عندهم : هو الفلك

(١٠٨٩) – ورواه من طريقه الضياء المقدسي في المختارة برقم (١٥١) .
(١٠٩٠) – مسند البزار برقم (٣٩) « كشف الأستار » ، وتفسير الطبري (٥/٤٠٠) ، والسنة لابن أبي عاصم برقم (٥٧٤) والمختارة للضياء المقدسي برقم (١٥١ – ١٥٤) .
(١٠٩١) – الرواية المرسلة في تفسير الطبري (٥/٤٠٠) .
(١٠٩٢) – سنن أبي داود برقم (٤٧٢٦) .

[١] – في ز ، خ : « عبيد الله » .
[٢] – في خ : « الحديد » .
[٣] – ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « عنه » .
[٤] – في ز ، خ : « وأعرف » .
[٥] – في ز ، خ : « أن ذاك » .

الثامن ، وهو فلك الثوابت ، الذي فوقه الفلك التاسع وهو الفلك الأثير . ويقال له : الأطلس . وقد رد ذلك عليهم آخرون .

وروىٰ ابن جرير، من طريق جويبر ، عن الحسن البصري ، أنه كان يقول : الكرسي : هو العرش . والصحيح : أن الكرسي غير العرش ، والعرش أكبر منه ؛ كما دلت علىٰ ذلك الآثار والأخبار .

وقد اعتمد ابن جرير علىٰ حديث عبد الله بن خليفة ، عن عمر في ذلك ، وعندي في صحته نظر ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ ولا يئوده حفظهما وهو العلي العظيم ﴾ أي : لا يثقله ولا يكرثه حفظ السموات والأرض ومن فيهما ومن بينهما ، بل ذلك سهل عليه يسير لديه ، وهو القائم علىٰ كل نفس بما كسبت ، الرقيب علىٰ جميع الأشياء ؛ فلا يعزب عنه شيء ، ولا يغيب عنه شيء ، والأشياء كلها حقيرة بين يديه ، متواضعة ذليلة صغيرة بالنسبة إليه ، محتاجة فقيرة ، وهو الغني الحميد ، الفعال لما يريد ، الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، وهو القاهر لكل شيء ، الحسيب علىٰ كل شيء ، الرقيب العلي العظيم ، لا إله غيره ولا رب سواه . فقوله : ﴿ وهو العلي العظيم ﴾ كقوله : ﴿ وهو الكبير المتعال ﴾ .

وهذه الآيات وما في معناها من الأحاديث الصحاح : الأجود فيها طريقة السلف الصالح ؛ إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه .

لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ أي : لاتكرهوا أحدًا علىٰ الدخول في دين الإسلام فإنه[١] بين واضح جلي دلائله وبراهينه ، لا يحتاج إلىٰ أن يكره أحد علىٰ الدخول فيه ، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ، ونور بصيرته ، دخل فيه علىٰ بينة ، ومن أعمىٰ الله قلبه ، وختم علىٰ سمعه وبصره ، فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرهًا مقسورًا[٢] ، وقد ذكروا أن[٣] سبب نزول هذه الآية في قوم من الأنصار ، وإن كان حكمها عامًّا .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ز : « متسورًا » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

فقال[١] ابن جرير : حدثنا ابن[٢] بشار[٣] ، حدثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كانت المرأة تكون مقلاتًا(*) ، فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تُهَوِّدَه ، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار ، فقالوا : لا ندع أبناءنا فأنزل الله عز وجل : ﴿ لاإكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾ .

وقد رواه أبو داود ، والنسائي ، جميعًا عن بندار به(١٥٩٣) . ومن وجوه أخر عن شعبة ، به نحوه .

وقد رواه ابن أبي حاتم(١٥٩٤) ، وابن حبان في صحيحه ، من حديث شعبة به . وهكذا ذكر مجاهد ، وسعيد بن جبير ، والشعبي ، والحسن البصري ، وغيرهم : أنها نزلت في ذلك .

وقال محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد الحرشي[٤] مولى(*) زيد بن ثابت ، عن عكرمة - أو عن سعيد - عن ابن عباس ، قوله : ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ قال : نزلت في رجل من الأنصار - من بني سالم بن عوف يقال له الحصين - كان له ابنان نصرانيان ، وكان هو رجلًا مسلمًا ، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم : ألا أستكرههما ؛ فإنهما قد أبيا إلا النصرانية ؟ فأنزل الله فيه ذلك .

رواه ابن جرير . وروى[٥] السدي نحو ذلك ، وزاد : وكانا قد تنصرا على أيدي[٦] تجار قدموا من الشام يحملون زيتًا[٧] ، فلما عزما على الذهاب معهم أراد أبوهما أن يستكرههما ، وطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث في آثارهما . فنزلت هذه الآية .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عمرو بن عوف ، أخبرنا شريك عن أبي هلال ، عن أُسَقِ ، قال : كنت [ ][٨] مملوكا نصرانيًا لعمر بن الخطاب ، فكان يعرض عليَّ الإسلام ، فأبى فيقول : ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ . ويقول : يا أَسَقُ ؛ لو أسلمت لاستعنا بك على بعض أمور المسلمين .

(*) - المقلات من النساء التي لا يعيش لها ولد .

(١٥٩٣) - تفسير الطبري (٤٠٧/٥ ، ٤٠٨) ، وسنن أبي داود برقم (٢٦٨٢) ، وسنن النسائي الكبرى برقم (١١٠٤٨) .

(١٥٩٤) - صحيح ابن حبان برقم (١٧٢٥) « موارد » .

(*) - في ز ، خ : عن .

---

[١] - في خ : «وقال » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ز ، خ : « يسار » .
[٤] - في ز ، خ : « الجرشي » .
[٥] - في ز : « وروي عن » .
[٦] - في ز : « يدي » .
[٧] - في خ : « زبيبًا » .
[٨] - ما بين المكوفتين في ت : في دينهم .

وقد ذهب طائفة كبيرة[١] من العلماء ، أن هذه محمولة علىٰ أهل الكتاب ، ومن دخل في دينهم قبل النسخ والتبديل ؛ إذا بذلوا الجزية .

وقال آخرون : بل هي منسوخة بآية القتال ، فإنه يجب أن يدعىٰ جميع الأمم إلىٰ الدخول في الدين الحنيف - دين الإسلام - فإن أبىٰ أحد منهم الدخول فيه ، ولم ينقد له ، أو[٢] يبذل الجزية ، قوتل حتىٰ يقتل .

وهذا معنىٰ الإكراه . قال الله تعالىٰ : ﴿ **ستدعون إلىٰ قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **يأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين** ﴾ .

وفي الصحيح(١٥٩٥) : « **عجب ربك من قوم يقادون إلىٰ الجنة في السلاسل** » . يعني : الأسارىٰ الذين يقدم بهم بلاد الإسلام في الوثاق ، والأغلال ، والقيود ، والأكبال ، ثم بعد ذلك يسلمون ، وتصلح أعمالهم وسرائرهم ، فيكونون من أهل الجنة .

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد(١٥٩٦) : حدثنا يحيىٰ ، عن حميد ، عن أنس ، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، قال لرجل : « **أسلِم** » . قال : إني أجدني كارهًا . قال : « **وإن كنت كارهًا** »

فإنه[٣] ثلاثي صحيح ، ولكن ليس من هذا القبيل فإنه لم يكرهه النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، علىٰ الإسلام ، بل دعاه إليه فأخبره أن نفسه ليست قابلة له ، بل هي كارهة ، فقال له[٤] : « **أسلم . وإن كنت كارهًا** » فإن الله سيرزقك حسن النية والإخلاص .

وقوله : ﴿ **فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقىٰ لا انفصام لها والله سميع عليم** ﴾ أي : من خلع الأنداد والأوثان وما يدعو إليه الشيطان ؛ من عبادة كل ما يعبد من دون الله ، ووحد الله ؛ فعبده وحده ، وشهد أنه[٥] لا إله إلا هو ﴿ **فقد استمسك بالعروة الوثقىٰ** ﴾ أي : فقد ثبت في أمره ، واستقام علىٰ الطريقة المثلىٰ ، والصراط المستقيم .

(١٥٩٥) - صحيح البخاري برقم (٣٠١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(١٥٩٦) - المسند (١٨١/٣) (١٢٨٩١) .

---

[١] - في ز ، خ : « كثيرة » .

[٢] - في ز ، خ : « و » .

[٣] - في ز ، « فأنه » .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - في خ : « أن » .

قال أبو القاسم البغوي : حدثنا أبو روح البلدي ، حدثنا أبو الأحوص - سلام بن سليم - عن أبي إسحاق ، عن حسان هو - ابن فائد العبسي - قال : قال عمر - رضي الله عنه - : إن الجبت السحر ، والطاغوت الشيطان . وإن الشجاعة والجبن غرائز تكون في الرجال ، يقاتل الشجاع عمَّن لا يعرف ، ويفر الجبان عن[١] أمه ، وإن كرم الرجلِ دينه ، وحَسَبه خلقه ، وإن كان فارسيًا أو نَبَطيًا .

وهكذا رواه ابن جرير(١٠٩٧) ، وابن أبي حاتم ، من حديث الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن حسان بن فائد العبسي ، عن عمر ، فذكره .

ومعنىٰ قوله في الطاغوت (إنه الشيطان) . قوي جدًّا ؛ فإنه يشمل كل شر كان عليه أهل الجاهلية ، من عبادة الأوثان ، والتحاكم إليها ، والاستنصار بها .

وقوله : ﴿ **فقد استمسك بالعروة الوثقىٰ لا انفصام لها** ﴾ أي : فقد استمسك من الدين بأقوىٰ سبب ، وشبه ذلك بالعروة القوية التي لاتنفصم[٢] فهي[٣] في نفسها ، محكمة مبرمة قوية ،ربطها قوي شديد ؛ ولهذا قال : ﴿ **فقد استمسك بالعروة الوثقىٰ لا انفصام لها والله سميع عليم** ﴾ . الآية .

قال مجاهد : العروة[٤] الوثقىٰ : يعني الإيمان . وقال السدّي : هو الإسلام . وقال سعيد بن جبير ، والضحاك : يعني لا إله إلا الله . وعن أنس بن مالك : العروة الوثقىٰ : القرآن . وعن سالم بن أبي الجعد ، قال : هو الحب في الله ، والبغض في الله .

وكل هذه الأقوال صحيحة ، ولا تنافي بينها .

وقال معاذ بن جبل في قوله : ﴿ **لا انفصام لها** ﴾ : [أي][٥] لا انقطاع لها دون دخول الجنة .

وقال مجاهد ، وسعيد بن جبير : ﴿ **فقد استمسك بالعروة الوثقىٰ لا انفصام لها** ﴾ . ثم قرأ : ﴿ **إن الله لا يغيرُ ما بقومٍ حتىٰ يغيروا ما بأنفسهم** ﴾ .

وقال الإمام أحمد(١٠٩٨) : أنبأنا إسحاق بن يوسف ، حدثنا ابن عون ، عن محمد عن

(١٠٩٧) - تفسير الطبري (٤١٧/٥) .

(١٠٩٨) - المسند (٤٥٢/٥) (٢٣٨٩٤) .

[١] - في ت : « من » .

[٢] - في خ : « تنقصم » .

[٣] - في خ : « هي » .

[٤] - في ز : « فقد استمسك بالعروة » .

[٥] - ما بين المعكوفتين زيادة من ز .

قيس بن عُبَاد قال : كنت في المسجد ، فجاء رجل في وجهه أثر من خشوع ، فدخل[١] فصلىٰ ركعتين أوجز فيهما فقال القوم : هذا رجل من أهل الجنة . فلما خرج اتبعته حتىٰ دخل منزله ، فدخلت معه ، فحدثته ، فلما استأنس قلت له : إن القوم لما دخلت قبل المسجد قالوا كذا وكذا . قال : سبحان الله ! ما ينبغي لأحد أن[٢] يقول مالا يعلم ، وسأحدّثك لِمَ : إني رأيت رؤيا علىٰ عهد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقصصتها عليه ؛ رأيت كأنني[٣] في روضة خضراء - قال ابن عون : فذكر من خضرتها وسعتها- وفي[٤] وسطها عمود حديد ، أسفله في الأرض وأعلاه في السماء ، في أعلاه عروة فقيل لي : اصعد عليه . فقلت : لا أستطيع . فجاءني منصف- قال ابن عون هو الوصيف- فرفع ثيابي من خلفي ، فقال : اصعد . فصعدت حتىٰ أخذت بالعروة ، فقال : استمسك بالعروة . فاستيقظت ، وإنها لفي يدي ، فأتيت رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فقصصتها عليه ، فقال : « **أمّا الروضة فروضة الإسلام ، وأما العمود فعمود الإسلام ، وأمّا العروة فهي العروة الوثقىٰ ، أنت علىٰ الإسلام حتىٰ تموت** » .

قال : وهو عبد الله بن سلام ، أخرجاه في الصحيحين(١٥٩٩) ، من حديث عبد الله بن عون ، وأخرجه البخاري من وجه آخر ، عن محمد بن سيرين به(١٦٠٠) .

(طريق أخرىٰ وسياق آخر) قال الإمام أحمد (١٦٠١) : حدثنا حسن بن موسىٰ ، وعفان[٥] ، قالا : حدثنا حماد بن سلمة ، عن عاصم بن بهدلة ، عن المسيب بن رافع ، عن خرشة بن الحرّ ، قال : قدمت المدينة ، فجلست إلي مشيخة[٦] في مسجد النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، فجاء شيخ يتوكأ علي عصًا له ، فقال القوم : من سره أن ينظر إلىٰ رجل من أهل الجنة فلينظر إلىٰ هذا . فقام خلف سارية فصلىٰ ركعتين ، فقمت إليه ، فقلت له[٧] : قال بعض القوم كذا وكذا . فقال : الجنة لله يدخلها من يشاء ، وإني رأيت على عهد رسول الله صلىٰ الله عليه

(١٥٩٩) - أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار ، باب : مناقب عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه (١٦١/٧/رقم : ٣٨١٣) وطرقاه في (٧٠١٠،٧٠١٤) . ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب : من فضائل عبد الله بن سلام رضى الله عنه (١٩٣٠/٤،١٩٣١/رقم : ٢٤٨٤) .

(١٦٠٠) - صحيح البخاري برقم (٧٠١٠) .

(١٦٠١) - المسند (٤٥٢/٥ ، ٤٥٣) (٢٣٨٩٧) .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز ، خ : « كأني » .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - في ز ، خ : « عثمان » .

[٦] - في ز ، خ : « أشيخة » .

[٧] - سقط من : ز ، خ .

وسلم رؤيا ؛ رأيت كأنّ رجلًا أتاني فقال : انطلق . فذهبت معه ، فسلك بي منهجًا عظيمًا ، فعرضت لي طريق[١] عن يساري ، فأردت أن أسلكها ، فقال : إنك لست من أهلها ، ثم عرضت لي طريق عن يميني ، فسلكتها حتىٰ انتهيت إلىٰ جبل زلق (*) ، فأخذ بيدي ، فزجل[٢] بي ،فإذا أنا علىٰ ذروته فلم أتقار (*) ، ولم أتماسك ، فإذا عمود حديد في ذروته حلقة من ذهب ، فأخذ بيدي فَزَجل(*) [٣] بي حتىٰ أخذت بالعروة ، فقال : استمسك . فقلت : نعم . فضرب العمود برجله . فاستمسكت بالعروة . فقصصتها علىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال : « **رأيت خيرًا أمّا المنهج العظيم : فالمحشر ، وأمّا الطريق التي عرضت عن يسارك : فطريق أهل النار ، ولست من أهلها ، وأمّا الطريق التي عرضت عن يمينك : فطريق أهل الجنة ، وأمّا الجبل الزلق : فمنزل الشهداء ، وأمّا العروة التي استمسكت بها : فعروة الإسلام ، فاستمسك بها حتىٰ تموت** » . قال : فأنا أرجو أن أكون من أهل الجنة . قال : وإذا هو عبد اللَّه بن سلام .

وهكذا رواه النسائي(١٦٠٢) ، عن أحمد بن سليمان ، عن عفان ، وابن ماجة ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ،عن الحسن بن موسىٰ الأشيب ؛ كلاهما عن حماد بن سلمة به ، نحوه .

وأخرجه مسلم في صحيحه(١٦٠٣) من حديث الأعمش ، عن سليمان بن مسهر ، عن خرشة بن الحرّ الفزاري ، به .

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾

(*) أي : لا تثبت عليه قدم .

(*) أي : لم أثبت .

(*) زجل به : رفعه ورماه .

(١٦٠٢) - النسائي في الكبرى في كتاب التعبير ، باب : صعود الجبل الزلق (٣٨٤/٤،٣٨٥/رقم : ٧٦٣٣) . وابن ماجة في كتاب تعبير الرؤيا ، باب : تعبير الرؤيا (١٢٩١/٢،١٢٩٢/رقم : ٣٩٢٠) .

(١٦٠٣) - أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب : من فضائل عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه (١٩٣١/٤،١٩٣٢/رقم : ٢٤٨٤) .

---

[١] - في خ : « طريقًا » . [٢] - في ز : « فدحا » ، خ : « فدحى » .

[٣] - في ز ، خ : « فدحى » .

يخبر تعالىٰ أنه يهدي من اتبع رضوانه سبل السلام ، فيخرج عباده المؤمنين من ظلمات الكفر ، والشك ، والريب إلىٰ نور الحق الواضح الجلي المبين السهل المنير ، وأن الكافرين إنما أولياؤهم[١] الشياطين ، تُزَيّنُ لهم ما هم فيه من الجهالات والضلالات ، ويخرجونهم ، ويحيدون بهم عن طريق الحق إلىٰ الكفر والإفك ﴿ **أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ ولهذا وحد تعالىٰ لفظ النور ، وجمع الظلمات ؛ لأن الحق واحد ، والكفر أجناس كثيرة ، وكلها باطلة ، كما[٢] قال : ﴿ **وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **وجعل الظلمات والنور** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **عن اليمين والشمائل** ﴾ إلىٰ غير ذلك من الآيات التي في لفظها إشعار بتفرّد الحق ، وانتشار الباطل ، وتفرّده[٣] ، وتشعبه .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا علي بن ميسرة ، حدثنا عبد العزيز بن أبي عثمان ، عن موسىٰ بن عبيدة ، عن أيوب بن خالد ، قال : يبعث[٤] أهل الأهواء - أو[٥] قال : يبعث أهل الفتن - فمن كان هواه الإيمان كانت فتنته بيضاء مضيئة ، ومن كان هواه الكفر كانت فتنته سوداء مظلمة . ثم قرأ هذه الآية : ﴿ **الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلىٰ النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلىٰ الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ .

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾

هذا الذي حاج إبراهيم في ربه هو ملك بابل : نمروذ بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح . ويقال : نمروذ بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح . والأوّل قول مجاهد وغيره .

---

[١] - في ز ، خ : « وليهم » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، « وتفرقه » ، خ : « وتفررقه » .
[٤] - في خ : « تبعث » .
[٥] - في خ : « و » .

قال مجاهد : وملك الدنيا مشارقها ، ومغاربها أربعة : مؤمنان وكافران ؛ فالمؤمنان : سليمان ابن داود ، وذو القرنين . والكافران : نمروذ وبختنصر ، والله أعلم .

ومعنىٰ قوله ﴿ **ألم تر** ﴾ أي : بقلبك يا محمد ﴿ **إلىٰ الذي حاج إبراهيم في ربه** ﴾ أي : وجود ربه . وذلك أنه أنكر أن يكون ثَمَّ إله غيره ، كما قال بعده فرعون لملئه : ﴿ **ما علمت لكم من إله غيري** ﴾ وما حمله علىٰ هذا الطغيان والكفر الغليظ والمعاندة الشديدة إلا تجبرُهُ ، وطول مدته في الملك ، وذلك أنه يقال : إنه مكث أربعمائة سنة في ملكه ؛ ولهذا قال : ﴿ **أن آتاه الله الملك** ﴾ وكأنه طلب من إبراهيم دليلًا علىٰ وجود الرب الذي يدعو إليه ، فقال إبراهيم : ﴿ **ربي الذي يحيي ويميت** ﴾ أي : إنما[١] الدليل علىٰ وجوده حدوث هذه الأشياء المشاهدة بعد عدمها ، وعدمها بعد وجودها ، وهذا دليل علىٰ وجود الفاعل المختار ضرورة ؛ لأنها لم تحدث بنفسها ، فلابد لها من موجد أوجدها ، وهو الرب الذي أدعو إلىٰ عبادته وحده لا شريك له . فعند ذلك قال المحاج - وهو النمروذ - : ﴿ **أنا أحيي وأميت** ﴾ .

قال قتادة ، ومحمد بن إسحاق ، والسدي ، وغير واحد : وذلك أني أوتىٰ بالرجلين قد استحقا القتل ، فآمر بقتل أحدهما فيقتل ، وآمر[٢] بالعفو عن الآخر فلا يقتل . فذلك معنىٰ الإحياء والإماتة .

والظاهر - والله أعلم - أنه ما أراد هذا ؛ لأنه ليس جوابًا لما قال إبراهيم ، ولا في معناه ، لأنه غير[٣] مانع لوجود الصانع ، وإنما أراد أن يدعي لنفسه هذا المقام ؛ عنادًا ومكابرة ، ويوهم أنه الفاعل لذلك ، وأنه هو الذي يحيي ويميت ، كما اقتدىٰ به فرعون في قوله ﴿ **ما علمت لكم من إله غيري** ﴾ ؛ ولهذا قال له إبراهيم ، لما ادعىٰ هذه المكابرة : ﴿ **فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب** ﴾ أي : إذا كنت كما تدعي من أنك تحيي وتميت ، فالذي يحيي ويميت هو الذي يتصرف في الوجود في خلق ذراته ، وتسخير كواكبه وحركاته - فهذه الشمس تبدو كل يوم من المشرق ، فإن كنت إلهًا كما تدعي[٤] فأت بها من المغرب؟ فلما علم عجزه وانقطاعه ، وأنه لايقدر علىٰ المكابرة في هذا المقام بهت ، أي : أخرس فلا يتكلم ، وقامت عليه الحجة . قال الله تعالىٰ : ﴿ **والله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾ أي : لا يلهمهم حجة ولا برهانًا ، بل حجتهم داحضة عند ربهم ، وعليهم غضب ، ولهم عذاب شديد .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - سقط من : ز . [٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز : « ادعيت تحيى وتحيت » ، خ : « دعيت » .

وهذا التنزيل علىٰ هذا المعنىٰ أحسن مما ذكره كثير من المنطقيين : أن عدول إبراهيم عن المقام الأوّل إلىٰ المقام الثاني ، انتقال من دليل إلىٰ أوضح منه ، ومنهم من قد يطلق عبارة رديَّة وليس كما قالوه ؛ بل المقام الأوّل يكون كالمقدمة للثاني . ويبين[١] بطلان ما ادعاه نمروذ في الأوّل والثاني ، ولله الحمد والمنة .

وقد ذكر السدي ، أن هذه المناظرة كانت بين إبراهيم ونمروذ بعد خروج إبراهيم من النار ، ولم يكن اجتمع بالملك إلا في ذلك اليوم ، فجرت بينهما هذه المناظرة .

وروىٰ عبد الرزاق ، عن معمر ، عن زيد بن أسلم : أن النمروذ كان عنده طعام ، وكان الناس يغدون إليه للميرة ، فوفد إبراهيم في جملة من وفد للميرة ، فكان بينهما هذه المناظرة ، ولم يعط إبراهيم من الطعام كما أعطىٰ الناس ، بل خرج وليس معه شيء من الطعام ، فلما قرب من أهله عمد إلىٰ كثيب من التراب فملأ منه عدليه ، وقال : أشغل أهلي عني إذا قدمت إليهم[٢] ، فلما قدم وضع رحاله وجاء فاتكأ فنام ، فقامت امرأته سارة إلىٰ العدلين فوجدتهما ملآنين طعامًا طيبًا ، فعملت [منه][٣] طعامًا ، فلما استيقظ إبراهيم وجد الذي قد أصلحوه . فقال : أنىٰ لكم هذا ؟ قالت : من الذي جئت به . فعلم[٤] أنه رزق رزقهموه الله عز وجل . قال[٥] زيد بن أسلم : وبعث الله إلىٰ ذلك الملك الجبار مَلَكًا يأمره بالإيمان بالله ، فأبىٰ عليه ، ثم دعاه الثانية فأبىٰ ، ثم الثالثة فأبىٰ . وقال : اجمع جموعك ، وأجمع جموعي . فجمع النمروذ جيشه وجنوده وقت طلوع الشمس ، وأرسل الله عليهم بابًا من البعوض بحيث لم يروا عين الشمس ، وسلطها الله عليهم ، فأكلت لحومهم ودماءهم ، وتركتهم عظامًا بادية ، ودخلت واحدة منها في منخري الملك ، فمكثت في [منخريه][٦] أربعمائة سنة ، عذبه الله بها ، فكان يضرب برأسه بالمرازب في هذه المدة كلها[٧] حتىٰ أهلكه الله بها .

﴿ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ

[١] - في ز : « وتبين » ، خ : « ويتبين » .
[٢] - في ز : « عليهم » .
[٣] - ما بين المعكوفتين زيادة من ز .
[٤] - في ز : « فعرف » .
[٥] - بياض في ز ، خ .
[٦] - في ت : « منخري الملك » .
[٧] - زيادة من : ز ، خ .

﴿كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾

تقدم قوله تعالىٰ : ﴿ **ألم تر إلىٰ الذي حاج إبراهيم في ربه** ﴾ وهو في قوة[١] قوله : هل رأيت مثل الذي حاج إبراهيم في ربه . ولهذا عطف عليه بقوله : ﴿ **أو كالذي مر علىٰ قرية وهي خاوية علىٰ عروشها** ﴾ اختلفوا في هذا المار ، من هو ؟ فروىٰ ابن أبي حاتم ، عن عصام بن روَّاد ، عن آدم بن أبي إياس ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن ناجية بن كعب ، عن علي بن أبي طالب ، أنه قال : هو عزير .

ورواه ابن جرير ، عن ناجية نفسه ، وحكاه ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، عن ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، والسدي ، وسليمان بن بريدة . وهذا القول هو المشهور .

وقال وهب بن منبه ، وعبد الله بن عبيد بن عمير هو إرميا بن حلقيا . قال محمد بن إسحاق ، عمن لا يتهم ، عن وهب بن منبه ، أنه قال : وهو اسم الخضر عليه السلام .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، قال : سمعت سليمان بن محمد اليسارى[٢] الجاري - من أهل الجار[٣] ابن عم مطرف - قال : سمعت رجلًا من أهل الشام يقول : إن الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه اسمه حزقيل بن بورا .

وقال مجاهد بن جبر : هو رجل من بني إسرائيل . وأما القرية فالمشهور أنها بيت المقدس ، مر عليها بعد تخريب بختنصر لها ، وقتل أهلها ﴿ **وهي خاوية** ﴾ أي : ليس فيها أحد ؛ من قولهم : خوت الدار تخوىٰ خَواء وخُويًا .

وقوله : ﴿ **علىٰ عروشها** ﴾ أي : ساقطة سقوفها ، وجدرانها علىٰ عرصاتها . فوقف متفكرًا فيما آل أمرها إليه بعد العمارة العظيمة ، وقال : ﴿ **أنىٰ يحيي هذه الله بعد موتها** ﴾ وذلك لما رأىٰ من دثورها وشدة خرابها ، وبعدها عن العود إلى ما كانت عليه ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **فأماته الله مائة عام ثم بعثه** ﴾ قال : وعمرت البلدة بعد مضي سبعين سنة من موته ، وتكامل ساكنوها ، وتراجع[٤] بنو إسرائيل إليها .

فلما بعثه الله - عز وجل - بعد موته كان أول شيء أحيا الله فيه عينيه لينظر بهما إلىٰ صنع

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في خ : « السيارى » .
[٣] - في ز : « الجاري » .
[٤] - في ز : « تراجعت » .

اللَّه فيه ؛ كيف يحيي بدنه ، فلما استقل سويًا ، قال اللَّه له - أي : بواسطة الملك - ﴿ **كم لبثت قال لبثت يومًا أو بعض يوم** ﴾ قالوا : وذلك أنه مات أول النهار ، ثم بعثه اللَّه في [آخر النهار][١] ، فلما رأىٰ الشمس باقية ظن أنها شمس ذلك اليوم فقال : ﴿ **أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلىٰ طعامك وشرابك لم يتسنّه** ﴾ وذلك أنه كان معه فيما ذكر عنب ، وتين ، وعصير ، فوجده كما فقده ؛ لم يتغير منه شيء لا العصير استحال ، ولا التين حمض ولا أنتن ، ولا العنب تعفن ﴿ **وانظر إلىٰ حمارك** ﴾ أي : كيف يحييه اللَّه - عز وجل - وأنت تنظر . ﴿ **ولنجعلك آية للناس** ﴾ أي : دليلًا علىٰ المعاد ﴿ **وانظر إلىٰ العظام كيف ننشِزها** ﴾ أي : نرفعها ، فتركب[٢] بعضها علىٰ بعض .

وقد روىٰ الحاكم في « مستدركه »(١٦٠٤) ، من حديث نافع بن أبي نعيم ، عن إسماعيل بن أبي حكيم ، عن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أبيه ، أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قرأ ﴿ **كيف ننشزها** ﴾ بالزاي(*) . ثم قال : صحيح [الإسناد ولم يخرجاه][٣] .

وقرأ ﴿ **ننشرها** ﴾(**) أي : نحييها . قاله مجاهد . ﴿ **ثم نكسوها لحمًا** ﴾ .

وقال[٤] السدي وغيره : تفرقت عظام حماره حوله يمينًا ويسارًا ، فنظر إليها وهي تلوح من بياضها ، فبعث اللَّه ريحًا فجمعتها من كل موضع من تلك المحلة ، ثم ركب كل عظم في موضعه ، حتىٰ صار حمارًا قائمًا من عظام لا لحم عليها ، ثم كساها اللَّه لحمًا وعصبًا وعروقًا وجلدًا ، وبعث اللَّه[٥] ملكًا فنفخ في منخري الحمار فنهق بإذن اللَّه - عز وجل - وذلك كله بمرأىٰ من العزير ، فعند ذلك لما تبين له هذا كله ﴿ **قال أعلم أن اللَّه علىٰ كل شيء قدير** ﴾ أي : أنا عالم بهذا ، وقد رأيته[٦] عيانًا ، فأنا أعلم أهل زماني بذلك . وقرأ آخرون : « **قال اعلم** »(***) علىٰ أنه أمر له بالعلم .

(١٦٠٤) - المستدرك (٢/٢٤٣) وتعقبه الذهبي بقوله : « فيه إسماعيل بن قيس من ولد زيد بن ثابت وقد ضعفوه ».

(*) وبها قرأ عاصم ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي .

(**) وهي قراءة ابن كثير ، ونافع ، وأبي عمرو .

(***) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وعاصم ، وأبو عمرو وابن عامر : « أعلم » بهمزة قطع ، وضم الميم . وقرأ حمزة والكسائي : « واعلم» بهمزة وصل وإسكان الميم .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « آخرها » ، خ : « آخر نهار » .

[٢] - في خ : « فيركب » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - مكانها بياض في ز ، خ .

[٥] - سقط من : خ .

[٦] - في ز : « رأيت » .

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٦٠) ﴾

ذكروا لسؤال إبراهيم - عليه السلام - أسبابًا ؛ منها أنه لما قال لنمروذ : ﴿ **ربي الذي يحيي ويميت** ﴾ أحب أن يترقّى من علم[١] اليقين [في ذلك][٢] إلىٰ عين اليقين ، وأن يرىٰ ذلك مشاهدة ، فقال : ﴿ **رب أرني كيف تحيي الموتىٰ قال أولم تؤمن قال بلىٰ ولكن ليطمئن قلبي** ﴾ .

فأما الحديث الذي رواه البخاري(١٦٠٥) عند هذه الآية : حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، عن أبي سلمة وسعيد ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **نحن أحق بالشك من إبراهيم ، إذ قال** ﴿ **رب أرني كيف تحيي الموتىٰ قال أولم تؤمن قال بلىٰ ولكن ليطمئن قلبي** » . وكذا رواه مسلم عن حرملة بن يحيىٰ عن ابن وهب ، به . فليس المراد هاهنا بالشك ما قد يفهمه من لا علم عنده بلا خلاف . وقد أجيب عن هذا الحديث بأجوبة ، أحدها : [... ... ...][٣]

وقوله : ﴿ **قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك** ﴾ اختلف المفسرون في هذه الأربعة ، ما هي ؟ وإن كان لا طائل تحت تعيينها ؛ إذ لو كان في ذلك مهم[٤] لنص عليه القرآن . فروي عن ابن عباس ، أنه قال : هي الغرنوق ، والطاوس ، والديك ، والحمامة ، وعنه أيضًا ، أنه أخذ وزًّا ورألا - وهو فرخ النعام - وديكًا ، وطاوسًا . وقال مجاهد وعكرمة : كانت حمامة ، وديكًا ، وطاوسًا ، وغرابًا .

وقوله : ﴿ **فصرهنّ إليك** ﴾ أي : و[٥] قطعهنّ . قاله ابن عباس ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وأبو مالك ، وأبو الأسود الدّيلي ، ووهب بن منبه ، والحسن ، والسدي ، وغيرهم .

وقال العوفي عن ابن عباس : ﴿ **فصرهن إليك** ﴾ أوثقهن ، فلما أوثقهن ذبحهن ، ثم جعل علىٰ كل جبل منهنّ جزءًا ، فذكروا أنه عمد إلىٰ أربعة من الطير فذبحهن ، ثم قطعهنّ ، ونتف

(١٦٠٥) - صحيح البخاري برقم (٤٥٣٧) ، وصحيح مسلم برقم (١٥١) .

[١] - في ز : « عالم » .
[٢] - في خ : « بذلك » .
[٣] - بياض في : ز ، خ .
[٤] - في ز : « مهما » .
[٥] - سقط من : ز .

ريشهنّ ، ومزقهنّ ، وخلط بعضهنّ في بعض[١] ، ثم جزأهنّ أجزاء ، وجعل علىٰ كل جبل منهنّ جزءًا ، قيل : أربعة أجبل . وقيل : سبعة . قال ابن عباس : وأخذ رءوسهنّ بيده ، ثم أمره اللّٰه - عز وجل - أن يدعوهنّ ، فدعاهن كما أمره اللّٰه - عز وجل - فجعل ينظر إلىٰ الريش ، يطير إلىٰ الريش ، والدم إلىٰ الدم واللحم إلىٰ اللحم والأجزاء من كل طائر يتصل بعضها إلىٰ بعض ، حتىٰ قام كل طائر علىٰ حدته ، وأتينه يمشين سعيًا ؛ ليكون أبلغ له في الرؤية التي سألها ، وجعل كل طائر يجيء ليأخذ رأسه الذي في يد إبراهيم - عليه السلام - فإذا قدم له غير رأسه يأباه ، فإذا قدّم له رأسه تركب مع بقية جثته[٢] بحول اللّٰه وقوته ؛ ولهذا قال : ﴿ **واعلم أن اللّٰه عزيز حكيم** ﴾ أي : عزيز ، لا يغلبه شيء ، ولا يمتنع منه شيء ، وما شاء كان بلا ممانع ؛ لأنه [العظيم][٣] القاهر لكل شيء ، حكيم في أقواله وأفعاله ، وشرعه وقدره .

قال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن أيوب ، في قوله : ﴿ **ولكن ليطمئن قلبي** ﴾ قال : قال ابن عباس : مافي القرآن آية أرجىٰ عندي منها .

وقال ابن جرير(١٦٠٦) : حدثني محمد بن المثنىٰ ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدّثنا شعبة ، سمعت زيد بن علي يحدث ، عن رجل ، عن سعيد بن المسيب ، قال : اتَّعد[٤] عبداللّٰه بن عباس ، وعبد اللّٰه بن عمرو [بن العاص][٥] أن يجتمعا قال : ونحن شَبَبَة ، فقال أحدهما لصاحبه : أي آية في كتاب اللّٰه أرجىٰ [ ][٦] لهذه الأمة ؟ فقال عبد اللّٰه بن عمرو : [قول اللّٰه تعالىٰ : ﴿ قل][٧] **يا عبادي الذين أسرفوا علىٰ أنفسهم لا تقنطوا من رحمة اللّٰه إن اللّٰه يغفر الذنوب جميعًا** ﴾ . الآية . فقال ابن عباس : أما إن كنت تقول [إنها][٨] : وإن أرجىٰ منها لهذه الآمة قول إبراهيم : ﴿ **رب أرني كيف تحيي الموتىٰ قال أولم تؤمن قال بلىٰ ولكن ليطمئن قلبي** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم : أخبرنا أبي ، حدثنا عبد اللّٰه بن صالح - كاتب الليث - حدثني ابن[٩] أبي سلمة عن محمد[١٠] بن المنكدر ، أنه قال : التقىٰ عبد اللّٰه بن عباس ، وعبد اللّٰه بن عمرو بن

(١٦٠٦) - تفسير الطبري (٥/٤٨٩) .

[١] - في ت : « ببعض » .
[٢] - في ت : « جسده » .
[٣] - زيادة من ز .
[٤] - في ت ، « اتفق » ، خ : « سحر » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين في خ : عندك .
[٧] - سقط من ز ، خ .
[٨] - سقط من ز ، خ ، وأثبتناه من الطبري .
[٩] - في خ : محمد بن ، والصواب ما أثبتناه وابن أبي سلمة هو عبد العزيز الماجشون .
[١٠] - في ز ، خ : « عمر » .

العاص ، فقال ابن عباس لابن عمرو بن العاص : أي آية في القرآن أرجىٰ عندك ؟ فقال عبد الله بن عمرو : قول الله - عز وجل - : ﴿ **قل يا عبادي الذين أسرفوا علىٰ أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله** ﴾ . الآية . فقال ابن عباس : لكن أنا أقول : قول الله - عز وجل - : ﴿ **وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتىٰ قال أولم تؤمن قال بلىٰ** ﴾ فرضي من إبراهيم قوله : ﴿ **بلىٰ** ﴾ . قال : فهذا لما يعترض في النفوس ، ويوسوس به الشيطان .

وهكذا رواه الحاكم في المستدرك(١٦٠٧) ، عن أبي عبد الله محمد بن يعقوب بن الأخرم ، عن إبراهيم بن عبد الله السعدي ، عن بشر بن عمر الزهراني ، عن عبد العزيز بن أبي سلمة ، بإسناده مثله . ثم قال : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾

هذا مثلٌ ضربه الله تعالىٰ لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله ، وابتغاء مرضاته ، وأن الحسنة تضاعف بعشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف ، فقال : ﴿ **مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله** ﴾ . قال سعيد بن جبير : يعني في طاعة الله . وقال مكحول : يعني به الإنفاق في الجهاد ؛ من رباط الخيل ، وإعداد السلاح ، وغير ذلك . وقال شبيب بن بشر عن عكرمة ، عن ابن عباس : الجهاد ، والحج ، يضعف الدرهم فيهما إلىٰ سبعمائة ضعف . ولهذا قال الله تعالىٰ : ﴿ **كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة** ﴾ .

وهذا المثل أبلغ في النفوس من ذكر عدد السبعمائة ؛ فإن هذا فيه إشارة إلىٰ أن الأعمال الصالحة ينميها الله عز وجل لأصحابها ، كما ينمي الزرع لمن بذره في الأرض الطيبة . وقد وردت السنة بتضعيف الحسنة إلىٰ سبعمائة ضعف .

قال الإمام أحمد(١٦٠٨) : حدثنا زياد بن الربيع أبو خَداش ، حدثنا واصل مولىٰ أبي عيينة ، عن بشار بن أبي سيف الجرمي ، عن عياض بن غُطَيْف ، قال : دخلنا علىٰ أبي عبيدة [بن الجراح][١] نعوده من شكوىٰ أصابه[٢] [ ][٣] وامرأته تُحَيْفَةُ قاعدة عند رأسه ، قلنا : كيف بات أبو عبيدة ؟ قالت : والله لقد بات بأجر . قال أبو عبيدة : ما بت بأجر . وكان

(١٦٠٧) - المستدرك (١/ ٦٠) وتعقبه الذهبي بأن فيه انقطاعًا .

(١٦٠٨) - المسند (١/ ١٩٥) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز . [٢] - في ت : « أصابته » .

[٣] - في ت : بجنبه .

مقبلًا بوجهه على الحائط ، فأقبل على القوم بوجهه ، وقال : ألا تسألوني عما قلت ؟ قالوا : ما أعجبنا ما قلت فنسألك عنه ، قال : سمعت رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، يقول : « **من أنفق نفقة فاضلة في سبيل اللَّه فبسبعمائة ، ومن أنفق على نفسه وأهله ، أو عاد مريضًا ، أو مَازَ[١] أذى ، فالحسنة بعشر أمثالها ، والصوم جنة ما لم يخرقها ، ومن ابتلاه اللَّه - عز وجل - ببلاء في جسده فهو له حِطّةٌ** » .

وقد روى النسائي في الصوم بعضه (١٦٠٩) من حديث واصل به ، ومن[٢] وجه آخر موقوفًا .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن سليمان ، سمعت أبا عمرو الشيباني ، عن أبي[٣] مسعود ، أن رجلًا تصدق بناقة مخطومة في سبيل اللَّه ، فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **لتأتين يوم القيامة بسبعمائة ناقة مخطومة** » .

ورواه مسلم ، والنسائي (١٦١٠) ، من حديث سليمان بن مهران ، عن الأعمش ، به . ولفظ مسلم : جاء رجل بناقة مخطومة ، فقال : يا رسول اللَّه ؛ هذه في سبيل اللَّه . فقال : « **لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة** » .

(حديث آخر) قال أحمد(١٦١١) : حدثنا عمرو بن مُجَمِّع أبو المنذر الكندي ، أخبرنا إبراهيم الهجري[٤] ؛ عن أبي الأحوص ، عن عبد اللَّه بن مسعود ، قال : قال رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم : « **إن اللَّه - عز وجل - جعل حسنة ابن آدم بعشر[٥] أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف ، إلا الصوم ، والصوم لي ، وأنا أجزي به ، وللصائم فرحتان : فرحة عند إفطاره ، وفرحة يوم القيامة ، ولخلوف فم الصائم أطيب عند اللَّه من ريح المسك** » .

(حديث آخر) قال أحمد (١٦١٢) : حدثنا وكيع ، حدثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم : « **كل عمل ابن آدم يضاعف ، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، إلى ما شاء[٦] اللَّه ، يقول اللَّه : إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به ، يدع طعامه وشهوته من أجلي ، وللصائم فرحتان : فرحة عند**

(١٦٠٩) - سنن النسائي (٤/١٦٧ ، ١٦٨) .

(١٦١٠) - صحيح مسلم برقم (١٨٩٢) ، وسنن النسائي (٦/٤٩) .

(١٦١١) - المسند (١/٤٤٦) .

(١٦١٢) - المسند (٢/٤٤٣) .

---

[١] - في ت : « مازه » .

[٢] - في خ : « من » .

[٣] - في ز ، خ : « ابن » .

[٤] - في ز ، خ : « المهجري » .

[٥] - في ز : « عشر » .

[٦] - في ز : « يشاء » .

فطره ، وفرحة عند لقاء ربه ، ولخلوف فيه الصائم[١] أطيب عند الله من ريح المسك ، الصوم جنة ، الصوم جنة » .

وكذا رواه مسلم(١٦١٣) ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، وأبي سعيد الأشج ، كلاهما عن وكيع به .

(حديث آخر) قال أحمد(١٦١٤) : حدثنا حسين بن علي ، عن زائدة ، عن الركين عن يُسَيْرٍ[٢] بن عميلة ، عن خُرَيم بن فاتك[٣] قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : **« من أنفق نفقة في سبيل الله تضاعف بسبعمائة[٤] ضعف »** .

(حديث آخر) قال أبو داود(١٦١٥) : حدثنا أحمد بن عمرو بن السرح ، حدثنا ابن وهب ، عن يحيىٰ بن أيوب ، وسعيد بن أبي أيوب ، عن زبان[٥] بن فائد ، عن سهل بن معاذ ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : **« إن الصلاة والصيام والذكر ، يضاعف علىٰ النفقة في سبيل الله سبعمائة[٦] ضعف »** .

(حديث آخر) قال ابن أبي حاتم(١٦١٦) : حدثنا أبي ، حدثنا هارون بن عبد الله بن مروان ، حدثنا ابن أبي فديك ، عن الخليل بن عبد الله ، عن الحسن ، عن عمران بن حصين ، عن رسول الله ، صلىٰ الله علية وآله وسلم ، قال : **« من أرسل بنفقة في سبيل الله ، وأقام في بيته فله بكل درهم [سبعمائة درهم يوم القيامة][٧]** ، **[ومن غزا في سبيل الله وأنفق في جهة ذلك ، فله بكل درهم][٨] [سبعمائة ألف درهم][٩]** » . ثم تلا هذه الآية ﴿ **والله يضاعف لمن يشاء** ﴾ . وهذا حديث غريب .

(١٦١٣) - صحيح مسلم برقم (١١٥١) .

(١٦١٤) - المسند (٣٤٥/٤) .

(١٦١٥) - سنن أبي داود برقم (٢٤٩٨) .

(١٦١٦) - ورواه ابن ماجة في السنن برقم (٢٧٦١) عن هارون بن عبد الله به .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ز ، خ : « بشير » .

[٣] - في خ : « وائل » .

[٤] - في خ : « سبعمائة » .

[٥] - في ز : « زبان بن » ، خ : « زريان » .

[٦] - في خ : « بسبعمائة » .

[٧] - ما بين المعكوفتين في ز : « يوم القيامة سبعمائة ألف درهم » .

[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

وقد تقدم حديث أبي عثمان النهدي ، عن أبي هريرة ، في تضعيف الحسنة إلىٰ ألفي ألف حسنة ، عند قوله : ﴿ **من ذا الذي يقرض اللّٰه قرضًا حسنًا فيضاعفه له أضعافًا كثيرة** ﴾ الآية[١] .

(حديث آخر) قال ابن مردويه : حدثنا عبد اللّٰه بن عبيد اللّٰه بن العسكري البزاز ، أخبرنا الحسن بن علي بن شبيب ، أخبرنا محمود بن خالد الدمشقي ، أخبرنا أبي ، عن عيسىٰ بن المسيب ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ **مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل اللّٰه** ﴾ قال [النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم][٢] : « **رب زد أمّتي** » . قال : فأنزل اللّٰه ﴿ **من ذا الذي يقرض اللّٰه قرضًا حسنًا** ﴾ قال : « **رب زد أمّتي** » . قال : فأنزل اللّٰه ﴿ **إنما يوفّىٰ الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾ .

وقد رواه أبو حاتم(١٦١٧) بن[٣] حبان في « صحيحه » ، عن حاجب بن أركين ، عن أبي[٤] عمر ، حفص بن عمر بن عبد العزيز المقري عن أبي إسماعيل المؤدّب ، عن عيسىٰ بن المسيب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، فذكره .

وقوله هاهنا : ﴿ **واللّٰه يضاعف لمن يشاء** ﴾ أي : بحسب إخلاصه في عمله ﴿ **واللّٰه واسع عليم** ﴾ أي : فضله واسع كثير ، أكثر من خلقه ، عليم بمن يستحق ، ومن لا يستحق ، [سبحانه وبحمده][٥] .

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ

(١٦١٧) - صحيح ابن حبان برقم (١٦٤٨) « موارده » .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ت : « وإن » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾

يمدح الله [تبارك و][١] تعالىٰ الذين ينفقون أموالهم في سبيله[٢] ، ثم لا يتبعون ما أنفقوا من الخيرات والصدقات منًّا علىٰ من أعطوه ، فلا يمنون به على أحد ، ولا يمنون به ، لا بقول ، ولا فعل[٣] .

وقوله : ﴿ ولا أذىً ﴾ أي : ولا[٤] يفعلون مع من أحسنوا إليه مكروهًا يحبطون به[٥] ما سلف من الإحسان . ثم وعدهم الله[٦] تعالىٰ الجزاء الجزيل علىٰ ذلك فقال : ﴿ لهم أجرهم عند ربهم ﴾ أي : ثوابهم علىٰ الله . لا علىٰ أحد سواه . ﴿ ولا خوف عليهم ﴾ أي : فيما يستقبلونه من أهوال يوم[٧] القيامة . ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ أي : علىٰ ما خلفوه من الأولاد ، و[٨] ما فاتهم من الحياة الدنيا وزهرتها ، لا يأسفون عليها ؛ لأنهم قد صاروا إلىٰ ما هو خير لهم من ذلك .

ثم قال تعالى : ﴿ قول معروف ﴾ أي : من كلمة طيبة ودعاء لمسلم ﴿ ومغفرة ﴾ أي : [عفو ، و][٩] غفر عن ظلم قولي أو فعلي ﴿ خير من صدقة يتبعها أذىً ﴾ .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا ابن نفيل ، قال : قرأت علىٰ معقل بن عبيد[١٠] الله ، عن[١١] عمرو بن دينار ، قال : بلغنا أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **ما من صدقة أحب إلىٰ الله من قول معروف**[١٢] ، **ألم تسمع إلى قوله** : ﴿ **قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذىً والله غني** ﴾ [أي][١٣] عن خلقه ﴿ **حليم** ﴾ أي : يحلُم ، ويغفر ، ويصفح ، ويتجاوز عنهم .

وقد وردت الأحاديث بالنهي عن المن في الصدقة ؛ ففي « **صحيح مسلم** » ، من حديث شعبة ، عن الأعمش ، عن سليمان بن مسهر ، عن خرشة بن الحرّ ، عن أبي ذر ، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم : المنان بما أعطىٰ ، والمسبل إزاره ، والمنفق سلعته بالحلف**

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - في ز : « سبيل الله » .
[٣] - في ت : « بفعل » .
[٤] - في ت : « لا » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - في خ : « ولا » .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[١٠] - في ز ، خ : « عبد » .
[١١] - في ز ، خ : « بن » .
[١٢] - سقط من : ز ، خ .
[١٣] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .

الكاذب »(١٦١٨) .

وقال ابن مردويه : حدثنا أحمد بن عثمان بن يحيىٰ ، أخبرنا عثمان بن محمد الدوري ، أخبرنا هشيم بن خارجة ، أخبرنا سليمان بن عقبة ، عن يونس بن ميسرة ، عن أبي إدريس ، عن أبي الدرداء ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : **« لا يدخل الجنة عاق ، ولا منان ، ولا مدمن خمر ، ولا مكذب بقدر »** .

ورویٰ أحمد وابن ماجة من حديث يونس بن ميسرة ، نحوه (١٦١٩) .

ثم رویٰ ابن مردويه وابن حبان والحاكم في « مستدركه » والنسائي ، من حديث عبد الله بن يسار الأعرج ، عن سالم بن عبد الله بن[١] عمر ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : **« ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة : العاق لوالديه ، ومدمن الخمر ، والمنان بما أعطىٰ »**(١٦٢٠) .

وقد رویٰ النسائي (١٦٢١) ، عن مالك بن سعد ، عن عمه روح بن عبادة عن عتاب ابن بشير ، عن خصيف الجزري ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : **« لا يدخل الجنة مدمن خمر ، ولا عاق لوالديه ، ولا منان »** .

وقد رواه ابن أبي حاتم ، عن الحسن بن المنهال ، عن محمد بن عبد الله بن عمار الموصلي ، عن عتاب ، عن خصيف ، عن مجاهد ، عن ابن عباس [قوله] .

ورواه النسائي(١٦٢٢) ، من حديث عبد الكريم بن مالك الجزري[٢] ، عن مجاهد ، قوله . وقد روي عن مجاهد ، عن أبي سعيد ، وعن مجاهد عن أبي هريرة نحوه(١٦٢٣) .

ولهذا قال الله تعالىٰ : ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذىٰ ﴾ فأخبر أنّ الصدقة تبطل بما يتبعها من المنّ والأذىٰ ، فما يفي ثواب الصدقة بخطيئة المنّ والأذىٰ .

(١٦١٨) - صحيح مسلم برقم (١٠٦) .

(١٦١٩) - المسند (٦/٤٤١) ، وسنن ابن ماجة برقم (٣٣٧٦) ، وقال البوصيري في الزوائد (٣/١٠٣) : « هذا إسناد حسن ، سليمان بن عتبة مختلف فيه ، وباقي رجال الإسناد ثقات » .

(١٦٢٠) - المستدرك (٤/١٤٦) ، وسنن النسائي (٥/٨٠) .

(١٦٢١) - سنن النسائي الكبرى برقم (٤٩٢١) .

(١٦٢٢) - سنن النسائي الكبرى برقم (٤٩٢٠) .

(١٦٢٣) - سنن النسائي الكبرى برقم (٤٩٢٢) .

---

[١] - في ز ، خ : « عن » .

[٢] - في ز : « الحورى » .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **كالذي ينفق ماله رئاء الناس** ﴾ أي : لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذىٰ ، كما تبطل صدقة من راءىٰ بها الناس ، فأظهر لهم أنه يريد وجه اللّٰه ، وإنما قصده مدحة[١] الناس له ، أو شهرته بالصفات الجميلة ؛ ليشكر بين الناس ، أو يقال : إنه كريم ، ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية ، مع قطع نظره عن معاملة اللّٰه تعالىٰ ، وابتغاء مرضاته ، وجزيل ثوابه ؛ ولهذا قال : ﴿ **ولايؤمن باللّٰه واليوم الآخر** ﴾ .

ثم ضرب تعالىٰ مثل ذلك المرائي بإنفاقه - قال الضحاك : والذي يتبع نفقته منًّا أو أذىٰ - فقال : ﴿ **فمثله كمثل صفوان** ﴾ وهو جمع صفوانة ، فمنهم[٢] من يقول : الصفوان يستعمل مفردًا أيضًا ، وهو الصفا ، وهو الصخر الأملس ﴿ **عليه تراب فأصابه وابل** ﴾ وهو[٣] : المطر الشديد ﴿ **فتركه صلدًا** ﴾ أي : فترك الوابلُ[٤] ذلك الصفوان صلدًا ، أي : أملس يابسًا ، أي : لا شيء عليه من ذلك التراب ، بل قد ذهب كله ، أي : وكذلك أعمال المرائين تذهب وتضمحل عند اللّٰه ، وإن ظهر لهم أعمال فيما يرىٰ الناس ، كالتراب ؛ ولهذا قال : ﴿ **لا يقدرون علىٰ شيء مما كسبوا واللّٰه لا يهدي القوم الكافرين** ﴾ .

وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾

وهذا مثل المؤمنين المنفقين أموالهم ابتغاء مرضات[٥] اللّٰه عنهم في ذلك ﴿ **وتثبيتًا من أنفسهم** ﴾ أي : وهم متحققون ومتثبتون[٦] أن اللّٰه سيجزيهم علىٰ ذلك أوفر الجزاء . ونظير هذا في المعنىٰ قوله - عليه السلام - في الحديث الصحيح[٧] المتفق علىٰ صحته : « **من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا** ...» أي : يؤمن أن اللّٰه شرعه ، ويحتسب عند اللّٰه ثوابه .

قال الشعبي : ﴿ **وتثبيتًا من أنفسهم** ﴾ أي : تصديقًا ويقينًا[٨] . وكذا قال قتادة وأبو صالح وابن زيد ، واختاره ابن جرير . وقال مجاهد ، والحسن : أي يتثبتون أين يضعون صدقاتهم .

وقوله : ﴿ **كمثل جنة بربوة** ﴾ أي : كمثل بستان بربوة . وهو عند الجمهور : المكان المرتفع

---

[١] - في ت : « مدح » .
[٢] - في ز ، خ : « ومنهم » .
[٣] - في خ : « هو » .
[٤] - في ز : « اليابل » ، في خ : « البابل » .
[٥] - في ز : « مراضى » .
[٦] - في ز ، خ : « مثبتون » .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - في خ : « تيقينًا » .

المستوي من الأرض . وزاد ابن عباس ، والضحاك : وتجري فيه الأنهار .

قال ابن جرير رحمه الله : وفي الربوة ثلاث لغات ، هنّ ثلاث قراءات ؛ بضم الراء وبها قرأ عامة أهل المدينة والحجاز والعراق ، وفتحها ، وهي قراءة بعض أهل الشام والكوفة ، ويقال : إنها لغة تميم ، وكسر الراء ، ويذكر أنها قراءة ابن عباس .

وقوله : ﴿ **أصابها وابل** ﴾ وهو المطر الشديد . كما تقدم . ﴿ **فآتت أكلها** ﴾ أي[١] : ثمرتها[٢] ﴿ **ضعفين** ﴾[٣] أي : بالنسبة إلىٰ غيرها من الجنان . ﴿ **فإن لم يصبها وابل فطل** ﴾ قال الضحاك : هو الرذاذ ، وهو اللين من المطر . أي : هذه الجنة بهذه الربوة لا تمحل أبدًا ؛ لأنها إن لم يصبها وابل فطل ، وأيامّا كان فهو كفايتها ، وكذلك عمل المؤمن لا يبور أبدًا ، بل يتقبله الله ، ويكثره ، وينميه ، كل عامل بحسبه ، ولهذا قال : ﴿ **والله بما تعملون بصير** ﴾ أي : لا يخفىٰ عليه من أعمال عباده شيءٌ .

أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾

قال البخاري عند تفسير هذه الآية(١٦٢٤) : حدثنا إبراهيم بن موسىٰ ، حدثنا هشام - هو ابن يوسف - عن ابن جريج ، سمعت عبد[٤] الله بن أبي مليكة يحدّث عن ابن عباس - وسمعت أخاه أبا بكر بن أبي مليكة يحدث عن عبيد بن عمير[٥] - قال : قال عمر بن الخطاب يومًا لأصحاب النبي صلىٰ الله عليه وسلم : فيمن ترون هذه الآية نزلت ؟ ﴿ **أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب** ﴾ قالوا : الله أعلم . فغضب عمر ، فقال : قولوا : نعلم أو لا نعلم . فقال ابن عباس : في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين . فقال عمر : يا بن أخي ؛ قل ولا تحقر نفسك . فقال[٦] ابن عباس رضي الله عنهما : ضربت مثلًا لعمل[٧]

(١٦٢٤) - صحيح البخاري برقم (٤٥٣٨) .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ز : « عبيد » ، خ : « عيد » .
[٥] - في ز ، خ : « نمير » .
[٦] - في ز : « قال » .
[٧] - في ز : « بعمل » .

قال عمر · أي عمل؟ قال ابن عباس [: لعمل][١] .[قال عمر][٢] : لرجل غني يعمل بطاعة اللّٰه ، ثم بعث اللّٰه له الشيطان ، فعمل بالمعاصي ، حتىٰ أغرق أعماله .

ثم رواه البخاري(١٦٢٥) عن الحسن بن محمد الزعفراني ، عن حجاج بن محمد الأعور ، عن ابن جريج ، فذكره وهو من أفراد البخاري رحمه اللّٰه .

وفي [هذا][٣] الحديث كفاية في تفسير هذه الآية ، وتبيين ما فيها من المثل بعمل من أحسن العمل أولًا ، ثم بعد ذلك انعكس سيره ، فبدل الحسنات بالسيئات ، عياذًا باللّٰه من ذلك ، فأبطل بعمله الثاني ما أسلفه فيما تقدّم من الصالح ، واحتاج إلي شيء من الأول في أضيق الأحوال ، فلم يحصل له منه شيء ، وخانه أحوج ما كان إليه ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار** ﴾ وهو الريح الشديد ﴿ **فيه نار فاحترقت** ﴾ أي : أحرق ثمارها ، وأباد أشجارها . فأي حال يكون حاله ؟ .

وقد روى[٤] ابن أبي حاتم من طريق العوفي ، عن ابن عباس[٥] ، قال : ضرب اللّٰه [له][٦] مثلًا حسنًا ، وكل أمثاله حسن قال : ﴿ **أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات** ﴾ يقول : ضيعه في شبيبته[٧] ﴿ **وأصابه[٨] الكبر** ﴾ وولده وذريته ضعاف عند آخر عمره ، فجاءه ﴿ **إعصار فيه نار** ﴾ فأحرق[٩] بستانه ، فلم يكن عنده قوّة أن يغرس مثله ، ولم يكن عند نسله خير يعودون به عليه ، وكذلك الكافر يكون[١٠] يوم القيامة إذا رد إلىٰ اللّٰه –عز وجل– ليس له خير فيستعتب ، كما ليس لهذا قوة فيغرس مثل بستانه ، ولا يجده قدم لنفسه خيرًا يعود عليه ، كما لم يغن عن هذا ولده ، وحرم أجره عند أفقر ما كان إليه ، كما حرم هذا جنة اللّٰه ، عند[ما كان][١١] أفقر ما كان إليها عند كبره وضعف ذريته .

وهكذا روىٰ الحاكم في « مستدركه »(١٦٢٦) ، أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كان يقول

(١٦٢٥) – لم أجده على هذا الطريق في صحيح البخاري ، ولم يذكره المزي في تحفة الأشراف .

(١٦٢٦) – المستدرك (٥٤٢/١) من طريق سعيد بن سليمان ، عن عيسى بن ميمون ، عن القاسم ، عن عائشة – رضي الله عنها – مرفوعًا ، وقال الحاكم : « هذا حديث حسن الإسناد والمتن غريب في الدعاء =

---

[١] – في خ : « بعمل » .
[٢] – سقط من ت .
[٣] – زيادة من ز .
[٤] – في ت : « رواه » .
[٥] – سقط من : خ
[٦] – زيادة من ز .
[٧] – في خ : « شيبته »
[٨] – في ز : « فأصابه »
[٩] – في ت · « فاحترق »
[١٠] – سقط من : ر ، خ .
[١١] · ما بين المعكوفتين سقط من ر

في دعائه : « **اللهم ؛ اجعل أوسع رزقك علي عند [كبر سني]**[١] **وانقضاء عمري** » . ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون** ﴾ أي : تعتبرون ، وتفهمون الأمثال والمعاني ، وتنزلونها على المراد منها . كما قال تعالىٰ : ﴿ **وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون** ﴾ .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾

يأمر تعالىٰ عباده المؤمنين بالإنفاق - والمراد به الصدقة هاهنا . قاله ابن عباس - من طيبات ما رزقهم من الأموال التي اكتسبوها - قال مجاهد : يعني التجارة - بتيسيره إياها لهم .

وقال علي والسدي : ﴿ **من طيبات ما كسبتم** ﴾ يعني : الذهب والفضة ومن الثمار والزروع التي أنبتها لهم من الأرض . قال ابن عباس : أمرهم بالإنفاق من أطيب المال وأجوده وأنفسه ونهاهم عن التصدق برذالة المال ودنيه ؛ وهو خبيثه فإن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا ، ولهذا قال : ﴿ **ولا تيمموا** ﴾ أي : تقصدوا ﴿ **الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه** ﴾ أي : لو أعطيتموه ما أخذتموه ، إلا أن تتغاضوا فيه ، فالله أغنىٰ عنه منكم ، فلا تجعلوا لله ما تكرهون .

وقيل معناه : ﴿ **ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون** ﴾ أي : لا تعدلوا عن المال الحلال ، وتقصدوا إلىٰ الحرام ، فتجعلوا نفقتكم منه .

ويذكر هاهنا الحديث الذي رواه الإمام أحمد(١٦٢٧) : حدّثنا محمد بن عبيد ، حدّثنا أبان بن

= مستحب للمشايخ إلا أن عيسى بن ميمون لم يحتج به الشيخان » قال الذهبي : قلت : « عيسى متهم » .

(١٦٢٧) - المسند (٣٨٧/١) .

(١٦٢٨) - تفسير الطبري (٥٥٩/٥ ، ٥٦٠) ، وسنن ابن ماجة برقم (١٨٢٢) ، والمستدرك (٢٨٥/٢) =

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « كبري » .

إسحاق ، عن الصباح بن محمد ، عن مرة الهمداني ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إنّ الله قسم بينكم أخلاقكم ، كما قسم بينكم أرزاقكم ، وإن الله يعطي الدنيا من يحب ، ومن لا يحب ، ولا يعطي الدين إلا لمن أحب ، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه ، والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتىٰ يسلم قلبه ولسانه ، ولا يؤمن حتىٰ يأمن جاره بوائقه** » . قالوا : وما بوائقه يا نبي الله؟ قال : « **غَشَمُه وظلمه ، ولا يكسب عبد مالاً من حرام فينفق منه فيبارك له فيه ، ولا يتصدق به فيقبل منه ، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلىٰ النار ، إنّ الله لا يمحو السيئ بالسيئ ولكن يمحو السيئ بالحسن ، إن الخبيث لا يمحو الخبيث** » .

والصحيح القول الأول . قال ابن جرير(١٦٢٨) رحمه الله : حدثني الحسين بن عمرو العَنْقَزِي[١] ، حدثني أبي ، عن أسباط ، عن السدي ، عن عدي بن ثابت ، عن البراء بن عازب رضي الله عنه في قول الله : ﴿ **يأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون** ﴾ . الآية . قال : نزلت في الأنصار ؛ كانت[٢] الأنصار إذا كان[٣] أيام جذاذ(*) النخل أخرجت من حيطانها أقناء(**) البُسر(***) ، فعلقوه علىٰ حبل بين الاسطوانتين في مسجد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فيأكل فقراء المهاجرين منه ، فيعمد الرجل منهم إلىٰ الحَشَف(****) فيدخله مع أقناء البسر ، يظن أن ذلك جائز ، فأنزل الله فيمن فعل ذلك ﴿ **ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون** ﴾ .

ثم رواه ابن جرير ، وابن ماجة ، وابن مردويه ، والحاكم في مستدركه ، من طريق السدي ، عن عدي بن ثابت ، عن البراء بنحوه . وقال الحاكم : صحيح علىٰ شرط البخاري[٤] ، ومسلم ولم يخرجاه .

وقال ابن أبي حاتم : حدّثنا أبو سعيد الأشج ، حدّثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن السدي ،

=وقال البوصيري في الزوائد ٥٨/٢) : « هذا إسناد صحيح رجاله ثقات ، وله شاهد من حديث عوف بن مالك رواه أصحاب السنن الأربعة » .

(*) - جذ النخل جذًا وجذاذًا : قطع ثمره وجناه .

(**) - الأقناء جمع قنو وهو العرجون بما فيه من الرطب .

(***) - البُسر : ثمر النخل قبل أن يرطب .

(****) - الحشف : أردأ التمر ، وهو الذي يجف ويصلب ويتقبض قبل نضجه ، فلا يكون له نوى ولا لحاء ولا حلاوة ، ولا لحم .

---

[١] - في خ : « السري » .

[٢] - في خ : « كان » .

[٣] - في ز : « كانت » .

[٤] - بياض في خ .

عن أبي مالك ، عن البراء رضي الله عنه : ﴿ **ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه** ﴾ قال[١] : نزلت فينا ، كنا أصحاب نخل ، فكان الرجل يأتي [من نخله بقدر][٢] كثرته وقلته ، فيأتي الرجل بالقنو فيعلقه في المسجد ، وكان أهل الصفة[٣] ليس لهم طعام، فكان أحدهم إذا جاع جاء فضربه بعصاه ، [فيسقط منه][٤] البسر والتمر فيأكل ، وكان أناس ممن لا يرغبون في الخير يأتي بالقنو فيه[٥] الحشف والشيص ، ويأتي[٦] بالقنو قد انكسر فيعلقه ، فنزلت : ﴿ **ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه** ﴾ قال : لو أن أحدكم أهدي له مثل ما أعطىٰ ما أخذه إلا علىٰ إغماض وحياء ، فكنا بعد ذلك يجيء الرجل منا[٧] بصالح ما عنده .

وكذا رواه الترمذي(١٦٢٩) عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، عن عبيد الله - هو ابن موسىٰ العبسي ، عن إسرائيل ، عن السدي - وهو إسماعيل بن عبد الرحمن - عن أبي مالك الغفاري - واسمه غزوان - عن البراء ، فذكر نحوه . ثم قال : وهذا حديث حسن غريب .

وقال ابن أبي حاتم(١٦٣٠) : حدّثنا أبي ، حدّثنا أبو الوليد ، حدّثنا سليمان بن كثير ، عن الزهري ، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ، عن أبيه ، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم نهي عن لونين من التمر : الجُعْرُور(*) ، ولون الحبيق[٨] ، وكان الناس يتيممون شرار ثمارهم ، ثم يخرجونها في الصدقة ، فنزلت ﴿ **ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون** ﴾ .

ورواه أبو داود(١٦٣١) ، من حديث سفيان بن حسين ، عن الزهري . ثم قال : أسنده أبو الوليد ، عن سليمان بن كثير ، عن الزهري . ولفظه : نهى رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن الجعرور ، ولون الحبيق ، أن يؤخذا في الصدقة .

وقد روىٰ النسائي هذا الحديث(١٦٣٢) ، من طريق عبد الجليل بن حميد اليحصبي ، عن

(١٦٢٩) - سنن الترمذي برقم (٢٩٨٧) .

(١٦٣٠) - ورواه الحاكم في المستدرك (٤٠٢/١) ، والطبراني في المعجم الكبير (٧٦/٦) من طريق أبي الوليد الطيالسي به ، وقال الحاكم : « حديث صحيح على شرط البخاري » .

(١٦٣١) - سنن أبي داود برقم (١٦٠٧) .

(١٦٣٢) - سنن النسائي (٤٣/٥) .

---

[١] - في خ : « قالت » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - في خ : « الصدقة » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في خ : « فسقط في » .

[٥] - سقط من : خ .

[٦] - في ز : « فيأتي » .

[٧] - سقط من : خ .

[٨] - في خ : « الحبيرة » .

الزهري ، عن أبي أمامة . ولم يقل : عن أبيه . فذكر نحوه .وكذا رواه ابن وهب ، عن عبد الجليل .

وقال ابن أبي حاتم : حدّثنا أبي ، حدثنا يحيىٰ بن المغيرة ، حدّثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن عبد الله بن مَعْقِل في هذه الآية ﴿ **ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون** ﴾ قال : كسب المسلم لا يكون خبيثًا ، ولكن لا يصدّق بالحشف ، والدرهم الزيف ، وما لا خير فيه .

وقال الإمام أحمد(١٦٣٣) : حدثنا أبو سعيد ، حدّثنا حماد بن سلمة عن حماد - هو ابن سليمان - عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة ، قالت : أتي رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، بضب ، فلم يأكله ، ولم ينه عنه ، قلت : يا رسول الله ؛ نطعمه المساكين . قال : « **لا تطعموهم مما لا تأكلون** » .

ثم رواه عن عفان ، عن حماد بن سلمة ، به . فقلت : يا رسول الله ؛ ألا أطعمه المساكين؟ قال : « **لا تطعموهم مما[١] لا تأكلون** » .

وقال الثوري : عن السدي ، عن أبي مالك ، عن البراء : ﴿ **ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه** ﴾ يقول : لو كان لرجل علىٰ رجل فأعطاه ذلك لم يأخذه إلا أن يرىٰ أنه قد نقصه من حقه. رواه ابن جرير .

وقال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس : ﴿ **ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه** ﴾ يقول : لو كان لكم علىٰ أحد حق فجاءكم بحق دون حقكم لم تأخذوه بحساب الجيد حتىٰ تنقصوه . قال : فذلك قوله : ﴿ **إلا أن تغمضوا فيه** ﴾ فكيف ترضون لي ما لاترضون لأنفسكم ، وحقي عليكم من أطيب أموالكم وأنفسه؟ .

رواه ابن أبي حاتم وابن جرير ، وزاد : وهو قوله : ﴿ **لن تنالوا البر حتىٰ تنفقوا مما تحبون** ﴾ ثم روىٰ من طريق العوفي وغيره عن ابن عباس ، نحو ذلك ، وكذا ذكر غير واحد .

وقوله : ﴿ **واعلموا أن الله غني حميد** ﴾ أي : وإن أمركم بالصدقات ، وبالطيب منها ، فهو غني عنها ، وما ذاك إلا ليساوي الغني الفقير . كقوله : ﴿ **لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوىٰ منكم** ﴾ وهو غني عن جميع خلقه ، وجميع خلقه فقراء إليه ، وهو واسع الفضل ، لا ينفد[٢] ما لديه ، فمن تصدق بصدقة من كسب طيب فليعلم أن الله غني واسع العطاء ، كريم

(١٦٣٣) - المسند (١٠٥/٦) (٢٤٨٤٨) . ورواه الطبراني في الأوسط كما في مجمع البحرين (٤٩/٣ ، ٥٠/رقم : ١٤٠٩) من طريق محمد بن هشام بن أبي الدميك ، عن عفان بن مسلم ، عن حماد بن سلمة ، عن حماد بن أبي سليمان ، عن إبراهيم ، عن الأسود به . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد =

---

[١] - في خ : « ما » . [٢] - في خ : « ينذر » .

جواد ، [ ][١] سيجزيه بها ، ويضاعفها له أضعافًا كثيرة ، من يقرض غير عديم ولا ظلوم ، وهو الحميد أي : المحمود في جميع أفعاله وأقواله وشرعه وقدره ، لا إله إلا هو ، ولا رب سواه .

وقوله : ﴿ **الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلًا والله واسع عليم** ﴾

قال ابن أبي حاتم : حدّثنا أبو زرعة ، حدّثنا هناد بن السري ، حدثنا أبو الأحوص ، عن عطاء بن السائب ، عن مرة الهمداني ، عن عبد الله [بن مسعود][٢] قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن للشيطان لَلَمَّة بابن آدم وللملك لمة ، فأمّا لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ، ومن وجد الأخرىٰ فليتعوذ من الشيطان** » . ثم قرأ ﴿ **الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلًا** ﴾ . الآية .

وهكذا رواه الترمذي ، والنسائي في كتابي التفسير من « سُنَنَيْهِما »(١٦٣٤) جميعًا عن هناد بن السري .

وأخرجه ابن حبان في « صحيحه » ، عن أبي يعلى الموصلي ، عن هناد ، به(١٦٣٥) .

وقال الترمذي : حسن غريب ، وهو حديث أبي الأحوص - يعني سلام بن سليم - لا نعرفه مرفوعًا إلا من حديثه . كذا قال .

وقد رواه أبو بكر بن مردويه في تفسيره ، عن محمد بن أحمد ، عن محمد بن عبد الله بن رسته عن هارون الفروي[٣] ، عن أبي ضمرة ، عن ابن شهاب ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن مسعود ، مرفوعًا نحوه .

ولكن رواه مسعر ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي الأحوص - عوف بن مالك بن نضلة - عن ابن مسعود ، فجعله من قوله ، والله أعلم .

ومعنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ **الشيطان يعدكم الفقر** ﴾ أي : يخوفكم الفقر ؛ لتمسكوا ما بأيديكم ، فلا تنفقوه في مرضاة الله . ﴿ **ويأمركم بالفحشاء** ﴾ أي : مع نهيه إياكم عن

= (٣/١١٣) وقال : « رواه الطبراني في الأوسط ورجاله موثقون» .

(١٦٣٤) - سنن الترمذي برقم (٢٩٨٨) ، وسنن النسائي الكبرى برقم (١١٠٥١) .

(١٦٣٥) - صحيح ابن حبان برقم (٤٠) « موارد » .

[١] - في خ : « و » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٣] - في خ : « القروي » .

الإنفاق خشية الإملاق ، يأمركم بالمعاصي والمآثم والمحارم ومخالفة الخلاق .

قال تعالىٰ : ﴿ والله يعدكم مغفرة منه ﴾ أي : في مقابلة ما أمركم الشيطان بالفحشاء ﴿ وفضلًا ﴾ أي[١] : في مقابلة ما خوّفكم الشيطان من الفقر ﴿ والله واسع عليم ﴾ .

وقوله : ﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ﴾ قال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس : يعني المعرفة بالقرآن ؛ ناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ، ومقدّمه ومؤخره ، وحلاله وحرامه وأمثاله .

ورویٰ جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، مرفوعًا : « الحكمة القرآن »(١٦٣٦) . يعني : تفسيره . قال ابن عباس فإنه قد[٢] قرأه البر والفاجر . رواه ابن مَرْدُويه .

وقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : يعني بالحكمة : الإصابة في القول .

وقال ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد : ﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ﴾ ليست بالنبوّة ، ولكنه العلم ، والفقه ، والقرآن . وقال أبو العالية : الحكمة خشية الله ، فإن خشية الله رأس كل حكمة .

وقد رواه[٣] ابن مردويه من طريق بقية عن عثمان بن زفر الجهني ، عن أبي عمار الأسدي ، عن ابن مسعود ، مرفوعًا : « رأس الحكمة مخافة الله »(١٦٣٧) .

وقال أبو العالية في رواية عنه : الحكمة الكتاب والفهم . وقال إبراهيم النخعي : الحكمة الفهم . وقال أبو مالك : الحكمة السنة . وقال ابن وهب عن مالك ، قال زيد بن أسلم : الحكمة العقل . قال مالك : وإنه ليقع في قلبي أن الحكمة هو الفقه في دين الله ، وأمر يدخله الله في القلوب من رحمته وفضله ، ومما يبين ذلك أنك تجد الرجل عاقلًا في أمر الدنيا ذا نظر فيها ، وتجد آخر ضعيفًا في أمر دنياه عالمًا بأمر دينه ، بصيرًا به و[٤] يؤتيه الله إياه ويحرمه هذا ، فالحكمة الفقه في دين الله . وقال السدي : الحكمة النبوة .

والصحيح أن الحكمة - كما قاله الجمهور - لا تختص بالنبوّة ، بل هي أعم منها ، وأعلاها النبوة ، والرسالة أخص ، ولكن لأتباع الأنبياء حظ من الخير علىٰ سبيل التبع ،كما جاء في بعض

(١٦٣٦) - عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦٦/٢) لابن مردويه في تفسيره وإسناده ضعيف جدًا .

(١٦٣٧) - ورواه البيهقي وضعفه في شعب الإيمان برقم (٧٤٤) من طريق محمد بن مصفى ، عن بقية ، به ، ورواه البيهقي أيضًا من وجه آخر موقوفًا على ابن مسعود .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « روى » .
[٤] - سقط من : ز .

الأحاديث : « **من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين كتفيه ، غير أنه لا يوحىٰ إليه** »(١٦٣٨) .
رواه وكيع بن الجراح في تفسيره ، عن إسماعيل بن رافع ، عن رجل لم يسمه ، عن عبد اللّه بن عمرو[١] . قوله .

وقال الإمام أحمد(١٦٣٩) : حدثنا وكيع ويزيد قالا : حدثنا إسماعيل - يعني ابن أبي خالد عن قيس - وهو ابن أبي حازم - عن ابن مسعود قال : سمعت رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وآله وسلم ، يقول : « **لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه اللّه مالاً فسلطه علىٰ هلكته في الحق ، ورجل آتاه اللّه حكمةً فهو يقضي بها ويعلمها** » .

وهكذا رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة من طرق متعددة عن إسماعيل بن أبي خالد به(١٦٤٠) .

وقوله : ﴿ **وما يذكر إلا أولوا الألباب** ﴾ أي : وما ينتفع بالموعظة والتذكار إلا من له لب وعقل ، يعي[٢] به الخطاب ومعنىٰ الكلام .

﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ﴾

يخبر تعالىٰ بأنه عالم بجميع ما يفعله العاملون من الخيرات ، من النفقات والمنذورات ، وتضمن ذلك مجازاته علىٰ ذلك أوفر الجزاء للعاملين لذلك ابتغاء وجهه ، ورجاء موعوده ، وتوعد من لا يعمل بطاعته بل خالف أمره ، وكذب خبره ، وعبد معه غيره ، فقال : ﴿ **وما للظالمين من أنصار** ﴾ أي : يوم القيامة ينقذونهم[٣] من عذاب اللّه ونقمته .

(١٦٣٨) - وفي إسناده إسماعيل بن رافع المدني ضعفه أحمد وابن معين والنسائي وقال ابن عدي : أحاديثه كلها مما فيه نظر .

(١٦٣٩) - المسند (٤٣٢/١) .

(١٦٤٠) - صحيح البخاري برقم (٧٣) ، وصحيح مسلم برقم (٨١٦) ، وسنن النسائي الكبرى برقم (٥٨٤٠) ، وسنن ابن ماجة برقم (٤٢٠٨) .

[١] - في خ : « عمر » .
[٢] - في ت : « يعني » .
[٣] - في ز ، خ : « ينقذهم » .

وقوله : ﴿ **إن تبدوا الصدقات فنعما هي** ﴾ أي : إن أظهرتموها فنعم شيء هي .

وقوله : ﴿ **وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم** ﴾ فيه دلالة علىٰ أن إسرار الصدقة أفضل من إظهارها ؛ لأنه أبعد عن الرياء ، إلا أن يترتب علىٰ الإظهار مصلحة راجحة ، من اقتداء الناس به ، فيكون أفضل من هذه الحيثية . وقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة ، والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة** »(١٦٤١) .

والأصل أن الإسرار أفضل لهذه الآية ، ولما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **سبعة يظلهم اللَّه في ظله يوم لا ظل إلا ظله ؛ إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة اللَّه ، ورجلان تحابا في اللَّه اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتىٰ يرجع إليه ، [ورجل ذكر اللَّه خاليا ففاضت عيناه][١] ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف اللَّه ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتىٰ لا تعلم شماله ما تنفق يمينه** » (١٦٤٢) .

وقال الإمام أحمد(١٦٤٣) : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا العوام بن حوشب ، عن سليمان بن أبي سليمان ، عن أنس بن مالك ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم ، قال : « **لما خلق اللَّه الأرض جعلت تميد ، فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت ، فتعجبت الملائكة من خلق الجبال ، فقالت : يارب ؛ هل[٢] في خلقك شيء أشد من الجبال؟ قال : نعم الحديد . قالت : يارب ؛ فهل من خلقك شيء أشد من الحديد؟ قال : نعم النار . قالت : يارب ؛ فهل من خلقك شيء أشد من النار؟ قال : نعم الماء . قالت : يارب ؛ فهل من خلقك شيء أشد من الماء؟ قال : نعم ، الريح . قالت : يارب ؛ فهل من خلقك شيء أشد من**

(١٦٤١) - رواه أحمد في المسند (٤/١٥١) (١٧٤١٧) ، وأبو داود في الصلاة حديث (١٣٣٣) . والترمذي في فضائل القرآن : حديث (٢٩١٩) . والنسائي في كتاب قيام الليل وتطوع والنهار ، باب : فضل السر على الجهر (٣/١٢٥) (٥/٨٠) . وأخرجه الطبراني في الكبير (١٧/٣٣٤) حديث (٩٢٣) ، (٩٢٤) . من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه - وقال الترمذي : « هذا حديث حسن غريب » .

(١٦٤٢) - صحيح البخاري برقم (١٤٢٣ ، ٦٦٠) ، وصحيح مسلم برقم (١٠٣١) .

(١٦٤٣) - المسند (٣/١٢٤) .

(١٦٤٤) - المسند (٥/١٧٨) (٢١٦٢٩) . وأخرجه أيضًا البزار كما في كشف الأستار (١ / ٩٣ ، ٩٤ / رقم : ١٦٠) . والطبراني في الأوسط كما في مجمع البحرين (١ / ٢٦٨ - ٢٦٩ / رقم : ٣١٣) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ١٥٩ ، ١٦٠) وقال « رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط بنحوه ، وعند النسائي طرف منه ، وفيه المسعودى وهو ثقة ، ولكنه اختلط ، وفي طريق الطبراني زيادة تأتى في باب : التاريخ » .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - في ز : « فهل » .

الريح؟ قال : نعم ابن آدم يتصدق بيمينه فيخفيها من شماله » .

وقد ذكرنا في فضل آية الكرسي ، عن أبي ذر قال : قلت : يا رسول الله ؛ [أي الصدقة أفضل؟][١] قال : « **سر إلىٰ فقير أو جهد من مقل** »(١٦٤٤) . رواه أحمد .

ورواه ابن أبي حاتم من طريق علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، عن أبي ذر ، فذكره ، وزاد : ثم نَزَع[٢] بهذه الآية ﴿ **إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم** ﴾ الآية . وفي الحديث المروي : « **صدقة السر تطفيء غضب الرب عز وجل** »(١٦٤٥) .

وقال ابن أبي حاتم(١٦٤٦) : حدثنا أبي ، حدثنا الحسن بن زياد المحاربي مؤذّن محارب أخبرنا موسىٰ بن عمير ، عن عامر الشعبي ، في قوله : ﴿ **إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم** ﴾ قال : أنزلت في أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - أمّا عمر فجاء بنصف ماله حتىٰ دفعه إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال له النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما خلفت وراءك لأهلك يا عمر؟** » . قال : خلفت لهم نصف مالي . وأمّا أبو بكر فجاء بماله كله يكاد أن يخفيه من نفسه حتىٰ دفعه إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال له النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما خلفت وراءك لأهلك يا أبا بكر؟** » . فقال : عدة الله وعدة رسوله . فبكىٰ عمر - رضي الله عنه - وقال : بأبي أنت وأمّي[٣] يا أبا بكر ، والله ما استبقنا إلىٰ باب خير قط إلا كنت سابقًا(١٦٤٧) .

وهذا الحديث مروي[٤] من وجه آخر عن عمر(١٦٤٨) - رضي الله عنه - وإنما أوردناه هٰهنا لقول الشعبي : إن الآية نزلت في ذلك . ثم إن الآية عامّة في أن إخفاء الصدقة أفضل، سواء كانت مفروضة أو مندوبة .

(١٦٤٥) - ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٨/٢٦٩) من طريق خالد بن أبي يزيد ، عن علي بن يزيد به .

(١٦٤٦) - رواه الترمذي في السنن حديث (٢٣٨٦) من حديث أنس - رضي الله عنه - ورُوي عن جماعة من الصحابة .

(١٦٤٧) - ورواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب حديث (١٦٤٣) من طريق محمد بن الصباح عن موسى ابن عمير عن الشعبي به .

(١٦٤٨) - رواه أبو داود في السنن حديث (١٦٧٨) ، والترمذي في السنن حديث (٣٦٧٥) من طريق هشام ابن سعد، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وقال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح » .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٢] - في خ : « شرع » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ت : « روي » .

لكن روىٰ ابن جرير ، من طريق علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، في تفسير هذه الآية قال : جعل الله صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها ، يقال[١] : بسبعين ضعفًا ، وجعل صدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها يقال[٢] : بخمسة وعشرين ضعفًا .

وقوله ﴿ ويكفر[٣] عنكم من سيئاتكم ﴾ أي : بدل الصدقات ، ولا سيما إذا كانت سرًا ، يحصل لكم الخير في رفع الدرجات ، ويكفر عنكم السيئات . وقد قرئ : (ويكفر عنكم) بالضم ، وقرئ : [(ونكفر)][٤] بالجزم ، عطفًا على جواب الشرط(*) ، وهو قوله : (فنعما هي) كقوله : (فأصدّق وأكون) ، (وأكن) .

وقوله ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ أي : لا يخفىٰ عليه من ذلك شيء وسيجزيكم عليه .

﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

(*) قرأ ابن عامر وعاصم – في رواية حفص – : « ويكفرُ » بالياء وبالرفع . وقرأ ابن كثير ، وأبو عمرو وعاصم – في رواية أبي بكر – : « ونكفرُ » بالنون والرفع أيضًا . وقرأ نافع وحمزة والكسائي : « ونكفرْ » بالنون وجزم الراء .

[١] – في ز ، خ : « فقال » .
[٢] – في ز ، خ : « فقال » .
[٣] – في ز : « ونكفر » ، خ : « وتكفر » .
[٤] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

قال أبو عبد الرحمن النسائي (١٦٤٩) : أخبرنا محمد بن [عبد الله][١] بن عبد الرحيم ، أخبرنا الفريابي ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كانوا يكرهون أن يرضخوا(*) لأنسبائهم من المشركين ، فسألوا فرخص لهم ، فنزلت هذه الآية ﴿ **ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون** ﴾ .

وكذا رواه أبو حذيفة ، وابن المبارك ، وأبو أحمد الزبيري ، وأبو داود الحفري[٢] عن سفيان - وهو الثوري - به .

وقال ابن أبي حاتم(١٦٥٠) : أخبرنا أحمد بن القاسم بن عطية ، حدثني أحمد بن عبد الرحمن - يعني الدشتكي - حدثني أبي ، عن أبيه ، حدثنا الأشعث بن إسحاق ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أنه كان يأمر بأن لا يتصدق إلا علىٰ أهل الإسلام ، حتىٰ نزلت هذه الآية ﴿ **ليس عليك هداهم** ﴾ إلىٰ آخرها ، فأمر بالصدقة بعدها علىٰ كل من سألك من كل دين . وسيأتي عند قوله تعالىٰ : ﴿ **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ولم يظاهروا على إخراجكم** ﴾ الآية ، حديث أسماء بنت الصديق في ذلك .

وقوله : ﴿ **وما تنفقوا من خير فلأنفسكم** ﴾ كقوله : ﴿ **من عمل صالحاً فلنفسه** ﴾ ونظائرها في القرآن كثيرة .

وقوله : ﴿ **وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله** ﴾ قال الحسن البصري : نفقة المؤمن لنفسه ، ولا ينفق المؤمن إذا أنفق إلا ابتغاء وجه الله .

وقال عطاء الخراساني : يعني إذا أعطيت لوجه الله فلا عليك ما كان عمله . وهذا معنىٰ حسن ، وحاصله أن المتصدق إذا تصدق ابتغاء وجه الله فقد وقع أجره علىٰ الله ، ولا عليه في نفس الأمر لمن أصاب ألِبَرٍّ أو فاجرٍ ، أو مستحق أو غيره ، وهو مثاب علىٰ قصده . ومستند هذا تمام الآية ﴿ **وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون** ﴾ والحديث المخرّج في الصحيحين(١٦٥١) من طريق أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة قال : قال

(١٦٤٩) - سنن النسائي الكبرى حديث (١١٠٥٢) .

(*) - رضخ له من ماله : أعطاه القليل منه .

(١٦٥٠) - وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٨٦/٢) لابن مردويه والضياء المقدسي .

(١٦٥١) - صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب : إذا تصدق على غني وهو لا يعلم ، حديث (١٤٢١) =

[١] - في ز ، خ : « عبد السلام » . [٢] - سقط من : خ .

رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **قال رجل : لأتصدقنّ الليلة[١] بصدقة . فخرج بصدقته ، فوضعها في يد زانية ، فأصبح الناس يتحدثون : تُصُدِّقَ علىٰ زانية ! فقال : اللَّهم ؛ لك الحمد علىٰ زانية ، لأتصدقن الليلة بصدقة [فخرج بصدقته] . فوضعها في يد غني ، فأصبحوا يتحدثون : تُصُدِّقَ الليلة علىٰ غني . فقال[٢] : اللَّهم ؛ لك الحمد علىٰ غني ، لأتصدقنّ الليلة بصدقة ، فخرج بصدقته[٣] فوضعها في يد سارق ، فأصبحوا يتحدثون : تصدّق الليلة علىٰ سارق ، فقال : اللَّهم ؛ لك الحمد علىٰ زانية وعلىٰ غني وعلىٰ سارق . فأُتي ، فقيل له : أمّا صدقتك فقد قُبِلَتْ ، وأما الزانية فلعلها أن تستعف بها عن زناها ، ولعل الغني يعتبر فينفق مما أعطاه الله ، ولعل السارق أن[٤] يستعف بها عن سرقته** » .

وقوله : ﴿ **للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله** ﴾ يعني : المهاجرين الذين قد انقطعوا إلىٰ الله وإلىٰ رسوله وسكنوا المدينة ، وليس لهم[٥] سبب يردون به على أنفسهم ما يغنيهم و ﴿ **لا يستطيعون ضربًا في الأرض** ﴾ يعني : سفرًا للتسبب في طلب المعاش . والضرب في الأرض هو السفر . [قال الله تعالىٰ][٦] : [﴿ **وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصُروا من الصلاة** ﴾و][٧] قال[٨] [ ][٩] تعالىٰ[١٠] : ﴿ **علم أن سيكون منكم مرضىٰ وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله** ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ **يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف** ﴾ أي : الجاهل بأمرهم وحالهم يحسبهم أغنياء من تعففهم في لباسهم وحالهم ومقالهم .

وفي هذا المعنىٰ الحديث المتفق علىٰ صحته عن أبي هريرة(١٦٥٢) قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم : « **ليس المسكين بهذا الطوّاف الذي ترده التمرة والتمرتان ، [واللقمة واللقمتان][١١] ، والأكلة والأكلتان ، ولكن المسكين الذي لا يجد غنًى يغنيه ، ولا يفطن له فيتصدق عليه ، ولا يسأل الناس شيئًا** » . وقد رواه أحمد من حديث ابن مسعود أيضًا(١٦٥٣) .

= وصحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، حديث (١٠٢٢) .

(١٦٥٢) - صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن (٤٥٣٩) ، وصحيح مسلم ، كتاب الزكاة (١٠٣٩) .

(١٦٥٣) - المسند (٣٨٤/١) (٢٦٢٩ ، ٤٣٨٤) .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - سقط من خ .
[٣] - سقط من ت .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٨] - سقط من : خ .
[٩] - ما بين المعكوفتين في ز : « الله » .
[١٠] - سقط من : خ .
[١١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

وقوله : ﴿ **تعرفهم بسيماهم** ﴾ أي : بما يظهر لذوي الألباب من صفاتهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **سيماهم في وجوههم** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **ولتعرفنهم في لحن القول** ﴾ وفي الحديث الذي في السنن(١٦٥٤) : « **اتقوا فراسة المؤمن ؛ فإنه ينظر بنور الله** » ثم قرأ : ﴿ **إن في ذلك لآيات للمتوسمين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **لا يسألون الناس إلحافًا** ﴾ أي : لا يلحون في المسالة[١] ، ويكلفون الناس ما لا يحتاجون إليه ، فإن من سأل وله ما يغنيه عن السؤال[٢] فقد ألحف في المسألة . قال البخاري(١٦٥٥) : حدثنا ابن أبي مريم ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شريك بن أبي نمر ، أن عطاء بن يسار، وعبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري قالا : سمعنا أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان ، ولا اللقمة واللقمتان ، إنما المسكين الذي يتعفف ، اقرءوا إن شئتم - يعني قوله : ﴿ لا يسألون الناس إلحافًا ﴾** .

وقد رواه مسلم(١٦٥٦) ، من حديث إسماعيل بن جعفر المديني[٣] عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر ، عن عطاء بن يسار - وحده - عن أبي هريرة به .

وقال أبو عبد الرحمن النسائي(١٦٥٧) : أخبرنا علي بن حُجر ، حدثنا إسماعيل ، أخبرنا شريك - وهو ابن أبي نمر - عن عطاء بن يسار ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان ، واللقمة واللقمتان ، إنما[٤] المسكين المتعفف ، اقرءوا إن شئتم ﴿ لايسألون الناس إلحافًا ﴾** .

وروىٰ البخاري(١٦٥٨) من حديث شعبة ، عن محمد بن [ ][٥] زياد ، عن أبي هريرة ، عن

(١٦٥٤) - رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الحجر ، حديث (٣١٢٧) من طريق عمرو بن قيس ، عن عطية ، عن أبي سعيد - رضي الله عنه - به مرفوعًا . وأخرجه البخاري في التاريخ ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وابن السني ، وأبو نعيم ، وابن مردويه ، والخطيب . وقال الترمذي : « هذا حديث غريب إنما نعرفه من هذا الوجه » . وإسناده ضعيف جدًّا لضعف عطية العوفي . وأخرجه الحكيم الترمذي والطبراني وابن عدي ، عن أبي أمامة . وأخرجه ابن جرير عن ابن عمر ، وعن ثوبان .

(١٦٥٥) - صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن حديث (٤٥٣٩) .

(١٦٥٦) - صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، حديث (١٠٣٩) .

(١٦٥٧) - سنن النسائي الكبرى حديث (١١٠٥٣) .

(١٦٥٨) - صحيح البخاري ، كتاب الزكاة حديث (١٤٧٦) .

[١] - في ت : « السؤال » .
[٢] - في ت : « المسألة » .
[٣] - في ز : « الذي » .
[٤] - في ز : « إن » .
[٥] - في خ : « أبي » وهي زيادة مقحمة .

النبي صلىٰ اللّٰه عليه وآله وسلم نحوه .

وقال ابن أبي حاتم : أخبرنا يونس بن[١] عبد الأعلىٰ ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني ابن أبي ذئب ، عن أبي الوليد ، عن أبي هريرة : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **ليس المسكين بالطواف عليكم فتطعمونه لقمة لقمة ، إنما المسكين المتعفف الذي لا يسأل الناس إلحافًا** » .

وقال ابن جرير : حدثني معتمر ، عن الحسن بن مالك[٢] ، عن صالح بن سويد ، عن أبي هريرة قال : ليس المسكين بالطواف[٣] الذي ترده الأكلة والأكلتان ، ولكن المسكين المتعفف في بيته ، لا يسأل الناس شيئًا ، تصيبه الحاجة ، اقرءوا إن شئتم ﴿ **لا يسألون الناس إلحافًا**[٤] ﴾ .

وقال الإمام أحمد أيضًا[٥] (١٦٥٩) : حدثنا أبو بكر الحنفي ، حدثنا عبد الحميد بن جعفر ، عن أبيه ، عن رجل من مزينة ، أنه قالت له أمه : ألا تنطلقُ فتسألَ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كما يسأله الناس ؟ فانطلقت أسأله ، فوجدته قائمًا يخطب وهو يقول : « **من استعف أعفه اللّٰه ، ومن استغنىٰ أغناه اللّٰه ، ومن سأل[٦] الناس وله عدل خمس أواقٍ فقد سأل الناس إلحافًا** » . فقلت بيني وبين نفسي : - لناقة [له](*) لهي[٧] خير من خمس أواقٍ ، ولغلامه ناقة أخرى فهي خير من خمس أواقٍ ، فرجعت ولم أسأل .

وقال الإمام أحمد(١٦٦٠) : حدثنا قتيبة ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الرجال ، عن عمارة بن غَزِيَّة[٨] ، عن عبد الرحمن بن أبي سعيد ، عن أبيه قال : سرحتني أمي [إلىٰ رسول اللّٰه][٩] صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، أسأله ، فأتيته فقعدت ، قال : فاستقبلني فقال : « **من استغنىٰ أغناه اللّٰه ، [ومن استعف أعفه اللّٰه][١٠] ، ومن استكف كفاه اللّٰه ، ومن سأل وله قيمة أوقية**

(١٦٥٩) - المسند (١٣٨/٤) (١٧٢٨٦) . أخرجه النسائي (١٩٨/٥) . والدارقطني (١١٨/٢) . والطحاوي في شرح معاني الآثار (١٦١٢) ، (٣٧٢/٤) . وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٥٨٩٨) . وعزاه لسلسلته الصحيحة (٢٣٤١) .

(١٦٦٠) - المسند (٩/٣) (١١٠٧٤) ، ورواه أحمد (١١٠٥٨) وعمارة بن غزية وثقة أحمد وأبو زرعة والدارقطني والعجلي وابن سعد . وقال يحيى بن معين : صالح ، وقال أبو حاتم : ما بحديثه بأس ، كان صدوقًا . وقال النسائي : ليس به بأس [انظر تهذيب الكمال (٢٥٨،٢١) ت (٤١٩٥) . وقال =

---

[١] - في ز : « عن » .
[٢] - في ز : « ماتك » .
[٣] - في ز ، خ : « الطواف » .
[٤] - في ز ، خ : « شيئًا » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ت : « يسأل » .
[٧] - في خ : « لي » .
[٨] - في ز ، خ : « عرفة » .
[٩] - سقط من : خ .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

فقد ألحف » . قال : فقلت : ناقتي الياقوتة خير من أوقية . فرجعت ولم أسأله .

وهكذا رواه أبو داود والنسائي ، كلاهما عن قتيبة - زاد أبو داود : وهشام بن عمار - كلاهما عن عبد الرحمن بن أبي الرجال بإسناده نحوه .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو الجماهر ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الرجال ، عن عمارة بن غزِيَّة[١] ، عن عبد الرحمن بن أبي سعيد ، قال : [قال أبو سعيد الخدري][٢] : قال

= الحافظ في التقريب التقريب ت (٤٨٥٨) : لا بأس به . وأما عبد الرحمن بن أبي الرجال : فوثقه يحيى بن معين وأحمد بن حنبل ، وقال أبو حاتم : صالح ، وقال أبو داود : لا بأس به . وقال الحافظ في التقريب (٣٨٥٨) : صدوق ربما أخطأ . والحديث أخرجه أبو داود - كتاب الزكاة - باب مَنْ يعطى من الصدقة ؟؟ وحد الغنى (١٦٢٨) . والنسائي - كتاب الزكاة - باب « من الملحف » - (٩٨/٥) .

وابن خزيمة في صحيحه (٢٤٤٧) (١٠٠/٤) . والبيهقي في « السنن » - كتاب الصدقات - باب لا وقت فيما يعطى الفقراء والمساكين - (٢٤/٧) وابن حبان في صحيحه (٣٣٩٠) (١٨٤/٨-١٨٥) .

ويأتي أيضًا - (١١٠٧٤،١١٠٧٥) - (٩/٣) . كلهم من طريق عبد الرحمن بن أبي الرجال به مطولًا ومختصرًا .

وللحديث شاهد .

أخرجه مالك في الموطأ - كتاب الصدقة - باب ما جاء في التعفف عن المسألة ص ٧٦٣، ومن طريقه أبو داود - كتاب الزكاة - باب من يعطى من الصدقة ؟ وحد الغنى (١٦٢٧) (١١٦/٢) ، والنسائي - كتاب الزكاة - إذا لم يكن له دراهم وكان له عدلها - (٩٨/٥-٩٩) . من طريق زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن رجل من بني أسد - فذكر الحديث وفيه قصة . وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - « من سأل منكم وله أوقية أو عدلها فقد سأل إلحافًا » . وإسناده صحيح ، وجهالة الصحابي لا تضر كما هو معلوم . وتابع مالكا سفيانُ الثوري عند أحمد مختصرًا جدًّا (٣٦/٤،٥/٤٣٠) .

وله طريق أخرى عند أحمد (١٣٨/٤) عن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه عن رجل من مزينة فذكره وفيه : « من سأل الناس وله عدل خمس أواق ... قال الشيخ الألباني في الصحيحة (٢٩٧/٤) : هذا إسناد صحيح على ضعف يسير في عبد الحميد ولعله أخطأ في قوله « عدل خمس أواق » ، ويبدو أن هذا الرجل المزني هو أبو سعيد الخدري . اهـ

وفي الباب أيضًا حديث عبد الله بن عمرو بإسناد حسن .

عند النسائي (٩٨/٥) ، وابن خزيمة في صحيحه (٢٤٤٨) (١٠١/٤) والبيهقي في الكبرى (٢٤/٧) وعزاه الحافظ في الفتح (٢٠٣/٨) إلى أحمد .

وعند الطبراني في الكبير (١٦٣٠) (١٥٠/٢) ، وأبي نعيم في الحلية (١٦١/١) . من طريق محمد بن سيرين .

« بلغ الحارث رجل من الشام من قريش أن أبا ذر كان به عوز فبعث إليه ثلاث مائة دينار ؛ فقال : ما وجد عبدًا لله هو أهون عليه منى ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فذكره وهذا إسناد جيد مرسل ؛ لأن ابن سيرين لم يلق أبا ذر كما قال أبو حاتم .

[١] - في ز : « غرنه » ، خ : « عرفة » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **من سأل وله قيمة وقية فهو ملحف** » .

والوقية أربعون درهمًا .

وقال أحمد(١٦٦١) : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن رجل من بني أسد قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **من سأل وله أوقية أو عدلها ؛ فقد سأل إلحافًا** » .

وقال الإمام أحمد(١٦٦٢) أيضًا[١] : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن حكيم بن جبير ، عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد ، عن أبيه ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **من سأل وله ما يغنيه جاءت مسألته يوم القيامة خدوشًا ، أو كدوحًا في وجهه** » . قالوا : يا رسول الله ؛ وما غناه ؟ قال : « **خمسون درهمًا أو حسابها من الذهب** » .

وقد رواه أهل السنن الأربعة من حديث حكيم بن جبير الأسدي الكوفي .

وقد تركه شعبة بن الحجاج ، وضعفه غير واحد من الأئمة من جراء[٢] هذا الحديث .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني(١٦٦٣) : حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي ، حدثنا أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس ، حدثني أبي ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن هشام ابن حسان ، عن محمد بن سيرين قال : بلغ الحارث - رجلًا كان بالشام من قريش - أن أبا ذر كان به عَوز ، فبعث إليه ثلاثمائة دينار ، فقال : ما وجد عبدًا لله [ ][٣] هو أهون عليه مني ، سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **من سأل وله أربعون فقد ألحف** » . ولآل أبي ذر أربعون درهمًا ، وأربعون شاة ، وماهنان . قال أبو بكر [بن عياش][٤] : يعني خادمين .

وقال ابن مردويه : حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، أخبرنا إبراهيم بن محمد ، أنبأنا عبد الجبار ، أخبرنا سفيان ، عن داود بن سابور ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، عن

(١٦٦١) - المسند (٣٦/٤) .

(١٦٦٢) - المسند (٣٨٨/١) ، وسنن أبي داود حديث (١٦٢٦) ، وسنن الترمذي حديث (٦٥٠) ، وسنن النسائي (٩٧/٥) ، وسنن ابن ماجة حديث (١٨٤٠) .

(١٦٦٣) - المعجم الكبير (١٥٠/٢) ، وقال الهيثمي في المجمع (٣٣١/٩) : « رجاله رجال الصحيح غير عبد الله ابن أحمد بن عبد الله بن يونس وهو ثقة » .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في خ : « جري » .

[٣] - في ز : رجلًا.

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **من سأل وله أربعون درهمًا فهو ملحف ، وهو مثل سف الملة** » . يعني : الرمل .

ورواه النسائي(١٦٦٤) ، عن أحمد بن سليمان ، عن يحيى بن آدم ، عن سفيان - وهو ابن عيينة - بإسناده نحوه .

و[١] قوله : ﴿ **وما تنفقوا من خير فإن اللَّه به عليم** ﴾ أي : لا يخفىٰ عليه شيء منه ، وسيجزي عليه أوفر الجزاء وأتمه يوم القيامة ، أحوج ما يكونون إليه .

وقوله : ﴿ **الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرًّا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ هذا مدح منه تعالىٰ للمنفقين في سبيله ، وابتغاء مرضاته ، في جميع الأوقات من ليل أو نهار ، والأحوال من سرٍ أو[٢] جهار ، حتىٰ إن النفقة علىٰ الأهل تدخل في ذلك أيضًا ، كما ثبت في « الصحيحين »(١٦٦٥) أنّ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال لسعد بن أبي وقاص حين عاده مريضًا عام الفتح - وفي رواية عام حجة الوداع - : « **وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه اللَّه إلا ازددت بها[٣] درجة ورفعة ، حتىٰ ما تجعل في فيّ امرأتك** » .

وقال الإمام أحمد(١٦٦٦) : حدّثنا محمد بن جعفر ، وبهز ، قالا : حدّثنا شعبة ، عن عدي ابن ثابت ، قال : سمعت عبد اللَّه بن يزيد الأنصاري ، يحدث عن أبي مسعود - رضي اللَّه عنه - عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم - أنه قال : « **إن المسلم إذا أنفق علىٰ أهله نفقة يحتسبها كانت له صدقة** » . أخرجاه من[٤] حديث شعبة به .

وقال ابن أبي حاتم(١٦٦٧) : حدّثنا أبو زرعة ، حدّثنا سليمان بن عبد الرحمن ، حدّثنا محمد بن شعيب ، قال : سمعت سعيد بن يسار ، عن يزيد بن عبد اللَّه بن عريب المليكي ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **نزلت هذه الآية**

(١٦٦٤) - سنن النسائي الكبرى حديث (٢٣٧٥) . وفي الزكاة من الصغرى (٢٥٩٤) .

(١٦٦٥) - صحيح البخاري ، كتاب الإيمان (٥٦) ، وفي الجنائز (١٣٩٦) ، وفي المغازي ، باب : حجة الوداع (٤٤٠٩) ، وانظر (٣٩٣٦ ، ٥٣٥٤ ، ٦٣٧٣) ، وصحيح مسلم ، كتاب الوصية (١٦٢٨) .

(١٦٦٦) - المسند (١٢٢/٤) ، وصحيح البخاري ، كتاب الإيمان (٥٥) ، وصحيح مسلم ، كتاب الزكاة حديث (١٠٠٢) .

(١٦٦٧) - ورواه أبو الشيخ في العظمة حديث (١٢٨٣) من طريق سليمان بن عبد الرحمن به ، وفي إسناده سعيد بن سنان متروك .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في ز : « و » .
[٣] - في ز ، خ : « به » .
[٤] - في ز : « في » .

﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرًّا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم﴾ في أصحاب الخيل » .

وقال حنش[١] الصنعاني ، عن ابن عباس في هذه الآية ، قال : هم الذين يعلفون الخيل في سبيل الله .

رواه ابن أبي حاتم ثم قال : وكذا روي عن أبي أمامة وسعيد بن المسيب ومكحول .

وقال ابن أبي حاتم : حدّثنا أبو سعيد الأشج ، أخبرنا يحيىٰ بن يمان ، عن عبد الوهاب بن مجاهد بن جبر[٢] ، عن أبيه ، قال : كان لعلي أربعة دراهم ، فأنفق درهمًا ليلًا ، ودرهمًا نهارًا ، ودرهمًا سرًّا ، ودرهمًا علانية .

فنزلت : **﴿ الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرًّا وعلانية ﴾** .

وكذا رواه ابن جرير من طريق عبد الوهاب بن مجاهد ، وهو ضعيف ، لكن رواه ابن مردويه من وجه آخر ، عن ابن عباس ، أنها نزلت في علي بن أبي طالب .

وقوله : **﴿ فلهم أجرهم عند ربهم ﴾** أي : يوم القيامة ، علىٰ ما فعلوا من الإنفاق في الطاعات **﴿ ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾** تقدم تفسيره .

ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾

لما ذكر تعالىٰ الأبرار المؤدّين النفقات ، المخرجين الزكوات ، المتفضلين بالبر والصلات[٣] لذوي الحاجات والقرابات ، في جميع الأحوال والآنات[٤] ، شرع في ذكر أكلة الربا ، وأموال الناس بالباطل ، وأنواع الشبهات ، فأخبر عنهم يوم خروجهم من قبورهم ، وقيامهم منها إلىٰ بعثهم ، ونشورهم ، فقال : **﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ﴾** أي : لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع حال صرعه ، وتخبط

---

[١] - في ز ، خ : « حبش » . [٢] - في خ : « جبير » .
[٣] - في ت : « الصدقات » . [٤] - في ت : « الآوقات » .

الشيطان له ، وذلك أنه يقوم قيامًا منكرًا ، قال ابن عباس : آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنونًا يخنق .

رواه ابن أبي حاتم . قال : وروي عن عوف بن مالك ، وسعيد بن جبير ، والسدي ، والربيع ابن أنس ، وقتادة[١] ، ومقاتل بن حيان نحو ذلك .

وحكي عن عبد الله بن عباس ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، وقتادة ، ومقاتل بن حيان أنهم قالوا في قوله : ﴿ **الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس** ﴾ يعني : لا يقومون يوم القيامة . وكذا قال ابن أبي نجيح عن مجاهد والضحاك ، وابن زيد .

وروىٰ ابن أبي حاتم من حديث أبي بكر بن أبي مريم عن ضمرة بن حنيف عن ابن عبد الله بن مسعود ، عن أبيه ، أنه كان يقرأ : ﴿ **الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس يوم القيامة** ﴾ .

وقال ابن جرير : حدّثني المثنى ، حدّثنا مسلم بن إبراهيم ، حدّثنا ربيعة بن كلثوم ، حدّثنا أبي ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : يقال يوم القيامة لآكل الربا : خذ سلاحك للحرب ، وقرأ ﴿ **الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس** ﴾ .

قال[٢] : وذلك حين يقوم من قبره .

وفي حديث أبي سعيد في الإسراء ، كما هو مذكور في سورة « **سبحان** » أنه ، عليه السلام ، مر ليلتئذ بقوم لهم أجواف مثل البيوت ، فسأل عنهم فقيل : هؤلاء أكلة الربا . رواه البيهقي مطولًا .

وقال ابن ماجة(١٦٦٨) : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا الحسن بن موسىٰ ، عن حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن أبي الصلت ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أتيت ليلة أسري بي على قوم بطونهم كالبيوت ، فيها الحيات ترىٰ من خارج بطونهم ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل؟ قال : هؤلاء أكلة الربا** » .

(١٦٦٨) - سنن ابن ماجة حديث (٢٢٧٣) ، والمسند (٣٥٣/٢) . وإسناده ضعيف ؛ علي بن زيد هو ابن جدعان : ضعفوه ، وأبو الصلت : مجهول .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - سقط من : ز .

ورواه الإمام أحمد ، عن حسن وعفان ، كلاهما عن حماد بن سلمة به ، و[١] في إسناده ضعف .

وقد روىٰ البخاري عن سمرة بن جندب(١٦٦٩) - في حديث المنام الطويل - : «**فأتينا علىٰ نهر - حسبت أنه كان يقول : أحمر مثل الدم - وإذا في النهر رجل سابح يسبح ، وإذا علىٰ شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة ، وإذا ذلك السابح يسبح [ما يسبح][٢] ثم يأتي ذلك الذي قد جمع الحجارة عنده ، فيفغر له فاه ، فليقمه[٣] حجرًا . وذكر في تفسيره أنه آكل الربا** .

وقوله : ﴿ **ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل اللّه البيع وحرم الربا** ﴾ أي : إنما جوزوا بذلك لاعتراضهم علىٰ أحكام اللّه في شرعه . وليس[٤] هذا قياسًا[٥] منهم للربا علىٰ البيع ، لأن المشركين[٦] لا يعترفون بمشروعية أصل البيع الذي شرعه اللّه في القرآن ، ولو كان هذا من باب القياس لقالوا : إنما الربا مثل البيع . وإنما قالوا : ﴿ **إنما البيع مثل الربا** ﴾ أي : هو نظيره ، فلمَ حُرّم هذا وأبيح هذا؟ وهذا اعتراض منهم علىٰ الشرع ، أي : هذا مثل هذا ، وقد أحل هذا وحرم هذا .

و[قوله تعالىٰ : ﴿ **وأحل اللّه البيع وحرّم الربا** ﴾][٧] يحتمل أن يكون من [تمام الكلام][٨] ردًا عليهم ، أي : علىٰ ما قالوه[٩] من الاعتراض ، مع علمهم بتفريق اللّه بين هذا وهذا حُكمًا ، وهو العليم الحكيم ، الذي لا معقب لحكمه ، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، وهو العالم بحقائق الأمور ومصالحها ، وما ينفع عباده فيبيحه لهم ، وما يضرهم فينهاهم عنه ، وهو أرحم بهم من الوالدة بولدها الطفل ؛ ولهذا قال : ﴿ **فمن جاءه موعظة من ربه فانتهىٰ ، فله ما سلف وأمره إلىٰ اللّه** ﴾ أي : من بلغه نهي اللّه عن الربا ، فانتهىٰ حال وصول الشرع إليه ، فله ما سلف من المعاملة ؛ لقوله : ﴿ **عفا اللّه عما سلف** ﴾ وكما قال النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم يوم فتح مكة : « **وكل ربا في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين ، وأول ربا أضع ربا العباس** »(١٦٧٠) . ولم يأمرهم برد الزيادات المأخوذة في حال

(١٦٦٩) - صحيح البخاري ، كتاب التعبير ، باب : تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح ، حديث (٧٠٤٧) .
(١٦٧٠) - رواه مسلم في الحج (١٢١٨) ، وأبو داود في المناسك (١٩٠٥) ، وابن ماجه (٣٠٧٤) . =

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « فألقمه » ، سقط من : خ .
[٤] - في ز : « ولبس » .
[٥] - في خ : « قياس » .
[٦] - في خ : « المشركون » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٨] - في ز و خ : « كلام » .
[٩] - في ز ، خ : « قالوا » .

الجاهلية ، بل عفا عما سلف ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فله ما سلف وأمره إلى الله** ﴾ .

قال سعيد بن جبير والسدّي : (فله ما سلف) أي[١] : ما كان أكل من الربا قبل التحريم .

وقال ابن أبي حاتم : قُرئ علي محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني جرير بن حازم ، عن أبي إسحاق الهمداني ، عن أم يونس - يعني امرأته العالية بنت أيفع - أن عائشة زوج النبي صلىٰ الله عليه وسلم قالت لها أم محبة - أم ولد لزيد بن أرقم - : يا أم المؤمنين ، أتعرفين زيد بن أرقم ؟ قالت : نعم . قالت : فإني بعته عبدًا إلى العطاء بثمانمائة ، فاحتاج إلىٰ ثمنه فاشتريته قبل محل الأجل بستمائة . فقالت : بئس ما شريت ، وبئس ما اشتريت ، أبلغي زيدًا أنه قد أبطل جهاده مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إن لم يتب . قالت : فقلت : أرأيتِ إن تركتُ المائتين وأخذت الستمائة ؟ قالت : نعم ﴿ **فمن[٢] جاءه موعظة من ربه فانتهىٰ فله ما سلف** ﴾ .

وهذا الأثر مشهور ، وهو دليل لمن حرم مسألة العِينة ؛ مع ما جاء فيها من الأحاديث المذكورة[٣] المقرّرة في كتاب الأحكام ، ولله الحمد والمنة .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ومن عاد** ﴾ أي : إلىٰ الربا ، ففعله بعد بلوغه نهي الله له[٤] عنه ، فقد استوجب العقوبة ، وقامت عليه الحجة ؛ ولهذا قال : ﴿ **فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ .

وقد قال أبو داود (١٦٧١) : حدثنا يحيىٰ بن معين ، أخبرنا عبد الله بن رجاء المكي ، عن عبد الله بن عثمان بن خُثَيم[٥] ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، قال : لما نزلت ﴿ **الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس** ﴾ قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **من لم يذر[٦] المخابرة ، فليؤذن بحرب من الله ورسوله** » .

ورواه الحاكم في « مستدركه »(١٦٧٢) من حديث ابن[٧] خُثَيم[٨] ، وقال : صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه[٩] .

= وهو قطعة من حديث جابر الطويل في صفة حجة النبي ﷺ .

(١٦٧١) - سنن أبي داود ، كتاب البيوع ، باب : في المخابرة حديث (٣٤٠٦) .

(١٦٧٢) - المستدرك (٢/٢٨٦) .

[١] - في ز ، خ : « فله » .

[٢] - في خ : « من » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - في خ : « خيثم » .

[٦] - في ز : « يدرى » ، خ : « يذري » .

[٧] - في خ : «أبي » .

[٨] - في خ : « خيثم » .

[٩] - في ز ، خ : « يخرجه » .

وإنما حرمت المخابرة : وهي المزارعة ببعض[١] ما يخرج من الأرض ، والمزابنة : وهي اشتراء الرطب في رءوس النخل بالتمر على وجه الأرض ؛ والمحاقلة : وهي اشتراء الحب في سنبله في الحقل ، بالحب على وجه الأرض - إنما حرمت هذه[٢] الأشياء وما شاكلها [حسمًا لمادة الربا][٣] ؛ لأنه لا يعلم التساوي بين الشيئين قبل الجفاف ؛ ولهذا قال الفقهاء : الجهل بالمماثلة كحقيقة المفاضلة ، ومن هذا حرّموا أشياء بما فهموه[٤] من تضييق المسالك المفضية إلى الربا ؛ والوسائل الموصلة إليه ، وتفاوت نظرهم بحسب ما وهب الله لكل منهم من العلم . وقد قال تعالى : ﴿ **وفوق كل ذي علم عليم** ﴾ .

وباب الربا من أشكل الأبواب على كثير من أهل العلم . وقد قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : ثلاث وددت أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عهد إلينا فيهن عهدًا ننتهي إليه : الجد[٥] ، والكلالة ، وأبواب من أبواب الربا(١٦٧٣) - يعني بذلك بعض المسائل التي فيها شائبة الربا .

والشريعة شاهدة بأن كل حرام فالوسيلة إليه مثله ؛ لأن ما أفضى إلى الحرام حرام ، كما أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

وقد ثبت في « الصحيحين »(١٦٧٤) عن النعمان بن بشير قال : سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : « **إن الحلال بين ، وإن الحرام بين ، وبين ذلك أمور مشتبهات ، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ، كالراعي يرعى حول الحمى ، يوشك أن يرتع فيه** » .

وفي « السنن »(١٦٧٥) ، عن الحسن بن علي - رضي الله عنهما - قال : سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : « **دع ما يريبك إلى ما لا يريبك** » .

وفي الحديث الآخر : « **الإثم ما حاك في القلب ، وترددت فيه النفس ، وكرهت أن يطلع عليه الناس** »(١٦٧٦) . وفي رواية : « **استفت قلبك ، وإن أفتاك الناس وأفتوك** » .

(١٦٧٣) - رواه البخاري في كتاب الأشربة حديث (٥٥٨٨) ، ومسلم في التفسير حديث (٣٠٣٢) .
(١٦٧٤) - صحيح البخاري ، كتاب الإيمان حديث (٥٢) ، وصحيح مسلم ، كتاب المساقاة حديث (١٥٩٩) .
(١٦٧٥) - سنن الترمذي ، كتاب صفة القيامة ، حديث (٢٥١٨) ، وسنن النسائي في الأشربة (٣٢٧/٨) .
(١٦٧٦) - رواه أحمد في المسند (٢٢٨/٤) من طريق الزبير بن عبد السلام ، عن أيوب ، عن وابصة ﷺ.

[١] - مكررة في ز .
[٢] - في خ : « هذه الآية » .
[٣] - ما بين المعكوفتين بياض في ز ، خ .
[٤] - في ت : « فهموا » .
[٥] - في خ : « الحد » .

وقال الثوري ، عن عاصم ، عن الشعبي ، عن ابن عباس قال : آخر ما نزل علىٰ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم آية الربا . رواه البخاري[١] ، عن قبيصة ، عنه(١٦٧٧) .

وقال أحمد(١٦٧٨) : حدثنا[٢] يحيىٰ ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، أن عمر قال : من آخر ما نزل آية الربا ، وإن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قُبض قبل أن يفسرها لنا ، فدعوا الربا والريبة .

رواه[٣] ابن ماجة ، وابن مردويه .

وروىٰ ابن مردويه من طريق هياج بن بسطام ، عن داود بن أبي هند ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : خطبنا عمر بن الخطاب – رضي اللَّه عنه – فقال : إني لعلي أنهاكم عن أشياء تصلح لكم ، وآمركم بأشياء لا تصلح لكم ، وإن من[٤] آخر القرآن نزولًا آية الربا ، وإنه قد مات رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ولم يبينه لنا ، فدعوا ما يريبكم إلىٰ ما لا يريبكم .

وقد قال ابن ماجه(١٦٧٩) : حدّثنا عمرو بن علي الصيرفي ، حدّثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن زبيد[٥] ، عن إبراهيم ، عن مسروق ، عن عبد اللَّه – هو ابن مسعود – عن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « **الربا ثلاثة وسبعون بابًا** » .

ورواه الحاكم في مستدركه (١٦٨٠) ، من حديث عمرو بن علي الفلاس ، بإسناد مثله . وزاد : « **أيسرها أن ينكح الرجل أمه ، وإنّ أربىٰ الربا عرض الرجل المسلم** » . وقال : صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(١٦٧٧) – صحيح البخاري ، كتاب التفسير حديث (٤٥٤٤) .

(١٦٧٨) – المسند (٣٦/١) ، وسنن ابن ماجة ، كتاب التجارات ، باب : التغليظ في الربا ، حديث (٢٢٧٦) ، وقال البوصيري في الزوائد (١٩٨/٢) : « هذا إسناد صحيح ورجاله موثقون ؛ إلا أن سعيدًا وهو ابن أبي عروبة اختلط بآخره » .

(١٦٧٩) – سنن ابن ماجة كتاب التجارات ، باب : التغليظ في الربا (٢٢٧٥) ، وقال البوصيري في الزوائد (١٩٨/٢) : « هذا إسناد صحيح ، وابن أبي عدي : هو محمد بن إبراهيم ، وهو ثقة ، وقد انفرد برواية هذا الحديث عن شعبة » .

(١٦٨٠) – المستدرك (٣٧/٢) .

[١] – مكانها بياض في ز ، خ .

[٢] – في ت : عن .

[٣] – في ز ، خ : وقال .

[٤] – سقط من : ز ، خ .

[٥] – في خ : « زيد » .

وقال ابن ماجة(١٦٨١) : حدثنا عبد الله بن سعيد ، حدّثنا عبد الله بن إدريس ، عن أبي معشر ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **الربا سبعون حُوبًا**[١](*) ، **أيسرها أن ينكح الرجل أمه** » .

وقال الإمام أحمد(١٦٨٢) : حدّثنا هشيم ، عن عباد بن راشد ، عن سعيد بن أبي خيرة ، حدثنا الحسن - منذ نحوٍ من أربعين أو خمسين سنة - عن أبي هريرة ، أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **يأتي علىٰ الناس زمان يأكلون فيه الربا** » . قال : قيل له : الناس كلهم؟ قال : « **من لم يأكله منهم ناله من غباره**[٢] » . وكذا رواه أبو داود ، والنسائي وابن ماجة من غير وجه عن سعيد بن أبي خيرة ، عن الحسن به .

ومن هذا القبيل : [وهو][٣] تحريم[٤] الوسائل المفضية إلىٰ المحرمات - الحديث الذي رواه الإمام أحمد(١٦٨٣) ، حدّثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن مسلم بن صبيح ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : لما نزلت الآيات من آخر سورة[٥] البقرة في الربا خرج رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ المسجد فقرأهنّ ، فحرم التجارة في الخمر .

وقد أخرجه الجماعة - سوىٰ الترمذي - من طرق ، عن الأعمش به . [وهكذا لفظ رواية البخاري عند تفسير هذه الآية : فحرم التجارة][٦] .

وفي لفظ له عن عائشة قالت : لما نزلت الآيات من آخر سورة البقرة في الربا قرأها رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، علىٰ الناس ، ثم حرم التجارة في الخمر .

قال بعض من تكلم علىٰ هذا الحديث من الأئمة : لما حرم الربا ووسائله ؛ حرم الخمر وما

(١٦٨١) - سنن ابن ماجة ، كتاب التجارات ، باب : التغليظ في الربا حديث (٢٢٧٤) ، وقال البوصيري في الزوائد (١٩٧/٢) : « هذا إسناد ضعيف ، أبو معشر هو نجيح بن عبد الرحمن متفق على تضعيفه ، والمتن ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ، من حديث أبي هريرة أيضًا ، ورواه ابن أبي الدنيا عن عبد الله بن سعيد - وهو واهٍ - عن أبيه ، عن أبي هريرة به » .

(*) أي سبعون ضربًا من الإثم .

(١٦٨٢) - المسند (٤٩٤/٢) ، وسنن أبي داود ، كتاب البيوع حديث (٣٣٣١) ، وسنن النسائي (٢٤٣/٧) (٤٤٥٥) ، وسنن ابن ماجة ، كتاب التجارات ، باب : التغليظ في الربا حديث (٢٢٧٨) .

---

[١] - في ز : « حرسا » ، خ : « جزءًا » .
[٢] - في ز ، خ : « عباده » .
[٣] - سقط من خ .
[٤] - في خ : « وهو » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

يفضي إليه من تجارة ونحو ذلك ، كما قال - عليه السلام - في الحديث المتفق عليه (١٦٨٤): « **لعن الله اليهود ، حرمت عليهم الشحوم فجملوها**[١] (*) **فباعوها وأكلوا أثمانها** » .

وقد تقدم في حديث علي وابن مسعود وغيرهما[٢] ، عند لعن المحلل في تفسير قوله[٣] ﴿ **حتىٰ تنكح زوجًا غيره** ﴾ - قوله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لعن الله آكل الربا ، وموكله ، وشاهديه ، وكاتبه** » . قالوا : وما يشهد[٤] عليه ويكتب ؛ إلا إذا أظهر في صورة عقد شرعي ، ويكون داخله فاسدًا[٥] ، فالاعتبار بمعناه لا بصورته ؛ لأن الأعمال بالنيات . وفي الصحيح(١٦٨٥) : « **إن الله لا ينظر إلىٰ صوركم ، ولا إلىٰ أموالكم ؛ وإنما ينظر إلىٰ قلوبكم وأعمالكم** » .

وقد صنف الإمام العلامة أبو العباس بن تيمية كتابًا في إبطال التحليل ، تضمن النهي عن تعاطي الوسائل المفضية إلىٰ كل باطل ، وقد كفىٰ في ذلك وشفىٰ ، [فرحمه الله ورضي عنه][٦] .

يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾

يخبر الله تعالىٰ أنه يمحق الربا ، أي : يذهبه ، إما بأن يذهبه[٧] بالكلية من يد صاحبه ، أو يحرمه بركة ماله فلا ينتفع به ، بل يعذبه به في الدنيا ، ويعاقبه عليه يوم القيامة ، كما قال تعالىٰ :

(١٦٨٣) - المسند (٦/٤٦) ، وصحيح البخاري ، كتاب التفسير حديث (٤٥٤٠ ، ٤٥٤١) ، وصحيح مسلم ، كتاب المساقاة حديث (١٥٨٠) ، وسنن أبي داود ، كتاب البيوع حديث (٣٤٩٠) ، وسنن النسائي الكبرىٰ حديث (١١٠٥٥) ، وسنن ابن ماجة ، كتاب الاشربة حديث (٣٣٨٢) .

(*) جمّلت الشحم ، وأجملته : إذا أذبته واستخرجت دُهنه .

(١٦٨٤) - رواه البخاري في صحيحه حديث (٢٢٢٣ ، ٣٤٦٠) ، ومسلم في صحيحه حديث (١٥٨٢) من حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وهو متفق عليه من حديث جابر ، وأبي هريرة أيضًا .

(١٦٨٥) - صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، والآداب (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

[١] - في خ : « فحملوها » .
[٢] - في خ : « وغيرهم » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في خ : « شهد » .
[٥] - في خ : « كاسدًا » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٧] - في خ : « يذهب » .

﴿ قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث ﴾ . وقال تعالىٰ : **﴿ ويجعل الخبيث بعضه علىٰ بعض فيركمه جميعًا فيجعله في جهنم ﴾** . وقال : **﴿ وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند اللَّه ﴾** الآية[١] .

وقال ابن جرير : في قوله : **﴿ يمحق اللَّه الربا ﴾** وهذا نظير الخبر الذي روي عن[٢] عبد اللَّه ابن مسعود ، [عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم][٣] أنه قال : « **الربا وإن كثر فإلى[٤] قل** » .

وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد في مسنده(١٦٨٦) فقال : حدثنا حجاج ، حدثنا شريك ، عن الركين بن الربيع ، عن أبيه ، عن ابن مسعود ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **إن الربا وإن كثر فإن عاقبته تصير[٥] إلىٰ قل** » .

وقد[٦] رواه ابن ماجة(١٦٨٧) ، عن العباس بن جعفر ، عن عمرو بن عون ، عن يحيىٰ بن أبي زائدة ، عن إسرائيل ، عن الركين بن الربيع بن عميلة الفزاري ، عن أبيه ، عن ابن مسعود ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه قال : « **ما أحد أكثر من الربا إلا كان عاقبة أمره إلىٰ قل** » .

وهذا من باب المعاملة بنقيض المقصود ، كما قال الإمام أحمد(١٦٨٨) : حدثنا أبو سعيد - مولىٰ بني[٧] هاشم - حدثنا الهيثم بن نافع[٨] الطاطري ، حدثني أبو يحيىٰ - رجل من أهل مكة - عن فروخ مولىٰ عثمان ، أن عمر - وهو يومئذ أمير المؤمنين - خرج إلى[٩] المسجد فرأىٰ طعامًا منثورًا فقال : ما هذا الطعام؟ فقالوا : طعام جلب إلينا قال : بارك اللَّه فيه ، وفيمن جلبه . قيل : يا أمير المؤمنين ؛ إنه قد احتكر . قال : ومن[١٠] احتكره؟ قالوا : فروخ مولىٰ عثمان ، وفلان مولىٰ عمر ، فأرسل إليهما فدعاهما[١١] فقال : ما حملكما علىٰ

(١٦٨٦) - المسند (١/٣٩٥) .

(١٦٨٧) - سنن ابن ماجة ، كتاب التجارات ، باب : التغليظ في الربا ، حديث (٢٢٨٩) ، وقال البوصيري في الزوائد (٢/١٩٩) : « هذا إسناد صحيح رجاله ثقات . ورواه الحاكم ، وقال : صحيح الإسناد ، ورواه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده ، من طريق شريك ، عن الركين بإسناده ومتنه سواء ، وأبو يعلى ... » .

(١٦٨٨) - المسند (١/٢١) (١٣٦) ، وسنن ابن ماجة حديث (٢١٥٥) . وقال البوصيري : « هذا إسناد صحيح رجاله موثقون : أبو يحيى المكي وشيخه فروخ ذكرهما ابن حبان في الثقات . والهيثم بن رافع =

[١] - سقط من : خ .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - في خ : « فإن عاقبته يصير إلى قل » .
[٥] - في ز ، خ : « يصير » .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - في ز : « ابن » .
[٨] - في ت : « راق » .
[٩] - في خ : « إلى » .
[١٠] - في ت : « من » .
[١١] - سقط من : ز ، خ .

احتكار طعام المسلمين؟ قالا : يا أمير المؤمنين نشتري بأموالنا ونبيع . فقال عمر : سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « **من احتكر علىٰ المسلمين طعامهم ضربه اللَّه بالإفلاس أو بجذام** » فقال فروخ عند ذلك : أعاهد اللَّه ، وأعاهدك أن لا أعود في طعام أبدًا . وأما مولىٰ عمر فقال : إنما نشتري بأموالنا ونبيع . قال أبو يحيىٰ : فلقد رأيت مولىٰ عمر مجذومًا .

ورواه ابن ماجة ، من حديث الهيثم بن رافع به ، ولفظه : « **من احتكر علىٰ المسلمين طعامهم ، ضربه اللَّه بالإفلاس والجذام** » .

وقوله ﴿ **ويربي الصدقات** ﴾ قرئ بضم الياء والتخفيف (*) ، من ربا الشيء يربو وأرباه[١] يربيه ، أي : كثره ونماه ينميه . وقرىء (يُرَبِّي) بالضم والتشديد من التربية (*) .

كما قال البخاري (١٦٨٩) : حدّثنا عبد اللَّه بن منير ، سمع أبا النضر ، حدثنا عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن دينار ، عن أبيه عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **من تصدّق بعدل تمرة من كسب طيب ، ولا يقبل اللَّه إلا الطيب ، وإن اللَّه يتقبلها**[٢] **بيمينه ثم يربيها لصاحبه**[٣] **كما يربي أحدكم فَلُوَّه** (*) **حتىٰ تكون**[٤] **مثل الجبل** » .

كذا رواه في كتاب الزكاة ، وقال في كتاب التوحيد : وقال خالد بن مخلد عن سليمان بن بلال ، عن عبد اللَّه بن دينار ، فذكر بإسناده نحوه .

وقد رواه مسلم في كتاب[٥] الزكاة (١٦٩٠) ، عن أحمد بن عثمان بن حكيم ، عن خالد بن مخلد ، فذكره . قال البخاري : ورواه مسلم بن أبي مريم ، وزيد بن أسلم ، وسهيل ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم .

قلت : أما رواية مسلم بن أبي مريم ، فقد تفرد البخاري بذكرها ، وأما طريق زيد بن أسلم

= وثقه ابن معين وأبو داود . وأبو بكر الحنفي واسمه عبد الكبير بن عبد الحميد احتج به الشيخان ، وشيخ ابن ماجه : يحيى بن حكيم ؛ وثقه أبو داود والنسائي وغيرهما . ورواه ابن الجوزي في العلل المتناهية وضعفه لجهالة أبي يحيى وفيه نظر ؛ فقد ذكره ابن حبان في الثقات كما تقدم . ورواه الطيالسي في مسنده عن الهيثم به . ورواه عبد بن حميد بزيادة » .

(١٦٨٩) - صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب : الزكاة من كسب طيب ، حديث (١٤١٠) وطرفه (٧٤٣٠) .

(١٦٩٠) - صحيح مسلم حديث (١٠١٤) .

---

[١] - في ز : « رباه » ، خ : « أرباه » .

[٢] - في خ : « ليتقبلها » .

[٣] - في ز : « لصاحبها » .

[٤] - في خ : « يكون » .

[٥] - سقط من : خ .

فرواها مسلم في صحيحه ، عن أبي الطاهر بن السرح ، عن ابن[١] وهب ، عن هشام بن سعد[٢] ، عن زيد بن أسلم به(١٦٩١) .

وأما حديث سهيل فرواه مسلم(١٦٩٢) ، عن قتيبة[٣] ، عن يعقوب بن عبد الرحمن ، عن سهيل به ، والله أعلم .

قال البخاري(١٦٩٣) : وقال ورقاء ، عن ابن دينار ، عن سعيد[٤] بن يسار ، عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم .

وقد أسند هذا الحديث من هذا الوجه الحافظ أبو بكر البيهقي ، عن الحاكم وغيره ، عن الأصم ، عن العباس المروزي ، عن أبي النضر[٥] - هاشم بن القاسم - عن ورقاء - وهو ابن عمر اليشكري - عن عبد الله بن دينار ، عن سعيد بن يسار ، عن أبي هريرة ، قال : قال النبي[٦] ، صلىٰ الله عليه وسلم : **« من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب - ولا يصعد إلىٰ الله إلا الطيب - فإن الله يقبلها بيمينه ، فيربيها لصاحبها[٧] كما يربي أحدكم فلوه(*) ، حتىٰ تكون[٨] مثل أحد »**(١٦٩٤) .

وهكذا روىٰ هذا الحديث مسلم(١٦٩٥) والترمذي والنسائي جميعًا عن قتيبة[٩] ، عن الليث بن سعد ، عن سعيد المقبري .

وأخرجه النسائي من رواية مالك ، عن يحيىٰ بن سعيد الأنصاري . ومن طريق يحيىٰ القطان ، عن محمد بن عجلان ، ثلاثتهم عن سعيد بن يسار أبي الحباب المدني ، عن أبي هريرة ، عن

(١٦٩١) - صحيح مسلم حديث (١٠١٤) .

(١٦٩٢) - صحيح مسلم حديث (١٠١٤) .

(١٦٩٣) - صحيح البخاري ، كتاب التوحيد حديث (٧٤٣٠) ، وكتاب الزكاة حديث (١٤١٠) .

(*) الفَلُو : المُهر الصغير ، وقيل : هو الفطيم من أولاد ذوات الحوافر .

(١٦٩٤) - السنن الكبرى للبيهقي (١٧٦/٤) .

(١٦٩٥) - صحيح مسلم ، كتاب الزكاة حديث (١٠١٤) ، وسنن الترمذي ، كتاب الزكاة حديث (٦٦١)، وسنن النسائي الكبرى حديث (٧٧٣٥) .

---

[١] - في ز ، خ : « أبي » .

[٢] - في ز ، خ : « سعيد » .

[٣] - في خ : « قبيصة » .

[٤] - في خ : « ابن سعيد » .

[٥] - في ز : « الزبا » ، خ : « الزناد » .

[٦] - في خ : « رسول الله » .

[٧] - في ز ، خ : « لصاحبه » .

[٨] - في خ : « يكون » .

[٩] - في خ : « قبيصة » .

النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فذكره .

وقد روي عن أبي هريرة من وجه آخر ، فقال ابن أبي حاتم : حدثنا عمرو بن عبد اللَّه الأودي[١] ، حدثنا وكيع ، عن عباد بن منصور ، حدثنا القاسم بن محمد ، قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن اللَّه عز وجل يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها لأحدكم كما يربي أحدكم مهره أو فلوه ، حتىٰ إن اللقمة لتصير مثل أحد** » . وتصديق ذلك في كتاب اللَّه ﴿ **يمحق اللَّه الربا ويربي الصدقات** ﴾ .

وكذا رواه أحمد(١٦٩٦) عن وكيع - [وهو في تفسير وكيع][٢] - ورواه الترمذي عن أبي كريب عن وكيع به ، وقال : حسن صحيح . وكذا رواه الثوري ، عن عباد بن منصور به .

ورواه أحمد(١٦٩٧) أيضًا[٣] ، عن خلف بن الوليد ، عن المبارك[٤] ، عن عبد الواحد بن ضمرة ، وعباد بن منصور ، كلاهما عن أبي نضرة [عن القاسم به][٥] .

وقد رواه ابن جرير(١٦٩٨) ، عن محمد بن عبد الملك بن إسحاق[٦] ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن أيوب ، عن القاسم بن محمد ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم : « **إن العبد إذا تصدق من طيب ، يقبلها اللَّه منه ، فيأخذها بيمينه ويربيها كما يربي أحدكم مهره أو فصيله ، وإن الرجل ليتصدّق باللقمة فتربو في يد اللَّه - أو قال في كف اللَّه - حتىٰ تكون مثل أحد ، فتصدّقوا** » .

وهكذا رواه أحمد (١٦٩٩) ، عن عبد الرزاق . وهذا طريق غريب صحيح الإِسناد ، ولكن لفظه عجيب ، والمحفوظ ما تقدم .

وروي عن عائشة أم المؤمنين ، فقال الإمام أحمد(١٧٠٠) : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا حماد ، عن ثابت ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة ، أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال :

(١٦٩٦) - المسند (٢/٤٧١) ، وسنن الترمذي ، كتاب الزكاة حديث (٦٦٢) .
(١٦٩٧) - المسند (٢/٤٠٤) .
(١٦٩٨) - تفسير الطبري (٦/١٩) (٦٢٥٦) .
(١٦٩٩) - المسند (٢/٢٦٨) .
(١٧٠٠) - المسند (٦/٢٥١) (٢٦٢٤٥) . وأخرجه البزار كما في كشف الأستار (١/٤٤١/رقم : ٩٣١) =

---

[١] - في ز ، خ : « الأزدي » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ت : ابن المبارك ..
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز ، خ : « إسحاق به » .

« **إنّ اللَّه ليربي لأحدكم التمرة واللقمة ، كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله ، حتىٰ يكون مثل أحد** » . تفرد به أحمد من هذا الوجه .

وقال البزار(١٧٠١) : حدثنا يحيىٰ بن المعلىٰ بن منصور ، حدثنا إسماعيل ، حدثني أبي ، عن يحيىٰ بن سعيد ، عن عمرة ، عن عائشة ، عن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وعن الضحاك بن عثمان ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **إن الرجل ليتصدق بالصدقة من الكسب الطيب ، ولا يقبل اللَّه إلا الطيب ، فيتلقاها**[١] **الرحمن بيده ، فيربيها كما يربي أحدكم فلوه أو وصيفه - أو قال : فصيله -** » . ثم قال : لا نعلم أحدًا[٢] رواه عن يحيىٰ بن سعيد ، عن عمرة إلا أبا[٣] أويس .

وقوله : ﴿ **واللَّه لا يحب كل كفار أثيم** ﴾ أي : لا يحب كفور القلب ، أثيم القول والفعل . ولابد من مناسبة في ختم هذه الآية بهذه الصفة ، وهي أن المرابي لا يرضىٰ بما قسم اللَّه له من الحلال ، ولا يكتفي بما شرع له من التكسب[٤] المباح ، فهو يسعىٰ في أكل أموال الناس بالباطل ، بأنواع المكاسب الخبيثة ، فهو جحود لما عليه من النعمة ، ظلوم آثم بأكل أموال الناس بالباطل .

ثم قال تعالىٰ مادحًا للمؤمنين بربهم ، المطيعين أمره ، المؤدّين شكره ، المحسنين إلىٰ خلقه في إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، مخبرًا عما أعد لهم من الكرامة ، وأنهم يوم القيامة من التبعات آمنون ، فقال : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾
فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ

= والطبراني في الأوسط كما في مجمع البحرين (٣/٥١/رقم/ :١٤١٢) . وابن حبان في الإحسان (٨/١١١ ، ١١٢/رقم : ٣٣١٧) . كلهم من حديث عائشة رضي الله عنها . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد في موضعين ولم يذكر فيهما أحمد الأول : في (٣/١١١) وقال : « رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح ، ولعائشة حديث يأتي بعد هذا » . والثاني : في (٣/١١٢) وقال : « رواه البزار ورجاله ثقات » .

(١٧٠١) - مسند البزار حديث (٩٣١) « كشف الأستار » وقال الحافظ ابن حجر : « أبو أويس لينٌ ، وقد ذكر البزار أنه تفرد به » .

[١] - في ز ، خ : « فيتلقاه » . [٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « أبو » . [٤] - في ز ، خ : « التكسب » .

﴿أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

يقول تعالىٰ آمرًا عباده المؤمنين بتقواه ، ناهيًا لهم عما يقربهم إلىٰ سخطه ، ويبعدهم عن رضاه ، فقال : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللّٰه** ﴾ أي : خافوه وراقبوه فيما تفعلون ﴿ **وذروا ما بقي من الربا** ﴾ أي : اتركوا مالكم على الناس من الزيادة علىٰ رءوس الأموال بعد هذا الإنذار ﴿ **إن كنتم مؤمنين** ﴾ أي : بما شرع اللّٰه لكم من تحليل البيع وتحريم الربا وغير ذلك .

وقد ذكر زيد بن أسلم ، وابن جريج ، ومقاتل بن حيان ، والسدي ؛ أن هذا السياق نزل في بني عمرو بن عمير بن[١] ثقيف ، وبني المغيرة من بني مخزوم ، كان بينهم ربا في الجاهلية ، فلما جاء الإسلام ودخلوا فيه طلبت ثقيف أن تأخذه منهم ، فتشاوروا[٢] ، وقالت بنو المغيرة : لا نؤدي الربا في الإسلام . فكتب في ذلك عتاب بن أسيد نائب مكة إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فنزلت هذه الآية ، فكتب بها رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم إليه ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللّٰه وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من اللّٰه ورسوله** ﴾ فقالوا : نتوب إلىٰ اللّٰه ونذر ما بقي من الربا . فتركوه كلهم .

وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد لمن استمر علىٰ تعاطي الربا بعد الإنذار . قال ابن جريج : قال ابن عباس : ﴿**فأذنوا بحرب**﴾ أي : استيقنوا بحرب من اللّٰه ورسوله . وتقدم من رواية ربيعة بن كلثوم ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ؛ قال : يقال[٣] يوم القيامة لآكل الربا : خذ سلاحك للحرب ، ثم قرأ ﴿ **فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من اللّٰه ورسوله** ﴾ .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ﴿ **فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من اللّٰه ورسوله** ﴾ فمن كان مقيمًا علىٰ الربا لا ينزع عنه ، [كان حقًّا][٤] علىٰ إمام المسلمين أن يستتيبه ، فإن نزع وإلا ضرب عنقه .

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا محمد بن بشار[٥] ، حدثنا عبد الأعلىٰ ،

---

[١] - في ت : « عن » .
[٢] - في ز : « فتشاروا » .
[٣] - في خ : « يقام » .
[٤] - في ز ، خ : « يحق » .
[٥] - في ز ، خ : « يسار » .

حدثنا هشام بن حسان ، عن الحسن ، وابن سيرين ، أنهما قالا : واللَّه إن هؤلاء الصيارفة لأكلة الربا ، وإنهم قد أذنوا بحرب من اللَّه ورسوله ، ولو كان علىٰ الناس إمام عادل لاستتابهم ، فإن تابوا وإلا وضع فيهم السلاح . وقال قتادة : أوعدهم اللَّه بالقتل كما تسمعون[١] ، وجعلهم بهرجًا أينما أتوا ، فإياكم وما خالط هذه البيوع من الربا ، فإن اللَّه قد أوسع الحلال وأطابه ، فلا تلجئنكم[٢] إلىٰ معصيته فاقة . رواه ابن أبي حاتم .

وقال الربيع بن أنس : أوعد[٣] اللَّه آكل الربا بالقتل . رواه ابن جرير .

وقال السهيلي : ولهذا[٤] قالت عائشة لأم محبة مولاة زيد بن أرقم في مسألة العينة : أخبريه أن جهاده مع النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قد بطل[٥] إلا أن يتوب . فخصت الجهاد لأنه ضد قوله : ﴿ **فأذنوا بحرب من اللَّه ورسوله** ﴾ قال : وهذا المعنىٰ ذكره كثير . قال : ولكن هذا إسناده إلىٰ عائشة ضعيف .

ثم قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تَظْلمون** ﴾ أي : بأخذ الزيادة ﴿ **ولا تُظْلَمون** ﴾ أي : بوضع رءوس الأموال أيضًا ، بل لكم ما بذلتم من غير زيادة عليه ، ولا نقص منه .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن الحسين بن إشكاب ، حدثنا عبيد اللَّه بن موسىٰ ، عن شيبان عن شبيب بن غرقدة البارقي ، عن سليمان بن الأحوص ، عن أبيه قال : خطب رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم في حجة الوداع ، فقال : « **ألا إن كل ربا كان في الجاهلية موضوع عنكم كله ، لكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ، وأوّل ربا موضوع ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله** » . كذا وجدته : سليمان بن الأحوص .

وقد قال ابن مردويه(١٧٠٢) : حدثنا الشافعي ، حدثنا معاذ بن المثنى ، أخبرنا مسدد ، أخبرنا أبو الأحوص ، حدثنا شبيب بن غرقدة ، عن سليمان بن عمرو ، عن أبيه قال : سمعت رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « **ألا إن كل ربا من ربا الجاهلية موضوع ، فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون** » .

وكذا رواه من حديث حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن أبي حرة الرقاشي ، عن عمرو - هو ابن خارجة - فذكره .

(١٧٠٢) - ورواه أبو داود في البيوع حديث (٣٣٣٤) عن مسدد به ، ، والترمذي في التفسير (٣٠٨٧) ، ورواه ابن ماجة في المناسك حديث (٣٠٥٥) من طريق أبي الأحوص به .

[١] - في خ : « يسمعون » .
[٢] - في خ : « يلجئنكم » .
[٣] - في خ : « وعد » .
[٤] - في خ : « لهذا » .
[٥] - في خ : «أ بطل » .

وقوله : ﴿ **وإن كان ذو عسرة فنظرة إلىٰ ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون** ﴾ يأمر تعالىٰ بالصبر علىٰ المعسر الذي لا يجد وفاء فقال : ﴿ **وإن كان ذو عسرة فنظرة إلىٰ ميسرة** ﴾ أي[١] : لا كما كان أهل الجاهلية يقول أحدهم لمدينه إذا حل عليه الدين : إمّا أن تقضي وإمّا أن تربي .

ثم يندب إلىٰ الوضع عنه ، ويعد علىٰ ذلك الخير والثواب الجزيل فقال : ﴿ **وأن تصدّقوا خير لكم إن كنتم تعلمون** ﴾ أي : وإن تتركوا رأس المال بالكلية وتضعوه عن المدين . وقد وردت الأحاديث من طرق متعدّدة عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بذلك .

(فالحديث الأول) عن أبي أمامة أسعد بن زرارة ، قال الطبراني (١٧٠٣) : حدثنا عبد اللّٰه بن محمد بن شعيب الرّجاني[٢] ، حدثنا يحيىٰ بن حكيم المقوّم[٣] ، حدثنا محمد بن بكر البرساني ، حدثنا عبد اللّٰه بن أبي زياد ، حدثني عاصم بن عبيد اللّٰه ، عن أبي أمامة أسعد بن زرارة - قال : قال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **من سره أن يظله اللّٰه يوم لا ظل إلا ظله فلييسر علىٰ معسر أو ليضع عنه** » .

(حديث آخر) عن بريدة ، قال الإمام أحمد(١٧٠٤) : حدثنا عفان ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا محمد بن جحادة ، عن سليمان بن بريدة ، عن أبيه ، قال : سمعت النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، يقول : « **من أنظر معسرًا فله بكل يوم مثله صدقة** » . قال : ثم سمعته يقول : « **من أنظر معسرًا فله بكل يوم مثلاه صدقة** » . قلت : سمعتك يا رسول اللّٰه، تقول : « **من أنظر معسرًا فله بكل يوم مثله**[٤] **صدقة** » . ثم سمعتك تقول : « **من أنظر معسرًا فله بكل يوم مثلاه صدقة** » . قال : « **له بكل يوم مثله صدقة قبل أن يحل الدين ، فإذا حل الدين فأنظره فله بكل يوم مثلاه صدقة** » .

(حديث آخر) عن أبي قتادة الحارث بن ربعي الأنصاري ، قال أحمد(١٧٠٥) : [حدثنا

(١٧٠٣) - المعجم الكبير (٣٠٤/١) ، وقال الهيثمي في المجمع (١٣٤/٤) : « عاصم ضعيف ولم يدرك أسعد ابن زرارة » .

(١٧٠٤) - المسند (٣٦٠/٥) (٢٣١٥٢) وطرفه (٢٣٠٧٦) وأخرجه ابن ماجة في كتاب الصدقات ، باب : إنظار المعسر (٢/ ٨٠٨/ رقم: ٢٤١٨) . من طريق أحمد الثاني . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ١٣٥) وقال: « روى ابن ماجة طرفًا منه ، رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح » ..

(١٧٠٥) - المسند (٣٠٨/٥) (٢٢٧٢٧) وطرفه (٢٢٦٦٢) . وأخرجه مسلم بمعناه: كتاب المساقاة ، باب : فضل إنظار المعسر (٣/ ١١٩٦/ رقم: ١٥٦٣) . من طرق عن أيوب ، عن يحيى بن أبي كثير =

---

[١] - سقط من : ت .
[٢] - في ز : « المرجاني » .
[٣] - في ز : « المسوم » .
[٤] - في خ : « مثلاه » .

عفان][١] ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا أبو جعفر الخطمي ، عن محمد بن كعب القرظي ، أن أبا قتادة كان له دين علىٰ رجل ، وكان يأتيه يتقاضاه ، فيختبئ منه ، فجاء ذات يوم فخرج صبي فسأله عنه فقال : نعم هو في البيت يأكل خزيرة . فناداه فقال[٢] : يا فلان ؛ اخرج فقد أخبرت أنك هاهنا . فخرج إليه ، فقال : ما يغيبك عني؟ فقال : إني معسر وليس عندي شيء[٣] . قال : آللَّه إنك معسر؟ قال : نعم . فبكىٰ أبو قتادة ثم قال : سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « **من نفس عن غريمه - أو محا عنه - كان في ظل العرش يوم القيامة** » . ورواه[٤] مسلم في صحيحه .

(حديث آخر) عن حذيفة بن اليمان . قال الحافظ أبو يعلىٰ الموصلي : حدثنا الأخنس - أحمد بن عمران - حدثنا محمد بن فضيل ، حدثنا أبو مالك الأشجعي ، عن ربعي بن حراش ، عن حذيفة ، قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أُتي اللَّه بعبد من عبيده يوم القيامة ، قال : ماذا عملت لي في الدنيا؟ فقال : ما عملت لك يا رب مثقال ذرّة في الدنيا أرجوك بها - قالها ثلاث مرات - قال العبد عند آخرها : يا رب ؛ إنك كنت أعطيتني فضل مال ، وكنت رجلًا أبايع الناس ، وكان من خلقي الجواز ؛ فكنت أيسر علىٰ الموسر وأنظر المعسر ، قال : فيقول اللَّه عز وجل : أنا أحق من ييسر ، ادخل الجنة!** » .

وقد أخرجه البخاري ومسلم وابن ماجة من طرق(١٧٠٦) ، عن ربعي [بن حراش][٥] ، عن حذيفة . زاد مسلم : وعقبة بن عامر ، وأبي مسعود البدري ،عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم بنحوه . ولفظ البخاري : [حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا يحيىٰ بن حمزة ، حدثنا الزهري ، عن عبد اللَّه بن عبد اللَّه أنه سمع أبا هريرة رضي اللَّه عنه ، عن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال « **كان تاجر يداين الناس ، فإذا رأىٰ معسرًا قال لفتيانه : تجاوزوا عنه لعل اللَّه أن يتجاوز عنا فتجاوز اللَّه عنه** »][٦] .

(حديث آخر) عن سهل بن حنيف ، قال الحاكم في مستدركه(١٧٠٧) : حدثنا أبو عبد اللَّه

= عن عبد اللَّه بن أبي قتادة ، عن أبيه .

(١٧٠٦) - صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء حديث (٣٤٥١) ، وطرفاه (٢٣٩١ ، ٢٧٠٧) ، وصحيح مسلم ، كتاب المساقاة حديث (١٥٦٠) . وابن ماجه في الأحكام (٢٤٢٠) .

(١٧٠٧) - المستدرك (٢/٢١٧) ، وتعقبه الذهبي في التلخيص فقال : قلت : « بل فيه عمرو بن ثابت =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - مكانها بياض في : ز ، خ .
[٤] - في خ : « رواه » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - سقط من : ز ، وبياض في : خ .

محمد بن يعقوب ، حدثنا يحيىٰ بن محمد بن يحيىٰ ، حدثنا أبو الوليد هشام بن عبد الملك ، حدثنا عمرو بن ثابت ، حدثنا عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن عبد الله بن سهل بن حنيف ، أن سهلًا حدثه ؛ أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **من أعان مجاهدًا في سبيل الله أو غازيًا أو غارمًا في عسرته أو مكاتبًا في رقبته ، أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله** » . ثم قال : صحيح الإِسناد ولم يخرجاه .

(حديث آخر) عن عبد الله بن عمر[١] ، قال الإِمام أحمد (١٧٠٨) : حدثنا محمد بن عبيد ، عن يوسف بن صهيب ، عن زيد العمي ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **من أراد أن تستجاب دعوته وأن تكشف كربته فليفرج عن معسر** » . انفرد به أحمد .

(حديث آخر) عن أبي مسعود عقبة[٢] بن عمرو ، قال الإِمام أحمد(١٧٠٩) : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا أبو مالك ، عن ربعي بن حراش[٣] ، عن حذيفة : أن رجلًا أُتي به الله - عز وجل - فقال : « **ماذا عملت في الدنيا ؟ فقال له الرجل : ما عملت مثقال ذرّة من خير [أرجوك بها]**[٤] . **فقال له ثلاثًا ، وقال في الثالثة : [أي رب]**[٥] ؛ **كنت أعطيتني فضلًا من المال في الدنيا ، فكنت أبايع الناس ، فكنت أيسر**[٦] **علىٰ الموسر وأنظر المعسر . فقال تبارك وتعالىٰ : نحن أولىٰ بذلك منك ، تجاوزوا عن عبدي ، فغفر له** » . قال أبو[٧] مسعود : هكذا سمعت من النبي صلىٰ الله عليه وسلم .

وهكذا رواه مسلم من حديث أبي مالك سعد بن طارق به .

(حديث آخر) عن عمران بن حصين ، قال الإِمام أحمد(١٧١٠) : حدثنا أسود بن عامر ، أخبرنا أبو بكر ، عن الأعمش ، عن أبي داود ، عن عمران بن حصين ، قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **من كان له علىٰ رجل حق فأخره**[٨] **كان له بكل يوم صدقة** » .

= وهو رافضي متروك » .

(١٧٠٨) - المسند (٢٣/٢) .

(١٧٠٩) - المسند (١١٨/٤) ، وصحيح مسلم حديث (١٥٦٠) .

(١٧١٠) - المسند (٤٤٣/٤) (٢٠٠٣١) . وهو حديث ضعيف لضعف أبي داود الأعمى ؛ قال الحافظ =

---

[١] - في خ : « عمرو » .

[٢] - في خ : « وعقبة » .

[٣] - في ز ، خ : « خراش » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٥] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « إني » .

[٦] - في ز : « أتيسر » .

[٧] - في ز ، خ : « ابن » .

[٨] - في ز ، خ : « فمن أخره » .

غريب من هذا الوجه . وقد تقدّم عن بريدة نحوه .

(حديث آخر) عن أبي اليسر كعب بن عمرو ، قال الإمام أحمد (١٧١١) : حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا زائدة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن ربعي ، قال : حدثني أبو اليسر ، أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **من أنظر معسرًا أو وضع عنه أظله اللَّه عز وجل في ظله يوم لا ظل إلا ظله** » .

وقد أخرجه مسلم في صحيحه(١٧١٢) من وجه آخر من حديث عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت ؛ قال : خرجت أنا وأبي نطلب العلم في هذا الحي من الأنصار قبل أن يهلكوا ، فكان أول من لقينا أبا اليسر صاحب رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، ومعه غلام له معه ضمامة(*) من صحف ، وعلىٰ أبي اليسر بردة ومعافري[١] (**) ، وعلىٰ غلامه بردة ومعافري ، فقال له أبي : يا عم ؛ إني أرىٰ في وجهك سفعة من غضب . قال : أجل ، كان لي علىٰ فلان بن فلان الحرامي[٢] (***) مال ، فأتيت أهله فسلمت فقلت : أثم هو ؟ قالوا : لا . فخرج عليّ ابنٌ له جفر(****) . فقلت : أين أبوك ؟ فقال : سمع صوتك فدخل أريكة أمي . فقلت : اخرج إليّ فقد علمت أين أنت . فخرج ، فقلت : ما حملك علىٰ أن اختبأت مني ؟ قال : أنا واللَّه أحدثك ثم لا أكذبك ، خشيت واللَّه أن أحدثك فأكذبك أو[٣] أعدك فأخلفك ، وكنت صاحب رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وكنت واللَّه معسرًا . قال : قلت : آللَّه ؟

= في ترجمته في التقريب برقم (٧١٨١) ص (٥٦٥) : نفيع بن الحارث ، أبو داود الأعمى ، مشهور بكنيته ، كوفي ، ويقال له : نافع ، متروك وقد كذبه ابن معين . اهـ . والحديث أخرجه الطبراني في « الكبير » برقم (٦٠٣) ، (١٨/٢٤٠) ، بنحوه مطولاً . من طريق أبي بكر بن عياش عن الأعمش عن أبي داود عن عمران بن حصين ، به . وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٣٨/٤) . عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا كان للرجل على رجل حق فأخره إلى أجله كان له صدقة فإن أخره بعد أجله كان له بكل يوم صدقة » ا.هـ . ثم قال الهيثمي : رواه الطبراني في الكبير وفيه أبو داود الأعمى وهو كذاب اهـ ولم ينسبه الهيثمي إلى أحمد في مسنده .

(١٧١١) - المسند (٤٢٧/٣) (١٥٥٦٣) .

(١٧١٢) - صحيح مسلم حديث (٣٠١٤) ، كتاب الزهد والرقائق . وانظر حديث (٣٠٠٦) .

(*) ضمامة : أي رزمة يضم بعضها إلى بغض .

(**) نوع من الثياب يعمل بقرية تسمى معافر .

(***) نسبة إلى بني حرام .

(****) الجفر : هو الذي قارب البلوغ ، وقيل : هو الذي قوي على الأكل .

---

[١] - في خ : « ومغافري » . [٢] - في ز ، خ : « الرامي » .

[٣] - في ز ، خ : « وأن » .

قال : آللّه . قلت : آللّه ؟ قال : آللّه . قلت : آللّه ؟ قال : آللّه . ثم[١] قال : فأتى بصحيفته[٢] فمحاها بيده ، ثم قال : فإن وجدت قضاء فاقضني وإلا فأنت في حل ، فأشهد بصر عيني هاتين- ووضع أصبعيه على عينيه- وسمع أذنيَّ هاتين ووعاه قلبي- وأشار إلى مناط قلبه- رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وهو يقول : **« من أنظر معسرًا أو وضع عنه أظله اللّه في ظله ...»** . وذكر تمام الحديث .

(حديث آخر) عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، قال عبد اللّه بن الإمام أحمد(١٧١٣) : حدثني أبو يحيى البزاز محمد بن عبد الرحيم ، حدثنا الحسن بن بشر بن سلم[٣] الكوفي ، حدثنا العباس بن الفضل الأنصاري ، عن هشام بن زياد القرشي ، عن أبيه ، عن محجن مولى عثمان ، عن عثمان ، قال : سمعت رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم ، يقول : **« أظل اللّه عينًا في ظله يوم لا ظل إلا ظله من[٤] أنظر معسرًا أو ترك لغارم »** .

(حديث آخر) عن ابن عباس ، قال الإمام أحمد(١٧١٤) : حدثنا عبد اللّه بن يزيد ، حدثنا نوح ابن جعونة السلمي الخراساني[٥] ، عن مقاتل بن حيان ، عن عطاء ، عن ابن عباس ؛ قال : خرج رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم ، إلى المسجد وهو يقول بيده هكذا . وأومأ أبو عبد الرحمن بيده إلى الأرض : **« من أنظر معسرًا أو وضع عنه وقاه اللّه من فيح جهنم ، ألا إن عمل الجنة حزن بربوة- ثلاثًا- ألا إن عمل النار سهل بسَهْوة[٦] ، والسعيد من وُقي الفتن ، وما من جرعة أحب إلى اللّه من جرعة غيظ يكظمها عبد ما كظمها عبد للّه إلا ملأ اللّه جوفه إيمانًا »** . تفرّد به أحمد .

(طريق آخر) قال الطبراني (١٧١٥) : حدّثنا أحمد بن محمد البوراني قاضي الحَدِيثَة من ديار ربيعة ، حدّثنا الحسين[٧] بن علي الصدائي ، حدّثنا الحكم بن الجارود ، حدثنا ابن أبي المتئد ، خال ابن عيينة ، عن أبيه ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : **« من أنظر معسرًا إلى ميسرته أنظره اللّه بذنبه إلى توبته »** .

(١٧١٣) - زوائد المسند (٧٣/١) .

(١٧١٤) - المسند (٣٢٧/١) .

(١٧١٥) - المعجم الكبير (١٥١/١١) ، وقال الهيثمي في المجمع (١٣٥/٤) : « وفيه الحكم بن جارود ضعفه الأزدي ، وشيخ الحكم وشيخ شيخه لم أعرفهما » .

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - في خ : « بصحيفة » .

[٣] - في خ : « مسلم » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ز : « خراساني » .

[٦] - في ز ، خ : « بشهوة » .

[٧] - في ت : « الحسن » .

ثم قال تعالىٰ يعظ عباده ويذكرهم زوال الدنيا وفناء ما فيها من الأموال وغيرها ، وإتيان الآخرة والرجوع إليه تعالىٰ ، ومحاسبته تعالىٰ خلقه علىٰ ما عملوا ، ومجازاته إياهم بما كسبوا من خير وشر ، ويحذرهم عقوبته ، فقال : ﴿ **واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى اللّه ثم توفىٰ كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون** ﴾ وقد روي أن هذه الآية آخر آية نزلت من القرآن العظيم .

فقال ابن لهيعة : حدثني عطاء بن دينار ، عن سعيد بن جبير ، قال : آخر ما نزل من القرآن كله ﴿ **واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى اللّه ثم توفىٰ كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون** ﴾ . وعاش النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم بعد نزول هذه الآية تسع ليال ، ثم مات يوم الإثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول . رواه[١] ابن أبي حاتم .

وقد رواه ابن مردويه من حديث المسعودي ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ؛ قال : آخر آية نزلت ﴿ **واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى اللّه** ﴾ .

وقد رواه النسائي (١٧١٦) من حديث يزيد النحوي ، عن عكرمة ، عن عبد اللّه بن عباس ؛ قال : آخر شيء نزل من القرآن ﴿ **واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى اللّه ثم توفىٰ كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون** ﴾ .

وكذا رواه الضحاك ، والعوفي عن ابن عباس [ورى الثوري ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس][٢] قال : آخر آية نزلت ﴿ **واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى اللّه** ﴾ فكان بين نزولها وموت النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم واحد وثلاثون يومًا .

وقال ابن جريج : قال ابن عباس : آخر آية نزلت ﴿ **واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى اللّه** ﴾ . الآية . قال ابن جريج : يقولون : إن النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم عاش بعدها تسع ليال ، وبدئ يوم السبت ، ومات يوم الإثنين . رواه ابن جرير ، ورواه عطية[٣] ، عن أبي سعيد ، قال : آخر آية نزلت ﴿ **واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى اللّه ثم توفىٰ كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون** ﴾ .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ

(١٧١٦) - سنن النسائي الكبرى حديث (١١٠٥٧) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

[٢] - في ت : ابن عطية .

فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

هذه الآية الكريمة [أطول آية في القرآن العظيم][١] ، وقد قال الإمام أبو جعفر بن جرير(١٧١٧) :

حدثنا يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ؛ قال : حدثني سعيد بن المسيب ، أنه بلغه أن أحدث القرآن بالعرش آية الدين .

وقال الإمام أحمد(١٧١٨) : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف ابن مهران ، عن ابن عباس ، أنه قال : لما نزلت آية الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إن أول من جحد آدم عليه السلام أنَّ الله لما خلق آدم مسح ظهره ، فأخرج منه ما هو ذاري[٢] إلى يوم القيامة ، فجعل يعرض ذريته عليه ، فرأى فيهم رجلاً يزهر[٣] (*)** ،

(١٧١٧) – التفسير (٦/٤١) (٦٣١٦) . وهو حديث – له حكم الرفع – إلا أنه ضعيف لإرساله ؛ إذ لم يذكر ابن المسيب من حدثه به .

(١٧١٨) – المسند (١/٢٥١ ، ٢٥٢) .

(*) أي : يضيء ، والأزهر : الأبيض المستنير .

---

[١] – في خ : « أطول في القرآن آية العظيم » .

[٢] – في ز : « ذارٍ » .

[٣] – في ت : « يزهو » .

فقال : أي رب ، من هذا ؟ قال : هو ابنك داود . قال : أي رب ؛ كم عمره ؟ قال : ستون عامًا . قال : رب ؛ زد في عمره . قال : لا إلا أن أزيده من عمرك . وكان عمر آدم ألف سنة ، فزاده أربعين عامًا ، فكتب عليه بذلك كتابًا ، وأشهد عليه الملائكة ، فلما احتضر آدم وأتته الملائكة قال : إنه قد بقي من عمري أربعون عامًا . فقيل له : إنك قد وهبتها لابنك داود ، قال : ما فعلت . فأبرز الله عليه الكتاب وأشهد عليه الملائكة » .

وحدثنا أسود بن عامر ، عن حماد بن سلمة ، فذكره ، وزاد فيه : « **فأتمها الله لداود مائة وأتمها[١] لآدم ألف سنة** » .

وكذا رواه ابن أبي حاتم ، عن يوسف بن [أبي حبيب][٢] ، عن أبي داود الطيالسي ، عن حماد بن سلمة .

هذا حديث غريب جدًّا ، وعلي بن زيد بن جدعان في أحاديثه نكارة ، وقد رواه الحاكم في مستدركه(١٧١٩) ، بنحوه من حديث الحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذباب[٣] ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، ومن رواية داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، عن أبي هريرة . ومن طريق محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة . ومن حديث هشام[٤] بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، فذكره بنحوه .

فقوله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلىٰ أجل مسمى فاكتبوه** ﴾ هذا إرشاد منه تعالىٰ لعباده المؤمنين إذا تعاملوا بمعاملات مؤجلة أن يكتبوها ؛ ليكون ذلك أحفظ لمقدارها وميقاتها ، وأضبط للشاهد فيها . وقد نبّه [علىٰ هذا في آخر الآية] حيث قال : ﴿ **ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنىٰ ألَّا ترتابوا** ﴾ .

وقال سفيان الثوري ، عن ابن أبي نَجِيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ؛ إذا تداينتم بدين إلىٰ أجل مسمى فاكتبوه** ﴾ قال : أنزلت في السلم إلىٰ أجل معلوم .

وقال قتادة ، عن أبي حسّان الأعرج ، عن ابن عباس ، قال : أشهد أن السلف المضمون إلىٰ أجل مسمىٰ أن الله أحله وأذن فيه ، ثم قرأ ﴿ **يأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلىٰ أجل مسمىٰ** ﴾ . رواه البخاري .

(١٧١٩) – المستدرك (٦٤/١ ، ٥٨٦/٢) .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في ز ، خ : « أبي خبيب » .
[٣] - في ز ، خ : « وثاب » .
[٤] - في ز ، خ : « تمام » .

وثبت في الصحيحين (١٧٢٠) من رواية سفيان بن عيينة ، عن ابن أبي نَجيح ، عن عبد الله بن كثير ، عن أبي المنهال ، عن ابن عباس ، قال : قدم النبي صلىٰ الله عليه وسلم المدينة وهم يسلفون في الثمار [السنة و][١] السنتين والثلاث ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **من أسلف فليسلف في كيل معلوم ، ووزن معلوم إلىٰ أجل معلوم** » .

وقوله : ﴿ **فاكتبوه** ﴾ أمر منه تعالىٰ بالكتابة للتوثقة والحفظ ، فإن قيل فقد ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن عمر ، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إنَّا أمةٌ أميةٌ لا نكتب ولا نحسب** »(١٧٢١) . فما الجمع بينه وبين الأمر بالكتابة ؟ فالجواب : أن الدين من حيث هو غير مفتقر إلىٰ كتابة أصلًا ؛ لأن كتاب الله قد سهل الله ويسر حفظَهُ علىٰ الناس ، والسنن أيضًا محفوظة عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، والذي أمر الله بكتابته إنما هو أشياء جزئية تقع بين الناس ، فأمروا أمر إرشاد لا أمر إيجاب ، كما ذهب إليه بعضهم .

قال ابن جريج : من ادان فليكتب ومن ابتاع فليُشْهِد .

وقال قتادة : ذكر لنا أن أبا سليمان المرعشي كان رجلًا صَحِبَ كعبًا ، فقال ذات يوم لأصحابه : هل تعلمون مظلومًا دعا ربه فلم يستجب له ؟ فقالوا : وكيف يكون ذلك ؟ قال : رجل باع بيعًا إلىٰ أجل فلم يشهد ولم يكتب ، فلما حل ماله جحده صاحبه ، فدعا ربه فلم يستجب له ، لأنه قد[٢] عصىٰ ربه .

وقال أبو سعيد والشعبي ، والربيع بن أنس ، والحسن ، وابن جريج ، وابن زيد وغيرهم : كان ذلك واجبًا ثم نسخ بقوله : ﴿ **فإن أمن بعضكم بعضًا فليؤد الذي اؤتمن أمانته** ﴾ والدليل علىٰ ذلك أيضًا الحديث الذي حكي عن شرع من قبلنا مقررًا في شرعنا ، ولم ينكر عدم الكتابة والإشهاد .

قال الإمام أحمد(١٧٢٢) : حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا ليث ، عن جعفر بن ربيعة ، عن عبد الرحمن بن هرمز ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه ذكر أن رجلًا من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار ، فقال : ائتني بشهداء

(١٧٢٠) - صحيح البخاري ، كتاب السلم حديث (٢٢٤٠) ، وصحيح مسلم ، كتاب المساقاة (١٦٠٤) .
(١٧٢١) - صحيح البخاري ، كتاب الصوم حديث (١٩١٣) ، وصحيح مسلم ، كتاب الصيام (١٠٨٠) .
(١٧٢٢) - المسند (٣٤٨/٢) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - سقط من : خ .

أشهدهم . قال : كفىٰ بالله شهيدًا . قال : ائتني بكفيل . قال : كفىٰ بالله كفيلًا قال : صدقت ! فدفعها إليه إلىٰ أجل مسمىٰ ، فخرج في البحر فقضىٰ حاجته ، ثم التمس مركبًا يقدم عليه للأجل الذي أجله فلم يجد مركبًا ، فأخذ خشبة فنقرها ، فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة معها إلىٰ صاحبها ثم زجج موضعها ، ثم أتىٰ بها البحر ثم قال : اللّهم ؛ إنك قد علمت أني استسلفت فلانًا ألف دينار فسألني كفيلًا ، فقلت : كفىٰ بالله كفيلًا . فرضي بذلك . وسألني شهيدًا فقلت : كفىٰ بالله شهيدًا . فرضي بذلك ، وإني قد جهدت أن أجد مركبًا أبعث بها إليه بالذي أعطاني فلم أجد مركبًا وإني أستودعكها[١] ، فرمىٰ بها في البحر حتىٰ ولجت فيه ، ثم انصرف وهو في ذلك يطلب مركبًا إلىٰ بلده ، فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركبًا تجيئه بماله ، فإذا بالخشبة التي فيها المال فأخذها لأهله حطبًا ، فلما كسرها وجد المال والصحيفة ، ثم قدم الرجل الذي كان تسلف منه فأتاه بألف دينار ، وقال : والله ما زلت جاهدًا في طلب مركب لآتيك بمالك ، فما وجدت مركبًا قبل الذي أتيت فيه . قال هل كنت بعثت إليَّ بشيء؟ قال : ألم أخبرك أني لم أجد مركبًا قبل هذا الذي جئت فيه؟ قال : فإن الله قد أدّىٰ عنك الذي بعثت به في الخشبة ، فانصرف بألفك راشدًا .

وهذا إسناد صحيح ، وقد رواه البخاري في سبعة مواضع من طرق صحيحه معلقًا بصيغة الجزم(١٧٢٣) ، فقال : وقال الليث بن سعد... فذكره . ويقال : إنه رواه في بعضها عن عبد الله بن صالح كاتب الليث عنه .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وليكتب بينكم كاتب بالعدل** ﴾ أي : بالقسط والحق ، ولا يجر في كتابته علىٰ أحد ، ولا يكتب إلا ما اتفقوا عليه من غير زيادة ولا نقصان .

وقوله : ﴿ **ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب** ﴾ أي : ولا يمتنع من يعرف الكتابة إذا سئل أن يكتب للناس ، ولا ضرورة عليه في ذلك ، فكما علمه الله مالم يكن يعلم فليتصدق علىٰ غيره ممن لا يحسن الكتابة ، وليكتب كما جاء في الحديث : « **إن من الصدقة أن تعين صانعًا أو تصنع لأخرق** »(١٧٢٤) . وفي الحديث الآخر : « **من كتم علمًا يعلمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار** »(١٧٢٥) .

(١٧٢٣) - صحيح البخاري حديث (١٤٩٨ ، ٢٢٩١ ، ٢٤٠٤ ، ٢٤٣٠ ، ٢٧٤٤ ، ٦٢٦١ ، ٢٠٦٣).

(١٧٢٤) - رواه البخاري في العتق ، حديث (٢٥١٨) ، ومسلم في الإيمان (٨٤) من حديث أبي ذر رضي الله عنه .

(١٧٢٥) - رواه أحمد في المسند (٢/٣٠٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

[١] - في خ : « أستودعتكها » .

وقال مجاهد ، وعطاء : واجب علىٰ الكاتب أن يكتب .

وقوله : ﴿ **وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه** ﴾ أي : وليملل المدين علىٰ الكاتب ما في ذمته من الدين ، وليتق الله في ذلك . ﴿ **ولا يبخس منه شيئًا** ﴾ أي : لا يكتم منه شيئًا . ﴿ **فإن كان الذي عليه الحق سفيهًا** ﴾ محجورًا عليه بتبذير ونحوه ﴿ **أو ضعيفًا** ﴾ أي : صغيرًا أو مجنونًا ﴿ **أو لا يستطيع أن يمل هو** ﴾ إما لِعِيّ ، أو جهل بموضع صواب ذلك [من خطئه][١] ﴿ **فليملل وليه بالعدل** ﴾ .

وقوله : ﴿ **واستشهدوا شهيدين من رجالكم** ﴾ أمرٌ بالإشهاد مع الكتابة لزيادة التوثقة ﴿ **فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان** ﴾ وهذا إنما يكون في الأموال وما يقصد به المال ، وإنما أقيمت المرأتان مقام الرجل لنقصان عقل المرأة ، كما قال مسلم في صحيحه (١٧٢٦) : حدثنا قتيبة ، حدثنا إسماعيل بن جعفر ، عن عمرو بن أبي عمرو ، عن المقبري ، عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أنه قال : « **يا معشر النساء ؛ تصدقن وأكثرن الاستغفار ؛ فإني رأيتكن أكثر أهل النار** » . فقالت امرأة منهن جزلة : ومالنا يا رسول الله أكثر أهل النار ؟ قال : « **تكثرن اللعن وتكفرن العشير ، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن** » . قالت[٢] : يا رسول الله ؛ ما نقصان العقل والدين ؟ قال : « **أما نقصان عقلها فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل ، فهذا نقصان العقل ، وتمكث الليالي لا تصلي ، وتفطر في رمضان فهذا نقصان الدين** » .

وقوله : ﴿ **ممن ترضون من الشهداء** ﴾ فيه دلالة علىٰ اشتراط العدالة في الشهود ، وهذا مقيد حكم به الشافعي علىٰ كل مطلق في القرآن من الأمر بالإشهاد من غير اشتراط . وقد استدل من رد المستور بهذه الآية الدالة[٣] علىٰ أن يكون الشاهد عدلًا مرضيًا .

وقوله : ﴿ **أن تضل إحداهما** ﴾ يعني المرأتين إذا نسيت الشهادة ﴿ **فتذكر إحداهما الأخرىٰ** ﴾ أي : يحصل لها ذكر[٤] بما وقع به من[٥] الإشهاد . ولهذا[٦] قرأ آخرون (فتذّكر) بالتشديد من التذكار . ومن قال : إن شهادتها معها تجعلها كشهادة ذكر . فقد أبعد و الصحيح الأول ، والله أعلم .

(١٧٢٦) - صحيح مسلم ، كتاب الإيمان حديث (٨٠) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - في خ : « قلت » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في خ : « ذكرى » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في خ : « بهذا » .

وقوله : ﴿ **ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا** ﴾ قيل : معناه إذا دعوا للتحمل فعليهم الإِجابة . وهو قول قتادة والربيع بن أنس . وهذا كقوله : ﴿ **ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه اللّٰه فليكتب** ﴾ ومن هاهنا استفيد أن تحمل الشهادة فرض كفاية وقيل - وهو مذهب الجمهور - : المراد بقوله : ﴿ **ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا** ﴾ للأداء ، لحقيقة[١] قوله الشهداء والشاهد حقيقة فيمن تحمل فإذا دعي لأدائها فعليه الإِجابة إذا تعينت ، وإلا فهو فرض كفاية ، واللّٰه أعلم .

وقال مجاهد وأبو مجلز وغير واحد : إذا دعيت لتشهد فأنت بالخيار ، وإذا شهدت فدعيت فأجب .

وقد ثبت في صحيح مسلم(١٧٢٧) ، والسنن من طريق مالك ، عن عبد اللّٰه بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن أبيه عن عبد اللّٰه بن عمرو بن عثمان ، عن عبد الرحمن بن أبي عمرة ، عن زيد بن خالد ، أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **ألا أخبركم بخير الشهداء ؟ الذي يأتي بشهادته قبل أن يُسألها** » .

فأما الحديث الآخر في الصحيحين (١٧٢٨) : « **ألا أخبركم بشر الشهداء ؟ الذين يشهدون قبل أن يستشهدوا**[٢] » . وكذا قوله : « **ثم يأتي قوم تسبق أيمانهم شهادتهم ، وتسبق شهادتهم أيمانهم** » . وفي رواية : « **ثم يأتي قوم يشهدون ولا يستشهدون** » . فهؤلاء شهود الزور . وقد روي عن ابن عباس والحسن البصري أنها تعم الحالين : التحمل ، والأداء .

وقوله : ﴿ **ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرًا أو كبيرًا إلىٰ أجله** ﴾ هذا من تمام الإِرشاد ، وهو الأمر بكتابة الحق صغيرًا كان أو كبيرًا ، فقال : ولا تسأموا . أي : لا تملوا أن تكتبوا الحق علىٰ أي حال كان من القلة والكثرة إلىٰ أجله .

وقوله : ﴿ **ذلكم أقسط عند اللّٰه وأقوم للشهادة وأدنىٰ أن لا ترتابوا** ﴾ أي : هذا الذي أمرناكم به من الكتابة للحق إذا كان مؤجلًا هو أقسط عند اللّٰه أي : أعدل . وأقوم للشهادة ، أي: أثبت للشاهد إذا وضع خطه ثم رآه تذكر به الشهادة ، لاحتمال أنه لو لم

(١٧٢٧) - صحيح مسلم ، كتاب الأقضية ، حديث (١٧١٩) ، وسنن أبي داود ، كتاب الأقضية حديث (٣٥٩٦) ، وسنن الترمذي ، كتاب الشهادات حديث (٢٢٩٦ ، ٢٢٩٥) ، وسنن النسائي الكبرى حديث (٦٠٥٩) ، وسنن ابن ماجة ، كتاب الأحكام حديث (٢٣٦٤) .

(١٧٢٨) - صحيح البخاري ، كتاب الرقاق حديث (٦٤٢٨) ، وصحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة حديث (٢٥٣٥) .

[١] - في خ : « حقيقة » . [٢] - في ز ، خ : « يستشهدون » .

يكتبه أن ينساه ، كما هو الواقع غالبًا ﴿ وأدنىٰ أن لا ترتابوا ﴾ وأقرب إلىٰ عدم الريبة ، بل ترجعون[١] عند التنازع إلىٰ الكتاب الذي كتبتموه فيفصل بينكم بلا ريبة .

وقوله : ﴿ **إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح أن لا تكتبوها** ﴾ أي : إذا كان البيع بالحاضر يدًا بيد فلا بأس بعدم الكتابة ؛ لانتفاء المحذور في تركها .

فأما الإشهاد علىٰ البيع فقد قال تعالىٰ : ﴿ **وأشهدوا إذا تبايعتم** ﴾ قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثني يحيىٰ بن عبد الله بن بكير ، حدثني ابن لهيعة ، حدّثني عطاء بن دينار ، عن سعيد بن جبير ، في قول الله تعالىٰ : ﴿ **وأشهدوا إذا تبايعتم** ﴾ يعني : أشهدوا علىٰ حقكم إذا كان فيه أجل ، أو لم يكن [فيه أجل][٢] ، فأشهدوا علىٰ حقكم علىٰ كل حال . قال : وروي عن جابر بن زيد ، ومجاهد ، وعطاء ، والضحاك نحو ذلك .

وقال الشعبي ، والحسن : هذا الأمر منسوخ بقوله : ﴿ **فإن أمن بعضكم بعضًا فليؤد الذي اؤتمن أمانته** ﴾ .

وهذا الأمر محمول عند الجمهور علىٰ الإرشاد والندب لا علىٰ الوجوب ، والدليل علىٰ ذلك حديث خزيمة بن ثابت الأنصاري ، وقد رواه الإمام أحمد(١٧٢٩) : حدّثنا أبو اليمان ، حدّثنا شعيب عن الزهري ، حدّثني عمارة بن خزيمة الأنصاري ، أن عمه حدثه - وهو من أصحاب النبي - صلىٰ الله عليه وسلم أنّ النبي صلىٰ الله عليه وسلم ابتاع فرسًا من أعرابي فاستتبعه النبي صلىٰ الله عليه وسلم ليقضيه ثمن فرسه ، فأسرع النبي صلىٰ الله عليه وسلم وأبطأ الأعرابي ، فطفق رجال يعترضون الأعرابي فيساومونه بالفرس ، ولا يشعرون أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ابتاعه حتىٰ زاد بعضهم الأعرابي في السوم علىٰ ثمن الفرس الذي ابتاعه النبي صلىٰ الله عليه وسلم فنادىٰ الأعرابي النبي صلىٰ الله عليه وسلم فقال : إن كنت مبتاعًا هذا الفرس فابتعه وإلا بعته . فقام النبي صلىٰ الله عليه وسلم حين سمع نداء الأعرابي ، قال : « **أو ليس قد ابتعته منك ؟** » قال الأعرابي : لا والله ما بعتك . فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **بل قد ابتعته منك** » . فطفق الناس يلوذون بالنبي صلىٰ الله عليه وسلم والأعرابي وهما يتراجعان ، فطفق الأعرابي يقول : هلم شهيدًا يشهد أني بايعتك . فمن جاء من المسلمين قال للأعرابي : ويلك ! إن النبي صلىٰ الله عليه وسلم لم يكن يقول إلا حقًّا . حتىٰ جاء خزيمة

(١٧٢٩) - المسند (٥/٢١٦) ، وأخرجه أبو داود : كتاب الأقضية باب شهادة أهل الذمة في الوصية في السفر (٣/ ٣٠٦، ٣٠٧/رقم: ٣٦٠٧) . والنسائي : كتاب البيوع باب التسهيل في ترك الإشهار على البيع . (٧/ ٣٠١، ٣٠٢/رقم: ٤٦٤٧) . كلاهما من طريق الزهرى به .

[١] - في ز ، خ : « يرجعون » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

فاستمع لمراجعة النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ومراجعة الأعرابي يقول : هلم شهيدًا يشهد أني بايعتك . قال خزيمة : أنا أشهد أنك[١] قد بايعته . فأقبل النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم علىٰ خزيمة فقال : « **بمَ تشهد ؟** » فقال : بتصديقك يا رسول اللّٰه . فجعل رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم شهادة خزيمة بشهادة رجلين .

وهكذا رواه أبو داود من حديث شعيب ، والنسائي من رواية محمد بن الوليد الزبيدي ، كلاهما عن الزهري به نحوه .

ولكن الاحتياط هو الإِشهاد ، لما رواه الإِمامان : الحافظ أبو بكر بن مردويه ، والحاكم في مستدركه(١٧٣٠) ، من رواية معاذ بن معاذ العنبري ، عن شعبة ، عن فراس ، عن الشعبي ، عن أبي بردة ، عن أبي موسىٰ ، عن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وآله وسلم ، قال : « **ثلاثة يدعون اللّٰه فلا يستجاب لهم : رجل له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ، ورجل دفع مال يتيم قبل أن يبلغ ، ورجل أقرض رجلاً مالاً فلم يُشْهِدْ** » .

ثم قال الحاكم : صحيح الإِسناد علىٰ شرط الشيخين . قال : ولم يخرجاه لتوقيف أصحاب شعبة هذا الحديث علىٰ أبي موسىٰ ، وإنما أجمعوا علىٰ سند حديث شعبة بهذا الإِسناد : « **ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين** » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ولا يضار كاتب ولا شهيد** ﴾ قيل : معناه لا يضار الكاتب ولا الشاهد فيكتب هذا خلاف ما يملىٰ ، ويشهد هذا بخلاف ما سمع أو يكتمها بالكلية . وهو قول الحسن وقتادة وغيرهما .

وقيل : معناه لا يضر بهما ، كما قال ابن أبي حاتم : حدثنا أسيد بن عاصم ، حدّثنا الحسين - يعني ابن حفص - حدثنا سفيان ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن مقسم ، عن ابن عباس ، في هذه الآية : ﴿ **ولا يضار كاتب ولا شهيد** ﴾ قال : يأتي الرجل فيدعوهما إلىٰ الكتاب والشهادة ، فيقولان : إنا علىٰ حاجة . فيقول : إنكما قد أمرتما أن تجيبا . فليس له أن يضارهما .

ثم قال : وروي عن عكرمة ، ومجاهد ، وطاوس ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، وعطية ، ومقاتل بن حيان ، والربيع بن أنس ، والسدي نحو ذلك .

وقوله : ﴿ **وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم** ﴾ أي : إن خالفتم ما أمرتم به أو فعلتم ما نهيتم عنه فإنه فسق كائن بكم ، أي : لازم لكم لا تحيدون عنه ولا تنفكون عنه[٢] .

(١٧٣٠) - المستدرك (٣٠٢/٢) .

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - في ز ، خ : « منه » .

وقوله : ﴿ **واتقوا اللَّه** ﴾ أي : خافوه وراقبوه ، واتبعوا أمره واتركوا زجره . ﴿ **ويعلمكم اللَّه** ﴾ كقوله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا اللَّه يجعل لكم فرقانًا** ﴾ كقوله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللَّه وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورًا تمشون به** ﴾ .

وقوله : ﴿ **واللَّه بكل شيء عليم** ﴾ أي : هو عالم بحقائق الأمور ، ومصالحها ، وعواقبها ، فلا يخفىٰ عليه شيء من الأشياء ، بل علمه محيط بجميع الكائنات .

۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **وإن كنتم علىٰ سفر** ﴾ أي : مسافرين ، وتداينتم إلىٰ أجل مسمىٰ ﴿ **ولم تجدوا كاتبًا** ﴾ يكتب لكم . قال ابن عباس : أو وجدوه ولم يجدوا[١] قرطاسًا ، أو دواة ، أو قلمًا ﴿ **فرهان مقبوضة** ﴾ أي : فليكن بدل الكتابة رهان مقبوضة ، أي[٢] : في يد صاحب الحق .

وقد استدل بقوله : ﴿ **فرهان مقبوضة** ﴾ علىٰ أن الرهن لا يلزم إلا بالقبض كما هو مذهب الشافعي ، والجمهور . واستدل بها آخرون علىٰ أنه لابدّ أن[٣] يكون الرهن مقبوضًا في يد المرتهن ، وهو رواية عن الإمام أحمد ، وذهب إليه طائفة .

واستدل آخرون من السلف بهذه الآية علىٰ أنه لا يكون الرهن مشروعًا إلا في السفر ، قاله مجاهد وغيره .

وقد ثبت في الصحيحين عن أنس (١٧٣١) ، أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم تُوفِّي ودرعه مرهونة عند يهودي علىٰ ثلاثين وسقًا من شعير رهنها قوتًا لأهله . وفي رواية : من يهود المدينة(١٧٣٢) . وفي رواية الشافعي : عند أبي الشحم اليهودي(١٧٣٣) . وتقرير هذه المسائل في كتاب الأحكام الكبير ، وللَّه الحمد والمنة ، وبه المستعان .

(١٧٣١) - صحيح البخاري ، كتاب الرهن حديث (٢٥٠٨) .

(١٧٣٢) - الرواية في سنن النسائي (٧/٢٨٨) .

(١٧٣٣) - مسند الشافعي (ص ٢٥١) .

[١] - في ز : « يجد » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز ، خ : « وأن » .

وقوله : ﴿ **فإن أمن بعضكم بعضًا فليؤد الذي اؤتمن أمانته** ﴾ روىٰ ابن أبي حاتم بإسناد جيد عن أبي سعيد الخدري ، أنه قال : هذه نَسَخَتْ ما قبلها .

وقال الشعبي : إذا ائتمن بعضكم بعضًا فلا بأس أن لا تكتبوا أو لا تشهدوا .

وقوله : ﴿ **وليتق الله ربه** ﴾ يعني : المؤتمن ، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد(١٧٣٤) وأهل السنن من رواية قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة ، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **علىٰ اليد ما أخذت حتىٰ تؤدّيه** » .

وقوله : ﴿ **ولا تكتموا الشهادة** ﴾ أي : لا تخفوها وتغلوها ولا تظهروها . قال ابن عباس وغيره : شهادة الزور من أكبر الكبائر ، وكتمانها كذلك . ولهذا قال : ﴿ **ومن يكتمها فإنه آثم قلبه** ﴾ قال السدي : يعني فاجر قلبه . وهذه كقوله تعالىٰ : ﴿ **ولا نكتم شهادة الله إنا إذًا لمن الآثمين** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **يأيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله ولو علىٰ أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيًا أو فقيرًا فالله أولىٰ بهما ، فلا تتبعوا الهوىٰ أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرًا** ﴾ وهكذا قال هاهنا : ﴿ **ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم** ﴾ .

لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾

يخبر تعالىٰ أن له ملك السموات والأرض ؛ وما فيهن وما بينهن ، وأنه المطلع علىٰ ما فيهن ، لا تخفى عليه الظواهر ، ولا السرائر ، والضمائر ، وإن دقت وخفيت ، وأخبر أنه سيحاسب عباده علىٰ ما فعلوه وما أخفوه في صدورهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الأرض والله علىٰ كل شيء قدير** ﴾ وقال : ﴿ **يعلم السر وأخفى** ﴾ والآيات في هذا[١] كثيرة جدًا ، وقد أخبر في هذه

(١٧٣٤) - المسند (٥/٨) (٢٠١٣٤) ، و(٥/١٢) (٢٠١٧٩) ، أخرجه أبو داود في كتاب البيوع ، باب : في تضمين العارية (٣ / ٢٩٤ / رقم : ٣٥٦١) . والترمذي في كتاب البيوع ، باب : ما جاء في العارية مؤداة (٣ / ٥٥٧ / رقم : ١٢٦٦) . وقال : هذا حديث حسن صحيح . والنسائي في الكبرى في كتاب العارية ، باب : المنيحة (٣ / ٤١١ / رقم : ٥٧٨٣) . وابن ماجة في كتاب الصدقات ، باب : العارية (٢/٨٠٢/رقم : ٢٤٠٠) . كلهم من طريق سعيد بن أبي عروبة به .

---

[١] - في ت : « ذلك » .

بمزيد على العلم وهو المحاسبة على ذلك ؛ ولهذا لما نزلت هذه الآية اشتد ذلك على الصحابة - رضي الله عنهم - وخافوا منها ومن محاسبة الله لهم على جليل الأعمال وحقيرها ، وهذا من شدة إيمانهم وإيقانهم .

قال الإمام أحمد (١٧٣٥) : حدثنا عفان ، حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم ، حدثني أبو عبد الرحمن - يعني العلاء - عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : لما نزلت على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ﴿ **لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير** ﴾ اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جثوا على الركب ، وقالوا : يا رسول الله ؛ كلفنا من الأعمال ما نطيق الصلاة ، والصيام ، والجهاد ، والصدقة ، وقد أنزلت[١] عليك هذه الآية ولا نطيقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم : سمعنا وعصينا ؟ بل قولوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير** » فلما [أقرّ بها][٢] القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله في إثرها ﴿ **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرّق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير** ﴾ . فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل الله[٣] : ﴿ **لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا** ﴾ إلى آخره[٤] .

ورواه مسلم [ ][٥] متفردًا[٦] به (١٧٣٦) من حديث يزيد بن زريع ، عن روح بن القاسم ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة فذكر مثله ، ولفظه : فلما[٧] فعلوا ذلك[٨] نسخها الله فأنزل ﴿ **لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا** ﴾ قال : نعم ﴿ **ربنا ولا تحمل علينا إصرًا كما حملته على الذين من قبلنا** ﴾ قال : نعم ﴿ **ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به** ﴾ قال : نعم ﴿ **واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين** ﴾ قال : نعم .

(١٧٣٥) - المسند (٢/٤١٢) .

(١٧٣٦) - صحيح مسلم ، كتاب الإيمان حديث (١٢٥) .

---

[١] - في ز : « أنزل » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « اقترأها » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز : « آخرها » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « به » .
[٦] - في خ : « منفردًا » .
[٧] - في خ : « ولما » .
[٨] - سقط من : خ .

(حديث ابن عباس في ذلك) قال الإمام أحمد[١٧٣٧] : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان عن آدم ابن سليمان سمعت سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ **وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله** ﴾ قال دخل قلوبهم منها شيء لم يدخل قلوبهم من شيء قال : فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا** » فألقىٰ الله الإيمان في قلوبهم ، فأنزل الله ﴿ **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرّق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت** ﴾ إلىٰ قوله ﴿ **فانصرنا علىٰ القوم الكافرين** ﴾

وهكذا رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وأبي كريب وإسحاق بن إبراهيم ثلاثتهم عن وكيع به وزاد : ﴿ **ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا** ﴾ قال : قد فعلت ﴿ **ربنا ولا تحمل علينا إصرًا كما حملته علىٰ الذين من قبلنا** ﴾ قال : قد فعلت ﴿ **ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به** ﴾ قال : قد فعلت ﴿ **واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا علىٰ القوم الكافرين** ﴾ قال : قد فعلت

(طريق أخرىٰ) عن ابن عباس قال الإمام أحمد[١٧٣٨] : حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن حميد الأعرج عن مجاهد ؛ قال : دخلت علىٰ ابن عباس ، فقلت : يا أبا عباس ؛ كنت عند ابن عمر فقرأ هذه الآية فبكىٰ ، قال : أيَّة آية ؟ قلت : ﴿ **وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه** ﴾ قال ابن عباس : إن هذه الآية حين[١] أنزلت غمت أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم غمًا شديدًا ، وغاظتهم غيظًا شديدًا ، يعني وقالوا : يا رسول الله هلكنا ! إنا كنا نؤاخذ بما تكلمنا وبما نعمل ، فأما قلوبنا فليست بأيدينا ، فقال لهم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **قولوا : سمعنا وأطعنا** » فقالوا[٢] : سمعنا وأطعنا ، قال فنسختها هذه الآية ﴿ **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله** ﴾ إلىٰ ﴿ **لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت** ﴾ فتجوز لهم عن حديث النفس وأخذوا بالأعمال .

(طريق أخرىٰ) عنه قال ابن جرير[١٧٣٩] : حدثني يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني يونس ابن يزيد ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن مرجانة ، سمعه يحدث أنه بينما هو جالس مع عبد الله

(١٧٣٧) - المسند (٢٣٣/١) ، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان حديث (١٢٦) .
(١٧٣٨) - المسند (٣٣٢/١) .
(١٧٣٩) - تفسير الطبري (١٠٦/٦) (٦٤٥٩) .

[١] - سقط من : ز ، خ . [٢] - في ز ، خ : « قالوا » .

ابن عمر تلا هذه الآية ﴿ **لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه [يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء]**[١] ﴾ . الآية . فقال والله لئن واخذنا[٢] الله بهذا لنهلكن ، ثم بكىٰ ابن عمر حتىٰ سمع[٣] نشيجه . قال ابن مرجانة : فقمت حتىٰ أتيت ابن عباس ، فذكرت له ما قال ابن عمر ، وما فعل حين تلاها ، فقال عبد الله بن عباس : يغفر الله لأبي عبد الرحمن ؛ لعمري لقد وجد المسلمون منها حين أنزلت مثل ما وجد عبد الله ابن عمر ، فأنزل الله بعدها ﴿ **لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها** ﴾ إلىٰ آخر السورة . قال ابن عباس : فكانت هذه للوسوسة[٤] مما لا طاقة للمسلمين بها ، وصار الأمر إلىٰ أن قضىٰ الله عز وجل أن للنفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت في القول والفعل .

(طريق أخرىٰ) قال ابن جرير (١٧٤٠) : حدّثني المثنىٰ ، حدثنا إسحاق ، حدثنا يزيد بن هارون ، عن سفيان بن حسين ، عن الزهري ، عن سالم ، أن أباه قرأ : ﴿ **وإن**[٥] **تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله** ﴾ فدمعت عيناه ، فبلغ صنيعه ابن عباس ، فقال : يرحم الله أبا عبد الرحمن ، لقد صنع كما صنع أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حين أنزلت ، فنسختها الآية التي بعدها ﴿ **لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها** ﴾ .

فهذه طرق صحيحة عن ابن عباس(*) . وقد ثبت عن ابن عمر ، كما ثبت عن ابن عباس .

قال البخاري(١٧٤١) : حدثنا إسحاق ، حدثنا روح ، حدثنا شعبة عن خالد الحذاء ، عن مروان الأصفر ، عن رجل من أصحاب النبي صلىٰ الله عليه وسلم أحسبه ابن عمر ﴿ **وإن**[٦] **تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه** ﴾ قال : نسختها الآية التي بعدها .

وهكذا روي عن علي وابن مسعود ، وكعب الأحبار والشعبي ، والنخعي ومحمد بن كعب القرظي ، وعكرمة[٧] وسعيد بن جبير وقتادة : أنها منسوخة بالتي بعدها .

وقد ثبت بما رواه الجماعة في كتبهم الستة(١٧٤٢) من طريق قتادة ، عن زرارة بن أوفى ،

(١٧٤٠) - تفسير الطبري (١٠٨/٦) (٦٤٦٢) .

(*) قد تكلم أهل العلم في رواية سفيان بن حسين عن الزهري ، وضعفوها .

(١٧٤١) - صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن حديث (٤٥٤٦) .

(١٧٤٢) - صحيح البخاري ، كتاب الطلاق حديث (٥٢٦٩) ، وصحيح مسلم ، كتاب الطلاق حديث=

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - في خ : « آخذنا » .

[٣] - في ز : « يسمع » .

[٤] - في خ : « الوسوسة » .

[٥] - في ز ، خ : « إن » .

[٦] - في ز ، خ : « إن » .

[٧] - في خ : عن عكرمة » .

عن أبي هريرة ، قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : [« **إن اللّٰه تجاوز لي عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تكلم أو تعمل** » .

وفي الصحيحين (١٧٤٣) من حديث سفيان بن عيينة ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم][١] : « **قال اللّٰه : إذا هم عبدي[٢] بسيئة فلا تكتبوها عليه ، فإن عملها فاكتبوها سيئة ، وإذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة ، فإن عملها فاكتبوها عشرًا** » . لفظ مسلم .

وهو في أفراده(١٧٤٤) من طريق إسماعيل بن جعفر ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **قال اللّٰه : إذا هم عبدي بحسنة ولم يعملها كتبتها له حسنة ، فإن عملها كتبتها له[٣] عشر حسنات إلىٰ سبعمائة ضعف ، وإذا هم بسيئة فلم يعملها لم أكتبها عليه ، فإن عملها كتبتها سيئة واحدة** » .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن همام بن منبه[٤] ، قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة ، عن محمد رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال [ ][٥] : « **قال اللّٰه : إذا تحدّث عبدي بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعمل ، فإذا عملها فأنا أكتبها بعشر أمثالها ، وإذا تحدّث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له مالم يعملها ، فإذا[٦] عملها فأنا أكتبها له بمثلها** » . وقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **قالت الملائكة : رب ، ذاك[٧] عبدك يريد أن يعمل سيئة - وهو أبصر به - فقال : ارقبوه فإن عملها فاكتبوها له بمثلها ، وإن تركها فاكتبوها له حسنة ، وإنما[٨] تركها من جراي** » .

وقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم(١٧٤٥) : « **إذا أحسن[٩] أحدكم إسلامه[١٠] فإن له**

= (١٢٧) ، وسنن أبي داود كتاب الطلاق حديث (٢٢٠٩) ، وسنن الترمذي ، كتاب الطلاق واللعان حديث (١١٨٣) ، وسنن النسائي كتاب الطلاق (٦/١٥٦) ، وسنن ابن ماجة ، كتاب الطلاق (٢٠٤٠).

(١٧٤٣) - صحيح مسلم حديث (١٢٨) ، ورواه البخاري من حديث المغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد به نحوه .

(١٧٤٤) - صحيح مسلم ، كتاب الإيمان حديث (١٢٨) .

(١٧٤٥) - صحيح مسلم ، كتاب الإيمان حديث (١٢٩) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز ، خ : « عبد » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « منيه » .
[٥] - في ز : « قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم » .
[٦] - في خ : « فإن » .
[٧] - في ز ، خ : « وإن » .
[٨] - في ز ، خ : « إنما » .
[٩] - في خ : « أخر » .
[١٠] - بياض في خ .

بكل حسنة يعملها تكتب له[١] بعشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف ، وكل سيئة تكتب بمثلها حتىٰ يلقىٰ الله عز وجل» .

تفرّد به مسلم(١٧٤٦) ، عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق ، بهذا السياق واللفظ . وبعضه في صحيح البخاري .

وقال مسلم أيضًا (١٧٤٧) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن هشام ، عن ابن سيرين ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **من همَّ بحسنةٍ فلم يعملها كتبت له حسنة ، ومن هم بحسنةٍ فعملها كتبت له عشرًا[٢] إلىٰ سبعمائة ضعف ، ومن همَّ بسيئةٍ فلم يعملها لم تكتب، وإن عملها كتبت** » . تفرد به مسلم دون غيره من أصحاب الكتب .

و[قال مسلم أيضًا(١٧٤٨)][٣] : حدثنا شيبان بن فروخ ، حدثنا عبد الوارث ، عن الجعد - أبي[٤] عثمان - حدثنا أبو رجاء العطاردي ، عن ابن عباس ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه تعالىٰ ، قال : « **إن الله كتب الحسنات والسيئات ، ثم بين ذلك ، فمن همَّ بحسنةٍ فلم يعملها كتبها الله له[٥] عنده حسنة كاملة ، وإن همَّ بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلىٰ سبعمائة ضعف إلىٰ أضعاف كثيرة ، وإن همَّ بسيئةٍ فلم يعملها [كتبها الله عنده حسنة كاملة][٦] ، فإن هم بها فعملها كتبها الله عنده[٧] سيئة واحدة** » .

ثم رواه مسلم(١٧٤٩) ، عن يحيىٰ بن يحيىٰ ، عن جعفر بن سليمان ، عن الجعد أبي عثمان ، في هذا الإِسناد بمعنىٰ حديث عبد الوارث[٨] ، وزاد : « **ومحاها الله ، ولا يهلك علىٰ الله إلا هالك** » .

وفي حديث سهيل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة(١٧٥٠) ؛ قال : جاء ناس من أصحاب رسول

(١٧٤٦) - صحيح مسلم ، كتاب الإيمان حديث (١٣٠) .
(١٧٤٧) - صحيح مسلم ، كتاب الإيمان حديث (١٣٠) .
(١٧٤٨) - (١٧٤٩) - صحيح مسلم ، كتاب الإيمان حديث (١٣١) .
(١٧٥٠) - صحيح مسلم ، كتاب الإيمان حديث (١٣٢) .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - في خ : « بن » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في خ : « لم تكتب عليه » .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - في ز ، خ : « الرّزاق » .

اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فسألوه ، فقالوا[١] : إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به . قال : « **وقد وجدتموه؟** » قالوا : نعم . قال : « **ذاك صريح الإيمان** » . لفظ مسلم .

وهو عند مسلم أيضًا من طريق الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم به .

وروىٰ مسلم(١٧٥١) أيضًا[٢] من حديث مغيرة ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد اللَّه ، قال : سئل رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم عن الوسوسة . قال : « **تلك صريح الإيمان** » .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ **وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به اللَّه** ﴾ فإنها لم تنسخ ، ولكن اللَّه إذا جمع الخلائق يوم القيامة يقول : إني أخبركم بما أخفيتم في أنفسكم مما لم يطلع عليه ملائكتي ، فأمّا[٣] المؤمنون فيخبرهم ويغفر لهم ما حدثوا به أنفسهم وهو قوله : ﴿ **يحاسبكم به اللَّه** ﴾ يقول يخبركم ، وأمّا أهل الشك والريب فيخبرهم بما أخفوا من التكذيب ، وهو قوله : ﴿ **فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء** ﴾ وهو قوله : ﴿ **ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم** ﴾ أي : من الشك والنفاق . وقد روىٰ العوفي والضحاك عنه قريبًا من هذا .

وروىٰ ابن جرير عن مجاهد ، والضحاك نحوه . وعن الحسن البصري أنه قال : هي محكمة[٤] لم تنسخ . واختار ابن جرير ذلك ، واحتج علىٰ أنه لا يلزم من المحاسبة المعاقبة ، وأنه تعالىٰ قد يحاسب ويغفر ، وقد يحاسب ويعاقب ، بالحديث الذي رواه عند هذه الآية قائلًا[٥] (١٧٥٢) :

حدثنا ابن بشار ، حدثنا ابن أبي عدي ، عن سعيد وهشام[٦] ، (ح) وحدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن[٧] علية ، حدثنا [ ][٨] هشام ، قالا جميعًا في حديثهما[٩] ؛ عن قتادة ، عن صفوان بن محرز[١٠] ، قال : بينا نحن نطوف بالبيت مع عبد اللَّه بن عمر وهو يطوف إذ

(١٧٥١) - صحيح مسلم ، كتاب الإيمان حديث (١٣٣) .
(١٧٥٢) - تفسير الطبري (٦/١١٩ ، ١٢٠) (٦٤٩٧) .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ز : « محمكة » .
[٥] - في ز : « قابالًا » .
[٦] - في خ ، ز : سعيد بن هشام ، والمثبت من الطبري .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - في ز ، خ : ابن .
[٩] - في ز : « حديثيهما » .
[١٠] - في ز : « مجوز » .

عرض له رجل ، فقال : يا بن عمر ؛ ما سمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول في النجوىٰ؟ قال[١] : سمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « **يدنو المؤمن من ربه عز وجل حتىٰ يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه ، فيقول له**[٢] : **هل تعرف كذا ؟ فيقول : رب أعرف**(*) -مرتين- **حتىٰ إذا بلغ به**[٣] **ما شاء اللّٰه أن يبلغ قال : فإني قد سترتها عليك في الدنيا ، وأنا**[٤] **أغفرها لك اليوم . قال : فيعطىٰ صحيفة حسناته -أو كتابه- بيمينه ، وأما الكفار والمنافقون فينادىٰ بهم علىٰ رءوس الأشهاد : ﴿ هؤلاء الذين كذبوا علىٰ ربهم ألا لعنة اللّٰه على الظالمين ﴾** .

وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وغيرهما(١٧٥٣) من طرق متعددة عن قتادة به .

وقال ابن أبي حاتم(١٧٥٤) : حدّثنا أبي ، حدّثنا سليمان بن حرب ، حدّثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن أمية ، قالت : سألت عائشة عن هذه الآية **﴿ إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به اللّٰه ﴾** فقالت : ما سألني عنها أحد منذ سألت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم عنها ، فقال : هذه مبايعة اللّٰه العبد وما يصيبه من الحمّىٰ والنكبة والبضاعة يضعها في يد كمه فيفتقدها[٥] فيفزع لها ثم يجدها في ضِبْنِه(**) [٦] ، حتىٰ إن المؤمن ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الأحمر [من الكير][٧] .

وكذا رواه الترمذي وابن جرير من طريق حماد بن سلمة ، به(١٧٥٥) . وقال الترمذي : غريب[٨] لا نعرفه إلا من حديثه .

(قلت) : وشيخه علي بن زيد بن جُدْعان ضعيف يغرب في رواياته ، وهو يروي هذا الحديث عن امرأة أبيه ، أم محمد أمية بنت عبد اللّٰه ، عن عائشة ، وليس لها عنها في الكتب سواه .

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ

(١٧٥٣) - صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن حديث (٤٦٨٥) ، وصحيح مسلم ، كتاب التوبة حديث (٢٧٦٨) .

(١٧٥٤) - زيادة من تفسير الطبري (١١٧/٦) (٦٤٩٥) ، وإسناده ضعيف لضعف على بن زيد .

(١٧٥٥) - سنن الترمذي ، كتاب تفسير القرآن حديث (٢٩٩١) .

[١] - في خ : « فقال » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ت .
[٤] - في ت : « وأين » .
[٥] - في ت : « فيفقدها » .
[٦] - في ز : « ضبنته » ، خ : « صحيفته » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٨] - في خ : « وقال غريب » .

وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ
غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا
كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا
تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا
طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

ذكر الأحاديث الواردة في فضل هاتين الآيتين الكريمتين نفعنا اللَّه بهما !

(الحديث الأوّل) قال البخاري(١٧٥٦) : حدثنا محمد بن كثير ، أخبرنا شعبة عن سليمان ، عن إبراهيم ، عن عبد الرحمن ، عن أبي[١] مسعود ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ؛ قال : « **من قرأ بالآيتين** » . وحدثنا أبو نعيم ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن أبي[٢] مسعود ؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **من قرأ بالآيتين– من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه** » .

وقد أخرجه بقية الجماعة من طريق سليمان بن مهران الأعمش بإسناده مثله(١٧٥٧) .

وهو في الصحيحين(١٧٥٨) من طريق الثوري ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن عبد الرحمن ، عنه به .

(١٧٥٦) – صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن حديث (٥٠٠٨) .

(١٧٥٧) – صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين حديث (٨٠٨) ، وسنن أبي داود ، كتاب الصلاة حديث (١٣٩٧) ، وسنن الترمذي ، كتاب فضائل القرآن حديث (٢٨٨١) ، وسنن النسائي الكبرى حديث (٨٠١٩) ، وسنن ابن ماجة ، تاإقامة الصلاة ... حديث (١٣٦٨) .

(١٧٥٨) – صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن حديث (٥٠٠٩) ، وصحيح مسلم حديث (٨٠٧) ؛ ولكنه فيه عن زهير ، عن منصور به.

---

[١] – في ز ، خ : « ابن » .

[٢] – في ز ، خ : « ابن » .

وهو في الصحيحين أيضًا(١٧٥٩) عن عبد الرحمن ، عن علقمة ، عن أبي[١] مسعود ، قال عبد الرحمن : ثم لقيت أبا مسعود فحدثني به .

وهكذا رواه أحمد بن حنبل(١٧٦٠) : حدثنا يحيىٰ بن آدم ، حدثنا شريك ، عن عاصم ، عن المسيب بن رافع ، عن علقمة ، عن أبي[٢] مسعود ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ؛ قال : « **من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلته[٣] كفتاه** » .

(الحديث الثاني) قال الإمام أحمد(١٧٦١) : حدثنا حسين ، حدثنا شيبان ، عن منصور ، عن ربعي ، عن خرشة بن الحرّ ، عن المعرور بن سويد ، عن أبي ذرّ ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش ، لم يعطهن نبي قبلي** » .

وقد رواه ابن مردويه ، من حديث الأشجعي ، عن الثوري ، عن منصور ، عن ربعي ، عن زيد بن ظبيان ، عن أبي ذرّ ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش** »(١٧٦٢) .

(الحديث الثالث) قال مسلم(١٧٦٣) : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا أبو أسامة ، حدثنا مالك بن مغول (ح) وحدثنا ابن نمير ، وزهير بن حرب ، جميعًا عن عبد الله بن نمير ، وألفاظهم متقاربة ، قال ابن نمير : حدثنا أبي ، حدثنا مالك بن مغول ، عن الزبير بن عدي ، عن طلحة ، عن مرّة ، عن عبد الله ، قال : لما أسري برسول الله صلىٰ الله عليه وسلم انتهي به إلىٰ سدرة المنتهىٰ - وهي في السماء السادسة إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض منها ، وإليها ينتهي ما يهبط [به][٤] من فوقها فيقبض منها - قال : ﴿ **إذ يغشىٰ السدرة ما يغشى** ﴾ قال : فراش من ذهب . قال : وأعطي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ثلاثًا : أعطي الصلوات الخمس ، وأعطي خواتيم سورة البقرة ، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئًا المقحمات[٥] .

(١٧٥٩) - صحيح البخاري ، كتاب المغازي حديث (٤٠٠٨) ، وصحيح مسلم حديث (٨٠٨) .

(١٧٦٠) - المسند (١١٨/٤) .

(١٧٦١) - المسند (١٥١/٥) (٢١٤٢٥) وأطرافه (٢١٤٢٣ ، ٢١٤٢٤). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ٣١٢) وقال : « رواه كله أحمد بأسانيد ، ورجال أحدهما رجال الصحيح » .

(١٧٦٢) - ورواه البيهقي في شعب الإيمان حديث (٢٤٠٤) من طريق الأشجعي به .

(١٧٦٣) - صحيح مسلم ، كتاب الإيمان حديث (١٧٣) .

---

[١] - في ز ، خ : « ابن » .

[٢] - في خ : « ابن » .

[٣] - في ز ، خ : « ليلة » .

[٤] - زيادة من ز ..

[٥] - في ز : « المقمحات » .

(الحديث الرابع) قال أحمد(١٧٦٤) : حدثنا إسحاق بن إبراهيم الرازي ، حدثنا سلمة بن الفضل ، حدثني محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن [مرثد بن عبد الله اليزني][١] ، عن عقبة بن عامر الجهني ، قال : قال لي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **اقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة ؛ فإني أعطيتهما[٢] من تحت العرش** » هذا إسناد حسن ، ولم يخرجوه في كتبهم .

(الحديث الخامس) قال ابن مردويه(١٧٦٥) : حدثنا أحمد بن كامل ، حدثنا إبراهيم بن إسحاق الحربي ، [أخبرنا مسدد ، أخبرنا][٣] أبو[٤] عوانة ، عن أبي مالك ، عن ربعي ، عن حذيفة ، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **فضلنا علىٰ الناس بثلاث : أوتيت هؤلاء الآيات من آخر سورة البقرة من بيت كنز تحت العرش لم يعطها أحد قبلي ولا يعطاها أحد بعدي** » .

ثم رواه من حديث نعيم بن أبي هند ، عن ربعي ، عن حذيفة بنحوه .

(الحديث السادس) قال ابن مردويه(١٧٦٦) : حدثنا عبد الباقي بن قانع ، أنبأنا إسماعيل بن الفضل ، أخبرنا محمد بن حاتم بن بزيع[٥] ، أخبرنا جعفر بن عون ، عن مالك ابن مغول ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن علي ؛ قال : لا أرىٰ أحدًا عقل الإسلام ينام حتىٰ يقرأ [آية الكرسي و][٦] خواتيم سورة البقرة ؛ فإنها كنز أعطيه نبيكم صلىٰ الله عليه وسلم من تحت العرش .

ورواه وكيع [في تفسيره][٧] ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمير بن عمرو الخارقي ، عن علي ، قال : ما أرىٰ أحدًا يعقل بلغه الإِسلامُ ينامُ حتىٰ يقرأ آية الكرسي وخواتيمَ سورةِ البقرة ؛ فإنها من كنز تحت العرش .

(الحديث السابع) قال أبو عيسىٰ الترمذي(١٧٦٧) : حدثنا بندار ، حدثنا عبد الرحمن بن

(١٧٦٤) - المسند (١٤٧/٤) .

(١٧٦٥) - ورواه النسائي في السنن الكبرى حديث (٨٠٢٢) من طريق آدم بن أبي إياس ، عن أبي عوانى به.

(١٧٦٦) - ورواه ابن الضريس في فضائل القرآن حديث (١٦٩) من طريق أبي إسحاق ، عن عمير بن سعيد به ، قال النووي : « صحيح على شرط البخاري ومسلم » .

(١٧٦٧) - سنن الترمذي ، كتاب فضائل القرآن ، حديث (٢٨٨٢) ، والمستدرك (٥٦٢/١) .

---

[١] - في خ : « يزيد بن عبد الله المزني » .

[٢] - في ز : « أعطيتها » .

[٣] - في ز : « أنا مسرور ، أنا » .

[٤] - في ز ، خ : « ابن » .

[٥] - في خ : « مريع » .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

مهدي ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن أشعث بن عبد الرحمن الجَرْمي[١] ، عن أبي قلابة ، عن أبي الأشعث الصنعاني ، عن النعمان بن بشير ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ قال : « **إن الله كتب كتابًا قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام ، أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة ، ولا [يقرآن][٢] في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان** » . ثم قال : هذا حديث غريب[٣] . وهكذا رواه الحاكم في مستدركه من حديث حماد بن سلمة به وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .

(الحديث الثامن) قال ابن مردويه(١٧٦٨) : حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن مدين[٤] ، أخبرنا الحسن بن الجهم ، أخبرنا إسماعيل بن عمرو ، أخبرنا ابن أبي[٥] مريم ، حدّثني يوسف ابن أبي الحجاج ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ آخر سورة البقرة و[٦] آية الكرسي ضحك وقال : « **إنهما من كنز الرحمن تحت العرش** » . وإذا قرأ : ﴿ **من يعمل سوءًا يجز به** ﴾ ﴿ **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى** ﴾ استرجع واستكان .

(الحديث التاسع) قال ابن مردويه(١٧٦٩) : حدّثنا عبد الله بن محمد بن كوفي ، حدثنا أحمد ابن يحيى بن حمزة ، حدّثنا محمد بن بكر ، حدثنا مكي بن إبراهيم ، حدثنا عبيد[٧] الله بن أبي حميد ، عن أبي مليح ، عن معقل بن يسار ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش ، والمفصل نافلة** » .

(الحديث العاشر) قد تقدم في فضائل الفاتحة من رواية عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم [....][٨] وعنده جبريل إذ سمع نقيضًا فوقه فرفع جبريل بصره إلى السماء ، فقال : هذا باب قد فتح من السماء ما فتح قط . قال : فنزل منه ملك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له[٩] : أبشر بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك : فاتحة الكتاب ،

(١٧٦٨) - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/٢) وعزاه لابن مردويه لابن مردويه ، وفي إسناده مجاهيل .

(١٧٦٩) - ورواه الحاكم في المستدرك وصححه (٥٥٩/١) من طريق عبيد الله بن أبي حميد به نحوه ، وتعقبه الذهبي بقوله : « فيه عبيد الله ابن أبي حميد تركوه » .

---

[١] - في خ : « الحرمي » .
[٢] - في ت : « يقرأ بهن » .
[٣] - في الترغيب والترهيب للمنذري : ... وقال : حسن غريب .
[٤] - في خ : « مدني » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « أو » .
[٧] - في خ : « عبد » .
[٨] - ما بين المعكوفتين بياض في : خ .
[٩] - سقط من : خ .

وخواتيم سورة البقرة ، لن تقرأ حرفًا منهما[١] إلا أوتيته . رواه مسلم والنسائي ، وهذا لفظه(١٧٧٠) .

فقوله تعالىٰ : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه ﴾ إخبار عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم بذلك .

قال ابن جرير(١٧٧١) : حدّثنا بشر ، حدثنا يزيد ، حدثنا سعيد عن قتادة قال : ذكر لنا أنّ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال لما نزلت عليه[٢] هذه الآية : « **ويحق له أن يؤمن** » .

وقد روىٰ الحاكم في مستدركه(١٧٧٢) ، حدثنا أبو النضر الفقيه ، حدثنا معاذ بن نجدة القرشي[٣] ، حدثنا خلاد بن يحيىٰ ، حدثنا أبو عقيل عن يحيىٰ بن أبي كثير ، عن أنس بن مالك ، قال : لما نزلت هذه الآية علىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ﴿ **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه** ﴾ قال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **حق له أن يؤمن** » ثم قال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

وقوله : ﴿ **والمؤمنون** ﴾ عطف علىٰ ﴿**الرسول** ﴾ ، ثم أخبر عن الجميع فقال : ﴿ **كلٌّ آمن باللَّه وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله** ﴾ فالمؤمنون يؤمنون بأنّ اللَّه واحد أحد ، فرد صمد ، لا إله غيره ، ولا رب سواه . ويصدقون بجميع الأنبياء والرسل والكتب المنزلة من السماء علىٰ عباد اللَّه المرسلين والأنبياء ، لا يفرقون بين أحد منهم فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض ، بل الجميع عندهم صادقون بارّون راشدون مهديون هادون إلىٰ سُبُل[٤] الخير ، وإن كان بعضهم ينسخ شريعة بعض بإذن اللَّه ، حتىٰ نسخ الجميع بشرع محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين ، الذي تقوم الساعة علىٰ شريعته ، ولا تزال طائفة من أمته علىٰ الحق ظاهرين .

وقوله : ﴿ **وقالوا سمعنا وأطعنا** ﴾ أي : سمعنا قولك يا ربنا وفهمناه ، وقمنا به ، وامتثلنا العمل بمقتضاه . ﴿ **غفرانك ربنا** ﴾ سؤال للمغفرة[٥] والرحمة واللطف .

(١٧٧٠) - صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها حديث (٨٠٦) ، وسنن النسائي ، كتاب الافتتاح (١٣٨/٢) .

(١٧٧١) - تفسير الطبري (١٢٤/٦) (٦٤٩٩) .

(١٧٧٢) - المستدرك (٢٨٧/٢) وتعقبه الذهبي ، قلت : « منقطع » ، وذلك لأن يحيى بن أبي كثير رأى أنسًا ولم يسمع منه .

---

[١] - في ز : « منها » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من خ .
[٤] - في خ : « سبيل » .
[٥] - في خ : « للغفر » .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن حرب الموصلي ، حدثنا ابن فضيل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قول الله : ﴿ **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **غفرانك ربنا** ﴾ قال : قد غفرت لكم ﴿ **وإليك المصير** ﴾ أي : إليك المرجع والمآب يوم [ ][١] الحساب .

قال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا جرير ، عن[٢] بيان ، عن حكيم ، عن جابر ، قال : لما نزلت علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ﴿ **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير** ﴾ قال جبريل : إن الله قد أحسن الثناء عليك وعلىٰ أمتك ، فسل تعطه . فسأل ﴿ **لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها** ﴾ إلىٰ آخر الآية .

وقوله : ﴿ **لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها** ﴾ أي : لا يكلف أحدًا فوق طاقته ، وهذا من لطفه تعالىٰ بخلقه ، ورأفته بهم ، وإحسانه إليهم ، وهذه هي الناسخة الرافعة لما كان أشفق منه الصحابة في قوله : ﴿ **وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله** ﴾ أي : وهو[٣] وإن حاسب وسأل ، لكن لا يعذب إلا بما يملك الشخص دفعه ، فأما ما لا يملك دفعه من وسوسة النفس وحديثها فهذا لا يكلف به الإنسان ، وكراهية الوسوسة السيئة من الإيمان .

وقوله : ﴿ **لها ما كسبت** ﴾ أي : من خير ﴿ **وعليها ما اكتسبت** ﴾ أي : من شر . وذلك في الأعمال التي تدخل تحت التكليف . ثم قال تعالىٰ مرشدًا عباده إلىٰ سؤاله ، وقد تكفل لهم بالإجابة كما أرشدهم وعلمهم أن يقولوا : ﴿ **ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا** ﴾ أي : إن[٤] تركنا فرضًا علىٰ جهة النسيان ، أو فعلنا حرامًا كذلك ، أو أخطأنا - أي - الصواب في العمل جهلًا منا بوجهه الشرعي . وقد تقدم في صحيح مسلم [من حديث][٥] أبي هريرة [ ][٦] : « **قال الله : نعم** » . ولحديث ابن عباس ، قال الله : « **قد فعلت** » .

وروىٰ ابن ماجة في سننه ، وابن حبان في صحيحه(١٧٧٣) من حديث أبي عمرو الأوزاعي ،

(١٧٧٣) - سنن ابن ماجة : كتاب الطلاق ، باب : طلاق المكره والناسي (١ / ٦٥٩/ رقم : ٢٠٤٥) . صحيح ابن حبان : (١ / ١٧٨ / رقم : ١٤٣) . والدارقطني : (٣ / ١٣٩) . والمعجم الكبير للطبراني : (١١ / ٨٩ / رقم : ١١١٤١) . والسنن الكبرى للبيهقي : (٨ / ٢٦٤) . والحاكم : (١ / ٢٥٨) ، (٢ / ٥٩)

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « يقوم » .

[٢] - في خ : « ابن » .

[٣] - في ز : « هو » .

[٤] - في ز ، خ : « بأن » .

[٥] - في ز ، خ : « لحديث » .

[٦] - في خ : قال .

عن عطاء ، قال ابن ماجة في روايته عن ابن عباس . وقال الطبراني وابن حبان : عن عطاء عن عبيد بن عمير عن ابن عباس ، قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن اللَّه وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه** » . وقد روي من طرق أخر ، وأعله[١] أحمد ، وأبوحاتم(١٧٧٤) ، واللَّه أعلم .

وقال ابن أبي حاتم (١٧٧٥) : حدثنا أبي ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا أبو بكر الهذلي ، عن شهر ، عن أم الدرداء ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **إن اللَّه تجاوز لأمتي [عن ثلاث][٢] عن الخطأ والنسيان والاستكراه** » . قال أبو بكر : فذكرت ذلك للحسن ، فقال : أجل أما تقرأ[٣] بذلك قرآنًا ﴿ **ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ربنا ولا تحمل علينا إصرًا كما حملته علىٰ الذين من قبلنا** ﴾ أي : لاتكلفنا من الأعمال الشاقة وإن أطقناها ، كما شرعته للأمم الماضية قبلنا من الأغلال ، والآصار التي كانت عليهم ، التي بعثت نبيك محمدًا صلىٰ اللَّه عليه وسلم نبي الرحمة بوضعه في شرعه الذي أرسلته به من الدين الحنيف السهل السمح .

وقد ثبت في صحيح مسلم ، عن أبي هريرة ، عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **قال اللَّه : نعم** » .

وعن ابن عباس(١٧٧٦) عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **قال اللَّه : قد فعلت** » . وجاء في[٤] الحديث من طرق عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه قال : « **بعثت بالحنيفية السمحة** » .

وقوله : ﴿ **ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به** ﴾ أي : من التكليف ، والمصائب ، والبلاء ، لا

(١٧٧٤) - العلل لابن أبي حاتم (٤٣١/١) ، والعلل للإمام أحمد (٢٢٧/١) .

(١٧٧٥) - وروى ابن عدي في الكامل (٣٢٥/٣) من طريق أبي بكر الهذلي ، عن شهر بن حوشب ، عن أم الدرداء ، عن أبي الدرداء مرفوعًا ، وليس عنده قول أبي بكر للحسن .

(١٧٧٦) - رواه أحمد من حديث ابن عباس (٢٣٦/١) ، وحسنه الحافظ ابن حجر في الفتح . ورواه أحمد (٢٢٣٩١) (٢٦٦/٥) ، من حديث عليّ بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة مرفوعًا في حديث طويل ، وأخرجه الطبراني في الكبير (٢٥٧/٨/رقم:٧٨٦٨) من نفس طريق أحمد ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٧٩/٥) وعزاه لأحمد والطبراني في الكبير وقال : « وفيه على بن يزيد الألهاني ، وهو ضعيف » . وأخرجه ابن سعد في الطبقات (١٩٢/١) من حديث حبيب بن أبي ثابت مرفوعًا - وهو مرسل ، وفي إسناده برد الحريري لا يعرف . وقد روي عن عائشة ، وجابر رضي اللَّه عنهم .

---

[١] - في ز ، خ : « وعلّله » .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - في ز ، خ : « يقرأ » .
[٤] - سقط من : خ .

تبتلينا بما لا قبل لنا به .

وقد قال مكحول في قوله : ﴿ **ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به** ﴾ قال : العُزْبة[١] والغلمة . رواه ابن أبي حاتم . قال الله : نعم . وفي الحديث الآخر قال الله : قد فعلت .

وقوله : ﴿ **واعف عنا** ﴾ أي : فيما بيننا وبينك ، مما تعلمه من تقصيرنا وزللنا ﴿ **واغفر لنا** ﴾ أي : فيما بيننا وبين عبادك ؛ فلا تظهرهم على مساوينا وأعمالنا القبيحة ﴿ **وارحمنا** ﴾ أي : فيما يستقبل ؛ فلا توقعنا بتوفيقك في ذنب آخر ، ولهذا قالوا : إن المذنب[٢] محتاج إلى ثلاثة أشياء : أن يعفو الله عنه فيما بينه وبينه ، وأن يستره من[٣] عباده فلا يفضحه به بينهم ، وأن يعصمه فلا يوقعه في نظيره . وقد تقدّم في الحديث أن الله قال : نعم . وفي الحديث الآخر قال الله : قد فعلت .

وقوله ﴿ **أنت مولانا** ﴾ أي : أنت ولينا وناصرنا ، وعليك توكلنا وأنت المستعان ، وعليك التكلان ، ولا حول [ ] ولا قوة لنا إلا بك ﴿ **فانصرنا على القوم الكافرين** ﴾ أي : الذين جحدوا دينك ، وأنكروا وحدانيتك ، [ورسالة نبيك][٤] وعبدوا غيرك ، وأشركوا معك من عبادك ، فانصرنا عليهم واجعل لنا العاقبة عليهم في الدنيا والآخرة . قال الله : نعم . وفي الحديث الذي رواه مسلم ، عن ابن عباس قال الله : قد فعلت .

وقال ابن جرير(١٧٧٧) : حدّثني المثنى بن إبراهيم ، حدّثنا أبو نعيم ، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، أن معاذًا رضي الله عنه كان إذا فرغ من هذه السورة ﴿ **وانصرنا على القوم الكافرين** ﴾ قال : آمين . ورواه وكيع ، عن سفيان ، [عن أبي إسحاق][٥] ، عن رجل ، عن معاذ بن جبل ، أنه كان إذا ختم البقرة قال : آمين .

[آخر تفسير سورة البقرة ولله - تعالى - الحمد والمنة ، وبه التوفيق والعصمة ، وحسبنا الله ونعم الوكيل][٦] ، [ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد][٧]

* * *

(١٧٧٧) - تفسير الطبري (٦/١٤٦) (٦٥٤٢) .

[١] - في خ : « الغربة » .
[٢] - في ز : « الذنب » .
[٣] - في ز ، خ : « عن » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .
[٧] - ما بين المعكوفتين زيادة من : خ .

تفسير
القرآن العظيم

للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء
إسماعيل بن كثير الدمشقي
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

هذه الطبعة أول طبعة مقابلة على النسخ الأزهرية
وكذلك على نسخة كاملة بدار الكتب المصرية

تحقيق

مصطفى السيد محمد — محمد السيد رشاد
محمد فضل العجماوي — علي أحمد عبد الباقي
حسن عباس قطب

المجلد الثالث

مكتبة أولاد الشيخ للتراث
٣٦ ش اليابان - عمرانية غربية - جيزة
ت : ٥٦٢٨٣١٨ - ٥٦١١٤٤٢

مؤسسة قرطبة
طباعة . نشر . توزيع
جيزة - ت : ٥٨١٥٠٢٧

رقم الإيداع : ٩٣٤٩ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولى : I.S.B.N
977 - 5234 - 33 - 6

الطبعة الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر هاتف: ٤٣٠٧٥٢٦-٢٠٥٥٦٨٨ القاهرة

تفسير
القرآن العظيم

[بسم الله الرحمن الرحيم
وما توفيقي إلا بالله][١]

تفسير سورة آل عمران و[٢] هي مدنية

لأن صدرها إلى ثلاثٍ وثمانين آية منها نزلت في وفدِ نجران ، وكان قدومهم في سنة تسع من الهجرة ، كما سيأتي بيان ذلك عند تفسير آية المباهلة منها ، إن شاء الله تعالى . وقد ذكرنا ما ورد في فضلها مع سورة البقرة في أول تفسير البقرة .

﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤ ﴾

[قد][٣] ذكرنا الحديث(١) الوارد في أن اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين ﴿ **الله لا إله إلا هو الحي القيوم** ﴾ و ﴿ **الم** [**الله لا إله إلا هو الحي القيوم**][٤] ﴾ عند تفسير آية الكرسي ، وقد[٥] تقدم [ ][٦] الكلام على قوله تعالى : ﴿ **الم** ﴾ في أول[٧] سورة البقرة بما أغنى عن إعادته ، وقد تقدم أيضًا[٨] الكلام على قوله : ﴿ **الله لا إله إلا هو الحي القيوم** ﴾ في تفسير آية الكرسي .

وقوله تعالى : ﴿ **نزّل عليك الكتاب بالحق** ﴾ يعني : نزل عليك القرآن يا محمد بالحق أي : لا شك فيه ولا ريب ، بل هو مُنزل من عند[٩] الله عز وجل ، أنزله بعلمه والملائكة يشهدون ، وكفى بالله شهيدًا .

وقوله : ﴿ **مصدّقًا لما بين يديه** ﴾ أي : من الكتب المنزلة قبله من السماء على عباد الله الأنبياء ، فهي تُصدّقه بما أخبرت به ، وبشرت في قديم الزمان ، وهو يصدقها ؛ لأنه طابق ما أخبرت به

---

(١) - سبق تخريجه في سورة البقرة آية (٢٥٥) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز ، خ : « وقد » .
[٤] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ت .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - بين المعكوفتين في : ز « أيضًا » .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - سقط من : ت .
[٩] - سقط من : ر .

وبشرت من الوعد من اللّه ؛ بإرسال محمد صلىٰ اللّه عليه وآله وسلم ، وإنزال القرآن العظيم عليه . وقوله : ﴿ **وأنزل التوراة** ﴾ أي : علىٰ موسىٰ بن عمران ﴿ **والإنجيل** ﴾ أي : علىٰ عيسى ابن مريم عليهما السلام ﴿ **من قبل** ﴾ أي : من قبل هذا القرآن ﴿ **هدًى للناس** ﴾ أي : في زمانهما ﴿ **وأنزل الفرقان** ﴾ وهو الفارق بين الهدىٰ والضلال ، والحق والباطل ، والغي والرشاد ؛ بما يذكره[١] اللّه تعالىٰ من الحجج والبينات ، والدلائل الواضحات ، والبراهين القاطعات ، ويبينه ويوضحه ، ويفسره ويقرّره ، ويرشد إليه ، وينبه عليه من ذلك .

وقال قتادة والربيع بن أنس : الفرقان هاهنا : القرآن . واختار ابن جرير(٢) أنه مصدر هاهنا ؛ لتقدّم ذكر القرآن في قوله : ﴿ **نزّل عليك الكتاب بالحق مصدقًا لما بين يديه** ﴾ وهو القرآن . وأما ما رواه ابن أبي حاتم(٣) عن أبي صالح ، أن المراد هاهنا بالفرقان : التوراة ، فضعيف أيضًا ؛ لتقدم ذكرها ، واللّه أعلم .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **إن الذين كفروا بآيات اللّه** ﴾ أي : جحدوا بها وأنكروها وردّوها بالباطل ﴿ **لهم عذابٌ شديدٌ** ﴾ أي : يوم القيامة ﴿ **واللّه عزيز** ﴾ أي : منيع الجناب ، عظيم السلطان ﴿ **ذو انتقام** ﴾ أي : ممن كذب بآياته[٢] ، وخالف رسله الكرام ، وأنبياءه العظام .

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾

يخبر اللّه تعالىٰ أنه يعلم غيب السمٰوات والأرض ، لا يخفىٰ عليه شيء من ذلك ﴿ **هو الذي يصوّركم في الأرحام كيف يشاء** ﴾ أي : يخلقكم [كما يشاء في الأرحام] ؛ من ذكر وأنثىٰ ، حسن وقبيح ، وشقي وسعيد ﴿ **لا إله إلا هو العزيز الحكيم** ﴾ أي : هو الذي خلق ، وهو المستحق للإلهية وحده لا شريك له ، وله العزة التي لا ترام ، والحكمة والأحكام .

وهذه الآية فيها تعريض ، بل تصريح ، بأن عيسىٰ ابن مريم عبدٌ مخلوق ، كما خلق اللّه سائر البشر ؛ لأن اللّه صوره في الرحم ، وخلقه كما[٣] يشاء ، فكيف يكون إلهًا كما زعمته النصارىٰ

---

(٢) - تفسير ابن جرير (٦/١٦٢ - ١٦٣ - شاكر) .

(٣) - تفسير ابن أبي حاتم (٢/٣٧) رقم (٥١) من حديث علي بن الحسين ، ثنا عثمان بن أبي شيبة ، ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح ، به . وعلي بن الحسين هو ابن الجنيد : ثقة ، أو هو العامري : صدوق . وباقي رجال الإسناد ثقات .

---

[١] - في خ : « يذكر » .

[٢] - في ز ، خ : « آياته » .

[٣] - في ت : « كيف » .

عليهم لعائن الله ؟! وقد تقلب في الأحشاء ، وتنقل من حال إلىٰ حال ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يخلقكم في بطون أمّهاتكم خلقًا من بعد خلق في ظلماتٍ ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو[١] فأنّى تصرفون** ﴾ .

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾

يخبر تعالىٰ أن في القرآن آياتٌ محكماتٌ ، هن أم الكتاب ، أي : بينات ، واضحات الدلالة ، لا التباس فيها علىٰ أحد من الناس ، ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة علىٰ كثير من الناس أو بعضهم ، فمن ردّ ما اشتبه عليه إلىٰ الواضح منه ، وحكم محكمه علىٰ متشابهه عنده فقد اهتدىٰ ، ومن عكس انعكس ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب** ﴾ أي : أصله الذي يرجع إليه عند الاشتباه ﴿ **وأخر متشابهات** ﴾ أي : تحتمل دلالتها موافقة المحكم ، وقد تحتمل شيئًا[٢] آخر من حيث اللفظ والتركيب ، لا من حيث المراد .

وقد اختلفوا في المحكم والمتشابه ؛ فرُوي عن السلف عبارات كثيرة ، فقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما [أنه قال][٣] : المحكمات : ناسخه ، وحلاله وحرامه ، وأحكامه[٤] وحدوده وفرائضه ، وما يؤمر به ويعمل به .

وكذا رُوي عن عكرمة ، ومجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، ومقاتل بن حيان ، والربيع بن أنس والسُّدى ، أنهم قالوا : المحكم الذي يعمل به .

---

[١] - في خ : « هو العزيز الحكيم » .
[٢] - في خ : « أشياء » .
[٣] - سقط من خ .
[٤] - سقط من : ز .

وعن ابن عباس أيضًا[١] أنه قال : المحكمات : [ ][٢] قوله تعالىٰ : ﴿ **قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم [أن لا تشركوا به شيئًا][٣]** ﴾ والآيتان بعدها ، وقوله تعالىٰ : ﴿ **وقضىٰ ربك ألا تعبدوا إلا إياه** ﴾ إلىٰ ثلاث آيات بعدها .

رواه[٤] ابن أبي حاتم(٤) ، وحكاه عن سعيد بن جبير ، ثم[٥] قال(٥) : حدثنا أبي ، حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد ، عن إسحاق بن سويد أن يحيىٰ بن يعمر وأبا فاختة تراجعا في هذه الآية : ﴿ **هنّ[٦] أمّ الكتاب [وأخر متشابهات][٧]** ﴾ فقال أبو فاختة : فواتح السور . وقال يحيىٰ بن يعمر : الفرائض ، والأمر والنهي ، والحلال والحرام[٨] .

وقال ابن لهيعة(٦) ، عن عطاء بن دينار ، عن سعيد بن جبير : ﴿ **هنّ أمّ الكتاب** ﴾ يقول : أصل الكتاب ، وإنما سمَّاهنّ أم الكتاب ؛ لأنهنّ مكتوبات في جميع الكتب .

وقال مقاتل بن حيان(٧) : لأنه ليس من أهل دين إلا يرضىٰ بهنّ .

وقيل في المتشابهات : إنهن المنسوخة ، والمقدم منه والمؤخر ، والأمثال فيه ، والأقسام ، وما يؤمن به ولا يعمل به . رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس .

وقيل : هي الحروف المقطعة في أوائل السور . قاله مقاتل بن حيان . وعن مجاهد : المتشابهات يصدق[٩] بعضهن بعضًا(٨) .

---

(٤) - تفسير ابن أبي حاتم (٢/٥٣) رقم (٨٠) . من حديث العوام بن حوشب ، عمن حدثه ، عن ابن عباس به . وسنده فيه جهالة .

(٥) - تفسير ابن أبي حاتم (٢/٥٥) رقم (٨٤) . ورجال إسناده ثقات .

(٦) - تفسير ابن أبي حاتم (٢/٥٦) حديث (٨٥) .

(٧) - تفسير ابن أبي حاتم (٢/٥٧) حديث (٨٦) وإسناده حسن .

(٨) - رواه البخاري معلقًا عن مجاهد (٦/٤١) ، وقال العيني : رواه عبد بن حميد ، عن روح ، عن شبل ، عن ابن أبي نجيح عنه ، به . ورواه ابن المنذر عن علي بن المبارك ، عن زيد بن المبارك ، عن محمد بن ثور ، عن ابن جريج عنه (عمدة القارئ ١٨/١٣٨) . ورواه ابن أبي حاتم معلقًا (٨٨) . ورواه من طريق ابن جريج ، عن مجاهد برقم (٩٢) .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين في : ز « في » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ت : ورواه .

[٥] - في ت : « به » .

[٦] - في ز ، خ : « هي » .

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من ز .

[٨] - سقط من : ز ، خ .

[٩] - في ز ، خ : « يصدقن » .

وهذا إنما هو في تفسير قوله : ﴿ كتابًا متشابهًا مثاني ﴾ هناك ذكروا أن المتشابه : هو الكلام الذي يكون في سياق واحد ، والمثاني : هو الكلام في شيئين متقابلين ، كصفة الجنة وصفة النار ، وذكر حال الأبرار ثم[١] حال الفجار ، ونحو ذلك .

وأما[٢] هاهنا ؛ فالمتشابه هو الذي يقابل المحكم ، وأحسن ما قيل فيه : هو[٣] الذي قدمنا[٤] ، وهو الذي نص عليه محمد بن إسحاق بن يسار ، رحمه اللّه ، حيث قال : منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب ، فيهن حجة الرب ، وعصمة العباد ، ودفع الخصوم والباطل ، ليس لهن تصريف ، ولا تحريف عما وضعن عليه .

قال : والمتشابهات في الصدق لهن تصريف وتحريف وتأويل ، ابتلىٰ اللّه فيهن العباد ، كما ابتلاهم في الحلال والحرام ، ألا يُصْرَفْن إلىٰ الباطل ولا[٥] يحرَّفْن عن الحق .

ولهذا قال اللّه تعالىٰ : ﴿ فأما الذين في قلوبهم زيغ ﴾ أي : ضلال وخروج عن الحق إلىٰ الباطل ﴿ فيتبعون ما تشابه منه ﴾ أي : إنما يأخذون منه بالمتشابه الذي يمكنهم أن يحرّفوه إلىٰ مقاصدهم الفاسدة ، وينزلوه عليها ؛ لاحتمال لفظه لما يصرفونه ، فأما المحكم فلا نصيب لهم فيه ؛ لأنه دامغ لهم وحجة عليهم ، ولهذا قال اللّه تعالىٰ : ﴿ ابتغاء الفتنة ﴾ أي : الإِضلال لأتباعهم ، إيهامًا لهم أنهم يحتجون علىٰ بدعتهم بالقرآن ، وهذا[٦] حجة عليهم لا لهم ، كما لو احتج النصارىٰ بأن القرآن قد نطق بأن عيسىٰ هو روح اللّه ، وكلمته ألقاها إلىٰ مريم [وروح منه][٧] ، وتركوا الاحتجاج بقوله تعالى : ﴿ إن هو إلا عبدٌ أنعمنا عليه ﴾ وبقوله : ﴿ إن مثل عيسىٰ عند اللّه كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ وغير ذلك من الآيات المحكمة المصرحة بأنه خلق من مخلوقات اللّه ، وعبد ورسول من رسل اللّه .

وقوله تعالىٰ : ﴿ وابتغاء تأويله ﴾ أي : تحريفه علىٰ ما يريدونه[٨] . وقال مقاتل والسُّدي : يبتغون أن يعلموا ما يكون ، وما عواقب الأشياء من القرآن .

وقد قال الإِمام أحمد(٩) : حدثنا إسماعيل ، ثنا أيوب ، عن عبد اللّه بن أبي مليكة ، عن

(٩) - مسند أحمد (٤٨/٦) . وسنن ابن ماجه (١٨/١ - ١٩) ، المقدمة ، باب : اجتناب البدع والجدل ، حديث رقم (٤٧) . وعبد الرزاق في تفسيره (١١٦/١) . وابن حبان (٢٧٧/١ - الإحسان) حديث رقم (٧٦) . والترمذي في سننه ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة آل عمران ، حديث رقم (٢٩٩٧)=

[١] - في ت : « ثم » .
[٢] - في ز : « فأما » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « قدمناه » .
[٥] - في خ : « و » .
[٦] - في ت : «و هو » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٨] - في خ : « يريدون » .

عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : قرأ رسول الله ، ﷺ ﴿ **هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات** [ ][١] ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **أولوا**[٢] **الألباب** ﴾ فقال[٣] : « **فإذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنىٰ الله فاحذروهم** » .

هكذا وقع هذا[٤] الحديث في مسند الإمام أحمد ، رحمه الله ، من رواية ابن أبي مليكة ، عن عائشة ، رضي الله عنها ، ليس بينهما أحد .

وهكذا رواه ابن ماجة من طريق إسماعيل بن علية ، وعبد الوهاب الثقفي ، كلاهما عن أيوب ، عن عبد الله بن عبيد الله بن أبي[٥] مليكة ، عنها به[٦] .

ورواه محمد بن يحيىٰ العبدي في مسنده ، عن عبد الوهاب الثقفي ، عن أيوب ، به .

وكذا رواه عبد الرزاق ، عن معمر ، عن أيوب . وكذا رواه غير واحد عن أيوب . وقد رواه ابن حبان في صحيحه ، من حديث أيوب ، به .

وتابع أيوبَ أبو عامرٍ الخزاز وغيره ، عن ابن أبي مليكة ، فرواه الترمذي ، عن بُندار ، عن أبي داود الطيالسي ، عن أبي عامر الخزاز فذكره . وهكذا رواه سعيد بن منصور في سننه ، عن حماد ابن يحيىٰ الأبح ، عن عبد الله بن أبي مليكة ، عن عائشة .

ورواه ابن جرير(١٠) من حديث روح بن القاسم ونافع بن عمر الجمحي ، كلاهما عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة ، به[٧] . وقال نافع في روايته عن ابن أبي مليكة : حدثتني عائشة .... فذكره .

وقد روىٰ هذا الحديث البخاري (١١) ، رحمه الله ، عند تفسير[٨] هذه الآية ، ومسلم في

= وسعيد بن منصور في سننه برقم (٤٩٢) .

(١٠) - رواه ابن جرير في تفسيره (٦/١٩٣ - ١٩٤ - شاكر) حديث رقم (٦٦١٢ ، ٦٦١٣ ، ٦٦١٤) .

(١١) - رواه البخاري في صحيحه ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **منه آيات محكمات** ﴾ ، حديث (٤٥٤٧) . ومسلم في كتاب العلم ، باب : النهي عن اتباع متشابه القرآن ، والتحذير من متبعيه والنهي عن الاختلاف في القرآن ، حديث (٢٦٦٥) . وأبو داود في كتاب السنة ، باب : مجانبة أهل الأهواء ، حديث رقم (٤٥٩٨) . والترمذي في سننه ، كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة آل عمران ، حديث رقم (٢٩٩٦ - ٢٩٩٧) .

---

[١] - في ز : « فأما الذين في قلوبهم زيغ » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - زيادة من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - زيادة من : ز ، خ .
[٨] - في خ : « تفسيره » .

تحتهم ﴾ أي : أكثرنا عليهم أمطار السماء وينابيع الأرض ، أي : استدراجًا وإملاء لهم ﴿ **فأهلكناهم بذنوبهم** ﴾ أي : بخطاياهم وسيئاتهم التي اجترموها ﴿ **وأنشأنا من بعدهم قرنًا آخرين** ﴾ أي : فذهب الأولون كأمس الذاهب ، وجعلناهم أحاديث ﴿ **وأنشأنا من بعدهم قرنًا آخرين** ﴾ أي : جيلًا آخر ؛ لنختبرهم[١] ، فعملوا مثل أعمالهم[٢] ، فهلكوا كهلاكهم ، فاحذروا أيها المخاطبون أن يصيبكم مثل[٣] ما أصابهم ، فما[٤] أنتم بأعز على الله منهم ، والرسول الذي كذبتموه أكرم على الله من رسولهم ، فأنتم أولى بالعذاب ومعاجلة العقوبة منهم لولا لطفه وإحسانه .

وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾

يقول الله تعالى مخبرًا عن كفر المشركين وعنادهم ، ومكابرتهم للحق ومباهتتهم[٥] ومنازعتهم[٦] فيه : ﴿ **ولو نزلنا عليك كتابًا في قرطاس فلمسوه بأيديهم** ﴾ أي : عاينوه ورأوا نزوله ، وباشروا ذلك ﴿ **لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين** ﴾ وهذا كما قال تعالى مخبرًا عن مكابرتهم للمحسوسات : ﴿ **ولو فتحنا عليهم بابًا من السماء فظلوا فيه يعرجون * لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **وإن يروا كسفًا من السماء ساقطًا يقولوا سحاب مركوم** ﴾ .

﴿ **وقالوا لولا أنزل عليه ملك** ﴾ [أي : ليكون معه نذيرًا][٧] ، قال الله تعالى : ﴿ **ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون** ﴾ أي : لو نزلت الملائكة على ما هم عليه لجاءهم من الله

---

[١] - في خ : « لنختبره » .
[٢] - في ز : « عملهم » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « ما » .
[٥] - في ز : « مباهتهم » .
[٦] - سقط من : خ ، ز .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

العذاب ، كما قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **ما ننزل**[١] **الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين** ﴾ ، وقال[٢] تعالى : ﴿ **يوم يرون الملائكة لا بشرىٰ يومئذ للمجرمين [ويقولون حجرًا محجورًا]**[٣] ﴾ ، وقوله تعالىٰ : ﴿ **ولو جعلناه ملكًا لجعلناه رجلًا وللبسنا عليهم ما يلبسون** ﴾ أي : لو أنزلنا مع الرسول البشري ملكا ، أي[٤] : لو بعثنا إلىٰ البشر رسولًا ملكيًّا لكان علىٰ هيئة الرجل ؛ لتُفْهَم مخاطبته والانتفاع بالأخذ عنه ، ولو كان كذلك لالتبس عليهم الأمر ، كما يلبسون علىٰ أنفسهم في قبول رسالة البشري ، كقوله[٥] تعالىٰ : ﴿ **قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكًا رسولًا** ﴾ ، فمن رحمته تعالىٰ بخلقه : أنه يرسل إلىٰ كل صنف من الخلائق رسلًا منهم ؛ ليدعوا بعضهم بعضًا ؛ وليمكن بعضهم أن ينتفع ببعض في المخاطبة والسؤال ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **لقد منّ اللَّه علىٰ المؤمنين إذ بعث فيهم رسولًا من أنفسهم [يتلو عليهم آياته ويزكيهم]**[٦] ﴾ الآية .

قال الضحاك(١٢) : عن ابن عباس في [قوله : ﴿ **ولو جعلناه ملكًا لجعلناه رجلًا** ﴾][٧] يقول : لو أتاهم ملك ما أتاهم إلا في صورة رجل[٨] ؛ لأنهم لا يستطيعون النظر إلىٰ الملائكة من النور . ﴿ **وللبسنا عليهم ما يلبسون** ﴾ أي : ولخلطنا عليهم ما يخلطون .

وقال الوالبي(١٣) عنه : ولشبَّهنا عليهم .

وقوله[٩] : ﴿ **ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون** ﴾ هذا تسلية للنبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم في تكذيب من كذبه من قومه ، ووعد له وللمؤمنين به بالنصرة ، والعاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين** ﴾ أي : فكروا في أنفسكم ، وانظروا ما أحل اللَّه بالقرون الماضية الذين كذبوا رسله[١٠] وعاندوهم : من العذاب

---

(١٢) - أخرجه ابن جرير (١٣٠٨٤/١١) وابن أبي حاتم (٧١٢٨/٤ ، ٧١٢٩ ، ٧١٣١) من طريق بشر بن عمارة عن أبي روق عنه به . والضحاك لم يسمع من ابن عباس وبشر بن عمارة ضعيف .

(١٣) - هذه النسبة إلى والبة ، وهي حيٌّ من بني أسد [انظر « الأنساب » للسمعاني (٥٦٨/٥)] والأثر أخرجه ابن جرير (١٣٠٨٩/١١) وابن أبي حاتم (٧١٣٢/٤) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس .

---

[١] - في ز : « تنزل » .
[٢] - في ت : « قال » والمثبت من : ز .
[٣] - في ت : « الآية » .
[٤] - في ز : « أو » .
[٥] - في ز : « كما قال » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٧] - في ت ، خ : « الآية » .
[٨] - في ز : « الرجل » .
[٩] - سقط من : ز .
[١٠] - في ز : « رسلهم » .

ثم كان ظهورهم أيام علي بن أبي طالب ، رضي اللّه عنه ، وقتلهم[١] بالنهروان ، ثم تشعبت منهم شعوب وقبائل ، وآراء وأهواء ، ومقالات ونحل كثيرة منتشرة ، ثم نبعت القدرية ، ثم المعتزلة ، ثم الجهمية ، وغير ذلك من البدع التي أخبر عنها الصادق المصدوق ، ﷺ ، في قوله : « **وستفترق هذه الأمة علىٰ ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة** » . قالوا : من[٢] هم يا رسول اللّه ؟ قال : « **[من كان علىٰ][٣] ما أنا عليه وأصحابي** » . أخرجه الحاكم في مستدركه(١٨) بهذه الزيادة .

وقال الحافظ أبو يعلىٰ(١٩) : حدثنا أبو موسىٰ ، حدثنا عمرو بن عاصم ، حدثنا المعتمر ، عن أبيه ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن جندب بن عبد اللّه ، أنه بلغه عن حذيفة أو سمعه منه يحدّث عن رسول اللّه ، ﷺ ، أنه ذكر : « **إن في أمتي قومًا يقرءون القرآن ينثرونه نثر الدقل ، يتأولونه علىٰ غير تأويله** » لم يخرجوه .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وما يعلم تأويله إلا اللّه** ﴾ اختلف القراء في الوقف هاهنا ، فقيل : علىٰ الجلالة ، كما تقدم عن ابن عباس ، رضىٰ اللّه عنه ، أنه قال : التفسير علىٰ أربعة أنحاء : فتفسير لا يعذر أحد في فهمه ، وتفسير تعرفه العرب من لغاتها ، وتفسير يعلمه الراسخون في العلم ، وتفسير لا يعلمه إلا اللّه ، عزّ وجلّ ، ويروىٰ هذا القول عن عائشة ، وعروة ، وأبي الشعثاء ، وأبي نهيك ، وغيرهم .

وقد قال الحافظ أبو القاسم في المعجم الكبير(٢٠) : حدثنا هاشم بن مرثد ، حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش ، حدثني أبي ، حدثني ضمضم[٤] بن زرعة[٥] ، عن شريح[٦] بن عبيد ، عن أبي مالك الأشعري ، أنه سمع رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم يقول : « **لا أخاف علىٰ أمّتي إلا ثلاث خلال : أنْ يكثر لهم المال فيتحاسدوا فيقتتلوا ، وأنْ يفتح لهم الكتاب فيأخذه[٧] المؤمن**

(١٨) - الحاكم (١٢٨/١) ، وسيأتي تخريجه في سورة يونس آية (٩٣) ، حديث (٩٧) .

(١٩) - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٩/٢) ولم يعزه لغير أبي يعلى ، وهو في المطالب العالية (٣٨٨٤/٨) وقال البوصيري في الإتحاف : إسناد رجاله ثقات .

(٢٠) - المعجم الكبير (٣٣٢/٣) رقم (٣٤٤٢) ، وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٣٢/١ - ١٣٣) ، وقال : فيه محمد بن إسماعيل بن عياش ، عن أبيه ، ولم يسمع من أبيه .

[١] - في ز ، خ : « فقتلهم » .

[٢] - في ز : « ومن » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز : « ضضم » .

[٥] - في ز : « ورعة » .

[٦] - في ز : « سريج » .

[٧] - في ز : « فيأخذ » .

يبتغي تأويله ﴿ وما يعلم تأويله إلا اللَّه والراسخون في العلم يقولون آمنا به ﴾ الآية ، وأنْ يزداد[١] علمهم فيضيعوه ، ولا يالون عليه » غريب جدًا .

وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه(٢١) : حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، أخبرنا أحمد ابن عمرو ، حدثنا هشام بن عمار ، أخبرنا ابن أبي حازم[٢] ، عن أبيه ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن ابن العاص ، عن رسول اللَّه ، ﷺ ، قال : « **إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضًا ، فما عرفتم منه فاعملوا به ، وما تشابه منه[٣] فآمنوا به** » .

وقال عبد الرزاق(٢٢) : أنبأنا معمر ، عن ابن طاووس ، عن أبيه ، قال : كان ابن عباس يقرأ : « **وما يعلم تأويله إلا اللَّه ويقول الراسخون آمنا به** » . وكذا روى ابن جرير(٢٣) ، عن عمر بن عبد العزيز ، ومالك بن أنس : إنهم يؤمنون به ، ولا يعلمون تأويله . وحكىٰ ابن جرير أن في قراءة عبد اللَّه بن مسعود : ﴿ إن تأويله إلا عند اللَّه والراسخون في العلم يقولون [آمنا به][٤] ﴾ . وكذا عن أبي بن كعب ، واختار ابن جرير هذا القول(٢٤) .

ومنهم من يقف علىٰ قوله ﴿ **والراسخون في العلم** ﴾ . وتبعهم كثير من المفسرين وأهل الأصول ، وقالوا : الخطابُ بما لا يفهم بعيدٌ .

وقد روىٰ ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس أنه قال : أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله . وقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : والراسخون في العلم يعلمون تأويله ، ويقولون[٥] : آمنا به . وهكذا[٦] قال الربيع بن أنس .

وقال محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : ﴿ **وما يعلم تأويله** ﴾ الذي أراد ما أراد ﴿ **إلا اللَّه والراسخون في العلم يقولون آمنا به** ﴾ ثم ردوا تأويل المتشابهه علىٰ ما عرفوا من تأويل المحكمة ، التي لا تأويل لأحد فيها إلا تأويل واحد ، فاتسق بقولهم الكتاب ، وصدّق بعضه بعضًا ، فنفذت[٧] الحجة ، وظهر به العذر ، وزاح به الباطل ، ودفع به الكفر . وفي الحديث أن

(٢١) - ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٩/٢) وعزاه إلى ابن مردويه وابن سعد ، وابن الضريس في فضائله (حديث ٣١٥) عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده .

(٢٢) - عبد الرزاق في تفسيره (١١٦/١) .

(٢٣) - ابن جرير في تفسيره (٢٠٣/٦ - شاكر) رقم (٦٦٣٠ ، ٦٦٣١) .

(٢٤) - تفسير ابن جرير (٢٠٤/٦ - شاكر) .

[١] - في ز ، خ : « يروا ذا » .

[٢] - في ت : « حاتم » .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ز : « يقولون » .

[٦] - في ز : « كذا » .

[٧] - في ز : « فنفدت » .

رسول الله ، ﷺ ، دعا لابن عباس فقال : « **اللَّهم فقهه في الدين وعلمه التأويل** »[٢٥] .

ومن العلماء من فصل في هذا المقام فقال : التأويل يطلق ويراد به في القرآن معنيان : أحدهما التأويل بمعنىٰ حقيقة الشيء ، وما يئول أمره إليه ، ومنه قوله تعالىٰ : ﴿ **ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدًا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربى حقًّا** ﴾ وقوله : ﴿ **هل**

---

(٢٥) - أخرجه الإمام أحمد في « مسنده » (٣٢٨/١ ، ٣٣٥) (٢٦٦/١ ، ٣١٤) ، وفي « الفضائل » (٢/ ٩٥٦) رقم (١٨٥٨) ، و(٩٥٥/٢ - ٩٥٦) رقم (١٨٥٦) ، و(٩٦٣/٢ - ٩٦٤) رقم (١٨٨٢) ، والفسوي في « المعرفة والتاريخ » (٤٩٣/١ - ٤٩٤) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٢٩٣/١٠) رقم (١٠٥٨٧) ، (٣٢٠/١٠) رقم (١٠٦١٤) ، وابن حبان في صحيحه (٥٣١/١٥ - الإحسان) رقم (٧٠٥٥) من طرق عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فذكر الحديث ، وقال الهيثمي في « المجمع » (٩/ ٢٧٩) : ورجالهما رجال الصحيح . وقال قبل ذلك : قلت : هو في الصحيح غير قوله : « وعلمه التأويل ».

وأخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : الوضوء ، باب : وضع الماء عند الخلاء ، حديث (١٤٣) عن ابن عباس أن النبي - صلى الله عليه وسلم - دخل الخلاء فوضعت له وضوءًا قال : « **من وضع هذا ؟** » فأخبر ، فقال : « **اللَّهم فقهه في الدين** » .

وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب : فضائل الصحابة ، حديث (١٣٨/٢٤٧٧) ، وأحمد في مسنده (١/ ٣٢٧) وفي « الفضائل » (٩٥٦/٢) رقم (١٨٥٩) ، وابن حبان في صحيحه (٥٢٩/١٥ - الإحسان) رقم (٧٠٥٣) عن ابن عباس : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أتى الخلاء فوضعت له وضوءًا فلما خرج قال : « **من وضع هذا ؟** » قالوا : ابن عباس ، قال : « **اللَّهم فقهه** » .

وأخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١١٠/١١) رقم (١١٢٠٤) . عن محمد بن علي بن شعيب السمسار ، عن أبيه ، عن أبي النضر هاشم بن القاسم ، عن ورقاء بن عمر ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس قال : صببت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وضوءًا فقال : « **اللَّهم فقهه في الدين وعلمه التأويل** » .

وأخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : العلم ، باب : قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : « **اللَّهم علمه الكتاب** » ، حديث (٧٥) وأطرافه في (١٤٣ ، ٣٧٥٦ ، ٧٢٧٠) ، والترمذي في سننه ، كتاب : المناقب ، باب : مناقب عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - حديث (٣٨٢٤) ، وابن ماجه في سننه ، المقدمة فضل ابن عباس ، حديث (١٦٦) . وأحمد في « مسنده » (٢١٤/١ ، ٣٥٩) ، وفي « **الفضائل** » (٩٤٩/٢) رقم (١٨٣٥) ، (٩٧٦/٢) رقم (١٩٢٣) ، وابن حبان في صحيحه : (٥٣٠/١٥ - الإحسان) رقم (٧٠٥٤) ، والفسوي في « المعرفة والتاريخ » (٥١٨/١) ، والطبراني في « الكبير » (٢٩٣/١٠) رقم (١٠٥٨٨) من طرق عن خالد الحذاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : ضمني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال : « **اللَّهم علمه الكتاب** » . وفي بعض الروايات : « **اللَّهم علمه الحكمة** » وفي بعضها كذلك : « **اللَّهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب** » .

وأخرجه أحمد في « الفضائل » (٩٥٦/٢) رقم (١٨٥٧) ، والفسوي في « المعرفة والتاريخ » (٥١٨/١ ،٥١٩) من طريق عمرو بن دينار ، عن كريب ، عن ابن عباس ولفظه : « أتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدعا الله لي أن يزيدني علمًا وفقهًا » .

ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله ﴾ أي : حقيقة ما أخبروا به من أمر المعاد ، فإن أريد بالتأويل هذا فالوقف علىٰ الجلالة ؛ لأن حقائق الأمور وكنهها لا يعلمه على الجلية[١] إلا الله ، عز وجل ، ويكون قوله : ﴿ **والراسخون في العلم** ﴾ مبتدأ و﴿ **يقولون آمنا به** ﴾ خبره ، وأما إن أريد بالتأويل المعنىٰ الآخر ، وهو التفسير [والبيان ، والتعبير] عن الشيء ، كقوله : ﴿ **نبئنا بتأويله** ﴾ أي : بتفسيره ، فإن أريد به هذا المعنىٰ فالوقف علىٰ ﴿ **والراسخون في العلم** ﴾ لأنهم يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به بهذا الاعتبار ، وإن لم يحيطوا علمًا بحقائق الأشياء علىٰ كنه ما هي عليه ، وعلىٰ هذا فيكون قوله ﴿ **يقولون آمنا به** ﴾ حال منهم ، وساغ هذا ، وهو أن يكون من المعطوف دون المعطوف عليه ، كقوله : ﴿ **للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم** ﴾ إلىٰ قوله ﴿ **يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا** ﴾ الآية ، وكقوله تعالىٰ : ﴿ **وجاء ربك والملك صفًا صفًا** ﴾ أي : وجاءت الملائكة صفوفًا صفوفًا .

وقوله إخبارًا عنهم أنهم يقولون : ﴿ **آمنًا به** ﴾ أي : بالمتشابه ، ﴿ **كل من عند ربنا** ﴾ أي : الجميع ، من المحكم والمتشابه ، حق وصدق ، وكل واحد منهم يصدق الآخر ويشهد له ؛ لأن الجميع من عند الله ، وليس شيء من عند الله بمختلف ولا متضاد[٢] لقوله[٣] : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا** ﴾ . [ولهذا قال الله تعالىٰ : ﴿ **وما يذّكر إلا أولوا الألباب** ﴾ أي : إنما يفهم ويعقل ويتدبر المعاني علىٰ وجهها ، أولو العقول السليمة والفهوم المستقيمة][٤] .

وقد قال ابن أبي حاتم(٢٦) : حدثنا محمد بن عوف الحمصي ، حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا فياض الرقي ، حدّثنا عبد الله بن يزيد ، وكان قد أدرك أصحاب النبي ﷺ : أنسًا ، وأبا أمامة ، وأبا الدرداء ، رضي الله عنهم ، قال : حدثنا أبو الدرداء : أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، سئل عن الراسخين في العلم ، فقال : « **من برت يمينه ، وصدق لسانه ، واستقام قلبه ، ومن أعف بطنه وفرجه ، فذلك من الراسخين في العلم** » .

---

(٢٦) – رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٢/٢) رقم (١٢٦) ، وعبد الله بن يزيد ؛ قال ابن أبي حاتم : روى عن أبي الدرداء ، وأبي أمامة ، وواثلة بن الأسقع حديث ..... ثم قال : لا أعرفه ، وهذا حديث باطل . ونقل الذهبي عن أحمد : أحاديثه موضوعة ، وقال الجوزجاني : أحاديثه منكرة . (الميزان ٥٢٦/٢) . ورواه الطبري من حديث عبد الله بن يزيد ، عن أبي الدرداء ، وأبي أمامة (٦٦٣٧) . ومن حديث أنس ، وأبي أمامة ، وأبي الدرداء (٦٦٣٨) . وأخرجه الطبراني من حديث أبي الدرداء ، وأبي أمامة ، وواثلة وأنس . وقال الهيثمي : وعبد الله بن يزيد : ضعيف . مجمع الزوائد (٣٢٤/٦) .

---

[١] – في خ : « الجليلة » .

[٢] – في خ : بمتضاد .

[٣] – في ت : « كقوله » .

[٤] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

وقال الإمام أحمد(٢٧) : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن عمرو ابن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، قال : سمع رسول اللَّه ، ﷺ ، قومًا يتدارءون فقال : « **إنما هلك من كان[١] قبلكم بهذا ؛ ضربوا كتاب اللَّه بعضه ببعض ، وإنما نزل[٢] كتاب اللَّه يصدق بعضه بعضًا ، فلا تكذبوا بعضه ببعض فما علمتم منه فقولوا به[٣] وما جهلتم فكلوه إلىٰ عالمه** » .

وتقدّم رواية ابن مردويه لهذا[٤] الحديث ، من طريق هشام بن عمار ، عن ابن أبي حازم[٥] ، عن أبيه ، عن عمرو بن شعيب ، به .

وقد قال الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي في مسنده (٢٨) : حدثنا زهير بن حرب ، حدثنا أنس[٦] بن عياض ، عن أبي حازم ، عن أبي سلمة قال : لا أعلمه إلا عن أبي هريرة ، أن رسول اللَّه ﷺ قال : « **نزل القرآن علىٰ سبعة أحرف ، والمراء في القرآن كفر - قالها[٧] ثلاثًا - ما عرفتم منه فاعملوا به وما جهلتم منه فردوه إلىٰ عالمه جل جلاله** » . وهذا إسناد صحيح ، ولكن فيه علة بسبب قول الراوي : لا أعلمه إلا عن أبي هريرة .

وقال ابن المنذر في تفسيره : حدثنا محمد بن عبد اللَّه بن عبد الحكم ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني نافع بن يزيد قال : يقال : الراسخون في العلم المتواضعون للَّه ، المتذللون[٨] للَّه في مرضاته ، لا يتعاظمون[٩] من فوقهم ، ولا يحقرون من دونهم ، [ولهذا قال تعالى : ﴿ **وما يتذكر إلَّا أولوا الألباب** ﴾ ؛ أي إنما يعقل ويفهم ويتدبر المعاني على وجهها أولو العقول السليمة والفهوم المستقيمة][١٠] . ثم قال تعالىٰ مخبرًا عنهم أنهم دعوا ربهم قائلين : ﴿ **ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا** ﴾ أي : لا تملها عن الهدىٰ بعد إذ أقمتها عليه ، ولا تجعلنا كالذين في قلوبهم زيغ ، الذين يتبعون ما تشابه من القرآن ، ولكن ثبتنا علىٰ صراطك

(٢٧) - رواه أحمد في مسنده (٢/١٨٥) حديث ٦٧١٤ ، ورواه البخاري في خلق أفعال العباد (ص ٧٨) . وأورده السيوطي في الدر المنثور ، ولم يعزه لغير أحمد .

(٢٨) - رواه أبو يعلى في مسنده برقم (٦٠١٦) . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/١٥١) وقال : رواه أحمد بإسنادين ، ورجال أحدهما رجال الصحيح ، ورواه البزار بنحوه . ولم ينسبه لأبي يعلى .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ت: «أ نزل » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز : « كهذا » .
[٥] - في ز : « حاتم » .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - في خ : « المتللذون » .
[٩] - في ز ، خ : « يتعاطون » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

المستقيم ، ودينك القويم ﴿ **وهب لنا من لدنك رحمة**[١] ﴾ [أي : من عندك رحمة][٢] تثبت بها قلوبنا ، وتجمع بها شملنا ، وتزيدنا بها إيمانًا وإيقانًا ﴿ **إنك أنت الوهاب** ﴾ .

قال ابن أبي حاتم(٢٩) : حدثنا عمرو بن عبد الله الأودي ،

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، قالا جميعًا : حدثنا وكيع ، عن عبد الحميد بن بهرام ، عن شهر بن حوشب ، عن أم سلمة ، رضيَّ الله عنها ، أن النبي ، ﷺ ، كان يقول : « **يا مقلب القلوب ، ثبت قلبي علىٰ دينك** » ثم قرأ ﴿ **ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب** ﴾ .

ورواه ابن مردويه من طريق محمد بن بكار ، عن [عبد الحميد][٣] بن بهرام ، عن شهر بن حوشب ، عن أم سلمة ، (وهي أسماء بنت يزيد بن السكن) سمعها تحدث أن رسول الله ، ﷺ ،كان يكثر في دعائه : « **اللهم يا**[٤] **مقلب القلوب ثبت قلبي علىٰ دينك** » قالت : قلت : يا رسول الله ؛ وإن القلب ليتقلب ؟ قال : « **نعم ، ما خلق الله من بني آدم من بشر ، إلا أن قلبه بين أصبعين من أصابع الله ، عز وجل ، فإن شاء أقامه ، وإن شاء أزاغه** » . فنسأل الله ربنا ، أن لا يزغ قلوبنا بعد إذ هدانا ، ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة ، إنه هو الوهاب .

وهكذا رواه ابن جرير(٣٠) من حديث أسد بن موسىٰ ، عن عبد الحميد بن بهرام ، به[٥] مثله .

---

(٢٩) - رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٤/٢) رقم (١٤٥) . وابن جرير في تفسيره (٦/ ٢١٣- شاكر) رقم (٦٦٥٠) . ورواه ابن أبي شيبة (المصنف ٢٠٩/١٠ رقم ٩٢٤٦ ، والإيمان ص ١٧) وأحمد (٣١٥/٦) ، والترمذي في الدعوات رقم ٣٥٢٢ وحسنه . وذكره السيوطي في « الدر المنثور » (١٣/٢) وزاد نسبته للطبراني .

ورواه أحمد (٢٩٤/٦) ، ورواه ابن خزيمة في التوحيد ص ٨١ . من طريق ابن أبي حسين - وهو عبد الله ابن عبد الرحمن بن أبي حسين - ثقة - عن شهر بن حوشب به . وأخرجه الآجري من حديث مقاتل بن حيان ، عن شهر ، به . وأخرجه الآجري من حديث أم سلمة بنحوه . وكذلك الطبراني وابن مردويه روياه من حديث أم سلمة كما عزاه إليهما السيوطي في الدر المنثور . ورواه ابن أبي عاصم في « السنة » (١/ ١٠٠) رقم (٢٢٣) من حديث أم سلمة رضي الله عنها .

(٣٠) - رواه ابن جرير في تفسيره (٢٢٠/٦ - شاكر) رقم (٦٦٥٨) .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين في خ : « حميد » .

[٤] - زيادة من : خ .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

ورواه أيضًا عن المثنى(٣١) ، عن الحجاج بن منهال ، عن عبد الحميد بن بهرام ، به مثله .

وزاد : قالت[١] : قلت : يا رسول الله ؛ ألا تعلمني دعوة أدعو بها لنفسي ؟ قال : « **بلىٰ قولي : اللَّهم رب النبي محمد ، اغفر لي[٢] ذنبي ، وأذهب غيظ قلبي ، وأجرني من مضلات[٣] الفتن** » .

ثم قال ابن مردويه(٣٢) : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا محمد بن هارون بن بكار الدمشقي ، حدثنا العباس بن الوليد الخلال ، [أنا يزيد][٤] بن يحيىٰ بن عبيد الله[٥] ، أنا سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن [أبي][٦] حسان الأعرج ، عن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : كان رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، كثيرًا ما يدعو : « **يا مقلب القلوب ، ثبت قلبي علىٰ دينك** » قلت : يا رسول الله ، ما أكثر ما تدعو بهذا الدعاء . فقال : « **ليس من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمٰن ، إذا شاء أن يقيمه أقامه ، وإذا شاء أن يزيغه أزاغه ، أما تسمعين قوله ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾** » .

غريب من هذا الوجه ، ولكن أصله ثابت في الصحيحين(٣٣) وغيرهما من طرق كثيرة ؛ بدون

---

(٣١) - رواه ابن جرير في تفسيره (٦/٢١٤ - شاكر) رقم (٦٦٥٢) .

(٣٢) - وأخرجه أحمد (٦/٩١ ، ٢٥١) وابن أبي عاصم في السنة (١/١٠٠ - ١٠١) رقم (٢٢٤) .

(٣٣) - أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب : القدر ، حديث ١٧ - (٢٦٥٤) . وأحمد في « مسنده » (٢/ ١٦٨) ، والبيهقي في الأسماء والصفات ص (١٤٧) ، وابن حبان في صحيحه (٣/١٨٤ - الإحسان) رقم (٩٠٢) ، وابن أبي عاصم في « السنة » (١/١٠٠) رقم (٢٢٢) من طرق ، عن حيوة بن شريح ، عن أبي هانئ الخولاني ، عن عبد الرحمن الحبلي ، عن عبد الله بن عمرو ، فذكره بنحوه . وقال الحاكم (٢/ ٣١٧) : وقد أخرج مسلم حديث عبد الله بن عمرو في قلوب بني آدم .

وأخرجه أحمد (٢/١٧٣) من طريق عن رشدين ، عن أبي هانئ الخولاني ، عن عبد الرحمن الحبلي ، عن عبد الله بن عمرو ، فذكره . وأخرجه ابن ماجه في سننه ، المقدمة ، باب : فيما أنكرت الجهمية ، حديث (١٩٩) ، وأحمد في « مسنده » : (٤/١٨٢) . وابن حبان في صحيحه (٣/٢٢٢ - ٢٢٣ - الإحسان) رقم (٩٤٣) ، والحاكم في المستدرك (١/٥٢٥) ، (٢/٢٨٩) ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » (ص ١٤٨) ، وابن أبي عاصم في « السنة » (٢١٩) (١/٩٨) ، كلهم من طرق عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، عن بسر بن عبيد الله ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن النواس بن سمعان فذكره . قال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي . قال الحاكم : وله شاهد بإسناد صحيح عن أنس .

---

[١] - زيادة من : ز ، خ .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في خ : « عضلات » .

[٤] - في ز : « أبا زيد » .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - سقط من ت .

زيادةِ ذكرِ هذه الآيةِ الكريمة .

وقد رواه[١] أبو داود ، والنسائي ، وابن مردويه ، من حديث أبي عبد الرحمن المقري ، زاد النسائي وابن حبان : وعبد اللَّه بن وهب - كلاهما عن سعيد بن أبي أيوب ، حدثني عبد اللَّه بن الوليد التجيبي ، عن سعيد بن المسيب ، عن عائشة (٣٤)، رضي اللَّه عنها ، أن رسول اللَّه ، ﷺ ، كان إذا استيقظ من الليل قال : « **اللَّهم[٢] لا إله إلا أنت سبحانك ، اللَّهم إني أستغفرك لذنبي ، وأسألك رحمة ، اللَّهم زدني علمًا ، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني ، وهب لي من لدنك رحمة ، إنك أنت الوهاب** » لفظ ابن مردويه .

وقال عبد الرزاق(٣٥) ، عن مالك ، عن أبي عبيد مولىٰ سليمان بن عبد الملك ، عن عبادة بن نسي ، أنه أخبره أنه سمع قيس بن الحارث يقول : أخبرني أبو عبد اللَّه الصنابحي ، أنه صلىٰ وراء أبي بكر الصديق ، رضي اللَّه عنه ، المغرب ، فقرأ أبو بكر في الركعتين الأوليين بأم القرآن ، وسورتين من قصار المفصل ، وقرأ في الركعة الثالثة قال : فدنوت منه حتىٰ إن ثيابي لتكاد تمس ثيابه ، فسمعته يقرأ بأم القرآن وهذه الآية ﴿ **ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا** ﴾ الآية .

قال أبو عبيد : وأخبرني عبادة بن نُسي ، أنه كان عند عمر بن عبد العزيز في خلافته ، فقال عمر لقيس : كيف أخبرتني عن أبي عبد اللَّه ؟ قال عمر : فما تركناها منذ سمعناها منه ، وإن كنت قبل ذلك لعلىٰ غير ذلك . فقال له رجل : علىٰ أي شيء كان أمير المؤمنين قبل ذلك ؟ قال : كنت أقرأ ﴿ **قل هو اللَّه أحد** ﴾ .

وقد روىٰ هذا الأثر الوليد بن مسلم ، عن مالك والأوزاعي ، كلاهما عن أبي عبيد به .

[وروىٰ هذا الأثر][٣] الوليد أيضًا ، عن ابن جابر ، عن يحيىٰ بن يحيىٰ الغساني ، عن محمود بن لبيد ، عن[٤] الصنابحي أنه صلىٰ خلف أبي بكر ، رضي اللَّه عنه ، المغرب فقرأ

---

(٣٤) - أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الأدب ، باب : ما يقال عند النوم ، حديث (٥٠٦١) ، والنسائي في « عمل اليوم والليلة » (ص ٤٩٥) رقم (٨٦٥) ، وابن حبان في « صحيحه » (٣٤١/١٢ - الإحسان) برقم (٥٥٣١) ، والحاكم في « المستدرك » (٥٤٠/١) وصححه ، ووافقه الذهبي .

(٣٥) - رواه عبد الرزاق في مصنفه (١٠٩/٢ - ١١٠) رقم (٢٦٩٨) ، (٢٦٩٩) . وأخرجه مالك في « الموطأ » كتاب : الصلاة ، باب : القراءة في المغرب والعشاء ، حديث رقم (٢٥) ، والشافعي في مسنده حديث (٢٣٣) ، والبيهقي في سننه (٦٤/٢ ، ٣٩١) . وإسناده صحيح ، رجاله كلهم ثقات من رجال التهذيب .

---

[١] - في ز ، خ : « روى » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « رواه » .
[٤] - سقط من : ت .

البينات والبراهين[١] لا يؤمنوا بها ، فلا فهم عندهم ولا إنصاف ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ولو علم اللّٰه فيهم خيرًا لأسمعهم [ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون]**[٢] ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **حتىٰ إذا جاءوك يجادلونك** ﴾ أي : يحاجونك ويناظرونك في الحق بالباطل ﴿ **يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين** ﴾ أي : ما هذا الذي جئت به إلا مأخوذ من كتب الأوائل ومنقول عنهم .

وقوله : ﴿ **وهم ينهون عنه وينأون عنه** ﴾ وفي معنىٰ ﴿ **ينهون عنه** ﴾ قولان :

أحدهما : أن المراد أنهم ينهون الناس عن اتباع الحق ، وتصديق الرسول ، والانقياد للقرآن ، [﴿ **وينأون عنه** ﴾ أي : ويبعدونهم عنه ، فيجمعون بين الفعلين القبيحين : لا ينتفعون][٣] ولا يدعون[٤] أحدًا ينتفع .

قال علي بن أبي طلحة(٢٦) ، عن ابن عباس : ﴿ **وهم ينهون عنه** ﴾قال :ينهون الناس عن محمد صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أن يؤمنوا به .

وقال محمد بن الحنفية(٢٧) : كان كفار قريش لا يأتون النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وينهون عنه .

وكذا قال [قتادة ومجاهد] والضحاك وغير واحد ، وهذا القول أظهر و اللّٰه أعلم ، وهو اختيار ابن جرير .

والقول الثاني : رواه سفيان الثوري(٢٨) ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عمن سمع ابن عباس ،

---

(٢٦) - أخرجه ابن جرير (١٣١٦٠/١١) وابن أبي حاتم (٧٢٠/٤) وابن المنذر وابن مردويه كما في « الدر المنثور » (١٥/٣) .

(٢٧) - أخرجه ابن جرير (١٣١٥٩/١١) وابن أبي حاتم (٧٢٠١/٤) من طريق حجاج عن سالم عنه وسالم هو ابن أبي الجعد وحجاج هو ابن أرطأة كثير الخطأ والتدليس ولم يصرح هنا بالسماع .

(٢٨) - أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٠٦/٢) وابن جرير (١٣١٧٠/١١ : ١٣١٧٢) وابن أبي حاتم (٧١٩٩/٤) والحاكم (٣١٥/٢) والبيهقي في « الدلائل » (٣٤٠/٢) كلهم من طريق سفيان الثوري به وخالفه قيس بن الربيع - وهو صدوق تغير لما كبر - فقال عن حبيب بن أبي ثابت عن ابن عباس به أخرجه الطبراني في « الكبير » (١٢٦٨٢/١٢) وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٣/٧) وقال : « ... فيه قيس بن الربيع ، وثقه شعبة وغيره ، وضعفه ابن معين وغيره ، وبقية رجاله ثقات »

---

[١] - سقط من : ز . [٢] - في ت : « الآية » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٤] - في خ ، ز : « يتركوا » .

يقول في قوله ﴿ **وهم ينهون عنه** ﴾ قال : نزلت في أبي طالب ، [كان ينهىٰ الناس][١] عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أن يؤذىٰ .

وكذا قال القاسم بن مُخَيْمِرة وحبيب بن أبي ثابت وعطاء بن دينار وغيره[٢] : إنها نزلت في أبي طالب .

وقال سعيد بن [ ][٣] أبي هلال : نزلت في عمومة النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وكانوا عشرة ، فكانوا أشدّ الناس معه في العلانية ، وأشدّ الناس عليه في السر .

رواه ابن أبي حاتم(٢٩) .

وقال محمد بن كعب القرظي(٣٠) : ﴿ **وهم ينهون عنه** ﴾ أي : ينهون الناس عن قتله .

وقوله : ﴿ **وينأون عنه** ﴾ أي : يتباعدون منه ، ﴿ **وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون** ﴾ أي : وما يهلكون بهذا الصنيع ولا يعود وباله إلا عليهم وما[٤] يشعرون .

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾

= وأخرجه الحاكم أيضًا ومن طريقه البيهقي في « الدلائل » (٣٤٠/٢ - ٣٤١) من طريق حمزة بن حبيب عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به وقال الحاكم : « حديث حمزة بن حبيب صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي كذا قالا ، وحمزة بن حبيب لم يخرج له البخاري شيئًا وهو صدوق ربما وهم كما في « التقريب » .

والأثر زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١٥/٣) إلى الفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه .

(٢٩) - «التفسير» لابن أبي حاتم (٧٢٠٤/٤) ثنا أبي ، ثنا هشام بن خالد ، ثنا الوليد ، عن ابن لهيعة عن خالد بن يزيد - وهو المصري - عنه به .

(٣٠) - أخرجه ابن أبي حاتم (٧٢٠٥/٤) وفي إسناده أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي وهو ضعيف .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « قال ينهى » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « جبير » .

[٤] - في ت : «وهم لا » ، والمثبت من : خ ، ز .

ولا يفوته شيء ، بل هو الفعال لما يريد ، الذي قد[١] غلب كل شيء وذل له كل شئ لا إله غيره ولا رب سواه .

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ۝ ﴾

يقول تعالىٰ : قل يا محمد للكافرين : ستغلبون . [أي : في الدنيا][٢] ، وتحشرون ؛ أي : يوم القيامة إلىٰ جهنم وبئس المهاد .

وقد ذكر محمد بن إسحاق بن[٣] يسار ، عن عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ، لما أصاب من أهل بدر ما أصاب ، ورجع إلىٰ المدينة ، جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال : « **يا معشر يهود ! أسلموا قبل أن يصيبكم اللَّه كما[٤] أصاب قريشًا** » فقالوا : يا محمد ! لا يغرنك من نفسك أن قتلت نفرًا من قريش كانوا أغمارًا لا يعرفون القتال ، إنك واللَّه لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس ، وأنك لم تلق مثلنا ، فأنزل اللَّه في [ ][٥] ذلك من قولهم : ﴿ **قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلىٰ جهنم وبئس المهاد** ﴾ إلىٰ قوله ﴿ **لعبرة[٦] لأولي الأبصار** ﴾(٣٧) .

وقد رواه محمد[٧] بن إسحاق أيضًا ، عن محمد بن أبي محمد ، عن سعيد ، أو[٨] عكرمة ، عن ابن عباس فذكره(٣٨) ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **قد كان لكم آية** ﴾ أي : قد كان لكم أيها اليهود القائلون ما قلتم آية ، أي : دلالة علىٰ أن اللَّه مُعِزٌّ دينه ، وناصر رسوله ، ومظهر كلمته ، ومُعْلٍ أمره ﴿ **في فئتين** ﴾ ، أي : طائفتين ، التقتا ؛ أي : للقتال

(٣٧) - ابن هشام في « السيرة » (٢/٥٦١) ، وعاصم بن عمر بن قتادة تابعي ، فالحديث مرسل .

(٣٨) - أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب : الخراج والإمارة والفيء ، باب : كيف كان إخراج اليهود من المدينة ، حديث (٣٠٠١) ، وابن هشام في « السيرة » (٢/٥٦١) ، والبيهقي في « دلائل النبوة » : (٣/ ١٧٣) ، وفيه محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت وهو مجهول .

[١] - [٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : « عن » .

[٤] - في ز : « ما » .

[٥] - بين المعكوفتين في ز : « مثل » .

[٦] - في ز : « عبرة » .

[٧] - سقط من : ز .

[٨] - عند أبي داود [و] .

﴿ **فئة تقاتل في سبيل الله** ﴾ وهم المسلمون ﴿ **وأخرىٰ كافرة** ﴾ وهم مشركو قريش يوم بدر .

وقوله : ﴿ **يرونهم مثليهم رأي العين** ﴾ قال بعض العلماء فيما حكاه ابن جرير(٣٩) : يرىٰ المشركون يوم بدر ، أن المسلمين مثليهم في العدد رأي أعينهم أي : جعل الله ذلك فيما رأوه سببًا لنصرة الإسلام عليهم ، وهذا لا إشكال عليه إلا من جهة واحدة ؛ وهي : أن المشركين بعثوا عمر ابن سعد يومئذٍ قبل القتال يحزر[١] لهم المسلمين ، فأخبرهم بأنهم ثلاثمائة يزيدون قليلًا ، أو ينقصون قليلًا ، وهكذا كان الأمر . كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا ، ثم لما وقع القتال أمدهم الله بألف من خواص الملائكة وساداتهم .

(والقول الثاني[٢]) أن المعنىٰ في قوله تعالىٰ : ﴿ **يرونهم مثليهم رأي العين** ﴾ أي : ترىٰ[٣] الفئةُ المسلمة الفئةَ[٤] الكافرةَ مثليهم ، أي : ضِعْفَيْهِم في العدد ، ومع هذا نصرهم الله عليهم ، وهذا لا إشكال فيه علىٰ ما رواه العوفي عن ابن عباس : أن المؤمنين كانوا يوم بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا ، والمشركين[٥] كانوا ستمائة وستة وعشرين رجلًا . وكأن هذا القول مأخوذ من ظاهر هذه الآية ، ولكنه خلاف المشهور عند أهل التواريخ والسير وأيام الناس ، وخلاف المعروف عند الجمهور ، من أن المشركين كانوا ما بين التسعمائة إلىٰ الألف ، كما رواه محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ لما سأل ذلك العبد الأسود لبني الحجاج عن عدّة قريش قال : كثير ، قال : « **كم ينحرون كل يوم ؟** » قال[٦] : ينحرون[٧] يومًا تسعًا ويومًا عشرًا ، فقال النبي ، ﷺ : « **القوم ما بين التسعمائة إلىٰ الألف** »(٤٠) .

وروىٰ[٨] أبو إسحاق السبيعي[٩] عن حارثة ، عن علي ، رضي الله عنه ، قال : كانوا ألفًا .

---

(٣٩) - ذكره ابن جرير في تفسيره (٦/٢٣٣ : ٢٣٥ - شاكر) .

(٤٠) - أورده ابن هشام في « السيرة » (٢/٤٤٩) ، والبيهقي في « دلائل النبوة » (٣/٤٢) ، وابن جرير في تفسيره (٦/٢٣٦ ، ٢٣٧- شاكر) رقم (٦٦٨٥) ، وابن كثير في البداية والنهاية (٣/٣٢٣) عن ابن إسحاق عن يزيد بن رومان ، عن عروة مرسلًا .

وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب : الجهاد والسير ، حديث (٨٣/١٧٧٩) من حديث أنس بنحوه مختصرًا . وأخرجه أحمد في « مسنده » (١/١١٧) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » : (٨/٤٧٢) من حديث علي بن أبي طالب ببعضه وسنده صحيح .

---

[١] - في ز ، خ : « يحرز » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في ز : « نري » .

[٤] - في ز : « للفئة » .

[٥] - في ز : « المشركون » .

[٦] - في ز : « قالوا » .

[٧] - سقط من : ز ، خ .

[٨] - في ز : « روىٰ » .

[٩] - في خ : « البيهقي » .

وكذا قال ابن مسعود .

والمشهور أنهم كانوا ما بين التسعمائة إلىٰ الألف ، وعلىٰ كل تقدير فقد كانوا ثلاثة أمثال المسلمين ، وعلىٰ هذا فيشكل هذا القول ، واللَّه أعلم . لكن وجه ابن جرير(٤١) هذا وجعله صحيحًا ، كما تقول : عندي ألف وأنا محتاج إلىٰ مثليها ، وتكون محتاجًا إلىٰ ثلاثة آلاف . كذا قال . وعلىٰ هذا فلا إشكال .

لكن بقي سؤال آخر وهو وارد علىٰ القولين ، وهو أن يقال : ما الجمع بين هذه الآية ، وبين قوله تعالىٰ في قصة بدر : ﴿ **وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلًا ويقللكم في أعينهم ليقضي اللَّه أمرًا كان مفعولًا** ﴾ والجواب : أن هذا كان في حال ، والآخر كان في حال[١] أخرىٰ ، كما قال السدي ، عن الطيب ، عن ابن مسعود في قوله تعالىٰ : ﴿ **قد كان لكم آية في فئتين التقتا** ﴾ الآية . قال : هذا يوم بدر .

قال عبد اللَّه بن مسعود : وقد نظرنا إلىٰ المشركين فرأيناهم يضعفون علينا ، ثم نظرنا إليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلًا واحدًا . وذلك قوله تعالىٰ : ﴿ **وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ، ويقللكم في أعينهم** ﴾ الآية .

وقال أبو إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد اللَّه بن مسعود ﷺ ؛ قال : لقد قللوا في أعيننا حتىٰ قلت لرجل إلىٰ جانبي : تراهم سبعين ؟ قال : أراهم مائة . قال : فأسرنا رجلًا منهم ، فقلنا : كم كنتم؟ قال : ألفًا .

فعندما عاين كل من الفريقين الآخر رأىٰ المسلمون المشركين مثليهم أي : أكثر منهم بالضعف ؛ ليتوكلوا ويتوجهوا ويطلبوا الإعانة من ربهم ، عز وجل ، ورأىٰ المشركون المؤمنين كذلك ؛ ليحصل لهم الرعب والخوف والجزع والهلع ؛ ثم لما حصل التصاف[٢] والتقى الفريقان ؛ قلل اللَّه هؤلاء في أعين هؤلاء ، وهؤلاء في أعين هؤلاء ؛ ليقدم كل منهما علىٰ الآخر ﴿ **ليقضي اللَّه أمرًا كان مفعولًا** ﴾ أي : ليفرّق بين الحق والباطل ، فيظهر كلمة الإيمان علىٰ الكفر والطغيان[٣] ، ويعزّ المؤمنين ويذل الكافرين ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولقد نصركم اللَّه ببدر وأنتم أذلة** ﴾ وقال هاهنا : ﴿ **واللَّه يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار** ﴾ أي : إن في ذلك لمعتبرًا لمن له بصيرة وفهم ؛ يهتدي به إلىٰ حكمة اللَّه وأفعاله ، وقدره الجاري بنصر عباده المؤمنين في هذه الحياة الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد .

---

(٤١) - تفسير ابن جرير (٦/٢٣٨ - شاكر) .

---

[١] - في ز : « حالة » .

[٢] - في ز : « المصافُ » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥)﴾

يخبر تعالىٰ عما زين للناس في هذه الحياة الدنيا من أنواع الملاذ ؛ من النساء والبنين فبدأ بالنساء ؛ لأن الفتنة بهنّ أشد ، كما ثبت في الصحيح(٤٢) أنه [ﷺ قال] : « **ما تركت بعدي فتنة أضر علىٰ الرجال من النساء** » . فأما إذا كان القصد بهنّ الإعفاف وكثرة الأولاد ، فهذا مطلوب مرغوب فيه مندوب إليه ، كما وردت الأحاديث بالترغيب في التزويج والاستكثار منه ، و« **إن خير هذه الأمة كان أكثرها نساء** » (٤٣) وقوله ﷺ : « **الدنيا متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة ، إن نظر إليها سرته ، [وإن أمرها أطاعته]**[١] **، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله** »(٤٤) . وقوله في الحديث الآخر « **حبب إليَّ [الطيب**

(٤٢) - أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب النكاح ، باب : ما يتقى من شؤم المرأة ، وقوله تعالى : ﴿ **إن من أزواجكم وأولادكم عدوًّا لكم** ﴾ حديث (٥٠٩٦) . ومسلم في صحيحه ، كتاب : الرقاق ، حديث ٩٦ - (٢٧٤٠) كلاهما من طريق سليمان التيمي ، عن أبي عثمان النهدي ، عن أسامة بن زيد فذكره .

(٤٣) - أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب النكاح ، باب : كثرة النساء ، حديث (٥٠٦٩) موقوفًا على ابن عباس - رضي الله عنهما - .

(٤٤) - أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الرضاع ، حديث ٦٤ - (١٤٦٧) ، والنسائي في سننه (٦٩/٦) كتاب النكاح ، باب : المرأة الصالحة ، وابن ماجة في السنن ، كتاب النكاح ، باب : أفضل النساء حديث (١٨٥٥) ، وأحمد (١٧٨/٢) من حديث عبد الله بن عمرو : أن رسول الله ﷺ قال : « **الدنيا متاع ، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة** » وفي رواية « **إنما الدنيا متاع ، وليس من متاع الدنيا شيء أفضل من المرأة الصالحة** » .

وأخرجه النسائي في « سننه » (٦٨/٦) ، كتاب النكاح ، باب : أي النساء خير ، والبيهقي في السنن (٧/ ٨٢) من حديث أبي هريرة ﷺ قال : قيل لرسول الله ﷺ : أي النساء خير ؟ قال : « **التي تسره إذا نظر وتطيعه إذا أمر ، ولا تخالفه في نفسها ومالها بما يكره** » .

وأخرجه ابن ماجه في « سننه » كتاب النكاح ، باب : أفضل النساء ، حديث (١٨٥٧) من حديث أبي أمامة عن النبي ﷺ أنه كان يقول : « **ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرًا له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته ، وإن نظر إليها سرته ، وإن أقسم عليها أبرته وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله** » .

[١] - سقط من : ز ، خ .

والنساء] ، وجعلت قرّة عيني في الصلاة »(٤٥) .

وقالت عائشة رضي اللَّه عنها : لم يكن شيء أحب إلىٰ رسول اللَّه ﷺ من النساء إلا الخيل .

وفي رواية : « **من**[١] **الخيل إلا النساء** »(٤٦) .

وحب البنين تارة يكون للتفاخر والزينة ، فهو داخل في هذا ، وتارة يكون لتكثير النسل وتكثير أمة محمد ، ﷺ ، ممن يعبد اللَّه وحده لا شريك له ، فهذا محمود ممدوح كما ثبت في الحديث : « **تزوجوا الودود الولود ، فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة** »(٤٧) .

وحب المال كذلك يكون تارة للفخر والخيلاء ، والتكبر علىٰ الضعفاء ، والتجبر علىٰ الفقراء ، فهذا مذموم ، وتارة يكون للنفقة في القربات ، وصلة الأرحام والقرابات ، ووجوه البر والطاعات ، فهذا ممدوح محمود عليه شرعًا .

---

(٤٥) - أخرجه النسائي في « سننه » (٦١/٧) في كتاب عشرة النساء ، باب : حب النساء ، وأحمد في « مسنده » (١٢٨/٣) ، والحاكم في « المستدرك » (١٦٠/٢) من حديث أنس بن مالك ﷺ وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .

(٤٦) - أخرجه النسائي في « الكبرى » (٤٤٠٤) (٣٦/٣) من طريق سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ولفظه : « لم يكن شيء أحب إلى رسول اللَّه ﷺ بعد النساء من الخيل » . وأخرجه أحمد في مسنده ٢٠٣٦٤ - (٢٧/٥) من حديث معقل بن يسار ولفظه : « لم يكن شيء أحب إلى رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلم من الخيل ، ثم قال : اللَّهم غفرًا لا بل النساء » .

(٤٧) - أخرجه أبو داود في « سننه » كتاب النكاح ، باب : النهي عن تزويج من لم يلد من النساء ، حديث (٢٠٥٠) . والنسائي في « سننه » (٦٥/٦ - ٦٦) كتاب النكاح ، باب : كراهية تزويج العقيم ، وابن حبان في صحيحه (٣٦٣/٩ - ٣٦٤ - الإحسان) رقم (٤٠٥٦ ، ٤٠٥٧) ، والحاكم في « المستدرك » (١٦٢/٢) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (٨١/٧) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٢١٩/٢٠) رقم (٥٠٨) من طريق المستلم بن سعيد ، عن منصور بن زاذان ، عن معاوية بن قرة ، عن معقل بن يسار به مرفوعًا ، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه بهذه السياقة ، ووافقه الذهبي .

وأخرجه أحمد في « مسنده » (١٥٨/٣) وابن حبان في « صحيحه » (٣٣٨/٩ - الإحسان) رقم (٤٠٢٨) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (٨١/٧ ، ٨٢) ، وسعيد بن منصور في « سننه » (٤٩٠) ، من طريق خلف بن خليفة ، عن حفص بن عمرو ابن أخي أنس بن مالك ، عن أنس بن مالك فذكره . وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٦١/٤) وزاد نسبته إلى الطبراني في « الأوسط » وحسن إسناده .

وأخرجه أحمد في « مسنده » (١٧١/٢ - ١٧٢) من حديث عبد اللَّه بن عمرو ، بنحوه .

وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٦١/٤) وقال : رواه أحمد ، وفيه حيي بن عبد اللَّه المعافري ، وقد وثق ، وفيه ضعف .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

وقد اختلف المفسرون في مقدار القنطار علىٰ أقوال ، وحاصلها أنه المال الجزيل ، كما قال[١] الضحاك وغيره . وقيل : ألف دينار ، وقيل : ألف ومائتا دينار . وقيل : اثنا[٢] عشر ألفًا . وقيل : أربعون ألفًا . وقيل : ستون ألفًا . وقيل : سبعون ألفًا . وقيل : ثمانون ألفًا . وقيل غير ذلك .

وقد قال الإمام أحمد(٤٨) : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا حماد ، عن عاصم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه ﷺ « **القنطار : اثنا[٣] عشر ألف أوقية ، كل أوقية خير مما بين السماء والأرض** » .

وقد رواه ابن ماجة ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن حماد ابن سلمة به .

وقد رواه ابن جرير ، عن بندار ، عن ابن مهدي ، عن حماد بن زيد ، عن عاصم هو ابن بهدلة ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، موقوفًا وهذا أصح .

وهكذا رواه ابن جرير(٤٩) ، عن معاذ بن جبل وابن عمر ، وحكاه ابن أبي حاتم(٥٠) عن أبي هريرة وأبي الدرداء أنهم قالوا : القنطار ألف ومائتا أوقية .

ثم قال ابن جرير(٥١) رحمه اللَّه : حدثني زكريا بن يحيىٰ الضرير ، حدثنا شبابة ، حدثنا مخلد بن عبد الواحد ، عن علي بن زيد ، عن عطاء بن أبي ميمونة ، عن زر بن حبيش ، عن أبي بن كعب ؛ [قال : قال رسول اللَّه ، ﷺ : « **القنطار ألف أوقية ومائتا أوقية** » .

وهذا حديث منكر أيضًا ، والأقرب أن يكون موقوفًا علىٰ أبي بن كعب][٤] كغيره من

(٤٨) - رواه أحمد في « مسنده » (٣٦٣/٢) ، ورواه ابن ماجه في « سننه » كتاب الأدب ، باب : بر الوالدين ، حديث (٣٦٦٠) ، والدارمي في « سننه » (٤٦٧/٢) كتاب فضائل القرآن ، باب : كم يكون القنطار ، وابن حبان في صحيحه (٣١١/٦ ، ٣١٢ - الإحسان) رقم (٢٥٧٣) من طريق عبد الصمد بهذا الإسناد ، وتابع حماد بن سلمة عند الدارمي أبان العطار . ورواه ابن جرير في تفسيره (٢٤٤/٦) رقم (٦٧٠٠) ، والبيهقي (٢٣٣/٧) من طريق حماد بن زيد ، عن عاصم بن بهدلة ، بنحوه .

(٤٩) - رواه ابن جرير في تفسيره (٢٤٤/٦) رقم (٦٦٩٦ ، ٦٦٩٧) ، وابن أبي حاتم (١٠٨/٢) رقم ١٨٢. عن معاذ بن جبل ، ورقم (٦٦٩٨) عن ابن عمر ، والبيهقي في « السنن » (٢٣٣/٧).

(٥٠) - تفسير ابن أبي حاتم (١١٠/٢) رقم (١٨٣ ، ١٨٤) . والبيهقي في « السنن » (٢٣٣/٧) .

(٥١) - رواه ابن جرير في تفسيره (٢٤٥/٦) رقم (٦٧٠١) .

[١] - في ز : « قاله » .

[٢] - في ز ، خ : « اثني » .

[٣] - في خ : « اثني » .

[٤] - سقط من خ ، ز.

الصحابة .

وقد روىٰ ابن مردويه من طريق موسىٰ بن عبيدة الربذي[١] ، عن محمد بن إبراهيم ، عن يحنَّش[٢] أبي موسىٰ ، عن أم الدرداء ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : « **من قرأ مائة آية لم يكتب من الغافلين ، ومن قرأ مائة آية إلىٰ ألف أصبح [له قنطار من الأجر][٣] عند الله ، القنطار منه مثل الجبل العظيم** »(٥٢) .

ورواه وكيع ، عن موسىٰ بن عبيدة بمعناه . وقال الحاكم في مستدركه(٥٣) : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا أحمد بن عيسىٰ بن زيد اللخمي بتنِّيس[٤] ، حدثنا [عمرو بن أبي سلمة][٥] ، حدثنا زهير بن محمد ، حدثنا حميد الطويل ، ورجل آخر ، عن أنس بن مالك ؛ قال : سئل رسول الله ﷺ عن قول الله تعالىٰ : ﴿ **والقَنَاطِيرِ المُقَنْطَرَة** ﴾ قال : « **القنطار : ألفا أوقية** » . صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه . هكذا رواه الحاكم .

وقد رواه ابن أبي حاتم(٥٤) بلفظ آخر فقال : أنبأنا أحمد بن عبد الرحمن الرقي ، حدثنا عمرو ابن أبي سلمة ، حدثنا زهير ، يعني : ابن محمد ، أنبأنا حميد الطويل ، ورجل آخر ، قد سماه - يعني : يزيد الرقاشي - عن أنس ، عن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، في قوله :

---

(٥٢) - موسى بن عبيدة : ضعيف ، وأخرجه ابن أبي شيبة ، وزاد في الإسناد « راشد بن سعد أخ لأم الدرداء » بين يحنس ، وأم الدرداء ، ورواه عبد بن حميد في مسنده ص (٩٨) رقم (٢٠٠) . وقد رواه ابن أبي حاتم من حديث يحنس ، عن أم الدرداء قالت : قال رسول الله ﷺ : « **من قرأ بخمسين آية في ليلة أصبح له قنطار من الأجر ، والقنطار مثل التل العظيم** » . لم يذكر في الإسناد أبا الدرداء ، وكذلك رواه ابن أبي شيبة ، وأبو يعلى .

ورواه الدارمي (٤٦٧/٢) من حديث يحنس ، عن سالم أخي أم الدرداء ، عن أبي الدرداء : **من قرأ ألف آية كتب له قنطار من الأجر ، والقيراط منه مثل التل العظيم** .

وهكذا فإن الاضطراب ظاهر ، فتارة يروى عن أم الدرداء ، وتارة عن أبي الدرداء ، وتارة يدخل راشد ، وتارة يدخل سالم . وأما الاختلاف في المتن فظاهر ، وهذا من صنيع موسى بن عبيدة ، فمدار الحديث عليه .

(٥٣) - رواه الحاكم (١٧٨/٢) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي . وفي إسناده عمرو بن أبي سلمة ضعيف ، خاصة إذا روى عن زهير ، وقال أبو حاتم : لا يحتج به ، وقال الساجي : ضعيف ، وضعفه أيضًا : يحيى بن معين ، وقال العقيلي : في حديثه وهم . وانظر « ميزان الاعتدال » (١٨٢/٤) رقم (٦٣٧٩) ، « الجرح والتعديل » (٢٣٥/٦ ، ٢٣٦) رقم (١٣٠٤) ، « التقريب » للحافظ (ص ٤٢٢) رقم (٥٠٤٣) .

(٥٤) - رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١١١/٢) رقم (١٨٦) .

---

[١] - في خ : « الترمذي » .
[٢] - غير واضحة في خ .
[٣] - في خ : « قنطارين أجر » .
[٤] - في ز : « تبتيس » .
[٥] - في ز : محمد بن عمرو بن أبي سلمة

« قنطار يعني : ألف دينار » .

وهكذا رواه[١] ابن مردويه ، عن [٢] الطبراني ، عن عبد اللَّه بن محمد بن أبي مريم ، عن عمرو بن أبي سلمة ، فذكر بإسناده مثله سواء .

وروىٰ ابن جرير(٥٥) ، عن الحسن البصري عنه مرسلًا أو[٣] موقوفًا عليه : القنطار ألف ومائتا[٤] دينار ، [وكذا رواه العوفي عن ابن عباس .

وقال الضحاك : من العرب من يقول : القنطار ألف ومائتا دينار][٥] ، ومنهم من يقول : اثنا عشر ألفًا .

وقال ابن أبي حاتم(٥٦) : حدثنا أبي ، حدثنا عارم ، عن حماد ، عن سعيد الجريري[٦] ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري ، رضي اللَّه عنه ، قال : القنطار[٧] ملء مسك[٨] الثور ذهبًا .

قال أبو محمد(٥٧) : ورواه محمد [بن موسىٰ الحرشي][٩] ، عن حماد بن زيد مرفوعًا ، والموقوف أصح .

(**وحب الخيل علىٰ ثلاثة أقسام**) تارة يكون ربطها أصحابها معدّة لسبيل اللَّه تعالى متىٰ احتاجوا إليها غزوا عليها ، فهؤلاء يثابون ، وتارة تربط فخرًا ونواءً لأهل الإسلام ، فهذه علىٰ صاحبها وزر ، وتارة للتعفف واقتناء رقابها ولم ينس حق اللَّه في نسلها[١٠] ، فهذه لصاحبها ستر ، كما سيأتي الحديث(٥٨) بذلك [إن شاء اللَّه تعالىٰ][١١] عند قوله تعالىٰ : ﴿ **وأعدوا**

---

(٥٥) - رواه ابن جرير في تفسيره (٦/٢٤٥) رقم (٦٧٠٢) .

(٥٦) - رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/١١٥) رقم (١٩٠) ، والبيهقي في « السنن » (٧/٢٣٣) . ورواه الدارمي (٢/٤٦٧) .

ورواه موقوفًا على أبي نضرة ، كل من الدارمي (٢/٤٦٧) والطبري (٦٧٢٢) .

(٥٧) - يعني ابن أبي حاتم .

(٥٨) - سيأتي تخريجه في سورة الأنفال آية (٦٠) .

---

[١] - سقط من : ت .

[٢] - في ت : رواه .

[٣] - في ز ، خ : « عنه و » .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٦] - في ز : « الحرسي » .

[٧] - سقط من : ز ، خ .

[٨] - المسك : الجلد .

[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[١٠] - في ز ، خ : « رقابها » .

[١١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل ﴾ الآية وأما المسومة ، فعن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، : المسوّمة : الراعية ، والمطهمة : الحسان .

وكذا روي عن مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وعبد الرحمن بن عبد الله بن أبزى والسدّي ، والربيع بن أنس ، وأبي سنان وغيرهم .

وقال مكحول : المسوّمة : الغرة والتحجيل . وقيل غير ذلك .

وقد قال الإمام أحمد(٥٩) : حدثنا يحيىٰ بن سعيد ، عن عبد الحميد بن جعفر ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن سويد بن قيس ، عن معاوية بن حُديج[١] ، عن أبي ذر ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ، ﷺ : « **ليس من فرس عربي إلا يؤذن له مع كل فجر ، يدعو بدعوتين يقول : اللّهم إنك خوّلتني [من خوّلتنى][٢] من بني آدم فاجعلني من أحب ماله وأهله إليه ، أو أحب أهله وماله إليه** » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **والأنعام** ﴾ يعني : الإبل والبقر والغنم ﴿ **والحرث** ﴾ يعني : الأرض المتخذة للغراس والزراعة .

وقال[٣] الإمام أحمد(٦٠) : حدثنا روح بن عبادة ، حدثنا أبو نعامة العدوي ، عن مسلم بن بديل عن إياس بن زهير ، عن سويد بن هبيرة ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « **خير مال امرئ له مهرة مأمورة أو سكة مأبورة** » . المأمورة : الكثيرة النسل ، والسكة[٤] : النخل المصطف ، والمأبورة : الملقحة .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ذلك متاع الحياة الدنيا** ﴾ أي : إنما هذا زهرة الحياة الدنيا وزينتها الفانية الزائلة ﴿ **والله عنده حسن المآب** ﴾ أي : حسن المرجع والثواب .

وقد قال ابن جرير(٦١) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا جرير ، عن عطاء ، عن أبي بكر بن حفص

---

(٥٩) - رواه أحمد في « مسنده » ٢١٥٧٨ - (١٧٠/٥) ، ورواه أيضًا ٢١٥٢٣ - (١٦٢/٥) ، والنسائي (٢٢٣/٦) كتاب الخيل ، باب : دعوة الخيل ، والحاكم في « المستدرك » (١٤٤/٢) من طريق يحيى بن سعيد به . وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

(٦٠) - أخرجه أحمد في « مسنده » (٤٦٨/٣) ، وسيأتي تخريجه في سورة الإسراء آية (١٦) رقم (١٦١) .

(٦١) - في إسناده عطاء بن السائب ، اختلط ، ورواية جرير عنه بعد الاختلاط ، وأبو بكر بن حفص لم يلق عمر ، والأثر رواه ابن جرير في تفسيره (٢٤٤/٦) رقم (٦٦٩٥) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (١٠١/٢) رقم (١٧٥) من طريق جرير ، به .

---

[١] - في ر « خديج »

[٢] ما بين المعكوفتين سقط من خ

[٣] - في ر « قال »

[٤] في خ « سكة »

ابن عمر بن سعد ، قال : قال عمر بن الخطاب رضى اللَّه عنه : لما أنزلت[١] ﴿ **زين للناس حب الشهوات** ﴾ قلت : الآن يارب حين زينتها لنا ، فنزلت : ﴿ **قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار** ﴾ الآية .

ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **قل أؤنبئكم بخير من ذلكم** ﴾ أي : قل يا محمد للناس : أأخبركم بخير مما زين للناس في هذه الحياة الدنيا من زهرتها ونعيمها الذي هو زائل لا محالة ، ثم أخبر عن ذلك فقال : ﴿ **للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار** ﴾ أي : تنخرق بين جوانبها وأرجائها الأنهار ، من أنواع الأشربة من العسل واللبن والخمر والماء وغير ذلك ، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر علىٰ قلب بشر ﴿ **خالدين فيها** ﴾ أي : ماكثين فيها أبد الآباد لا يبغون عنها حولًا ، ﴿ **وأزواج مطهرة** ﴾ أي : من الدنس والخبث والأذىٰ والحيض والنفاس وغير ذلك ، مما يعتري نساء الدنيا .

﴿ **ورضوان من اللَّه** ﴾ أي : يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم بعده أبدًا . ولهذا قال تعالىٰ في الآية الأخرى التي في براءة : ﴿ **ورضوان من اللَّه أكبر** ﴾ أي : أعظم مما أعطاهم من النعيم المقيم . ثم قال تعالى : ﴿ **واللَّه بصير بالعباد** ﴾ أي : يعطي كلا بحسب ما يستحقه من العطاء

ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾

يصف [تبارك و][٢] تعالىٰ عباده المتقين الذين وعدهم الثواب الجزيل ، فقال تعالىٰ : ﴿ **الذين يقولون ربنا إننا آمنا** ﴾ أي : بك وبكتابك وبرسلك[٣] ﴿ **فاغفر لنا ذنوبنا** ﴾ أي : بإيماننا بك وبما شرعته لنا [فاغفر لنا ذنوبنا وتقصيرنا من أمرنا ، بفضلك ورحمتك][٤] ﴿ **وقنا عذاب النار** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **الصابرين** ﴾ أي : في قيامهم بالطاعات وتركهم المحرّمات ﴿ **والصادقين** ﴾ فيما أخبروا به من إيمانهم بما يلتزمونه من الأعمال الشاقة ﴿ **والقانتين** ﴾ والقنوت : الطاعة والخضوع ، ﴿ **والمنفقين** ﴾ أي : من أموالهم في جميع ما أمروا به من الطاعات ، وصلة الأرحام والقرابات ، وسد الخلات ، ومواساة ذوي الحاجات ﴿ **والمستغفرين بالأسحار** ﴾ دل علىٰ فضيلة الاستغفار وقت الأسحار .

---

[١] - في ت : «نزلت » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - في ز : « برسولك » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

وقد قيل : إن يعقوب عليه السلام لما قال لبنيه ﴿ **سوف أستغفر لكم ربي** ﴾ أنه أخرهم إلىٰ وقت السحر .

وثبت في الصحيحين(٦٢) وغيرهما من المسانيد والسنن من غير وجه ، عن جماعة من الصحابة أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم ، قال : « **ينزل اللَّه تبارك وتعالىٰ في كل ليلة إلىٰ سماء الدنيا حين يبقىٰ ثلث الليل الآخر**[١] **فيقول : هل من سائل فأعطيه ؟ هل من داع فأستجيب له ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟** » . الحديث . وقد أفرد الحافظ أبو الحسن الدارقطني في ذلك جزءًا علىٰ حدة ، فرواه من طرق متعدّدة .

وفي الصحيحين(٦٣) عن عائشة ، رضي اللَّه عنها ، قالت : من كل الليل قد أوتر رسول اللَّه ﷺ من أوله وأوسطه وآخره ، فانتهىٰ وتره إلىٰ السحر .

وكان عبد اللَّه بن عمر يصلي من الليل ثم يقول : يا نافع هل جاء السحر ؟ فإذا قال : نعم . أقبل علىٰ الدعاء والاستغفار حتىٰ يصبح . رواه ابن أبي حاتم(٦٤) .

وقال ابن جرير(٦٥) : حدّثنا ابن وكيع ، حدّثنا أبي ، عن حريث بن أبي مطر ، عن إبراهيم بن

---

(٦٢) - أخرجه البخاري في كتاب التهجد ، باب : الدعاء والصلاة في آخر الليل ، حديث (١١٤٥) ، وأطرافه (٦٣٢١) ، و(٧٤٩٤) . ومسلم في « صحيحه » كتاب صلاة المسافرين ، حديث (٧٥٨) ، ومالك في « الموطأ » كتاب القرآن ، باب : ما جاء في الدعاء ، حديث (٣٠) وأبو داود في « سننه » كتاب الصلاة ، باب : أي الليل أفضل ؟ حديث (١٣١٥) . وأخرجه النسائي في « عمل اليوم والليلة » (٤٨٠) وابن ماجه ، كتاب : الإقامة ، باب : ما جاء في أي ساعات الليل أفضل حديث (١٣٦٦) ، وأحمد في مسنده (٤٨٧/٢) (٢٦٧/٢) ، وابن خزيمة في « التوحيد » ص (١٢٧ - ١٢٨) ، وابن أبي عاصم في « السنة » (٢١٧/١) رقم (٤٩٢) والفسوي في « المعرفة والتاريخ » (٤١٤/١) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (٢/٣) ، وفي « الأسماء والصفات » (ص ٤٤٩) . وابن حبان في صحيحه (١٩٩/٣ - ٢٠٠ - الإحسان) رقم (٩٢٠) كلهم من حديث أبي هريرة .
وقد ورد عن جماعة من الصحابة كما ذكر المصنف .

(٦٣) - أخرجه البخاري في « صحيحه » كتاب الوتر ، باب : ساعات الوتر ، حديث (٩٩٦) ، ومسلم في « صحيحه » كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، ١٣٦ ، ١٣٨ - (٧٤٥) .

(٦٤) - رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٥/٢) رقم (٢٤٥) . وفي إسناده سليمان بن موسى الأموي صدوق فقيه ، في حديثه بعض لين . وأخرجه الطبري في تفسيره (٢٦٦/٦) رقم (٦٧٥٦) .

(٦٥) - رواه ابن جرير في تفسيره (٢٦٦/٦) رقم (٦٧٥٥) . وفيه « حريث بن أبي مطر عمرو الفزاري ، أبو عمرو الحناط » ، ضعفه غير واحد - قال ابن معين : لا شيء ، وقال عمرو بن علي : ضعيف الحديث . وقال أبو حاتم : ضعيف الحديث ، وقال النسائي : متروك الحديث ، وقال البخاري : ليس بالقوي عندهم =

---

[١] - في ت : « الأخير » .

حاطب ، عن أبيه قال : سمعت رجلًا في السحر في ناحية المسجد وهو يقول : يا[١] رب أمرتني فأطعتك ، وهذا السحر فاغفر لي . فنظرت فإذا هو ابن مسعود ، رضي الله عنه .

وروىٰ ابن مردويه(٦٦) عن أنس بن مالك قال : كنا نؤمر إذا صلينا من الليل أن نستغفر في آخر السحر سبعين مرة .

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ (١٨) إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ (١٩) فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ (٢٠) ﴾

شهد تعالىٰ وكفىٰ به شهيدًا ، وهو أصدق الشاهدين وأعدلهم ، وأصدق القائلين ﴿ **أنه لا إله إلا هو** ﴾ أي : المنفرد بالإلهية لجميع الخلائق ، وأن الجميع عبيده وخلقه وفقراء[٢] إليه ، وهو الغني عما سواه . كما قال تعالىٰ : ﴿ **لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون ، وكفى بالله شهيدًا** ﴾ الآية . ثم قرن شهادة ملائكته [وأولي العلم][٣] بشهادته فقال : ﴿ **شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة أولوا العلم** ﴾ وهذه خصوصية عظيمة للعلماء في هذا المقام .

﴿ **قائمًا بالقسط** ﴾ منصوب علىٰ الحال ، وهو في جميع الأحوال كذلك ﴿ **لا إله إلا**

= وقال مرة : فيه نظر . وانظر « ميزان الاعتدال » (٤٧٤/١) رقم (١٧٩٠) ، والتهذيب (٢٠٥/٢ - ٢٠٦) رقم (٤٣٤) .

قال الشيخ أحمد شاكر : وأما إبراهيم بن حاطب فلم أجد له ولا لأبيه « حاطب » ترجمة ، وأخشى أن يكون في اسمه تحريف أو سقط ، وأن يكون حاطب هذا هو حاطب بن أبي بلتعة صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

(٦٦) - أخرجه الطبري في « تفسيره » (٢٦٦/٦) رقم (٦٧٥٧) .

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في خ : « الفقراء » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

هو ﴾ تأكيد لما سبق ﴿ **العزيز الحكيم** ﴾ العزيز الذي لا يرام جنابه عظمة وكبرياء ، الحكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره .

وقال الإمام أحمد(٦٧) : حدّثنا يزيد بن عبد ربه ، حدثنا بقية بن الوليد ، حدثني جبير بن عمرو القرشي ، حدثنا أبو سعيد الأنصاري ، عن أبي يحيىٰ مولىٰ آل الزبير بن العوام ، عن الزبير بن العوام ، قال : سمعت النبي ﷺ وهو بعرفة يقرأ هذه الآية ﴿ **شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائمًا بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم** ﴾ وأنا علىٰ ذلك من الشاهدين يارب .

وقد رواه ابن أبي حاتم من وجه آخر(٦٨) ، فقال : حدثنا علي بن حسين ، حدثنا محمد بن المتوكل العسقلاني ، حدثنا عمر بن حفص بن ثابت - أبو سعيد الأنصاري - حدثنا عبد الملك ابن يحيىٰ بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الزبير قال : سمعت رسول الله ﷺ حين قرأ هذه الآية ﴿ **شهد الله أنه لا له إله هو والملائكة** ﴾ قال : « **وأنا أشهد أي رب** » .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني في المعجم الكبير(٦٩) : حدثنا عبدان بن أحمد ، وعلي ابن

---

(٦٧) - جبير بن عمرو القرشي : لا يدرى من هو . وقال الحافظ في التعجيل (٦٧) وأحسب أن هذا غلط ، نشأ عن تصحيف في اسمه ، وتحريف في اسم أبيه . وإنما هو حبيب بن عمر الأنصاري » . وأبو سعيد الأنصاري : أورده في التعجيل ، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا ، غير أنه قال : الذي في المسند أبو سعد بسكون العين ، وكذا ذكر ضبطه شيخنا الحافظ العراقي . وأبو يحيى مولى آل الزبير : ترجمه في التعجيل وأشار إلى هذا الحديث ، ولم يذكر عنه شيئًا . والحديث أخرجه أحمد في « مسنده » (١٦٦/١) . وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٣٢٨/٦) وعزاه إلى أحمد وبنحوه للطبراني . وقال : وفي أسانيدهما مجاهيل .

(٦٨) - رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٦/٢) رقم (٢٤٦) .

(٦٩) - أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٢٤٥/١٠) رقم (١٠٤٥٣) وأبو نعيم في « الحلية » (٦/ ١٨٧ - ١٨٨) ، والعقيلي في « الضعفاء » (٣٢٥/٣) في ترجمة عمار بن عمر بن المختار ، وابن عدي في « الكامل » (١٦٩٣/٥ ، ١٦٩٤) في ترجمة عمر بن المختار ، والخطيب في « تاريخ بغداد » (١٩٣/٧ - ١٩٤) وفي المهروانيات ص (٢٠٢) رقم (١٦٦) في ترجمة جعفر بن محمد بن عبد الله القطان المهرواني . قال ابن عدي : روى الأباطيل ، روى عنه ابنه عمار ، وقال الذهبي في ترجمته - الميزان - : قال ابن خطاف : عمر بن المختار متهم بالوضع . وقال ابن عدي - أيضًا - : لا يحدث به غير عمر بن المختار .. ومقدار ما يرويه فيه نظر . قال البيهقي : « عمار بن المختار ، عن أبيه ، ضعيفان ، وهذا لم يأت به غيرهما والله أعلم » . وقال أبو نعيم : « غريب من حديث الأعمش ، تفرد به عمر بن المختار عن غالب » وقال العقيلي : لا يتابع على حديثه . وقال الخطيب البغدادي : هذا حديث غريب جدًّا من حديث أبي وائل شقيق ، عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود ، ومن حديث سليمان الأعمش ، عن أبي وائل ، تفرد به غالب بن خطاف القطان البصري ، عن الأعمش ، ولم يكتبه إلا من رواية عمار بن عمر بن المختار ، =

سعيد الرازي ، قالا : حدثنا عمار بن عمر بن المختار ، حدثني أبي ، حدثني غالب القطان ، قال : أتيت الكوفة في تجارة فنزلت قريبًا من الأعمش ، فلما كانت ليلة أردت أن أنحدر ، قام فتهجد من الليل فمرّ بهذه الآية ﴿ **شهد اللّه أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائمًا بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم إن الدين عند اللّه الإسلام** ﴾ ثم قال الأعمش : وأنا أشهد بما شهد اللّه به ، وأستودع اللّه هذه الشهادة ، وهي لي[١] عند اللّه وديعة ، ﴿ **إن الدين عند اللّه الإسلام** ﴾ قالها مرارًا ، قلت : لقد سمع فيها شيئًا ، فغدوت إليه فودعته ، ثم قلت : يا أبا محمد ؛ إني سمعتك تردّد هذه الآية ، قال : أو ما بلغك ما فيها ؟ قلت : أنا عندك منذ شهر لم تحدثني . قال : واللّه لا أحدّثك بها إلىٰ سنة . فأقمت سنة ، فكنت علىٰ بابه ، فلما مضت السنة ، قلت : يا أبا محمد ؛ قد مضت السنة . قال : حدثني أبو وائل ، عن عبد اللّه ، قال : قال رسول اللّه ﷺ: « **يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول اللّه ، عز وجل ، : عبدي عهد إلي وأنا أحق من وفىٰ بالعهد ، أدخلوا عبدي الجنة** » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **إن الدين عند اللّه الإسلام** ﴾ إخبارٌ منه[٢] اللّه[٣] تعالىٰ بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوىٰ الإسلام ، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم اللّه به في كل حين ، حتىٰ[٤] ختموا بمحمد ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، الذي سد جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد ، ﷺ ، فمن لقي اللّه بعد [بعثة محمد][٥] ﷺ بدين علىٰ غير شريعته فليس بمتقبل ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين** ﴾ الآية . وقال في هذه الآية مخبرًا بانحصار الدين المتقبل منه[٦] عنده في الإسلام : ﴿ **إن الدين عند اللّه الإسلام** ﴾ .

وذكر[٧] ابن جرير(٧٠) ، أن ابن عباس قرأ ﴿ **شهد اللّه إنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو[٨] العزيز الحكيم أن الدين عند اللّه الإسلام** ﴾ بكسر ﴿إن﴾[٩] - وفتح ، ﴿ **أن الدين عند اللّه الإسلام**﴾ أي : شهد هو والملائكة وأولو العلم

= عن أبيه ، عن غالب . انظر « الكامل » لابن عدي (١٦٩٤/٥) ، و« ميزان الاعتدال » (١٤٣/٤) رقم (٦٢١٣) ، و« لسان الميزان » (٣٧٦/٤) رقم (٦١٩٣) ، وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٦/ ٣٢٨، ٣٢٩) ، وقال : رواه الطبراني وفيه عمر بن المختار وهو ضعيف . وضعفه والخطيب في تاريخه .

(٧٠) - تفسير ابن جرير (٢٦٨/٦) .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في خ : « من » .
[٣] - سقط من : ت .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « بعثته محمدًا » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في خ : « قال » .
[٨] - في ت : « اللّه » .
[٩] - سقط من : خ ، وفي ز : « أنه » .

من البشر بأن الدين عند الله الإسلام . والجمهور قرءوها بالكسر على الخبر ، وكلا المعنيين صحيح ، ولكن هذا على قول الجمهور أظهر ، والله أعلم .

ثم أخبر تعالى بأن[١] الذين أوتوا الكتاب الأول إنما اختلفوا بعد ما قامت عليهم[٢] الحجة بإرسال الرسل إليهم ، وإنزال الكتب عليهم ، فقال : ﴿ **وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيًا بينهم** ﴾ أي : بغى بعضهم على بعض ، فاختلفوا في الحق ؛ لتحاسدهم وتباغضهم وتدابرهم ، فحمل [بعضهم بغض][٣] البعض[٤] الآخر على مخالفته في جميع أقواله وأفعاله ، وإن كانت حقًا ؛ ثم قال تعالى : ﴿ **ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب** ﴾ [أي : من جحد [ما أنزل][٥] الله في كتابه] ﴿ **فإن الله سريع الحساب** ﴾ أي : فإن[٦] الله سيجازيه على ذلك ، ويحاسبه على تكذيبه ، ويعاقبه على مخالفته كتابه .

ثم قال تعالى : ﴿ **فإن حاجوك** ﴾ أي : جادلوك في التوحيد ﴿ **فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن** ﴾ أي : فقل أخلصت عبادتي لله وحده لا شريك له ولا ندّ له ، ولا ولد له[٧] ولا صاحبة له ﴿ **ومن اتبعن**[٨] ﴾ أي : على ديني ، يقول[٩] كمقالتي . كما قال تعالى : ﴿ **قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين** ﴾ الآية .

ثم قال تعالى آمرًا لعبده ورسوله محمد ، ﷺ ، أن يدعو إلى طريقته ودينه والدخول في شرعه ، وما بعثه الله به ، الكتابيين من الملتين ، والأميين من المشركين ، فقال تعالى : ﴿ **وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ** ﴾ أي : والله عليه حسابهم ، وإليه مرجعهم ومآبهم ، وهو الذي يهدي من يشاء ، ويضل من يشاء ، وله الحكمة في ذلك ، والحجة البالغة ، ولهذا قال تعالى : ﴿ **والله بصير بالعباد** ﴾ أي : هو عليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلالة ، وهو الذي ﴿ **لا يسأل عما يفعل وهم يسألون** ﴾ وما ذلك[١٠] إلا لحكمته ورحمته .

وهذه الآية وأمثالها من أصرح الدلالات على عموم بعثته صلوات الله وسلامه عليه إلى جميع الخلق ، كما هو معلوم من دينه ضرورة ، وكما دل عليه الكتاب والسنة في غير ما آية وحديث ،

---

[١] - في خ : « أن » .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - في ز ، خ : « بعضهم على بعض » .
[٤] - في ز ، خ : « البغض » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « بما أنزله » .
[٦] - في ز : « في أن » .
[٧] - سقط من : ت .
[٨] - في ز : « اتبعني » .
[٩] - في ز : « يقولون » .
[١٠] - في خ : « ذاك » .

فمن ذلك قوله تعالىٰ : ﴿ **قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **تبارك الذي نزّل الفرقان علىٰ عبده ليكون للعالمين نذيرًا** ﴾ .

وفي الصحيحين وغيرهما(٧١) مما ثبت تواتره بالوقائع المتعددة ، أنه ﷺ بعث كتبه يدعو إلىٰ الله ملوكَ الآفاق ، وطوائف بني آدم ، من عربهم وعجمهم ، كتابيهم وأميهم ؛ امتثالًا لأمر الله له[١] بذلك .

وقد روىٰ عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ أنه قال : « **والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ، ومات ولم يؤمن بالذي أرسلت به ؛ إلا كان من أهل النار** » رواه مسلم(٧٢) .

---

(٧١) - أخرجه البخاري في « صحيحه » كتاب العلم ، باب : ما يذكر في المناولة ، وكتاب أهل العلم بالعلم إلى البلدان حديث (٦٥) وأطرافه في (٢٩٣٨ ، ٥٨٧٠ ، ٥٨٧٢ ، ٥٨٧٤ ، ٥٨٧٥ ، ٥٨٧٧ ، ٧١٦٢) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب اللباس والزينة ، حديث (٢٠٩٢) ، وأبو داود في « سننه » كتاب : الخاتم ، باب : ما جاء في اتخاذ الخاتم ، حديث (٤٢١٤) ، والترمذي في « سننه » كتاب : الاستئذان والآداب ، باب : ما جاء في ختم الكتاب ، حديث (٢٧١٩) ، والنسائي (١٧٤/٨) كتاب الزينة ، باب : صفة خاتم النبي ﷺ ، وأحمد في « مسنده » (١٦٨/٣ ، ١٦٩) كلهم من حديث أنس بن مالك قال : كتب النبي ﷺ كتابًا أو أراد أن يكتب - فقيل له : إنهم لا يقرءون كتابًا إلا مختومًا ، فاتخذ خاتمًا من فضه نقشه : محمد رسول الله ، كأني أنظر إلى بياضه في يده .

ومن حديث ابن عباس : أخرجه البخاري في « صحيحه » كتاب العلم ، باب : ما يذكر في المناولة وكتاب أهل العلم بالعلم إلى البلدان حديث (٦٤) ، وأطرافه حديث (٢٩٣٩) ، و(٤٤٢٤) ، و (٧٢٦٤) من طريق ابن شهاب قال : أخبرني عبيد الله بن عبد الله أن ابن عباس أخبره : « أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه إلى كسرى مع عبد الله بن حذافة السهمي ، فأمر أن يدفعه إلى عظيم البحرين ، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى ، فلما قرأه مزقه ، فحسبت أن ابن المسيب قال : فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يمزقوا كل ممزق » .

وأخرجه البخاري في « صحيحه » : كتاب : بدء الوحي حديث (٧) . ومسلم في « صحيحه » كتاب الجهاد والسير ، حديث (٧٤/١٧٧٣) . وأبو داود في « سننه » كتاب : الأدب ، باب : كيف يكتب إلى الذمي ؟ حديث (٥١٣٦) ، والترمذي في « سننه » كتاب : الاستئذان والآداب ، باب : ما جاء كيف يكتب لأهل الشرك ، حديث (٢٧١٨) ، والنسائي في « الكبرى » (٣٠٩/٦ : ٣١١) رقم (١١٠٦٤) ، وأحمد في مسنده «٢٦٢/١) من طريق الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس أن أبا سفيان أخبره - فذكر حديثًا طويلًا في ذكر كتاب النبي ﷺ إلى هرقل .

(٧٢) - ومن طريق عبد الرزاق رواه ابن منده في « التوحيد « (١/٤٤) كما في « الصحيحة » للألباني (رقم ١٥٧) . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ح ٢٤٠ - (١٥٣) ، وانظر ما يأتي [سورة الأعراف / آية ١٥٨/ ح ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠] .

---

[١] - سقط من : خ .

وقال ﷺ : « **بعثت إلىٰ الأسود والأحمر** »(٧٣) . وقال : « **كان النبي يبعث إلىٰ قومه خاصة ، وبعثت إلىٰ الناس عامة** »(٧٤) .

وقال الإمام أحمد (٧٥) : حدثنا مؤمل ، حدثنا حماد ، حدثنا ثابت عن أنس ، رضي اللَّه عنه : أن غلامًا يهوديًا كان يضع[١] للنبي ﷺ وضوءه ، ويناوله نعليه ، فمرض ، فأتاه النبي ﷺ فدخل عليه ، وأبوه قاعد عند رأسه ، فقال له النبي ﷺ : « **يا فلان ! قل لا إله إلا اللَّه** » . فنظر إلىٰ أبيه ، فسكت أبوه ، فأعاد عليه النبي ﷺ فنظر إلىٰ أبيه ، فقال أبوه : أطع أبا القاسم . فقال الغلام : أشهد أن لا إله إلا اللَّه ، وأنك رسول اللَّه . فخرج النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وهو يقول : « **الحمد للَّه الذي أخرجه بي من النار** » رواه[٢] البخاري في الصحيح ، إلىٰ غير ذلك من الآيات والأحاديث .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾

هذا ذم من اللَّه تعالىٰ لأهل الكتاب فيما ارتكبوه من المآثم والمحارم ، في تكذيبهم بآيات اللَّه قديمًا وحديثًا ، التي بلغتهم إياها الرسل ؛ استكبارًا عليهم ، وعنادًا لهم ، وتعاظمًا علىٰ الحق ، واستنكافًا عن اتباعه ، ومع هذا [قتلوا من][٣] قتلوا من النبيين حين بلغوهم عن اللَّه شرعه ، بغير سبب ولا جريمة منهم إليهم ، إلا لكونهم دعوهم إلىٰ الحق ﴿ **ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس** ﴾ وهذا هو غاية الكبر ، كما قال النبي ﷺ : « **الكبر بطر الحق وغمط الناس** »(٧٦) .

---

(٧٣) - تقدم تخريجه - في المقدمة

(٧٤) - سيأتي تخريجه سورة النساء آية (٤٣) .

(٧٥) - أخرجه أحمد في « مسنده » (١٧٥/٣) ، والبخاري في « صحيحه » كتاب الجنائز ، باب : إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه ؟ حديث (١٣٥٦) ، وطرفه حديث (٥٦٥٧) . وأبو داود في كتاب الجنائز ، باب : في عيادة الذمي ، حديث (٣٠٩٥) كلهم من طريق حماد بن زيد به .

(٧٦) - سبق تخريجه - سورة البقرة آية (٦١) .

---

[١] - في ز : « يصنع » . [٢] - في ز : « أخرجه » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من ز ، خ .

وقال[١] ابن أبي حاتم(٧٧) : حدثنا أبو الزبير الحسن بن علي بن مسلم النيسابوري نزيل مكة ، حدثني أبو حفص عمر بن حفص ، يعني ابن ثابت بن زرارة الأنصاري - حدثنا محمد بن حمزة ، حدثنا أبو الحسن - مولىٰ لبني أسد - عن مكحول ، عن قبيصة[٢] بن ذؤيب الخزاعي ، عن أبي عبيدة بن الجراح ﷺ قال : قلت : يا رسول الله ! أي : الناس أشد عذابًا يوم القيامة ؟ قال : « **رجل قتل نبيًّا أو [من أمر بالمنكر أو نهى عن المعروف]** » . ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ **إن[٣] الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم** ﴾ الآية ، ثم قال رسول الله ﷺ : « **يا أبا عبيدة ! قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيًّا ، من أول النهار في ساعة واحدة ، فقام مائة [ ][٤] وسبعون رجلًا من بني إسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر ، فقتلوا جميعًا من آخر النهار من ذلك اليوم ، فهم الذين ذكر الله عز وجل** » .

وهكذا رواه ابن جرير(٧٨) ، عن أبي عبيدة الوصابي محمد بن حفص ، عن ابن حمير ، عن أبي الحسن مولىٰ بني أسد ، عن مكحول به .

وعن[٥] عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قتلت بنو إسرائيل ثلاثمائة نبي[٦] من أول النهار ، وأقاموا سوق بقلهم من آخره . رواه ابن أبي حاتم(٧٩) .

ولهذا لما أن تكبروا عن الحق واستكبروا علىٰ الخلق قابلهم الله علىٰ ذلك بالذلة والصغار في الدنيا ، والعذاب المهين في الآخرة فقال تعالىٰ : ﴿ **فبشرهم بعذاب أليم** ﴾ أي : موجع مهين ﴿ **أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين** ﴾ .

---

(٧٧) - أبو الحسن مولى بني أسد ؛ قال ابن أبي حاتم : سألت أبي عنه ؟ فقال : مجهول . وكذا قال الذهبي ، ثم ابن حجر . والحديث رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦١/٢) (٢٦٧) . وأخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٨٥/٦ - ٢٨٦) رقم (٦٧٨٠) من طريق أبي الحسن مولى ابن سعد ، به .

(٧٨) - فيه محمد بن حفص الوصابي الحمصي أبو عبيد ، روى عن محمد بن حمير ، قال ابن منده : ضعيف ، وقال ابن أبي حاتم : أردت السماع منه فقيل لي : ليس يصدق ، فتركته ، وذكره ابن حبان في الثقات انظر الجرح والتعديل (٢٣٧/٧) رقم (١٢٩٨) ، و« ميزان الاعتدال » (٤٤٦/٤) رقم (٧٤٣٣) ، و« لسان الميزان » (١٥٠/٥) رقم (٧٣٣٣) .

(٧٩) - أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٦/١) رقم (٦٣٢ ط : الباز) .

---

[١] - في ز : « قال » .

[٢] - في خ : « أبي قبيصة » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - بين المعكوفتين في ز : « رجل » .

[٥] - سقط من : خ .

[٦] - سقط من : ز .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ (٢٣) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤) فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٥)﴾

يقول تعالىٰ منكرًا علىٰ اليهود والنصارىٰ ، المتمسكين فيما يزعمون بكتابيهم اللذين بأيديهم ، وهما التوراة والإنجيل ، وإذا دعوا إلىٰ التحاكم إلىٰ ما فيهما من طاعة اللَّه فيما أمرهم به فيهما من اتباع محمد ﷺ تولوا وهم معرضون عنهما ، وهذا في غاية ما يكون من ذمهم ، والتنويه بذكرهم بالمخالفة والعناد ، ثم قال تعالى : ﴿ **ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودات** ﴾ أي : إنما حملهم وجرأهم علىٰ مخالفة الحق افتراؤهم علىٰ اللَّه فيما ادّعوه لأنفسهم ؛ أنهم إنما يعذبون في النار سبعة أيام ، عن كل ألف سنة في الدنيا يومًا ، وقد تقدّم تفسير ذلك في سورة البقرة . ثم قال تعالىٰ : ﴿ **وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون** ﴾ أي : ثبتهم علىٰ دينهم الباطل ما خدعوا به أنفسهم من زعمهم أن النار لا تمسهم بذنوبهم إلا أيامًا معدودات ، وهم الذين افتروا هذا من تلقاء أنفسهم ، وافتعلوه ولم ينزل اللَّه به سلطانًا ، قال اللَّه تعالىٰ متهدّدا لهم ومتوعدًا : ﴿ **فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه** ﴾ أي : كيف يكون حالهم وقد افتروا علىٰ اللَّه وكذّبوا رسله ، وقتلوا أنبياءه ، والعلماء من قومهم الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، واللَّه تعالىٰ سائلهم[١] عن ذلك كله ، ومحاسبهم عليه ومجازيهم به ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه** ﴾ أي[٢] : لا شك في وقوعه وكونه ﴿ **ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون** ﴾ .

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٧)﴾

يقول تبارك وتعالىٰ : قل يا محمد معظمًا لربك ، وشاكرًا له ، ومفوضًا إليه ، [ومتوكلا

---

[١] - في ز ، خ : « مقابلهم » .　　[٢] - سقط من : ز ، خ .

عليه] ﴿ **اللَّهم مالك الملك** ﴾ أي : لك الملك كله ﴿ **تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء** ﴾ أي : أنت المعطي ، وأنت المانع ، وأنت الذي ما شئت كان ومالم تشأ لم يكن .

وفي هذه الآية[١] تنبيه وإرشاد إلىٰ شكر نعمة اللَّه تعالىٰ علىٰ رسوله ﷺ وهذه الأمّة ؛ لأن اللَّه تعالىٰ حول النبوة من بني إسرائيل إلىٰ النبي العربي القرشي [الأمي المكي] ، خاتم الأنبياء علىٰ الإطلاق ، ورسول اللَّه إلىٰ جميع الثقلين الإنس والجن ، الذي جمع اللَّه فيه محاسن من كان قبله ، وخصه بخصائص لم يعطها نبيًا من الأنبياء ولا رسولًا من الرسل ، في العلم باللَّه وشريعته وإطلاعه علىٰ الغيوب الماضية والآتية ، وكشفه له[٢] عن حقائق الآخرة ، ونشر أمته في الآفاق في مشارق الأرض ومغاربها ، وإظهار دينه ، وشرعه علىٰ سائر الأديان والشرائع ، فصلوات اللَّه وسلامه عليه دائمًا إلىٰ يوم الدين ، ما تعاقب الليل والنهار ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **قل اللَّهم مالك الملك** ﴾ الآية أي : أنت المتصرف في خلقك ، الفعال لما تريد . كما رد تبارك وتعالىٰ علىٰ من يحكم[٣] عليه في أمره حيث قال : ﴿ **وقالوا لولا نزل هذا القرآن علىٰ رجل من القريتين عظيم** ﴾ قال اللَّه تعالى ردًا عليهم : ﴿ **أهم يقسمون رحمة ربك** ﴾ ، الآية أي[٤] : نحن نتصرف فيما[٥] خلقنا كما نريد بلا ممانع ، ولا مدافع ، ولنا الحكمة البالغة[٦] والحجة التامة[٧] في ذلك . وهكذا يعطي[٨] النبوة لمن يريد[٩] ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **اللَّه أعلم حيث يجعل رسالته**[١٠] ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **انظر كيف فضلنا بعضهم علىٰ بعض** ﴾ ، الآية .

وقد روىٰ الحافظ ابن عساكر(٨٠) في ترجمة إسحاق ابن أحمد من تاريخه ، عن المأمون الخليفة ، أنه رأىٰ في قصر ببلاد الروم مكتوبًا بالحميرية ، فعرب له ، فإذا هو بسم اللَّه ما اختلف الليل والنهار ، ولا دارت نجوم السماء في الفلك ، إلا بنقل النعيم عن مَلِكٍ قد زال سلطانه إلىٰ ملك . وملك ذي العرش دائم أبدًا ليس بفان ولا بمشترك .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **تولج**[١١] **الليل في النهار وتولج**[١٢] **النهار في الليل** ﴾ أي : تأخذ[١٣]

(٨٠) - في « تاريخ دمشق » : (٢/٧٠٦ - مخطوط) .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « يتحكم » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في ز : « في » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - في ز : « نعطي » .
[٩] - في ز : « نريد » .
[١٠] - في ز : « رسالاته » .
[١١] - في ز ، خ : « يولج » .
[١٢] - في ز ، خ : « يولج » .
[١٣] - في ز : « نأخذ » .

من طول هذا فتزيده في قصر هذا ، فيعتدلان ، ثم تأخذ من هذا في هذا فيتفاوتان ثم يعتدلان ، وهكذا في فصول السنة ربيعًا ، وصيفًا ، وخريفًا ، وشتاء . وقوله تعالىٰ : ﴿ **وتخرج**[١] **الحي من الميت وتخرج**[٢] **الميت من الحي** ﴾ أي : تخرج[٣] [الزرع من الحبة ، والحبة من الزرع] ، والنخلة من النواة ، والنواة من النخلة ، والمؤمن من الكافر ، والكافر من المؤمن ، والدجاجة من البيضة ، والبيضة من الدجاجة ، وما جرىٰ هذا المجرىٰ من جميع الأشياء ﴿ **وترزق**[٤] **من تشاء**[٥] **بغير حساب** ﴾ أي : تعطي من شئت[٦] من المال ما لا يعده ولا يقدر علىٰ إحصائه ، وتقتر علىٰ آخرين ، لما لك في ذلك من الحكمة والإرادة ، والمشيئة ، والعدل .

قال الطبراني(٨١) : حدّثنا محمد بن زكريا الغلابي[٧] ، حدثنا جعفر بن جسر[٨] ابن فرقد ، حدثنا أبي ، عن عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « **اسم**[٩] **الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في هذه الآية من آل عمران : ﴿ قل اللَّهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك علىٰ كل شيء قدير ﴾** » .

﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ

(٨١) - أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٧١/١٢ - ١٧٢) وفيه : محمد بن زكريا الغلابي وهو ضعيف ، وقد ذكره ابن حبان في « الثقات » : وقال : يعتبر بحديثه إذا روىٰ عن ثقة ، وقال ابن منده : تكلم فيه ، وقال الدارقطني : يضع الحديث . انظر « ميزان الاعتدال » (٤٧٠/٤) رقم (٧٥٣٧) ، و« لسان الميزان » (١٧٣/٥) رقم (٧٤١٩) . وفي إسناده كذلك جعفر بن جسر بن فرقد . قال العقيلي في « الضعفاء » (١٨٧/١) : بصري ، وحفظه فيه اضطراب شديد ، كان يذهب إلى القدر وحدث بمناكير . قال ابن عدي : ولجعفر مناكير سوى ما ذكرت ، ولعل ذلك من قِبل أبيه ؛ فإنه مضعف . وقال الساجي : حدث بمناكير ، وكان يذهب إلى القدر ، « لسان الميزان » (١٤٠/٢ - ١٤١) رقم (١٩٩١) وانظر « ميزان الاعتدال » (٤٠٣/١) رقم (١٤٩٣) . وأما أبيه : جسر بن فرقد فهو ضعيف أيضًا ، قال البخاري : ليس بذاك عندهم ، وقال ابن معين : ليس بشيء ، وقال النسائي : ضعيف ، وقال ابن حبان : ضعيف ، وقال أبو حاتم :كان رجلًا صالحًا وليس بالقوي ، انظر « الضعفاء والمتروكين » (١٦٩/١) ، و« الجرح والتعديل » (٥٣٨/٢) ، و« ميزان الاعتدال » (٣٩٨/١) رقم (١٤٨١) ، و« لسان الميزان » (١٣٢/٢ - ١٣٣) رقم (١٩٦٥) .

[١] - [٢] - [٣] - في خ : « ويخرج » .
[٤] - في ز ، خ : « ويرزق » .
[٥] - في ز : « يشاء » .
[٦] - في خ : « تشاء » .
[٧] - في ز : « العلاتي » .
[٨] - في ز : « حبر » .
[٩] - هذه الكلمة مكررة في خ .

ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾

نهى اللَّه تبارك وتعالىٰ عباده المؤمنين أن يوالوا الكافرين ، وأن يتخذوهم أولياء يسرون إليهم بالمودة من دون المؤمنين ، ثم توعد[١] علىٰ ذلك فقال : ﴿ **ومن يفعل ذلك فليس من اللَّه في شيء** ﴾ أي : ومن يرتكب نهي اللَّه في هذا فقد برئ من اللَّه ، كما قال تعالىٰ : [﴿ **يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوّي وعدوّكم أولياء تلقون إليهم بالمودّة** ﴾ ، إلىٰ أن قال ، ﴿ **ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل** ﴾ وقال تعالىٰ] : ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا للَّه عليكم سلطانا مبينا** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارىٰ أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم** ﴾ الآية . وقال [سبحانه وتعالىٰ] بعد ذكر موالاة المؤمنين للمؤمنين من المهاجرين والأنصار والأعراب ﴿ **والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير** ﴾ . و[قوله تعالىٰ] : ﴿ **إلا أن تتقوا منهم تقاة** ﴾ أي : إلا من خاف في بعض البلدان والأوقات من شرهم . فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته ، كما حكاه البخاري(٨٢) ، عن أبي الدرداء أنه قال : إنا لنكشر في وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم . وقال الثوري : قال ابن عباس : ليس التقية بالعمل ، إنما التقية باللسان . [وكذا رواه العوفي عن ابن عباس : إنما التقية باللسان][٢] . وكذا قال أبو العالية وأبو الشعثاء والضحاك والربيع بن أنس . ويؤيد ما قالوه قول اللَّه تعالىٰ : ﴿ **من كفر باللَّه من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرًا فعليهم غضب من اللَّه ولهم عذاب عظيم** ﴾ . الآية . وقال البخاري(٨٣) : قال الحسن : التقية ثم[٣] إلىٰ يوم القيامة . ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ويحذركم اللَّه نفسه** ﴾ أي : يحذركم نقمته في[٤] مخالفته وسطوته في عذابه لمن والىٰ أعداءه وعادىٰ أولياءه . ثم قال تعالىٰ : ﴿ **وإلىٰ اللَّه المصير** ﴾ أي : إليه المرجع والمنقلب فيجازي[٥] كل عامل بعمله .

قال ابن أبي حاتم(٨٤) : حدثنا أبي ، حدثنا سويد بن سعيد ، حدثنا مسلم بن خالد ، عن ابن

(٨٢) - في صحيحه كتاب الأدب (١٠/ ٥٢٧/ الفتح)

(٨٣) - فاتحة كتاب الإكراه (١٢/ ٣١١/ الفتح) .

(٨٤) - رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ، وأبو داود في « سننه » كتاب الصلاة ، باب : إذا أخر الإمام الصلاة عن الوقت ، حديث (٤٣٢) . وفيه : عمرو بن ميمون الأودي ، وجاء في ز ، خ : عمرو بن ميمون =

[١] - في خ : « توعدهم » .

[٢] - زيادة من : خ ، وسقط من ز .

[٣] - زيادة من : خ .

[٤] - في خ : « أي » .

[٥] - في خ : « فيجازي » .

أبي حسين ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن عمرو بن ميمون [ ][١] ، قال : قام فينا معاذ بن جبل فقال : يا بني أود أني رسول رسول الله إليكم ، تعلمون أن المعاد إما[٢] إلىٰ الجنة أو إلىٰ النار .

﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾

يخبر تبارك وتعالىٰ عباده أنه يعلم السرائر والضمائر والظواهر ، وأنه لا يخفىٰ عليه منهم خافية ، بل علمه محيط بهم في سائرالأحوال [والأزمان والأيام][٣] واللحظات وجميع الأوقات ، وبجميع ما في الأرض والسموات لا يغيب عنه مثقال ذرّة ولا أصغر من ذلك في جميع أقطار الأرض ، والبحار ، والجبال وهو ﴿ **والله**[٤] **علىٰ كل شيء قدير** ﴾ أي : وقدرته نافذة في جميع ذلك[٥] ، وهذا تنبيه منه[٦] لعباده على خوفه ، وخشيته لئلا[٧] يرتكبوا ما نهىٰ عنه وما يبغضه منهم ، فإنه عالم بجميع أمورهم ، وهو قادر علىٰ معاجلتهم بالعقوبة ، وإن أنظر من أنظر منهم فإنه يمهل ثم يأخذ أخذ عزيز مقتدر ، ولهذا قال بعد هذا : ﴿ **يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرًا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدًا بعيدًا** ﴾ الآية . يعني : يوم القيامة يحضر للعبد جميع أعماله من خير وشر ،

= ابن مهران ، والصواب عمرو بن ميمون الأودي ، فقد قال الحافظ في « التهذيب » (٩٦/٨ - ٩٧) : عمرو بن ميمون الأودي معروف بالرواية عن معاذ ، وبرواية عبد الرحمن بن سابط عنه . وفي « التقريب » (ص ٤٢٧) رقم (٥١٢٢) في ترجمة عمرو ابن ميمون الأودي : مخضرم مشهور ، ثقة عابد ، نزل الكوفة ، مات سنة أربع وسبعين ، وانظر « فتح الباري » (٦٥/٨) . وأما عمرو بن ميمون بن مهران فهو جزري من السادسة ، مات سنة سبع وأربعين ومائه ، ولم يدرك معاذًا ، « التهذيب » (٩٥/٨ ، ٩٦) ، وكون عمرو بن ميمون أوديًّا يتناسب مع متن الحديث وهو قوله : قام فينا معاذ ، فقال : يا بني أود ، فالخطاب موجه إلى بني أود ، والضمير (نا) في قوله : فينا يعود إلى بني أود ، فهو منهم ، كما صرح أبو داود في سننه بأنه عمرو بن ميمون الأودي حديث (٤٣٢) . والحديث حسن إسناده المنذري في مختصر سنن أبي داود .

[١] - في ز ، خ : بن مهران .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ر ، خ : « والأنات » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز ، خ : « وأن لا » .

كما قال تعالىٰ : ﴿ ينبأ الإنسان يومئذ بما قدّم وأخر ﴾ فما رأىٰ من أعماله حسنًا سره ذلك وأفرحه ، وما رأىٰ من قبيح ساءه وغاظه ، وودّ لو أنه تبرأ منه ، وأن يكون بينهما [أمد بعيد][١] ، كما يقول لشيطانه الذي كان مقترنًا به في الدنيا وهو الذي جرّأه[٢] علىٰ فعل السوء ﴿ ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ﴾ .

ثم قال تعالىٰ مؤكدًا ، ومهددًا[٣] ، ومتوعدًا : ﴿ ويحذركم اللَّه نفسه ﴾ أي : يخوّفكم عقابه . ثم قال جل جلاله مرجيًا لعباده [لئلا ييئسوا][٤] من رحمته ويقنطوا من لطفه : ﴿ واللَّه رءوف بالعباد ﴾ قال الحسن البصري : من رأفته بهم حذرهم نفسه . وقال غيره : أي : رحيم بخلقه ، يحب لهم أن يستقيموا علىٰ صراطه المستقيم ودينه القويم ، وأن يتبعوا رسوله الكريم .

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾

هذه الآية الكريمة حاكمة علىٰ كل من ادّعىٰ محبة اللَّه ، وليس هو علىٰ الطريقة المحمدية ؛ فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر ، حتىٰ يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله ، وأحواله[٥] ، كما ثبت في الصحيح(٨٥) عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال : « من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو ردّ » ؛ ولهذا قال : ﴿ قل إن كنتم تحبون اللَّه فاتبعوني يحببكم اللَّه ﴾ أي : يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه ، وهو محبته إياكم ، وهو أعظم من الأول ، كما قال بعض [العلماء الحكماء] : ليس الشأن أن تُحِبَّ ، إنما الشأن أن تُحَبَّ . وقال الحسن البصري وغيره من السلف : زعم قوم أنهم يحبون اللَّه فابتلاهم اللَّه بهذه الآية فقال : ﴿ قل إن كنتم تحبون اللَّه فاتبعوني يحببكم اللَّه ﴾ .

وقد قال ابن أبي حاتم (٨٦) : حدثنا أبي ، حدثنا علي بن محمد الطنافسي ، حدثنا عبيد اللَّه بن

---

(٨٥) - سبق تخريجه سورة البقرة آية (١١٢) .

(٨٦) - أخرجه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (٢/٢٠٢ - ٢٠٣)رقم ٣٧٦٠) والحاكم في « المستدرك » (٢/٢٩١) ، والعقيلي في « الضعفاء » (٣/٦٠ - ٦١) رقم (١٠٢٤) . وصححه الحاكم ، وتعقبه الذهبي بقوله : قلت : عبد الأعلى ؛ قال الدارقطني : ليس بثقة . وعبد الأعلى بن أعين الكوفي مولى بني شيبان : ضعيف من السابعة كما في التقريب ، وقد روى عن يحيى بن أبي كثير المناكير ، وقال العقيلي :=

---

[١] - ما بين المعكوفتين في خ : « أمدًا بعيدًا » .
[٢] - في ز : « حداه » .
[٣] - في ز : « متهددًا » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « لييئسوا » .
[٥] - زيادة من : ز ، خ .

موسىٰ ، عن عبد الأعلىٰ بن أعين[١] ، عن يحيىٰ بن أبي كثير ، عن عروة ، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله ﷺ : « **وهل الدين إلا الحب [والبغض]**[٢] **قال الله تعالىٰ : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾** . وقال[٣] أبو زرعة : [ ][٤] عبد الأعلىٰ هذا منكر الحديث .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ويغفر لكم ذنوبكم ، والله غفور رحيم** ﴾ أي : باتباعكم للرسول ﷺ يحصل لكم هذا [من بركة][٥] سفارته ، ثم قال تعالىٰ آمرًا لكل أحد من خاص وعام : ﴿ **قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا** ﴾ أي : خالفوا عن أمره ﴿ **فإن الله لايحب الكافرين** ﴾ فدل علىٰ أن مخالفته في الطريقة كفر ، والله لا يحب من اتصف بذلك ، وإن ادعىٰ وزعم في نفسه أنه [محب لله][٦] ويتقرّب إليه حتىٰ يتابع الرسول النبي الأمي خاتم الرسل ورسول الله إلىٰ جميع الثقلين الجن والإنس ، الذي لو كان الأنبياء بل المرسلون بل أولو العزم منهم في زمانه ما[٧] وسعهم إلا اتباعه والدخول في طاعته واتباع شريعته ، كما سيأتي تقريره عند قوله تعالىٰ : ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين** ﴾ الآية [إن شاء الله تعالىٰ][٨] .

۞ **إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾**

يخبر تعالىٰ أنه اختار هذه البيوت علىٰ سائر أهل الأرض ، فاصطفىٰ آدم عليه السلام ؛ خلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وعلمه أسماء كل شيء ، وأسكنه الجنة ، ثم أهبطه[٩] منها ، لما له في ذلك من الحكمة ، واصطفىٰ نوحًا عليه السلام وجعله أوّل رسولٍ بعثه[١٠] إلىٰ أهل الأرض ، لما عبد الناس الأوثان ، وأشركوا بالله[١١] ما لم ينزل به سلطانًا ،

= جاء بأحاديث منكرة ، ليس منها شيء يحفظ ، وقال ابن حبان : لا يجوز الاحتجاج به ، منكر . انظر « الضعفاء » للعقيلي (٦٠/٣ ، ٦١) ، و« التهذيب » (٨٥/٦) رقم (١٩٦) .

[١] - في ز : « اعه » .
[٢] - في ت : في الله والبغض في الله
[٣] - في ز : « قال » .
[٤] - عند ابن أبي حاتم في التفسير : هذا حديث منكر .
[٥] - في ز ، خ : « كلّه ببركة » .
[٦] - في ز ، خ : « يحب الله » .
[٧] - في ز : « لما » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٩] - في خ : « أهبط » .
[١٠] - سقط من : ز ، خ .
[١١] - في ز ، خ : « في دين الله » .

وانتقم له لما طالت مدّته بين ظهراني قومه ، يدعوهم إلىٰ اللَّه ليلًا ونهارًا ، سرًا[١] وجهارًا ، فلم يزدهم ذلك إلا فرارًا ، فدعا عليهم فأغرقهم اللَّه عن آخرهم ، ولم ينج منهم إلا من اتبعه علىٰ دينه الذي بعثه اللَّه به ، واصطفىٰ آل إبراهيم ، ومنهم سيد البشر وخاتم الأنبياء علىٰ الإطلاق محمد ﷺ ، وآل عمران ، والمراد بعمران هذا هو والد مريم بنت عمران أم عيسىٰ بن مريم عليهم السلام .

قال محمد بن إسحاق بن يسار رحمه اللَّه : هو عمران بن ياشم بن أمون بن ميشا بن حزقيا بن أحريق بن يونم بن عزاريا بن أمصيا بن ياوش بن [أجر يهو] بن يازم بن يهفاشاط بن إنشا بن أبيان[٢] بن رخيعم بن سليمان بن داود عليهما السلام . فعيسىٰ عليه السلام من ذرية إبراهيم ، كما سيأتي بيانه في سورة الأنعام إن شاء اللَّه تعالىٰ وبه الثقة .

إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾

امرأة عمران هذه هي[٣] أمّ مريم [بنت عمران][٤] عليها السلام وهي حنة بنت فاقود . قال محمد بن إسحاق : وكانت امرأة لا تحمل ، فرأت يوما طائرًا يزق فرخه ، فاشتهت الولد ، فدعت اللَّه تعالىٰ أن يهبها ولدًا ، فاستجاب اللَّه دعاءها ، فواقعها زوجها فحملت منه ، فلما تحققت الحمل نذرته أن يكون محررًا أي : خالصًا مفرغًا للعبادة و[٥] لخدمة بيت المقدس ، فقالت : ﴿ **رب إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم** ﴾ أي : السميع لدعائي العليم بنيتي . ولم تكن تعلم ما في بطنها أذكرًا أم أنثىٰ ﴿ **فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثىٰ واللَّه أعلم بما وضعت** ﴾ قرىء[٦] برفع التاء علىٰ أنها تاء المتكلم وأن ذلك من تمام قولها ، وقرئ بتسكين التاء علىٰ أنه من قول اللَّه عز وجل ﴿ **وليس الذكر كالأنثىٰ** ﴾ أي : في القوة والجلد في العبادة وخدمة المسجد الأقصىٰ ﴿ **وإني سميتها مريم** ﴾ فيه دلالة[٧] علىٰ جواز التسمية يوم الولادة ، كما هو الظاهر من

---

[١] - في ز : « وسرًا » .
[٢] - في خ : « أنان » .
[٣] - زيادة من : ز ، خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز ، خ .
[٥] - زيادة من : ز ، خ .
[٦] - في ز : « قرئت » .
[٧] - في ت : « دليل » .

السياق ؛ لأنه شرع من قبلنا ، وقد حكي مقررًا ، وبذلك ثبتت السنة عن رسول الله ﷺ حيث قال : « **ولد لي الليلة ولد وسميته باسم أبي إبراهيم** »(٨٧) . أخرجاه .

وكذلك ثبت فيهما أن أنس بن مالك ذهب بأخيه حين ولدته أمه إلىٰ رسول الله ، ﷺ ، فحنكه وسماه عبد الله(٨٨) .

وفي صحيح البخاري(٨٩) أن رجلًا قال : يا رسول الله ؛ ولد لي الليلة[١] ولد فما أسميه ؟ قال[٢] : « **اسم ولدك عبد الرحمن** » وثبت في الصحيح أيضًا (٩٠) : أنه لما جاء[٣] أبو أسيد بابنه ليحنكه فذهل عنه ، فأمر به أبوه فرده إلىٰ منزلهم ، فلما ذكر رسول الله ، ﷺ في المجلس سماه المنذر . فأما حديث قتادة ، عن الحسن البصري ، عن سمرة بن جندب ، أنّ رسول الله ﷺ قال : « **كل غلام رهينة[٤] بعقيقته ، يذبح عنه يوم سابعه ، ويسمىٰ ويحلق رأسه** »(٩١) . فقد رواه أحمد وأهل السنن وصححه الترمذي بهذا اللفظ وروي[٥] « **ويدمّى** » . وهو أثبت وأحفظ والله أعلم .

وكذا[٦] ما رواه الزبير بن بكار في كتاب النسب ، أن رسول الله ﷺ عق عن ولده إبراهيم

(٨٧) - أخرجه مسلم في كتاب الفضائل ، حديث ٦٢ - (٢٣١٥) ، وأبو داود في « سننه » كتاب الجنائز ، باب : في البكاء على الميت ، حديث (٣١٢٦) ، وأحمد في « مسنده » (١٩٤/٣) ، والبيهقي في « سننه » (٦٩/٤) من طرق ، عن سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس به ،

وأخرجه البخاري بنحوه ، كتاب الجنائز ، باب : قول النبي ﷺ : « **إنا بك لمحزونون** » حديث (١٣٠٣) ، والبغوي في « شرح السنة » (٤٢٨/٥ - ٤٢٩) برقم (١٥٢٨) من طريق الحسن بن عبد العزيز ، عن يحيى ابن حسان ، عن قريش - هو ابن حبان - عن ثابت ، عن أنس ، به .

(٨٨) - أخرجه البخاري في « صحيحه » كتاب العقيقة ، باب : تسمية المولود غداة يولد لمن لم يعق عنه وتحنيكه ، حديث (٥٤٧٠) . ومسلم في كتاب : الآداب ، حديث (٢١٤٤) من حديث أنس بن مالك .

(٨٩) - أخرجه البخاري في « صحيحه » كتاب : الأدب ، باب : أحب الأسماء إلى الله عز وجل ، حديث (٦١٨٦) من حديث جابر رضي الله عنه .

(٩٠) - أخرجه البخاري في « صحيحه » كتاب الأدب ، باب : تحويل الاسم إلى اسم أحسن منه ، حديث (٦١٩١) ، ومسلم في « صحيحه » كتاب : الآداب ، حديث (٢١٤٩) من حديث سهل بن سعد الساعدي .

(٩١) - أخرجه أحمد في « مسنده » (١٢/٥) ، وأبو داود في « سننه » كتاب الأضاحي ، باب : في العقيقة ، رقم (٢٨٣٨) والترمذي في « سننه » كتاب الأضاحي ، باب : ما جاء في العقيقة ، حديث (١٥٢٢) ، والنسائي في « سننه » (١٦٦/٧) ، كتاب العقيقة ، باب : متى يعق ؟ وابن ماجه في =

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز ، خ : « فقال » .
[٣] - في ز ، خ : « جاءه » .
[٤] - في ت : « مرتهن » .
[٥] - في ز ، خ : « ويروي » .
[٦] - سقط من : خ .

[وسماه إبراهيم يوم سابعه][١] ، فإسناده لا[٢] يثبت ، وهو مخالف لما في الصحيح ولو صح لحمل على أنه اشتهر[٣] اسمه بذلك يومئذ والله أعلم . وقوله إخبارًا عن أم مريم أنها قالت ﴿ **وإني أعيذها بك وذرّيتها من الشيطان الرجيم** ﴾ أي : عوذتها بالله عز وجل من شر الشيطان ، وعوذت ذريتها وهو ولدها عيسى عليه السلام فاستجاب الله لها ذلك ، كما قال عبد الرزاق : أنبأنا معمر ، عن الزهري ، عن ابن المسيب ، عن أبي هريرة ، [رضي الله عنه] قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما من مولود يولد إلا مسه الشيطان حين يولد ، فيستهل صارخًا من مسه إياه ، إلا مريم وابنها** » . ثم يقول أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم ﴿ و[٤] **إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم** ﴾ . أخرجاه(٩٢) من حديث عبد الرزاق .

ورواه ابن جرير(٩٣) ، عن أحمد بن الفرج ، عن بقية ، عن الزبيدي ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ بنحوه .

وروي من حديث قيس ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما من مولود إلا [وقد عصره][٥] الشيطان عصرة أو عصرتين ، إلا عيسى ابن مريم ومريم** » . ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ و[٦] **إني أعيذها بك وذرّيتها من الشيطان**

= كتاب الذبائح ، باب : العقيقة ، حديث (٣١٦٥) . والطيالسي في مسنده (ص ١٢٣) برقم (٩٠٩) ، والدارمي في « سننه » (٨١/٢) ، كتاب الأضاحي ، باب : السنة في العقيقة ، وابن الجارود في « المنتقى » (ص ٣٣٩) رقم (٩١٠) ، والحاكم في المستدرك (٢٣٧/٤) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (٢٩٩/٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٩١/٦) كلهم من طرق عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة به . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي . وذكره الشيخ الألباني - حفظه الله - في « الإرواء » (٣٨٥/٤ - ٣٨٦) رقم : (١١٦٥) . وقال : صحيح .

(٩٢) - أخرجه البخاري في « صحيحه » كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ **وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم** ﴾ ، حديث (٤٥٤٨) ، ومسلم في « صحيحه » : كتاب : الفضائل ، حديث (٢٣٦٦) ، وأحمد في مسنده (٢٧٤/٢ - ٢٧٥) ، وابن جرير في تفسيره (٣٣٩/٦) رقم (٦٨٩١) وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٢١/٢) رقم (٤٢٠) من طريق عبد الرزاق به .

(٩٣) - رواه ابن جرير في « تفسيره » (٣٤٣/٦) برقم (٦٨٩٩) . وبقية هو ابن الوليد الحمصي مدلس ويسوي ، ولم يصرح بالتحديث إلا من شيخه كما هو عند الطبري . والزُّبيدي : بضم الزاي : هو محمد بن الوليد بن عامر الحمصي ، وهو ثقة - روى له الشيخان . وقد أشار الحافظ في « فتح الباري » إلى هذه الرواية (٤٦٩/٦) عند رواية الزهري ، عن ابن المسيب ، فقال : كذا قال أكثر أصحاب الزهري ، وقال الزبيدي : عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة - أخرجه الطبري .

---

[١] - في ز ، خ : « يوم سابعه وسماه إبراهيم » . [٢] - في خ : « لم » .
[٣] - في ز : « أشهر » . [٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز : « وعصره » . [٦] - سقط من : ز ، خ .

الرجيم ﴾(٩٤) .

ومن حديث العلاء ، [عن أبيه][١] ، عن أبي هريرة .

ورواه مسلم(٩٥) ، عن أبي الطاهر ، عن ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن أبي يونس ، عن أبي هريرة .

ورواه ابن وهب أيضًا عن ابن[٢] أبي ذئب ، عن عجلان مولىٰ المشمعل ، عن أبي هريرة(٩٦) .

ورواه محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم بأصل الحديث (٩٧) .

وهكذا رواه الليث بن سعد ، عن جعفر بن ربيعة ، عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج قال : قال أبو هريرة : قال رسول الله ، ﷺ : « **كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه حين تلده أمه ، إلا عيسىٰ ابن مريم ، ذهب يطعن فطعن في الحجاب** »(٩٨) .

فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا

---

(٩٤) - أخرجه الطبري في « تفسيره » (٣٣٩/٦) رقم (٦٨٩٢) . وقيس هو : قيس بن الربيع الأسدي أبو محمد الكوفي ، صدوق تغير لما كبر ، وأدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به .

(٩٥) - أخرجه مسلم في « صحيحه » كتاب الفضائل ، حديث (١٤٧/٢٣٦٦) .

(٩٦) - أخرجه الطبري في « تفسيره » (٣٣٨/٦) برقم (٦٨٨٨) من طريق ابن وهب بهذا الإسناد . وأخرجه أحمد في « مسنده » (٢٨٨/٢) عن إسماعيل بن عمر ، و(٢٩٢/٢) عن يزيد بن هارون ، و(٣١٩/٢) عن هاشم بن القاسم - ثلاثتهم - عن ابن أبي ذئب بهذا الإسناد ، وعجلان مولى المشمعل : تابعي ثقة .

(٩٧) - أخرجه الطبري في « تفسيره » (٣٣٦/٦ ، ٣٣٧) رقم (٦٨٨٤ ، ٦٨٨٥ ، ٦٨٨٦) من طريق محمد ابن إسحاق ، بهذا الإسناد ، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٥٩٤/٢) من طريق إسماعيل بن جعفر ، عن يزيد ابن عبد الله بن قسيط ، عن أبي هريرة ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . قال الشيخ أحمد شاكر - رحمه الله - (٣٣٧/٦) : ووقع في المستدرك ومختصر الذهبي : يزيد بن عبد الله ابن قسيط ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، وزيادة « عن أبيه » في الإسناد خطأ صرف لا معنى لها ، وأرجح أنه خطأ من ناسخي المستدرك ، فإن والد يزيد هذا غير معروف بالرواية ، ولم يذكره أحد في رواة الحديث .

(٩٨) - أخرجه الطبري في « تفسيره » (٣٤٢/٦) رقم (٦٨٩٧) من طريق الليث بن سعد بهذا الإسناد . وذكره السيوطي بنحوه في « الدر المنثور » (٣٤/٢) وعزاه لعبد بن حميد ، وابن جرير ، والحاكم ، وصححه عن أبي هريرة به .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .   [٢] - سقط من : خ .

﴿زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾

يخبر ربنا – تعالى- أنه تقبلها من أمها نذيرة ، وأنه[١] أنبتها نباتًا حسنًا ، أي : جعلها شكلًا مليحًا ومنظرًا بهيجًا ، ويسر لها أسباب القبول ، وقرنها بالصالحين من عباده ، تتعلم منهم [العلم و][٢] الخير والدين ، فلهذا[٣] قال : ﴿ وكَفَلها زكريا ﴾(٩٩) وفي قراءة ﴿ وكَفَّلها زكريا ﴾(١٠٠) بتشديد الفاء ، ونصب زكريا علىٰ المفعولية ، أي : جعله كافلًا لها . قال ابن إسحاق : وما ذلك[٤] إلا أنها كانت يتيمة . وذكر غيره : أن بني إسرائيل أصابتهم سنة جدب ، فكفل زكريا مريم[٥] لذلك ولا منافاة بين القولين والله أعلم .

وإنما قدر الله كون زكريا كافلها لسعادتها ، لتقتبس منه علمًا جمًّا نافعًا وعملًا صالحاً ، ولأنه كان زوج خالتها علىٰ ما ذكره ابن إسحاق ، وابن جرير وغيرهما[٦] . وقيل : زوج أختها . كما ورد في الصحيح(١٠١) : « فإذا بيحيىٰ[٧] وعيسىٰ و[٨] هما ابنا الخالة » وقد يطلق[٩] علىٰ ما ذكره ابن إسحاق ذلك أيضًا[١٠] توسعًا ، فعلىٰ هذا كانت في حضانة خالتها . وقد ثبت في الصحيحين[١١] : أنّ رسول الله ﷺ قضىٰ في عمارة بنت حمزة ، أن تكون[١٢] في حضانة خالتها امرأة جعفر بن أبي طالب ، وقال : « الخالة بمنزلة الأم »(١٠٢) .

ثم أخبر تعالىٰ عن سيادتها وجلالتها في محل عبادتها ، فقال : ﴿ كلما دخل عليها زكريا

(٩٩) – قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر : ﴿وكَفَلَها﴾ مفتوحة الفاء خفيفة .

(١٠٠) – وقرأ عاصم وحمزة والكسائي : ﴿وكفَّلها﴾ مشددة الفاء .

(١٠١) – سيأتي تخريجه – سورة الإسراء .

(١٠٢) – أخرجه البخاري في « صحيحه » كتاب الصلح ، باب : كيف يكتب « هذا ما صالح فلان بن فلان ابن فلان وإن لم ينسبه إلى قبيلته أو نسبه » حديث (٢٦٩٩) مطولًا . ومسلم في « صحيحه » كتاب الجهاد والسير ، حديث (١٩/١٧٨٣) مختصرًا وليس فيه لفظ « الخالة بمنزلة الأم » ، وأحمد في « مسنده » (٢٩٨/٤) بلفظ مسلم من حديث البراء بن عازب .

[١] – سقط من : ز ، خ .

[٢] – سقط من : خ .

[٣] – في ز و خ : « ولهذا » .

[٤] – في ز ، خ : « ذاك » .

[٥] – في ز : « لمريم » .

[٦] – سقط من : ز ، خ .

[٧] – في خ : « يحيى » .

[٨] – سقط من : خ .

[٩] – في ز ، خ : « نطق » .

[١٠] – سقط من : ز ، خ .

[١١] – في ت : « الصحيح » .

[١٢] – في ز ، خ : « تكن » .

المحراب وجد عندها رزقًا ﴾ . و[١] قال مجاهد وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وأبو الشعثاء ، وإبراهيم النخعي ، والضحاك ، وقتادة ، والربيع بن أنس ، وعطية العوفي ، والسُّدي : يعني[٢] [وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء ، وفاكهة الشتاء في الصيف .

وعن مجاهد][٣] : ﴿ **وجد عندها رزقًا** ﴾ أي : علمًا . أو قال : صحفًا فيها علم .

رواه ابن أبي حاتم(١٠٣) ، والأول أصح ، وفيه دلالة علىٰ كرامات الأولياء .

وفي السنة لهذا نظائر كثيرة ، فإذا رأىٰ زكريا هذا عندها ﴿ **قال : يا مريم أنىٰ لكِ هذا** ﴾ أي : يقول من أين لك هذا ؟ ﴿ **قالت هو من عند اللَّه إن اللَّه يرزق من يشاء بغير حساب** ﴾

وقال الحافظ أبو يعلىٰ (١٠٤) : [حدثنا سهيل بن زنجلة][٤] ، حدثنا عبد اللَّه بن صالح ، حدثنا[٥] عبد اللَّه بن لهيعة ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر ؛ أن رسول اللَّه ﷺ **أقام أيامًا** لم يطعم طعامًا ، حتىٰ شق ذلك عليه ، فطاف في منازل أزواجه ، فلم يجد عند واحدة منهن شيئًا ، فأتىٰ فاطمة فقال : « **يا بنية ؛ هل عندك شيء آكله فإني جائع ؟** » قالت[٦] : لا واللَّه - بأبي أنت وأمي - فلما خرج من عندها بعثت إليها جارة لها برغيفين وقطعة لحم ، فأخذته منها ، فوضعته في جفنة لها ، وقالت : واللَّه لأوثرن بهذا رسول اللَّه ﷺ علىٰ نفسي ومن عندي ، وكانوا جميعا محتاجين إلىٰ شبعة طعام ، فبعثت حسنًا أو حسينًا إلىٰ رسول اللَّه ﷺ فرجع إليها فقالت له : بأبي أنت وأمي : قد أتىٰ اللَّه بشيء فخبأته لك قال : « **هلمي يا بنية** » . قالت : فأتيته بالجفنة فكشفت عنها[٧] ، فإذا هي مملوءة خبزًا ولحمًا ، فلما نظرت إليها بهتت وعرفت أنها بركة من اللَّه ، فحمدت اللَّه ، وصلت علىٰ نبيه ، وقدمته إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فلما رآه حمد اللَّه ، وقال : « **من أين لك هذا يا بنية** » ؟قالت : يا أبت ﴿ **هو من عند اللَّه إن اللَّه يرزق من يشاء بغير حساب** ﴾ فحمد اللَّه ، وقال : « **الحمد للَّه الذي جعلك يابنية شبيهة بسيدة نساء بني إسرائيل ، فإنها كانت إذا رزقها اللَّه شيئًا وسئلت[٨] عنه قالت : ﴿ هو من عند اللَّه إن اللَّه يرزق من يشاء بغير حساب ﴾** فبعث رسول اللَّه ﷺ إلىٰ علي ، ثم أكل رسول اللَّه ﷺ وأكل[٩] علي

(١٠٣) - رواه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (٢/٢٢٩) رقم (٤٤٥) .
(١٠٤) - رواه أبو يعلى كما في « المطالب العالية » (٤/٧٣ - ٧٤) .

[١] - زياة من : خ .
[٢] - غير واضحة في خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ت .
[٤] - في خ : « ثنا سهيل بن مرحلة » .
[٥] - في ز : « حدثني » .
[٦] - في ز : « فقالت » .
[٧] - في ز : « عن الجفنة » .
[٨] - في خ : « فسئلت » .
[٩] - سقط من : ز ، خ .

وفاطمة ، وحسن وحسين ، وجميع أزواج النبي ﷺ وأهل بيته [حتىٰ شبعوا جميعًا] ، قالت : وبقيت الجفنة كما هي . قالت[١] : فأوسعت ببقيتها[٢] علىٰ جميع الجيران ، وجعل الله فيها بركة وخيرًا كثيرًا .

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾

لما رأىٰ زكريا عليه السلام أن الله تعالى يرزق مريم عليها السلام فاكهة الشتاء في الصيف ، وفاكهة الصيف في الشتاء ؛ [طمع حينئذ][٣] في الولد [وإن كان][٤] شيخًا كبيرًا ، قد [ضعف و][٥] وهن منه العظم واشتعل الرأس[٦] شيبًا ، [وإن كانت][٧] امرأته مع ذلك كبيرة وعاقرًا ، لكنه مع هذا كله سأل ربه وناداه نداء خفيًّا وقال : ﴿ **رب هب لي من لدنك** ﴾ أي : من عندك ، ذرية طيبة ، أي : ولدًا صالحًا ، إنك سميع الدعاء . قال الله تعالىٰ : ﴿ **فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب** ﴾ أي : خاطبته الملائكة شفاهًا ، خطابًا أسمعته وهو قائم يصلي[٨] في محراب عبادته ، ومحل خلوته ، ومجلس مناجاته وصلاته .

ثم أخبر تعالىٰ عما بشرته به الملائكة ﴿ **أن الله يبشرك بيحيىٰ** ﴾ أي : بولد يوجد لك من صلبك اسمه يحيىٰ .

قال[٩] قتادة وغيره : إنما سمي يحيىٰ لأن الله تعالى أحياه بالإيمان . وقوله : ﴿ **مصدقًا بكلمة**

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « بقيمتها » .
[٣] - في خ : « كمع ح » .
[٤] - بين المعكوفتين في ز ، خ : « وكان » .
[٥] - - سقط من ت .
[٦] - في ز : « رأسه » .
[٧] - في خ : « وكانت » .
[٨] - سقط من : ز .
[٩] - في خ : « وقال » .

من الله ﴾ رویٰ العوفي وغيره عن ابن عباس ، وقال الحسن وقتادة ، وعكرمة ومجاهد ، وأبو الشعثاء والسدّي، والربيع بن أنس والضحاك وغيرهم ، في هذه الآية ﴿ مصدقًا بكلمة من الله ﴾ أي : بعيسىٰ بن مريم . وقال الربيع بن أنس : هو أول من صدق بعيسىٰ بن مريم .

وقال قتادة : وعلىٰ سنته ومنهاجه .

وقال ابن جريج : قال ابن عباس في قوله : ﴿ مصدقًا بكلمة من الله ﴾ قال : كان يحيىٰ وعيسىٰ ابني خالة ، وكانت أم يحيىٰ تقول لمريم : إني أجد الذي في بطني يسجد للذي في بطنك ، فذلك تصديقه بعيسى ؛ تصديقه له في بطن أمه ، وهو أول من صدق عيسىٰ ، وكلمة الله عيسىٰ ، وهو أكبر من [يحيى عليهما السلام][١] » وهكذا قال السدي أيضًا .

وقوله[٢] ﴿ وسيدًا ﴾ . قال أبو العالية والربيع بن أنس وقتادة وسعيد بن جبير وغيرهم : الحكيم . وقال قتادة : سيدًا في العلم والعبادة .

وقال[٣] ابن عباس والثوري والضحاك : السيد : الحكيم التقي[٤] . وقال سعيد بن المسيب : هو الفقية العالم .

وقال عطية : السيد في خلقه ودينه . وقال عكرمة : هو الذي لا يغلبه الغضب . وقال ابن زيد : هو الشريف . وقال مجاهد وغيره : هو الكريم علىٰ [الله عز وجل] .

وقوله : ﴿ وحصورًا ﴾ روي عن ابن مسعود ، وابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد ابن جبير ، وأبي الشعثاء ، وعطية العوفي ؛ أنهم قالوا : هو الذي لا يأتي النساء . وعن أبي العالية والربيع بن أنس : هو الذي لا يولد له . وقال الضحاك : هو الذي لا ولد له ولا ماء له .

وقال ابن أبي حاتم (١٠٥) : حدّثنا أبي ، حدثنا يحيىٰ بن المغيرة ، أنبأنا جرير ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس في الحصور : الذي لا ينزل الماء .

وقد رویٰ ابن أبي حاتم(١٠٦) في هذا حديثًا غريبًا جدًّا فقال : حدثنا أبو جعفر محمد بن غالب

(١٠٥) - رواه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (٢/٢٤٦) رقم (٤٩٣) ، وأخرجه الطبري في « تفسيره » (٦/ ٣٧٩) رقم (٦٩٩٧) من طريق ابن حميد ، عن جرير به . وقابوس هذا : هو ابن أبي ظَبْيان ، الجَنْبي ، الكوفي فيه لين .

(١٠٦) - رواه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (٢/٢٤١) برقم (٤٨٢) ، وأخرجه ابن أبي شيبة في « مصنفه » (١١/٥٦١) رقم (١١٩٥٦) عن أبي خالد ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، عن عبد الله =

[١] - في ت : « عيسى عليه السلام » .
[٢] - في ز : « قوله » .
[٣] - زيادة في : ت .
[٤] - في ز ، خ : « المتقي » .

البغدادي ، حدثني سعيد بن سليمان ، حدثنا عباد ، يعني ابن العوام ، عن يحيىٰ بن سعيد ، عن [سعيد بن][١] المسيب ، عن ابن العاص - لا يدري عبد الله أو عمرو - عن النبي ﷺ في قوله : ﴿ وسيدًا وحصورًا ﴾ قال : ثم تناول شيئًا من الأرض فقال : « **كان ذكره مثل هذا** » .

و[٢] قال ابن أبي حاتم(١٠٧) : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا يحيىٰ بن سعيد القطان ، عن يحيىٰ بن سعيد الأنصاري ، أنه سمع سعيد بن المسيب ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ؛ يقول : [ليس أحد من خلق الله لا يلقاه بذنب غير يحيىٰ بن زكريا][٣]، ثم[٤] قرأ سعيد : ﴿ **سيدًا وحصورًا** ﴾ ثم[٥] أخذ شيئًا من الأرض فقال[٦] : الحصور من[٧] كان ذكره مثل ذي . وأشار يحيىٰ بن سعيد القطان بطرف أصبعه السبابة .

فهذا موقوف وهو أقوى إسنادًا من المرفوع ، بل وفي صحة المرفوع نظر ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

[ورواه ابن المنذر في تفسيره : حدثنا أحمد بن داود السمناني ، حدثنا سويد بن سعيد ، حدثنا علي بن مسهر ، عن يحيىٰ بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب قال : سمعت عبد الله ابن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما من عبد يلقىٰ الله إلا ذا ذنب ، إلا يحيىٰ بن زكريا ، فإنّ الله يقول : ﴿ وسيدًا وحصورًا ﴾** ، قال ، : وإنما ذكره مثل هدبة الثوب » . وأشار بأنملته .

وقال ابن أبي حاتم (١٠٨) : حدثنا أبي ، حدثنا عيسىٰ بن حماد ومحمد بن سلمة المرادي قالا :

=ا بن عمرو ، بنحوه . وفيه : أبو جعفر محمد بن غالب البغدادي ويعرف بتمتام . حافظ مكثر عن أصحاب شعبة ووثقه الدارقطني وقال : وهم في أحاديث ، وكان إسماعيل القاضي يجل تمتامًا ويثني عليه ، وقال ابن المناوي : كتب عنه الناس ، ثم رغب أكثرهم عنه لخصال شنيعة في الحديث . وروى حمزة السهمي عن الدارقطني قال : ثقة مأمون ، وقال الدارقطني مرة أخرى : تمتام مكثر مجود . وقال ابن أبي حاتم : سمعت منه ببغداد ، وهو صدوق .

(١٠٧) - رواه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (٢/٢٤٣) رقم (٤٨٣) . ورواه الطبري مرفوعًا برقم (٦٩٨١) بنحوه .

(١٠٨) - رواه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (٢/٢٤٨ - ٢٤٩) رقم (٤٩٨) . وحجاج بن سليمان هو الرعيني منكر الحديث . ومحمد ابن عجلان المدني » قال الحافظ : صدوق إلا أنه اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة .

---

[١] - سقط من خ . [٢] - في ت : « و » .
[٣] - عند ابن أبي حاتم : ليس أحد يلقى الله إلا يلقاه بذنب غير يحيى بن زكريا .
[٤] - سقط من : ز . [٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « قال » . [٧] - في خ : « ما » .

حدثنا حجاج بن سليمان المقري ، عن الليث بن سعد ، عن محمد بن عجلان عن القعقاع ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، أن النبي ﷺ قال : « **كل ابن آدم يلقىٰ الله بذنب يعذبه عليه ، إن شاء أو يرحمه ، إلا يحيىٰ بن زكريا ؛ فإنه كان سيدًا وحصورًا ونبيًا من الصالحين** » . ثم أهوىٰ النبي ﷺ إلىٰ قذاة من الأرض فأخذها وقال : « **وكان ذكره مثل هذه القذاة** »][1] .

وقد قال القاضي عياض في كتابه الشفاء : اعلم أن ثناء الله تعالىٰ علىٰ يحيىٰ أنه كان[2] ﴿ **حصورًا** ﴾ ليس كما قاله بعضهم ، إنه كان هيوبًا أولا ذكر له ، بل قد أنكر هذا حذاق المفسرين، ونقاد العلماء ، وقالوا : هذه نقيصة وعيب ، ولا يليق بالأنبياء عليهم السلام . وإنما معناه أنه معصوم من الذنوب ، أي : لا يأتيها ، كأنه حصور عنها ، وقيل : مانعًا نفسه من الشهوات . وقيل : ليست له شهوة في النساء .

وقد بان لك من هذا أن عدم القدرة علىٰ النكاح نقص ، وإنما الفضل في كونها موجودة ، ثم يمنعها إمّا بمجاهدة كعيسىٰ ، أو بكفاية من الله عز وجل كيحيىٰ عليه السلام ، ثم هي في حق من قدر عليها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه ، درجة عليا ، وهي درجة نبينا ﷺ الذي لم يشغله كثرتهن عن عبادة ربه ، بل زاده ذلك عبادة بتحصينهنّ وقيامه عليهنّ ، وإكسابه لهنّ ، وهدايته إياهنّ ، بل قد صرح أنها ليست من حظوظ دنياه هو ، وإن كانت من حظوظ دنيا غيره ، فقال : « **حبب إلي من دنياكم** »(١٠٩) هذا لفظه .

والمقصود أنه مدح ليحيىٰ بأنه حصور ، ليس أنه لا يأتي النساء ، بل معناه كما قاله هو وغيره : أنه حصور من الفواحش والقاذورات ، ولا يمنع ذلك من تزويجه بالنساء الحلال ، وغشيانهنّ وإيلادهنّ ، بل قد يفهم وجود النسل له من دعاء زكريا المتقدم ، حيث قال : ﴿ **هب[3] لي من لدنك ذرّية طيبة** ﴾ كأنه [قال : ولدًا][4] له ذرية ونسل وعقب ، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم .

وقوله : ﴿ **ونبيًا من الصالحين** ﴾ هذه بشارة ثانية بنبوّة يحيىٰ بعد البشارة بولادته ، وهي أعلىٰ من الأولىٰ ، كقوله تعالى لأمّ موسىٰ : ﴿ **إنا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين** ﴾ . فلما تحقق زكريا عليه السلام هذه البشارة ، وأخذ[5] يتعجب من وجود الولد منه بعد الكبر ﴿ **قال : رب أنىٰ يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال** ﴾ أي : الملك ﴿ **كذلك الله يفعل ما يشاء** ﴾ أي : هكذا أمر الله عظيم ، لا يعجزه شيء ولا يتعاظمه أمر ﴿ **قال رب اجعل لي آية** ﴾

(١٠٩) - تقدم آية (١٤) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - زيادة في : ت .
[٣] - في خ : « فهب » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في خ : « ولد » .
[٥] - في خ : « أخذ » .

أي: علامة أستدل بها علىٰ وجود الولد مني ﴿ **قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا** ﴾ أي: إشارة لا تستطيع النطق مع أنك سوي صحيح. كما في قوله: ﴿ **ثلاث ليال سويًا** ﴾ ثم أمر بكثرة الذكر والشكر والتكبير[١] والتسبيح في هذه الحال، فقال تعالىٰ: ﴿ **واذكر ربك كثيرًا وسبح بالعشي والإبكار** ﴾. وسيأتي طرف آخر في بسط هذا المقام في أوّل سورة مريم إن شاء الله تعالىٰ.

وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾

هذا إخبار من اللَّه تعالىٰ بما خاطبت به الملائكة مريم عليها السلام عن أمر اللَّه لهم بذلك؛ أن اللَّه قد اصطفاها، أي: اختارها، لكثرة عبادتها، وزهادتها، وشرفها، وطهارتها[٢] من الأكدار والوساوس[٣]، واصطفاها ثانيًا مرة بعد مرة؛ لجلالتها علىٰ نساء العالمين.

قال عبد الرزاق(١١٠): أنبأنا معمر، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، في قوله تعالىٰ: ﴿ **إن اللَّه اصطفاك وطهرك واصطفاك علىٰ نساء العالمين** ﴾ قال: كان أبو هريرة يحدث عن رسول اللَّه ﷺ: « **خير نساء ركبن الإبل نساء قريش؛ أحناه علىٰ ولد في صغره، وأرعاه علىٰ زوج في ذات يده، ولم تركب مريم بنت عمران بعيرًا قطُّ** ».

(١١٠) - في « مصنفه » (٣٠٣/١١) رقم (٢٠٦٠٣). وأخرجه مسلم في « صحيحه » كتاب فضائل الصحابة، حديث ٢٠١ - (٢٥٢٧). وأحمد في « مسنده » (٢٦٩/٢، ٢٧٥)، وابن حبان في « صحيحه » (١٦٥/١٤ - الإحسان) برقم (٦٢٦٨) من طريق عبد الرزاق بهذا الإسناد. وأخرجه مسلم في « صحيحه » كتاب فضائل الصحابة، حديث (٢٠١/٢٥٢٧)، وابن حجر في « تغليق التعليق » (٤/ ٣٥)، وابن حبان في « صحيحه » (١٦٣/١٤ - الإحسان) برقم (٦٢٦٧) من طريق حرملة بن يحيى، عن ابن وهب، عن يونس، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، به. وعلقه البخاري في « صحيحه » كتاب الأنبياء، باب ﴿ **إذ قالت الملائكة يا مريم ...** ﴾ حديث (٣٤٣٤). قال: وقال ابن وهب: أخبرني يونس بنفس الإسناد السابق. وقال بإثره: تابعه ابن أخي الزهري وإسحاق الكلبي عن الزهري.

أما متابعة ابن أخي الزهري فوصلها ابن عدي في « الكامل » من طريق الدراوردي، حدثنا محمد بن =

[١] - سقط من: خ.

[٢] - في ز، خ: « وطهرها ». [٣] - في ز: « الوسواس ».

[ولم يخرجه][١] من هذا الوجه سوى مسلم ، فإنه رواه عن محمد بن رافع ، [وعبد ابن حميد][٢] كلاهما عن عبد الرزاق به .

وقال هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن جعفر ، عن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **خير نسائها مريم بنت عمران[٣] ، وخير نسائها خديجة بنت خويلد** » .

أخرجاه في الصحيحين من حديث هشام به مثله(١١١) .

وقال الترمذي(١١٢) : حدثنا أبو بكر ابن زنجويه[٤] ، حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن قتادة ، عن أنس ، أن رسول الله ﷺ قال : « **حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وآسية امرأة فرعون** » تفرّد به الترمذي وصححه .

= عبد الله ابن مسلم بن أحمد الزهري ، عن عمه ، به . وأما متابعة إسحاق الكلبي فوصلها الزهري في الزهريات ، عن يحيى بن صالح الوحاظي ، حدثنا إسحاق ، به . انظر « الفتح » (٤٧٤/٦) و« التغليق » (٣٥/٤ - ٣٦) ، وأخرجه البخاري في كتاب النكاح ، باب : إلى من ينكح ، وأي النساء خير ، حديث (٥٠٨٢) ، وطرفه حديث (٥٣٦٥) . ومسلم في « صحيحه » كتاب فضائل الصحابة ، حديث (٢٥٢٧) ، وأحمد في مسنده (٢٦٩/٢ ، ٣٩٣ ، ٤٤٩ ، ٥٠٢) ، وعبد الرزاق في مصنفه (٣٠٣/١١ - ٣٠٤) رقم (٢٠٦٠٤) ، والحميدي في مسنده (٤٥١/٢ - ٤٥٢) (١٠٤٧) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (٢٩٣/٧) ، والبغوي في « شرح السنه » (١٦٧/١٤) رقم (٣٩٦٥) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥٤٧/٧) . وابن أبي عاصم في السنة (٦٣٩/٢) رقم (١٥٣٣) من طرق مختلفة عن أبي هريرة بنحوه .

(١١١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ، باب : ﴿ **وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك ...**﴾ حديث (٣٤٣٢) ، وطرفه (٣٨١٥) ، ومسلم في كتاب : الفضائل ، حديث (٢٤٣٠) ، والترمذي في كتاب المناقب ، باب : فضل خديجة - رضي الله عنها - حديث (٣٨٨٧) ، وأحمد في « مسنده » (٨٤/١ ، ١٣٢ ، ١٤٣) من طرق عن هشام بن عروة بهذا الإسناد . قال الطيبي : « الضمير الأول يعود إلى الأمّة التي كانت فيها مريم ، والثاني على هذه الأمة ، ولهذا كرر الكلام تنبيهًا على أن حكم كل واحدة منهما غير حكم الأخرى » . ولكن جاء في رواية مسلم : « وأشار وكيع إلى السماء والأرض » فكأنه أراد أن يبين أن المراد نساء الدنيا ، وأن الضميرين يرجعان إلى الدنيا . وقال الحافظ في « الفتح » (١٣٥/٧) : « والذي يظهر لي أن قوله : « خير نسائها » خبر مقدم ، والضمير لمريم ، فكأنه قال : خير نسائها أي زمانها ، وكذا في خديجة .

(١١٢) - رواه الترمذي في « سننه » كتاب المناقب ، باب : فضل خديجة - رضي الله عنها - حديث (٣٨٨٨) ، وعبد الرزاق في « مصنفه » (٤٣٠/١١) رقم (٢٠٩١٩) من طريق عبد الرزاق به ، وقال الترمذي : هذا حديث صحيح . وابن أبي شيبة في مصنفه (٥٣٠/٧) من حديث الحسن ، به .

---

[١] - في ز ، خ : « لم يخرجوه » .
[٢] - في ز ، خ : « وابن عبد الحميد » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ز : « رنجويه » .

وقال عبد الله بن أبي جعفر الرازي ، عن أبيه قال : كان ثابت البناني يحدث عن أنس ابن مالك ، أن رسول الله ﷺ قال : « **خير نساء العالمين أربع ، مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت رسول الله** » . رواه ابن مردويه(١١٣) .

وروى ابن مردويه ، من طريق شعبة ، عن معاوية بن قرة ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « **كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا ثلاث : مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام** » .

وقال ابن جرير(١١٤) : حدثني المثنى ، حدثنا آدم العسقلاني ، حدثنا شعبة ، حدثنا عمرو بن مرة ، سمعت مرة الهمداني ، يحدث عن أبي موسى الأشعري ؛ قال : قال رسول الله ﷺ : « **كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون** » .

وقد أخرجه الجماعة(١١٥) ؛ إلا أبا داود من طرق عن شعبة به ، ولفظ البخاري : « **كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران ، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام** » .

وقد استقصيت طرق هذا الحديث وألفاظه في قصة [عيسى بن مريم][١] عليهما السلام في كتابنا البداية والنهاية(١١٦) ، ولله الحمد والمنة .

ثم أخبر تعالى عن الملائكة ، أنهم أمروها بكثرة العبادة والخشوع [والخضوع والسجود والركوع] والدأب[٢] في العمل [ ][٣] ، لما يريد الله تعالى بها من الأمر الذي قدره

---

(١١٣) - وأخرجه ابن عدي في « الكامل » (١٥٣٣/٤) . من طريق عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه قال : كان ثابت البناني ... فذكره . وقال ابن عدي بعد ما ساق له هذا الحديث : ولعبد الله بن أبي جعفر غير ما ذكرت من الحديث ، عن أبيه ، وعن غيره ، وبعض حديثه مما لا يتابع عليه .

(١١٤) - رواه ابن جرير في « تفسيره » (٣٩٧/٦ - ٣٩٨) رقم (٧٠٣١) .

(١١٥) - أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى : ﴿ **وضرب الله مثلًا للذين آمنوا امرأة فرعون ...** ﴾ حديث (٣٤١١) ، وطرفه حديث (٣٤٣٣) ، (٣٧٦٩) ، (٥٤١٨) ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ، حديث (٢٤٣١) ، والترمذي في كتاب الأطعمة ، باب : ما جاء في فضل الثريد ، حديث (١٨٣٥) ، والنسائي في « الكبرى » (٩٣/٥) برقم (٨٣٥٦) ، وابن ماجه في كتاب الأطعمة ، باب : فضل الثريد على الطعام ، حديث (٣٢٨٠) كلهم من حديث أبي موسى الأشعري به .

(١١٦) - « البداية والنهاية » (٧٣/٢) ، (١٥٩/٣) ، (١٠٠/٨) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « عيسى ومريم » .

[٢] - في ز : « والدوب » . [٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « لها » .

وقضاه ، مما فيه محنة لها ورفعة في الدارين ، بما أظهر اللَّه تعالى فيها من قدرته العظيمة ؛ حيث خلق منها ولدًا من غير أب ، فقال تعالىٰ : ﴿ **يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين** ﴾ أمّا القنوت : فهو الطاعة في خشوع ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **بل له ما**[١] **في السموات والأرض كل له قانتون** ﴾ .

وقد قال ابن أبي حاتم(١١٧) : حدثنا يونس بن عبد الأعلىٰ ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني عمرو ابن الحارث ، أن دراجًا أبا السمح حدثه ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن رسول اللَّه ﷺ قال : « **كل حرف في القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة** » .

ورواه ابن جرير من [حديث][٢] ابن لهيعة ، عن دراج به ، وفيه نكارة .

وقال مجاهد : كانت مريم ، عليها السلام ، تقوم حتىٰ تتورم كعباها . والقنوت هو طول الركود في الصلاة ، يعني امتثالا [لقول اللَّه][٣] تعالىٰ : ﴿ **يا مريم اقنتي لربك** ﴾ [ ][٤] قال الحسن : يعني اعبدي لربك . ﴿ **واسجدي واركعي مع الراكعين** ﴾ أي : كوني منهم .

وقال الأوزاعي : ركدت في محرابها راكعة وساجدة وقائمة حتىٰ نزل ماء الأصفر في قدميها رضي اللَّه عنها [وأرضاها][٥] .

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر(١١٨) في ترجمتها من طريق محمد بن يونس الكديمي[٦] ، وفيه مقال : ثنا علي بن بحر بن بري ، ثنا الوليد بن مسلم ، عن الأوزاعي ، عن يحيىٰ بن أبي كثير في قوله : ﴿ **يا مريم اقنتي لربك واسجدي** ﴾ قال : سجدت حتىٰ نزل الماء الأصفر في عينيها[٧] .

(١١٧) - رواه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (٢/٢٦١) رقم (٥٣١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/٣٢٥) من طريق ابن وهب ، به . ثم قال : تفرد به عبد اللَّه بن عمرو . في إسناده دراج أبو السمح في حديثه عن أبي الهيثم ضعف . وأخرجه الطبري في « تفسيره » (٦/٤٠٣) رقم (٧٠٥٠) ، وأبو يعلى في « مسنده » (٢/ ٥٢٢) رقم (١٣٧٩) ، وابن حبان في صحيحه (٢/٧) رقم (٣٠٩) ، وأحمد في « مسنده » (٣/٧٥) ، والطبراني في الأوسط (٥/٢٣٤) رقم (٥١٨١) من طريق ابن لهيعة به ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٦/ ٣٢٣) وقال : رواه أحمد ، وأبو يعلى ، والطبراني في الأوسط ، وفي إسناد أحمد وأبي يعلى ابن لهيعة وهو ضعيف . اهـ . وقال ابن كثير عند تفسيره لسورة البقرة آية (١١٦): في هذا الإسناد ضعيف لا يعتمد عليه ، ورفع هذا الحديث منكر ، وقد يكون من كلام الصحابي أو من دونه ، وكثير ما يأتي بهذا الإسناد تفاسير فيها نكارة ، فلا يغتر بها فإن السند ضعيف ، واللَّه أعلم .

(١١٨) - تاريخ دمشق (١٩/٥٣٥) .

[١] - في ت : « من » .
[٢] - في ت : طريق .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « لقوله » .
[٤] - بين المعكوفتين في ز : « بل » .
[٥] - زيادة في : ت .
[٦] - في ز : « اللديمي » .
[٧] - في ز : « عينها » .

وذكر ابن أبي الدنيا : ثنا الحسن بن عبد العزيز ، ثنا ضمرة ، عن ابن[١] شَوْذَب ؛ قال : كانت مريم عليها السلام تغتسل في كل ليلة .

ثم قال تعالى لرسوله بعد ما أطلعه علىٰ جلية الأمر : ﴿ **ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك** ﴾ أي : نقصه عليك ﴿ **وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون** ﴾ أي : ما كنت عندهم يا محمد [فتخبر عنهم][٢] معاينة عما جرىٰ ، بل أطلعك الله علىٰ ذلك [كأنك حاضر وشاهد][٣] لما كان من أمرهم ، حين اقترعوا في شأن مريم أيهم يكفلها ، وذلك لرغبتهم في الأجر .

قال ابن جرير (١١٩) : حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن القاسم بن أبي بزة[٤] ، أنه أخبره عن عكرمة - [وأبي بكر ، عن عكرمة][٥] - قال : ثم خرجت بها - يعني أم مريم بمريم[٦] - [في خرقها][٧] إلىٰ بني الكاهن بن هارون أخي موسىٰ عليهما السلام قال : وهم يومئذ يلون في بيت المقدس ما تلي الحجبة من الكعبة ، فقالت لهم : دونكم هذه النذيرة ، فإني حررتها وهي ابنتى ، ولا تدخل الكنيسة حائض ، وأنا لا أردها إلىٰ بيتي ، فقالوا : هذه ابنة إمامنا وكان عمران يؤمهم في الصلاة ، وصاحب قرباننا . فقال زكريا : ادفعوها إلي[٨] فإن خالتها تحتي . فقالوا : لا تطيب أنفسنا ، هي[٩] ابنة إمامنا . فذلك حين اقترعوا [عليها بأقلامهم][١٠] [ ][١١] التي يكتبون بها التوراة ، فقرعهم زكريا ، فكفلها .

وقد ذكر عكرمة أيضًا والسدي وقتادة والربيع بن أنس وغير واحد - دخل حديث بعضهم في بعض - : أنهم ذهبوا[١٢] إلىٰ نهر الأردن واقترعوا هنالك علىٰ أن يلقوا أقلامهم فيه[١٣] ، فأيهم يثبت[١٤] في جِرية(*) الماء[١٥] فهو كافلها ، فألقوا أقلامهم فاحتملها الماء إلا قلم زكريا فإنه ثبت .

---

(١١٩) - لم أجده في تفسير الطبري المطبوع . ولم يذكره السيوطي في « الدر المنثور » .

(*) - جرية الماء : حالة جريانه .

[١] - في ز : « أبي » .
[٢] - في ت : « فتخبرهم عن » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « كأنك كنت حاضرٌ وشاهدٌ » .
[٤] - في ز ، خ : « برة » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز : « بريم » .
[٧] - في خ : « تحملها في خرقتها » .
[٨] - في خ : « لي » .
[٩] - في ز : « على » .
[١٠] - في ز : « بأقلامهم عليها » .
[١١] - ما بين المعكوفتين في ز : « بالأقلام » .
[١٢] - في ز ، خ : « دخلوا » .
[١٣] - زيادة من : ز ، خ .
[١٤] - في ز : « ثبت » .
[١٥] - في خ : « النار » .

ويقال : إنه ذهب صعدًا[١] يشق جرية الماء ، وكان مع ذلك كبيرهم وسيدهم وعالمهم وإمامهم ونبيهم ، صلوات الله وسلامه عليه وعلىٰ سائر النبيين.

إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾

هذه بشارة من الملائكة لمريم عليها السلام ، بأن سيوجد منها ولد عظيم ، له شأن كبير ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ **إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه** ﴾ أي : بولد يكون وجوده بكلمة من الله ، أي : بقوله[٢] له : كن ؛ فيكون .

وهذا تفسير قوله : ﴿ **مصدّقًا بكلمة من الله** ﴾ كما ذكره الجمهور علىٰ ما سبق بيانه ﴿ **اسمه المسيح عيسىٰ ابن مريم** ﴾ أي : يكون مشهورًا بهذا في الدنيا ، يعرفه المؤمنون بذلك .

وسمي المسيح قال بعض السلف : لكثرة سياحته . وقيل : لأنه[٣] كان مسيح القدمين لا أخمص لهم . وقيل : لأنه كان إذا مسح أحدًا من ذوي العاهات برئ بإذن الله تعالىٰ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **عيسىٰ ابن مريم** ﴾ نسبة له[٤] إلىٰ أمه ، حيث لا أب له ﴿ **وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين** ﴾ أي : له وجاهة ومكانة عند الله في الدنيا بما يوحيه الله إليه من الشريعة ، وينزله عليه من الكتاب ، وغير ذلك مما منحه الله[٥] به .

وفي الدار الآخرة يشفع عند الله فيمن يأذن له فيه ، فيقبل منه أسوة بإخوانه[٦] من أولي العزم صلوات الله [وسلامه عليه وعليهم أجمعين][٧] .

وقوله : ﴿ **ويكلم الناس في المهد وكهلا** ﴾ أي : يدعو إلىٰ عبادة الله وحده لا شريك له في حال صغره ، معجزة وآية ، [وفي حال][٨] كهولته[٩] حين يوحي الله إليه بذلك ﴿ **ومن**

---

[١] - في خ : « صاعدا » .
[٢] - في خ : «يقول » .
[٣] - في ز : « إنه » .
[٤] - سقط من : ت .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز ، خ : « إخوته » .
[٧] - في ز ، خ : « عليهم » .
[٨] - في ز ، خ : « وحال » .
[٩] - في ز : « كهوليته » .

الصالحين ﴾ أي : في قوله وعمله . له علم صحيح ، وعمل صالح .

قال محمد بن إسحاق(١٢٠) : عن يزيد[١] بن عبد اللَّه بن قسيط ، عن محمد بن شرحبيل ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **ما تكلم مولود في صغره[٢] إلا عيسىٰ وصاحب جريج[٣]** » .

وقال ابن أبي حاتم(١٢١) : حدثنا أبو الصقر[٤] يحيىٰ بن محمد بن قزعة ، حدثنا الحسين - يعني المروزي - حدثنا جرير ، يعني ابن حازم ، عن محمد ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « **لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة ؛ عيسىٰ ، وصبي كان في زمن جريج وصبي آخر** » .

فلما سمعت بشارة الملائكة لها بذلك عن اللَّه ، عز وجل ، قالت في مناجاتها : ﴿ **رب أنىٰ يكون لي ولد ولم يمسسني بشر** ﴾ ، تقول : كيف يوجد هذا الولد مني ، وأنا لست بذات زوج ، ولا من عزمي أن أتزوج ، ولست بغيًّا حاشا[٥] للَّه[٦] . فقال لها الملك عن اللَّه عز وجل في جواب هذا السؤال : ﴿ **كذلك اللَّه يخلق ما يشاء** ﴾ أي : هكذا أمر اللَّه عظيم ، لا يعجزه شيء ، وصرح هاهنا [ ][٧] بقوله : ﴿ **يخلق ما يشاء** ﴾ ولم يقل : يفعل كما في قصة زكريا . بل نص هاهنا علىٰ أنه يخلق ؛ لئلا يبقىٰ لمبطل شبهة ، وأكد ذلك بقوله : ﴿ **إذا قضىٰ أمرًا فإنما يقول له كن فيكون** ﴾ أي : فلا يتأخر شيئًا ، بل يوجد عقيب الأمر بلا مهلة[٨] ، كقوله تعالى : ﴿ **وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر** ﴾ أي : إنما نأمر مرة واحدة[٩] لا مَثْنَوِية فيها ، فيكون ذلك الشيء سريعًا ، كلمح بالبصر .

وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ

---

(١٢٠) - فيه محمد بن إسحاق لم يصرح بالسماع . وأخرجه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (٢/٢٧٢ - ٢٧٣) رقم (٥٦٤) من طريق محمد بن إسحاق ، به .

(١٢١) - رواه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (٢/٢٧٢) رقم (٥٦٣) . وأخرجه البخاري في « صحيحه » كتاب الأنبياء ، باب قوله تعالى ﴿ **واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها** ...﴾ حديث (٣٤٣٦) ، ومسلم في « صحيحه » كتاب : البر والصلة ، حديث ٨ - (٢٥٥٠) ، وأحمد في « مسنده » (٢/٣٠٧ - ٣٠٨ و٣٠٨) .

---

[١] - في ز : « زيد » .
[٢] - في ز : « صغيره » .
[٣] - في ز ، خ : « جرير » .
[٤] - في ز : « الصفر » .
[٥] - في ز : « حاش » .
[٦] - في خ : « اللَّه » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز : « أنه » .
[٨] - في ز : « مهملة » .
[٩] - زيادة من : خ .

﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٤٩) وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٥١)﴾

يقول اللّه تعالىٰ مخبرًا[١] عن تمام بشارة الملائكة لمريم بابنها ، عيسىٰ عليه السلام ،: إن اللّه يعلمه الكتاب والحكمة . الظاهر أن المراد بالكتاب هاهنا الكتابة ، والحكمة تقدم [الكلام على][٢] تفسيرها في سورة البقرة .

﴿ **والتوراة والإنجيل** ﴾ : فالتوراة هو[٣] الكتاب الذي [أنزله الله][٤] علىٰ موسىٰ بن عمران ، والإنجيل الذي [أنزله الله][٥] علىٰ عيسىٰ [ابن مريم][٦] عليهما السلام . وقد كان عيسىٰ[٧] عليه السلام يحفظ هذا وهذا ، وقوله : ﴿ **ورسولًا إلىٰ بني إسرائيل** ﴾ أي : يجعله رسولًا إلى بني إسرائيل قائلًا لهم ﴿ **أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرًا بإذن اللّه** ﴾ . وكذلك كان يفعل ؛ يصور من الطين شكل طير ، ثم ينفخ فيه ؛ فيطير عيانًا بإذن اللّه ، عز وجل ، الذي جعل هذا معجزة له تدل[٨] علىٰ [أن الله][٩] أرسله .

﴿ **وأبرئ الأكمه** ﴾ قيل : إنه[١٠] الذي يبصر نهارًا ولا يبصر ليلًا ، وقيل بالعكس ، وقيل : هو[١١] الأعشىٰ . وقيل : الأعمش . وقيل : هو الذي يولد أعمىٰ . وهو أشبه ؛ لأنه أبلغ في المعجزة ، وأقوىٰ في التحدي ﴿ **والأبرص** ﴾ معروف .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز ، خ .
[٣] - زيادة من : ز ، خ .
[٤] - في ت : « أنزل » .
[٥] - في : « أنزل » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - في ز ، خ : « يدل » .
[٩] - في ت : « أنه » .
[١٠] - في خ : « هو » .
[١١] - زيادة من : ز ، خ .

﴿ **وأحيي الموتىٰ بإذن الله** ﴾ قال كثير من العلماء : بعث الله كل نبي من الأنبياء [بمعجزة تناسب][١] أهل زمانه ، فكان الغالب علىٰ زمان موسىٰ عليه السلام السحر وتعظيم السحرة ، فبعثه الله بمعجزات[٢] بهرت الأبصار ، وحيرت كل سحار ، فلما استيقنوا أنها من عند العظيم الجبار ، انقادوا للإسلام وصاروا من [عباد الله][٣] الأبرار . وأما عيسىٰ عليه السلام فبعث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة ، فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه ، إلا أن يكون مؤيدًا من الذي شرع الشريعة .

فمن أين للطبيب قدرة علىٰ إحياء الجماد ، أو علىٰ مداواة الأكمه والأبرص ، وبعث من هو في قبره رهين إلىٰ يوم التناد[٤] ؟ ؟ .

وكذلك محمد ﷺ بعث[٥] في زمان[٦] الفصحاء والبلغاء ونحارير الشعراء ، فأتاهم بكتاب من الله ، عز وجل ، لو اجتمعت الإنس والجن علىٰ أن يأتوا بمثله ، أو بعشر سور من مثله ، أو بسورة من مثله لم يستطيعوا أبدًا ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا ، وما ذاك إلا لأن كلام الرب عز وجل لا يشبهه[٧] كلام الخلق أبدًا .

وقوله : ﴿ **وأنبئكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم** ﴾ أي : أخبركم بما أكل أحدكم الآن ، وما هو مدخر [في بيته لغداه][٨] ﴿ **إن في ذلك** ﴾ أي : في ذلك كله ﴿ **لآية لكم** ﴾ أي : علىٰ صدقي فيما جئتكم به ﴿ **إن كنتم مؤمنين** ﴾ .

﴿ **ومصدقا لما بين يدي من التوراة** ﴾ أي : مقرًّا[٩] لها ومثبتًا[١٠] ﴿ **ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم** ﴾ فيه دلالة علىٰ أن عيسىٰ عليه السلام نسخ بعض شريعة التوراة ، وهو الصحيح من القولين ، ومن العلماء من قال : لم ينسخ منها شيئًا ، وإنما أحل لهم بعض ما كانوا يتنازعون[١١] فيه فأخطئوا ، فكشف[١٢] لهم عن المغطى في ذلك ، كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه** ﴾ ، والله أعلم .

ثم قال : ﴿ **وجئتكم بآية من ربكم** ﴾ أي : بحجة ودلالة علىٰ صدقي فيما أقول لكم ﴿ **فاتقوا الله وأطيعون إن الله ربي وربكم فاعبدوه** ﴾ أي : أنا وأنتم سواء في العبودية له ،

---

[١] - في ت : « بما يناسب » .
[٢] - في ز : « بمعجزة » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز : « التناده » .
[٥] - في ز : « بعثه » .
[٦] - في ز : « زمن » .
[٧] - في خ : « يشبه » .
[٨] - في ت : « له في بيته لغد » .
[٩] - في ز : « مقرر » .
[١٠] - في ز : « مثبت » .
[١١] - في ز : « يتنازعوا » .
[١٢] - في خ : « وكشف » .

والخضوع والاستكانة إليه ﴿ هذا صراط مستقيم ﴾ .

﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢) رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ (٥٣) وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ (٥٤) ﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ فلما أحس عيسىٰ ﴾ أي : استشعر منهم التصميم علىٰ الكفر والاستمرار علىٰ الضلال ؛ قال : من أنصاري إلىٰ الله ؟ قال مجاهد : أي : من يتبعني إلىٰ الله . وقال سفيان الثوري وغيره : أي[١] : من أنصاري مع الله . وقول مجاهد أقرب .

والظاهر أنه أراد : من أنصاري في الدعوة إلىٰ الله ؟ كما كان النبي ﷺ يقول في مواسم الحج قبل أن يهاجر : « **من رجل يؤويني [على أن]**[٢] **أبلغ كلام ربي ؟ فإن قريشًا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي** »(١٢٢) . حتىٰ وجد الأنصار فآووه ونصروه ، وهاجر إليهم فواسوه[٣] ومنعوه من الأسود والأحمر ، [رضي الله عنهم وأرضاهم] . وهكذا عيسىٰ بن مريم ، [عليه السلام] ، انتدب له طائفة من بني إسرائيل ، فآمنوا به ، وآزروه ونصروه ، واتبعوا النور الذي أنزل معه ، ولهذا قال تعالىٰ مخبرًا عنهم : ﴿ **قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا**[٤] **مسلمون ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين** ﴾ .

---

(١٢٢) - أخرجه أحمد في « المسند » (٣/٣٢٢ ، ٣٣٩) ، والبزار (١٧٥٦) ، وصححه ابن حبان (١٤/ ٦٢٧٤) ، (١٥/٧٠١٢) ، والحاكم في « المستدرك » (٢/٦٢٤) ، ووافقه الذهبي ، ورواه البيهقي في « الدلائل » (٢/٤٤٣) ، وفي « السنن » (٨/١٤٦) ، (٩/٩) ، وقال ابن كثير في « البداية » (٣/١٩٥) : « إسناد جيد على شرط مسلم » ، وقال الحافظ في « الفتح » (٧/١٧٧) : « رواه أحمد بإسناد حسن ، وصححه الحاكم ، وابن حبان » . من طريق أبي الزبير عن جابر ، به مطولًا . وأخرجه النسائي في « الكبرى » (٤/٤١١) رقم (٧٧٢٧) ، وأبو داود في « سننه » كتاب : السنة ، باب : في القرآن ، حديث (٤٧٣٤) . والترمذي في « سننه » كتاب : فضائل القرآن ، باب (٢٤) حديث (٢٩٢٥) ، وابن ماجه في المقدمة ، باب : فيما أنكرت الجهمية حديث (٢٠١) ، كلهم من طريق سالم بن أبي الجعد ، عن جابر قال : كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس في الموسم فيقول : « **ألا رجل يحملني إلى قومه ، فإن قريشًا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي** » .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ت : حتى .
[٣] - في ز : « فآسوه » .
[٤] - في خ : « بأننا » .

الحواريون قيل : كانوا قصارين ، وقيل[١] : سموا بذلك لبياض ثيابهم . وقيل : صيادين . والصحيح أن الحواري الناصر . كما ثبت في الصحيحين(١٢٣) أن رسول الله ﷺ لما ندب الناس يوم الأحزاب فانتدب الزبير ، ثم ندبهم فانتدب الزبير رضي الله عنه ، [ثم ندبهم فانتدب الزبير رضي الله عنه][٢] ، فقال النبي ﷺ : « **إن لكل نبي حواريًا وحواري الزبير** » .

وقال ابن أبي حاتم(١٢٤) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا وكيع ، حدثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، في قوله : ﴿ **فاكتبنا مع الشاهدين** ﴾ قال[٣] : مع أمة محمد ﷺ . وهذا إسناد جيد .

ثم قال تعالىٰ مخبرًا عن ملإ[٤] بني إسرائيل فيما هموا به من [الفتك بعيسىٰ][٥] ، عليه السلام ، وإرادته بالسوء والصلب ، حين تمالئوا عليه ، ووشوا به إلىٰ ملك ذلك الزمان ، وكان كافرًا ، فأنهوا إليه أن هاهنا رجلًا يضل الناس ، ويصدهم عن طاعة الملك ، ويفسد[٦] الرعايا ، ويفرق بين الأب وابنه ، إلىٰ غير ذلك مما تقلدوه في رقابهم ، ورموه به من الكذب ، وأنه ولد زانية حتىٰ استثاروا غضب الملك ، فبعث في طلبه من يأخذه ويصلبه وينكل به ، فلما أحاطوا بمنزله ، وظنوا أنهم قد ظفروا به ، نجاه الله تعالىٰ من بينهم ، ورفعه من روزنة ذلك البيت إلىٰ السماء ، وألقىٰ الله شبهه علىٰ رجل ممن[٧] كان عنده في المنزل ، فلما دخل أولئك اعتقدوه في ظلمة الليل عيسىٰ ، عليه السلام ، فأخذوه وأهانوه وصلبوه ، ووضعوا علىٰ رأسه الشوك ، وكان هذا من مكر الله بهم ، فإنه نجىٰ نبيه ورفعه من بين

(١٢٣) - أخرجه البخاري في كتاب الجهاد ، باب : فضل الطليعة ، حديث (٢٨٤٦) ، وطرفه حديث (٤١١٣) ، ومسلم في كتاب : فضائل الصحابة ، حديث ٤٨ - (٢٤١٥) والترمذي في كتاب : المناقب ، باب رقم (٢٥) حديث (٣٧٤٥) ، والنسائي في « الكبرى » كتاب : المناقب (٦٠/٥) حديث (٨٢١١) . وابن ماجه في المقدمة ، باب : في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ حديث (١٢٢) ، والبيهقي في « الدلائل » (٤٣١/٣) .

(١٢٤) - رواه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (٢٩٤/٢) رقم (٦٣٤) ، وأخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٣٧٩/١١) من طريق محمد بن يوسف الفريابي ، عن إسرائيل ، به . وفيه سماك ، صدوق ، وروايته عن عكرمة خاصة مضطربة ، وقد تغير بأخرة .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من ت .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : « القتل لعيسى » .
[٦] - في خ : « ويفتد » ، وفي ز : « ويفند » .
[٧] - سقط من : ز ، خ .

أظهرهم ، وتركهم في ضلالهم يعمهون ؛ يعتقدون أنهم قد ظفروا بطلبتهم[١] ، وأسكن الله في قلوبهم قسوة وعنادًا للحق ملازمًا لهم ، وأورثهم ذلة لا تفارقهم إلىٰ يوم التناد ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ﴾ .

إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٥٥) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ (٥٦) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ (٥٧) ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ (٥٨)

اختلف المفسرون في قوله تعالىٰ : ﴿ **إني متوفيك ورافعك إلي** ﴾ فقال قتادة وغيره : هذا من المقدم والمؤخر ، تقديره : إني رافعك إلي[٢] ﴿ ومتوفيك ﴾ ، يعني بعد ذلك .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : إني متوفيك أي : مميتك .

وقال محمد بن إسحاق عمن لا يتهم[٣] ، عن وهب بن منبه ؛ قال : توفاه الله ثلاث ساعات من أول[٤] النهار حين رفعه الله إليه .

قال[٥] ابن إسحاق : والنصارىٰ يزعمون أن الله توفاه سبع ساعات ثم أحياه .

وقال إسحاق بن بشر ، عن إدريس ، عن وهب : أماته الله ثلاثة أيام ثم بعثه ثم رفعه .

وقال مطر الوراق : إني[٦] متوفيك من الدنيا ، وليس بوفاة موت . وكذا قال ابن جريج : توفيه هو رفعه .

وقال الأكثرون : المراد بالوفاة هاهنا النوم . كما قال تعالىٰ : ﴿ **وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **الله يتوفىٰ الأنفس حين موتها والتي لم تمت**

---

[١] - في ز : « بطلبهم » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في خ : « يتوهم » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .
[٦] - زيادة من : ز ، خ .

في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ . وكان رسول اللَّه ﷺ يقول إذا قام من النوم : « **الحمد للَّه الذي أحيانا بعدما أماتنا [وإليه النشور]**[١] » . الحديث(١٢٥) . وقال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **وبكفرهم وقولهم علىٰ مريم بهتانًا عظيمًا وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسىٰ ابن مريم رسول اللَّه [وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم** ﴾] إلىٰ قوله تعالى : ﴿ **وما قتلوه يقينا بل رفعه اللَّه إليه وكان اللَّه عزيزًا حكيما وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدًا** ﴾ والضمير في قوله « **قبل موته** » عائد علىٰ عيسىٰ عليه السلام أي : وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن[٢] بعيسىٰ [قبل موت عيسى][٣] وذلك حين ينزل إلىٰ الأرض قبل يوم القيامة ، علىٰ ما سيأتي بيانه ، فحينئذ يؤمن به أهل الكتاب كلهم ؛ لأنه يضع الجزية ، ولا يقبل إلا الإسلام .

وقال[٤] ابن أبي حاتم(١٢٦) : حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن ، [حدثنا عبد اللَّه][٥] بن أبي جعفر ، عن أبيه ، حدثنا الربيع بن أنس ، عن الحسن ، أنه قال في قوله تعالىٰ ﴿ **إني متوفيك** ﴾ : يعني وفاة المنام[٦] رفعه اللَّه في منامه . قال الحسن : قال رسول اللَّه ﷺ لليهود : « **إن عيسىٰ لم يمت وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة** » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ومطهرك من الذين كفروا** ﴾ أي : برفعي إياك إلىٰ السماء ﴿ **وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلىٰ يوم القيامة** ﴾ وهكذا وقع فإن المسيح عليه السلام لما رفعه اللَّه إلىٰ السماء تفرقت أصحابه شيعًا بعده .

فمنهم من آمن بما بعثه اللَّه به علىٰ أنه عبد اللَّه ورسوله وابن أمته ، ومنهم من غلا فيه فجعله ابن اللَّه ، وآخرون قالوا : هو اللَّه . وآخرون قالوا : هو ثالث ثلاثة . وقد حكىٰ اللَّه مقالتهم[٧] في القرآن ورد علىٰ كل فريق ، [فاستمروا علىٰ ذلك][٨] قريبًا من ثلاثمائة سنة ، ثم نَبَعَ لهم ملك

---

(١٢٥) - رواه البخاري في كتاب الدعوات ، باب : ما يقول إذا نام ، حديث (٦٣٢١) من حديث حذيفة ابن اليمان رضي اللَّه عنه .

(١٢٦) - رواه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (٢/٢٩٦) رقم (٦٤٢) ، وأخرجه الطبري في « تفسيره » (٦/ ٤٥٥) رقم (٧١٣٣) من طريق عبد اللَّه بن أبي جعفر به .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « فيؤمن » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٤] - في ز : « قال » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٦] - في ز : « المقام » .

[٧] - في ز : « مقالاتهم » .

[٨] - في ز ، خ : « فاستمر كذلك » .

من ملوك اليونان يقال له قسطنطين ، فدخل في دين النصرانية ، قيل : حيلة ليفسده . فإنه كان فيلسوفًا . وقيل : جهلًا منه . إلا أنه بدل لهم دين المسيح وحرفه ، وزاد فيه ونقص منه ووضعت له القوانين والأمانة الكبرىٰ[١] التي هي الخيانة الحقيرة ، وأحل في زمانه لحم الخنزير ، وصلوا له[٢] إلىٰ المشرق[٣] ، وصوروا له الكنائس والمعابد والصوامع ، [وزادوا][٤] في صيامهم عشرة أيام من أجل ذنب ارتكبه فيما يزعمون ، وصار دين المسيح دين قسطنطين [إلا أنه][٥] بنىٰ لهم من الكنائس والمعابد والصوامع والديارات ما يزيد علىٰ اثني عشر ألف معبد ، وبني المدينة المنسوبة إليه ، واتبعه الطائفة[٦] الملكية منهم ، وهم في هذا كله قاهرون لليهود [أيدهم اللَّه][٧] عليهم لأنهم[٨] أقرب إلىٰ الحق منهم ، وإن كان الجميع كفارًا ، عليهم لعائن اللَّه .

فلما بعث اللَّه محمدًا ﷺ فكان من آمن به يؤمن باللَّه وملائكته وكتبه ورسله علىٰ الوجه الحق ، فكانوا[٩] هم أتباع كل نبي علىٰ وجه الأرض ؛ إذ قد صدقوا الرسول النبي الأمي العربي[١٠] خاتم الرسل وسيد ولد آدم [علىٰ الإطلاق][١١] ، الذي دعاهم إلىٰ التصديق بجميع الحق ، فكانوا أولىٰ بكل نبي من أمته الذين يزعمون أنهم علىٰ ملته وطريقته ، مما[١٢] قد حرفوا وبدلوا ، ثم لو لم يكن شيء من ذلك ، لكان قد نسخ اللَّه بشريعته شريعة[١٣] جميع الرسل بما بعث اللَّه[١٤] به محمدًا ، ﷺ ، من الدين الحق ، الذي لا يبدل ولا يغير إلىٰ قيام الساعة ، ولا يزال قائمًا منصورًا ظاهرًا علىٰ كل دين ، فلهذا فتح اللَّه لأصحابه مشارق الأرض ومغاربها ، واحتازوا جميع الممالك ، ودانت لهم جميع الدول ، وكسروا كسرىٰ ، وقصروا[١٥] قيصر ، وسلبوهما كنوزهما ، وأنفقت في سبيل اللَّه ، كما أخبرهم بذلك نبيهم(١٢٧) عن ربهم عز وجل في قوله : ﴿ **وعد اللَّه الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض**[١٦] **كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضىٰ لهم . وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا [يعبدونني لا يشركون بي شيئًا** ﴾] الآية . فلهذا[١٧] لما كانوا هم المؤمنين بالمسيح حقًّا سلبوا النصارىٰ بلاد الشام ، وأجلوهم إلىٰ

(١٢٧) - انظر سورة النور آية (٥٥) .

[١] - في ز : « الكبيرة » .
[٢] - زيادة من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « الشرق » .
[٤] - في ت : « وزاد » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٦] - في ت : « طائفة » .
[٧] - في ت : « أيده » .
[٨] - في ت : « لأنه » .
[٩] - في ز : « كانوا » .
[١٠] - سقط من : ز ، خ .
[١١] - سقط من : ز .
[١٢] - في ز ، خ : « مع ما » .
[١٣] - سقط من : ز ، خ .
[١٤] - سقط من : ز .
[١٥] - سقط من : خ .
[١٦] - سقط من : ز .
[١٧] - في ز : « ولهذا » .

الروم ، فلجئوا إلىٰ مدينتهم القسطنطينية ، ولا يزال الإسلام وأهله[١] فوقهم إلىٰ يوم القيامة . وقد أخبر الصادق المصدوق ﷺ أمته بأن آخرهم سيفتحون القسطنطينية(١٢٨) ويستفيئون ما فيها من الأموال ، ويقتلون الروم مقتلة عظيمة جدًّا لم ير الناس مثلها ، ولا يرون بعدها نظيرها ، وقد جمعت في هذا جزءًا مفردًا . ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلىٰ يوم القيامة ثم إلي مرجعكم** ﴾ [، أي يوم القيامة ،][٢] ﴿ **فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابًا شديدًا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين** ﴾ وكذلك فعل تعالى بمن كفر بالمسيح من اليهود أو غلا فيه [أو أطراه][٣] من النصارىٰ ؛ عذبهم في الدنيا بالقتل والسبي[٤] وأخذ الأموال وإزالة الأيدي عن الممالك ، وفي الدار الآخرة عذابهم أشد وأشق ﴿ **ومالهم من الله من واق** ﴾ ﴿ **وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم**[٥] **أجورهم** ﴾ أي : في الدنيا والآخرة ؛ في الدنيا بالنصر والظفر ، وفي الآخرة بالجنات العاليات ﴿ **والله لا يحب الظالمين** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم** ﴾ أي : هذا الذي قصصناه[٦] عليك يا محمد في أمر عيسىٰ ومبدأ ميلاده وكيفية أمره هو مما قاله الله[٧] تعالىٰ وأوحاه إليك وأنزله عليك من اللوح المحفوظ ، فلا مرية فيه ولا شك ، كما قال تعالىٰ في سورة مريم : ﴿ **ذلك عيسىٰ ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضىٰ أمرا فإنما يقول له كن فيكون** ﴾ وهاهنا قال تعالىٰ :

إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟

(١٢٨) - رواه أحمد (١٧٦/٢) من حديث عبد الله بن عمرو ، وصححه الحاكم (٤٢٢/٣) (٥٠٨/٤) ووافقه الذهبي ، وأقرهما الألباني في الصحيحة (٤/١) .

[١] - زيادة من : ت .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

[٣] - في ز ، خ : « وأطراه » .

[٤] - في ز : « السبا » .

[٥] - في ز ، خ : « فنوفيهم » .

[٦] - في ت : « قصصنا » .

[٧] - سقط من : ت .

﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾﴾

يقول [جل وعلا][١] : ﴿ **إن مثل عيسىٰ عند الله** ﴾ في قدرة الله تعالى حيث خلقه من غير أب ﴿ **كمثل آدم** ﴾ [فإن الله تعالى][٢] خلقه من غير أب ولا أم ، بل ﴿ **خلقه من تراب ثم قال له : كن فيكون [الحق من ربك][٣]** ﴾ فالذي[٤] خلق آدم [من غير أب][٥] قادر علىٰ [أن يخلق][٦] عيسىٰ بالطريق الأولىٰ والأحرىٰ ، وإن جاز ادّعاء البنوة[٧] في عيسىٰ لكونه[٨] مخلوقًا من غير أب ، فجواز ذلك في[٩] آدم بالطريق الأولىٰ ، ومعلوم بالاتفاق أن ذلك باطل ، فدعواها[١٠] في عيسىٰ أشدّ بطلانًا وأظهر فسادًا ، ولكن الرب [جل جلاله][١١] أراد أن يظهر قدرته لخلقه حين خلق آدم ، لا من ذكر ولا من أنثىٰ ، وخلق حوّاء[١٢] من ذكر بلا أنثىٰ ، وخلق عيسىٰ من أنثىٰ بلا ذكر ، كما خلق بقية البرية من ذكر وأنثىٰ ، ولهذا قال تعالىٰ في سورة مريم : ﴿ **ولنجعله آية للناس** ﴾ وقال هاهنا : ﴿ **الحق من ربك فلا تكن[١٣] من الممترين** ﴾ أي : هذا [هو القول][١٤] الحق في عيسىٰ الذي لا محيد عنه ولا صحيح سواه ، وماذا بعد الحق إلا الضلال .

ثم قال تعالىٰ آمرًا رسوله ﷺ أن يباهل من عاند الحق في أمر عيسىٰ بعد ظهور البيان ﴿ **فمن حاجك فيه من بعد ما[١٥] جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم** ﴾ أي : نحضرهم في حال المباهلة ﴿ **ثم نبتهل** ﴾ أي : نلتعن ﴿ **فنجعل لعنة الله علىٰ الكاذبين** ﴾ أي : منا أو[١٦] منكم .

وكان سبب نزول[١٧] المباهلة وما قبلها من أول السورة إلىٰ هنا في وفد نجران : [أن النصارىٰ لما][١٨] قدموا ، فجعلوا يحاجون في عيسىٰ ، ويزعمون فيه ما يزعمون من البنوة والإلهية ، فأنزل الله صدر هذه السورة[١٩] ردًّا عليهم ، كما ذكره الإمام محمد ابن إسحاق بن يسار

---

[١] - في ز ، خ : « تعالى » .
[٢] - في ت : حيث .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٤] - في ز ، خ : « والذي » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « خلق » .
[٧] - في ز : « النبوة » .
[٨] - في ز : « بكونه » .
[٩] - في خ : « من » .
[١٠] - في خ : « فدعواه » .
[١١] - في ز ، خ : « عز وجل » .
[١٢] - في ز : « حوى » .
[١٣] - في خ : « تكونن » .
[١٤] - في ز : « القول هو » .
[١٥] - سقط من : ز .
[١٦] - في ت : « و » .
[١٧] - في ز ، خ : « هذه » .
[١٨] - في ز ، خ : « النصارى حين » .
[١٩] - في ز : « الصورة » .

وغيره(١٢٩) .

قال ابن إسحاق في سيرته المشهورة وغيره(١٣٠) : وقدم علىٰ رسول الله ، ﷺ ، وفد نصارىٰ نجران ستون راكبًا ، فيهم أربعة عشر رجلًا من أشرافهم يئول [أمرهم إليهم] وهم : العاقب واسمه عبد المسيح ، والسيد وهو الأيهم ، وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل ، وأوس ابن الحارث ، وزيد ، وقيس ويزيد ونبيه وخويلد وعمرو[١] وخالد وعبد الله وَيُحَنَّس[٢] .

وأمر هؤلاء يئول إلىٰ ثلاثة منهم ، وهم : العاقب ، وكان أمير القوم ، وذا رأيهم ، وصاحب مشورتهم ، والذي لا يصدرون إلا عن رأيه ، والسيد ، وكان عالمهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم ، وأبو حارثة ابن علقمة وكان أسقفهم وحبرهم وإمامهم وصاحب مدارستهم ، وكان رجلًا من العرب من بني بكر بن وائل ، ولكنه تنصر ، فعظمته الروم وملوكها وشرفوه وبنوا له الكنائس وموّلوه[٣] وأخدموه لما يعلمون[٤] من صلابته في دينهم ، وقد كان يعرف أمر رسول الله ﷺ وصفته وشأنه بما[٥] علمه من الكتب المتقدّمة جيدًا[٦] ولكن احتمله جهله علىٰ الاستمرار في النصرانية لما يرىٰ من تعظيمه فيها ووجاهته عند أهلها .

قال ابن إسحاق(١٣١) : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ؛ قال : قدموا علىٰ رسول الله ﷺ المدينة ، فدخلوا عليه مسجده حين صلىٰ العصر عليهم ثياب الحبرات جُبَب[٧] وأردية في جمال رجال بني الحارث بن كعب ، قال : يقول بعض من رآهم من أصحاب النبي ﷺ : ما رأينا بعدهم وفدًا مثلهم ، وقد حانت صلاتهم فقاموا في مسجد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يصلون[٨] فقال رسول الله ﷺ : « **دعوهم** » . فصلوا إلىٰ المشرق .

(١٢٩) - انظر « السيرة » لابن هشام (٤١٢/٢ : ٤٢٢) ، و« الدلائل » للبيهقي (٣٨٢/٥ : ٣٩٣) ، و« الطبقات » لابن سعد (٢٦٨/١ - ٢٦٩) و« الفتح » (٩٤/٨ - ٩٥) ، و« زاد المعاد » (٦٢٩/٣ - ٦٤٥) ، وأخرجه الطبري في « تفسيره » (١٥٤/٦) رقم (٦٥٤٤) . وابن أبي حاتم في « تفسيره » (٢٠/٢ - ٢١) رقم (١٨) .

(١٣٠) - « السيرة » لابن هشام (٤١٢/٢) ، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٥١/٦) رقم (٦٥٤٣) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (٢١/٢ - ٢٢) رقم (١٩) والبيهقي في « الدلائل » (٣٨٣/٥) كلاهما من طريق محمد بن إسحاق ، به .

(١٣١) - « السيرة » لابن هشام (٤١٣/٢ - ٤١٤) ، وأخرجه الطبري في « تفسيره » (١٥٢/٦ ، ١٥٣) رقم (٦٥٤٣) و(٤٦١/٦) رقم (٧١٤٦) من طريق محمد بن إسحاق به .

[١] - في ز : « وعمر » .
[٢] - في خ : « وحسن » .
[٣] - في خ : « ودولوه » .
[٤] - في ت : « يعلمونه » .
[٥] - في ت : « مما » .
[٦] - سقط من : ت .
[٧] - في ت : « جباب » .
[٨] - سقط من : ز ، خ .

قال : فكلم رسول الله ﷺ منهم أبو حارثة بن علقمة ، والعاقب عبد المسيح ، و[١] السيد الأيهم ، وهم من النصرانية علىٰ دين الملك مع اختلاف أمرهم ؛ يقولون : هو الله . ويقولون : هو ولد الله . ويقولون : هو ثالث ثلاثة . تعالىٰ الله [عن قولهم علوًّا كبيرًا][٢] وكذلك قول[٣] النصرانية فهم يحتجون في قولهم هو الله بأنه كان يحيي الموتىٰ ويبرئ الأكمه والأبرص و[٤] الأسقام ، ويخبر بالغيوب ، ويخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ[٥] فيه فيكون طيرًا[٦] ، وذلك كله بأمر الله ، وليجعله الله[٧] آية للناس .

ويحتجون في قولهم بأنه ابن الله ، يقولون : لم يكن له أب يعلم ، وقد تكلم في المهد بشيء لم يصنعه أحد من بني آدم قبله .

ويحتجون علىٰ[٨] قولهم بأنه ثالث ثلاثة : بقول الله تعالىٰ : فعلنا وأمرنا وخلقنا وقضينا فيقولون : لو كان واحدًا ما قال إلا فعلت وأمرت وقضيت وخلقت ، ولكنه هو وعيسىٰ ومريم- [تعالىٰ الله وتقدّس وتنزه عما يقول الظالمون والجاحدون علوًّا كبيرا،][٩] وفي كل ذلك من قولهم : [قد نزل][١٠] القرآن .

فلما كلمه الحبران قال لهما رسول الله ﷺ : « **أسلما** » . قالا : قد أسلمنا . قال : « **إنكما لم تسلما فأسلما** » . قالا : بلىٰ قد أسلمنا قبلك . قال : « **كذبتما يمنعكما من الإسلام ادعاؤكما[١١] لله ولدا ، وعبادتكما الصليب ، وأكلكما الخنزير** » . قالا : فمن أبوه يا محمد ؟ فصمت رسول الله ﷺ عنهما[١٢] فلم يجبهما ، فأنزل الله في ذلك من قولهم واختلاف أمرهم صدر سورة آل عمران إلىٰ بضع وثمانين آية منها .

ثم تكلم ابن إسحاق علىٰ تفسيرها[١٣] إلىٰ أن قال (١٣٢): فلما أتىٰ رسول الله ﷺ الخبر من الله والفصل من القضاء بينه وبينهم ، وأمر بما أمر به من ملاعنتهم ، أن ردّوا ذلك عليه ، دعاهم إلىٰ ذلك فقالوا : يا أبا القاسم ؛ دعنا ننظر في أمرنا . ثم نأتيك بما نريد[١٤] أن نفعل[١٥] فيما دعوتنا

---

(١٣٢) - « السيرة » (٢/٤٢٢) .

---

[١] - في ز : « أو » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٥] - في ت : « فينفخ » .
[٦] - في ز : « طائرًا » .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - في ز ، خ : « في » .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[١٠] - ما بين المعكوفتين كررت في : خ .
[١١] - في ز : « دعاؤكما » .
[١٢] - سقط من : ت .
[١٣] - في ز ، خ : « التفسير » .
[١٤] - في ز : « تريد » .
[١٥] - في ز : « تفعل » .

إليه . [ثم انصرفوا][١] عنه ، ثم خلوا بالعاقب ، وكان ذا رأيهم فقالوا : يا عبد المسيح ؛ ماذا ترىٰ ؟ فقال : واللَّه يا معشر النصارىٰ لقد عرفتم أن محمدًا لنبي مرسل ، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ، ولقد علمتم أنه ما لاعن قوم نبيًا قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم ، وإنه الاستئصال منكم إن فعلتم ، فإن كنتم قد[٢] أبيتم إلا إلف دينكم والإقامة علىٰ ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل ، وانصرفوا إلىٰ بلادكم .

فأتوا النبي ﷺ ، فقالوا : يا أبا القاسم ؛ قد رأينا أن لا نلاعنك ، ونتركك علىٰ دينك ، ونرجع علىٰ ديننا ، ولكن ابعث معنا رجلًا من أصحابك ترضاه لنا ، يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من[٣] أموالنا ، فإنكم عندنا رضا .

قال محمد بن جعفر : فقال رسول اللَّه ﷺ : « **ائتوني العشية أبعث معكم القوي الأمين** » . فكان عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه يقول : ما أحببت الإمارة قط حبي إياها يومئذ ، رجاء أن أكون صاحبها ، فرحت إلىٰ الظهر مهجرًا[٤] ، فلما صلىٰ رسول اللَّه ﷺ الظهر سلم ثم نظر عن يمينه وشماله[٥] ، فجعلت أتطاول له ليراني ، فلم يزل يلتمس ببصره حتىٰ رأىٰ أبا عبيدة بن الجراح ، فدعاه فقال : « **اخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه** » قال عمر : فذهب بها[٦] أبو[٧] عبيدة ، رضي اللَّه عنه (١٣٣) .

وقد روىٰ ابن مردويه(١٣٤) من طريق محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن رافع بن خديج ؛ أن وفد أهل نجران قدموا علىٰ رسول اللَّه ﷺ فذكر نحوه ، إلا أنه قال في الأشراف : كانوا اثني عشر ، وذكر بقيته بأطول من هذا السياق وزيادات أخر .

وقال البخاري (١٣٥) : [حدّثنا عباس] بن الحسين ، حدثنا يحيىٰ بن آدم ، عن إسرائيل عن أبي إسحاق ، عن صلة بن زفر ، عن حذيفة رضي اللَّه عنه ؛ قال : جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلىٰ رسول اللَّه ﷺ يريدان أن يلاعناه ، قال : فقال أحدهما لصاحبه : لا تفعل ، فواللَّه لئن[٨] كان نبيًا فلاعناه لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا . قالا : إنا نعطيك ما سألتنا ، وابعث

(١٣٣) - انظر السابق .
(١٣٤) - انظر السابق .
(١٣٥) - رواه البخاري في كتاب : المغازي ، باب : قصة أهل نجران حديث (٤٣٨٠) .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « فانصرفوا » .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - في ز ، خ : « في » .
[٤] - في خ : « مهاجرًا » .
[٥] - في ز : « يساره » .
[٦] - سقط من : ت .
[٧] - في ز : « أبا » .
[٨] - في ز : « إن » .

معنا رجلًا أمينًا ، ولا تبعث معنا إلا أمينًا . فقال[١] : « **لأبعثن[٢] معكم [ ][٣] رجلًا أمينًا[٤] حق أمين** » . فاستشرف لها أصحاب رسول اللَّه ﷺ فقال[٥] : « **قم يا أبا عبيدة بن الجراح** » . فلما قام قال رسول اللَّه ﷺ : « **هذا أمين هذه الأمة** » .

رواه البخاري أيضًا ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة من طرق عن أبي إسحاق السبيعي عن صلة عن حذيفة بنحوه(١٣٦) .

وقد رواه أحمد والنسائي وابن ماجة من حديث إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن صلة ، عن ابن[٦] مسعود بنحوه(١٣٧) .

وقال البخاري(١٣٨) : حدثنا أبو الوليد ، حدثنا شعبة ، عن خالد ، عن أبي قلابة ، عن أنس ، عن رسول اللَّه ﷺ قال : « **لكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح** » .

وقال الإمام أحمد(١٣٩) : حدثنا إسماعيل بن يزيد الرقي أبو يزيد ، حدثنا فرات ، عن عبد الكريم ابن مالك الجزري ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ قال : قال أبو جهل [قبحه اللَّه][٧] : إن رأيت محمدًا[٨] يصلي عند الكعبة لآتينَّه حتىٰ أطأ علىٰ رقبته[٩] ، قال : فقال : لو فعل

---

(١٣٦) - أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ، باب : مناقب أبي عبيدة بن الجراح - رضي اللَّه عنه - حديث (٣٧٤٥) . وطرفه حديث (٤٣٨١) ، و(٧٢٥٤) ، ومسلم في كتاب : فضائل الصحابة ، حديث (٢٤٢٠) ، والترمذي في « سننه » كتاب المناقب ، باب : مناقب أبي عبيدة بن الجراح ، حديث (٣٧٥٩) ، والنسائي في « السنن الكبرى » (٥٧/٥) رقم (٨١٩٧) ، وابن ماجه في « سننه » المقدمة ، فضل أبي عبيدة بن الجراح ، حديث (١٣٥) .

(١٣٧) - أخرجه أحمد في « المسند » (٤١٤/١) ، والنسائي في « السنن الكبرى » (٥٧/٥) برقم (٨١٩٦) ، وابن ماجه في « سننه » المقدمه ، فضل أبي عبيدة بن الجراح ، حديث (١٣٦) .

(١٣٨) - أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب : قصة أهل نجران ، حديث (٤٣٨٢) . وطرفه حديث (٣٧٤٤) ، و(٧٢٥٥) . ومسلم في « صحيحه » كتاب فضائل الصحابة ، حديث ٥٣ - (٢٤١٩) . من طرق عن خالد ، عن أبي قلابة ، عن أنس ، به .

(١٣٩) - رواه أحمد في « مسنده » (٢٤٨/١) . وأخرجه عبد الرزاق في « تفسيره » (١٢٣/١) ، وابن جرير في « تفسيره » (٤٨٢/٦) ، رقم (٧١٨٦) وابن أبي حاتم في « تفسيره » رقم (٦٨٤) (٣١٢/٢ - ٣١٣) من حديث عبد الرزاق به ، وانظر الحديث الآتي .

---

[١] - في ز : « قال » .
[٢] - في ز ، خ : « لا أبعث » .
[٣] - في ز ، خ : إلا
[٤] - في ز ، خ : « حق أمين » .
[٥] - في ز : « قال » .
[٦] - في خ : « أبي » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٨] - في ز ، خ : « رسول اللَّه » .
[٩] - في ز ، خ : « عنقه » .

لأخذته الملائكة عيانًا ، ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ، ولرأوا[١] مقاعدهم من النار ، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون مالًا ولا أهلًا » .

وقد رواه البخاري والترمذي والنسائي من حديث عبد الرزاق ، عن[٢] معمر ، عن عبد الكريم به(١٤٠) . وقال الترمذي : حسن صحيح [وقال ابن مردويه :][٣] .

وقد روىٰ البيهقي في دلائل النبوة قصة وفد نجران مطولة جدًّا (١٤١) ، ولنذكره ؛ فإن فيه فوائد كثيرة ، [وفيه غرابة][٤] ، وفيه مناسبة لهذا المقام قال البيهقي(١٤٢) : حدثنا[٥] أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد ، محمد[٦] بن موسىٰ بن الفضل ؛ قالا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس بن بكير ، عن سلمة بن عبد يسوع ، عن أبيه ، عن جده قال يونس- وكان نصرانيًا فأسلم ، : أن رسول الله ﷺ كتب إلىٰ أهل نجران قبل أن ينزل عليه طس سليمان « **باسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، من محمد النبي رسول الله إلىٰ أسقف نجران وأهل نجران ، أسلم أنتم**[٧] ، **فإني أحمد إليكم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، أما بعد فإني أدعوكم إلىٰ عبادة الله من عبادة العباد ، وأدعوكم إلىٰ ولاية الله من ولاية العباد ، فإن أبيتم فالجزية ، فإن أبيتم فقد آذنتكم بحرب . والسلام** .

فلما أتىٰ الأسقف الكتاب وقرأه[٨] فظِعَ به ، وذعره ذعرًا شديدًا ، وبعث إلىٰ رجل من أهل نجران يقال له شرحبيل بن وداعة ، وكان من همدان ، ولم يكن أحد يدعىٰ[٩] إذا نزلت معضلة قبله ، لا الأيهم ، ولا السيد ، ولا العاقب ، فدفع الأسقف كتاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ شرحبيل فقرأه ، فقال الأسقف : يا أبا مريم ؛ ما رأيك ؟ فقال شرحبيل : قد علمت ما

(١٤٠) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ **كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية * ناصية كاذبة خاطئة** ﴾ حديث (٤٩٥٨) معلقًا ، وقال البخاري : تابعه عمرو بن خالد ، عن عبيد الله ، عن عبد الكريم . ، قال الحافظ في « الفتح » (٧٢٤/٨) : وصلها علي بن عبد العزيز البغوي في منتخب المسند له ، عن عمرو بن خالد بهذا . وانظر « تغليق التعليق » (٣٧٥/٤) . ورواه الترمذي في « سننه » كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة ﴿ **اقرأ باسم ربك** ﴾ ، حديث (٣٣٤٥) ، والنسائي في « الكبرى » (٦/ ٥١٨) رقم (١١٦٨٥) .

(١٤١) - « دلائل النبوة » للبيهقي (٣٨٢/٥ : ٣٩٣) .

(١٤٢) - « الدلائل » (٣٨٥/٥ : ٣٩١) .

[١] - في خ : « ورأوا » .

[٢] - في ز ، خ : « بن » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

[٤] - في خ : « وغرائب » .

[٥] - في ز : « أنا » .

[٦] - في خ : « ومحمد » .

[٧] - في دلائل النبوة : إن أسلمتم .

[٨] - في ز : « فقرأه » .

[٩] - في ز : « يدعا » .

وعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة ، فما يؤمن أن يكون هذا[١] هو ذاك الرجل ، ليس لي في أمر[٢] النبوة رأي ، ولو كان في[٣] أمر[٤] من أمور الدنيا لأشرت عليك فيه برأيي[٥] ، واجتهدت[٦] لك . فقال له الأسقف : تنح فاجلس . فتنحىٰ شرحبيل فجلس ناحية ، فبعث الأسقف إلىٰ رجل من أهل نجران يقال له عبد الله بن شرحبيل ، وهو من ذي أصبح من حمير ، فأقرأه الكتاب ، وسأله عن الرأي فيه ، فقال له[٧] مثل قول شرحبيل . فقال له الأسقف : تنح[٨] فاجلس . فتنحىٰ [عبد الله][٩] فجلس ناحية ، فبعث[١٠] الأسقف إلىٰ رجل من أهل نجران يقال له جبار بن فيض من بني الحارث بن كعب ، أحد بني الحماس ، فأقرأه الكتاب وسأله عن الرأي : فيه ، فقال له مثل قول شرحبيل وعبد الله ، فأمره الأسقف فتنحىٰ ، فجلس ناحية .

فلما اجتمع الرأي منهم علىٰ تلك المقالة جميعًا أمر الأسقف بالناقوس فضرب به ، ورفعت النيران والمسوح في الصوامع ، وكذلك كانوا يفعلون إذا فزعوا بالنهار ، وإذا كان فزعهم ليلًا ضربوا بالناقوس ، ورفعت النيران في الصوامع ، فاجتمعوا[١١] حين ضرب بالناقوس ورفعت المسوح[١٢] ، أهل الوادي أعلاه وأسفله ، وطول الوادي مسيرة يوم للراكب [ ][١٣] السريع ، وفيه ثلاث وسبعون قرية ، وعشرون ومائة ألف مقاتل ، فقرأ عليهم كتاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، وسألهم عن الرأي فيه ، فاجتمع رأي أهل الرأي منهم علىٰ[١٤] أن يبعثوا شرحبيل بن وداعة الهمداني ، وعبد الله بن شرحبيل الأصبحي ، وجبار بن فيض الحارثي[١٥] ، فيأتونهم بخبر رسول الله ﷺ فانطلق الوفد ، حتىٰ إذا كانوا بالمدينة ، وضعوا ثياب السفر عنهم ولبسوا حللا لهم يجرونها من حبرة وخواتيم الذهب ، ثم انطلقوا حتىٰ أتوا رسول الله ﷺ فسلموا عليه ، فلم يرد عليهم ، وتصدوا لكلامه نهارًا طويلًا فلم يكلمهم وعليهم تلك الحلل ، وخواتيم الذهب فانطلقوا يتبعون عثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وكانا معرفة لهم ، فوجدوهما في ناس من المهاجرين والأنصار في مجلس ، فقالوا :

---

[١] - سقط من : ت .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز : « برأى » .
[٦] - في ز ، خ : « وجهدت » .
[٧] - سقط من : ت .
[٨] - سقط من : ز .
[٩] - سقط من : ز ، خ .
[١٠] - في ز : « وبعث » .
[١١] - في ز : « فاجتمع » .
[١٢] - في ز : « بالمسوح » .
[١٣] - في ز : « المجد » .
[١٤] - سقط من : ت .
[١٥] - في خ : « الجباري » ، وفي ز : « الحيارى » .

يا عثمان ، ويا عبد الرحمن إن نبيكم كتب إلينا كتابًا[١] ، فأقبلنا مجيبين له فأتيناه فسلمنا عليه فلم يرد سلامنا ، وتصدينا لكلامه نهارًا طويلًا فأعيانا أن يكلمنا ، فما الرأي منكما أترون أن نرجع ؟ فقالا لعلي بن أبي طالب وهو في القوم : ما ترىٰ يا أبا الحسن في هؤلاء القوم ؟ فقال علي لعثمان وعبد[٢] الرحمن : أرىٰ أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم ، ويلبسوا ثياب سفرهم ، ثم يعودوا إليه . ففعلوا فسلموا عليه[٣] فرد سلامهم ثم قال . « **والذي بعثني بالحق لقد أتوني المرة الأولىٰ وإن إبليس لمعهم** » . ثم ساءلهم وساءلوه ، فلم تزل به وبهم المسألة حتىٰ قالوا له[٤] : ما تقول في عيسىٰ ، فإنا نرجع إلىٰ قومنا ونحن نصارىٰ يسرنا إن كنت نبيًّا أن نسمع ما تقول فيه ؟ فقال[٥] رسول اللَّه ﷺ : « **ما عندي فيه شيء يومي هذا ، فأقيموا حتىٰ أخبركم بما يقول ربي[٦] لي في عيسىٰ ، فأصبح الغد وقد أنزل اللَّه ، عز وجل ، هذه الآية ﴿ إن مثل عيسىٰ عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾** فأبوا أن يقروا بذلك ، فلما أصبح رسول اللَّه ﷺ الغد بعد ما أخبرهم الخبر[٧] أقبل مشتملًا علىٰ الحسن والحسين في خميل[٨] له وفاطمة تمشي عند ظهره للملاعنة ، وله يومئذ عدة نسوة ، فقال شرحبيل لصاحبيه : لقد[٩] علمتما أن الوادي إذا اجتمع أعلاه وأسفله لم يردوا ، ولم يصدروا إلا عن رأيي[١٠] ، وإني[١١] واللَّه أرىٰ [ ][١٢] أمرًا ثقيلًا ، واللَّه لئن كان هذا الرجل ملكًا مبعوثًا فكنا أول العرب طعنًا[١٣] في عينيه[١٤] وردًا[١٥] عليه أمره لا يذهب لنا من صدره ولا من صدور أصحابه حتىٰ يصيبونا بجائحة ، وإنا لأدنىٰ العرب منهم جوارا ، ولئن كان هذا الرجل نبيًّا مرسلًا فلاعناه لا يبقىٰ [منا علىٰ وجه][١٦] الأرض شعر ولا ظفر إلا هلك . فقال له[١٧] صاحباه : يا أبا مريم ! فما الرأي ؟ فقال : أرىٰ أن أحكمه ، فإني أرىٰ رجلًا لا [يحكم شططا أبدًا][١٨] . فقالا له : أنت

---

[١] - في ز ، خ : « بكتاب » .
[٢] - في ز ، خ : « ولعبد » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في خ : « قال » .
[٥] - في ز : « قال » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - سقط من : ت .
[٨] - في خ : « حميل » .
[٩] - في خ : « قد » .
[١٠] - في خ : « رأي » .
[١١] - في خ : « وأنا » ، وفي ز : « وإنا » .
[١٢] - في ز : « واللَّه » .
[١٣] - في ز ، خ : « طعن » .
[١٤] - في ز ، خ : « عينه » .
[١٥] - في ز : « ورد » .
[١٦] - في ز : « على وجه منا » .
[١٧] - سقط من : ت .
[١٨] - في ز ، خ : « يحلكم شططا أبد » .

وذاك قال[١] : فتلقىٰ[٢] شرحبيل رسول اللَّه ، ﷺ فقال له[٣] : إني قد[٤] رأيت خيرًا من ملاعنتك فقال « **وما هو ؟** » فقال : حكمك اليوم إلىٰ الليل وليلتك إلىٰ الصباح ، فمهما حكمت فينا فهو جائز . فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لعل وراءك أحدًا[٥] يثرب عليك** » ؟ فقال شرحبيل : سل صاحبي . فسألهما ، فقالا : ما يرد الوادي ولا يصدر إلا عن رأي : شرحبيل . فرجع رسول اللَّه ﷺ فلم يلاعنهم حتىٰ إذا كان من[٦] الغد أتوه فكتب لهم هذا الكتاب : « **بسم اللَّه الرحمن الرحيم ، هذا ما كتب [محمد النبي] رسول اللَّه لنجران – إن كان عليهم حكمه– في كل ثمرة وكل صفراء وبيضاء وسوداء ، ورقيق فاضل[٧] عليهم وترك ذلك كله لهم علىٰ ألفي حلة ، في كل رجب ألف حلة ، وفي كل صفر ألف حلة** » وذكر تمام الشروط وبقية السياق .

والغرض أن وفودهم كان في سنة تسع لأن الزهري قال : كان أهل نجران أول من أدىٰ الجزية إلىٰ رسول اللَّه ﷺ ، وآية الجزية إنما أنزلت بعد الفتح ، وهي قوله تعالىٰ : ﴿ **قاتلوا الذين لا يؤمنون باللَّه ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم اللَّه ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون** ﴾ الآية .

وقال أبو بكر بن مردويه(١٤٣) : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا أحمد بن داود المكي ، حدثنا بشر بن مهران ، حدّثنا[٨] محمد بن دينار ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، عن جابر قال : قدم علىٰ النبي ﷺ العاقب ، والطيب ، فدعاهما إلىٰ الملاعنة فواعداه علىٰ أن يلاعناه[٩] الغداة قال : فغدا رسول اللَّه ﷺ فأخذ بيد علي ، وفاطمة ، والحسن والحسين ، ثم أرسل إليهما ، فأبيا[١٠] أن يجيئا ، وأقرا[١١] له بالخراج ، قال : فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وآله[١٢] وسلم : « **والذي بعثني بالحق لو قالا : لا ، لأمطر عليهم الوادي نارًا** » . قال جابر : و[١٣] فيهم نزلت : ﴿ **تعالوا[١٤] ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم [وأنفسنا**

(١٤٣) – رواه الحاكم في المستدرك (٢/٥٩٣ – ٥٩٤) ، وأخرجه أبو نعيم في « دلائل النبوة » ص (٢٩٧ – ٢٩٨) من طريق داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، عن جابر به .

[١] – سقط من : خ .
[٢] – في ز ، خ : « فيلقى » .
[٣] – سقط من : ز .
[٤] – سقط من : ز ، خ .
[٥] – في ز : « أحد » .
[٦] – سقط من : ز .
[٧] – في ز ، خ : « فافضل » .
[٨] – في ز : « أنا » .
[٩] – في ز ، خ : « يعاديه » .
[١٠] – سقط من : ز ، خ .
[١١] – في خ : « فأقرا » .
[١٢] – سقط من : خ .
[١٣] – سقط من : ز ، خ .
[١٤] – سقط من : ز ، خ .

وأنفسكم][١] ﴾ قال جابر : ﴿ أنفسنا وأنفسكم ﴾ رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب ﴿ وأبناءنا ﴾ الحسن والحسين ﴿ ونساءنا ﴾ فاطمة .

وهكذا رواه الحاكم في مستدركه ، عن علي بن عيسىٰ ، عن أحمد بن محمد الأزهري[٢] ، عن علي بن حجر[٣] ، عن علي بن مسهر[٤] ، عن داود بن أبي هند به بمعناه ، ثم قال : صحيح علىٰ شرط مسلم ، ولم يخرجاه .

هكذا قال . وقد رواه أبو داود الطيالسي ، عن شعبة ، عن المغيرة ، عن الشعبي مرسلًا (١٤٤)، وهذا أصح . وقد روي عن[٥] ابن عباس والبراء نحو ذلك .

ثم قال الله تعالىٰ : ﴿ إن هذا لهو القصص الحق ﴾ أي : هذا الذي قصصناه عليك يا محمد في شأن عيسىٰ هو الحق الذي لا معدل عنه ولا محيد ﴿ وما من إله إلا الله ، وإن[٦] الله لهو العزيز الحكيم فإن تولوا ﴾ أي : عن هذا إلىٰ غيره ﴿ فإن الله عليم بالمفسدين ﴾ أي : من عدل عن الحق إلىٰ الباطل ، فهو المفسد ، والله عليم به وسيجزيه علىٰ ذلك شر الجزاء ، وهو القادر وهو[٧] الذي لا يفوته شيء ، [سبحانه وبحمده ، ونعوذ به من حلول نقمته][٨] .

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

هذا الخطاب يعم أهل الكتاب ، من اليهود والنصارىٰ ، ومن جرىٰ مجراهم ﴿ قل يأهل الكتاب تعالوا إلىٰ كلمة ﴾ والكلمة تطلق علىٰ الجملة المفيدة ، كما قال هاهنا ، ثم وصفها بقوله : ﴿ سواء بيننا وبينكم ﴾ أي : عدل ونَصفَ ، نستوي نحن وأنتم فيها ، ثم فسرها بقوله : ﴿ أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ﴾ لا [وثنًا ، ولا صليبًا ، ولا صنمًا ،

(١٤٤) - أخرجه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (٢/٣١٠) رقم (٦٧٨) من طريق شعبة ، عن المغيرة ، عن الشعبي مرسلًا . وأخرجه الطبري في « تفسيره » (٦/٤٧٨) رقم (٧١٨٠) من طريق جرير ، عن المغيرة ، عن الشعبي مرسلًا . وأخرجه أبو نعيم في « الدلائل » (ص ٢٩٨ ، ٢٩٩) من طريق الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس بنحوه .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز ، خ : « ابن الأزهر » .
[٣] - في خ : « أبي حجر » .
[٤] - في خ : « مهز » ، وفي ز : « مهر » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في خ : « فإن » .
[٧] - سقط من : ت .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

ولا طاغوتًا ، ولا نارًا ، ولا شيئًا] ، بل نفرد العبادة للَّه وحده لا شريك له ، وهذه دعوة جميع الرسل .

قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي**[١] **إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾ [وقال تعالىٰ][٢] : ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمّة رسولًا أن اعبدوا اللَّه واجتنبوا الطاغوت** ﴾ ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون اللَّه** ﴾ . وقال ابن جريج : يعني يطيع بعضنا بعضًا في معصية اللَّه . وقال عكرمة : يعني[٣] يسجد بعضنا لبعض .

﴿ **فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون** ﴾ أي : فإن تولوا عن هذا النصف وهذه الدعوة ، فاشهدوا[٤] أنتم علىٰ استمراركم علىٰ الإِسلام الذي شرعه اللَّه لكم .

وقد ذكرنا في شرح البخاري عند روايته من طريق الزهري عن عبيد اللَّه بن عبد اللَّه بن عتبة ابن مسعود ، عن ابن عباس ، عن أبي سفيان ، في قصته حين دخل علىٰ قيصر ، فسأله[٥] عن نسب رسول اللَّه ﷺ وعن صفته ، ونعته ، وما يدعو إليه ، فأخبره بجميع ذلك علىٰ الجلية ، مع أن أبا سفيان [إذ ذاك كان][٦] مشركًا لم يسلم إلا[٧] بعد ، وكان ذلك بعد صلح الحديبية ، وقبل الفتح ، كما هو مصرح به في الحديث (١٤٥) ، ولأنه لما [قال لما][٨] سأله : هل يغدر ؟ قال[٩] : فقلت : لا ، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو صانع فيها . قال : ولم يمكني كلمة أزيد فيها شيئًا سوىٰ هذه . والغرض أنه قال : ثم جيء بكتاب رسول اللَّه ﷺ فقرأه فإذا فيه :

بسم اللَّه الرحمن الرحيم : من محمد رسول اللَّه ، إلىٰ هرقل عظيم الروم ، سلام[١٠] علىٰ من اتبع الهدىٰ ، أما بعد فأسلم تسلم ، وأسلم يؤتك اللَّه أجرك مرتين ، فإن[١١] توليت فإنما[١٢] عليك إثم الأريسيين[١٣] و ﴿ **يأهل الكتاب تعالوا إلىٰ كلمة سواء بيننا وبينكم ألَّا نعبد إلا اللَّه ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون اللَّه ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون** ﴾ .

---

(١٤٥) - سبق تخريجه آية (٢٠) .

---

[١] - في ز « يوحى » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - سقط من : م ، وهي في ز .

[٤] - في خ ، ز : « فأشهدوهم » .

[٥] - في خ ، ز : « فسألهم » .

[٦] - في خ ، ز : « كان إذا ذاك مشركًا » .

[٧] - سقط من : خ ، ز .

[٨] - سقط من : م ، والمثبت من ز.

[٩] - سقط من : خ ، ز..

[١٠] - في خ : « السلام » .

[١١] - في ز « وإن » .

[١٢] - في خ ، ز : « فإن » .

[١٣] - في ز : « اليريسيين » .

وقد ذكر محمد بن إسحاق وغير واحد(١٤٦) ، أن صدر سورة آل عمران إلىٰ بضع وثمانين آية منها نزلت في وفد نجران . وقال الزهري : هم أول من بذل الجزية . ولا خلاف أن آية الجزية نزلت بعد الفتح . فما الجمع بين كتابة هذه الآية قبل الفتح إلىٰ هرقل في جملة الكتاب ، وبين ما ذكره محمد بن إسحاق والزهري ؟ والجواب من وجوه :

(أحدها) يحتمل أن هذه الآية نزلت مرتين : مرة قبل الحديبية ، ومرة بعد الفتح .

(الثاني) يحتمل أن صدر سورة آل عمران نزل في وفد نجران إلىٰ[١] هذه الآية ، وتكون هذه الآية نزلت قبل ذلك ، ويكون قول ابن إسحاق : « **إلىٰ بضع وثمانين آية** » ليس بمحفوظ ، لدلالة حديث أبي سفيان .

(الثالث) يحتمل أن قدوم وفد نجران كان قبل الحديبية ، وأن الذي بذلوه[٢] مصالحة عن المباهلة ، لا علىٰ وجه الجزية ، بل يكون من باب المهادنة والمصالحة ، ووافق نزول آية[٣] الجزية بعد ذلك ، علىٰ وفق ذلك كما جاء فرض الخمس ، والأربعة أخماس[٤] وفق ما فعله عبد اللّٰه بن جحش في تلك السرية قبل بدر . ثم نزلت فريضة القسم علىٰ وفق ذلك .

(الرابع) يحتمل أن رسول اللّٰه ﷺ لما أمر بكتب هذا الكلام[٥] في كتابه إلىٰ هرقل ، [ ][٦] لم يكن أنزل[٧] بعد ، ثم نزل[٨] القرآن موافقة له ﷺ كما نزل بموافقة عمر بن الخطاب [رضي اللّٰه عنه] في الحجاب وفي الأسارىٰ ، وفي عدم الصلاة علىٰ المنافقين ، وفي قوله : ﴿ **واتخذوا من مقام إبراهيم مصلًىٰ** ﴾ وفي قوله : ﴿ **عسىٰ ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن** ﴾ الآية .

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ

(١٤٦) - ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٢/٥) وقال : وقال ابن إسحاق : حدثني محمد بن سهل بن أبي أمامة قال : لما قدم أهل نجران على رسول اللّٰه ﷺ يسألونه عن عيسى ابن مريم . نزلت فيهم فاتحة آل عمران إلى رأس الثمانين منها ، وأخرجه البيهقي في الدلائل .

[١] - في ز : « إلى عند » .
[٢] - في ز : « بدلوه » .
[٣] - سقط من : خ ، ز .
[٤] - في خ ، ز : « الأخماس » .
[٥] - سقط من : ت ، والمثبت من ز .
[٦] - في ز : وإن .
[٧] - في ت : « نزل » .
[٨] - في ت : « أنزل » .

إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾

ينكر [تبارك و][١] تعالىٰ علىٰ اليهود والنصارىٰ في محاجتهم في إبراهيم الخليل عليه السلام ، ودعوىٰ كل طائفة منهم أنه كان منهم ، كما قال محمد بن إسحاق بن يسار(١٤٧) : حدثني محمد بن أبي محمد مولىٰ زيد بن ثابت ، حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس [رضي الله عنه] قال : اجتمعت نصارىٰ نجران ، وأحبار يهود عند رسول الله ﷺ فتنازعوا عنده فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلا يهوديًا ، وقالت النصارىٰ : ما كان إبراهيم إلا نصرانيًا ؛ فأنزل الله تعالىٰ : **﴿ يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم [وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون] ﴾** . أي : كيف تدعون أيها اليهود أنه كان يهوديًا . وقد كان زمنه قبل أن ينزل الله التوراة علىٰ موسىٰ ، وكيف تدعون أيها النصارىٰ أنه كان نصرانيًا ، وإنما حدثت النصرانية بعد زمنه بدهر ؟ ولهذا قال تعالىٰ : **﴿ أفلا تعقلون ﴾** [ثم قال تعالىٰ][٢] : **﴿ ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾**.

هذا إنكار علىٰ من يحاج فيما لا علم له به ؛ فإن اليهود والنصارىٰ تحاجوا في إبراهيم بلا علم ، ولو تحاجوا فيما بأيديهم منه علم مما يتعلق بأديانهم التي شرعت لهم إلىٰ حين بعثة محمد ﷺ لكان أولىٰ بهم ، وإنما تكلموا فيما [لا يعلمون][٣] ، فأنكر الله عليهم ذلك وأمرهم برد مالا علم لهم به إلىٰ عالم الغيب والشهادة ، الذي يعلم الأمور علىٰ حقائقها وجلياتها[٤] ، ولهذا قال تعالىٰ : **﴿ والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾** .

ثم قال تعالىٰ : **﴿ ما كان إبراهيم يهوديًا ولا نصرانيًا ولكن كان حنيفًا مسلمًا ﴾** أي : متحنفًا عن الشرك ، قاصدًا[٥] إلىٰ الإيمان **﴿ وما كان من المشركين ﴾** .

---

(١٤٧) - انظر « السيرة » لابن هشام (٣٩٣/٢ - ٣٩٤) ، والحديث أخرجه الطبري في « تفسيره » (٦/ ٤٩٠) رقم (٧٢٠٢) ، والبيهقي في « الدلائل » (٣٨٤/٥ - ٣٨٥) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٣] - في خ ، ز : « لم يعملوا » .
[٤] - في ت : « وجليتها » .
[٥] - في ز : « قصدًا » .

وهذه الآية كالتي[١] تقدّمت في سورة البقرة : ﴿ **وقالوا كونوا هودًا أو نصارىٰ تهتدوا [قل بل ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين]** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **إن أولىٰ الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين** ﴾ يقول تعالىٰ : أحق الناس بمتابعة إبراهيم الخليل الذين اتبعوه علىٰ دينه ، وهذا النبي يعني محمدًا ﷺ والذين آمنوا من أصحابه المهاجرين والأنصار ، ومن تبعهم[٢] بعدهم .

قال سعيد بن منصور : حدّثنا أبو الأحوص ، عن سعيد بن مسروق ، عن أبي الضحىٰ ، عن مسروق ، عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **إن[٣] لكل نبي ولاة من النبيين ، وإن وليّي منهم أبي وخليل ربي عز وجل** ، ثم قرأ : ﴿ **إن أولىٰ الناس بإبراهيم للذين اتبعوه [وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين]** ﴾ الآية .

وقد رواه الترمذي(١٤٨) ، والبزار من حديث أبي أحمد الزبيري ، عن سفيان الثوري ، عن أبيه به . [ثم قال البزار : ورواه غير أبي أحمد عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبي الضحىٰ ، عن عبد الله ولم يذكر مسروقًا . وكذا رواه الترمذي من طريق وكيع عن سفيان][٤] ثم قال : وهذا أصح .

لكن رواه وكيع في تفسيره(١٤٩) فقال : حدثنا سفيان ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق ، عن عبد

---

(١٤٨) - أخرجه الترمذي في كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة آل عمران ، حديث (٢٩٩٥) . والحاكم في « المستدرك » (٢/٢٩٢) ، والطبري في « تفسيره » (٦/٤٩٨) رقم (٧٢١٦) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (٢/٣٢٦ - ٣٢٧) رقم (٧٣١) . كلهم من طرق عن سفيان عن أبيه - سعيد بن مسروق - عن أبي الضحي - مسلم بن صبيح - عن مسروق - هو ابن الأجدع بن مالك الهمداني - عن ابن مسعود - رضي الله عنه - متصلًا ، وقد خولف هذا الطريق من طريق آخر ، فلم يذكر فيه مسروق ، أخرجه الترمذي في كتاب :تفسير القرآن ، باب : ومن سورة آل عمران ، حديث (٢٩٩٨)، وأحمد في (١/٤٢٩ - ٤٣٠) والطبري في (٦/٤٩٩) رقم (٧٢١٧) وابن أبي حاتم في « تفسيره » (٢/٣٢٦ - ٣٢٧) رقم (٧٣١) . كلهم من طرق عن سفيان ، عن أبيه - سعيد بن مسروق - عن أبي الضحي ، عن عبد الله بن مسعود ، وليس فيه : عن مسروق ، وهو بهذا منقطع . قال ابن أبي حاتم في « العلل » (٢/٦٣) : سألت أبي وأبا زرعة ، عن حديث رواه أبو أحمد الزبيري وروح بن عبادة فذكره ، فقالا جميعًا : « هذا خطأ » . رواه المتقنون من أصحاب الثوري عن الثوري ، عن أبيه ، عن أبي الضحى ، عن النبي ﷺ بلا مسروق .اهـ .

(١٤٩) - أخرجه أحمد في « مسنده » (١/٤٠١) ، والترمذي في « سننه » كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة آل عمران ، حديث (٣٩٩٨) . كلاهما من طريق وكيع ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبي الضحى ، عن عبد الله مرفوعًا . قال الشيخ أحمد شاكر (٦/٤٩٩) : ولكن نقله ابن كثير عن تفسير وكيع بهذا الإسناد وفيه « عن أبي إسحاق » بدل « عن أبي الضحى » ، وأنا أرجح أن هذا خطأ من بعض ناسخي تفسير وكيع ترجيحًا لرواية أحمد عن وكيع والترمذي من طريق وكيع وفيهما : « عن أبي الضحى » .

---

[١] - سقط من : خ ، ز .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - سقط من : ت .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم : [.« **إن لكل نبي ولاية من النبيين ، وإن ولي منهم أبي وخليل الله عز وجل إبراهيم عليه السلام** » . ثم قرأ : ﴿ **إن أولىٰ الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا** ﴾ الآية][١] . وقوله : ﴿ **والله ولي المؤمنين** ﴾ أي : ولي جميع المؤمنين برسله .

وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

يخبر تعالىٰ عن حسد اليهود للمؤمنين وبغيهم إياهم الإضلال ، وأخبر أن وبال ذلك إنما يعود علىٰ أنفسهم وهم لا يشعرون أنهم[٢] ممكور بهم .

ثم قال تعالىٰ منكرًا[٣] عليهم : ﴿ **يأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون** ﴾ أي : تعلمون صدقها وتتحققون حقها ﴿ **يأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون** ﴾ أي : تكتمون ما في كتبكم من صفة محمد ﷺ وأنتم تعرفون ذلك وتتحققونه .

﴿ **وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل علىٰ الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون** ﴾ هذه مكيدة أرادوها ليلبسوا علىٰ الضعفاء من الناس أمر دينهم ، وهو [أنهم اشْتَوَرُوا][٤] بينهم أن يظهروا الإيمان أوّل النهار ويصلوا مع المسلمين صلاة الصبح ،

---

[١] - سقط من : خ ، ز ، ومكانه كلمة « فذكره » .
[٢] - في خ ، ز : « فهم » . [٣] - في ز : « ممكرًا » .
[٤] - في خ ، ز : « واشتوروا » .

فإذا جاء[١] آخر النهار ارتدوا إلىٰ دينهم ؛ ليقول الجهلة [من الناس إنما ردهم إلىٰ دينهم اطلاعهم علىٰ نقيصة وعيب في دين المسلمين][٢] ولهذا قالوا : ﴿ **لعلهم يرجعون** ﴾ .

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالىٰ إخبارًا عن اليهود بهذه الآية : يعني يهودًا[٣] صلت مع النبي صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم صلاة الصبح[٤] ، وكفروا آخر النهار مكرًا منهم ، ليروا الناس أن قد بدت لهم منه الضلالة بعد أن كانوا اتبعوه .

وقال العوفي عن ابن عباس : قالت طائفة من أهل الكتاب : إذا لقيتم أصحاب محمد أوّل النهار فآمنوا ، وإذا كان آخره فصلوا صلاتكم ؛ لعلهم يقولون : هؤلاء أهل الكتاب وهم أعلم منا .

[وهكذا روي عن قتادة والسدي والربيع وأبي مالك][٥] .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم** ﴾ أي : لا[٦] تطمئنوا وتظهروا سركم[٧] وما عندكم إلا لمن تبع دينكم ، ولا تظهروا ما بأيديكم إلىٰ المسلمين ، فيؤمنوا به ويحتجوا به عليكم . قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **قل إن الهدىٰ هدىٰ اللَّه** ﴾ أي : هو الذي يهدي قلوب المؤمنين إلىٰ أتم الإيمان بما ينزله علىٰ عبده ورسوله محمد ﷺ من الآيات البينات ، والدلائل القاطعات ، والحجج الواضحات ، وإن كتمتم[٨] أيها اليهود ما بأيديكم من صفة محمد [النبي الأمّي][٩] في كتبكم التي نقلتموها[١٠] عن الأنبياء الأقدمين .

وقوله : ﴿ **أن يؤتىٰ أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم** ﴾ يقولون : لا تظهروا ما عندكم من العلم للمسلمين ، فيتعلموه منكم ويساووكم[١١] فيه ، ويمتازوا[١٢] به عليكم ؛ لشدّة الإيمان به ، أو[١٣] يحاجوكم به عند ربكم[١٤] ، أي : يتخذوه حجة عليكم بما [في أيديكم][١٥] ، فتقوم به عليكم الدلالة[١٦] ، وتتركب الحجة في الدنيا والآخرة .

---

[١] - في خ ، ز : « كان » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ز : « يهود » .
[٤] - في ز : « الفجر » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٦] - سقط من : خ ، ز .
[٧] - في ت : « سروركم » .
[٨] - في ز : « كنتم » .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[١٠] - في ز : « نقلتوها » .
[١١] - في خ ، ز : « ويساوونكم » .
[١٢] - في خ ، ز : « ويمتازون » .
[١٣] - في خ، ز : « و » .
[١٤] - في خ ، ز : « الله » .
[١٥] - في خ ، ز : « بأيدكم » .
[١٦] - في خ : « الحجة » .

قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **قل : إن الفضل بيد اللَّه يؤتيه من يشاء** ﴾ أي : الأمور كلها تحت تصرفه[١] ، وهو المعطي المانع ، يمن علىٰ من يشاء بالإيمان[٢] ، والعلم ، والتصرف[٣] التام ، ويضل من يشاء ؛ فيعمي[٤] بصره وبصيرته ، ويختم علىٰ [قلبه وسمعه] ، ويجعل علىٰ بصره غشاوة ، وله [الحجة التامّة والحكمة البالغة][٥] .

﴿ **واللَّه واسع عليم يختص برحمته من يشاء واللَّه ذو الفضل العظيم** ﴾ أي : اختصكم أيها المؤمنون من الفضل بما لا يحد ولا يوصف ، بما شرف به نبيكم محمدًا[٦] ﷺ علىٰ سائر الأنبياء ، وهداكم به[٧] إلىٰ أكمل[٨] الشرائع .

﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ (٧٦)

يخبر تعالىٰ عن اليهود بأن منهم[٩] الخونة ، ويحذر المؤمنين من الاغترار بهم ، فإن منهم ﴿ **من إن تأمنه بقنطار** ﴾ أي : من المال ﴿ **يؤده إليك** ﴾ أي : وما دونه بطريق الأولىٰ أن يؤده إليك ﴿ **ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤدّه إليك إلا ما دمت عليه قائمًا** ﴾ أي : بالمطالبة والملازمة والإلحاح في استخلاص حقك ، وإذا كان هذا صنيعه في الدينار[١٠] ، فما فوقه أولىٰ أن لا يؤدّه إليك[١١] .

وقد تقدم الكلام علىٰ القنطار في أوّل السورة ، وأمّا الدينار فمعروف .

وقد قال ابن أبي حاتم(١٥٠) : حدثنا سعيد بن عمرو السكوني ، حدثنا بقية ، عن زياد ابن

(١٥٠) - فيه بقية بن الوليد وهو من مدلسي من الرابعة ، ولم يصرح بالسماع . والحديث أخرجه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (٣٤٦/٢) رقم (٨٠٣) .

[١] - في ز : « تصريفه » .
[٢] - في خ : « من بالإيمان » .
[٣] - في ز : « التصور » .
[٤] - في خ ، ز : « ويعمى » .
[٥] - في خ، ز: « الحجة والحكمة ».
[٦] - سقط من : خ ، ز .
[٧] - زيادة من : ز .
[٨] - في ز : « أحمد » .
[٩] - في خ ، ز : « فيهم » .
[١٠] - في خ ، ز : « الدنيا » .
[١١] - سقط من خ ، ز .

الهيثم ، حدثني مالك بن دينار ، قال : إنما سمي الدينار لأنه دين ونار . وقيل[١] : معناه أنه[٢] من أخذه بحقه فهو دينه ، ومن أخذه بغير حقه فله النار .

ومناسب أن يذكر[٣] هاهنا الحديث الذي علقه البخاري في غير موضع من[٤] صحيحه ، ومن أحسنها سياقه في كتاب الكفالة ، حيث قال : وقال الليث : حدثني جعفر بن ربيعة ، عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - عن رسول اللَّه ﷺ أنه ذكر رجلًا من بني إسرائيل سأل بعض[٥] بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار فقال : ائتني بالشهداء أشهدهم . فقال : كفىٰ باللَّه شهيدًا . فقال[٦] : ائتني بالكفيل . قال : كفىٰ باللَّه كفيلًا قال[٧] : صدقت . فدفعها إليه إلىٰ أجل مسمىٰ ، فخرج في البحر فقضىٰ حاجته ، ثم التمس مركبًا يركبها[٨] [ليقدم عليه في الأجل][٩] الذي أجله فلم يجد مركبًا ، فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلىٰ صاحبه ، ثم زجج[١٠] موضعها ، ثم أتىٰ بها إلىٰ البحر ، فقال : اللَّهم إنك تعلم أني استسلفت[١١] فلانًا ألف دينار فسألني شهيدًا ، فقلت : كفىٰ باللَّه شهيدًا ، وسألني كفيلًا ، فقلت : كفىٰ باللَّه كفيلًا ، فرضي بك ، وإني جهدت أن أجد مركبًا أبعث إليه الذي له فلم أقدر ، وإني استودعتكها[١٢] ، فرمىٰ بها في البحر حتىٰ ولجت فيه ، ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركبًا يخرج إلىٰ بلده ، فخرج الرجل الذي كان [سلَّفه لينظر][١٣] لعل مركبًا يجيئه بماله ، فإذا بالخشبة التي فيها المال ، فأخذها لأهله حطبًا ، فلما كسرها وجد المال والصحيفة ، ثم قدم الرجل الذي كان[١٤] تسلف منه ، فأتاه بألف دينار ، وقال[١٥] : واللَّه ما زلت جاهدًا في طلب مركب لآتيك بمالك ، فما وجدت مركبًا قبل الذي أتيت فيه . قال : هل كنت بعثت إلىٰ بشيء ؟ قال : ألم أخبرك أني لم أجد مركبًا قبل هذا . قال : فإن اللَّه قد أدىٰ عنك الذي بعثت في الخشبة ، فانصرف بألف دينار راشدًا » .

هكذا رواه البخاري في موضعه معلقًا بصيغة الجزم ، وأسنده في بعض المواضع من الصحيح عن عبد اللَّه بن صالح كاتب الليث عنه(١٥١) .

---

(١٥١) - أخرجه البخاري في كتاب الزكاة ، باب : ما يستخرج من البحر ، حديث (١٤٩٨) ، =

[١] - في خ ، ز : « قال » .
[٢] - سقط من : م .
[٣] - في خ ، ز : « يكون » .
[٤] - في خ ، ز : « في » .
[٥] - سقط من : خ ، ز .
[٦] - في ز : « قال » .
[٧] - في ز : « فقال » .
[٨] - سقط من : خ ، ز .
[٩] - في خ ، ز : « يقدم عليه للأجل » .
[١٠] - سقط من : خ .
[١١] - في خ ، ز : « استلفت » .
[١٢] - في خ : « أستودعكها » .
[١٣] - في خ ، : « أسلفه ينظر» .
[١٤] - سقط من : خ ، ز .
[١٥] - سقط من : خ .

ورواه[١] الإمام أحمد في مسنده هكذا مطولًا ، عن يونس ابن محمد المؤدب ، عن الليث به(١٥٢) .

ورواه البزار في مسنده(١٥٣) ، عن الحسن بن مدرك ، عن يحيىٰ ابن حماد ، عن أبي عوانة ، عن عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ بنحوه ، ثم قال : لا يروىٰ عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد . كذا قال ، وهو خطأ لما تقدم .

وقوله : ﴿ **ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأمّيين سبيل** ﴾ أي : إنما حملهم علىٰ جحود الحق أنهم يقولون : ليس علينا في ديننا حرج في أكل أموال الأمّيين ، وهم العرب ، فإن اللَّه قد أحلها لنا . قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **ويقولون علىٰ اللَّه الكذب وهم يعلمون** ﴾ أي : وقد اختلقوا هذه المقالة ، وأتفكوا بهذه الضلالة ، فإن اللَّه حرم عليهم أكل الأموال إلا بحقها ، وإنما هم قوم بهت .

قال عبد الرزاق : أنبأنا معمر ، عن أبي إسحاق الهمداني ، عن أبي صعصعة بن يزيد ، أن رجلًا سأل ابن عباس [فقال : إنا][٢] نصيب في الغزو من أموال أهل الذمة الدجاجة والشاة ؟ قال ابن عباس : فتقولون[٣] ماذا ؟ قال : نقول : ليس علينا بذلك بأس . قال : هذا كما قال أهل الكتاب : ليس علينا في الأميين سبيل ، إنهم إذا أدوا الجزية ؛ لم تحل لكم أموالهم إلا بطيب أنفسهم(١٥٤) .

= وأطرافه (٢٠٦٣) ، و(٢٢٩١) ، و(٢٤٠٤) ، و(٢٤٣٠) ، و(٢٧٣٤) ، و حديث (٦٢٦١) معلقًا - مختصرًا ومطولًا . ووصله البخاري في « صحيحه » كتاب : البيوع ، باب : التجارة في البحر ، حديث (٢٠٦٣) قال : حدثني عبد اللَّه بن صالح ، حدثني الليث به ، قال الحافظ في « الفتح » (٣٦٣/٣) : هكذا أورده مختصرًا ، وقد أورده ثم وصله في البيوع . اهـ . وقال في « الفتح » أيضًا (٣٠٠/٤) : قوله في آخره : «حدثني عبد اللَّه بن صالح ، حدثنا الليث به » فيه التصريح بوصل المعلق المذكور ، ولم يقع ذلك في الصحيح.

(١٥٢) - « المسند » (٣٤٨/٢) .

(١٥٣) - ذكره ابن كثير في « البداية والنهاية » (١٦٦/٢) . وقال : والعجب من الحافظ أبي بكر البزار كيف رواه في مسنده ، عن الحسن بن مدرك ، عن يحيى بن حماد ، عن أبي عوانة ، عن عمر بن سلمة ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ بنحوه ، ثم قال : لا يُرْوى إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد .

(١٥٤) - الخبر في تفسير عبد الرزاق (١٢٣/١ - ١٢٤) ، ومن طريقه أخرجه الطبري في « تفسيره » (٦/ ٥٢٤) رقم (٧٢٧٤) . وأخرجه الطبري في « تفسيره » (٥٢٣/٦) رقم (٧٢٧٣) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (٣٤٨/٢ - ٣٤٩) رقم (٨١١) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (١٩٨/٩) من طرق عن أبي إسحاق ، عن صعصعة بن يزيد ، عن ابن عباس بنحوه . قال الشيخ أحمد شاكر (٥٢٤/٦) : وخرَّجه =

[١] - في خ : « وقال » .

[٢] - في خ ، ز : « قال » . [٣] - في ز : « فيقولون » .

وكذا رواه الثوري عن أبي إسحاق بنحوه(١٥٥) .

وقال ابن أبي[١] حاتم (١٥٦) : حدّثنا محمد بن يحيىٰ ، حدّثنا أبو الربيع الزهراني ، حدّثنا يعقوب ، حدّثنا جعفر ، عن سعيد بن جبير قال : لما قال أهل الكتاب : ليس علينا في الأميين سبيل ، قال نبي الله ﷺ : « **كذب أعداء الله ! ما من شيء كان في الجاهلية إلا وهو تحت قدمي هاتين ، إلا الأمانة ؛ فإنها مؤداة إلىٰ البرّ والفاجر** » .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **بلىٰ من أوفىٰ بعهده[٢] واتقىٰ** ﴾ أي : لكن من أوفىٰ بعهده ، واتقىٰ[٣] منكم يا أهل الكتاب ، الذي عاهدكم الله عليه من الإيمان بمحمد ﷺ إذا بعث، كما أخذ العهد والميثاق علىٰ الأنبياء وأممهم بذلك ، واتقىٰ محارم الله تعالى ، واتبع طاعته وشرعته التي بعث بها خاتم الرسل وسيد البشر ؛ ﴿ **فإن الله يحب المتقين** ﴾ .

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٧

يقول الله تعالىٰ ، إن الذين يعتاضون عما عاهدوا[٤] الله عليه ، من اتباع محمد ، ﷺ ، وذكر صفته للناس ، وبيان أمره ، وعن أيمانهم الكاذبة الفاجرة الآثمة بالأثمان القليلة

= ابن كثير في تفسيره من تفسير عبد الرزاق ، وفيه : عن أبي صعصعة بن يزيد وهو خطأ ، صوابه « صعصعة ».اهـ . ووقع في روايه البيهقي قلب وتصحيف فورد باسم : زيد بن صعصعة . وفي إسناد الحديث : « أبي إسحاق » وهو أبوإسحاق السبيعي مدلس من الثالثة ، ولم يصرح بالسماع ، فالإسناد ضعيف . انظر « تهذيب التهذيب » (٥٦/٨ : ٥٩) . وصعصعة بن يزيد ، ذكره البخاري وابن أبي حاتم والخطيب البغدادي ، وذكروا أنه روى عن ابن عباس وأن أبا إسحاق روى عنه ، ولم يذكروا فيه جرحًا ولا تعديلًا ونص الخطيب على أنه تابعي . انظر « التاريخ الكبير » (٣٢٠/٤) ، « والجرح والتعديل » (٤/ ٤٤٦) ، و« تاريخ بغداد » (٣٤١/٩) .

(١٥٥) – انظر السابق .

(١٥٦) – رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٤٩/٢) رقم (٨١٢) ، وأخرجه الطبري في « تفسيره » (٥٢٣/٦) رقم (٧٢٧٠) من طريق يعقوب القمي به . وفي إسناده جعفر ، وهو جعفر بن أبي المغيرة القمي ، صدوق يهم .

[١] – مكررة في خ .

[٢] – في خ : « بعهدة من الله » .

[٣] – سقط من : ز .

[٤] – في خ ، ز : « عاهدهم » .

الزهيدة ، وهي عروض هذه الحياة[١] الدنيا الفانية الزائلة ﴿ **أولئك[٢] لا خلاق لهم في الآخرة** ﴾ أي : لا نصيب لهم فيها ، ولا حظَّ لهم منها ، ﴿ **ولا يكلمهم اللَّه ولا ينظر إليهم يوم القيامة** ﴾ أي : برحمة منه لهم ، [يعني لا يكلمهم اللَّه كلام][٣] لطف بهم ، ولا ينظر إليهم بعين الرحمة ، ﴿ **ولا يزكيهم** ﴾ أي : من الذنوب والأدناس ، بل يأمر بهم إلىٰ النار ، ﴿ **ولهم عذاب أليم** ﴾ . وقد وردت أحاديث تتعلق بهذه الآية الكريمة فلنذكر ما تيسر منها .

(الحديث الأوّل) : قال الإمام أحمد(١٥٧) : حدّثنا عفان ، حدّثنا شعبة ، قال : قال : علي ابن مدرك أخبرني ؛ قال : سمعت أبا زرعة ، عن خرشة بن الحر ، عن أبي ذرّ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **ثلاثة لا يكلمهم اللَّه ، ولا ينظر إليهم يوم القيامة ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم** » قلت : يا رسول اللَّه ؛ من هم[٤] ؟ [خسروا وخابوا] قال : وأعاده رسول اللَّه ﷺ ثلاث مرات ، قال « **المسبل ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب ، والمنان** » .

ورواه مسلم وأهل السنن ، من حديث شعبة به(١٥٨) .

(طريق أخرىٰ) قال الإمام أحمد(١٥٩) : حدثنا إسماعيل ، عن الجريري ، عن أبي العلاء بن الشخير ، عن ابن الأحمس قال : لقيت أبا ذرّ ، فقلت له : بلغني عنك أنك تحدث حديثًا عن[٥] رسول اللَّه ﷺ فقال : أما إنه لا تخالني أكذب علىٰ رسول اللَّه ﷺ بعدما سمعته منه فما الذي بلغك عني ؟ قلت بلغني أنك تقول : ثلاثة[٦] يحبهم اللَّه ، وثلاثة يشنؤهم اللَّه عز وجل ، قال : قلته وسمعته ؛ قلت : فمن هؤلاء الذين يحبهم اللَّه ؟ قال : « **الرجل يلقىٰ العدوّ في فئة ، فينصب لهم نحره حتىٰ يقتل أو يفتح لأصحابه ، والقوم يسافرون فيطول سراهم حتى يحنوا أن يمسوا الأرض ، فينزلون فيتنحىٰ أحدهم ، فيصلي حتىٰ يوقظهم لرحيلهم ، والرجل يكون له الجار يؤذيه ، فيصبر علىٰ أذاه ، حتىٰ يفرق بينهما موت أو ظعن** » .

---

(١٥٧) - في « مسنده » (١٤٨/٥) .

(١٥٨) - أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، حديث ١٧١ - (١٠٦) . وأبو داود في كتاب : اللباس ، باب : ما جاء في إسبال الإزار ، حديث (٤٠٨٧) ، والترمذي في كتاب : البيوع ، باب : ما جاء فيمن حلف على سلعة كاذبًا ، حديث (١٢١١) والنسائي (٨١/٥) كتاب الزكاة ، باب : المنان بما أعطى ، وابن ماجه في كتاب التجارات ، باب : ما جاء في كراهية الأيمان في الشراء والبيع ، حديث (٢٢٠٨) .

(١٥٩) - أخرجه أحمد في مسنده (١٥١/٥) . ومن طرق أخرى عن أبي ذر (١٥٣/٥) ، (١٧٦/٥) .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في خ ، ز : « فأولئك » .

[٣] - في ز : « بمعنى لا يكلمهم كلام » .

[٤] - في ز : « منهم » .

[٥] - مكانه في خ ، ز : بياض .

[٦] - كررت في : خ .

قلت : ومن هؤلاء الذين [يشنؤهم اللَّه][١] ؟ قال : « **التاجر الحلاف - أو قال**[٢] **البائع الحلاف- والفقير المختال ، والبخيل المنان** » .

غريب من هذا الوجه .

(الحديث الثاني) : قال الإمام أحمد (١٦٠) : حدّثنا يحيىٰ بن سعيد ، عن جرير بن حازم ؛ قال[٣] : حدّثنا عدي بن عدي ، أخبرني رجاء بن حيوة ، والعُرْس بن عَمِيرة ، عن [أخيه] عَديّ -هو ابن عميرة الكندي - قال : خاصم رجل من كندة ، يقال له : امرؤ القيس بن عابس[٤] ، رجلًا من حضرموت إلىٰ رسول اللَّه ﷺ في أرض ، فقضىٰ علىٰ الحضرمي بالبينة ، فلم يكن له بينة ، فقضىٰ علىٰ امرئ القيس باليمين ، فقال الحضرمي : إن[٥] أمكنته من اليمين يا رسول اللَّه ؟ ذهبت ورب الكعبة أرضي ، فقال النبي ﷺ : « **من حلف علىٰ يمين كاذبة ليقتطع بها مال أحد ، لقي اللَّه عز وجل وهو عليه غضبان** » . قال رجاء : وتلا رسول اللَّه ﷺ : ﴿ **إن الذين يشترون بعهد اللَّه وأيمانهم ثمنًا قليلًا** ﴾ فقال امرؤ القيس : ماذا لمن تركها يا رسول اللَّه ؟ فقال : « **الجنة** » . قال : فاشهد أني قد تركتها له كلها .

ورواه النسائي(١٦١) من حديث عدي بن عدي به .

(الحديث الثالث) قال أحمد(١٦٢) : حدّثنا أبو معاوية ، حدّثنا الأعمش عن شقيق ، عن عبد اللَّه ؛ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **من حلف علىٰ يمين ، هو فيها فاجر ؛ ليقتطع بها مال امرئ مسلم ، لقي اللَّه ، عز وجل ، وهو عليه غضبان** » . فقال الأشعث : فيَّ[٦] واللَّه كان ذلك ، كان بيني وبين رجل من اليهود أرض ، فجحدني أرضي[٧] ؛ فقدمته إلىٰ رسول اللَّه ﷺ فقال لي رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **ألك بينة** » ؟ قلت : لا . فقال لليهودي : « **احلف** ». فقلت : يا رسول اللَّه ؛ إذًا يحلف ؛ فيذهب مالي ؛ فأنزل اللَّه عز وجل : ﴿ **إن الذين يشترون بعهد اللَّه وأيمانهم ثمنًا قليلًا** ﴾ [إلى آخر][٨] الآية .

---

(١٦٠) - أخرجه أحمد في « مسنده » (٤/١٩١ - ١٩٢) ، والنسائي في « الكبرى » (٣/٤٨٦) رقم (٥٩٩٦) والطبراني في « الكبير » (١٧/١٠٨) رقم (٢٦٥) ، والطبري في تفسيره ٦/٥٣٠) رقم (٧٢٨٠) ، وذكره الهيثمي في المجمع (٤/١٨١) وقال : رواه أحمد ، والطبراني في الكبير ، ورجالهما ثقات .

(١٦١) - انظر السابق .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « يشنأ » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - سقط من : م ، والمثبت من ز .

[٤] - في خ ، ز : « عامر » .

[٥] - سقط من : خ ، ز .

[٦] - في ز : « بي » .

[٧] - سقط من : خ ، ز .

[٨] - سقط من: م، والمثبت من ز.

أخرجاه من حديث الأعمش .

(طريق أخرىٰ) قال أحمد(١٦٣) : حدثنا يحيىٰ بن آدم ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن شقيق بن سلمة ، حدثنا عبد اللَّه بن مسعود ؛ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **من اقتطع مال امرئ مسلم بغير حق ؛ لقي اللَّه ، وهو عليه غضبان** » . قال : فجاء الأشعث بن قيس ، فقال : ما يحدثكم أبو عبد الرحمن ؟ فحدّثناه ؛ فقال : فيّ كان هذا الحديث ؛ خاصمت ابن عم لي إلى رسول اللَّه ﷺ في بئر لي كانت في يده ، فجحدني ، فقال رسول اللَّه ﷺ : « **بينتك أنها بئرك وإلا فيمينه** » . قال : قلت : يا رسول اللَّه ما لي بينة ، وإن تجعلها بيمينه[١] ؛ تذهب[٢] بئري ؛ إن خصمي امرؤ فاجر . فقال رسول اللَّه ﷺ : « **من اقتطع مال امرئ مسلم بغير حق لقي اللَّه وهو عليه غضبان** » . قال : وقرأ رسول اللَّه ﷺ هذه الآية : ﴿ **إن الذين يشترون بعهد اللَّه وأيمانهم ثمنًا قليلًا [أولئك لاخلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم اللَّه ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم]** ﴾ .

(الحديث الرابع) قال الإمام أحمد(١٦٤) : حدثنا يحيىٰ بن غيلان ، قال : حدثنا رشدين ، عن زبّان عن سهل بن معاذ بن أنس، عن أبيه ؛ أن[٣] رسول اللَّه ﷺ قال[٤] : « **إن للَّه تعالىٰ عبادًا ؛ لا يكلمهم يوم القيامة ، ولا يزكيهم ، ولا ينظر إليهم** » قيل : ومن أولئك يا رسول اللَّه ؟ قال[٥] : « **متبرئ من والديه راغب عنهما ، ومتبرئ من ولده ، ورجل**

---

(١٦٢) - رواه أحمد في « المسند » (٢١١/٥) وبنحوه أيضًا في « المسند » (٢١١/٥ ، ٢١١ - ٢١٢ ، ٢١٢) . وأخرجه البخاري في كتاب الشرب والمساقاة ، باب : الخصومة في البئر والقضاء فيها ، حديث (٢٣٥٦ ، ٢٣٥٧) . ومسلم في كتاب الأيمان ، حديث (١٣٨) ، وأبو داود في « سننه » كتاب : الأيمان والنذور ، باب : فيمن حلف يمينًا ليقتطع بها مالًا لأحد ، حديث (٣٢٤٣) والترمذي في « سننه » ، كتاب : البيوع ، باب : ما جاء في اليمين الفاجرة يقتطع بها مال المسلم ، حديث (١٢٦٩) ، وكتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة آل عمران ، حديث (٢٩٩٩) ، والنسائي في « الكبرى » (٤٨٤/٣ - ٤٨٥) رقم (٥٩٩١ ، ٥٩٩٢) و(٣٠٨/٦ ، ٣٠٩) رقم (١١٠٦٢) وابن ماجه في » كتاب : الأحكام ، باب : البينة على من ادعى واليمين على من أنكر ، حديث (٢٣٢٢) كلهم من طريق أبي وائل به .

(١٦٣) - في « مسنده » (٢١٢/٥) ، وانظر السابق .

(١٦٤) - أخرجه أحمد في « مسنده » (٤٤٠/٣) . والطبراني في « الكبير » (١٩٥/٢٠) رقم (٤٣٧) ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٨/٥ - ١٩) وقال : رواه أحمد والطبراني ، وفيه زبان بن فائد ، قد ضعفه أحمد وابن معين ، وقال أبو حاتم : صالح ، وذكره الشيخ الألباني - حفظه اللَّه - في « الضعيفه » حديث (١٩٤١) .

---

[١] - في ز : « يمينه » .

[٢] - في خ ، ز : « يذهب » .

[٣] - في ز : « عن » .

[٤] - سقط من : خ ، ز .

[٥] - سقط من : خ ، ز .

أنعم عليه قوم ، فكفر نعمتهم وتبرأ منهم » .

(الحديث الخامس) قال ابن أبي حاتم (١٦٥) : حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا هشيم ، أنبأنا العوام - يعني ابن حوشب - عن إبراهيم بن عبد الرحمن - يعني السكسكي - عن عبد اللّه بن أبي أوفىٰ ؛ أن رجلًا أقام سلعة له في السوق ، فحلف باللّه ؛ لقد أعطي بها ما لم يعطه ؛ ليوقع فيها رجلًا من المسلمين ؛ فنزلت هذه الآية ﴿ **إن الذين يشترون بعهد اللّه وأيمانهم ثمنًا قليلًا** ﴾ [إلى آخر][١] الآية .

ورواه البخاري ، من غير وجه عن العوام .

(الحديث السادس) قال الإمام أحمد (١٦٦) : حدثنا وكيع ، حدثنا[٢] الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضي اللّه عنه ؛ قال : قال رسول اللّه ﷺ : « **ثلاثة لا يكلمهم اللّه يوم القيامة ، ولا ينظر إليهم ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم ؛ رجل منع ابن السبيل فضل ماء عنده ، ورجل حلف علىٰ سلعة بعد العصر ، يعني كاذبًا ، ورجل بايع إمامًا ؛ فإن أعطاه وفىٰ[٣] له ، وإن لم يعطه لم يف له** » .

ورواه أبو داود والترمذي ، من حديث وكيع . وقال الترمذي : حديث[٤] حسن صحيح .

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾

(١٦٥) - أخرجه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (٣٥٥/٢) رقم (٨٢٣) ، وأخرجه البخاري في « صحيحه » كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ **إن الذين يشترون بعهد اللّه وأيمانهم ثمنًا قليلًا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة** ﴾ الآية حديث (٤٥٥١) من طريق علي بن أبي هاشم أنه سمع هشيمًا ، أخبرنا العوام بن حوشب . عن إبراهيم بن عبد الرحمن ، عن عبد اللّه ابن أبي أوفى مرفوعًا بلفظه .

(١٦٦) - رواه أحمد في مسنده (٤٨٠/٢) . وأخرجه أبو داود في « سننه » كتاب : البيوع ، باب : في منع الماء ، حديث (٣٤٧٤) . والترمذي في « سننه » ، كتاب السير ، باب : ما جاء في نكث البيعة ، حديث (١٥٩٥) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (٣٥٨/٢) رقم (٨٢٩) كلهم من طريق وكيع بهذا الإسناد .

وأخرجه البخاري في « صحيحه » كتاب : الشهادات ، باب : اليمين بعد العصر ، حديث (٢٦٧٢) ، وأطرافه في (٢٣٥٨ ، ٢٣٦٩ ، ٧٢١٢ ، ٧٤٤٦) ، ومسلم في « صحيحه » كتاب الأيمان ، باب : حديث (١٠٨) من طريق الأعمش بإسناده نحوه .

[١] - سقط من :ت .
[٢] - في ت : عن .
[٣] - في ز : « وفا » .
[٤] - سقط من : خ ، ز .

يخبر تعالىٰ عن اليهود، عليهم لعائن اللَّه، أن منهم فريقًا يحرفون الكلم عن مواضعه، ويبدلون كلام اللَّه، ويزيلونه عن المراد به؛ ليوهموا الجهلة أنه في كتاب اللَّه كذلك، وينسبونه إلىٰ[١] اللَّه، وهو كذب علىٰ اللَّه، وهم يعلمون من أنفسهم أنهم قد كذبوا وافتروا في ذلك كله، ولهذا قال اللَّه تعالىٰ: ﴿ **ويقولون علىٰ اللَّه الكذب وهم يعلمون** ﴾ وقال[٢] مجاهد والشعبي، والحسن وقتادة، والربيع بن أنس: ﴿ **يلوون ألسنتهم بالكتاب** ﴾ يحرفونه[٣]، وهكذا روىٰ البخاري، عن ابن عباس، أنهم يحرفون، ويزيلون[٤]، وليس أحد من خلق اللَّه يزيل لفظ كتاب من كتب اللَّه؛ لكنهم يحرفونه ويتأولونه[٥] علىٰ غير تأويله.

وقال وهب بن منبه: إن التوراة والإنجيل كما أنزلهما اللَّه تعالىٰ؛ لم يغير منهما حرف، ولكنهم يضلون بالتحريف والتأويل وكتب كانوا يكتبونها من عند أنفسهم.

﴿ **ويقولون هو من عند اللَّه وما هو من عند اللَّه** ﴾، فأما كتب اللَّه فإنها محفوظة ولا تحول.

رواه ابن أبي حاتم(١٦٧)، فإن عنى وهب ما بأيديهم من ذلك، فلا شك أنه قد دخلها التبديل والتحريف والزيادة والنقص. وأما تعريب ذلك المشاهد بالعربية، ففيه خطأ كبير، وزيادات كثيرة، ونقصان، ووهم فاحش، وهو من باب تفسير المعرب المعبر، وفهم كثير منهم، بل أكثرهم، بل جميعهم فاسد. وأما إن عنى كتب اللَّه التي هي كتبه من[٦] عنده، فتلك كما قال محفوظة، لم يدخلها شي.

مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾

(١٦٧) - رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/٣٦١ - ٣٦٢) رقم (٨٤٤).

[١] - في ز: «على».
[٢] - في ز: «قال».
[٣] - في خ: «ليحرفونه».
[٤] - في ت: «ويزيدون».
[٥] - في ز: «يتأولونه».
[٦] - سقط من: خ، ز.

قال محمد بن إسحاق (١٦٨) : حدثنا محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ؛ قال : قال أبو رافع القرظي ؛ حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارىٰ من أهل نجران عند رسول اللَّه ﷺ ، ودعاهم إلىٰ الإسلام : أتريد يا محمد أن نعبدك ؛ كما تعبد النصارىٰ عيسىٰ بن مريم ؟ فقال رجل من أهل نجران نصراني ، يقال له الرئيس : أو ذاك تريد منا يا محمد وإليه تدعونا ؟ أو كما قال : فقال رسول اللَّه ﷺ : « **معاذ اللَّه أن نعبد غير اللَّه، أو أن نأمر بعبادة** [**غير اللَّه**][١] ، **ما بذلك بعثني ، ولا بذلك أمرني** » ، أو كما قال ﷺ فأنزل اللَّه [عز وجل] في ذلك من قولهما: ﴿ **ما كان لبشر أن يؤتيه اللَّه الكتاب والحكم والنبوة** ﴾ الآية[٢] إلىٰ قوله: ﴿ **بعد إذ أنتم مسلمون** ﴾ فقوله : ﴿**ما كان لبشر أن يؤتيه اللَّه الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادًا لي من دون اللَّه** ﴾ أي : ما ينبغي لبشر آتاه اللَّه الكتاب والحكم والنبوة، أن يقول للناس : اعبدوني من دون اللَّه ، أي : مع اللَّه ، فإذا[٣] كان هذا لا يصلح لنبي ، ولا لمرسل ، فلأن لا يصلح لأحد من الناس غيرهم بطريق الأولىٰ والأحرىٰ ؛ ولهذا قال الحسن البصري : لا ينبغي هذا لمؤمن ؛ أن يأمر الناس بعبادته ، قال : وذلك أن القوم كان يعبد بعضهم بعضًا - يعني أهل الكتاب - كانوا [يتعبدون لأحبارهم][٤] ورهبانهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون اللَّه** [**والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدًا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون**][٥] ﴾.

وفي المسند والترمذي ، كما سيأتي(١٦٩) ، أن عدي بن حاتم ؛ قال : يا رسول اللَّه؛ ما عبدوهم . قال : « **بلىٰ إنهم أحلوا لهم الحرام ، وحرموا عليهم الحلال ، فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم** » .

فالجهلة من الأحبار والرهبان ، ومشايخ الضلال ، يدخلون في هذا الذم والتوبيخ ، بخلاف الرسل وأتباعهم من العلماء العاملين ، [فإنهم إنما][٦] يأمرون بما أمر[٧] اللَّه به[٨] ، وبلغتهم إياه

(١٦٨) - « السيرة لابن هشام » (٢/٣٩٥) ، وأخرجه الطبري في « تفسيره » (٦/٥٣٩) رقم (٧٢٩٦ ، ٧٢٩٧) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (٢/٣٦٩ - ٣٧٠) رقم (٨٧٥) . والبيهقي في « دلائل النبوة » (٥/٣٨٤) ، من طريق محمد بن إسحاق بهذا الإسناد .

(١٦٩) - سيأتي تخريجه - في سورة الأنعام آية (١٢١) .

[١] - في خ ، ز : « غيره » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : م .

[٣] - في ز : « وإذا » .

[٤] - في ت : « يعبدون أحبارهم » .

[٥] - ما بين المعكوفتين زيادة من خ، ز: وفي م: الآية.

[٦] - في خ ، ز : « فإنما » .

[٧] - في ت : « يأمر » .

[٨] - سقط من : خ ، ز .

رسله الكرام ، وإنما ينهونهم[١] عما نهاهم اللَّه عنه ، وبلغتهم إياه رسله الكرام . فالرسل[٢] صلوات اللَّه وسلامه عليهم أجمعين ، هم السفراء بين اللَّه وبين خلقه ، في أداء ما حملوه من الرسالة وإبلاغ الأمانة . فقاموا بذلك أتم القيام[٣] ، ونصحوا الخلق ، وبلغوهم الحق .

وقوله : ﴿ **ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون** ﴾ أي : ولكن يقول الرسول للناس : كونوا ربانيين . قال ابن عباس ، وأبو رزين ، وغير واحد : أي : حكماء علماء حلماء ، وقال الحسن وغير واحد : فقهاء ، وكذا روي عن ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، وعطاء الخراساني ، وعطية العوفي ، والربيع بن أنس . وعن الحسن أيضًا : يعني أهل عبادة ، وأهل تقوىٰ .

وقال الضحاك في قوله : ﴿ **بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون** ﴾ حق علىٰ من تعلم القرآن أن يكون فقيهًا، ﴿ **تعْلَمون** ﴾ أي : تفهمون معناه وقرئ ﴿ **تعلّمون**﴾ بالتشديد(*) ، من التعليم ، ﴿ **وبما كنتم تدرسون** ﴾ تحفظون ألفاظه .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابًا** ﴾ أي : ولا يأمركم بعبادة أحد غير اللَّه ؛ لا نبي مرسل ، ولا ملك مقرّب ، ﴿ **أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون**﴾ أي : لا يفعل[٤] ذلك إلا[٥] من دعا إلىٰ عبادة غير اللَّه ، [ومن دعا إلىٰ عبادة غير اللَّه][٦] ؛ فقد دعا إلىٰ الكفر ، والأنبياء إنما يأمرون بالإيمان ، وهو عبادة اللَّه وحده لا شريك له ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي[٧] إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمّة رسولًا أن اعبدوا اللَّه واجتنبوا الطاغوت** ﴾ . الآية . وقال : ﴿ **واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون** ﴾ . وقال تعالى إخبارًا عن الملائكة : ﴿ **ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين**﴾ .

وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ

(*) وهي قراءة عاصم ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي . وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمر : ﴿تعْلَمون﴾ بإسكان العين ، وفتح اللام والتاء تخفيفًا .

[١] - في ز : « ينهوهم » .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - في خ : « قيام » .
[٤] - في خ ، ز : « تفعل » .
[٥] - في ز : لأن .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٧] - في ز : « يوحى » .

﴿إِصْرِيۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾

يخبر تعالىٰ أنه أخذ ميثاق كل نبي بعثه من لدن آدم عليه السلام إلىٰ عيسىٰ عليه السلام ؛ لمهما آتى الله أحدهم من كتاب وحكمة ، وبلغ أي مبلغ ، ثم جاءه رسول من بعده ، ليؤمنن به ، ولينصرنه ، ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة ، من اتباع من بعث بعده ونصرته ؛ ولهذا قال تعالىٰ وتقدّس : ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة** ﴾ أي : لمهما أعطيتكم[١] من كتاب وحكمة ، ﴿ **ثم جاءكم رسول مصدّق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري** ﴾ .

وقال ابن عباس ، ومجاهد ، والربيع [بن أنس][٢] وقتادة والسدّي : يعني عهدي .

وقال محمد بن إسحاق : ﴿ **إصري** ﴾ أي : ثقل ما حملتم من عهدي ، أي : ميثاقي الشديد المؤكد .

﴿ **قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فمن تولىٰ بعد ذلك** ﴾ ، أي : عن هذا العهد والميثاق ﴿ **فأولئك هم الفاسقون** ﴾ .

قال علي بن أبي طالب[٣] ، وابن عمه [عبد الله][٤] بن عباس رضي الله عنهما ما بعث الله نبيًّا من الأنبياء ؛ إلا أخذ عليه الميثاق ، لئن بعث محمدٌ وهو حي ؛ ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ الميثاق علىٰ أمته ؛ لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه .

وقال طاوس والحسن البصري[٥] وقتادة : أخذ الله ميثاق النبيين أن يصدّق بعضهم بعضًا .

وهذا لا يضاد ما قاله علي وابن عباس ، ولا ينفيه ، بل يستلزمه ويقتضيه ، ولهذا روىٰ[٦] عبد الرزاق عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، مثل قول علي وابن عباس .

وقد قال الإمام أحمد(١٧٠) : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا سفيان ، عن جابر ، عن الشعبي ، عن

(١٧٠) - رواه أحمد في « مسنده » (٤/٢٦٥ - ٢٦٦) ويأتي تخريجه بأبسط من ذلك في فاتحة سورة يوسف حديث (٨) .

[١] - في خ ، ز : « أعطيكم » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ز : « طلحة »
[٤] - سقط من: ت .
[٥] - سقط من : خ ، ز .
[٦] - في خ ، ز : « رواه » .

عبد اللّٰه بن ثابت ؛ قال : جاء عمر إلىٰ [رسول اللّٰه] صلىٰ اللّٰه عليه وآله وسلم ، فقال : يارسول اللّٰه ، إني مررت بأخ[١] لي من قريظة ، فكتب لي جوامع من التوراة ، ألا أعرضها عليك ؟ قال : فتغير وجه رسول اللّٰه ﷺ قال عبد اللّٰه ابن ثابت : قلت له : ألا ترىٰ ما بوجه رسول اللّٰه ﷺ ؟ قال[٢] عمر : رضينا باللّٰه ربًا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمد رسولًا ، قال : فسري عن النبي ﷺ ، وقال : « **والذي نفس محمد بيده ، لو أصبح فيكم موسىٰ ، عليه السلام ، ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم ، إنكم حظي من الأمم ، وأنا حظكم من النبيين** » .

(حديث آخر) قال الحافظ أبو بكر(١٧١) : حدثنا إسحاق ، حدثنا حماد ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن جابر ، قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : « **لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء ؛ فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا ، وإنكم إما أن تصدّقوا بباطل ، وإما أن تكذبو بحق ، وإنه واللّٰه لو كان موسىٰ حيًا بين أظهركم ؛ ما حل له إلا أن يتبعني** » .

وفي بعض الأحاديث : « **لو كان موسىٰ وعيسىٰ حيين ؛ لما وسعهما إلا اتباعي** » .

فالرسول محمد خاتم الأنبياء صلوات اللّٰه وسلامه عليه دائمًا إلىٰ يوم الدين ، وهو الإمام الأعظم الذي لو وجد في أي عصر وجد ؛ لكان[٣] هو الواجب الطاعة ، المقدم علىٰ الأنبياء كلهم ، ولهذا كان إمامهم ليلة الإسراء ، لما[٤] اجتمعوا ببيت المقدس ، وكذلك هو الشفيع في المحشر[٥] ، في إتيان الرب [جل جلاله] لفصل القضاء [بين عباده][٦] ، وهو المقام المحمود الذي لا يليق إلا له ، والذي يحيد عنه أولوا العزم من الأنبياء والمرسلين ، حتىٰ تنتهي النبوة إليه فيكون هو المخصوص به ، [صلوات اللّٰه وسلامه عليه] .

أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن

(١٧١) - أخرجه البزار كما في « كشف الاستار » (١/٧٨ - ٧٩) حديث (١٢٤) . ويأتي تخريجه بأبسط من ذلك في فاتحة سورة يوسف (٧) .

[١] - في خ : « برجل » .
[٢] - في خ ، ز : « فقال » .
[٣] - في ز : « كان » .
[٤] - في ت : «يوم » .
[٥] - في ز : « يوم الحشر » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (٨٥)

يقول تعالىٰ ، منكرًا علىٰ من أراد دينًا سوىٰ دين الله ، الذي أنزل به كتبه ، وأرسل به رسله ، وهو [عبادة الله][١] وحده لا شريك له ، الذي له أسلم من في السموات والأرض ، أي : استسلم له من فيهما طوعًا وكرهًا ؛ كما قال تعالىٰ : [﴿ **ولله يسجد من في السموات والأرض طوعًا وكرهًا** ﴾ الآية . وقال تعالىٰ][٢] : ﴿ **أو لم يروا إلىٰ ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدًا لله وهم داخرون * ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من[٣] فوقهم ويفعلون ما يؤمرون** ﴾ .

فالمؤمن مستسلم بقلبه وقالبه لله ، والكافر مستسلم لله كرهًا ، فإنه تحت التسخير والقهر والسلطان العظيم ، الذي لا يخالف ولا يمانع . وقد ورد حديث في تفسير هذه الآية علىٰ معنىٰ آخر فيه غرابة ؛ فقال الحافظ أبو القاسم الطبراني(١٧٢) : حدثنا[٤] أحمد بن النضر العسكري ، حدثنا سعيد بن حفص النفيلي ، حدّثنا محمد بن محصن العكاشي ، حدثنا الأوزاعي ، عن عطاء ابن أبي رباح ، [عن ابن عباس][٥] عن النبي ﷺ : « ﴿ **وله أسلم من في السموات والأرض طوعًا وكرهًا** ﴾ أمّا من في السموات فالملائكة ، وأما من في الأرض ، فمن ولد علىٰ الإسلام ، وأما كرهًا فمن أتى به من سبايا الأمم في السلاسل والأغلال ، يقادون إلىٰ الجنة وهم كارهون » .

وقد ورد في الصحيح(١٧٣) : « **عجب ربك من قوم يقادون إلىٰ الجنة في السلاسل** » . وسيأتي له شاهد من وجه آخر ، ولكن المعنىٰ الأوّل للآية أقوىٰ .

وقد قال وكيع في تفسيره(١٧٤) : حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد : ﴿ **وله أسلم من**

(١٧٢) - الحديث أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١١/١٩٤) رقم (١١٤٧٣) . وهنا سقط اسم ابن عباس ، فالإسناد عند الطبراني عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٦/٣٢٩) وقال : رواه الطبراني ، وفيه محمد بن محصن العكاشي وهو متروك .

(١٧٣) - أخرجه البخاري في « صحيحه » ، كتاب الجهاد ، باب : الأسارى في السلاسل ، حديث (٣٠١٠) وطرفه في (٤٥٥٧) . والحديث سبق تخريجه في سورة البقرة آية (٢٥٦).

(١٧٤) - أخرجه الطبري في « تفسيره » (٦/٥٦٥) ، حديث (٧٣٥٢) ، من طريق وكيع به .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : عبادته .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٣] - كرر في خ .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - زيادة من الطبراني ، ومجمع الزوائد ، والدر المنثور .

في السموات والأرض طوعًا و[١] **كرهًا** ﴾ قال : هو كقوله : ﴿ **ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله** ﴾ .

وقال أيضًا (١٧٥) : حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : ﴿ **وله أسلم من في السموات والأرض طوعًا وكرها** ﴾ قال : حين أخذ الميثاق .

﴿ **وإليه يرجعون** ﴾ أي : يوم المعاد ، فيجازي كلًّا بعمله .

ثم قال الله تعالىٰ : ﴿ **قل آمنا بالله وما أنزل علينا** ﴾ يعني القرآن ، ﴿ **وما أنزل علىٰ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب** ﴾ أي : من الصحف والوحي ﴿ **والأسباط** ﴾ وهم بطون بني إسرائيل المتشعبة من أولاد إسرائيل- وهو يعقوب - الاثني عشر : ﴿ **وما أوتي موسىٰ وعيسىٰ** ﴾ يعني بذلك التوراة والإنجيل ، ﴿ **والنبيون من ربهم** ﴾ وهذا يعم جميع الأنبياء جملة ، ﴿ **لانفرق بين أحد منهم** ﴾ يعني بل نؤمن بجميعهم ، ﴿ **ونحن له مسلمون** ﴾ فالمؤمنون من هذه الأمّة يؤمنون بكل نبي أرسل ، وبكل كتاب أنزل ، لا يكفرون بشيء من ذلك ، بل هم يصدقون بما أنزل[٢] من عند الله ، وبكل نبي بعثه الله .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه** ﴾ . الآية . أي : من سلك طريقًا سوىٰ ما شرعه الله ؛ فلن يقبل منه ﴿ **وهو في الآخرة من الخاسرين** ﴾ ، كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح : « **من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد** »(١٧٦) .

وقال الإمام أحمد(١٧٧) : حدثنا أبو سعيد - مولىٰ بني هاشم ، حدثنا عباد بن راشد ، حدثنا الحسن ، حدثنا أبو هريرة إذ ذاك ، ونحن بالمدينة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **تجيء الأعمال يوم القيامة فتجيء الصلاة فتقول : يارب ؛ أنا الصلاة ، فيقول : إنك علىٰ خير ، وتجيء الصدقة فتقول : يا رب ؛ أنا الصدقة ، فيقول : إنك علىٰ خير ، ثم يجيء الصيام فيقول : يارب ؛ أنا الصيام ، فيقول : إنك علىٰ خير ، ثم تجيء الأعمال ، كل ذلك يقول الله : إنك علىٰ خير ، ثم يجيء الإسلام فيقول : يا رب ؛ إنك**[٣] **أنت السلام ، وأنا الإسلام ، فيقول الله تعالىٰ : إنك علىٰ خير ، بك اليوم آخذ وبك أعطي . قال الله في كتابه : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾** .

(١٧٥) - أخرجه الطبري في « تفسيره » (٥٦٥/٦) رقم (٧٣٤٥) ، من طريق وكيع بهذا الإسناد .

(١٧٦) - سبق تخريجه - سورة البقرة آية (١١٢) .

(١٧٧) - رواه أحمد في « مسنده » (٣٦٢/٢) ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٣٤٨/١٠) . وقال : رواه=

[١] - في ز : « أو » .
[٢] - في خ ، ز : « نزل » .
[٣] - سقط من : خ ، ز .

تفرد به أحمد .

قال أبو عبد الرحمن عبد الله ابن الإمام أحمد : عباد بن راشد ثقة ، ولكن الحسن لم يسمع من أبي هريرة .

كَيْفَ يَهْدِي ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾

قال ابن جرير(١٧٨) : حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع البصري ، حدثنا يزيد بن زُرَيع ، حدثنا داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ قال : كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتدّ ولحق بالشرك ، ثم ندم فأرسل إلىٰ قومه ؛ أن سلوا لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لي من توبة ؟ قال[١] : فنزلت : ﴿ **كيف يهدي الله قومًا كفروا بعد إيمانهم** ﴾ إلىٰ قوله ﴿ [**وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا**][٢] **فإن الله غفور رحيم** ﴾ فأرسل إليه[٣] قومه فأسلم .

وهكذا رواه النسائي والحاكم وابن حبان من طريق داود بن أبي هند به .

وقال الحاكم : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

= أحمد وأبو يعلى والطبراني في الأوسط ... وفيه عباد بن راشد ، وثقه أبو حاتم وغيره ، وضعفه جماعة ، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح .

(١٧٨) - رواه ابن جرير في « تفسيره » (٥٧٢/٦ - ٥٧٣) رقم (٧٣٦٠) و (٧٣٦١ ، ٧٣٦٢) . والنسائي في « سننه » (١٠٧/٧) كتاب تحريم الدم ، باب : توبة المرتد ، والحاكم في « المستدرك » (٣٦٦/٤) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (٣٨٥/٢ - ٣٨٦) رقم (٩٢٤) . وابن حبان في « صحيحه » (٣٢٩/١٠ - الإحسان) برقم (٤٤٧٧) . كلهم من طريق داود بن أبي هند به .

[١] - سقط من : خ . ز .

[٢] - سقط من: ت .

[٣] - في خ : « إلى » .

وقال عبد الرزاق(١٧٩) : أنبأنا جعفر بن سليمان ، حدثنا حميد الأعرج ، عن مجاهد قال : جاء الحارث بن سويد ، فأسلم مع النبي صلىٰ اللّه عليه وآله[١] وسلم ، ثم كفر الحارث ، فرجع إلىٰ قومه ، فأنزل اللّه فيه القرآن[٢] ﴿ **كيف يهدي اللّه قومًا كفروا بعد إيمانهم [إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن اللّه**] غفور رحيم ﴾ قال : فحملها إليه رجل من قومه ، فقرأ[٣] عليه ، فقال الحارث : إنك- واللّه ما علمت- لصدوق ، وإن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم لأصدق منك ، وإن اللّه لأصدق الثلاثة ، قال : فرجع الحارث ، فأسلم فحسن إسلامه .

فقوله تعالىٰ : ﴿ **كيف يهدي اللّه قومًا كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات [واللّه لا يهدي القوم الظالمين]** ﴾ ، أي : قامت عليهم الحجج والبراهين ، علىٰ صدق ما جاءهم به الرسول ، ووضح لهم الأمر ، ثم ارتدوا إلىٰ ظلمة الشرك ، فكيف يستحق هؤلاء الهداية بعد ما تلبسوا به من العماية ؟ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **واللّه لا يهدي القوم الظالمين** ﴾ . ثم قال تعالىٰ : ﴿ **أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة اللّه والملائكة والناس أجمعين** ﴾ . أي : يلعنهم اللّه ، ويلعنهم خلقه ﴿ **خالدين فيها** ﴾ أي : في اللعنة ، ﴿ **لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون** ﴾ أي : لايفتر عنهم العذاب ، ولا يخفف عنهم ساعة واحدة .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن اللّه غفور رحيم** ﴾ وهذا من لطفه وبرّه ، ورأفته ورحمته ، وعائدته علىٰ خلقه ؛ أن من تاب إليه تاب عليه .

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾

يقول تعالىٰ متوعدًا ومهددًا[٤] لمن كفر من[٥] بعد إيمانه ، ثم ازداد[٦] كفرًا ، أي استمر عليه إلىٰ الممات، ومخبرًا [بأنهم لن تقبل لهم][٧] توبة عند الممات[٨] ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وليست**

(١٧٩) - أخرجه عبد الرزاق في « تفسيره » (١/١٢٥) ، ومن طريقه ابن جرير الطبري في « تفسيره » (٦/ ٥٧٣) رقم (٧٣٦٣) .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - في ز : « فقرأها » .
[٤] - في ز : « ومتهددًا » .
[٥] - سقط من خ .
[٦] - في خ : « ازدادوا » .
[٧] - في خ ، ز : « بأنه لا يقبل منهم » .
[٨] - في خ ، ز : « مماتهم » .

التوبة للذين يعملون السيئات حتىٰ إذا حضر أحدهم الموت [قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليمًا] ﴾ .

[ولهذا قال هاهنا : ﴿ **لن تقبل توبتهم**][١] **وأولئك هم الضالون** ﴾ أي : الخارجون عن المنهج[٢] الحق إلىٰ طريق الغي .

قال الحافظ أبو بكر البزار(١٨٠) : حدثنا محمد بن عبد اللَّه بن بزيع ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا داود بن أبي [هند ، عن][٣] عكرمة ، عن ابن عباس ؛ أن قومًا أسلموا ، ثم ارتدوا ، ثم أسلموا ثم ارتدوا فأرسلوا إلىٰ قومهم يسألون لهم ، فذكروا ذلك لرسول اللَّه ﷺ ، فنزلت هذه الآية : ﴿ **إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرًا لن تقبل توبتهم** ﴾ هكذا رواه وإسناده جيد .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبًا ولو افتدىٰ به** ﴾ أي : من مات علىٰ الكفر ، فلن يقبل منه خير[٤] أبدًا ، ولو كان قد أنفق ملء الأرض ذهبًا [ولو افتدى به][٥] فيما يراه قُرْبة ، كما سئل النبي ﷺ عن عبد اللَّه بن جُدعان - وكان يقري الضيف ، ويفك العاني ، ويطعم الطعام : هل ينفعه ذلك ؟ فقال : « **لا ، إنه لم يقل يومًا من الدهر : رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين** »(١٨١) .

وكذلك لو افتدىٰ بملء الأرض أيضًا ذهبًا ، ما قبل منه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولا**[٦] **يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة** ﴾ وقال : ﴿ **لابيع فيه ولا خلال** ﴾ ، وقال : ﴿ **إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأض جميعًا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم** ﴾ ولهذا قال تعالى هاهنا : ﴿ **إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبًا ولو افتدىٰ به** ﴾ فعطف ولو افتدىٰ به علىٰ الأوّل ؛ فدل علىٰ أنه غيره ، وما ذكرناه أحسن من أن يقال : إن الواو زائدة ، واللَّه أعلم .

---

(١٨٠) - ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٢/٨٨) وعزاه إلى البزار عن ابن عباس . وقال : هذا خطأ من البزار .

(١٨١) - أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، حديث (٢١٤) من حديث عائشة رضي اللَّه عنها قالت : قلت : يا رسول اللَّه ! ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ، ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه ؟ قال : « **لا ينفعه ، إنه لم يقل يومًا : رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين** » . وسيأتي الحديث في سورة النساء آية (٣٧) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - في خ : « منهج » .
[٣] - سقط من : خ ، ز .
[٤] - في ز : « خيرًا » .
[٥] - ما بين المعكوفتين زيادة من : خ .
[٦] - سقط من : ز .

ويقتضي ذلك أن لا ينقذه من عذاب الله شيء ، ولو كان قد أنفق مثل الأرض ذهبًا ، ولو افتدىٰ نفسه من الله بملء الأرض ذهبًا بوزن جبالها وتلالها وترابها ورمالها وسهلها ووعرها وبرها وبحرها .

وقال الإمام أحمد(١٨٢) : حدثنا حجاج ، حدثني شعبة ، عن أبي عمران الجوني ، عن أنس بن مالك ؛ عن النبي ﷺ ؛ قال : « **يقال للرجل من أهل النار[١] يوم القيامة : أرأيت لو كان لك ما علىٰ الأرض من شيء أكنت مفتديًا به ؟ قال : فيقول : نعم ، [قال : فيقول الله : قد][٢] أردت منك أهون من ذلك ، قد أخذت عليك في ظهر أبيك آدم ؛ أن لا تشرك بي شيئًا ، فأبيت إلا أن تشرك** » . وهكذا أخرجه البخاري ومسلم.

(طريق أخرىٰ) وقال الإمام أحمد(١٨٣) : حدثنا روح ، حدثنا حماد ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **يؤتىٰ بالرجل من أهل الجنة ، فيقول له : يا ابن آدم ؛ كيف وجدت منزلك ؟ فيقول : أي رب خير منزل ، فيقول : سل وتمن[٣] ، فيقول : ما أسأل وما[٤] أتمنىٰ إلا أن تردني إلىٰ الدنيا ، فأقتل في سبيلك عشر مرار ، لما يرىٰ من فضل الشهادة . ويؤتىٰ بالرجل من أهل النار ، فيقول له يا بن آدم؛ كيف وجدت منزلك ؟ فيقول : يارب ؛ شر منزل . فيقول له[٥] : أتفتدي[٦] مني بطلائع[٧] الأرض ذهبًا ؟ فيقول : أي رب؛ نعم . فيقول : كذبت ، قد سألتك أقل من ذلك وأيسر ، فلم تفعل ، فيرد إلىٰ النار** » .

(١٨٢) - رواه أحمد في « مسنده » (١٢٧/٣) ، وأخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ، باب : خلق آدم وذريته ، حديث (٣٣٣٤) ، وحديث (٦٥٥٧) . ومسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم حديث ٥١ - (٢٨٠٥) ، وأحمد في « مسنده » (١٢٩/٣) . كلهم من طريق شعبة ، عن أبي عمران الجوني ، عن أنس به .

وقد ورد من حديث قتادة ، عن أنس : أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب : من نوقش الحساب عُذِّب ، حديث (٦٥٣٨) ، ومسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، حديث ٥٢ ، ٥٣ - (٢٨٠٥) ، وأحمد في مسنده (٢١٨/٣ ، ٢٩١) من طرق ، عن قتادة ، عن أنس به .

(١٨٣) - رواه أحمد في « مسنده » (٢٠٧/٣ ، ٢٠٨) . وأخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، حديث ٥٥ - (٢٨٠٧) . والنسائي في « سننه » (٣٦/٦) ، كتاب الجهاد ، باب : ما يتمنى أهل الجنة ، وأحمد في « مسنده » (١٣١/٣ - ١٣٢) من طريق حماد بن سلمة ، عن ثابت البناني ، عن أنس بنحوه .

[١] - في ز : « اليسار » .
[٢] - في ز : « فيقول : قد »
[٣] - في ز : « وتمنى » .
[٤] - سقط من : خ ، ز .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في خ ، ز : « تفتدي » .
[٧] - في خ ، ز : « بطلاع » .

ولهذا قال : ﴿ **أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين** ﴾ أي : وما لهم من أحد ينقذهم من عذاب اللَّه ، ولا يجيرهم من أليم عقابه .

لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾

[روىٰ وكيع في تفسيره(١٨٤) عن شريك ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون : ﴿ **لن تنالوا البر** ﴾ قال : الجنة][١] .

قال الإمام أحمد(١٨٥) : حدثنا روح ، حدثنا مالك ، عن إسحاق بن عبد اللَّه بن أبي طلحة ، سمع أنس بن مالك يقول : كان أبو طلحة أكثر أنصاري[٢] بالمدينة مالاً ، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء ، وكانت مستقبلة المسجد ، وكان النبي ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب ، قال أنس : فلما نزلت ﴿ **لن تنالوا البر حتىٰ تنفقوا مما تحبون** ﴾ قال أبو طلحة : يارسول اللَّه ، إن اللَّه يقول : ﴿ **لن تنالوا البر حتىٰ تنفقوا مما تحبون** ﴾ ، وإن أحب أموالي إلي بيرحاء ، وإنها صدقة للَّه ؛ أرجو بها[٣] برها وذخرها عند اللَّه تعالىٰ ، فضعها يا رسول اللَّه ، حيث أراك اللَّه فقال النبي ﷺ : « **[بخ بخ][٤] ، ذاك مال رابح ، ذاك[٥] مال رابح ، وقد سمعت وأنا أرىٰ أن تجعلها في الأقربين** » ، فقال أبو طلحة : أفعل يا رسول اللَّه ، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه . أخرجاه .

---

(١٨٤) – أخرجه الطبري في « تفسيره » (٥٨٧/٦) رقم (٧٣٨٦) من طريق وكيع به . وأخرجه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (٣٩١/٢) رقم (٩٤٣) عن عمرو بن ميمون به .

(١٨٥) – رواه أحمد في « مسنده » (١٤١/٣) . وأخرجه البخاري في كتاب الزكاة ، باب : الزكاة على الأقارب ، حديث (١٤٦١) ، وأطرافه حديث (٢٣١٨) ، و(٢٧٥٢) ، و(٢٧٥٨) ، و(٢٧٦٩) ، و(٤٥٥٤) ، و(٥٦١١) . ومسلم في كتاب الزكاة ، حديث (٩٩٨) . ومالك في « الموطأ » (ص ٧٦٠) كتاب الصدقة ، باب : الترغيب في الصدقة ، حديث (٢) ، والترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة آل عمران ، حديث (٣٠٠٠) ، والنسائي في « الكبرى » (٣١١/٦) رقم (١١٠٦٦) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (١٦٤/٦ – ١٦٥) و(٣٧٥/٦) ، والبغوي (١٨٩/٦) رقم (١٦٨٣) والطحاوي (٣/ ٢٨٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣٣٨/٦) ، وابن خزيمة في « صحيحه » (١٠٣/٤) حديث (٢٤٥٥) ، وابن حبان في صحيحه (١٢٩/٨ ، ١٣٠ – الإحسان) رقم (٣٣٤٠) وابن جرير الطبري في « تفسيره » (٥٨٩/٦ ، ٥٩٠) رقم (٧٣٩٤ ، ٧٣٩٥) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (٣٩٢/٢ ، ٣٩٣) رقم (٩٤٧).

---

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] – في ت : « الأنصار » .

[٣] – سقط من : ز .

[٤] – في خ ، ز : « بخ » .

[٥] – في ت : « ذلك » .

وفي الصحيحين أن عمر قال : يا رسول الله ؛ لم أصب مالًا قط ، هو أنفس عندي من سهمي الذي هو بخيبر ، فما تأمرني به ؟ قال[١] : « **حبس الأصل وسبل**[٢] **الثمرة** »(١٨٦) .

وقال الحافظ أبو بكر البزار(١٨٧) : حدثنا أبو الخطاب زياد بن يحيىٰ الحساني ، حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا محمد بن عمرو ، عن أبي عمرو بن حماس ، عن حمزة بن عبد الله بن عمر قال : قال عبد الله : حضرتني هذه الآية : ﴿ **لن تنالوا البر حتىٰ تنفقوا مما تحبون** ﴾ فذكرت ما أعطاني الله ، فلم أجد شيئًا أحب إليّ من جارية لي رومية ، فقلت : هي حرّة لوجه الله ، فلو أني أعود في شيء جعلته لله ؛ لنكحتها ، يعني تزوجتها .

---

(١٨٦) - لا يوجد بهذا اللفظ « **حبس الأصل وسبل الثمرة** » في الصحيحين ، وبهذا اللفظ : « **حبس الأصل وسبل الثمرة** » أخرجه النسائي في « سننه » (٢٣٢/٦) كتاب الأحباس ، باب : حبس المشاع ، وابن ماجه في « سننه » كتاب الصدقات ، باب : من وقف ، حديث (٢٣٩٧) ، والشافعي (٢٨٥/٢ ، ٢٨٦) حديث (٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠) والبيهقي في « السنن الكبرى » (١٦٢/٦) ، والدارقطني في « سننه » (١٩٣/٤) . كلهم من طرق ، عن سفيان بن عيينة ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال عمر بن الخطاب للنبي ﷺ : إن المائة سهم التي لي بخيبر لم أصب مالًا قط أعجب إليّ منها ، وقد أردت أن أتصدق بها ، فقال النبي ﷺ : « **احبس أصلها وسبل ثمرتها** » . وأخرجه أحمد في « مسنده » (١٥٦/٢ - ١٥٧) من طريق عبد الله ، عن نافع به مختصرًا . بلفظ : أول صدقة كانت في الإسلام صدقة عمر ، فقال له رسول الله ﷺ: « **احبس أصولها وسبل ثمرتها** » . وقد صححه الشيخ الألباني - حفظه الله - في « إرواء الغليل » (٣١/٦) رقم (١٥٨٣) . وقال : وهذا سند صحيح على شرط الشيخين .

وقد أخرجه البخاري في كتاب الشروط ، باب : الشروط في الوقف ، حديث (٢٧٣٧) ، وطرفه (٢٧٧٢) ، و(٢٧٧٣) . ومسلم في « صحيحه » كتاب الوصية ، حديث (١٦٣٢) ، وأبو داود في « سننه » كتاب : الوصايا ، باب : ما جاء في الرجل يوقف الوقف ، حديث (٢٨٧٨) ، والترمذي في « سننه » كتاب : الأحكام ، باب : في الوقف ، حديث (١٣٧٥) ، والنسائي في « سننه » (٢٣٠/٦) كتاب الأحباس ، باب : كيف يكتب الحبس ، وذكر الاختلاف على ابن عون في خبر ابن عمر فيه ، وابن ماجه في « سننه » كتاب الصدقات ، باب : من وقف ، حديث (٢٣٩٦) والطحاوي في « شرح معاني الآثار » (٩٥/٤) ، والبيهقي في « السنن » (١٥٨/٦ - ١٥٩) ، وأحمد في مسنده (١٢/٢ - ١٣ ، ٥٥ ، ١٢٥) . من طرق عن ابن عون ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : أصاب عمر أرضًا بخيبر فأتى النبي ﷺ يستأمره فيها ، فقال : يا رسول الله ! إني أصبت مالًا بخيبر لم أصب مالًا أنفس عندي منه ، فما تأمرني فيه ؟ فقال : « **إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها ، غير أنه لا يباع أصلها ولا يوهب ولا يورث** » . قال : فتصدق بها عمر في الفقراء ، وفي القربى ، وفي سبيل الله وابن السبيل ، والضعيف ، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف أو يطعم صديقًا غير متمول فيه » . وفي لفظ « **غير متأثل** » .

(١٨٧) - « كشف الأستار » رقم (٢٩١٤) . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٣٢٩/٦) وقال : ورواه البزار ، وفيه من لم أعرفه .

---

[١] - في ز : « فقال » . [٢] - في خ : « وسبيل » .

﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٩٣) فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٩٤) قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (٩٥) ﴾

قال الإمام أحمد(١٨٨) : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا عبد الحميد ، حدثنا شهر قال : قال ابن عباس : حضرت عصابة من اليهود نبي الله ﷺ ، فقالوا : حدثنا عن خلال نسألك عنهن ، لا يعلمهن إلا نبي ، قال : « **سلوني عما شئتم ، ولكن اجعلوا لي ذمة الله ، وما أخذ يعقوب علىٰ بنيه ؛ لئن أنا حدثتكم شيئًا فعرفتموه ، لتتابعني علىٰ الإسلام** » . قالوا : فذلك لك. [قال : فسلوني عما شئتم][١] . قالوا : أخبرنا عن[٢] أربع خلال ، أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل علىٰ نفسه ؟ وكيف ماء المرأة وماء الرجل ؟ وكيف [يكون الذكر منه والأنثىٰ ؟ وأخبرنا كيف][٣] هذا النبي الأمي في النوم ، ومن وليّه من الملائكة ؟ فأخذ عليهم العهد لئن أخبرهم ليتابعنه ، فقال[٤] : « **أنشدكم بالذي أنزل التوراة علىٰ موسىٰ ، هل تعلمون أن إسرائيل مرض مرضًا شديدًا ، وطال سقمه ، فنذر لله[٥] نذرًا ؛ لئن شفاه الله من**

---

(١٨٨) - رواه أحمد في « مسنده » (٢٧٨/١) . وأخرجه الطبري في « تفسيره » (٧/ ١٥ ، ١٦) رقم (٧٤٢٠) . وابن أبي حاتم في « تفسيره » (٣٩٥/٢ ، ٣٩٦) رقم (٩٥١) . والطبراني في « المعجم الكبير » (٢٤٦/١٢) رقم (١٣٠١٢) . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٣١٧/٦ ، ٣١٨) و(٨/ ٢٤٤ ، ٢٤٥) . وقال : رواه أحمد والطبراني ، ورجالهما ثقات ، وقال في موضع آخر : رواه الطبراني عن شيخه عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم ، وهو ضعيف . وأخرجه أحمد في « مسنده » (٢٧٤/١) ، والبخاري في « التاريخ الكبير » (١١٤/٢) رقم (١٨٧٨) ، والترمذي في « سننه » كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الرعد ، حديث (٣١١٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣٠٤/٤ ، ٣٠٥) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (٣٩٦/٢) رقم (٩٥٢) . كلهم من طريق عبد الله بن الوليد العجلي ، عن بكير بن شهاب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس بنحوه . وأخرجه الطبري في « تفسيره » (١٤/٧) رقم (٧٤١٧) . وابن أبي حاتم في « تفسيره » (٣٩٧/٢) رقم (٩٥٣) . وعبد الرزاق في « تفسيره » (١٢٦/١) . والحاكم في « المستدرك » (٢٩٢/٢) كلهم من طريق سفيان الثوري ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس بنحوه مختصرًا .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - في م : « على » ، والمثبت من خ ، ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٤] - في ز : « وقال » .
[٥] - في خ : « بعد » .

سقمه ، ليحرمنّ [أحب الطعام والشراب إليه][١] ، وكان أحب الطعام إليه لحم[٢] الإبل ، وأحب الشراب إليه ألبانها » . فقالوا : اللَّهم نعم ، فقال[٣] : « **اللَّهم اشهد عليهم** » . وقال : « **أنشدكم بالله ، الذي لا إله إلا هو ، الذي أنزل التوراة علىٰ موسىٰ ، هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ ، وماء المرأة أصفر رقيق ، فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن اللَّه ؛ إن علا ماء الرجل[٤] ماء المرأة كان ذكرًا بإذن اللَّه ، وإن علا ماء المرأة ماء الرجل كان أنثىٰ بإذن اللَّه** » . قالوا : نعم ، قال : « **اللَّهم اشهد عليهم** » . وقال : « **أنشدكم بالذي أنزل التوراة علىٰ موسىٰ ، هل تعلمون أن هذا النبي الأمي تنام عيناه ولا ينام قلبه؟** » . قالوا : اللَّهم نعم . قال « **اللَّهم اشهد** » . [قالوا : وأنت الآن محدثنا عن وليك من الملائكة ؟ فعندها نجامعك أو نفارقك][٥] . قال : « **إن وليي جبريل ، ولم يبعث اللَّه نبيًا قط إلا وهو وليه** » . قالوا : [فعند ذلك][٦] نفارقك ، لو كان وليك غيره لتابعناك ، فعند ذلك قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **قل : من كان عدوًا لجبريل** ﴾ الآية .

ورواه أحمد أيضًا عن حسين بن محمد ، عن عبد الحميد به .

(طريق أخرىٰ) قال أحمد(١٨٩) : حدثنا أبو أحمد [ ][٧] الزبيري ، حدثنا عبد اللَّه بن الوليد العجلي ، عن بكير[٨] بن شهاب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ؛ قال : أقبلت يهود على رسول اللَّه ﷺ ، فقالوا : يا أبا القاسم ؛ إنا[٩] نسألك عن خمسة أشياء ؛ فإن أنبأتنا بهن عرفنا أنك نبي واتبعناك ، فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيل علىٰ بنيه ، إذ قال : ﴿ **واللَّه علىٰ ما نقول وكيل** ﴾ قال : « **هاتوا** » قالوا : أخبرنا عن علامة النبي ؟ قال : « **تنام عيناه ولا ينام قلبه** » . قالوا : أخبرنا كيف تؤنث المرأة وكيف تذكر ؟ قال : « **يلتقي الماءان فإن[١٠] علا ماء الرجل ماء المرأة أذْكَرَتْ ، وإن[١١] علا ماء المرأة أنثت** » . قالوا : أخبرنا ما حرم إسرائيل علىٰ نفسه ؟ قال : « **كان يشتكي عرق النسا فلم يجد شيئًا يلائمه إلا ألبان كذا وكذا - قال أحمد : قال بعضهم : يعني الإبل- فحرم لحومها قالوا : صدقت ، قالوا : أخبرنا ما هذا الرعد ؟ قال : « ملك من ملائكة اللَّه [عز وجل] موكل بالسحاب**

(١٨٩) - رواه أحمد في « مسنده » (٢٧٤/١) ، والنسائي في الكبرى (٣٣٦/٥ - ٣٣٧) برقم (٩٠٧٢) . وانظر الحديث السابق .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « أحب الشراب إليه ، وأحب الطعام إليه » .
[٢] - في ز : « لحمان » .
[٣] - في ز : « قال » .
[٤] - في خ ، ز : « على » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٦] - ما بين المعكوفتين في خ : « وعندها » ، وفي ز : « فعندها » .
[٧] - في ز ، خ : عن .
[٨] - في خ : « بكر » .
[٩] - سقط من : خ ، ز .
[١٠] - في خ ، ز : « فإذا » .
[١١] - في خ : « فإذا » ، وفي ز : « وإذا » .

بيده[١] **- أو في يديه**[٢] **- مخراق من نار يزجر به السحاب ، يسوقه حيث أمره اللَّه عز وجل »**. قالوا : فما هذا الصوت الذي يسمع ؟ قال : « **صوته** » . قالوا : صدقت ، إنما بقيت واحدة ، وهي التي نتابعك إن [أخبرتنا بها : إنه ليس من نبي][٣] إلا له ملك يأتيه بالخبر ، فأخبرنا من صاحبك ؟ قال : « **جبريل عليه السلام** » قالوا : جبريل ذاك ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا ، لو قلت : ميكائيل ، أي[٤] : الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان ، فأنزل اللَّه تعالىٰ[٥] : ﴿ **قل من كان عدوًّا لجبريل** [**فإنه نزله علىٰ قلبك بإذن اللَّه مصدقًا لما بين يديه وهدىٰ وبشرىٰ للمؤمنين**] ﴾ . [والآية بعدها][٦] .

وقد رواه الترمذي والنسائي من حديث عبد اللَّه بن الوليد العجلي به نحوه ، وقال الترمذي : حسن غريب .

وقال ابن جريج والعوفي(١٩٠) عن ابن عباس : كان إسرائيل عليه السلام- وهو يعقوب يعتريه عرق النسا بالليل ، وكان يقلقه ويزعجه عن النوم . ويقلع الوجع عنه بالنهار ؛ فنذر للَّه لئن عافاه اللَّه لا يأكل عرقًا ، ولا يأكل [ولد ما][٧] له عرق ، وهكذا قال الضحاك والسدي ، كذا رواه وحكاه ابن جرير في تفسيره ، قال : فاتبعه[٨] بنوه في تحريم ذلك ، استنانًا به ، واقتداءً بطريقه . قال : وقوله ﴿ **من قبل أن تنزل التوراة** ﴾ أي : حرّم ذلك علىٰ نفسه من قبل أن تنزل التوراة . قلت : ولهذ السياق بعد ما تقدم مناسبتان :

(إحداهما)[٩] أن إسرائيل، عليه السلام، حرم أحب الأشياء إليه[١٠] وتركها للَّه ، وكان هذا سائغًا في شريعتهم فله مناسبة بعد قوله : ﴿ **لن تنالوا البر حتىٰ تنفقوا مما تحبون** ﴾ فهذا هو المشروع عندنا ، وهو الإِنفاق في طاعة اللَّه مما يحبه العبد ويشتهيه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وآتىٰ المال علىٰ حبه** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ويطعمون الطعام علىٰ حبه** ﴾ الآية .

(المناسبة الثانية) لما تقدم بيان[١١] الرد علىٰ النصارىٰ ، واعتقادهم الباطل في المسيح ، وتبين

---

(١٩٠) - ابن جريج لم يلق ابن عباس ، والعوفي : ضعيف . والطريق الأول عند ابن جرير في « تفسيره » (٧/ ١٠) رقم (٧٤٠٢) . والطريق الثاني عند ابن جرير في « تفسيره » (٧/ ١٠) رقم (٧٤٠١) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (٢/ ٣٩٨ ، ٣٩٩) رقم (٩٥٧) .

---

[١] - في ز : « بيديه » .
[٢] - في ز : « يده » .
[٣] - في ز : « أخبرتنا إنه ليس نبي » .
[٤] - سقط من : خ ، ز .
[٥] - في خ : « عز وجل » .
[٦] - في خ ، ز : « إلى آخر الآية » .
[٧] - في خ ، ز : « ولدًا » .
[٨] - في خ : « فاتبعته » .
[٩] - في خ : « أحديهما » .
[١٠] - سقط من : ز .
[١١] - سقط من : خ .

زيف ما ذهبوا إليه ، وظهر[١] الحق واليقين في أمر[٢] عيسىٰ وأمه ، وكيف خلقه اللَّه بقدرته ومشيئته ، وبعثه إلىٰ بني إسرائيل يدعو إلىٰ عبادة ربه تبارك وتعالىٰ ، شرع في الرد علىٰ اليهود قبحهم اللَّه تعالىٰ ، وبيان أن النسخ الذي أنكروا وقوعه وجوازه قد وقع ، فإن اللَّه تعالىٰ[٣] قد نص في كتابهم التوراة ، أن نوحًا عليه السلام لما خرج من السفينة ، أباح اللَّه له جميع دواب الأرض ، يأكل منها ، ثم بعد هذا حرم إسرائيل علىٰ نفسه لحمان[٤] الإبل وألبانها ، فاتبعه بنوه في ذلك ، وجاءت التوراة بتحريم ذلك ، وأشياء أخر زيادة علىٰ ذلك ، وكان اللَّه - عز وجل - قد أذن لآدم في تزويج بناته من بنيه ، وقد حرم ذلك بعد ذلك ، وكان التسري علىٰ الزوجة مباحًا في شريعة إبراهيم عليه السلام وقد فعله الخليل[٥] في هاجر لما تسرىٰ بها علىٰ سارة ، وقد حرم مثل هذا في التوراة عليهم ، وكذلك كان[٦] الجمع بين الأختين سائغًا[٧] ، وقد فعله يعقوب عليه السلام جمع بين الأختين ، ثم حرم ذلك عليهم في التوراة ، وهذا كله منصوص عليه في التوراة عندهم ، وهذا[٨] هو النسخ بعينه . فكذلك فليكن ما شرعه اللَّه للمسيح ، عليه السلام ، في إحلاله بعض ما حرم في التوراة ، فما بالهم لم يتبعوه ، بل كذبوه وخالفوه ؟ وكذلك ما بعث اللَّه به محمدًا ﷺ ، من الدين القويم والصراط المستقيم ، وملة أبيه إبراهيم ، فما بالهم لا يؤمنون ؟ ولهذا قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **كل الطعام كان حلًا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل علىٰ نفسه من قبل أن تنزل التوراة** ﴾ أي : كان حلًا لهم جميع الأطعمة ، قبل نزول التوراة ، إلا ما حرمه إسرائيل، ثم قال تعالىٰ : ﴿ **قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين** ﴾ أي[٩] : فإنها ناطقة بما قلناه . ﴿ **فمن افترىٰ علىٰ اللَّه الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون** ﴾ ، أي : فمن كذب علىٰ اللَّه ، وادعىٰ أنه شرع لهم السبت ، والتمسك بالتوراة دائمًا ، وأنه لم يبعث نبيًّا آخر يدعو إلىٰ اللَّه تعالىٰ بالبراهين والحجج ، بعد هذا الذي بيَّنَّاه من وقوع النسخ وظهور ما ذكرناه ﴿ **فأولئك هم الظالمون** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **قل صدق اللَّه** ﴾ أي : قل يا محمد : صدق اللَّه[١٠] فيما أخبر به ، وفيما شرعه في القرآن ﴿ **فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين** ﴾ أي : اتبعوا ملة إبراهيم التي شرعها اللَّه[١١] في القرآن ، علىٰ لسان محمد ﷺ فإنه الحق الذي لا شك فيه ، ولا مرية ،

---

[١] - في خ : « السياق في » ، وفي ز « في».
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - في خ : « عز وجل » .
[٤] - في ت : « لحوم » .
[٥] - في ت « إبراهيم » .
[٦] - سقط من : خ ، ز .
[٧] - في ز : « شائعًا » .
[٨] - في ز : « فهذا » .
[٩] - سقط من : ت .
[١٠] - سقط من : خ ، ز .
[١١] - سقط من : ز .

وهي الطريقة التي لم يأت نبي بأكمل منها ، ولا أبين ولا أوضح ولا أتم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **قل إنني هداني ربي إلىٰ صراط مستقيم دينًا قيمًا ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين** ﴾ .

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ (٩٦) فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ (٩٧)

يخبر اللَّه تعالىٰ أن أول بيت وضع للناس ، أي: لعموم الناس ، لعبادتهم ونسكهم ، يطوفون به ، ويصلون إليه ، ويعتكفون عنده ﴿ **للذي ببكة** ﴾ يعني : الكعبة التي بناها إبراهيم الخليل عليه السلام ، الذي يزعم كل من طائفتي اليهود والنصارىٰ أنهم علىٰ دينه ومنهجه ، ولا يحجون إلىٰ البيت الذي بناه عن أمر اللَّه له في ذلك ، ونادىٰ الناس إلىٰ حجه ؛ ولهذا قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **مباركًا** ﴾ أي وضع مباركًا ، ﴿ **وهدًى للعالمين** ﴾ .

وقد قال الإمام أحمد(١٩١) : حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم التيمي ، عن أبيه ، عن أبي ذر - رضي اللَّه عنه - قال : قلت : يارسول اللَّه ؛ أي مسجد وضع [في الأرض][١] أول ؟ قال : « **المسجد الحرام** » . قلت : ثم أي ؟ قال : « **المسجد الأقصىٰ** » قلت : كم بينهما ؟ قال : « **أربعون سنة** » . قلت : ثم أي ؟ قال : « **ثم**[٢] **حيث أدركتك الصلاة فصل فكلها مسجد** » .

وأخرجه البخاري ومسلم من حديث الأعمش به .

وقال ابن أبي حاتم(١٩٢) : حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا شريك ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن علي رضي اللَّه عنه في قوله تعالىٰ : ﴿ **إن أول**

---

(١٩١) - رواه أحمد في « مسنده » (١٥٠/٥) . ورواه أحمد أيضًا (١٥٦/٥ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦٧) والبخاري في « صحيحه » كتاب الأنبياء ، باب (١٠) ، حديث (٣٣٦٦) . وحديث (٣٤٢٥) ، ومسلم في « صحيحه » ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، حديث (٥٢٠) ، والنسائي في « سننه » (٣٢/٢) ، كتاب الأذان ، باب : ذكر أي مسجد وضع أولًا ، وابن ماجه في « سننه » ، كتاب المساجد والجماعات ، باب : أي مسجد وضع أولًا ، حديث (٧٥٣) ، كلهم من طرق عن الأعمش به .

(١٩٢) - أخرجه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (٤٠٢/٢) رقم (٩٦٢) وإسناده ضعيف لضعف مجالد بن سعيد .

---

[١] - [٢] - سقط من : خ ، ز .

بيت وضع للناس للذي ببكة مباركًا ﴾ ، قال : كانت البيوت قبله ، ولكنه كان أول بيت وضع لعبادة الله .

وحدثنا أبي(١٩٣) ، حدثنا الحسن بن الربيع ، حدثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن خالد بن عَرْعَرة ؛ قال : قام رجل إلىٰ علي رضي الله عنه فقال : ألا تحدثني عن البيت ؛ أهو أول بيت وضع في الأرض ؟ قال : لا ، ولكنه أول بيت وضع فيه البركة ، مقام إبراهيم ، ومن[١] دخله كان آمنًا ، وذكر تمام الخبر في كيفية بناء إبراهيم البيت ، وقد ذكرنا ذلك مستقصى في أول[٢] سورة البقرة ؛ فأغنىٰ عن إعادته هنا[٣] .

وزعم السدي ، أنه أول بيت وضع علىٰ وجه الأرض مطلقًا ، والصحيح قول علي رضي الله عنه . فأما الحديث الذي رواه البيهقي(١٩٤) في بناء الكعبة ، في كتابه « **دلائل النبوة** » من طريق ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي الخير ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعًا : «**بعث الله جبريل إلىٰ آدم وحواء فأمرهما ببناء الكعبة ، فبناه آدم ثم أمر بالطواف به ، وقيل له : أنت أول الناس ، وهذا أول بيت وضع للناس** » . فإنه كما ترىٰ من مفردات ابن لهيعة وهو ضعيف ، والأشبه - والله أعلم - أن يكون هذا موقوفًا علىٰ عبد الله بن عمرو ، ويكون من الزاملتين اللتين أصابهما يوم اليرموك من كلام أهل الكتاب .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **للذي ببكة** ﴾ بكة من أسماء مكة علىٰ المشهور ، قيل : سميت بذلك لأنها تبك أعناق الظلمة والجبابرة ، بمعنىٰ [أنهم يذلون][٤] بها ، ويخضعون عندها . وقيل : لأن الناس يتباكون فيها ، أي : يزدحمون .

قال[٥] قتادة : إن الله بكَّ به الناس جميعًا ، فيصلي النساء أمام الرجال ، ولا يفعل ذلك ببلد غيرها . وكذا روي عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير [وعمرو بن شعيب ومقاتل بن حيان .

(١٩٣) - أخرجه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (٤٠٣/٢) رقم (٩٦٤) ، والطبري (١٩/٧) رقم (٧٤٢٢) ، والحاكم في « المستدرك » (٢٩٣/٢) من طريق سماك بن حرب ، عن خالد بن عرعرة ، عن علي بنحوه وصححه الحاكم ووافقه الذهبي . وأخرجه إسحاق بن راهويه ، من طريق خالد بن عرعرة ، بنحوه ، كما في « المطالب العالية » (٣١٣/٣) رقم (٣٥٦٥) . وخالد بن عرعرة هو السهمي الكوفي ذكره ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٣٤٣/٣) برقم (١٥٤٧) ، وصرح بأنه روى عن علي ، وأن سماكًا روى عنه .

(١٩٤) - أخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » (٤٥/٢) وقال البيهقي : « تفرد به ابن لهيعة هكذا مرفوعًا » . وذكره ابن كثير في « البداية والنهاية » (٣٦٥/٢ ، ٣٦٦) وقال : وهو ضعيف ، ووقفه على عبد الله بن عمرو أقوى وأثبت ، والله أعلم .

[١] - في خ : « من » .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في خ ، ز : « يبكون » .
[٥] - في خ : « وقال » .

وذكر حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير][١] ، عن ابن عباس رضي اللَّه عنه قال : مكة من الفج إلىٰ التنعيم ، وبكة من البيت إلىٰ البطحاء . وقال شعبة ، عن المغيرة ، عن إبراهيم : بكة البيت والمسجد ، وكذا قال الزهري . وقال عكرمة في رواية ميمون بن مهران : البيت وما حوله بكة ، وما وراء ذلك مكة .

وقال [أبو مالك و][٢] أبو صالح ، وإبراهيم النخعي ، وعطية العوفي[٣] ، ومقاتل بن حيان : بكة : موضع البيت ، وما سوىٰ ذلك مكة .

وقد ذكروا لمكة أسماء كثيرة : مكة ، وبكة ، والبيت العتيق ، والبيت الحرام ، البلد الأمين ، والمأمون ، وأم رحم[٤] ، وأم القرىٰ ، وصلاح ، والعرش علىٰ وزن بدر ، والقادس لأنها تطهر من الذنوب ، والمقدسة ، والناسة بالنون وبالباء أيضًا ، والنسَّاسة ، والحاطمة ، والرأس ، وكوثاء ، والبلدة ، والبنية ، والكعبة .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **فيه آيات بينات** ﴾ أي : دلالات ظاهرة أنه من بناء إبراهيم ، وأن اللَّه تعالى عظَّمه وشرفه .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **مقام إبراهيم** ﴾ يعني الذي لما ارتفع البناء ، استعان به علىٰ رفع القواعد منه والجدران ، حيث كان يقف عليه ، ويناوله ولده إسماعيل ، وقد كان ملتصقًا بجدار البيت ، حتىٰ أخره عمر بن الخطاب - رضي اللَّه عنه - في إمارته إلىٰ ناحية الشرق ، بحيث يتمكن الطواف منه[٥] ، ولا يشوشون[٦] علىٰ المصلين عنده بعد الطواف، لأن اللَّه تعالىٰ قد أمرنا بالصلاة عنده ، حيث قال : ﴿ **واتخذوا من مقام إبراهيم مصلىٰ** ﴾ وقد قدمنا الأحاديث في ذلك(١٩٥) ؛ فأغنىٰ عن إعادتها هاهنا ، وللَّه الحمد والمنة . وقال العوفي ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **فيه آيات بينات مقام إبراهيم** ﴾ أي : فيهن[٧] مقام إبراهيم والمشعر . وقال مجاهد : أثر قدميه في المقام آية بينة ، وكذا روي عن عمر بن عبد العزيز ، والحسن ، وقتادة ، والسدي ، ومقاتل بن حيان ، وغيرهم . وقال أبو طالب في قصيدته [اللامية المشهورة][٨] :

ومَوْطئ إبراهيم في الصخر رطبة ... علىٰ قدميه حافيًا غيرَ ناعلِ

---

(١٩٥) - تقدم تخريجها - سورة البقرة آية (١٢٥) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٣] - سقط من : خ ، ز .
[٤] - في خ ، ز : « جم » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في خ : « يشوش » .
[٧] - في ت : « فمنهن » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

وقال ابن أبي حاتم(١٩٦) : حدثنا أبو سعيد وعمرو الأودي ؛ قالا : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس في قوله تعالىٰ : ﴿ **مقام إبراهيم** ﴾ قال : الحرم كله مقام إبراهيم ، ولفظ عمرو : الحجر كله مقام إبراهيم . وروي عن سعيد بن جبير ؛ أنه قال : الحج مقام إبراهيم ، هكذا رأيته[١] في النسخة ؛ ولعله الحَجَر كله مقام إبراهيم هكذا[٢] . وقد صرح [بذلك مجاهد][٣] .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ومن دخله كان آمنًا** ﴾ ، يعني : حرم مكة ؛ إذا دخله الخائف يأمن من كل سوء ، وكذلك كان الأمر في حال الجاهلية ، كما قال الحسن البصري وغيره : كان الرجل يقتل فيضع [في عنقه][٤] صوفة ، ويدخل الحرم فيلقاه ابن المقتول ، فلا يهيجه[٥] [حتىٰ يخرج][٦] .

وقال ابن أبي حاتم (١٩٧) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو يحيىٰ التيمي ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله تعالىٰ : ﴿ **ومن دخله كان آمنًا** ﴾ قال : من عاذ بالبيت أعاذه البيت ، ولكن لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقىٰ ؛ فإذا خرج أخذ بذنبه .

وقال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **ألم**[٧] **يروا أنا جعلنا حرمًا آمنا ويتخطف الناس من حولهم** ﴾ الآية . وقال تعالىٰ : ﴿ **فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف** ﴾ . وحتىٰ إنه من جملة تحريمها حرمة اصطياد صيدها ، وتنفيره[٨] عن أوكاره ، وحرمة قطع شجرها وقلع حشيشها ، كما ثبتت الأحاديث والآثار في ذلك عن جماعة من الصحابة مرفوعًا وموقوفًا . ففي الصحيحين ، واللفظ لمسلم ، عن ابن عباس رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ يوم فتح مكة : « **لا هجرة ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا** »(١٩٨) .

---

(١٩٦) - رواه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (٢/٤١٤) رقم (١٠٠١) .

(١٩٧) - أخرجه ابن أبي حاتم (٢/٤١٤ - ٤١٥) رقم (١٠٠٤) وفي إسناده أبو يحيى التيمي ، وهو إسماعيل بن إبراهيم الأحول الكوفي ، ضعيف كما في « التقريب » . وفي إسناده أيضًا عطاء ابن السائب صدوق اختلط ، ولكنهما توبعا ، وباقي رجاله ثقات ، وبالمتابعات يرتقي إلى الحسن لغيره .

(١٩٨) - سبق تخريجه - سورة البقرة آية (٢١٦) .

---

[١] - في ز : « رأيت » .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - في ز : « تهيجه » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٧] - في خ ، ز : « أولم » .
[٨] - في خ : « تنفيرها » .

وقال يوم فتح مكة : « **إن هذا البلد حرّمه اللَّه يوم خلق السموات والأرض ، فهو حرام بحرمة**[١] **اللَّه إلىٰ يوم القيامة ، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ، ولم يحل لي إلا في ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة اللَّه إلىٰ يوم القيامة لا يعضد شوكه، ولا ينفر صيده، ولا تلتقط لقطته إلا من عرفها، ولا يختلىٰ خلاها**[٢] ». فقال العباس : يارسول اللَّه ؛ إلا الإذخر ، فإنه لقينهم ولبيوتهم[٣] فقال : « **إلا الإذخر** » (١٩٩) .

ولهما عن أبي هريرة مثله أو نحوه(٢٠٠) .

ولهما[٤] (٢٠١) واللفظ لمسلم أيضًا عن أبي شريح[٥] العدوي ، أنه قال لعمرو بن سعيد ، وهو يبعث البعوث إلىٰ مكة ، ائذن لي أيها الأمير ، أن أحدثك قولًا قام به رسول اللَّه ﷺ الغد من يوم الفتح ، سمعته أذناي ووعاه قلبي ، وأبصرته عيناي حين تكلم به أنه حمد اللَّه ، وأثنىٰ عليه ، ثم قال : « **إن مكة حرمها اللَّه ، ولم يحرمها الناس ؛ فلا يحل لامرئ يؤمن باللَّه واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا ، ولا يعضد بها شجرة ، فإن أحد ترخص بقتال رسول اللَّه ﷺ فيها فقولوا : إن اللَّه أذن لرسوله ولم يأذن لكم ، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، فليبلغ الشاهد الغائب** » . فقيل لأبي شريح : ما قال لك عمرو[٦] ؟ قال : أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح ، إن الحرم لا يعيذ عاصيًا ، ولا فارًّا بدم ، ولافارًّا بخزية[٧] .

وعن جابر(٢٠٢) رضي اللَّه عنه قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : « **لا يحل لأحد**[٨] **أن يحمل [السلاح بمكة]**[٩] » . رواه مسلم .

وعن عبد اللَّه بن عدي بن[١٠] الحمراء الزهري ؛ أنه سمع رسول اللَّه ﷺ واقفًا[١١]

(١٩٩) - سبق تخريجه - سورة البقرة آية (١٢٦) .

(٢٠٠) - سبق تخريجه - سورة البقرة آية (١٢٦) .

(٢٠١) - سبق تخريجه - سورة البقرة آية (١٢٦) .

(٢٠٢) - سبق تخريجه - سورة البقرة آية (١٢٦) .

[١] - في ز : « لحرمة » .

[٢] - في ز : « خلالها » .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - سقط من : خ ، ز .

[٥] - في ز : « سريج » .

[٦] - سقط من : خ ، ز .

[٧] - في خ : « بجزية » .

[٨] - في خ : « لأحدكم » .

[٩] - ما بين المعكوفتين في خ : « بمكة » .

[١٠] - سقط من : خ .

[١١] - في خ ، ز : « يقول وهو واقف » .

بالحزورة ، بسوق[١] مكة ، يقول[٢] : « **والله إنك لخير أرض الله ، وأحب أرض الله إلىٰ الله ، ولولا أني أُخرجت منك ما خرجت** » .

رواه الإمام أحمد(٢٠٣) ، وهذا لفظه ، والترمذي والنسائي وابن ماجة ، وقال الترمذي : حسن صحيح ، وكذا صحح من حديث ابن عباس ونحوه(٢٠٤) ، وروىٰ أحمد عن أبي هريرة نحوه(٢٠٥) .

وقال ابن أبي حاتم(٢٠٦) : حدثنا أبي ، حدثنا بشر بن آدم ابن بنت أزهر السمان[٣] ، حدثنا أبو عاصم ، عن زريق بن مسلم الأعمىٰ ، مولىٰ بني مخزوم ، حدثني زياد بن أبي عياش ، عن يحيىٰ بن جعدة بن هبيرة ، في قوله تعالىٰ : ﴿ **ومن دخله كان آمنًا** ﴾ قال : آمنًا من النار .

وفي معنىٰ هذا القول الحديث الذي رواه البيهقي(٢٠٧) : أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان ، حدثنا أحمد بن عبيد ، حدثنا محمد بن سليمان الواسطي ، حدثنا سعيد بن

---

(٢٠٣) - **صحيح** ، رواه أحمد في « مسنده » (٣٠٥/٤) . والترمذي في « سننه » كتاب المناقب ، باب : ما جاء في فضل مكة ، حديث (٣٩٢١) ، والنسائي في « السنن الكبرى » (٤٧٩/٢ - ٤٨٠) برقم (٤٢٥٢، ٤٢٥٣) ، وابن ماجه في « سننه » كتاب : المناسك ، باب : فضل مكة ، حديث (٣١٠٨) ، والدارمي في « سننه » (٢٣٩/٢) ، كتاب : السير ، باب : إخراج النبي ﷺ من مكة ، وعبد بن حميد (ص ١٧٧ ، ١٧٨) رقم (٤٩١) ، وابن حبان في « صحيحه » (٢٢/٩ - الإحسان) رقم (٣٧٠٨)، والحاكم في « المستدرك » (٤٣١/٣) وصححه ووافقه الذهبي .

(٢٠٤) - أخرجه الترمذي في « سننه » كتاب : المناقب ، باب : ما جاء في فضل مكه ، حديث (٣٩٢٢) وقال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .

(٢٠٥) - **صحيح** ، رواه أحمد في « مسنده » (٣٠٥/٤) ، والنسائي في « الكبرى » (٤٨٠/٢) رقم (٤٢٥٤) والبزار (٤٠/٢) « كشف الأستار » رقم (١١٥٦) .

(٢٠٦) - **إسناده ضعيف** ، أخرجه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (٤١٨/٢) رقم (١٠١٣) . وأخرجه الطبري في « تفسيره » (٣٣/٧) رقم (٧٤٧٢) من طريق علي بن مسلم ، عن أبي عاصم به . وفي إسناده : بشر بن آدم ابن بنت الأزهر السمان ، أبو عبد الرحمن ، صدوق فيه لين . وزريق بن مسلم ، وزياد بن أبي عياش لم أقف لهما على ترجمة . وإن كان زريق من رجال المسند ؛ إلا أن الحافظ لم يذكره في التعجيل ، فليستدرك.

(٢٠٧) - **ضعيف - لضعف عبد الله بن المؤمل** ، رواه البيهقي في « السنن الكبرى » (١٥٨/٥) . وأخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٢٠١/١١) برقم (١١٤٩٠) ، ومختصرًا في (١٧٧/١١) رقم (١١٤١٤) . والبزار في « مسنده » (٤٣/٢ - كشف الأستار) برقم (١١٦١) من طريق عبد الله بن المؤمل به . =

---

[١] - في ز : « في سوق » . [٢] - سقط من : خ .

[٣] - في ز : « السماك » .

سليمان ، حدثنا ابن المؤمل ، عن ابن محيصن ، عن عطاء ، عن عبد اللَّه بن عباس ؛ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **من دخل البيت دخل في حسنة ، وخرج من سيئة ، وخرج مغفورًا له** » . ثم قال : تفرد به عبد اللَّه بن المؤمل ، وليس بالقوي .

وقوله: ﴿**وللَّه علىٰ الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلًا**﴾ هذه آية وجوب الحج عند الجمهور. وقيل: بل هي قوله : ﴿ **وأتموا الحج والعمرة لله** ﴾ والأول أظهر .

وقد وردت الأحاديث المتعددة بأنه أحد أركان الإسلام ودعائمه وقواعده ، وأجمع المسلمون علىٰ ذلك إجماعًا ضروريًا ، وإنما يجب علىٰ المكلف في العمر مرة واحدة بالنصّ والإجماع .

قال الإمام أحمد(٢٠٨) رحمه اللَّه : حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا الربيع بن مسلم القرشي، عن محمد بن زياد ، عن أبي هريرة ؛ قال : خطبنا رسول اللَّه ﷺ فقال : « **أيها الناس ، قد فرض عليكم الحج فحجوا** » فقال رجل : أكل[١] عام يا رسول اللَّه ، فسكت حتىٰ قالها ثلاثًا ، فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لو قلت : نعم ، لوجبت ، ولما استطعتم** » . ثم قال : « **ذروني ما تركتكم ؛ فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم علىٰ أنبيائهم ، وإذا أمرتكم بشيء ، فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه** » .

ورواه مسلم ، عن زهير بن حرب ، عن يزيد بن هارون به نحوه .

وقد روىٰ سفيان بن حسين ، وسليمان بن كثير ، وعبد الجليل بن حميد ، ومحمد بن أبي حفصة ، عن الزهري ، عن أبي سنان الدؤلي ، واسمه يزيد بن أمية ، عن ابن عباس [رضي اللَّه عنه] قال : خطبنا رسول اللَّه ﷺ ، فقال[٢] « **يا أيها الناس ، إن اللَّه كتب عليكم الحج** » . فقام الأقرع بن حابس ، فقال : يا رسول اللَّه ، أفي كل عام ؟ فقال[٣] : « **لو قلتها لوجبت ، ولو وجبت لم تعملوا بها ، ولن تستطيعوا أن تعملوا بها ، الحج مرة فمن زاد فهو تطوع** » .

= وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٩٦/٣) وقال : رواه الطبراني في الكبير ، والبزار بنحوه ، وفيه عبد اللَّه بن المؤمل وثقه ابن سعد وغيره ، وفيه ضعف .

(٢٠٨) - صحيح ، رواه أحمد في « مسنده » (٥٠٨/٢) . وأخرجه مسلم في « صحيحه » ، كتاب : الحج ، حديث (١٣٣٧)

---

[١] - في خ ، ز : « لكل » .

[٢] - في ز : « قال » . [٣] - في ز : « قال » .

ورواه أحمد ، وأبو داود ، والنسائي وابن ماجة ، والحاكم من حديث الزهري به(٢٠٩) .

ورواه شريك ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس بنحوه (٢١٠) . وروي من حديث أسامة بن زيد[١] .

وقال الإمام أحمد(٢١١) : حدثنا منصور بن وردان ، عن [علي بن عبد الأعلىٰ][٢] عن أبيه ، عن أبي البختري ، عن علي [رضي الله عنه] قال : لما نزلت : ﴿ **ولله علىٰ الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً** ﴾ قالوا : يارسول الله ، أفي[٣] كل عام ؟ فسكت قالوا : يا رسول الله ، أفي[٤] كل عام ؟ قال : « **لا ، ولو قلت نعم لوجبت** » . فأنزل الله تعالىٰ : ﴿ **يأيها الذين آمنوا ؛ لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم** ﴾ .

وكذا[٥] رواه الترمذي ، وابن ماجة ، والحاكم ، من حديث منصور بن وردان به . ثم قال الترمذي : حسن غريب . وفيما قال نظر ؛ لأن البخاري قال : لم يسمع أبو البختري من علي .

---

(٢٠٩) - أخرجه أحمد في « مسنده » (٢٩٠/١ - ٢٩١) ، وبنحوه في (٣٧١/١ ، ٣٧١ - ٣٧٢) ، وأبو داود في « سننه » كتاب المناسك ، باب : فرض الحج ، حديث (١٧٢١) . والنسائي في « سننه » (١١١/٥) ، كتاب : المناسك ، باب : وجوب الحج . وابن ماجه في « سننه » كتاب : المناسك ، باب : فرض الحج ، حديث (٢٨٨٦) . والحاكم في « المستدرك » (٤٧٠/١) (٢٩٣/٢) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (٣٢٦/٤) ، والدارقطني في « سننه » (٢٧٩/٢ ، ٢٨٠) ، والدارمي في « سننه » (٢٩/٢) كتاب : مناسك الحج ، باب : كيف وجوب الحج ؟ كلهم من طرق عن الزهري به .

(٢١٠) - أخرجه أحمد في « مسنده » (٢٩٢/١ ، ٣٠١ ، ٣٢٣ ، ٣٢٥) ، والدارمي في « سننه » (٢/ ٢٩) كتاب مناسك الحج ، باب : كيف وجوب الحج ؟ من طريق شريك ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن رجلًا قال : يا رسول الله ، الحج كل عام ؟ فقال : « **بل حجة على كل إنسان ، ولو قلت : نعم كل عام ، لكان كل عام** » . وأخرجه الدارقطني في « سننه » (٢١٨/٢ ، ٢٨١) من طريق سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس بنحوه .

(٢١١) - رواه أحمد في « مسنده » (١١٣/١) . والترمذي في « سننه » كتاب الحج ، باب : ما جاء كم فرض الحج ؟ حديث (٨١٤) ، وكتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة المائدة ، حديث (٣٠٥٧) ، وابن ماجه في « سننه » ، كتاب المناسك ، باب : فرض الحج ، حديث (٢٨٨٤) ، والحاكم في « المستدرك » (٢٩٤/٢) ، والدارقطني في « سننه » (٢٨٠/٢) ، كلهم من طريق منصور بن وردان الأسدي .

---

[١] - في ز ، خ : يزيد .

[٢] - خ : « عبد الأعلى بن عبد الله علي » ، وفي ز : « عبد الأعلى بن عبد الأعلى » .

[٣] - [٤] - في خ ، ز : « فى » . [٥] - في خ : « وقد » .

وقال ابن ماجة(٢١٢) : حدثنا محمد بن عبد اللَّه بن نمير ، حدثنا محمد بن أبي عبيدة ، عن أبيه، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن أنس بن مالك ؛ قال : قالوا : يا رسول اللَّه ، الحج في كل عام ؟ قال : « **لو قلت نعم[١] لوجبت ، ولو وجبت لم تقوموا[٢] بها ، ولو لم تقوموا بها لعذبتم** » .

وفي[٣] الصحيحين(٢١٣) من حديث ابن جريج ، عن عطاء ، عن جابر ، عن سراقة بن مالك ؛ قال : يا رسول اللَّه ، متعتنا هذه لعامنا[٤] هذا[٥] أم للأبد ؟ قال : « **لا ، بل للأبد** » وفي رواية : « **بل لأبد الأبد** » .

وفي مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود(٢١٤) ، من حديث واقد[٦] بن أبي واقد[٧] الليثي ، عن أبيه : أن رسول اللَّه ﷺ ، قال لنسائه في حجته هذه : « **ثم [ظهور الحصر][٨] - يعني ثم الزمن [ظهور الحصر][٩] - ولا تخرجن من البيوت** » .

وأما الاستطاعة فأقسام : تارة يكون الشخص مستطيعًا بنفسه ، وتارة بغيره ، كما هو مقرر في كتب الأحكام .

قال أبو عيسىٰ الترمذي(٢١٥) : حدثنا عبد[١٠] بن حميد ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا

---

(٢١٢) - **صحيح** . رواه في « سننه » كتاب المناسك ، باب : فرض الحج ، حديث (٢٨٨٥) . وقال البوصيري في الزوائد (٤/٣) : هذا إسناد صحيح ؛ لأن محمد بن أبي عبيدة بن معن بن عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن مسعود ثقة وأبوه مثله . وذكره الشيخ الألباني في « الإرواء » (١٥١/٤) ، وفي صحيح سنن ابن ماجه برقم (٢٣٣٢) .

(٢١٣) - أخرجه البخاري في كتاب الحج ، باب : من أهلَّ في زمن النبي ﷺ كإهلال النبي ﷺ حديث (١٥٥٧) ، وطرفه (٢٥٠٥ ، ٢٥٠٦) ، و (٤٣٥٢) ، و(٧٣٦٧) . ومسلم في « صحيحه » ، كتاب : الحج ، حديث (١٢١٦) .

(٢١٤) - **صحيح** ، أخرجه أحمد في « مسنده » (٢١٩/٥) ، وأبو داود في « سننه » كتاب المناسك ، باب : فرض الحج ، حديث (١٧٢٢) . والحديث في « صحيح سنن أبي داود » للشيخ الألباني - حفظه اللَّه - (٣٢٤/١) رقم (١٥١٥) .

(٢١٥) - **ضعيف جدًّا** ، رواه الترمذي في « سننه » كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة آل عمران ، حديث (٣٠٠١) ، ومختصرًا في كتاب الحج ، باب : ما جاء في إيجاب الحج بالزاد والراحلة =

---

[١] - سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ز : « يقوموا » .
[٣] - في خ : « وقد » .
[٤] - في خ ، ز : « لعامتنا » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في خ : « وافد » .
[٧] - في خ : « وافد » .
[٨] - في خ ، ز : « الخضر » .
[٩] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « الخضر » .
[١٠] - في خ : « عبيد » .

إبراهيم بن يزيد ، قال[١] : سمعت محمد بن عبَّاد بن جعفر ، يحدّث عن ابن عمر [رضي الله عنهما] قال : قام رجل إلىٰ [رسول الله] ﷺ فقال : من الحاجّ يا رسول الله ؟ قال : « **الشَّعِثُ التفِلُ** » . فقام آخر فقال : أي الحج أفضل يا [رسول الله] ؟ قال : « **العَجُّ والثَّجُّ** » . فقام آخر فقال : ما السبيل يا رسول الله ؟ قال : « **الزاد والراحلة** » .

وهكذا[٢] رواه ابن ماجة من حديث إبراهيم بن يزيد ، وهو الخوزي . قال الترمذي : ولا نعرفه[٣] إلا من حديثه ، وقد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه ، كذا قال هاهنا ، وقال في كتاب الحج : هذا حديث حسن . لا يشك[٤] أن هذا الإسناد رجاله كلهم ثقات ، سوىٰ الخوزي هذا ، وقد تكلموا فيه من أجل هذا الحديث ، لكن قد تابعه غيره ، فقال ابن أبي حاتم (٢١٦) : حدثنا أبي ، حدثنا عبد العزيز بن عبد الله العامري ، حدثنا محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي ، عن محمد بن عباد بن جعفر قال : جلست

= حديث (٨١٣) . وابن ماجه في « سننه » كتاب المناسك ، باب : ما يوجب الحج ، حديث (٢٨٩٦) ، والطبري في « تفسيره » (٣٩/٧ ، ٤٠) رقم (٧٤٨٤ ، ٧٤٨٥) ، والشافعي في « مسنده » (٤٨٧/١) رقم (٧٤٤) وابن أبي شيبة في « مصنفه » (٥٣٥/٤) ، والدارقطني في « سننه » (٢١٧/٢) ، والبيهقي في « سننه » (٣٣٠/٤) . كلهم من طريق إبراهيم بن يزيد الخوزي ، عن محمد بن عباد بن جعفر ، عن ابن عمر - رضي الله عنهما - به . وإبراهيم بن يزيد : ضعيف ؛ قال البيهقي : « ضعفه أهل العلم بالحديث ، وقد تابعه محمد بن عبد الله ابن عبيد بن عمير عن محمد بن عباد ، إلا أنه أضعف ، من إبراهيم بن يزيد ، ورواه أيضًا محمد بن الحجاج ، عن جرير بن حازم ، عن محمد بن عباد ، ومحمد بن الحجاج متروك » . اهـ . ومدار الحديث على إبراهيم بن يزيد الخوزي ، وهو متروك الحديث ، وقال البخاري : منكر الحديث ، وقال النسائي : متروك - انظر : « تهذيب التهذيب » (١٥٧/١) رقم (٣٢٧) ، و« الضعفاء » (٧٠/١) رقم (٧٢) وأشار إليه ابن عدي في « الكامل » (٢٢٢٦/٦) . وأعله بمحمد بن عبد الله الليثي ، وأسند تضعيفه عن النسائي وابن معين ثم قال : والحديث معروف من طريق إبراهيم بن يزيد ... وهو من هذا الطريق غريب.

وله طريق أخرى عن ابن عمر فقد قال ابن أبي حاتم في العلل (٢٩٧/١) : « سألت على بن الحسين بن الجنيد ، عن حديث رواه سعيد بن سلام العطار ، عن عبد الله بن عمر العمري ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ في قوله : ﴿ **من استطاع إليه سبيلاً** ﴾ قال : « الزاد والراحلة » قال : هذا حديث باطل . وذكره الشيخ الألباني - حفظه الله - في « إرواء الغليل » (١٦٠/٤ : ١٦٧) وضعفه .

(٢١٦) - **حسن لغيره** . في إسناده محمد بن عبد الله بن عمير الليثي ، روى ابن أبي حاتم عن ابن معين : أن حديثه ليس بشيء ، وعن أبيه : ليس بذاك الثقة ضعيف الحديث ، وعن أبي زرعة : لين الحديث ، ومرة أخرى : ليس بقوي . انظر : « الجرح والتعديل » (٣٠٠/٧) رقم (١٦٢٧) ولكنه توبع ، وله شواهد أيضًا فيكون الإسناد حسنًا لغيره . والحديث أخرجه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (٤٢٢/٢) رقم (١٠١٧)=

[١] - سقط من : خ ، ز .
[٢] - في خ : « هكذا » .
[٣] - في خ : « يرفعه » .
[٤] - في ز : « يوشك » .

إلىٰ عبد اللَّه بن عمر قال : جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال له : ما السبيل ؟ قال : « **الزاد والراحلة** » . وهكذا[١] رواه ابن مردويه ، من رواية محمد بن عبد اللَّه بن عبيد بن عمير[٢] به .

ثم قال ابن أبي حاتم(٢١٧) : وقد روي عن ابن عباس وأنس ، والحسن ومجاهد ، وعطاء وسعيد ابن جبير ، والربيع بن أنس وقتادة نحو ذلك .

وقد روي هذا الحديث من طرق أخرىٰ[٣] ، من حديث أنس(٢١٨) وعبد اللَّه بن عباس(٢١٩) ،

= وانظر الحديث السابق .

(٢١٧) - انظر ابن أبي حاتم في « تفسيره » (٢/٤٢٣ : ٤٢٥) برقم (١٠١٨ : ١٠٢٥) .

(٢١٨) - **ضعيف** . أخرجه الدارقطني في « سننه » (٢/٢١٦) والحاكم في « المستدرك » (١/٤٤٢) من طريق علي بن العباس ، ثنا علي بن سعيد بن مسروق الكندي ، ثنا ابن أبي زائدة ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أنس ، به ، وقال الحاكم : « صحيح على شرط الشيخين ، وقد تابع حماد بن سلمة سعيدًا على روايته عن قتادة » . ثم ساقه الحاكم من طريق أبي قتادة الحراني ، عن حماد بن سلمة ، عن قتادة به ، ثم قال : « هذا صحيح على شرط مسلم » ووافقه الذهبي في كل ذلك .

ولكن خالف البيهقيُ الحاكمَ في ذلك فقال في « سننه الكبرى » (٤/٣٣٠) بعد أن علقه من طريق سعيد بن أبي عروبة به : « ولا أراه إلا وهمًا ، فقد أخبرنا ...» . ثم ساق البيهقي إسناده إلى جعفر بن عون : أنبا سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن الحسن قال : ... فذكره مرفوعًا مرسلًا ، وقال : « هذا هو المحفوظ عن قتادة ، عن الحسن ، عن النبي ﷺ مرسلًا ، وكذلك رواه يونس بن عبيد ، عن الحسن » . وقد رواه الدارقطني في « سننه » (٢/١٨) من طريق يونس بن عبيد ، عن الحسن مرسلًا .

(٢١٩) - **ضعيف** . أخرجه ابن ماجه في « سننه » كتاب المناسك ، باب : ما يوجب الحج ، حديث (٢٨٩٧) . قال : حدثنا سويد بن سعيد ، ثنا هشام بن سليمان القرشي ، عن ابن جريج قال : وأخبرنيه أيضًا عن ابن عطاء ، عن عكرمة عنه وفيه ابن عطاء ، وهو عمر بن عطاء بن وراز ، قال ابن معين : عمر بن عطاء الذي يروي عنه ابن جريج يحدث عن عكرمة ليس بشيء ، وهو ابن وراز وهم يضعفونه ، وقال النسائي : « ضعيف » . وذكره ابن عدي في « الكامل » (٥/١٦٨٢) ثم قال : « وهو قليل الحديث ، ولا أعلم يروي عنه غير ابن جريج » . وانظر : « تهذيب التهذيب » (٧/٤٢٥) رقم (٨٠٤) ، و« التقريب » (ص ٤١٦) رقم (٤٩٤٩) . وفيه أيضًا - هشام بن سليمان القرشي وجده عكرمة بن خالد بن العاص المخزومي . قال ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٩/٦٢) رقم (٢٤٤) عن أبيه : « مضطرب الحديث ومحله الصدق ، ما أرى به بأسًا » . وفيه أيضًا - سويد بن سعيد هو الحدثاني قال الحافظ : « صدوق في نفسه ، إلا أنه عمي فصار يتلقن ما ليس من حديثه وأفحش فيه ابن معين القول » انظر « تهذيب التهذيب » (٤/٢٣٩) رقم (٤٨١) . وأخرجه الدارقطني في « سننه » (٢/٢١٨) والبيهقي (٤/٣٣١) من طريق هشام ابن سليمان وعبد المجيد ، عن ابن جريج قال : أخبرني عمر بن عطاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس مثل =

[١] - في ز : « كذا » .

[٢] - في خ : « عمر » .

[٣] - في خ : « أخر » .

وابن مسعود(٢٢٠) ، وعائشة(٢٢١) ، كلها[١] مرفوعة ، ولكن في أسانيدها مقال ، كما هو مقرر في كتاب الأحكام ، والله أعلم .

وقد اعتنىٰ الحافظ أبو بكر بن مردويه بجمع طرق هذا الحديث ، ورواه الحاكم(٢٢٢) من حديث أبي[٢] قتادة ، عن حماد بن سلمة ، عن قتادة ، عن أنس أن رسول الله ﷺ سئل[٣] عن قول الله عز وجل : ﴿ **من استطاع إليه سبيلاً** ﴾ فقيل : ما السبيل ؟ قال : « **الزاد والراحلة** » . ثم قال : صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه .

وقال ابن جرير(٢٢٣) : حدثني يعقوب ، حدثنا ابن علية ، عن يونس ، عن الحسن قال : قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ **ولله علىٰ الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً** ﴾ قالوا : يا رسول الله ، وما[٤] السبيل ؟ قال : « **الزاد والراحلة** » .

ورواه وكيع في تفسيره ، عن سفيان ، عن يونس به (٢٢٤) .

وقال الإمام أحمد(٢٢٥) : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا الثوري ، عن إسماعيل - وهو

= قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « السبيل : الزاد والراحلة » موقوفًا على ابن عباس .

(٢٢٠) - **ضعيف** . أخرجه الدارقطني في « سننه » (٢١٦/٢) من طريق بهلول بن عبيد ، عن حماد بن أبي سليمان ، عن إبراهيم بن علقمة ، عن عبد الله عن النبي ﷺ في قوله : ﴿ **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً** ﴾ قال : قيل : يا رسول الله ما السبيل ؟ قال : « **الزاد والراحلة** » . وفيه بهلول بن عبيد قال أبو حاتم : « ضعيف الحديث ذاهب » وقال ابن حبان : « يسرق الحديث » وقال الحاكم : « روى أحاديث موضوعة » انظر « لسان الميزان » (٧٨/٢) رقم (١٧٩٢) و« الميزان » (٣٥٥/١) رقم (١٣٣٠) .

(٢٢١) - **ضعيف** . أخرجه العقيلي في « الضعفاء » (٣٣٢/٣) رقم (١٣٥٣) . والدارقطني في « سننه » (٢١٧/٢) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (٣٣٠/٤) من طريق عتاب بن أعين ، عن سفيان الثوري ، عن يونس بن عبيد ، عن الحسن ، عن أمه عن عائشة ، به . وقال العقيلي : « عتاب في حديثه وهم » . وانظر « الجرح والتعديل » (١٢/٧) رقم (١٢) و« لسان الميزان » (١٥٠/٤) رقم (٥٥٣٣) . و« الميزان » (٣/ ٤٢٤) رقم (٥٤٦٥) .

(٢٢٢) - في « المستدرك » (٤٤٢/١) .

(٢٢٣) - رواه ابن جرير في « تفسيره » (٤٠/٧) رقم (٧٤٨٦) . وأخرجه الدارقطني في « سننه » (٢/ ١٨) ، والبيهقي في « سننه » (٣٢٧/٤ ، ٣٣٠) وابن أبي شيبة في « مصنفه » (٥٣٦/٤) من طرق عن الحسن ، به . وذكره السيوطي في « الدر » (٩٩/٢) وزاد عزوه إلى سعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر . ولم ينسبه إلى وكيع في تفسيره .

(٢٢٤) - انظر السابق .

---

[١] - في ت : « وكلها » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : خ ، ز .
[٤] - في خ ، ز : « ما » .

أبو إسرائيل الملائي - عن فضيل - يعني ابن عمرو - عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « **تعجلوا إلىٰ الحج - يعني الفريضة فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له** » .

وقال أحمد أيضًا (٢٢٦) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الحسن بن عمرو الفقيمي ، عن مهران ابن أبي صفوان عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « **من أراد الحج فليتعجل** » .

ورواه[١] أبو داود ، عن مسدد ، عن أبي معاوية الضرير به .

وقد روىٰ [وكيع و][٢] ابن جرير عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ **من استطاع إليه سبيلًا** ﴾ قال : من ملك ثلاثمائة درهم فقد استطاع إليه سبيلًا(٢٢٧) .

وعن عكرمة مولاه أنه قال : السبيل الصحة .

وروىٰ وكيع بن الجراح ، عن أبي جناب - يعني الكلبي - عن الضحاك بن مزاحم ، عن ابن عباس قال : ﴿ **من استطاع إليه سبيلًا** ﴾ قال : قال : الزاد والبعير .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ومن كفر فإن الله غني عن العالمين** ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد : أي : من[٣] جحد فريضة الحج فقد كفر ، والله غني عنه.

وقال سعيد بن منصور عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن عكرمة قال : لما نزلت : ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه** ﴾ قالت اليهود : فنحن مسلمون . قال الله عز

---

(٢٢٥) - **ضعيف** . أخرجه أحمد في « مسنده » (٣١٣/١ ، ٣١٤) . وأخرجه ابن ماجه في « سننه » كتاب المناسك ، باب : الخروج إلى الحج ، حديث (٢٨٨٣) . والبيهقي في « سننه » (٣٤٠/٤) والطبراني في « الكبير » (٢٨٧/١٨ - ٢٨٨) رقم (٧٣٧) . من طريق أبي إسرائيل الملائي ، عن فضيل بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن الفضل بن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « **من أراد الحج فليتعجل ، فإنه قد يمرض المريض وتضل الضالة وتعرض الحاجة** » .

وأخرجه الطبراني في « الكبير » (٢٩٦/١٨) رقم (٧٦٠) من طريق أبي إسرائيل عن فضيل بن عمرو عن سعيد بن جبير عن الفضل بن عباس ، به . وفيه أبو إسرائيل الملائي وهو : إسماعيل بن خليفة العبسي معروف بكنيته ، وقيل : اسمه عبد العزيز ، صدوق سيئ الحفظ نُسب إلى الغلو في التشيع . « التقريب » .

(٢٢٦) - رواه أحمد في « مسنده » (٢٢٥/١) . وأخرجه البيهقي في « السنن الكبرى » (٣٣٩/٤ - ٣٤٠) من طريق أبي معاوية بهذا الإسناد . وأخرجه أبو داود في « سننه » كتاب : المناسك حديث (١٧٣٢) .

(٢٢٧) - أخرجه ابن أبي شيبة في « مصنفه » (٥٣٦/٤) .

---

[١] - في خ : « وقال » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - في خ : « ومن » .

وجل : فأخصمهم فحُجَّهم[١] ، يعني قال[٢] لهم النبي ﷺ : « **إن اللّٰه فرض على الناس[٣] حج البيت من استطاع إليه سبيلًا** » . فقالوا : لم يكتب علينا ، وأبوا أن يحجوا ، قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **ومن كفر فإن اللّٰه غني عن العالمين** ﴾(٢٢٨) .

وروىٰ[٤] ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه(٢٢٩) .

وقال أبو بكر بن مردويه : حدثنا عبد اللّٰه بن جعفر ، حدثنا إسماعيل بن عبد اللّٰه بن مسعود ، حدثنا مسلم بن إبراهيم وشاذ بن فياض قالا : حدثنا هلال أبو هاشم الخراساني ، حدثنا أبو إسحاق الهمداني ، عن الحارث ، عن علي رضي اللّٰه عنه قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : « **من ملك زادًا و راحلة ولم يحج بيت اللّٰه ؛ فلا يضره مات يهوديًّا أو نصرانيًّا ، وذلك[٥] بأن اللّٰه قال : ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلًا ، ومن كفر فإن اللّٰه غني عن العالمين ﴾** (٢٣٠) . ورواه ابن جرير ، من حديث مسلم بن إبراهيم به .

وهكذا رواه ابن أبي حاتم ، عن أبي زرعة ، الرازي ، حدثنا هلال بن الفياض ، حدثنا

---

(٢٢٨) - أخرجه الطبري في « تفسيره » (٥٧١/٦) رقم (٧٣٥٦ ، ٧٣٥٧ ، ٧٣٥٨) و(٥٠/٧) برقم (٧٥١٨) . من طرق عن ابن أبي نجيح عن عكرمة ، به .

(٢٢٩) - ذكره السيوطي « الدر » (١٠١/٢) وعزاه إلى عبد بن حميد والبيهقي في « سننه » عن مجاهد به.

(٢٣٠) - **ضعيف جدًّا** . في إسناده شاذ بن فياض هو أبو عبيدة اليشكري البصري كان اسمه هلالًا وعزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، والبيهقي في سننه عن عكرمة . فغلب عليه شاذ ، صدوق له أوهام كما في « التقريب » . وفي إسناده أيضًا : هلال بن عبد اللّٰه أبوهاشم الخراساني مولى ربيعة بن مسلم الباهلي البصري ، متروك من السابعة « التقريب » وفي إسناده الحارث وهو الأعور : ضعيف . وأبو إسحاق هو السبيعي لم يصرح بالسماع . والحديث أخرجه الترمذي في « سننه » كتاب : الحج ، باب : ما جاء في التغليظ في ترك الحج رقم (٨١٢) . وابن جرير الطبري في « تفسيره » (٤١/٧ - ٤٢) رقم (٧٤٨٧ ، ٧٤٨٩) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (٤٢١/٢) رقم (١٠١٦) كلهم من طرق عن هلال أبي هاشم الخراساني به .

وأورده الذهبي من طريق مسلم بن إبراهيم ، عن هلال بن عبد اللّٰه الباهلي ، به ، ثم قال : « وقد جاء بإسناد آخر أصلح من هذا » « ميزان الاعتدال » (٤٤٠/٥) رقم (٩٢٧٢) . وذكره ابن الجوزي في « الموضوعات » (٢٠٩/٢) وعقب عليه بقوله : أما حديث علي فقال الترمذي : هلال بن عبد اللّٰه مجهول ، وأما الحارث فقد كذبه الشعبي وغيره . وذكره الزيلعي في « نصب الراية » (٤١٠/٤ - ٤١١) من حديث علي ، وأبي أمامة الباهلي ، وابن مسعود ، وأبي هريرة لكن لم يصح منها شيء .

---

[١] - يعني : حاججهم ، وخاصمهم .

[٢] - في خ : « فقال » .

[٣] - في خ : « المسلمين » .

[٤] - في خ : « وقال » .

[٥] - في خ : « ذلك » .

هلال أبو هاشم الخراساني ... فذكره بإسناده[١] مثله .

ورواه الترمذي عن محمد بن يحيىٰ القطعي ، عن مسلم بن إبراهيم ، عن هلال بن عبد اللَّه - مولىٰ ربيعة بن عمرو بن مسلم الباهلي به ، وقال : هذا[٢] حديث غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وفي إسناده مقال ، وهلال مجهول ، والحارث يضعف في الحديث .

وقال البخاري : هلال هذا منكر الحديث . وقال ابن عدي : هذا الحديث ليس بمحفوظ .

وقد روىٰ أبو بكر الإسماعيلي الحافظ ، من حديث أبي[٣] عمرو الأوزاعي ، حدثني إسماعيل ابن عبيد[٤] اللَّه بن أبي المهاجر ، حدثني عبد الرحمن بن غنم[٥] ، أنه[٦] سمع عمر ابن الخطاب رضي اللَّه عنه يقول : من أطاق الحج فلم يحج ؛ فسواء عليه [مات يهوديًا][٧] أو نصرانيًا(٢٣١) .

وهذا إسناد صحيح إلىٰ عمر رضي اللَّه عنه وروىٰ سعيد[٨] بن منصور في سننه[٩] ، عن[١٠] الحسن البصري قال: قال عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه : لقد هممت أن أبعث رجالًا إلىٰ هذه الأمصار ، فينظروا إلىٰ[١١] كل من كان عنده[١٢] جدة[١٣] ولم يحج ، فيضربوا عليهم الجزية ، ما هم بمسلمين ، ماهم بمسلمين (٢٣٢) .

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ

(٢٣١) - ذكره السيوطي في « الدر » (٢/١٠٠) وعزاه إلى سعيد بن منصور ، وابن أبي شيبة ، عن عمر بن الخطاب قال : من مات وهو موسر لم يحج فليمت إن شاء يهوديًا ، وإن شاء نصرانيًا .

(٢٣٢) - ذكره السيوطي في « الدر » (٢/١٠٠) وعزاه إلى سعيد بن منصور بسند صحيح عن عمر بن الخطاب .

[١] - في خ : « بإسناد » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في خ ، ز : « عبد » .
[٥] - في خ ، ز : « غنيم » .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - ما بين المعكوفتين في خ : « يهوديًا مات » .
[٨] - في ز : « سعد » .
[٩] - في خ : « سنده » .
[١٠] - في خ ، ز : « عن ... عن » .
[١١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[١٢] - في خ ، ز : « له » .
[١٣] - الجدة : الاستطاعة .

﴿شُهَدَآءُۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ۝٩٩﴾

هذا تعنيف من اللّٰه تعالىٰ للكفرة[١] - أهل الكتاب-؛ علىٰ عنادهم للحق وكفرهم بآيات اللّٰه ، وصدهم عن سبيله[٢] من أراده من أهل الإيمان ؛ بجهدهم وطاقتهم مع علمهم بأن ما جاء به الرسول حق من اللّٰه ، بما عندهم من العلم عن الأنبياء الأقدمين ، والسادة المرسلين ، صلوات اللّٰه وسلامه عليهم أجمعين ، وما بشروا به ونوّهوا به[٣] من ذكر النبي الأمي الهاشمي العربي المكي ، سيد ولد آدم ، وخاتم الأنبياء ، ورسول رب الأرض والسماء ، وقد توعدهم اللّٰه تعالى علىٰ ذلك ، وأخبرهم[٤] بأنه شهيد علىٰ صنيعهم ذلك ، بما خالفوا ما بأيديهم عن الأنبياء ، ومقاتلتهم الرسول المبشر به[٥] بالتكذيب والجحود والعناد ، فأخبر[٦] تعالىٰ أنه ليس بغافل عما يعملون ؛ أي : سيجزيهم[٧] علىٰ ذلك ﴿ **يوم لا ينفع[٨] مال ولابنون** ﴾ .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ۝١٠٠ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝١٠١﴾

يحذر تبارك وتعالىٰ عباده المؤمنين ؛ من[٩] أن يطيعوا طائفة من أهل[١٠] الكتاب ، الذين يحسدون المؤمنين علىٰ ما آتاهم اللّٰه من فضله ، وما منحهم من إرسال رسوله ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردّونكم[١١] من[١٢] بعد إيمانكم كفارًا حسدًا من عند أنفسهم** ﴾ الآية[١٣] . وهكذا قال هاهنا : ﴿ **إن تطيعوا فريقًا من الذين أوتوا الكتاب يردّوكم بعد إيمانكم كافرين** ﴾ ، ثم قال تعالىٰ : ﴿ **وكيف تكفرون وأنتم تتلىٰ عليكم آيات اللّٰه وفيكم رسوله** ﴾ يعني : أن الكفر بعيد منكم ، وحاشاكم منه ؛ فإن آيات اللّٰه تنزل علىٰ رسوله ليلًا ونهارًا ، وهو يتلوها عليكم ويبلغها إليكم ، [وهذا كقوله

---

[١] - في خ : « لكفرة » .
[٢] - في ت : سبيل الله » .
[٣] - سقط من : خ ، ز .
[٤] - سقط من : خ ، ز .
[٥] - سقط من : خ ، ز .
[٦] - في خ ، ز : « وأخبر » .
[٧] - في خ ، ز : « وسيجزيهم » .
[٨] - في خ ، ز : « ينفعهم ».
[٩] - في خ : « عن » .
[١٠] - في خ ، ز : « الذين أوتوا » .
[١١] - في خ : « يردوكم » .
[١٢] - سقط من : خ .
[١٣] - سقط من : خ ، ز .

تعالىٰ : ﴿ **وما لكم لا تؤمنون باللّه والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين** ﴾ الآية بعدها . و][١] كما جاء في هذا[٢] الحديث أن النبي[٣] صلىٰ اللّه عليه وآله وسلم قال [لأصحابه يومًا][٤] : « **أي المؤمنين أعجب إليكم إيمانًا** » . قالوا : الملائكة . قال : [« **وكيف لا يؤمنون [وهم عند ربهم؟ !** » . وذكروا الأنبياء قال :][٥] « **وكيف لا يؤمنون]**[٦] **والوحي ينزل عليهم** » . قالوا : نحن[٧] . قال : « **وكيف لا تؤمنون ، وأنا بين أظهركم** » . قالوا : فأي الناس أعجب إيمانًا ؟ قال : « **قوم يجيئون من بعدكم ، يجدون صحفًا يؤمنون بما فيها** » (٢٣٣) .

وقد ذكرت سند هذا الحديث ، والكلام عليه في أول شرح البخاري ، وللّه الحمد .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ومن يعتصم باللّه فقد هدي إلىٰ صراط مستقيم** ﴾ أي : ومع هذا فالاعتصام باللّه والتوكل عليه هو العمدة في الهداية ، والعدّة في مباعدة الغواية ، والوسيلة إلىٰ الرشاد ، وطريق السداد ، وحصول المراد .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾

قال ابن أبي حاتم(٢٣٤) : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا عبد الرحمن ، عن سفيان ، وشعبة ، عن زبيد اليامي ، عن مرّة ، عن عبد اللّه - هو ابن مسعود - : ﴿ **اتقوا اللّه حق تقاته** ﴾ قال : أن يطاع فلا يعصىٰ ، وأن يذكر فلا ينسىٰ ، وأن يشكر فلا يكفر ، وهذا إسناد صحيح موقوف .

---

(٢٣٣) - سبق تخريجه في سورة البقرة آية رقم (٣) .

(٢٣٤) - **إسناده صحيح** . أخرجه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (٤٤٦/٢) رقم (١٠٧٩) . وأخرجه عبد الرزاق في « تفسيره » (١٢٩/١) والطبري في « تفسيره » (٦٥/٧) برقم (٧٥٣٦ ، ٧٥٣٧) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٩٣/٩) رقم (٨٥٠١) ، والحاكم في « المستدرك » (٢٩٤/٢) . من طريق زبيد اليامي عن مرة ، عن عبد اللّه بن مسعود .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - في خ ، ز : « يومًا لأصحابه » .

[٥] - من بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٧] - في خ ، ز : « فنحن » .

[وقد تابع مرة عليه عمرو بن ميمون ، عن ابن مسعود][١] ، وقد رواه ابن مردويه من حديث يونس بن عبد الأعلىٰ ، عن ابن وهب ، عن سفيان الثوري ، عن زبيد ، عن مرّة ، عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ **اتقوا الله حق تقاته** ﴾ أن يطاع فلا يعصىٰ ، ويشكر فلا يكفر ، ويذكر فلا ينسىٰ .

وكذا[٢] رواه الحاكم في مستدركه ، من حديث مسعر ، عن زبيد ، عن مرة ، عن ابن مسعود مرفوعًا... فذكره ، ثم قال : صحيح علىٰ شرط الشيخين ، ولم يخرجاه . كذا قال . والأظهر أنه موقوف ، والله أعلم .

ثم قال ابن أبي حاتم(٢٣٥) : وروي نحوه عن مرة الهمداني والربيع بن خثيم، وعمرو بن ميمون وإبراهيم [النخعي ، وطاوس والحسن ، وقتادة وأبي سنان والسدي نحو ذلك .

[وروي عن أنس أنه قال: لا يتقي الله العبدُ حق تقاته؛ حتىٰ يخزن لسانه .][٣] وقد ذهب سعيد بن جبير[٤] وأبو [٥] العالية، والربيع بن أنس وقتادة، ومقاتل بن حيان وزيد بن أسلم ، والسدي وغيرهم إلىٰ أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالىٰ : ﴿ **فاتقوا الله ما استطعتم** ﴾ .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله تعالىٰ : ﴿ **اتقوا الله حق تقاته** ﴾ قال : لم تنسخ ، ولكن : ﴿ **حق تقاته** ﴾ أن يجاهدوا[٦] في سبيله حق جهاده ، ولا تأخذهم في الله لومةُ لائم ، ويقوموا بالقسط ولو علىٰ أنفسهم وآبائهم وأبنائهم .

وقوله : ﴿ **ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾ أي : حافظوا علىٰ الإسلام في حال صحتكم وسلامتكم لتموتوا عليه ؛ فإن الكريم قد أجرىٰ عادته بكرمه ، أنه من عاش علىٰ شيء مات عليه ومن مات علىٰ شيء بعث عليه ، فعياذًا[٧] بالله من خلاف ذلك .

وقال الإمام أحمد (٢٣٦) : حدثنا روح ، حدثنا شعبة ، قال : سمعت سليمان ، عن

---

(٢٣٥) - رواه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (٢/٤٤٦ - ٤٤٧) برقم (١٠٨٠ : ١٠٨٨) .

(٢٣٦) - **إسناده صحيح** ، أخرجه أحمد في « مسنده » (١/٣٠١) وبنحوه في (١/٣٣٨) وأخرجه الترمذي في « سننه » كتاب صفة جهنم ، باب : ما جاء في صفة شراب أهل النار ، رقم (٢٥٨٨) ، والنسائي في التفسير « السنن الكبرى » (٦/٣١٣) برقم (١١٠٧٠) . وابن ماجه في « سننه » كتاب : الزهد =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في خ : « وقد » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٥] - في ز ، خ : « وأبي » .

[٦] - في خ ، ز : « يجاهد » .

[٧] - في ز : « فعياذ » .

مجاهد ، أن الناس كانوا يطوفون بالبيت ، وإن[١] ابن عباس جالس معه محجن(*) ، فقال : قال رسول الله ﷺ : « **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، ولو أن قطرة من الزقوم قطرت [في دار الدنيا][٢] ؛ لأفسدت[٣] علىٰ أهل الدنيا[٤] معايشهم[٥] فكيف بمن ليس له طعام إلا من[٦] الزقوم** » .

وكذا[٧] رواه الترمذي ، والنسائي ، وابن ماجة ، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم في مستدركه ، من طرق عن شعبة به ، وقال الترمذي : حسن صحيح . وقال الحاكم : علىٰ شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .

وقال الإمام أحمد(٢٣٧) : حدثنا وكيع ، حدثنا الأعمش ، عن زيد بن وهب ، عن عبد الرحمن ابن عبد رب الكعبة ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : « **من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة ؛ فلتدركه منيته وهو يؤمن[٨] بالله واليوم الآخر ، ويأتي إلىٰ الناس ما يحب أن يؤتى إليه** » .

وقال الإمام أحمد أيضًا[٩] (٢٣٨) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن أبي سفيان ،

= باب : صفة النار ، حديث (٤٣٢٥) ، وابن حبان في صحيحه (٥١١/١٦ - الإحسان) برقم (٧٤٧٠) والطبراني في « الكبير » (٦٨/١١) رقم (١١٠٦٨) ، و « الصغير » (٥١/٢) ، والحاكم في « المستدرك » (٢٩٤/٢) . وابن أبي حاتم في « تفسيره » (٤٥٠/٢ - ٤٥١) رقم (١٠٩٨) والبغوي في « شرح السنة » (٢٤٦/١٥) رقم (٤٤٠٨) ، والطيالسي في « مسنده » ص (٣٤٤) رقم (٢٦٤٣) ، والبيهقي في « البعث » (ص ٣٠٢) برقم (٥٤٣) كلهم من طرق عن شعبة ، به .

(*) - المحجن : العصا المعوجة . «القاموس ح ج ن » .

(٢٣٧) - **إسناده صحيح** . أخرجه أحمد في « مسنده » (١٩٢/٢) . وبنحوه في (١٦١/٢) . وأخرجه مسلم في « صحيحه » كتاب : الإمارة ، حديث (٤٦/١٨٤٤) من طرق عن الأعمش به .

وأخرجه مسلم في « صحيحه » كتاب : الإمارة ، حديث ٤٧ - (١٨٤٤) من طريق عبد الله بن أبي السفر ، عن عامر ، عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة ، عن ابن عمرو .

(٢٣٨) - **إسناده صحيح** . أخرجه أحمد في « مسنده » (٢٩٣/٣) عن يحيى بن آدم و(٣٣٠/٢) عن عبد الرزاق - كلاهما - عن سفيان الثوري ، عن الأعمش ، به . وأخرجه مسلم في « صحيحه » كتاب : الجنة وصفة نعيمها حديث ٨١ - (٢٨٧٧) من طريق يحيى بن يحيى عن يحيى بن زكريا عن الأعمش به .

---

[١] - سقط من « ز » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ز : « لأمرت » .
[٤] - في خ ، ز : « الأرض » .
[٥] - في خ : « عيشهم » ، في ز : « معيشتهم ».
[٦] - سقط من : خ ، ز .
[٧] - في خ : « وهكذا » .
[٨] - في ز : « مؤمن » .
[٩] - سقط من : خ .

عن جابر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل موته بثلاث : « **لا يموتن أحدكم**[١] **إلا وهو يحسن الظنّ بالله عز وجل** » . ورواه مسلم من طريق الأعمش به .

وقال الإمام أحمد(٢٣٩) : حدثنا حسن بن موسىٰ ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا أبو[٢] يونس ، عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **إن الله قال : أنا عند ظن عبدي بي ، فإن ظن بي خيرًا فله ، وإن ظن شرًا فله** » .

وأصل هذا الحديث ثابت في الصحيحين(٢٤٠) من وجه آخر ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **يقول الله : أنا عند ظن عبدي بي** » .

وقال الحافظ أبو بكر البزار ، حدّثنا محمد بن عبد الملك القرشي ، حدّثنا جعفر بن سليمان ، عن ثابت - وأحسبه عن أنس - قال : كان رجل من الأنصار مريضًا ، فجاءه النبي ﷺ يعوده ، فوافقه في السوق فسلم عليه ، فقال له : « **كيف أنت يا فلان** » ؟ قال : بخير يا رسول الله ، أرجو الله وأخاف ذنوبي ، فقال رسول الله ﷺ : « **لا يجتمعان في قلب عبد في هذا الموطن ، إلا أعطاه الله ما يرجو ، وآمنه مما يخاف** »(٢٤١) .

ثم قال : لا نعلم رواه عن ثابت غير جعفر بن سليمان ، وهكذا رواه الترمذي ، والنسائي وابن ماجة من حديثه ، ثم قال الترمذي : غريب ، وقد[٣] رواه بعضهم عن ثابت مرسلًا .

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد(٢٤٢) : حدّثنا محمد بن جعفر ، حدّثنا شعبة ، عن

---

(٢٣٩) - رواه أحمد في « مسنده » (٢/٣٩١) .

(٢٤٠) - أخرجه البخاري في كتاب : التوحيد ، باب : قول الله تعالى : ﴿ **يريدون أن يبدلوا كلام الله** ﴾ حديث (٧٥٠٥) . ومسلم في كتاب : التوبة ، باب : في الحض على التوبة والفرح بها ، حديث (٢٦٧٥) من طرق عن أبي هريرة ، به .

(٢٤١) - **حديث حسن** . أخرجه الترمذي في « سننه » كتاب : الجنائز ، باب (١١) ، حديث (٩٨٣) ، والنسائي في « عمل اليوم والليلة » « السنن الكبرى » (٦/٢٦٢) رقم (١٠٩٠١) . وابن ماجه في « سننه » كتاب : الزهد ، باب : ذكر الموت والاستعداد له ، حديث (٤٢٦١) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٢/ ٤، ٥) رقم (١٠٠١ ، ١٠٠٢) كلهم من طريق جعفر بن سليمان ، عن ثابت ، عن أنس ، به .
وأما المرسل : فأخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٢/٥) رقم (١٠٠٢) من طريق حماد ، عن ثابت ، عن عبيد بن عمير مرسلًا . والحديث حسنه الالباني في « صحيح الترمذي » برقم (٧٨٥) (١/٢٨٩) .

(٢٤٢) - **صحيح** . أخرجه أحمد في « مسنده » (٣/٤٠٢) ، وأخرجه النسائي في « سننه » (٢/٢٠٥) كتاب الافتتاح ، باب : كيف يخر للسجود ؟

---

[١] - في ز : « أحد منكم » . [٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - في خ : « كذا » .

أبي بشر ، عن يوسف بن ماهك ، عن حكيم بن حزام قال : بايعت رسول الله ﷺ على[١] أن لا أخر إلا قائمًا ، ورواه النسائي في سننه ، عن إسماعيل بن مسعود ، عن خالد بن الحارث ، عن شعبة به ، وترجم عليه فقال : (باب كيف يخر للسجود) ثم ساقه مثله ، فقيل : معناه [ ][٢] أن لا أموت إلا مسلمًا ، وقيل : معناه أن لا أقتل إلا مقبلًا غير مدبر ، وهو يرجع إلىٰ الأوّل .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **واعتصموا [بحبل الله][٣] جميعًا ولا تفرقوا** ﴾ قيل : ﴿ **بحبل الله** ﴾ أي بعهد الله ، كما قال في الآية بعدها : ﴿ **ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس** ﴾ أي : بعهد وذمة[٤] ، وقيل : ﴿ **بحبل من الله** ﴾ يعني القرآن ، كما في حديث الحارث الأعور ، عن علي مرفوعًا في صفة القرآن : « **هو حبل الله المتين وصراطه المستقيم** »(٢٤٣) .

وقد وَرَد في ذلك حديث خاص بهذا المعنىٰ ، فقال الإمام الحافظ أبو جعفر الطبري(٢٤٤) : حدّثنا سعيد بن يحيىٰ الأموي ، حدّثنا أسباط بن محمد ، عن عبد الملك ابن أبي سليمان العرزمي ، عن عطية ، عن أبي[٥] سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « **كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلىٰ الأرض** » .

---

(٢٤٣) - **ضعيف جدًا** . أخرجه الترمذي في كتاب : فضائل القرآن ، باب : ما جاء في فضل القرآن ، حديث (٢٩٠٨) . والدارمي (٢/٤٣٥) كتاب فضائل القرآن ، باب : فضل من قرأ القرآن . وابن أبي حاتم في « تفسيره » (٢/٤٥٢) رقم (١١٠٠) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/٤٨٢) رقم (١٠٠٥٦) كلهم من طريق حمزة الزيات ، عن سعد الطائي ، عن ابن أخي الحارث الأعور ، عن الحارث ، عن علي . قال الترمذي : هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول ، وفي الحارث مقال .

(٢٤٤) - **إسناده ضعيف - لضعف عطيه العوفي** . والحديث أخرجه الطبري في « تفسيره » (٧/٧٢) رقم (٧٥٧٢) . وأخرجه الترمذي في « سننه » كتاب : المناقب ، باب : مناقب أهل بيت النبي ﷺ حديث (٣٧٩٠) ، وأحمد في « مسنده » (٣/١٤ ، ١٧ ، ٢٦ ، ٥٩) . وابن أبي عاصم في « السنة » (٢/٦٤٣ - ٦٤٤ ، ٦٤٤) برقم (١٥٥٣ ، ١٥٥٤) ، وأبو يعلى في « مسنده » (٢/٢٩٧ ، ٢٩٨) برقم (١٠٢١) و(٢/٣٧٦) برقم (١١٤٠) . والطبراني في الأوسط (٣/٣٧٤) برقم (٣٤٣٩) و(٤/٣٣) برقم (٣٥٤٢) . من طرق ، عن عطيه العوفي ، به نحوه .

وذكره الهيثمي في « المجمع » (٩/١٦٦) وقال : رواه الطبراني في « الأوسط » ، وفي إسناده رجال مختلف فيهم . ولم ينسبه الهيثمي لأحمد ، وهو مروي فيه أربع مرات !! .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في ز ، خ : على .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « بالله » .
[٤] - في خ : « ذمة » .
[٥] - سقط من : خ ، ز .

وروىٰ ابن مردويه ، من طريق إبراهيم بن مسلم الهجري ، عن أبي الأحوص ، عن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه ، قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **إنّ هذا القرآن هو حبل اللَّه المتين، وهو النور المبين ، وهو الشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه** »(٢٤٥) .

وروي من حديث حذيفة(٢٤٦) ، وزيد بن أرقم(٢٤٧) نحو[١] ذلك .

[وقال وكيع(٢٤٨) : حدّثنا الأعمش ، عن أبي وائل قال : إنّ هذا الصراط محتضر يحضره الشياطين : يا عبد اللَّه ، هذا الطريق ، هلم إلىٰ الطريق ، فاعتصموا بحبل اللَّه ، فإن حبل اللَّه القرآن][٢] .

وقوله : ﴿ **ولا تفرّقوا** ﴾ أمرهم بالجماعة ، ونهاهم عن التفرقة . وقد وردت الأحاديث المتعددة بالنهي عن التفرق ، والأمر بالاجتماع والائتلاف ، كما في صحيح مسلم(٢٤٩) ، من حديث سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة : أنّ رسول اللَّه ﷺ قال : « **إنّ اللَّه يرضى لكم ثلاثًا ؛ ويسخط لكم ثلاثًا ، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا ، وأن تعتصموا بحبل اللَّه جميعًا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولّاه اللَّه أمركم ، ويسخط لكم ثلاثًا[٣] : قيل وقال ، وكثرة السؤال وإضاعة المال** » .

---

(٢٤٥) - **إسناده ضعيف - لضعف إبراهيم بن مسلم الهجري** ، والحديث أخرجه الدارمي في « سننه » (٢/ ٤٣١) كتاب فضائل القرآن ، باب : فضل من قرأ القرآن ، موقوفًا على ابن مسعود ، وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/٥٥٥) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (١٠/٤٨٢ ، ٤٨٣) رقم (١٠٠٥٧) وعبد الرزاق في « مصنفه » (٣/٣٧٥) رقم (٦٠١٧) ، وابن حبان في « المجروحين » (١/١٠٠) ، والطبراني في « الكبير » (٩/١٣٩) رقم (٨٦٤٦) ، وابن الجوزي في « العلل المتناهية » (١/١٠٩) رقم (١٤٥) مرفوعًا وقال : وهذا حديث لا يصح عن رسول اللَّه ﷺ ويشبه أن يكون من كلام ابن مسعود . قال ابن معين : إبراهيم الهجري ليس حديثه بشيء .اهـ . وقال الحاكم : صحيح الإسناد - ورده الذهبي بقوله : إبراهيم ضعيف . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٧/١٦٧) وقال : رواه الطبراني ، وفيه مسلم بن إبراهيم الهجري وهو متروك . وذكره الذهبي في « الميزان » (١/٦٦) في ترجمة مسلم بن إبراهيم الهجري .

(٢٤٦) - لم أعثر عليه من حديث حذيفة .

(٢٤٧) - أخرجه مسلم في « صحيحه » كتاب : فضائل الصحابة ، باب : من فضائل علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه ، حديث (٢٤٠٨/٣٦) .

(٢٤٨) - أخرجه الطبري في « تفسيره » (٧/٧٢) رقم (٧٥٧٠) من طريق وكيع به .

(٢٤٩) - مسلم في « صحيحه » ، كتاب الأقضية ، حديث (١٧١٥) .

---

[١] - في خ : « مثل » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٣] - سقط من : خ ، ز .

وقد ضمنت لهم العصمة عند اتفاقهم من الخطأ ؛ كما وردت بذلك الأحاديث المتعددة أيضًا . وخيف عليهم الافتراق والاختلاف ، فقد[١] وقع ذلك في هذه الأمة فافترقوا علىٰ ثلاث[٢] وسبعين فرقة ؛ منها فرقة[٣] ناجية إلىٰ الجنة ، ومسلمة من عذاب[٤] النار ؛ وهم الذين علىٰ ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **واذكروا نعمة اللَّه عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا [وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها]** ﴾ ، وهذا السياق في شأن الأوس والخزرج ، فإنه [قد كان][٥] بينهم حروب كثيرة في الجاهلية ، وعداوة شديدة ، وضغائن وإحن [وذحول ، طال بسببها][٦] قتالهم والوقائع بينهم ، فلما جاء اللَّه بالإسلام فدخل فيه من دخل منهم ، صاروا إخوانا متحابين بجلال اللَّه ، متواصلين في ذات اللَّه ؛ متعاونين علىٰ البر والتقوىٰ ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعًا ما ألفت بين قلوبهم ولكن اللَّه ألف بينهم** ﴾ [إلىٰ آخر الآية] ، وكانوا علىٰ شفا حفرة من النار[٧] بسبب[٨] كفرهم ، فأنقذهم[٩] اللَّه منها ؛ أن هداهم للإيمان .

وقد امتن عليهم بذلك[١٠] رسول اللَّه ﷺ يوم قسم غنائم حنين ، فعتب من عتب منهم بما[١١] فضل عليهم في القسمة ، بما أراه اللَّه ، فخطبهم فقال : « **يا معشر الأنصار ، ألم أجدكم ضلالًا فهداكم اللَّه بي ؛ وكنتم متفرقين فألفكم اللَّه بي ؛ وعالة فأغناكم اللَّه بي؟** »(٢٥٠) . فكلما[١٢] قال شيئًا قالوا : اللَّه ورسوله أمن .

وقد[١٣] ذكر محمد بن إسحاق بن يسار وغيره(٢٥١) : أن هذه الآية نزلت في شأن

---

(٢٥٠) - أخرجه ابن هشام في « السيرة » (٩٣٤/٤ ، ٩٣٥) ، وأحمد في « مسنده » (٦٧/٣ ، ٧٦ ، ٧٧) مختصرًا ومطولًا من طريق محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن أبي سعيد الخدري به . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٣٢/١٠ - ٣٣) مطولًا بروايتين وقال : « رواها أحمد كلها وأبو يعلى ... ورجال الرواية الأولى لأحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع » .

(٢٥١) - **إسناده منقطع** . أخرجه ابن هشام في « السيرة » (٥٨٨/٢ ، ٥٨٩) ، والطبري في « تفسيره »=

---

[١] - في خ ، ز : « وقد » .
[٢] - في خ : « ثلاثة » .
[٣] - في خ : « فرق » .
[٤] - في خ : « العذاب » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في خ : « كانت » .
[٦] - في خ ، ز : « ودخول حال سببها » .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - في ز : « سبب » .
[٩] - في خ ، ز : « فأبعدهم » .
[١٠] - سقط من : خ ، ز .
[١١] - في خ ، ز : « لما » .
[١٢] - في خ ، ز : « كلما » .
[١٣] - في خ : « قال » .

الأوس والخزرج : وذلك أن رجلًا من اليهود مرّ بملإ من الأوس والخزرج ، فساءه ما هم عليه من الاتفاق والألفة ، فبعث رجلًا معه ، وأمره أن يجلس بينهم ، ويذكر لهم ما كان من حروبهم يوم بعاث وتلك الحروب ، ففعل ، فلم يزل ذلك دأبه ، حتىٰ حميت نفوس القوم ، وغضب بعضهم علىٰ بعض ، وتثاوروا ، ونادوا بشعارهم ، وطلبوا أسلحتهم وتواعدوا إلىٰ الحرة ، فبلغ ذلك النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم فأتاهم ، فجعل يسكنهم ، ويقول : « **أبدعوىٰ الجاهلية وأنا بين أظهركم ؟** » . وتلا عليهم هذه[١] الآية ، فندموا علىٰ ما كان منهم ، واصطلحوا وتعانقوا وألقوا السلاح رضي الله عنهم .

وذكر عكرمة : أن ذلك نزل فيهم حين تثاوروا في قضية الإفك ، والله أعلم .

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (١٠٧) تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ (١٠٨) وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ (١٠٩) ﴾

يقول تعالىٰ : ولتكن منكم أمة منتصبة للقيام بأمر الله ، في الدعوة إلىٰ الخير ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون . قال الضحاك : هم خاصة الصحابة ، وخاصة الرواة ، يعني : المجاهدين والعلماء .

وقال أبو جعفر الباقر : قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلىٰ الخير** ﴾ ثم قال : « **الخير اتباع القرآن وسنتي** » . رواه ابن مردويه .

= (٧/٥٥ - ٥٦) رقم (٧٥٢٤) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (٢/٤٣٢) رقم (١٠٤٧) كلهم من طريق محمد ابن إسحاق ، قال : حدثني الثقة ، عن زيد بن أسلم به . وفي إسناده ابن إسحاق لم يصرح باسم شيخه ، وأيضًا فإن زيد بن أسلم أرسله .

---

[١] - سقط من : ت .

والمقصود من هذه الآية ، أن تكون فرقة[١] من هذه[٢] الأمة متصدية لهذا الشأن ، وإن كان ذلك واجبًا علىٰ كل فرد من الأمة بحسبه ، كما ثبت في صحيح مسلم(٢٥٢) ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **من رأىٰ منكم منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان** » . وفي رواية : « **وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل** » .

وقال الإمام أحمد(٢٥٣) : حدثنا سليمان الهاشمي ، أنبأنا إسماعيل بن جعفر ، أخبرني عمرو ابن أبي عمرو ، عن عبد اللَّه بن عبد الرحمن الأشهلي ، عن حذيفة بن اليمان[٣] ، أن النبي ﷺ قال : « **والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن اللَّه أن يبعث عليكم عقابًا من عنده ، ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم** » .

ورواه الترمذي ، وابن ماجة من حديث عمرو بن أبي عمرو به ، وقال الترمذي : حسن .

والأحاديث في هذا الباب كثيرة ، مع الآيات الكريمة ، كما سيأتي تفسيرها في أماكنها .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات [وأولئك لهم عذاب عظيم]** ﴾ . ينهى [تبارك وتعالىٰ] هذه الأمة ، أن يكونوا[٤] كالأمم الماضين[٥] ؛ في افتراقهم[٦] واختلافهم ، وتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مع قيام الحجة عليهم .

---

(٢٥٢) - لم نقف عليه من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه ، وقد أخرجه مسلم في « صحيحه » كتاب الإيمان ، حديث (٤٩) ، وأبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : الخطبة يوم العيد ، حديث (١١٤٠) ، والترمذي في « سننه » كتاب الفتن ، باب : ما جاء في تغيير المنكر باليد ، حديث (٢١٧٣) ، والنسائي في « سننه » (١١١/٨) كتاب الإيمان ، باب : تفاضل أهل الإيمان ، وأحمد في « مسنده » (٤٩/٣، ٥٤) . كلهم من حديث أبي سعيد الخدري .

وقال الشيخ أحمد شاكر في « عمدة التفسير » (١٧/٣) : وهم الحافظ ابن كثير هنا وهمًا شديدًا فحديث : « **من رأى منكم منكرًا** ...» إلخ - هو من حديث أبي سعيد الخدري كما أثبتنا ولكن الذي قاله ابن كثير هنا : « عن أبي هريرة » وهو خطأ على اليقين .

(٢٥٣) - أخرجه أحمد في « مسنده » (٣٨٨/٥) . وبنحوه في (٣٩٠/٥ ، ٣٩١) من طريق أبي الرقاد ، عن حذيفة ، وأخرجه الترمذي في « سننه » كتاب الفتن ، باب : ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حديث (٢١٧٠) . من طرق عن عمرو بن أبي عمرو به .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في خ : « اليماني » .
[٤] - في خ : « تكون » .
[٥] - في خ : « الماضيين » .
[٦] - في خ ، ز : « تفرقهم » .

قال الإمام أحمد(٢٥٤) : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا صفوان ، حدثني أزهر بن[١] عبد الله الهوزني[٢] ، عن أبي عامر عبد الله بن لُحي ، قال : حججنا مع معاوية بن أبي سفيان ، فلما قدمنا مكة ، قام حين صلىٰ صلاة[٣] الظهر ، فقال : إن رسول الله ﷺ قال : « **إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة ، وإن هذه الأمة ستفترق علىٰ ثلاث وسبعين ملة - يعني الأهواء- كلها في النار إلا واحدة- وهي الجماعة- إنه سيخرج في أمتي أقوام تتجارىٰ بهم تلك[٤] الأهواء ، كما يتجارىٰ الكَلَب(*) لصاحبه ، لا يبقىٰ منه عرق ولا مفصل إلا دخله** » . والله - يا معشر العرب - لئن[٥] لم تقوموا بما جاء به نبيكم ﷺ ؛ لغيرُكم من الناس أحرىٰ أن لا يقوم به » .

وهكذا رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل ومحمد بن يحيىٰ[٦] كلاهما عن أبي المغيرة ، واسمه عبد القدوس بن الحجاج الشامي به ، وقد[٧] ورد[٨] هذا الحديث من طرق .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **يوم تبيض وجوه وتسود وجوه** ﴾ يعني : يوم القيامة ، يوم[٩] تبيض وجوه أهل السنة والجماعة ، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة ، قاله ابن عباس - رضي الله عنهما - ﴿ **فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم** ﴾ قال الحسن البصري : وهم المنافقون ، ﴿ **فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون** ﴾ ، وهذا[١٠] الوصف يعم كل كافر . ﴿ **وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون** ﴾ يعني : الجنة ماكثون فيها أبدًا ، لا يبغون عنها حولًا .

---

(٢٥٤) - أخرجه أحمد في « مسنده » (١٠٢/٤) . و أبو داود في « سننه » كتاب : السنة ، باب : شرح السنة ، حديث (٤٥٩٧) . و الحاكم في « المستدرك » (٢١٨/١) من طريق صفوان بن عمرو ، عن الأزهر ابن عبد الله به . وقال الحاكم : هذه أسانيد تقام بها الحجة في تصحيح هذا الحديث ، وقد روي هذا الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، وعمرو بن عوف المزني بإسنادين تفرد بأحدهما عبد الرحمن بن زياد الأفريقي ، والآخر كثير بن عبد الله المزني ولا تقوم بهما الحجة ، ثم رواهما الحاكم في « المستدرك » (٢١٨/١ - ٢١٩) .

(*) - الكَلَب : داء يعرض للإنسان من عضِّ الكلب الكلِب ، فيصيبه شبه الجنون وتعرض له أعراض رديئة ، ويمتنع من شرب الماء حتى يموت عطشًا .

---

[١] - في خ : « عن » .
[٢] - في خ : « الثوري » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من : م .
[٥] - في خ : « إن » .
[٦] - في خ : « لحي » .
[٧] - في خ : « وهكذا » .
[٨] - في خ ، ز : « روي » .
[٩] - في خ : « حين » .
[١٠] - في م : « هذا » . والمثبت من : ز .

وقد قال أبو عيسىٰ الترمذي عند[١] تفسير هذه الآية : حدثنا أبو كريب ، حدثنا وكيع عن الربيع[٢] - وهو ابن صبيح[٣] - وحماد بن سلمة ، عن أبي غالب قال : رأىٰ أبو أمامة رءوسًا منصوبة علىٰ درج مسجد[٤] دمشق ، فقال أبو أمامة : كلاب النار شر قتلىٰ تحت أديم السماء ، خير قتلىٰ من قتلوه ، ثم قرأ : ﴿ **يوم تبيض وجوه وتسود وجوه** ﴾ إلىٰ آخر الآية . قلت لأبي أمامة : أنت سمعته من رسول الله ﷺ قال : لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين أو ثلاثًا أو أربعًا- حتىٰ عد سبعًا- ما حدثتكموه(٢٥٥) .

ثم قال : هذا حديث حسن . وقد رواه ابن ماجة من حديث سفيان بن عيينة ، عن أبي غالب ، وأخرجه أحمد في مسنده عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن أبي غالب بنحوه .

وقد روىٰ ابن مردويه عند تفسير هذه الآية ، عن أبي ذر ، حديثًا مطولًا غريبًا عجيبًا جدًا .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **تلك آيات الله نتلوها عليك**] ﴾ أي : هذه آيات الله وحججه وبيناته ، نتلوها عليك يا محمد ﴿ **بالحق** ﴾ ، أي : نكشف ما الأمر عليه في الدنيا والآخرة . ﴿ **وما الله يريد ظلمًا للعالمين** ﴾ أي : ليس بظالم لهم ، بل هو الحكم العدل الذي لا يجور ، لأنه القادر علىٰ كل شيء ، العالم بكل شيء ، فلا يحتاج مع ذلك إلىٰ أن يظلم أحدًا من خلقه ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ولله ما في السموات وما في الأرض** ﴾ أي :

---

(٢٥٥) - **حسن** . أخرجه الترمذي في « سننه » كتاب : تفسير القرآن ، ومن سورة آل عمران ، حديث (٣٠٠٠) . وابن ماجه في « سننه » المقدمة ، باب : في ذكر الخوارج ، حديث (١٧٦) ، والحميدي في « مسنده » (٤٠٤/٢) رقم (٩٠٨) من طريق سفيان بن عيينة ، عن أبي غالب ، عن أبي أمامة به . وأخرجه عبد الرزاق في « مصنفه » برقم (١٨٦٦٣) وأحمد في « مسنده » (٢٥٣/٥) ، والطبراني في « الكبير » (٣١٩/٨) رقم (٨٠٣٣) . كلهم من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن أبي غالب به .

وأخرجه أحمد في « مسنده » (٢٥٠/٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦٢) ، والطبراني في « الكبير » (٣٢٤/٨) رقم (٨٠٤٤) ، و(٣٢٦/٨) رقم (٨٠٤٩) و(٣٢٧/٨) رقم (٨٠٥١) و(٣٢٨/٨ - ٣٢٩) رقم (٨٠٥٥ ، ٨٠٥٦) . من طرق عن أبي غالب به بنحوه مختصرًا ومطولًا . وذكره الحافظ في « المطالب العالية » (٣/ ٨٦ - ٨٧) مطولًا وقال : رواه الترمذي ، وأحمد ، وابن ماجه باختصار . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٦/ ٢٣٦، ٢٣٧) وقال : رواه ابن ماجه ، والترمذي باختصار - رواه الطبراني ورجاله ثقات .

وحسنه الشيخ الألباني - حفظه الله - كما في « المشكاة » برقم (٣٥٥٤) ، وصحيح سنن ابن ماجه برقم (١٤٦) . وللحديث طريق آخر عند أحمد . وأخرجه في « مسنده » (٢٦٩/٣) من طريق صفوان بن سليم ، عن أبي أمامة به بنحوه .

---

[١] - في خ ، ز : « عن » .
[٢] - في ز : « ربيع » .
[٣] - في خ ، ز : « صبح » .
[٤] - سقط من : خ .

الجميع ملك[١] له وعبيد له ، ﴿ وإلىٰ اللَّه ترجع الأمور ﴾ أي : هو الحاكم[٢] المتصرف في الدنيا والآخرة[٣] .

كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾

يخبر تعالىٰ عن هذه الأمة المحمدية بأنهم خير الأمم ؛ فقال تعالىٰ : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس** ﴾ .

قال البخاري (٢٥٦) : حدثنا محمد بن يوسف ، عن سفيان ، عن ميسرة ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه: ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس** ﴾ قال[٤] : خير الناس للناس ؛ تأتون[٥] بهم في السلاسل في أعناقهم ؛ حتىٰ يدخلوا في الإسلام .

وهكذا قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وعطاء والربيع بن أنس وعطية العوفي ، ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس** ﴾ يعني : خير الناس للناس .

والمعنىٰ أنهم خير الأمم وأنفع الناس للناس ، ولهذا قال : ﴿ **تأمرون[٦] بالمعروف وتنهون[٧] عن المنكر وتؤمنون[٨] بالله** ﴾ .

(٢٥٦) - أخرجه البخاري في « صحيحه » كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس** ﴾ حديث (٤٥٥٧) .

[١] - في خ : « ملكة » .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - في خ : « والآخرة الحاكم » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في خ ، ز : « يأتون » .
[٦] - في خ ، ز : « يأمرون » .
[٧] - في خ ، ز : « وينهون » .
[٨] - في خ ، ز : « ويؤمنون » .

قال الإمام أحمد(٢٥٧) : حدثنا أحمد بن عبد الملك ، حدثنا شريك ، عن سماك ، عن عبد الله ابن عميرة ، عن[١] زوج درة بنت أبي لهب [عن درة بنت أبي لهب][٢] قالت[٣] : قام رجل إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم وهو علىٰ المنبر ، فقال يا رسول الله ، أي : الناس خير ؟ فقال[٤] : « **خير الناس أقرؤهم وأتقاهم لله وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر ، وأوصلهم للرحم** » .

ورواه أحمد في مسنده ، والنسائي في سننه ، والحاكم في مستدركه ، من حديث سماك ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله تعالىٰ : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس** ﴾ قال : هم الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ من مكة إلىٰ المدينة (٢٥٨) .

والصحيح أن هذه الآية عامة في جميع الأمة كل قرن بحسبه ، وخير قرونهم الذين[٥] بعث فيهم رسول الله ﷺ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **وكذلك جعلناكم أمّة وسطًا** ﴾ أي : خيارًا[٦] ﴿ **لتكونوا شهداء علىٰ الناس [ويكون الرسول عليكم شهيدًا]** ﴾ .

وفي مسند الإمام أحمد وجامع الترمذي وسنن ابن ماجة ومستدرك الحاكم من رواية حكيم بن معاوية بن حيدة ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « **أنتم توفون سبعين أمّة**

(٢٥٧) - **إسناده ضعيف** ، عبد الله بن عميرة : قال الذهبي : فيه جهالة ، وشريك ، وهو القاضي : ساء حفظه لما ولي القضاء ، وزوج درة : مبهم . والحديث رواه أحمد في « مسنده » (٦/٤٣١ ، ٤٣٢) ، والطبراني في « الكبير » (٢٤/٢٥٧ ، ٢٥٨) رقم (٦٥٧) من طريق شريك به ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٧/٢٦٦) وقال : رواه أحمد وهذا لفظه ، والطبراني ... ورجالهما ثقات . وقال في موضع آخر (٩/٢٦١) بعد أن نسبه لأحمد فقط : ورجاله ثقات .

(٢٥٨) - **إسناده حسن** ، أخرجه أحمد في « مسنده » (١/٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٣١٩ ، ٣٢٤ ، ٣٥٤) ، والنسائي في التفسير من « الكبرى » (٦/٣١٣) رقم (١١٠٧٢) ، والحاكم في « المستدرك » (٢/٢٩٤) ، وعبد الرزاق في « تفسيره » (١/١٣٠) ، والطبري في « تفسيره » (٧/١٠١) رقم (٧٦١١) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (٢/٤٧٠) برقم (١١٥٧) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١٢/٦) رقم (١٢٣٠٣) . كلهم من طرق ، عن سماك ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس به .

وذكر الحافظ في « الفتح » (٨/٢٢٥) رواية عبد الرزاق ، وأحمد والنسائي ، والحاكم ، وقال : إسناد جيد . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٦/٣٣٠) وقال : رواه أحمد والطبراني ، ورجال أحمد رجال الصحيح .

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٣] - في خ ، ز : « قال » .

[٤] - في ت : « قال » .

[٥] - في خ : « الذين » .

[٦] - في خ : « خيرًا » .

أنتم خيرها وأكرمها[١] علىٰ اللَّه عز وجل »(٢٥٩) وهو حديث مشهور ، وقد حسنه الترمذي . ويروى من حديث معاذ بن جبل وأبي سعيد نحوه[٢] (٢٦٠) .

وإنما حازت هذه الأمّة قصب[٣] السبق إلىٰ الخيرات بنبيها محمد صلوات اللَّه وسلامه عليه ، فإنه أشرف خلق اللَّه وأكرم الرسل علىٰ اللَّه ، وبعثه اللَّه بشرع كامل عظيم لم يعطه نبيًا قبله ولا رسولًا من الرسل . فالعمل علىٰ [منهاجه ، وسبيله يقوم القليل منه ما لا يقوم العمل الكثير من أعمال][٤] غيرهم مقامه ، كما قال الإمام أحمد (٢٦١) : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا ابن زهير ، عن عبد اللَّه - يعني : ابن محمد بن عقيل - عن محمد بن علي وهو ابن الحنفية ، أنه سمع علي ابن أبي طالب رضي اللَّه عنه يقول : قال رسول اللَّه ﷺ : **« أعطيت ما لم يعط أحدٌ من الأنبياء »** فقلنا يا رسول اللَّه ، ما هو ؟ قال : **« نصرت بالرعب ، وأعطيت مفاتيح الأرض ، وسميت أحمد وجعل التراب لي طهورًا ،**

---

(٢٥٩) - **حديث حسن** . أخرجه أحمد في « مسنده » (٤/٤٤٧) ، (٥/٣،٥) والترمذي في « سننه » كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة آل عمران ، حديث (٣٠٠١) ، وابن ماجه في « سننه » كتاب الزهد ، باب : صفة أمة محمد ﷺ حديث (٤٢٨٧ ، ٤٢٨٨) ، والحاكم في « المستدرك » (٤/٨٤) ، وعبد الرزاق في « تفسيره » (١/١٣٠) ، والطبري في « تفسيره » (٧/١٠٤) برقم (٧٦٢١ ، ٧٦٢٢) وابن أبي حاتم في « تفسيره » (٢/٤٦٩) برقم (١١٥٦) . والطبراني في « المعجم الكبير » (١٩/٤٢٢ : ٤٢٦) برقم (١٠٢٣ ، ١٠٢٤ ، ١٠٢٥ ، ١٠٣٠ ، ١٠٣٦ ، ١٠٣٧) ، كلهم من حديث معاوية بن حيدة به .

وذكره الحافظ في « الفتح » (٨/٢٢٥) مشيرًا إلى رواية الطبري ثم قال : « وهو حديث حسن صحيح . أخرجه الترمذي وحسنه ، وابن ماجه ، والحاكم وصححه . وله شاهد مرسل عن قتادة عند الطبري رجاله ثقات ، وفي حديث علي عند أحمد بإسناد حسن أن النبي ﷺ قال : « **جعلت أمتي خير الأمم** ».

(٢٦٠) - حديث أبي سعيد : أخرجه أحمد في « مسنده » (٣/٦١) من طريق علي بن زيد بن جدعان ، عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال : خطبنا رسول اللَّه ﷺ خطبة بعد العصر ... إلى أن قال النبي ﷺ : « وإنكم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على اللَّه » . **وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد بن جدعان** ، وقد صحت بعض فقراته مطولًا .

(٢٦١) - أخرجه أحمد في « مسنده » (١/٩٨) . وذكره الهيثمي في « المجمع » (١/٢٦٥ - ٢٦٦) وقال : رواه أحمد ، وفيه عبد اللَّه بن محمد بن عقيل ، وهو سيئ الحفظ . قال الترمذي : صدوق ، وقد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه ، وسمعت محمد بن إسماعيل - يعني البخاري - يقول : كان أحمد بن حنبل وإسحاق بن إبراهيم والحميدي يحتجون بحديث ابن عقيل . قلت : فالحديث حسن ، واللَّه أعلم .اهـ . وحسنه الحافظ في « الفتح » (٨/٢٢٥) فقال : « وفي حديث علي عند أحمد بإسناد حسن أن النبي ﷺ قال : « **وجعلت أمتي خير الأمم** » وقال الشيخ أحمد شاكر - رحمه اللَّه - في « عمدة التفسير » (٣/٢١) : وعندي أن إسناده صحيح .

---

[١] - في خ ، ز : « وأنتم أكرم » .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - في خ ، ز : « نصيب » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

وجعلت أمّتي خير الأمم » . تفرد به أحمد من هذا الوجه ، وإسناده حسن .

وقال الإمام أحمد أيضًا (٢٦٢) : حدثنا أبو العلاء الحسن بن سوار ، حدثنا ليث ، عن معاوية ، عن أبي حَلْبس يزيد بن ميسرة قال : سمعت أم الدرداء - رضي اللَّه عنها - تقول [سمعت أبا الدرداء يقول][١] : سمعت أبا القاسم ﷺ وما سمعته يكنيه قبلها ولا بعدها يقول : « **إن اللَّه تعالىٰ يقول : يا عيسىٰ إني باعث بعدك أمّة ؛ إن أصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا ، وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا ، ولا حلم ولا علم قال : يا رب كيف هذا لهم ولا حلم ولا علم ؟ قال : أعطيهم من حلمي وعلمي** » .

وقد وردت أحاديث يناسب ذكرها هاهنا .

قال الإمام أحمد (٢٦٣) : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا المسعودي ، حدثنا بكير بن الأخنس ، عن رجلٍ ، عن أبي بكر الصديق رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **أعطيت سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ، وجوههم كالقمر ليلة البدر ، قلوبهم علىٰ قلب رجل واحد ، فاستزدت ربي عز وجل فزادني مع كل واحد سبعين[٢] ألفًا** » فقال أبو بكر - رضي اللَّه عنه - : فرأيت أن ذلك آت علىٰ أهل القرىٰ ، ومصيب من حافات البوادي .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد (٢٦٤) : حدثنا عبد اللَّه بن بكر السهمي ، حدثنا هشام ابن حسان عن القاسم بن مهران ، عن موسىٰ بن عبيد ، عن ميمون بن مهران عن عبد الرحمن بن أبي بكر ، أن رسول اللَّه ﷺ قال : « **إن ربي أعطاني سبعين ألفًا يدخلون الجنة**

---

(٢٦٢) - أخرجه أحمد في « مسنده » (٦/٤٥٠) وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٠/٧٠ - ٧١) وقال : رواه أحمد ، والبزار ، والطبراني في الكبير والأوسط ، ورجال أحمد رجال الصحيح غير الحسن بن سوار وأبي حلبس يزيد بن ميسرة ، وهما ثقتان .

(٢٦٣) - **إسناده ضعيف** ، رواه أحمد في « مسنده » (١/٦) . وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٠/٤١٣) وقال : رواه أحمد ، وأبو يعلى ، وفيهما المسعودي وقد اختلط ، وتابعيه لم يسم ، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح .

(٢٦٤) - رواه أحمد في « مسنده » (١/١٩٧) . وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٠/٤١٣ - ٤١٤) وقال : رواه أحمد والبزار والطبراني بنحوه وفي أسانيدهم القاسم بن مهران ، عن موسى بن عبيد ، وموسى بن عبيد هذا هو مولى خالد بن عبد اللَّه بن أسيد ، ذكره ابن حبان في الثقات ، والقاسم بن مهران ذكره الذهبي في الميزان ، وأنه لم يرو عنه إلا سليم بن عمرو النخعي ، وليس كذلك ، فقد روى عنه هذا الحديث هشام بن حسان ، وباقي رجال إسناده محتج بهم في الصحيح .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٢] - في خ : « سبعون » .

بغير حساب » فقال عمر : يا رسول الله ؛ فهلا استزدته ، [فقال : استزدته فأعطاني مع كل ألف سبعين ألفًا » قال عمر : فهلا استزدته ،][١] قال : « **استزدته فأعطاني مع كل رجل سبعين ألفًا** » قال عمر : فهلا استزدته ، قال[٢] : « **قد**[٣] **استزدته فأعطاني هكذا** » وفرج عبد الرحمن[٤] بن أبي بكر بين يديه ، وقال عبد الله وبسط باعيه ، وحثا[٥] عبد الله وقال هشام : وهذا من الله لا يدرى ما عدده .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد (٢٦٥) : حدثنا أبو اليمان ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن ضمضم بن زرعة قال : قال شريح [بن عبيد][٦] : مرض ثوبان بحمص ، وعليها عبد الله بن قرط الأزدي فلم يعده ، فدخل على ثوبان رجل من الكلاعيين عائدًا له[٧] ، فقال له ثوبان : أتكتب ؟ قال : نعم . قال : اكتب ، فكتب للأمير عبد الله بن قرط : من ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بعد : فإنه لو كان لموسى وعيسى عليهما السلام بحضرتك خادم لعدته ، ثم طوى الكتاب ، وقال له : أتبلغه إياه ؟ قال[٨] : نعم ، فانطلق الرجل بكتابه فدفعه إلى ابن قرط ، فلما رآه قام فزعًا ، فقال الناس : ما شأنه أحدث أمر ؟ فأتى ثوبان فدخل[٩] عليه فعاده[١٠] ، وجلس عنده ساعة، ثم قام فأخذ ثوبان بردائه ، وقال : اجلس حتى أحدّثك حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ سمعته ، يقول : « **ليدخلن الجنة من أمّتي سبعون ألفًا لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفًا** » .

تفرد به أحمد من هذا الوجه ، وإسناد رجاله كلهم ثقات ، شاميون ، حمصيون ، فهو حديث صحيح ، ولله الحمد والمنة[١١] .

(طريق أخرى) ، قال الطبراني (٢٦٦) : حدثنا عمرو بن إسحاق بن زبريق الحمصي ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، يعني : ابن عياش ، حدثنا أبي ، عن ضمضم ابن زرعة ، عن شريح بن عبيد ، عن أبي أسماء الرحبي ، عن ثوبان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله

(٢٦٥) - أخرجه أحمد في « مسنده » (٥/٢٨٠ ، ٢٨١) . وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٠/٤١٠) وقال : رواه أحمد ، والطبراني باختصار .ا.هـ

(٢٦٦) - أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٢/٩٢) رقم (١٤١٣) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من « ز » .
[٢] - في ز : « فقال » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « عبد الله » .
[٥] - في خ ، ز : « وحي » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٧] - سقط من : خ ، ز .
[٨] - في خ ، ز : « فقال » .
[٩] - في خ ، ز : « حتى دخل » .
[١٠] - سقط من : ز.
[١١] - سقط من : خ ، ز .

ﷺ يقول : « **إن ربي عز وجل وعدني من أمّتي سبعين ألفًا لا يحاسبون ، مع كل ألف سبعون ألفًا** » .

هذا لعله هو المحفوظ بزيادة أبي أسماء الرحبي ، بين شريح وبين ثوبان ، والله أعلم .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد (٢٦٧) : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن عمران بن حصين ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : أكثرنا الحديث عند رسول الله ﷺ ذات ليلة ، ثم غدونا إليه ، فقال : « **عُرِضَتْ عليّ الأنبياء الليلة بأممها ، فجعل النبي يمر ومعه الثلاثة ، والنبي ومعه العصابة ، والنبي ومعه النفر ، والنبي وليس معه أحد ، حتىٰ مر عليّ موسىٰ عليه السلام ومعه كبكبة من بني إسرائيل ، فأعجبوني ، فقلت : من هؤلاء ؟ قيل[١] : هذا أخوك موسىٰ ، ومعه[٢] بنو إسرائيل ، فقلت[٣] : فأين أمّتي ؟ فقيل : انظر عن[٤] يمينك ، فنظرت ، فإذا الظراب[٥] قد سدّ بوجوه الرجال ، [ثم يقول[٦] لي : انظر عن يسارك فنظرت فإذا الأفق قد سد بوجوه الرجال][٧] فقيل لي][٨] : أرضيت[٩] ؟ فقلت : رضيت يا رب رضيت يا رب – قال : فقيل لي : إن مع هؤلاء سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب** » ، فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **فداكم أبي وأمي إن استطعتم أن تكونوا من السبعين ألفًا فافعلوا ، فإن قصرتم ؛**

(٢٦٧) – **إسناده صحيح** ، أخرجه أحمد في « مسنده » (١/٤٠١) . وبنحوه في (١/٤٢٠) عن عبد الصمد عن هشام عن قتادة بهذا الإسناد . وبنحوه في (١/٤٢٠ ، ٤٢١) ، والحاكم في « المستدرك » (٤/٥٧٧ – ٥٧٨) والبزار في « مسنده » (٤/٢٧٠ : ٢٧٢) برقم (١٤٤٠ ، ١٤٤١) ، وأبو يعلى (٩/٢٣١ : ٢٣٣) رقم (٥٣٣٩) ، وعبد الرزاق في « مصنفه » (١٠/٤٠٨ – ٤٠٩) برقم (١٩٥١٩) ، والطبراني في « الكبير » (١٠/ ٥ : ٨) برقم (٩٧٦٥ – ٩٧٧٠) . وابن حبان في « صحيحه » (١٤/٣٤١ : ٣٤٣ – الإحسان) برقم (٦٤٣١) ، و(١٦/٣٤١ ، ٣٤٢) برقم (٧٣٤٦) . كلهم من طرق عن قتادة بهذا الإسناد . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة . وذكره الهيثمي في « المجمع » : (١٠/٤٠٨ ، ٤٠٩) وقال : رواه أحمد بأسانيد ، والبزار أتم منه والطبراني ، وأبو يعلى باختصار كثير وأحد أسانيد أحمد والبزار رجاله رجال الصحيح . وأشار إليه الحافظ في « الفتح » (١١/٤٠٧) عند أحمد والبزار بسند صحيح .

الكبكبة : بضم الكافين وفتحهما : الجماعة المتضامة من الناس .

الظِراب : بكسر الظاء المعجمه وتخفيف الراء الجبال الصغار .

[١] – في ز : « فقيل » .
[٢] – في خ ، ز : « معه » .
[٣] – في ز : « قال : فقلت : » .
[٤] – في ت : « على » .
[٥] – في خ : « الضراب » .
[٦] – في ز : « فقيل » .
[٧] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٨] – ما بين المعكوفتين سقط من « ز » .
[٩] – في خ ، ز : « قد رضيت ؟ » .

فكونوا من أهلِ الظراب[١] ، **فإن قصرتم ؛ فكونوا من أهل الأفق ، فإني قد رأيت ثم أناسًا يتهاوشون** » فقام عكاشة بن محصن فقال : يا رسول اللَّه ، ادع اللَّه أن يجعلني منهم[٢] .

[أي : من السبعين ،][٣] فدعا له ، فقام رجل آخر فقال : ادع اللَّه يا رسول اللَّه أن يجعلني منهم فقال : « **قد سبقك بها عكاشة** » ، قال : ثم تحدثنا فقلنا : من ترون هؤلاء السبعين الألف ؟ ، قوم ولدوا في الإِسلام ولم يشركوا باللَّه شيئًا حتىٰ ماتوا ؟ فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: « **هم الذين لا يسترقون ، ولا يكتوون ولا يتطيرون ، وعلىٰ ربهم يتوكلون** » .

هكذا رواه أحمد بهذا السند وهذا السياق ، ورواه أيضًا عن عبد الصمد ، عن هشام ، عن قتادة بإسناده مثله ، وزاد بعد قوله : « **رضيت يا رب ، رضيت يا رب . قال رضيت ؟ قلت : نعم . قال : انظر عن يسارك . قال : فنظرت فإذا الأفق قد سد بوجوه الرجال ، فقال : رضيت ؟ قلت : رضيت** » .

وهذا إسناد صحيح من هذا الوجه ، تفرد به أحمد ولم يخرجوه .

(حديث آخر) قال [الإمام أحمد (٢٦٨) : حدثنا][٤] أحمد بن منيع ، حدثنا عبد الملك ابن عبد العزيز ، حدثنا حماد ، عن عاصم ، عن زر ، عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال : قال النبي ﷺ : « **عرضت علىٰ الأمم بالموسم ، فراثت**[٥] **عليَّ أمتي ، ثم رأيتهم فأعجبني كثرتهم وهيئتهم ، قد ملئوا السهل والجبل ، فقال : أرضيت يا محمد ؟ فقلت : نعم . قال : فإن مع هؤلاء سبعين**[٦] **ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ، وهم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون**[٧] **، وعلىٰ ربهم يتوكلون** » ، فقام عكاشة بن محصن فقال : يا رسول اللَّه ، ادع اللَّه أن يجعلني منهم ، فقال : « **أنت منهم** » فقام رجل آخر [فقال :

---

(٢٦٨) - **إسناده حسن** ، أخرجه أحمد في « مسنده » (١/٤٠٣ ، ٤٥٤) ، وأبو يعلى في « مسنده » (٩/٢٣٣) رقم (٥٣٤٠) ، وابن حبان في « صحيحه » (١٣/٤٤٨ - الإحسان) برقم (٦٠٨٤) ، من طرق عن حماد بن سلمة بهذا الإسناد . وأخرجه أحمد في « مسنده » (١/٤١٨) وأبو يعلى (٩/٢١٨) رقم (٥٣١٨) مختصرًا عن عبد الصمد عن همام عن عاصم به . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٩/٣٠٧ ، ٣٠٨) وقال : رواه أحمد مطولًا ومختصرًا ، ورواه أبو يعلى ، ورجالهما في المطول رجال الصحيح .

---

[١] - في خ : « الضراب » .
[٢] - في ز : « من السبعين » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٥] - في خ ، ز : « فرأيت » .
[٦] - في خ : « سبعون » .
[٧] - في خ ، ز : « ولا يكتوون » .

ادع الله أن يجعلني منهم][١] ، فقال : « **سبقك بها عكاشة** » . رواه الحافظ الضياء المقدسي وقال ، هذا عندي على شرط مسلم .

(حديث آخر) قال الطبراني (٢٦٩) : حدثنا محمد بن محمد الجذوعي القاضي[٢] ، حدثنا عقبة بن مكرم ، حدثنا محمد بن أبي عدي ، عن هشام[٣] بن حسان ، عن محمد ابن سيرين ، عن عمران[٤] بن حصين قال : قال رسول الله ﷺ : « **يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب ولا عذاب** » قيل : من هم ؟ قال : « **هم الذين لا يسترقون ، ولا يكتوون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون** » . ورواه مسلم من طريق هشام بن حسان ، وعنده ذكر عكاشة .

(حديث آخر) ثبت في الصحيحين(٢٧٠) من رواية الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، أن أبا هريرة حدثه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **يدخل الجنة من أمتي زمرة ، وهم سبعون ألفًا ، تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر** » . قال[٥] أبو هريرة : فقام عكاشة بن محصن الأسدي يرفع نمرة عليه ، فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال رسول الله ﷺ : « **اللّهم اجعله منهم** » ، ثم قام رجل من الأنصار فقال مثله[٦] فقال : « **سبقك بها[٧] عكاشة** » .

(حديث آخر) قال أبو القاسم الطبراني (٢٧١) : حدثنا يحيىٰ بن عثمان ، حدثنا سعيد

---

(٢٦٩) - **حديث صحيح** ، أخرجه الطبراني في « الكبير » (١٨/١٨٣) رقم (٤٢٧) (١٨/١٨٢) رقم (٤٢٥) . وأخرجه مسلم في « صحيحه » كتاب الإيمان ، باب : الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ، حديث (٢١٨) ، . من طريق هشام بن حسان به .

(٢٧٠) - أخرجه البخاري في « صحيحه » كتاب اللباس ، باب : البرود والحبر والشملة ، حديث (٥٨١١) ، وطرفه (٦٥٤٢) ، ومسلم في « صحيحه » كتاب الإيمان ، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ، حديث (٢١٦/٣٦٩) من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة .

(٢٧١) - أخرجه الطبراني في « الكبير » (٦/١٤٢) رقم (٥٧٨٢) . وأخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب : يدخل الجنة سبعون ألفًا بغير حساب ، حديث (٦٥٤٣) من طريق سعيد بن أبي مريم به . وطرفه (٦٥٥٤) ، ومسلم في كتاب الإيمان ، حديث ٣٧٣ - (٢١٩) من طريق قتيبة ، عن عبد العزيز بن أبي حازم ، عن أبيه ، عن سهل به .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ز : « العاصي » .

[٣] - في خ : « هاشم » .

[٤] - في خ ، ز : « عثمان » .

[٥] - في خ ، ز : « فقال » .

[٦] - في خ ، ز : « يا رسول الله ؛ ادع الله أن يجعلني منهم » .

[٧] - سقط من : خ ، ز .

ابن أبي مريم ، حدثنا أبو غسان ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد[١] أن النبي ﷺ قال : « **ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفًا- أو سبعمائة ألف- آخذ بعضهم ببعض حتىٰ يدخل أولهم وآخرهم الجنة ، وجوههم[٢] علىٰ صورة القمر ليلة البدر** » .

أخرجه البخاري ومسلم جميعًا ، عن قتيبة ، عن عبد العزيز بن أبي حازم ، عن[٣] أبيه ، عن سهل به .

(حديث آخر) قال مسلم بن الحجاج في صحيحه(٢٧٢) : حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا هشيم ، أنبأنا حصين بن عبد الرحمن ، قال : كنت عند سعيد بن جبير فقال : أيكم رأىٰ الكوكب الذي انقض البارحة ؟ قلت : أنا ، ثم قلت : أما إني لم أكن في صلاة ، ولكني لدغت ، قال : فما صنعت ؟ قلت : استرقيت . قال : فما حملك علىٰ ذلك ؟ قلت : حديث حدثناه الشعبي ، قال : وما حدثكم الشعبي . [قلت : حدثنا][٤] عن بريدة ابن الحصيب الأسلمي أنه قال : « **لا رقية إلا من عين أو حمة** » . قال[٥] : قد أحسن من انتهىٰ إلىٰ ما سمع ، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ أنه[٦] قال : « **عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط ، والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه أحد ، إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي ؛ فقيل لي هذا موسىٰ وقومه ، ولكن أنظر إلىٰ الأفق ، فنظرت فإذا سواد عظيم . فقيل لي : انظر الأفق الآخر ، فإذا سواد عظيم ، فقيل لي : هذه أمتك ، ومعهم سبعون ألفًا ، يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب** » ، ثم نهض فدخل منزله ، فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ، فقال بعضهم : فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ وقال بعضهم : فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام ، فلم يشركوا بالله شيئًا ، وذكروا أشياء ، فخرج عليهم[٧] رسول الله ﷺ فقال : « **ما الذي[٨] تخوضون فيه** » ؟ فأخبروه ، فقال : « **هم الذين لا يرقون ولا يسترقون [][٩] ولا يتطيرون ، وعلىٰ ربهم يتوكلون** » فقام عكاشة بن محصن ، فقال :

(٢٧٢) - أخرجه مسلم في « صحيحه » كتاب الإيمان ، حديث ٣٧٤ - (٢٢٠) .

وأخرجه البخاري في « صحيحه » : كتاب الرقاق : باب يدخل الجنة سبعون ألفًا بغير حساب ، حديث (٦٥٤١) من طريق أسيد بن زيد ، عن هشيم به .

[١] - في خ : « سعيد » .

[٢] - في خ : « ووجوههم » .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين في خ : « ثنا » .

[٥] - في خ : « فقال » .

[٦] - سقط من : ز .

[٧] - سقط من : خ ، ز .

[٨] - في خ : « الذين » .

[٩] - في ت : ولا يكتوون .

ادع الله أن يجعلني منهم ، قال : « **أنت منهم** » ثم قام رجل[١] آخر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ، قال : « **سبقك بها عكاشة** » .

وأخرجه البخاري ، عن أسيد بن زيد ، عن هشيم ، وليس عنده : لا[٢] يرقون .

(حديث آخر) قال أحمد (٢٧٣) : حدثنا روح بن عبادة ، حدثنا ابن جريج ، أخبرني أبو الزبير ، أنه سمع جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ ، فذكر حديثًا، وفيه : « **فتنجو أول زمرة ، وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفًا ، لا يحاسبون، ثم الذين يلونهم كأضوأ نجم في السماء** » ثم كذلك ، وذكر بقيته ، رواه مسلم من حديث روح غير أنه لم يذكر النبي ﷺ .

(حديث آخر) قال الحافظ أبو بكر بن أبي عاصم ، في كتاب «السنن» له : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن محمد بن زياد ، سمعت أبا أمامة الباهلي يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول « **وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا ، مع كل ألف سبعون ألفًا ، لا حساب عليهم ولا عذاب ، وثلاث حثيات من حثيات ربي عز وجل** » (٢٧٤).

وكذا رواه الطبراني من طريق هشام بن عمار ، عن إسماعيل بن عياش به ، وهذا إسناد جيد .

(طريق[٣] أخرىٰ) عن أبي أمامة . قال ابن أبي عاصم : حدثنا دحيم ، حدثنا الوليد بن مسلم ، ثنا[٤] صفوان بن عمرو، عن سليم بن عامر، عن أبي اليمان الهوزني - واسمه عامر

(٢٧٣) - أخرجه أحمد في « مسنده » (٢٨٣/٣) . وأخرجه مسلم في « صحيحه » كتاب الإيمان ، حديث ٣١٦ - (١٩١) من طريق روح ، عن أبي الزبير أنه سمع جابرًا يسأل عن الورد فذكره موقوفًا .

(٢٧٤) - **إسناده صحيح** ، أخرجه ابن أبي عاصم في « السنة » (٢٦١/١) برقم (٥٨٩) . وأخرجه الطبراني في « الكبير » (١٢٩/٨) برقم (٧٥٢٠) من طريق هشام بن عمار ، عن إسماعيل بن عياش به . وأخرجه أحمد في « مسنده » (٢٦٨/٥) ، والترمذي في « سننه » كتاب : صفة القيامة ، باب : منه ، رقم (١٢) ، رقم (٢٤٣٧) ، وابن ماجه في « سننه » كتاب الزهد ، باب : صفة أمة محمد ﷺ حديث (٤٢٨٦) ، كلهم من طريق إسماعيل بن عياش بهذا الإسناد . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٣٦٥/١٠ ، ٣٦٦) وقال : « عند الترمذي وابن ماجه بعضه ، رواه أحمد والطبراني ، ورجال أحمد وبعض أسانيد الطبراني رجال الصحيح ...» . وصحح إسناده الشيخ الألباني - حفظه الله - في « ظلال الجنة في تخريج السنة » (٢٦٢/١) رقم (٥٨٩) .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - في خ : « طريقة » .
[٤] - في ت : «عن » .

ابن عبد اللَّه بن لُحي - عن أبي أمامة ، عن رسول اللَّه ﷺ قال : « **إن اللَّه وعدني أن يدخل الجنة من أمّتي سبعين ألفًا بغير حساب** » فقال[١] يزيد بن الأخنس : واللَّه ما أولئك في أمّتك يا رسول اللَّه ، إلا مثل الذباب الأصهب في الذباب ، قال رسول اللَّه ﷺ : « **فإن اللَّه وعدني سبعين ألفًا ، مع كل ألف سبعون**[٢] **ألفًا ، وزادني ثلاث حثيات** (٢٧٥) » وهذا أيضًا إسناد حسن .

(حديث آخر) قال أبو القاسم الطبراني (٢٧٦) : حدثنا أحمد بن خليد ، حدثنا أبو توبة[٣] حدثنا معاوية بن سلام ، عن زيد بن سلام ، أنه سمع أبا سلام يقول : حدثني عامر بن زيد البكالي ، أنه سمع عتبة بن عبد السلمي رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **إن ربي [عز وجل وعدني]**[٤] **أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا بغير حساب ، ثم يشفع كل ألف لسبعين ألفًا ، ثم يحثي ربي عز وجل بكفيه ثلاث حثيات** » فكبر عمر وقال : إن السبعين الأول يشفعهم اللَّه في آبائهم وأبنائهم وعشائرهم[٥] ، وأرجو أن يجعلني اللَّه في إحدىٰ الحثيات الأواخر .

قال الحافظ الضياء [أبو عبد اللَّه][٦] المقدسي في كتابه « **صفة الجنة** » : لا أعلم لهذا الإسناد علة ، واللَّه أعلم .

---

(٢٧٥) - **إسناده صحيح** ، أخرجه ابن أبي عاصم في « السنة » (٢٦٠/١ - ٢٦١) رقم (٥٨٨) . وأخرجه الطبراني في « الكبير » (١٨٧/٨) رقم (٧٦٧٢) من طريق : دحيم ، عن الوليد بن مسلم ، عن صفوان بن عمرو ، عن سليم بن عامر وأبي اليمان الهوزني ، عن أبي أمامة به .
وأخرجه أحمد في « مسنده » (٢٥٠/٥) من طريق عصام بن خالد ، عن صفوان بن عمرو ، عن سليم بن عامر الخبائري وأبي اليمان ، عن أبي أمامة به . وأخرجه ابن حبان في « صحيحه » (٢٣٠/١٦) رقم (٧٢٤٦) ، والطبراني (١٨١/٨ ، ١٨٢) رقم (٧٦٦٥) من طريق سليم بن عامر ، عن أبي أمامة به .
وصحح إسناده الشيخ الألباني - حفظه اللَّه في « ظلال الجنة في تخريج السنة » ٢٦١/١) رقم (٥٨٨) .
وقال تعليقًا على رواية الإمام أحمد : « كذا قال : « وأبي اليمان » وقال المصنف [يقصد : ابن أبي عاصم] : « عن أبي اليمامة » ولعل الصواب الأول ، فإنهم لم يذكروا لصفوان رواية عن أبي اليمامة ، وإنما ذكروا له كأبي اليمان رواية عن أبي أمامة مباشرة » . وانظر الحديث السابق .
(٢٧٦) - **صحيح** ، أخرجه الطبراني في « الكبير » (١٢٦/١٧ - ١٢٧) رقم (٣١٢) . ورواه أيضًا في « الأوسط » (١٢٦/١) . وسيأتي تخريجه في سورة الرعد حديث رقم (١١١) .

---

[١] - في خ : « قال » .
[٢] - في ز : « سبعين » .
[٣] - في خ ، ز : « ثوبة » .
[٤] - في خ ، ز : « وعدني عز وجل » .
[٥] - في ت : « وعشيرتهم » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(٢٧٧) : حدثنا يحيىٰ بن سعيد ، حدثنا هشام[١] - يعني : الدستوائي - حدثنا يحيىٰ بن أبي كثير ، عن هلال بن أبي ميمونة ، حدثنا عطاء ابن يسار ، أن رفاعة الجهني حدثه ، قال : أقبلنا مع رسول اللَّه ﷺ حتىٰ إذا كنا بالكديد- أو قال : بقديد- فذكر حديثًا ، وفيه : ثم قال : « **وعدني ربي عز وجل أن يدخل الجنة من أمّتي سبعين ألفًا بغير حساب ، وإني لأرجو أن لا يدخلوها حتىٰ تبوءوا[٢] أنتم ، ومن صلح من أزواجكم وذرياتكم مساكن في الجنة** » قال الضياء : وهذا عندي علىٰ شرط مسلم .

(حديث آخر) قال عبد الرزاق(٢٧٨) ، أنبأنا معمر ، عن قتادة ، عن النضر بن أنس ، عن أنس قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **إن اللَّه وعدني أن يدخل الجنة من أمتي أربعمائة ألف** » قال أبو بكر رضي اللَّه عنه : زدنا يا رسول اللَّه قال : « **واللَّه وهكذا[٣]** » فقال[٤] عمر: حسبك يا أبا بكر ، فقال أبو بكر: دعني وما عليك أن يدخلنا اللَّه الجنة كلنا . فقال[٥] عمر : [إن اللَّه إن شاء أدخل][٦] خلقه الجنة بكف واحد . فقال النبي ﷺ : « **صدق عمر** » .

هذا الحديث بهذا الإِسناد تفرّد[٧] به عبد الرزاق . قال الضياء : وقد رواه الحافظ أبو نعيم الأصبهاني ، قال[٨] : حدثنا محمد بن أحمد بن مخلد ، حدثنا إبراهيم بن الهيثم

(٢٧٧) - أخرجه أحمد في « مسنده » (١٦/٤) . وابن ماجه في « سننه » كتاب الزهد ، باب : صفة أمة محمد ﷺ حديث (٤٢٨٥) من طريق الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن هلال بن ميمونة ، به نحوه . وذكره الهيثمي في « المجمع » : (٤١١/١٠) وقال : « قلت : عند ابن ماجه طرف منه يسير ، رواه الطبراني والبزار بأسانيد ورجال بعضها عند الطبراني والبزار رجال الصحيح .

(٢٧٨) - أخرجه عبد الرزاق في « مصنفه » (٢٨٦/١١) رقم (٢٠٥٥٦) . ومن طريقه أحمد في « مسنده » (١٦٥/٣) وابن أبي عاصم في « السنة » (٢٦٢/١) رقم (٥٩٠) ، والطبراني في « الأوسط » (٣٥٩/٣) رقم (٣٤٠٠) . وقال الطبراني : هكذا رواه معمر ، عن قتادة ، عن النضر بن أنس . ورواه معاذ ابن هشام ، عن أبيه ، عن قتادة ، عن أبي بكر بن أنس ، عن أبي بكر بن عمير ، عن أبيه . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٤٠٧/١٠) وقال : رواه أحمد والطبراني في « الأوسط » وإسناده حسن . وذكر طريقًا آخر وقال : رواه أحمد والطبراني في الأوسط ورجالهما رجال الصحيح . وصحح إسناده الشيخ الألباني - حفظه اللَّه - كما في « ظلال الجنة في تخريج السنة » (٢٨٢/١) رقم (٥٩٠) .

[١] - في خ ، ز : « هاشم » .
[٢] - في خ : « يبوأ » .
[٣] - في ت : « هكذا » .
[٤] - في خ : « قال » .
[٥] - في خ : « قال » .
[٦] - في : خ ، ز : « إن شاء الله أدخل » .
[٧] - في خ : « انفرد » .
[٨] - سقط من : خ ، ز .

البلدي[١] ، حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا أبو هلال ، عن قتادة ، عن أنس عن النبي ﷺ قال : « **وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي مائة ألف** » فقال أبو بكر يا رسول الله ، زدنا . قال : « **وهكذا** » وأشار سليمان بن حرب بيده كذلك ، قلت : يا رسول الله ، زدنا . فقال عمر : إن الله قادر على[٢] أن يدخل الناس الجنة بحفنة واحدة ، فقال رسول الله ﷺ : « **صدق عمر** »(٢٧٩) .

هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وأبو هلال اسمه[٣] محمد بن سليم الراسبي بصري .

(طريق أخرى) عن أنس . قال الحافظ أبو يعلى(٢٨٠) ، حدثنا محمد بن أبي بكر ، حدثنا عبد القاهر بن السري السلمي ، حدثنا حميد ، عن أنس ، عن النبي ﷺ : قال « **يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا** » قالوا : زدنا يا رسول الله [قال : « **لكل رجل سبعون ألفًا** » قالوا : زدنا وكان على كثيب ،][٤] فقال : « **هكذا** » وحثا بيده[٥] ، قالوا : يا رسول الله ، أبعد اللهُ مَن دَخل النار بعد هذا ! وهذا إسناد جيد ، رجاله كلهم[٦] ثقات ، ما عدا عبد القاهر بن السري ، وقد سئل عنه ابن معين ، فقال : صالح .

([حديث آخر) روى الطبراني(٢٨١) من حديث قتادة ، عن أبي بكر بن أنس ، عن أبي بكر بن عمير ، عن أبيه أن النبي ﷺ قال : « **إن الله وعدني أن يدخل من أمتي ثلثمائة ألف الجنة [بغير حساب]**[٧] » فقال عمير : يا رسول الله ، زدنا . فقال : « **وهكذا** » بيده ، فقال عمير : يا رسول الله ، زدنا . فقال عمر : حسبك ، إن الله إن شاء أدخل الناس الجنة بحفنة ، أو بحثية واحدة ، فقال النبي ﷺ : « **صدق عمر**][٨] » .

---

(٢٧٩) - أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٣٤٤/٢ ، ٣٤٥) . وورواه أحمد في « مسنده » (١٩٣/٣) من طريق أبي هلال ، عن قتادة ، عن أنس - رضي الله عنه - به . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٤١٢/١٠) وقال : رواه البزار ، ورجاله ثقات ، على ضعف في أبي هلال الراسبي . وقال أبو نعيم : تفرد به أبو هلال واسمه محمد بن سليم الراسبي ، ثقة ، بصري .

(٢٨٠) - أخرجه أبو يعلى في « مسنده » (٤١٧/٦) رقم (٣٧٨٣) . وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٠/ ٤٠٧) وقال : « رواه أبو يعلى » وسكت عنه - كما ذكره الحافظ ابن حجر في « المطالب العالية » (٤/ ٤٠٩) رقم (٤٦٩٩) وعزاه إلى أبي يعلى » .

(٢٨١) - أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٦٤/١٧) رقم (١٢٣) . وذكره الهيثمي في « المجمع » ، وقال : رواه الطبراني وأبو بكر بن عمير لم أعرفه ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

---

[١] - في خ ، ز : « الباري » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في خ : « واسمه » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٥] - في ت : « بيديه » .
[٦] - سقط من : خ ، ز .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من « ز » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

(**حديث**[١] **آخر**) قال[٢] الطبراني(٢٨٢) : حدثنا أحمد بن خليد ، حدثنا أبو توبة ، حدثنا معاوية بن سلام ، عن زيد[٣] [أنه سمع أبا سلام][٤] يقول : حدثني عبد الله بن عامر ، أن قيسًا الكندي حدث ، أن أبا سعيد الأنماري ، حدثه : أن رسول الله ﷺ قال : « **إن ربي وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا بغير حساب ، ويشفع [كل ألف لسبعين]**[٥] **ألفًا ، ثم يحثي ربي ثلاث حثيات بكفيه** » [٦] قال قيس : فقلت لأبي سعيد : أنت سمعت هذا من رسول الله ؟ ﷺ قال : نعم بأذني ، ووعاه قلبي . قال أبو سعيد : فقال يعني : رسول الله صلى الله عليه وسلم « **وذلك إن شاء الله عز وجل يستوعب مهاجري**[٧] **أمتي ، ويوفي الله بقيته من أعرابنا**[٨] » وقد روى هذا الحديث محمد بن سهل بن عسكر ، عن أبي توبة الربيع بن نافع بإسناده مثله ، وزاد : قال أبو سعيد : فحسب ذلك عند رسول الله ﷺ فبلغ أربعمائة ألف ألف وتسعين ألفًا .

---

(٢٨٢) - أخرجه الطبراني في « الأوسط » (١/١٢٨ ، ١٢٩) رقم (٤٠٤) ، وفي « الكبير » (٢٢/٣٠٤ ، ٣٠٥) رقم (٧٧١) . إلا أنه قال في « الكبير » : أبو سعد الأنصاري . وقال الطبراني في « الأوسط » : لا يُروى هذا الحديث عن أبي سعد الأنماري إلا بهذا الإسناد ، تفرد به معاوية بن سلام . وأخرجه الطبراني في « الكبير » (٢٢/٣٠٥) رقم (٧٧٢) من طريق الزبيدي عن عبد الله بن عامر اليحصبي عن قيس بن الحارث عن أبي سعد الخير الأنصاري به بنحوه مختصرًا . وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٠/٤١٢ ، ٤١٣) وقال : رواه الطبراني في « الأوسط والكبير » إلا أنه قال في « الأوسط » أبو سعيد الأنماري ، ورجاله ثقات .

وأورده الحافظ ابن حجر في « الإصابة » في ترجمة أبي سعيد الأنماري (٤/٨٨ - ٨٩) رقم (٥٣٣) من طريق مروان بن محمد عن معاوية بن سلام أخي زيد بن سلام أنه سمع جده أبا سلام الخشني قال : حدثني عبد الله بن عامر اليحصبي سمعت قيس بن حجر يحدث عن عبد الملك بن مروان قال : حدثني أبو سعيد الأنماري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إن الله وعدني ....» الحديث ثم قال الحافظ : سنده صحيح وكلهم من رجال الصحيح إلا قيس بن حجر وهو شامي ثقة .

ثم قال الحافظ : ولكن أخرجه الحاكم أبو أحمد أيضًا من طريق أبي توبة عن معاوية بن سلام فقال : إن قيس ابن حجر الكندي حدث الوليد بن عبد الملك أن أبا سعيد الخير حدثه ... ، وأخرجه الطبراني من طريق أبي توبة عن معاوية فقال : إن أبا سعيد الأنماري وقيل : قيس بن الحارث أن أبا سعيد الخير الأنصاري حدثه فذكر طرفًا منه . ثم قال الحافظ : فمن هذا الاختلاف يتوقف في الجزم بصحة هذا السند .ا.هـ .

---

[١] - في خ : « طريق » .
[٢] - في خ : « روى » .
[٣] - في خ : « يزيد » .
[٤] - سقط من خ .
[٥] - في خ ، ز : « لكل ألف سبعين » .
[٦] - بعده في ز : كذا .
[٧] - في ز : « لمهاجري » .
[٨] - في خ : « أعرانا » .

(حديث آخر) قال أبو القاسم الطبراني(٢٨٣) : حدثنا هشيم بن مرثد الطبراني ، حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش ، حدّثني أبي ، حدثني ضمضم[١] بن زرعة ، عن شريح بن عبيد ، عن أبي مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « **أما والذي نفس محمد بيده ، ليبعثن منكم يوم القيامة إلىٰ الجنة مثل الليل الأسود ، زمرة جميعها يخبطون الأرض ، تقول[٢] الملائكة : لم جاء مع محمد أكثر مما جاء مع الأنبياء ؟!** » وهذا إسناد حسن .

(نوع[٣] آخر) من الأحاديث الدالة علىٰ فضيلة هذه الأمّة وشرفها وكرامتها[٤] علىٰ الله ، عز وجل ، وأنها خير الأمم في الدنيا والآخرة .

قال الإمام أحمد(٢٨٤) حدثنا يحيىٰ بن سعيد ، حدثنا ابن جريج ، أخبرني أبو الزبير عن جابر ، أنه سمع النبي ﷺ يقول : « **إني لأرجو أن يكون من يتبعني من أمّتي يوم القيامة ، ربع أهل[٥] الجنة** » قال[٦] : فكبرنا ، ثم قال : « **أرجو أن تكونوا[٧] ثلث الناس** » قال : فكبرنا ، ثم قال : « **أرجو أن تكونوا[٨] الشطر** » وهكذا رواه عن روح ، عن ابن جريج به ، وهو علىٰ شرط مسلم .

وثبت في الصحيحين(٢٨٥) من حديث أبي إسحاق السبيعي ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال لنا رسول الله ﷺ : « **أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟** » فكبرنا ، ثم قال : « **أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة ؟** » فكبرنا ، ثم قال : « **إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة** » .

---

(٢٨٣) - **إسناده ضعيف** ، أخرجه الطبراني في « الكبير » (٣/٣٣٧) رقم (٣٤٥٥) . وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » : (١٠/٤٠٧) ، وقال : رواه الطبراني وفيه محمد بن إسماعيل بن عياش وهو ضعيف .

(٢٨٤) - أخرجه أحمد في « مسنده » (٣/٣٤٦) قال : حدثنا موسى بن داود قال : حدثنا ابن لهيعة . وفي (٣/٣٨٣) قال : حدثنا روح ، قال : حدثنا ابن جريج كلاهما (ابن لهيعة وابن جريج) عن أبي الزبير ، فذكره . وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٠/٤٠٥ - ٤٠٦) وقال : رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط ، ورجال البزار رجال الصحيح وكذلك أحد إسنادي أحمد .

(٢٨٥) - أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب : كيف الحشر ، حديث (٦٥٢٨) ، وكتاب : الأيمان والنذور ، حديث (٦٦٤٢) . ومسلم في « صحيحه » كتاب : الإيمان ، حديث ٣٧٦ - ٣٨٨ - (٢٢١) . من حديث أبي إسحاق السبيعي ، عن عمرو بن ميمون الأودي ، عن عبد الله بن مسعود به .

---

[١] - في خ : « ضمضمة » .
[٢] - في خ : « يقول » .
[٣] - في خ : « حديث » .
[٤] - في خ : « بكرامتها » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - في ت : « يكونوا » .
[٨] - في ت : « يكونوا » .

(طريق أخرىٰ) عن ابن مسعود . قال الطبراني(٢٨٦) : حدثنا أحمد بن القاسم بن مساور ، حدثنا عفان بن مسلم ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثني الحارث بن حصيرة[١] ، حدثني القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن عبد اللَّه بن مسعود ، قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **كيف أنتم وربع الجنة لكم ، ولسائر الناس ثلاثة أرباعها** » قالوا : اللَّه ورسوله أعلم ، قال : « **كيف أنتم وثلثها** » قالوا : ذاك أكثر ، قال : « **كيف أنتم والشطر لكم** » ، قالوا : ذاك[٢] أكثر ، فقال رسول اللَّه ﷺ : « **أهل الجنة عشرون ومائة صف ؛ لكم منها ثمانون صفًا** » .

قال الطبراني : تفرّد به الحارث بن حصيرة[٣] .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد (٢٨٧) : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا عبد العزيز بن مسلم ، حدثنا ضرار بن مرة أبو سنان الشيباني ، عن محارب بن دثار ، عن ابن بريدة ، عن أبيه ، أن[٤] النبي ﷺ قال : « **أهل الجنة عشرون ومائة صف ، هذه الأمة من ذلك**

---

(٢٨٦) - أخرجه الطبراني في « الكبير » (١٠/٢٠٨ ، ٢٠٩) رقم (١٠٣٥٠) ، و« الأوسط » (١/١٧٢) رقم (٥٣٩) و« الصغير » (١/٣٤) . وأخرجه أحمد في « مسنده » (١/٤٥٣) ، والبزار في « مسنده » (٥/٣٦٨ - ٣٦٩) رقم (١٩٩٩) وأبو يعلى في « مسنده » (٩/٢٤١) رقم (٥٣٥٨) والحاكم في « المستدرك » (١/٨٢) من طريق الحارث بن حصيرة به . وذكره الهيثمي في « المجمع » : (١٠/٤٠٦) وقال : « قلت : - هو في الصحيح باختصار - رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني في الثلاثة ، ورجالهم رجال الصحيح غير الحارث بن حصيرة وقد وثق . وقال الطبراني في الأوسط : لم يرو هذا الحديث عن القاسم بن عبد الرحمن إلا الحارث ، تفرد به : عبد الواحد بن زياد . وقال البزار : لا نعلمهما يرويان عن عبد اللَّه بن مسعود إلا بهذا الإسناد . وقال الحاكم : عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن مسعود لم يسمع من أبيه في أكثر الأقاويل .

(٢٨٧) - **إسناده صحيح** على شرط مسلم ، رجاله ثقات رجال الشيخين غير ضرار بن مرة ، وابن بريدة - وهو سليمان - فكلاهما من رجال مسلم . وأخرجه أحمد في « مسنده » (٥/٣٥٥) من طريق عبد الصمد . وأخرجه أيضًا في « مسنده » (٥/٣٤٧) من طريق عفان ، عن عبد العزيز به . وأخرجه الترمذي في « سننه » كتاب صفة الجنة ، باب : ما جاء في وصف أهل الجنة ، حديث (٢٥٤٦) ، من طريق أبي سنان به وحسنه . وأخرجه ابن ماجه في « سننه » كتاب : الزهد ، باب : صفة أمة محمد ﷺ حديث (٤٢٨٩) والدارمي في « سننه » (٢/٣٣٧) ، كتاب : الرقائق ، باب : في صفوف أهل الجنة ، والحاكم في « المستدرك » (١/٨٢) ، وابن حبان في « صحيحه » (١٦/٤٩٩ - ٥٠٠ - الإحسان) برقم (٧٤٦٠) . كلهم من طريق سفيان الثوري ، عن علقمة بن مرثد ، عن سليمان بن بريدة ، عن أبيه به . وأخرجه ابن أبي شيبة في « مصنفه » (١١/٤٧٠ ، ٤٧١) ، والحاكم في « المستدرك » (١/ ٨١، ٨٢) ، وابن حبان في « صحيحه » (١٦/٤٩٨ - الإحسان) برقم (٧٤٥٩) . =

---

[١] - في خ ، ز : « حصين » .
[٢] - في خ : « ذلك » .
[٣] - في خ ، ز : « حصين » .
[٤] - في ت : « عن » .

ثمانون صفًا » .

وكذا[١] رواه عن عفان عن عبد العزيز به ، وأخرجه الترمذي من حديث أبي سنان به وقال : هذا حديث حسن ، ورواه ابن ماجة من حديث سفيان الثوري ، عن علقمة بن مرثد ، عن سليمان بن بريدة ، عن أبيه به .

(حديث آخر) رویٰ الطبراني(٢٨٨) من حديث سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي ، حدثنا خالد بن يزيد البجلي ، حدثنا سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، قال : **« أهل الجنة عشرون ومائة صف ، ثمانون منها من أمتي »** تفرد به خالد بن يزيد البجلي ، وقد تكلم فيه ابن عدي .

(حديث آخر) قال الطبراني(٢٨٩) : حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدثنا موسىٰ بن غيلان ، حدثنا هاشم بن مخلد ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، عن سفيان ، عن أبي عمرو ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : لما نزلت : **﴿ ثلة من الأولين وثلة من الآخرين ﴾** قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : **« أنتم ربع أهل الجنة ، أنتم ثلث أهل الجنة ، أنتم نصف أهل الجنة ، أنتم ثلثا أهل الجنة »** .

وقال عبد الرزاق : أنبأنا معمر ، عن ابن[٢] طاوس ، عن أبيه عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : **« نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ، نحن أول الناس دخولًا الجنة ؛ بَيْدَ أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، وأوتيناه من بعدهم ، فهدانا الله لما اختلفوا فيه**

= كلهم من طريق محمد بن فضيل بن غزوان ، عن ضرار بن مرة ، عن محارب بن دثار ، عن ابن بريدة به.
وأخرجه ابن عدي في « الكامل » (١٤٢٠/٤) من طريق عبد الله بن معاوية ، عن عبد العزيز بن مسلم ، عن ضرار بن عمرو ، عن محارب بن دثار به ، ذكره ابن عدي في ترجمة ضرار بن عمرو الملطي ، وقال : منكر الحديث . وتعقبه الحافظ ابن حجر في « لسان الميزان » (٢٣٩/٣) رقم (٤٣٢٢) فقال : « وحديث بريدة ليس هو من منكراته كما هنا ، فقد رواه ضرار بن مرة الثقة الثبت ، عن محارب بن دثار ، عن سليمان ابن بريدة ، عن أبيه به » .

(٢٨٨) - **إسناده ضعيف** ، أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٣٤٨/١٠) رقم (١٠٦٨٢) . وأخرجه ابن عدي في « الكامل » (٨٨٥/٣) من طريق خالد بن يزيد العجلي به . وقال عنه : « أحاديثه كلها لا يتابع عليها لا إسنادًا ولا متنًا ، ولم أر للمتقدمين فيه قولًا ، إل غفلوا عنه وهو عندي ضعيف » . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٤٠٦/١٠) وقال : رواه الطبراني وفيه خالد بن يزيد الدمشقي وهو ضعيف وقد وثق .

(٢٨٩) - أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١٠١/٧) من طريق الطبراني ، ونقل عنه قوله : « تفرد برفعه ابن المبارك عن الثوري ، وأبو عمرو اسمه محمد والد أسباط بن محمد الكوفي القرشي » .

---

[١] - في خ : « وكذلك » . [٢] - سقط من ز .

من الحق ، فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه ، الناس لنا فيه تبع ، غدًا لليهود ، وللنصارىٰ بعد غد » (٢٩٠) .

رواه البخاري ، ومسلم من حديث عبد الله بن طاوس عن أبيه ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ مرفوعًا بنحوه ، ورواه مسلم أيضًا من طريق الأعمش ، عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم : « **نحن الآخرون الأوّلون يوم القيامة ، ونحن أوّل من يدخل الجنة** » وذكر تمام الحديث .

(حديث آخر) روىٰ الدارقطني في الأفراد ، من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنّ النبي ، ﷺ ، قال : « **إنّ الجنة حرّمت علىٰ الأنبياء كلهم حتىٰ أدخلها ، وحرّمت علىٰ الأمم حتىٰ تدخلها أمّتي** »(٢٩١) .

ثم قال : تفرد[١] به ابن عقيل ، عن الزهري ، ولم يرو عنه سواه ، وتفرد به زهير بن محمد ، عن ابن عقيل ، وتفرّد به عمرو بن أبي سلمة عن زهير .

وقد [رواه أبو أحمد بن عدي[٢] الحافظ فقال : حدثنا أحمد بن الحسين بن إسحاق ، حدثنا أبو بكر الأعين محمد بن أبي عتّاب[٣] ، حدثنا أبو حفص التنيسي ، [يعني عمرو بن أبي سلمة][٤] حدثنا صدقة الدمشقي، عن زهير بن محمد ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن الزهري به[٥]][٦] .

---

(٢٩٠) - أخرجه البخاري في كتاب : الأيمان والنذور ، باب : قول الله تعالى ﴿ **لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ...** ﴾ حديث (٦٦٢٤) ، وكتاب التعبير ، باب : النفخ في المنام ، حديث (٧٠٣٦) ، ومسلم في كتاب الجمعة ، حديث (٨٥٥) من طرق عن ابن طاوس ، عن أبيه طاوس ، عن أبي هريرة به .

(٢٩١) - أخرجه ابن عدي في « الكامل » (١٤٤٨/٤) في ترجمة عبد الله بن محمد بن عقيل . ونقل ابن أبي حاتم في « العلل » (٢٢٧/٢) عن أبي زرعة : « هذا الحديث منكر لا أدري كيف هو » . وذكره الذهبي في الميزان (١٩٨/٣) في ترجمة عبد الله بن محمد بن عقيل .

وعبد الله بن محمد بن عقيل : روى جماعة عن ابن معين تضعيفه ، وقال ابن المديني : لم يدخل مالك في كتبه ابن عقيل ، واحتج به أحمد وإسحاق ، وقال أبو حاتم وغيره : لين الحديث ، وقال ابن خزيمة : لا أحتج به .

---

[١] - في ت : « انفرد » .

[٢] - في خ ، ز : « علي » .

[٣] - في خ ، ز : « غياث » .

[٤] - سقط من ت .

[٥] - سقط من ت .

[٦] - هذه الفقرة متأخرة في : خ ، ز عن الفقرة التي تليها.

ورواه الثعلبي ، حدثنا أبو عباس المخلدي ، أنبأنا أبو نعيم عبد الملك بن محمد ، أنبأنا أحمد بن عيسىٰ التنيسي ، حدثنا عمرو بن أبي سلمة ، حدثنا صدقة بن عبد اللّٰه ، عن زهير بن محمد بن عقيل به .

فهذه الأحاديث في معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ **كنتم خير أمّة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون باللّٰه** ﴾ فمن اتصف من هذه[١] الأمّة بهذه الصفات ، دخل معهم في هذا [الثناء عليهم المدح لهم][٢] ، كما قال قتادة : بلغنا أنّ عمر بن الخطاب رضي اللّٰه عنه في حجة حجها رأىٰ من الناس سرعة ؛ فقرأ هذه الآية : ﴿ **كنتم خير أمّة أخرجت للناس** ﴾ ، ثم[٣] قال : من سره أن يكون من تلك[٤] الأمّة ؛ فليؤدّ شرط اللّٰه فيها ، رواه ابن جرير(٢٩٢) .

ومن لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمّهم اللّٰه تعالى بقوله : ﴿ **كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون** ﴾ ؛ ولهذا لما مدح تعالىٰ هذه الأمّة علىٰ هذه الصفات شرع في ذم أهل الكتاب وتأنيبهم ، فقال تعالىٰ : ﴿ **ولو آمن أهل الكتاب** ﴾ ، أي : بما أنزل علىٰ محمد ﴿ **لكان خيرًا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون** ﴾ أي : قليل منهم من يؤمن باللّٰه ، وما أنزل إليكم ، وما أنزل إليهم ، وأكثرهم علىٰ الضلالة ، والكفر ، والفسق ، والعصيان .

ثم قال تعالىٰ مخبرًا عباده المؤمنين ، ومبشرًا لهم : أن النصر والظفر لهم علىٰ أهل الكتاب الكفرة الملحدين ؛ فقال تعالىٰ : ﴿ **لن يضروكم إلا أذىٰ وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون** ﴾ وهكذا وقع ؛ فإنهم يوم خيبر أذلهم اللّٰه ، وأرغم آنافهم[٥] ، وكذلك من قبلهم من يهود المدينة ؛ بني قينقاع ، وبني[٦] النضير ، وبني[٧] قريظة ، كلهم أذلهم اللّٰه ، وكذلك النصارىٰ بالشام ، كسرهم الصحابة في غير [ما موطن][٨] ، وسلبوهم ملك الشام أبد الآبدين ودهر الداهرين ، ولا تزال عصابة الإسلام قائمة بالشام ، حتىٰ ينزل عيسىٰ بن مريم وهم[٩] كذلك ، ويحكم [عليه السلام][١٠] ، وبشرع[١١] محمد عليه أفضل الصلاة

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ت : « المدح » .
[٣] - سقط من : خ ، ز .
[٤] - في ت : « هذه » .
[٥] - في ت : « أنوفهم » .
[٦] - في ز : « بنو » .
[٧] - في ز : « بنو » .
[٨] - ما بين المعكوفتين في خ : « مواطن » .
[٩] - في خ : « وهو » .
[١٠] - في ت : بملة الإسلام .
[١١] - في ت : « وشرع » .

والسلام ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ولا يقبل إلا الإسلام .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من اللَّه وحبل من الناس** ﴾ أي ألزمهم اللَّه الذلة والصغار أينما كانوا ، فلا يأمنون ﴿ **إلا بحبل من اللَّه** ﴾ أي : بذمّة من اللَّه ، وهو عقد الذمّة لهم ، وضرب الجزية عليهم ، وإلزامهم أحكام المذلة[١] ﴿ [**وحبل من الناس** ﴾] أي : أمان منهم لهم ، كما في المهادن والمعاهد ، والأسير إذا أمنه واحد من المسلمين ولو امرأة : وكذا عبد علىٰ أحد قولي العلماء .

قال ابن عباس: ﴿ **إلا بحبل من اللَّه**][٢] **وحبل من الناس** ﴾][٣] أي: بعهد من اللَّه ، وعهد من الناس ، وكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، وعطاء ، والضحاك ، والحسن ، وقتادة ، والسدّي ، والربيع بن أنس .

وقوله ﴿ **وباءوا بغضب من اللَّه** ﴾ [أي : ألزموا . فالتزموا بغضب من اللَّه وهم يستحقونه : ﴿ **وضربت عليهم المسكنة** ﴾][٤] أي : ألزموها[٥] قدرًا وشرعًا ، ولهذا قال : ﴿ **ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات اللَّه ويقتلون الأنبياء بغير حق** ﴾ أي[٦] : إنما حملهم علىٰ ذلك الكبر ، والبغي والحسد ، فأعقبهم ذلك الذلة ، والصغار ، والمسكنة أبدًا متصلًا بذلة الآخرة . ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون** ﴾ أي : إنما حملهم علىٰ الكفر بآيات اللَّه وقتل رسل اللَّه ، وقيضوا لذلك أنهم كانوا يكثرون العصيان لأوامر اللَّه عز وجل والغشيان لمعاصي اللَّه ، والاعتداء في شرع اللَّه ، فعياذًا باللَّه من ذلك ، وباللَّه المستعان.

قال ابن أبي حاتم(٢٩٣) : حدثنا يونس بن[٧] حبيب ، حدثنا أبو داود الطيالسي ، حدثنا شعبة ، عن سليمان الأعمش ، عن إبراهيم ، عن أبي معمر الأزدي ، عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه قال : كانت بنو إسرائيل تقتل في اليوم ثلاثمائة نبي ، ثم يقوم سوق [بقلهم في][٨] آخر النهار .

---

(٢٩٢) - أخرجه ابن جرير في « تفسيره » (١٠٢/٧) رقم (٧٦١٢) وذكره السيوطي في « الدر » (٢/ ١١٣) وعزاه إلى ابن جرير .

(٢٩٣) - **إسناده صحيح** ، وعدم تصريح الأعمش بالتحديث لا يضر ؛ لأن الراوي عنه شعبة ، أخرجه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (٤٨٣/٢) رقم (١٢١٥) . وذكره السيوطي في « الدر » (١٤٢/١) وزاد عزوه إلى الطيالسي .

---

[١] - في ز : « الملة » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من « ز » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٥] - في ز : « ألزموا بها » .

[٦] - في خ ، ز : « و » .

[٧] - في ز : « عن » .

[٨] - ما بين المعكوفتين في ز : « تقبلهم » .

﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (١١٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١٦) مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١١٧) ﴾

قال ابن أبي نجيح : زعم الحسن بن أبي يزيد العجلي[١] ، عن ابن مسعود في قوله تعالىٰ : ﴿ **ليسوا سواء من أهل الكتاب أمّة قائمة** ﴾ قال[٢] : لا يستوي أهل الكتاب وأمّة محمد ، ﷺ (٢٩٤) .

وهكذا قال السدي . ويؤيد هذا القول الحديث الذي رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده : حدثنا أبو النضر ، وحسن بن موسىٰ قالا[٣] : حدثنا شيبان ، عن عاصم ، عن زر ، عن ابن مسعود قال : أخر رسول الله ﷺ صلاة العشاء ثم خرج إلىٰ المسجد ؛ فإذا الناس ينتظرون الصلاة ، فقال : « **أما إنه ليس من أهل هذه الأديان أحد يذكر الله هذه**

(٢٩٤) - أخرجه الطبري في « تفسيره » (١٢٢/٧) رقم (٧٦٤٨) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (٢/ ٤٨٤) رقم (١٢١٧) كلاهما عن ابن أبي نجيح به . وذكره السيوطي في « الدر » (١١٦/٢) . وزاد عزوه إلى الفريابي والبخاري في تاريخه ، وعبد بن حميد وابن المنذر .
والحسن بن أبي يزيد العجلي - هكذا في الأصل - وهو خطأ ، والصواب : الحسن بن يزيد العجلي ، فإنه معروف بالرواية عن ابن مسعود ، وبرواية ابن أبي نجيح عنه ، كما أن الطبري وكذلك ابن أبي حاتم ذكر في تفسيريهما « الحسن بن يزيد العجلي » . وكذا ذكره البخاري في « تاريخه » (٣٠٨/٢) رقم (٢٥٧٦) وابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٤٢/٢) رقم (١٨٠) وسكتا عنه . وقال الحافظ في « التقريب » : مقبول .

[١] - في خ ، ز : « النخعي » . [٢] - في ز : « يقول » .
[٣] - سقط من : خ .

الساعة غيركم » قال : فنزلت[١] هذه الآيات : ﴿ **ليسوا سواء من أهل الكتاب** [**أمة قائمة**][٢] ﴾ [إلىٰ قوله][٣] ﴿ **والله عليم بالمتقين** ﴾ (٢٩٥) .

والمشهور عند[٤] كثير من المفسرين كما ذكره محمد بن إسحاق وغيره ، ورواه العوفي عن ابن عباس : أن هذه الآيات نزلت فيمن آمن من أحبار أهل الكتاب ؛ كعبد الله بن سلام ، وأسد بن عبيد ، وثعلبة بن سعية[٥] ، وأسيد بن سعية[٦] وغيرهم (٢٩٦) . أي : لا يستوىٰ من تقدّم ذكرهم بالذم من أهل الكتاب ، [وهؤلاء الذين أسلموا ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ليسوا سواء** ﴾ أي : ليسوا كلهم علىٰ حد سواء ، بل منهم المؤمن ومنهم المجرم ، ولهذا قال تعالىٰ][٧] : ﴿ **من أهل الكتاب أمّة قائمة** ﴾ أي : قائمة بأمر الله ، مطيعة لشرع الله ، متبعة نبي الله ، فهي[٨] قائمة يعني[٩] مستقيمة ﴿ **يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون** ﴾ أي : يقيمون[١٠] الليل ، ويكثرون التهجد ، ويتلون القرآن في صلواتهم ﴿ **يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من**

---

(٢٩٥) - **إسناده حسن** ، أخرجه أحمد في « مسنده » (٣٩٦/١) . والنسائي في التفسير من « الكبرى » (٣١٣/٦) رقم (١١٠٧٣) ، والبزار في « مسنده » (١٩٠/١ - ١٩١ كشف الأستار) رقم (٣٧٥) . وابن حبان في « صحيحه » (٣٩٧/٤ ، ٣٩٨/ الإحسان) برقم (١٥٣٠) . وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٨٧) ، والطبري في « تفسيره » (١٢٨/٧) رقم (٧٦٦٢) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (٤٨٦/٢ - ٤٨٧) رقم (١٢٢٦) ، كلهم من طرق ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن زر بن حبيش ، عن عبد الله بن مسعود به .

وأخرجه الطبري في « تفسيره » (١٢٧/٧) رقم (٧٦٦١) ، والطبراني في « الكبير » (١٦٢/١٠) رقم (١٠٢٠٩) وأبو نعيم في « الحلية » (١٨٧/٤) ، من طريق سليمان الأعمش ، عن زر بن حبيش ، عن عبد الله بن مسعود به . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٣١٧/١) وقال : رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني في الكبير ، وقال : ورجال أحمد ثقات ، ليس فيهم غير عاصم بن أبي النجود ، وهو مختلف في الاحتجاج به ، وفي إسناد الطبراني عبيد الله بن زحر ، وهو ضعيف .

(٢٩٦) - أخرجه الطبري في « تفسيره » (١٢٠/٧ - ١٢١) رقم (٧٦٤٤) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (٤٨٥/٢) رقم (١٢٢٠) من طريق محمد بن إسحاق قال : حدثني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فذكره . وذكره السيوطي في « الدر » (١١٥/٢) وزاد عزوه إلى ابن المنذر والطبراني والبيهقي في الدلائل وابن عساكر .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « حتى بلغ » .
[٣] - في خ : « وأنزلت » .
[٤] - في ز : « عن » .
[٥] - في خ ، ز : « شعبة » .
[٦] - في خ ، ز : « شعبة » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . ز .
[٨] - سقط من : خ ، ز .
[٩] - في ز : « بمعنى » .
[١٠] - في ز : « يقومون » .

الصالحين ﴾ وهؤلاء هم المذكورون في آخر السورة ﴿ **وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله [لا يشترون بآيات الله ثمنًا قليلًا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب]** ﴾، ولهذا[١] قال تعالىٰ هاهنا : ﴿ **وما يفعلوا[٢] من خير فلن يكفروه[٣]** ﴾ أي : لا يضيع عند الله ، بل يجزيهم[٤] به أوفر الجزاء ﴿ **والله عليم بالمتقين** ﴾ أي : لا يخفىٰ عليه عمل عامل ، ولا يضيع لديه أجر من أحسن عملًا .

ثم قال تعالىٰ مخبرًا عن الكفرة المشركين بأنه : ﴿ **لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئًا** ﴾ أي : لا[٥] تردّ[٦] عنهم بأس الله ولا عذابه إذا أراده[٧] بهم ، ﴿ **وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ .

ثم ضرب مثلًا لما ينفقه الكفار في هذه الدار - قاله مجاهد ، والحسن ، والسدي - فقال تعالىٰ : ﴿ **مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيا صر** ﴾ أي : برد شديد ، قال ابن عباس ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، وقتادة والضحاك ، والربيع بن أنس وغيرهم . وقال عطاء : برد وجليد ، وعن ابن عباس أيضًا ومجاهد ﴿ **فيها صر** ﴾ أي : نار ، وهو يرجع إلىٰ الأول ، فإن البرد الشديد ، ولا[٨] سيما الجليد[٩] يحرق الزروع والثمار ، كما يحرق الشيء بالنار ، ﴿ **أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته** ﴾ أي : وأحرقته[١٠] ، يعني بذلك السفعة[١١] ، إذا نزلت علىٰ حرث قد آن جداده[١٢] أو حصاده فدمّرته ، وأعدمت ما فيه من ثمر أو زرع ، فذهبت به وأفسدته؛ فعدمه صاحبه أحوج ما كان إليه . فكذلك الكفار ، يمحق الله ثواب أعمالهم في هذه الدنيا وثمرها[١٣] ، كما يذهب[١٤] ثمرة هذا[١٥] الحرث بذنوب صاحبه . وكذلك هؤلاء بنوها علىٰ غير أصل ، وعلىٰ غير أساس ، ﴿ **وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون** ﴾ .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ

---

[١] - في ز : « وهكذا » .
[٢] - في خ ، ز : « تفعلوا » .
[٣] - في خ ، ز : « تكفروه » .
[٤] - في خ ، ز : « يجزيكم » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في ز : « يرد » .
[٧] - في خ : « أراد » .
[٨] - سقط من : خ ، ز .
[٩] - في ز : « والجليد » .
[١٠] - في ت : « فأحرقته » .
[١١] - في ز : « السقعة » .
[١٢] - في ت ، خ : « جذاذه » .
[١٣] - في خ : « وثمرتها » .
[١٤] - في خ ، ز : « أذهب » .
[١٥] - في ز : « هذه » .

ٱلْـَٔايَـٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَـٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾

يقول تبارك وتعالىٰ ، ناهيًا عباده المؤمنين عن اتخاذ المنافقين ﴿ **بطانة** ﴾ أي : يطلعونهم علىٰ سرائرهم ، وما يضمرونه لأعدائهم ، والمنافقون بجهدهم وطاقتهم[١] لا يألون المؤمنين خبالًا ؛ أي : يسعون في مخالفتهم ، وما يضرهم بكل ممكن ، وبما يستطيعونه من المكر والخديعة ، ويودّون ما يعنت المؤمنين ويحرجهم ويشق عليهم .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **لا تتخذوا بطانة من دونكم** ﴾ أي : من غيركم من أهل الأديان . وبطانة الرجل هم خاصة أهله ؛ الذين يطلعون علىٰ داخلة[٢] أمره .

وقد روىٰ البخاري ، والنسائي ، وغيرهما من حديث جماعة ، منهم يونس ، ويحيىٰ بن سعيد ، وموسىٰ بن عقبة ، وابن أبي عتيق ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي سعيد ، أن رسول الله ، ﷺ ، قال : « **ما بعث الله من نبي ، ولا استخلف من خليفة ، إلا كانت له بطانتان ، بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالسوء وتحضه عليه ، والمعصوم من عصَمَ الله** »(٢٩٧) .

---

(٢٩٧) - أخرجه البخاري في كتاب القدر ، باب المعصوم من عصم الله ، حديث (٦٦١١) ، وكتاب : الأحكام ، باب : بطانة الإمام وأهل مشورته . حديث (٧١٩٨) ، والنسائي في « سننه » (١٥٨/٧) كتاب : البيعة ، باب : بطانة الإمام ، وأحمد في « مسنده » : (٣٩/٣ ، ٨٨) ، والبيهقي في « الكبرى » (١١١/١٠) وأبو يعلى في « مسنده » (٤٢٨/٢) رقم (١٢٢٨) ، وابن حبان في « صحيحه » (١٤/ ٧٢ - الإحسان) رقم (٦١٩٢) من طرق عن الزهري عن أبي سلمة ، عن أبي سعيد الخدري .

وأخرجه أحمد في « مسنده » (٢٣٧/٢) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (١١١/١٠) ، وأبو يعلى في « مسنده » (٣٠٧/١٠ ، ٣٠٨) رقم (٥٩٠١) ، وابن حبان في « صحيحه » (٧٠/١٤ ، ٧١/ الإحسان) رقم (٦١٩١) . كلهم من طرق عن الأوزاعي ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، به بنحوه .

وعلق البخاري بإثر الحديث (٧١٩٨) فقال : « وقال الأوزاعي ومعاوية بن سلام حدثني الزهري ، حدثني أبو سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ . وقال ابن أبي حسين وسعيد بن زياد عن أبي سلمة عن =

---

[١] - في خ ، ز : « بطانتهم » . [٢] - في خ ، ت : « داخل » .

وقد رواه الأوزاعي ومعاوية بن سلام ، عن الزهري ، عن أبي سلمة [عن أبي هريرة مرفوعًا بنحوه ، فيحتمل أنه عند الزهري ، عن أبي سلمة][١] عنهما وأخرجه النسائي عن الزهري أيضًا ، وعلقه البخاري في صحيحه ، فقال : وقال عبيد الله بن أبي جعفر ، عن صفوان بن سليم ، عن أبي سلمة ، عن أبي أيوب الأنصاري مرفوعًا فذكره . فيحتمل أنه عند أبي سلمة ، عن ثلاثة من الصحابة ، والله أعلم .

وقال ابن أبي حاتم ، حدثنا أبي[٢] ، [حدثنا أبو أيوب محمد بن الوزان ، حدثنا عيسىٰ بن يونس ، عن أبي حيان التيمي ، عن أبي][٣] الزنباع ، عن ابن أبي الدهقانة قال : قيل لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : إن هاهنا غلامًا من أهل الحيرة ، حافظ كاتب[٤] ، لو[٥] اتخذته كاتبًا ؟ فقال : قد اتخذت إذا بطانة من دون المؤمنين(٢٩٨) .

= أبي سعيد قوله . وقال عبد الله بن أبي جعفر : ثني صفوان ، عن أبي سلمة ، عن أبي أيوب قال : سمعت النبي ﷺ ».

وأخرجه أحمد في « مسنده » (٢٨٩/٢) ، والنسائي في « سننه » (١٥٨/٧) ، وكتاب البيعة ، باب : بطانة الإمام ، وفي التفسير من « الكبرى » (٢٣٠/٥) رقم (٨٧٥٥) ، (٨٧٥٦) . من طرق عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة به .

وأخرجه أبو يعلى في « مسنده » (٣٩٧/١٠) رقم (٦٠٠٠) ، (٤١٥/١٠) رقم (٦٠٢٣) . من طريقين عن أبي سلمة عن أبي هريرة به .

وأخرجه النسائي في « سننه » (١٥٨/٧) كتاب البيعة ، باب : بطانة الإمام ، وفي التفسير من « الكبرى » (٢٣٠/٥) رقم (٨٧٥٧) من طريق عبد الله بن أبي جعفر عن صفوان عن أبي سلمة عن أبي أيوب الأنصاري .

وأخرجه ضمن حديث مطول البخاري في « الأدب المفرد » رقم (٢٥٦) ، والترمذي في « سننه » : كتاب الزهد ، باب : ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ حديث (٢٣٦٩) ، وفي الشمائل (١٣٤) ، والحاكم في « المستدرك » (١٣١/٤) . كلهم من طرق عن عبد الملك بن عمير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة به . وقال الترمذي : حديث حسن صحيح غريب . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي . وقال الشيخ الألباني - حفظه الله - في « صحيح الأدب المفرد » : « صحيح » وانظر « السلسلة الصحيحة » حديث (١٦٤١) .

(٢٩٨) - أخرجه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (٥٠٠/٢) رقم (١٢٧٤) . وأخرجه ابن أبي شيبه عن علي بن مسهر عن أبي حيان التيمي بنفس الإسناد بنحو المصنف (٤٧٠/٨) رقم (٥٩٢٣) . وذكره السيوطي في « الدر » (١١٨/٢) وزاد عزوه إلى عبد بن حميد .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - في خ : « ابن » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - في خ : « كتاب » .
[٥] - في خ : « فلو » .

ففي هذا الأثر مع هذه الآية دليل[١] علىٰ أن أهل الذمّة لا يجوز استعمالهم في الكتابة التي فيها استطالة علىٰ المسلمين، واطلاع علىٰ دواخل أمورهم، التي يخشىٰ أن يفشوها إلىٰ الأعداء من أهل الحرب، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿ **لا يألونكم خبالًا ودّوا ما عنتم** ﴾.

وقال الحافظ: أبو يعلى: حدثنا إسحاق بن إسرائيل، حدثنا هشيم، حدثنا العوّام، عن الأزهر بن راشد قال: كانوا يأتون أنسًا؛ فإذا حدّثهم بحديث لا يدرون ما هو، أتوا الحسن - يعني البصري - فيفسره لهم، قال: فحدّث ذات يوم عن النبي ﷺ أنه قال: « **لا تستضيئوا بنار المشركين ولا تنقشوا في خواتيمكم عربيًّا** » فلم يدروا ما هو، فأتوا الحسن فقالوا له: إن أنسًا حدثنا، أن رسول الله ﷺ قال: « **لا تستضيئوا بنار المشركين، ولا تنقشوا في خواتيمكم[٢] عربيًّا** ». فقال الحسن: أما قوله: « **لا تنقشوا في[٣] خواتيمكم عربيًّا** » محمد ﷺ، وأما قوله: « **لا تستضيئوا بنار المشركين** »؛ يقول: لا تستشيروا المشركين في أموركم. ثم قال الحسن: تصديق ذلك في كتاب الله: ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم** ﴾ (٢٩٩).

---

(٢٩٩) - الأزهر بن راشد البصري: ثقة. ترجم له البخاري في الكبير (١/٤٥٥) رقم (١٤٥٩)، وابن أبي حاتم (١/٣١٣) رقم (١١٧٨) فلم يذكر فيه جرحًا.

قال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على تفسير الطبري (٧/١٤٢): وهناك راوٍ آخر اسمه « الأزهر بن راشد الكاهلي » وهو كوفي، وهو غير البصري، ومتأخر عنه، وترجم له البخاري وابن أبي حاتم أيضًا - فإن البصري يروي عنه « العوام بن حوشب » المتوفى سنة ١٤٨، والكوفي الكاهلي يروى عنه « مروان بن معاوية الفزاري المتوفى سنة ١٩٣، ومروان بن معاوية من شيوخ أحمد، والعوام بن حوشب من شيوخ شيوخه، فشتان هذا وهذا، ومع هذا الفرق الواضح أخطأ الحافظ المزي، فذكر في التهذيب الكبير أن أبا حاتم قال في البصري: « مجهول ». وتبعه الحافظ في « تهذيب التهذيب »، والذهبي في « الميزان » وزاد الأمر تخليطًا، فذكر أنه ضعفه ابن معين!! وابن معين وأبو حاتم إنما قالا ذلك في الكاهلي الكوفي، فروى ابن أبي حاتم في ترجمة « الكاهلي » (١/٣١٣) رقم (١١٨٠) عن ابن معين قال: « أزهر بن راشد الذي روى عنه مروان بن معاوية: ضعيف ». ثم قال: سألت أبي عن أزهر بن راشد؟ فقال: هو مجهول. ولم يحقق الحافظ ابن حجر، واشتبه عليه الكلام في الترجمتين، فقال في ترجمة « الكاهلى » بعد ترجمة « البصري »: « أخشى أن يكونا واحدًا! لكن فرق بينهما ابن معين ». والفرق بينهما كالشمس انتهى كلام الشيخ أحمد شاكر - رحمه الله. وانظر ترجمة « أزهر بن راشد البصري » في « التاريخ الكبير » (١/ ٤٥٥) رقم (١٤٥٩)، و« تهذيب الكمال » (٢/٣٢١، ٣٢٢) رقم (٣٠٤)، و« تهذيب التهذيب » (١/ ١٧٦) رقم (٣٧٩)، و« ميزان الاعتدال » (١/١٧١) رقم (٦٩٣)، و« الجرح والتعديل » (١/٣١٣) رقم (١١٧٨) وترجمة « أزهر بن راشد الكوفي الكاهلي » في: « التاريخ الكبير » (١/٤٥٥، ٤٥٦) رقم (١٤٦٠)، و« تهذيب الكمال » (٢/٣٢٢) رقم (٣٠٥)، و« تهذيب التهذيب » (١/١٧٦)، =

---

[١] - في خ: « دلالة ».

[٢] - سقط من: خ.

[٣] - سقط من: خ.

هكذا رواه الحافظ أبو يعلى - رحمه اللَّه تعالىٰ - وقد رواه النسائي عن مجاهد بن موسىٰ ، عن هشيم ، ورواه الإمام ، أحمد عن هشيم بإسناده مثله ، من غير ذكر تفسير الحسن البصري .

وهذا التفسير فيه نظر ، ومعناه ظاهر : « **لا تنقشوا في خواتيمكم عربيًا** » أي : بخط عربي لئلا يشابه نقش خاتم النبي ﷺ ؛ فإنه كان نقشه محمد رسول اللَّه ، ولهذا جاء في الحديث الصحيح أنه نهىٰ أن ينقش أحد علىٰ نقشه . وأما الاستضاءة[1] بنار المشركين ، فمعناه لا تقاربوهم في المنازل ؛ بحيث تكونون معهم في بلادهم ، بل تباعدوا منهم وهاجروا من بلادهم ، ولهذا روىٰ أبو داود : « **لا تتراءىٰ ناراهما** »(٣٠٠) . وفي الحديث الآخر :

= و« ميزان الاعتدال » : (١٧١/١) ، و« الجرح والتعديل (٣١٣/١) . والحديث أخرجه الطبري في « تفسيره » (١٤٢/٧) رقم (٧٦٨٥) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٤٠/٧) رقم (٩٣٧٥) من طريق هشيم بسياق أبي يعلى به .

وأخرجه أحمد في « مسنده » (٩٩/٣) ، والنسائي في « سننه » (١٧٦/٨) كتاب الزينة ، باب : قول النبي ﷺ : « **لا تنقشوا على خواتيكم عربيًا** » ، والبخاري في « الكبير » (٤٥٥/١) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (٤٩٨/٢ - ٤٩٩) رقم (١٢٧٢) من طريق هشيم به ، دون ذكر كلام الحسن البصري . وذكره السيوطي في « الدر » (١١٨/٢) وزاد عزوه إلى عبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في الشعب .

(٣٠٠) - **حديث صحيح** ، أخرجه أبو داود في « سننه » كتاب الجهاد ، باب : النهي عن قتل من اعتصم بالسجود ، حديث (٢٦٤٥) ، والترمذي في « سننه » كتاب : السير ، باب : ما جاء في كراهية المقام بين أظهر المشركين حديث (٢٦٠٤) . من حديث أبي معاوية ، عن إسماعيل بن خالد ، عن قيس بن أبي حازم عن جرير قال : قال النبي ﷺ : « **أنا بريء من كل مسلم مقيم بين أظهر المشركين لا تتراءى ناراهما** » وذكره البغوي في « شرح السنة » (٣٧٣/١٠) . وصححه الشيخ الألباني - حفظه اللَّه - كما في صحيح « سنن أبي داود » (٥٠١/٢ ، ٥٠٢) رقم (٢٦٤٥) . وقال : « صحيح » دون جملة العقل .

وأخرجه النسائي في « سننه » (٣٦/٨) كتاب : القسامة ، باب : القود بغير حديدة . مرسلًا عن قيس أن رسول اللَّه ﷺ فذكره .

وله شاهد يقويه من حديث معاوية بن حيدة : أخرجه النسائي في « سننه » (٨٢/٥ ، ٨٣) ، كتاب الزكاة ، باب : من سأل بوجه اللَّه عز وجل ، وابن ماجه في « سننه » كتاب الحدود ، باب : المرتد عن دينه ، حديث (٢٥٣٦) ، وأحمد في « مسنده » (٤/٥،٥) من حديث بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده أن رسول اللَّه ﷺ قال : « **لا يقبل اللَّه عز وجل من مشرك بعد ما أسلم عملًا أو يفارق المشركين إلى المسلمين** » . وإسناده حسن .

وله شاهد أيضًا من حديث جرير بن عبد اللَّه : أخرجه أحمد في « مسنده » (٣٦٥/٤) ، والنسائي في « سننه » (١٤٨/٧) : كتاب البيعة ، باب : البيعة على فراق المشرك ، عن أبي نخيلة البجلي قال : قال جرير: « أتيت النبي ﷺ وهو يبايع فقلت : يا رسول اللَّه ابسط يدك حتى أبايعك واشترط علي فأنت أعلم . قال : « أبايعك على أن تعبد اللَّه وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة وتناصح المسلمين وتفارق المشركين » .

[١] - في خ : « الإضاءة » .

« من جامع المشرك أو سكن معه فهو مثله » (٣٠١) . فحملُ الحديث علىٰ ما قاله الحسن رحمه اللَّه ، والاستشهاد عليه بالآية فيه نظر ، واللَّه أعلم .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر** ﴾ أي : قد لاح علىٰ صفحات وجوههم ، وفلتات ألسنتهم من العداوة مع[١] ماهم مشتملون عليه في صدورهم ، من البغضاء للإسلام وأهله ؛ ما لا يخفىٰ مثله علىٰ لبيب عاقل[٢] ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم** ﴾ أي : أنتم أيها المؤمنون تحبون المنافقين بما يظهرون لكم الإيمان ، فتحبونهم علىٰ ذلك ، وهم لا يحبونكم لا باطنًا ولا ظاهرًا ﴿ **وتؤمنون بالكتاب كله** ﴾ أي : ليس عندكم في شيء منه شك ولا ريب ، وهم عندهم الشك والريب والحيرة .

وقال محمد بن إسحاق : حدّثني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ﴿ **وتؤمنون بالكتاب كله** ﴾ أي : بكتابكم وكتابهم وبما مضىٰ من الكتب قبل ذلك ، وهم يكفرون بكتابكم ، فأنتم أحق بالبغضاء لهم منهم لكم . رواه ابن جرير(٣٠٢) .

﴿ **وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ** ﴾ ، والأنامل أطراف الأصابع ، قاله قتادة .

وقال الشاعر :

أوُدُّكما[٣] ما بَلَّ حَلْقِي رِيقَتي وما حملت كفاي أنملي العشرا

وقال ابن مسعود والسدي والربيع بن أنس : الأنامل الأصابع . وهذا شأن المنافقين يظهرون للمؤمنين الإيمان والمودّة ، وهم في الباطن بخلاف ذلك من كل وجه ، كما قال

(٣٠١) - **حديث صحيح** ، أخرجه أبو داود في « سننه » كتاب : الجهاد ، باب : في الإقامة بأرض الشرك ، حديث (٢٧٨٧) من طريق سليمان بن موسى أبي داود ، عن جعفر بن سعد بن سمرة بن جندب ، عن خبيب بن سليمان ، عن أبيه سليمان بن سمرة ، عن سمرة به جندب : أما بعد قال رسول اللَّه ﷺ : « **من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله** » . وذكره البغوي في « شرح السنة » (٣٧٤/١٠) . وصححه الشيخ الألباني - حفظه اللَّه - كما في « صحيح سنن أبي داود » (٥٣٦/٢) رقم (٢٤٢٠) .

(٣٠٢) - أخرجه ابن جرير في « تفسيره » (١٤٩/٧) رقم (٧٦٩٥) . وذكره السيوطي في « الدر المنثور » (١١٩/٢) وعزاه إلى ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر .

[١] - سقط من : خ . [٢] - سقط من : خ .

[٣] - في خ : « أوديكها » .

تعالىٰ : ﴿ **وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ** ﴾ وذلك أشد الغيظ والحنق ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **قل موتوا بغيظكم إن اللَّه عليم بذات الصدور** ﴾ أي : مهما كنتم تحسدون عليه المؤمنين ويغيظكم ذلك منهم ، فاعلموا أن اللَّه متم نعمته علىٰ عباده المؤمنين ومكمل دينه ، ومعل كلمته ، ومظهر دينه ، فموتوا أنتم بغيظكم ﴿ **إنّ اللَّه عليم بذات الصدور** ﴾ أي : هو عليم بما تنطوي عليه ضمائركم ، وتكنه سرائركم من البغضاء والحسد والغل للمؤمنين ، وهو مجازيكم عليه في الدنيا بأن يريكم خلاف ما تأملون ، وفي الآخرة بالعذاب الشديد في النار التي أنتم خالدون فيها ، [لا محيد لكم عنها][١] ، ولا[٢] خروج لكم منها . ثم قال تعالىٰ ﴿ **إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها** ﴾ وهذه الحال دالة علىٰ شدة العداوة منهم للمؤمنين ، وهو أنه إذا أصاب المؤمنين خصب ونصر وتأييد وكثروا وعز أنصارهم ساء ذلك المنافقين ، وإن أصاب المسلمين[٣] سنة أي[٤] : جدب ، أو أديل عليهم الأعداء[٥] ، لما للَّه تعالىٰ في ذلك من الحكمة ، كما جرىٰ يوم أحد- فرح[٦] المنافقون بذلك ، قال اللَّه تعالىٰ مخاطبا عباده المؤمنين : ﴿ **وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئًا** ﴾ الآية ، يرشدهم تعالىٰ إلىٰ السلامة من شر الأشرار ، وكيد الفجار باستعمال الصبر والتقوىٰ والتوكل علىٰ اللَّه الذي هو محيط بأعدائهم ، فلا حول ولا قوّة لهم إلا به ، وهو الذي ما شاء كان ، ومالم يشأ لم يكن ، ولا يقع في الوجود شيء إلا بتقديره ومشيئته . ومن توكل عليه كفاه .

ثم شرع تعالىٰ في ذكر قصة أحد ، وما كان فيها من الاختبار[٧] لعباده المؤمنين ، والتمييز بين المؤمنين والمنافقين ، وبيان صبر[٨] الصابرين فقال تعالىٰ :

وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾
إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ
﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾

المراد بهذه الواقعة يوم أحد عند الجمهور ، قاله ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، والسدي ،

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - في خ : « فلا» .
[٣] - في خ : « المؤمنين » .
[٤] - في خ : « أما » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في خ : « فخرج » .
[٧] - في خ : « الإحسان » .
[٨] - سقط من : ت .

وغير واحد . وعن الحسن البصري المراد بذلك يوم الأحزاب . ورواه ابن جرير(٣٠٣) ، وهو غريب لا يعوّل عليه .

وكانت وقعة أحد يوم السبت من شوّال سنة ثلاث من الهجرة ، قال قتادة[١] : لإحدىٰ عشرة ليلة خلت من شوّال ، وقال عكرمة : يوم السبت للنصف من شوّال ، والله أعلم .

وكان سببها أن المشركين حين قتل من قتل من أشرافهم يوم بدر ، وسلمت العير بما فيها من التجارة التي كانت مع أبي سفيان ، فلما رجع قَفَلُهم إلى مكة قال أبناء من قتل ، ورؤساء من بقي لأبي سفيان : أرصد هذه الأموال لقتال محمد . فأنفقوها في ذلك ، فجمعوا[٢] الجموع والأحابيش ، وأقبلوا في قريب من ثلاثة الآف ، حتىٰ نزلوا قريبًا من أحد ، تلقاء المدينة . فصلىٰ رسول الله ﷺ يوم الجمعة ، فلما فرغ منها ، صلىٰ علىٰ رجل من بني النجار يقال له مالك بن عمرو ، واستشار رسول الله ﷺ الناسَ : أيخرج إليهم أم يمكث بالمدينة ؟ فأشار عبد الله بن أُبَيٍّ بالمقام بالمدينة ، فإن أقاموا أقاموا بشر محبس ، وإن دخلوها قاتلهم الرجال في وجوههم ، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا خائبين . وأشار آخرون من الصحابة ممن لم يشهد بدرًا بالخروج إليهم ، فدخل رسول الله ﷺ فلبس لأمته وخرج عليهم ؛ وقد ندم بعضهم ، وقالوا[٣] : لعلنا استكرهنا رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله ؛ إن شئت أن نمكث ، فقال رسول الله ﷺ « **ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يرجع حتىٰ يحكم الله له** »(٣٠٤) فسار ﷺ في ألف من

---

(٣٠٣) - **إسناده حسن** ، أخرجه ابن جرير الطبري في « تفسيره » (٧/١٦٠ ، ١٦١) رقم (٧٧١٤) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (٢/٥١١) رقم (١٣٨٧) كلاهما عن أبي بكر الحنفي ، ثنا عباد بن منصور قال : سألت الحسن عن قوله : ﴿ **وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين** ﴾ قال : يعني محمد ﷺ يبوئ المؤمنين مقاعد للقتال يوم الأحزاب » .

(٣٠٤) - روى هذا من حديث : جابر بن عبد الله ، ومن حديث ابن عباس .

أما حديث جابر بن عبد الله : فقد أخرجه النسائي في « التعبير » من الكبرى (٤/٣٨٩) رقم (٧٦٤٧) ، والدارمي في « سننه » (٢/٥٥) كتاب الرؤيا ، باب : في القميص والبئر واللبن والعسل والسمن والتمر وغير ذلك في النوم ، حديث (٢١٦٥) وأحمد في « مسنده » (٣/٣٥١) ، وابن الجاورد في « المنتقى » ص (٣٩١) باب : ما جاء في لبس الدرع ، والبيهقي في « السنن (٧/٤١) من طريق حماد عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله به . وفيه : « **ما كان لنبي أن يلبس لأمته ثم يخلعها حتى يقاتل** » .

وأما حديث ابن عباس : فقد أخرجه أحمد في « مسنده » (١/٢٧١) ، والحاكم في « المستدرك » (٢/ ١٢٨ ، ١٢٩) . من طريق ابن أبي الزناد عن أبيه عن عبد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس . وفيه : « **ما ينبغي لنبي أن يضع أداته بعد أن لبسها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه** » . وقال الحاكم : =

---

[١] - سقط من : خ . [٢] - في خ : « وأجمعوا » .

[٣] - في خ : « وقال » .

أصحابه فلما كانوا[١] بالشوط رجع عبد اللّٰه بن أبي [بثلث الجيش][٢] مغضبًا ، لكونه لم يرجع إلىٰ قوله .

وقال هو وأصحابه : لو نعلم اليوم قتالًا لاتبعناكم ، ولكننا لا نراكم تقاتلون اليوم ، واستمر رسول اللّٰه ﷺ سائرًا حتىٰ نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي : وجعل ظهره وعسكره إلىٰ أحد وقال : « **لا يقاتلن أحد حتىٰ نأمره بالقتال** » .

وتهيأ رسول اللّٰه ﷺ ، للقتال وهو في سبعمائة من أصحابه . وأمر علىٰ الرماة عبد اللّٰه ابن جبير أخا بني عمرو بن عوف . والرماة يومئذ خمسون رجلًا ، فقال لهم : « **انضحوا الخيل عنا ولا نؤتين من قبلكم ، والزموا مكانكم إن كانت النوبة لنا أو علينا ، وإن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم** »(٣٠٥) .

وظاهر رسول اللّٰه ﷺ بين درعين . وأعطىٰ اللواء مصعب بن عمير أخا بني عبد الدار . وأجاز رسول اللّٰه ﷺ بعض الغلمان يومئذ . وأرجأ آخرين حتىٰ أمضاهم يوم الخندق بعد هذا اليوم بقريب من سنتين .

= حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » . وعلقه البخاري في « صحيحه » (٣٣٩/١٣) باب : قول اللّٰه تعالى : ﴿ **وأمرهم شورى بينهم** ﴾ قبل حديث (٧٣٦٩) .

وقد وصلها الحافظ في « تغليق التعليق » (٣٣٠/٥ ، ٣٣١) وقال : أما قصة المشاورة يوم أحد فرويناها من طريق ابن عباس ومن طريق جابر . وقال في « الفتح » (٣٤١/١٣) :

وقد وصلها الطبراني وصححها الحاكم من رواية عبد اللّٰه بن وهب ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن عبيد اللّٰه بن عبد اللّٰه بن عتبة ، عن ابن عباس فذكره . وقال : وهذا سند حسن .

وقال - أيضًا - في « هدي الساري » ص (٧٠) وصله أحمد والحاكم والطبراني بتمامه ، والنسائي وابن ماجه مختصرًا من حديث ابن عباس . ورواه أحمد بن حنبل بتمامه عن سريج بن النعمان عن ابن أبي الزناد.

(٣٠٥) - أخرجه أحمد في « مسنده » (٢٨٧/١ ، ٢٨٨) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٣٦٥/١٠) رقم (١٠٧٣١) ، والبيهقي في « الدلائل (٢٦٩/٣) ، والحاكم في المستدرك (٢٩٦/٢ ، ٢٩٧) من حديث ابن عباس مطولًا . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي . وإسناده حسن لكلام في أحد رجال إسناده وفيه : « احموا ظهورنا ، فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا ، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا » .

وأخرجه البخاري في « صحيحه » كتاب الجهاد ، باب : ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب ، حديث (٣٠٣٩) وأطرافه في (٤٠٤٣ ، ٤٠٦٧ ، ٤٥٦١) ، وأبو داود في « سننه » كتاب : الجهاد ، باب : في الكمناء ، حديث (٢٦٦٢) ، وأحمد في « مسنده » (٢٩٣/٤) من حديث البراء بن عازب به .

وفيه : « **إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم ، وإن رأيتمونا هزمنا القوم ووطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم** » .

---

[١] - في خ : « كان » . [٢] - في خ : « ثلث القوم » .

وتهيأت[١] قريش وهم ثلاثة الآف . ومعهم مائتا فرس قد جنبوها . فجعلوا علىٰ ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلىٰ الميسرة عكرمة بن أبي جهل . ودفعوا اللواء إلىٰ بني عبد الدار ، ثم كان بين الفريقين ما سيأتي تفصيله في مواضعه [عند هذه الآيات][٢] إن شاء الله تعالىٰ .

ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال** ﴾ أي : تنزلهم منازلهم ، وتجعلهم ميمنة وميسرة ، وحيث أمرتهم ﴿ **والله سميع عليم** ﴾ أي : سميع لما تقولون ، عليم بضمائركم .

وقد أورد ابن جرير هاهنا سؤالًا حاصله : كيف تقولون : إن النبي ﷺ خرج[٣] إلىٰ أحد يوم الجمعة بعد الصلاة ، وقد قال الله تعالىٰ : ﴿ **وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال** ﴾ الآية ؟ ثم كان جوابه عنه : أن غدوه ليبوأهم مقاعد إنما كان يوم السبت أول النهار .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا** ﴾ الآية ، قال البخاري : حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا سفيان قال : قال عمرو : سمعت جابر بن عبد الله يقول : فينا نزلت : ﴿ **إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا** ﴾ الآية قال : نحن الطائفتان : بنو حارثة وبنو سلمة وما نحب- وقال سفيان مرة-وما يسرني أنها لم تنزل ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿ **والله وليهما** ﴾ (٣٠٦) .

وكذا رواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة به ، وكذا قال غير واحد من السلف : إنهم بنو حارثة وبنو سلمة .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون** ﴾ أي[٤] : في[٥] بدر ، وكان يوم جمعة وافق السابع عشر من شهر رمضان ، من سنة اثنتين من الهجرة ، وهو يوم الفرقان الذي أعز الله فيه الإسلام وأهله ، ودمغ فيه الشرك وخرب

(٣٠٦) - أخرجه البخاري في « صحيحه » كتاب المغازي ، باب : ﴿ **إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون** ﴾ حديث (٤٠٥١) ، وكتاب التفسير ، باب : ﴿ **إذا همت طائفتان منكم أن تفشلا** ﴾ حديث (٤٥٥٨) ، ومسلم في « صحيحه » كتاب : فضائل الصحابة ، حديث ١٧١ - (٢٥٠٥) كلاهما من حديث سفيان بن عيينة عن عَمْرو عن جابر به .

[١] - في خ : « وتعبأت » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٣] - في خ : « سار » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في ز : « يوم » .

محله [وحزبه ، هذا][١] مع قلة عدد المسلمين يومئذ ، فإنهم كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلًا ، فيهم فرسان وسبعون بعيرًا ، والباقون مشاة ليس معهم من العُدَد جميع ما يحتاجون إليه . وكان العدو يومئذ ما بين التسعمائة إلىٰ الألف ، في سوابغ الحديد والبيض والعدة الكاملة والخيول المسومة والحلي الزائد ، فأعز اللَّه رسوله وأظهر وحيه وتنزيله ، وبيض وجه النبي وقبيله وأخزىٰ الشيطان وجيله ، ولهذا قال تعالىٰ ممتنًا علىٰ عباده المؤمنين وحزبه المتقين : ﴿ **ولقد نصركم اللَّه ببدر وأنتم أذلة** ﴾ أي : قليل عددكم ، لتعلموا أن النصر إنما هو من عند اللَّه ، لا بكثرة العَدد والعُدد ، ولهذا قال تعالىٰ في الآية الأخرىٰ : ﴿ **ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئًا** ﴾ إلىٰ ﴿ **غفور رحيم** ﴾ .

وقال الإمام أحمد(٣٠٧) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن سماك ، قال[٢] : سمعت عياضًا الأشعري قال : شهدت اليرموك وعلينا خمسة أمراء : أبو عبيدة ، ويزيد بن أبي سفيان ، وابن حسنة ، وخالد بن الوليد ، وعياض- وليس عياض هذا الذي حدث سماكًا- قال : وقال عمر رضى اللَّه عنه : إذا كان قتالًا فعليكم أبو عبيدة . قال[٣] : فكتبنا إليه أنه : قد جاش إلينا الموت . واستمددناه ؛ فكتب إلينا : إنه قد جاءني كتابكم تستمدونني ، وإني أدلكم علىٰ من هو أعز نصرًا ، وأحصن جندًا ، اللَّه عز وجل فاستنصروه ؛ فإن محمدًا ﷺ قد نصر في[٤] يوم بدر ، في أقل من عدتكم ، فإذا جاءكم كتابي هذا[٥] فقاتلوهم ولا تراجعوني . قال : فقاتلناهم فهزمناهم أربعة فراسخ . قال : وأصبنا أموالًا فتشاورنا ، فأشار علينا عياض أن نعطي عن كل ذي رأس عشرة ، قال : وقال أبو عبيدة : من يراهنني ؟ فقال شاب : أنا إن لم تغضب . قال : فسبقه ، فرأيت عقيصتي أبي عبيدة تنقزان[٦] وهو خلفه علىٰ فرس عُرْيٍ[٧] .

هذا إسناد صحيح ، وقد أخرجه ابن حبان في صحيحه ، من حديث بندار ، عن غندر بنحوه ، واختاره الحافظ الضياء المقدسي في كتابه .

---

(٣٠٧) - **إسناده حسن** ، أخرجه أحمد في « مسنده » (٤٩/١) . وأخرجه ابن حبان في « صحيحه » (١١/ ٨٣ : ٨٥ / الإحسان) رقم (٤٧٦٦) من طريق محمد بن بشار ، عن محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن سماك بن حرب ، عن عياض الأشعري به . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢١٦/٦) وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : ت .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في خ : « سعران » .
[٧] - في خ : « عدي » . وفرس عري : بلا سرج .

وبدر محلة بين مكة والمدينة ، تعرف ببئرها[١] منسوبة إلىٰ رجل حفرها ، يقال له : بدر بن النارين ، قال الشعبي . بدر بئر لرجل يسمىٰ بدرًا .

وقوله : ﴿ **فاتقوا الله لعلكم تشكرون** ﴾ أي : تقومون بطاعته .

إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾

اختلف المفسرون في هذا[٢] الوعد : هل كان يوم بدر أو يوم أحد ؟ علىٰ قولين : (أحدهما) : أن قوله : ﴿ **إذ تقول للمؤمنين** ﴾ متعلق بقوله : ﴿ **ولقد[٣] نصركم الله ببدر** ﴾ ، وروي هذا عن الحسن البصري ، وعامر الشعبي ، والربيع بن أنس وغيرهم ، واختاره ابن جرير .

قال عباد بن منصور عن الحسن في قوله : ﴿ **إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة** ﴾ قال : هذا يوم بدر ، رواه ابن أبي حاتم (٣٠٨) .

ثم قال : حدثنا أبي ، حدثنا موسىٰ بن إسماعيل ، حدثنا وهيب ، حدّثنا[٤] داود ، عن عامر - يعني الشعبي - أن المسلمين بلغهم يوم بدر أن كرز بن جابر يمد المشركين ؛ فشق ذلك عليهم ، فأنزل الله تعالىٰ : ﴿ **ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين** ﴾ إلىٰ قوله ﴿ **مسومين** ﴾ قال : فبلغت كرزًا الهزيمة ، فلم يمد المشركين ، ولم

(٣٠٨) - أخرجه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (٥١٩/٢) رقم (١٣٤٧) . وأخرجه الطبري في « تفسيره » (١٧٤/٧) رقم (٧٧٤٥) من طريق محمد بن سنان ، عن أبي بكر الحنفي ، عن عباد بن منصور به .

[١] - في ت : « بئر » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في خ : « لقد » .
[٤] - في خ : « عن » .

يمد الله[١] المسلمين بالخمسة (٣٠٩) .

وقال الربيع بن أنس : أمد الله المسلمين بألف ثم صاروا ثلاثة آلاف ، ثم صاروا خمسة آلاف .

فإن قيل : فما الجمع بين هذه الآية على هذا القول ، وبين قوله في قصة بدر : ﴿ **إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين** ﴾ إلى قوله ﴿ **إن الله عزيز حكيم** ﴾ ؟ فالجواب : أن التنصيص على الألف هاهنا لا ينافي الثلاثة الآلاف فما فوقها ؛ لقوله : ﴿ **مردفين** ﴾ بمعنى يردفهم غيرهم ، ويتبعهم ألوف أخر مثلهم . وهذا السياق شبيه بهذا السياق في سورة آل عمران ، فالظاهر أن ذلك كان يوم بدر ، كما هو المعروف من أن[٢] قتال الملائكة إنما كان يوم بدر والله أعلم . وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة : أمد الله المسلمين[٣] يوم بدر بخمسة آلاف .

(القول الثاني) : أن هذا الوعد متعلق بقوله : ﴿ **وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال** ﴾ وذلك يوم أحد ؛ وهو قول مجاهد وعكرمة والضحاك والزهري وموسى بن عقبة وغيرهم . لكن قالوا : لم يحصل الإمداد بالخمسة الآلاف ؛ لأن المسلمين فروا يومئذ ، زاد عكرمة : ولا بالثلاثة الآلاف ، لقوله تعالى : ﴿ **بلى إن تصبروا وتتقوا** ﴾ فلم يصبروا ، بل فروا ؛ فلم يمدوا بملك واحد .

وقوله تعالى : ﴿ **بلى إن تصبروا وتتقوا** ﴾ يعني تصبروا على مصابرة عدوكم ، وتتقوني وتطيعوا أمري .

وقوله تعالى : ﴿ **ويأتوكم من فورهم هذا** ﴾ ، قال الحسن وقتادة والربيع والسدّي : أي من وجههم هذا .

وقال مجاهد وعكرمة وأبو صالح : أي من غضبهم هذا . وقال الضحاك : من غضبهم ووجههم . وقال العوفي عن ابن عباس : من سفرهم هذا ؛ ويقال من غضبهم هذا .

وقوله تعالى : ﴿ **يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين** ﴾ أي : معلمين بالسيما .

---

(٣٠٩) - **إسناده صحيح** ، أخرجه ابن أبي حاتم في « تفسيره » : (٥٢٠/٢) رقم (١٣٥٠) . وأخرجه الطبري في « تفسيره » (١٧٤/٧) رقم (٧٧٤٦) من طريق يعقوب ، عن ابن علية ، عن داود بإسناده نحوه . وعزاه السيوطي أيضًا في « الدر » (١٢٣/٢) إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر .

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في خ : « المؤمنين » .

وقال أبو إسحاق السبيعي : عن حارثة بن مضرب ، عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال : كان سيما الملائكة يوم بدر الصوف الأبيض ؛ وكان سيماهم أيضًا في نواصي خيولهم(٣١٠) .

رواه ابن أبي حاتم . ثم قال : حدثنا أبو زرعة ، حدّثنا هدبة بن خالد ، حدّثنا حماد بن سلمة ، عن محمد بن عمرو بن علقمة ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، في هذه الآية : ﴿ **مسوّمين** ﴾ قال : بالعهن الأحمر(٣١١) .

وقال مجاهد : ﴿ **مسوّمين** ﴾ أي : محدقة[١] أعرافها ، معلمة نواصيها بالصوف الأبيض في أذناب الخيل .

وقال العوفي عن ابن عباس ، رضي الله عنه قال : أتت الملائكة محمدًا ﷺ مسوّمين بالصوف فسوّم محمد وأصحابه أنفسهم وخيلهم على سيماهم بالصوف(٣١٢) .

وقال قتادة وعكرمة : ﴿ **مسوّمين** ﴾ أي : بسيما القتال . وقال مكحول : مسوّمين بالعمائم .

وروى[٢] ابن مردويه ، من حديث عبد القدوس بن حبيب ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ في قوله : ﴿ **مسوّمين** ﴾ قال : « **معلمين . وكان سيما الملائكة يوم بدر عمائم سود ، ويوم حنين عمائم حمر** »(٣١٣) .

وروي من حديث حصين بن مخارق ، عن سعيد ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن

---

(٣١٠) - أخرجه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (٥٢٥/٢) رقم (١٣٦٨) . وعزاه السيوطي أيضًا في « الدر » (١٢٥/٢) إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر .

(٣١١) - **إسناده ضعيف** ، في إسناده محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي المدني ، صدوق له أوهام من السادسة روى له الجماعة . « التقريب » . وأخرجه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (٥٢٥/٢ - ٥٢٦) رقم (١٣٦٩) . وعزاه السيوطي أيضًا في « الدر » (١٢٥/٢) إلى ابن المنذر .

(٣١٢) - **إسناده ضعيف** ، أخرجه ابن جرير الطبري في « تفسيره » (١٨٨/٧) رقم (٧٧٨٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٢٧/٢) رقم (١٣٧٣) .

(٣١٣) - **إسناده ضعيف ، لضعف عبد القدوس بن حبيب وهو متروك** . أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٩٣/١١) رقم (١١٤٦٩) من طريق عبد القدوس بن حبيب ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس به . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٣٣٠/٦) وقال : رواه الطراني وفيه عبد القدوس بن حبيب وهو متروك .

---

[١] - في خ : « محذفة » . [٢] - في خ : « وقال » .

عباس قال : لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر (٣١٤) .

وقال ابن[١] إسحاق : حدثني من لا أتهم عن مقسم عن ابن عباس قال : كان سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض ، قد أرسلوها في ظهورهم ، ويوم حنين عمائم حمر . ولم تضرب الملائكة في يوم سوىٰ يوم بدر ، وكانوا يكونون [فيما سواه من الأيام][٢] عددًا ومددًا لا يضربون (٣١٥) .

ثم رواه عن الحسن بن عمارة ، عن الحكم ، عن[٣] مقسم ، عن ابن عباس ، فذكر نحوه (٣١٦) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الأحمسي ، حدثنا وكيع ، حدثنا هشام بن عروة ، عن يحيىٰ بن عباد : أن الزبير رضي الله عنه ، كان عليه يوم بدر عمامة صفراء معتجرًا بها ، فنزلت الملائكة عليهم عمائم صفر (٣١٧) .

---

(٣١٤) - أخرجه ابن جرير الطبري في « تفسيره » (١٧٥/٧) رقم (٧٧٥٠) من طريق الحكم بن عتيبة ، عن مقسم مولى عبد الله بن الحارث ، عن عبد الله بن عباس ، به نحوه . وأخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٦٥/١١ - ١٦٦) رقم (١١٣٧٧) من طريق عبد العزيز بن عمران ، عن أيوب بن ثابت ، عن عطاء ، عن ابن عباس به نحوه .

(٣١٥) - أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٣٨٩/١١) رقم (١٢٠٨٥) من طريق الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس به .

(٣١٦) - أخرجه الطبري في « تفسيره » (١٢٥/٧) رقم (٧٧٥٠) .

(٣١٧) - **إسناده صحيح** ، أخرجه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (٥٢٨/٢) رقم (١٣٧٤) . وأخرجه الطبري في « تفسيره » (١٨٨/٧) رقم (٧٧٨٩) بإسناد حسن ، من طريق الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر ، عن هشام بن عروة قال : نزلت الملائكة يوم بدر على خيل بلق ، عليهم عمائم صفر وكان على الزبير يومئذ عمامة صفراء . وأخرجه الحاكم في « المستدرك » (٣٦١/٣) قال : حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن بالويه ، ثنا محمد بن أحمد بن النضر الأزدي ، ثنا معاويه بن عمرو ، عن أبي إسحاق الفزاري ، عن هشام بن عروة ، عن عباد بن عبد الله بن الزبير قال : كانت على الزبير يوم بدر عمامة صفراء معتجرًا بها فنزلت الملائكة عليهم عمائم صفر .

وأخرجه الطبراني في « الكبير » (١٩٥/١) رقم (٥١٨) قال : حدثنا عبدان بن أحمد ، ثنا أبو كامل الجحدري ، ثنا يوسف بن خالد السمتي ، ثنا الصلت بن دينار ، عن أبي المليح ، عن أبيه نحوه . وقال الهيثمي في « المجمع » (٨٧/٦) : وهو مرسل صحيح الإسناد . وعزاه السيوطي أيضًا في « الدر » (٢/ ١٢٥) إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر .

---

[١] - سقط من : ت . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - في خ : « ابن » .

رواه ابن مردويه ، من طريق هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد اللَّه بن الزبير فذكره .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وما جعله اللَّه إلا بشرىٰ لكم ولتطمئن قلوبكم به** ﴾ أي : وما أنزل اللَّه الملائكة ، وأعلمكم بإنزالهم[١] ، إلا بشارة لكم ، وتطييبًا لقلوبكم ، وتطمينًا ، وإلا فإنما النصر من عند اللَّه ، الذي لو شاء لانتصر من أعدائه بدونكم ، ومن غير احتياج إلىٰ قتالكم لهم ، كما قال تعالىٰ بعد أمره المؤمنين بالقتال : ﴿ **ذلك ولو يشاء اللَّه لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل اللَّه فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم** ﴾ . ولهذا قال هاهنا : ﴿ **وما جعله اللَّه إلا بشرىٰ لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند اللَّه العزيز الحكيم** ﴾ أي : هو ذو العزة التي لا ترام ، والحكمة في قدره والإحكام .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ليقطع طرفًا من الذين كفروا** ﴾ [أي : أمركم بالجهاد لما له في ذلك من الحكمة ، في كل تقدير ، ولهذا ذكر جميع الأقسام الممكنة في الكفار المجاهدين ، فقال : ﴿ **ليقطع طرفًا** ﴾ أي : ليهلك أمة ، من الذين كفروا][٢] ﴿ **أو يكبتهم** ﴾ أي : يخزيهم ويردهم بغيظهم لما لم ينالوا منكم ما أرادوا ولهذا قال : ﴿ **أو يكبتهم فينقلبوا** ﴾ أي : يرجعوا ، ﴿ **خائبين** ﴾ أي : لم يحصلوا علىٰ ما أمّلوا .

ثم اعترض بجملة دلت علىٰ أن الحكم[٣] في الدنيا والآخرة له وحده لا شريك له ، فقال تعالىٰ : ﴿ **ليس لك من الأمر شيء** ﴾ أي : بل الأمر كله إليَّ كما قال تعالىٰ : ﴿ **فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب** ﴾ . وقال : ﴿ **ليس عليك هداهم ولكن اللَّه يهدي من يشاء** ﴾ . [وقال : ﴿ **إنك لا تهدي من أحببت ولكن اللَّه يهدي من يشاء**][٤] ﴾ .

وقال محمد بن إسحاق : في قوله : ﴿ **ليس لك من الأمر شيء** ﴾ أي : ليس لك من الحكم شيء في عبادي ؛ إلا ما أمرتك به فيهم(٣١٨) .

ثم ذكر تعالىٰ بقية الأقسام فقال : ﴿ **أو يتوب عليهم** ﴾ أي : مما هم فيه من الكفر ، فيهديهم بعد الضلالة ، ﴿ **أو يعذبهم** ﴾ أي : في الدنيا والآخرة علىٰ كفرهم وذنوبهم ، ولهذا قال : ﴿ **فإنهم ظالمون** ﴾ أي : يستحقون ذلك .

---

(٣١٨) - سيرة ابن هشام (٣/٦٢٢) . وأخرجه الطبري في « تفسيره » (٧/١٩٥) رقم (٧٨٠٤) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (٢/٥٣٥) رقم (١٣٩١ ، ١٣٩٣ ، ١٣٩٤) عن ابن إسحاق .

---

[١] - في خ : « بإنزالها » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - في ز : « الحكمة » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

وقال البخاري(٣١٩) : حدثنا حبان بن موسىٰ ، أخبرنا عبد اللّٰه ، أخبرنا معمر ، عن الزهري ، حدّثني سالم ، عن أبيه ، أنه سمع رسول اللّٰه ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع ، في الركعة الثانية من الفجر ، يقول[١] : « **اللّهم العن فلانًا وفلانًا** » بعد ما يقول : « **سمع اللّٰه لمن حمده ، ربنا ولك الحمد** » . فأنزل اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **ليس لك من الأمر شيء** ﴾ الآية . وهكذا رواه النسائي من حديث عبد اللّٰه بن المبارك ، وعبد الرزاق كلاهما عن معمر به .

وقال الإِمام أحمد(٣٢٠) : حدثنا أبو النضر ، حدّثنا أبو عقيل - قال أحمد : وهو عبد اللّٰه ابن عقيل ، صالح الحديث ، ثقة قال[٢] : حدثنا عمر بن حمزة ، عن سالم ، عن أبيه قال : سمعت رسول اللّٰه ﷺ يقول : « **اللّهم العن فلانًا وفلانًا**[٣] ، **اللّهم العن الحارث بن**

---

(٣١٩) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **ليس لك من الأمر شيء** ﴾ حديث (٤٥٥٩) وأطرافه (٤٠٦٩ ، ٧٣٤٦) .

والنسائي في التفسير من « الكبرى » (٣١٤/٦) رقم (١١٠٧٥) من طريق عبد الرزاق ، و(١١٠٧٦) من طريق ابن المبارك ، كلاهما عن معمر ، عن الزهري ، عن سالم ، عن أبيه به .

(٣٢٠) - أخرجه أحمد في « مسنده » (٩٣/٢) . وأخرجه الترمذي في « سننه » كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة آل عمران ، حديث (٣٠٠٤) ، والطبري في « تفسيره » (٢٠٠/٧) رقم (٧٨١٩) كلاهما من طريق عمر بن حمزة ، عن سالم ، عن ابن عمر ، به .

وقال الترمذي : « هذا حديث حسن غريب ، يستغرب من حديث عمر بن حمزة ، عن سالم . وكذا رواه الزهري ، عن سالم ، عن أبيه » .

ورواية الزهري عن سالم - التى أشار إليها الترمذي - هي الحديث السابق فانظر إليه .

(٣٢١) - أخرجه أحمد في « مسنده » (١٠٤/٢) . وأخرجه الترمذي في « سننه » كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة آل عمران ، حديث (٣٠٠٥) ، والطبري في « تفسيره » (١٩٩/٧) رقم (٧٨١٨) من طريق يحيى بن حبيب بن عربي البصري ، عن خالد بن الحارث ، عن محمد بن عجلان به .

قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب صحيح يستغرب من هذا الوجه من حديث نافع ، عن ابن عمر ، ورواه يحيى بن أيوب ، عن ابن عجلان .

وأخرجه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (٥٣٥/٢ - ٥٣٦) رقم (١٣٩٢) من طريق عبد اللّٰه بن عبد الوهاب الحجبي ، عن خالد بن الحارث ، عن محمد بن الحارث ، عن محمد بن عجلان به .

وأخرجه أحمد في « مسنده » (١١٨/٢) بنحوه عن هارون بن معروف المروزي ، عن ابن وهب ، عن أسامة ابن زيد ، عن نافع ، عن ابن عمر به .

---

[١] - سقط من : ت . [٢] - سقط من : ت .

[٣] - سقط من : خ .

هشام ، **اللَّهم العن سهيل بن عمرو ، اللَّهم العن صفوان بن أمية** » فنزلت هذه الآية : ﴿ **ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون** ﴾ فتيب عليهم كلهم .

وقال أحمد (٣٢١) : حدثنا أبو معاوية الغلابي ، حدثنا خالد بن الحارث ، حدثنا محمد ابن عجلان ، عن نافع ، عن عبد اللَّه ، أن رسول اللَّه ﷺ كان يدعو علىٰ أربعة قال : فأنزل اللَّه : ﴿ **ليس لك من الأمر شيء** ﴾ إلىٰ آخر الآية . قال : وهداهم اللَّه للإسلام .

[قال البخاري][١] : قال محمد بن عجلان ، عن نافع ، عن ابن عمر ، رضي اللَّه عنهما ، قال : كان رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم يدعو علىٰ رجال من المشركين ، يسميهم بأسمائهم ، حتىٰ أنزل اللَّه تعالىٰ : ﴿ **ليس لك من الأمر شيء** ﴾ الآية .

وقال البخاري أيضًا (٣٢٢) : حدثنا موسىٰ بن إسماعيل ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، وأبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه ، أن رسول اللَّه ﷺ كان إذا أراد أن يدعو علىٰ أحد ، أو يدعو لأحد ؛ قنت بعد الركوع ، وربما قال إذا قال[٢] : « **سمع اللَّه لمن حمده ، ربنا لك الحمد : اللَّهم أنج الوليد بن الوليد ، وسلمة بن هشام[٣] ، وعياش بن أبي[٤] ربيعة ، والمستضعفين من المؤمنين . اللَّهم اشدد وطأتك علىٰ مضر ، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف** » يجهر بذلك . وكان يقول في بعض صلاته في صلاة الفجر : « **اللَّهم العن فلانًا وفلانًا** » لأحياء من أحياء العرب ، حتىٰ أنزل اللَّه عز وجل : ﴿ **ليس لك من الأمر شيء** ﴾ الآية .

وقال البخاري : قال حميد وثابت ، عن أنس بن مالك ، شج النبي ﷺ يوم أحد فقال : « **كيف يفلح قوم شجوا نبيهم ؟** » فنزلت : ﴿ **ليس لك من الأمر شيء** ﴾ (٣٢٣) .

---

(٣٢٢) - أخرجه البخاري في كتاب : المغازي ، باب : ﴿ **ليس لك من الأمر شيء** ﴾ ، حديث (٤٥٦٠) .

(٣٢٣) - أخرجه البخاري تعليقًا في « صحيحه » (٣٦٥/٧) كتاب المغازي ، باب : ﴿ **ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون** ﴾ قبل حديث (٤٠٦٩) .

وحديث حميد وثابت عن أنس وصله الأئمة ؛ أما حديث حميد عن أنس : فقد أخرجه الترمذي في كتاب التفسير ، حديث (٣٠٠٢ ، ٣٠٠٣) ، والنسائي في التفسير من « السنن الكبرى » (٣١٤/٦) رقم (١١٠٧٧) ، وابن ماجه في كتاب الفتن ، حديث (٤٠٢٧) ، وأحمد (٩٩/٣ ، ٢٠٦) ، والطبري في « تفسيره » (١٨٥/٧ ، ١٨٦) رقم (٧٨٠٥ - ٧٨٠٨) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (٥٣٢/٢) رقم (١٣٨٨) والبغوي في « شرح السنة » (٣٣٣/١٣ - ٣٣٤) رقم (٣٧٤٨) ، وابن حبان في « صحيحه » : (٥٣٦/١٤ - الإحسان) رقم (٦٥٧٤) ، كلهم من طرق عن حميد الطويل عن أنس مرفوعًا .=

---

[١] - ما بين المعكوفتين في خ : « و » .

[٢] - سقط من : ت .

[٣] - في خ : « هاشم » .

[٤] - سقط من : ت .

وقد أسند هذا الحديث الذي علقه البخاري في صحيحه .

وقال البخاري في غزوة أحد(٣٢٤) : حدّثنا يحيىٰ بن عبد اللّٰه السلمي ، أخبرنا عبد اللّٰه ، أخبرنا معمر ، عن الزهري ، حدّثني سالم بن عبد اللّٰه ، عن أبيه أنه سمع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول ، إذا رفع رأسه من الركوع ، في الركعة الأخيرة من الفجر : « **اللّٰهم العن فلانًا وفلانًا وفلانًا** » ، بعدما يقول : « **سمع اللّٰه لمن حمده ، ربنا ولك الحمد** » فأنزل اللّٰه : ﴿ **ليس لك من الأمر شيء** ﴾ الآية .

وعن حنظلة بن أبي سفيان قال[١] : سمعت سالم بن عبد اللّٰه قال : كان رسول اللّٰه ﷺ يدعو علىٰ صفوان بن أمية ، وسهيل بن عمرو ، والحارث بن هشام ؛ فنزلت : ﴿ **ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون** ﴾ .

هكذا ذكر هذه الزيادة البخاري معلقة مرسلة ، وقد تقدمت مسندة متصلة في مسند أحمد [٢] آنفًا .

وقال الإمام أحمد(٣٢٥) : حدّثنا هشيم ، حدّثنا حميد ، عن أنس رضي اللّٰه عنه ، أنّ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كسرت رباعيته يوم أحد ، وشج في جبهته[٣] ، حتىٰ سال الدم علىٰ وجهه ، فقال : « **كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم ، وهو يدعوهم إلىٰ ربهم عز**

وأما حديث ثابت عن أنس . فقد أخرجه مسلم في « صحيحه » كتاب الجهاد ، باب : غزوة أحد ، حديث (١٧٩١) ، وأحمد في « مسنده » (٢٥٣/٣ ، ٢٨٨) ، والبيهقي في « دلائل النبوة » (٢٦٢/٣) ، وابن حبان في صحيحه (٥٣٧/١٤ - الإحسان) رقم (٦٥٧٥) . كلهم من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس مرفوعًا بنحوه .

وفي جميع الروايات نزول آية ﴿ **ليس لك من الأمر شيء** ﴾ وقد وجه الحافظ ابن حجر الجمع بين هذه الروايات بقوله في « الفتح » (٢٢٧/٨) : وطريقة « الجمع بينه - أي حديث أنس - وبين حديث ابن عمر أنه ﷺ دعا على المذكورين بعد ذلك في صلاته فنزلت الآية في الأمرين معًا ، فيما وقع له من الأمر المذكور ، وفيما نشأ عنه من الدعاء عليهم ، وذلك كله في أحد ، وبخلاف قصة رعل وذكوان فإنها أجنبية . ويحتمل أن يقال : إن قصتهم كانت عقب ذلك وتأخر نزول الآية ، واللّٰه أعلم » . اهـ .

(٣٢٤) - أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب ﴿ **ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون** ﴾ ، حديث (٤٠٦٩) .

(٣٢٥) - **إسناده صحيح** ، أخرجه أحمد في « مسنده » (٩٩/٣) . وأخرجه مسلم في كتاب : الجهاد ، باب : غزوة أحد ، حديث (١٧٩١) من طريق القعنبي ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس فذكره .

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - بعده في ز ، خ : متصلة .

[٣] - في خ : « وجهه » .

وجل ؟ » . فأنزل اللّٰه تعالى : ﴿ **ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون** ﴾ انفرد به مسلم ، فرواه عن[١] القعنبي ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس فذكره .

وقال ابن جرير (٣٢٦) : حدّثنا ابن حميد ، حدّثنا يحيىٰ بن واضح ، حدّثنا الحسين بن واقد ، عن مطر ، عن قتادة قال : أصيب النبي ﷺ يوم أحد ، وكسرت رباعيته ، وفرق حاجبه ، فوقع وعليه درعان ، والدم يسيل ، فمر به سالم مولىٰ أبي حذيفة ، فأجلسه ، ومسح على[٢] وجهه ، فأفاق ، وهو يقول : « **كيف بقوم فعلوا هذا بنبيهم ، وهو يدعوهم إلىٰ اللّٰه عز وجل ؟** » فأنزل اللّٰه : ﴿ **ليس لك من الأمر شيء** ﴾ الآية . وكذا رواه عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة بنحوه ، ولم يقل : فأفاق .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **وللّٰه ما في السموات وما في الأرض** ﴾ الآية ، أي : الجميع ملك له ، وأهلهما عبيد بين يديه ، ﴿ **يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء** ﴾ أي : هو المتصرف فلا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل ، وهم يسألون ، واللّٰه غفور رحيم .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ
تُفۡلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ
لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ
عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ
وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ
﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ
لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ
يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا
ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾

(٣٢٦) - أخرجه ابن جرير في « تفسيره » (١٩٧/٧) رقم (٧٨١٢) . وأخرجه عبد الرزاق (١٣١/١) عن معمر ، عن قتادة نحوه . ومن طريق عبد الرزاق أخرجه الطبري في « تفسيره » (١٩٨/٧) رقم (٧٨١٥) .

[١] - سقط من : خ . [٢] - في خ : « عن » .

يقول اللَّه تعالىٰ ناهيًا عباده المؤمنين عن تعاطي الربا وأكله أضعافا مضاعفة ، كما كانوا [في الجاهلية يقولون] إذا حل أجل الدين : إما أن تقضي[١] ، وإما أن تربي[٢] . فإن قضاه ؛ وإلا زاده في المدة ، زاده الآخر في القدر ، وهكذا كل عام ، فربما تضاعف القليل حتىٰ يصير كثيرًا مضاعفًا ، وأمر تعالىٰ عباده بالتقوىٰ ؛ لعلهم يفلحون في الأولىٰ و[في][٣] الآخرة ؛ ثم توعدهم بالنار ، وحذرهم منها ، فقال تعالىٰ : ﴿ **واتقوا النار التي أعدت للكافرين وأطيعوا اللَّه والرسول لعلكم ترحمون** ﴾ . ثم ندبهم إلىٰ المبادرة إلىٰ فعل الخيرات والمسارعة إلىٰ نيل القربات ؛ فقال تعالىٰ : ﴿ **وسارعوا إلىٰ مغفرة من ربكم وجنة عرضها السمٰوات والأرض أعدت للمتقين** ﴾ . أي كما أعدت النار للكافرين . وقد قيل : إن معنىٰ قوله : ﴿ عرضها السموات والأرض ﴾ ؛ تنبيه[٤] علىٰ اتساع طولها ، كما قال في صفة فرش[٥] الجنة : ﴿ **بطائنها من إستبرق** ﴾ أي : فما ظنك بالظهائر ، وقيل : بل عرضها كطولها ؛ لأنها قبة تحت العرش ، والشيء المقبّب والمستدير عرضه كطوله ، وقد دل علىٰ ذلك ما ثبت في الصحيح : « **إذا سألتم اللَّه الجنة ؛ فاسألوه الفردوس ، فإنه أعلىٰ الجنة ، وأوسط الجنة ، ومنه تفجر أنهار الجنة ، وسقفها عرش الرحمن** »(٣٢٧) .

وهذه الآية كقوله تعالى في سورة الحديد : ﴿ **سابقوا إلىٰ مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض** ﴾ الآية .

وقد روينا في مسند الإمام أحمد(٣٢٨) : أن هرقل كتب إلىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ؛ إنك دعوتني إلىٰ جنة عرضها السموات والأرض فأين النار ؟ فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « [**سبحان اللَّه**][٦] ؛ **فأين الليل إذا جاء النهار** » .

(٣٢٧) - أخرجه البخاري في « صحيحه » ، كتاب الجهاد ، باب : درجات المجاهدين ، حديث (٢٧٩٠) ، وكتاب التوحيد ، حديث (٧٤٢٣)

(٣٢٨) - أخرجه أحمد في « مسنده » (٣/٤٤١ ، ٤٤٢) من طريق إسحاق بن عيسى ؛ قال : حدثني يحيى ابن سليم ، عن عبد اللَّه بن عثمان بن خثيم ، عن سعيد بن أبي راشد قال : لقيت التنوخي رسول هرقل إلى رسول اللَّه ﷺ ... فذكره مطولًا . وأخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » مختصرًا (١/٢٦٦) ، وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٨/٢٣٧ : ٢٣٩) وقال : رواه عبد اللَّه بن أحمد وأبو يعلى ، ورجال أبي يعلى ثقات ، وكذلك رجال عبد اللَّه بن أحمد .

والحديث أخرجه عبد اللَّه بن أحمد في « زوائده على المسند » (٤/٧٤ ، ٧٥) ، وذكره ابن كثير في =

[١] - في خ : « يقضى » .
[٢] - في خ : « يربى » .
[٣] - سقط من خ .
[٤] - في خ : « تنبيهًا » .
[٥] - سقط من : ت .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

وقد رواه ابن جرير(٣٢٩) ، فقال : حدثني يونس ، قال أنبأنا ابن وهب ، أخبرني مسلم ابن خالد- [عم أبي][١] خثيم - عن سعيد بن أبي راشد ، عن يعلى بن أبى[٢] مرة ، قال : لقيت التنوخي - رسول هرقل إلىٰ رسول الله ﷺ - بحمص شيخًا كبيرًا قد فند ، فقال[٣] : قدمت علىٰ رسول الله ﷺ بكتاب هرقل ، فتناول الصحيفة رجل عن يساره قال : قلت : من صاحبكم الذي يقرأ ؟ قالوا : معاوية ، فإذا كتاب صاحبي : إنك كتبت تدعوني إلىٰ جنة عرضها السمٰوات والأرض [أعدت للمتقين][٤] ، فأين النار ؟ قال : فقال رسول الله ﷺ : « **سبحان الله ! فأين الليل إذا جاء النهار؟!** » .

وقال الأعمش وسفيان الثوري وشعبة عن قيس بن مسلم[٥] عن طارق بن شهاب[٦] : أن أناسًا[٧] من اليهود ، سألوا عمر بن الخطاب عن جنة عرضها السمٰوات والأرض فأين النار ؟ فقال لهم[٨] عمر : أرأيتم إذا جاء [النهار أين الليل ؛ وإذا جاء][٩] الليل أين النهار ، فقالوا[١٠] : لقد نزعت مثلها من التوراة(٣٣٠) .

ورواه ابن جرير من ثلاث[١١] طرق . ثم قال : حدثنا أحمد بن حازم ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا جعفر بن برقان ، أنبأنا يزيد بن الأصم : أن رجلًا من أهل الكتاب قال : يقولون : ﴿ **جنة عرضها السمٰوات والأرض** ﴾ فأين النار ؟ فقال ابن عباس - رضي الله عنه - : أين يكون الليل إذا جاء النهار ؛ وأين يكون[١٢] النهار إذا جاء الليل (٣٣١) ؟

=« البداية والنهاية » (٥/١٩ : ٢١) وقال : هذا حديث غريب ، وإسناده لا بأس به ، تفرد به الإمام أحمد .

(٣٢٩) - أخرجه ابن جرير في « تفسيره » (٢٠٩/٧) رقم (٧٨٣١) .

(٣٣٠) - أخرجه ابن جرير في « تفسيره » (٢١٠/٧ - ٢١١) رقم (٧٨٣٢ ، ٧٨٣٣ ، ٧٨٣٤ ، ٧٨٣٥) من ثلاث طرق عن عمر بن الخطاب به . وذكره السيوطي في « الدر » (١٢٩/٢) وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر .

(٣٣١) - أخرجه ابن جرير في « تفسيره » (٢١٢/٧) رقم (٧٨٣٦) . وذكره السيوطي في « الدر » (٢/ ١٢٩) وعزاه لعبد بن حميد .

[١] - ما بين المعكوفتين في خ : « عن ابن » .
[٢] - سقط من :ت .
[٣] - في خ : « قال » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت.
[٥] - في خ : « سلم » .
[٦] - في خ : « هشام » .
[٧] - في خ : « ناسًا » .
[٨] - سقط من : خ .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .
[١٠] - في خ : « فقال » .
[١١] - في خ : « ثلاثة » .
[١٢] - سقط من : خ .

وقد روي هذا مرفوعًا . فقال البزار : حدثنا محمد بن معمر ، حدثنا المغيرة بن سلمة - أبو هشام[١] - حدثنا عبد الواحد بن زياد ، عن عبيد الله بن عبد الله بن الأصم ، عن عمه - يزيد بن الأصم - عن أبي هريرة قال : جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ فقال : أرأيت قوله تعالىٰ : ﴿ **جنة عرضها السموات والأرض** ﴾ فأين النار ؟ قال : « **أرأيت الليل إذا جاء لبس كل شيء فأين النهار** » ؟قال : حيث شاء الله . قال : « **وكذلك [النار تكون]**[٢] **حيث شاء الله عز وجل** »(٣٣٢) .

وهذا يحتمل معنيين : (أحدهما) : أن يكون المعنىٰ في ذلك أنه لا يلزم من عدم مشاهدتنا الليل إذا جاء النهار ، أن لا يكون في مكان ؛ وإن كنا لا نعلمه : وكذلك [تكون النار][٣] حيث شاء الله عز وجل ، وهذا أظهر ، كما تقدم في حديث أبي هريرة ، عن البزار .

(الثاني) : أن يكون المعنىٰ أن النهار إذا تغشىٰ وجه العالم من هذا الجانب ، فإن الليل يكون من الجانب الآخر ، فكذلك الجنة في أعلىٰ عليين فوق السموات تحت العرش ، وعرضها كما قال الله عز وجل : ﴿ **كعرض السماء**[٤] **والأرض** ﴾ والنار في أسفل سافلين ، فلا تنافي بين كونها كعرض السموات والأرض ، وبين وجود النار ، والله أعلم .

ثم ذكر تعالىٰ وصف[٥] أهل الجنة فقال : ﴿ **الذين ينفقون في السرَّاء والضرَّاء** ﴾ أي : في الشدة والرخاء ، والمنشط والمكره ، والصحة والمرض ، وفي جميع الأحوال[٦] . كما قال : ﴿ **الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرًّا وعلانية** ﴾ والمعنىٰ أنهم لا يشغلهم أمر عن طاعة الله تعالىٰ ، والإنفاق في مراضيه ، والإحسان إلىٰ خلقه من قراباتهم وغيرهم بأنواع البر .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس** ﴾ أي : إذا ثار بهم الغيظ

---

(٣٣٢) - **إسناده صحيح** ، أخرجه البزار كما في كشف الأستار (٢١٩٦) . وأخرجه ابن حبان في « صحيحه » (١/٣٠٦ ، ٣٠٧ - الإحسان) رقم (١٠٣) ، والحاكم في « المستدرك » (١/٣٦) من طريق عبد الواحد بن زياد به . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولا أعلم له علة ، ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٦/٣٣٠) وقال : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح .

---

[١] - في خ : « هاشم » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين في خ : النار تكون .
[٤] - في خ : « السماوات » .
[٥] - في خ : « صفة » .
[٦] - سقط من : خ .

كظموه ، بمعنىٰ كتموه فلم يعملوه ، وعفوا[١] مع ذلك عمن أساء إليهم . وقد ورد في بعض الآثار يقول اللَّه تعالىٰ : « **يا[٢] بن آدم ؛ اذكرني إذا غضبت ، أذكرك إذا غضبت فلا أهلكك فيمن أهلك** » . رواه ابن أبي حاتم .

وقد[٣] قال أبو يعلى في مسنده : حدثنا أبو موسىٰ الزمن ، حدثنا عيسىٰ بن شعيب الضرير -أبو الفضل- حدثني الربيع بن سليمان الجيزي[٤] ، عن أبي عمرو بن أنس بن مالك عن أبيه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **من كف غضبه كف اللَّه عنه عذابه ، ومن خزن لسانه ستر اللَّه عورته ، ومن اعتذر إلىٰ اللَّه قبل اللَّه عذره** »(٣٣٣) . وهذا[٥] حديث غريب وفي إسناده نظر .

وقال الإمام أحمد(٣٣٤) : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا مالك ، عن الزهري ، عن سعيد ابن المسيب ، عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال : « **ليس الشديد بالصُّرَعَة ،**

---

(٣٣٣) - **إسناده ضعيف جدًّا** . أبو عمرو مولى أنس بن مالك مجهول . والربيع بن سليم الأزدي ، قال الأزدي : « منكر الحديث » - في الأصل : الربيع بن سليمان - وقد جاء عند البخاري في « التاريخ الكبير » (٥٥/٨) وابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٤١٠/٩) : « والحديث أخرجه أبو يعلى في « مسنده » (٣٠٢/٧) رقم (٤٣٣٨) قال : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا زيد بن الحباب قال : حدثني الربيع بن سليم ؛ قال : حدثني أبو عمرو مولى أنس بن مالك أنه سمع أنس بن مالك يقول : ... فذكره . وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٣٠١/١٠) وقال : رواه أبو يعلى وفيه الربيع بن سليمان الأزدي وهو ضعيف . وذكره الحافظ ابن حجر في « المطالب العالية » (١٥٢/٣) برقم (٣١٢٥) وعزاه إلى أبي بكر وأبي يعلى . وذكره المنذري في « الترغيب والترهيب » (٥٢٥/٣) وعزاه إلى الطبراني في « الأوسط » وأبو يعلى ، ثم قال : ورواه البيهقي مرفوعًا ، وموقوفًا ولعله الصواب . وأخرجه الطبراني في « المعجم الصغير » (٧٢/٢) من طريق زهير بن عباد ، حدثنا داود بن هلال ، عن هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن أنس قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يخزن لسانه** » . وهذا إسناد فيه داود بن هلال أبو سليمان النصيبي لم يرو عنه غير زهير بن عباد ، ولم يوثقه أحد فهو مجهول . وقال الطبراني : « لم يروه عن هشام بن حسان إلا داود بن هلال . تفرد به زهير بن عباد ». وأخرجه ابن سعد في الطبقات (١٦/٧) من طريق يحيى بن خليق ، حدثنا ابن عون ، عن عطاء الواسطي عن أنس بلفظ : « **لا يتقي اللَّه عبدٌ حتى يخزن لسانه** » . ويحيى بن خليق منكر الحديث .

(٣٣٤) - **صحيح** ، أخرجه أحمد في « مسنده » (٢٣٦/٢) . وأخرجه مالك في الموطأ (٦٩١/٢) كتاب : حسن الخلق ، باب : ما جاء في الغضب ، ومن طريقه أخرجه البخاري في « صحيحه » كتاب : الأدب ، باب : الحذر من الغضب ، حديث (٦١١٤) ، ومسلم في « صحيحه » كتاب : البر ، حديث (٢٦٠٩) كلهم من طريق مالك ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة به .

---

[١] - في خ : « وعفا » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في خ : « الحميري » .
[٥] - في ت : « هذا » .

ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » . وقد رواه الشيخان من حديث مالك .

وقال الإمام أحمد أيضًا (٣٣٥) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم التيمي ، عن الحارث بن سويد ، عن عبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله** » ؟ [قالوا : يا رسول الله ، ما منا من أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه ، قال : « **اعلموا أنه ليس منكم أحد إلا مال وارثه أحب إليه من ماله**][١] . **ما لك من مالك إلا ما قدمت ، ومال وارثك ما**[٢] **أخرت** » . قال : وقال رسول الله ﷺ : « **ما تَعُدُّون [الصرعة فيكم]**[٣] ؟ » [قلنا : الذي لا تصرعه الرجال ، قال : « **لا ، ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب** » . قال : وقال رسول الله ﷺ : ما تَعُدُّون فيكم الرقوب ؟ » . قال :][٤] قلنا : الذي لا ولد له . قال : « **لا ، ولكن الرقوب الذي لا**[٥] **يقدم من ولده شيئًا** » . أخرج البخاري الفصل الأول منه ، وأخرج مسلم أصل هذا الحديث من رواية الأعمش به .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(٣٣٦) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، سمعت عروة ابن عبد الله الجعفي ، يحدث عن أبي حصبة ، أو ابن حصبة ، عن رجل شهد النبي ﷺ يخطب فقال : « **أتدرون**[٦] **ما الرقوب** ؟ » . قالوا : الذي لا ولد له . قال : «

---

(٣٣٥) - أخرجه أحمد في « مسنده » (١/٣٨٢ - ٣٨٣) . والبخاري في « صحيحه » كتاب : الرقاق ، باب : ما قدّم من ماله فهو له ، حديث (٦٤٤٢) من طريق الأعمش ، عن إبراهيم التيمي ، عن الحارث بن سويد ، عن عبد الله قال : قال النبي ﷺ : « **أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله ؟** » قالوا : يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه ، قال : « **فإن ماله ما قدم ، ومال وارثه ما أخر** » .

وأخرجه مسلم في « صحيحه » كتاب : البر والصلة والأداب ، حديث (٢٦٠٨) من طريق الأعمش ، عن إبراهيم التيمي ، عن الحارث بن سويد ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما تعدون الرقوب فيكم** ؟ » قال : قلنا : الذي لا يولد له ، قال : « **ليس ذاك بالرقوب ولكنه الرجل الذي لم يقدم من ولده شيئًا** » قال : « **فما تعدون الصرعة فيكم** ؟ » قال : قلنا : الذي لا يصرعه الرجال ، قال : « **ليس بذلك ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب** » .

(٣٣٦) - قال الحافظ ابن حجر في « تعجيل المنفعة » ص (٤٧٦) رقم (١٢٥٧) أبو حصبة أو ابن حصبة : مجهول ، وضبطه الحسيني بمهملتين وموحدة ، ورأيته في ترتيب المسند لابن المحب كذلك لكن بنون وتصغير ، ولم يذكره الحاكم أبو أحمد لا هنا ولا هنا ، وهو من أفراد الحاكم .

والحديث أخرجه أحمد في « مسنده » (٥/٣٦٧) ، وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٣/١٤) وقال : رواه أحمد وفيه أبو حصنة أو ابن حصنة قال الحسيني : مجهول وبقية ورجاله ثقات . =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - في خ : « إلا » .
[٣] - في خ : « فيكم الصرعة » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في خ : « تدرون » .

الرقوب كل الرقوب الذي له ولد فمات ولم يقدم منهم شيئًا » . قال : « **أتدرون ما الصعلوك** » ؟ قالوا : الذي ليس له مال ، قال النبي ﷺ : « **الصعلوك كل الصعلوك ، الذي له مال فمات ، ولم يقدم منه شيئًا** » . قال : ثم قال النبي ﷺ : « **ما الصرعة ؟** » قالوا : الصريع [الذي لا تصرعه الرجال][١] ، فقال النبي[٢] ﷺ : « **الصرعة [كل الصرعة][٣] ، الذي يغضب فيشتد غضبه ، ويحمر وجهه ، ويقشعر شعره ؛ فيصرع غضبه** » .

(حديث آخر) . قال الإمام أحمد(٣٣٧) : حدثنا ابن نمير ، حدثنا هشام - هو ابن عروة - عن أبيه ، عن الأحنف بن قيس ، عن عم له يقال له جارية[٤] بن قدامة السعدي ، أنه سأل رسول اللَّه ﷺ فقال : يا رسول اللَّه ؛ قل لي قولًا ينفعني ، وأقلل عليّ لعلي أعيه . فقال رسول اللَّه ﷺ : « **لا تغضب** » . فأعاد عليه ، حتىٰ أعاد عليه مرارًا ، كل ذلك يقول : « **لا تغضب** » .

وهكذا رواه عن أبي معاوية ، عن هشام به . ورواه أيضًا[٥] عن يحيىٰ بن سعيد القطان ، عن هشام به : أن رجلًا قال : يا رسول اللَّه قل لي قولًا ، وأقلل علي لعلي أعقله ، فقال : « **لا تغضب** » . الحديث انفرد به أحمد .

(حديث آخر) : قال أحمد (٣٣٨) : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر ، عن الزهري ، عن

=وذكره كذلك في « المجمع » (٧٢/٣) وقال : رواه أحمد وفيه أبو حصبة أو ابن حصبة ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات .

(٣٣٧) - **إسناده صحيح** ، أخرجه أحمد في « مسنده » (٣٤/٥) . والطبراني في « المعجم الكبير » (٢/ ٢٦١ ، ٢٦٢) رقم (٢٠٩٣ - ٣٠٩٨) وفي « الأوسط » (٢٧٧/٧) رقم (٧٤٩١) ، وأبو يعلى في « مسنده » (٢٢٦/١٢) رقم (٦٨٣٨) .

وذكره الهيثمي في « المجمع » (٧١/٨) وقال : رواه أحمد والطبراني في الأوسط : إلا أنه قال : عن الأحنف ابن قيس ، عن عمه - وعمه جارية بن قدامة - أنه قال : يا رسول اللَّه ! قل لي قولًا ينفعني اللَّه به ، فذكر نحوه .

ورواه في الكبير كذلك ، وفي رواية عنده : عن جارية بن قدامة ؛ أن عمه أتى النبي ﷺ فذكره نحوه ، وفي رواية : عن جارية بن قدامة عن ابن عم له قال : قلت : يا رسول اللَّه ... ، ورجال أحمد رجال الصحيح ، ورواه أبو يعلى إلا أنه قال : عن جارية بن قدامة ، أخبرني عم أبي أنه قال النبي ﷺ ... فذكر نحوه ، ورجاله رجال الصحيح .

(٣٣٨) - أخرجه أحمد في « مسنده » (٣٧٣/٥) . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٧١/٨) وقال : =

---

[١] - في خ : « قال » .
[٢] - زيادة من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - في خ : « حارثة » .
[٥] - سقط من : خ .

حميد بن عبد الرحمن ، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال : قال رجل : يا رسول الله ؛ أوصني . قال : « **لا تغضب** » قال الرجل : ففكرت حين قال النبي ﷺ ما قال ؛ فإذا الغضب يجمع الشر كله . انفرد به أحمد .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا داود بن أبي هند ، عن أبي[١] حرب بن أبي الأسود ، عن أبي الأسود ، عن أبي ذر رضي الله عنه قال : كان يسقي على حوض له ، فجاء قوم فقالوا : أيكم يورد على أبي ذر ، ويحتسب[٢] شعرات من رأسه ؟ فقال رجل : أنا ؛ فجاء الرجل ، فأورد عليه[٣] الحوض ، فدقه ، وكان أبو ذر قائمًا ، فجلس ، ثم اضطجع ، فقيل له : يا أبا ذر ، لما جلست ثم اضطجعت ؟ فقال : إن رسول الله ﷺ قال لنا : « **إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس ، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع** » (٣٣٩) .

ورواه أبو داود ، عن أحمد بن حنبل بإسناده ، إلا أنه وقع في روايته : عن أبي حرب ، عن أبي ذر . والصحيح أبي حرب ، عن أبيه ، عن أبي ذر ، كما رواه عبد الله بن أحمد ، عن أبيه .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد (٣٤٠) : حدثنا إبراهيم بن خالد ، حدثنا أبو وائل الصنعاني ، قال : كنّا جلوسًا عند عروة بن محمد ؛ إذ دخل عليه رجل ، فكلمه بكلام أغضبه ، فلما أغضبه قام ثم عاد إلينا ، وقد توضأ فقال : حدثني أبي ، عن جدي عطية - هو ابن سعد السعدي ، وقد كانت له صحبة- قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خلق من النار ، وإنما تطفأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم**

= رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(٣٣٩) - **حديث صحيح** ، أخرجه أحمد في « مسنده » (١٥٢/٥) . ومن طريقه أبو داود في كتاب : الأدب ، باب : ما يقال عند الغضب ، حديث (٤٧٨٢) . وحديث (٤٧٨٣) من طريق وهب بن بقية ، عن خالد ، عن داود ، عن بكر أن النبي ﷺ بعث أبا ذر بهذا الحديث ، قال أبو داود : وهذا أصح الحديثين. وصححه الشيخ الألباني - حفظه الله - كما في صحيح أبي داود (٩٠٨/٣) رقم (٤٠٠٠ ، ٤٠٠١) وانظر المشكاة (٥١١٤) .

(٣٤٠) - **إسناده ضعيف** ، أخرجه أحمد في « مسنده » (٢٢٦/٤) . وأبو داود في كتاب : الأدب ، باب : ما يقال عند الغضب ، حديث (٤٧٨٤) ، من طريق إبراهيم بن خالد الصنعاني ، عن أبي وائل القاص به . ومن طريق أحمد رواه الطبراني في « الكبير » (١٦٧/١٧) حديث (٤٤٣) . وضعفه الشيخ الألباني في « السلسلة الضعيفة » (٥١/٢) حديث (٥٨٢) .

---

[١] - سقط من : خ . [٢] - في خ : « ويحسب » .

[٣] - في ت : « على » .

فليتوضأ » .

وهكذا رواه أبو داود ، من حديث إبراهيم بن خالد الصنعاني ، عن أبي وائل القاص المرادي الصنعاني . قال أبو داود : أراه عبد الله بن بحير .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(٣٤١) : حدثنا عبد الله بن يزيد ، حدثنا نوح بن جعونة السلمي ، عن مقاتل بن حيان ، عن عطاء ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **من أنظر معسرًا أو وضع له وقاه الله من فيح جهنم ألا إن عمل الجنة حزن بربوة** » ثلاثًا ، «**ألا إن عمل النار سهل بسهوة**[١] ، **والسعيد من وقي الفتن ، وما من جرعة أحب إلى الله من جرعة غيظ يكظمها عبد ، ما كظمها**[٢] **عبد لله إلا ملأ الله جوفه إيمانًا** » . انفرد به أحمد ، وإسناده حسن ، ليس فيه مجروح ، ومتنه حسن .

(حديث آخر في معناه) : قال أبو داود(٣٤٢) : حدثنا عقبة بن مكرم ، حدثنا عبد الرحمن - يعني ابن مهدي - عن بشر - يعني ابن منصور - عن محمد بن عجلان ، عن سويد ابن وهب ، عن رجل من أبناء أصحاب النبي ﷺ عن أبيه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **من كظم غيظًا ؛ وهو يقدر**[٣] **على أن ينفذه ؛ ملأ**[٤] **الله جوفه**[٥] **أمنًا وإيمانًا ، ومن ترك لبس ثوب جمال وهو قادر**[٦] **عليه- قال بشر : أحسبه قال : تواضعًا - كساه الله [حلة الكرامة ، ومن روج لله كساه الله]**[٧] **تاج الملك** » .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(٣٤٣) : حدثنا عبد الله بن يزيد ، قال[٨] : حدثنا سعيد ، حدثني أبو مرحوم ، عن سهل بن معاذ بن أنس ، عن أبيه ؛ أن رسول الله

(٣٤١) - أخرجه أحمد في « مسنده » (٣٢٧/١) .

(٣٤٢) - **ضعيف** ، أخرجه أبو داود في كتاب : الأدب ، باب : من كظم غيظًا ، حديث (٤٧٧٨) وضعفه الشيخ الألباني كما في ضعيف سنن أبي داود (١٠٢٣) ، وانظر المشكاه (٥٠٨٩) .

(٣٤٣) - **صحيح - إسناده حسن** ، أخرجه أحمد في « مسنده » (٤٤٠/٣) . وأبو داود في كتاب : الأدب ، باب : من كظم غيظًا ، حديث (٤٧٧٧) ، والترمذي في كتاب : البر والصلة ، حديث (٢٠٢١) ، وكتاب : صفة القيامة ، باب (٤٨) ، حديث (٢٤٩٣) ، وابن ماجة في كتاب : الزهد ، باب : الحلم ، حديث (٤١٨٦) ، كلهم من طريق سعيد بن أبي أيوب به . وصححه الشيخ الألباني كما في صحيح سنن أبي داود (٩٠٧/٣ ، ٩٠٨) رقم (٣٩٩٧) والمشكاة (٥٠٨٨) .

[١] - في خ : « بشهوة » .
[٢] - في خ : « كظم » .
[٣] - في خ : « قادر » .
[٤] - في خ : « ملأه » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في خ : « يقدر » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٨] - سقط من : خ .

صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **من كظم غيظًا ؛ وهو قادر علىٰ أن ينفذه ، دعاه اللَّه علىٰ رءوس الخلائق حتىٰ يخيره من أي الحور شاء** » .

ورواه أبو داود [والترمذي وابن ماجة من حديث سعيد بن أبي أيوب به][١] ، وقال الترمذي : حسن غريب .

(حديث آخر) قال عبد الرزاق(٣٤٤) : أنبأنا داود بن قيس ، عن زيد بن أسلم ، عن رجل من أهل الشام ، يقال له عبد الجليل ، عن عم له ، عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه في قوله تعالىٰ : ﴿ **والكاظمين الغيظ** ﴾ ، أن النبي ﷺ قال : « **من كظم غيظًا وهو يقدر علىٰ إنفاذه ؛ ملأ[٢] اللَّه جوفه[٣] أمنًا وإيمانًا** » . رواه ابن جرير .

(حديث آخر) قال ابن مَرْدُويه : حدثنا أحمد بن محمد بن زياد ، أنبأنا يحيىٰ بن أبي طالب ، أنبأنا علي بن عاصم ، أخبرني يونس بن عبيد ، عن الحسن ، عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **ما تجرع عبد من جرعة أفضل أجرًا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه اللَّه** »(٣٤٥) . [رواه ابن جرير][٤] .

وكذا رواه ابن ماجة ، عن بشر بن عمر ، عن حماد بن سلمة ، عن يونس بن عبيد به .

فقوله تعالىٰ : ﴿ **والكاظمين الغيظ** ﴾ أي : لا يعملون[٥] غضبهم في الناس ، بل يكفون عنهم شرهم ، ويحتسبون ذلك عند اللَّه عزَّ وجلَّ .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **والعافين عن الناس** ﴾ أي : مع كف الشر ، يعفون عمن ظلمهم في

---

(٣٤٤) - **إسناده ضعيف** لجهالة اثنين من رواته وهما : عبد الجليل وعمه .
والحديث أخرجه الطبري في « تفسيره » (٢١٦/٧) رقم (٧٨٤٢) ، والبخاري في « التاريخ » (١٢٣/٦) رقم (١٩٠٩) والعقيلي في « الضعفاء » (١٠٢/٣ - ١٠٣) رقم (١٠٧٦) . من طريق عبد الرزاق ، عن داود بن قيس ، عن زيد بن أسلم ، عن رجل يقال له : عبد الجليل ، عن عم له ، عن أبي هريرة به . وضعفه الشيخ الألباني - كما في « السلسلة الضعيفة » (٣٨٥/٤) رقم (١٩١٢) .

(٣٤٥) - **صحيح** ، أخرجه ابن ماجه في « سننه » كتاب : الزهد ، باب : الحلم ، حديث (٤١٨٩) من طريق بشر بن عمر ، عن حماد بن سلمة ، وأخرجه أحمد في « مسنده » (١٢٨/٢) من طريق علي بن عاصم - كلاهما - عن يونس بن عبيد ، عن الحسن ، عن ابن عمر به . وصححه الشيخ الألباني كما في صحيح سنن ابن ماجه (٤٠٧/٢) رقم (٣٣٧٧) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - في خ : « ملأه » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - في خ : « يعلمون » .

أنفسهم ، فلا يبقى في أنفسهم موجدة على أحد ، وهذا أكمل الأحوال ؛ ولهذا قال : ﴿ **والله يحب المحسنين** ﴾ فهذا من مقامات الإحسان .

وفي الحديث : « **ثلاث أقسم عليهن : ما نقص مال من صدقة ، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا ، ومن تواضع لله رفعه الله** »(٣٤٦) .

وروى الحاكم في مستدركه من حديث موسى بن عقبة ، عن إسحاق بن يحيى بن طلحة القرشي ، عن عبادة بن الصامت ، عن أبي بن كعب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **من سرَّهُ أن يشرف له البنيان ، وترفع له الدرجات ؛ فليعف عمن ظلمه ، ويعط من حرمه ، ويصل من قطعه** »(٣٤٧) . ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وقد أورده ابن مردُويه من حديث علي وكعب بن عجرة ، وأبي هريرة وأم سلمة رضي الله عنهم بنحو ذلك ، وروي من طريق الضحاك ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا كان يوم القيامة نادى مناد يقول : أين العافون عن الناس ؛ هلموا إلى ربكم ، وخذوا أجوركم ، وحق على كل امرئ مسلم إذا عفا أن يدخل الجنة** ».

وقوله تعالى : ﴿ **والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم** ﴾ أي : إذا صدر منهم ذنب أتبعوه بالتوبة والاستغفار .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا همام بن يحيى ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن عبد الرحمن بن أبي عمرة ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي

---

(٣٤٦) - أخرجه مسلم في « صحيحه » كتاب البر والصلة ، حديث (٢٥٨٨) .

(٣٤٧) - **إسناده ضعيف - لضعف أبي أمية بن يعلى الثقفي** ، ضعفه الدارقطني ، وقال ابن حبان : لا تحل الرواية عنه إلا للخواص ، روى عن هشام بن عروة وأبي الزناد ، وعنه الصلت بن مسعود وغيره .

وانظر ترجمته في : « الميزان » (١٦٧/٦) رقم (٩٩٧٣) ، و« لسان الميزان » (١٣/٧) رقم (٧٣) ، و« المغني في الضعفاء » (٧٧١/٢) رقم (٧٣١١) .

والحديث أخرجه الحاكم في « المستدرك » : (٢٩٥/٢) من طريق أبي أمية بن يعلى الثقفي ، عن موسى بن عقبة به .

ومن هذا الطريق أيضًا : أخرجه الطبراني في « الكبير » (١٩٩/١) رقم (٥٣٤) وفي « الأوسط » (٨٨/٣) رقم (٢٥٧٩) . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وتعقبه الذهبي فقال : أبو أمية ضعفه الدارقطني وإسحاق لم يدرك عبادة . وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٩٢/٨) وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، وفيه أبو أمية بن يعلى وهو ضعيف .

ﷺ قال : « إن رجلًا أذنب ذنبًا ، فقال : رب ؛ إني أذنبت ذنبًا فاغفره لي[١] ، فقال [الله عز وجل][٢] : عبدي عمل ذنبًا ؛ فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب ، ويأخذ به ، قد غفرت لعبدي . ثم عمل ذنبًا آخر ، فقال : رب ، إني عملت ذنبًا فاغفره لي[٣] ، فقال تبارك وتعالىٰ : علم عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب ، ويأخذ به ، قد غفرت لعبدي . ثم عمل ذنبًا آخر فقال : رب ؛ إني عملت ذنبًا فاغفره لي ، فقال عز وجل : علم عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب ، ويأخذ به ، قد غفرت لعبدي . ثم عمل ذنبًا آخر ، فقال : رب ؛ إني عملت ذنبًا فاغفره . فقال عز وجل : عبدي علم أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به ، أشهدكم أني قد غفرت لعبدي ؛ فليعمل ما شاء »(٣٤٨) . أخرجاه في الصحيح من حديث إسحاق بن أبي طلحة بنحوه .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر وأبو عامر قالا : حدثنا زهير ، حدثنا سعد الطائي ، حدثنا أبو المدله - مولىٰ أم المؤمنين - سمع أبا هريرة قلنا : يا رسول اللَّه ؛ إذا رأيناك رقَّتْ قلوبنا ، وكنَّا من أهل الآخرة ، وإذا فارقناك أعجَبتْنا الدنيا وشممنا النساءَ والأولاد . فقال : « لو أنكم تكونون علىٰ كل حال ، علىٰ الحال التي أنتم عليها عندي ؛ لصافحتكم الملائكة بأكفِّهم ، ولزارتكم في بيوتكم ، ولو لم تذنبوا لجاء اللَّه بقوم يذنبون ؛ كي يغفر لهم » . قلنا : يا رسول اللَّه ؛ حدثنا عن الجنة ؛ ما بناؤها ؟ قال : « لبنة ذهب ولبنة فضة ، وملاطها المسك الأذفر ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران ، من يدخلها ينعم ولا[٤] ييأس ، ويخلد لا يموت ، لا تبلىٰ ثيابه ، ولا يفنىٰ شبابه ، ثلاثة لا ترد دعوتهم : الإمام العادل ، والصائم حتىٰ يفطر ، ودعوة المظلوم تحمل علىٰ الغمام ، وتفتح لها أبواب السماء ، ويقول الرب : وعزتي لأنصرنك ؛ ولو بعد حين »(٣٤٩) .

ورواه الترمذي وابن ماجة من وجه آخر ، [من حديث][٥] سعد به .

ويتأكد الوضوء ، وصلاة ركعتين عند التوبة ؛ لما رواه الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا

(٣٤٨) - أخرجه أحمد في « مسنده » (٢/٢٩٦) . وأخرجه البخاري في « صحيحه » كتاب : التوحيد ، باب : قول اللَّه تعالى : ﴿ يريدون أن يبدلوا كلام اللَّه ﴾ ، حديث (٧٥٠٧) ، ومسلم في « صحيحه » كتاب : التوبة ، حديث (٢٧٥٨) من طرق عن إسحاق بن عبد اللَّه بن أبي طلحة به .

(٣٤٩) - أخرجه أحمد في « مسنده » (٢/٣٠٤ ، ٣٠٥) . وأخرجه الترمذي في « سننه » كتاب : الدعوات ، باب : في العفو والعافية ، حديث (٣٥٩٨) ، وابن ماجه في « سننه » كتاب : الصيام ، باب : في الصائم لا ترد دعوته ، حديث (١٧٥٢) من طريق سعدان الجهني ، عن سعد به . وقال الترمذي : هذا حديث حسن .

[١] - في خ : « وقال » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في خ : « تبارك وتعالى » .
[٤] - في خ : « لا » .
[٥] - في خ : « عن » .

وكيع ، حدثنا مسعر ، وسفيان هو[١] الثوري ، عن عثمان بن المغيرة الثقفي ، عن علي بن ربيعة ، عن أسماء بن الحكم الفزاري ، عن علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه قال : كنت إذا سمعت من رسول اللَّه ﷺ حديثًا ؛ نفعني اللَّه بما شاء منه . وإذا حدثني [عنه غيره استحلفته ؛ فإذا حلف لي صدّقته ، وإن أبا بكر رضي اللَّه عنه حدثني][٢] ، وصدق أبو بكر : أنه سمع رسول اللَّه ﷺ قال : « **ما من رجل يذنب ذنبًا فيتوضأ فيحسن الوضوء- قال مسعر : فيصلي . وقال سفيان : ثم - يصلي ركعتين ، فيستغفر اللَّه عزَّ وجلَّ إلا غفر له** »(٣٥٠) .

وهكذا[٣] رواه علي بن المديني والحميدي ، وأبو بكر بن أبي شيبة ، وأهل السنن ، وابن حبان في صحيحه ، والبزار ، والدارقطني من طرق ، عن عثمان بن المغيرة به . وقال الترمذي : هو حديث حسن . وقد ذكرنا طرقه ، والكلام عليه مستقصى في مسند أبي بكر الصديق رضي اللَّه عنه وبالجملة فهو حديث حسن ، وهو من رواية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عن خليفة النبي ﷺ أبي بكر الصديق - رضي اللَّه عنهما - ومما يشهد بصحة الحديث ، ماروواه مسلم في صحيحه ، عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي اللَّه عنه - عن النبي ﷺ قال : « **ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ- أو فيسبغ- الوضوء ، ثم يقول :**

(٣٥٠) - **إسناده حسن** ، أخرجه أحمد في « مسنده » (٢/١ و ٩،٨) ، وأبو داود في كتاب الصلاة ، باب : في الاستغفار ، حديث (١٥٢١) ، والترمذي في كتاب : الصلاة ، باب : ما جاء في الصلاة عند التوبة ، حديث (٤٠٦) ، وفي التفسير ، باب : ومن سورة آل عمران ، حديث (٣٠٠٦) ، والنسائي في التفسير من « الكبرى » (٣١٥/٦) رقم (١١٠٧٨) وعمل اليوم والليلة ص (٣١٥ : ٣١٧) ، وابن ماجه في كتاب : الإقامة ، باب : ما جاء في أن الصلاة كفارة ، حديث (١٣٩٥) ، والطيالسي في « مسنده » (ص ١) حديث (٢،١) ، والبغوي في « شرح السنة » (١٥١/٤ ، ١٥٢) رقم (١٠١٥) ، والحميدي في « مسنده » (٢/١ ، ٤) ، والطبري في « تفسيره » (٢٢٠/٧ ، ٢٢١) رقم (٧٨٥٣) و(٧٨٥٤) ، وابن حبان في « صحيحه » (٣٨٩/٢ ، ٣٩٠ - الإحسان) رقم (٦٢٣) ، وابن أبي شيبة في « مصنفه » (٣٨٧/٢) ، و البزار برقم (٨) ، والعلل للدارقطني برقم (٨) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (٥٥٣/٢) رقم (١٤٥٥) . كلهم من طرق عن عثمان بن المغيرة بهذا الإسناد .

قال الترمذي : حديث علي حديث حسن ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث عثمان بن المغيرة .

وروى عنه شعبة وغير واحد فرفعوه مثل حديث أبي عوانة ، ورواه سفيان الثوري ومسعر فأوقفاه ولم يرفعاه إلى النبي - صلى اللَّه عليه وسلم .

وقد روى عن مسعر هذا الحديث مرفوعًا أيضًا ، ولا نعرف لأسماء بن الحكم حديثًا مرفوعًا إلا هذا .

وأخرجه الحميدي في « مسنده » (٤/١ ، ٥) رقم (٥) ، والطبري في « تفسيره » (٢٢٢/٧) رقم (٧٨٥٥).

[١] - سقط من : ت .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٣] - في خ : « وكذا » .

أشهد ألّا إله إلا اللّه وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ؛ إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية ؛ يدخل من أيها شاء »(٣٥١) .

وفي الصحيحين عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، رضي اللّه عنه ، أنه توضأ لهم وضوء النبي ﷺ ، ثم قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « **من توضأ نحو وضوئي هذا ، ثم صلىٰ ركعتين ، لا يحدّث فيهما نفسه ، غفر له ما تقدم من ذنبه** »(٣٥٢) .

فقد ثبت هذا الحديث ، من رواية الأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين ، عن سيد الأولين[١] والآخرين ، [ورسول رب العالمين][٢] ، كما دل عليه الكتاب المبين ، من أن الاستغفار من الذنب ينفع العاصين .

و[٣] قال عبد الرزاق : أنبأنا جعفر بن سليمان ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك - رضي اللّه عنه - قال : بلغني أن إبليس حين نزلت [هذه الآية][٤] : ﴿ **والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا اللّه فاستغفروا لذنوبهم** ﴾ . الآية - بكىٰ(٣٥٣) .

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا محرز بن عون ، حدثنا عثمان بن مطر ، حدثنا عبد الغفور ، عن أبي نُصيرة[٥] ، عن أبي رجاء ، عن أبي بكر رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ قال : « **عليكم بلا إله إلا اللّه ، والاستغفار ، فأكثروا منهما ؛ فإن إبليس قال : أهلكت الناس بالذنوب ، وأهلكوني بلا إله إلا اللّه والاستغفار ، فلما رأيت ذلك ، أهلكتهم بالأهواء ، فهم يحسبون أنهم مهتدون** »(٣٥٤) . عثمان بن مطر وشيخه ضعيفان .

---

(٣٥١) - أخرجه مسلم في كتاب : الطهارة ، حديث (٢٣٤) من حديث عقبة بن عامر الجهني.

(٣٥٢) - أخرجه البخاري في كتاب : الوضوء ، باب : الوضوء ثلاثًا ثلاثًا ، حديث (١٥٩) (١٦٠) ، وأطرافه : حديث (١٦٤) ، و(١٩٣٤) ، و(٦٤٣٣) ، ومسلم في « صحيحه » كتاب : الطهارة ، حديث (٢٢٦) ، وحديث (٢٣٢) من حديث عثمان بن عفان .

(٣٥٣) - أخرجه عبد الرزاق في « تفسيره » (١٣٧/١) ومن طريقه أخرجه ابن جرير الطبري في « تفسيره » (٢٢٠/٧) رقم (٧٨٥٢) . وذكره السيوطي في « الدر » (١٣٧/٢) وعزاه إلى عبد بن حميد .

(٣٥٤) - **إسناده ضعيف** - لضعف عثمان بن مطر ، وشيخه عبد الغفور بن عبد العزيز الواسطي ؛ قال يحيى ابن معين : ليس حديثه بشيء ، وقال ابن حبان : كان ممن يضع الحديث ، وقال البخاري : تركوه ، وقال ابن عدي : ضعيف منكر الحديث . وأبو نُصيرة هو الواسطي واسمه مسلم بن عبيد . وأبو رجاء مولى لأبي بكر ، قال الحافظ : مجهول .

والحديث أخرجه أبو يعلى في « مسنده » (١٢٣/١ ، ١٢٤) رقم (١٣٦) وذكره الهيثمي في =

---

[١] - في خ : « المرسلين » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - في خ : « وقد » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٥] - في خ : « نضرة » .

وروىٰ الإمام أحمد في مسنده من طريق عمرو بن أبي عمرو ، وأبي الهيثم العتواري ، عن أبي سعيد ، عن النبي ﷺ قال : « **قال إبليس : يا رب ؛ وعزتك لا أزال [تأغوي عبادك]**[١] **، ما دامت أرواحهم في أجسادهم . فقال الله تعالىٰ**[٢] **: وعزتي وجلالي ؛ لا أزال أغفر لهم ما استغفروني** »(٣٥٥) .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا محمد بن المثنىٰ ، حدثنا عمر بن أبي[٣] خليفة ، سمعت أبا بدر يحدث عن ثابت ، عن أنس ، قال : جاء رجل فقال : يا رسول الله إني أذنبت ذنبًا ، فقال رسول الله ﷺ : « **إذا أذنبت فاستغفر ربك** » . [قال : فإني أستغفر ثم أعود فأذنب . قال : « **فإذا أذنبت فعد فاستغفر ربك** »][٤] فقالها في الرابعة ، فقال . « **استغفر ربك حتىٰ يكون الشيطان هو المحسور** »(٣٥٦) . وهذا حديث غريب من هذا الوجه .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ومن يغفر الذنوب إلا الله** ﴾ أي : لايغفرها أحد سواه . كما قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن مصعب ، حدثنا سلام بن مسكين ، والمبارك عن [الحسن ، عن][٥] الأسود بن سريع ، أن النبي ﷺ أتي بأسير فقال : اللّٰهم ؛ إني أتوب إليك ، ولا

= « مجمع الزوائد (١٠/٢١٠) وقال : رواه أبو يعلى وفيه عثمان بن مطر وهو ضعيف .

(٣٥٥) - **إسناده ضعيف** ، أخرجه أحمد في « مسنده » (٢٩/٣ ، ٧٦) ، وأبو يعلى (٢/٥٣٠) رقم (١٣٩٩) ، وعبد بن حميد في « المنتخب » ص (٢٩٠) رقم (٩٣٢) ، والبغوي في شرح السنة (٧٦/٥ ، ٧٧) رقم (١٢٩٣) ، والبيهقي في الأسماء والصفات ص (١٣٣ - ١٣٤) ، والحاكم في « المستدرك » (٢٦١/٤) . من طرق عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري .

وأخرجه أحمد في « مسنده » (٢٩/٣ ، ٤١) ، وأبو يعلى (٤٥٨/٢) رقم (١٢٧٣) ، والطبراني في « الأوسط » (٣٣٣/٨) رقم (٨٧٨٨) من طريق الليث بن سعد ، عن يزيد بن الهاد ، عن عمرو بن أبي عمرو ، عن أبي سعيد به نحوه .

قال الشيخ الألباني - حفظه الله - في « السلسلة الصحيحة » (١٦٤/١) رقم (١٠٤) : « هذا إسناد رجاله ثقات رجال الشيخين لكنه منقطع بين عمرو - وهو ابن أبي عمرو مولى المطلب - وبين أبي سعيد الخدري ؛ فإنهم لم يذكروا لعمرو رواية عن أحد من الصحابة غير أنس بن مالك . والحديث ذكره الهيثمي في « المجمع » (٢١٠/١٠) وقال : رواه أحمد وأبو يعلى بنحوه ، والطبراني في الأوسط وأحد إسنادى أحمد رجاله رجال الصحيح ، وكذلك أحد إسنادى أبي يعلى .

(٣٥٦) - أخرجه البزار كما في كشف الأستار رقم (٣٢٤٩) . وأخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٥/ ٤٠٦ ، ٤٠٧) برقم (٧٠٩٠) من طريق عمر بن أبي خليفة به . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٠٤/١٠) وقال : رواه البزار ، وفيه بشارة بن الحكم الضبي ضعفه غير واحد ، وقال ابن عدي : أرجو أنه لا بأس به ، وبقية رجاله وثقوا .

[١] - في خ : « أغويهم » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : م .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

أتوب إلىٰ محمد . فقال النبي ﷺ : « **عرف الحق لأهله** »(٣٥٧) .

وقوله : ﴿ **ولم يصروا علىٰ ما فعلوا وهم يعلمون** ﴾ أي : تابوا من ذنوبهم ، ورجعوا إلىٰ الله عن قريب ، ولم يستمرّوا علىٰ المعصية ويصروا عليها غير مقلعين عنها ، ولو تكرر منهم الذنب تابوا منه . كما قال الحافظ أبو يعلى الموصلي -رحمه الله- في مسنده : حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل وغيره ، قالوا : حدثنا أبو يحيىٰ عبد الحميد الحماني ، عن عثمان بن واقد ، عن أبي نصيرة[١] ، عن مولىٰ لأبي بكر ، عن أبي بكر - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة** »(٣٥٨) .

ورواه أبو داود والترمذي والبزار في مسنده من حديث عثمان بن واقد- وقد وثقه يحيىٰ ابن معين - به وشيخه أبو نصيرة الواسطي ، واسمه مسلم[٢] بن عبيد ، وثقه الإمام أحمد

(٣٥٧) - **إسناده ضعيف** . المبارك بن فضالة : ضعفه أحمد والنسائي ، وقال الدارقطني : لين كثير الخطأ ، وثقه ابن معين مرة ، ومرة قال : ضعيف الحديث . ووثقه جماعة ، وكان يدلس ويسوى ولم يصرح بالسماع هنا وكذلك الحسن فهو مدلس ، وقد عنعن هنا ، ولم يصرح بالسماع ، وقد نقل العلائي عن علي ابن المديني : أنه لم يسمع من الأسود بن سريع . وعليه فيكون الحديث فيه انقطاع بين الحسن والأسود . ومحمد ابن مصعب فيه ضعف .

والحديث أخرجه أحمد في « مسنده » (٤٣٥/٣) ، والحاكم في « المستدرك » (٢٥٥/٤) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٠٣/٤) رقم (٤٤٢٥) ، والطبراني في « الكبير » (٢٨٦/١) رقم (٨٣٩،٨٤٠) ، والضياء في « المختارة » رقم (١٤٥٨ ، ١٤٦٠) . كلهم من طريق محمد بن مصعب بهذا الإسناد . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وتعقبه الذهبي بأن فيه محمد بن مصعب وهو ضعيف . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٠٢/١٠) وقال : رواه أحمد والطبراني وفيه محمد بن مصعب وثقه أحمد وضعفه غيره ، وبقية رجاله رجال الصحيح . وذكره الشيخ الألباني - حفظه الله - في ضعيف الجامع (٣٧٠٧) وقال : ضعيف .

(٣٥٨) - **إسناده ضعيف لجهالة مولى أبي بكر** .

أخرجه أبو يعلى في « مسنده » (١٢٤/١) رقم (١٣٧ ، ١٣٨) و(١٢٤/١ ، ١٢٥) رقم (١٣٩) من طريق عبد الغفار بن عبد الله بن الزبير حدثنا عفيف بن سالم ، عن عثمان بن واقد ، حدثنا أبو نصيرة ، عن مولى لأبي بكر عن أبي بكر به .

وأخرجه أبو داود كتاب الصلاة ، باب : في الاستغفار ، حديث (١٥١٤) ، والترمذي في كتاب : الدعوات ، باب : ما أصرَّ من استغفر ، حديث (٣٥٥٩) ، والبزار في « مسنده » برقم (٩٣) وابن جرير الطبري في « تفسيره » (٧ /٢٢٥) رقم (٧٨٦٣) وابن أبي حاتم في « تفسيره » (٥٥٤/٢ ، ٥٥٥) رقم (١٤٥٩) كلهم من طريق عثمان بن واقد بهذا الإسناد . وقال الترمذي : هذا حديث غريب إنما نعرفه من حديث أبي نصيرة وليس إسناده بالقوي . وقال البزار : فرأيت في هذا الإسناد رجلين مجهولين فتركت ذكر هذا الحديث . والحديث ضعفه الشيخ الألباني - كما في ضعيف سنن أبي داود برقم (٣٢٦) وغيره .

[١] - في خ : « نضرة » . [٢] - في خ : « سلم » .

وابن حبان ، وقول علي بن المديني والترمذي : ليس إسناد هذا الحديث بذاك . فالظاهر [أنما هو][١] لأجل جهالة مولىٰ أبي بكر ، ولكن جهالة مثله لا تضر ؛ لأنه تابعي كبير ، ويكفيه نسبته إلىٰ أبي بكر الصديق ، فهو حديث حسن ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **وهم يعلمون** ﴾ ، قال مجاهد وعبد الله بن عبيد بن عمير : ﴿ **وهم يعلمون** ﴾ أنه من تاب ؛ تاب الله عليه ، وهذا كقوله تعالىٰ : ﴿ **ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده** ﴾ ، وكقوله : ﴿ **ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورًا رحيمًا** ﴾ ، ونظائر هذا كثيرة جدًّا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، أنبأنا جرير ، حدثنا حبان - هو ابن زيد الشرعبي ، عن عبد الله ابن عمرو ، عن النبي ﷺ أنه قال ، وهو علىٰ المنبر : « **ارحموا ترحموا واغفروا يغفر لكم ، ويل لأقماع**(*) **القول ، ويل للمصرين ، الذين يصرون علىٰ ما فعلوا وهم يعلمون** »(٣٥٩) . تفرّد به أحمد رحمه الله !

ثم قال الله[٢] تعالىٰ بعد وصفهم بما وصفهم به : ﴿ **أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات**[٣] ﴾ ، أي : جزاؤهم علىٰ هذه الصفات ، ﴿ **مغفرة من ربهم**[٤] **وجنات تجري**

(*) - (الأقماع) بفتح الهمزة جمع (قِمَع) بكسر القاف وفتح الميم وتسكن : الإناء الذي يجعل في رأس الطرف ليملأ بالمائع . شبه استماع الذين يستمعون القول ولا يعونه ولا يعملون به بالأقماع التى لا تعى شيئًا مما يفرغ فيها ، فكأنه يمر عليها مجتازًا كما يمر الشراب في القمع كذلك قال الزمخشري : من المجاز « ويل لأقماع القول » وهم الذين يستمعون ولا يعون » .

(٣٥٩) - **إسناده صحيح** ، أخرجه أحمد في « مسنده » (١٦٥/٢) . وعبد بن حميد في « المنتخب » ص (١٣١) رقم (٣٢٠) بهذا الإسناد .

وأخرجه أيضًا - أحمد (٢١٩/٢) ، والبخاري في الأدب المفرد برقم (٣٨٠) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٤٤٩/٥) رقم (٧٢٣٦) و(٤٧٦/٧ - ٤٧٧) رقم (١١٠٥٢) . كلهم من طرق عن جرير ، عن حبان بن زيد ، عن ابن عمرو به .

وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٩٤/١٠) وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير حبان بن يزيد الشرعي ووثقه ابن حبان ، ورواه الطبراني كذلك .

وذكره السيوطي في « الدر » (١٣٩/٢) وعزاه لابن مردويه ، وذكره المنذري في « الترغيب والترهيب » (١٥٥/٣) وقال : رواه أحمد بإسناد جيد . وذكره الشيخ الألباني - حفظه الله - في « السلسلة الصحيحة » برقم (٤٨٢) وقال : وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات . وكذلك في « صحيح الأدب المفرد » برقم (٢٩٣) وقال : صحيح .

---

[١] - في ت : « أنه » .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - سقط من : ت .
[٤] - في خ : « الله » .

من تحتها الأنهار ﴾ ، أي : من[١] أنواع المشروبات : ﴿ **خالدين فيها** ﴾ ، أي : ماكثين فيها[٢] ، ﴿ **ونعم أجر العاملين** ﴾ يمدح الله[٣] تعالىٰ الجنة .

قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾

يقول تعالىٰ مخاطبًا عباده المؤمنين لما[٤] أصيبوا يوم أحد ، وقتل منهم سبعون : ﴿ **قد خلت من قبلكم سنن** ﴾ أي : قد جرىٰ نحو هذا علىٰ الأمم الذين كانوا من قبلكم من أتباع الأنبياء ، ثم كانت العاقبة لهم ، والدائرة علىٰ الكافرين ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **هذا بيان للناس وهدىٰ**[٥] ﴾ يعني القرآن : فيه بيان الأمور علىٰ جليتها ، وكيف كان الأمم الأقدمون مع أعدائهم ، ﴿ **وهدى وموعظة** ﴾ يعني القرآن : فيه خبر من قبلكم ، وهدىٰ لقلوبكم ، ﴿**وموعظة**﴾ أي زاجر عن المحارم والمآثم .

ثم قال تعالىٰ مسلّيًا للمؤمنين : ﴿ **ولا تهنوا** ﴾ أي : لا تضعُفوا بسبب ما جرىٰ ، ﴿ **ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين** ﴾ ، أي العاقبة والنصر[٦] لكم ، أيها المؤمنون .

﴿ **إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله** ﴾ أي : إن كنتم قد أصابتكم جراح ،

---

[١] - في خ : « منهم » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : ت .
[٤] - في خ : « الذين » .
[٥] - سقط من : ت .
[٦] - في خ : « والنصرة » .

وقتل منكم طائفة ، فقد أصاب أعداءكم قريب من ذلك من قتل وجراح ﴿ **وتلك الأيام نداولها بين الناس** ﴾ أي : نديل عليكم الأعداء تارة ، وإن كانت لكم العاقبة لما لنا في ذلك من الحكمة[١] ، ولهذا قال الله تعالىٰ : ﴿ **وليعلم الله الذين آمنوا** ﴾ قال ابن عباس : في مثل هذا لنرىٰ من[٢] يصبر علىٰ مناجزة الأعداء ، ﴿ **ويتخذ منكم شهداء** ﴾ يعني : يقتلون في سبيله ، ويبذلون مهجهم في مرضاته[٣] ، ﴿ **والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا** ﴾ أي : يكفر عنهم من ذنوبهم إن كانت[٤] لهم ذنوب ، وإلا رفع لهم[٥] في درجاتهم بحسب ما أصيبوا به . وقوله : ﴿ **ويمحق الكافرين** ﴾ أي : فإنهم إذا ظفروا ؛ بغوا وبطروا ؛ فيكون ذلك سبب دمارِهم وهلاكِهم ومحقِهم وفنائِهم .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين** ﴾ أي : أحسبتم أن تدخلوا الجنة ولم تبتلوا بالقتال والشدائد . كما قال تعالىٰ في سورة البقرة : ﴿ **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا** ﴾ . الآية . وقال تعالىٰ : ﴿ **الم * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون** ﴾ . الآية ؛ ولهذا قال هاهنا : ﴿ **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين** ﴾ أي : لايحصل لكم دخول الجنة حتىٰ تبتلوا ، ويرىٰ الله منكم المجاهدين في سبيله ، والصابرين علىٰ مقاومة[٦] الأعداء .

وقوله : ﴿ **ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون** ﴾ أي : قد كنتم أيها المؤمنون ، قبل هذا اليوم تتمنون لقاء العدّو ، وتتحرقون عليه ، وتودّون مناجزتهم ومصابرتهم ، فها قد حصل لكم الذي تمنيتموه وطلبتموه ؛ فدونكم فقاتلوا وصابروا .

وقد[٧] ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ ؛ قال : « **لا تتمنوا لقاء العدّو ، وسلوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا ، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف** »(٣٦٠) .

ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **فقد رأيتموه** ﴾ يعني الموت ، شاهدتموه في لمعان السيوف ، وحد الأسنة ، واشتباك الرماح ، وصفوف الرجال للقتال .

(٣٦٠) - أخرجه البخاري في « صحيحه » كتاب : الجهاد ، باب : الجنة تحت بارقة السيوف ، حديث (٢٨١٨) ، وأطرافه حديث (٢٨٣٣) ، و (٢٩٦٦) ، و(٣٠٢٤) (٣٠٢٥) ، و(٧٢٣٧) . ومسلم في « صحيحه » كتاب : الجهاد والسير ، حديث (١٧٤٢) من حديث عبد الله بن أبي أوفى .

[١] - في خ : « الحكم » .
[٢] - في خ : « أي : من » .
[٣] - في خ : « مرضات الله » .
[٤] - في خ : « كان » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في خ : « مقارنة » .
[٧] - مكانها بياض في خ .

والمتكلمون يعبرون عن هذا بالتخييل ، وهو مشاهدة ما ليس بمحسوس ، كالمحسوس[١] كما تتخيل الشاة صداقة الكبش ، وعداوة الذئب .

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

لما انهزم من[٢] انهزم من المسلمين يوم أُحد ، وقتل منهم من قتل ، نادىٰ الشيطان : ألا إن محمدًا قد قتل ، ورجع ابن قميئة إلىٰ المشركين ، فقال لهم : قتلت محمدًا ! وإنما كان قد ضرب رسول اللَّه فشجه في رأسه ، فوقع ذلك في قلوب كثير من الناس ، واعتقدوا أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قد قُتل ، وجوّزوا عليه ذلك ، كما قد قص اللَّه عن كثير من الأنبياء عليهم السلام ، فحصل ضعف ووهن وتأخر عن القتال ، ففي ذلك أنزل اللَّه تعالىٰ على رسوله صلى اللَّه عليه وسلم : ﴿ **وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلَتْ من قبله الرسلُ** ﴾ أي : له أسوة بهم في الرسالة ، وفي جواز القتل عليه .

قال ابن أبي نجيح : عن أبيه : إن رجلًا من المهاجرين مَرَّ علىٰ رجل من الأنصار ، وهو يتشحط في دمه ، فقال له : يا فلان ؛ أشعرت أن محمدًا ﷺ قد قتل ، فقال الأنصاري : إن كان محمد قد قتل ؛ فقد بلغ ، فقاتلوا عن دينكم ، فنزل : ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل** ﴾(٣٦١) .

(٣٦١) - أخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/٢٤٨ ، ٢٤٩) من طريق آدم بن أبي إياس عن ورقاء =

[١] - في خ : « من المحسوس » . [٢] - في خ : « ما » .

رواه [الحافظ أبو بكر][١] البيهقي في دلائل النبوة .

ثم قال تعالىٰ ، منكرًا علىٰ من حصل له ضعف : ﴿ **أفإن مات أو قتل انقلبتم علىٰ أعقابكم** ﴾ أي : رجعتم القهقرىٰ ، ﴿ **ومن ينقلب علىٰ عقبيه فلن يضر اللَّه شيئًا ، وسيجزي اللَّه الشاكرين** ﴾ أي : الذين قاموا[٢] بطاعته ، وقاتلوا عن دينه ، واتبعوا رسوله حيًّا وميتًّا .

وكذلك ثبت في الصحاح والمسانيد والسنن وغيرها من كتب الإسلام ، من طرق متعدّدة تفيد القطع ، وقد ذكرت ذلك في مسندي الشيخين أبي بكر وعمر - رضي اللَّه عنهما - أن الصديق - رضي اللَّه عنه - تلا هذه الآية ، لما مات رسول اللَّه ، ﷺ(٣٦٢) .

وقال البخاري : حدثنا يحيىٰ بن بكير ، حدثنا الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، أخبرني أبو سلمة ، أن عائشة - رضي اللَّه عنها - أخبرته أن أبا بكر - رضي اللَّه عنه - أقبل علىٰ فرس من مسكنه بالسنح حتىٰ نزل فدخل المسجد ، فلم يكلم الناس حتىٰ دخل علىٰ عائشة ، فتيمم رسول اللَّه ﷺ وهو مُغَشًّىٰ بثوب حبرة ، فكشف عن وجهه ، ثم أكب عليه ، وقبله ، وبكىٰ ثم قال : بأبي أنت وأمي ؛ واللَّه لا يجمع اللَّه عليك موتتين . أمّا الموتة التي كتبت عليك فقد متها(٣٦٣) .

وقال الزهري : وحدثني أبو سلمة ، عن ابن عباس ، أن أبا بكر خرج ، وعمر يكلم[٣] الناس ، وقال : اجلس يا عمر [فأبىٰ عمر أن يجلس ، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر][٤] . فقال أبو بكر : أما بعد ، فمن[٥] كان يعبد محمَّدًا فإن محمَّدًا قد مات ، ومن كان يعبد اللَّه فإن اللَّه حي لا يموت . قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل** ﴾ إلىٰ قوله ﴿ [**وسيجزي اللَّه**][٦] **الشاكرين** ﴾ قال : فو اللَّه ، لكأن الناس لم

= عن ابن أبي نجيح به . وأخرجه الطبري في « تفسيره » (٢٥٦/٧) رقم (٧٩٤٥) من طريق عيسى وشبل - كلاهما عن ابن أبي نجيح به .

(٣٦٢) - انظر « البداية والنهاية » للمصنف (٢٦٢/٥ : ٢٦٤) و« دلائل النبوة » للبيهقي (٢١٤/٧ : ٢١٨) وانظر الأحاديث الآتية .

(٣٦٣) - أخرجه البخاري في « صحيحه » كتاب : المغازي ، باب مرض النبي ﷺ ووفاته ، حديث (٤٤٥٢ ، ٤٤٥٣) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - في خ : « ماتوا » .
[٣] - في خ : « يحدث » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - في خ : « من » .
[٦] - سقط من : خ .

يعلموا أن اللَّه أنزل هذه الآية ، حتىٰ تلاها أبو بكر ، [فتلقّاها منه الناس][١] كلهم ، فما سمعها بشر من الناس إلا تلاها .

وأخبرني سعيد بن المسيب أن عمر قال : واللَّه ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها ، فعقرت[٢] حتىٰ ما تقلني[٣] رجلاي ، وحتىٰ هويت إلىٰ الأرض(٣٦٤) .

وقال أبو القاسم الطبراني : حدثنا علي بن عبد العزيز ، حدثنا عمرو بن حماد بن طلحة القناد ، حدّثنا أسباط بن نصر ، عن سماك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن عليًا كان يقول في حياة رسول اللَّه ﷺ : ﴿ **أفإن مات أو قتل انقلبتم علىٰ أعقابكم** ﴾ : واللَّه لا ننقلب علىٰ أعقابنا بعد إذ هدانا اللَّه ، واللَّه لئن مات أو قتل ؛ لأقاتلن علىٰ ما قاتل عليه حتىٰ أموت ، واللَّه إني لأخوه ، ووليه ، وابن عمه ، ووارثه فمن أحق به منّي(٣٦٥) .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن اللَّه كتابًا مؤجلًا** ﴾ أي : لا يموت أحد إلا بقدر اللَّه ، وحتىٰ يستوفي المدّة التي ضربها اللَّه له ؛ ولهذا قال : ﴿ **كتابًا مؤجلًا** ﴾ كقوله : ﴿ **وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب** ﴾ وكقوله : ﴿ **هو الذي خلقكم من طين ثم قضىٰ أجلًا وأجل مسمًّى عنده** ﴾ .

وهذه الآية فيها تشجيع للجبناء ، وترغيب لهم في القتال ، فإن الإقدام والإحجام لا ينقص من العمر ولا يزيد فيه ، كما قال ابن أبي حاتم : حدثنا العباس بن يزيد العبدي ، قال : سمعت أبا معاوية . عن الأعمش ، عن حبيب بن صهبان ، قال : قال رجل من المسلمين - وهو حجر بن عدي - : ما يمنعكم أن تعبروا[٤] إلى هؤلاء العدّو هذه النطفة - يعني دجلة - ﴿ و[٥] **ما كان لنفس أن تموت إلا بإذن اللَّه كتابًا مؤجلًا** ﴾ ثم أقحم فرسه دجلة ، فلما أقحم أقحم الناس ، فلما رآهم العدّو ، قالوا : ديوان ! فهربوا(٣٦٦) .

---

(٣٦٤) - أخرجه البخاري في « صحيحه » كتاب : المغازي ، باب : مرض النبي ﷺ ووفاته ، حديث (٤٤٥٤) .

(٣٦٥) - **إسناده ضعيف** ، فيه سماك بن حرب يروى عن عكرمة وروايته عن عكرمة فيها اضطراب .

والحديث أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٠٧/١) رقم (١٧٦) . وأخرجه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (٥٨١/٢) رقم (١٥٥٣) . والحاكم في « المستدرك » (١٢٦/٣) من طريق عمرو بن حماد بن طلحة به . وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٣٧/٩) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

(٣٦٦) - **إسناده حسن** ، أخرجه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (٥٨٤/٢) رقم (١٥٦٢) .

---

[١] - في خ : « فتلاها الناس من » .

[٢] - في خ : « فعرفت » .

[٣] - في خ : « أبلغني » .

[٤] - في خ : « تعبوا » .

[٥] - سقط من : خ .

وقوله : ﴿ **ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها** ﴾ أي : من كان عمله للدنيا فقط ، ناله[١] منها ما قدره الله له ، ولم يكن له في الآخرة من[٢] نصيب ، ومن قصد بعمله الدار الآخرة أعطاه الله منها ، مع ما قسم له في الدنيا . كما قال تعالىٰ : ﴿ **من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذمومًا مدحورًا ومن أراد الآخرة وسعىٰ لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورًا** ﴾ ؛ ولهذا[٣] قال هاهنا : ﴿ **وسنجزي الشاكرين** ﴾ أي : سنعطيهم من فضلنا ، ورحمتنا في الدنيا والآخرة بحسب شكرهم وعملهم[٤] .

ثم قال تعالىٰ ، مسليًا للمؤمنين عما كان[٥] وقع في نفوسهم يوم أحد : ﴿ **وكأين من نبي قُتِلَ[٦] معه ربيون كثير** ﴾ قيل : معناه كم من نبي قتل ، وقتل معه ربيون من أصحابه كثير ، وهذا القول هو اختيار ابن جرير فإنه قال : وأما الذين قرءوا ﴿ **قتل معه ربيون كثير** ﴾ فإنهم قالوا : إنما عني بالقتل النبي وبعض من معه من الربيين[٧] دون جميعهم ، وإنما نفي الوهن والضعف عمن بقي من الربيين ممن لم يقتل .

قال : ومن قرأ ﴿**قاتل**﴾ فإنه اختار ذلك ؛ لأنه[٨] قال : لو قتلوا لم يكن [لقول الله][٩] : ﴿ **فما وهنوا** ﴾ وجه معروف ، لأنه يستحيل أن يوصفوا بأنهم لم يهنوا ، ولم يضعفوا بعد ما قتلوا .

ثم اختار قراءة من قرأ ﴿ **قتل معه ربيون كثير** ﴾ ؛ لأن الله تعالى عاتب بهذه الآيات والتي قبلها من انهزم يوم أحد ، وتركوا القتال لما[١٠] سمعوا الصائح يصيح : إن[١١] محمّدًا قد قتل ! فعذلهم الله علىٰ فرارهم وتركهم القتال ، فقال لهم : ﴿ **أفإن مات أو قتل** ﴾ أيها[١٢] المؤمنون ارتددتم عن دينكم ، و ﴿ **انقلبتم علىٰ أعقابكم** ﴾ . وقيل : وكم من نبي قتل بين يديه من أصحابه ربيون كثير .

---

[١] - في خ : « نال » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في خ : « وهكذا » .
[٤] - في خ : « وعلمهم » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في خ : « قاتل » .
[٧] - في خ : « الربيون » .
[٨] - في خ : « فإنه » .
[٩] - في خ : « لقوله » .
[١٠] - في خ : « أو » .
[١١] - في خ : « بأن » .
[١٢] - في خ : « يا أيها » .

وكلام ابن إسحاق في السيرة يقتضي قولًا آخر ، قال : أي : وكأين من نبي أصابه القتل ، ومعه ربيون أي : جماعات ، فما وهنوا بعد نبيهم ، وما ضعفوا عن عدوهم ، وما استكانوا لما أصابهم في الجهاد عن الله وعن دينهم ، وذلك الصبر ﴿ **والله يحب الصابرين** ﴾(٣٦٧) .

فجعل قوله : ﴿ **معه ربيون كثير** ﴾ حالًا ، وقد نصر هذا القول السهيلي وبالغ فيه ، وله اتجاه لقوله : ﴿ **فما وهنوا لما أصابهم** ﴾ الآية . وقدا[١] حكاه الأموي في مغازيه عن كتاب محمد ابن إبراهيم ولم يحك[٢] غيره .

وقرأ بعضهم ﴿ **قاتل معه ربيون كثير** ﴾ قال سفيان الثوري ، عن عاصم ، عن زر ، عن ابن مسعود ﴿ **ربيون كثير** ﴾ أي : ألوف(٣٦٨) .

وقال ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة ، والسدي ، والربيع ، وعطاء الخراساني : الربيون الجموع الكثيرة(٣٦٩) .

وقال عبد الرزاق عن معمر عن الحسن ﴿ **ربيون كثير** ﴾ أي : علماء كثير(٣٧٠) ، وعنه أيضًا : علماء صُبر أي[٣] : أبرار أتقياء(٣٧١) .

وحكىٰ ابن جرير عن بعض نحاة البصرة أن الربيين هم الذين يعبدون الرب عز وجل ،

(٣٦٧) - **إسناده حسن** ، أخرجه ابن جرير الطبري في « تفسيره » : (٧/٢٦٨) رقم (٧٩٧٨) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (٢/٥٨٦) رقم (١٥٦٩٠) من طريق سلمة عن محمد بن إسحاق به .

(٣٦٨) - أخرجه الطبري في « تفسيره » (٧/٢٦٦) رقم (٧٩٥٧ ، ٧٩٥٨ ، ٧٩٥٩) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (٢/٥٨٦) رقم (١٥٧٠) والطبراني في « المعجم الكبير » (٩/٢٥٧) رقم (٩٠٩٦) . كلهم من طرق عن سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله به . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٦/٣٣٠) وقال : رواه الطبراني وفيه عاصم بن بهدلة وثقه النسائي وغيره ، وضعفه جماعة .

(٣٦٩) - أخرج هذه الآثار ابن جرير الطبرى في تفسيره (٧/٢٦٧ ، ٢٦٨) بأرقام (٧٩٦٦ - ٧٩٧٩) . وابن أبي حاتم في « تفسيره » (٢/٥٨٧ ، ٥٨٨) بأرقام (١٥٧٢ - ١٥٧٩) .

(٣٧٠) - **إسناده صحيح** ، أخرجه عبد الرزاق في « تفسيره » ، ومن طريقه الطبري في « تفسيره » (٧/ ٢٦٧) رقم (٧٩٦٨) وابن أبي حاتم في « تفسيره » (٢/٥٨٨) رقم (١٥٨٠). وذكره السيوطي في « الدر » (٢/١٤٧) وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣٧١) - أخرجه الطبري في « تفسيره » (٧/٢٦٨) رقم (٧٩٧٥) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (٢/ ٥٨٩) رقم (١٥٨٢) . من طريق المبارك عن الحسن به .

[١] - في ت : « وكذا » .

[٢] - في خ : « يقل » .

[٣] - سقط من : خ .

قال : ورد بعضهم عليه فقال : لو كان كذلك لقيل الربيون[١] بفتح الراء(٣٧٢) .

وقال ابن زيد : الربيون الأتباع والرعية « **والربابيون** » : الولاة(٣٧٣) ﴿ **فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا** ﴾ قال[٢] قتادة والربيع بن أنس : ﴿ **وما ضعفوا** ﴾ بقتل نبيهم ﴿ **وما استكانوا** ﴾ يقول : فما ارتدوا عن نصرتهم ، ولا عن دينهم أن قاتلوا علىٰ ما قاتل عليه نبي الله حتىٰ لحقوا بالله .

وقال ابن عباس : ﴿ **وما استكانوا** ﴾ تخشعوا[٣](٣٧٤) ، وقال السدي وابن زيد : وما ذلوا لعدوهم(٣٧٥) .

وقال محمد بن إسحاق(٣٧٦) ، والسدي(٣٧٧) ، وقتادة (٣٧٨) : أي : ما أصابهم ذلك حين قتل نبيهم .

﴿ **والله يحب الصابرين وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا علىٰ القوم الكافرين** ﴾ أي : لم يكن لهم هجّيرى[٤] إلا ذلك ﴿ **فآتاهم الله ثواب الدنيا** ﴾ أي : النصر ، والظفر ، والعاقبة ﴿ **وحسن ثواب الآخرة** ﴾ أي : جمع لهم ذلك مع هذا ﴿ **والله يحب المحسنين** ﴾ .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ

(٣٧٢) - انظر تفسير الطبري (٧/٢٦٥) .

(٣٧٣) - أخرجه ابن جرير الطبري في « تفسيره (٧/٢٦٩) رقم (٧٩٨٠) .

(٣٧٤) - أخرجه ابن جرير الطبري في « تفسيره » (٧/٢٧١) رقم (٧٩٨٥) وابن أبي حاتم في « تفسيره » (٢/٥٩٢) رقم (١٥٩٦) عن ابن عباس .

(٣٧٥) - أخرجه الطبري في « تفسيره » (٧/٢٧١) رقم (٧٩٨٦) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (٢/ ٥٩١) رقم (١٥٩٤) .

(٣٧٦)- أخرجه الطبري في « تفسيره » (٧/٢٧١) رقم (٧٩٨) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (٢/٥٩٠) رقم (١٥٨٧) عن محمد بن إسحاق به .

(٣٧٧) - أخرجه الطبري في « تفسيره » (٧/٢٧٠) رقم (٧٩٨٣) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (٢/ ٥٩٠، ٥٩١) رقم (١٥٨٦ ، ١٥٨٩) .

(٣٧٨) - أخرجه الطبري في « تفسيره » (٧/٢٧٠) رقم (٧٩٨١) وابن أبي حاتم في « تفسيره » (٢/٥٩١) رقم ١٥٩٠.) عن قتادة به .

[١] - في خ : « ربيون » .

[٢] - في خ : « وقال » .

[٣] - في خ : « ضعفوا » .

[٤] - في خ : « هجر » .

أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ
﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ
يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾
وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ
وَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم
مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ
لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ
تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ
فَأَثَـٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ
أَصَـٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾

يحذر تعالىٰ عباده المؤمنين عن طاعة الكافرين والمنافقين ، فإن طاعتهم تورث الردىٰ في الدنيا والآخرة ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **إن تطيعوا الذين كفروا يردّوكم علىٰ أعقابكم فتنقلبوا خاسرين** ﴾ .

ثم أمرهم بطاعته ، وموالاته ، والاستعانة به ، والتوكل عليه ، فقال تعالىٰ : ﴿ **بل اللّه مولاكم وهو خير الناصرين** ﴾ .

ثم بشرهم بأنه سيلقي في قلوب أعدائهم الخوف منهم ، والذلة لهم بسبب كفرهم ، وشركهم مع ما ادّخره لهم في الدار[١] الآخرة من العذاب والنكال ، فقال : ﴿ **سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا باللّه ما لم ينزل به سلطانًا ومأواهم النار وبئس مثوىٰ الظالمين** ﴾ .

وقد ثبت في الصحيحين عن جابر بن عبد اللّه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « **أعطيت خمسًا ، لم يُعْطَهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي**

[١] - سقط من : خ .

الأرض مسجدًا وطهورًا، وأحلت لي الغنائم ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة[١] ، وبعثت إلىٰ الناس عامة » (٣٧٩) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن أبي عدي ، عن سليمان التيمي عن سيار ، عن أبي أمامة : أن رسول الله ﷺ قال : [**« فضلني ربي]**[٢] **علىٰ الأنبياء - أو قال : علىٰ الأمم - بأربع : قال**[٣] **أرسلت إلىٰ الناس كافة ، وجعلت لي الأرض كلها ولأمتي مسجدًا وطهورًا ، فأينما أدركت رجلًا من أمتي الصلاة ، فعنده مسجده وطهوره ، ونصرت بالرعب مسيرة شهر يقذف**[٤] **في قلوب أعدائي ؛ وأحلت**[٥] **لي الغنائم »**(٣٨٠) .

ورواه[٦] الترمذي ، من حديث سليمان التيمي ، عن سيار القرشي الأموي مولاهم الدمشقي - سكن البصرة - عن أبي أمامة صدي[٧] بن عجلان رضي الله عنه به ، وقال : حسن صحيح .

وقال سعيد بن منصور : أنبأنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، أن أبا يونس حدثه عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ ، قال : **« نصرت بالرعب علىٰ العدو »**(٣٨١) . ورواه مسلم من حديث ابن[٨] وهب .

---

(٣٧٩) - أخرجه البخاري في « صحيحه » كتاب : التيمم ، باب (١) حديث (٣٣٥) ، وكتاب : الصلاة ، باب : قول النبي ﷺ : « **جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا** » حديث (٤٣٨) ، وكتاب : الجهاد ، باب : قول النبي ﷺ : « **أحلت لكم الغنائم** » حديث (٣١٢٢) . ومسلم في « صحيحه » كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، حديث (٥٢١) .

من طرق عن هشيم بن بشير عن سيار عن يزيد الفقير عن جابر به .

(٣٨٠) - أخرجه أحمد (٢٤٨/٥) . والترمذى في كتاب السير ، باب : ما جاء فى الغنيمة ، حديث (١٥٥٣) من طريق محمد بن عبيد المحاربى ، عن أسباط بن محمد ، عن سليمان التيمى ، به - مختصرًا على الغنائم - وقال أبو عيسى الترمذى : حسن صحيح .

وأخرجه أيضًا الطبراني في الكبير (٣٠٨/٨) رقم (٨٠٠١ ، ٨٠٠٢) من طرق عن سليمان التيمي ، به .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٦٢/٨) وقال : « روى الترمذي طرفًا منه - رواه أحمد والطبراني بنحوه ؛ إلا أنه قال : « بُعثت إلى كل أبيض وأسود » ورجال أحمد ثقات .

(٣٨١) - رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة برقم ٧ - (٥٢٣) ، والبيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٤٧١ - ٤٧٢) .

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - في خ : « فضيلتي » .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - في خ : « يقذفه » .

[٥] - في خ : « وأحل » .

[٦] - في خ : « رواه » .

[٧] - في خ : « صبي » .

[٨] - سقط من : خ .

وقال[١] الإمام أحمد : حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي بردة عن أبيه أبي موسىٰ قال : قال رسول الله ﷺ : « **أعطيت خمسًا : بعثت إلىٰ الأحمر والأسود ، وجعلت لي الأرض طهورًا ومسجدًا ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لمن كان قبلي ، ونصرت بالرعب مسيرة[٢] شهر ، وأعطيت الشفاعة ، وليس من نبي إلا وقد سأل شفاعته ، وإني قد[٣] اختبأت شفاعتي ثم جعلتها لمن مات[٤] لا يشرك بالله شيئًا** »(٣٨٢) تفرد به أحمد .

وروىٰ العوفي ، عن ابن عباس في قوله تعالىٰ : ﴿ **سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب** ﴾ . قال : قذف الله في قلب أبي سفيان الرعب ؛ فرجع إلى مكة ، فقال النبي ﷺ : « **إن أبا سفيان قد أصاب منكم طرفًا ، وقد رجع وقذف الله في قلبه الرعب** »(٣٨٣) رواه ابن أبي حاتم .

وقوله تعالىٰ ﴿ **ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه** ﴾ قال ابن عباس : وعدهم الله النصر .

وقد يستدل بهذه الآية علىٰ أحد القولين المتقدّمين في قوله تعالىٰ : ﴿ **إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدّكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلىٰ إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين** ﴾ أنّ ذلك كان يوم أحد ، لأن عدوهم كان ثلاثة آلاف مقاتل ، فلما واجهوهم كان الظفر والنصر أوّل النهار للإسلام ، فلما حصل ما حصل من عصيان الرماة وفشل بعض المقاتلة . [تأخر الوعد] الذي كان مشروطًا بالثبات والطاعة ، ولهذا قال : ﴿ **ولقد صدقكم الله وعده** ﴾ أي : أوّل النهار ، ﴿ **إذ تحسونهم** ﴾ أي : تقتلونهم ، ﴿ **بإذنه** ﴾ أي : بتسليطه إياكم عليهم ، ﴿ **حتىٰ إذا فشلتم** ﴾ وقال ابن جريج : قال ابن عباس : الفشل الجبن ﴿ **وتنازعتم في الأمر وعصيتم** ﴾ كما وقع للرماة : ﴿ **من بعد ما أراكم ما تحبون** ﴾ وهو الظفر بهم ، ﴿ **منكم من يريد الدنيا** ﴾ وهم الذين رغبوا في المغنم ، حين رأوا الهزيمة ﴿ **ومنكم من يريد الآخرة ، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم** ﴾ ثم أدالهم عليكم ليختبركم ويمتحنكم ، ﴿ **ولقد عفا عنكم** ﴾ أي : غفر لكم ذلك الصنيع ، وذلك والله أعلم لكثرة عدد العدو

(٣٨٢) - رواه أحمد (٤١٦/٤) . وذكره الهيثمي في المجمع (٢٦١/٨) وقال : رواه أحمد متصلًا ومرسلًا والطبراني ، ورجاله رجال الصحيح .

(٣٨٣) - رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥٩٧/٢ - ٥٩٨) رقم (١٦١٩) .

[١] - في خ : « وروى » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - سقط من : خ .

وعددهم ، وقلة عدد المسلمين[١] وعددهم .

قال[٢] ابن جريج : قوله : ﴿ **ولقد عفا عنكم** ﴾ ، قال : لم يستأصلكم(٣٨٤) . وكذا قال محمد بن إسحاق (٣٨٥) ، رواهما ابن جرير ﴿ **والله ذو فضل على المؤمنين** ﴾

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن[٣] عبيد الله ، عن ابن عباس أنه قال : ما نصر الله [النبي ﷺ][٤] في موطن ؛ كما نصره[٥] يوم أحد . قال : فأنكرنا ذلك فقال ابن عباس : بيني وبين من أنكر ذلك كتاب الله ؛ إن الله يقول في يوم أحد : ﴿ **ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه** ﴾ يقول ابن عباس : [والحس القتل][٦] .

﴿ **حتىٰ إذا فشلتم** [**وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة** ﴾ إلى قوله : ﴿ **ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين** ﴾] وإنما عنىٰ بهذا الرماة ، وذلك أن النبي ﷺ أقامهم في موضع ، وقال : « **احموا ظهورنا ؛ فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا ، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا**[٧] » .

فلما غنم النبي ﷺ ، وأباحوا[٨] عسكر المشركين ، أكب[٩] الرماة جميعًا فدخلوا[١٠] في المعسكر ينهبون ، ولقد التقت صفوف أصحاب رسول الله ﷺ فهم[١١] هكذا -وشبك بين يديه - وانتشبوا ، فلما أخل الرماة تلك الخلة التي كانوا فيها ؛ دخلت الخيل من ذلك الموضع علىٰ أصحاب رسول الله ﷺ ، فضرب بعضهم بعضًا والتبسوا ، وقتل من المسلمين ناس كثير ، وقد كان النصر[١٢] لرسول الله ﷺ وأصحابه أول النهار ، حتىٰ قتل من أصحاب لواء المشركين سبعة أو تسعة ، وجال المسلمون جولة نحو الجبل ، ولم يبلغوا - حيث يقول الناس الغار ، إنما كان تحت المهراس ، وصاح الشيطان : قتل محمد . فلم يُشَك فيه أنه حق ، [فلا زلنا][١٣] كذلك ما نشك أنه حق ، حتىٰ طلع رسول الله ﷺ بين

(٣٨٤) - رواه ابن جرير (٧/٢٩٨) .
(٣٨٥) - رواه ابن جرير (٧/٢٩٩) .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في خ : « وقال » .
[٣] - في خ : « عن أبي » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في خ : « نصر » .
[٦] - في خ : « والحسن الفشل » .
[٧] - في خ : « تشاركونا » .
[٨] - في خ : « وإذا خبا » .
[٩] - في خ : « أكبت » .
[١٠] - سقط من : خ .
[١١] - في خ : « فيهم » .
[١٢] - سقط من : خ .
[١٣] - في خ : « فما زلنا » .

السعدين نعرفه بتكفُّئه [إذا مشى][١] قال : ففرحنا حتىٰ كأنه لم يصبنا ما أصابنا قال : فرقي نحونا ، وهو يقول : « **اشتدّ[٢] غضب اللَّه علىٰ قوم أدموا[٣] وجه رسول اللَّه** » ، ويقول مرة أخرىٰ : « **اللَّهم إنه ليس لهم أن يعلونا** » حتىٰ انتهىٰ إلينا فمكث ساعة ، فإذا أبو سفيان يصيح في أسفل الجبل : اعل هبل مرتين - يعني آلهته - أين ابن أبي كبشة ؟ أين ابن أبي قحافة ؟ أين ابن الخطاب ؟ فقال عمر رضي اللَّه عنه : يا رسول اللَّه ؛ ألا أجيبه ؟ قال : « **بلىٰ** » . فلما قال : اعل هبل ، قال عمر : اللَّه أعلىٰ وأجَلّ ، فقال أبو سفيان : قد أنعمت [عينها فعاد عنها أو : فعال][٤] ، فقال : أين ابن أبي كبشة ؟ أين ابن أبي قحافة ؟ أين ابن الخطاب ؟ فقال عمر : هذا رسول اللَّه ﷺ ، وهذا أبو بكر ، وهأنذا عمر ، قال : فقال أبو سفيان : يوم بيوم بدر ، الأيام دول ، وإن الحرب سجال ، قال : فقال عمر : لا سواء قتلانا في الجنة ، وقتلاكم في النار ، قال : إنكم تزعمون ذلك فقد خبنا[٥] وخسرنا إذن . ثم قال[٦] أبو سفيان : إنكم ستجدون في قتلاكم مثلة[٧] ، ولم يكن ذلك عن رأي سراتنا . قال : ثم أدركَتْه حمية الجاهلية ، فقال : أما إنه إن كان ذلك لم نكرهه(٣٨٦) . هذا حديث غريب ، وسياق عجيب ، وهو من مرسلات ابن عباس ، فإنه لم يشهد أحدًا ولا أبوه .

وقد خرجه[٨] الحاكم في مستدركه ، عن أبي النضر الفقيه ، عن عثمان بن سعيد ، عن سليمان بن داود بن علي بن عبد اللَّه بن عباس به . وهكذا رواه ابن أبي حاتم ، والبيهقي في دلائل النبوّة من حديث سليمان بن داود الهاشمي به ؛ ولبعضه شواهد في الصحاح وغيرها - فقال الإمام أحمد :

[ثنا عفان][٩] حدثنا حماد ، حدثنا عطاء بن السائب ، عن الشعبي ، عن ابن مسعود ؛ قال : إن النساء كنّ يوم أحد خلف المسلمين ؛ يجهزن[١٠] علىٰ جرحىٰ[١١] المشركين ، فلو

---

(٣٨٦) - رواه أحمد (٢٨٧/١ - ٢٨٨) ، والحاكم في المستدرك (٢٩٦/٢ - ٢٩٧) والطبراني في الكبير (٣٦٥/١٠- ٣٦٦) ، وابن أبي حاتم (٦٠٢/٢ - ٦٠٤) ، والبيهقي في الدلائل (٢٦٩/٣ - ٢٧٠) . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وذكره الهيثمي في المجمع (١١٣/٦ - ١١٤) وقال : رواه أحمد ، وفيه عبد الرحمن بن أبي الزناد ، وقد وثق على ضعفه .

---

[١] - في خ : « إذا يمشي » .
[٢] - في خ : « شد » .
[٣] - في خ : « رموا » .
[٤] - في خ : « فقال عنها » .
[٥] - في خ : « خلبنا » .
[٦] - في ت : « فقال » .
[٧] - في خ : « مثلًا » .
[٨] - في خ : « أخرجه » .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[١٠] - في خ : « يجهزون » .
[١١] - في خ : « جروح » .

حلفت[١] يومئذ رجوت أن أبرّ إنه ليس منا أحد يريد الدنيا حتىٰ أنزل اللَّه [عز وجل] : ﴿ **منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم** ﴾ فلما خالف أصحاب [رسول اللَّه] ﷺ وعصوا ما أمروا به ، أفرد رسول اللَّه ﷺ في تسعة ، سبعة من الأنصار ؛ ورجلين من قريش ، وهو عاشرهم ﷺ ؛ فلما رهقوه قال : « **رحم اللَّه رجلًا ردّهم عنا !** » قال : فقام رجل من الأنصار فقاتل ساعة حتىٰ قتل ؛ فلما رهقوه أيضًا قال : « **رحم اللَّه رجلًا ردّهم عنا :** » فلم يزل يقول ذلك[٢] حتىٰ قتل السبعة ، فقال رسول اللَّه ﷺ لصاحبيه : « **ما أنصفْنَا أصحابنا** » . فجاء أبو سفيان فقال : اعل هبل ؛ فقال رسول اللَّه ﷺ : « **قولوا : اللَّه أعلىٰ وأجلّ** » . فقالوا : اللَّه أعلىٰ وأجل ، فقال أبو سفيان : لنا العزّىٰ ولا عزّىٰ لكم ، فقال رسول اللَّه ﷺ : « **قولوا : اللَّه مولانا [ولا مولى لكم]**[٣] **والكافرون لا مولىٰ لهم** » فقال[٤] أبو سفيان : يوم بيوم بدر ،

[فيوم علينا ويوم لنا][٥] ويومٌ نُسَاءُ ويومٌ نُسَرُّ

حنظلة بحنظلة وفلان بفلان ، [وفلان بفلان][٦] . فقال رسول اللَّه ﷺ : « **لا سواء ؛ أما قتلانا فأحياء يرزقون ؛ [وأما قتلاكم]**[٧] **ففي النار يعذبون** » . فقال أبو سفيان : لقد كان في القوم مَثُلَةٌ ، وإن كانت لعن غير ملأ منا ، ما أمرت ولا نهيت ، ولا أحببت ولا كرهت ، ولا ساءني ولا سرني ، قال : فنظر فإذا حمزة قد بقر بطنُه ، وأخذت هند كبده فلاكتها ، فلم تستطع أن تأكلها ، فقال رسول اللَّه ﷺ : « **أكلت شيئًا ؟** » قالوا : لا . قال : « **ما كان اللَّه ليدخل شيئًا من حمزة في النار** » .

قال[٨] : فوضع رسول اللَّه ﷺ حمزة ، فصلّىٰ عليه ، وجيء برجل من الأنصار ، فوضع إلىٰ جنبه فصلىٰ عليه ، فرفع الأنصاري وترك حمزة ، حتىٰ جيء بآخر فوضع إلىٰ جنب حمزة فصلىٰ عليه[٩] ، ثم رفع وترك حمزة ، حتىٰ صلىٰ عليه يومئذ سبعين صلاة (٣٨٧) . تفرد به أحمد أيضًا[١٠] .

وقال البخاري : حدثنا عبيد اللَّه بن موسىٰ ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ؛ قال : لقينا المشركين يومئذ ، وأجلس النبي ﷺ جيشًا من الرماة ، وأمَّر عليهم عبد

(٣٨٧) - رواه أحمد (٤٦٣/١) .

[١] - في خ : « خلف » .
[٢] - في خ : « ذا » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : م .
[٤] - في خ : « ثم قال » .
[٥] - في خ : « فيوم لنا ويوم علينا » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٧] - في خ : « وقتلاكم » .
[٨] - مكانه بياض في : خ .
[٩] - سقط من : خ .
[١٠] - سقط من : خ .

الله يعني بن جبير ، وقال : « **لا تبرحوا ؛ إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا ، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا** » . فلما لقيناهم هربوا ، حتىٰ رأينا النساء يشتددن في الجبل ، رفعن عن سوقهن ؛ قد بدت خلاخلهن ، فأخذوا يقولون : الغنيمة الغنيمة فقال عبد الله [بن جبير][1] : عهد إليّ[2] النبي ﷺ أن لاتبرحوا فأبوا ؛ فلما أبوا صُرف وجوههم(٣٨٨) ، فأصيب سبعون قتيلًا ، فأشرف أبو سفيان فقال : أفي القوم محمد ؟ فقال : « **لا تجيبوه** » فقال : أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ فقال : « **لا تجيبوه** » . فقال : أفي القوم ابن الخطاب ؟ فقال : إن هؤلاء قد قتلوا ، فلوا كانوا أحياء لأجابوا ، فلم يملك عمر نفسه ، فقال له[3] : كذبت يا عدو الله ، قد[4] أبقىٰ الله لك ما يحزنك[5] ؛ قال[6] أبو سفيان : اعلِ هبل. فقال النبي ﷺ : « **أجيبوه** » . قالوا : ما نقول ؟ قال : « **قولوا : الله أعلىٰ وأجلّ** » . قال أبو سفيان : لنا العزىٰ ولا عزىٰ لكم ، فقال النبي ﷺ : « **أجيبوه** » . قالوا : ما نقول ؟ قال « **قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم** » . قال أبو سفيان : يوم بيوم بدر ؛ والحرب سجال ؛ وستجدون مثلة ، لم آمر بها ولم تسؤني .

تفرد به البخاري من هذا الوجه(٣٨٩) ؛ ثم رواه عن عمرو بن خالد ، عن زهير بن معاوية ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بنحوه(٣٩٠) ؛ وسيأتي بأبسط من هذا .

وقال البخاري أيضًا : حدثنا عبيد الله بن سعيد ، حدثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : لما كان يوم أحد هزم المشركون فصرخ إبليس : أي : عباد الله أخراكم فرجعت أولاهم فاجتلدت هي وأخراهم فبصر حذيفة فإذا هو بأبيه اليمان ، فقال : أي عباد الله ، أبي أبي . قال[7] : قالت : فو الله ما احتجزوا حتى قتلوه ، فقال حذيفة : يغفر الله لكم . قال عروة : فو الله مازالت في حذيفة بقية خير حتىٰ لقي الله عز وجل .(٣٩١)

وقال محمد بن إسحاق : حدثني يحيىٰ بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن

---

(٣٨٨) - يعني تحيروا فلم يدروا أين يتوجهون « الفتح (٣٥١/٧) »

(٣٨٩) - رواه البخاري في كتاب المغازي ، حديث (٤٠٤٣) .

(٣٩٠) - رواه البخاري في كتاب الجهاد ، حديث (٣٠٣٩) .

(٣٩١) - رواه البخاري في المغازي حديث (٤٠٦٥) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - سقط من : ت .

[٥] - في خ : يخزيك » .

[٦] - في خ : « فقال » .

[٧] - سقط من : خ .

جدّه ؛ أن الزبير بن العوام ؛ قال : والله ، لقد رأيتني أنظر إلىٰ خدم هند[١] وصواحباتها مشمرات هوارب ما دون أخذهن كثير ولا قليل ، ومالت الرماة إلىٰ العسكر حين كشفنا القوم عنه يريدون النهب ، وخلوا ظهورنا للخيل ، فأوتينا من أدبارنا ، وصرخ صارخ : ألا إن محمدًا قد قتل ؛ فانكفأنا وانكفأ علينا القوم ، بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتىٰ ما يدنو منه أحد من القوم(٣٩٢) .

قال محمد بن إسحاق : فلم يزل لواء المشركين صريعًا حتىٰ أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية ، فرفعته لقريش فلاثوا به[٢] (٣٩٣) . وقال السدي ، [عن عبد خير ، قال : قال][٣] عبد الله بن مسعود ، قال : ما كنت أرىٰ أن أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ يريد الدنيا ، حتىٰ نزل[٤] فينا ما نزل يوم أحد : ﴿ **منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة** ﴾(٣٩٤) . وقد روي من غير وجه ، عن ابن مسعود . وكذا روي عن عبد الرحمن بن عوف وأبي طلحة ؛ رواهنّ ابن مَرْدُوَيه في تفسيره .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ثم صرفكم عنهم ليبتليكم** ﴾ قال ابن إسحاق : حدثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع ، أحد بني عدي بن النجار ، قال : انتهىٰ أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلىٰ عمر بن الخطاب ، وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار قد ألقوا ما[٥] بأيديهم فقال : ما تجليكم ؟ فقالوا : قتل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : فما تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا علىٰ ما مات عليه ؛ ثم استقبل القوم فقاتل حتىٰ قتل رضي الله عنه(٣٩٥) .

وقال البخاري : حدثنا حسان بن حسان ، حدثنا محمد بن طلحة ، حدثنا حميد عن أنس بن مالك ؛ أن عمه - يعني أنس بن النضر - غاب عن بدر ، فقال : غبت عن أول

(٣٩٢) - رواه ابن هشام (٣/٥٩٦) .

(٣٩٣) - السيرة (٣/٥٩٦) .

(٣٩٤) - رواه الطبري (٧/٢٩٥) ، وابن أبي حاتم (٢/٦٠٥ - ٦٠٦) ، والطبراني في الأوسط (٢/١٠٦) من طرق عن السدي ، به . ورواه أحمد (١/٤٦٣) ، وذكره الحافظ في المطالب العالية (٣/٣١٤) وعزاه لأبي بكر بن أبي شيبة . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/٣٣٠ - ٣٣١) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، وأحمد في حديث طويل ورجال الطبراني ثقات .

(٣٩٥) - أخرجه ابن هشام فى « السيرة » (٣/٦٠٠) .

[١] - سقط من : خ .

[٢] - في خ : « بها » .

[٣] - في خ : « جواب » .

[٤] - في خ : « نزلت » .

[٥] - سقط من : خ .

قتال النبي ﷺ ، لئن أشهدني الله مع رسول الله ﷺ ليرين[١] الله ما أجد ، فلقي يوم أحد ، فهزم الناس ، فقال : اللهم ؛ إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني المسلمين - وأبرأ إليك مما جاء به المشركون ؛ فتقدم بسيفه ، فلقي سعد بن معاذ فقال : أين يا سعد ، إني أجد ريح الجنة دون أحد ، فمضىٰ فقتل ، فما عرف حتىٰ عرفته أخته ببنانه[٢] أو بشامة ، وبه بضع وثمانون من طعنة وضربة ورمية بسهم(٣٩٦) .

هذا لفظ البخاري ؛ وأخرجه مسلم من حديث ثابت عن أنس بنحوه(٣٩٧) - وقال البخاري أيضًا[٣] : حدثنا عبدان ، أخبرنا أبو حمزة ، عن[٤] عثمان بن موهب[٥] ؛ قال : جاء رجل حج البيت ، فرأى قومًا جلوسًا ، فقال : من هؤلاء القعود ؟ قالوا : هؤلاء[٦] قريش . قال : من الشيخ ؟ قالوا : ابن عمر ، فأتاه ، فقال : إني سائلك عن شيء فحدّثني [قال : سل][٧] . قال : أنشدك بحرمة هذا البيت ، أتعلم أن عثمان بن عفان فرّ يوم أحد ؟ قال : نعم . قال : فتعلمه تغيّب عن بدر فلم يشهدها ؟ قال : نعم . قال : فتعلم أنه تخلف عن بيعه الرضوان فلم يشهدها ؟ قال : نعم . قال[٨] فكبر ؛ فقال[٩] ابن عمر : تعال لأخبرك ولأبين لك عما سألتني عنه : أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه ؛ وأما تغيبه عن بدر ؛ فإنه كان تحته بنت [رسول الله] ﷺ ، وكانت مريضة ؛ فقال له رسول الله ﷺ : « **إن لك أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه** » . وأما تغيبه عن بيعة الرضوان ؛ فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه ، فبعث عثمان ، فكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلىٰ مكة . فقال النبي ﷺ بيده اليمنىٰ « هذه يد عثمان » فضرب بها علىٰ يده فقال : « **هذه يد عثمان اذهب بها الآن معك** »(٣٩٨) .

ثم رواه البخاري من وجه آخر عن أبي[١٠] عوانة ، عن عثمان بن عبد الله بن موهب(٣٩٩) .

---

(٣٩٦) - أخرجه البخارى فى كتاب المغازي ، باب : غزوة أحد ، حديث (٤٠٤٨) .

(٣٩٧) - أخرجه مسلم فى كتاب الإمارة ، باب : ثبوت الجنة للشهيد ، حديث (١٩٠٣) .

(٣٩٨) - أخرجه البخارى فى كتاب المغازى ، باب : قول الله تعالى : ﴿ **إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور رحيم** ﴾ ، حديث (٤٠٦٦) .

---

[١] - في خ : « ليرني » .

[٢] - في خ : « بثيابه » .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - في خ : « وهب » .

[٦] - سقط من : ت .

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٨] - سقط من : خ .

[٩] - في خ : « قال » .

[١٠] - سقط من : خ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **إذ تُصْعِدُون ولا تلوون علىٰ أحد** ﴾ أي : صرفكم عنهم ﴿إذ تصعدون﴾ أي : في الجبل هاربين من أعدائكم .

وقرأ الحسن وقتادة : ﴿ **إذ تَصْعَدُون** ﴾ أي : في الجبل ، ﴿ **ولا تلوون علىٰ أحد** ﴾ أي : وأنتم لا تلوون علىٰ أحد من الدهش والخوف والرعب ، ﴿ **والرسول يدعوكم في أخراكم** ﴾ أي : وهو قد خلفتموه وراء ظهوركم ، يدعوكم إلىٰ ترك الفرار من الأعداء ، وإلىٰ الرجعة والعودة والكرّة .

قال السدي : لما شدّ المشركون علىٰ المسلمين بأحد فهزموهم ، دخل بعضهم المدينة ، وانطلق بعضهم إلىٰ الجبل فوق الصخرة ، فقاموا عليها . فجعل[١] الرسول ﷺ يدعو الناس : « **إليّ عباد الله ! إليّ عبادَ الله!** » . فذكر الله صعودهم على الجبل ، ثم ذكر دعاء النبي ﷺ إياهم فقال : ﴿ **إذ تصعدون ولا تلوون علىٰ أحد والرسول يدعوكم في أخراكم** ﴾ (٤٠٠).

وكذا قال ابن عباس(٤٠١) وقتادة(٤٠٢) والربيع(٤٠٣) وابن زيد(٤٠٤) .

وقد[٢] قال عبد الله بن الزبعرى : يذكر هزيمة المسلمين يوم أحد في قصيدته وهو مشرك بعد لم يسلم التي يقول في أولها :

يَا غُرَابَ الْبَيْنِ أَسْمَعْتَ فَقُلْ إِنَّمَا [تَنْطِقُ شَيْئًا قَدْ][٣] فُعِلْ
إن للخيرِ وللشرِّ مدىٰ وكلا ذلك وجه وقَبَل

إلىٰ أن قال :

ليت أشياخي ببدر شهدوا[٤] جَزَعَ الخزرج من وَقعِ الأَسَل

---

(٣٩٩) - أخرجه البخارى فى : كتاب فضائل الصحابة ، باب : مناقب عثمان بن عفان أبى عمرو القرشى - رضى الله عنه - حديث (٣٦٩٨) .

(٤٠٠) - أخرجه ابن جرير الطبرى فى « تفسيره » : (٣٠١/٧) رقم (٨٠٥٠) .

(٤٠١) - أخرجه ابن جرير الطبرى فى « تفسيره » : (٣٠٢/٧ - ٣٠٣) رقم (٨٠٥٣ و ٨٠٥٤) .

(٤٠٢) - أخرجه الطبرى فى « تفسيره » : (٣٠١/٧) رقم (٨٠٤٩) و (٣٠٣/٧) رقم (٨٠٥٥) .

(٤٠٣) - أخرجه الطبرى فى « تفسيره » : (٣٠٦/٧) رقم (٨٠٦٣) بنحوه .

(٤٠٤) - أخرجه ابن جرير الطبرى فى « تفسيره » : (٣٠٣/٧) رقم (٨٠٥٨) .

---

[١] - في خ : « وجعل » .
[٢] - في خ : « وقال » .
[٣] - في خ : « ينطق شيئًا » .
[٤] - في خ : « يسهدوا » .

حين حكّت[١] بقباءٍ بَرْكَها واستحرَّ القتلُ في عبدَ الأَشَل
ثم خَفُّوا[٢] عِندَ ذاكم رُقَّصا رَقَصَ الحفانِ[٣] يعلو في الجَبَل
فقتلنا الضعف من أشرافِهم وعَدَلْنا ميلَ بدرٍ فاعتدل

الحفان[٤] : صغار النعم .

وقد كان النبي صلىٰ اللّٰه عليه وآله وسلم قد أفرد في اثني عشر رجلًا من أصحابه ، كما قال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسىٰ ، حدثنا زهير ، حدثنا أبو إسحاق ، أن البراء بن عازب رضي اللّٰه عنه قال : جعل رسول اللّٰه ﷺ علىٰ الرماة يوم أحد - وكانوا خمسين رجلًا - عبد اللّٰه بن جبير قال : ووضعهم موضعًا ، وقال : « **إن رأيتمونا تخطفنا الطير ؛ فلا تبرحوا حتىٰ أرسل إليكم** ، [**وإن رأيتمونا ظهرنا على العدو وأوطأناهم فلا تبرحوا حتىٰ أرسل إليكم** »][٥] قال فهزموهم ، قال : فأنا[٦] واللّٰه ، رأيت النساء يشتددن علىٰ الجبل ، وقد بدت[٧] أسْوُقهنّ وخَلاخلهُنّ ، رافعات ثيابهنّ . فقال أصحاب عبد اللّٰه : الغنيمة أي قوم الغنيمة ، ظهر أصحابكم فما تنتظرون ؟قال عبد اللّٰه [بن جبير][٨] : أنسيتم ما قال لكم رسول اللّٰه ﷺ ؟ فقالوا : إنا واللّٰه لنأتين[٩] الناس ، فلنصيبن[١٠] من الغنيمة ، فلما أتوهم صرفت وجوههم ، فأقبلوا منهزمين ، فذلك الذي يدعوهم الرسول في أخراهم ، فلم يبق مع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم إلا اثنا عشر رجلًا فأصابوا منا سبعين ، وكان رسول اللّٰه ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة : سبعين أسيرًا وسبعين قتيلًا .

قال أبو سفيان : أفي القوم محمد ؟ أفي القوم محمد ؟ أفي القوم محمد ؟ ثلاثًا - قال : فنهاهم رسول اللّٰه ﷺ أن يجيبوه ، ثم قال : أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ أفي القوم ابن الخطاب أفي القوم ابن الخطاب ؟ ثم أقبل علىٰ أصحابه فقال : أمّا هؤلاء فقد قتلوا وقد كُفِيتُموهم ، فما ملك عمر نفسه أن قال : كذبت واللّٰه يا عدو اللّٰه ، إن الذين عددت لأحياء كلهم ، وقد [أبقىٰ اللّٰه][١١] لك ما يسوؤك ، فقال : يوم بيوم بدر ، والحرب سجال ، إنكم ستجدون في القوم مثلة لم آمر بها ولم تسؤني . ثم أخذ يرتجز

---

[١] - في خ : « جلت » .
[٢] - في خ : « حفوا » .
[٣] - في خ : « المعان » .
[٤] - في خ : « الجفان » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٦] - في ت : فلقد .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٩] - في خ : « لناس » .
[١٠] - « ولنصيبن » .
[١١] - في خ : « بقي » .

: اعل هبل اعل هبل . فقال رسول الله ﷺ : « **ألا تجيبونه**[١] » . قالوا : يا رسول الله ، ما نقول ؟ قال : « **قولوا : الله أعلىٰ وأجلّ** » قال : لنا العزّىٰ ولا عزّىٰ لكم . قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ألا تجيبونه**[٢] ؟ » قالوا : يا رسول الله ؛ وما نقول ؟ قال : « **قولوا : الله مولانا ولا مولىٰ لكم** »(٤٠٥) .

وقد رواه البخاري من حديث زهير بن معاوية مختصرًا(٤٠٦) ، ورواه من حديث إسرائيل عن أبي إسحاق بأبسط [من هذا][٣] كما تقدم(٤٠٧) ، والله أعلم .

ورویٰ البيهقي في دلائل النبوّة ، من حديث عمارة بن غزيَّة ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : انهزم الناس عن رسول الله ﷺ يوم أحد ، وبقي معه أحد عشر رجلًا من الأنصار ، وطلحة بن عبيد الله ، وهو يصعد في الجبل ، فلحقهم المشركون فقال : « **ألا أحد لهؤلاء ؟** » فقال : طلحة أنا يا رسول الله ؛ فقال : « **كما أنت يا طلحة** » . فقال رجل من الأنصار : فأنا يا رسول الله ؛ فقاتل عنه ، وصعد رسول الله ﷺ ومن بقي معه ثم قتل الأنصاري ، فلحقوه ، فقال : « **ألا رجل لهؤلاء ؟** » فقال طلحة مثل قوله ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم مثل قوله ، فقال رجل من الأنصار : فأنا يا رسول الله ، [فقاتل عنه][٤] ، وأصحابه يصعدون ، ثم قتل ، فلحقوه ، فلم يزل يقول مثل قوله الأول ، فيقول طلحة : فأنا[٥] يا رسول الله ، فيحبسه ، فيستأذنه رجل من الأنصار للقتال ، فيأذن له ، فيقاتل مثل من كان قبله ، حتىٰ لم يبق معه إلا طلحة فَغَشَوْهُمَا ، فقال رسول الله ﷺ : « **من لهؤلاء ؟** » . فقال طلحة : أنا ، فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله ، وأصيبت أنامله ، فقال حسِّ[٦] ! فقال [رسول الله ﷺ][٧] : « **لو قلت بسم الله ، أو ذكرت اسم الله لرفعتك الملائكة ، والناس[٨] ينظرون إليك ، حتىٰ تلج بك[٩] في جو السماء** » . ثم صعد رسول الله ، ﷺ إلىٰ أصحابه وهم مجتمعون .(٤٠٨)

(٤٠٥) - أخرجه أحمد فى « مسنده » : (٢٩٣/٤) والحديث تقدم تخريجه برقم (٤٣٥) .

(٤٠٦) - تقدم تخريجه .

(٤٠٧) - تقدم تخريجه .

(٤٠٨) - أخرجه البيهقى فى « دلائل النبوة » : (٢٣٦/٣، ٢٣٧) وأخرجه النسائى فى « سننه » : (٢٩/٦ - ٣٠) ، كتاب الجهاد ، باب ما يقول من يطعنه العدو من حديث عمارة بن غزية به .

[١] - في ت : « تجيبوه » .
[٢] - في ت : « تجيبوه » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في خ : « أنا » .
[٦] - في خ : « فحس » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٨] - في خ : « حتى والناس » .
[٩] - سقط من : خ .

وقد روىٰ البخاري ، عن [أبي بكر][١] بن أبي شيبة ، عن وكيع ، عن إسماعيل ، عن قيس ابن أبي حازم قال : رأيت يد طلحة شلّاء ؛ وقىٰ بها النبي ﷺ ، يعني يوم أحد(٤٠٩) .

وفي الصحيحين من حديث معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن أبي عثمان النهدي قال : لم يبق مع رسول الله ﷺ في بعض تلك الأيام التي قاتل فيهنّ رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، غير[٢] طلحة بن عبيد الله ، وسعد عن حديثهما(٤١٠) .

[وقال الحسن بن عرفة : حدثنا مروان بن معاوية ، عن هاشم[٣] بن هاشم[٤] الزهري ، قال : سمعت سعيد بن المسيب يقول : سمعت سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يقول : نَثَل لي رسول الله ، صلىٰ الله عليه وآله وسلم كنانته يوم أُحد ، وقال : « **ارم فداك أبي وأمي** »(٤١١) . وأخرجه البخاري عن عبد الله بن محمد ، عن مروان بن معاوية(٤١٢) .

وقال محمد بن إسحاق[٥] : حدثني صالح بن كيسان ، عن بعض آل سعد ، عن سعد ابن أبي وقاص ، أنه رمىٰ يوم أحد دون رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم قال سعد : فلقد رأيت رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم يناولني النَّبل ، ويقول « **ارم فداك أبي وأمي** » . حتىٰ إنه ليناولني السهم ليس له نصل فأرمي به(٤١٣) .

---

(٤٠٩) - أخرجه البخارى فى « صحيحه » كتاب المغازى ، باب : ﴿ **إذ همت طائفتان منكم أن تفشلان والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون** ﴾ حديث (٤٠٦٣) ، وطرفه حديث (٣٧٢٤) من طريق مسدد عن خالد عن ابن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم به بنحوه .

(٤١٠) - أخرجه البخارى فى « صحيحه » كتاب فضائل الصحابة ، باب : ذكر طلحة بن عبيد الله ، حديث (٣٧٢٢، ٣٧٢٣) وكتاب المغازى ، باب : ﴿ **إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما** ﴾ حديث (٤٠٦٠، ٤٠٦١) . ومسلم فى « صحيحه » كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل طلحة والزبير - رضى الله عنهما - حديث (٢٤١٤/٤٧) من طريق معتمر بن سليمان عن أبيه عن أبى عثمان النهدى به . من حديثهما : يعنى أنهما حدثا بذلك .

(٤١١) - أخرجه البيهقى فى « الدلائل » : (٣/٢٣٩) من طريق الحسن بن عرفة به .

(٤١٢) - أخرجه البخارى فى « صحيحه » : كتاب المغازى ، باب : ﴿ **إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما** ﴾ حديث (٤٠٥٥) من طريق عبد الله بن محمد عن مروان بن معاوية به .

(٤١٣) - أخرجه ابن هشام فى السيرة (٣/٦٠٠) .

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - في ت : « إلا » .

[٣] - في خ : « هشام » .

[٤] - في خ : « هشام » .

[٥] - في خ : « سعيد » .

وثبت في الصحيحين من حديث إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه جده[١] قال : رأيت يوم أحد عن يمين النبي ﷺ وعن يساره رجلين ، عليهما ثياب بيض ، يقاتلان عنه أشد القتال ، ما رأيتهما قبل ذلك اليوم ولا بعده ، يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام][٢] (٤١٤) .

وقال حماد بن سلمة : عن علي بن زيد وثابت عن أنس بن مالك : أن رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، أفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش ، فلما رهقوه قال : « **من يردهم عنّا وله الجنة – أو هو[٣] رفيقي في الجنة** » . فتقدم رجل من الأنصار ، فقاتل حتىٰ قتل ، [ثم أرهقوه أيضًا ، فقال : « **من يردهم عنا وله الجنة ؟** » . فتقدم رجل من الأنصار ، فقاتل حتىٰ قتل][٤] . فلم يزل كذلك حتىٰ قتل السبعة . فقال رسول اللّه ﷺ لصاحبيه : « **ما أنصفنا أصحابنا** »(٤١٥) . رواه مسلم ، عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة به نحوه(٤١٦) .

وقال أبو الأسود عن عروة بن الزبير قال : كان أبي بن خلف أخو بني جُمَح قد حلف وهو بمكة ليقتلن رسول اللّه ﷺ ، فلما بلغت رسول اللّه ﷺ حَلفَتُهُ قال : « **بل أنا أقتله إن شاء اللّه** » . فلما كان يوم أحد أقبل أبَيٌّ في الحديد مقنعًا وهو يقول : لا نجوت إن نجا محمد ، فحمل علىٰ رسول اللّه ﷺ يريد قتله ، فاستقبله مصعب بن عمير أخو بني عبد الدار يقي رسول اللّه ﷺ بنفسه ، فقتل مصعب بن عمير ، وأبصر رسول اللّه ﷺ ترقوة أبي بن خلف من فرجة بين سابغة الدرع والبيضة ، وطعنه فيها بحربته ، فوقع إلىٰ الأرض عن فرسه ، ولم يخرج من طعنته دم ، فأتاه أصحابه فاحتملوه وهو يخور خوار الثور ، فقالوا له : ما أجزعك ! إنما هو[٥] خدش ؟ فذكر لهم قول رسول اللّه ، ﷺ : « **بل[٦] أنا أقتل أبيًا** » ،

(٤١٤) - أخرجه البخاري في « صحيحه » : كتاب المغازي ، باب : ﴿ **إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا واللّه وليهما وعلى اللّه فليتوكل المؤمنون** ﴾ حديث (٤٠٥٤) ، وطرفه حديث (٥٨٢٦) ، ومسلم في «صحيحه» كتاب الفضائل ، باب : في قتال جبريل وميكائيل عن النبي ﷺ يوم أحد ، حديث (٢٣٠٦/ ٤٦ ، ٤٧) ، والبيهقي في « الدلائل » : (٣/٢٥٤) .

(٤١٥) - أخرجه البيهقي في « الدلائل » : (٣/٢٣٤ - ٢٣٥) من طريق علي بن عثمان ، وهُدْبة بن خالد عن حماد بن سلمة به .

(٤١٦) - أخرجه مسلم في « صحيحه » كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة أحد ، حديث (١٧٨٩/ ١٠٠) من طريق هُدبة بن خالد ، عن حماد بن سلمة به « ما أنصفنا أصحابنا » : معناه ما أنصفت قريش الأنصار لكون القرشيين لم يخرجا للقتال ، بل خرجت الأنصار واحدًا بعد واحد ، وذكر القاضي عياض وغيره أن بعضهم رواه : « ما أنصفنا بفتح الفاء والمراد على هذا : الذين فروا من القتال فإنهم لم ينصفوا لفرارهم .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - في خ : « وهو » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - سقط من : خ .

ثم قال : والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعون ، فمات إلىٰ النار ﴿ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السعير ﴾ (٤١٧) . وقد رواه موسىٰ[١] بن عقبة [ ][٢] في مغازيه ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب بنحوه(٤١٨) .

وذكر محمد بن إسحاق قال : لما أسند رسول الله ﷺ في الشعب ، أدركه أبي بن خلف ، وهو يقول : لا نجوت إن نجوت ، فقال القوم : يا رسول الله ؛ يعطف عليه رجل منا فقال رسول الله ﷺ : « دعوه » . فلما دنا منه تناول رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، الحربة من الحارث بن الصِّمَّة ، فقال بعض القوم كما[٣] ذكر لي : فلما أخذها رسول الله ﷺ منه انتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشُعْر عن ظهر البعير إذا انتفض ، ثم استقبله رسول الله ﷺ فطعنه في عنقه طعنة ؛ تدأدأ منها عن فرسه مرارًا .(٤١٩)

وذكر الواقدي : عن يونس بن بكير ، عن محمد[٤] بن إسحاق ، عن عاصم بن عمرو[٥] ابن قتادة ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، عن أبيه نحو ذلك (٤٢٠) .

وقال الواقدي : وكان ابن عمر يقول : مات أبي بن خلف ببطن رابغ ، فإني لأسير ببطن رابغ بعد هوي من الليل ، فإذا أنا بنار تتأجج فهبتها ، وإذا[٦] رجل يخرج منها في سلسلة يجتذبها ، يهيج به العطش ، وإذا رجل يقول : لا تسقه ، فإن هذا قتيل رسول الله ﷺ ، هذا أبي بن خلف(٤٢١) .

وثبت في الصحيحين من رواية عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام بن منبه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **اشتدَّ غضبُ الله علىٰ قومٍ فعلوا**

---

(٤١٧) - سيرة ابن هشام (٣/٦٠١) ، وأخرجه البيهقى فى « الدلائل » : (٣/٢٥٨) . وأورده ابن كثير فى « البداية » (٤/٣٦) عن عروة بن الزبير مرسلاً ، وفى إسناده ضعف أيضًا ، وأخرجه البيهقى أيضًا (٣/٢١١ - ٢١٢) عن سعيد بن المسيب مرسلاً .

(٤١٨) - أخرجه البيهقى فى « الدلائل » (٣/٢١١ - ٢١٢) وانظر السابق .

(٤١٩) - أخرجه ابن هشام فى « السيرة » (٣/٦٠١) ، والبيهقى فى « الدلائل » : (٣/٢٣٧ - ٢٣٨)

(*) - تدأدأ : تقلب عن فرسه وتدحرج قاله ابن هشام فى السيرة .

(٤٢٠) - ذكره البيهقى فى « الدلائل » (٣/٢٥٩) وانظر سيرة ابن هشام فى « السيرة » : (٣/٦٠١)، والبيهقى فى « الدلائل » (٣/٢٣٧ - ٢٣٨) .

(٤٢١) - ذكره البيهقى فى « الدلائل » : (٣/٢٥٩) ، عن الواقدى به .

---

[١] - في خ : « أبو موسى » .
[٢] - في خ : وذكره .
[٣] - في خ : « ما » .
[٤] - في خ : « يونس » .
[٥] - في خ : « عمر » .
[٦] - في خ : « فإذا » .

برسول اللَّه - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - وهو حينئذ يشير إلىٰ رباعيته - واشتدَّ غضبُ اللَّه علىٰ رجلٍ يقتله رسولُ اللَّه ، ﷺ في سبيل اللَّه »(٤٢٢) .

وأخرجه[١] البخاري أيضًا من حديث ابن جريج ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : قال « **اشتد غضبُ اللَّه علىٰ من قتله رسول اللَّه [صلىٰ اللَّه عليه وسلم] بيده في سبيل اللَّه ، واشتد غضبُ اللَّه علىٰ قومٍ أدمَوا وجهَ رسولِ اللَّه** ، ﷺ »(٤٢٣) .

وقال محمد بن إسحاق : أصيبت رباعية رسول اللَّه ﷺ ، وشج في وجنته ، وكُلِمَتْ شِفَتُه ، وكان الذي أصابه عتبة بن أبي وقاص(٤٢٤) .

[فحدثني صالح بن كيسان ، عمَّن حدثه ، عن سعد بن أبي وقاص قال : ما حرصت علىٰ قتل أحد قطُّ ، ما حرصت علىٰ قتل عتبة بن أبي وقاص][٢] ، وإن كان ما علمته لسيىء الخلق مبغضًا في قومه ، ولقد كفاني فيه قول رسول اللَّه ﷺ : « **اشتد غضب اللَّه علىٰ من أدمىٰ وجه رسول اللَّه** ﷺ »(٤٢٥) .

وقال عبد الرزاق : أنبأنا معمر ، عن الزهري ، عن عثمان الجَزَري ، عن مقسم ، أن رسول ، اللَّه[٣] ﷺ ، دعا علي عتبة بن أبي وقاص يوم أحد حين كسر رباعيته وأدمىٰ وجهه ، فقال : « **اللهم ؛ لا تحل عليه الحول حتىٰ يموت كافرًا** » . فما حال عليه الحول حتىٰ مات كافرًا إلىٰ النار(٤٢٦) .

وذكر[٤] الواقدي عن ابن أبي سبرة ، عن إسحاق بن عبد اللَّه بن أبي فروة عن أبي الحويرث ، عن نافع بن جبير قال : سمعت رجلًا من المهاجرين يقول : شهدت أحدًا ،

---

(٤٢٢) - أخرجه البخارى فى كتاب المغازى ، باب : ما أصاب النبى ﷺ من الجراح يوم أحد ، حديث (٤٠٧٣) ، ومسلم فى « صحيحه » كتاب الجهاد والسير ، باب : اشتداد غضب اللَّه على من قتله رسول اللَّه ﷺ حديث (١٧٩٣/١٠٦) .

(٤٢٣) - أخرجه البخارى فى كتاب المغازى ، باب : ما أصاب النبى ﷺ من الجراح يوم أحد ، حديث (٤٠٧٤ ، ٤٠٧٦) ، والبيهقى فى « الدلائل » : (٢٦٢/٣) .

(٤٢٤) - أخرجه ابن هشام فى « السيرة » (٥٩٧/٣ - ٥٩٨) ، والبيهقى فى « الدلائل » : (٢٦٥/٣) .

(٤٢٥) - أخرجه ابن هشام فى « السيرة » (٦٠٣/٣) ، والبيهقى فى « الدلائل » (٢٦٥/٣) .

(٤٢٦) - أخرجه البيهقى فى « الدلائل » (٢٦٥/٣) عن عبد الرزاق به .

---

[١] - في خ : « وقال » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - في خ : « وقال » .

فنظرت إلىٰ النبل يأتي من كل ناحية ، ورسول اللَّه ﷺ في[١] وسطها كل ذلك يصرف عنه ؛ ولقد رأيت عبد اللَّه بن شهاب الزهري يومئذ يقول : دلوني علىٰ محمد لا نجوت إن نجا ، ورسول اللَّه ﷺ إلىٰ جنبه ليس معه أحد . ثم جاوزه فعاتبه في ذلك صفوان فقال : واللَّه ما رأيته ، أحلف باللَّه إنه منا ممنوع ؛ خرجنا أربعة فتعاهدنا وتعاقدنا علىٰ قتله فلم نخلص[٢] إلىٰ ذلك(٤٢٧) .

قال الواقدي : [والذي ثبت][٣] عندنا أن الذي أدمىٰ[٤] وجنتي رسول اللَّه ﷺ ابن قميئة ؛ والذي دمىٰ[٥] شفته وأصاب رباعيته عتبة بن أبي وقاص .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا ابن المبارك عن إسحاق بن[٦] يحيىٰ بن طلحة بن عبيد اللَّه ، أخبرني عيسىٰ بن طلحة ، عن أم المؤمنين عائشة - رضي اللَّه عنها - قالت : كان أبو بكر رضي الله عنه إذا ذكر يوم أحد قال : ذاك يوم كله لطلحة ؛ ثم أنشأ يحدث قال : كنت أول من فاء يوم أحد ، فرأيت رجلًا يقاتل مع رسول اللَّه ﷺ دونه وأراه قال : حمية ، فقال : فقلت : كن طلحة ، حيث فاتني ما فاتني ، فقلت : يكون رجلًا من قومي أحب إلي ، وبيني وبين المشركين رجل لا أعرفه ، وأنا أقرب إلىٰ رسول اللَّه ﷺ منه ، وهو يخطف المشي خطفًا ، لا أعرفه[٧] ، فإذا هو أبو عبيدة بن الجراح ، فانتهينا إلىٰ رسول اللَّه ﷺ وقد كسرت رباعيته ، وشج في وجهه ؛ وقد دخل في وجنته حلقتان من حلق المغفر ، فقال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **عليكما صاحبكما يريد طلحة** » وقد نزف فلم نلتفت إلى قوله ، قال : وذهبت لأنزع[٨] ذلك من وجهه ، فقال أبو عبيدة : أقسمت عليك بحقي لما تركتني فتركته ، فكره أن يتناولها بيده ، فيؤذىٰ رسول اللَّه ﷺ ، فأزم عليها بفيه ، فاستخرج إحدىٰ الحلقتين ، ووقعت ثنيته مع الحلقة ، وذهبت لأصنع ما صنع ، فقال : أقسمت عليك بحقي لما تركتني ، قال : ففعل مثل ما فعل في المرة الأولىٰ ، ووقعت ثنيته الأخرىٰ مع الحلقة ، فكان أبو عبيدة رضي اللَّه عنه من أحسن الناس هتمًا ، فأصلحنا من شأن رسول اللَّه ﷺ ثم أتينا طلحة في بعض تلك الجفار ، فإذا به بضع وسبعون أو أقل أو أكثر من طعنة ورمية وضربة ، وإذا قد قطعت أصبعه ، فأصلحنا من شأنه(٤٢٨) .

---

(٤٢٧) - ذكره البيهقى فى « الدلائل » (٢٦٤/٣) عن الواقدى به .

(٤٢٨) - أخرجه الطيالسى فى « مسنده » ص (٣) ، والبيهقى فى « دلائل النبوة » : (٢٦٣/٣ - ٢٦٤) ، والحاكم فى « المستدرك » : (٢٦٦/٣) من طريق ابن المبارك به ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه - وسكت عنه الذهبى .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في خ : « يخلص » .
[٣] - في خ : « والثبت » .
[٤] - في خ : « رمى في » .
[٥] - في خ : « رمى » .
[٦] - في خ : « أن » .
[٧] - في خ : « أحفظه » .
[٨] - في خ : « الآن أنزع » .

ورواه الهيثم بن كليب ، والطبراني من حديث إسحاق بن يحيىٰ به . وعند الهيثم فقال[١] أبو عبيدة : أنشدك يا أبا بكر إلا تركتني ؟ فأخذ أبو عبيدة السهم بفيه ، فجعل ينضنضه(*) كراهية أن يؤذي رسول الله ﷺ ، ثم استل السهم بفيه فندرت(**) ثنية أبي عبيدة(٤٢٩) .

وذكر تمامه ؛ واختاره الحافظ الضياء المقدسي في كتابه ؛ وقد ضعف علي بن المديني هذا الحديث ؛ من جهة إسحاق بن يحيىٰ هذا ؛ فإنه تكلم فيه يحيىٰ بن سعيد القطان وأحمد ، ويحيىٰ بن معين والبخاري ، وأبو زرعة ، وأبو حاتم ، ومحمد بن سعد ، والنسائي وغيرهم .

وقال ابن وهب : أخبرني عمرو بن الحارث ، أن عمر بن السائب ، حدّثه أنه بلغه أن مالكًا أبا أبي[٢] سعيد الخدري لما جُرح[٣] النبي ﷺ يوم أحد ، مص الجرح حتىٰ أنقاه ولاح أبيض ، فقيل له مجه ، فقال : لا والله ؛ لا أمجه أبدًا ؛ ثم أدبر يقاتل ، فقال النبي ﷺ : « **من أراد أن ينظر إلىٰ رجل من أهل الجنة ؛ فلينظر إلىٰ هذا** » فاستشهد(٤٣٠) .

وقد ثبت في الصحيحين من طريق عبد العزيز بن أبي حازم[٤] ، عن أبيه ، عن سهل بن سعد ، أنه سئل عن جرح رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال : جرح وجه رسول الله ﷺ وكسرت رباعيته ، وهشمت البيضة علىٰ رأسه ﷺ فكانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تغسل الدم ، وكان عليٌ يسكب عليه الماء بالمجن ، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة ، أخذت قطعة من حصير ، فأحرقتها حتى صارت رمادًا ألصقته بالجرح فاستمسك الدم(٤٣١) .

---

(٤٢٩) - **إسناده ضعيف - لضعف إسحاق بن طلحة** ، أخرجه الضياء المقدسى فى « المختارة » (١٣٦/١ و١٣٧) رقم (٤٩) من طريق الهيثم بن كليب مطولاً . وأخرجه البزار فى « مسنده » : (١٣٢/١ - ١٣٣) رقم (٦٣) ، وابن حبان فى « صحيحه » (٤٣٧/١٥ - ٤٣٨ - الإحسان) برقم (٦٩٨٠) من طريق إسحاق بن يحيى به . وذكره الهيثمى فى « المجمع » : (١١٥/٦) وقال : رواه البزار ، وفيه إسحاق بن يحيى بن طلحة وهو متروك .

(٤٣٠) - أخرجه البيهقى فى « الدلائل » : (٢٦٦/٣) من طريق ابن وهب به .

(٤٣١) - أخرجه البخارى فى « صحيحه » كتاب الجهاد ، باب : لبس البيضة ، حديث (٢٩١١) ، وطرفه (٤٠٧٥) ، ومسلم فى « صحيحه» كتاب الجهاد والسير ، حديث (١٧٩٠) .

---

[١] - في ت : « قال » .

(*) أي يحركه .

(**) أي سقطت .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في خ : « خرج » .

[٤] - في خ : « حاتم » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **فأثابكم غمًّا بغم** ﴾ أي : فجزاكم غمًّا علىٰ غم ، كما تقول العرب : نزلت ببني فلان ، ونزلت علىٰ بني فلان . وقال ابن جرير : وكذا قوله : ﴿ **ولأصلبنكم في جذوع النخل** ﴾ أي : علىٰ جذوع النخل .

قال ابن عباس : الغم الأوّل بسبب الهزيمة ، وحين قيل : قتل محمد ﷺ والثاني حين علاهم المشركون فوق الجبل ؛ وقال النبي ﷺ : « **اللّهم ؛ ليس لهم أن يعلونا** »(٤٣٢) .

وعن عبد الرحمن بن عوف : الغم الأوّل بسبب الهزيمة ؛ والثاني حين قيل : قتل محمد ﷺ كان ذلك عندهم أشد[١] وأعظم من الهزيمة .

رواهما ابن مَرْدُويه . وروي عن عمر بن الخطاب نحو ذلك ، وذكر ابن أبي حاتم(٤٣٣) : عن قتادة نحو ذلك أيضًا .

وقال السدي : الغم الأوّل : بسبب ما فاتهم من الغنيمة والفتح ؛ والثاني بإشراف العدو عليهم .

وقال محمد بن إسحاق : ﴿ **فأثابكم غمًّا بغم** ﴾ أي : كربًا بعد كرب ؛ قتل من قتل من إخوانكم ؛وعُلُوُّ عدوِّكم عليكم ؛ وما وقعَ في أنفسكم [من قول من قال : قتل نبيكم][٢] ؛ فكان ذلك [ممَّا تتابع][٣] عليكم غمًّا بغمٍ .

وقال مجاهد وقتادة : الغم الأوّل سماعهم قتل محمد ؛ والثاني ما أصابهم من القتل والجراح . وعن قتادة ، والربيع بن أنس عكسه . وعن السدي : الأوّل ما فاتهم من الظفر والغنيمة والثاني إشراف العدو عليهم . وقد تقدم هذا القول عن السدي .

وقال ابن جرير : وأولىٰ هذه الأقوال بالصواب قول من قال : ﴿ **فأثابكم غمًّا بغمٍ** ﴾

(٤٣٢) - جزء من حديث طويل أخرجه أحمد (٢٨٧/١ - ٢٨٨) ، والطبراني في « الكبير » : (١٠/ ١٠٧٣١) ، والبيهقي في « الدلائل » (٢٦٩/٣) وصححه الحاكم (٢٩٦/٢ ، ٢٩٧) ووافقه الذهبي .

(٤٣٣) - تفسير ابن أبي حاتم (٢/رقم ١٦٨٤) وأخرجه ابن جرير (٨٠٨٣/٧) ثنا ابن بشار ، ثنا عبد الرحمن ، ثنا سفيان به ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٩٤٥٢/٩) من طريق عبد الرزاق ، عن الثوري به ، وهذا إسناد حسن ؛ لكلام في عاصم وهو ابن أبي النجود ، وأبو رزين هو مسعود بن مالك ، ورواه الطبراني (٩٤٥١/٩) من طريق قيس بن الربيع ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد اللّه به ، وقيس بن الربيع سيىء الحفظ ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٣٣١/٦) وقال : « رواه الطبراني ، وفيه قيس بن الربيع وثقه شعبة وغيره ، وضعفه جماعة » ولم يشر الهيثمي لطريق الثوري المتقدم .

[١] - سقط من : خ .

[٢] - في خ : « قيل بينكم » .

[٣] - في ت : « متتابعًا » .

فأثابكم بغمكم أيها المؤمنون ؛ بحرمان الله إياكم غنيمة المشركين ، والظفر بهم ، والنصر عليهم ، وما أصابكم من القتل ، والجراح يومئذ ، بعد الذي كان قد أراكم في كل ذلك ما تحبون بمعصيتكم أمر[١] ربكم ، وخلافكم أمر نبيكم ﷺ ، غم ظنكم أن نبيكم قد قتل ، وميل العدو عليكم بعد فلولكم منهم .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **لكيلا تحزنوا علىٰ ما فاتكم** ﴾ أي : علىٰ ما فاتكم من الغنيمة والظفر بعدوكم ، ﴿ **ولا ما أصابكم** ﴾ من [الجراح والقتل] ، قاله ابن عباس ، وعبد الرحمن بن عوف والحسن ، وقتادة ، والسدي ﴿ **والله خبير بما تعملون** ﴾ [سبحانه وبحمده لا إله إلا هو جلَّ وعلا][٢] .

ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾

يقول تعالىٰ ممتنًّا علىٰ عباده فيما أنزل عليهم من السكينة والأمنة ، وهو النعاس الذي غشيهم ، وهم مستلئمو السلاح في حال همهم وغمهم ، والنعاس في مثل تلك الحال دليل علىٰ الأمان[٣] ، كما قال تعالىٰ في سورة الأنفال في قصة بدر ﴿ **إذ يغشّيكم[٤] النعاس أمنة منه** ﴾ .الآية .

وقال الإمام أبو محمد عبدُ الرحمٰن بن أبي حاتم : حدّثنا أبو سعيد الأشج ، حدّثنا أبو نعيم ووكيع ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رزين ، عن عبد الله بن مسعود ،

[١] - سقط من : خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - في خ : « الإيمان » .
[٤] - في خ : « يغشاكم » .

قال : النعاس في القتال من الله ، وفي الصلاة من الشيطان .

وقال البخاري(٤٣٤) : وقال[١] لي خليفة : حدّثنا يزيد بن زريع ، حدّثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ، عن أبي طلحة رضي الله عنه قال : كنت فيمن تغشاه[٢] النعاس يوم أحد ؛ حتى سقط سيفي من يدي مرارًا ، يسقط[٣] وآخذه ويسقط وآخذه .

وهكذا رواه في المغازي معلقًا ، ورواه في كتاب التفسير مسندًا ، عن شيبان ، عن قتادة ، عن أنس ، عن أبي طلحة ، قال : غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد ، قال : فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه ، ويسقط وآخذه .

وقد رواه الترمذي [والنسائي ، والحاكم(٤٣٥) من حديث حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس ، عن أبي طلحة ، قال : رفعت رأسي يوم أحد ، وجعلت أنظر ، وما منهم يومئذ أحد إلا يميد تحت حجفته من النعاس . لفظ الترمذي وقال : حسن صحيح .

[ورواه النسائي][٤] أيضًا(٤٣٦) عن محمد بن المثنى ، عن[٥] خالد بن الحارث ، عن قتيبة[٦] ، عن ابن أبي عدي ، كلاهما عن حميد ، عن أنس ؛ قال : قال أبو طلحة : كنت فيمن ألقي عليه النعاس ... الحديث . وقد[٧] رواه عن الزبير(٤٣٧) وعن[٨] عبد الرحمن بن عوف(٤٣٨) رضي الله عنه .

---

(٤٣٤) - صحيح البخارى ، كتاب المغازى ، باب : ﴿ **ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسًا** ... ﴾ (٤٠٦٨) وأخرجه أيضًا (٤٥٦٢).

(٤٣٥) - أخرجه الترمذى (٣٠٠٧) ، والنسائى كما فى « التحفة » (٣٧٧١/٣) ، والحاكم فى « المستدرك » (٢٩٧/٢) وصححه على شرط مسلم ، ووافقه الذهبى ، وقال الترمذى : « حديث حسن صحيح » .

(٤٣٦) - أخرجه النسائى فى « الكبرى » كما فى « التحفة » (٣٧٧١/٣) وكذا أخرجه ابن جرير (٧/ ٨٠٧٤) ثنا ابن بشار قال : حدثنا ابن أبى عدى عن حميد به .

(٤٣٧) - أخرجه عبد بن حميد - كما فى « الدر المنثور » (١٥٥/٢) ، وعنه الترمذى (٣٠٠٧) حدثنا روح ابن عبادة ، عن حماد بن سلمة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن الزبير مثل حديث أنس السابق ، وقال الترمذى : « حديث حسن صحيح » وكذا أخرجه ابن جرير (٨٠٨٦/٧) من طريقين عن حماد بن سلمة به ، والبيهقى فى « الدلائل » (٢٧٣/٣) .

(٤٣٨) - أخرجه ابن جرير (٨٠٧٩/٧) ، والطبرانى فى « المعجم الكبير » (١/رقم ٢٨٥) وفى =

---

[١] - في خ : « قال » .
[٢] - في خ : « يغشاه » .
[٣] - في خ : « فيسقط » .
[٤] - في خ : « والنسائي » .
[٥] - في خ : « والنسائي عن » .
[٦] - في ت : أبي قتيبة .
[٧] - في ت : « هكذا » .
[٨] - سقط من : م .

وقال البيهقي(٤٣٩) : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرني أبو الحسين محمد بن يعقوب ، أخبرنا محمد بن إسحاق الثقفي ، حدثنا محمد بن عبد الله بن المبارك المخزومي ، حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا شيبان ، عن قتادة ، حدثنا أنس بن مالك ؛ أن أبا طلحة قال : غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد ، فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه ، ويسقط وآخذه . قال : والطائفة الأخرىٰ المنافقون ليس لهم هم إلا أنفسهم أجبن قوم وأرعنه وأخذله للحق ، ﴿ **يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية** ﴾ كَذَبَةٌ ، أهل شك وريب في الله عز وجل(٤٤٠) .

هكذا رواه بهذه الزيادة ، وكأنها من كلام قتادة - رحمه الله - وهو كما قال ؛ فإن الله - عز وجل - يقول : ﴿ **ثُمَّ أنزلَ عليكم من بعدِ الغمِّ أمنة نُعَاسًا يغشىٰ طائفةً منكم** ﴾ . يعني أهل الإيمان واليقين والثبات والتوكل الصادق ، وهم الجازمون بأن الله عز وجل سينصر رسوله ؛ وينجز له مأموله ؛ ولهذا قال : ﴿ **وطائفة قد أهمتهم أنفسهم** ﴾ يعني لا يغشاهم النعاس من القلق والجزع والخوف ، ﴿ **يظنون بالله غير الحق ظنّ الجاهلية** ﴾ ، كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلىٰ أهليهم أبدًا** ﴾ إلىٰ آخر الآية ، وهكذا هؤلاء اعتقدوا أن المشركين لما ظهروا تلك الساعة أنها الفيصلة ، وأن الإسلام قد باد وأهله ، وهذا شأن أهل الريب والشك ؛ إذا حصل أمر من الأمور الفظيعة تحصل لهم هذه الظنون الشنيعة .

ثم أخبر تعالىٰ عنهم أنهم : ﴿ **يقولون** ﴾ في تلك الحال : ﴿ **هل لنا من الأمر من**

= «الأوسط» (٤١٧٢/٤) ، والبيهقى فى « الدلائل » (٤١٧٢/٤) من طريق أبى نعيم ضرار بن صرد ، ثنا عبد العزيز بن محمد ، عن محمد بن عبد العزيز ، عن ابن شهاب ، عن عبد الرحمن بن المسور ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن عوف - رضى الله عنه - فى قوله - عز وجل : ﴿ **ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسًا** ﴾ قال : ألقى علينا النوم يوم أحد ، وقال الطبرانى : « لم يرد هذا الحديث عن الزهرى إلا محمد بن عبد العزيز » وعزاه الهيثمى فى « المجمع » (١٢٠/٦ ، ٣٣١) إلى الطبرانى وقال : « فيه ضرار بن صرد وهو ضعيف » وأخرجه ابن أبى حاتم (١٦٨٢/٢) من طريق يحيى بن عبد الحميد ، ثنا عبد الله بن جعفر المخرمى ، عن أبى عون ، عن المسور بن مخرمة به ، وأبو عون هذا سئل عنه أبو زرعة فقال : « مدينى لا نعرفه » الجرح والتعديل (٤١٤/٩) والخبر زاد نسبته السيوطى (١٥٥/٢) إلى ابن المنذر .

(٤٣٩) - « دلائل النبوة » للبيهقى (٢٧٣/٣ ، ٢٧٤) ، وأخرجه ابن حبان فى « صحيحه » (١٦/رقم ٧١٨٠) أخبرنا محمد بن إسحاق الثقفى ، حدثنا محمد بن عبيد الله بن المنادى ، ثنا يونس بن محمد به . وتقدم (رقم ٤٧٩) من طريق شيبان ، عن قتادة به دون قوله : « والطائفة الأخرى ... » .

(٤٤٠) - تفسير ابن أبى حاتم (١٦٩٧/٢) ومن طريق ابن إسحاق أخرجه ابن جرير (٨٠٩٤/٧ ، ٨٠٩٥) وأبو نعيم والبيهقى فى « دلائل النبوة » (ص ٤٢١) (٢٧٣/٣). وزاد نسبته السيوطى فى «الدر المنثور » (١٥٦/٢) إلى إسحاق بن راهوية وعبد بن حميد وابن المنذر .

شيء ؟ ﴾ فقال[١] تعالىٰ : ﴿ **قل إن الأمر كله للّه يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك ﴾** ثم فسر ما أخفوه في أنفسهم بقوله : ﴿ **يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا ﴾** أي: يسرون هذه المقالة عن رسول اللّه ﷺ .

قال محمد بن يسار بن إسحاق : فحدثني يحيىٰ بن عباد بن عبد اللّه بن الزبير ، عن أبيه ، عن عبد اللّه بن الزبير ؛ قال : قال الزبير : لقد رأيتني مع رسول اللّه ﷺ حين اشتدّ الخوف علينا ، أرسل اللّه علينا النوم ؛ فما منّا من رجل إلا ذقنه في صدره ، قال : فواللّه إني لأسمع قول معَتِّب بن قشير ما أسمعه إلا كالحلم يقول[٢] : ﴿ لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا ﴾ فحفظتها منه ، وفي ذلك أنزل اللّه : ﴿ **يقولون**[٣] **لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا ﴾** لقول معَتِّب . رواه ابن أبي حاتم .

قال اللّه تعالىٰ : ﴿ **قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلىٰ مضاجعهم ﴾** ، أي : هذا قدر قدّره[٤] اللّه عز وجل وحكم حتم لازم[٥] لا محيد[٦] عنه ولا مناص منه .

وقوله : ﴿ **وليبتلي اللّه ما في صدروكم وليمحص ما في قلوبكم ﴾** أي : يختبركم بما جرىٰ عليكم ؛ ليميز[٧] الخبيث من الطيب ، ويظهر أمر المؤمن والمنافق للناس في الأقوال والأفعال ﴿ **واللّه عليم بذات الصدور ﴾** ، أي : بما يختلج في الصدور من السرائر والضمائر .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ﴾** ، أي ببعض ذنوبهم السالفة ، كما قال بعض السلف : إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها ؛ وإن من جزاء السيئة السيئةَ بعدها .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ولقد عفا اللّه عنهم ﴾** أي : عما كان منهم من الفرار ، ﴿ **إن اللّه غفور حليم ﴾** أي : يغفر الذنب ، ويَحْلُمُ عن خلقه ، ويتجاوز عنهم ، وقد تقدم حديث ابن عمر في شأن عثمان رضي الله عنه وتوليه يوم أحد ، وأن اللّه قد عفا عنه مع من عفا عنهم عند قوله : ﴿ **ولقد عفا عنكم ﴾** ومناسب ذكره هاهنا .

---

[١] - في خ : « قال الله » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في خ : « مقدّر » .
[٥] - سقط من : ت .
[٦] - في خ : « محاد » .
[٧] - في خ : « وليميز » .

قال[١] الإمام أحمد(٤٤١) : حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا زائدة[٢] ، عن عاصم ، عن شقيق ، قال : لقي عبد الرحمن بن عوف الوليد بن عقبة ، فقال له الوليد : مالي أراك جفوت أمير المؤمنين عثمان ، فقال له عبد الرحمن : أبلغه أني لم أفر يوم عينين[٣] ، قال عاصم : يقول يوم أحد ، ولم أتخلف عن بدر ، ولم أترك سنّة عمر . قال : فانطلق ، فأخبر بذلك عثمان . قال : فقال عثمان : أمّا قوله : إني لم أفرّ يوم عينين ؛ فكيف يعيرني بذنب[٤] ، وقد[٥] عفا اللّه عنه فقال : ﴿ **إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا اللّه[٦] عنهم** ﴾ وأما قوله : إني تخلفت يوم بدر ، فإني كنت أمرض رقية بنتَ رسول اللّه ﷺ حتىٰ ماتت ، وقد ضرب لي رسول اللّه ﷺ بسهم ، ومن ضرب له رسول اللّه ﷺ بسهم فقد شهد ، وأما قوله : إني تركت سنة عمر ؛ فإني لا أطيقها ولا هو ، فأته[٧] فحدثه بذلك .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمۡ أَوۡ

(٤٤١) - « المسند » (٦٨/١) (رقم ٤٩٠) وأخرجه عبد اللّه بن أحمد فى « زوائد المسند » (٧٥/١) حدثنى أبى وأبو خيثمة ، قالا : ثنا معاوية بن عمرو ، به ، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر ، والحديث عند البزار فى « مسنده » (٢/رقم ٣٨٠) من طريق سلام أبى المنذر ، عن على بن زيد ، عن سعيد بن المسيب قال : رفع عثمان صوته على عبد الرحمن بن عوف فقال : ... فذكر الحديث بنحوه ، وقال البزار : وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن سعيد بن المسيب عن عثمان إلا من هذا الوجه ، ولا رواه عن على بن زيد إلا سلام أبو المنذر . وعاصم هو ابن بهدلة حسن الحديث ، والحديث ذكره الهيثمى فى « المجمع » (٢٢٩/٧) و (٨٦/٩، ٨٧) وقال : « رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى باختصار ، والبزار بطوله بنحوه ، وفيه عاصم ابن أبى النجود ، وهو حسن الحديث ، وبقية رجاله ثقات »

وعلى بن زيد هو ابن جدعان سيىء الحفظ جدًّا ، والخبر اكتفى السيوطى (١٥٧/٢) بعزوه إلى أحمد وابن المنذر !! .

[١] - في خ : « وقال » .
[٢] - في خ : « زيادة » .
[٣] - في خ : « عنين » .
[٤] - في خ : « بذلك » .
[٥] - في ت : « ولقد » .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - في ت : « فأتاه » .

قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾

ينهىٰ تعالىٰ عبادَهُ المؤمنين عن مشابهة الكفار في اعتقادهم الفاسد ، الدال عليه قولهم عن[١] إخوانهم الذين ماتوا في الأسفار والحروب : لو كانوا تركوا ذلك لما أصابهم ما أصابهم ؛ فقال تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم** ﴾ أي : عن إخوانهم ، ﴿ **إذا ضربوا في الأرض** ﴾ ، أي : سافروا للتجارة ونحوها ﴿ **أو كانوا غُزًّى** ﴾ ، أي : كانوا[٢] في الغزو : ﴿ **لو كانوا عندنا** ﴾ أي : في البلد ، ﴿ **ما ماتوا وما قتلوا** ﴾ أي : ما ماتوا في السفر ، وما قتلوا في الغزو .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ليجعل اللَّه ذلك حسرة في قلوبهم** ﴾ أي : خلق هذا الاعتقاد في نفوسهم ؛ ليزدادوا حسرة علىٰ [موتاهم وقتلاهم][٣] . ثم قال تعالىٰ ردًّا عليهم : ﴿ **واللَّه يحيي ويميت** ﴾ أي : بيده الخلق ، وإليه يرجع الأمر ، ولا يحيا أحد ولا يموت أحد إلا بمشيئته وقدره ، ولا يزاد في عمر أحد ولا ينقص منه شيء[٤] إلا بقضائه وقدره : ﴿ **واللَّه بما تعملون بصير** ﴾ ، أي : علمه وبصره نافذ في جميع خلقه ؛ لا يخفىٰ عليه من أمورهم شيء .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ولئن قتلتم في سبيل اللَّه أو متم لمغفرة من اللَّه ورحمة خير مما يجمعون** ﴾ تضمن هذا أن القتل في سبيل اللَّه والموت أيضًا وسيلة إلىٰ نيل رحمة اللَّه وعفوه ورضوانه ، وذلك خير من البقاء في الدنيا ، وجميع حطامها الفاني .

ثم أخبر تعالىٰ بأن كل من مات أو قتل ، فمصيره ومرجعه إلىٰ اللَّه عز وجل فيجزيه بعمله : إن خيرًا فخير ، وإن شرًّا فشر . فقال تعالىٰ : ﴿ **ولئن متم أو قتلتم لإلى اللَّه تحشرون** ﴾ .

فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ

[١] - في ت : « على » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في خ : « موتهم وقتلهم » .
[٤] - سقط من : خ .

أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ
وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ
جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ
﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ
آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي
ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾

يقول تعالىٰ مخاطبًا رسوله ﷺ ممتنًّا عليه وعلىٰ المؤمنين فيما ألان به قلبه علىٰ أمته المتبعين لأمره، التاركين لزجره، وأطاب لهم لفظه، ﴿ **فبما رحمةٍ من اللَّه لنت لهم** ﴾، أي: أي شيء جعلك اللَّه لهم ليِّنًا لولا رحمةُ اللَّه بك وبهم.

وقال قتادة: ﴿ **فبما رحمة من اللَّه لنت لهم** ﴾ يقول: فبرحمة من اللَّه لنت لهم، « **وما** » صلة، والعرب تصلها بالمعرفة كقوله: ﴿ **فبما نقضهم ميثاقهم** ﴾، وبالنكرة كقوله: ﴿ **عما قليلٍ** ﴾، وهكذا هاهنا قال[١]: ﴿ **فبما رحمة من اللَّه لنت لهم** ﴾ أي: برحمة من اللَّه.

وقال الحسن البصري: هذا خلق محمد ﷺ بعثه اللَّه به.

وهذه الآية الكريمة شبيهة بقوله تعالىٰ: ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم** ﴾.

وقال الإمام أحمد(٤٤٢): حدّثنا حَيْوَة، حدثنا [بقية، حدثنا][٢] محمد بن زياد،

(٤٤٢) - « المسند » (٥/٢٦٧) وهذا إسناد صحيح، وبقية - وهو ابن الوليد - إنما يخشى من عنعنته، وهو هنا صرح بالتحديث، وقد أخرجه ابن عدى فى « الكامل » (٢/٥٠٤، ٥٠٩) من طريق أبى مسهر عبدالأعلى بن مسهر، ثنا بقية، به، غير أنه قال « يلين له قلبى » مكان « يلين لى قلبه » وقال ابن عدى: «وهذا الحديث لا أعرفه إلا ببقية » وهو ثقة إذا صرح بالتحديث، وروى عن مشايخ له معروفين، وعبد الأعلى بن مسهر ثقة حافظ، وقد رواه عن بقية بلفظ عبد الأعلى، المُعلى بن الوليد القعقاعى عند الطبرانى فى « المعجم الكبير » (٧٤٩٩/٨)، وأحمد بن الفرج عند ابن عساكر فى « تاريخ دمشق » (٢/٢٣/١٩) - كما فى « الصحيحة » للألبانى (١٠٩٥/٣) - وأعل الألبانى هذا اللفظ لضعف أحمد بن الفرج، وهو =

[١] - سقط من: خ.
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.

حدثني أبو راشد الحُبراني[١] ؛ قال : أخذ بيدي أبو أمامة الباهلي ، وقال : أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال : « **يا أبا أمامة ؛ إن من المؤمنين من يلين [لي قلبه]**[٢] » . تفرد[٣] به أحمد .

ثم قال تعالى : ﴿ **ولو كنت فظًّا غليظ القلب لانفضوا من حولك** ﴾ والفظ : الغليظ ، والمراد[٤] به هاهنا غليظ الكلام ؛ لقوله بعد ذلك : ﴿ **غليظ القلب**[٥] ﴾ أي : لو كنت سيىء الخُلق[٦] قاسي القلب عليهم ؛ لانفضوا عنك وتركوك ، ولكن الله جمعهم عليك ، وألان جانبك لهم تأليفًا لقلوبهم . كما قال عبد الله بن عمرو (٤٤٣) : إنه رأى صفة رسول الله ﷺ في الكتب المتقدمة أنه ليس بفظ ، ولا غليظ ، ولا سخّاب في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح .

وروى أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذي (٤٤٤) : أنبأنا بشر بن عبيد الداري[٧] ، حدثنا عمار بن عبد الرحمن ، عن المسعودي ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله أمرني بمداراة الناس كما أمرني بإقامة الفرائض** » . حديث غريب .

= متابع عليه كما رأيت . وأخرجه ابن عساكر أيضًا (٢٩٧/٨/مخطوط) من طريق مسيب بن واضح نا بقية ، عن محمد بن دينار ، عن أبى راشد به ، بلفظ عبد الأعلى ، لكن المسيب بن واضح هذا تركه العقيلى والدارقطنى ، وكان النسائى حسن الرأى فيه ، وقال أبو حاتم : « صدوق يخطئ كثيرًا » ولا شك أنه أخطأ هنا فى إسناده لمخالفته الثقات والله أعلم ، والحديث ذكره الهيثمى فى موضعين من « المجمع » (٦٨/١) وقال فيه : « رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح » (٢٧٩/١٠) وقال : « رواه الطبرانى ورجاله وثقوا».

(٤٤٣) - يأتي تخريجه سورة الأعراف / آية ١٥٧ .

(٤٤٤) - وكذا رواه ابن عدى فى « الكامل » (٤٤٧/٢) وابن مردويه فى « ثلاثة مجالس من الأمالى » (١/١٩٢) ، وأبو مطيع المصرى فى « الأمالى » أيضًا (٢/٢٣/١) والديلمى (٣٢٠/٢/١) - كما فى «الضعيفة » للألبانى (٨١٠/٢) - كلهم من طريق بشر بن عبيد به ، وعزاه السيوطى فى « الدر المنثور » (٢/ ١٥٩) إلى الحكيم الترمذى وابن عدى بسند فيه متروك وهو يعنى بذلك بشر بن عبيد هذا ، فقد قال فيه ابن عدى : « منكر الحديث عن الأئمة ،... هو بين الضعف أيضًا ، ولم أجد للمتقدمين فيه كلامًا ، وهو إذا روى إنما يروى عن ضعيف مثله أو مجهول أو محتمل أو يروى عمن يرويه أمثالهم » وكذبه الأزدى ، وساق له الذهبى فى « الميزان » أحاديث هذا منها ثم عقبها بقوله : « وهذه الأحاديث غير صحيحة ، والله المستعان » ومع هذا فقد ذكره ابن حبان فى « الثقات » (١٤١/٨) !! .

---

[١] - في خ : « الحراني » .
[٢] - في خ : « له قلبي » .
[٣] - في خ : « انفرد » .
[٤] - في ت : « المراد » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في ت : « الكلام » .
[٧] - سقط من : ت .

ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر** ﴾ ولذلك كان رسول الله ﷺ يشاور أصحابه في الأمر إذا حدث ، تطييبًا لقلوبهم [ليكون أنشط لهم فيما يفعلونه][١] ، كما[٢] شاورهم يوم بدر في الذهاب إلىٰ العير فقالوا : يا رسول الله ؛ لو استعرضت بنا عُرْضَ البحر لقطعناه معك ، ولو سرت بنا إلىٰ بَرْكِ الغِمَاد(*) ؛ لسرنا[٣] معك ، ولا نقول لك كما قال قوم موسىٰ لموسىٰ : اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا هاهنا قاعدون ، ولكن نقول[٤] : اذهب فنحن معك ، وبين يديك ، وعن يمينك ، وعن[٥] شمالك مقاتلون[٦] (٤٤٥) . وشاوَرَهم أيضًا أين يكون المنزل ؟ حتىٰ أشار المنذر بن عمرو المعنق ليموت[٧] بالتقدم[٨] أمام القوم . وشاورهم في أحد : في[٩] أن يقعد في المدينة ، أو يخرج [إلىٰ العدو][١٠] ، فأشار جمهورهم بالخروج إليهم ، فخرج إليهم(٤٤٦) . وشاورهم يوم الخندق في مصالحة الأحزاب بثلث ثمار المدينة عامئذ ؛ فأبىٰ ذلك عليه السعدان : سعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة ، فترك ذلك . وشاورهم يوم الحديبية في أن يميل علىٰ ذراري المشركين ؟ فقال له الصديق : إنا لم نجيء لقتال أحد[١١] ، وإنما جئنا معتمرين ، فأجابه إلىٰ ما قال .

وقال ﷺ في قصة الإفك (٤٤٧) : « **أشيروا علي معشر المسلمين في قوم أبنوا(*) أهلي ورموهم ، [وايم الله ما علمت علىٰ أهلي من سوء ، وأبنوهم][١٢] بمن ؟ والله ما علمت عليه إلا خيرًا** » . واستشار عليًا وأسامة في فراق عائشة رضي الله عنها .

فكان ﷺ يشاورهم في الحروب ونحوها ، وقد اختلف الفقهاء : هل كان ذلك[١٣] واجبًا عليه ، أو من باب الندب تطييبًا لقلوبهم ؟ علىٰ قولين .

---

(٤٤٥) - قائل ذلك هو المقداد بن عمرو أخرج ذلك البخارى (٣٩٥٢) والنسائى فى « التفسير » من «الكبرى» (٦/١١٤٠) ، وأحمد (١/٣٩٠ ، ٤٢٨) من حديث عبد الله بن مسعود .

(٤٤٦) - انظر ما تقدم عند آية رقم (١٢١) .

(٤٤٧) - يأتى تخريج قصة الإفك فى سورة النور .

---

[١] - في خ : « ليكونوا ما يفعلونه أنشط لهم » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في خ : « لسرناه » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - في خ : « للموت » .
[٨] - في خ : « بالتقدم إلى » .
[٩] - سقط من ت .
[١٠] - في خ : « إليهم » .
[١١] - سقط من ت .
[١٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[١٣] - سقط من ت .

وقد قال الحاكم في مستدركه(٤٤٨) : حدثنا أبو جعفر محمد بن محمد البغدادي ، حدثنا يحيىٰ بن أيوب العلاف بمصر ، حدثنا سعيد بن أبي مريم ، أنبأنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس في قوله تعالىٰ : ﴿ **وشاورهم في الأمر** ﴾ قال : أبو بكر وعمر رضي اللَّه عنهما ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وكذا[١] رواه الكلبي ، عن أبي صالح عن ابن عباس قال : نزلت في أبي بكر وعمر ، وكانا حواريَّي رسول اللَّه ﷺ و وزيريه[٢] وأبوي المسلمين .

وقد روىٰ الإمام أحمد(٤٤٩) : حدثنا وكيع ، حدثنا عبد الحميد ، عن شهر بن حوشب ، عن عبد الرحمن بن غنم[٣] ، أن رسول اللَّه ﷺ قال لأبي بكر وعمر رضي اللَّه عنهما : « **لواجتمعتما في مشورة ما خالفتكما** » .

وروىٰ ابن مردُويه(٤٥٠) ، عن علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه قال : سُئل رسول الله ﷺ عن العزم ؟ فقال[٤] : « **مشاورة أهل الرأي ثم اتباعهم** » .

وقد[٥] قال ابن ماجة (٤٥١) : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا يحيىٰ بن أبي بكير[٦] ، عن

(٤٤٨) - « المستدرك » (٧٠/٣) وقال : « حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي وهو كما قالا .

(٤٤٩) - « المسند » (٢٢٧/٤) وذكره الهيثمى فى « المجمع » (٥٦/٩) وقال : « رواه أحمد ورجاله ثقات إلا أن ابن غنم لم يسمع من النبى ﷺ » ، قال العلائى فى « جامع التحصيل » (ص ٢٢٥) : « عبد الرحمن بن غنم الأشعرى ، قال أحمد بن حنبل : أدرك النبى ﷺ ولم يسمع منه . قلت - الحافظ العلائى - : ولا رؤية له أيضًا بل كان مسلمًا باليمن فى حياة النبى ﷺ ولم يفد عليه ولزم معاذ بن جبل . وهو من كبار التابعين فحديثه مرسل ، وقد قيل : إن له صحبة ، وذلك ضعيف واللَّه أعلم » والحديث لم يعزه السيوطى فى « الدر المنثور » (١٦٠/٢) لغير أحمد .

(٤٥٠) - ذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (١٦٠/٢) ولم يعزه لغير ابن مردويه !! .

(٤٥١) - سنن ابن ماجه ، كتاب الأدب ، باب المستشار مؤتمن (٣٧٤٥) ، وأخرجه أبو داود ، كتاب الأدب ، باب في المشورة (٥١٢٨) ، والترمذى كتاب الزهد ، باب ما جاء فى معيشة أصحاب النبى ﷺ (٢٣٦٩) مطولاً ، وكتاب الأدب ، باب : إن المستشار مؤتمن (٢٨٢٢) مختصرًا ، من طريق شيبان به. وأخرجه النسائى فى « التفسير » من « الكبرى » (١١٦٩٧/٦) من طريق أبى حمزة ، عن عبد الملك بن عمير به مختصرًا ، وقال الترمذى عقب الموضع الأول : « حديث حسن صحيح غريب » وقال =

[١] - بياض في خ .
[٢] - في خ : « وزيره » .
[٣] - في خ : « عنيم » .
[٤] - في خ : « قال » .
[٥] - في خ : بياض .
[٦] - في خ : « بكر » .

شيبان[١] ، [عن عبد الملك بن عمير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « **المستشار مؤتمن** » .

ورواه أبو داود والترمذي ، وحَسَّنه النسائي من حديث عبد الملك][٢] بأبسط [من هذا][٣] .

ثم قال ابن ماجة (٤٥٢) : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا أسود بن عامر ، عن شريك ، عن الأعمش ، عن أبي عمرو[٤] الشيباني ، عن أبي مسعود قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : « **المستشار مؤتمن** » . [تفرد به][٥] .

و[قال أيضًا][٦] (٤٥٣) : حدثنا أبو بكر ، حدثنا يحيىٰ بن زكريا بن أبي زائدة ، وعلي[٧] بن هاشم ، عن ابن أبي ليلىٰ ، عن أبي الزبير عن جابر ، قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : « **إذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه** » . تفرد به أيضًا .

= عقب الثانى : « حديث حسن » ، وصححه الحاكم (١٣١/٤) على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبى ، وأصل الحديث عند مسلم ، كتاب الأشربة ، حديث ١٤٠ - (٢٠٣٨) .

(٤٥٢) - سنن ابن ماجه كتاب الأدب ، باب المستشار مؤتمن (٣٧٤٦) ، وأخرجه ابن حبان (١٩٩١/٦/ موارد) ، والطبرانى فى « المعجم الكبير » (١٧/رقم٦٣٨) من طريق أبى بكر بن أبى شيبة به ، وأخرجه أحمد (٢٧٤/٥) وعبد بن حميد فى « المنتخب » (٢٣٥) ، والدارمى فى « السنن » (٢٤٥٢/٢) والحاكم فى « المستدرك » كما فى زوائد البوصيرى (١٨٢/٣) ومن طريقه البيهقى فى « السنن الكبرى » (١٠/ ١١٢) من طريق الأسود بن عامر به ، وأخرجه الطبرانى أيضًا من طريق عبد الحميد بن بحر ، وطلق بن غنام ، ثنا شريك به ، وقال البوصيرى : « إسناده صحيح ، رجاله ثقات ، وأبو عمرو الشيبانى اسمه سعد ابن إياس .. كذا قال !! وشريك هو ابن عبد اللّٰه القاضى ، سيىء الحفظ جدًّا ، وقد أعل الحديث به أبو حاتم فى « العلل » (٢٤٧/٢) (رقم ٢٣١٩) ، فقال ابنه : « سألت أبى عن حديث رواه الأسود بن عامر عن شريك ، عن الأعمش ، عن أبى عمرو الشيبانى ، عن أبى مسعود - تحرف إلى ابن مسعود - عن النبى - ﷺ قال : « المستشار مؤتمن » قال أبى : هذا خطأ ، إنما أراد « الدال على الخير كفاعله » قلت : الخطأ ممن هو ؟ قال : من شريك » وقال أيضًا : « العلل » (٣٢٢/٢) (رقم ٢٤٨٥) : « سألت أبى عن حديث رواه سهل بن عثمان ، عن غالب ، عن شريك ، عن الأعمش ... الحديث : « قال أبى : وهم فيه غالب إنما هو عن أبى مسعود عن النبى ﷺ « **الدال على الخير كفاعله** » .

(٤٥٣) - سنن ابن ماجه ، كتاب الأدب ، باب المستشار مؤتمن (٣٧٤٧) وهذا إسناد ضعيف وله =

[١] - في خ : « سفيان » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - في خ : « منه » .
[٤] - في خ : « عمر » .
[٥] - في خ : « تفرد به أحمد » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٧] - في خ : « عن » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **فإذا عزمت فتوكل علىٰ اللّه** ﴾ أي إذا شاورتهم في الأمر ، وعزمت عليه فتوكل علىٰ اللّه فيه ﴿ **إن اللّه يحب المتوكلين** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **إن ينصركم اللّه فلا غالب لكم وإن يخذُلْكُم فمن ذا الذي ينصركم من بعده** ﴾ وهذه الآية كما تقدم من قوله : ﴿ **وما النصر إلا من عند اللّه العزيز الحكيم** ﴾ . ثم أمرهم بالتوكل عليه ، فقال : ﴿ **وعلىٰ اللّه فليتوكل المؤمنون** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وما كان لنبي أن يَغُل** ﴾ قال ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن ، وغير واحد : ما ينبغي لنبي أن يخون .

وقال ابن أبي حاتم (٤٥٤) : حدثنا أبي ، حدثنا المسيب بن واضح ، حدثنا أبو إسحاق الفزاري ، عن [سفيان ، عن][١] خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : فقدوا قطيفة يوم بدر فقالوا : لعل رسول اللّه ﷺ أخذها ، فأنزل اللّه : ﴿ **وما كان لنبي أن يَغُل** ﴾ [أي : يخون][٢] .

وقال ابن جرير(٤٥٥) : حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب : حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا خصيف ، حدثنا مقسم ، حدثني ابن عباس ، أن هذه الآية : ﴿ **وما كان لنبي أن يغل** ﴾ نزلت[٣] في قطيفة حمراء فُقِدَتْ يوم بدر ؛ فقال بعض الناس : [لعل رسول اللّه][٤] أخذها ، فأكثروا في ذلك ؛ فأنزل اللّه : ﴿ **وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة** ﴾ . وكذا رواه أبو داود رحمه اللّه تعالى والترمذي جميعًا ، عن قتيبة ، عن عبد الواحد ابن زياد به وقال الترمذي : حسن غريب . ورواه[٥] بعضهم عن خصيف عن مقسم يعني

= علتان، الأولى : عنعنة أبى الزبير ، فإنه كان مدلسًا ، والأخرى : ضعف ابن أبى ليلى ، وهو محمد بن عبد الرحمن القاضى .

(٤٥٤) - تفسير ابن أبى حاتم (١٧٦٠/٢) .

(٤٥٥) - تفسير ابن جرير (٨١٣٦/٧) وأخرجه أبو داود ، فاتحة كتاب الحروف والقراءات (٣٩٧١) ، والترمذى ، كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة آل عمران (٣٠٠٩) كلاهما (أبو داود والترمذى) ثنا قتيبة بن سعيد به ، وأخرجه ابن جرير أيضًا (٨١٣٨/٧) من طريق عتاب بن بشير ، عن خصيف به ، وقال الترمذي : « هذا حديث حسن غريب ، وقد روى عبد السلام بن حرب عن خصيف نحو هذا ، وروى بعضهم هذا الحديث عن خصيف عن مقسم ، ولم يذكر فيه ابن عباس » .

---

[١] - في خ : « شقيق » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - مكانها في خ : قبل الآية .
[٤] - زيادة من : خ .
[٥] - في خ : « رواه » .

مرسلًا .

ورواه ابن مردُويه من طريق أبي عمرو بن العلاء ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : اتهم المنافقون رسول اللّٰه ﷺ بشيء فُقِدَ ، فأنزل اللّٰه تعالىٰ[١] : ﴿ **وما كان لنبي أن يغل** ﴾ .

وقد روي من غير وجه(٤٥٦) ، عن ابن عباس نحو ما تقدّم ، وهذا [تنزيه و][٢] تبرئة له ، صلوات اللّٰه وسلامه عليه ، عن[٣] جميع وجوه الخيانة في أداء الأمانة وقسم الغنيمة وغير ذلك .

وروى[٤] العوفي عن ابن عباس : ﴿ **وما كان لنبي أن يغل** ﴾ أي : بأن يقسم لبعض السرايا ويترك بعضًا . وكذا قال الضحاك .

وقال محمد بن إسحاق : ﴿ **وما كان لنبي أن يغل** ﴾ بأن يترك بعض ما أنزل عليه[٥] فلا يبلغه لأمّته[٦] .

وقرأ الحسن البصري ، وطاووس ، ومجاهد ، والضحاك : ﴿ **وما كان لنبي أن يُغَلَّ** ﴾ [بضم الياء][٧] أي : يخان .

وقال قتادة ، والربيع بن أنس : نزلت هذه الآية يوم بدر ، وقد غل بعض أصحابه ، رواه ابن جرير عنهما(٤٥٧) ، ثم حكىٰ عن[٨] بعضهم أنه فسر[٩] هذه القراءة بمعنىٰ يتهم بالخيانة .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ومن يَغْلُل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون** ﴾ وهذا تهديد شديد ، ووعيد أكيد ، وقد وردت السنة بالنهي عن ذلك أيضًا في أحاديث متعدّدة .

قال الإمام أحمد(٤٥٨) : حدثنا عبد الملك ، حدثنا زهير - يعني ابن محمد - عن عبد اللّٰه

(٤٥٦) - أخرجه ابن جرير (٨١٣٩/٧) والطبراني في « المعجم الكبير » (١٢٠٢٨/١١ ، ١٢٠٢٩) من طرق عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس به .

(٤٥٧) - تفسير ابن جرير (٨١٥٢/٧ ، ٨١٥٣ ، ٨١٥٤) .

(٤٥٨) - « المسند » (١٤٠/٤) ، (٣٤١/٥) وأخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٣/رقم ٣٤٦٣)=

[١] - في خ : « عز وجل » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ت : « من » .
[٤] - في ت : « وقال » .
[٥] - في ت : « إليه » .
[٦] - في ت : « أمته » .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - سقط من : ت .
[٩] - في خ : « قرأ » .

ابن محمد بن عقيل ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي مالك الأشجعي ، عن النبي ، ﷺ ، قال[١] : « **أعظم الغلول عند الله ذراع من أرض[٢] ، تجدون[٣] الرجلين جارين في الأرض- أو في الدار- فيقطع أحدهما من حظ صاحبه ذراعًا ، فإذا اقتطعه طُوِّقه من سبع أرضين [إلىٰ يوم القيامة][٤]** » .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد (٤٥٩) : حدثنا موسىٰ بن داود[٥] ، حدثنا ابن لهيعة ، عن ابن هبيرة والحارث بن يزيد ، عن عبد الرحمن بن جبير ، قال : سمعت المستورد[٦] بن شدّاد يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من ولي لنا عملًا وليس له منزل فليتخذ منزلًا ، أو ليست له زوجة فليتزوج ، أو ليس له[٧] خادم فليتخذ له خادمًا ، أو ليس[٨] له دابة فليتخذ دابة ، و[٩] من أصاب شيئًا سوىٰ ذلك فهو غال** » .

هكذا رواه الإمام أحمد ، وقد رواه أبو داود بسند آخر وسياق آخر فقال (٤٦٠) : حدثنا موسىٰ ابن مروان الرقي ، حدثنا المعافى ، حدثنا الأوزاعي ، عن الحارث بن يزيد ، عن جبير بن نفير ، عن المستورد بن شدّاد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من كان لنا عاملًا فليكتسب زوجة ؛**

= ثنا حفص الرقى ، ثنا أبو حنيفة ، ثنا زهير به ، غير أنه سمى صحابيه « أبو مالك الأشعرى » . وأخرجه ابن أبى شيبة - كما فى « المطالب العالية المسندة » (٤/رقم ١٥٧٤) ، وأحمد (٥/٣٤٤) ، والطبرانى من طرق عن شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل به . وحسن إسناده الحافظ ابن حجر فى « الفتح » (٥/ ١٠٥) ومن قبله شيخه الهيثمى فى « المجمع » (٤/١٧٨) وكذا حسنه المنذرى فى « الترغيب والترهيب » (١٦/٣).

(٤٥٩) - « المسند » (٤/٢٢٩) وأخرجه أيضًا : ثنا يحيى بن إسحاق ، قال : حدثنا ابن لهيعة به ، وأخرجه أيضًا ثنا حسن بن موسى ، والطبرانى فى « المعجم الكبير » (٢٠/رقم ٧٢٥) من طريق القعنبى كلاهما (حسن والقعنبى) ثنا ابن لهيعة به ليس فيه ابن هبيرة ، وأخرجه أحمد أيضًا (٤/٢٢٩) ثنا حسن ، والطبرانى (٢٠/٧٢٦) من طريق أسد بن موسى كلاهما (حسن وأسد) ثنا ابن لهيعة به وليس فيه الحارث ابن يزيد وانظر ما بعده .

(٤٦٠) - سنن أبى داود كتاب الخراج والإمارة والفيء باب فى أرزاق العمال (٢٩٤٥) ومن طريقه البيهقى فى « السنن الكبرى » (٦/٣٥٥) وأخرجه الطبرانى فى « المعجم الكبير » (٢٠/٧٢٧) ثنا جعفر بن =

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في ت : « الأرض » .
[٣] - في خ : « يجدون » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - سقط من : ت .
[٦] - في خ : « المستور » .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - في خ : « ليست » .
[٩] - سقط من : خ .

فإن لم يكن له خادم فليكتسب خادمًا ، فإن لم يكن له مسكن فليكتسب مسكنًا » . قال : قال أبو بكر : أخبرت أن النبي ﷺ قال : « **من اتخذ غير ذلك فهو غالٍ أو سارق** » .

قال شيخنا الحافظ المزي رحمه الله : رواه أبو[١] جعفر بن محمد الفريابي ، عن موسىٰ بن مروان فقال : عن عبدالرحمن بن جبير بن نفير ، وهو أشبه بالصواب .

(حديث آخر) قال ابن جرير(٤٦١) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا حفص بن بشر ، حدثنا يعقوب القمي ، حدثنا حفص بن حميد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « **لا أعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل شاة لها ثغاء(*) ، ينادي[٢] : يا محمد ، يا محمد ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئًا ، قد بلغتك . ولا أعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة**

= محمد الفريابي ، ثنا موسي بن مرزوق - كذا وصوابه مروان كما هنا - الرقى ، ثنا المعافى به غير أنه قال : « عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن المستورد بن شداد » وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٢٣٧٠/٤) ثنا يحيى بن مخلد ، والحاكم فى « المستدرك » (٤٠٦/١) - وعنه البيهقى - وأبو نعيم فى « الحلية » (٢٩١/٨) من طريق محمد بن عبد الله بن عمار ، كلاهما (يحيى ومحمد) ثنا المعافى بن عمران عن الأوزاعى حدثنى الحارث بن يزيد عن عبد الرحمن بن جبير به ، وقال أبو نعيم : « تفرد به الحارث عن عبد الرحمن ، كذا قال ، وتابعه ابن هبيرة كما فى السابق . وقال الحاكم : « حديث صحيح على شرط البخارى » ووافقه الذهبى ، لكن أعله أبو حاتم الرازى - كما فى « العلل » (١/رقم ٦٣٦ . ١٢٣١) لابنه قال : « سألت أبى عن حديث رواه ابن وهب عن ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن عبد الرحمن بن جبير ... الحديث » . قال : « قال أبى : هذا خطأ إنما هو على ما رواه الليث عن الحارث بن يزيد عن رجل عن المستورد عن النبى ﷺ فقلت لأبى : للمستورد صحبة ، قال : نعم » وقد مال البغوى إلى تضعيفه ، فعلقه بصيغة التمريض فى « شرح السنة » (٨٦/١٠) ، وقول المزى المنقول هنا هو « تحفة الأشراف » (٣٧٧/٨ ، ٣٧٨) ، وقال الحافظ ابن حجر فى « النكت الظراف » ، رواه أحمد من طريق ابن لهيعة ، عن ابن هبيرة والحارث بن يزيد ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، فيحتمل أن يكون فى أصل أبى داود عن « ابن جبير بن نفير » فسقطت « ابن » ثم وجدت الحديث فى « تاريخ ابن يونس » أخرجه عن النسائى ، عن يحيى بن مخلد ، عن موسى بن مروان بسند أبى داود ، لكن قال فيه « عن عبد الرحمن بن جبير » حسب ، كذلك ساقه النسائى فى « كتاب الجهاد » (٤) من رواية ابن الأحمر ، وهو مما أغفله المزى فيستدرك كنظائره ، وعلى هذا فذكر « نفير » فى هذا الإسناد غلط ممن ذكره ، فإن الذى جده نفير شامى ، وصاحب هذا الحديث مصرى ، والمستورد أيضا مصرى » .

(٤٦١) - تفسير ابن جرير (٨١٥٨/٧) ورجاله كلهم من رجال « التهذيب » غير حفص بن بشر ، لم يترجم له إلا ابن أبى حاتم فى « الجرح والتعديل » (١٧٠/٣) ولم يزد علي قوله : « روى عن يعقوب القمى ، روى عنه أبو كريب » .

(*) الثغاء : صياح الشاة .

[١] - سقط من : خ .

[٢] - في خ : « فينادى » .

يحمل جملًا له رغاء(*) ، **يقول**[١] **: يا محمد ، يا محمد ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئًا ، قد بلغتك . ولا أعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل فرسًا له حمحمة**(**) ، **ينادي : يا محمد ؛ يا محمد ؛ فأقول : لا أملك لك من الله شيئًا ، قد بلغتك ، و**[٢] **لا أعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل قشعًا**[٣](***) **من أدم ، ينادي : يا محمد ؛ يا محمد ؛ فأقول : لا أملك لك من الله شيئًا ، قد بلغتك** » . لم يروه أحد من أصحاب[٤] الكتب الستة .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(٤٦٢) : حدثنا سفيان ، عن الزهري سمع[٥] عروة يقول : أخبرنا أبو حميد الساعدي ، قال : استعمل رسول الله ﷺ رجلًا من الأزد ، يقال له : ابن اللتبية ، على الصدقة ، فجاء[٦] فقال : هذا لكم ، وهذا أهدي لي ، فقام رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، [على المنبر][٧] فقال : « **ما بال العامل نبعثه فيجيء**[٨] **فيقول : هذا لكم ، وهذا أهدي لي ، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه فينظر أيهدى إليه أم لا ؟ والذي نفسُ محمد بيده لا يأتي أحدكم منكم**[٩] **منها بشيء إلا جاء به**[١٠] **يوم القيامة على رقبته ، إن كان بعيرًا له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تَيْعرُ**(****) » ، ثم رفع يديه حتى رأينا عفرة إبطيه : ثم قال : « **اللّهم ، هل بلغت** » . ثلاثًا . وزاد هشام بن عروة ، فقال أبو حميد : بصر عيني ، وسمع أذني ، واسألوا زيد بن ثابت .

(*) - الرغاء : صوت الإبل .

(**) - حمم الفرس : صات صوتًا دون العالي .

(***) - القشع : الفرو الخلق .

(٤٦٢) - « المسند » (٤٢٣/٥) وأخرجه البخارى كتاب الهبة ، باب : من لم يقبل الهدية لعِلّة (٢٥٩٧) وكتاب الأحكام ، باب : هدايا العمال (٧١٧٤) ، ومسلم كتاب الإمارة باب تحريم هدايا العمال (٢٦) (١٨٣٢) ، وأبو داود كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب فى هدايا العمال (٢٩٤٦) من طرق عن سفيان وهو ابن عيينة به ، وأخرجه البخارى في كتاب الزكاة ، باب : قول الله تعالى ﴿ والعاملين عليها ﴾ (١٥٠٠) وانظر أطرافه رقم (٩٢٥) ، ومسلم (٢٧ ، ٢٨) (١٨٣٢) من طرق عن هشام بن عروة عن أبيه به .

(****) أي تصيح . واليعار : صوت الشاة . شرح مسلم (٣٠٣/١٣) .

---

[١] - في خ : « ويقول » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في خ : « وقال » .
[٤] - في ت : « أهل » .
[٥] - في ت : سمع عن » .
[٦] - في ت : « فجاءه » .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - سقط من : خ .
[٩] - سقط من : ت .
[١٠] - سقط من : خ .

أخرجاه من حديث سفيان بن عيينة ؛ وعند البخاري : وسلوا زيد بن ثابت ، ومن غير وجه عن الزهري ؛ ومن طرق عن هشام بن عروة ؛ كلاهما عن عروة به .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(٤٦٣) : حدثنا إسحاق بن عيسىٰ ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن يحيىٰ بن سعيد ، عن عروة بن الزبير ، عن أبي حميد أن رسول اللَّه ﷺ ، قال : « **هدايا العمال غلول** » .

وهذا الحديث من أفراد أحمد ، وهو ضعيف الإسناد وكأنه مختصر من الذي قبله واللَّه أعلم .

(حديث آخر) قال أبو عيسىٰ الترمذي في كتاب الأحكام (٤٦٤) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا أبو أسامة ، عن داود بن يزيد الأودي ، عن المغيرة بن شبل ، عن قيس بن أبي حازم ، عن معاذ ابن جبل قال : بعثني رسول اللَّه ﷺ إلىٰ اليمن ، فلما سرت ، أرسل في أثري فرددت ، فقال : « **أتدري لما بعثت إليك ؟ لا تصيبن شيئًا بغير إذني فإنه غلول ، ﴿ ومن يغلل يأت بما غلّ يوم القيامة ﴾ لهذا دعوتك ، فامض لعملك** » .

هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ؛ وفي الباب عن عدي بن عميرة وبريدة ، والمستورد بن شداد ، وأبي حميد ، وابن عمر .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(٤٦٥) : حدثنا إسماعيل بن علية ، حدثنا أبو حيان يحيىٰ

(٤٦٣) - « المسند » (٤٢٤/٥) وأخرجه البزار فى « مسنده » (٣٧٢٣/٩) وابن عدى فى « الكامل » (٢٩٥/١) ومن طريقه البيهقى فى « السنن الكبرى » (١٣٨/١٠) من طرق عن إسماعيل بن عياش به ، وقال البزار : « وهذا الحديث رواه إسماعيل بن عياش واختصره وأخطأ فيه ، وإنما هو عن الزهرى عن عروة عن أبى حميد أن النبى ﷺ بعث رجلاً على الصدقة » يعنى السابق - وقال ابن عدى : « ولا يحدث هذا الحديث عن يحيى غير ابن عياش » وهو ثقة فى روايته عن الشاميين ، ضعيف فى غيرهم ، وهذا منها فإن يحيى بن سعيد حجازى مدنى ، وبذلك أعله الهيثمى فى « المجمع » (١٥٤/٤ ، ٢٠٣) ، (٢٥٢/٥) وكذا ضعف إسناده الحافظ ابن حجر فى « الفتح » (٢٢١/٥) وفى « تلخيص الحبير » (٢٠٨/٤) وللحديث طرق أخرى يحتمل معها التحسين ، انظر « إرواء الغليل » للألبانى (٢٦٢٢/٨) .

(٤٦٤) - جامع الترمذى ، كتاب الأحكام ، باب ما جاء فى هدايا الأمراء (١٣٣٥) ، وقال : « حديث معاذ ، حديث غريب . لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبى أسامة عن داود الأودى » قلت : وداود وهو ابن يزيد بن عبد الرحمن الأودى ، ضعفه أحمد وابن معين وأبو داود ، وقال النسائى : « ليس بثقة » وقال أبو حاتم : « ليس بقوى ، يتكلمون فيه » واستنكر له ابن عدى فى « الكامل » (٩٤٨/٢) هذا الحديث بعينه . والحديث ذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (١٦٣/٢) ولم يعزه لغير الترمذى .

(٤٦٥) - « المسند » (٤٢٦/٢) وأخرجه البخاري ، كتاب الجهاد ، باب الغُلول (٣٠٧٣) ، ومسلم ، كتاب الإمارة ، باب غلظ تحريم الغلول (٢٤) (١٨٣١) من طريق أبى حيان به . وتابعه عمارة بن القعقاع عن أبى زرعة به أخرجه من هذه الطريق مسلم .

ابن سعيد التيمي ، عن أبي زرعة بن عمر بن جرير ، عن أبي هريرة قال : قام فينا رسول اللَّه ، ﷺ يومًا فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره ، ثم قال : « **لا أُلْفِين أحدكم يجيء يوم القيامة علىٰ رقبته بعير له رُغاء ، فيقول : يا رسول اللَّه ؛ أغثني ، فأقول : لا أملك لك من اللَّه شيئًا ، قد أبلغتك ؛ لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس لها حمحمة فيقول : يا رسول اللَّه ؛ أغثني . فأقول : لا أملك لك من اللَّه شيئًا ، فقد أبلغتك . لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على**[١] **رقبته رقاع تخفق**[٢] **فيقول : يا رسول اللَّه ؛ أغثني فأقول : لا أملك لك من اللَّه شيئًا ، فقد**[٣] **أبلغتك ، [لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة علىٰ رقبته صامت**(*) **، فيقول : يا رسول اللَّه ؛ أغثني ، فأقول : لا أملك لك من اللَّه شيئًا قد أبلغتك** »][٤] . أخرجاه من حديث أبي حيان به .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد (٤٦٦) : حدثنا يحيىٰ بن سعيد ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، حدثني قيس ، عن عدي بن عميرة الكندي ، قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **يا أيها الناس ، من عمل لنا منكم**[٥] **عملًا فكتمنا منه مخيطًا فما فوقه فهو غل يأتي به يوم القيامة** » . قال : فقام[٦] رجل من الأنصار أسود- قال مجالد : هو سعد[٧] بن عبادة ، كأني أنظر إليه- فقال : يا رسول اللَّه ، اقبل[٨] عني عملك ؛ قال : « **وما ذاك** » ؟ قال[٩] : سمعتك تقول كذا وكذا ، قال : « **وأنا أقول ذاك الآن ، من استعملناه علىٰ عمل فليجيء بقليله وكثيره ، فما أوتي منه أخذه ، وما نهي عنه انتهى** » . وكذا رواه مسلم ، وأبو داود من طرق عن إسماعيل بن أبي خالد به .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد (٤٦٧) : حدثنا أبو معاوية ، [ثنا أبو][١٠] إسحاق

(*) - يعني الذهب ، والفضة ، خلاف الناطق ، وهو الحيوان . النهاية (٥٢/٣)

(٤٦٦) - « المسند » (١٩٢/٤) وأخرجه أيضًا مسلم ، كتاب ، الإمارة ، باب تحريم هدايا العمال (٣٠) (١٨٣٣) وأبو داود ، كتاب الأقضية باب فى هدايا العمال ، من طرق عن إسماعيل بن أبى خالد به .

(٤٦٧) - « المسند » (٣٩٢/٦) وأخرجه الطبراني فى « المعجم الكبير » (١/رقم ٩٦٢) ومن طريقه المزى فى « تهذيب الكمال » (٢٣٤/٢٣ ، ٢٣٥) أنا الفضل بن عبيد اللَّه بن أبى رافع ثنا محمد بن النضر =

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - في خ : « يخفق » .

[٣] - في خ : « قد » .

[٤] - ما بين المعقوفتين سقط من : خ .

[٥] - سقط من : خ .

[٦] - في ت : « فقال » .

[٧] - في ت : « سعيد » .

[٨] - في خ : « قتل » .

[٩] - سقط من : خ .

[١٠] - في ت : « عن أبي » .

الفزاري ، عن ابن جريج ، حدثني منبوذ - رجل من آل أبي رافع - عن الفضل بن عبيد[١] الله ابن أبي رافع ، عن أبي رافع قال : كان رسول الله ﷺ إذا صلىٰ العصر ربما ذهب إلىٰ بني عبد الأشهل فيتحدّث معهم حتىٰ ينحدر للمغرب[٢] ، قال أبو رافع : فبينا[٣] رسول الله ﷺ مسرعًا إلىٰ المغرب إذ مرّ بالبقيع ، فقال : « **أفٍّ لك ! أفٍّ لك !** » . مرتين [فكبر في ذرعي(*)][٤] ، وتأخرت ، فظننت[٥] أنه يريدني ، فقال : « **ما لك** » قال قلت : [أحدثت حدثًا يا رسول الله][٦] ؛ قال : « **وما ذاك** » ؟ قلت : [أففت بي][٧] ، قال : « **لا ، ولكن هذا قبر فلان بعثته[٨] ساعيًا علىٰ آل فلان فغل نمرة ، فدرع الآن مثلها من نار** » .

(حديث آخر) قال عبد الله ابن الإمام أحمد(٤٦٨) : حدثنا عبد الله بن سالم الكوفي المفلوج- وكان بمكة- حدثنا عبيدة بن الأسود ، عن القاسم بن الوليد ، عن أبي صادق ، عن ربيعة بن ناجد[٩] ، عن عبادة بن الصامت ، [قال : كان رسول الله][١٠] صلىٰ الله عليه وسلم يأخذ الوبرة من جنب البعير من المغنم ، ثم يقول : « **ما لي فيه إلا مثل ما لأحدكم ، إياكم والغلول ! فإن الغلول خزي علىٰ صاحبه يوم القيامة ، أدّوا الخيط والمخيط وما فوق**

= الأزدى ، ثنا معاوية بن عمرو به . وأخرجه النسائي ، كتاب الإمامة ، باب : الإسراع إلى الصلاة من غير سعي (٢/١١٥ ، ١١٦) أخبرنا هارون بن عبد الله ، قال : حدثنا معاوية بن عمرو به . وأخرجه أحمد (٦/ ٣٩٢) والنسائى (٢/١١٥) وابن خزيمة فى صحيحه (٤/٢٣٣٧) من طريق ابن وهب عن ابن جريج به ومنبوذ المُزَنيُّ ، والفضل بن عبيد الله لم يوثقهما غير ابن حبان !!

(*) أي : عظم وقعه وجلَّ عندي النهاية (٢/١٥٢) .

(٤٦٨) - « زوائد المسند » (٥/٣٣٠) ومن طريقه وطرق أخرى اختاره الضياء فى « المختارة » (٨/٣٤٣ : ٣٤٥) وكذا أخرجه من طريق عبد الله المزى فى « تهذيب الكمال » (٩/١٤٧) وأخرجه ابن ماجه ، كتاب الحدود ، باب فى إقامة الحدود (٢٥٤٠) حدثنا عبد الله بن سالم به من قوله « أقيموا حدود الله ...» قال البوصيرى فى « الزوائد » (٢/٣٠٢) ، « إسناده صحيح على شرط ابن حبان ، فقد ذكر جميع رواته فى ثقاته» لكنه متساهلٌ فى التوثيق إلا أن الإمام أحمد رواه فى « المسند » (٥/٣١٦ ، ٣٢٦) من طريق المقدام بن معدى كرب : أنا عبادة بن الصامت به ، وفى إسناده حسن إن كان محفوظًا » وقد صححه الألبانى بمجموع طرقه هذه مع شاهد عبد الله بن عمرو الآتى فكان فى نصيب « الصحيحة » (٢/ رقم ٦٧٠) و (٤/رقم ١٩٤٢ ، ١٩٧٢) وبالله التوفيق .

---

[١] - في خ : « عبد » .
[٢] - في خ : « للمغرب » .
[٣] - في خ : « وبينما » .
[٤] - بياض في خ .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في خ : « أحديث حدث برسول الله » .
[٧] - في خ : « بلى » .
[٨] - في خ : « بعثه » .
[٩] - في خ : « ماجد » .
[١٠] - في خ : « أن النبي » .

ذلك ، وجاهدوا في سبيل اللَّه القريب والبعيد ، في الحضر والسفر ؛ فإن الجهاد باب من أبواب الجنة ، إنه لينجي اللَّه به من الهم والغم ، وأقيموا حدود اللَّه في القريب والبعيد ، ولا تأخذكم في اللَّه لومةُ لائم » . وقد روىٰ ابن ماجة بعضه عن المفلوج به .

(حديث آخر) عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدّه ؛ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **ردّوا الخياط والمخيط ؛ فإن الغلول عار ونار وشنار علىٰ أهله يوم القيامة** » (٤٦٩) .

(حديث آخر) قال أبو داود (٤٧٠) : حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا جرير ، عن[١] مطرّف ، عن أبي الجهم ، عن أبي مسعود الأنصاري ؛ قال : بعثني رسول اللَّه ﷺ ساعيًا ثم قال : « **انطلق أبا مسعود ؛ لا ألفينك يوم القيامة تجيء علىٰ ظهرك بعير من إبل الصدقة له رغاء قد غللته** » . قال : إذن لا أنطلق . قال : « **إذن لا أكرهك** » . تفرد به أبو داود .

(حديث آخر) قال أبو بكر بن مردويه (٤٧١) : أنبأنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، أنبأنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، أنبأنا عبد الحميد بن صالح ، أنبأنا أحمد بن أبان ، عن علقمة بن مرثد ، عن ابن[٢] بريدة ، عن أبيه ، عن النبي ﷺ ؛ قال : « **إن الحجر ليرمىٰ به في جهنم**

(٤٦٩) - جزء من حديث طويل أخرجه ابن إسحاق فى « السيرة » كما فى « سيرة ابن هشام » (٩٢٦/٤ : ٩٢٩) حدثنى عمرو بن شعيب به ، ومن طريق ابن إسحاق أخرجه أحمد فى « المسند » (١٨٤/٢) والبيهقى فى « دلائل النبوة » (١٩٤/٥ : ١٩٦) وإسناده حسن للخلاف المعروف فى رواية « عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده » وابن إسحاق صرح بالتحديث هنا ، ولله الحمد .

(٤٧٠) - سنن أبى داود ، كتاب الخراج والإمارة والفيء باب فى غلول الصدقة (٢٩٤٧) وأخرجه الطبرانى فى « المعجم الكبير » (١٧/رقم ٦٨٩) ثنا الحسين بن إسحاق التسترى ، ثنا عثمان بن أبى شيبة به (١٧/ ٦٨٨) من طريق وهب بن بقية أنا خالد عن مطرف به ، وذكره الهيثمى فى « المجمع » (٨٩/٣) وقال : « رواه الطبرانى فى « الكبير » ورجاله رجال الصحيح » كذا قال ، وأبو الجهم واسمه سليمان بن الجهم لم يرو له البخارى ولا مسلم ، لكن وثقه ابن حبان والعجلى وابن عمير ، وقال ابن المدينى : « لا أعلم روى عنه غير مطرف » وقد فات الهيثمى أن الحديث فى سنن أبى داود وإلا لما أورده فى « المجمع » .

(٤٧١) - وعزاه لابن مردويه السيوطى في « الدر المنثور » (١٦٤/٢) وأخرجه الطبرانى فى « المعجم الكبير » (١١٥٨/٢) ثنا محمد بن عثمان بن أبى شيبة به ، دون موضع الشاهد هنا ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره (٢/رقم ١٧٧١) والبيهقى فى « شعب الإيمان » (٤٣٣٤/٤) من طريق إسماعيل بن أبان الوراق ، حدثنى محمد بن أبان به ، والبزار (٢٢٤٢/٢) زوائد ابن حجر ، ثنا عمر بن محمد بن الحسن الأسدى الكوفى ، ثنا أبي ، ثنا محمد بن أبان به مختصرًا وقال البزار : « لا نعلم رواه إلا محمد بن أبان ، ولا عنه إلا محمد بن الحسن » كذا ومحمد بن الحسن متابع عليه ، ومحمد بن أبان ضعيف ، وبه أعله الهيثمى ، وابن حجر كما فى « زوائد البزار » .

[١] - في خ : « بن » . [٢] - في خ : « أبي » .

فيهوي سبعين خريفًا ، ما يبلغ قعرها ، ويؤتىٰ بالغلول فيقذف معه ، ثم يقال لمن غل به[١] **: ائت به ، فذلك قوله : ﴿ ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ﴾** » .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد (٤٧٢) : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا عكرمة بن عمار ، حدثنا سماك الحنفي أبو زُميل ، حدثني عبد اللَّه بن عباس ، حدثني عمر بن الخطاب قال : لما كان يوم خيبر أقبل نفر من أصحاب رسول اللَّه ﷺ فقالوا : فلان شهيد وفلان شهيد ، حتىٰ أتوا علىٰ رجل فقالوا : فلان شهيد فقال رسول اللَّه ﷺ : « **كلا إني رأيته في النار في بردة غلها– أو عباءة** » . ثم قال رسول اللَّه ﷺ : « [**يا ابن الخطاب**][٢] ؛ **اذهب فناد في الناس أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون** » . قال : فخرجت فناديت : إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون .

وكذا رواه مسلم والترمذي من حديث عكرمة بن عمار به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

(حديث آخر عن عمر رضي اللَّه عنه –) قال ابن جرير (٤٧٣) : حدثني أحمد بن عبد الرحمن ابن وهب ، حدثنا عبد اللَّه بن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ؛ أن موسىٰ بن جبير حدثه ، أن عبد اللَّه بن عبد الرحمن بن الحباب الأنصاري حدثه ، أن عبد اللَّه بن أنيس حدثه ، أنه تذاكر هو وعمر بن الخطاب يومًا الصدقة ، فقال : ألم تسمع قول رسول اللَّه ﷺ حين ذكر غلول الصدقة : « **من غل منها بعيرًا أو شاة فإنه يحملها يوم القيامة** » ؟ قال عبد اللَّه بن أنيس : بلىٰ .

ورواه ابن ماجة ، عن عمرو بن سواد ، عن عبد اللَّه بن وهب به . ورواه الأموي عن معاوية عن أبي إسحاق ، عن يونس بن عبيد ، عن الحسن ؛ قال : عقوبة الغال أن يخرج رحله ، ويحرق

---

(٤٧٢) – « المسند » (١/٣٠/رقم ٢٠٣/ شاكر) وأخرجه مسلم كتاب الإيمان باب غلظ تحريم الغلول وأنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون (١٨٢) (١١٤) حدثنى زهير بن حرب ، حدثنا هاشم بن القاسم به ، والترمذى ، كتاب السير ، باب ما جاء فى الغُلُول (١٥٧٤) حدثنا الحسن بن على ، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنا عكرمة بن عمار به مختصرًا .

(٤٧٣) – تفسير ابن جرير (٨١٦٢/٧) وأخرجه أحمد وابنه عبد اللَّه فى « المسند » (٤٩٨/٣) ثنا هارون بن معروف ، ثنا ابن وهب به ، ومن طريقهما المزى فى « تهذيب الكمال » (٢٠٢/١٥ ، ٢٠٣) ت / عبد اللَّه ابن عبد الرحمن بن الحُباب ، وأخرجه ابن ماجه ، كتاب الزكاة ، باب ما جاء فى عمال الصدقة (١٨١٠) ، والضياء فى « المختارة » (١/رقم ١٤٨) من طريقين عن ابن وهب به ، وقال البوصيرى فى « الزوائد » (٥٦/٢) « إسناده فيه مقال ، موسى بن جبير ، قال فيه ابن حبان فى « الثقات » (٤٥١/٧) « يخطئ ويخالف » وقال الذهبى فى « الكاشف » ثقة . ولم أر لغيرهما فيه كلامًا ، وعبد اللَّه بن عبد الرحمن ذكره ابن حبان فى « الثقات » وباقى رجال الإسناد ثقات » .

---

[١] – سقط من : خ . [٢] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

على ما فيه .

ثم روي عن معاوية ، عن أبي إسحاق ، عن عثمان بن عطاء ، عن أبيه ، عن علي رضى اللّه عنه قال : الغال يجمع[١] رحله فيحرق ، ويجلد دون حدٍّ .

(حديث آخر) قال ابن جرير(٤٧٤) : حدثنا سعيد بن يحيىٰ الأموي ، حدثنا أبي ، حدثنا يحيىٰ ابن سعيد ، عن نافع ، عن ابن عمر أن رسول اللّه ﷺ بعث سعد بن عبادة مصدقًا ، فقال : [« يا سعد ؛ إياك][٢] **أن تجيء يوم القيامة ببعير تحمله له رغاء »** . قال : لا آخذه ولا أجيء به ، فأعفاه . ثم رواه من طريق عبيد اللّه عن نافع به نحوه (٤٧٥) .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد (٤٧٦) : حدثنا أبو سعيد ، حدثنا عبد العزيز بن محمد ، حدثنا صالح بن محمد بن زائدة ، عن سالم بن عبد اللّه ، أنه كان مع مسلمة بن عبد الملك في أرض الروم ، فوجد في متاع رجل غلولًا ، قال : فسأل سالم بن عبد اللّه ، فقال : حدثني أبي

---

(٤٧٤) - تفسير ابن جرير (٨١٦٣/٧) ، وأخرجه البزار (٨٩٨/١/ كشف الأستار) وأبو يعلى فى « معجم الشيوخ » (١٨٩) وعنه ابن حبان فى صحيحه (٣٢٧٠/٨) والحاكم في « المستدرك » (٣٩٩/١) شاهدًا وابن عساكر فى « تاريخ دمشق » (١٢٢/٧/مخطوط) من طريق سعيد بن يحيى الأموى به وقال البزار : « لا نعلم رواه هكذا إلا يحيى الأموى » وهو صدوق له غرائب ، كما فى « التقريب » وقال الحاكم : « على شرط الشيخين » ووافقه الذهبى ، وذكره الهيثمى فى « المجمع » (٨٩/٣) وقال : « رواه البزار ورجاله رجال الصحيح » وانظر ما بعده .

(٤٧٥) - تفسير ابن جرير (٨١٦٤/٧) ثنا أحمد بن المغيرة الحمصى أبو حميد ، قال : حدثنا الربيع بن روح ، قال : حدثنا ابن عياش ، قال : حدثنى عبيد اللّه بن عمربن حفص به ، ورجاله ثقات غير شيخ ابن جرير فلم أهتد لترجمته ، وأخرجه أحمد (٢٨٥/٥) ، والطبرانى فى « الكبير » (٦/رقم ٥٣٦٣) والبزار فى « مسنده » (٣٧٣٧/٩) من طريق سليمان بن المغيرة قال : نا حميد بن هلال عن سعيد بن المسيب ، عن سعد بن عبادة فذكر الحديث بنحوه ، وقال البزار « هذا الحديث لا نعلمه يروى عن سعد بن عبادة إلا من هذا الوجه بهذا اللفظ وإسناده حسن » كذا قال : وذكره الهيثمى فى « المجمع » (٨٨/٣) : « رواه أحمد والبزار والطبرانى فى « الكبير » ورجاله ثقات إلا أن سعيد بن المسيب لم ير سعد بن عبادة » لكن هذا الإسناد المنقطع مع الطريقين السابقين يتقوى بهم الحديث ولله الحمد .

(٤٧٦) - « المسند » (٢٢/١/رقم ١٤٤/شاكر) ومن طريق أحمد ابن الجوزى فى « العلل المتناهية » (٢/رقم ٩٦٠) وأخرجه سعيد بن منصور فى « سننه » (٢٧٢٩/٢) وعنه الدارمى (٢٤٩٣/٢) وأبو داود كتاب الجهاد ، باب فى عقوبة الغال (١٧١٣) ، والترمذى ، كتاب الحدود ، باب : ما جاء فى الغال ما يُصْنَعُ به (١٤٦١) وغيرهم من طرق عن عبد العزيز بن محمد به ، وقال الترمذى : « هذا الحديث غريب =

---

[١] - في خ : « يخرج » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « إياك يا سعد » .

عبد الله ، عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **من وجدتم في متاعه غلولًا فأحرقوه** » . قال : وأحسبه قال : « **واضربوه** » قال : فأخرج متاعه في السوق ، فوجد فيه مصحفًا فسأل سالمًا ؟ فقال : بعه وتصدق بثمنه .

وكذا[١] رواه علي بن المديني وأبو داود والترمذي من حديث عبد العزيز بن محمد الدراوردي ، زاد أبو داود وأبو إسحاق الفزاري كلاهما عن أبي واقد الليثي الصغير صالح بن محمد بن زائدة به .

وقال علي بن المديني رحمه الله والبخاري وغيرهما : هذا حديث منكر من رواية أبي واقد هذا . وقال الدارقطني : الصحيح أنه من فتوى سالم فقط ، وقد ذهب إلى القول بمقتضى هذا الحديث الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - ومن تابعه من أصحابه - [وقد رواه الأموي - عن معاوية ، عن أبي إسحاق ، عن يونس بن عبيد ، عن الحسن قال : عقوبة الغال أن يخرج رحله فيحرق على ما فيه : ثم روي عن معاوية عن أبي إسحاق ، عن عثمان بن عطاء ، عن أبيه ، عن علي قال : الغال يجمع رحله فيحرق ، ويجلد دون حد المملوك ويحرم نصيبه][٢] (٤٧٧) - وخالفه أبو حنيفة ومالك والشافعي والجمهور فقالوا : لا يحرق متاع الغال ، بل يعزر تعزير مثله . [وقد قال][٣] البخاري : وقد امتنع رسول الله ﷺ من الصلاة على الغال ، ولم يحرق متاعه ،

= لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، والعمل على هذا عند بعض أهل العلم ، وهو قول الأوزاعي وأحمد وإسحاق ، قال : وسألت محمدًا - يعني البخاري - عن هذا الحديث ، فقال : إنما روى هذا صالح بن محمد بن زائدة وهو أبو واقد الليثي ، وهو منكر الحديث ، قال محمد : وقد رُوِيَ في غير حديث عن النبي ﷺ في الغالِّ فلم يأمر فيه بحرق متاعه » واستنكر ابن عدي في « الكامل » (١٣٤١/٤ ، ١٣٧٧) هذا الحديث لصالح بن محمد أبي واقد الليثي هذا وكذا ضعفه به الدارقطني ، فقال في « العلل » (٢/س ١٠٣) « ... وأبو واقد هذا ضعيف ، والمحفوظ أن سالمًا أمر بهذا ولم يرفعه إلى النبي ﷺ ولا ذكره عن أبيه ولا عن عمر » ومع هذا فقد صحح هذا المرفوع الحاكم (١٢٧/٢ ، ١٢٨) ووافقه الذهبي . وقد صحح هذا الموقوف أيضًا أبو داود فقال عقب المرفوع هذا (٢٧١٤) حدثنا أبو صالح محبوب بن موسى الأنطاكي ، قال : أخبرنا أبو إسحاق عن صالح بن محمد ، قال : غزونا مع الوليد بن هشام ومعنا سالم بن عبد الله بن عمر وعمر بن عبد العزيز فغَلَّ رجل متاعًا ، فأمر الوليدَ بمتاعه فأحرق ، وطِيفَ به ، ولم يُعْطِهِ سهمه ، قال أبو داود : وهذا أصح الحديثين ، رواه غير واحد أن الوليد بن هشام حرق رحل زياد بن سعد ، وكان قد غل وضربه » .

(٤٧٧) - أخرجه سعيد بن منصور (٢٧٣٠/٢) نا خالد بن عبد الله ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٦/ ٥٤٠) ، (٧١٣/٧) ثنا عبد الأعلى ، كلاهما (خالد وعبد الأعلى) عن يونس عن الحسن في الغلول =

[١] - في خ : « وقد » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٣] - ما بين المعكوفتين في خ : « وقال » .

والله أعلم .

وقد قال الإمام أحمد(٤٧٨) : حدثنا أسود بن عامر ، أنبأنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن جبير ابن مالك ؛ قال : أمر بالمصاحف أن تغير ، قال : فقال ابن مسعود : من استطاع منكم أن يغل مصحفه[١] فليغله ؛ فإنه من غل شيئًا جاء به يوم القيامة ، قال[٢] : ثم قال : قرأت من فم رسول الله ﷺ سبعين سورة ، أفأترك ما أخذت من في رسول الله ﷺ .

وروى وكيع(٤٧٩) [في تفسيره][٣] عن شريك ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن إبراهيم ؛ قال : لما أمر بتحريق[٤] المصاحف ، قال عبد الله [بن مسعود - رضي الله عنه][٥] - : يا أيها الناس ؛ غلوا المصاحف ؛ فإنه من غل يأت بما غل يوم القيامة ، ونعم الغل المصحف[٦] ، يأتي به أحدكم يوم القيامة .

وقال أبو[٧] داود(٤٨٠) ، عن سمرة بن جندب ؛ قال : كان رسول الله إذا غنم غنيمة أمر

= إذا وجد عند رجل : يحرق رحله .

(٤٧٨) - « المسند » (١/٤١٤/رقم ٣٩٢٩) وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر ، وأخرجه ابن أبي داود في « المصاحف » (ص ١٥) من طريق ابن أبي رجاء ، قال : أخبرنا إسرائيل به ، وتصحف فيه « خُمير » إلى « حميد » وأخرجه ابن أبي داود أيضًا من طريق أبي داود الطيالسي ثنا عمرو بن ثابت عن أبي إسحاق به .

(٤٧٩) - ومن طريق وكيع أخرجه ابن أبي داود في « المصاحف » (ص ١٥) ، قال الشيخ أبو الأشبال أحمد شاكر في حاشية « المسند » (٦/١٥/ح ٣٩٢٩) « كان هذا من ابن مسعود حين أمر عثمان - رضي الله عنه - بجمع الناس على المصحف الإمام ، خشية اختلافهم ، فغضب ابن مسعود . وهذا رأيه ، ولكنه رحمه الله أخطأ خطأً شديدًا في تأويل الآية على ما أول ، فإن الغلول هو الخيانة ، والآية واضحة المعنى في الوعيد لمن خان أو اختلس من المغانم » .

(٤٨٠) - كذا جعله المصنف من مسند « سمرة بن جندب » وقد وقع في مثل ذلك أيضًا أبو عبد الله القرطبي في تفسيره (٤/٢٥٧) والصواب أنه من مسند « عبد الله بن عمرو بن العاص » كما في « تحفة الأشراف » للحافظ المزي (٦/٨٨٣٨) وكذا أسنده المصنف نفسه في « جامع المسانيد والسنن » (٢٦/ ٢٤٧) إلى « عبد الله بن عمرو » وهو على الصواب في جميع مصادر التخريج الآتية .

فقد أخرجه أبو داود ، كتاب الجهاد ، باب في الغلول إذا كان يسيرًا يتركه الإمام ولا يحرق رحله (٢٧١٢) ومن طريقه البيهقي في « السنن الكبرى » (٦/٢٩٣) وابن حبان في صحيحه (١١/٤٨٠٩ و ٥٨٥٨) والحاكم في « المستدرك » (٢/١٢٧) وعنه البيهقي أيضًا (٦/٣٢٤) ، (٩/١٠٢) كلهم من =

---

[١] - في ت : « مصحفًا » .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - في خ : « بتمزيق » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٦] - في ت : « المصاحف » .
[٧] - سقط من : ت .

بلالًا فينادي في الناس ، فيجيئون بغنائمهم فيخمسه ويقسمه ، فجاء رجل يومًا بعد النداء بزمام من شعر ، فقال : يا رسول اللَّه ؛ هذا كان مما أصبناه من الغنيمة ، فقال : « **أسمعت بلالًا ينادي ثلاثًا ؟** » . قال : نعم . قال : « **فما منعك أن تجيء به ؟** » فاعتذر إليه ، فقال : « **كلا ، أنت تجيء به يوم القيامة فلن أقبله منك** » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **أفمن اتبع رضوان اللَّه كمن باء بسخط من اللَّه ومأواه جهنم وبئس المصير** ﴾ أي لا يستوي من اتبع رضوان اللَّه فيما شرعه ، فاستحق رضوان اللَّه وجزيل ثوابه ، وأجير من وبيل عقابه ، ومن استحق غضب اللَّه ، وألزم به ، فلا محيد له عنه ، ومأواه يوم القيامة جهنم وبئس المصير .

[وهذه الآية لها نظائر كثيرة في القرآن][١] ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمىٰ** ﴾ وقوله[٢] : ﴿ **أفمن وعدناه وعدًا حسنًا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا** ﴾ . الآية .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **هم درجات عند اللَّه** ﴾ قال[٣] الحسن البصري ومحمد بن إسحاق : يعني أهل الخير وأهل الشر درجات ، وقال أبو عبيدة والكسائي : منازل يعني متفاوتون في منازلهم ، ودرجاتهم في الجنة ودركاتهم في النار ، كقوله[٤] تعالىٰ : ﴿ **ولكل درجات مما عملوا** ﴾ . الآية ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **واللَّه بصير بما يعملون** ﴾ أي : وسيوفيهم إياها ، لا يظلمهم خيرًا ولا يزيدهم شرًّا ، بل يجازي [كل عامل][٥] بعمله .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **لقد منّ اللَّه على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولًا من أنفسهم** ﴾ أي : من جنسهم ؛ ليتمكنوا من مخاطبته وسؤاله ومجالسته والانتفاع به ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ومن آياته أن خلق**[٦] **لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها** ﴾ أي : من جنسكم ، وقال تعالىٰ : ﴿ **قل**

= طريق أبي إسحاق الفزارى عن عبد اللَّه بن شوذب ، حدثني عامر بن عبد الواحد عن عبد اللَّه بن بريدة عن عبد اللَّه بن عمرو . فذكر الحديث وأخرجه أحمد (٢/٢١٣/ ٦٩٩٦) ثنا عتاب بن زياد حدثنا عبد اللَّه - يعنى ابن المبارك - أخبرنا عبد اللَّه بن شوذب به ، وصحح إسناده الحاكم ، ووافقه الذهبى ، وإسناده حسن لكلام فى عامر بن عبد الواحد ، والحديث قصر السيوطى فى عزوه جدًّا ، حيث عزاه إلى الحاكم فحسب ، وتحرف عنده « عبد اللَّه بن عمرو » إلى « عبد اللَّه بن عمر » « الدر المنثور » (١٦٢/٢) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في خ : « فهذه لها نظائر ، في القرآن كثيرة » .

[٢] - في خ : « وكقوله » .

[٣] - في خ : « وقال » .

[٤] - في خ : « كما قال » .

[٥] - في خ : « كلًّا » .

[٦] - في خ : « جعل » .

إنما أنا بشر مثلكم يوحىٰ إلي [أنما إلٰهكم إله واحد ﴾ . الآية . وقال تعالىٰ : ﴿ **وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق]**[١] ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وما أرسلنا من**[٢] **قبلك إلا رجالًا نوحي إليهم من أهل القرىٰ** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم** ﴾ فهذا أبلغ في الامتنان أن يكون الرسول إليهم منهم بحيث يمكنهم مخاطبتُه ومراجعتُه في فهم الكلام عنه[٣] ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **يتلوا عليهم آياته** ﴾ يعني القرآن ﴿ **ويزكيهم** ﴾ أي : يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، لتزكو[٤] نفوسهم ، وتطهر من الدنس والخبث الذي كانوا متلبسين به في حال شركهم وجاهليتهم ﴿ **ويعلمهم الكتاب والحكمة** ﴾ يعني القرآن والسنة ، ﴿ **وإن كانوا من قبل** ﴾ أي : من قبل هذا الرسول ﴿ **لفي ضلال مبين** ﴾ أي : لفي غي وجهل ظاهر جلي بين لكل أحد .

﴿ أَوَ لَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ (١٦٥) وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (١٦٦) وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ (١٦٧) ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ (١٦٨) ﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **أولما أصابتكم مصيبة** ﴾ [وهي ما أصيب منهم يوم أحد من قتلىٰ السبعين منهم][٥] ﴿ **قد أصبتم مثليها** ﴾ يعني يوم بدر ؛ فإنهم قتلوا من المشركين سبعين قتيلًا ، وأسروا سبعين أسيرًا ، ﴿ **قلتم أنىٰ هذا** ﴾ أي : من أين جرىٰ علينا هذا ؟ ﴿ **قل هو من عند أنفسكم** ﴾ .

قال ابن أبي حاتم(٤٨١) : حدثنا[٦] أبي ، أنبأنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا قراد أبو نوح ،

(٤٨١) - وأخرجه أحمد فى « المسند » (١/ ٣٠ - ٣١) (رقم ٢٠٨) حدثنا أبو نوح قُراد به ويأتي =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في خ : « ليزكوا » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٦] - في خ : « ذكره » .

حدثنا عكرمة بن عمار ، حدثنا سماك الحنفي أبو زُمَيل ، حدثني ابن عباس ، حدثني عمر بن الخطاب ؛ قال : لما كان يوم أحد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء ، فقتل منهم سبعون ، وفر أصحاب رسول اللَّه ﷺ عنه ، وكسرت رباعيته ، وهشمت البيضة علىٰ رأسه ، وسال الدم علىٰ وجهه ، فأنزل اللَّه عز وجل : ﴿ **أَوَلما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنىٰ هذا قل هو من عند أنفسكم** ﴾ بأخذكم الفداء .

وهكذا رواه الإمام أحمد ، عن عبد الرحمن بن غزوان - وهو قراد أبو نوح - بإسناده[١] ، ولكن بأطول منه ، وهكذا[٢] قال الحسن البصري .

وقال ابن جرير(٤٨٢) : حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثنا إسماعيل بن علية ، عن ابن[٣] عون عن محمد عن عبيدة (ح) قال سنيد[٤] - وهو حسين - : وحدثني حجاج ، عن جريج ، عن محمد ، عن عبيدة ، عن علي - رضي الله عنه - قال : جاء جبريل عليه السلام إلىٰ النبي ﷺ فقال : يا محمد ، إن اللَّه قد كره ما صنع قومك في أخذ[٥] الأسارىٰ ، وقد أمرك أن تخيرهم بين أمرين : إما أن يقدموا فتضرب أعناقهم ، وبين أن يأخذوا الفداء علىٰ أن يقتل منهم عدتهم ؛ قال : فدعا رسول اللَّه ﷺ الناس ، فذكر لهم ذلك ، فقالوا : يا رسول اللَّه ، عشائرنا وإخواننا ، ألا نأخذ فداءهم فنتقوىٰ به علىٰ قتال عدونا ، ويستشهد منا عدتهم ، فليس في ذلك ما نكره ؟ قال : فقتل منهم يوم أحد سبعون رجلًا ، عدة أسارىٰ أهل[٦] بدر .

= تخريجه بأبسط مما هنا فى سورة الأنفال /آية ٩ .

(٤٨٢) - تفسير ابن جرير (٨١٩١/٧) وأخرجه الترمذى ، كتاب السير ، باب ما جاء في قتل الأسارى والفداء (١٥٦٧) والنسائى فى « الكبرى » (٨٦٦٢/٥) ، وابن أبى شيبة فى « المصنف » (٤٧٥/٨) ، من طريق أبى داود الحفرى به وقال الترمذى : « حديث حسن غريب من حديث الثورى ، لا نعرفه إلا من حديث ابن أبى زائدة » وهذا لا يضره ، فإن يحيى بن زكريا بن أبى زائدة ثقة روى له الجماعة ثم إنه لم ينفرد به ، فقد تابعه أزهر بن سعد السمان - وهو ثقة - عن ابن عون عن محمد به وزاد فى آخره : « فكان آخر السبعين ثابت بن قيس قتل يوم اليمامة » أخرجه البيهقى (٦٨/٩) ، والحاكم (١٤٠/٣) وقال : « صحيح على شرط الشيخين » ووافقه الذهبى وقد صحح إسناد الحديث الألبانى فى « الإرواء » (٤٩/٥) فراجعه ، وأخرج المرسل الذى أشار إليه الترمذى ، ابن أبى شيبة ثناعبد الرحيم بن سليمان عن أشعث عن ابن سيرين عن عبيدة السلمانى قال : أسر يوم بدر من المشركين - فذكر الحديث ومن طريق أشعث بن سوار أخرجه ابن جرير فى تفسيره (٨١٨٩/٧) وأخرجه أيضًا (٨١٩٠/٧) من طريق إسماعيل بن علية ثنا ابن عون عن ابن سيرين به مرسلاً .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في خ : « وكذا » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في خ : « سند » .
[٥] - في خ : « أخذهم » .
[٦] - في خ : « يوم » .

وهكذا رواه الترمذي والنسائي من حديث أبي داود الحفري ، عن يحيىٰ بن زكريا بن[١] أبي زائدة ، عن سفيان بن سعيد ، عن هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين به[٢] . ثم قال الترمذي : حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث ابن أبي زائدة ، وروىٰ أبو أسامة عن هشام[٣] نحوه . وروي عن ابن سيرين ، عن عبيدة ، عن النبي ﷺ مرسلًا .

وقال محمد ابن إسحاق وابن جريج ، والربيع بن أنس والسدي : ﴿ **قل هو من عند أنفسكم** ﴾ ، أي : بسبب عصيانكم لرسول[٤] اللَّه ﷺ حين أمركم أن لا تبرحوا من مكانكم ؛ فعصيتم ، يعني بذلك الرماة ﴿ **إن اللَّه علىٰ كل شيء قدير** ﴾ أي : يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، لا معقب لحكمه .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن اللَّه** ﴾ أي : فراركم بين يدي[٥] عدوكم ، وقتلهم لجماعة منكم ، وجراحتهم لآخرين ؛ كان بقضاء اللَّه وقدره ، وله الحكمة في ذلك[٦] : ﴿ **وليعلم المؤمنين** ﴾ أي : الذين صبروا وثبتوا ولم يتزلزلوا ﴿ **وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالَوْا قاتلوا في سبيل اللَّه أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالًا لاتبعناكم** ﴾ يعني بذلك[٧] أصحاب عبد اللَّه بن أبي ابن سلول ؛ الذين رجعوا معه في أثناء الطريق ، فاتبعهم رجال من المؤمنين يحرضونهم علىٰ الإِياب[٨] والقتال والمساعدة ؛ ولهذا قال : ﴿ **أو ادفعوا** ﴾ قال ابن عباس وعكرمة ، وسعيد بن جبير والضحاك ، وأبو صالح والحسن والسدي : يعني كَثّروا سواد المسلمين ، وقال الحسن بن صالح : ادفعوا بالدعاء ؛ وقال غيره : رابطوا ؛ فتعللوا[٩] ؛ قائلين : ﴿ **لو نعلم قتالًا لاتبعناكم** ﴾ قال مجاهد : يعنون لو نعلم أنكم تلقون حربًا لجئناكم ؛ ولكن لا تلقون قتالًا .

قال محمد بن إسحاق(٤٨٣) : حدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، و[١٠] محمد بن

---

(٤٨٣) - أخرجه ابن هشام فى « السيرة » (٣/٥٨٤ . ٥٨٥) وابن جرير في تفسيره (٧/٨١٩٣) وابن المنذر كما فى « الدر المنثور » (٢/١٦٧) عن ابن إسحاق به .

---

[١] - في ت : « عن » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في خ : « هاشم » .
[٤] - في خ : « رسول » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - سقط من : ت .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - في خ : « الإتيان » .
[٩] - في خ : « فتعالوا » .
[١٠] - في خ : « وعن » .

يحيىٰ بن حبان ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد ابن معاذ ، وغيرهم من علمائنا ، كلهم قد حدّث ، قال : خرج علينا رسول اللَّه ﷺ ، يعني : حين خرج إلىٰ أحد في ألف رجل من أصحابه ، حتىٰ إذا كان بالشوط بين أحد والمدينة ، انحاز عنه عبد اللَّه بن أبي ابن سلول بثلث الناس ، وقال : أطاعهم فخرج[١] ، وعصاني ، وواللَّه ما ندري علامَ نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس ؟ فرجع[٢] بمن اتبعه من الناس من قومه من أهل النفاق ، وأهل الريب ، واتبعهم عبد اللَّه بن عمرو بن حرام[٣] أخو بني سلمة يقول : يا قوم ؛ أذكركم اللَّه ألَّا تخذلوا نبيكم وقومكم عندما حضر من عدوكم ، قالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم ، ولكنا[٤] لا نرىٰ أن يكون قتال ، فلما استعصوا عليه ، وأبوا إلا الانصراف عنهم ، قال : أبعدكم اللَّه أعداء اللَّه فسيغني[٥] اللَّه عنكم ، ومضىٰ رسول اللَّه ، ﷺ .

قال اللَّه - عز وجل - : ﴿ **هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان** ﴾ استدلوا به علىٰ أن الشخص قد تتقلب[٦] به الأحوال ؛ فيكون في حال أقرب إلىٰ الكفر ، وفي حال أقرب إلىٰ الإيمان لقوله : ﴿ **هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان** ﴾ ثم قال تعالىٰ : ﴿ **يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم** ﴾ يعني أنهم يقولون القول ، ولا يعتقدون صحته ، ومنه قولهم هذا : ﴿ **لو نعلم قتالًا لاتبعناكم** ﴾ فإنهم يتحققون أن جندًا من المشركين قد جاءوا من بلاد بعيدة ؛ يتحرّقون علىٰ المسلمين بسبب ما أصيب من أشرافهم يوم بدر ؛ وهم أضعاف المسلمين أنه كائن بينهم قتال لا محالة ؛ ولهذا قال اللَّه[٧] تعالىٰ : ﴿ **واللَّه أعلم بما يكتمون** ﴾ [ثم قال تعالىٰ][٨] : ﴿ **الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا** ﴾ أي : لو سمعوا من مشورتنا عليهم في القعود وعدم الخروج ، ما قتلوا مع من قتل ؛ قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **قل : فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين** ﴾ أي : إن كان [القعود يسلم][٩] به الشخص من القتل والموت ، فينبغي أنكم لا تموتون : والموت لابد آت إليكم ، ولو كنتم في بروج مشيّدة ؛ فادفعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين .

قال مجاهد عن جابر بن عبد اللَّه : نزلت هذه الآية في عبد اللَّه بن أبي بن سلول

---

[١] - في خ : « وخرج » .
[٢] - في خ : « فرح » .
[٣] - في خ : « حازم » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في ت : « ولكن » .
[٦] - في ت : « فيستغني » .
[٧] - في خ : « ينقلب » .
[٨] - في خ : « وقوله » .
[٩] - سقط من : خ .

وأصحابه[١] (٤٨٤) .

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾

يخبر تعالىٰ عن الشهداء بأنهم وإن قتلوا في هذه الدار ؛ فإن أرواحهم حية مرزوقة في دار القرار .

قال محمد[٢] بن جرير(٤٨٥) : حدثنا محمد بن مرزوق ، حدثنا عمر بن يونس ، عن عكرمة ، حدثنا إسحاق[٣] بن أبي طلحة ، حدثني أنس بن مالك في أصحاب رسول الله ﷺ الذين أرسلهم نبي الله إلىٰ أهل بئر معونة ، قال : لا أدري أربعين أو سبعين ؛ وعلىٰ ذلك الماء عامر بن الطفيل الجعفري ، فخرج أولئك النفر من أصحاب رسول الله ﷺ ، حتىٰ أتوا غارًا مشرفًا علىٰ

---

(٤٨٤) - أخرجه ابن جرير (٨٢٠٢/٧) من طريق ابن جريج عن مجاهد به ، قال أبو الحجاج يوسف المزى : « أحاديث مجاهد عن جابر ليس لها ضوء ، إنما هى من حديث ابن إسحاق عن أبان بن صالح عن مجاهد ، ومن حديث ليث بن أبى سليم عنه » « جامع التحصيل » للعلائى (ص ٢٧٤) .

(٤٨٥) - تفسير ابن جرير (٨٢٢٤/٧) وحديث بئر معونة ، أخرجه أحمد (٢١٠/٣) والبخارى ، كتاب الجهاد باب : من يُنْكب فى سبيل الله (٢٨٠١) من طريق همام بن يحيى ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة به ، وأخرجه مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب استحباب القنوت (٢٩٧) (٦٧٧) من طريق مالك عن إسحاق به وانظر ما يأتى هنا برقم (٥٤٨) .

---

[١] - سقط من : خ . [٢] - سقط من : خ .

[٣] - في ت : ابن إسحاق .

الماء فقعدوا فيه ؛ ثم قال بعضهم لبعض : أيكم يبلغ رسالة رسول اللَّه ﷺ [أهل هذا الماء ؟ فقال- أراه ابن ملحان الأنصاري- : أنا أبلغ رسالة رسول اللَّه ﷺ][١] فخرج حتىٰ أتىٰ [حيًّا منهم][٢] ، فاختبأ أمام البيوت ، ثم قال : يا أهل بئر معونة ، إني رسولُ رسولِ اللَّه إليكم ؛ إني أشهد أن لا إله إلا اللَّه ، وأن محمدًا عبده ورسوله ؛ فآمنوا باللَّه ورسوله ، فخرج إليه رجل من كسر(*) البيت برمح ؛ فضربه[٣] في جنبه حتىٰ خرج من الشق الآخر ، فقال : اللَّه أكبر ، فزت وربِّ الكعبة ، فاتبعوا أثره ؛ حتىٰ أتوا أصحابه في الغار ، فقتلهم أجمعين عامر بن الطفيل . وقال إسحاق[٤] : حدثني أنس بن مالك : أن اللَّه أنزل فيهم قرآنا (بلغوا عنا قومنا أنا قد لقينا ربنا ، فرضي عنا ورضينا عنه) ثم نسخت فرفعت بعد ما قرأناه زمنًا ، وأنزل اللَّه تعالىٰ : ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل اللَّه أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون** ﴾ . [فقال : أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال : « أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل تحت العرش»][٥] .

وقد قال الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري في صحيحه (٤٨٦) : حدثنا محمد بن عبد اللَّه بن نمير ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن عبد اللَّه بن مرة ، عن مسروق قال : سألنا[٦] عبد اللَّه عن هذه الآية : ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل اللَّه أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون** ﴾ فقال : أما إنا قد سألنا عن ذلك رسول اللَّه [ﷺ] فقال : « **أرواحهم في جوف طير خضر ، لها قناديل [معلقة بالعرش][٧] ، تسرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلىٰ تلك القناديل ؛ فاطلع إليهم ربهم اطّلاعة ، ثم قال[٨] : هل تشتهون شيئًا ؟ فقالوا : أي شيء نشتهي ؛ ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ؛ فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا ، قالوا : يارب ، نريد أن تَرّد أرواحنا في أجسادنا حتىٰ نقتل في سبيلك مرة أخرىٰ ؛ فلما رأى أن ليس لهم حاجة تُركوا** » . وقد روي نحوه [من حديث][٩]

(*) - أي جانبه ، ولكل بيت كسران ، عن يمين وشمال . النهاية (١٧٢/٤)

(٤٨٦) - صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب بيان أن أرواح الشهداء فى الجنة (١٢١) (١٨٨٧) ، وأخرجه الترمذى كتاب تفسير القرآن ، باب « ومن سورة آل عمران » (٣٠١١) ، وابن ماجه كتاب الجهاد ، باب فضل الشهادة فى سبيل اللَّه (٢٨٠١) من طريق سليمان الأعمش به .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - في خ : « بينهم » .

[٣] - في خ : « فضرب به » .

[٤] - في خ : « ابن إسحاق » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .

[٦] - في ت : إنا سألنا .

[٧] - في خ : « تحت العرش » .

[٨] - في خ : « فقال » .

[٩] - في خ : « عن » .

أنس(٤٨٧) وأبي سعيد .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(٤٨٨) : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا حماد ، حدثنا ثابت عن أنس ، أن رسول الله ﷺ قال : « **ما من نفس تموت لها عند الله خير ، يسرها أن ترجع إلىٰ الدنيا إلا الشهيد ؛ فإنه يسره أن يرجع إلىٰ الدنيا فيقتل مرة أخرىٰ ، لما يرىٰ من فضل الشهادة** » . تفرد[١] به مسلم من طريق حماد .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(٤٨٩) : حدثنا علي بن عبد الله المديني ، حدثنا سفيان عن[٢] محمد بن علي بن ربيعة السلمي عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر قال : قال لي رسول الله ، ﷺ : « [**أما علمت**][٣] **أن الله أحيا أباك فقال له : تمن عليَّ**[٤] ، **فقال : أردّ إلىٰ الدنيا : فأقتل فيك**[٥] **مرة أخرىٰ ، قال**[٦] : **إني قضيت الحكم أنهم إليها لا يرجعون** ». تفرد[٧] به أحمد من هذا الوجه. وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما ، أن أبا جابر . وهو عبد الله

---

(٤٨٧) - حديث أنس هو الآتي .

(٤٨٨) - « المسند » (١٢٦/٣) وأخرجه أيضًا (١٥٣/٣ ، ٢٨٤) من طريقين عن حماد بن سلمة به وأخرجه البخاري كتاب الجهاد ، باب الحور العين وصفتهن (٢٧٩٥) وباب : تمنى المجاهد أن يرجع إلى الدنيا (٢٨١٧) ، ومسلم ، كتاب الإمارة ، باب فضل الشهادة فى سبيل الله تعالى (١٠٨ ، ١٠٩) (١٨٧٧) ، والترمذى ، كتاب فضائل الجهاد ، باب ما جاء فى ثواب الشهداء (١٦٤٣) باب في ثواب الشهيد (١٦٦١ ، ١٦٦٢) من طريق حميد وقتادة عن أنس به نحوه .

(٤٨٩) - « المسند » (٣٦١/٣) . وأخرجه الحميدي (١٢٦٥) (٥٣٢/٢) ، وعبد بن حميد (١٠٣٩) ، وأبو يعلى (٢٠٠٢) (٦/٤) . من طريق سفيان بن عيينة ، به .

وهذا إسناد حسن من أجل عبد الله بن محمد بن عقيل ، ومحمد بن علي بن ربيعة هو ابن عم منصور بن المعتمر ، وثقه ابن معين ، وقال أبو حاتم : شيعي صدوق لا بأس به ، صالح الحديث « تعجيل المنفعة » (٩٦٢) .

وأخرجه الحاكم (١١٩/٢ - ١٢٠) من طريق أبي إسحاق الفزاري عن أبي حماد الحنفي عن ابن عقيل ، قال : سمعت جابر بن عبد الله ، فذكره في جزء من حديث طويل . وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، فقال الذهبي متعقبًا : أبو حماد هو المفضل بن صدقة ، قال النسائي : متروك . وأخرجه الطبري في تفسيره (١٧٢/٤) ثنا ابن حميد ثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق وحدثني بعض أصحابي عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، به .

---

[١] - في خ : « انفرد » .
[٢] - في خ : « ثنا » .
[٣] - في خ : أعلمت » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في خ : « فقال » .
[٧] - في خ : « انفرد » .

ابن عمرو بن حرام الأنصاري - رضي اللَّه عنه - قتل يوم أحد شهيدًا .

قال البخاري(٤٩٠) : وقال أبو الوليد ، عن شعبة ، عن ابن المنكدر ، [قال[١]] سمعت جابرًا قال : لما قتل ، أبي ، جعلت أبكي وأكشف الثوب عن وجهه ، فجعل أصحاب رسول اللَّه ، ﷺ ، ينهونني ، والنبي ﷺ لم ينه ، وقال النبي ﷺ : « **لا تبكه[٢] - أو ما تبكيه- ما[٣] زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتىٰ رفع** » . وقد أسنده هو ، ومسلم ، والنسائي من طريق آخر ، عن شعبة ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر قال : لما قتل أبي يوم أحد ، جعلت أكشف الثوب عن وجهه وأبكي ... وذكر تمامه بنحوه .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(٤٩١) : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن ابن إسحاق ،

= وهذا إسناد ضعيف لجهالة أصحاب ابن إسحاق . وأخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة آل عمران (٣٠١٣) . وابن ماجه في المقدمة ، باب : فيما أنكرت الجهمية (١٩٠) ، وكتاب الجهاد ، باب : فضل الشهادة في سبيل اللَّه (٢٨٠٠) ، وابن حبان في صحيحه (٧٠٢٢) (١٥/٤٩٠) ، والحاكم (٣/٢٠٣ ، ٢٠٤) ، وابن أبي عاصم في السنة (٦٠٢) (١/٢٦٧) . والبيهقي في « دلائل النبوة » (٣/٢٩٨) ، والواحدي في أسباب النزول (ص ٨٦) من طرق ثلاثة عن موسى بن إبراهيم بن كثير الأنصاري ؛ قال : سمعت طلحة بن خراش قال : سمعت جابر بن عبد اللَّه - فذكر الحديث بأتم مما هنا .

وقال الترمذي : حسن غريب من هذا الوجه . وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

وأخرجه ابن أبي عاصم (٦٠٣) (٢/٢٦٨) من طريق صدقة أبي معاوية عن عياض بن عبد اللَّه عن جابر ، به مختصرًا . وصدقة هو ابن عبد اللَّه السمين أبو معاوية ضعيف لكن يشهد له ما تقدم . وعزاه الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٩/٣٢٠) إلى الطبراني وقال : وفيه حماد بن عمرو وهو كذاب .

وزاد السيوطي نسبته في الدر المنثور (٢/١٦٨) إلى ابن خزيمة وابن مردويه ، وفي الباب عن عائشة عند الحاكم (٣/٢٠٣) ، والبيهقي في دلائل النبوة (٣/٢٩٨) ، والبزار (٢٧٠٦) .

(٤٩٠) - صحيح البخارى ، كتاب المغازى ، باب من قتل من المسلمين يوم أُحد (٤٠٨٠) ، وأخرجه أيضًا ، كتاب الجنائز ، باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج فى أكفانه (١٢٤٤) ثنا محمد بن بشار ، ثنا غندر ، ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل عبد اللَّه بن عمرو بن حرام (١٣٠) (٢٤٧١) ثنا محمد ابن المثنى ، حدثنا وهب بن جرير ، والنسائى ، كتاب الجنائز ، باب فى البكاء على الميت (٤/١٣) أخبرنا عمرو بن يزيد ، قال : حدثنا بهز بن أسد وأحمد (٣/٢٩٨) ثنا محمد بن جعفر وحجاج ، أربعتهم (غندر محمد بن جعفر ، وهب ، وبهز وحجاج) عن شعبة به وأخرجه البخارى أيضًا ، كتاب الجنائز (١٢٩٣) ، وكتاب الجهاد (٢٨١٦) ، ومسلم والنسائى (٤/١١) وأحمد (٣/٣٠٧) من طرق عن ابن المنكدر به .

(٤٩١) - « المسند » (١/٢٦٥ ، ٢٦٦) (رقم ٢٣٨٨) وأخرجه ابن أبى شيبة فى « المصنف » =

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - في خ : « تبكيه » . [٣] - في خ : « لا » .

حدثنا إسماعيل بن أمية بن عمرو بن سعيد ، عن أبي الزبير المكي ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ، ﷺ : « **لما أصيب إخوانكم بأحد ، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم ، وحسن منقلبهم ؛ قالوا : ياليت إخواننا يعلمون ما صنع الله لنا ؛ لئلا يزهدوا في الجهاد ، ولا ينكلوا عن الحرب ، فقال الله - عز وجل - : أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله عز وجل هؤلاء الآيات ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾** وما بعدها » .

وهكذا رواه أحمد ، ورواه[١] ابن جرير ، عن يونس ، عن ابن وهب ، عن إسماعيل بن عياش ، عن محمد بن إسحاق به . ورواه أبو داود ، والحاكم في مستدركه(٤٩٢) من حديث عبد الله بن إدريس ، عن محمد بن إسحاق ، عن إسماعيل بن أمية ، عن أبي الزبير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره ، وهذا أثبت . وكذا رواه سفيان الثوري عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس .

= (٥٦٥/٤) وعنه ابن أبي عاصم فى « الجهاد » (٢/رقم ١٩٤) وهناد فى « الزهد » (١/رقم ١٥٥) عن محمد بن فضيل ، وابن أبي عاصم أيضًا (١٩٥) وابن جرير (٨٢٠٥/٧) من طريق إسماعيل بن عياش ، وأخرجه ابن جرير أيضًا من طريق سلمة وعبد الله بن المبارك فى كتابه « الجهاد » (٦٢) وأبو الشيخ بن حيان فى « جزء فيه أحاديث أبى الزبير » (رقم ١٤) من طريق زفر ، وعبد بن حميد فى « المنتخب » (٦٧٩) من طريق عبد الله بن إدريس سبعتهم (إبراهيم بن سعد - والد يعقوب - ومحمد بن فضيل وإسماعيل بن عياش وسلمة ابن الفضل الرازى ، وعبد الله بن المبارك وزفر وعبد الله بن إدريس) عن ابن إسحاق به وأبو الزبير مدلس وقد عنعنه ، ثم إنه لم يسمع من ابن عباس صرح به أبو حاتم كما فى « المراسيل » (ص ١٩٣) وانظر ما بعده .

(٤٩٢) - أخرجه أبو داود ، كتاب الجهاد ، باب فى فضل الشهادة (٢٥٢٠) وعنه البيهقى فى « السنن الكبرى » (١٦٣/٩) ، والحاكم فى « المستدرك » (٨٨/٢ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨) ومن طريقه وطريق آخر البيهقى فى « دلائل النبوة » (٣٠٤/٣) وفى « شعب الإيمان » (٤٢٤٠/٤) وفى « الأسماء والصفات » (٢/رقم ٧٧٥) وفى « البعث » (٢٠١) وأخرجه أحمد (٢٦٦/١) (٢٣٨٩) وبقى بن مخلد - كما فى «التمهيد » لابن عبد البر (٦١/١١) - وابن أبي عاصم فى « الجهاد » (رقم ٥٢ ، ١٩٣) وأبو يعلى فى « مسنده » (٢٣٣١/٤) ومن طريقه وطريق آخر اختاره الضياء فى « المختارة » (٣٧٥/١٠ ، ٣٧٦) والآجرى فى « الشريعة » (٩٨١/٢) وأبو الشيخ بن حيان فى « جزء فيه أحاديث أبى الزبير » (٨٣) والواحدى فى « أسباب النزول » (ص ١٢٤) كلهم من طريق عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا عبد الله بن إدريس به ، وتابع عثمان أبو كريب - محمد بن العلاء الهمدانى - عن عبد الله بن إدريس به ، أخرجه الواحدى (ص ١٢٣ - ١٢٤) وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبى ، وأفاد المنذرى - كما فى « مختصر سنن أبى داود » (٣٧٤/٣) - أن أبا الحسن الدارقطنى ذكر « أن عبد الله بن إدريس تفرد به عن محمد بن =

[١] - في خ : « وقد » .

وروىٰ الحاكم في مستدركه(٤٩٣) ، من حديث أبي إسحاق الفزاري ، عن[١] سفيان عن[٢] إسماعيل بن أبي خالد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية في حمزة وأصحابه : ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل اللَّه أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون** ﴾ ثم قال : صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وكذا قال قتادة ، والربيع ، والضحاك : إنها نزلت في قتلىٰ أحد .

(حديث آخر) قال أبو بكر بن مردُويه(٤٩٤) : حدثنا عبد اللَّه بن جعفر ، حدثنا هارون بن سليمان ، أنبأنا علي بن عبد اللَّه المديني ، أنبأنا موسىٰ بن إبراهيم بن كثير بن بشير[٣] بن الفاكه الأنصاري سمعت طلحة بن خراش بن عبد الرحمن بن خراش بن الصِّمة[٤] الأنصاري قال : سمعت جابر بن عبد اللَّه قال : نظر إلي رسول اللَّه ﷺ ذات يوم ؛ فقال : « **يا جابر ؛ مالى أراك**

= إسحاق ، وغيره يرويه عن ابن إسحاق لا يذكر فيه - سعيد بن جبير » وقوى المصنف الإسناد المثبت فيه « سعيد بن جبير » مع أن عبد اللَّه بن إدريس خالف رواية الجماعة ، ثم إنه قد اختلف عليه فيه أيضًا - فرواه الجماعة عنه بإثبات « سعيد بن جبير » ورواه يوسف بن بهلول عنه دون إثبات « سعيد بن جبير » أخرجها عبد بن حميد فى « المنتخب » (٦٧٩) ويوسف ثقة كما فى « التقريب » وطريق سفيان الثورى ، الذى أشار إليه المصنف ، لم أهتد إليه ، واللَّه تعالى أعلم .

(٤٩٣) - « المستدرك » (٢/٣٨٧) وقال الحاكم : « حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ووافقه الذهبى .

(٤٩٤) - وعزاه لابن مردويه السيوطى فى « الدر المنثور » (٢/١٦٨) وأخرجه الواحدى فى « أسباب النزول » (ص ٨٦) والبيهقى فى « دلائل النبوة » (٣/٢٩٨) من طريق على بن عبد اللَّه المدينى به .

وأخرجه الترمذى ، كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة آل عمران (٣٠١٠) ثنا يحيى بن حبيب بن عربى ، وابن ماجه فى المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية (١٩٠) ، كتاب الجهاد ، باب : فضل الشهادة فى سبيل اللَّه (٢٨٠٠) من طريق إبراهيم بن المنذر الحزامى ويحيى بن حبيب بن عربى ، وابن أبى عاصم فى « السنة » (١/٦٠٢) ثنا إبراهيم بن المنذر ، وابن خزيمة فى « صحيحه » (٢/٥٩٩) - ومن طريقه الحاكم فى «المستدرك» (٣/٢٠٣ ، ٢٠٤) : ثنا عبدة بن عبد اللَّه الخزاعى ويحيى بن حبيب ، وابن حبان فى صحيحه (١٥/٧٠٢٢) من طريق يحيى بن حبيب ، أربعتهم (على المدينى ، ويحيى وإبراهيم وعبدة) ثنا موسى بن إبراهيم به . وصحح إسناده الحاكم وسكت عنه الذهبى فى « التلخيص » ، وقال الترمذى : « حديث حسن غريب من هذا الوجه ، وقد روى عبد اللَّه بن محمد بن عقيل عن جابر - انظر ما تقدم هنا برقم (٥٣٨) شيئًا من هذا ، ولا نعرفه إلا من حديث موسى بن إبراهيم ، ورواه على بن عبد اللَّه بن المدينى وغير واحدٍ من كبار أهل الحديث ، هكذا عن موسى بن إبراهيم ، وموسى بن إبراهيم هذا ذكره =

---

[١] - في خ : « عن أبي » .
[٢] - في ت : «بن » .
[٣] - في خ : « شهير » .
[٤] - في خ : « الصمت » .

مهتمًا ؟ » قال : قلت : يا رسول الله ؛ استشهد أبي وترك دينًا وعيالًا قال : فقال : « **ألا أخبرك ما كلم الله أحد قط إلا من وراء حجاب ، وإنه كلم أباك كفاحًا** » - قال علي : و[١] الكفاح المواجهة - « **قال : سلني أعطك**[٢] ، **قال : أسألك أن أرد إلى الدنيا ؛ فأقتل فيك ثانية . فقال الرب - عز وجل - : إنه قد**[٣] **سبق مني القول**[٤] **أنهم إليها لا يرجعون ، قال : أي رب ، فأبلغ من ورائي ، فأنزل الله : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا ﴾** [حتى أنفد][٥] الآية » . ثم رواه من طريق أخرىٰ ، عن محمد بن سليمان بن سليط الأنصاري، [عن أبيه][٦] عن جابر به نحوه ، وكذا رواه البيهقي في دلائل النبوة ، من طريق علي بن المديني به .

وقد رواه البيهقي أيضًا(٤٩٥) ، من حديث أبي عبادة الأنصاري ، وهو عيسىٰ بن عبد الرحمن ، إن شاء الله ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال النبي ﷺ لجابر : « **يا جابر ؛ ألا أبشرك ؟** » قال : بلىٰ ، بشرك الله بالخير ، قال : « **شعرت بأن الله أحيا أباك فقال ، تمن علي عبدي ما شئت أعطكه**[٧] ؛ **قال : يارب ؛ ما عبدتك حق عبادتك أتمنىٰ عليك أن تردني إلىٰ الدنيا ، فأقاتل مع نبيك ، وأقتل فيك مرة أخرىٰ ، قال :**

= ابن حبان فى « الثقات » (٧/٤٤٩) وقال : « كان ممن يخطىء » وفى « التقريب » « صدوق يخطىء » لكن صحح حديثه هذا - كما رأيت - ابن خزيمة وابن حبان والحاكم وحسنه الترمذى والحديث زاد نسبته السيوطى إلى الطبرانى .

(٤٩٥) - « دلائل النبوة » للبيهقى (٣/٢٩٨) أخبرنا أبو عبد الله الحافظ - وهو فى « المستدرك » (٣/٢٠٣) - وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضى ، قالا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، قال : حدثنا فيض بن وثيق بصرى ، قال : حدثنا أبو عبادة الأنصارى به وقال الحاكم : « حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » فتعقبه الذهبى بأن « فيض بن وثيق كذاب » قلت : وشيخه أبو عبادة الأنصارى - تحرف فى « المستدرك » إلى « أبو عمارة - واسمه عيسى بن عبد الرحمن بن فروة تركه النسائى ، وقال البخارى وأبو حاتم : « منكر الحديث » زاد أبو حاتم : « ضعيف الحديث ، شبيه بالمتروك ، لا أعلمه روى عن الزهرى حديثًا صحيحًا » ، وقال ابن عدى : « يروى عن الزهرى مناكير » والحديث ذكره الهيثمى فى « المجمع » (٩/٣٢٠) وقال : « رواه الطبرانى والبزار من طريق الفيض بن وثيق عن أبى عبادة الزرقى وكلاهما ضعيف » وقصر فى عزوه السيوطى فى « الدر المنثور » (٢/١٦٨) فعزاه إلى الحاكم فحسب .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في خ : « أعطيك » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - سقط من ت .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - في خ : « أعطيكه » .

إنه سلف مني أنه إليها لايرجع » .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد (٤٩٦) : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، حدثنا الحارث بن فضيل الأنصاري ، عن محمود بن لبيد[١] ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ، ﷺ : « **الشهداء علىٰ بارق نهر بباب الجنة ، في قبة خضراء ، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية** » .

تفرد به أحمد ، وقد رواه ابن جرير[٢] ، عن أبي كريب ، حدثنا عبد الرحيم بن سليمان ، وعَبَدة[٣] ، عن محمد بن إسحاق ، به . وهو إسناد جيد .

وكأن الشهداء أقسام منهم من تسرح أرواحهم في الجنة ، ومنهم من يكون علىٰ هذا النهر بباب الجنة ، وقد يحتمل أن يكون منتهىٰ سيرهم إلىٰ هذا النهر ، فيجتمعون هنالك ، ويُغدى عليهم برزقهم هناك ويراح ، والله أعلم .

وقد روينا في مسند الإمام أحمد : حديثا فيه البشارة لكل أحد[٤] مؤمن بأن روحه تكون في الجنة تسرح أيضًا فيها وتأكل من ثمارها ، وترىٰ ما فيها من النضرة والسرور ، وتشاهد ما أعده[٥] الله لها من الكرامة ، وهو بإسناد صحيح عزيز عظيم اجتمع فيه ثلاثة من الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبعة ؛ فإن الإمام أحمد(٤٩٧) رحمه الله رواه عن محمد بن إدريس الشافعي

---

(٤٩٦) - « المسند » (٢٦٦/١) (رقم ٢٣٩٠) وأخرجه ابن أبي شيبة فى « المصنف » (٥٦٣/٤) وابن جرير (٣٨٧/٧ ، ٣٨٨) وابن أبى حاتم (٤٤٩٤/٣) والطبرانى فى « المعجم الكبير » (١٠٨٢٥/١٠) وفى « الأوسط » (١/رقم ١٢٣) من طرق عن ابن إسحاق به وقال الطبرانى : « لا يُرْوَى هذا الحديث عن ابن عباس إلا بهذا الإسناد ، تفرّد به محمد بن إسحاق » قلت : وهو صدوق مدلس وقد صرح بالتحديث هنا ولذا جود إسناده المصنف وصححه من طريقه ابن حبان (٤٦٥٨/١٠) والحاكم (٧٤/٢) على شرط مسلم ووافقه الذهبى ، ومحمد بن إسحاق إنما أخرج له مسلم مقرونًا بغيره !! وذكره الهيثمى فى موضعين من « المجمع » (٢٩٧/٥ ، ٣٠١) قال فى الأول : « رواه أحمد وإسناده رجاله ثقات ورواه الطبرانى فى «الكبير» و « الأوسط » وقال فى الثانى : « رواه أحمد والطبرانى ورجال أحمد ثقات » والحديث زاد نسبته السيوطى فى « الدر المنثور » (١٧١/٢) إلى عبد بن حميد وابن المنذر والبيهقى فى « البعث » .

(٤٩٧) - « المسند » (٤٥٥/٣) - والحديث فى موطأ مالك ، كتاب الجنائز ، باب جامع الجنائز (٢٠٦/١) - ومن طريق أحمد أخرجه أبو نعيم فى « الحلية » (١٥٦/٩) والبيهقى فى « البعث والنشور » (رقم ٢٠٣) ، وأخرجه النسائى (١٠٨/٤) وابن ماجه (٤٢٧١) والطبرانى فى « المعجم الكبير » =

---

[١] - في خ : « أسد » .
[٢] - في ت : « جريج » .
[٣] - في خ : « عبيدة » .
[٤] - زيادة من : خ .
[٥] - في ت : « أعد » .

رحمه الله عن مالك بن أنس الأصبحي رحمه الله ،عن الزهري ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، عن أبيه - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم : « **نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة ، حتىٰ يرجعه الله إلىٰ جسده يوم يبعثه** » . قوله : « **يعلق**[١] » أي : يأكل[٢] .

وفي هذا الحديث(٤٩٨) : « **إن روح المؤمن تكون علىٰ شكل طائر في الجنة** » . وأما أرواح الشهداء فكما تقدم في حواصل طير خضر ، فهي كالكوالب بالنسبة إلى أرواح عموم المؤمنين فإنها تطير بنفسها ، فنسأل الله الكريم المنان أن يميتنا[٣] علىٰ الإيمان .

[قوله تعالىٰ][٤] : ﴿ **فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ أي : الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله أحياء عند ربهم[٥] ، وهم فرحون[٦] بما هم فيه من النعمة والغبطة ، ومستبشرون بإخوانهم الذين يقتلون بعدهم في سبيل الله أنهم يَقْدمُون عليهم ، وأنهم لا يخافون مما أمامهم ، ولا يحزنون علىٰ ما تركوه وراءهم .

= (١٩/رقم ١٢٠) ، والآجرى فى « الشريعة » (٩٨٠/٢) من طرق عن مالك بن أنس به ، وأخرجه أحمد (٤٥٥/٣ ، ٤٥٦) (٣٨٦/٦) والترمذى (١٦٤١) وابن حبان (٤٦٥٧/١٠) والطبرانى (١١٩/١٩ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٤) والبيهقى (٢٠٢) من طرق عن الزهرى به وقال الترمذى : « حديث حسن صحيح » غير أن لفظ الرواية عنده « إن أرواح الشهداء فى طير خضر تَعْلُقُ من ثمرة الجنة ، أو شجر الجنة » وقد تفرد بهذه الرواية سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن الزهرى به ، والثقات من الرواة إنما رووه بلفظ « المسلم » أو «المؤمن» وقد حكم على رواية سفيان بالشذوذ الألبانى فى « الصحيحة » (٩٩٥/٢) ورواه الحميدى فى « مسنده» (٨٧٣) عن سفيان عن عمرو بن دينار بلفظ الجادة « إن نسمة المؤمن ... » !! .

(٤٩٨) - لم أهتد له . وأقرب لفظ لما أورده المصنف ، ما أخرجه الطبرانى فى « المعجم الكبير » (١٢٣/١٩) ثنا جعفر بن محمد الفريابى ، ثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقى ، ثنا شعيب بن إسحاق ، ثنا الأوزاعى ، حدثنى الزهرى حدثنى عبد الرحمن بن كعب عن كعب قال : لما حضرت الوفاة ، أتته أم مبشر ، فقالت : اقرأ على ابنى السلام ، فقال لها : أوما سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **روح المؤمن طائر تعلق فى شجر الجنة حتى يبعث يوم القيامة** ؟ » قالت : بلى ولكن وهلت . قال الهيثمى فى « المجمع » (٣٣٢/٢) : « رجاله رجال الصحيح » قلت : وسنده متصل وقد رواه محمد بن إسحاق عن الحارث بن فضيل عن الزهرى بهذا الإسناد : لكنه أخطأ فى لفظه فانظر « الصحيحة » للألبانى (٢/رقم ٩٩٥) .

[١] - في خ : « تعلق » .
[٢] - في خ : « تأكل » .
[٣] - في خ : « يثبتنا » .
[٤] - في خ : « وقوله » .
[٥] - في خ : « الله » .
[٦] - في خ : « فرحين » .

[نسأل اللَّه الجنة][١] . وقال محمد بن إسحاق ﴿ **ويستبشرون** ﴾ أي : ويسرون بلحوق من خلفهم من إخوانهم علىٰ ما مضوا عليه من جهادهم ، ليشركوهم فيما هم فيه من ثواب اللَّه الذي أعطاهم .

قال[٢] السدي : يؤتىٰ الشهيد بكتاب فيه : يقدم عليك فلان ، يوم كذا وكذا ، ويقدم عليك فلان ، يوم كذا وكذا ؛ فيسر بذلك كما يسر أهل الدنيا بغائبهم بقدوم غيابهم .

قال سعيد بن جبير : لما دخلوا الجنة ، ورأوا ما فيها من الكرامة للشهداء قالوا : يا ليت إخواننا الذين في الدنيا يعلمون ما عرفناه من الكرامة ؛ فإذا شهدوا القتال باشروها بأنفسهم حتىٰ يستشهدوا فيصيبوا ما أصبنا من الخير ؛ فأخبر رسول اللَّه ﷺ بأمرهم وما هم فيه من الكرامة ؛ وأخبرهم أي : [ربهم أني][٣] قد أنزلت علىٰ نبيكم وأخبرته بأمركم وما أنتم فيه فاستبشروا بذلك ؛ فذلك قوله : ﴿ **ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم** ﴾ . الآية .

وقد ثبت في الصحيحين(٤٩٩) عن أنس رضي اللَّه عنه في قصة أصحاب بئر معونة السبعين من الأنصار الذين قتلوا في غداة واحدة ؛ وقنت رسول اللَّه ﷺ علىٰ الذين قتلوهم يدعوا عليهم ويلعنهم ؛ قال أنس : ونزل فيهم قرآن قرأناه حتىٰ رفع : « **أن بلغوا عنا قومنا أنا قد[٤] لقينا ربنا ، فرضي عنا وأرضانا** » .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **يستبشرون بنعمة من اللَّه وفضل وأن اللَّه لا يضيع أجر المؤمنين** ﴾ قال[٥] محمد بن إسحاق : استبشروا وسروا لما عاينوا من وفاء الموعود وجزيل الثواب .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هذه الآيات جمعت المؤمنين كلهم سواء الشهداء وغيرهم ، وقلما ذكر اللَّه فضلًا [ذكر به][٦] الأنبياء وثوابًا أعطاهم اللَّه إياه ، إلا ذكر ما أعطىٰ اللَّه[٧] المؤمنين من بعدهم . وقوله تعالىٰ : ﴿ **الذين استجابوا للَّه والرسول من بعد ما أصابهم**

---

(٤٩٩) - أخرجه البخاري ، كتاب المغازي ، باب : غزوة الرجيع ورعل وذكوان وبئر معونة (٤٠٨٨) وانظرأطرافه عند رقم (١٠٠١) ومسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٢٩٧ : ٣٠٤) (٦٧٧) من طرق عن أنس ، وانظر ما تقدم برقم (٥٣٤).

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - في خ : « وقال » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في خ : « وقال » .
[٦] - في خ : « ذكرته » .
[٧] - سقط من : ت .

القرح ﴾ هذا كان يوم حمراء الأسد ، وذلك أن المشركين لما أصابوا [ما أصابوا][١] من المسلمين كروا راجعين إلىٰ بلادهم ، فلما استمروا في سيرهم ندموا لم لاتمموا علىٰ أهل المدينة وجعلوها الفيصلة ، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ ندب المسلمين[٢] إلىٰ الذهاب وراءهم ليرعبهم وليريهم[٣] أن بهم قوة وجلدًا ، ولم يأذن لأحد سوىٰ من حضر الوقعة يوم أحد سوىٰ جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - لما سنذكره ، فانتدب المسلمون علىٰ ما بهم من الجراح والإثخان طاعة لله ولرسوله صلىٰ الله عليه وسلم .

قال[٤] ابن أبي حاتم (٥٠٠) : حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة ؛ قال : لما رجع المشركون عن أحد قالوا : لا محمدًا قتلتم ، ولا الكواعب أردفتم ؛ بئس ما صنعتم ؛ ارجعوا ، فسمع رسول الله ﷺ بذلك ، فندب المسلمين فانتدبوا حتىٰ بلغوا[٥] حمراء الأسد- أو بئر أبي عيينة- الشك من سفيان- فقال المشركون : نرجع من قابل ، فرجع رسول الله ﷺ ، فكانت تعد غزوة ، فأنزل الله تعالىٰ[٦] : **﴿ الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم ﴾** ورویٰ[٧] ابن مردُويه (٥٠١) من حديث محمد بن منصور عن سفيان بن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ... فذكره .

---

(٥٠٠) - تفسير ابن أبي حاتم (٣/٤٥١٠) هكذا مرسلاً ورجاله ثقات رجال الشيخين غير محمد بن عبد الله ابن يزيد ، فروى له النسائي - ووثقه - وابن ماجه ، وقال ابن أبي حاتم : « هو صدوق ثقة » ، وقال الخليلي : « ثقة متفق عليه » لكن خالفه غيره ، فوصل الحديث - انظر الآتي .

(٥٠١) - وعزاه لابن مردويه الحافظ ابن حجر في « الفتح » (٨/٢٢٨) وأخرجه النسائي في « التفسير » من « الكبرى » (٦/١١٠٨٣) والطبراني في « المعجم الكبير » (١١/١١٦٣٢) من طريق محمد بن منصور به موصولاً. وذكره الهيثمي في « المجمع » (٦/١٢٤) وقال : « رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن منصور الجواز وهو ثقة » وصحح إسناده السيوطي في « الدر المنثور » (٢/١٧٨) غير أن الحافظ أعله فقال في « الفتح » (٨/٢٢٨ ، ٢٢٩) « المحفوظ إرساله عن عكرمة ، ليس فيه ابن عباس ، ومن الطريق المرسلة أخرجه ابن أبي عاصم وغيره » ومِنْ هذا الغير عبد الرزاق ، فرواه في تفسيره (١/١٤٠) أنا ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة مرسلاً بنحوه ، وهذه متابعة قوية لـ « محمد بن عبد الله بن يزيد » لكن تبين من رواية الطبراني أن سفيان بن عيينة هو الذى حدَّث به موصولاً ومرسلاً ، والله أعلم .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - في خ : « المسلمون » .

[٣] - في خ : « ويريهم » .

[٤] - في خ : « وقال » .

[٥] - في خ : « بلغ » .

[٦] - في خ : « عز وجل » .

[٧] - في خ : « وقال » .

وقال محمد بن إسحاق(٥٠٢) : كان يومُ أحد يوم السبت للنصف من شوّال ، فلما كان الغد من يوم الأحد لستٍّ عشرة ليلةً مضت من شوال أذَّن مؤذن رسولِ اللَّه ﷺ في الناس بطلب العدو ، وأذن مؤذنه : أن لا يخرجن[١] معنا أحد إلا من[٢] حضر يومنا بالأمس ، فكلمه جابر بن عبد اللَّه بن عمرو بن حرام ، فقال : يا رسول اللَّه ؛ إن أبي كان خلفني علىٰ أخوات لي سبع ، وقال : يا بُني إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ؛ ولست بالذي أوثرك بالجهاد مع رسول اللَّه ﷺ علىٰ نفسي ، فتخلف على أخواتك ، فتخلفت عليهن ؛ فأذن له رسول اللَّه ﷺ فخرج معه ؛ وإنما خرج رسول اللَّه ﷺ مرهبًا للعدو وليبلغهم أنه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة ؛ وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوّهم .

[قال محمد][٣] بن إسحاق(٥٠٣) : فحدثني عبد اللَّه بن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أبي السائب مولىٰ عائشة بنت عثمان ، أن رجلًا من أصحاب رسول اللَّه ﷺ من بني عبد الأشهل ، كان قد[٤] شهد أحدًا ، قال : شهدنا أحدًا مع رسول اللَّه ﷺ أنا وأخي فرجعنا جريحين ؛ فلما أذن مؤذن رسول اللَّه ﷺ بالخروج في طلب العدو قلت ، لأخي- أو قال لي- : أتفوتنا غزوة مع رسول اللَّه ﷺ ؟ واللَّه ما لنا من دابة نركبها ؛ وما منا إلا جريح ثقيل ؛ فخرجنا مع رسول اللَّه ﷺ ؛ وكنت أيسر جراحًا منه : فكان إذا غلب حملته عقبة ؛ ومشىٰ عقبة حتىٰ انتهينا إلىٰ ما انتهىٰ إليه المسلمون .

---

(٥٠٢) - وكذا هو في « السيرة » لابن هشام (٦١٥/٣) وفي « فتح البارى » (٣٧٣/٧ ، ٣٧٤) من كلام ابن إسحاق ، لكن أسنده ابن جرير فى تفسيره (٨٢٣٣/٧) ثنا ابن حميد ، ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثنى حسين بن عبد اللَّه عن عكرمة فذكره وحسين بن عبد اللَّه ، ضعيف كما فى « التقريب » وقد رواه البيهقى فى « دلائل النبوة » (٣١٤/٣) من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق عن شيوخه فذكره وعزاه الحافظ فى « الفتح » إلى عبد بن حميد .

(٥٠٣) - « السيرة » لابن هشام (٦١٥/٣ ، ٦١٦) ومن طريق ابن إسحاق أخرجه ابن جرير فى تفسيره (٧/ ٨٢٣٤) والبيهقى فى « دلائل النبوة » (٣١٤/٣) به وعبد اللَّه بن خارجة لم يوثقه غير ابن حبان «الثقات» (٣٢/٧) وشيخه لم أهتد لترجمته . وقد أشار لهذا الإسناد البخارى فى « التاريخ الكبير » (٧٩/٥) وقال : «عبد اللَّه بن خارجة بن زيد بن ثابت الأنصارى ، سمع عروة بن الزبير وأباه ، روى عنه الزهرى وبكير بن الأشج ، وقال ابن إسحاق : حدثنى عبد اللَّه بن خارجة بن زيد ، عن أبى السائب مولى عائشة بنت عثمان ، هو أخو سليمان » يعنى عبد اللَّه . وسليمان هذا مترجم فى « التهذيب » والخبر زاد نسبته السيوطى فى « الدر المنثور » (١٧٩/٢) إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

---

[١] - في خ : « يخرج » . [٢] - في خ : « أحد » .
[٣] - في خ : « وقال » . [٤] - سقط من : خ .

وقال البخاري (٥٠٤) : حدثنا محمد بن سلام ، حدثنا أبو معاوية عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة رضي اللَّه عنها : ﴿ **الذين استجابوا للَّه والرسول** ﴾ . الآية . قالت لعروة : يا بن أختي ، كان أبواك منهم الزبير ، وأبو بكر رضي اللَّه عنهما لما أصاب نبي اللَّه ﷺ ما أصابه يوم أحد ، وانصرف عنه المشركون ، خاف أن يرجعوا ، فقال : « **من يرجع في أثرهم ؟** » فانتدب منهم سبعون رجلًا ، فيهم أبو بكر والزبير ، رضي الله عنهما .

هكذا رواه البخاري منفردًا بهذا السياق ؛ وهكذا رواه الحاكم في مستدركه (٥٠٥) ، عن الأصم ، عن عباس الدوري ، عن أبي النضر ، عن أبي سعيد المؤدب ، عن هشام بن عروة به . ثم قال صحيح الإِسناد[١] ولم يخرجاه . كذا[٢] قال . [وقد رواه الحاكم][٣] أيضًا(٥٠٦) من حديث إسماعيل بن أبي خالد ، عن البهي[٤] ، عن عروة ، وقال : قالت لي عائشة : [يا بني][٥] إن أباك من الذين استجابوا للَّه والرسول من بعد ما أصابهم القرح . ثم قال : صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه .

ورواه ابن ماجة (٥٠٧) ، عن هشام بن عمار وهدية بن عبد الوهاب ، عن سفيان بن عيينة ، عن هشام بن عروة به ؛ وهكذا رواه سعيد بن منصور وأبو بكر الحميدي في مسنده عن سفيان

---

(٥٠٤) - صحيح البخارى ، كتاب المغازى ، باب ﴿ الذين استجابوا لله والرسول ﴾ (٤٠٧٧) ، و أخرجه البيهقى فى « دلائل النبوة » (٣/٣١٢ ، ٣١٣) من طريق أبى معاوية به نحوه وانظر ما بعده .

(٥٠٥) - « المستدرك » (٢/٢٩٨) غير أنه فيه أن عائشة قالت ذلك لعبد اللَّه بن الزبير وليس لعروة ، ولعل هذا علة استدراكه على الشيخين ، لا سيما وقد وافقه الذهبى في هذا ولم يتعقبه . وقد أخرجه ابن جرير (٧/٨٢٣٩) حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا هاشم بن القاسم - أبو النضر - به وانظر ما بعده .

(٥٠٦) - « المستدرك » (٣/٣٦٣) أخبرنا الحسن بن يعقوب العدل ، ثنا محمد بن عبد الوهاب العبدى ، أنا جعفر بن عون ، أنا إسماعيل بن أبى خالد به وقال : « حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » واستدركه الذهبى فحذفه من « التلخيص » حيث أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل طلحة والزبير (٥٢) (٢٤١٨) حدثنا أبو كريب محمد العلاء ، ثنا وكيع ، حدثنا إسماعيل به ، وأخرجه ابن أبى شيبة فى « المصنف » (٧/٥١٠) ثنا وكيع عن إسماعيل به .

(٥٠٧) - سنن ابن ماجه ، المقدمة ، باب فضل الزبير - رضى اللَّه عنه - (١٢٤) وأخرجه سعيد بن منصور كما في « الدر المنثور » (٢/١٧٩) - والحميدى في « مسنده » (١/رقم ٢٦٣) وابن جرير (٧/٨٢٤١) من طريق سفيان به ، وأخرجه مسلم (٥١) (٢٤١٨) من طرق عن هشام بن عروة به .

---

[١] - سقطً من : خ .

[٢] - في خ : « وكذا » .

[٣] - في خ : « ورواه » .

[٤] - في خ : « الهني » .

[٥] - سقط من : خ .

به .

وقال[١] أبو بكر بن مردويه (٥٠٨) : حدثنا عبد الله بن جعفر ، من أصل كتابه ، أنبأنا سمويه[٢] ، أنبأنا عبد الله بن الزبير ، أنبأنا سفيان ، أنبأنا هشام ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال لي رسول الله ﷺ : « **إن كان أبواك لمن الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح : أبو بكر والزبير ، رضي الله عنهما** » .

ورفع هذا الحديث خطأ محض من جهة إسناده ؛ لمخالفته رواية الثقات ، من وقفه على عائشة رضي الله عنها كما قدمناه ؛ ومن جهة معناه : فإن الزبير ليس هو من آباء عائشة ؛ وإنما قالت ذلك عائشة لعروة بن الزبير لأنه ابن أختها أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهم .

وقال ابن جرير (٥٠٩) : حدثني محمد بن سعد ، حدثني أبي ، [حدثني عمي][٣] ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : إن الله قذف في قلب أبي سفيان الرعب يوم أحد بعدما[٤] كان منه ما كان ، فرجع إلى مكة ، فقال النبي ﷺ : « **إن أبا سفيان قد أصاب منكم طرفًا ، وقد رجع وقد قذف الله في قلبه الرعب** » . وكانت وقعة أحد في شوال ، وكان التجار يقدمون المدينة في ذي القعدة ، فينزلون ببدر الصغرى في كل سنة مرة ، وإنهم قدموا بعد وقعة أحد ، وكان أصاب المؤمنين القرح ، واشتكوا ذلك إلى النبي ﷺ ، واشتد عليهم الذي أصابهم ، وأن رسول الله ﷺ ندب[٥] الناس لينطلقوا معه ، ويتبعوا ما كانوا متبعين ، وقال : « **إنما يرتحلون الآن فيأتون[٦] الحج ولا يقدرون على مثلها حتى عام مقبل** » . فجاء الشيطان يخوف[٧] أولياءه فقال : إن الناس قد جمعوا لكم ، فأبى عليه الناس أن يتبعوه ، وقال : « **إني ذاهب وإن لم يتبعني أحد ؛ لأحضض الناس** » . فانتدب[٨] معه الصديق وعمر وعثمان ، وعلي

(٥٠٨) - لم أهتد إليه في غير هذا الموضع ولا أعرف من المتهم برفعه ، فإن رجاله كلهم ثقات أثبات ، وعبد الله بن الزبير هو الحميدى وسفيان هو ابن عيينة وسَمُّويه هو الإمام الثقة أبو بشر إسماعيل بن عبد الله بن مسعود وعبد الله بن جعفر هو ابن أحمد بن فارس مترجمان فى « السير » للذهبى (١٣/١٠) ، (١٥/ ٥٥٣) .

(٥٠٩) - تفسير ابن جرير (٨٢٣٨/٧) وإسناده مسلسل بالضعفاء أولهم راويه عن ابن عباس وهو عطية العوفى .

[١] - في خ : « قال » .
[٢] - في خ : « ميمونة » .
[٣] - في خ : « عمر » .
[٤] - في خ : « الذي » .
[٥] - في خ: « انتدب » .
[٦] - في خ : « فتأتون » .
[٧] - في خ : « فخوف » .
[٨] - سقط من : خ .

والزبير ، وسعد وطلحة ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن مسعود ، وحذيفة بن اليمان ، وأبو عبيدة بن الجراح في سبعين رجلًا ، فساروا في طلب أبي سفيان فطلبوه ، حتىٰ بلغوا الصفراء ، فأنزل الله تعالىٰ : ﴿ **الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح** ﴾ . الآية . ثم قال ابن إسحاق (٥١٠) : فخرج رسول الله ﷺ حتىٰ انتهىٰ إلىٰ حمراء الأسد ، وهي من المدينة علىٰ ثمانية أميال .

قال ابن هشام : واستعمل علىٰ المدينة ابن أم مكتوم ، فأقام بها الإثنين والثلاثاء والأربعاء ثم رجع إلىٰ المدينة ، وقد مر به كما حدثني عبد الله بن أبي بكر معبد بن أبي معبد الخزاعي ، وكانت خزاعة مسلمهم ومشركهم عيبة نصح لرسول الله ﷺ بتهامة صفقتهم معه لا يخفون عنه شيئًا كان بها ، ومعبد يومئذ كان مشركًا ، فقال : يا محمد ؛ أما والله لقد عز علينا ما أصابَك في أصحابِك ، ولوددنا أن الله عافاك فيهم ، ثم خرج ورسول الله ﷺ بحمراء الأسد ، حتىٰ لقي أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء ، وقد أجمعوا الرجعة إلىٰ رسول الله ﷺ وأصحابه ، وقالوا : أصبنا [محمدًا و][١] أصحابه وقادتهم وأشرافهم ، ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ؟ لنكرّنّ علىٰ بقيتهم ، [ثم لنفرغنّ][٢] منهم ، فلما رأى أبو سفيان معبدًا قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمد قد خرج [في أصحابه][٣] يطلبكم في جمع لم أر مثله قطُّ ، يتحرقون عليكم تحرقًا ، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم ، وندموا علىٰ ما صنعوا فيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط ، قال : ويلك ما تقول ؟ قال : والله ، ما أرىٰ أن ترتحل حتىٰ ترىٰ نواصي الخيل ، قال : فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم ، قال : فإني أنهاك عن ذلك ، ووالله لقد حملني ما رأيت علىٰ أن قلت فيهم أبياتًا من شعر ، قال : وما قلت ؟ قال قلت :

كَادَتْ تُهَدّ مِنَ الأَصْواتِ رَاحِلَتِي ... إذ سَالَتِ الأرْضُ بالجُردِ الأَبابيلِ
تَرْدىٰ بأسدٍ كرامٍ لا تنابلة ... عند اللقاءِ ولا ميل معازيل
فَظلْتُ عدوًا أظنُّ الأرضَ مائلةً ... لما سموا برئيسٍ غيرِ مخذولِ
فقلتُ ويل ابنِ حربٍ من لقائِكمُ ... إذا تغطمطتِ البطحاءُ بالجيلِ
إني نذيرٌ لِأهلِ البَسْلِ ضاحيةً ... لكلِّ ذي إربةٍ منهم ومعقولِ
من جيش أحمدَ لا وخش تنابلة ... وليس يوصف ما أنذرت بالقيل

قال : فثنىٰ ذلك أبا سفيان ومن معه .

(٥١٠) - « السيرة » لابن هشام (٦١٦/٣ ، ٦١٧) .

[١] - في خ : « حد » .
[٢] - في خ : « فلنفرغنّ » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

ومرّ به ركب من بني عبد القيس ، فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة ، قال : ولم ؟ قالوا : نريد الميرة ؟ قال : فهل أنتم مبلغون عني محمدًا رسالة أرسلكم بها إليه ، وأحمل لكم هذه غدًا زبيبًا بعكاظ إذا وافيتمونا ؟ قالوا : نعم ، قال : فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا المسير إليه وإلىٰ أصحابه ، لنستأصل بقيتهم ، فمر الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد ، فأخبروه بالذي قال أبو سفيان وأصحابه ، فقالوا[١] : ﴿ **حسبنا الله ونعم الوكيل** ﴾ وذكر[٢] ابن هشام عن أبي عبيدة قال : قال رسول الله ﷺ حين بلغه رجوعهم :« **والذي نفسي بيده ، لقد سومت لهم حجارة لو صبحوا بها لكانوا كأمس الذاهب** » .

وقال الحسن البصري (٥١١) في قوله : ﴿ **الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح** ﴾ : إن أبا سفيان وأصحابه أصابوا من المسلمين ما أصابوا ، ورجعوا ، فقال رسول الله ﷺ : « **إن أبا سفيان قد رجع وقد قذف الله في قلبه الرعب**[٣] **؛ فمن ينتدب في طلبه ؟** » فقام النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وناس من أصحاب رسول الله ﷺ ، فتبعوهم ، فبلغ أبا سفيان أن النبي ﷺ يطلبه ، فلقي عيرًا من التجار ، فقال : ردوا محمدًا ولكم من الجعل كذا وكذا ، وأخبروهم أني قد جمعت لهم[٤] جموعًا ، وأني[٥] راجع إليهم ، فجاء التجار ، فأخبروا رسول الله ﷺ بذلك ، فقال النبي ﷺ : ﴿ **حسبنا الله ونعم الوكيل** ﴾ فأنزل الله هذه الآية ، وهكذا قال عكرمة وقتادة وغير واحد : إن هذا السياق نزل في شأن غزو[٦] حمراء الأسد . وقيل : نزلت في بدر الموعد ، والصحيح الأول ، وقوله تعالىٰ ﴿ **الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا** ﴾ . الآية . أي : الذين توعدهم الناس بالجموع[٧] ، وخوفوهم بكثرة الأعداء ، فما اكترثوا لذلك ، بل توكلوا علىٰ الله ، واستعانوا به ، ﴿ **وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** ﴾ .

وقال البخاري (٥١٢) : حدثنا أحمد بن يونس - [أراه قال][٨] : - حدثنا أبو بكر ، عن أبي

(٥١١) - أخرجه ابن أبى حاتم فى « تفسيره » (٤٥١٢/٣) ثنا أبى ، ثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا مبارك عن الحسن به مرسلاً .

(٥١٢) - صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، باب ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم ﴾ الآية (٤٥٦٣) وأخرجه الحاكم فى « المستدرك » (٢٩٨/٢) ومن طريقه - من غير طريق « المستدرك »=

[١] - في خ : « فقال » .
[٢] - في خ : « وقال » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - سقط من : ت .
[٥] - في خ : « وأنني » .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - سقط من : ت .
[٨] - في خ : « قال أراه » .

حصين ، عن أبي الضحىٰ ، عن ابن عباس ، ﴿ **حسبنا اللّٰه ونعم الوكيل** ﴾ ، قالها إبراهيم [عليه السلام] حين ألقي في النار ، وقالها محمد ﷺ حين ﴿ [**قال لهم الناس**][١] : **إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا اللّٰه ونعم الوكيل** ﴾ .

وقد رواه النسائي(٥١٣) عن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ، وهارون بن عبد اللّٰه ، كلاهما عن يحيىٰ بن أبي بكير ، عن أبي بكر - وهو ابن عيّاش به . والعجب أن الحاكم [أبا عبد اللّٰه][٢] رواه من حديث أحمد بن يونس به ، ثم قال : صحيح الإسناد[٣] على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه . ثم رواه البخاري(٥١٤) عن أبي غسان مالك بن إسماعيل ، عن إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن أبي الضحىٰ ، عن ابن عباس : قال : كان آخر قول إبراهيم - عليه السلام - حين ألقي في النار ﴿ **حسبنا اللّٰه ونعم الوكيل** ﴾ .

وقال عبد الرزاق (٥١٥) : قال ابن عيينة ، وأخبرني زكريا ، عن الشعبي ، عن عبد اللّٰه بن عمرو ، وقال[٤] : هي كلمة إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار[٥] . رواه ابن جرير .

وقال أبو بكر بن مردُويه(٥١٦) : حدثنا محمد بن معمر ، حدثنا إبراهيم بن موسىٰ الثوري ،

= - البيهقى فى « دلائل النبوة » (٣١٧/٣) من طريق أحمد بن يونس به وقال الحاكم : « صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ووافقه الذهبى فوهما ، فالحديث كما ترى عند البخارى ، وأشار لوهمه هذا غير المصنف الحافظ ابن حجر فى « الفتح » (٢٢٩/٨) .

(٥١٣) - تفسير النسائى من « السنن الكبرى » (١١٠٨١/٦) وأخرجه فى « عمل اليوم والليلة » (٦/ ١٠٤٣٩) أخبرنا هارون بن عبد اللّٰه قال : حدثنا يحيى بن بكير به ، والبيهقى فى « الأسماء والصفات » (١/رقم ١٤٦) من طريق محمد بن إسحاق ثنا يحيى بن بكير به . وأخرجه ابن أبى حاتم فى « تفسيره » (٤٥٢١/٣) من طريق أبى داود الطيالسى ، ثنا قيس عن أبى حصين به .

(٥١٤) - صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، باب ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم ﴾ (٤٥٦٤).

(٥١٥) - تفسير عبد الرزاق (١٤٠/١ ، ١٤١) ومن طريق عبد الرزاق أخرجه ابن جرير فى « تفسيره » (٧/ ٨٢٥٠) وأخرجه ابن أبى شيبة فى « المصنف » (٤٤٩/٧) ثنا الفضل بن دكين ، عن سفيان ، عن فراس ، عن الشعبى به ورجاله ثقات رجال الشيخين ، لكن نفى ابن معين سماع الشعبى من عمرو بن العاص ، والأثر زاد نسبته السيوطى فى « الدر المنثور » (١٨١/٢) إلى ابن المنذر .

(٥١٦) - وعزاه لابن مردويه السيوطى فى « الدر المنثور » (١٨٠/٢) . وأشار إلى رواية ابن مردويه أيضًا الحافظ ابن حجر فى « الفتح » (٢٢٩/٨) ورجاله ثقات إلا أن فيه عنعنة حميد الطويل ، وأخرجه =

[١] - في خ : « قالوا » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في خ : « قال » .
[٥] - في خ : « البنيان » .

أخبرنا عبد الرحيم بن محمد بن زياد السكري ، أنبأنا أبو بكر بن عياش ، عن حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، عن النبي ﷺ أنه قيل له يوم أحد : إن الناس قد جمعوا لكم ؛ فاخشوهم ، فأنزل الله هذه الآية وروى[١] أيضًا بسنده(٥١٧) ، عن محمد بن عبيد الله الرافعي ، عن أبيه ، عن جده أبي رافع ، أن النبي ﷺ : وجه عليًا في نفر معه ، في طلب أبي[٢] سفيان ، فلقيهم أعرابي من خزاعة ، فقال : إن القوم قد جمعوا لكم ، فقالوا[٣] : حسبنا الله ونعم الوكيل ، فنزلت فيهم هذه الآية .

ثم قال ابن مردويه(٥١٨) ، حدثنا دعلج بن أحمد ، أخبرنا الحسن بن سفيان ، أنبأنا أبو خيثمة ابن[٤] مصعب بن سعيد ، أنبأنا موسىٰ بن أعين ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا وقعتم في الأمر العظيم فقولوا : ﴿ حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾** » .

هذا حديث غريب من هذا الوجه . وقد قال الإمام أحمد(٥١٩) : حدثنا حيوة بن شريح ،

= الخطيب البغدادى فى « تاريخ بغداد » (٨٦/١١) أخبرنا الحسن بن الحسين النعالى ، أخبرنا عبد الله بن العباس الشطوى ، ثنا إبراهيم بن موسى به ، وأخرجه أبو نعيم فى « الحلية » (١٩/١) ثنا القاضى عبد الله بن محمد بن عمر ثنا عبد الله بن العباس الطيالسى ، ثنا عبد الرحيم بن محمد به ، والحديث لم يعزه السيوطى لغير ابن مردويه والخطيب .

(٥١٧) - وعزاه لابن مردويه السيوطى فى « الدر المنثور » (١٨٠/٢) . ومحمد بن عبيد الله الرافعي هذا ضعفه أبو حاتم وقال ابن معين : « ليس بشيء » وقال البخارى : « منكر الحديث » وأما أبوه عبيد الله وهو ابن أبى رافع مولى النبى ﷺ فوثقه أبو حاتم والخطيب وابن سعد وغيرهم وروى له الجماعة .

(٥١٨) - وعزاه لابن مردويه السيوطى فى « الدر المنثور » (١٨١/٢) . وأبو خيثمة مصعب بن سعيد هذا قال ابن عدي فى « الكامل » (٢٣٦٢/٦) : « يحدث عن الثقات بالمناكير ويصحف عليهم ، والضعف على حديثه بَيِّنٌ » وقال صالح جزرة : « شيخ ضرير ، لا يدرى ما يقول » ومع هذا فقد ذكره ابن حبان فى « الثقات » (١٧٥/٩) قال : « ربما أخطأ ، يعتبر حديثه ، إذا روى عن الثقات ، وبين السماع فى خبره لأنه كان مدلسًا ، وقد كف فى آخر عمره » .

(٥١٩) - « المسند » (٢٤/٦) وأخرجه أبو داود ، كتاب الأقضية باب الرجل يحلف على حقه (٣٦٢٧) - ومن طريقه البيهقى فى « السنن الكبرى » (١٨١/١٠) والنسائى فى عمل اليوم والليلة من « الكبرى » (٦/ ١٠٤٦٢) والبزار فى « مسنده » (٢٧٤٩/٧) والطبرانى في « المعجم الكبير » (١٨/رقم ٩٧ ، ١٣٩) والمزى فى « تهذيب الكمال » (٣٣٨/١٢) من طرق عن بقية وفى إسناده سيف الشامى وثقه ابن حبان والعجلى ، لكن قال النسائى : « لا أعرفه » ، وقال الذهبى : « لا يعرف » واكتفى ابن حجر =

---

[١] - في خ : « وقال » .
[٢] - في خ : « أبا » .
[٣] - في خ : « قالوا » .
[٤] - سقط من : خ .

وإبراهيم بن أبي العباس ، قالا : حدثنا بقية[١] ، حدثنا بحير بن سعد[٢] ، عن خالد بن معدان ، عن سيف ، عن عوف بن مالك ، أنه حدثهم : أن النبي ﷺ قضىٰ بين رجلين ؛ فقال المقضي عليه لما أدبر : حسبي اللَّه ونعم الوكيل ؛ فقال النبي[٣] ، ﷺ : « **ردّوا عليّ الرجل** » . فقال : « **ما قلت ؟** » قال : قلت : حسبي اللَّه ونعم الوكيل ، فقال النبي ﷺ : « **إن اللَّه يلوم علىٰ العجز ، ولكن عليك بالكيس ، فإذا غلبك أمر فقل : حسبي اللَّه ونعم الوكيل** » .

وكذا رواه أبو داود ، والنسائي من حديث بقية ، عن بحير عن خالد ، عن سيف وهو الشامي ولم ينسب عن عوف بن مالك ، عن النبي ﷺ بنحوه .

وقال الإمام أحمد (٥٢٠) : حدثنا أسباط ، حدثنا مطرف ، عن عطية ، عن ابن عباس [في قوله : ﴿ **فإذا نقر في الناقور** ﴾][٤] قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **كيف أنعم وصاحب القرن ، قد التقم القرن وحنىٰ جبهته يستمع[٥] متىٰ يؤمر فينفخ** » . فقال أصحاب [رسول اللَّه][٦] صلىٰ اللَّه عليه وسلم فما نقول ؟ قال : « **قولوا : حسبنا اللَّه ونعم الوكيل ، علىٰ اللَّه توكلنا** » .

وقد روي هذا من غير وجه ، وهو حديث جيد ، [وقد روينا][٧] عن أم المؤمنين عائشة ، وزينب [بنت جحش][٨] رضي اللَّه عنهما أنهما تفاخرتا[٩] ، فقالت زينب : زوجني اللَّه ،

= في « التهذيب » بنقل توثيق العجلي له ، وذِكْر ابن حبان له في « الثقات » !! .

(٥٢٠) - « المسند » (٣٢٦/١) وأخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٩٦/٧) - ومن طريقه الطبراني في « الكبير » (١٢٦٧١/١٢) وابن جرير في تفسيره (١٥٠/٢٩ - ١٥١) وابن أبي حاتم - كما يأتي عند المصنف (سورة المدثر آية٨) - وابن أبي الدنيا في « الأهوال » (رقم ٥٣) من طريق أسباط بن محمد - مقرونا به محمد بن فضيل عند ابن جرير - عن مطرف به . وأخرجه الطبراني أيضًا (١٢٦٧٠/١٢) والحاكم في « المستدرك » (٥٥٩/٤) من طريق مطرف به . وأخرجه الطبراني في « الأوسط » (٣٦٦٣/٤) من طريق إدريس الأودى عن عطية به ، وعطية هو ابن سعد العوفي ضعفه أحمد والنسائي وابن عدى وغيرهم . وبه أعل الحديث الهيثمي في « المجمع » (١٣٤/٧) ، (٣٣٤/١٠) وكذا الذهبي في « تلخيص المستدرك » وقد اضطرب في سنده عطية هذا فرواه عن ابن عباس - كما هنا - ورواه عن أبي سعيد الخدرى كما يأتي تخريجه سورة الكهف آية ٩٩ .

---

[١] - في خ : « قتيبة » .
[٢] - في خ : « سعيد » .
[٣] - في خ : « رسول اللَّه » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - في خ : « يسمع » .
[٦] - في خ : « محمد » .
[٧] - في خ : « وروي » .
[٨] - سقط من ت .
[٩] - في خ : « تفاخرا » .

وزوجكن أهاليكن ، وقالت : عائشة : نزلت براءتي من السماء في القرآن ؛ فسلمت لها زينب ، ثم قالت : كيف قلت حين ركبت راحلة صفوان بن المعطل ، قالت : قلت : حسبي الله ونعم الوكيل ، قالت[١] زينب : قلت كلمة المؤمنين(٥٢١) .

ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء** ﴾ أي : لما توكلوا علىٰ الله كفاهم ما أهمهم ، ورد عنهم بأس من أراد كيدهم ، فرجعوا إلىٰ بلدهم ، ﴿ **بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء** ﴾ مما أضمر لهم عدوهم ، ﴿ **واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم** ﴾ .

وقال البيهقي (٥٢٢) : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا[٢] أبو بكر بن داود الزاهد ، حدثنا محمد بن نعيم ، حدثنا بشر بن الحكم ، حدثنا مبشر بن عبد الله بن رزين ، حدثنا سفيان بن حسين ، عن يعلى بن مسلم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قول الله تعالى : ﴿ **فانقلبوا بنعمة من الله وفضل** ﴾ ، قال : النعمة أنهم سلموا ، والفضل أنّ عيرًا مرت وكان في أيام الموسم ، فاشتراها رسول الله ﷺ ، فربح فيها مالًا ؛ فقسمه بين أصحابه .

وقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في [قول الله تعالىٰ][٣] : ﴿ **الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم** ﴾ قال : هذا[٤] أبو سفيان ، قال لمحمد ﷺ : موعدكم بدر حيث قتلتم أصحابنا ، فقال محمد ﷺ : « **عسىٰ** » ، فانطلق رسول الله ﷺ ، لموعده حتىٰ نزل بدرًا ، فوافقوا السوق فيها وابتاعوا ، فذلك قول الله عز وجل : ﴿ **فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء** ﴾ الآية ، قال : وهي غزوة بدر الصغرىٰ .

رواه ابن جرير(٥٢٣) ، وروى أيضًا عن القاسم(٥٢٤) ، عن الحسين ، عن حجاج ، عن ابن جريج ، قال : لما عمد[٥] رسول الله ﷺ لموعد أبي سفيان ، فجعلوا يلقون[٦] المشركين

---

(٥٢١) - يأتي تخريجه سورة النور / آية ١١ .

(٥٢٢) - « دلائل النبوة » للبيهقي (٣١٨/٣) وإسناده صحيح .

(٥٢٣) - تفسير ابن جرير (٨٢٤٨/٧) .

(٥٢٤) - تفسير ابن جرير (٨٢٤٩/٧) .

---

[١] - في خ : « فقالت » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في خ : « قوله » .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - في خ : « عمر » .

[٦] - في خ : « يقولون » .

فيسألونهم عن قريش ؛ فيقولون : قد جمعوا لكم . يكيدونهم بذلك ، يريدون أن يرهبوهم[١] ، فيقول المؤمنون : حسبنا الله ونعم الوكيل ، حتىٰ قدموا بدرًا ، فوجدوا أسواقها عافية ، لم ينازعهم فيها أحد ، قال : فقدم[٢] رجل من المشركين ، فأخبر أهل مكة بخيل محمد ، وقال في ذلك :

نفرت قلوصي من خيول محمد وعجوةٍ منثورة كالعنجد
واتخذت ماء قديد موعدي

ثم قال ابن جرير : هكذا أنشدنا القاسم ، وهو خطأ ، وإنما هو :

قد نفرت من رفقتي محمد وعجوة من يثرب كالعنجد
تهوي علىٰ دين أبيها الأتلد قد جعلتْ ماء قديد موعدي
وماء ضجنان لها ضحىٰ الغد

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه** ﴾ [أي : يخوفكم أولياءه][٣] ، ويوهمكم أنهم ذوو[٤] بأس وذوو[٥] شدة ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين** ﴾ أي : إذا سول لكم ، وأوهمكم[٦] فتوكلوا عليّ والجئوا إليّ ؛ فإني كافيكم وناصركم عليهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه** ﴾ ، إلىٰ قوله : ﴿ **قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفًا** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **ولينصرن الله من ينصره** ﴾ . وقال : تعالىٰ : ﴿ **يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم** ﴾ الآية . وقال تعالىٰ : ﴿ **إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد * يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار** ﴾ .

وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا

[١] - في ت : « يرعبوهم » .
[٢] - في خ : « وقدم » .
[٣] - سقط من ت .
[٤] - في خ : « فهو » .
[٥] - في خ : « ذو » .
[٦] - في خ : « فأوهمكم » .

نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾

يقول تعالىٰ لنبيه ﷺ : ﴿ **ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر** ﴾ وذلك من شدة حرصه علىٰ الناس ؛ كان يحزنه مبادرة الكفار إلىٰ المخالفة ، والعناد ، والشقاق ، فقال تعالىٰ ، لا يحزنك ذلك ﴿ **إنهم لن يضروا اللّه شيئًا يريد اللّه ألّا يجعل لهم حظًا في الآخرة** ﴾ أي : حكمته فيهم أنه يريد بمشيئته وقدرته ، أن لا يجعل لهم نصيبا في الآخرة ﴿ **ولهم عذاب عظيم** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ ، مخبرًا عن ذلك إخبارًا مقررًا : ﴿ **إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان** ﴾ ، أي : استبدلوا هذا بهذا ﴿ **لن يضروا اللّه شيئًا** ﴾ ، أي : ولكن يضرون أنفسهم ، ﴿ **ولهم عذاب أليم** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ولا يحسبن**[١] **الذين كفروا أنما نملي لهم خير**[٢] **لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثمًا ولهم عذاب مهين** ﴾ ، كقوله : ﴿ **أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون** ﴾ ، وكقوله : ﴿ **فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون** ﴾ وكقوله ﴿ **ولا تعجبك أموالهم**[٣] **وأولادهم إنما يريد اللّه [أن يعذبهم]**[٤] **بها في الدنيا ، وتزهق أنفسهم وهم كافرون** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ما كان اللّه ليذر المؤمنين علىٰ ما أنتم عليه حتىٰ يميز الخبيث من الطيب** ﴾ أي : لابد أن يعقد سببًا من المحنة ، يظهر فيه وليّه ، ويفتضح فيه عدوه ، يعرف به المؤمن الصابر ، والمنافق الفاجر ، يعني بذلك يوم أحد الذي امتحن اللّه به المؤمنين ، فظهر به إيمانهم ، وصبرهم ، وجلدهم ، وثباتهم[٥] وطاعتهم للّه ورسوله[٦] ﷺ وهتك به أستار[٧] المنافقين ، فظهر

---

[١] - في خ : « تحسبن » .
[٢] - في خ : « خيرًا » .
[٣] - في خ : « ولا » .
[٤] - في خ : « ليعذبهم » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في خ : « ولرسوله » .
[٧] - في خ : « ستر » .

مخالفتهم[١] ، ونكولهم عن الجهاد ، وخيانتهم لله ولرسوله ﷺ. ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ما كان الله ليذر المؤمنين علىٰ ما أنتم عليه حتىٰ يميز الخبيث من الطيب** ﴾ .

قال مجاهد : ميز بينهم يوم أحد ، وقال قتادة : ميز بينهم بالجهاد والهجرة ، وقال[٢] السدي : قالوا : إن كان محمد صادقًا فليخبرنا عمن يؤمن به منا ، ومن يكفر به[٣] فأنزل الله تعالىٰ : ﴿ **ما كان الله ليذر المؤمنين علىٰ ما أنتم عليه** [**حتىٰ يميز الخبيث من الطيب** ﴾ أي][٤] : حتىٰ يخرج المؤمن من الكافر .

روىٰ ذلك كله ابن جرير (٥٢٥) . ثم[٥] قال تعالىٰ : ﴿ **وما كان الله ليطلعكم علىٰ الغيب** ﴾ أي : أنتم لا تعلمون غيب الله في خلقه ؛ حتىٰ يميز لكم المؤمن من المنافق ، لولا ما يعقده من الأسباب الكاشفة عن ذلك .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء** ﴾ ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **عالم الغيب فلا يظهر علىٰ غيبه أحدًا إلا من ارتضىٰ من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدًا** ﴾ الآية .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **فآمنوا بالله ورسله** ﴾ ، أي : أطيعوا الله ، ورسوله ، واتبعوه فيما شرع لكم ، ﴿ **وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرًا لهم بل هو شر لهم** ﴾ أي : لا يحسبن البخيل أن جمعه المال ينفعه ، بل هو مضرة عليه في دينه ، وربما كان في[٦] دنياه .

ثم أخبر بمآل أمر ماله[٧] يوم القيامة ، فقال : ﴿ **سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة** ﴾ وقال البخاري (٥٢٦) : حدّثنا عبد الله بن منير[٨] ، سمع أبا النضر ، حدّثنا عبد الرحمن هو - ابن

---

(٥٢٥) - راجع ما أخرجه من آثار في تفسيره (٧/٤٢٤ ، ٤٢٥) .

(٥٢٦) - صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب ﴿ **ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله** ﴾ (٤٥٦٥) وأخرجه أيضًا ، كتاب الزكاة ، باب إثم مانع الزكاة (١٤٠٣) ، والنسائي ، كتاب الزكاة : باب مانع زكاة ماله (٥/٣٩) من طريقين عن عبد الرحمن بن عبد الله به ، وأخرجه العقيلي في « الضعفاء »=

---

[١] - في خ : « مخالفهم » .

[٢] - في خ : « قاله » .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٥] - سقط من : خ .

[٦] - في خ : « وفي » .

[٧] - في خ : « المال » .

[٨] - في خ : « نمير » .

عبد اللَّه بن دينار عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **من آتاه اللَّه مالًا فلم يؤد زكاته مثل له شجاعًا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ، يأخذ بِلِهْزِمَتَيْهِ**[١] **- يعني بشدقيه - يقول : أنا مالك ، أنا كنزك** » ، ثم تلا هذه الآية ﴿ [**ولا يحسبن**][٢] **الذين يبخلون بما آتاهم اللَّه** [**من فضله هو خيرًا لهم ، بل هو شر لهم** ﴾ إلىٰ آخر][٣] الآية .

تفرد به البخاري دون مسلم من هذا الوجه ، وقد رواه ابن حبان في صحيحه (٥٢٧) ، من طريق الليث بن سعد ، عن محمد بن عجلان ، عن القعقاع بن حكيم ، عن أبي صالح به .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(٥٢٨) : حدثنا حجين بن المثني ، حدثنا عبد العزيز بن عبد اللَّه ابن أبي سلمة ، عن عبد اللَّه بن دينار ، عن ابن عمر[٤] ، عن النبي ﷺ ، قال : « **إن الذي لا يؤدي زكاة ماله يمثل الله له ماله يوم القيامة ، شجاعًا أقرع ، له زبيبتان ثم يلزمه يطوقه**[٥] **يقول : أنا كنزك ، أنا كنزك** » وهكذا رواه النسائي ، عن الفضل[٦] بن سهل ، عن أبي [النضر هاشم][٧] بن القاسم ، عن عبد العزيز بن عبد اللَّه بن أبي سلمة به ، ثم قال النسائي : ورواية عبد العزيز ، عن عبد اللَّه بن دينار ، عن ابن عمر - أثبت من رواية عبد الرحمن[٨] ، عن أبيه [عبد اللَّه][٩] بن دينار ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة .

= (٢٤٨/٢) من طريق القعنبي ، عن مالك عن عبد اللَّه بن دينار به وانظر رقم (٥٧٧) .

(٥٢٧) - صحيح ابن حبان (٨/رقم ٣٢٥٨) أخبرنا إسماعيل بن داود بن وَرْدَان ، حدثنا عيسى بن حماد ، قال : أخبرنا الليث به ، وأخرجه أحمد فى « المسند » (٣٧٩/٢) والنسائى فى « التفسير » من « الكبرى » (١١٢١٧/٦) ثنا قتيبة بن سعيد ، أنا الليث به ، و« الحاكم فى « المستدرك » (٣٨٩/١) شاهدًا من طريق أبي صالح وابن بكير قالا : ثنا الليث به ، وأخرجه أحمد أيضًا (٢٧٩/٢) ثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر عن عاصم عن أبى صالح به .

(٥٢٨) - « المسند » (٩٨/٢) (١٣٧/٢ ، ١٥٦) والنسائى ، كتاب الزكاة ، باب مانع زكاة ماله (٣٨/٥ ، ٣٩) وابن خزيمة فى « صحيحه » (٢٢٥٧/٤) من طرق عن عبد العزيز بن عبد اللَّه به . ونقله المنذرى فى « الترغيب والترهيب » (٥٤٠/١) من طريق النسائى وصحح إسناده . وقول النسائى المنقول هنا غير موجود فى « السنن » وقد خالف العقيلى النسائى ، فأخرج حديث ابن عمر من طريق موسى بن داود ، حدثنا عبد العزيز بن أبى سلمة به ، وحديث أبي هريرة من طريق القعنبى ، عن مالك ، عن عبد اللَّه بن دينار ، عن أبى صالح عنه به ، ثم قال : « حديث مالك أولى » وجمع المصنف أولى من القولين واللَّه أعلم.

---

[١] - في خ : « بهزمته » .
[٢] - في خ : « لا تحسبن » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - في خ : « عمير » .
[٥] - في خ : « بطوقه » .
[٦] - في خ : « الفضيل » .
[٧] - في خ : « النضر عن هاشم » .
[٨] - في خ : « اللَّه » .
[٩] - في خ : عن أبيه .

(قلت) : ولا منافاة [بين الروايتين][١] ؛ فقد يكون عند عبد الله بن دينار من[٢] الوجهين ، والله أعلم ، وقد ساقه الحافظ أبو بكر بن مردويه من غير وجه ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة . ومن حديث محمد بن أبي حميد ، عن زياد الخطمي ، عن أبي هريرة - به .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(٥٢٩) : حدثنا سفيان ، عن جامع ، عن أبي وائل ، عن عبد الله عن النبي ﷺ ؛ قال : « **ما من عبد لا يؤدي زكاة ماله ؛ إلا جعل له شجاع أقرع ، يتبعه يفر منه ، وهو يتّبعه فيقول : أنا كنزك** » ، ثم قرأ عبد الله مصداقه من كتاب الله : ﴿ **سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة** ﴾ .

وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة من حديث سفيان بن عيينة ، عن جامع بن أبي راشد ، زاد الترمذي : وعبد الملك بن أعين[٣] كلاهما ، عن أبي وائل شقيق بن سلمة[٤] ، عن عبد الله بن مسعود به ، وقال[٥] الترمذي : حسن صحيح . وقد رواه الحاكم في مستدركه(٥٣٠) ، من حديث أبي بكر بن عياش وسفيان الثوري ، كلاهما عن أبي إسحاق السبيعي ، عن أبي وائل ، عن ابن مسعود به ، ورواه ابن جرير من غير وجه عن ابن مسعود موقوفًا .

(٥٢٩) - « المسند » (٣٧٧/١) وأخرجه النسائى ، كتاب الزكاة : باب التغليظ فى حبس الزكاة (٥/ ١٢،١١) وفى التفسير من الكبرى (١١٠٨٤/٦) أخبرنا مجاهد بن موسى وابن خزيمة فى صحيحه (٤/ ٢٢٥٦) ثنا عبد الجبار بن العلاء كلاهما (مجاهد وعبد الجبار) عن سفيان به ، وأخرجه الحميدى فى مسنده (٩٣) ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره (٤٥٧٨/٣) والترمذى كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة آل عمران (٣٠١٢) ، وابن ماجه ، كتاب الزكاة باب ما جاء فى منع الزكاة (١٧٨٤) ، والبزار فى مسنده (١٧٤٤/٥) وابن جرير فى تفسيره (٨٢٨٩/٧) معلقًا ، والبيهقى فى « السنن الكبرى » (٨١/٤) من طرق عن سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن أعين وجامع بن أبى راشد عن شقيق أبى وائل به وقال البزار : « هذا الحديث لا نعلم رواه عن جامع بن أبى راشد ولا عن عبد الملك إلا سفيان بن عيينة » وهو ثقة حافظ ، وقد قال الترمذى : « حديث حسن صحيح » .

(٥٣٠) - « المستدرك » للحاكم (٢٩٨/٢ ، ٢٩٩) بالإسناد الذى ذكره ا لمصنف ، لكن موقوفًا على ابن مسعود ، وأخرجه ابن جرير (٨٢٨٥/٧ ، ٨٢٨٨) ، وابن أبى حاتم (٤٥٧٩/٣) من طريق سفيان الثورى وأخرجه ابن جرير (٨٢٨٦/٧ ، ٨٢٨٧) وابن أبى حاتم (٤٥٨٠/٣) من طريق شعبة كلاهما (الثورى وشعبة) عن أبى إسحاق السبيعى به موقوفًا مختصرًا .

[١] - في خ : « بينهما » .
[٢] - في خ : « عن » .
[٣] - في خ : « أعيا » .
[٤] - في خ : « مسلمة » .
[٥] - في خ : « ثم قال » .

(حديث آخر) قال الحافظ أبو يعلى (٥٣١) : حدثنا أمية بن بسطام ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن معدان بن أبي طلحة ، عن ثوبان ، عن النبي ﷺ قال : « **من ترك بعده كنزًا مثل له شجاعًا أقرع يوم القيامة ، له زبيبتان يتبعه ، فيقول**[١] **: من أنت ؟ ويلك . فيقول : أنا كنزك الذي خلفت بعدك ؛ فلا يزال يتبعه حتى يلقمه يده فيقضمها ثم يتبع سائر جسده** » ، إسناده جيد قوي ولم يخرجوه .

وقد رواه الطبراني(٥٣٢) عن جرير بن عبد الله البجلي ، ورواه ابن جرير وابن مردويه (٥٣٣) من حديث بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده عن النبي ﷺ ؛ قال : « **لا يأتي الرجل مولاه**

(٥٣١) - ذكره المصنف كما هنا في « جامع المسانيد والسنن » (٤٦٣/٢ ، ٤٦٤) وعزاه أيضًا لأبي يعلى وذكره الحافظ ابن حجر في « المطالب العالية » (١/رقم ٨٧١) وزاد عزوه إلى البزار والحسن بن سفيان ، ومن طريق الحسن بن سفيان ، أخرجه ابن حبان في صحيحه (٣٢٥٧/٨) وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ١٨١) ، ثنا أمية ابن بسطام به وأخرجه البزار (١/رقم ٨٨٢) والروياني (١/رقم ٦١٠) وابن خزيمة في صحيحه (٢٢٥٥/٤) والطبراني في « المعجم الكبير » (١٤٠٨/٢) والحاكم في « المستدرك » (٣٨٨/١ ، ٣٨٩) من طريق يزيد بن زريع ثنا سعيد به ، وأخرجه الحاكم أيضًا من طريق عبد الوهاب بن عطاء ، أنبأ سعيد بن أبي عروبة به ، وقال المصنف : « إسناده جيد قوى ولم يخرجوه » وقال الحاكم : « حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» وقال الذهبي في تلخيصه : « على شرطهما » وكلام الحاكم أوجه ، فإن ثوبان مولى رسول الله ﷺ وكذا معدان بن أبي طلحة ، لم يخرج لهما البخاري في « الصحيح » وقال البزار : « قد روى نحوه بلفظه من غير هذا الوجه ، ولا نعلم له طريقًا إلا هذا الطريق ، وإسناده حسن » والحديث ذكره الهيثمي في « المجمع » (٦٧/٣) وقال : « رواه البزار وقال : إسناده حسن ، قلت - الهيثمي - ورجاله ثقات ، ورواه الطبراني في « الكبير » .

(٥٣٢) - « المعجم الكبير » (٢٣٤٣/٢) ثنا عبيد العجلي والحضرمي ، وفي « المعجم الأوسط » (٥٥٩٣/٥) ثنا محمد بن عبد الله الحضرمي ، كلاهما (العجلي والحضرمي) قالا : ثنا عبد الله بن الحاكم بن أبي زياد القطواني ، قال : ثنا إسحاق بن الربيع العصفري ، عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن جرير بن عبد الله قال : « ما من ذي رحم يأتي ذا رحمه ، يسأله فضلاً أعطاه الله إياه ، فيبخل عليه ، إلا أخرج الله له يوم القيامة من جهنم حيةيقال لها : شجاع ، يتلمظ ، فيوطوق به » وقال الطبراني : « لم يرو هذا الحديث عن داود بن أبي هند ، إلا إسحاق بن الربيع العصفري » وهو شيخ بصري يُغْرب كما قال أبو حاتم بن حبان في « الثقات » (١٠٧/٨) وذكره ابن حاتم في « الجرح والتعديل » (٢٢٠/٢) دون جرح أو تعديل : وقد أورده ابن عدي في « الكامل » (٣٣٤/١) وساق له حديثين من غرائبه ، وقال الذهبي في « الميزان » : « صدوق إن شاء الله » وجوَّد له هذا الحديث المنذري في « الترغيب والترهيب » (٣٩/٢) والهيثمي في « المجمع » (١٥٧/٨) وهذا بعيد والحديث لم ينسبه السيوطي في « الدر المنثور » (١٨٥/٢) لغير الطبراني .

(٥٣٣) - تفسير ابن جرير (٨٢٨٤/٧) واقتصار المصنف في عزوه إلى ابن جرير وابن مردويه تقصير ، فقد أخرج الحديث عبد الرزاق في « المصنف » (٦٨٦٤/٤) ومن طريقه أحمد (٢/٥) والطبراني في « المعجم الكبير » (٩٧٨/١٩) عن معمر عن بهز بن حكيم به نحوه وكذا أخرجه أحمد (٣/٥ ، ٥) وأبو داود=

[١] - في خ : « ويقول » .

فيسأله من فضل ماله عنده ، فيمنعه إياه ؛ إلا دعي له يوم القيامة شجاعًا ، يتلمظ فضله الذي منع » لفظ ابن جرير .

وقال ابن جرير (٥٣٤) : حدثنا ابن المثني ، حدثنا[١] عبد الأعلىٰ ، حدثنا داود ، عن أبي قزعة[٢] ، عن رجل ، عن النبي ﷺ ؛ قال : « **ما من ذي رحم يأتي ذا رحمه فيسأله من فضل ، جعله اللَّه عنده ؛ فيبخل به عليه[٣] ، إلا أخرج له من جهنم شجاع يتلمظ حتىٰ يطوّقه** » .

ثم رواه من طريق أخرىٰ ، عن أبي قزعة واسمه حجير[٤] بن بيان عن أبي مالك العبدي موقوفًا ، ورواه من وجه آخر عن أبي قزعة مرسلًا .

= كتاب الأدب ، باب في بر الوالدين (٥١٣٩) ، والنسائى ، كتاب الزكاة ، باب من يسأل ولا يعطى (٥/ ٨٢) ، والطبرانى (١٩/٩٧٩ ، ٩٨٣) ، والبيهقى فى « السنن الكبرى » (١٧٩/٤) وفى « الشعب » (٣/ ٣٣٩٠) والبغوى فى « شرح السنة » (٣٤١٧/١٣) من طرق عن بهز بن حكيم به مطولاً ومختصرًا وهذا إسناد حسن مشهور والحديث ذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (١٨٥/٢) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد والترمذى ، وكذا عزاه المنذرى فى « الترغيب والترهيب » (٣٨/٢) إلى الترمذى ، والذى فى الترمذى (١٨٩٧ ، ٢٣١٥، ٢٧٩٤) بهذا الإسناد ، بغير هذا اللفظ .

(٥٣٤) - تفسير ابن جرير (٨٢٨٢/٧) وأخرجه أيضًا (٨٢٨٣/٧) حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا أبو معاوية محمد بن خازم ، قال : حدثنا داود ، عن أبي قزعة حجر بن بيان قال : قال رسول اللَّه ﷺ فذكر الحديث كذا وقع هذا الإسناد هكذا فى تفسير ابن جرير ، قال محققه فى « الحاشية » ، « وهو خطأ من وجهين فأولاً : « حجر » صوابه « حجير » بالتصغير ، وقد وقع هذا الخطأ فى « الإصابة » أيضا فى ترجمة « أبى مالك العبدى » ، « عن أبى قزعة سويد بن حجر » وهو خطأ ناسخ أو طابع ، لا شك فى ذلك ، لأن الحافظ ترجم لأبى قزعة فى « التهذيب » وغيره على الصواب « سويد بن حجير » وثانيًا : سقط هنا بين الكنية والاسم كلمة « بن » لأن حجير بن بيان - هو والد أبى قزعة وليس اسمه ، وأبوه « حجير بن بيان » مذكور فى الصحابة ، وقد أخرجه ابن أبى شيبة فى « تفسيره » (٢/رقم ٥٩٣) نا أبو معاوية عن داود عن أبى قزعة عن حجير بن بيان قال : قال النبى ﷺ الحديث وهذا إسناد صحيح . وقد عزاه الحافظ ابن حجر فى «الإصابة» (ترجمة حُجير بن بيان) إلى تقى بن مخلد فى مسنده من طريق داود بن أبى هند به وأخرجه ابن جرير أيضا (٨٢٨١/٧) حدثنى الحسن بن قزعة ، قال : حدثنا مسلمة بن علقمة قال : حدثنا داود ، عن أبى قزعة ، عن أبى مالك العبدى قال : فذكره موقوفًا وأبو مالك العبدى ترجم له الحافظ ابن حجر فى « الإصابة » وبنى ترجمته على هذا الحديث فأشار إلى هذه الرواية ورواية « أبى قزعة سويد بن حجر كذا ونبهنا أنه خطأ عن رجل » ورواية أبى قزعة المرسلة ثم قال : « وأخرجه الثعلبى - لكن قال « عن رجل من قيس » وأبو قزعة تابعى بصرى مشهور لكنه كان يرسل عن الصحابة فهو على الاحتمال » يعنى أن أبا مالك العبدى قد يكون صحابيًا ، لأن أبا قزعة يروى عن الصحابة ويرسل الرواية عنهم .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في خ : « فرع » .
[٣] - في خ : « عنه » .
[٤] - في خ : « حجر » .

وقال[١] العوفي عن ابن عباس : نزلت في أهل الكتاب الذين بخلوا بما في أيديهم من الكتب المنزلة أن يبينوها ، رواه ابن جرير(٥٣٥) ، والصحيح الأول ، وإن دخل هذا في معناه ، وقد يقال : إن هذا[٢] أولىٰ بالدخول ، والله [سبحانه وتعالىٰ] أعلم . وقوله تعالىٰ : ﴿ **ولله ميراث السموات والأرض** ﴾ ، أي : فأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، فإن الأمور كلها مرجعها إلىٰ الله عز وجل . فقدموا لكم[٣] من أموالكم ما ينفعكم يوم معادكم ﴿ **والله بما تعملون خبير** ﴾ أي : بنياتكم وضمائركم .

لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾

قال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما نزل قوله تعالىٰ : ﴿ **من ذا الذي يقرض الله قرضًا حسنًا فيضاعفه له أضعافًا كثيرة** ﴾ قالت اليهود : يا محمد ؛ افتقر ربك فسأل عباده القرض ؟ فأنزل الله : ﴿ **لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء** ﴾ الآية ، رواه ابن مردويه وابن أبي حاتم(٥٣٦) .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، أنه حدثه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : دخل أبو بكر الصديق رضى الله عنه بيت المدارس[٤] ، فوجد من

(٥٣٥) - تفسير ابن جرير (٨٢٩٧/٧) .

(٥٣٦) - تفسير ابن أبي حاتم (٤٥٨٨/٣) ولم ينسبه السيوطى فى « الدر المنثور » (١٨٦/٢) لغير ابن أبى حاتم.

[١] - في خ : « وروى » .
[٢] - في خ : « هنا » .
[٣] - سقط من : ت .
[٤] - في خ : « المدارس » .

يهود ناسًا[١] كثيرة قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له : فنحاص ، وكان من علمائهم وأحبارهم ، ومعه حبر يقال له[٢] : أشيع ، فقال له أبو بكر : ويحك يا فنحاص ؛ اتق الله وأسلم ، فوالله إنك لتعلم أن محمدًا رسول [من عند][٣] الله ، قد جاءكم بالحق من عنده ، تجدونه مكتوبًا عندكم في التوراة والإنجيل . فقال فنحاص : والله يا أبا بكر ، ما بنا إلىٰ الله من حاجة من فقر ، وإنه إلينا لفقير ، ما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا ، وإنا عنه لأغنياء ، ولو كان عنا غنيًا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم ، ينهاكم عن الربا [ويُعطناه ، ولو كان غنيًا ما أعطانا الربا][٤] ، فغضب أبو بكر - رضي الله عنه - فضرب وجه فنحاص ضربًا شديدًا ؛ وقال : والذي نفسي بيده ، لولا الذي بيننا وبينك من العهد لضربت عنقك يا عدوّ الله ، فأكذبونا ما استطعتم إن كنتم صادقين . فذهب فنحاص إلىٰ رسول الله صلىٰ الله تعالىٰ عليه وعلىٰ آله وسلم فقال : يا محمد ، أبصر ما صنع بي صاحبك ، فقال ، رسول الله ﷺ : « **ما حملك علىٰ ما صنعت يا أبا بكر** » فقال : يا رسول الله ؛ إن عدوّ الله قد[٥] قال قولًا عظيمًا ؛ يزعم[٦] أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء ، فلما قال ذلك غضبت لله مما قال فضربت وجهه ، فجحد ذلك فنحاص وقال : ما قلت ذلك ، فأنزل الله فيما قال فنحاص ردًا عليه[٧] وتصديقًا لأبي بكر : ﴿ **لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء** ﴾ الآية . رواه ابن أبي حاتم (٥٣٧) .

وقوله : ﴿ **سنكتب ما قالوا** ﴾ تهديد ووعيد ، ولهذا قرنه تعالىٰ بقوله : ﴿ **وقتلهم الأنبياء بغير حق** ﴾ ، أي : هذا قولهم في الله ؛ وهذه معاملتهم لرسل الله ، وسيجزيهم الله علىٰ ذلك شر الجزاء ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد** ﴾ أي : يقال لهم ذلك تقريعًا وتوبيخًا وتحقيرًا وتصغيرًا .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألَّا نؤمن لرسول حتىٰ يأتينا بقربان تأكله النار** ﴾ يقول تعالىٰ [تكذيبًا لهؤلاء][٨] الذين زعموا أن الله عهد إليهم في كتبهم أن لا يؤمنوا

---

(٥٣٧) - تفسير ابن أبى حاتم (٤٥٨٩/٣) والحديث فى « السيرة » لابن هشام (٥٩٢/٢ ، ٥٩٣) وكذا أخرجه ابن جرير فى تفسيره (٨٣٠٠/٧) من طريق محمد بن إسحاق به ، وزاد نسبته السيوطى فى « الدر المنثور » (١٨٦/٢) إلى ابن المنذر . ومحمد بن أبى محمد وهو الأنصارى مولى زيد بن ثابت ، ذكره ابن حبان فى « الثقات » (٣٩٢/٧) وقال الذهبى فى « الميزان » : لا يُعْرف .

---

[١] - في خ : « أناسًا » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - سقط من : ت .
[٦] - في خ : « زعم » .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - في خ : « تكذيبًا أيضًا لهؤلاء » .

لرسول[١] ؛ حتىٰ يكون من معجزاته أن من تصدق بصدقة من أمته ، فتقبلت[٢] منه ، أن تنزل نار من السماء تأكلها ؛ قاله ابن عباس والحسن وغيرهما . قال اللَّه [عز وجل][٣] : ﴿ **قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات** ﴾ ، أي : بالحجج والبراهين ، ﴿ **وبالذي قلتم** ﴾ ، أي : وبنار تأكل القرابين المتقبلة ، ﴿ **فلم قتلتموهم** ﴾ ، أي : فلم قابلتموهم[٤] بالتكذيب والمخالفة والمعاندة وقتلتموهم ﴿ **إن كنتم صادقين** ﴾ أنكم تتبعون الحق ، وتنقادون للرسل .

ثم قال تعالىٰ مسليًا لنبيه ﷺ : ﴿ **فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير** ﴾ [أي : لا يوهنك][٥] تكذيب هؤلاء لك ، فلك أسوة بمن قبلك من الرسل الذين كُذبوا مع ما جاءوا به من البينات ، وهي الحُجج والبراهين القاطعة ﴿ **والزبر** ﴾ ، وهي الكتب المتلقاة من السماء ، كالصحف المنزلة علىٰ المرسلين ﴿ **والكتاب المنير** ﴾ أي : البين الواضح الجلي .

كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًاۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

يخبر تعالىٰ إخبارًا عامًّا يعم جميع الخليقة ، بأن كل نفس ذائقة الموت ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **كل من عليها فان ويبقىٰ وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾ فهو تعالىٰ وحده هو الحي الذي لا يموت ، والجن والإنس يموتون ، وكذلك الملائكة . وحملة العرش ، وينفرد الواحد الأحد القهار بالديمومة والبقاء ، فيكون آخرًا كما كان أولًا ، وهذه الآية فيها تعزية لجميع الناس ؛ فإنه لا يبقىٰ أحد علىٰ وجه الأرض حتىٰ يموت ، فإذا انقضت المدّة ، [وفرغت النطفة] التي قدّر اللَّه وجودها من صلب آدم ، وانتهت البرية ، أقام اللَّه القيامة ، وجازىٰ الخلائق بأعمالها جليلها [وحقيرها ، قليلها وكثيرها ، كبيرها وصغيرها ،][٦] فلا يظلم أحدًا مثقال ذرّة ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وإنما**

---

[١] - في خ : « برسول » .
[٢] - في خ : « فقبلت » . [٣] - في خ : « تعالى » .
[٤] - في خ : « قاتلتموهم » . [٥] - في خ : « يهدنك » .
[٦] - في خ : « وقليلها وكثيرها وحقيرها » .

توفون أجوركم يوم القيامة ﴾ .

قال[١] ابن أبي حاتم(٥٣٨) : حدثنا أبي ، حدثنا عبد العزيز الأويسي ، حدثنا [علي بن أبي علي اللهبي ، عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ، عن أبيه ، عن][٢] علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه قال : لما تُوفي النبي ﷺ :وجاءت التعزية ، جاءهم آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه ، فقال : « **السلام عليكم أهل البيت ورحمة اللَّه وبركاته** ، ﴿ **كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة** ﴾ ، إن في اللَّه عزاءً من كل مصيبة ، وخلفًا من كل هالك ، ودركًا من كل فائت ، فباللَّه فثقوا ، وإياه فارجوا ؛ فإن المصاب[٣] من حرم الثواب ، والسلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته » . قال جعفر بن محمد : فأخبرني أبي ، أن علي بن أبي طالب قال : أتدرون[٤] من هذا ؟ هذا الخضر عليه السلام .

وقوله : ﴿ **فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز** ﴾ ، [أي : من جنب النار ، ونجا منها وأدخل الجنة ، فقد فاز][٥] كل الفوز .

---

(٥٣٨) - تفسير ابن أبي حاتم (٣/٤٦٠٩) وعزاه الحافظ ابن حجر فى « لسان الميزان » (٤/٢٨٥) ترجمة على بن أبي على اللهبى إلى أبى حاتم بن حبان فى كتاب « الثقات » ولم أهتد إليه فى الكتاب المشار إليه. وعلى بن أبى على هذا تركه أبو حاتم والنسائى والعقيلى وقال البخارى : « منكر الحديث » ، وقال ابن معين : « ليس بشيء » وضعفه أبو زرعة وابن الجارود والخطيب وغيرهم ، وقال ابن عدى : « الكامل » (٥/ ١٨٣١) : « أحاديثه كلها غير محفوظة » وأخرجه البيهقى فى « دلائل النبوة » (٧/٢٦٧ ، ٢٦٨) من طريق المزنى ثنا الشافعى عن القاسم بن عبد اللَّه بن عمر بن حفص عن جعفر بن محمد عن أبيه أن رجالاً من قريش دخلوا على أبيه على بن الحسين فذكر حديثًا طويلاً وفيه اللفظ الذى هنا وقد ذكره بطوله المصنف فى « البداية والنهاية » (٥/٢٩٧ ، ٢٩٨) وقال : « وهذا الحديث مرسلاً وفى إسناده ضعف بحال القاسم العمرى هذا ؛ فإنه قد ضعفه غير واحد من الأئمة ، وتركه بالكلية الآخرون » ثم رواه البيهقى (٧/ ٢٦٧) من طريق الشافعى أخبرنا القاسم بن عبد اللَّه بن عمر ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جده فذكر منه قصة التعزية فقط موصولاً والقاسم العمرى المذكور متروك من طريق أبي الوليد المخزومى - وهو متروك - عن أنس بن عياض عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد اللَّه فذكره بنحوه ، وليس فيهما أن قائل ذلك هو الخضر وقال البيهقى : « هذان الإسنادان وإن كانا ضعيفين ، فأحدهما يتأكد بالآخر ، ويدلك على أن له أصلاً من حديث جعفر واللَّه أعلم » ثم أخرجه من طريق عباد بن عبد الصمد عن أنس بن مالك فذكره بنحوه وفيه هذا القول منسوبًا إلى الخضر ، لكن قال البيهقى : « عباد بن عبد الصمد ضعيف » وهذا منكر بمرَّة » .

---

[١] - في خ : « وقال » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - في خ : « المصائب » .

[٤] - في خ : « تدرون » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

قال ابن أبي حاتم(٥٣٩) : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري ، حدثنا محمد ابن عمرو بن علقمة ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة [رضي الله عنه] قال : قال رسول الله ﷺ : « **موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها ؛ اقرءوا إن شئتم ﴿ فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ﴾** .

هذا حديث ثابت في الصحيحين(٥٤٠) من غير هذا الوجه بدون هذه الزيادة . وقد [رواه بهذه][١] الزيادة أبو حاتم ابن حبان في صحيحه ، والحاكم في مستدركه من حديث محمد بن عمرو .

هذا ورواه[٢] ابن مردويه من وجه آخر(٥٤١) فقال : حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، حدثنا محمد بن يحيىٰ ، أنبأنا حميد بن مسعدة ، أنبأنا عمرو بن علي ، عن أبي حازم ، عن سهل ابن سعد ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **لموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما**

(٥٣٩) - تفسير ابن أبي حاتم (٣/٤٦١٠) وأخرجه أحمد (٢/٤٣٨) والترمذى ، كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة آل عمران (٣٠١٣) ، وباب ومن سورة الواقعة (٣٢٩٢) ، والنسائى فى « التفسير » من « الكبرى» (٦/١١٠٨٥) وابن أبى شيبة فى « المصنف » (٨/٧٠) وهناد فى « الزهد » (١/رقم ١١٣) ، والدارمى فى سننه (٢٨٢٣) وابن جرير (٧/٨٣١٥) وأبو نعيم فى « صفة الجنة » (١/رقم ٥٣) والبيهقى فى « البعث » (٣٨٩) من طرق عن محمد بن عمرو به ، وقال الترمذى : « حديث حسن صحيح » وصححه الحاكم (٢/٢٩٩) على شرط مسلم ووافقه الذهبى ، وكذا صححه ابن حبان (١٦/٧٤١٧) والبغوى فى شرح السنة (١٥/٤٣٧٢) .

(٥٤٠) - كذا عزا اللفظ للصحيحين ، وإنما أخرجه البخارى ، كتاب الجهاد ، باب فضل رباط يوم فى سبيل الله (٢٨٩٢) من طريق عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدى - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم فى الجنة خير من الدنيا وما عليها ، والروحة يروحها العبد فى سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها » وقد أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الإمارة باب فضل الغدوة والروحة فى سبيل الله (١١٣) (١٨٨١) من طريق (عبد العزيز بن أبى حازم وسفيان الثورى) عن أبى حازم عن سهل بن سعد مرفوعًا مقتصرًا على الجزء الثالث من الحديث .

(٥٤١) - وعزاه لابن مردويه السيوطى فى « الدر المنثور » (٢/١٨٨) وفى إسناده عمر بن على وهو المُقَدَّمِىُّ أثنى عليه أحمد ، غير أنه قال : « كان يدلس » وكذا قال يحيى بن معين ، وقال ابن سعد : « كان ثقة ، وكان يدلس تدليسًا شديدًا » ، وقال أبو حاتم : « محله الصدق ، ولولا تدليسه لحكمنا له إذا جاء بزيادة ، غير أنا نخاف أن يكون أخذه عن غير ثقة » وهو هنا لم يصرح بالسماع على أنه قد رواه أحمد وابنه عبد الله فى «المسند » (٣/٤٣٣) من طريق أبى كامل الجحدرى وفضيل بن الحسن والليث بن خالد وأبى بشر عاصم بن عمر) عنه عن أبى حازم به وليس فيه ذكر الآية وانظر السابق والآتى هنا برقم (٦٤٤) .

[١] - في ت : « رواه بدون بهذه » . [٢] - في خ : « وقال » .

فيها » ثم تلا هذه الآية : ﴿ **فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز** ﴾ .

وتقدّم عند قوله تعالىٰ : ﴿ **ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾ ما رواه الإمام أحمد(٥٤٢) عن وكيع [بن الجراح في تفسيره][١] ، عن الأعمش ، عن زيد بن وهب ، عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ؛ قال : قال رسول الله ﷺ :« **من أحب أن يزحزح عن النار وأن**[٢] **يدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلىٰ الناس ما يحب أن يؤتىٰ إليه** » .

[وقد رواه الإمام أحمد في مسنده عن وكيع به ، وقوله تعالىٰ][٣] : ﴿ **وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور** ﴾ تصغير لشأن الدنيا ، وتحقير لأمرها ، وأنها دنيئة فانية قليلة زائلة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقىٰ** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **وما**[٤] **أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها ، وما عند الله خير وأبقىٰ** ﴾ ، وفي الحديث(٥٤٣) : « **والله ما الدنيا في الآخرة إلا كما يغمس أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بما**[٥] **ترجع إليه** » .

وقال قتادة في قوله تعالىٰ : ﴿ **وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور** ﴾ قال[٦] : [هي متاع][٧] متروكة ، أوشكت والله الذي لا إله إلا هو أن تضمحل عن أهلها ، فخذوا من هذا المتاع طاعة الله إن استطعتم ، ولا قوّة إلا بالله .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **لتبلونّ في أموالكم وأنفسكم** ﴾ ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات** ﴾ إلىٰ آخر الآيتين . أي : لابد أن يبتلىٰ المؤمن في شيء من ماله أو نفسه أو ولده أو أهله ، ويبتلى المؤمن[٨] علىٰ قدر دينه ؛ فإن كان في دينه صلابة زيد في البلاء ، ﴿ **ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرًا** ﴾ يقول تعالىٰ للمؤمنين عند مقدمهم المدينة قبل وقعة بدر ، مسليًا لهم عما ينالهم[٩]

---

(٥٤٢) - « المسند » (٢/١٩١) وقد تقدم تخريجه هناك برقم (٢٧٤) .

(٥٤٣) - أخرجه مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأصلها ، باب فناء الدنيا (٥٥) (٢٨٥٨) ، ويأتى تخريجه بأوسع مما هنا فى سورة الرعد / آية ٢٦ .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - في ت : « ويدخل » .

[٣] - في خ : « وقوله » .

[٤] - في خ : « فما » .

[٥] - في خ : « بم » .

[٦] - سقط من : خ .

[٧] - تكررت في : ت .

[٨] - في خ : « المرء » .

[٩] - في خ : « نالهم » .

من الأذىٰ من أهل الكتاب والمشركين ، وآمرًا لهم بالصفح والصبر والعفو حتىٰ يفرج الله ، فقال تعالىٰ : ﴿ **وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور** ﴾ .

قال[١] ابن أبي حاتم(٥٤٤) : حدثنا أبي ، حدثنا أبو اليمان ، حدثنا شعيب بن أبي حمزة ، عن الزهري ، أخبرني عروة بن الزبير ؛ أن أسامة بن زيد أخبره ؛ قال : كان النبي ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب ، كما أمرهم الله ، ويصبرون علىٰ الأذىٰ ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **ولتسمعنّ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرًا** ﴾ قال : وكان رسول الله ﷺ يتأول في العفو ما أمره الله به ، حتىٰ أذن الله فيهم .

هكذا ذكره[٢] مختصرًا . وقد ذكره[٣] البخاري(٥٤٥) عند تفسير هذه الآية مطولًا ،فقال : حدثنا أبو اليمان ، أنبأنا شعيب ، عن الزهري ، أخبرني عروة بن الزبير ؛ أن أسامة بن زيد حدّثه[٤] أن رسول الله ﷺ ركب علىٰ حمار عليه قطيفة فدكية ، وأردف أسامة بن زيد وراءه ، يعود سعد بن عبادة ببني[٥] الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر ، قال[٦] : حتىٰ مر [علىٰ مجلس][٧] فيه عبد الله بن أبي ابن سلول ، وذلك قبل أن يسلم [عبد الله][٨] بن أبي ، وإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان و[أهل الكتاب][٩] اليهود والمسلمين ، وفي المجلس عبد الله بن رواحة ، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة ، خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه ، وقال : لا تغبروا علينا ، فسلم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، ثم وقف ، فنزل ودعاهم[١٠] إلىٰ الله - عز وجل - وقرأ عليهم القرآن ، فقال عبد الله ابن أبي : أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول ، إن كان حقًّا ، فلا تؤذنا به في مجالسنا ، ارجع إلىٰ رحلك ، فمن جاءك فاقصص عليه ، فقال عبد الله بن

---

(٥٤٤) - تفسير ابن أبى حاتم (٤٦١٨/٣) وانظر ما بعده .

(٥٤٥) - صحيح البخارى كتاب التفسير ، باب ﴿ **ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذًى كثيرًا** ﴾ (٤٥٦٦) وأخرجه أحمد (٢٠٣/٥) ثنا أبو اليمان به ، وأخرجه البخارى ، كتاب الجهاد ، باب الرِّدف على الحمار (٢٩٨٧) وانظر أطرافه الأخرى عند هذا الموضع ومسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب فى دعاء النبى ﷺ وصبره على أذى المنافقين (١١٦) (١٧٩٨) والترمذى ، كتاب الاستئذان ، باب ما جاء فى السلام على مجلس فيه المسلمون وغيرهم (٢٧٠٢) والنسائى فى « الكبرى » كما فى « التحفة » (١/رقم ١٠٥) وأحمد (٢٠٣/٥) من طرق عن الزهرى به مطولاً ومختصرًا .

---

[١] - في خ : « وقال » .
[٢] - في خ : « رواه » .
[٣] - في خ : « ذكر » .
[٤] - في خ : « أخبره » .
[٥] - في خ : « في بني » .
[٦] - سقط من : ت .
[٧] - في خ : « بمجلس » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[١٠] - في خ : « فدعاهم » .

رواحة - رضي الله عنه - بلى يا رسول الله فاغشنا به في مجالسنا فإنا نحب ذلك ، فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتىٰ كادوا يتثاورون ، فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم حتىٰ سكتوا ، ثم ركب النبي ﷺ دابته فسار حتىٰ دخل علىٰ سعد بن عبادة ، فقال له النبي ﷺ : « **يا سعد ، ألم تسمع إلىٰ ما قال أبو حباب** » يريد عبد الله بن أبي ، قال كذا وكذا ، فقال سعد : يا رسول الله ؛ اعف عنه واصفح[١] ، فوالذي أنزل عليك الكتاب ، لقد جاءك[٢] الله بالحق الذي نزل[٣] عليك ، ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة علىٰ أن يتوجوه فيعصبوه[٤] بالعصابة ، فلما أبىٰ الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شرق بذلك ، فذلك الذي فعل به ما رأيت ، فعفا عنه رسول الله ﷺ ، وكان رسول الله ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ويصبرون علىٰ الأذىٰ ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيرًا** ﴾ الآية . وقال تعالىٰ : ﴿ **ود كثير من أهل الكتاب لو يردّونكم من بعد إيمانكم كفارًا ، حسدًا من عند أنفسهم [من بعد ما تبين لهم الحق ، فاعفوا واصفحوا حتىٰ يأتي الله بأمره]**[٥] ﴾ الآية وكان النبي ﷺ يتأوّل في العفو ما أمره الله به حتىٰ أذن الله له[٦] فيهم ، فلما غزا رسول الله ﷺ بدرًا فقتل الله به[٧] صناديد كفار قريش ، قال عبد الله بن أبي ابن سلول ومن معه من المشركين وعبدة الأوثان : هذا أمر قد توجه ، فبايعوا الرسول[٨] ﷺ علىٰ الإسلام ، فبايعوا وأسلموا . فكل[٩] من قام بحق ، أو أمر بمعروف ، أو نهى عن منكر ، فلابدّ أن يؤذىٰ ، فما له دواء إلا الصبر في الله ، والاستعانة بالله ، والرجوع إلىٰ الله ، عز وجل .

وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾

---

[١] - في خ : « واصح عنه » .
[٢] - في خ : « جاء » .
[٣] - في خ : « أنزل » .
[٤] - في خ : « ويعصبوه » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - في خ : « رسول الله » .
[٩] - في خ : « فكان » .

هذا توبيخ من اللّٰه ، وتهديد لأهل الكتاب الذين أخذ اللّٰه عليهم العهد علىٰ ألسنة الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ، وأن ينوهوا بذكره في الناس ، فيكونوا علىٰ أهبة من أمره ، فإذا أرسله اللّٰه تابعوه ، فكتموا ذلك وتعوضوا[١] عما وعدوا عليه من الخير في الدنيا والآخرة بالدون الطفيف ، والحظ الدنيوي السخيف[٢] ، فبئست الصفقة صفقتهم ، وبئست البيعة بيعتهم .

وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا[٣] مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم ، ويسلك بهم مسلكهم . فعلىٰ العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع ، الدال علىٰ العمل الصالح ، ولا يكتموا[٤] منه شيئًا ، فقد ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي ﷺ أنه قال : « **من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار** » (٥٤٦) .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **لا تحسبن**[٥] **الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يُحمدُوا بما لم يفعلوا** ﴾ الآية ، يعني بذلك المرائين المتكثرين بما لم يعطوا ، كما جاء في الصحيح (٥٤٧) عن النبي ﷺ : « **من ادعىٰ دعوىٰ كاذبة ليتكثر بها ؛ لم يزده اللّٰه إلا قلة** » ، وفي [الصحيحين (٥٤٨) أيضًا][٦] : « **المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور** » .

وقال الإمام أحمد (٥٤٩) : حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، أخبرني ابن أبي مليكة ، أن حميد

(٥٤٦) - تقدم تخريجه فى « المقدمة » وسورة البقرة / آية ١٥٩ .

(٥٤٧) - هو جزء من حديث أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه (١٧٦) (١١٠) من حديث ثابت بن الضحاك ، وأصل هذا الحديث عند البخارى كتاب الجنائز ، باب ما جاء فى قاتل النَّفْس (١٣٦٣) دون هذه اللفظة ، وقد أفاد الحافظ ابن حجر فى « الفتح » (٥٣٨/١١) أنها من زيادات مسلم .

(٥٤٨) - أخرجه البخارى ، كتاب النكاح ، باب المتشبع بما لم يَنَل ، وما يُنهى من افتخار الضَّرَّة (٥٢١٩) ومسلم ، كتاب اللباس والزينة ، باب النهى عن التزوير فى اللباس وغيره ، والتشبع بما لم يعط (١٢٦) (٢١٢٩) وكذا أخرجه أحمد (٣٤٥/٦ ، ٣٤٦ ، ٣٥٣) وأبو داود ، كتاب الأدب ، باب في المتشبع بما لم يعط (٤٩٩٧) ، والنسائى فى « الكبرى » كتاب عشرة النساء ، باب المتشبعة بغير ما أعطيت (٥/ ٨٩٢١ ، ٨٩٢٢) من حديث أسماء بنت أبى بكر ، وأخرجه مسلم (١٢٦) (٢١٢٩) ، والنسائى (٥/ ٨٩٢٠) من حديث عائشة لكن أعل هذه الرواية النسائى ومن بعده أبو الحسن الدارقطنى فى « التتبع » وأجاب عن ذلك الحافظ ابن حجر ، فراجع « فتح البارى » (٣١٨/٩ ، ٣١٩) .

(٥٤٩) - « المسند » (٢٩٨/١) وأخرجه البخارى ، كتاب التفسير ، باب ﴿ **لا تحسبن الذين يفرحون** =

[١] - في خ : « وتعرضوا وتعوضوا » .
[٢] - في خ : « الخسيف » .
[٣] - في خ : « تسلكوا » .
[٤] - في خ : « ولا يكتمون » .
[٥] - في خ : « ولا يحسبن » .
[٦] - سقط من ت .

ابن عبد الرحمن بن عوف أخبره أن مروان قال : اذهب يا رافع - لبوابه - إلىٰ ابن عباس ، رضى الله عنه فقل : لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتي ، وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبًا ؛ لنعذبن أجمعون[١] . فقال ابن عباس : مالكم وهذه ؟ إنما نزلت هذه في أهل الكتاب ، ثم تلا ابن عباس : ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنًا قليلًا فبئس ما يشترون** ﴾ [ثم تلا][٢] ابن عباس : ﴿ **لا تحسبن[٣] الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا** ﴾ الآية . وقال ابن عباس : سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه إياه ، وأخبروه بغيره ، فخرجوا قد[٤] أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه ، واستحمدوا بذلك إليه ، وفرحوا بما [أتوا من كتمانهم إيّاه ما سألهم عنه][٥] .

وهكذا رواه البخاري في التفسير ومسلم ، والترمذي والنسائي في تفسيريهما[٦] ، وابن أبي حاتم ، وابن جرير ، والحاكم في مستدركه وابن مردويه ، كلهم من حديث عبد الملك بن جريج بنحوه . ورواه البخاري(٥٥٠) أيضًا[٧] من حديث ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، عن علقمة بن وقاص ؛ أن مروان قال لبوابه : اذهب يا رافع إلىٰ ابن عباس ، فذكره .

وقال البخاري (٥٥١) : حدثنا سعيد بن أبي مريم ، أنبأنا محمد بن جعفر ، حدثني زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجالًا من المنافقين [علىٰ

= بما أتوا ﴾ (٤٥٦٨) ومسلم ، فاتحة كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (٨) (٢٧٧٨) ، والترمذى ، كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة آل عمران (٣٠١٤) والنسائى فى « التفسير » من « الكبرى » (٦/ ١١٠٨٦) وابن أبى حاتم (٤٦٤٧/٣) وابن جرير (٨٣٤٩/٧) والطبرانى فى « المعجم الكبير » (١٠/ ١٠٧٣٠) من طرق عن حجاج بن محمد به ، ومع أنه متفق عليه فقد استدركه الحاكم (٢٩٩/٢) من طريق محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج عن أبيه به ، وصحح إسناده ووافقه الذهبى ومحمد بن عبد الملك لم يوثقه غير ابن حبان « الثقات » (٥٦/٩) وقال الذهبى نفسه فى « الميزان » : « لا يعرف » .

(٥٥٠) - أخرجه البخارى (٤٥٦٨) حدثنى إبرهيم بن موسى أخبرنا هشام أن ابن جريج أخبرهم عن ابن أبى مليكة به ، وأخرجه عبد الرزاق فى تفسيره (١٤١/١ ، ١٤٢) ومن طريقه ابن جرير (٨٣٤٨/٧) أخبرنا ابن جريج به .

(٥٥١) - صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، باب ﴿ لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ﴾ (٤٥٦٧) ، ومسلم فاتحة كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (٧) (٢٧٧٧) .

[١] - في خ : « أجمعين » .
[٢] - في خ : « وتلا » .
[٣] - في خ : « ولا تحسبن » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في خ : «أوتوا من كتابهم ما يسألهم عنه » .
[٦] - في خ : « تفسيرهما » .
[٧] - سقط من : ت .

عهد رسول الله ﷺ][١] كان إذا خرج رسول الله ﷺ إلىٰ الغزو تخلفوا عنه ، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ ، فإذا قدم رسول الله ﷺ من الغزو اعتذروا إليه وحلفوا ، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، فنزلت : ﴿ **لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا** ﴾ الآية .

وكذا رواه مسلم من حديث ابن أبي مريم بنحوه ، وقد رواه ابن مردويه(٥٥٢) في تفسيره من حديث الليث بن سعد عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ؛ قال : كان[٢] أبو سعيد ورافع بن خديج[٣] وزيد بن ثابت عند مروان فقال : يا أبا سعيد ، أرأيت[٤] قوله[٥] تعالىٰ : ﴿ **لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا** ﴾ ونحن نفرح بما أتينا[٦] ، نحب أن نحمد بما لم نفعل ؟ فقال أبو سعيد : إن هذا ليس من ذاك ، إنما[٧] ذلك أن ناسًا من المنافقين كانوا يتخلفون إذا بعث رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فإن كان فيهم نكبة فرحوا بتخلفهم ، وإن كان لهم نصر [من الله وفتح][٨] حلفوا لهم ليرضوهم ويحمدوهم علىٰ سرورهم بالنصر والفتح ، فقال مروان : أين هذا من هذا ؟ فقال أبو سعيد : وهذا يعلم هذا ؟ [فقال مروان :][٩] أكذلك يا زيد ؟ قال : نعم ، صدق أبو سعيد . ثم قال أبو سعيد ؛ وهذا يعلم ذاك- يعني رافع بن خديج[١٠] - ولكنه يخشىٰ إن أخبرك أن تنزع قلائصه في الصدقة ، فلما خرجوا قال زيد لأبي سعيد الخدري : ألا تحمدني علىٰ [ما شهدت][١١] لك ؟ فقال له أبو سعيد : شهدت الحق ، فقال زيد : أو لا تحمدني علىٰ ما شهدت الحق ؟

ثم رواه من حديث مالك ، عن زيد بن أسلم ، عن رافع بن خديج[١٢] ؛ أنه كان هو وزيد ابن ثابت عند مروان بن الحكم ، وهو أمير علىٰ[١٣] المدينة ، فقال مروان : يا رافع ؛ في أي شيء نزلت هذه الآية ؟ فذكره كما تقدم عن أبي سعيد - رضي الله عنهم - ، وكان مروان يبعث بعد

(٥٥٢) - وعزاه لابن مردويه أيضا الحافظ ابن حجر في « الفتح » (٨/٢٣٤) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - في ت : « قال » .
[٣] - في خ : « جُريج » .
[٤] - في خ : « رأيت » .
[٥] - في خ : « قول الله » .
[٦] - في خ : « أوتينا » .
[٧] - في ت : « إن » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[١٠] - في خ : « جريج » .
[١١] - في خ : « شهادة » .
[١٢] - في خ : « جريج » .
[١٣] - سقط من : خ .

ذلك يسأل ابن عباس كما تقدم ؟ فقال له ما ذكرناه . ولا منافاة بين ما ذكره ابن عباس وما قاله هؤلاء لأن الآية عامة في جميع ما ذكر ، والله أعلم .

وقد روىٰ ابن مردويه(٥٥٣) أيضا[١] من حديث محمد بن أبي[٢] عتيق وموسىٰ بن عقبة عن الزهري ، عن محمد بن ثابت الأنصاري ؛ أن ثابت بن قيس الأنصاري ؛ قال : يا رسول الله ؛ والله لقد خشيت أن أكون هلكت ، قال : « **لم؟** » قال : نهىٰ الله المرء أن يحب أن يحمد بما لم يفعل ، وأجدني أحب الحمد ، ونهىٰ الله عن الخيلاء ، وأجدني أحب الجمال ، ونهىٰ الله أن نرفع أصواتنا فوق صوتك ، وأنا امرؤ جهير[٣] الصوت ، فقال رسول الله ﷺ : « **أما ترضى أن تعيش حميدًا[٤] وتقتل شهيدًا ، وتدخل الجنة** » فقال[٥] : بلىٰ يا رسول الله ، فعاش[٦] حميدًا ، وقتل شهيدًا يوم مسيلمة الكذاب .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب** ﴾ [يقرأ بالتاء][٧] علىٰ مخاطبة المفرد ، وبالياء علىٰ الإخبار عنهم أي : لا تحسب[٨] أنهم ناجون من العذاب ؛ بل لابد لهم منه ، ولهذا

(٥٥٣) - وأخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٣١٠/٢ ، ١٣١١ ، ١٣١٣) من طريق صالح بن أبي الأخضر والأوزاعي ومعاوية بن يحيى ، وفي « الأوسط » (١/رقم ٤٢) من طريق الأوزاعي ، ثلاثتهم (صالح ومعاوية والأوزاعي) عن الزهري به ، وهذا إسناد رجاله ثقات إلا أن ابن حجر قال في « التهذيب » ترجمة محمد بن ثابت بن قيس : « الظاهر أن رواية محمد عن أبيه وعن سالم - مولى أبي حذيفة - مرسلة ، لأنهما قُتلا يوم اليمامة وهو صغير ، إلا أن يكون حفظ عن أبيه وهو طفل ، وقد أورده في الصحابة على قاعدتهم ، ولا تصح له صحبة ، ولا يصح سماع الزهري منه أيضًا » وقد رواه عنه الزهري أيضًا لكن بواسطة ابنه إسماعيل ، واختلف فيه على الزهري فرواه إبراهيم بن سعد عنه ، قال : أخبرني إسماعيل بن محمد بن ثابت الأنصاري عن أبيه أن ثابت بن قيس قال ... فذكره ، أخرجه بهذا الوجه الحاكم في « المستدرك » (٢٣٤/٣) وعنه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣٥٥/٦) وقال الحاكم « صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة » ووافقه الذهبي ، كذا قالا مع أن إسماعيل وأباه لم يخرجا لهما ولا لأحدهما ثم إن إسماعيل هذا ترجم له البخاري في « التاريخ الكبير » (٣٧١١) وقال : « روى عنه الزهري ، مرسل » ورواه مالك ، ويونس ، وعبيد الله بن عمر ، عن ابن شهاب الزهري ، عن إسماعيل ابن ثابت : أن ثابت بن قيس قال : .... الحديث وقال الحافظ في « تعجيل المنفعة » « إسماعيل بن ثابت يروى عن ثابت بن قيس وعنه الزهري ، نسب إسماعيل إلى جده ، ولم يدرك إسماعيل جده ، فإنه قتل يوم اليمامة أخرجه على هذا الوجه أبو حاتم بن حبان في صحيحه (٧١٦٧/١٦) من طريق يونس فحسب والطبراني في « الكبير » (١٣١٢/٢ ، ١٣١٤ ، ١٣١٥) من الطرق الثلاثة وأبو نعيم في « الدلائل » (٥٢٠) من طريق مالك وللحديث طرق أخرى غير متصلة انظر سورة الحجرات .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - في خ : « جهري » .
[٤] - في خ : « حميد » .
[٥] - في خ : « قال » .
[٦] - في خ : « قال فعاش » .
[٧] - في خ : « بقراءة التاء » .
[٨] - في خ : « يحسب » .

قال تعالىٰ : ﴿ **ولهم عذاب أليمٌ** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ولله ملك السموات والأرض ، والله علىٰ كل شيء قدير** ﴾ أي : هو مالك كل شيء ، والقادر علىٰ كل شيء ، فلا يعجزه شيء ، فهابوه ولا تخالفوه ، واحذروا غضبه ونقمته ، فإنه العظيم الذي لا أعظم منه ، القدير الذي لا أقدر منه .

إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾
ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ
فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ
ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ
﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾

قال الطبراني(٥٥٤) : حدّثنا الحسين بن إسحاق التستري ، حدّثنا يحيىٰ الحماني ، حدّثنا يعقوب القمي ، عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : أتت قريش اليهود فقالوا : بم جاءكم موسىٰ ؟ قالوا : عصاه ويده بيضاء للناظرين . وأتوا النصارىٰ ، فقالوا : كيف كان عيسىٰ ؟ قالوا : كان يبرئ الأكمه والأبرص ، ويحيي الموتىٰ فأتوا النبي ﷺ فقالوا : ادع [الله أن][١] يجعل لنا الصفا ذهبًا ، فدعا ربه فنزلت هذه الآية : ﴿ **إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب** ﴾ فليتفكروا فيها .

---

(٥٥٤) - « المعجم الكبير » (١٢٣٢٢/١٢) وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤٦٥٥/٣) ثنا أبي ، ثنا يحيى بن عبد الحميد به ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٣٣٢/٦) وقال : « رواه الطبراني وفيه يحيى الحماني وهو ضعيف » ويعيده المصنف هنا من رواية ابن مردويه (رقم ٦١٤) وذكره الحافظ ابن حجر في « الفتح » (٢٣٥/٨) وقال : « رجاله ثقات ، إلا الحِمَّاني فإنه متكلم فيه ، وقد خالفه الحسن بن موسى فرواه عن يعقوب عن جعفر عن سعيد مرسلاً وهو أشبه ، وعلى تقدير كونه محفوظًا وصله ففيه إشكال من جهة أن هذه السورة مدنية وقريش من أهل مكة ، ويحتمل أن يكون سؤالهم لذلك بعد أن هاجر النبي ﷺ إلى المدينة ولا سيما في زمن الهدنة » . والخبر زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١٩٣/٢) إلى ابن المنذر وابن مردويه .

---

[١] - في خ : « لنا ربك » .

وهذا مشكل ، فإن هذه الآية مدنية ، وسؤالهم أن يكون الصفا ذهبًا كان بمكة ، والله أعلم .
ومعنىٰ الآية [أن الله تعالىٰ يقول][١] : ﴿ **إن في خلق السموات والأرض** ﴾ أي : هذه في ارتفاعها واتساعها ، وهذه في انخفاضها ، وكثافتها واتضاعها ، وما فيهما[٢] من الآيات المشاهدة العظيمة [كواكب سيارات][٣] ، وثوابت ، وبحار ، وجبال ، وقفار ، وأشجار ، ونبات ، وزروع ، وثمار ، وحيوان ، ومعادن ، ومنافع مختلفة الألوان ، والطعوم ، والروائح ، والخواص ﴿ **واختلاف الليل والنهار** ﴾ أي : تعاقبهما ، وتقارضهما[٤] الطول والقصر . فتارة يطول هذا ويقصر هذا ، ثم يعتدلان ، ثم يأخذ هذا من هذا فيطول الذي كان قصيرًا ، ويقصر الذي كان طويلًا ، وكل ذلك تقدير العزيز الحكيم ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **لآيات لأولي الألباب** ﴾ أي : العقول التامة الزكية ، التي تدرك الأشياء بحقائقها علىٰ جلياتها[٥] . وليسوا كالصم البكم الذين لا يعقلون ، الذين قال الله فيهم : ﴿ **وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون** ﴾ .

ثم وصف تعالىٰ أولي الألباب فقال : ﴿ **الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلىٰ جنوبهم** ﴾ ، كما ثبت في [صحيح البخاري][٦] عن عمران بن حصين(٥٥٥) رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **صل قائمًا فإن لم تستطع فقاعدًا ، فإن لم تستطع فعلىٰ جنبك** » . أي لا يقطعون ذكره في جميع أحوالهم ؛ بسرائرهم ، وضمائرهم ، وألسنتهم ، ﴿ **ويتفكرون في خلق السموات والأرض** ﴾ أي : يفهمون ما فيهما من الحكم الدالة علىٰ عظمة الخالق ، وقدرته وعلمه ، وحكمته ، واختياره ، ورحمته .

وقال الشيخ أبو سليمان الداراني : إني لأخرج من منزلي ، فما يقع بصري علىٰ شيء ، إلا رأيت لله علي فيه نعمة ، ولي فيه عبرة . رواه ابن أبي الدنيا في كتاب التوكل والاعتبار .

وعن[٧] الحسن البصري أنه قال : تفكر ساعةٍ خير من قيام ليلة . وقال الفضيل : قال الحسن :

---

(٥٥٥) - أخرجه البخارى ، كتاب تقصير الصلاة ، باب إذا لم يُطِقْ قاعدًا صلَّى على جنب (١١١٧) وانظره بأطرافه عند رقم (١١١٥) وأخرجه أيضا أحمد (٤٢٦/٤) وأبو داود (٩٥٢) والترمذى (٣٧٢) وابن ماجه (١٢٢٣) .

---

[١] - في خ : « أنه يقول - تعالى » .
[٢] - في خ : « فيها » .
[٣] - في خ : « من كواكب سيارة» .
[٤] - في خ : « تعارضهما » .
[٥] - في خ : « جليتها » .
[٦] - في ت : «الصحيحين » .
[٧] - في خ : « عنه » قال » .

الفكرة مرآة تريك حسناتك وسيئاتك . وقال سفيان بن عيينة : الفكرة نور يدخل قلبك ، وربما تمثل بهذا البيت :

إذا المرء كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة

وعن عيسىٰ - عليه السلام - أنه قال : طوبىٰ لمن كان قيلُه تذكرًا ، وصمته تفكرًا ، ونظره عبرًا .

و[١] قال لقمان الحكيم : إن طول الوحدة ألهم للفكرة ، وطول الفكرة دليل علىٰ طرق باب الجنة .

وقال وهب بن منبه : ما طالت فكرة امرئ قطُّ إلا فهم ، وما[٢] فهم امرؤ قطُّ إلا علم ، وما علم امرؤ قطُّ إلا عمل .

وقال عمر بن عبد العزيز : الكلام بذكر اللَّه - عز وجل - حسن ، والفكرة في نعم اللَّه أفضل العبادة .

وقال مغيث الأسود : زوروا القبور كل يوم تفكركم ؛ وشاهدوا الموقف بقلوبكم وانظروا إلىٰ المنصرف بالفريقين : إلىٰ الجنة أو النار ، وأشعروا قلوبكم وأبدانكم ذكر النار ومقامعها وأطباقها . وكان يبكي عند ذلك حتىٰ يرفع صريعًا من بين أصحابه ، قد ذهب عقله .

وقال عبد اللَّه بن المبارك : مر رجل براهب عند مقبرة ومزبلة ، فناداه فقال : يا راهب ؛ إن عندك كنزين من كنوز الدنيا ، لك فيهما معتبر : كنزَ الرجال وكنزَ الأموال .

وعن ابن عمر : أنه كان إذا أراد أن يتعاهد قلبه يأتي الخربة ، فيقف علىٰ بابها فينادي بصوت حزين فيقول : أين أهلك ؟ ثم يرجع إلىٰ نفسه فيقول : ﴿ **كل شيء هالك إلا وجهه** ﴾ .

وعن[٣] ابن عباس أنه قال : ركعتان مقتصدتان في تفكر ، خير من قيام ليلة ، والقلب ساهٍ .

وقال الحسن البصري : يا بن آدم كل في ثلث بطنك ؛ واشرب في ثلثه ؛ ودع ثلثه الآخر تتنفس للفكرة .

وقال بعض الحكماء : من نظر إلىٰ الدنيا بغير العبرة ؛ انطمس من بصر قلبه بقدر تلك الغفلة .

---

[١] - سقط من : خ . [٢] - في خ : « ولا » .

[٣] - في خ : « قال » .

وقال بشر بن الحارث الحافي : لو تفكر الناس في عظمة اللَّه تعالىٰ لما عصوه ، وقال الحسن ، عن عامر بن عبد قيس قال : سمعت غير واحد ولا اثنين ولا ثلاثة من أصحاب النبي ، ﷺ يقولون : إن ضياء الإيمان ، أو نور الإيمان التفكر .

وعن[١] عيسىٰ - عليه السلام - أنه قال : يا بن آدم الضعيف اتق اللَّه حيثما كنت ، وكن في الدنيا ضيفًا ، واتخذ المساجد بيتًا ، وعلم عينيك البكاء ، وجسدك الصبر ، وقلبك الفكر ، ولا تهتم برزق غد .

وعن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز - رضي اللَّه عنه - : أنه بكى يومًا بين أصحابه ، فسئل عن ذلك ؟ فقال : فكرت في الدنيا ولذاتها ، وشهواتها فاعتبرت منها بها ، ما تكاد شهواتها تنقضي حتىٰ تكدرها مرارتها ، ولئن لم يكن فيها عبرة لمن اعتبر ، إن فيها مواعظ لمن ادّكر .

وقال ابن أبي الدنيا : أنشدني الحسين بن عبد الرحمن :

نزهة المؤمنِ الفِكَرُ ... لذةُ المؤمن العِبَر
نحمد اللَّه وحدَهُ ... نحن كلٌّ علىٰ خطر
رُبَّ[٢] لاهٍ وعمره ... قد تقضَّى وما شعر
ربَّ عيشٍ قد كان فَوْ ... قَ المنىٰ مونق الزهر
في خريرٍ من العيو ... نِ وظلٍ من الشجر
وسرور من النبا ... تِ وطيبٍ من الثمر
غيرته وأهلَه ... سرعة الدهر بالغير
نحمد اللَّه وحده ... إن في ذا لمعتبر
[إن في ذا لعبرةً][٣] ... للبيب إن اعتبر

وقد ذم اللَّه تعالىٰ من لا يعتبر بمخلوقاته الدالة علىٰ [ذاته و][٤] صفاته ، وشرعه ، وقدره ، وآياته ، فقال : ﴿ **وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن أكثرهم باللَّه إلا وهم مشركون** ﴾ ومدح عباده المؤمنين : ﴿ **الذين يذكرون اللَّه قيامًا وقعودًا وعلىٰ جنوبهم ويتفكرون في خلق السمٰوات والأرض** ﴾ ، قائلين : ﴿ **ربنا ما خلقت هذا باطلًا** ﴾ ، أي : ما خلقت هذا الخلق عبثًا ، بل بالحق لتجزي[٥] الذين أساءوا بما عملوا ،

---

[١] - بياض في خ .
[٢] - في خ : « ربما » .
[٣] - في خ : « إن في ذا المعتبر » .
[٤] - سقط من ت .
[٥] - في خ : « ليجزي » .

وتجزي[١] الذين أحسنوا بالحسنىٰ ، ثم نزهوه عن العبث وخلق الباطل ، فقالوا : ﴿ **سبحانك** ﴾ ، أي : عن أن تخلق شيئًا باطلًا ، ﴿ **فقنا عذاب النار** ﴾ ، أي : يا من خلق الخلق بالحق والعدل ، يا من هو منزه عن النقائص ، والعيب ، والعبث ، قنا من عذاب النار بحولك وقوتك ، و[٢] قيضنا لأعمال ترضىٰ بها عنا ، ووفقنا لعمل صالح تهدينا به إلىٰ جنات النعيم ، وتجيرنا به من عذابك الأليم .

ثم قالوا : ﴿ **ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته** ﴾ ، أي : أهنته وأظهرت خزيه لأهل الجمع ، ﴿ **وما للظالمين من أنصار** ﴾ أي : يوم القيامة ، لا مجير لهم منك ، ولا محيد لهم عما أردت بهم ، ﴿ **ربنا إننا سمعنا مناديًا ينادي للإيمان** ﴾ أي : داعيًا يدعو إلىٰ الإيمان ، وهو الرسول ﷺ ﴿ **أن آمنوا بربكم فآمنا** ﴾ ، أي يقول : آمنوا بربكم فآمنا ، أي : فاستجبنا له ، واتبعناه ، ﴿ **ربنا فاغفر لنا ذنوبنا** ﴾ ، أي : بإيماننا واتباعنا نبيك فاغفر لنا ذنوبنا ، أي : استرها ، ﴿ **وكفر عنا سيئاتنا** ﴾ أي[٣] : فيما بيننا وبينك ، ﴿ **وتوفنا مع الأبرار** ﴾ ، أي : ألحقنا بالصالحين ، ﴿ **ربنا وآتنا ما وعدتنا علىٰ رسلك** ﴾ ، [قيل : معناه علىٰ الإيمان برسلك : وقيل : معناه علىٰ ألسنة رسلك][٤] ، وهذا أظهر .

وقد قال الإمام أحمد(٥٥٦) : حدثنا أبو اليمان ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن عمر[٥] بن محمد ، عن أبي عقال ، عن أنس بن مالك [رضي الله عنه][٦] قال : قال رسول الله ﷺ : « **عسقلان أحد العروسين يبعث الله منها يوم القيامة سبعين ألفًا لا حساب عليهم ، ويبعث منها خمسين ألفًا [شهداء وفودًا][٧] إلىٰ الله ، وبها صفوف الشهداء ، رءوسهم مقطعة في أيديهم ، تثج أوداجهم دمًا يقولون : ﴿ ربنا وآتنا ما وعدتنا علىٰ رسلك ، ولا تخزنا يوم القيامة ، إنك لا تخلف الميعاد ﴾** فيقول الله[٨] : صدق عبيدي ، اغسلوهم بنهر البيضة ،

(٥٥٦) - « المسند » (٣/٢٢٥) ومن طريق أحمد وطريق أخرى أخرجه ابن الجوزى فى « الموضوعات » (٢/٥٣) وأخرجه ابن عدى فى « الكامل » (٧/٢٥٧٧) من طريق الوليد بن مسلم ، ثنا عمر بن محمد بن زيد وعبد الله بن واقد وأبو صدقة صخر بن صدقة التُّمامى قالوا : ثنا أبو عقال به ، وأخرجه ابن أبى حاتم (٣/٤٦٦٦) من طريق عبد الله بن وهب حدثنى عمر بن محمد به . وقال ابن الجوزى : « هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ ... وحديث أنس جميع طرقه تدور على أبى عقال واسمه هلال بن زيد بن يسار ، وقال ابن حبان « المجروحين » (٣/٨٧) يروى عن أنس أشياء موضوعة ما حدّث بها قط لا =

[١] - في خ : « وجزى » .
[٢] - في خ : « يا رب » .
[٣] - سقط من ت .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - في ت : « عن عمرو » .
[٦] - زيادة من : خ .
[٧] - في خ : « سهير وفود » .
[٨] - سقط من : خ .

فيخرجون منه نقاء بيضًا ، فيسرحون في الجنة حيث شاءوا » ، وهذا الحديث يعد من غرائب المسند ، ومنهم من يجعله موضوعًا ، والله أعلم .

﴿ **ولا تخزنا يوم القيامة** ﴾ أي : على رءوس الخلائق ، ﴿ **إنك لا تخلف الميعاد** ﴾ ، أي : لابد من الميعاد الذي أخبرت عنه رسلك ، وهو القيام يوم القيامة بين يديك .

وقد قال الحافظ أبو يعلى(٥٥٧) : حدثنا [الحافظ أبو سُريج][١] ، حدثنا المعتمر ، حدثنا الفضل بن عيسى ، حدثنا محمد بن المنكدر ، أن جابر بن عبد الله حدثه : أن رسول الله ﷺ قال : « **العار والتخزية تبلغ[٢] من ابن آدم في القيامة ، في المقام بين يدي الله عز وجل ، ما يتمنى العبد أن يؤمر به إلى النار** » ، حديث غريب .

وقد ثبت أن رسول الله ﷺ كان يقرأ هذه الآيات العشر من آخر آل عمران ، إذا قام من الليل لتهجده ، فقال البخاري رحمه الله(٥٥٨) : حدّثنا سعيد بن أبي مريم ، حدّثنا محمد بن جعفر ،

= يجوز الاحتجاج به بحال . وقال البخارى : «فى حديثه مناكير » وقال أبو حاتم والنسائى : منكر الحديث ، زاد النسائى ليس بثقة ، وذكر له ابن عدى أحاديث غير هذا ثم قال : « وهذه الأحاديث غير محفوظة » وبه أعل الحديث الهيثمى فى « المجمع » (٦٤/١٠) وتعقب الحافظ ابن حجر ابن الجوزى لإيراده هذا الحديث فى كتاب الموضوعات ، فقال فى « القول المسدد » (ص ٢٧) : « ليس فيه ما يحيله الشرع ولا العقل ، فالحكم عليه بالبطلان بمجرد كونه من رواية أبى عقال لا يتجه ، وطريقة الإمام أحمد معروفة فى التسامح فى رواية أحاديث الفضائل دون أحاديث الأحكام ... » ثم شرع فى ذكر شواهد لهذا الحديث يستبعد بها أن يحكم على هذا الحديث بالوضع وانظر غير مأمور « اللآلئ المصنوعة » للسيوطى (٤٢١/١ : ٤٢٣) و « تنزيه الشريعة » للكنانى (٤٩/٢) .

(٥٥٧) - مسند أبى يعلى (٣/رقم ١٧٧٦) وأخرجه ابن عدى فى « الكامل » (٢٠٣٩/٦) ثنا أحمد بن الحسين الصوفى ، ثنا الحارث بن سريج أبو سريج به . وأخرجه الحاكم فى « المستدرك » (٥٧٧/٤) من طريق عبد الوهاب بن عطاء ، أنبأ الفضل بن عيسى به وقال : « حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » فتعقبه الذهبى فى « التلخيص » بأن « الفضل واهٍ » وبه أعله الهيثمى ، فقال فى « المجمع » (٣٥٣/١٠) : « رواه أبو يعلى وفيه الفضل بن عيسى الرقاشى وهو مجمع على ضعفه » والحديث لم يعزه السيوطى فى « الدر المنثور » (١٩٧/٢) لغير أبى يعلى !! .

(٥٥٨) - صحيح البخارى كتاب التفسير ، باب ﴿ إن فى خلق السماوات والأرض ﴾ الآية -٤٥٦٩) ، وكتاب الأدب ، باب رفع البصر إلى السماء (٦٢١٥) وكتاب التوحيد : باب ما جاء فى تخليق السموات والأرض ... (٧٤٥٢) وأخرجه مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الدعاء فى صلاة الليل وقيامه (١٩٠) (٧٦٣) وحدثنى أبو بكر بن إسحاق أخبرنا ابن أبى مريم به .

[١] - في خ : « الحارث بن شريح » . [٢] - في خ : « يبلغ » .

أخبرني شريك بن عبد الله بن أبي نمر[١] ، عن كريب ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : بتُّ عند خالتي ميمونة ، فتحدّث رسول الله ﷺ [مع أهله][٢] ساعة ثم رقد ؛ فلما كان ثلث الليل الآخر ، قعد فنظر إلىٰ السماء فقال : ﴿ **إن في خلق السمٰوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب** ﴾ الآيات[٣] ، [ثم قام فتوضأ واستن ، ثم صلىٰ][٤] إحدىٰ عشرة ركعة ، ثم أذن بلال فصلىٰ ركعتين ، ثم خرج فصلىٰ بالناس الصبح .

وهكذا رواه مسلم عن أبي بكر بن إسحاق الصنعاني ، عن ابن[٥] أبي مريم به ، ثم قال :[٦] رواه البخاري من طرق(٥٥٩) : عن مالك ، عن مخرمة بن سليمان ، عن كريب ، أن[٧] ابن عباس أخبره[٨] أنه بات عند ميمونة زوج النبي ﷺ وهي خالته قال : فاضطجعت في عرض الوسادة ، واضطجع رسول الله ﷺ وأهله في طولها ، فنام رسول الله ﷺ حتىٰ إذا انتصف الليل ، أو قبله بقليل ، أو بعده بقليل استيقظ رسول الله ﷺ من منامه ، فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده ، ثم قرأ العشر آيات الخواتيم من سورة آل عمران ، ثم قام إلىٰ شنٍّ(*) معلقة فتوضأ منها فأحسن وضوءه ، ثم قام يصلي ، قال ابن عباس [رضي الله عنهما : فقمت][٩] فصنعت مثل ما صنع ، ثم ذهبت فقمت إلىٰ جنبه ، فوضع رسول الله ﷺ ، يده اليمنىٰ علىٰ رأسي ، وأخذ بأذني اليمنى[١٠] يفتلها[١١] ، فصلىٰ ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، [ثم ركعتين][١٢] ثم أوتر ، ثم اضطجع حتىٰ جاءه المؤذن ، فقام فصلىٰ ركعتين خفيفتين ، ثم خرج فصلىٰ الصبح .

---

(٥٥٩) - أخرجه البخارى ، كتاب الوضوء ، باب قراءة القرآن بعد الحدث وغيره ..(١٨٣) حدثنا إسماعيل ، وكتاب الوتر ، باب ما جاء فى الوتر (٩٩٢) حدثنا عبد الله بن مسلمة ، وكتاب العمل فى الصلاة ، باب استعانة اليد فى الصلاة إذا كان من أمر الصلاة (١١٩٨) حدثنا عبد الله بن يوسف ، وكتاب التفسير ، باب ﴿ الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا ... ﴾ (٤٥٧٠) وباب ﴿ ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته ... ﴾ (٤٥٧١) وباب ﴿ ربنا إننا سمعنا مناديًا ينادى للإيمان ﴾ (٤٥٧٢) من طريق عبد الرحمن بن مهدى ومعن بن عيسى وقتيبة بن سعيد ستتهم (إسماعيل وعبد الله وعبد الرحمن ومعن وقتيبة) عن مالك به .

(*) - أي قربة . النهاية (٢/٥٠٦)

---

[١] - في خ : « نمير » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في خ : « فصلى » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - زيادة من : خ .
[٧] - في خ : « عن » .
[٨] - سقط من : خ .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[١٠] - سقط من : خ .
[١١] - في خ : « ففتلها » .
[١٢] - زيادة من : خ .

وهكذا أخرجه بقية الجماعة(٥٦٠) من طرق عن مالك به . ورواه مسلم أيضًا ، وأبو داود من وجوه أُخر ، عن مخرمة بن سليمان به .

(طريق أخرىٰ) لهذا الحديث عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما : قال أبو بكر بن مردويه(٥٦١) ، حدّثنا محمد بن أحمد بن محمد بن علي ، حدثنا أبو يحيىٰ بن أبي ميسرة أنبأنا خلاد بن يحيىٰ ، أنبأنا يونس بن[١] أبي إسحاق ، عن المنهال بن عمرو ، عن علي بن عبد اللَّه بن عباس ، عن عبد اللَّه بن عباس قال : أمرني العباس أن أبيت بآل رسول اللَّه ﷺ وأحفظ صلاته ، قال : فصلىٰ رسول اللَّه ﷺ بالناس صلاة العشاء الآخرة ، حتىٰ إذا لم يبق في المسجد أحد غيري ، قام فمر بي ، فقال : من هذا ؟ عبد اللَّه ؟ قلت[٢] : نعم ؛ قال : فمه ؟ قلت: أمرني العباس أن أبيت بكم الليلة ، قال : « **فالحق الحق** » ، فلما أن[٣] دخل قال : افرشن عبد اللَّه ؟ قال[٤] : فأتىٰ بوسادة من مسوح ، قال : فنام رسول اللَّه ﷺ عليها حتىٰ سمعت غطيطه(*) ، ثم استوىٰ علىٰ فراشه قاعدًا ، قال : فرفع رأسه إلىٰ السماء ، فقال[٥] : « **سبحان الملك القدوس** » ثلاث مرات ، ثم تلا هذه الآيات من آخر سورة آل عمران حتىٰ ختمها .

وقد روىٰ مسلم ، وأبو داود ، والنسائي من حديث علي بن عبد اللَّه بن عباس ، [عن

---

(٥٦٠) - أخرجه مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الدعاء فى صلاة الليل وقيامه (١٨٢) (٧٦٣) ، وأبو داود ، كتاب الصلاة ، باب فى صلاة الليل (١٣٦٧) ، والنسائى ، كتاب قيام الليل وتطوع النهار ، باب ذكر ما يستفتح به القيام (٣/٢١٠ ، ٢١١) ، وابن ماجه ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : ما جاء فى كم يصلى بالليل (١٣٦٣) بينما أخرجه الترمذى فى « الشمائل » (٢٦٥) كلهم من طرق عن مالك به ، وأخرجه مسلم (١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥) (٧٦٣) وأبو داود (١٣٦٤) والنسائى (٢/٣٠) من طرق عن مخرمة بن سليمان به .

(٥٦١) - وأخرجه الطبراني في الكبير (١٠/١٠٦٤٨) ، وفي كتاب الدعاء (٢/رقم ٧٥٩) ، والحاكم في المستدرك (٣/٥٣٥،٥٣٦) وفي إسناده سقط - من طريق يونس بن أبي إسحاق به ، وقال الحاكم : حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي ، وإسناده حسن لكلام في المنهال بن عمرو ، ثم إن مسلمًا لم يخرج له شيئًا ،والبخاري لم يخرج لعلي بن عبد اللَّه بن عباس في الصحيح فتنبه !! وقد أشار إلى هذه الرواية الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/١١٧) .

(*) - الغطيط : الصوت الذي يخرج مع نفس النائم ، وهو ترديده حيث لا يجد مساغًا . النهاية (٣/٣٧٢) .

---

[١] - في ت : « عن » .

[٢] - في خ : « فقلت » .

[٣] - زيادة من : خ .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - سقط من : خ .

أبيه][1] حديثًا في ذلك أيضًا (٥٦٢) .

(طريق[2] أخرىٰ) رواها ابن مردويه(٥٦٣) ، من حديث عاصم بن بهدلة ، عن بعض أصحابه ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أن رسول اللَّه ﷺ خرج ذات ليلة بعدما مضىٰ ليل ، فنظر إلىٰ السماء ، وتلا هذه الآية : ﴿ **إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب** ﴾ [إلىٰ آخر السورة][3] . ثم قال : « **اللَّهم ؛ اجعل في قلبي نورًا ، وفي سمعي نورًا ، وفي بصري نورًا ، وعن[4] يميني نورًا ، وعن شمالي نورًا ، ومن بين يدي نورًا ، ومن خلفي نورًا ، ومن فوقي نورًا ، ومن تحتي نورًا ، وأعظم لي نورًا يوم القيامة** » .

وهذا الدعاء ثابت في بعض طرق الصحيح(٥٦٤) من رواية كريب ، عن ابن عباس رضي اللَّه عنه . ثم روىٰ ابن مردويه وابن أبي حاتم(٥٦٥) ، من حديث جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ؛ قال : أتت قريش اليهود ، فقالوا : بم جاءكم موسىٰ من الآيات ؟ قالوا : عصاه ويده البيضاء للناظرين ، وأتوا النصارىٰ فقالوا : كيف كان عيسىٰ فيكم ؟ فقالوا[5] : كان يبرئ الأكمه والأبرص ، ويحيي الموتىٰ ، فأتوا النبي ﷺ ، فقالوا : ادع لنا[6] ربك أن[7] يجعل

---

(٥٦٢) - أخرجه مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الدعاء فى صلاة الليل وقيامه (١٩١) (٧٦٣) ، وأبو داود ، كتاب الطهارة ، باب السواك لمن قام من الليل (٥٨) ، وكتاب الصلاة ، باب فى صلاة الليل ، (١٣٥٣ ، ١٣٥٤) والنسائى ، كتاب قيام الليل وتطوع النهار (٢٣٧/٣) وكذا أخرجه أحمد فى « المسند » (٣٥٠/١ ، ٣٧٣) .

(٥٦٣) - شيخ عاصم بن بهدلة مجهول ، وعاصم نفسه متكلم فيه ، وأخرجه الطبرانى فى « المعجم الكبير » (١٢٣٤٩/١٢) ثنا زكريا بن حمدويه البغدادى ثنا عبيد بن إسحاق العطار ثنا كامل أبو العلاء عن حبيب ابن أبى ثابت عن سعيد بن جبير به فذكره فى قصة نومه عند خالته ميمونة غير أن الهيثمى قال فى « المجمع » (٢٧٨/٢) : « فيه عبيد بن إسحاق العطار ضعفه ابن معين وغيره وأما أبو حاتم فرضيه » وقد أخرج البخارى ، كتاب اللباس باب الذّوائب (٥٩١٩) وغيره طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس مختصرًا .

(٥٦٤) - أخرجه البخارى ، كتاب الدعوات ، باب الدعاء إذا انتبه من الليل (٦٣١٦) ، ومسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الدعاء فى صلاة الليل وقيامه (١٨١) (٧٦٣) .

(٥٦٥) - تقدم تخريجه رقم (٦٠٣) .

---

[1] - سقط من : خ .
[2] - في خ : « طريقة » .
[3] - سقط من : خ .
[4] - في خ : « في » .
[5] - في خ : « قالوا » .
[6] - سقط من : ت .
[7] - سقط من : خ .

لنا الصفا ذهبًا ، فدعا ربه عز وجل ، فنزلت : ﴿ **إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب** ﴾ ، قال : فليتفكروا فيها .

لفظ ابن مردويه . وقد تقدم [هذا الحديث من رواية الطبراني][١] في أول الآية ، وهذا يقتضي أن تكون هذه الآيات مكية ، والمشهور أنها مدنية ، ودليله الحديث[٢] الآخر ، قال ابن مردويه(٥٦٦) : حدثنا إسماعيل بن علي بن إسماعيل ، حدثنا أحمد بن علي الحراني ، حدثنا شجاع بن أشرس ، حدثنا حشرج بن نباتة الواسطي ، أبو مكرم ، عن الكلبي - وهو[٣] أبو جناب الكلبي[٤] - عن عطاء ، قال : انطلقت أنا وابن عمر وعبيد بن عمير إلىٰ عائشة - رضي اللَّه عنها - فدخلنا عليها وبيننا وبينها حجاب ، فقالت يا عبيد ؛ ما يمنعك من زيارتنا ؟ قال[٥] : قول الشاعر

* **زرغُبًّا تزددْ حبًّا** *

فقال ابن عمر : ذرنا[٦] أخبرينا بأعجب [ما رأيتيه][٧] من رسول اللَّه ﷺ ، فبكت ، وقالت : كل أمره كان عجبًا ، أتاني في ليلتي حتىٰ مس جلده جلدي ، ثم قال : « **ذريني أتعبد لربي عز وجل** » قالت : فقلت : واللَّه إني لأحب قربك ، وإني أحب أن تعبد ربك ، فقام إلىٰ القربة فتوضأ ، ولم يكثر صب الماء ، ثم قام[٨] يصلي فبكىٰ حتىٰ بل لحيته ، ثم سجد فبكى حتىٰ بل الأرض ، ثم اضطجع علىٰ جنبه فبكىٰ حتىٰ إذا أتىٰ بلال يؤذنه بصلاة الصبح ، قالت : فقال يا رسول اللَّه ، ما يبكيك ؛ وقد غفر اللَّه لك [ما تقدم من ذنبك وما تأخر][٩] ؟ فقال : « **ويحك يا بلال ، وما[١٠] يمنعني أن أبكي ، وقد أنزل اللَّه علي في هذه الليلة : ﴿ إن في**

(٥٦٦) - وعزاه لابن مردويه السيوطى فى « الدر المنثور » (١٩٥/٢) ومن طريق ابن مردويه أخرجه الأصبهانى فى « الترغيب والترهيب » (٦٦٦) . وأبو خباب الكلبى - واسمه يحيى بن أبى حيَّة - ضعفه الجمهور لكثرة تدليسه غير أنه صرح هنا بالتحديث فانتفت شبهة تدليسه . وأخرجه ابن حبان فى صحيحه (٢/رقم ٦٢٠) وأبو الشيخ فى « أخلاق النبى » (ص ١٨٦) وابن أبى حاتم كما قال المصنف ولم أجده فى تفسيره المطبوع - فأودعه فى « الصحيحة » (١/رقم ٦٨) والحديث زاد نسبته السيوطى فى « الدر المنثور » (١٩٥/٢) إلى عبد بن حميد وابن أبى الدنيا فى « التفكر » وابن المنذر وابن عساكر .

[١] - في خ : « سياق الطبراني لهذا الحديث » .
[٢] - في خ : « حديث » .
[٣] - في خ : « هو » .
[٤] - سقط من : ت .
[٥] - في خ : « فقال » .
[٦] - في ت : « ذرينا » .
[٧] - في خ : « شيء رأيته » .
[٨] - في خ : « قال » .
[٩] - في خ : « ذنبك ، تقدم وما تأخر » .
[١٠] - في ت : « ما » .

خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ﴾ ثم قال : « **ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها** » .

وقد رواه عبد بن حميد [في تفسيره][١] ، عن جعفر بن عون ، عن أبي جناب الكلبي ، عن عطاء [قال : دخلت أنا وعبد الله بن عمر وعبيد بن عمير علىٰ أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - وهي في خدرها ، فسلمنا عليها ، فقالت : من هؤلاء ؟ قال : فقلنا هذا عبد الله بن عمر وعبيد بن عمير ، قالت : يا عبيد بن عمير ؛ ما يمنعك من زيارتنا ؟ قال : ما قال الأول : « **زرغبًا تزدد حبًا** » قالت : إنا لنحب زيارتك وغشيانك ، قال عبد الله بن عمر : دعينا من بطالتكما هذه ، أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله ﷺ قال : فبكت ، ثم قالت : كل أمره كان عجبًا ، أتاني في ليلتي حتىٰ دخل معي فراشي حتىٰ لصق جلده بجلدي ، ثم قال : « **يا عائشة ؛ ائذني لي أتعبد لربي** » قالت : إني لأحب قربك وأحب هواك ، قالت : فقام إلىٰ قربة في البيت ، فما أكثر صب الماء ، ثم قام فقرأ القرآن ، ثم بكىٰ ، حتىٰ رأيت أن دموعه قد بلغت حقويه(*) ، قالت : ثم جلس فحمد الله وأثنىٰ عليه ، ثم بكىٰ ، حتىٰ رأيت دموعه قد بلغت حجره ، قالت : ثم اتكأ علىٰ جنبه الأيمن ، ووضع يده تحت خده ، قالت : ثم بكىٰ حتىٰ رأيت دموعه قد بلغت الأرض ، فدخل عليه بلال فآذنه بصلاة الفجر ، ثم قال : الصلاة يا رسول الله ؛ فلما رآه بلال يبكي ، قال : يا رسول الله ؛ تبكي وقد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : « **يا بلال أفلا أكون عبدًا شكورًا ؟ وما لي لا أبكي وقد نزل علي الليلة : ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ﴾** ، إلىٰ قوله : **﴿ سبحانك فقنا عذاب النار ﴾** » ثم قال : « **ويل لمن قرأ هذه الآيات ثم لم يتفكر فيها** »][٢] .

وهكذا رواه [أبو حاتم بن حبان][٣] في صحيحه عن عمران بن موسىٰ ، عن عثمان بن أبي شيبة ، عن يحيىٰ بن زكريا ، عن إبراهيم بن سويد النخعي ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء ، قال : دخلت أنا وعبيد بن عمير علىٰ عائشة ، فذكر نحوه .

وهكذا رواه عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا في كتاب التفكر والاعتبار (٥٦٧) ، عن شجاع بن

(*) : الحقو : معقد الإزار .

(٥٦٧) - ولم يعزه السيوطى فى « الدر المنثور » (٢/١٩٥) لغير ابن أبى الدنيا وهو منقطع .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - في خ : « بأطول من هذا وأتم سياقًا » .
[٣] - في ت : ابن أبي حاتم وابن حبان

أشرس به ، ثم قال : حدثني الحسن بن عبد العزيز ، سمعت سنيدًا يذكر عن سفيان - هو الثوري - رفعه قال : « **من قرأ آخر « آل عمران »** فلم يتفكر فيها ويله » يعدّ بأصابعه عشرًا. قال الحسن بن عبد العزيز : فأخبرني عبيد بن السائب قال : قيل للأوزاعي : ما غاية التفكر فيهنّ ؟ قال : يقرأهن [وهو يعقلهن][١] .

قال ابن أبي الدنيا : وحدثني قاسم بن هاشم ، حدثنا علي بن عياش ، حدثنا عبد الرحمن ابن سليمان ؛ قال : سألت الأوزاعي عن أدنىٰ ما يتعلق به المتعلق من الفكر فيهن ، وما ينجيه من هذا الويل ؟ فأطرق هنيهة[٢] ثم قال ؛ يقرؤهن وهو [يعقلهن .

(حديث آخر) فيه غرابة . قال أبو بكر بن مردويه(٥٦٨) : حدثنا عبد الرحمن بن بشير ابن نمير ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم البستي ، (ح) قال : وحدثنا إسحاق بن إبراهيم بن زيد ، حدثنا أحمد بن عمرو ، وقال : أنبأنا هشام بن عمار ، أنبأنا سليمان بن موسىٰ الزهري ، أنبأنا مظاهر بن أسلم المخزومي ، أنبأنا سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبي هريرة قال : كان رسول الله ﷺ يقرأ عشر آيات من آخر سورة آل عمران كل ليلة . مظاهر بن أسلم ضعيف][٣] .

فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾

(٥٦٨) - وعزاه لابن مردويه السيوطى فى « الدر المنثور » (٢/٢٠٤) وأخرجه ابن السنى فى « عمل اليوم والليلة » ، والطبرانى فى « الأوسط » (٧/٦٧٧٧) وابن عدى فى « الكامل » (٦/٢٤٤٢) وأبو نعيم فى « أخبار أصبهان » (٢/١٢٠) وابن عساكر فى « تاريخ دمشق » (٧/٦٥٠ مخطوط) . من طرق عن هشام ابن عمار به . وقال الطبرانى « لم يرو هذا الحديث عن سعيد المقبرى إلا مظاهر بن أسلم ، ولا عن مظاهر إلا سليمان بن موسى ، تفرّد به هشام بن عمار » ومظاهر بن أسلم ضعفه أبو عاصم النبيل وأبو حاتم والنسائى ، زاد أبو حاتم « منكر الحديث » وقال ابن معين : « ليس بشىء » وبه أعل الحديث الهيثمى فى « المجمع » (٢/٢٧٧) فقال : « رواه الطبرانى فى « الأوسط » وفيه مظاهر بن أسلم وثقه ابن حبان وضعفه ابن معين وجماعة والحديث زاد نسبته أبو عبد الله القرطبى فى « الجامع لأحكام القرآن » (٤/٣١٠) إلى أبى نصر السجستانى فى كتاب « الإنابة » .

[١] - في خ : « ويعقلهنّ » .

[٢] - في خ : « هنية » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

يقول تعالىٰ : ﴿ **فاستجاب لهم ربهم** ﴾ أي : فأجابهم ربهم ، كما قال الشاعر :

وداعٍ دعا : يا من يجيب إلىٰ الندا فلم يستجبه عند ذاك مجيبُ

قال سعيد بن منصور(٥٦٩) : حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار ، عن سلمة[١] - رجل من آل أمّ سلمة - قال : قالت أمّ سلمة : يا رسول اللّٰه ، لا نسمع اللّٰه ذكر النساء في الهجرة بشيء . فأنزل اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثىٰ** ﴾ إلىٰ آخر الآية : وقالت الأنصار : هي أوّل ظعينة قدمت علينا .

وقد رواه الحاكم في مستدركه من حديث سفيان بن عيينة . ثم قال : صحيح علىٰ شرط البخاري ، ولم يخرجاه .

وقد روىٰ ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن أمّ سلمة ؛ قالت : آخر آية نزلت[٢] هذه الآية . ﴿ **فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثىٰ بعضكم من بعض** ﴾ إلىٰ آخرها . رواه ابن مردويه(٥٧٠) .

ومعنىٰ الآية أن المؤمنين ذوى الألباب لما سألوا ما سألوا - مما تقدّم ذكره - فاستجاب لهم ربهم

(٥٦٩) - وعزاه إلى سعيد بن منصور السيوطى فى « الدر المنثور » (١٩٧/٢) وأخرجه عبد الرزاق فى تفسيره (١٤٤/١) ومن طريقه وطريق أسد بن موسى أخرجه ابن جرير (٨٣٦٨/٧ ، ٨٣٦٩) والحميدى فى مسنده (١/رقم ٣٠١) والترمذى (٣٠٢٣) ثنا ابن أبى عمر ، والطبرانى فى « المعجم الكبير » (٦٥١/٢٣) ثنا الحسين بن إسحاق ، ثنا يحيى الحمانى ، خمستهم (عبد الرزاق ، أسد بن موسى ، ابن أبى عمر ، الحميدى ، الحمانى) عن سفيان بن عيينة به ، غير أن الثلاثة الأول قالوا « عن رجلٍ من ولد أم سلمة) ولم يسموه ، ورواه الحاكم فى مستدركه (٣٠٠/٢) من طريق يعقوب بن حميد ، ثنا سفيان بن عيينة به غير أنه قال : « عن سلمة بن أبى سلمة رجل من ولد أم سلمة » وقال الحاكم : « حديث صحيح على شرط البخارى ، ولم يخرجاه ، سمعت أبا أحمد الحافظ . وذكر فى بحثين فى كتاب البخارى يعقوب عن سفيان ، ويعقوب عن الدراوردى وقال أبو أحمد : هو يعقوب بن حميد واللّٰه أعلم » ووافق الذهبى الحاكم على أنه على شرط البخارى ، ويعقوب بن حميد وثقه جماعة وضعفه آخرون راجع « التهذيب » وتابع « يعقوب بن حميد » على تسميته هكذا ، قتيبة بن سعيد عن سفيان به كما فى « التهذيب » ترجمة سلمة ابن عبد اللّٰه بن عمر بن أبى سلمة وسلمة هنا نسب إلى جده ، وقد روى عنه أكثر من واحد ، ووثقه ابن حبان في « الثقات » فالخبر يحتمل التحسين وانظر ما يأتى سورة الأحزاب / آية ٣٥ .

(٥٧٠) - وذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (١٩٨/٢) ولم يعزه لغير ابن مردويه وانظر ما يأتى سورة النساء / آية ٣٢ (ح ٣٤٦ : ٣٤٩) .

[١] - في ت : « مسلمة » . [٢] - في خ : « أنزلت » .

عقب[١] ذلك بفاء التعقيب ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان . فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثىٰ** ﴾ هذا تفسير للإِجابة ، أي : قال لهم مخبرًا[٢] أنه لا يضيع عمل عامل منكم لديه ، بل يوفى كل عامل بقسط عمله من ذكر أو أنثىٰ .

وقوله : ﴿ **بعضكم من بعض** ﴾ أي : جميعكم في ثوابي سواء ﴿ **فالذين هاجروا** ﴾ أي : تركوا دار الشرك ، وأتوا إلىٰ دار الإِيمان ، وفارقوا الأحباب والإِخوان والخلان والجيران ، ﴿ **وأخرجوا من ديارهم** ﴾ أي : ضايقهم المشركون بالأذىٰ ، حتىٰ ألجئوهم إلىٰ الخروج من بين أظهرهم ، ولهذا قال : ﴿ **وأوذوا في سبيلي** ﴾ ، أي : إنما كان ذنبهم إلىٰ الناس ؛ أنهم آمنوا باللَّه وحده ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا باللَّه ربكم** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا باللَّه العزيز الحميد** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وقاتلوا وقتلوا** ﴾ وهذا أعلىٰ المقامات أن يقاتل في سبيل اللَّه ، فيُعقر جوَاده ، ويعفرَّ وجهه بدمه وترابه ، وقد ثبت في الصحيح(٥٧١) أن رجلًا قال : يا رسول اللَّه ؛ أرأيت إن قتلت في سبيل اللَّه صابرًا محتسبًا مقبلًا غير مدبر ، أيكفر اللَّه عني خطاياي ؟ قال : « **نعم** » ثم قال : « **كيف قلت ؟** » ، فأعاد عليه ما قال . فقال : « **نعم ، إلا الدين**[٣] **قاله لي جبريل آنفًا** » .

ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **لأكفرن عنهم سيآتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار** ﴾ ، أي : تجري في خلالها الأنهار من أنواع المشارب من لبن وعسل وخمر وماء غير آسن وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر .

وقوله : ﴿ **ثوابًا من عند اللَّه** ﴾ أضافه إليه ، ونسبه إليه ليدل علىٰ أنه عظيم ؛ لأن العظيم الكريم لا يعطي إلا جزيلًا كثيرًا[٤] ، كما قال الشاعر :

---

(٥٧١) - أخرجه مسلم ، كتاب الإمارة ، باب من قتل فى سبيل اللَّه كفرت خطاياه إلا الدين (١١٧ ، ١١٨) (١٨٨٥) وكذا أخرجه أحمد (٢٩٧/٥ ، ٣٠٣ ، ٣٠٨) والترمذى ، كتاب الجهاد ، باب ما جاء فيمن يستشهد وعليه دين (١٧١٢) والنسائى ، كتاب الجهاد ، باب من قاتل فى سبيل اللَّه تعالى وعليه دين (٣٤/٦ ، ٣٥) من حديث أبى قتادة الأنصارى .

---

[١] - في خ : « عقيب » .
[٢] - في خ : « مجيبًا لهم » .
[٣] - في ت : « الذي » .
[٤] - سقط من : خ .

إن يعذب يكن غرامًا [وإن يعـ ـط جزيلًا فإنه لا يبالي][١]

وقوله تعالىٰ : ﴿ **والله عنده حسن الثواب** ﴾ ، أي : عنده حسن الجزاء لمن عمل صالحاً .

قال ابن [أبي حاتم][٢] (٥٧٢) : ذكر عن دحيم[٣] بن إبراهيم ، حدثنا الوليد بن مسلم : أخبرني حريز[٤] بن عثمان ، أنَّ شدّاد بن أوس ، كان يقول : يا أيها الناس ؛ لا تتهموا الله في قضائه ، فالله لا يبغي علىٰ مؤمن ، فإذا نزل بأحدكم شئ مما يحب فليحمد الله ، وإذا نزل به شيءٌ مما يكره فليصبر وليحتسب ، فإن الله عنده حسن الثواب .

لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾

يقول تعالىٰ لا تنظر إلىٰ [ما هؤلاء][٥] الكفار مترفون فيه من النعمة والغبطة والسرور ، فعما قليل يزول هذا كله عنهم ، ويصبحون مرتهنين بأعمالهم السيئة . فإنما نمد لهم فيما هم فيه استدراجًا ، وجميع ما هم فيه : ﴿ **متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد** ﴾ .

وهذه الآية كقوله تعالىٰ : ﴿ **ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **نمتعهم قليلًا ثم نضطرّهم إلىٰ عذاب غليظ** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **فمهل الكافرين أمهلهم رويدًا** ﴾ أي : قليلًا ، وقال تعالىٰ : ﴿ **أفمن وعدناه وعدًا حسنًا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين** ﴾ ، وهكذا لما ذكر حال الكفار في الدنيا ، وذكر أن[٦] مآلهم النار ، قال بعده : ﴿ **لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلًا** ﴾ [أي : ضيافة من عند الله][٧] ﴿ **وما عند الله خير للأبرار** ﴾ .

(٥٧٢) - تفسير ابن أبى حاتم (٤٦٧١/٣) ولم يعزه السيوطى فى « الدر المنثور » (١٩٩/٢) إلى غيره .

[١] - سقط من خ .
[٢] - في خ : « أبي ليلى حاتم » .
[٣] - في خ : « رحيم » .
[٤] - في خ : « جرير » .
[٥] - في خ : « هؤلاء » .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - في خ : « من عند الله » .

وقال ابن مردويه(٥٧٣) : حدثنا أحمد بن نصر ، حدثنا أبو طاهر سهل بن عبد اللَّه ، أنبأنا هشام بن عمار ، أنبأنا سعيد بن[١] يحيىٰ ، أنبأنا عبد اللَّه بن الوليد الوصافي[٢] ، عن محارب بن دثار[٣] ، عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص ، عن النبي ﷺ قال : « **إنما سموا الأبرار لأنهم بروا الآباء والأبناء ، كما أن لوالديك عليك حقًّا ، كذا[٤] لولدك عليك حق** » .

كذا رواه ابن مردويه ، عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص مرفوعًا ، وقال ابن أبي حاتم(٥٧٤) : حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن جناب[٥] ، حدثنا عيسىٰ بن يونس ، عن عبيد اللَّه ابن الوليد الوصافي[٦] ، عن محارب بن دثار ، عن ابن عمر ، قال : إنما سماهم اللَّه الأبرار[٧] ؛ لأنهم بروا الآباء والأبناء ، كما أن لوالديك عليك حقًّا ، كذلك لولدك عليك حق ، وهذا أشبه ، واللَّه أعلم .

ثم قال ابن أبي حاتم (٥٧٥) : حدّثنا أبي ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا هشام الدستوائي ، عن رجل ، عن الحسن ، قال : الأبرار الذين لا يؤذون الذر .

وقال ابن أبي حاتم أيضًا(٥٧٦) : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ،

(٥٧٣) - كذا وقع نسبة هذا الحديث هنا إلى عبد اللَّه بن عمرو بن العاص ، وأخشى أن يكون سهوًا من الناسخ ، فقد عزاه لابن مردويه السيوطى فى « الدر المنثور » (١٩٩/٢) من حديث عبد اللَّه بن عمر ، وأخرجه ابن عدى فى « الكامل » (١٦٣٠/٤) ثنا محمد بن خريم ، ثنا هشام بن عمار به فى مسند ابن عمر ، وكذا رواه ابن عساكر فى « تاريخ دمشق » (٤٠٠/١٧ مخطوط) ويذكر المصنف من طريقه فى سورة الأنفطار / آية ١٣ - وعبيد اللَّه الوصافى هذا ضعفه ابن معين وأبو حاتم ، وأبو زرعة وغيرهم ، و قال ابن عدى - وذكر أحاديث منها هذا - : « هذه الأحاديث للوصافى عن محارب عن ابن عمر هو الذى يرويها ولا يتابع عليها » وقد اضطرب فيه فرواه موقوفًا وهو الآتى .

(٥٧٤) - تفسير ابن أبى حاتم (٤٦٨٠/٣) وأخرجه البخارى فى « الأدب المفرد » (٩٤) من طريق الوصافى أيضًا ، وصحح هنا الموقوف السيوطى - وزاد عزوه إلى عبد بن حميد - فى « الدر المنثور » (١٩٩/٢) مع أن الوصافى ضعيف كما تقدم .

(٥٧٥) - تفسير ابن أبى حاتم (٤٦٨١/٣) ولم يعزه السيوطى فى « الدر المنثور » (١٩٩/٢) إلى غيره .

(٥٧٦) - تفسير ابن أبى حاتم (٤٦٧٩/٣) ورواه عبد الرزاق فى تفسيره (١٤٢/١) أنا الثورى عن الأعمش به .

---

[١] - في خ : « وأنا » .
[٢] - في خ : « الرصافى » .
[٣] - في خ : « ديار » .
[٤] - في خ : « كذلك » .
[٥] - في خ : « حباب » .
[٦] - في خ : « الرصافى » .
[٧] - في خ : « أبرارًا » .

عن خيثمة ، عن الأسود ؛ قال[١] : قال عبد الله - يعني ابن مسعود - : ما من نفس برة ولا فاجرة إلا الموت خير لها ؛ لئن كان برًا ، لقد قال الله تعالىٰ : ﴿ **وما عند الله خير للأبرار** ﴾ .

وكذا رواه عبد الرزاق ، عن الأعمش عن الثوري به ، وقرأ ﴿ **ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثمًا ولهم عذاب مهين** ﴾ .

وقال[٢] ابن جرير(٥٧٧) : حدثني المثنى ، حدثنا إسحاق ، حدثنا[٣] ابن أبي جعفر ، عن فرج[٤] بن فضالة ، عن لقمان ، عن أبي الدرداء ، أنه كان يقول : ما من مؤمن إلا والموت خير له ، وما من كافر إلا والموت خير له ، ومن لم يصدقني ؛ فإن الله يقول : ﴿ **وما عند الله خير للأبرار** ﴾ ، ويقول : ﴿ **ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثمًا ولهم عذاب مهين** ﴾ .

وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

يخبر تعالىٰ عن طائفة من أهل الكتاب أنهم يؤمنون بالله حق الإيمان ، ويؤمنون[٥] بما أنزل علىٰ محمد ، مع ما هم مؤمنون به من الكتب المتقدمة ، أنهم خاشعون لله ، أي مطيعون له ، خاضعون متذللون بين يديه ، ﴿ **لا يشترون بآيات الله ثمنًا قليلًا** ﴾ أي : لا يكتمون ما بأيديهم من البشارة[٦] بمحمد ﷺ ، وذكر صفته ونعته ومبعثه وصفة أمّته ، وهؤلاء هم خيرة أهل الكتاب وصفوتهم سواء كانوا هودًا أو نصارىٰ . وقد قال تعالىٰ في سورة القصص : ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلىٰ عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله**

---

(٥٧٧) - تفسير ابن جرير (٨٣٧٥/٧) ولقمان هو ابن عامر الوصّابى ، قال أبو حاتم الرازى : روايته عن أبى الدرداء مرسلة ، وهو مترجم فى « التهذيب » . والخبر زاد نسبته السيوطى فى « الدر المنثور » (١٨٣/٢) إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر .

---

[١] - سقط من : ت .
[٢] - في خ : « قال » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في خ : « نوح » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في خ : « البشارات » .

مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرّتين بما صبروا ﴾ الآية . وقد قال تعالىٰ : ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به** ﴾ الآية . [وقد قال تعالىٰ][١] : ﴿ **ومن قوم موسىٰ أمّة يهدون بالحق وبه يعدلون** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **ليسوا سواءً ، من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات اللَّه آناء الليل وهم يسجدون** ﴾ : وقال تعالىٰ : ﴿ **قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلىٰ عليهم يخرّون للأذقان سجدًا** ، [**ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً ، ويخرّون للأذقان**][٢] **يبكون ويزيدهم خشوعًا** ﴾ . وهذه الصفات توجد في اليهود ، ولكن قليلا ؛ كما وجد في عبد اللَّه بن سلام وأمثاله ممن آمن من أحبار اليهود ، ولم يبلغوا عشرة أنفس ، وأما النصارىٰ فكثير منهم يهتدون[٣] ، وينقادون للحق ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **لتجدنّ أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدنّ أقربهم مودّة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارىٰ** ﴾ ، إلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ **فأثابهم اللَّه بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها** ﴾ . الآية ، هكذا[٤] قال هاهنا : ﴿ **أولئك لهم أجرهم عند ربهم** ﴾ . الآية .

وقد ثبت في الحديث(٥٧٨) أن جعفر بن أبي طالب رضي اللَّه عنه لما قرأ سورة « **كهيعص** » بحضرة النجاشي ملك الحبشة ، وعنده البطاركة والقساوسة بكىٰ وبكوا معه ؛ حتىٰ أخضبوا لحاهم .

وثبت في الصحيحين(٥٧٩) أن النجاشي لما مات ، نعاه النبي ﷺ إلىٰ أصحابه ، وقال : « **إنّ**

---

(٥٧٨) - جزء من حديث أخرجه ابن هشام فى « السيرة » (١/ ٢٢٢ ، ٢٢٥) وأحمد فى « المسند » (١/ ٢٠٢) (٥/ ٢٩٠) عن محمد بن إسحاق ، حدثنى محمد بن مسلم الزهرى ، عن أبى بكر بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام المخزومى عن أم سلمة زوج النبى ﷺ وهذا إسناد حسن ، وابن إسحاق قد صرح بالتحديث ، والحديث أورده الهيثمى فى « المجمع » (٦/ ٢٧ : ٣٠) وعزاه إلى أحمد وقال : « ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع » .

(٥٧٩) - أخرجه مسلم ، كتاب الجنائز ، باب فى التكبير على الجنازة (٦٤ : ٦٦) (٩٥٢) (٦٧) (٩٥٣) من حديث جابر بن عبد اللَّه وعمران بن حصين ، وحديث جابر أصله فى صحيح البخارى ، كتاب الجنائز ، باب : من صف صفين أو ثلاثة على الجنازة خلف الإمام (١٣١٧) دون اللفظ المرفوع ، وفى الباب عن غير واحد من الصحابة راجع « الإرواء » للألبانى (٣/رقم ٧٢٧) .

---

[١] - في خ : « وقال » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في خ : « مهتدون » .
[٤] - في خ : « وهكذا » .

أخًا لكم بالحبشة قد مات ؛ فصلوا عليه » ، فخرج إلىٰ الصحراء فصفهم ، وصلىٰ عليه .

ورویٰ ابن أبي حاتم والحافظ أبو بكر بن مردويه(٥٨٠) من حديث حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ؛ قال : لما توفي النجاشي ، قال رسول اللَّه ﷺ : « **استغفروا لأخيكم**[١] » ، فقال بعض الناس : يأمرنا أن نستغفر لعلج مات بأرض الحبشة ، فنزلت : ﴿ **وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن باللَّه وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله** ﴾ الآية .

ورواه عبد بن حميد وابن أبي حاتم من طريق أخرىٰ(٥٨١) ، [عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن الحسن ، عن النبي ﷺ ، ثم رواه ابن مردويه(٥٨٢) من طرق : عن حميد][٢] ، عن أنس بن مالك نحو[٣] ما تقدم .

ورواه أيضًا ابن جرير (٥٨٣) من حديث أبي بكر الهذلي ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، عن جابر ؛ قال : قال رسول اللَّه ﷺ حين مات النجاشي : « **إن أخاكم أصحمة قد مات!** » ، فخرج رسول اللَّه ﷺ فصلىٰ كما يصلي علىٰ الجنائز فكبر عليه أربعًا ، فقال المنافقون : يصلي

(٥٨٠) - أخرجه ابن أبى حاتم (٤٦٨٢/٣) ثنا أبى ، ثنا أحمد بن محمد بن عبد اللَّه ، والطبرانى فى « الأوسط » (٢٦٦٧/٣) ثنا إبراهيم - وهو ابن أحمد بن عمر الوكيعى - نا أبى ، كلاهما (الأحمدان) ثنا مؤمل بن إسماعيل ، ثنا حماد به ، وقال الطبرانى : « لم يرو هذا الحديث عن حمادٍ إلا مُؤَمَّلٌ » وهو صدوق سيىء الحفظ فمثله لا يحتمل ، والحديث ذكره الهيثمى فى « المجمع » (٤٢٢/٩ ، ٤٤٣) وقال : « رواه الطبرانى فى « الأوسط » بإسنادين أحدهما قال فيه « صلوا عليه » تأتى هذه الرواية (٦٣١) ورجالهما ثقات ، وفى هذه من لم أعرفه » قلت : كلهم معروفون وشيخ الطبرانى أحسن عبد اللَّه بن أحمد القول فيه ، ووثقه أبو الحسن الدارقطنى « تاريخ بغداد » (٥/٦ ، ٦) وأبوه ثقة مترجم فى « التهذيب» وباقى رجاله من رجال « التهذيب » .

(٥٨١) - أخرجه ابن أبى حاتم في تفسيره (٤٦٨٣/٣) واقتصر السيوطى فى « الدر المنثور » (٢٠٠/٢) على عزوه إلى عبد بن حميد ، ورواه النسائى فى « التفسير » من « السنن الكبرى » (١١٠٨٩/٦) أنا عمرو بن منصور ، نا يزيد بن مهران أبو خالد الخباز ، أنا أبو بكر بن عياش عن حميد عن الحسن مرسلاً .

(٥٨٢) - وعزاه لابن مردويه السيوطى فى « الدر المنثور » (٢٠٠/٢) وأخرجه النسائى فى « التفسير » من « الكبرى » (١١٠٨٨/٦) والطبرانى فى « الأوسط » (٥١٤٧/٥) من طريق يزيد بن مهران قال : نا أبو بكر ابن عياش ، وأخرجه البزار (١/رقم ٨٣٢) وابن شاهين والدارقطنى فى « الأفراد » كما فى « الإصابة » (١/ ١٧٧) والواحدى فى « أسباب النزول » (ص ١٠٥) من طريق معتمر ، كلاهما (أبو بكر بن عياش ومعتمر) عن حميد عن أنس قال : لما جاء نَعْيُ النجاشى قال رسول اللَّه ﷺ « صلوا عليه » قالوا : يا رسول اللَّه نصلى على عبد حبشى ؟! فأنزل اللَّه عز وجل ﴿ وإن من أهل الكتاب ... ﴾ وقال الطبرانى : =

[١] - في خ : « لإخوانكم » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٣] - في خ : « بنحو » .

علىٰ علج مات بأرض الحبشة ، فأنزل اللَّه : ﴿ **وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن باللَّه** ﴾ الآية .

وقد روىٰ الحافظ أبو عبد اللَّه الحاكم في مستدركه(٥٨٤) ، أنبأنا أبو العباس السياري بمرو ، حدثنا عبد اللَّه بن علي الغزال ، حدثنا علي بن الحسين[١] بن شقيق ، حدثنا ابن المبارك ، حدثنا مصعب بن ثابت ، عن عامر بن عبد اللَّه بن الزبير ، عن أبيه ، قال : نزل بالنجاشي عدو من أرضهم ، فجاءه المهاجرون ، فقالوا : إنا نحب أن نخرج إليهم حتىٰ نقاتل معك ، وترىٰ جرأتنا ونجزيك بما صنعت بنا ، فقال : لا ، دواء[٢] بنصرة[٣] اللَّه عز وجل ، خير من دواء بنصرة الناس . قال : وفيه نزلت : ﴿ **وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن باللَّه وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين[٤] للَّه** ﴾ الآية . ثم قال : هذا حديث صحيح الإِسناد ولم يخرجاه .

وقال أبو داود (٥٨٥) : حدثنا محمد بن عمرو الرازي ، حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد ابن إسحاق ، حدثني يزيد بن رومان ، عن عروة ، عن عائشة - رضي اللَّه عنها - قالت : لما مات النجاشي ؛ كنا نتحدث أنه لا يزال يرىٰ علىٰ قبره نور .

= « لم يرو هذا الحديث عن حميد إلا أبو بكر بن عياش ، ومعتمر بن سليمان » كذا قال ، ورواه البزار (٨٣٢/ كشف) من طريق عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن حميد به ، والحديث ذكره الهيثمي في « المجمع » (٤١/٣) وقال : « رواه البزار والطبراني في « الأوسط » ورجال الطبراني ثقات إلا أن حميد بن أبي حميد مدلس وقد عنعن لكنه ، هنا يروى عن أنس وفي « جامع التحصيل » للعلائي (ص ١٦٨) قال مؤمل بن إسماعيل : عامة ما يرويه حميد عن أنس سمعه من ثابت يعني البناني عنه ، وقال أبو عبيدة الحداد عن شعبة لم يسمع حميد من أنس إلا أربعة وعشرين حديثا والباقي سمعها من ثابت أو ثبته فيها ثابت ، قلت العلائي - فعلى تقدير أن يكون مراسيل قد تبين الواسطة فيها ، وهو ثقة محتج به » والحديث زاد نسبته السيوطي إلى ابن المنذر .

(٥٨٣) - تفسير ابن جرير (٨٣٧٦/٧) ثنا عصام بن رواد بن الجراح قال : حدثنا أبي قال حدثنا أبو بكر الهذلي به ، وفي روايته خلاف لما نقله المصنف هنا ، وقال ابن جرير : « في إسناده نظر » وعلته أبو بكر الهذلي هذا فإنه « أخباري ، متروك » والحديث لم ينسبه السيوطي في « الدر المنثور » (٢٠٠/٢) لغير ابن جرير .

(٥٨٤) - « المستدرك » (٣٠٠/٢) وقال : « حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي مع أنه قد ترجم لمصعب بن ثابت في « الميزان » وقال : « ضعفه يحيى بن معين وأحمد ، وقال أبو حاتم : لا يحتج به ، وقال النسائي : ليس بالقوى » .

(٥٨٥) - سنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، باب في النور يرى عند قبر الشهيد (٢٥٢٣) والحديث في « السيرة » لابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (٣٥٣/١) وإسناده حسن لكلام في ابن إسحاق .

[١] - في ت : « الحسن » .
[٢] - في خ : « أدواء » .
[٣] - في ت : « بنصر » .
[٤] - في خ : « إلى خاشعين للَّه » .

وقال[١] ابن أبي نجيح عن مجاهد : ﴿ **وإن من أهل الكتاب** ﴾ يعني مسلمة أهل الكتاب .

وقال عباد بن منصور : سألت الحسن البصري عن [قول الله][٢] : ﴿ **وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله** ﴾ الآية ، قال : هم أهل الكتاب الذين كانوا[٣] قبل محمد ، ﷺ ، فاتبعوه ، وعرفوا الإسلام ، فأعطاهم الله تعالىٰ أجر[٤] اثنين ؛ للذي[٥] كانوا عليه من الإيمان[٦] قبل محمد ، ﷺ ، واتباعهم[٧] محمدًا ﷺ ، رواه[٨] ابن أبي حاتم (٥٨٦) .

وقد ثبت في الصحيحين(٥٨٧) عن أبي موسىٰ قال : قال رسول الله ﷺ : « **ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين** » فذكر منهم : « **ورجل[٩] من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي** » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **لا يشترون بآيات الله ثمنًا قليلًا** ﴾ أي : لا يكتمون ما بأيديهم من العلم ، كما فعله الطائفة المرذولة منهم ، بل يبذلون ذلك منهم[١٠] مجانًا ، ولهذا قال [تعالىٰ : ﴿ **أولئك**][١١] **لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب** ﴾ .

قال مجاهد : سريع الحساب يعني سريع الإحصاء ، رواه ابن أبي حاتم وغيره (٥٨٨) .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا** ﴾ ، قال الحسن البصري ، رحمه الله : أمروا أن يصبروا علىٰ دينهم الذي ارتضاه الله لهم ، وهو الإسلام ، فلا يدعوه لسراء ولا لضراء ، ولا لشدّة ولا لرخاء ، حتىٰ يموتوا مسلمين ، وأن يصابروا الأعداء الذين يكتمون دينهم ، وكذلك[١٢] قال غير واحد من علماء السلف .

وأما المرابطة فهي المداومة في مكان العبادة والثبات ، وقيل : انتظار الصلاة بعد الصلاة ، قاله

(٥٨٦) - تفسير ابن أبي حاتم (٣/٤٦٨٥) ثنا الحسن بن أحمد ، ثنا موسى بن محكم ، ثنا أبو بكر الحنفي ، ثنا عباد بن منصور .

(٥٨٧) - تقدم تخريجه سورة البقرة / آية ٤ ، ٢٨٢ .

(٥٨٨) - تفسير ابن أبي حاتم (٣/٤٦٨٨) وكذا أخرجه ابن جرير في تفسيره (٦/٦٧٧١ ، ٦٧٧٢) .

[١] - في خ : « وروى » .
[٢] - في خ : « وقوله تعالى » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في خ : « إحدى » .
[٥] - في خ : « للذين » .
[٦] - في خ : « الإسلام » .
[٧] - في خ : « وبالذي اتبعوا » .
[٨] - في خ : « رواهما » .
[٩] - في ت : « رجلًا » .
[١٠] - زيادة من : خ .
[١١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[١٢] - في خ : « وكذا » .

ابن عباس ، وسهل بن حنيف ، ومحمد بن كعب القرظي وغيرهم ..

وروىٰ ابن أبي حاتم(٥٨٩) هاهنا الحديث الذي رواه مسلم ، والنسائي من حديث مالك بن أنس ، عن العلاء بن عبد الرحمن بن[١] يعقوب - مولىٰ الحرقة - [عن أبيه][٢] ، عن أبي هريرة ، [رضي اللّٰه عنه] عن النبي ﷺ قال : « **ألا أخبركم بما يمحو اللّٰه به الخطايا ويرفع به الدرجات ، إسباغ الوضوء علىٰ المكاره ؛ وكثرة الخطا إلىٰ المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ؛ فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط** » .

وقال ابن مردويه(٥٩٠) : حدثنا محمد بن أحمد ، حدثنا موسىٰ بن إسحاق ، [حدثنا أبو][٣] جحيفة علي بن يزيد الكوفي ، أنبأنا ابن أبي كريمة ، عن محمد بن يزيد ، عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن قال : أقبل عليَّ أبو هريرة يومًا فقال : أتدري يا بن أخي ، فيم نزلت هذه الآية : ﴿ **يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا** ﴾ ؟ قلت : لا . قال : أما إنه لم يكن في زمان النبي ، ﷺ ، غزو يرابطون فيه ، ولكنها نزلت في قوم يعمرون المساجد ، و[٤] يصلون الصلاة في مواقيتها ، ثم يذكرون اللّٰه فيها ، فعليهم أنزلت : ﴿ **اصبروا** ﴾ أي : علىٰ الصلوات الخمس ، ﴿ **وصابروا** ﴾ أنفسكم وهواكم ، ﴿ **ورابطوا** ﴾ في مساجدكم ، ﴿ **واتقوا اللّٰه** ﴾

---

(٥٨٩) - تفسير ابن أبي حاتم (٤٧٠٣/٣) وأخرجه مسلم ، كتاب الطهارة ، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره (٤١) (٢٥١) والنسائى ، كتاب الطهارة : باب الفضل فى إسباغ الوضوء (٨٩/١ . ٩٠) وكذا أخرجه أحمد (٢٧٧/٢ ، ٣٠٣) من طرق عن مالك به ، وأخرجه مسلم وأحمد (٢٧٧/٢ ، ٣٠٣) من طرق عن مالك به ، وأخرجه مسلم وأحمد (٢٣٥/٢ ، ٣٠١ ، ٤٣٨) والترمذى ، كتاب الطهارة ، باب ما جاء فى إسباغ الوضوء (٥١ ، ٥٢) من طرق عن العلاء بن عبد الرحمن به .

(٥٩٠) - وعزاه لابن مردويه السيوطى فى « الدر المنثور » (٢٠١/٢) وأخرجه ابن المبارك - كما فى « الدر المنثور » - ومن طريقه ابن جرير فى تفسيره (٨٣٩٤/٧) حدثنى المثنى ، قال : حدثنا سويد ، والحاكم فى « المستدرك » (٣٠/٢) وعنه البيهقى فى « الشعب » (٢٨٩٨/٣) من طريق أحمد بن نجدة القرشى ، ثنا سعيد بن منصور ، والبيهقى أيضًا (٢٨٩٧) من طريق أبى عمران موسى بن إسماعيل ، ثلاثتهم (سويد وسعيد وموسى) عن ابن المبارك به ، وقال الحاكم : « حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » ووافقه الذهبى ، مع أن فى إسناده « مصعب بن ثابت » وهو ضعيف - كما تقدم ذكره عند رقم (٦٣٣) وأشار إلى هذا الخبر الحافظ ابن حجر فى « الفتح » (٨٦/٦) وقال : « وما احتج به أبو سلمة لا حجة فيه ولا سيما مع ثبوت حديث الباب - يعنى الحديث الآتى هنا برقم (٦٤٤) - فعلى تقدير تسليم أنه لم يكن فى عهد رسول اللّٰه ﷺ رباط فلا يمنع ذلك من الأمر به والترغيب فيه ، ويحتمل أن يكون المراد كلا الأمرين - رباط الجاهد وانتظار الصلاة - أو ما هو أعم من ذلك » . والخبر زاد نسبته السيوطى إلى ابن المنذر .

---

[١] - في خ : « عن » .
[٢] - مكررة في خ .
[٣] - في خ : « أنا ابن » .
[٤] - سقط من : خ .

فيما عليكم ، ﴿ **لعلكم تفلحون** ﴾ .

وهكذا رواه الحاكم في مستدركه من طريق سعيد[١] بن منصور [عن ابن المبارك][٢] ، عن مصعب بن ثابت ، عن داود بن صالح ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة بنحوه .

وقال ابن جرير(٥٩١) : حدثني أبو السائب ، حدثني ابن فضيل[٣] ، عن عبد الله بن سعيد المقبري ، عن جدّه ، عن شرحبيل ، عن علي - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ، ﷺ : « **ألا أدلكم علىٰ ما يكفر الذنوب والخطايا ؟ إسباغ الوضوء علىٰ المكاره ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ؛ فذلكم الرباط** » .

وقال ابن جرير أيضًا(٥٩٢) : حدثني موسىٰ بن سهل الرملي ، حدثنا يحيىٰ بن واضح ، حدثنا محمد بن مهاجر ، حدثني يحيىٰ بن يزيد ، عن زيد بن أبي أنيسة ، عن شرحبيل ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « **ألا أدلكم علىٰ ما يمحو الله به الخطايا ، ويكفر به الذنوب ؟ قلنا : بلىٰ يا رسول الله ؛ قال : « إسباغ الوضوء في أماكنها ، وكثرة الخطا إلىٰ المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ؛ فذلكم الرباط** » .

(٥٩١) - تفسير ابن جرير (٨٣٩٥/٧) وهذا إسناد ضعيف بمرّةٍ شرحبيل بن سعد ضعفه الجمهور ، وعبد الله ابن سعيد هذا تركه أحمد وعبد الرحمن بن مهدى ويحيى بن سعيد وضعفه غيرهم وقد أخطأ عبد الله بن سعيد فى هذا الإسناد فقد رواه غيره عن زيد بن أبى أنيسة عن شرحبيل بن سعد عن جابر بن عبد الله وهو الآتى ؛ إلا أن الحديث قد ورد من طريق آخر بإسناد حسن أخرجه البزار فى مسنده (٢/رقم ٥٢٨) وأبو يعلى (١/رقم ٤٨٨) وصححه الحاكم على شرط مسلم (١٣٢/١) ووافقه الذهبى .

(٥٩٢) - تفسير ابن جرير (٨٣٩٦/٧) وأخرجه البزار (١/رقم ٤٤٩/ كشف) وابن حبان (١٠٣٩/٣) من طريق محمد بن سلمة عن أبى عبد الرحيم بن أبي يزيد الحرانى عن زيد بن أبى أنيسة به ، وقال البزار : « لا نعلم يروى هذا عن جابر إلا بهذا الإسناد » ثم أخرجه البزار أيضًا (٤٥٠) من طريق محمد بن عمر عن عبد الحميد بن عبد الرحمن الحمانى عن يوسف الصباغ ، عن عامر الشعبى عن جابر ... فذكر نحوه غير أنه قال : « فتلك رياض الجنة » بدل « فذلكم الرباط » وذكره الهيثمى فى « المجمع » (٤٠/٢) وقال : « رواه البزار وله رواية بنحو هذا إلا أنه قال .... وإسناد الأول فيه شرحبيل بن سعد وهو ضعيف عند الجمهور ، وذكره ابن حبان فى « الثقات » (٣٦٥/٤) وأخرج له فى صحيحه هذا الحديث ، وإسناد الثانى فيه يوسف بن ميمون الصباغ ضعفه جماعة ووثقه ابن حبان وأبو أحمد بن عدى وقال البزار : « صالح الحديث » .

[١] - في خ : « سعر » . [٢] - سقط من : خ .
[٣] - في خ : « فضل » .

وقال ابن مردويه(٥٩٣) : حدثنا محمد بن علي ، أنبأنا محمد بن عبد اللَّه بن سلام البيروتي ، أنبأنا محمد بن غالب الأنطاكي ، أنبأنا عثمان بن عبد الرحمن ، أنبأنا الوازع بن نافع ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي أيوب رضي اللَّه عنه قال : وقد[١] علينا رسول اللَّه ﷺ ، فقال: « **هل لكم إلىٰ ما يمحو اللَّه به الذنوب ، ويعظم به الأجر** » ؟ قلنا : نعم يا رسول اللَّه ، وما هو ؟ قال : « **إسباغ الوضوء علىٰ المكاره ، وكثرة الخطا إلىٰ المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة** » ، قال : « **وهو قول اللَّه : ﴿ يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا ، واتقوا اللَّه لعلكم تفلحون ﴾** فذلك هو الرباط في المساجد » . وهذا حديث غريب من هذا الوجه جدًّا .

وقال عبد اللَّه بن المبارك ، عن مصعب بن ثابت بن عبد اللَّه بن الزبير ، حدثني داود بن صالح قال : قال لي أبو سلمة بن عبد الرحمن : يا ابن أخي ، هل تدري في أي شيء نزلت هذه الآية : **﴿ اصبروا وصابروا ورابطوا ﴾** قال : [قلت : لا . قال][٢] : إنه لم يكن يا ابن أخي في زمان رسول اللَّه ﷺ غزو يرابط فيه ، ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة .

رواه ابن جرير(٥٩٤) ، وقد تقدم سياق ابن مردويه له ، وإنه من كلام أبي هريرة رضي اللَّه عنه واللَّه أعلم .

وقيل المراد بالمرابطة هاهنا ، مرابطة الغزو في نحو العدوّ ، وحفظ ثغور الإِسلام ، وصيانتها عن دخول الأعداء إلىٰ حوزة بلاد المسلمين ، وقد وردت الأخبار بالترغيب في ذلك ، وذكر كثرة الثواب فيه ، فروىٰ البخاري في صحيحه(٥٩٥) عن سهل بن سعد الساعدي رضى اللَّه عنه ، أن رسول اللَّه ، ﷺ ، قال : « **رباط يوم في سبيل اللَّه خير من الدنيا وما عليها** » .

(حديث آخر) روىٰ مسلم(٥٩٦) ، عن سلمان الفارسي ، عن رسول اللَّه ، ﷺ ، أنه قال :

---

(٥٩٣) - والحديث لم يعزه السيوطى فى « الدر المنثور » (٢/٢٠١) لغير ابن مردويه ، والوازع بن نافع قال يحيى بن معين : ليس بثقة . وقال البخارى: « منكر الحديث » وتركه النسائى وأبو حاتم وغيرهما ، وقال ابن عدى : « عامة ما يرويه الوازع غير محفوظ » راجع « لسان الميزان » لابن حجر (٦/٩٠٥٦) .

(٥٩٤) - تفسير ابن جرير (٧/٨٣٩٤) وتقدم هنا برقم (٦٣٩) .

(٥٩٥) - تقدم تخريجه هنا برقم (٥٨٩) .

(٥٩٦) - صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب فضل الرباط فى سبيل اللَّه عز وجل (١٦٣) (١٩١٣) وأخرجه أيضًا أحمد (٥/٤٤١) والنسائى ، كتاب الجهاد ، باب فضل الرباط (٦/٣٩) ويعيده المصنف هنا من طريق آخر انظر رقم (٦٥٣) .

---

[١] - في خ : « وقف » . [٢] - في خ : « قليلًا » .

« رباط يوم وليلة ، خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات جرىٰ عليه الذي كان يعمله ، وأجرىٰ عليه رزقه ، وأمن الفتان » .

(حديث آخر) قال[١] الإمام أحمد (٥٩٧) : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا ابن المبارك ، عن حيوة بن شريح ، أخبرني أبو هانئ الخولاني ، أن عمرو بن مالك الجنبي أخبره أنه سمع فضالة ابن عبيد يقول : سمعت رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم يقول : **« كل ميت يختم علىٰ عمله ، إلا الذي مات مرابطًا في سبيل اللَّه ؛ فإنه ينمو له عمله إلىٰ يوم القيامة ، ويأمن فتنة القبر »** .

وهكذا رواه أبو داود ، والترمذي من حديث أبي هانئ الخولاني ، وقال الترمذي : [هذا حديث] حسن صحيح ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه أيضًا .

(حديث آخر) [قال الإمام أحمد(٥٩٨)][٢] : حدثنا[٣] يحيىٰ بن إسحاق ، [و][٤] حسن

---

(٥٩٧) - « المسند » (٦/ ٢٠) وأخرجه أيضًا (٦/ ٢٢) والترمذى ، كتاب فضائل الجهاد ، باب ما جاء فى فضل من مات مرابطًا)١٦٢١) وابن حبان في صحيحه (١٠/ ٤٦٢٤) والطبرانى فى « المعجم الكبير » (١٨/رقم ٨٠٢) والحاكم فى « المستدرك » (٢/ ١٤٤) من طرق عن عبد اللَّه بن المبارك به ، وأخرجه سعيد ابن منصور فى سننه (٢/رقم ٢٤١٤) ومن طريقه أبو داود ، كتاب الجهاد ، باب فى فضل الرباط (٢٥٠٠) والحاكم (٢/ ٧٩) وعنه البيهقى فى « الشعب » (٤/ ٤٢٨٧) والطبرانى (١٨/ ٨٠٣) من طريق أحمد بن صالح كلاهما (سعيد وأحمد) ثنا عبد اللَّه بن وهب حدثنى أبو هانيء به وقال الترمذى : « حديث حسن صحيح » وصححه الحاكم فى الموضع الأول عنده على شرط مسلم وفى الثانى على شرط الشيخين مع أن عمرو بن مالك لم يرو له ؛ إلا أصحاب السنن والبخارى فى « الأدب » ووثقه ابن معين وابن حبان والعجلى والدارقطنى .

(٥٩٨) - « المسند » (٤/ ١٥٧) وليس فى هذا الطريق لفظة « ويأمن من الفتان » وإنما رواه أحمد أيضًا (٤/ ١٥٠) ثنا قتيبة ، ثنا ابن لهيعة به وفيه هذه اللفظة ، ورواه أيضًا (٤/ ١٥٠ ، ١٥٧) ثنا عبد اللَّه بن يزيد ، وحسن بن موسى به مفرقًا ، وأخرجه الدارمى (٢/رقم ٢٤٣٠) والحارث بن أبى أسامة (٦٢٧/ البغية) ثنا عبد اللَّه بن يزيد أبو عبد الرحمن المقرئ به والرويانى فى مسنده (١/رقم ٢١٩) نا أحمد بن عبد الرحمن ، نا عمى عبد اللَّه بن وهب - نا ابن لهيعة به ، وابن لهيعة ضعف إلا أن رواية العبادلة عنه مستقيمة غير أنه قد اختلف عليه فيه ومِشْرَح بن هاعان وثقه ابن معين وقال ابن عدى : أرجو أنه لا بأس به ، وقال ابن حبان فى « الثقات » : يخطىء ويخالف . وقال فى « الضعفاء » : يروى عن عقبة مناكير لا يتابع عليها ، فالصواب ترك ما انفرد به ، فرواه السابق ذكرهم عنه هكذا ورواه (يحيى بن إسحاق أيضًا ، وسعيد بن عفير وسعيد بن يحيى) ثنا ابن لهيعة عن أبى عشانة عن عقبة به ، وأبو عشانة واسمه حي بن يُؤمن وثقه أحمد ويحيى ويعقوب بن سفيان وقال أبو حاتم : « صالح الحديث » . والحديث ذكره الهيثمى فى =

---

[١] - في خ : « وقال » .
[٢] - في خ : « وروى الإمام أحمد أيضًا » .
[٣] - في خ : « عن » .
[٤] - في ت : « حدثنا » .

ابن موسىٰ ، وأبو[١] سعيد [عبد اللَّه بن يزيد ، كلهم عن عبد اللَّه بن لهيعة ، حدثنا مشرح بن هاعان ، سمعت][٢] عقبة بن عامر يقول : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : « **كل ميت يختم له علىٰ عمله ، إلا المرابط في سبيل اللَّه ، يجري عليه عمله حتىٰ يبعث ، ويأمن[٣] من الفتان** » .

رواه الحارث بن محمد بن أبي أسامة في مسنده ، عن المقبري ، وهو عبد اللَّه بن يزيد به ، إلىٰ قوله : « **حتىٰ يبعث** » ، دون ذكر « **الفتان** » ، وابن لهيعة إذا صرح بالتحديث فهو حسن ، ولا سيما مع ما تقدم من الشواهد .

(حديث آخر) قال أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة في سننه(٥٩٩) : حدثنا يونس ابن عبد الأعلىٰ ، حدثنا عبد اللَّه بن وهب ، أخبرني الليث ، عن زهرة بن معبد[٤] ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن رسول اللَّه ﷺ قال : « **من مات مرابطًا في سبيل اللَّه ، أجري عليه أجر عمله الصالح الذي كان يعمل[٥] ، وأجري عليه رزقه ، وأمن [من الفتان][٦] ، وبعثه اللَّه يوم القيامة آمنًا من الفزع[٧]** » .

(طريق[٨] أخرىٰ) قال الإمام أحمد(٦٠٠) : حدثنا موسىٰ ، أنبأنا ابن لهيعة ، عن موسىٰ بن وردان ، عن أبي هريرة [رضي اللَّه عنه] ، عن[٩] رسول اللَّه ﷺ قال[١٠] : « **من مات مرابطًا**

= «المجمع» (٥/٢٩٢) وقال : « رواه أحمد والطبراني وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن » .

(٥٩٩) - سنن ابن ماجه ، كتاب الجهاد ، باب فضل الرباط فى سبيل اللَّه (٢٧٦٧) ورجاله ثقات غير معبد وهو ابن عبد اللَّه بن هشام ، لم يوثقه غير ابن حبان « الثقات » (٥/٤٣٣) وقال الذهبى فى « الميزان » تفرد عنه ابنه ، وقال ابن حجر فى « التقريب » مقبول . ومع هذا فقد صحح إسناده السيوطى فى « الدر المنثور » (٢/٢٠٢) وكذا البوصيرى فى « الزوائد » (٢/٣٩١) قال : « إسناده صحيح ، رجاله ثقات ورواه البزار فى مسنده عن أحمد بن منصور بن يسار عن عبد اللَّه بن صالح عن الليث عن زهرة بن معبد عن أبى صالح - مولى عثمان - عن عثمان وأبى هريرة به ... » .

(٦٠٠) - « المسند » (٢/٤٠٤) وابن لهيعة ضعيف في غير رواية العبادلة عنه ، وهذه ليست منها ، وموسى ابن وردان متكلم فيه ، ورواه الطبرانى فى « الأوسط » (٥/٥٣١٢) من طريق هانىء بن المتوكل الإسكندرانى قال : ناعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة مرفوعًا بنحوه . وقال : « لم يرو هذا الحديث عن زيد بن أسلم إلا ابنه عبد الرحمن تفرّد به هانىء بن المتوكل » وهو ضعيف وشيخه مثله .

[١] - في خ : « وأبي » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - في خ : « ويؤمن » .
[٤] - في خ : « سعيد » .
[٥] - في ت : « يعمله » .
[٦] - في خ : « الفتن » .
[٧] - في ت : الفزع الأكبر.
[٨] - في خ : « طريقة » .
[٩] - في خ : « قال : قال » .
[١٠] - سقط من : خ .

وقي فتنة القبر ، وأمن من الفزع الأكبر ، وغديْ عليه وريح برزقه من الجنة ، وكتب له أجر المرابط إلىٰ يوم القيامة » .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(٦٠١) : حدثنا إسحاق بن عيسىٰ ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن محمد بن عمرو بن حلحلة الديلي[١] ، عن إسحاق بن عبد الله ، عن أم الدرداء ترفع الحديث ، قالت : « **من رابط في شيء من سواحل المسلمين ثلاثة أيام ؛ أجزأت عنه رباط سنة** » .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد (٦٠٢) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا كهمس ، حدثنا مصعب بن[٢] ثابت بن عبد الله بن الزبير قال : قال عثمان - رضي الله عنه - وهو يخطب علىٰ منبره : إني محدثكم حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ ، لم يكن يمنعني أن أحدثكم به إلا الظن بكم ؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **حرس ليلة في سبيل الله أفضل من ألف ليلة ، يقام ليلها ويصام نهارها** » .

(٦٠١) - « المسند » (٦/٢٦٢) وأخرجه ابن أبي عاصم في « الجهاد » (٢/رقم ٣٠٧) والطبراني في « المعجم الكبير » (٢٤/رقم ٦٤٨) من طريق على بن عياش الحمصى ، ثنا إسماعيل بن عياش به ، والبخارى في « التاريخ الكبير » (١/٣٩٤) من طريق سليمان بن عبد الرحمن عن إسماعيل بن عياش به وذكره الهيثمى في « المجمع » (٥/٢٩٢) وقال : « رواه أحمد والطبرانى من رواية إسماعيل بن عياش عن المدنيين وبقية رجاله ثقات » قلت : رواية إسماعيل بن عياش عن غير الشاميين ضعيفة ، ومع هذا فجوَّد إسناده السيوطى في « الدر المنثور » (٢/٢٠٢) ولم يعزه لغير أحمد .

(٦٠٢) - « المسند » (١/٦٣ ، ٦٥) وأخرجه أيضًا (١/٦١) ثنا رَوْح حدثنا كهمس به ومصعب بن ثابت ضعيف - انظر الحديث المتقدم برقم (٦٣٣) - ثم إنه لم يلق عثمان بن عفان ، فالإسناد منقطع ، لكن أخرجه الطبرانى في « المعجم الكبير » (١/رقم ١٤٥) وأبو نعيم في « الحلية » (٦/٢١٤ ، ٢١٥) من طريق بشر بن موسى ، والحاكم في « المستدرك » (٢/٨١) وعنه البيهقى في « الشعب » (٤/٤٢٣٤) من طريق يحيى بن أبي ميسرة ، كلاهما (بشر ويحيى) ثنا عبد الله بن يزيد المقرئ ، ثنا كهمس بن الحسن ، ثنا مصعب بن ثابت عن عبد الله بن الزبير - رضى الله عنه - قال : قال عثمان ... فذكر الحديث ، وصحح إسناده الحاكم ووافقه الذهبى مع أن علتيه ما زالتا قائمتين وهما ضعف مصعب وانقطاعه فإن مصعبًا هذا لم يلق جدَّه أيضًا راجع « التهذيب » ورواه ابن ماجه في سننه (٢٧٦٦) ثنا هشام بن عمار ، حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن مصعب بن ثابت عن عبد الله بن الزبير به وقال البوصيرى في « الزوائد » (٢/٣٩٠) « هذا إسناد ضعيف عبد الرحمن بن زيد ضعفه أحمد وابن معين وابن المدينى والنسائى ، وقال الحاكم : روى عن أبيه أحاديثه موضوعة ، وقال ابن عبد البر : أجمعوا علي ضعفه . والأولى إعلاله بمن هو فوقه كما سبق بيانه لكن الحديث ثابت عن عثمان بلفظ آخر وهو الآتى .

[١] - في خ : « الدولي » . [٢] - في خ : « أن » .

وهكذا رواه أحمد أيضًا[١] عن روح ، عن كهمس ، عن مصعب بن ثابت ، عن عثمان ، وقد رواه ابن ماجة ، عن هشام بن عمار ، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن مصعب ابن ثابت ، عن عبد اللَّه بن الزبير قال : خطب عثمان بن عفان الناس ، فقال : يا[٢] أيها الناس سمعت حديثًا من رسول اللَّه ﷺ ، لم يمنعني أن أحدثكم به إلا الظن بكم وبصحابتكم ، فليختر مختار لنفسه ، أو ليدع ، سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : « **من رابط ليلة في سبيل اللَّه كانت كألف ليلة [قيامها وصيامها]** » .

(طريق[٣] أخرىٰ) عن عثمان رضي اللَّه عنه ، قال الترمذي(٦٠٣) : حدثنا الحسن بن علي الخلال ، حدثنا هشام بن عبد الملك ، حدثنا الليث بن سعد ، حدثنا أبو عقيل - زهرة بن معبد - عن أبي صالح مولىٰ عثمان بن عفان ، قال : سمعت عثمان وهو علىٰ المنبر ، يقول : إني كتمتكم حديثًا سمعته من رسول اللَّه ﷺ كراهية تفرقكم عني ، ثم بدا لي أن أحدثكموه[٤] ليختار امرؤ لنفسه ما بدا له ، سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : « **رباط يوم في سبيل اللَّه خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل** » .

ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، قال محمد - يعني البخاري - : أبو صالح مولىٰ عثمان - اسمه بركان - ، وذكر غير الترمذي ، أن اسمه الحارث واللَّه[٥] أعلم . وهكذا رواه الإمام أحمد من حديث الليث بن سعد ، وعبد اللَّه بن لهيعة ، وعنده زيادة في

(٦٠٣) - « الجامع للترمذى » كتاب فضائل الجهاد ، باب ما جاء فى فضل المرابط (١٦٦٧) وأخرجه الدارمى (٢٤٢٩) والبزار فى مسنده (٢/رقم ٤٦) والبيهقى فى « السنن الكبرى » (٣٩/٩) من طريق أبى الوليد هشام بن عبد الملك به ، وأخرجه ابن أبى شيبة فى « المصنف » (٥٨٤/٤) وأحمد (٦٥/١ ، ٧٥) والنسائى (٣٩/٦ ، ٤٠) والحاكم فى « المستدرك » (١٤٣/٢ - ١٤٤) وصحح إسناده ووافقه الذهبى ، والمزى فى « تهذيب الكمال » (٤٢١/٣٣) من طرق عن الليث بن سعد به وأخرجه أحمد (٦٢/١) من طريق ابن لهيعة ثنا زهرة بن معبد به وأخرجه عبد اللَّه بن أحمد فى زوائده على المسند (٦٦/١) ومن طريقه المزى (٤٢٢/٣٣) ثنا سويد بن سعيد ثنا رشدين بن سعد عن زهرة به وأخرجه الطيالسى فى مسنده (ص ١٥) والنسائى (٤٠/٦) وابن حبان (٤٦٠٩/١٠) والحاكم (٦٨/٢) والبيهقى فى « السنن الكبرى » (٩/ ١٦١) وفى « الشعب » (٤٢٣٣/٤) من طريق عبد اللَّه بن المبارك أخبرنا أبو معن ، حدثنى أبو عقيل به - وسقط « أبو عقيل » من مسند الطيالسى فليستدرك - وصححه الحاكم من هذا الوجه على شرط البخارى ووافقه الذهبى مع أن أبا صالح مولى عثمان لم يرو له البخارى لكن وثقه ابن حبان « الثقات » (١٣٦/٤) والعجلى والهيثمى في « المجمع » (٢٩٧/١) وحسن حديثه هذا الترمذى وفى بعض النسخ صححه وقد جزم الدارقطنى ، والرامهرمزى وابن حبان بأن اسمه الحارث ، واللَّه أعلم .

---

[١] - سقط من ت .
[٢] - سقط من ت .
[٣] - في خ : « طريقة » .
[٤] - في خ : « أحدثكم » .
[٥] - في خ : « فاللَّه » .

آخره ، فقال : - يعني عثمان - : « **فليرابط امرؤ كيف شاء** » هل بلغت ؟ قالوا : نعم . قال : اللَّهم اشهد .

(حديث آخر) قال أبو عيسىٰ الترمذي (٦٠٤) : حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان ، حدثنا محمد بن المنكدر ، قال : مر سلمان الفارسي بشرحبيل بن السمط وهو في مرابطة له ، وقد شق عليه وعلىٰ أصحابه فقال : ألا أحدثك يا ابن السمط بحديث سمعته من رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ؟ قال : بلىٰ . قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : « **رباط يوم في سبيل اللَّه أفضل- أو قال خير- من صيام شهر وقيامه ، ومن مات فيه وُقي فتنة القبر ، ونمي له عمله إلىٰ يوم القيامة** » .

تفرد به الترمذي من هذا الوجه ، وقال : هذا حديث حسن . وفي بعض النسخ زيادة : وليس إسناده بمتصل ، وابن المنكدر لم يدرك سلمان .

(قلت) الظاهر أن محمد بن المنكدر سمعه من شرحبيل بن السمط ، [وقد رواه مسلم ، والنسائي من حديث مكحول وأبي عبيدة بن عقبة ، كلاهما عن شرحبيل بن السمط][١] وله صحبة عن سلمان الفارسي ، عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال : « **رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات جرىٰ عليه عمله الذي كان يعمله ، وأجري عليه رزقه ، وأمن الفتان** » . وقد تقدم سياق مسلم بمفرده .

(حديث آخر) قال ابن ماجة(٦٠٥) : حدثنا محمد بن إسماعيل بن سمرة ، حدثنا محمد بن يعلى السلمي ، حدثنا عمرو بن صبيح[٢] ، عن عبد الرحمن بن عمرو ، عن مكحول ، عن أبي

(٦٠٤) - « الجامع » للترمذى ، كتاب فضائل الجهاد ، باب ما جاء فى فضل المرابط (١٦٦٥) وقال الترمذى : « هذا حديث حسن » يعنى بذلك متنه وإن كان وإلا فقد قال بعد ذلك : « حديث سلمان إسناده ليس بمتصل ، محمد بن المنكدر لم يدرك سلمان الفارسى ، وقد رُوى هذا الحديث عن أيوب بن موسى عن مكحول عن شرحبيل بن السِّمْط عن سلمان عن النبى ﷺ » وهذه الطريق عند مسلم وقد تقدم تخريجه هنا برقم (٦٤٥) .

(٦٠٥) - سنن ابن ماجه ، كتاب الجهاد ، باب فضل الرباط فى سبيل اللَّه (٢٨٦٨) وقال البوصيرى فى « الزوائد » (٣٩٢/٢ ، ٣٩٣) : « هذا إسناد ضعيف لضعف محمد بن يعلى وشيخه عمر بن صبيح ومكحول لم يدرك أبى بن كعب ، ومع ذلك فهو مدلس وقد عنعنه » وقال عبد العظيم المنذرى فى « كتاب الترغيب والترهيب » (٢٤٥/٢ ، ٢٤٦) - فى باب الرباط : « وآثار الوضع عليه ظاهر » قال المنذرى ولا عجب فرواية عمر بن صبيح الخراسانى ، ولولا أنه فى الأصول لما ذكرته ، وقال المصنف فى « جامع المسانيد والسنن » (١٥٠/١) « اخلق بهذا الحديث أن يكون موضوعًا ، لما فيه من المجازفة ، ولأنه =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٢] - في خ : « أصبح » .

ابن كعب ، قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **لرباط يوم في سبيل الله من[١] وراء عورة المسلمين محتسبًا من غير شهر رمضان أعظم أجرًا من عبادة مائة سنة صيامها وقيامها ، ورباط يوم في سبيل اللَّه من وراء عورة المسلمين محتسبًا من[٢] شهر رمضان أفضل عند اللَّه وأعظم أجرًا- أراه قال- : من عبادة ألف سنة صيامها وقيامها ؛ فإن رده اللَّه تعالىٰ إلىٰ أهله سالمًا لم يكتب عليه سيئة ألف سنة ، وتكتب[٣] له الحسنات ، ويجري له[٤] أجر الرباط إلىٰ يوم القيامة** » .

هذا حديث غريب [من هذا الوجه ، بل منكر][٥] ، وعمر بن صبيح متهم .

(حديث آخر) قال ابن ماجة(٦٠٦) : حدثنا عيسىٰ بن يونس الرملي ، حدثنا محمد بن شعيب بن شابور ، عن سعيد بن خالد بن أبي طويل ، سمعت أنس بن مالك يقول : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : « **حرس[٦] ليلة في سبيل اللَّه أفضل[٧] من صيام رجل وقيامه في أهله ألف سنة ، السنة ثلثمائة [وستون يومًا][٨] ، واليوم كألف سنة** » .

وهذا حديث غريب أيضًا ، وسعيد بن خالد هذا ضعفه أبو زرعة وغير واحد من الأئمة ، وقال

= من رواية عمر بن صبح بن أبى نعيم ، أحدُ الكذابين المعروفين بوضع الحديث » ووهى إسناده الحافظ جلال الدين السيوطى فى « الدر المنثور » (٢٠٣/٢) ولم يعزه لغير ابن ماجه .

(٦٠٦) - سنن ابن ماجه ، كتاب الجهاد ، باب فضل الحرس والتكبير فى سبيل اللَّه (٢٧٧٠) وأخرجه ابن أبى عاصم فى « الجهاد » (٢/رقم ٣٠٥) وأبو يعلى فى مسنده (٣٩٧٤/٧ ، ٤٢٨٣) ومن طريقه وطريقه آخر الحافظ أبو القاسم بن عساكر فى « تاريخ دمشق » (٢٢٣/٧ -مخطوط) وأبو حاتم بن حبان فى « الضعفاء » (٣١٣/١) ومن طريقه ابن الجوزى فى « العلل المتناهية » (٢/رقم ٩٥٦) من طرق عن محمد بن شعيب به ، بزيادة « من رابط - وفى رواية حرس - ليلة على ساحل البحر ... » وقال ابن الجوزى : « هذا حديث لا يصح ، قال ابن حبان : سعيد منكر الرواية لا يحل الاحتجاج به ؛ إلا فيما وافق فيه الثقات » وقال البخارى : « فيه نظر » وقال أبو حاتم الرازى : « لا أعلم روى عنه غير محمد بن شعيب بن شابور ، ولا يشبه حديثه حديث أهل الصدق ، منكر الحديث ، وأحاديثه عن أنس » وقال أبو زرعة : « ضعيف الحديث ، حدث عن أنس مناكير » وبه أعل الحديث الهيثمى فى « المجمع » (٢٩٢/٥) وقال المنذرى فى « الترغيب والترهيب » (٣٤٩/٢) « يشبه أن يكون موضوعًا » وجزم بوضعه الألبانى فى « الضعيفة » (٣/ ١٢٣٤) وقصر به البوصيرى فى « الزوائد » (٣٩٥/٢) فاكتفى بتضعيف إسناده .

[١] - زيادة من : خ .
[٢] - في خ : « من غير » .
[٣] - في خ : « ويكتب » .
[٤] - في ت : « عليه » .
[٥] - في خ : « بل منكر من هذا الوجه » .
[٦] - في خ : « جلوس » .
[٧] - في ت : « خير » .
[٨] - في خ : « يوم » .

العقيلي : لا يتابع علىٰ حديثه . وقال ابن حبان : لا يجوز الاحتجاج به . وقال الحاكم : روىٰ عن أنس أحاديث موضوعة .

(حديث آخر) قال ابن ماجة(٦٠٧) : حدّثنا محمد بن الصباح ، أنبأنا عبد العزيز بن محمد ، عن صالح بن محمد بن زائدة ، [عن عمر بن عبد العزيز][١] ، عن عقبة بن عامر الجهني قال : قال رسول اللّه ﷺ « **رحم اللّه حارس الحرس** » .

فيه انقطاع بين عمر بن عبد العزيز ، وعقبة بن عامر ، فإنه لم يدركه واللّه أعلم .

(حديث آخر) قال أبو داود(٦٠٨) : حدّثنا أبو توبة ، حدثنا معاوية - يعني ابن سلام عن زيد - يعني ابن سلام - [أنه سمع أبا سلام قال][٢] : حدثني السلولي ، أنه حدثه سهل بن الحنظلية ، أنهم ساروا مع رسول اللّه ﷺ يوم حنين [فأطنبوا السير][٣] ، حتىٰ كانت[٤] عشية ، فحضرت الصلاة مع رسول اللّه ﷺ ، فجاء رجل فارس فقال : يا رسول اللّه ؛ إني

(٦٠٧) - سنن ابن ماجه ، كتاب الجهاد ، باب فضل الحرس والتكبير فى سبيل اللّه (٢٧٦٩) وأخرجه الدارمى (٢٤٠٦) وسعيد بن منصور فى سننه (٢٤١٦) ومن طريقه الرويانى فى مسنده (١/رقم ٢٧٢) والبزار كما فى مصباح الزجاجة للبوصيرى (٣٩٤/٢) وأبو يعلى فى مسنده (١٧٥٠/٣) والبيهقى فى « السنن الكبرى » (١٤٩/٩ ، ١٥٠) من طرق عن عبد العزيز بن محمد به ، وقال البوصيرى : « هذا إسناد ضعيف ، صالح بن محمد ضعفه ابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم والبخارى وأبو داود والنسائى وابن عدى وغيرهم » وهو معل قبل ذلك بالانقطاع بن عمر بن عبد العزيز وعقبة بن عامر فقد قال أبو محمد الدارمى عقبه « عمر بن عبد العزيز لم يلق عقبة بن عامر » وبهذا أعله المصنف لكن وصله الحاكم فى مستدركه (٢/ ٨٦) من طريق عبد العزيز بن عبد اللّه الأويسى ، حدثنى محمد بن صالح بن قيس الأزرق عن صالح بن محمد بن زائدة عن عمر بن عبد العزيز عن أبيه عن عقبة به ، وصحح إسناده الحاكم ووافقه الذهبى ومحمد بن صالح ذكره ابن حبان فى « المجروحين » (٢٦٠/٢) وقال : « يروى المناكير عن المشاهير لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد » ومع هذا فقد أورده فى ثقاته (٣٨٥/٧) !! وقال أبو حاتم : « شيخ » وفى « التقريب » مقبول ، وعلى اعتبار وصله ففيه أيضًا صالح بن محمد وهو ضعيف ولعل هذا الاضطراب منه فقد رواه البيهقى أيضًا (١٤٩/٩) من طريق سعيد بن أبى مريم ثنا سعيد بن عبد الرحمن بن جميل الجمحى ثنا صالح بن محمد به غير أنه جعل صحابيه « قيس بن الحارث » .

(٦٠٨) - سنن أبى داود ، كتاب الجهاد ، باب فى فضل الحرس فى سبيل اللّه تعالى (٢٥٠١) وأخرجه أيضًا ، كتاب الصلاة ، باب الرخصة فى النظر فى الصلاة (٩١٦) ومن طريقه البيهقى فى « دلائل النبوة » (١٢٥/٥ ، ١٢٦) وأخرجه النسائى فى كتاب السير من « السنن الكبرى » (٨٨٧٠/٥) والبخارى فى « التاريخ الكبير » (٣٠/٢) وابن أبى عاصم فى « كتاب الجهاد » (١٤٩/٢) وابن خزيمة فى صحيحه =

[١] - في خ : « عمرو بن عبد الرحمن » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - في خ : « كان » .

انطلقت بين أيديكم حتىٰ طلعت جبل كذا وكذا ، فإذا أنا بهوازن علىٰ بكرة أبيهم ، بظعنهم ونعمهم وشائهم[١] ، اجتمعوا إلى حنين ، فتبسم النبي ﷺ وقال : « **تلك غنيمة المسلمين غدًا إن شاء اللَّه** » . ثم قال : « **من يحرسنا الليلة** » ؟ قال أنس بن أبي مرثد : أنا يا رسول اللَّه . قال[٢] : « **فاركب** » فركب فرسًا له ، فجاء إلىٰ رسول اللَّه ، ﷺ ، فقال له رسول اللَّه ﷺ : « **استقبل هذا الشعب ، حتىٰ تكون في أعلاه ، ولا يُغَرَّنَّ[٣] من قبلك الليلة** » . فلما أصبحنا خرج رسول اللَّه ﷺ إلىٰ مصلاه ، فركع ركعتين ثم قال : « **هل أحسستم فارسكم** » ؟ فقال[٤] رجل : يا رسول اللَّه ؛ ما أحسسناه ، فثوب بالصلاة ، فجعل النبي ﷺ وهو يصلي يلتفت إلىٰ الشعب ، حتىٰ إذا قضىٰ صلاته قال : « **أبشروا ، فقد جاءكم فارسكم** » . فجعلنا ننظر في خلال الشجر في الشعب ، فإذا هو[٥] قد جاء حتىٰ وقف علىٰ النبي[٦] ﷺ فقال : إني انطلقت حتىٰ كنت في أعلىٰ هذا الشعب حيث أمرتني[٧] ، فلما أصبحت طلعت الشعبين كليهما ، فنظرت فلم أر أحدًا ، فقال له رسول اللَّه ﷺ : « **هل [نزلت الليلة][٨]** ؟ » قال : لا إلا مصليًا أو قاضي حاجة . فقال له : « **أوجبت فلا عليك أن لا تعمل بعدها** » . ورواه النسائي ، عن محمد بن يحيىٰ بن محمد بن كثير الحراني ، عن أبي توبة ، وهو الربيع بن نافع به .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(٦٠٩) : حدثنا زيد بن الحباب ، حدثنا عبد الرحمن بن شريح ، سمعت محمد بن شمير[٩] الرعيني يقول : سمعت أبا عامر التجيبي . قال الإمام أحمد :

= (١/رقم ٤٨٧) والطبرانى فى « المعجم الكبير » (٥٦١٩/٦) وفى « الأوسط » (١/رقم ٤٠٧) والحاكم فى « المستدرك » (٢٣٧/١) من طريق عن أبى توبة بن الربيع بن نافع به ، وأخرجه ابن خزيمة أيضًا من طريق معمر بن يعمر نا معاوية بن سلام به ، وصحح إسناده الحاكم ووافقه الذهبى ، وحسنه الحافظ ابن حجر فى « الفتح » (٢٧/٨) ، وأخرجه الحاكم أيضًا (٨٣/٢ ، ٨٤) ومن طريقه وطريق آخر البيهقى فى « السنن الكبرى » (١٤٩/٩) من طريقين عن معاوية بن سلام أخبرنى زيد بن سلام حدثنى أبو كبشة السلولى به هكذا دون ذكر أبى سلام ، وقال الحاكم : « صحيح على شرط الشيخين غير أنهما لم يخرجا مسانيد سهل بن الحنظلية لقلة رواية التابعين عنه وهو من كبار الصحابة » ووافقه الذهبى مع أن زيد بن سلام إنما أخرج له البخارى فى « الأدب المفرد » ولم يخرج له فى « الصحيح » وأبو كبشة السلولى أخرج له البخارى دون مسلم واللَّه أعلم.

(٦٠٩) - « المسند » (١٣٤/٤) ومن طريق أحمد ابن عساكر فى « تاريخ دمشق » =

[١] - في خ : « وشياههم » .
[٢] - في خ : « فقال » .
[٣] - في خ : « يعرف » .
[٤] - في خ : « قال » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في خ : « رسول اللَّه » .
[٧] - في خ : « أمرني رسول اللَّه ﷺ .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٩] - في خ : « سمير » .

وقال غير زيد : أنا علي الجنبي[١] يقول : سمعت أبا ريحانة يقول : كنا مع رسول اللَّه ، ﷺ ، في غزوة ، فأتينا ذات ليلة إلىٰ شرف ، فبتنا عليه فأصابنا برد شديد ، حتىٰ رأيت من يحفر في الأرض حفرة[٢] يدخل فيها ويلقي عليه الجحفة - يعني الترس - ، فلما رأىٰ : ذلك رسول اللَّه ﷺ ، من الناس نادىٰ : « **من يحرسنا في هذه الليلة ، فأدعو له بدعاء يكون له فيه فضل** » ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا يا رسول اللَّه . [قال : « **ادن** »][٣] . فدنا منه[٤] ، فقال : « **من أنت؟** » فتسمىٰ له الأنصاري ، ففتح رسول اللَّه ﷺ بالدعاء فأكثر منه ، قال[٥] أبو ريحانة . فلما سمعت ما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت[٦] : أنا رجل آخر . فقال : « **ادن**[٧] » . فدنوت ، فقال : « **من أنت؟** » قال : فقلت : أنا أبو ريحانة . فدعا بدعاء هو[٨] دون ما دعا به للأنصاري ، ثم قال : « **حرمت النار علىٰ عين دمعت- أو بكت- من خشية اللَّه ، وحرمت النار علىٰ عين سهرت في سبيل اللَّه** » .

ورویٰ النسائي منه : « **حرمت النار** » إلىٰ آخره عن عصمة بن الفضل ، عن زيد بن الحباب به ، وعن الحارث بن مسكين ، عن ابن وهب ، عن عبد الرحمن بن شريح به ، وأتم ، وقال في

= (١٢٦/٨ / مخطوط) وأخرجه ابن أبي شيبة في مسنده (٧٣٣/٢) وفي « المصنف » كتاب الجهاد ، باب ما ذكر في فضل الجهاد والحث عليه (٥٩٨/٤) وعنه ابن أبي عاصم في « الآحاد والمثاني » (٤/رقم ٢٣٢٥) وفي « كتاب الجهاد » (١٤٥/٢) - والنسائي في « الصغرى » (١٥/٦) وفي « الكبرى » (٤٣٢٥/٣) وابن عساكر من طريق زيد بن الحباب به مطولاً ومختصرًا ، وأخرجه البخاري في « التاريخ الكبير » (٤/ ٢٦٤) وابن أبي عاصم في « الآحاد والمثاني » (٢٣٢٦/٤) وفي « الجهاد » (١٤٤/٢) والدارمي (٢/ ٢٤٠٥) والنسائي في « الكبرى » (٨٨٦٩/٥) والطبراني في « الأوسط » (٨٧٤١/٨) وعنه أبو نعيم في « الحلية » (٢٨/٢) ومن طريق أبي نعيم المزي في « تهذيب الكمال » (٥٦٦/١٢) والدارقطني في « المؤتلف والمختلف » (١٢٥٤/٣ ، ١٣٢٣) والحاكم في « المستدرك » (٨٣/٢) وعنه البيهقي في « السنن الكبرى » (١٤٩/٩) وابن عساكر من طرق عن أبي شريح عبد الرحمن بن شريح به ، وقال الطبراني : « لا يروى هذا الحديث عن أبي ريحانة إلا بهذا الإسناد ، تفرد به أبو شريح » وذكره الهيثمي في « المجمع » (٥/ ٢٩٠) وقال : « روى النسائي طرفًا منه ، رواه أحمد والطبراني في « الكبير » و « الأوسط » ورجال أحمد ثقات وصحح إسناده الحاكم ووافقه الذهبي ، مع أن الذهبي جهل محمد بن شُمَيْر في « الديوان » وقال في « الميزان » لم يرو عنه سوى عبد الرحمن بن شريح على أبي على ... » وذكر هذا الحديث وقال عنه الحافظ في « التقريب » : « مقبول » لكن يشهد لقوله « حرمت على النار على عين ... » الحديث الآتي .

[١] - في خ : « الحنفي » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في خ : « فقال : ادنوا » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في خ : « فقال » .
[٦] - في خ : « فقلت » .
[٧] - في خ : « ادنه » .
[٨] - زيادة من : خ .

الروايتين : عن أبي علي الجنبي .

(حديث آخر) قال الترمذي (٦١٠) : حدثنا نصر بن علي الجهضمي ، حدثنا بشر بن عمر ، حدثنا[١] شعيب بن رزيق -أبو شيبة - عن[٢] عطاء الخراساني ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول[٣] : « **عينان لا تمسهما النار ، عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله** » .

ثم قال : حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث شعيب بن رزيق . قال : وفي الباب عن عثمان وأبي ريحانة . (قلت) : وقد تقدما ، ولله الحمد والمنة[٤] .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(٦١١) : حدثنا يحيىٰ بن غيلان ، حدثنا رشدين ، عن زبَّان[٥] ، عن سهل بن معاذ ، عن أبيه - معاذ بن أنس رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال : « **من حرس من وراء المسلمين في سبيل الله متطوعًا لا بأجرة سلطان ، لم ير النار بعينه إلا تحلة القسم ، فإن الله يقول : ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾** . تفرد به أحمد رحمه الله .

---

(٦١٠) - « الجامع » للترمذى ، كتاب فضائل الجهاد ، باب ما جاء فى فضل الحرس فى سبيل الله (١٦٣٩) وأخرجه ابن أبى عاصم فى « كتاب الجهاد » (٢/رقم ١٤٦) وأبو نعيم فى « الحلية » (٥/٢٠٩) ومن طريقه المزى فى « تهذيب الكمال » (١٢/٥٢٥) والبيهقى فى « الشعب » (١/رقم ٧٩٦) من طريق بشر بن عمر به وقال الترمذى « حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث شعيب بن رُزَيْق » وهو مختلف فيه فوثقه الدارقطنى فى رواية وضعفه فى أخرى وقال دحيم : « لا بأس به » وضعفه ابن حزم ولينه الأزدى وذكره ابن حبان فى « الثقات » (٨/٣٠٨) وقال : « يعتبر حديثه من غير روايته عن عطاء الخراسانى » وهذه منها وقد أعل هذه الرواية أبو نعيم فقال عقبه : « رواه عثمان بن عطاء عن أبيه ، وقال عن ابن عباس » يعنى أن عثمان بن عطاء وهو الخراسانى خالف شعيبًا فأسقط عطاء بن أبى رباح ، فهو بهذا منقطع لأن عطاء الخراسانى لم يسمع من ابن عباس قاله أحمد - كما فى « جامع التحصيل » للعلائى (ص ٢٣٨) إلا أن عثمان بن عطاء هذا ضعفه غير واحد وتركه آخرون فهو أسوأ حالاً من شعيب بن رُزيق ، وعليه فالقول قول شعيب والله أعلم .

(٦١١) - « المسند » (٣/٤٣٧ ، ٤٣٨) وأخرجه أبو يعلى فى مسنده (٣/١٤٩٠) وعنه ابن عدى فى « الكامل » (٣/١٠١٢) ثنا محرز بن عون ، والطبرانى فى « المعجم الكبير » (٢٠/رقم ٤٠٣) من طريق محمد بن أبى السرى ، كلاهما (محرز ومحمد) ثنا رشدين بن سعد به ، وأخرجه أحمد أيضًا ثنا حسن والطبرانى (٢٠/رقم ٤٠٢) من طريق أسد بن موسى كلاهما (حسن وأسد) ثنا ابن لهيعة عن زبان =

---

[١] - في ت : وحدثنا

[٢] - في خ : « ثنا » .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - في خ : « رنان » .

(حديث آخر) روىٰ البخاري في صحيحه[٦١٢] ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « **تعس عبد الدينار ، وعبد الدرهم ، وعبد الخميصة ، إن أعطي رضي ، وإن لم يعط سخط ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش ، طوبىٰ لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله ، أشعث رأسه ، مغبرة قدماه ، إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، وإن كان في الساقة كان في الساقة ، إن استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يشفع** » .

فهذا آخر ما تيسر إيراده من الأحاديث المتعلقة بهذا المقام ، ولله الحمد علىٰ جزيل الإنعام ، علىٰ تعاقب الأعوام والأيام .

وقال ابن جرير[٦١٣] : حدثني المثنى ، حدثنا مطرف بن عبد الله المدني ، حدثنا مالك ، عن زيد ابن أسلم ، قال : كتب أبو عبيدة - رضي الله عنه - إلىٰ عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، يذكر له جموعًا من الروم ، وما يتخوف منهم ، فكتب إليه عمر : أما بعد ، فإنه مهما ينزل بعبد مؤمن من منزلة شدة يجعل الله له بعدها فرجًا ، وإنه لن يغلب عسر يسرين ، وإن الله تعالىٰ يقول : ﴿ **يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون** ﴾ .

وقد روىٰ الحافظ ابن عساكر[٦١٤] في ترجمة عبد الله بن المبارك ، من طريق محمد بن إبراهيم ابن أبي سكينة ؛ قال : أملىٰ علي عبد الله بن المبارك هذه الأبيات بطرسوس ، وودعته

= به ، والحديث ذكره المنذرى فى « الترغيب والترهيب » (٢٣٨/٢) وقال : « لا بأس بإسناده فى المتابعات » وكذا ذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٩٠/٥) وقال : « رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى وفى أحد إسنادى أحمد ابن لهيعة وهو أحسن حالاً من رشدين » .

(٦١٢) - صحيح البخارى ، كتاب الجهاد ، باب الحراسة فى الغزو فى سبل الله (٢٨٨٧) وكذا أخرجه ابن ماجه كتاب الزهد باب فى المكثرين (٤١٣٥ ، ٤١٣٦) من حديث أبى هريرة .

(٦١٣) - تفسير ابن جرير (٨٣٩٣/٧) والحديث عند مالك فى الموطأ ، كتاب الجهاد ، باب الترغيب فى الجهاد (٣٥٧/٢) وهو هكذا منقطع فإن زيد بن أسلم لم يلق أبا عبيدة ، لكن وصله أبو عبد الله الحاكم فى « المستدرك » (٣٠٠/٢ ، ٣٠١) من طريق عبد الله بن المبارك ، أنبأ هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب - فذكر الخبر بنحو ما هنا وصححه الحاكم على شرط مسلم ، ووافقه الذهبى والخبر زاد نسبته السيوطى فى « الدر المنثور »)٢٠٢/٢) إلى ابن أبى شيبة وابن أبى الدنيا والبيهقى فى « الشعب » ولم أجده فى مظانه فى « الشعب » والله أعلم .

(٦١٤) - « مختصر تاريخ دمشق » لابن منظور (٢٢/١٤) والقصة أوردها كذلك الذهبى فى « سير أعلام النبلاء » (٤١٢/٨) دون ذكر الحديث ، ومحمد بن إبراهيم بن أبى سُكينة ذكره ابن حبان فى « الثقات » (١٠/٩) وقال : « ربما أخطأ » وترجم له ابن ماكولا فى « الإكمال » (٣١٧/٤) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً . والحديث أخرجه البخارى ، كتاب الجهاد ، باب فضل الجهاد والسير (٢٧٨٥) ثنا إسحاق أخبرنا عفان ثنا همام ثنا محمد بن جحادة ، قال أخبرنى أبو حصين أن ذكوان حدثه أن أبا هريرة - رضى الله عنه

للخروج ، وأنشدها معي إلىٰ الفضيل بن عياض في سنة سبعين ومائة ، وفي رواية سنة سبع وسبعين ومائة :

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا   لعلمت أنك في العبادة تلعب
من كان يخضب خدّه بدموعه   فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل   فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا   وهج السنابك والغبار الأطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا   قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوي وغبار خيل اللّه في   أنف امرىءٍ ودخان نار تلهب
هذا كتاب اللّه ينطق بيننا   ليس الشهيد بميت لا يكذب

قال فلقيت الفضيل بن عياض بكتابه في المسجد الحرام ، فلما قرأه ذرفت عيناه وقال : صدق أبو عبد الرحمن ونصحني . ثم قال : أنت ممن يكتب الحديث؟ قال : قلت : نعم ، قال : فاكتب هذا الحديث ، كراء حملك كتاب أبي عبد الرحمن إلينا ، وأملىٰ علي الفضيل بن عياض : حدثنا منصور بن المعتمر ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة : أن رجلاً قال : يا رسول اللّه ؛ علمني عملاً أنال به ثواب المجاهدين في سبيل اللّه . فقال : « **هل تستطيع أن تصلي فلا تفتر ، وتصوم فلا تفطر؟** » فقال : يا رسول اللّه أنا أضعف من أن أستطيع ذلك . ثم قال النبي ﷺ : « **فوالذي نفسي بيده ، لو طوّقت ذلك ما بلغت المجاهدين في سبيل اللّه ، أوما علمت أن فرس المجاهد ليستن في طوله فيكتب له بذلك الحسنات** »؟ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **واتقوا اللّه** ﴾ أي : في جميع أموركم وأحوالكم ، كما قال النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم لمعاذ ، حين بعثه إلىٰ اليمن : « **اتق اللّه حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن** » (٦١٥) .

﴿ **لعلكم تفلحون** ﴾ أي : في الدنيا والآخرة - وقال ابن جرير (٦١٦) : حدثني يونس ، أنبأنا

- حدثه قال : « جاء رجل إلى رسول اللّه ﷺ فقال : دُلّني على عملٍ يعدل الجهاد . قال : لا أجده . قال : هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر ، وتصوم ولا تفطر ؟ قال : ومن يستطيع ذلك ؟ قال أبو هريرة : إن فرس المجاهد ليستنُّ في طِوله ، فيكتب له حسناتٍ » وقد أخرجه النسائى فى « الكبرى » (٤٣٣٦/٣) وأحمد فى مسنده (٣٤٤/٢) وابن أبى عاصم فى « الجهاد » (١/رقم ٢٧) وتمام في فوائده (٨٤١/٣) وغيرهم من طرق عن عفان بن مسلم به ، ولم أجد هذا الحديث من طريق الفضيل بن عياض فى غير هذا الموضع ، واللّه أعلم .

(٦١٥) - يأتى تخريجه سورة هود / آية ١١٤ .

(٦١٦) - تفسير ابن جرير (٨٣٩٩/٧) وأبو صخر هو حميد بن زياد بن أبى المخارق ضعفه ابن معين =

ابن وهب ، أنبأنا أبو صخر ، عن محمد بن كعب القرظي ، أنه كان يقول - في قول اللَّه - عز وجل - : ﴿ **واتقوا اللَّه لعلكم تفلحون** ﴾ يقول : اتقوني فيما بيني وبينكم ، لعلكم تفلحون يقول : غدًا إذا لقيتموني .

آخر تفسير سورة آل عمران ، وللَّه الحمد والمنة ، نسأله الموت على الكتاب والسنة ، آمين .

= والنسائى وفى رواية عن ابن معين قال : ليس به بأس . وكذا قال أحمد ، ووثقه الدارقطنى وابن حبان وفى « التقريب » : « صدوق يهم » واللَّه الموفق .

تفسير سورة النساء

وهي مدنية

قال العوفي عن ابن عباس : نزلت سورة النساء بالمدينة . وكذا روىٰ ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير وزيد بن ثابت . ورُوِيَ من طريق عبد الله بن لهيعة ، عن أخيه عيسىٰ ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما نزلت سورة النساء قال رسول الله ﷺ : « **لا حبس** »(١) (*) .

وقال الحاكم في مستدركه(٢) : حَدَّثَنَا أبو العباس محمد بن يعقوب ، ثنا أبو البحتري عبد الله بن محمد بن شاكر ، ثنا محمد بن بشر العبدي ، ثنا مسعر بن كدام ، عن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود [عن أبيه ، عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -][١] قال : إن في سورة النساء لخمس آيات ما يسرني أن لي بها الدنيا وما فيها : ﴿ **إن الله لا يظلم مثقال ذرّة** ﴾ الآية ، و﴿ **إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه** ﴾ الآية ، و﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ [و][٢] ﴿ **ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك** ﴾ الآية و [﴿ **من يعمل سوءًا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورًا رحيمًا** ﴾][٣] ثم قال : هذا إسناد صحيح ؛ إن كان

(١) - أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار (٤/٩٦-٩٧) ، والعقيلي في الضعفاء الكبير (٣/٣٩٧) ، والطبراني في المعجم الكبير (١١/٣٦٥) ، والدارقطني في السنن (٤/٦٨) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/١٦٢) من طريق عبد الله بن لهيعة ، عن أخيه عيسى بن لهيعة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس مرفوعًا . كذا رواه عن ابن لهيعة عندهم : يحيى بن بكير وعمرو بن خالد وكامل بن طلحة وأسد بن موسى وسعيد بن أبي مريم وعبد الله بن يوسف الدمشقي . وقد خالفهم يحيى بن يحيى ، فرواه عن ابن لهيعة ، عمن سمع عكرمة يحدث عن ابن عباس به مرفوعًا . قال الإمام أحمد بن صالح المصري : هذا حديث صحيح ، وبه أقول . ورمز السيوطي في الجامع الصغير إلى أنه حَسَنٌ . ولكن كثيرًا من الأئمة على غير هذا . فقد قال العقيلي عن الحديث في ترجمة عيسى بن لهيعة : لا يتابع عليه ولا يعرف إلا به . وقال الدارقطني : لم يسنده غير ابن لهيعة عن أخيه ، وهما ضعيفان . وقال البيهقي : وهذا اللفظ إنما يُعرف من قول شريح القاضي .

(*) قوله (لاحَبْس) - بفتح الحاء المهملة ويجوز ضمُّها -: أراد أنه لا يوقف مال ولا يُزوىٰ عن وارثه ، وكأنه إشارة إلى ما كانوا يفعلونه في الجاهلية من حبس مال الميت ونسائه . كذا في النهاية لابن الأثير (١/ ٣٢٩) .

(٢) الحاكم في المستدرك (٢/٣٠٥) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - مابين المعكوفتين سقط من: خ .

عبد الرحمن سمع من أبيه ، فقد اختلف في ذلك .

وقال عبد الرزاق : أنا معمر ، عن رجل ، عن ابن مسعود قال في خمس آيات من النساء : لهن أحب إليَّ من الدنيا جميعًا : ﴿ **إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم** ﴾ وقوله : ﴿ **وإن تك حسنة يضاعفها** ﴾ وقوله : ﴿ **إن اللَّه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ وقوله : ﴿ **ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه ثم يستغفر اللَّه يجد اللَّه غفورًا رحيمًا** ﴾ [وقوله : ﴿ **والذين آمنوا باللَّه ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان اللَّه غفورًا رحيمًا** ﴾][١] رواه ابن جرير(٣) .

ثم روىٰ من طريق صالح المري ، عن قتادة ، عن ابن عباس قال : ثماني آيات نزلت في سورة النساء هي[٢] خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت ، أولهن[٣] ﴿ **يريد اللَّه ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم واللَّه عليم حكيم** ﴾ والثانية : ﴿ **واللَّه يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلًا عظيمًا** ﴾ والثالثة : ﴿ **يريد اللَّه أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفًا** ﴾ .

ثم ذكر قول ابن مسعود سواء - يعني في الخمسة الباقية(٤) - .

وروىٰ الحاكم(٥) من طريق أبي نعيم ، عن سفيان بن عيينة ، عن عبيد اللَّه بن أبي يزيد ، عن ابن أبي مليكة : سمعت ابن عباس يقول : سلوني[٤] عن سورة النساء ، فإني قرأت القرآن وأنا صغير .

ثم قال : [هذا حديث][٥] صحيح علىٰ شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .

---

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/١٥٥) ، ومن طريقه أخرجه ابن جرير في تفسيره (٨/٢٥٦) (٩٢٣٣) .

(٤) تفسير ابن جرير (٨/٢٥٧) (٩٢٣٤) ، وفي آخره : وزاد فيه : ثم أقبل يفسرها في آخر الآية : وكان اللَّه للذين عملوا الذنوب غفورًا رحيمًا .

(٥) الحاكم في المستدرك (٢/٣٠١) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - سقط من : ت .

[٣] - في ت : «أولاهن» .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾

يقول تعالىٰ آمرًا خلقه بتقواه ، وهي عبادته وحده لا شريك له ، ومنبهًا لهم علىٰ قدرته التي خلقهم بها من نفس واحدة ، وهي آدم عليه السلام : ﴿ **وخلق منها زوجها** ﴾ وهي حوّاء عليها السلام ، خلقت من ضلعه الأيسر[١] ، من خلفه وهو نائم ، فاستيقظ فرآها ، فأعجبته ، فأنس إليها ، وأنست إليه .

قال ابن أبي حاتم(٦) : ثنا أبي ، حَدَّثَنَا محمد بن مقاتل ، حَدَّثَنَا وكيع ، عن أبي هلال ، عن قتادة ، عن ابن عباس ، قال : خلقت المرأة من الرجل ، فجعلت نهمتها في الرجل ، وخلق الرجل من الأرض ، فجعلت نهمته في الأرض ، فاحبسوا نساءكم .

وفي الحديث الصحيح(٧) : « **إن المرأة خلقت من ضلع ، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج** » .

وقوله : ﴿ **وبث منهما رجالًا كثيرًا ونساء** ﴾ أي : وذرأ منهما ، أي : من آدم وحوّاء رجالًا كثيرًا ونساء ، ونشرهم في أقطار العالم ، علىٰ اختلاف أصنافهم وصفاتهم وألوانهم ولغاتهم ، ثم إليه بعد ذلك المعاد[٢] والمحشر .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **واتقوا اللَّه الذي تساءلون به والأرحام** ﴾ أي : واتقوا اللَّه بطاعتكم إياه .

قال إبراهيم ومجاهد والحسن : ﴿ **الذي تساءلون به** ﴾ أي : كما يقال : أسألك باللَّه وبالرحم .

---

(٦) تفسير ابن أبي حاتم (٨٥٢/٣) (٤٧١٨) ، وفيه : مقاتل بن محمد ، وهو تحريف .

(٧) أخرجه البخاري (٣٣٣١) في أحاديث الأنبياء ، باب خلق آدم وذريته و أطرافه (٥١٨٤) و(٥١٨٦) ، ومسلم (١٤٨٦) كتاب الرضاع ، والترمذي (١١٨٨) في كتاب الطلاق ، باب ما جاء في مداراة النساء . - من طرق عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه به .

---

[١] - في خ : « الأقصر » . [٢] - سقط من : خ .

وقال الضحاك : واتقوا اللّٰه الذي تعاقدون [وتعاهدون به][١] ، واتقوا الأرحام أن تقطعوها ، ولكن بروها وصلوها . قاله ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن والضحاك والربيع وغير واحد .

وقرأ بعضهم(٨) : ﴿ والأرحامِ ﴾ بالخفض ، علىٰ العطف علىٰ الضمير في « به » ، أي : تساءلون باللّٰه وبالأرحام ، كما قال مجاهد وغيره (٩) .

وقوله : ﴿ إن اللّٰه كان عليكم رقيبًا ﴾ أي : هو مراقب لجميع أحوالكم وأعمالكم ، كما قال : ﴿ واللّٰه علىٰ كل شيء شهيد ﴾ .

وفي الحديث الصحيح(١٠) : « **اعبد اللّٰه كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك** » .

وهذا إرشاد وأمر بمراقبة الرقيب .

ولهذا ذكر تعالىٰ أن أصل الخلق من أب واحد وأم واحدة ؛ ليعطف بعضهم علىٰ بعض ، ويحننهم علىٰ ضعفائهم .

---

(٨) هذه قراءة إبراهيم النخعي وقتادة والأعمش وحمزة ، وقد تكلم بعض النحاة في هذه القراءة حتى عدّها بعضهم لحنًا . قال الإمام أبو نصر القشيري : ومثل هذا الكلام مردود عند أئمة الدين ، لأن القراءات التي قرأ بها أئمة القراء ثبتت عن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم تواترًا يعرفه أهل الصنعة . وإذا ثبت شيء عن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم فمن رد ذلك فقد رد على النبي صلى اللّٰه عليه وسلم واستقبح ما قرأ به ، وهذا مقام محذور ، ولا يُقلَّدُ فيه أئمة اللغة والنحو ؛ فإن العربية تُتلقَّي من النبي صلى اللّٰه عليه وسلم ولا يشك أحد في فصاحته . اهـ . انظر : تفسير القرطبي (٥/٤٠٢) .

(٩) وكذا قال النخعي والحسن . انظر : تفسير ابن جرير (٧/٥١٨-٥١٩) .

(١٠) رواه مسلم (٨) في كتاب الإيمان ، وأبو داود (٤٦٩٥) (٤٦٩٧) في كتاب السنة ، باب في القدر ، والترمذي (٢٦١٠) في كتاب الإيمان ، باب ما جاء في وصف جبريل للنبي الإسلام والإيمان ، والنسائي (٨/٩٧) في كتاب الإيمان ، وابن ماجة (٦٣) في المقدمة ، باب في الإيمان من حديث عمر بن الخطاب رضي اللّٰه عنه ، وفيه أنه فسر الإحسان بقوله « أن تعبد اللّٰه كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .
- ورواه البخاري (٥٠) في كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي صلى اللّٰه عليه وسلم عن الإيمان والإسلام و (٤٧٧٧) ، ومسلم (٩) في كتاب الإيمان ، والنسائي (٨/١٠١) ، وابن ماجة (٦٤) في المقدمة ، باب في الإيمان - من حديث أبي هريرة رضي اللّٰه عنه ، بمثل لفظه في حديث عمر .
- وأما اللفظ الذي أورده ابن كثير : فقد رواه الطبراني في الكبير من حديث أبي الدرداء ، وفيه رجل مُبهَم . كذا في الترغيب للمنذري (١/٣٤٤) (٥٩٢) ، ومجمع الزوائد (٢/٤٠) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في خ : « به وتعاهدون » .

وقد ثبت في صحيح مسلم(١١) من حديث جرير بن عبد الله البجلي أن رسول الله ﷺ حين قدم عليه أولئك النفر من مضر- وهم مجتابو النمار - أي : من عريهم وفقرهم- قام ، فخطب الناس بعد صلاة الظهر ، فقال في خطبته : ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة** ﴾ حتى ختم الآية . ثم قال : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدّمت لغد** ﴾ . ثم حضهم على الصدقة فقال : « **تصدّق رجل من ديناره ، من درهمه ، من صاع بره ، من صاع تمره** » وذكر تمام الحديث .

وهكذا [روى الإمام][١] أحمد وأهل السنن(١٢) ، عن ابن مسعود في خطبة الحاجة ، وفيها : ثم يقرأ ثلاث آيات ، هذه منها ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة** ﴾ الآية .

(١١) رواه مسلم (١٠١٧) في كتاب الزكاة ، والترمذي (٢٦٧٥) كتاب العلم ، باب ما جاء فيمن دعا إلى هدى فاتبع ، أو إلى ضلالة - وقال : حديث حسن صحيح - ، والنسائي (٧٥/٥) كتاب الزكاة ، باب التحريض على الصدقة ، وابن ماجة (٢٠٣) في المقدمة ، باب من سَنَّ سُنَّة حسنة أو سيئة .

(١٢) رواه أحمد في المسند (٣٧٢٠) (٣٧٢١) (٤١١٥) (٤١١٦) (٥/٢٧١-٢٧٢،٦/٨١) ، وأبو داود (٢١١٨) في كتاب النكاح ، باب في خطبة النكاح ، والترمذي (١١٠٥) في كتاب النكاح ، باب ما جاء في خطبة النكاح ، والنسائي (٨٩/٦) كتاب النكاح ، باب ما يستحب من الكلام عند النكاح ، وابن ماجة (١٨٩٢) كتاب النكاح باب خطبة النكاح - من طرقين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه به مرفوعًا .

قال الترمذي : حديث عبد الله حديث حسن رواه الأعمش ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

ورواه شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وكلا الحديثين صحيح ؛ لأن إسرائيل جمعهما فقال : عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص وأبي عبيدة ، عن عبد الله بن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم . اهـ

وقد جمعهما شعبة أيضًا ، من رواية عفان عنه ، كما في مسند الإمام أحمد .

(*) والآيتان الأخريان هما : قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾ (آل عمران : آية ١٠٢) وقوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولًا سديدًا . يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزًا عظيمًا** ﴾ (الأحزاب : آية ٧٠-٧١) .

[١] - في ت : « رواه » .

﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾ ﴾

يأمر تعالىٰ بدفع أموال اليتامىٰ إليهم إذا بلغوا الحلم كاملة موفرة ، وينهىٰ عن أكلها وضمها إلىٰ أموالهم ، ولهذا قال : ﴿ **ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب** ﴾ قال سفيان الثوري ، عن أبي صالح : لا تعجل بالرزق الحرام قبل أن يأتيك الرزق الحلال الذي قدر لك .

وقال سعيد بن جبير : لا تتبدّلوا[١] الحرام ، من أموال الناس بالحلال من أموالكم . يقول : لا تبذروا[٢] أموالكم الحلال وتأكلوا أموالهم الحرام .

وقال سعيد بن المسيب والزهري : ولا تعط مهزولًا وتأخذ سمينًا .

وقال إبراهيم النخعي والضحاك : لا تعط زائفًا وتأخذ جيدًا .

وقال السدي : كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة من غنم اليتيم ، ويجعل فيها[٣] مكانها الشاة المهزولة ، يقول[٤] : شاة بشاة . ويأخذ الدرهم الجيد ، ويطرح مكانه الزيف ، يقول[٥] : درهم بدرهم .

وقوله : ﴿ **ولا تأكلوا أموالهم إلىٰ أموالكم** ﴾ قال مجاهد وسعيد بن جبير [وابن سيرين][٦] ومقاتل بن حيان والسدي وسفيان بن[٧] حسين : أي : لا تخلطوها فتأكلوها جميعًا .

---

[١] - في خ : « تبدل » .
[٢] - في خ : « تبدلوا » .
[٣] - سقط من : ت .
[٤] - في ت : « ويقول » .
[٥] - في ت : « ويقول » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٧] - بعده في خ : « ابن إسماعيل ، أنا أحمد بن على الحراني ، ثنا شجاع بن أشرس ، أنا حشرج بن نباتة الواسطي أبو مكرم ، عن الكلبي هو أبو حباب الكلبي ، عن عطاء قال : انطلقت أنا وابن عمر وعبيد بن عمير إلى عائشة رضي اللّه عنها ، فدخلنا عليها وبيننا وبينها حجاب ، فقالت : يا عبيد ، ما يمنعك من زيارتنا ؟ فقال : قول الشاعر : * زر غبًا تزدد حبًا * فقال ابن عمر : صرنا أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول اللّه صلى

وقوله : ﴿ **إنه كان حوبًا كبيرًا** ﴾ قال ابن عباس : أي : إثمًا كبيرًا عظيمًا .

وهكذا رُوى عن مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، وابن سيرين ، وقتادة ، والضحاك ، ومقاتل بن حيان ، وأبي مالك ، وزيد بن أسلم ، وأبي سنان ، مثل قول ابن عباس .

وقد رواه ابن مردويه ، عن أبي هريرة ، قال : سئل رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم عن قوله : ﴿ **حوبًا كبيرًا** ﴾ . قال : « **إثما كبيرًا** » ولكن في إسناده محمد بن يونس الكَدَيمي ، وهو ضعيف .(١٣) وفي الحديث المروي في سنن أبي داود(١٤) : « **اغفر لنا حوبنا وخطايانا** » .

---

(١٣) وقال ابن حاتم : سمعت أبي - وعُرِضَ عليه شيء من حديثه - فقال : ليس هذا حديث أهل الصدق . وقال ابن حبان : كان يضع على الثقات الحديث وضعًا ، ولعله قد وضع أكثر من ألف حديث .

وقال ابن عدي : اتهم بوضع الحديث وسرقته ، وادعى رؤية قوم لم يرهم ورواية عن قوم لا يعرفونه ، وترك عامة مشايخنا الرواية عنه .

وقال الدارقطني : كان يُتهم بوضع الحديث ، وما أحسن فيه القولَ إلا من لم يختبر حاله .

(١٤) هذا الحديث رواه الليث بن سعد ، عن زيادة بن محمد الأنصاري ، واختلف عليه فيه :

- فرواه يزيد بن خالد بن موهب ، وسعيد بن أبي مريم ، ويحيى بن بكير ، وخالد بن قاسم : عن الليث ، عن زيادة ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن فضالة بن عبيد ، عن أبي الدرداء مرفوعًا . (كذا رواه أبو داود في كتاب الطب ، باب كيف الرقى (٣٨٩٢) ، والنسائي في عمل اليوم والليلة (١٠٣٨) ، وابن عدي في الكامل (١٠٥٤/٣) ، والحاكم في المستدرك (٣٤٤/١،٢١٨/٤) .

- خالفهم عبد اللّه بن وهب ، فرواه عن الليث وابن لهيعة ، عن زيادة ، عن القرظي عن أبي الدرداء به مرفوعًا ، فأسقط فضالة بن عبيد (كذا رواه النسائي في عمل اليوم والليلة (١٠٣٧) ، وابن عدي في الكامل (١٠٥٤/٣) .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال في موضع آخر : قد احتج الشيخان بجميع رواة هذا الحديث ، غير زيادة بن محمد ، وهو شيخ من أهل مصر قليل الحديث .

غير أن زيادة بن محمد الأنصاري هذا قال فيه البخاري والنسائي وأبو حاتم : منكر الحديث . وقال ابن حبان : منكر الحديث جدًا ، يروي المناكير عن المشاهير فاستحق الترك . وقال ابن عدي : لا أعلم له إلا حديثين أو ثلاثة ، ومقدار ما له لا يتابع عليه .

- وقد رواه الإمام أحمد في مسنده (٢٤٠٦٦) (٢١/٦) من طريق أبي بكر بن أبي مريم ، عن =

اللّه عليه وسلم. فبكت وقالت : كل أمره كان عجبًا ، أتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدي ، ثم قال : « ذريني أتعبد لربي » . قالت : فقلت : واللّه إني لأحب قربك » . وكان فيها سفيان بن علي ، وكتب الناسخ فوق على : خطأ . وكتب بعد نهاية هذه الفقرة : إلى هنا .

وروىٰ ابن مردويه ، بإسناده ، إلىٰ واصل مولىٰ أبي عيينة ، عن محمد[١] بن سيرين ، عن ابن عباس : أن أبا أيوب طلق امرأته ، فقال له النبي ﷺ : « **يا أبا أيوب ! إن طلاق أم أيوب كان حوبًا** »(١٥) .قال ابن سيرين : الحوب : الإثم .

ثم قال ابن مردويه : حَدَّثَنا عبد الباقي ، حَدَّثَنا بشر بن موسىٰ ، حَدَّثنا هوذة بن خليفة ، حَدَّثَنا عوف ، عن أنس : أن أبا أيوب أراد طلاق أمّ أيوب ، فاستأذن النبي ﷺ فقال : « **إن طلاق أم أيوب لحوب** » . فأمسكها (١٦)

ثم رواه ابن مردويه والحاكم(١٧) في مستدركه من حديث علي بن عاصم ، عن حميد الطويل ، سمعت أنس بن مالك أيضًا يقول : أراد أبو طلحة أن يطلق أم سُليم امرأته[٢] ،

= الأشياخ ، عن فضالة بن عبيد الأنصاري ، عن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم .

- ورواه النسائي في عمل اليوم والليلة (١٠٣٥) (١٠٣٦) من وجهين عن طلق بن حبيب ، واختلف عليه فيهما :

فرواه منصور بن المعتمر ، عن طلق ، عن أبيه ، عن رجل من الصحابة عن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم .

ورواهُ شعبة ، عن يونس بن خَبَّاب ، عن طلق ، عن رجل من أهل الشام ، عن أبيه أن رجلًا أتى النبي صلى اللّٰه عليه وسلم ، فذكره .

قال عبدان : وهو أصح . الإصابة (٢٠٩/٢) .

ويونس بن خباب الأُسَيْدي مولاهم : قال ابن معين : رجل سوء وكان يشتم عثمان . وقال مرة أخرى : لا شيء . وقال البخاري : منكر الحديث . وقال النسائي : ليس بالقوي ، مختلف فيه .

لكن قال أبو داود : رأيت أحاديث شعبة عنه مستقيمة .

وهذا الحديث من رواية شعبة عنه .

(١٥) وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٩٥/١٢-١٩٦) عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، عن يحيى الحماني ، عن حماد بن زيد ، عن واصل مولى أبي عيينة به .

(١٦) هذا الحديث من رواية هوذة بن خليفة عن عوف بن أبي جميلة الأعرابي ، وقد قال ابن معين في رواية ابن أبي خيثمة : هوذة عن عوف ضعيف ، وقال في رواية ابن مُحرز : هوذة لم يكن بالمحمود ، قيل له : لم ؟ قال : لم يأت أحد بهذه الأحاديث عن عوف كما جاء بها ، وكان أُطروشًا أيضًا . مع أن ابن سعد ذكر أنه ذهبت كتبه ولم يبق عنده إلا كتاب عوف ، وهذا يقتضى أن يكون حديثه عن عوف مستقيمًا . وقد رضيه أحمد ، والنسائي ، وصدقه أبو حاتم ووثقه ابن حبان .

(١٧) وأخرجه ابن عدي في الكامل (١٨٣٨/٥) ، والحاكم في المستدرك (٣٠٢/٢) - وعنه البيهقي =

[١] - سقط من : ت . [٢] - سقط من : خ .

فقال النبي ﷺ : « **إن طلاق أم سُليم لحوبٌ** » فكف .

والمعنىٰ : إن أكلكم أموالهم مع أموالكم إثم عظيم وخطأ كبير ، فاجتنبوه .

وقوله : ﴿ **وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامىٰ فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنىٰ** ﴾ أي : إذا كان تحت حجر أحدكم يتيمة ، وخاف أن لا يعطيها مهر مثلها ، فليعدل[١] إلىٰ ما سواها من النساء ، فإنهنّ كثير ، ولم يضيق اللَّه[٢] عليه .

وقال البخاري(١٨) : حَدَّثَنَا إبراهيم بن موسىٰ ، حَدَّثَنَا هشام ، عن ابن جريج ، أخبرني هشام ابن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة : أن رجلًا كانت له يتيمة فنكحها ، وكان لها عذق ، وكان يمسكها عليه ، ولم يكن لها من نفسه شيء ، فنزلت فيه : ﴿ **وإن خفتم ألا تقسطوا** ﴾ . أحسبه قال : كانت شريكته في ذلك العذق وفي ماله .

ثم قال البخاري: حَدَّثَنَا عبد العزيز بن عبد اللَّه ، حَدَّثَنَا إبراهيم بن سعد ، عن صالح بن كيسان ، عن ابن شهاب قال : أخبرني عروة بن الزبير ، أنه سأل عائشة عن قوله تعالىٰ : ﴿ **وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامىٰ** ﴾ قالت : يا ابن أختي ! هذه اليتيمة تكون في حجر وليها تشركه في ماله ، ويعجبه مالها وجمالها ، فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره ، فنهوا أن ينكحوهنّ إلا أن يقسطوا لهن ، ويبلغوا بهنّ أعلىٰ سنتهنّ في الصداق ، وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهُنَّ .

قال عروة : قالت عائشة : وإن الناس استفتوا رسول اللَّه ﷺ بعد هذه الآية ، فأنزل اللَّه : ﴿ **ويستفتونك في النساء** ﴾

قالت عائشة : وقول اللَّه في الآية الأخرىٰ ﴿ **وترغبون أن تنكحوهن** ﴾ رغبة أحدكم[٣] عن

=في السنن الكبرى (٧/٣٢٣) .

من طريقين عن علي بن عاصم به .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

وتعقبه الذهبي بقوله : لا واللَّه ، عليٌ واهٍ .

وقد ذكر ابن عدي هذا الحديث في مناكير علي بن عاصم ، ثم قال : والضعفَ بيِّنٌ على حديثه .

(١٨) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب « وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى » (٤٥٧٣) (٤٥٧٤) .

---

[١] - في خ : « فليعد » . [٢] - سقط من : خ .

[٣] - سقط من : خ .

يتيمته إذا كانت قليلة المال والجمال ، فنهوا أن ينكحوا من رغبوا في [مالها وجمالها من يتامى][١] النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهم عنهن إذا كن قليلات المال والجمال .

وقوله : ﴿ **مثنىٰ وثلاث ورباع** ﴾ أي : انكحوا ما[٢] شئتم من النساء سواهن[٣] ، إن شاء أحدكم ثنتين ، وإن شاء ثلاثًا ، وإن شاء أربعًا[٤] ، كما قال اللَّه[٥] تعالىٰ : ﴿ **جاعل الملائكة رسلًا أولي أجنحة مثنىٰ وثلاث ورباع** ﴾ أي : منهم من له جناحان ، ومنهم من له ثلاثة ، ومنهم من له أربعة ، ولا ينفي ما عدا ذلك في الملائكة لدلالة الدليل عليه ، بخلاف قصر الرجال علىٰ [أربع ، فمن][٦] هذه الآية ، كما قاله ابن عباس وجمهور العلماء ، لأن المقام مقام امتنان وإباحة ، فلو كان يجوز الجمع بين أكثر من أربع لذكره .

قال الشافعي : وقد دلت سنة رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم المبينة عن اللَّه[٧] ، أنه لا يجوز لأحد غير رسول اللَّه ﷺ أن يجمع بين أكثر من أربع نسوة (١٩) .

وهذا الذي قاله الشافعي رحمه اللَّه مجمع عليه بين العلماء ، إلا ما حكي عن طائفة من الشيعة ، أنه يجوز الجمع بين أكثر من أربع إلىٰ تسع . وقال بعضهم : بلا حصر .

وقد يتمسك بعضهم بفعل رسول اللَّه ﷺ في جمعه بين أكثر من أربع إلىٰ تسع ، كما ثبت في الصحيحين(٢٠) ، وإما إحدى عشرة ، كما جاء في بعض ألفاظ البخاري .

وقد علَّقه[٨] البخاري(٢١) .

---

(١٩) انظر : معرفة السنن والآثار للبيهقي (٥/٢٦٨) .

(٢٠) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب كثرة النساء (٥٠٦٧) ، ومسلم في كتاب الرضاع (١٤٦٥) كلاهما من حديث ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس .

(٢١) هذه رواية معاذ بن هشام ، عن أبيه ، عن قتادة ، عن أنس .

وهي عند البخاري موصولة في كتاب الغسل ، باب إذا جامع ثم عاد ومن دار على نسائه في غسل واحد (٢٦٨) ، والنسائي في الكبرى في كتاب عشرة النساء ، باب طواف الرجل على نسائه في الليلة الواحدة (٥/٣٢٨) (٩٠٣٣) . =

---

[١] - ما بين المعكوفتين في خ : « ماله وجماله من باقي » .

[٢] - في ت : « من » .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - سقط من : خ .

[٦] - في خ : « أربعة من » .

[٧] - في خ : « رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم »

[٨] - في خ : « علله » .

وقد روينا عن أنس(٢٢) : أن رسول الله ﷺ تزوج بخمس عشرة امرأة ، ودخل منهن بثلاث عشرة ، واجتمع عنده إحدىٰ عشرة ، ومات عن تسع .

وهذا عند العلماء من [خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم][١] دون غيره من الأمة ؛ لما سنذكره من الأحاديث الدالة علىٰ الحصر في أربع .

[ولنذكر][٢] الأحاديث في ذلك .

قال الإمام أحمد(٢٣) : حَدَّثَنَا إسماعيل ، ومحمد بن جعفر قالا : حَدَّثَنَا معمر ، عن الزهري - قال ابن جعفر في حديثه - أنبأنا ابن شهاب ، عن سالم ، عن أبيه ، أن غيلان بن سلمة الثقفي أسلم وتحته عشر نسوة ، فقال [له النبي ﷺ][٣]: «**اختر منهن أربعًا** » . فلما كان في عهد عمر طلق نساءه ، وقسم ماله بين بنيه ، فبلغ ذلك عمر فقال : إني لأظن الشيطان فيما يسترق من السمع سمع بموتك فقذفه في نفسك[٤] ، ولعلك لا تمكث إلا قليلًا ، وايم الله لتراجعن نساءك ،

= - وقد خولف معاذ بن هشام عن أبيه في ذلك :

فرواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة ، وقال فيه : « تسع نسوة » كما هو عند البخاري برقم (٢٨٤) (٥٠٦٨) (٥٢١٥) ، والنسائي في الكبرى برقم (٩٠٣٤) : وقد علق البخاري رواية سعيد إثر رواية معاذ عن أبيه معللًا لرواية معاذ ، وهذا هو الذي فهمه ابن كثير من صنيع البخاري هنا .

وقال ابن خزيمة : تفرد بذلك معاذ بن هشام عن أبيه ، ورواه سعيد بن أبي عروبة وغيره عن قتادة فقالوا : « تسع نسوة » .

وقد وجه ابن كثير في البداية والنهاية هذه الرواية بقوله : المراد بالإحدى عشرة اللاتي كان يطوف عليهن : التسع المذكورات والجاريتان مارية وريحانة (٣١٣/٥) .

(٢٢) رواه ابن عدي في الكامل من طريق بحر بن كُنَيْز ، عن قتادة عن أنس - في مناكير بَحْرٍ هذا (٢/ ٤٨٤) . وقد خالفه سعيد بن أبي عروبة ، فرواه عن قتادة من قوله ، كما رواه البيهقي في دلائل النبوة (٢٨٩/٧) من طريق عبد الوهاب بن عطاء الخفاف عن سعيد . وقد رواه سيف بن عمر عن سعيد ، فخالف عبد الوهاب وأسنده عن أنس .

والصحيح من ذلك : رواية الخفاف عن سعيد عن قتادة من قوله ، كما رجحه ابن كثير في البداية والنهاية (٣١٣/٥) .

(٢٣) المسند (١٤/٢) (٤٦٣١) ، وقد رواه مختصرًا أيضًا (١٣/٢) (٤٦٠٩) من طريق إسماعيل بن علية و (٤٤/٢) (٥٠٢٧) من طريق غندر وعبد الأعلى بن الأعلى و (٨٣/٢) (٨٥٥٥) من طريق سعيد بن أبي عروبة .

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « خصائصه »

[٢] - ما بين المعكوفتين في ت : « ذكر » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٤] - في خ : « نيتك » .

[ولترجعن في][١] مالك ، [أو لأورثهن منك][٢] ، ولآمرنّ بقبرك فيرجم ، كما رجم قبر أبي رغال .

وهكذا رواه الشافعي(٢٤) والترمذي(٢٥) وابن ماجة(٢٦) والدارقطني(٢٧) والبيهقي(٢٨) وغيرهم(٢٩) من طرق ، عن إسماعيل بن علية ، وغندر ، ويزيد بن زريع ، وسعيد بن أبي عروبة ، وسفيان الثوري ، وعيسىٰ ابن يونس ، وعبد الرحمن بن محمد المحاربي ، والفضل بن موسىٰ ، وغيرهم من الحفاظ (٣٠) ، عن معمر بإسناده مثله إلىٰ قوله : « **اختر منهن أربعًا** » .

وباقي الحديث في قصة عمر من أفراد أحمد ؛ وهي زيادة حسنة ، وهي مضعفة لما علل به البخاري هذا الحديث فيما حكاه عنه الترمذي ، حيث قال بعد روايته له : سمعت البخاري

---

(٢٤) شفاء العي (٢/٢٩) (٤٣) : أخبرنا الثقة - أحسبه إسماعيل بن إبراهيم - عن معمر ، ومن طرقه رواه البيهقي في السنن الكبرى (٧/١٨١) وصرح بأن القائل : (أحسبه إسماعيل بن إبراهيم) هو الربيع بن سليمان الراوي عن الشافعي .

(٢٥) جامع الترمذي ، كتاب النكاح ، باب ما جاء في الرجل يسلم وعنده عشر نسوة (١١٢٨) - من طريق سعيد بن أبي عروبة عن معمر .

(٢٦) سنن ابن ماجة ، كتاب النكاح ، باب الرجل يسلم وعنده أكثر من أربع نسوة (١٩٥٣) - من طريق محمد بن جعفر غندر عن معمر .

(٢٧) سنن الدارقطني (٣/٢٦٩-٢٧٠) - من طريق مروان بن معاوية الفزاري وسعيد بن أبي عروبة عن معمر . وفي آخره : قال الرمادي : هكذا يقول أهل البصرة .

(٢٨) السنن الكبرى للبيهقي (٧/١٨١-١٨٢) - من طرق عن إسماعيل بن علية وغندر وسعيد بن أبي عروبة ويزيد بن زريع وسفيان الثوري ، عن معمر .

(٢٩) كابن أبي شيبة في المصنف ، كتاب النكاح ، ما قالوا فيما إذا أسلم وعنده عشر نسوة (٣/٤٠٥) - عن إسماعيل بن علية ومروان بن معاوية الفزاري ، وأبي يعلى في مسنده (٩/٣٢٥) (٥٤٣٧) - من طريق إسماعيل بن علية ، ورواه ابن حبان عن أبي يعلى ثم رواه أيضًا من طريق الفضل بن موسى وعيسى بن يونس : الإحسان (٩/٤٦٣-٤٦٦) (٤١٥٦) (٤١٥٧) (٤١٥٨) ، والحاكم في المستدرك (٢/١٩٢-١٩٣) من طريق سعيد بن أبي عروبة وعبد الرحمن بن محمد المحاربي وعيسى بن يونس ويحيى بن أبي كثير والفضل بن موسى ، - كل هؤلاء رووه عن معمر ، عن الزهري ، عن سالم ، عن أبيه عبد الله بن عمر به موصولًا .

(٣٠) كمروان بن معاوية الفزاري عند ابن أبي شيبة والدارقطني ، وعبد الأعلى بن عبد الأعلى السامي عند أحمد ، ويحيى بن أبي كثير عند الحاكم في المستدرك .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في خ : « ولتجرعن » . [٢] - ما ما بين المعكوفتين في خ : « أولانهن » .

يقول : هذا الحديث غير محفوظ ، والصحيح ماروىٰ شعيب وغيره عن الزهري ، حُدِّثت عن محمد بن سويد الثقفي ، أن غيلان بن سلمة ... فذكره .

قال البخاري : وإنما حديث الزهري ، عن سالم ، عن أبيه ، أن رجلًا من ثقيف طلق نساءه فقال له عمر : لتراجعن نساءك أو لأرجمنّ قبرك كما رجم قبر أبي رغال .

وهذا التعليل فيه نظر(٣١) ، واللَّه أعلم.

وقد رواه [عبد الرزاق][١] ، عن معمر ، عن الزهري ، مرسلًا (٣٢) ، وهكذا رواه مالك عن

---

(٣١) لم ينفرد الإمام البخاري بتعليله ؛ بل المتقدمون من أئمة الحديث كالمجمعين على ذلك ، وهاك بعض كلامهم في تصحيح إرساله وتعليل وصله :

- قال الإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني : لم يسند لنا معمر حديث غيلان بن سلمة أنه أسلم وعنده عشر نسوة .

- وقال الإمام أحمد بن حنبل - في رواية الأثرم عنه - : هذا الحديث ليس بصحيح ، والعمل عليه به . وأعله بتفرد معمر بوصله وتحديثه به في غير بلده هكذا .

- وقال أبو زرعة : المرسل أصح .

- وقال ابن أبي حاتم : سألت أبي عن حديث رواه يزيد بن زريع ومروان بن معاوية وابن علية وعيسى بن يونس ، عن معمر ، عن الزهري ، عن سالم ، عن أبيه ، عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم في قصة غيلان بن سلمة حين أسلم وتحته عشر نسوة ، فأمره أن يُمسك أربعًا . وذكر الحديث .

قال أبي : هو وهم ؛ إنما هو الزهري عن ابن أبي سويد قال : بلغنا أن النبي صلى اللَّه عليه وسلم .

- وقال الإمام مسلم : أهل اليمن أعرف بحديث معمر من غيرهم ؛ فإنه حدث بهذا الحديث عن الزهري ، عن سالم ، عن أبيه بالبصرة ، وقد تفرد بروايته عنه البصريون ، فإن حدث به ثقة من غير أهل البصرة صار الحديث حديثًا ، وإلا فالإرسال أولىٰ .

- وقال الإمام أبو بكر أحمد بن منصور الرمادي - بعد أن روى حديث معمر موصولًا من طريق سعيد بن أبي عروبة - : هكذا يقول أهل البصرة . ثم رواه مرسلًا على الصواب .

- وقال الإمام البزار : جوده معمر بالبصرة ، وأفسده باليمن فأرسله .

- وقال الإمام أبو عمر بن عبد البر : وصله معمر ؛ فرواه عن ابن شهاب عن سالم عن ابن عمر . ويقولون : إنه من خطأ معمر ومما حدّث به بالعراق من حفظه ، وصحيحُ حديثه : ما حدث به باليمن من كتبه .وقال أيضًا : طرق هذا الحديث كلها معلولة .

* وقد خالف ذلك ابن حبانُ والحاكمُ والبيهقي ومن تبعهم ممن جاء بعدهم ؛ فأخرجه من طرق عن معمر من حديث أهل الكوفة وأهل خراسان وأهل اليمامة عنه : =

---

[١] - في خ : « عبد الرحمن » .

الزهري مرسلًا(٣٣) ، وقال أبو زرعة : هو أصح (٣٤) .

قال البيهقي : ورواه عقيل ، عن الزهري : بلغنا عن عثمان بن محمد بن أبي سويد(٣٥)

قال أبو حاتم : وهذا وهم ، إنما هو الزهري ، عن[١] محمد بن أبي سويد ، بلغنا أن رسول الله ﷺ ، فذكره .

= - قال ابن حبان : ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن هذا الخبر حدث به معمر بالبصرة ، ثم ساقه من طريق الفضل بن موسى وهو مروزي خراساني .

- وقال الحاكم : هكذا رواه المتقدمون من أصحاب معمر ، كسعيد بن أبي عروبة ويزيد بن زريع وإسماعيل بن علية وغندر وغيرهم والأئمة الحفاظ من أهل البصرة ، وقد حكم الإمام مسلم بن الحجاج أن هذا الحديث مما وهم فيه معمر بالبصرة ، فإنه رواه عنه ثقة خارج البصريين حكمنا بالصحة :

فوجدت سفيان الثوري ، وعبد الرحمن بن محمد المحاربي ، وعيسى بن يونس - وثلاثتهم كوفيون - حدثوا عن معمر عن الزهري عن سالم عن أبيه . ثم خرّج رواياتهم . ثم قال : وهكذا وجدت الحديث عند أهل اليمامة عن معمر ؛ ثم خرجه من طريق يحيى بن أبي كثير عن معمر .

ثم قال : وهكذا وجدت الحديث عند الأئمة الخراسانيين عن معمر ؛ ثم خرّجه من طريق الفضل بن موسى السفياني عن معمر . ثم قال : والذي يؤدي إليه اجتهادي : أن معمر بن راشد حدث به على الوجهين ؛ أرسله مرة ووصله مرة ، والدليل عليه : أن الذين وصلوه عنه من أهل البصرة قد وصلوه أيضًا ، والوصل أولى من الإرسال ؛ فإن الزيادة من الثقة مقبولة ، والله أعلم . وبنحوه قال البيهقي رحمه الله .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله معقبًا على ذلك : ولا يفيد ذلك شيئًا ؛ فإن هؤلاء كلهم إنما سمعوا منه بالبصرة ، وإن كانوا من غير أهلها . وعلى تقدير تسليم أنهم سمعوا منه بغيرها ، فحديثه الذي حدث به في غير بلده مضطرب ، لأنه كان يحدث في بلده من كتبه على الصحة ، وأما إذا رحل فحدث من حفظه بأشياء وهم فيها ، اتفق على ذلك أهل العلم به كابن المديني والبخاري وأبي حاتم ويعقوب بن شيبة وغيرهم . اهـ .

ومما يقوي ذلك : أن ابن أبي حاتم ذكر لأبيه رواية عيسى بن يونس عن معمر في جملة من رواه عنه موصولًا وليس عيسى من أهل البصرة ، وقد أعل أبو حاتم - مع ذلك - الحديث ، وصحح إرساله .

قال ابن حجر : والموقوف على عمر هو الذي حكم البخاري بصحته عن الزهري عن سالم عن أبيه ، بخلاف أول القصة . اهـ . انظر : العلل (١/٤٠٠-٤٠١) ، تلخيص الحبير (٣/١٩٢-١٩٤) .

(٣٢) المصنف لعبد الرزاق (٧/١٦٢) (١٢٦٢١) .

(٣٣) الموطأ للإمام مالك ، كتاب الطلاق ، باب جامع الطلاق .

(٣٤) العلل لابن أبي حاتم (١/٤٠١) .

(٣٥) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٧/١٨٢) .

[١] - بعده في خ : « عثمان بن » . وهو خطأ .

قال البيهقي : ورواه يونس وابن عيينة(٣٦) عن الزهري عن محمد بن أبي سويد .

وهذا كما علَّله البخاري .

وهذا[١] الإِسناد الذي قدّمناه من مسند الإِمام أحمد رجاله ثقات علىٰ شرط الشيخين .

ثم رُوي من غير طريق معمر بل والزهري .

[وقال الحافظ أبو بكر][٢] البيهقي : أخبرنا أبو عبد اللَّه الحافظ ، حَدَّثَنَا أبو علي الحافظ ، حَدَّثَنَا أبو عبد الرحمن النسائي ، حَدَّثَنَا أبو بُريد عمرو[٣] بن يزيد الجرمي ، أخبرنا سيف بن عبيد اللَّه ، حَدَّثَنَا سرَّار بن مُجشِّر ، عن أيوب ، عن نافع وسالم ، عن ابن عمر : أن غيلان بن سلمة كان عنده عشر نسوة ، فأسلم وأسلمن معه ، فأمره النبي ﷺ أن يختار منهنّ أربعًا .

هكذا أخرجه النسائي في سننه(٣٧) .

قال أبو علي بن السكن : تفرد به سرار بن مجشر وهو ثقة(٣٨) . وكذا وثقه ابن معين(٣٩) . قال أبو علي : وكذلك رواه السَّميدعُ بن واهب[٤] ، عن سرار .

قال البيهقي : وروينا من حديث [قيس بن الحارث ، أو الحارث بن قيس][٥] ، وعروة بن مسعود الثقفي ، وصفوان بن أمية - يعني حديث غيلان بن سلمة - .

فوجه الدلالة أنه لو كان يجوز الجمع بين أكثر من أربعٍ لسوّغ له رسول اللَّه ﷺ سائرهنّ في

(٣٦) الذي ذكره البيهقي أن رواية ابن عيينة كرواية مالك عن الزهري أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم . بخلاف رواية يونس بن يزيد فإنها عن الزهري عن محمد بن أبي سويد أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم .

(٣٧) السنن الكبرى للبيهقي (١٨٣/٧) ، ورواه الطبراني في الأوسط (١٩٠/٢) (١٦٨٠) ، والدارقطني في سننه (٢٧١/٣-٢٧٢) - كلاهما من طريق سيف بن عبيد اللَّه الجرمي به .

(٣٨) وكذا قال أبو علي النيسابوري ، فيما أسند عنه البيهقي .

وقال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن أيوب إلا سَرَّارٌ ، تفرد به سيف . اهـ . وقد توبع سيف كما ذكر ابن السكن .

(٣٩) وكذا وثقه أبو داود والنسائي والدارقطني وابن حبان وقال : ربما خالف .

[١] - في ت : « و » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ت : « قال » .

[٣] - في خ : « عمر » .

[٤] - في خ : « وهب » .

[٥] - في خ : « قيس بن الحارث بن قيس » .

بقاء العشرة ، وقد أسلمن ، فلما أمره بإمساك أربع ، وفراق سائرهنّ ، دل علىٰ أنه لا يجوز الجمع بين أكثر من أربع بحال ، فإذا كان هذا في الدوام ، ففي الاستئناف بطريق الأولىٰ والأحرىٰ ، واللَّه سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

(**حديث آخر في ذلك**) روىٰ أبو داود وابن ماجة في سننهما ، من طريق محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن حُميضة بن الشمردل - وعند ابن ماجة بنت الشمردل ، وحكىٰ أبو داود أن منهم من يقول : الشمرذل بالذال المعجمة - عن قيس بن الحارث - وعند أبي داود في رواية : الحارث بن قيس بن عميرة الأسدي قال : أسلمت وعندي ثمان نسوة ، فذكرت للنبي ﷺ فقال : « **اختر منهنّ أربعًا** »(٤٠) .

وهذا الإِسناد حسن . ومجرد[١] هذا الاختلاف لا يضر مثله ، لما للحديث من الشواهد .

(**حديث آخر في ذلك**) قال [الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه اللَّه] في مسنده : أخبرني من سمع ابن أبي الزناد ، يقول : أخبرني عبد المجيد بن سهيل بن عبد الرحمن ، عن عوف بن الحارث ، عن نوفل بن معاوية الديلي رضي اللَّه عنه قال : أسلمت وعندي خمس نسوة ، فقال لي رسول اللَّه ﷺ : « **اختر أربعًا أيتهن شئت ، وفارق الأخرىٰ** » . فعمدت إلىٰ أقدمهنّ صحبة ، عجوز عاقر معي منذ ستين سنة فطلقتها(٤١) .

فهذه كلها شواهد [بصحة ما تقدم من حديث][٢] غيلان كما قاله [الحافظ أبو بكر البيهقي رحمه اللَّه] .

وقوله : ﴿ **فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم** ﴾ أي : فإن خشيتم[٣] من تعداد النساء أن لا تعدلوا بينهن ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو**

(٤٠) سنن أبي داود ، كتاب الطلاق ، باب في من أسلم وعنده نساء أكثر من أربع (٢٢٤١) (٢٢٤٢) ، وسنن ابن ماجة ، كتاب النكاح ، باب الرجل يسلم عنده أكثر من أربع نسوة (١٩٥٢) ، ورواه سعيد بن منصور في سننه ، باب ما جاء في الرجل يسلم وعنده أكثر من أربع نسوة أو أختان (١٨٦٣) ، والطبراني في المعجم الكبير (٣٥٩/١٨) (٩٢٢) ، والعقيلي في الضعفاء (٢٩٩/١) - من طريق ابن أبي ليلىٰ عن حميضة بن الشمردل ، قال البخاري : لم يصح إسناده ، وقال في موضع آخر : فيه نظر . وضعف أبو علي بن السكن حديثه . وذكره العقيلي وابن الجارود وابن عدي في الضعفاء .

(٤١) شفاء العي (٣١/٢) (٤٤) ، ومن طريقه البيهقي في السنن الكبرى (١٨٤/٧) والبغوي في شرح السنة (٢٢٨٩) .

[١] - في ت : « و » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ت : « لحديث » .

[٣] - في ت : « خفتم » .

حرصتم ﴾ فمن خاف من ذلك فليقتصر علىٰ واحدة ، أو علىٰ الجواري السراري ، فإنه لا يجب قسم بينهن ، ولكن يستحب ، فمن فعل فحسن ، ومن لا فلا حرج .

وقوله : ﴿ **ذلك أدنى أن لا تعولوا** ﴾ قال بعضهم : أدنىٰ أن لا تكثر عائلتكم[١] . قاله زيد ابن أسلم ، وسفيان بن عيينة ، والشافعي - رحمهم الله - وهو مأخوذ من قوله تعالىٰ : ﴿ **وإن خفتم عيلة** ﴾ أي : فقرًا ﴿ **فسوف يغنيكم اللَّه من فضله إن شاء** ﴾

وقال الشاعر(٤٢) :

فما يدري الفقير متىٰ غناه   وما يدري الغني متىٰ يعيل

وتقول العرب : عال الرجل ، يعيل عيلة : إذا افتقر .

ولكن في هذا التفسير هاهنا نظر ، فإنه كما يخشىٰ كثرة العائلة من تعداد الحرائر ، كذلك يخشىٰ من تعداد السراري أيضًا ، والصحيح قول الجمهور . ﴿ **ذلك أدنىٰ ألا تعولوا** ﴾ أي : لا تجوروا .

يقال : عال في الحكم إذا قسط[٢] وظلم وجار

وقال أبو طالب في قصيدته المشهورة :

بميزان قسط لا يخيس شعيرة   له شاهد من نفسه غير عائل

وقال هشيم ، عن أبي إسحاق[٣] : كتب عثمان بن عفان إلىٰ أهل الكوفة في شيء عاتبوه فيه : إني لست بميزان لا أعول . رواه ابن جرير(٤٣) .

وقد روىٰ ابن أبي حاتم(٤٤) ، وابن مردويه ، [وأبو حاتم][٤] بن حبان في صحيحه(٤٥) ، من طريق عبد الرحمن بن إبراهيم دحيم[٥] ، حَدَّثَنَا محمد بن شعيب ، عن عمر بن محمد بن زيد ابن[٦] عبد اللَّه بن عمر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، عن النبي ﷺ ﴿ **ذلك**

---

(٤٢) هو أحيحة بن الجلاح الأوسي . انظر تفسير الطبري (٥٤٩/٧) .

(٤٣) في تفسيره (٥٥١/٧) .

(٤٤) في تفسيره (٨٦٠/٣) (٤٧٦١) .

(٤٥) الإحسان (٣٣٨/٩-٣٣٩) (٤٠٢٩) ، وفي كلا الكتابين (أَلَّاتجوروا) .

---

[١] - في ت : « عيائلتكم » .

[٢] - في خ : « سقط » .

[٣] - سقط من ت .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ت : « و » .

[٥] - في خ : « وخثيم » .

[٦] - في ت : « عن » . وهو خطأ .

أدنىٰ ألا تعولوا ﴾ قال : « لا تجوروا » .

قال ابن أبي حاتم : قال أبي : هذا حديث خطأ ، والصحيح عن عائشة موقوف .

و[١] قال ابن أبي حاتم : وروي عن ابن عباس ، وعائشة ، ومجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وأبي مالك ، وأبي رزين ، والنخعي، والشعبي ، والضحاك ، وعطاء الخراساني ، وقتادة ، والسدي ، ومقاتل بن حيان ، أنهم قالوا : لا تميلوا (٤٦) .

وقد استشهد عكرمة [رحمه اللَّه] ببيت أبي طالب الذي قدّمناه ، ولكن ما أنشده كما هو المروي في السيرة (٤٧) .

وقد رواه ابن جرير ثم أنشده جيدًا واختار ذلك (٤٨) .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وآتوا النساء صدقاتهن نحلة** ﴾ قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : [يعني بالنحلة][٢] : المهر .

وقال محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة : نحلة : فريضة (٤٩) .

[وقال مقاتل وقتادة وابن جريج : نحلة أي ، فريضة][٣] . زاد ابن جريج[٤] : مسماة .

وقال ابن زيد : النحلة في كلام العرب : الواجب . يقول : لا تنكحها إلا بشيء واجب لها[٥] ، وليس ينبغي لأحد بعد النبي ﷺ أن ينكح امرأة إلا بصداق واجب ، و[٦] لا ينبغي أن يكون تسمية الصداق كذبًا بغير حق .

---

(٤٦) تفسير ابن أبي حاتم (٣/٨٦٠) .

(٤٧) فإنه قال فيه :

بميزانِ قِسْطٍ لا يُخِسُّ شَعِيرةً ووازِنِ صِدْقٍ وَزنُه غَيْرُ عائِلِ

(٤٨) رواية ابن جرير للبيت .

بميزان صِدْقٍ لا يُغَلُّ شَعِيرةً له شاهدٌ من نفسه غيرُ عائلِ

انظر تفسيره (٧/٥٥٠) .

(٤٩) الذي في تفسير ابن أبي حاتم أنها قالت : واجبة . (٣/٨٦١) .

---

[١] - سقط من : خ.

[٢] - ما بين المعكوفتين في ت : « النحلة » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ.

[٤] - في خ : « جرير » .

[٥] - سقط من : خ.

[٦] - سقط من : خ.

ومضمون كلامهم : أن الرجل يجب عليه دفع الصداق إلىٰ المرأة حتمًا ، وأن يكون طيب النفس بذلك ، كما يمنح المنيحة ويعطي النحلة طيبًا بها ، كذلك يجب أن يعطي المرأة صداقها طيبًا بذلك ، فإن طابت هي له به بعد تسميته ، أو عن شيء منه ، فليأكله حلالًا طيبًا ، ولهذا قال تعالى : ﴿ **فإن طبن لكم عن شيء منه نفسًا فكلوه هنيئًا مريئًا** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم(٥٠) : حَدَّثَنَا أحمد بن سنان ، حَدَّثَنَا عبد الرحمن بن مهدي ، [عن سفيان][١] ، عن السدي ، عن يعقوب بن المغيرة بن شعبة ، عن علي قال : إذا اشتكىٰ أحدكم شيئًا فليسأل امرأته ثلاثة دراهم أو نحو ذلك ، فليبتع بها[٢] عسلًا ، ثم ليأخذ ماء السماء ، فيجتمع هنيئًا مريئًا شفاءً مباركًا .

وقال هشيم ، عن سيّار ، عن أبي صالح قال : كان الرجل إذا زوج ابنته أخذ صداقها دونها ، فنهاهم اللَّه عن ذلك ، ونزل : ﴿ **وآتوا النساء صدقاتهن نحلة** ﴾ . رواه ابن أبي حاتم(٥١) وابن جرير(٥٢) .

وقال ابن أبي حاتم(٥٣) : حَدَّثَنَا محمد بن إسماعيل الأحمسي ، حَدَّثَنَا وكيع ، عن سفيان عن عمير الخثعمي ، عن [عبد الملك][٣] بن المغيرة الطائفي ، عن عبد الرحمن بن البَيْلَماني قال : قال رسول اللَّه ﷺ : ﴿ **وآتوا النساء صدقاتهن نحلة** ﴾ . قالوا : يا رسول اللَّه ، فما العلائق بينهم . قال : « **ما تراضىٰ[٤] عليه أهلوهم** » .

---

(٥٠) تفسير ابن أبي حاتم (٣/٨٦٢) .

(٥١) المصدر السابق (٣/٨٦٢) .

(٥٢) في تفسيره (٧/٥٥٣) .

(٥٣) في تفسيره (٣/٨٦١) .

وهذا الحديث قد اختلف فيه على عبد الرحمن بن البيلماني : - فرواه عبد الملك بن المغيرة ، عن عبد الرحمن مرسلًا كذا رواه عمير الخثعمي : أبي داود في المراسيل (٢١٥) وابن أبي حاتم في تفسيره والبيهقي في السنن الكبرى (٧/٢٣٩) .

وكذا رواه أيضًا حجاج بن أرطأة - من رواية حفص بن غياث وأبي معاوية وهشيم وأبي شهاب عند سعيد ابن منصور في سننه (٦١٩) ، وابن أبي شيبة في مصنفه ، كتاب الرد على أبي حنيفة ، مسألة المهر (٨/ ٣٨٢) والبيهقي في السنن الكبرى (٧/٢٣٩) ، وقد خالفهما .

- أعني حفصًا وأبا معاوية - هارونُ بن المغيرة عن حجاج ؛ فرواه عنه ، عن عبد الملك ، عن =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٢] - سقط من : خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين في خ : « عبد اللَّه » . [٤] - في خ : « ترضى » .

وقد روىٰ ابن مردويه(٥٤) ، من طريق حجاج بن أرطاة ، عن عبد الملك بن المغيرة ، عن عبد الرحمن بن البيلماني ، عن عمر بن الخطاب قال : خطبنا[١] رسول الله ﷺ فقال : « **أنكحوا الأيامىٰ** » - ثلاثًا - فقام إليه رجل ، فقال : يا رسول الله ! فما العلائق بينهم؟ قال : « **ما تراضىٰ[٢] عليه أهلوهم** » . ابن البيلماني ضعيف ، ثم فيه انقطاع أيضًا .

وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾

ينهى [سبحانه و][٣] تعالىٰ عن تمكين السفهاء من التصرف في الأموال التي جعلها الله للناس قيامًا ، أي : تقوم بها معايشهم من التجارات وغيرها .

ومن هاهنا يؤخذ الحجر علىٰ السفهاء ، وهم أقسام : فتارة يكون الحجر للصغر ، فإن الصغير مسلوب العبارة ، وتارة يكون الحجر للجنون ، وتارة لسوء التصرف ؛ لنقص العقل أو الدين ،

= ابن البيلماني ، عن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : عند ابن مردويه - كما سيذكره ابن كثير - والبيهقي (٢٣٩/٧) وقال : وليس بمحفوظ) .

- ورواه محمد بن عبد الرحمن بن البيلماني عن أبيه ، واختلف عنه : فرواه صالح بن عبد الجبار عنه عن أبيه عن ابن عباس مرفوعًا (كما عند ابن عدي في الكامل (٢١٨٩/٦) والدارقطني في السنن (٢٤٤/٣) والبيهقي في السنن الكبرى (٢٣٩/٧) .

ورواه محمد بن الحارث البصري عنه عن أبيه عن ابن عمر مرفوعًا (كما عند ابن عدي في الكامل (٦/ ٢١٨٨) والبيهقي (٢٣٩/٧) .

قال ابن عدي : وهذه الأحاديث مع غيرها التي يرويها ابن البيلماني عن أبيه عن ابن عمر وابن عباس وكل ما روي عن ابن البيلماني : فالبلاء فيه من ابن البيلماني . وإذا روى عن ابن البيلماني محمد بن الحارث هذا فجميعًا ضعيفان ، والضعف على حديثهما بيِّنٌ .

وقال ابن حجر : إسناده ضعيف جدًّا . وحكى عبد الحق أن المرسل أصح .

(٥٤) انظر الحديث السابق .

---

[١] - في خ : « خطب » . [٢] - في خ : « تراضيا » .

[٣] - سقط من : خ .

[وتارة للفلس ، وهو ما إذا أحاطت الديون برجل وضاق ما له عن وفائها][١] ، فإذا سأل الغرماء الحاكم الحَجْرَ عليه ، حجر عليه .

وقد[٢] قال الضحاك ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **ولا تؤتوا السفهاء أموالكم** ﴾ قال : هم بَنُوكَ والنساء ، وكذا قال ابن مسعود والحكم بن عتيبة ، والحسن[٣] والضحاك : هم النساء والصبيان .

و[٤] قال سعيد بن جبير : هم[٥] اليتامىٰ .

وقال مجاهد وعكرمة وقتادة : هم النساء .

وقال ابن أبي حاتم(٥٥) : حَدَّثَنَا أبي ، حَدَّثَنَا هشام بن عمار ، حَدَّثَنَا صدقة بن خالد ، حَدَّثَنَا عثمان بن أبي العاتكة ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن النساء سفهاء ، إلا التي أطاعت قيِّمها** » .

ورواه ابن مردُويه مطولًا .

وقال ابن أبي حاتم : ذكر عن مسلم بن إبراهيم ، حَدَّثَنَا حرب بن سُرَيج ، عن معاوية بن قرة ، عن أبي هريرة : ﴿ **ولا تؤتوا السفهاء أموالكم** ﴾ قال : هم[٦] الخدم ، وهم شياطين الإنس وهم الخدم .

وقوله : ﴿ **وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولًا معروفًا** ﴾ قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس يقول : لا تعمد إلىٰ مالك وما خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيه امرأتك أو بنيك ، ثم تنظر إلىٰ ما في أيديهم ، ولكن أمسك مالك وأصلحه ، وكن أنت الذي تنفق عليهم من كسوتهم ومؤنتهم ورزقهم .

---

(٥٥) في تفسيره (٣/٨٦٢) وفيه (هُنَّ السفهاءُ) . وعثمان بن أبي العاتكة القاصُّ مقرئُ أهل دمشق ، قال ابن معين : ليس بشيء . وقد ذكر ابن عدي أن هشام بن عمار حدَّث عن صدقة بن خالد عن عثمان هذا عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة ثلاثين حديثًا عامتها ليست بمستقيمة .

وقد نسبه دحيم للصدق ، إلا أنه أنكر حديثه عن علي بن يزيد . وبنحو ذلك قال أبو حاتم .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في خ : « و » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - سقط من خ .

وقال ابن جرير(٥٦) : حَدَّثَنَا ابن المثنىٰ ، حَدَّثَنَا محمد بن جعفر ، حَدَّثَنَا شعبة ، عن فراس ، عن الشعبي ، عن أبي بردة ، عن أبي موسىٰ قال : **ثلاثة يدعون الله فلا يستجيب لهم ، رجل كانت له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ، ورجل أعطىٰ ماله سفيهًا ، وقد قال : ﴿ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم ﴾ . ورجل كان له علىٰ رجل دين فلم يُشهد عليه** .

وقال مجاهد : ﴿ **وقولوا لهم قولًا معروفًا** ﴾ يعني في البر والصلة .

وهذه الآية الكريمة انتظمت الإحسان إلىٰ العائلة[١] ، ومن تحت الحَجْر بالفعل ، من الإنفاق في الكساوى والكلام الطيب وتحسين الأخلاق .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وابتلوا اليتامىٰ** ﴾ قال ابن عباس ومجاهد والحسن والسدي ومقاتل [بن حيان][٢] : أي : اختبروهم . ﴿ **حتىٰ إذا بلغوا النكاح** ﴾ قال مجاهد يعني : الحلم . قال الجمهور من العلماء : البلوغ في الغلام تارة يكون بالحلم ، وهو أن يرىٰ في منامه ما ينزل به الماء الدافق الذي يكون منه الولد .

وقد روى أبو داود(٥٧) في سننه ، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال : حفظت من رسول الله ﷺ : « **لا يُتْمَ بعد احتلام ، ولا صمات يوم إلىٰ الليل** » .

---

(٥٦) في تفسيره (٧/٥٦٤) .

وهذا الحديث رواه الحاكم في مستدركه (٢/٣٠٢) من طريق أبي المثنى معاذ بن معاذ العنبري ، ثنا أبي ، ثنا شعبة سقط يتبين من رواية البيهقي عن الحاكم في السنن الكبرى (١٠/١٤٦) فساق إسناده لكنه رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم مخالفًا في ذلك أصحاب شعبة .

قال الحاكم : لم يخرجاه لتوقيف أصحاب شعبة هذا الحديث على أبي موسى .

(٥٧) سنن أبي داود ، كتاب الوصايا ، باب متى ينقطع اليتم (٢٨٧٣) . ورواه أيضًا العقيلي في الضعفاء (٤/٤٢٨-٤٢٩) . والطبراني في الأوسط (١/٩٥) (٢٩٠) - من طريق أحمد بن صالح ، عن يحيى ابن محمد المديني الجاري ، عن عبد الله بن خالد بن سعيد بن أبي مريم ، عن أبيه ، عن سعيد بن عبد الرحمن بن رُقَيْش ، أنه سمع شيوخًا من بني عمرو بن عوف ، ومن خاله عبد الله بن أبي أحمد بن جحش قال : قال علي . فذكره مرفوعًا . قال العقيلي : وهذا الحديث لا يُتابَعُ عليه يحيى ، وهذا يرويه معمر عن جويبر عن الضحاك عن النزال بن سبرة عن علي مرفوعًا ، ورواه الثوري وغيره عن جويبر موقوفًا . وهو الصواب . وقال الطبراني : لا يروى هذا الحديث عن عبد الله بن أبي أحمد إلا بهذا الإسناد ، تفرد به أحمد بن صالح .

---

[١] - في خ : « الغالبة » . [٢] - ما بين المعكوفتين زيادة من : خ .

وفي الحديث الآخر عن عائشة(٥٨) وغيرها(٥٩) من الصحابة رضى الله عنهم ، عن النبي ﷺ قال : « **رفع القلم عن ثلاثة ؛ عن[١] الصبي حتىٰ يحتلم ، وعن النائم حتىٰ يستيقظ ، وعن المجنون حتىٰ يفيق** » أو يستكمل خمس عشرة سنة . وأخذوا ذلك من الحديث الثابت في الصحيحين عن [عبد الله بن][٢] عمر ، قال : عرضت علىٰ النبي ﷺ يوم أحد ، وأنا ابن أربع عشرة فلم يجزني ، وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة [سنة][٣] فأجازني . فقال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز لما بلغه هذا الحديث : إن هذا الفرق بين الصغير والكبير(٦٠) .

واختلفوا في إنبات الشعر الخشن حول الفرج ، وهي الشعرة ، هل تدل علىٰ بلوغ أم لا ؟ علىٰ ثلاثة أقوال . يفرق في الثالث بين صبيان المسلمين ، فلا يدل علىٰ ذلك ؛ لاحتمال المعالجة ، وبين صبيان أهل الذمة ، فيكون بلوغا في حقهم ؛ لأنه[٤] لا يتعجل بها إلّا ضرب الجزية عليه[٥] ، فلا يعالجها .

والصحيح أنها بلوغ في حق الجميع[٦] ؛ لأن هذا أمر جبلي يستوي فيه الناس ، واحتمال المعالجة بعيد ، ثم قد دلت السنة علىٰ ذلك ، في الحديث الذي رواه الإِمام أحمد(٦١) ، عن

(٥٨) أخرجه أحمد في المسند (٦/١٠٠،١٠١،١٤٤) (٢٤٨٠٦) (٢٤٨١٤) (٢٥٢٢٥) ، وأبو داود في كتاب الحدود ، باب في المجنون يسرق أو يصيب أحدًا (٤٣٩٨) ، والنسائي في كتاب الطلاق ، باب من لا يقع طلاقه من الأزواج (٦/١٥٦) ، وابن ماجة في كتاب الطلاق ، باب طلاق المعتوه والصغير والنائم (٢٠٤١) ، والدارمي في سننه (٢/١٧١) ، وابن حبان في صحيحه (١/٣٥٥) (١٤٢) ، وابن الجارود في المنتقى (١٤٨) ، والحاكم في المستدرك (٢/٥٩) . كلهم من طريق حماد بن سلمة ، عن حماد بن أبي سليمان ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .

(٥٩) كابن عباس ، وأبي هريرة ، وأبي قتادة وغيرهم . وانظر في ذلك : نصب الراية (٤/١٦١-١٦٥) .

(٦٠) صحيح البخاري ، كتاب الشهادات ، باب ما يكره من الإطناب في المدح وَلْيَقُلْ ما يعلم (٢٦٦٤) ، وصحيح مسلم ، كتاب الإمارة (١٨٦٨) ، وفي آخره قول عمر بن عبد العزيز : إن هذا لَحَدٌّ بين الصغير والكبير .

(٦١) المسند (٤/٣١٠، ٥/٣١١-٣١٢) (١٨٨٣٠) (٢٢٧٦٢) (٢٢٧٦٣) ، من طرق عن عبد الملك بن عمير ، عن عطية القرظي به .

[١] - سقط من : ت .
[٢] - في ت : « ابن »
[٣] - سقط من ت .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في خ : « الكل » .

عطية القرظي رضي الله عنه ، قال : عرضنا على النبي ﷺ يوم قريظة ، [ ][١] ، فكان من أنبت قتل ، ومن لم ينبت خُلي سبيله ، فكنت فيمن لم ينبت ، فخُلي سبيلي .

وقد أخرجه أهل السنن الأربعة(٦٢) بنحوه ، وقال الترمذي : حسن صحيح ، وإنما كان كذلك ؛ لأن سعد بن معاذ رضي الله عنه كان قد حكم فيهم بقتل المقاتلة وسبي الذرية .

وقال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الغريب (٦٣) : حَدَّثَنَا ابن علية ، عن إسماعيل ابن أمية ، عن محمد بن يحيىٰ بن حبان ، عن عمر ، أن غلامًا ابتهر جارية في شعره ، فقال : عمر رضي الله عنه انظروا إليه . فلم يوجد أنبت ، فدرأ عنه الحد . قال أبو عبيد : ابتهرها ، أي : قذفها . والابتهار أن يقول : فعلتُ بها . وهو كاذب . فإن كان صادقا فهو الابتيار ، قال الكميت في شعره :

قبيح بمثلي نعت الفتاة إما ابتهارًا وإما ابتيارًا

وقوله عز وجل : ﴿ فإن آنستم منهم رشدًا فادفعوا إليهم أموالهم ﴾ قال سعيد بن جبير : يعني صلاحًا في دينهم ، وحفظًا لأموالهم .

وكذا روي عن ابن عباس والحسن البصري وغير واحد من الأئمة ، وهكذا قال الفقهاء : متى[٢] بلغ الغلام مصلحًا لدينه وماله انفك الحجر عنه ، فيسلم إليه ماله الذي تحت يد وليه بطريقه[٣] .

وقوله : ﴿ ولا تأكلوها إسرافًا وبدارًا أن يكبروا ﴾ ينهىٰ تعالىٰ عن أكل أموال اليتامىٰ من غير حاجة ضرورية ﴿ إسرافًا وبدارًا ﴾ أي : إسرافًا مبادرة قبل بلوغهم .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ ومن كان غنيًا فليستعفف ﴾ أي : [من كان في غنية عن مال اليتيم][٤]

(٦٢) سنن أبي داود ، كتاب الحدود ، باب في الغلام يصيب الحد (٤٤٠٤) (٤٤٠٥) ، والترمذي في كتاب السير ، باب ما جاء في النزول على الحاكم (١٥٨٤) ، والنسائي في كتاب الطلاق ، باب متى يقع طلاق الصبي ، وابن ماجة في كتاب الحدود ، باب من لا يجب عليه الحد (٢٥٤١) (٢٥٤٢) ، والحاكم في المستدرك (١٢٣/٢، ٣٨٩/٤) . - من طُرقٍ عن عبد الملك بن عمير ، عن عطية القرظي به . قال الحاكم : هذا حديث غريب صحيح ولم يخرجاه .

(٦٣) غريب الحديث لأبي عبيد (٢٨٩/٣) .

[١] - في خ : [فأمر من ينظروا] .
[٢] - في ت : « إذا » .
[٣] - سقط من : ت .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

فليستعفف عنه ، ولا يأكل منه شيئًا . وقال الشعبي : هو عليه كالميتة والدم .

﴿ **ومن كان فقيرًا فليأكل بالمعروف** ﴾ قال ابن أبي حاتم(٦٤) : حَدَّثَنَا الأشج ، حَدَّثَنَا عبد الله بن سليمان ، حَدَّثَنَا هشام ، عن أبيه ، عن عائشة : ﴿ **ومن كان غنيًا فليستعفف** ﴾ نزلت في مال اليتيم .

وحَدَّثَنَا الأشج ، وهارون بن إسحاق قالا : حَدَّثَنَا عبدة بن سليمان ، عن هشام ، عن أبيه، عن عائشة : ﴿ **ومن كان فقيرًا فليأكل بالمعروف** ﴾ قالت[١] : نزلت في والي اليتيم الذي يقوم عليه ويصلحه ، إذا كان محتاجًا أن يأكل منه(٦٥) .

وحَدَّثَنَا أبي ، حَدَّثَنَا محمد بن سعيد الأصبهاني ، حَدَّثَنَا علي بن مسهر ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : أنزلت هذه الآية في والي اليتيم ﴿ **ومن كان غنيًا فليستعفف ومن كان فقيرًا فليأكل بالمعروف** ﴾ بقدر قيامه عليه(٦٦) .

ورواه[٢] البخاري عن إسحاق عن[٣] [عبد الله][٤] بن نمير ، عن هشام به(٦٧) .

قال الفقهاء : له أن يأكل أقل الأمرين ؛ أجرة مثله ، أو قدر حاجته .

واختلفوا هل يردّ إذا أيسر؟ علىٰ قولين : (أحدهما) لا[٥] ؛ لأنه أكل بأجرة عمله وكان فقيرًا . وهذا هو الصحيح عند أصحاب الشافعي ؛ لأن الآية أباحت الأكل من غير بدل .

[وقال الإمام][٦] أحمد(٦٨) : حَدَّثَنَا عبد الوهاب ، حَدَّثَنَا حسين ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، أن رجلا سأل رسول الله ﷺ فقال : ليس لي مال ولي يتيم؟ فقال : « **كل من مال يتيمك غير مسرف ولا مبذر ، ولا متأثل مالاً ، ومن غير أن تقي مالك ، أو قال– تفدي**

---

(٦٤) في تفسيره (٣/٨٦٧) .

(٦٥) المصدر السابق (٣/٨٦٨) .

(٦٦) المصدر السابق (٣/٨٦٩) .

(٦٧) صحيح البخاري (٤٥٧٥)في كتاب التفسير ، باب « ومن كان فقيرًا فليأكل بالمعروف » .

(٦٨) المسند (٢/١٨٦،٢١٥-٢١٦) (٦٧٤٧) (٧٠٢٢) .

---

[١] - في خ : « قال » .

[٢] - في خ : « وروى » .

[٣] - في ت : « بن » . خطأ .

[٤] - ما بين المعكوفتين في خ : « عبد الرحمن » .

[٥] - سقط من : خ .

[٦] - ما بين المعكوفتين في ت : « قال » .

مالك - بماله » . شك حسين .

وقال ابن أبي حاتم(٦٩) : حَدَّثَنَا أبو سعيد الأشج ، حَدَّثَنَا أبو خالد الأحمر ، حَدَّثَنَا حسين المكتب ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، قال : جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال : إن عندي يتيمًا عنده مال وليس عندي شيء ، فما آكل من ماله؟ قال : « **كل بالمعروف غير مسرف** » .

ورواه[١] أبو داود(٧٠) والنسائي(٧١) وابن ماجة(٧٢) من حديث حسين المعلم به .

وروىٰ[٢] أبو حاتم بن حبان في صحيحه(٧٣) وابن مردويه في تفسيره ، [من حديث][٣] يعلى ابن مهدي ، عن جعفر بن سليمان ، عن أبي عامر الخزاز ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر ، أن رجلًا قال : يا رسول الله ؛ فيم أضرب يتيمي؟ قال : « **مما كنت ضاربا منه ولدك ، غير واقٍ مالك بماله ، ولا متأثل منه مالًا** » .

---

(٦٩) في تفسيره (٨٦٨/٣) .

(٧٠) في سننه ، كتاب الوصايا ، باب ما لولي اليتيم أن ينال من مال اليتيم (٢٨٧٢) .

(٧١) سنن النسائي ، كتاب الوصايا ، باب ما للوصي من مال اليتيم إذا قام عليه (٢٥٦/٦) .

(٧٢) سنن ابن ماجة ، كتاب الوصايا ، باب قوله : « ومن كان فقيرًا فليأكل بالمعروف (٢٧١٨) .

(٧٣) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٥٤/١٠-٥٥) (٤٢٤٤) وكان فيه : يعلى بن مهدي ، وصوبها مصححه من التقاسيم إلى مُعَلَّى بن مهدي .

وأخرجه الطبراني في المعجم الصغير (٨٩/١) وابن عدي في الكامل (١٣٩٠/٤) ومن طريقه البيهقي في السنن الكبرى (٤/٦) - كلهم من طريق إبراهيم بن علي العمري ، عن مُعَلَّى بن مهدي به .

قال الطبراني : لم يروه عن عمرو بن دينار عن جابر إلا أبو عامر الخزاز ، ولا عنه إلا جعفر بن سليمان . تفرد به معلى بن مهدي .

وقال ابن عدي - بعد أن ذكر الحديث في مناكير صالح بن رستم أبي عامر الخزاز - : لا أعرفه إلا من هذا الطريق ، وهو غريب ، ولا أعلم يرويه عن أبي عامر غيرُ جعفر بن سليمان . اهـ .

- وقد خولف أبو عامر في روايته عن عمرو بن دينار ؛ فقد رواه حماد بن زيد وسفيان بن عيينة عن عمرو ابن دينار ، عن الحسن بن عبد الله العُرَني به مرسلًا . كذا رواه البيهقي (٢٤/٦) قال البيهقي : وهو المحفوظ .

لكن قال ابن المغربي : وإن لم يثبت مُسندًا فليس يجد أحدٌ عنه مُلْتَحدًا .

تفسير القرطبي (٤٥/٥) .

---

[١] - في خ : « وقال » . [٢] - في خ : « وقال » .

[٣] - سقط من : خ .

وقال ابن جرير(٧٤) : حَدَّثَنَا الحسن[١] بن يحيىٰ ، أخبرنا عبد الرزاق ، أخبرنا الثوري ، عن يحيىٰ بن سعيد ، عن القاسم بن محمد ، قال : جاء أعرابي إلىٰ ابن عباس ، فقال : إن في حجري أيتامًا ، وإن لهم إبلًا ، ولي إبل ، وأنا أمنح في إبلي وأفقر ، فماذا يحل لي من ألبانها ؟ فقال : « **إن كنت تبغي ضالتها ، وتهنأ جرباها ، وتلوط حوضها ، وتسقي عطشها**[٢] ، **فاشرب غير مضر بنسل ، ولا نَاهِكٍ**[٣] **في الحلب** » .

ورواه مالك(٧٥) في موطئه ، عن يحيىٰ بن سعيد ، به .

وبهذا القول ، وهو عدم أداء البدل يقول عطاء بن أبي رباح وعكرمة وإبراهيم النخعي وعطية العوفي والحسن البصري .

(والثاني) نعم ؛ لأن مال اليتيم علىٰ الحظر ، وإنما أبيح للحاجة ، فيردّ بدله ، كأكل مال الغير للمضطر عند الحاجة .

وقد قال [أبو بكر][٤] ابن أبي الدنيا : حَدَّثَنَا ابن(٧٦) خيثمة ، حَدَّثَنَا وكيع ، عن سفيان ، وإسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة بن مضرب قال : قال عمر رضي اللَّه عنه : إني أنزلت نفسي من هذا المال بمنزلة والي اليتيم ، إن استغنيت استعففت ، وإن احتجت استقرضت ، فإذا أيسرت قضيت .

(طريق أخرىٰ) : قال سعيد بن منصور : حَدَّثَنَا أبو الأحوص ، عن أبي إسحاق عن البراء قال : قال لي عمر - رضي اللَّه عنه - : إني أنزلت نفسي من مال اللَّه بمنزلة والى اليتيم ، إن احتجت أخذت منه ، فإذا أيسرت رددته ، وإن استغنيت استعففت (٧٧) . إسناد صحيح .

وروىٰ[٥] البيهقي عن ابن عباس نحو ذلك(٧٨) ، وهكذا رواه ابن أبي حاتم ، من طريق علي

---

(٧٤) في تفسيره (٧/٥٨٨-٥٨٩) .
(٧٥) الموطأ ، كتاب صفة النبي صلى اللَّه عليه وسلم ، باب جامع ما جاء في الطعام والشراب .
(٧٦) كذا في الأصل ، والمعروف أن ابن أبي الدنيا يروي عن أبي خيثمة زهير بن حرب .
(٧٧) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٦/٤-٥) من طريق سعيد بن منصور به .
(٧٨) المصدر السابق (٦/٥) .

---

[١] - في خ : « الحسين » .
[٢] - في ت : « عليها » .
[٣] - في ت : « ولا ناهك » .
[٤] - سقط من ت .
[٥] - في خ : « وقال » .

ابن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، في قوله : ﴿ **ومن كان فقيرًا فليأكل بالمعروف** ﴾ يعني القرض .

قال : وروي عن عبيدة وأبي العالية وأبي وائل وسعيد بن جبير في إحدىٰ الروايات ومجاهد والضحاك والسدي نحو ذلك (٧٩) .

وروى من طريق السدي عن عكرمة عن ابن عباس في قوله : ﴿ **فليأكل بالمعروف** ﴾ قال : يأكل بثلاث أصابع .

ثم قال (٨٠) : حَدَّثَنَا أحمد بن سنان ، حَدَّثَنَا ابن مهدي ، حَدَّثَنَا سفيان ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس : ﴿ **ومن كان فقيرًا فليأكل بالمعروف** ﴾ قال : يأكل من ماله ، يقوت علىٰ يتيمه ، حتىٰ لا يحتاج إلىٰ مال اليتيم .

قال : وروي عن مجاهد وميمون بن مهران في إحدىٰ الروايات والحكم[١] نحو ذلك .

وقال عامر الشعبي : لا يأكل منه إلا أن يضطر إليه كما يضطر إلىٰ الميتة ، فإن أكل منه قضاه . رواه ابن أبي حاتم (٨١) .

وقال ابن وهب : حَدَّثَنَا نافع بن أبي نعيم القارئ ، قال : سألت يحيىٰ بن سعيد الأنصاري ، وربيعة ، عن قول اللَّه تعالىٰ : ﴿ **ومن كان فقيرًا فليأكل بالمعروف** ﴾ ؟ الآية . فقالا : ذلك في اليتيم ، إن كان فقيرًا أنفق عليه بقدر فقره ، ولم يكن للولي منه شيء (٨٢) .

وهذا بعيد من السياق لأنه قال : ﴿ **ومن كان غنيًا فليستعفف** ﴾ يعني : من الأولياء ﴿ **ومن كان فقيرًا** ﴾ أي : منهم . ﴿ **فليأكل بالمعروف** ﴾ أي : بالتي هي أحسن . كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتىٰ يبلغ أشده** ﴾ أي : لا تقربوه إلا مصلحين له ، فإن احتجتم إليه أكلتم منه بالمعروف .

وقوله : ﴿ **فإذا دفعتم إليهم أموالهم** ﴾ يعني : بعد بلوغهم الحلم وإيناس الرشد منهم[٢] ،

---

(٧٩) تفسير ابن أبي حاتم (٣/٨٦٩) .
(٨٠) المصدر السابق .
(٨١) المصدر السابق (٣/٨٧٠) .
(٨٢) المصدر السابق (٣/٨٧١) .

---

[١] - في خ : « والحاكم » .
[٢] - سقط من : خ .

فحينئذ سلموهم أموالهم ، فإذا دفعتم إليهم أموالهم ﴿ **فأشهدوا عليهم** ﴾ وهذا أمر من[١] الله تعالىٰ للأولياء أن يشهدوا[٢] علىٰ الأيتام إذا بلغوا الحلم وسلموا إليهم أموالهم ؛ لئلا يقع من بعضهم جحود وإنكار لما قبضه وتسلمه .

ثم قال : ﴿ **وكفى بالله حسيبًا** ﴾ أي : وكفىٰ بالله محاسبًا وشهيدًا ورقيبًا علىٰ الأولياء في حال نظرهم للأيتام ، وحال تسليمهم لأموالهم[٣] ، هل هي كاملة موفورة[٤] ، أو منقوصة مبخوسة ، مدخلة مروج حسابها ، مدلس أمورها؟ الله عالم بذلك كله .

ولهذا ثبت في صحيح مسلم ، أن رسول الله ﷺ قال : « **يا أبا ذرّ ، إني أراك ضعيفًا ، وإني أحب لك ما أحب لنفسي ، لا تأمرنّ علىٰ اثنين ، ولا تلين مال يتيم** »(٨٣) .

﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (٧) وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا (٨) وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا (٩) إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (١٠) ﴾

قال سعيد بن جبير وقتادة : كان المشركون يجعلون المال للرجال الكبار ، ولا يورثون النساء ولا الأطفال شيئًا ، فأنزل الله : ﴿ **للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون** ﴾ الآية[٥] . أي : الجميع فيه سواء في حكم الله تعالىٰ ، يستوون في أصل الوراثة ، وإن تفاوتوا بحسب ما فرض الله لكل منهم بما يدلي به إلىٰ الميت من قرابة ، أو زوجية[٦] ، أو ولاء ؛ فإنه لُحمة كلُحمة النسب .

ورویٰ ابن مردويه من طريق ابن هراسة ، عن سفيان الثوري ، عن عبد الله بن محمد بن

---

(٨٣) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة (١٨٢٦) .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في خ : « للأموال » .
[٤] - في خ : « موفرة » .
[٥] - الآية كاملة في : خ .
[٦] - في خ : « زوجة » .

عقيل ، عن جابر قال : جاءت أم كُجّة إلىٰ رسول اللَّه ﷺ ، فقالت : يارسول اللَّه ! إن لي ابنتين وقد مات أبوهما ، وليس لهما شيء . فأنزل اللَّه تعالىٰ : ﴿ **للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون** ﴾ الآية (٨٤) .

وسيأتي هذا الحديث عند آيتي الميراث بسياق آخر ، واللَّه أعلم .

وقوله : ﴿ **وإذا حضرالقسمة** ﴾ الآية . قيل : المراد إذا حضر قسمة الميراث ذَوُو القربىٰ ، ممن ليس بوارث واليتامىٰ والمساكين فليرضخ لهم من التركة نصيب ، وأن ذلك كان واجبًا في ابتداء الإِسلام ، وقيل : مستحب . واختلفوا : هل هو منسوخ أم لا ؟ علىٰ قولين .

فقال البخاري(٨٥) : حَدَّثَنَا أحمد بن حميد ، أخبرنا عبيد اللَّه الأشجعي ، عن سفيان ، عن الشيباني ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ **وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين** ﴾ قال : هي محكمة ، وليست بمنسوخة . تابعه سعيد ، عن ابن عباس .

وقال ابن جرير (٨٦) : حَدَّثَنَا القاسم ، حَدَّثَنَا الحسين ، حَدَّثَنَا عباد بن العوام ، عن الحجاج ، عن[١] الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس ، قال : هي قائمة يعمل بها .

وقال الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في هذه الآية ، قال : هي واجبة علىٰ أهل الميراث ما طابت به أنفسهم .

وهكذا روي[٢] عن ابن مسعود وأبي موسىٰ وعبد الرحمن بن أبي بكر وأبي العالية والشعبي

---

(٨٤) وأخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة ، ومن طريقه أبو موسى المديني (كما في الإصابة ٣/٢٧٢) من طريق إبراهيم بن هَرَاسةَ ، عن سفيان الثوري به .

وإبراهيم بن هَرَاسة أبو إسحاق الشيباني الكوفي : قال البخاري ، والنسائي : متروك الحديث ، وكذبه أبو عبيد والعجلي .

وقال ابن عدي : يغرب عن الثوري بأحاديث صالحة .

- وقد خولف ابنُ هَرَاسة في سياقة هذا الحديث عن الثوري عن ابن عقيل ، وسيأتي ذلك . انظر هامش (١١٣) .

(٨٥) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب « وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين » (٤٥٧٦) .

(٨٦) في تفسيره (٨/٨) (٨٦٦٩) .

---

[١] - في خ : « بن » . [٢] - في خ : « رواه » .

والحسن .

وقال[١] ابن سيرين وسعيد بن جبير ومكحول وإبراهيم النخعي وعطاء بن أبي رباح والزهري ويحيىٰ بن يعمر : إنها واجبة .

وروىٰ ابن أبي حاتم (٨٧) ، عن أبي سعيد الأشج ، عن إسماعيل بن علية ، عن يونس بن عبيد ، عن محمد بن سيرين ، قال : ولي عبيدة وصية ، فأمر بشاة فذبحت ، فأطعم أصحاب هذه الآية ، وقال : لولا هذه الآية لكان هذا من مالي .

وقال مالك فيما يروىٰ عنه في التفسير في جزء مجموع عن الزهري : أن عروة أعطى من مال مصعب حين قسم ماله .

وقال الزهري : وهي محكمة .

وقال مالك ، عن عبد الكريم ، عن مجاهد ، قال : هي حق واجب ما طابت به الأنفس .

(ذكر من ذهب إلىٰ أن ذلك أمر بالوصية لهم)

قال عبد الرزاق(٨٨) : أخبرنا ابن جريج ، أخبرني ابن أبي مليكة ، أن أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق والقاسم بن محمد أخبراه ، أن عبد اللّٰه بن عبد الرحمن بن أبي بكر قسم ميراث أبيه عبد الرحمن ، وعائشة حية ، قالا : فلم يدع في الدار مسكينًا ولا ذا قرابة إلا أعطاه من ميراث أبيه ، قالا : وتلا ﴿ **وإذا حضر القسمة أولوا القربىٰ** ﴾ قال القاسم : فذكرت ذلك لابن عباس ، فقال : ما أصاب ، ليس ذلك له ، إنما ذلك إلىٰ الوصية ، وإنما هذه الآية في الوصية . يريد الميت [أن] يوصي لهم .

رواه ابن أبي حاتم(٨٩) .

---

(٨٧) في تفسيره (٨٧٤/٣) .

(٨٨) في تفسيره (١٤٩/١-١٥٠) .

(٨٩) في تفسيره (٨٧٥/٣) .

---

[١] - في خ : «و» .

(ذكر من قال إن هذه الآية منسوخة بالكلية)

قال سفيان الثوري ، عن محمد بن السائب الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس - رضي اللّٰه تعالىٰ عنهما - : ﴿ **وإذا حضر القسمة** ﴾ قال : منسوخة .

قال إسماعيل بن مسلم المكي ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال - في هذه الآية - ﴿ **وإذا حضر القسمة أولوا القربىٰ** ﴾ : نسختها الآية التي بعدها . ﴿ **يوصيكم اللّٰه في أولادكم** ﴾ .

وروىٰ العوفي ، عن ابن عباس - رضي اللّٰه تعالىٰ عنهما - في هذه الآية - ﴿ **وإذا حضر القسمة أولوا القربىٰ** ﴾ : كان ذلك من قبل أن تنزل الفرائض ، فأنزل اللّٰه بعد ذلك الفرائض ، فأعطىٰ كل ذي حق حقه ، فجعلت الصدقة فيما سمىٰ المتوفىٰ .

رواهن ابن مردويه .

وقال ابن أبي حاتم(٩٠) : حَدَّثَنَا الحسن بن محمد بن الصباح ، حَدَّثَنَا حجاج ، عن ابن جريج ، وعثمان بن عطاء ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، في قوله : ﴿ **وإذا حضر القسمة أولوا القربىٰ واليتامىٰ والمساكين** ﴾ : نسختها آية الميراث فجعل لكل إنسان نصيبه مما ترك الوالدان والأقربون ، مما قل منه أو كثر .

وحَدَّثَنَا أسيد بن عاصم ، حَدَّثَنَا سعيد بن عامر ، عن همام ، حَدَّثَنَا قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، أنه قال : إنها منسوخة ، كانت قبل الفرائض ، كان ما ترك الرجل من مال أعطى منه اليتيم والفقير والمسكين وذوو القربىٰ إذا حضروا القسمة ، ثم [نُسخ بعد ذلك][١] نسختها المواريث ، فألحق اللّٰه بكل ذي حق حقه ، وصارت الوصية من[٢] ماله ، يوصي بها لذوي قرابته حيث شاء .

وقال مالك ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب : هي منسوخة ، نسختها المواريث والوصية .

وهكذا روي عن عكرمة وأبي الشعثاء والقاسم بن محمد ، وأبي صالح ، وأبي مالك وزيد بن أسلم والضحاك وعطاء الخراساني ومقاتل بن حيان وربيعة بن أبي عبد الرحمن ، أنهم قالوا : إنها

(٩٠) المصدر السابق .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٢] - في خ : « مما » .

منسوخة .

وهذا مذهب جمهور الفقهاء والأئمة الأربعة وأصحابهم .

وقد اختار ابن جرير هاهنا قولًا غريبًا جدًّا ، وحاصله أن معنىٰ الآية عنده ، وإذا حضر القسمة - أي : وإذا حضر قسمة مال الوصية أولوا قرابة الميت فارزقوهم منه ، وقولوا لليتامىٰ والمساكين إذا حضروا قولًا معروفًا . هذا معنىٰ ما حاوله بعد طول العبارة والتكرار(٩١) ، وفيه نظر ، والله أعلم .

وقال[١] : العوفي عن ابن عباس : ﴿ وإذا حضر القسمة ﴾ هي قسمة الميراث . وهكذا قال غير واحد . والمعنىٰ علىٰ هذا ، لا علىٰ ما سلكه [أبوجعفر][٢] ابن جرير - رحمه الله - بل المعنىٰ أنه إذا حضر هؤلاء الفقراء من القرابة الذين لا يرثون واليتامىٰ والمساكين قسمة مال جزيل فإن أنفسهم تتوق إلىٰ شيء منه إذا رأوا ، هذا يأخذ ، وهذا يأخذ ، وهم يائسون لا شيء يعطونه[٣] ، فأمر الله تعالىٰ - وهو الرءوف الرحيم - أن يرضخ لهم شيء من الوسط يكون برًّا بهم ، وصدقة عليهم ، وإحسانًا إليهم ، وجبرًا لكسرهم . كما قال تعالىٰ : ﴿ **كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده** ﴾ وذم الذين ينقلون[٤] المال خفية خشية أن يطلع عليهم المحاويج وذوو الفاقة ، كما أخبر عن أصحاب الجنة ﴿ **إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين** ﴾ أي : بليل . وقال : ﴿ **فانطلقوا وهم يتخافتون أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين** ﴾ فـ ﴿ **دمر الله عليهم ، وللكافرين أمثالها** ﴾ فمن جحد حق الله عليه عاقبه الله في أعز ما يملكه ، ولهذا جاء في الحديث : « **ما خالطت الصدقة مالًا إلا أفسدته** » (٩٢) . أي : منعها يكون سبب محاق[٥] ذلك المال بالكلية .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وليخش الذين لو تركوا من خلفهم** ﴾ الآية . قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : هذا في الرجل يحضره الموت ، فيسمعه الرجل يوصي بوصية تضر بورثته ، فأمر الله تعالىٰ الذي يسمعه أن يتقي الله ويوفقه ، ويسدّده للصواب ، ولينظر[٦] لورثته كما كان يحب أن يصنع بورثته إذا خشي عليهم الضيعة .

(٩١) انظر : تفسير الطبري (١٢/٨) .

[١] - في خ : قال ، وقال .

[٢] - سقط من ت .

[٣] - في خ : « يعطون » .

[٤] - في خ : « يستقلون » .

[٥] - في ت : « محق » .

[٦] - في ت : « فينظر » .

وهكذا قال مجاهد وغير واحد ، وثبت[١] في الصحيحين(٩٣) أن رسول اللَّه ﷺ ، لما دخل علىٰ سعد بن أبي وقاص يعوده قال : يا رسول اللَّه ، إني ذو مال ، ولا يرثني إلا ابنة ، أفأتصدق بثلثي مالي ؟ قال : « **لا** » . قال : فالشطر . قال : « **لا** » . قال : فالثلث . قال : « **الثلث ، والثلث كثير** » . ثم قال رسول اللَّه ﷺ : « **إنك أن تذر ورثتك أغنياء ، خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس** » .

وفي الصحيح (٩٤) ، عن ابن عباس ، قال : لو أن الناس غضوا من الثلث إلىٰ الربع ؛ فإن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم قال : « **الثلث ، والثلث كثير** » .

قال الفقهاء : إن كان ورثة الميت أغنياء ، استحب للميت أن يستوفى الثلث في وصيته ، وإن كانوا فقراء استحب أن ينقص الثلث . وقيل : المراد بقوله : ﴿ **وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافًا خافوا عليهم فليتقوا اللَّه** ﴾ أي[٢] في مباشرة أموال اليتامىٰ . ﴿ **ولا**

---

(٩٢) رواه الإمام الشافعي في مسنده (شفاء العي (١/٤٠٥) (٦٠٧)) وعنه البيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٥٩) والبغوي في شرح السنة (١٥٦٣) ، وورواه الحميدي في مسنده (٢٣٧) ، وابن عدي في الكامل (٦/٢٢١٤) وعنه البيهقي (٤/١٥٩) .

- كلهم من طريق محمد بن عثمان بن صفوان بن أمية القرشي الجمحي ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي اللَّه عنها به مرفوعًا .

ومحمد بن عثمان هذا ، قال أبو حاتم : منكر الحديث ، وقال الدارقطني : ليس بالقوي ، ووثقه ابن حبان .

قال ابن عدي : ومحمد بن عثمان بن صفوان يُعرفُ بهذا الحديث ، ولا أعلم أنه رواه عن هشام بن عروة غيرُه .

(*) قال الحافظ المنذري : وهذا الحديث يحتمل معنيين :

أحدهما : أن الصدقة ما تُركَتْ في مال ولم تُخْرَجْ منه إلا أهلكته .

والثاني : أن الرجل يأخذ الزكاة وهو غني عنها ، فيضعُها مع ماله فتهلكه ، وبهذا فسره الإمام أحمد. الترغيب والترهيب (١/٥٤٣) .

(٩٣) صحيح البخاري ، كتاب الوصايا ، باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس (٢٧٤٢) ، وصحيح مسلم ، كتاب الوصية (١٦٢٨) .

(٩٤) صحيح البخاري ، كتاب الوصايا ، باب الوصية بالثلث (٢٧٤٣) ، وصحيح مسلم ، كتاب الوصية (١٦٢٩) .

---

[١] - في خ : « وورد » . [٢] - سقط من : ت .

تأكلوها إسرافا وبدارا [أن يكبروا][١] ﴾ .

حكاه ابن جرير من طريق العوفي ، عن ابن عباس (٩٥) ، وهو قول حسن ، يتأيد بما بعده من التهديد في أكل أموال اليتامىٰ ظلما [ولا ترعبهم][٢] ، أي كما تحب أن تعامل ذرّيتك من بعدك ، فعامل الناس في ذرّياتهم إذا وليتهم ، ثم أعلمهم أن من أكل أموال اليتامىٰ ظلمًا ، فإنما يأكل في بطنه نارًا ، ولهذا قال : ﴿ **إن الذين يأكلون أموال اليتامىٰ ظلمًا إنما يأكلون في بطونهم نارًا وسيصلون سعيرًا** ﴾ أي : إذا أكلوا أموال اليتامىٰ بلا سبب ، فإنما يأكلون نارًا تتأجج في بطونهم يوم القيامة . ورُوي[٣] في الصحيحين (٩٦) ، من حديث سليمان بن بلال ، عن ثور بن يزيد ، عن سالم أبي الغيث ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « **اجتنبوا السبع الموبقات** » - قيل : يا رسول الله ؛ وما هنّ ؟ قال : « **الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات** » .

و[٤] قال ابن أبي حاتم (٩٧) : حَدَّثَنَا أبي ، حَدَّثَنَا عبيدة ، أخبرنا أبو عبد الصمد عبد العزيز بن عبد الصمد العمي ، حَدَّثَنَا أبو هارون العبدي ، عن أبي سعيد الخدري قال : قلنا : يا رسول الله ، ما رأيت ليلة أسري بك؟ قال : « **انطلق بي إلىٰ خلق من خلق الله كثير ، رجال كل رجل منهم له مشفران كمشفر البعير ، وهو موكل بهم رجال يفكون[٥] لحي[٦] أحدهم ، ثم يجاء بصخرة من نار فتقذف في في أحدهم ، حتىٰ تخرج من أسفله ، وله[٧] خوار وصراخ ، قلت : يا جبريل ؛ من هؤلاء؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامىٰ ظلمًا ، إنما يأكلون في بطونهم نارًا وسيصلون سعيرًا** » .

---

(٩٥) تفسير ابن جرير (٢٣/٨) .

(٩٦) صحيح البخاري ، كتاب الوصايا ، باب قول الله تعالى : « إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا إنما يأكلون في بطونهم نارًا وسيصلون سعيرًا » (٢٧٦٦) (٥٧٦٤) (٦٨٥٧) وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان (٨٩) .

(٩٧) في تفسيره (٨٧٩/٣) . وهو جزء من حديث المعراج الذي رواه أبو هارون العبدي ، عن أبي سعيد . وسيأتي بطوله في سورة الإسراء .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٣] - في ت : « و » .
[٤] - سقط من : ت .
[٥] - في خ : « يكفون » .
[٦] - في ت : « لحاء » .
[٧] - في ت : « لهم » .

وقال السدي : يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة ، ولهب النار يخرج من فيه، ومن مسامعه ، وأنفه ، وعينيه ، يعرفه كل من رآه بآكل مال اليتيم .

وقال أبو بكر بن مردويه : حَدَّثَنَا إسحاق بن إبراهيم بن زيد ، حَدَّثَنَا أحمد بن عمرو ، حَدَّثَنَا عقبة بن مكرم ، حَدَّثَنَا يونس بن بكير ، حدثنازياد بن المنذر ، عن نافع بن الحارث ، [عن أبي برزة][١] ، أن رسول الله ﷺ قال : [« **يبعث يوم القيامة القوم من قبورهم ، تأجج أفواههم نارًا** » . قيل : يارسول الله ؛ من هم ؟ قال][٢] : « **ألم تر أن الله قال : ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامىٰ ظلما ﴾** الآية .

رواه[٣] ابن أبي حاتم (٩٨) ، عن أبي زرعة ، عن عقبة بن مكرم ، وأخرجه أبو حاتم بن حبان في صحيحه (٩٩) ، عن أحمد بن علي بن المثنىٰ (١٠٠) ، عن عقبة بن مكرم .

وقال ابن مردويه : حَدَّثَنَا عبد الله بن جعفر ، حَدَّثَنَا أحمد بن عصام ، حَدَّثَنَا أبو عامر العبدي(١٠١) ، حَدَّثَنَا عبد الله بن جعفر الزهري ، عن عثمان بن محمد ، عن المقبري ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **أحرج مال الضعيفين المرأة واليتيم** »(١٠٢) أي :

---

(٩٨) في تفسيره (٣/٨٧٩) .

(٩٩) الإحسان (١٢/٣٧٧) (٥٥٦٦) .

(١٠٠) هو أبو يعلى الموصلي ، والحديث في مسنده (١٣/٤٣٤) (٧٤٤٠) . وقد رواه عنه أيضًا أبو أحمد ابن عدي في الكامل (٣/١٠٤٧) ، وقد ذكر ابن عدي هذا الحديث في مناكير زياد بن المنذر ، ثم قال : وعامة أحاديثه غير محفوظة .

وزياد بن المنذر هذا كذبه ابن معين ، وقال أحمد والنسائي وغيرهما : متروك الحديث .

(١٠١) كذا في الأصل ، والأظهر أنه أبو عامر العَقدي : عبد الملك بن عمرو القيسي . فهو يروي عن عبد الله بن جعفر الزهري المخرمي ، وروى عنه أحمد بن عصام الأنصاري . انظر : الجرح والتعديل (٢/ ٦٦) ، وتهذيب التهذيب .

(١٠٢) أخرجه أحمد (٢/٤٣٩) (٩٦٦٤) ، والنسائي في الكبرى في كتاب عشرة النساء ، باب حق المرأة على زوجها (٩١٤٩) ، وابن ماجة في كتاب الأدب ، باب حق اليتيم (٣٦٧٨) ، وابن حبان (الإحسان ١٢/٣٧٦) والحاكم في المستدرك (١/٦٣،١٢٨) والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/١٣٤) .
- كلهم من طريق محمد بن عجلان ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة رضي الله عنه به مرفوعًا . قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم .

---

[١] - سقط من : خ . [٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : ت .

أوصيكم باجتناب مالهما .

وتقدم في سورة البقرة من طريق عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : لما أنزل الله : ﴿ **إن الذين يأكلون أموال اليتامىٰ ظلمًا** ﴾ الآية انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه ، وشرابه من شرابه ، فجعل يفضل الشيء ، فيحبس له ، حتىٰ يأكله أو يفسد ، فاشتدّ ذلك عليهم ، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ ، فأنزل الله : ﴿ **ويسألونك عن اليتامىٰ قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح** ﴾ الآية ، فخلطوا طعامهم بطعامهم ، وشرابهم بشرابهم(١٠٣) .

﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا (١١) ﴾

هذه الآية الكريمة والتي بعدها والآية التي هي خاتمة هذه السورة ، هن آيات علم الفرائض ، وهو مستنبط من هذه الآيات الثلاث ، ومن الأحاديث الواردة في ذلك ، مما هي كالتفسير لذلك . ولنذكر منها ما هو متعلق بتفسير ذلك . وأما تقرير المسائل ونصب الخلاف والأدلة والحجاج بين الأئمة ، فموضعه كتب الأحكام ، والله المستعان .

وقد ورد الترغيب في تعلم الفرائض ، وهذه الفرائض الخاصة من أهم ذلك ، وقد روىٰ أبو داود(١٠٤) وابن ماجة(١٠٥) من حديث عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي ، عن

---

(١٠٣) تقدم تخريجه في سورة البقرة ، آية رقم ٢٢٠ .

(١٠٤) سنن أبي داود ، كتاب الفرائض ، باب ما جاء في تعليم الفرائض (٢٨٨٥) .

(١٠٥) سنن ابن ماجه ، المقدمة ، باب اجتناب الرأي والقياس (٥٤) . ورواه أيضًا : الدارقطني في سننه (٤/ ٦٨) ، والحاكم في مستدركه (٣٣٢/٤) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٢٠٨/٦) ، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٧٥١/١) (١٣٨٤) ، والبغوي في شرح السنة (٢٩١/١) .

– كلهم من طرق عن عبد الرحمن بن زياد بن أنْعُم الإفريقي به مرفوعًا .

– وعبد الرحمن بن زياد : ضعفه أحمد وابن معين والترمذي والنسائي وابن خزيمة وغيرهم ، وقال =

عبد الرحمن بن رافع التنوخي ، عن عبد الله بن عمرو [رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :][١] « **العلم ثلاثة ، وما سوىٰ ذلك فهو فضل ، آية محكمة ، أو سنة قائمة ، أو فريضة عادلة** » .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **يا أبا هريرة ، تعلموا الفرائض ، وعلموه الناس**[٢] **، فإنه نصف العلم ، وهو ينسىٰ ، وهو أول شيء ينتزع من أمتي** » .

رواه ابن ماجة(١٠٦) ، وفي إسناده ضعف . وقد روي من حديث عبد الله بن مسعود(١٠٧)

= ابن عدي : عامة حديثه لا يتابع عليه . وقد وثقه أحمد بن صالح ، وقوى البخاري أمره وقال : هو مقارب الحديث . - وشيخه عبد الرحمن بن رافع التنوخي : قال البخاري : في حديثه مناكير ، وقال أبو حاتم : حديثه منكر . وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : لا يحتج بخبره إذا كان من رواية ابن أنْعُم ، وإنما وقع المناكير في حديثه من أجله .

(١٠٦) في سننه ، كتاب الفرائض ، باب الحث على تعليم الفرائض (٢٧١٩) . ورواه العقيلي في الضعفاء (٢٧١/١) ، والطبراني في الأوسط (٢٧٢/٥) (٥٢٩٣) ، وابن عدي في الكامل (٧٩١/٢) ، والدارقطني في السنن (٦٧/٤) ، والحاكم في المستدرك (٣٣٢/٤) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٢٠٨) ، والخطيب في تاريخ بغداد (٩٠/١٢) .

- كلهم من طريق حفص بن عمر بن أبي العَطَّاف ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة رضي الله عنه به مرفوعًا .

وحفص بن عمر بن أبي العَطَّاف المدني : وقال أبو حاتم : منكر الحديث ، وقال النسائي : ضعيف ، وقال ابن حبان : لا يجوز الاحتجاج به بحال . قال البخاري : منكر الحديث ، روى عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في تعليم الفرائض . وقال مرة : عن أبي الزناد عن المقبري عن أبي هريرة . ولا يصح . وقال العقيلي : لا يُتابَع عليه ولا يعرف إلا به . وقال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن أبي الزناد إلا حفص بن عمر بن أبي العَطّاف . وقال ابن عدي بعد أن روى له هذا الحديث وآخر في مناكيره :

وهذان الحديثان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة . لا يرويهما عنه - مع تَلَوُّنِ حفص بن عمر في إسناديهما - غير حفص بن عمر بن أبي العَطّاف . قال : وحديثه - كما قال البخاري - منكر الحديث .وقال البيهقي : تفرد به حفص بن عمر ، وليس بالقوي .

(١٠٧) حديث ابن مسعود يرويه عوف ابن أبي جميلة عن الأعرابي عن سليمان بن جابر ، عن ابن مسعود . وقد اختلف فيه على عوف :

- فرواه عبد الله بن المبارك (عند النسائي في الكبرى ، كتاب الفرائض ، باب الأمر بتعليم الفرائض (٤/ ٦٣-٦٤) (٦٣٠٦) ، وأبو أسامة حماد بن أسامة (عند الترمذي ، كتاب الفرائض ، باب ما جاء =

---

[١] - في ت : « مرفوعًا » . [٢] - سقط من : خ .

وأبي سعيد [١٠٨] ، وفي كل منهما نظر . قال ابن عيينة : إنما سمىٰ الفرائض نصف العلم ؛ لأنه يبتلىٰ الناس كلهم .

وقال البخاري[١٠٩] ، عند تفسير هذه الآية : حَدَّثَنَا إبراهيم بن موسىٰ ، حَدَّثَنَا هشام ، أن ابن جريج أخبرهم ، قال : أخبرني ابن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله ، قال : عادني رسول الله ﷺ وأبو بكر في بني سلمة ماشيين ، فوجدني النبي ﷺ لا أعقل شيئًا ، فدعا بماء فتوضأ منه ، ثم رش علي ، فأفقت ، فقلت : ما تأمرني أن أصنع في مالي يارسول الله؟ فنزلت : ﴿ **يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين** ﴾ .

وكذا رواه مسلم[١١٠] والنسائي[١١١] من حديث حجاج بن محمد الأعور ، عن ابن جريج

= في تعليم الفرائض (٢٠٩٢) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٢٠٨/٦) .
وهَوْذة بن خليفة (عند الحاكم في المستدرك (٣٣٣/٤)) .
ثلاثتهم (عبد الله وأبو أسامة وهوذة) عن عوف ، عمن حدثه عن سليمان بن جابر ، عن ابن مسعود .
- ورواه شريك بن عبد الله (عند النسائي في الكبرى ، كتاب الفرائض ، باب الأمر بتعليم الفرائض (٤/ ٦٣) (٦٣٠٥) .
وعثمان بن الهيثم (عند الدارمي في سننه (٧٢/١-٧٣)) .
وعمرو بن حمران البصري (عند الدارقطني في سننه (٨١/٤-٨٢)) .
والنضر بن شميل (عند الحاكم في المستدرك (٣٣٣/٤)) أربعتهم (شريك وعثمان وعمرو والنضر) عن عوف ، عن سليمان بن جابر ، عن ابن مسعود مرفوعًا متصلًا .
- ورواه المثنى بن بكر العبدي عن عوف ، عن سليمان بن جابر ، عن أبي الأحوص ، عن ابن مسعود (عند البيهقي في السنن الكبرى (٢٠٨/٦)) .
- ورواه الفضل بن دلهم القصاب عن عوف ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة (عند الترمذي في السنن ، كتاب الفرائض ، باب ما جاء في تعليم الفرائض (٢٠٩٢) .
(*) قال الإمام أبو الحسن الدارقطني رضي الله عنه : والقولُ قولُ ابن المبارك ومن تابعه . العلل (٧٨/٥-٧٩) (٧٢٦) .

(١٠٨) حديث أبي سعيد الخدري رواه الدارقطني في سننه (٨٢/٤) ، قال الحافظ في الفتح (١٢/٥) : أخرجه الدارقطني من طريق عطية ، وهو ضعيف : (وقع في إسناد المطبوع من الدارقطني : زكريا بن عطية ؛ وهو تصحيف ، وإنما هو : زكريا ، عن عطية) .

(١٠٩) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب « يوصيكم الله في أولادكم » (٤٥٧٧) .

(١١٠) صحيح مسلم ، كتاب الفرائض (١٦١٦) .

(١١١) سنن النسائي الكبرى ، كتاب الفرائض ، باب ذكر الكلالة (٦٣٢٣) .

به . ورواه الجماعة كلهم من حديث سفيان بن عيينة ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر(١١٢) .

(حديث آخر عن جابر في سبب نزول الآية) . قال الإمام أحمد (١١٣) : حَدَّثَنَا زكريا بن عدي ، حَدَّثَنَا عبيد اللّه - هو ابن عمرو الرقي - عن عبد اللّه بن محمد بن عقيل ، عن جابر قال : جاءت امرأة سعد بن الربيع إلى[١] رسول اللّه ﷺ فقالت : يارسول اللّه ، هاتان ابنتا سعد ابن الربيع ، قتل أبوهما معك في يوم أحد شهيدًا ، وإن عمهما أخذ مالهما ، فلم يدع لهما مالا ، ولا ينكحان إلا ولهما مال . قال : فقال : « **يقضي اللّه في ذلك** » . قال فنزلت آية الميراث ، فأرسل رسول اللّه ﷺ إلىٰ عمهما فقال : « **أعط ابنتي سعد الثلثين ، وأمهما الثمن ، وما بقي فهو لك** » .

وقد رواه أبو داود(١١٤) والترمذي(١١٥) وابن ماجة(١١٦) من طرق عن عبد اللّه بن محمد بن عقيل ، به . قال الترمذي : ولا يعرف إلا من حديثه .

والظاهر أن حديث جابر الأول إنما نزل بسببه الآية الأخيرة من هذه السورة ، كما سيأتي ، فإنه إنما كان له إذ ذاك أخوات ، ولم يكن له بنات ، وإنما كان يورث كلالة ، ولكن ذكرنا الحديث هاهنا ، تبعًا للبخاري - رحمه الله - ؛ فإنه ذكره هاهنا ، والحديث الثاني عن جابر أشبه بنزول هذه الآية ، واللّه أعلم .

فقوله تعالىٰ : ﴿ **يوصيكم اللّه في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين** ﴾ أي : يأمركم بالعدل

(١١٢) البخاري في صحيحه ، كتاب المرضىٰ ، باب عيادة المغمىٰ عليه (٥٦٥١) ، ومسلم في كتاب الفرائض (١٦١٦) ، وأبو داود في كتاب الفرائض ، باب في الكلالة (٢٨٨٦) ، والترمذي في كتاب الفرائض ، باب ميراث البنين مع البنات (٢٠٩٧) ، والنسائي في سننه ، كتاب الطهارة ، باب الانتفاع بفضل الوضوء (٨٧/١) ، وابن ماجة في كتاب الفرائض ، باب الكلالة (٢٧٢٨) .

(١١٣) في مسنده (٣٥٢/٣) (١٤٨٤١) .

(١١٤) سنن أبي داود ، كتاب الفرائض ، باب ما جاء في ميراث الصلب (٢٨٩١) (٢٨٩٢) . وجاء في الرواية الأولى عنده من طريق بشر بن المفضل عن ابن عقيل : (هاتان بنت ثابت بن قيس) . قال أبو داود : أخطأ بشر فيه ؛ إنما هما ابنة سعد بن الربيع ، وثابت بن قيس قتل يوم اليمامة .

(١١٥) جامع الترمذي ، كتاب الفرائض ، باب ميراث البنات (٢٠٩٣) ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث عبد اللّه بن محمد بن عقيل .

(١١٦) سنن ابن ماجه ، كتاب الفرائض ، باب فرائض الصلب (٢٧٢٠) .

[١] - سقط من : ت .

فيهم ، فإن أهل الجاهلية كانوا يجعلون جميع الميراث للذكور دون الإناث ، فأمر اللّٰه تعالىٰ بالتسوية بينهم في أصل الميراث ، وفاوت[١] بين الصنفين[٢] ، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين ، وذلك لاحتياج الرجل إلىٰ مؤنة النفقة والكلفة ، ومعاناة التجارة ، والتكسب ، وتحمل المشاق[٣] ، فناسب أن يعطىٰ ضعفي ما تأخذه الأنثىٰ .

وقد استنبط بعض الأذكياء من قوله تعالىٰ : ﴿ **يوصيكم اللّٰه في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين** ﴾أنه تعالىٰ أرحم بخلقه من الوالدة بولدها ، حيث وصّى[٤] الوالدين بأولادهم ، فعلم أنه أرحم بهم منهم ، كما جاء في الحديث الصحيح ، وقد رأىٰ امرأة من السبي [فرّق بينها وبين ولدها ، فجعلت][٥] تدور علىٰ ولدها ، فلما وجدته [من السبي][٦] أخذته فألصقته بصدرها وأرضعته ، فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وآله وسلم لأصحابه : « **أترون هذه طارحة ولدها في النار وهي تقدر علىٰ ذلك ؟!** » قالوا : لا يارسول اللّٰه . فقال : « **فو اللّٰه ، للّٰه أرحم بعباده من هذه بولدها** » (١١٧) .

وقال البخاري هاهنا (١١٨) : حَدَّثَنَا محمد بن يوسف ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : كان المال للولد ، وكانت الوصية للوالدين ، فنسخ اللّٰه من ذلك ما أحب ، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين ، وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس والثلث ، وجعل للزوجة الثمن والربع ، وللزوج الشطر والربع .

وروى[٧] العوفي عن ابن عباس قوله[٨] : ﴿ **يوصيكم اللّٰه في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين** ﴾ : وذلك أنه لما نزلت الفرائض التي فرض اللّٰه فيها ما فرض للولد الذكر والأنثى والأبوين ، كرهها الناس أو بعضهم ، وقالوا : تعطىٰ المرأة الربع أو الثمن ، وتعطىٰ البنت النصف ، ويعطىٰ الغلام الصغير ، وليس من هؤلاء أحد يقاتل القوم ، ولا يحوز الغنيمة ! اسكتوا عن هذا الحديث لعل رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم ينساه ، أو نقول له فيغير ،

(١١٧) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، (٥٩٩٩) ، ومسلم في كتاب التوبة (٢٧٥٤) - كلاهما من حديث زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عمر بن الخطاب رضي اللّٰه عنه مرفوعًا .

(١١٨) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب « ولكم نصف ما ترك أزواجكم » (٤٥٧٨) .

[١] - في خ : « وفوت » .

[٢] - في خ : « الصفتين » .

[٣] - في خ : « المشقة » .

[٤] - في ت : « أوصى » .

[٥] - ما بين المعكوفتين من : خ .

[٦] - ما بين المعكوفتين من : خ .

[٧] - في ت : « وقال » .

[٨] - سقط من : ت .

فقال[١] بعضهم : يا رسول الله ، تعطىٰ الجارية نصف ما ترك أبوها ، وليست تركب الفرس ولا تقاتل القوم ، ويعطىٰ الصبي الميراث وليس يغني شيئًا . وكانوا يفعلون ذلك في الجاهلية ، لا يعطون الميراث إلا لمن قاتل القوم ، ويعطونه الأكبر فالأكبر .

رواه ابن أبي حاتم وابن جرير أيضًا(١١٩) .

وقوله : ﴿ **فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك** ﴾ قال بعض الناس : قوله فوق ، زائدة ، وتقديره : فإن كن نساء اثنتين ، كما في قوله : ﴿ **فاضربوا فوق الأعناق** ﴾ وهذا غير مسلَّم لا هنا ولا هناك ؛ فإنه ليس في القرآن شيء زائد لا فائدة فيه ، وهذا ممتنع . ثم قوله : ﴿ **فلهن ثلثا ما ترك** ﴾ لو كان المراد ما قالوه لقال : فلهما ثلثا ما ترك ، وإنما استفيد كون الثلثين للبنتين من حكم الأختين في الآية الأخيرة ، فإنه تعالىٰ حكم فيها للأختين بالثلثين ، وإذا ورث الأختان الثلثين ، فلأن يرث البنتان الثلثين بطريق الأولىٰ والأحرىٰ[٢] وقد تقدم في حديث جابر ، أن النبي ﷺ حكم لابنتي سعد بن الربيع بالثلثين ، فدل الكتاب والسنة علىٰ ذلك ، وأيضًا فإنه قال : ﴿ **وإن كانت واحدة فلها النصف** ﴾ فلو كان للبنتين النصف لنص عليه أيضًا ، فلما حكم به للواحدة علىٰ انفرادها ، دل علىٰ أن البنتين في حكم الثلاث ، والله أعلم .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ولأبويه لكل واحد منهما السدس** ﴾ إلىٰ آخره ، الأبوان لهما في الميراث[٣] أحوال (أحدهما) : أن يجتمعا مع الأولاد فيفرض لكل واحد منهما السدس ، فإن لم يكن للميت إلا بنت واحدة ، فرض[٤] لها النصف ، وللأبوين لكل واحد منهما السدس ، وأخذ الأب السدس الآخر بالتعصيب ، فيجمع[٥] له والحالة هذه بين الفرض والتعصيب .

(الحال الثاني) : أن ينفرد الأبوان بالميراث ، فيفرض للأم الثلث والحالة هذه ، ويأخذ الأب الباقي بالتعصيب المحض ، فيكون قد أخذ ضعفي ما[٦] للأم وهو الثلثان ، فلو كان معهما - والحالة هذه - زوج أو زوجة أخذ الزوج النصف ، والزوجة الربع . ثم اختلف العلماء ، [ما

(١١٩) تفسير ابن أبي حاتم (٣/٨٨٢) ، وتفسير الطبري (٨/٣٢) .

[١] - في خ : « فقالوا » .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - في ت : « الإرث » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في خ : « فيجتمع » .
[٦] - في ت : « ما حصل » .

تأخذ الأم بعد فرض الزوج أو الزوجة][١] علىٰ ثلاثة أقوال : (أحدها) : أنها تأخذ ثلث الباقي في المسألتين ؛ لأن الباقي كأنه جميع الميراث بالنسبة إليهما ، وقد جعل الله لها نصف ما جعل للأب ، فتأخذ ثلث الباقي ، ويأخذ الأب الباقي ثلثيه ، وهو[٢] قول عمر وعثمان ، وأصح الروايتين عن علي ، وبه يقول ابن مسعود وزيد بن ثابت ، وهو قول الفقهاء السبعة والأئمة الأربعة وجمهور العلماء رحمهم الله .

(والقول الثاني) : أنها تأخذ ثلث جميع المال لعموم قوله : ﴿ **فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث** ﴾ فإن الآية أعم من أن يكون معها زوج أو زوجة أو لا ، وهو قول ابن عباس . وروي عن علي ومعاذ بن جبل نحوه . وبه يقول شريح وداود الظاهري . واختاره[٣] أبو الحسين محمد بن عبد الله بن اللبان البصري(١٢٠) في كتابه « الإيجاز في علم الفرائض » .

وهذا فيه نظر ، بل هو ضعيف ؛ لأن ظاهر الآية إنما هو إذا استبد بجميع التركة ، [فأما في هذه المسألة][٤] فيأخذ الزوج أو الزوجة الفرض ، ويبقىٰ الباقي كأنه جميع التركة ، فتأخذ ثلثه كما تقدم .

(والقول الثالث) أنها تأخذ ثلث جميع المال في مسألة الزوجة خاصة ، فإنها تأخذ الربع وهو ثلاثة من اثني عشر ، وتأخذ الأم الثلث وهو أربعة ، فيبقىٰ خمسة للأب . وأما في مسألة الزوج ، فتأخذ ثلث الباقي ؛ لئلا تأخذ أكثر من الأب لو أخذت ثلث المال ، فتكون المسألة من ستة : للزوج النصف ثلاثة ، وللأم ثلث الباقي [بعد ذلك][٥] وهو سهم ، وللأب الباقي [بعد ذلك][٦] وهو سهمان . ويحكىٰ هذا عن محمد بن سيرين رحمه الله ، وهو قول مركب من القولين الأولين وهو[٧] موافق [لكل منهما][٨] في صورة وهو ضعيف أيضًا ، والصحيح الأول ، والله أعلم .

(١٢٠) هو إمام الفرضيين في الآفاق ، محمد بن عبد الله بن الحسن أبو الحسين البصري الفرضي الشافعي . قال أبو إسحاق الشيرازي : كان ابن اللبان إمامًا في الفقه والفرائض ، صنف فيها كتبًا ليس لأحد مثلها . وقال الخطيب البغدادي : انتهى إليه علم الفرائض . توفي سنة ٤٠٢ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢١٧) .

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « ماذا تأخذ الأم بعد ذلك » .
[٢] - في ت : « وهذا » .
[٣] - سقط من : ت .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ت : « وأما هنا » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين في خ : « بعد الباقي » .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - ما بين المعكوفتين في خ : « كلاهما » .

(الحال الثالث من أحوال الأبوين) وهو اجتماعهما مع الأخوة ، وسواء كانوا من الأبوين ، أو من الأب ، أو من الأم ، فإنهم لا يرثون مع الأب شيئًا ، ولكنهم مع ذلك يحجبون الأم عن الثلث إلىٰ السدس ، فيفرض لها مع وجودهم السدس ، فإن لم يكن وارث سواها وسوىٰ الأب أخذ الأب الباقي .

وحكم الأخوين فيما ذكرناه كحكم الإخوة عند الجمهور . وقد روىٰ البيهقي(١٢١) من طريق شعبة مولىٰ ابن عباس ، عن ابن عباس ، أنه دخل علىٰ عثمان فقال : إن الأخوين لا يردان الأم عن الثلث ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **فإن كان له إخوة** ﴾ فالأخوان ليسا بلسان قومك إخوة . فقال عثمان : لا أستطيع تغيير[١] ما كان قبلي ، ومضىٰ في الأمصار وتوارث به الناس . وفي صحة هذا الأثر نظر ، فإن شعبة هذا تكلم فيه مالك بن أنس ، ولو كان هذا صحيحًا عن ابن عباس ، لذهب إليه أصحابه الأخصاء به ، والمنقول عنهم خلافه(١٢٢) .

وقد روىٰ عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن خارجة بن زيد ، عن أبيه ، أنه قال : الأخوان تسمىٰ إخوة . وقد أفردت لهذه المسألة جزءًا علىٰ حدة .

وقال ابن أبي حاتم (١٢٣) : حَدَّثَنَا أبي ، حَدَّثَنَا عبد العزيز بن المغيرة ، حَدَّثَنَا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة ، قوله : ﴿ **فإن كان له إخوة فلأمه السدس** ﴾ أضروا بالأم ولا يرثون ، ولا يحجبها الأخ الواحد عن[٢] الثلث ، ويحجبها ما فوق ذلك ، وكان أهل العلم يرون أنهم إنما حجبوا أمهم عن[٣] الثلث أن أباهم يلي إنكاحهم ، ونفقته عليهم دون أمهم .

---

(١٢١) السنن الكبرى للبيهقي (٢٢٧/٦) . وشعبة هو ابن دينار الهاشمي مولى ابن عباس ، قال عنه مالك : ليس بثقة . وقال ابن معين في رواية : لا يكتب حديثه . وقال أبو حاتم والجوزجاني والنسائي : ليس بالقوي ، وقال أبو زرعة بن الساجي : ضعيف ، وقال البخاري : يتكلم فيه مالك ويُحتَّملُ منه .

قال ابن القطان الفاسي : قوله : (ويُتَحمَّل منه) : يعني من شعبة ، وليس هو ممن يُترك حديثه . قال : ومالك لم يضعفه ، وإنما شح عليه بلفظة ثقة .

قال ابن حجر : قلت : هذا التأويل غير سائغ ، بل لفظة (ليس بثقة) في الاصطلاح توجب الضعف الشديد . وقد قال ابن حبان : روى عن ابن عباس مالا أصل له حتى كأنه ابن عباس آخر .

(١٢٢) ومن ذلك : ما رواه ابن أبي حاتم في تفسيره عن سعيد بن جبير أنه قال في قوله : « فإن كان له إخوة » : أخوان فصاعدًا ، أو أختان ، أو أخ وأخت . (٨٨٣/٣) .

(١٢٣) في تفسيره (٨٨٣/٣) .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في خ : « من » .
[٣] - في خ : « من » .

وهذا كلام حسن . لكن روي عن ابن عباس ، بإسناد صحيح ، أنه كان يرىٰ أن السدس الذي حجبوه عن أمهم يكون لهم . وهذا قول شاذ . رواه ابن جرير في تفسيره (١٢٤) ، فقال : حَدَّثَنَا الحسن بن يحيىٰ ، حَدَّثَنَا عبد الرزاق ،أخبرنا معمر ، عن ابن طاووس ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : السدس[١] الذي حجبته الإخوة الأم لهم ، إنما حجبوا أمهم عنه ليكون لهم دون أبيهم .

ثم قال ابن جرير : وهذا قول مخالف لجميع الأمّة ، وقد حدّثني يونس ، [أخبرنا سفيان][٢] ، أخبرنا عمرو ، عن الحسن بن محمد ، عن ابن عباس أنه قال : الكلالة من لا ولد له ولا والد .

وقوله : ﴿ **من بعد وصية يوصي بها أو دين** ﴾ أجمع العلماء [من السلف والخلف][٣] ، علىٰ أن الدين مقدم علىٰ الوصية ، وذلك عند إمعان النظر يفهم من فحوىٰ الآية الكريمة . [وقد روى الإمام][٤] أحمد(١٢٥) والترمذي(١٢٦) وابن ماجة(١٢٧) وأصحاب التفاسير(١٢٨) من حديث أبي إسحاق عن الحارث بن عبد الله الأعور ، عن علي بن أبي طالب قال : إنكم تقرءون ﴿ **من بعد وصية يوصي بها أو دين** ﴾ وإن رسول الله ﷺ قضىٰ بالدين قبل الوصية ، وإن أعيان بني الأم يتوارثون دون بني العلات ، يرث الرجل أخاه لأبيه وأمه دون أخيه لأبيه . ثم قال الترمذي : لا نعرفه إلا من حديث الحارث الأعور ، وقد تكلم فيه بعض أهل العلم .

---

(١٢٤) (٤٥/٨) وفيه : ليكون لهم دون أمهم .

(١٢٥) في مسنده (٧٩/١، ١٣١، ١٤٤) (٥٩٥) (١٠٩١) (١٢٢١) .

(١٢٦) جامع الترمذي ، كتاب الفرائض ، باب ما جاء في ميراث الإخوة من الأب والأم (٢٠٩٥) (٢٠٩٦) وأيضًا (٢١٢٢٣) .

قال الترمذي : هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن علي . وقد تكلم بعض أهل العلم في الحارث . والعمل على هذا الحديث عند عامة أهل العلم .

(١٢٧) سنن ابن ماجة ، كتاب الوصايا ، باب الدين قبل الوصية (٢٧١٥) ، وكتاب الفرائض ، باب ميراث العصبة (٢٧٣٩) .

(١٢٨) كابن جرير في تفسيره (٤٦/٨-٤٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ص٨٨٣/٣) .

---

[١] - في خ: «السدي» .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين في خ: «سلفا وخلفا» .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ت : «وروى» .

(قلت) : لكن كان حافظًا للفرائض ، معتنيًا[١] بها وبالحساب (١٢٩) ، فاللَّه أعلم .

وقوله : ﴿ **آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعًا** ﴾ أي : إنما فرضنا للآباء وللأبناء، وساوينا بين الكل في أصل الميراث علىٰ خلاف ما كان عليه الأمر في الجاهلية ، وعلىٰ خلاف ما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام ، من كون المال للولد وللأبوين الوصية كما تقدم عن ابن عباس ، إنما نسخ اللَّه ذلك إلىٰ هذا ، ففرض لهؤلاء ولهؤلاء بحسبهم ، لأن الإنسان قد يأتيه النفع الدنيوي أو الأخروي أو هما من أبيه ما لا يأتيه من ابنه ، وقد يكون بالعكس ، فلذا قال : ﴿ **آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعًا** ﴾ أي : [كما أن][٢] النفع متوقع ومرجو من هذا ، كما هو متوقع ومرجو من الآخر ، فلهذا فرضنا لهذا ولهذا ، وساوينا بين القسمين في أصل الميراث ، واللَّه أعلم .

وقوله : ﴿ **فريضة من اللَّه** ﴾ أي[٣] : هذا الذي ذكرناه من تفصيل الميراث ، وإعطاء بعض الورثة أكثر من بعض ، هو فرض من اللَّه ، حكم به وقضاه ﴿ **واللَّه عليم حكيم** ﴾ الذي يضع الأشياء في محالها ، ويعطي كلا ما يستحقه بحسبه ، ولهذا قال ﴿ **إن اللَّه كان عليما حكيما** ﴾ .

۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ

(١٢٩) ومن ذلك : قال مجالد : قيل للشعبي : كنت تختلف إلى الحارث ؟ قال : نعم ؛ أختلف إليه أتعلم منه الحساب ، كان أحسب الناس . وقال أبو بكر بن أبي داود : كان الحارث أفقه الناس : وأحسب الناس ، وأفرض الناس ؛ تعلم الفرائض من علي .

[١] - في خ : « متعينًا » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ت : « كأن » .
[٣] - في خ : أي من .

﴿مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ۝١٢﴾

يقول تعالىٰ : ولكم أيها الرجال نصف ما ترك أزواجكم إذا مُتْن عن غير ولد ، فإن كان لهنّ ولد فلكم الربع مما تركن من بعد [وصية يوصين بها أو دين][١] . وقد تقدم أن الدين مقدم علىٰ الوصية ، وبعده الوصية ، ثم الميراث ، وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء ، وحكم أولاد البنين وإن سفلوا حكم أولاد الصلب .

ثم قال : ﴿ ولهنّ الربع مما تركتم ﴾ إلىٰ آخره ، وسواء في الربع أو الثمن الزوجة والزوجتان الاثنتان[٢] والثلاث والأربع ، يشتركن فيه .

وقوله : ﴿ من بعد وصية ﴾ إلخ الكلام عليه كما تقدم .

وقوله تعالىٰ : ﴿ وإن كان رجل يورث كلالة ﴾ الكلالة[٣] مشتقة من الإكليل ، وهو[٤] الذي يحيط بالرأس من جوانبه ، والمراد هنا من يرثه من حواشيه ، [لا أصل ولا فرعه][٥] ، كما روىٰ الشعبي ، عن أبي بكر الصديق ، أنه سئل عن الكلالة ؟ فقال : أقول فيها برأيي ، فإن يكن[٦] صوابًا فمن الله ، وإن يكن[٧] خطأً فمني ومن الشيطان ، والله ورسوله بريئان منه[٨] : الكلالة من لا ولد له ولا والد . فلما ولي عمر قال : إني لأستحيي أن أخالف أبا بكر في رأي رآه .

كذا[٩] رواه ابن جرير(١٣٠) وغيره ، وقال ابن أبي حاتم في تفسيره(١٣١) : حَدَّثَنَا محمد بن عبد الله بن يزيد[١٠] ، حَدَّثَنَا سفيان ، عن سليمان الأحول ، عن طاوس ، قال : سمعت [عبد الله][١١] بن عباس يقول : كنت آخر الناس عهدًا بعمر ، فسمعته يقول : القول ما قلت ، وما قلت ، وما قلت ، قال : الكلالة من لا ولد له ولا والد .

(١٣٠) في تفسيره (٨/٥٣-٥٤) .

(١٣١) (٣/٨٨٧) .

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « الوصية أو الدين » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - في ت : « لا أصوله ولا فروعه » .

[٦] - في خ : « كان » .

[٧] - في خ : « كان » .

[٨] - سقط من : خ .

[٩] - سقط من : خ .

[١٠] - في خ : « زيد » .

[١١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

وهكذا قال علي بن أبي طالب وابن مسعود ، وصح من غير وجه ، عن [عبد الله][١] بن عباس وزيد بن ثابت ، وبه يقول الشعبي والنخعي والحسن [البصري][٢] وقتادة وجابر بن زيد والحكم ، وبه يقول أهل[٣] المدينة وأهل الكوفة والبصرة ، وهو قول الفقهاء السبعة ، والأئمة الأربعة ، وجمهور السلف والخلف ، بل جميعهم ، وقد حكىٰ الإجماع [على ذلك][٤] غير واحد ، وورد فيه حديث مرفوع(١٣٢) ، قال أبو الحسين بن اللبان : وقد روي عن ابن عباس ما يخالف ذلك ، وهو أنه من لا ولد له . والصحيح عنه الأوّل ، ولعل الراوي ما فهم عنه ما أراد .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وله أخ أو أخت** ﴾ أي : من أم . كما هو في قراءة بعض السلف ، منهم سعد بن أبي وقاص وكذا فسرها أبو بكر الصديق فيما رواه قتادة عنه ﴿ **فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث** ﴾ .

وإخوة الأم يخالفون بقية الورثة من وجوه ؛ أحدها : أنهم يرثون مع من أدلوا به وهي الأم .

(والثاني) : أن ذكورهم وإناثهم في الميراث[٥] سواء-

(والثالث) : [أنهم لا يرثون إلا إن كان ميتهم يورث كلالة ، فلا يرثون مع أب ولا جد ولا ولد ولا][٦] ولد ابن .

(الرابع) : أنهم لا يزادون على الثلث ، وإن كثر ذكورهم وإناثهم .

وقال ابن أبي حاتم(١٣٣) : حَدَّثَنَا يونس ، حَدَّثَنَا ابن وهب ، أخبرنا يونس ، عن الزهري قال : قضىٰ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن ميراث الإخوة من الأم بينهم الذكر مثل حظ[٧] الأنثىٰ ، قال محمد بن شهاب الزهري : ولا أرىٰ[٨] عمر قضىٰ بذلك حتىٰ علم

(١٣٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/٣٣٦) ، من حديث أبي هريرة .
(١٣٣) في تفسيره (٣/٨٨٨) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ت : « عليه » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - في خ : « أدري » .

ذلك من رسول الله ﷺ . ولهذه الآية التي قال الله تعالىٰ فيها : ﴿ **فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث** ﴾ .

واختلف العلماء في المسألة المشتركة وهي زوج وأم أو جدة ، واثنان من ولد الأم ، وواحد أو أكثر من ولد الأبوين ، فعلىٰ قول الجمهور : للزوج النصف ، وللأم أو الجدة السدس ، ولولد الأم الثلث ، ويشاركهم فيه ولد الأب والأم بما بينهم من القدر المشترك وهو إخوة الأم .

وقد وقعت هذه المسألة في زمن[١] أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فأعطىٰ الزوج النصف والأم السدس ، وجعل الثلث لأولاد الأم ، فقال له أولاد الأبوين : يا أمير المؤمنين ؛ هب أن أبانا كان حمارًا ألسنا من أم واحدة؟فشرك بينهم .

وصح التشريك عنه وعن[٢] أمير المؤمنين عثمان ، وهو إحدىٰ الروايتين عن ابن مسعود وزيد ابن ثابت وابن عباس رضي الله عنهم ، وبه يقول سعيد بن المسيب وشريح القاضي ومسروق وطاووس ومحمد بن سيرين وإبراهيم النخعي وعمر بن عبد العزيز والثوري وشريك ، وهو مذهب مالك والشافعي وإسحاق بن راهويه .

وكان علي بن أبي طالب لا يشرك بينهم ، بل يجعل الثلث لأولاد الأم ، ولا شيء لأولاد الأبوين ، والحالة هذه لأنهم عصبة . وقال وكيع بن الجراح : لم يختلف عنه في ذلك . وهذا قول أبي بن كعب وأبي موسىٰ الأشعري ، وهو المشهور عن ابن عباس ، وهو مذهب الشعبي وابن أبي ليلىٰ وأبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن والحسن بن زياد وزفر بن الهذيل والإمام أحمد [بن حنبل][٣] ويحيىٰ بن آدم ونعيم بن حماد وأبي ثور وداود بن علي الظاهري ، واختاره أبو الحسين بن اللبان الفرضي - رحمه الله - في كتابه « **الإيجاز** » .

وقوله : ﴿ **من بعد وصية يوصىٰ بها أودين . غير مضار** ﴾ أي : لتكن[٤] وصيته علىٰ العدل ، لا علىٰ الإضرار والجور والحيف ، بأن يحرم بعض الورثة أو ينقصه ، أو يزيده علىٰ ما فرض[٥] الله له من الفريضة ، فمتىٰ سعىٰ في ذلك كان كمن ضاد الله في [حكمته وقسمته][٦] . ولهذا قال ابن أبي حاتم(١٣٤) : حَدَّثَنَا أبي ، حَدَّثَنَا أبو النضر الدمشقي الفراديسي ، حَدَّثَنَا عمر بن المغيرة ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ،

(١٣٤) المصدر السابق .

[١] - في ت : « زمان » .
[٢] - في خ : « وقال » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٤] - في خ : « لتكون » .
[٥] - في خ : « قدر » .
[٦] - في ت : « حكمه وشرعه » .

عن النبي ﷺ قال : « **الإِضرار في الوصية من الكبائر** » .

وكذا رواه ابن جرير(١٣٥) من طريق عمر بن المغيرة هذا ، وهو أبو حفص بصري سكن المصيصة ، وقال [أبو القاسم][١] بن عساكر : ويعرف بمفتي المساكين ، وروىٰ عنه غير واحد من الأئمة ، وقال فيه أبو حاتم الرازي : شيخ[٢] . وقال علي بن المديني : هو مجهول لا أعرفه(١٣٦) . ولكن رواه النسائي في سننه(١٣٧) عن علي بن حجر ، عن علي بن مسهر ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، موقوفا « الإضرار في الوصية من الكبائر » . وكذا رواه ابن أبي حاتم(١٣٨) ، عن أبي سعيد الأشج ، عن عائذ بن حبيب ، عن داود بن أبي هند ، ورواه ابن جرير(١٣٩) من حديث جماعة من الحفاظ ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، موقوفا ، وفي بعضها ويقرأ ابن عباس ﴿ **غير مضار** ﴾ .

(١٣٥) في تفسيره (٨/٦٦) ، ورواه أيضًا العقيلي في الضعفاء (٣/١٨٩) ، والدارقطني في السنن (٤/١٥١) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/٢٧١) من طريق عبد الله بن يوسف التنيسي عن عمر بن المغيرة عن داود به .

(١٣٦) وقال البخاري : عمر بن المغيرة منكر الحديث مجهول .

(١٣٧) سنن النسائي الكبرى ، كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : « تلك حدود اللّه ومن يطع اللّه ورسوله » (٦/٣٢٠) (١١٠٩٢) .

(١٣٨) في تفسيره (٣/٨٨٩) .

(١٣٩) تفسير الطبري (٨/٦٥) من حديث عبيدة بن حميد ، وابن علية ويزيد بن زريع وبشر بن المفضل وعبد الوهاب بن عبد المجيد وابن أبي عدي وعبد الأعلى بن عبد الأعلى - كلهم عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس موقوفًا .

وكذا رواه سعيد بن منصور في سننه (٣٤٢) - وسقط من إسناده ابن عباس - وعنه البيهقي في السنن الكبرى على الصواب (٦/٢٧١) عن هشيم بن بشير . ورواه أيضًا عن خالد بن عبد اللّه وسفيان بن عيينة ، ورواه أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه عن أبي خالد الأحمر ، ورواه عبد الرزاق في مصنفه (٩/٨٨) (١٦٤٥٦) عن الثوري - كلهم (خالد وابن عيينة وهشيم وأبو خالد والثوري) عن داود عن عكرمة عن ابن عباس موقوفًا .

قال العقيلي : هذا رواه الناس عن داود موقوفًا ، لا نعلم رفعه غير عمر بن المغيرة .

وقال البيهقي : هذا هو الصحيح موقوف ، وكذلك رواه ابن عيينة وغيره عن داود موقوفًا ، وروى من وجه آخر مرفوعًا ، ورفعه ضعيف .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت . [٢] - في خ : هو شيخ .

قال ابن جريج(١٤٠) : والصحيح الموقوف .

ولهذا اختلف الأئمة في الإقرار للوارث هل هو صحيح أم لا؟ علىٰ قولين ؛ (أحدهما) : لا يصح ؛ لأنه مظنة التهمة أن يكون قد أوصى له بصيغة الإقرار . وقد ثبت في الحديث الصحيح أن رسول اللّه ﷺ قال : « **إن اللّه قد أعطىٰ كل ذي حق حقه ، فلا وصية لوارث** »(١٤١) . وهذا مذهب مالك وأحمد بن حنبل وأبي حنيفة ، والقول القديم للشافعي رحمهم اللّه ، وذهب في الجديد إلىٰ أنه يصح الإقرار . وهو مذهب طاوس وعطاء والحسن وعمر بن عبد العزيز ، وهو اختيار أبي عبد اللّه البخاري في صحيحه (١٤٢) ، واحتج بأن رافع بن خديج أوصىٰ أن لا تكشف الفزارية

(١٤٠) كذا في الأصل ، ولعله ابن جرير ؛ فإن ابن جريج لا يذكر عنه كلام في العلل ، ثم هو من أقران ابن أبي هند . والكلام ليس في تفسير ابن جرير .

(١٤١) أخرجه أبو داود ، كتاب الوصايا ، باب ما جاء في الوصية للوارث (٢٨٧٠) . والترمذي في كتاب الوصايا ، باب ما جاء لا وصية لوارث (٢١٢٠) وقال : حديث حسن صحيح . وابن ماجة في كتاب الوصايا ، باب لا وصية لوارث ، والإمام أحمد في مسنده (٢٦٧/٥) (٢٢٣٩٤) .

– كلهم من طريق إسماعيل بن عياش ، عن شرحبيل بن مسلم الخولاني ، عن أبي أمامة الباهلي رضي اللّه عنه به .

(*) وأخرجه من حديث عمرو بن خارجة :

الترمذي في كتاب الوصايا ، باب ما جاء لا وصية لوارث (٢١٢١) .

وقال : حديث حسن صحيح .

والنسائي في كتاب الوصايا ، باب إبطال الوصية للوارث (٢٤٧/٦) ، وابن ماجة في كتاب الوصايا ، باب لا وصية لوارث (٢٧١٢) ، وأبو داود الطيالسي في مسنده (١٣١٧) .

– كلهم من طريق قتادة عن شهر بن حوشب ، عن عبد الرحمن بن غنم ، عن عمرو بن خارجة رضي اللّه عنه به مرفوعًا .

وأما حديث أبي أمامة ففيه إسماعيل بن عياش ، وهو مستقيم الرواية إذا روى عن الشاميين ، كما ذكر غير واحد من الحفاظ ، وقد روى عن شامي هنا ، ولذلك صححه الترمذي .

وأما حديث عمرو بن خارجة : فقد اختلف فيه على قتادة ؛ فرواه جماعة عن قتادة كما سبق ، رواه همام والحجاج بن أرطأة وعبد الرحمن المسعودي والحسن بن دينار ، عن قتادة ، فلم يذكروا فيه ابن غنم ، وكذلك رواه ليث بن أبي سليم ، وأبو بكر الهذلي ومطر ، عن شهر بن حوشب .

قال الإمام الشافعي رحمه اللّه تعالى : وروى بعض الشاميين حديثًا ليس مما يثبته أهل الحديث ؛ فإن بعض رجاله مجهولون ، فرويناه عن النبي ﷺ منقطعًا . واعتمدنا على حديث أهل المغازي عامة أن النبي ﷺ قال عام الفتح : « لا وصية لوارث » وإجماع العامة على القول به . السنن الكبرى للبيهقي (٢٦٥/٦) .

(١٤٢) – صحيح البخاري ، كتاب الوصايا ، باب :قول اللّه عز وجل : ﴿ **من بعد وصية يوصى بها أو دين** ﴾ .

عما أغلق عليه بابها . قال : وقال بعض الناس : لا يجوز إقراره لسوء الظن به للورثة . وقد قال النبي ﷺ : « **إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث** » . وقال الله تعالىٰ : ﴿ **إن الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلىٰ أهلها** ﴾ فلم يخص وارثا ولا غيره . انتهىٰ ما ذكره .

فمتىٰ كان الإقرار صحيحًا مطابقا لما في نفس الأمر ، جرىٰ فيه هذا الخلاف ، ومتىٰ كان حيلة ووسيلة إلىٰ زيادة بعض الورثة ونقصان بعضهم فهو حرام بالإجماع ، وبنص هذه الآية الكريمة ﴿ **غير مضار وصية من الله ، والله عليم حليم** ﴾ .

تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾

أي : هذه الفرائض والمقادير التي جعلها الله للورثة بحسب قربهم من الميت واحتياجهم إليه وفقدهم له عند عدمه ، هي حدود الله ، فلا تعتدوها ، ولا تجاوزوها . ولهذا قال : ﴿ **ومن يطع الله ورسوله** ﴾ أي : فيها فلم يزد بعض الورثة ، [ولم ينقص بعضها][١] بحيلة ووسيلة ، بل تركهم علىٰ حكم الله وفريضته وقسمته ﴿ **يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ، ومن يعص الله ورسوله ويتعدّ حدوده يدخله نارًا خالدًا فيها وله عذاب مهين** ﴾ أي : لكونه غيَّر ما حكم الله به ، وضاد الله في حكمه ، وهذا إنما يصدر عن عدم الرضا بما قسم الله وحكم به ، ولهذا يجازيه بالإهانة في العذاب الأليم المقيم .

قال الإمام أحمد(١٤٣) : حدَّثَنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، [عن أيوب][٢] عن أشعث بن عبد الله ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة[٣] سبعين سنة ، فإذا أوصىٰ وحاف في وصيته فيختم له بشر**

---

(١٤٣) - المسند (٢/٢٧٨) (٧٧٢٨) من طريق عبد الرزاق ، وهو فى مصنفه (٩/٨٨) (١٦٤٥٥) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في خ : « ولا ينقص بعضًا » . [٢] - سقط من : خ .

[٣] - في ت : « الخير » .

عمله ، فيدخل النار ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة فيعدل في وصيته فيختم له بخير عمله ، فيدخل الجنة » . قال : ثم يقول أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم ﴿ **تلك حدود الله** ﴾ إلى قوله : ﴿ **عذاب مهين** ﴾ .

قال أبو داود ، في باب الإضرار في الوصية من سننه (١٤٤) : حَدَّثَنَا عَبدَةُ[١] بن عبد الله ، أخبرنا عبد الصمد ، حدثنانصر بن علي الحُداني ، حَدَّثَنَا الأشعث [بن عبد الله][٢] بن جابر الحدّاني ، حدثني شهر بن حوشب ، أن أبا هريرة حدثه ، أن رسول الله ﷺ قال : « **إن الرجل ليعمل - أو المرأة - بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضارّان في الوصية فتجب لهما النار** » . وقال : قرأ علي أبو هريرة من هاهنا ﴿ **من بعد وصية يوصىٰ بها أو دين غير مضار** ﴾ حتىٰ بلغ ﴿ **ذلك الفوز العظيم** ﴾ .

وهكذا رواه الترمذي(١٤٥) وابن ماجة(١٤٦) من حديث أشعث[٣] ابن عبد الله بن جابر الحُدّاني به ، وقال الترمذي : حسن غريب (١٤٧) . وسياق الإمام أحمد أتم وأكمل .

﴿ وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ

(١٤٤) - سنن أبي داود ، كتاب الوصايا ، باب :ما جاء فى كراهية الإضرار بالوصية (٢٨٦٧) ، ومن طريقه البيهقى فى السنن الكبرى (٦/٢٧١) .

(١٤٥) - جامع الترمذى ، كتاب الوصايا ، باب :ما جاء في الضرار بالوصية (٢١١٨) .

(١٤٦) - سنن ابن ماجة ، كتاب الوصايا ، باب :الحيف فى الوصية (٢٧٠٤) من طريق عبد الرزاق . ورواه أيضًا من طريق عبد الرزاق : الطبرانى فى الأوسط (٣/٢٢٩) (٣٠٠٢) ، والخطيب البغدادى فى «موضح أوهام الجمع والتفريق » (٢/٢٣٠) - عن الأشعث بن عبد الله ، عن شهر بن حوشب ، عن أبى هريرة رضى الله عنه به .

قال الطبرانى : لم يرو هذا الحديث عن شهر بن حوشب إلا أشعث بن عبد الله ، ولا يروى عن النبى ﷺ إلا من حديث أشعث بن عبد الله ، وأشعث بن عبد الله بن جابر الحُدَّانى : وثقه ابن معين والنسائى وابن حبان ، وقال أحمد والبزار : ليس به بأس ، وقال أبو حاتم : شيخ ، وقال الدارقطنى : يعتبر به ، وذكر العقيلى أن فى حديثه وهمًا .

أما شهر بن حوشب فهو مختلف فيه ؛ فقد ضعفه غير واحد من الأئمة ، ووثقه غير واحد أيضًا .

(١٤٧) - فى المطبوع من الترمذى زيادة « صحيح » وهى خطأ ، فإن ما نقله المزى والمنذرى وابن كثير وغيرهم عن الترمذى هو التحسين فقط .

[١] - في خ : « عبيدة » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : ت .

﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾﴾

كان الحكم في ابتداء الإسلام ، أن المرأة إذا زنت فثبت زناها بالبينة العادلة ، حبست في بيت ، فلا تمكن من الخروج منه إلىٰ أن تموت ، ولهذا قال : ﴿ **واللاتي يأتين الفاحشة** ﴾ يعني : الزنا . ﴿ **من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهنّ في البيوت حتىٰ يتوفاهنّ الموت أو يجعل الله لهنّ سبيلا** ﴾ فالسبيل الذي جعله الله هو الناسخ لذلك .

قال ابن عباس - رضي الله عنه - : كان الحكم كذلك حتىٰ أنزل الله سورة النور ، فنسخها بالجلد أو الرجم .

وكذا روي عن عكرمة وسعيد بن جبير والحسن وعطاء الخراساني وأبي صالح وقتادة وزيد بن أسلم والضحاك أنها منسوخة ، وهو أمر متفق عليه .

وقال الإمام أحمد (١٤٨) : حَدَّثَنَا محمد بن جعفر ، حَدَّثَنَا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن حطان بن عبد الله الرقاشي ، عن عبادة بن الصامت ، قال : كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي أثر عليه وكرب لذلك وتربّد[١] وجهه ، فأنزل الله - عز وجل - عليه ذات يوم ، فلما سرى عنه قال : « **خذوا عني ، قد جعل الله لهنّ سبيلا ، الثيب بالثيب ، والبكر بالبكر ؛ الثيب جلد مائة ورجم بالحجارة ، والبكر جلد مائة ثم نفي سنة** » .

وقد رواه مسلم(١٤٩) وأصحاب السنن(١٥٠) من طرق ، عن قتادة ، [عن الحسن][٢] ، عن

(١٤٨) - في مسنده (٥/ ٣١٨ ، ٣٢٠ ، ٣٢١) (٢٢٨١٨ ، ٢٢٨٠٦ ، ٢٢٨٣٤ ، ٢٢٨٣٥ ، ٢٢٨٣٩) .

(١٤٩) - في صحيحه ، كتاب الحدود (١٦٩٠) وكتاب الفضائل (٢٣٣٤) (٢٤٤٥) .

(١٥٠) - سنن أبي داود ، كتاب الحدود ، باب :في الرجم (٤٤١٥) والنسائي في الكبرى ، كتاب الرجم ، باب :عقوبة الزاني الثيب (٤/ ٢٧٠) (٧١٤٣) ، وابن ماجة في كتاب الحدود ، باب :حد الزنا (٢٥٥٠) - من طرق عن قتادة به . وقد جاء عند ابن ماجة « يونس بن جبير » بدل الحسن ، قال =

[١] - في خ : « وتزايد » . [٢] - سقط من : خ .

حطَّان ، عن عبادة بن الصامت ، عن النبي ﷺ ، ولفظه : « **خذوا عني ، خذوا عني ، قد جعل اللَّه لهنّ سبيلا ، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم** » .

قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

وهكذا رواه « أبو داود الطيالسي »[١] (١٥١) ، عن مبارك بن فضالة ، عن الحسن ، عن حطان ابن عبد اللَّه الرقاشي ، عن عبادة ، أن رسول اللَّه ﷺ كان إذا نزل[٢] عليه الوحي عرف ذلك في وجهه ، فلما أنزلت ﴿ **أو يجعل اللَّه لهنّ سبيلا** ﴾ فلما ارتفع الوحي قال رسول اللَّه ﷺ : « **خذوا عنى[٣] خذوا ، قد جعل اللَّه لهن سبيلا ، البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة ، والثيب بالثيب جلد مائة ورجم[٤] بالحجارة** » .

وقد روىٰ الإمام أحمد أيضًا هذا الحديث ، عن وكيع بن الجراح ، [ ][٥] ، حَدَّثَنَا الفضل بن

= المزى : وهو وهم - واللَّه أعلم - فإن المحفوظ بهذا الإسناد حديث حطان ، عن أبي موسى في التشهد .

(١٥١) - في مسنده برقم (٥٨٤) ، غير أنه علقه عنه ، فقال : وذكره ابن فضالة ، عن الحسن ، عن حطان . ورواه أيضًا أحمد في مسنده (٣١٣/٥) (٢٢٧٦٩) ، ومسلم في صحيحه (١٦٩٠) ، وأبو داود (٤٤١٦) ، والترمذى (١٤٣٤) ، والنسائى فى الكبرى (٢٧٠/٤) (٧١٤٤) ، وابن حبان فى صحيحه « الإحسان » (٢٧١/١٠ - ٢٧٢) (٤٤٢٥ ، ٤٤٢٦) - من طريق منصور بن زاذان ، ورواه أحمد فى المسند (٣١٧/٥) (٢٢٨٠٦) من طريق حميد بن أبى حميد الطويل . ورواه النسائى فى الكبرى (٢٧٠/٤) (٧١٤٢) من طريق يونس بن عبيد - خمستهم (قتادة ، والمبارك ، ومنصور ، وحميد ، ويونس) عن الحسن ، عن حطان ، عن عبادة بن الصامت رضى اللَّه عنه به .

وقد رواه غير واحد عن الحسن عن عبادة مرسلاً ؛ فرواه الإمام الشافعى فى مسنده ، عن عبد الوهاب عن يونس عن الحسن عن عبادة ، ثم قال : وقد حدثنى الثقة أن الحسن كان يدخل بينه وبين عبادة : حطان الرقاشى ، ولا أدرى أدخله عبد الوهاب بينهما فترك من كتابى حين حولته وهو فى الأصل أو لا ؟ والأصل يوم كتبت هذا الكتاب غائب عنى . شفاء العى (١٥٣/٢) (٢٥٢) .

ورواه أحمد فى مسنده (٣٢٧/٥) من طريق جرير بن حازم ، ورواه الطبرى فى تفسيره (٨٩/٨) من طريق إسماعيل بن مسلم البصري عن الحسن عن عبادة ، وثَمَّ اختلافٌ آخرُ فيه على الحسن يُذكر فى الحديث التالى .

[١] - في خ : « أبو داود والطيالسي » .
[٢] - في خ : « أنزل » .
[٣] - سقط من : ت .
[٤] - في خ : « ورمى » .
[٥] - في خ: عن الحسن.

دلهم ، عن الحسن ، عن قبيصة بن حريث ، عن سلمة بن المحبق ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **خذوا عني ، خذوا عني ، قد جعل الله لهن سبيلا ، البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم** »(١٥٢) .

وكذا رواه أبو داود مطولًا(١٥٣) من حديث الفضل بن دلهم ، ثم قال : وليس هو بالحافظ ، كان قصابا بواسط .

(حديث آخر) : قال أبو بكر بن مردويه : حدّثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، حَدَّثَنَا عباس ابن حمدان ، حَدَّثَنَا أحمد بن داود[١] ، حَدَّثَنَا عمرو بن عبد الغفار ، حَدَّثَنَا إسماعيل بن [أبي خالد][٢] ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن أبي بن كعب ، قال : قال رسول الله ﷺ : « البكران يجلدان وينفيان ، والثيبان يجلدان ويرجمان ، والشيخان يرجمان »(١٥٤) .

(١٥٢) - المسند (٣/٤٧٦) (١٥٩٥٥) .

(١٥٣) - سنن أبي داود فى كتاب الحدود ، باب :فى الرجم (٤٤١٧) ورواه الطحاوى فى شرح معانى الآثار (٣/١٣٤) من طريق الفضل بن دلهم ، عن الحسن ، عن قبيصة بن حريث ، عن سلمة بن المحبق ، عن النبى ﷺ .

قال أبو داود : إنما هذا إسناد حديث ابن المحبق : أن رجلاً وقع على جارية امرأته ، والفضل بن دلهم ليس بالحافظ ، كان قصّابا بواسط .

وقال أبو حاتم : هذا خطأ ؛ إنما أراه الحسن ، عن حطان ، عن عبادة بن الصامت ، عن النبى ﷺ . العلل (١/٤٥٦) . وقال البزار ، بعد أن ذكر حديث الفضل هذا : والفضل بن دلهم لم يكن بالحافظ . والحديث : حديث قتادة .

(١٥٤) - فيه عمرو بن عبد الغفار الفُقَيْمى ، قال أبو حاتم : متروك الحديث ، وقال العقيلي : منكر الحديث ، وقال ابن عدى : اتهم بوضع الحديث .

وقد خولف عمرٌو هذا فى رفع الحديث عن إسماعيل عن الشعبى : فرواه حفص بن غياث ، عن إسماعيل ، عن الشعبى ، عن أبى بن كعب قوله ، رواه ابن أبى شيبة عن حفص : المصنف ، كتاب الحدود ، فى البكر والثيب ما يصنع بهما إذا فجرا (٦/٥٥٥) .

وكذا رواه فراس بن يحيى ، عن الشعبى ، عن مسروق ، عن أبى بن كعب موقوفًا ، رواه ابن أبى شيبة (٦/٥٥٥) عن شريك عن فراس ، ورواه البيهقى فى السنن الكبرى (٨/٢٢٣) عن أبى عوانة عن فراس .

وكذا رواه عبيد بن نضلة ، عن مسروق ، عن أبى بن كعب موقوفًا ، رواه النسائى فى الكبرى ، كتاب الرجم ، باب :نسخ الجلد عن الثيب (٤/٢٧١) (٧١٤٩) بنحوه .

[١] - في خ : « يزداد » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « خليد » .

هذا حديث غريب من هذا الوجه . وروىٰ الطبراني(١٥٥) من طريق[١] ابن لهيعة ، عن أخيه عيسىٰ بن لهيعة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما نزلت سورة النساء قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم : « **لا حبس بعد سورة النساء** » .

وقد ذهب الإمام أحمد بن حنبل إلىٰ القول بمقتضىٰ هذا الحديث ، وهو الجمع بين الجلد والرجم في حق الثيب الزاني . وذهب الجمهور إلىٰ أن الثيب الزاني إنما يرجم فقط من غير جلد ، قالوا : لأن النبي ﷺ رجم ماعزًا والغامدية واليهوديين ، ولم يجلدهم قبل ذلك فدل علىٰ أن الجلد[٢] ليس بحتم ، بل هو منسوخ علىٰ قولهم ، واللَّه أعلم .

وقوله تعالىٰ :﴿ **واللذان يأتيانها منكم فآذوهما** ﴾ أي : واللذان يفعلان[٣] الفاحشة فآذوهما ، قال ابن عباس رضي اللَّه عنهما وسعيد بن جبير وغيرهما : أي : بالشتم والتعيير[٤] والضرب بالنعال . وكان الحكم كذلك حتىٰ نسخه اللَّه بالجلد أو الرجم .

وقال عكرمة وعطاء والحسن وعبد اللَّه بن كثير : نزلت في الرجل والمرأة إذا زنيا .

وقال السدي : نزلت في [الفتيان من][٥] قبل أن يتزوجوا .

وقال مجاهد : نزلت في الرجلين إذا فعلا - لا يكنى - وكأنه يريد اللواط[٦] واللَّه أعلم .

وقد روىٰ أهل السنن من حديث عمرو بن [أبي عمرو ، عن][٧] عكرمة ، عن ابن عباس ، مرفوعًا قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **من رأيتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به** »(١٥٦) .

---

(١٥٥) - فى معجمه الكبير (١١/٣٦٥) ، وقد سبق تخريجه والكلام عليه فى أول السورة حاشية (١) .

(١٥٦) - سنن أبى داود ، كتاب الحدود ، باب :فيمن عَمِلَ عَمَلَ قوم لوط (٤٤٦٢) ، والترمذى ، كتاب الحدود ، باب :ما جاء فى حد اللوطى (١٤٥٦) ، وابن ماجة ، كتاب الحدود ، باب :من عمل عمل قوم لوط (٢٥٦١) ، والنسائى في الكبرى ، كتاب الرجم ، باب :من عمل عمل قوم لوط (٤/٣٢٢) (٧٣٣٧) ولكن بلفظ : « لعن اللَّه من عمل عمل قوم لوط ثلاثًا » . ورواه أحمد فى المسند (١/٣٠٠) (٢٧٣٢) ، وابن الجارود فى المنتقى (٨٢٠) ، وابن عدى فى الكامل (٥/١٧٦٨) ، والدارقطنى فى السنن (٣/١٢٤) ، والحاكم فى المستدرك (٤/٣٥٥) ، والبيهقى فى السنن الكبرى (٨/٢٣٢) - =

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في خ : « الرجم » .
[٣] - في خ : « يأتيان » .
[٤] - في خ : « والتعزير » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في خ : « النساء » .
[٦] - في خ : « اللياط » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . وفي ت : « عمرو بن أبي عمر » .

وقوله : ﴿ **فإن تابا وأصلحا** ﴾ أي : أقلعا ونزعا عما كانا عليه وصلحت أعمالهما[١] وحسنت ﴿ **فأعرضوا عنهما** ﴾ أي : لا تعنفوهما بكلام قبيح بعد ذلك ؛لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له ﴿ **إن اللَّه كان توابًا رحيمًا** ﴾ وقد ثبت في الصحيحين (١٥٧):« **إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها الحد ، ولا يثرب عليها** » . أي : ثم لا يعيرها بما صنعت بعد الحد الذي هو كفارة لما صنعت .

إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾

يقول سبحانه وتعالىٰ : إنما يتقبل اللَّه التوبة ممن عمل السوء بجهالة ثم يتوب ، ولو قبل

= كلهم من طريق عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب بن عبد اللَّه بن حنطب المخزومى المدنى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس رضى اللَّه عنهما به مرفوعًا . وعمرو بن أبي عمرو : ضعفه ابن معين والدارمى والنسائى وأبو داود وغيرهم ، وقال ابن حبان : ربما أخطأ . وهو - وإن وثقه ابن معين فى رواية وأبو زرعة والعجلى وابن حبان ومشّاه غير واحد - إلا أن أئمة الحديث كالمجمعين على أن هذا الحديث من مناكيره .

قال ابن معين في رواية ابن أبي مريم : عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب ثقة ينكر عليه حديث عكرمة عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال: « اقتلوا الفاعل والمفعول به » .

وقال البخارى : روى عن عكرمة فى قصة البهيمة ، فلا أدرى : سمع أم لا ؟ اهـ .

وحديث البهيمة وعمل قوم لوط حديث واحد جمعه بعض الرواة وفرقه آخرون .

وقال أبو داود : ليس هو بذاك . ثم استنكر له هذا الحديث وضعفه . وقال الترمذى : إنما يعرف هذا الحديث عن ابن عباس عن النبى ﷺ من هذا الوجه .

ولما روى النسائى هذا الحديث فى سننه الكبرى استنكره وقال : عمرو بن أبي عمرو ليس بالقوى .

وقال العجلى : ثقة ينكر عليه حديث البهيمة .

(١٥٧) - صحيح البخارى ، كتاب الحدود ، باب :لا يثرب على الأمة إذا زنت ولا تنفى (٦٨٣٩) ، ومسلم فى كتاب الحدود (١٧٠٣) من حديث الليث بن سعد ، عن سعيد بن أبي سعيد المقبرى ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضى اللَّه عنه مرفوعًا .

[١] - في ت : « أعمالهم » .

[معاينته الملك لقبض][١] روحه قبل الغرغرة . قال مجاهد وغير واحد : كل من عصى الله خطأ أو عمدًا فهو جاهل حتىٰ ينزع عن الذنب .

وقال قتادة ، عن أبي العالية ، أنه كان يحدّث أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يقولون : كل[٢] ذنب أصابه عبد فهو بجهالة . رواه ابن جرير(١٥٨) .

وقال عبد الرزاق (١٥٩) : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ فرأوا أن كل شيء عصي الله[٣] به فهو جهالة ، عمدًا كان أو غيره .

وقال ابن جريج : أخبرني عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ، قال : كل عامل بمعصية الله فهو جاهل حين عملها . قال ابن جريج : وقال لي عطاء بن أبي رباح نحوه .

وقال أبو صالح ، [عن ابن عباس][٤] : من جهالته عمل السوء .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ثم يتوبون من قريب ، قال : ما بينه وبين أن ينظر إلىٰ ملك الموت . وقال الضحاك : ما كان دون الموت فهو قريب . وقال قتادة والسدي : ما دام في صحته . وهو مروي عن ابن عباس . وقال الحسن البصري : ثم يتوبون من قريب ، ما لم يغرغر . وقال عكرمة : الدنيا كلها قريب .

(١٥٨) - فى تفسيره (٨٩/٨) .
(١٥٩) - تفسير عبد الرزاق (١٥١/١) ، وعنه الطبرى فى تفسيره (٨٩/٨) .

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « معاينة الملك يقبض » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

(ذكر الأحاديث في ذلك)

قال الإمام أحمد(١٦٠) : حَدَّثَنَا علي بن عياش[١] ، وعصام بن خالد[٢] ، قالا : حَدَّثَنَا ابن ثوبان ، عن أبيه ، عن مكحول ، عن جبير بن نفير ، عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ قال : « **إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر** » .

رواه[٣] الترمذي وابن ماجة(١٦١) من حديث عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان به . وقال الترمذي : حسن غريب . ووقع في سنن ابن ماجة : عن عبد الله بن عمرو . وهو وهم ، إنما هو عبد الله بن عمر بن الخطاب .

(حديث آخر عن ابن عمر) قال أبو بكر ابن مردُويه : حَدَّثَنَا محمد بن معمر ، حَدَّثَنَا عبد الله بن الحسن الخراساني ، حَدَّثَنَا يحيىٰ بن عبد الله [البابلتي ، حَدَّثَنَا أيوب بن نهيك الحلبي ، سمعت عطاء بن أبي رباح قال : سمعت عبد الله][٤] بن عمر ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **ما من عبد مؤمن يتوب قبل الموت بشهر إلا قبل الله منه وأدنىٰ من ذلك ؛ وقبل موته بيوم وساعة يعلم الله منه التوبة والإخلاص إليه إلا قبل منه** »(١٦٢) .

---

(١٦٠) - في مسنده (٢/ ١٣٢، ١٥٣) (٦١٦٠) (٦٤٠٨) .

(١٦١) - جامع الترمذي ، كتاب الدعوات ، باب : باب التوبة مفتوح قبل الغرغرة (٣٥٣١) ، وسنن ابن ماجة ، كتاب الزهد ، باب :ذكر التوبة (٤٢٥٣) .

وأخرجه أيضًا : أبو القاسم البغوى فى الجعديات (١١٧٣/٢) (٣٥٢٩) ، وأبو يعلى فى مسنده (٩/ ٤٦٢) (٥٦٠٩) ، وابن حبان فى صحيحه (٣٩٤/٢ - ٣٩٥) (٦٢٨) ، وابن عدى فى الكامل (٤/ ١٥٩٢) ، والحاكم فى المستدرك (٢٥٧/٤) ، وأبو نعيم فى الحلية (١٩٠/٥) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (٣٩٥/٥ - ٣٩٦) - كلهم من طريق عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان ، عن أبيه ، عن مكحول ، عن جبير بن نفير ، عن ابن عمر رضى الله عنهما به مرفوعًا . وقد صححه ابن حبان والحاكم . ولكنّ فى الحديث عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان العنْسى ، قال أحمد : أحاديثه مناكير . وضعفه ابن معين والنسائى وغيرهما ، ووثقه أبو حاتم ودُحَيْم وابن حبان ، ومشاه غير واحد ، إلا أنهم - مع ذلك - قد أنكروا عليه بعض حديثه ؛ قال صالح جزرة : شامى صدوق ، إلا أن مذهبه القدر ، وأنكروا عليه أحاديث يرويها عن أبيه عن مكحول . وقد استغرب الترمذى هذا الحديث ، وذكره ابن عدى فى مناكير عبد الرحمن ، وكذا الذهبى فى الميزان ، وخرجه أبو نعيم فى الحلية فى غرائب حديث مكحول .

(١٦٢) - ورواه أبو نعيم فى الحلية (٣٢٠/٣) من طريق يحيى بن عبد الله ، عن أيوب بن نهيك به .

قال أبو نعيم : هذا حديث غريب من حديث عطاء ، تفرد به أيوب بن نهيك . =

---

[١] - في خ : « عباس » .
[٢] - في خ : « خليد » .
[٣] - في خ : « وروى » .
[٤] - سقط من : خ .

(حديث آخر) قال أبو داود الطيالسي (١٦٣) : حدّثنا شعبة ، أخبرنا إبراهيم بن ميمون ، وأخبرني رجل من بلحارث(*) - يقال له : أيوب - قال : سمعت عبد اللّه بن عمر يقول : « **من تاب قبل موته بعام تيب عليه ، ومن تاب قبل موته بشهر تيب عليه ، ومن تاب قبل موته بجمعة تيب عليه ، ومن تاب قبل موته بيوم تيب عليه ، ومن تاب قبل موته بساعة تيب عليه** » . فقلت له : إنما قال اللّه : ﴿ **إنما التوبة علىٰ اللّه للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب** ﴾ فقال : إنما أحدثك ما سمعته من رسول اللّه ﷺ .

وهكذا رواه أبو داود الطيالسي ، وأبو عمر الحوضي (١٦٤) ، وأبو عامر العقدي ، عن شعبة (١٦٥) .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد (١٦٦) : حدّثنا حسين بن محمد ، حَدَّثَنَا محمد بن

= وأيوب بن نهيك ضعفه أبو حاتم ، وقال أبو زرعة : منكر الحديث . وذكره ابن حبان في ثقاته ، وقال : يخطئ . والراوى عنه : يحيى بن عبد اللّه البابلتي ، ضعفه غير واحد ، وقال ابن حبان : يأتى عن الثقات بأشياء معضلة يهم فيها ، فهو ساقط الاحتجاج فيما انفرد به .

(١٦٣) - فى مسنده برقم (٢٢٨٤) ، ومن طريقه رواه ابن أبى حاتم فى تفسيره (٨٩٩/٣) ، وقد وقع سقط فى المطبوع من مسند الطيالسى وتفسير ابن أبى حاتم ، فإن تمام الإسناد : أخبرنى رجل من بلحارث « أنه سمع رجلاً منا » يقال له : أيوب . وكان فى الأصل عند ابن كثير : عبد اللّه بن عمر ، وإنما هو عبد اللّه ابن عمرو ، كما هو فى مسند الطيالسى وغيره .

(*) - في ز ، خ ، ت : ملحان .

(١٦٤) - وعنه البخارى فى تاريخه الكبير (٤٢٧/١) (١٣٧٤) .

(١٦٥) - ورواه أيضًا عن شعبة : محمد بن جعفر غندر ، عند ابن جرير فى تفسيره (٩٩/٨) (٨٨٦٣) ، وعفان بن مسلم : عند أحمد فى مسنده (٢٠٦/٢) (٦٩٢٠) ، ووهب بن جرير : عند ابن أبى حاتم فى تفسيره (٩٠٠/٣) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (٣٩٧/٥) (٧٠٦٧) - كلهم عن شعبة ، عن إبراهيم بن ميمون ، عن رجل من بنى الحارث ، قال : حدثني رجل منا يقال له : أيوب ... فذكره .

(١٦٦) - فى مسنده (٤٢٥/٣) (١٥٥٤١) . ورواه الحاكم فى المستدرك (٢٥٧/٤ - ٢٥٨) ، وعنه البيهقى فى شعب الإيمان (٣٩٧/٥ - ٣٩٨) من طريق هشام بن سعد ، وعبد العزيز بن محمد الدراوردى ، كلاهما عن زيد بن أسلم ، عن عبد الرحمن ابن البيلمانى ، عن رجل من أصحاب رسول اللّه ﷺ ... فذكره .

ثم أخرجه الحاكم من طريق سفيان الثورى قال : كتبت إلى عبد الرحمن بن البيلمانى (لعله : إلى ابن عبد الرحمن) أسأله عن حديث يحدث به عن أبيه ، فكتب إليّ : أن أباه حدثه : أنه جلس إلى نفر من أصحاب النبى ﷺ ... فذكره .

ثم قال : سفيان بن سعيد رضى اللّه عنه - وإن كان أحفظ من الدراوردى وهشام بن سعد - فإنه =

مطرف ، عن زيد بن أسلم ، عن عبد الرحمن بن البيلماني قال : اجتمع أربعة من أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال أحدهم : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن الله يقبل توبة العبد قبل أن يموت بيوم** » . فقال الآخر : أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم . قال : وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن الله يقبل توبة العبد قبل أن يموت بنصف يوم** » . فقال الثالث : أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم . قال : وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن الله يقبل توبة العبد قبل أن يموت بضحوة** » . قال الرابع : أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم . قال : وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر بنفسه** » . وقد رواه سعيد بن منصور ، عن الدراوردي ، عن زيد بن أسلم ، عن عبد الرحمن بن البيلماني ، فذكر قريبًا منه .

(حديث آخر) ؛ قال أبو بكر بن مردُويه : حَدَّثَنَا إسحاق بن إبراهيم بن زيد ، حَدَّثَنَا عمران ابن عبد الرحيم ، حَدَّثَنَا عثمان بن الهيثم ، حَدَّثَنَا عوف ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر** »(١٦٧) .

= لم يذكر سماعه فى هذا الحديث من ابن البيلمانى ولا زيد بن أسلم ، إنما ذكر إجازة ومكاتبة ؛ فالقول فيه قول من قال : عن زيد بن أسلم ، عن ابن البيلمانى ، عن رجل من أصحاب النبى ﷺ . وقد شفى عبد الله بن نافع المدنى ؛ فبين فى روايته عن هشام بن سعد أن الصحابى : عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ، ثم أخرجه من طريق ابن نافع على الوجه الذى ذكره .

(١٦٧) - فى إسناده : عمران بن عبد الرحيم بن أبى الورد الأصبهانى ، قال السليمانى : فيه نظر ؛ هو الذى وضع حديث أبى حنيفة عن مالك . وقال أبو الشيخ : كان يرمى بالرفض . حدث عن عمر بن حفص بعجائب . وشيخه : عثمان بن الهيثم البصرى ، من رجال البخارى ، قال أبو حاتم : كان صدوقًا ، غير أنه بآخِره كان يتلقن ما يُلَقَّنُ . ووثقه ابن حبان ، وقال الساجى : صدوق ، ذكر عند أحمد بن حنبل فأومأ إلى أنه ليس بثبت ، وهو من الأصاغر الذين حدثوا عن ابن جريج وعوف ، ولم يحدثْ عنه . وقال الدارقطنى : صدوق كثير الخطأ .

وقد روى الثقات هذا الحديث عن عوف الأعرابى ، عن الحسن مرسلاً ولم يسندوه (انظر الحديث التالى) وهو الأوْلى .

(أحاديث في ذلك مرسلة)

قال ابن جرير(١٦٨) : حَدَّثَنَا محمد بن بشار ، حَدَّثَنَا ابن أبي عدي ، عن عوف ، عن الحسن ، قال : بلغني أن رسول الله ﷺ قال : « **إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر** » .

هذا مرسل حسن عن الحسن البصري رحمه الله تعالى .

وقد قال ابن جرير أيضًا(١٦٩) - رحمه الله - : حَدَّثَنَا ابن بشار ، حَدَّثَنَا معاذ بن هشام ، حدثني أبي ، عن قتادة ، عن العلاء بن زياد ، عن أبي أيوب بشير بن كعب ، أن نبي الله ﷺ قال : « **إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر** » .

وحَدَّثَنَا ابن بشار ، حَدَّثَنَا عبد الأعلىٰ ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن عبادة بن الصامت ، أن رسول الله ﷺ قال : ... فذكر مثله (١٧٠) .

(أثر[١] آخر) قال ابن جرير (١٧١) : حَدَّثَنَا ابن بشار ، حَدَّثَنَا أبو داود ، حَدَّثَنَا عمران ، عن قتادة ، قال : كنا عند أنس بن مالك وثم أبي قلابة ، فحدث أبو قلابة ، فقال : إن الله تعالىٰ لما لعن[٢] إبليس سأله[٣] النظرة ، فقال : وعزتك وجلالك لا أخرج من قلب ابن آدم ما دام فيه الروح . فقال الله -عز وجل- : وعزتي لا أمنعه التوبة ما دام فيه الروح .

وقد ورد هذا في[٤] حديث مرفوع ، رواه الإمام أحمد في مسنده ، من طريق عمرو بن أبي عمرو ، وأبي الهيثم العتواري ، كلاهما عن أبي سعيد ، عن النبي ﷺ ، قال : « **قال إبليس : يارب وعزتك لا أزال أغويهم ما دامت أرواحهم في أجسادهم . فقال الله -عز وجل- :**

(١٦٨) - في تفسيره (٩٦/٨) (٨٨٥٩) ، وكذا رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٣٩/٨) كتاب الزهد ، باب :في كثرة الاستغفار والتوبة ، عن أبي خالد الأحمر ، عن عوف ، عن الحسن مرسلاً .

(١٦٩) - في تفسيره (٩٦/٨) (٨٨٥٧) ، وهذا حديث مرسل ، فإن بُشَيْرًا تابعي يروى عن أبي الدرداء وأبي ذر وأبي هريرة .

(١٧٠) - المصدر السابق ، برقم (٨٨٥٨) ، وقد قال الحاكم في علوم الحديث : لم يسمع قتادة من صحابي غير أنس .

(١٧١) - المصدر السابق (٩٥/٨) (٨٨٥٤) ، ورواه أيضًا من طريق هشام الدستوائي ، عن قتادة ، عن أبي قلابة (٨٨٥٣) ، ومن طريق أيوب السختياني ، عن أبي قلابة .

[١] - في خ : « حديث » .
[٢] - في خ : « أمر » .
[٣] - في خ : « فسأله » .
[٤] - في خ : « من » .

وعزتي وجلالي ولا أزال أغفر لهم ما استغفروني »(١٧٢) .

فقد دلت هذه الأحاديث علىٰ أن من تاب إلىٰ اللَّه - عز وجل - وهو يرجو الحياة فإن توبته مقبولة ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **فأولئك يتوب اللَّه عليهم وكان اللَّه عليمًا حكيمًا** ﴾ وأمّا متىٰ وقع الإِياس من الحياة ، وعاين الملك ، وحشرجت الروح في الحلق ، وضاق بها الصدر ، وبلغت الحلقوم ، وغرغرت النفس صاعدة في الغلاصم ، فلا توبة مقبولة[١] حينئذ ، ولات حين مناص ؛

---

(١٧٢) - أما حديث عمرو بن أبي عمرو عن أبي سعيد : فهو عند أحمد في المسند (٣/ ٢٩، ٤١) (١١٢٦٠) (١١٣٨٣) ، ورواه أبو يعلى في مسنده (٢/٤٥٨) (١٢٧٣) ، والطبراني في الأوسط (٨/ ٣٣٣) (٨٧٨٨) ، وعنه أبو نعيم في الحلية (٨/٣٣٢) - كلهم من طريق الليث بن سعد ، عن يزيد بن عبد اللَّه بن الهاد ، عن عمرو بن أبي عمرو ، عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

قال الطبراني : لا يُروى هذا الحديث عن أبي سعيد إلا بهذا الإسناد ، تفرد به الليث .

وعمرو بن أبي عمرو مولى المطلب بن حنطب المخزومي : سبق ذكر كلام الأئمة فيه . انظر حاشية (١٥٦) ، وسماعه من أبي سعيد الخدري بعيد .

وأما حديث أبي الهيثم ، عن أبي سعيد : فهو عند أحمد في المسند (٣/ ٢٩، ٧٦) (١١٢٥٣) (١١٧٤٦) . ورواه عبد بن حميد في المنتخب (٩٣٢) ، وأبو يعلى في مسنده (٢/٢٣٠) (١٣٩٩) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (١/٣٣٥) (٢٦٥) ، والبغوي في شرح السنة (٥/٧٦) (١٢٩٣) - كلهم من طريق عبد اللَّه بن لهيعة . وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤/٢٦١) من طريق عمرو بن الحارث - كلاهما (أعني ابن لهيعة وعَمْرًا) عن أبي السمح دَرّاج بن سمعان عن أبي الهيثم سليمان بن عمرو العُتْواري المصري عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه مرفوعًا . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

ودَرّاجٌ أبو السمح : وثقه ابن معين وابن حبان وابن شاهين ، وقال أحمد والنسائي : منكر الحديث ، وقال أبو حاتم : في حديثه ضعف ، وضعفه الدارقطني وغيره .

وأحاديثه التي يرويها عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد فيها بعض مناكير ، وعامتُها لا بأس بها . قال أحمد ابن حنبل : أحاديث درّاج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد : فيها ضعف . وقال أبو داود : أحاديثه مستقيمة إلا ما كان عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد . بينما قال ابن معين : ما كان هكذا بهذا الإسناد فليس به بأس . وبمثل ذلك قال ابن شاهين في الثقات ، وقد أدخله ابن حبان والحاكم في صحيحيهما .

وهذا كله يوضحه ما رواه عباس الدوري عن ابن معين ؛ فإنه قال - بعد أن ذكر مقالته السالفة - : فقلت له : إن درَّاجًا يحدث عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن النبي ﷺ « **أصدق الرؤيا بالأسحار** » ويروى أيضًا : « **اذكر اللَّه حتى يقولوا مجنون** » ؟ قال : هما ثقة درَّاج وأبو الهيثم ، وقد روى بعض هذه الأحاديث عمرو بن الحارث . =

---

[١] - في خ : « متقبلة » .

ولهذا قال : ﴿ **وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتىٰ إذا حضر أحدهم الموت قال : إني تبت الآن** ﴾ وهذا كما قال تعالىٰ : ﴿ **فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا** ﴾ الآية . وكما حكم تعالىٰ بعدم توبة أهل الأرض إذا عاينوا الشمس طالعة من مغربها في قوله تعالىٰ : ﴿ **يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا** ﴾ . الآية . وقوله ﴿ **ولا الذين يموتون وهم كفار** ﴾ يعني : أن الكافر إذا مات علىٰ كفره وشركه لا ينفعه ندمه ولا توبته ، ولا يقبل منه[١] فدية ولو بملء الأرض .

قال ابن عباس ، وأبو العالية ، والربيع بن أنس : ﴿ **ولا الذين يموتون وهم كفار** ﴾ ، قالوا : نزلت في أهل الشرك . وقال الإمام أحمد (١٧٣) : حَدَّثَنَا سليمان بن داود ، قال : حَدَّثَنَا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان ، حدثني أبي ، عن مكحول ، أن عمر بن نعيم حدثه ، عن [أسامة بن سلمان][٢] أن أبا ذر حدثهم ، أن رسول الله ﷺ قال : « **إن الله يقبل توبة**

= ولذلك قال ابن عدى - بعد أن ذكر ذلك وشيئًا من مناكير درّاج - : وسائر أخبار درّاج غير ما ذكرتُ من هذه الأحاديث يتابعه الناس عليها ، وأرجو - إذا أخرجتُ درّاجًا وبَرَّأْته من هذه الأحاديث التى أنكرتْ عليه - أنَّ سائر أحاديثه لا بأس بها ، وتَقْرُبُ صُورَتُه مما قال فيه يحيى بن معين . اهـ . الكامل (٣/ ٩٨٢) ويشهد لذلك : أن ابن حبان نقل فى صحيحه عن الإمام أحمد أنه قال لِمَوْهَبِ بن يزيدَ : أيْشٍ كتبت بالشام ؟ فذكر له حديث دراج ، عن أبى الهيثم ، عن أبى سعيد مرفوعًا : « لا حليم إلا ذو عثرة » . فقال أحمد : لو لم تسمع إلا هذا لم تذهب رحلتُك . الإحسان (١/٤٢٢) . مع أنه هو الذى قال عنها : فيها ضعف . فهو يريد إذن : ما أنكر فيها من الأحاديث .

وعلى ذلك : فهذا الحديث لا بأس به ؛ إذ ليس هو من مناكير درَّاج . أَضِفْ إلى ذلك : أن ابن معين قد استشهد برواية عمرو بن الحارث لبعض أحاديث درّاج عن أبى الهيثم على صحتها ، وهذا الحديث قد رواه عمرو بن الحارث عن درّاج (كما عند الحاكم فيما مر) . والله أعلم .

(١٧٣) - فى مسنده (٥/١٧٤) (٢١٦٠٥) عن أبى داود الطيالسى ، وأخرجه أيضًا عن زيد بن الحباب :(٢١٦٠٦) ، وعلى بن عياش وعصام بن خالد (٢١٦٠٧) - أربعتهم عن عبد الرحمن بن ثابت ابن ثوبان عن أبيه به .

وأخرجه أيضًا : البخارى فى التاريخ الكبير (٢/٢١) (١٥٥٦) عن عاصم بن على ، والبزار فى مسنده (البحر الزخار (٩/٤٤٤) من طريق أبى داود الطيالسى والهيثم بن جميل (٤٠٥٥ ، ٤٠٥٦) عن ابن ثوبان عن أبيه به . وفى إسناده سقط .

قال البزار : وهذا الكلام لا نعلمه يُروى عن أبى ذر إلا بهذا الإسناد . وقد تقدم الكلام على عبد الرحمن ابن ثابت بن ثوبان ، وقول جزرة فى أنهم أنكروا عليه أحاديث يرويها عن أبيه عن مكحول . انظر حاشية (١٦١) .

[١] - في خ : « منها » . [٢] - سقط من : خ .

عبده ، أو يغفر لعبده ، ما لم يقع الحجاب » . قيل : وما وقوع الحجاب؟ قال : « **أن تخرج النفس وهي مشركة** » ؛ ولهذا قال الله تعالىٰ : ﴿ **أولئك أعتدنا لهم عذابًا أليما** ﴾ أي : موجعًا شديدًا مقيمًا .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾

قال البخاري(١٧٤) : حَدَّثَنَا محمد بن مقاتل ، حَدَّثَنَا أسباط بن محمد ، حَدَّثَنَا الشيباني ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال الشيباني : وذكره أبو الحسن السوائي ، ولا أظنه ذكره إلا عن ابن عباس ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها** ﴾ قال : كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته ، إن شاء بعضهم تزوجها ، وإن شاءوا زوجوها ، [وإن شاءوا لم يزوجوها][١] فهم أحق بها من أهلها ، فنزلت هذه الآية في ذلك .

هكذا رواه[٢] البخاري وأبو داود والنسائي وابن مردويه وابن أبي حاتم(١٧٥) من حديث أبي

(١٧٤) - في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب : ﴿ **لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهًا** ...﴾ (٤٥٧٩) وطرفه في (٦٩٤٨) .

(١٧٥) - سنن أبي داود ، كتاب النكاح ، باب :قوله تعالى : ﴿ **لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن** ﴾ (٢٠٨٩) ، والنسائي في السنن الكبرى ، كتاب التفسير ، باب :قوله تعالى : ﴿ **لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها** ﴾ (٣٢١/٦) (١١٠٩٤) ، وتفسير ابن أبي حاتم (٩٠٢/٣) (٥٠٢٩) - كلهم من طريق أسباط بن محمد ، عن الشيباني ، عن عكرمة ، عن ابن عباس به .

[١] - ما بين المعكوفتين من : خ . [٢] - في ت : «ذكره» .

إسحاق الشيباني واسمه سليمان بن أبي سليمان ، عن عكرمة ، وعن أبي الحسن السوائي ، واسمه عطاء - كوفي أعمىٰ - كلاهما عن ابن عباس بما تقدم .

وقال أبو داود (١٧٦) : حَدَّثَنَا أحمد بن محمد بن ثابت المروزي ، حدثني علي بن حسين ، عن أبيه ، عن يزيد النحوي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : ﴿ **لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة** ﴾ وذلك أن الرجل كان يرث امرأة ذي قرابته فيعضلها حتىٰ تموت أوترد إليه صداقها ، فأحكم اللَّه تعالىٰ عن ذلك ، أي : نهىٰ عن ذلك .

تفرد به أبو داود ، وقد رواه غير واحد ، عن ابن عباس بنحو ذلك . فقال وكيع ، عن سفيان ، عن علي بن بذيمة ، عن مقسم ، عن ابن عباس : كانت المرأة في الجاهلية إذا توفي عنها زوجها فجاء رجل فألقىٰ عليها ثوبًا كان أحق بها فنزلت : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها** ﴾ .

ورویٰ علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، في قوله ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها** ﴾ قال : كان الرجل إذا مات وترك جارية ألقىٰ عليها حَميُّه[١] ثوبه ، فمنعها من الناس ، فإن كانت جميلة تزوجها ، وإن كانت دميمة حبسها حتىٰ تموت فيرثها .

وروىٰ العوفي ، عنه ، كان الرجل من أهل المدينة إذا مات حميم أحدهم ألقىٰ ثوبه علىٰ امرأته ، فورث نكاحها ولم ينكحها أحد غيره ، وحبسها عنده[٢] حتىٰ تفتدي منه بفدية . فأنزل اللَّه : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها** ﴾ .

وقال زيد بن أسلم في قوله : ﴿ **لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهًا** ﴾ كان أهل يثرب ، إذا مات الرجل منهم في الجاهلية ورث امرأته من يرث ماله ، وكان يعضلها حتىٰ يرثها ، أو يزوجها من أراد ، وكان أهل تهامة يسيء الرجل صحبة المرأة حتىٰ يطلقها ، ويشترط عليها أن لا تنكح إلا من أراد ، حتىٰ تفتدي منه ببعض ما أعطاها ، فنهىٰ اللَّه المؤمنين عن ذلك. رواه ابن أبي حاتم (١٧٧) .

(١٧٦) - فى سننه ، كتاب النكاح : باب :قوله تعالى : ﴿ **لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن** ﴾ (٢٠٩٠) .

(١٧٧) - فى تفسيره (٩٠٣/٣) (٥٠٣٣) .

[١] - في ت : «حميمه» .

[٢] - سقط من : خ .

وقال أبو بكر بن مردُويه : حَدَّثَنَا محمد[١] بن أحمد بن إبراهيم ، حَدَّثَنَا موسىٰ بن إسحاق ، حَدَّثَنَا علي بن المنذر ، حَدَّثَنَا محمد بن فضيل ، عن يحيىٰ بن سعيد ، عن محمد بن أبي أمامة ابن سهل بن حنيف ، عن أبيه قال : لما توفي أبو قيس بن الأسلت أراد ابنه أن يتزوج امرأته ، وكان لهم ذلك في الجاهلية ، فأنزل اللَّه : ﴿ **لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها** ﴾ .

ورواه ابن جرير(١٧٨) من حديث محمد بن فضيل به . ثم روىٰ من طريق ابن جريج قال : أخبرني عطاء ، أن أهل الجاهلية كانوا إذا هلك الرجل وترك امرأة حبسها أهله[٢] علىٰ الصبي يكون فيهم ، فنزلت : ﴿ **لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها** ﴾ الآية .

وقال ابن جريج : قال مجاهد : كان الرجل إذا توفي كان ابنه أحق بامرأته ، ينكحها إن شاء إذا لم يكن ابنها ، أو ينكحها من شاء أخاه ، أو ابن أخيه .

وقال ابن جريج : قال عكرمة : نزلت في كبيشة بنت معن بن عاصم من[٣] الأوس ، توفي عنها أبو قيس بن الأسلت ، فجنح عليها ابنه ، فجاءت رسول اللَّه ﷺ ، فقالت : يا رسول اللَّه، لا أنا ورثت زوجي ، ولا أنا تركت فأنكح ، فأنزل اللَّه[٤] هذه الآية .

وقال السدي ، عن أبي مالك : كانت المرأة في الجاهلية إذا مات زوجها جاء وليه فألقىٰ عليها ثوبًا ، فإن كان له ابن صغير ، أو أخ حبسها حتىٰ يشب أو تموت فيرثها ، فإن هي انفلتت فأتت أهلها ولم يلق عليها ثوبًا نجت ، فأنزل اللَّه : ﴿ **لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها** ﴾ .

وقال مجاهد في قوله : ﴿ **لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهًا** ﴾ قال : كان الرجل يكون في حجره اليتيمة هو يلي أمرها ، فيحبسها رجاء أن تموت امرأته فيتزوجها ، أو يزوجها ابنه . رواه ابن أبي حاتم(١٧٩) ، ثم قال : وروي عن الشعبي وعطاء بن أبي رباح ، وأبي مجلز ، والضحاك ، والزهري ، وعطاء الخراساني ، ومقاتل بن حيان نحو ذلك .

قلت : فالآية تعم ما كان يفعله أهل الجاهلية ، وما ذكره مجاهد ومن وافقه ، فكل ما كان فيه نوع من ذلك . واللَّه أعلم .

---

(١٧٨) - فى تفسيره (١٠٥/٨) (٨٨٧٠) ، وكذا رواه النسائى فى الكبرى (٣٢١/٦) (١١٠٩٥) عن على ابن المنذر ، عن ابن فضيل ، وكذا ابن أبى حاتم فى تفسيره (٩٠٢/٣) عن ابن فضيل به .
(١٧٩) - فى تفسيره (٩٠٢/٣ - ٩٠٣) (٥٠٣٢) .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في خ : « أهلها » .
[٣] - في خ : « ابن » .
[٤] - في خ : « فنزلت » .

وقوله : ﴿ **ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن** ﴾ أي : لا تضاروهن في العشرة لتترك لك ما أصدقتها أو بعضه ، أو حقًّا من حقوقها عليك ، أو شيئًا من ذلك علىٰ وجه القهر لها والاضطهاد .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، في قوله : ﴿ **ولا تعضلوهن** ﴾ يقول : ولا تقهروهن ﴿ **لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن** ﴾ يعني : الرجل تكون له المرأة وهو كاره لصحبتها ، ولها عليه مهر ، فيضرها لتفتدي به[١] .

وكذا قال الضحاك وقتادة [وغير واحد][٢] ، واختاره ابن جرير(١٨٠) .

وقال ابن المبارك وعبد الرزاق(١٨١) : أخبرنا معمر ، أخبرني سماك بن الفضل ، عن ابن البيلماني قال : نزلت هاتان الآيتان إحداهما في أمر الجاهلية ، والأخرىٰ في أمر الإسلام . قال عبد الله بن المبارك : يعني قوله : ﴿ **لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهًا** ﴾ في الجاهلية ﴿ **ولا تعضلوهن** ﴾ في الإسلام .

وقوله : ﴿ **إلا أن يأتين بفاحشة مبينة** ﴾ قال ابن مسعود ، وابن عباس ، وسعيد بن المسيب ، والشعبي ، والحسن البصري ، ومحمد بن سيرين ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعكرمة ، وعطاء الخراساني ، والضحاك ، وأبو قلابة ، وأبو صالح ، والسدي ، وزيد بن أسلم ، وسعيد ابن أبي هلال : يعني بذلك الزنا - يعني إذا زنت فلك أن تسترجع منها الصداق الذي أعطيتها وتضاجرها حتىٰ تتركه لك وتخالعها ، كما قال تعالىٰ في سورة البقرة : ﴿ **ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله فإن خفتم أن لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به** ﴾ .

وقال ابن عباس وعكرمة والضحاك : الفاحشة المبينة : النشوز والعصيان . واختار ابن جرير أنه يعم ذلك كله ؛ الزنا ، والعصيان ، والنشوز ، وبذاء اللسان ، وغير ذلك(١٨٢) .

يعني أن هذا كله يبيح مضاجرتها حتىٰ تبرئه من حقها أو بعضه ويفارقها ، وهذا جيد ، والله

---

(١٨٠) - انظر : تفسير ابن جرير (١١٣/٨) .

(١٨١) - تفسير عبد الرزاق (١٥٢/١) وعنه ابن جرير فى تفسيره (١١١/٨) (٨٨٨٥) .

(١٨٢) - انظر : تفسير ابن جرير (١١٨/٨) .

---

[١] - سقط من : خ. [٢] - سقط من : خ.

أعلم . وقد تقدم فيما رواه أبو داود ، منفردًا من طريق يزيد النحوي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله : ﴿ **لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهًا ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة** ﴾ قال : وذلك أن الرجل كان يرث امرأة ذي قرابته ، فيعضلها حتىٰ تموت أو ترد إليه صداقها ، فأحكم اللَّه عن ذلك ، أي : نهى عن ذلك .

قال عكرمة ، والحسن البصري : وهذا يقتضي أن يكون السياق كله كان في أمر الجاهلية ، ولكن نُهِيَ المسلمون عن فعله في الإِسلام .

وقال عبد الرحمن بن زيد : كان العضل في قريش بمكة ، ينكح الرجل المرأة الشريفة ، فلعلها لا توافقه فيفارقها علىٰ أن لا تتزوج إلا بإذنه ، فيأتي بالشهود ، فيكتب ذلك عليها ويشهد ، فإذا خطبها الخاطب ، فإن أعطته وأرضته[١] أذن لها ، وإلا عضلها . قال : فهذا قوله : ﴿ **ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن** ﴾ . الآية .

وقال مجاهد في قوله : ﴿ **ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن** ﴾ : هو كالعضل في سورة البقرة .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وعاشروهن بالمعروف** ﴾ أي : طيبوا أقوالكم لهن ، وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم ، بحسب قدرتكم ، كما تحب ذلك منها فافعل أنت بها مثله ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف** ﴾ . وقال رسول اللَّه ﷺ : « **خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهله** »(١٨٣) .

(١٨٣) - أخرجه الترمذى فى كتاب المناقب ، باب :فى فضل أزواج النبى ﷺ (٣٨٩٢) ، والدارمى فى سننه (١٥٩/٢) ، وابن حبان فى صحيحه : الإحسان (٤٨٤/٩) (٤١٧٧) ، وأبو نعيم فى الحلية (٧/ ١٣٨) ، والبيهقى فى السنن الكبرى (٤٦٨/٧) - كلهم من طريق محمد بن يوسف الفريابى ، عن سفيان الثورى ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضى اللَّه عنها مرفوعًا .

قال الترمذى : هذا حديث حسن غريب صحيح من حديث الثورى ، ما أَقَلَّ من رواه عن الثورى! وروى هذا ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن النبى ﷺ مرسل . وقال أبو نعيم : تفرد به عن الثوريِّ الفريابيُّ . ومحمد بن يوسف الفريابى : إمام من أصحاب الثورى ، وثقه الأئمة ، ولكن نقل العجلى عن بعض البغداديين قوله : أخطأ محمد بن يوسف فى مائة وخمسين حديثًا من حديث سفيان .

وقال ابن عدى : له إفرادات عن الثورى ، وله حديث كثير عن الثورى ، وقد تقدم الفريابى فى الثورى على جماعة مثل عبد الرزاق ونظرائه ، وقالوا : الفريابى أعلم بالثورى منهم اهـ . وللحديث طرق أخرى لا نطيل بذكرها .

[١] - بعده في خ : « فإن » .

وكان من أخلاقه ﷺ أنه جميل العشرة ، دائم البشر ، يداعب أهله ، ويتلطف بهم ، ويوسعهم نفقته ، ويضاحك نساءه ، حتىٰ إنه كان يسابق عائشة أمّ المؤمنين -رضي اللَّه عنها- يتودّد إليها بذلك . قالت : سابقني رسول اللَّه ﷺ فسبقته ، وذلك قبل أن أحمل اللحم ، ثم سابقته بعد ما حملت اللحم فسبقني ، فقال : « **هذه بتلك** »(١٨٤) . ويجتمع[١] نساؤه كل ليلة في بيت التي يبيت عندها رسول اللَّه ﷺ فيأكل معهن العشاء في بعض الأحيان ، ثم تنصرف كل واحدة إلىٰ منزلها ، وكان ينام مع المرأة من نسائه في شعار واحد يضع عن كتفيه الرداء وينام بالإزار ، وكان إذا صلىٰ العشاء يدخل منزله يسمر مع أهله قليلًا قبل أن ينام ، يؤانسهم بذلك ﷺ . وقد قال تعالىٰ : ﴿ **لقد كان لكم في رسول اللَّه أسوة حسنة** ﴾ .

وأحكام عشرة النساء وما يتعلق بتفصيل ذلك موضعه كتاب[٢] الأحكام ، وللَّه الحمد .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **فإن كرهتموهن فعسىٰ أن تكرهوا شيئًا ويجعل اللَّه فيه خيرًا كثيرًا** ﴾ أي : فعسىٰ أن يكون صبركم [مع إمساككم لهن مع كراهتهن][٣] فيه خير كثير لكم في الدنيا والآخرة . كما قال ابن عباس في هذه الآية : هو أن يعطف عليها فيرزق منها ولدًا ، ويكون في ذلك الولدِ خيرٌ كثير . وفي الحديث الصحيح : « **لا يفرك مؤمن مؤمنة ، إن سخط منها خُلقًا رضي منها آخر** »(١٨٥) .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارًا فلا تأخذوا منه شيئًا أتأخذونه بهتانًا وإثمًا مبينًا** ﴾ أي : إذا أراد أحدكم أن يفارق امرأة ويستبدل مكانها غيرها ، فلا يأخذن مما كان أصدق الأولىٰ شيئًا ، ولو كان قنطارًا من المال .

(١٨٤) - رواه أحمد فى مسنده (٣٩/٦) (٢٤١٦٤) ، والنسائى فى الكبرى ، كتاب عشرة النساء ، باب :مسابقة الرجل زوجته (٣٠٣/٥) (٨٩٤٢) ، وابن ماجة فى كتاب النكاح ، باب :حسن معاشرة النساء (١٩٧٩) ، والحميدى فى مسنده (٢٦١) من طريق سفيان بن عيينة . ورواه أبو داود فى كتاب الجهاد ، باب :فى السبق على الرجل (٢٥٧٨) ، والنسائى فى السنن الكبرى (٣٠٤/٥) (٨٩٤٤) من طريق أبى إسحاق الفزارى - كلاهما (ابن عيينة وأبو إسحاق) عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة .

(١٨٥) - رواه مسلم فى صحيحه ، كتاب الرضاع (١٤٦٩) ، وأحمد فى مسنده (٣٢٩/٢) (٨٣٤٥) من طريق عبد الحميد بن جعفر ، عن عمران بن أبى أنس ، عن عمر بن الحكم ، عن أبى هريرة مرفوعًا .

[١] - في ت : « ويجمع » . [٢] - في ت : « كتب » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ت : « في إمساكهن مع الكراهة » .

وقد قدمنا في سورة آل عمران الكلام علىٰ القنطار بما فيه كفاية عن إعادته هاهنا .

وفي هذه الآية دلالة علىٰ جواز الإِصداق بالمال الجزيل ، وقد كان عمر بن الخطاب نهىٰ عن كثرة الإِصداق ، ثم رجع عن ذلك . كما قال الإِمام أحمد (١٨٦) : حَدَّثَنَا إسماعيل ، حَدَّثَنَا سلمة بن علقمة ، عن محمد بن سيرين ، قال : نبئت عن أبي العجفاء السلمي قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : ألا لا تغلوا في صداق النساء ، فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا ، أو تقوىٰ عند الله ، كان أولاكم بها النبي ﷺ ، ما أصدق رسول الله ﷺ امرأة من نسائه ، ولا أُصدقت امرأة من بناته أكثر من اثنتي عشرة أوقية ، وإن كان الرجل ليبتلىٰ بصدقة امرأته حتىٰ يكون لها عداوة في نفسه ، وحتىٰ يقول : كلفت إليك علق القربة(*) .
ثم رواه الإِمام أحمد وأهل السنن(١٨٧) من طرق ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي

(١٨٦) - في مسنده (١/ ٤٠ - ٤١) (٢٨٥) .

(*) - أي تحملت لأجلك كل شيء حتى علق القربة . وهو حبلها الذي تُعلَّق به . النهاية (٣/ ٢٩٠) .

(١٨٧) - المسند (١/ ٤١) (٢٨٧) وفيه : قال إسماعيل : وذكر أيوب وهشام وابن عون ، عن محمد ، عن أبى العجفاء ، عن عمر نحوًا من حديث سلمة ، إلا أنهم قالوا : لم يقل محمد : نبئت عن أبى العجفاء .
ورواه أبو داود فى كتاب النكاح ، باب :الصداق (٢١٠٥) ، والترمذى فى كتاب النكاح (١١١٤) ، والنسائى فى كتاب النكاح ، باب :القسط فى الأصدقة (٦/ ١١٧) ، وابن ماجة فى كتاب النكاح ، باب :صداق النساء (١٨٨٧) - كلهم عن محمد بن سيرين ، عن أبى العجفاء السلمى موصولاً .
- قال الإمام أبو الحسن الدارقطنى رضى الله عنه : هو حديث رواه محمد بن سيرين ، واختلف على ابن سيرين فيه : فرواه أيوب السختيانى ، وابن عون ، وهشام بن حسان ، ومنصور بن زاذان ، و أشعث بن سوّار ، ومطر الوراق ، والصلت بن دينار ، ومحمد بن عمرو الأنصارى ، وعوف الأعرابى ، وإسماعيل ابن مسلم ، ومُجّاعة بن الزبير ، وعَبيدة بن حسان ، وعقبة بن خالد الشنّى ، ويحيى بن عتيق ، وأبو حرة ، وأخوه - عن محمد بن سيرين ، عن أبى العجفاء .
فاتفق ابن عيينة ، وحماد بن زيد ، وابن علية ، والحارث بن عمير ، و عبد الوهاب الثقفى ، ومعمر ، وحماد بن سلمة ، عن أيوب . وخالفهم عمرو بن أبى قيس ، فرواه عن أيوب ، عن ابن سيرين ، عن ابن أبى العجفاء ، عن أبيه .
ورواه سلمة بن علقمة ، عن ابن سيرين قال : نبئتُ عن أبى العجفاء ، ففى رواية سلمة بن علقمة تقوية لرواية عمرو بن أبى قيس عن أيوب . ورواه عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان ، عن أبيه ، عن ابن سيرين مرسلاً ، عن عمر .
وتابعه جرير بن حازم عن ابن سيرين وقال معاذ بن معاذ : عن ابن عون ، عن ابن سيرين ، عن أبى العجفاء - أو ابن أبى العجفاء - عن عمر . وقال منصور بن زاذان : عن ابن سيرين : ثنا أبو العجفاء .
قال الشيخ أبو الحسن : كأنَّ عمرَو بن أبى قيس حفظه عن أيوب ، فيُشبه أن يكون ابنُ سيرين سمعه من أبى العجفاء ، وحفظه عن ابن أبي العجفاء عن أبيه . والله أعلم . العلل (٢/ ٢٣٣ - ٢٣٧) .

العجفاء - واسمه هرم بن مسيب البصري - وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(طريق[١] أخرىٰ عن عمر) قال الحافظ أبو يعلىٰ (١٨٨) : حَدَّثَنَا أبو خيثمة ، حَدَّثَنَا يعقوب ابن إبراهيم ، حَدَّثَنَا أبي ، عن ابن إسحاق ، حدثني محمد بن عبد الرحمن ، عن المجالد بن سعيد ، عن الشعبي ، عن مسروق ، قال : ركب عمر بن الخطاب منبر رسول اللَّه ﷺ ثم قال : أيها الناس ، ما إكثاركم[٢] في صُدُق النساء ؟ قد كان رسول اللَّه ﷺ وأصحابه وإنما الصدقات فيما بينهم أربعمائة درهم ، فما دون ذلك ، ولو كان الإكثار في ذلك تقوىٰ عند اللَّه أو كرامة لم تسبقوهم إليها ، فلا أعرفن ما زاد رجل في صداق امرأة علىٰ أربعمائة درهم ، قال : ثم نزل ، فاعترضته امرأة من قريش ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، نهيت الناس أن يزيدوا في النساء صداقهن[٣] علىٰ أربعمائة درهم؟ قال : نعم . قالت : أما سمعت ما أنزل اللَّه في القرآن؟ قال : وأي ذلك؟ فقالت : أما سمعت اللَّه يقول : ﴿ **وآتيتم إحداهن قنطارًا** ﴾ . الآية . قال : فقال: اللَّهم غفرًا ، كل الناس أفقه من عمر . ثم رجع فركب المنبر فقال : [أيها الناس][٤] ؛ إني كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صداقهنّ علىٰ أربعمائة درهم ، فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب . قال أبو يعلى : وأظنه قال : فمن طابت نفسه فليفعل . إسناده جيد قوي .

(١٨٨) - أخرجه أبو يعلى ، (كما فى المطالب العالية (١٩١/٤) (١٦٧٤) ، والبزار فى مسنده البحر الزخار (٤٥٢/١) (٣٢٠) ، والدارقطنى فى العلل (٢٣٩/٢) .

- كلهم من طريق يعقوب بن إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق ، حدثنى محمد بن عبد الرحمن ، عن مجالد بن سعيد ، عن الشعبى عن مسروق عن عمر - رضى اللَّه عنه - به . وقع عند البزار بين ابن إسحاق ومجالد : محمد بن سعيد ، وجاء عند الدارقطني : محمد بن عبد اللَّه بن سعيد . وقد رواه البزار (٤٥٢/١) (٣٢٠) والدارقطني في العلل (٢٣٩/٢) عن يعقوب بن إبراهيم أيضًا ، لكنْ لم يُدخل بين ابن إسحاق ومجالد أحدًا . وقد خالف محمد بن إسحاق في ذلك عن مجالد ؛ فرواه هشيم عن مجالد عن الشعبي عن عمر ، ولم يذكر مسروقًا رواه عن هشيم سعيدُ بنُ منصور فى سننه (٥٩٨) وعنه البيهقى فى السنن الكبرى (٢٣٣/٧) . قال البيهقى : هذا منقطع . وعلى كلٍّ ؛ فإن مجالدًا قد زاد فى الحديث ألفاظًا لم يأت بها غيرُه ، وذلك فى ذكره اعتراض المرأة على عمر ، وفى حديث مجالد عن الشعبى شيءٌ . انظر : علل الدارقطنى (٢٣٨/٢) قال البزار : هذا الحديث قد روى عن عمر من غير وجه ، ولا يعلم يروى عن مسروق عن عمر إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد .

وقال الدارقطنى : ولا يصح هذا الحديث إلا عن أبى العجفاء .

[١] - في خ : « طريقة » .

[٢] - في خ : « ما أكثركم » .

[٣] - في ت : « صداقهم » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

(طريق[١] أخرىٰ) قال ابن المنذر : حَدَّثَنَا إسحاق بن إبراهيم ، عن عبد الرزاق(١٨٩) ، عن قيس بن ربيع ، عن أبي حصين ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، قال : قال عمر بن الخطاب : لا تغالوا في مهور النساء . فقالت امرأة : ليس ذلك لك يا عمر ، إن اللَّه تعالى يقول : (وآتيتم إحداهن قنطارًا من ذهب) - قال : وكذلك هي في قراءة عبد اللَّه بن مسعود - ﴿فلا يحل لكم أن تأخذوا منه شيئًا﴾. فقال عمر : إن امرأة خاصمت عمر فخصمته .

(طريق[٢] أخرىٰ عن عمر فيها انقطاع) قال الزبير بن بكار : حدثني عمي مصعب بن عبد اللَّه ، عن جدي(١٩٠) قال : قال عمر بن الخطاب : لا تزيدوا في مهور النساء وإن كانت بنت ذي القصة[٣] - يعني يزيد بن الحصين الحارثي(١٩١) - فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال . فقالت امرأة من صفة النساء طويلة ، في أنفها فطس : ما ذاك لك . قال : ولم؟ قالت : لأن اللَّه قال : ﴿ وآتيتم إحداهن قنطارًا ﴾ . الآية . فقال عمر : امرأة أصابت ورجل أخطأ .

ولهذا قال منكرًا : ﴿ وكيف تأخذونه وقد أفضىٰ بعضكم إلىٰ بعض ﴾ أي : وكيف تأخذون الصداق من المرأة وقد أفضيت إليها وأفضت إليك .

قال ابن عباس ومجاهد والسدي وغير واحد : يعني بذلك الجماع .

وقد ثبت في الصحيحين (١٩٢) ، أن رسول اللَّه ﷺ قال للمتلاعنين بعد فراغهما من

(١٨٩) - مصنف عبد الرزاق (١٨٠/٦) (١٠٤٢٠) وقيس بن الربيع ضعفه غير واحد ، ورضيه شعبة ، وروى عنه شيئًا من حديثه عن أبي حصين ، وقال : ذاكرت قيس بن الربيع حديث أبي حصين ، فلَوَدِدتُ أن البيت وقع عليَّ وعليه حتى يموت ، من كثرة ما كان يُغْرِبُ عليَّ اهـ . وقد ذكر ابن معين أن أبا عبد الرحمن السلمى لم يسمع من عمر .

(١٩٠) - الراوى عن عُمَرَ هو : عبد اللَّه بن مصعب بن ثابت بن عبد اللَّه بن الزبير ، بينه وبين عمر مفاوز تنقطع فيها أعناق المطى ، فإن وفاته كانت سنة ١٨٤هـ . وقد ضعفه ابن معين وغير واحد .

(١٩١) - كذا في الأصل ، وفى الإصابة (٣٤٠/١) : حصين بن يزيد بن شداد الحارثى ، ذو الغَصَّة - بفتح المعجمة وتشديد المهملة - قال الدارقطنى فى المؤتلف : وفد على النبى ﷺ . وكذا ذكره ابن الكلبى وقال : إنه لُقِّبَ بذلك لأنه كان فى حلقه شبه الحوصلة . ويقال : إنه رأَسَ بنى الحارث بن كعب مائة سنة اهـ .

(١٩٢) - صحيح البخارى ، كتاب الطلاق ، باب :قول الإمام للمتلاعنين : إن أحدكما كاذب ،=

[١] - في خ : « طريقة » . [٢] - في خ : « طريقة » .

[٣] - في ت : « الغصة » .

تلاعنهما : « **اللَّه يعلم أن أحدكما كاذب ، فهل منكما تائب** » . قالها[١] ثلاثًا . فقال الرجل : يا رسول اللَّه ؛ مالي . - يعني ما أصدقها - قال : « **لا مال لك ، إن كنت صدقت عليها[٢] ، فهو بما استحللت من فرجها ، وإن كنت كذبت عليها ، فهو أبعد لك منها** » .

وفي سنن أبي داود وغيره(١٩٣) عن [بصرة بن أكثم][٣] ، أنه تزوّج امرأة بكرًا في خدرها ، فإذا هي حامل من الزنا ، فأتىٰ رسول اللَّه ﷺ ، فذكر ذلك له ، فقضىٰ لها بالصداق ، وفرق بينهما ، وأمر بجلدها ، وقال : « الولد عبد لك ، والصداق في مقابلة البضع » ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وكيف تأخذونه وقد أفضىٰ بعضكم إلىٰ بعض** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وأخذن منكم ميثاقًا غليظًا** ﴾ روي عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير ، أن المراد بذلك العقد .

وقال سفيان الثوري ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن ابن عباس ، في قوله : ﴿ **وأخذن منكم ميثاقًا غليظًا** ﴾ قال : قوله : إمساك بمعروف ، أو تسريح بإحسان[٤] .

= فهل منكما من تائب ؟ (٥٣١٢) ، وصحيح مسلم ، كتاب اللعان (١٤٩٣) - من طريق سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عمر رضى اللَّه عنهما به مرفوعًا .

(١٩٣) - رواه أبو داود فى سننه ، كتاب النكاح ، باب :فى الرجل يتزوج المرأة فيجدها حبلى (٢١٣١) ، والدارقطنى فى سننه (٢٥٠/٣) ، والحاكم فى المستدرك (١٩٩/٢ - ٢٠٠) ، والبيهقى في السنن الكبرى (١٥٧/٧) - كلهم من طريق عبد الرزاق ، عن ابن جريج ، عن صفوان بن سليم ، عن سعيد بن المسيب ، عن رجل من الأنصار يقال له بصرة . وهو عند عبد الرزاق فى مصنفه (٢٥٠/٦) (١٠٧٠٥) عن ابن جريج ، قال : حُدِّثْتُ عن صفوان بن سليم فذكره .

وقد رواه عبد الرزاق (٢٤٩/٦ - ٢٥٠) (١٠٧٠٤) وإسحاق بن إدريس : الدارقطنى (٢٥١/٣) وبسطام بن جعفر : البيهقى في سننه الكبرى (١٥٧/٧) - ثلاثتهم عن إبراهيم بن أبى يحيى الأسلمى ، عن صفوان بن سليم ، عن سعيد بن المسيب ، عن بصرة به . قال عبد الرزاق : حديث ابن جريج عن صفوان بن سليم هو : ابن جريج عن إبراهيم بن أبى يحيى ، عن صفوان بن سليم اهـ .

وقال أبو حاتم فى العلل : وما رواه ابن جريج عن صفوان بن سليم ، عن ابن المسيب ، عن بصرة بن أكثم : ليس هو من حديث صفوان بن سليم . ويحتمل أن يكون من حديث ابن جريج ، عن إبراهيم بن أبى يحيى ، عن صفوان بن سليم ؛ لأن ابن جريج يدلس عن ابن أبى يحيى عن صفوان بن سليم غير شيء ، وهو لا يحتمل أن يكون منه (٤١٨/١ - ٤١٩) (١٢٥٩) .

وقال البيهقى : فهذا الحديث إنما أخذه ابن جريج عن إبراهيم بن أبى يحيى عن صفوان بن سليم ؛ وإبراهيم مختلف في عدالته وقد خولف إبراهيم فى وصله : =

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في خ ، ز: « بصرة بن أبي بصرة » .
[٤] - سقط من : خ .

قال ابن أبي حاتم (١٩٤) : وروي عن عكرمة ومجاهد، وأبي العالية والحسن، وقتادة ويحيىٰ بن أبي كثير[١] ، والضحاك والسدي نحو ذلك .

وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، قوله : ﴿ **وأخذن منكم ميثاقًا غليظًا** ﴾ : هو قوله « **أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله** » . فإن كلمة اللّٰه هي التشهد في الخطبة قال : وكان فيما أعطي النبي ﷺ ليلة أسري به ، قال له : « **وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتىٰ يشهدوا أنك عبدي ورسولي** » . رواه ابن أبي حاتم(١٩٥) .

وفي صحيح مسلم(١٩٦) ، عن جابر ، في خطبة حجة الوداع ، أن رسول اللّٰه ﷺ قال فيها : « **واستوصوا بالنساء خيرًا ، فإنكم أخذتموهن بأمان اللّٰه**[٢] ، **واستحللتم فروجهن بكلمة اللّٰه** » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتًا وساء سبيلًا** ﴾ . يحرم اللّٰه تعالىٰ زوجات الآباء تكرمة لهم ، وإعظامًا واحترامًا أن توطأ من بعده ، حتىٰ إنها لتحرم علىٰ الابن بمجرد العقد عليها ، وهذا أمر مجمع عليه .

قال ابن أبي حاتم (١٩٧) : حَدَّثَنَا أبي ، حَدَّثَنَا مالك بن إسماعيل ، حَدَّثَنَا قيس بن الربيع ،

= قال أبو داود : روى هذا الحديث قتادة ، عن سعيد بن يزيد ، عن ابن المسيب . ورواه يحيى بن أبي كثير ، عن يزيد بن نعيم ، عن سعيد بن المسيب . وعطاء الخراسانى ، عن سعيد بن المسيب : أرسلوه كلُّهم .

وقال أبو حاتم : هذا حديث مرسل ليس بمتصل ، وكذا قال البيهقى .

وقال الخطابى : هذا الحديث لا أعلم أحدًا من الفقهاء قال به ، وهو مرسل . ولا أعلم أحدًا من العلماء اختلف فى أن ولد الزنا حر إذا كان من حرةٍ ، فكيف يستعبده ؟ ويشبه أن يكون معناه - إن ثبت الخبر - أنه أوصاه به خيرًا ، أو أمره باصطناعه وتربيته واقتنائه لينتفع بخدمته إذا بلغ ، فيكون كالعبد له فى الطاعة ، مكافأة له على إحسانه وجزاءً لمعروفه . قال : ويحتمل أن يكون الحديث - إن كان له أصل - منسوخًا ، واللّٰه أعلم اهـ .

(١٩٤) - فى تفسيره (٩٠٩/٢) .

(١٩٥) - المصدر السابق ، نفس الصفحة (٥٠٧٠) .

(١٩٦) - صحيح مسلم ، كتاب الحج (١٢١٨) من حديث جعفر بن محمد بن على بن الحسين ، عن أبيه ، عن جابر رضى اللّٰه عنه به مرفوعًا .

(١٩٧) - فى تفسيره (٩٠٩/٣) (٥٠٧٣) وقد أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير (٣٩٣/٢٢ - ٣٩٤) =

[١] - في خ : « بكر » . [٢] - سقط من : خ .

حَدَّثَنَا أشعث بن سوار ، عن عدي بن ثابت ، عن رجل من الأنصار ، قال : لما توفي أبو قيس - يعني ابن الأسلت - وكان من صالحي الأنصار ، فخطب ابنه قيس امرأته فقالت : إنما أعدك ولدًا وأنت من صالحي قومك ، [ولكن آت][١] رسول الله ﷺ فأستأمره ، فأتت رسول الله صلى الله عليه [٢] وسلم فقالت : إن أبا قيس توفي فقال : « **خيرًا** » . ثم قالت : إن ابنه قيسًا خطبني ، وهو من صالحي قومه ، وإنما كنت أعده ولدًا ، فما ترىٰ؟ فقال لها : « **ارجعي إلىٰ بيتك** » . قال : فنزلت : ﴿ **ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء [إلا ما قد سلف]** ﴾ الآية .

وقال ابن جرير(١٩٨) : حَدَّثَنَا القاسم ، حَدَّثَنَا حسين ، حَدَّثَنَا حجاج، عن ابن جريج ، عن عكرمة ، في قوله : ﴿ **ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف** ﴾ قال : نزلت في أبي قيس بن الأسلت ، خلف علىٰ [أم عبيد بنت صخر][٣] ، وكانت تحت الأسلت أبيه ، وفي الأسود بن خلف ، وكان خلف علىٰ ابنة[٤] أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، وكانت عند أبيه خلف ، وفي فاختة ابنة الأسود بن المطلب بن أسد ، كانت عند أمية بن خلف ، فخلف عليها صفوان بن أمية .

وقد زعم السهيلي أن نكاح نساء الآباء كان معمولًا به في الجاهلية ، ولهذا قال : ﴿ **إلا ما قد سلف** ﴾ . كما قال : ﴿ **وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف** ﴾ قال : وقد فعل ذلك كنانة ابن خزيمة ، تزوج بامرأة أبيه ، فأولدها ابنه النضر بن كنانة . قال : وقد قال ﷺ : « **ولدت من نكاح لا من سفاح** »(١٩٩) قال : فدل علىٰ أنه كان سائغًا لهم ذلك ، [فإن أراد أن ذلك كان

= كلاهما من طريق قيس بن الربيع ، عن أشعث بن سَوَّار ، عن عدى بن ثابت ، عن رجل من الأنصار ، فذكره ، وقيس بن الربيع : ضعفه غير واحد من أهل العلم .

وقد خولف قيس في وصله عن أشعث ، فرواه هشيم ، عن أشعث ، عن عدى بن ثابت مرسلاً . كذا رواه سُنَيد بن داود فى تفسيره - كما فى الاستيعاب (٤/١٦٠) والبيهقى فى السنن الكبرى (٧/١٦١) ، وهذا أولى قال البيهقى : هذا مرسل .

(١٩٨) - فى تفسيره (٨/١٣٣) (٨٩٤٠) .

(١٩٩) - رواه الطبرانى فى المعجم الكبير (١٠/٣٩٩) (١٠٨١٢) ، والبيهقى فى السنن الكبرى (٧/١٩٠) من طريق أبى الحويرث عن ابن عباس . وسنده ضعيف . ورواه الحارث بن أبى أسامة ، ومحمد بن سعد فى الطبقات الكبرى (١/٥١) من طريق عائشة ، وفيه الواقدى ، ورواه عبد الرزاق فى المصنف =

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « ولكني آتى » . [٢] - سقط من : خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين في خ : « أم عبيد الله صخرة » . وفي ت : « أم عبيد الله بنت صخر » . والمثبت من مصادر التخريج.

[٤] - في ح : « أبيه » .

عندهم][١] يعدونه نكاحًا فيما بينهم . فقد قال ابن جرير(٢٠٠) : حَدَّثَنَا محمد بن عبد الله المخرمي[٢] ، حَدَّثَنَا قُراد ، حَدَّثَنَا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان أهل الجاهلية يحرمون ما حرم الله إلا امرأة الأب ، والجمع بين الأختين ، فأنزل الله تعالىٰ : ﴿ ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء ﴾ ﴿ وأن تجمعوا بين الأختين ﴾ . وهكذا قال عطاء وقتادة ، ولكن فيما نقله السهيلي من قصة كنانة نظر(٢٠١) ، والله أعلم .

وعلىٰ كل تقدير فهو حرام في هذه الأمة ، مبشَّع غاية التبشع ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ إنه كان فاحشة ومقتًا وساء سبيلًا ﴾ ولهذا قال : ﴿ ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ﴾ وقال : ﴿ ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلًا ﴾ فزاد هاهنا : ﴿ ومقتًا ﴾ أي : بغضًا ، أي : هو أمر كبير في نفسه ، ويؤدي إلىٰ مقت الابن أباه بعد أن يتزوج بامرأته ، فإن الغالب أن من يتزوج بامرأة يبغض من كان زوجها قبله ، ولهذا حرمت أمهات المؤمنين علىٰ الأمة ، لأنهن أمهات ، لكونهن[٣] زوجات النبي ﷺ وهو كالأب ، بل حقه أعظم من حق الآباء بالإجماع ، بل حبه مقدم علىٰ حب النفوس صلوات الله وسلامه عليه . وقال عطاء ابن أبي رباح في قوله ﴿ ومقتًا ﴾ ، أي : يمقت الله عليه . ﴿ وساء سبيلًا ﴾ أي : وبئس طريقًا لمن سلكه من الناس ، فمن تعاطاه بعد هذا فقد ارتد عن دينه ، فيقتل[٤] ،

= وابن سعد فى الطبقات (١/٥٠) عن جعفر بن محمد ، عن أبيه مرسلاً . ووصله ابن عدى والطبرانى فى الأوسط من حديث على بن أبى طالب ، وفى إسناده نظر . ورواه البيهقى من حديث أنس ، وإسناده ضعيف . انظر : التلخيص الحبير (٣/٢٠٠ - ٢٠١) .

(٢٠٠) - فى تفسيره (٨/١٣٢ - ١٣٣) (٨٩٣٨) .

(٢٠١) - قال الحافظ ابن حجر فى التلخيص : ذكر الزبير بن بكار وغيره : أن كنانة بن خزيمة بن مدركة خَلَفَ على زوجة أبيه خزيمة بعد موته ، فولدت له ابنه النضر - واسمها : برة بنت أد بن طابخة - فحكى السهيلى عن ابن العربى : أن هذا كان جائزًا قبل الإسلام ، وهو نكاح المَقْتِ كنكاح الأختين معًا . انتهى .

وليس هذا برافع للإشكال على الحديث السابق . وادَّعى الجاحِظُ أن برة لم تلد لكنانة ذكرًا ولا أنثى ، وأن ابْنَةَ النضرَ : من بَرَّةَ بنت مر بن أد بن طابخة ، وهى بنت أخى برة بنت أد . قال : ومن ثم اشتبه على الناس ذلك ، قلت : فإن صح ما ذكره أزال الإشكال اهـ من التلخيص (٣/٢٠١) وقد قال محمد بن السائب الكلبى : كتبتُ للنبى - عليه الصلاة والسلام - خمسمائة أمٍّ ، فما وجدت فيهن سفاحًا ولا شيئًا مما كان من أمر الجاهلية . الطبقات الكبرى لابن سعد (١/٥٠) .

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « فأراد أنهم كانوا » .

[٢] - في خ : « المخزومي » .

[٣] - في خ : « لكنهن » .

[٤] - في خ : « يقتل » .

ويصير ماله فيئًا لبيت المال . كما رواه الإمام أحمد وأهل السنن من طرق[(٢٠٢)] ، عن البراء بن عازب ، عن خاله أبي بردة - وفي رواية ابن عمرو - وفي رواية عن عمه - أنه بعثه رسول الله ﷺ إلى رجل تزوج امرأة أبيه من بعده ، أن يقتله ويأخذ ماله .

---

(٢٠٢) - رواه أحمد (٤/٢٩٠) (١٨٦٠٩) ، والنسائى فى كتاب النكاح ، باب :نكاح ما نكح الآباء (٦/ ١٠٩) ، ورواه ابن أبى شيبة فى المصنف (٦/٥٦٦) ، وابن حبان فى صحيحه : الإحسان (٩/٤٢٣) (٤١١٢) ، والطحاوى في شرح معانى الآثار (٣/١٤٨) ، والحاكم فى المستدرك (٢/١٩١) - كلهم من طريق الحسن بن صالح ، عن السدى ، عن عدى بن ثابت ، عن البراء بن عازب قال : لقيت خالى ومعه الراية ... فذكره .

قال الحاكم : حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . ووافقه الذهبى .

ورواه أحمد (٤/ ٢٩٢، ٢٩٧) (١٨٦٣٣) (١٨٦٨٠) ، والترمذى فى كتاب الأحكام ، باب :فيمن تزوج امرأة أبيه (١٣٦٢) ، وابن ماجة فى كتاب الحدود ، باب :من تزوج امرأة أبيه من بعده (٢٦٠٧) ، ورواه عبد الرزاق فى مصنفه (١٠٨٠٤) ، وسعيد بن منصور فى سننه (٩٤٢) ، وابن أبى شيبة فى مصنفه (٦/٥٦٦) ، وأبو يعلى فى مسنده (١٦٦٦، ١٦٦٧) ، والدارقطنى فى سننه (٣/١٩٦) ، والطحاوى فى شرح معانى الآثار (٣/١٤٨) ، والبيهقى فى السنن الكبرى (٨/٢٣٧) - كلهم من طريق أشعث بن سوَّار ، عن عدى بن ثابت ، عن البراء بن عازب ، عن خاله : أن رجلاً تزوج امرأة أبيه .

ورواه أبو داود فى سننه ، كتاب الحدود ، باب :في الرجل يزنى بحريمه (٤٤٥٧) ، والنسائى (٦/١٠٩ - ١١٠) ، والدارمى (٢/٧٦) ، وابن الجارود (٦٨١) ، والحاكم (٤/٣٥٧) ، والبيهقى (٧/١٦٢) - كلهم من طريق زيد بن أبى أنيسة ، عن عدى بن ثابت ، عن يزيد بن البراء ، عن أبيه قال : لقيت عمى ومعه الراية .

ورواه أحمد (٢/٢٩٢) (١٨٦٣٢) ، والحاكم (٢/١٩١ - ١٩٢) - من طريق شعبة - عن الربيع بن ركين ، عن عدى بن ثابت ، عن البراء بن عازب .

ورواه أحمد (٤/ ٢٩٠، ٢٩٧) (١٨٦٦٢، ١٨٦٧٤) ، وأبو داود (٤٤٥٦) ، والطحاوى (٣/١٤٩) - كلهم من طريق مطرف ، عن أبى الجهم ، عن البراء . قال الترمذى : حديث البراء حديث حسن غريب .

وقد روى محمد بن إسحاق هذا الحديث عن عدى بن ثابت ، عن عبد الله بن يزيد ، عن البراء . وقد رُوى هذا الحديث عن أشعث ، عن عدى ، عن يزيد بن البراء ، عن أبيه . وروى عن أشعث ، عن عدى ، عن يزيد بن البراء ، عن خاله ، عن النبى ﷺ اهـ . وقال ابن أبى حاتم : سألت أبى عن حديث رواه أبو خالد الأحمر ، عن أشعث بن سوار ، عن عدى بن ثابت ، عن يزيد بن البراء ، عن خاله ... وحفص ، عن أشعث ، عن عدى ، عن البراء قال : مر بى خالى ...؟ فقال أبى : وهما جميعًا ؛ إنما هو كما رواه زيد بن أبى أنيسة ، عن عدى ، عن يزيد بن البراء ، عن البراء ، عن خاله أبى بردة ، ومنهم من يقول : عن عمه أبى بردة . اهـ العلل (١/٤٠٣) (١٢٠٧) .

وقال المنذرى : وقد اختلف فى هذا اختلافًا كثيرًا ؛ فروى عن البراء كما تقدم ، وروى عنه عن عمه =

وقال الإمام أحمد(٢٠٣) : حَدَّثَنَا هشيم ، حَدَّثَنَا أشعث ، عن عدي بن ثابت ، عن البراء بن عازب ، قال : مر بي عمي الحارث بن عمرو ومعه لواء قد عقده له النبي ﷺ فقلت له : أي عم ، أين بعثك النبي ﷺ؟ قال : بعثني إلىٰ رجل تزوج امرأة أبيه ، فأمرني أن أضرب عنقه .

(مسألة)

وقد أجمع العلماء علىٰ تحريم من وطأها الأب بتزويج أو ملك أو بشبهة أيضًا ، واختلفوا فيمن باشرها بشهوة دون الجماع ، أو نظر إلىٰ ما لا يحل له النظر إليه منها لو كانت أجنبية . فعن الإمام أحمد - رحمه الله - أنها تحرم أيضًا بذلك . وقد روىٰ الحافظ[١] ابن عساكر (٢٠٤) في ترجمة خُديج الحصنى[٢] مولى معاوية فاشترى[٣] لمعاوية جارية بيضاء جميلة ، فأدخلها عليه مجردة ، وبيده قضيب ، فجعل يهوي به إلىٰ متاعها ، ويقول : نعم[٤] المتاع لو كان له متاع ، اذهب بها إلىٰ يزيد بن معاوية ، ثم قال : لا ، ادع لي ربيعة بن عمرو الجرشي ، وكان فقيهًا ، فلما دخل عليه ، قال : إن هذه أتيت بها مجردة ، فرأيت منها ذاك وذاك ، وإني أردت أن أبعث بها إلىٰ يزيد . فقال : لا تفعل يا أمير المؤمنين ؛ فإنها لا تصلح له . ثم قال : نعم ما رأيت . ثم قال : ادع لي عبد الله بن مسعدة الفزاري . فدعوته ، وكان آدم شديد الأدمة . فقال : دونك هذه ، بيض بها ولدك . قال : وكان عبد الله بن مسعدة هذا وهبه رسول الله ﷺ لابنته فاطمة ، فربته ، ثم أعتقته ، ثم كان بعد ذلك مع معاوية من الناس علىٰ علي - رضي الله عنه - .

= كما ذكرنا أيضًا ، وروى عنه قال : مر بى خالى أبو بردة بن نيار ومعه لواء ، وهذا لفظ الترمذى فيه ، وروى عنه عن خاله وسماه هشيم فى حديثه : الحارث بن عمرو ، وهذا لفظ ابن ماجة فيه ، وروى عنه قال : مر بنا ناس ينطلقون ، وروى عنه : إنى لأطوف على إبل ضلت فى تلك الأحياء فى عهد النبى ﷺ إذ جاءهم رهط معهم لواء . وهذا لفظ النسائى اهـ .

قال ابن القيم رحمه الله - بعد أن ساق كلام المنذرى - : وهذا كله يدل على أن الحديث محفوظ ، ولا يوجب هذا تركه بوجه ؛ فإن البراء بن عازب حدث به عن أبى بردة بن نيار - واسمه الحارث بن عمرو - وأبو بردة كنيته ، وهو عمه وخاله ، وهذا واقع فى النسب ، وكان معه رهط ، فاقتصر على ذكر الرهط مرة ، وعَيَّنَ من بينهم أبا بردة بن نيار باسمه مرة ، وبكنيته أخرى ، وبالعمومة تارة ، وبالخئولة أخرى ، فأى علة فى هذا توجب ترك الحديث ، والله الموفق للصواب . اهـ .

(٢٠٣) - فى مسنده (٢٩٢/٤) (١٨٦٣٣) .

(٢٠٤) - تاريخ دمشق (٢٧٨/٤) .

[١] - سقط من : خ .

[٢] - في ت : « الحمصنى » .

[٣] - في ت : « قال : اشترى » .

[٤] - في خ : « هذا » .

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾

هذه الآية الكريمة هي آية تحريم المحارم من النسب ، وما يتبعه من الرضاع ، المحارم بالصهر ، كما قال ابن أبي حاتم(٢٠٥) : حَدَّثَنَا أحمد بن سنان ، حَدَّثَنَا عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان ابن حبيب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : حرمت عليكم سبع نسبًا ، وسبع صهرًا ، وقرأ : ﴿ **حرمت عليكم أمّهاتكم وبناتكم وأخواتكم** ﴾ . الآية . وحَدَّثَنَا أبو سعيد بن يحيىٰ بن سعيد ، حَدَّثَنَا أبو أحمد ، حَدَّثَنَا سفيان ، عن الأعمش ، عن إسماعيل بن رجاء ، عن عمير مولىٰ ابن عباس ، عن ابن عباس ، قال : يحرم من النسب سبع ومن الصهر سبع ، ثم قرأ : ﴿ **حرمت عليكم أمّهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت** ﴾ فهن النسب .

وقد استدل جمهور العلماء علىٰ تحريم المخلوقة من ماء الزاني[١] عليه ، بعموم قوله تعالىٰ : ﴿ **وبناتكم** ﴾ فإنها بنت ، فتدخل في العموم ، كما هو مذهب أبي حنيفة ومالك وأحمد ابن حنبل ، وقد حكي عن الشافعي شيء في إباحتها ؛ لأنها ليست بنتًا شرعية ، فكما[٢] لم

(٢٠٥) - في تفسيره (٩١١/٣) (٥٠٨١، ٥٠٨٢) .

[١] - في خ : « الزنا » . [٢] - في خ : « فكأنما » .

تدخل في قوله : ﴿ **يوصيكم اللَّه في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين** ﴾ فإنها لا ترث بالإِجماع ، فكذلك لا تدخل في هذه الآية ، واللَّه أعلم .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وأمّهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة** ﴾ أي : كما يحرم عليك أمّك التي ولدتك ، كذلك يحرم عليك أمّك التي أرضعتك ، ولهذا ثبت[١] في الصحيحين(٢٠٦) ، من حديث مالك بن أنس ، عن عبد اللَّه بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن عمرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة أم المؤمنين ، أن رسول اللَّه ﷺ قال : « **إن الرضاعة تحرّم ما تحرّم الولادة** » . وفي لفظ لمسلم[٢] : « **يحرم من الرضاعة[٣] ما يحرم من النسب** » .

وقد قال بعض الفقهاء : كل ما يحرم من النسب يحرم [بالرضاع إلا في][٤] أربع صور ، وقال بعضهم : ست صور ، هي مذكورة في كتب الفروع . والتحقيق أنه لا يستثنىٰ شيء من ذلك ؛ لأنه يوجد مثل بعضها في النسب ، وبعضها إنما يحرم من جهة الصهر ، فلا يرد علىٰ الحديث شيء أصلًا ألبتة ، وللَّه الحمد وبه الثقة[٥] .

ثم اختلف الأئمة في عدد الرضعات المحرّمة ، فذهب ذاهبون إلىٰ أنه يحرم مجرّد الرضاع ؛ لعموم هذه الآية ،وهذا قول مالك ، ويروىٰ[٦] عن ابن عمر ، وإليه ذهب سعيد بن المسيب ، وعروة ابن الزبير ، والزهري .

وقال آخرون : لا يحرم أقل من ثلاث رضعات ؛ لما ثبت في صحيح مسلم(٢٠٧) ، من طريق هشام[٧] بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، أن رسول اللَّه ﷺ قال : « **لا تحرم المصة**

---

(٢٠٦) - صحيح البخارى ، كتاب فرض الخمس ، باب :ما جاء فى بيوت أزواج النبى ﷺ وما نسب من البيوت إليهن (٣١٠٥) ، وصحيح مسلم ، كتاب الرضاع (١٤٤٤) .

(٢٠٧) - الحديث فى صحيح مسلم ، كتاب الرضاع (١٤٥٠) من طريق أيوب ، عن عبد اللَّه بن أبى مليكة ، عن عبد اللَّه بن الزبير ، عن عائشة رضى اللَّه عنها به ، وكذا حديث أم الفضل وليس هو عند مسلم من طريق هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة .

قال الترمذى : حديث عائشة حديث حسن صحيح ، وروى غير واحد هذا الحديث عن هشام ، عن أبيه ، عن ابن الزبير ، عن النبى ﷺ . وروى محمد بن دينار ، عن هشام ، عن أبيه ، عن =

---

[١] - في خ : « روى البخاري ومسلم » .

[٢] - في ت : « مسلم » .
[٣] - في خ : « الرضاع » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ت : « من الرضاعة إلا » .
[٥] - في خ : « واللَّه أعلم » .

[٦] - في ت : « ويروى » .
[٧] - في خ : « هاشم » .

والمصتان » . وقال قتادة ، عن أبي الخليل ، عن عبد الله بن الحارث ، عن أم الفضل ، قالت : قال رسول الله ﷺ : « **لا تحرم الرضعة ولا الرضعتان ، والمصة ولا المصتان** » .

وفي لفظ آخر : « **لا تحرم الإملاجة ولا الإملاجتان** » . رواه مسلم .

وممن ذهب إلىٰ هذا القول الإمام أحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، وأبو عبيد ، وأبو ثور ، وهو مروي عن علي ، وعائشة ، وأم الفضل ، وابن الزبير ، وسليمان بن يسار ، وسعيد ابن جبير رحمهم الله .

وقال آخرون : لا يحرم أقل من خمس رضعات ؛ لما ثبت في صحيح مسلم(٢٠٨) من طريق مالك ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عمرة[١] عن عائشة - رضي الله عنها - ، قالت : كان فيما أنزل من القرآن : عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات ، فتوفي النبي ﷺ وهن فيما يقرأ من القرآن .

وروىٰ عبد الرزاق (٢٠٩) ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، نحو ذلك .

وفي حديث سهلة بنت سهيل (٢١٠) ، أن رسول الله ﷺ أمرها أن ترضع سالمًا مولىٰ أبي حذيفة خمس رضعات ، وكانت عائشة تأمر من يريد أن يدخل عليها أن يرضع خمس رضعات ، وبهذا قال الشافعي - رحمه الله - وأصحابه ، ثم ليعلم أنه لابد أن تكون الرضاعة في سن الصغر دون الحولين علىٰ قول الجمهور . وقد قدّمنا الكلام علىٰ هذه المسألة في سورة

= ابن الزبير ، عن الزبير ، وهو غير محفوظ . والصحيح عند أهل الحديث : حديث ابن أبى مليكة ، عن عبد الله بن الزبير ، عن عائشة ، عن النبى ﷺ . وسألت محمدًا عن هذا فقال : الصحيح : عن ابن الزبير ، عن عائشة اهـ جامع الترمذى (١١٥٠) .

وعلى هذا ؛ فإن ذكر هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة مرفوعًا فى هذا الحديث - ليس فى شىء من طرق هذا الحديث ، وليس وجهًا من أوجه الاختلاف فى سنده ، إلا ما رواه النسائى فى الكبرى (٥٤٥٨) من طريق أبى معاوية ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة وابن الزبير موقوفًا لا مرفوعًا ، فالظاهر أنه سَبْق قلم .

(٢٠٨) - صحيح مسلم ، كتاب الرضاع (١٤٥٢) .

(٢٠٩) - المصنف (٤٦٦/٧) (١٣٩١٢) ، وقد سقط من إسناده ذكْرُ عروة ، وقد رواه البيهقى فى السنن الكبرى (٤٥٦/٧) من طريق عبد الرزاق على الصواب .

(٢١٠) - رواه البخارى فى كتاب المغازى ، باب :(١٢) (٤٠٠٠) وطرفه فى (٥٠٨٨) ، وصحيح مسلم ، كتاب الرضاع (١٤٥٣) من حديث عائشة .

[١] - في خ : « عروة » .

البقرة ، عند قوله : ﴿ **يرضعن أولادهنّ حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة** ﴾ .

ثم اختلفوا هل يحرم لبن الفحل ، كما هو قول جمهور الأئمة الأربعة وغيرهم ، أو إنما يختص الرضاع بالأم فقط ، ولا ينتشر إلىٰ ناحية الأب ، كما هو قول لبعض السلف ؟ علىٰ قولين . تحرير هذا كله في كتاب « الأحكام الكبير » .

وقوله : ﴿ **وأمّهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهنّ فإن لم تكونوا دخلتم بهنّ فلا جناح عليكم** ﴾ أمّا أم المرأة فإنها تحرم بمجرّد العقد علىٰ ابنتها ، سواء دخل بها أو لم يدخل بها . وأما الربيبة ، وهي بنت المرأة ، فلا تحرم [بمجرد العقد على ابنتها][١] حتىٰ يدخل بأمّها[٢] ، فإن طلق الأم قبل الدخول بها جاز له أن يتزوّج بنتها ، ولهذا قال : ﴿ **وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهنّ ، فإن لم تكونوا دخلتم بهنّ فلا جناح عليكم** ﴾ في تزويجهن ؛ فهذا خاص بالربائب وحدهن .

وقد فهم بعضهم عود الضمير إلىٰ الأمّهات والربائب فقال : لا تحرم واحدة من الأم ولا البنت بمجرّد العقد علىٰ الأخرىٰ ، حتىٰ يدخل بها ، لقوله : ﴿ **فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم** ﴾ .

وقال ابن جرير(٢١١) : حَدَّثَنَا ابن بشار ، حَدَّثَنَا ابن أبي عدي ، وعبد الأعلىٰ ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن خلاس بن عمرو ، عن علي - رضي الله تعالىٰ عنه - في رجل تزوّج امرأة فطلقها قبل أن يدخل بها ، أيتزوّج أمها ؟ قال : هي بمنزلة الربيبة .

وحَدَّثَنَا ابن بشار ، حَدَّثَنَا يحيىٰ بن سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، عن زيد بن ثابت قال : إذا طلق الرجل امرأته قبل أن يدخل بها فلا بأس أن يتزوّج أمّها .

وفي رواية عن قتادة ، عن سعيد ، عن زيد بن ثابت ، أنه كان يقول : إذا ماتت عنده فأخذ ميراثها كره أن يخلف علىٰ أمّها ، فإذا طلقها قبل أن يدخل بها ، فإن شاء فعل .

وقال ابن المنذر : حدّثنا إسحاق ، عن عبد الرزاق (٢١٢) ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني أبو

---

(٢١١) - فى تفسيره (٨/١٤٤ - ١٤٥) .

(٢١٢) - مصنف عبد الرزاق (٦/٢٧٥) (١٠٨١٩) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

[٢] - في خ : « بها » .

بكر بن حفص ، عن مسلم بن عويمر الأجدع من[١] بكر[٢] بن كنانة أخبره أن أباه أنكحه امرأة بالطائف قال : فلم أجامعها حتىٰ توفي عمي عن أمها ، وأمها ذات مال كثير ، فقال أبي : هل لك في أمها ؟ قال : فسألت ابن عباس وأخبرته؟ فقال : انكح أمها . قال : وسألت ابن عمر فقال : لا تنكحها . فأخبرت أبي بما قال ابن عباس وما قال ابن عمر[٣] ، فكتب إلىٰ معاوية فأخبره [في كتابه][٤] بما قال ابن عباس وابن عمر[٥] ، فكتب معاوية : إني لا أحل ما حرم اللَّه ، ولا أحرّم ما أحل اللَّه ، وأنت وذاك ، والنساء سواها كثير ، فلم ينه ولم يأذن لي ، فانصرف أبي عن أمّها فلم ينكحها .

وقال عبد الرزاق(٢١٣) : أخبرنا معمر ، عن سماك بن الفضل ، عن رجل ، عن عبد اللَّه بن الزبير قال : الربيبة والأم سواء ، لا بأس بها إذا لم يدخل بالمرأة .

وفي إسناده رجل مبهم[٦] لم يسم .

وقال ابن جريج : أخبرني عكرمة بن خالد ، أن مجاهدًا قال : ﴿ **وأمّهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم** ﴾ أراد بهما الدخول جميعًا ، فهذا القول مروي كما ترىٰ عن علي وزيد بن ثابت وعبد اللَّه بن الزبير ومجاهد وسعيد بن جبير وابن عباس ، وقد توقف فيه معاوية ، وذهب إليه من الشافعية أبو الحسن أحمد بن محمد بن[٧] الصابوني فيما نقله الرافعي عن العبادي[٨] .

[وقد روي عن ابن مسعود مثله ثم رجع عنه . قال الطبراني : حدّثنا إسحاق بن إبراهيم الدبري ، حدّثنا عبد الرزاق (٢١٤) ، عن الثوري ، عن أبي فروة ، عن أبي عمرو الشيباني ، عن ابن مسعود ، أن رجلا من بني شمخ من فزارة تزوج امرأة فرأىٰ أمها فأعجبته ، فاستفتىٰ ابن مسعود ، فأمره أن يفارقها ، ثم يتزوج أمها ، فتزوجها وولدت له أولادًا ، ثم أتىٰ ابن مسعود المدينة ، فسأل عن ذلك فأُخبِر أنها لا تحل له ، فلما رجع إلىٰ الكوفة قال للرجل :

---

(٢١٣) - في مصنفه (٢٧٨/٦) (١٠٨٣٣) ، وقد سقط الرجل المبهم من إسناده ، ورواه ابن حزم في المحلى (٥٢٨/٩) من طريق عبد الرزاق من غير ذكر للرجل المبهم .

(٢١٤) - مصنف عبد الرزاق (٢٧٣/٦) (١٠٨١١) .

---

[١] - في ت : أن .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في ت : «قالا» .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

[٥] - في خ : «قالا» .

[٦] - سقط من : خ .

[٧] - سقط من ت .

[٨] - بعده في خ : «وقد خالفه جمهور العلماء من السلف والخلف فرأو أن الربيبة لا تحرم بمجرد العقد على الربيبة» .

إنها عليك حرام ففارقها .

وجمهور العلماء علىٰ أن الربيبة لا تحرم بالعقد علىٰ الأم ، بخلاف الأم ، فإنها تحرم بمجرد العقد][١] .

قال ابن أبي حاتم (٢١٥) : حَدَّثَنَا جعفر بن محمد بن هارون بن عَزرة ، حَدَّثَنَا عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه كان يقول : إذا طلق الرجل المرأة قبل أن يدخل بها أو ماتت لم تحل له أمها . (وروىٰ) أنه قال : إنها مبهمة فكرهها .

ثم قال : وروي عن ابن مسعود وعمران بن حصين ومسروق وطاووس وعكرمة وعطاء والحسن ومكحول وابن سيرين وقتادة والزهري نحو ذلك . وهذا مذهب الأئمة الأربعة والفقهاء السبعة ، وجمهور الفقهاء قديمًا وحديثًا ، ولله الحمد والمنة .

قال ابن جرير[٢] (٢١٦) : والصواب قول من قال : الأم من الأمهات[٣] ؛ لأن الله لم يشرط معهن الدخول كما [شرط ذلك][٤] مع أمهات الربائب ، مع أن ذلك أيضًا إجماع من الحجة التي لا يجوز خلافها فيما جاءت به متفقة عليه . وقد روي بذلك أيضًا عن النبي ﷺ خبر غير أن في إسناده نظرًا ، وهو ما حدثني به ابن المثنى ، حدّثنا حبان بن موسىٰ ، حدّثنا ابن المبارك ، أخبرنا المثنىٰ[٥] بن الصباح ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي ﷺ قال : « **إذا نكح الرجل المرأة فلا يحل له أن يتزوّج أمها ، دخل بالبنت أو لم يدخل ، فإذا تزوج بالأم فلم يدخل بها ثم طلقها ، فإن شاء تزوج الابنة** »(٢١٧) .

(٢١٥) - في تفسيره (٩١١/٣) (٥٠٨٦) .

(٢١٦) - تفسير الطبري (١٤٥/٨ - ١٤٦) .

(٢١٧) - ورواه عبد الرزاق في مصنفه (٢٧٦/٦) (١٠٨٢١) ، والبيهقي في السنن الكبرى (١٦٠/٧) - من طريق المثنى بن الصباح به . قال البيهقي : مثنى بن الصباح غير قوي . ورواه الترمذي في جامعه في كتاب النكاح ، باب :ما جاء فيمن يتزوج المرأة ثم يطلقها قبل أن يدخل بها ، هل يتزوج ابنتها أم لا ؟ (١١١٧) ، وابن عدي في الكامل (١٤٦٩/٤) ، والبيهقي في السنن الكبرى (١٦٠/٧) .
- من طريق عبد الله بن لهيعة ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال الترمذي : هذا حديث لا يصح من قِبَل إسناده ، وإنما رواه ابن لهيعة والمثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب ، والمثنى بن الصباح=

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ.

[٢] - في خ : « ابن جريج » .

[٣] - في ت : « المبهمات » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ت : « اشترطه » .

[٥] - في خ : « ابن المثنى » .

ثم قال : وهذا الخبر - وإن كان في إسناده ما فيه - فإن في إجماع الحجة علىٰ صحة القول به مستغنىً عن الاستشهاد علىٰ صحته بغيره .

وأمّا قوله تعالىٰ : ﴿ **وربائبكم اللاتي في حجوركم** ﴾ فجمهور الأمة[١] علىٰ أن الربيبة حرام ، سواء كانت في حجر الرجل أو لم تكن في حجره . قالوا : وهذا الخطاب خرج مخرج الغالب ، فلا مفهوم له ، لقوله تعالىٰ : ﴿ **ولا تكرهوا فتياتكم علىٰ البغاء إن أردن تحصنًا** ﴾ .

وفي الصحيحين(٢١٨) أن أم حبيبة قالت : يا رسول اللَّه ؛ انكح أختي بنت أبي سفيان . وفي لفظ لمسلم : عزة بنت أبي سفيان ، قال : « **أو تحبين ذلك ؟** » قالت : نعم . لست لك بمخلية ، وأحب من شاركني في خير أختي . قال : « **فإن ذلك لا يحل لي** » . قالت : فإنا نحدث أنك تريد أن تنكح بنت أبي سلمة . قال : « **بنت أم سلمة** » . قالت : نعم . قال : « **إنها لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي ، إنها لبنت أخي من الرضاعة ، أرضعتني وأبا سلمة ثويبة ، فلا تعرضن علي بناتكنّ ولا أخواتكن** » . وفي رواية للبخاري(٢١٩) : « **إني لو لم أتزوج أم سلمة ما حلت لي** » . فجعل المناط في التحريم مجرّد تزوجه أم سلمة ، وحكم بالتحريم لذلك ، وهذا هو مذهب الأئمة الأربعة ، والفقهاء السبعة ، وجمهور الخلف والسلف . وقد قيل بأنه لا تحرم الربيبة إلا إذا كانت في حجر الرجل ، فإذا لم يكن كذلك فلا تحرم .

وقال ابن أبي حاتم(٢٢٠) : حَدَّثَنَا أبو زرعة ، حدّثنا إبراهيم بن موسىٰ ، أنبأنا هشام- يعني ابن يوسف- عن ابن جريج ، حدّثني إبراهيم بن عبيد بن رفاعة ، أخبرني مالك بن أوس بن الحدثان قال : كانت عندي امرأة فتوفيت ، وقد ولدت لي ، فوجدت عليها ، فلقيني علي بن أبي

= وابن لهيعة يُضَعَّفان فى الحديث .

وقال غيره : يشبه أن يكون ابن لهيعة أخذه عن المثنى ثم أسقطه ؛ فإن أبا حاتم قد قال : لم يسمع ابن لهيعة من عمرو بن شعيب . التلخيص الحبير (٣/١٩٠) .

(٢١٨) - صحيح البخارى ، كتاب النكاح ، باب :لا يتزوج أكثر من أربع (٥١٠١) وأطرافه فى (٥١٠٦، ٥١٠٧، ٥١٢٣، ٥٣٧٢) ، وصحيح مسلم ، كتاب الرضاع (١٤٤٩) - من طريق عروة بن الزبير ، عن زينب بنت أم سلمة ، عن أم حبيبة بنت أبى سفيان به .

(٢١٩) - صحيح البخارى (٥١٢٣) .

(٢٢٠) - فى تفسيره (٣/٩١٢) (٥٠٨٧) ، وهو عند عبد الرزاق فى المصنف (٦/٢٧٨) (١٠٨٣٤) .

---

[١] - في ت : « الأئمة » .

طالب ، فقال : مالك؟ فقلت : توفيت المرأة . فقال علي : لها ابنة؟ قلت : نعم ، وهي بالطائف . قال : كانت في حجرك؟ قلت : لا . هي بالطائف . قال : فانكحها . قلت : فأين قول الله : ﴿ **وربائبكم اللاتي في حجوركم** ﴾ ؟ قال : إنها لم تكن في حجرك ، إنما ذلك إذا كانت في حجرك .

هذا إسناد قوي ثابت إلىٰ علي بن أبي طالب علىٰ شرط مسلم ، وهو قول غريب جدًّا ، وإلىٰ هذا ذهب داود بن علي الظاهري وأصحابه ، وحكاه أبو القاسم الرافعي عن مالك رحمه الله ، واختاره ابن حزم ، وحكىٰ لي شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي أنه عرض هذا علىٰ الشيخ الإمام تقي الدين بن تيمية - رحمه الله - فاستشكله وتوقف في ذلك ، والله أعلم .

وقال ابن المنذر : حدّثنا علي بن عبد العزيز ، حدّثنا الأثرم ، عن أبي عبيدة ، قوله : ﴿ **اللاتي في حجوركم** ﴾ قال : في بيوتكم .

وأمّا الربيبة في ملك اليمين ، فقد قال الإمام مالك بن أنس ، عن ابن شهاب ، أن عمر بن الخطاب سئل عن المرأة وبنتها من ملك اليمين توطأ إحداهما بعد الأخرىٰ ؟ فقال عمر : ما أحب أن أخْبُرَهُما جميعًا . يريد أن أطأهما جميعًا بملك يميني . وهذا منقطع[١] .

وقال سنيد بن داود في تفسيره : حدّثنا أبو الأحوص ، [ ][٢] ، عن طارق بن عبد الرحمن ، عن قيس ، قال : قلت لابن عباس : أيقع الرجل علىٰ امرأة وابنتها مملوكين له؟ فقال : أحلتهما آية وحرمتهما آية ، ولم أكن لأفعله .

وقال الشيخ أبو عمر بن عبد البر - رحمه الله - : لا خلاف بين العلماء أنه لا يحل لأحد أن يطأ امرأة وبنتها من ملك اليمين ، لأن الله حرّم ذلك في النكاح قال ﴿ **وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم** ﴾ وملك اليمين عندهم تبع للنكاح ، إلا ما روي عن ابن عمر وابن عباس ، وليس علىٰ ذلك أحد من أئمة الفتوىٰ ولا من تبعهم . وروىٰ هشام[٣] ، عن قتادة : بنت الربيبة وبنت ابنتها لا تصلح وإن كانت أسفل ببطون كثيرة . وكذا قال قتادة عن أبي العالية .

ومعنىٰ قوله تعالى : ﴿ **اللاتي دخلتم بهن** ﴾ أي : نكحتموهن ، قاله ابن عباس وغير واحد .

وقال ابن جريج عن عطاء : هو أن تهدىٰ إليه فيكشف ويفتش ويجلس بين رجليها . قلت :

---

[١] - بعده في خ : « جميعًا » .

[٢] - بعده في ت : « عن طاووس » . وهو خطأ .

[٣] - في خ : « ابن هشام » .

أرأيت إن فعل ذلك في بيت أهلها؟ قال : هو سواء . وحسبه قد حرم ذلك عليه ابنتها .

وقال ابن جرير[١] (٢٢١) : وفي إجماع الجميع على أن خلوة الرجل بامرأة لا تحرم ابنتها عليه إذا طلقها قبل مسيسها ومباشرتها ، أو قبل النظر إلى فرجها بشهوة ؛ ما يدل على أن معنى ذلك هو الوصول إليها بالجماع .

وقوله تعالى : ﴿ **وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم** ﴾ أي : وحرمت عليكم زوجات أبنائكم الذين ولدتموهم من أصلابكم يحترز بذلك عن الأدعياء ، الذين كانوا يتبنونهم في الجاهلية ، كما قال تعالى : ﴿ **فلما قضى زيد منها وطرًا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا** ﴾ الآية .

وقال ابن جريج : سألت عطاء عن قوله : ﴿ **وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم** ﴾ قال : كنا نحدّث والله أعلم أن النبي ﷺ لما نكح امرأة زيد فقال المشركون بمكة في ذلك ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم** ﴾ ونزلت : ﴿ **وما جعل أدعياءكم أبناءكم** ﴾ ونزلت : ﴿ **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم (٢٢٢) : حَدَّثَنَا أبو زرعة ، حَدَّثَنَا محمد بن أبي بكر المقدمي ، حَدَّثَنَا خالد[٢] بن الحارث ، عن الأشعث ، عن الحسن بن محمد ، أن هؤلاء الآيات مبهمات : ﴿ **وحلائل أبنائكم** ﴾ ﴿ **وأمّهات نسائكم** ﴾ . ثم قال : وروي عن طاووس وإبراهيم والزهري ومكحول نحو ذلك .

(قلت) : معنى مبهمات : أي عامّة في المدخول بها وغير المدخول ، فتحرم بمجرّد العقد عليها ، وهذا متفق عليه .

فإن قيل : فمن أين تحرم امرأة ابنه من الرضاعة كما هو قول الجمهور ، ومن الناس من يحكيه إجماعا وليس من صلبه؟ فالجواب من قوله ﷺ « **يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب** » (٢٢٣).

وقوله تعالى : ﴿ **وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف** ﴾ الآية . أي : وحرّم عليكم الجمع

(٢٢١) - في تفسيره (١٤٨/٨) .
(٢٢٢) - في تفسيره (٩١٣/٣) (٥٠٩٥) .
(٢٢٣) - سبق تخريجه ؛ انظر حاشية (٢٠٦) .

[١] - في خ : « جريج » . [٢] - في ت : « الجرح » .

بين الأختين معًا في التزويج ، وكذا في ملك اليمين ، إلا ما كان منكم في جاهليتكم ، فقد عفونا [عن ذلك][١] وغفرناه . فدل علىٰ أنه لا مثنوية فيما يستقبل ؛ ولا استثناء فيما سلف ، كما قال : ﴿ **لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولىٰ** ﴾ فدل علىٰ أنهم لا يذوقون فيها الموت أبدًا ، وقد أجمع العلماء من الصحابة والتابعين والأئمة قديمًا وحديثًا علىٰ أنه يحرم الجمع بين الأختين في النكاح ، ومن أسلم وتحته أختان ، خير فيمسك إحداهما ويطلق الأخرىٰ لا محالة . وقال الإمام أحمد بن حنبل (٢٢٤) : حَدَّثَنَا موسىٰ بن داود ، حَدَّثَنَا ابن لهيعة ، عن أبي وهب الجيشاني ، عن الضحاك بن فيروز ، عن أبيه ، قال : أسلمت وعندي امرأتان أختان ، فأمرني النبي ﷺ أن أطلق إحداهما .

ثم رواه أحمد والترمذي وابن ماجة من حديث ابن لهيعة(٢٢٥) ، وأخرجه أبو داود والترمذي أيضًا من حديث يزيد بن أبي حبيب(٢٢٦) ، كلاهما عن أبي وهب الجيشاني ، قال الترمذي : واسمه ديلم[٢] بن الهوشع . عن الضحاك بن فيروز الديلمي ، عن أبيه به . وفي لفظ للترمذي : فقال النبي ﷺ : « **اختر أيتهما شئت** » . ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن .

---

(٢٢٤) - فى مسنده (٢٣٢/٤) (١٨٠٩٦) .

(٢٢٥) - المسند (٢٣٢/٤) (١٨٠٩٥) ، والترمذى فى كتاب النكاح ، باب :ما جاء فى الرجل يسلم وعنده أختان (١١٢٩) ، وابن ماجة فى كتاب النكاح ، باب :الرجل يسلم وعنده أختان (١٩٥١) ، والطبرانى فى معجمه الكبير (٣٢٨/١٨) (٨٤٣) ، والدارقطنى فى سننه (٢٧٤/٣) ، والبيهقى فى الكبرى (١٨٤/٧) - كلهم من طريق عبد اللَّه بن لهيعة ، عن أبى وهب الجَيْشانى ، عن الضحاك بن فيروز ، عن أبيه به .

(٢٢٦) - سنن أبى داود ، كتاب الطلاق ، باب :فيمن أسلم وعنده نساء أكثر من أربع أو أختان (٢٢٤٣) ، والترمذى فى كتاب النكاح ، باب :ما جاء فى الرجل يسلم وعنده أختان (١١٣٠) ، والبخارى فى التاريخ الكبير (٢٤٨/٣) (٨٥٦) ، والعقيلى في الضعفاء (٤٤/٢) وابن حبان فى صحيحه : الإحسان (٤٦٢/٩) (٤١٥٥) ، والطبرانى فى الكبير (٣٢٩/١٨) (٨٤٥) ، والدارقطنى فى السنن (٢٧٣/٣) ، والبيهقى فى السنن الكبرى (١٨٤/٧) - كلهم من طريق جرير بن حازم ، عن يحيى ابن أيوب ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن أبى وهب الجيشانى ، عن الضحاك بن فيروز ، عن أبيه به .

- قال المزى فى التحفة : رواه الوليد بن مسلم وموسى بن داود ويحيى بن إسحاق ويحيى بن يحيى ، عن ابن لهيعة كما قال قتيبة (يعني : عن أبى وهب ، عن الضحاك ، عن أبيه) وكذلك رواه أبو همام الوليد ابن شجاع ، عن ابن وهب (يعنى : عن ابن لهيعة) .

ورواه أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى ، عن أبيه ، عن جده ، عن ابن وهب ، عن ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن أبى وهب الجيشانى . وهو وهم . واللَّه أعلم . وقال ابن عساكر : هذا عندي وهم من ابن يونس أو من أبيه . ويحتمل أن يكون ابن لهيعة سمعه من =

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « عنه » . [٢] - في خ : « دلهم » .

وقد رواه ابن ماجة أيضًا بإسناد آخر ، فقال (٢٢٧) : حَدَّثَنَا أبو بكر بن أبي شيبة ، حَدَّثَنَا عبد السلام بن حرب ، عن إسحاق بن عبد اللَّه بن أبي فروة ، عن أبي وهب الجيشاني ، عن أبي خراش الرعيني [عن الديلمي][١] ، قال : قدمت علىٰ رسول اللَّه ﷺ وعندي أختان تزوّجتهما في الجاهلية ، فقال : « **إذا رجعت فطلق إحداهما** » .

قلت : فيحتمل أن أبا خراش هذا هو الضحاك بن فيروز ، ويحتمل أن يكون غيره ، فيكون أبو وهب قد رواه عن اثنين ، عن فيروز الديلمي ، واللَّه أعلم .

وقال ابن مردويه : حَدَّثَنَا عبد اللَّه بن يحيىٰ بن محمد بن يحيىٰ ، حَدَّثَنَا أحمد بن يحيىٰ الخولاني ، حَدَّثَنَا هيثم بن خارجة ، حَدَّثَنَا يحيىٰ بن إسحاق ، عن إسحاق بن عبد اللَّه بن أبي فروة ، عن رُزيق[٢] بن حُكيم ، عن كثير بن مرة ، عن الديلمي ، قال : قلت : يا رسول اللَّه ، إن تحتي أختين . قال : « **طلق أيهما شئت** »(٢٢٨) .

= يزيد عن أبي وهب ثم سمعه من أبي وهب أو دلسه عنه .
والحديث قال عنه البخارى : فى إسناده نظر .
وقال العقيلى : لا يحفظ إلا عنه (يعنى أبا وهب الجيشانى) .
والحديث قد احتج به الأوزاعى وغيره ، انظر سنن الدارقطنى (٣/٢٧٤) .

(٢٢٧) - مصنف ابن أبى شيبة ، كتاب النكاح ، باب : ما قالوا فى الرجل يسلم وعنده أختان (٣/٤٠٥) وعن ابن ماجة في سننه ، كتاب النكاح ، باب : الرجل يسلم وعنده أختان (١٩٥٠) ، ورواه الطبرانى فى الكبير (١٨/٣٢٨ - ٣٢٩) من طريق أبى بكر بن أبى شيبة به .
وقد رواه الإمام الشافعى فى مسنده - شفاء العى (٣١/٢) (٤٥) - وعنه الدارقطنى فى سننه (٣/ ٢٧٣) ، والبيهقى فى سننه الكبرى (١٨٤/٧ - ١٨٥) عن ابن أبى يحيى ، عن ابن أبى فروة ، عن أبى وهب الجيشانى ، عن أبى خراش ، عن الديلمى - أو عن ابن الديلمى - به .
قال البيهقى : زاد إسحاق بن عبد الله بن أبى فروة فى إسناده أبا خراش ، وإسحاق لا يحتج به ، ورواية يزيد بن أبى حبيب أصح ، والله أعلم .
وقال الحافظ ابن حجر فى زوائده على تحفة الأشراف - معقبًا على رواية ابن ماجة عن أبى بكر بن أبى شيبة ، عن عبد السلام بن حرب - : تابعه الحسين بن سنان الخزاز ، عن عبد السلام بن حرب . ورواه أبو نعيم ، عن عبد السلام بن حرب ؛ فجعله من مسند أبى خراش نفسه ؛ أخرجه ابن منده فى المعرفة . وأخرجه الشافعى عن إبراهيم بن محمد بن أبى يحيى ، عن إسحاق بن أبى فروة ؛ فوافق الأول . وهو الصواب .

(٢٢٨) - ورواه الطبرانى فى الكبير (١٨/٣٣٠ - ٣٣١) (٨٥٠) من طريق الهيثم بن خارجة ، عن =

[١] - سقط من ز ، خ ، ت . والصواب إثباته . [٢] - في خ : « زر » . وفي ت : « زريق » .

فالديلمي المذكور أوّلا هو الضحاك بن فيروز الديلمي ، [قال أبو زرعة الدمشقي : كان يصحب عبد الملك بن مروان . والثاني هو أبو فيروز الديلمي][١] - رضي اللّه عنه - وكان من جملة الأمراء باليمن الذين ولوا قتل الأسود العنسي المتنبئ لعنه اللّه .

وأما الجمع بين الأختين في ملك اليمين فحرام أيضًا ، لعموم الآية .

وقال ابن أبي حاتم (٢٢٩) : حَدَّثَنَا أبو زرعة ، حَدَّثَنَا موسىٰ بن إسماعيل ، حَدَّثَنَا حماد بن سلمة ، عن قتادة ، عن عبد اللّه بن أبي عنبة- أو عتبة- عن ابن مسعود ، أنه سئل عن الرجل يجمع بين الأختين ، فكرهه . فقال له - يعني السائل - يقول اللّه تعالىٰ : ﴿ **إلا ما ملكت أيمانكم** ﴾ فقال له ابن مسعود - رضي اللّه تعالىٰ عنه - : وبعيرك مما ملكت يمينك .

وهذا هو المشهور عن الجمهور والأئمة الأربعة وغيرهم ، وإن كان بعض السلف قد توقف في ذلك . وقال الإمام مالك(٢٣٠) ، عن ابن شهاب ، عن قبيصة بن ذؤيب ، أن رجلا سأل عثمان ابن عفان عن الأختين في ملك اليمين ، هل يجمع بينهما ؟ فقال عثمان : أحلتهما آية وحرّمتهما آية ، وما كنت لأصنع ذلك . فخرج من عنده فلقي رجلا من أصحاب النبي ﷺ فسأله عن ذلك فقال : لو كان لي من الأمر شيء ، ثم وجدت أحدًا فعل ذلك لجعلته[٢] نكالا . وقال مالك : قال ابن شهاب : أراه علي بن أبي طالب . قال : وبلغني عن الزبير بن العوّام مثل ذلك .

قال الشيخ أبو عمر بن عبد البر النمري - رحمه اللّه - في كتابه الاستذكار (٢٣١) : إنما كنىٰ قبيصة بن ذؤيب عن علي بن أبي طالب ، لصحبته عبد الملك بن مروان ، وكانوا يستثقلون[٣] ذكر علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه .

ثم قال أبو عمر : حدثني خلف بن أحمد - رحمه الله - قراءة عليه - أن خلف بن مطرف حدّثهم ، حَدَّثَنَا أيوب بن سليمان ، وسعيد بن سليمان ، ومحمد بن عمر بن لبابة ، قالوا : حَدَّثَنَا أبو زيد عبد الرحمن بن إبراهيم ، حَدَّثَنَا أبو عبد الرحمن المقري ، عن موسىٰ بن أيوب

= يحيى ابن حمزة (وعند ابن كثير : ابن إسحاق) عن ابن أبى فروة به .

(٢٢٩) - فى تفسيره (٩١٤/٣) (٥٠٩٩) ، وفيه : عن عبد اللّه بن أبى عتبة ، عن ابن مسعود ، من غير شك .

(٢٣٠) - فى الموطأ ، كتاب النكاح ، باب :ما جاء فى كراهية إصابة الأختين بملك اليمين : ﷺ ٤٢٥.

(٢٣١) - الاستذكار لابن عبد البر (٢٥٢/١٦) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين من : خ . [٢] - في خ : « لوجدته » .

[٣] - في خ : « يستقلون » .

الغافقي ، حدثني عمي إياس بن عامر ، قال : سألت علي بن أبي طالب ، فقلت : إنّ لي أختين مما ملكت يميني ، اتخذت إحداهما سُرِّيَّة ، فولدت لي أولادًا ، ثم رغبت في الأخرىٰ ، فما أصنع ؟ فقال علي - رضي الله عنه - : تعتق التي كنت تطأ ، ثم تطأ الأخرىٰ . قلت : فإنّ ناسًا يقولون : بل تزوّجها ، ثم تطأ الأخرىٰ . فقال علي : أرأيت إن طلقها زوجها أو مات عنها ، أليس ترجع إليك؟ لأن تعتقها أسلم لك . ثم أخذ علي بيدي ، فقال لي : إنه يحرم عليك مما ملكت يمينك ما يحرم عليك في كتاب الله - عز وجل - من الحرائر إلا العدد - أو قال : إلا الأربع - ويحرم عليك من الرضاع ما يحرم عليك في كتاب الله من النسب .

ثم قال أبو عمر : هذا الحديث رحلة[١] ، لو لم يصب رجل من أقصىٰ المغرب والمشرق إلىٰ مكة غيره لما خابت رحلته .

قلت : وقد روي عن علي نحو ما تقدم عن عثمان . وقال أبو بكر بن مردويه : حَدَّثَنَا محمد ابن أحمد بن إبراهيم ، حَدَّثَنَا محمد بن العباس ، حدثني محمد بن عبد الله بن المبارك المخرمي ، حَدَّثَنَا عبد الرحمن بن غزوان ، حَدَّثَنَا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال لي علي بن أبي طالب : حرّمتهما آية وأحلتهما آية- يعني الأختين - قال ابن عباس : تحرمهن علىٰ قرابتي منهن ، ولا تحرمهن علي قرابة بعضهن من بعض - يعني الإماء - وكانت الجاهلية يحرّمون ما تحرّمون ، إلا امرأة الأب والجمع بين الأختين ، فلما جاء الإسلام أنزل الله : ﴿ **ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف** ﴾ ﴿ **وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف** ﴾ يعني : في النكاح .

ثم قال أبو عمر : وروىٰ الإمام أحمد بن حنبل ، حَدَّثَنَا محمد بن سلمة ، عن هشام ، عن ابن سيرين ، عن ابن مسعود ، قال : يحرم من الإماء ما يحرم من الحرائر إلا العدد . وعن ابن سيرين والشعبي نحو[٢] ذلك .

قال أبو عمر : -رحمه الله - وقد روي مثل قول عثمان عن طائفة من السلف ، منهم ابن عباس ، ولكن اختلف عليهم ، ولم يلتفت إلىٰ ذلك أحد من فقهاء الأمصار والحجاز والعراق ولا ما وراءهما من المشرق ولا بالشام والمغرب ، إلا من شذ عن جماعتهم باتباع الظاهر ونفي القياس ، وقد ترك من يعمل ذلك ظاهرًا [ ][٣] ما اجتمعنا عليه ، وجماعة الفقهاء متفقون علىٰ أنه لا يحل الجمع بين الأختين بملك اليمين في الوطء ، كما لا يحل ذلك في النكاح ،

[١] - في خ : « رجل » .

[٢] - في خ : « مثل » .

[٣] - بعده في ت : « ظاهرًا » .

وقد أجمع المسلمون علىٰ أن معنىٰ قوله تعالى : ﴿ **حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم** ﴾ إلىٰ آخر الآية ، أن النكاح وملك[١] اليمين في هؤلاء كلهن سواء ، فكذلك يجب أن يكون نظرًا وقياسًا الجمع بين الأختين ، وأمهات النساء والربائب ، وكذلك هو عند جمهورهم ، وهم الحجة المحجوج بها من خالفها وشذ عنها . والله المحمود .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم** ﴾ [أي : وحرم عليكم من الأجنبيات المحصنات ، وهنّ المزوجات ﴿ **إلا ما ملكت أيمانكم** ﴾] ، يعني : إلا ما ملكتموهن بالسبي فإنه يحل لكم وطؤهن إذا استبرأتموهن ، فإن الآية نزلت في ذلك .

وقال الإمام أحمد (٢٣٢) : حَدَّثَنَا عبد الرزاق ، أخبرنا سفيان - هو الثوري - عن عثمان البتي ، عن أبي الخليل ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : أصبنا نساء[٢] من سبي أوطاس ، ولهن أزواج ، فكرهنا أن نقع عليهن ولهن أزواج ، فسألنا النبي صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم ، فنزلت هذه الآية : ﴿ **والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم** ﴾ فاستحللنا بها[٣] فروجهن .

وهكذا رواه الترمذي ، عن أحمد بن منيع ، عن هشيم ، ورواه النسائي من حديث سفيان الثوري ، وشعبة بن الحجاج ، ثلاثتهم عن عثمان البتي ، ورواه ابن جرير من حديث أشعث بن سوار[٤] عن عثمان البتي ، ورواه مسلم في صحيحه (٢٣٣) ، من حديث شعبة ، عن قتادة ، كلاهما عن أبي الخليل صالح بن أبي مريم ، عن أبي سعيد الخدري فذكره ، وهكذا رواه عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، عن أبي الخليل ، عن أبي سعيد الخدري به (٢٣٤) .

(٢٣٢) - في مسنده (٣/٧٢) (١١٧٠٨) .

(٢٣٣) - رواه الترمذى فى كتاب النكاح ، باب :ما جاء فى الرجل يسبى الأمة ولها زوج ، هل يحل له أن يطأها (١١٣٢) ، وفى كتاب التفسير ، باب : ومن سورة النساء (٣٠٢٠) ، والنسائى فى السنن الكبرى ، كتاب النكاح ، باب :قوله تعالى : ﴿ **والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم** ﴾ (٦/ ٣٢١) (١١٠٩٧) ، وابن جرير في تفسيره (٨/١٥٣) (٨٩٦٩) ، وأبو يعلى فى مسنده (٢/ ٣٨١، ٤٢٩) (١١٤٨) (١٢٣١) - كلهم من طريق عثمان بن مسلم البَتّى ، عن أبى الخليل صالح بن أبى مريم ، عن أبى سعيد الخدرى رضى اللَّه عنه به .

(٢٣٤) - رواه مسلم فى صحيحه ، كتاب الرضاع (١٤٥٦) من طريق خالد بن الحارث ، عن سعيد وشعبة ، عن قتادة ، عن أبى الخليل ، عن أبى سعيد الخدرى به وقد خولف خالد عن سعيد فى ذلك =

[١] - في خ : « بملك » .
[٢] - في خ : « سبيا » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ت : « سواري » .

وقد روي من وجه آخر ، عن أبي الخليل ، عن أبي علقمة الهاشمي ، عن أبي سعيد الخدري ، [قال الإمام أحمد (٢٣٥) : حَدَّثَنَا ابن أبي عدي ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أبي الخليل ، عن أبي علقمة ، عن أبي سعيد الخدري][١] ، أن[٢] أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم أصابوا سبايا[٣] يوم أوطاس ، لهن أزواج من أهل الشرك ، فكأن أناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ كفوا وتأثموا من غشيانهن ، قال : فنزلت هذه الآية في ذلك : ﴿ **والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم** ﴾ .

وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي من حديث سعيد بن أبي عروبة ، زاد مسلم : وشعبة . ورواه الترمذي من حديث همام بن يحيىٰ ، ثلاثتهم عن قتادة بإسناده نحوه(٢٣٦) ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن ، ولا أعلم أن أحدًا ذكر أبا علقمة في هذا الحديث إلا ما ذكر همام عن قتادة . كذا قال ، وقد تابعه سعيد وشعبة ، والله أعلم .

وقد روىٰ الطبراني من طريق[٤] الضحاك ، عن [ابن عبا س][٥] (٢٣٧) ، أنها نزلت في سبايا

= كما سيأتي ، ورواه عبد الرزاق فى التفسير (١٥٣/١ - ١٥٤) عن معمر ، عن قتادة ، عن أبى الخليل أو غيره أو عن أبى سعيد الخدرى به .

(٢٣٥) - فى مسنده (٨٤/٣) (١١٨١٣) وأيضًا (١١٨١٤) عن همام ، عن قتادة .

(٢٣٦) - رواه مسلم فى صحيحه فى كتاب الرضاع (١٤٥٦) ، وأبو داود فى سننه ، كتاب النكاح ، باب :فى وطء السبايا (٢١٥٥) ، والنسائى فى سننه ، كتاب النكاح ، باب :تأويل قول الله عز وجل : ﴿ **والمحصنات من النساء** ﴾ (١١٠/٦) ، وفى الكبرى فى كتاب التفسير ، باب :قوله تعالى : ﴿ **والمحصنات من النساء** ﴾ (٣٢١/٦) (١١٠٩٦) ، والترمذى فى كتاب النكاح ، باب :ما جاء فى الرجل يسبى الأمة ولها زوج ، هل يحل له أن يطأها (١١٣٢) ، وفى كتاب التفسير ، باب : ومن سورة النساء (٣٠٢٠) ، وأبو يعلى (٤٨٦/٢) (١٣١٨) - من طريق سعيد وشعبة وهمام . ورواه أبو داود الطيالسى (٢٢٣٩) عن هشام الدستوائي - أربعتهم (سعيد وشعبة وهمام وهشام) عن قتادة ، عن أبى الخليل ، عن أبي علقمة الهاشمى ، عن أبى سعيد الخدرى به . وهذا أولى من رواية خالد بن الحارث عند مسلم بإسقاط أبى علقمة الهاشمى .

قال الإمام أبو الحسن الدارقطنى فى العلل (٣٥٢/١١) : يرويه قتادة ، عن أبى الخليل صالح بن أبى مريم ، عن أبى علقمة ، عن أبى سعيد . وخالفه عثمان البتى ؛ فرواه عن أبى الخليل ، عن أبى سعيد . ولم يذكر أبا علقمة . وقول قتادة أصح اهـ .

(٢٣٧) - المعجم الكبير للطبرانى (١١٥/١٢ - ١١٦) (١٢٦٣٧) ، والمعجم الأوسط =

[١] - سقط من : خ .

[٢] - في خ : « كان » .

[٣] - في ت : « سبيا » .

[٤] - في ت : « حديث » .

[٥] - ما بين المعكوفتين في ت : « أنس » .

خيبر . وذكر مثل حديث أبي سعيد ، وقد ذهب جماعة من السلف إلىٰ أن بيع الأمة يكون طلاقا لها من زوجها أخذًا بعموم هذه الآية ، وقال ابن جرير(٢٣٨) : حَدَّثَنَا ابن مثنى ، حَدَّثَنَا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن مغيرة ، عن إبراهيم : أنه سئل عن الأمة تباع ولها زوج؟ قال : كان عبد اللَّه يقول : بيعها طلاقها . ويتلو هذه الآية ﴿ **والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم** ﴾ .

وكذا رواه سفيان ، عن منصور ، ومغيرة والأعمش ، عن إبراهيم ، عن ابن مسعود ، قال : بيعها طلاقها . وهو منقطع . ورواه[١] سفيان الثوري ، عن خالد ، عن أبي قلابة ، عن ابن مسعود ، قال : إذا بيعت الأمة ولها زوج فسيدها أحق ببضعها .

ورواه سعيد عن قتادة ، قال : إن أبي بن كعب وجابر بن عبد اللَّه وابن عباس قالوا : بيعها طلاقها .

وقال ابن جرير(٢٣٩) : حدثني يعقوب ، حَدَّثَنَا ابن علية ، عن خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : طلاق الأمة ست : بيعها طلاقها ، وعتقها طلاقها ، وهبتها طلاقها ، وبراءتها ، طلاقها ، وطلاق زوجها طلاقها .

وقال عبد الرزاق(٢٤٠) : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن ابن المسيب ، قوله ﴿ **والمحصنات من النساء** ﴾ قال : هنّ[٢] ذوات الأزواج ، حرم اللَّه نكاحهن إلا ما ملكت يمينك ، فبيعها طلاقها . قال معمر : وقال الحسن مثل ذلك .

وهكذا رواه سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن الحسن في قوله : ﴿ **والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم** ﴾ قال : إذا كان لها زوج فبيعها طلاقها . وروىٰ عوف عن الحسن : بيع الأمة طلاقها ،وبيعه طلاقها .

= (٢٩٧/٤ - ٢٩٨) (٤٢٥١) من طريق أحمد بن صالح ، عن يحيى بن حسان ، عن محمد بن مسلم بن أبى الوضاح ، عن سالم الأفطس ، عن رزين الجرجانى ، عن الضحاك ، عن ابن عباس به .

قال الطبرانى : لم يروه عن سالم الأفطس إلا محمد بن مسلم بن أبى الوضاح .

(٢٣٨) - فى تفسيره (١٥٥/٨) (٨٩٧٣) .

(٢٣٩) - المصدر السابق (١٥٧/٨) (٨٩٨٣) ، وقد قال : طلاق الأمة ست ، ولم يذكر منها إلا خمسًا ، وانظر التعليق على ذلك فى تفسير ابن جرير .

(٢٤٠) - فى تفسيره (١٥٣/١) .

---

[١] - في ت : « وقال » . [٢] - في خ : « هذه » .

فهذا قول هؤلاء من السلف ، وقد خالفهم الجمهور قديمًا وحديثًا ، فرأوا أن بيع الأمة ليس طلاقًا لها ؛ لأن المشتري نائب عن البائع ، والبائع كان قد أخرج عن ملكه هذه المنفعة وباعها مسلوبة عنها ، واعتمدوا في ذلك على حديث بريرة المخرج في الصحيحين وغيرهما(٢٤١) ؛ فإن عائشة أم المؤمنين اشترتها ونجزت عتقها ، ولم ينفسخ نكاحها من زوجها مغيث ، بل خيرها رسول الله ﷺ بين الفسخ والبقاء ؛ فاختارت الفسخ وقصتها مشهورة . فلو كان بيع الأمة طلاقها ، كما قال هؤلاء ، ما خيرها النبي ﷺ ؛ فلما خيرها دل على بقاء النكاح ، وأن المراد من الآية المسبيات فقط ، والله أعلم .

وقد قيل : المراد بقوله : ﴿ **والمحصنات من النساء** ﴾ يعني ، العفائف حرام عليكم حتى تملكوا عصمتهن بنكاح وشهود ومهور وولي ، واحدة ، أو اثنتين ، أو ثلاثًا ، أو أربعًا . حكاه ابن جرير(٢٤٢) عن أبي العالية وطاووس وغيرهما . وقال عمر وعبيدة : ﴿ **والمحصنات من النساء** ﴾ ما عدا الأربع حرام عليكم إلا ما ملكت أيمانكم .

وقوله تعالى : ﴿ **كتاب الله عليكم** ﴾ أي : هذا التحريم كتاب كتبه الله عليكم ، [يعني الأربع][١] فالزموا كتابه ، ولا تخرجوا[٢] عن حدوده ، والزموا شرعه وما فرضه .

و[٣] قال عبيدة وعطاء والسدي في قوله : ﴿ **كتاب الله عليكم** ﴾ يعني : الأربع .

وقال إبراهيم : ﴿ **كتاب الله عليكم** ﴾ يعني ما حرم عليكم .

وقوله تعالى : ﴿ **وأحل لكم ما وراء ذلكم** ﴾ أي : ما عدا من ذكرن من المحارم هن لكم حلال ، قاله عطاء وغيره . وقال عبيدة والسدي : ﴿ **وأحل لكم ما وراء ذلكم** ﴾ ما دون الأربع . وهذا بعيد . والصحيح قول عطاء كما تقدم . وقال قتادة : ﴿ **وأحل لكم ما وراء ذلكم** ﴾ يعني ما ملكت أيمانكم ، وهذه الآية هي[٤] التي احتج بها من احتج على تحليل الجمع بين الأختين ، وقول من قال : أحلتهما آية وحرمتهما آية . وقوله تعالى : ﴿ **أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين** ﴾ أي : تحصلوا بأموالكم من الزوجات إلى أربع ، أو السراري ما شئتم بالطريق الشرعي ، ولهذا قال : ﴿ **محصنين غير مسافحين** ﴾ .

---

(٢٤١) - صحيح البخارى ، كتاب الشروط ، باب :الشروط فى البيوع (٢٧١٧) ، ومسلم فى كتاب العتق (١٥٠٤) - من طريق الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة رضى الله عنها .

(٢٤٢) - فى تفسيره (١٥٩/٨) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - في خ : « ولا تخرجوه » .

[٣] - في خ : « وقد قال » .

[٤] - سقط من : خ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهنّ فريضة** ﴾ أي : كما تستمتعون بهن فآتوهن مهورهن في مقابلة ذلك ، [كما قال تعالىٰ][١] : ﴿ **وكيف تأخذونه وقد أفضىٰ بعضكم إلىٰ بعض** ﴾ . وكقوله تعالىٰ : ﴿ **وآتوا النساء صدقاتهن نحلة** ﴾ . وكقوله : ﴿ **ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئًا** ﴾ وقد استدل بعموم هذه الآية علىٰ نكاح المتعة ، ولا شك أنه كان مشروعًا في ابتداء الإسلام ، ثم نسخ بعد ذلك . وقد ذهب الشافعي وطائفة من العلماء إلىٰ أنه أبيح ثم نسخ ، ثم أبيح ثم نسخ [مرتين . وقال][٢] آخرون : أكثر من ذلك . وقال آخرون : إنما أبيح مرة ، ثم نسخ ولم يبح بعد ذلك .

وقد روي عن ابن عباس وطائفة من الصحابة القول بإباحتها للضرورة ، وهو رواية عن الإمام أحمد بن حنبل [رحمهم الله تعالى][٣] وكان ابن عباس ، وأبي بن كعب ، وسعيد بن جبير والسدي يقرءون ﴿ **فما استمتعتم به منهن إلىٰ أجل مسمىٰ فآتوهن أجورهن فريضة** ﴾ .

وقال مجاهد : نزلت في نكاح المتعة . ولكن الجمهور علىٰ خلاف ذلك .

والعمدة ما ثبت في الصحيحين(٢٤٣) ، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، قال : نهى رسول الله ﷺ عن نكاح المتعة ، وعن لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر . ولهذا الحديث ألفاظ مقررة هي في كتاب « الأحكام » .

وفي صحيح مسلم(٢٤٤) ، عن الربيع بن سبرة بن معبد الجهني ، عن أبيه ، أنه غزا مع رسول الله ﷺ يوم[٤] فتح مكة ، فقال : « **يا أيها الناس ، إني كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء ، وإن الله قد حرم ذلك إلىٰ يوم القيامة ، فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله ، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئًا** » . وفي رواية لمسلم : في حجة الوداع . وله ألفاظ موضعها «كتاب الأحكام » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة** ﴾ من حمل هذه الآية

(٢٤٣) - صحيح البخارى ، كتاب المغازى ، باب :غزوة خيبر (٤٢١٦) وأطرافه فى (٥١١٥) (٥٥٢٣) (٦٩٦١) ، وصحيح مسلم ، كتاب النكاح (١٤٠٧) . من طريق الزهرى ، عن عبد الله والحسن ابنى محمد بن على ، عن أبيهما ، عن على بن أبى طالب رضى الله عنه .

(٢٤٤) - صحيح مسلم ، كتاب النكاح (١٤٠٦) .

[١] - في خ : « كقوله » .
[٢] - مكانه في خ بياض .
[٣] - ما بين المعقوفتين سقط من : ت .
[٤] - سقط من : خ .

علىٰ نكاح المتعة إلىٰ أجل مسمىٰ . قال[١] : فلا جناح عليكم إذا انقضىٰ الأجل أن تتراضوا[٢] علىٰ زيادة به ، وزيادة للجعل .

قال[٣] السدي : [إن شاء أرضاها][٤] من بعد الفريضة الأولىٰ ، يعني الأجر الذي أعطاها علىٰ تمتعه بها قبل انقضاء الأجل بينهما ، فقال : أتمتع منك أيضًا بكذا وكذا . فإن زاد قبل أن يستبرئ رحمها يوم تنقضي المدة ، وهو قوله تعالىٰ : ﴿ **ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة** ﴾ .

قال السدي : فإذا[٥] انقضت المدة فليس له عليها سبيل ، وهي منه بريئة ، وعليها أن تستبرئ ما في رحمها ، وليس بينهما ميراث . فلا يرث واحد منهما صاحبه .

ومن قال [بهذا القول][٦] الأول جعل معناه كقوله : ﴿ **وآتوا النساء صدقاتهن نحلة** ﴾ الآية ، أي : إذا فرضت لها صداقًا فأبرأتك منه ، أو عن شيء منه ، فلا جناح عليك[٧] ولا عليها في ذلك .

وقال ابن جرير (٢٤٥) : حدثنا محمد بن عبد الأعلىٰ ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : زعم الحضرمي أن رجالًا كانوا يفرضون المهر ثم عسىٰ أن يدرك أحدهم العسرة ، فقال : ولا جناح عليكم أيها الناس فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ، يعني : إن وضعت لك منه شيئًا فهو لك سائغ . واختار هذا القول ابن جرير . وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ **ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة** ﴾ والتراضي أن يوفيها صداقها ثم يخيرها يعني في المقام أو الفراق .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **إن الله كان عليمًا حكيمًا** ﴾ فناسب[٨] ذكر هذين الوصفين بعد شرع هذه المحرمات .

---

(٢٤٥) - في تفسيره (٨/١٨٠) (٩٠٤٥) .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في خ : « تراضو » .
[٣] - في خ : « وقال » .
[٤] - في خ : « شاء الله أرضاها » .
[٥] - في ت : « إذا » .
[٦] - في خ : « بالقول » .
[٧] - في خ : « عليكم » .
[٨] - في ت : « مناسب » .

﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۚ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٥)﴾

يقول تعالىٰ : [﴿ **ومن لم يستطع منكم طولا** ﴾][١] أي : سعة وقدرة ﴿ **أن ينكح المحصنات المؤمنات** ﴾[٢] أي : الحرائر العفائف[٣] .

وقال ابن وهب : أخبرني عبد الجبار ، عن ربيعة : ﴿ **ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات** ﴾ قال ربيعة : الطول الهوىٰ . يعني ينكح الأمة إذا كان هواه فيها . رواه ابن أبي حاتم وابن جرير (٢٤٦) . ثم شرع[٤] يشنع علىٰ هذا القول ويردّه .

﴿ **فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات** ﴾ أي : فتزوجوا من الإماء المؤمنات اللاتي يملكهن المؤمنون ولهذا قال : ﴿ **من فتياتكم المؤمنات** ﴾ قال ابن عباس وغيره : فلينكح من إماء المؤمنين ، وكذا قال السدي ومقاتل بن حيان .

ثم اعترض[٥] بقوله : ﴿ **والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض** ﴾ أي : هو العالم بحقائق الأمور وسرائرها ، وإنما لكم أيها الناس الظاهر من الأمور .

ثم قال: ﴿ **فانكحوهنّ بإذن أهلهنّ** ﴾ فدل علىٰ أن السيد هو[٦] ولي أمته ، لا تزوج إلا بإذنه ، وكذلك هو ولي عبده ، ليس له أن يتزوج [بغير][٧] إذنه ، كما جاء في الحديث :

---

(٢٤٦) - تفسير ابن جرير (٨/١٨٣) (٩٠٥٧) ، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/٩٢٠) (٥١٤٠) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في خ : «ومن لم يجد طولًا» . [٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : خ . [٤] - في ت : «أخذ» .
[٥] - في خ : «أعرض» . [٦] - سقط من : خ .
[٧] - في خ : «إلا بإذنه» .

« **أيما عبد تزوج بغير إذن مواليه فهو عاهر** »(٢٤٧) . أي : زان . فإن كان مالك الأمة امرأة[١] زوجها من يزوج المرأة بإذنها ، لما جاء في الحديث : « **لا تزوّج [المرأة المرأة ، ولا][٢] المرأة نفسها فإن الزانية هي التي تزوّج نفسها** »(٢٤٨) .

(٢٤٧) - رواه أبو داود فى سننه ، كتاب النكاح ، باب :فى نكاح العبد بغير إذن سيده (٢٠٧٨) ، وأحمد فى مسنده (٣٠١/٣) (١٤٢٥٣) ، وابن أبى شيبة فى مصنفه ، كتاب النكاح ، باب :من كره للعبد أن يتزوج بغير إذن سيده (٣٦٩/٣) ، والدارمى فى سننه (١٥٢/٢) ، وابن الجارود فى المنتقى (٦٨٦) ، وابن عدى فى الكامل (٧٢٧/٢) ، وأبو نعيم فى الحلية (٣٣٣/٧) ، والبيهقى فى السنن الكبرى (٧/ ١٢٧) - من طرق عن الحسن بن صالح .

ورواه الترمذى ، فى كتاب النكاح ، باب :ما جاء فى نكاح العبد بغير إذن سيده (١١١٢) ، وأحمد فى المسند (٣٧٧/٣) (١٥٠٧٤) ، وابن عدى فى الكامل (٩٢٥/٣) - عن ابن جريج .

ورواه ابن أبى شيبة فى المصنف (٣٦٩/٣) ، وأحمد فى المسند (٣٨٢/٣) (١٥١٣٥) ، والحاكم فى المستدرك (١٩٤/٢) ، والبيهقى فى السنن الكبرى (١٢٧/٧) من طريق القاسم بن عبد الواحد . ورواه الترمذى فى كتاب النكاح (١١١١) من طريق زهير بن محمد - أربعتهم (أعنى : الحسن ، وابن جريج ، والقاسم ، وزهيرًا) عن عبد اللَّه بن محمد بن عقيل ، عن جابر بن عبد اللَّه رضى اللَّه عنهما به مرفوعًا .

قال الترمذى : هذا حديث حسن . كذا نقل المنذرى والمزى وابن حجر ، ونقل عنه الزيلعى فى نصب الراية (٢٠٣/٣) أنه صححه أيضًا ، وكذلك هو في المطبوع .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وقال أبو نعيم - بعد أن خرج الحديث من رواية الحسن بن صالح ، عن ابن عقيل - : غريب من حديث الحسن ، لم نكتبه إلا من حديث إسماعيل اهـ . ولكنه رواه عن الحسن جماعة منهم : وكيع ، وأبو نعيم الفضل بن دُكَين ، وابن رجاء ، ومخلد بن يزيد ، كما في مصادر التخريج السابقة .

(تنبيه) روى هذا الحديث ابنُ ماجة فى سننه ، فى كتاب النكاح ، باب :تزويج العبد بغير إذن سيده (١٩٥٩) فقال : حدثنا أزهر بن مروان ، ثنا عبد الوارث بن سعيد ، ثنا القاسم بن عبد الواحد ، عن عبد اللَّه بن محمد بن عقيل ، عن ابن عمر ، فذكره مرفوعًا . قال الحافظ ابن حجر فى زوائده على التحفة : هكذا عنده من رواية عبد الوارث بن سعيد ، عن القاسم . وخالفه همام ، عن القاسم ؛ فقال : عنه ، عن ابن عقيل ، عن جابر اهـ .

والظاهر أن المخالفة ليست من عبد الوارث ؛ إذ إنّ ابنه عبد الصمد روى عنه هذا الحديث على الصواب كرواية همام (كما فى رواية الحاكم) فالمخالفة إذن مِمَّن هو دون عبد الوارث ، واللَّه أعلم .

قال الترمذى : وروى بعضهم هذا الحديث عن عبد اللَّه بن محمد بن عقيل ، عن ابن عمر ، عن النبى ﷺ ولا يصح . والصحيح : عن عبد اللَّه بن محمد بن عقيل ، عن جابر .

(٢٤٨) - رواه ابن ماجة فى كتاب النكاح ، باب :لا نكاح إلا بولى (١٨٨٢) ، وابن عدى فى الكامل (٦/ ٢٢٦٧) ، والدارقطنى في سننه (٢٢٧/٣) ، والبيهقى فى السنن الكبرى (١١٠/٧) من طريق =

[١] - سقط من: خ.

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وآتوهن أجورهنّ بالمعروف** ﴾ أي : وادفعوا مهورهن بالمعروف ، أي : عن طيب نفس منكم ، ولا تبخسوا منه شيئًا استهانة بهن لكونهن إماء مملوكات .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **محصنات** ﴾ أي : عفائف[١] عن الزنا ، لا يتعاطينه . ولهذا قال : ﴿ **غير مسافحات** ﴾ وهن الزواني اللاتي لا يمتنعن من أحد أرادهن بالفاحشة .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ولا متخذات أخدان** ﴾ قال ابن عباس : ﴿ **المسافحات** ﴾ هن الزواني المعلنات ، يعني الزواني اللاتي لا يمنعن أحدًا أرادهن بالفاحشة . وقال ابن عباس : ومتخذات أخدان يعني أخلاء .

وكذا روي عن أبي هريرة ومجاهد والشعبي والضحاك وعطاء الخراساني ويحيىٰ بن أبي كثير ومقاتل بن حيّان والسدي قالوا : أخلاء . وقال الحسن البصري : يعني الصديق . وقال الضحاك أيضًا : ﴿ **ولا متخذات أخدان** ﴾ ذات الخليل الواحد المقرة به . نهىٰ اللَّه عن ذلك ، يعني تزويجها ما دامت كذلك .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **فإذا أحصنّ فان أتين بفاحشة فعليهن نصف ما علىٰ المحصنات من العذاب** ﴾ اختلف القراء في (أحصنّ) فقرأه بعضهم بضم الهمزة وكسر الصاد مبني لما لم يسم فاعله ، وقرئ بفتح الهمزة والصاد فعل لازم ، ثم قيل : معنىٰ القراءتين واحد . واختلفوا فيه على قولين ؛ (أحدهما) : أن المراد بالإحصان هاهنا الإسلام ، روي ذلك عن عبد اللَّه بن مسعود وابن عمر وأنس والأسود بن يزيد وزر بن حبيش وسعيد بن جبير وعطاء وإبراهيم النخعي والشعبي والسدي ، ورویٰ نحوه الزهري عن عمر بن الخطاب ، وهو

= السدى الصغير محمد بن مروان ، ورواه الدارقطني (٣/٢٢٧ - ٢٢٨) ، والبيهقي (٧/١١٠) من طريق عبد السلام بن حرب ومخلد بن الحسين - ثلاثتهم (السدى وعبد السلام ومخلد) عن هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا ؛ إلا أن عبد السلام بن حرب رفع أول الحديث ، وجعل قوله : « فإن الزانية هي التي تُنْكِحُ نفسها » من كلام أبي هريرة .

قال البزار : وهذا الحديث لا نعلمه يُروى عن النبي - عليه السلام - إلا من هذا الوجه عن أبي هريرة ، ولا نعلم أسنده عن هشام إلا محمد بن مروان وعبد السلام بن حرب . اهـ مسند البزار (٢/٢٧٧).

وقال ابن عدى : وهذا يرويه محمد بن مروان ، ومخلد بن حسين ، وعبد الأعلى ، والفضل بن موسى - عن هشام (يعني : مرفوعًا) .

قال البيهقي : وعبد السلام بن حرب قد ميز المسند من الموقوف ، فيُشبه أن يكون قد حفظه ، واللَّه تعالى أعلم .

[١] - في خ : « غافلات » .

منقطع ، وهذا هو القول الذي نص عليه الشافعي رحمه الله في [رواية الربيع][١] ، قال : وإنما قلنا ذلك استدلالاً بالسنة وإجماع أكثر أهل العلم .

وقد روىٰ ابن أبي حاتم في ذلك حديثًا مرفوعا قال(٢٤٩) : حَدَّثَنَا علي بن الحسين بن الجنيد ، حَدَّثَنَا أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله ، حَدَّثَنَا أبي ، عن أبيه ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن رجل ، عن أبي عبد الرحمن ، عن علي بن أبي طالب ، قال : قال رسول الله ﷺ ﴿ **فإذا أحصنّ** ﴾ قال : « **إحصانها : إسلامها [وعفافها** » وقال : المراد به هاهنا التزويج . قال : وقال علي : اجلدوهن][٢].

ثم[٣] قال ابن أبي حاتم : وهو حديث منكر .

(قلت) : وفي إسناده ضعف ، وفيه[٤] من لم يسم ، ومثله[٥] لا تقوم به حجة .

وقال القاسم وسالم : إحصانها إسلامها وعفافها . وقيل : المراد به هاهنا التزويج . وهو قول ابن عباس ومجاهد وعكرمة وطاووس وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وغيرهم . ونقله أبو علي الطبري(٢٥٠) في كتابه الإِيضاح عن الشافعي فيما رواه أبو الحكم بن عبد الحكم عنه . وقد [رواه

وقد خولف هؤلاء في رفعهم الحديث عن هشام بن حسان ؛ فقد رواه عبد الرزاق فى مصنفه (٢٠٠/٦) (١٠٤٩٤) ، وحفص بن غياث والنضر بن شميل : (عند الدارقطنى فى سننه (٢٢٧/٣) ، وسفيان بن عيينة : ذكره البيهقى في السنن الكبرى (١١٠/٧) - أربعتهم عن هشام بن حسان ، عن ابن سيرين ، عن أبى هريرة رضى الله عنه موقوفًا عليه من قوله .

- وكذلك رواه أيوب السختيانى : عند عبد الرزاق فى المصنف (٢٠٠/٦) (١٠٤٩٣) ، والأوزاعى : عند البيهقى فى الكبرى (١١٠/٧) ، عن ابن سيرين ، عن أبى هريرة موقوفًا .

قال ابن عبد الهادى : وهو أشبه . يعنى الموقوف .

(٢٤٩) - فى تفسيره (٩٢٣/٣) (٥١٥٧) ، وأبو حمزة : هو محمد بن ميمون المروزى السُكرى ، وثقه الدورى والنسائى وابن حبان ، وقال ابن عبد البر : ليس بقوى ، وقال النسائى : لا بأس بأبي حمزة إلا أنه كان قد ذهب بصره في آخر عمره ، فمن كتب عنه قبل ذلك فحديثه جيد .

وجابر : هو ابن يزيد الجعفى ، ضعفه كثير من أهل الحديث ، ووثقه بعضهم .

(٢٥٠) - انظر : معرفة السنن والآثار (٣٦٥/٦) ، وأبو على الطبرى هو الإمام الحسن بن القاسم شيخ الشافعية ، أخذ الفقه عن أبى على بن أبى هريرة ، وهو من أصحاب الوجوه فى مذهب الشافعى ، صنف « المحرر فى النظر » وهو أول كتاب صُنِّف فى الخلاف المجرد ، و « الإفصاح » فى المذهب ، وألف فى الجدل . توفى سنة ٣٥٠هـ .

[١] - ما بين المعكوفتين ساقط من تفسير ابن أبي حاتم والدر المنثور ، وكأنها زيادة مقحمة .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٣] - سقط من : خ .

[٤] - في خ : « ومنهم » . [٥] - سقط من : خ .

الليث][١] بن أبي سليم ، عن مجاهد أنه قال : إحصان الأمة أن ينكحها الحر ، وإحصان العبد أن ينكح الحرة . وكذا روىٰ ابن أبي طلحة عن ابن عباس رواهما ابن[٢] جرير في تفسيره . وذكره ابن أبي حاتم ، عن الشعبي والنخعي(٢٥١) .

[وقيل : معنىٰ القراءتين متباين][٣] . فمن قرأ ﴿أُحْصِنَّ﴾ بضم الهمزة فمراده التزويج ، ومن قرأ (أَحْصَنَّ)[٤] بفتحها فمراده الإسلام ، اختاره الإمام[٥] أبو جعفر بن جرير في تفسيره وقرره ونصره .

والأظهر - والله أعلم - أن المراد بالإحصان هاهنا التزويج ، لأن سياق الآية يدل عليه ، حيث يقول سبحانه وتعالىٰ : ﴿ **ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات** ﴾ والله أعلم . والآية الكريمة سياقها كلها في الفتيات المؤمنات ، فتعين أن المراد بقوله : ﴿ **فإذا أحصنّ** ﴾ أي : تزوّجن ، كما فسره ابن عباس [ومن تبعه][٦] .

وعلىٰ كل من القولين إشكال علىٰ مذهب الجمهور ، وذلك أنهم يقولون : إن الأمة إذا زنت فعليها خمسون جلدة ، سواء كانت مسلمة أو كافرة ، مزوجة أو بكرا ، مع أن مفهوم الآية يقتضي أنه لا حدّ علىٰ غير المحصنة ممن زنا من الإماء . وقد اختلفت أجوبتهم عن ذلك ، فأما الجمهور فقالوا : لا شك أن المنطوق مقدم علىٰ المفهوم . وقد وردت أحاديث عامة في إقامة الحد علىٰ الإماء ، فقدمناها علىٰ مفهوم الآية . فمن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه(٢٥٢) ، عن علي - رضي الله عنه - ، أنه خطب فقال : يا أيها الناس أقيموا الحد علىٰ أرقّائكم من أحصن منهم ومن لم يحصن ، فإن أمة لرسول الله ﷺ زنت فأمرني أن أجلدها ، فإذا هي حديث[٧] عهد بنفاس ، فخشيت إن جلدتها أن أقتلها ، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال : « **أحسنت ، اتركها حتىٰ تتماثل** » ، وعند عبد الله بن أحمد عن غير أبيه : « **فإذا تعالت(*) من نفاسها فاجلدها[٨] خمسين** »(٢٥٣) .

(٢٥١) - تفسير ابن جرير (٨/ ٢٠١، ٢٠٢) (٩١٠٠) (٩١٠٣) ، وتفسير ابن أبي حاتم (٩٢٣/٣) .

(٢٥٢) - صحيح مسلم ، كتاب الحدود (١٧٠٥) .

(*) - أي ارتفعت وطهرت . النهاية (٢٩٣/٣) .

(٢٥٣) - المسند (١٣٦/١) (١١٤٢) من زيادات عبد الله بن أحمد على المسند عن محمد بن بكار =

[١] - في ت : « روى ليث » .

[٢] - في خ : « ابن أبي » .

[٣] - في خ : « بل معنىٰ القراءتين سيان » .

[٤] - سقط من : ت .

[٥] - سقط من : ت .

[٦] - ما بين المعكوفتين في ت : « وغيره » .

[٧] - في ت : « حديثه » .

[٨] - في خ : « حدها » .

وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : « **إذا زنت أمة أحدكم فتبين زناها فليجلدها الحد ولا يثرب عليها**(*) **، ثم إن زنت الثانية فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ، ثم إن زنت الثالثة فتبين زناها فليبعها ولو بحبل من شعر** » .

ولمسلم : « **إذا زنت ثلاثًا فليبعها في الرابعة**» (٢٥٤) .

وروىٰ مالك(٢٥٥) عن يحيىٰ بن سعيد ، عن سليمان بن يسار ، عن عبد اللَّه بن [عياش بن أبي ربيعة][١] المخزومي قال : أمرني عمر بن الخطاب في فتية من قريش فجلدنا [ولائد من ولائد الإمارة][٢] خمسين خمسين فى الزنا .

(الجواب الثاني) : جواب من ذهب إلىٰ أن الأمة إذا زنت ولم تحصن فلا حدّ عليها ، وإنما تضرب تأديبًا ، وهو المحكي عن عبد اللَّه بن عباس - رضي اللَّه عنهما - ، وإليه ذهب طاووس وسعيد بن جبير وأبو عبيد القاسم بن سلام وداود بن علي الظاهري في رواية عنه ، وعمدتهم مفهوم الآية ، وهو من مفاهيم الشرط ، وهو حجة عند أكثرهم ، فقدم علىٰ العموم عندهم . وحديث أبي هريرة وزيد بن خالد - رضي اللَّه عنهما - : أن رسول اللَّه ﷺ سئل عن الأمة إذا زنت ولم تحصن؟ قال : « **إن زنت فاجلدوها ، ثم إن زنت فاجلدوها ، ثم بيعوها ولو بضفير**[٣] » . وقال ابن شهاب : لا أدري بعد الثالثة أو الرابعة . أخرجاه في الصحيحين(٢٥٦) . وعند مسلم قال ابن شهاب : الضفير[٤] الحبل .

= وأبى الربيع الزهرانى ، عن الجرّاح أبى وكيع ، عن عبد الأعلى ، عن أبى جميلة ، عن على .

(*) - أي لا يوبخها ولا يقرعها بالزنا بعد الضرب . وقيل : أراد لا يقنع في عقوبتها بالتثريب ، بل يضربها الحدَّ ، فإنّ زنا الإماء لم يكن عند العرب مكروهًا ولا منكرًا ، فأمرهم بحد الإماء كما أمرهم بحد الحرائر . النهاية (١/٢٠٩) .

(٢٥٤) - صحيح البخارى ، كتاب الحدود ، باب : لا يُثَرّبُ على الأمة إذا زنت ولا تُنفى (٦٨٣٩) ، وصحيح مسلم ، كتاب الحدود (١٧٠٣) - من طريق الليث بن سعد ، عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى ، عن أبيه ، عن أبى هريرة به مرفوعًا .

(٢٥٥) - الموطأ ، كتاب الحدود ، باب :جامع ما جاء فى حد الزنا (ص ٦٣١) .

(٢٥٦) - صحيح البخارى ، كتاب الحدود ، باب :إذا زنت الأمة (٦٨٣٧) (٦٨٣٨) ، ومسلم ، كتاب الحدود (١٧٠٣، ١٧٠٤) . من طريق مالك ، عن الزهرى ، عن عبيد اللَّه بن عبد اللَّه ، عن أبى هريرة .

[١] - في خ : «عباس أن أبا رستم » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في خ : « بظفر » .
[٤] - في خ : « الظفر » .

قالوا : فلم يوقت فيه عدد كما وقت في المحصنة ، وكما وقت في القرآن بنصف ما علىٰ المحصنات من العذاب ، فوجب الجمع بين الآية والحديث بذلك . والله أعلم .

وأصرح من ذلك ما رواه سعيد بن منصور ، عن سفيان ، عن مسعر ، عن عمرو بن مرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « **ليس علىٰ أمة حد حتىٰ تحصن - أو يعني[١] تزوج - فإذا أحصنت بزوج فعليها نصف ما علىٰ المحصنات** »(٢٥٧) .

وقد رواه ابن خزيمة ، عن عبد الله [بن عمران العابدي][٢] ، عن سفيان ، به مرفوعا ، وقال : رفعه خطأ ، إنما هو من قول ابن عباس . وكذا رواه البيهقي من حديث عبد الله بن عمران . وقال مثل ما قاله ابن خزيمة .

قالوا : وحديث علي وعمر قضايا أعيان ، وحديث أبي هريرة عنه أجوبة :

(أحدها) : أن ذلك محمول علىٰ الأمة المزوجة ، جمعًا بينه وبين هذا الحديث .

(الثاني) : أن لفظة الحد في قوله : « **فليجلدها[٣] عليها الحد** » ، مقحمة[٤] من بعض الرواة بدليل الجواب (الثالث) ، وهو أن هذا من حديث صحابيين وذلك من رواية أبي هريرة فقط ، وما كان عن اثنين فهو أولىٰ بالتقديم[٥] من رواية واحد ، وأيضًا فقد رواه النسائي

(٢٥٧) - هذا الحديث رواه سعيد بن منصور موقوفًا لا مرفوعًا ، وقد نص على ذلك الإمام البيهقى فى تهذيب السنن والآثار .

- وقد رواه ابن خزيمة ، وعنه البيهقى فى معرفة السنن والآثار (٣٦٤/٦) (٥١٠٠) ، والطبرانى فى معجمه الأوسط (١/ ١٥٣، ١٤٧/٤) (٤٧٨) (٣٨٣٤) . وابن شاهين فى ناسخ الحديث ومنسوخه (٦٧٣) وعنه ابن الجوزى فى العلل المتناهية (٧٩٤/٢) (١٣٢٧) ، والبيهقى فى تهذيب السنن والآثار (٣٦٣/٦) (٥٠٩٩) .

- كلهم من طريق عبد الله بن عمران العابدى ، عن سفيان بن عيينة ، عن مِسْعَر ، عن عمرو بن مرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبى ﷺ مرفوعًا .

وعبد الله بن عمران العابدى ، قال أبو حاتم : صدوق . وذكره ابن حبان فى الثقات ، وقال : يخطىء ويخالف .

- قال ابن خزيمة : هذا خطأ ؛ ليس هذا من قول النبى ﷺ ، إنما هو من قول ابن عباس . اهـ ووافقه البيهقى .
=

[١] - في ت : « أو حتى » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « بن عمر الغامدي » . [٣] - سقط من : خ .

[٤] - في خ : « لفظ بمعجمة » . [٥] - في خ : « بالتقدم » .

بإسناد على شرط مسلم من حديث عباد[١] بن تميم ، عن عمه ، وكان قد شهد بدرًا ، أن رسول الله ﷺ قال : « **إذا زنت الأمة فاجلدوها ، ثم إذا زنت فاجلدوها ، ثم إذا زنت فاجلدوها ، ثم إن زنت فبيعوها ولو بضفير**[٢] »(٢٥٨) .

(الرابع) : أنه لا يبعد أن بعض الرواة أطلق لفظ الحد [في الحديث على الجلد ، لأنه لما كان الجلد اعتقد أنه حد ، أو أنه أطلق لفظة الحد][٣] على التأديب ، كما أطلق الحد على ضرب [من زنى من المرضى بعثكال نخل فيه مائة شمراخ ، وعلى جلد][٤] من زنا بأمة امرأته إذا أذنت له فيها مائة ، وإنما ذلك تعزير وتأديب عند من يراه ، [كالإمام أحمد][٥] وغيره من السلف . وإنما

= وقال الطبراني : لم يرفع هذا الحديثَ عن سفيان إلا عبدُ الله بن عمران العابدى اهـ .

- وقال ابن شاهين : وحديث مِسْعَرٍ قد عُلِّلَ ؛ وقيل : إنه موقوف على ابن عباس ، ولم أعلم أحدًا أسنده وجوَّده إلا عبد الله بن عمران العابدى . والله أعلم .

- وقال ابن حجر فى الفتح : اختلف فى رفعه ووقفه ، والأرجح وقفه . قال البيهقى : وقد رواه سعيد بن منصور وغيره عن سفيان موقوفًا اهـ .

وقد رواه سعيد بن منصور ومن طريقه البيهقى فى السنن الكبرى (٢٤٣/٨) ، وأبو بكر بن أبى شيبة فى مصنفه (٤٨٨/٦) . عن سفيان بن عيينة ، عن عمرو ، عن مجاهد ، عن ابن عباس موقوفًا .

ورواه عبد الرزاق فى مصنفه (٣٩٧/٧) (١٣٦١٩) عن ابن عيينة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس وعن معمر ، عن أيوب ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، وعن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس : موقوفًا عليه من قوله .

ورواه ابن أبى شيبة فى المصنف (٤٨٨/٦) عن وكيع ، عن سفيان ، عن حبيب ، عن ابن عباس موقوفًا .

(٢٥٨) - الحديث أخرجه النسائى فى سننه الكبرى ، كتاب الرجم ، باب :حد الزانى البكر (٢٩٨/٤) (٧٢٣٨) .

ورواه ابن أبى شيبة فى المصنف ، كتاب الرد على أبى حنيفة ، إقامة الحدود على ملك اليمين (٣٧٠/٨) وعنه ابن أبى عاصم فى الآحاد والمثانى (٥٠/٤) (١٩٩٤) ، ورواه الدارقطنى فى سننه (١٩٧/٣) . كلهم من طريق معلى بن منصور ، عن أبى أُوَيْس ، عن عبد الله بن أبى بكر ، عن عباد بن تميم ، عن عمه عبد الله بن زيد به مرفوعًا .

وأبو أويس : هو عبد الله بن عبد الله بن أويس المدنى ، ابن عم الإمام مالك بن أنس . قال ابن المدينى : كان عند أصحابنا ضعيفًا . وقال ابن عدى : فى أحاديثه ما يصح ويوافقه الثقات عليه ، وفيها ما لا يوافقه عليه أحد .

- وقد روى النسائى هذا الحديث ، ثم أنكره على أبى أويس قائلاً : أبو أويس ضعيف .

[١] - في خ : « جبارة » .
[٢] - في خ : « بظفر » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ت : « كأحمد » .

[يعني في رواية تقرير][١] الحد الحقيقي هو جلد البكر مائة ، ورجم الثيب أو اللائط . والله أعلم .

[وقد روى ابن جرير][٢] في تفسيره (٢٥٩) : حَدَّثَنَا ابن المثنىٰ ، حَدَّثَنَا محمد بن جعفر ، حَدَّثَنَا شعبة ، عن عمرو[٣] بن مرة ، أنه سمع سعيد بن جبير يقول : لا تضرب الأمة إذا زنت ما لم تتزوّج .

وهذا إسناد صحيح عنه ، ومذهب غريب إن كان أراد أنها لا تضرب الأمة أصلًا لا حدًّا ، وكأنه أخذ بمفهوم الآية ولم يبلغه الحديث ، وإن أراد أنها لا تضرب حدًّا ولا ينفي ضربها تأديبًا ، فهو كقول ابن عباس - رضي الله عنه - ومن تبعه في ذلك . والله أعلم .

(الجواب الثالث) : أن الآية دلت علىٰ أن الأمة المحصنة تحد نصف حدّ الحرة ، فأما قبل الإحصان فعمومات الكتاب والسنة شاملة لها في جلدها مائة ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة** ﴾ ولحديث عبادة بن الصامت : « **خذوا عني ، خذوا عني ، قد جعل الله لهنّ سبيلا ؛ البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام ، والثيب بالثيب[٤] جلد مائة ورجمها بالحجارة** » . والحديث في صحيح مسلم(٢٦٠) ، وغير ذلك من الأحاديث .

وهذا القول هو المشهور عن داود بن علي الظاهري ، وهو في غاية الضعف ؛ لأن الله تعالىٰ إذا كان أمر بجلد المحصنة من الإماء بنصف ما علىٰ الحرة من العذاب وهو خمسون جلدة ، فكيف يكون حكمها قبل الإحصان أشد منه بعد الإحصان ، وقاعدة الشريعة في ذلك عكس ما قال ، وهذا الشارع - عليه السلام - سأله أصحابه عن الأمة إذا زنت ولم تحصن ، فقال : « **اجلدوها** » ، [ولم يقل مائة][٥] ، فلو كان حكمها كما زعم[٦] داود لوجب بيان ذلك لهم ، لأنهم إنما سألوا عن ذلك لعدم بيان حكم جلد المائة بعد الإحصان في الإماء وإلا [فما الفائدة][٧] في قولهم . ولم تحصن لعدم الفرق بينهما لو لم تكن الآية نزلت ، لكن لما علموا

---

(٢٥٩) - تفسير ابن جرير (٨/٢٠٢) (٩١٠٤) .

(٢٦٠) - صحيح مسلم ، كتاب الحدود (١٦٩٠) ، وقد سبق تخريجه : انظر : حاشية (١٤٨) وما بعدها .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

[٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « وقد روى ابن ماجه وجرير » .

[٣] - في خ : « عمر » .

[٤] - سقط من : ت .

[٥] - ما بين المعكوفتين من : خ .

[٦] - في خ : « قال » .

[٧] - ما بين المعكوفتين . في خ : « الفائد » .

أحد الحكمين سألوا عن الآخر فبينه لهم ، كما في الصحيحين(٢٦١) .أنهم لما سألوه عن الصلاة عليه[١] فذكرها لهم ثم قال : « **والسلام ما قد علمتم** ».

وفي لفظ : لما أنزل الله قوله ﴿ **يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾ قالوا : هذا السلام عليك قد عرفناه ، فكيف الصلاة عليك ؟ وذكر الحديث . وهكذا هذا السؤال .

(الجواب الرابع عن مفهوم الآية) جواب أبي ثور فإن من مذهبه ما هو أغرب من قول داود من وجوه ، وذلك أنه يقول : فإذا أحصن فإن عليهن نصف ما علىٰ المحصنات المزوجات وهو الرجم وهو لا يتناصف فيجب أن ترجم الأمة المحصنة إذا زنت ، وأما قبل الإحصان فيجب جلدها خمسين . فأخطأ في فهم الآية ، وخالف الجمهور في الحكم ، بل قد قال أبو عبد الله الشافعي - رحمه الله - : ولم يختلف المسلمون في أن لا رجم علىٰ مملوك في الزنا(٢٦٢) ؛ وذلك لأن الآية دلت علىٰ أن عليهن نصف ما علىٰ المحصنات من العذاب ، والألف واللام في المحصنات للعهد ، وهنّ[٢] المحصنات المذكورات في أول الآية : ﴿ **ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات**[٣] ﴾ والمراد بهن الحرائر فقط من غير تعرض لتزويج غيره . وقوله : ﴿ **نصف ما علىٰ المحصنات من العذاب** ﴾ يدل علىٰ أن المراد من العذاب الذي يمكن تنصيفه وهو الجلد لا الرجم. والله أعلم .

وقد روىٰ الإمام أحمد [حديثًا في رد مذهب أبي ثور][٤] من رواية الحسن بن سعد ، عن أبيه ، أن صفية كانت قد زنت برجل من الخمس فولدت غلامًا ، فادعاه الزاني ، فاختصما إلىٰ عثمان ، فرفعهما إلىٰ علي بن أبي طالب ، فقال علي : أقضي فيهما بقضاء رسول الله ﷺ : « **الولد للفراش ، وللعاهر الحجر** » . وجلدها[٥] خمسين خمسين (٢٦٣) .

(٢٦١) - أخرجه مسلم فى كتاب الصلاة (٤٠٥) من حديث نُعَيْم المُجْمِر ، عن محمد بن عبد الله بن زيد ، عن أبى مسعود الأنصارى رضى الله عنه مرفوعًا . وهذا اللفظ قد انفرد به مسلم عن البخارى .

(٢٦٢) - معرفة السنن والآثار (٣٦٢/٦) .

(٢٦٣) - أخرجه أحمد فى مسنده (١٠٤/١) (٨٢٠) : عن عفان ، عن حماد بن سلمة ، عن حجاج بن أرطأة ، عن الحسن بن سعد بن معبد عن أبيه ، عن على بن أبى طالب رضى الله عنه مرفوعًا ، وابن أرطأة - كما قال ابن عدى - إنما عاب الناس عليه تدليسه عن الزهرى وغيره ، وربما أخطأ فى بعض الروايات ، فأما أن يتعمد الكذب فلا اهـ .

[١] - سقط من : خ .

[٢] - في خ : « وهي » .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين في خ : « قال لنا نصًا في مذهب أبي ثور » .

[٥] - في ت : « وجلدهما » .

وقيل : بل المراد من المفهوم [التنبيه بالأعلىٰ علىٰ الأدنىٰ ، أي][١] : أن الإماء علىٰ النصف من الحرائر في الحدّ وإن كن محصنات ، وليس عليهن رجم أصلا لا قبل النكاح ولا بعده ، وإنما عليهن الجلد في الحالتين بالسنة . قال ذلك صاحب الإفصاح . [وذكر هذا][٢] عن الإمام[٣] الشافعي فيما رواه ابن عبد الحكم . وقد ذكره البيهقي في كتاب السنن والآثار عنه(٢٦٤) ، وهو بعيد من لفظ الآية ؛ لأنا إنما استفدنا تنصيف الحد من الآية لا من سواه ، فكيف يفهم منها التنصيف فيما عداها ، وقال : بل أريد بأنها في حال الإحصان لا يقيم الحد عليها إلا الإمام ولا يجوز لسيدها إقامة الحد عليها والحالة هذه . وهو قول في مذهب الإمام[٤] أحمد

= وقد خولف الحجّاج في ذلك :

-فرواه مهدى بن ميمون وجرير بن حازم ، عن محمد بن عبد الله بن أبى يعقوب ، عن الحسن بن سعد عن رباح ، عن عثمان بن عفان رضى الله عنه ؛ فأسندا الحديث عن عثمان بن عفان عن النبى ﷺ . كذا رواه الإمام أحمد فى المسند (٥٩/١) (٤١٦، ٤١٧) عن بَهْز بن أسد وشيبان ، ورواه ابن أبى شيبة فى المصنف ، كتاب النكاح ، من قال : الولد للفراش (٤٦٥/٣) ، وأحمد أيضًا (٦٩/١) (٥٠٢) عن يزيد ابن هارون ، ورواه أبو داود فى سننه ، كتاب الطلاق ، باب :الولد للفراش (٢٢٧٥) عن موسى بن إسماعيل ، ورواه الطحاوى فى شرح معانى الآثار (١٠٤/٣) عن أسد بن موسى وحَبّان بن هلال ، والبيهقى فى السنن الكبرى (٤٠٢/٧) عن عبد الله بن محمد بن أسماء - سبعتهم عن مهدى بن ميمون به .

وخالفهم أبو داود الطيالسى فى مسنده (٨٦) ﷺ ١٥) وعفان بن مسلم - وعنه أحمد فى المسند (١/ ٦٥) (٤٦٧) - فروياه عن مهدى بن ميمون ، عن ابن أبى يعقوب ، عن رباح ، عن عثمان ، ولم يذكرا الحسن بن سعد . وقول الجماعة أولى .

- وأما رواية جرير بن حازم : فقد رواه ابنه وهب بن جرير عنه ، كرواية مهدى بن ميمون - مسند البزار (٦٥/٢) (٤٠٨) - وخالفه أبو داود الطيالسى (٨٦) ؛ فرواه عن جرير بن حازم ، عن ابن أبى يعقوب ، عن رباح ، عن عثمان . ولم يذكر الحسن بن سعد ، وقد أشار المزى إلى ذلك فى التحفة .

- قال البزار : وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن عثمان إلا من هذا الوجه .

- ورواية مهدى وجرير أصح من رواية الحجاج بن أرطأة ، كما رجحه الإمام أبو الحسن الدارقطنى رحمه الله تعالى فى كتاب العلل (٣١/٣) ويفهم ذلك من صنيع الإمام الترمذى فى جامعه (١١٥٧) حيث قال عند ذكره لحديث : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » - : وفى الباب :عن عمر وعثمان وعائشة ... ولم يذكر حديث على ، فكأنه - عنده - وهمٌ . والله أعلم .

(٢٦٤) - سبق هذا النقل . انظر هامش (٢٥٠) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - سقط من : ت .
[٤] - سقط من : ت .

رحمه اللّه ، فأما قبل الإحصان فله ذلك ، والحد في كلا الموضعين نصف حد الحرة ، وهذا أيضًا بعيد ؛ لأنه ليس في الآية ما يدل عليه .

ولولا هذه لم ندر ما حكم الإماء في التنصيف ، ولوجب دخولهنّ في عموم الآية في تكميل الحد مائة أو رجمهن ، كما ثبت في الدليل عليه ، وقد تقدم عن علي أنه قال : أيها الناس أقيموا الحد علىٰ أرقائكم ، من أحصن منهم ومن لم يحصن (٢٦٥) . وعموم الأحاديث المتقدمة ليس فيها تفصيل بين المزوجة وغيرها لحديث أبي هريرة الذي احتج به الجمهور : « **إذا زنت أمة أحدكم فتبين زناها فليجلدها الحد ولا يثرب عليها** »(٢٦٦) .

ملخص الآية أنها إذا زنت أقوال . أحدها : تجلد خمسين قبل الإحصان وبعده ، وهل تنفىٰ ؟ فيه ثلاثة أقوال : أحدها : أنها تنفىٰ عنه . والثاني : لاتنفىٰ عنه مطلقًا . والثالث : أنها تنفى نصف سنة وهو نصف نفي الحرّة. وهذا الخلاف في مذهب الشافعي ، وأما أبو حنيفة فعنده أن النفي تعزير ليس من تمام الحدّ ، وإنما هو رأي الإمام إن شاء فعله ، وإن شاء تركه في حق الرجال والنساء . وعند مالك : أن النفي إنما هو علىٰ الرجال ، وأما النساء فلا ، لأن ذلك مضاد لصيانتهنّ . وما ورد شيء من النفي في الرجال ولا في النساء . نعم حديث عبادة وحديث أبي هريرة أن رسول اللّه ﷺ قضىٰ فيمن زنىٰ ولم يحصن بنفي عام وبإقامة الحدّ عليه ، رواه البخاري(٢٦٧) . وذلك مخصوص بالمعنىٰ ، وهو أن المقصود من النفي الصون وذلك مفقود في نفي النساء ، واللّه أعلم .

والثاني : أن الأمة إذا زنت تجلد خمسين بعد الإحصان وتضرب تأديبًا غير محدود بعدد محصور . وقد تقدم ما رواه ابن جرير ، عن سعيد بن جبير : أنها لا تضرب قبل الإحصان ، وإن أراد نفيه فيكون مذهبًا بالتأويل . وإلا فهو كالقول الثاني . القول الآخر : أنها تجلد قبل الإحصان مائة وبعده خمسين ، كما هو المشهور عن داود ، وهو[١] أضعف الأقوال ، أنها تجلد قبل الإحصان خمسين وترجم بعده وهو قول أبي ثور ، وهو ضعيف أيضًا ،

---

(٢٦٥) - سبق تخريجه . انظر هامش (٢٥٢) .

(٢٦٦) - سبق تخريجه . انظر هامش (٢٥٤) .

(٢٦٧) - فى صحيحه ، كتاب الحدود ، باب :البكران يجلدان وينفيان (٦٨٣٣) من حديث أبى هريرة .
وأيضًا (٦٨٣١) من حديث زيد بن خالد الجهنى رضى اللّه عنهما .
ورواه مسلم فى كتاب الحدود (١٦٩٠) من حديث عبادة بن الصامت رضى اللّه عنه .

---

[١] - في ت : « و » .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم بالصواب .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ذلك لمن خشي العنت منكم** ﴾ أي : إنما يباح نكاح الإماء بالشروط المتقدّمة لمن خاف علىٰ نفسه الوقوع في الزنا وشق عليه الصبر عن الجماع ، وعنت بسبب ذلك كله فله حينئذ أن يتزوّج بالأمة ، وإن ترك [تزوج الأمة][١] وجاهد نفسه في الكف عن الزنا فهو خير له ؛ لأنه إذا تزوّجها جاء أولاده [أرقاء لسيدها ، إلا أن يكون الزوج عربيًا ، فلا تكون أولاده منها][٢] أرقاء في قول قديم للشافعي ، ولهذا قال : ﴿ **وأن تصبروا خير لكم والله غفور رحيم** ﴾ .

ومن هذه الآية الكريمة استدل جمهور العلماء في جواز نكاح الإماء علىٰ أنه لابد من عدم الطول لنكاح الحرائر ، ومن خوف العنت ؛ لما في نكاحهن من مفسدة رق الأولاد ، ولما فيهن من الدناءة في العدول عن الحرائر إليهن . وخالف الجمهور أبو حنيفة وأصحابه في اشتراط الأمرين ، فقالوا : متىٰ لم يكن الرجل مزوّجا بحرّة جاز له [نكاح الأمة المؤمنة والكتابية أيضًا][٣] ، سواء كان واجدا الطول لحرّة أم لا ، وسواء خاف العنت أم لا . وعمدتهم فيما ذهبوا إليه قوله تعالىٰ : ﴿ **والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم** ﴾ أي : العفائف ، وهو يعم الحرائر والإماء وهذه الآية عامّة ، وهذه أيضًا ظاهرة في الدلالة علىٰ ما قاله الجمهور ، والله أعلم .

يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾

يخبر تعالىٰ أنه يريد أن يبين لكم أيها المؤمنون ما[٤] أحل لكم وحرم عليكم ، مما تقدم ذكره في هذه السورة وغيرها ﴿ **ويهديكم سنن الذين من قبلكم** ﴾ يعني : طرائقهم الحميدة ، واتباع شرائعه التي يحبها ويرضاها ﴿ **ويتوب عليكم** ﴾ [أي : من الإثم والمحارم][٥] [﴿ **والله عليم حكيم** ﴾ أي : في شرعه وقدره وأفعاله وأقواله ، وقوله][٦] : ﴿ **ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما** ﴾ أي : يريد

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « تزوجها » . [٢] - ما بين المعكوفتين من : خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين جاءت هذه الفقرة في : خ . بعد قوله : « لحرة أم لا » .

[٤] - في خ : « فيما » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

أتباع الشياطين من اليهود والنصارىٰ والزناة أن تميلوا عن الحق إلىٰ الباطل ميلا عظيما . ﴿ **يريد الله أن يخفف عنكم** ﴾ أي : في شرائعه وأوامره ونواهيه [وما يقدّره لكم][١] ، ولهذا أباح الإماء بشروط ، كما قال مجاهد وغيره ﴿ **وخلق الإنسان ضعيفا** ﴾ فناسبه التخفيف لضعفه في نفسه وضعف عزمه وهمته .

قال ابن أبي حاتم (٢٦٨) : حَدَّثَنَا محمد بن إسماعيل [الأحمسي][٢] ، حَدَّثَنَا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ﴿ **وخلق الإنسان ضعيفا** ﴾ أي : في أمر النساء . وقال وكيع : يذهب عقله عندهنّ .

وقال موسىٰ الكليم - عليه [الصلاة و] السلام - لنبينا محمد ﷺ ليلة الإسراء حين مر عليه راجعًا من عند سدرة المنتهي ، فقال له : ماذا فرض عليكم ؟ فقال : أمرني بخمسين [صلاة في كل][٣] يوم وليلة . فقال له : ارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف ، فإن أمّتك لا تطيق ذلك ، فإني قد بلوت الناس قبلك علىٰ ما هو أقل من ذلك فعجزوا ، وإن أمّتك أضعف أسماعًا وأبصارًا وقلوبًا . فرجع فوضع عشرًا ، ثم رجع إلىٰ موسىٰ ، فلم يزل كذلك حتىٰ بقيت خمسًا . الحديث (٢٦٩) .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾

(٢٦٨) - في تفسيره (٣/٩٢٦) (٥١٧٧) .

(٢٦٩) - أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق ، باب :ذكر الملائكة (٣٢٠٧) ، ومسلم في كتاب الإيمان (١٦٤) من حديث أنس بن مالك ، عن مالك بن صعصعة رضى الله عنهما . ورواه أيضًا من أحاديث أخر .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .

ينهىٰ اللّٰه تبارك وتعالىٰ عباده المؤمنين عن أن يأكلوا أموال بعضهم بعضا بالباطل ، أي : بأنواع المكاسب التي هي غير شرعية كأنواع الربا والقمار ، وما جرىٰ مجرىٰ ذلك من سائر صنوف الحيل ، وإن ظهرت في غالب الحكم الشرعي مما يعلم اللّٰه أن متعاطيها إنما يريد الحيلة علىٰ الربا ، حتىٰ قال ابن جرير(٢٧٠) : حدثني ابن المثنىٰ ، حَدَّثَنَا عبد الوهاب ، حَدَّثَنَا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في الرجل يشتري من الرجل الثوب فيقول : إن رضيته أخذته وإلا رددته ورددت معه درهما . قال : هو الذي قال اللّٰه - عز وجل - فيه : ﴿ **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم(٢٧١) : حَدَّثَنَا علي بن حرب الموصلي ، حَدَّثَنَا ابن فضيل ، عن داود الأودي ، عن عامر ، عن علقمة ، عن عبد اللّٰه ، في الآية قال : إنها محكمة ، ما نسخت ، ولا تنسخ إلىٰ يوم القيامة .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس لما أنزل اللّٰه ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** ﴾ قال المسلمون : إن اللّٰه قد نهانا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل ، والطعام هو أفضل أموالنا ، فلا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد ، فكيف للناس ؟ فأنزل اللّٰه بعد ذلك : ﴿ **ليس علىٰ الأعمىٰ حرج** ﴾ الآية .

[وكذا قال قتادة][١] . وقوله تعالىٰ : ﴿ **إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم** ﴾ قرئ تجارة بالرفع وبالنصب وهو استثناء منقطع ، كأنه يقول لا تتعاطوا الأسباب المحرمة في اكتساب الأموال ، لكن المتاجر المشروعة التي تكون عن تراض من البائع والمشتري فافعلوها وتسببوا بها في تحصيل الأموال ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولا تقتلوا النفس التي حرم اللّٰه إلا بالحق** ﴾ وكقوله : ﴿ **لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولىٰ** ﴾ .

ومن هذه الآية الكريمة احتج الشافعي علىٰ أنه لا يصح البيع إلا بالقبول ؛ لأنه يدل علىٰ التراضي نصًّا ، بخلاف المعاطاة فإنها قد لا تدل علىٰ الرضا ولابد. وخالف الجمهور في ذلك مالك وأبو حنيفة وأحمد وأصحابهم[٢] فرأوا أن الأقوال كما تدل علىٰ التراضي ، وكذلك الأفعال تدل في بعض المحال قطعًا ، فصححوا بيع المعاطاة [مطلقًا ، ومنهم من قال :

(٢٧٠) - في تفسيره (٨/٢١٧) (٩١٤٢) .
(٢٧١) - في تفسيره (٣/٩٢٦) (٥١٧٨) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - سقط من : خ .

يصح][١] في المحقرات وفيما يعده الناس بيعًا ، وهو احتياط نظر من محققي المذهب والله أعلم .

وقال مجاهد : ﴿ **إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم** ﴾ بيعًا[٢] أو عطاء يعطيه أحد أحدًا . ورواه ابن جرير ، ثم قال(٢٧٢) : وحَدَّثَنَا ابن وكيع ، حَدَّثَنَا أبي ، عن القاسم ، عن سليمان الجعفي[٣] ، عن أبيه ، عن ميمون بن مهران قال : قال رسول الله ﷺ : « البيع عن تراض ، والخيار بعد الصفقة ، ولا يحل لمسلم أن يغش[٤] مسلمًا » . هذا حديث مرسل .

ومن تمام التراضي إثبات خيار المجلس ، كما ثبت في الصحيحين(٢٧٣) ، أن رسول الله ﷺ قال : « البيعان بالخيار ، ما لم يتفرقا » . وفي لفظ البخاري : « **إذا تبايع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار ، مالم يتفرقا** » . وذهب إلىٰ القول بمقتضىٰ هذا الحديث أحمد والشافعي وأصحابهما وجمهور السلف والخلف . ومن ذلك مشروعية خيار الشرط بعد العقد إلىٰ ثلاثة أيام ، بحسب ما يتبين فيه مال البيع ، ولو إلىٰ سنة في القرية . ونحوها ، كما هو المشهور عن مالك - رحمه الله - ، وصححوا بيع المعاطاة مطلقا ، وهو قول في مذهب الشافعي ، ومنهم من قال : يصح بيع المعاطاة في المحقرات فيما يعده الناس بيعا ، وهو اختيار طائفة من الأصحاب [كما هو متفق عليه][٥] .

وقوله : ﴿ **ولا تقتلوا أنفسكم** ﴾ أي : بارتكاب محارم الله ، وتعاطي معاصيه ، وأكل اموالكم بينكم[٦] بالباطل﴿ **إن الله كان بكم رحيما** ﴾ أي : فيما أمركم به ونهاكم عنه .

وقال الإمام أحمد (٢٧٤) : حَدَّثَنَا حسن بن موسىٰ ، حَدَّثَنَا ابن لهيعة ، حَدَّثَنَا يزيد بن أبي حبيب ، عن عمران بن أبي أنس ، عن عبد الرحمن بن جبير ، عن عمرو بن العاص رضي الله

(٢٧٢) - فى تفسيره (٨/٢٢١) (٩١٤٧) وأخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه ، كتاب البيوع ، باب :من قال : لا يتفرق بيّعان إلا عن تراضٍ (٥/٢٨٩) عن وكيع به ؛ غير أن فيه : عن القاسم الجعفى ، عن أبيه ، عن ميمون مرسلًا .

(٢٧٣) - صحيح البخارى ، كتاب البيوع ، باب :كم يجوز الخيار (٢١٠٧) وأطرافه فى (٢١٠٩) (٢١١١، ٢١١٢، ٢١١٣، ٢١١٦) ، ومسلم فى كتاب البيوع (١٥٣١) - من حديث ابن عمر رضى الله عنهما .

(٢٧٤) - « المسند » (٤/ ٢٠٣، ٢٠٤) وابن أبى حاتم فى « التفسير » (٣/٥١٨٧) من طريق =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - في خ : « يضر » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٦] - سقط من : خ .

عنه أنه ، قال ، لما بعثه النبي ﷺ عام ذات السلاسل قال : احتلمت في ليلة باردة شديدة البرد ، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك ، فتيممت ، ثم صليت بأصحابي صلاة الصبح ، قال[١] : فلما قدمت على رسول الله ﷺ ذكرت ذلك له فقال : « **يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب** » ؟ قال : قلت يا رسول الله ؛ إني احتلمت في ليلة باردة شديدة البرد ، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك ، فذكرت قول الله عز وجل : ﴿ **ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيمًا** ﴾ فتيممت ثم صليت . فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئًا .

وهكذا رواه أبو داود من حديث يحيى بن أيوب ، عن يزيد بن أبي حبيب به ، ورواه أيضا عن [محمد بن أبي سلمة] (*) ، عن ابن وهب ،عن ابن لهيعة ، وعمر (*) بن الحارث ، كلاهما عن يزيد بن أبي حبيب ، عن عمران بن أبي أنس ، عن عبد الرحمن بن جبير المصري ، عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص ، عنه فذكره[٢] نحوه . وهذا والله أعلم أشبه بالصواب .

وقال أبو بكر بن مردويه(٢٧٥) : حدّثنا عبد الرحمن بن محمد بن حامد البلخي ، حَدَّثَنَا محمد بن صالح بن سهل البلخي ، حَدَّثَنَا عبيد[٣] الله بن عمر القواريري ، حَدَّثَنَا يوسف ابن خالد ، حَدَّثنا زياد بن سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن عمرو بن العاص صلى بالناس وهو جنب ، فلما قدموا على رسول الله ذكروا ذلك له ، فدعاه فسأله عن ذلك ، فقال : يارسول الله ؛ خفت أن يقتلني البرد ، وقد قال الله تعالى : ﴿ **ولا تقتلوا**

= معاذ بن فضالة ثنا ابن لهيعة به مختصرًا . وأخرجه أبو داود ، كتاب : الطهارة ، باب :إذا خاف الجنب البرد أيتيمم (٣٣٤) ومن طريقه البيهقى فى « دلائل النبوة » (٤/ ٤٠٢، ٤٠٣) والدارقطنى فى سننه (١/ ١٧٨) ومن طريقه ابن حجر فى « تغليق التعليق » (١٨٩/٢) والحاكم فى « المستدرك » (١/ ١٧٧، ١٧٨) وعنه البيهقى فى « السنن الكبرى » (٢٢٥/١) وفى « الخلافيات » (٢/رقم ٨٢٤) كلهم من طريق وهب بن جرير بن حازم حدثنا أبى قال : سمعت يحيى بن أيوب يحدث عن يزيد بن أبى حبيب به . وقال البيهقى فى « الخلافيات » : « هذا مرسل ، لم يسمعه عبد الرحمن بن جبير من عمرو بن العاص ، والذى روى عن عمرو بن العاص فى هذه القصة متصل ، ليس فيه ذكر التيمم » ثم أخرج هذا المتصل (٨٢٥) وفى « الكبرى » (٢٢٦/١) .

(*) كذا ، وصوابه محمد بن سلمة .

(*) كذا ، وصوابه عمرو .

(٢٧٥) - وأخرجه الطبراني في الكبير (١١٥٩٣/١١) .

[١] - سقط من : خ .

[٢] - في ت : « فذكر » .

[٣] - في خ : « عبد » .

أنفسكم ﴾ . .. الآية . قال : فسكت عنه رسول الله ﷺ ، ثم أورد ابن مردويه(٢٧٦) عند هذه الآية الكريمة من حديث الأعمش عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **من قتل نفسه بحديدة ، فحديدته في يده يَجَأ[١] بها بطنه يوم القيامة في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا ، ومن قتل[٢] نفسه بسم تردّىٰ به فسمه في يده يتحسّاه في نار جهنم خالدا مخلدًا فيها أبدًا** » [**ومن تردّى من جبل فقتل نفسه فهو مترد في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا**][٣] .

وهذا الحديث ثابت في الصحيحين ، وكذلك رواه أبو الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ بنحوه(٢٧٧) ، وعن أبي قلابة ، عن ثابت بن الضحاك - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « **من قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة** » . وقد أخرجه الجماعة في كتبهم من طريق أبي قلابة(٢٧٨) . وفي الصحيحين(٢٧٩) من حديث الحسن ، عن[٤] جندب بن[٥]

---

(٢٧٦) - وأخرجه أحمد (٢/٢٥٤ ، ٤٧٨ ، ٤٨٨) ، والبخاري في الطب (٥٧٧٨) ، ومسلم في الإيمان ١٧٥ - (١٠٩) ، وأبو داود في الطب (٣٨٧٢) ، والترمذي في الطب (٢٠٤٣، ٢٠٤٤) ، والنسائى ، كتاب الجنائز ، باب :ترك الصلاة على من قتل نفسه (٤/ ٦٦، ٦٧) ، وابن ماجة ، كتاب الطب ، باب :النهى عن الدواء الخبيث (٣٤٦٠) من طرق عن الأعمش به مطولًا ومختصرًا .

(٢٧٧) - ومن هذا الوجه أخرجه البخارى ، كتاب الجنائز ، باب :ما جاء فى قاتل النفس (١٣٦٥) ثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب ، وأحمد (٢/٤٣٥) ، وابن حبان فى صحيحه (٥٩٨٧/١٣) من طريق ابن عجلان ، كلاهما (شعيب وابن عجلان) عن أبى الزناد به ، ولفظ البخارى : « الذى يخنق نفسه يخنقها فى النار ، والذى يطعنها يطعنها فى النار » .

(٢٧٨) - أخرجه البخارى ، كتاب الجنائز ، باب :ما جاء فى قاتل النفس (١٣٦٣) ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب :غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه (١٧٦، ١٧٧) (١١٠) ، وأبو داود ، كتاب الأيمان والنذور ، باب المعاريض فى اليمين (٣٢٥٧) ، والترمذى كتاب الأيمان والنذور ، باب :ما جاء لا نذر فيما لا يملك ابن آدم (١٥٢٧) ، باب :ما جاء فى كراهية الحلف بغير ملة الإسلام (١٥٤٣) ، والنسائى ، كتاب الأيمان والنذور ، باب :الحلف بملة سوى الإسلام (٧/ ٥، ٦) ، باب :النذر فيما لا يملك (١٩/٧) ، وابن ماجة ، كتاب الكفارات ، باب :من حلف بملة غير الإسلام (٢٠٩٨) ، وكذا أحمد (٤/ ٣٣، ٣٤) من طريق أبى قلابة به .

(٢٧٩) - أخرجه البخارى ، كتاب الجنائز ، باب :ما جاء فى قاتل النفس (١٣٦٤) ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب :غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه (١٨٠، ١٨١) (١١٣) وكذا أحمد فى « المسند » =

---

[١] - في خ : « يجأ » .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - في خ : « بن » .
[٥] - في خ : « عن » .

عبد الله بن البجلي قال : قال رسول الله ﷺ : « **كان رجل ممن كان قبلكم ، وكان به جرح ، فأخذ سكينا نحر بها يده ، فما رقأ الدم حتى مات ، قال الله -عز وجل- : عبدي بادرني بنفسه ، حرمت عليه الجنة** » .

ولهذا قال تعالى : ﴿ **ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما** ﴾ أي : ومن يتعاطى ما نهاه الله عنه متعديا فيه ظالمًا في تعاطيه ، أي : عالما بتحريمه متجاسرًا على انتهاكه ﴿ **فسوف نصليه نارًا** ﴾ الآية . وهذا تهديد شديد ، ووعيد أكيد ، فليحذر منه كل عاقل لبيب ممن ألقى السمع وهو شهيد .

قوله تعالى : ﴿ **إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم** ﴾ الآية . أي : إذا اجتنبتم كبائر الآثام التي نهيتم عنها [كفرنا عنكم صغائر الذنوب][١] وأدخلناكم الجنة ، ولهذا قال : ﴿ **وندخلكم مدخلا كريما** ﴾ وقال الحافظ أبو بكر البزار(٢٨٠) : حَدَّثَنَا مؤمل بن هشام ، حَدَّثَنَا إسماعيل بن إبراهيم ، حَدَّثَنَا [خالد](*) بن أيوب ، عن معاوية بن قرة ، عن أنس [رفعه قال : « **لم نر مثل**][٢] **الذي بلغنا عن ربنا عز وجل ، ثم لم نخرج له عن كل أهل ومال أن تجاوز لنا عما دون الكبائر ، يقول الله : ﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ﴾** الآية .

وقد وردت أحاديث متعلقة بهذه الآية الكريمة فلنذكر منها ما تيسر ، قال الإمام أحمد (٢٨١) :

= (٣١٢/٤) من طرق عن الحسن به .

(٢٨٠) - أخرجه البزار (٢/رقم ١٤٥٦/ مختصر الزوائد لابن حجر) وأخرجه ابن أبى شيبة فى « المصنف » (١٩٤/٨) ثنا عفان بن مسلم ، ثنا سليمان بن كثير ثنا الجلد بن أيوب به ، وذكره الهيثمى فى « المجمع » (٧/ ٦، ٧) وقال : « رواه البزار وفيه الجلد بن أيوب وهو ضعيف » لكن تابعه زياد بن مخراق فأخرجه ابن جرير فى تفسيره (٩٢٣١/٨) - ومن طريقه سيذكره المصنف هنا برقم (٣٢٧) - حدثنى يعقوب ، قال : حدثنا ابن علية ، قال : حدثنا زياد بن مخراق عن معاوية بن قرة به ، وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات من رجال « التهذيب » . والخبر زاد نسبته السيوطى فى « الدر المنثور » (٢/ ٢٦٠) إلى عبد بن حميد ، ولم يعزه إلى البزار !! .

(*) كذا ، وصوابه : الجلد .

(٢٨١) - « المسند » (٤٣٩/٥) وأخرجه أبو بكر المروزى فى « كتاب الجمعة وفضلها » (رقم ٤٩) من طريق خالد الواسطى عن مغيرة به ، وأخرجه الطبرانى فى « المعجم الكبير » (٦٠٩٢/٦) من طريق الأعمش عن إبراهيم به مختصرًا ، وقال الهيثمى فى « المجمع » (١٧٧/٢) : رجاله ثقات إلا أنه =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٢] - ما بين المعكوفتين في خ : «ابن فعنه» .

حَدَّثَنَا هشيم ، عن مغيرة ، عن أبي معشر ، عن إبراهيم ، عن قرثع الضبي ، عن سلمان الفارسي ، قال : قال لي النبي ﷺ : « **أتدري ما يوم الجمعة** » قلت : هو اليوم الذي جمع اللَّه فيه أباكم . قال : لكن أدري ما يوم الجمعة ، لا يتطهر الرجل فيحسن طهوره ، ثم يأتي الجمعة فينصت حتىٰ يقضي الإمام صلاته إلا كان كفارة له ما بينه وبين الجمعة المقبلة ، ما اجتنبت المقتلة » . وقد روىٰ البخاري(٢٨٢) من وجه آخر عن سلمان نحوه .

وقال أبو جعفر بن جرير(٢٨٣) : حدثني المثنىٰ [بن براهيم][1] ، حَدَّثَنَا أبو صالح ، حدثني

= منقطع بين إبراهيم - وهو ابن يزيد النخعي - وقرثع الضبي ، وقد وصله غير واحد . فأخرجه النسائي في « السنن الكبرى » (١/رقم ١٦٦٥) والبزار في مسنده (٦/٢٥٢٥) والمروزي (رقم ٥٠) والطبراني في « المعجم الكبير » (٦/٦٠٨٩) - وزاد في آخره « وذلك الدهر كله » والفسوي في كتاب « المعرفة والتاريخ » (١/ ٣٢٠، ٣٢١) من طرق عن أبي عوانة عن مغيرة عن أبي معشر عن إبراهيم عن علقمة عن قرثع به ، وهو هكذا إسناد موصول حسن رجاله كلهم ثقات غير قرثع الضبي وهو صدوق مخضرم كما في « التقريب » وحسن إسناده الهيثمي في « المجمع » (٢/١٧٧) ومن قبله حسنه أيضًا المنذري في « الترغيب » (١/٤٨٧) وتابع أبا عوانة في هذا الإسناد أبو كدينة - وهو يحيى بن المهلب - عند الطبراني (٦/٦٠٩٠) - وأبو الأحوص - سلام بن سليم - عند الخطيب في « تاريخ بغداد » (١١/٤٣١) لكن سقط من إسناد الأخير « قرثع الضبي » وأخرجه النسائي في « الصغرى » (٣/١٠٤) وفي « الكبرى » (١/رقم ١٦٦٤) والبزار (٦/٢٥٢٦) وابن خزيمة في صحيحه (٣/١٧٣٢) والطبراني (٦/٦٠٩١) والحاكم (١/٢٧٧) من طريق جرير عن منصور عن أبي معشر به بالإسناد المتصل ، وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح الإسناد ، واحتج الشيخان بجميع رواته غير قرثع ، سمعت أبا علي القاري يقول : « أردت أن أجمع مسانيد قرثع الضبي ، فإنه من زهاد التابعين ، فلم يسند تمام العشرة » غير أن ابن أبي حاتم قال في « العلل » (١/رقم ٦٠٣) : « سألت أبي عن حديث رواه محمد بن عيسى بن الطباع عن جرير عن منصور عن أبي معشر عن إبراهيم عن علقمة عن القرثع عن سلمان عن النبي ﷺ : « تدري ما يوم الجمعة ...» فذكر الحديث ... فقال أبي : رواه جرير بالري عن مغيرة ويشبه أن يكون حدَّث بالعراق من حفظه هكذا ، والحديث معروف من حديث مغيرة ، قلت : فأيهما أشبه ؟ قال : المغيرة » .

(٢٨٢) - صحيح البخاري : كتاب الجمعة ، باب :الدُّهنِ للجمعة (٨٨٣) .

(٢٨٣) - تفسير ابن جرير (٨/٩١٨٥) وأخرجه النسائي ، كتاب الزكاة ، باب :وجوب الزكاة (٥/٨) ، والبخاري في « التاريخ الكبير » (٤/٣١٦) ، والحاكم في « المستدرك » (٢/٢٤٠) والمزي في « تهذيب الكمال » (١٣/٢٤٥) من طرق عن الليث به . وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه (١/رقم ٣١٥) وابن حبان (٥/١٧٤٨/ إحسان) والحاكم أيضًا (٢/ ٢٠٠، ٢٠١) وعنه البيهقي في « السنن الكبرى » (١٠/ ١٨٧) من طريق عبد اللَّه بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن ابن أبي هلال حدثه به ، وصححه الحاكم في الموضع الأول على شرط الشيخين ، ثم استدرك في الموضع الثاني فصحح إسناده =

[1] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

الليث ، حدثني خالد ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن نعيم المجمر ، أخبرني صهيب مولىٰ العُتواري[١] ، أنه سمع أبا هريرة وأبا سعيد يقولان : خطبنا رسول الله ﷺ يوما فقال : « **والذي نفسي بيده** » . ثلاث مرات ثم أكب فأكب كل رجل منا يبكي لا ندري على ماذا حلف عليه ، ثم رفع رأسه وفي وجهه البشرى[٢] ، فكان أحب إلينا من حمر النعم فقال : « **ما من عبد يصلي الصلوات الخمس ، ويصوم رمضان ، ويخرج الزكاة ، ويجتنب الكبائر السبع إلا فتحت له أبواب الجنة ، ثم قيل له ادخل بسلام** » .

وهكذا رواه النسائي والحاكم في مستدركه من حديث الليث بن سعد به ، ورواه الحاكم أيضا وابن حبان في صحيحه من حديث عبد الله بن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلال به ، ثم قال الحاكم : صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(تفسير هذه السبع)

وذلك بما ثبت في الصحيحين(٢٨٤) ، من حديث سليمان بن بلال ، عن ثور بن زيد ، عن سالم أبي الغيث ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « **اجتنبوا السبع الموبقات** » قيل : يارسول الله ؛ وما هن؟ قال : « **الشرك بالله ، وقتل النفس [التي حرم الله إلا بالحق]**[٣] ، **والسحر ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات** » .

= فحسب ، ووافقه الذهبى على تصحيح إسناده ، مع أن صهيبًا مولى العُتواري لم يخرج له سوى النسائى من الجمعة ، وقد ترجم له الذهبى نفسه فى « الميزان » وقال : « لا يكاد يعرف » وقال ابن حجر فى « التقريب » : تفرد نعيم المُجْمِر بالرواية عنه ، ووهم من قال غير ذلك ، مقبول » والحديث عزاه المنذرى فى « الترغيب والترهيب » (٥١٥/١) والسيوطى فى « الدر المنثور » (٢٦٠/٢) إلى ابن ماجة ولم أجده فى « السنن » ولم يعزه المزى فى « تحفة الأشراف » (٤٧٩/٣) له ، فلعله فى تفسيره والله أعلم . كما زاد نسبته الحافظ ابن حجر فى « الفتح » (١٨٢/١٢) إلى الطبرانى وبالله التوفيق .

(*) - كذا ، والصواب : عمر .

(٢٨٤) - أخرجه البخارى ، كتاب الوصايا ، باب :قول الله تعالى : ﴿ **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا إنما يأكلون فى بطونهم نارًا** ﴾ (٢٧٦٦) ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب :بيان الكبائر وأكبرها (١٤٥) (٨٩) ، وكذا أخرجه أبو داود ، كتاب الوصايا ، باب :ما جاء فى التشديد فى أكل مال اليتيم (٢٨٧٤) ، والنسائى ، كتاب الوصايا ، باب :اجتناب أكل مال اليتيم (٢٥٧/٦) .

[١] - في خ : « الصواري » . [٢] - في ت : « البشر » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

(طريق[١] أخرىٰ عنه) قال ابن أبي حاتم(٢٨٥) : حَدَّثَنَا أبي ، حَدَّثَنَا فهد بن عوف ، حَدَّثَنَا أبو عوانة ، عن [عمرو](*) بن أبي سلمة ، عن أبيه عن أبي هريرة ، مرفوعًا[٢] أن رسول الله ﷺ قال : « **الكبائر سبع ، أولها الإشراك بالله ، ثم قتل النفس بغير حقها ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم إلىٰ أن يكبر ، والفرار من الزحف ، ورمي المحصنات ، والانقلاب إلىٰ الأعراب بعد الهجرة** » .

فالنص علىٰ هذه السبع بأنهن كبائر لا ينفي ما عداهن إلا عند من يقول بمفهوم اللقب ، وهو ضعيف عند عدم القرينة ، ولا سيما عند قيام الدليل بالمنطوق علىٰ عدم المفهوم ، كما سنورده من الأحاديث المتضمنة من الكبائر غير هذه السبع ، فمن ذلك ما رواه الحاكم في مستدركه حيث قال (٢٨٦) : حَدَّثَنَا أحمد بن كامل القاضي إملاءً ، حَدَّثَنَا أبو قلابة عبد الملك بن محمد ، حَدَّثَنَا معاذ بن هانئ ، حَدَّثَنَا حرب بن شداد ، حَدَّثَنَا يحيىٰ بن أبي كثير ، عن عبد الحميد بن سنان ،

(٢٨٥) - تفسير ابن أبى حاتم (٣/٥٢٠٢) ، وأخرجه البزار (١/رقم ٥٤/ مختصر الزوائد لابن حجر) ثنا خالد بن يوسف بن خالد ، ثنا أبو عوانة به ، وذكره الهيثمى فى « المجمع » (١/١٠٨) وقال : « رواه البزار وفيه عمر بن أبى سلمة ، ضعفه شعبة وغيره ووثقه أبو حاتم وابن حبان وغيرهما » لكنه إلى الضعف أقرب ، وأبو حاتم إنما قال فيه : « هو عندى صالح صدوق فى الأصل ، ليس بذاك القوى يكتب حديثه ، ولا يحتج به ، يخالف فى بعض الشيء » وراجع ترجمته فى « التهذيب » . والحديث زاد نسبته السيوطى فى « الدر المنثور » (٢/٢٦٢) - ومن قبله شيخه ابن حجر فى « الفتح » (١٢/١٨٢) - إلى ابن المنذر.

(٢٨٦) - « المستدرك » (١/٥٩) وأخرجه أبو داود ، كتاب الوصايا ، باب :ما جاء فى التشديد فى أكل مال اليتيم (٢٨٧٥) ، والنسائى ، كتاب تحريم الدم ، باب :ذكر الكبائر (٧/٨٩) ، والعقيلى فى « الضعفاء » (٣/٤٥) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره (٣/٥٢٠٠) ، والمزى فى « تهذيب الكمال » (١٦/ ٤٣٨) من طرق عن معاذ بن هانئ به مطولاً ومختصرًا . وأخرجه الطبرانى فى « المعجم الكبير » (١٧/ رقم ١٠١) - ومن طريقه المزى (١٦/ ٤٣٩، ٤٤٠) - والعقيلى (٣/٤٥) - وفيه سقط فى إسناده يستدرك - والبيهقى فى « السنن الكبرى » (١٠/١٨٦) من طريق العباس بن الفضل الأزرق ، والحاكم (٤/ ٢٥٩، ٢٦٠) من طريق عبد الله بن رجاء ، كلاهما (العباس وعبد الله) ثنا حرب بن شداد به نحوه ، وصحح إسناده الحاكم وقال : « قد احتجا برواة هذا الحديث غير عبد الحميد بن سنان ...» وهو مجهول ولم يوثقه غير ابن حبان « الثقات » (٧/١٢٢) قاله الذهبى عقب قول الحاكم ، وقال فى « الميزان » : « لا يعرف » وذكر العقيلى هذا الحديث فى ترجمته وقال : « قال البخارى : فى حديثه نظر » وبه أعل الحديث المصنف ، وهذا الأولى فى إعلاله من قول الحافظ ابن حجر فى « التلخيص الحبير » (٤/٧٠) : « فى إسناده العباس بن الفضل الأزرق وهو ضعيف » ومن مجازفة المنذرى =

[١] - في خ : « طريقة » . [٢] - سقط من : خ .

عن عبيد بن عمير ، عن أبيه يعني عمير بن قتادة - رضي اللَّه عنه - أنه حدثه - وكانت له صحبة - أن رسول اللَّه ﷺ قال في حجة الوداع : « **ألا إن أولياء اللَّه المصلون ، من يقيم الصلوات الخمس التي [كتب اللَّه][١] عليه ، ويصوم رمضان ، ويحتسب صومه ، يرىٰ أنه عليه حق ، ويعطي زكاة ماله يحتسبها ، ويجتنب الكبائر التي نهىٰ اللَّه عنها** » ، ثم إن رجلا سأله فقال : يا رسول اللَّه ، ما الكبائر؟ فقال : « **تسع : الشرك باللَّه ، وقتل نفس مؤمن بغير حق ، وفرار يوم الزحف ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، وقذف المحصنة ، وعقوق الوالدين المسلمين ، واستحلال البيت الحرام قبلتكم أحياء وأمواتًا ، [ثم قال][٢] : لا يموت رجل لا يعمل هؤلاء الكبائر . ويقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ، إلا كان مع النبي ﷺ في دار [أبوابها مصاريع][٣] من ذهب** » .

هكذا رواه الحاكم[٤] مطولًا ، وقد أخرجه أبو داود والترمذي(*) مختصرًا من حديث معاذ بن هانئ به ، وكذا رواه ابن أبي حاتم من حديثه مبسوطا ، ثم قال الحاكم : رجاله كلهم محتج[٥] بهم في الصحيحين ، إلا عبد الحميد بن سنان .

(قلت) : وهو حجازي لا يعرف إلا بهذا الحديث ، وقد ذكره ابن حبان في كتاب الثقات . وقال البخاري : في حديثه نظر .

وقد[٦] رواه ابن جرير(٢٨٧) عن سليمان بن ثابت الجحدري ، عن سلم[٧] بن سلام ، عن

= فى « الترغيب والترهيب » (٥٣٥/١) والهيثمى فى « المجمع » (٥٣/١) حيث قالا : « رواه الطبرانى فى « الكبير » ورجاله موثقون » وانظر ما بعده .

(*) - كذا ، وهو خطأ أو سبق قلم ، والذي رواه مع أبي داود هو النسائي . كما في تحفة الأشراف وغيره.

(٢٨٧) - تفسير ابن جرير (٩١٨٩/٨) وأخرجه الطبرانى فى « المعجم الكبير » (١٧/رقم ١٠٢) من طريق عيسى بن خالد اليمامى ثنا أيوب بن عتبة به ، وأيوب بن عتبة هذا ضعفه غير واحد ، وقال أحمد : « ثقة إلا أنه لا يقيم حديث يحيى بن أبى كثير » وهذا من روايته عنه ولم يضبطه ؛ حيث أسقط « عبد الحميد ابن سنان » من الإسناد ، ولم يتابعه على ذلك أحدٌ . وقال الزيلعى فى « نصب الراية » (٢٥٢/٢) : « مداره على أيوب بن عتبة قاضى اليمامة وهو ضعيف ، ومشاه ابن عدى وقال : إنه مع ضعفه يكتب حديثه » واللَّه أعلم .

[١] - ما بين المعكوفتين في خ : « كتبت » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين في خ : « مصانعها » .

[٤] - في ت : ابن الحاكم .

[٥] - في ت : « يحتج » .

[٦] - سقط من : ت .

[٧] - في خ : « سالم » .

أيوب بن عتبة ، عن يحيىٰ بن أبي كثير ، عن عبيد بن عمير ، عن أبيه فذكره ، ولم يذكر في الإِسناد عبد الحميد بن سنان ، فاللَّه اعلم .

(حديث آخر في معنىٰ ما تقدم) قال ابن مردويه (٢٨٨) : حَدَّثَنَا عبد اللَّه بن جعفر ، حَدَّثَنَا أحمد بن يونس ، حَدَّثَنَا يحيىٰ بن عبد الحميد ، حَدَّثَنَا عبد العزيز بن مسلم بن الوليد ، عن المطلب بن[١] عبد اللَّه بن حنطب ، عن عبد الله بن عمرو قال : صعد النبي ﷺ المنبر فقال : « **لا أقسم لا أقسم** » ثم نزل فقال « **أبشروا أبشروا ، من صلىٰ الصلوات الخمس ، واجتنب الكبائر السبع نودي من أبواب الجنة : ادخل** » قال عبد العزيز : لا أعلمه إلا قال : « **بسلام** » وقال المطلب : سمعت من سأل عبد اللَّه بن عمرو : أسمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يذكرهن؟قال : نعم « **عقوق الوالدين ، وإشراك باللَّه ، وقتل النفس ، وقذف المحصنات ، وأكل مال اليتيم ، والفرار من الزحف ، وأكل الربا** » .

(حديث آخر في معناه) قال أبو جعفر بن جرير في التفسير (٢٨٩) : حَدَّثَنَا يعقوب ، حَدَّثَنَا ابن[٢] علية ، أخبرنا زياد بن مخراق عن طيسلة[٣] بن مياس قال : كنت مع[٤] النجدات ، فأصبت ذنوبا لا أراها إلا من الكبائر ، فلقيت ابن عمر ، فقلت له[٥] : إني أصبت ذنوبا لا

(٢٨٨) - وعزاه لابن مردويه الحافظ ابن حجر فى « التلخيص الحبير » (٧٠/٤) والسيوطى فى « الدر المنثور » (٢٦٢/٢) ، وعبد العزيز بن مسلم بن الوليد لم أجد له ذكرًا فى كتب الرجال ، وأخشى أن يكون محرَّفًا ؛ فقد ذكر الحديث المنذرى فى « الترغيب والترهيب » (٣٠٣/١) وقال : « رواه الطبرانى ، وفى إسناده مسلم بن الوليد بن العباس لا يحضرنى فيه جرح ولا عدالة » وكذا ذكره الهيثمى فى « المجمع » (١/ ١٠٨، ١٠٩) وقال : « رواه الطبرانى فى « الكبير » وفيه مسلم بن الوليد بن العباس ولم أر من ذكره » ثم إن الحافظ المزى ذكر فى « تهذيب الكمال » (٨٣/٢٨) من الرواة عن « المطلب بن عبد اللَّه بن حنطب » : « مسلم بن الوليد بن رباح » فلعله هو ويؤيده ذكر ابن أبى حاتم له فى « الجرح والتعديل » (١٩٧/٨) وقوله : « روى عن المطلب بن عبد اللَّه بن حنطب ...» وقد ذكر المزى أيضًا فيمن روى عن « المطلب » ابنه « عبد العزيز بن المطلب » فيحتمل أن قوله هنا فى الإسناد « عبد العزيز بن مسلم بن الوليد » تصحف من « عبد العزيز ومسلم بن الوليد » واللَّه أعلم . وعلى كل فإن رواية « المطلب بن عبد اللَّه » عن الصحابة مرسلة كما قال أبو حاتم وغيره . والحديث عزاه ابن حجر فى « الفتح » (١٨٢/١٢) إلى إسماعيل القاضى فى « أحكام القرآن » وزاد السيوطى عزوه إلى ابن المنذر .

(٢٨٩) - تفسير ابن جرير (٩١٨٧/٨) وأخرجه البخارى فى « الأدب المفرد » (٨) وفى « التاريخ الكبير »=

[١] - في خ : « عن » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في خ : « طيلسة » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - سقط من : خ .

أراها إلا من الكبائر قال : ما هي؟ قلت : أصبت كذا وكذا . قال : ليس من الكبائر . قلت : وأصبت كذا وكذا قال : ليس من الكبائر قال : بشيء لم يسمه طيسلة[١] ؟ قال : هي تسع وسأعدّهن عليك : الإشراك بالله ، وقتل النفس بغير حقها ، والفرار من الزحف ، وقذف المحصنة ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ظلما . وإلحاد في المسجد الحرام ، والذي[٢] يستحسر ، وبكاء الوالدين من العقوق . قال زياد : وقال طيسلة[٣] : لما رأي ابن عمر فرقي قال : أتخاف النار أن تدخلها؟ قلت : نعم . قال : وتحب أن تدخل الجنة؟ قلت : نعم . قال : أحيٌّ والداك ؟ قلت : عندي أمي . قال : فو الله لئن أنت ألنت لها الكلام ، وأطعمتها الطعام لتدخلن الجنة ما اجتنبت الموجبات .

(طريق[٤] أخرىٰ) قال ابن جرير(٢٩٠) : حَدَّثَنَا سليمان بن ثابت الجحدري الواسطي ، حَدَّثَنَا سلم[٥] بن سلام حَدَّثَنَا أيوب بن عتبة ، عن طيسلة[٦] بن علي النهدي قال : أتيت ابن عمر وهو في ظل أراك يوم عرفة ، وهو يصب الماء علىٰ رأسه ووجهه قلت : أخبرني عن الكبائر؟ قال : هي تسع . قلت : ما هي؟ قال : « **الإشراك بالله ، وقذف المحصنة** » قال : قلت : [قبل قتل][٧] النفس قال : نعم ورغما « **وقتل النفس المؤمنة ، والفرار من الزحف ، والسحر ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، وعقوق الوالدين المسلمين ، وإلحاد بالبيت**

= (٣٦٧/٤) ثنا مسدد عن إسماعيل بن إبراهيم - وهو ابن علية - به ، وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات من رجال « التهذيب » . وطيسلة بن ميّاس ويقال : « طيسلة بن على النهدى » وثقه ابن معين وروى عنه أكثر من واحد والخبر حسن إسناده السيوطى فى « الدر المنثور » (٢٦٢/٢) وزاد نسبته إلى ابن راهويه وعبد بن حميد وابن المنذر والقاضى إسماعيل فى « أحكام القرآن » وابن المنذر . ورواه أبو داود مختصرًا فى « مسائل الإمام أحمد » (ص ١١٨) ثنا أحمد ثنا وكيع عن عكرمة ، عن طيسلة بن على : « أن ابن عمر نزل الأراك يوم عرفة » وأشار إلى هذه الطريق البخارى فى « التاريخ » فقال : « وقال النضر ابن محمد : نا عكرمة بن عمار حدثنى طيسلة بن على البهدلى سمع ابن عمر ، وقال وكيع عن عكرمة : طيسلة بن على النهدى أن ابن عمر كان ينزل الأراك يوم عرفة ، وبهدلة من بنى سعد ، والنهدى لا يصح » وانظر ما بعده .

(٢٩٠) - تفسير ابن جرير (٩١٨٨/٨) قال الحافظ ابن حجر فى « التلخيص الحبير » (١٠٨/٢) : « مداره على أيوب بن عتبة وهو ضعيف ، وقد اختلف عليه فيه ؛ فرواه سلم بن سلام عنه به موقوفًا كما هنا ، ورواه على بن الجعد كما فى « الجعديات » (٢/رقم ٣٤٢٦) ومن طريق على بن الجعد ابن عبد البر فى « التمهيد » (٦٩/٥) ، والحسين بن محمد المروزى ؛ كما عند الخرائطى فى « مساوئ الأخلاق » =

[١] - في خ : « طيلسة » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في خ : « طيلسة » .
[٤] - في خ : « طريقة » .
[٥] - في خ : « مسلم » .
[٦] - في خ : « طيلسة » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في خ : « قتلى » .

الحرام قبلتكم أحياء وأمواتا » .

هكذا رواه من هذين الطريقين موقوفًا ، وقد رواه علي بن الجعد ، عن أيوب بن عتبة ، عن [طيسلة بن علي][١] قال : أتيت ابن عمر عشية عرفة ، وهو تحت ظل أراكة ، وهو يصب الماء علىٰ رأسه فسألته عن الكبائر؟ فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **هن سبع** » قال : قلت : وما هن ؟ قال : « **الإشراك بالله ، وقذف المحصنة** » . قال : قلت : قبل الدم . قال : نعم ، ورغما . « **وقتل النفس المؤمنة ، والفرار من الزحف ، والسحر ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، وعقوق الوالدين ، وإلحاد بالبيت الحرام قبلتكم أحياء وأمواتا** » .

وهكذا رواه الحسن بن موسىٰ الأشيب ، عن أيوب بن عتبة اليماني ، وفيه ضعف ، والله أعلم .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد (٢٩١) : حَدَّثَنَا زكريا بن عدي ، حَدَّثَنَا بقية ، عن [بحير بن

= (رقم ٧٤٧) والبيهقى فى « السنن الكبرى » (٤٠٩/٣) - وحسن بن موسى الأشيب ذكره المصنف هنا ولم أهتد لهذا الوجه - ثلاثتهم (على بن الجعد والحسين بن محمد وحسن بن موسى) ثنا أيوب بن عتبة به ، لكنه صرح برفع الكبائر التسع إلى النبى ﷺ ، وأيوب بن عتبة ضعيف ، وانظر ما قبله .

(٢٩١) - « المسند » (٤١٣/٥) وأخرجه أيضًا ، ثنا المقرئ ، ثنا حيوة بن شريح ، ومن طريق حيوة بن شريح أخرجه الطبرانى فى « المعجم الكبير » (٣٨٨٥/٤) ، والنسائى فى « الصغرى » (٨٨/٧) أخبرنا إسحاق ابن إبراهيم ، وفى « الكبرى » (٥/رقم ٨٦٥٥) أخبرنى عمرو بن عثمان بن سعيد بن كثير ، والطبرانى من طريق عيسى بن المنذر ، أربعتهم (حيوة وإسحاق وعمرو وعيسى) ثنا بقية به ، وفيه تصريح بقية . ثم إن روايته هذه عن الشاميين وقد قال ابن عدى فى « الكامل » (٥١٢/٢) : « صفته فى روايات الحديث كإسماعيل بن عياش إذا روى عن الشاميين فهو ثبت ، وإذا روى عن المجهولين فالعهدة منهم لا منه ، وإذا روى عن غير الشاميين فربما وهم عليهم ، وربما كان الوهم من الراوى عنه ، وبقية صاحب حديث ...» ومما يقوى إسناده أن شعبة بن الحجاج كان يقول له : « بَحّر لنا ، بحّر لنا » يعنى حدثنا عن « بحير بن سعد » وكان شعبة يكثر أن يقول له : « تمسك بحديث بحير » وهذا من روايته عن بحير . وأخرجه ابن جرير (٩٢٢٥/٨) وابن حبان (٣٢٤٧/٨) والحاكم (٢٣/١) من طريق موسى بن عقبة ثنا عبد الله - عند الحاكم « عبيد الله » - بن سلمان الأغر عن أبيه عن أبى أيوب به نحوه . وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات من رجال « التهذيب » و « عبد الله بن سلمان الأغر » هكذا وقع « عبد الله » بالتكبير عند ابن جرير وابن حبان وهو ثقة يروى عن أبيه لكن رجح الشيخ شاكر أن يكون صوابه « عبيد الله » بالتصغير حيث لم يذكروا رواية لموسى بن عقبة عن « عبد الله » وإنما عرف بالرواية عن أخيه « عبيد الله » وهو ثقة معروف . وقال الحاكم : « صحيح على شرط الشيخين ، ولا أعرف له علة ، ولم يخرجاه » وتعقبه الذهبى بقوله : « عبيد الله عن أبيه سلمان الأغر ، خرج له البخارى فقط » وله =

[١] - ما بين المعكوفتين في خ : « طيلسة » .

سعد][١] ، عن خالد بن معدان ، أن أبا رهم السمعي حدثهم عن أبي أيوب قال : قال رسول الله ﷺ : « **من عبد الله لا يشرك به شيئا ، وأقام الصلاة ، وآتى الذكاة ، وصام رمضان ، واجتنب الكبائر فله الجنة- أو دخل الجنة** » فسأله رجل ما الكبائر؟ فقال : « **الشرك بالله ، وقتل نفس مسلمة ، والفرار يوم الزحف** » .

ورواه أحمد أيضًا ، والنسائي من غير وجه عن بقية .

(حديث آخر) روىٰ [ابن مردويه في تفسيره(٢٩٢) من طريق سليمان بن داود اليماني- وهو ضعيف- عن الزهري ، عن][٢] الحافظ أبي بكر بن محمد [بن عمرو][٣] بن حزم ، عن أبيه ، عن جده قال : كتب رسول الله ﷺ إلىٰ أهل اليمن كتابًا فيه الفرائض والسنن والديات ، وبعث به مع عمرو بن حزم قال : وكان في الكتاب : « **إن أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة : إشراك بالله ، وقتل النفس المؤمنة بغير حق ، والفرار في سبيل الله يوم الزحف ، وعقوق الوالدين ، ورمي المحصنة ، وتعلم السحر ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم** » .

(حديث آخر فيه ذكر شهادة الزور) قال الإمام أحمد(٢٩٣) : **حَدَّثَنَا محمد بن جعفر** ، حَدَّثَنَا شعبة ، حدثني [عبيد الله][٤] بن أبي بكر ، قال : سمعت أنس بن مالك قال : ذكر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم الكبائر - أو سئل عن الكبائر - فقال : « الشرك بالله[٥] ، وقتل النفس ، وعقوق الوالدين »- وقال : « **ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قال[٦] : قول الزور - أو شهادة الزور** » [قال شعبة : أكبر ظني أنه قال : شهادة الزور][٧]

= طريق آخر بإسناد ضعيف عند الطبراني (٣٨٨٦/٤) وبالله التوفيق .

(٢٩٢) - انظر تخريج هذا الحديث في كتاب التحقيق لابن الجوزي ، وبهامشه تنقيح التحقيق للذهبي بتحقيقنا ، فقد استوفينا الكلام عليه هناك حديث رقم (٢٤٦) .

(٢٩٣) - « المسند » (١٣١/٣) وأخرجه أيضًا (١٣٤/٣) ، والبخارى ، كتاب الشهادات ، باب :ما قيل فى شهادة الزور (٢٦٥٣) ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب :بيان الكبائر وأكبرها (١٤٤) (٨٨) ، والترمذى ، كتاب البيوع ، باب :ما جاء فى التغليظ فى الكذب والزور ونحوه (١٢٠٧) ، وكتاب التفسير ، باب :ومن سورة النساء (٣٠١٨) ، والنسائى ، كتاب تحريم الدم ، باب :ذكر الكبائر (٨٨/٧، ٨٩) وكتاب القسامة (٦٣/٨) من طرق عن شعبة به .

[١] - في خ : « يحيى بن سعيد » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - في خ : « محمد » .

[٥] - سقط من : خ .

[٦] - سقط من : خ .

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

أخرجاه من حديث شعبة به ، وقد رواه ابن مردويه من طريقين آخرين غريبين عن أنس بنحوه .

(حديث آخر) أخرجه الشيخان(٢٩٤) أيضًا[١] من حديث عبد الرحمن بن أبي بكرة[٢] ، عن أبيه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « **ألا أنبئكم بأكبر الكبائر** »؟ قلنا : بلىٰ يا رسول اللّٰه . قال : « **الإشرك باللّٰه ، وعقوق الوالدين- وكان متكئا فجلس ، فقال- ألا وشهادة الزور ، ألا وقول الزور** » . فما زال يكررها حتىٰ قلنا : ليته سكت .

(حديث آخر) فيه ذكر قتل الولد ، وهو ثابت في الصحيحين (٢٩٥) ، عن عبد اللّٰه بن مسعود قال : قلت : يا رسول اللّٰه ؛ أي : الذنب أعظم؟ ، وفي رواية أكبر قال : « **أن تجعل للّٰه ندًا وهو خلقك** » . قلت : ثم أي؟ قال : « **أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك** » . قلت : ثم أي ؟ قال : « **أن تزاني حليلة جارك** » . ثم قرأ ﴿ **والذين لا يدعون مع اللّٰه إلٰها آخر** ﴾ إلىٰ قوله ﴿ **إلا من تاب** ﴾ .

(حديث آخر) فيه ذكر شرب الخمر . قال ابن أبي حاتم(٢٩٦) : أخبرنا يونس بن عبد الأعلىٰ ، أخبرنا ابن وهب ، حدثني أبو صخر ، أن رجلًا حدثه ، عن عمارة بن حزم ، أنه سمع عبد اللّٰه بن عمرو بن العاص [وهو بالحجر][٣] بمكة ، [وسأله رجل][٤] عن الخمر فقال : واللّٰه إن عظيما عند اللّٰه الشيخ مثلي يكذب في هذا المقام علىٰ رسول اللّٰه ﷺ

(٢٩٤) - أخرجه البخارى ، كتاب الشهادات ، باب :ما قيل فى شهادة الزور (٢٦٥٤) ، ومسلم ، كتاب الإيمان ،باب :بيان الكبائر وأكبرها (١٤٣) (٨٧) وكذا أخرجه أحمد (٥/ ٣٦، ٣٨) ، والترمذى ، كتاب البر والصلة ، باب :ما جاء فى عقوق الوالدين (١٩٠١) ، وكتاب الشهادات ، باب :ما جاء فى شهادة الزور (٢٣٠١) ، كتاب تفسير القرآن ، باب :ومن سورة النساء (٣٠١٩) من طرق عن سعيد الجريرى ثنا عبد الرحمن بن أبى بكرة به .

(٢٩٥) - تقدم تخريجه [سورة البقرة / آية ٢٢] .

(٢٩٦) - تفسير ابن أبى حاتم (٥١٩٧/٣) إسناده ضعيف لجهالة شيخ أبى صخر وهو حميد بن زياد الخرّاط ، ورواه الطبرانى فى « المعجم الكبير » كما فى « مجمع الزوائد » (٧١/٥) - من طريق عتاب ابن عامر قال : كنت عند عبد اللّٰه بن عمرو فى الحجر بمكة ... فذكر الحديث ، وقال الهيثمى - ما نصه - : « عتاب لم أعرفه وابن لهيعة حديثه حسن وفيه ضعف » والحديث لم يعزه السيوطى فى « الدر المنثور » (٢٦٣/٢) لغير ابن أبى حاتم ، وله شاهد بنصه دون قوله : « ترك الصلاة » عند الطبرانى فى « الكبير » (١١/ ١١٣٧٢، ١١٤٩٨) وفى « الأوسط » (٣١٣٤/٣) وإسناده ضعيف أيضًا ، لكن حسنه الألبانى بمجموع الطريقين ، فكان من نصيب « الصحيحة » (١٨٥٣/٤) .

[١] - سقط من : ت .
[٢] - في خ : « بكسر » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين في خ : « وسئل » .

فذهب فسأله ثم رجع فقال : سألته عن الخمر فقال : « **هي أكبر الكبائر ، وأمّ الفواحش ، من شرب الخمر ترك الصلاة ، ووقع علىٰ أمه وخالته وعمته** » .

غريب من هذا الوجه .

(طريق[١] أخرىٰ) رواها الحافظ أبو بكر بن مردويه(٢٩٧) من حديث عبد العزيز بن محمد الدراوردي ، عن داود بن صالح ، عن سالم بن عبد الله ، عن أبيه ، أن أبا بكر الصدّيق - رضي الله عنه - وعمر بن الخطاب ، وأناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ رضي الله عنهم أجمعين جلسوا بعد وفاة رسول الله ﷺ فذكروا أعظم الكبائر ، فلم يكن عندهم ما ينتهون إليه ، فأرسلوني إلىٰ عبد الله بن عمرو بن العاص أسأله عن ذلك ، فأخبرني أن أعظم الكبائر شرب الخمر ، فأتيتهم فأخبرتهم ، فأنكروا ذلك ، فوثبوا إليه حتىٰ أتوه في داره فأخبرهم أنهم تحدّثوا عند رسول الله ﷺ أن ملكا من بني إسرائيل أخذ رجلا فخيره بين أن يشرب خمرًا ، أو يقتل نفسًا ، أو يزاني ، أو يأكل لحم خنزير أو يقتله ، فاختار شرب الخمر . وإنه لما شربها لم يمتنع من شيء أراده منه ، وإن رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم قال لنا مجيبًا : « **ما من أحد يشرب خمرًا[٢] إلا لم تقبل له صلاة أربعين ليلة ، ولا يموت أحد في مثانته منها شيء إلا حرّم الله عليه الجنة ، فإن مات في أربعين ليلة مات ميتة جاهلية** » .

هذا حديث غريب من هذا الوجه جدًّا ، وداود بن صالح هذا هو التمار المدني مولىٰ الأنصار ، قال الإمام أحمد : لا أرىٰ به بأسًا . وذكره ابن حبان في الثقات ، ولم أر أحدًا جرحه .

(٢٩٧) - وأخرجه الطبراني فى « الأوسط » (١/رقم ٣٦٣) والحاكم فى « المستدرك » (١٤٧/٤) من طريق الدراوردى به ، وقال الطبراني : « لا يروى هذا الحديث عن عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمرو إلا بهذا الإسناد ، تفرد به الدراودى » وكأن لهذا استغربه المصنف جدًّا ، وعبد العزيز الدراوردى صدوق روى له الجماعة ، غير أن حديثه عن عبيد الله بن العمرى منكر وهذا فى روايته عن غير عبيد الله العمرى ، وقال الحاكم : « حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » وصحح إسناد الطبرانى المنذرى فى « الترغيب والترهيب » (٢٨٥/٣) وذكر الحديث الهيثمى فى « المجمع » (٥/ ٧٠، ٧١) وقال : « رواه الطبرانى فى « الأوسط » ورجاله رجال الصحيح ، خلا صالح بن داود والتمار - كذا وهو خطأ صوابه داود بن صالح - وهو ثقه » وثقه ابن حبان « الثقات » (٢٨٠/٦) وقال أحمد : « لا أعلم به بأسًا » وقال الحافظان الذهبى وابن حجر : « صدوق » غير أنه لم يرو له سوى أبى داود وابن ماجة !! الحديث قصَّر السيوطى فى عزوه جدًّا ، فلم يعزه لغير ابن المنذر « الدر المنثور » (٣٦٤/٢) .

[١] - في خ : « طريقة » . [٢] - سقط من : خ .

(حديث آخر) عن عبد الله بن عمرو فيه ذكر اليمين الغموس . قال الإمام أحمد(٢٩٨) حَدَّثَنَا محمد بن جعفر ، حَدَّثَنَا شعبة ، عن فراس ، عن الشعبي ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي ﷺ أنه قال : « **أكبر[١] الكبائر الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، أو قتل النفس[٢] - شعبة[٣] الشاك - واليمين الغموس** » .

ورواه البخاري والترمذي والنسائي من حديث شعبة ، وزاد البخاري وشيبان كلاهما عن فراس به .

(حديث آخر في اليمين الغموس) قال ابن أبي حاتم (٢٩٩) : حَدَّثَنَا أبي ، حَدَّثَنَا أبو صالح كاتب الليث ، حَدَّثَنَا الليث بن سعد ، حَدَّثَنَا هشام بن سعد[٤] ، عن محمد بن زيد بن مهاجر ابن قنفذ التيمي ، عن أبي أمامة الأنصاري ، عن عبد الله بن أنيس الجهني ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **من[٥] أكبر الكبائر الشرك بالله ، وعقوق الوالدين ، واليمين الغموس ، وما حلف حالف بالله يمين صبر فأدخل فيها مثل جناح البعوضة ، إلا كانت وكتة في قلبه إلىٰ يوم القيامة** » . وهكذا رواه الإمام[٦] أحمد في مسنده وعبد بن حميد في تفسيره، [كلاهما عن يونس بن محمد المؤدب ، عن الليث بن سعد به ، وأخرجه الترمذي][٧] عن عبد بن حميد به . ثم[٨] قال : وهذا حديث حسن غريب ، وأبو أمامة الأنصاري هذا هو ابن ثعلبة ولا يعرف

(٢٩٨) - « المسند » (٢/٢٠١) ، وأخرجه البخارى ، كتاب الأيمان والنذور ، باب :اليمين الغَمُوس (٦٦٧٥) وكتاب الديات ، باب :قول الله تعالى : ﴿ **ومن أحياها** ...﴾ (٦٨٧٠) والترمذى ، كتاب تفسير القرآن ، باب :ومن سورة النساء (٣٠٢١) ، والنسائى ، كتاب تحريم الدم ، باب :ذكر الكبائر (٧/٨٩) ، كتاب القسامة (٨/٦٣) من طريق شعبة به . وأخرجه البخارى ، كتاب استتابة المرتدين والمعانيد وقتالهم ، باب :إثم من أشرك بالله وعقوبته فى الدنيا والآخرة (٦٩٢٠) حدثنى محمد ابن الحسين بن إبراهيم ، أخبرنا عبيد الله بن موسى أخبرنا شيبان عن فراس به نحوه .

(٢٩٩) - تفسير ابن أبى حاتم (٣/٥١٩٩) وأخرجه عبد بن حميد - كما قال المصنف ، وكذا عزاه له السيوطى فى « الدر المنثور » (٢/٢٦٣) ومن طريقه رواه الترمذى ، كتاب تفسير القرآن ، باب :ومن سورة النساء (٣٠٢٠) وابن أبى شيبة فى مسنده (٢/٨٥٠) وعنه ابن أبى عاصم فى « الآحاد والمثانى » (٤/٢٠٣٦) ، وأحمد فى « المسند » (٣/٤٩٥) ومن طريقه المزى فى « تهذيب الكمال » (٣٣/ ٥١، ٥٢) والطبرانى فى « الأوسط » (٣/٣٢٣٧) - وعنه أبو نعيم فى « الحلية » (٧/٣٢٧) والحاكم فى

[١] - سقط من : خ .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في خ : « عقبة » .
[٤] - في خ : « سعيد » .
[٥] - سقط من : ت .
[٦] - سقط من : ت .
[٧] - ما بين المعكوفتين من : خ .
[٨] - في ت : « و » .

اسمه . وقد روىٰ عن أصحاب النبي ﷺ أحاديث .

قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي(٣٠٠) : وقد رواه عبد الرحمن بن إسحاق المدني ، عن محمد بن زيد ، عن عبد اللَّه بن أبي أمامة ، عن أبيه ، عن عبد اللَّه بن أنيس[١] ، فزاد عبد اللَّه ابن أبي أمامة .

(قلت) : هكذا وقع في تفسير ابن مردويه ، وصحيح ابن حبان ، من طريق عبد الرحمن بن إسحاق[٢] كما ذكره شيخنا فسح اللَّه في أجله .

« المستدرك » (٢٩٦/٤) والبيهقى فى « شعب الإيمان » (٤٨٤٣/٤) من طرق عن الليث بن سعد به . وأخرجه ابن أبى شيبة فى « المصنف » كتاب البيوع ، باب :الرجل يحلف على اليمين الفاجرة (٢٥٣/٥) والخرائطى فى « مساوئ الأخلاق » (رقم ١٢٤) من طريق يونس بن محمد ثنا ليث بن سعد به مختصرًا : « ما حلف ...» وقال الحاكم : « حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبى ، وقال الترمذى : « حديث حسن غريب » وكذا حسنه ابن حجر فى « الفتح » (٤١١/١٠) وهو أشبه لكلام فى هشام بن سعد . والحديث أورده الهيثمى فى « المجمع » (١١٠/١) - وهو على غير شرطه - وقال : « رواه الطبرانى فى « الأوسط » وهو بتمامه فى الأيمان والنذور - ولم أجده فى هذا الموضع المحال عليه - ورجاله موثقون » وأما قول الطبرانى فى « الأوسط » عقبه : « لا يروى هذا الحديث عن عبد اللَّه ابن أنيس إلا بهذا الإسناد ، تفرد به الليث » - فهو منتقد لما يأتى بعد هذا وأضبط منه قول تلميذه أبى نعيم : « غريب من حديث الليث وهشام ، وما رواه عن النبى ﷺ بهذا اللفظ إلا أنيس » .

(٣٠٠) - فى كتابه القيم « تحفة الأشراف » (٤/رقم ٥١٤٧) وذكر المصنف أن الطريق الذى أشار إليه شيخه المزى رواه ابن مردويه وابن حبان ، والإسناد الذى فى صحيح ابن حبان المطبوع (٥٥٦٣/١٢) هكذا : أخبرنا أحمد بن على بن المثنى - أبو يعلى الموصلى - قال : حدثنا وهب بن بقية ، قال : حدثنا خالد بن عبد اللَّه ، عن عبد الرحمن بن إسحاق عن محمد بن زيد عن عبد اللَّه بن أبى أمامة عن عبد اللَّه بن أنيس به ، هكذا دون ذكر واسطة بين « عبد اللَّه بن أبى أمامة » و « عبد اللَّه بن أنيس » وقد أخرجه ابن الأثير فى « أسد الغابة » (١٨٠/٣) من طريق أبى يعلى الموصلى به ، وأخرجه ابن أبى عاصم فى « الآحاد والمثانى » (٢٠٣٥/٤) ، (٢٥٥٦/٥) من طريق وهب بن بقية به دون ذكر لوالد « عبد اللَّه بن أبى أمامة » فى الإسناد ، وعبد اللَّه بن أبى أمامة هذا وثقه ابن حبان (١٨/٧) وقال الذهبى وابن حجر : « صدوق » غير أنهم لم يذكروا أنه روى عن « عبد اللَّه بن أنيس » مباشرة ، وقد ترجم أبو حاتم بن حبان فى « الثقات » (٣٤/٥) لعبد اللَّه بن أبى أمامة آخر وقال : « يروى عن عبد اللَّه بن أنيس ، روى عنه محمد بن زيد ، ويشبه أن يكون ابن أبى أمامة بن سهل بن حنيف » لكن الأسانيد السابقة مع قول الحافظ المزى المذكور هنا تقوى أنه « عبد اللَّه بن أبى أمامة البلوى المدنى » وعليه فيكون هذا الإسناد فيه انقطاع ، لكن وصله هشام بن سعد من رواية الليث بن سعد عنه ، كما تقدم فى السابق .

---

[١] - في خ : « أنس » .
[٢] - في خ : « إسماعيل » .

(حديث آخر) عن عبد اللَّه بن عمرو في التسبب إلىٰ شتم الوالدين . قال ابن أبي حاتم(٣٠١) : حَدَّثَنَا عمرو بن عبد اللَّه الأودي ، حَدَّثَنَا وكيع ، عن مسعر وسفيان ، عن سعد بن إبراهيم ، عن حميد بن عبد الرحمن ، عن عبد اللَّه بن عمرو ، رفعه سفيان إلىٰ النبي ﷺ ووقفه مسعر علىٰ عبد اللَّه بن عمرو قال : « **من الكبائر أن يشتم الرجل والديه** » قالوا : وكيف يشتم الرجل والديه؟ قال : « **يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ، ويسب أمه فيسب أمه** » .

وقد [أخرج هذا الحديث] البخاري(٣٠٢) عن أحمد بن يونس ، عن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبيه ، عن عمه حميد بن عبد الرحمن بن عوف ، عن عبد اللَّه بن عمرو ، قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه** » . قالوا : وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال : « **يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ، ويسب أمه فيسب أمه** » .

وهكذا رواه مسلم من حديث سفيان وشعبة ويزيد بن الهاد ثلاثتهم عن سعد بن إبراهيم به مرفوعًا بنحوه ، وقال الترمذي : صحيح . وثبت في الصحيح أن[١] رسول اللَّه ﷺ قال : « **سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر** » .

(حديث آخر في ذلك) قال ابن أبي حاتم (٣٠٣) : حَدَّثَنَا عبد الرحمن بن إبراهيم ، دُحيَم ،

(٣٠١) - تفسير ابن أبي حاتم (٣/٥١٩٦) ، وأخرجه أحمد في « المسند » (٢/١٦٤) ثنا وكيع به سواء ، ولا يضره أن وقفه مسعر على « عبد اللَّه بن عمرو » حيث رفعه جمع من الثقات - كما يأتي - بل إنه قد اختلف على مسعر نفسه فيه ؛ فرواه وكيع عنه موقوفًا كما هنا ، ورواه يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عنه مرفوعًا ، صححه من هذا الوجه أبو حاتم بن حبان (٢/رقم ٤١١) ، وأخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، (١٤٦) (٩٠) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٢٧) من طريق سفيان به وانظر ما بعده .

(٣٠٢) - صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب :لا يَسُبُّ الرجلُ والديه (٥٩٧٣) وكذا أخرجه أحمد (٢/٢١٦) ، وأبو داود ، كتاب الأدب ، باب :في بر الوالدين (٥١٤١) من طريق إبراهيم بن سعد به ، وأخرجه مسلم (١٤٦) (٩٠) وأحمد (٢/١٩٥) من طريق شعبة ، ومسلم أيضًا والترمذي ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب :ما جاء في عقوق الوالدين (١٩٠٢) من طريق يزيد بن الهاد ، كلاهما (شعبة ويزيد) عن سعد بن إبراهيم به ، وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح » .

(٣٠٣) - تفسير ابن أبي حاتم (٣/٥٢٠٥) وأخرجه أبو داود ، كتاب الأدب ، باب :في الغيبة (٤٨٧٧) ثنا جعفر بن مسافر ، وابن أبي الدنيا في « كتاب الصمت وآداب اللسان » (٧٣٢) ثنا الحسن بن عبد العزيز ، كلاهما (جعفر والحسن) ثنا عمرو بن أبي سلمة به ، وعمرو هذا ضعفه ابن معين ، وقال أبو حاتم : يكتب حديثه ولا يحتج به . وقال العقيلي : في حديثه وهم . وقال أحمد : « روى عن =

[١] - في خ : «عن» .

حَدَّثَنَا عمرو بن أبي سلمة ، حَدَّثَنَا زهير بن محمد ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **من أكبر الكبائر [استطالة المرء في] عرض الرجل المسلم ، والسبَّتان والسبَّة** » .

هكذا روي هذا الحديث ، وقد أخرجه أبو داود في كتاب الأدب من سننه عن جعفر بن مسافر ، عن عمرو بن أبي سلمة ، عن زهير بن محمد ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « **من أكبر الكبائر استطالة الرجل[١] في عرض رجل مسلم بغير حق ، ومن الكبائر السبتان بالسبة** » .

وكذا رواه ابن مردويه من طريق عبد الله بن العلاء بن زبر[٢] ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ فذكر مثله .

(حديث آخر في ذكر[٣] الجمع بين الصلاتين من غير عذر) قال ابن أبي حاتم(٣٠٤) : حَدَّثَنَا أبي ، حَدَّثَنَا نعيم بن حماد ، حَدَّثَنَا معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن حنش ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ قال : « **من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتىٰ بابا من أبواب الكبائر** » . وهكذا رواه أبو عيسىٰ الترمذي ، عن أبي سلمة يحيىٰ بن خلف ، عن المعتمر بن

= زهير أحاديث بواطيل ، كأنه سمعها من صَدقة بن عبد الله – وهو ضعيف – فغلط ، فقلبها عن زهير » ومع هذا فقد حسن إسناده الحافظ ابن حجر في « الفتح » (٤١١/١٠) ولم يعزه لغير ابن أبي حاتم ، واستنكره ابن عدى في « الكامل » (١٠٧٦/٣) لزهير بن محمد ، فرواه من طريق عبدان الأهوازى ، ثنا هشام بن عمار ، ثنا عبد الملك الصنعاني ، ثنا زهير بن محمد به بلفظ : « السبتان بالسبة ربا » والحديث عزاه السيوطى فى « الدر المنثور » (٢٦٣/٢) إلى أبي داود وابن أبي حاتم وابن مردويه ، وقد صح في هذا الباب : « إن أربى الربا استطالة الرجل فى عرض أخيه » راجع « الصحيحة » لأبى عبد الرحمن الألبانى (١٤٣٣/٣) .

(٣٠٤) – تفسير ابن أبي حاتم (٥٢٠٧/٣) وأخرجه الترمذى ، كتاب الصلاة ، باب :ما جاء فى الجمع بين الصلاتين فى الحضر (١٨٨) ، وابن حبان فى « المجروحين » (٢٤٣/١) ، والطبرانى فى « المعجم الكبير » (١١٥٤٠/١١) ، والدارقطنى فى « السنن » (٣٩٥/١) ، والحاكم فى « المستدرك » (٢٧٥/١) ، والبيهقى فى « السنن الكبرى » (١٦٩/٣) من طرق عن المعتمر بن سليمان به ، وابن الجوزى فى « الموضوعات » (١٠١/٢) من طريق عبد الحكيم بن منصور عن حسين بن قيس – حنش – به .

وقال الترمذى : « حنش هذا هو : « أبو على الرَّحَبي » وهو « حسين بن قيس » وهو ضعيف عند أهل الحديث ، ضعفه أحمد وغيره » وقال الدارقطنى : « حنش هذا أبو على الرحبى متروك » والحديث=

[١] – في خ : « المرء » . [٢] – في ت : « ذبر » .

[٣] – سقط من : ت .

سليمان ، به ، ثم قال : حنش : هو أبو علي الرحبي ، وهو حسين بن قيس ، وهو ضعيف عند أهل الحديث ، ضعفه أحمد وغيره .

وقد رویٰ ابن أبي حاتم(٣٠٥) حَدَّثَنَا الحسن بن محمد بن[١] الصباح ، حَدَّثَنَا إسماعيل بن علية ، عن خالد الحذاء ، عن حميد بن هلال ، عن أبي قتادة يعني[٢] العدوي قال : قرئ علينا كتاب عمر : من الكبائر جمع بين الصلاتين - يعني من غير عذر - والفرار من الزحف ، والنهبة .

وهذا إسناد صحيح . والغرض أنه إذا كان الوعيد فيمن جمع بين الصلاتين كالظهر والعصر ، تقديمًا أو تأخيرًا ، وكذا المغرب والعشاء هما من شأنه أن يجمع بسبب من الأسباب الشرعية فإذا

= علقه العقيلي في « الضعفاء » (٢٤٨/١) وقال : « لا يتابع عليه ، ولا يعرف إلا به ولا أصل له ...» . وقال البيهقي : « في إسناده من لا يحتج به ، تفرد به حسين بن قيس أبو على الرحبي المعروف بحنش ، وهو ضعيف عند أهل النقل لا يحتج بخبره » وقال ابن الجوزي : « حسين بن قيس كذبه أحمد بن حنبل ، قال مرة : متروك الحديث . وكذلك النسائي وقال يحيى : ليس بشيء » ومع هذا فقد جازف الحاكم وقال عقبه : « حنش بن قيس الرحبي يقال له : أبو على ، من أهل اليمن سكن الكوفة ثقة ، وقد احتج البخاري بعكرمة وهذا الحديث قاعدة في الزجر عن الجمع بلا عذر ولم يخرجاه » لكن تعقبه الذهبي بقوله : « حنش بن قيس ، ضعفوه » وبه أعله الزيلعي في « نصب الراية » (٢/ ١٩٣، ١٩٤) وقد أخرجه البزار (١٣٥٦/٢/ كشف الأستار) وأبو يعلى في مسنده (٢٧٥١/٥) من طريق معتمر بن سليمان به ، غير أنهما زادا فيه - لفظ البزار - : « ومن شهد شهادة فاجتاح بها مال امرئ مسلم ، فقد تبوأ مقعده من النار » وزاد البزار وحده : « ومن شرب شرابًا حتى يذهب عقله الذى رزقه اللَّه فقد أتى بابًا من أبواب الكبائر » وقال البزار : « لا نعلمه عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد ، وحنش هو ابن قيس الرحبي روى عنه التيمي وخالد بن عبد اللَّه وغيرهما ، وليس بالقوى ، وإنما يكتب من حديثه ما يرويه غيره » وكذا أعله به ابن عبد البر في « التمهيد » (٧٧/٥) غير أنه قال : « معناه صحيح من وجوه » هو كما قال ، انظر ما تقدم وما يأتي وباللَّه التوفيق .

(٣٠٥) - (٥٢٠٨/٣) وأخرجه البيهقي (١٦٩/٣) من طريق يحيى بن سعيد عن يحيى بن صبيح قال : حدثني حميد بن هلال به ، وقال البيهقي : « أبو قتادة العدوى أدرك عمر - رضى اللَّه عنه - فإن كان شهده كتب فهو موصول ، وإلا فهو إذا انضم إلى الأول صار قويًا » ويعني بـ « الأول » هنا ما أخرجه من طريق قتادة عن أبي العالية عن عمر - رضى اللَّه عنه - قال : « جمع الصلاتين من غير عذر من الكبائر » قال البيهقي : « وهو مرسل ؛ أبو العالية لم يسمع من عمر رضى اللَّه عنه » لكن تعقبه ابن التركماني في « الجوهر النقى » فقال : « أبو العالية أسلم بعد موت النبي ﷺ بسنتين ودخل على أبي بكر وصلى خلف عمر وقد قدمنا غير مرة أن مسلمًا حكى الإجماع على أنه يكفى لاتصال السند =

[١] - سقط من : خ . [٢] - سقط من : ت .

تعاطاه أحد بغير شيء من تلك الأسباب يكون مرتكبًا كبيرة ، فما ظنك [بمن يترك][١] الصلاة بالكلية ، ولهذا روىٰ مسلم في صحيحه (٣٠٦) عن رسول الله ﷺ أنه قال : « بين العبد وبين الشرك ترك الصلاة » . وفي السنن مرفوعا[٢] عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال(٣٠٧) « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » . وقال(٣٠٨) : « **من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله** » . وقال(٣٠٩) : « **من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله** » .

(حديث آخر) فيه اليأس من روح الله[٣] ، والأمن من مكر الله . قال ابن أبي حاتم(٣١٠) : حَدَّثَنَا أحمد بن عمرو بن أبي عاصم النبيل ، حَدَّثَنَا أبي [حَدَّثَنَا أبي][٤] حَدَّثَنَا شبيب بن بشر ،

= المعنعن ثبوت كون الشخصين فى عصر واحد ، وكذا الكلام فى رواية أبى قتادة العدوى عن عمر ، فإنه أدركه كما ذكره البيهقى بعد ، فلا يحتاج فى اتصاله إلى أن يشهده » .

(٣٠٦) - صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب :بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة (١٣٤) (٨٢) وكذا أخرجه أحمد (٣٨٩/٣) ، وأبو داود (٤٦٧٨) ، والترمذى (٢٦٢٠) ، والنسائى (٢٣٢/١/ هامش) ، وابن ماجة (١٠٧٨) من حديث جابر بن عبد الله .

(٣٠٧) - أخرجه الترمذى ، كتاب الإيمان ، باب :ما جاء فى ترك الصلاة (٢٦٢١) ، والنسائى ، كتاب الصلاة ، باب :الحكم فى تارك الصلاة (١/ ٢٣١، ٢٣٢) ، وابن ماجة ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب :ما جاء فيمن ترك الصلاة (١٠٧٩) ، وأحمد (٥/ ٣٤٦، ٣٥٥) وغيرهم من حديث بريدة ابن الحُصَيْب ، وقال الترمذى : « حديث حسن صحيح غريب » وصححه ابن حبان (١٤٥٤/٤) وكذا الحاكم فى « المستدرك » (٧٢٦/١) فقال : « حديث صحيح الإسناد لا تعرف له علة بوجه من الوجوه ...» ووافقه الذهبى .

(٣٠٨) - أخرجه البخارى ، كتاب مواقيت الصلاة ، باب :من ترك العصر (٥٥٣) وكذا أخرجه النسائى ، كتاب الصلاة ، باب :من ترك صلاة العصر (٢٣٦/١) ، وأحمد (٥/ ٣٤٩- وفى مواضع آخر) من حديث بريدة بن الحُصيب .

(٣٠٩) - أخرجه بهذا اللفظ النسائى (٢٣٨/١) من حديث نوفل بن معاوية وعبد الله بن عمر ، وإسناده صحيح . وهو عند مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب :التغليظ فى تفويت صلاة العصر (٢٠١) (٦٢٦) من حديث عبد الله بن عمر مرفوعًا بلفظ : « من فاتته العصر فكأنما وتر أهله وماله » وأخرجه أيضًا البخارى ، كتاب مواقيت الصلاة ، باب :إثم من فاتته العصر (٥٥٢) وغيرهما من حديث ابن عمر أيضًا بلفظ : « الذى تفوته صلاة العصر ، كأنما وتر أهله وماله » .

(٣١٠) - تفسير ابن أبى حاتم (٥٢٠١/٣) وقد أخرجه البزار (١/رقم ١٠٦/ كشف الأستار) (١/رقم ٥٥/ زوائد ابن حجر) ثنا عبد الله بن إسحاق العطار ثنا الضحاك بن مخلد أبو عاصم به ، وعلقه ابن عبد البر فى « التمهيد » (٧٧/٥) وحسن إسناده السيوطى فى « الدر المنثور » (٢٦٤/٢) وعزاه إلى =

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « بترك » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله ﷺ كان متكئا فدخل عليه رجل فقال : ما الكبائر ؟ فقال : « الشرك بالله ، واليأس من روح الله ، [والقنوط من رحمة الله - عز وجل -][١] ، والأمن من مكر الله ، وهذا أكبر الكبائر » .

وقد رواه البزار عن عبد الله بن إسحاق العطار ، عن أبي عاصم النبيل ، عن شبيب بن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رجلا قال : يارسول الله ؛ ما الكبائر؟ قال : « **الإشراك بالله ، واليأس من روح الله ، والقنوط من رحمة الله عز وجل** » .

وفي إسناده ، نظر والأشبه أن يكون موقوفًا ؛ فقد روي عن ابن مسعود نحو ذلك . وقال ابن جرير (٣١١) : حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حَدَّثَنَا هشيم ، أخبرنا مطرف ، عن وبرة بن عبد الرحمن ، عن أبي الطفيل ، قال : قال ابن مسعود : أكبر الكبائر الإشراك بالله ، والإياس من روح الله ، والقنوط من رحمة الله ، والأمن من مكر الله .

وكذا رواه من حديث الأعمش وأبي إسحاق ، عن وبرة ، عن أبي الطفيل ، عن [ابن

= الطبراني في « الأوسط » - ولم أجده في المطبوع والله أعلم - وذكره الهيثمي في « المجمع » (١/ ١٠٩) وقال : « رواه البزار والطبراني ورجاله موثقون » ولم أعثر عليه في المطبوع من « المعجم الكبير » أيضًا . قال المصنف : « في إسناده نظر والأشبه أن يكون موقوفًا » وهذا أشبه ؛ فإن شبيب بن بشر وإن وثقه ابن معين فقد قال أبو حاتم : « لينّ الحديث ، حديثه حديث الشيوخ » وذكره ابن حبان في « الثقات » (٤/ ٣٥٩) وقال : « يخطئ كثيرًا » فلا يبعد أن يكون رفعُ هذا الحديث من أخطائه لا سيما وقد رواه الثقات موقوفًا على ابن مسعود وهو الآتي .

(٣١١) - تفسير ابن جرير (٨/ ٩١٩١) وأخرجه أيضًا (٩١٩٣) من طريق عبد الله بن إدريس سمعت مطرفًا به ، وهذا إسناد صحيح ومُطرف هو ابن طريف الحارثي ، وأبو الطفيل هو عامر بن واثلة آخر الصحابة موتًا . وأخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب « التوبة » (رقم ٣١) من طريق أبي معاوية محمد بن خازم ، وابن جرير (٩١٩٤) من طريق شيبان ، كلاهما (أبو معاوية وشيبان) عن الأعمش عن وبرة به ، وهذا إسناد صحيح أيضًا ، ولا يخشى من عنعنة الأعمش هنا حيث توبع ، وله إسناد آخر صحيح رواه ابن جرير أيضًا (٩١٩٥) من طريق إسرائيل ، وعبد الرزاق في « المصنف » (١٠/رقم ١٩٧٠١) وفي « التفسير » (١/ ١٥٥) ومن طريقه الطبراني في « المعجم الكبير » (٩/ ٨٧٨٤) من طريق معمر ، كلاهما (إسرائيل ومعمر) عن أبي إسحاق عن وبرة به ، وللحديث طرق أخرى صحيحة وحسنة انظرها عند ابن جرير (٨/ ٢٤٢، ٢٤٤) ، والطبراني (٩/ ٨٧٨٣، ٨٧٨٥) وجزم بصحته المصنف ، وصحح إسناده أيضًا الهيثمي في « المجمع » (١/ ١٠٩) وذكره الحافظ ابن حجر في « الفتح » (١٢/ ١٨٣) وعزاه إلى عبد الرزاق والطبراني ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٢/ ٢٦٤) إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

مسعود][١] به[٢] ، ثم رواه من طرق عدة عن أبي الطفيل ، عن ابن مسعود ، وهو صحيح إليه بلا شك .

[(حديث آخر) فيه سوء الظن بالله . قال ابن مردويه(٣١٢) : حَدَّثَنَا محمد بن إبراهيم بن بندار حَدَّثَنَا أبو حاتم بكر بن عبدان ، حَدَّثَنَا محمد بن مهاجر ، حَدَّثَنَا أبو حذيفة البخاري ، عن محمد بن عجلان ، عن نافع ، عن ابن عمر أنه قال : أكبر الكبائر سوء الظن بالله عز وجل . حديث غريب جدًا][٣]

(حديث آخر) فيه التعرب بعد الهجرة . قد تقدم في رواية عمرو بن أبي سلمة (٣١٣) ، عن أبيه ، عن أبي هريرة مرفوعًا قال [أبو بكر][٤] ابن مردويه (٣١٤) : حَدَّثَنَا سليمان [بن أحمد، حدثنا][٥] أحمد بن رشدين ، حَدَّثَنَا عمرو بن خالد الحراني ، حَدَّثَنَا ابن لهيعة ، عن يزيد ابن أبي حبيب ، عن محمد بن سهل[٦] بن أبي حثمة[٧] ، عن أبيه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : «الكبائر سبع ، ألا تسألوني عنهن؟ الشرك بالله ، وقتل النفس ، والفرار من[٨] الزحف ، وأكل

(٣١٢) - هكذا فى جميع النسخ بهذا الإسناد يشبه أن يكون موقوفًا ، وصنيع المؤلف يدل على أنه مرفوع ، وقد صرح برفعه ابن حجر فى « الفتح » (٤١١/١٠) (١٨٣١٢) فعزاه لابن مردويه بسند ضعيف ، وكذا ذكره العجلونى فى « كشف الخفاء » (١٥٩/١) وقال : « رواه الديلمي وابن مردويه بسند ضعيف » قلت : وحقه أن يكون ضعيفًا جدًّا إن لم يكن موضوعًا ؛ فإن أبا حذيفة البخارى هذا واسمه إسحاق بن بشر صاحب « كتاب المبتدأ » كذبه على بن المدينى وابن أبى شيبة والدارقطنى وغيرهم حتى قال ابن الجوزى : « أجمعوا على أنه كذاب » مترجم فى « الميزان » للذهبى و « اللسان » لابن حجر وقال ابن عدى « الكامل » (٣٣١/١) : « أحاديثه كلها غير محفوظة ومنكرة إما إسنادًا أو متنًا ، لا يتابعه أحد عليها » .

(٣١٣) - تقدم هنا برقم (٢٨٥) .

(٣١٤) - والحديث عند الطبرانى سليمان بن أحمد فى « المعجم الكبير » (٥٦٣٦/٦) وذكره الهيثمى فى « المجمع » (١٠٨/١) غير أنه قال : « عن سهل بن أبى حثمة عن أبيه » وهو مخالف لما فى « المعجم » وغيره ، فالحديث حديث « سهل بن أبى حثمة » ولعله سهو ، أو خطأ من الناسخ فبدلاً من أن يكتبه « محمد بن سهل بن أبى حثمة عن أبيه » كتبه هكذا بالخطأ . وقال الهيثمى : « رواه الطبرانى فى « الكبير » وفيه ابن لهيعة » وهو ضعيف فى غير رواية العبادلة عنه ، ولذلك قال المصنف : « فى إسناده نظر ، ورفعه غلط فاحش والصواب ما رواه ابن جرير ....» وهو الآتى .

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : «عبد الله» .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٦] - في خ : « سعد » .
[٧] - في خ : « خيثمة » .
[٨] - في ت : « يوم » .

مال اليتيم ، وأكل الربا ، وقذف المحصنة ، والتعرب بعد الهجرة » .

وفي إسناده نظر ، ورفعه غلط فاحش ، والصواب ما رواه ابن جرير(٣١٥) : حَدَّثَنَا تميم بن المنتصر أخبرنا يزيد ، أخبرنا محمد بن إسحاق ، عن محمد بن سهل[١] بن أبي حثمة[٢] ، عن أبيه قال : إني لفي هذا المسجد مسجد الكوفة ، وعلي - رضي اللَّه عنه - يخطب الناس علىٰ المنبر ، فقال : يا أيها الناس إن[٣] الكبائر سبع ، فأصاخ الناس ، فأعادها ثلاث مرات ، ثم قال : لم لا تسألوني عنها؟ قالوا : يا أمير المؤمنين ما هي؟ قال : الإشراك باللَّه ، وقتل النفس التي حرم اللَّه ، وقذف المحصنة ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ؛ والفرار يوم الزحف ؛ والتعرب بعد الهجرة . فقلت لأبي : يا أبت ما التعرب بعد الهجرة ؟ كيف لحق هاهنا ؟ . قال : يا بني ، وما أعظم من أن يهاجر الرجل حتىٰ إذا وقع سهمه في الفيء ووجب عليه الجهاد [خلع ذلك من عنقه][٤] فرجع أعرابيًا كما كان .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(٣١٦) : حَدَّثَنَا هاشم ، حَدَّثَنَا أبو معاوية يعني شيبان ، عن منصور ، عن هلال بن يساف ، عن سلمة بن قيس الأشجعي قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم في حجة الوداع : « **ألا إنما هن أربع ، أن لا تشركوا باللَّه شيئًا ، ولا تقتلوا النفس التي حرم اللَّه إلا بالحق ، ولا تزنوا ، ولا تسرقوا** » . قال : فما أنا بأشح عليهن مني إذ سمعتهن من

(٣١٥) - تفسير ابن جرير (٩١٧٩/٨) وأخرجه البخارى فى « التاريخ الكبير » (١٠٧/١/١ ترجمة محمد بن سهل) قال لنا إسحاق عن عبدة : سمع ابن إسحاق ، به مختصرًا ، ومحمد بن سهل بن أبى حثمة لم يوثقه غير ابن حبان « الثقات » (٣٩٨/٧) .

تنبيه : أشار ابن حجر إلى هذا الحديث فى « الفتح » (١٨٢/١٢) فقال: « وللطبرانى من حديث سهل ابن أبى حثمة - تحرفت إلى خيثمة - عن على رفعه ...» هكذا والمرفوع المذكور قبل هذا ليس فيه ذكر لعلى » وحديث على صوابه موقوف ، كما قال المصنف واللَّه أعلم .

(٣١٦) - « المسند » (٤/ ٣٣٩، ٣٤٠) وأخرجه أيضًا (٣٣٩/٤) ، والنسائى فى « التفسير » من « الكبرى » (١١٣٧٣/٦) ومن طريقه سيورده المصنف فى سورة الفرقان / آية ٦٨، وابن أبى شيبة فى مسنده (٢/رقم ٧٠٩) وعنه ابن أبى عاصم فى « السنة » (٩٧٠/٢) وفى « الآحاد والمثانى » (٣/ ١٣٠٢) والطبرانى فى « المعجم الكبير » (٧/ ٦٣١٦، ٦٣١٧) والحاكم فى « المستدرك » (٣٥١/٤) ، من طرق عن منصور به ، وإسناده صحيح ، وقال الحاكم : « صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ووافقه الذهبى ، وهلال بن يساف إنما أخرج له البخارى تعليقًا كما فى « التقريب » وقصر فى عزوه الهيثمى فقال فى « المجمع » (١٠٩/١) « رواه الطبرانى فى « الكبير » ورجاله ثقات » .

[١] - في ت : « سهيل » .
[٢] - في خ : « خيثمة » .
[٣] - سقط من : ت .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

رسول الله ﷺ .

ثم رواه أحمد أيضا والنسائي وابن مردويه من حديث منصور بإسناده مثله .

(حديث آخر) تقدم من رواية عمر بن المغيرة(٣١٧) ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ أنه قال : « الإضرار في الوصية من الكبائر » والصحيح ما رواه غيره ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قوله[١] . قال ابن أبي حاتم : وهو الصحيح [عن ابن عباس من قوله][٢] .

(حديث آخر في ذلك) قال ابن جرير(٣١٨) : حَدَّثَنَا أبو كريب ، حَدَّثَنَا أحمد بن عبد الرحمن ، حَدَّثَنَا عباد بن عباد ، عن جعفر بن الزبير ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، أن ناسا[٣] من أصحاب النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم ذكروا الكبائر وهو متكئ فقالوا : الشرك بالله ، وأكل مال اليتيم ، والفرار من الزحف ، وقذف المحصنة ، وعقوق الوالدين ، وقول الزور ، والغلول[٤] ، والسحر ، وأكل الربا . فقال رسول الله ﷺ : « **فأين تجعلون ﴿ الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنًا قليلًا ﴾** إلىٰ آخر الآية » .

وفي إسناده ضعف ، وهو حسن .

(ذكر[٥] أقوال السلف في ذلك)

قد تقدم ما روي عن أمير المؤمنين عمر وعلي - رضي الله عنهما - في ضمن الأحاديث المذكورة ، وقال ابن جرير(٣١٩) : حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حَدَّثَنَا ابن علية ، عن ابن

(٣١٧) - تقدم تخريجه آية ١٢/ رقم ١٣٥، ١٤٠.

(٣١٨) - تفسير ابن جرير (٩٢٢٦/٨) وعزاه السيوطى فى « الدر المنثور » (٢٦٤/٢) إلى « ابن جرير بسند حسن » وقال المصنف هنا : « فى إسناده ضعف ، وهو حسن » وهو أضبط من كلام السيوطى ؛ فإن متنه له شواهد يصحح بها فضلاً عن التحسين ، أما إسناده فإنه ضعيف جدًّا وعلته « جعفر بن الزبير » هذا فقد تركه أبو حاتم والنسائى والدارقطنى وغيرهم وقال ابن معين : « ليس بثقة » وقال البخارى : « تركوه » ونقل ابن الجوزى الإجماع على أنه « متروك » وقال ابن عدى : « عامة أحاديثه لا يتابع عليها ، والضعف على حديثه بيّن » .

(٣١٩) - تفسير ابن جرير (٩٢٣٠/٨) وعزاه السيوطى فى « الدر المنثور » (٢٦١/٢) إلى « ابن جرير بسند حسن » وفيه انقطاع بين الحسن وعمر ، كما قال المصنف إلا « أن مثل هذا اشتهر فتكفى شهرته » .

[١] - سقط من : ت .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - في ت : « أناسا » .

[٤] - في خ : « والغول » .

[٥] - في خ : « ولتذكر » .

عون ، عن الحسن ، أن ناسًا سألوا عبد اللَّه بن عمرو بمصر ، فقالوا : نرىٰ أشياء من كتاب اللَّه - عز وجل - أمر أن يعمل بها ، لا يعمل بها فأردنا أن نلقىٰ أمير المؤمنين في ذلك ، فقدم وقدموا معه ، فلقيه عمر - رضي اللَّه عنه - ، فقال : متىٰ قدمت؟ فقال : منذ كذا وكذا . قال : أبإذن قدمت؟ قال : فلا أدري كيف رد عليه . فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن ناسًا لقوني بمصر ، فقالوا : إنا نرىٰ أشياء في[١] كتاب اللَّه أمر أن يعمل بها فلا يعمل بها ، فأحبوا أن يلقوك في ذلك . فقال : اجمعهم لي . [فجمعهم][٢] له . قال : ابن عون : أظنه قال : في بهو . فأخذ أدناهم رجلا ، فقال : نشدتك باللَّه وبحق الإسلام عليك ، أقرأت القرآن كله؟ قال : نعم . قال : فهل أحصيته في نفسك؟ فقال : اللَّهم لا . قال : ولو قال نعم لخصمه . قال : فهل أحصيته في بصرك؟ فهل أحصيته في لفظك؟ هل أحصيته في أثرك ؟ ثم تتبعهم حتىٰ أتىٰ علىٰ آخرهم ، قال : فثكلت عمر أمه أتكلفونه أن يقيم الناس علىٰ كتاب اللَّه[٣] ، قد علم ربنا أنه ستكون لنا سيئات . قال : وتلا ﴿ **إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم** ﴾ الآية . ثم قال : هل علم أهل المدينة ؟ أو قال : هل علم أحد بما قدمتم ؟ قالوا : لا . قال : لو علموا لوعظت بكم .

إسناد حسن ومتن حسن ، وإن كان من رواية الحسن عن عمر ، وفيها انقطاع إلا أن مثل هذا اشتهر فتكفي شهرته . وقال ابن أبي حاتم(٣٢٠) : حَدَّثَنَا أحمد بن سنان ، حَدَّثَنَا أبو أحمد - يعني الزبيري - ، حَدَّثَنَا علي بن صالح ، عن عثمان بن المغيرة ، عن مالك بن جوين ، عن علي - رضي اللَّه عنه - قال : الكبائر: الإشراك باللَّه ، وقتل النفس ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة ، والفرار من الزحف ، والتعرب بعد الهجرة ، والسحر ، وعقوق الوالدين ، وأكل الربا ، وفراق الجماعة ، ونكث الصفقة .

وتقدم عن ابن مسعود أنه قال : أكبر الكبائر الإشراك باللَّه ، واليأس[٤] من روح اللَّه ، والقنوط من رحمة اللَّه ، والأمن من مكر اللَّه - عز وجل - .

(٣٢٠) - تفسير ابن أبي حاتم (٥٢١٢/٣) ورجاله ثقات من رجال « التهذيب » غير « مالك بن جوين » ويقال : « مالك بن الجون » وثقه ابن حبان - « الثقات » (٣٨٥/٥) - وذكره البخاري في « التاريخ الكبير » (٣٠٦/٧) ، وابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٢٠٧/٨) ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلاً .

[١] - في خ : « من » .

[٢] - في ت : « قال : فجمعتهم » .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - في خ : « والإياس » .

وروىٰ ابن جرير(٣٢١) من حديث الأعمش ، عن أبي الضحىٰ ، عن مسروق والأعمش ، عن إبراهيم عن علقمة ، كلاهما عن ابن مسعود ، قال : الكبائر من أول سورة النساء إلىٰ ثلاثين آية منها . ومن حديث سفيان الثوري وشعبة عن عاصم بن أبي النجود ، عن زر بن حبيش ، عن ابن مسعود ، قال : الكبائر من أول سورة النساء إلىٰ ثلاثين آية منها ، ثم تلا ﴿ **إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه** ﴾ الآية .

قال ابن أبي حاتم(٣٢٢) : حَدَّثَنَا المنذر بن شاذان ، حَدَّثَنَا يعلى بن عبيد[١] حَدَّثَنَا صالح بن حيان ، عن ابن بريدة ، عن أبيه قال : أكبر الكبائر الشرك باللَّه وعقوق الوالدين ومنع فضول الماء بعد الري ، ومنع طروق الفحل إلا بجعل .

وفي الصحيحين(٣٢٣) عن النبي ﷺ أنه قال : « **لا يمنع فضل[٢] الماء ليمنع به الكلأ** » .

(٣٢١) - أخرج هذه الطرق وغيرها ابن جرير في تفسيره (٨/ ٩١٦٨، ٩١٧٨) حاشا طريق سفيان الثورى عن عاصم بن أبى النجود - فلم أجده عنده - وإنما رواه أيضًا مع شعبة مسعر بن كدام عن عاصم به ، ومن طريق مسعر رواه أيضًا الطبرانى فى « المعجم الكبير » (٨٥٠٤/٩) وكذا رواه البزار فى مسنده (٤/ ١٥٣٢) (٥٩/١) (١٤٥٧/٢) (مختصر زوائد البزار لابن حجر) وابن أبى حاتم فى تفسيره (٥٢١٤/٣) من طريقين عن الأعمش عن إبراهيم به ، وذكره الهيثمى فى « المجمع » (٧/٧) وقال : « رواه البزار ورجاله رجال الصحيح » ولم ينسبه إلى الطبرانى ، وزاد نسبته السيوطى فى « الدر المنثور » (٢٦٥/٢) إلى عبد بن حميد .

(٣٢٢) - تفسير ابن أبى حاتم (٥٢١٣/٣) وصالح بن حيَّان - وهو القرشى ويقال : الفِرَاسِيُّ الكوفيُّ - ضعفه ابن معين وأبو داود ، وقال أبو حاتم : « شيخ ليس بالقوى » ، وقال النسائى والدولابى : « ليس بثقة » وقال البخارى : « فيه نظر » وقال أبو حاتم بن حبان : « يروى عن الثقات أشياء لا تشبه حديث الأثبات ، لا يُعْجبنى الاحتجاج به إذا انفرد » مترجم فى « التهذيب » واستنكر له ابن عدى أحاديث فى « الكامل » (١٣٧٣/٤) وقال : « عامة ما يرويه غير محفوظ » وقد اضطرب فرواه عنه يعلى بن عبيد هكذا موقوفًا ، ورواه عنه عمر بن علي المقَدَّمي به مرفوعًا دون قوله : « إلا بجعل » أخرجه من هذا الوجه البزار (١/رقم ١٠٧/ كشف الأستار) (٥٦/١ / مختصر الزوائد لابن حجر) وقال البزار : « لا نعلم رفعه إلا بريدة ، ولا رواه عن صالح إلا عمر » وعمر ثقة من رجال الشيخين فالعلة إذن فى صالح نفسه . وقد ذكر الحديث الهيثمى فى « المجمع » (١١٠/١) ، « رواه البزار وفيه صالح بن حيان وهو ضعيف ولم يوثقه أحد » وضعف إسناده السيوطى فى « الدر المنثور » (٢٦٤/٢) وزاد نسبته إلى ابن المنذر .

(٣٢٣) - أخرجه البخارى ، كتاب الحرث والمزارعة ، باب :من قال إن صاحبَ الماء أحقُّ بالماء حتى يَرْوَى ... (٢٣٥٣) ، ومسلم ، كتاب المساقاة ، باب :تحريم بيع فضل الماء (٣٦، ٣٧) (١٥٦٦) وكذا أخرجه أحمد (٢/ ٢٤٤، وفى غير موضع) وأبو داود (٣٤٧٣) والترمذى (١٢٧٢) =

[١] - في ت : « عبيدة .   [٢] - في خ : « فضول » .

وفيهما(٣٢٤) عن النبي ﷺ أنه قال : « **ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ؛ رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه ابن السبيل** » . وذكر [الحديث بتمامه][1] .

وفي مسند الإمام أحمد(٣٢٥) من حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، مرفوعًا : « **من منع فضل الماء وفضل الكلأ منعه الله فضله يوم القيامة** » .

وقال ابن أبي حاتم (٣٢٦) : حَدَّثَنَا الحسين بن محمد بن شيبة[2] الواسطي ، حَدَّثَنَا أبو أحمد ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : ما أخذ على النساء من الكبائر . قال ابن أبي حاتم : يعني قوله تعالى : ﴿ **على أن لا يشركن بالله شيئًا ولا يسرقن** ﴾ الآية .

وقال ابن جرير (٣٢٧) : حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حَدَّثَنَا ابن علية ، حَدَّثَنَا زياد بن مخراق ، عن معاوية بن قرة ، قال أتينا[3] أنس بن مالك ، فكان فيما حَدَّثَنَا قال : لم أر مثل الذي بلغنا عن

= وابن ماجة (٢٤٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣٢٤) - أخرجه البخاري ، كتاب المساقاة ، باب :إثم من منع ابن السبيل من الماء (٢٣٥٨) ، ومسلم ، كتاب الإيمان باب :بيان غلظ تحريم إسبال الإزار (١٧٣، ١٧٤) (١٠٨) وكذا أخرجه أبو داود (٣٤٧٤، ٣٤٧٥) ، والترمذي (١٥٩٥) ، والنسائي (٢٤٦/٧) ، وابن ماجة (٢٢٠٧، ٢٨٧٠) وأحمد (٢٥٣/٢ وفي غير موضع) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣٢٥) - « المسند » (١٧٩/٢) ثنا إسماعيل وفي (٢٢١/٢) ثنا عفان ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، كلاهما (إسماعيل وحماد) عن ليث بن أبي سليم عن عمرو بن شعيب به ، وليث ضعيف لاختلاطه لكن تابعه الأعمش ؛ قال ابن حجر في « التلخيص الحبير » (٧٦/٣) : « رواه الطبراني في « الصغير » من حديث الأعمش عن عمرو بن شعيب ، وقال : لم يرو الأعمش عن عمرو غيره » وله طريق آخر أخرجه أحمد (١٨٣/٢) ثنا أبو النضر ، ثنا محمد - يعني ابن راشد - عن سليمان بن موسى أن عبد الله بن عمرو كتب إلى عامل له ... فذكر الحديث ، وذكره من هذه الطريق الهيثمي في « المجمع » (١٢٧/٤) وقال : « رواه أحمد وفيه محمد بن راشد الخزاعي وهو ثقة وقد ضعفه بعضهم » ثم إنه منقطع بين سليمان بن موسى وابن عمرو ، لكن حسنه الألباني بمجموع الطريقين وذكر له شاهدًا من حديث أبي هريرة ، فراجع « الصحيحة » (١٤٢٢/٣) .

(٣٢٦) - تفسير ابن أبي حاتم (٥٢١٨/٣) وإسناده صحيح لولا عنعنة الأعمش ، وذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٢٦٤/٣) وزاد نسبته إلى ابن مردويه .

(٣٢٧) - تفسير ابن جرير (٩٢٣١/٨) وقد تقدم تخريجه هنا برقم (٢٨٠) .

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « تمام الحديث » .

[٢] - في ت : « شنبة » . [٣] - في ت : « أتيت » .

ربنا تعالى ثم لم تخرج له عن كل أهل ومال . ثم سكت هنيهة ثم قال : والله [لما كلفنا][١] ربنا أهون من ذلك لقد[٢] تجاوز لنا عما دون الكبائر [فما لنا ولها][٣] . وتلا ﴿ **إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه** ﴾ الآية .

(أقوال ابن عباس في ذلك)

روىٰ ابن جرير(٣٢٨) من حديث المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن طاوس ، قال : ذكروا عند ابن عباس الكبائر ، فقالوا : هي سبع . فقال : هي[٤] أكثر من سبع وسبع قال : سليمان فلا[٥] أدري كم قالها من مرة .

وقال ابن أبي حاتم(٣٢٩) : حَدَّثَنَا أبي ، حَدَّثَنَا قبيصة ، حَدَّثَنَا سفيان ، عن ليث ، عن طاوس ، قال : قلت لابن عباس ما السبع الكبائر ؟ قال : هي إلىٰ السبعين أقرب منها إلىٰ السبع .

[ورواه ابن جرير ، عن ابن حميد ، عن جرير عن ليث ، عن طاوس ، قال : جاء رجل إلىٰ ابن عباس ، فقال : أرأيت الكبائر السبع التي ذكرهنّ الله ما هنّ ؟ قال : هن إلىٰ السبعين أدنىٰ منهن إلىٰ سبع][٦] .

وقال عبد الرزاق (٣٣٠) : أنا معمر ، عن ابن[٧] طاوس ، عن أبيه ، قال : قيل لابن عباس : الكبائر سبع؟ قال : هن إلىٰ السبعين أقرب . وكذلك[٨] قال : أبو العالية الرياحي رحمه الله ..

وقال ابن جرير(٣٣١) : حدّثنا المثنىٰ حَدَّثَنَا أبو حذيفة ، حَدَّثَنَا شبل ، عن قيس بن سعد ، عن

(٣٢٨) - تفسير ابن جرير (٩٢٠٣/٨) حدثني محمد بن عبد الأعلى قال : حدثنا معتمر به ، وأخرجه أيضًا (٩٢٠٤/٨) حدثني يعقوب بن إبراهيم قال : حدثنا ابن علية عن سليمان التيمى به نحوه .

(٣٢٩) - تفسير ابن أبى حاتم (٥٢١٦/٣) ورواه ابن جرير (٩٢٠٨/٨) ثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير عن ليث به ، وليث هو ابن أبى سليم ضعف لاختلاطه ، لكنه متابع كما تقدم ويأتى .

(٣٣٠) - تفسير عبد الرزاق (١٥٥/١) ومن طريقه ابن جرير (٩٢٠٩/٨) والبيهقى فى « الشعب » (١/رقم ٢٩٤) .

(٣٣١) - تفسير ابن جرير (٩٢٠٧/٨) وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره (٥٢١٧/٣) من طريق زيد بن أبى الزرقاء ثنا شبل به ، وإسناده صحيح رجاله كلهم ثقات من رجال « التهذيب » .

[١] - ما بين المعكوفتين في خ : « ما خلقنا » .
[٢] - في ت : « إنه » .
[٣] - ما بين المعكوفتين من : ت .
[٤] - سقط من : ت .
[٥] - في خ : « فما » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٧] - سقط من : ت .
[٨] - في ت : « وكذا » .

سعيد بن جبير : أن رجلًا قال : لابن عباس : كم الكبائر ؟ سبع ؟ قال : هي إلىٰ سبعمائة أقرب منها إلىٰ سبع ، غير أنه لا كبيرة مع استغفار ، ولا صغيرة مع إصرار . وهكذا[١] رواه ابن أبي حاتم من حديث شبل به .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، في قوله : ﴿ **إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه** ﴾ قال : الكبائر كل ذنب ختمه اللَّه بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب . رواه ابن جرير(٣٣٢) .

وقال ابن أبي حاتم(٣٣٣) : حَدَّثَنَا علي[٢] بن حرب الموصلي ، حَدَّثَنَا ابن فضيل ، حَدَّثَنَا شبيب[٣] ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ،قال : الكبائر[٤] : كل ما وعد اللَّه عليه النار كبيرة ، وكذا قال سعيد بن جبير والحسن البصري .

وقال ابن جرير(٣٣٤) : حدثني يعقوب ، حَدَّثَنَا ابن علية ، أخبرنا أيوب ، عن محمد بن سيرين ، قال : نبئت[٥] أن ابن عباس كان يقول : كل ما نهىٰ اللَّه عنه كبيرة . وقد ذكرت الطرفة ، قال : هي النظرة .

وقال أيضًا(٣٣٥) : حَدَّثَنَا أحمد بن حازم ، أخبرنا أبو نعيم ، حَدَّثَنَا عبد اللَّه بن معدان ، عن أبي الوليد قال : سألت ابن عباس عن الكبائر ، قال : كل شيء عصي اللَّه فيه فهو كبيرة .

(٣٣٢) - تفسير ابن جرير (٩٢١٢/٨) ومن طريق على بن أبى طلحة أخرجه أيضًا البيهقى فى « الشعب » (٢٩٠/١) .

(٣٣٣) - تفسير ابن أبى حاتم (٥٢١٥/٣) .

(٣٣٤) - تفسير ابن جرير (٩٢٠٢/٨) وأخرجه أيضًا (٩٢٠١) حدثنا أبو كريب ثنا هشيم عن منصور عن ابن سيرين به نحوه ، وأخرجه البيهقى فى « الشعب » (٢٩٢/١) و (٧١٥٠/٥) من طرق عن محمد بن سيرين به .

(٣٣٥) - تفسير ابن جرير (٩٢١٠/٨) ووقع فيه « عبد اللَّه بن سعدان » قال الشيخ شاكر فى « الحاشية » : « عبد اللَّه بن سعدان » لم أعرفه ولم أجده . و « أبو الوليد » كذلك لم أجده . وأخشى أن يكون فيهما تحريف أو سقط ، وأما ابن كثير فقد كتب « عبد اللَّه بن معدان » ولم أجده أيضًا » . قلت : فى الرواة عن ابن عباس اثنان كلاهما يكنى بأبى الوليد هما « بركة المجاشعى » و « عبد اللَّه بن الحارث الأنصارى » وكلاهما ثقة من رجال « التهذيب » غير أنهم لم يذكروا فى الرواة عنهما من اسمه « عبد اللَّه بن معدان أو سعدان » واللَّه أعلم . والخبر ذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٢٦١/٢) وعزاه إلى ابن جرير عن أبى الوليد به .

[١] - في ت : « وكذا » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في تفسير ابن أبي حاتم : أشعث .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في ت : « نبئنا » .

(أقوال التابعين)

قال ابن جرير(٣٣٦) : حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثني ابن علية ، عن ابن عون ، عن محمد ، قال : سألت عبيدة عن الكبائر فقال : الإشراك باللَّه ، وقتل النفس التي حرم اللَّه بغير حقها ، والفرار يوم الزحف ، وأكل مال اليتيم بغير حقه ، وأكل الربا ، والبهتان . قال : ويقولون أعرابية بعد هجرة . قال ابن عون : فقلت لمحمد : فالسحر؟ قال : إن البهتان يجمع شرًا كثيرًا .

وقال ابن جرير (٣٣٧) : حدثني محمد بن عبيد المحاربي ، حَدَّثَنَا أبو الأحوص سلام بن سليم ، عن أبي إسحاق ، عن عبيد بن عمير ، قال : الكبائر سبع ، ليس منهن كبيرة إلا وفيها آية من كتاب اللَّه ، الإشراك باللَّه منهن ﴿ **ومن يشرك باللَّه فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح** ﴾ الآية . و﴿ **إن الذين يأكلون أموال اليتامىٰ ظلمًا ، إنما يأكلون في بطونهم نارًا** ﴾الآية . و﴿ **الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس** ﴾ . ﴿ **والذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات** ﴾ . والفرار من الزحف ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفًا** ﴾ الآية ، والتعرب بعد الهجرة : ﴿ **إن الذين ارتدّوا علىٰ أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدىٰ** ﴾ . وقتل المؤمن ﴿ **ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها** ﴾ الآية .

وكذا رواه ابن أبي حاتم من[١] حديث أبي إسحاق عن عبيد [بن عمير][٢] بنحوه .

---

(٣٣٦) - تفسير ابن جرير (٩١٨٢/٨) ومحمد هو ابن سيرين وعَبيدة هو السَّلْمَاني ، وأخرجه ابن جرير أيضًا (٩١٨٣) من طريقين عن ابن سيرين به نحوه .

(٣٣٧) - تفسير ابن جرير (٩١٨٠/٨) وأخرجه أيضًا (٩١٨١) ثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن منصور عن ابن إسحاق به . كذا وقع في تفسير ابن جرير في الموضعين « ابن إسحاق » وجزم الشيخ شاكر في « الحاشية » بأنه « محمد بن إسحاق » والذى هنا وفى جميع النسخ وكذا في تفسير ابن أبى حاتم حيث أخرجه (٣/ ٥٢٠٣، ٥٢٠٤) من طريق (مطرف وإسرائيل) كلاهما عن أبى إسحاق به ، ولم يذكر المزى وغيره « عبيد بن عمير » فى شيوخ أيٍّ من « ابن إسحاق أو أبى إسحاق » غير أن أبا إسحاق وإن كان مدلسًا يخشى من عنعنته فهو الصواب ، ففضلاً عن أن عنعنته هنا لا تضر - حيث رواه عنه حفيده إسرائيل وهو من أثبت الناس فيه - فإن عبيد بن عمير توفى قبل ابن عمر ، وابن إسحاق لم ير غير أنس من الصحابة ، وقد توفى ابن إسحاق سنة مئة وخمسين من الهجرة ، بينما أبو إسحاق قد سمع من عدد من الصحابة ، وتوفى سنة مئة وتسع وعشرين واللَّه أعلم .

---

[١] - في ت : « أيضا في » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

وقال ابن جرير (٣٣٨) : حَدَّثَنَا المثنىٰ ، حَدَّثَنَا أبو حذيفة ،حَدَّثَنَا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن عطاء يعني ابن أبي رباح ، قال : الكبائر سبع : قتل النفس ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، ورمي المحصنة ، وشهادة الزور ، وعقوق الوالدين ، والفرار من الزحف .

وقال ابن أبي حاتم (٣٣٩) : حَدَّثَنَا أبو زرعة ، حَدَّثَنَا عثمان بن أبي شيبة ، حَدَّثَنَا جرير ، عن مغيرة ، قال : كان يقال : شتم أبي بكر وعمر - رضي اللَّه عنهما - من الكبائر .

قلت : وقد ذهب طائفة من العلماء إلىٰ تكفير من سب الصحابة ، وهو رواية عن مالك بن أنس رحمه اللَّه . وقال محمد بن سيرين : ما أظن أحدًا يبغض[١] أبا بكر ، و[٢] عمر وهو يحب رسول اللَّه ﷺ . رواه الترمذي (٣٤٠) .

وقال ابن أبي حاتم أيضًا (٣٤١) : حَدَّثَنَا يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني عبد اللَّه بن عياش ، قال قال زيد بن أسلم في قول اللَّه - عز وجل - : ﴿ **إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه** ﴾ . من الكبائر : الشرك باللَّه والكفر بآيات اللَّه ورسله ، والسحر ، وقتل الأولاد ، ومن دعا للَّه ولدًا أو صاحبة ، ومثل ذلك من الأعمال ، والقول الذي لا يصلح معه عمل . وأما كل ذنب يصلح معه دين ، ويقبل معه عمل فإن اللَّه يغفر السيئات بالحسنات .

قال ابن جرير (٣٤٢) : حَدَّثَنَا بشر بن معاذ ، حدّثنا يزيد ، حَدَّثَنَا سعيد ، عن قتادة ﴿ **إن**

---

(٣٣٨) - تفسير ابن جرير (٩١٨٦/٨) .

(٣٣٩) - تفسير ابن أبى حاتم (٥٢٠٦/٣) ومغيرة هو ابن حكيم الصنعانى « ثقة » من رجال « التهذيب » .

(٣٤٠) - « الجامع » للترمذى ، كتاب المناقب ، باب :فى مناقب عمر بن الخطاب رضى اللَّه عنه (٣٦٨٥) وقال الترمذى : « حديث حَسَنٌ غَرِيبٌ » وفى إسناده عبد اللَّه بن داود الواسطىُّ أبو محمد التَّمَّار . ضعفه النسائى والدارقطنى ، وقال البخارى : « فيه نظر » وقال أبو حاتم : ليس بقوى ، فى حديثه مناكير . وقال الحاكم أبو أحمد : ليس بالمتين عندهم . وقال ابن عدى : وهو ممن لا بأس به إن شاء اللَّه تعالى . وقال محمد بن المثنى : « كان ما علمته صاحب سنة » وقال ابن حبان : « منكر الحديث جدًّا يروى المناكير عن المشاهير لا يجوز الاحتجاج بروايته » .

(٣٤١) - تفسير ابن أبى حاتم (٥٢١٩/٣) وعبد اللَّه بن عياش هو أبو حفص المِصْرِيُّ ضعفه أبو داود والنسائى وقال أبو حاتم : « ليس بالمتين ، صدوق يكتب حديثه وهو قريب من ابن لهيعة » وقال ابن يونس : « منكر الحديث » وذكره ابن حبان فى « الثقات » راجع « التهذيب » .

(٣٤٢) - تفسير ابن جرير (٩٢٣٢/٨) وإسناده صحيح إلى قتادة غير أن المرفوع منه مرسل كما هو =

---

[١] - في ت : « ينتقص » . [٢] - سقط من : ت .

تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ﴾ الآية : إنما وعد اللّٰه المغفرة لمن اجتنب الكبائر ، وذكر لنا أن [نبي اللّٰه] ﷺ قال : « اجتنبوا الكبائر ، وسددوا ، وأبشروا » وقد روىٰ ابن مردويه(٣٤٣) من طرق ، عن أنس ، وعن جابر مرفوعًا : « **شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي** » . ولكن في إسناده من جميع طرقه ضعف ، إلا ما رواه عبد الرزاق(٣٤٤) ، أخبرنا معمر ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : قال رسول اللّٰه ﷺ « **شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي** » فإنه إسناد صحيح علىٰ شرط الشيخين ، وقد رواه أبو عيسىٰ الترمذي منفردًا به من هذا الوجه عن [عباس][١] العنبري عن عبد الرزاق ، ثم قال : هذا حديث حسن صحيح .

= بَيِّن ، وقد وصله أحمد فى « المسند » (٣٩٤/٣) ثنا حسن ، ثنا ابن لهيعة ، ثنا أبو الزبير عن جابر مرفوعًا ، به ، وذكره الهيثمى فى « المجمع » (١/ ١٠٧، ١٠٨) وقال : « رواه أحمد وفيه ابن لهيعة » وهو سيئ الحفظ غير أن الحديث مُعَلٌّ قبله بعنعنة أبي الزبير وحسنه الألبانى بمرسل قتادة هذا فسوَّد به الحديث رقم (٨٨٥) من « الصحيحة » .

(٣٤٣) - حديث أنس يأتى تخريجه عقب هذا . وأما حديث جابر فأخرجه الترمذى ، كتاب صفة القيامة ، باب :رقم (١١) (ح ٢٤٣٦) وابن خزيمة فى « التوحيد » (٣٩٥/٢) والآجرى فى « الشريعة » (٢/ ٨٣٠، ٨٣١) والحاكم فى « المستدرك » (٦٩/١) شاهدًا وأبو نعيم فى « الحلية » (٣/ ٢٠٠، ٢٠١) من طرق عن أبي داود الطيالسي - وهو فى مسنده - عن محمد بن ثابت البنانى عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر مرفوعًا به ، وقال الترمذى : « هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه يستغرب من حديث جعفر بن محمد » وقال أبو نعيم : « هذا حديث غريب من حديث جعفر ومحمد بن ثابت لم يروه عنه إلا أبو داود ...» وهو ثقة حافظ غير أن شيخه البنانى ضعيف ؛ كما فى « التقريب » لكنه توبع ؛ فأخرجه ابن ماجة ، كتاب الزهد ، باب :ذكر الشفاعة (٤٣١٠) ، والبيهقى فى « البعث والنشور » (رقم ١) وفى « الشعب » (٣١٢/١) من طريق الوليد بن مسلم ، وابن خزيمة (٣٩٦/٢) وابن حبان (٦٤٦٧/١٤) ، والحاكم (٦٩/١) ، مصححا له على شرط مسلم ، والبيهقى فى « الشعب » (١/ ٣١١) من طريق عمرو بن أبي سلمة كلاهما (الوليد وعمرو) عن زهير بن محمد عن جعفر بن محمد به ، وزهير ثقة روى له الجماعة غير أن رواية أهل الشام عنه غير مستقيمة وهذه منها لكنه متابع كما تقدم ، وله شاهد من حديث أنس وهو الآتى وآخر من حديث ابن عباس يأتى سورة فاطر / آية ٣٢.

(٣٤٤) - ومن طريق عبد الرزاق رواه الترمذى (٢٤٣٥) وابن خزيمة فى « التوحيد » (٣٩٢) وابن حبان فى «صحيحه» (٦٤٦٨/١٤) ، والحاكم فى « المستدرك » (٦٩/١) ومن طريقه وطرق أخرى البيهقى فى « الشعب » (١/رقم ٣١٠) وفى « السنن الكبرى » (١٧/٨) وقال الترمذى : « حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه » وقال الحاكم : « حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه بهذا اللفظ ...» ووافقه الذهبى ، وكذا صحح إسناده البيهقى كما فى « كشف الخفاء » للعجلونى (١٠/٢) وقال المصنف : « إسناده صحيح على شرط الشيخين » لكن ردَّ ذلك الشيخ الوادعى فى =

---

[١] - في ت : ابن .

= كتابه « الشفاعة » (ص ٨٦) بناءً على قول ابن معين : « معمر عن ثابت ضعيف » وقوله أيضًا : « معمر عن ثابت وعاصم بن أبي النجود وهشام بن عروة وهذا الضرب كثير الأوهام » ، وقول الحافظ ابن حجر في مقدمة الفتح (ص ٤٤٤) : « أخرج البخارى من روايته عن الزهرى وابن طاوس ... ولم يخرج من روايته عن قتادة ولا ثابت البنانى إلا تعليقًا ...» ولكن له طرق أخرى يصح بها :

١ - فأخرجه الطيالسى فى مسنده (٢٠٢٦) ومن طريقه ابن خزيمة (٣٩٧) والبزار (٣٤٦٩/٤) واللالكائى فى « أصول الاعتقاد » (٢٠٦٤/٦) ثنا الحكم أبو عثمان ونسب ابن خزيمة الحكم فقال : « ابن خزرج » - وتحرف إلى « الجراح بن عثمان » عند البزار - عن ثابت به ، وهذا إسناد صحيح أيضًا ، والحكم وهو ابن خزرج السعدى أبو عثمان وثقه ابن معين « الجرح والتعديل » (١١٦/٣) وقد ذكر الحديث بهذه الرواية الهيثمى فى « المجمع » (٣٨١/١٠) وقال : « رواه البزار والطبرانى فى « الصغير » و « الأوسط » - والأخير من طريق غير هذا يأتى - وفيه الخزرج بن عثمان وثقه ابن حبان « الثقات » (٦/ ٢٧٧) - وضعفه غير واحد ، وبقية رجال البزار رجال الصحيح » . كذا أسماه الهيثمى « الخزرج بن عثمان » وكذا هو فى « أصول الاعتقاد » والصواب المثبت أعلاه ، قارن بين ترجمة الاثنين من « التهذيب » و « الجرح والتعديل » . وأخرجه أبو يعلى فى مسنده (٣٢٨٤/٦) ثنا محمد بن أبى بكر المقدمى ثنا محمد بن ثابت بن عبيد اللّه العصرى ثنا ثابت به ، ومحمد بن ثابت قال أبو زرعة وأبو حاتم : « ليس بالقوى » « الجرح والتعديل » (٢١٧/٧) ورواه ابن أبى عاصم فى « السنة » (٨٣٢/٢) ثنا المقدمى ثنا محمد بن عبيد اللّه القطان ثنا ثابت به ، ومحمد بن عبيد اللّه هذا لم أهتد لترجمته ولم يعرفه الألبانى ، وأخشى أن يكون هو نفسه الأول . واللّه أعلم . وعلى كل فهو متابع وللّه الحمد .

٢ - وأخرجه أحمد (٢١٣/٣) وأبو داود (٤٧٣٩) وابن خزيمة (٣٩٣/٢) ، والآجرى فى « الشريعة » (٨٣٣) والقضاعى فى « مسند الشهاب » (٢٣٦/١) ، والحاكم (٦٩/١) وعنه البيهقى فى « السنن الكبرى » (١٩٠/١٠) كلهم من طريق سليمان بن حرب ، ثنا بسطام بن حريث الصوفى عن أشعث الحدانى عن أنس به ، وهذا إسناد حسن لكلام فى « أشعث الحُدانى » وباقى رجاله ثقات .

٣ - وأخرجه الطبرانى فى « المعجم الكبير » (١/رقم ٧٤٩) وفى « الصغير » (١٦٠/١) ومن طريقه ابن عساكر فى « تاريخ دمشق » (٧٠٢/٥ / مخطوط) من طريق عروة بن مروان العِرْقى - وفى « الصغير » : الرقى ، وكلاهما صواب راجع « لسان الميزان » - ثنا عبد اللّه بن المبارك عن عاصم الأحول عن أنس به . وقال الطبرانى : « لم يروه عن عاصم إلا ابن المبارك تفرد به عروة بن مروان الرقى » وكان من العابدين « إلا أن الدارقطنى قال : « كان أمينًا ، ليس بالقوى فى الحديث » وقال ابن أبى حاتم فى « العلل » (٢١٥٥/٢) : سألت أبى عن حديث حدثنا به - ومن طريق ابن أبى حاتم أخرجه اللالكائى فى « أصول الاعتقاد » (٢٠٦٦/٦) - يونس بن عبد الأعلى عن العرقى - وتصحف فى النسخة المطبوعة تصحفًا فاحشًا - عن ابن المبارك عن عاصم عن أنس ... الحديث ؟ قال : « فسمعت أبى وأبا زرعة يقولان : هذا حديث منكر بهذا الإسناد ، وقال أبى : هذا خطأ إنما هو عاصم عن أنس : « من كذب بالشفاعة أو بالحوض لم تنله » .

٤ - وأخرجه ابن خزيمة (٣٩٤/٢) والحاكم (٦٩/١) شاهدًا من طريق عمر بن سعيد الأبح عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أنس به ، وعمر بن سعيد قال البخارى : « منكر الحديث » « الميزان » للذهبى ،=

وفي الصحيح(٣٤٥) شاهد لمعناه وهو قوله ﷺ : بعد ذكر الشفاعة « **أترونها للمؤمنين المتقين؟ لا ولكنها للخاطئين المتلوّثين** » .

= ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٧/٢٦١) من طريق خلاد بن يحيى ثنا مسعر عن قتادة به ، وفي إسناده دون خلاد من لم أهتد لترجمته والله أعلم .

٥ - وأخرجه أبو يعلى (٧/ ٤١٠٥، ٤١١٥) وعنه ابن عدي في « الكامل » (٤/١٣٧٩) و (٣/١٠٠٣) والآجري في « الشريعة » (٢/ ٨٣٤، ٨٣٦) وابن عدي أيضًا (١/ ٣٤٢، ٤٢٢) من طرق عن يزيد الرقاشي عن أنس به ، ويزيد الرقاشي ضعيف .

٦ - وأخرجه أبو يعلى (٧/٤٣٠٤) ومن طريقه وطريق آخر ابن عدي (٣/ ١٠٤٤، ١٠٤٥) والقضاعي (١/ ٣٧) بإسناد مسلسل باليمين ، وراويه عن أنس زياد النميري وهو ضعيف .

٧ - وأخرجه الطبراني في « الأوسط » (٩/٩١٧٧) وفي « الصغير » (٢/١١٩) من طريق الحسن بن عيسى الحربي ، ثنا روح بن المسيب عن يزيد الرِّشْك عن أنس به ، وقال : « لم يرو هذا الحديث عن يزيد الرشك إلا روح بن المسيب ، تفرد به الحسن بن عيسى » ولم أهتد لترجمته ، وشيخه قال عنه ابن عدي : « أحاديثه غير محفوظة » وقال ابن معين : صويلح ، وقال ابن حبان : « يروى الموضوعات عن الثقات ؛ لا تحل الرواية عنه » .

٨ - وأخرجه ابن أبي عاصم (٢/٨٣١) وابن عدي (٢/٥١٢) من طريقين عن حميد عن أنس به ، وإسناده فيه جهالة أو ضعف .

٩ - وله طريق آخر فقال ابن أبي حاتم في « العلل » (٢/١٧٢٩) : « سألت أبي عن حديث رواه عبد الله بن أبي بكر المقدم عن جعفر بن سليمان - تصحفت إلى سليم - الضبعي عن مالك بن دينار عن أنس بن مالك ، فذكر الحديث وزاد فيه : « ثم قرأ : ﴿ **إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم وندخلكم مدخلًا كريمًا** ﴾ . سمعت أبي يقول : « هذا حديث منكر » قلت : والمتهم به عبد الله بن أبي بكر هذا ، فقد ضعفه ابن عدي « الكامل » ونقل عن شيخه أبي يعلى الموصلي أنه كان كلما ذكره يضعفه ، وقد ترجم له الذهبي في « الميزان » ونقل هذا الحديث وكلام أبي حاتم عليه . وقال أبو زرعة الرازي : « عبد الله بن أبي بكر المقدمي ليس بشيء ، أدركته ولم أكتب عنه » الجرح والتعديل (٥/١٩) وراجع « اللسان » لابن حجر .

(٣٤٥) - كذا عزاه للصحيح ، ولم أجده في أيٍّ من الصحيحين ، وقد رواه ابن ماجة ، كتاب الزهد ، باب :ذكر الشفاعة (٤٣١١) والدارقطني في « الأفراد » (١/٢٨٣) - مستفاد من حاشية « العلل » للدارقطني (٧/٢٢٧) - واللالكائي في « شرح أصول الاعتقاد » (٦/رقم ٢٠٧٥) من طريق إسماعيل بن أبي الحارث ثنا أبو بدر ، ثنا زياد بن خيثمة عن نعيم بن أبي هندٍ عن ربعيِّ بن خراش عن أبي موسى الأشعري مرفوعًا : « خُيِّرْتُ بين الشفاعة وبين أن يدخل نصفُ أمتي الجنة ، فاخترت الشفاعة لأنها أعمُّ وأكفى ، أترونها للمتقين ؟ لا ولكنها للمذنبين ، الخطائين المتلوّثين » . وقال البوصيري في « الزوائد » (٣/٣٢٠) : « إسناده صحيح ...» وقال الدارقطني في « الأفراد » : « غريب من حديث ربعي عنه ، وغريب من حديث نعيم بن أبي هند ، تفرد به زياد بن خيثمة عن نعيم ، وتفرد به أبو بدر عن زياد ،=

وقد اختلف علماء الأصول والفروع في حد الكبيرة ، فمن قائل : هي ما عليه حد في الشرع ، ومنهم من قال هي ما عليه وعيد مخصوص[١] من الكتاب والسنة . وقيل غير ذلك .

= وتفرد به إسماعيل بن أبي الحارث عن أبي بدر ، وغيره يرسله ولا يذكر فيه أبا موسى » ورواه أحمد في « المسند » (٧٥/٢) وابن أبي عاصم في « كتاب السنة » (٧٩١/٢) من طريق مُعَمَّر بن سليمان الرقي أبو عبد الله ، ثنا زياد بن خيثمة عن علي بن النعمان بن قُراد عن رجلٍ عن عبد الله بن عمر مرفوعًا به ، نحوه ، ورواه الحسن بن عرفة - ومن طريقه اللالكائي (٦/ ٢٠٧٣، ٢٠٧٤) - أنا عبد السلام بن حرب الملائي عن زياد بن خيثمة عن النعمان بن قراد عن ابن عمر به ، وعزاه المنذري في « الترغيب والترهيب » (٤٤٨/٤) إلى أحمد والطبراني وجوَّد إسناده ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٣٨١/١٠) - وتحرف فيه عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن عمرو - وقال : « رواه أحمد والطبراني ... ورجال الطبراني رجال الصحيح ، غير النعمان بنِ قراد وهو ثقة » قلت : لم يوثقه غير ابن حبان (٤٧٤/٥) وهو معروف بتساهله ، ثم إن الحديث مُعَل بالاضطراب في إسناده على زياد بن خيثمة ، فقد قال أبو الحسن الدارقطني في « العلل » (٧/ ٢٢٦، ٢٢٧) : « يرويه زياد بن خيثمة ، واختلف عنه فرواه أبو بدر شجاع بن الوليد عن زياد بن خيثمة عن نعيم بن أبي هند قال : أحسبه عن أبي موسى ، قال ذلك إسماعيل بن أبي الحارث عن أبي بدر ، وغيره يرويه عن أبي بدر مرسلاً ، لا يذكر فيه أبا موسى . ورواه عبد السلام بن حرب عن زياد بن خيثمة عن نعمان بن قراد عن ابن عمر عن النبي ﷺ وقال ابن الأصبهاني : عن عبد السلام عن زياد عن نعمان بن قراد عن نافع عن ابن عمر . ورواه معمر بن سليمان عن زياد بن خيثمة عن علي بن النعمان بن قراد عن رجل عن ابن عمر . وليس فيها شيء صحيح » ولهذا كان من نصيب « العلل المتناهية » لابن الجوزي (٢/ ١٥٣٧، ١٥٣٨) ومع هذا فقد اجتهد الشيخ شاكر في تصحيحه فقال في حاشية « المسند » (٧/ ٢٢٦، ٢٢٧) (رقم ٥٤٥٢) : « وأنا أرجح من كل هذا أن الرواية الصحيحة عن زياد بن خيثمة عن النعمان بن قراد عن ابن عمر » وأن إسناده صحيح ، أما الرواية التي هنا - رواية أحمد السابقة - فهي بين أن تكون خطأ من معمر بن سليمان الرقي شيخ الإمام أحمد ، وبين أن يكون زياد بن خيثمة سمع الحديث من النعمان بن قراد عن ابن عمر ومن ابنه « علي بن النعمان بن قراد » عن رجل مبهم عن ابن عمر ، ولعل هذا المبهم هو أبوه « النعمان » وأنا أكاد أرجح هذا الرأي الأخير : أن زيادًا سمعه من النعمان ومن ابنه على الوجهين ، فرواه مرة هكذا ، ومرة هكذا اهـ . أو على فرض صحة هذا الاجتهاد القوي ، فإن « النعمان بن قراد » لم يوثقه غير ابن حبان وذكره البخاري في « التاريخ الكبير » (٧٨/٨) وقال : « نعمان بن قراد عن ابن عمر روى عنه زياد بن خيثمة ، وقال بعضهم : علي بن نعمان ابن قراد » وبنحو ذلك قال ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٨/ ٤٤٦، ٤٤٧) وأما « قراد » أبو النعمان فلم أر له ذكرًا في كتب الرجال . والله أعلم .

[١] - في خ : « مخصوصة » .

قال أبو القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعي في كتابه الشرح الكبير الشهير في كتاب الشهادات منه : ثم اختلف الصحابة - رضي الله عنهم - فمن بعدهم في الكبائر وفي الفرق بينها وبين الصغائر ، ولبعض الأصحاب في تفسير الكبيرة وجوه :

(أحدها) : أنها المعصية الموجبة للحد .

(والثاني) : أنها المعصية التي يلحق صاحبها الوعيد الشديد بنص كتاب أو سنة . وهذا أكثر ما يوجد لهم ، وهو وإلىٰ الأول أميل ، ولكن الثاني أوفق لما ذكروه عند تفسير الكبائر .

(والثالث) : قال إمام الحرمين في الإِرشاد وغيره : كل جريمة تنبئ بقلة اكتراث مرتكبها بالدين ورقة الديانة فهي مبطلة للعدالة .

(والرابع) : ذكر القاضي أبو سعيد الهروي : أن الكبيرة : كل فعلٍ نص الكتاب علىٰ تحريمه ، وكل معصية توجب في جنسها حدًّا من قتل أو غيره ، وترك كل فريضة مأمور بها علىٰ الفور ، والكذب في الشهادة والرواية واليمين .

هذا ما ذكره[١] علىٰ سبيل الضبط .

ثم قال : وفصل القاضي الروياني فقال : الكبائر سبع : قتل النفس بغير الحق ، والزنا ، واللواط ، وشرب الخمر ، والسرقة ، وأخذ المال غصبًا ، والقذف .زاد في « **الشامل** » علىٰ السبع المذكورة . شهادة الزور. وأضاف إليها صاحب « **العدة** » : أكل الربا ، والإِفطار في رمضان بلا عذر ، واليمين الفاجرة ، وقطع الرحم ، وعقوق الوالدين ، و الفرار من الزحف ، وأكل مال اليتيم ، والخيانة في الكيل والوزن ، وتقديم الصلاة علىٰ وقتها ، وتأخيرها عن وقتها بلا عذر ، وضرب المسلم بلا حق ، والكذب على النبي صلى الله عليه وسلم عمدًا ، وسب أصحابه وكتمان الشهادة بلا عذر ، وأخذ الرشوة ، والقيادة بين الرجال والنساء ، والسعاية عند السلطان ، ومنع الزكاة ، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع القدرة ، ونسيان القرآن بعد تعلمه ، وإحراق الحيوان بالنار ، وامتناع المرأة من زوجها بلا سبب ، واليأس من رحمة اللّٰه ، والأمن من مكر اللّٰه ، ويقال : الوقيعة في أهل العلم وحملة القرآن . ومما يعد من الكبائر- الظهار ، وأكل لحم الخنزير والميتة إلا عن ضرورة .

ثم قال الرافعي : وللتوقف مجال في بعض هذه الخصال .

---

[١] - في خ : « ذكروه » .

قلت : وقد صنف الناس في الكبائر مصنفات ، منها ما جمعه شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي الذي بلغ نحوًا من سبعين كبيرة ، وإذا قيل : إن الكبيرة ، ما توعد عليها الشارع بالنار بخصوصها كما قال ابن عباس وغيره - وتتبع ذلك اجتمع منه شيء كثير ، وإذا قيل : كل ما نهىٰ الله عنه فكثير جدًّا ، والله أعلم .

انتهى بحمد الله وتوفيقه الجزء الثالث

ويليه إن شاء الله تعالى الجزء الرابع وأوله تفسير قوله تعالى :

وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾

تفسير القرآن العظيم

للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء
إسماعيل بن كثير الدمشقي
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

هذه الطبعة أول طبعة مقابلة على النسخة الأزهرية
وكذلك على نسخة كاملة بدار الكتب المصرية

تحقيق

مصطفى السيد محمد — محمد السيد رشاد
محمد فضل العجماوي — علي أحمد عبد الباقي
حسن عباس قطب

المجلد الرابع

مؤسسة قرطبة
طباعة . نشر . توزيع
جيزة - ت : ٥٨١٥٠٢٧

مكتبة أولاد الشيخ للتراث
٣٦ ش اليابان - عمرانية غربية - جيزة
ت : ٥٦٢٨٣١٨ - ٥٦١١٤٤٢

رقم الإيداع : ٩٣٤٩ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولى : I.S.B.N
977 - 5234 - 33 - 6

الطبعة الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر هاتف : ٤٣٠٧٥٢٦ - ٢٠٥٥٦٨٨ القاهرة

تفسير
القرآن العظيم

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِۦ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾

قال الإمام أحمد(٣٤٦) : حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : قالت أم سلمة : يا رسول اللّه ، يغزو الرجال ولا نغزو ولنا نصف الميراث ، فأنزل اللّه : ﴿ **ولا تتمنوا ما فضل اللّه به بعضكم علىٰ بعض** ﴾ .

ورواه الترمذي(٣٤٧) عن ابن أبي عمر ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن أم سلمة ، أنها قالت : قلت : يا رسول اللّه ، فذكره . وقال : غريب(*) .

ورواه بعضهم(٣٤٨) عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : أن أم سلمة قالت : [يا رسول اللّه .

(٣٤٦) - « المسند » (٦/٣٢٢) وسفيان هو ابن عيينة ، وعنه أيضًا أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/١٥٦) ومن طريق عبد الرزاق ابن جرير في تفسيره (٨/٩٢٤١) ، وأخرجه ابن جرير أيضًا (٩٢٣٦) من طريق مؤمل ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٢٣/٦٠٩) من طريق ابن كثير كلاهما عن سفيان - ويحتمل أن يكون ابن عيينة أو الثوري - به ، وأخرجه ابن جرير أيضًا (٩٢٣٧) من طريق معاوية بن هشام ، وابن أبي حاتم فى تفسيره (٣/٥٢٢٤) من طريق يعلى بن عبيد كلاهما عن سفيان الثورى به . وظاهر هذه الرواية الإرسال ؛ لأن معناها أن مجاهدًا يحكي من قبل نفسه ما قالته أم سلمة للنبى ﷺ فيكون مرسلًا لأنه لم يدرك ذلك ، وجاء برواية أخرى تحتمل الاتصال وهي الآتية .

(٣٤٧) - « الجامع » للترمذي ، كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة النساء (٣٠٢٢) وأخرجه الحاكم فى « المستدرك » (٢/ ٣٠٥، ٣٠٦) من طريق قبيصة ، ثنا سفيان به ، وقال : « حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين إن كان سمع مجاهد من أم سلمة » ثم جزم بعد ذلك بسماع مجاهد من أم سلمة فأخرجه (٢/٤١٦) من طريق الحسين بن حفص ، ثنا سفيان بن سعيد به ، وقال الحاكم : « حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي ، لكن قال الترمذي : « هذا حديث مرسل » ، وتعقبه الشيخ شاكر فى حاشية تفسير ابن جرير (٨/٢٦٣) - بأنه « جَزْمٌ بلا دليل ، ومجاهد أدرك أم سلمة يقينًا وعاصرها ، فإنه ولد سنة ٢١، وأم سلمة ماتت بعد سنة ٦٠ على اليقين ، والمعاصرة - من الراوي الثقة - تحمل على الاتصال إلا أن يكون الراوي مدلسًا ، ولم يزعم أحدٌ أن مجاهدًا مدلس ، إلا كلمة قالها القطب الحلبى فى شرح البخاري ، حكاها عنه الحافظ فى « التهذيب » ثم عقب عليها بقوله : « ولم أر من نسبه إلى التدليس » فثبت عندنا اتصال الحديث وصحته والحمد للّه » والخبر زاد نسبته السيوطي فى « الدر المنثور » (٢/٢٦٦) إلى عبد بن حميد ، وسعيد بن منصور ، وابن المنذر .

(٣٤٨) - أخرجه من هذا الوجه إسحاق بن راهوية فى مسنده (٤/رقم ١٨٧٠) أخبرنا سفيان - وهو ابن عيينة - عن ابن أبي نجيح به .

فذكره][١] .

ورواه ابن أبي حاتم(٣٤٩) ، وابن جرير ، وابن مردويه والحاكم في مستدركه من حديث الثوري وعن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : قالت أم سلمة : يا رسول الله ؛ لا نقاتل فنستشهد ، ولا نقطع الميراث ؟ فنزلت : ﴿ **ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن** ﴾ ، ثم [أنزل الله][٢] : ﴿ **أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى** ﴾ الآية .

ثم قال ابن أبي حاتم(٣٥٠) : وكذا روى سفيان بن عيينة ، يعني عن ابن أبي نجيح [بهذا اللفظ ، وروى يحيى القطان ، ووكيع بن الجراح ، عن الثوري ، عن ابن أبي نجيح][٣] ، عن مجاهد ، عن أم سلمة ، قالت[٤] : قلت : يا رسول الله ... وروي عن مقاتل بن حيان وخصيف نحو ذلك .

وروى ابن جرير(٣٥١) من حديث ابن جريج ، عن عكرمة ، ومجاهد أنهما قالا : أنزلت[٥] في أم سلمة .

وقال عبد الرزاق (٣٥٢) : أخبرنا معمر ، عن شيخ من أهل مكة ، قال[٦] : نزلت هذه الآية في قول النساء : ليتنا الرجال ، فنجاهد كما يجاهدون ، ونغزو في سبيل الله عز وجل !

وقال ابن أبي حاتم أيضًا (٣٥٣) : حدثنا[٧] أحمد بن القاسم بن عطية ، حدثني أحمد بن

(٣٤٩) - تفسير ابن أبي حاتم (٥٢٢٤/٣) وهذا لفظه . وكذا أخرجه ابن جرير (٩٢٣٧/٨) من طريق معاوية ابن هشام عن سفيان الثوري بهذا الإسناد . وأخرجه الحاكم (٢/ ٣٠٦، ٤١٦) من طريق (قبيصة والحسين ابن حفص) عن سفيان الثوري به غير أنه قال : « عن مجاهد عن أم سلمة » .

(٣٥٠) - تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٥٢٢٤، ٥٢٢٥) .

(٣٥١) - تفسير ابن جرير (٩٢٤٤/٨) وذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٢٦٧/٢) ولم ينسبه لغير ابن جرير .

(٣٥٢) - تفسير عبد الرزاق (١٥٦/١) .

(٣٥٣) - تفسير ابن أبي حاتم (٥٢٢٣/٣) وجعفر بن أبي المغيرة وثقه أحمد ، وابن حبان ، وقال ابن منده : « ليس بالقوي في سعيد بن جبير » وفي « التقريب » : « صدوق يهم » .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « نزلت » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.

[٤] - سقط من : ز ، خ.

[٥] - في ز ، خ : « نزلت ».

[٦] - في ز : « قالت » .

[٧] - في خ : « قال ».

عبد الرحمن ، [حدثني أبي][١] ، حدثنا الأشعث بن إسحاق ، عن جعفر يعني ابن أبي المغيرة ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس في الآية[٢] ﴿ **ولا تتمنوا ما فضل اللّه به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن** ﴾ ، قال : أتت امرأة إلىٰ[٣] النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم فقالت : يا رسول اللّه للذكر مثل حظ الأنثيين ، وشهادة امرأتين برجل ، أفنحن في العمل هكذا ، إن عملت[٤] امرأة حسنة كتبت لها نصف حسنة ؟ فأنزل اللّه هذه الآية : ﴿ **ولا تتمنوا** ﴾ الآية فإنه عدل مني وأنا صنعته .

وقال السدي قوله :[٥] ﴿ **ولا تتمنوا ما فضل اللّه به بعضكم على بعض** ﴾ : [إن رجالا][٦] قالوا : إنا نريد أن يكون لنا من الأجر الضعف علىٰ أجر النساء ، كما لنا في السهام[٧] سهمان . وقالت النساء : إنا نريد أن يكون لنا أجر مثل أجر الرجال الشهداء ؛ فإنا لا نستطيع أن نقاتل ، ولو كتب علينا القتال لقاتلنا ، فأبى اللّه ذلك ، ولكن قال لهم : سلوني من فضلي ، قال : ليس بعرض الدنيا .

وقد روي عن قتادة نحو ذلك، وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في ﴿ **ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض** ﴾ قال[٨] : ولا يتمنىٰ الرجل فيقول : ليت لو أن لي مال فلان وأهله ، فنهىٰ اللّه عن ذلك ولكن ليسأل اللّه من فضله .

وكذا[٩] قال [الحسن و] محمد بن سيرين [وعطاء ، والضحاك] نحو هذا[١٠] ، وهو الظاهر من الآية ، ولا يرد علىٰ هذا ما ثبت[١١] في الصحيح (٣٥٤) : « **لا حسد إلا في اثنتين ؛ رجل آتاه اللّه مالاً فسلطه علىٰ هلكته في الحق ، فيقول رجل : لو أن لي مثل ما لفلان لعملت مثله ، فهما في الأجر سواء** » . فإن هذا شيء غير ما نهت [عنه الآية] ، وذلك أن الحديث حض[١٢] علىٰ تمني مثل نعمة هذا ، والآية نهت عن تمني عين نعمة هذا ،

(٣٥٤) – تقدم تخريجه سورة البقرة / آية ٢٦٩.

[١] – ما بين المعكوفتين مكرر في ز .
[٢] – في ز : « قوله » .
[٣] – سقط من : ز ، خ .
[٤] – في ت : « فعلت » .
[٥] – في ت : « في الآية » .
[٦] – ما بين المعكوفتين في ز : « فإن الرجال » .
[٧] – سقط من : خ .
[٨] – في ز : « يقول » .
[٩] – سقط من : ت .
[١٠] – في خ : « ذلك » .
[١١] – سقط من : خ .
[١٢] – في ز : « خط » .

يقول : ﴿ **ولا تتمنوا ما فضل اللّٰه به بعضكم علىٰ بعض** ﴾ أي : في الأمور الدنيوية ، وكذا الدينية ، أيضًا[١] لحديث أم سلمة وابن عباس ، وهكذا قال عطاء بن أبي رباح : نزلت في النهي عن تمني ما لفلان ، وفي تمني النساء أن يكن رجالًا فيغزون .

رواه ابن جرير (٣٥٥) .

ثم قال : ﴿ **للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن** ﴾ أي : كل له جزاء[٢] علىٰ عمله بحسبه ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًّا فشر وهو[٣] قول ابن جرير .

وقيل : المراد بذلك في الميراث ، أي : كل يرث بحسبه . رواه الترمذي عن ابن عباس .

ثم أرشدهم إلىٰ ما يصلحهم فقال : ﴿ **واسئلوا اللّٰه من فضله** ﴾ لا تتمنوا ما [فضل الله][٤] به بعضكم علىٰ بعض ، فإن هذا أمر محتوم ، أي : إن التمني لا يجدي شيئًا ، ولكن سلوني من فضلي أعطكم ، فإني كريم وهاب .

وقد روىٰ الترمذي وابن مردويه (٣٥٦) من حديث حماد بن واقد ، سمعت إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد اللّٰه بن مسعود قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **سلوا اللّٰه من فضله ، فإن اللّٰه يحب أن يسأل ، وإن أفضل العبادة انتظار الفرج** » .

ثم قال الترمذي : كذا رواه حماد بن واقد ، وليس بالحافظ . ورواه أبو[٥] نعيم ، عن

(٣٥٥) - تفسير ابن جرير (٩٢٤٥/٨) .

(٣٥٦) - « الجامع » للترمذي ، كتاب الدعوات ، باب :في انتظار الفرج وغير ذلك (٣٥٧١) ، وأخرجه أيضًا الطبراني فى « المعجم الكبير » (١٠٠٨٨/١٠) وفى « الأوسط » (٥١٦٩/٥) وفى « كتاب الدعاء » (٢/رقم ٢٢) - ومن طريق الطبراني المزي فى « تهذيب الكمال » (٧/ ٢٩١، ٢٩٢) - وابن عدي فى « الكامل » (٦٦٥/٢) ومن طريقه البيهقي فى « الشعب » (١١٢٤/٢) - وابن أبي الدنيا فى « القناعة والتعفف » (ج ورقة ١٠٦/ ١ من مجموع الظاهرية ٩٠) وعبد الغني المقدسي في « الترغيب في الدعاء » (٨٩/٢) - المصدران الأخيران من « الضعيفة » للألباني (١/رقم ٤٩٢) - كلهم من طريق حماد بن واقد الصفار به . وقال الطبراني : « لم يرو هذا الحديث عن أبي إسحاق إلا إسرائيل ، تفرّد به .=

[١] - سقط من : ت . [٢] - سقط من : ت .

[٣] - في ت : « هذا » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ت : « فضلنا » .

[٥] - في ز ، خ : « ابن » .

إسرائيل ، عن حكيم بن جبير ، [عن رجل ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم وحديث أبي نعيم أشبه أن يكون أصح .

وكذا رواه ابن مردويه من حديث وكيع ، عن إسرائيل ، ثم رواه من حديث قيس بن الربيع ، عن حكيم بن جبير][١] ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **سلوا اللَّه [من فضله][٢] ، [فإن اللَّه][٣] يحب أن يسأل ، وإن أحب [عباد اللَّه إلىٰ اللَّه][٤] الذي يحب الفرج** » .

ثم قال : ﴿ **إن اللَّه كان بكل شيء عليمًا** ﴾ أي : هو عليم بمن يستحق الدنيا ، فيعطيه منها ، وبمن يستحق الفقر ، فيفقره ، وعليم بمن يستحق الآخرة فيقيضه[٥] لأعمالها ، وبمن يستحق الخذلان فيخذله عن تعاطي الخير وأسبابه ، ولهذا قال : ﴿ **إن اللَّه كان بكل شيء عليمًا** ﴾ .

وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

= حماد بن واقد ، ولا يُروى عن ابن مسعود إلا بهذا الإسناد » وقال ابن عدي : « وهذا الحديث لا أعلم يرويه بهذا الإسناد غير حماد بن واقد عن إسرائيل عن أبي إسحاق » والحديث نقله العجلوني في « كشف الخفاء » (٤٠٧/١) وقال : « رواه الترمذي ، وقال العراقي : ضعيف وحسنه الحافظ ابن حجر ، وحماد ابن واقد هذا ضعفه ابن معين وقال البخاري : « منكر الحديث » ، وقال أبو زرعة : « لين الحديث » وقال ابن عدي : « عامة ما يرويه مما لا يتابعه الثقات عليه » وقد خالفه أبو نعيم وهو الفضل بن دكين – ووكيع كما ذكره المصنف هنا – ومن طريق وكيع أخرجه ابن جرير في تفسيره (٩٢٥٧/٨) فرواه عن إسرائيل عن حكيم بن جبير عن رجل عن النبي ﷺ قال الترمذي : « حديث أبي نعيم أشبه أن يكون أصح » لكن حكيم بن جبير أشدُّ ضعفًا من ابن واقد – راجع ترجمته في « التهذيب » – ثم إنه اختلف عليه فيه كما بينه المصنف – انظر أعلاه . ولشطره الأخير شاهد من حديث أنس عند البزار (٣١٣٨/٤/ كشف الأستار) ، وابن عدي في « الكامل » (٥٠٨/٢) ، (١١٤١/٣) والقضاعي في « مسند الشهاب » (٢/ ١٢٨٣) وغيرهم . وفي إسناده سليمان بن سلمة الخَبَائِري ، قال أبو حاتم : « متروك الحديث لا يشتغل به » وقال ابن الجنيد : « كان يكذب » ، « الجرح والتعديل » (٤/ ١٢١، ١٢٢) .

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من: خ .

[٢] – ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ .

[٣] – ما بين المعكوفتين في ز : « فإنه » .

[٤] – ما بين المعكوفتين في ز : « عباده إليه » .

[٥] – في ز : « فيقضه » .

قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وأبو صالح وقتادة وزيد بن أسلم والسدي والضحاك ومقاتل بن حيان وغيرهم في قوله : ﴿ **ولكل جعلنا موالي** ﴾ أي : ورثة . وعن ابن عباس في رواية : أي : عصبة . قال ابن جرير : والعرب تسمي ابن العم مولىٰ ، كما قال الفضل بن عباس :

مهلا بني [عمنا مهلا][١] موالينا لا تظهرن لنا ما كان مدفونا

قال : ويعني بقوله ﴿ **مما ترك الوالدان والأقربون** ﴾ من تركة والديه وأقربيه من الميراث ، فتأويل الكلام : ولكلكم أيها الناس جعلنا عصبة يرثونه مما ترك والداه وأقربوه من ميراثهم له .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم** ﴾ أي : والذين تحالفتم بالأيمان المؤكدة أنتم وهم ، فآتوهم نصيبهم من الميراث ، كما وعدتموهم في الأيمان المغلظة ، إن اللَّه شاهد بينكم في تلك العهود والمعاقدات ، وقد كان هذا في ابتداء الإسلام ، ثم نسخ بعد ذلك ، وأمروا أن يوفوا لمن عاقدوا ولا ينشئوا بعد نزول هذه الآية معاقدة .

قال البخاري(٣٥٧) : حدثنا الصلت بن محمد ، حدثنا أبو إسامة ، عن إدريس ، عن طلحة ابن مصرف ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ **ولكل جعلنا موالي** ﴾ قال : ورثة . ﴿ **والذين عقدت أيمانكم** ﴾ كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجري الأنصاري دون ذوي رحمه للأخوّة التي آخىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم بينهم ، فلما نزلت : ﴿ **ولكل جعلنا موالي** ﴾ نسخت ثم قال : ﴿ **والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم** ﴾ من النصر والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث ، ويوصي له .

ثم قال البخاري : سمع أبو أسامة إدريس ، وسمع إدريس من[٢] طلحة .

وقال ابن أبي حاتم (٣٥٨) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة ، حدثنا إدريس

---

(٣٥٧) - صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، باب : ﴿ **ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والأقربون** ﴾ (٤٥٨٠) وكتاب الكفالة (٢٢٩٢) وأخرجه أيضًا ، كتاب الفرائض ، باب :ذوي الأرحام (٦٧٤٧) حدثنى إسحاق بن إبراهيم وأبو داود ، كتاب الفرائض ، باب :نسخ ميراث العقد بميراث الرحم (٢٩٢٢) والنسائي فى « التفسير » من « الكبرى » (١١٠٣/٦) - ومن طريقه النحاس فى « الناسخ والمنسوخ » (ص ٣٣١) - ثنا هارون بن عبد اللَّه ، كلاهما (إسحاق وهارون) نا أبو أسامة به نحوه وانظر مابعده .

(٣٥٨) - تفسير ابن أبى حاتم (٥٢٣٦/٣) وأخرجه ابن جرير (٨/ ٩٢٧٥، ٩٢٧٧) ثنا أبو كريب ، والحاكم فى « المستدرك » (٣٠٦/٢) من طريق أبي جعفر أحمد بن عبد الحميد الحارثي ، والبيهقي في=

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « عم سهلًا » . [٢] - في ت : «عن» .

الأودي ، أخبرنا طلحة بن مصرف ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله : ﴿ **والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم** ﴾ قال : كان المهاجرون حين قدموا المدينة يرث المهاجري الأنصاري دون ذوي رحمه بالأخوة التي آخىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بينهم فلما نزلت [هذه الآية][١] : ﴿ **ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون** ﴾ نسخت[٢] ثم قال : ﴿ **والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم** ﴾ .

وحدثنا الحسن بن محمد بن الصباح(٣٥٩) ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج وعثمان بن عطاء ، [عن عطاء][٣] ، عن ابن عباس ، قال : ﴿ **والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم** ﴾ فكان الرجل قبل الإسلام يعاقد الرجل ، ويقول[٤] : ترثني وأرثك ، وكان الأحياء يتحالفون ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **كل حلف كان في الجاهلية أو عقد أدركه الإسلام فلا يزيده الإسلام إلا شدة ، ولا عقد ولا حلف في الإسلام** » . فنسختها هذه الآية ﴿ **وأولوا الأرحام بعضهم أولىٰ ببعض في كتاب الله** ﴾ .

ثم قال : وروي عن سعيد بن جبير[٥] ، ومجاهد ، وعطاء ، والحسن ، و[ابن المسيب][٦] وأبي صالح ، وسليمان بن يسار ، والشعبي ، وعكرمة ، والسدي ، والضحاك ، وقتادة ، ومقاتل ابن حيان أنهم قالوا : هم الحلفاء .

وقال الإمام أحمد(٣٦٠) : حدثنا عفان ، حدثنا شريك ، [عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس

= « السنن الكبرى » (٢٩٦/١٠) من طريق عثمان بن أبي شيبة ، ثلاثتهم (أبو كريب وأبو جعفر وعثمان) ثنا أبو أسامة به . وقال الحاكم : « حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي، ووهما فى استدراكه فقد أخرجه البخاري كما تقدم آنفًا وانظر الآتي برقم (٣٧٤) .

(٣٥٩) - تفسير ابن أبي حاتم (٥٢٣٧/٣) وعطاء هو ابن أبي مسلم الخراساني لم يسمع من ابن عباس قاله الدارقطني وغيره ، وأخرجه ابن جرير (٩٢٦٨/٨) والنحاس فى « الناسخ والمنسوخ » (ص ٣٣٣) من طريق معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس به نحوه ، وهذا إسناد حسن ، وعلى بن أبى طلحة إن لم يكن سمع من ابن عباس ، فمعروف الواسطة بينهما وهما « القاسم بن محمد ومجاهد » كما قال أبو حاتم انظر « جامع التحصيل » للعلائي (ص ٢٤١) - وله طريق آخر عن ابن عباس عند ابن جرير (٩٢٧٤/٨) لكنه مسلسل بالضعفاء أولهم « عطية العوفي » والمرفوع من الخبر يأتى من طرق أخرى .

(٣٦٠) - « المسند » (٣٢٩/١) وأخرجه أيضًا (٣١٧/١) ثنا حجاج ، والدارمى فى سننه =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٢] - في ز : « فنسخت » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : ويقول .
[٥] - في ز : « المسيب » .
[٦] - في ز : « سعيد بن جبير » .

ورفعه قال: «**ما كان من حلف في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا حدة وشدة**[١]» .

وقال ابن جرير(٣٦١) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا وكيع ، عن شريك ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم . وحدثنا أبو كريب ، حدثنا مصعب بن المقدام ، عن إسرائيل بن[٢] يونس ، عن محمد بن عبد الرحمن مولىٰ آل طلحة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **لا حلف في الإسلام ، وكل حلف كان في الجاهلية فلم يزده الإسلام إلا شدة ، وما يسرني أن لي حمر النعم وأني نقضت الحلف الذي كان في دار الندوة** » . هذا[٣] لفظ ابن جرير .

وقال ابن جرير أيضا[٤] (٣٦٢) : وحدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن علية ، [عن عبد

=(٢/رقم ٢٥٢٩) والطبراني في « المعجم الكبير » (١١٧٤٠/١١) من طريق أبي نعيم ، وأبو يعلى في مسنده (٢٣٣٦/٤) - وعنه ابن حبان في صحيحه (٤٣٧٠/١٠) - ثنا جعفر بن حميد الكوفي ، وابن جرير في تفسيره (٩٢٨٩/٨) من طريق وكيع ، أربعتهم (حجاج وأبو نعيم وجعفر ووكيع) عن شريك به وعند الجميع - خلا أحمد - زيادة « لا حلف في الإسلام » وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٧٦/٨) -بهذه الزيادة وقال : « رواه أبو يعلى وأحمد باختصار ، ورجالهما رجال الصحيح » وهو كما قال إلا أن هذا لا يعني تصحيحه ، لأن شريكا ضعف لسوء حفظه ، ورواية سماك عن عكرمة مضطربة ، لكنه صح من طريق آخر وهو الآتي ، وقصر في عزوه السيوطي جدًّا فلم يعزه في « الدر المنثور » (٢٧٠/٢) لغير عبد بن حميد ، وزاد نسبته ابن حجر في « الفتح » (٤٧٣/٤) إلى عمرو بن شبة في « كتاب مكة » .

(٣٦١) - تفسير ابن جرير (٩٢٩٠/٨) والإسناد الأول منه ضعيف وقد تقدم بيانه في السابق ، وأما الإسناد الثاني فإسناد صحيح رجاله كلهم ثقات من رجال « التهذيب » ، وأخرج الطبراني في « المعجم الكبير » (١١٧٧٨/١١) - الجزء الأخير منه « مايسرني » من طريق عبدان بن أحمد ثنا مسروق بن المرزبان ثنا ابن أبي زائدة عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس به ، وهو إسناد ضعيف أيضًا لضعف رواية سماك عن عكرمة وتحرف « مسروق بن المرزبان » وهو صدوق له أوهام كما في « التقريب » إلى « مرزوق بن المرزبان » عند الهيثمي في « المجمع » (١٧٥/٨) فقال : « رواه الطبراني وفيه مرزوق بن المرزبان ولم أعرفه ، وبقية رجاله رجال الصحيح » .

(٣٦٢) - تفسير ابن جرير (٩٢٩٦/٨) وإسناده حسن رجاله كلهم ثقات غير عبد الرحمن بن إسحاق فمتكلم فيه وهو « صدوق » كما في « التقريب » ، وانفرد يعقوب بن إبراهيم عن ابن علية بزيادة مرسل الزهري ومعناه صحيح يشهد له ما سبق وما يأتي ، والحديث أخرجه أحمد (١٩٣/١) ومن طريقه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٤/ ١٩٦، ١٩٧) والبخاري في « الأدب المفرد » (٥٦٧) من طريق عبد اللّٰه بن محمد بن إبراهيم ، وأبو يعلى في مسنده (٨٤٦/٢) من طريق أبي خيثمة ، وابن حبان في صحيحه (٤٣٧٣/١٠) من طريق أبي بكر بن أبي شيبة ، وابن عدي في « الكامل » (١٦١٠/٤) =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ.
[٢] - في ز ، خ: «عن».
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من : ز .

الرحمن بن إسحاق ،عن الزهري ، عن محمد بن جبير ، بن مطعم ، عن أبيه][١] ، عن عبد الرحمن بن عوف أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **شهدت حلف المطيبين وأنا غلام مع عمومتي ، فما أحب أن لي حمر النعم وأني أنكثه** » قال الزهري : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لم يصب الإسلام حلفًا إلا زاده شدة** » . قال : « **ولا حلف في الإسلام** » . وقد ألف النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم بين قريش والأنصار .

وهكذا رواه الإمام أحمد(٣٦٣) عن بشر بن المفضل ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن الزهري بتمامه .

= ومن طريق البيهقي فى « دلائل النبوة » (٢/ ٣٧، ٣٨) من طريق أبي عبد الرحمن الأذرمي ، والحاكم فى « المستدرك » (٢/ ٢١٩، ٢٢٠) من طريق مسدد ، والبيهقي فى « السنن الكبرى » (٣٦٦/٦) من طريق مؤمل بن هشام سبعتهم (أحمد وعبد اللَّه وأبو خيثمة وأبو بكر وأبو عبد الرحمن ومسدد ومؤمل) عن إسماعيل بن علية به دون ذكر مرسل الزهري فى رواياتهم وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي وذكره الهيثمي فى « المجمع » (١٧٥/٨) وقال : « رواه أحمد وأبو يعلى والبزار ورجال حديث عبد الرحمن بن عوف رجال الصحيح وكذلك مرسل الزهري » وانظر ما بعده .

(٣٦٣) - « المسند » (١٩٠/١) وفيه مرسل الزهرى ومن طريق أحمد ابن عدى فى « الكامل » (١٦١٠/٤) وأخرجه البزار فى مسنده (١٠٠٠/٣/ البحر الزخار) وأبو يعلى (٨٤٥/٢) والبيهقي فى « السنن الكبرى » (٣٦٦/٦) من طريق بشر بن المفضل به دون ذكر مرسل الزهرى ، وقال البزار : « هذا الحديث لا نعلم رواه إلاعبد الرحمن بن عوف وقد روي عن عبد الرحمن بن عوف من غير وجه ، وهذا الإسناد أحسن إسنادًا يروى فى ذلك عن عبد الرحمن بن عوف ، ولا روى جبير عن عبد الرحمن إلا هذا الحديث » ويتعقب كلام البزار ربما رواه ابن حبان فى صحيحه (٤٣٧٤/١٠) والبيهقى فى « السنن الكبرى » (٣٦٦/٦) من حديث أبي هريرة - بإسناد لا بأس به فى الشواهد - بلفظ حديث عبد الرحمن ابن عوف سواءً .

وهذا الحديث رواه أبو يعلى أيضًا (٨٤٤/٢) وابن عدى (١٦١٠/٤) من طريق وهب بن بقية ثنا خالد الواسطى عن عبد الرحمن بن إسحاق به ولم يقل فيه : « عن أبيه » وسُئل عن هذا الحديث أبو الحسن الدارقطنى كما فى كتابه « العلل » (٢٦١/٤) فقال : « يرويه عبد الرحمن بن إسحاق عن الزهري عن محمد بن جبير عن أبيه حدث به عنه بشر بن المفضل ، وإسماعيل بن علية وإبراهيم بن طهمان وخارجة ابن مصعب وخالد الواسطى واختلف عنه فقيل : عنه عن محمد بن جبير عن عبد الرحمن ولم يذكر فيه أباه جبيرًا .

قال أبو حاتم بن حبان عقب حديثى عبد الرحمن بن عوف وأبي هريرة : « أضمر فى هذين الخبرين « مِنْ » يُريد به : شهدت من حلف المطيَّبين لأنه ﷺ لم يشهد حلف المطيبين لأن حلف المطيبين =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

حدثني[١] يعقوب بن إبراهيم (٣٦٤) ، حدثنا هشيم ، أخبرنا مغيرة ، عن أبيه ، عن شعبة بن التوأم ، عن قيس بن عاصم ، أنه سأل النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم عن الحلف قال : فقال : « **ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به ، ولا حلف في الإِسلام** » . وهكذا[٢] رواه أحمد ، عن هشيم ،

وحدثنا أبو كريب (٣٦٥) ، حدثنا وكيع ، عن داود بن أبي عبد اللَّه ، عن ابن جدعان ، عن

= كان قبل مولد رسول اللَّه ﷺ وإنما شهد رسول اللَّه ﷺ حلف الفضول وهم من المطيبين .

(٣٦٤) - تفسير ابن جرير (٩٢٩٢/٨) ، وأخرجه أحمد (٦١/٥) - ومن طريقه الطبراني فى « المعجم الكبير » (٨٦٤/١٨) ثنا هشيم به ، وأخرجه الطيالسي فى مسنده (١٠٨٤) والحميدي (١٢٠٦/٢) ، والبزار (١٩١٥/٢) كشف الأستار ، وابن جرير أيضًا (٩٢٩١/٨) والطحاوي فى « مشكل الآثار (٢/ ٢٣٩) وابن حبان في صحيحه (٤٣٦٩/١٠) والطبراني (٨٦٤/١٨) من طرق عن جرير بن عبد الحميد ، وعبد اللَّه بن أحمد فى زوائده على « المسند » (٦١/٥) ، والطبراني (٨٦٥/١٨) والقضاعي فى « مسند الشهاب » (٨٤١/٢) من طريق شعبة ، كلاهما (جرير وشعبة) ثنا مغيرة به ، وقال البزار : « لانعلمه يروى عن قيس متصلًا إلا بهذا الإسناد ، وربما أرسله شعبة ، أن قيس بن عاصم سأل » واكتفى الهيثمي فى « المجمع » (١٧٦/٨) بعزوه لأحمد فحسب ، وسود به الألباني حديث رقم (٢٢٦٢) من « الصحيحة » وقال : « إسناده جيد ، رجاله ثقات رجال البخاري ، غير شعبة بن التوأم ، وقد روى عنه جمع من الثقات ، وذكره ابن حبان فى « الثقات » .. ومغيرة هو ابن مقسم بن بُجْرة » وهذا الأخير سبق قلم من الشيخ ، فلا يعرف فى الرواة من اسمه « مغيرة بن مقسم بن بُجرة ، وإنما هو « المغيرة بن مقسم الضبي » وليس فى ترجمة « مقسم بن بجرة » ابن يروى عنه اسمه المغيرة - ثم إن مقسم بن بجرة في طبقة أعلى من الذي هنا - بينما فى ترجمة « المغيرة الضبي » أنه يروى عن أبيه « مقسم الضبي » وقد ترجم الحافظ فى « تعجيل المنفعة » مقسم الضبي وقال : « روى عن النعمان بن بشير ، روى عنه ابنه المغيرة ، ذكره ابن حبان فى « الثقات » ...، وعليه فتجويد الشيخ لإسناده مع قوله : « رجاله ثقات رجال البخاري ...» فليس بجيد إذ إن « مقسم الضبي » مجهول الحال ، لكن الحديث صحيح بشواهده السابقة والآتية ، والحديث عزاه الحافظ ابن حجر فى « الفتح » (٤٧٣/٤) لأحمد وعمر بن شبة .

(٣٦٥) - تفسير ابن جرير (٩٢٩٣/٨) وأخرجه أبو يعلى فى مسنده (٦٩٠٢/١٢) ، ثنا أبو بكر - وهو ابن أبي شيبة - والطبراني فى « المعجم الكبير » (٨٨٨/٢٣) من طريق عثمان بن أبي شيبة ، الأخوان (أبو بكر وعثمان) ثنا وكيع به ، وإسناده يحتمل التحسين ، فإن داود بن أبي عبد اللَّه هذا وثقه ابن حبان « الثقات » - وروى عنه أكثر من واحد ، وقال البخاري حينما سأله الترمذي عنه : « هو مقارب الحديث » وشيخه ابن جُدعان هنا ليس هو « علي بن زيد بن جُدعان » المشهور بذلك عند أهل الشأن ، وإنما هو « عبد الرحمن بن محمد بن زيد بن جدعان » وثقه النسائي وابن حبان وهو مترجم =

[١] - في ز : « وحدثني » . [٢] - في ز : « وكذا » .

جدته ، عن أم سلمة ، أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **لا حلف في الإِسلام ، وما كان من حلف في الجاهلية لم يزده الإِسلام إلا شدة** » .

[وحدثنا أبو كريب (٣٦٦) ، حدثنا يونس بن بكير ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده أن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم قال : لا حلف في الإسلام ، وما كان من حلف في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة][١] .

وحدثنا أبو كريب (٣٦٧) ، حدثنا يونس بن بكير ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، قال : لما كان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بمكة عام الفتح قام

= فى « التهذيب » وأما جدته فهي مجهولة ولا يعرف له اسم ، غير أن الشيخ أبا الأشبال فى حاشيته على ابن جرير ذهب إلى أن جهالتها لا تضر فالغالب أنها صحابية ؛ لأن عبد الرحمن بن محمد تابعي ، روى عن عائشة ، وعن ابن عمر ، فجدته يكاد العارف أن يوقن أنها صحابية أو مخضرمة على الأقل ، والنساء فى تلك العصور ، لم يعرفن باصطناع الروايات ، ولذلك قال الذهبي فى « الميزان » : فصل فى النسوة المجهولات ، وما علمت فى النساء من اتهمت ، ولا من تركوها » اهـ .

والحديث ذكره الهيثمي فى « المجمع » (١٧٦/٨) وقال : « رواه أبو يعلى والطبراني ، وفيه جدة ابن أبي مليكة ولم أعرفها ، وبقية رجاله ثقات » كذا قاله : « جدة بن أبي مليكة » وتسرع بعض المحققين فظن أن هذا خطأ مطبعي أو تحريف من النساخ ، لكن أفاد الشيخ أبو الأشبال أن : « جدة ابن أبي مليكة » هي « جدة ابن جدعان » ، لأن ابن جدعان هنا هو « عبد الرحمن بن محمد بن زيد بن جدعان » فهو ابن أخي « علي بن زيد بن جدعان » وقد نسبوا إلى جدهم الأعلى ، إذ « علي بن زيد » : هو « علي بن زيد بن عبد اللّٰه بن أبي مليكة زهير بن عبد اللّٰه بن جدعان » وإنما الذي اشتهر عند المحدثين باسم « ابن أبي مليكة » فهو « عبد اللّٰه بن عبيد اللّٰه بن عبد اللّٰه بن أبي مليكة زهير ...» وهو ابن عم « علي بن زيد » .

(٣٦٦) – تفسير ابن جرير (٩٢٩٨/٨) وإسناده حسن لولا عنعنة ابن إسحاق وانظر ما بعده .

(٣٦٧) – كذا نقله المصنف وهو نفس الإسناد السابق ، والذي فى تفسير ابن جرير (٩٢٩٧/٨) باللفظ الذي نقله المصنف : ثنا تميم بن المنتصر ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق به ، وأخرجه أحمد فى « المسند » (١٨٠/٢) ثنا يزيد به مطولًا وأخرجه ابن خزيمة فى صحيحه (٢٢٨٠/٤) من طريق عبد الأعلى ، والبيهقي فى « دلائل النبوة » (٨٦/٥) من طريق إبراهيم بن سعد ، كلاهما (عبد الأعلى وإبراهيم) عن ابن إسحاق به مطولًا وليس فيه تصريح ابن إسحاق بالتحديث ، لكنه صرح فى رواية عند أحمد (٢١٦/٢) بسماعه من عمرو بن شعيب لكن ليس فيها اللفظ المراد هنا ، وقد رواه ابن جرير أيضًا (٩٢٩٤/٨) من طريق حسين المعلم ، ثنا أبي – هكذا فى « التفسير » ونبه الشيخ شاكر على أنها زيادة خطأ من الناسخ والصواب إسقاطها وما هنا يؤيده وكذا رواية الترمذي الآتية – عن عمرو بن شعيب =

---

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ .

خطيبًا في الناس فقال : « **يا أيها الناس ، ما كان من حلف في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة ، ولا حلف في الإِسلام** » . ثم رواه من حديث حسين المعلم وعبد الرحمن بن الحارث عن عمرو بن شعيب به .

وقال الإِمام أحمد [(٣٦٨)] : حدثنا عبد اللَّه بن محمد ، حدثنا ابن نمير ، وأبو أسامة ، عن زكريا ، عن سعد بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن جبير بن مطعم قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم : « **لا حلف في الإِسلام ، وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإِسلام إلا شدة** » وهكذا رواه مسلم ، عن عبد اللَّه بن محمد - وهو أبو بكر بن أبي شيبة - بإسناده مثله . ورواه أبو داود عن عثما بن محمد بن أبي شيبة عن محمد بن بشر وابن نمير وأبي أسامة ثلاثتهم ، عن زكريا - وهو ابن أبي زائدة - بإسناده مثله .

ورواه ابن جرير من حديث محمد بن بشر به .

= به ، وكذا رواه الترمذى فى « الجامع » (١٥٨٥) ثنا حميد بن مسعدة ، ثنا يزيد بن زريع ، حدثنا حسين المعلم عن عمرو بن شعيب به ولفظه : « أوفوا بحلف الجاهلية فإنه لا يزيده - يعنى الإسلام - إلا شدة ولا تحدثوا حلفًا فى الإسلام » وقال الترمذي : حديث حسن صحيح ، وفى الباب :عن عبد الرحمن بن عوف وأم سلمة وجبير بن مطعم ، وأبي هريرة وابن عباس ، وقيس بن عاصم » . وأخرجه ابن جرير أيضًا (٩٢٩٩/٨) والبخاري فى الأدب المفرد (٥٧٠) من طريق خالد بن مخلد ، ثنا سليمان بن بلال ، وأحمد (٢٠٥/٢) ثنا موسى بن داود ثنا ابن أبي الزناد ، كلاهما (سليمان وابن أبي الزناد) عن عبد الرحمن بن الحارث عن عمرو بن شعيب به ، وعبد الرحمن بن الحارث ضعفه ابن المديني وتركه أحمد ، وقال النسائي : ليس بالقوي لكن وثقه ابن سعد والعجلي وابن حبان وقال ابن معين : « صالح » وفى روايه « ليس به بأس » وفى التقريب : « صدوق له أوهام » وعلى كل فهو متابع كما تقدم ، وقصر السيوطي فى عزوه فلم يعزه فى « الدر المنثور » لغير ابن جرير وعبد بن حميد .

تنبيه : هذا الحديث عند أبي داود والترمذي - من وجه غير السابق - وابن ماجة من حديث عمرو بن شعيب ، وليس فيه اللفظ المراد هنا ، وقد ذكره ابن حجر فى « الفتح » (٤٧٣/٤) وقال : « أخرجه عمر ابن شبة وأصله فى السنن » ، وباللَّه التوفيق .

(٣٦٨) - « المسند » (٨٣/٤) وأخرجه مسلم ، كتاب فضل الصحابة ، باب : مؤاخاة النبي ﷺ بين أصحابه رضي اللَّه عنهم (٢٠٦) (٢٥٣٠) ، وأبو داود ، كتاب الفرائض ، باب : فى الحلف (٢٩٢٥) ، وابن جرير فى تفسيره (٩٢٩٥/٨) وكذا أخرجه البيهقي فى « السنن الكبرى » (٢٦٢/٦) من طريق أبي داود ، وأخرجه ابن حبان فى صحيحه (٤٣٧١/١٠) من طريق مسروق بن المرزبان ، ثنا ابن أبي زائدة به ، والطبراني فى « المعجم الكبير » (١٥٩٧/٢) من طريق عثمان بن أبي شيبة بإسناد أبي داود أيضًا وانظر ما بعده .

ورواه النسائي(٣٦٩) من حديث إسحاق بن يوسف الأزرق ، عن زكريا ، عن سعد بن إبراهيم ، عن نافع بن جبير بن مطعم ، عن أبيه به .

وقال الإمام أحمد (٣٧٠) : حدثنا هشيم ، قال : أخبرنا[١] مغيرة ، [ ][٢] عن أبيه ، عن شعبة ابن التوأم ، عن قيس بن عاصم ، أنه سأل النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم عن الحلف فقال : « **ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا[٣] به ، ولا حلف في الإسلام** » .

وكذا رواه شعبة ، عن مغيرة - وهو ابن مقسم عن أبيه به .

وقال محمد بن إسحاق ، عن داود بن الحصين ، قال : كنت أقرأ علىٰ أم سعد بنت سعد[٤] ابن[٥] الربيع مع ابن ابنها موسىٰ بن سعد ، وكانت يتيمة في حجر أبي بكر ، فقرأت عليها : ﴿ **والذين عاقدت أيمانكم** ﴾ فقالت : لا ولكن ﴿ **والذين عقدت أيمانكم** ﴾ قالت : إنما نزلت في أبي بكر ، وابنه عبد الرحمن ، حين أبىٰ أن يسلم ، فحلف أبو بكر أن لا يورثه ، فلما أسلم حين حمل علىٰ الإسلام بالسيف أمر اللَّه أن يؤتيه نصيبه .

رواه ابن أبي حاتم(٣٧١) ، وهذا قول غريب ، والصحيح الأول ، وأن هذا كان في ابتداء

---

(٣٦٩) - « السنن الكبرى » للنسائي ، كتاب الفرائض ، باب : الأخوة والحلف (٦٤١٨/٤) أخبرنا عبد الرحمن بن محمد بن سلام الطرسوسي قال : ثنا إسحاق به ، وأخرجه أبو يعلى فى مسنده (٧٤٠٦/١٣) - وعنه ابن حبان فى صحيحه (٤٣٧٢) - من طريق أبي خيثمة زهير بن حرب ، والطبراني فى « المعجم الكبير » (١٥٨٠/٢) من طريق إسماعيل بن سالم الصائغ ، والبيهقي فى « السنن الكبرى » (٢٦٢/٦) من طريق محمد بن عبيد اللَّه بن المنادي . ثلاثتهم (أبو خيثمة وإسماعيل ومحمد) ثنا إسحاق الأزرق به ، وتابع إسحاق الأزرق عليه بهذا الإسناد عبيد اللَّه بن موسى ، ثنا زكريا بن أبي زائدة به أخرجه الحاكم (٢٢٠/٢) وقال : « صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي ، وقال أبو حاتم ابن حبان : « سمع هذا الخبر سعد بن إبراهيم عن أبيه عن جبير ، وسمعه من نافع بن جبير عن أبيه ، فالإسنادان محفوظان » .

(٣٧٠) - « المسند » (٦١/٥) وتقدم تخريجه قريبًا برقم (٣٦٥) .

(٣٧١) - تفسير ابن أبي حاتم (٥٢٣٨/٣) ثنا أبي ، ثنا أبو الأصبغ الحراني ، ثنا محمد بن سلمة ، عن محمد بن إسحاق به ، وأخرجه أبو داود ، كتاب الفرائض ، باب : نسخ ميراث العقد بميراث الرحم (٢٩٢٣) ثنا أحمد بن حنبل ، وعبد العزيز بن يحيى ثنا محمد بن سلمة به ، ومحمد بن إسحاق =

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « أخبرني » .

[٣] - في ز : « تمسكوا » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - سقط من : ز .

الإِسلام يتوارثون بالحلف ، ثم نسخ وبقي تأثير الحلف بعد ذلك ، وإن كانوا قد أمروا أن يوفوا [بالعهود والعقود] والحلف الذي كانوا قد تعاقدوه قبل ذلك ، وتقدم في حديث جبير بن مطعم وغيره من الصحابة : « **لا حلف في الإِسلام ، وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإِسلام إلا شدة** » .

وهذا نص في الرّد علىٰ من ذهب إلىٰ التوارث بالحلف اليوم ، كما هو مذهب أبي حنيفة وأصحابه ، ورواية عن أحمد بن حنبل [رحمه الله] .

والصحيح قول الجمهور ومالك والشافعي وأحمد في المشهور عنه ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ولكل جعلنا موالي مما ترك الوٰلدان والأقربون** ﴾ أي : ورثة[١] من قراباته[٢] : من أبويه وأقربيه . وهم يرثونه دون سائر الناس ، كما ثبت في الصحيحين(٣٧٢) عن ابن عباس أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **ألحقوا الفرائض بأهلها ، [فما بقي][٣] فهو لأولىٰ رجل ذكر** » .

أي : اقسموا الميراث علىٰ أصحاب الفروض[٤] ، الذين ذكرهم الله في آيتي الفرائض ، فما بقي بعد ذلك فأعطوه للعصبة[٥] . وقوله : ﴿ **والذين عقدت[٦] أيمانكم** ﴾ أي : قبل نزول هذه الآية ﴿ فآتوهم نصيبهم ﴾ : أي من الميراث : فأما حلف عقد بعد ذلك فلا تأثير له .

= مدلس ولم يصرح بالتحديث ، وأم سعد بنت سعد بن الربيع صحابية صغيرة أوصى بها أبوها إلى أبى بكر الصديق ، فكانت فى حجره ، ويقال إن : اسمها جميلة ، والخبر لم يعزه السيوطي فى « الدر المنثور » (٢٦٩/٢) لغير أبي داود وابن أبي حاتم .

(٣٧٢) – أخرجه البخارى ، كتاب الفرائض ، باب : ميراث الولد من أبيه وأمه (٦٧٣٢) ، ومسلم ، كتاب الفرائض ، باب : ألحقوا الفرائض بأهلها (١٦١٥) ، وكذا أخرجه أحمد (١/ ٢٩٢، ٣١٣، ٣٢٥) وأبو داود ، كتاب الفرائض ، باب : فى ميراث العصبة (٢٨٩٨) والترمذي ، كتاب الفرائض ، باب : فى ميراث العصبة (٢٠٩٨) ، والنسائي فى « الكبرى » (٦٣٣١/٤) ، وابن ماجة (٢٧٤٠) كلهم من حديث ابن عباس مرفوعًا . وأعله النسائي بالإرسال لكنه مردودٌ حيث وصله جمع من الثقات راجع « الفتح » (١١/١٢) .

[١] – في ز : « وثته » .
[٢] – في ز : « أقربائه » .
[٣] – ما بين المعكوفتين من : خ .
[٤] – في ت : « الفرائض » .
[٥] – في ز : « العصبة » .
[٦] – في ز : « عاقدت » .

وقد قيل : إن هذه الآية نسخت الحلف في المستقبل ، وحكم الحلف[١] الماضي أيضًا ، فلا توارث به . كما قال ابن أبي حاتم(٣٧٣) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة ، حدثنا إدريس الأودي ، أخبرني طلحة بن مصرف ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ **فآتوهم نصيبهم** ﴾ ، قال : من النصرة والنصيحة والرفادة ، و[٢]يوصىٰ له ، وقد ذهب الميراث .

ورواه ابن جرير ، عن أبي كريب ، عن أبي أسامة ، وكذا روي عن مجاهد وأبي مالك نحو ذلك .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله : ﴿ **والذين عقدت[٣] أيمانكم** ﴾ قال : كان الرجل يعاقد الرجل أيهما مات ورثه الآخر ، فأنزل الله تعالىٰ : ﴿ **وأولوا الأرحام بعضهم أولىٰ ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلىٰ أوليائكم معروفًا** ﴾ . يقول : إلا أن توصوا[٤] [لأوليائهم الذين عاقدوا وصية فهو][٥] لهم جائز[٦] من ثلث المال .

وهذا[٧] هو المعروف .

وهكذا[٨] نص غير واحد من السلف : أنها منسوخة بقوله : ﴿ **وأولوا الأرحام بعضهم أولىٰ ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلىٰ أوليائكم معروفا** ﴾ .

وقال سعيد بن جبير : ﴿ **فآتوهم نصيبهم** ﴾ ، أي : من الميراث . قال : وعاقد أبو بكر مولىٰ فورثه . رواه ابن جرير(٣٧٤) .

وقال الزهري عن [سعيد][٩] ابن المسيب : نزلت[١٠] هذه الآية في الذين كانوا يتبنون رجالًا غير أبنائهم ، ويورثونهم ، فأنزل الله فيهم ، فجعل لهم نصيبًا في الوصية ، وردّ الميراث إلىٰ

(٣٧٣) - تفسير ابن أبي حاتم (٥٢٣٩/٣) ، وابن جرير (٩٢٧٧/٨) وقد تقدم مطولًا (٣٥٨، ٣٥٩) .
(٣٧٤) - تفسير ابن جرير (٩٢٦٧/٨) بإسناد صحيح على شرط الشيخين .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « عاقدت » .
[٤] - في خ : « يوصوا » .
[٥] - في ت : «لهم بوصية فهى» .
[٦] - في ت : «جائزة» .
[٧] - في ز : « وذلك » .
[٨] - في ز : « وهذا » .
[٩] - سقط من خ .
[١٠] - في ز : « أنزلت » .

الموالي ، في ذي الرحم والعَصَبَة ، وأبىٰ اللَّه [أن يكون][1] للمدّعين ميراثًا ممن ادعاهم وتبناهم ، ولكن جعل لهم نصيبًا من الوصية . رواه ابن جرير(٣٧٥) .

وقد اختار ابن جرير أن المراد بقوله : فآتوهم نصيبهم ، أي : من النصرة والنصيحة والمعونة ، لا أن المراد فآتوهم نصيبهم من الميراث حتىٰ تكون الآية منسوخة ، ولا أن ذلك كان حكما ثم نسخ ، بل إنما دلت الآية علىٰ الوفاء بالحلف المعقود علىٰ النصرة والنصيحة فقط ، فهي محكمة لا منسوخة . وهذا الذي قاله فيه نظر ؛ فإن من الحلف ما كان علىٰ المناصرة والمعاونة ، ومنه ما كان علىٰ الإرث ، كما حكاه غير واحد من السلف ، وكما قال ابن عباس(٣٧٦) : كان المهاجري يرث الأنصاري دون قراباته وذوي رحمه ، حتىٰ نسخ ذلك . فكيف يقول : إن هذه الآية محكمة غير منسوخة ؟ واللَّه أعلم .

﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **الرجال قوّامون علىٰ النساء** ﴾ أي : الرجل قيم علىٰ المرأة ، أي : هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدّبها إذا اعوجت ﴿ **بما فضل اللَّه بعضهم علىٰ بعض** ﴾ أي : لأن الرجال أفضل من النساء ، والرجل خير من المرأة ؛ ولهذا كانت النبوة مختصة بالرجال ، وكذلك الملك الأعظم ؛ لقوله صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة** » . رواه البخاري(٣٧٧) من حديث عبد الرحمن بن أبي بكرة ، عن أبيه . وكذا منصب القضاء ، وغير ذلك .

---

(٣٧٥) - تفسير ابن جرير (٩٢٨٨/٨) وإسناده صحيح .

(٣٧٦) - تقدم تخريجه (٣٤٨، ٣٥٩) .

(٣٧٧) - كذا عزاه المصنف للبخاري من هذه الطريق ، وهو سهوٌ ، فإن البخاري إنما أخرجه كتاب المغازي ، باب :كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر (٤٤٢٥) ، كتاب الفتن (٧٠٩٩) من طريق =

---

[١] - سقط من : خ .

﴿ وبما أنفقوا من أموالهم ﴾ أي : من المهور والنفقات والكلف التي أوجبها اللَّه عليهم لهنّ في كتابه وسنة نبيه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فالرجل أفضل من المرأة في نفسه ، وله الفضل عليها والإفضال ، فناسب أن يكون قيما عليها ، كما قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ وللرجال عليهن درجة ﴾ الآية .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ الرجال قوّامون علىٰ النساء ﴾ يعني أمراء ، عليها[١] أن تطيعه فيما أمرها اللَّه به من طاعته ، وطاعته : أن تكون محسنة لأهله حافظة لماله . وكذا قال مقاتل والسدي والضحاك .

وقال الحسن البصري : جاءت امرأة إلىٰ النبي صلىٰ اللَّه تعالىٰ عليه وآله وسلم [تستعديه على][٢] زوجها أنه[٣] لطمها ، فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم : « القصاص » . فأنزل اللَّه عز وجل : ﴿ الرجال قوّامون علىٰ النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ﴾ . فرجعت بغير قصاص .

رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من طرق عنه ، وكذلك أرسل هذا الخبر قتادة وابن جريج والسدي . أورد ذلك كله ابن جرير(٣٧٨) ، وقد أسنده ابن مردويه من وجه آخر ، فقال(٣٧٩) : حدثنا أحمد بن علي النسائي ، حدثنا محمد بن عبد اللَّه الهاشمي ، حدثنا محمد بن محمد بن الأشعث ، حدثنا موسىٰ بن إسماعيل بن موسىٰ بن جعفر بن محمد ، قال[٤] : حدثني أبي ، عن جدي ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن علي ، قال : أتىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم رجلٌ من الأنصار بامرأة له ، فقالت : يا رسول اللَّه إن

= عوف الأعرابي عن الحسن – وهو البصري – عن أبي بكرة به ، وكذا أخرجه أحمد (٥/ ٤٣، ٤٧، ٥١) والترمذي ، كتاب الفتن ، باب :(رقم ٧٥) (ح ٢٢٦٢) والنسائي ، كتاب آداب القضاة ، باب :النهى عن استعمال النساء فى الحكم (٢٢٧/٨) وغيرهم من طرق عن الحسن به ، ولم يذكره المصنف فى كتابه « جامع المسانيد والسنن (٣٩٨/١٣) ومن قبله شيخه أبو الحجاج المزي فى كتابه « تحفة الأشراف » (٩/ ٤٤) من رواية عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه فتنبه !! .

(٣٧٨) – تفسير ابن جرير (٨/ ٩٣٠٤، ٩٣٠٩) ، ومرسل الحسن أخرجه أيضًا ابن أبى حاتم (٥٢٤٦/٣) ، وعزاه السيوطى فى « الدر المنثور » (٢/ ٢٧٠، ٢٧١) إلى ابن أبي حاتم وابن جرير وعبد بن حميد والفريابي وابن المنذر ، وابن مردويه من طرق عن الحسن به .

(٣٧٩) – ولم يعزه السيوطي فى « الدر المنثور » (٢٧١/٢) لغير ابن مردويه وفى إسناده محمد بن محمد بن الأشعث أبو الحسن الكوفى ، قال ابن عدى فى « الكامل » (٢٣٠٣/٦) : « كان مقيمًا بمصر كتبت =

[١] – في خ : « عليهن » .
[٢] – ما بين المعكوفتين في ت : « تشكو أن » .
[٣] – سقط من : ت .
[٤] – سقط من : ز .

زوجها فلان بن فلان الأنصاري ، وإنه ضربها فأثر في وجهها . فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : [« **ليس ذلك له** » . فأنزل اللَّه : ﴿ **الرجال قوّامون علىٰ النساء بما فضل الله بعضهم علىٰ بعض** ﴾ أي : قوامون على النساء في الأدب . فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم][١] : « **أردت أمرًا ، وأراد اللَّه غيره** » .

[وكذلك أرسل هذا الخبر قتادة وابن جريج والسدي . أورد ذلك كله ابن جرير][٢] .

وقال الشعبي في هذه الآية : ﴿ **الرجال قوامون علىٰ النساء بما فضل اللَّه بعضهم علىٰ بعض وبما أنفقوا من أموالهم** ﴾ قال : الصداق الذي أعطاها ، ألا ترىٰ أنه لو قذفها لاعنها ، ولو قذفته جلدت .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **فالصالحات** ﴾ أي : من النساء ﴿ **قانتات** ﴾ قال ابن عباس وغير واحد : يعني : مطيعات لأزواجهن .

﴿ **حافظات للغيب** ﴾ قال السدي وغيره : أي : تحفظ زوجها في غيبته في نفسها وماله .

وقوله : ﴿ **بما حفظ اللَّه** ﴾ أي : المحفوظ من حفظه اللَّه[٣] .

قال ابن جرير(٣٨٠) : حدثني المثنىٰ ، حدثنا أبو صالح ، حدثنا أبو معشر ، حدثنا سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **خير النساء**

= عنه بها حَمَلَه شدَّة ميله إلى التشيُّع أن أخرج لنا نسخة قريبًا من ألف حديث عن موسى بن إسماعيل بن موسى ابن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جده إلى أن ينتهي إلى علي والنبي ﷺ كتاب يخرجه إلينا بخط طري على كاغد جديد فيها مقاطيع وعامتها مسندة مناكير كلها أو عامتها فذكرنا روايته هذه الأحاديث عن موسى هذا لأبي عبد اللَّه الحسين بن علي بن الحسن بن علي ... ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب وكان شيخًا من أهل البيت بمصر وهو أخ الناصر وكان أكبر منه فقال لنا : كان موسى هذا جاري بالمدينة أربعين سنة ما ذكر قط أن عنده شيئًا من الرواية لا عن أبيه ولا عن غيره ...» ، وقال الدارقطني : « وضع ذاك الكتاب » يعني العلويات راجع « اللسان » لابن حجر .

(٣٨٠) - تفسير ابن جرير (٩٣٢٨/٨) وأخرجه الطيالسي فى مسنده (٢٣٢٥) ثنا أبو معشر به ، وأبو معشر هو نجيح بن عبد الرحمن السِّنْدي ، ضعفه ابن معين وأبو داود والنسائي وغيرهم وقال البخاري : « منكر الحديث » وقال أحمد : « حديثه عندي مضطرب ، لا يقيم الإسناد ، ولكن أكتب حديثه أعتبر به » وقال ابن المديني : « كان ضعيفًا ، وكان يُحَدِّث عن محمد بن قيس ، وعن محمد بن كعب بأحاديث صالحة ، وكان يحدث عن نافع وعن المقبري بأحاديث منكرة » وخالفه غير واحد من =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز .

امرأة إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا غبت عنها حفظتك في [نفسها ومالك][١] ». ثم قرأ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم هذه الآية ﴿ **الرجال قوامون علىٰ النساء** ﴾ إلىٰ آخرها.

ورواه ابن أبي حاتم(٣٨١) ، عن يونس بن حبيب، عن أبي داود الطيالسي، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب، عن سعيد المقبري - به مثله سواء.

وقال الإمام أحمد (٣٨٢) : حدثنا يحيىٰ بن إسحاق حدثنا ابن لهيعة، عن عبيد[٢] اللّٰه بن أبي جعفر، أن ابن قارظ أخبره : أن عبد الرحمن بن عوف قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها : ادخلي الجنة من أي**[٣] **أبواب الجنة شئت** ».

تفرد به أحمد من طريق عبد اللّٰه بن قارظ، عن عبد الرحمن بن عوف.

وقوله تعالىٰ : ﴿ **واللاتي تخافون نشوزهن** ﴾ أي : والنساء اللاتي تتخوفون أن ينشزن

= الثقات، فرواه أحمد فى « المسند » (٢/ ٢٥١، ٤٣٢) والنسائي فى « السنن الكبرى » (٥/٨٩٦١)، والحاكم فى « المستدرك » (٢/ ١٦١، ١٦٢) من طريق يحيى بن سعيد، والنسائى فى « السنن الصغرى » (٦/٦٨) وفى « الكبرى » (٣/٥٣٤٣)، والحاكم من طريق الليث بن سعد، والحاكم أيضًا وعنه البيهقي فى « السنن الكبرى » (٧/٨٢) من طريق أبي عاصم الضحاك بن مخلد، ثلاثتهم (يحيى والليث وأبو عاصم) عن ابن عجلان عن سعيد بن أبي سعيد المقبري به دون ذكر الآية، وقال الحاكم : « حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي، وإسناده حسن للخلاف المشهور فى محمد بن عجلان، ثم إن مسلمًا إنما خرج لابن عجلان متابعة، وأخرجه أحمد أيضًا (٢/٤٣٨) ثنا يحيى، ثنا ابن عجلان عن عجلان عن أبي هريرة به، دون ذكر الآية وعجلان وثقه ابن حبان وقال النسائى : « لا بأس به » وانظر ما بعده.

(٣٨١) - تفسير ابن أبي حاتم (٣/٥٢٥٥) كذا وقع إسناده فى تفسير ابن أبى حاتم هكذا، وتقدم فى السابق أن أبا داود الطيالسي رواه فى مسنده (٢٣٢٥) ثنا أبو معشر عن سعيد عن أبي هريرة به، ولعل ذلك سهو من ابن أبي حاتم، فإن الآثار التي قبل ذلك فى مسند الطيالسي رواه من طريق ابن أبي ذئب عن سعيد به، واللّٰه أعلم.

(٣٨٢) - « المسند » (١/١٩١) (رقم ١٦٦١/ شاكر)، وأخرجه الطبراني فى « الأوسط » (٨/٨٨٠٥) ثنا مطلب بن شعيب، نا عبد اللّٰه بن صالح، نا ابن لهيعة عن جعفر بن ربيعة بن شرحبيل بن حسنة، عن ابن قارظ به، قال الشيخ شاكر : « إسناده منقطع فيما أرى، فإن ابن قارظ هنا أرجح أنه إبراهيم =

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « مالك ونفسها ».

[٢] - في ز، خ : « عبد ».

[٣] - سقط من : ت.

على[١] أزواجهن ، والنشوز : هو الارتفاع ، فالمرأة الناشز هي المرتفعة على زوجها ، التاركة لأمره ، المعرضة عنه ، المبغضة له ، فمتى ظهر له منها أمارات النشوز فليعظها وليخوفها عقاب الله في عصيانه ، فإن الله قد أوجب حق الزوج عليها وطاعته ، وحرم عليها معصيته ؛ لما له عليها من الفضل والإفضال .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد ، لأمرت**

= ابن عبد الله بن قارظ ، لا أبوه عبد الله ، لأن عبيد الله بن أبي جعفر متأخر عن أن يدرك عبد الله بن قارظ ...» ، ولكن جزم المصنف هنا بأنه « عبد الله بن قارظ » غير أن « عبد الله بن قارظ » لم أهتد لترجمته ؛ لأنه اختلط على المترجمين بابنه إبراهيم ففي « التهذيب » فى ترجمة « إبراهيم » : « روى عن جابر بن عبد الله وأبي هريرة ، ومعاوية بن أبى سفيان ، والسائب بن يزيد ، وغيرهم ، ورأى عمر وعليًا ، روى عنه أبو عبد الله الأغر ، وأبو صالح السمان وعمر بن عبد العزيز ويحيى بن أبى كثير ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن وغيرهم ، ثم قال : « وجعل ابن أبى حاتم إبراهيم بن عبد الله بن قارظ وعبد الله بن إبراهيم ابن قارظ ترجمتين ، والحق أنهما واحدٌ ، والاختلاف فيه على الزهري وغيره ، وقال ابن معين : كان الزهري يغلط فيه » وتعقب العلامة أبو الأشبال بكلام جيّد قوي الحافظ ابن حجر فى الجزم بصواب عدم التفرقة بينهما فقال فى حاشية « المسند » (٣/ ١٢٥، ١٢٦) وهذا شيء بعيد - يعني عدم التفرقة - أبو سلمة بن عبد الرحمن مات سنة ٩٤، وعمر بن عبد العزيز مات سنة ١٠١، ويحيى بن أبى كثير مات سنة ١٣٢ فمن العجيب جدًا أن يرووا جميعًا عن شيخ واحدٍ ، ثم من هذا الشيخ ؟ رجل أدرك عمر وعليًا ، بل سمع من عمر وعلى كما جزم البخاري فى « الكبير » ! فقد عمر أكثر من مائة سنة حتى يدركه يحيى بن أبى كثير !! » ثم قال الشيخ : « وأرجح أن إبراهيم بن عبد الله بن قارظ » هو غير « عبد الله بن إبراهيم بن قارظ » كما جزم أبو حاتم ، و أنه ابنه ، أو لعل الرواة اختلف عليهم اسم الأب واسم ابنه ، فتارة يسمون هذا « عبد الله » وذاك « إبراهيم » وتارة يعكسون والذي لا أشك فيه أن أحدهما ابن للآخر ، وأن يحيى بن أبي كثير وطبقته يروون عن الابن ، وعمر بن عبد العزيز وأبو سلمة بن عبد الرحمن وطبقتهما يروون عن الأب ، وأن الأب هو الذى سمع عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وعبد الرحمن بن عوف ...» وهذا تحقيق جيّد قوي ، وبناءً عليه حكم الشيخ على هذا الإسناد بالانقطاع ، وقد نأى الهيثمي « المجمع » (٤/٣٠٩) ومن قبله المنذري « الترغيب والترهيب » (٣/٥٢) عن هذا الاختلاف كله وقالا : « رواه أحمد والطبراني فى « الأوسط » ، وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن ، وبقية رجاله رجال الصحيح » وله شاهد من حديث أبي هريرة صححه ابن حبان (٩/٤١٦٣) وآخر من حديث أنس عند البزار (٢/١٤٦٣ / كشف) ، وابن عدي (٣/ ٩٩٣، ١٠٣٧) ، وأبي نعيم فى « الحلية » (٦/٣٠٨) وسنده ضعيف ، وثالث من حديث عبد الرحمن بن حسنة قال الهيثمي : « المجمع » (٤/٣٠٩) : « رواه الطبراني وفيه ابن لهيعة ، وحديثه حسن ، وسعيد بن عفير لم أعرفه ، وبقية رجاله رجال الصحيح » .

[١] - في خ : «عن».

المرأة أن تسجد لزوجها ؛ من عظم حقه عليها »(٣٨٣) . وروىٰ البخاري (٣٨٤) عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم : « **إذا دعا الرجل امرأته إلىٰ فراشه فأبت عليه لعنتها الملائكة حتىٰ تصبح** » .

ورواه مسلم (٣٨٥) ، ولفظه : « **إذا باتت المرأة هاجرة**[١] **فراش زوجها ، لعنتها الملائكة حتىٰ تصبح** » . ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن** ﴾ .

وقوله : ﴿ **واهجروهن في المضاجع** ﴾ قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : الهجران [هو أن][٢] لا يجامعها ويضاجعها علىٰ فراشها ، ويوليها ظهره . وكذا قال غير واحد ، وزاد آخرون ، منهم السدي والضحاك وعكرمة وابن عباس في رواية ، ولا يكلمها مع ذلك ولا يحدثها .

وقال علي بن أبي طلحة أيضًا ، عن ابن عباس : يعظها ، فإن هي قبلت ، وإلا هجرها في المضجع ، ولا يكلمها من غير أن يذر[٣] نكاحها ، وذلك عليها شديد .

وقال مجاهد والشعبي وإبراهيم ومحمد بن كعب ومقسم وقتادة : الهجر هو أن لا

---

(٣٨٣) - ورد من حديث جماعة من الصحابة ، منها حديث قيس بن سعد عند أبي داود (٢١٤٠) ، وصححه الحاكم (١٨٧/٢) ، ووافقه الذهبي ، وسنده حسن فى الشواهد ، ومنها حديث أبي هريرة عند الترمذي (١١٥٩) وقال : « حديث حسن غريب » وصححه أبو حاتم بن حبان (١٢٩١/٤/ موارد) ومنها حديث عائشة عند أحمد (٧٦/٦) ، وابن ماجة (١٨٥٢) ، وفى سنده علي بن زيد بن جدعان ، وهو ضعيف ، وعن أنس بن مالك عند أحمد (١٥٨/٣) والنسائي فى عشرة النساء من « الكبرى » (٥/ ٩١٤٧) وجوّد إسناده المنذرى فى « الترغيب والترهيب » (٧٥/٣) وعن عبد اللَّه بن أبي أوفى عند أحمد (٣٨١/٤) وابن ماجة (١٨٥٣) ، وصححه أبو حاتم بن حبان (١٢٩٠/٤) وإسناده حسن ، وفى الباب :عن عدد آخر راجع « الإرواء » للألباني (١٩٩٨/٧) .

(٣٨٤) - أخرجه البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب : إذا قال أحدكم « آمين ..» (٣٢٣٧) ، ومسلم ، كتاب النكاح ، باب :تحريم امتناعها من فراش زوجها (١٢٢) (١٤٣٦) . وكذا أخرجه أحمد (٢/ ٤٣٩، ٤٨٠) ، وأبو داود (٢١٤١) من طريق أبي حازم بن دينار عن أبي هريرة به .

(٣٨٥) - صحيح مسلم ، كتاب النكاح ، باب :تحريم امتناعها من فراش زوجها (١٢٠) (١٤٣٦) ، وكذا أخرجه البخارى ، كتاب النكاح ، باب :إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها (٥١٩٤) ، وأحمد (٢/ ٢٥٥ وفى مواضع أخر) ، والنسائي فى « الكبرى » (٨٩٧٠/٥) من طريق قتادة عن زرارة بن أوفى ، عن أبى هريرة به .

---

[١] - في ز : « مهاجرة » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز . [٣] - في خ : « يرد » .

يضاجعها .

وقد قال أبو داود(٣٨٦) : حدثنا موسىٰ بن إسماعيل ، حدثنا حماد ، عن علي بن زيد ، عن أبي حُرّة الرقاشي ، عن عمه ، أن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **فإن خفتم نشوزهن فاهجروهن في المضاجع** » . قال حماد : يعني : النكاح .

وفي السنن والمسند(٣٨٧) عن معاوية بن حيدة القشيري أنه قال : يا رسول اللّٰه ؛ ما حق امرأة أحدنا عليه[١] ؟ قال : « **أن تطعمها[٢] إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ، ولا تقبح ، ولا تهجر إلا في البيت** » .

وقوله : ﴿ **واضربوهن[٣]** ﴾ أي : إذا لم يرتدعن بالموعظة ولا بالهجران ، فلكم أن تضربوهن ضربًا غير مبرح ، كما ثبت في صحيح مسلم ، عن جابر(٣٨٨) ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أنه قال في حجة الوداع : « **واتقوا اللّٰه في النساء ، فإنهن عندكم عوان ، ولكم عليهن أن لا يوطئن فُرُشكم أحدًا تكرهونه ، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربًا غير مبرح ، ولهن عليكم[٤] رزقهن وكسوتهن بالمعروف** » .

---

(٣٨٦) - سنن أبي داود ، كتاب النكاح ، باب : في ضرب النساء (٢١٤٥) ، وأخرجه أحمد في « المسند » (٧٣/٥) مطولًا جدًّا من طريق عفان ثنا حماد به ، وروى أجزاء من هذا المطول الدارمي في سننه (٢٥٣٧/٢) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٦/٨) ، وأبو يعلى في مسنده (٣/ ١٥٦٩، ١٥٧٠) والدارقطني في سننه (٢٦/٣) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (١٠٠/٦) (١٨٢/٨) وفي « شعب الإيمان » (٥٤٩٢/٤) من طرق عن حماد ، وهو ابن سلمة به ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٦٩/٣) برواية أحمد ، وقال : « روى أبو داود منه ضرب النساء فقط ، وهذا رواه أحمد ، وأبو حرة الرقاشي وثقه أبو داود ، وضعفه ابن معين ، وفيه علي بن زيد وفيه كلام » وذكره في (١٧٥/٤) برواية أبي يعلى ، وقال : « رواه أبو يعلى وأبو حرة وثقه أبو داود ، وضعفه ابن معين » واعتمد الحافظ ابن حجر الأول فوثقه في « التقريب » لكن علته علي بن زيد وهو « ضعيف » .

(٣٨٧) - أخرجه أبو داود ، كتاب النكاح ، باب : في حق المرأة على زوجها (٢١٤٢: ٢١٤٤) ، والنسائي في « الكبرى » كتاب عشرة النساء (٩١٦٠/٥) وابن ماجة ، كتاب النكاح (١٨٥٠) ، وأحمد (٤٤٧/٤) (٥/ ٣، ٥) وصححه ابن حبان (١٢٨٦/٤/ موارد) والدارقطني كما في « العلل » (٧/ س١٢٣٣) ، والحاكم (٢/ ١٨٧، ١٨٨) ، ووافقه الذهبي وعلقه البخاري في صحيحه ، كتاب النكاح ، باب : هجرة النبي ﷺ نساءه في غير بيوتهن (٥٢٠٢) .

(٣٨٨) - صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب :حجة النبي ﷺ (١٤٧) (١٢١٨) .

---

[١] - سقط من : خ.

[٢] - في ز : « يطعمها » .

[٣] - في ز : « فاضربوهن » .

[٤] - سقط من : ز ، خ.

وكذا قال ابن عباس وغير واحد : ضربًا غير مبرح . قال الحسن البصري : يعني : غير مؤثر . وقال الفقهاء : هو أن لا يكسر فيها عضوًا ، ولا يؤثر فيها[١] شيئًا .

و[٢]قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : يهجرها في المضجع ، فإن أقبلت وإلا فقد أذن اللَّه لك أن تضربها ضربًا غير مبرح ، ولا تكسر لها عظمًا ، فإن أقبلت وإلا فقد [أحل اللَّه][٣] لك[٤] منها الفدية .

وقال سفيان بن عيينة (٣٨٩) ، عن الزهري ، عن عبد اللَّه بن عبد اللَّه بن عمر ، عن إياس بن عبد اللَّه بن أبي ذباب[٥] ، قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لا تضربوا إماء اللَّه** » . فجاء عمر - رضي اللَّه عنه - إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال : ذئرت[٦] النساء علىٰ أزواجهن . فرخص [رسول اللَّه][٧] في ضربهن ، فأطاف بآل رسول اللَّه صلىٰ

(٣٨٩) - أخرجه أبو داود ، كتاب النكاح ، باب : فى ضرب النساء (٢١٤٦) ثنا محمد - سقطت من المطبوع والتصويب فى « التحفة » (١٧٤٦/٢) وكتب الرجال - بن أحمد بن أبي خلف ، وابن ماجة ، كتاب النكاج ، باب : ضرب النساء (١٩٨٥) ثنا محمد بن الصباح والبخاري فى « التاريخ الكبير » (٤٤٠/١) حدثني عبد اللَّه بن محمد ، والطبراني فى « المعجم الكبير » (١/رقم ٧٨٥) من طريق القعنبي وإبراهيم بن بشار الرمادي ، والبيهقي فى « السنن الكبرى » (٣٠٥/٧) من طريق يحيى بن الربيع ، ستتهم (ابن أبي خلف ، وابن الصباح ، وعبد اللَّه ، والقعنبي ، والرمادي ، ويحيى) عن سفيان بن عيينة بهذا الإسناد ، وأخرجه الحميدي (٨٧٦/٢) ، ومن طريقه الطبراني (٧٨٥/١) غير أنه وقع عنده من هذه الطريق « عبد اللَّه » مكبرًا ، والحاكم فى « المستدرك » (١٨٨/٢) ، والشافعي فى مسنده (٨٨/٢) « شفاء العي » ومن طريق الشافعي البغوي فى « شرح السنة » (٢٣٤٦/٩) - والدارمي فى سننه (٢/ ٢٢٢٥) أخبرنا محمد بن أحمد بن أبي خلف ، وأبو داود (٢١٤٦) ، ثنا أحمد بن عمرو بن السرح ، والنسائي فى « السنن الكبرى » - كما فى « التحفة » (١٧٤٦/٢) عن قتيبة ، وابن أبي عاصم فى « الآحاد والمثاني » (٢٦٨٧/٥) ثنا يعقوب بن حميد ، ستتهم (الحميدي ، والشافعي ، وابن أبي خلف ، وابن السرح ، وقتيبة ، ويعقوب) ثنا سفيان بن عيينة به ، غير أنهم قالوا : « عبيد اللَّه بن عبد اللَّه » هكذا مصغرًا وهو ثقة ، بينما المكبر ضعيف ، وليست بقلة رواية الاثنين للحديث ، ومن طريق المكبر أخرجه عبد الرزاق فى « المصنف » (١٧٩٤٥/٩) ومن طريق عبد الرزاق أبو حاتم بن حبان فى صحيحه (٩/ ٤١٨٩) ، والطبراني (٧٨٤) ، والبيهقي (٣٠٤/٧) ، والبخاري فى « التاريخ الكبير » معلقًا - أخبرنا معمر عن الزهري عن عبد اللَّه به ، وأخرجه الطبراني (٧٨٦) أيضًا من طريق ابن المبارك ، ثنا محمد =

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « حل » ، خ : « حل لك » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في ز : « ذياب » .
[٦] - أي : نشزت ، واجترأن .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

اللَّه عليه وسلم نساء كثير يشكون أزواجهن ، فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لقد أطاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهن ، ليس أولئك بخياركم** » . رواه أبو داود والنسائي ، وابن ماجة .

وقال الإمام أحمد(٣٩٠) : حدثنا سليمان بن داود - يعني أبا داود الطيالسي - حدثنا أبو عوانة ، عن داود الأودي ، عن عبد الرحمن المسلي[١] ، عن الأشعث بن قيس ، قال :

= ابن أبي حفصة ، عن الزهري عن عبيد اللَّه به ، وقال الحاكم : « حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي ، وكذا صحح إسناده الحافظ ابن حجر في « الإصابة » (١٤٥/١) وذلك ترجيحًا منه بأن إياس بن عبد اللَّه بن أبي ذباب : له صحبة ، متبعًا في ذلك أبا حاتم ، وأبا زرعة كما في « الجرح والتعديل » (٢٨٠/٢) ، بينما جزم أحمد بن حنبل والبخاري وابن حبان بأن لا صحبة له . راجع « التهذيب » فاللَّه أعلم ، وللحديث شاهد من حديث ابن عباس صححه ابن حبان (٤١٨٦/٩) ، وهو عند ابن ماجة (١٩٧٧) ، والحاكم (١٧٣/٤) مصححًا له مختصرًا وفي إسناده عمارة بن ثوبان أعل الحديث به البوصيري في « الزوائد » فقال : « إسناده ضعيف ، لأن عمارة بن ثوبان ذكره ابن حبان في « الثقات » (٢٦٢/٧) ، وقال عبد الحق : ليس بالقوى . وقال ابن القطان : مجهول الحال » وشاهد آخر مرسل عن أم كلثوم بنت أبي بكر عند ابن سعد في « الطبقات » (١٦٥/٨) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (٣٠٤/٧) ، وباللَّه التوفيق .

(٣٩٠) - « المسند » (٢٠/١) ، ومن طريق أحمد المزي في « تهذيب الكمال » (١٨/ ٣٠، ٣١) وهو في مسند الطيالسي (ص ١٠) ، ومن طريقه أخرجه أيضًا محمد بن نصر المروزي في « كتاب صلاة الوتر » (رقم ٦١) ثنا هارون بن عبد اللَّه ثنا أبو داود مقرونًا بأبي داود يحيى بن حماد - به ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (٣٠٥/٧) من طريق يونس بن حبيب نا أبو داود به ، وفيه (عن عبد اللَّه بن أبي عبد الرحمن المسلي) ، وقال البيهقي : وقال غيره : عن أبي داود في هذا الإسناد عن « عبد الرحمن المسلي » وهو الصواب فقد رواه عبد بن حميد في « المنتخب » (٣٧) حدثني يحيى بن عبد الحميد ، وأبو داود ، كتاب النكاح ، باب : في ضرب النساء (٢١٤٧) ، والنسائي في « السنن الكبرى » (٩١٦٨/٥) وابن ماجة ، كتاب النكاح ، باب : في ضرب النساء (١٩٨٦) من طريق عبد الرحمن بن مهدي ، وابن ماجة أيضًا والبزار (٢٣٩/١/ البحر الزخار) من طريق يحيى بن حماد ، ثلاثتهم (يحيى وابن مهدي وابن حماد) عن أبي عوانة به ، وأخرجه الحاكم في « المستدرك » (١٧٥/٤) من طريق سليمان بن حرب ، ثنا أبو عوانة به - وتحرف « المسلي » إلى الملي - وقد ذكر فيه الثالثة التي نسيها وهي : « ولا تسأله عمن يعتمد من إخوانه ولا يعتمدهم » وقال الحاكم : « حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي مع أنه ترجم لعبد الرحمن المسلي في « الميزان » وقال : « لا يعرف إلا في حديثه عن الأشعث ، تفرد عنه داود بن عبد اللَّه الأودي » وقال البزار : « وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن رسول اللَّه ﷺ إلا من هذا الوجه ، وعبد الرحمن المسلي هو عندي أبو وبرة وعبد الرحمن وابنه قد حدث بأحاديث ، =

[١] - في ز : « المبتلى » .

ضفت عمر - رضي الله عنه - ، فتناول امرأته فضربها ، وقال : يا أشعث ، احفظ عني ثلاثا ، حفظتهن عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : لا تسأل الرجل فيما ضرب امرأته ، ولا تنم إلا علىٰ وتر ، ونسي[١] الثالثة .

وكذا رواه أبو داود والنسائي وابن ماجة من حديث عبد الرحمن بن مهدي ، عن أبي عوانة ، عن داود الأودي - به . وقوله تعالىٰ : ﴿ **فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلًا** ﴾ أي : إذا أطاعت المرأة زوجها في جميع ما يريده منها مما أباحه الله له منها فلا سبيل له عليها بعد ذلك ، وليس له ضربها ولا هجرانها .

وقوله : ﴿ **إن الله كان عليًا كبيرًا** ﴾ تهديدًا للرجال إذا بغوا علىٰ النساء من غير سبب ، فإن الله العلي الكبير وليهن ، وهو منتقم[٢] ممن ظلمهن وبغىٰ عليهن .

وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾

ذكر[٣] الحال الأول ، وهو إذا كان النفور والنشوز من الزوجة . ثم ذكر الحال الثاني وهو إذا كان النفور من الزوجين ، فقال تعالىٰ : ﴿ **وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكمًا من أهلها** ﴾ .

وقال الفقهاء : إذا وقع الشقاق بين الزوجين ، أسكنهما الحاكم إلىٰ جنب ثقة ، ينظر في أمرهما ، ويمنع الظالم منهما من الظلم ، فإن تفاقم أمرهما ، وطالت خصومتهما ، بعث الحاكم ثقة من أهل المرأة وثقة من قوم الرجل ليجتمعا ، وينظرا في أمرهما ، ويفعلا ما فيه المصلحة مما[٤] يريانه[٥] من [التفريق أو التوفيق] ، وتشوف الشارع إلىٰ التوفيق . ولهذا قال

= وعبد الرحمن لا نعلم حدث بغير هذا الحديث » .

والخبر ذكره المصنف في « مسند الفاروق » (١/١٨٢) وقال : « رواه الإمام علي بن المديني عن ابن مهدى ، عن أبي عوانة ، عن داود الأودي به ، ثم قال : وهذا إسناد مجهول ، وداود بن عبد الله الأودي لا أعلم أحدًا روى عنه إلا زهير وأبو عوانة - وهذا غريب جدًّا ، فقد روى عنه جمع ، راجع : « تهذيب الكمال » قال : وعبد الرحمن المسلي ، ويكنى بأبي وبرة ، لا أعلم روى عنه غير هذا » .

[١] - في المسند : نسيت .

[٢] - في ز : « ينتقم » .

[٣] - في خ : « ذلك » .

[٤] - في ز : « فيما » .

[٥] - في ز : « يرانه » .

تعالىٰ : ﴿ إن يريدا إصلاحًا يوفق الله بينهما ﴾ .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : أمر الله - عز وجل - أن يبعثوا رجلًا صالحًا من أهل الرجل ورجلًا مثله من أهل المرأة ، فينظران أيهما المسيء ، فإن كان الرجل هو المسيء حجبوا عنه امرأته وقصروه علىٰ النفقة ، وإن كانت المرأة هي المسيئة قصروها علىٰ زوجها ومنعوها النفقة ، فإن اجتمع رأيهما علىٰ أن يفرقا أو يجمعا فأمرهما جائز ، فإن رأيا أن يجمعا فرضي أحد الزوجين وكره [ذلك][١] الآخر ، ثم مات أحدهما فإن الذي رضي يرث الذي كره ، ولا يرث الكاره الراضي . رواه ابن أبي حاتم وابن جرير(٣٩١) .

وقال عبد الرزاق (٣٩٢) : أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ،عن عكرمة بن خالد ، عن ابن عباس ، قال : بعثت أنا ومعاوية حكمين . قال معمر : بلغني[٢] أن عثمان بعثهما ، وقال لهما : إن رأيتما أن تجمعا جمعتما وإن رأيتما أن تفرقا فرقتما[٣] .

وقال (٣٩٣) : أنبأنا ابن جريج ، حدثني ابن أبي مليكة ، أن عقيل بن أبي طالب تزوج فاطمة بنت عتبة بن ربيعة ، فقالت : تصير[٤] إلي[٥] وأنفق عليك ، فكان إذا دخل عليها ، قالت : أين عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ؟ فقال : علىٰ يسارك في النار إذا دخلت . فشدت عليها ثيابها ، فجاءت عثمان ، فذكرت [له ذلك] ، فضحك ، وأرسل ابن عباس ومعاوية ، فقال ابن عباس : لأفرقن بينهما . فقال معاوية : ما كنت لأفرق بين شيخين من بني عبد مناف .

---

(٣٩١) - أخرجه ابن جرير (٩٤١٨/٨) ، وابن أبي حاتم (٥٢٨٣/٣) ، وأخرجه أيضًا البيهقي فى « السنن الكبرى » (٣٠٦/٧) مختصرًا ، وذكره السيوطي فى « الدر المنثور » (٢٧٩/٢) وزاد نسبته إلى ابن المنذر .

(٣٩٢) - تفسير عبد الرزاق (١٥٩/١) وفى مصنفه (١١٨٨٥/٦) ، ومن طريقه أخرجه ابن جرير (٨/ ٩٤٢٦) ، وعلقه البيهقي فى « السنن الكبرى » (٣٠٦/٧) عن عكرمة بن خالد به ، وزاد نسبته السيوطي فى « الدر المنثور » (٢٨٠/٢) إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٣٩٣) - « المصنف » لعبد الرزاق (١١٨٨٧/٦) ، وأخرجه الشافعي فى « الأم » (٥/ ١٧٧، ١٧٨) - ومن طريقه البيهقي فى « السنن الكبرى » (٣٠٦/٧) - أنا مسلم بن خالد ، وابن جرير (٩٤٢٧/٨) من طريق روح بن عبادة ، كلاهما (مسلم وروح) ثنا ابن جريج به نحوه .

---

[١] - سقط من خ .

[٢] - في ز : « لمعني » .

[٣] - في ز : « ففرقا » .

[٤] - في خ : « تصبر » .

[٥] - في ز ، خ : « لي » .

فأتياهما فوجداهما قد أغلقا عليهما أبوابهما فرجعا .

قال عبد الرزاق(٣٩٤) : أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة ، قال : شهدت عليًّا وجاءته امرأة وزوجها ، مع كل واحد منهما فئام من الناس ، فأخرج هؤلاء حكمًا ، وهؤلاء حكمًا ، فقال علي للحكمين : أتدريان ما عليكما ؟ إن عليكما إن رأيتما أن تجمعا جمعتما . فقالت المرأة : رضيت بكتاب[١] الله لي وعلي . وقال الزوج : أمّا الفرقة فلا . فقال علي : كذبت والله ، لا تبرح حتىٰ ترضىٰ بكتاب الله - عز وجل - لك وعليك .

رواه ابن أبي حاتم ، ورواه ابن جرير ، عن يعقوب ، عن ابن علية ، عن أيوب ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة ، عن علي - مثله ، ورواه من وجه آخر ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة ، عن علي ، به .

وهذا مذهب جمهور العلماء علىٰ أن الحكمين إليهما الجمع والتفرقة ، حتىٰ قال إبراهيم النخعي: إن شاء الحكمان أن يفرقا بينهما بطلقة أو بطلقتين أو ثلاثًا فعلا . وهو رواية عن مالك .

وقال الحسن البصري : الحكمان يحكمان في الجمع [ولا يحكمان في][٢] التفرقة[٣] . وكذا قال قتادة وزيد ابن أسلم ، وبه قال أحمد بن حنبل وأبو ثور وداود . ومأخذهم قوله تعالىٰ : ﴿ **إن يريدا إصلاحًا يوفق الله بينهما** ﴾ . ولم يذكر التفريق .

وأما إذا كانا وكيلين من جهة الزوجين ، فإنه ينفذ حكمهما[٤] في الجمع والتفرقة بلا خلاف . وقد اختلف الأئمة في الحكمين : هل هما منصوبان من جهة[٥] الحاكم ، فيحكمان وإن لم يرض الزوجان ، أو هما وكيلان من جهة الزوجين ، علىٰ قولين . والجمهور علىٰ الأول ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿ **فابعثوا حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها** ﴾ فسماهما حكمين ، ومن شأن الحكم أن يحكم بغير رضا المحكوم عليه ، وهذا ظاهر الآية ، والجديد من مذهب الشافعي ، وهو قول أبي حنيفة

(٣٩٤) - أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٥٨، ١٥٩) وفي « المصنف » (١١٨٨٣/٦) ومن طريقه أخرجه ابن أبي حاتم (٥٢٨٢/٣) وأخرجه ابن جرير (٩٤٠٧/٨) حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية عن أيوب به ورواه ابن جرير أيضًا (٨/ ٩٤٠٨، ٩٤٠٩) من طرق عن ابن سيرين به وأخرجه « الأم » (١٧٧/٥) ومن طريقه وطرق أخرى البيهقي في « السنن الكبرى » (٧/ ٣٠٥، ٣٠٦) عن أيوب به وقال الشافعي : « حديث علي ثابت عندنا » .

[١] - سقط من : خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ت : « لافى » .

[٣] - في ز : « التفريق » .

[٤] - في ز : « حكماهما » .

[٥] - في ز ، خ : «عند» .

وأصحابه الثاني منهما لقول[١] ، علي رضي اللّٰه عنه للزوج حين قال : أما الفرقة فلا . فقال : كذبت حتىٰ تقر بما أقرت به .

قالوا : فلو كانا حاكمين لما افتقر إلىٰ إقرار الزوج ، واللّٰه أعلم .

قال الشيخ أبو عمر بن عبد البر : وأجمع العلماء علىٰ أن الحكمين إذا اختلف قولهما ، فلا عبرة بقول الآخر ، وأجمعوا علىٰ أن قولهما نافذ في الجمع وإن لم يوكلهما الزوجان ، واختلفوا هل ينفذ قولهما في التفرقة ؟ ثم حكىٰ عن الجمهور أنه ينفذ قولهما فيها[٢] أيضًا [من غير توكيل][٣] .

﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾

يأمر تبارك وتعالىٰ بعبادته وحده لا شريك له ؛ فإنه هو[٤] الخالق الرازق المنعم المتفضل علىٰ خلقه في جميع الآنات[٥] والحالات ، فهو المستحق منهم أن يوحدوه ولا يشركوا [به شيئًا][٦] من مخلوقاته ، كما قال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم(٣٩٥) لمعاذ [بن جبل][٧] : « **أتدري ما حق اللّٰه علىٰ العباد؟** » قال : اللّٰه ورسوله أعلم . قال : « **أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا** » ثم قال : أتدرى ما حق العباد علىٰ اللّٰه إذا فعلوا ذلك؟ أن لا يعذبهم » .

ثم أوصىٰ بالإِحسان إلىٰ الوالدين ، فإن اللّٰه سبحانه جعلهما سببًا لخروجك من العدم إلىٰ الوجود ، وكثيرًا ما يقرن اللّٰه سبحانه بين عبادته والإِحسان إلىٰ الوالدين ، كقوله : ﴿ **أن اشكر لي ولوالديك** ﴾ . وكقوله : ﴿ **وقضىٰ ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانًا** ﴾ .

---

(٣٩٥) – تقدم تخريجه [البقرة/ آية ٢٢] وانظر أيضًا [سورة الأنعام/ آية ٥٤/ رقم ٧٣، ٧٤] .

---

[١] – في ز : « بقول » .
[٢] – في خ : « فيه » .
[٣] – سقط من : ز ، خ .
[٤] – سقط من : خ .
[٥] – في ز : « الآيات » .
[٦] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٧] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

ثم عطف على الإحسان [إلى الوالدين][١] الإحسان إلى القرابات من الرجال والنساء ، كما جاء في الحديث : « **الصدقة على المسكين صدقة ، وعلى ذي الرحم صدقة وصلة** »(٣٩٦) .

ثم قال تعالى : ﴿ **واليتامى** ﴾ وذلك لأنهم قد فقدوا من يقوم بمصالحهم ، ومن ينفق عليهم ، فأمر الله بالإحسان إليهم ، والحنوّ عليهم .

ثم قال : ﴿ **والمساكين** ﴾ وهم المحاويج من ذوي الحاجات الذين لا يجدون من يقوم بكفايتهم ، فأمر الله سبحانه بمساعدتهم بما تتم به كفايتهم وتزول به ضرورتهم ، وسيأتي الكلام على الفقير والمسكين في سورة براءة .

وقوله : ﴿ **والجار ذي القربى والجار الجنب** ﴾ قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : والجار ذي القربى ، يعني : الذي بينك وبينه قرابة ، والجار الجنب : الذي ليس بينك وبينه قرابة . وكذا روي عن عكرمة ومجاهد ، وميمون بن مهران والضحاك ، وزيد بن أسلم ومقاتل بن حيان وقتادة .

وقال أبو إسحاق عن نوف البكالي ، في قوله : ﴿ **والجار ذي القربى** ﴾ يعني : الجار[٢] المسلم ، ﴿ **والجار الجنب** ﴾ يعني : اليهودي والنصراني . رواه ابن جرير وابن أبي حاتم(٣٩٧) .

وقال جابر الجعفي(٣٩٨) ، عن الشعبي ، عن علي ، وابن مسعود : (والجار ذي القربى)

---

(٣٩٦) - أخرجه أحمد (٤/ ١٧، ١٨) والترمذي ، كتاب الزكاة ، باب : ما جاء في الصدقة على ذي القرابة ، (٦٥٨) ، والنسائي ، كتاب : الزكاة ، باب : الصدقة على الأقارب ٥/٩٢) ، وابن ماجه . كتاب : الزكاة ، باب : فضل الصدقة (١٨٤٤) وغيرهم من حديث سلمان بن عامر الضبي مرفوعًا به وقال الترمذي : « حديث حسن » وصححه ابن خزيمة (٣/٢٠٦٧) وأبو حاتم بن حبان (٨/٣٣٤٤) والحاكم (١/٤٠٧) ووافقه الذهبي مع أن في إسناده أم الرائح بنت صليع واسمها الرباب ، ل م يوثقها غير ابن حبان « الثقات » (٤/٢٤٤) وليس لها إلا هذا الحديث ، وما روى عنها سوى حفصة بنت سيرين - راجع « التهذيب » لكن يشهد له حديث زينب الثقفية امرأة عبد الله بن مسعود - عند البخاري (١٤٦٦) ، ومسلم (١٠٠٠) (٤٥) في خبر طويل وفيه : « لها أجران : أجر القرابة ، وأجر الصدقة » .

(٣٩٧) - أخرجه ابن جرير (٨/٩٤٥٦) ، وابن أبي حاتم (٣/٥٣٠١) ولم يعزه السيوطي في « الدر المنثور » (٢/٢٨٢) لغيرهما .

(٣٩٨) - أخرجه ابن أبي حاتم (٣/٥٣٠٢) ثنا أبو سعيد الأشج ، ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر =

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : «إليهما» . [٢] - سقط من : ز ، خ .

يعني : المرأة وقال مجاهد أيضًا في قوله : (والجار الجنب) يعني : الرفيق في السفر .

وقد وردت الأحاديث بالوصايا بالجار ، فلنذكر منها ما تيسر ، وبالله المستعان .

(الحديث الأول) قال الإمام أحمد (٣٩٩) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن عمر ابن محمد بن زيد ، أنه سمع أباه[١] محمدًا يحدث عن عبد الله بن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **ما زال جبريل يوصيني بالجار ، حتى ظننت أنه سيورثه** » . [أخرجاه في الصحيحين[٢] من حديث عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر ، به .

(الحديث الثاني) قال الإمام أحمد(٤٠٠) : حدثنا سفيان ، عن داود بن شابور ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو[٣] ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « **مازال جبريل يوصيني بالجار ، حتى ظننت أنه سيورّثه** »][٤] .

= به ، وأخرجه ابن جرير (٩٤٧١/٨) ثنا ابن وكيع ، حدثنا أبي ، عن سفيان عن جابر عن عامر - الشعبي - أو القاسم به وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٢٨٤/٢) إلى عبد بن حميد وابن المنذر والفريابي ومن طريق الفريابي سفيان عن جابر عن القاسم أو الشعبي عن ابن مسعود - دون ذكر علي - به وذكره الهيثمي في « المجمع » (٧/٧) وقال : « رواه الطبراني عن شيخه عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم وهو ضعيف » وهو مُعَلٌّ قبل ذلك بضعف الجعفي .

(٣٩٩) - « المسند » (٨٥/٢) ، وأخرجه البخاري ، كتاب : الأدب . باب : الوَصاةِ بالجار (٦٠١٥) ثنا محمد بن منهال ومسلم . كتاب : البر والصلة والآداب (١٤١) (٢٦٢٥) ثنا عبيد الله بن عمر القواريري ، كلاهما (محمد وعبيد الله) ثنا يزيد بن زريع عن عمر بن محمد به .

(٤٠٠) - « المسند » (١٦٠/٢) [رقم (٦٤٩٦) (٢٠٦/٩) شاكر] ومن طريق أحمد وأبو نعيم في « الحلية » (٣٠٦/٣) مقرونًا بـ « داود بن شابور » « بشير أبي إسماعيل » وأخرجه من الطريقين البخاري في « الأدب المفرد » (١٠٥) ثنا محمد بن سلام ، والترمذي . كتاب : البر والصلة ، باب : ما جاء في حق الجوار (١٩٤٣) ثنا محمد بن عبد الأعلى كلاهما (ابن سلام وابن عبد الأعلى) عن سفيان بن عيينة به .

وأخرجه الحميدي (٥٩٣/٢) وأبو داود ، كتاب : الأدب ، باب : في حق الجوار (٥١٥٢) من طريق سفيان والبخاري (رقم ١٢٨) وابن أبي شيبة في « المصنف » (١٠١/٦) والطبراني في « مكارم الأخلاق » رقم ١٩٩) من طريق أبي نعيم الفضل بن دكين - والدارقطني في « العلل » (٢٣٢/٨) ثنا أبو قتيبة وأبو أحمد ، وأخرجه الطحاوي في « مشكل الآثار » (٤/ ٢٦، ٢٧) من طريق إسماعيل بن عمر الواسطي والخرائطي في « مكارم الأخلاق » (ص٣٦) من طريق عثمان بن عمر بن فارس كلاهم (سفيان والفضل وأبو قتيبة وأبو أحمد وإسماعيل وعثمان) عن بشير بن سليمان - ويقال سلمان - وحده =

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في ز : « الصحيح » .
[٣] - في ز : « عمر » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

وروىٰ أبو داود والترمذي نحوه ، من حديث سفيان بن عيينة ، عن بشير أبي إسماعيل ، زاد الترمذي ، وداود بن شابور ، كلاهما عن مجاهد به ، ثم قال الترمذي : حسن غريب من هذا الوجه ، وقد روي عن مجاهد و[١] عائشة(٤٠١) وأبي هريرة(٤٠٢) عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم

= عن مجاهد به .

وأخرجه الطبراني أيضًا (٢٠٠) من طريق إبراهيم بن بشار الرمادي ثنا سفيان عن داود بن شابور عن مجاهد به وقال الترمذي : « حسن غريب من هذا الوجه » ورجاله ثقات من رجال « التهذيب » غير أنه قد أعل من هذا الوجه - كما يأتي - وله طريق آخر أخرجه الطبراني (٢٠١) عن عثمان بن عطاء الخراساني عن أبيه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده به غير أن عثمان بن عطاء « ضعيف » وانظر ما بعره .

(٤٠١) - أخرجه أحمد (٦/ ٩١، ١٢٥) وابن راهويه في مسنده (١٧٤٥/٣) وأبو القاسم البغوي في « مسند ابن الجعد » (٢٨٠١) وابن عدي في « الكامل » (٢٢٤١/٦) والخرائطي في « المكارم » (ص٣٦) والطبراني في « المكارم » (٢٠٣) وتمام في فوائده (١٢٦٨/٤) والخطيب في « تاريخ بغداد » (١٨٧/٤) من طريق محمد بن طلحة بن مصرف ، أخرجه أحمد (١٨٧/٦) وإسحاق بن راهويه في مسنده (١١٩٦/٣) والخرائطي والطبراني (٢٠٢) والدارقطني في « العلل » (٨/س ١٥٣٨) وأبو نعيم في « الحلية » (٣٠٧/٣) من طريق سفيان الثوري ، كلاهما (محمد وسفيان) عن زبيد عن مجاهد عن عائشة به وزاد الطبراني في رواية محمد ب طلحة - بين مجاهد وعائشة « عن جابر » .

وقال الدارقطني : « اختلف فيه على مجاهد فرواه يونس بن ابي إسحاق عن مجاهد عن ابي هريرة وهو الآتي بعد هذا - وخالفه بشير بن سليمان فرواه عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو وخالفهما زبيد فرواه عن مجاهد عن عائشة، وقول زبيد اشبهها » وقال ابن أبي حاتم في « العلل » (٢/رقم ٢٢٢١) : « سألت أبي وأبا زرعة عن حديث مجاهد في قول النبي صلى الله عليه وسلم - أوصاني جبريل ... الحديث - واختلاف الرواة عن مجاهد فقال بشير بن سلمان عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو وقال يونس بن أبي إسحاق عن مجاهد عن أبي هريرة وقال زبيد عن مجاهد عن عائشة ، قال أبي حديث زبيد أشبه لأنه أحفظهم ولا أبعد أن يكون روى مجاهد عن كلاهم ، قال أبي وقد روى عن عبد الله بن عمرو من غير هذا الطريق قال أبو زرعة : سمعت أبا حفص الصيرفي يقول : سمعت يحيى بن سعيد يقول : الصحيح حديث زبيد وقال أبو زرعة : الصحيح حديث زبيد قلت له : فتعرف خلافًا سوى ما ذكرنا قال : لا » .

وحديث عائشة أخرجه البخاري (٦٠١٤) ومسلم (٢٦٢٤) من طريق أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن عمرة عن عائشة به .

(٤٠٢) - أخرجه أحمد (٢/ ٣٠٥، ٤٤٥) وابن ماجه . كتاب : الأدب ، باب : حق الجوار (٣٦٧٤) والخرائطي في « مكارم الأخلاق » ص٣٦) والطبراني في « المكارم » أيضًا (١٩٨) وأبو نعيم في « الحلية » (٣٠٦/٣) والدارقطني في « العلل » (٨/س ١٥٣٨) من طرق عن يونس بن أبي إسحاق =

[١] - في ت : «عن».

(الحديث الثالث [ ][١]) قال أحمد أيضًا (٤٠٣) : وحدثنا عبد اللَّه بن يزيد ، أخبرنا حيوة ، أخبرنا شرحبيل بن شريك ، أنه[٢] سمع أبا عبد الرحمن الحُبُلي يحدث عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه قال : « **خير الأصحاب عند اللَّه خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران عند اللَّه خيرهم لجاره** » .

ورواه الترمذي ، عن أحمد بن محمد ، عن عبد اللَّه بن المبارك ، عن حيوة بن شريح - به ، وقال : حسن غريب .

(الحديث الرابع) قال الإمام أحمد (٤٠٤) : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا سفيان ، عن أبيه ، عن عباية بن رفاعة ، عن عمر ، قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم: « **لا يشبع الرجل دون جاره** » . تفرّد به أحمد .

= عن مجاهد عن أبي هريرة به . وقال البوصيري : « إسناد صحيح رجاله ثقات ...» غير أن جماعة قالوا الصحيح فيه « مجاهد عن عائشة » انظر السابق ، لكن ورد حديث أبي هريرة من طريق آخر فأخرجه أحمد (٢/ ٢٥٩، ٤٥٨، ٥١٤) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (١٠١/٦) والبزار (١٨٩٨) وغيرهم من طريق شعبة عن داود بن فراهيج عن أبي هريرة به وصححه ابن حبان (٢/رقم ٥١٢) وداود بن فراهيج مختلف فيه فوثقه ابن حبان « الثقات » (٢١٦/٤) وقال أبو حاتم « الجرح والتعديل » (٤٢٢/٣) « صدوق » وقال النسائي : « ليس بالقوي » - راجع « لسان الميزان » - وجزم الذهبي في « الميزان » بأنه ضعيف وأورد الهيثمي الحديث في « المجمع » (١٦٨/٨) وقال : « رواه البزار وفيه داود بن فراهيج وهو ثقة وفيه ضعف ، وبقية رجاله ثقات » .

(٤٠٣) - « المسند » (٢/ ١٦٧، ١٦٨) مقرونًا بـ « حيوة » ابنُ لهيعة ، ومن الطريقين أخرجه الدارمي (٢٤٤٢) وأخرجه الترمذى ، كتاب البر والصلة ، باب :ما جاء فى حق الجوار (١٩٤٤) ، والبخارى فى « الأدب المفرد » (١١٥) وعبد بن حميد فى « المنتخب » (٣٤٢) وغيرهم من طريق حيوة - وحده - به ، وقال الترمذى : « حديث حسن غريب » وصححه ابن خزيمة (٢٥٣٩/٤) وابن حبان (٢/ ٥١٨، ٥١٩) ، والحاكم (٤٤٣/١) على شرط الشيخين ووافقه الذهبى ، وشرحبيل بن شريك إنما احتج به مسلم دون البخارى وهو « ثقة » وقد استدرك الحاكم ذلك فاكتفى بتصحيح إسناده فقط فى (١٠١/٢) غير أنه وقع فى هذا مرة ثانية فى (١٦٤/٤) وتصحف فى هذا الموضع الأخير « شرحبيل بن شريك » إلى « شرحبيل بن مسلم » وسقط من الإسناد « أبو عبد الرحمن الحبلى » فليصحح من هنا وباللَّه التوفيق .

(٤٠٤) - « المسند » (٥٤/١) وفيه قصة طويلة ، وأخرجه أيضًا فى « الزهد » (ص ١٤٧) ثنا القواريرى عن عبد الرحمن بن مهدى به ، ومن طريق أحمد فى « المسند » أخرجه الحاكم فى « المستدرك » (١٦٧/٤) شاهدًا ، وأخرجه أبو يعلى فى مسنده . عزاه له الهيثمى فى « المجمع » (١٧٠/٨) - ومن طريقه اختاره الضياء المقدسى فى « المختارة » (٢٤٣/١) - ثنا القواريرى عبيد اللَّه بن عمر ، ثنا ابن مهدى =

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « عنه » . [٢] - في ز ، خ : «أو» .

(الحديث الخامس) قال الإمام أحمد (٤٠٥) : حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان ، حدثنا محمد بن سعد الأنصاري ، سمعت أبا ظبية[١] الكلاعي ، سمعت

= به ، وهو في « الزهد » لابن المبارك (٥١٥) من طريق يعقوب بن إبراهيم ، ثنا عبد الرحمن بن مهدي به ، وجوَّد إسناده الذهبي في « تلخيص المستدرك » مع أنه ضعفه في كتابه « حق الجار » (رقم ٥٤) والأخير أشبه فإن فيه انقطاعًا بين عباية وعمر ، وبذلك أعله الهيثمي فقال : « رواه أحمد وأبو يعلى ببعضه ورجاله رجال الصحيح إلا أن عباية بن رفاعة لم يسمع من عمر » وذكره المصنف في « مسند الفاروق » (١/ ٢٦٥) كما هنا وقال : « إسناد صحيح إلا أن عباية بن رفاعة بن خديج الأنصاري لم يدرك عمر بن الخطاب ، قاله أبو زرعة الرازي والدارقطني » وذكر الأخير الحديث في كتابه « العلل » (٢/س ١٥٤) وقال : « يرويه سعيد بن مسروق عن عباية بن رفاعة ، واختلف عنه فرواه سفيان الثوري وأخوه عمر بن سعيد ، عن أبيهما ، عن عباية بن رفاعة مرسلاً عن عمر مرفوعًا إلى النبي ﷺ ورواه قيس بن الربيع عن سعيد بن مسروق ، عن عباية ، عن جده رافع بن خديج ، عن عمر ، عن النبي ﷺ متصلاً ، وتابعه على ابن أحمد بن بسطام عن الجوَّاز عن ابن عيينة عن عمر بن سعيد بن مسروق ، عن أبيه ، عن عباية بن رفاعة ، عن رافع عن عمر ، ورواه غيره عن الجوَّاز ، فلم يذكر فيه رافع بن خديج وكذلك رواه ابن المبارك - راجع « الزهد » (٥١٣، ٥١٨) و « مسند الشهاب » (٦٧/٢) - عن ابن عيينة عن عمر بن سعيد عن أبيه عن عباية بن رفاعة عن رافع ، عن عمر ، ولعل ما قاله ابن بسطام عن الجوَّاز وهم منه ، أو ممن روى عنه أراد أن يقول : عباية بن رفاعة بن رافع ، عن عمر ، فقال : عن رافع عن عمر ، وروى أبو حيان التيمي الحديث بطوله وفيه قصة سعد ومحمد بن مسلمة - وانظر « الحلية » لأبي نعيم (٢٧/٩) وتحرف فيه « عباية » إلى « عبادة » فليصحح - حين بعث به عمر ليحرق باب دار سعد بن أبي وقاص بالكوفة ، رواه عن عباية بن رفاعة بن رافع بن خديج عن عمر ، ولم يسند فيه عن النبي ﷺ شيئًا والصواب رواية الثوري وأخيه عمر بن سعيد وبالله التوفيق .

(٤٠٥) - « المسند » (٨/٦) وسيذكره المصنف كما هنا في سورة الفرقان / آية ٦٨، وأخرجه البخاري في « الأدب المفرد » (١٠٣) وفي « التاريخ الكبير » (٥٤/٨) والبزار في مسنده (٢١١٥/٦) « البحر الزخار » والطبراني في « المعجم الكبير » (٢٠/رقم ٦٠٥) وفي « الأوسط » (٦٣٣٣/٦) ، والبيهقي في « الشعب » (٩٥٥٢/٧) والمزي في « تهذيب الكمال » (٢٦١/٢٥) ترجمة محمد بن سعد الأنصاري - من طرق عن محمد بن فضيل به وقال الطبراني : « لا يروى هذا الحديث عن المقداد إلا بهذا الإسناد ، تفرد به محمد بن فضيل » وهو صدوق روى له الجماعة غير أن أبا طيبة - ويقال أبا ظبية - الكلاعي قال الحافظ في التقريب : مقبول ، وبناءً على ذلك ذكر الحديث في « الفتح » (٤٩٤/٨) ، (٤٤٢/١٠) وسكت عنه ، لكن جوَّد إسناده الألباني في « الصحيحة » (١/رقم ٦٥) وتعقب الحافظ فقال : « قول الحافظ في الكلاعي هذا « مقبول » يعني عند المتابعة فقط - ليس بمقبول ، فقد وثقه ابن معين ، وقال الدارقطني : « ليس به بأس » وذكره ابن حبان في « الثقات » (٢٧٠/١) فهو حجة » وقال المنذري في : « الترغيب والترهيب » (٣/ ٢٧٩، ٣٥٢) والهيثمي في « المجمع » (١٧١/٨) « رواه أحمد والطبراني في « الكبير » و « الأوسط » ورجاله ثقات » وقد وهم فيه الذهبي في كتاب « حق =

[١] - في ز : « ضبية » .

المقداد بن الأسود يقول ، قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم لأصحابه : [« **ما تقولون في الزنا** » ؟ قالوا][١] : [حرام حرّمه اللّه ورسوله ، فهو حرام إلىٰ يوم القيامة . فقال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم :][٢] « **لأن يزني الرجل بعشرة نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره** » . قال : « **ما تقولون في السرقة** » ؟ قالوا : حرّمها اللّه ورسوله ، فهي حرام . قال : « **لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من جاره** » . تفرّد به أحمد ، وله شاهد في الصحيحين من حديث ابن مسعود (٤٠٦) ، قلت : يا رسول اللّه ، أي الذنب أعظم؟ قال : « **أن تجعل للّه ندًا وهو خلقك** » . قلت : ثم أي؟ قال « **أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك** » . قلت : ثم أي؟ قال « **أن تزاني حليلة جارك** » .

(الحديث السادس) قال الإمام أحمد (٤٠٧) : حدثنا يزيد ،أخبرنا هشام ، عن حفصة ، عن أبي العالية ، عن رجل من الأنصار ، قال : خرجت من أهلي أريد النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم فإذا به قائم ورجل معه مقبل[٣] عليه ، فظننت أن لهما حاجة ، قال الأنصاري : لقد قام رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم حتىٰ جعلت أرثي لرسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم من طول القيام ، فلما انصرف قلت : يا رسول اللّه لقد قام بك هذا الرجل حتىٰ جعلت أرثي لك من طول القيام . قال : « **ولقد رأيته** » ؟ قلت : نعم . قال : « **أتدري من هو؟** » قلت : لا . قال : « **ذاك جبريل ما زال يوصيني بالجار حتىٰ ظننت أنه سيورثه** » ثم[٤] قال : « **أما إنك لو سلمت عليه[٥] لرّد[٦] عليك السلام** » .

= الجار » (رقم ٢٥) وهمًا فاحشًا حيث ذكره من طريق ابن فضيل عن محمد بن سعيد - كذا - عن أبى طيبة به وقال : « محمد بن سعيد هو المصلوب متهم » كذا قال والذى فى هذا الحديث إنما هو الأنصارى - كما فى مصادر التخريج - دون المصلوب راجع « التهذيب » .

(٤٠٦) - تقدم تخريجه سورة البقرة / آية ٢٢، ١٦٥.

(٤٠٧) - « المسند » (٥/ ٣٢، ٣٦٥) مقرونًا بـ « يزيد » محمد بن جعفر ثنا هشام به ، غير أنه قال : « عن الأنصارى » وأخرجه الطحاوى فى « مشكل الآثار » (٢٧/٤) والخرائطى فى « مكارم الأخلاق » (ص ٣٥، ٣٦) من طريق هشام به ، ولم يعزه السيوطي فى « الدر المنثور » (٢٨٣/٢) لغير أحمد ، وذكره الهيثمى فى « المجمع » (١٦٧/٨) وقال : « رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح » وصحح إسناده الألبانى فى « الإرواء » (٨٩١/٣ / ص ٤٠٣) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ
[٣] - في خ: «يقبل».
[٤] - سقط من: خ.
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « ردّ » .

(الحديث السابع) قال عبد بن حميد في مسنده (٤٠٨) : حدثنا يعلى بن عبيد ، حدثنا أبو بكر - يعني : المدني - عن جابر بن عبد الله ، قال : جاء رجل من العوالي ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وجبريل - عليه السلام - يصليان حيث يصلىٰ علىٰ الجنائز فلما انصرف قال الرجل : يا رسول الله ؛ من هذا الرجل الذي رأيت يصلي[١] معك؟ قال : « وقد رأيته؟ » . قال : نعم. قال : « **لقد رأيت خيرًا كثيرًا ، هذا جبريل ، ما زال يوصيني بالجار حتىٰ رأيت[٢] أنه سيورثه** » . تفرّد به من هذا الوجه ، وهو شاهد للذي قبله .

(الحديث الثامن) قال أبو بكر البزار (٤٠٩) : حدثنا عبيد الله[٣] بن محمد أبو الربيع الحارثي ، حدثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك ، أخبرني عبد الرحمن بن الفضيل[٤] ، عن عطاء الخراساني ، عن الحسن ، عن جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه

(٤٠٨) - « المنتخب من المسند » لعبد بن حميد (رقم ١١٢٩) وأشار إليه الحافظ ابن حجر فى « الفتح » (٤٤٢/١٠) ونسبه لعبد بن حميد فحسب ، وأخرجه البخارى فى « الأدب المفرد » (١٢٦) ثنا مخلد بن مالك قال : ثنا أبو زهير عبد الرحمن بن مغراء ، والبزار (١٨٩٧/٢/ كشف الأستار) ثنا محمد بن موسى ، ثنا زياد بن عبد الله ، كلاهما (عبد الرحمن وزياد) عن أبى بكر الفضل بن مبشر به ، وهذا إسناد ضعيف وعلته أبو بكر المدينى الفضل بن مبشر فقد ضعفه ابن معين والنسائى ولينه أبو زرعة ، وقال أبو حاتم : « ليس بالقوى ، يكتب حديثه » « التهذيب » وقال أبو أحمد بن عدى « الكامل » (٦/ ٢٠٤٣) : « له عن جابر أحاديث دون العشرة ، وعامتها مما لا يتابع عليه » والحديث ذكره الهيثمى فى « المجمع » (١٦٨/٨) وقال : « رواه البزار وفيه الفضل بن مبشر وثقه ابن حبان وضعفه غيره ، وبقية رجاله ثقات » .

(٤٠٩) - هو فى « كشف الأستار » (٢/رقم ١٨٩٦) وفى « مختصر الزوائد » لابن حجر (١٨٠٤/٢) وقال البزار : « لا نعلمه عن النبى ﷺ إلا بهذا الإسناد » وذكره الهيثمى فى « المجمع » (١٦٧/٨) وقال : « رواه البزار عن شيخه عبد الله بن محمد الحارثى وهو وضاع » وبه أعله ابن حجر فقال : « الحارثى متهم » لكن الحارثى هذا تابعه الحسين بن عيسى البسطامى ثنا محمد بن أبى فديك به ؛ أخرجه أبو نعيم فى « الحلية » (٢٠٧/٥) والحسين بن عيسى ثقة من رجال « التهذيب » ، وقال أبو نعيم : « غريب من حديث عطاء عن الحسن لم نكتبه إلا من حديث ابن أبى فديك » وهو صدوق روى له الجماعة كما فى « التقريب » - غير أن شيخه لم أهتد لترجمته ، وعطاء الخراسانى : « صدوق يهم كثيرًا ويرسل ويدلس » وكذا شيخه الحسن البصرى معروف بالتدليس ولم يصرح بالسماع بل نفى على بن المدينى سماعه من جابر . والحديث ذكره الحافظ ابن حجر في « الفتح » (٤٤٢/١٠) وعزاه للطبرانى ولم أهتد له فى معاجمه الثلاثة وعلقه القرطبى فى « الجامع لأحكام القرآن » (١٨٤/٥) بصيغة التمريض وضعفه الحافظ زين الدين العراقى - كما فى « تخريج أحاديث الإحياء (١٨٣٧/٣) المستخرج » - ورمز لضعفه السيوطى فى « الجامع » وكذا ضعفه العجلونى فى « كشف الخفاء » (٢٩٤/١) وزادا نسبته =

[١] - سقط من : خ.
[٢] - في ز : « روت » .
[٣] - في الكشف عبد الله .
[٤] - في ت : « الفضل » .

وسلم : « **الجيران ثلاثة ؛ جار له حق واحد ، وهو أدنىٰ الجيران حقًّا ، وجار له حقان ، وجار له ثلاثة حقوق ، وهو أفضل الجيران حقًّا ؛ فأمّا الجار[١] الذي له حق واحد فجار مشرك لا رحم له ، له حق الجوار ، وأما الجار[٢] الذي له حقّان : فجار مسلم له حق الإسلام وحق الجوار ، وأما الذي له ثلاثة حقوق : فجار مسلم ذو رحم ، له حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم** » .

قال البزار[٣] : لا نعلم أحدًا روىٰ عن عبد الرحمن بن الفضيل إلا ابن أبي فديك .

(الحديث التاسع) قال الإمام أحمد (٤١٠) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبي عمران ، عن طلحة بن عبد[٤] اللَّه ، عن عائشة ، أنها سألت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقالت : إن لي جارين فإلىٰ أيهما أهدي؟ قال : « **إلىٰ أقربهما منك بابا** » .

ورواه البخاري من حديث شعبة به .

[(الحديث العاشر) روىٰ الطبراني (٤١١) ، وأبو نعيم ، عن عبد الرحمن [بن أبي قراد] ، قال : إن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم توضأ ، فجعل الناس يتمسحون

= إلى أبي الشيخ في « الثواب » وقال المناوي في « فيض القدير » (٣/٣٦٧) : « وقال بعضهم له طرق متصلة ومرسلة وكلها لا تخلو من مقال ورواه الطبراني عن شيخه عبد اللَّه بن محمد الحازمي قال الهيثمي وهو وضاع » وفي الباب :عن عبد اللَّه بن عمرو عند ابن عدي في « الكامل » (٥/١٨١٨) ومن طريقه البيهقي في « الشعب » (٧/٩٥٦٠) من طريق سويد بن عبد العزيز عن عثمان عن عطاء الخراساني عن أبيه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعًا بحديث طويل ، قال البيهقي : « سويد بن عبد العزيز وعثمان بن عطاء وأبوه ضعفاء غير أنهم غير متهمين بالوضع وقد روى بعض هذه الألفاظ من وجه آخر ضعيف » وأعل أبو حاتم الرازي حديث عبد اللَّه بن عمرو هذا فانظر « العلل » (رقم ٦٣٩، ٢٣٥٧) .

(٤١٠) - « المسند » (٦/١٧٥) وأخرجه أيضًا (٦/ ١٨٧، ١٩٣، ٢٣٩) والبخاري ، كتاب الشفاعة ، باب :أيُّ الجوار أقرب (٢٢٥٩) - وانظر أطرافه ثمة - من طرق عن شعبة به ، وأخرجه أبو داود كتاب الأدب ، باب :في حق الجوار (٥١٥٥) من طريق الحارث بن عبيد عن أبي عمران به .

(٤١١) - أخرجه أبو نعيم في « المعرفة » (٢/ورقة ٥/ مخطوط) ثنا عبد اللَّه بن جعفر ثنا إسماعيل بن عبد اللَّه ، ثنا مسلم بن إبراهيم ، ثنا الحسن بن أبي جعفر عن أبي جعفر الأنصاري عن الحارث بن فضيل عن عبد الرحمن بن أبي قراد أن النبي ﷺ توضأ يومًا فجعل الناس يتمسحون بوضوئه قال النبي ﷺ : « ما حملكم على ذلك ؟ » قالوا : حب اللَّه ورسوله قال : « من سره أن يحبه اللَّه ورسوله فليصدق في حديثه إذا حدَّث وليؤد أمانته إذا ائتمن ، وليحسن جوار من جاوره » وأخرجه البيهقي في =

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « البزاز » .
[٤] - في ز ، خ : « عبيد » .

بوضوئه ، فقال : « **ما يحملكم علىٰ ذلك** » قالوا : حب اللَّه ورسوله . قال : « **من سرَّه أن [يحبه] اللَّه ورسوله ، فليصدق الحديث إذا حدث ، وليؤدِّ الأمانة إذا ائتمن** »

(الحديث الحادي عشر) قال أحمد [٤١٢] : حدثنا قتيبة ، حدثنا ابن لهيعة ، [عن أبي عشانة عن

=« الشعب » (١٥٣٣/٢) ، والذهبي في « كتاب حق الجار » (رقم ٦٢) معلقًا من طريق مسلم بن إبراهيم به ، وابن منده في « المعرفة » (١/٢١/٢) - كما في « الصحيحة » للألباني (٢٩٩٨/٦) - من طريق الحسن بن أبي جعفر به وقال الذهبي عقبه : « إسناده جويد » مع أنه ترجم للحسن بن أبي جعفر في « الميزان » وذكر تضعيف الأئمة له واعتمد هو نفسه ذلك في « المغني » فقال : « ضعفوه » وبه أعله الحافظ ابن حجر في « الإصابة » (٤١٩/٢) فقال بعد أن عزاه لابن منده : « في إسناده الحسن - تصحفت إلى الحارث - ابن أبي جعفر وهو ضعيف وقد خالفه فيه ضعيف آخر » وهو عبيد بن واقد القيسي فأخرجه ابن أبي عاصم في « الآحاد والمثاني » (١٣٩٧/٣) - ومن طريقه ابن الأثير في « أسد الغابة » (٢٥٣/٦) - ثنا محمد بن المثنى ، والطبراني في « الأوسط » (٦٥١٧/٦) ثنا محمد بن زُريق ، ثنا محمد بن هشام السدوسي - ومن هذا الوجه أخرجه في « المعجم الكبير » أيضًا (ق ٤٧/ ١ - مجموع ٦) وعنه ابن منده في « المعرفة » (٢/٢٥٩/٢) كما في « الصحيحة » - وأبو نعيم أيضًا ثنا سليمان بن أحمد ، ثنا حفص بن عمر الرقي ، ثنا مسلم بن إبراهيم ثلاثتهم (محمد بن المثنى ، محمد ابن هشام ، ومسلم بن إبراهيم) نا عبيد بن واقد القيسي ، ثنا يحيى بن أبي عطاء ، عن عمير بن يزيد - وهو أبو جعفر الأنصاري - عن عبد الرحمن بن الحارث عن أبي قراد السلمي قال : كنا عند رسول اللَّه ﷺ فدعا بطهور فذكر الحديث بنحوه وقال الطبراني : « لا يُروى هذا الحديث عن أبي قراد إلا بهذا الإسناد ، تفرد به : عبيد بن واقد » وهو أضعف من الحسن بن أبي جعفر ولذلك قال الحافظ في « الإصابة » (١٦٠/٤) : « مداره على عبيد بن قيس وهو ضعيف ، وقد خالفه ضعيف آخر وهو الحسن بان أبي جعفر فرواه ... فأحد الطريقين وهم وأخلق أن تكون هذه أولى » ومن قبله أعله به شيخه الهيثمي في « المجمع » (١٤٨/٤) فقال : « رواه الطبراني في « الأوسط » وفيه عبيد بن واقد القيسي وهو ضعيف » وذكره أيضًا (٢٧٤/٨) غير أنه وقع فيه : « عن عبد الرحمن بن الحارث بن أبي مرداس السلمي قال : كنا عند النبي ﷺ الحديث » ووقع قبل ذلك في « الترغيب والترهيب » (٥٨٩/٣) : « عن عبد الرحمن بن الحارث بن أبي قراد السلمي ... » ولا شك أن كليهما مصحف وصوابه : « عبد الرحمن بن الحارث عن أبي قراد السلمي » وقال المنذري : « رواه الطبراني » زاد الهيثمي : « وفيه عبيد بن واقد القيسي وهو ضعيف » لكن للحديث شاهدين من رواية أنس بن مالك ورجل من الأنصار ، وبهما وبهذا صحح الألباني هذا الحديث فأودعه في « الصحيحة » واللَّه الموفق .

(٤١٢) - « المسند » (١٥١/٤) وأخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٧/رقم ٨٥٢) ثنا جعفر بن محمد الفريابي ، ثنا قتيبة به ، والروياني في مسنده (١/رقم ٢٣٤) نا ابن إسحاق ، أنا عثمان ، نا ابن لهيعة به . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٣٥٢/١٠) وقال : « رواه أحمد بإسناد حسن » وابن لهيعة ضعيف الحفظ ، ولذا ضعف إسناده العراقي - كما في « فيض القدير » للمُناوي (٨٥/٣) - غير أن الطبراني أخرجه (٨٣٦) من طريق آخر قال : ثنا أبو الزنباع روح بن الفرج ، ثنا يحيى بن سليمان الجعفي ، ثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن أبي عشانة به . وجوَّد هذا الإسناد المنذري =

عقبة بن عامر] قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن أوّل خصمين يوم القيامة جاران** » . الحديث][١] .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **والصاحب بالجنب** ﴾ قال الثوري ، عن جابر الجعفي ، عن الشعبي ، عن علي وابن مسعود : قالا : هي المرأة (٤١٣) .

وقال ابن أبي حاتم : وروي عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ وإبراهيم النخعي والحسن وسعيد بن جبير - في إحدىٰ الروايات - نحو ذلك .

وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة : هو الرفيق في السفر . وقال سعيد بن جبير : هو الرفيق الصالح . وقال زيد بن أسلم هو : جليسك في الحضر ، ورفيقك في السفر .

وأما ﴿ **ابن السبيل** ﴾ فعن ابن عباس وجماعة : هو الضيف .

وقال مجاهد وأبو جعفر الباقر ، والحسن والضحاك ومقاتل : هو الذي يمر عليك مجتازًا في السفر . وهذا أظهر ، وإن كان مراد القائل بالضيف : المار في الطريق ؛ فهما سواء ، وسيأتي الكلام علىٰ أبناء السبيل في سورة براءة ، وبالله الثقة وعليه التكلان .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وما ملكت أيمانكم** ﴾ وصية بالأرقاء ؛ لأن الرقيق ضعيف الجنبة[٢] ، أسير في أيدي الناس ؛ ولهذا ثبت أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم جعل يوصي أمّته في مرض الموت ، يقول : « **الصلاة الصلاة ، وما ملكت أيمانكم** »(٤١٤) . فجعل يردّدها حتىٰ ما يفيض بها لسانه .

= فى « الترغيب والترهيب » (٣/٣٥٥) وذكره الهيثمى أيضًا (٤/١٧٣) وقال : « رواه أحمد والطبرانى بنحوه وأحد إسنادى الطبراني رجاله رجال الصحيح غير أبى عشانة وهو ثقة » ورمز لحسنه السيوطى فى « الجامع الكبير » ، وأقره الألبانى فكان من نصيب « صحيح الجامع » (٢/٢٥٦٠) .

(٤١٣) - تقدم تخريجه برقم (٣٩٩) وكلام ابن أبى حاتم الذى عقبه فى تفسيره (٣/٥٣٠٢) .

(٤١٤) - أخرجه ابن ماجة (٢٦٩٧) والنسائى فى « الكبرى » (٤/٢٥٨) وأحمد (٣/١١٧) وأبو يعلى (٥/ ٢٩٣٣) وصححه ابن حبان (١٤/٦٦٠٥) وحسن إسناده البوصيرى فى « الزوائد » (٢/٣٦١) من حديث أنس بن مالك ، وفي الباب :عن على عند أبى داود (٥١٥٦) وابن ماجة (٢٦٩٨) وأحمد (١/ ٧٨) وإسناده حسن ، وعن أم سلمة عند ابن ماجة (١٦٢٥) ، وأحمد (٦/٣١١) وقال البوصيرى (١/ ٥٤٠) : « إسناده صحيح على شرط الشيخين » .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - في ت : «الحيلة» .

وقال الإمام أحمد(٤١٥) : حدثنا إبراهيم بن أبي العباس ، حدثنا بقية ، حدثنا بحير[١] بن سعد ، عن خالد بن معدان ، عن المقدام بن معد يكرب ، قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة ،** [**وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة**][٢] ، **وما أطعمت زوجتك**[٣] **فهو لك صدقة ، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة** » .

ورواه النسائي من حديث بقية ، وإسناده صحيح ، ولله الحمد .

وعن عبد اللّٰه بن عمرو ، أنه قال لقهرمان له : هل أعطيت الرقيق قوتهم؟ قال : لا . قال : فانطلق فأعطهم ، فإن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **كفىٰ بالمرء إثمًا أن يحبس عمن يملك قوتهم** » . رواه مسلم (٤١٦) .

وعن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **للمملوك طعامه وكسوته ، ولا يكلف من العمل إلا ما يطيق** » . رواه مسلم أيضًا (٤١٧) . وعنه عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه

(٤١٥) - « المسند » (١٣١/٤) وهذا إسناد شامي صحيح ، ولا يخشى من عنعنة بقية فإنه ثبت في روايته عن الشاميين ، كما قال ابن عدى فى « الكامل » (٥١٢/٢) - ومن طريق بقية أخرجه النسائى فى « السنن الكبرى » (٩٢٠٤/٥) والبخارى فى « الأدب المفرد » (٨٢، ١٩٥) والطبرانى فى « المعجم الكبير » (٦٣٤/٢٠) وفى « مسند الشاميين » (١١٢٤) ومن طريقه أبو نعيم فى « الحلية » (٣٠٩/٩) - ولوين فى « جزء من حديثه » (رقم ١٠٧) ومن طريقه وطريق آخر أبو نعيم أيضًا فى « أخبار أصبهان » (٧٦/٢) وابن عساكر فى « تاريخ دمشق » (٥١٧/٥) - وابن أبي الدنيا فى « كتاب العيال » (١٦، ٣٣) والبيهقى فى « السنن الكبرى » (١٧٩/٤) ورواه أحمد أيضًا (١٣٢/٤) من طريق إسماعيل بن عياش عن بحير به وإسماعيل ثبت أيضًا فى روايته عن الشاميين . والحديث أورده المنذرى فى « الترغيب والترهيب » (٦٢/٣) وقال : « رواه أحمد بإسناد جيّد » وقال الهيثمى فى « المجمع » (١٢٢/٣) : « رواه أحمد ورجاله ثقات » وغفل عن عزوه إلى الطبراني !! ورمز لحسنه السيوطى فى « الجامع الكبير » فتعقبه المناوى فى « فيض القدير » - بعد إيراد كلام المنذرى والهيثمى - قال : « وبه يعرف أن رمز المؤلف لحسنه تقصير ، وأنه كان الأولى الرمز لصحته » ولذلك كان من نصيب صحيحة الألبانى (١/ ٤٥٢) .

(٤١٦) - أخرجه مسلم ، كتاب الزكاة (٤٠) (٩٩٦) .

(٤١٧) - أخرجه مسلم ، كتاب الأيمان (٤١) (١٦٦٢) .

[١] - في ز : « بجير » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز : « زوجك » .

وسلم قال : « **إذا أتىٰ أحدكم خادمه بطعامه ، فإن لم يجلسه[١] معه فليناوله لقمة أو لقمتين ، أو أكلة أو أكلتين ، فإنه ولي حره وعلاجه** » .

أخرجاه(٤١٨) ، ولفظه للبخاري ، ولمسلم : « **فليقعده معه ، فليأكل ، فإن كان الطعام مشفوهًا قليلًا ، فليضع في يده أكلة أو أكلتين** » .

وعن أبي ذر - رضي اللَّه عنه - عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **هم إخوانكم خولكم ، جعلهم اللَّه تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده ، فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم** » . أخرجاه (٤١٩) .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **إن اللَّه لا يحب من كان مختالًا فخورًا** ﴾ أي : مختالًا في نفسه ، معجبًا متكبرًا فخورًا علىٰ الناس ، يرىٰ أنه خير منهم ، فهو في نفسه كبير ، وهو عند اللَّه حقير ، وعند الناس بغيض .

قال مجاهد ، في قوله : ﴿ **إن اللَّه لا يحب من كان مختالًا** ﴾ : يعني متكبرًا . ﴿ **فخورًا** ﴾ يعني : يعد ما أعطي ، وهو لا يشكر اللَّه تعالىٰ ، يعني : يفخر علىٰ الناس بما أعطاه اللَّه من نعمه ، وهو قليل الشكر للَّه علىٰ ذلك .

وقال ابن جرير(٤٢٠) : حدثني القاسم ، حدّثنا الحسين ، حدثنا محمد بن كثير ، عن عبد اللَّه ابن واقد [ ][٢] أبي رجاء الهروي ، قال : لا تجد سيئ الملكة إلا وجدته مختالًا فخورًا ، وتلا :

(٤١٨) - أخرجه البخارى ، كتاب العتق ، باب : إذا أتى أحدكم خادمُهُ بطعامه (٢٥٥٧) ، كتاب الأطعمة ، باب : الأكل مع الخادم (٥٤٦٠) من طريق شعبة عن محمد بن زياد عن أبى هريرة به . ومسلم ، كتاب الأيمان ، باب :إطعام المملوك مما يأكل (٤٢) (١٦٦٣) ، وأبو داود ، كتاب الأطعمة ، باب :فى الخادم يأكل مع المولى (٣٨٤٦) من طريق داود بن قيس عن موسى بن يسار عن أبى هريرة به .

(٤١٩) - أخرجه البخارى ، كتاب الإيمان ، باب :المعاصى من أمر الجاهلية (٣٠) ، ومسلم ، كتاب الأيمان ، باب :إطعام المملوك مما يأكل ، وإلباسه مما يلبس (٣٨، ٤٠) (١٦٦٢) ، وأبو داود ، كتاب الأدب ، باب :فى حق المملوك (٥١٥٧، ٥١٥٨) ، والترمذى ، كتاب البر والصلة ، باب :ما جاء فى الإحسان إلى الخدم (١٩٤٥) ، وابن ماجة ، كتاب الأدب ، باب :الإحسان إلى المملوك (٣٦٩٠) وكذا أحمد (٥/ ١٥٨، ١٦١) من طريقين عن المعرور بن سويد عن أبى ذر به وفيه قصة .

(٤٢٠) - تفسير ابن جرير (٩٤٩٢/٨) ومحمد بن كثير هو المصيصى « ضعيف » ورواه ابن أبى حاتم فى تفسيره (٥٣١٥/٣) بنحوه عن العوام بن حوشب .

[١] - في خ : « يجلس » .

[٢] - بعده في خ : « عن » خطأ .

﴿ وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالًا فخورًا ﴾ . ولا عاقًّا إلا وجدته جبارًا شقيًّا ، وتلا : **﴿ وبرًّا بوالدتي ولم يجعلني جبارًا شقيًّا ﴾** .

وروىٰ ابن أبي حاتم ، عن العوام بن حوشب ، مثله في المختال الفخور ، وقال (٤٢١) : حدثنا أبي ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا الأسود بن شيبان ، حدثنا يزيد بن عبد اللّٰه بن الشخير ، قال : قال مطرف : كان يبلغني عن أبي ذر حديث ، كنت أشتهي لقاءه ، فلقيته ، فقلت : يا أبا ذر ، بلغني أنك تزعم أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم حدثكم : « **إن اللّٰه يحب ثلاثة ويبغض ثلاثة** » ، قال : أجل . فلا إخالني[١] ، أكذب علىٰ خليلي ، ثلاثًا[٢] ، قلت : من الثلاثة الذين يبغض اللّٰه ؟ قال : المختال الفخور ، أو ليس تجدونه عندكم في كتاب اللّٰه المنزل ، ثم قرأ الآية **﴿ إن اللّٰه لا يحب من كان مختالًا فخورًا ﴾** .

(٤٢١) - تفسير ابن أبي حاتم (٣/٥٣١٣) وأخرجه الطيالسي في مسنده (٤٦٨) ومن طريقه ابن أبي عاصم في « الجهاد » (١/رقم ١٢٨) والبيهقي في « السنن الكبرى » (٩/١٦٠) والذهبي في « حق الجار » (٥٦) معلقًا وأخرجه أحمد في « المسند » (٥/١٧٦) ثنا يزيد - وهو ابن هارون - والبزار في مسنده (٩/ رقم ٣٩٠٨) البحر الزخار » من طريق روح بن عبادة ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٢/١٦٣٧) والحاكم في « المستدرك » (٢/ ٨٨، ٨٩) وعنه البيهقي في « شعب الإيمان » (٧/٩٥٤٩) من طريق مسلم بن إبراهيم أربعتهم (أبو داود ويزيد وروح ومسلم) نا الأسود بن شيبان به مطولًا وبيانه : « أن رسول اللّٰه قال : إن اللّٰه يحب ثلاثة ، ويبغض ثلاثة ... قلت - مطرف بن عبد اللّٰه - : فمن الثلاثة الذين يحبهم اللّٰه ؟ قال : رجل لقي العدو فقاتل وإنكم لتجدون ذلك في الكتاب عندكم : **﴿ إن اللّٰه يحب الذين يقاتلون في سبيله صفًا ﴾** قلت : ومن ؟ قال : رجل له جار سوء فهو يؤذيه ويصبر على أذاه فيكفيه اللّٰه بحياة أو موت ، قال : ومن ؟ قال : رجل كان مع قوم في سفر فنزلوا فعرسوا قد شق عليهم الكرى والنعاس ووضعوا رءوسهم فناموا وقام فتوضأ وصلّى رهبة للّٰه ورغبة إليه ، قلت : فمن الثلاثة الذين يبغضهم اللّٰه ؟ قال : البخيل المنان والمختال الفخور وإنكم لتجدون في كتاب اللّٰه : **﴿ إن اللّٰه لا يحب كل مختال فخور ﴾** قال : فمن الثالث ؟ قال : التاجر الحلّاف أو البائع الحلّاف » وصححه الحاكم على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي ، وقال البزار : « وهذا الكلام قد روى بعضه عن أبي ذر من غير وجه - انظر ما تقدم (سورة آل عمران / آية ٧٧) - ولا نعلمه يروى عنه بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه ، ولا روى مطرف عن أبي ذر إلا هذا الحديث » ومطرف ثقة فاضل ومن دونه ثقات أثبات ، فالإسناد صحيح وقد ذكر الحديث المنذري في « الترغيب والترهيب » (٣/٣٦٠) وقال : « رواه أحمد والطبراني واللفظ له وأحد إسنادي أحمد رجالهما محتج بهم في الصحيح ، ورواه الحاكم وغيره بنحوه وقال : صحيح على شرط مسلم » وكذا ذكره الهيثمي في « المجمع » (٧/ ١٧٣، ١٧٤) وقال : « رواه النسائي وغيره - تقدم (آل عمران /٢٢) غير ذكر الجار - رواه أحمد والطبراني وإسناد الطبراني وأحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح » .

[١] - في ز : « إخالك » . [٢] - في ز : « ثلاث » .

وحدثنا أبي(٤٢٢) ، حدثنا موسىٰ بن إسماعيل ، حدثنا وهيب بن[١] خالد ، عن أبي تميمة ، عن رجل من بني[٢] بَلْهُجَيم ، قال : قلت يا رسول اللَّه ؛ أوصني ؛ قال : « **إياك وإسبال الإزار ، فإن إسبال الإزار من المخيلة ، وإن اللَّه لا يحب المخيلة** » .

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾﴾

يقول تعالىٰ ذامًّا الذين[٣] يبخلون بأموالهم أن ينفقوها فيما أمرهم اللَّه به - من بر الوالدين ، والإحسان إلىٰ الأقارب واليتامىٰ والمساكين والجار ذي القربىٰ والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم من الأرقاء - ولا يدفعون حق اللَّه فيها ، ويأمرون الناس بالبخل أيضًا ، وقد قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **وأي داء أدوأ من**

تنبيه : أخرج الحديث ابن أبى الدنيا فى « مكارم الأخلاق » (رقم ٣٢٦) والخطيب فى « تاريخ بغداد » (١٣٣/١٠) ومن طريقه ابن الجوزى فى « العلل المتناهية » (٢/رقم ١٢١٧) من طريق بقية بن الوليد نا عيسى بن إبراهيم نا الأسود بن شيبان به بلفظ : « إن اللَّه يحب الرجل له الجار السوء يؤذيه فيصبر على أذاه ويحتسبه حتى يكفيه اللَّه بحياة أو بموت » قال ابن الجوزى : « هذا لا يصح ، قال يحيى : عيسى ابن إبراهيم ليس بشيء ، وبقية كان مدلسًا سمع من المتروكين والمجهولين ويدلس » وهذا مردود بمتابعة غير واحد من الثقات لبقية وعيسى - كما ذكرنا أعلاه - ولذلك رمز لتصحيحه السيوطى فى « الجامع الصغير » غير أن المناوى فى « فيض القدير » (٢٩٢/٢) تعقبه بذكر كلام ابن الجوزى السابق ، وتبعه الألبانى فأودعه فى « ضعيف الجامع » (١١٣/٢) فيحتمل أنه لم يقف على الطريق السابق فليحول إلى الصحيح وباللَّه التوفيق .

(٤٢٢) - تفسير ابن أبى حاتم (٥٣١٤/٣) وهو جزء من حديث طويل أخرجه مطولًا ومختصرًا أحمد (٥/ ٦٣) وأبو داود (٤٠٧٥، ٤٠٨٤، ٥٢٠٩) ، والترمذى (٢٧٢١، ٢٧٢٢) ، والنسائى فى « الكبرى » (٥/ ٤٨٦، ٤٨٧) (٦/ ٨٧، ٨٨) وغيرهم والصحابى المبهم هو « جابر بن سُلَيم أبو جُرَيٍّ الهجيمي » وقال الترمذى : « حديث حسن صحيح » وصححه ابن حبان (٢/ ٥٢١، ٥٢٢) .

---

[١] - في ز ، خ : «عن».

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « للذين » .

البخل » (٤٢٣) . وقال : « **إياكم والشح ؛ فإنه أهلك من كان قبلكم ، أمرهم بالقطيعة فقطعوا ، وأمرهم بالفجور ففجروا** »(٤٢٤) .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ويكتمون ما آتاهم اللَّه من فضله** ﴾ فالبخيل جحود لنعمة اللَّه عليه لا تظهر عليه ، ولا تبين ، لا في مأكله[١] ، ولا في ملبسه ، ولا في إعطائه وبذله ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **إن الإنسان لربه لكنود ، وإنه علىٰ ذلك لشهيد** ﴾ أي : بحاله وشمائله ﴿ **وإنه لحب الخير لشديد** ﴾ وقال هٰهنا : ﴿ **ويكتمون ما آتاهم اللَّه من فضله** ﴾ ولهذا توعدهم بقوله : ﴿ **وأعتدنا للكافرين عذابًا مهينا** ﴾ والكفر : هو الستر والتغطية ، فالبخيل يستر نعمة اللَّه عليه ويكتمها ويجحدها ، فهو كافر لنعم اللَّه عليه .

وفي الحديث (٤٢٥) : « **إن اللَّه إذا أنعم نعمة علىٰ عبد أحب أن يظهر أثرها عليه** » . وفي

---

(٤٢٣) - ورد من حديث كعب بن مالك فأخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٩/رقم ١٦٣) - وعنه أبو نعيم في « المعرفة » (١١٤٨/٣) - ثنا جعفر بن سليمان النوفلي ، ثنا عبد العزيز بن عبد اللَّه الأويسي ، ثنا إبراهيم بن سعد عن الزهري عن ابن كعب بن مالك عن أبيه أن النبي ﷺ قال: « من سيدكم يا بني سلمة ؟ » قالوا : الجد بن قيس على أنا نزنه ببخل ، فقال : « وأي داء أدوأ من البخل ؟ » قالوا : فمن سيدنا يا رسول اللَّه ؟ قال : « بشر بن البراء بن معرور » وأخرجه ابن حجر في « تغليق التعليق » (٣٤٧/٣) من طريق ابن منده ، أنا عبد اللَّه بن جعفر القارئ ثنا يعقوب بن سفيان ، ثنا عبد العزيز الأويسي ثنا إبراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب به . وقد علق البخاري في صحيحه قوله : « من سيدكم » قال ابن حجر في « الفتح » (٥/ ١٨٧، ١٧٩) : « روى ابن منده وأبو الشيخ في « الأمثال » والوليد بن أبان في « كتاب الجود » له من حديث كعب بن مالك ... ورجال هذا الإسناد ثقات إلا أنه اختلف في وصله وإرساله على الزهري » ويبدو أنه رجح الوصل فجزم بصحة إسناده في « التغليق » وجاء أيضًا من حديث جابر بن عبد اللَّه عند البخاري في « الأدب المفرد » (٢٩٦) وغيره غير أنه قال فيه : « سيدكم عمرو بن الجموح » بدل « البراء بن معرور » وإسناد البخاري جيّد وصححه الألباني فأودعه في « صحيح الأدب المفرد » (٢٢٧) ورواه أيضًا من حديث أبي هريرة صححه الحاكم على شرط مسلم (٢١٩/٣) ، (١٦٣/٤) ولكن أعله الدارقطني في « العلل » (٨/س ١٣٩٩) بالإرسال (وانظر سورة التوبة / آية ٤٩) .

(٤٢٤) - يأتي تخريجه سورة الإسراء / آية ٢٩.

(٤٢٥) - أخرجه أحمد (٤٧٣/٣) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١٩/رقم ٦٢٣) من حديث مالك بن نضلة الجشمي وإسناده صحيح على شرط مسلم وصححه ابن حبان (٥٤١٧/١٢) وانظر ما يأتي سورة يونس / آية ٥٩ - وفي الباب :عن عبد اللَّه بن عمرو عند الترمذي (٢٨١٩) وقال : « حديث حسن » وانظر « الصحيحة » للألباني (٣/ ١٢٩٠، ١٣٢٠) .

---

[١] - في ز : « أكله » .

الدعاء النبوي : « **واجعلنا شاكرين لنعمتك ، مثنين بها عليك**[١] **قابليها** - [**ويروىٰ : قائليها**][٢] **وأتمها علينا** »(٤٢٦) .

وقد حمل بعض السلف هذه الآية علىٰ بخل اليهود ، بإظهار العلم الذي عندهم من صفة محمد صلىٰ الله عليه وسلم وكتمانهم ذلك ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وأعتدنا للكافرين عذابًا مهينًا** ﴾ . رواه ابن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، وقاله مجاهد وغير واحد .

ولا شك أن الآية محتملة لذلك ، والظاهر أن السياق في البخل بالمال ، وإن كان البخل بالعلم داخلا[٣] في ذلك بطريق الأولىٰ ، فإن سياق الكلام في الإنفاق علىٰ الأقارب والضعفاء ، وكذلك[٤] الآية التي بعدها ، وهي قوله : ﴿ **والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس** ﴾ فإنه ذكر الممسكين المذمومين وهم البخلاء ، ثم ذكر الباذلين المرائين ، الذين يقصدون بإعطائهم

(٤٢٦) - أخرجه أبو داود ، كتاب الصلاة ، باب :من ذكر التورك فى الرابعة (٩٦٩) والحاكم فى « المستدرك » (٢٦٥/١) من طريق إسحاق بن يوسف ، والبزار فى مسنده « البحر الزخار » (١٧٤٥/٥) والطبرانى فى « المعجم الكبير » (١٠٤٢٦/١٠) - ومن طريقه وطرق أخرى أبو نعيم فى « الحلية » (٤/ ١١٠) - من طريق على بن حكيم الأودى وابن حبان فى صحيحه (٩٩٦/٣) من طريق يعقوب بن إبراهيم ، ثلاثتهم (إسحاق وعلى ويعقوب) ثنا شريك عن جامع بن أبى راشد - تحرف عند أبى داود وابن حبان إلى « جامع بن شداد » وأثبته على الصواب محقق « موارد الظمآن » (٨/رقم ٢٤٢٩) وانظر « تحفة الأشراف » (٩٢٣٩/٧) - عن أبى وائل عن عبد الله مرفوعًا به ضمن حديث طويل وقال أبو نعيم : « غريب من حديث جامع ، تفرد به على عن شريك » وهذا مردود فإن عليًّا متابع كما ترى وأضبط منه قول البزار عقبه : « وهذا الحديث بهذا اللفظ ، لا نعلم رواه إلا جامع بن أبى راشد عن أبى وائل عن عبد الله » وجامع وأبو وائل ثقات أثبات ولذا صححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبى وذكره الهيثمى فى « المجمع » (١٨٢/١٠) - وهو على غير شرطه - وقال : « رواه الطبرانى فى « الكبير » و « الأوسط » وإسناد الكبير جيد » غير أن شريك بن عبد الله سيئ الحفظ لكنه توبع فأخرجه الحاكم أيضًا من طريق محمد بن جرير الطبرى ثنا عثمان بن يحيى القوفسانى ، ثنا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبى رواد ثنا ابن جريج عن جامع به ، وإسناده حسن لولا عنعنة ابن جريج ، وأخرجه الطبرانى فى « الأوسط » (٥٧٦٩/٦) من طريق الوليد بن القاسم ، نا داود بن يزيد الأودى ، عن شقيق بن سلمة أبى وائل به نحوه ، وقال : « لم يرو هذا الحديث عن داود الأودى إلا الوليد بن القاسم » وهو صدوق يخطئ « كما فى التقريب » لكن شيخه ضعيف ، فالمعتمد الإسناد الأول وبالله التوفيق .

تنبيه : أورد السيوطى هذا الحديث فى « الجامع الصغير » ورمز لحسنه بعد أن عزاه إلى الطبرانى والحاكم ،

[١] - سقط من : ز ، خ . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - في ز : « داخل » . [٤] - في ز : « وكذا » .

السمعة وأن يمدحوا بالكرم ، ولا يريدون بذلك وجه اللّٰه ، وفي [الحديث الذي فيه][١] الثلاثة الذين هم أول من تسجر بهم النار ؛ وهم العالم والغازي والمنفق المراءون بأعمالهم ، يقول صاحب المال : ما تركت من شيء تحب أن ينفق فيه إلا أنفقت في سبيلك . فيقول اللّٰه : كذبت ؛ إنما أردت أن يقال : جواد[٢] فقد قيل . أي : فقد أخذت جزاءك في الدنيا ، وهو الذي أردت بفعلك(٤٢٧) .

وفي الحديث أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال لعدي [بن حاتم][٣] : **« إن أباك رام[٤] أمرًا فبلغه »**(٤٢٨) .

وفي حديث آخر أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم سئل عن عبد اللّٰه بن جدعان ، هل ينفعه إنفاقه وإعتاقه؟ فقال : **« لا ، إنه لم يقل يومًا من الدهر : رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين »**(٤٢٩) .

ومن قبله اكتفى الهيثمى بعزوه إلى الطبرانى وبناءً على ذلك فقد تعقب الألبانى فى « تمام المنة » (ص ٢٢٥) مصنف كتاب « فقه السنة » فى عزوه هذا الحديث لأبى داود وزعم أن « عزوه لأبى داود خطأ » وحق هذا التعقيب أن يتعقب فالحديث فى أبى داود كما تقدم بيانه واللّٰه المستعان .

(٤٢٧) - أخرجه مسلم ، كتاب الإمارة ، باب :من قاتل للرياء والسمعة استحق النار (١٥٢) (١٩٠٥) وكذا أحمد (٢/ ٣٢١، ٣٢٢) ، والنسائى (٦/٢٣) من حديث أبى هريرة .

(٤٢٨) - أخرجه أحمد (٤/ ٢٥٨، ٣٧٧، ٣٧٩) والطيالسى فى مسنده (١٠٣٤) وابن حبان فى صحيحه (٢/رقم ٣٣٢) والطبرانى فى « المعجم الكبير » (١٧/رقم ٢٥٠) والبيهقى فى « السنن الكبرى » (٧/٢٧٩) وفى « الشعب » (٥/٦٨٤١) من طريق سماك بن حرب عن مُرَى بن قطرى عن عدى بن حاتم قال : قلت : يا رسول اللّٰه إن أبى كان يصل الرحم ويفعل كذا وكذا فقال ... فذكر الحديث قال الهيثمى فى « المجمع » (١/١٢٤) : « رواه أحمد ورجاله ثقات ، والطبرانى فى الكبير » وصحح الحاكم (٤/٢٤٠) هذا الإسناد على شرط مسلم ، وسكت عنه الذهبى وذلك بناء على قوله فى « الميزان » : « مُرَى بن قَطَرى عن عدى بن حاتم ، لا يعرف ، تفرد عنه سماك بن حرب ، كوفى » وقال الحافظ فى « التقريب » : « مقبول » وقد فاتهما توثيق ابن معين له فى رواية عثمان بن سعيد الدارمى (رقم ٧٦٦) وكذا وثقه ابن حبان « الثقات » (٥/٤٥٩) وله شاهدان بإسناد ضعيف فى مسند سهل بن سعد وابن عمر انظر « المجمع » (١/١٢٤) .

(٤٢٩) - أخرجه أحمد (٦/ ٩٣، ١٢٠) ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب :الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل (٣٦٥) (٢١٤) من حديث عائشة .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « الحديث » .
[٢] - في ز ، خ : « كريم » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ت : « أراد » .

ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينًا فساء قرينًا** ﴾ . أي : إنما حملهم على صنيعهم هذا القبيح وعدولهم عن فعل الطاعة علىٰ وجهها الشيطانُ ، فإنه سوّل لهم وأملىٰ لهم ، وقارنهم وحسن[١] لهم القبائح ، [ولهذا قال تعالىٰ][٢] : ﴿ **ومن يكن الشيطان له قرينًا فساء قرينا** ﴾ ولهذا قال الشاعر :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليمًا** ﴾ أي : وأي شيء يضرهم[٣] [لو آمنوا بالله][٤] ، وسلكوا الطريق[٥] الحميدة ، وعدلوا عن الرياء إلىٰ الإخلاص والإيمان بالله ، رجاء موعوده في الدار الآخرة لمن يحسن عمله ، وأنفقوا مما رزقهم الله في الوجوه التي يحبها الله ويرضاها .

وقوله : ﴿ **وكان الله بهم عليمًا** ﴾ أي : وهو عليم بنياتهم الصالحة والفاسدة ، وعليم بمن يستحق التوفيق منهم فيوفقه ، ويلهمه رشده ، ويقيضه لعمل صالح يرضىٰ به عنه ، وبمن يستحق الخذلان والطرد عن الجناب[٦] الأعظم الإلهي الذي من طرد عن بابه فقد خاب وخسر في الدنيا والآخرة ، عياذًا بالله من ذلك .

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴿٤١﴾ يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا ﴿٤٢﴾

[يقول تعالىٰ مخبرًا][٧] أنه لا يظلم أحدًا[٨] من خلقه[٩] يوم القيامة مثقال حبة خردل

---

[١] - في ز : « فحسن » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٣] - في ز : « يكرثهم » ، خ : « يكربهم » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز : « الطرائق » .
[٦] - في ت : « جنابه » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « يخبر تعالى » .
[٨] - في خ : « عبدا » .
[٩] - في ز ، خ : « عباده » .

ولا مثقال ذرة ، بل يوفيها له ويضاعفها له إن كانت حسنة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين** ﴾ . وقال تعالىٰ مخبرًا عن لقمان أنه قال : ﴿ **يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السمٰوات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **يومئذ يصدر الناس أشتاتًا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرّة خيرًا يره ، ومن يعمل مثقال ذرّة شرًا يره** ﴾ .

وفي الصحيحين(٤٣٠) ، من حديث زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في حديث الشفاعة الطويل وفيه : فيقول الله -عز وجل- : « **ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال [حبة خردل]**[١] **من إيمان فأخرجوه من النار** » وفي لفظ : « **أدنىٰ أدنىٰ أدنىٰ مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه من النار . فيخرجون خلقا كثيرا** » . ثم يقول أبو سعيد : اقرءوا إن شئتم ﴿ **إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرًا عظيمًا** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم (٤٣١) : حدّثنا أبو سعيد الأشج ، حدّثنا عيسىٰ بن يونس ، عن هارون بن عنترة ، عن عبد الله بن السائب ، عن زاذان ، قال : قال عبد الله بن مسعود : يؤتىٰ بالعبد أو[٢] الأمة يوم القيامة ، فينادي مناد علىٰ رءوس الأوّلين والآخرين : هذا فلان بن فلان ، من كان له حق فليأت إلىٰ حقه . فتفرح المرأة أن يكون لها الحق علىٰ أبيها أو[٣] أمها[٤] أو أخيها أو زوجها [ثم قرأ][٥] : ﴿ **فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءَلون** ﴾ فيغفر الله من حقه ما يشاء ، ولا

(٤٣٠) - أخرجه البخارى ، كتاب التوحيد ، باب :قول الله تعالى : ﴿ **وجوة يومئذ ناضرة إلي ربها ناظرة** ﴾ (٧٤٣٩) ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب :معرفة طريق الرؤية (٣٠٢) (١٨٣) وكذا أخرجه أحمد (٣/ ١٦، ٩٤) والترمذى (٢٥٩٨) ، والنسائى (٨/ ١١٢، ١١٣) ، وابن ماجة (٦٠) كلهم من حديث أبى سعيد بالرواية الأولى ، وبالرواية الثانية إنما أخرجه البخارى ، كتاب التوحيد ، باب :كلام الربِّ عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (٧٥١٠) ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب :أدنى أهل الجنة منزلة فيها (٣٢٦) (١٩٣) من حديث أنس بن مالك .

(٤٣١) - تفسير ابن أبى حاتم (٥٣٣٥/٣) وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات من رجال « التهذيب » وعلقه ابن جرير فى تفسيره (٩٥٠٩/٨) : وحدثت عن محمد بن عبيد ، عن هارون بن عنترة به . وكان وصله قبل ذلك (٩٥٠٨/٨) : حدثنى المثنى ، ثنا مسلم بن إبراهيم ، ثنا صدقة بن أبى سهل ، ثنا أبو عمرو =

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « ذرة » .

[٢] - في ز : « و » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

يغفر من حقوق الناس شيئا ، فينصب للناس ، فينادىٰ : هذا فلان بن فلان ، من كان له حق فليأت إلى حقه . فيقول : يا[١]رب فنيت الدنيا ، من أين أوتيهم حقوقهم قال : خذوا الناس[٢] من أعماله الصالحة ، فأعطوا كل ذي حق حقه[٣] بقدر مظلمته[٤] ، فإن كان وليًا للّه ففضل له مثقال ذرّة ضاعفها اللّه له حتىٰ يدخله بها[٥] الجنة ثم قرأ علينا ﴿ **إن اللّه لا يظلم مثقال ذرّة ، وإن تك حسنة يضاعفها** ﴾ قال : ادخل الجنة ، وإن كان عبدًا شقيا ، قال الملك : رب فنيت حسناته وبقي طالبون كثير ؟ . فيقول[٦] : خذوا من سيئاتهم فأضيفوها[٧] إلىٰ سيئاته ، ثم صكوا له صكا إلىٰ النار .

ورواه ابن جرير من وجه[٨] آخر عن زاذان به نحوه ، ولبعض هذا الأثر شاهد في الحديث الصحيح .

وقال ابن أبي حاتم(٤٣٢) حدّثنا أبي ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا فضيل - يعني ابن مرزوق - عن عطية العوفي ، حدثني عبد اللّه بن عمر ، قال : نزلت هذه الآية في الأعراب ﴿ **من جاء**

= عن زاذان به . وقال الشيخ أبو الأشبال فى حاشية ابن جرير : « أبو عمرو لم أعرف من هو ؟ ففى هذه الكنية كثرة » قلت : ترجم ابن حجر فى « التهذيب » لـ « هارون بن عنترة » وكناه أبا عبد الرحمن غير أنه نقل عن أبى حاتم بن حبان أنه كناه « أبا عمرو » ثم قال : « وممن كناه أبا عمرو يحيى بن سعيد ، وابن المدينى ، والبخارى ، والنسائى ، وأبو أحمد الحاكم وغيرهم ، وهو الصحيح » فيحتمل أن يكون هو ، غير أنهم لم يذكروا فى الرواة عن عنترة من اسمه « صدقة بن أبى سهل » وقد ترجم ابن أبى حاتم الرازى لرجل اسمه « أبو عمرو الجملى » فقال - « الجرح والتعديل » (٤١٠/٩) - : « أبو عمرو الجملى ، روى عن زاذان ، روى عنه صدقة أبو سهل ، سمعت أبى يقول : هو مجهول » فاللّه أعلم . والأثر زاد نسبته السيوطى فى « الدر المنثور » (٢٩٠/٢) إلى عبد بن حميد !! ومن شواهد هذا الأثر حديث المفلس يوم القيامة وهو عند مسلم (٥٩) (٢٥٨١) من حديث أبى هريرة ، وانظر ما يأتى تحت آية ١٠١ / من سورة «المؤمنون» .

(٤٣٢) - تفسير ابن أبى حاتم (٥٣٣٨/٣) وإسناده ضعيف لضعف عطية العوفى ، وقد رواه ابن جرير فى تفسيره (٩٥١١/٨) من طريق يحيى بن أبى بكير ، ثنا فضيل بن مرزوق به ، غير أنه تصحف عنده « عبد اللّه بن عمر » إلى « عبد اللّه بن عمير » وزاد نسبته السيوطى فى « الدر المنثور » (٢٩٠/٢) إلى سعيد بن منصور وابن المنذر والطبرانى ، وقد ذكره الهيثمى فى « المجمع » (٢٦/٧) وقال : «=

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز ، خ : « طلبته » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « قال » .
[٧] - في ز : « فأضعفوها » .
[٨] - في خ : « وجوه » .

بالحسنة فله عشر أمثالها ﴾ قال رجل : فما للمهاجرين يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : ما هو أفضل من ذلك[١] ﴿ **إن اللَّه لا يظلم مثقال ذرّة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرًا عظيما** ﴾ .

وحدثنا أبو زرعة (٤٣٣) ، حدثنا يحيىٰ بن عبد اللَّه بن بكير ، حدثني عبد اللَّه بن لهيعة ، حدثني عطاء بن دينار ، عن سعيد بن جبير ، في قوله : ﴿ **وإن تك حسنة يضاعفها** ﴾ فأما المشرك فيخفف عنه العذاب يوم القيامة ، ولا يخرج من النار أبدًا . وقد يستدل[٢] له بالحديث الصحيح (٤٣٤) ، أن العباس قال : يا رسول اللَّه[٣] ؛ إن عمك[٤] أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل نفعته بشيء؟ قال « **نعم هو في ضحضاح من نار ، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار** » .

وقد يكون هذا خاصًّا بأبي طالب من دون الكفار ، بدليل ما رواه أبو داود الطيالسي في مسنده (٤٣٥) ، حدثنا عمران ، حدثنا قتادة ، عن أنس ، أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **إن اللَّه لا يظلم المؤمن حسنة ، يثاب عليها الرزق في الدنيا ، ويجزىٰ بها في الآخرة ، وأما الكافر فيطعم بها في الدنيا ، فإذا كان يوم القيامة لم يكن له حسنة** » .

وقال أبو هريرة وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والضحاك في قوله : ﴿ **ويؤت من لدنه أجرًا عظيما** ﴾ يعني : الجنة . [نسأل اللَّه الجنة][٥] .

= رواه الطبراني وفيه عطية وهو ضعيف » .

(٤٣٣) - تفسير ابن أبي حاتم (٥٣٣٦/٣) وابن لهيعة ضعيف والخبر لم يعزه السيوطي في « الدر المنثور » (٢٩١/٢) لغير ابن أبي حاتم .

(٤٣٤) - أخرجه البخارى ، كتاب مناقب الأنصار ، قصة أبي طالب (٣٨٨٣) ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب :شفاعة النبى ﷺ لأبى طالب والتخفيف عنه بسببه (٣٥٧: ٣٥٩) (٢٠٩) ، وأحمد (١/ ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١٠) من حديث العباس بن عبد المطلب .

(٤٣٥) - مسند الطيالسى (رقم ٢٠١١) وهذا تقصير من المصنف فى عزو الحديث ، استدركه هو نفسه فى تفسير سورة النحل / آية ٩٧ فعزاه إلى أحمد ومسلم ، وهو فى « المسند » (٣/ ١٢٣، ٢٨٣) ، وعند مسلم ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب :جزاء المؤمن بحسناته فى الدنيا والآخرة (٥٦، ٥٧) (٢٨٠٨) من طرق عن قتادة به .

---

[١] - في ز : « ذاك » .
[٢] - في ز : « استدل » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وقال الإمام أحمد(٤٣٦) : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا سليمان - يعني ابن المغيرة - عن علي ابن زيد ، عن أبي عثمان ، قال : بلغني عن أبي هريرة ، أنه قال : بلغني أن الله تعالىٰ يعطي العبد[١] المؤمن[٢] بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة . قال : فقضي أني انطلقت حاجا أو معتمرًا فلقيته ، فقلت : بلغني عنك حديث أنك تقول : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : [« إن الله -عز وجل- [يعطي العبد بالحسنة ألف ألف حسنة » . قال : أبو هريرة : لا بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم][٣] يقول[٤] : « **إن الله - عز وجل - يعطيه ألفي ألف حسنة . ثم تلا : ﴿ يضاعفها ويؤت من لدنه أجرًا عظيمًا ﴾** فمن يقدر قدره ؟ .

ورواه الإمام[٥] أحمد [أيضًا فقال][٦] : حدثنا يزيد ، حدثنا مبارك بن فضالة ، عن علي بن زيد ، عن أبي عثمان النهدي[٧] ، قال : أتيت أبا هريرة ، فقلت له : بلغني أنك تقول إن الحسنة تضاعف ألف ألف حسنة . قال : وما أعجبك من ذلك ، فو الله لقد سمعت - يعني - النبي

(٤٣٦) - « المسند » (٢/ ٥٢١، ٥٢٢) وذكره الهيثمى فى « المجمع » (١٠/١٤٨) وقال : « رواه أحمد بإسنادين ، والبزار بنحوه وأحد إسنادى أحمد جيد » فى الإسنادين على بن زيد بن جدعان وهو ضعيف ، واختلف عليه فيه فقال أبو الحسن الدارقطنى فى « العلل » (٨/س ١٥٥٨) : « يرويه على بن زيد بن جدعان ، واختلف عنه فرواه سفيان بن حسين - عند البزار فى مسنده (٢٠١/٢٤٢) مستفاد من هامش « العلل » - ومبارك بن فضالة - عند أحمد (٢/٢٩٦) وابن جرير (٥/٩٥١٠) - وسليمان بن المغيرة عن على بن زيد عن أبى عثمان النهدى عن أبى هريرة ورفعوه إلى النبى ﷺ ووقفه شعبة وغيره - كذا وابن أبى هند عند ابن أبى شيبة فى « المصنف » (٨/١٨٧) - عن على بن زيد عن أبى عثمان عن أبى هريرة قوله . ورواه زياد الجصاص - عند ابن أبى حاتم (٦/١٠٠٣٠) ومن أحد طرقه سيذكره المصنف عند آية رقم ٣٨ / سورة التوبة وزياد ضعيف - عن أبى عثمان ، عن أبى هريرة عن النبى ﷺ مرفوعًا وتابعه أبان بن أبى عياش عند عبد الرزاق فى تفسيره (١/١٦٠) وأبان متروك - عن أبى عثمان عن أبى هريرة عن النبى ﷺ مرفوعًا من رواية أبى سليم عبيد بن يحيى الكوفى وقع إلى الرقة - ثقة - عن أبى بكر بن عياش عن أبان وقال محمد بن إشكاب عن سعيد بن عامر عن أبان عن أبى عثمان عن أبى هريرة موقوفًا ، وقيل : عن ثابت البنانى عن أبى عثمان النهدى عن أبى ذر عن النبى ﷺ » والحديث ذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (١/٥٥٤) (٢/٢٩١) ، (٣/١٢١) وعزاه إلى أحمد وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن جرير وابن مردويه .

[١] - في ز ، خ : « عبده » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - سقط من : ت .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ .
[٧] - سقط من : ز .

صلىٰ اللَّه عليه وسلم - كذا قال أبي - يقول : « **إن اللَّه ليضاعف الحسنة ألفي ألف حسنة** » على بن زيد في أحاديثه نكارة ، فالله أعلم .

[ورواه ابن أبي حاتم من وجه آخر ، فقال : حدثنا أبو خلاد سليمان بن خلاد المؤدب ، حدثنا محمد الرفاعي ، عن زياد بن الجصاص ، عن أبي عثمان النهدي ، قال : لم يكن أحدٌ أكثر مجالسة مني لأبي هريرة ، فقدم قبلي حاجا ، وقدمت بعده ، فإذا أهل البصرة يأثرون عنه أنه قال : سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « **إنّ اللَّه يضاعف الحسنة ألف ألف حسنة** » فقلت : ويحكم ، ما كان أحد أكثر مجالسة مني لأبي هريرة ، وما سمعت منه هذا الحديث ، فهممت أن ألحقه فوجدته قد انطلق حاجا ، فانطلقت إلىٰ الحج أن ألقاه - في هذا الحديث - ورواه ابن أبي حاتم من طريق أخرىٰ فقال : حدثنا بشر بن مسلم ، حدثنا الربيع بن روح ، حدثنا محمد بن خالد الوهبي عن زياد بن الجصاص عن أبي عثمان قال : قلت : يا أبا هريرة ، سمعت إخواني بالبصرة يزعمون أنك تقول : سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « **إنّ اللَّه يجزي بالحسنه ألف ألف حسنة** » . فقال أبو هريرة : بلىٰ واللَّه سمعت نبي اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « **إن اللَّه يجزي بالحسنة ألفي ألف حسنة** » . ثم تلا هذه الآية : ﴿ **وما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل** ﴾][١] .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك علىٰ هؤلاء شهيدا** ﴾ يقول تعالىٰ مخبرًا عن هول يوم القيامة وشدّة أمره وشأنه ، فكيف يكون الأمر والحال يوم القيامة ، حين[٢] يجيء من كل أمّة بشهيد يعني الأنبياء عليهم السلام ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء** ﴾ الآية . وقال تعالىٰ : ﴿ **ويوم نبعث في كل أمّة شهيدًا عليهم من أنفسهم** ﴾ الآية .

و[٣]قال البخاري(٤٣٧) : حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن

(٤٣٧) - صحيح البخارى ، كتاب فضائل القرآن ، باب :قول المقرئ للقارئ حسبك (٥٠٥٠) ، وأخرجه كتاب التفسير ، باب : « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدًا » (٤٥٨٢) وانظر أطرافه عند هذا الموضع . ومسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب :فضل استماع القرآن (٨٠٠) (٢٤٧) ، وأحمد (١/ ٣٨٠، ٤٣٢) ، وأبو داود ، كتاب العلم ، باب :فى القصص (٣٦٦٨) ، والترمذى ، كتاب تفسير القرآن ، باب :ومن سورة النساء (٣٠٢٥) ، والنسائى فى « الكبرى » (٥/ ٢٨، ٢٩) من طرق عن سليمان الأعمش به ، وانظر ما بعده .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ. [٢] - في ز : « وحين » .
[٣] - سقط من : ز .

إبراهيم ، عن عبيدة ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال لي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **اقرأ علي** » . فقلت[١] : يا رسول الله ، أقرأ عليك وعليك أنزل . قال : « **نعم ، إني أحب أن أسمعه من غيري** » . فقرأت سورة النساء حتىٰ أتيت إلىٰ هذه الآية : ﴿ **فكيف إذا جئنا من كل أمّة بشهيد وجئنا بك علىٰ هؤلاء شهيدًا** ﴾ فقال[٢] : « **حسبك الآن** » . فإذا عيناه تذرفان .

ورواه هو ومسلم أيضا من حديث الأعمش به . وقد روي من طرق متعدّدة عن ابن مسعود ، فهو مقطوع به عنه .

ورواه أحمد(٤٣٨) من طريق أبي حيان وأبي رزين عنه . وقال ابن أبي حاتم(٤٣٩) : حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا ، حدثنا الصلت ابن مسعود الجحدري ، حدثنا فضيل بن سليمان ، حدثنا يونس بن محمد بن فضالة الأنصاري ، عن أبيه ، قال : - وكان أبي ممن صحب النبي صلىٰ الله عليه وسلم - أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أتاهم في بني ظفر ، فجلس علىٰ الصخرة التي في بني ظفر اليوم ، ومعه ابن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وناس من أصحابه ، فأمر النبي صلىٰ الله عليه وسلم قارئًا فقرأ حتىٰ أتىٰ[٣] علىٰ هذه الآية ﴿ **فكيف إذا جئنا من كل أمّة بشهيد وجئنا بك علىٰ هؤلاء شهيدا** ﴾ فبكىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حتىٰ اضطرب لحياه وجنباه ، فقال : « **يا رب هذا شهدت علىٰ من أنا بين ظهريه ، فكيف بمن لم أره** » .

---

(٤٣٨) - « المسند » (٣٧٤/١) وأخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٨٤٦٦/٩) من طريق أبي رزين عن ابن مسعود به ، وذكر طرقه أبو الحسن الدارقطني في « العلل » (٥/س ٨٠٦) ثم قال : « أصحها حديث الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله » .

(٤٣٩) - تفسير ابن أبي حاتم (٥٣٤٤/٣) وأخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٩/رقم ٥٤٦) ثنا محمد بن عبد الله الحضرمي وإبراهيم بن نائلة الأصبهاني قالا : ثنا الصلت بن مسعود به . وعلقه البخاري في « التاريخ الكبير » (١٦/١) وقال فضيل أبو كامل حدثنا فضيل بن سليمان بهذا الإسناد ، ومن هذه الطريق وصله البغوي في معجمه - كما في « الدر المنثور » (٢٩١/٢) - ومن طريقه الطبراني أيضًا ، وابن شاهين - كما في الإصابة لابن حجر (١٠٥/٩) - قال البغوي : ثنا أبو كامل الجحدري فضيل بن حسين ثنا فضيل بن سليمان به ، وعلقه أبو عبد الله القرطبي في « الجامع لأحكام القرآن » (٥/ ١٩٧) من طريق أبي الليث السمرقندي : حدثنا الخليل بن أحمد ثنا ابن منيع ثنا أبو كامل به . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٧/٧) وقال : « رواه الطبراني ، ورجاله ثقات » وحسن إسناده السيوطي !! مع أن فضيل بن سليمان وهو النُّميري أبو سليمان البصري ذكره ابن عدي وابن الجوزي والذهبي في جملة الضعفاء ، وقال ابن معين : ليس بثقة ، وقال أبو زرعة : لين الحديث ، وقال أبو حاتم والنسائي : =

---

[١] - في ز : « قلت » .

[٢] - في ز : « قال » . [٣] - في ز : « فأتى » .

وقال ابن جرير(٤٤٠) : حدثني [عبد الله بن محمد][١] الزهري . حدثنا سفيان ، عن المسعودي ، عن جعفر بن عمرو بن حريث[٢] ، [عن أبيه][٣] ، عن عبد الله - هو ابن مسعود - [في هذه الآية][٤] قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **شهيد عليهم ما دمت فيهم فإذا توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم** » .

وأما ما ذكره أبو عبد الله القرطبي في التذكرة حيث قال : باب ما جاء في شهادة النبي صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ أمته ، قال : أخبرنا[٥] ابن المبارك ، أخبرنا رجل من الأنصار ، عن المنهال بن عمرو ، حدثه أنه سمع سعيد بن المسيب ، يقول : ليس من يوم إلا يعرض فيه[٦] علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم أمّته غدوة وعشية ، فيعرفهم بأسمائهم وأعمالهم ، فلذلك يشهد عليهم يقول الله تعالىٰ : ﴿ **فكيف إذا جئنا من كل أمّة بشهيد وجئنا بك علىٰ هؤلاء شهيدا** ﴾ . فإنه أثر ، وفيه انقطاع ؛ فإن فيه رجلا مبهما لم يسم ، وهو من كلام سعيد بن المسيب ، لم يرفعه ، وقد قبله القرطبي ، فقال بعد إيراده : [قد تقدّم][٧] أن الأعمال تعرض علىٰ الله كل يوم اثنين وخميس ، [فإنها تعرض على][٨] الأنبياء والآباء والأمّهات يوم الجمعة . قال : ولا تعارض[٩] ، فإنه يحتمل أن يخص نبينا بما يعرض عليه كل يوم ، ويوم الجمعة مع الأنبياء [عليه و][١٠]عليهم [أفضل

= « ليس بالقوى » زاد أبو حاتم : « يكتب حديثه » وفى « التقريب » : « صدوق له خطأ كثير » وشيخه يونس بن محمد لم يوثقه غير ابن حبان « الثقات » (٦٤٧/٧) وله شاهد بإسناد فيه جهالة ، انظر « المجمع » (٧/ ٧، ٨) .

(٤٤٠) - تفسير ابن جرير (٩٥١٨/٨) وإسناده صحيح ، رجاله ثقات من رجال « التهذيب » وصحح الحاكم فى « المستدرك » (٣١٩/٣) حديثا بهذا الإسناد ووافقه الذهبى ، وسفيان هو الثورى ، والمسعودى هو معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، والخبر لم يعزه السيوطى فى « الدر المنثور » (٢٩٢/٢) لغير ابن جرير ، وأخرج الطبرانى فى « المعجم الكبير » (٩٧٨١/١٠) من طريق عثمان بن أبى شيبة ثنا أبو أسامة ثنا مسعر حدثنى معن عن جعفر بن عمرو بن حريث عن أبيه ، عن ابن مسعود قال : قال النبى - ص- : « كنت عليهم شهيدًا ما دمت فيهم » وقال الهيثمى فى « المجمع » (٢٢/٧) : « رجاله رجال الصحيح » .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « محمد بن عبد الله » .

[٢] - في ز : « خريث » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد** » .

[٥] - بياض في : ز ، سقط من : خ .

[٦] - سقط من : ز .

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٨] - ما بين المعكوفتين في ت : « على » .

[٩] - في ز : « يعارض » .

[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

الصلاة و[[١]]السلام .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **يومئذ يودّ الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوّىٰ بهم الأرض** ﴾ أي : لو انشقت وبلعتهم ، مما يرون من أهوال الموقف ، وما يحل بهم من الخزي والفضيحة والتوبيخ لقوله : ﴿ **يوم ينظر المرء ما قدّمت يداه** ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ **ولا يكتمون اللَّه حديثا** ﴾ إخبار[٢] عنهم بأنهم يعترفون بجميع ما فعلوه ، ولا يكتمون منه شيئًا .

و[٣]قال ابن جرير (٤٤١) : [حدثنا ابن حميد][٤] ، حدثنا حكام[٥] ، حدثنا عمرو ، عن مطرف ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير قال : أتىٰ رجل إلىٰ[٦] ابن عباس فقال له[٧] سمعت اللَّه - عز وجل - يقول - يعني إخبارًا عن المشركين يوم القيامة - إنهم قالوا : ﴿ **واللَّه ربنا ما كنا مشركين** ﴾ . وقال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **ولا يكتمون اللَّه حديثا** ﴾ فقال ابن عباس : أما قوله : ﴿ **واللَّه ربنا ما كنا مشركين** ﴾ فإنهم لما رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الإسلام ، قالوا : تعالوا فلنجحد . فقالوا : ﴿ **واللَّه ربنا ما كنا مشركين** ﴾ فختم اللَّه علىٰ أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم ﴿ **ولا يكتمون اللَّه حديثا** ﴾ .

وقال عبد الرزاق(٤٤٢) : أخبرنا معمر ، عن رجل ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، قال : جاء رجل إلىٰ ابن عباس فقال : أشياء تختلف عليَّ في القرآن . قال : ما هو أشك[٨] في القرآن ؟ قال : ليس هو بالشك ولكن اختلاف . قال : فهات ما اختلف عليك من ذلك . قال : أسمع اللَّه يقول : ﴿ **ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا واللَّه ربنا ما كنا مشركين** ﴾ وقال[٩] : ﴿ **ولا يكتمون اللَّه حديثا** ﴾ فقد كتموا [فقد كتموا][١٠] . فقال ابن عباس : أما قوله ﴿ **ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا واللَّه ربنا ما كنا مشركين** ﴾ فإنهم

(٤٤١) - تفسير ابن جرير (٨/٩٥٢٠) ويأتي تخريجه مُوسعًا فى سورة الأنعام / آية ٢٣.
(٤٤٢) - تفسير عبد الرزاق (١/ ١٦٠، ١٦١) وانظر السابق .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٢] - في ز : « أخبر » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - في خ : « حاكم » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - في ز : « أشكل » .
[٩] - في ز : « قال » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

لما رأوا يوم القيامة أن الله لا يغفر إلا لأهل الإسلام[١] ، ولا يتعاظمه ذنب أن يغفره ، ويغفر الذنوب ولا يغفر شركا ، جحد المشركون ، فقالوا : ﴿ **والله ربنا ما كنا مشركين** ﴾ رجاء أن يغفر لهم ، فختم الله علىٰ أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ، فعند ذلك ﴿ **يودّ الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوّىٰ بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا** ﴾ .

وقال جويبر ، عن الضحاك : إن نافع بن الأزرق أتىٰ ابن عباس ، فقال : يا ابن عباس قول الله تعالىٰ : ﴿ **يومئذ يودّ الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوّىٰ بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا** ﴾ وقوله : ﴿ **والله ربنا ما كنا مشركين** ﴾ فقال له ابن عباس : إني أحسبك قمت من عند أصحابك ، فقلت ألقي علىٰ ابن عباس متشابه القرآن ، فإذا رجعت إليهم فأخبرهم أن الله تعالىٰ يجمع[٢] الناس يوم القيامة في بقيع واحد ، فيقول المشركون : إن الله لا يقبل من أحد شيئًا إلا ممن وحده . فيقولون : تعالوا نقل . فيسألهم ، فيقولون : ﴿ **والله ربنا ما كنا مشركين** ﴾ قال : فيختم الله[٣] علىٰ أفواههم ويستنطق[٤] جوارحهم ، فتشهد عليهم جوارحهم أنهم كانوا مشركين . فعند ذلك يتمنون[٥] لو أن الأرض سويت بهم ﴿ **ولا يكتمون الله حديثًا** ﴾ رواه ابن جرير(٤٤٣) [٦] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾

ينهى تبارك وتعالىٰ عباده المؤمنين عن فعل الصلاة في حال السكر الذي لا يدري معه المصلي ما يقول ، وعن قربان [محالها التي][٧] هي المساجد للجنب ، إلا أن يكون مجتازًا من باب إلىٰ

(٤٤٣) - تفسير ابن جرير (٩٥٢٢/٨) وانظر السابق .

[١] - في ز : « السلام » .
[٢] - في ز : « جامع » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « وتستنطق » .
[٥] - في ز : « تمنوا » .
[٦] - في ز ، خ : « جبير » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز : « محلها و » .

باب ، من غير مكث ، وقد كان هذا قبل تحريم الخمر ، كما دل عليه[١] الحديث الذي ذكرناه في سورة البقرة عند قوله تعالىٰ ﴿ **يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير** ﴾ الآية . فإن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم تلاها علىٰ عمر فقال : اللهم بين لنا في الخمر بيانًا شافيًا . فلما نزلت هذه الآية تلاها عليه فقال : اللهم بين لنا في الخمر بيانًا شافيًا . فكانوا لا يشربون الخمر في أوقات الصلوات ، حتىٰ[٢] نزلت [ ][٣] : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون** ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ **فهل أنتم منتهون** ﴾ فقال عمر : انتهينا انتهينا .

وفي رواية إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو [هو ابن][٤] شرحبيل ، عن عمر بن الخطاب ، في قصة تحريم الخمر فذكر الحديث ، وفيه : فنزلت الآية التي في النساء : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارىٰ حتىٰ تعلموا ما تقولون** ﴾ فكان منادي رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم إذا قامت الصلاة ينادي أن لا يقربن الصلاة سكران ، لفظ أبي داود(٤٤٤) .

[وذكر ابن أبي شيبة][٥] في سبب نزول هذه الآية ما رواه ابن أبي حاتم(٤٤٥) ، حدّثنا يونس ابن حبيب ، حدّثنا أبو داود ، حدّثنا شعبة ، أخبرني سماك بن حرب قال : سمعت مصعب بن سعد يحدث عن سعد قال : نزلت في أربع آيات : صنع رجل من الأنصار طعامًا فدعا أناسًا من المهاجرين وأناسًا من الأنصار ، فأكلنا وشربنا حتىٰ سكرنا ، ثم افتخرنا ، فرفع رجل[٦] لحي بعير ففزر بها أنف سعد ، فكان سعد مفزور الأنف ، وذلك قبل تحريم[٧] الخمر ، فنزلت : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارىٰ** ﴾ الآية .

---

(٤٤٤) - سنن أبي داود ، كتاب الأشربة ، باب :في تحريم الخمر (٣٦٧٠) وتقدم تخريجه موسّعًا فى سورة البقرة / آية ٢٢٠.

(٤٤٥) - تفسير ابن أبي حاتم (٥٣٥٣/٣) ، والحديث فى مسند الطيالسى (رقم ٢٠٨) ، وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب :فى فضل سعد بن أبى وقاص - رضى اللَّه عنه - (٤٣، ٤٤) (١٧٤٨) من طريق زهير بن معاوية وشعبة به مطولاً ، وكتاب الجهاد والسير ، باب :الأنفال (٣٣، ٣٤) (١٧٤٨) من طريق أبى عوانة وشعبة عن سماك به مختصرًا ، وانظر ما بعده .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ز : « فلما » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « قوله » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ت : « بن » .

[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « وذكروا » .

[٦] - سقط من : ز .

[٧] - في ز : « أن تحرم » .

والحديث بطوله عند مسلم من رواية شعبة ورواه أهل السنن إلا ابن ماجة من طرق عن سماك به(٤٤٦) . (سبب آخر) : قال ابن أبي حاتم(٤٤٧) : حدّثنا محمد بن عمار ، حدثنا عبد الرحمن بن عبد اللّٰه الدشتكي ، حدثنا أبو جعفر ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، عن علي بن أبي طالب قال : صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعامًا ، فدعانا وسقانا من الخمر ، فأخذت الخمر منا ، وحضرت الصلاة فقدموا فلانا قال فقرأ : قل يا أيها الكافرون ما أعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون . فأنزل اللّٰه : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارىٰ حتىٰ تعلموا ما تقولون** ﴾ .

هكذا رواه ابن أبي حاتم ، وكذا رواه الترمذي ، عن عبد[١] بن حميد ، عن عبد الرحمن الدشتكي - به ، وقال : حسن صحيح .

وقد رواه ابن جرير (٤٤٨) ، عن محمد بن بشار ، عن عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان الثوري ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي عبد الرحمن ، عن علي أنه كان هو وعبد الرحمن ورجل آخر شربوا الخمر ، فصلىٰ بهم عبد الرحمن فقرأ : ﴿ **قل يا أيها الكافرون** ﴾ فخلط فيها ، فنزلت : ﴿ **لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارىٰ** ﴾ .

---

(٤٤٦) - كذا عزاه المصنف لهم من طريق سماك ، والذى أخرجه من هذه الطريق هو الترمذى فحسب فأخرجه كتاب تفسير القرآن ، باب :ومن سورة العنكبوت (٣١٨٩) من طريق شعبة عنه مختصرًا . بينما أخرجه أبو داود ، كتاب الجهاد ، باب :فى النفل (٢٧٤٠) ، والنسائى فى « التفسير » من « الكبرى » (١١١٩٦/٦) وكذا الترمذى ، باب : ومن سورة الأنفال (٣٠٧٩) من طرق عن أبى بكر بن عياش ، عن عاصم بن أبى النجود ، عن مصعب بن سعد به بقصة النفل ، وقد استدرك المصنف هذا الخطأ عند فاتحة سورة الأنفال ، وانظر أيضًا « تحفة الأشراف » لأبى الحجاج المزى (٣٩٣٠/٣) » .

(٤٤٧) - تفسير ابن أبى حاتم (٥٣٥٢/٣) وأخرجه عبد بن حميد فى « المنتخب » (٨٢) - وعنه الترمذى ، كتاب تفسير القرآن ، باب :ومن سورة النساء (٣٠٢٦) والضياء المقدسى فى « المختارة » (٢/ ٥٦٦) - والبزار فى مسنده « البحر الزخار » (٢/رقم ٥٩٨) ثنا أحمد بن محمد بن سعيد الأنماطى ، كلاهما (عبد بن حميد والأنماطى) نا عبد الرحمن بن عبد اللّٰه به .

وقال البزار : « هذا الحديث لا نعلمه يروى عن على - رضى اللّٰه عنه - متصل الإسناد إلا من حديث عطاء بن السائب عن أبى عبد الرحمن ....» وعطاء بن السائب مختلط ، ورواية أبى جعفر عنه بعد الاختلاط غير أن سفيان الثورى رواه عنه وهو الآتى ، والجمهور على أن سفيان روى عنه قبل الاختلاط ، ولذلك قال أبو عيسى الترمذى عقبه : « حديث حسن صحيح غريب » ومع هذا فقد حاول إعلاله المنذرى فى « مختصر سنن أبى داود » (٢٥٩/٥) !! .

---

[١] - في ز ، خ : «عبيد» .

وهكذا رواه أبو داود والنسائي من حديث الثوري - به .

ورواه ابن جرير أيضًا(٤٤٩) عن ابن حميد ، عن جرير ، عن عطاء ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، قال : كان علي في نفر من أصحاب النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم في بيت عبد الرحمن ابن عوف ، فطعموا ، فأتاهم بخمر فشربوا منها ، وذلك قبل أن يحرم الخمر ، فحضرت الصلاة ، فقدموا عليًا فقرأ بهم ﴿ **قل يا أيها الكافرون** ﴾ فلم يقرأها كما ينبغي فأنزل اللَّه - عز وجل - ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارىٰ** ﴾ .

ثم قال(٤٥٠) : حدثني المثنى ، حدثنا الحجاج بن المنهال ، حدثنا حماد ، عن عطاء بن السائب ، عن عبد اللَّه بن حبيب ، وهو أبو عبد الرحمن السلمي ، أن عبد الرحمن بن عوف صنع طعامًا وشرابًا ، فدعا نفرًا من أصحاب النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فصلىٰ بهم المغرب ، فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون ، وأنتم عابدون ما أعبد ، وأنا عابد ما عبدتم ، لكم دينكم ولي دين . فأنزل اللَّه [ ][١] : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارىٰ حتىٰ تعلموا ما تقولون** ﴾ .

[وقال العوفي عن ابن عباس في الآية[٢] :﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون** ﴾ :وذلك أن رجالًا كانوا يأتون الصلاة وهم سكارى ، قبل أن تحرم الخمر ، فقال اللَّه : ﴿ **لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى** ﴾ الآية . رواه ابن

(٤٤٨) - تفسير ابن جرير (٩٥٢٤/٨) ، وأخرجه أبو داود ، كتاب الأشربة ، باب :فى تحريم الخمر (٣٦٧١) - ومن طريقه وطريق آخر الضياء فى « المختارة » (٢/ ٥٦٧، ٥٦٨) ، والنسائى فى « التفسير » من « الكبرى » - كما فى « التحفة » (١٠١٧٥/٧) ، والنحاس فى « الناسخ والمنسوخ » (ص ٣٣٨) والحاكم فى « المستدرك » (٣٠٧/٢) وصححه ووافقه الذهبى من طريق سفيان الثورى عن عطاء بن السائب به ، وقال الحاكم : « فى هذا الحديث فائدة كثيرة وهى أن الخوارج تنسب هذا السكر وهذا القراءة إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب دون غيره ، وقد برأه اللَّه منها ، فإنه راوى هذا الحديث » .

(٤٤٩) - هذا الإسناد غير موجود هكذا فى تفسير ابن جرير ، وأخشى أن يكون نظر المصنف تحول إلى إسناد آخر ، فعقب الخبر الآتى (٩٥٢٧/٨) : ثنا ابن حميد ، قال ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن أبى رزين . فذكر كلامًا موقوفًا على أبى رزين .

(٤٥٠) - تفسير ابن جرير (٩٥٢٥/٨) غير أن فيه الذى صلّى بهم المغرب هو « على بن أبى طالب » .

[١] - بين المعكوفتين في ز : « هذه الآية » ، وفي خ : « عز وجل » .

[٢] - في ز : « قوله » .

جرير(٤٥١)][١] قال[٢] وكذا قال أبو رزين ومجاهد .

وقال عبد الرزاق(٤٥٢) ، عن معمر ، عن قتادة : كانوا يجتنبون السكر عند حضور الصلوات ، ثم نسخ بتحريم الخمر .

وقال الضحاك في الآية[٣] : لم يعن بها سكر الخمر . وإنما عنىٰ بها سكر النوم . رواه ابن جرير وابن أبي حاتم(٤٥٣) .

ثم قال ابن جرير : والصواب أن المراد سكر الشراب . قال : ولم يتوجه النهي إلىٰ السكران الذي لا يفهم الخطاب ، لأن ذاك في حكم المجنون ، وإنما خوطب بالنهي الثمل الذي يفهم التكليف و[٤]هذا حاصل ما قاله . وقد ذكره غير واحد من الأصوليين ، وهو أن الخطاب يتوجه[٥] إلىٰ من يفهم الكلام دون السكران الذي لا يدري ما يقال له فإن الفهم شرط التكليف ، وقد يحتمل أن يكون المراد التعريض بالنهي عن السكر بالكلية ، لكونهم مأمورين بالصلاة في الخمسة الأوقات من الليل والنهار ، فلا يتمكن شارب الخمر من أداء الصلاة في أوقاتها دائمًا ، والله أعلم . وعلىٰ هذا فيكون كقوله تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾ وهو الأمر لهم بالتأهب للموت علىٰ الإسلام ، والمداومة علىٰ الطاعة لأجل ذلك .

وقوله : ﴿ **حتىٰ تعلموا ما تقولون** ﴾ هذا أحسن ما يقال في حد السكران ، أنه الذي لا يدري ما يقول ؛ فإن المخمور فيه تخليط في القراءة وعدم تدبره[٦] وخشوعه فيها . وقد قال الإمام أحمد(٤٥٤) : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا أبي ، حدثنا أيوب ، عن أبي قلابة عن

(٤٥١) - تفسير ابن جرير (٩٥٢٦/٨) ، والعوفى ضعيف ، والخبر لم يعزه السيوطى فى « الدر المنثور » (٢/ ٢٩٤) لغير ابن جرير .

(٤٥٢) - تفسير عبد الرزاق (١٦٣/١) ومن طريقه ابن جرير (٩٥٣١/٨) .

(٤٥٣) - أخرجه ابن جرير (٩٥٣٣/٨) وابن أبي حاتم (٥٣٥٦/٣) بإسناد صحيح عنه ، وزاد نسبته السيوطى فى « الدر المنثور » (٢٩٤/٢) إلى الفريابى وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٤٥٤) - « المسند » (١٥٠/٣) وأخرجه أيضًا (١٠٠/٣) والبخارى ، كتاب الوضوء ، باب :الوضوء =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « قوله : ﴿ **لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى** ﴾ » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « توجه » .
[٦] - في ز : « تدبيره له » .

أنس ، قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إذا نعس أحدكم وهو يصلي ، فلينصرف فلينم ، حتىٰ يعلم ما يقول** » . انفرد بإخراجه [البخاري دون][١] مسلم ، فرواه هو والنسائي من حديث أيوب ، به ، وفي بعض ألفاظ الحديث(٤٥٥) : « **فلعله يذهب يستغفر فيسب نفسه** » .

وقوله : ﴿ **ولا جنبًا إلا عابري سبيل حتىٰ تغتسلوا** ﴾ قال ابن أبي حاتم(٤٥٦) : حدثنا محمد ابن عمار ، حدثنا عبد الرحمن الدشتكي ، أخبرنا أبو جعفر الرازي ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **ولا جنبا إلا عابري سبيل حتىٰ تغتسلوا** ﴾ قال : لا تدخلوا المسجد وأنتم جنب ، إلا عابري سبيل . قال : تمر به مرًّا ، ولا تجلس . ثم قال : وروي عن عبد اللّٰه بن مسعود وأنس وأبي عبيدة وسعيد بن المسيب وأبى الضحى وعطاء ومجاهد ومسروق وإبراهيم النخعي وزيد بن أسلم وأبي مالك وعمرو بن دينار والحكم ابن عتيبة[٢] وعكرمة والحسن البصري ويحيىٰ بن سعيد الأنصاري وابن شهاب وقتادة - نحو ذلك .

وقال ابن جرير (٤٥٧) : حدثنا المثنىٰ ، حدثنا أبو صالح ، حدثني الليث ، حدثنا يزيد بن أبي حبيب ، عن قول اللّٰه - عز وجل - : ﴿ **ولا جنبًا إلا عابري سبيل** ﴾ أن رجالًا من الأنصار كانت أبوابهم في المسجد ، فكانت تصيبهم الجنابة[٣] ولا ماء عندهم فيريدون الماء ، ولا يجدون ممرًّا إلا في المسجد ، فأنزل اللّٰه : ﴿ **ولا جنبًا إلا عابري سبيل** ﴾ .

= من النوم ، ومن لم ير من النَّعْسَة والنَّعْستين أو الخَفْقَة وُضوءًا (٢١٣) ، والنسائى ، كتاب الطهارة ، باب :فى الأمر بالوضوء من النوم (١/ ٢١٥، ٢١٦) من طريق أيوب به .

(٤٥٥) - صح هذا اللفظ من حديث عائشة عند البخارى (٢١٢) ، ومسلم (٢٢٢) (٧٨٦) ، وأحمد (٦/ ٥٦، ومواضع أخر) وأبى داود (١٣١٠) والترمذى (٣٥٥) والنسائى (٩٩/١) ، وابن ماجة (١٣٧٠) .

(٤٥٦) - تفسير ابن أبى حاتم (٥٣٦١/٣) وأخرجه ابن جرير (٩٥٥٣/٨) من طريق عبيد اللّٰه بن موسى ، والبيهقى فى « السنن الكبرى » (٤٤٣/٢) من طريق يحيى بن أبي بكير ، كلاهما (عبيد اللّٰه ويحيى) عن أبي جعفر الرازى به ، وعلقه البيهقى من طريق « أبى نعيم عن أبى جعفر به » وزاد نسبته السيوطى فى « الدر المنثور » (٢٩٥/٢) إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٤٥٧) - تفسير ابن جرير (٩٥٦٧/٨) وإسناده حسن إلى يزيد ، ولم يعزه السيوطى فى « الدر المنثور » (٢/ ٢٩٥) لغير ابن جرير .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ. [٢] - في ز : « عتبة » .

[٣] - في ز : « جنابة » .

ويشهد لصحة ما قاله يزيد بن أبي حبيب - رحمه الله - ما[١] ثبت في صحيح البخاري(٤٥٨) ، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **سدوا كل خوخة في المسجد إلا خوخة أبي بكر** » .

وهذا قاله في آخر حياته صلىٰ الله عليه وسلم علمًا منه أن أبا بكر - رضي الله عنه - سيلي الأمر بعده ، ويحتاج إلىٰ الدخول في المسجد كثيرًا للأمور المهمة فيما يصلح للمسلمين ، فأمر بسد الأبواب الشارعة إلىٰ المسجد إلا بابه - رضي الله عنه - ، ومن روىٰ إلا باب علي(٤٥٩) ، كما وقع في بعض السنن ، فهو خطأ ، والصواب[٢] ما ثبت في الصحيح . ومن هذه الآية احتج كثير من الأئمة علىٰ أنه يحرم علىٰ الجنب اللبث[٣] في المسجد ، ويجوز له المرور ، وكذا الحائض والنفساء أيضًا في معناه ، إلا أن بعضهم قال : يحرم[٤] مرورهما[٥] ؛ لاحتمال التلويث . ومنهم

(٤٥٨) - صحيح البخارى ، كتاب الصلاة ، باب :الخَوْخَة والمَمَرِّ فى المسجد (٤٦٧) من حديث ابن عباس وبنحوه (رقم ٤٦٦) من حديث أبى سعيد الخدرى .

(٤٥٩) - كذا خطأ المصنف هذه الرواية هنا مع أنه أورده فى كتابه « البداية والنهاية » (٣٧٩/٧) من حديث زيد بن أرقم والبراء بن عازب وابن عباس وسعد بن أبى وقاص برواية « إلا باب على » ثم قال : « وهذا لا ينافى ما ثبت فى صحيح البخارى من أمره - عليه السلام - فى مرض الموت بسد الأبواب الشارعة إلى المسجد إلا باب أبى بكر الصديق ؛ لأن نفى هذا فى حق عليّ كان فى حال حياته لاحتياج فاطمة إلى المرور من بيتها إلى بيت أبيها ، فجعل هذا رفقًا بها ، وأما بعد وفاته فزالت هذه العلة فاحتيج إلى فتح باب الصديق لأجل خروجه إلى المسجد ليصلى بالناس إذ كان الخليفة عليهم بعد موته عليه السلام ، وفيه إشارة إلى خلافته ...» وقد ذكر ابن حجر الحديث فى « الفتح » (٧/ ١٤، ١٥) من مسند المذكورين آنفًا حاشا البراء ، غير أنه زاده من رواية جابر بن سمرة وابن عمر ، ثم قال : « وهذه الأحاديث يقوى بعضها بعضًا وكل طريق منها صالح للاحتجاج فضلاً عن مجموعها » وقد أورد ابن الجوزى هذا الحديث فى « الموضوعات » (٣٦٣/١ - ٣٦٧) أخرجه من حديث سعد بن أبى وقاص وزيد بن أرقم وابن عمر مقتصرًا على بعض طرقه عنهم ، وأعله ببعض من تكلم فيه من رواته ، وليس ذلك بقادح لما ذكرت من كثرة الطرق ، وأعله أيضًا بأنه « مخالف للأحاديث الصحيحة الثابتة فى باب أبى بكر ، وزعم أنه من وضع الرافضة قابلوا به الحديث الصحيح فى باب أبى بكر » وأخطأ فى ذلك خطأً شنيعًا فإنه سلك فى ذلك رد الأحاديث الصحيحة بتوهمه المعارضة ، مع أن الجمع بين القصتين ممكن ، وقد أشار إلى ذلك البزار فى مسنده فقال : ورد من روايات أهل الكوفة بأسانيد حسان فى قصة على ، وورد من روايات أهل المدينة فى قصة أبى بكر ، فإن ثبتت روايات أهل الكوفة فالجمع بينهما بما دل عليه حديث أبى سعيد الخدرى - يأتى هنا برقم (٤٦٦) - ... والمعنى أن باب على كان إلى جهة المسجد ولم يكن لبيته =

[١] - في ز : « وما » .

[٢] - في ز ، خ : « والصحيح » .

[٣] - في ت : « المكث » .

[٤] - في ز ، خ : « يمنع » .

[٥] - في ز : « مرورها » .

من قال : إن أمنت كل واحدة منهما التلويث في حال المرور جاز لهما المرور ، وإلا فلا .

وقد ثبت في صحيح مسلم(٤٦٠) ، عن عائشة - رضي اللّٰه عنها - قالت : قال لي رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ناوليني الخمرة من المسجد** » ، فقلت : إني حائض فقال : « **إن حيضتك ليست في يدك** » وله عن أبي هريرة مثله(٤٦١) ، وفيه[١] دلالة علىٰ جواز مرور الحائض في المسجد ، والنفساء في معناها ، واللّٰه أعلم .

وروىٰ أبو داود(٤٦٢) من حديث أفلت بن خليفة العامري عن جسرة[٢] بنت دجاجة ، عن عائشة ، قالت : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وآله وسلم « **إني لا أحل المسجد لحائض ولا**

= باب غيره فلذلك لم يؤمر بسده ، ويؤيد ذلك ما أخرجه إسماعيل القاضى فى « أحكام القرآن » من طريق المطلب بن عبد اللّٰه بن حنطب « أن النبى ﷺ لم يأذن لأحد أن يمر فى المسجد وهو جنب إلا لعلي بن أبى طالب لأن بيته كان فى المسجد » ومحصل الجمع أن الأمر بسد الأبواب وقع مرتين ، ففى الأولى استثنى عليًا لِمَا ذكره ، وفى الأخرى استثنى أبا بكر ، ولكن لا يتم ذلك إلا بأن يحمل ما فى قصة عليّ على الباب الحقيقى ، وما فى قصة أبى بكر على الباب المجازى ، والمراد به الخوخة كما صرح به فى بعض طرقه ، وكأنهم لما أمروا بسد الأبواب سدوها وأحدثوا خوخًا يستقربون الدخول إلى ا لمسجد منها فأمروا بعد ذلك بسدها ، فهذه طريقة لا بأس بها في الجمع بين الحديثين ، وبها جمع بين الحديثين أبو جعفر الطحاوى فى « مشكل الآثار » وأبو بكر الكلاباذي فى « معانى الأخبار » وصرح بأن بيت أبى بكر كان له باب من خارج المسجد وخوخة إلى داخل المسجد ، وبيت علي لم يكن له باب إلا من داخل المسجد ، واللّٰه أعلم وبنحو هذا الكلام قاله فى « القول المسدد » (ص ١٦،١٩) اهـ .

(٤٦٠) - صحيح مسلم ، كتاب الحيض ،باب :جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله (١١، ١٣) (٢٩٨) ، وأخرجه أيضًا أحمد (٤٥/٦ ومواضع أخر) ، وأبو داود (٢٦١) ، والترمذى (١٣٤) ، والنسائى (١/ ١٤٦، ١٩٢) من طرق عن ثابت بن عبيد ، عن القاسم بن محمد عنها به .

(٤٦١) - صحيح مسلم ، كتاب الحيض ، باب :جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله (١٣) (٢٩٩) ، وكذا أخرجه أحمد (٤٢٨/٢) ، والنسائى (١/ ١٤٦، ١٩٢) من طريق يحيى بن سعيد عن يزيد بن كيسان عن أبى حازم عنه به نحو السابق .

(٤٦٢) - سنن أبى داود ، كتاب الطهارة ، باب : فى الجنب يدخل المسجد (٢٣٢) - ومن طريقه البيهقى فى « السنن الكبرى » (٤٤٢/٢) - ثنا مسدد ، وابن خزيمة فى صحيحه (٢/رقم ١٣٢٧) من طريق مُعلّى بن أسد ، والبخاري فى « التاريخ الكبير » (٦٧/٢) - ومن طريقه البيهقى - قال لنا موسى بن إسماعيل ، وإسحاق بن راهويه فى مسنده (٣/ رقم ١٧٨٣) أخبرنا أبو هشام المخزومى ، وأورده السيوطى فى « اللآلئ المصنوعة » (١/ ٣٢٣، ٣٢٤) من طريق كثير بن يحيى ، خمستهم (مسدد ، معلى ، موسى ، أبو هشام ، وكثير) نا عبد الواحد بن زياد ، ثنا الأفلت بن خليفة ، قال : حدثتني جسرة =

[١] - في ز : « ففيه » . [٢] - في ز : « جسيرة » .

جنب ». قال أبو مسلم(*) الخطابي : ضعف هذا الحديث جماعة ، وقالوا : أفلت مجهول . لكن رواه ابن ماجة(٤٦٣) من حديث أبي الخطاب الهجري ، عن محدوج الذهلي ، عن جسرة[١] ، عن أمّ سلمة ، عن النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم - به ، قال أبو زرعة الرازي :

= بنت دجاجة به ، وفيه قصة ، وفى رواية موسى وأبي هشام وكثير : « لا أحل المسجد ... إلا لمحمّدٍ وآل محمّدٍ » وأعله جماعة بـ « أفلت العامرى » فقال أبو سليمان الخطابي - : « مختصر سنن أبى داود » للمنذرى (١٥٨/١) - : « ضعفوا هذا الحديث وقالوا : أفلت مجهول ، لا يصح الاحتجاج بحديثه » وقال أبو محمد بن حزم فى « المحلّى » (١٨٦/٢) : « أفلت غير مشهور ، ولا معروف بالثقة » وقال أبو محمد البغوى فى « شرح السنة » (٤٦/٢) : « ضَعَّف أحمد الحديث ، لأن راويه هو أفلت بن خليفة مجهول » قال المنذرى : « وفيما حُكى أنه مجهول نظر ، فإنه أفلت بن خليفة ، ويقال : فُلَيْت به خليفة العامرى ، ويقال : الذهلى ، وكنيته : أبو حسان ، حديثه في الكوفيين ، وروى عنه سفيان الثورى وعبد الواحد بن زياد ، وقال الإمام أحمد بن حنبل : ما أرى به بأسًا ، وسئل عنه أبو حاتم الرازى ؟ فقال : شيخ ، وحكى البخارى أنه سمع من جسرة بنت دجاجة ...» قلت : ووثقه ابن حبان « الثقات » وقال أبو الحسن الدارقطنى : « صالح » ، وقال الذهبى فى « الكاشف » : « صدوق » وكذا قال ابن حجر فى « التقريب » وقال فى « تلخيص الحبير » : « وأما قول ابن الرفعة فى أواخر شروط الصلاة من « المطلب » بأنه متروك ، فمردود لأنه لم يقله أحد من أئمة الحديث » لا سيما وقد صحح حديثه هذا ابن خزيمة - كما تقدم ، وحسنه ابن القطان كما فى « التلخيص الحبير » ، لكن أعله البخارى بـ « جسرة بنت دجاجة » فقال عقبه : « عند جسرة عجائب » وأقر ذلك البيهقى وقال : « وإن صح هذا فمحمول فى الجنب على المكث فيه دون العبور بدليل الكتاب » ونقل عن البخاري فى (٧/ ٦٥، ٦٦) : أفلت عن جسرة عن عائشة عن النبى ص لا يصح هذا عن النبى ص ، وقد نقل النووى فى « المجموع » عن البيهقى قال : « ليس بقوي » وقال عبد الحق فى « الأحكام الوسطى » (٢٠٧/١) : « لا يثبت من قبل إسناده » وانظر ما بعده .

(٤٦٣) - سنن ابن ماجة ، كتاب الطهارة وسننها ، باب : ما جاء فى اجتناب الحائض المسجد (٦٤٥) ، ثنا أبو بكر بن أبى شيبة ومحمد بن يحيى ، قالا : ثنا أبو نعيم ، ثنا ابن أبى غنيَّة عن أبى الخطاب الهجرى به ، ومن طريق ابن أبى شيبة أورده ابن حجر فى « المطالب العالية المسندة » (٢/رقم ٢١٧) والسيوطى فى « اللآلئ المصنوعة » (٣٢٣/١) ولفظه : « ألا إن هذا المسجد لا يحل لجنب ولا حائض ، إلا النبى ﷺ وأزواجه وعلى وفاطمة ، ألا هل بينت لكم الأسماء أن تضلوا » ورواه ابن أبى حاتم فى « العلل » (١/رقم ٢٦٩) ثنا أبو زرعة والطبرانى فى « المعجم الكبير » (٢٣/رقم ٨٨٣) ثنا على بن عبد العزيز ، والبيهقى فى « السنن الكبرى » (٦٥/٧) من طريق محمد بن يونس ، وأبو الحجاج المزى فى « تهذيب الكمال » (٢٧/ ٢٧١، ٢٧٢) من طريق عبد اللّه بن محمد بن خلّاد ، أربعتهم (أبو زرعة وعلى ومحمد وعبد اللّه) ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين به ، قال ابن حزم فى « المحلى » (١٨٦/٢) : « محدوج ساقط ، يروى المعضلات عن جسرة ، وأبو الخطاب الهجرى مجهول » وقال البوصيرى فى =

[١] - كذا في كل النسخ . والصواب : «أبو سليمان» [٢] - في ز : « جسيرة » .

يقول : جسرة[١] عن أم سلمة ، والصحيح جسرة[٢] عن عائشة .

فأما ما رواه أبو عيسىٰ الترمذي(٤٦٤) من حديث سالم بن أبي حفصة ، عن عطية ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **يا علي ، لا يحل لأحد أن**[٣] **يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك** » فإنه حديث : ضعيف ، لا يثبت ، فإن [سالمًا هذا][٤] متروك ، وشيخه عطية ضعيف ، واللَّه أعلم .

= « الزوائد » (٢٣٠/١) : « هذا إسناد ضعيف ، محدوج لم يوثق ، وأبو الخطاب مجهول » وقال ابن عدى فى « الكامل » (٢٤٣٦/٦) : « سمعت ابن حماد يقول : قال البخارى : محدوج الذُهلى عن جَسْرَة قال ابن أبى غنية عن أبى الخطاب : فيه نظر ، قال ابن عدى : وهذا الذى قال حديث مقطوع » يعنى بين جسرة ومحدوج ، ونقل البيهقى كلام ابن عدى هذا ثم قال : « قد روى هذا من وجه آخر عن جسرة وفيه ضعف » ثم أخرجه من طريق عطاء بن مسلم يذكر عن إسماعيل بن أمية عن جسرة عن أم سلمة به نحوه ، وعلقه ابن حزم فى « المحلى » من طريق عطاء الخفاف عن ابن أبى غنية عن إسماعيل به وقال : « أما عطاء الخفاف فهو عطاء بن مسلم منكر الحديث ، وإسماعيل مجهول » وقد أعل أبو زرعة الرازى حديث أم سلمة أيضًا فقال - « العلل » لابن أبى حاتم - : « يقولون : عن جسرة عن أم سلمة ، والصحيح عن عائشة » .

(٤٦٤) - « الجامع » للترمذى ، كتاب المناقب ، باب :مناقب على بن أبى طالب (٣٧٢٧) ثنا على بن المنذر ، ثنا محمد بن فضيل عن سالم بن أبى حفصة به ، وفيه : قال على بن المنذر : « قلت لضرار بن صُرد : ما معنى هذا الحديث ؟ قال : لا يحل لأحد يستطرقه جنبًا غيرى وغيرك » .وأخرجه البيهقى فى « السنن الكبرى » (٦٦/٧) من طريق محمد بن إسحاق بن خزيمة نا على بن المنذر به ، وقال الترمذى : « حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وسمع منى محمد بن إسماعيل هذا الحديث فاستغربه » حيث فيه سالم بن أبى حفصة ، صدوق لكنه غالٍ في التشيع - كما فى « التقريب » - وشيخه العوفى ضعيف وموصوف بتدليس الشيوخ ، يقول : عن أبى سعيد - وهو محمد بن السائب الكلبى - ويوهم به أنه الخدرى . وبه أعله البيهقى فقال : « وروى من وجه آخر عن عطية ، وعطية هو ابن سعد العوفى غير محتج به » والوجه الآخر هو ما أخرجه أبو بكر بن مردويه فى تفسيره ومن طريقه ابن الجوزى في « الموضوعات » (١/ ٣٦٧، ٣٦٨) وكذا السيوطى فى « اللآلئ المصنوعة » (١/ ٣٢٢، ٣٢٣) معلقًا - عن كثير النَّواء عن عطية العوفى به ، وقال ابن الجوزى : « هذا حديث لا صحة له ، وإنما هو مبنى على سد الأبواب غير بابه ، وفيه آفات ، أما عطية فاجتمعوا على تضعيفه ، وقال ابن حبان : كان يجالس الكلبى فيقول : قال رسول اللَّه ﷺ فيروى ذلك عنه ويكنيه أبا سعيد فيظن أنه أراد الخدريَّ ، لا يحل كتب حديثه إلا على التعجب . وأما كثير النواء فضعفه الرازى والنسائى ، وقال السعدى : زائغ ، وقال ابن عدى : كان غاليًا فى التشيع مفرطا فيه » وله شاهد من حديث سعد بن أبى وقاص عند البزار فى مسنده « البحر الزخار » (١١٩٧/٤) من طريق الحسن بن زيد عن خارجة بن سعد عن أبيه =

[١] - [٢] - في ز : « جسيرة » . [٣] - سقط من : ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « هذا سالمًا » .

(قول[١] آخر) في معنىٰ الآية : قال ابن أبي حاتم(٤٦٥) : حدّثنا المنذر بن شاذان ، حدثنا عبيد الله بن موسىٰ ، أخبرني ابن[٢] أبي ليلىٰ ، عن المنهال ، عن زر بن حبيش ، عن علي ﴿ **ولا جنبا إلا عابري سبيل** ﴾ قال : لا يقرب الصلاة إلا أن يكون مسافرًا تصيبه الجنابة فلا يجد الماء ، فيصلي حتىٰ يجد الماء .

ثم رواه من وجه آخر ، عن المنهال بن عمرو ، عن زر ، عن علي بن أبي طالب ، فذكره ، قال : وروي عن ابن عباس في إحدىٰ الروايات وسعيد بن جبير والضحاك نحو ذلك .

وقد روىٰ ابن جرير(٤٦٦) من حديث وكيع ، عن ابن أبي ليلىٰ ، [عن المنهال][٣] ، عن عباد بن

= به مرفوعًا بلفظ حديث أبى سعيد ، وقال البزار : « وهذا الكلام لا نعلمه يروى عن سعد إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد ، وقد روى خارجة بن سعد حديثًا آخر بهذا الإسناد ولا نعلم روى عن خارجة بن سعد إلا الحسن بن زيد هذا » وذكره الهيثمى فى « المجمع » (١١٨/٩) وقال : « رواه البزار ، وخارجة لم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات » .

وله شاهد آخر مرسل ذكره الحافظ ابن حجر فى « القول المسدد » (ص ١٨، ١٩) قال : « قال القاضى إسماعيل بن إسحاق المالكى فى « كتاب أحكام القرآن » له : ثنا إبراهيم بن حمزة ، ثنا سفيان بن حمزة عن كثير بن زيد عن المطلب هو ابن عبد الله بن حنطب أن النبى ﷺ لم يكن أذن لأحد أن يمر فى المسجد ولا يجلس فيه وهو جنب إلا على بن أبى طالب لأن بيته كان فى المسجد » قال ابن حجر : « وهذا مرسل قوى ، يشهد له ما أخرجه الترمذى من حديث أبى سعيد ...» وانظر - غير مأمور - « اللآلئ المصنوعة » للسيوطى (١/ ٣٢٢، ٣٢٣) و « تنزيه الشريعة » لأبي الحسن الكنانى (١/ ٣٨٤، ٣٨٥) .

(٤٦٥) - تفسير ابن أبى حاتم (٥٣٦٠/٣) وأخرجه ابن المنذر فى « الأوسط » (١٠٨/٢) ثنا زكريا ، ثنا محمد بن يحيى ، ثنا عبيد الله بن موسى به ، وابن أبى ليلى هو محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، سيئ الحفظ ، لكن أخرجه ابن أبى حاتم أيضًا (٥٣٥٩/٣) ثنا أحمد بن يحيى بن مالك السوسى ، ثنا أبو بدر شجاع بن الوليد ، حدثنى عبد الرحمن بن عبد الله - قال أبو بدر : وليس هو المسعودى - عن المنهال بن عمرو به بلفظ : « نزلت هذه الآية فى المسافر : ﴿ **ولا جنبًا إلا عابرى سبيل حتى تغتسلوا** ﴾ قال : إذا أجنب فلم يجد الماء تيمم وصلى ، حتى يدرك الماء ، فإذا أدرك الماء اغتسل وصَلّى » وأخرجه البيهقى فى « السنن الكبرى » (٢١٦/١) من طريق مالك بن يحيى ثنا أبو بدر به ، وانظر ما بعده .

(٤٦٦) - تفسير ابن جرير (٩٥٣٧/٨) وانظر باقى الآثار المشار إليها (٨/ص ٣٧٩، ٣٨١) وقد أخرج هذا الخبر ابن جرير أيضًا (٩٥٤٠/٨) من طريق عنبسة ، وابن أبى شيبة فى « المصنف » كتاب التيمم ، باب :الرجل يجنب وليس يقدر على الماء (١٨٣/١) من طريق على بن هاشم ، كلاهما (عنبسة =

[١] - في خ : « حديث » . [٢] - في ت : « إسحاق بن » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

عبد الله أو عن زر بن حبيش ، عن علي فذكره . ورواه من طريق العوفي وأبي مجلز[١] ، عن ابن عباس ، فذكره ، ورواه عن سعيد بن جبير ، وعن مجاهد والحسن بن مسلم والحكم بن عتيبة[٢] وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن مثل ذلك .

وروي من طريق ابن جريج عن عبد الله بن كثير ، قال : كنا نسمع أنه في السفر .

ويستشهد لهذا القول بالحديث الذي رواه الإمام[٣] أحمد وأهل السنن(٤٦٧) من حديث أبي قلابة ، عن عمرو بن[٤] بجدان ، عن أبي ذر قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : «**الصعيد الطيب طهور المسلم ، وإن لم تجد الماء عشر حجج ، فإذا وجدت الماء فأمسسه بشرتك ، فإن ذلك خير** » .

ثم قال ابن جرير بعد حكايته القولين : والأولىٰ قول من قال : ﴿ **ولا جنبًا إلا عابري سبيل** ﴾ أي[٥] : إلا مجتازي طريق فيه ، وذلك أنه قد بين حكم المسافر إذا عدم الماء وهو جنب في قوله : ﴿ **وإن كنتم مرضىٰ أو علىٰ سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدًا طيبًا** ﴾ ، فكان معلومًا بذلك أن قوله : ﴿ **ولا جنبًا إلا عابري سبيل حتىٰ تغتسلوا** ﴾ [لو كان][٦] معنيا به المسافر لم يكن لإعادة ذكره في قوله ﴿ **وإن كنتم مرضي أو علىٰ سفر** ﴾ معنىٰ مفهوم ، وقد مضىٰ ذكر حكمه قبل ذلك ، فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الآية يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا المساجد للصلاة مصلين فيها وأنتم سكارىٰ ، حتىٰ تعلموا ما تقولون ، ولا تقربوها أيضًا جنبًا حتىٰ تغتسلوا ، إلا عابري سبيل ، قال : والعابر السبيل : المجتاز مرًّا وقطعًا ، يقال : منه عبرت هذا الطريق ، فأنا أعبره عبرًا ، وعبورًا ، ومنه قيل[٧] : عبر فلان النهر إذا قطعه وجاوزه ، ومنه قيل . للناقة القوية علىٰ الأسفار : هي عَبْر أسفار ؛ لقوتها علىٰ قطع الأسفار .

= وعلى) عن ابن أبي ليلى به ، وعباد بن عبد الله هو الأسدى الكوفى ، قال البخارى : « فيه نظر » وقال ابن المدينى : « ضعيف الحديث » غير أنه متابع كما ترى ، وانظر ما قبله .

(٤٦٧) - انظر تخريجه في « التحقيق » (ح رقم ٣٧١) كذا عزاه المصنف لأهل السنن وهو خطأ حيث لم يخرجه من بينهم ابن ماجة وقد استدرك ذلك المصنف نفسه فيما يأتى هنا برقم (٤٩٥) .

---

[١] - في ز ، خ : « مخلد » .
[٢] - في ز : « عتبة » .
[٣] - سقط من : ت .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ت : « يقال » .

وهذا الذي نصره هو قول الجمهور ، وهو الظاهر من الآية ، وكأنه تعالىٰ نهىٰ عن تعاطي الصلاة علىٰ هيئة ناقصة تناقض مقصودها ، وعن الدخول إلىٰ محلها علىٰ هيئة ناقصة وهي الجنابة المباعدة للصلاة و[١]لمحلها أيضًا ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **حتىٰ تغتسلوا** ﴾ دليل لما ذهب إليه الأئمة الثلاثة أبو حنيفة ومالك والشافعي ، أنه يحرم علىٰ الجنب المكث في المسجد حتىٰ يغتسل ، أو يتيمم إن عدم الماء أو لم يقدر علىٰ استعماله بطريقة ، وذهب الإمام أحمد إلىٰ أنه متىٰ توضأ الجنب جاز له المكث في المسجد ، لما روىٰ هو وسعيد بن منصور في سننه بسند صحيح : أن الصحابة كانوا يفعلون ذلك .

[قال سعيد بن منصور][٢] [في سننه][٣] : حدّثنا عبد العزيز بن محمد - هو الدراوردي - عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، قال : رأيت رجالًا[٤] من أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يجلسون في المسجد وهم مجنبون إذا توضئوا وضوء الصلاة . وهذا إسناد صحيح[٥] علىٰ شرط مسلم ، فالله أعلم .

وقوله : ﴿ **وإن[٦] كنتم مرضىٰ أو علىٰ سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيدًا طيبًا** ﴾ أما المرض المبيح للتيمم ، فهو الذي يخاف معه من استعمال الماء فوات عضو ، أو[٧] شينه[٨] ، أو تطويل البرء ، ومن العلماء من جوز التيمم بمجرد المرض ؛ لعموم الآية ، وقال ابن أبي حاتم(٤٦٨) : حدثنا أبي ، حدثنا أبو غسان مالك ابن إسماعيل ، حدثنا قيس ، عن خصيف ، عن مجاهد ، في قوله : ﴿ **وإن كنتم مرضىٰ** ﴾ قال : نزلت في رجل من الأنصار كان مريضًا فلم يستطع أن يقوم فيتوضأ ؛ ولم يكن له خادم فيناوله ، فأتىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم فذكر ذلك له ، فأنزل الله هذه الآية .

هذا مرسل ، والسفر معروف ، ولا فرق فيه بين الطويل والقصير .

(٤٦٨) - تفسير ابن أبي حاتم (٥٣٦٥/٣) وهو مرسل وفى إسناده ضعف ، فإن خصيفًا وهو ابن عبد الرحمن الجزرى تركه جماعة وحدث عنه آخرون ، وفى « التقريب » : « صدوق سيئ الحفظ خَلَطَ بآخره ..» والخبر زاد نسبته السيوطى فى « الدر المنثور » (٢٩٦/٢) إلى ابن المنذر .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ .
[٤] - في خ : « رجلا » .
[٥] - سقط من: خ .
[٦] - في ز : « فإن » .
[٧] - في ز : « و » .
[٨] - في ز : « شيبه » .

وقوله[١] : ﴿ **أو جاء أحد منكم من الغائط** ﴾ الغائط : هو المكان المطمئن من الأرض ، كنىٰ بذلك عن التغوط ، وهو الحدث الأصغر .

وأما قوله : ﴿ **أو لامستم النساء** ﴾ فقرئ لمستم ولامستم ، واختلف المفسرون والأئمة في معنىٰ ذلك علىٰ قولين : (أحدهما) : أن ذلك كناية عن الجماع ؛ لقوله تعالى : ﴿ **وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها** ﴾ .

قال ابن أبي حاتم(٤٦٩) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **أو لمستم النساء** ﴾ قال : الجماع . وروي عن علي وأبيّ بن كعب ومجاهد وطاوس والحسن وعبيد بن عمير وسعيد ابن جبير والشعبي وقتادة ومقاتل بن حيان - نحو ذلك .

وقال ابن جرير(٤٧٠) : حدثني حميد بن مسعدة ، و[٢]حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، قال : ذكروا اللمس ، فقال ناس من الموالي : ليس بالجماع . وقال ناس من العرب : اللمس : الجماع . قال : فأتيت ابن عباس ، فقلت له : إن ناسًا من الموالي والعرب اختلفوا في اللمس ، فقالت الموالي : ليس بالجماع . وقالت العرب : الجماع . قال : فمن[٣] أي الفريقين كنت ؟ قلت : كنت من الموالي . قال : غُلب فريقُ الموالي ، إن [اللمس والمس][٤] والمباشرة : الجماع ، ولكن الله يكني ما شاء بما شاء .

ثم رواه عن ابن بشار ، عن غندر ، عن شعبة به نحوه، ثم رواه من غير وجه عن سعيد بن جبير - نحوه . ومثله .

---

(٤٦٩) - تفسير ابن أبي حاتم (٥٣٦٧/٣) وإسناده صحيح وله طرق كثيرة عن ابن عباس ، انظر تفسير ابن جرير (٨/ ٣٨٩، ٣٩٣) وانظر الآتي بعد هذا .

(٤٧٠) - تفسير ابن جرير (٩٥٨١/٨) وإسناده صحيح على شرط الشيخين ، وأخرجه البيهقي في « السنن الكبرى » (١٢٥/١) من طريق وهب بن جرير عن شعبة به ، وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٢/ ٢٩٧) إلى عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر ، وراجع تفسير ابن جرير (٨/ص ٣٨٩: ٣٩١) .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « من » .

[٤] - في ز : « المس واللمس » .

قال(٤٧١) : حدثني يعقوب ، حدثنا هشيم ، قال حدثنا[١] أبو بشر : أخبرنا سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : اللمس والمس والمباشرة : الجماع . ولكن الله يكني بما يشاء .

حدثنا عبد الحميد بن بيان ، أنبأنا إسحاق الأزرق ، عن سفيان ، عن عاصم الأحول ، عن بكر بن عبد الله ، عن ابن عباس ، [قال : الملامسة الجماع ، ولكن الله كريم ، يكني بما يشاء .

وقد صح من غير وجه عن عبد الله بن عباس][٢] أنه قال ذلك ، ثم رواه ابن جرير عن بعض من حكاه ابن أبي حاتم عنهم ، ثم قال ابن جرير : وقال آخرون : عنىٰ الله تعالىٰ بذلك كل من[٣] لمس ، بيد كان أو بغيرها من أعضاء الإنسان ، وواجب[٤] الوضوء علىٰ كل من مس بشيء من جسده شيئًا من جسدها مفضيًا إليه .

ثم قال(٤٧٢) : حدثنا ابن بشار ، حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان ، عن مخارق ، عن طارق ، عن عبد الله بن مسعود قال : اللمس ما دون الجماع .

وقد روي[٥] من طرق متعددة عن ابن مسعود بمثله ، وروىٰ(٤٧٣) من حديث الأعمش ، عن إبراهيم ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : القبلة من المس ، وفيها الوضوء .

[روىٰ الطبراني بإسناده عن عبد الله بن مسعود ، قال : يتوضأ الرجل من المباشرة ، ومن اللمس بيده ، ومن القبلة . وكان يقول في هذه الآية : ﴿ **أو لامستم النساء** ﴾ قال : هو

---

(٤٧١) - تفسير ابن جرير (٨/٩٥٩٠) وإسناده صحيح ، وأخرج الذى بعده (٨/٩٥٩١) وإسناده حسن .

(٤٧٢) - تفسير ابن جرير (٨/٩٦٠٨) وإسناده صحيح ، ويأتى من طريق شعبة عن مخارق به (رقم ٤٧٨) .

(٤٧٣) - أخرجه عبد الرزاق فى « المصنف » (١/ ٤٩٩، ٥٠٠) ومن طريقه ابن المنذر فى « الأوسط » (١/ ١١٧، ١١٨) والطبرانى فى « المعجم الكبير » (٩/ ٩٢٢٦، ٩٢٢٧) - وابن جرير (٨/ص ٣٩٣) والدارقطنى فى « السنن » (١/١٤٥) والبيهقى فى « السنن الكبرى » (١/١٢٤) من طرق عن الأعمش به ، وذكره الهيثمى فى « المجمع » (١/٢٥٢) وقال : « رواه الطبرانى فى « الكبير » وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه » لكن صححه الدارقطنى .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : ت .

[٤] - في ز : « أوجب » .

[٥] - في ز ، خ : « رواه » .

الغمز][١] . وقال[٢] [ابن جرير(٤٧٤)][٣] ، حدثني يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني عبيد[٤] الله بن عمر ، عن نافع ، أن ابن عمر كان يتوضأ من قبلة المرأة . ويرىٰ فيها الوضوء ، ويقول : هي من اللماس .

وروىٰ ابن أبي حاتم ، وابن جرير أيضًا(٤٧٥) من طريق شعبة ، عن مخارق ، عن طارق ، عن عبد الله قال : اللمس ما دون الجماع .

ثم قال ابن أبي حاتم : ورُوي عن ابن عمر وعبيدة وأبي عثمان النهدي وأبي عبيدة ، يعني ابن عبد الله بن مسعود ، وعامر الشعبي وثابت بن الحجاج وإبراهيم النخعي وزيد بن أسلم نحو ذلك .

(قلت) : وروىٰ مالك(٤٧٦) ، عن الزهري ، عن سالم بن عبد الله بن عمر ، عن أبيه ، أنه كان يقول : قبلة الرجل امرأته ، وجسه بيده من الملامسة ، فمن قبل امرأته ، أو جسها بيده فعليه الوضوء .

---

(٤٧٤) - تفسير ابن جرير (٩٦١٧/٨) ومن طريق عبيد الله أخرجه الدارقطنى (١٤٥/١) وإسناده صحيح ، وأخرجه عبد الرزاق فى « المصنف » (١/رقم ٤٩٧) والدارقطنى عن عبد الله بن عمر عن نافع به ، وعبد الله بن عمر هو العمرى أخو عبيد الله ، والمكبر ضعيف بينما المصغر ثقة . والخبر عزاه السيوطى فى « الدر المنثور » (٢٩٧/٢) إلى ابن أبى شيبة وابن جرير .

(٤٧٥) - تفسير ابن أبى حاتم (٥٣٦٨/٣) ، وابن جرير (٩٦٠٦/٨) ، وابن المنذر فى « الأوسط » (١/ ١١٨) والبيهقى فى « السنن الكبرى » (١٢٤/١) كلهم من طريق شعبة به ، وإسناده صحيح ، وانظر ما تقدم هنا برقم (٤٧٥) .

(٤٧٦) - فى « الموطأ » كتاب الطهارة ، باب :الوضوء من قبلة الرجل امرأته (رقم ٦٤) ومن طريق مالك أخرجه الشافعى فى « الأم » (١٥/١) ومن طريقه ابن المنذر فى « الأوسط » (١١٧/١) والبيهقى فى « السنن الكبرى » (١٢٤/١) وفى « الخلافيات » (٤٢٨/٢) وأخرجه البيهقى أيضًا فى « السنن » من طريق يحيى بن بكير ، والدارقطنى فى « السنن » (١٤٤/١/رقم ٣٨) من طريق إسماعيل المدنى ، ثلاثتهم (الشافعى ويحيى وإسماعيل) عن مالك به ، وقال أبو الحسن الدارقطنى عقبه : « صحيح » وقال البيهقى : « ولا شكَّ فى صحته أحدٌ » وأخرجه عبد الرزاق فى « المصنف » (٤٩٦/١) ومن طريقه الدارقطنى (١٤٤/١) عن معمر عن الزهرى به ، ولفظه : « من قبل امرأته وهو على وضوء أعاد الوضوء » وصححه الدارقطنى أيضًا .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ.
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز ، خ: «عبد».

وروىٰ الحافظ أبو الحسن الدارقطني [في سننه(٤٧٧)][١] ، عن [أمير المؤمنين][٢] عمر بن الخطاب نحو ذلك ، ولكن روينا عنه من وجه آخر (٤٧٨) ، أنه كان يقبل امرأته ثم يصلي ولا يتوضأ ، فالرواية عنه مختلفة ، فيحمل ما قاله في الوضوء إن صح عنه علىٰ الاستحباب ، والله أعلم .

والقول بوجوب الوضوء من المس هو قول الشافعي وأصحابه ، ومالك ، والمشهور عن أحمد ابن حنبل . قال ناصرو[٣] هذه المقالة : قد قرئ في هذه الآية لامستم ، ولمستم ، واللمس يطلق في الشرع علىٰ الجس باليد ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **ولونزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه**

(٤٧٧) - سنن الدارقطنى (١/١٤٤/ رقم ٣٧) ثنا القاضى الحسين بن إسماعيل نا عبد الله بن شبيب نا يحيى ابن إبراهيم بن أبى قتيلة ، حدثنى عبد العزيز بن محمد ، عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان عن الزهرى ، عن سالم ، عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب قال : « إن القبلة من اللمس ، فتوضئوا منها » وقال عقبه : « صحيح » ونقله المصنف فى « مسند الفاروق » (١/١١٧) بهذا الإسناد وقال : « وهذا بهذا الإسناد لا يثبت لأن عبد الله بن شبيب ضعفه الحافظ أبو أحمد الحاكم وابن حبان وابن عدى ... قال الرازى : « يحل ضرب عنقه » لكنه متابع فقد رواه الحاكم فى « المستدرك » (١/١٣٥) - وعنه البيهقى فى « السنن الكبرى » (١/١٢٤) وفى « الخلافيات » (٢/رقم ٤٢٧) - أخبرنى إسماعيل بن محمد بن الفضل بن محمد ثنا جدى ثنا إبراهيم بن حمزة ، ثنا عبد العزيز بن محمد بالإسناد السابق ، وأخرجه البيهقى أيضًا فى « معرفة السنن والآثار » (١/ ٢١٤، ٢١٥) من طريق أبى مصعب ثنا عبد العزيز الدراوردى به ، غير أن أبا مصعب قال : « عن محمد بن عمرو أظنه عن الزهرى » قال البيهقى عقبه : « محمد بن عمرو هذا هو محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان رواه إبراهيم بن حمزة عن الدراوردى عنه عن الزهرى من غير شك وصححه البيهقى أيضًا ، غير أن ابن عبد البر أعله ، فقال فى « التمهيد » (٢١/١٧٦) : « رواه الدراوردى عن ابن أخى ابن شهاب ، عن ابن شهاب ، عن سالم عن أبيه عن عمر ... وهذا عندهم خطأ ، وإنما هو عن ابن عمر صحيح لا عن عمر » وكذا أعله المصنف ، فقال فى « مسند الفاروق » : « رواه الإمام مالك وعبيد الله بن عمر العمرى ، وعبد الرزاق عن معمر كلهم (مالك ، عبيد الله ، معمر) عن الزهرى ، عن سالم ، عن ابن عمر فذكره ، وهذا أصح » .

(٤٧٨) - ذكر إسناده فى « مسند الفاروق » (١/ ١١٥، ١١٦) فقال : « قال عبد الرزاق - « المصنف » (١/رقم ٥١٢) - عن ابن عيينة ، عن يحيى بن سعيد ، عن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن عبد الله بن عبد الله بن عمر ، أن عاتكة ابنة زيد ، قبلت عمر بن الخطاب وهو صائم فلم ينهها ، قال : وهو يريد إلى الصلاة ثم مضى ، فصلَّى ولم يتوضأ » صححه أبو عمر بن عبد البر فى « الاستذكار » ....

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٢] - سقط من : ت . [٣] - في ز ، خ : « ناصر » .

بأيديهم ﴾ أي : جسوه[١] . وقال [ ][٢] صلىٰ الله عليه وسلم لماعز حين أقر بالزنا ، يعرض له بالرجوع عن الإقرار : « **لعلك قبلت أو لمست** »(٤٧٩) . وفي الحديث الصحيح (٤٨٠) : « **واليد زناها**[٣] **اللمس** » . وقالت عائشة - رضي الله عنها - : **قل يوم إلا ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يطوف علينا ، فيقبل ويلمس** (٤٨١) .

(٤٧٩) - أخرجه أحمد (٢٣٨/١) وعبد بن حميد فى « المنتخب » (٥٧١) وأبو الحسن الدارقطنى فى « السنن » (٣/ ١٢١، ١٢٢) ، والإسماعيلى - كما فى « فتح البارى » لابن حجر (١٣٥/١٢) - من طريق يزيد بن هارون ، والطبرانى فى « المعجم الكبير » (١١٩٣٦/١١) والبيهقى فى « السنن الكبرى » (٢٢٦/٨) وفى « الخلافيات » (٤٢٣/٢) من طريق سليمان بن حرب ، كلاهما (يزيد وسليمان) ثنا جرير بن حازم عن يعلى بن حكيم عن عكرمة عن ابن عباس ، أن رسول الله ص قال لماعز بن مالك ، حين أتاه فأقر عنده بالزنا : « لعلك قَبَّلْتَ أو لمست » ؟ قال : لا ، قال : « فنكتها » ؟ قال : نعم . لفظ يزيد . ورواه البخارى فى صحيحه ، كتاب الحدود ، باب :هل يقول الإمامُ للمُقرِّ : لعللك لَمَسْتَ أو غمزت ؟ (٦٨٢٤) حدثنى عبد الله بن محمد الجعفى ، وأبو داود (٤٤٢٧) من طريق زهير بن حرب وعقبة بن مكرم ، والنسائى فى « السنن الكبرى » (٧١٦٩/٤) من طريق عمرو بن على وعبد الله بن الهيثم بن عثمان ، خمستهم (الجعفى وزهير وعقبة وعمرو وعبد الله) عن وهب بن جرير ثنا أبى قال : سمعت يعلى بالإسناد السابق ولم يقل فيه : « لمست » وإنما قال : « غمزت أو نظرت » كذا رواه الجماعة عن وهب . ورواه الحاكم فى « المستدرك » (٣٦١/٤) من طريق إبراهيم بن عبد الله ، ثنا وهب ابن جرير به ، غير أنه قال فيه : « لمست » وإبراهيم هذا هو ابن عبد الله بن عمر أبو إسحاق الخييرى الكوفى حدث عنه جمع من الثقات ، انظر « الإكمال » لابن ماكولا (٢٥٥/٢) ووصفه الذهبى فى « تذكرة الحفاظ » (٦٣٥/٢) بأنه « المسند ، خاتمة أصحاب وكيع » وقد قال الحاكم : « حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ..» وتعقبه الذهبى فقال : « ذا فى البخارى » وهذا متعقب لما بينا أن زيادة « لمست » ليست فى البخارى ،فتنبه !! وقد أخرجه أحمد أيضًا (١/ ٢٥٥، ٢٨٩، ٢٣٥) والنسائى (٧١٦٨/٤) من طرق عن ابن المبارك عن معمر عن يحيى بن أبى كثير عن عكرمة به ، وفى بعض روايات أحمد ذكر هذه اللفظة .

(٤٨٠) - أخرجه أحمد (٢/ ٣٤٩، ٣٥٠) ثنا حسن ، ثنا ابن لهيعة عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج عن أبى هريرة مرفوعًا به ، وابن لهيعة « سيئ الحفظ » لكن تابعه جعفر بن ربيعة - وهو ثقة - عن عبد الرحمن به ، صححه من هذه الطريق ابن خزيمة (١/رقم ٣٠) وأبو حاتم بن حبان (٤٤٢٢/١٠) ، وأصل الحديث عند البخارى ومسلم ، يأتى تخريجه فى سورة النور / آية رقم ٣٠.

(٤٨١) - أخرجه الحاكم فى « المستدرك » (١٣٥/١) والبيهقى فى « الخلافيات » (٢/رقم ٤٢٦) من طريقين عن عبد الرحمن بن أبى الزناد ، ثنا هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : فذكرته ... وفيه : « ويلمس ما دون الوقاع ، فإذا جاء إلى التى هى يومها ثبت عندها » وصححه الحاكم =

[١] - في ز : « مسوه » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « رسول الله » . [٣] - في ز : « زنا » .

ومنه ما ثبت في الصحيحين (٤٨٢) ، [أن رسول الله][١] صلىٰ الله عليه وسلم نهىٰ عن بيع الملامسة ، وهو يرجع إلىٰ الجس باليد علىٰ كلا التفسيرين قالوا : ويطلق في اللغة [ ][٢] علىٰ الجس باليد كما يطلق علىٰ الجماع ، قال الشاعر *

وألمست كفي كفه أطلب الغنىٰ *

واستأنسوا أيضا بالحديث الذي رواه [ ][٣] أحمد(٤٨٣) ، حدثنا [عبد الرحمن][٤] بن مهدي

= ووافقه الذهبى وعبد الرحمن بن أبى الزناد مختلف فيه فوثقه جماعة وضعفه آخرون ، لكن قال ابن معين : « أثبت الناس فى هشام بن عروة عبدُ الرحمن بن أبى الزناد » والحديث ذكره ابن حجر فى « تلخيص الحبير » (١٤١/١) وعزاه إلى الحاكم .

(٤٨٢) – أخرجه البخارى (٢١٤٤) ، ومسلم (٣) (١٥١٢) ، وأبو داود (٣٣٧٩) ، والنسائى (٧/ ٢٦٠، ٢٦١) ، وابن ماجة (٢١٧٠) ، وأحمد (٣/ ٦، ٩٥) من حديث أبى سعيد الخدرى .

(٤٨٣) – الحديث فى « المسند » (٢٤٤/٥) وأخرجه عبد بن حميد فى « المنتخب » (١١٠) وعنه الترمذى ، كتاب التفسير ، باب :ومن سورة هود (٣١١٣) وابن جرير فى تفسيره (١٨٦٧٨/١٥) والطبرانى فى « المعجم الكبير » (٢٧٧/٢٠) ، والمروزى فى « تعظيم قدر الصلاة » (١/رقم ٧٨) من طرق عن زائدة به ، وأخرجه ابن جرير (١٨٦٨٢/١٥) ، والطبرانى (٢٧٨/٢٠) ، والدارقطنى فى « السنن » (١/١٣٤/رقم ٤) ومن طريقه ابن الجوزى فى « التحقيق » (١/رقم) والمروزى (٧٧/١) والحاكم فى « المستدرك » (١٣٥/١) – وعنه البيهقى فى « السنن الكبرى » (١٢٥/١) وفى « الخلافيات » (٢/رقم ٤٣٤) – من طرق عن جرير عن عبد الملك بن عمير به ، وصححه الدارقطنى والحاكم وسكت عنه الذهبى فأجاد حيث أعل الحديث بالانقطاع ، فقال الترمذى : « هذا حديث ليس إسناده بمتصل ؛ عبد الرحمن بن أبى ليلى لم يسمع من معاذ بن جبل ، ومعاذ بن جبل مات فى خلافة عمر ، وقتل عمر وعبد الرحمن بن أبى ليلى غلام صغير ابن ست سنين ، وقد روى عن عمر ورآه ، وروى شعبة هذا الحديث عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن النبى ﷺ مرسلاً » قلت : طريق شعبة المرسلة أخرجها ابن جرير (١٥/ ١٨٦٧٩، ١٨٦٨٠) وقد أخرجها أيضًا النسائى فى « السنن الكبرى » (٧٣٢٨/٤) بلفظ مختصر ، لكنه وقع فى المطبوع : مسندًا غير مرسل ، وهو خطأ فقد أفاد المصنف هنا أن رواية النسائى مرسلة ، ومن قبله قال ذلك شيخه أبو الحجاج المزى كما فى « تحفة الأشراف » (٨/رقم ١١٣٤٣) وانظر أيضًا « العلل » لأبى الحسن الدارقطنى (٦/س ٩٧٧) وقد أعل الحديث بالانقطاع أيضًا البيهقى فقال : « وهكذا رواه زائدة بن قدامة وأبو عوانة – ولم أهتد لطريقه – عن عبد الملك ، وفيه إرسال عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، فإنه لم يدرك معاذ بن جبل » وقد أعله بذلك أيضًا ابن حجر فى « الدراية » (٤٣/١) والألبانى فى « الضعيفة » (١٠٠٠/٢) وقال الزيلعى فى « نصب الراية » (٧٠/١) : « وهذا الحديث مع ضعفه وانقطاعه ليس فيه حجة ؛ لأنه إنما أمره بالوضوء =

[١] – ما بين المعكوفتين في ز : « أنه » .
[٢] – ما بين المعكوفتين في ز : « أيضًا » .
[٣] – ما بين المعكوفتين في ز : « الإمام » .
[٤] – في خ ، ت : «عبد الله» . خطأ .

وأبو سعيد ، قالا : حدثنا زائدة ، عن عبد الملك بن عمير -قال أبو سعيد : حدثنا عبد الملك بن عمير - عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ ، عن معاذ ، قال : أتىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم رجل فقال : يا رسول اللَّه ؛ ما تقول في رجل لقي امرأة لا يعرفها ، فليس يأتي الرجل من امرأته شيئًا إلا قد[١] أتاه منها ، غير أنه لم يجامعها ؟ . قال : فأنزل اللَّه - عز وجل - هذه الآية : ﴿ **أقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين** ﴾ قال : فقال له رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **توضأ[٢] ثم صل** » قال معاذ : فقلت : يا رسول اللَّه ، أله خاصة أم للمؤمنين عامة ؟ فقال[٣] : « **بل للمؤمنين عامة** » .

ورواه الترمذي من حديث زائدة[٤] به ، وقال : ليس بمتصل . وأخرجه النسائي من حديث شعبة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ مرسلًا .

قالوا : فأمره بالوضوء ؛ لأنه لمس المرأة ولم يجامعها . وأجيب بأنه منقطع بين ابن أبي ليلىٰ ومعاذ ؛ فإنه لم يلقه ، ثم يحتمل أنه إنما أمره بالوضوء والصلاة للتوبة ، كما تقدم في حديث الصديق (٤٨٤) : « **ما من عبد يذنب ذنبًا فيتوضأ ويصلي ركعتين إلا غفر اللَّه له** » . الحديث وهو مذكور في سورة آل عمران عند قوله : ﴿ **ذكروا اللَّه فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله** ﴾ الآية .

ثم قال ابن جرير (٤٨٥) : وأولىٰ القولين في ذلك بالصواب ، قول من قال : عنىٰ اللَّه بقوله : ﴿ **أو لامستم النساء** ﴾ الجماع دون غيره من معاني اللمس ؛ لصحة الخبر عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه قبل بعض نسائه ثم صلىٰ ولم يتوضأ ، ثم قال : حدثني بذلك إسماعيل ابن موسىٰ السدي ، قال[٥] : أخبرنا أبو بكر بن عياش ، عن الأعمش ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : كان رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يتوضأ ، ثم

= للتبرك وإزالة الخطيئة لا للحدث ولذلك قال له : « توضأ وضوءًا حسنًا ...» وأصل هذه القصة صحيح دون ذكر الوضوء والصلاة وقد وردت عن جماعة من الصحابة ، فانظر (سورة هود / آية ١١٤) وباللَّه التوفيق .

(٤٨٤) - تقدم تخريجه (سورة آل عمران / آية رقم ١٣٥ / ح ٣٩٦) .

(٤٨٥) - تفسير ابن جرير (٨/ص ٣٩٦ / والحديث رقم ٩٦٢٩) وانظر تخريج الحديث في «كتاب التحقيق» حديث رقم ٢٥٥.

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « توضه » .
[٣] - في ز : « قال » .
[٤] - في ز ، خ : «زيادة» .
[٥] - سقط من : ز .

يقبل ، ثم يصلي ، ولا يتوضأ .

ثم قال : حدثنا أبو كريب ، حدثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن حبيب ، عن عروة ، عن عائشة ، أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قبل بعض نسائه ثم خرج إلىٰ الصلاة ولم يتوضأ . قلت : من هي إلا أنت ؟ فضحكت .

وهكذا رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة عن جماعة من مشايخهم عن وكيع - به .

ثم قال أبو داود : روي عن الثوري أنه قال : ما حدثنا حبيب إلا عن عروة المزني . وقال يحيىٰ القطان لرجل : احك[١] عني أن هذا الحديث شبه لا شيء .

وقال الترمذي : سمعت البخاري يضعف هذا الحديث ، وقال : حبيب بن أبي ثابت لم يسمع من عروة .

وقد وقع في رواية ابن ماجة ، عن أبي بكر بن أبي شيبة وعلي بن محمد الطنافسي ، عن وكيع ، عن الأعمش ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة .

وأبلغ من ذلك ما رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، وهذا نص في كونه عروة بن الزبير ويشهد له قوله : من هي إلا أنت ، فضحكت .

و[٢]لكن روىٰ أبو داود ، عن إبراهيم بن مخلد الطالقاني ، عن عبد الرحمن بن مغراء ، عن الأعمش ، قال : حدثنا أصحاب لنا عن عروة المزني[٣] ، [عن عائشة][٤] فذكره ، [واللّٰه أعلم][٥] .

وقال ابن جرير أيضًا(٤٨٦) : حدثنا أبو زيد [ ][٦] عمر بن شبّة[٧] ، عن سهاد بن عباد ،

(٤٨٦) - تفسير ابن جرير (١٠٦/٤/ ط دار الفكر) والطريق الأولى فيها ليث وهو ابن أبي سليم « اختلط ، ولم يتميز حديثه فترك » ومندل بن على « ضعيف » وأخرجه الدارقطنى فى « السنن » (١٣٧/١) (رقم ١٢) - ومن طريقه ابن الجوزى فى « التحقيق » (١/رقم) - من طريق عبيد اللّٰه بن عمرو ، عن غالب عن عطاء به ، وقال الدارقطنى عقبه : « غالب هو ابن عبيد اللّٰه متروك » وبه أعل هذه الطريق البيهقى فى « المعرفة » (٢١٨/١) وقال : « وروى من أوجه أخر عن عطاء ، وكل ذلك ضعيف » فمنها ما =

[١] - في ز : « اخل » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - بعده في خ : «عن عروة» .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « عن » .
[٧] - في ز : « شيبة » .

حدثنا[١] مندل بن علي[٢] ، عن ليث ، عن عطاء ، عن عائشة ، وعن أبي روق ، عن إبراهيم التيمي[٣] ، عن عائشة - رضي الله عنها - أن[٤] رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان[٥] ينال مني القبلة بعد الوضوء ثم لا يعيد الوضوء .

وقال الإمام أحمد (٤٨٧) : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن أبي روق الهمداني ، عن إبراهيم التيمي[٦] ، عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قبل ثم صلىٰ[٧] ولم يتوضأ .

ورواه أبو داود والنسائي من حديث يحيىٰ القطان زاد أبو داود وابن مهدي كلاهما عن سفيان الثوري به .

=أخرجه الدارقطنى أيضًا (١٤٢/١) (رقم ٢٨) من طريق أبى بدر عن أبى سلمة الجهنى عن عبد الله بن غالب عن عطاء به ، وقال : « قوله : « عبد الله بن غالب » وهم ، وإنما أراد « غالب بن عبيد الله » وهو متروك ، وأبو سلمة الجهنى هو خالد بن سلمة ضعيف ، وليس بالذى يروى عنه زكريا بن أبى زائدة » .

قلت : الذى يروى عنه زكريا وغيره يقال له المخزومى وهو « ثقة » له ترجمة فى « التهذيب » (وانظر تحقيقنا لهذا الحديث فى كتاب التحقيق حديث رقم ٢٥٩) وانظر ما بعده .

(٤٨٧) - « المسند » (٢١٠/٦) وأخرجه ابن أبى شيبة فى « المصنف » كتاب الطهارات ، باب :من قال ليس في القبلة وضوء (٦١/١) والدارقطنى فى « السنن » (١/ ١٣٩، ١٤٠) (رقم ٢٠) من طريق وكيع به ، وأخرجه عبد الرزاق فى « المصنف » (٥١١/١) - ومن طريقه الدارقطنى (١٤١/١) (رقم ٢١) والبيهقى فى « الكبرى » (١٢٦/١ / ١٢٧) - وأبو داود ، كتاب الطهارة ، باب :الوضوء من القبلة (١٧٨) من طريق يحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدى ، والنسائى ، كتاب الطهارة ، باب :الوضوء من القبلة (١٠٤/١) وفى « الكبرى » (١/رقم ١٥٥) من طريق يحيى . والدارقطنى أيضًا (١٣٩/١ - ١٤١) (٢٠، ٢٢) ، والبيهقى فى « الخلافيات » (٢/ ٤٣٩، ٤٤٠) وأبو نعيم فى « الحلية » (٤/ ٢١٩) من طريق أبى عاصم وقبيصة ، وتقدم فى السابق طريق مندل بن على ، كلهم (وكيع وعبد الرزاق ويحيى وعبد الرحمن وأبو عاصم وقبيصة ومندل) عن سفيان به ، وعلقه الترمذى فى « الجامع » (رقم ٨٦) من طريق إبراهيم التيمى عن عائشة به .

قلت : وإسناده حسن لولا أنهم أعلوه بالانقطاع (وانظر تحقيقنا لكتاب التحقيق حديث رقم ٢٥٨) .

---

[١] - في ز : « عن » .
[٢] - في ز ، خ : «عدي» .
[٣] - في ز : « التميمي » .
[٤] - في ز : « قالت : كان » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « التميمي » .
[٧] - سقط من : خ .

ثم قال أبو داود والنسائي : لم يسمع إبراهيم التيمي[١] من[٢] عائشة .

ثم[٣] قال ابن جرير أيضًا(٤٨٨) : حدثنا سعيد بن يحيىٰ الأموي ، حدثني أبي ، حدثنا يزيد ابن سنان ، عن عبد الرحمن الأوزاعي ، عن يحيىٰ بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن أمّ سلمة ، أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم كان يقبلها وهو صائم ثم لا يفطر ، ولا يحدث وضوءًا .

وقال أيضًا : حدثنا أبو كريب ، حدثنا حفص بن غياث ، عن حجاج ، عن عمرو بن شعيب[٤] ، عن زينب السهمية ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، أنه كان يقبل ثم يصلي ولا يتوضأ .

وقد رواه الإمام أحمد(٤٨٩) ، عن محمد بن فضيل ، عن حجاج بن أرطأة ، عن عمرو بن شعيب ، عن زينب السهمية ، عن عائشة ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم - به .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **فإن لم تجدوا ماء فتيمموا صعيدًا طيبًا** ﴾استنبط كثير من الفقهاء من هذه الآية أنه لا يجوز التيمم لعادم الماء إلا بعد [طلب الماء][٥] ، فمتىٰ طلبه فلم يجده جاز له حينئذ التيمم ، وقد ذكروا كيفية الطلبَ في كتب الفروع ، كما هو مقرر في موضعه ، كما هو[٦] في الصحيحين (٤٩٠) من حديث عمران بن حصين ، أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم رأى رجلًا معتزلًا لم يصل مع[٧] القوم ، فقال : « **يا فلان ؛ ما منعك أن تصلي مع القوم ، ألست**

---

(٤٨٨) - تفسير ابن جرير (١٠٦/٤/ ط دار الفكر) وأخرجه الطبراني فى « الأوسط » (٣٨٠٥/٤) من طريق سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى به ، ونقله الزيلعي فى « نصب الراية » (٧٥/١) من طريق الطبرانى بإسناده ، لكن جعله من مسند أبي هريرة وهو خطأ ، وتبعه فيه ابن حجر فى « الدراية » (١/ ٤٥) ، مع أن شيخه نور الدين الهيثمى ذكره فى « المجمع » (٢٥٢/١) من حديث أم سلمة وقال : « رواه الطبرانى فى « الأوسط » وفيه يزيد بن سنان الرهاوى ضعفه أحمد ويحيى وابن المدينى ووثقه البخارى وأبو حاتم وثبته مروان بن معاوية وبقية رجاله موثقون » ولم يذكر لأبى هريرة رواية فى هذا الباب ، واللَّه تعالى أعلم .

(٤٨٩) - انظر تخريجه في كتاب التحقيق رقم ٢٥٦، ٢٥٧.

(٤٩٠) - أخرجه البخارى ، كتاب التيمم ، باب :الصعيد الطيب وضوء المسلم يكفيه من الماء (٣٤٤) ، ومسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب :قضاء الفائتة واستحباب تعجيل قضائها =

---

[١] - في ز : « التميمي » .
[٢] - في ت : «عن» .
[٣] - في ز : « و » .
[٤] - في ز ، خ : « شعبة » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « تطلبه » .
[٦] - سقط من : ت .
[٧] - في ز : « في » .

برجل مسلم ؟ » قال : بلىٰ يا رسول اللَّه ، ولكن أصابتني جنابة ، ولا ماء . قال : « **عليك بالصعيد فإنه يكفيك** » .

ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **فإن لم تجدوا ماء فتيمموا صعيدًا طيبًا** ﴾ فالتيمم [في اللغة][١] هو القصد ، تقول[٢] العرب : تيممك[٣] اللَّه بحفظه أي : قصدك . ومنه قول امرئ القيس شعرًا[٤]

ولما رأت أن المنيــة وردهــا وأن الحصىٰ من تحت أقدامها دام
تيممت العين التي عند ضارج يفيء عليها الفيء عرمضها طام

والصعيد ، قيل : هو كل ما صعد علىٰ وجه الأرض ، فيدخل فيه التراب والرمل[٥] [والشجر والحجر والنبات ، وهو قول مالك . وقيل : ما كان من جنس التراب][٦] ؛ [فيختص التراب[٧] والرمل][٨] والزرنيخ والنورة . وهذا مذهب أبي حنيفة . وقيل : هو التراب فقط . وهو مذهب الشافعي وأحمد بن حنبل وأصحابهما ، واحتجوا بقوله تعالىٰ : ﴿ **فتصبح صعيدًا زلقا** ﴾ أي : ترابًا أملس طيبًا ، وبما ثبت في صحيح مسلم(٤٩١) ، عن حذيفة بن اليمان ، قال : قال رسول

= (٣١٢) (٦٨٢) مطولاً ، وكذا أخرجه أحمد (٤/٤٣٤) ، والنسائى ، كتاب الطهارة ، باب :التيمم بالصعيد (١/١٧١) .

(٤٩١) - صحيح مسلم ، فاتحة كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٤) (٥٢٢) ، وكذا أخرجه أحمد (٥/ ٣٨٣) ، والنسائى فى فضائل القرآن من « الكبرى » (٥/٨٠٢٢) وغيرهم من طرق عن أبى مالك الأشجعى عن ربعى عن حذيفة به باللفظ الأول . وأما اللفظ الثانى فقد قال الرافعى فى « الشرح الكبير » : « لم أره فى شىء من طرق حديث حذيفة بلفظ : « جعل ترابها » وإنما عند جميع من أخرجه : « تربتها » وتعقبه الحافظ ابن حجر فى « التلخيص الحبير » (١/١٥٨) فقال : « رواه أبو داود الطيالسي فى مسنده - (رقم ٤١٨) - عن أبى عوانة عن أبى مالك بلفظ : « وترابها طهورًا » وكذا أخرجه أبو عوانة فى صحيحه (١/٣٠٣) والدارقطنى - (١/١٧٦) (رقم ٢) لكن الذى فيه « تربتها » ومن طريقه أخرجه ابن الجوزى فى « التحقيق » (٣٧٩/ بتحقيقى) بلفظ : « ترابها » من طريق سعيد بن مسلمة عن أبى مالك والبيهقى - فى « السنن الكبرى » (١/٢١٣) - من طريق عفان وأبى كامل ، كلاهما عن أبى عوانة كذلك ، وهذا اللفظ ثابت أيضًا من رواية علي أخرجه أحمد (١/٩٨) - والبيهقى (١/ ٢١٣، ٢١٤) - وحسنه فى الفتح (١/٤٣٨) ولفظه عندهما « أعطيت ما لم يعط أحدٌ من الأنبياء » فقلنا : ما هو يا رسول اللَّه ؟ قال : نُصرت بالرعب ، وأعطيت مفاتيح الأرض ، وسميت أحمد ، وجعل لى التراب طهورًا ، وجعلت أمتى خير الأمم » .

[١] - سقط من : خ.
[٢] - في ز : « بقول » .
[٣] - في ز ، خ : « نواك » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز : « بالتراب » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ.

اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم : « **فضلنا علىٰ الناس بثلاث ، جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وجعلت لنا الأرض كلها مسجدًا ، وجعلت تربتها لنا طهورًا إذا لم نجد الماء** » . وفي لفظ : « **وجعل ترابها لنا طهورًا إذا لم نجد الماء** » . قالوا : فخصص الطهورية بالتراب في مقام الامتنان ، فلو كان غيره يقوم مقامه لذكره معه .

والطيب هاهنا قيل : الحلال ، وقيل : الذي ليس بنجس . كما رواه الإمام أحمد وأهل السنن إلا ابن ماجة من حديث أبي قلابة ، عن عمرو بن بجدان ، عن أبي ذر قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم : « **الصعيد الطيب طهور المسلم وإن لم يجد الماء عشر حجج ، [فإن وجده][١] فليمسه بشرته فإن ذلك خير له[٢]** »(٤٩٢) .

وقال الترمذي : حسن صحيح . وصححه ابن حبان أيضًا ، ورواه الحافظ أبو بكر البزار[٣] في مسنده(٤٩٣) ، عن أبي هريرة ، وصححه الحافظ أبو الحسن القطان . و[٤]قال ابن عباس : أطيب

(٤٩٢) - تقدم هنا برقم (٤٦٩) .

(٤٩٣) - « كشف الأستار » (١/رقم ٣١٠) و « مختصر الزوائد » لابن حجر (١/رقم ١٩٣) حدثنا مُقَدَّمُ ابن محمد بن على بن مقدم المقدمى ، حدثنى عمى القاسم بن محمد بن يحيى بن عطاء بن مقدم ، ثنا هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة مرفوعًا بنحو حديث أبى ذر السابق ، ورواه الطبرانى فى « الأوسط » (١٣٣٣/٢) ثنا أحمد بن محمد بن صدقة ، قال : نا مقدم به ، وساق فيه قصة أبى ذر وقال : « لم يرو هذا الحديث عن محمد إلا هشام ، ولا عن هشام إلا القاسم ، تفرد به مقدم » ونحو ذلك قاله من قبله البزار وزاد : « ومقدم ثقة ، معروف النسب » وذكره الهيثمى فى « المجمع » (١/ ٢٦٦) برواية البزار والطبرانى وقال : « رجاله رجال الصحيح » وصحح إسناده ابن القطان وقال : « وهو غريب من حديث أبى هريرة ، وله علة ، والمشهور حديث أبى ذر الذى صححه الترمذى وغيره » وقال : « والقاسم بن يحيى بن عطاء بن مقدم أبو محمد الهلالى الواسطى يروى عن عبيد اللَّه بن عمر ، وعبد اللَّه بن عثمان بن خثيم ، وروى عنه ابن أخيه مقدم بن يحيى الواسطى ، وأحمد بن حنبل ، وأخرج البخارى فى التفسير والتوحيد وغيرهما من « صحيحه » معتمدًا ما يرويه » نقلا من « نصب الراية » للزيلعى (١٥٠/١) وانظر أيضًا « التلخيص الحبير » لابن حجر (١/ ١٦٢، ١٦٣) - والعلة المشار إليها هنا هى إرساله فقد قال أبو الحسن الدارقطنى فى « العلل » (٨/س ١٤٢٣) : « يرويه هشام بن حسان ، واختلف عنه فرواه القاسم بن يحيى بن عطاء المقدمى عن هشام عن ابن سيرين عن أبى هريرة ، وخالفه ثابت بن يزيد أبو زيد وزائدة روياه عن هشام عن ابن سيرين مرسلاً ، وكذلك رواه أيوب السختيانى وابن عوف وأشعث بن سوار عن ابن سيرين مرسلاً وهو الصواب » .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « فإذا وجد الماء » . [٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « البزاز » . [٤] - سقط من : ز .

الصعيد تراب الحرث . رواه ابن أبي حاتم(٤٩٤) ، ورفعه ابن مردويه في تفسيره .

وقوله : ﴿ فامسحوا بوجوهكم وأيديكم ﴾ التيمم بدل عن الوضوء في التطهر به ، [لا أنه][١] بدل منه في جميع أعضائه ، بل يكفي مسح الوجه واليدين فقط بالإجماع ، ولكن اختلف الأئمة في كيفية التيمم على أقوال ؛ أحدها وهو مذهب الشافعي في الجديد ، أنه يجب أن يمسح الوجه واليدين إلىٰ المرفقين بضربتين ؛ لأن لفظ اليدين يصدق[٢] إطلاقهما علىٰ ما يبلغ المنكبين ، وعلىٰ ما يبلغ المرفقين ، كما في آية الوضوء ، ويطلق ويراد بهما [ما يبلغ][٣] الكفين ، كما في آية السرقة ﴿ فاقطعوا أيديهما ﴾ قالوا : وحَمْل ما أطلق هاهنا علىٰ ما قيد في آية الوضوء أولىٰ لجامع الطهورية . وذكر بعضهم ما رواه الدارقطني(٤٩٥) ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **التيمم ضربتان ، ضربة للوجه ، وضربة لليدين إلىٰ المرفقين** » . ولكن لا يصح ؛ لأن في إسناده[٤] ضعفاء لا يثبت

(٤٩٤) - تفسير ابن أبي حاتم (٥٣٧٤/٣) ثنا أبو سعيد الأشج ، ثنا ابن إدريس ، ثنا قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس به ، وأخرجه البيهقي في « السنن الكبرى » (٢١٤/١) من طريق ابن إدريس به ، وابن أبي شيبة في « المصنف » ، كتاب الطهارات ، باب :ما يجزئ الرجل في تيممه (١٨٧/١) والبيهقي أيضًا من طريق جرير عن قابوس به ، ورجاله ثقات رجال « التهذيب » حاشا قابوس « ففيه لين » كما في « التقريب » وقد أشار الحافظ ابن حجر في « التلخيص » (١٥٧/١) إلى رواية ابن مردويه المرفوعة ولم أهتد لإسنادها ، وقد عزا هذه الرواية المرفوعة السيوطي في « الدر المنثور » (٢٩٨/١) إلى الشيرازي في « الألقاب » وزاد نسبة الموقوفة إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٤٩٥) - « السنن » للدارقطني (١٨٠/١) (رقم ١٦) من طريق عبد الرحيم بن مطرف ثنا علي بن ظبيان عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع عن ابن عمر به ، ومن طريق الدارقطني أخرجه ابن الجوزي في « التحقيق » (١/رقم ٢٧٧) ورواه ابن عدي في « الكامل » (١٨٣٣/٥) من طريق إسماعيل بن عبد الله ، والحاكم في « المستدرك » (١٧٩/١) من طريق محمد بن يحيى كلاهما (إسماعيل ومحمد) عن علي بن ظبيان به ، وقال الدارقطني : « كذا رواه علي بن ظبيان مرفوعًا ، ووقفه يحيى القطان وهشيم وغيرهما ، وهو الصواب ، ثم أخرجه من طريق يحيى وهشيم (١٨٠/١) (رقم ١٧) . ومن هذه الطريق الموقوفة أخرجه البيهقي في « السنن الكبرى » (٢٠٧/١) وقال : « رواه علي بن ظبيان عن عبيد الله بن عمر فرفعه وهو خطأ ، والصواب بهذا اللفظ عن ابن عمر موقوف » وقد ضعف إسناده ابن حجر في « الفتح » (٤٤١/١) واستنكر ابن عدي هذا مع حديث « المدَّبر من الثلث » لعلي بن ظبيان وقال : « هذان الحديثان ... يرفعهما علي بن ظبيان ويوقفهما غيره ، وحديث التيمم رواه يحيى القطان والثوري وغيرهما موقوفًا ، وإنما يذكر علي بن ظبيان بهذين الحديثين لما رفعهما فأبطل في رفعهما ، والثقات قد أوقفوهما » ومع هذا فقد مال أبو عبد الله الحاكم إلى ثبوته فقال : « لا أعلم أحدًا أسنده عن =

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « لأنه » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٤] - في ز ، خ : «أسانيده» .

الحديث بهم ، وروىٰ أبو داود(٤٩٦) عن ابن عمر في حديث ، أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ضرب بيديه[١] علىٰ الحائط ومسح بهما وجهه ، ثم ضرب ضربة أخرىٰ فمسح بها[٢] ذراعيه .

= عبيد اللّٰه غير على بن ظبيان وهو صدوق ، وقد وقفه يحيى بن سعيد وهشيم بن بشير وغيرهما ...» وتعقب الذهبى وسمه عليا بـ « الصدق » فقال : « بل واهٍ ، قال ابن معين : ليس بشىء ، وقال النسائى : ليس بثقة ...» والحديث ذكره الهيثمى فى « المجمع » (٢٦٧/١) وقال : « رواه الطبرانى فى « الكبير » وفيه على بن ظبيان ضعفه يحيى بن معين - فقال : كذاب خبيث - وجماعة ، وقال أبو على النيسابورى : لا بأس به » . وللحديث طريقان آخران عند الدارقطنى (١٨١/١) والحاكم (١٨٠/١) والبيهقى (٢٠٧/١) والبزار كما فى « المجمع » (١/ ٢٦٧، ٢٦٨) - لكن من رواية سليمان بن أبى داود الحرانى وسليمان بن أرقم وهما متروكان ، وقال أبو زرعة - كما فى « العلل » لابن أبى حاتم (١/س ١٣٧) - : « هذا حديث باطل » وانظر « نصب الراية » (١٥٠/١) و « التلخيص الحبير » (١/ ١٦٠، ١٦١) والحديث الآتى .

(٤٩٦) - سنن أبى داود ، كتاب الطهارة ، باب :التيمم فى الحضر (٣٣٠) ثنا أحمد بن إبراهيم الموصلى أبو على ، أخبرنا محمد بن ثابت العبدى ، أخبرنا نافع ، قال : انطلقت مع ابن عمر فى حاجة ... فذكره ضمن حديث طويل ، وقال أبو داود عقبه : « سمعت أحمد بن حنبل يقول : روى محمد بن ثابت حديثًا منكرًا فى التيمم » ، قال أبو داود : « ولم يتابع محمد بن ثابت فى هذه القصة على ضربتين عن النبى ﷺ ورووه فعل ابن عمر » ومن طريق أبى داود أخرجه البيهقى فى « معرفة السنن والآثار » (١/ ٢٨٤، ٢٨٥) والبغوى فى « شرح السنة » (٢/رقم ٣١١) ، ورواه الطيالسى فى مسنده (١٨٥١) - ومن طريقه البيهقى فى « السنن الكبرى » (٢١٥/١) وأحمد بن عبيد الصفار فى مسنده - كما فى « التلخيص الحبير » (١٦٠/١) ومن طريقه البيهقى فى « الكبرى » (٢٠٦/١) وفى « المعرفة » (١/ ٢٨٤) من طريق مسلم بن إبراهيم ، والبيهقى أيضًا فى « السنن » (٢١٥/١) من طريق يحيى بن يحيى ، والطحاوى فى « شرح معانى الآثار » (٨٥/١) من طريق يحيى بن حسان ، وأبو حاتم بن حبان فى « المجروحين » (٢٥١/٢) وابن عدى فى « الكامل » (٢١٤٥/٦) من طريق عمر بن يزيد السيارى ، والدارقطنى فى « السنن » (١٧٧/١) من طريق أبى الربيع الزهرانى ، والخطيب فى « تاريخ بغداد » (١٣/ ١٣٥، ١٣٦) من طريق الحجبى ، وقال البيهقى فى « المعرفة » : « رواه جماعة من الأئمة عن محمد ابن ثابت منهم يحيى بن يحيى ، ومُعلى بن منصور وسعيد بن منصور وغيرهم » - : كلهم (أحمد والطيالسى ومسلم واليحييان وعمر وأبو الربيع والحجبى ومعلى وسعيد) عن محمد بن ثابت به ، غير أن رواية مسلم « فمسح ذراعيه إلى المرفقين » ورواية عمر « فمسح يديه وذراعيه » قال الحافظ فى « التلخيص » : « مداره على محمد بن ثابت ، وقد ضعفه ابن معين وأبو حاتم والبخارى وأحمد ، وقال أحمد والبخارى : ينكر عليه حديث التيمم ، وزاد البخارى - انظر « التاريخ الكبير » (٥٠/١) و « الصغير » (ص ١٠٢) - : خالفه أيوب وعبيد اللّٰه والناس ، فقالوا : عن نافع عن ابن عمر فعله ، وقال أبو داود : وقال الخطابى - « مختصر سنن أبى داود » (٢٠٥/١) - : لا يصح لأن =

[١] - في ز : « بيده » . [٢] - سقط من : ز .

ولكن في إسناده محمد بن ثابت العبدي ، وقد ضعفه بعض الحفاظ ، ورواه غيره من الثقات ، فوقفوه على فعل ابن عمر ، قال البخاري وأبو زرعة وابن عدي : [هو الصحيح][١] ، وهو الصواب . وقال البيهقي : رفع هذا الحديث [ ](*) منكر ، واحتج الشافعي(٤٩٧) بما رواه عن إبراهيم بن محمد عن أبي[٢] الحويرث [ ][٣] عبد الرحمن بن معاوية ، عن الأعرج عن ابن

=محمد بن ثابت ضعيف جدًّا . وانظر أيضًا « الفتح » (٤٤٢/١) ، وقد أعله بالوقف أيضًا أبو زرعة الرازى - كما فى « العلل » لابن أبى حاتم (١/رقم ١٣٦) - وابن حبان وابن عدى ، ومع هذا فقد قال البيهقى فى « المعرفة » : « رفعه غير منكر » فقد روى الضحاك بن عثمان - روايته عند مسلم وأصحاب السنن - عن نافع عن ابن عمر ، قصة السلام مرفوعة ، إلا أنه قصر بها فلم يذكر التيمم . لكن لفظه عند الطحاوى (٨٥/١) من رواية الضحاك : « فلم يرد عليه حتى أتى حائطًا فتيمم » ورواه يزيد بن عبد اللَّه بن أسامة ابن الهاد - عند أبى داود (٣٣١) - فذكر قصة السلام ، وذكر قصة التيمم إلا أنه قال : ثم مسح وجهه ويديه ، كما رواه يحيى بن بكير عن الليث فى حديث ابن الصمة - وهو الآتى - وإنما ينفرد محمد بن ثابت من هذا الحديث بذكر الذراعين فيه دون غيره ، وتيمم عبد اللَّه بن عمر على الوجه والذراعين وفتواه بذلك تؤكد رواية محمد بن ثابت وتشهد له بالصحة ، فقد صار بهذه الشواهد معلومًا أنه روى قصة السلام والتيمم عن النبى ﷺ وهو لا يخالف النبى ﷺ فيما يروى عنه ، فتيمُّمُهُ على الوجه والذراعين إلى المرفقين يدل على أنه حفظه من النبى ﷺ وأن محمد بن ثابت حفظه من نافع » وبنحو ذلك قال فى « السنن الكبرى » وقد تعقبه هناك ابن التركمانى ونقله عنه الزيلعى - فى « نصب الراية » (١٥٢/١) - بما ملخصه أن الذى أنكر على محمد بن ثابت فى هذا الحديث إنما هو « رفع المسح إلى المرفقين لا أصل القصة وقد صرح البيهقى بذلك فى كتاب « المعرفة » فقال : « وإنما ينفرد محمد بن ثابت من هذا الحديث بذكر الذراعين فيه دون غيره » وإذا كان المنكر عليه هذا لا ينفعه كون أصل القصة مشهورًا بل قد عده خصومه سببًا للتضعيف فإن الذى فى الصحيح فى قصة أبى الجهيم « ويديه » وليس فيه « وذراعيه » . قلت : والعمل بما صح عنه ﷺ أولى من العمل بما صح عن الصحابى وباللَّه التوفيق .

(*) في معرفة السنن (٢٨٥/١) : غير . وهو مفهوم كلامه في الكبرى (٢٠٩/١)

(٤٩٧) - « مسند الشافعى » (١/رقم ١٣٠: ١٣٢) ومن طريقه البيهقى فى « السنن الكبرى » (٢٠٥/١) وفى « معرفة السنن » (٢٨٣/١) وقال البيهقى : « هذا منقطع ، عبد الرحمن بن هرمز الأعرج لم يسمعه من ابن الصمة ، إنما سمعه من عمير مولى ابن عباس عن ابن الصمة ، وإبراهيم بن محمد بن أبى يحيى الأسلمى ، وأبو الحويرث عبد الرحمن بن معاوية قد اختلف الحفاظ فى عدالتهما إلا أن لروايتهما بذكر الذراعين فيه شاهد من حديث ابن عمر » وهو السابق وتقدم أن الصواب وقفه على ابن عمر ، وأما هذا الإسناد ففوق ما فيه من الانقطاع فإن إبراهيم بن أبى يحيى « متروك » وأبو الحويرث عبد الرحمن بن معاوية « صدوق ، سيئ الحفظ » وقد رواه البخارى فى صحيحه ، كتاب التيمم ، باب :التيمم فى الحضر إذا لم يجد الماء (٣٣٧) حدثنا يحيى بن بكير ، وأبو داود (٣٢٩) ، والنسائى =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز . [٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « عن » .

الصمة ، أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم تيمم ، فمسح وجهه وذراعيه .

وقال ابن جرير(٤٩٨) : حدثني موسىٰ بن سهل الرملي ، حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا خارجة ابن[١] مصعب ، عن عبد اللّٰه بن عطاء ، عن موسىٰ بن عقبة ، عن الأعرج ، عن أبي جهيم[٢] قال : رأيت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يبول ، فسلمت عليه ، فلم يرد علي السلام[٣] حتىٰ فرغ[٤] ، ثم قام إلىٰ الحائط[٥] ، فضرب بيديه عليه ، فمسح بهما وجهه ، ثم ضرب بيديه علىٰ

=(١/١٦٥) من طريق شعيب بن الليث كلاهما (يحيى وشعيب) ثنا الليث عن جعفر بن ربيعة عن الأعرج قال : سمعت عميرًا مولى ابن عباس قال : أقبلت أنا وعبد اللّٰه بن يسار مولى ميمونة زوج النبى ﷺ حتى دخلنا على أبى جهيم بن الحارث بن الصمة الأنصارى فقال أبو الجهيم : « أقبل النبى ﷺ من نحو بئر جمل فلقيه رجلٌ فسلم عليه فلم يرد عليه النبى - ﷺ - حتى أقبل على الجدار فمسح بوجهه ويديه ثم رد عليه السلام » وعلقه مسلم فى صحيحه (١١٤) (٣٦٩) عن الليث بن سعد به ، ووقع تسمية مولى ميمونة عنده « عبد الرحمن بن يسار » قال النووى - « شرح صحيح مسلم » (٨٥/٤) - : « وهو خطأ صريح صوابه عبد اللّٰه بن يسار ..» وكذا سمى الصحابى « أبو جهم » وقد نبه الحافظ فى « الفتح » على وهمه فى الموضعين ، وقد رواه أبو الحسن الدارقطنى فى « السنن » (١٧٦/١) (رقم ٣) ومن طريقه البيهقى فى « الكبرى » (٢٠٥/١) وفى « المعرفة » (٢٨٤/١) من طريق محمد بن إسحاق نا أبو صالح حدثنى الليث به غير أنه قال : « فمسح بوجهه وذراعيه » وأشار الحافظ ابن حجر لهذه الرواية فى « الفتح » (١/ ٤٤٢، ٤٤٣) ثم قال : « والثابت فى حديث أبى جهيم لفظ « يديه » لا ذراعيه فإنها رواية شاذة مع ما فى أبى الحويرث وأبى صالح من الضعف » ثم وجدت أبا صالح رواه كالجادة ، أخرجه ابن أبي عاصم في « الآحاد والمثاني » (٢١٧٥/٤) ثنا محمد بن عوف وأبو أحمد الحاكم فى « الأسامى والكنى » (١٨٦/٣) من طريق الفضل بن محمد ، كلاهما (محمد والفضل) نا أبو صالح به .

(٤٩٨) - تفسير ابن جرير (٩٦٦٨/٨) وقال أبو الأشبال فى « الحاشية » : « خارجة بن مصعب بن خارجة الخراسانى ، مختلف فيه جدًّا ، والأكثر على تضعيفه ولكن أعدل كلمة فيه كلمة الحاكم فى « المستدرك » (٤٩٩/١) ، قال : « خارجة لم ينقم عليه إلا روايته عن المجهولين وإذا روى عن الثقات الأثبات فروايته مقبولة » وعبد اللّٰه بن عطاء ، إن لم يكن الطائفى المكى فلا أدرى من هو ؟ وأخشى أن يكون من المجهولين الذين يروى عنهم نعيم بن حماد كذا بالأصل ولعله سبق قلم وصوابه : خارجة بن مصعب » اهـ ورواه الدارقطنى فى « السنن » من طريق أبى معاذ نا أبو عصمة عن موسى بن عقبة به .. وقال أبو معاذ : وحدثنى خارجة عن عبد اللّٰه بن عطاء به ، وذكره الزيلعى فى « نصب الراية » (١/ ١٥٤) من طريق الدارقطنى وقال : « وأبو عصمة إن كان هو نوح بن أبى مريم فهو متروك » قلت : والحديث مُعَلٌّ قبل ذلك بالانقطاع بين الأعرج وأبى الجهيم . انظر السابق .

[١] - في ز : « عن » .
[٢] - في ز ، خ : « جهيمة » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من: خ .
[٥] - في ز : « حائط » .

الحائط فمسح بهما يديه إلىٰ المرفقين ، ثم ردّ علي السلام .

والقول الثاني : أنه يجب مسح الوجه واليدين إلى الكفين بضربتين ، وهو قول [الشافعي في القديم][١] .

والثالث : أنه يكفي مسح الوجه والكفين بضربة واحدة .

وقال الإمام أحمد (٤٩٩) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن ذرّ[٢] ، عن ابن[٣] عبد الرحمن بن أبزى ، عن أبيه ، أن رجلًا أتىٰ عمر ، فقال : إني أجنبت[٤] فلم أجد ماء ، فقال عمر : لا تصلِّ . قال عمار : أما تذكر يا أمير المؤمنين إذ أنا وأنت في سرية ، فأجنبنا فلم نجد ماء ، فأمّا أنت فلم تصلِّ ، وأما أنا فتمعكت في التراب فصليت ، فلما أتينا النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ذكرت [له ذلك][٥] ، فقال : « **إنما كان يكفيك وضرب النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم بيده الأرض ، ثم نفخ فيها ، ومسح بها وجهه وكفيه** » .

قال[٦] أحمد أيضًا (٥٠٠) : حدثنا عفان ، حدّثنا أبان ، حدثنا قتادة ، عن عزرة(*) ، عن سعيد ابن عبد الرحمن بن أبزى ، عن أبيه ، عن عمار : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال في التيمم : « **ضربة للوجه والكفين** » .

(٤٩٩) - « المسند » (٢٦٥/٤) والحكم هو ابن عتيبة ، الفقيه الكوفى ، و « ذر » بالمعجمة هو ابن عبد اللَّه الموهبى ، والحديث أخرجه البخارى ، كتاب التيمم (رقم ٣٣٨) - وانظر أطرافه ثمة - ومسلم ، كتاب الحيض ، باب :التيمم (١١٢) (٣٦٨) وأبو داود ، كتاب الطهارة ، باب :التيمم (٣٢٦) ، والنسائى (١٦٩/١) ، وابن ماجة (٥٦٩) من طرق عن شعبة به ، وفيه التصريح باسم « ابن عبد الرحمن بن أبى أبزى » وهو « سعيد » .

(٥٠٠) - « المسند » (٢٦٣/٤) مقرونًا بـ « عفان » يونس ، وأخرجه الدارمى (٧٥١) وابن الجارود فى « المنتقى » (١٢٦) والدارقطنى فى « السنن » (١/ ١٨٢، ١٨٣) من طريق عفان بن مسلم به وإسناده صحيح ، وعَزْرة هو ابن عبد الرحمن بن زرارة الخزاعى ، والحديث أخرجه أبو داود (٣٢٧) ، والترمذى (١٤٤) ، والنسائى فى « الكبرى » (١/رقم ٣٠٦) وغيرهم من طرق عن قتادة به ، وقال الدارمى : « صح سنده » وقال الترمذى : « حديث حسن صحيح » وصححه ابن خزيمة (٢٦٧) ، وأبو حاتم بن حبان (٤/ ١٣٠٣، ١٣٠٨) .

(*) في الأصول : عروة .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « قديم للشافعي » . [٢] - في ز : « زر » .
[٣] - في خ : « أبي » . [٤] - في ز : « اجتنبت » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « ذلك له » . [٦] - في ز : « وقال » .

(طريق[١] أخرىٰ) قال أحمد (٥٠١) : حدّثنا عفان ، حدثنا عبد الواحد ، حدثنا سليمان الأعمش ، حدثنا شقيق قال : كنت قاعدًا مع عبد اللّه وأبي موسىٰ ، [فقال أبو موسى][٢] لعبد اللّه : لو أن رجلًا لم يجد الماء لم يصلِّ ؟ فقال عبد اللّه : لا ؛ فقال أبو موسى : ألا[٣] تذكر ما[٤] قال عمار لعمر : ألا تذكر إذ بعثني رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم وإياك في إبل فأصابتني جنابة فتمرّغت في التراب ، فلما رجعت إلىٰ رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم أخبرته ، فضحك [رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم][٥] وقال : « **إنما كان يكفيك أن تقول هكذا** ، وضرب بكفيه[٦] **إلىٰ الأرض ، ثم مسح كفيه جميعًا ، ومسح وجهه مسحة واحدة بضربة واحدة** » . فقال عبد اللّه : لا جرم ما رأيت عمر قنع بذلك[٧] . قال[٨] : فقال له أبو موسىٰ : فكيف بهذه الآية في سورة النساء ﴿ **فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدًا طيبًا** ﴾ قال : فما درىٰ عبد اللّه ما يقول ، وقال : لو رخصنا لهم في التيمم ؛ لأوشك[٩] أحدهم إذا برد الماء علىٰ جلده أن يتيمم ، وقال تعالىٰ في آية المائدة : ﴿ **فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه** ﴾ فقد[١٠] استدل بذلك الشافعي رحمه الله علىٰ أنه لابد في التيمم أن يكون بتراب طاهر له غبار يعلق بالوجه واليدين منه شيء ، كما رواه الشافعي(٥٠٢) بإسناده المتقدّم عن ابن الصمة ، أنه مر بالنبي صلىٰ اللّه عليه وسلم وهو يبول ، فسلم عليه فلم يردّ عليه ، حتىٰ قام إلىٰ جدار ، فحته بعصًا كانت معه ، فضرب بيده عليه ، [فمسح بها][١١] وجهه وذراعيه .

وقوله : ﴿ **ما يريد اللّه ليجعل عليكم من حرج** ﴾ أي : في الدين الذي شرعه لكم ﴿ **ولكن يريد ليطهركم** ﴾ فلهذا أباح لكم إن[١٢] لم تجدوا[١٣] الماء أن تعدلوا[١٤] إلىٰ التيمم بالصعيد ،

(٥٠١) - « المسند » (٢٦٥/٤) وأخرجه أيضًا (٤/ ٢٦٤، ٣٩٦) ، والبخارى ، كتاب التيمم (٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧) ، ومسلم (١١٠، ١١١) (٣٦٨) ، وأبو داود (٣٢١) ، والنسائى (١٠٧/١) من طرق عن الأعمش به ومُناظر أبى موسى هو عبد اللّه بن مسعود .

[١] - في خ : « طريقة » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « أما » .
[٤] - في ز : « إذ » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٦] - في ز : « بكفه » .
[٧] - في ز : « بذاك » .
[٨] - سقط من : ز .
[٩] - في ز : « لوشك » .
[١٠] - سقط من : ز .
[١١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « ثم مسح » .
[١٢] - في ز : « إذا » .
[١٣] - في ز : « يجدوا » .
[١٤] - في ز : « يعدلوا » .

﴿ وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون ﴾ .

ولهذا كانت هذه الأمة مخصوصة[١] بمشروعية[٢] التيمم دون سائر الأمم ، كما ثبت في الصحيحين (٥٠٣) ، عن جابر بن عبد اللَّه - رضي اللَّه عنهما - ، قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي ؛ نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا ، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل** » . وفي لفظ : « **فعنده [مسجده وطهوره]**[٣] ، **وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلىٰ قومه وبعثت إلىٰ الناس عامة** » .

وتقدّم(٥٠٤) في حديث حذيفة عند[٤] مسلم : « **فضلنا علىٰ الناس بثلاث ؛ جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وجعلت لنا الأرض مسجدًا وتربتها طهورًا إذا لم نجد الماء** » .

وقال تعالىٰ في هذه الآية الكريمة : **﴿ فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إنّ اللَّه كان عفوًّا غفورًا ﴾** أي : ومن عفوه عنكم وغفرانه[٥] لكم ، أن شرع لكم[٦] التيمم ، وأباح لكم فعل الصلاة به إذا فقدتم الماء ؛ توسعة عليكم ، ورخصة لكم . وذلك أن هذه الآية الكريمة فيها تنزيه الصلاة أن تفعل علىٰ هيئة ناقصة من سكر حتىٰ يصحو المكلف ويعقل ما يقول ، أو جنابة حتىٰ يغتسل ، أو حدث حتىٰ يتوضأ ، إلا أن يكون مريضًا أو عادمًا للماء ، فإن اللَّه - عز وجل - قد أرخص في التيمم والحالة هذه ؛ رحمة بعباده[٧] ورأفة بهم ، وتوسعة عليهم ، وللَّه[٨] الحمد والمنة .

---

(٥٠٢) - تقدم تخريجه (رقم ٥٠٠) .

(٥٠٣) - أخرجه البخارى ، كتاب التيمم (٣٣٥) ، ومسلم ، فاتحة كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٣) (٥٢١) ، والنسائى ، كتاب الغسل ، باب :التيمم بالصعيد (١/ ٢٠٩: ٢١١) ، وكتاب المساجد (٢/ ٥٦) ، وأحمد فى « المسند » (٣٠٤/٣) .

(٥٠٤) - تقدم تخريجه رقم (٤٩٤) .

---

[١] - في ز ، خ : « مختصة » .

[٢] - في ز : « بشرعية » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « طهوره ومسجده » .

[٤] - في خ : « عن » .

[٥] - في ز ، خ : « وغفره » .

[٦] - سقط من : ز .

[٧] - في ز : « لعباده » .

[٨] - في ز : « له » .

(ذكر[١] سبب نزول مشروعية التيمم)

وإنما ذكرنا ذلك هاهنا ؛ لأن هذه الآية التي في النساء متقدمة النزول على[٢] آية المائدة ، وبيانه أن هذه نزلت قبل تحتم تحريم الخمر ، والخمر إنما حرم بعد أحد بيسير[٣] . يقال : في محاصرة النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم لبني النضير [بعد أحد بيسير][٤] ، وأما المائدة ! فإنها من أواخر[٥] ما نزل ، ولا سيما صدرها ، فناسب أن يذكر السبب هاهنا ، وباللّٰه الثقة .

وقال الإمام أحمد(٥٠٥) : حدّثنا ابن نمير ، حدثنا هشام ، عن أبيه ، عن عائشة ، أنها استعارت من أسماء قلادة ، فهلكت ، فبعث رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم رجالًا في طلبها فوجدوها ، فأدركتهم الصلاة وليس معهم ماء ، فصلوها[٦] بغير وضوء ، فشكوا ذلك إلىٰ النبي صلى الله عليه وسلم ، فأنزل اللّٰه آية التيمم . فقال أسيد بن الحضير لعائشة : جزاك اللّٰه خيرًا ، فواللّٰه ما نزل بك أمر تكرهينه إلا جعل اللّٰه لك[٧] وللمسلمين فيه خيرًا .

(طريق[٨] أخرىٰ) : قال البخاري(٥٠٦) : حدثنا عبد اللّٰه بن يوسف ، أنبأنا مالك ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : خرجنا مع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في بعض أسفاره حتىٰ إذا كنا بالبيداء[٩] أو بذات الجيش انقطع عقد لي ، فأقام رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم علىٰ التماسه ، وأقام الناس معه ، وليسوا علىٰ ماء ، وليس معهم ماء ، فأتىٰ الناس إلىٰ أبي بكر ، فقالوا : ألا ترىٰ ما صنعت عائشة ، أقامت برسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وبالناس ، وليسوا علىٰ ماء ، وليس معهم ماء ، فجاء أبو بكر ورسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم

(٥٠٥) - « المسند » (٥٧/٦) وأخرجه البخارى ، كتاب التيمم ، باب :إذا لم يجد ماء ولا ترابًا (٣٣٦) وانظر أطرافه عند رقم (٣٣٤) - ومسلم ، كتاب الحيض ، باب :التيمم (١٠٩) (٣٦٧) ، وأبو داود (٣١٧) ، والنسائى (١٧٢/١) ، وابن ماجة (٥٦٨) من طرق عن هشام بن عروة به ، وانظر ما بعده .

(٥٠٦) - صحيح البخارى ، فاتحة كتاب التيمم (٣٣٤) مختصرًا ، كتاب النكاح ، باب : قول الرجل لصاحبه : هل أعرستم الليلة ... (٥٢٥٠) ، وأخرجه ، كتاب فضائل الصحابة (٣٦٧٢) ثنا قتيبة بن سعيد ، كتاب التفسير (٤٦٠٧) حدثنا إسماعيل ، كلاهما (قتيبة وإسماعيل) حدثنى مالك به ، ورواه مسلم (١٠٨) (٣٦٧) حدثنا يحيى بن يحيى قال : قرأت على مالك به .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في ت : « عن » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٥] - في ت : « آخر » .
[٦] - في ز ، خ : « فصلوا » .
[٧] - مكانها بياض في : ز .
[٨] - في خ : « طريقة » .
[٩] - في ز : « في البيداء » .

واضع رأسه علىٰ فخذي ، قد نام ، فقال : حبست رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم والناس ، وليسوا علىٰ ماء ، وليس معهم ماء ، قالت عائشة[١] : فعاتبني أبو بكر ، وقال ما شاء اللّٰه أن يقول ، وجعل يطعن بيده في خاصرتي ، ولا يمنعني من[٢] التحرك إلا مكان رأس[٣] رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم علىٰ فخذي ، فقام رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم [علىٰ غير ماء حين أصبح][٤] ، فأنزل اللّٰه آية التيمم ، فتيمموا ، فقال أسيد بن الحضير : ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر . قالت : فبعثنا البعير الذي كنت عليه ، فوجدنا العقد تحته .

وقد رواه البخاري أيضًا عن قتيبة ، وإسماعيل ، ورواه مسلم[٥] ، عن[٦] يحيىٰ بن[٧] يحيىٰ ، عن مالك .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(٥٠٧) : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن صالح ، قال : قال ابن شهاب : حدثني عبيد اللّٰه بن عبد اللّٰه ، عن ابن عباس ، عن عمار بن ياسر ، أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم عرس بأولات الجيش[٨] ومعه [زوجته عائشة][٩] ، فانقطع عقد لها من جزع ظفار ؛ فحبس الناس ابتغاء عقدها ذلك حتىٰ أضاء الفجر وليس مع الناس ماء ، فأنزل اللّٰه علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم رخصة التطهر بالصعيد الطيب ، فقام المسلمون مع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فضربوا بأيديهم إلى[١٠] الأرض ، ثم رفعوا أيديهم ولم يقبضوا[١١] من التراب شيئًا ، فمسحوا بها وجوههم وأيديهم إلىٰ المناكب ، ومن بطون أيديهم إلىٰ الآباط .

---

(٥٠٧) - « المسند » (٤/ ٢٦٣، ٢٦٤) - ومن طريقه البيهقي فى « السنن الكبرى » (١/ ٢٠٨، ٢٠٩) وابن الجوزى فى « التحقيق » (٢٧٣/١) وأخرجه أيضًا أبو داود ، كتاب الطهارة ، باب : التيمم (٣٢٠) ، والنسائى ، كتاب الطهارة ، باب :التيمم فى السفر (١٦٧/١) وأبو يعلى فى مسنده (٣/ ١٦٢٩) من طريق يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا أبى به ، وإسناده صحيح رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين ، وأخرجه والطحاوى فى « شرح معانى الآثار » (١/ ١١٠، ١١١) حدثنا عبد العزيز بن عبد اللّٰه الأويسى ، ثنا إبراهيم بن سعد به ، وأخرجه الطحاوى وأبو يعلى (١٦٣٠/٣) من طريق محمد ابن إسحاق عن الزهرى به .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من: ز ، خ .
[٣] - سقط من: ز ، خ .
[٤] - في ز : « حين أصبح على غير ماء » .
[٥] - سقط من: ز ، خ .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في ز ، خ: «عن» .
[٨] - سقط من: خ .
[٩] - في ز : « عائشة زوجته » .
[١٠] - سقط من: ت .
[١١] - في ز ، خ: « ينفضوا » .

وقد رواه ابن جرير(٥٠٨) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا الصيفي ، عن ابن أبي ذئب [عن الزهري][١] عن عبيد الله بن عبد الله عن [ ][٢] أبي اليقظان ، قال : كنا مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فهلك عقد لعائشة ، فأقام رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حتىٰ أضاء الفجر[٣] ، فتغيظ أبو بكر علىٰ عائشة ، فنزلت عليه [رخصة المسح][٤] بالصعيد الطيب ، فدخل أبو بكر فقال لها : إنك لمباركة ، نزلت[٥] فيك رخصة . فضربنا بأيدينا ضربة لوجوهنا ، وضربة لأيدينا إلىٰ المناكب والآباط .

---

(٥٠٨) - تفسير ابن جرير (٩٦٧٠/٨) أبو اليقظان هو عمار بن ياسر ، وصيفى هو ابن ربعى ، « صدوق يهم » كما فى « التقريب » وباقى رجاله ثقات غير أن عبيد الله بن عبد الله لم يسمع من أبى اليقظان ، وقد أخرجه أحمد فى « المسند » (٣٢٠/٤) ثنا حجاج ، والطيالسى فى مسنده (٦٣٧) - ومن طريقه البيهقى فى « الكبرى » (٢٠٨/١) - والطحاوى فى « شرح معانى الآثار » (١١١/١) وأبو يعلى (١٦٣٣) من طريق يزيد بن هارون ، ثلاثتهم (حجاج والطيالسى ويزيد) عن ابن أبى ذئب به ، وأخرجه أحمد أيضًا (٤/ ٣٢٠، ٣٢١) من طريق معمر ويونس بن يزيد ، وأبو يعلى (١٦٣٢) من طريق معمر ، وأبو داود (٣١٨، ٣١٩) وابن ماجة (٥٧١) من طريق يونس وحده ، وابن ماجة أيضًا (٥٦٥) من طريق الليث بن سعد به ثلاثتهم (معمر ويونس والليث) عن الزهرى به ، وقال البيهقى : « رواه معمر بن راشد ويونس بن يزيد الأيلى والليث بن سعد وابن أخى الزهرى وجعفر بن برقان عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عمار ...» وهو هكذا منقطع وقد وصله صالح بن كيسان ومحمد بن إسحاق كما فى السابق ، ووصله أيضًا مالك وسفيان بن عيينة وعمرو بن دينار عن الزهرى عن عبيد الله ابن عبد الله عن أبيه عن عمار به ، أخرجه من طريق مالك النسائى (١٦٨/١) ، والطحاوى (١١٠/١) ، وابن حبان (١٣١٠/٤) ، والبيهقى (٢٠٨/١) وقال الأخير : « وكذلك رواه أبو أويس المدنى عن الزهرى - عند أبى يعلى (١٦٣١) - وأما سفيان بن عيينة فإنه شك فى ذكر أبيه فى إسناده ، رواه مرة عن ابن دينار عن الزهرى - عند ابن ماجة (٥٦٦) - ومرة عن الزهرى نفسه ، عند الحميدى (١٤٣) » قال أبو الأشبال فى « حاشية ابن جرير » (٤١٩/٨) : « وأيا ما كان ، فالحديث صحيح ، ولسنا نرى هذا اضطرابًا ، بل هى طرق متعددة ثابتة ، لا تكون واحدة منها علة لغيرها » غير أن ابن أبى حاتم قال فى « العلل » (١/رقم ٦١) : « سألت أبى وأبا زرعة عن حديث رواه صالح بن كيسان وعبد الرحمن بن إسحاق - كذا فى « العلل » والذى فى هذا الطريق إنما هو محمد بن إسحاق - عن الزهرى عن عبيد الله ابن عبد الله عن ابن عباس ، عن عمار عن النبى ﷺ فى التيمم ، فقالا : هذا خطأ رواه مالك وابن عيينة عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن أبيه عن عمار وهو الصحيح وهما أحفظ . قلت : قد =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ.

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « ابن » .

[٣] - في ز ، خ: «الصبح».

[٤] - في ز : « الرخصة المسيح » .

[٥] - في ز : « نزل » .

(حديث آخر) : قال الحافظ أبو بكر بن مردويه (٥٠٩) : حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، حدثنا الحسن بن أحمد بن الليث ، حدثنا محمد بن مرزوق ، حدثنا العلاء(*) بن أبي سوية ، حدثني الهيثم بن رزيق المالكي من بني مالك بن كعب بن سعد - وعاش مائة وسبعة عشر سنة - عن أبيه ، عن الأسلع بن شريك ، قال : كنت أرحل ناقة رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فأصابتني جنابة في ليلة باردة ، وأراد رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم الرحلة ، فكرهت أن أرحل [ناقة رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم][١] وأنا جنب ، وخشيت أن أغتسل بالماء البارد ؛ فأموت أو أمرض ، فأمرت رجلًا من الأنصار فرحلها ، ثم رضفت أحجارًا فأسخنت بها ماء فاغتسلت ، ثم لحقت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وأصحابه ، فقال : « **يا أسلع ، مالي أرىٰ رحلتك قد[٢] تغيرت** » . قلت : يا رسول اللّٰه لم أرحلها ، رحلها رجل من الأنصار . قال : « **ولم ؟** » قلت : إني أصابتني جنابة ، فخشيت القرّ علىٰ نفسي ، فأمرته أن يرحلها ، ورضفت أحجارًا ، فأسخنت بها ماء ، فاغتسلت به . فأنزل اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارىٰ حتىٰ تعلموا ما تقولون** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **إن اللّٰه كان عفوًّا غفورًا** ﴾ .

وقد روي من وجه آخر عنه(٥١٠) .

=رواه يونس وعقيل وابن أبى ذئب عن الزهرى عن عبيد اللّٰه بن عبد اللّٰه عن عمار عن النبى ﷺ وهم أصحاب الكتب ، فقالا : مالك صاحب كتاب وصاحب حفظ ، وعليه فقد صح الحديث من هذه الطريق ولله الحمد ، لكن قال أبو حاتم بن حبان فى صحيحه : « كان هذا حيث نزل أنه التيمم قبل تعليم النبىّ ﷺ عمارًا كيفية التيمم ، ثم علمه ضربة واحدةً للوجه والكفين لما سأل عمار النبىّ ﷺ عن التيمم » وفى « نصب الراية » (١٥٦/١) عن الأثرم قال : « إنما حكى فيه فعلهم دون النبى ﷺ كما حكى فى الآخر أنه أجنب ، فعلمه عليه السلام » .

(٥٠٩) - وعزاه لابن مردويه السيوطى فى « الدر المنثور » (٢٩٥/٢) وقد أخرجه الطبرانى فى « المعجم الكبير » (١/رقم ٨٧٧) حدثنا سهل بن موسى شيران الرامهرمزى ، وأبو نعيم فى « المعرفة » (٣/رقم ١٠٧١) ثنا أبو عمرو بن حمدان ، ثنا الحسن بن سفيان ، كلاهما (سهل والحسن) ثنا محمد بن مرزوق به ، وذكره الهيثمى فى « المجمع » (١/ ٢٦٦، ٢٦٧) من هذا الوجه وقال : « رواه الطبرانى فى « الكبير » وفيه الهيثم بن رزيق قال بعضهم : لا يتابع على حديثه » والعلاء بن أبى سوية « ضعيف » كما فى « التقريب » وعلقه ابن الأثير فى « أسد الغابة » (٩١/١) وقال : « فيه نظر » وانظر ما بعده .

(*) في الأصول : العباس ، وهو تحريف .

(٥١٠) - أخرجه ابن سعد فى « الطبقات » (٤٦/٧) ، وابن جرير فى « التفسير » (٨/ ٩٦٣٧، ٩٦٣٨) ، والطحاوى فى « شرح معانى الآثار » (١١٣/١) ، والطبرانى فى « المعجم الكبير » =

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « ناقته » . [٢] - سقط من : ز ، خ .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ (٤٤) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا (٤٥) مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (٤٦)﴾

يخبر تعالىٰ عن اليهود عليهم لعائن اللَّه المتتابعة[١] إلىٰ يوم القيامة أنهم يشترون الضلالة بالهدىٰ ، ويعرضون عما أنزل اللَّه علىٰ رسوله ، ويتركون ما بأيديهم من العلم عن الأنبياء الأوّلين[٢] في صفة محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم ؛ ليشتروا به ثمنا قليلا من حطام الدنيا ﴿ **ويريدون أن تضلوا السبيل** ﴾ أي : يودّون لو تكفرون بما أنزل عليكم أيها المؤمنون ، وتتركون ما أنتم عليه من الهدىٰ والعلم النافع ﴿ **واللَّه أعلم بأعدائكم** ﴾ أي : هو أعلم[٣] بهم ، ويحذركم منهم ﴿ **وكفىٰ باللَّه وليًا وكفىٰ باللَّه نصيرًا** ﴾ أي : كفى به وليًا لمن لجأ إليه ، ونصيرًا لمن استنصره .

= (١/رقم ٨٧٥، ٨٧٦) - ومن طريقه وطرق أخرى أبو نعيم فى « المعرفة » (٣/ ١٠٦٩، ١٠٧٠) - والدارقطنى فى « السنن » (١/١٧٩) - ومن طريقه ابن الجوزى فى « التحقيق » (١/رقم ٢٧٩) - والبيهقى فى « السنن الكبرى » (١/٢٠٨) من طرق عن الربيع بن بدر قال : حدثنى أبى عن جدى عن رجل يقال له الأسلع قال ... فذكر الحديث بنحو اللفظ السابق ، لكن فيه أن النبى ﷺ « أراه التيمم ضربتين ضربة للوجه وضربة لليدين إلى المرفقين » وفى إسناده الربيع بن بدر ، قال أبو حاتم الرازى : لا يشتغل به ، وقال النسائى والدارقطنى : متروك الحديث - وضعفه البخارى وأبو داود وابن معين وغيرهم - وبه أعله ابن الجوزى والهيثمى فى « المجمع » (١/٢٦٧) والزيلعى فى « نصب الراية » (١/١٥٣) وابن حجر فى « التلخيص » (١/١٦١) وراجع « الإصابة » أيضًا (١/٥٤) بينما قال البيهقى : « الربيع بن بدر ضعيف ، إلا أنه لم ينفرد به » قال ابن التركمانى فى « الجوهر النقى » متعقبًا : « لم يذكر من وافقه على ذلك ولا يكفى فى الاحتجاج أنه غير منفرد حتى ينظر مرتبته ومرتبة مشاركه ، فليس كل من وافقه غيره يقوى ويحتج به » وانظر ما قبله ، والحديث زاد نسبته السيوطى فى « الدر المنثور » إلى الباودى فى « الصحابة » والقاضى إسماعيل فى « الأحكام » والضياء فى « المختارة » وعبد بن حميد .

[١] - في ز : « التابعة » .

[٢] - في ز ، خ : « الأقدمين » . [٣] - في ز : « يعلم » .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **من الذين هادوا** ﴾ « **من** » [في هذا][١] لبيان الجنس ، كقوله : ﴿ **فاجتنبوا الرجس من الأوثان** ﴾ .

وقوله : ﴿ **يحرفون الكلم عن مواضعه** ﴾ أي : [يتأولون الكلام][٢] علىٰ غير تأويله ، ويفسرونه بغير مراد اللّٰه عز وجل ؛ قصدًا منهم وافتراء ﴿ **ويقولون سمعنا وعصينا** ﴾ أي : يقولون : سمعنا ما قلته يا محمد ، ولا نطيعك فيه . هكذا فسره مجاهد وابن زيد ، وهو المراد ، وهذا أبلغ في [كفرهم وعنادهم][٣] ، و[٤]أنهم يتولون عن كتاب اللّٰه بعد ما عقلوه ، وهم يعلمون ما عليهم في ذلك من الإثم والعقوبة .

وقولهم : ﴿ **واسمع غير مسمع** ﴾ أي : اسمع ما نقول لا سمعت . رواه الضحاك عن ابن عباس (٥١١) .

وقال مجاهد والحسن : واسمع غير مقبول منك .

قال ابن جرير : والأوّل أصح . وهو كما قال . وهذا استهزاء منهم واستهتار عليهم لعنة اللّٰه .

﴿ **وراعنا ليًا بألسنتهم وطعنًا في الدين** ﴾ أي : يوهمون أنهم يقولون : راعنا سمعك بقولهم : راعنا وإنما يريدون الرعونة [بسبهم النبي][٥] ، وقد تقدم الكلام في هذا عند قوله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا** ﴾ .

ولهذا قال تعالىٰ عن هؤلاء اليهود الذين يريدون بكلامهم خلاف ما يظهرونه ليًا بألسنتهم وطعنًا في الدين ، يعني بسبهم النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرًا لهم وأقوم ولكن لعنهم اللّٰه بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلًا** ﴾ أي : قلوبهم مطرودة عن الخير ، مبعدة منه ، فلا يدخلها من الإيمان شيء نافع لهم . [وقد تقدم الكلام علىٰ][٦] قوله تعالىٰ : ﴿ **فقليلًا ما**

(٥١١) - أخرجه ابن جرير (٩٦٩٨/٨) وابن أبي حاتم (٥٣٩٣/٣) وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣٠٠/٢) إلى الطبراني .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « هذه » . [٢] - ما بين المعكوفتين في ت : « يتأولونه » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « عنادهم وكفرهم » . [٤] - سقط من : ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

يؤمنون ﴾ والمقصود أنهم لا يؤمنون إيمانًا نافعًا .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا (٤٧) إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا (٤٨) ﴾

يقول تعالىٰ آمرًا أهل الكتاب بالإيمان بما [أنزل اللَّه][١] علىٰ عبده ورسوله محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم من الكتاب العظيم ، الذي فيه تصديق الأخبار التي بأيديهم من البشارات ، ومتهددًا لهم إن لم[٢] يفعلوا بقوله : ﴿ **من قبل أن نطمس وجوهًا فنردها علىٰ أدبارها** ﴾ قال بعضهم : معناه من قبل أن نطمس وجوهًا ، فطمسها[٣] هو ردّها إلىٰ[٤] الأدبار ، وجعل أبصارهم من ورائهم . ويحتمل أن يكون المراد من قبل أن نطمس وجوهًا ، فلا [يبقى لها سمع ولا بصر ولا أثر][٥] ، [ومع ذلك نردها][٦] إلىٰ ناحية الأدبار .

وقال العوفي عن ابن عباس ﴿ **من قبل أن نطمس وجوهًا** ﴾ وطمسها : أن تعمىٰ ﴿ **فنردها علىٰ أدبارها** ﴾ يقول : نجعل وجوههم من قبل أقفيتهم ، فيمشون القهقرىٰ ، ونجعل لأحدهم عينين من قفاه .

وكذا قال قتادة وعطية العوفي ، وهذا أبلغ في العقوبة والنكال ، وهذا[٧] مثل ضربه اللَّه لهم في صرفهم عن الحق وردهم إلىٰ الباطل ورجوعهم عن المحجة البيضاء إلىٰ سبل الضلالة ، يهرعون ويمشون القهقرىٰ علىٰ أدبارهم ، وهذا كما قال بعضهم في قوله : ﴿ **إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلىٰ الأذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سدًا ومن خلفهم سدًا فأغشيناهم فهم لا يبصرون** ﴾ : إن هذا مثل سوء[٨] ضربه اللَّه لهم في ضلالهم ومنعهم عن الهدىٰ .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « نزل » . [٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « وطمسها » . [٤] - سقط من : ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ت : « نبقى لهم سمعا ولا بصرا ولا أنفا » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « ونردها مع ذلك » .
[٧] - في ز : « وهو » . [٨] - سقط من : ز .

قال مجاهد : ﴿ **من قبل أن نطمس وجوهًا** ﴾ يقول : عن صراط الحق ، فنردها علىٰ أدبارها أي : في الضلالة .

قال ابن أبي حاتم : وروي عن ابن عباس والحسن نحو هذا .

قال السدي : ﴿ **فنردها على أدبارها** ﴾ فنمنعها عن الحق . قال : نرجعها كفارا ونردهم قردة .

[قال ابن][١] زيد : نردهم إلىٰ بلاد الشام من أرض الحجاز .

وقد ذكر أن كعب الأحبار أسلم حين سمع هذه الآية .

قال[٢] ابن جرير(٥١٢) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا جابر بن نوح ، عن عيسىٰ بن المغيرة ، قال : تذاكرنا عند إبراهيم إسلام كعب ، فقال : أسلم كعب زمان عمر ، أقبل وهو يريد بيت المقدس ، فمر على المدينة فخرج إليه عمر ، فقال : يا كعب أسلم ، فقال[٣] : ألستم تقولون[٤] في كتابكم : ﴿ **مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارًا** ﴾ وأنا قد حملت التوراة . قال : فتركه عمر ، ثم خرج حتىٰ انتهىٰ إلىٰ حمص ، فسمع رجلًا من أهلها حزينًا وهو يقول : ﴿ **يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقًا لما معكم من قبل أن نطمس وجوهًا فنردها علىٰ أدبارها** ﴾ الآية قال كعب : يا رب [آمنت يارب][٥] ، أسلمت ؛ مخافة أن تصيبه هذه الآية ، ثم رجع فأتىٰ أهله في اليمن ، ثم جاء بهم مسلمين .

وقد[٦] رواه ابن أبي حاتم [بلفظ آخر من وجه آخر][٧] فقال (٥١٣) : حدثنا أبي ، حدثنا ابن

---

(٥١٢) – تفسير ابن جرير (٩٧٢٥/٨) والخبر ذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٣٠١/٢) ولم يعزه لغير ابن جرير ، وإسناده ضعيف ، فإن عيسى بن المغيرة لم يوثقه غير ابن حبان « الثقات » (٢٣٢/٧) وقال الذهبى فى « الميزان » : « ما علمت روى عنه سوى الثورى » وهنا زيادة راوٍ آخر عنه ، وفى « التقريب » : « مقبول » وشيخه هو إبراهيم التيمى . وجابر بن نوح ضعفه ابن معين وغيره وقال النسائى : « ليس بالقوى » .

(٥١٣) – تفسير ابن أبى حاتم (٥٤١٣/٣) ، ولم يعزه السيوطى فى « الدر المنثور » (٣٠١/٢) لغير ابن أبى حاتم ، وفى إسناده عمرو بن واقد الدمشقى وهو « متروك » كما فى « التقريب » .

---

[١] – ما بين المعكوفتين في ز : « وقال أبو » .
[٢] – في ز : « فقال » .
[٣] – في ز : « قال » .
[٤] – في ز : « تقرءون » ، خ : « تقرأون » .
[٥] – ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ.
[٦] – في ت : «وكذا».
[٧] – في ز : « من وجه آخر بلفظ آخر » .

نفيل ، حدثنا عمرو بن[١] واقد ، عن يونس بن حَلْبَس[٢] ، عن أبي إدريس عائذ اللَّه الخولاني ، قال : كان أبو مسلم الجليلي معلم كعب ، وكان يلومه في إبطائه عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : فبعثه إليه ينظر[٣] أهو هو . قال كعب : فركبت[٤] حتىٰ أتيت المدينة ، فإذا تال[٥] يقرأ القرآن يقول : ﴿ **يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدّقًا لما معكم من قبل أن نطمس وجوهًا فنردها علىٰ أدبارها** ﴾ فبادرت الماء فاغتسلت ، وإني لأمسح وجهي مخافة أن أطمس ، ثم أسلمت .

وقوله : ﴿ **أو نلعنهم كما لعنّا أصحاب السبت** ﴾ يعني : الذين اعتدوا في سبتهم بالحيلة علىٰ الاصطياد ، وقد مسخوا قردة وخنازير ، وسيأتي بسط قصتهم في سورة الأعراف .

وقوله : ﴿ **وكان أمر اللَّه مفعولًا** ﴾ أي : إذا أمر بأمر فإنه لا يخالف ولا يمانع .

ثم أخبر تعالىٰ أنه : ﴿ **لا يغفر أن يشرك به** ﴾ أي : لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك به ﴿ **ويغفر ما دون ذلك** ﴾ أي : من الذنوب ﴿ **لمن يشاء** ﴾ ، أي : من عباده .

وقد وردت أحاديث متعلقة بهذه الآية الكريمة ، فلنذكر منها ما تيسر :

(الحديث الأول) : قال الإمام أحمد (٥١٤) : حدثنا يزيد [بن هارون][٦] ، حدثنا[٧] صدقة

(٥١٤) - الحديث فى « المسند » (٦/٢٤٠) وأخرجه الحاكم فى « المستدرك » (٤/ ٥٧٥، ٥٧٦) من طريق يزيد بن هارون به ، وأخرجه أبو نعيم فى « أخبار أصبهان » (٢/٢) من طريق زيد بن الحباب والبيهقى فى « شعب الإيمان » (٦/ ٧٤٧٣، ٧٤٧٤) من طريق سليمان بن حرب وعبد الصمد بن عبد الوارث ، ثلاثتهم (زيد وسليمان وعبد الصمد) نا صدقة بن موسى به ، وقال الحاكم : « حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » وقال الهيثمى فى « المجمع » (١٠/٣٥١) : « رواه أحمد وفيه صدقة بن موسى وقد ضعفه الجمهور ... وبقية رجاله ثقات » وقول الهيثمى الأخير بعيد وكذا قول الذهبى متعقبًا الحاكم : « صدقة ضعفوه وابن بابنوس فيه جهالة » فابن بابَنُوس لم يوثقه غير ابن حبان « الثقات » (٥/٥٤٨) - وقال الدارقطنى : « لا بأس به » وقال أبو أحمد بن عدى : « أحاديثه مشاهير وروى له النسائى مع تعنته ، غير أن ابن الجوزى نقل فى « الضعفاء » أن أبا حاتم قال فيه : « مجهول » لكن تعقبه الحافظ المنذرى بأنه لم يجد قول أبى حاتم هذا وهو كما قال ، راجع « تهذيب الكمال » مع حاشيته (٣٢/ ت ٦٩٦٨) وقد قال فيه الحافظ فى « التقريب » : مقبول . وعلى كل فالحديث معل بصدقة بن موسى=

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « حليس » .
[٣] - في ز : « لينظر » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز : « تالي » .
[٦] - في ز : « أنا » ، وسقط من : خ .
[٧] - سقط من : ز .

ابن موسىٰ ، حدثنا أبو عمران الجوني ، عن يزيد بن بابنوس ، عن عائشة قالت : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **الدواوين عند الله ثلاثة ؛ ديوان لا يعبأ الله به شيئًا ، وديوان لا يترك الله منه شيئًا ، وديوان لا يغفره الله ، فأما الديوان الذي لا يغفره الله فالشرك بالله ، قال الله عز وجل : [﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ﴾** الآية . وقال : **﴿ إنه]**[١] **من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ﴾** ، وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئًا ، فظلم العبد نفسه [فيما بينه وبين ربه من صوم يوم تركه أو صلاة تركها ، فإن الله يغفر ذلك ويتجاوز إن شاء][٢] ، وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئًا ، فظلم العباد بعضهم بعضًا ، القصاص لا محالةَ » .

تفرد به أحمد .

(الحديث الثاني) : قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده[٥١٥] : حدثنا أحمد بن مالك ، حدثنا زائدة بن أبي الرقاد ، عن زياد النميري ، عن أنس بن مالك ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **الظلم ثلاثة ؛ فظلم لا يغفره الله ، وظلم يغفره الله ، وظلم [لا يترك الله منه شيئًا]**[٣] : **فأما الظلم الذي لا يغفره الله ، فالشرك ، وقال : ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾** ، وأما الظلم الذي يغفره الله ؛ فظلم العباد لأنفسهم فيما بينهم وبين ربهم ، وأما الظلم الذي لا يتركه ؛ فظلم العباد بعضهم بعضًا حتىٰ يدين لبعضهم من بعض » .

= وبه ، أعله العراقى فى « تخريج أحاديث الإحياء » (٣٢٩٥/٥ / المستخرج) وزاد نسبة الحديث السيوطى فى « الدر المنثور» (٣٠٣/٢) إلى ابن المنذر وابن مردويه وابن أبى حاتم .

(٥١٥) - كما فى « كشف الأستار » (٤/رقم ٣٤٣٩) وذكره الهيثمى فى « المجمع » (٣٥١/١٠) وقال : « رواه البزار عن شيخه أحمد بن مالك القشيرى ولم أعرفه ، وبقية رجاله قد وثقوا على ضعفهم » والراجح فيهم الضعف ؛ فإن زائدة بن أبى الرقاد قال البخارى والنسائى : « منكر الحديث » وقال أبو حاتم الرازى : « يُحدِّثُ عن زياد النُّميرى عن أنس أحاديث مرفوعة منكرة ، ولا ندرى منه أو من زياد ...» وشيخه زياد النميرى ضعفه ابن معين وأبو داود ، وقال أبو حاتم : « يكتب حديثه ولا يحتج به » وقال ابن حبان فى « الضعفاء » : « منكر الحديث ، يروى عن أنس أشياء لا تشبه حديث الثقات » لكنْ للحديث إسناد آخر فأخرجه الطيالسى فى مسنده (٢١٠٩) - ومن طريقه أبو نعيم فى « الحلية » (٣٠٩/٦) - ثنا الربيع عن يزيد عن أنس به ، وهو إسناد ضعيف أيضًا لضعف يزيد وهو الرَّقاشى ، والراوى عنه هو الربيع بن صبيح السعدى « صدوق سيئ الحفظ » كما فى « التقريب » لكن الحديث حسنه الألبانى بشاهد حديث عائشة السابق ، فانظر « الصحيحة » (١٩٢٧/٤) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ.

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ.

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: «لا يتركه الله».

(الحديث الثالث) : قال الإمام أحمد(٥١٦) : حدثنا صفوان بن عيسىٰ ، حدثنا ثور بن يزيد ، عن أبي عون ، عن أبي إدريس ، قال : سمعت معاوية يقول : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **كل ذنب عسىٰ الله أن[١] يغفره إلا الرجل يموت كافرًا ، أو[٢] الرجل يقتل مؤمنًا متعمدًا** » .

و[٣]رواه النسائي عن محمد بن مثنىٰ عن صفوان بن عيسىٰ ، به .

(الحديث الرابع) قال الإمام أحمد (٥١٧) : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا عبد الحميد ، حدثنا شهر ، حدثنا [ابن غنم][٤] : أن أبا ذر حدثه عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال « **إن الله يقول : يا عبدي ما عبدتني ورجوتني فإني غافر لك علىٰ ما كان فيك ، يا عبدي إنك[٥] إن لقيتني بقراب الأرض خطيئة ، [ثم لقيتني][٦] لا[٧] تشرك بي شيئًا[٨] لقيتك بقرابها مغفرة** » تفرد به أحمد من هذا الوجه .

(الحديث الخامس) قال الإمام أحمد (٥١٨) : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا أبي ، حدثنا حسين

(٥١٦) - « المسند » (٩٩/٤) - ومن طريقه المزى فى « تهذيب الكمال » (٣٤/ت ٧٥٥١) - وأخرجه النسائى (٨١/٧) ثنا محمد بن المثنى ، والحاكم فى « المستدرك » (٣٥١/٤) من طريق بكار بن قتيبة ، كلاهما (ابن المثنى وابن قتيبة) ثنا صفوان بن عيسى به ، ورواه الطبرانى فى « المعجم الكبير » (١٩/ ٨٥٨) من طريقين عن ثور بن يزيد به ، و (١٩/ ٨٥٦، ٨٥٧) من طريقين عن أبي عون به ، وقال الحاكم : « حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبى مع أن أبا عون وهو الأنصارى لم يوثقه غير ابن حبان والعجلى ، وقال ابن حجر فى « التقريب » : « مقبول » يعنى إذا توبع ، وقد تابعه راشد ابن سعد عن أبي إدريس به ، رواه من هذا الوجه أبو نعيم فى « الحلية » (٩٩/٦) من طريق طلحة بن زيد عن الأوزاعى عن ثور عن راشد به ، وقال أبو نعيم : « لم نكتبه إلا من حديث طلحة من حديث الأوزاعى عن ثور » وطلحة بن زيد هذا هو القرشى « متروك » وقال أحمد وعلي وأبو داود : « كان يضع » كذا فى « التقريب » وعليه فهذا الحديث بهذا الإسناد لا يثبت ، والله أعلم .

(٥١٧) - « المسند » (١٥٤/٥) وشهر بن حوشب مختلف فيه وفى « التقريب » : « صدوق كثير الإرسال والأوهام » والحديث ذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٣٠٣/٢) وعزاه إلى أحمد وابن مردويه .

(٥١٨) - « المسند » (١٦٦/٥) وأخرجه البخارى ، كتاب اللباس ، باب :الثياب البيض (٥٨٢٧) =

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ز : « و » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « تميم » .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « ما لم » .

[٧] - سقط من : ز .

[٨] - سقط من : ز ، خ .

عن ابن بريدة : أن يحيىٰ بن يعمر حدثه ، أن أبا الأسود الدّيلي حدثه ، أن أبا ذر حدثه قال : أتيت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال : « **ما من عبد قال لا إله إلا اللَّه ، ثم مات علىٰ ذلك إلا دخل الجنة** » . قلت وإن زنىٰ وإن سرق ، قال : « **وإن زنىٰ وإن سرق** » ، قلت : وإن زنىٰ وإن سرق ، قال : « **وإن زنىٰ وإن سرق** » ثلاثًا ، ثم قال في الرابعة : « **علىٰ رغم أنف أبي ذر** » قال : فخرج أبو ذر وهو يجر إزاره وهو يقول : وإن رغم أنف أبي ذر ، وكان أبو ذر يحدث بهذا بعد ويقول : وإن رغم أنف أبي ذر . أخرجاه من حديث حسين ، به

(طريق[١] أخرىٰ) [لحديث أبي ذر][٢] قال أحمد (٥١٩) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن زيد ابن وهب ، عن أبي ذر قال : كنت أمشي مع النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم في حرة المدينة عشاء ونحن ننظر إلىٰ أحد فقال : « **يا أبا ذر** » . قلت[٣] : لبيك يا رسول اللَّه ، قال[٤] : « **ما أحب أن لي أحدًا ذاك عندي ذهبًا أمسىٰ ثالثة وعندي منه دينارًا إلا دينارًا[٥] أرصده - يعني لدين إلا أن أقول به في عباد اللَّه هكذا وهكذا[٦] فحثا[٧] عن يمينه [وعن يساره وبين يديه][٨]** » . قال : ثم مشينا . فقال : « **يا أبا ذر إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا فحثا عن يمينه ومن بين يديه وعن يساره** » قال : ثم مشينا . فقال : « **يا أبا ذر ، كما أنت حتىٰ آتيك** » . قال : فانطلق حتىٰ توارىٰ عني ، قال : فسمعت لغطًا ، فقلت : لعل رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم عرض له . قال : فهممت أن أتبعه ، [قال : فذكرت][٩] قوله : « **لا تبرح حتىٰ آتيك** » فانتظرته حتىٰ

=ثنا أبو معمر ثنا عبد الوارث به ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب :من مات لا يشرك باللَّه شيئًا دخل الجنة (١٥٤) (٩٤) حدثنى زهير بن حرب وأحمد بن خراش قالا : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث به .

(٥١٩) - « المسند » (١٥٢/٥) وأخرجه مسلم ، كتاب الزكاة ، باب :الترغيب فى الصدقة (٣٢) (٩٤) من طرق عن أبى معاوية به . وأخرجه أحمد أيضًا (١٦١/٥) والبخارى ، كتاب الاستقراض ، باب :أداء الديون (٢٣٨٨) وكتاب الاستئذان ، باب :من أجاب بـ « لبيك وسعديك » (٦٢٦٨) وكتاب الرقاق ، باب :قول النبى ﷺ : « ما يسرنى أن عندى مثل أُحُدٍ هذا ذهبًا » (٦٤٤٤) وانظر باقى أطرافه عند رقم (١٢٣٧) ، والنسائى فى « عمل اليوم والليلة » (١١١٩) من طرق عن الأعمش به .

[١] - في خ : « طريقة » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « عنه » .
[٣] - في ز : « فقلت » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « دينار » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز : « وحثا » .
[٨] - ما بين المعكوفتين في ز : « وبين يديه وعن يساره » .
[٩] - ما بين المعكوفتين في ز : « ثم ذكرت » .

جاء ، فذكرت له الذي سمعت . فقال : « **ذاك جبريل أتاني فقال : من مات من أمّتك لايشرك باللّه شيئًا دخل الجنة** » . قلت : وإن زنىٰ وإن سرق ، قال : «**وإن زنىٰ وإن سرق** » .

أخرجاه في الصحيحين من حديث الأعمش به ، وقد رواه البخاري ومسلم(٥٢٠) أيضًا كلاهما عن قتيبة ، عن جرير بن عبد الحميد ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن زيد بن وهب ، عن أبي ذر قال : خرجت ليلة من الليالي ؛ فإذا رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم يمشي وحده و[١]ليس معه إنسان . قال : فظننت أنه يكره أن يمشي معه أحد ، قال : فجعلت أمشي في ظل القمر ، فالتفت فرآني فقال : « **من هذا** »؟ فقلت : أبو ذر جعلني اللّه فداك . قال : « **يا أبا ذر ، تعال**[٢] » قال : فمشيت معه ساعة فقال لي[٣] : « **إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة إلا من أعطاه اللّه خيرًا ، فنفخ**[٤] **فيه عن**[٥] **يمينه وشماله وبين يديه ووراءه وعمل فيه خيرًا** » قال : فمشيت معه[٦] ساعة فقال لي : « **اجلس هاهنا** » . [ ][٧] فأجلسني في قاع حوله حجارة فقال لي : « **اجلس هاهنا حتىٰ أرجع إليك** » . قال : فانطلق في الحرة حتىٰ لا أراه ، فلبث عني فأطال اللبث ، حتى[٨] إني سمعته وهو مقبل ، وهو يقول : « **وإن سرق وإن زنىٰ** » قال : فلما جاء لم أصبر حتىٰ قلت : يا نبي اللّه جعلني اللّه فداءك من تكلمه[٩] في جانب الحرة ؛ [ما سمعت أحدًا يرجع إليك شيئًا ؟ قال : ذلك جبريل عرض لي من جانب الحرة][١٠] فقال : « **بشر أمّتك** [ ][١١] **من مات لا يشرك باللّه شيئًا دخل الجنة ، قلت : يا جبريل : وإن سرق وإن زنىٰ ؟ قال : نعم ، قلت : وإن سرق وإن زنىٰ . قال : نعم . قلت : وإن سرق وإن زنىٰ . قال : نعم وإن شرب الخمر** » .

(الحديث السادس) قال عبد بن حميد في مسنده(٥٢١) : أخبرنا عبيد اللّه بن موسىٰ ، عن

(٥٢٠) - أخرجه البخارى ، كتاب الرقاق ، باب :المكثرون هم المقِلُّون (٦٤٤٣) ، ومسلم ، كتاب الزكاة ، باب :الترغيب فى الصدقة (٢٣) (٩٤) كلاهما حدثنا قتيبة بن سعيد به .

(٥٢١) - « المنتخب » من مسنده (رقم ١٠٦٠) وأخرجه أحمد فى « المسند » (٣/ ٣٩١، ٣٩٢) ثنا =

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ز : « تعاله » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - في ز : « فنفح » .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - سقط من : ز .

[٧] - ما بين المعكوفتين في ز : « قال » .

[٨] - في ت : « ثم » .

[٩] - في ز : « تكلم » .

[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[١١] - ما بين المعكوفتين في ز : « أنه » .

ابن أبي ليلىٰ ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : جاء رجل إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال : يا رسول اللَّه ما الموجبتان ؟ قال : « **من مات لا يشرك باللَّه شيئًا وجبت له الجنة ، ومن مات يشرك باللَّه شيئًا وجبت له النار** » . [تفرد به من هذا الوجه ، وذكر تمام الحديث][١] .

(طريق[٢] أخرىٰ) قال ابن أبي حاتم (٥٢٢) : حدثنا أبي ، حدثنا [الحسن بن][٣] عمرو بن خلاد الحراني ، حدثنا منصور بن إسماعيل القرشي ، حدثنا موسىٰ بن عبيدة الربذي[٤] ، أخبرني عبد اللَّه بن عبيدة ، عن جابر بن عبد اللَّه قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **ما من نفس تموت لا تشرك باللَّه شيئًا إلا حلت لها المغفرة إن شاء اللَّه عذبها ، وإن شاء غفر لها ، ﴿ إن اللَّه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾** » .

ورواه الحافظ أبو يعلى في مسنده(٥٢٣) من حديث موسىٰ بن عبيدة ، عن أخيه عبد اللَّه بن عبيدة ، [عن جابر][٥] : أن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **لا تزال المغفرة علىٰ العبد ما لم يقع الحجاب** » . قيل : يا نبي اللَّه وما الحجاب ؟ قال : « **الإشراك باللَّه . قال : ما من نفس تلقىٰ اللَّه لا تشرك به شيئًا إلا حلت لها[٦] المغفرة من اللَّه تعالىٰ إن يشأ أن يعذبها ، وإن يشاء أن يغفر لها [غفر لها][٧]** » ، ثم قرأ نبي اللَّه : **﴿ إن اللَّه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾** .

= النضر ابن إسماعيل أبو المغيرة ، ثنا ابن أبى ليلى به ، وإسناده ضعيف لعنعنة أبى الزبير وضعف ابن أبى ليلى وهو محمد بن عبد الرحمن ، لكن أخرجه أحمد (٣/٣٩١) ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب : من مات لا يشرك باللَّه شيئًا دخل الجنة (١٥١) من طريق الأعمش عن أبى سفيان عن جابر به نحوه .

(٥٢٢) - تفسير ابن أبى حاتم (٣/٥٤٢٥) وموسى بن عُبيدة الربذى « ضعيف » وأخوه عبد اللَّه مختلف فيه ، فوثقه يعقوب بن شيبة والدارقطنى ، وقال النسائى : ليس به بأس ، وروى له البخارى فى « الصحيح » لكن ضعفه أحمد وابن معين وابن عدى ، وقال ابن معين : « لم يسمع من جابر شيئًا » وانظر ما بعده .

(٥٢٣) - وعزاه إلى أبى يعلى السيوطى فى « الدر المنثور » (٢/٣٠٣) ولم أهتد له في مسنده المطبوع وكذا لم أجده فى « مجمع الزوائد » للهيثمى ، فلعله فى مسند أبى يعلى « الكبير » واللَّه أعلم . ورواه ابن أبى الدنيا فى « حسن الظن باللَّه » (رقم ٥٦) عن موسى بن عبيدة به ، والحديث استنكره ابن عدى لموسى ابن عبيدة فأورده فى ترجمته من « الكامل » (٦/٢٣٣٤) مع أحاديث أخر وقال : « وهذه الأحاديث =

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « ذكر تمام الحديث وتفرد به من هذا الوجه » .

[٢] - في خ : « طريقة » .

[٣] - مابين المعكوفتين في ت : « ابن » .

[٤] - في خ : « الترمذي » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٦] - في ز : « له » .

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

(الحديث السابع) قال الإمام أحمد (٥٢٤) : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا زكريا ، عن عطية ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة** » . تفرد به من هذا الوجه .

(الحديث الثامن) قال الإمام أحمد (٥٢٥) : حدثنا حسن بن موسىٰ ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا أبو قبيل ، عن [عبد الله بن ناشر] (*) من بني سريع قال : سمعت أبا رهم قاص أهل الشام يقول : سمعت أبا أيوب الأنصاري يقول : إن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم خرج ذات يوم إليهم ، فقال لهم : « **إن ربكم - عز وجل - خيرني بين سبعين ألفًا يدخلون الجنة عفوًا[١] بغير حساب ، وبين الخبيئة[٢] عنده لأمتي** » . فقال له بعض أصحابه : يا رسول الله أيخبأ ذلك ربك ؟ فدخل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم [ثم خرج][٣] وهو يكبر فقال : « **إن ربي زادني مع كل ألف سبعين ألفًا والخبيئة عنده** » . قال أبو رهم : يا أبا أيوب ، وما تظن خبيئة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؟ فأكله الناس بأفواههم . فقالوا : وما أنت وخبيئة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم . فقال أبو أيوب : دعوا الرجل عنكم ، أخبركم عن خبيئة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كما أظن ، بل كالمستيقن إن خبيئة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أن يقول : « **من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدًا عبده ورسوله مصدقًا لسانه قلبه أدخله[٤] الجنة** » .

= التي ذكرتها لموسى بن عبيدة بأسانيدها مختلفة عامتها مما ينفرد بها عمن يرويها عنه وعامتها متونها غير محفوظة وله غير ما ذكرت من الحديث ، والضعف على رواياته بين » .

(٥٢٤) - « المسند » (٧٩/٣) وأخرجه عبد بن حميد في « المنتخب » (٨٩٠) ثنا أبو نعيم به ، وأخرجه أبو يعلى (٢/رقم ١٠٢٦) ، والبزار (١/رقم ٦) « كشف الأستار » من طريقين عن زكريا بن أبي زائدة به ، وقال البزار : « لا نعلم رواه عن عطية أثبت من زكريا » غير أن عطية العوفي مجمع على ضعفه كما قال الذهبي في « الميزان » ولم يرو له أي من الشيخين ، ومع هذا فقد قال الهيثمي في « المجمع » (١/ ٢٢، ٢٣) : « رواه أحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح » !! والحديث لم يعزه السيوطي في « الدر المنثور » (٣٠٣/٢) لغير أحمد .

(*) كذا في المسند وأطراف ابن حجر ، والذي في المجمع والحلية والكبير للطبراني « عباد بن ناشرة »

(٥٢٥) - « المسند » (٤١٣/٥) وأخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٤/رقم ٣٨٨٢) وعنه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٣٦٢، ٣٦٣) ثنا أحمد بن حماد بن زغبة ثنا سعيد بن أبي مريم ثنا ابن لهيعة به ، غير أنه سمى شيخ أبي قبيل « عباد بن ناشرة » وقال أبو نعيم : « هذا حديث غريب تفرد به أبو قبيل عن عباد : حدَّث به الكبائر عن سعيد بن أبي مريم مثل محمد بن سهل بن عسكر وأشكاله » وذكره الهيثمي =

---

[١] - في ز : « غفرًا » . [٢] - في ز : « الخبيّة » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « فخرج » . [٤] - في ز ، خ : « فأدخل » .

(الحديث التاسع) قال ابن أبي حاتم (٥٢٦) : حدثنا أبي ، [حدثنا المؤمل بن الفضل الحراني ، حدثنا][١] عيسىٰ بن يونس (ح) وأخبرنا هاشم بن القاسم الحراني - فيما كتب إليّ - قال : حدثنا عيسى بن يونس نفسه ، عن واصل بن السائب الرقاشي ، عن أبي سورة ابن [أخي أبي][٢] أيوب الأنصاري[٣] ، عن أبي أيوب [ ][٤] قال : جاء رجل إلىٰ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقال : إن لي ابن أخ لا ينتهي عن الحرام . قال « **وما دينه** » ؟ قال : يصلي ويوحد اللّٰه تعالىٰ . قال « **استوهب منه دينه ، فإن أبىٰ فابتعه منه** » فطلب الرجل ذاك[٥] منه فأبىٰ عليه ، فأتىٰ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فأخبره . فقال : « **وجدته شحيحًا في دينه** » قال : فنزلت ﴿ **إن اللّٰه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ .

(الحديث العاشر) قال الحافظ أبو يعلى(٥٢٧) : حدثنا عمرو بن الضحاك ، حدّثنا أبي ، حدثنا مستور أبو همام الهنائي ، حدثنا ثابت ، عن أنس قال : جاء رجل إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقال : يا رسول اللّٰه ما تركت حاجة ولا داجة[٦] إلا قد أتيت ، قال : « **أليس تشهد أن لا إله إلا اللّٰه ، وأن محمدًا رسول اللّٰه ؟** » ثلاث مرات قال نعم ، قال « **فإنّ ذلك يأتي علىٰ ذلك كله** » .

(الحديث الحادي عشر) قال الإمام أحمد (٥٢٨) : حدثنا أبو عامر ، حدثنا عكرمة بن عمار ،

=في « المجمع » (١٠/٣٧٨) وقال : « رواه أحمد والطبراني وفيه عباد بن ناشرة من بنى سريع ولم أعرفه وابن لهيعة ضعفه الجمهور » وذكره أيضا فى (١٠/٤٠٩) وقال : « رواه أحمد والطبراني وفى إسنادهما ضعف » .

(٥٢٦) - تفسير ابن أبى حاتم (٣/٥٤٢٤) وأخرجه الطبراني فى « المعجم الكبير » (٤/رقم ٤٠٦٣) ثنا عبد اللّٰه ابن أحمد بن حنبل ثنا أحمد بن جناب المصيصى ثنا عيسى بن يونس به ، وذكره الهيثمى فى « المجمع » (٧/٨) وقال : « رواه الطبراني وفيه واصل بن السائب وهو ضعيف ، وهو مُعَل قبل بشيخه أبى سورة فقد ضعفه ابن معين والترمذى والدارقطنى وقال البخارى : « منكر الحديث » يروى عن أبى أيوب مناكير ، لا يتابع عليه » والحديث لم يعزه السيوطى فى « الدر المنثور » (٢/٣٠٢) لغير ابن أبى حاتم والطبراني .

(٥٢٧) - مسند أبى يعلى (٦/رقم ٣٤٣٣) وإسناده صحيح وتصحف فى « المسند » « مستور » إلى « مستورد » وعمرو بن الضحاك هو ابن مخلد الشيبانى ، ويأتى تخريج الحديث بأوسع مما هنا فى سورة هود / آية ١١٤.

(٥٢٨) - « المسند » (٢/٣٢٣) وأخرجه أيضًا (٢/٣٦٢) ، وأبو داود ، كتاب الأدب ، باب :فى =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ت .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « أبي أخي » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « الأنصاري » .
[٥] - في ز : « ذلك » .
[٦] - في ت : « ذا حاجة » .

عن ضمضم بن جوش اليمامي[١] قال : قال لي أبو هريرة : يا يمامي[٢] لا تقولنّ لرجل والله[٣] لا يغفر الله لك ، أو[٤] لا يدخلك الجنة أبدًا . قلت : [يا أبا هريرة][٥] إن هذه كلمة يقولها أحدنا لأخيه وصاحبه إذا غضب ، قال : لا تقلها ؛ فإني سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول[٦] : « **كان في بني إسرائيل رجلان أحدهما مجتهد في العبادة ، وكان الآخر مسرفًا علىٰ نفسه وكانا متآخيين ، وكان المجتهد لا يزال يرىٰ الآخر علىٰ الذنب[٧] ، فيقول : يا هذا أقصر ، فيقول : خلني وربي أبعثت عليَّ رقيبًا قال[٨] : إلىٰ أن رآه يومًا علىٰ ذنب استعظمه ، فقال له[٩] : ويحك أقصر ، قال[١٠] : خلني وربي أبعثت عليَّ رقيبًا ، فقال : والله لا يغفر الله[١١] لك أو لا يدخلك الله الجنة أبدًا ، قال : فبعث الله إليهما ملكًا فقبض أرواحهما واجتمعا عنده . فقال للمذنب : اذهب فادخل الجنة برحمتي ، وقال للآخر أكنت بي[١٢] عالمًا ، أكنت علىٰ ما في يدي قادرًا اذهبوا به إلىٰ النار ، قال : فو الذي نفس أبي القاسم بيده إنه[١٣] لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته** »

و[١٤]رواه أبو داود من حديث عكرمة بن عمار حدثني ضمضم بن جوش ، به .

(الحديث الثاني عشر) قال الطبراني(٥٢٩) : حدثنا أبو الشيخ[١٥] ، [محمد بن الحسين](*)

=النهى عن البغى (٤٩٠١) وابن المبارك فى « الزهد » (رقم ٩٠٠) ومن طريقه البغوى فى « شرح السنة » (٤١٨٧/١٤) والمزى فى « تهذيب الكمال » (٣٢٦/١٣/ ت ضمضم بن جوس) عن عكرمة به ، وإسناده حسن للخلاف فى عكرمة بن عمار ، وهو « صدوق فى غير روايته عن يحيى بن أبى كثير » .

(٥٢٩) - « المعجم الكبير » للطبرانى (١١٦١٥/١١) وأخرجه عبد بن حميد فى « المنتخب » (رقم ٦٠٢) ، والبيهقى فى « الأسماء والصفات » (٢/رقم ٢٤٧) ، والبغوى فى « شرح السنة » (٣٨٨/١٤) من طريق إبراهيم ابن الحكم به ، وإبراهيم ضعيف كما فى « التقريب » وتابعه حفص بن عمر العدنى ، ثنا الحكم به ، أخرجه الحاكم فى « المستدرك » (٢٦٢/٤) وقال : « حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » وتعقبه الذهبى بأن حفص بن عمر العدنى واهٍ . والحديث ذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٣٠٣/٢) وعزاه إلى الطبرانى والبيهقى .

(*) في الأصول : عن محمد بن الحسن .

[١] - في ز : « الهماني » ، خ : «عن الهلالي» .
[٢] - في ز : « يماني » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « و » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « يا رسول الله » ، وسقط من : خ .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز : « ذنب » .
[٨] - سقط من : ت .
[٩] - سقط من : خ .
[١٠] - في ز : « فيقول » .
[١١] - سقط من : ت .
[١٢] - سقط من : ز ، خ .
[١٣] - سقط من : ز ، خ .
[١٤] - سقط من : ز .
[١٥] - في ز : « شيخ » .

ابن عجلان الأصبهاني ، حدّثنا سلمة بن شبيب حدثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان ، عن أبيه ، عن عكرمة ، عن ابن عباس عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال[١] « **قال الله - عز وجل - : من علم أني ذو قدرة علىٰ مغفرة الذنوب[٢] غفرت له ولا أبالي ما لم يشرك بي شيئًا** » .

(الحديث الثالث عشر) قال الحافظ أبو بكر البزار والحافظ أبو يعلى(٥٣٠) : حدثنا هدبة - هو ابن خالد - حدثنا سهيل[٣] بن أبي حازم[٤] ، عن ثابت، عن أنس قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **من وعده الله علىٰ عملٍ ثوابًا فهو منجزه له ، ومن توعده[٥] علىٰ عمل عقابًا فهو فيه بالخيار** » تفردا به .

وقال ابن أبي حاتم (٥٣١) : حدثنا بحر بن نصر الخولاني ، حدثنا خالد - يعني ابن عبد الرحمن الخراساني - حدثنا الهيثم بن جماز عن سلام بن أبي مطيع ، عن بكر بن عبد الله المزني ، عن ابن عمر قال : كنا أصحاب النبي صلىٰ الله عليه وسلم لا نشك في قاتل النفس ؛ وآكل مال اليتيم وقاذف[٦] المحصنات ؛ وشاهد[٧] الزور حتىٰ نزلت هذه الآية ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ فأمسك أصحاب النبي صلىٰ الله عليه وسلم عن الشهادة ، ورواه ابن جرير من حديث الهيثم بن جمّازٍ[٨] ، به . وقال ابن

---

(٥٣٠) - أخرجه البزار (٢/رقم ٢٢٠٤) مختصر الزوائد لابن حجر ، وأبو يعلى في مسنده (٣٣١٦/٦) ثنا هدبة به ، وأخرجه ابن عدى فى « الكامل » (١٢٨٨/٣) - من طريق أبي يعلى وغيره - وابن أبى عاصم فى « السنة » (٩٦٠/٢) والطبرانى فى « الأوسط » (٨٥١٦/٨) ، والبيهقى فى « البعث والنشور » (رقم ٤٥) وغيرهم - راجع « الصحيحة » للألبانى (٢٤٦٣/٥) - كلهم من طريق هدبة بن خالد به ، وقال الطبرانى : « لم يرو هذين الحديثين إلا سهيل بن أبى حزم ، تفرّد بهما هُدبة » قال البزار : « سهيل لا يتابع على حديثه » وقال البيهقى : « تفرد به سهيل وليس بالقوى » وبه أعله الألبانى فقال : « إسناده ضعيف ، رجاله كلهم ثقات ، غير سهيل هذا فهو ضعيف كما فى « التقريب » وقد ضعفه الجمهور » ثم قال : « والحديث مع ضعف إسناده فهو ثابت المتن » يعنى لشواهده فراجعها ثمة وبالله التوفيق .

(٥٣١) - تفسير ابن أبى حاتم (٥٤٢٦/٣) ، وأخرجه ابن جرير (٩٧٣٢/٨) حدثنى محمد بن خلف العسقلانى ، حدثنا آدم ، حدثنا الهيثم بن جمّاز به ، وإسناده ضعيف لضعف الهيثم هذا فقد ضعفه أحمد وابن معين والنسائى وغيرهم ، وهو مترجم فى « لسان الميزان » (٦/ت ٩٠٣٣) وانظر ما بعده .

---

[١] - في ز : « فقال » .
[٢] - في ز ، خ : « الذنب » .
[٣] - في ت : « سهل » .
[٤] - في ز : « حزم » .
[٥] - في ز ، خ : « وعده » .
[٦] - في ز : « وقذف » .
[٧] - في ز : « وشهادة » .
[٨] - في ت : « حماد » .

أبي حاتم أيضًا(٥٣٢) : حدثنا عبد الملك بن أبي عبد الرحمن المقري حدثنا [عبد الله بن عاصم ، حدثنا صالح - يعني المرى أبو بشر][١] عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : كنا لا نشك فيمن أوجب اللّٰه له النار في الكتاب حتىٰ نزلت علينا هذه الآية ﴿ **إن اللّٰه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ قال : فلما سمعناها كففنا عن الشهادة وأرجينا الأمور إلىٰ اللّٰه - عز وجل - .

وقال البزار حدثنا(٥٣٣) : محمد بن عبد الرحيم ، حدثنا شيبان بن أبي شيبة ، حدثنا حرب بن سُريج ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : كنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر حتىٰ سمعنا نبينا صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : ﴿ **إن اللّٰه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ وقال : « **أخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي يوم القيامة** » وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع ، أخبرني مُجَبَّر[٢] ، عن عبد اللّٰه بن عمر : أنه قال : لما نزلت ﴿ **قل يا عبادي الذين أسرفوا علىٰ أنفسهم لا تقنطوا من رحمة اللّٰه إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم** ﴾ قام رجل فقال : والشرك باللّٰه[٣] ، يا نبي اللّٰه ؟ فكره ذلك رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه

(٥٣٢) - تفسير ابن أبي حاتم (٥٤٢١/٣) ولم يعزه السيوطى فى « الدر المنثور » (٣٠٢/٢) من هذه الطريق لغير ابن أبي حاتم ، وصالح بن بشير المرى أبو بشر ضعيف كما فى « التقريب » لكن تابعه حرب بن سريج عن أيوب به نحوه ، وهو الآتى .

(٥٣٣) - كما فى « مختصر زوائد البزار » لابن حجر (٢/رقم ٢٢١٩) وأخرجه ابن أبى عاصم فى « السنة » (٢/رقم ٨٣٠) ، وأبو يعلى فى مسنده (٥٨١٣/١٠) - ومن طريقه وطريق غيره ابن عدى فى « الكامل » (٨٢٥/٢) - والطبرانى فى « الأوسط » (٥٩٤٢/٦) كلهم من طريق شيبان به ، وقال ابن عدى : « هذا لا يرويه عن أيوب بهذا الإسناد غير حرب بن سريج » وقال الطبرانى : « لم يرو هذا الحديث عن أيوب السختيانى إلا حربُ بن سُرَيج ، تفرد به شيبان » وهو صدوق غير أن شيخه حرب بن سُريج مختلف فيه فقال أبو الوليد الطيالسي وأحمد وابن عدى : « ليس به بأس » ووثقه ابن معين ، وقال الدارقطنى : صالح ، لكن قال البخارى : « فيه نظر » وقال أبو حاتم : « ينكر عن الثقات ، ليس بقوى » وقال ابن حبان : « يخطئ كثيرًا حتى خرج عن حد الاحتجاج إذا انفرد » وفى « التقريب » : صدوق يخطئ ومع هذا فقد أطلق توثيقه الهيثمى فى « المجمع » (٨/٧) فذكر هذا الحديث وقال : « رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير حرب بن سريج وهو ثقة » ثم ضبطه فى موضع آخر فقال - : (١٠/ ٢١٣، ٢١٤) : رواه البزار وإسناده جيد . ولم يجزم به في موضع ثالث (٣٨١/١٠) فقال : « رواه الطبرانى فى « الأوسط » وفيه حرب بن سريج وقد وثقه غير واحد وفيه ضعف ، وبقية رجاله رجال الصحيح » غير أن الحديث وقع فى هذا الموضع من مسند ابن عباس وهو خطأ لأن الذى فى « الأوسط » هو حديث ابن عمر ، وعلى الرغم من الخلاف فى « حرب بن سريج » فقد صحح الإسناد السيوطى =

[١] - في ت : «عبد الله بن عاصم يعني المرى أبو بشر حدثنا صالح» .

[٢] - في خ : «مخبر» . [٣] - سقط من : ز .

تعالىٰ عليه وعلىٰ آله وسلم فقال : ﴿ **إن اللّٰه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك باللّٰه فقد افترىٰ إثمًا عظيمًا** ﴾ رواه ابن جرير (٥٣٤) ، وقد رواه ابن مردويه من طرق عن ابن عمر .

وهذه الآية التي في سورة « **تنزيل** » مشروطة بالتوبة ، فمن تاب من أي ذنب وإن تكرر منه تاب اللّٰه عليه ؛ ولهذا قال ﴿ **قل يا عبادي الذين أسرفوا علىٰ أنفسهم لا تقنطوا من رحمة اللّٰه إن اللّٰه يغفر الذنوب جميعًا** ﴾ أي : بشرط التوبة ، ولو لم يكن كذلك لدخل الشرك فيه ، ولا يصح ذلك ، لأنه تعالىٰ قد حكم[١] هاهنا بأنه لا يغفر الشرك ، وحكم بأنه يغفر ما عداه لمن يشاء ، أي : وإن لم يتب صاحبه فهذه أرجىٰ من تلك من هذا الوجه واللّٰه أعلم .

وقوله « ﴿ **ومن يشرك باللّٰه فقد افترىٰ إثما عظيما** ﴾ » كقوله ﴿ **إن الشرك لظلم عظيم** ﴾ وثبت في الصحيحين(٥٣٥) عن ابن مسعود أنه قال : قلت : يا رسول اللّٰه أي الذنب أعظم ؟ قال : «**أن تجعل للّٰه ندًّا وهو خلقك** » وذكر تمام الحديث . وقال ابن مردويه (٥٣٦) : حدثنا إسحاق ابن إبراهيم بن زيد ، حدثنا أحمد بن عمرو ، حدثنا إبراهيم بن المنذر ، حدثنا معن ، حدثنا سعيد ابن بشير ، حدثنا قتادة ، عن الحسن ، عن عمران بن حصين : أن رسول اللّٰه صلى الله عليه وسلم قال :

=في « الدر المنثور » (٣٠٢/٢) وزاد عزوه إلى ابن الضريس وابن المنذر !! .

(٥٣٤) - تفسير ابن جرير (٩٨٣٠/٨) حدثني المثنى قال : حدثنا إسحاق قال : حدثنا ابن أبي جعفر عن أبيه به ، وأخرجه ابن أبي حاتم (٥٤٢٢/٣) حدثنا أبي ثنا أحمد بن عبد الرحمن ، ثنا عبد اللّٰه بن أبي جعفر به . ومُجَبَّر لقب واسمه « عبد الرحمن بن عبد الرحمن الأصغر بن عمر بن الخطاب » وهو ابن أخي عبد اللّٰه بن عمر ترجم له الشيخ أبو الأشبال فى الحاشية ترجمة وافية ثم خلص إلى أنه « تابعى عرف شخصه ، ولم يذكر بجرح ، فأقل حالاته أن يكون حديثه حسنًا » غير أن عبد اللّٰه بن أبى جعفر وأباه متكلم فيهما ؛ وسم الحافظ الأول بأنه « صدوق يخطئ » والثانى « صدوق سيئ الحفظ » والخبر لم يعزه السيوطى فى « الدر المنثور » (٣٠٢/٢) لغير ابن جرير وابن أبى حاتم .

(٥٣٥) - تقدم تخريجه في سورة البقرة / آية ٢٢.

(٥٣٦) - وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره (٥٤٢٩/٣) من طريق محمد بن بكار ، والطبرانى فى « المعجم الكبير » (٢٩٣/١٨) من طريق أبى الجماهر محمد بن عثمان التنوخى ، والحارث بن أبى أسامة فى مسنده كما فى « زوائد الهيثمى » (رقم ٢٤) والبيهقى فى « السنن الكبرى » (٢٠٩/٨) من طريق عمر ابن سعيد الدمشقى ، ثلاثتهم (ابن بكار وأبو الجماهر والدمشقى) ثنا سعيد بن بشير به ، وسعيد بن بشير ضعيف ، وتابعه من هو مثله ؛ فأخرجه البخارى فى « الأدب المفرد » (رقم ٣٠) والرويانى فى مسنده (١/رقم ٨٦) من طريق الحسن بن بشر ، نا الحكم بن عبد الملك عن قتادة به ، والحديث مُعَلّ قبل ذلك بعنعنة الحسن وقتادة ، قال الهيثمى فى « المجمع » (١٠٨/١) : « رواه الطبرانى فى « الكبير » =

[١] - في ز : « حتم » .

« أخبركم بأكبر الكبائر : الشرك بالله ، ثم قرأ ﴿ ومن يشرك بالله فقد افترىٰ إثمًا عظيمًا ﴾ ، وعقوق الوالدين ، ثم قرأ ﴿ أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير ﴾ » .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾

قال الحسن وقتادة : نزلت هذه الآية ، وهي قوله : **﴿ ألم تر إلىٰ الذين يزكون أنفسهم ﴾** في اليهود والنصارىٰ ، حين قالوا : نحن أبناء الله وأحباؤه .

[وقال ابن زيد : نزلت في قولهم : **﴿ نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾**][1] وفي قولهم : **﴿ لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارىٰ ﴾** .

وقال مجاهد : كانوا يقدمون الصبيان أمامهم في الدعاء والصلاة يؤمونهم ، ويزعمون أنهم لا ذنب لهم .

وكذا قال عكرمة وأبو مالك ، وروىٰ ذلك ابن جرير(٥٣٧) .

وقال العوفي عن ابن عباس في قوله : **﴿ ألم تر إلىٰ الذين يزكون أنفسهم ﴾** : وذلك أن اليهود قالوا : إن أبناءنا توفوا وهم لنا قربة ، وسيشفعون[2] لنا[3] ، ويزكوننا ، فأنزل الله علىٰ محمد : **﴿ ألم تر إلىٰ الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكى من يشاء ولا يظلمون**

=ورجاله ثقات إلا أن الحسن مدلس وعنعنه » وأعله البيهقي بعلة أخرى فقال : « تفرد به عمر بن سعيد الدمشقي - وهو متابع كما تقدم - وهو منكر الحديث ، وإنما يعرف من حديث النعمان بن مرة مرسلاً » ثم أخرجه من طريق الشافعي - [وهو في مسنده (١/٢٩٣)] - عن مالك [وهو في الموطأ (١/١٥٣)] عن يحيى بن سعيد عن النعمان بن مرة بالزيادة الأولى المشار إليها هنا .

(٥٣٧) - انظر تفسير ابن جرير (٨/ص ٤٥٢، ٤٥٣) .

(٥٣٨) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (٨/٩٧٤٣) بإسناد مسلسل بالضعفاء أولهم العوفي .

[١] - سقط من : خ . [٢] - في ت : « ويشفعون » .

[٣] - سقط من : ز .

فتيلا ﴾ . و[١]رواه ابن جرير (٥٣٨) .

وقال ابن أبي حاتم(٥٣٩) : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن مصفي ، حدثنا ابن حمير ، عن ابن لهيعة ، عن بشير[٢] بن أبي عمرو[٣] ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان[٤] اليهود يقدمون صبيانهم يصلون بهم ، ويقربون قربانهم ، ويزعمون أنهم لا خطايا لهم ولا ذنوب ، وكذبوا ، قال اللَّه : إني لا أطهر ذا ذنب بآخر لا ذنب له ، وأنزل اللَّه : ﴿ **ألم تر إلىٰ الذين يزكون أنفسهم** ﴾ .

ثم قال : وروي عن مجاهد وأبي مالك والسدي وعكرمة والضحاك نحو ذلك .

وقال الضحاك : قالوا : ليس لنا ذنوب ، كما ليس لأبنائنا ذنوب . فأنزل اللَّه : [﴿ **ألم تر إلىٰ الذين يزكون أنفسهم** ﴾ فيهم][٥] .

وقيل : نزلت في ذم التمادح[٦] والتزكية[٧] .

[وقد جاء في الحديث الصحيح][٨] عند[٩] مسلم(٥٤٠) ، عن المقداد بن الأسود قال : أمرنا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أن نحثوَ في وجوه المداحين[١٠] التراب .

وفي [الحديث الآخر المخرج في][١١] الصحيحين (٥٤١) ، من طريق خالد الحذاء ، عن

---

(٥٣٩) - تفسير ابن أبي حاتم (٥٤٣٠/٣) ورجاله ثقات حاشا ابن لهيعة ؛ فإنه سيئ الحفظ . وقد تصحف في تفسير ابن أبي حاتم ونسخة « ز » في تفسير ابن كثير « بشير بن أبي عمرو » إلى « بشير بن أبي عمرة » وانظر « التهذيب » (٢٣٥/١/ الرسالة) .

(٥٤٠) - صحيح مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ، باب :النهى عن المدح إذاكان فيه إفراط (٦٨، ٦٩) (٣٠٠٢) وكذا أخرجه أحمد (٥/٦) ، وأبو داود (٤٨٠٤) ، والترمذى (٢٣٩٣) ، وابن ماجة (٣٧٤٢) .

(٥٤١) - صحيح البخارى ، كتاب الشهادات ، باب : إذا زكى رجلٌ رجلاً كفاه (٢٦٦٢) ، ومسلم=

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ت : « بشر » .
[٣] - في ز : « عمرة » .
[٤] - في ز : « كانت » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « ذلك فيهم » .
[٦] - في ز ، خ : « المتمادح » .
[٧] - في خ : « والزكية » .
[٨] - ما بين المعكوفتين في ت : « وفي صحيح » .
[٩] - زيادة من : خ .
[١٠] - في ز ، خ : « المادحين » .
[١١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ت .

عبدالرحمن بن أبي بكرة ، عن أبيه : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم سمع رجلًا يثني علىٰ رجل ، فقال : « **ويحك ! قطعت عنق صاحبك** » . ثم قال : « **إن كان أحدكم مادحًا صاحبه لا محالة ، فليقل : أحسبه كذا**[١] **، ولا يزكي علىٰ الله أحدًا** » .

و[٢]قال الإمام أحمد (٥٤٢) : حدثنا معتمر ، عن أبيه ، عن نعيم بن أبي هند قال : قال عمر ابن الخطاب : من قال : أنا مؤمن فهو كافر ، ومن قال هو عالم فهو جاهل ، ومن قال : هو في الجنة فهو في النار .

ورواه ابن مردويه من طريق موسىٰ بن عبيدة ، عن طلحة بن عبيد الله بن كريز[٣] ، عن عمر أنه قال : إن أخوف ما أخاف عليكم إعجاب المرء برأيه ، فمن قال : إنه مؤمن فهو[٤] كافر[٥] ، [ومن قال][٦] : [إنه عالم][٧] [فهو جاهل][٨] ، ومن قال هو[٩] في الجنة فهو في النار .

وقال الإمام أحمد(٥٤٣) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة و حجاج ، أنبأنا شعبة ، عن

=كتاب الزهد والرقائق ، باب :النهى عن المدح إذا كان فيه إفراط (٦٥، ٦٦) (٣٠٠٠) وكذا أخرجه أحمد (٥/ ٤١، ٤٥، ٤٧) ، وأبو داود (٤٨٠٥) ، وابن ماجة (٣٧٤٤) من طرق عن خالد الحذاء به .

(٥٤٢) - لم أجده فى المسند ، وقد أورده المصنف فى « مسند الفاروق » (٥٧٤/٢) من طريق حنبل بن إسحاق ثنا أحمد بن حنبل به ، ورواه اللالكائى فى « شرح أصول الاعتقاد » (٥/رقم ١٧٧٧) من طريق عثمان بن أحمد قال : نا حنبل به ، ورجاله ثقات ، غير أنه منقطع بين نعيم وعمر، ورواه ابن مردويه [أورده كذلك المصنف فى « مسند الفاروق » (٢/ ٥٧٣، ٥٧٤)] ثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم ، ثنا معاذ بن المثنى ، ثنا مسدد ، ثنا عبد الله بن داود عن موسى بن عبيدة عن طلحة بن عبيد الله بن كريز عن عمر ، باللفظ المذكور أعلاه ، وموسى بن عبيدة هو الربذى ضعيف ، وطلحة بن عبيد الله لم يذكروا له سماعًا من عمر غير أن المصنف عضد أحد الطريقين بالآخر .

(٥٤٣) - « المسند » (٩٣/٤) وأخرجه الطبرانى فى « المعجم الكبير » (١٩/رقم ٨١٥) من طريق حجاج بن منهال به ، وأخرجه أحمد أيضًا (٩٢/٤) ثنا عفان ، ثنا شعبة به ، وأخرجه أيضًا (٩٨/٤) ، والبيهقى فى « الشعب » (٤٨٧٠/٤) من طريق يزيد بن هارون ، وأحمد (٩٩/٤) من طريق يعقوب بن إبراهيم ، والطبرانى (١٩/رقم ٨١٦، ٨١٧) من طريق إبراهيم بن حمزة ومنصور بن أبى مزاحم ، أربعتهم (يزيد ويعقوب وإبراهيم ومنصور) نا إبراهيم بن سعد عن أبيه سعد بن إبراهيم به مفرقًا . وأخرجه ابن =

[١] - سقط من: ز ، خ.
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « كزير » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في ز : « جاهل » ، وسقط من : خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ.
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٩] - في ز ، خ: «إنه».

سعد بن إبراهيم ، عن معبد الجهني قال : كان معاوية قلما يحدث عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم ، قال : وكان قلما يكاد أن يدع يوم الجمعة هؤلاء الكلمات أن يحدث بهن عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « **من يرد اللَّه به خيرًا يفقهه في الدين ، وإن هذا المال حلو خضر ، فمن يأخذه بحقه يبارك له فيه ، وإياكم والتمادح فإنه الذبح** » .

وروىٰ ابن ماجة منه : « **إياكم والتمادح فإنه الذبح** » عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن غندر ، عن شعبة به ، ومعبد هذا هو ابن عبد اللَّه بن عُليم[١] البصري القدري .

وقال ابن جرير (٥٤٤) : حدثنا ابن[٢] يحيىٰ بن إبراهيم المسعودي ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن جده ، عن الأعمش ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب ، قال : قال عبد اللَّه بن مسعود : إن الرجل ليغدو بدينه ثم يرجع وما معه منه شيء ؛ يلقىٰ الرجل ليس يملك له نفعًا ولا ضرًا فيقول له[٣] : إنك [كنت واللَّه][٤] [كيت وكيت][٥] ، فلعله أن يرجع ولم يحظ[٦] من حاجته بشيء وقد أسخط اللَّه . ثم قرأ ﴿ **ألم تر إلىٰ الذين يزكون أنفسهم** ﴾ الآية .

وسيأتي الكلام علىٰ ذلك مطولًا عند قوله تعالىٰ : ﴿ **فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقىٰ** ﴾ . ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **بل اللَّه يزكي من يشاء** ﴾ أي : المرجع في ذلك إلىٰ اللَّه عز وجل ؛ لأنه عالم بحقائق الأمور وغوامضها .

=أبي شيبة في « المصنف » (٢٠٦/٦) وعنه ابن ماجة ، كتاب الأدب ، باب : المدح (٣٧٤٣) ثنا غندر محمد بن جعفر عن شعبة به مقتصرًا على قوله : « إياكم و التمادح ...» وقال البوصيري في « الزوائد » (١٨١/٣) : « إسناده حسن ؛ معبد مختلف فيه ، وباقي رجال الإسناد ثقات » وأقره الألباني فأودعه في « الصحيحة » (٣/رقم ١٢٨٤) .

(٥٤٤) - تفسير ابن جرير (٩٧٤٤/٨) ويحيى بن إبراهيم هو ابن محمد بن أبي عُبيدة بن معن بن عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن مسعود المسعودي ، قال النسائي : « صدوق » وذكره ابن حبان في « الثقات » مترجم في « التهذيب » غير أن أباه وجدَّه لم أجد لهما ترجمة ، وجدُّ أبيه هو أبو عبيدة عبد الملك بن معن ، ثقة كما في « التقريب » . والخبر لم يعزه السيوطي في «الدر المنثور » (٣٠٥/٢) لغير ابن جرير .

(٥٤٥) - كذا وقع هنا « محمد بن إسحاق » وهو وهم أو خطأ من الناسخ ، فالخبر معروف من رواية «=

---

[١] - في ز ، خ : «عوين» . وفي ت : «عويم» . خطأ .

[٢] - سقط من : ت .

[٣] - في ز : « والله » ، وسقط من : خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٥] - في ز ، خ : «لديت وديت» .

[٦] - في ز ، خ : «يحل» .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ولا يظلمون فتيلًا** ﴾ أي : ولا يترك لأحد من الأجر ما يوازن مقدار الفتيل .

قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وعطاء والحسن وقتادة وغير واحد من السلف : هو ما يكون في شق النواة .

وعن ابن عباس أيضًا : هو ما فتلت بين أصابعك . وكلا القولين متقارب .

وقوله : ﴿ **انظر كيف يفترون علىٰ اللَّه الكذب** ﴾ أي : في تزكيتهم أنفسهم ، ودعواهم أنهم أبناء اللَّه وأحباؤه ، وقولهم : ﴿ **لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارىٰ** ﴾ وقولهم : ﴿ **لن تمسنا النار إلا إيامًا معدودات** ﴾ واتكالهم علىٰ أعمال آبائهم الصالحة ، وقد حكم اللَّه أن أعمال[١] الآباء لا تجزي[٢] عن الأبناء شيئًا ، في قوله : ﴿ **تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **وكفىٰ به إثمًا مبينًا** ﴾ أي : وكفىٰ بصنيعهم[٣] هذا كذبًا وافتراء ظاهرًا .

وقوله : ﴿ **ألم تر إلىٰ الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت** ﴾ أما « **الجبت** » ، فقال [محمد بن إسحاق](٥٤٥) ، عن حسان بن فائد ، عن عمر بن الخطاب ، أنه قال : « **الجبت** » السحر ، و« **الطاغوت** » الشيطان .

وهكذا روي عن ابن عباس وأبي العالية ومجاهد وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبير والشعبي والحسن والضحاك والسدي .

= أبى إسحاق » وقد ذكره المصنف بالصواب فيما تقدم سورة البقرة / آية ٢٥٦. وأخرجه أيضًا ابن جرير (٥/ ٥٨٣٤، ٥٨٣٥) ، (٨/ ٩٧٦٦، ٩٧٦٧) ، وابن أبى حاتم (٣/ ٥٤٤٣، ٥٤٤٩) وابن حجر فى « تغليق التعليق » (١٩٦/٤) من طرق عن أبى إسحاق به . وعلقه البخارى فى صحيحه ، كتاب التفسير ، سورة النساء ، باب : رقم (١٠) عن عمر قال ... فذكره . قال الحافظ فى « الفتح » (٨/ ٢٥٢) : « وصله عبد بن حميد فى تفسيره ، ومسدد فى مسنده ، وعبد الرحمن بن رُسْتَه فى « كتاب الإيمان » كلهم من طريق أبى إسحاق عن حسان بن فائد عن عمر مثله ، وإسناده قوى ، وقد وقع التصريح بسماع أبى إسحاق له من حسان ، وسماع حسان من عمر فى رواية رسته ، وحسان بن فائد بالفاء عبسى بالموحدة ، قال أبو حاتم : شيخ وذكره ابن حبان فى « الثقات » .

(٥٤٦) - « المسند » (٥/ ٦٠) وأخرجه أيضًا (٤٧٧/٣) ، وأبو داود (٣٩٠٧، ٣٩٠٨) ، والنسائى =

[١] - في ز : « عمل » .

[٢] - في ز : « يجزى » . [٣] - في ز : « بصنعهم » .

وعن ابن عباس وأبي العالية ومجاهد وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبير ، والشعبي ، والحسن ، وعطية : « **الجبت** » الشيطان . و[١]زاد ابن عباس : بالحبشية . وعن ابن عباس أيضًا : الجبت : الشرك . وعنه : « **الجبت** » الأصنام . وعن الشعبي : « **الجبت** » الكاهن . وعن ابن عباس : «**الجبت** » حيي بن أخطب . وعن مجاهد : « **الجبت** » كعب بن الأشرف .

وقال العلامة أبو نصر بن[٢] إسماعيل بن حماد الجوهري في كتابه « **الصحاح** » : « **الجبت** » كلمة تقع على الصنم والكاهن[٣] والساحر ونحو ذلك . وفي الحديث : « **الطيرة والعيافة والطرق من الجبت** » . قال : وليس هذا من محض العربية ؛ لاجتماع الجيم والتاء في [كلمة واحدة من غير حرف][٤] ذَوْلَقِيّ[٥] . وهذا الحديث الذي ذكره رواه الإمام أحمد في مسنده فقال (٥٤٦) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا عوف ، عن[٦] حيان أبي العلاء ، حدثنا قطن بن قبيصة ، عن أبيه - وهو قبيصة بن مخارق - أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت** » .

و[٧]قال عوف : « **العيافة** » زجر الطير . « **والطرق** » الخط يخط في الأرض ، « **والجبت** » - قال الحسن - إنه[٨] الشيطان .

وهكذا رواه أبو داود في سننه والنسائي ، وابن أبي حاتم في تفسيرهما[٩] من حديث عوف الأعرابي به .

وقد تقدم الكلام على « **الطاغوت** » في سورة البقرة بما[١٠] أغنى عن إعادته هاهنا .

= في « التفسير » من « الكبرى » (١١١٠٨/٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٤٤٣/٣) وغيرهم من طرق عن عوف الأعرابي به ، وصححه ابن حبان (٦١٣١/١٣) وحسن إسناده النووي [كما في « فيض القدير » للمناوي (٣٩٦/٤)] ورمز لصحته السيوطي في « الجامع الصغير » مع أن الرواة اختلفوا في إسناده عن عوف وهو ابن أبي جميلة الأعرابي ، فقال بعضهم : حيان ، لم ينسبه ، وقال بعضهم : حيان أبي العلاء ، وقال آخرون : حيان بن عمير ، وقال آخر : حبان بن مخارق . وضعفه الألباني لهذا الاضطراب فقال في « غاية المرام » (ص ١٨٤) : « وهذا اضطراب شديد يدل على أن الراوي لم يحفظ ولم يضبط ، فكان دليلاً على ضعف الحديث ، على أن بعض هذه الوجوه من الاضطراب يمكن =

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز ، خ : « والكافر » .
[٤] - في ز ، خ : « حرف واحد » .
[٥] - في ز ، خ : « لولقى » .
[٦] - في ز : « بن » .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - في ز : « رنة » .
[٩] - في ز : « تفسيريهما » .
[١٠] - في ز : « له » .

وقال ابن أبي حاتم(٥٤٧) : حدثنا أبي ، حدثنا إسحاق بن الضيف ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، أخبرني أبو الزبير : أنه سمع جابر بن عبد الله ، أنه سئل عن الطواغيت فقال[١] : هم كهان تنزل عليهم الشياطين .

وقال مجاهد : الطاغوت : الشيطان في سورة إنسان[٢] ، يتحاكمون إليه ، وهو صاحب أمرهم .

وقال الإمام مالك : [ ][٣] هو كل ما يعبد من دون الله عز وجل .

وقوله : ﴿ ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدىٰ من الذين آمنوا سبيلًا ﴾ أي : يفضلون الكفار علىٰ المسلمين بجهلهم ، وقلة دينهم ، وكفرهم بكتاب الله الذي بأيديهم .

وقد روىٰ ابن أبي حاتم(٥٤٨) ، حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقري ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن عكرمة قال[٤] : جاء حيي بن أخطب ، وكعب بن الأشرف إلىٰ أهل مكة ، فقالوا لهم : أنتم أهل الكتاب وأهل العلم فأخبرونا عنا وعن محمد . فقالوا : ما أنتم وما محمد . فقالوا : نحن نصل الأرحام ، وننحر الكوماء ، ونسقي الماء علىٰ اللبن ، ونفك العناة ، ونسقي الحجيج ، ومحمد صنبور قطع أرحامنا واتبعه سراق الحجيج بنو غفار ، فنحن خير أم

= إرجاعه إلى وجه واحد ، فحيان أبو العلاء هو حيان بن عمير أبو العلاء البصرى القيسى ، وهو ثقة كما قال النسائى وابن حبان ، لكن قال إسحاق بن منصور عن أحمد ويحيى : ليس هو ابن عمير [يعنى راوى هذا الحديث] والآخرون لا يعرفون ، والله أعلم » .

(٥٤٧) - تفسير ابن أبى حاتم (٥٤٥٢/٣) ورجاله ثقات رجال مسلم ، غير أن شيخ أبى حاتم وسمه الحافظ فى « التقريب » بأنه « صدوق يخطئ » ولم يرو له سوى أبى داود .

(٥٤٨) - تفسير ابن أبى حاتم (٥٤٤١/٣) ورواه الواحدى فى « أسباب النزول » (رقم ٣٢٠) من طريق عبدالجبار بن العلاء ثنا سفيان به ، ورجاله ثقات رجال الشيخين غير أنه مرسل ، وقد ورد موصولاً من هذه الطريق ؛ فأخرجه الطبرانى فى « المعجم الكبير » (١١٦٤٥/١١) ثنا المنتصر بن محمد بن المنتصر البغدادى ثنا يونس بن سليمان الحمال ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس بنحوه ، هكذا وقع بهذا الإسناد فى « المعجم » وفيه تصحيف قديم فى شيخ شيخ الطبرانى ؛ ولذلك لم يعرفه الهيثمى فقال فى « المجمع » (٩/٧) : « رواه الطبرانى وفيه يونس بن سليمان الجمال ولم أعرفه ، وبقية رجاله رجال الصحيح » وصوابه: « محمد بن يونس الجمال » فقد أخرجه البيهقى فى « الدلائل » (١٩٣/٣) من طريق أحمد بن على الخزار أخبرنا محمد بن يونس بالإسناد السابق ، ومحمد بن يونس هذا قال ابن عدى فى « الكامل » (٢٢٨٢/٦) : « هو ممن يسرق حديث الناس » وفى =

---

[١] - في ز : « قال » . [٢] - في ز : « الإنسان » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « الطاغوت » . [٤] - سقط من : ز .

هو ؟ فقالوا : أنتم خير وأهدىٰ سبيلًا . فأنزل اللّٰه : ﴿ **ألم تر إلىٰ الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا** ﴾ .

وقد روي هذا من غير وجه عن ابن عباس وجماعة من السلف .

وقال الإمام أحمد(٥٤٩) : حدثنا محمد بن أبي عدي ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما قدم كعب بن الأشرف مكة ، قالت قريش : ألا ترىٰ هذا الصنبور[١] المنبتر من قومه ، يزعم أنه خير منا ، ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية . قال : أنتم خير . قال : فنزلت فيهم : ﴿ **إن شانئك هو الأبتر** ﴾ ونزل : ﴿ **ألم تر إلىٰ الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب** ﴾ إلىٰ ﴿ **نصيرًا** ﴾ .

و[٢]قال ابن إسحاق(٥٥٠) : حدثني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كان الذين حزبوا الأحزاب من قريش وغطفان وبني قريظة حيي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق وأبو رافع والربيع [بن الربيع][٣] بن أبي الحقيق ، وأبو عمار[٤] ووحوح بن عمار[٥] وهوذة[٦] بن قيس . فأما وحوح ، وأبو عمار[٧] وهوذة[٨] فمن بني وائل ، وكان سائرهم من بني النضير ، فلما قدموا علىٰ قريش قالوا[٩] : هؤلاء أحبار يهود وأهل العلم بالكتب الأول ، فسلوهم أدينكم خير أم دين محمد ؟ فسألوهم ، فقالوا : بل دينكم خير من دينه ،

= « التقريب » « ضعيف ولم يثبت أن مسلمًا روى عنه » لكن صح الحديث من طريق آخر عن ابن عباس ، وهو الآتى .

(٥٤٩) - لم أجده فى « المسند » وقد عزاه له أيضًا السيوطى فى « الدر المنثور » (٣٠٦/٢) ، لكن لم يذكره الحافظ ابن حجر فى كتابه « أطراف المسند » وكذا الهيثمى فى « المجمع » وقد أخرجه ابن جرير (٩٧٨٦/٨) و (٣٣٠/٣٠) وابن أبى حاتم (٥٤٤٠/٣) والبزار كما سيذكره المصنف عند تفسير سورة الكوثر / آية رقم ٣، وصحح إسناده ، وكذا صححه أبو حاتم بن حبان (٦٥٧٢/١٤) كلهم من طريق محمد بن أبى عدى به .

(٥٥٠) - ومن طريقه رواه ابن هشام فى « السيرة » (١٠٢٤/٣) ، وابن جرير فى تفسيره (٩٧٩٢/٨) ، ومحمد بن أبى محمد وهو الأنصارى « مولى زيد بن ثابت ، مدنى ، مجهول ، تفرد عنه ابن إسحاق » كذا فى « التقريب » .

[١] - في ز : « الصنبر » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٤] - في ز : « عامر » .
[٥] - في ز : « عامر » .
[٦] - في ز : « وهودة » .
[٧] - في ز : « عامر » .
[٨] - في ز : « وهودة » .
[٩] - في ز : « فقالوا » .

وأنتم أهدىٰ منه وممن اتبعه . فأنزل اللّه عز وجل : ﴿ **ألم تر إلىٰ الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا** ﴾ إلىٰ قوله عز وجل : ﴿ **وآتيناهم ملكًا عظيمًا** ﴾ .

وهذا لعن[١] لهم ، وإخبار[٢] بأنهم لا ناصر لهم في الدنيا ولا في الآخرة ؛ لأنهم إنما ذهبوا يستنصرون بالمشركين ، وإنما قالوا لهم ذلك ليستميلوهم إلىٰ نصرتهم ، وقد أجابوهم وجاءوا معهم يوم الأحزاب ، حتىٰ حفر النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم وأصحابه حول المدينة الخندق ، فكفىٰ اللّه شرهم ﴿ **ورد اللّه الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرًا وكفىٰ اللّه المؤمنين القتال وكان اللّه قويًّا عزيزًا** ﴾ .

أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **أم لهم نصيب من الملك** ﴾ وهذا استفهام إنكار ، أي : ليس لهم نصيب من الملك ، ثم وصفهم بالبخل ، فقال : ﴿ **فإذا لا يؤتون الناس نقيرًا** ﴾ أي : لأنهم لو كان لهم نصيب في الملك والتصرف لما أعطوا أحدًا من الناس ، ولا سيما محمدًا صلىٰ اللّه عليه وسلم شيئًا ولا ما يملأ النقير ، وهو النقطة التي في النواة ، في قول ابن عباس والأكثرين .

وهذه الآية كقوله تعالىٰ : ﴿ **قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي[٣] إذًا لأمسكتم خشية الإنفاق** ﴾ أي : خوف[٤] أن يذهب ما بأيديكم ، مع أنه لا يتصور نفاذه ، وإنما هو من بخلكم وشحكم . ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وكان الإنسان قتورًا** ﴾ أي : بخيلًا .

ثم قال : ﴿ **أم يحسدون الناس علىٰ ما آتاهم اللّه من فضله** ﴾ يعني : بذلك حسدهم النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم علىٰ ما رزقه اللّه من النبوة العظيمة ، ومنعهم من تصديقهم إياه حسدهم له ؛ لكونه من العرب وليس من بني إسرائيل .

---

[١] - في ز : « لعنًا » .
[٢] - في ز : « وإخبارًا » .
[٣] - في ز : « ربك » .
[٤] - في ز : « خوفا » .

و[١]قال الطبراني (٥٥١) : حدثنا محمد بن عبد اللَّه الحضرمي ، حدثنا يحيىٰ الحماني ، حدثنا قيس بن الربيع ، عن السدي ، عن عطاء ، عن ابن عباس في[٢] قوله : ﴿ **أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله** ﴾ . قال ابن عباس : نحن الناس دون الناس ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكًا عظيمًا** ﴾ أي : فقد جعلنا في أسباط بني إسرائيل الذين هم من ذرية إبراهيم النبوة ، وأنزلنا عليهم الكتاب ، وحكموا فيهم بالسنن ، وهي الحكمة ، وجعلنا منهم[٣] الملوك ، ومع هذا ﴿ **فمنهم من آمن به** ﴾ أي : بهذا الإيتاء وهذا[٤] الإنعام ، ﴿ **ومنهم من صد عنه** ﴾ أي : كفر به ، وأعرض عنه ، وسعىٰ في صد الناس عنه ، وهو منهم ومن جنسهم أي[٥] : من بني إسرائيل ، فقد اختلفوا عليهم ، فكيف بك يا محمد ، ولست من بني إسرائيل ؟

وقال مجاهد : ﴿ **فمنهم من آمن به** ﴾ أي : بمحمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، ﴿ **ومنهم من صد عنه** ﴾ ، فالكفرة منهم أشد تكذيبًا لك ، وأبعد عما جئتهم به من الهدىٰ ، والحق المبين .

ولهذا قال متوعدًا لهم : ﴿ **وكفىٰ بجهنم سعيرًا** ﴾ أي : وكفىٰ بالنار عقوبة لهم علىٰ كفرهم وعنادهم ومخالفتهم كتب اللَّه ورسله .

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾

يخبر تعالىٰ عما يعاقب به في نار جهنم من كفر بآياته ، وصد عن رسله ، فقال : ﴿ **إن الذين**

(٥٥١) - « المعجم الكبير » للطبراني (١١٣١٣/١١) وذكره الهيثمي في « المجمع » (٩/٧) وقال : « رواه الطبراني ، وفيه يحيى الحماني وهو ضعيف » وقيس بن الربيع « صدوق تغير لما كبر » وزاد عزوه السيوطي في « الدر المنثور » (٣٠٩/٢) إلى ابن المنذر .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « فيهم » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : ز ، خ .

كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارًا ﴾ ، أي : ندخلهم فيها دخولًا يحيط بجميع أجرامهم وأجزائهم . ثم أخبر عن دوام عقوبتهم ونكالهم فقال : ﴿ **كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودًا غيرها ليذوقوا العذاب** ﴾ [قال الأعمش ، عن ثوير ، عن ابن عمر][١] : إذا احترقت[٢] جلودهم بدلوا جلودًا غيرها[٣] بيضاء أمثال القراطيس . رواه ابن أبي حاتم (٥٥٢) .

وقال يحيىٰ بن يزيد الحضرمي ، أنه بلغه في قول اللَّه : ﴿ **كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودًا غيرها ليذوقوا العذاب** ﴾ الآية : قال يجعل للكافر مائة جلد بين كل جلدين لون من العذاب . رواه ابن أبي حاتم (٥٥٣) .

وقال ابن أبي حاتم (٥٥٤) : حدثنا أبي ، حدثنا علي بن محمد الطنافسي ، حدثنا حسين الجعفي ، عن زائدة ، عن هشام ، عن الحسن ، قوله : ﴿ **كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودًا غيرها** ﴾ قال : تنضجهم[٤] في اليوم سبعين ألف مرة . قال حسين : وزاد فيه فضيل ، عن هشام ، عن الحسن : ﴿ **كلما نضجت جلودهم** ﴾[٥] قيل لهم : عودوا ، فعادوا .

وقال أيضًا(٥٥٥) : ذكر عن هشام بن عمار ، حدثنا سعيد بن يحيىٰ (يعني سعدان) ، حدثنا

(٥٥٢) - تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٥٤٩٢، ٥٤٩٤) ثنا علي بن الحسين ثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا جرير عن الأعمش به ، ورواه ابن جرير في تفسيره (٩٨٣٣/٨) ثنا ابن حميد ، ثنا جرير به ، ولم يعزه السيوطي في « الدر المنثور » (٣١٠/٢) لغيرهما . وثوير هو ابن فاختة « ضعيف رُمي بالرَّفض » .

(٥٥٣) - تفسير ابن أبي حاتم (٥٤٩٧/٣) ولم يعزه السيوطي في « الدر المنثور » (٣١١/٢) لغيره .

(٥٥٤) - تفسير ابن أبي حاتم (٥٤٩٦/٣) ورواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٩٧/٨) ثنا يزيد بن هارون ، وابن جرير (٩٨٣٧/٨) من طريق أبي عبيدة الحداد ، وابن أبي الدنيا في « صفة النار » (رقم ١١٦، ١١٧، ٢٤٥، ٢٦٢) من طريق فضيل بن عياض وإسحاق بن يوسف ، ورواه عبد اللَّه بن أحمد في « زوائد الزهد » (ص ٣٢٩) من طريق فضيل بن عياض ، أربعتهم (يزيد وأبو عبيدة وفضيل وإسحاق) عن هشام به ، وزاد فضيل الزيادة المشار إليها أعلاه ، ورواه نعيم بن حماد في « زوائد زهد ابن المبارك » (رقم ٣٢٩) أنا رجل عن الحسن به ، وزاد عزوه السيوطي في « الدر المنثور » (٣١١/٢) إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٥٥٥) - تفسير ابن أبي حاتم (٥٤٩٣/٣) وأخرجه ابن عدي في « الكامل » (٢٥١٤/٧) ثنا ابن حريم ، والطبراني في « الأوسط » (٤٥١٧/٥) وابن مردويه - كما قال المصنف - من طريق عبدان بن محمد المروزي ، كلاهما (ابن حريم والمروزي) عن هشام بن عمار به ، وقال الطبراني : « لا يُروى هذا =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ. [٢] - في ز ، خ: «أحرقت» .
[٣] - سقط من : ز . [٤] - في ز : « ينضجهم » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « كلما أنضجتهم فأكلت لحومهم» ، خ : « كلما نضجت لهم فأكلت لحومهم » .

نافع مولىٰ يوسف السلمي البصري ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قرأ رجل عند عمر هذه الآية ﴿ **كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودًا غيرها** ﴾ فقال عمر : أعدها علي . فأعادها ، فقال معاذ بن جبل : عندي تفسيرها : تبدل في ساعة مائة مرة . فقال عمر : هكذا سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم .

وقد رواه ابن مردويه ، عن محمد بن أحمد بن إبراهيم ، عن عبدان بن محمد المروزي ، عن هشام بن عمار - به .

ورواه من وجه آخر بلفظ آخر فقال (٥٥٦) : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن عمران ، حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحارث ، حدثنا شيبان بن فروخ ، حدثنا نافع أبو هرمز ، حدثنا نافع ، عن ابن عمر قال : تلا رجل عند عمر هذه الآية : ﴿ **كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودًا غيرها ليذوقوا العذاب** ﴾ . الآية : قال : فقال عمر : أعدها[١] علي . وثَمَّ كعب ، فقال : يا أمير المؤمنين أنا عندي تفسير هذه الآية ، قرأتها قبل الإِسلام . قال : فقال : هاتها يا كعب ، فإن جئت بها كما سمعت من رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم صدقناك وإلا لم ننظر إليها . فقال : إني قرأتها قبل الإِسلام : كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودًا غيرها في الساعة الواحدة عشرين ومائة مرة . فقال عمر : هكذا سمعت من رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم .

وقال الربيع بن أنس : مكتوب في الكتاب الأوّل : أن جلد أحدهم أربعون ذراعًا وسنه تسعون ذراعًا ، وبطنه لو وضع فيه جبل لوسعه ، فإذا أكلت النار جلودهم بدلوا جلودًا غيرها .

=الحديث عن عمر إلا بهذا الإسناد ، تفرَّد به هشام بن عمار » وهو صدوق فى حديثه القديم ، غير أن نافعًا مولى يوسف السلمى هذا ضعفه أحمد وجماعة ، وكذبه ابن معين فى رواية ، وقال أبو حاتم : متروك . وقال النسائى : ليس بثقة . مترجم فى « لسان الميزان » واستنكر له ابن عدى هذا الحديث مع عدة أحاديث أخر وقال : « ولنافع أبو هرمز غير ما ذكرت ، وعامة ما يرويه غير محفوظ والضعف على روايته بيِّنٌ » وبه أعله الهيثمى فقال فى « المجمع » (٩/٧) : « رواه الطبرانى فى « الأوسط » وفيه نافع مولى يوسف السلمى وهو متروك » وذكره المصنف فى « مسند الفاروق » (٥٧٤/٢) من طريق ابن أبى حاتم وقال : « حديث غريب من هذا الوجه » وعزاه السيوطى فى « الدر المنثور » (٣١٠/٢) إلى « الطبرانى فى « الأوسط » وابن أبى حاتم وابن مردويه بسند ضعيف . وانظر ما بعده .

(٥٥٦) - وعزاه لابن مردويه السيوطى فى « الدر المنثور » (٣١١/٢) ورواه أبو نعيم فى « الحلية » (٥/ ٣٧٤، ٣٧٥) ثنا عبد اللَّه بن محمد بن جعفر ثنا إبراهيم بن محمد بن الحارث به ، وفيه نفس علة السابق ؛ وهى ضعف « نافع أبي هرمز » ولاحظ اضطرابه فى اسم مفسرها فى مجلس عمر .

[١] - في ز : « أعده » .

وقد ورد في الحديث ما هو أبلغ من هذا ، فقال الإمام أحمد (٥٥٧) : حدثنا وكيع ، حدثنا أبو يحيىٰ الطويل ، عن أبي يحيىٰ القتات ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **يعظم أهل النار في النار حتىٰ إن بين شحمة أذن أحدهم إلىٰ عاتقه مسيرة سبعمائة عام ، وإن غلظ جلده سبعون ذراعًا ، وإن ضرسه مثل أحد** » .

تفرد به أحمد من هذا الوجه .

وقيل : المراد بقوله : ﴿ **كلما نضجت جلودهم** ﴾ أي : سرابيلهم . حكاه ابن جرير ، وهو ضعيف ؛ لأنه خلاف الظاهر .

وقوله : ﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا** ﴾ هذا إخبار عن مآل السعداء في جنات عدن التي [تجري فيها][١] الأنهار في جميع فجاجها ، ومحالها[٢] وأرجائها حيث شاءوا ، وأين أرادوا ، وهم خالدون فيها أبدًا ، لا يحولون ولا يزولون ، ولا يبغون عنها حولًا .

وقوله : ﴿ **لهم فيها أزواج مطهرة** ﴾ أي : من الحيض والنفاس والأذىٰ [والأخلاق الرذيلة ، والصفات الناقصة . كما قال ابن عباس : مطهرة من الأقذار والأذىٰ][٣] . وكذا قال عطاء والحسن والضحاك والنخعي وأبو صالح وعطية والسدي .

---

(٥٥٧) - « المسند » (٢٦/٢) (رقم ٤٨٠٠/ شاكر) ورواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٩٧/٨) ثنا وكيع به ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١٣٤٨٢/١٢) وفي « الأوسط » (٢٤١٠/٣) من طرق عن عمران ابن زيد التغلبي أبي يحيى الطويل به ، وقال : « لم يرو هذا الحديث عن أبي يحيى إلا عمران » وهو وشيخه « لين الحديث » كما في « التقريب » وأعل الهيثمي الحديث بالأول ؛ فقال في « المجمع » (١٠/ ٣٩٤) : « رواه أحمد والطبراني في « الكبير » و « الأوسط » وفي أسانيدهم أبو يحيى القتات ، وهو ضعيف وفيه خلاف ، وبقية رجاله أوثق منه » ومع هذا فقد رمز لحسنه السيوطي في « الجامع الصغير » ولم يعزه لغير الطبراني في « الأوسط » وقصر أيضًا في عزوه في « الدر المنثور » (٣١١/٢) فلم يعزه لغير ابن أبي شيبة . قال المناوي في « فيض القدير » (٤٣٨/٢) : « كأنه أغفل عزوه لأحمد ذهولاً ، لا لقولهم : إن الحديث إذا كان في مسند أحمد لم يعزه لغيره » وغفل المنذري في « الترغيب والترهيب » (٤٨٤/٤) فجعله من مسند عبد الله بن عمرو وقال : « رواه أحمد والطبراني في « الكبير » و « الأوسط » وإسناده قريب من الحسن » !! ولبعضه شاهد من حديث أبي سعيد وأبي هريرة ، قد خرجتهما في « مسند أحمد » الجزء الأول من الثالث حديث رقم ١١٢٤٨) وبالله التوفيق .

---

[١] - ما بين المعكوفتن في ز ، خ : « تخترقها » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وقال مجاهد : [مطهرة من البول والحيض والنخام والبزاق والمني والولد .

وقال قتادة][١] : مطهرة من الأذىٰ والمآثم ، ثم لا حيض ولا كلف .

وقوله : ﴿ وندخلهم ظلًّا ظليلًا ﴾ أي : ظلًّا عميقًا كثيرًا غزيرًا طيبًا أنيقًا .

قال ابن جرير (٥٥٨) : حدثنا ابن بشار ، حدثنا عبد الرحمن ، وحدثنا ابن المثنى[٢] ، حدثنا ابن جعفر ، قالا : حدثنا شعبة قال : سمعت أبا الضحاك يحدث عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، شجرة الخلد** » .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ ﴾

يخبر تعالىٰ أنه يأمر بأداء الأمانات إلىٰ أهلها ، وفي حديث الحسن ، عن سمرة أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **أدّ الأمانة إلىٰ من ائتمنك ، ولا تخن من خانك** » . رواه الإمام أحمد وأهل السنن (٥٥٩) ، وهو[٣] يعم جميع الأمانات الواجبة علىٰ الإنسان ؛ من حقوق اللَّه - عز

(٥٥٨) - تفسير ابن جرير (٩٨٣٨/٨) وأبو الضحاك تابعي ، لم يعرف إلا بهذا الحديث ، ولم يرو عنه أحد غير شعبة ، قال الذهبي في « الميزان » : « حدث عنه شعبة ، لا يعرف ، لكن شيوخ شعبة جِيَاد » والحديث يأتي تخريجه موسعًا في سورة الرعد / آية ٢٩، وأصله ثابت عن أبي هريرة في الصحيحين وغيرهما دون زيادة « شجرة الخلد » وانظر أيضًا الآتي في سورة طه / آية ١٢٠، والواقعة / ٣٠.

(٥٥٩) - كذا جعله المصنف من حديث سمرة ، ولم أجد لسمرة رواية في هذا الباب ، وإنما أخرجه ابن جرير (٩٨٥٠/٨) بإسناد صحيح عن الحسن مرسلاً ، وأخرجه أحمد (٤١٤/٣) ، وأبو داود (٣٥٣٤) [ومن طريقه البيهقي في « السنن الكبرى » (٢٧٠/١٠)] من طريق يوسف بن ماهك المكي عن رجل عن أبيه أنه سمع رسول اللَّه ﷺ ... قال البيهقي راجع الروض البسام رقم (٧٠٧) فسوف ينقل منه تخريج الحديث مباشرة .

(٥٦٠) - أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب : تحريم الظلم (٦٠) (٢٥٨٢) وكذا أحمد (٢٣٥/٢ وفي مواضع أخر) والترمذي (٢٤٢٠) من حديث أبي هريرة وانظر ما يأتي سورة الأنعام / آية ٣٨.

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.   [٢] - في ز : « مثنى » .

[٣] - في ز : « وهذا » .

وجل - علىٰ عباده ، من [الصلاة ، والزكاة][١] ، والصيام[٢] ، والكفارات ، والنذور ، وغير ذلك مما هو مؤتمن عليه لا يطلع عليه العباد ، ومن حقوق العباد بعضهم علىٰ بعض ، كالودائع وغير ذلك ، مما يأتمنون به بعضهم على بعض من غير اطلاع بنية[٣] علىٰ ذلك ، فأمر اللَّه - عز وجل - بأدائها ، فمن لم يفعل ذلك في الدنيا أخذ منه ذلك يوم القيامة ، كما ثبت في الحديث الصحيح أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **لتؤدّن الحقوق إلىٰ أهلها ، حتىٰ يقتص للشاة الجماء من القرناء** »(٥٦٠) .

وقال ابن أبي حاتم(٥٦١) : حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي[٤] ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن عبد اللَّه بن السائب ، عن زاذان[٥] ، عن عبد اللَّه بن مسعود قال : إن الشهادة تكفر كل ذنب إلا الأمانة ، يؤتىٰ بالرجل يوم القيامة ، وإن كان قد قتل في سبيل اللَّه ، فيقال : أدّ أمانتك . فيقول : وأنّىٰ أؤديها وقد ذهبت الدنيا ؟ فتمثل له الأمانة في قعر جهنم فيهوي إليها ، فيحملها علىٰ عاتقه ، قال : فتنزل عن عاتقه ، فيهوي[٦] علىٰ أثرها أبد الآبدين . قال زاذان[٧] : فأتيت البراء ، فحدّثته ، فقال : صدق أخي ﴿ **إن اللَّه يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلىٰ أهلها** ﴾ .

---

(٥٦١) - تفسير ابن أبي حاتم (٥٥١٢/٣) ورواه أيضًا (٥٥١٣/٣) ثنا على بن الحسين ، ثنا تميم بن المنتصر ، ثنا إسحاق الأزرق ، عن شريك عن الأعمش عن عبد اللَّه بن السائب به مرفوعًا ، وفيه أيضًا : « قال شريك : ثنا عياش العامرى عن زاذان عن عبد اللَّه عن النبى ﷺ نحو ذلك ، ولم يذكر فيه الأمانة فى الصلاة ، والأمانة فى كل شيء » ورواه الطبرانى فى « المعجم الكبير » (١٠٥٢٧/١٠) . وعنه أبو نعيم فى « الحلية » (٢٠١/٤) ، وابن جرير فى تفسيره (٥٦/٢٢) وينقله من طريقه المصنف فى سورة الأحزاب / آية ٧٢ - من طريق تميم بن المنتصر به ، وذكره الهيثمى فى « المجمع » (٢٩٦/٥) وقال : « رواه الطبرانى ورجاله ثقات » كذا قال ، وشريك سيئ الحفظ ، وقد خالفه من هو أوثق منه فوقفه على ابن مسعود ، فرواه البيهقى فى « الشعب » (٥٢٦٦/٤) من طريق عبد اللَّه بن بشر عن الأعمش به موقوفًا ، بل إنه قد اختلف فيه على شريك نفسه ؛ فرفعه إسحاق الأزرق كما تقدم ، ووقفه منجاب بن الحارث كما عند أبى نعيم ، وإسحاق ومنجاب ثقتان ؛ فالاضطراب فيه من شريك نفسه ، ومع هذا فقد جوَّد المصنف إسناده فى سورة الأحزاب !!. والخبر زاد نسبته السيوطى فى « الدر المنثور » (٣١٣/٢) إلى عبد الرزاق وابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر .

---

[١] - في ز : « الصلوات والزكوات » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ت : « بينة » .

[٤] - في ز : « الأخمسي » .

[٥] - في ز : « زادان » .

[٦] - في ز : « فتهوى » .

[٧] - في ز : « زادان » .

وقال سفيان الثوري ، عن ابن أبي ليلىٰ ، عن رجل ، عن ابن عباس قوله : ﴿ **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها** ﴾ قال : هي مبهمة للبر والفاجر . وقال محمد بن الحنفية : هي مُسْجَلَةٌ للبر والفاجر . وقال أبو العالية : الأمانة ما أمروا به ونهوا عنه .

وقال ابن أبي حاتم(٥٦٢) : حدثنا أبو سعيد ، حدثنا حفص بن غياث ، عن الأعمش ، عن أبي الضحىٰ ، عن مسروق قال : قال أبي بن كعب : من الأمانة أن المرأة ائتمنت علىٰ فرجها .

وقال الربيع بن أنس : هي من الأمانات فيما بينك وبين الناس .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ **إن اللّٰه يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلىٰ أهلها** ﴾ قال : يدخل فيه وعظ السلطان النساء - يعني يوم العيد - .

وقد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في شأن عثمان بن أبي طلحة ، واسم أبي طلحة عبد اللّٰه بن عبد العزىٰ بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب القرشي العبدري حاجب الكعبة المعظمة ، وهو ابن عم شيبة بن عثمان بن أبي طلحة الذي صارت الحجابة في نسله إلىٰ اليوم ، أسلم عثمان هذا في الهدنة بين صلح الحديبية وفتح مكة هو وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص ، وأما عمه عثمان [بن طلحة][١] بن أبي طلحة فكان معه لواء المشركين يوم أحد ، وقتل يومئذ كافرًا ، وإنما نبهنا علىٰ هذا النسب لأن كثيرًا من المفسرين قد يشتبه عليه[٢] هذا بهذا ، وسبب نزولها فيه ، لما أخذ منه رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم مفتاح الكعبة يوم الفتح ثم رده عليه .

وقال محمد بن إسحاق في غزوة الفتح (٥٦٣) : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عبيد اللّٰه [ ][٣] ابن أبي ثور ، عن صفية بنت شيبة ، أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم لما نزل بمكة واطمأن الناس خرج حتىٰ جاء إلىٰ[٤] البيت ، فطاف به سبعًا علىٰ راحلته يستلم الركن بمحجن في يده ، فلما قضىٰ طوافه دعا عثمان بن [ ][٥] طلحة ، فأخذ منه مفتاح الكعبة ، ففتحه[٦] له ،

(٥٦٢) - تفسير ابن أبي حاتم (٣/٥٥١٧) وإسناده صحيح .

(٥٦٣) - كما فى « السيرة » لابن هشام (٤/ ١٢٥٣، ١٢٥٤) وإسناده حسن غير أن صفية بنت شيبة نفى سماعها من النبى ﷺ ابن حبان والدارقطنى ، بينما أثبته البخارى وهو مقدم على غيره .

[١] - ما بين المكوفتين سقط من : ز .

[٢] - في ز : « عليهم » .

[٣] - ما بين المكوفتين في ز : « بن عبد الله » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - ما بين المكوفتين في ز : « أبي » .

[٦] - في ت : « ففتحت » .

فدخلها ، فوجد فيها حمامة من عيدان ، فكسرها بيده ، ثم طرحها ، ثم وقف علىٰ باب الكعبة وقد استكف[١] له الناس في المسجد .

قال ابن إسحاق (٥٦٤) : فحدثني بعض أهل العلم أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قام علىٰ باب الكعبة ، فقال : « **لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ألا كل مأثرة ، أو دم ، أو مال يدعىٰ فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت ، وسقاية الحاج** » . وذكر بقية الحديث في خطبة النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم يومئذ ، إلىٰ أن قال : ثم جلس رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم في المسجد ، فقام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده فقال : يا رسول اللَّه اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلىٰ اللَّه عليك . فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أين عثمان بن طلحة ؟** » . فدعي له ، فقال له : « **هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم وفاء وبر** » .

قال ابن جرير(٥٦٥) : حدثني القاسم ، حدثنا الحسين ، عن[٢] حجاج ، عن ابن جريج [في الآية][٣] ، قال نزلت في عثمان بن طلحة قبض منه رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم مفتاح الكعبة ، فدخل في[٤] البيت يوم الفتح فخرج وهو يتلو هذه الآية ﴿ **إن اللَّه يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلىٰ أهلها** ﴾ الآية ، فدعا عثمان إليه فدفع[٥] إليه المفتاح . قال : وقال عمر بن الخطاب لما خرج رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم من الكعبة وهو يتلو هذه الآية : ﴿ **إن اللَّه يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلىٰ أهلها** ﴾ فداه أبي وأمي ، ما سمعته يتلوها قبل ذلك .

حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثنا الزنجي بن خالد ، عن الزهري ، قال دفعه إليه وقال : « **أعينوه[٦]** »(٥٦٦) .

---

(٥٦٤) - كما فى « السيرة » لابن هشام (١٢٥٤/٤) وهو هكذا منقطع ، وروى الطبرانى فى « الكبير » (١١٢٣٤/١١) وفى « الأوسط » (١/رقم ٤٨٨) من طريق عبد اللَّه بن المؤمل عن ابن أبى مليكة عن ابن عباس مرفوعًا : « خذوها يا بنى طلحة خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم » يعنى حجابة الكعبة ، لكن قال الهيثمى فى « المجمع » (٢٨٨/٣) : « فيه عبد اللَّه بن المؤمل وثقه ابن حبان وقال : يخطئ ، ووثقه ابن معين فى رواية وضعفه جماعة » وله شواهد انظرها فى فتح البارى (١٩/٨) وانظر ما بعده .

(٥٦٥) - تفسير ابن جرير (٨/ ٩٨٤٦، ٩٨٤٧) والإسناد الأول معضل والثانى مرسل ، وخبر ابن جريج زاد نسبته السيوطى فى « الدر المنثور » (٣١٢/٢) إلى ابن المنذر .

(٥٦٦) - أخرجه ابن ماجه ، كتاب الأحكام ، باب :التغليظ فى الحيف والرشوة (٢٣١٢) ثنا أحمد بن

---

[١] - في ز : « استلف » .
[٢] - في ز ، خ : « بن » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « قوله » .
[٤] - في ز : « به » .
[٥] - مكانها في ز : بياض .
[٦] - في ز : « غيبوه » .

وروىٰ ابن مردويه من طريق الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، في قوله عز وجل : **﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلىٰ أهلها ﴾** قال : لما فتح رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم مكة دعا عثمان بن طلحة بن أبي طلحة فلما أتاه قال : « **أرني المفتاح** » . فأتاه به ، فلما بسط يده إليه ، قام إليه[١] العباس ، فقال : يا رسول الله بأبي أنت وأمي اجمعه لي مع السقاية ، فكف عثمان يده ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم « **أرني المفتاح يا عثمان** » . فبسط يده يعطيه ، فقال العباس مثل كلمته الأولىٰ ، فكف عثمان يده ، ثم قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **يا عثمان إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر [فهاتني المفتاح]**[٢] » فقال : هاك بأمانة الله . قال : فقام رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ففتح باب الكعبة ، فوجد في الكعبة تمثال إبراهيم عليه الصلاة والسلام معه قداح يستقسم بها ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما للمشركين قاتلهم الله ، وما شأن إبراهيم وشأن القداح ، ثم دعا بجفنة**

سنان ، والبزار فى مسنده (٨/ ٣٣٣٥، ٣٣٣٧) أخبرنا محمد بن مؤمل والحسن بن يحيى الأرزى ، وابن عدى فى « الكامل » (٢١٤٥/٦) [ومن طريقه البيهقى فى « السنن الكبرى » (٨٨/١٠)] ثنا ابن صاعد أنبا أحمد بن سنان ، والمزى فى « تهذيب الكمال » (٤٥٨/٦) عن الطبرانى من طريق محمد بن عبد الله بن نمير وعلى بن نصر - كلهم (أحمد بن سنان وابن مؤمل والحسن وابن نمير وعلى) ثنا محمد ابن بلال ثنا عمران القطان عن حسين بن عمران عن أبى إسحاق الشيبانى عن عبد الله بن أبى أوفى مرفوعًا به . وفى إسناد ابن عدى « حسين المعلم عن أبى إسحاق » وعند البزار « حسين بن عبد الله » والظاهر أنه تحريف ؛ ولذلك قال البزار : « وهذا الحديث لا نعلم رواه عن الشيبانى إلا عمران فأدخل محمد بن بلال بين عمار والشيبانى : حسين بن عبد الله » ولا نعلم مَنْ حسين بن عبد الله هذا ! » واستنكر ابن عدى هذا الحديث لـ « محمد بن بلال » وقال : « قال ابن صاعد : رواه عمرو بن عاصم عن عمران القطان ، فلم يذكر فى إسناده حسينًا ، ومحمد بن بلال هذا له غير ما ذكرت من الحديث وهو يغرب عن عمران القطان ، له عن غير عمران أحاديث غرائب ، وليس حديثه بالكثير ، وأرجو أنه لا بأس به » غير أن العقيلى ذكره فى « الضعفاء » وقال : « يهم فى حديثه كثيرًا » وقال الذهبى : « غَلِط فى حديثه كما يغلط الناس » . ورواية عمرو بن عاصم المشار إليها أخرجها الترمذى (١٣٣٠) والبزار (٨/ ٣٣٣٦) وأبو حاتم بن حبان فى صحيحه (٥٠٦٢/١١) ، والحاكم (٩٣/٤) ، والبيهقى (١٠/ ٨٨، ١٣٤) من طرق عن عمرو بن عاصم ثنا عمران القطان عن أبى إسحاق الشيبانى به ، ليس فيه « حسين » ، ولفظ ابن حبان والبزار مختصر ، ولفظ الترمذى : « إن الله مع القاضى ما لم يجر ، فإذا جار تخلَّى عنه ولزمه الشيطان » وعند الحاكم : « فإذا جار تبرأ الله عز وجل منه » وقال الترمذى : « حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عمران القطان » وقال الحاكم : « إسناده صحيح ، ولم يخرجاه » ووافقه الذهبى ، وتحسينه ؛ أشبه فإن عمرو بن عاصم وشيخه فى حفظهما شئ ، وله شواهد بأسانيد ضعيفة من حديث معقل بن يسار وابن مسعود وزيد بن أرقم . راجع « المجمع » (٤/ ١٩٦، ١٩٧) .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ت : « فهاته » .

فيها ماء ، فأخذ ماء فغمسه فيه ، ثم غمس به تلك التماثيل ، وأخرج مقام إبراهيم ، وكان في الكعبة [فألزقه في حائط الكعبة][١] ، ثم قال : « يا[٢] أيها الناس هذه القبلة » . قال : ثم خرج رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فطاف بالبيت شوطا أو شوطين ، ثم نزل عليه جبريل فيما ذكر لنا برد المفتاح ، [ثم قال][٣] رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ﴿ **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلىٰ أهلها** ﴾ حتىٰ فرغ من الآية » .

وهذا من المشهورات أن هذه الآية نزلت في ذلك ، وسواء كانت نزلت في ذلك أولا ، فحكمها عام ، ولهذا قال ابن عباس ومحمد بن الحنفية : هي[٤] للبر والفاجر ، أي : هي أمر لكل أحد .

وقوله : ﴿ **وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل** ﴾ أمر منه تعالىٰ بالحكم بالعدل بين الناس ، ولهذا قال محمد بن كعب وزيد بن أسلم وشهر بن حوشب : [إن هذه الآية][٥] إنما نزلت في الأمراء ، يعني : الحكام بين الناس .

وفي الحديث : « **إن الله مع الحاكم ما لم يجر ، فإذا جار وكله الله إلىٰ نفسه** » وفي الأثر : « **عدل يوم كعبادة أربعين سنة** » .

وقوله : ﴿ **إن الله نعما يعظكم به** ﴾ أي : يأمركم به من أداء الأمانات ، والحكم بالعدل بين الناس وغير ذلك من أوامره وشرائعه الكاملة العظيمة الشاملة .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **إن الله كان سميعًا بصيرًا** ﴾ أي : سميعًا لأقوالكم ، بصيرًا بأفعالكم . كما قال[٦] ابن أبي حاتم (٥٦٧) : حدثنا أبو زرعة ، حدثني يحيىٰ بن عبد الله بن بكير ، حدثنا عبد الله بن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي الخير ، عن عقبة بن عامر قال : رأيت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية ﴿ **سميعًا بصيرًا** ﴾ يقول : « **بكل شيء بصير** » .

وقد قال ابن أبي حاتم (٥٦٨) : أخبرنا يحيىٰ بن عبدك القزويني ، أنبأنا المقري - يعني أبا

(٥٦٧) - تفسير ابن أبى حاتم (٥٥٢٦/٣) وإسناده رجاله ثقات رجال الشيخين ، غير ابن لهيعة وهو ضعيف لسوء حفظه . ولم يعزه السيوطى فى « الدر المنثور » (٣١٤/٢) لغير ابن أبى حاتم .

(٥٦٨) - تفسير ابن أبى حاتم (٥٥٢٤/٣) وتصحف فيه « أبو يونس » إلى « أبو سليمان » ، =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ.

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز ، خ: « فدعا » .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٦] - في ز : « قالا » .

عبدالرحمن عبد الله بن يزيد - حدثنا حرملة - يعني ابن عمران التجيبي المصري - حدثني أبو يونس ، سمعت أبا هريرة يقرأ هذه الآية : ﴿ **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلىٰ أهلها** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعًا بصيرًا** ﴾ ويضع إبهامه علىٰ أذنه والتي تليها علىٰ عينه ، ويقول : هكذا سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقرأها ويضع إصبعيه[١] . وقال أبو زكريا : وصفه لنا المقري ، ووضع أبو زكريا إبهامه اليمنىٰ علىٰ عينه اليمنىٰ ، والتي تليها علىٰ الأذن اليمنىٰ ، وأرانا فقال : هكذا وهكذا[٢] .

رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه ، وابن مردويه في تفسيره من حديث أبي عبد الرحمن المقري بإسناده نحوه . وأبو يونس هذا مولىٰ أبي هريرة ، واسمه سليم بن جبير .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾

قال البخاري (٥٦٩) : حدثنا صدقة بن الفضل ، حدثنا حجاج بن محمد[٣] الأعور ، عن ابن جريج ، عن يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ **أطيعوا الله وأطيعوا**

=وإسناده صحيح رجاله كلهم ثقات . ورواه أبو داود ، كتاب السنة ، باب :في الجهمية (٤٧٢٨) [ومن طريقه البيهقى فى « الأسماء والصفات » (١/رقم ٣٩٠)] وابن خزيمة فى « التوحيد » (١/رقم ٤٦، ٤٧) [وعنه ابن حبان فى صحيحه (١/رقم ٢٦٥)] والحاكم فى « المستدرك » (٢٤/١) [وعنه البيهقى أيضًا] واللالكائى فى « شرح أصول الاعتقاد » (٦٨٨/٣) من طرق عن عبد الله بن يزيد به . وقال الحاكم : « حديث صحيح ولم يخرجاه ، وقد احتج مسلم بحرملة بن عمران وأبي يونس ، والباقون متفق عليهم » ووافقه الذهبى وقال اللالكائى : « هو إسناد صحيح على شرط مسلم يلزمه إخراجه » وذكره الحافظ ابن حجر فى : « الفتح » (٣٧٣/١٣) : وقال : « سنده قوى على شرط مسلم » وأفاد أن البيهقى أخرج له شاهدًا من حديث عقبة بن عامر : سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر : « إن ربنا سميع بصير » وأشار إلى عينيه . وسنده حسن . ولم أجد هذا الشاهد عند البيهقى فى « الأسماء والصفات » وأخشى أن يكون هو حديث عقبة بن عامر السابق ، فإن كان هو فالإسناد ضعيف كما بينا . والله أعلم .

(٥٦٩) - صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، باب : ﴿ **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم** ﴾ ذوى الأمر (٤٥٨٤) ، ومسلم ، كتاب الإمارة : باب :وجوب طاعة الأمراء فى غير معصية وتحريمها =

[١] - في ت : « إصبعين » . [٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .

الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ قال : نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي ، إذ بعثه النبي صلىٰ الله عليه وسلم في سرية .

وهكذا أخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجة من حديث رواية[١] حجاج بن محمد الأعور ، به ، وقال الترمذي : حديث[٢] حسن غريب ، و[٣]لا نعرفه إلا من حديث ابن جريج .

وقال الإمام أحمد [ ][٤] (٥٧٠) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن سعد بن عبيدة ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، عن علي ، قال : بعث رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم سرية واستعمل عليهم رجلا من الأنصار ، فلما خرجوا وجد عليهم في شيء ، قال : فقال لهم : أليس قد أمركم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أن تطيعوني ؟ قالوا : بلىٰ . قال : فاجمعوا[٥] حطبًا . ثم دعا بنار فأضرمها فيه ، ثم قال : عزمت عليكم لتدخلنها . قال[٦] : [فَهَمَّ القوم أن يدخلوها][٧] . قال[٨] : فقال لهم شاب منهم : إنما فررتم إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من النار ، فلا تعجلوا حتىٰ تلقوا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوها . قال : فرجعوا إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فأخبروه . فقال لهم : « **لو دخلتموها ما خرجتم منها أبدًا ، إنما الطاعة في المعروف** » . أخرجاه في الصحيحين من حديث الأعمش به .

= في المعصية (٣١) (١٨٣٤) ، وأحمد (١/٣٣٧) ، وأبو داود ، كتاب الجهاد ، باب :الطاعة (٢٦٢٤) ، والترمذى ، كتاب الجهاد ، باب : ما جاء فى الرجل يبعث وحده سَرِيَّة (١٦٧٢) ، والنسائى ، كتاب الجهاد ، باب :قوله تعالى : ﴿ **وأولى الأمر منكم** ﴾ (٧/ ١٥٤، ١٥٥) من طرق عن حجاج بن محمد به .

(٥٧٠) - « المسند » (١/٨٢) وأخرجه أيضًا (١/١٢٤) ، والبخارى ، كتاب المغازى ، باب :سرية عبد الله بن حذافة (٤٣٤٠) ، وكتاب الأحكام ، باب :السمع والطاعة للإمام (٧١٤٥) ، ومسلم ، كتاب الإمارة ، باب :وجوب طاعة الأمراء فى غير معصية (٤٠) (١٨٤٠) من طرق عن الأعمش به ، وأخرجه أحمد (١/ ٩٤، ١٢٩) ، والبخارى ، كتاب أخبار الآحاد ، باب :ما جاء فى إجازة خبر الواحد الصدوق (٧٢٥٧) ، ومسلم (٣٩) (١٨٤٠) ، وأبو داود ، كتاب الجهاد ، باب :فى الطاعة (٢٦٢٥) ، والنسائى ، كتاب البيعة ، باب :جزاء من أمر بمعصية فأطاع (٧/ ١٥٩، ١٦٠) من طريق شعبة عن زبيد الإيامى عن سعد بن عبيدة به .

[١] - سقط من : ت .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « بن حنبل » .
[٥] - في ز : « اجمعوا لي » .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٨] - سقط من : ز .

وقال أبو داود(٥٧١) : حدثنا مسدد ، حدثنا يحيىٰ ، عن عبيد اللَّه ، حدثني نافع ، عن عبد اللَّه ابن عمر ، عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **السمع والطاعة علىٰ المرء المسلم فيما أحب وكره ، ما لم يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة** » .

وأخرجاه من حديث يحيىٰ القطان .

وعن عبادة بن الصامت قال : بايعنا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم علىٰ السمع والطاعة ، في منشطنا ومكرهنا ، وعسرنا ويسرنا ، وأثرة علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله قال : « **إلا أن تروا كفرًا بواحًا [ ][١] عندكم فيه من اللَّه برهان** » . أخرجاه(٥٧٢) .

وفي الحديث الآخر عن أنس ، أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **اسمعوا وأطيعوا ، وإن أمر عليكم [عبد حبشي][٢] كأن رأسه زبيبة** » . رواه البخاري(٥٧٣) .

وعن أبي هريرة(٥٧٤) - رضي اللَّه عنه - قال : أوصاني خليلي أن أسمع وأطيع وإن كان عبدًا حبشيًا مُجَدّع[٣] الأطراف . رواه مسلم .

وعن أم الحصين ، أنها سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يخطب في حجة الوداع

---

(٥٧١) - سنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، باب :في الطاعة (٢٦٢٦) ، والبخارى ، كتاب الجهاد ، باب :السمع والطاعة للإمام (٢٩٥٥) ، ومسلم ، كتاب الإمارة ، باب :وجوب طاعة الأمراء فى غير معصية . (١٨٣٩) ، وأحمد (١٧/٢) من طريق يحيى القطان به ، وأخرجه البخارى ومسلم أيضًا والترمذى (١٧٠٧) ، وابن ماجه (٢٨٦٤) من طرق عن عبيد اللَّه بن عمر به ، وأخرجه النسائى فى « الصغرى » (١٦٠/٧) نا قتيبة ثنا الليث عن عبيد اللَّه بن أبي جعفر عن نافع به .

(٥٧٢) - أخرجه البخارى ، كتاب الفتن ، باب :قول النبى ﷺ : « سترون بعدى أمورًا تنكرونها » (٧٠٥٥، ٧٠٥٦) ، ومسلم ، كتاب الإمارة ، باب :وجوب طاعة الأمراء فى غير معصية (٤١، ٤٢) (١٧٠٩) ، وكذا أخرجه أحمد (٤٤١/٣) (٥/ ٣١٦، ٣٢١) ، والنسائى (٧/ ١٣٧: ١٣٩) ، وابن ماجة (٢٨٦٦) .

(٥٧٣) - صحيح البخارى ، كتاب الأذان ، باب : إمامة العبد والمولى (٦٩٣) ، وكذا أخرجه أحمد (٣/ ١١٤) ، وابن ماجة ، كتاب الجهاد ، باب : طاعة الإمام (٢٨٦٠) .

(٥٧٤) - كذا عزاه المصنف لمسلم من حديث أبى هريرة وإنما أخرجه في كتاب الإمارة ، باب :وجوب طاعة الأمراء فى غير معصية (٣٦) (١٨٣٧) من حديث أبى ذر ، وكذا أخرجه أحمد (١٦١/٥) وابن ماجة (٢٨٦٢) ، والبخارى فى « الأدب المفرد » (١١٣) من حديث أبى ذر .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « فيه » . [٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « عبدًا حبشيًا » .

[٣] - في ز : « مجذوع » .

يقول : « **ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب اللَّه فاسمعوا له وأطيعوا** » . رواه مسلم(٥٧٥) ، وفي لفظ له : « **عبدًا حبشيًا مجذوعًا** » .

وقال ابن جرير(٥٧٦) : حدثني علي بن مسلم الطوسي ، حدثنا ابن أبي فديك ، حدثني عبد اللَّه بن محمد بن عروة ، عن هشام بن عروة ، عن أبي صالح السمان ، عن أبي هريرة ، أن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم [قال : « **سيليكم**][١] **بعدي ولاة ، فيليكم البر ببره ويليكم الفاجر بفجوره ، فاسمعوا لهم وأطيعوا في كل ما وافق الحق**[٢] ، **وصلوا وراءهم ، فإن أحسنوا فلكم ولهم ، وإن أساءوا فلكم وعليهم** » .

---

(٥٧٥) - صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب : استحباب رمى جمرة العقبة يوم النحر راكبًا (٣١١) (١٢٩٨) ، كتاب الإمارة ، باب : وجوب طاعة الأمراء فى غير معصية (٣٧) (١٨٣٨) وكذا أخرجه أحمد (٦٩/٤) (٣٨١/٥) (٦/ ٤٠٢، ٤٠٣) ، والنسائى (١٥٤/٧) ، وابن ماجة (٢٨٦١) من طريق يحيى بن حصين قال : سمعت جدَّتى تُحدِّثُ أنها سمعت النبى ﷺ يخطب فى حجة الوداع وهو يقول ... الحديث . وأخرجه أحمد (٦/ ٤٠٢، ٤٠٣) ، والترمذى (١٧٠٦) من طريق العيزار بن حُريث عن أم الحصين به نحوه . وقصر فى عزوه السيوطى جدا فلم يعزه فى « الدر المنثور » (٣١٧/٢) لغير ابن أبى شيبة والترمذى !! .

(٥٧٦) - تفسير ابن جرير (٩٨٧٦/٨) وأخرجه الدارقطنى فى « السنن » (٥٥/٢) [ومن طريقه ابن الجوزى فى « العلل المتناهية » (١/رقم ٧١٧)] نا أبو حامد محمد بن هارون الحضرمى قال : نا على بن مسلم . به . وأخرجه الطبرانى فى « الأوسط » (٦٣١٠/٦) حدثنا محمد بن على ، ثنا إبراهيم بن المنذر ثنا عبد اللَّه ابن محمد به . وقال الطبرانى : « لم يرو هذا الحديث عن هشام بن عروة إلا عبد اللَّه بن محمد بن عروة ، تفرد به إبراهيم بن المنذر ، ولم يُسند هشام بن عروة عن أبى صالح حديثا غير هذا » وإبراهيم بن المنذر لم ينفرد به ؛ بل تابعه ابن أبى فديك كما ترى . والحديث ذكره الهيثمى فى « المجمع » (٢٢١/٥) وقال : « رواه الطبرانى فى « الأوسط » وفيه عبد اللَّه بن محمد بن يحيى بن عروة وهو ضعيف جدًّا » كذا قال أبو حاتم الرازى وزاد : « هو متروك الحديث » وقال العقيلى : « لا يتابع على كثير من حديثه » وقال ابن حبان : « يروى الموضوعات عن الثقات » واستنكر له ابن عدى فى « الكامل » (١٥٠١/٤) أحاديثه وقال : « أحاديث عامتها مما لا يتابعه عليه الثقات » وهو مترجم فى « اللسان » وقد أعله الحافظ ابن حجر فى « التلخيص الحبير » (٣٦/٢) به وعزاه إلى ابن حبان فى « الضعفاء » ولم أجده فى ترجمة عبد اللَّه بن محمد فى « الضعفاء » فلعله فى موضع آخر واللَّه أعلم . وقصر السيوطى فى عزوه فلم يعزه فى « الدر المنثور » (٣١٦/٢) لغير ابن جرير وباللَّه التوفيق .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - سقط من : خ .

وعن أبي هريرة أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **كانت بنو إسرائل تسوسهم الأنبياء ، كلما هلك نبي خلفه نبي ، وإنه لا نبي بعدي ، وسيكون خلفاء فيكثرون** » قالوا : يا رسول اللَّه فما تأمرنا ؟ قال : « **أوفوا ببيعة الأول فالأول وأعطوهم حقهم ، فإن اللَّه سائلهم عما استرعاهم** » . أخرجاه(٥٧٧) .

وعن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **من رأىٰ من أميره شيئًا فكرهه فليصبر ، فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبرًا فيموت إلا مات ميتة جاهلية** » . أخرجاه(٥٧٨) .

وعن ابن عمر أنه سمع رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « **من خلع يدًا من طاعة لقي اللَّه يوم القيامة لا حجة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية** » . رواه مسلم(٥٧٩) .

وروىٰ مسلم أيضًا(٥٨٠) عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة قال : دخلت المسجد فإذا عبد اللَّه بن عمرو بن العاص جالس في ظل الكعبة والناس [ ][١] مجتمعون عليه ، فأتيتهم فجلست إليه فقال : كنا مع رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم في سفر فنزلنا منزلا ، فمنا من يصلح خباءه ، ومنا من ينتضل ، ومنا من هو في جشره ، إذ نادىٰ منادي رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : [الصلاة جامعة . فاجتمعنا إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم][٢] فقال : « **إنه لم يكن**

---

(٥٧٧) - أخرجه البخارى ، كتاب الأنبياء ، باب :ما ذكر عن بنى إسرائيل (٣٤٥٥) ، ومسلم ، كتاب الإمارة ، باب :وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول (٤٤) (١٨٤٢) وكذا أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٧) ، وابن ماجة (٢٨٧١) .

(٥٧٨) - أخرجه البخارى ، كتاب الفتن ، باب : قول النبى ﷺ : « سترون بعدى أمورًا تنكرونها » (٧٠٥٣، ٧٠٥٤) ، ومسلم ، كتاب الإمارة ، باب : وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن (٥٥، ٥٦) (١٨٤٩) .

(٥٧٩) - صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب :وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن (٥٨) (١٨٥١) .

(٥٨٠) - صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب : وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول (٤٦) (١٨٤٤) وكذا أخرجه أحمد (٢/١٦١ ومواضع أخر) وأبو داود (٤٢٤٨) ، والنسائى (٧/١٥٢) ، وابن ماجة (٣٩٥٦) مطولًا ومختصرًا .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « حوله » . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

نبي من[١] قبلي إلا كان حقًّا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ، [وينذرهم شر ما يعلمه لهم][٢] ، وإن أمتكم هذه جعلت[٣] عافيتها في أولها ، وسيصيب[٤] آخرها بلاء ، وأمور تنكرونها ، وتجيء فتن يرفق بعضها بعضًا ، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن : [هذه مهلكتي ، ثم تنكشف ، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن][٥] : هذه هذه . فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه ، ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع ، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر » قال : فدنوت منه فقلت : أنشدك الله آأنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأهوى إلى أذنيه وقلبه بيديه وقال[٦] : سمعته أذناي ؛ ووعاه قلبي . فقلت له : هذا ابن عمك معاوية يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل ، ونقتل أنفسنا والله تعالى يقول : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما** ﴾ قال[٧] : فسكت ساعة ثم قال : أطعه في طاعة الله ؛ واعصه في معصية الله .

والأحاديث في هذا كثيرة .

وقال ابن جرير(٥٨١) : حدثنا محمد بن الحسين ، حدثنا أحمد بن الفضل ، حدثنا أسباط ، عن السدي [في قوله][٨] : ﴿ **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** ﴾ قال : بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم سرية عليها[٩] خالد بن الوليد ، وفيها عمار بن ياسر ، فساروا قبل القوم الذين يريدون ، فلما بلغوا قريبًا منهم عرسوا ، وأتاهم ذو العيينتين فأخبرهم ،

---

(٥٨١) - تفسير ابن جرير (٩٨٦١/٨) ، وأخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره (٥٥٣١/٣) ثنا أحمد بن عثمان ابن حكيم ، ثنا أحمد بن مفضل به . وهو مرسل وأفاد المصنف أن ابن مردويه وصله من طريق « الحكم ابن ظهير عن السدي عن أبي صالح عن ابن عباس » لكن الحكم بن ظهير متفق على تضعيفه ، وأصل القصة ورد موصولاً من حديث خالد بن الوليد عند أحمد (٤/ ٨٩، ٩٠) ، والطبراني (٤/ ٣٨٣٠: ٣٨٣٤) من طرق عن الأشتر مالك بن الحارث عن خالد بن الوليد ... فذكر الحديث ، وقال الهيثمى عن أحد طرقه : « رجاله رجال الصحيح » « المجمع » (٩/ ٢٩٦، ٢٩٧) وصححه الحاكم ووافقه الذهبى . انظر « المستدرك » (٣/ ٣٩٠، ٣٩١) .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - في ز : « جعل » .

[٤] - في ز : « ونصيب » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٦] - في ز : « فقال » .

[٧] - سقط من : ز ، خ .

[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٩] - في ز : « فيها » .

فأصبحوا وقد هربوا ، غير رجل أمر[١] أهله فجمعوا[٢] متاعهم ، ثم أقبل يمشي في ظلمة الليل ، حتىٰ أتىٰ عسكر خالد ، فسأل عن عمار بن ياسر ، فأتاه فقال : يا أبا اليقظان ، إني قد أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا عبده ورسوله ، وإن قومي لما سمعوا بكم هربوا ، وإني بقيت ، فهل إسلامي نافعي غدًا وإلا هربت ؟ قال عمار : بل هو ينفعك ، فأقم . فأقام ، فلما أصبحوا أغار خالد فلم يجد أحدًا غير الرجل فأخذه وأخذ ماله ، فبلغ عمارًا الخبر ، فأتىٰ خالدًا فقال : خل عن الرجل ، فإنه قد أسلم ، وإنه في أمان مني . فقال خالد : وفيم أنت تجير ؟ فاستبَّا وارتفعا إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم فأجاز أمان عمار ، ونهاه أن يجير الثانية علىٰ أمير ، فاستبَّا عند رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال خالد : يا رسول الله ، أتترك هذا العبد الأجدع يسبني . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **يا خالد ، لا تسب عمارًا ، فإنه من سب عمارًا يسبه الله ؛ ومن [يبغض عمارًا][٣] يبغضه الله[٤] ؛ ومن يلعن عمارًا يلعنه[٥] الله** » . فغضب عمار فقام ، فتبعه خالد حتىٰ أخذ بثوبه فاعتذر إليه ، فرضي عنه ، فأنزل الله - عز وجل - قوله : ﴿ **وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** ﴾ .

وهكذا رواه ابن أبي حاتم من طريق عن السدي مرسلا ، ورواه ابن مردويه من رواية الحكم بن ظهير ، عن السدي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، فذكره بنحوه ، والله أعلم .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ **وأولي الأمر منكم** ﴾ يعني : أهل الفقه والدين . وكذا قال مجاهد وعطاء والحسن البصري وأبو العالية ﴿ **وأولي الأمر منكم** ﴾ يعني : العلماء . والظاهر والله أعلم أنها[٦] عامة في [ ][٧] كل أولي الأمر من الأمراء والعلماء كما تقدم . وقد قال تعالىٰ : ﴿ **لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾ وفي الحديث الصحيح المتفق [علىٰ صحته][٨] عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « **من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصىٰ الله ، ومن أطاع أميري فقد أطاعني ، ومن عصىٰ أميري فقد عصاني** »(٥٨٢) .

---

(٥٨٢) - يأتي تخريجه هنا برقم (٦٣٢) .

---

[١] - في ز : « فأمر » .
[٢] - في ت : « فأحرقوا » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « يبغضه » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : « لعنه » .
[٦] - في ز : « أن الآية » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « جميع » .
[٨] - ما بين المعكوفتين في ز : « عليه » .

فهذه أوامر بطاعة العلماء والأمراء ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **أطيعوا اللّه** ﴾ أي : اتبعوا كتابه ﴿ **وأطيعوا الرسول** ﴾ أي : خذوا بسنته ﴿ **وأولي الأمر منكم** ﴾ أي : فيما أمروكم به من طاعة اللّه لا في معصية اللّه ؛ فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية اللّه ، كما تقدم في الحديث الصحيح(٥٨٣) : « **إنما الطاعة في المعروف** » . وقال الإمام أحمد(٥٨٤) : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا همام ، حدثنا قتادة ، عن أبي مراية ، عن [ ][١] عمران بن حصين ، عن النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم قال : « **لا طاعة في معصية اللّه** » .

وقوله : ﴿ **فإن تنازعتم في شيء فردوه إلىٰ اللّه والرسول** ﴾ قال مجاهد وغير واحد من السلف : أي إلىٰ كتاب اللّه وسنة رسوله .

وهذا أمر من اللّه - عز وجل - بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلىٰ الكتاب والسنة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلىٰ اللّه** ﴾ فما حكم به كتاب الله وسنة رسوله وشهدا[٢] له بالصحة فهو الحق ، وماذا بعد الحق إلا الضلال ؟ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **إن كنتم تؤمنون باللّه واليوم الآخر** ﴾ أي : ردوا الخصومات والجهالات إلىٰ كتاب اللّه وسنة رسوله فتحاكموا إليهما فيما شجر بينكم ﴿ **إن كنتم تؤمنون باللّه واليوم الآخر** ﴾ فدل علىٰ أن من لم[٣] يتحاكم في مجال النزاع إلىٰ الكتاب والسنة ولا يرجع إليهما في ذلك فليس مؤمنًا باللّه ولا باليوم الآخر . وقوله : ﴿ **ذلك خير** ﴾ أي : التحاكم إلىٰ كتاب اللّه وسنة رسوله ، والرجوع في فصل النزاع إليهما ﴿ **خير وأحسن تأويلا** ﴾ أي : وأحسن عاقبة ومآلا ، كما قاله السدي وغير واحد . وقال مجاهد : و[٤]أحسن جزاء . وهو قريب .

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا

(٥٨٣) - تقدم تخريجه هنا برقم (٥٧٤) .

(٥٨٤) - « المسند » (٤/٤٢٦) وأخرجه الطبراني في « الكبير » (٧٥١/١٨) من طريق هدبة بن خالد ثنا همام به . وأخرجه أحمد أيضًا (٤/ ٤٢٧، ٤٣٦) ، والطيالسي في مسنده (٨٥٠) [ومن طريقه وطريق آخر البزار في مسنده (٣٥٩٩/٩) « البحر الزخار » ، والطبراني (٥٧٠/١٨)] من طريق شعبة عن قتادة به . ورجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي مراية هذا ذكره ابن حبان في « الثقات » (٣١/٥) والحديث قد صح من طريق آخر وله شواهد ، فراجع « الصحيحة » للألباني (١/ ١٧٩: ١٨١) .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « عمران عن » . [٢] - في ز : « وشهد » .

[٣] - في ز : « لا » . [٤] - سقط من : ز .

بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ
يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ
ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ
ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا
﴿٦٣﴾

هذا إنكار من اللّه - عز وجل - علىٰ من يدعي الإيمان بما أنزل اللّه علىٰ رسوله وعلىٰ الأنبياء الأقدمين ، وهو مع ذلك يريد [أن يتحاكم][١] في فصل الخصومات[٢] إلىٰ غير كتاب اللّه وسنة رسوله ، كما ذكر في سبب نزول هذه الآية أنها في رجل من الأنصار ، ورجل من اليهود تخاصما فجعل اليهودي يقول بيني وبينك محمد . وذاك يقول : بيني وبينك كعب بن الأشرف . وقيل : في جماعة من المنافقين ممن أظهروا الإسلام ، أرادوا أن يتحاكموا إلىٰ حكام الجاهلية . وقيل غير ذلك . والآية أعم من ذلك كله ؛ فإنها ذامّة لمن عدل عن الكتاب والسنة ، وتحاكموا إلىٰ ما[٣] سواهما من الباطل ، وهو المراد بالطاغوت هاهنا ولهذا قال : ﴿ **يريدون أن يتحاكموا إلىٰ الطاغوت وقد أُمِرُوا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالًا بعيدا وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين** ﴾ .

[وقوله : ﴿ و][٤]**يصدون عنك صدودًا** ﴾ أي : يعرضون عنك إعراضًا كالمستكبرين عن ذلك ، كما قال تعالىٰ عن المشركين : ﴿ **وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل اللّه قالوا بل نتبع ما وجدنا[٥] عليه آباءنا** ﴾ [وهؤلاء][٦] بخلاف المؤمنين الذين قال اللّه فيهم : ﴿ **إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلىٰ اللّه ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ في ذم المنافقين : ﴿ **فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدّمت أيديهم** ﴾ أي :

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « التحاكم » .
[٢] - في ز : « الحكومات » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٥] - في ز : « ألفينا » .
[٦] - ما بين المعكوفتين تكررت في ز .

فكيف بهم إذا ساقتهم المقادير إليك في مصائب تطرقهم بسبب ذنوبهم ، واحتاجوا إليك في ذلك ﴿ **ثم جاؤك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانًا وتوفيقًا** ﴾ أي : يعتذرون إليك ويحلفون : ما أردنا بذهابنا إلىٰ غيرك ، وتحاكمنا إلىٰ أعدائك[١] إلا الإحسان والتوفيق ، أي : المداراة والمصانعة ، لا اعتقادًا منا صحة تلك الحكومة ، كما أخبر تعالىٰ عنهم في قوله : ﴿ **فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشىٰ أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده** ﴾ [إلىٰ قوله][٢] : ﴿ **فيصبحوا علىٰ ما أسروا في أنفسهم نادمين** ﴾ .

وقد قال الطبراني(٥٨٥) : حدثنا أبو زيد أحمد بن يزيد الحوطي ، حدثنا أبو اليمان ، حدثنا صفوان بن عمرو[٣] ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان أبو برزة الأسلمي كاهنا يقضي بين اليهود فيما يتنافرون فيه ، فتنافر إليه ناس من المسلمين فأنزل اللَّه عز وجل : ﴿ **ألم تر إلىٰ الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿**إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **أولئك الذين يعلم اللَّه ما في قلوبهم** ﴾ [هذا الضرب من الناس هم المنافقون ، واللَّه يعلم ما في قلوبهم][٤] ، وسيجزيهم علىٰ ذلك ؛ فإنه لا تخفىٰ عليه خافية ، فاكتف به يا محمد فيهم ، فإنه عالم بظواهرهم وبواطنهم . ولهذا قال له : ﴿ **فأعرض عنهم** ﴾ أي : لا تعنفهم علىٰ ما في قلوبهم ﴿ **وعظهم** ﴾ أي : وانههم عما في قلوبهم من النفاق وسرائر الشر ﴿ **وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا** ﴾ أي : وانصحهم فيما بينك وبينهم بكلام بليغ رادع لهم .

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا

(٥٨٥) - « المعجم الكبير » للطبراني (١٢٠٤٥/١١) وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره (٥٥٤٧/٣) ثنا محمد بن عوف الحمصى ، ثنا أبو اليمان به . وذكره الهيثمى فى « المجمع » (٩/٧) وقال : « رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح » وصحح إسناده السيوطى فى « الدر المنثور » (٣١٩/٢) ولم يعزه لغير ابن أبى حاتم والطبرانى .

[١] - في ت : « عداك » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٣] - في ت : « عمر » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع** ﴾ أي : فرضت طاعته علىٰ من أرسله إليهم . وقوله : ﴿ **بإذن الله** ﴾ قال مجاهد : أي : لا يطيع أحد إلا بإذني ، يعني : لا يطيعهم إلا من وفقته لذلك . كقوله : ﴿ **ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه** ﴾ أي : عن أمره وقدره ومشيئته وتسليطه إياكم عليهم .

وقوله : ﴿ **ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابًا رحيمًا** ﴾ الآية[١] يرشد تعالىٰ العصاة والمذنبين إذا وقع منهم الخطأ والعصيان أن يأتوا إلىٰ الرسول صلىٰ الله عليه وسلم فيستغفروا الله عنده ويسألوه أن يستغفر لهم ، فإنهم إذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم ، ولهذا قال : ﴿ **لوجدوا الله توابًا رحيما** ﴾ . وقد ذكر جماعة منهم الشيخ أبو نصر بن الصباغ في كتابه « **الشامل** » الحكاية المشهورة عن العتبي قال : كنت جالسًا عند قبر النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، فجاء أعرابي فقال : السلام عليك يا رسول الله ، سمعت الله يقول : ﴿ **ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابًا رحيما** ﴾ وقد جئتك مستغفرًا لذنبي مستشفعًا بك إلىٰ ربي . ثم أنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهنّ القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابي ، فغلبتني عيني ، فرأيت النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم في النوم فقال : « **يا عُتبِى الحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له** » .

وقوله : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتىٰ يحكموك فيما شجر بينهم** ﴾ يقسم تعالىٰ بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتىٰ يحكم الرسول صلىٰ الله عليه وسلم في جميع الأمور ، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له [باطنا وظاهرا][٢] . ولهذا قال : ﴿ **ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليمًا** ﴾ أي : إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم ، فلا يجدون[٣] في أنفسهم حرجا مما حكمت به ، وينقادون[٤] له في الظاهر

---

[١] - بعده في خ : « وقد ذكر جماعة » . [٢] - في ز : « ظاهرا وباطنا » .
[٣] - في ز : « يجدوا » . [٤] - في ز : « ينقادوا » .

والباطن[١] ، فيسلمون[٢] لذلك تسليمًا كليًا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة ، كما ورد في الحديث(٥٨٦) : « **والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتىٰ يكون هواه تبعا لما جئت به** » .

وقال البخاري (٥٨٧) : حدثنا علي بن عبد اللَّه ، حدثنا محمد بن جعفر ، أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن عروة قال : خاصم الزبير رجلًا في شريج من الحرة ، فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلىٰ جارك** » . فقال الأنصاري : يا رسول اللَّه ، أن كان ابن عمتك ؟ فتلون وجه رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ثم قال : « **اسق يا زبير ، ثم احبس الماء حتىٰ يرجع إلىٰ الجدر ، ثم أرسل الماء إلىٰ جارك** » . فاستوعىٰ[٣] النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم للزبير حقه في صريح الحكم حين أحفظه الأنصاري ، وكان أشار عليهما صلىٰ اللَّه عليه وسلم بأمر لهما فيه سعة ، قال الزبير : فما أحسب هذه الآية[٤] إلا نزلت في ذلك ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتىٰ يحكموك فيما شجر بينهم** ﴾ الآية[٥] .

---

(٥٨٦) - أخرجه ابن أبي عاصم فى « السنة » (١/رقم ١٥) ، والبغوى فى « شرح السنة » (١/رقم ١٠٤) وابن بطة العُكبرى فى « الإبانة » (١/رقم ٢٧٩) ، والخطيب البغدادى فى « تاريخ بغداد » (٣٦٩/٤) وزاد عزوه الألبانى فى « حاشية السنة » إلى الحسن بن سفيان فى « الأربعين » له (ق ١/٦٥) وعنه السلفى فى « الأربعين البلدانية » (ق ٢/٣٢) وفى « معجم السفر » (ق/١/١٩٢) والهروى فى « ذم الكلام » (٢/٤٠/٢) والقاسم بن عساكر فى « طرق الأربعين » (ق/٢/٥٩) - كلهم من طريق نعيم بن حماد ثنا عبد الوهاب الثقفى ثنا هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عقبة بن أوس عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص مرفوعًا به ، قال الألبانى : « إسناده ضعيف ، رجاله ثقات ، غير نعيم بن حماد ضعيف لكثرة خطئه وقد اتهمه بعضهم » ومع هذا فقد قال النووى : « حديث حسن صحيح ، رويناه فى كتاب « الحجة » بإسناد صحيح » وتعقبه الحافظ ابن رجب بأن « تصحيح هذا الحديث بعيدٌ من وجوه ...» ثم شرع فى ذكر هذه الوجوه فراجع « جامع العلوم والحكم » (٢/ ٤٣١ : ٤٣٤) وسها الحافظ ابن حجر فى « الفتح » (٢٨٩/١٣) فجعله من مسند أبى هريرة وقال : « أخرجه الحسن بن سفيان وغيره ، ورجاله ثقات ، وقد صححه النووى فى آخر « الأربعين » !! .

(٥٨٧) - صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، باب : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم** ﴾ (٤٥٨٥) ورواه فى كتاب : المساقاة ، باب :شرب الأعلى قبل الأسفل (٢٣٦١) ، والبيهقى فى « السنن الكبرى » (٦/ ١٥٣، ١٥٤) (١٠٦/١٠) من طريق عبد اللَّه بن المبارك أخبرنا معمر به ، وأخرجه البخارى أيضًا (٢٣٦٢) ثنا محمد بن سلام أخبرنا مخلد بن يزيد الحرّانى قال : أخبرنى ابن جريج قال : حدثنى ابن شهاب الزهرى به . وانظر ما بعده .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز : « فيسلموا » .

[٣] - في ز : « واستوعى » .

[٤] - في ز : « الآيات » .

[٥] - سقط من : ز .

وهكذا رواه البخاري هاهنا ، أعني في كتاب « **التفسير** » من[١] صحيحه من حديث معمر ، و[٢]في كتاب « **الشرب** » من حديث ابن جريج ومعمر أيضا ، وفي كتاب « **الصلح** » من حديث شعيب بن أبي حمزة ثلاثتهم عن الزهري ، عن عروة فذكره ، وصورته صورة الإرسال ، وهو متصل في المعنىٰ ، وقد رواه الإمام أحمد(٥٨٨) من هذا الوجه فصرح بالإرسال فقال : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، عن الزهري ، أخبرني عروة بن الزبير ، أن الزبير كان يحدث أنه كان يخاصم رجلًا من الأنصار قد شهد بدرًا إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم في شراج الحرة ، كانا يسقيان بها كلاهما فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم للزبير : « **اسق ثم أرسل إلىٰ جارك** » . فغضب الأنصاري وقال : يا رسول الله أن كان ابن عمتك ؟ فتلون وجه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ثم قال : « **اسق يا زبير ، ثم احبس الماء حتىٰ يرجع إلىٰ الجدر** » . فاستوعىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم للزبير حقه ، وكان النبي صلىٰ الله عليه وسلم قبل ذلك أشار علىٰ الزبير برأي أراد فيه سعة له وللأنصاري ، فلما أحفظ[٣] الأنصاري رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم استوعىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم للزبير حقه في صريح الحكم . [ثم قال][٤] : قال عروة : فقال الزبير : والله ما أحسب هذه الآية نزلت إلا في ذلك : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتىٰ يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا**

(٥٨٨) - « المسند » (١/ ١٦٥، ١٦٦) ، وأخرجه البخارى ، كتاب الصلح ، باب :إذا أشارَ الإمام بالصلح فأبى حكم عليه بالحكم البيّن (٢٧٠٨) [ومن طريقه البغوى فى « شرح السنة » (٨/٢١٩٤)] والواحدى فى « أسباب النزول » (٣٣٣) من طريق أبى اليمان به . وقول المصنف : « هو منقطع بين عروة وبين أبيه الزبير ، فإنه لم يسمع منه ، والذى يقطع به أنه سمعه من أخيه عبد الله ...» تعقبه الشيخ أبو الأشبال فى حاشية « المسند » (٣/١٤/رقم ١٤١٩) فقال : « الحديث حديث الزبير ، ولا يبعد أن يكون سمعه منه ابناه عبد الله وعروة ، وأن يكون عروة سمعه أيضًا من أخيه عبد الله ، أو ثبته عبد الله فيه ، وأما ادعاء أن عروة لم يسمع من أبيه فالأدلة تنقضه فإنه كان مراهقًا أو بالغًا عند مقتل أبيه ، كانت سنه ثلاث عشرة سنة ، وفى « التهذيب » : قال مسلم بن الحجاج فى كتاب « التمييز » : حج عروة مع عثمان ، وحفظ عن أبيه فمن دونهما من الصحابة » ونقل ذلك أيضًا فى حاشية تفسير ابن جرير (٨/ ٥٢١) وزاد هناك بـ « أن البخارى صرح فى ترجمة « عروة » فى « التاريخ الكبير » (٤/١/٣١) بسماعه من أبيه فقال : « سمع أباه وعائشة وعبد الله بن عمر » وأن الإمام أحمد روى حديثًا آخر قبله (١٤١٨) من طريق هشام بن عروة ، عن عروة ، قال : أخبرنى أبى الزبيرُ وإسناده صحيح ، وفيه التصريح بسماع عروة من أبيه ، وأن الحافظ فى « الفتح » (٣٥/٥) ، قال : « وإنما صححه البخارى - مع هذا الاختلاف - اعتمادًا على صحة سماع عروة من أبيه وعلى صحة سماع عبد الله بن الزبير من النبى ﷺ فكيفما دار فهو على ثقة » اهـ .

[١] - في ت : « في » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « أحفظ » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ .

يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ .

هكذا رواه الإمام أحمد ، وهو منقطع بين عروة وبين أبيه الزبير ؛ فإنه لم يسمع منه ، والذي يقطع به أنه سمعه من أخيه عبد اللَّه ؛ فإن أبا محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم رواه كذلك في تفسيره ، فقال(٥٨٩) : حدثنا يونس بن عبد الأعلىٰ ، أخبرنا ابن وهب ، حدثنا الليث ويونس ، عن ابن شهاب ، أن عروة بن الزبير حدثه ، أن عبد اللَّه بن الزبير حدثه ، عن الزبير بن العوام ، أنه خاصم رجلًا من الأنصار قد شهد بدرا مع النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم في شراج في الحرة كانا يسقيان به كلاهما النخل ، فقال الأنصاري : سرح الماء يمر. فأبىٰ عليه الزبير[١] ، فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **اسق يا زبير ، ثم أرسل إلىٰ جارك** » . فغضب الأنصاري ، وقال : يا رسول اللَّه أن كان ابن عمتك ؟ فتلون وجه رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ثم قال : « **اسق يا زبير ثم احبس الماء حتىٰ يرجع إلىٰ الجدر** » . واستوعىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم للزبير حقه ، وكان رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قبل ذلك أشار علىٰ الزبير برأي أراد فيه السعة له وللأنصاري فلما أحفظ الأنصاري رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم استوعىٰ للزبير حقه في صريح الحكم ، فقال الزبير : ما أحسب هذه الآية إلا في ذلك ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتىٰ يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما** ﴾ .

وهكذا رواه النسائي من حديث ابن وهب ، به . ورواه أحمد والجماعة كلهم من حديث الليث به(٥٩٠) ، وجعله أصحاب الأطراف في مسند عبد اللَّه بن الزبير ، وكذا ساقه الإمام

(٥٨٩) - تفسير ابن أبي حاتم (٥٥٥٨/٣) ، وأخرجه النسائى فى « السنن » (٢٣٨/٨) أخبرنا يونس بن عبد الأعلى والحارث بن مسكين ، وابن الجارود فى « المنتقى » (١٠٢١) أخبرنا محمد بن عبد اللَّه بن عبد الحكم ، وابن جرير فى تفسيره (٩٩١٢/٨) حدثنى يونس بن عبد الأعلى ثلاثتهم - (يونس والحارث ومحمد) أخبرنا ابن وهب به . ورواه الإسماعيلى أيضًا - كما فى « الفتح » (٣٥/٥) - من طريق ابن وهب به ، قال ابن حجر : « كأن ابن وهب حمل رواية الليث على رواية يونس ، وإلا فرواية الليث ليس فيها ذكر الزبير واللَّه أعلم » وخطأ هذه الرواية أبو حاتم ، فقال ابنه فى « العلل » (١/ ١١٨٥) : « سمعت أبى وذكر حديثًا رواه ابن وهب عن يونس بن يزيد والليث بن سعد عن الزهرى عن عروة بن الزبير عن عبد اللَّه بن الزبير عن الزبير بن العوام ... الحديث قال : سمعت أبى يقول : أخطأ ابن وهب فى هذا الحديث ؛ الليث لا يقول : عن الزبير ، قال أبو محمد - ابن أبى حاتم - : إنما يقول الليث : عن الزهرى عن عروة أن عبد اللَّه بن الزبير حدثه أن رجلاً .. الحديث » قلت : وقد رواه جماعة عن الليث هكذا دون ذكر « الزبير » فيه وهو الآتى .

(٥٩٠) - أخرجه أحمد (٤/ ٤، ٥) ثنا هاشم بن القاسم ، والبخارى ، كتاب المساقاة : باب : سكر =

[١] - سقط من : ز .

أحمد في مسند عبد الله بن الزبير. والله أعلم. والعجب كل العجب من الحاكم أبي عبد الله النيسابوري؛ فإنه روىٰ هذا الحديث(٥٩١) من طريق ابن أخي ابن شهاب، عن عمه، عن عروة، عن عبد الله بن الزبير، عن الزبير، فذكره ثم قال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. فإني لا أعلم أحدًا أقام بهذا الإسناد عن الزهري بذكر عبد الله بن الزبير غير ابن أخيه، وهو عنه ضعيف.

وقال [ ][١] أبو بكر بن مردويه(٥٩٢): حدثنا محمد بن علي أبو دحيم، حدثنا أحمد بن

= الأنهار (٢٣٥٩، ٢٣٦٠) حدثنا عبد الله بن يوسف، ومسلم كتاب الفضائل، باب: وجوب اتباعه ﷺ (١٢٩) (٢٣٥٧) ثنا قتيبة بن سعيد ومحمد بن رمح، والترمذى (١٣٦٣، ٣٠٢٧)، والنسائى ومن طريقه ابن بشكوال فى «الغوامض والمبهمات» (٥٧١/٢) (٢٤٥/٨) عن قتيبة، وابن ماجة (١٥، ٢٤٨٠) ثنا محمد بن رمح، وأبو داود (٣٦٣٧) وعبد بن حميد فى «المنتخب» (٥١٩)، والبزار فى مسنده «البحر الزخار» (٩٦٩/٣) من طريق أبى الوليد الطيالسى - خمستهم (هاشم وعبد الله وقتيبة ومحمد وأبو الوليد) أخبرنا الليث عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير، أن عبد الله بن الزبير حدثه أن رجلاً من الأنصار ... وقال البخارى عقبه: «ليس أحد يذكر عُروة عن عبد الله إلا الليث فقط» قال ابن حجر فى «الفتح» (٣٨/٥): «هو مصرح بتفرد الليث بذكر عبد الله بن الزبير فى إسناده: فإن أراد مطلقًا ورد عليه ما أخرجه النسائى وغيره من طريق ابن وهب عن الليث ويونس جميعًا عن الزهرى. وإن أراد بقيد أنه لم يقل فيه «عن أبيه» بل جعله من مسند عبد الله بن الزبير فمسلَّم؛ فإن رواية ابن وهب فيها عن عبد الله عن أبيه ... وقد نقل الترمذى عن البخارى أن ابن وهب روى عن الليث ويونس نحو رواية قتيبة عن الليث».

(٥٩١) - «المستدرك» (٣٦٤/٣) من طريق أبى نعيم ضرار بن صرد، ثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردى، ثنا محمد بن عبد الله بن مسلم الزهرى عن عمه عن عروة به، قال أبو الحسن الدارقطنى فى «العلل» (٤/س ٥٢٦): «هو حديث يرويه الزهرى، واختلف عنه؛ فرواه ابن أخي الزهرى عن الزهرى عن عروة عن عبد الله بن الزبير، قال ذلك ضرار بن صرد عن الدراوردى عن ابن أخي الزهرى، وكذلك قال ابن وهب عن يونس بن يزيد والليث بن سعد عن الزهرى عن عروة عن ابن الزبير عن الزبير، وقال غيره: عن الليث بن سعد عن الزهرى عن عروة عن ابن الزبير أن رجلاً خاصم الزبير عند النبى ﷺ جعلوه من مسند عبد الله بن الزبير عن النبى ﷺ ورواه شعيب بن أبى حمزة ومحمد بن أبى عتيق وابن جريج ومعمر وعمر بن سعيد عن الزهرى عن عروة عن الزبير، ولم يذكروا فيه عبد الله بن الزبير، وكذلك قال شبيب بن سعيد عن يونس، وتابعه أحمد بن صالح وحرملة عن ابن وهب عن يونس، وهو المحفوظ عن الزهرى والله أعلم».

(٥٩٢) - سلمة هو ابن عبد الله بن عمر بن أبى سلمة ذكره ابن حبان فى ثقات أتباع التابعين وروى عنه أكثر من واحد، وفى «التقريب»: «مقبول»، وباقى رجاله ثقات غير أحمد بن حازم فقد ترجم له =

[١] - ما بين المعكوفتين في ز: «الحافظ».

حازم ، حدثنا الفضل بن دكين ، حدثنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن سلمة - رجل من آل أبي سلمة - قال : خاصم الزبير رجلًا إلىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقضىٰ للزبير ، فقال الرجل له[١] : إنما قضىٰ له لأنه ابن عمته . فنزلت : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت** ﴾ الآية .

وقال ابن أبي حاتم (٥٩٣) : حدثنا أبي ، حدثنا عمرو بن عثمان ، حدثنا أبو حيوة ، حدثنا سعيد بن عبد العزيز ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، في قوله : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون** ﴾ [ ][٢] قال : نزلت[٣] في الزبير بن العوام وحاطب بن أبي بلتعة ؛ اختصما في ماء فقضىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم أن يسقي الأعلىٰ ثم الأسفل . هذا مرسل ، ولكن فيه فائدة تسمية الأنصاري .

ذكر سبب آخر غريب جدًّا

قال ابن أبي حاتم(٥٩٤) : حدثنا يونس بن عبد الأعلىٰ . قراءة ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني عبد اللَّه بن لهيعة ، عن أبي الأسود قال : اختصم رجلان إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقضىٰ

=ابن ماكولا في « الإكمال » (٦/ ٢٠٢، ٢٠٣) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً ، لكنه أفاد أن له مسندًا ، ومع هذا فالحديث هكذا مرسلٌ ، لكن وصله الحميدي في مسنده (١/رقم ٣٠٠) [ومن طريقه ابن جرير في تفسيره (٩٩١٤/٨)] والطبراني في « المعجم الكبير » (٦٥٢/٢٣) من طريق يعقوب بن حميد والواحدي في « أسباب النزول » (٣٣٤) من طريق حامد بن يحيى بن مكي - ثلاثتهم (الحميدي ، ويعقوب ، وحامد) ثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن سلمة عن أم سلمة به ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٩/٧) وقال : « رواه الطبراني وفيه يعقوب بن حميد ، وثقه ابن حبان وضعفه غيره » ولا يضره هنا ؛ لأنه متابع من إمامين ثقتين . والخبر أشار له الحافظ ابن حجر في « الفتح » (٣٥/٥) فقال : « وقد جاءت هذه القصة من وجه آخر أخرجها الطبرى و الطبراني من حديث أم سلمة » وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣٢٢/٢) إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٥٩٣) - تفسير ابن أبي حاتم (٥٥٥٩/٣) ورجاله ثقات من رجال « التهذيب » غير أنه مرسل ، لكن مراسيل سعيد بن المسيب من أصح المراسيل ، وقال الحافظ ابن حجر في « الفتح » (٥/ ٣٥، ٣٦) : « إسناده قوى مع إرساله ، فإن كان سعيد بن المسيب سمعه من الزبير فيكون موصولاً » وقد اختلف في الرجل المذكور في القصة مع الزبير بن العوام فراجع إن شئت « الفتح » .

(٥٩٤) - تفسير ابن أبي حاتم (٥٥٦٠/٣) ورواه ابن مردويه في تفسيره [كما أفاده المصنف وكذا عزاه له السيوطي في « الدر المنثور » (٣٢٢/٢) ولم يعزه لغيرهما] من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود به ، =

[١] - سقط من : ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « الآية » . [٣] - في ز : « أنزلت » .

بينهما ، [فقال الذي قضى عليه][١] : ردنا إلىٰ عمر بن الخطاب ، فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **نعم**[٢] ، **انطلقا إليه** » فلما أتيا إليه قال الرجل : يا ابن الخطاب قضىٰ لي رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم علىٰ هذا ، فقال : ردنا إلىٰ عمر بن الخطاب . فردنا إليك ، فقال : أكذاك ؟ قال[٣] : نعم . فقال عمر : مكانكما حتىٰ أخرج إليكما فأقضي بينكما . فخرج إليهما مشتملا علىٰ سيفه فضرب الذي قال ردنا إلىٰ عمر فقتله ، وأدبر الآخر ، فارًّا إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال : يا رسول اللَّه قتل عمر واللَّه[٤] صاحبي ولولا[٥] أني أعجزته لقتلني ، فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **ما كنت أظن أن يجترئ عمر علىٰ قتل مؤمن** » . فأنزل اللَّه ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتىٰ يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليمًا** ﴾ . فهدر دم ذلك الرجل وبرئ عمر من قتله ، فكره اللَّه أن يسن ذلك بعد ، فأنزل[٦] : ﴿ **ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليلا منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرًا لهم وأشد تثبيتًا** ﴾ الآية .

وكذا رواه ابن مردويه من طريق ابن لهيعة ، عن أبي الأسود به .

وهو أثر غريب وهو[٧] مرسل ، وابن لهيعة ضعيف واللَّه أعلم .

(طريق أخرىٰ) : قال الحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن دحيم في تفسيره(٥٩٥) : حدثنا شعيب بن شعيب ، حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا عتبة بن ضمرة ، حدثني أبي ، أن رجلين اختصما [إلىٰ النبي][٨] صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقضىٰ للمحق علىٰ المبطل ،

=وأبو الأسود هو محمد بن عبد الرحمن بن نوفل وهو لم يسمع من الصحابة إلا بواسطة فهو هكذا منقطع ، وقد أعله المصنف فقال : « وهو أثر غريب مرسل وابن لهيعة ضعيف » لكن أورده المصنف فى « مسند الفاروق » (٥٧٥/٢) : « قال ابن دحيم : حدثنا الجوزجانى ، حدثنا أبو الأسود به » وأخشى أن يكون الإسناد فيه سقط ؛ فإنى لم أهتد لمن اسمه « الجوزجانى » فى هذه الطبقة واللَّه تعالى أعلم ، وانظر ما بعده .

(٥٩٥) - وذكره المصنف فى « مسند الفاروق » كما هنا (٥٧٥/٢) وإسناده حسن غير أنه مرسل ، لكن عضده المصنف بالسابق فى المصدر المذكور آنفا ، وهذا الخبر ذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٣٢٢/٢) ولم يعزه لغير دحيم .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « قال المقضى عليه » . [٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « فقال » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في ز : « ولوما » . [٦] - في ز ، خ : « فقال » .
[٧] - سقط من : ت . [٨] - في ز : « للنبي » .

فقال المقضي عليه : لا أرضىٰ فقال صاحبه : فما تريد ؟ قال : أن نذهب إلىٰ أبي بكر الصديق . فذهبا إليه ، فقال الذي قضى له : قد اختصمنا إلىٰ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقضىٰ لي . فقال أبو بكر : أنتما[١] علىٰ ما قضىٰ به رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم . فأبىٰ صاحبه أن يرضىٰ ، فقال : نأتي عمر بن الخطاب ،فأتياه . فقال المقضي له[٢] : قد اختصمنا إلىٰ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقضىٰ لي عليه ، فأبىٰ أن يرضىٰ ، فسأله عمر بن الخطاب فقال : كذلك ، فدخل عمر منزله وخرج والسيف في يده قد سله فضرب به رأس الذي أبىٰ أن يرضىٰ فقتله ، فأنزل اللّٰه : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم** ﴾ الآية .

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (٦٦) وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (٦٧) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (٦٨) وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا (٦٩) ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا (٧٠)

يخبر تعالىٰ عن أكثر الناس أنهم لو أمروا بما هم مرتكبونه من المناهي لما فعلوه ؛ لأن طباعهم الرديئة مجبولة علىٰ مخالفة الأمر ، وهذا من علمه تبارك وتعالىٰ بما لم يكن أو كان فكيف كان يكون ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم** ﴾ .

قال ابن جرير[٣] (٥٩٦) : حدثني المثنى ، حدثني إسحاق حدثنا أبو زهير[٤] ، عن إسماعيل ، عن أبي إسحاق السبيعي ، قال : لما نزلت ﴿ **ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل** ﴾ الآية ؛ قال رجل : لو أمرنا لفعلنا والحمد للّٰه الذي عافانا ، فبلغ ذلك النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فقال : « **إن من أمتي لرجالًا الإيمان أثبت في قلوبهم من**

(٥٩٦) - تفسير ابن جرير (٩٩٢١/٨) ولم يعزه السيوطى فى « الدر المنثور » (٣٢٤/٢) لغيره ، وهو مرسل .

[١] - في ز : « فأنتما » .
[٢] - في ز : « عليه » .
[٣] - في ز ، خ : « جريج » .
[٤] - في ز و خ : « الأزهر » .

الجبال الرواسي » .

وقال ابن أبي حاتم(٥٩٧) : حدثنا جعفر بن منير ، حدثنا روح ، حدثنا هشام ، عن الحسن ، قال : لما[١] نزلت [ ][٢] : ﴿ **ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم** ﴾ الآية ، قال أناس من أصحاب النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : لو فعل ربنا لفعلنا . فبلغ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقال : « **للإيمان أثبت في قلوب أهله من الجبال الرواسي** » .

وقال السدي : افتخر ثابت بن قيس بن شماس ورجل من اليهود ، فقال اليهودي : واللّٰه لقد كتب اللّٰه علينا القتل فقتلنا أنفسنا ، فقال ثابت : واللّٰه لو كتب علينا ﴿ **أن اقتلوا أنفسكم** ﴾ لفعلنا[٣] . فأنزل اللّٰه هذه الآية . رواه ابن أبي حاتم(٥٩٨) .

وقال ابن أبي حاتم (٥٩٩) : حدثنا أبي ، حدثنا محمود بن غيلان ، حدثنا بشر بن السري ، حدثنا مصعب بن ثابت ، عن عمه عامر بن عبد اللّٰه بن الزبير ، قال : لما نزلت ﴿ **ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم** ﴾ قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **لو نزلت لكان[٤] ابن أم عبد منهم** » .

وحدثنا أبي(٦٠٠) ، حدثنا أبو اليمان ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن صفوان بن عمرو ، عن

(٥٩٧) - تفسير ابن أبى حاتم (٣/٥٥٦٥) ولم يعزه السيوطى فى « الدر المنثور » (٢/٣٢٤) لغيره ، وهو مرسل أيضًا ، وقال السيوطى : « وأخرج ابن المنذر من طريق إسرائيل عن أبى إسحاق عن زيد بن الحسن قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ **ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم** ﴾ قال ناس من الأنصار : واللّٰه لو كتبه اللّٰه علينا لقبلنا ، الحمد للّٰه الذى عافانا ، ثم الحمد للّٰه الذى عافانا ، فقال رسول اللّٰه ﷺ : « الإيمان أثبت فى قلوب رجل من الأنصار من الجبال الرواسى » ورجاله ثقات أثبات غير أنه مرسل أيضًا .

(٥٩٨) - تفسير ابن أبى حاتم (٣/٥٥٦٨) وكذا رواه ابن جرير (٨/٩٩٢٠) .

(٥٩٩) - تفسير ابن أبى حاتم (٣/٥٥٦٦) غير أن متنه بخلاف ما أورده المصنف هنا ؛ فالذى فيه : « عن عامر بن عبد اللّٰه بن الزبير قال : لما نزلت : ﴿ **ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم** ﴾ قال أبو بكر : يا رسول اللّٰه ، واللّٰه لو أمرتنى أن أقتل نفسى لفعلت . قال: « صدقت يا أبا بكر » وكذا أورده السيوطى فى « الدر المنثور » (٢/٣٢٤) وعزاه لابن أبى حاتم ، ولم أر ذكرًا لعبد اللّٰه بن مسعود عند هذه الآية فاللّٰه أعلم ، وعلى كل فإن هذا الإسناد مرسلٌ ، ومصعب بن ثابت « لين الحديث » كما فى « التقريب » .

(٦٠٠) - تفسير ابن أبى حاتم (٣/٥٥٦٤) ولم يعزه السيوطى فى « الدر المنثور » (٢/٣٢٤) لغيره ، وهو مرسل .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « هذه الآية » .
[٣] - في ز ، خ : « لقتلنا » .
[٤] - في ز : « كان » .

شريح بن عبيد ، قال : لما تلا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم هذه الآية : ﴿ **ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم** ﴾ الآية[١] ، أشار رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بيده إلىٰ عبد اللّٰه بن رواحة [فقال : « **لو أن اللّٰه كتب ذلك لكان هذا من أولئك القليل** » يعني ابن رواحة][٢] .

ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به** ﴾ أي : ولو أنهم فعلوا ما يؤمرون به ، وتركوا ما ينهون عنه ﴿ **لكان خيرًا لهم** ﴾ أي : من مخالفة الأمر وارتكاب النهي . ﴿ **وأشد تثبيتًا** ﴾ قال السدي . أي : وأشد تصديقًا ﴿ **وإذًا لآتيناهم من لدنا** ﴾ [أي : من عندنا][٣] ﴿ **أجرًا عظيمًا** ﴾ يعني : الجنة ﴿ **ولهديناهم صراطًا مستقيمًا** ﴾ أي : في الدنيا والآخرة .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ومن يطع اللّٰه والرسول فأولئك مع الذين أنعم اللّٰه عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا** ﴾ أي : من عمل بما أمره اللّٰه به[٤] ورسوله ، وترك ما نهاه اللّٰه عنه ورسوله ، فإن اللّٰه - عز وجل - يسكنه دار كرامته ، ويجعله مرافقًا للأنبياء ، ثم لمن بعدهم في الرتبة وهم الصديقون ، ثم الشهداء ، ثم عموم المؤمنين وهم الصالحون الذين صلحت سرائرهم وعلانيتهم .

ثم أثنىٰ عليهم تعالىٰ ، فقال : ﴿ **وحسن أولئك رفيقًا** ﴾ .

و[٥]قال البخاري (٦٠١) : حدثنا محمد بن عبد اللّٰه بن حوشب ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : سمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « **ما من نبي يمرض إلا خير بين الدنيا والآخرة** » . وكان في شكواه الذي قبض فيه أخذته[٦] بحة شديدة ، فسمعته يقول : « **مع الذين أنعم اللّٰه عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين** » فعلمت أنه خُيِّر .

وكذا رواه مسلم من حديث شعبة عن سعد بن إبراهيم - به .

---

(٦٠١) - صحيح البخارى : كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **فأولئك مع الذين أنعم اللّٰه عليهم من النبيين** ﴾ (٤٥٨٦) وكذا رواه فى كتاب المغازى ، باب :مرض النبى ﷺ ووفاته (٤٤٣٥) [وانظر أطرافه ثمة] ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب :فى فضل عائشة رضى اللّٰه عنها (٨٦) (٢٤٤٤) ، وأحمد (٦/ ١٧٦، ٢٠٥، ٢٦٩) والنسائى فى « عمل اليوم والليلة » (١٠٩٤) ، وابن ماجة (١٦٢٠) من طريق شعبة عن سعد بن إبراهيم به .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « فأخذته » .

وهذا معنىٰ قوله صلىٰ اللَّه عليه وسلم في الحديث الآخر(٦٠٢) : « **اللهم في الرفيق الأعلىٰ** » . ثلاثًا ، ثم قضىٰ . عليه أفضل الصلاة والتسليم .

(ذكر سبب نزول هذه الآية الكريمة)

قال ابن جرير[١] (٦٠٣) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يعقوب القمي ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، قال جاء رجل من الأنصار إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم وهو محزون ، فقال له النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **يا فلان ؛ ما لي أراك محزونًا** » . فقال : يا نبي اللَّه ؛ شيء فكرت فيه . فقال : « **ما هو ؟** » قال : نحن نغدو عليك ونروح ننظر إلىٰ وجهك ونجالسك ، و[٢]غدا ترفع مع النبيين فلا نصل إليك . فلم يردّ عليه[٣] النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم شيئًا ، فأتاه جبريل بهذه الآية ﴿ **ومن يطع اللَّه والرسول فأولئك مع الذين أنعم اللَّه عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا** ﴾ . فبعث النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فبشره .

وقد روي هذا الأثر مرسلًا عن مسروق وعن[٤] عكرمة وعامر الشعبي وقتادة وعن الربيع ابن أنس ، وهو من أحسنها سندًا[٥] .

قال[٦] ابن جرير(٦٠٤) : حدّثنا المثنى ، [ثنا إسحاق](*) ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قوله : ﴿ **ومن يطع اللَّه والرسول** ﴾ الآية ، قال : إن أصحاب النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قالوا : قد علمنا أن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم له فضل علىٰ من آمن به في درجات

(٦٠٢) - أخرجه البخارى ، كتاب المغازى ، باب :مرض النبى ﷺ ووفاته (٤٤٣٧) وانظر أطرافه عند رقم (٨٩٠) ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب : فضل عائشة رضى اللَّه عنها (٨٧) (٢٤٤٤) وغيرهما ، من حديث عائشة .

(٦٠٣) - تفسير ابن جرير (٩٩٢٤/٨) وإسناده يحتمل التحسين غير أنه مرسل ، ولم يعزه السيوطى فى « الدر المنثور » (٣٢٥/٢) لغير ابن جرير ، وراجع باقى الآثار المشار إليها فى تفسير ابن جرير وابن أبى حاتم و « الدر المنثور » .

(٦٠٤) - تفسير ابن جرير (٩٩٢٨/٨) وهو مرسل أيضًا ، ولم يعزه السيوطى فى « الدر المنثور » (٣٢٥/٢) لغير ابن جرير .

(*) زيادة من الطبري .

[١] - في ز ، خ : « جريج » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من: ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « شيا » ، خ : « شيئًا » .
[٦] - في ز : « وقال » .

الجنة ممن اتبعه وصدّقه ، وكيف لهم إذا اجتمعوا في الجنة أن يرىٰ بعضهم بعضًا ؟ فأنزل اللَّه في ذلك يعني هذه الآية ، فقال - يعني رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم - : « **إنّ الأعلين ينحدرون إلىٰ من هو أسفل منهم ، فيجتمعون في رياضها**[١] ، **فيذكرون ما أنعم اللَّه عليهم ، ويثنون عليه ،** [**وينزل لهم**][٢] **أهل الدرجات فيسعون عليهم بما يشتهون وما يدعون به ، فهم في روضة يحبرون ويتنعمون فيه** » .

وقد روي مرفوعًا من وجه آخر ، فقال أبو بكر بن مردويه(٦٠٥) : حدثنا عبد الرحيم بن محمد ابن مسلم ، حدثنا إسماعيل بن أحمد بن أسيد ، حدثنا عبد اللَّه بن عمران ، حدثنا فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة ، قالت : جاء رجل إلىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال : يا رسول اللَّه ؛ إنك لأحب إلي من نفسي ، وأحب إلي من أهلي ، وأحب إلي من ولدي ، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتىٰ آتيك فأنظر إليك ، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين ، وإن دخلت الجنة خشيت أن لا أراك . فلم يرد عليه النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم حتىٰ نزلت عليه : ﴿ **ومن يطع اللَّه والرسول فأولئك مع الذين أنعم اللَّه عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا** ﴾ .

وهكذا رواه الحافظ أبو عبد اللَّه المقدسي في كتابه « **صفة الجنة** » من طريق الطبراني ، عن أحمد بن عمرو بن مسلم الخلال ، عن عبد اللَّه بن عمران العابدي ، به ، ثم قال : لا أرىٰ بإسناده بأسًا . واللَّه أعلم .

وقال ابن مردويه أيضًا (٦٠٦) : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا العباس بن الفضل الأسفاطي ،

---

(٦٠٥) - عزاه لابن مردويه السيوطى فى « الدر المنثور » (٣٢٤/٢) وأخرجه الطبرانى فى « المعجم الأوسط » (١/رقم ٤٧٧) وفى « الصغير » (ص ٢٦) [و عنه أبو نعيم فى « الحلية » (١٢٥/٨) وعن أبي نعيم الواحدى فى « أسباب النزول » (٣٣٧) ومن طريق الطبرانى رواه أيضًا الضياء المقدسى كما قال المصنف والسيوطى ونقل تحسينه عنه] من طريق أحمد بن عمرو الخلال ثنا عبد اللَّه بن عمران العابدى به ، وقال الطبرانى : « لم يروه عن منصور عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة إلا فضيل ، تفرد به عبد اللَّه ابن عمران » وهو صدوق مُعَمَّر كما فى « التقريب » وباقى رجاله ثقات من رجال الشيخين ، غير أن أبا نعيم قال : « غريب من حديث فضيل ومنصور متصلاً ، تفرد به فيما قاله سليمان الطبرانى » وذكره الهيثمى فى « المجمع » (١٠/٧) وقال : « رواه الطبرانى فى « الصغير » و « الأوسط » ورجاله رجال الصحيح غير عبد اللَّه بن عمران العابدى وهو ثقة » .

(٦٠٦) - وعزاه لابن مردويه السيوطى فى « الدر المنثور » (٣٢٥/٢) والحديث فى « المعجم =

---

[١] - في خ : « رياض » . [٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « ينزلهم » .

حدثنا [أبو بكر بن ثابت بن عباس البصري] ، حدثنا خالد بن عبد اللَّه ، عن عطاء بن السائب ، عن عامر الشعبي ، عن ابن عباس ، أن رجلًا أتىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال : يا رسول اللَّه ؛ إني لأحبك ، حتىٰ إني لأذكرك في المنزل فيشق ذلك علي ، وأحب أن أكون معك في الدرجة . فلم يرد عليه النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم شيئًا ؛ فأنزل اللَّه - عز وجل - [هذه الآية][١] .

وقد رواه ابن جرير(٦٠٧) ، عن ابن حميد ، عن جرير ، عن عطاء ، عن الشعبي مرسلًا . وثبت في صحيح مسلم(٦٠٨) من حديث هقل بن زياد ، عن الأوزاعي ، عن يحيىٰ بن أبي كثير ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن ربيعة بن كعب الأسلمي ، أنه قال : كنت أبيت عند النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فأتيته بوضوئه[٢] وحاجته . فقال لي : « **سل** » . فقلت : يا رسول اللَّه ؛ أسألك مرافقتك في الجنة . فقال : « **أو غير ذلك** » . قلت : هو ذاك . قال : « **فأعني علىٰ نفسك بكثرة السجود** » .

وقال الإمام أحمد(٦٠٩) : حدثنا يحيىٰ بن إسحاق ، أخبرنا ابن لهيعة ، عن عبيد[٣] اللَّه بن أبي جعفر ، عن عيسىٰ بن طلحة ، عن عمرو بن مرة الجهني ، قال : جاء رجل إلىٰ النبي صلىٰ

= الكبير » للطبراني (١٢٥٥٩/١٢) وذكره الهيثمى فى « المجمع » (٧/ ٩، ١٠) وقال : « رواه الطبرانى وفيه عطاء ابن السائب وقد اختلط » وروى عنه خالد بن عبد اللَّه بعد الاختلاط كما فى « الكواكب النيرات » لابن الكيَّال (ص ٣٢٢) ورواه غيره عن عطاء عن عامر الشعبى مرسلاً وهو الآتى .

(٦٠٧) - لم أهتد له فى مظانه عند ابن جرير ، وذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٣٢٥/٢) وعزاه إلى سعيد بن منصور وابن المنذر فحسب .

(٦٠٨) - صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب :فضل السجود والحث عليه (٢٢٦) (٤٨٩) ثنا الحكم بن موسى أبو صالح ، حدثنا مقل بن زياد به ، ورواه أبو داود (١٣٢٠) ، والنسائى (٢/ ٢٢٧، ٢٢٨) من طريق هشام بن عمار عن مقل به .

(٦٠٩) - وهو ساقط من « المسند » وقد استدركه فى طبعة / مؤسسة قرطبة (١/رقم ٢٧٨٥١) وقد أورده المصنف - كما هنا - فى « جامع المسانيد والسنن » (٧٧/١٠) ، وعزاه إلى أحمد أيضًا الهيثمى فى « المجمع » (١٥٠/٨) فقال : « رواه أحمد والطبرانى بإسنادين ورجال أحد إسنادى الطبرانى رجال الصحيح » وكذا عزاه له أيضًا ابن حجر فى « الأطراف » (١٥٤/٥) والسيوطى فى « الدر المنثور » =

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « ﴿ **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا** ﴾ » .

[٢] - في ز : « بوضوء » . [٣] - في خ : « عبد » .

الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ؛ شهدت أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ، وصليت الخمس ، وأديت زكاة مالي ، وصمت شهر رمضان . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : **« من مات علىٰ ذلك[١] كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة هكذا - ونصب أصبعيه - مالم يعق والديه »** . تفرد به أحمد .

قال[٢] الإمام أحمد أيضًا[٣] (٦١٠) : حدثنا أبو سعيد مولىٰ أبي هاشم ، حدثنا ابن لهيعة ، عن زبان[٤] بن فائد ، عن سهل بن معاذ بن أنس ، عن أبيه ، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : **« من قرأ ألف آية في سبيل الله كتب يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا ، إن شاء الله »** .

=(٣٢٦/٢) وهذا الإسناد فيه ابن لهيعة وهو سيئ الحفظ ، وقد خالفه من هو أوثق منه ؛ فرواه البزار [كما فى « مختصر الزوائد » لابن حجر (١/رقم ١٥)] ثنا محمد بن رزقِ الكَلْوَذانى وعمر بن الخطاب السجستانى قالا : ثنا أبو اليمان الحكم بن نافع ، ثنا شعيب بن أبى حمزة حدثنى عبد الله بن أبى حسين حدثنى عيسى بن طلحة به ، إلى قوله : « والشهداء » وقال البزار : « وهذا لا نعلمه مرفوعًا إلا بهذا الإسناد عن عمرو بن مرة » قال الهيثمى : « المجمع » (٥١/١) - : « رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا شيخى البزار ، وأرجو إسناده أنه إسناد حسن أو صحيح » قال ابن حجر : « بل هو صحيح قطعًا ، فشيخا البزار ثقتان » قلت : وقد توبعا فأخرجه البخارى فى « التاريخ الكبير » (٣٠٨/٦) ويعقوب بن سفيان الفسوى فى « المعرفة والتاريخ » (٣٣٣/١) ثنا أبو يوسف ، وابن أبى عاصم فى « الآحاد والمثانى » (٢٥٥٨/٥) ثنا أبو مسعود الرازى ، وابن حبان فى صحيحه (٣٤٣٨/٨) ، وابن عساكر فى « تاريخ دمشق » (١٣/ ٦٠٤، ٦٠٥/ مخطوط) من طريق يحيى بن معين ، وابن منده - كما فى « كنز العمال » (١/رقم ٣٤٢) و « الإصابة » لابن حجر (١٦/٣/ ط دار الفكر) - ومن طريقه ابن عساكر من طريق الحسن بن معروف ، والطبرانى فى « الكبير » - كما فى « المجمع » (١٥٠/٨) - ومن طريقه ابن عساكر أيضًا من طريق أحمد بن عبد الوهاب ، كلهم (البخارى وأبو يوسف وأبو مسعود وابن معين والحسن وأحمد) ثنا أبو اليمان الحكم بن نافع به ، بلفظ حديث البزار ، وزاد عزوه المنذرى فى « الترغيب والترهيب » (١/ ٢٣٦، ٥٣٣، ٥٣٤) إلى ابن خزيمة فى صحيحه ، والهندى فى « الكنز » (١/ ٣٤٢، ١٤٤٥) إلى محمد بن نصر ، والطبرانى فى « الأوسط » ، ولم أجده فيه وعزاه الهيثمى له فى « الكبير » دون « الأوسط » - والبيهقى فى « الشعب » وابن الجارود . وبالله التوفيق .

(٦١٠) - « المسند » (٤٣٧/٣) لكن إسناد الحديث فيه هكذا : « ثنا حسن ، ثنا ابن لهيعة (ح) قال : ثنا يحيى بن غيلان قال حدثنى رشدين بن سعد - كلاهما - عن زبان ...» وكذا هو فى « أطراف المسند » لابن حجر (٢٨٤/٥) فيحتمل أن نظر المصنف وقع على إسناد قبل هذا ، والله أعلم . و الحديث رواه الطبرانى فى « المعجم الكبير » (٢٠/رقم ٣٩٩) من طريق أسد بن موسى ثنا ابن لهيعة به ، =

[١] - في ز ، خ : « هذا » .
[٢] - في ز : « وقال » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز : « ريان » .

وروىٰ الترمذي(٦١١) من طريق سفيان الثوري ، عن أبي حمزة ، عن الحسن البصري ، عن أبي سعيد ، قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء** » .

ثم قال : هذا حديث حسن ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وأبو حمزة اسمه عبد اللَّه بن

= وذكره الهيثمى فى « المجمع » (٢٧٢/٢) وقال : « رواه أبو يعلى والطبرانى فى « الكبير » وفيه ابن لهيعة عن زبان وفيهما كلام » قلت : الأول متابع ، تابعه رشدين بن سعد كما هنا ، ومن طريق رشدين أخرجه أيضًا أبو يعلى فى مسنده (١٤٨٩/٣) والطبرانى (٤٠٠/٢٠) وتابعهما يحيى بن أيوب عن زبان به ، أخرجه الحاكم (٢/ ٨٧، ٨٨) وعنه البيهقى فى « السنن » (١٧٢/٩) ولذا استدرك هذا الهيثمى فأعله بزبان وحده ؛ حيث قال - « المجمع » (١٦٥/٧) - : « رواه أحمد وفيه زبان بن فائد وهو ضعيف » لا سيما في روايته عن سهل ، ومع هذا فقد صحح إسناده ووافقه الذهبى !! وقد رواه الطبرانى (٤٠١/٢٠) من طريق نافع بن يزيد عن يحيى بن أبى أسيد عن سهل بن معاذ به ، غير أن « يحيى بن أبى أسيد » لم يوثقه غير ابن حبان - « الثقات » (٢٥١/٩) - وذكره البخارى فى « التاريخ الكبير » (٢٦١/٨) وابن أبى حاتم فى « الجرح والتعديل » (١٢٩/٩) ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلاً .

(٦١١) - « الجامع » للترمذى ، كتاب البيوع ، باب : ما جاء فى التُّجَّار (١٢٠٩) ثنا هناد ، ثنا قبيصة ح وحدثنا سويد بن نصر ، أخبرنا عبد اللَّه بن المبارك ، كلاهما (قبيصة وعبد اللَّه) عن سفيان به ، وأخرجه الدارمى (٢٥٤٢) وعبد بن حميد فى « المنتخب » (٩٦٦) والدارقطنى فى « السنن » (٧/٣) والحاكم فى « المستدرك » (٦/٢) شاهدًا ، والبغوى فى « شرح السنة » (٢٠٢٥/٨) كلهم من طريق سفيان به ، وقال الترمذى : « حديث حسن ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث الثورى عن أبى حمزة ، وأبو حمزة اسمه عبد اللَّه بن جابر وهو شيخ بصرى ، غير أن الدارمى قال : « أبو حمزة هذا هو صاحب إبراهيم وهو ميمون الأعور » وكلاهما روى عنه الثورى ، والأول وثقه ابن حبان وابن معين فى رواية ، وقال البزار : « لا بأس به » بينما قال العقيلى فى « الضعفاء » ( ) : « بصرى مجهول ينقل الحديث يخالف فى حديثه » ، وقال أبو حاتم : « هو أحب إلى من الحجاج بن أرطأة » نقل هذا الحافظ فى « التهذيب » - خلا قول العقيلي - ومع هذا فقد قال فى « التقريب » : « مقبول » !!. بينما الثانى اتفق الجمهور على تضعيفه . وعلى كلٍّ فالحديث أعله الدارمى والحاكم بالانقطاع بين الحسن وأبى سعيد ، وقد جزم بعدم سماعه منه أيضًا على بن المدينى لكنْ للحديث شاهد من حديث ابن عمر عند ابن ماجه (٢١٣٩) وابن حبان فى « المجروحين » (٢٣٠/٢) والدارقطنى (٧/٣) والحاكم (٦/٢) والبيهقى فى « السنن الكبرى » (٢٦٦/٥) وفى « شعب الإيمان » (١٢٣٠/٢) (٤٨٥٥/٤) وفى إسناده كلثوم بن جوشن ضعفه أبو حاتم الرازى ، وبه أعل الحديث كما فى « العلل » لابنه (١١٥٦/١) وأبو داود وابن حبان ، لكن وثقه البخارى وقال ابن معين : « ليس به بأس » واعتمد ضعفه ابن حجر فى « التقريب » ولم يذكر الذهبي فى « الكاشف » و « الديوان » إلا قول من ضعفه واستدرك على الحاكم فى « تلخيص المستدرك » ناقلاً عن أبى حاتم تضعيفه ، مع أنه ذكر هذا الحديث فى ترجمته فى « الميزان » وقال : « حديث جيِّدُ الإسناد ، صحيح المعنى ، ولا يلزم من المعية أن يكون فى درجتهم ، ومنه قوله تعالى :=

جابر ، شيخ بصري .

وأعظم من هذا كله بشارة ما ثبت في الصحاح[١] والمسانيد وغيرهما من طرق متواترة(٦١٢) عن جماعة من الصحابة أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم سئل عن الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال : « **المرء مع من أحب** » . قال أنس : فما فرح المسلمون فرحهم بهذا الحديث .

وفي رواية(٦١٣) عن أنس أنه قال : إني لأحب[٢] رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وأحب[٣] أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما - ، وأرجو أن يبعثني الله معهم ، وإن لم أعمل كعملهم .

قال[٤] الإمام مالك بن أنس(٦١٤) ، عن صفوان بن سليم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري ، [قال : قال][٥] رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم [ ][٦] : « **إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم**[٧] **، كما تتراءون**[٨] **الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب ، لتفاضل ما بينهم** » . قالوا : يا رسول الله ؛ تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم . قال : « **بلىٰ ، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين** » .

أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك واللفظ[٩] لمسلم .

قال[١٠] الإمام أحمد[ابن حنبل](٦١٥) : حدثنا فزارة ، أخبرني فليح ، عن هلال - يعني ابن

= ﴿ **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم** ...﴾ الآية ، ومن هذا تعلم أن تحسين الترمذى للحديث متجه ، والله أعلم .

(٦١٢) - يأتى تخريجه سورة الأعراف / آية ١٨٧.

(٦١٣) - أخرجها البخارى ، كتاب فضائل الصحابة ، باب : مناقب عمر بن الخطاب (٣٦٨٨) ومسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب : المرء مع من أحب (١٦٣) (٢٦٣٩) .

(٦١٤) - أخرجه البخارى ، كتاب بدء الخلق ، باب : ما جاء فى صفة الجنة وأنها مخلوقة (٣٢٥٦) ، ومسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب :إحلال الرضوان على أهل الجنة (١١) (٢٨٣١) .

(٦١٥) - « المسند » (٣٣٩/٢) وأخرجه أيضًا (٣٣٥/٢) والترمذى ، كتاب صفة الجنة ، باب :ما جاء فى ترائى أهل الجنة فى الغُرَفِ (٢٢٥٦) من طريق فليح به وقال الترمذى : « حديث صحيح » .

[١] - في خ : « الصحيح » .
[٢] - في ز : « أحب » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « وقال » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « أن » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « قال » .
[٧] - في ز : « قولهم » .
[٨] - في ز : « تراءون » .
[٩] - في ز ، خ : « ولفظه » .
[١٠] - في ت : « ورواه » .

علي - عن عطاء ، عن أبي هريرة ؛ أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **إن أهل الجنة ليتراءون في الجنة كما تراءون - أو ترون - الكوكب الدري الغارب في الأفق و[١]الطالع في تفاضل الدرجات** » . قالوا : يا رسول اللَّه ! أولئك النبيون . قال : « **بلىٰ ، والذي نفسي بيده ، وأقوام آمنوا باللَّه وصدقوا المرسلين** » .

قال الحافظ الضياء المقدسي : هذا الحديث علىٰ شرط البخاري ، واللَّه أعلم .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير(٦١٦) : حدثنا علي بن عبد العزيز ، حدثنا محمد بن عمار الموصلي ، حدّثنا[٢] [علي بن عفيف بن سالم][٣] ، عن أيوب بن[٤] عتبة ، عن عطاء ، عن ابن عمر قال : أتىٰ رجل من الحبشة إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يسأله ، فقال له رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **سل واستفهم** » . فقال : يا رسول اللَّه ؛ فضلتم علينا بالصور والألوان والنبوة . [ثم قال][٥] ، أفرأيت إن آمنت بمثل ما آمنت به ، وعملت بما[٦] عملت به ، إني لكائن معك في الجنة ؟ قال [رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم][٧] « **نعم ، [والذي نفسي بيده أنه ليضيء بياض الأسود في الجنة من مسيرة ألف عام** »][٨] . قال : ثم قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **من قال لا إله إلا اللَّه كان له بها عهد عند**

---

(٦١٦) - وسيعيده المصنف سورة الإنسان / آية ١٣ وقال : « غريب جدًّا » والحديث فى « المعجم الكبير » (١٣٥٩٥/١٢) وعنه أبو نعيم فى « الحلية » (٣١٩/٣) ومن طريق أبى نعيم ابن الجوزى فى « الموضوعات » (٢٣١/٢) وأخرجه ابن حبان فى « المجروحين » (١/ ١٦٩، ١٧٠) ومن طريقه أورده السيوطى فى « اللالئ المصنوعة » (١/ ٤٠٨، ٤٠٩) ثنا الحسن بن سفيان ثنا محمد بن عبد اللَّه بن عمار به - وتصحف عند ابن حبان « ابن عمر » إلى « ابن عباس » وجاء على الصواب عند السيوطى - وقال أبو نعيم عقبه : « حديث غريب من حديث عطاء ، تفرد به عفيف عن أيوب بن عتبة اليمامى ، وكان عفيف أحد العباد والزهاد من أهل الموصل ، كان الثورى يسميه الياقوتة » وهو صدوق كما فى « التقريب » لكن شيخه أيوب بن عتبة ضعفه الجمهور لاسيما إذا روى عنه أهل العراق ، وعفيف بن مسلم سالم موصلى وبه أعل الحديث ابن حبان فأورده فى ترجمته ونقل ابن الجوزى والسيوطى عنه قال : « باطل لا أصل له ، وأيوب فاحش الخطأ » وقال المنذرى فى « الترغيب والترهيب » (٤٢١/٢) : « رواه الطبرانى بإسناد فيه نظر » وأعله الهيثمى أيضًا به فقال فى « المجمع » (٤٢٣/١٠) : « رواه الطبرانى ، وفيه أيوب بن عتبة وهو ضعيف » لكن أفاد السيوطى أنه متابع حيث أخرجه ابن عساكر من طريق أبى عبد اللَّه البحرانى عن الحسن بن ذكوان عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عمر به ، والحسن بن ذكوان=

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ت : علي بن عفيف بن سالم .
[٤] - في الأصول : عن ، وهو تحريف .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٦] - في ز : « مثل ما » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ .

اللَّه ، ومن قال سبحان اللَّه وبحمده كتب له بها[١] **مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة** » فقال رجل : كيف نهلك بعدها يا رسول الله ؟ فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن الرجل ليأتي يوم القيامة بالعمل لو وضع علىٰ جبل لأثقله ، فتقوم النعمة من نعم اللَّه فتكاد أن تستنفد ذلك كله ، إلا أن يتغمده**[٢] **اللَّه برحمته** » . ونزلت هذه السورة[٣] : ﴿ **هل أتىٰ علىٰ الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **نعيما وملكًا كبيرًا** ﴾ فقال الحبشي : وإن عيني لتريان ما ترىٰ عيناك في الجنة ؟ فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **نعم** » . فاستبكىٰ حتىٰ فاضت نفسه . قال ابن عمر : فلقد[٤] رأيت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يدليه في حفرته بيديه . فيه غرابة ونكارة ، وسنده ضعيف .

ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ذلك الفضل من اللَّه** ﴾ أي : من عند اللَّه برحمته و[٥]هو الذي أهلهم لذلك ، لا بأعمالهم ﴿ **وكفىٰ باللَّه عليمًا** ﴾ أي : هو عليم بمن يستحق الهداية والتوفيق .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا ﴿٧٣﴾ ۞ فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا

= « صدوق يخطئ ويدلس » لكن قال ابن حبان : « وقد روى نحو هذا المتن أيضًا عن عامر بن يساف عن النضر بن عبيد عن الحسين بن ذكوان عن عطاء » كذا وقع فيه : « الحسين بن ذكوان وهو ثقة - غير أنه مصحف حيث وجدت هذه الرواية عند الطبراني (١٢/١٣٥٩٧) من طريق عامر بن يساف به فسماه الحسن بن ذكوان مقتصرًا على قوله : « من قال لا إله إلا اللَّه ...» وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٠/ ٩٠) وقال : « رواه الطبراني وفيه النضر بن عبيد ولم أعرفه ، وبقية رجاله وثقوا » قلت : والحسن بن ذكوان متكلم فيه وهو مدلس وقد عنعن ، ولا يحتمل حاله أن يصحح له مثل هذا المتن ، راجع ترجمته في « التهذيب » .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز ، خ : « يتطاول » .
[٣] - في ت : « الآيات » .
[٤] - في ز : « لقد » .
[٥] - سقط من : ز .

عَظِيمًا ﴿٧٤﴾

يأمر تعالىٰ عباده المؤمنين بأخذ الحذر من عدوهم ، وهذا يستلزم التأهب لهم بإعداد الأسلحة والعدد ، وتكثير العدد بالنفير في [سبيل الله][١] .

﴿ ثبات ﴾ أي : جماعة بعد جماعة ، وفرقة بعد فرقة ، وسرية بعد سرية ، والثبات جمع ثبة ، وقد تجمع الثبة علىٰ ثبين .

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ **فانفروا ثبات** ﴾ أي : عصبا ، يعني سرايا متفرقين . ﴿ **أو انفروا جميعا** ﴾ يعني كلكم .

وكذا روي عن مجاهد وعكرمة والسدي وقتادة والضحاك وعطاء الخراساني ومقاتل بن حيان وخصيف الجزري .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وإن منكم لمن ليبطئن** ﴾ قال مجاهد وغير واحد : نزلت في المنافقين .

و[٢]قال مقاتل بن حيان : ﴿ **ليبطئن** ﴾ أي : ليتخلفن عن الجهاد .

ويحتمل أن يكون المراد أنه يتباطأ هو في نفسه ويبطيء غيره عن الجهاد ، كما كان عبد الله ابن أبي ابن سلول قبحه الله يفعل ، يتأخر عن الجهاد ، ويثبط الناس عن الخروج فيه ، وهذا قول ابن جريج وابن جرير ، ولهذا قال تعالىٰ إخبارا عن المنافق : إنه يقول إذ تأخر عن الجهاد : ﴿ **فإن أصابتكم مصيبة** ﴾ أي : قتل وشهادة وغلب العدو لكم لما لله في ذلك من الحكمة ﴿ **قال قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدًا** ﴾ أي : إذ لم أحضر معهم وقعة القتال ، يعد ذلك من نعم الله عليه ، [ولم يدر][٣] ما فاته من الأجر في الصبر أو الشهادة إن قتل .

﴿ **ولئن أصابكم فضل من الله** ﴾ أي : نصر وظفر وغنيمة ﴿ **ليقولن**[٤] **كأن لم تكن**[٥] **بينكم وبينه مودة** ﴾ أي : كأنه ليس من أهل دينكم ﴿ **يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزًا عظيمًا** ﴾ أي : بأن يضرب لي بسهم معهم فأحصل عليه ، وهو أكبر قصده وغاية مراده .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **فليقاتل** ﴾ أي : المؤمن النافر ﴿ **في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا**

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « سبيله » . [٢] - سقط من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « وما يدري » .
[٤] - في ز : « قال » . [٥] - في : « يكن » .

بالآخرة ﴾ أي : يبيعون دينهم بعرض قليل من الدنيا ، وما ذلك[١] إلا لكفرهم وعدم إيمانهم .

ثم قال تعالىٰ : **﴿ ومن يقاتل في سبيل اللَّه فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرًا عظيمًا ﴾** [أي : كل من قاتل في سبيل اللَّه سواء][٢] قتل أو غلب [ ][٣] فله عند اللَّه مثوبة عظيمة وأجر جزيل ، كما ثبت في الصحيحين(٦١٧) . وتكفل اللَّه للمجاهد في سبيله إن توفاه أن يدخله الجنة ، أو يرجعه إلىٰ مسكنه الذي خرج منه [نائلًا ما][٤] نال من أجر أو غنيمة .

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

يحرض تعالىٰ عباده المؤمنين علىٰ الجهاد في سبيله وعلىٰ السعي في استنقاذ[٥] المستضعفين بمكة من الرجال والنساء والصبيان المتبرمين [من المقام][٦] بها ، ولهذا قال تعالىٰ : **﴿ الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية ﴾** يعني : مكة ، كقوله[٧] تعالىٰ : **﴿ وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك ﴾** .

ثم وصفها بقوله : **﴿ الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليًّا واجعل لنا من لدنك نصيرًا ﴾** أي سخر لنا من عندك وليًّا وناصرًا .

قال البخاري(٦١٨) : حدثنا عبد اللَّه بن محمد ، حدثنا سفيان ، عن[٨] عبيد اللَّه ، قال : سمعت ابن عباس قال : كنت أنا وأمي من المستضعفين .

(٦١٧) - صحيح البخارى ، كتاب : فرض الخمس ، باب : قول النبى ﷺ : « أُحِلَّتْ لكم الغنائم » (٣١٢٣) ومسلم ، كتاب الإمارة ، باب :فضل الجهاد والخروج فى سبيل اللَّه (١٠٤) (١٨٧٦) وكذا أخرجه أحمد (٣٩٨/٢) ، والنسائى (١٦/٦) كلهم عن أبى هريرة .

(٦١٨) - صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، باب :قوله : **﴿ وما لكم لا تُقاتلون فى سبيل اللَّه ﴾** (٤٥٨٧، ٤٥٨٨) .

[١] - في ز : « ذاك » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « وسلب » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ت : « بما » .
[٥] - في ز : « استنقاد » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « بالمقام » .
[٧] - في ز : « لقوله » .
[٨] - في ز ، خ: « بن » .

حدثنا سليمان [بن حرب][١] ، حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن ابن أبي مليكة ، أن ابن العباس[٢] تلا : ﴿ **إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان** ﴾ قال : كنت أنا وأمي ممن عذر اللّٰه - عز وجل - .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **الذين آمنوا يقاتلون في سبيل اللّٰه والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت** ﴾ أي : المؤمنون يقاتلون في طاعة اللّٰه ورضوانه ، والكافرون يقاتلون في طاعة الشيطان .

ثم هيج تعالىٰ المؤمنين علىٰ قتال أعدائه بقوله : ﴿ **فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفًا** ﴾ .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.
[٢] - في ز : « عباس » .

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَـٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَـٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾

كان المؤمنون في ابتداء الإسلام وهم بمكة مأمورين[١] بالصلاة والزكاة ، وإن لم تكن ذات النصب ، لكن كانوا مأمورين بمواساة الفقراء منهم ، وكانوا مأمورين بالصفح والعفو عن المشركين ، والصبر إلىٰ حين ، وكانوا يتحرقون ويودون لو أمروا بالقتال ؛ ليشتفوا من أعدائهم ، ولم يكن الحال إذ ذاك مناسبًا لأسباب كثيرة ؛ منها قلة عددهم بالنسبة إلىٰ كثرة عدد عدوهم ، ومنها كونهم كانوا في بلدهم وهو بلد حرام وأشرف بقاع الأرض ، فلم يكن الأمر بالقتال فيه ابتداء لائقًا[٢] [ ][٣] فلهذا لم يؤمر بالجهاد إلا بالمدينة لما صارت لهم دار ومنعة وأنصار ، ومع هذا لما أمروا بما كانوا يودونه جزع بعضهم منه وخافوا من مواجهة الناس خوفًا شديدًا ﴿ **وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلىٰ أجل قريب** ﴾ أي : [لو ما][٤] أخرت فريضته[٥] إلىٰ مدة أخرىٰ ، فإن فيه سفك الدماء ، ويُتْمَ الأبناء[٦] ، وتأيُّم النساء . وهذه الآية [في معنى][٧] قوله[٨] تعالىٰ : ﴿ **ويقول الذين آمنوا لولا نُزِّلت سورة**

---

[١] - في ز : « مأمورون » .

[٢] - خ : « لا » .

[٣] - ما بين المعكوفين في خ : يقال .

[٤] - في خ : « لولا » .

[٥] - في خ : « فرضه » .

[٦] - في ت : « الأولاد » .

[٧] - ما بين المعكوفتين في ت : « كقوله » .

[٨] - زيادة من : خ .

فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال ﴾ الآيات .

قال ابن أبي حاتم (٦٢٠): حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا محمد بن عبد العزيز بن[١] أبي رزمة وعلي بن زنجة ؛ قالا : حدثنا علي بن الحسن ، عن الحسين بن واقد[٢] ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن عبد الرحمن بن عوف وأصحابًا له أتوا النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم بمكة فقالوا : يا نبي اللَّه ، كنا في عز[٣] ونحن مشركون ، فلما آمنا صرنا أذلة قال : « **إني أمرت بالعفو ، فلا تقاتلوا القوم** » . فلما حوله اللَّه إلىٰ المدينة أمره بالقتال ، فكفوا ، فأنزل اللَّه : **﴿ ألم تر إلىٰ الذين قيل لهم كفوا أيديكم ﴾** الآية .

ورواه النسائي والحاكم وابن مردويه من حديث علي بن الحسن بن شقيق ، به .

وقال أسباط ، عن السدي : لم يكن عليهم إلا الصلاة والزكاة ، فسألوا اللَّه أن يفرض عليهم القتال ، فلما كتب[٤] عليهم القتال **﴿ إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية اللَّه أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلىٰ أجل قريب ﴾** وهو الموت . قال اللَّه تعالىٰ : **﴿ قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقىٰ ﴾** .

وعن مجاهد : إن هذه الآيات نزلت في اليهود . رواه ابن جرير (٦٢١) .

وقوله : **﴿ قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقىٰ ﴾** أي : آخرة المتقي خير من دنياه .

﴿ ولا تظلمون فتيلًا ﴾ أي : من أعمالكم ، بل توفونها أتم الجزاء . وهذه تسلية لهم عن الدنيا ، وترغيب لهم في الآخرة ، وتحريض لهم علىٰ الجهاد .

وقال ابن أبي حاتم (٦٢٢) : حدثنا أبي ، حدّثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا

---

(٦٢٠) - تفسير ابن أبي حاتم (٥٦٣٠/٣) ورواه النسائي في فاتحة كتاب الجهاد من « السنن الصغرى » (٦/ ٢، ٣) وفي « التفسير » من « الكبرى » (٦ /) وابن جرير (٩٩٥١/٨) والحاكم (٦٦/٢ - ٦٧، ٣٠٧) - وعنه البيهقي في « السنن الكبرى » (١١/٩) - والواحدي في « أسباب النزول » (٣٣٩) كلهم من طريق علي بن الحسن به ، وقال الحاكم : « صحيح على شرط البخاري » ووافقه الذهبي ، والحسين بن واقد إنما أخرج له البخاري تعليقًا وهو ثقة .

(٦٢١) - تفسير ابن جرير (٩٩٥٥/٨) .

(٦٢٢) - تفسير ابن أبي حاتم (٥٦٣٥/٣) وإسناده صحيح ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٢/ ٣٢٩) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ .

---

[١] - في ت : « عن » .
[٢] - في ز : « وافد » .
[٣] - في خ : « عزة » .
[٤] - في ت : « فرض » .

عبد الرحمن[١] ابن مهدي ، حدثنا حماد بن زيد ، عن هشام قال : قرأ الحسن ﴿ **قل متاع الدنيا قليل** ﴾ قال : رحم اللَّه عبدًا صحبها علىٰ حسب ذلك ، وما الدنيا كلها أولها وآخرها إلا كرجل نام نومة[٢] فرأى في منامه بعض ما يحب ثم انتبه .

وقال ابن معين : كان أبو مُسْهر ينشد :

ولا خيرَ في الدنيا لمن لم يكن له ... منَ اللَّه في دار المقام نصيبُ
فإنْ تُعْجِبِ الدنيا رجالًا فإنها ... متاعٌ قليل والزّوال قريب

وقوله تعالىٰ : ﴿ **أينما تكونوا يدرككم[٣] الموت ولو كنتم في بروج مشيدة** ﴾ أي : أنتم صائرون إلىٰ الموت لا محالة ، ولا ينجو منه أحد منكم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **كل نفس ذائقة الموت** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد** ﴾ والمقصود ، أن كل أحد صائر إلىٰ الموت لا محالة ، ولا ينجيه من ذلك شيء ، [وسواء عليه][٤] جاهد أو لم يجاهد ؛ فإن له أجلًا محتومًا ، وأمدًا[٥] مقسومًا ، كما قال خالد بن الوليد حين جاءه الموت علىٰ فراشه : لقد شهدت كذا وكذا موقفًا ، وما من عضو من أعضائي إلا وفيه جرح من طعنة أو رمية ، وها أنا أموت علىٰ فراشي ، فلا نامت أعين الجبناء .

وقوله : ﴿ **ولو كنتم في بروج مشيدة** ﴾ أي : حصينة منيعة عالية رفيعة . وقيل : هي بروج في السماء . قاله السدي ، وهو ضعيف ، والصحيح أنها المنيعة ، أي : لا يغني حذر وتحصن من الموت ، كما قال [زهير بن أبي سلمىٰ][٦] :

ومَنْ هاب[٧] أسبابَ المنية يَلْقَها ... ولو رام أسبابَ السماء بسُلَّمِ

ثم قيل[٨] : المشيدة هي المشيدة ، كما قال ﴿ **وقصر مشيد** ﴾ وقيل : بل بينهما فرق ، وهو أن المشيدة بالتشديد هي المطوّلة ، وبالتخفيف هي المزينة بالشيد ، وهو الجص .

وقد ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم(٦٢٣) هاهنا حكاية مطوّلة عن مجاهد أنه ذكر أن امرأة فيمن

---

(٦٢٣) - تفسير ابن جرير (٨/٩٩٥٨) - ومن طريقه أبو نعيم فى « الحلية » (٣/ ٢٨٨، ٢٨٩) - حدثنى=

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « يدركم » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ت : « سواء » .
[٥] - في خ : « وأمرا » .
[٦] - في ز ، خ : « طرفة بن العبد » .
[٧] - في ز : « خاف » ، خ : « خاب » .
[٨] - في ت : « قال » .

كان قبلنا أخذها الطلق ، فأمرت أجيرها أن يأتيها بنار ، فخرج فإذا هو برجل واقف على الباب ، فقال : ما ولدت المرأة ؟ فقال : جارية . فقال : أما إنها[١] ستزني بمائة رجل ثم يتزوّجها أجيرها ويكون موتها بالعنكبوت . قال فكرّ راجعًا فبعج بطن[٢] الجارية بسكين [ ][٣] فشقه ، ثم ذهب هاربًا وظنّ أنها قد ماتت ، فخاطت أمّها بطنها فبرئت وشبت وترعرعت ونشأت أحسن امرأة ببلدتها ، فذهب ذاك الأجير[٤] ما ذهب ودخل البحور فاقتنىٰ أموالًا جزيلة ، ثم رجع إلىٰ بلده وأراد التزويج فقال لعجوز : أريد أن أتزوّج بأحسن امرأة بهذه البلدة . فقالت له[٥] : ليس هاهنا[٦] أحسن من فلانة . فقال : اخطبيها علي . فذهبت إليها ، فأجابت فدخل بها ، فأعجبته إعجابا شديدًا ، فسألته عن أمره ومن أين مقدمه فأخبرها خبره وما كان من أمره في هربه[٧] ، فقالت : أنا هي . وأرته مكان السكين . فتحقق ذلك ، فقال : لئن كنت إياها فلقد أخبرتني[٨] باثنتين لابد منهما ؛ إحداهما أنك قد زنيت بمائة رجل . فقالت : لقد كان شيء من ذلك ولكن لا أدري ما عددهم . فقال : هم مائة ، والثانية[٩] أنك تموتين بالعنكبوت . فاتخذ لها قصرًا منيعًا شاهقًا ليحرزها من ذلك ، فبينما هم يومًا إذا[١٠] بالعنكبوت في السقف ، فأراها إياها ، فقالت : أهذه التي تحذرها علي ، والله لا يقتلها إلا أنا . فأنزلوها من السقف فعمدت إليها فوطئتها[١١] بإبهام رجلها فقتلتها[١٢] ، فطار[١٣] من سمها شيء فوقع بين ظفرها ولحمها فاسودّت[١٤] رجلها ، وكان[١٥] في ذلك أجلها فماتت[١٦] .

= على بن سهل قال : حدثنا مؤمل بن إسماعيل ، وابن أبى حاتم فى تفسيره (٣/٥٦٤٠) ثنا أبو سعيد بن يحيى بن سعيد القطان ، كلاهما (مؤمل ، وأبو سعيد) ثنا عيسى بن حميد الراسبى أبو همام - تصحفت كنيته فى « الحلية » إلى أبى حازم - ثنا كثير أبو الفضل الكوفى عن مجاهد به ، وكثير مترجم فى « التهذيب » ولم يذكروا فيه جرحًا ولا تعديلاً ، غير أنه روى عنه جمع من الثقات ، وعيسى بن حميد ترجمه ابن أبى حاتم فى « الجرح والتعديل » (٦/٢٧٤) ولم ينقل فيه جرحًا ولا تعديلاً .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « في بطنها » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : ت .
[٦] - في ز :هنا .
[٧] - في ت : «الجارية» .
[٨] - في ز : « أخبرتيني » .
[٩] - في خ : « والثاني » .
[١٠] - في خ : « فإذا » .
[١١] - في ز : « فأوطيتها » .
[١٢] - في ز : « فقتلها » .
[١٣] - في ز : « وطار » .
[١٤] - في خ : « واسودت » .
[١٥] - في خ : « فكان » .
[١٦] - سقط من : ز .

وذكر[١] هاهنا قصة صاحب الحضر وهو الساطرون لما احتال عليه سابور حتىٰ حصره[٢] فيه[٣] وقتل من فيه بعد محاصرة سنتين ، وقالت العرب في ذلك أشعارًا منها :

وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجـ ـلة تجبىٰ إليه والخابورُ
شاده مرمرًا وجلله كلـ ـسا فللطير في ذراه وُكورُ
لم تهبه أيدي المنون فباد الـ ـملكُ عنه فبابُه مهجورُ

ولما دخل على عثمان جعل يقول : اللهم اجمع أمّة محمد . ثم تمثل بقول الشاعر :

أرىٰ الموت لا يبقي عزيزًا ولم يدع لعاد ملاذًا في البلاد ومربعا
يبيّت أهل الحصن والحصن مغلق ويأتي الجبال في شماريخها معًا[٤]

[قال ابن هشام : وكان كسرىٰ سابور ذو الأكتاف قتل الساطرون ملك الحضر ، وقال ابن هشام : إن الذي قتل صاحب الحضر سابور بن أردشير بن بابك أوّل ملوك بني ساسان ، وأذل ملوك الطوائف ، وردّ الملك إلىٰ الأكاسرة ، فأمّا سابور ذو الأكتاف فهو من بعد ذلك بزمن طويل ، والله أعلم . ذكره السهيلي .

قال ابن هشام : فحصره سنتين ، وذلك لأنه كان أغار علىٰ بلاد سابور في غيبته وهو في العراق ، وأشرفت بنت الساطرون وكان اسمها النضيرة ، فنظرت إلىٰ سابور ، وعليه ثياب ديباج ، وعلىٰ رأسه تاج من ذهب مكلل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ فدست إليه أن تتزوّجني إن فتحت لك باب الحصن . فقال : نعم . فلما أمسىٰ ساطرون شرب حتىٰ سكر وكان لا يبيت إلا سكران ، فأخذت مفاتيح باب الحصن من تحت رأسه فبعثت بها مع مولىٰ لها ففتح الباب ، ويقال دلتهم علىٰ طلسم كان في الحصن ، لا يفتح حتىٰ تؤخذ حمامة ورقاء ، فتخضب رجلاها بحيض جارية بكر زرقاء ، ثم ترسل فإذا وقعت علىٰ سور الحصن سقط ذلك ففتح الباب ، ففعل ذلك فدخل سابور فقتل ساطرون واستباح الحصن وخرّبه ، وسار بها معه وتزوّجها ، فبينما هي نائمة علىٰ فراشها إذ جعلت تتململ لا تنام ، فدعا لها بالشمع ففتش فراشها فوجد فيه ورقة آس ، فقال لها سابور : هذا الذي أسهرك فما كان أبوك يصنع بك ؟ قالت : كان يفرش لي الديباج ويلبسني الحرير ، ويطعمني المخ ، ويسقيني الخمر .

قال الطبري : كان يطعمني المخ والزبد ، وشهد أبكار النحل ، وصفو الخمر . وذكر أنه كان

---

[١] - في ز : « ويذكر » .
[٢] - في ز ، خ : « حصنه » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز ، خ : « العلا » .

يرىٰ مخ ساقها . قال : فكان جزاء أبيك ما صنعت به ، أنت إلي بهذا أسرع . ثم أمر بها فربطت قرون رأسها بذنب فرس فركض الفرس حتىٰ قتلها ، وفيه يقول عدي بن زيد العبادي أبياته المشهورة السائرة :

أيها الشامت المعير بالدهـ ... ـر أأنت المبرأ الموفور
أم لديك العهد الوثيق من الأيـ ... ـام بل أنت جاهل مغرور
من رأيت المنون خلد أم من ... ذا عليه من أن يضام خفير
أين كسرىٰ كسرىٰ الملوك أنوشر ... وان أم أين قبله سابور
وبنو الأصفر الكرام ملوك الـ ... ـروم لم يبق منهم مذكور
وأخو الحضر إذبناه وإذ دجـ ... ـلة تجبىٰ إليه والخابور
شاده مرمرًا وجلله كلـ ... ـسًا فللطير في ذراه وكور
لم تهبه أيدي المنون فباد الـ ... ـملك عنه فبابه مهجور
وتذكر رب الخورنق إذ أشر ... ف يوما وللهدىٰ تفكير
سره ماله وكثرة ما يمـ ... ـلك والبحر معرضًا والسدير
فارعوىٰ قلبه وقال فما غبـ ... ـطة حي إلىٰ الممات يصير
ثم أضحوا كأنهم ورق جف ... فألوت به الصبا والدبور
ثم بعد الفلاح والملك والأمـ ... ـة وارتهم هناك القبور][١]

وقوله : ﴿ **وإن تصبهم حسنة** ﴾ أي : خصب ورزق ، من ثمار وزروع وأولاد وغير[٢] ذلك ، هذا معنىٰ قول ابن عباس وأبي العالية والسدي ، ﴿ **يقولوا هذه من عند اللّٰه وإن تصبهم سيئة** ﴾ أي : قحط وجدب ونقص في الثمار والزروع ، أو موت أولاد أو نتاج ، أو غير ذلك ؛ كما يقوله أبو العالية والسدي ، ﴿ **يقولوا هذه من عندك** ﴾ أي : من قبلك ، وبسبب اتباعنا لك ، واقتدائنا بدينك ، كما قال تعالىٰ عن قوم فرعون : ﴿ **فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسىٰ ومن معه** ﴾ ، وكما قال تعالىٰ : ﴿ **ومن الناس من يعبد اللّٰه علىٰ حرف** ﴾ الآية ، وهكذا قال هؤلاء المنافقون الذين دخلوا في الإسلام ظاهرًا وهم كارهون له في نفس الأمر ، ولهذا إذا أصابهم شر إنما يسندونه إلىٰ اتباعهم للنبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم . وقال السدّي : ﴿ **وإن تصبهم حسنة** ﴾ قال : والحسنة الخصب ، تنتج مواشيهم وخيولهم وأنعامهم ، ويحسن حالهم ، وتلد نساؤهم الغلمان ، قالوا : ﴿ **هذه من عند اللّٰه وإن تصبهم سيئة** ﴾ ، والسيئة : الجدب والضرر في

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .   [٢] - في ت : «ونحو» .

أموالهم - تشاءموا بمحمد صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وقالوا : ﴿ **هذه من عندك** ﴾ ، يقولون : بتركنا ديننا واتباعنا محمدًا أصابنا هذا البلاء ، فأنزل اللّٰه عز وجل : ﴿ **قل كل من عند اللّٰه** ﴾ [ ][١] أي : الجميع بقضاء اللّٰه وقدره ، وهو نافذ في البر والفاجر والمؤمن والكافر .

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ **قل كل من عند اللّٰه** ﴾ أي : الحسنة والسيئة وكذا قال الحسن البصري .

ثم قال تعالىٰ منكرًا علىٰ هؤلاء القائلين هذه المقالة الصادرة عن شك وريب ، وقلة فهم وعلم ، وكثرة جهل وظلم : ﴿ **فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثًا** ﴾ .

ذكر حديث غريب يتعلق بقوله تعالىٰ : ﴿ **قل كل من عند اللّٰه** ﴾ :

قال الحافظ أبو بكر البزار(٦٢٤) : حدثنا السكن بن سعيد ، حدثنا عمر بن يونس ، حدثنا إسماعيل بن حماد ، عن مقاتل بن حيان ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ؛ قال : كنا جلوسًا عند رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فأقبل[٢] أبو بكر وعمر في قبيلتين من الناس ، وقد ارتفعت أصواتهما ، فجلس أبو بكر قريبًا من النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وجلس عمر قريبًا [من أبي بكر][٣] ، فقال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **لم ارتفعت أصواتكما ؟** » ، فقال رجل : يا رسول اللّٰه ، قال أبو بكر [ ][٤] : الحسنات من اللّٰه ، والسيئات من أنفسنا ، فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **فما قلت يا**

(٦٢٤) - « كشف الأستار » (٢١٥٣/٣) و « مختصر الزوائد » لابن حجر (١٥٩٧/٢) وقال ابن حجر عقبه : « هذا خبر مُنكرٌ ، وفى الإسناد ضعف » وأبانه شيخه الهيثمى فقال فى « المجمع » (١٩٥/٧) : « شيخ البزار السكن بن سعيد لم أعرفه ، وبقية رجال البزار ثقات ، وفى بعضهم كلام لا يضر » لا سيما وأن لهم متابعا فقد أودع الألبانى هذا الحديث فى « الصحيحة » (١٦٤٢/٤) بلفظ : « لو أراد اللّٰه ألا يعصى ما خلق إبليس » ونقل كلام ابن كثير الذى هنا وقال : « إسماعيل بن حماد إن كان الأشعرى مولاهم فهو صدوق ، وإن كان حفيد الإمام أبى حنيفة فقد تكلموا فيه ، وأيهما كان فلم يتفرد به ، فقد أخرجه البيهقى [فى « الأسماء والصفات » (٣٢٩/١) وكذا فى « شعب الإيمان » كما فى اللآلئ المصنوعة (٢٣٤/١) و « الاعتقاد » (ص ١٥٩) وابن عدى فى « الكامل » (١٧٦٧/٥)] من طريق عباد بن عباد عن عمر بن ذر قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول : لو أراد اللّٰه ألا يُعصى ما خلق إبليس . وحدثنى مقاتل بن حيان عن عمرو بن شعيب به مرفوعًا ، وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات على الخلاف المعروف فى عمرو بن شعيب ، فالإسناد حسن ، وعباد بن عباد هو ابن علقمة المازنى =

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « فقوله : ﴿ **قل كل من عند الله** ﴾ » .

[٢] - في خ : « فقال » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز ، خ : « يا رسول الله » .

عمر ؟ » فقال : قلت : الحسنات والسيئات من اللَّه تعالىٰ[١] ، فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن أول من تكلم فيه جبريل وميكائيل ، فقال ميكائيل مقالتك يا أبا بكر ، وقال جبريل مقالتك يا عمر** » ، فقال : « **فيختلف أهل السماء ، وإن يختلف أهل السماء يختلف أهل الأرض ، فتحاكما إلىٰ إسرافيل فقضىٰ بينهما : إن الحسنات والسيئات من اللَّه** » . ثم أقبل علىٰ أبي بكر وعمر ، فقال : « **احفظا قضائي بينكما ، لو أراد اللَّه أن لا يعصىٰ [لم يخلق][٢] إبليس** » .

قال شيخ الإِسلام تقي الدين أبو العباس بن تيمية : هذا حديث موضوع مختلق باتفاق أهل المعرفة .

ثم قال تعالىٰ مخاطبًا لرسوله ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم - والمراد جنس الإِنسان ليحصل الجواب - : ﴿ **ما أصابك من حسنة فمن اللَّه** ﴾ أي : من فضل اللَّه ومَنِّه[٣] ولطفه ورحمته ، ﴿ **وما أصابك من سيئة فمن نفسك** ﴾ أي : فمن قِبَلِكَ ، ومن عملك أنت[٤] ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير** ﴾ .

قال السدي والحسن البصري وابن جريج وابن زيد : ﴿ **فمن نفسك** ﴾ أي : بذنبك ، وقال قتادة(٦٢٥) [في الآية][٥] : ﴿ **ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن**

= البصرى ، ومقاتل بن حيان ثقة من رجال مسلم ، وهو غير مقاتل بن سليمان المفسر المتهم ، ولعل شيخ الإسلام توهم أنه هو راوى هذا الحديث ، وإلا فلا وجه للحكم عليه بالوضع من حيث إسناده ؛ فإنه ليس فيه متهم ، ولا من حيث متنه ؛ فإنه غير مستنكرٍ ، فقد اتفق أهل السنة على أن كل شيء من الطاعات والمعاصى فبإرادة اللَّه تبارك وتعالى ، لا يقع شيء من ذلك رغمًا عنه سبحانه وتعالى ، لكنه يحب الطاعات ويكره المعاصى . وقد أخرج الحديث الطبرانى فى « المعجم الأوسط » (٢٦٤٨/٣) من طريق عمر بن الصبح عن مقاتل بن حيان به ، وعمر بن الصبح ضعيف جدًّا ؛ كما قال الهيثمى . وقد ورد الحديث من طريق آخر عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده به ، لكن فى سنده جهالة ، وشاهد من حديث ابن عمر ، وفى إسناده بقية بن الوليد ، وهو مدلس وعنعنه عن شيخ له مجهول ، راجع « الصحيحة » وشاهد آخر - لم يورده الألبانى - أخرجه الآجرى فى « الشريعة » (٤٥٤/١) وبيبى بنت عبد الصمد فى « جزئها » (ح ١٠٥ وابن بطة فى « الإبانة » (ح ١٥٥٩) وفى إسناده يحيى بن سابق أبو زكريا وهو متروك كما قال الدارقطنى وغيره ، ولذا كان من نصيب موضوعات ابن الجوزى (٢٧٣/١) .

(٦٢٥) - تفسير ابن جرير (٩٩٦٩/٨) ثنا بشر بن معاذ ، ثنا يزيد ، ثنا سعيد عن قتادة به ، وإسناده =

[١] - سقط من : ت .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ت : « لما خلق » .
[٣] - في ت : « ومنبته » .
[٤] - في ز : « أتيت » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

نفسك ﴾ عقوبة لك[١] يا ابن آدم بذنبك .

قال : وذكر لنا أن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم [كان يقول][٢] : « **لا يصيب رجلًا خدش عود ، ولا عثرة قدم ، ولا اختلاج عرق ، إلا بذنب ، وما يعفو اللَّه أكثر** » .

وهذا الذي أرسله قتادة ، قد روي متصلًا في الصحيح(٦٢٦) : « **والذي نفسي بيده ، لا يصيب المؤمن هم ولا حزن ، ولا نصب حتىٰ الشوكة يشاكها ، إلا كفر اللَّه عنه بها من[٣] خطاياه** » .

وقال أبو صالح : **﴿ وما أصابك من سيئة فمن نفسك ﴾** أي : بذنبك ، وأنا الذي قدرتها عليك ، رواه ابن جرير(٦٢٧) .

وقال ابن أبي حاتم(٦٢٨) : حدثنا محمد بن عمار ، حدثنا سهل - يعني[٤] بن بكار - حدثنا الأسود بن شيبان ، حدثني عقبة بن واصل ابن أخي مطرف ، عن مطرف بن عبد اللَّه قال : ما تريدون من القدر ، أما تكفيكم[٥] الآية التي في سورة النساء : **﴿ وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند اللَّه وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ﴾** أي : من نفسك ، واللَّه ما وكلوا إلىٰ القدر ، وقد أمروا وإليه يصيرون .

وهذا كلام متين[٦] قوي في الرد علىٰ القدرية والجبرية أيضًا ، ولبسطه موضع آخر .

= صحيح غير أنه مرسل ، وذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٢/٣٣١) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد .

(٦٢٦) - أخرجه البخارى ، كتاب المرضى ، باب :ما جاء فى كفارة المرض (٥٦٤١، ٥٦٤٢) ، ومسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب : فى ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض (٥٢) (٢٥٧٣) ، والترمذى ، كتاب الجنائز ، باب : ما جاء فى ثواب المريض (٩٦٦) ، وأحمد (٣/ ٤، ١٨/ ومواضع آخر) من حديث أبى هريرة وأبى سعيد ، وعند أحمد فى الموضع الأول من حديث أبى سعيد فحسب .

(٦٢٧) - تفسير ابن جرير (٨/ ٩٩٧٦، ٩٩٧٨) وإسناده صحيح إلى أبى صالح .

(٦٢٨) - تفسير ابن أبى حاتم (٣/٥٦٤٨) ورجاله ثقات غير عقبة بن واصل ، فقد ذكره البخارى فى « التاريخ الكبير » (٦/٤٣٩) وابن أبى حاتم فى « الجرح والتعديل » (٦/٣١٨) ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلاً ، وأودعه ابن حبان فى « الثقات » (٧/٢٤٥) .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في خ : « قال » .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - سقط من : ت .

[٥] - في ز : « يكفيكم » .

[٦] - في ز : « مبين » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وأرسلناك للناس رسولًا** ﴾ أي : تبلغهم شرائع الله ، وبما[١] يحبه الله ويرضاه ، وبما[٢] يكرهه ويأباه .

﴿ **وكفىٰ بالله شهيدًا** ﴾ أي : علىٰ أنه أرسلك ، وهو شهيد أيضًا بينك وبينهم ، وعالم بما تبلغهم إياه ، وبما يردّون عليك من الحق كفرًا أو عنادًا .

مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾

يخبر تعالىٰ عن عبده ورسوله محمد ، صلىٰ الله عليه وسلم ، بأن من أطاعه فقد أطاع الله ، ومن عصاه فقد عصىٰ الله ، وما ذاك إلا لأنه ﴿ **ما ينطق عن الهوىٰ ، [إن هو][٣] إلا وحي يوحىٰ** ﴾ .

قال ابن أبي حاتم(٦٢٩) : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله تعالىٰ عليه وعلىٰ آله وسلم : « **من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصىٰ الله ، ومن أطاع الأمير فقد أطاعني ، ومن عصىٰ الأمير فقد عصاني** » .

وهذا الحديث ثابت في الصحيحين عن الأعمش ، به .

---

(٦٢٩) - تفسير ابن أبى حاتم (٥٦٦٤/٣) ، وأخرجه أحمد (٢/ ٢٥٢، ٤٧١) وابن أبى شيبة فى « المصنف » فاتحة كتاب الجهاد (٥٦٦/٧) وعنه وعن غيره ابن ماجة فى « السنن » (٣/ ٢٨٥٩) والبغوى فى « شرح السنة » (٢٤٥٠/١٠) من طريق (أبى معاوية ووكيع) عن الأعمش به ، ليس هو عند الشيخين من هذه الطريق ، وإنما أخرجه البخارى (٢٩٥٧) ، ومسلم (٣٢) (١٨٣٥) من طريق أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة ، وأخرجاه أيضًا : البخارى (٧١٣٧) ، ومسلم (٣٣) (١٨٣٥) وكذا النسائى (١٥٤/٧) من طريق الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة به ، وأخرجه مسلم أيضًا من طريق (أبى علقمة وهمام بن منبه وأبى يونس) عن أبى هريرة به .

---

[١] - في ت : « وما » .

[٢] - في ت : « وما » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

وقوله : ﴿ **ومن**[١] **تولىٰ فما أرسلناك عليهم حفيظًا** ﴾ أي : لا[٢] عليك منه ، إن عليك إلا البلاغ ؛ فمن اتبعك سعد ونجا ، وكان لك من الأجر نظير ما حصل له ، ومن تولىٰ عنك خاب وخسر ، وليس عليك من أمره شيء ، كما جاء في الحديث(٦٣٠) : « **من يطع اللّٰه ورسوله فقد رشد ، ومن يعص اللّٰه ورسوله فإنه لا يضر إلا نفسه** » .

وقوله : ﴿ **ويقولون طاعة** ﴾ يخبر تعالىٰ عن المنافقين بأنهم يظهرون الموافقة والطاعة ، ﴿ **فإذا برزوا [من عندك]**[٣] ﴾ أي : خرجوا [من عندك][٤] وتواروا عنك ، ﴿ **بيت طائفة منهم غير الذي تقول** ﴾ أي : استسروا ليلًا فيما بينهم بغير ما أظهروه لك[٥] ، فقال تعالىٰ : ﴿ **واللّٰه يكتب ما يبيتون** ﴾ أي : يعلمه ويكتبه عليهم بما يأمر به حفظته الكاتبين ، الذين هم موكلون بالعباد ، يعلمون ما يفعلون ، والمعنىٰ في هذا التهديد : أنه[٦] تعالىٰ يخبر بأنه عالم بما يضمرونه ويسرونه فيما بينهم ، وما يتفقون عليه ليلًا من مخالفة الرسول ، صلىٰ اللّٰه عليه وآله وسلم ، وعصيانه ، وإن كانوا قد أظهروا له الطاعة والموافقة ، وسيجزيهم علىٰ ذلك ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ويقولون آمنا باللّٰه وبالرسول وأطعنا** ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ **فأعرض عنهم** ﴾ أي : اصفح عنهم واحلم عليهم[٧] ولا تؤاخذهم ، ولا تكشف أمورهم للناس ، ولا تخف منهم أيضًا ، ﴿ **وتوكل علىٰ اللّٰه وكفىٰ باللّٰه وكيلًا** ﴾ أي : كفىٰ به وليًا وناصرًا ومعينًا لمن توكل عليه وأناب إليه .

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا

(٦٣٠) - أخرجه أبو داود ، كتاب النكاح ، باب :في خطبة النكاح (٢١١٩) ، والبيهقى فى « السنن الكبرى » (٢١٥/٣) ، والطبرانى فى « المعجم الكبير » (١٠٤٩٩/١٠) - ومن طريقه المزى فى « تهذيب الكمال » (١٦/ت ٣٧٤٥) - من طريق عمران القطان عن قتادة عن عبد ربه عن أبى عياض عن عبد اللّٰه بن مسعود به ، فى حديث خطبة الحاجة ، وعبد ربه وأبو عياض مجهولان ، ومع هذا فقد صحح إسناده النووى فى « شرح صحيح مسلم » (٢٢٧/٦) وانظر ما يأتى سورة الأعراف / آية ١٧٨ ، وقد صح الحديث بلفظ : « ... ومن يعص اللّٰه ورسوله فقد غوى » أخرجه مسلم ، كتاب الجمعة ، باب : تخفيف الصلاة والخطبة (٤٨) (٨٧٠) ، وأحمد (٢٥٦/٤، ٣٧٩) ، وأبو داود (١٠٩٩، ٤٩٨١) ، والنسائى (٩٠/٦) من حديث عدى بن حاتم .

[١] - في ز : « فمن » .
[٢] - في ت : « ما » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٤] - سقط من خ .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في ز : « فإنه » .
[٧] - في خ : « عنهم » .

جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾

يقول تعالىٰ آمرًا عباده[١] بتدبر القرآن ، وناهيًا [لهم][٢] عن الإعراض عنه ، وعن تفهم معانيه المحكمة وألفاظه البليغة[٣] ، ومخبرًا لهم أنه لا اختلاف فيه ولا اضطراب ، [ولا تضاد][٤] ، ولا تعارض ، لأنه تنزيل من حكيم حميد ، فهو حقٌّ من حقٍ ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن أم علىٰ قلوب أقفالها** ﴾ . ثم قال : ﴿ **ولو كان من عند غير الله** ﴾ أي : لو كان مفتعلًا مختلقًا كما يقوله من يقوله من جهلة المشركين والمنافقين في بواطنهم ؛ ﴿ **لوجدوا فيه اختلافًا** ﴾ ، أي : اضطرابًا وتضادًّا كثيرًا ، أي : وهذا سالم من الاختلاف ، فهو من عند الله ، كما قال تعالىٰ مخبرًا عن الراسخين في العلم ، حيث قالوا : ﴿ **آمنا به كل من عند ربنا** ﴾ أي : محكمه ومتشابهه حق ، فلهذا ردّوا المتشابه إلىٰ المحكم فاهتدوا ، والذين في قلوبهم زيغ ردّوا المحكم إلىٰ المتشابه فغووا ، ولهذا مدح تعالىٰ الراسخين وذم الزائغين .

قال الإمام أحمد(٦٣١) : حدثنا أنس بن عياض ، حدثنا أبو حازم ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، قال : لقد جلست أنا وأخي مجلسًا ما أحب أن لي به حُمْر النَّعَم ، أقبلت أنا وأخي ، وإذا مشيخة من صحابة رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، علىٰ باب من أبوابه ، فكرهنا

---

(٦٣١) - « المسند » (١٨١/٢) ورواه عبد الرزاق فى « المصنف » (٢٠٣٦٧/١١) ومن طريقه أحمد (٢/ ١٨٥) ، والبخارى فى « خلق أفعال العباد » (رقم ٢١٨) والآجرى فى « الشريعة » (١/رقم ١٥٠) ، والبيهقى فى « المدخل » (٧٩٠) ، والبغوى فى « شرح السنة » (١/رقم ١٢١) - أنا معمر عن الزهرى ، والحارث بن أبى أسامة كما فى « البغية » (٧٣٤) من طريق ليث بن أبى سليم ، ثلاثتهم (أبو حازم سلمة ابن دينار والزهرى وليث) عن عمرو بن شعيب به ، وإسناده حسن للخلاف المشهور فى صحيفة عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده . وكذا رواه أبو حازم سلمة بن دينار والزهرى وليث ، بأن تنازعهم كان فى القرآن ، ورواه داود بن أبى هند أن ذلك كان فى القدر ، انظر الآتى .

---

[١] - في ت : « لهم » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .
[٣] - في خ : « الغريبة » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

أن نفرق بينهم فجلسنا حَجْرَةً[١] ، إذ ذكروا آية من القرآن ، فتماروا فيها حتىٰ ارتفعت أصواتهم ، فخرج رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، مُغْضَبًا حتىٰ احمر وجهه ، يرميهم بالتراب ، ويقول : « **مهلًا يا قوم ! بهذا أهلكت الأمم من قبلكم باختلافهم علىٰ أنبيائهم ، وضربهم الكتب بعضها ببعض ، إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضًا** ، [**بل**][٢] **يصدّق بعضه بعضًا ، فما عرفتم منه فاعملوا به ، وما جهلتم منه فردّوه إلىٰ عالمه** » ، وهكذا رواه أيضًا(٦٣٢) عن أبي معاوية ، عن داود بن أبي هند ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال :[٣] خرج رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، ذات يوم ، والناس يتكلمون في القدر ، فكأنما يفقأ في وجهه حب الرمّان من الغضب ، فقال لهم : « **ما لكم تضربون كتاب اللّه بعضه ببعض ؟! بهذا هلك من كان قبلكم** » ، قال : فما غبطت نفسي بمجلس فيه رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم ولم أشهده ، ما غبطت نفسي بذلك المجلس أني لم أشهده .

ورواه ابن ماجة ، من حديث داود بن أبي هند ، به نحوه .

وقال أحمد(٦٣٣) : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا حماد بن زيد ، عن أبي عمران الجوني ، قال : كتب إلي عبد اللّه بن رباح ، يحدّث عن عبد اللّه بن عمرو قال : هَجَّرت إلىٰ رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، يومًا ، فإنا لجلوس ، إذ اختلف اثنان في آية ، فارتفعت أصواتهما ، فقال : « **إنما هلكت الأمم قبلكم باختلافهم في الكتاب** » . ورواه مسلم والنسائي من حديث حماد بن زيد ، به .

---

(٦٣٢) – « المسند » (١٧٨/٢) وأخرجه ابن ماجة في المقدمة ، باب : في القدر (٨٥) ثنا على بن محمد ثنا أبو معاوية به ، ورواه أحمد أيضًا (١٩٥/٢ – ١٩٦) ثنا إسماعيل – وهو ابن علية – عن داود به ، ورواه أيضًا (١٩٦/٢) ثنا يونس ثنا حماد بن سلمة عن حميد ومطر الورّاق وداود بن أبي هند عن عمرو به ، وقال البوصيرى فى « الزوائد » (٥٨/١) : « إسناده صحيح ، رجاله ثقات » وهو حسن كما بينا فى السابق وباللّه التوفيق .

(٦٣٣) – « المسند » (١٩٢/٢) وأخرجه مسلم ، كتاب العلم ، باب : النهى عن اتباع متشابه القرآن (٢) (٢٦٦٦) ، والنسائى فى « فضائل القرآن » من « الكبرى » (٨٠٩٥/٥) من طريقين عن حماد بن زيد به .

---

[١] – في ز ، خ : « حجزة » . وجلسنا حجرة ، أي : ناحية منفردين .

[٢] – ما بين المعكوفين في خ : « بل نزل ، وفي ت : إنما نزل » .

[٣] – مكررة في ز ، خ .

وقوله : ﴿ **وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به** ﴾ إنكار علىٰ من يبادر إلىٰ الأمور قبل تحققها ، فيخبر بها ويفشيها وينشرها ، وقد لا يكون لها صحة .

وقد قال مسلم في مقدّمة صحيحه(٦٣٤) : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا علي بن حفص ، حدثنا شعبة ، عن خبيب[١] بن عبد الرحمن ، عن حفص بن عاصم ، عن أبي هريرة عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **كفىٰ بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع** » .

وكذا رواه أبو داود في كتاب الأدب من سننه ، عن محمد بن الحسين بن إشكاب ، عن علي ابن حفص ، عن شعبة مسندًا ، ورواه مسلم أيضًا(٦٣٥) من حديث معاذ بن هشام العنبري ، وعبد الرحمن بن مهدي ، وأخرجه أبو داود أيضًا من حديث حفص بن عمر النَّمَري[٢] ،

(٦٣٤) - مقدمة مسلم لصحيحه ، باب :النهى عن الحديث بكل ما سمع (٥/٥) ورواه أبو داود ، كتاب الأدب ، باب :التشديد فى الكذب (٤٩٩٢) وابن حبان فى صحيحه (١/رقم ٣٠) والدارقطنى فى « العلل » (١٠/٢٧٦/ س ٢٠٠٨) من طريق محمد بن الحسين بن إشكاب ، والحاكم فى « المستدرك » (١١٢/١) من طريق محمد بن رافع ، كلاهما (ابن إشكاب ، وابن رافع) عن على بن حفص - تحرف فى المستدرك إلى جعفر - به ، ورجاله ثقات غير أن أبا داود قال : « لم يسنده إلا هذا الشيخ ، يعنى على ابن حفص المدائنى » وهو وإن وثقه ابن معين وابن المدينى وأبو داود وقال النسائى : ليس به بأس ، فقد قال أبو حاتم : صالح الحديث ، يكتب حديثه ولا يحتج به وذكره ابن حبان فى « الثقات » وقال : « ربما أخطأ » ووسمه فى « التقريب » بأنه : « صدوق » وعليه فإن القلب لا يطمئن لزيادة هذه لا سيما . وقال الدارقطنى : « تفرد به على بن حفص عن شعبة متصلاً ، وخالفه أصحاب شعبة ؛ رووه عن شعبة عن خبيب عن حفص بن عاصم مرسلاً عن النبى ﷺ كذلك قال غندر والنضر بن شميل وسليمان ابن حرب وغيرهم والقول قولهم » غير أن ابن أبي شيبة رواه في « المصنف » (١٢٥/٦) ثنا أسامة عن شعبة به متصلًا ، وأخشى أن يكون وصله خطأً من الناسخ والله أعلم . وانظر ما بعده .

(٦٣٥) - وفى النسخ التى بين أيدينا من صحيحه وقعت رواية معاذ بن هشام العنبرى وعبد الرحمن بن مهدى متصلة الإسناد ، قال المنذرى فى « مختصر سنن أبى داود » (٢٨١/٧) ، أخرجه مسلم فى المقدمة مسندًا ومرسلاً ، وعند بعض رواة مسلم كلاهما مسند ، وقال الدارقطنى : والصواب مرسل . وقد أرسله أيضًا عن شعبة ، حفص بن عمر [عند أبى داود] ومحمد بن جعفر [عند القضاعى فى « مسند الشهاب » (١٤١٦/٢)] وآدم بن أبى إياس وسليمان بن حرب وكذا حفص بن عمر [عند الحاكم (١/ ١١٢)] وغيرهم كما قال الدارقطنى ، وأعله بالإرسال ومن قبله أبو داود ، ولكن صححه الحاكم ووافقه الذهبى استنادًا إلى أنها زيادة ثقة فهى مقبولة ، وكذا صححه الألبانى فأودعه « الصحيحة » =

(*) هجَّر إلى الشيء : بكَّر وبادر إليه .

[١] - في ز : « حبيب » . [٢] - في ز : « التمري » .

ثلاثتهم عن شعبة ، عن خُبيب ، عن حفص بن عاصم ، به مرسلًا .

وفي الصحيحين(٦٣٦) عن المغيرة بن شعبة ، أن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، نهىٰ عن قيل وقال . أي : الذي يكثر من الحديث عما يقول الناس من غير تثبت ، [ولا تدبر][١] ، ولا تبين .

وفي سنن أبي داود(٦٣٧) : أن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال[٢] : « بئس مطية

= (٢٠٢٥/٥) لكن كأنه لم يقف على الخلاف في وصل رواية معاذ وابن مهدى وإرسالهما عند مسلم ، فأجاب على قول أبى داود بأنهما تابعا عليَّ بن حفص على وصله ، ولم يشر لهذا الخلاف ، وجزم المصنف وغير واحد بأن أصحاب شعبة رووه مرسلاً غير على بن حفص يقوى إرسال هذه الرواية .
والحديث أخرجه ابن المبارك فى « الزهد » (٧٣٥) عن يحيى بن عبيد اللّٰه بن موهب القرشى عن أبيه عن أبى هريرة به ، ويحيى ضعفه غير واحد واستنكر له ابن عدى هذا الحديث فأودعه « الكامل » (٧/ ٢٦٦٠) وله شاهد بإسناد ضعيف من حديث أبى أمامة عند القضاعى (١٤١٥) والحاكم (٢/ ٢٠، ٢١) وصححه وفيه علل ، راجع « الضعيفة » (٢٢٣٤/٥) .

(٦٣٦) - صحيح البخارى ، كتاب الزكاة ، باب : قول اللّٰه تعالى ﴿ **لا يسألون الناس إلحافًا** ﴾ (١٤٧٧) ، ومسلم ، كتاب الأقضية ، باب : النهى عن كثرة المسائل من غير حاجة (١٢) (٥٩٣) مكرر « شرح النووى » (١٧/١٢ / ط قرطبة) ، وهو فى « المسند » (٢٤٦/٤/ ومواضع أخر) .

(٦٣٧) - سنن أبى داود ، كتاب الأدب ، باب :قول الرجل : « زعموا » (٤٩٧٢) ثنا أبو بكر بن أبى شيبة [وهو فى « المصنف » (١٤٥/٦)] ثنا وكيع ، عن الأوزاعى عن يحيى ، عن أبى قلابة ، قال : قال أبومسعود لأبى عبد اللّٰه ، أو : قال أبو عبد اللّٰه لأبى مسعود : ما سمعت رسول اللّٰه ﷺ يقول فى « زعموا » ؟ قال : سمعت رسول اللّٰه ﷺ يقول ... فذكره ، وقال أبو داود : « أبو عبد اللّٰه هذا حذيفة » وكأن أحمد رجح هذا ، فرواه فى مسند حذيفة « المسند » (٤٠١/٥) ، ورواه البخارى فى « الأدب المفرد » (٧٦٢) والطحاوى فى « مشكل الآثار » (١/رقم ١٣٨) والقضاعى فى « مسند الشهاب » (١٣٣٤/٢) من طريق أبى عاصم الضحاك بن مخلد عن الأوزاعى به ، ورواه ابن المبارك فى « الزهد » (٣٧٧) [ومن طريقه أحمد (١١٩/٤) والقضاعى (١٣٣٦/٢) والبغوى فى « شرح السنة » (٨٨٩٢/١٢)] عن الأوزاعى به ليس فيه ذكر لأبى عبد اللّٰه الصحابى ، ورجال هذه الأسانيد ثقات من رجال « التهذيب » غير أن أبا قلابة - واسمه عبد اللّٰه بن زيد - ذكر الحافظ أبو القاسم الدمشقى فى « الأطراف » أنه لم يسمع منهما - يعنى حذيفة وأبا مسعود - رضى اللّٰه عنهما ؛ قاله المنذرى فى « مختصر السنن » (٢٦٧/٧) وكذا مال العلائى في « جامع التحصيل » (ص ٢١١) إلى عدم سماعه من حذيفة ومع هذا فقد صححه من هذا الوجه الألبانى فى « الصحيحة » (٨٦٦/٢) ، وقد أشار إلى هذا الحديث البخارى فى صحيحه - كتاب الأدب (٩٤) ، « الفتح » (٥٥١/١٠) - فقال : =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - سقط من : ز .

الرجل زعموا » . وفي الصحيح(٦٣٨) : **« من حدث بحديث ، وهو يرىٰ أنه كذب ؛ فهو أحد الكاذبين »** .

= باب : ما جاء فى « زعموا » قال ابن حجر : كأنه يشير إلى حديث أبى قلابة قال : « قيل لأبى مسعود ...» الحديث ، أخرجه أحمد وأبو داود ورجاله ثقات ، إلا أن فيه انقطاعًا ، وكأن البخارى أشار إلى ضعف هذا الحديث بإخراجه حديث أم هانئ وفيه قولها : « زعم ابن أمى » فإن أم هانئ أطلقت ذلك فى حق على ، ولم ينكر عليها النبى ﷺ والأصل فى « زعم » أنها تقال فى الأمر الذى لا يوقف على حقيقته ... ومع جزم ابن حجر هنا بالانقطاع إلا أنه صحح إسناده من طريق آخر ، فقال فى « الإصابة » (١٢٦/٤/ ط دار الفكر) : « أبو عبد الله غير منسوب روى حديثه الحسن بن سفيان فى مسنده من طريق الوليد بن مسلم حدثنا الأوزاعى ، حدثنا يحيى بن أبى كثير حدثنى أبو قلابة حدثنى أبو عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ ... الحديث ، وسنده صحيح متصل أمن فيه من تدليس الوليد وتسويته ، وقد أخرجه أبو داود فى « السنن » من طريق وكيع عن الأوزاعى فقال فيه : عن أبى قلابة قال : قال أبو مسعود لأبى عبد الله ... قال أبو داود : أبو عبد الله هذا هو حذيفة بن اليمان ، كذا قال ، وفيه نظر لأن أبا قلابة لم يدرك حذيفة ، وقد صرح فى رواية الوليد بأن أبا عبد الله حدثه ، والوليد أعرف بحديث الأوزاعى من وكيع ، وقال ابن منده : « أبو عبد الله هذا هو الذى روى عنه أبو نضرة وهو محتمل » اهـ وقد مال ابن أبى عاصم إلى أن أبا عبد الله الصحابى ليس هو حذيفة ، حيث رواه فى كتابه « الآحاد والمثانى » (٢٧٩٨/٥) تحت ترجمته « أبو عبد الله » صحابى غير منسوب فقال : « حدثنا عمرو بن عثمان نا الوليد بن مسلم به » ومن طريق الوليد أخرجه أيضًا الطحاوى (١٣٧/١) ، ومن طريقة القضاعى (١٣٣٥/٢) ثنا محمد بن عبد الله بن ميمون البغدادى أبو بكر ، ثنا الوليد بن مسلم به ، ورواه البيهقى فى « السنن الكبرى » (٢٤٧/١٠) من طريق العباس بن الوليد بن مزيد أنبأ أبى قال : سمعت الأوزاعى قال : فذكره بنحو رواية أبى داود ، وغيره ، غير أنه نسب أبا عبد الله فقال : « أبو عبد الله الجرمى » ورواه الخرائطى فى « مساوئ الأخلاق » (رقم ٦٨٨) من طريق يحيى بن عبد العزيز عن يحيى - ابن أبى كثير - عن أبى قلابة عن أبى مهلب أن عبد الله بن عامر قال : يا أبا مسعود ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول فى « زعموا » ؟ ... فذكر الحديث ورجاله ثقات غير يحيى بن عبد العزيز هذا فقد وسمه الحافظ فى « التقريب » بأنه « مقبول » يعنى عند المتابعة وإلا فهو لين عند التفرد كما هو اصطلاحه ، فكيف وقد خولف ولذلك قال الألبانى : « رواية شاذة، بل منكرة » فالعجب إذن من العجلونى حيث قطع إسناده من عند يحيى هذا فقال فى : « كشف الخفاء » (٢٦٢/١) : « رواه الخرائطى فى « المساوئ عن أبى قلابة ... ورجاله موثقون فثبت اتصاله ، وتأكد الجزم بأنه عن أبى مسعود » !! .

(٦٣٨) - صحيح رواه مسلم فى مقدمة صحيحه ، باب : وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين (١/ ٩٧/شرح النووى ط قرطبة) من حديث سمرة بن جندب والمغيرة بن شعبة ، وحديث سمرة رواه أحمد (٥/ ١٤، ٢٠) وابن ماجه (٣٩) والطيالسى فى مسنده (٣٨/١) وابن عدى فى « الكامل » (٣٩/١) وابن حبان فى « المجروحين » (٧/١) وفى صحيحه (١/ح٢٩) والطبرانى فى « طرق حديث من كذب على متعمدًا » (١/ح ١٣٣) وإسناده صحيح ، وحديث المغيرة - بهذا اللفظ - رواه أيضًا أحمد (٥/ ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٥) ، والترمذى (٢٦٦٢) وابن ماجه (٤١) وابن عدى وابن حبان والطبرانى (١/ ح ١٣٠- ١٣٢) والحاكم فى « المدخل » ص ١٠٣) وإسناده صحيح أيضًا .

ولنذكر هاهنا حديث عمر بن الخطاب المتفق [عليه](٦٣٩)[١] ، حين بلغه أن رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، طلق نساءه ، فجاء من منزله حتىٰ دخل المسجد ، فوجد الناس يقولون ذلك ، فلم يصبر حتىٰ استأذن علىٰ النبي ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، فاستفهمه : أطلقت نساءك ؟ فقال : « لا » ، فقلت : اللّه أكبر ، وذكر الحديث بطوله .

وعند مسلم فقلت : أطلقتهن ؟ فقال : « لا » ، فقمت علىٰ باب المسجد فناديت بأعلىٰ صوتي : لم يطلق [رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ،][٢] نساءه ، ونزلت هذه الآية : ﴿ **وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردّوه إلىٰ الرسول وإلىٰ أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم** ﴾ ، فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر .

ومعنىٰ قوله : ﴿ **يستنبطونه** ﴾ أي : يستخرجونه ويستعملونه من معادنه ، يقال : استنبط[٣] الرجل العين ، إذا حفرها واستخرجها من قعورها[٤] .

وقوله : ﴿ **لاتبعتم الشيطان إلّا قليلًا** ﴾ قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، يعني : المؤمنين(٦٤٠) .

وقال عبد الرزاق(٦٤١) ، عن معمر ، عن قتادة : ﴿ **لا تبعتم الشيطان إلّا قليلًا** ﴾ يعني :

---

(٦٣٩) - رواه البخارى ، كتاب : العلم ، باب : التناوب فى العلم (٨٩) - وانظر أطرافه ثمة - ومسلم ، كتاب : الطلاق ، باب : فى الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن (٣٠ : ٣٥) (١٤٧٩) والترمذى (٢٤٦١، ٣٣١٨) ، والنسائى (١٣٧/٤) من طريق عبيد الله بن عبد الله بن أبى ثور ، ورواه البخارى ومسلم من طريق عبيد بن حنين ، ورواه مسلم والترمذى (٢٦٩١) من طريق سماك الحنفى أبى زميل ، وأبو داود (٥٢٠١) من طريق سعيد بن جبير - مختصرًا جدًا - أربعتهم (عبيد الله وعبيد وأبو زميل وسعيد) عن ابن عباس عن عمر به مطولاً ومختصرًا ، ورواية أبى زميل عند مسلم هى التى فيها نزول هذه الآية ﴿ وإذا جاءهم أمر ...﴾.

(٦٤٠) - رواه ابن جرير (١٠٠١١/٨) ، وابن أبى حاتم (٥٧٠٢/٣) وعلى بن أبى طلحة لم يسمع من ابن عباس ، والأثر ذكره فى « الدر المنثور » (٣٣٤/٢) وزاد نسبته إلى ابن المنذر .

(٦٤١) - تفسير عبد الرزاق (١٦٦/١) - ومن طريقه ابن جرير (١٠٠٠٨/٨) وابن أبى حاتم (٥٧٠٢/٣) وإسناده صحيح ورواه ابن جرير أيضًا (١٠٠٠٩/٨) من طريق سويد بن نصر ، أخبرنا ابن المبارك قراءة ، عن سعيد به وإسناده صحيح أيضًا ، وذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٣٣٤/٢) وزاد نسبته إلى ابن المنذر .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في خ : « علىٰ صحته » .   [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٣] - في ز : « استبط » .   [٤] - في ز ، خ : « قعارها » .

كلكم ، واستشهد من نصر هذا القول بقول الطِّرِمَّاح بن حكيم ، في مدح يزيد بن المهلب :

أشم [كثير يُدِيٍّ][١] النوال قليل المثالب والقادحهْ

يعني : لا مثالب له ولا قادحة فيه .

فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴿٨٤﴾ مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴿٨٧﴾

يأمر تعالىٰ عبده ورسوله محمدًا ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، بأن يباشر القتال بنفسه ومن نكل عنه[٢] فلا عليه منه ولهذا قال ﴿ **لا تكلف إلا نفسك** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم(٦٤٢) : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن عمرو بن [زُنَيْج](*) ، حدثنا حكام ، حدثنا الجرّاح الكندي ، عن أبي إسحاق قال : سألت البراء بن عازب ، عن الرجل يلقىٰ مائة[٣] من العدوّ ، فيقاتل ، أيكون ممن قال اللَّه فيه : ﴿ **ولا تلقوا بأيديكم إلىٰ التهلكة** ﴾ قال : قد قال اللَّه تعالىٰ [لنبيه ، صلى الله عليه وسلم][٤] : ﴿ **فقاتل في سبيل اللَّه لا تكلف إلا نفسك**

(٦٤٢) - تفسير ابن أبى حاتم (٥٧٠٤/٣) وإسناده حسن لكلام فى الجراح - وهو ابن الضحاك ابن قيس الكندى - فقد وسمه الحافظ ابن حجر فى « التقريب » بأنه « صدوق » ، لكنه متابع فقد رواه أحمد (٤/ ٢٨١) وابن مردويه من طريق أبى بكر بن عياش . مقرونا به على بن صالح عند ابن مردويه - عن أبى إسحاق به .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « ندي كثير النوادي » وفي خ : كثير النوادي .

[٢] - في ز ، خ : « عليه » .

(*) في ز ، خ : بن نبيح . بدون نقط الاسم الأخير . وهو تحريف . والصواب ما أثبته . وانظر ترجمته في الجرح والتعديل [٣٤/٨] ، تهذيب الكمال [١٩٩/٢٦] .

[٣] - في خ : « المائة » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

وحرّض المؤمنين ﴾ .

ورواه الإمام أحمد ، عن سليمان بن داود ، عن أبي بكر بن عياش ، عن أبي إسحاق قال : قلت للبراء : الرجل يحمل على المشركين ؛ أهو ممن ألقىٰ بيده إلىٰ التهلكة ؟ قال : لا ؛ لأن الله بعث رسوله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وقال : ﴿ **فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك** ﴾ ، إنما ذلك في النفقة .

وكذا رواه ابن مردويه من طريق أبي بكر بن عياش وعلي بن صالح ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، به .

ثم قال ابن مردويه(٦٤٣) : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا أحمد بن النضر العسكري ، حدّثنا مسلم بن عبد الرحمن الجرمي ، حدثنا محمد بن حمير، حدثنا سفيان الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، قال : لما نزلت علىٰ النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا** ﴾ ، قال لأصحابه : « **قد أمرني ربي بالقتال فقاتلوا** » . حديث غريب .

وقوله : ﴿ **وحرض المؤمنين** [ ][١] ﴾ أي : علىٰ القتال ، ورغبهم فيه وشجعهم[٢] عنده ، كما قال لهم ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يوم بدر ، وهو يسوّي الصفوف : « **قوموا إلىٰ جنة عرضها السموات والأرض** »(٦٤٤) .

وقد وردت أحاديث كثيرة في الترغيب في ذلك ، فمن ذلك ما رواه البخاري(٦٤٥) ، عن أبي

(٦٤٣) - وعزاه إلى ابن مردويه السيوطى فى « الدر المنثور » (٣٣٥/٢) ولم أهتد له فى المعاجم الثلاثة لسليمان بن أحمد الطبرانى ، كما أن شيخ الطبرانى وشيخ شيخه لم أجد لهما ترجمة ، وكأن لهذا استغربه المصنف - وباقى الإسناد رجاله رجال « التهذيب » .

(٦٤٤) - جزء من حديث طويل رواه مسلم ، كتاب : الإمارة ، باب : ثبوت الجنة للشهيد (١٤٥) (١٩٠١) ، وأحمد (٣/ ١٣٦، ١٣٧) من حديث أنس بن مالك ، وهو عند أبى داود (٢٦١٨) مختصرًا .

(٦٤٥) - رواه البخارى ، كتاب : الجهاد ، باب : درجات المجاهدين فى سبيل الله (٢٧٩٠) ، وكتاب : التوحيد ، باب : ﴿ وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم ﴾ (٧٤٢٣) من طريق فليح بن سليمان حدثنى هلالٌ عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة مرفوعًا به دون لفظة ، « وآتى الزكاة » . وكان المصنف أورده عند تفسير (آية : ٧٢/سورة التوبة) كالجادة - دون هذه اللفظة - غير أنه عزاه إلى =

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : على القتال . وهو خطأ [٢] - سقط من : ز .

هريرة ؛ قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **من آمن باللَّه ورسوله ، وأقام الصلاة ، وآتىٰ الزكاة ، وصام رمضان ، كان حقًّا علىٰ اللَّه أن يدخله الجنة ، هاجر في سبيل اللَّه ، أو جلس في أرضه التي ولد فيها** » ، قالوا : يا رسول اللَّه ، أفلا نبشر الناس بذلك ؟ فقال : « **إن في الجنة مائة درجة أعدّها اللَّه للمجاهدين في سبيل اللَّه ، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم اللَّه**[١] **فاسألوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة ، [وأعلىٰ الجنة]**[٢] **، وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر أنهار الجنة** » .

وروي من حديث عبادة(٦٤٦) ومعاذ(٦٤٧)

= الصحيحين !! ، وإنما انفرد به البخارى ، وأغرب من ذلك أن يستدركه الحاكم على الشيخين ويوافقه الذهبى « المستدرك » (١/ ٨٠) !!

قال ابن حجر فى « الفتح » (٦/ ١٢) : « قال ابن بطال : لم يذكر الزكاة والحج لكونه لم يكن فرض - قلت - ابن حجر : بل سقط ذكره على أحد الرواة ، فقد ثبت الحج فى الترمذى فى حديث معاذ بن جبل - يأتى تخريجه (٦٥٠) - وقال فيه : « لا أدرى أذكر الزكاة أم لا » ، وأيضًا فإن الحديث لم يذكر لبيان الأركان فكان الاقتصار على ما ذكر إن كان محفوظًا لأنه هو المتكرر غالبًا ، وأما الزكاة فلا تجب إلا على من له مال بشرطه ، والحج فلا يجب إلا مرة على التراخى » .

(٦٤٦) - رواه أحمد (٥/ ٣١٦، ٣٢١) وابن أبى شيبة فى « المصنف » (٨/ ٨٥/ط : دار الفكر وعبد ابن حميد فى « المنتخب » (١٨٢) ، والترمذى فى « الجامع » (٢٥٣١) ، وابن أبى الدنيا فى « صفة الجنة » (رقم ١٨) ، وابن جرير فى تفسيره (١٦/ ٣٧) وابن خزيمة فى « التوحيد » (رقم : ١٥٣) ، والحاكم فى « المستدرك » (١/ ٨٠) والبيهقى فى « البعث والنشور » (رقم ٢٢٦) وأبو نعيم فى « صفة الجنة » (٢/رقم ٢٢٥) . كلهم من طريق همام ابن يحيى ثنا زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار عن عبادة بن الصامت مرفوعًا بلفظ : « الجنة مائة درجة ، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض - وفى رواية ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام - ومن فوقها يكون العرش ، وإن الفردوس من أعلاها درجة ، ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة ، فسلوه الفردوس » . وصحح إسناده الحاكم ، ووافقه الذهبى ، وأقرهما أبو عبد الرحمن الألبانى فسود به حديث رقم (٩٢٢) من « الصحيحة » لكن أعله أبو عيسى الترمذى بالمخالفة ، فانظر الآتى .

(٦٤٧) - رواه أبو عيسى الترمذى فى « الجامع » (٢٥٣٠) وأحمد فى « المسند » (٥/ ٢٤٠) ، والبزار - كما فى « كشف الأستار » (١/رقم ٢٦) - وابن جرير فى « تفسيره » (١٦/ ٣٧، ٣٨) ، والدارمى فى « الرد على الجهمية » (ص١٥) ، وأبو نعيم فى « صفة الجنة » (٢/رقم ٢٢٧) ، من طريق عبد العزيز بن محمد الدراوردى - مقرونًا به محمد بن جعفر عند ابن جرير - ورواه ابن ماجه (٤٣٣١) وأبو نعيم - معلقًا - من طريق حفص بن ميسرة ، وأحمد (٥/ ٢٣٢) من طريق زهير بن محمد ، والبيهقى فى « البعث والنشور » (٢٢٧) من طريق هشام بن سعد ، خمستهم (الدراوردى ، وابن جعفر ، =

[١] - سقط من : ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وأبي الدرداء(٦٤٨) نحو ذلك .

وعن أبي سعيد الخدري(٦٤٩) ، أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « **يا أبا سعيد ، من رضي باللَّه ربًّا وبالإسلام دينًا ، وبمحمد رسولًا و[١] نبيًّا وجبت له الجنة** » . قال : فعجب لها أبو سعيد ، فقال : أعدها عليّ يا رسول اللَّه ؛ ففعل ، ثم قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **وأخرىٰ يرفع اللَّه بها العبد مائة درجة في الجنة ، ما بين كل درجتين كما بين السماء إلى[٢] الأرض** » ، قال : وما هي يا رسول اللَّه ؟ قال : « **الجهاد في سبيل اللَّه** » . رواه مسلم .

وقوله : ﴿ **عسىٰ اللَّه أن يكف بأس الذين كفروا** ﴾ أي : بتحريضك إياهم علىٰ القتال ؛ تنبعث هممهم علىٰ مناجزة الأعداء ، ومدافعتهم عن حوزة الإِسلام وأهله ، ومقاومتهم ومصابرتهم .

= وابن ميسرة وزهير وهشام) عن زيد ابن أسلم عن عطاء بن يسار عن معاذ بن جبل ... الحديث .
قال أبو عيسى : « هكذا رُوِيَ هذا الحديث عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن معاذ بن جبل ، وهذا عندى أصح من حديث همام عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبادة بن الصامت - وهو السابق - وعطاء لم يُدْرِك معاذ بن جبل ، ومعاذ قديم الموت ، مات فى خلافة عمر » وأعله بالانقطاع أيضًا البزار فقال عقبة : « لا نعلمه بهذا اللفظ إلا عن معاذ ، ولا نعلم لعطاء منه سماعًا » ، وذكره الهيثمى فى « المجمع » (١/ ٥١، ٥٢) وقال : « رواه البزار ، وهو من رواية عطاء بن يسار عن معاذ ، ولم يسمع منه » وبهذا أعله أيضًا الحافظ ابن حجر فى « الفتح » (١٢/٦) وأبو عبد الرحمن الألبانى - كما فى « الصحيحة » (١٩١٣/٤) - لكنه أجاب عن العلة الأولى التى أشار إليها الترمذى بأن : « همام بن يحيى ثقة محتج به فى الصحيحين ، فيمكن أن يكون لعطاء فيه إسنادان : أحدهما عن عبادة ، حفظه هو ، والآخر : عن معاذ حفظه الجماعة ، فلا تعارض . ومما يؤيد هذا أن البخارى أخرجه - تقدم (٦٤٨) - من طريق هلال بن على عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة مرفوعًا به . فهذا إسناد ثالث لعطاء ، فالجمع أولى من تخطئة ثقتين ، وقد أشار الحافظ ابن حجر إلى هذا الجمع ، كما فى نقل المباركفورى عنه ، والله أعلم » راجع « الصحيحة » (١/ح٩٢٢) .

(٦٤٨) - رواه النسائى فى « سننه » (٢٠/٦) وفى « عمل اليوم والليلة » (١١٢٧) ، وإسناده حسن وأشار له الحافظ ابن حجر فى « الفتح » (١٢/٦) وزاد عزوه إلى الطبرانى .

(٦٤٩) - رواه مسلم فى « صحيحه » ، كتاب : الإمارة ، باب : بيان ما أعده الله تعالى للمجاهد فى الجنة ١١٦ - (١٨٨٤) وأبو داود ، كتاب : الصلاة ، باب : فى الاستغفار (١٥٢٩) ، والنسائى ، كتاب : الجهاد ، باب : درجة المجاهد فى سبيل الله - عز وجل - (١٩/٦) وفى « عمل اليوم والليلة » (٩٨٣٣، ٩٨٣٤) وأحمد فى « المسند » (١٤/٣) .

---

[١] - سقط من : ز . [٢] - في ت : «و» .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **والله أشدّ بأسًا وأشدّ تنكيلًا** ﴾ أي : هو قادر عليهم في الدنيا والآخرة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم** ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ **من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها** ﴾ أي : من سعىٰ[١] في أمر ، فترتَّب عليه خير ، كان له نصيب من ذلك ، ﴿ **ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها** ﴾ أي : يكون عليه وزر من ذلك الأمر الذي ترتب علىٰ سعيه ونيته ، كما ثبت في الصحيح(٦٥٠) أن[٢] النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، [قال][٣] : « **اشفعوا تؤجروا**[٤] ، **ويقضي الله علىٰ لسان نبيه ما شاء** » .

وقال مجاهد بن جَبْر[٥] : نزلت هذه الآية في شفاعات الناس بعضهم لبعض .

وقال الحسن البصري : قال الله تعالىٰ : ﴿ **من يشفع** ﴾ ولم يقل : من يشفَّع .

وقوله : ﴿ **وكان الله علىٰ كل شيء مقيتًا** ﴾ قال ابن عباس وعطاء وعطية وقتادة ومطر الوراق : ﴿ **مقيتًا** ﴾ أي : حفيظًا ، وقال مجاهد : شهيدًا ، وفي رواية عنه : حسيبًا . وقال سعيد[٦] بن جبير والسدي وابن زيد : قديرًا ، وقال عبد الله بن كثير : المقيت : الواصب[٧] ، وقال الضحاك : المقيت : الرزاق .

وقال ابن أبي حاتم(٦٥١) : حدثنا أبي ، حدثنا عبد الرحيم بن مطرف ، حدثنا عيسىٰ بن

(٦٥٠) - رواه البخارى ، كتاب : الزكاة ، باب : التحريض على الصدقة والشفاعة فيها (١٤٣٢) ، ومسلم ، كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام ١٤٥ (٢٦٢٧) ، وأبو داود ، كتاب : الأدب ، باب : فى الشفاعة (٥١٣١) ، والترمذى ، كتاب : العلم ، باب : ما جاء الدال على الخير كفاعله (٢٦٧٢) ، والنسائى ، كتاب : الزكاة ، باب : الشفاعة فى الصدقة (٥/ ٧٧ ، ٧٨) ، وأحمد (٤/ ٤٠٠) من حديث أبى موسى الأشعرى .

(٦٥١) - تفسير ابن أبى حاتم (٣/ ٥٧٢٠) ورواه ابن المنذر ( ) كما فى « الدر المنثور » (٢/ ٣٣٦) ولم يعزه لغيرهما - من طريق عيسى بن يونس به وإسناده فيه جهالة ، وإسماعيل يحتمل أن يكون « ابن عياش » .

[١] - في خ : « يسعى » .
[٢] - في خ : « عن » .
[٣] - في خ : أنه قال .
[٤] - في ز ، خ : « فلتؤجروا » .
[٥] - في ز : « جبير » .
[٦] - سقط من : ت .
[٧] - في ز : « المواضب » وهو تحريف صوبناه عن تفسير الطبري . والواصب : هو من يحسن تدبير الأمور والقيام عليها .

يونس ، عن إسماعيل ، عن رجل ، عن عبد الله بن رواحة ، وسأله رجل عن قول الله تعالىٰ : ﴿ **وكان الله علىٰ كل شيء مقيتًا** ﴾ قال : يقيت كل[١] إنسان بقدر[٢] عمله .

وقوله : ﴿ **وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها** ﴾ أي : إذا سلم عليكم المسلم ، فردوا عليه أفضل مما سلم ، أو ردوا عليه بمثل ما سلم[٣] ، فالزيادة مندوبة ، والمماثلة مفروضة .

قال ابن جرير(٦٥٢) : حدثنا موسىٰ بن سهل الرملي ، حدّثنا عبد الله بن السري الأنطاكي ، حدثنا هشام بن لاحق ، عن عاصم الأحول ، عن أبي عثمان النهدي ، عن سلمان الفارسي ، قال : جاء رجل إلىٰ النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال : السلام عليك يا رسول الله ، فقال : « **وعليك[٤] السلام ورحمة الله** » . ثم أتى آخر ، فقال : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله ، فقال [له][٥] رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **وعليك السلام ورحمة الله وبركاته** » ، ثم جاء آخر فقال : السلام عليك [يا رسول الله][٦] ورحمة الله وبركاته ،

(٦٥٢) - تفسير ابن جرير (١٠٠٤٤/٨) وعلقه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥٧٢٦/٣) من طريق عبد الله بن السرى به ، ورواه أحمد في « الزهد » كما في « الدر المنثور » للسيوطي (٣٣٦/٢) ولم أجده في « كتاب الزهد » المطبوع ، ومن طريقه الطبراني في « المعجم الكبير » (٦١١٤/٦) والدارقطني ، ومن طريق الدارقطني ابن الجوزي في « العلل المتناهية » (١١٦٩/٢) وابن مردويه كما ذكره المصنف - ثنا هشام بن لاحق به ، وحسن إسناده السيوطي : مع أن هشام بن لاحق لا يحتمل تفرده بمثل هذا المتن ، فقد قال الهيثمي في « المجمع » (٣٦/٨) : « رواه الطبراني ، وفيه هشام بن لاحق ، قواه النسائي ، وترك أحمد حديثه ، وبقية رجاله رجال الصحيح » ، وقال ابن الجوزي : « هذا حديث لايصح ، قال أحمد : تركت حديث هشام بن لاحق ، قال ابن حبان : لا يجوز الاحتجاج به » لا سيما في روايته عن عاصم (فقد ذكره العقيلي في « الضعفاء » (٣٣٧/٤) ، ونقل عن أحمد قال : حدثنا هشام ابن لاحق أبو عثمان المَدَائني ، حدثنا عاصم ، فذكر حديثًا ثم قال : كتبت عنه أحاديث عن عاصم رفعها لا يرفعها الناس ، وقال العقيلي والساجي : قال البخاري : هو مضطرب الحديث ، عنده مناكير ، أنكر شبابة أحاديثه ، قال الساجي : وهو لا يتابع ، وقال ابن عدي : « أحاديثه حسان ، وأرجو أنه لا بأس به » ، وذكره ابن حبان أيضًا في « الثقات » ، فقال : « يروى عن عاصم - وعنه أحمد بن هشام بن بهرام نسخة في القلب من بعضها ») راجع « اللسان » لابن حجر (٩٠١٢/٦) .

فائدة : أشار ابن حجر في « الفتح » (٤٦/١١) إلى هذا الحديث ، وعزاه إلى الطبراني في « الأوسط » !! ولم أجده فيه ، ولم يعزه الهيثمي ، والسيوطي إلا « للمعجم الكبير » والله أعلم .

[١] - في ت : « لكل » .
[٢] - في خ : « على قدر » .
[٣] - في خ : « به » .
[٤] - في ت : « وعليكم » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

فقال له : « **وعليك** » فقال له الرجل : يا نبي اللَّه ؛ بأبي أنت وأمي ، أتاك فلان وفلان فسلما عليك ، فرددت عليهما أكثر مما رددت عليَّ ، فقال : « **إنك لم تدع لنا شيئًا . قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ﴾ فرددناها عليك** » .

وهكذا رواه ابن أبي حاتم معلقًا ، فقال : ذكر عن أحمد بن الحسن الترمذي ، حدثنا عبد اللَّه بن السري - أبو محمد الأنطاكي - قال أبو الحسن - وكان رجلًا صالحًا - : حدثنا هشام بن لاحق . . . فذكر بإسناده مثله .

ورواه أبو بكر بن مردويه : حدثنا عبد الباقي بن قانع ، حدثنا عبد اللَّه بن أحمد بن حنبل ، حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن لاحق - أبو عثمان - فذكره مثله ، ولم أره في المسند ، واللَّه أعلم .

وفي هذا الحديث دلالة علىٰ أنه لا زيادة في السلام علىٰ هذه الصفة : السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته ، إذ لو شرع أكثر من ذلك لزاده رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم .

وقال الإمام أحمد(٦٥٣) : حدثنا محمد بن كثير - أخي[١] سليمان بن كثير - حدثنا جعفر ابن سليمان ، عن عوف ، عن أبي رجاء العطاردي ، عن عمران بن حصين ، أن رجلًا جاء إلىٰ رسول اللَّه ﷺ فقال : السلام عليكم ، فرد عليه ، ثم جلس فقال : « **عشر** » ، ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة اللَّه ، فرد عليه ، ثم جلس فقال[٢] : [« **عشرون** » ، ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته ، فرد عليه السلام ، ثم جلس][٣]

(٦٥٣) - « المسند » (٤/ ٤٣٩، ٤٤٠) وعنه النسائى فى « عمل اليوم والليلة » (٣٣٧) ومن « الكبرى » (٦/١٠١٦٩) - ورواه أبو داود ، كتاب : الأدب ، باب : كيف السلام (٥١٩٥) والدارمى فى « سننه » (٢/ح٢٦٤٣) - ومن طريقه وطريق غيره الترمذى فى « الجامع » كتاب : الاستئذان ، باب : ما ذكر فى فضل السلام (٢٦٨٩) - والبزار فى « مسنده » (٩/٣٥٨٨/ البحر الزخار) ، والطبرانى فى « المعجم الكبير » (١٨/ح٢٨٠) ، والبيهقى فى « الشعب » (٦/٨٨٧٠) ، كلهم من طريق محمد بن كثير وهو أبو عبد الله العبدى ثقة ، ووهم ابن الجوزى فظنه أبا إسحاق القرشى الكوفى فأعل الحديث به !! ومن طريقه ابن الجوزى فى « العلل المتناهية » (٢/١١٩٤) به .

ورواه ابن أبى الدنيا - ومن طريقه البيهقى - ثنا إبراهيم بن محمد بن عرعرة نا جعفر بن سليمان قال البزار : « وهذا الحديث قد روى نحو كلامه عن النبى - صلى اللَّه عليه وسلم - من وجوه ، وأحسن إسناد يروى فى ذلك عن النبى - صلى اللَّه عليه وسلم - هذا الإسناد ، وإن كان قد رواه من هو=

[١] - كذا . [٢] - سقط من : خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

فقال[١] : « **ثلاثون** » .

وكذا رواه أبو داود ، عن محمد بن كثير ، وأخرجه الترمذي والنسائي والبزار من حديثه ، ثم قال الترمذي : حسن غريب من هذا الوجه ، وفي الباب عن أبي سعيد، وعلي(٦٥٤) ، وسهل بن حنيف(٦٥٥) .

وقال البزار : قد روي هذا عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، من وجوه هذا أحسنها إسنادًا .
وقال ابن أبي حاتم(٦٥٦) : حدثنا علي بن حرب الموصلي ، حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي ، عن الحسن بن صالح ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه ؛ وإن كان مجوسيًا ؛ ذلك بأن الله يقول : ﴿ **فحيوا بأحسن منها أو ردوها** ﴾ .

وقال قتادة : ﴿ **فحيوا بأحسن منها** ﴾ يعني للمسلمين[٢] ، ﴿ **أو ردوها** ﴾ يعني لأهل الذمة .

وهذا التنزيل فيه نظر ، كما تقدم في الحديث ، من أن المراد أن يرد بأحسن مما حياه به ، فإن

= أجل من عمران فإسناد عمران حسن » . وقال أبو عيسى : « حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ...» وقوى إسناده ابن حجر فى « الفتح » (٦/١١) وحسن إسناده من هذا الوجه البيهقى أيضًا وذلك لكلام فى جعفر بن سليمان ، ففى « التقريب » : « صدوق زاهد ، لكنه كان يتشيع ...» .

(٦٥٤) - ذكره الهيثمى فى « المجمع » (٨/ ٣٣، ٣٤) وقال : « رواه البزار ، وفيه مختار بن نافع التيمى ، وهو ضعيف ، وفيه عبيد بن إسحاق العطار ، وهو متروك » وذكره ابن حجر فى « الفتح » (٦/١١) وعزاه إلى أبى نعيم فى « عمل اليوم والليلة » .

(٦٥٥) - رواه الطبرانى فى « المعجم الكبير » (٦/ح٥٥٦٣) ، والبيهقى فى « الشعب » (٨٨٧٥/٦) وأشار إليه الحافظ ابن حجرفى « الفتح » (٦/١١) وضعف إسناده إذ إنه من رواية موسى بن عبيدة الربذى : وهو ضعيف ، وبه أعله الهيثمى فى « المجمع » (٣٤/٨) : ولم يعزه السيوطى فى « الدر المنثور » (٣٣٧/٢) لغير البيهقى .
وفى الباب عن أبى هريرة عند البخارى فى « الأدب المفرد » (٩٨٦) وصححه أبو حاتم بن حبان (١/ ٤٩٣/ إحسان) ، وعن ابن عمر ومالك بن التيهان وفى إسنادهما مقال انظر « المجمع » (٣٤/٨) و « الفتح » .

(٦٥٦) - تفسير ابن أبى حاتم (٥٧٢٩/٣) ولم يعزه السيوطى فى « الدر المنثور » (٢/ ٣٣٧، ٣٣٨) لغيره ، ورواية سماك عن عكرمة مضطربة كما قال ابن المديني وغيره ، ومع هذا فقد جزم بنسبته إلى ابن عباس الحافظ فى « الفتح » (٤٢/١١) !! .

[١] - سقط من : ز . [٢] - في ز : « المسلمين » .

بلغ المسلم غاية ما شرع في السلام ، رد عليه مثل ما قال ، فأما أهل الذمة فلا يبدءون بالسلام ، ولا يزادون ، بل يرد عليهم بما ثبت في الصحيحين(٦٥٧) ، عن ابن عمر أن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال : « **إذا سلم عليكم اليهود ، فإنما يقول أحدهم السام عليك فقل : وعليك**[١] » .

وفي صحيح مسلم(٦٥٨) عن أبي هريرة أن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال : « **لا تبدءوا اليهود والنصارىٰ بالسلام ، وإذا لقيتموهم في طريق فاضطروهم إلىٰ أضيقه** » .

وقال سفيان الثوري(٦٥٩) : عن رجل ، عن الحسن البصري قال : السلام تطوّع ، والرد فريضة .

وهذا الذي قاله هو قول العلماء قاطبة : إن الرد واجب علىٰ من سلم عليه ؛ فيأثم إن لم يفعل لأنه خالف أمر اللّٰه في قوله ﴿ **فحيوا بأحسن منها أو ردوها** ﴾ وقد جاء في الحديث الذي رواه[٢] [أبو داود بسنده(٦٦٠) إلىٰ أبي هريرة ، قال : قال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **والذي نفسي بيده ، لا تدخلوا الجنة حتىٰ تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتىٰ تحابوا ، أفلا أدلكم علىٰ أمر إذا فعلتموه تحاببتم ؛ أفشوا السلام بينكم**[٣] » .

(٦٥٧) - رواه البخارى ، كتاب : الاستئذان ، باب : كيف الردُّ على أهل الذِّمة بالسلام (٦٢٥٧) ، ومسلم ، كتاب : السلام ، باب : النهى عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام .. ٨، ٩ - (٢١٦٤) ، وأبو داود ، كتاب : الأدب ، باب : فى السلام على أهل الذمة (٥٢٠٦) ، والترمذى ، كتاب : السير ، باب : ما جاء فى التسليم على أهل الكتاب (١٦٠٣) ، والنسائى فى « عمل اليوم والليلة » (٣٧٨- ٣٨٠) من طرق عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر به . وفى لفظه الرد على اليهود بـ « عليك » أو « عليكم » تحرير انظره فى « الفتح » لابن حجر (١١/ ٤٣، ٤٤) .

(٦٥٨) - صحيح مسلم ، كتاب : السلام ، باب : النهى عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام (١٣ - ٢١٦٧) وكذا رواه أحمد (٢/٢٦٣/ ومواضع أخر) وأبو داود (٥٢٠٥) والترمذى (١٦٠٢، ٢٧٠٠) .

(٦٥٩) - رواه ابن جرير (٨/١٠٠٤٦) وفى إسناده جهالة ، لكن رواه البخارى فى « الأدب المفرد » (١٠٤٠) بإسناد صحيح ، ولم يعزه السيوطى فى « الدر المنثور » (٢/٣٣٨) لغيرهما .

(٦٦٠) - رواه أبو داود ، كتاب : الأدب ، باب : فى إفشاء السلام (٥١٩٣) واقتصار المصنف على عزوه لأبى داود تقصير !! فقد رواه مسلم فى صحيحه ، كتاب : الإيمان ، باب : بيان أنه لا يدخل الجنة =

[١] - قال الإمام الخطابي عند شرحه لقوله صلى اللّٰه عليه وسلم : « فقولوا : وعليكم » : « هكذا يرويه عامة المحدثين « وعليكم » بالواو ، وكان سفيان بن عيينة يرويه : « عليكم » بحذف الواو ، وهو الصواب . وذلك : أنه إذا حذف الواو صار قولهم الذي قالوه بعينه مردودًا عليهم ، وبإدخال الواو يقع الاشتراك معهم والدخول فيما قالوه ؛ لأن الواو حرف للعطف والجمع بين الشيئين . معالم السنن [٨/٧٥] .

[٢] - سقط من : خ . [١] -مكانها بياض في ز ، وسقط من : خ .

وقوله[١] ﴿ الله لا إله إلا هو ﴾ إخبار بتوحيده ، وتفرده بالإلهية لجميع المخلوقات ، وتضمن قسمًا لقوله : ﴿ ليجمعنكم إلىٰ يوم القيامة لا ريب فيه ﴾ وهذه اللام موطئة للقسم ، فقوله : ﴿ الله لا إله إلا هو ﴾ خبر وقسم أنه سيجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد ؛ فيجازي كل عامل بعمله .

وقوله تعالىٰ : ﴿ ومن أصدق من الله حديثًا ﴾ أي : لا أحد أصدق منه في حديثه وخبره ووعده ووعيده ، فلا إله إلا هو ، ولا رب سواه .

۞ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾

يقول تعالىٰ منكرًا علىٰ المؤمنين ، في اختلافهم في المنافقين علىٰ قولين : واختلف في سبب ذلك ، فقال الإمام أحمد(٦٦١) : حدثنا بهز ، حدثنا شعبة ، قال عدي بن ثابت : أخبرني

= إلا المؤمنون (٩٣، ٩٤) (٥٤) ، والترمذى ، كتاب : الاستئذان ، باب : ما جاء فى إفشاء السلام (٢٦٦٨) ، وابن ماجه فى المقدمة ، باب : فى الإيمان (٦٨) ، وفى الأدب ، باب : فى إفشاء السلام (٣٦٩٢) ، وأحمد (٢/ ٣٩١، ٤٤٢، ٤٧٧، ٤٩٥، ٥١٢) .

(٦٦١) - « المسند » (٥/ ١٨٤، ١٨٧) ، ورواه أيضًا (٥/ ١٨٨، ٢٨٧) ، والبخارى ، كتاب : =

[١] - مكانها بياض في ز .

[ ][١] عبد اللَّه بن يزيد عن زيد بن ثابت ، أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، خرج إلىٰ أحد ، فرجع ناس خرجوا معه ، فكان أصحاب رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فيهم فرقتين : فرقة تقول : نقتلهم ، وفرقة تقول : لا [هم المؤمنون][٢] ، فأنزل اللَّه : ﴿ **فمالكم في المنافقين فئتين** ﴾ ، فقال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إنها طيبة ، وإنها تنفي الخبث ، كما تنفي النار خبث الفضة** » .

أخرجاه في الصحيحين ، من حديث شعبة .

وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار في وقعة أحد : أن عبد اللَّه بن أبي ابن سلول رجع يومئذ بثلث الجيش ، رجع بثلاثمائة ، وبقي النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، في سبعمائة .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : نزلت في قوم كانوا بمكة ، قد تكلموا بالإسلام ، وكانوا يظاهرون المشركين ، فخرجوا من مكة يطلبون حاجة لهم ، فقالوا : إن لقينا أصحاب محمد فليس علينا منهم بأس ، وإن المؤمنين لما أخبروا أنهم قد خرجوا من مكة ، قالت فئة من المؤمنين : اركبوا إلىٰ الجبناء فاقتلوهم ؛ فإنهم يظاهرون عليكم عدوكم . وقالت فئة أخرىٰ من المؤمنين : سبحان اللَّه ! أو كما قالوا ، أتقتلون قومًا قد تكلموا بمثل ما تكلمتم به ؟ ، أمن أجل أنهم لم يهاجروا ولم يتركوا ديارهم ، نستحل دماءهم وأموالهم ، فكانوا كذلك فئتين ، والرسول عندهم لا ينهىٰ واحدًا[٣] من الفريقين عن شيء ، فأنزل اللَّه[٤] : ﴿ **فما لكم في المنافقين فئتين** ﴾ .

رواه ابن أبي حاتم(٦٦٢) ، وقد روي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، وعكرمة ، ومجاهد ، والضحاك ، وغيرهم : قريب من هذا .

= فضائل المدينة (١٨٨٤) - وانظر أطرافه ثمة - ومسلم ، كتاب : الحج ، باب : المدينة تنفى شرارها (٤٩٠) (١٣٨٤) ، كتاب : صفات المنافقين وأحكامهم (٦) (٢٧٧٦) ، والترمذى : كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة النساء (٣٠٢٨) ، والنسائى فى التفسير من « الكبرى » (٦/١١١٣) ، من طرق عن شعبة ، وفى بعض ألفاظه خلاف تجده محررًا فى « الفتح » (٤/٩٧) .

(٦٦٢) - تفسير ابن أبى حاتم (٣/٥٧٤١) وكذا رواه ابن جرير (٩/١٠٠٥٤) بإسناد مسلسل بالضعفاء أولهم عطية العوفى راويه عن ابن عباس .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « عن » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - بعده في خ : « منهم » .

[٤] - في خ : « فنزلت » .

وقال زيد بن أسلم(٦٦٣) ، عن ابنٍ لسعد بن معاذ : إنها نزلت في تقاول الأوس والخزرج في شأن عبد اللّٰه بن أبي ، حين استعذر منه رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، علىٰ المنبر في قضية الإفك .

وهذا غريب ، وقيل غير ذلك .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **والله أركسهم بما كسبوا** ﴾ أي : ردهم وأوقعهم في الخطأ .

قال ابن عباس(٦٦٤) : ﴿ **أركسهم** ﴾ أي : أوقعهم . وقال قتادة : أهلكهم ، وقال السدي : أضلهم .

وقوله : ﴿ **بما كسبوا** ﴾ أي : بسبب عصيانهم ومخالفتهم الرسول ، واتباعهم الباطل .

﴿ **أتريدون أن تهدوا من أضل اللّٰه ومن يضلل اللّٰه فلن تجد له سبيلاً** ﴾ أي : لا طريق له إلى الهدىٰ ، ولا مخلص له إليه .

[ثم قال][١] : ﴿ **ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء** ﴾ أي : هم يودون لكم الضلالة لتستووا أنتم وإياهم فيها ، وما ذاك إلا لشدة عداوتهم وبغضهم لكم ، ولهذا قال : ﴿ **فلا تتخذوا منهم أولياء حتىٰ يهاجروا في سبيل اللّٰه فإن تولوا** ﴾ أي : تركوا الهجرة ، قاله العوفي ، عن[٢] ابن عباس . وقال السدي : أظهروا كفرهم ﴿ **فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليًا ولا نصيرًا** ﴾ أي : لا توالوهم ، ولا تستنصروا بهم علىٰ [أعداء اللّٰه][٣] ما داموا كذلك .

ثم استثنىٰ له[٤] سبحانه من هؤلاء ، فقال : ﴿ **إلا الذين يصلون إلىٰ قوم بينكم وبينهم ميثاق** ﴾ أي : إلا الذين لجئوا وتحيزوا إلىٰ قوم بينكم وبينهم مهادنة ، أو عقد ذمة ،

---

(٦٦٣) - رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/٥٧٤٠) وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٢/٣٤٠) إلى سعيد بن منصور وابن المنذر . ورواه ابن جرير (٩/ ١٠٠٥٩، ١٠٠٦٠) من كلام زيد بن أسلم .

(٦٦٤) - رواه ابن جرير (٩/١٠٠٦٢) وابن أبي حاتم (٣/٥٧٤٥) من طريق على بن أبي طلحة عنه به ، ورواه عطاء الخراساني عنه بلفظ : « ردّهم » ، ورواه ابن جرير (٩/١٠٠٦١) وعلى وعطاء لم يسمعا من ابن عباس .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : «وقوله».

[٢] - في خ : «و».

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « الأعداء » .

[٤] - في خ : « الله » .

فاجعلوا[١] حكمهم كحكمهم ، وهذا قول السدي وابن زيد وابن جرير .

وقد روىٰ ابن أبي حاتم(٦٦٥) : حدثنا أبي ، حدثنا أبو سلمة ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن الحسن ، أن سراقة بن مالك المدلجي حدثهم ، قال : لما ظهر النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، علىٰ أهل بدر وأحد ، وأسلم من حولهم ، قال سراقة : بلغني أنه يريد أن يبعث خالد ابن الوليد إلىٰ قومي بني مدلج ، فأتيته ، فقلت : أنشدك النعمة ، فقالوا : صه . فقال النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **دعوه ، ما تريد ؟** » قال : بلغني أنك تريد أن تبعث إلىٰ قومي ، وأنا أريد أن توادعهم ؛ فإن أسلم قومك أسلموا ودخلوا في الإسلام ، وإن لم يسلموا لم تخشن[٢] قلوب[٣] قومك عليهم . فأخذ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، بيد خالد بن الوليد ، فقال : « **اذهب معه فافعل ما يريد** » . فصالحهم خالد علىٰ أن لا يعينوا علىٰ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وإن أسلمت قريش أسلموا معهم ، فأنزل اللَّه : ﴿ **ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء** ﴾ .

ورواه ابن مردويه من طريق حماد بن سلمة ، وقال : فأنزل اللَّه : ﴿ **إلا الذين يصلون إلىٰ قوم بينكم وبينهم ميثاق** ﴾ . فكان من وصل إليهم كانوا معهم علىٰ عهدهم ، وهذا أنسب لسياق الكلام .

وفي صحيح البخاري(٦٦٦) ، في قصة صلح الحديبية ، فكان من أحب أن يدخل في صلح قريش وعهدهم ، ومن أحب أن يدخل في صلح محمد ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وأصحابه وعهدهم .

---

(٦٦٥) - تفسير ابن أبى حاتم (٣/٥٧٥٠) ، ورواه ابن أبى شيبة فى « المصنف » (٨/٤٥٨) ثنا أسود بن عامر ثنا حماد بن سلمة به ورواه ابن مردويه - كما قال المصنف هنا - من حديث حماد بن سلمة به ، وأشار إلى هذه الرواية الحافظ فى « الفتح » (٧/٢٤٢) ، وزاد عزوه السيوطى فى « الدر المنثور » (٢/ ٣٤٢) إلى أبى نعيم فى « الدلائل » ولم أجده من هذا الوجه عنده . والخبر إسناده ضعيف ، لضعف ابن جدعان ، وعنعنة الحسن ، وفى « جامع التحصيل » للعلائى (ص١٦٣) : « قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : سئل أبى سمع الحسن من سراقة ؟ قال : لا ، هذا على بن زيد - هو ابن جدعان يعنى يرويه - كأنه لم يقنع به . وقال ابن المدينى : هو إسناد ينبو عنه القلب أن يكون الحسن سمع من سراقة ، إلا إن عنى حدثهم حدث الناس فهذا أشبه » .

(٦٦٦) - صحيح البخارى ، كتاب : الشروط ، باب : الشروط فى الجهاد (٢٧٣١، ٢٧٣٢) .

---

[١] - في ز ، خ : « فافعلوا » .

[٢] - في ز : « تحسن » ، خ : « تخش » .

[٣] - في خ : « بقلوب » .

وقد روي عن ابن عباس(٦٦٧) أنه قال : نسخها قوله : ﴿ **فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم** ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ **أو جاءوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم** ﴾ الآية ، هؤلاء قوم آخرون من المستثنين من[١] الأمر بقتالهم ، وهم الذين يجيئون إلىٰ المصاف ، وهم حصرة صدورهم أي : ضيقة صدورهم ، مبغضين أن يقاتلوكم ، ولا يهون عليهم أيضًا أن يقاتلوا قومهم معكم ، بل هم لا لكم ولا عليكم . ﴿ **ولو شاء اللّٰه لسلطهم عليكم فلقاتلوكم** ﴾ أي : من لطفه بكم أن كفهم عنكم ، ﴿ **فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم** ﴾ ، أي : المسالمة ؛ ﴿ **فما جعل اللّٰه لكم عليهم سبيلًا** ﴾ أي : فليس لكم أن تقاتلوهم[٢] ما دامت حالهم كذلك وهؤلاء كالجماعة الذين خرجوا يوم بدر من بني هاشم مع المشركين ، فحضروا القتال وهم كارهون ، كالعباس ونحوه ؛ ولهذا نهىٰ النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، يومئذ عن قتل العباس ، وأمر بأسره(٦٦٨) .

وقوله : ﴿ **ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها** ﴾ ، هؤلاء في الصورة الظاهرة كمن[٣] تقدمهم ، ولكن نية هؤلاء غير نية أولئك ؛ فإن هؤلاء قوم[٤] منافقون ، يظهرون للنبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، ولأصحابه الإسلام ليأمنوا بذلك عندهم علىٰ دمائهم وأموالهم وذراريهم ، ويصانعون الكفار في الباطن ، فيعبدون معهم ما يعبدون ؛ ليأمنوا بذلك عندهم ، وهم في الباطن مع أولئك ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإذا خلوا إلىٰ شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون** ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ **كلما ردوا إلىٰ الفتنة أركسوا فيها** ﴾ أي : انهمكوا فيها .

وقال السدي : الفتنة هاهنا الشك[٥] . وحكىٰ ابن جرير ، عن مجاهد ، أنها نزلت في قوم من أهل مكة ، كانوا يأتون النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فيسلمون رياءً ، ثم يرجعون إلىٰ قريش ، فيرتكسون في الأوثان ، يبتغون بذلك أن يأمنوا هاهنا وهاهنا ، فأمر بقتلهم[٦] إن لم يعتزلوا ويصلحوا ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم** ﴾ ،

---

(٦٦٧) - رواه ابن أبي حاتم (٥٧٥٦/٣) بإسناد فيه ضعف وانقطاع .

(٦٦٨) - انظر تخريجه في الرحيق المختوم بتحقيقنا .

---

[١] - في ز : « عن » .

[٢] - في خ : « تقتلوهم » .

[٣] - في ز : « لمن » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في الطبري : « الشرك » .

[٦] - في ز : « باتقائهم » .

[المهادنة والصلح][١] ، ﴿ **ويكفوا أيديهم** ﴾ أي : عن القتال ﴿ **فخذوهم** ﴾ أسراء ، ﴿ **واقتلوهم حيث ثقفتموهم** ﴾ أي : أين لقيتموهم ﴿ **وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانًا مبينًا** ﴾ ، أي : بينا واضحًا .

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾

يقول تعالىٰ ، ليس لمؤمن أن يقتل أخاه المؤمن بوجه من الوجوه ، كما ثبت في الصحيحين(٦٦٩) عن ابن مسعود ، أن رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، قال : « **لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا اللّه ، وأني رسول اللّه ، إلا بإحدىٰ ثلاث : النفس بالنفس ، والثيب الزاني ، والتارك لدينه المفارق للجماعة** » .

ثم إذا وقع شيء من هذه الثلاث ، فليس لأحد من آحاد الرعية أن يقتله ، وإنما ذلك إلىٰ الإمام أو نائبه .

(٦٦٩) - رواه البخاري ، كتاب : الديات ، باب : قول الله تعالى : ﴿ أَنَّ النفس بالنفس ...﴾ (٦٨٧٨) ، ومسلم ، كتاب : القسامة والمحاربين ...، باب : ما يباح به دم المسلم (٢٥، ٢٦) (١٦٧٦) ، وأبو داود ، كتاب : الحدود ، باب : الحكم فيمن ارتد (٤٣٥٢) ، والترمذي : كتاب : الديات ، باب : ما جاء لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث (١٤٠٢) ، والنسائي ، كتاب : تحريم الدم ، باب : ما يحل به دم المسلم (٩٠/٧) ، وابن ماجة ، كتاب : الحدود ، باب : لا يحل دم امرئ مسلم إلا في ثلاث (٢٥٣٤) ، وأحمد (٣٨٢/١ / ومواضع أخر) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وقوله : ﴿ إلا خطأ ﴾ قالوا : هو استثناء منقطع ، كقول الشاعر :

من البيض لم تظعن[١] بعيدًا ولم تطأ على الأرض إلا رَيْط بُرْدٍ مُرَحَّل[٢]

ولهذا شواهد كثيرة . واختلف في سبب نزول هذه ، فقال مجاهد وغير واحد(٦٧٠) : نزلت في عياش بن أبي ربيعة - أخي أبي جهل لأمه - وهي أسماء بنت مُخَرِّبة ، وذلك أنه قتل رجلًا كان[٣] يعذبه مع أخيه على الإسلام ، وهو الحارث بن يزيد العامري ، فأضمر له عياش السوء ، فأسلم ذلك الرجل وهاجر ، وعياش لا يشعر ، فلما كان يوم الفتح رآه فظن أنه على دينه ؛ فحمل عليه فقتله فأنزل الله هذه الآية .

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم(٦٧١) : نزلت في أبي الدرداء ؛ لأنه قتل رجلًا ، وقد قال كلمة الإسلام[٤] حين رفع عليه[٥] السيف ، فأهوى به إليه ، فقال كلمته ، فلما ذكر ذلك للنبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : إنما قالها متعوذًا ، فقال له : « **هلا شققت عن قلبه ؟!** » .

وهذه القصة في الصحيح(٦٧٢) لغير أبي الدرداء .

وقوله : ﴿ **ومن قتل مؤمنًا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله** ﴾ هذان واجبان[٦] في قتل الخطأ : أحدهما الكفارة لما ارتكبه من الذنب العظيم وإن كان خطأ ، ومن شرطها أن تكون عتق رقبة مؤمنة ، فلا تجزئ الكافرة .

وحكى ابن جرير ، عن ابن عباس والشعبي ، وإبراهيم النخعي والحسن البصري أنهم قالوا : لا يجزئ الصغير ، حتى يكون قاصدًا للإيمان . وروى(٦٧٣) من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن

(٦٧٠) - كعكرمة وسعيد بن جبير والقاسم بن محمد والسدى ، انظر هذه الآثار عند ابن جرير (٩/ ٣٢، ٣٣) ، وابن أبى حاتم (٣/ ص١٠٣١) و « الدر المنثور » للسيوطى (٢/ ٣٤٤، ٣٤٥) .

(٦٧١) - رواه ابن جرير (١٠٠٩٣/٩) حدثنى يونس أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فذكره ، وهذا مرسل ، وذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٣٤٥/٢) ولم يعزه لغير ابن جرير .

(٦٧٢) - أخرجه البخارى ، كتاب : المغازى ، باب : بعث النبى - صلى الله عليه وسلم - أسامة بن زيد إلى الحُرقان من جهينة (٤٢٦٩) ، ومسلم : كتاب : الإيمان ، باب : تحريم قتل الكافر بعد أن قال : لا إله إلا الله (١٥٨ ، ١٥٩) (٩٦) ، وصاحب القصة : هو أسامة بن زيد - رضى الله عنهما .

(٦٧٣) - لم أجده فى تفسير عبد الرزاق ، ومن طريقه رواه ابن جرير (١٠١٠١/٩) وإسناده صحيح إلى قتادة . وذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٣٤٥/٢) وعزاه إلى عبد الرزاق وعبد ابن حميد .

[١] - في ز : « يضعن » ، خ : « تضعن » .
[٢] - في ز : « مرجل » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ت : « الإيمان » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « واحدان » .

قتادة قال : في حرف أي ﴿ **فتحرير رقبة مؤمنة** ﴾ ، لا يجزئ فيها صبي .

واختار ابن جرير : أنه إن كان مولودًا بين أبوين مسلمين أجزأ ، وإلا فلا ، والذي عليه الجمهور أنه متى كان مسلمًا صح عتقه عن الكفارة سواء كان صغيرًا أو كبيرًا .

قال الإمام أحمد(٦٧٤) : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن عُبيد[١] الله بن عبد الله عن رجل من الأنصار ، أنه جاء بأمة سوداء ، فقال : يا رسول الله ، إن علي عتق[٢] رقبة مؤمنة ؛ فإن كنت ترى هذه مؤمنة أعتقتها ، فقال لها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **أتشهدين أن لا إله إلا الله ؟** » قالت : نعم ، قال : « **أتشهدين أني رسول الله ؟** » قالت : نعم ، قال : « **أتؤمنين بالبعث بعد الموت** » ، قالت : نعم ، قال : « **أعتقها** » .

وهذا إسناد صحيح ، وجهالة الصحابي لا تضره[٣] .

وفي موطأ مالك ومسندي[٤] الشافعي وأحمد ، وصحيح مسلم ، وسنن أبي داود

(٦٧٤) - « المسند » (٣/ ٤٥١، ٤٥٢) والحديث في « المصنف » لعبد الرزاق (٩/١٦٨١٤) ، ومن طريقه أيضًا انتقاه ابن الجارود ، « المنتقى » (٩٣١) .

ورواه مالك في « الموطأ » ، كتاب : العتق والولاء ، باب : ما يجوز من العتق في الرقاب (٢/٥٩٥) - ومن طريقه البيهقي في « السنن الكبرى » (٧/٣٨٨) - ورواه البيهقي أيضًا (١٠/٥٧) من طريق يونس ابن يزيد ، كلاهما (مالك ويونس) عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن رجلاً من الأنصار أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - بوليدة سوداء ... قال البيهقي : « وهذا مرسل » ، وقال أبو عمر بن عبد البر في « التمهيد » (٩/ ١١٤، ١١٥) ، « وهذا الحديث ، وإن كان ظاهره الانقطاع في رواية مالك - ويونس - فإنه محمول على الاتصال للقاء عبيد الله جماعة من الصحابة » .

وتعقبه الزرقاني في شرحه على « الموطأ » (٤/٨٥) فقال : « فيه نظر ، إذ لو كان كذلك ما وجد مرسل قط ، إذ المرسل ما رفعه التابعي - وهو من لقي الصحابي - قال : ومثل هذا لا يخفى على أبي عمر ، فلعله أراد لقاء عبيد الله جماعة من الصحابة الذين رووا هذا الحديث » ويؤيد ذلك رواية « معمر » فظاهرها الاتصال حيث قال فيها : « عن رجل من الأنصار » . وصحح إسناده من هذا الوجه المصنف ، حيث إن جهالة الصحابي لا تضر ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (١/٢٨) وقال : « رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح » ، وأشار له الحافظ ابن حجر في « التلخيص الحبير » (٣/٢٥٠) وقال : « وهذه الرواية تدل على استحباب امتحان الكافر عند إسلامه بالإقرار بالبعث كما قال الشافعي » .

وذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٢/٣٤٥) وعزاه إلى عبد الرزاق وأحمد وعبد بن حميد .

[١] - في خ : « عبد » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « تضر » .
[٤] - في خ : « مسند » .

والنسائي(٦٧٥) من طريق هلال بن أبي ميمونة ، عن عطاء بن يسار ، عن معاوية بن الحكم : أنه لما جاء بتلك الجارية السوداء ؛ قال لها رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أين اللَّه ؟** » قالت : في السماء ، قال : « **من أنا** » ؟ قالت : أنت رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « **أعتقها فإنها مؤمنة** » .

وقوله : ﴿ **ودية مسلمة إلىٰ أهله** ﴾ هو الواجب الثاني[١] فيما بين القاتل وأهل القتيل ، عوضًا [لهم][٢] عما فاتهم من قريبهم .

وهذه الدية[٣] إنما تجب أخماسًا[٤] ، كما رواه الإمام أحمد وأهل السنن(٦٧٦) ، من حديث الحجاج بن أرطاة ، عن زيد بن جبير ، عن خِشْف بن مالك ، عن ابن مسعود قال : قضىٰ رسول

---

(٦٧٥) - رواه مالك فى « الموطأ » ، كتاب : العتق والولاء ، باب : ما يجوز من العتق فى الرقاب الواجبة (٥٩٥/٢) - ومن طريقه الشافعى فى « الرسالة » (٢٤٢) والنسائى فى « التفسير » (٢/ح٤٨٥) ، والبيهقى فى « السنن الكبرى » (٥٧/١٠) - عن هلال بن أبى أسامة عن عمر بن الحكم به - كذا سمى مالك صحابى الحديث « عمر بن الحكم » وهو وهم منه ، نبه عليه الحافظ أبو الحجاج المزى فى « تهذيب الكمال » و « تحفة الأشراف » وكذا الحافظ أبو الفضل بن حجر فى « التهذيب » و « تقريبه » ، وقال ابن عبد البر فى « تجريد التمهيد » (ص١٨٧) : « هكذا يقول مالك فى هذا الحديث : عمر بن الحكم ، ولم يتابع عليه ، وهو مما عُدَّ من وهمه . وسائر الناس يقولون فيه : معاوية بن الحكم ، وليس فى الصحابة عمر بن الحكم ....» .

والحديث رواه على الجادة ، أحمد(٥/ ٤٤٧، ٤٤٨) ، ومسلم ، كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، باب : تحريم الكلام فى الصلاة (٣٣) (٥٣٧) ، وأبو داود (٩٣٠، ٣٢٨٢، ٣٩٠٩) ، والنسائى (٣/ ١٤) من طرق عن يحيى بن أبى كثير ، عن هلال بن أبى ميمونة ، عن عطاء بن يسار عن معاوية بن الحكم به مطولاً ومختصرًا .

(٦٧٦) - رواه أحمد (٤٥٠/١) ، والترمذى ، فاتحة كتاب الديات (١٣٨٦) ، والنسائى ، كتاب : الديات ، باب : ذكر أسنان دية الخطأ (٨/ ٤٣، ٤٤) كلاهما (الترمذى والنسائى) ثنا على بن سعيد الكندى . وعلقه الدارقطنى فى « السنن » (١٧٦/٣) من طريق سريج بن يونس . ثلاثتهم (أحمد والكندى وسريج) ثنا يحيى بن زكريا بن أبى زائدة ، ورواه أبو داود ، كتاب : الديات ، باب : الدية كم هى ؟ (٤٥٤٥) - ومن طريقه البيهقى فى « السنن » (٧٥/٨) - من طريق عبد الواحد بن زياد ، وابن ماجه ، كتاب : الديات ، باب : دية الخطأ (٢٦٣١) من طريق الصباح بن مُحارب ، وأبو الحسن الدارقطنى (١٧٣/٣) من طريق عبد الرحيم بن سليمان أربعتهم (يحيى ، عبد الواحد ، الصباح ، عبد الرحيم) ثنا الحجاج بن أرطاة به . وراوه أحمد (٣٨٤/١) - ومن طريقه المزى فى « تهذيب الكمال » =

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - سقط من : خ .

اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم ، في[١] دية الخطأ عشرين بنت مخاض ، وعشرين بني مخاض ذكورًا ، وعشرين بنت لبون ، وعشرين جَذَعَة ، وعشرين حِقَّةً[٢] . لفظ النسائي .

وقال الترمذي : لانعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه ، وقد روي عن عبد اللَّه موقوفًا[٣] ، كذا[٤]

= (٢٥٠/٨) - والدارمى (٢٢٧٢) أخبرنا عبد الله بن سعيد ، والبزار فى « مسنده » (١٩٢٢/٥/ البحر الزخار) ثنا طليق بن محمد الواسطى ، والدارقطنى فى « السنن » (١٧٥/٣) والبيهقى (٧٥/٨) من طريق سعدان بن نصر ، أربعتهم (أحمد وعبد الله وطليق وسعدان) ثنا أبو معاوية محمد بن خازم عن الحجاج عن زيد بن جبير عن خشف بن مالك عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله - صلى اللَّه عليه وسلم - جعل الدية فى الخطأ أخماسًا - لم يزد على هذا - وتابع أبا معاوية على هذه الرواية : « حفص بن غياث ، وعمرو بن هاشم أبو مالك الجنبى ، وأبو خالد الأحمر » عن الحجاج عن زيد به ، ورواه كذلك أيضًا يحيى بن زكريا من رواية أبى هشام الرفاعى عنه عن زيد به رواه من هذا الوجه أبو عيسى الترمذى ، وابن جرير (١٠١٣٨/٩) وانظر « السنن » لأبى الحسن الدارقطنى (٣/ ١٧٥، ١٧٦) ورواه أبو بكر بن أبى شيبة فى « المصنف » (٢٧٣/٦) ثنا أبو خالد الأحمر وأبو معاوية عن حجاج به لكن بلفظ : « دية الخطأ أخماسًا ، عشرون حِقَّة ، وعشرون جذعة ، وعشرون بنات لبون ، وعشرون بنو لبون ، وعشرون بنات مخاض » فجعل مكان بنى المخاض الذكور ، بنى لبون .

ورواه الدارقطنى (١٧٥/٣) من طريق يحيى بن سعيد الأموى - وهو من الثقات - عن الحجاج به غير أنه جعل مكان الحقاق : بنى لبون .

كما رواه إسماعيل بن عياش عن الحجاج به غير أنه جعل مكان بنى المخاض : بنى لبون - أى مثل رواية ابن أبى شيبة عن أبى خالد الأحمر وأبى معاوية عن الحجاج به . علق الدارقطنى رواية إسماعيل في السنن (١٧٥/٣) ، وقد رواه الدارقطني أيضًا (١٧٢/٣) من طريقين عن أبى مجلز عن أبى عبيدة عن ابن مسعود موقوفًا قال : « دية الخطأ خمسة أخماس ، عشرون حقة ، وعشرون جذعة ، وعشرون بنات مخاض ، وعشرون بنات لبون ، وعشرون بنو لبون ذكر » قال الدارقطنى : « وهذا إسناد حسن ورواته ثقات ، وقد روى عن علقمة عن عبد الله نحوه » ثم أسنده من طريق وكيع عن سفيان عن أبى إسحاق عن علقمة به ، وكذا أسنده (٣/ ١٧٣، ١٧٤) من طريق وكيع عن سفيان عن منصور عن إبراهيم النخعى عن عبد الله قال : دية الخطأ أخماسًا ، ثم فسرها كما فسرها أبو عبيدة ، وعلقمة عنه سواء . وقال : « فهذه الرواية ، وإن كان فيها إرسال ، فإبراهيم النخعى هو أعلم الناس بعبد الله وبرأيه وبفتياه ، قد أخذ عن أخواله علقمة والأسود ، وعبد الرحمن ابنى يزيد وغيرهم من كبراء أصحاب عبد الله ، وهو القائل : إذا قلت لكم : قال عبد الله بن مسعود - فهو عن جماعة من أصحابه عنه ، وإذا سمعته من رجل واحدٍ سميته لكم » .=

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - بنت المخاض : هي التي أتىٰ عليها الحول ، وبنت اللبون : التي أتى عليها حولان ، والحقة : هي التي دخلت في السنة الرابعة .

[٣] - في ز ، خ : « مرفوعًا » وهو تحريف . [٤] - في ت : « وكما » .

روي عن علي(٦٧٧)[١] و[٢] طائفة . وقيل : تجب أرباعًا ، وهذه الدية إنما تجب علىٰ عاقلة القاتل لا في ماله ، وقال الشافعي - رحمه اللَّه - : لم أعلم مخالفًا أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قضىٰ بالدية علىٰ العاقلة ، وهو أكثر من حديث الخاصة .

وهذا الذي أشار إليه ، رحمه اللَّه ، قد ثبت في غير ما حديث ، فمن ذلك ما ثبت في الصحيحين(٦٧٨) عن أبي هريرة قال : اقتتلت امرأتان من هذيل ، فرمت إحداهما الأخرىٰ بحجر فقتلتها وما في بطنها ، فاختصموا إلىٰ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقضىٰ أن دية جنينها غرّة عبد أو أمة ، وقضىٰ بدية المرأة علىٰ عاقلتها .

وهذا يقتضي أن حكم عمد الخطأ حكم الخطأ المحض في وجوب الدية ، لكن هذا تجب فيه

=وقد رواه البيهقى فى « السنن » (٨/ ٧٤، ٧٥) من طريق أبى عبيدة وعلقمة عن ابن مسعود به موقوفًا ، غير أنه جعل مكان بنى لبون ، بنى مخاض . وقال البيهقى : « هذا هو المعروف عن عبد الله بن مسعود ، وقد روى بعض حفاظنا وهو الشيخ أبو الحسن الدارقطنى هذه الأسانيد عن عبد الله وجعل مكان بنى المخاض بنى اللبون وهو غلط منه ، وقد رأيته أيضًا فى كتاب محمد بن إسحاق بن خزيمة وهو إمام من رواية وكيع عن سفيان بإسناديه كذلك بنى لبون ...» .

قال ابن حجر فى « التلخيص » (٤/٢٦) : « قول البيهقى : وقد رأيته فى كتاب ابن خزيمة ... بنى لبون كما قال الدارقطنى ينفى أن يكون الدارقطنى غيره فلعل الخلاف فيه من فوق » . وعلى كل حال فالصواب فى هذا الحديث الوقف كما أشار أبو داود عقبه وقال البيهقى : « لا يصح رفعه » وبين أبو الحسن الدارقطنى علل المرفوع بيانًا شافيًا ، فانظر « السنن » (٣/ ١٧٢- ١٧٦) ، و « العلل »(٥/ ٦٩٤).

(٦٧٧) - رواه ابن أبى شيبة فى « المصنف » (٦/٢٧٣) ، وأبو داود فى « السنن » (٤٥٥٣) - ومن طريقه البيهقى فى « الكبرى » (٨/٧٤) - وأبو الحسن الدارقطنى فى « السنن » (٣/١٧٧) - ومن طريقه البيهقى أيضًا - من طريق سفيان عن أبى إسحاق عن عاصم بن ضمرة ، قال : قال على - رضى الله عنه - فى الخطأ أرباعًا : خمس وعشرون حقة ، وخمس وعشرون جذعة ، وخمس وعشرون بنات لبون ، وخمس وعشرو بنات مخاض » وهذا إسناد حسن ولا تضر عنعنة أبى إسحاق لأن سفيان - وهو الثورى - ثبت فيه ، وللحديث طريقان آخران عن على عند ابن أبى شيبة والدارقطنى ، والأول منقطع والثانى فيه الحارث الأعور وهو ضعيف ، وكذبه الشعبى ، فالتعويل على الإسناد الأول والله الموفق .

(٦٧٨) - رواه البخارى ، كتاب : الطب ، باب : الكهانة (٥٧٥٨) ، ومسلم : كتاب : القسامة والمحاربين ...، باب : دية الجنين (٣٤ - ٣٦) (١٦٨١) وكذا رواه أحمد (٢/ ٢٣٦، ٤٣٨، ٥٣٥) ، وأبو داود (٤٥٧٦، ٤٥٧٩) ، والترمذى (١٤١٠) ، والنسائى (٨/٤٨) ، وابن ماجه (٢٦٣٩) .

[١] - سقط من: ز ، خ . [٢] - سقط من : ز .

الدية أثلاثًا [لشبهة العمد][١] .

وفي صحيح البخاري(٦٧٩) عن عبد الله بن عمر ؛ قال : بعث رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، خالد بن الوليد إلىٰ بني خزيمة ، فدعاهم إلىٰ الإسلام ، فلم يحسنوا أن[٢] يقولوا : أسلمنا ، فجعلوا يقولون : صبأنا صبأنا ، فجعل خالد يقتلهم ، فبلغ ذلك رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فرفع يديه ، وقال : « **اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد** » ، وبعث عليًا فودىٰ قتلاهم ، وما أتلف من أموالهم ، حتىٰ ميلغة[٣] الكلب .

وهذا الحديث[٤] يؤخذ منه أن خطأ الإمام أو نائبه يكون في بيت المال .

وقوله : ﴿ **إلا أن يصدقوا** ﴾ أي : فتجب فيه الدية مسلمة إلىٰ أهله إلا أن يتصدّقوا بها ، فلا تجب .

وقوله : ﴿ **فإن[٥] كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة** ﴾ أي : إذا كان القتيل مؤمنًا ولكن أولياؤه من الكفار أهل حرب ، فلا دية لهم ، وعلىٰ القاتل[٦] تحرير رقبة مؤمنة لا غير .

وقوله : ﴿ **وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة** ﴾ ، أي:

---

(٦٧٩) - رواه البخارى ، كتاب : المغازى ، باب : بعث النبى - صلى الله عليه وسلم - خالدَ بن الوليد إلى بنى جزيمة (٤٣٣٩) ، وكذا رواه أحمد (٢/ ١٥٠، ١٥١) ، والنسائى (٨/ ٢٣٦، ٢٣٧) ، وليس عندهم جميعًا قوله الأخير : « وبعث عليًا ...» وهذا أشار له الحافظ فى « الفتح » (٨/٥٨) فقال : « وزاد الباقر في روايته » ثم دعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عليًا ، فقال : اخرج إلى هؤلاء القوم واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك ، فخرج حتى جاءهم ومعه مال فلم يبق لهم أحد إلا وداه » وهذا رواه ابن إسحاق فى « السيرة » - كما فى « السيرة » لابن هشام (٤/ ٤٣، ٤٤) - ومن طريقه البيهقى فى «دلائل النبوة » (٥/١١٤ ، ١١٥) - المصنف فى « البداية والنهاية » (٤/٣٥٨) معلقًا - ثنا حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف عن أبي جعفر - ا لباقر - محمد بن على قال : لما فتح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مكة بعث خالد بن الوليد . فذكر حديثًا طويلاً وهذا مرسل .

---

[١] - في ز ، خ : « لا العمد لشبهه به » . [٢] - سقط من : ز .

[٣] - ميلغة الكلب : هي الإناء الذي يلغ فيه أي يشرب فيه الكلب . يعني : أعطاهم قيمة كل ما ذهب لهم ، حتى قيمة الميلغة .

[٤] - سقط من : ز . [٥] - في ز : « وإن » .

[٦] - في خ : « قاتله » .

فإن كان القتيل أولياؤه أهل ذمة أو هدنة فلهم دية قتيلهم ، فإن كان مؤمنًا فدية كاملة ، وكذا إن كان كافرًا أيضًا عند طائفة من العلماء . وقيل : يجب في الكافر نصف دية المسلم ، وقيل : ثلثها[١] كما هو مفصل [في كتاب الأحكام][٢] . ويجب أيضًا على القاتل تحرير رقبة مؤمنة .

﴿ **فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين** ﴾ أي : لا إفطار بينهما ، بل يسرد صومهما إلىٰ آخرهما ؛ فإن أفطر من غير عذر من مرض أو حيض أو نفاس استأنف ، واختلفوا في السفر : هل يقطع أم لا ؟ علىٰ قولين .

وقوله : ﴿ **توبة من اللّٰه وكان اللّٰه عليمًا حكيمًا** ﴾ أي : هذه توبة القاتل خطأ إذا لم يجد العتق صام شهرين متتابعين .

واختلفوا فيمن لا يستطيع الصيام ؛ هل يجب عليه إطعام ستين مسكينًا ، كما في كفارة الظهار ؟ علىٰ قولين : أحدهما : نعم ، كما هو منصوص عليه في كفارة الظهار ، وإنما لم يذكر هاهنا ؛ لأن هذا مقام تهديد وتخويف وتحذير ، فلا يناسب أن يذكر فيه[٣] الإطعام لما فيه من التسهيل والترخيص . والقول الثاني : لايعدل إلىٰ الإطعام ؛ لأنه لو كان واجبًا لما أخر بيانه عن وقت الحاجة .

﴿ **وكان اللّٰه عليمًا حكيمًا** ﴾ قد تقدّم تفسيره غير مرّة .

ثم لما بين تعالىٰ حكم القتل الخطأ ، شرع في بيان حكم القتل العمد فقال : ﴿ **ومن يقتل مؤمنا متعمدًا** ﴾ الآية . وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد لمن تعاطىٰ هذا الذنب العظيم ، الذي هو مقرون بالشرك باللّٰه في غير ما آية في[٤] كتاب اللّٰه ، حيث يقول سبحانه في سورة الفرقان : ﴿ **والذين لا يدعون مع اللّٰه إلهًا آخر ولا يقتلون النفس التي حرم اللّٰه إلا بالحق ولا يزنون** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئًا وبالوالدين إحسانًا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق** ﴾ إلى أن قال : ﴿ **ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون** ﴾ ، والآيات والأحاديث في تحريم القتل كثيرة جدًا ؛ فمن ذلك ما ثبت في الصحيحين(٦٨٠) عن ابن مسعود ؛ قال : قال

---

(٦٨٠) – رواه البخارى ، كتاب : الرقاق ، باب : القصاص يوم القيامة (٦٥٣٣) ، ومسلم ، كتاب : القسامة والمحاربين ..، باب : المجازاة بالدماء فى الآخرة (٢٨) – (١٦٧٨) ، وكذا رواه أحمد (١/ ٣٨٨، ٤٤٠، ٤٤٢) ، والترمذى (١٣٩٦) ، والنسائى (٨٣/٧) ، وابن ماجه (٢٦١٥) .

---

[١] – في ز : « ثلث دية المسلم » .
[٢] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] – سقط من : ز .
[٤] – في خ : « من » .

رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **أوّل ما يقضىٰ بين الناس يوم القيامة في الدماء** » . وفي الحديث الآخر الذي رواه أبو داود(٦٨١) من رواية عمرو بن الوليد بن عبدة المصري ، عن عبادة بن الصامت ، قال : قال رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **لايزال المؤمن مستعفًى[١] صالحاً** ،

(٦٨١) - وكذا عزاه لأبي داود من هذا الوجه المزى فى « تحفة الأشراف » (٤/ح٥١٠٥) وفى « تهذيب الكمال » (٢٢/ت٤٤٧٠) وابن حجر فى « التهذيب » (٣١٢/٣/ ط الرسالة) وهو ليس موجودًا فى المطبوع من « السنن » من هذا الوجه ، وقد أشار لذلك المزى فقال : « أغفله أبو القاسم ، وهو فى السماع » .

وعمرو بن الوليد هذا جهله ابن حجر ، وقال الذهبى فى « الميزان » (٤/ت٦٤٦٨) : « عمرو بن الوليد نكرة . عن عبادة بن الصامت ، وعنه هانئ بن كلثوم فقط » . لكن توبع عمرو عليه ، فرواه أبو داود فى «السنن » كتاب : الفتن والملاحم ، باب : فى تعظيم قتل المؤمن (٤٢٧٠) - ومن طريقه البيهقى فى «الكبرى » (٢٢/٨) - ثنا مؤمل بن الفضل الحراني ، ثنا محمد بن شعيب ، عن خالد بن دهقان قال : كنا فى غزوة القسطنطينية بِذُلقية ، فأقبل رجل من أهل فلسطين من أشرافهم وخيارهم ، يعرفون ذلك له ، يقال له هانئ بن كلثوم بن شريك الكنانى ، فسلم على عبد الله بن أبى زكريا ، وكان يعرف له حقه ، قال لنا خالد : فحدثنا عبد الله بن أبي زكريا قال : سمعت أم الدرداء تقول : سمعت أبا الدرداء يقول : سمعت رسول الله - صلى اللّه عليه وسلم - يقول : « كلُّ ذنب عسى الله أن يغفره إلا من مات مشركًا ، أو مؤمن قتل مؤمنًا متعمدًا » فقال هانئ بن كلثوم : سمعت محمود بن الربيع يحدث عن عبادة ابن الصامت ، أنه سمعه يحدث عن رسول الله - صلى اللّه عليه وسلم - أنه قال : « من قتل مؤمنًا فاغتبط بقتله لم يقبل الله منه صرفًا ولاعدلا » قال لنا خالد : ثم حدثنى ابن أبى زكريا ، عن أم الدرداء ، عن أبى الدرداء ، أن رسول الله - صلى اللّه عليه وسلم - قال : « لا يزال المؤمن معنقًا صالحًا ما لم يصب دمًا حرامًا ، فإذا أصاب دمًا حرامًا بلَّح » وحدث هانئ بن كلثوم ، عن محمود بن الربيع ، عن عبادة بن الصامت ، عن رسول الله - صلى اللّه عليه وسلم - مثله سواء .

ورواه البيهقي (٢١/٨) من طريق محمد بن مبارك ثنا صدقة ثنا خالد بن دهقان به مطولاً ، وقد رواه مختصرًا مفرقًا البخارى فى « التاريخ الكبير » (٨/ ٢٣٠، ٢٣١) ، والبزار فى « مسنده » (٧/ ٢٧٢٩، ٢٧٣٠)/ البحر الزخار) ، وابن حبان فى صحيحه (٥٩٨٠/١٣/ إحسان) ، والطبرانى فى « المعجم الصغير » (١٢١/٢) - ومن طريقه وطريق غيره أبو نعيم فى « الحلية » (١٥٣/٥) ، (١١٩/٦) - ومن طريق أبى نعيم وغيره اختاره الضياء فى « المختارة » (٨/ ٤١٥، ٤١٩) وابن عساكر فى « تاريخ دمشق » (٤١٩/٥/ مخطوط) من طريق صدقة بن خالد ومحمد بن شعيب قالا : ثنا خالد بن دهقان به . ووقع عند أبى نعيم وابن عساكر : « محمود بن ربيعة عن عبادة » وصوابه « محمود بن ربيع » وهو صحابى صغير . قال الطبرانى : « لا يروى عن أبى الدرداء إلا بهذا الإسناد ، تفرد به خالد بن دهقان » . يعنى بحديث أبى الدرداء وكذلك بحديث عبادة بن الصامت - وهو ثقة وثقه ابن معين وأبو مُسْهِر ودحيم ، وأبو زرعة الدمشقى ، وابن حبان ، وروى عنه غير واحد ، ولم يتكلم فيه أحدٌ ، ومع هذا فقد =

[١] - في ت : « معنقا » وكذا في سنن أبي داود [١٠٤/٤] .

ما لم يصب دمًا حرامًا ؛ فإذا أصاب دمًا حرامًا بَلَّح[١] » . وفي حديث آخر(٦٨٢) : « **لزوال الدنيا**

= قال فيه الحافظ في « التقريب » : « مقبول » !! ومن فوقه في الإسنادين ثقات فالإسنادان صحيحان وقد صححه أبو عبد الله الحاكم (٣٥١/٤) ووافقه الذهبي والحديث قصر في عزوه جدًا السيوطي فلم يعزه في « الدر المنثور » لغير أبي نعيم الأصبهاني !! . ولبعض فقرات هذا الحديث شاهد من حديث معاوية بن أبي سفيان تقدم هنا برقم (٥١٩) .

(٦٨٢) - رواه الترمذي ، كتاب : الديات ، باب : ما جاء في تشديد قتل المؤمن (١٣٩٥) ، والنسائي ، كتاب : تحريم الدم ، باب : تعظيم الدم (٨٢/٧) والنحاس في « ناسخه » (ص٣٤٧) من طريق ابن أبي عدى ، عن شعبة ، عن يعلى بن عطاء عن أبيه عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا به .

ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٢٧٠/٧) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (٨/ ٢٢، ٢٣) ، والخطيب في « تاريخ بغداد » (٥/ ٢٩٦، ٢٩٧) من طريقين عن أبي أسامة ثنا مسعر وسفيان - مقرونًا بهما شعبة عند البيهقي - عن يعلى بن عطاء به ولفظه عند الخطيب - « لزوال الدنيا أيسر - أهون - عند (على) الله من قتل المؤمن » .

وقال أبو نعيم : « تفرد به أبو أسامة عنه » يعني هكذا بهذا الإسناد مرفوعًا ، وأبو أسامة ثقة غير أنه لا يعرف سماع لمسعر من يعلى ، وسفيان اختلف عليه في وقفه ورفعه وكذلك شعبة ، وأكثر الرواة رووه عنهما موقوفًا . فقد رواه البيهقي (٢٢/٨) من طريق محمد بن يوسف الفريابي ثنا سفيان عن يعلى بن عطاء به موقوفًا وقال البيهقي : « هذا هو المحفوظ موقوف ... ورواه أيضًا ابن أبي عدى عن شعبة مرفوعًا ، ورواه غندر وغيره عن شعبة موقوفًا ، والموقوف أصح » .

وطريق محمد بن جعفر - غندر - الموقوف رواه الترمذي والنسائي ، ورواه النسائي أيضًا (٧/ ٨٢، ٨٣) من طريق مخلد بن يزيد عن سفيان عن منصور عن يعلى به موقوفًا بلفظ : « قتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا » .

قال أبو عيسى الترمذي : « حديث عبد الله بن عمرو هكذا ، رواه ابن أبي عدى عن شعبة عن يعلى بن عطاء عن أبيه عن عبد الله بن عمرو عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وروى محمد بن جعفر وغير واحد عن شعبة عن يعلى بن عطاء فلم يرفعه ، وهكذا روى سفيان الثوري عن يعلى بن عطاء موقوفًا ، وهذا أصح من الحديث المرفوع » ، لكن للحديث طريق آخر رواه النسائي أيضًا (٨٢/٧) والبيهقي في « الشعب » (٥٣٤١/٤) من طريق إبراهيم بن مهاجر عن إسماعيل مولى عبد الله بن عمرو عن عبد الله به مرفوعًا بنحوه ، غير أن النسائي أعله فقال عقبه : « إبراهيم بن المهاجر ليس بالقوي » . والحديث أورده المنذري في « الترغيب والترهيب » (٢٩٣/٣) وعزاه لمسلم !! فوهم . نبه على ذلك أبو عبد الرحمن الألباني في « غاية المرام » (ح٤٣٩/ ص٢٥٤) وأخرج له النسائي شاهدًا من حديث بريدة بإسناد حسنه الألباني مع أنه فيه بشير بن مهاجر الغنوي وهو « صدوق فيه لين » كما في « التقريب » وقد =

[١] - بَلَّح الرجل : إذا انقطع من الإعياء فلم يقدر أن يتحرك وقد أبلحه السير فانقطع به ، يريد وقوعه في الهلاك بإصابة الدم الحرام .

أهون عند الله من قتل رجل مسلم » . وفي الحديث الآخر(٦٨٣) : **« لو اجتمع أهل السموات والأرض علىٰ قتل رجل مسلم لأكبهم الله في النار »** . وفي الحديث الآخر(٦٨٤) : **« من أعان**

- استنكر له ابن عدى فى « الكامل » (٤٥٤/٢) هذا الحديث بعينه !! ومن طريق ابن عدى رواه البيهقى فى « الشعب » (٥٣٤٣، ٥٣٤٥) ، وله شاهد آخر من حديث البراء بن عازب رواه ابن ماجه (٢٦١٩) وابن عدى فى « الكامل » (١٠٠٤/٣) بإسنادين إلى البراء بن عازب ، وفيهما الوليد بن مسلم ، يدلس تدليس التسوية ، وقد عنعنه . لكن الحديث بمجموع ما ذكرنا حسن والله الموفق .

(٦٨٣) - ورد هذا من حديث أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة وابن عباس وأبى بكرة : أما حديث أبى سعيد وأبى هريرة :

فقد رواه الترمذى (١٣٩٨) من طريق الحسين بن واقد عن يزيد الرقاشي ثنا أبو الحكم البجلى قال : «سمعت أبا سعيد الخدرى ، وأبا هريرة ، يذكران عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ... وقال أبو عيسى : « هذاحديث غريب ، وأبو الحكم البجلى هو عبد الرحمن بن أبى نعم الكوفى » وهو « صدوق عابد » -كما فى « التقريب » - لكن الراوى عنه - يزيد بن أبان الرقاشي - ضعيف ومع هذا فقد صححه أبو عبد الرحمن الألبانى من هذا الوجه فأورده فى « صحيح الجامع الصغير » (٥١٢٣/٥) وبشواهده الآتية يحتمل التحسين . ورواه الطبرانى فى « المعجم الأوسط » (١٤٢١/٢) ، (٩٢٤٢/٩) من طريق أبى حمزة الأعور ، عن أبى الحكم البجلى عن أبى هريرة - وحده مرفوعًا به ، قال الهيثمى فى «المجمع » (٣٠٠/٧) : « فيه أبو حمزة الأعور وهو متروك ، وقال أبو حاتم : يكتب حديثه ، وبقية رجاله رجال الصحيح » .

ورواه البزار - كما فى « كشف الأستار » (٣٣٤٨/٣) و « مختصر الزوائد » (١٦٤٦/٢) - من طريق داود بن عبد الحميد ثنا عمرو بن قيس عن عطية عن أبى سعيد ضمن حديث طويل وقال البزار : «أحاديث داود ، عن عمرو لا نعلم أحدًا تابعه عليها » وداود هذا ضعيف ، وعطية مثله ، وقال الهيثمى فى «المجمع » (٢٩٩/٧) : « فيه داود بن عبد الحميد وغيره من الضعفاء » .

وأما حديث ابن عباس : فرواه الطبرانى فى « المعجم الكبير » (١٢٦٨١/١٢) ، وابن عدى فى «الكامل » (٢٠٠٤/٥) ومن طريقه وطريق غيره البيهقى فى « السنن الكبرى » (٢٢/٨) - والخطيب فى « تاريخ بغداد » (٣٣٤/٣) من طريق عطاء بن مسلم الخفاف عن العلاء بن المسيب عن حبيب بن أبى ثابت عن ابن عباس به مرفوعًا نحوه وفى إسناد الخطيب ذكر « سعيد بن جبير » بين حبيب وابن عباس .

وعطاء بن مسلم ، ضعيف ، وبه أعل الحديث الهيثمى فقال (٣٠٠/٧) : « رواه الطبرانى ، ورجاله رجال الصحيح غير عطاء بن مسلم - تحرف إلى أبى مسلم - وثقه ابن حبان ، وضعفه جماعة » وأما حديث أبى بكرة : فرواه الطبرانى فى « المعجم الصغير » (٢٠٥/١) والخطيب (٣٧٧/١١) من طريق جسر بن فَرْقَد عن الحسن عن أبى بكرة به مرفوعًا ، وقال الطبرانى : « لم يرو عن الحسن إلا جسر » وهو ضعيف ، وبه أعله الهيثمى فى « المجمع » (٣٠٠/٧) .

(٦٨٤) - رواه ابن ماجه (٢٦٢٠) وغيره من طريق يزيد بن زياد عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة مرفوعًا . وفى « الزوائد » : « فى إسناده يزيد بن زياد ، بالغوا فى تضعيفه ، حتى قيل : كأنه حديث موضوع » ولذلك رقم به أبو عبد الرحمن الألبانى (ح٥٠٣) من « الضعيفة » فانظر تخريجه ثمة .

علىٰ قتل مسلم ، ولو بشطر كلمة ، جاء يوم القيامة مكتوبًا بين عينيه آيس من رحمة الله » .

وقد كان ابن عباس يرىٰ أنه لا توبة لقاتل المؤمن عمدًا .

وقال البخاري(٦٨٥) : حدثنا آدم ، حدثنا شعبة ، حدثنا المغيرة بن النعمان ، قال : سمعت ابن جبير قال : اختلف فيها أهل الكوفة ، فرحلت إلىٰ ابن عباس ، فسألته عنها[١] ، فقال : نزلت هذه الآية ﴿ **ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم** ﴾ هي آخر ما نزل[٢] ، وما نسخها شيء .

وهكذا رواه هو أيضًا ومسلم والنسائي من طرق عن شعبة ، به . ورواه أبو داود(٦٨٦) عن أحمد بن حنبل ، عن ابن مهدي ، عن سفيان الثوري ، عن مغيرة بن النعمان ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس في[٣] قوله : ﴿ **ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم** ﴾ فقال : لم ينسخها شيء .

[وقال ابن جرير(٦٨٧) : حدثنا ابن بشار ، حدثنا ابن عون ، حدثنا شعبة ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال عبد الرحمن بن أبزى : سئل ابن عباس عن قوله : ﴿ **ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا** ﴾ الآية . قال : لم ينسخها شيء][٤] . وقال في هذه الآية : ﴿ **والذين لا يدعون مع الله إلهًا آخر** ﴾ إلىٰ آخرها ، قال : نزلت في أهل الشرك .

وقال ابن جرير أيضًا(٦٨٨)[٥] : حدثنا ابن حميد ، حدثنا جرير ، عن منصور ، حدثني سعيد

(٦٨٥) - رواه البخارى ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم ﴾ (٤٥٩٠) وكذا رواه ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهًا آخر ... ﴾ (٤٧٦٣) وانظر أطرافه عند رقم (٣٨٥٥) - ومسلم ، كتاب التفسير (١٦، ١٧) (٣٠٢٣) ، والنسائى (٨٥/٧) من طرق عن شعبة به ، وانظر ما بعده .

(٦٨٦) - رواه أبو داود ، كتاب : الفتن والملاحم ، باب : فى تعظيم قتل المؤمن (٤٢٧٥) وإسناده صحيح ، والحديث لم أجده عند أحمد فى « المسند » .

(٦٨٧) - تفسير ابن جرير (١٠١٩٢/٩) وإسناده صحيح ، وقد رواه البخارى (٤٧٦٦) من طريق عثمان والد عبدان ، ومسلم (١٨) (٣٠٢٣) ، والنسائى (٨٦/٧) من طريق محمد بن جعفر ، كلاهما (عثمان ومحمد) ثنا شعبة عن منصور عن سعيد بن جبير به .

(٦٨٨) - تفسير ابن جرير (١٠١٨٧/٩) ، ورواه البخارى (٣٨٥٥) حدثنى عثمان بن أبى شيبة =

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في خ : « نزلت » .
[٣] - في ز : « عن » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : ز ، خ .

ابن جبير - أو حدثني الحكم ، عن سعيد بن جبير - قال : سألت ابن عباس عن قوله : ﴿ **ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم** ﴾ قال : إن الرجل إذا عرف الإسلام ، وشرائع الإسلام ، ثم قتل مؤمنًا متعمدًا ؛ فجزاؤه جهنم ، ولا توبة له . فذكرت ذلك لمجاهد ، فقال : إلا من ندم .

حدثنا ابن حميد وابن[١] وكيع ؛ قالا(٦٨٩) : حدثنا جرير ، عن يحيىٰ الجابر ، عن سالم بن أبي الجعد ؛ قال : كنا عند ابن عباس ، بعدما كف بصره ، فأتاه رجل ، فناداه : يا عبد اللّٰه بن عباس ، ما ترىٰ في رجل قتل مؤمنًا متعمدًا ؟ فقال : ﴿ **جزاؤه جهنم خالدًا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذابًا عظيمًا** ﴾ . قال : أفرأيت إن تاب وعمل صالحاً ثم اهتدىٰ ؟ قال ابن عباس : ثكلته أمّه ! وأنىٰ له التوبة والهدىٰ ؟ والذي نفسي بيده ، لقد سمعت نبيكم ، صلىٰ اللّٰه عليه وآله وسلم ، يقول : « **ثكلته أمه ! قاتل مؤمن متعمدًا**[٢] ، **جاء يوم القيامة**[٣] **أخذه بيمينه أو بشماله ، تشخب أوداجه دمًا**[٤] **في قُبُل عرش الرحمن ، يلزم قاتله بشماله ، و**[٥] **بيده الأخرىٰ رأسه**[٦] ، **ويقول : يارب**[٧] **سل هذا فيم قتلني** » ، وايم الذي نفس عبد اللّٰه بيده ، لقد أُنزلت هذه الآية ، فما نسختها من آية ، حتىٰ قبض نبيكم ، صلىٰ اللّٰه عليه وآله وسلم ، وما نزل بعدها من برهان .

= ورواه إسحاق بن إبراهيم في تفسيره ، كما في « الفتح » (٤٩٥/٨) ومن طريقه الحاكم في « المستدرك » (٤٠٣/٢) كلاهما (عثمان وإسحاق) أنبا جرير به ، وهذا إسناده صحيح أيضًا . قال ابن حجر (٤٩٦/٨) : « وحاصل ما في هذه الروايات أن ابن عباس كان تارة يجعل الآيتين في محل واحدٍ ، فلذلك يجزم بنسخ إحداهما ، وتارة يجعل محلهما مختلفًا ، ويمكن الجمع بين كلاميه بأن عموم التي في الفرقان خص منها مباشرة المؤمن القاتل متعمدًا ، وكثير من السلف يطلقون النسخ على التخصيص ، وهذا أولى من حمل كلامه على التناقض ، وأولى من دعوى أنه قال بالنسخ ثم رجع عنه ، وقول ابن عباس بأن المؤمن إذا قتل مؤمنًا متعمدًا لا توبة له مشهور عنه ...» وقد جاء ذلك صريحًا عنه ، فانظر الآتي .

(٦٨٩) - تفسير ابن جرير (١٠١٨٨/٩) ، وهذا إسناد فيه لين لكلام في يحيى الجابر - وهو يحيى بن عبد الله الحارث الجابر ، ويقال المجبّر التيمي - فقد ضعفه ابن معين ، وأبو حاتم ، والنسائي ، وقال ابن حبان : « منكر الحديث ، يروى المناكير الكثيرة لاتشبه حديث الأئمة ، حتى ربما سبق إلى القلب أنه كان يتعمد لذلك ، لا يجوز الاحتجاج به بحال » . بينما قال أحمد وابن عدى : « ليس به بأس » وروى عنه شعبة ، وشيوخ شعبة جياد كما قال غير واحد ، واعتمد ضعفه ابن حجر فليته - راجع « تهذيب الكمال » (٣١/ ٦٨٥٩) وعلى كل فقد توبع ، فانظر الآتي .

---

[١] - سقط من : ت .
[٢] - في ز : « متعمدٍ » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - سقط من : ز ، خ .

وقال الإمام أحمد(٦٩٠) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، سمعت يحيىٰ بن المجبر[١] يحدث عن سالم بن أبي الجعد ، عن ابن عباس : أن رجلًا أتاه ، فقال : أرأيت رجلًا قتل رجلًا متعمدًا ؟ فقال : ﴿ **جزاؤه جهنم خالدًا فيها** ﴾ الآية . قال : لقد نزلت في آخر ما نزل ، ما نسخها شيء ، حتىٰ قبض رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم ، وما نزل وحي بعد رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم . قال : أرأيت إن تاب وآمن وعمل صالحًا ثم اهتدىٰ ؟ قال : وأنىٰ له بالتوبة ، وقد سمعت رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يقول : « **ثكلته أمّه ! رجل قتل رجلًا متعمدًا ، يجيء يوم القيامة آخذًا قاتله بيمينه أو بيساره ، وآخذًا رأسه بيمينه أو بشماله ، تشخب أوداجه دمًا في[٢] قبل العرش ، يقول : يارب : سل عبدك فيم قتلني** » .

وقد رواه النسائي ، عن قتيبة ، وابن ماجة عن محمد بن الصباح ، عن سفيان بن عيينة ، عن عمار الدهني[٣] ويحيىٰ الجابر[٤] وثابت الثمالي ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن ابن عباس فذكره . وقد روي هذا عن ابن عباس من طرق كثيرة(٦٩١) .

(٦٩٠) - « المسند » (١/ ٢٤٠/ رقم ٢١٤٢/ شاكر) ومن طريقه الضياء فى « المختارة » (١٠/رقم ٤٠) - ورواه أحمد أيضًا (١/ ٢٩٤، ٣٦٤) والحميدى (٤٨٨/١) وعبد بن حميد فى « المنتخب » (٦٨٠) وابن جرير (١٠١٨٩/٩) من طرق عن يحيى الجابر به .
ورواه الحميدى (٤٨٨/١) ، وأحمد (٢٢٢/١) ، والنسائى (٨٥/٧) ، (٦٣/٨) وابن ماجه (٢٦٢١) وابن أبى حاتم فى « تفسيره » (٥٨١٣/٣) وسعيد بن منصور وابن مردويه - كما فى « الدر المنثور » (٢/ ٣٥٠) - ومن طريقهما الضياء (١٠/ رقم ٤١، ٤٢) - كلهم من طريق سفيان بن عيينة عن عمار الدُّهنى - مقرونًا به يحيى الجابر ، وثابت الثُّمالى عند الضياء - ورواه ابن جرير (١٠١٩١/٩) من طريق عمار بن رزيق ، عن عمار الدُّهنى .
والطبرانى فى « المعجم الكبير » (١٢٥٩٧/١٢) من طريق ليث بن أبى سليم أربعتهم (عمار ويحيى وثابت وليث) عن سالم بن أبى الجعد به . وهذا إسناده حسن عمار الدهنى ، « صدوق » ومتابعوه متكلم فيهم ولا يضره وانظر الآتى .
(٦٩١) - منها ما رواه أبو عيسى الترمذى فى « الجامع » (٣٠٢٩) ، والنسائى (٨٧/٧) من طريقين عن شبابة بن سوَّار ثنا ورقاء بن عمر عن عمرو بن دينار عن ابن عباس عن النبى - صلى اللَّه عليه وسلم - قال : « يجىء المقتول بالقاتل يوم القيامة ...» وقال أبو عيسى : « حديث حسن غريب ، وقد روى بعضهم هذا الحديث عن عمرو بن دينار عن ابن عباس نحوه ، ولم يرفعه » وكأن ورقاء هو المتهم برفعه حيث استنكره له ابن عدى فى « الكامل » (٢٥٥٣/٧) وعلى كل فلا يضر ذلك الحديث لأنه قد صح وصله من وجه آخر - كما فى السابق - ورواه الطبرانى فى « المعجم الكبير » (١٠٧٤٢/١٠) من وجه آخر مرفوعًا لكن فى إسناده ضعف ، فالمعتمد على الأول وقد صححه أبو عبد الرحمن الألبانى =

[١] - في ز : « المجير » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ز : « الذهبي » .
[٤] - في ت : « الجابري » .

ومن ذهب إلىٰ أنه لا توبة له من السلف : زيد بن ثابت ، وأبو هريرة ، وعبد اللَّه بن عمر ، وأبو سلمة [بن عبد الرحمن][1] ، وعبيد بن عمير ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك بن مزاحم ، نقله ابن أبي حاتم(٦٩٢) .

وفي الباب أحاديث كثيرة ، فمن ذلك ما رواه أبو بكر بن مردويه الحافظ في تفسيره(٦٩٣) : حدثنا دعلج بن أحمد ، حدثنا محمد بن إبراهيم بن سعيد البوشنجي (ح) . وحدثنا عبد اللَّه بن جعفر ، حدثنا إبراهيم بن فهد ، قالا : حدثنا عبيد بن عبيدة ، حدثنا معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن الأعمش ، عن أبي عمرو بن شرحبيل ، عن عبد اللَّه بن مسعود ، عن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « **يجيء المقتول متعلقًا بقاتله يوم القيامة ، آخذًا رأسه بيده الأخرىٰ ، فيقول : يا رب ، سل هذا فيم قتلني ؟ [قال : فيقول : قتلته لتكون العزة][2] لك[3] ، [فيقول : فإنها لي ، قال : ويجيء آخر متعلقًا بقاتله فيقول : رب سل هذا فيما قتلني][4] ؟ [قال : فيقول : قتلته لتكون العزة لفلان][5] ، قال : فإنها ليست له بؤ بإثمه ، قال : فيهوي في النار سبعين خريفًا** » .

وقد رواه النسائي عن إبراهيم بن المستمر العُروقي ، عن عمرو بن عاصم ، عن معتمر بن سليمان ، به .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(٦٩٤) : حدثنا صفوان بن عيسىٰ ، حدّثنا ثور بن يزيد ، عن

= وأودعه فى « الصحيحة » (٢٦٩٧/٦) وقد صح ولله الحمد .

(٦٩٢) - تفسير ابن أبى حاتم (٥٨١٥/٣) .

(٦٩٣) - ورواه الطبرانى فى « المعجم الكبير » (١٠٠٧٥/١٠) وأبو نعيم فى « الحلية » (١٤٧/٤) ، والبيهقى فى « السنن الكبرى » (١٩١/٨) وفى « شعب الإيمان » (٥٣٢٨/٤) ، من طريق عبيد بن عبيدة به - وفى إسناد أبى نعيم تحريف يصحح من هنا - ورواه النسائى فى « السنن الصغرى » (٨٤/٧) وأبو نعيم ، من طريق عمرو بن عاصم عن معتمر به .

وقال أبو نعيم : « غريب من حديث سليمان التيمى ، عن الأعمش لم يروه عنه إلا ابنه معتمر ...» وهو ثقة ، ومن فوقه ثقات من رجال الشيخين فالإسناد صحيح على شرط الشيخين ، ولذلك رقم به أبو عبد الرحمن الألبانى (ح٢٦٩٨) من « الصحيحة » .

(٦٩٤) - تقدم تخريجه (٥١٩) . الذي تقدم ليس هذا الحديث فليتنبه .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - في ز : « لفلان » ، وسقط من : خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

أبي عون ، عن أبي إدريس ، قال : سمعت معاوية ، رضي اللّٰه عنه ، يقول : سمعت رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، يقول : « **كل ذنب عسىٰ اللّٰه أن يغفره ، إلا الرجل يموت كافرًا ، أو الرجل يقتل مؤمنًا متعمدًا** » .

وكذا رواه النسائي عن محمد بن المثنى ، عن صفوان بن عيسىٰ ، به .

وقال ابن مردويه(٦٩٥) : حدثنا عبد اللّٰه بن جعفر ، حدثنا سمويه ، حدثنا عبد الأعلىٰ بن مسهر ، حدثنا صدقة بن خالد ، حدثنا خالد بن دهقان ، حدثنا ابن أبي زكريا قال : سمعت أمّ الدرداء تقول : سمعت أبا الدرداء يقول : سمعت رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، يقول : « **كل ذنب عسىٰ اللّٰه أن يغفره ، إلا من مات مشركًا ، أو من قتل مؤمنًا متعمدًا** » .

وهذا حديث غريب جدًّا من هذا الوجه . والمحفوظ حديث معاوية المتقدم ، فاللّٰه أعلم .

ثم روىٰ ابن مردويه(٦٩٦) من طريق بقية بن الوليد ، عن نافع بن يزيد ، حدثني ابن جبير الأنصاري ، عن داود بن الحصين ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **من قتل مؤمنًا متعمدًا فقد كفر باللّٰه عز وجل** » .

وهذا حديث منكر أيضًا ، وإسناده[١] [مظلم][٢] جدًّا .

وقال الإمام أحمد(٦٩٧) : حدثنا النضر ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، حدثنا حميد قال : أتاني

(٦٩٥) - تقدم تخريجه (٦٨٥) .

(٦٩٦) - ورواه أيضًا ابن عدى فى « الكامل » (١٠٥٩/٣) مستنكره لـ « زيد بن جبيرة الأنصارى » ،وقال : « عامة ما يرويه عن من روى عنهم ، لا يتابعه عليه أحد » وقد تركه البخارى ، وفى رواية عنه قال : « منكر الحديث » ، وقال ابن معين : « لا شيء » ، وقال النسائى : « ليس بثقة » وقال أبو حاتم : « ضعيف الحديث ، منكر الحديث جدًّا ، متروك الحديث ، لا يكتب حديثه » ، وقال الساجى : حدَّث عن داود بن الحصين بحديث منكر جدًّا - يعني : حديث النهى عن الصلاة فى سبعة مواطن ... وقال الفسوى : ضعيف ، منكر الحديث ، وقال ابن حبان : يروى المناكير عن المشاهير فاستحق التنكب عن روايته ، وقال الحاكم : روى عن أبيه ، وداود بن الحصين وغيرهما المناكير ، وضعفه الدارقطنى ، وقال ابن عبد البر : « أجمعوا على أنه ضعيف » « التهذيب » (١/ ٦٦٠، ٦٦١/ ط الرسالة).

(٦٩٧) - « المسند » (٥/ ٢٨٨، ٢٨٩) مقرونًا بأبى النضر « بهز » ، ورواه أيضًا (١١٠/٤) =

[١] - في خ : « فإسناده » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « متكلم فيه» .

أبو العالية أنا وصاحب لي ، فقال لنا : هلما ، فأنتما أشب شيئًا مني ؛ وأوعىٰ للحديث مني ، فانطلق بنا إلىٰ بشر بن عاصم ، فقال له أبو العالية : حدث هؤلاء حديثك فقال : حدثنا عقبة بن مالك الليثي قال : بعث النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، سرية فأغارت علىٰ قوم ، فشدّ من القوم رجل ، فاتبعه رجل من السرية شاهرًا سيفه[١] ، فقال الشاد من القوم : إني مسلم ، فلم ينظر فيما قال ، فضربه فقتله . فنمىٰ الحديث إلىٰ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقال فيه قولًا شديدًا ، فبلغ القاتل ، فبينا رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم ، يخطب ، إذ قال القاتل : واللَّه ما قال الذي قال إلا تعوذًا من القتل ، قال : فأعرض رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم ، عنه [وعمَّن][٢] قبله من الناس ، وأخذ في خطبته ، ثم قال أيضًا : يا رسول اللَّه ، ما قال الذي قال إلا تعوذًا من القتل ، فأعرض عنه وعمَّن قبله من الناس ، وأخذ في خطبته ، ثم لم يصبر [فقال][٣] الثالثة : واللَّه يارسول اللَّه ، ما قال [الذي قال][٤] إلا تعوذًا من القتل ، فأقبل عليه رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، تعرف المساءة في وجهه ، فقال : « **إن اللَّه أبىٰ عليَّ من قتل مؤمنًا ثلاثًا** » . ورواه النسائي من حديث سليمان بن المغيرة .

= وأبو نعيم فى « معرفة الصحابة » (ح/ ١٩٩/ مخطوط) من طريق أبى النضر هاشم بن القاسم ، والنسائى فى « الكبرى » (٨٥٩٣/٥) ، والطبرانى فى « المعجم الكبير » (١٧/رقم ٩٨٠) وأبو نعيم من طريق أبى نعيم الفضل بن دكين ، وابن أبى شيبة فى « المصنف » (٦٥٣/٧) وفى « المسند » (٢/ رقم ٦٥٣) ثنا شبابة بن سوار ، وأبو يعلى (٦٨٢٩/١٢) وابن أبى عاصم فى « الآحاد والمثانى » (٩٤٢/٢) ثنا شيبان بن فروخ ، والرويانى فى « مسنده » (٢/ ح١٤٩٤) من طريق عبيد الله بن عبد المجيد ، والطبرانى أيضًا ، من طريق هدبة بن خالد والقعنبى ، وأسد بن موسى كلهم (أبو النضر وأبو نعيم وشبابة وشيبان وعبيد الله وهدبة والقعنبى وأسد) ثنا سليمان بن المغيرة به وكلهم قالوا : « بشر بن عاصم الليثى » بينما رواه ابن سعد فى « الطبقات » (٣٤/٧) ، والفسوى فى « المعرفة والتاريخ » (٣٤٥/١) - ومن طريقه البيهقى فى « السنن الكبرى » (٢٢/٨) - ثنا عمرو بن عاصم ثنا سليمان بن المغيرة به غير أنه قال : « نصر بن عاصم الليثى » وقد رواه أبو عبد الرحمن المقرئ - عبد الله بن يزيد - ثنا سليمان بن المغيرة به ، ورواه من طريقه الطبرانى ، وأبو نعيم ، والحاكم فى « المستدرك » (١/ ١٨، ١٩) - ومن طريقه البيهقى (١١٦/٩) - من طريق بشر بن موسى وأبى يحيى المكى ثنا عبد الله بن يزيد به غير أن الحاكم سمى شيخ « أبي العالية وحميد » : « نصر بن عاصم » وعند الطبرانى وأبى نعيم « بشر بن عاصم » .

وقال الحاكم : « هذا حديث مُخرج مثله فى المسند الصحيح لمسلم ، فقد احتج بنصربن عاصم الليثى ...» وقد وثقه النسائى ، وابن حبان ، واعتمد ذلك ابن حجر فى « التقريب » . غير أنهم لم يذكروا فى ترجمته أنه هو الراوى عن « عقبة بن مالك » ، وإنما ذكروا أن الراوى عن « عقبة » إنما هو « بشر » وبشر هذا نقل عن النسائى توثيقه - ورد ذلك ابن القطان ، وأفاد أن الذى وثقه النسائى إنما هو =

[١] - سقط من : ز . [٢] - ما بين المعكوفتين في ت : « ولمن » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في خ : « حتى قال » . [٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

والذي عليه الجمهور من سلف الأمّة وخلفها ، أن القاتل له توبة فيما بينه وبين اللّه ، عز وجل - ، فإن تاب وأناب ، وخشع وخضع ، وعمل عملًا صالحًا بدّل اللّه سيئاته حسنات ، وعوّض المقتول من ظلامته ، وأرضاه عن طلابته ، قال اللّه تعالىٰ : ﴿ **والذين لا يدعون مع اللّه إلهًا آخر** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **إلا من تاب وآمن وعمل عملًا صالحًا** ﴾ الآية . وهذا خبر لا يجوز نسخه ، وحمله علىٰ المشركين وحمل هذه الآية علىٰ المؤمنين خلاف الظاهر ، ويحتاج حمله[١] إلىٰ دليل ، واللّه أعلم .

وقال تعالىٰ : ﴿ **قل يا عبادي الذين أسرفوا علىٰ أنفسهم لا تقنطوا من رحمة اللّه** ﴾ الآية . وهذا عام في جميع الذنوب من كفر وشرك ، وشك ونفاق ، وقتل وفسق وغير ذلك ، كل من تاب من أي ذلك ، تاب اللّه عليه .

وقال اللّه تعالىٰ : ﴿ **إن اللّه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ فهذه الآية عامّة في جميع الذنوب ، ما عدا الشركَ ، وهي مذكورة في هذه السورة الكريمة ، بعد هذه الآية وقبلها ؛ لتقوية الرجاء . واللّه أعلم .

= « بشر بن عاصم الطائفى » - ووثقه أيضًا ابن حبان - فصحح له حديث (١١/٤٧٤٠ / إحسان) - وقال الذهبى فى « الكاشف » : « وثق » ، وقال ابن حجر فى « التقريب » : « صدوق يخطئ » وقد أفاد المزى أنه : « أخو نصر بن عاصم » راجع حاشية « تهذيب الكمال » (٤/ت٩٦٥) .

ومما يؤكد أنه حديث « بشر » وليس حديث « نصر » أن الجمع رووه عن « بشر » وأما رواية « عمرو بن عاصم » فهو : « صدوق فى حفظه شيء » فيخشى أن يكون وهم فى التسمية ، وأما رواية أبى عبد الرحمن المقرئ - والتى اعتمد عليها الحاكم فصحح الحديث بها - فإنه قد تبين أنه اختلف عليه فيها وترجيح الرواية الموافقة للجماعة أولى ، ومما يؤكد صحة رواية الجماعة أنه قد رواه أحمد (٤/١١٠) والطبرانى (١٧/٩٨١) وأبو نعيم من طريق حماد بن سلمة عن يونس بن عبيد عن حميد بن هلال به وسماه « بشر بن عاصم » وتابع حماد يزيد ابن زريع عند أبى نعيم ، بينما رواه الحاكم (٢/١٩) من طريق حماد بن سلمة ، فقال فيه : « نصر بن عاصم » !! وعلى كل حالٍ ، فإن « بشرًا » مما يحسن حديثه ، لا سيما وأن له شاهدًا من حديث أنس بن مالك سود به أبو عبد الرحمن الألبانى حديث رقم (٦٨٩) من « الصحيحة » .

وقد ذكر حديث عقبة الهيثمى فى « المجمع » (١/ ٣١، ٣٢) وقال : « رواه الطبرانى فى الكبير وأحمد وأبو يعلى إلا أنه قال : عقبة بن خالد بدل عقبة بن مالك - وكأنه خطأ قديم من أحد النساخ ، أو وهم من أبى يعلى ، ومع هذا فقد صوبه محقق مسند أبى يعلى فى المتن !! - ورجاله ثقات كلهم » .

---

[١] - سقط من : خ .

وثبت في الصحيحين(٦٩٨) خبر الإِسرائيلي الذي قتل مائة نفس ، ثم سأل عالمًا : هل لي من توبة؟ فقال : ومن يحول بينك وبين التوبة ؟ ثم أرشده إلىٰ بلد يعبد اللَّه فيه ، فهاجر إليه ، فمات في الطريق ، فقبضته ملائكة الرحمة كما ذكرناه غير مرة ، وإن كان هذا في بني إسرائيل ، فلأن يكون في هذه الأمّة التوبة مقبولة بطريق الأولىٰ والأحرىٰ ؛ لأنَّا[١] وُضع عنا الآصار والأغلال التي كانت عليهم ، وبعث نبينا بالحنيفية السمحة . فأما الآية الكريمة ، وهي قوله تعالىٰ : ﴿ **ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابًا عظيمًا** ﴾ ؛ فقد قال أبو هريرة وجماعة من السلف : هذا جزاؤه إن جازاه ، وقد رواه ابن مردويه بإسناده[٢] مرفوعًا ، من طريق محمد بن جامع العطار ، عن العلاء بن ميمون العنبري ، عن حجاج الأسود ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة مرفوعًا(٦٩٩) ، ولكن لا يصح ، ومعنىٰ هذه الصيغة : أن هذا جزاؤه إن جوزي عليه ، وكذا كل وعيد علىٰ ذنب ، لكن قد يكون ذلك[٣] معارضًا من أعمال صالحة ، تمنع وصول ذلك الجزاء إليه ، علىٰ قولي أصحاب الموازنة أو الإحباط ، وهذا أحسن ما يسلك[٤] في باب الوعيد ، واللَّه أعلم بالصواب ، وبتقدير دخول القاتل في[٥] النار ، إما علىٰ قول ابن عباس ومن وافقه أنه لا توبة له ، أو علىٰ قول الجمهور حيث لا عمل له صالحاً ينجو به ، فليس يخلد فيها أبدًا ، بل الخلود هو المكث الطويل ، وقد تواردت الأحاديث عن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم(٧٠٠) : « **أنه يخرج من النار من كان في قلبه أدنىٰ مثقال[٦] ذرة من إيمان** » . وأما

(٦٩٨) - أخرجه البخارى ، كتاب : الأنبياء (٣٤٧٠) ، ومسلم : كتاب : التوبة ، باب : قبول توبة القاتل وإن كثر قتله (٤٨٤٦) (٢٧٦٦) .

(٦٩٩) - ورواه ابن أبى حاتم فى تفسيره (٥٨١٩/٣) ، والعقيلى فى « الضعفاء » (٣٤٦/٣) ، والطبرانى فى « المعجم الأوسط » (٨٦٠٦/٨) ، وأبو نعيم فى « الحلية » (٢/ ٢٨٠، ٢٨١) وفى إسناده تصحيف يصحح - كلهم من طريق محمد بن جامع به . وقال الطبرانى : « لم يرو هذا الحديث عن محمد بن سيرين إلا حجاج بن الأسود ، ولا رواه عن الحجاج إلا العلاء بن ميمون ، تفرَّد به محمد بن جامع » وهو ضعيف ، ضعفه أبو يعلى وأبو حاتم وابن عدى ، وقال : « لايتابع على أحاديثه » ، وتركه ابن عبد البر - راجع « لسان الميزان » (٥/ت ٧١٨٦) - وبه أعله الهيثمى فى « المجمع » (١١/٧) وشيخه - العلاء بن ميمون - استنكر له العقيلى هذا الحديث ، وقال : « لا يتابع على حديثه ، ولا يعرف إلا به » ، وضعف إسناده السيوطى فى « الدر المنثور » (٣٥٢/٢) وعزاه إلى ابن أبى حاتم ، والطبرانى ، وأبى القاسم ابن بشران .

(٧٠٠) - انظر ما تقدم تخريجه (رقم : ٤٣١) .

[١] - في ت : « لأن الله » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « كذلك » .
[٤] - في خ : « سلك » .
[٥] - في ز ، خ : « إلى » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .

حديث معاوية(٧٠١) : « **كل ذنب عسىٰ اللّه أن يغفره إلا الرجل يموت كافرًا ، أو الرجل يقتل مؤمنًا متعمدًا** » ، فعسى للترجي ، فإذا انتفى الترجي في هاتين الصورتين ، لا ينتفي[١] وقوع ذلك في أحدهما ، وهو القتل ، لما ذكرنا من الأدلة . وأما من مات كافرًا ، فالنص [أنه][٢] لايغفر له البتة ، وأما مطالبة المقتول القاتل يوم القيامة ؛ فإنه حق من حقوق الآدميين ، وهي لا تسقط بالتوبة ، [ولكن لابد من ردّها إليهم][٣] ، ولا فرق بين المقتول والمسروق منه والمغصوب منه والمقذوف وسائر حقوق الآدميين ، فإن الإجماع منعقد علىٰ أنها لا تسقط بالتوبة ، ولكنه[٤] لابد من أدائها[٥] إليهم في صحة التوبة ؛ فإن تعذر ذلك فلابد من الطلابة[٦] يوم القيامة ، لكن لا يلزم من وقوع الطلابة[٧] وقوع المجازاة ، إذ[٨] قد يكون للقاتل أعمال صالحة تصرف إلىٰ المقتول أو بعضها ، ثم يفضل له أجر يدخل به الجنة ، أو يعوض اللّه المقتول من فضله بما يشاء ، من قصور الجنة ونعيمها ، ورفع درجته فيها ، ونحو ذلك . واللّه أعلم[٩] .

ثم للقتل العمد أحكام في الدنيا وأحكام في الآخرة ؛ فأما[١٠] في الدنيا فتسلط أولياء المقتول عليه ، قال اللّه تعالىٰ : ﴿ **ومن قتل مظلومًا فقد جعلنا لوليه سلطانًا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورًا** ﴾ ، ثم هم مخيرون بين أن يقتلوا ، أو يعفوا ، أو يأخذوا دية مغلظة أثلاثًا - ثلاثون حقة ، وثلاثون جذعة ، وأربعون خلفة - كما هو مقدر[١١] في كتب الأحكام .

واختلف الأئمة : هل تجب عليه كفارة عتق رقبة ، أو صيام شهرين متتابعين ، أو إطعام ؟ علىٰ أُحد القولين كما تقدّم في كفارة الخطأ - علىٰ قولين ، فالشافعي وأصحابه وطائفة من العلماء يقولون : نعم يجب عليه ؛ لأنه إذا وجبت عليه[١٢] الكفارة في الخطأ ، فلأن تجب عليه في العمد أولىٰ ، فطردوا[١٣] هذا في كفارة اليمين الغموس[١٤] ، واعتضدوا بقضاء

(٧٠١) - تقدم تخريجه (رقم : ٥١٩) .

[١] - في ز : « ينبغي » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « أن الله » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ت : « ردها » .
[٦] - في ت : « المطالبة » .
[٧] - في ت : « المطالبة » .
[٨] - في ز : « و » .
[٩] - سقط من : ز .
[١٠] - في ز : « أما » .
[١١] - في ت : « مقرر » .
[١٢] - سقط من : ز .
[١٣] - في ز : « وطردوا » .
[١٤] - في ز : « المغموس » .

الصلوات[١] المتروكة عمدًا ، كما أجمعوا علىٰ ذلك في الخطأ . وقال أصحاب الإمام أحمد وآخرون : قتل العمد أعظم من أن يكفر فلا كفارة فيه ، وكذا اليمين الغموس ، ولا سبيل لهم إلىٰ الفرق بين هاتين الصورتين وبين الصلاة المتروكة عمدًا ، فإنهم يقولون بوجوب قضائها إذا[٢] تركت عمدًا ، وقد احتج من ذهب إلىٰ وجوب الكفارة في قتل العمد ؛ بما رواه الإمام أحمد(٧٠٢) ، حيث قال : حدثنا عارم بن الفضل ، حدثنا عبد اللَّه بن المبارك ، عن إبراهيم بن أبي عبلة ، عن الغريف بن عياش ، عن واثلة بن الأسقع قال : أتىٰ النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، نفر من بني سليم ، فقالوا : إن صاحبًا لنا قد أوجب[٣] ، قال[٤] : « **فليعتق رقبة ؛ يفدي اللَّه بكل عضو منها عضوًا[٥] منه من النار** » .

(٧٠٢) - « المسند » (٤/١٠٧) ورواه الطحاوى فى « مشكل الآثار » (١/٢١٥) من طريق عارم به ، ورواه النسائى فى « الكبرى » (٣/٤٨٩١) وأبو يعلى فى « مسنده » (١٣/٧٤٨٤) ، والطبرانى فى « المعجم الكبير » (٢٢/ح٢٢١) من طريق عبد الله بن المبارك به ورواه أحمد (٣/ ٤٩٠، ٤٩١) من طريق إبراهيم ابن إسحاق ، وأبو داود فى « السنن » (٣٩٦٤) - ومن طريقه الخطيب البغدادى فى « الفقيه والمتفقه » (٢/ح٧٢٥) - ثنا عيسى بن محمد الرملى ، والحاكم فى « المستدرك » (٢/٢١٢) - وعنه البيهقى فى « السنن الكبرى » (٨/ ١٣٢، ١٣٣) - من طريق أبى عتبة أحمد بن الفرج ، والطحاوى (١/٢١٦) من طريق أسد بن موسى ، والبيهقى أيضًا (٨/١٣٣) من طريق الحكم بن موسى . كلهم (إبراهيم وعيسى وأحمد وأسد والحكم) ثنا ضمرة بن ربيعة به ولفظه : « أعتقوا عنه ...» ورواه الطبرانى (٢٢/ح٢١٨) - ومن طريقه المزى فى « تهذيب الكمال » (٢٣/٩٨/ ت ٤٦٨٤) - ثنا يحيى بن أيوب العلَّاف المصرى ، ثنا مهدى بن جعفر الرملى ، ثنا ضمرة بن ربيعة عن الأوزاعى عن إبراهيم بن أبى عبلة ، كذا زاد « الأوزاعى » بين ضمرة ، وإبراهيم . قال الطبرانى : هكذاحدثناه ابن أيوب العلَّاف عن مهدى بن جعفر عن الأوزاعى عن إبراهيم بن أبى عبلة من أصل كتابه ، وحدثنا محمد بن على الصائغ المكى ثنا مهدى بن جعفر الرملى ، ثنا ضمرة بن ربيعة عن إبراهيم بن أبى عبلة ... نحوه ولم يذكر الأوزاعى » . وهو الصواب ، وابن الصائغ أوثق من العلَّاف ، وقد تابعه غير واحد ، كما تقدم - على عدم ذكر الأوزاعى . ورواه أحمد (٣/٤٩٠) من طريق ابن علاثة ثنا إبراهيم بن أبى عبلة عن واثلة فأسقط من الإسناد « غريف » ، وابن عُلاثة فيه ضعف ورواه النسائى (٣/٤٨٩٠) من طريق مالك بن مهران عن إبراهيم عن رجل قال : قلنا لواثلة ... الحديث ، ورواه الطبرانى (٢٢/ح ٢٢٠) - ومن طريقه الخطيب (٢/ح ٧٢٤) - والطحاوى (١/٢١٦) من طريق أبى مسهر حدثني يحيى بن حمزة حدثنى إبراهيم بن أبى عبلة حدثنى الغريف بن عياش بن فيروز الديلمى عن واثلة بن الأسقع قال : خرجنا مع رسول الله - صلى اللَّه عليه وسلم - فى غزوة تبوك فجاء ناس من بنى سليم ... فذكر الحديث ولفظه : « فليعتق عنه رقبة ...» . =

[١] - في ت : « الصلاة » . [٢] - في ز : « وإن » .
[٣] - أوجب الرجل : إذا فعل فعلًا وجبت له به الجنة أو النار . النهاية [٥/١٥٣] .
[٤] - في ز : « قالوا » . [٥] - في ز : « عضو » .

وقال أحمد : حدثنا إبراهيم بن إسحاق ، حدثنا ضمرة بن ربيعة ، عن إبراهيم بن أبي عبلة ، عن[١] الغريف[٢] الديلمي قال : أتينا واثلة بن الأسقع الليثي ، فقلنا : حدِّثنا حديثًا سمعته من رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، [قال : أتينا رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ،][٣] في

= ورواه الطحاوى (١/ ٢١٥) من طريق هانئ بن عبد الرحمن حدثنى إبراهيم بن أبى عبلة به بمثل رواية يحيى ابن حمزة ، غير أنه قال : « مروه فليعتق رقبة ...» ورواه النسائى (٣/ ٤٨٩٢) ، وابن حبان (١٠/ ٤٣٠٧/ إحسان) ، (٤/ ١٢٠٦) ، والطحاوى (١/ ٢١٦، ٢١٧) ، والبغوى فى « شرح السنة » (٩/ ٢٤١٧) من طريق عبد الله بن يوسف التنيسى ثنا عبد الله بن سالم الأشعرى ، حدثنى إبراهيم بن أبى عبلة ، قال : كنت جالسًا بأريحا ، فمر بى واثلة بن الأسقع متوكئًا على عبد الله بن الديلمى ، فأجلسه ، ثم جاء إلى فقال : عجبت مما حدثنى به هذا الشيخ - يعنى واثلة - قلت : ما حدثك ؟ قال : كنا مع النبى - صلى اللَّه عليه وسلم - فأتاه نفر من بنى سليم ، فقالوا : يا رسول الله ، إن صاحبًا لنا قد أوجب ، فقال النبى - صلى اللَّه عليه وسلم - : « أعتقوا عنه رقبة ...» ورواه الطحاوى (١/ ٢١٦) من طريق الوليد بن مسلم ، حدثنى مالك بن أنس وغيره عن إبراهيم بن أبى عبلة أنه حدثهم عن عبد الله بن الديلمى عن واثلة به . ورواه الحاكم من طريق أيوب بن سويد ثنا إبراهيم بن أبى عبلة عن عبد الأعلى بن الديلمى عن واثلة بن الأسقع سمع رسول الله - صلى اللَّه عليه وسلم - يقول : « من أعتق مسلمًا كان فكاكه من النار بكل عضو من هذا عضوًا من هذا » .

وقال الحاكم : « غريف - ابن عياش - هذا لقب لعبد الله بن الديلمى ... فصار حديث واثلة بهذه الروايات صحيحًا على شرط الشيخين ... وعبد الأعلى هذا أيضًا هو عبد الله بن الديلمى ، بلا شك فيه كما قلناه فى غريف » ووافقه الذهبى ، وأقرهما أبو عبد الرحمن الألبانى على أن الغريف ، لقب لعبد الله ابن الديلمى ، لكن تعقبهما بأن « عبد الله الديلمى ، المذكور فى هذه الروايات ، ليس هو الذى عناه الحاكم - عبد الله بن فيروز الديلمى أبا بشر ، وهو الذى وثقه ابن معين والعجلى وغيرهما ، وروى له أصحاب السنن إلا الترمذى - بل هو ابن أخى هذا » حيث إنه قد صرح باسمه فى بعض الروايات بأنه « الغريف بن عياش بن فيروز الديلمى ولذلك قال الحافظ فى ترجمة أبى بشر من « التهذيب » : « هو أخو الضحاك بن فيروز ، وعم الغريف بن عياش بن فيروز » ، وإذا ثبت أنه عبد الله بن عياش بن فيروز - وهو غير عبد الله بن فيروز - علم أن هذا الإسناد ضعيف من أجل غريف هذا حيث لم يرو عنه غير إبراهيم بن أبى عبلة ، ولم يوثقه غير ابن حبان (١/ ١٨٣) وجهله ابن حزم ثم إن للحديث علة أخرى ، وهى الاضطراب فى متنه ، ففى رواية ضمرة وعبد الله بن سالم : « أعتقوا عنه » ، وفى رواية ابن المبارك ومالك : « فليعتق رقبة » ، وتابعهما عليها يحيى بن حمزة ، وهانئ بن عبد الرحمن عند الطحاوى ولفظ هانئ : « مروه فليعتق رقبة » ، فهذه الرواية أرجح لاتفاق هؤلاء الأربعة عليها ، وفيهم مالك وابن المبارك وهما فى التثبت والحفظ على ما هما عليه كما قال الطحاوى » بتصرف من « الضعيفة » (٢/ ح٩٠٧) وانظر أيضًا « الإرواء » (٧/ ح٢٣٠٩) .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « العريف » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .

صاحب لنا قد أوجب ، فقال : « **أعتقوا عنه يعتق اللَّه بكل عضو منه عضوًا منه من النار** » .

وكذا رواه أبو داود والنسائي من حديث إبراهيم بن أبي عبلة ، به ، ولفظ أبي داود عن [الغريف الديلمي][١] قال : أتينا واثلة بن الأسقع ، فقلنا له[٢] : حدثنا حديثًا ليس فيه زيادة ولا نقصان ، فغضب فقال : إن أحدكم ليقرأ ومصحفه [معلق في][٣] بيته[٤] فيزيد وينقص ، قلنا : إنما[٥] أردنا حديثًا سمعته من رسول ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : أتينا رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، في صاحب لنا قد أوجب ، يعني النار بالقتل فقال : « **أعتقوا عنه يعتق اللَّه بكل عضو منه عضوًا [ ][٦] من[٧] النار** » .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿٩٤﴾ ﴾

قال الإمام أحمد(٧٠٣) : حدثنا يحيىٰ بن أبي بكير ، وخلف بن الوليد ، وحسين بن محمد ،

---

(٧٠٣) - « المسند » (١/ ٢٢٩، ٢٧٢) ، ورواه أيضًا (١/٣٢٤) ثنا يحيى بن آدم ، ورواه عبد بن حميد - كما فى « الدر المنثور » (٢/٣٥٦) ، وعنه أبو عيسى الترمذى فى « الجامع » كتاب : تفسير القرآن (٣٠٣٠) - ثنا عبد العزيز بن أبى رِزْمَة . وابن جرير فى « تفسيره » (٩/ ١٠٢١٧، ١٠٢١٨) من طريق عبد الرحيم بن سليمان ، وعبيد الله بن موسى ، وابن حبان (١١/٤٧٥٢) من طريق عبد الرحيم بن سليمان ، والطبرانى فى « المعجم الكبير » (١١/١١٧٣١) من طريق محمد بن يوسف الفريابى - وخلف ابن الوليد ، والحاكم فى « المستدرك » (٢/٢٣٥) - وعنه البيهقى فى « السنن الكبرى » (٩/١١٥) من طريق عبيد الله بن موسى ، ستتهم (يحيى وعبد العزيز وعبد الرحيم وعبيد الله ومحمد وخلف) أنبأ إسرائيل به وقال الترمذى : « حديث حسن » ، وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبى ، مع أن رواية سماك عن عكرمة مضطربة ، كما قال ابن المدينى وغيره ، لكنه صح من وجه آخر فانظر الآتى .

---

[١] - في ز : « العريف بن الديلمي » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - مكانها بياض في ز ، وسقط من : خ .
[٥] - في ز : « إنا » .
[٦] - ما بين المعكوفين في خ : منه .
[٧] - سقط من : ت .

قالوا : حدثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ قال : مر رجل من بني سليم بنفر من أصحاب النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وهو يسوق غنمًا له ، فسلم عليهم ، فقالوا : [ما سلم][١] علينا إلا ليتعوذ منا . فعمدوا إليه فقتلوه وأتوا بغنمه النبي ، صلى الله عليه وسلم ، [فنزلت هذه الآية][٢] ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ إلىٰ آخرها .

ورواه الترمذي في التفسير ، عن عبد بن حميد ، عن عبد العزيز بن أبي رِزْمة ، عن إسرائيل ، به ، و[٣] قال : هذا حديث حسن صحيح[٤] . وفي الباب عن أسامة بن زيد .

ورواه الحاكم من طريق عبيد الله بن موسىٰ ، عن إسرائيل ، به . ثم قال : صحيح الإِسناد ولم يخرجاه .

ورواه ابن جرير من حديث عبيد الله بن موسىٰ وعبد الرحيم بن سليمان ، كلاهما عن إسرائيل ، به . وقال في بعض كتبه غير التفسير : وقد رواه من طريق عبد الرحمن فقط ، وهذا خبر عندنا صحيح سنده ، وقد يجب أن يكون علىٰ مذهب الآخرين سقيمًا ، لعلل منها : أنه لا يعرف له مخرج عن سماك إلا من هذا الوجه ، ومنها : أن عكرمة : في روايته عندهم نظر ، ومنها : أن الذي أنزلت[٥] فيه هذه[٦] الآية عندهم مختلف فيه ؛ فقال بعضهم : أنزلت[٧] في مُحَلِّم بن جثامة ، وقال بعضهم : أسامة بن زيد ، وقيل : غير ذلك .

قلت : وهذا كلام غريب ، وهو مردود من وجوه أحدها : أنه ثابت عن سماك ، حدث به عنه غير واحد من الأئمة[٨] الكبار . الثاني : أن عكرمة محتج به في الصحيح . الثالث : أنه مروي من غير هذا الوجه عن ابن عباس ؛ كما قال البخاري(٧٠٤) : حدثنا علي بن عبد الله ،

(٧٠٤) - رواه البخارى ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ ولاتقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنًا ﴾ (٤٥٩١) ، مسلم ، كتاب : التفسير (٢٢) (٣٠٢٥) ، وأبو داود ، كتاب : الحروف والقراءات (٣٩٧٤) ، والنسائى فى « التفسير » (١٣٦) كلهم من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار به وانظر رقم (٧١٠) .

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « لا يسلم » .
[٢] - ما بين المعكوفتين مكانها بياض في ز ، وسقط من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفين في خ : « ثم » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في خ : « نزلت » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في خ : « نزلت » .
[٨] - سقط من : ز .

حدثنا سفيان ، عن عمرو [بن دينار][١] ، عن عطاء ، عن ابن عباس : ﴿ ولا تقولوا لمن ألقىٰ إليكم السلام لست مؤمنًا ﴾ قال : قال ابن عباس : كان رجل في غنيمته ، فلحقه المسلمون ، فقال : السلام عليكم ، فقتلوه ، وأخذوا غنيمته ، [فنزلت][٢] : ﴿ ولا تقولوا لمن ألقىٰ إليكم السلام لست مؤمنًا ﴾ .

[قال ابن عباس : عرض الدنيا تلك الغنيمة ، وقرأ ابن عباس : ﴿ السلام ﴾][٣] .

وقال سعيد بن منصور(٧٠٥) : حدثنا منصور ، عن عمرو بن دينار ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن عباس قال : لحق المسلمون رجلًا في غنيمة له ، فقال : السلام عليكم ، فقتلوه ، وأخذوا غنيمته ، فنزلت : ﴿ ولا تقولوا لمن ألقىٰ إليكم السلام لست مؤمنًا ﴾][٤] .

[وقد رواه][٥] ابن جرير وابن أبي حاتم(٧٠٦) من طريق سفيان بن عيينة ، به .

[وقال في ترجمته : إن أخاه فزارًا هاجر إلىٰ رسول اللّٰه ، عن أمر أبيه ، بإسلامهم وإسلام قومهم ، فلقيته سرية لرسول اللّٰه في عماية الليل ، وكان قد قال لهم : إنه مسلم ، فلم يقبلوا منه فقتلوه ، فقال أبوه : فقدمت إلىٰ رسول اللّٰه فأعطاني ألف دينار ، ودية أخرىٰ ، وسيرني ، فنزل قوله تعالىٰ : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل اللّٰه ﴾ الآية][٦] .

وأما قصة محلم بن جثامة ، فقال الإمام أحمد رحمه اللّٰه(٧٠٧) : حدثنا يعقوب ، حدثني أبي ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني يزيد بن عبد اللّٰه بن قسيط ، عن القعقاع بن عبد اللّٰه ابن أبي حدرد - رضي اللّٰه عنه - قال : بعثنا رسول اللّٰه إلىٰ إضم[٧] ، فخرجت في نفر

---

(٧٠٥) - لم أهتد إليه من هذا الوجه ، وقد عزاه لـ « سعيد بن منصور » السيوطي فى « الدر المنثور » (٢/٣٥٦) .

(٧٠٦) - رواه ابن جرير (٩/ ١٠٢١٥، ١٠٢١٦) من طريق عبد الرزاق - وهو فى تفسيره (١/ ١٧٠) - وسعيد ابن الربيع . وابن أبى حاتم (٣/٥٨٢٥) ثنا العباس بن يزيد العبدى ، ومحمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ أربعتهم (عبد الرزاق وسعيد والعباس ومحمد) ثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار عن عطاء به .

(٧٠٧) - « المسند » (٦/ ١١) - والحديث فى « السيرة » لابن هشام (٤/١٤٨٣) - ورواه ابن أبى شيبة فى « المصنف » (٨/٥٦٣) - وعنه ابن أبى عاصم فى « الآحاد والمثانى » (٤/٢٣٧٨) - ثنا أبو خالد الأحمر عن محمد بن إسحاق به ، وتابع أبا خالد الأحمر عليه هكذا يحيى بن سعيد الأموى ، علقه =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٢] - في ت : « فأنزل الله في ذلك » .
[٣] - وهي قراءة الكسائي وابن كثير وأبي عمرو وعاصم . وقرأ نافع وابن عامر وحمزة (السَّلَمَ) بدون ألف .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « ورواه » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٧] - إضم اسم جبل .

من المسلمين فيهم أبو قتادة الحارث بن ربعي ، ومحلم بن جثامة بن قيس ، فخرجنا حتىٰ إذا كنا ببطن إضم ؛ مر بنا عامر بن الأضبط الأشجعي علىٰ قعود له ، معه متيع ووَطْبٌ[١] من لبن ، فلما مر بنا سلم علينا ، فأمسكنا عنه ، وحمل عليه محلم بن جثامة فقتله بشيء كان بينه وبينه ، وأخذ بعيره ومتيعه . فلما قدمنا علىٰ رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ، وأخبرناه الخبر ، نزل فينا القرآن[٢] : **﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل اللَّه فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنًا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمنَّ الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيرًا ﴾** .

تفرد به أحمد . وقال ابن جرير(٧٠٨) : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا جرير ، عن ابن إسحاق ،

= البيهقي في « السنن الكبرى » (١١٥/٩) ورواه ابن جرير (١٠٢١٢/٩) من طريق سلمة عن محمد بن إسحاق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي القعقاع بن عبد الله بن أبي حدرد عن أبيه به ، ورواه البيهقي أيضًا من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق حدثني يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي القعقاع ابن عبد الله بن أبي حدرد عن أبيه أبي حدرد به ، قال البيهقي : « كذا رواه يونس بن بكير عن ابن إسحاق ، ورواه محمد بن سلمة - رواه في « الدلائل » (٣٠٥/٤) - عن محمد بن إسحاق عن يزيد عن ابن عبد الله بن أبي حدرد عن أبيه ، ورواه أبو خالد الأحمر عن ابن إسحاق عن يزيد عن القعقاع بن عبد الله بن أبي حدرد عن أبيه ، وكذلك قاله يحيى بن سعيد الأموى عن ابن إسحاق ، ورواه حماد بن سلمة - كما عند ابن أبي حاتم في تفسيره (٥٨٢٧/٣) - في رواية حجاج بن منهال عنه عن ابن إسحاق عن يزيد عن أبي حدرد الأسلمي عن أبيه ، وقيل غير ذلك ، ورواه عبد الله بن إدريس عن ابن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي - رضى الله عنه - قال : كنت في سرية بعثها رسول الله - صلى اللَّه عليه وسلم - إلى إضم واد من أودية أشجع ، ورواه سلميان التيمى عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن القعقاع بن عبيد الله عن أبي عبد الله قال : بعثنا رسول الله - صلى اللَّه عليه وسلم - ... ورواه الوليد بن كثير عن يزيد بن عبد الله بن قسيط أن رجلًا من أسلم حدثه أنه سمع ابن أبي حدرد الأسلمي - رضى الله عنه - يحدث أنه كان في سرية ...» ورواه ابن الجارود في « المنتقى » (٧٧٧) وابن جرير (١٠٢١٣/٩) وابن أبي حاتم (٥٨٢٦/٣) من طريق المحاربي محمد بن عبد الرحمن ، وابن أبي حاتم أيضًا (٥٨٢٧/٣) من طريق أبي سلمة ، ثنا حماد بن سلمة ، كلاهما (المحاربي وحماد) ثنا محمد بن إسحاق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن ابن أبي حدرد الأسلمي عن أبيه به .

ورواه محمد بن عمر الواقدي - وعنه ابن سعد في « الطبقات » (٤/ ٢١١، ٢١٢) - ثنا عبد الله بن يزيد بن قسيط عن أبيه عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي عن أبيه به ، والواقدي متروك مع سعة علمه . وذكر الحديث الهيثمي في « المجمع » (١١/٧) وقال : « رواه أحمد والطبراني ، ورجاله ثقات » !! وانظر ما بعده .

(٧٠٨) - تفسير ابن جرير (١٠٢١١/٩) ولم يعزه السيوطي في « الدر المنثور » (٢/ ٣٥٦، ٣٥٧) لغيره . وشيخ ابن جرير هو سفيان بن وكيع ، « ضعيف » ، ومحمد بن إسحاق مدلس ، وقد عنعنه ،=

[١] - الوطب : الوعاء يكون فيه السمن واللبن .   [٢] - سقط من : ت .

عن نافع ، أن[١] ابن عمر قال[٢] : بعث رسول اللَّه محلم بن جثامة مبعثًا ، فلقيهم عامر بن الأضبط فحياهم بتحية الإسلام ، وكانت بينهم حِنَةٌ[٣] [في الجاهلية][٤] ، فرماه محلم بسهم فقتله ، فجاء الخبر إلىٰ رسول اللَّه فتكلم فيه عيينة والأقرع ، فقال الأقرع : يارسول اللَّه ، سُنَّ اليوم وغير غدًا ، فقال عيينة : لا واللَّه ، حتىٰ تذوق نساؤه من الثكل ما ذاق نسائي ، فجاء محلم في بردين فجلس بين يدي رسول اللَّه ليستغفر له ، فقال رسول اللَّه : « **لا غفر اللَّه لك** » فقام وهو يتلقىٰ دموعه ببرديه ، فما مضت له سابعة حتىٰ مات ودفنوه ، فلفظته الأرض فجاءوا إلىٰ النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فذكروا ذلك له ، فقال : « **إن الأرض تقبل من هو شر من صاحبكم ، ولكن اللَّه أراد أن يعظكم من حرمتكم** » . ثم طرحوه بين[٥] صدفي[٦] جبل ، وألقوا عليه من[٧] الحجارة ، فنزلت : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل اللَّه فتبينوا** ﴾ الآية .

وقال البخاري(٧٠٩) : قال حبيب بن أبي عمرة ، عن سعيد ، عن ابن عباس ؛ قال : قال رسول اللَّه للمقداد : « **إذا كان رجل مؤمن يخفي إيمانه مع قوم كفار ، فأظهر إيمانه فقتلته ، فكذلك كنت [أنت][٨] تخفي إيمانك بمكة من قبل** » .

هكذا ذكره البخاري معلقًا مختصرًا وقد روي مطولًا موصولًا . فقال الحافظ أبو بكر البزار(٧١٠) : حدثنا حماد بن علي البغدادي ، حدثنا جعفر بن سلمة ، حدثنا أبو بكر بن

= وأصل القصة عند أحمد (٦/١٠) (٥/١١٢) وأبي داود (٤٥٠٣) وابن ماجه (٢٦٢٥) وغيرهم من حديث سعد بن ضميرة السلمي غير أنه من رواية ابنه زياد عنه ، وزياد لم يوثقه غير ابن حبان - « الثقات » (٦/٣٢٥) - وجهله الذهبي ، وقال ابن حجر في « التقريب » : مقبول .

(٧٠٩) - صحيح البخاري ، كتاب : الديات ، باب : قول الله تعالى : ﴿ ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم ﴾ (٦٨٦٦) وانظر ما بعده .

(٧١٠) - كما في « كشف الأستار » للهيثمي (٣/٢٢٠٢) و « مختصر الزوائد » لابن حجر (٢/١٤٥٨) ومن هذا الوجه عزاه ابن حجر في « التغليق » (٥/٢٤٣) إلى أسلم بن سهل في « تاريخ واسط » ورواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٢/١٢٣٧٩) - ومن طريقه الضياء المقدسي في « المختارة » =

[١] - في ت : « عن » .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - في ز : « جنه » . والحِنَة : لغة قليلة في الإحنة ، وهي الحقد .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - في ز : « في » .
[٦] - سقط من : ز . وصدف الجبل : جانبه الذي يقابلك منه .
[٧] - سقط من : ت .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .

علي بن مُقَدَّم ، حدثنا حبيب بن أبي عمرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ؛ قال : بعث رسول اللَّه سرية فيها المقداد بن الأسود ، فلما أتوا القوم وجدوهم قد تفرقوا ، وبقي رجل له مال كثير لم يبرح ، فقال : أشهد أن لا إله إلا اللَّه ، وأهوىٰ إليه المقداد فقتله ، فقال له رجل من أصحابه : أقتلت رجلًا شهد أن لا إله إلا الله ؟ واللَّه لأذكرن ذلك للنبي ، صلى الله عليه وسلم ، فلما قدموا علىٰ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قالوا : يا رسول اللَّه ، إن رجلًا شهد أن لا إله إلا اللَّه ، فقتله المقداد ، فقال : « **ادعوا لي المقداد ، يا مقداد ، أقتلت رجلًا يقول : لا إله إلا اللَّه ، فكيف لك بلا إله إلا اللَّه غدًا ؟!** » قال : فأنزل اللَّه : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل اللَّه فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقىٰ إليكم السلام لست مؤمنًا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند اللَّه مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن اللَّه عليكم فتبينوا** ﴾ فقال رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ، للمقداد : « **كان رجل مؤمن يخفي إيمانه مع قوم كفار ، فأظهر إيمانه فقتلته ، وكذلك كنت تخفي إيمانك بمكة قبل** » .

وقوله : ﴿ **فعند اللَّه مغانم كثيرة** ﴾ أي : خير مما رغبتم فيه من عرض الحياة الدنيا ؛ الذي حملكم علىٰ قتل مثل هذا الذي ألقىٰ إليكم السلام ، وأظهر إليكم[١] الإيمان ؛ فتغافلتم عنه ، واتهمتموه بالمصانعة والتقية لتبتغوا عرض الحياة الدنيا فما عند اللَّه من المغانم الحلال خير لكم من

= (١٠/ح١٤٧) وابن حجر في « تغليق التعليق » (٥/ ٢٤٢، ٢٤٣) - من طريق الحكم بن ظَبْيَان المازني أبو الحسن الدارقطني في « الأفراد » - كما في « الفتح » لابن حجر (١٢/ ١٩٠) و « الدر المنثور » للسيوطي (٢/ ٣٥٧) - ومن طريقه رواه ابن حجر في « التغليق » (٥/ ٢٤٣) من طريق محمد بن عبد الملك بن زنجويه ، كلاهما (الحكم ومحمد) ثنا جعفر بن سلمة به .

وقال البزار : « لا نعلمه يُروى عن ابن عباس إلَّا من هذا الوجه ، ولا له عنه إلا هذا الطريق » . و قال الدارقطني : « هذا حديث غريب من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس ، تفرد به حبيب بن أبي عمرة ، وتفرد به أبو بكر بن علي بن مقدم ، وهو أخو عمر بن علي ، وأبو بكر هذا والد محمد ، وهو غريب الحديث » ولم يذكره أحدٌ بجرح ، وقد روى له النسائي - وهو من المتشددين - وروى عنه أيضًا عبد الله بن المبارك ، والراوي عنه هنا وثقه أبو حاتم وغيره ، وذكر الحديث الهيثمي في « المجمع » (٧/ ١١، ١٢) وغفل عن عزوه للطبراني وقال : « رواه البزار ، وإسناده جيد » !! وقد تفرد المقدمي بوصله كما قال ابن حجر في « التهذيب » (ترجمة جعفر بن سلمة) وخالف المقدمي ، سفيان الثوري فرواه مرسلًا أخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » كما في « التغليق » (٥/ ٤٤٣) ولم أهتد إليه في المطبوع - وابن جرير في تفسيره (٩/ ١٠٢٢٤) من طريق وكيع وعزاه له ابن حجر في « الفتح » (١٢/ ١٩١) من طريق أبي إسحاق الفزاري ، وأخشى أن يكون وهمًا ، فالذي أخرجه من هذا الوجه : إنما هو الحارث كذا قال هو نفسه في « التغليق » ، ورواه الحارث بن أبي أسامة (رقم ٣/بغية الباحث) من طريق أبي إسحاق الفزاري كلاهما (وكيع والفزاري) عن سفيان عن حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير قال =

[١] - في ت : « لكم » .

مال هذا .

وقوله : ﴿ **كذلك كنتم من قبل فمن اللَّه عليكم** ﴾ أي : قد كنتم من قبل هذه الحال كهذا الذي يسر إيمانه ويخفيه من قومه ، كما تقدم في الحديث المرفوع آنفًا ؛ وكما قال تعالىٰ : ﴿ **واذكروا إذ أنتم**[١] **قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره** ﴾ الآية . وهذا [هو][٢] مذهب سعيد بن جبير ، لما رواه الثوري(٧١١) ، عن حبيب بن أبي عمرة ، عن سعيد بن جبير في قوله : ﴿ **كذلك كنتم من قبل** ﴾ تخفون إيمانكم في المشركين .

ورواه عبد الرزاق(٧١٢) ، عن ابن جريج ، أخبرني عبد اللَّه بن كثير ، عن سعيد بن جبير في قوله : ﴿ **كذلك كنتم من قبل** ﴾ تستخفون بإيمانكم كما استخفىٰ هذا الراعي بإيمانه .

وهذا اختيار ابن جرير . وقال ابن أبي حاتم(٧١٣) ، وذكر عن قيس ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير قوله : ﴿ **كذلك كنتم من قبل** ﴾ لم تكونوا مؤمنين ﴿ **فمنَّ اللَّه عليكم** ﴾ أي : تاب عليكم . فحلف أسامة لا يقاتل[٣] رجلًا يقول لا إله إلا اللَّه بعد ذلك الرجل ، وما لقي من رسول اللَّه فيه .

وقوله : ﴿ **فتبينوا** ﴾ تأكيد[٤] لما تقدم ، وقوله : ﴿ **إن اللَّه كان بما تعملون خبيرًا** ﴾ قال سعيد بن جبير : هذا تهديد ووعيد .

= : خرج المقداد بن الأسود ...

(٧١١) - رواه ابن جرير (١٠٢٢٩/٩) وابن أبي حاتم (٥٨٣٤/٣) من طريق وكيع عن سفيان به وإسناده صحيح ، وانظر ما بعده .

(٧١٢) - تفسير عبد الرزاق (١٧٠/١) ومن طريقه ابن جرير (١٠٢٢٨/٩) وابن أبي حاتم (٥٨٣٥/٣) ، وإسناده صحيح ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣٥٩/٢) إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٧١٣) - الذي وقع في تفسير ابن أبي حاتم (٣/ص ١٠٤١ ، ١٠٤٢) أنه روى هذا اللفظ عن مسروق : ﴿ كذلك كنتم من قبل ﴾ لم تكونوا مؤمنين : ﴿ فمن الله عليكم فتبينوا ﴾ ثم قال : ذكر عن قيس عن سالم ، عن سعيد بن جبير قوله : ﴿ كذلك كنتم من قبل ﴾ توزعون عن مثل هذا ... ثم روى بإسناده إلى السدي قال : قوله : ﴿ فمن الله عليكم ﴾ يقول : تاب عليكم ...

---

[١] - في ز : « كنتم » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .

[٣] - في ت : « يقتل » .

[٤] - في ز : « تأكيدًا » .

﴿لَّا يَسْتَوِى الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِى الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾

قال البخاري(٧١٤) : حدّثنا حفص بن عمر ، حدّثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : لما نزلت : ﴿ **لا يستوي القاعدون من المؤمنين** ﴾ دعا رسول اللَّه زيدًا فكتبها ، فجاء ابن أم مكتوم فشكا ضرارته ، فأنزل اللَّه : ﴿ **غير أولي الضرر** ﴾ .

حدّثنا محمد بن يوسف ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، قال : لما نزلت : ﴿ **لا يستوي القاعدون من المؤمنين** ﴾ ، قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : « **ادع فلانًا** » فجاءه ومعه الدواة واللوح والكتف ، فقال : « **اكتب (لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل اللَّه)** » وخلف النبي ابن أم مكتوم ، فقال : يا رسول اللَّه ، أنا ضرير ؛ فنزلت مكانها : ﴿ **لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل اللَّه** ﴾ .

قال البخاري أيضًا(٧١٥) : حدّثنا إسماعيل بن عبد اللَّه ، حدثني إبراهيم بن سعد ، عن صالح ابن كيسان ، عن ابن شهاب ، حدثني سهل بن سعد الساعدي أنه رأىٰ مروان بن الحكم في المسجد ، قال : فأقبلت حتىٰ جلست إلىٰ جنبه ، فأخبرنا أن زيد بن ثابت أخبره : أن رسول اللَّه أملىٰ علي (**لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل اللَّه**) فجاءه ابن أم مكتوم وهو يمليها علي ، قال : يا رسول اللَّه ، واللَّه[١] لو أستطيع الجهاد لجاهدت ، وكان

(٧١٤) - رواه البخارى ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله ﴾ (٤٥٩٣، ٤٥٩٤) ورواه أيضًا ، كتاب : الجهاد (٢٨٣١) ، وكتاب : فضائل القرآن (٤٩٩٠) ، ومسلم ، كتاب : الإمارة ، باب : سقوط فرض الجهاد عن المعذورين (١٤١، ١٤٢) (١٨٩٨) ، والترمذى (١٦٧٠، ٣٠٣١) ، والنسائى (٦/ ١٠، ٤٣) ، وأحمد (٤/ ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٩٠، ٢٩٩، ٣٠١) كلهم من طريق أبى إسحاق به .

(٧١٥) - رواه البخارى ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله ﴾ (٤٥٩٢) ، ورواه أيضًا ، كتاب : الجهاد (٢٨٣٢) ، والترمذى (٣٠٣٣) ، والنسائى (٦/ ٩) ، وأحمد (٥/ ١٨٤) من طريق ابن شهاب الزهرى به .

[١] - سقط من : ز .

أعمىٰ ، فأنزل اللَّه علىٰ رسوله ، وفخذه علىٰ فخذي ، فثقلت علي حتىٰ خفت أن ترضَّ[١] فخذي ، ثم سُري عنه ، فأنزل اللَّه : ﴿ غير أولي الضرر ﴾ . انفرد[٢] به البخاري دون مسلم(*) ، وقد روي من وجه آخر عند الإمام أحمد ، عن زيد ، فقال الإمام أحمد(٧١٦) :

حدثنا سليمان بن داود ، أنبأنا عبد الرحمن بن أبي الزناد [عن أبيه] ، عن خارجة بن زيد ، قال : قال زيد بن ثابت : إني قاعد إلىٰ جنب رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ، إذ أوحي إليه قال[٣] وغشيته السكينة ، قال : فرفع[٤] فخذه علي فخذي حين غشيته السكينة . قال زيد : فلا واللَّه ما وجدت شيئًا قط أثقل من فخذ رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ، ثم سري عنه ، فقال : « **اكتب يا زيد** » فأخذت كتفًا ، فقال : « **اكتب (لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون)** [الآية كلها][٥] إلىٰ قوله ﴿ **أجرًا عظيمًا** ﴾ » فكتبت ذلك في كتف ، فقام حين سمعها ابن أم مكتوم ، وكان رجلًا أعمىٰ فقام حين سمع فضيلة المجاهدين فقال: يا رسول اللَّه ، وكيف بمن لا يستطيع الجهاد ممن هو أعمىٰ وأشباه ذلك ؟ قال زيد : فواللَّه ما مضىٰ[٦] كلامه أو ما هو إلا أن قضىٰ كلامه - حتى[٧] غشيت النبي السكينة فوقعت فخذه علىٰ فخذي ، فوجدت من ثقلها كما وجدت في المرة الأولىٰ ، ثم سري عنه ، فقال : « **اقرأ** » فقرأت عليه : (**لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون**) ، فقال النبي ، صلى الله عليه وسلم : « ﴿ **غير أولي الضرر** ﴾ » قال زيد : فألحقتها ، فواللَّه كأني أنظر إلىٰ ملحقها عند صدع كان في الكتف .

ورواه أبو داود عن سعيد بن منصور ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن خارجة ابن زيد بن ثابت ، عن أبيه به نحوه .

وقال عبد الرزاق(٧١٧) : أنبأنا معمر ، عن الزهري ، عن قبيصة بن[٨] ذؤيب ، عن زيد بن

(٧١٦) - « المسند » (٥/ ١٩٠) ، ورواه أيضًا (١٩١/٥) ، وأبو داود ، كتاب : الجهاد (٢٥٠٧) ، وكتاب : الحروف والقراءات (٣٩٧٥) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٥/ ٤٨٥١، ٤٨٥٢) والبيهقي في « السنن الكبرى » (٩/ ٢٣، ٢٤) من طرق عن عبد الرحمن ابن أبي الزناد به .

(٧١٧) - تفسير عبد الرزاق (١٦٩/١) ومن طريقه رواه أحمد في « المسند » (١٨٤/٥) وابن جرير =

[١] - رضَّه : كسره .

[٢] - في ت : « تفرد » .

[٣] - سقط من : ت .

[٤] - في ت : « فوقع » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .

[٦] - في ز : « قضى » .

[٧] - سقط من : ز .

[٨] - في ز : « عن » .

ثابت ؛ قال : كنت أكتب لرسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم [فقال : « **اكتب (لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل اللَّه)** »][١] فجاء عبد اللَّه بن أم مكتوم فقال : يا رسول اللَّه ، إني أحب الجهاد في سبيل اللَّه ، ولكن بي من الزمانة ما قد ترىٰ ، و[٢] ذهب بصري ، قال زيد : فثقلت فخذ رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ، علىٰ فخذي حتىٰ خشيت أن ترضها ، ثم سري عنه ، ثم قال : « **اكتب ﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل اللَّه ﴾** » .

ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير .

وقال عبد الرزاق(٧١٨) : أخبرني ابن جريج ، أخبرني عبد الكريم - هو ابن مالك الجزري[٣] - أن مقسمًا مولىٰ عبد اللَّه بن الحارث ، أخبره أن ابن عباس ؛ أخبره : **﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين ﴾** ، عن بدر والخارجون إلىٰ بدر .

انفرد به البخاري دون مسلم . وقد رواه الترمذي(٧١٩) من طريق حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الكريم ، عن مقسم ، عن ابن عباس ؛ قال : **﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر ﴾** عن بدر ، والخارجون إلىٰ بدر . ولما نزلت غزوة بدر ، قال عبد اللَّه بن جحش(*)

= (١٠٢٤٠/٩) ، وابن أبى حاتم (٥٨٤٦/٣) ، والطبرانى فى « المعجم الكبير » (٤٨٩٩/٥) - ورواه الطبرانى أيضًا من طريق عبد الله بن المبارك عن معمر به ، وأشار لرواية قبيصة ابن حجر فى « الفتح » (٨/ ٢٦٠) وعزاها لأحمد فحسب ، وإسناده صحيح وقبيصة بن ذؤيب تابعى كبير ثقة ، وقيل له رؤية ، وباقى رجاله ثقات أثبات .

(٧١٨) - تفسير عبد الرزاق (١٧٠/١) ومن طريقه رواه البخارى ، كتاب : التفسير (٤٥٩٥) ، وابن جرير (١٠٢٤١/٩) ، وابن أبى حاتم (٥٨٤٨/٣) - ورواه البخارى أيضًا ، كتاب : المغازى (٣٩٥٤) ، وكتاب : التفسير (٤٥٩٥) حدثنى إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام أن ابن جريج أخبرهم قال : أخبرنى عبد الكريم به . وذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٣٦٢/٢) وزاد عزوه إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٧١٩) - رواه أبو عيسى الترمذى فى « الجامع » كتاب : تفسير القرآن (٣٠٣٢) ، ورواه النسائى فى « التفسير » (رقم ١٣٧) ، وابن جرير (١٠٢٤٢/٩) ، والبيهقى فى « السنن الكبرى » (٤٧/٩) من طرق عن الحجاج - وهو ابن محمد الأعور المصيصى - عن ابن جريج به وقال أبو عيسى : « هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث ابن عباس ....» وانظر ما قبله ، وذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٣٦٢/٢) وزاد عزوه إلى ابن المنذر .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٢] - سقط من : ز . [٣] - في ز : « الحرري » .

وابن أم مكتوم ، إنا أعميان يا رسول اللَّه ، فهل لنا رخصة ؟ فنزلت : ﴿ **لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر** ﴾ . وفضل اللَّه المجاهدين علىٰ القاعدين درجة ، فهؤلاء القاعدون غير أولي الضرر ﴿ **وفضل اللَّه المجاهدين علىٰ القاعدين أجرًا عظيما درجات منه** ﴾ علىٰ القاعدين من المؤمنين غير أولي الضرر .

هذا لفظ الترمذي ، ثم قال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .

وقوله : ﴿ **لا يستوي القاعدون من المؤمنين** ﴾ كان مطلقًا ، فلما نزل بوحي سريع ﴿ **غير أولي الضرر** ﴾ صار ذلك مخرجًا لذوي الأعذار المبيحة لترك الجهاد : من العمى ، والعرج ، والمرض ، عن مساواتهم للمجاهدين في سبيل اللَّه بأموالهم وأنفسهم .

ثم أخبر تعالىٰ بفضيلة المجاهدين علىٰ القاعدين ، قال ابن عباس : غير أولي الضرر . وكذا ينبغي أن يكون ؛ لما[١] ثبت في صحيح البخاري(٧٢٠) ، من طريق زهير بن معاوية ، عن حميد ، عن أنس أن رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « **إن بالمدينة أقوامًا ما سرتم من مسير ، ولا قطعتم من واد ، إلا وهم معكم فيه** ، » قالوا : وهم بالمدينة يا رسول الله ؟ قال : « **نعم ، حبسهم العذر** » .

وهكذا رواه الإمام أحمد ، عن محمد بن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، به . وعلقه البخاري مجزومًا . ورواه أبو داود(٧٢١) عن حماد بن سلمة ، عن حميد ، عن موسىٰ بن أنس بن

(٧٢٠) - رواه البخارى ، كتاب : الجهاد ، باب : من حبسه العُذْرُ عن الغزو (٢٨٣٨) حدثنا أحمد بن يونس حدثنا زهير به ، ورواه أيضًا (٢٨٣٩) ثنا سليمان بن حرب ، ثنا حماد بن زيد ، وكتاب : المغازى (٤٤٢٣) ثنا أحمد بن محمد أخبرنا عبد الله - وهو ابن المبارك . ورواه أحمد (١٠٣/٣) ، وابن ماجه (٢٧٦٤) من طريق ابن أبى عدى ، و أحمد أيضًا (١٨٢/٣) من طريق يحيى بن سعيد القطان ، وعبد ابن حميد فى « المنتخب » (١٤٠٢) وأبو يعلى فى « مسنده » (٣٨٣٩/٦) وعنه ابن حبان (١١/ ٤٧٣١/ إحسان) والبغوى فى « شرح السنة)) (٢٦٣٧/١٠) من طريق يزيد بن هارون خمستهم (حماد وعبد الله وابن أبى عدى ويحيى ويزيد) عن حُميد به وانظر ما بعده .

(٧٢١) - علقه البخارى فى صحيحه عقب حديث رقم (٢٨٣٩) : « وقال موسى - يعني ابن إسماعيل - حدثنا حماد - ابن سلمة عن حميد عن موسى بن أنس عن أبيه قال النبى - صلى اللَّه عليه وسلم - » ورواه أحمد (٣/ ١٦٠، ٢١٤) ثنا عفان (١٦٠/٣) ثنا أبو كامل الجحدرى ، وأبو داود (٢٥٠٨) - ومن طريقه البيهقى فى « السنن الكبرى » (٢٤/٩) وابن حجر فى « تغليق التعليق » (٤٣٤/٣) - ثنا موسى بن إسماعيل ثلاثتهم (موسى وعفان وأبو كامل) ثنا حماد بن سلمة به لكن سقط فى رواية أبى كامل « حميد » وقال أبو عبد الله البخارى : « الأول أصح » يعنى الإسناد السابق الذى ليس فيه موسى ابن أنس » . =

[١] - في ت : « كما » .

مالك ، عن أبيه ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « **لقد تركتم بالمدينة أقوامًا ما سرتم مسيرًا ، ولا أنفقتم من نفقة ، ولا قطعتم من واد ، إلا وهم معكم فيه** » ، قالوا : [يا رسول اللَّه كيف][١] ، يكونون معنا وهم بالمدينة ؟ قال : « **حبسهم العذر** » .

لفظ أبي داود ، وفي هذا المعنىٰ قال الشاعر :

يا راحلين إلىٰ البيت العتيق لقد   سرتم جسومًا وسرنا نحن أرواحًا
إنا أقمنا علىٰ عذر وعن قدر   ومن أقام علىٰ عذر فقد راحا

وقوله : ﴿ **وكلًّا وعد اللَّه الحسنىٰ** ﴾ أي : الجنة والجزاء الجزيل . وفيه دلالة علىٰ أن الجهاد ليس بفرض عين ، بل هو فرض علىٰ الكفاية .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **وفضل الله المجاهدين علىٰ القاعدين أجرًا عظيمًا** ﴾ ، ثم أخبر سبحانه وتعالى بما فضلهم به من الدرجات ، في غرف الجنان العاليات ، ومغفرة الذنوب والزلات ، وحلول[٢] الرحمة والبركات ، إحسانًا منه وتكريمًا ، ولهذا قال : ﴿ **درجات منه ومغفرة ورحمة وكان اللَّه غفورًا رحيمًا** ﴾ .

وقد ثبت في الصحيحين(٧٢٢) ، عن أبي سعيد الخدري : أن رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « **إن في الجنة مائة[٣] درجة أعدها اللَّه للمجاهدين في سبيله ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض** » .

= قال ابن حجر في « التغليق » (٤٣٥/٣) - ونحوه في « الفتح » (٤٧/٦) - عقب رواية أبي داود : « هذا عندي حديث صحيح لحسن سياقه ، وجودة رجاله ، وقد رجحه الإسماعيلي فقال : حماد عالمٌ بحُمَيْد ، فيقدم فيه على غيره ، ثم ساق (حديثه من طريق عفان بن حماد) قلت - ابن حجر - : وإنما رجح البخاري الإسناد الأول لتصريح زُهير عن حميد بسماعه له من أنس ، وكذا رواه الإسماعيلي من حديث معتمر بن سليمان عن حميدٍ « أنه سمع أنسًا » ولا مانع أن يكون حُميدٌ سمعه من موسى بن أنس عن أبيه ، ثم سمعه من أنس ، بدليل أن سياقته عن موسى بن أنس أتم . والله تعالى أعلم » .

(٧٢٢) - كذا عزاه للصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري !! ، ولم يخرجه من حديث أبي سعيد غير مسلم ، كتاب : الإمارة ، باب : بيان ما أعده الله تعالى للمجاهد (١١٦) (١٨٨٤) بلفظ : « ... وأخرى يُرْفَع بها العبدُ مائة درجة من الجنة ، ما بين كل درجتين كما بين السماء و الأرض » قال : يا رسول الله ! وَمَا هِيَ ؟ قال : « الجهاد في سبيل الله . الجهاد في سبيل الله » ، وأما اللفظ الذي أورده المصنف ، فقد أخرجه البخاري ، كتاب : الجهاد ، باب : درجات المجاهدين في سبيل الله (٢٧٩٠) من حديث أبي هريرة .

[١] - في ز ، خ : « كيف يا رسول الله » .

[٢] - في ت : « وأحوال » . [٣] - سقط من : ز .

وقال الأعمش(٧٢٣) ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **من بلغ بسهم فله أجره درجة** » ، فقال رجل : يا رسول الله ، وما الدرجة ؟ فقال « **أما إنها ليست بعتبة أمك . ما بين الدرجتين مائة عام** » .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨) فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا (٩٩) ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٠٠) ﴾

قال البخاري(٧٢٤) : حدثنا عبد الله بن يزيد[١] المقرئ، حدثنا حيوة وغيره ، قالا : حدثنا

(٧٢٣) - أورده السيوطي في « الدر المنثور » (٣٦٥/٢) وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه ، وقد رواه ابن أبي حاتم (٥٨٥١/٣) ثنا حماد بن الحسن بن عنبسة ، ثنا يحيى بن حماد ، ثنا أبو عوانة ، عن سليمان - يعني الأعمش - عن عروة بن مرة به . وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات غير أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه ، كما أن فيه عنعنة الأعمش . وقد رواه الحارث بن أبي أسامة (رقم ٦٥٨/ بغية) - ومن طريقه أبو نعيم في « صفة الجنة » (٢٣٣/٢) - ثنا معاوية بن عمرو - سقط من « البغية » ثنا زائدة ، ثنا الأعمش به غير أنه أسقط « عبد الله بن مسعود » فذكره مرسلاً .

وقد رواه أحمد (٢٣٥/٤) ، والنسائي (٢٧/٦) ، وابن حبان (٤٦١٦/١٠) وغيرهم من طريق أبي معاوية عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن سالم بن أبي الجعد ، عن شرحبيل بن السمط قال : قلنا لكعب ابن مُرّة : يا كعب ، حدثنا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واحْذَرْ ، فقال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « من بلغ العُدوَّ بسهم ، رفع الله به درجة له » فقال له عبد الرحمن بن النَّحام : يا رسول الله ، وما الدرجة ؟ قال : « أما إنها ليست بعتبة أمِّك ، ما بين الدرجتين مائة عام » وأبو معاوية أثبت الناس في الأعمش ، وقد صححه ابن حجر في « الإصابة » (٣٢٤/٦) وله شاهد من حديث أبي نجيح السلمي يأتي تخريجه (سورة البلد/ آية ١٣) .

(٧٢٤) - رواه البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ﴾ (٤٥٩٦) ، ورواه أيضًا ، كتاب : الفتن ، باب : من كره أن يكثِّر سواد الفتن والظلم (٧٠٨٥) . =

[١] - في خ : « زيد » .

محمد بن عبد الرحمن أبو الأسود ، قال : قطع علىٰ أهل المدينة بعث ، فاكتتبت فيه ، فلقيت عكرمة - مولىٰ ابن عباس فأخبرته ، فنهاني عن ذلك أشدّ النهي ، ثم[١] قال : أخبرني ابن عباس أن ناسًا من المسلمين كانوا مع المشركين ، يكثرون [سواد المشركين][٢] على رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ، يأتي السهم فيرمىٰ به ، فيصيب أحدهم فيقتله ، أو يضرب عنقه ، فيقتل ، فأنزل اللَّه : ﴿ **إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم** ﴾ رواه الليث عن أبي الأسود .

وقال ابن أبي حاتم(٧٢٥) : حدثنا أحمد بن منصور الرمادي ، حدثنا أبو أحمد - يعني الزبيري - حدثنا محمد بن شريك المكي ، حدثنا عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان قوم من أهل مكة أسلموا ، وكانوا يستخفون بالإسلام ، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم ، فأصيب بعضهم بفعل بعض ، قال المسلمون : كان أصحابنا هؤلاء مسلمين[٣] وأكرهوا . فاستغفروا لهم ، فنزلت : ﴿ **إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم** ﴾ الآية . قال : فكتبت[٤] إلىٰ من بقي من المسلمين بهذه الآية : لا عذر لهم ، قال : فخرجوا ، فلحقهم المشركون ، فأعطوهم الفتنة ، فنزلت هذه الآية : ﴿ **ومن الناس**

= ورواه النسائى فى « التفسير » (١٣٩) من طريق إسحاق بن إبراهيم نا المقرئ ، نا حيوة به . قال ابن حجر فى « الفتح » (٢٦٣/٨) : « قوله (رواه الليث عن أبى الأسود) وصله الإسماعيلى ، والطبرانى فى « الأوسط » - (٣٥٨، ٨٦٣٨) وفى « المعجم الكبير » أيضًا (١١/ ١١٥٠٥، ١١٥٠٦) ومن طريقه ابن حجر فى « تغليق التعليق » (١٩٨/٤) من طريق أبى صالح كاتب الليث عن الليث عن أبى الأسود عن عكرمة فذكره بدون قصة أبى الأسود ، قال الطبرانى : لم يروه عن أبى الأسود ، إلا الليث وابن لهيعة .

قلت - ابن حجر - : ورواية البخارى من طريق حيوة ترد عليه ، ورواية ابن لهيعة أخرجها ابن أبى حاتم أيضًا - فى تفسيره (٥٨٦٢/٣) وكذا ابن جرير (١٠٢٦١/٩) من طريق ابن وهب ، والطبرانى فى « الكبير » (١١/ ١١٥٠٥) من طريق أبى صالح الحرانى ، كلاهما ثنا ابن لهيعة - وفى هذه القصة دلالة على براءة عكرمة مما ينسب إليه من رأى الخَوارج ؛ لأنه بالغ فى النهى عن قتال المسلمين ، وتكثير سواد من يقاتلهم ، وغرض عكرمة أن الله ذم من كثر سواد المشركين مع أنهم كانوا لا يريدون بقلوبهم موافقتهم ، قال : فكذلك أنت لا تكثر سواد هذا الجيش ، وإن كنت لا تريد موافقتم ، لأنهم لا يقاتلون فى سبيل الله » .

(٧٢٥) - تفسير ابن أبى حاتم (٥٨٦٣/٣) ، ورواه ابن جرير (١٠٢٦٠/٩) ثنا أحمد بن منصور الرمادى به ، ورواه البزار (٢٢٠٤/٤/ كشف) من طريق أبى نعيم ، ثنا محمد بن شريك به . قال البزار : « لا نعلم أحدًا يرويه عن عمرو إلا محمد بن شريك » . وذكره الهيثمى فى « المجمع » (٧/ ١٢، ١٣) وقال : « رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح ، غير محمد بن شريك ، وهو ثقة » وثقه أحمد وابن معين ، وأبو زرعة ، والدارقطنى ، وقال أبو حاتم والنسائى ، والفسوى : « ليس به بأس » .

[١] - سقط من : ت .
[٢] - في ت : « سوادهم » .
[٣] - في ز : « مسلمون » .
[٤] - في ز : « فكتب » .

من يقول آمنا بالله ﴾ الآية .

وقال عكرمة(٧٢٦) : نزلت [هذه][١] الآية في شباب من قريش ، كانوا تكلموا بالإسلام بمكة ، منهم علي بن أمية بن خلف ، وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة ، وأبو العاصي بن منبه بن الحجاج ، والحارث ابن زمعة .

وقال الضحاك(٧٢٧) : نزلت في أناس من المنافقين تخلفوا عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بمكة ، وخرجوا مع المشركين يوم بدر ؛ فأصيبوا فيمن أصيب ، فنزلت هذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين ، وهو قادر على الهجرة ، وليس متمكنًا من إقامة الدين ؛ فهو ظالم لنفسه ، مرتكب حرامًا بالإجماع ، بنص هذه الآية ، حيث يقول تعالىٰ : ﴿ **إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم** ﴾ أي : بترك الهجرة ، ﴿ **قالوا فيم كنتم** ﴾ أي : لمَ مكثتم هاهنا ، وتركتم الهجرة ؟ ﴿ **قالوا كنا مستضعفين في الأرض** ﴾ أي : لا نقدر على الخروج من البلد ، ولا الذهاب في الأرض ؛ ﴿ **قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرًا** ﴾ الآية .

وقال أبو داود: حدثنا محمد بن داود بن سفيان ، حدثني يحيىٰ بن حسان ، أخبرنا سليمان ابن موسىٰ أبو داود ، حدثنا جعفر بن سعد بن سمرة بن جندب ، حدثني خُبَيْب بن سليمان ، عن أبيه سليمان بن سمرة بن جندب ، عن سمرة بن جندب أما بعد : قال رسول الله : « **من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله** » .

(٧٢٦) - رواه ابن أبي حاتم (٥٨٦٥/٣) من طريق روح بن القاسم عن ابن جريج عن عكرمة به . ورواه ابن جرير (١٠٢٦٤/٩) من طريق حجاج عن ابن جريج به غير أنه قال : « نزلت فى قيس بن الفاكه بن المغيرة ، والحارث بن زمعة بن الأسود ، وقيس بن الوليد بن المغيرة ، وأبى العاص بن مُنبّه بن الحجاج ، وعلى بن أمية بن خلف ..» . وفى حاشية تفسير ابن جرير (١٠٥/٩) قال الشيخ الأديب محمود شاكر : « هكذا جاءت أسماؤهم فى المخطوطة ، والمطبوعة ، وفى « الدر المنثور » (٣٦٥/٢) ، واتفاقهم جميعًا جعلنى أتحرج فى إثبات ما أعرفه صوابًا . وهؤلاء الذين قتلوا ببدر معروفة أسماؤهم فى السيرة ، وهذا صوابها من سيرة ابن هشام (٢٨٥/٢) : « وإمتاع الأسماع » (٢٠/١) : « أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة » ، « أبو قيس بن الوليد بن المغيرة » ، « العاص بن منبّه بن الحجاج)) وأكبر ظنى أن هذا خطأ من النساخ ، لا خطأ فى الرواية » اهـ .

(٧٢٧) - رواه ابن جرير (١٠٢٦٨/٩) ، وابن أبي حاتم (٥٨٦٦/٣) ، وإسناده صحيح إليه .

[١] - سقط من خ .

وقال السدي : لما أسر العباس وعقيل ونوفل ، قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، للعباس : « **افد نفسك وابن أخيك** » ، فقال : يا رسول الله ، ألم نصل إلى[١] قبلتك ، ونشهد شهادتك ؟ قال : « **يا عباس ، إنكم خاصمتم فخصمتم** » ثم تلا عليه هذه الآية : « ﴿ **ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا** ﴾ » رواه ابن أبي حاتم(٧٢٨) .

وقوله : ﴿ **إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً** ﴾ ، هذا عذر من الله تعالى لهؤلاء في ترك الهجرة ، وذلك أنهم[٢] لا يقدرون على التخلص من أيدي المشركين ، ولو قدروا ما عرفوا يسلكون الطريق ، ولهذا قال : ﴿ **لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً** ﴾ ، قال مجاهد وعكرمة والسدي يعني : طريقًا . وقوله تعالى : ﴿ **فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم** ﴾ أي : يتجاوز عنهم بتركهم[٣] الهجرة ، و(عسى) من الله موجبة ، ﴿ **وكان الله [عفوًا غفورًا][٤]** ﴾ .

قال البخاري(٧٢٩) : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا شيبان ، عن يحيى ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : بينا النبي صلى الله عليه وسلم يصلي العشاء إذ قال : « **سمع الله لمن حمده** » ، ثم قال قبل أن يسجد : « **اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة ، اللهم نج[٥] سلمة بن هشام ، اللهم نج الوليد بن الوليد ، اللهم نج[٦] المستضعفين من المؤمنين ، اللهم اشدد وطأتك على مضر ، اللهم اجعلها سنين كسني يوسف** » .

(٧٢٨) - تفسير ابن أبى حاتم (٥٨٦٩/٣) ، وكذا ابن جرير (١٠٢٦٥/٩) كلاهما من طريق أحمد بن مفضل ثنا أسباط عن السدى ، وإسناده حسن إلى السدى غير أنه منقطع ، وقد ورد موصولاً عند أحمد فى « المسند » (٣٥٣/١/ح ٣٣١٠) وإسناده فيه جهالة .

(٧٢٩) - رواه البخارى ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم .. ﴾ (٤٥٩٨) ورواه أيضًا ، كتاب : الدعوات ، باب : الدعاء على المشركين (٦٣٩٣) ، ومسلم ، كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، باب : استحباب القنوت فى جميع الصلاة (٢٩٥) (٦٧٥) ، وأبو داود ، كتاب : الصلاة ، باب : القنوت فى الصلوات (١٤٤٢) ، والنسائى (٢٠٢/٢) وأحمد (٢/ ٤٧٠، ٥٢١) من طريق يحيى - وهو ابن أبى كثير به ، وقصر السيوطى فى عزوه جدًّا ، فلم يعزه فى « الدر المنثور » (٢/ ٣٦٧) لغير البخارى !!

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في خ : « بترك » .
[٤] - في ت : « غفورًا رحيما » .
[٥] - في خ : « أنج » .
[٦] - في خ : « أنج » .

صوابه: المنقري

وقال ابن أبي حاتم(٧٣٠) : حدثنا أبي ، حدثنا أبو معمر المقرئ ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا علي بن زيد ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة : أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، رفع يده بعد ما سلم ، وهو مستقبل القبلة ، فقال : « **اللهم خلص الوليد بن الوليد ، وعياش بن أبي ربيعة ، وسلمة بن هشام ، وضعفة المسلمين ؛ الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ، من أيدي الكفار** » .

وقال ابن جرير(٧٣١) : حدثنا المثنى ، حدثنا حجاج ، حدثنا حماد ، عن علي بن زيد ، عن عبد الله[١] - أو إبراهيم بن عبد الله القرشي ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، كان يدعو في دبر صلاة الظهر : « **اللهم خلص الوليد ، وسلمة بن هشام ، وعياش بن أبي ربيعة ، وضعفة المسلمين من أيدي المشركين ، الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً** » .

ولهذا الحديث شاهد في الصحيح من غير هذا الوجه ، كما تقدم .

وقال عبد الرزاق(٧٣٢) : أنبأنا ابن عيينة ، عن عبيد الله بن أبي يزيد ، قال : سمعت ابن عباس يقول : كنت أنا وأمي من المستضعفين من النساء والولدان .

وقال البخاري(٧٣٣) : أنبأنا أبو النعمان ، حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس ﴿ **إلا المستضعفين** ﴾ ، قال : [كانت أمي][٢] ممن عذر الله عز وجل .

(٧٣٠) - تفسير ابن أبى حاتم (٣/٥٨٧٢) ، وعلى بن زيد - هو ابن جدعان - ضعيف ، وقد استنكره العقيلى فى « الضعفاء » (٣/٩٩/ ت١٠٧٣) لعبد الوارث بن سعيد ، فرواه ثنا أحمد ابن داود ثنا أبومعمر عنه به ، وقال : « لا يتابع عليه ، وقد رويناه من غير هذا الطريق بإسناد صحيح » - يعنى السابق - لكن دون قوله : « الذين لا يستطيعون حيلة ... » ، ويبدو أن علته على بن زيد ، حيث اضطرب فيه ، فرواه هكذا عن سعيد ، وله إسناد آخر فيه ، انظر الآتى .

(٧٣١) - تفسير ابن جرير (٩/١٠٢٧٥) ، ورواه أحمد فى « المسند » (٢/٤٠٧) ثنا عفان ، ثنا حماد بن سلمة ، أنا على بن زيد به ، وشيخ ابن جدعان ، لم أعرفه ، وقد شك الزهرى أيضًا فى شيخ آخر له اسمه (إبراهيم بن عبد الله بن قارظ ، أو عبد الله بن إبراهيم بن قارظ) فيحتمل أن يكون هذا ، وعلى كل فعلته ضعف على بن زيد ، وانظر ما قبله .

(٧٣٢) - تفسير عبد الرزاق (١/١٧٢) - ومن طريقه ابن جرير (٩/١٠٢٧٤) وابن أبى حاتم (٣/٥٨٧١) - وإسناده صحيح ، وانظر ما بعده .

(٧٣٣) - رواه البخارى ، كتاب : التفسير (٤٥٩٧) ، ورواه (٤٥٨٨) والبيهقى فى « السنن الكبرى »=

[١] - في ز : « عبيد الله » .
[٢] - في ت : « كنت أنا وأمي » .

وقوله : ﴿ **ومن يهاجر في سبيل اللّٰه يجد في الأرض مراغمًا كثيرًا وسعة** ﴾ هذا تحريض علىٰ الهجرة ، وترغيب في مفارقة المشركين ، وأن المؤمن حيثما ذهب وجد عنهم مندوحة ، وملجأ يتحصن فيه ، « **والمراغم** » : مصدر ، تقول العرب : راغم فلان قومه مراغمًا ومراغمة ، قال نابغة بني جعدة :

كطود يُلاذ بأركانه عزيز المراغم والمهرب

وقال ابن عباس : « **المراغم** » التحول من أرض إلىٰ أرض . وكذا روي عن الضحاك والربيع ابن أنس والثوري . وقال مجاهد : ﴿ **مراغمًا كثيرًا** ﴾ يعني : متزحزحًا عما يكره ، وقال سفيان ابن عيينة : ﴿ **مراغمًا كثيرًا** ﴾ ، يعني : بروجًا . والظاهر ، واللّٰه أعلم ، [أن المراغم][١] التمنع الذي يتحصن به ، ويراغم به الأعداء .

وقوله ﴿ **وسعة** ﴾ يعني[٢] : الرزق . قاله غير واحدٍ ، منهم قتادة ؛ حيث قال في قوله : ﴿ **يجد في الأرض مراغمًا كثيرًا وسعة** ﴾ : أي والله ، من الضلالة إلىٰ الهدىٰ ، ومن القلة إلىٰ الغنىٰ .

وقوله : ﴿ **ومن يخرج من بيته مهاجرًا إلىٰ اللّٰه ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره علىٰ اللّٰه** ﴾ أي : ومن خرج[٣] من منزله بنية الهجرة ، فمات في أثناء الطريق ؛ فقد حصل له من[٤] اللّٰه ثواب من هاجر . كما ثبت في الصحيحين وغيرهما من الصحاح والمسانيد والسنن(٧٣٤) ، من طريق يحيىٰ بن سعيد الأنصاري ، عن محمد بن إبراهيم التيمي ، عن علقمة بن وقاص الليثي ، عن عمر بن الخطاب ؛ قال : قال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وآله وسلم : « **إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئٍ مانوىٰ ، فمن كانت هجرته إلىٰ اللّٰه ورسوله ، فهجرته إلىٰ اللّٰه ورسوله ، ومن كانت هجرته [لدنيا][٥] يصيبها ، أو امرأة يتزوجها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه** » .

= (١٣/٩) من طريق سليمان بن حرب ، ثنا حماد بن زيد به بلفظ : « كنت أنا وأُمي ممن عذر الله » ورواه (٤٥٨٧) ، والبيهقى من طريقين عن سفيان به .

(٧٣٤) - رواه البخارى ، كتاب : بدء الوحى ، باب : كيف كان بدءُ الوحي إلى رسول الله - صلى اللّٰه عليه وسلم - (١) ، ومسلم ، كتاب : الإمارة ، باب : قوله - صلى اللّٰه عليه وسلم - « إنما =

[١] - في خ : « أنه » .

[٢] - في ز : « معنى » .

[٣] - في خ : « يخرج » .

[٤] - في ت : « عند » .

[٥] - ما بين المعكوفتين في خ :«إلى دنيا » .

وهذا عام في [الهجرة وفي كل][١] الأعمال . ومنه الحديث الثابت في الصحيحين(٧٣٥) ، في الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا[٢] ، ثم أكمل بذلك العابد[٣] المائة ، ثم سأل عالمًا هل له من توبة ؟ فقال له[٤] : ومن يحول بينك وبين التوبة ؟ ثم أرشده إلىٰ أن يتحول من بلده إلىٰ بلد آخر[٥] يعبد اللَّه فيه ، فلما ارتحل من بلده مهاجرًا إلىٰ البلد الآخر[٦] أدركه الموت في أثناء الطريق ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فقال هؤلاء : إنه جاء تائبًا ، وقال هؤلاء : إنه لم يصل بعد ، فأمروا أن يقيسوا ما بين الأرضين ، فإلىٰ أيهما كان أقرب كان[٧] منها ، فأمر اللَّه هذه أن تقرب[٨] من هذه ، وهذه أن تبعد ، فوجدوه أقرب إلىٰ الأرض التي هاجر إليها بشبر ، فقبضته ملائكة الرحمة ، وفي رواية أنه لما جاءه الموت ؛ ناء[٩] بصدره إلىٰ الأرض التي هاجر إليها .

[وقال الإمام أحمد(٧٣٦) : حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن محمد بن إبراهيم ، عن محمد بن عبد اللَّه][١٠] بن عتيك ، عن أبيه عبد اللَّه بن عتيك قال : سمعت رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : « **من خرج من بيته مهاجرًا**[١١] **في سبيل اللَّه** » ثم قال[١٢] بأصابعه[١٣] هؤلاء الثلاث : الوسطى ، والسبابة ، والإبهام فجمعهن وقال : وأين

= الأعمال بالنية » (١٩٠٧) وأبو داود (٢٢٠١) ، والترمذى (١٦٤٧) ، والنسائي (٥٨/١) ، وابن ماجه (٤٢٢٧) ، وأحمد (١/ ٢٥، ٤٣) وغيرهم من طرق عن يحيى بن سعيد الأنصارى به .

(٧٣٥) - تقدم تخريجه رقم (٧٠٢) .

(٧٣٦) - « المسند » (٣٦/٤) ، ولفظ المصنف مغاير له فى بعض الأحرف . ورواه ابن أبى شيبة فى « المصنف » (٥٦٥/٤) وفى « مسنده » (٨٩٧/٢) - ومن طريقه ابن أبى عاصم فى « الآحاد والمثانى » (٢١٤٣/٤) وفى « الجهاد » (٢٣٦/٢) والطبرانى من طريقه وطريق غيره فى « المعجم الكبير » (٢/ ١٧٧٨) وعنه أبو نعيم فى « معرفة الصحابة » (٢/ق ٥ح) والبخارى فى « التاريخ الكبير » (١٤/٥) من طريق يزيد بن هارون به . ورواه الفسوى فى « المعرفة والتاريخ » (٢٦١/١) من طريق عيسى بن يونس ،=

[١] - ما بين المعكوفتين في خ : « كل » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في خ : « العالم » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في خ : « أخرى » .
[٦] - في ز : « الأخرىٰ » .
[٧] - في خ : « فهو » .
[٨] - في ت : « تقترب » .
[٩] - في ز : « باء » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[١١] - في المسند : « مجاهدًا » .
[١٢] - قال ههنا ليست من القول ؛ وإنما هي في هذا السياق بمعنى : أشار ، أو جمع ، أو مثل .
[١٣] - في خ : « بأصبعه » .

المجاهدون [في سبيل اللَّه][١] ، فخرّ عن دابته فمات فقد وقع أجره علىٰ اللَّه ، أو لدغته دابة فمات ، فقد وقع أجره علىٰ اللَّه ، أو مات حَتْفَ أنفه ، فقد وقع أجره علىٰ اللَّه » . [يعني بحتف أنفه : علىٰ فراشه][٢] ، واللَّه ، إنها لكلمة ما سمعتها من[٣] [أحد من][٤] العرب قبل رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ، ومن قتل قَعْصًا[٥] [٦] فقد استوجب المآب .

وقال ابن أبي حاتم(٧٣٧) : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الملك بن شيبة الحزامي[٧] ، حدثني عبد الرحمن بن المغيرة الحزامي[٨] ، عن المنذر بن عبد اللَّه ، عن هشام ابن عروة ، عن أبيه أن الزبير بن العوام قال : هاجر خالد بن حزام إلىٰ أرض الحبشة ، فنهشته حية في الطريق فمات ، فنزلت فيه : ﴿ **ومن يخرج من بيته مهاجرًا إلىٰ اللَّه ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره علىٰ اللَّه وكان اللَّه غفورًا رحيمًا** ﴾ فقال[٩] الزبير : فكنت أتوقعه وأنتظر قدومه ، وأنا بأرض الحبشة ، فما أحزنني شيء حزن وفاته حين بلغني ، لأنه قل أحد ممن هاجر من قريش إلا و[١٠] معه بعض أهله ، أو ذوي رحمه ، ولم يكن معي أحد

= والطبراني - وعنه أبو نعيم - والحاكم (٢/٨٨) ، وعنه البيهقي في « السنن الكبرى » (٩/١٦٩) - من طريق يونس بن بكير . كلاهما (عيسى ويونس) ثنا محمد بن إسحاق به ، وفي رواية يونس عند أبي نعيم ، تصريح ابن إسحاق بالتحديث ، ومع هذا فقد أعنه الهيثمي في « المجمع » (٥/٢٨٠) بعنعنته فقال : « رواه أحمد والطبراني ، وفيه محمد بن إسحاق مدلس ، وبقية رجال أحمد ثقات » وقال الحاكم عقبه : « حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي مع أنه أشار في « الميزان » إلى جهالة محمد بن عبد الله بن عتيك ، فقال : « عن أبيه ، وعنه محمد بن إبراهيم التيمي وحده » وذكره ابن حبان في « الثقات » (٥/٣٥٥) على قاعدته . والخبر ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٢/٣٧١) وعزاه إلى ابن سعد وأحمد والحاكم ، ومن قبله زاد نسبته شيخه ابن حجر في « الإصابة » (٥/١٥٤) إلى ابن أبي خيثمة ابن شاهين .

(٧٣٧) - تفسير ابن أبي حاتم (٣/٥٨٨٨) ، وأورده السيوطي في « الدر المنثور » (٢/٣٧٠) ولم يعزه لغيره ، وإسناده حسن ، غير أن متنه غريب جدًا ، انظر كلام المصنف أعلاه .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز . [٣] - في ز : « في » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز . [٥] - في ز ، خ : « تعصبا » .

[٦] - قال في النهاية [٤/٨٨] : « القعص : أن يضرب الإنسان فيموت مكانه . يقال :قعصته وأقعصته : إذا قتلته قتلًا سريعًا . وأراد بوجوب المآب حُسْنَ المرجع بعد الموت .

[٧] - في ز : « الخزامي » .

[٨] - في ز : « الخزامي » . [٩] - في ز : « قال » .

[١٠] - سقط من : ز .

من بني أسد بن عبد العزىٰ ، ولا أرجو غيره .

وهذا الأثر غريب جدًّا ، فإن هذه القصة مكية ، ونزول هذه الآية مدني ، فلعله أراد أنها أنزلت تعم حكمه مع غيره ، وإن لم يكن ذلك سبب النزول ، واللَّه أعلم .

وقال ابن أبي حاتم(٧٣٨) : حدثنا سليمان بن داود ، مولىٰ عبد اللَّه بن جعفر ، حدثنا سهل بن عثمان ، حدثنا عبد الرحمن[١] بن سليمان ، عن أشعث - هو ابن سوار - عن عكرمة ، عن ابن عباس - رضي اللَّه تعالىٰ عنهما - قال : خرج ضمرة بن جندب إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم ، فمات في الطريق قبل أن يصل إلىٰ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم ؛ فنزلت : ﴿ **ومن يخرج من بيته مهاجرًا إلىٰ اللَّه ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله** ﴾ الآية .

وحدثنا أبي(٧٣٩) ، حدثنا عبد اللَّه بن رجاء ، أنبأنا إسرائيل ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ، عن أبي ضمرة[٢] بن العيص الزرقي ، الذي كان مصاب البصر ، وكان بمكة ، فلما نزلت : ﴿ **إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة** ﴾ فقلت : إني لغني ، وإني لذو حيلة ، فتجهز يريد النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فأدركه الموت بالتنعيم ، فنزلت هذه الآية : ﴿ **ومن يخرج من بيته مهاجرًا إلىٰ اللَّه ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورًا رحيمًا** ﴾ .

[وقال الطبراني(٧٤٠) : حدثنا [خير بن عرفة المصري](*) ، حدثنا حيوة بن شريح الحمصي ، حدثنا بقية بن الوليد ، حدثنا ابن ثوبان ، عن أبيه ، حدثنا مكحول ، عن عبد الرحمن بن غنم

(٧٣٨) - تفسير ابن أبي حاتم (٥٨٨٩/٣) . وأشعث ضعيف ، وقد أشار إلى هذه الطريق ابن حجر فى « الإصابة » (١٠٩/٢) وزاد نسبته إلى أبي يعلى . وفيه خلاف على اسم صحابيه ، حرره الحافظ ابن حجر فى « الإصابة » (١٩٧/٥) ، (٢/ ١٠٩، ١١٠) وانظر أيضًا : « الغوامض والمبهمات » لابن بشكوال (٤٧٣، ٤٧٧) .

(٧٣٩) - تفسير ابن أبي حاتم (٥٨٩٠/٣) وإسناده صحيح ، وانظر ما قبله .

(٧٤٠) - « المعجم الكبير » للطبرانى (٣٤١٨/٣) ، ورواه أيضًا - وعنه أبو نعيم فى « الحلية » (٥/ ١٩٠، ١٩١) - ثنا عبدان بن محمد المروزى ، ثنا إسحاق بن راهويه ثنا بقية به ، ورواه أبو داود (٢٤٩٩) وابن أبي عاصم فى « الجهاد » (١/رقم ٤٤) ، والحاكم (٧٨/٢) ، والبيهقى فى « السنن الكبرى » (١٦٦/٩) من طريق عبد الوهاب بن نجدة ثنا بقية بن الوليد به وقال الحاكم : « حديث صحيح على شرط =

[١] - في ز ، خ : « الرحيم » .

[٢] - في ز : : أبي ضميرة . وانظر الاختلاف على اسمه في الإصابة [٢٥١/١] .

(*) له ترجمة في تاريخ بن عساكر [٧٠٢/٥/ مخطوط] .

الأشعري ، أنبأنا أبو مالك ، قال : سمعت رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : « **إن اللَّه قال من انتدب خارجًا في سبيلي ، غازيًا ابتغاء وجهي ، وتصديق وعدي ، وإيمانًا برسلي فهو في ضمان على اللَّه : إما أن يتوفاه بالجيش فيدخله الجنة ، وإما أن يسيح في ضمان اللَّه ، وإن طالت غيبته حتىٰ يرده إلىٰ أهله مع ما نال من أجر ، أو غنيمة ، وقال : من فصل في سبيل اللَّه فمات ، أو قتل ، أو رفصته فرسه ، أو بعيره ، أو لدغته هامة ، أو مات علىٰ فراشه بأي حتف شاء اللَّه فهو شهيد** » . وروىٰ أبو داود من حديث بقية « من فصل في سبيل اللَّه » إلىٰ آخره ، وزاد بعد قوله : « فهو شهيد ، وإن له الجنة][1] .

وقال الحافظ أبو يعلي(٧٤١) : حدثنا إبراهيم بن زياد سبلان ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا محمد ابن إسحاق ، عن [جميل بن أبي ميمونة][2] ، عن عطاء بن يزيد الليثي ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم : « **من خرج حاجًا فمات ؛ كتب له أجر الحاج إلىٰ يوم القيامة ، ومن خرج معتمرًا فمات ؛ كتب له أجر المعتمر إلىٰ يوم القيامة ، ومن خرج غازيًا في سبيل اللَّه فمات ؛ كتب له أجر الغازي إلىٰ يوم القيامة** » .

= مسلم ، ولم يخرجاه » وتعقبه الذهبى بأن : « ابن ثوبان لم يحتج به مسلم ، وليس بذاك ، وبقية : ثقة ، وعبد الرحمن بن غنم لم يدركه مكحول فيما أظن » والأخير منتقد بما أفاده المزى فى « تهذيب الكمال » وابن حجر فى مختصره بأن عبد الرحمن بن عنم من شيوخ مكحول ، ثم إن مكحولاً توفى سنة مائة وثلاث عشرة ، وابن غنم توفى سنة ثمان وسبعين ، فاحتمال الإدراك ظاهر ، وقد ذكر الذهبى نفسه فى « الكاشف » (١٨١/٢) أن مكحولاً روى عن ابن غنم . وعلى كُلٍّ فالإسناد فيه عنعنة بقية وهو يدلس ويسوّى ، فلابد أن يصرح بسماعه على مدار الإسناد ، ثم إن شيخه متكلم فيه ، ووسمه ابن حجر بأنه : « صدوق يخطىء ، ورمى بالقدر » فالإسناد لا يحتمل التحسين ، فضلاً عن الصحة ، والله أعلم .

(٧٤١) - رواه أبو يعلى فى « مسنده » (٦٣٥٧/١١) وفى « المعجم » (رقم ١٠١) . ورواه الطبرانى فى « المعجم الأوسط » (٥٣٢١/٥) من طريق إبراهيم بن زياد به ، ورواه البيهقى فى « الشعب » (٣/ ٤١٠٠) ، والضياء فى « المنتقى من مسموعاته بمرو » (١/٣٣) - كما فى « الضعيفة لأبى عبد الرحمن الألبانى » (٢/ح٧٤٥) - من طريق أبى معاوية به . وقال الطبرانى : « لم يرو هذا الحديث عن عطاء بن يزيد الليثى إلا جميل بن أبى ميمونة ، ولا عن جميل إلا محمد بن إسحاق ، تفرّد به أبو معاوية » وهو ثقة واسمه محمد بن خازم الضرير ، غير أن شيخه مدلس ، وقد عنعنه ، وبذلك أعله المنذرى ، فقال فى « الترغيب والترهيب » (٢/ ١٧٨، ٢٧١) : « رواه أبو يعلى من رواية محمد بن إسحاق ، وبقية إسناده ثقات » وبنحوه قاله الهيثمى فى « المجمع » (٢٨٦/٥) ، وشيخ ابن إسحاق أيضًا لم يوثقه غير ابن حبان « الثقات » ، وأعله بذلك أيضًا الهيثمى فقال في « المجمع » (٢١٢/٣) : « رواه الطبرانى فى « =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « حميد بن أبي حميد » . وما أثبتناه هو الموجود في مسند أبي يعلى ومجمع الزوائد .

وهذا حديث غريب من هذا الوجه .

وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **وإذا ضربتم في الأرض** ﴾ أي : سافرتم في البلاد ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **علم أن سيكون منكم مرضىٰ وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله** ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ **فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة** ﴾ أي : تخففوا فيها ، إما من كميتها بأن تجعل الرباعية ثنائية ، كما فهمه الجمهور من هذه الآية ، واستدلوا بها علىٰ قصر الصلاة في السفر على اختلافهم في ذلك ، فمن[١] قائل : لا بد[٢] أن يكون سفر طاعة من جهاد ، أو حج ، أو عمرة ، أو طلب علم ، أو[٣] زيارة ، أو غير ذلك كما هو مروي عن ابن عمر وعطاء ، ويحكى عن مالك في رواية عنه نحوه ، لظاهر قوله : ﴿ **إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا** ﴾ .

ومن قائل : لا يشترط سفر القربة ، بل لابد أن يكون مباحًا ، لقوله : ﴿ **فمن اضطرّ في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم** ﴾ الآية ، فما[٤] أباح له تناول[٥] الميتة مع اضطراره[٦] ، إلا[٧] بشرط أن لا يكون عاصيًا بسفره . وهذا قول الشافعي وأحمد وغيرهما من[٨] الأئمة .

= الأوسط » ، وفيه جميل بن أبي ميمونة ، وقد ذكره ابن أبي حاتم - « الجرح والتعديل » ولم يذكرفيه جرحًا ولاتعديلاً وذكره ابن حبان فى الثقات » . وذكره الزيلعي فى « نصب الراية » (٣/ ١٥٩، ١٦٠) من رواية أبي يعلى ، والطبراني وقال : « ... وأخرجه الإمام أبو حفص عمر بن شاهين - فى « كتاب الترغيب » له - عن أبى معاوية عن هلال بن أبى ميمونة الفلسطينى عن عطاء به ...» وهذا فيه انقطاع بين أبى معاوية وهلال ، وأورده السيوطى فى « الدر المنثور » (٢/ ٣٧١) ولم يعزه لغير أبى يعلى ، والبيهقى فى «الشعب » .

[١] - في ز : ومن .
[٢] - في ز : « لا » .
[٣] - في ز : « و » .
[٤] - في ت : « كما » .
[٥] - في خ : « تناوله » .
[٦] - في خ : « الاضطرار » .
[٧] - سقط من : ت .
[٨] - في ز : « عن » .

وقد قال أبو بكر بن أبي شيبة(٧٤٢) : حدثنا وكيع ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم قال : جاء رجل فقال : يا رسول الله ، إني رجل تاجر ، أختلف إلىٰ البحرين ، فأمره أن يصلي ركعتين . وهذا مرسل .

ومن قائل : يكفي مطلق السفر ، سواء كان مباحًا أو محظورًا ، حتىٰ لو خرج لقطع الطريق وإخافة السبيل ، ترخص لوجود مطلق السفر . وهذا قول أبي حنيفة [رحمه الله][١] والثوري وداود لعموم الآية وخالفهم الجمهور .

وأمّا قوله تعالىٰ : ﴿ **إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا** ﴾ فقد يكون هذا خرج مخرج الغالب حال نزول هذه الآية ، فإنّ في مبدأ الإسلام بعد الهجرة كان غالب أسفارهم مخوفة ، بل ما كانوا ينهضون إلا إلىٰ غزو عام ، أو سرية خاصة ، وسائر الأحياء[٢] حرب للإسلام وأهله ، والمنطوق إذا خرج مخرج الغالب أو علىٰ حادثة ، فلا مفهوم له ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ولا تكرهوا فتياتكم علىٰ البغاء إن أردن تحصنًا** ﴾ وكقوله تعالىٰ : ﴿ **وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم** ﴾ الآية .

وقد[٣] قال الإمام أحمد(٧٤٣) : حدثنا ابن إدريس ، حدثنا ابن جريج ، عن ابن[٤] أبي عمار ، عن عبد الله بن بابيه ، عن يعلى بن أمية قال : سألت عمر بن الخطاب ، قلت [ ][٥] : ﴿ **ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا** ﴾ وقد أمن [ ][٦] الناس ، فقال لي عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : عجبت مما عجبت منه ، فسألت رسول الله [صلى الله عليه وسلم ، عن ذلك][٧] فقال : « **صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته** » .

(٧٤٢) - رواه ابن أبي شيبة فى « المصنف » (٢/٣٣٦) ، وهذا منقطع ، وإبراهيم هو ابن يزيد النخعى ، وقد أورد هذا الخبر السيوطى فى « الدر المنثور » (٢/٣٧٢) ولم يعزه لغير ابن أبى شيبة .

(٧٤٣) - « المسند » (١/٢٥) ، ورواه أيضًا (١/٣٦) ، ومسلم ، كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ، باب : صلاة المسافرين (٦٨٦) ، وأبو داود ، باب : صلاة المسافر (١١٩٩، ١٢٠٠) ، والترمذى ، كتاب : تفسير القرآن (٣٠٣٤) ، والنسائى ، فاتحة كتاب تقصير الصلاة (٣/ ١١٦، ١١٧) ، وابن ماجه ، باب : تقصير الصلاة فى السفر (١٠٦٥) من طرق عن ابن جريج به .

[١] - سقط من خ .

[٢] - في خ : « الأحيان » .

[٣] - في خ : « و » .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - ما بين المعكوفتين في ت : له قوله .

[٦] - بين المعكوفتين في ت : الله .

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

وهكذا رواه مسلم وأهل السنن من حديث ابن جريج ، عن عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن أبي عمار ، به . وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . وقال علي بن المديني : هذا حديث صحيح من حديث عمر ، ولا يحفظ إلا من هذا الوجه ، ورجاله معروفون .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة(٧٤٤) : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا مالك بن مغول ، عن أبي حنظلة الحذاء ، قال : سألت ابن عمر عن صلاة السفر ، فقال : ركعتان ، فقلت : أين قوله تعالى : ﴿ **إن خفتم أن يفتتكم الذين كفروا** ﴾ ونحن آمنون ؟ فقال[١] : سنة رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن مردويه(٧٤٥) : حدثنا عبد اللَّه بن محمد بن عيسىٰ ، حدثنا علي بن محمد بن سعيد ، حدثنا منجاب ، حدثنا شريك ، عن قيس بن وهب ، عن أبي الوداك قال[٢] : سألت ابن عمر عن ركعتين في السفر ؟ فقال : هي رخصة نزلت من السماء ؛ فإن شئتم فردوها .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة(٧٤٦) : حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا ابن عون ، عن ابن سيرين ، عن ابن عباس قال : صلينا مع رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ، بين مكة والمدينة ، ونحن

(٧٤٤) - لم أجده فى « المصنف » بهذا الإسناد ، ويحتمل أن يكون فى تفسيره هكذا ، وقد رواه أيضًا فى « المصنف » (٣٣٦/٢) ثنا وكيع وأحمد (٢/ ٢٠، ٣١) ثنا يحيى ويزيد ، ثلاثتهم (وكيع ، ويحيى ، ويزيد) ، ثنا ابن أبي خالد ، عن أبي حنظلة به . ورواه ابن عبد البر فى « التمهيد » (١٦٧/١١) من طريق محمد بن إسماعيل الترمذى ثنا أبو نعيم به ، وأبو حنظلة ، قال أبو زرعة الرازى : « كوفى لا أعرف اسمه » ، الجرح والتعديل لابن أبى حاتم (٣٦٣/٩) ، ونقل ابن حجر فى « تعجيل المنفعة » (٢/ ت١٢٦٠) عن أبى زرعة العراقى قوله فيه : « لا يعرف » ، وتعقبه بقوله : « بل هو معروف ، يقال له الحذاء بمهملة ثم معجمة ، ولم يسم ، وقد روى أيضًا عن رجل من أهل مكة عن على ، وروى عنه أيضًا مالك ابن مغول ، ذكره أبو أحمد الحاكم « الكنى » (٤/ت١٩٠٣) وقال : حديثه فى الكوفيين ، قلت : ولا أعرف فيه جرحًا ، بل ذكره ابن خلفون فى « الثقات ») والحديث أورده السيوطى فى « الدر المنثور » (٣٧١/٢) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد .

(٧٤٥) - شريك هو ابن عبد الله القاضى ، سيئ الحفظ ، ومنجاب هو ابن الحارث ، ثقة ، وباقى رجال الإسناد ثقات ، والخبر لم أجده فى غير هذا الموضع ، والله أعلم .

(٧٤٦) - رواه ابن أبى شيبة فى « المصنف » (٣٣٧/٢) ورواه أحمد (٣٥٤/١) ثنا يزيد بن هارون به ورواه أحمد أيضًا (٢٢٦/١) ثنا يحيى (٣٦٢/١) ثنا محمد بن أبى عدى (٣٦٩/١) ثنا معاذ ، والنسائى (٣/ ١١٧) أخبرنا محمد بن عبد الأعلى ، ثنا خالد الحذاء والطبرانى فى « الكبير » (١٢٨٥٥/١٢) من طريق عبد الرحمن بن حماد خمستهم (يحيى وابن أبى عدى ومعاذ وخالد وعبد الرحمن) ثنا عبد الله =

[١] - في ز : « قال » .
[٢] - سقط من : ز .

آمنون ، لا نخاف بينهما ، ركعتين ركعتين .

وهكذا[١] رواه النسائي عن محمد بن عبد الأعلىٰ ، عن خالد الحذاء ، عن عبد اللّٰه بن عون ، به . قال أبو عمر بن عبد البر : وهكذا رواه أيوب وهشام ويزيد بن إبراهيم التستري ، عن محمد بن سيرين ، عن ابن عباس - رضي اللّٰه عنهما - عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، مثله .

قلت : وهكذا رواه الترمذي والنسائي جميعًا ، عن قتيبة ، عن هشيم ، عن[٢] منصور بن زاذان ، عن محمد بن سيرين ، عن ابن عباس : أن رسول اللّٰه ، صلى الله عليه وسلم ، خرج من المدينة إلىٰ مكة ، لايخاف إلا رب العالمين ، يصلي[٣] ركعتين ، ثم قال الترمذي : صحيح .

وقال البخاري(٧٤٧) : حدثنا أبو معمر ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا يحيى بن أبىٰ إسحاق ، قال : سمعت أنسًا يقول : خرجنا مع رسول اللّٰه صلى الله عليه وسلم من المدينة إلىٰ مكة ، فكان يصلي ركعتين ركعتين[٤] ، حتىٰ رجعنا إلىٰ المدينة ، قلت : أقمتم بمكة شيئًا ، قال : أقمنا بها عشرًا .

وهكذا أخرجه بقية الجماعة من طرق عن يحيىٰ بن أبي إسحاق الحضرمي ، به .

ابن عون به . ورواه أحمد (٢٢٦/١) ، والترمذى (٥٤٧) ، والنسائى (١١٧/٣) من طريق هشيم عن منصور ابن زاذان ، ورواه أحمد أيضًا (٣٥٥/١) من طريق قرة بن خالد ويزيد بن إبراهيم ، ورواه عبد بن حميد فى « المنتخب » (٦٦٢، ٦٦٣) من طريق هشام بن حسان ، وأبى هلال الراسبى ، ورواه الطبرانى (١٢٨٥٦/١٢ - ١٢٨٦٤) من طريق سعيد بن عبد الرحمن وقرة بن خالد وأبى هلال وأيوب وهشام - وهو عند عبد الرزاق فى « المصنف » (٢/ ٤٢٧٠، ٤٢٧١) من الوجهين الآخرين - ومنصور بن زاذان وأشعث بن سوَّار ، كلهم (منصور وقرة ويزيد وهشام وأبى هلال وسعيد وأيوب وأشعث) عن ابن سيرين به .

(٧٤٧) - رواه البخارى فاتحة كتاب تقصير الصلاة (١٠٨١) ، ورواه أيضًا ، كتاب : المغازى ، باب : مقام النبى - صلى اللّٰه عليه وسلم - بمكة زمن الفتح (٤٢٩٧) ، ومسلم ، كتاب : صلاة المسافرين وقصرها (١٥) (٦٩٣) ، وأبو داود ، كتاب : الصلاة ، باب : متى يتم المسافر ؟ (١٢٣٣) ، والترمذى ، كتاب: الصلاة ، باب : ما جاء فى كم تُقْصَرُ الصلاةُ (٥٤٨) والنسائى ، كتاب : تقصير الصلاة فى السفر (٣/ ١١٨، ١٢١) ، وابن ماجه ، كتاب : إقامة الصلاة (١٠٧٧) من طرق عن يحيى بن أبى إسحاق به .

---

[١] - في ز : « وكذا » .
[٢] - في خ : « بن » .
[٣] - في ت : « فصلى » .
[٤] - سقط من : خ .

وقال الإمام أحمد(٧٤٨) : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة بن وهب الخزاعي ، قال : صليت مع النبي ، صلى الله عليه وسلم ، الظهر والعصر بمنىً[١] أكثر ما كان الناس وآمنَه ركعتين .

ورواه الجماعة سوىٰ ابن ماجة من طرق عن[٢] ابن أبي إسحاق السبيعي ، عنه ، به . ولفظ البخاري(٧٤٩) : حدثنا أبو الوليد ، حدثنا شعبة ، أنبأنا أبو إسحاق ، سمعت حارثة بن وهب قال : صلىٰ بنا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، آمن ماكان بمنىٰ ركعتين .

وقال البخاريٰ(٧٥٠) : حدثنا مسدد ، حدثنا يحيىٰ ، حدثنا عبيد الله ، أخبرنا نافع ، عن عبد الله ابن عمر ؛ قال : صليت مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ركعتين وأبي بكر وعمر ومع عثمان صدرًا من إمارته ثم أتمها .

وكذا رواه مسلم من حديث يحيىٰ بن سعيد القطان ، به .

وقال البخاري(٧٥١) : حدثنا قتيبة ، حدثنا عبد الواحد ، عن الأَعمش ، حدثنا إبراهيم ،

(٧٤٨) - « المسند » (٣٠٦/٤) ، وكذا رواه النسائى ، كتاب : تقصير الصلاة فى السفر (١٢٠/٣) من طريق يحيى بن سعيد ، ثنا سفيان به . ورواه مسلم ، كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ، باب : قصر الصلاة بمنى (٢٠) (٦٩٦) ، والترمذى ، كتاب : الحج ، باب : ما جاء فى تقصير الصلاة بمنى (٨٨٢) ، والنسائى ، كتاب : تقصير الصلاة ، باب : الصلاة بمنى (٣/ ١١٩، ١٢٠) من طريق أبى الأحوص ، ورواه مسلم أيضًا (٢١) (٦٩٦) ، وأبو داود ، كتاب : المناسك ، باب : القصر لأهل مكة (١٩٦٥) من طريق زهير بن معاوية كلاهما (أبو الأحوص وزهير) عن أبى إسحاق به وتابعهما شعبة عنه ، وهو الآتى .

(٧٤٩) - رواه البخارى ، كتاب : تقصير الصلاة ، باب : الصلاة بمنى (١٠٨٣) ، ورواه أيضًا ، كتاب : الحج ، باب : الصلاة بمنى (١٦٥٦) ثنا آدم ، ورواه أحمد (٣٠٦/٤) من طريق محمد بن جعفر ، والنسائى (١١٩/٣) من طريق يحيى بن سعيد ثلاثتهم (آدم ومحمد ويحيى) ثنا شعبة به .

(٧٥٠) - رواه البخارى ، كتاب : تقصير الصلاة ، باب : الصلاة بمنى (١٠٨٢) ، ورواه مسلم ، كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ، باب : قصر الصلاة بمنى (١٧) (٦٩٤) ، وأحمد (٢/ ١٦، ٥٥) ، والنسائى (١٢١/٣) من طرق عن عبيد الله بن عمر به .

(٧٥١) - رواه البخارى ، كتاب : تقصير الصلاة ، باب : الصلاة بمنى (١٠٨٤) ، ورواه أيضًا ، كتاب : الحج ، باب : الصلاة بمنى (١٦٥٧) ، ومسلم ، كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ، باب : قصر الصلاة بمنى (١٩) (٦٩٥) ، وأحمد (١/ ٣٧٨، ٤٢٢، ٤٢٥) ، وأبو داود (١٩٦٠) ، والنسائى (١٢٠/٣) من طرق عن سليمان الأعمش به .

[١] - سقط من : خ. [٢] - في ز : « على » .

سمعت عبد الرحمن بن يزيد يقول : صلىٰ بنا عثمان بن عفان ، رضي اللَّه عنه ، بمنىٰ أربع ركعات ، فقيل في ذلك لعبد اللَّه بن مسعود ، رضي اللَّه عنه ، فاسترجع ، ثم قال : صليت مع رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ، بمنىٰ ركعتين ، وصليت مع أبي بكر بمنىٰ ركعتين ، وصليت مع عمر بن الخطاب بمنىٰ ركعتين ، فليت حظي من أربع ركعات ركعتان متقبلتان .

ورواه البخاري أيضًا من حديث الثوري ، عن الأعمش ، به . وأخرجه مسلم من طرق ، عنه منها عن قتيبة كما تقدم .

فهذه الأحاديث دالة صريحًا علىٰ[١] أن القصر ليس من شرطه وجود الخوف ؛ ولهذا قال من قال من العلماء : إن المراد من القصر هٰهنا إنما هو قصر الكيفية لا الكمية . وهو قول مجاهد والضحاك والسدي كما سيأتي بيانه ، واعتضدوا[٢] أيضًا بما رواه الإمام مالك(٧٥٢) ، عن صالح بن كيسان ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة ، رضي اللَّه عنها ، أنها قالت : فرضت الصلاة ركعتين ركعتين في السفر والحضر ، فأقرت صلاة السفر ، وزيد في صلاة الحضر .

وقد روىٰ هذا الحديث البخاري عن عبد اللَّه بن يوسف التنيسي ، ومسلم عن يحيىٰ بن يحيىٰ ، وأبو داود عن القعنبي ، والنسائي عن قتيبة ؛ أربعتهم عن مالك ، به .

قالوا : فإذا كان أصل الصلاة في السفر هي الثنتين ، فكيف يكون المراد بالقصر هٰهنا قصر الكمية ، لأن ما هو الأصل لا يقال فيه : ﴿ **فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة** ﴾ ؟ .

وأصرح من ذلك دلالة علىٰ هذا ، ما رواه الإمام أحمد(٧٥٣) : حدّثنا وكيع ، حدثنا[٣] سفيان وعبد الرحمن ، حدثنا سفيان ، عن زبيد اليامي[٤] ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ ،

---

(٧٥٢) - « الموطأ » كتاب : قصر الصلاة فى السفر (١٣٨/١) ، ومن طريق مالك رواه البخارى ، كتاب : الصلاة ، باب : كيف فُرضت الصلاة .. ؟ (٣٥٠) ثنا عبيد الله بن يوسف ، ومسلم ، فاتحة كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٦٨٥) ثنا يحيى بن يحيى ، وأبو داود ، كتاب : الصلاة ، باب : صلاة السفر (١١٩٨) ثنا القعنبى ، والنسائى ، كتاب : الصلاة ، باب : كيف فرضت الصلاة ؟ (١/ ٢٢٥، ٢٢٦) أخبرنا قتيبة أربعتهم (عبد الله ويحيى والقعنبى وقتيبة) عن مالك به .

(٧٥٣) - « المسند » (٣٧/١) ، ورواه أبو يعلى فى « مسنده » (١/ح٢٤١) - ومن طريقه ابن حبان (٧/ ٢٧٨٣)/ إحسان) ، (٢/٥٤٣/ موارد) ، والضياء فى « المختارة » (١/ ٢٣٨، ٢٣٩) - ثنا أبو خيثمة ،ثنا وكيع به . ورواه الطيالسى (ص ١٠، ١١) ، وعبد الرزاق فى « المصنف » (٤٢٧٨/٢) ، والنسائى فى « الصغرى » (١٨٣/٣) من طريق يزيد بن زريع ، وفى « الكبرى » =

---

[١] - في ز : « عن » .

[٢] - في ز : « واعتضوا » .

[٣] - في ز : « و » .

[٤] - في ز ، خ : « الإمامي » .

عن عمر ، رضي الله عنه ، قال : صلاة السفر ركعتان ، وصلاة الأضحىٰ ركعتان ، وصلاة الفطر ركعتان ، وصلاة الجمعة ركعتان ، تمام غير قصر ، علىٰ لسان محمد صلى الله عليه وسلم .

وهكذا رواه النسائي وابن ماجة وابن حبان في صحيحه(٧٥٤) من طرق عن زبيد اليامي[١] ،

= (١/ح ٤٩١، ١٧٣٤) من طريق يحيى بن سعيد ، والطحاوى فى « شرح معانى الآثار » (٤٢١/١) من طريق أبى عامر العقدى ، والبيهقى فى « السنن الكبرى » (٢٠٠/٣) من طريق محمد بن أبى كثير ، وأبى نعيم الفضل بن دكين ، سبعتهم (الطيالسى وعبد الرزاق ويزيد ويحيى وأبو عامر ومحمد وأبو نعيم) عن سفيان الثورى به ، وتابعهم أيضًا « زائدة وعبد الله بن الوليد العدنى ومهران بن أبى عمر وأبوحمزة السكري وغيرهم » كما قال أبوالحسن الدارقطنى فى « العلل » (٢/س ١٥٠/ ص ١١٥، ١١٦) بينما رواه معاذ بن معاذ عن الثورى عن زبيد عن ابن أبى ليلى عن أبيه عن عمر به ذكره الدارقطنى فى « العلل » وفى « الافراد » و « أطراف الغرائب » مسند عمر (٢٨/١) ، ورواه يحيى القطان عن الثورى عن زبيد عن ابن أبى ليلى عن الثقة عن عمر به رواه من هذا الوجه أبو يعلى - كما فى « مسند عمر » للمصنف (١/ ٢٠٣) وكذا قاله الضياء ، ولم أجده فى المطبوع منه - والطحاوى (٤٢٢/١) من طريق القواريرى ثنا يحيى به ، ورواية الجماعة أرجح ، بل إن يحيى رواه كالجادة كما عند النسائى فى « الكبرى » (١/ ٤٩١، ١٧٣٤) وانظر ما بعده .

(٧٥٤) - رواه النسائى (١١١/٣) وابن أبى شيبة فى « المصنف » (٣٣٥/٢) - وعنه ابن ماجه (١٠٦٣) - وعبد بن حميد فى « المنتخب » (٢٩) والطحاوى فى « شرح معانى الآثار » (٤٢٢/١) من طريق شريك ابن عبد الله القاضى . ورواه النسائى أيضًا (١١٨/٣) ، والبزار فى « مسنده » (٣٣١/١/ البحر الزخار) ، وأبو نعيم فى « الحلية » (١٨٧/٧) وفى « أخبار أصبهان » (١٩٠/١) ، وقال أبو نعيم : « تفرد به سفيان بن حبيب عن شعبة » . ورواه الطحاوى (٤٢١/١) وأبو نعيم فى « الحلية » (٤/ ٣٥٣، ٣٥٤) ، من طريق محمد بن طلحة بن مصرف ثلاثتهم (شريك وشعبة ومحمد) عن زبيد اليامى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن عمر به وتابعهم سفيان الثورى - كما فى السابق - عن زبيد به . وكذا رواه عن زبيد هكذا: « عمرو بن قيس الملائى ، وقيس بن الربيع ، وأبو وكيع الجراح بن مليح ، وعلى بن صالح بن حيى ، وسعيد بن سماك بن حرب ، وعبد الله بن ميمون الطهوى ، وياسين الزيات ، وعبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن ، ويزيد بن عبد الله ، وعمار بن رزيق ، والقاسم بن الوليد ، وعبد الرحمن بن زبيد ويحيى ابن أبى أنيسة » قاله أبو الحسن الدارقطنى فى « العلل » (٢/س١٥٠) ، وأبو نعيم فى « الحلية » (٤/ ٣٥٤) ، إلا أنه اختلف فيه علي ياسين الزيات ، فرواه جماعة عنه مثل رواية الجماعة ورواه يزيد بن أبى حكيم عن ياسين الزيات عن الأعمش عن زيد بن وهب عن عمر به . رواه من هذا الوجه البزار فى « مسنده » (١/ح٣٣٠) ثنا سلمة بن شبيب ، ثنا يزيد بن أبى حكيم به وقال : « ولا نعلمه يروى عن الأعمش عن زيد بن وهب عن عمر إلا من حديث ياسين عن الأعمش » وياسين هذا تركه النسائى وأبو داود وابن الجنيد ، وقال البخارى : « منكر الحديث » ثم إن أبا الحسن الدارقطنى قال : « والمحفوظ =

[١] - في ز ، خ : « الإمامي » .

به . وهذا إسناد علىٰ شرط مسلم . وقد حكم مسلم في مقدمة كتابه بسماع ابن أبي ليلىٰ عن عمر ، وقد جاء مصرحًا به في هذا الحديث وفي غيره ، وهو الصواب إن شاء الله ، وإن كان يحييٰ بن معين وأبو حاتم والنسائي قد قالوا : إنه لم يسمع منه . وعلىٰ هذا أيضًا[١] فقد وقع في بعض طرق أبي يعلى الموصلي(٧٥٥) ، من طريق الثوري ، عن زبيد ، عن عبد الرحمن [بن أبي ليلىٰ][٢] ، عن الثقة ، عن عمر فذكره ، وعند ابن ماجة(٧٥٦) من طريق يزيد بن [ ] زياد بن

= عن ياسين عن زبيد عن ابن أبى ليلى عن عمر ، وهو الصواب إن شاء الله تعالى » .

(٧٥٥) - لم أجده من هذا الوجه فى المطبوع من « مسنده » ، وقد أورده بسند أبى يعلى المصنف فى « مسند الفاروق » (٢٠٣/١) وكذا الضياء المقدسى فى « المختارة » (١/ص٣١٨) - قال أبو يعلى : ثنا القواريرى عن يحيى بن سعيد - وهو القطان - عن سفيان الثورى به ، ورواه الطحاوى فى « شرح معانى الآثار » (٤٢٢/١) ثنا ابن أبى داود ثنا القواريرى به ورواية الجماعة عن الثورى - وهى المتقدمة (٧٥٧) ، بإسقاط قوله : « عن الثقة »- أرجح بل إن يحيى رواه كالجادة كماعند النسائى فى « الكبرى » (١/ ٤٩١، ١٧٣٤) كذا رواه الجماعة عن الثورى عن زبيد عن ابن أبى ليلى عن عمر ، وتابع الثورى عليه هكذا جماعة تقدم ذكرهم فى السابق . بينما رواه أبو خيثمة فى « مسنده » كما فى « التهذيب » (ترجمة / عبد الرحمن بن أبى ليلى) والهيثم بن كليب فى « مسنده » - كما فى « مسند الفاروق » للمصنف (٢٠٣/١) - ثنا عيسى بن أحمد العسقلانى ، كلاهما (أبو خيثمة والعسقلاني) ثنا يزيد بن هارون أخبرنا سفيان الثورى ، عن زبيد اليامى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، سمعت عمر يقول : فذكره . قال أبو خيثمة : « تفرد به يزيد بن هارون هكذا ، ولم يقل أحدٌ سمعت عمر غيره ....» وقال أبو الحسن الدارقطنى فى « العلل » (٢/ص١١٦) : « ولم يُتابع يزيد بن هارون على قوله هذا » . وتعقبه المصنف فى « مسند الفاروق » بأن : « يزيد بن هارون أحد أئمة الإسلام ، فيقبل تفرّده ، وسماع عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن عمر قد ثبت فى غير هذا الحديث كما قال الحافظ أبو يعلى الموصلى - « مسنده » (١/رقم ٢١١) - حدثنا محمد بن على بن الحسن بن شقيق ، سمعت أبى : حدثنا الحسين بن واقد ، عن الأعمش عن حبيب بن أبى ثابت ، أن عبد الرحمن بن أبى ليلى حدثه قال : خرجت مع عمر إلى مكة ...» وهذا صريح فى ذلك ، وقد أثبت سماع جماعة من الصحابة بدون هذا والله أعلم » وقد أورد هذا الخبر الضياء فى « المختارة » وقال : « وهذا الطريق دليلٌ على صحبة عبد الرحمن بن أبى ليلى لعمر - رضى الله عنه » . وفاتهما أن الأعمش مدلس ، وقد عنعنه ، ولذلك قال أبو خيثمة : « وقد روى سماعه من عمر ، من طُرق وليست بصحيحة » . وقد نفى سماع ابن أبى ليلى من عمر ، ابن معين ، وأبو حاتم وقال النسائى (١١١/١) عقب الحديث : « عبد الرحمن بن أبى ليلى ، لم يسمع من عمر » ، وقال ابن المدينى : كان شعبة ينكر أن يكون سمع من عمر ، وقال الخليلى فى « الإرشاد » : « الحفاظ لا يثبتون سماعه من عمر » وقد ورد موصولًا ، إلا أنه أُعِلَّ ، فانظر الآتى .

(٧٥٦) - « السنن » لابن ماجه (١٠٦٤) ثنا محمد بن عبد الله بن نمير ، ثنا محمد بن بشر ، أنبأ يزيد بن زياد ابن أبى الجعد به . ورواه النسائى فى « الكبرى » (١/ح ٤٩٠) ومن طريقه ابن حزم فى « المحلى » =

[١] - بعده في خ : « فقال » . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

أبي الجعد ، عن زبيد ، عن عبد الرحمن ؛ عن كعب بن عجرة ، عن عمر ، به . فالله أعلم .

وقد روىٰ مسلم في صحيحه ، وأبو داود والنسائي وابن ماجة من حديث(٧٥٧) أبي عوانة الوضاح بن عبد الله اليشكري ، زاد مسلم والنسائي : وأيوب بن عائذ[١] ، كلاهما عن بكير بن الأخنس ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عباس ؛ قال : فرض الله الصلاة علىٰ لسان نبيكم محمد[٢] في الحضر أربعًا ، وفي السفر ركعتين ، [وفي الخوف ركعة][٣] ، فكما يصلي في الحضر قبلها وبعدها ، فكذلك يصلي في السفر .

ورواه ابن ماجة(٧٥٨) من حديث أسامة بن زيد ، عن طاوس نفسه .

= (٢٦٥/٤) أبنا محمد بن رافع ، وابن خزيمة فى صحيحه (١٤٢٥/٢) ثنا محمد بن رافع ، ح وثنا عبدة بن عبد الله الخزاعى ، والبيهقى فى « السنن الكبرى » (١٩٩/٣) من طريق محمد بن رافع ، كلاهما (ابن رافع وعبدة) ثنا محمد بن بشر به وصحح إسناده أبو عبد الرحمن الألبانى فى « حاشيته على صحيح ابن خزيمة » !! مع أن البزار أعله فقال فى « مسنده » (١/ح٣٣١/ص٤٦٥/ البحر الزخار) : « هذا الحديث رواه يزيد بن زياد عن أبى الجعد عن زبيد ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن كعب بن عجرة عن عمر ، ورواه شعبة والثورى فلم يذكرا كعب بن عجرة ، وهما حافظان ويزيد بن زياد فغير حافظ » يعنى بالنسبة إلى شعبة والثورى وإلاَّ فقد وثقه أحمد وابن معين ، والعجلى وابن حبان ، وقال أبو زرعة : شيخ ، وقال أبو حاتم : ما بحديثه بأس ، وهو صالح الحديث ، وقال النسائى : ليس به بأس ، صالح الحديث . غير أن حفظه بجوار حفظ شعبة والثورى لا يساوى شيئًا ولا سيما وقد رواه جمع من الثقات – تقدم ذكرهم – مثل رواية شعبة والثورى ، وعليه فالوهم إليه مؤكد وقد قال ابن أبى حاتم فى « العلل » (١/س٣٨١) : «سألت أبى عن حديث رواه محمد بن بشر عن يزيد بن زياد بن أبى الجعد عن زبيد ، عن عبد الرحمن ابن أبى ليلى عن كعب بن عجرة عن عمر قال : ... الحديث ، ورواه الثورى عن زبيد عن عبد الرحمن ابن أبى ليلى عن عمر ليس فيه عن كعب ... . قال أبى : الثورى أحفظ » والله الموفق .

(٧٥٧) – رواه مسلم ، كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ، باب : صلاة المسافرين وقصرها ، (٥) (٦٨٧) ، وأبو داود ، كتاب : الصلاة ، باب : من قال : يصلى بكل طائفة ركعتين (١٢٤٧) ، والنسائى ، كتاب : الصلاة ، باب : كيف فرضت الصلاة (٢٢٦/١) ، وابن ماجه ، كتاب : إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : تقصير الصلاة فى السفر (١٠٦٨) ، وأحمد (١/ ٢٣٧، ٢٥٤، ٢٥٥) من طرق عن أبى عوانة ، ورواه مسلم (٦) (٦٨٧) ، والنسائى ، كتاب : تقصير الصلاة (٣/ ١١٨، ١١٩) وأحمد (٢٤٣/١) من طريقين عن أيوب بن عائذ كلاهما (أبو عوانة وأيوب) عن بكير بن الأخنس عن مجاهد عن ابن عباس قال : « فرض الله الصلاة على لسان نبيكم – صلى الله عليه وسلم – فى الحضر أربعًا ، وفى السفر ركعتين ، وفى الخوف ركعة » ورواه طاوس عن ابن عباس بلفظ آخر انظر الآتى .

(٧٥٨) – ورواه ابن ماجه (١٠٧٢) ، وأحمد (٢٣٢/١) من طريق وكيع ، وعبد بن حميد فى =

[١] – في ز : « عابد » .

[٢] – سقط من : ز ، خ . [٣] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

فهذا ثابت عن ابن عباس ، رضي اللّه عنهما ، ولا ينافي ما تقدم عن عائشة ، رضي اللّه عنها ؛ لأنها أخبرت أن أصل الصلاة ركعتان ، ولكن زِيد في صلاة الحضر ، فلما استقر ذلك ، صح أن يقال : إن فرض صلاة الحضر أربع ، كما قاله ابن عباس ، واللّه أعلم ، لكن اتفق حديث ابن عباس وعائشة على أن صلاة السفر ركعتان ، وأنها تامة غير مقصورة ، كما هو مصرح به في حديث عمر ، رضي اللّه عنه ، وإذا كان كذلك ، فيكون المراد بقوله تعالىٰ : ﴿ **فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة** ﴾ قصر الكيفية كما في صلاة الخوف ، ولهذا قال : ﴿ **إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدوًّا مبينًا** ﴾ ، ولهذا قال بعدها : ﴿ **وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك** ﴾ الآية[١] ، فبين المقصود من القصر هٰهنا ، وذكر صفته وكيفيته ، ولهذا لما عقد[٢] البخاري(٧٥٩) : « كتاب صلاة الخوف » ، صدره بقوله تعالىٰ : ﴿ **وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة** ﴾ ، إلىٰ قوله : ﴿ **إن اللّه أعدّ للكافرين عذابًا مهينًا** ﴾ .

وهكذا قال جويبر ، عن الضحاك في قوله : ﴿ **فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة** ﴾ ، قال : ذاك عند القتال ، يصلي الرجل الراكب تكبيرتين حيث كان وجهه .

وقال أسباط عن السدي في قوله : ﴿ **وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم** ﴾ الآية ، إن الصلاة إذا صليت ركعتين في السفر فهي تمام ، التقصير لا يحل إلا أن تخاف من الذين كفروا أن يفتنوك عن الصلاة . فالتقصير ركعة .

وقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ **فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة** ﴾ يوم

= « المنتخب » (٦١٨) من طريق رَوْح بن عُبادة ، والبيهقى فى « السنن الكبرى » (١٥٨/٣) من طريق الأوزاعى ثلاثتهم (وكيع وروح والأوزاعي) ثنا أسامة بن زيد ، قال : سألت طاوسًا عن السبحة فى السفر ، والحسن بن مسلم بن يَنَّاق جالس عنده ، فقال : حدثنى طاوسُ أنه سمع ابن عباس يقول : فرض رسول الله - صلى اللّه عليه وسلم - صلاة الحضر ، وصلاة لسفر ، فكنا نصلى فى الحضر قبلهما وبعدها ، وكُنا نصلى فى السفر قبلها وبعدها » . قال البوصيرى فى « الزوائد » (٣٥٦/١) : « هذا إسناد حسن لقصور أسامة بن زيد عن درجة أهل الحفظ والضبط ، وباقى رجال الإسناد ثقات » غير أنه صح عن عبد الله بن عمر - عند البخارى (١١٠٢) ومسلم (٦٨٩) وغيرهما - أنه قال : صحبت رسول الله - صلى اللّه عليه وسلم - فكان لايزيد فى السفر على ركعتين ، وأبا بكر وعمر وعثمان كذلك ، رضى الله عنهم .

(٧٥٩) - انظر : « فتح البارى » (٤٢٩/٢) .

[١] - في ز : « إلى آخرها » . [٢] - في ز ، خ : « اعتضد » .

كان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه بعُسْفَان ، والمشركون بضجنان ، فتوافقوا ، فصلىٰ النبي بأصحابه صلاة الظهر أربع ركعات ، ركوعهم وسجودهم وقيامهم معًا جميعًا ، فهمَّ بهم المشركون أن يغيروا علىٰ أمتعتهم وأثقالهم .

روىٰ ذلك ابن أبي حاتم(٧٦٠) ، ورواه ابن جرير(٧٦١) ، عن مجاهد والسدي ، وعن جابر وابن عمر . واختار ذلك أيضًا ؛ فإنه قال - بعد ما حكاه من الأقوال في ذلك - : وهو الصواب .

وقال ابن جرير(٧٦٢) : حدّثني محمد بن عبد اللّٰه بن عبد الحكم ، حدثنا ابن أبي فديك ، حدّثنا ابن أبي ذئب ، عن ابن شهاب ، عن أمية بن عبد اللّٰه بن خالد بن أسيد ، أنه قال لعبد اللّٰه ابن عمر : إنا نجد في كتاب اللّٰه قصر صلاة الخوف ، ولا نجد قصر صلاة المسافر ، فقال عبد اللّٰه : إنا وجدنا نبينا ، صلى الله عليه وسلم ، يعمل عملًا عملنا به .

فقد سمى صلاة الخوف مقصورة ، وحمل الآية عليها ، لا علىٰ قصر صلاة المسافر ، وأقره ابن عمر علىٰ ذلك ، واحتج علىٰ قصر الصلاة في السفر بفعل الشارع لا[١] بنص القرآن .

وأصرح من هذا ما رواه ابن جرير أيضًا(٧٦٣) : حدثني أحمد بن الوليد القرشي ، حدّثنا محمد ابن جعفر ، حدّثنا شعبة ، عن سماك الحنفي ، قال[٢] : سألت ابن عمر عن صلاة السفر فقال : ركعتان تمام غير قصر ، إنما القصر صلاة المخافة ، فقلت : وما صلاة المخافة ؟ فقال : يصلي الإمام بطائفة[٣] ركعة ، ثم يجيء هؤلاء إلىٰ مكان هؤلاء ، ويجيء هؤلاء إلىٰ مكان هؤلاء ،

(٧٦٠) - رواه ابن أبي حاتم (٣/٥٨٩٥) .

(٧٦١) - تفسير ابن جرير (٩/ص ١٣٣ - ١٣٨) .

(٧٦٢) - تفسير ابن جرير (٩/١٠٣١٨) وهذا إسناد صحيح ، ورواه البيهقى فى « السنن الكبرى » (٣/ ١٣٦) من طريق يونس عن ابن شهاب أخبرنى عبد الملك بن أبى بكر بن عبد الرحمن عن أمية به ، وهذا إسناد صحيح أيضًا ، وعبد الملك بن أبى بكر ، ثقة من رجال الجماعة ، فلا تضر زيادته فى الإسناد وقد قال البيهقى : « ورواه الليث عن ابن شهاب عن عبد الله بن أبى بكر ، وأسنده جماعة عن عبد الله بن أبى بكر ، وأسنده جماعة عن ابن شهاب فلم يقيموا إسناده » ، والخبر ذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٢/ ٣٧٢) ولم يعزه لغير ابن جرير .

(٧٦٣) - تفسير ابن جرير (٩/١٠٣٢٧) ورواه ابن خزيمة فى صحيحه (٢/١٣٤٩) ثنا أحمد بن المقدام ثناروح ثنا شعبة به ، ورواه البيهقى فى « السنن الكبرى » (٣/٢٦٣) من طريق يحيى بن سعيد عن مسعر عن سماك به ، وإسناده صحيح . والخبر أورده السيوطى فى « الدر المنثور » (٢/٣٧٣) وعزاه إلى عبد بن حميد وابن جرير .

[١] - سقط من : خ . [٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « وطائفة » .

فيصلي بهم ركعة ، فيكون للإمام ركعتان ، ولكل طائفة ركعة ركعة .

وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾

صلاة الخوف أنواع كثيرة ، فإن العدو تارة يكونون[١] تجاه القبلة ، وتارة يكونون[٢] في غير صوبها ، والصلاة تكون رباعية ، وتارة تكون[٣] ثلاثية كالمغرب ؛ وتارة تكون[٤] ثنائية كالصبح وصلاة السفر ، ثم تارة يصلون جماعة ، وتارة يلتحم الحرب فلا يقدرون علىٰ الجماعة ، بل يصلون فرادى مستقبلي القبلة وغير مستقبليها ؛ ورجالًا وركبانًا . ولهم أن يمشوا والحالة هذه ، ويضربوا الضرب المتتابع في متن الصلاة .

ومن العلماء من قال : يصلون والحالة هذه ركعة واحدة ؛ لحديث ابن عباس المتقدم . وبه قال أحمد بن حنبل ، قال المنذري في الحواشي ، وبه قال عطاء وجابر والحسن ومجاهد والحكم وقتادة وحماد[٥] ، وإليه ذهب طاوس والضحاك .

وقد حكىٰ أبو عاصم العبادي[٦] ، عن محمد بن نصر المروزي أنه يرىٰ ردّ الصبح إلىٰ ركعة في الخوف . وإليه ذهب ابن حزم أيضًا .

وقال إسحاق بن راهويه : أما عند المسايفة فيجزيك ركعة واحدة تومئ بها إيماء . فإن لم تقدر[٧] فسجدة واحدة ؛ لأنها ذكر اللّٰه .

---

[١] - في خ : « يكون » .
[٢] - في خ : « يكون » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز : « العادي » .
[٧] - في ز : « يقدر » .

وقال آخرون : يكفي تكبيرة واحدة . فلعله أراد ركعة واحدة ، كما قاله الإمام[١] أحمد بن حنبل وأصحابه ، [وبه قال جابر بن عبد اللّٰه ، وعبد اللّٰه بن عمر ، وكعب ، وغير واحد من الصحابة ، والسدي ، ورواه ابن جرير][٢] ، ولكن الذين حكوه إنما حكوه علىٰ ظاهره [في الاجتزاء][٣] بتكبيرة واحدة ، كما هو مذهب إسحاق بن راهويه ، وإليه ذهب الأمير عبد الوهاب بن بخت المكي ، حتىٰ قال : فإن لم يقدر علىٰ التكبيرة[٤] فلا يتركها في نفسه ، يعني بالنية . رواه سعيد بن منصور [في سننه][٥] ، عن إسماعيل بن عياش ، عن شعيب ابن دينار ، عنه . فاللّٰه أعلم .

ومن العلماء من أباح تأخير الصلاة لعذر القتال والمناجزة ، كما أخر النبي ، صلى الله عليه وسلم ، يوم الأحزاب صلاة العصر(٧٦٤) ، قيل : والظهر ، فصلاهما[٦] بعد الغروب ، ثم صلىٰ بعدهما المغرب ، ثم العشاء ، وكما قال بعدها ، يوم بني قريظة ، حين جهز إليهم الجيش : « **لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة** »(٧٦٥) فأدركتهم الصلاة في أثناء الطريق ، فقال منهم قائلون : لم يرد منا رسول اللّٰه ، صلى الله عليه وسلم ، إلا تعجيل السير[٧] ، ولم يرد منا تأخير الصلاة عن وقتها ، فصلوا الصلاة لوقتها في الطريق ، وأخر آخرون منهم صلاة العصر فصلوها في بني قريظة بعد الغروب ، ولم يعنف رسول اللّٰه ، صلى الله عليه وسلم ، أحدًا من الفريقين ، وقد تكلمنا علىٰ هذا في كتاب السيرة ، وبينا أن الذين صلوا العصر لوقتها أقرب إلىٰ إصابة الحق في نفس الأمر ، وإن كان الآخرون معذورين أيضًا ، والحجة هٰهنا في عذرهم في تأخير الصلاة لأجل الجهاد والمبادرة إلىٰ حصار الناكثين للعهد ، من الطائفة الملعونة اليهود .

---

(٧٦٤) – رواه مسلم ، كتاب : المساجد ، ومواضع الصلاة ، باب : الدليل لمن قال : الصلاة الوسطى هى صلاة العصر (٢٠٥) (٦٢٧) من طريق شُتَيْر بن شكل عن على ، قال : قال رسول الله – صلى اللّٰه عليه وسلم – يوم الأحزاب : « شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ...» وقد رواه البخارى (٢٩٣١) ومسلم أيضًا وغيرهما من طرق عن على وليس فيه تحديد الصلاة الوسطى .

(٧٦٥) – رواه البخارى ، كتاب : الخوف ، باب : صلاة الطالب والمطلوب راكبًا وإيماءً (٩٤٦) ، وكتاب : المغازى ، باب : مرجع النبى – صلى اللّٰه عليه وسلم – من الأحزاب (٤١١٩) ، ومسلم ، كتاب : الجهاد والسير ، باب : المبادرة بالغزو (٦٩) (١٧٧٠) من حديث عبد الله بن عمر » .

---

[١] – سقط من : ز .
[٢] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] – ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « من الاختيار » .
[٤] – في ز : « التكبير » .
[٥] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٦] – في ز : « صلاهما » .
[٧] – في ت : « المسير » .

وأما الجمهور فقالوا : هذا كله منسوخ بصلاة الخوف ، فإنها لم تكن نزلت بعد ، فلما نزلت نسخ تأخير الصلاة لذلك ، وهذا بين في حديث أبي سعيد الخدري الذي رواه الشافعي ، رحمه اللّٰه ، وأهل السنن(٧٦٦) ، ولكن يشكل [على هذا][١] ما حكاه البخاري ، رحمه الله ، في صحيحه(٧٦٧) ، حيث قال :

(باب الصلاة عند مناهضة الحصون ولقاء العدوّ) .

قال الأوزاعي : إن كان تهيأ الفتح ولم يقدروا علىٰ الصلاة صلوا إيماء ؛ كل امرئ لنفسه ، فإن لم يقدروا علىٰ الإيماء أخروا الصلاة حتىٰ ينكشف القتال ، أو يأمنوا فيصلوا ركعتين ، فإن لم يقدروا صلوا ركعة وسجدتين ، فإن لم يقدروا ، لا يجزئهم التكبير ويؤخرونها حتىٰ يأمنوا ، وبه قال مكحول ، وقال أنس بن مالك : حضرت عند[٢] مناهضة حصن تُسْتَر عند إضاءة الفجر ، واشتدّ اشتعال القتال ، فلم يقدروا علىٰ الصلاة ، فلم نصل إلا بعد ارتفاع النهار فصليناها ونحن مع أبي موسىٰ ، ففتح لنا ، قال أنس : وما يسرني بتلك الصلاة الدنيا وما فيها .

انتهىٰ ما ذكره ، ثم أتبعه بحديث تأخير الصلاة يوم الأحزاب ، ثم بحديث أمره إياهم أن لا يصلوا العصر إلا في بني قريظة ، وكأنه كالمختار لذلك[٣] ، واللّٰه أعلم .

ولمن جنح إلىٰ ذلك [له أن يحتج بصنيع][٤] أبي موسىٰ وأصحابه يوم فتح تستر [فإنه يشتهر][٥] غالبًا ، ولكن كان ذلك في إمارة عمر بن الخطاب ، ولم ينقل أنه أنكر عليهم ،

(٧٦٦) - رواه الشافعى (١/ح٥٥٣/ شفاء العي) ، والنسائى ، كتاب : الأذان ، باب : الأذان للفائت من الصلوات (١٧/٢) ولم يروه من أصحاب السنن غيره !! - وأحمد (٢٥/٣ ، ٤٩، ٦٧) والطيالسى (٢٢٣١) ، والدارمى (١٥٣٢) ، وأبو يعلى (٢/ح ١٢٩٦) ، والبيهقى فى « السنن الكبرى » (١/ ٤٠٢، ٤٠٣) (٢٥١/٣) وصححه ابن خزيمة (٩٩٦) ، وابن حبان (٢٨٩٠/٧) من طريق محمد بن عبد الرحمن بن أبى ذئب عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى ، عن عبد الرحمن بن أبى سعيد عن أبيه قال : « شغلنا المشركون يوم الخندق عن صلاة الظهر ، حتى غربت الشمس ، وذلك قبل أن ينزل فى القتال ما نزل ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **وكفى الله المؤمنين القتال** ﴾ فأمر رسول الله - صلى اللّٰه عليه وسلم - بلالًا فأقام لصلاة الظهر ، فصلاها كما كان يصليها فى وقتها ، ثم أذن للمغرب ، فصلاها كما كان يصليها فى وقتها » .

(٧٦٧) - « فتح البارى » (٤٣٤/٢) .

[١] - في خ : « عليه » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : «صنيع» .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

ولا أحد من الصحابة ، والله أعلم .

قال هؤلاء : وقد كانت صلاة الخوف مشروعة في الخندق ؛ لأن غزوة[١] ذات الرقاع كانت قبل الخندق في قول جمهور علماء السير والمغازي ، و[٢] ممن نص علىٰ ذلك محمد بن إسحاق وموسىٰ بن عقبة ، والواقدي ، ومحمد بن سعد كاتبه وخليفة بن خياط ، وغيرهم ، وقال البخاري(٧٦٨) وغيره : كانت ذات الرقاع بعد الخندق ، لحديث أبي موسىٰ وما قدم إلا في خيبر[٣] ، والله أعلم .

والعجب كل العجب أن المزني ، وأبا يوسف القاضي ، وإبراهيم بن إسماعيل بن علية ذهبوا إلىٰ أن صلاة الخوف منسوخة بتأخيره ، عليه الصلاة والسلام ، الصلاة يوم الخندق ، وهذا غريب جدًّا ، وقد ثبتت الأحاديث بعد الخندق بصلاة الخوف ، وحمل تأخير الصلاة يومئذ علىٰ ما قاله مكحول والأوزاعي أقوىٰ وأقرب ، والله أعلم .

فقوله تعالىٰ : ﴿ **وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة** ﴾ أي : إذا صليت بهم إمامًا في صلاة الخوف ، وهذه حالة غير الأولىٰ ، فإن تلك قصرها إلىٰ ركعة ، كما دل عليه الحديث - فرادى ورجالًا وركبانًا ، مستقبلي القبلة وغير مستقبليها ، ثم ذكر حال الاجتماع والائتمام بإمام واحد . وما أحسن ما استدل به من ذهب إلىٰ وجوب الجماعة من هذه الآية الكريمة ، حيث اغتفرت أفعال كثيرة لأجل الجماعة ، فلولا أنها واجبة لما[٤] ساغ[٥] ذلك ، وأما من استدل بهذه الآية علىٰ أن صلاة الخوف منسوخة بعد النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، لقوله : ﴿ **وإذا كنت فيهم** ﴾ فبعده تفوت هذه الصفة[٦] - فإنه استدلال ضعيف ، ويرد عليه مثل قول مانعي[٧] الزكاة ، الذين احتجوا بقوله : ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم** ﴾ قالوا : فنحن لا ندفع زكاتنا [بعد رسول الله][٨] ، صلى الله عليه وسلم ، إلىٰ أحد ، بل نخرجها نحن بأيدينا[٩] علىٰ من نراه ، ولا ندفعها [إلا][١٠] إلىٰ من صلاته - أي : دعاؤه - سكن لنا ، ومع هذا ردّ عليهم الصحابة ، وأبَوْا عليهم هذا الاستدلال ، وأجبروهم علىٰ أداء

(٧٦٨) - انظر صحيح البخاری ، کتاب : المغازی ، باب : غزوة ذات الرقاع (٤١٦/٧) .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز ، خ : « خبر » .
[٤] - في خ : « ما » .
[٥] - في ز ، خ : « شاع » .
[٦] - في ز : « الصيغة » .
[٧] - في ز : « مانع » .
[٨] - ما بين المعكوفتين في ز : « بعده » .
[٩] - في ز : « من أيدينا » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من « ش » .

الزكاة ، وقاتلوا من منعها منهم .

ولنذكر سبب نزول هذه الآية الكريمة أولًا قبل ذكر صفتها : قال ابن جرير(٧٦٩) : حدثنا ابن[١] المثنى ، حدثني إسحاق ، حدثنا عبد الله بن هاشم ، أنبأنا سيف ، عن أبي روق ، عن أبي أيوب ، عن علي ، رضي الله عنه ، قال : سأل قوم من بني النجار رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا نضرب في الأرض ، فكيف نصلي ؟ فأنزل الله عز وجل : ﴿ **وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة** ﴾ ثم انقطع الوحي ، فلما كان بعد ذلك بحول غزا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فصلىٰ الظهر ، فقال المشركون : لقد أمكنكم محمد وأصحابه من ظهورهم هلا شددتم[٢] عليهم ؟ فقال قائل منهم : إن لهم أخرىٰ مثلها في إثرها ، قال : فأنزل الله ، عز وجل ، بين الصلاتين : ﴿ **إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا** ﴾ الآيتين ، فنزلت صلاة الخوف .

وهذا سياق غريب جدًّا ، ولكن لبعضه شاهد من رواية أبي عياش الزرقي ، واسمه زيد بن الصامت - رضي الله عنه - [ ][٣] ، قال[٤] الإمام أحمد(٧٧٠) :

حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا الثوري ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن أبي عياش الزرقي[٥] قال : كنا مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بعُسْفان ، فاستقبلنا المشركون ، عليهم

---

(٧٦٩) - تفسير ابن جرير (١٠٣١٤/٩) وأورده السيوطى فى « الدرالمنثور » (٢٧٣/٢) ولم يعزه لغير ابن جرير ، قال الشيخ الأديب محمود شاكر فى حاشيته على تفسير ابن جرير ، « فى تفسير ابن كثير قال ابن جرير : حدثنى ابن المثنى ، حدثنا إسحاق ...» مخالفًا ما فى المطبوعة والمخطوطة فجعله « ابن المثنى » يعنى « محمد بن المثنى » والطبرى يروى عنهما جميعًا ، عن « المثنى بن إبراهيم » وعن « محمد بن المثنى » ولكنى أرجح أن الصواب ما فى المطبوعة ، لكثرة رواية المثنى عن إسحاق بن الحجاج الطاحونى ..» : وإسناده ضعيف وعلته ، سيف هذا .. وهو ابن عمر التميمى - قال ابن حجر فى « التقريب » : « ضعيف الحديث عمدة فى التاريخ ، أفحش ابن حبان القول فيه » .

(٧٧٠) - « المسند » (٥٩/٤) ، والحديث فى « المصنف » لعبد الرزاق (٤٢٣٧/٢) ومن طريقه أيضًا الدارقطنى فى « السنن » (٢/ ٥٩، ٦٠) ، رواه الطبرانى فى « المعجم الكبير » (٥١٣٢/٥) ورواه أحمد (٦٠/٤) من طريق مؤمل ، وابن أبى حاتم (٥٨٩٩/٤ ، ٥٩٠١) من طريق أبى إسحاق الفزارى محمد ابن شعيب والطحاوى فى « شرح معانى الآثار » (٣١٨/١) من طريق قبيصة ، وابن أبى شيبة فى =

---

[١] - سقط من : ز . [٢] - في ز : « اشتديتم » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ت : « عند الإمام أحمد وأهل السنن » .

[٤] - في خ : « فقال » . [٥] - سقط من : ز ، خ .

خالد بن الوليد ، وهم بيننا وبين القبلة ، فصلىٰ بنا النبي ، صلى الله عليه وسلم ، الظهر ، فقالوا : لقد كانوا علىٰ حال لو أصبنا غرتهم ، ثم قالوا : يأتي عليهم الآن صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم ، قال : فنزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر : ﴿ **وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة** ﴾ ، قال : فحضرت ، فأمرهم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فأخذوا السلاح ، قال[١] : فصفنا خلفه صفين ، قال : [ ][٢] ثم ركع ، فركعنا جميعًا ، ثم رفع فرفعنا جميعًا ، ثم سجد النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بالصف الذي يليه ، والآخرون قيام يحرسونهم ، فلما سجدوا وقاموا جلس الآخرون ، فسجدوا في مكانهم ، ثم

= « المصنف » (٢/٣٥٠) ومن طريقه ابن حبان (٧/٢٨٧٥/ إحسان) ثنا وكيع أربعتهم (مؤمل وأبو إسحاق وقبيصة ووكيع) ثنا سفيان به . ورواه الطيالسى فى « مسنده » (١٣٤٧) - ومن طريقه الطبرانى (٥/ ٥١٣٨) والبيهقى فى « السنن الكبرى » (٣/ ٢٥٤، ٢٥٥) ثنا ورقاء ورواه سعيد بن منصور ومن طريقه أبو داود (١٢٣٦) والدارقطنى (٣/٦٠) والطبرانى (٥/٥١٤٠) والحاكم فى « المستدرك » (١/ ٣٣٧، ٣٣٨) ، والبيهقى (٣/ ٢٥٦، ٢٥٧) - ورواه البيهقى أيضًا من طريق يحيى بن يحيى ، وعلقه من طريق قتيبة بن سعيد ، ورواه ابن جرير فى تفسيره (٩/١٠٣٢٣) ثنا ابن حميد وابن حبان (٧/٢٨٧٦) نا أبويعلى ثنا أبو خيثمة والدارقطنى (٢/٦٠) من طريق سعيد بن سليمان ، ويوسف بن موسى سبعتهم (سعيد ويحيى وقتيبة وابن حميد وأبو خيثمة وابن سليمان ويوسف) ثنا جرير بن عبد الحميد ، ورواه أحمد (٤/٩٠) ومن طريقه الطبرانى (٥/٥١٣٤) وابن أبى شيبة فى « مسنده » (٢/٨١٥) وفى « المصنف » (٢/٣٥١) ومن طريقه ابن أبى عاصم فى « الآحاد والمثانى » (٤/٢١٧٩) والطبرانى (٥/٥١٣٤) والنسائى (٣/١٧٦) من طريق محمد بن المثنى ومحمد بن بشار أربعتهم (أحمد وابن أبى شيبة والمحمدان) ثنا محمد ابن جعفر ثنا شعبة ، ورواه النسائى أيضًا (٣/١٧٧) وابن جرير (٩/١٠٣٧٨) من طريق عبد العزيز ابن عبد الصمد ، ورواه ابن جرير (٩/١٠٣٢٤) من طريق شيبان النحوى وإسرائيل والطبرانى (٥/ ٥١٣٣، ٥١٣٥، ٥١٣٦، ٥١٣٧، ٥١٣٩) من طريق زائدة بن قدامة ، وداود بن عيسى الكوفى وعلى بن صالح وجعفر بن الحارث وإسرائيل . عشرتهم (ورقاء وجرير وشعبة وعبد العزيز وشيبان وإسرائيل وزائدة وداود وعلى وجعفر) ثنا منصور بن المعتمر به . وقال الحاكم : « حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ووافقه الذهبى ، مع أن أبا عياش الزرقى لم يخرجا له شيئًا !! فإسناده صحيح فحسب كما قال المصنف هنا وكذا صححه الدارقطنى ، وقال ابن حجر فى « الإصابة » (٤/ ١٤٣) : سنده جيد وقال البيهقى أيضًا : « إسناده صحيح ، وقد رواه قتيبة بن سعيد عن جرير فذكرفيه سماع مجاهد من أبى عياش زيد بن الصامت الزرقى وكذا ذكر سماعه فى رواية أبى خيثمة عن جرير عند ابن حبان ، وقد بوب لهذاالحديث بقوله : « ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن مجاهدًا لم يسمع هذا ، الخبرمن أبى عياش ، ولا لأبى عياش الزرقى صحبة فيما زعم » . والحديث أورده السيوطي في الدر المنثور (٢/٣٧٤ ، ٣٧٥) وزاد عزوه إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « نعم » .

تقدم[١] هؤلاء إلىٰ مصاف هؤلاء ، و[٢] هؤلاء إلى مصاف هؤلاء ، ثم ركع فركعوا جميعًا ، ثم رفع فرفعوا جميعًا ، ثم سجد رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ، والصف الذي يليه والآخرون قيام يحرسونهم ، فلما جلسوا جلس الآخرون فسجدوا ، ثم سلم عليهم ، ثم انصرف . قال : فصلاها رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ، مرتين : مرة بعُسْفان ، ومرة بأرض بني سليم .

ثم رواه أحمد عن غندر ، عن شعبة ، عن منصور ، به نحوه ، وهكذا رواه أبو داود عن سعيد بن منصور ، عن جرير بن عبد الحميد ، والنسائي من حديث شعبة وعبد العزيز بن عبد الصمد ، كلهم عن منصور ، به .

وهذا إسناد صحيح وله شواهد كثيرة ، فمن ذلك ما رواه البخاري حيث قال(٧٧١) : حدثنا حيوة بن شريح ، حدثنا محمد بن حرب ، عن الزبيدي ، عن الزهري ، عن عبيد اللَّه بن عبد اللَّه ابن عتبة ، عن ابن عباس ، رضي اللَّه عنهما ، قال : قام النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وقام الناس معه ، فكبر وكبروا معه ، وركع وركع ناس منهم ثم سجد و[٣] سجدوا معه ، ثم [قام للثانية][٤] ، فقام الذين سجدوا وحرسوا إخوانهم ، وأتت الطائفة الأخرىٰ ، فركعوا وسجدوا معه ، والناس كلهم في الصلاة ، ولكن يحرس بعضهم بعضًا .

وقال ابن جرير(٧٧٢) : حدثنا ابن بشار ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثني أبي ، عن قتادة ، عن سليمان[٥] [بن قيس][٦] اليشكري : أنه سأل جابر بن عبد اللَّه عن إقصار الصلاة ، أي يوم أنزل ؟ أو أي يوم هو ؟ فقال جابر : انطلقنا [نتلقىٰ][٧] عير قريش آتية من الشام ، حتىٰ إذا كنا بنخل جاء رجل من القوم إلىٰ رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ، قال : نعم . قال : هل تخافني ؟ قال : « **لا** » قال : فما يمنعك مني ؟ قال : « **اللَّه يمنعني منك** »

---

(٧٧١) — رواه البخارى ، كتاب : الخوف ، باب : يَحرُسُ بعضهم بعضًا فى صلاة الخوف (٩٤٤) ورواه النسائى ، كتاب : صلاة الخوف (١٦٩/٣) أخبرنى عمرو بن عثمان عن محمد به .

(٧٧٢) — تفسير ابن جرير (١٠٣٢٥/٩) ، ورجاله ثقات غير أن فيه انقطاعًا ، فقد نفى أبو عبد الله البخارى ، وأبو زكريا يحيى بن معين سماع قتادة من سليمان اليشكرى ، فقال البخارى : « يقال : إنه مات فى حياة جابر بن عبد الله ، ولم يسمع منه قتادة ، ولا أبو بشر ، ولا يعرف لأحدٍ منهم سماعًا منه ، إلا أن يكون عمرو بن دينار سمع منه فى حياة جابر » وانظرما بعده .

---

[١] — في ز : «تقدموا » .

[٢] — في ت : « وجاء» .

[٣] — في ت : « ثم » .

[٤] — ما بين المعكوفتين في ز : « الثانية » .

[٥] — في خ : « سلمان » .

[٦] — ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٧] — في ت :« نلتقي » .

قال : فسل السيف ثم تهدّده وأوعده ، ثم نادىٰ بالترحل ، وأخذ السلاح ثم نودي بالصلاة ، فصلىٰ رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ، بطائفة من القوم ، وطائفة أخرىٰ تحرسهم ، فصلىٰ بالذين يلونه ركعتين ، ثم تأخر الذين يلونه علىٰ أعقابهم ، فقاموا في مصاف أصحابهم ، ثم جاء الآخرون فصلىٰ بهم ركعتين والآخرون يحرسونهم ثم سلم ، فكانت للنبي ، صلى الله عليه وسلم ، أربع ركعات ، وللقوم ركعتين ركعتين . فيومئذ أنزل اللَّه في إقصار الصلاة ، وأمر المؤمنين بأخذ السلاح .

وقال الإمام أحمد(٧٧٣) : حدثنا سُريج ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن سليمان بن قيس - هو[١] اليشكري - عن جابر بن عبد اللَّه ؛ قال : قاتل رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ، محارب خصَفَة[٢] ، فجاء رجل منهم يقال له : غورث بن الحارث ، حتىٰ قام علىٰ رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ، بالسيف ، فقال : من يمنعك مني ؟ قال : « **اللَّه** » فسقط السيف من يده ، فأخذه رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : « **ومن يمنعك مني ؟** » قال : كن خيرَ آخذ ، قال : « **أتشهد أن لا إله إلا اللَّه ، وأني رسول اللَّه ؟** » قال : لا ، ولكني أعاهدك ألا أقاتلك ، ولا أكون مع قوم يقاتلونك[٣] فخلىٰ سبيله ، [فأتىٰ قومه][٤] فقال : جئتكم من عند خير الناس ، فلما حضرت الصلاة صلىٰ رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ، صلاة الخوف ، فكان الناس طائفتين ، طائفة بإزاء العدوّ ، وطائفة صلوا مع رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ، فصلىٰ بالطائفة الذين معه ركعتين ، وانصرفوا فكانوا مكان[٥] أولئك[٦] الذين [كانوا][٧] بإزاء عدوهم[٨] ، وانصرف الذين كانوا[٩] بإزاء عدوهم ، فصلوا مع رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ، ركعتين ، فكان

(٧٧٣) - « المسند » (٣/٣٩٠) ، ورواه أيضًا (٣/ ٣٦٤، ٣٦٥) ثنا عفان ، وعبد بن حميد فى « المنتخب » (١٠٩٦) من طريق أبي الوليد ، وأبو يعلى فى « مسنده » (١٧٧٨/٣) ثنا شيبان ، والطحاوى فى « شرح معانى الآثار » (٣١٥/١) من طريق محمد بن عبد الملك أربعتهم (عفان وأبى الوليد وشيبان ومحمد) ثنا أبو عوانة به . وعلقه البخارى في صحيحه - كتاب : المغازى ، باب : غزوة ذات الرقاع (٤١٣٦) مختصرًا فقال : « وقال مسدَّد عن أبي عوانة عن أبي بشر : اسم الرجل غَورَثُ بن الحارث ، وقاتل فيها محارب خَصَفة » . وقال الحافظ فى « الفتح » (٤٢٨/٧) : « هكذا أورده مختصرًا من=

[١] - سقط من : ت .
[٢] - في ز ، خ : « حفصة » .
[٣] - في خ .: « أولئك » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٥] - في خ : « بمكان » .
[٦] - في ت : « الطائفة » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من ز .
[٨] - في ت : « العدو » .
[٩] - سقط من : ز .

لرسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، أربع ركعات ، وللقوم ركعتين ركعتين .

تفرد به[١] من هذا الوجه .

وقال ابن أبي حاتم(٧٧٤) : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا أبو قطن عمرو بن الهيثم ، حدثنا المسعودي ، عن يزيد الفقير ، قال : سألت جابر بن عبد اللَّه عن الركعتين في السفر أقصرهما ؟ فقال[٢] : الركعتان في السفر تمام ، إنما القصر واحدة عند القتال ، بينما نحن مع رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، في قتال إذ[٣] أقيمت الصلاة ، فقام رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ، فصف طائفة[٤] ، وطائفة وجهها قِبَلَ العدو ، فصلىٰ بهم ركعة ، وسجد بهم سجدتين ، ثم الذين خلفوا انطلقوا إلىٰ أولئك ، فقاموا مقامهم ومكانهم نحو ذا ، وجاء أولئك فقاموا خلف رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ، فصلىٰ بهم ركعة وسجد بهم سجدتين ، ثم إن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم ، جلس وسلم ، وسلم الذين خلفه ، وسلم أولئك فكانت لرسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ، ركعتين ، وللقوم ركعة ركعة[٥] ، ثم قرأ : ﴿ **وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة** ﴾ الآية .

= الإسناد ومن المتن ، فأما الإسناد ، فأبو عوانة هو الوضاح البصرى ، وأما أبو بشر فهو جعفر بن أبى وحشية ، وبقية الإسناد ظاهر فيما أخرجه مسدد فى مسنده رواية معاذ بن المثنى عنه – ومن طريقه رواه فى « تغليق التعليق » (١٢١/٤) – وكذلك أخرجها إبراهيم الحربى فى كتاب « غريب الحديث » له عن مسدد عن أبى عوانة عن أبى بشر عن سليمان بن قيس عن جابر ، وأما المتن فتمامه ...» وعلق رواية سليمان اليشكرى أبو داود (١٢٤٨) والبيهقى فى « السنن الكبرى » (٢٥٩/٣) وأورده من هذا الوجه السيوطى فى « الدر المنثور » (٣٧٥/٢) ولم يعزه لغير عبد بن حميد وابن جرير ، ورواه مسلم بنحوه (٣١١) (٨٤٣) من طريق أبان بن يزيد ثنا يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن جابر . وانظر ما قبله .

(٧٧٤) – تفسير ابن أبى حاتم (٥٨٩٨/٤) وهذا إسناد حسن ، والمسعودى – واسمه عبد الرحمن بن عبدالله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه – مختلط ، لكن سماع أبو قطن منه قديم – كما فى «الكواكب النيرات » لابن الكيال (ص٢٩٤) – وقد رواه عنه أيضًا أبو داود الطيالسى فى « مسنده » (١٧٨٩) – ومن طريقه الطحاوى فى « شرح معانى الآثار » (٣١٠/١) والبيهقى فى « السنن الكبرى » (٢٦٣/٣) وابن حزم فى « المحلى » (٣٥/٥) معلقًا – ورواه النسائى (١٧٥/٣) وابن خزيمة (١٣٦٤/٣) من طريق يزيد بن زريع ، وابن أبى شيبة (٣٥٠/٢) ثنا وكيع ، وروايته مختصرة جدًا ، والبيهقى (٣/ ٢٦٣) من طريق جعفر بن عون ثلاثتهم (أبو داود ويزيد وجعفر) عن المسعودى به ، وانظر ما بعده .

[١] – سقط من : ز .

[٢] – في ز : « قال » .

[٣] – في ز : « إذا » .

[٤] – في خ : « بطائفة » .

[٥] – سقط من : ت .

وقال الإمام أحمد(٧٧٥) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن يزيد الفقير ، عن جابر بن عبد الله : أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، صلىٰ بهم صلاة الخوف ، فقام صف بين يديه ، وصف خلفه ، فصلىٰ [بالذي خلفه][١] ركعة وسجدتين ، ثم تقدم هؤلاء حتىٰ قاموا في مقام أصحابهم ، وجاء أولئك حتىٰ قاموا في[٢] مقام هؤلاء ، فصلى بهم رسول الله ، صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، ركعة وسجدتين ، ثم سلم ، فكانت للنبي ، صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، ركعتين ولهم ركعة . ورواه النسائي من حديث شعبة ، ولهذا الحديث طرق عن جابر ، وهو في صحيح مسلم(٧٧٦) من وجه آخر بلفظ آخر ، وقد رواه عن جابر جماعة(٧٧٧) كثيرون في الصحيح والسنن والمسانيد[٣] .

وقال ابن أبي حاتم(٧٧٨) : حدثنا أبي ، حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، أنبأنا معمر ، عن الزهري ، عن سالم ، عن أبيه ، قال : ﴿ **وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة** ﴾ قال هي صلاة الخوف ، صلىٰ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بإحدىٰ الطائفتين ركعة ، والطائفة الأخرىٰ مقبلة علىٰ العدو ، وأقبلت الطائفة الأخرىٰ التي كانت مقبلة علىٰ العدو ؛ فصلىٰ بهم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ركعة أخرىٰ ، ثم سلم بهم ، ثم قامت كل طائفة منهم فصلت ركعة ركعة . [وقد روىٰ هذا الحديث][٤]

---

(٧٧٥) - « المسند » (٢٩٨/٣) وهذا إسناد صحيح ، وقد رواه ابن أبي شيبة فى « المصنف » (٣٤٩/٢) ومن طريقه ابن حبان فى « صحيحه » (٢٨٦٩/٧/ إحسان) - وابن خزيمة فى « صحيحه » (٢/ ١٣٤٧) ، وابن جرير (١٠٣٤٠/٩) من طريق أبى موسى العنزى محمد بن المثنى كلاهما (ابن أبى شيبة وأبو موسى) ثنا محمد بن جعفر به . ورواه النسائى (١٧٤/٣) من طريق حجاج بن محمد ، وابن خزيمة (١٣٤٧) من طريق محمد بن بكر (١٣٤٨) من طريق روح ثلاثتهم (حجاج ومحمد وروح) ثنا شعبة به . ورواه ابن أبى شيبة فى « المصنف » (٣٥٠/٢) وابن خزيمة أيضًا (١٣٤٨) من طريق مسعر بن كدام عن يزيد به مختصرًا .

(٧٧٦) - رواه مسلم فى صحيحه ، كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ، باب : صلاة الخوف (٣٠٧) (٨٤٠) من طريق عبد الملك بن أبى سليمان عن عطاء عن جابر بن عبد الله ومن طريق - (٣٠٨) - أبى الزبير عن جابر .. ومن هذا الوجه علقه البخارى فى المغازى (٤١٣٠) .

(٧٧٧) - منهم غير ما ذكر ، الحسن البصرى كما عند النسائى (٣/ ١٧٨، ١٧٩) - وشرحبيل أبى سعد عند ابن خزيمة (١٣٥١/٢) .

(٧٧٨) - تفسير ابن أبى حاتم (٥٩٠٠/٤) وإسناده صحيح ، وانظر ما بعده .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « والمساند » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في خ : « هذا الحديث » .

الجماعة في كتبهم من طريق معمر به(٧٧٩) ، ولهذا الحديث طرق كثيرة عن جماعة من الصحابة . وقد أجاد الحافظ أبو بكر بن مردويه في سرد طرقه وألفاظه ، وكذا ابن جرير ولنحرره في كتاب « الأحكام الكبير » إن شاء الله ، وبه الثقة .

وأما الأمر بحمل السلاح في صلاة الخوف ، فمحمول عند طائفة من العلماء علىٰ الوجوب لظاهر الآية ، وهو أحد قولي الشافعي ، ويدل عليه [قول الله تعالىٰ][١] : ﴿ **ولا جناح عليكم إن كان بكم أذىٰ من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم** ﴾ أي : بحيث تكونون علىٰ أهبة ؛ إذا احتجتم إليها لبستموها بلا كلفة ، ﴿ **إن الله أعدّ للكافرين عذابًا مهينًا** ﴾ .

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾

يأمر الله تعالىٰ بكثرة الذكر عَقِيبَ صلاة الخوف ؛ وإن كان مشروعًا مرغبًا فيه أيضًا بعد غيرها ؛ ولكن هاهنا آكد لما وقع فيها من التخفيف في أركانها ، ومن الرخصة في الذهاب فيها والإياب وغير ذلك مما ليس يوجد في غيرها ، [كما قال تعالىٰ في الأشهر الحرم : ﴿ **فلا تظلموا فيهنّ أنفسكم** ﴾ وإن كان هذا منهيًّا عنه في غيرها][٢] ، ولكن فيها آكد لشدة حرمتها وعظمتها[٣] ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قيامًا**

(٧٧٩) - رواه البخارى ، كتاب : المغازى ، باب : غزوة ذات الرقاع (٤١٣٣) ، ومسلم ، كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ، باب : صلاة الخوف (٣٠٥) (٨٣٩) ، وأبو داود ، كتاب : الصلاة ، باب : من قال : يصلى بكل طائفة ركعة (١٢٤٣) ، والترمذى ، كتاب : الصلاة ، باب : ماجاء فى صلاة الخوف (٥٦٤) ، والنسائى ، كتاب : صلاة الخوف (١٧١/٣) وأحمد (١٤٧/٢) ولم يروه ابن ماجه - من طريق معمر ، ورواه البخارى ، فاتحة كتاب صلاة الخوف (٩٤٢) ، وكتاب : المغازى (٤١٣٢) والنسائى (١٧١/٣) ، وأحمد (١٥٠/٢) من طريق شعيب بن أبى حمزة ، ومسلم من طريق فليح بن سليمان ، وأحمد (١٥٠/٢) من طريق ابن جريج أربعتهم (معمر وشعيب وفليح وابن جريج) عن الزهرى به .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « قوله » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٣] - في خ : « وعظمها » .

وقعودًا وعلىٰ جنوبكم ﴾ أي : في سائر أحوالكم[١] .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة ﴾ أي : فإذا أمنتم وذهب الخوف ، وحصلت الطمأنينة ﴿ فأقيموا الصلاة ﴾ أي : فأتموها ، وأقيموها كما أمرتم بحدودها ، وخشوعها ، وركوعها وسجودها ، وجميع شئونها .

وقوله تعالىٰ : ﴿ إن الصلاة كانت علىٰ المؤمنين كتابًا موقوتًا ﴾ قال ابن عباس : أي : مفروضًا ، [وقال أيضًا : إن للصلاة وقتًا كوقت الحج][٢] ، وكذا روي عن مجاهد وسالم ابن عبد الله ، وعلي بن الحسين ، ومحمد بن علي ، والحسن ، ومقاتل والسدي وعطية العوفي .

قال عبد الرزاق (٧٨٠)، عن معمر ، عن قتادة : ﴿ إن الصلاة كانت علىٰ المؤمنين كتابًا موقوتًا ﴾ قال ابن مسعود : إن للصلاة وقتًا[٣] كوقت الحج .

وقال زيد بن أسلم : ﴿ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابًا موقوتًا ﴾ قال : منجمًا كلما مضىٰ نجم جاء نجم ، يعني : كلما مضىٰ وقت جاء وقت .

وقوله تعالىٰ : ﴿ ولا تهنوا في ابتغاء القوم ﴾ أي : لا تضعفوا في طلب عدوكم ، بل جدوا فيهم ، وقاتلوهم ، واقعدوا لهم كل مرصد ، ﴿ إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون ﴾ أي : كما يصيبكم الجراح والقتل ، كذلك يحصل لهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ إن يمسسكم قرح فقد مس القومَ قرحٌ مثله ﴾ .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ وترجون من الله ما لا يرجون ﴾ أي : أنتم وإياهم سواء فيما يصيبكم وإياهم من الجراح والآلام ، ولكن أنتم ترجون من الله المثوبة والنصر والتأييد ، [كما وعدكم إياه في كتابه ، وعلىٰ لسان رسوله وهو وعد حق ، وخبر صدق][٤] ، وهم لا يرجون شيئًا من ذلك ، فأنتم أولىٰ بالجهاد منهم ، وأشدّ رغبة [فيه ، و][٥] في إقامة كلمة الله وإعلائها .

﴿ وكان الله عليمًا حكيمًا ﴾ أي : هو أعلم وأحكم فيما يقدره ويقضيه وينفذه ويمضيه من

(٧٨٠) - تفسير عبد الرزاق (١٧٢/١) ، ومن طريقه رواه ابن جرير (١٠٣٩٧/٩) وابن أبي حاتم (٤/ ٥٩١٨) ، وذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٣٨٠/٢) وزاد عزوه إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

[١] - في ز ، خ : « أحوالهم » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « وقت » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

أحكامه الكونية والشرعية ، وهو المحمود علىٰ كل حال .

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾﴾

يقول تعالىٰ مخاطبًا لرسوله محمد ، صلى الله عليه وسلم : ﴿ **إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق** ﴾ أي : هو حق من الله ، وهو يتضمن الحق في خبره وطلبه .

وقوله : ﴿ **لتحكم بين الناس بما أراك الله** ﴾ احتج به من ذهب من علماء الأصول إلىٰ أنه كان عليه السلام له أن يحكم بالاجتهاد بهذه الآية ، وبما ثبت في الصحيحين(٧٨١) من رواية هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن زينب بنت أم سلمة ، عن أم سلمة أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، سمع جلبة خصم بباب حجرته ، فخرج إليهم فقال : « **ألا إنما أنا بشر ، وإنما أقضي بنحو مما أسمع ، ولعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له ؛ فمن قضيت له بحق مسلم ، فإنما هي قطعة من نار**[١] **، فليحملها أو ليذرها** » .

وقال الإمام أحمد(٧٨٢) : حدثنا وكيع ، حدثنا أسامة بن زيد ، عن عبد الله بن رافع ، عن أم

(٧٨١) - رواه البخاري ، كتاب : الشهادات ، باب : من أقام البينة بعد اليمين (٢٦٨٠) - وانظره بأطرافه عند رقم (٢٤٥٨) ، ومسلم ، كتاب : الأقضية ، باب : الحكم بالظاهر واللحن بالحجة (١٧١٣) وكذا رواه أحمد (٦/ ٢٠٣، ٢٩٠، ٣٠٧) ، وأبو داود (٣٥٨٣) ، والترمذي (١٣٣٩) ، والنسائي (٨/ ٢٣٣) ، وابن ماجه (٢٣١٧) من طريق هشام به ، ورواه البخاري ومسلم أيضًا من طريق ابن شهاب الزهري عن عروة به .

(٧٨٢) - « المسند » (٦/ ٣٢٠) ، ورواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٥/ ٣٥٦) ، وإسحاق ابن راهويه في « مسنده » (٤/ح١٨٢٣) وابن الجارود في « المنتقى » (١٠٠٠) والطحاوي في « شرح معاني الآثار » (٤/ ١٥٤، ١٥٥) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٢٣/ ٦٦٣) من طريق وكيع به ، ورواه أبو داود =

[١] - في خ : « النار » .

سلمة قالت : جاء رجلان من الأنصار ، يختصمان إلىٰ رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم [في مواريث بينهما قد دَرَسَتْ ، ليس عندهما بينة][١] ، فقال [رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم][٢] : « **إنكم تختصمون إلي وإنما أنا بشر ، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض ، وإنما أقضي بينكم علىٰ نحو مما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئًا فلا يأخذه ؛ فإنما أقطع له قطعة من النار يأتي بها إسطامًا[٣] في عنقه يوم القيامة** » . فبكىٰ الرجلان وقال كل منهما : حقي لأخي ، فقال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم : « **أما إذ[٤] قلتما فاذهبا فاقتسما[٥] ، ثم توخيا الحق ، ثم استهما ، ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه** » .

وقد رواه أبو داود من حديث أسامة بن زيد ، به . وزاد : « **إني إنما أقضي بينكما برأي ، فيما لم ينزل علي فيه** » .

= كتاب : الأقضية ، باب : فى قضاء القاضى إذا أخطأ (٣٥٨٤) والحاكم فى « المستدرك » (٩٥/٤) من طريق عبد الله بن المبارك ، وأبو داود أيضًا (٣٥٨٥) وأبو يعلى (٦٨٩٧/١٢) ، والدارقطنى (٤/ ٢٣٨، ٢٣٩) والبغوى فى « شرح السنة » (٢٥٠٨/١٠) من طريق صفوان بن عيسى ، وأبو يعلى أيضًا (١٢/ ٧٠٢٧) والبيهقى فى « السنن الكبرى » (٦٦/٦) من طريق زيد بن الحباب ، والبيهقى (٢٦٠/١٠) من طريق جعفر بن عون ، والطحاوى (١٥٥/٤) والدارقطنى (٢٣٩/٤) من طريق عثمان بن عمر ، والطحاوى أيضًا من طريق عبد الله بن نافع الصائغ ، والدارقطنى من طريق روح بن القاسم ، والحاكم من طريق الفضل بن سليمان . ثمانيتهم (عبد الله وصفوان وزيد وجعفر وعثمان والصائغ ، وروح والفضل) ثنا أسامة به . وصححه الحاكم على شرط مسلم ، ووافقه الذهبى ، وأقرهما أبو عبد الرحمن الألبانى فى « الإرواء » (١٤٢٣/٥) فقال : « وهو كما قالا ، غير أن أسامة بن زيد ، وهو الليثى أبو زيد المدنى فى حفظه ضعف يسير ، فحديثه حسن » إلا أنه توقف فيه فى « الصحيحة » (١/ح٤٥٥/ص٧٣٩) فقال : « أسامة هذا هو الليثى لا العدوى ، فالإسناد صحيح على شرط مسلم ، إن كان العدوى - كذا فى الأصل ، وصوابه الليثى كما هو من مفهوم كلامه - قد حفظ ، فإن فى حفظه شيئًا ، وقد قال فى « التقريب » : « صدوق يهم » وأنت ترى أنه قد جاء بزيادات لم ترد فى شيء من روايات الثقات ، وذلك مما يجعلنا نتوقف عن الاحتجاج بما تفرد به » لاسيما وقد خالفه هشام بن عروة وابن شهاب الزهرى فى الإسناد والمتن ، وقد أشار لهذة العلة أبو الحسن الدارقطنى ، فأخرج رواية هشام والزهرى ، عقب هذه الرواية والله أعلم .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٣] - الإسطام - وفي رواية : سطام - : هو الحديدة التي تحرك بها النار وتُسعر ، أي : أقطع له ما يسعر به النار على نفسه ويشعلها . قال الأزهري : لا أدري أهي عربية أم عجمية عربت .

[٤] - في خ : « إذا » . [٥] - في ز ، خ : « فاقسما» .

وقد روىٰ ابن مردويه(٧٨٣) من طريق العوفي ، عن ابن عباس قال : إن نفرًا من الأنصار غزوا مع رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ، في بعض غزواته ، فسرقت درع لأحدهم ، فَأُظِنَّ[١] بها رجل من الأنصار ، فأتى صاحب الدرع رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن طعمة بن أبيرق سرق درعي ، فلما رأىٰ السارق ذلك عمد إليها فألقاها في بيت رجل بريء ، وقال لنفر من عشيرته : إني غيبت الدرع وألقيتها في بيت فلان ، وستوجد عنده ، فانطلقوا إلىٰ نبي اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ، ليلًا فقالوا : يا نبي اللَّه؛ إن صاحبنا بريء ، وإن صاحب الدرع فلان ، وقد أحطنا بذلك علمًا ، فاعذر صاحبنا علىٰ رءوس الناس وجادل عنه ، فإنه [إلا][٢] يعصمه[٣] اللَّه بك يهلك ، فقام رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم فبرأه وعذره علىٰ رءوس الناس ، فأنزل[٤] اللَّه : ﴿ **إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك اللَّه ولا تكن للخائنين خصيمًا * واستغفر اللَّه إن اللَّه كان غفورًا رحيمًا * ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانًا أثيمًا** ﴾ . ثم قال تعالىٰ للذين أتوا رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، مستخفين بالكذب : ﴿ **يستخفون من الناس ولا يستخفون من اللَّه** ﴾ الآيتين . يعني الذين أتوا رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ، مستخفين يجادلون عن الخائنين ، ثم قال عز وجل : ﴿ **ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورًا رحيمًا** ﴾ ، يعني الذين أتوا رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم مستخفين بالكذب ، ثم قال : ﴿ **ومن يكسب خطيئة أو إثمًا ثم يرم به بريئًا فقد احتمل بهتانًا وإثمًا مبينًا** ﴾ ، يعني السارق والذين جادلوا عن السارق . وهذا سياق غريب ، وكذا ذكر مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي وابن زيد وغيرهم في هذه الآية ، أنها[٥] أنزلت[٦] في سارق بني أبيرق علىٰ اختلاف سياقاتهم ، وهي متقاربة .

وقد روىٰ هذه القصة[٧] محمد بن إسحاق مطولة ، فقال أبو عيسىٰ الترمذي عند تفسير هذه الآية من جامعه وابن جرير في تفسيره(٧٨٤) :

(٧٨٣) - وكذا رواه ابن جرير (١٠٤١٣/٩) وابن أبي حاتم (٥٩٥٣/٤) من طريق العوفي به . وعطية العوفي ضعيف ، والخبر ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٣٨٤/٢) ولم يعزه لغير ابن جرير وابن أبي حاتم .

(٧٨٤) - رواه أبو عيسى الترمذي في « الجامع » (٣٠٣٦) ، وابن جرير في تفسيره (١٠٤١١/٩) وكذا=

[١] - أي : اتُّهِمَ .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « لا » .

[٣] - في خ : « لا يعصمه » .

[٤] - في ز : « وأنزل » .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - في خ : « نزلت » .

[٧] - في ز : « الصفة » .

حدثنا الحسن بن أحمد بن أبي شعيب أبو مسلم الحرّاني ، حدثنا محمد بن سلمة الحراني ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أبيه ، عن جده قتادة بن النعمان ، رضي الله عنه ، قال : كان أهل بيت منا يقال لهم بنو أبيرق بشر ، وبشير ، ومبشر ، وكان بشير رجلًا منافقًا [فكان][1] يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ينحله بعض العرب ، ثم يقول : قال فلان كذا وكذا ، و[2] قال فلان كذا وكذا ، فإذا سمع أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ذلك[3] الشعر[4] قالوا : والله ما يقول هذا الشعر إلا هذا الخبيث ، [فقال :

أَوَ كلَّما قال الرجال قصيدةً أَضِموا وقالوا : ابن الأبيرقِ قالها][5]

قالوا : وكانوا أهل بيت حاجة وفاقة في الجاهلية والإسلام ، وكان الناس إنما طعامهم بالمدينة التمر والشعير ، وكان الرجل إذا كان له يسار فقدمت ضافطة[6] [7] من الشام من الدّرْمَك[8]

= رواه من طريق الحسن بن أحمد ابن المنذر وأبو الشيخ فى تفسيريهما كما قال المصنف وعزاه لهما أيضًا السيوطى فى « الدر المنثور » (٣٨٢/٢) ورواه الطبرانى فى « المعجم الكبير » (١٩/ح١٥) ومن طريقه المزى في « تهذيب الكمال » (٤٨٣/٢١) - ثنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن بن أحمد بن أبى شعيب حدثنى أبى به . ورواه الخطيب البغدادى فى « التاريخ » (٢٦٦/٧) من طريق عبد الله بن الحسن به . غير أنه قال : حدثنى جدى وأبى جميعًا قالا : حدثنا محمد بن سلمة به ، وفيه قال أبو شعيب ، قال لى أبى : سمعه منى يحيى بن معين ببغداد فى مسجد الجامع وأحمد بن حنبل وعلى بن المدينى وإسحاق بن أبى إسرائيل . ورواه ابن أبى عاصم فى « الآحاد والمثانى » (١٩٥٨/٤) ، وابن أبى حاتم (٥٩٣٣/٤) كلاهما حدثنا هاشم بن القاسم الحرانى ثنا محمد بن سلمة به . قال أبو عيسى : « هذا حديث غريب لا نعلم أحدًا أسنده غير محمد بن سلمة الحرانى ، وروى يونس بن بكير وغير واحد هذا الحديث عن محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسل لم يذكروا فيه عن أبيه عن جدّه وقتادة هو أخو أبى سعيد الخدرى لأمه ، وأبو سعيد الخدرى ، سعد بن مالك » . كذا قال الترمذى : « لم يسنده غير محمد بن سلمة » !! وقد رواه الحاكم فى « المستدرك » (٤/ ٣٨٥، ٣٨٦) ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ،=

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ :« أو كما قال الرجل ، وقالوا ابن الأبيرق قالها » وهو تخليط وتحريف لا معنى له . وما أثبتناه من تفسير الطبري ، وهو الصواب إن شاء الله .
[٦] - في ز : « صافطة » .
[٧] - الضافط : الذي يجلب الميرة والمتاع إلى المدن ، وكانوا يومئذٍ قومًا من الأنباط يحملون إلى المدينة الدقيق والزيت .
[٨] - الدرمك : الدقيق النقي الأبيض .

ابتاع الرجل منها فخص بها نفسه ، وأمّا العيال فإنما طعامهم التمر والشعير ، فقدمت ضافطة[١] من الشام ، فابتاع عمي رفاعة بن زيد حملًا من الدرمك ، فحطه في مشرُبة له ، وفي المشربة سلاح : درع وسيف فعدي عليه من تحت البيت ، فنُقبت المشربة وأُخذ الطعام والسلاح . فلما أصبح أتاني عمي رفاعة فقال : يا ابن أخي ؛ إنه قد عُدي علينا في ليلتنا هذه ، فنقبت مشربتنا وذهب بطعامنا وسلاحنا ، قال : فتجسسنا في الدار وسألنا ، فقيل لنا : قد رأينا بني أبيرق استوقدوا في هذه الليلة ، ولا نرىٰ فيما نرىٰ إلا علىٰ بعض طعامكم .

قال : [وكان بنو][٢] أبيرق قالوا - و[٣] نحن نسأل في الدار - : واللّه ، ما نرىٰ صاحبكم إلا لبيد بن سهل - رجلًا منا له صلاح وإسلام . فلما سمع لبيد اخترط سيفه ، وقال : أنا أسرق ؟! واللّه ليخالطنكم هذا السيف ، أو لتبينن[٤] هذه السرقة . قالوا : إليك عنا أيها الرجل ، فما أنت بصاحبها . فسألنا في الدار حتىٰ لم نشك أنهم أصحابها .

فقال لي عمي : يا ابن أخي ؛ لو أتيت رسول اللّه ، صلى الله عليه وسلم ، فذكرت ذلك له ، قال قتادة : فأتيت رسول اللّه ، صلى الله عليه وسلم ، فقلت : إن أهل بيت منا أهل جفاء عمدوا إلىٰ عمي رفاعة بن زيد فنقبوا مشربة له ، وأخذوا سلاحه وطعامه ، فليردّوا علينا سلاحنا ، فأمّا الطعام فلا حاجة لنا فيه ، فقال النبي ، صلى الله عليه وسلم : « **سآمر في ذلك** » .

فلما سمع بنو أبيرق أتوا رجلًا منهم يقال له : أسيد بن عمرو فكلموه في ذلك ، فاجتمع في ذلك أناس من أهل الدار ، فقالوا : يا رسول اللّه ، صلى الله عليه وسلم : إن قتادة بن النعمان وعمه عمدا إلىٰ أهل بيت منا ، أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت ، قال قتادة : فأتيت النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فكلمته فقال : « **عمدت إلىٰ أهل بيت ذكر منهم إسلام وصلاح ، ترميهم بالسرقة علىٰ غير ثَبَتٍ[٥] ولا[٦] بينة ؟** » .

= ثنا أحمد بن عبد الجبار ، ثنا يونس بن بكير حدثنى محمد بن إسحاق حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن أبيه عن جده قتادة ، فذكره موصولًا ، وقال الحاكم : « حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه » وسكت عنه الذهبى فأجاد ، فإن عمر بن قتادة لم يخرج له غير الترمذى ، وقال عنه ابن حجر فى « التقريب » : « مقبول » يعنى إذا توبع ، وهو لم يتابع هنا ، فالإسناد ضعيف ، والله أعلم .

[١] - في ز : « صافطة » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « وكانوا بني » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « لتتبين » .
[٥] - الثبت : الحجة والبرهان .
[٦] - سقط من :ز .

قال : فرجعت ، ولوددت أني خرجت من بعض مالي ، ولم أكلم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في ذلك ، فأتاني عمي رفاعة[١] فقال : يا ابن أخي ، ما صنعت ؟ فأخبرته بما قال لي[٢] رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : الله المستعان ، فلم نلبث أن نزل القرآن ﴿ **إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيمًا** ﴾ يعني[٣] : بني أبيرق ﴿ **واستغفر الله** ﴾ أي[٤] : مما قلت لقتادة ﴿ **إن الله كان غفورًا رحيمًا * ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانًا أثيمًا يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم** ﴾ - إلىٰ قوله - ﴿ **رحيمًا** ﴾ أي : لو استغفروا الله لغفر لهم ﴿ **ومن يكسب إثمًا فإنما يكسبه علىٰ نفسه** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **إثمًا مبينًا** ﴾ قولهم للبيد ﴿ **ولولا فضل الله عليك ورحمته** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **فسوف نؤتيه أجرًا عظيمًا** ﴾ .

فلما نزل القرآن أتىٰ رسول الله ، صلىٰ الله تعالىٰ عليه وآله وسلم ، بالسلاح فردّه إلىٰ رفاعة .

قال قتادة : لما أتيت عمي بالسلاح ، وكان شيخًا قد عشا أو عسا[٥] - الشك من أبي عيسىٰ(*) - في الجاهلية ، وكنت أرىٰ إسلامه مدخولاً ، فلما أتيته بالسلاح قال : يا ابن أخي ، هو[٦] في سبيل الله ، فعرفت أن إسلامه كان صحيحًا ، فلما نزل القرآن لحق بشير بالمشركين ، فنزل علىٰ سلافة بنت سعد بن سمية ، فأنزل الله تعالىٰ : ﴿ **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدىٰ ويتبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولىٰ ونصله جهنم وساءت مصيرًا * إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيدًا** ﴾ فلما نزل علىٰ سلافة [بنت سعد][٧] رماها حسان بن ثابت ، [بأبيات من][٨] شعر[٩] فأخذت رحله فوضعته[١٠] علىٰ رأسها ، ثم خرجت به فرمته[١١] في الأبطح ، ثم قالت : أهديت لي شعر حسان ، ما كنت تأتيني بخير . لفظ الترمذي .

---

[١] - سقط من : ز ، خ.

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - عسا (بالسين المهملة) : أي كبر وأسنّ ، من عسا القضيب إذا يبس ، وبالمعجمة : أي : قلّ بصره وضعف .

[٦] - في ز : « هى » .

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٨] - ما بين المعكوفتين في ز : « في » ، وسقط من : خ .

[٩] - في خ: «بشعر».

[١٠] - في ز : « وضعته » .

[١١] - في ز : « فرمت به » .

ثم قال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعلم أحدًا أسنده غير[١] محمد بن سلمة الحراني ، وروىٰ يونس بن بكير وغير واحد ، عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر ابن قتادة مرسلًا لم يذكروا فيه عن أبيه عن جدّه .

ورواه ابن أبي حاتم ، عن هاشم بن القاسم الحراني ، عن محمد بن سلمة ، به ببعضه .

ورواه ابن المنذر في تفسيره ، حدثنا محمد بن إسماعيل - يعني الصائغ - حدثنا [الحسن ابن][٢] أحمد بن أبي شعيب الحراني[٣] ، حدثنا محمد بن سلمة ... فذكره بطوله .

ورواه أبو الشيخ الأصبهاني في تفسيره عن محمد بن العباس بن أيوب ، والحسن بن يعقوب ، كلاهما عن الحسن بن أحمد بن أبي شعيب الحراني ، عن محمد بن سلمة ، به[٤] . ثم قال في آخره : قال محمد بن سلمة : سمع مني هذا الحديث يحيىٰ بن معين وأحمد بن حنبل وإسحاق ابن إسرائيل .

وقد روىٰ هذا الحديث الحاكم أبو عبد الله النيسابوري ، في كتابه « **المستدرك** » عن أبي العباس الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار العطاردي ، عن يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق بمعناه - أتم منه ، وفيه الشعر ، ثم قال : وهذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم ، ولم يخرجاه .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول** ﴾ ، هذا إنكار علىٰ المنافقين في كونهم يستخفون بقبائحهم من الناس ؛ لئلا ينكروا[٥] عليهم ويجاهرون الله بها ، لأنه مطلع علىٰ سرائرهم ، وعالم بما في ضمائرهم ، ولهذا قال : ﴿ **وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضىٰ من القول وكان الله بما يعملون محيطًا** ﴾ تهديد لهم ووعيد .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلًا** ﴾ . أي : هب أن هؤلاء انتصروا في الدنيا بما أبدوه أو أبدىٰ لهم عند الحكام الذين يحكمون[٦] بالظاهر وهم متعبدون[٧] بذلك ، فماذا يكون صنيعهم يوم

---

[١] - في ز : « عن » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٣] - في ز : « الحياني » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز : « ينكرون » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في ز ، خ : « معبدون » .

القيامة بين يدي الله تعالىٰ الذي يعلم السر وأخفىٰ ، ومن ذا الذي يتوكل لهم يومئذ [يوم القيامة][١] في ترويج دعواهم . أي : لا أحد يومئذ يكون لهم وكيلًا ، ولهذا قال : ﴿ أم من يكون عليهم وكيلًا ﴾ ؟ .

وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾

يخبر تعالىٰ عن كرمه وجوده أن كل من تاب إليه تاب عليه من أي ذنب كان ، فقال تعالىٰ : ﴿ ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورًا رحيمًا ﴾ .

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : إنه قال في هذه الآية : أخبر الله عباده بعفوه ، وحلمه ، وكرمه ، وسعة رحمته ، ومغفرته ، فمن أذنب ذنبًا صغيرًا كان أو كبيرًا : ﴿ ثم يستغفر الله يجد الله غفورًا رحيمًا ﴾ ولو كانت ذنوبه أعظم من السموات والأرض والجبال . رواه ابن جرير(٧٨٥) .

وقال ابن جرير أيضًا(٧٨٦) : حدثنا محمد بن مثنى ، حدثنا محمد بن أبي عدي ، عن شعبة ، عن عاصم ، عن أبي وائل قال : قال عبد الله : كان بنو إسرائيل إذا أصاب أحدهم ذنبًا ؛ أصبح قد كتب كفارة ذلك الذنب علىٰ بابه ، وإذا أصاب البول شيئًا منه قرضه بالمقراض[٢] ، فقال

(٧٨٥) - تفسير ابن جرير (١٠٤٢٤/٩) وذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٣٨٧/٢) وزاد عزوه إلى ابن المنذر .

(٧٨٦) - تفسير ابن جرير (١٠٤٢٢/٩) وإسناده صحيح ، وعاصم هو ابن كليب ، ورواه عبد الرزاق في « المصنف » (٢٠٢٧٤/١١) - ومن طريقه الطبراني في « المعجم الكبير » (٨٧٩٤/٩) والبيهقي في =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز . [٢] - في خ : « بالمقاريض » .

رجل : لقد آتى الله بني إسرائيل خيرًا ، فقال عبد الله - رضي الله عنه - : ما آتاكم الله[١] خير مما آتاهم ، جعل الماء لكم طهورًا ، وقال تعالى : ﴿ **والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم** ﴾ . وقال : ﴿ **ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورًا رحيمًا** ﴾ .

وقال أيضًا(٧٨٧) : حدثني يعقوب ، حدثنا هشيم ، حدثنا ابن عون ، عن حبيب بن أبي ثابت ، قال : جاءت امرأة إلى[٢] عبد الله بن مغفل ، [فسألته عن امرأة فجرت فحبلت ، فلما ولدت قتلت ولدها ؟ قال عبد الله بن مغفل][٣] : ما لها؟ لها النار ! ، فانصرفت وهي تبكي ، فدعاها ثم قال : ما أرى[٤] أمرك إلا أحد أمرين : ﴿ **من يعمل سوءًا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورًا رحيمًا** ﴾ قال : فمسحت عينها ، ثم مضت .

وقال الإمام أحمد (٧٨٨): حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا شعبة ، عن عثمان بن المغيرة ؛ قال : سمعت علي بن ربيعة من بني أسد يحدث عن أسماء ، أو ابن أسماء من بني فزارة قال : قال علي - رضي الله عنه - : كنت إذا سمعت من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، شيئًا نفعني الله فيه[٥] بما شاء أن ينفعني منه . وحدثني أبو بكر - وصدق أبو

= « الشعب » (١٤٠٦/٢) - أخبرنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين عن ابن مسعود به . وذكره الهيثمى فى « المجمع » (١٤/٧) وقال : « رجاله رجال الصحيح إلا أن ابن سيرين ما أظنه سمع من ابن مسعود والله أعلم » وله طريقان آخران عند الطبرانى (٩/ ٩٠٣٥، ٩٠٧٠) وإسنادهما صحيح . وزاد عزوه السيوطى فى « الدر المنثور » (٣٨٧/٢) إلى عبد بن حميد .

(٧٨٧) - تفسير ابن جرير (١٠٤٢٣/٩) ولم يعزه السيوطى فى « الدر المنثور » (٣٨٧/٢) لغيره وفيه انقطاع بين حبيب بن أبى ثابت وعبد الله بن مُغَفَّل .

(٧٨٨) - « المسند » (١/ ٨، ٩) ورواه الطيالسى (ص١) ، وأبو يعلى (١/رقم ١٣) - ومن طريقه المروزى فى « مسند أبى بكر » (رقم : ١٠) والضياء فى « المختارة » (١/رقم ٩) - والبزار (١/٦/ البحر الزخار) وابن جرير فى « تفسيره » (٧٨٥٣/٧) من طريق محمد بن جعفر عن شعبة به . وتابع شعبة عليه هكذا : « مسعر بن كدام وسفيان الثورى ،وأبو عوانة وشريك وقيس بن الربيع وإسرائيل والحسن بن عمارة ، فاتفقوا فى إسناده إلا أن شعبة من بينهم شك فى أسماء بن الحكم فقال : عن أسماء أو أبى أسماء أو ابن أسماء ..» وقد روى الحديث من أوجه أخرى ذكرها أبو الحسن الدارقطنى فى « العلل » (١/ش٨) =

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - بعده في خ : « رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٤] - في خ : « أدري » .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

بكر - قال : قال رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم : « **ما من مسلم يذنب ذنبًا ، ثم يتوضأ فيصلي ركعتين ، ثم يستغفر اللَّه لذلك الذنب إلا غفر له** » وقرأ هاتين الآيتين : ﴿ **ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورًا رحيمًا** ﴾ . ﴿ **والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم** ﴾ .

وقد تكلمنا علىٰ هذا الحديث ، وعزيناه إلىٰ من رواه من أصحاب السنن ، وذكرنا ما في سنده من مقال في مسند أبي بكر الصديق ، رضي اللَّه عنه ، وقد تقدم بعض ذلك في سورة آل عمران أيضًا .

وقد رواه ابن مردويه في تفسيره(٧٨٩) من وجه آخر عن علي ، فقال : حدثنا أحمد بن محمد ابن زياد ، حدثنا إبراهيم بن إسحاق الحربي ، حدثنا داود بن مهران الدباغ ، حدثنا عمر بن يزيد ، عن أبي إسحاق ، عن عبد خير ، عن علي ؛ قال : سمعت أبا بكر - هو الصديق - يقول : سمعت رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يقول : « **ما من عبد أذنب ، فقام فتوضأ فأحسن وضوءه ، ثم قام فصلىٰ واستغفر من ذنبه ، إلا كان حقًّا علىٰ اللَّه أن يغفر**

= ثم قال : « وأحسنها إسنادًا وأصحها ما رواه الثورى ومسعر ، ومن تابعهما عن عثمان بن المغيرة » ومن هذا الوجه صححه أبو حاتم بن حبان (٢/٦٢٣/ إحسان) ، لكن أعله أبو عبد الله البخارى - « التاريخ الكبير » (١/٢/٥٥) - بأن « أسماء بن الحكم الفزارى ، لم يُرو عنه إلَّا هذا الحديث ، وحديث آخر ، لم يتابع عليه ، وقد روى أصحاب النبى - صلى اللَّه عليه وسلم - بعضهم عن بعض ، ولم يُحلِّف بعضهم بعضًا » - وذلك لأن فى بعض روايات الحديث أن عليًا قال : « وإذا حدثنى رجلٌ من أصحابه استحلفته ، فإذا حلف لى صدقته » - وقد أجاب عن ذلك الحافظ أبو الحجاج المزى فى « تهذيب الكمال » (٢/ ٥٣٤/ ت أسماء) فقال : « ما ذكره البخارى - رحمه الله - لا يقدح فى صحة هذا الحديث ، ولا يوجب ضعفه ، أما كونه لم يتابع عليه فليس شرطًا في صحة كل حديث صحيح أن يكون لراويه متابعٌ عليه ، وفي الصحيح عدة أحاديث لا تُعرف إلَّا من وجه واحدٍ نحو حديث « الأعمال بالنيات » الذى أجمع أهل العلم على صحته وتلقيه بالقبول وغير ذلك وأمَّا ما انكره من الاستحلاف ، فليس فيه أن كل واحدٍ من الصحابة كان يستحلف من حدثه عن النبى - صلى اللَّه عليه وسلم - بل فيه أن عليًا - رضى الله عنه - كان يفعل ذلك ، وليس ذلك بمنكر أن يحتاط فى حديث النبى - صلى اللَّه عليه وسلم - كما فعل عمر - رضى الله عنه - فى سؤاله البينة بعض من كان يروى له شيئًا - يعنى حديث أبى موسى الأشعرى فى الاستئذان - عن النبى - صلى اللَّه عليه وسلم - كما هو مشهور عنه ، والاستحلاف أيسر من سؤال البينة ...» وانظر ما بعده .

(٧٨٩) - ورواه الدارقطنى فى « الأفراد » - كما فى حاشية « العلل » (١/ش٨) - من طريق داود بن مهران به . قال الدارقطنى : « لم يروه عن عمر بن يزيد غير داود بن مهران ، وهو غريب من حديث أبى إسحاق عن عبد خير » وداود بن مهران ثقة غير أن شيخه عمر بن يزيد هذا منكر الحديث - كما قال ابن عدى ، وانظر السابق .

له » [لأنه][١] يقول : ﴿ **ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورًا رحيمًا** ﴾ .

ثم رواه من طريق أبان بن أبي عياش عن أبي إسحاق السبيعي ، عن الحارث ، عن علي ، عن الصديق بنحوه ، وهذا إسناد لا يصح .

وقال ابن مردويه (٧٩٠): حدثنا محمد بن علي بن دحيم ، حدثنا أحمد بن حازم ، حدثنا موسىٰ بن مروان الرقي ، حدثنا مبشر بن إسماعيل الحلبي ، عن تمام بن نجيح ، حدثني كعب ابن ذهل[٢] الأزدي ؛ قال : سمعت أبا الدرداء يحدث قال : كان رسول اللّٰه ، صلى الله عليه وسلم ، إذا جلسنا حوله ، وكانت له حاجة فقام إليها وأراد الرجوع ، ترك نعليه في مجلسه أو بعض ما عليه ، وأنه قام فترك نعليه ، قال أبو الدرداء : فأخذ ركوة من ماء فأتبعته ، فمضىٰ ساعة ثم رجع ، ولم يقض حاجته ، فقال : « **إنه أتاني آت من ربي فقال : إنه** ﴿ **من يعمل سوءًا أو يظلم نفسه ثم يستغفر اللّٰه يجد اللّٰه غفورًا رحيمًا** ﴾ **فأردت أن أبشر أصحابي** » قال أبو الدرداء : وكانت قد شقت علىٰ الناس الآية التي قبلها ﴿ **من يعمل سوءًا يجز به** ﴾ فقلت : يا رسول اللّٰه ، صلى الله عليه وسلم ، وإن زنىٰ وإن سرق ثم استغفر ربه غفر له ؟ قال : « **نعم** » ثم قلت الثانية ، قال : « **نعم** » ثم قلت الثالثة ، قال : « **نعم ، وإن زنىٰ وإن سرق ثم استغفر اللّٰه غفر اللّٰه**[٣] **له ، علىٰ رغم أنف عويمر** » . قال : فرأيت أبا الدرداء يضرب أنف نفسه بأصبعه .

هذا حديث غريب جدًّا من هذا الوجه بهذا السياق . وفي إسناده ضعف .

وقوله : ﴿ **ومن يكسب إثمًا فإنما يكسبه علىٰ نفسه وكان الله عليمًا حكيمًا** ﴾ ، كقوله

(٧٩٠) - وعزاه إلى ابن مردويه السيوطى فى « الدر المنثور » (٣٨٨/٢) وزاد عزوه السيوطى إلى أبى يعلى والطبرانى ، و « مسند أبي الدرداء » لم يطبع فى « مسند أبي يعلى » و « المعجم الكبير » ومن طريق الطبرانى رواه المزى فى « تهذيب الكمال » (٢٤/ت ٤٩٧١) من طريق أحمد بن خليد ثنا محمد بن أبي أسامة ثنا مبشر بن إسماعيل به . وقد رواه أبو داود فى « السنن » ، كتاب : الأدب ، باب : إذا قام من مجلس ثم رجع (٤٨٥٤) - ومن طريقه البيهقى فى « السنن الكبرى » (١٥١/٦) - ثنا إبراهيم بن موسى الرازى ، ثنا مبشر بن إسماعيل به مختصرًا .

وإسناده ضعيف لضعف تمام بن نجيح وشيخه فقد لين الأخير ابن حجر ، وقال الذهبى فى « الميزان » (٣/ ٦٩٦١) : « لا يعرف » .

[١] - ما بين المعكوفتين في خ : « لأن الله » .

[٢] - في خ : « ذهيل » .

[٣] - سقط من : خ .

تعالىٰ : ﴿ **ولا تزر وازرة وزر أخرىٰ وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى** ﴾ ، يعني أنه لا يجني أحد عن[١] أحد ، وإنما علىٰ كل نفس ما عملت لا يحمل عنها غيرها ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وكان اللّٰه عليمًا حكيمًا** ﴾ أي : من علمه وحكمته ، وعدله ورحمته كان ذلك .

ثم قال : ﴿ **ومن يكسب خطيئةً أو إثمًا ثم يرم به بريئًا فقد احتمل بهتانًا وإثمًا مبينًا** ﴾ ، يعني كما اتهم بنو[٢] أبيرق بصنيعهم القبيح ذلك الرجل الصالح ، وهو لبيد بن سهل كما تقدم في الحديث ، أو زيد بن السمين اليهودي علىٰ ما قاله الآخرون ، وقد كان بريئًا وهم الظلمة الخونة ، كما أطلع اللّٰه علىٰ ذلك رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، ثم هذا التقريع وهذا التوبيخ عام فيهم وفي غيرهم ممن اتصف بصفتهم[٣] ، فارتكب مثل خطيئتهم فعليه مثل عقوبتهم .

وقوله : ﴿ **ولولا فضل اللّٰه عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء** ﴾ قال الإمام ابن أبي حاتم(٧٩١) : أنبأنا هاشم بن القاسم الحراني ، فيما كتب إليّ ، حدثنا محمد بن سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن[٤] قتادة الأنصاري ، عن أبيه ، عن جده قتادة بن النعمان ، وذكر قصة بني أبيرق ، فأنزل اللّٰه : ﴿ **لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء** ﴾ يعني : أسير بن[٥] عروة وأصحابه ، يعني بذلك لما أثنوا علىٰ بني أبيرق ولاموا قتادة بن النعمان في كونه اتهمهم وهم صلحاء برآء ، ولم يكن الأمر كما أنهوه إلىٰ رسول اللّٰه ، صلى الله عليه وسلم ، ولهذا أنزل اللّٰه فصل القضية وجلاءها لرسول اللّٰه ، صلى الله عليه وسلم .

ثم امتن عليه بتأييده إياه في جميع الأحوال ، وعصمته له ، وما أنزل عليه من الكتاب ، وهو القرآن والحكمة ، وهي السنة : ﴿ **وعلمك ما لم تكن تعلم** ﴾ أي : قبل نزول ذلك عليك ، كقوله : ﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورًا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وما كنت ترجو**

---

(٧٩١) - تفسير ابن أبي حاتم (٥٩٥٥/٤) وتقدم الكلام عليه (ح٧٨٩) .

---

[١] - في ز : « على » .
[٢] - في ز : « بنى » .
[٣] - في خ : « مثل صفتهم » .
[٤] - في ز : « عن » .
[٥] - في خ : « بنى » .

أن يلقىٰ إليك الكتاب إلا رحمة من ربك ﴾ ولهذا قال : ﴿ **وكان فضل الله عليك عظيمًا** ﴾ .

﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **لا خير في كثير من نجواهم** ﴾ يعني كلام الناس ، ﴿ **إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس** ﴾ أي : إلا نجوىٰ من قال ذلك ، كما جاء في الحديث الذي رواه ابن مردويه (٧٩٢) :

حدثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم ، حدثنا محمد بن سليمان بن الحارث ، حدثنا محمد ابن يزيد بن خنيس ؛ قال : دخلنا علىٰ سفيان الثوري [نعوده - وأومأ إلى دار العطارين - فدخل علينا سعيد بن حسان المخزومي ، فقال له الثوري][١] : الحديث الذي كنت حدثتنيه[٢] عن أم صالح اردُدْه[٣] عليّ فقال : حدثتني أم صالح ، عن صفية بنت شيبة ، عن أم حبيبة قالت :

(٧٩٢) - وعزاه لابن مردويه السيوطي فى « الدر المنثور » (٢/٣٨٨) ورواه الحاكم فى « المستدرك » (٢/ ٥١٢، ٥١٣) - وعنه وعن غيره البيهقى فى « الشعب » (٤/٤٩٥٤) - والخطيب فى « تاريخه » (١٢/٣٢١) والمزى فى « تهذيب الكمال » (٣٥/٣٦٨/ ت : أم صالح بنت صالح) من طريق محمد بن سليمان - وهو الباغندى - به . ورواه عبد الله بن أحمد فى زوائده على « الزهد » (ص٣٠) والخطيب (١٢/٣٢١) من طريق أبى عمرو نصر بن على الجهضمى . وأبو يعلى فى « مسنده » (١٣/٧١٣٢) ثنا زهير أبو خيثمة ، والطبرانى فى « المعجم الكبير » (٢٣/٤٨٤) من طريق أبى هارون موسى بن محمد ومحمد بن أبي يعقوب الكرمانى . والقضاعى فى « مسند الشهاب » (١/ح ٣٠٥) من طريق محمد بن الجنيد ، وابن أبى الدنيا فى « الصمت » (رقم ١٤) ثنا إسحاق بن إسماعيل وسعدويه وغيرهما . والبيهقى فى « الشعب » (١/ح٥١٤) من طريق عباس الدورى . ثمانيتهم (نصروزهير وموسى والكرمانى وابن الجنيد وإسحاق وسعدويه والدوري) عن محمد بن يزيد بن خنيس به ، ورواه البخارى فى « التاريخ الكبير » (١/ ٢٦١، ٢٦٢/ ت ابن خنيس) ثنا قتيبة ، وعبد بن حميد فى « المنتخب » (١٥٥٤) ، وأبو عيسى الترمذى فى « الجامع » (٢٤١٢) ، وابن ماجه (٣٩٧٤) كلاهما ثنا محمد بن بشار ،=

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - في خ : « حدثتني به » .

[٣] - في خ : « ردده » .

قال رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم : « **كلام ابن آدم كله عليه لا له [إلا ذكر اللَّه عز وجل ، أو أمر بمعروف ، أو نهي عن منكر** »][١] ، [فقال محمد بن يزيد : ما أشد هذا الحديث][٢] ! فقال[٣] سفيان : [وما شدة][٤] [هذا الحديث ؟ إنما جاءت به امرأة عن امرأة ، هذا في كتاب اللَّه الذي أرسل به نبيكم ، صلى اللَّه عليه وسلم ، أوَ ما سمعت اللَّه في كتابه يقول : ﴿ **لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس** ﴾ ؟ فهو هذا بعينه ، أو ما سمعت اللَّه يقول : ﴿ **يوم يقوم الروح والملائكة صفًا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابًا** ﴾ ؟ فهو هذا بعينه][٥] ، أو ما سمعت اللَّه يقول في كتابه : ﴿ **والعصر إن الإنسان لفي خسر** ﴾ إلى آخر الآيات ، فهو هذا بعينه ، وقد روىٰ هذا الحديث الترمذي وابن ماجة من حديث محمد بن يزيد بن خُنيس ، عن سعيد بن حسان ، به ، ولم يذكر أقوال الثوري إلىٰ آخره[٦] ، ثم قال الترمذي : حديث غريب لا نعرفه[٧] إلا من حديث [ابن خُنيس][٨] .

وقال الإمام أحمد (٧٩٣): حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، حدثنا صالح بن كيسان ، حدثنا

= زاد الترمذى ، وغير واحد ، وأبو يعلى (٧١٣٤/١٣) ثنا محمد بن عبد الله بن نمير ، والخطيب (١٢/ ٤٣٣، ٤٣٤) من طريق القاسم بن المغيرة الجوهرى خمستهم (قتيبة وعبد بن حميد وابن بشار وابن نمير والجوهري) ثنا محمد بن يزيد به . دون ذكر سفيان الثورى وقصته . وسكت عنه الحاكم والذهبى ، وقال الترمذى : « حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن يزيد بن خنيس » وهو ثقة ، فقد قال أبو حاتم الرازى - « الجرح والتعديل » (٨/ت٥٧٣) - (كان شيخًا صالحًا ، كتبنا عنه بمكة ، وكان ممتنعًا من التحديث أدخلنى عليه ابنه . قال عبد الرحمن بن أبى حاتم : فقيل لأبى فما قولك فيه ؟ فقال : « ثقة ») ، وذكره ابن حبان فى « الثقات » (٦١/٩) وقال : « كان من خيار الناس ، ربما أخطأ ، يجب أن يعتبر بحديثه إذا بين السماع فى خبره » وهو هنا صرح بالسماع إلا أن أمَّ صالح بنت صالح ، لم يرو عنها غير سعيد بن صالح ، وجهلها الحافظان : الذهبى ، وابن حجر ، ومع هذا فقد رمز لصحته السيوطى فى « الجامع الصغير » وخالفه أبو عبد الرحمن الألبانى فرقم به (حديث ٤٢٨٨) من « ضعيف الجامع » والله المستعان .

(٧٩٣) - « المسند » (٤٠٣/٦) ورواه أيضًا (٦/ ٤٠٣، ٤٠٤) ، والبخارى ، كتاب : الصلح ، باب : ليس الكاذب الذى يصلح بين الناس (٢٦٩٢) ، ومسلم ، كتاب : البروالصلة والآداب ، باب :=

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « ما خلا أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله عز وجل » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ .
[٣] - في ز : « قال » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « وناشدته » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - في خ : « آخرها » .
[٧] - في ت : « يعرف » .
[٨] - ما بين المعكوفتين في ز : « خنيش » .

محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب : أن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أخبره : أن أمه أم كلثوم بنت عقبة ؛ أخبرته أنها سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : « **ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرًا ، أو يقول خيرًا** » وقالت : لم أسمعه يرخص في شيء مما يقوله الناس إلا في ثلاث : في الحرب والإصلاح بين الناس ، وحديث الرجل امرأته ، وحديث المرأة زوجها . قال : وكانت أم كلثوم بنت عقبة من المهاجرات اللاتي بايعن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

وقد رواه الجماعة سوى ابن ماجة من طرق عن الزهري ، به نحوه .

قال الإمام أحمد (٧٩٤): حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مُرّة[١] ، عن سالم ابن أبي الجعد ، عن أم الدرداء ، عن أبي الدرداء ؛ قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام ، والصلاة ، والصدقة ؟** » قالوا : بلى . قال : « **إصلاح ذات البين** » . قال : « **وفساد ذات البين هي الحالقة** » .

ورواه أبو داود والترمذي من حديث أبي معاوية . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقال الحافظ أبو بكر البزار(٧٩٥) : حدثنا محمد بن عبد الرحيم ، حدثنا سُريج بن يونس ،

= تحريم الكذب ، وبيان المباح منه (١٠١) (٢٦٠٥) ، وأبو داود ، كتاب : الآداب ، باب : فى إصلاح ذات البين (٤٩٢٠، ٤٩٢١) ، والترمذى ، كتاب : البر والصلة ، باب : ما جاء فى إصلاح ذات البين (١٩٣٨) ، والنسائى فى « الكبرى » كتاب : السير ، باب : الرخصة فى الكذب (٢٧٣٨١) من طرق عن الزهرى به .

(٧٩٤) - « المسند » (٦/٤٤٤) ،ورواه أبو داود ، كتاب : الأدب ، باب : فى إصلاح ذات البين (٤٩١٩) ، والترمذى ، كتاب : صفة القيامة (٢٥٠٩) ، والبخارى فى « الأدب المفرد » (٣٩١) وغيرهم من طريق أبى معاوية به ، وقال الترمذى : « حديث صحيح » وصححه أبو حاتم بن حبان (١١/ ٥٠٩٢/ إحسان) .

(٧٩٥) - رواه البزار (٣/٢٠٦٠/ كشف الأستار) و (٢/١٧٤١/ مختصر الزوائد لابن حجر) وقال البزار : « لا نعلمه يروى عن أنس إلا من هذا الوجه ، ولا نعلم حدث به عن حميد إلا عبد الله بن عمر ، ولا عنه إلا ابنه عبد الرحمن ، وهو لين الحديث ، حدَّث بأحاديث لا يتابع عليها » وذكره الهيثمى فى « المجمع » (٨/ ٨٢، ٨٣) وقال : « رواه البزار وفيه عبد الرحمن بن عبد الله العمرى ، وهو متروك » تركه أبو حاتم وأبو زرعة والنسائى والدارقطنى ، وقال البخارى : « ليس ممن يروى عنه » ، وضعفه ابن معين ، وقال أحمد : « أحاديثه مناكير ، كان كذابًا » ، وقال ابن عدى : « عامة ما يرويه مناكير إمَّا إسنادًا ، وإما متنًا » ، وهو مترجم فى « التهذيب » . والحديث لم يعزه السيوطي فى « الدر المنثور « (٢/٣٩٢) لغير البزار ، وزاد عزوه المنذرى فى « الترغيب والترهيب » إلى الطبرانى .

[١] - في خ : « محمد » .

حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر ، حدثنا أبي ، عن حميد ، عن أنس أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال لأبي أيوب : « **ألا أدلك على تجارة ؟** » قال : بلىٰ [يا رسول الله][١] ، قال : « **تسعىٰ في صلح بين الناس إذا تفاسدوا ، وتقارب بينهم إذا تباعدوا** » ثم قال البزار : وعبد الرحمن بن عبد الله العمري لين ، وقد حدث بأحاديث[٢] لم يتابع عليها .

ولهذا قال : ﴿ **ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله** ﴾ أي : مخلصًا في ذلك محتسبًا ثواب ذلك عند الله عز وجل ، ﴿ **فسوف نؤتيه أجرًا عظيمًا** ﴾ أي : ثوابًا جزيلًا كثيرًا واسعًا .

وقوله : ﴿ **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدىٰ** ﴾ . أي : ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، فصار في شق ، والشرع في شق وذلك عن عمد منه بعد ما ظهر له الحق وتبين له واتضح له . وقوله : ﴿ **ويتبع غير سبيل المؤمنين** ﴾ هذا ملازم للصفة الأولىٰ ، ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع ، وقد تكون لما أجتمعت[٣] عليه الأمة المحمدية فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقًا ، فإنه قد ضمنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ تشريفًا[٤] لهم وتعظيمًا لنبيهم ، وقد وردت أحاديث صحيحة[٥] كثيرة في ذلك قد ذكرنا منها طرفًا صالحًا ، في كتاب « أحاديث الأصول » ومن العلماء من ادّعىٰ تواتر معناها ، والذي عوّل عليه الشافعي ، رحمه الله ، في الاحتجاج علىٰ كون الإجماع حجة تحرم[٦] مخالفته - هذه الآية الكريمة بعد التروّي والفكر الطويل ، وهو من أحسن الاستنباطات وأقواها ، وإن كان بعضهم قد استشكل ذلك واستبعد[٧] الدلالة منها علىٰ ذلك .

ولهذا توعد تعالىٰ علىٰ ذلك بقوله : ﴿ **نوله ما تولىٰ ونصله جهنم وساءت مصيرًا** ﴾ أي : إذا سلك هذه الطريق جازيناه علىٰ ذلك بأن نحسنها في صدره ونزينها له ، استدراجًا له كما قال تعالىٰ : ﴿ **فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم** ﴾ ، وقوله : ﴿ **ونذرهم في طغيانهم يعمهون** ﴾ .

وجعل النار مصيره في الآخرة ؛ لأن من خرج عن الهدىٰ لم يكن له طريق إلا إلىٰ النار يوم القيامة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **ورأىٰ المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفًا** ﴾ .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - في خ : « أحاديث » .
[٣] - في خ ، ز: « اجمع » .
[٤] - في ز : « تشريعا » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في ز : « تحريم » .
[٧] - في خ : « فاستبعد » .

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾

قد تقدم الكلام على هذه الآية الكريمة ، وهي قوله : ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ . وذكرنا ما يتعلق بها من الأحاديث في صدر هذه السورة .

وقد روى الترمذي(٧٩٦) حديث ثوير بن أبي فاختة سعيد بن علاقة ، عن أبيه ، عن علي ، رضي الله عنه ، أنه قال : ما في القرآن آية أحب إليّ من هذه الآية : ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ . ثم قال : حسن غريب .

وقوله : ﴿ **ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالًا بعيدًا** ﴾ أي : فقد سلك غير[١] الطريق

(٧٩٦) - رواه الترمذي في « الجامع » (٣٠٣٧) ثنا خلّاد بن أسلم ، ثنا النضر بن شميل عن إسرائيل عن ثوير به . وقال الترمذي : « حديث حسن غريب ، وأبو فاختة اسمه سعيد بن علاقة ، وثوير يكنى أبا جهم ، وهو كوفي رجل من التابعين ، وقد سمع من ابن عمر وابن الزبير ،وابن مهدي كان يغمزه قليلاً » وقال سفيان الثوري : كان ثوير من أركان الكذب وضعفه ابن معين والجوزجاني والعجلي وغيرهم وتركه الدارقطني وابن الجنيد ، وقال النسائي : « ليس بثقه » ، وقال ابن عدي : « قد نسب إلى الرفض ، ضعفه جماعة ، وأثر الضعيف على رواياته بين ، وهو إلى الضعف أقرب منه إلى غيره » .
والخبر أورده السيوطي في « الدر المنثور » (٣٠٢/٢) وعزاه إلى الفريابي والترمذي .

[١] - في ز : « عن » .

الحق ، وضل عن الهدىٰ ، وبعد عن الصواب وأهلك نفسه وخسرها في الدنيا والآخرة ، وفاتته سعادة الدنيا والآخرة .

وقوله : ﴿ **إن يدعون من دونه إلا إناثًا** ﴾ قال ابن أبي حاتم (٧٩٧): [حدثنا أبي][١] ، حدثنا محمود بن غيلان ، أنبأنا الفضل بن موسىٰ ، أخبرنا الحسين[٢] بن واقد ، عن الربيع ابن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب : ﴿ **إن يدعون من دونه إلا إناثًا** ﴾ قال: مع كل صنم جِنّية .

و[٣] حدثنا أبي (٧٩٨)، حدثنا محمد بن سلمة الباهلي ، عن عبد العزيز بن محمد ، عن هشام - يعني ابن عروة - عن أبيه ، عن عائشة : ﴿ **إن يدعون من دونه إلا إناثًا** ﴾ [قالت : أوثانًا .

وروي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، وعروة بن الزبير ، ومجاهد ، وأبي مالك ، والسدّي ، ومقاتل بن حيان نحو ذلك .

وقال جويبر(٧٩٩) عن الضحاك في][٤] قوله : ﴿ **إن يدعون من دونه إلا إناثًا** ﴾ قال المشركون: إن الملائكة بنات اللَّه ، وإنما نعبدهم ليقرّبونا إلىٰ اللَّه زلفىٰ . قال : اتخذوها[٥] أربابًا ، وصوروهنّ[٦] صور الجواري فحكموا وقلدوا ، وقالوا : هؤلاء يشبهن بنات اللَّه الذي نعبده ، يعنون الملائكة .

وهذا التفسير شبيه [بقوله][٧] تعالىٰ : ﴿ **أفرأيتم اللات والعزىٰ ومناة الثالثة الأخرىٰ ألكم**

---

(٧٩٧) - تفسير ابن أبى حاتم (٤/٥٩٧٠) ، ورواه عبد الله بن أحمد فى زوائده على« المسند » (١٣٥/٥) - ومن طريقه اختاره الضياء فى « المختارة » (١١٥٧/٣) ثنا هدبة بن عبد الوهاب ومحمود بن غيلان قالا : نا الفضل بن موسى به . وإسناده حسن وذكره الهيثمى فى « المجمع » (١٥/٧) وقال : « رواه عبد الله بن أحمد ، ورجاله رجال الصحيح » . وذكره السيوطى فى « الدرالمنثور » (٣٩٣/٢) وزاد عزوه إلى ابن المنذر .

(٧٩٨) - تفسير ابن أبى حاتم (٥٩٧٣/٤) وإسناده حسن .

(٧٩٩) - رواه ابن أبى حاتم (٥٩٧٤/٤) ، ورواه ابن جرير (١٠٤٣٧/٩) مختصرًا ، وذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٣٩٤/٢) وعزاه إلى ابن أبى حاتم وابن المنذر .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٢] - في ت : الحسن .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٥] - في خ : « فاتخذوهن » .

[٦] - في ز : « وصورهن » .

[٧] - ما بين المعكوفتين في خ : « بقول الله » .

الذكر وله الأنثى تلك إذًا قسمة ضيزى إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **وجعلوا بينه وبين الجنة نسبًا ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون سبحان الله عما يصفون** ﴾ .

وقال علي بن أبي طلحة والضحاك ، عن ابن عباس (٨٠٠): ﴿ **إن يدعون من دونه إلا إناثًا** ﴾ قال : يعني موتىٰ .

وقال مبارك - يعني ابن فضالة - عن الحسن : ﴿ **إن يدعون من دونه إلا إناثًا** ﴾ قال الحسن : الإِناث كل شيء ميت ليس فيه روح ، إما خشبة يابسة وإمّا حجر يابس. ورواه ابن أبي حاتم ، وابن جرير وهو غريب(٨٠١) .

وقوله : ﴿ **وإن يدعون إلا شيطانًا مريدًا** ﴾ أي : هو الذي أمرهم بذلك وحسنه لهم وزينه ، وهم إنما يعبدون إبليس في نفس الأمر ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين** ﴾ . وقال تعالىٰ إخبارًا عن الملائكة أنهم يقولون يوم القيامة عن المشركين الذين ادّعوا عبادتهم في الدنيا : ﴿ **بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **لعنه اللَّه** ﴾ أي : طرده وأبعده من رحمته ، وأخرجه من جواره .

وقال : ﴿ **لأتخذن من عبادك نصيبًا مفروضًا** ﴾ أي : معينًا مقدّرًا معلومًا ، قال مقاتل بن حيان : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلىٰ النار ، وواحد إلىٰ الجنة .

﴿ **ولأضلنهم** ﴾ أي : عن الحق ﴿ **ولأمنينهم** ﴾ أي : أزين لهم ترك التوبة ، وأعدهم الأماني ، وآمرهم بالتسويف والتأخير ، وأغرهم من أنفسهم .

قوله : ﴿ **ولآمرنهم**[١] **فليبتكن آذان الأنعام** ﴾ قال قتادة والسدي وغيرهما : يعني تشقيقها[٢] وجعلها سمة وعلامة للبحيرة والسائبة والوصيلة[٣] .

(٨٠٠) - رواه ابن جرير (١٠٤٣٤/٩) من طريق على بن أبي طلحة ، وابن أبي حاتم (٥٩٧١/٤) من طريق الضحاك ، كلاهما عن ابن عباس .

(٨٠١) - رواه ابن أبي حاتم (٥٩٧٢/٤) ، وابن جرير (١٠٤٣٦/٩) من طرق عن مبارك بن فضالة به . ومبارك ضعيف .

[١] - في ز : « ولأمنينهم » .

[٢] - في ز : « يشفقنها » .

[٣] - سقط من : خ .

﴿ **ولآمرنهم فليغيرن خلق الله** ﴾ قال ابن عباس : يعني بذلك خصي الدواب : وكذا روي عن ابن عمر وأنس وسعيد بن المسيب وعكرمة وأبي عياض [وقتادة وأبي صالح][١] والثوري ، وقد ورد في حديث النهي عن ذلك. وقال الحسن بن أبي الحسن البصري : يعني بذلك الوشم ، وفي صحيح مسلم(٨٠٢) النهي عن الوشم في الوجه ، وفي لفظ : « [**لعن الله**][٢] **من فعل ذلك** »(٨٠٣)، وفي الصحيح(٨٠٤) عن ابن مسعود أنه قال : لعن الله الواشمات والمستوشمات ، والنامصات والمتنمصات ، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله عز وجل . ثم قال : ألا ألعن من لعن رسول الله ، وهو في كتاب الله عز وجل ، يعني قوله : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ .

وقال ابن عباس في رواية عنه ومجاهد وعكرمة [ ][٣] وإبراهيم النخعي والحسن وقتادة والحكم والسدي والضحاك وعطاء الخراساني في قوله ﴿ **ولآمرنهم فليغيرنّ خلق الله** ﴾ ، يعني : دين الله - عز وجل - وهذا كقوله : ﴿ **فأقم وجهك للدين حنيفًا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله** ﴾ ، علىٰ قول من جعل ذلك أمرًا ، أي : لا تبدلوا فطرة الله ، ودعوا الناس علىٰ فطرتهم ، كما ثبت في الصحيحين(٨٠٥) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه

---

(٨٠٢) - صحيح مسلم ، كتاب : اللباس والزينة ، باب : النهى عن ضرب الحيوان فى وجهه ، ووسمه فيه (١٠٦) (٢١١٦) من طريق ابن جريج عن أبى الزبير عن جابر قال : نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الضرب فى الوجه ، وعن الوسم فى الوجه ، وانظر ما بعده .

(٨٠٣) - رواه مسلم أيضًا (١٠٧) (٢١١٧) من طريق معقل عن أبى الزبير عن جابر ، أن النبى - صلى الله عليه وسلم - مَرَّ عليه حمارٌ قد وسم فى وجهه ، فقال : « لعن الله الذى وسمه » . قال النووى فى « شرح صحيح مسلم » (١٣٦/١٤) : « ... أما الوسم فالبسين المهملة ، هذا هو الصحيح المعروف فى الروايات ، وكتب الحديث ، قال القاضى : ضبطناه بالمهملة ، قال : وبعضهم يقوله بالمهملة ، وبالمعجمة ، وبعضهم فرق فقال : بالمهملة فى الوجه ، وبالمعجمة فى سائر الجسد » .

(٨٠٤) - رواه البخارى ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ﴾ (٤٨٨٦) ، ومسلم ، كتاب : اللباس والزينة ، باب : تحريم فعل الواصلة والمستوصلة (١٢٠) (٢١٢٥) ، وأبو داود ، كتاب : الترجل ، باب : فى صلة الشعر (٤١٦٩) ، والترمذى ، كتاب : الأدب ، باب : ما جاء فى الواصلة والمستوصلة (٢٧٨٢) ، والنسائى ، كتاب : الزينة ، باب : المتنمصات (١٤٦/٨) ، باب : لعن المتنمصات والمتفلجات (١٨٨/٨) ، وابن ماجه ، كتاب : النكاح ، باب : الواصلة والواشمة (١٩٨٩) .

(٨٠٥) - أخرجه البخارى ، كتاب : الجنائز ، باب : إذا أسلم الصبى فمات هل يُصلَّى عليه (١٣٥٨) ومسلم ، كتاب : القدر ، باب : معنى كل مولود يولد على الفطرة (٢٢) (٢٦٥٨) ، وأبو داود =

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « وأبي صالح وقتادة » .[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « لعنة » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « أيضًا » .

وسلم : « **كل مولود يولد علىٰ الفطرة فأبواه يهوّدانه ، وينصرانه ، ويمجسانه كما تولد البهيمة بهيمة عجماء ، هل يحسون فيها من جدعاء** » ، وفي صحيح مسلم(٨٠٦) ، عن عياض بن حمار قال : قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم : « **قال اللَّه - عز وجل - : إني خلقت عبادي حنفاء ، فجاءتهم الشياطين ، فاجتالتهم[١] عن دينهم ، وحرّمت عليهم ما أحللت[٢] لهم** » .

[ثم قال][٣] تعالىٰ : ﴿ **ومن يتخذ الشيطان وليًا من دون اللَّه فقد خسر خسرانًا مبينًا** ﴾ ، أي : فقد خسر الدنيا والآخرة وتلك خسارة لا جبر لها ولا استدراك لفائتها .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورًا** ﴾ ، وهذا إخبار عن الواقع ؛ فإن[٤] الشيطان يعد أولياءه ويمنيهم بأنهم هم الفائزون في الدنيا والآخرة ، وقد كذب وافترىٰ في ذلك . ولهذا قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **وما يعدهم الشيطان إلا غرورًا** ﴾ كما قال تعالىٰ مخبرًا عن إبليس يوم المعاد : ﴿ **وقال الشيطان لما قُضي الأمر إن اللَّه وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **وإن الظالمين لهم عذاب أليم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **أولئك** ﴾ أي : المستحسنون[٥] له فيما وعدهم ومناهم ﴿ **مأواهم جهنم** ﴾ ، أي : مصيرهم ومآلهم يوم حسابهم[٦] ﴿ **ولا يجدون عنها محيصًا** ﴾ أي : ليس لهم عنها مندوحة ولا مصرف ، ولا خلاص ، ولا مناص .

ثم ذكر تعالىٰ حال السعداء والأتقياء وما لهم في مآلهم من الكرامة التامة ، فقال تعالىٰ : ﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ أي : صدقت قلوبهم وعملت جوارحهم بما أمروا به

= كتاب : السنة ، باب : فى ذرارى المشركين (٤٧١٤) ، والترمذى ، كتاب القدر ، باب : ما جاء كل مولود يولد على الفطرة (٢١٣٨) ، والنسائى (٥٨/٤) ، وأحمد (٢٤٤/٢ - وفى غير موضع) من حديث أبى هريرة بروايات مطولة ومختصرة .

(٨٠٦) - رواه مسلم فى صحيحه ، كتاب : صفة الجنة ونعيمها وأهلها ، باب : الصفات التى يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة ، وأهل النار (٦٣) (٢٨٦٥) ضمن حديث طويل ، وأخرجه أيضًا النسائى فى «الكبرى » (٥/ ٨٠٧٠، ٨٠٧١) ، وابن ماجه (٤١٧٩) مختصرًا ، وأحمد (١٦٢/٤) .

[١] - في ز : « فاختالتهم » .
[٢] - في ز : « حللت » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « وقوله » .
[٤] - في ز : « لإن » .
[٥] - في ز : « المستحسنين » .
[٦] - في ت : « القيامة » .

من الخيرات ، وتركوا ما نهوا عنه من المنكرات ﴿ **سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار** ﴾ أي : يصرفونها حيث شاءوا وأين شاءوا ، ﴿ **خالدين فيها أبدًا** ﴾ أي : بلا زوال ولا انتقال ، ﴿ **وعد اللَّه حقًا** ﴾ أي : هذا وعد من اللَّه ، ووعد اللَّه معلوم حقيقة [أنه واقع لا محالة][١] ، ولهذا أكده بالمصدر الدال على تحقيق الخبر ، وهو قوله : ﴿**حقًا**﴾ ، ثم قال تعالى : ﴿ **ومن أصدق من اللَّه قيلًا** ﴾ أي : لا أحد أصدق منه قولًا أي : خبرًا[٢] لا إله إلا هو ولا رب سواه ، وكان رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ، يقول في خطبته (٨٠٧): « **إن أصدق الحديث كلام اللَّه ، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، [وكل محدثة بدعة]**[٣] ، **وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار** » .

لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾

قال قتادة : ذكر لنا أن المسلمين وأهل الكتاب افتخروا ، فقال أهل الكتاب : نبينا قبل نبيكم ، وكتابنا قبل كتابكم ، فنحن أولى باللَّه منكم ، وقال المسلمون : نحن أولى باللَّه منكم ، [ ][٤] نبينا خاتم النبيين ، وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله . فأنزل اللَّه : ﴿ **ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءًا يجز به** ﴾ ، ﴿ **ومن أحسن دينًا ممن أسلم وجهه للَّه وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفًا** ﴾ . فأفلج[٥] اللَّه حجة المسلمين على من ناوأهم من أهل الأديان .

وكذا روي عن السدي ومسروق والضحاك وأبي صالح وغيرهم ، وكذا روى العوفي عن ابن عباس ، رضي اللَّه عنه ، أنه قال في هذه الآية : تخاصم أهل الأديان ، فقال أهل التوراة : كتابنا

(٨٠٧) - رواه النسائي ، كتاب : الجمعة ، باب : كيف الخطبة (١٨٨/٣) من حديث جابر بن عبد الله =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ .

[٢] - في خ: « وخبرا » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٤] - في خ : و .

[٥] - في ز : « ثم أفلج » .

خير الكتب ، ونبينا خير الأنبياء ، وقال أهل الإنجيل مثل ذلك ، وقال أهل الإسلام : لا دين إلا الإسلام ، وكتابنا نسخ كل كتاب ، ونبينا خاتم النبيين ، وأمرتم وأمرنا أن نؤمن بكتابكم ونعمل بكتابنا . فقضىٰ الله بينهم فقال : ﴿ **ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءًا يجز به** ﴾ الآية . وخير بين الأديان ، فقال : ﴿ **ومن أحسن دينًا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفًا** ﴾ [إلىٰ قوله][1] : ﴿ **واتخذ الله إبراهيم خليلًا** ﴾ .

وقال مجاهد : قالت[2] العرب : لن نبعث ولن نعذب ، وقالت اليهود والنصارىٰ : ﴿ **لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارىٰ** ﴾ ، وقالوا : ﴿ **لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودات** ﴾ .

والمعنىٰ في هذه الآية ، أن الدين ليس بالتحلي ولا بالتمني ، [ولكن ما وقر في القلوب وصدّقته الأعمال][3] ، وليس كل من ادّعىٰ شيئًا حصل له بمجرد دعواه ، ولا كل من قال : إنه هو المحق[4] ، سمع قوله بمجرد ذلك حتىٰ يكون له من الله برهان ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءًا يجز به** ﴾ أي : ليس لكم ولا لهم النجاة بمجرد التمني ، بل العبرة بطاعة الله سبحانه واتباع ما شرعه علىٰ ألسنة رسله[5] الكرام ، ولهذا قال بعده : ﴿ **من يعمل سوءًا يجز به** ﴾ ، كقوله : ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره** ﴾ .

وقد روي أن هذه الآية لما نزلت شق ذلك علىٰ كثير من الصحابة ؛ قال الإمام أحمد(٨٠٨) :

= ورواه مسلم فى صحيحه : كتاب : الجمعة ، باب : تخفيف الصلاة والخطبة ، بنحوه وفى الباب عن عبد الله بن مسعود يأتى تخريجه (سورة الأعراف / آية ١٧٨) .

(٨٠٨) - « المسند » (١/١١/رقم ٦٨) ، ورواه أيضًا (رقم ٦٩) ، والحاكم فى « المستدرك » (٣/ ٧٤، ٧٥) - وعنه وعن غيره البيهقى فى « السنن الكبرى »)٣/٣٧٣) وفى « الشعب » (٧/٩٨٠٥) - وابن جرير (٩/١٠٥٢٤) من طريق سفيان بن عيينة ، ورواه أحمد أيضًا (رقم ٧٠) ثنا يعلى بن عبيد ، و (رقم ٧١) ، وأبو يعلى فى « مسنده » (١/رقم ٩٩) ، وابن جرير (٩/١٠٥٢٧) من طريق وكيع بن الجراح ، وهناد فى « الزهد » (١/ح ٤٢٩) ثنا عبدة (٧/٢٩٢٦/ إحسان) ، ورواه أبو يعلى (١/١٠٠) - ومن طريقه ابن حبان (٥/١٧٣٥/ موارد) والمروزى فى مسند أبى بكر (١١١) والضياء فى « المختارة » (١/ح ٦٩) - وابن جرير (٩/١٠٥٢٨) والبيهقى فى « الشعب » (٧/٩٨٠٥) من طريق يحيى بن سعيد القطان ورواه سعيد بن منصور من طريق خلف بن خليفة قاله المصنف انظر أعلاه ، ورواه أبو يعلى =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٢] - في ز : « وقالت » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ت : «على الحق» .
[٥] - في خ : « الرسل » .

حدثنا عبد الله بن نمير ، حدثنا إسماعيل ، عن أبي بكر بن أبي زهير ؛ قال : أخبرت أن أبا بكر ، رضي الله عنه ، قال : يا رسول الله ، كيف الصلاح بعد هذه الآية ؟ : ﴿ **ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءًا يجز به** ﴾ فكل[١] سوء عملناه[٢] جزينا به ؟ فقال النبي ، صلى الله عليه وسلم : « **غفر الله لك يا أبا بكر ! ألست تمرض ؟ ألست تنصب ؟ ألست تحزن ، ألست تصيبك اللأواء ؟** » ، قال : بلىٰ . قال : « **فهو ما تجزون به** » .

ورواه سعيد بن منصور ، عن خلف بن خليفة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، به . ورواه [ابن حبان في صحيحه عن أبي يعلى ، عن أبي خيثمة ،عن يحيىٰ بن سعيد ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، به . ورواه][٣] الحاكم من طريق سفيان الثوري ، عن إسماعيل ، به .

وقال الإمام أحمد (٨٠٩): حدثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن زياد الجصاص ، عن علي بن زيد ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ؛ قال : سمعت أبا بكر يقول : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **من يعمل سوءًا يجز به في الدنيا** » .

وقال أبو بكر بن مردويه(٨١٠) : حدثنا أحمد بن هشيم بن جهيمة ، حدثنا يحيىٰ بن أبي طالب ، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء ، حدثنا زياد الجصاص ، عن علي بن زيد ، عن مجاهد ؛ قال : قال عبد الله بن عمر : انظروا المكان الذي به[٤] عبد الله بن الزبير مصلوبًا ، ولا تمُرُّنَّ عليه . قال : فسها الغلام فإذا [عبد الله][٥] بن عمر ينظر إلىٰ ابن

=(٩٨، ١٠١) من طريق عثمان بن على والمعتمر بن سليمان ، وكذا من طريق يزيد بن هارون - كما عند المروزى فى « مسنده » (١١٢) . وابن حبان (٥/١٧٣٤/ موارد) ، (٧/٢٩١٠) من طريق خالد بن عبد الله الواسطى ، وابن جرير (٩/ ١٠٥٢٣ ، ١٠٥٢٥ ، ١٠٥٢٦) من طريق حكام وهشيم وأبى مالك الجنبى ، وابن أبى حاتم فى « تفسيره » (٤/٥٩٩٢) من طريق عقبة بن خالد ، والضياء (١/ح ٧٠) من طريق مروان بن معاوية . الخمسة عشر (سفيان ويعلى ووكيع وعبدة ويحيى وخلف وعثمان والمعتمر ويزيد وخالد وحكام وهشيم وأبو مالك وعقبة ومروان) عن إسماعيل بن أبى خالد به . وقال الحاكم : « حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى !! مع أنه بين الانقطاع أبى بكر بن أبى زهير ، وأبى بكر الصديق ، فإنه لم يسمع منه كما قال أبو زرعة . انظر « المراسيل » لابن أبى حاتم (ترجمة ٩٦٠) - وانظر ما بعده .

(٨٠٩) - « المسند » (١/٦/ رقم ٢٣) ، وانظر ما بعده .

(٨١٠) - وعزاه لابن مردويه أيضًا السيوطى فى « الدر المنثور » (٢/٤٠٠) ورواه أحمد - كما تقدم =

[١] - في ز : « بكل » .

[٢] - في ز : « عملنا » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .

[٤] - في خ : « فيه » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

الزبير ، فقال : يغفر اللَّه لك - ثلاثًا - أما واللَّه ما علمتك إلا صوّامًا قوّامًا وصالًا للرحم ، أما واللَّه إني لأرجو مع متساوى ما أصبت أن لا يعذبك اللَّه بعدها ، قال : ثم التفت إليّ فقال : سمعت أبا بكر الصدّيق يقول : قال رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم : « **من يعمل سوءًا في الدنيا يجز به** » .

ورواه أبو بكر البزار في مسنده ، عن الفضل بن سهل ، عن عبد الوهاب بن عطاء ، به مختصرًا . وقد[١] قال في مسند الزبير[٢] (٨١١) : حدثنا إبراهيم بن المستمر العروقي[٣] ، حدثنا عبد الرحمن بن سليم بن حيان ، حدثني أبي ، عن جدي حيان بن بسطام ، [ ][٤]: قال : كنت مع ابن عمر ، فمر بعبد اللَّه بن الزبير ، وهو مصلوب ، فقال : [رحمك اللَّه][٥] أبا خُبَيْب ، سمعتُ أباك - يعني الزبير - يقول : قال رسول اللَّه ، صلى الله عليه

= في السابق - والبزار في « مسنده » (١/ح٢١/ البحر الزخار) وابن جرير (١٠٥٢٢/٩) ، وابن أبي حاتم (٥٩٩٣/٤) ، وأبو يعلى - وعنه المروزي في « مسند أبي بكر » (٢٢) - وأبو سعيد الأعرابي في « معجمه » ومن طريقه وطريق غيره أبو القاسم ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٨٧/٩ / مخطوط) - وابن عدي في « الكامل » (١٠٤٥/٣) والعقيلي في « الضعفاء » (٧٩/٢) والحاكم في « المستدرك » (٣/ ٥٥٢، ٥٥٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣٣٤/١) ، والخطيب البغدادي في « المتفق والمفترق » (١٠٥٥/٢) من طريق عبد الوهاب بن عطاء به . ورواه العقيلي من طريق أبي عاصم العباداني عن زياد الجصاص عن سالم بن عبد الله بن عمر ، عن ابن عمر ، عن عمر عن النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - وقال العقيلي : « وكلاهما غير محفوظين ، وهذا يروى بإسناد صالح من غير هذا الوجه » . وعلة هذا زياد الجصاص فقد تركه النسائي وابن عدي والدارقطني ، وقال ابن معين وابن المديني : « ليس بشيء » ، وقال أبو حاتم : « منكر الحديث » ، وقال أبو زرعة : « واهي الحديث » . وانظر ما بعده .

(٨١١) - « مسند البزار » (٩٦٢/٣/ البحر الزخار) (٢٢٠٥/٣/ كشف الأستار) (١٤٦١/٢/ زوائد ابن حجر) ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٨٨/٢٨٧/٩/ مخطوط) من طريق عبد الرحمن - وقيل عبد الرحيم - بن سليم بن حيان به . وقال البزار : « وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن الزبير إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد ، ولا نعلم روى ابن عمر عن الزبير إلا هذا الحديث » . وقال ابن عساكر : « عبد الرحيم لم أسمع بذكره إلا في هذا الحديث » ونقل الذهبي في « الميزان » (٦٠٦/٢) - وعنه ابن حجر في « اللسان » (٦/٤) - عن الدارقطني بأنه قال : « ضعيف » وذكر الحديث الهيثمي في « المجمع »=

[١] - في خ : « و » .

[٢] - في ز ، خ : ابن الزبير . والصواب ما أثبتناه ، لأن الحديث أورده البزار في مسند الزبير بن العوام .

[٣] - في ز : « العووقي » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ت : « قال بسطام » . وهي زيادة مقحمة .

[٥] - ما بين المعكوفتين في خ : « رحمة الله عليك » .

وسلم : « **من يعمل سوءًا يجز به في الدنيا والآخرة** » ، ثم قال : لا نعلمه يروىٰ عن الزبير إلا من هذا الوجه .

وقال أبو بكر بن مردويه(٨١٢) : حدثنا أحمد بن كامل ، حدثنا محمد بن سعد العوفي ، حدثنا روح بن عبادة ، حدثنا موسىٰ بن عبيدة ، حدثني مولىٰ بن سباع ، قال : سمعت ابن عمر يحدث عن أبي بكر الصديق ؛ قال : كنت عند النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فنزلت هذه الآية : ﴿ **من يعمل سوءًا يجز به ولا يجد له من دون اللّه وليًا ولا نصيرًا** ﴾ فقال رسول اللّه ، صلى الله عليه وسلم : « **يا أبا بكر ، ألا**[١] **أقرئك آية نزلت**[٢] **عليّ ؟** » قال : قلت : بلىٰ يا رسول اللّه . قال : فأقرأنيها فلا أعلم إلا أني قد[٣] وجدت انقصامًا[٤] في ظهري حتىٰ تمطأت[٥] لها ، فقال رسول اللّه ، صلى الله عليه وسلم : « **ما لك يا أبا بكر** »

= (١٥/٧) وقال : « رواه البزار وفيه عبد الرحمن بن سليم بن حيان ، ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات » !! كذا قال مع أن حيان بن بسطام لم يوثقه غير ابن حبان « الثقات » ولذلك وسمه ابن حجر فى « التقريب » بأنه مقبول . وسئل أبو الحسن الدارقطنى عن هذا الحديث فقال : « العلل » (١/س٢٩) : « هو حديث يرويه زياد الجصاص ، واختلف عنه ، فرواه عبد الوهاب الخفاف ، عن زياد الجصاص عن على بن زيد عن مجاهد ، عن ابن عمر ، عن أبى بكر ، وخالفه أبو عاصم العبادانى فرواه عن زياد الجصاص ، عن سالم ، عن ابن عمر ، عن عمر ، ورواه سليم بن حيان عن أبيه عن ابن عمر ، عن الزبير بن العوام ، وقيل : عن سليم عن نافع عن ابن عمر ، عن الزبير ، وكلها ضعاف ، قال ذلك عبد الرحيم بن سليم بن حيان ، عن أبيه ، وسليم ثقة ، ويشبه أن يكون الوهم من ابنه » اهـ . وروى مسلم فى صحيحه : كتاب : فضائل الصحابة (٢٢٩) (٢٥٤٥) من طريق الأسود بن شيبان عن أبى نوفل ، رأيت عبد الله بن الزبير على عقبة المدينة - وهي عقبة بمكة رآه وهو مصلوب عليها - قال فجعلت قريش تمُرُّ عليه والناسُ حتى مَرَّ عليه عبد الله بن عمر ، فوقف عليه ، فقال : السلامُ عليك أبا خبيب ! السلامُ عليك ؛ أبا خبيب ! السلامُ عليك ، أبا خبيب ! أما والله ! لقد كنتُ أنهاك عن هذا . أما والله ! لقد كنت أنهاك عن هذا . أما واللهِ ! لقد كنت أنهاك عن هذا ، أما والله إن كُنتَ ، ما علمتُ ، صوَّامًا قوَّامًا . وصولًا للرحم ، أما والله لأمَّة أنت أشرُّها لأمَّةُ خَيْرٍ .

(٨١٢) - ورواه عبد بن حميد فى « المنتخب » (رقم ٧) وعنه مقرونًا به يحيى بن موسى ، أبو عيسى الترمذى فى « الجامع » (٣٠٣٩) - ورواه البزار فى « مسنده » (١/ح٢٠/ البحر الزخار) ثنا محمد بن المثنى ، ورواه أبو يعلى فى « مسنده » - وعنه المروزى فى « مسند أبى بكر » (رقم ٢٠) - ثنا =

[١] - في ز ، خ : « هل » .
[٢] - في خ : « أنزلت » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « انقضامًا » .
[٥] - في خ : « تمطيت » .

قلت : بأبي أنت[١] وأمي يا رسول الله ، وأينا لم يعمل السوء ، وإنا لمجزيون بكل سوء عملناه ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **أما أنت وأصحابك يا أبا بكر المؤمنون ، فإنكم[٢] تجزون[٣] بذلك في الدنيا حتىٰ تلقوا الله وليس لكم ذنوب ، وأما الآخرون فيجمع ذلك لهم حتىٰ يجزوا به يوم القيامة** » .

وهكذا رواه الترمذي عن يحيىٰ بن موسىٰ وعبد[٤] بن حميد ، عن روح بن عبادة ، به . ثم قال : وموسىٰ بن عبيدة يضعف ، ومولىٰ ابن سباع مجهول .

[وقال ابن جرير(٨١٣) : حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ؛ قال : أخبرني عطاء بن أبي رباح ، قال : لما نزلت هذه الآية ، قال أبو بكر : جاءت قاصمة الظهر ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **إنما هي المصيبات في الدنيا**][٥] » .

(طريق[٦] أخرىٰ عن الصديق) قال ابن مردويه(٨١٤) : حدثنا محمد بن أحمد بن إسحاق العسكري ، حدثنا محمد بن عامر السعدي ، حدثنا يحيىٰ بن يحيىٰ ، حدثنا فضيل بن عياض ، عن سليمان بن مهران ، عن مسلم بن صبيح ، عن مسروق ؛ قال : قال أبو بكر الصديق[٧] : يا

= أبو خيثمة ، وابن عدى فى « الكامل » (٢٧٥٦/٧) من طريق على بن عبد الله المدينى ، وابن أبى حاتم فى « تفسيره » (٥٩٩٤/٤) ثنا أحمد بن سنان الواسطى ستتهم (عبد بن حميد ويحيى ومحمد وأبو خيثمة وعلى والواسطي) ثنا رَوْح بن عبادة به . وقال أبو عيسى : « هذا حديث غريب ، وفى إسناده مقال . موسى بن عُبيدة يُضَعَّفُ فى الحديث ، ضعفه يحيى بن سعيد وأحمد بن حنبل ، ومولى ابن سَبَّاع مجهول ، وقد رُوى هذا الحديث من غير هذا الوجه عن أبى بكر ، وليس له إسناد صحيح أيضًا » . وقال البزار : « وهذا الحديث لا نعلم روى عن أبى بكر عن النبى - صلى الله عليه وسلم - إلا من هذا الوجه ، ومولى ابن سباع هذا فلا نعلم أحدًا سماه » وجهله يحيى بن معين ، وقال ابن عدى : « ومولى ابن سباع هذا لا أعرف له غير هذا الحديث ويروى عنه موسى بن عبيدة وهو مجهول ولا يعرف » .

(٨١٣) - تفسير ابن جرير (١٠٥٣٤) وهذا منقطع بين عطاء بن أبى رباح وأبى بكر .

(٨١٤) - وعزاه لابن مردويه السيوطى فى « الدر المنثور » (٤٠٠/٢) وقد رواه أبو نعيم فى « الحلية » (١١٩/٨) ثنا أبو أحمد محمد بن أحمد به . وقال أبو نعيم : « عزيز من حديث فضيل ما كتبته إلا من هذا الوجه » ورجاله ثقات رجال الشيخين من الفضيل بن عياض إلى من هو فوقه ، غير أن أبا معاوية =

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « فيجزون » .
[٤] - في ز ، خ : « وعبيد » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - في خ : « طريقة » .
[٧] - سقط من : ز .

رسول اللَّه ، ما أشدّ هذه الآية ﴿ **من يعمل سوءًا يجز به** ﴾ ! فقال رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم : « **المصائب والأمراض والأحزان في الدنيا ، جزاء** » .

(طريق[١] أخرىٰ) قال ابن جرير(٨١٥) : حدثني عبد اللَّه بن أبي زياد ، وأحمد بن منصور ، قالا : أخبرنا زيد بن الحباب ، حدثنا عبد الملك بن الحسن الحارثي ، حدثنا محمد بن زيد بن قنفذ[٢] ، عن عائشة ، عن أبي بكر ، قال : لما نزلت : ﴿ **من يعمل سوءًا يجز به** ﴾ قال أبو بكر : يا رسول اللَّه ، كل ما نعمل نؤاخذ به ؟ فقال : « **يا أبا بكر ، أليس يصيبك كذا وكذا ؟ فهو كفارة** » .

(حديث آخر) قال سعيد بن منصور(٨١٦) : أنبأنا عبد اللَّه بن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، أن بكر بن سوادة ، حدثه أن يزيد بن أبي يزيد ، حدثه عن عبيد بن عمير ، عن عائشة أن رجلًا تلا هذه الآية : ﴿ **من يعمل سوءًا يجز به** ﴾ فقال : إنا لنُجزى بكل عمل[٣] هلكنا إذا . فبلغ ذلك رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : « **نعم ، يُجزى به المؤمن في الدنيا في نفسه في جسده فيما يؤذيه** » .

= محمد بن خازم الضرير - رواه عن الأعمش عن مسلم قال : قال أبو بكر : يا رسول الله ما أشد هذه الآية ... الحديث ، رواه من هذا الوجه هنا وفى « الزهد » (٤٣٤/٢) وابن جرير (١٠٥٢٩/٩) وهو هكذا منقطع بين مسلم وأبى بكر ، وكأنه الأشبه ، فإن أبا معاوية أثبت من الفضيل فى الأعمش ، بل إن عبد الرحمن بن مهدى ، تكلم فى حفظ الفضيل على الرغم من إمامته ، راجع « التهذيب » . والحديث أورده السيوطى فى « الدر المنثور » (٤٠٠/٢) وزاد عزوه إلى سعيد بن منصور .

(٨١٥) - تفسير ابن جرير (١٠٥٢١/٩) ورجاله ثقات ، غير أن فيه انقطاعًا بين ابن قنفذ ، وعائشة . فإن ابن قنفذ رأى ابن عمر رؤية ، وابن عمر مات سنة ٧٣هـ وعائشة أم المؤمنين ماتت سنة ٥٨هـ ، فهو لم يرها بلا شك ، فحديثه عنها منقطع . قاله أبو فهر محمود شاكر فى حاشيته على تفسير ابن جرير . وأورده السيوطى فى « الدر المنثور » (٤٠٠/٢) من هذا الوجه ، ولم يعزه لغير ابن جرير .

(٨١٦) - وعزاه لـ « سعيد بن منصور » السيوطى فى « الدر المنثور » (٤٠١/٢) ورواه أحمد فى « المسند » (٦٦/٦) ، وأبو يعلى فى « مسنده » (٨/ ٤٦٧٥، ٤٨٣٩) ثنا هارون بن معروف ، والبخارى فى « التاريخ الكبير » (٣٧١/٨) عن أصبغ بن الفرج ، وابن حبان (٢٩٢٣/٧/ إحسان) (١٧٣٦/٥) من طريق حرملة بن يحيى ، والبيهقى فى « الشعب » (٩٨٠٧/٧) من طريق أحمد بن عيسى ، وابن أبى حاتم (٥٩٩٥/٤) ثنا يونس بن عبد الأعلى خمستهم : (هارون وأصبغ وحرملة وأحمد ويونس) ثنا ابن وهب به . وصحح إسناده السيوطى ، وذكره الهيثمى فى « المجمع » (١٥/٧) وقال : « رواه أحمد ، وأبو يعلى ورجالهما رجال الصحيح » كذا قال !! ويزيد بن أبى يزيد لم يرو له صاحبا الصحيح ، =

[١] - في خ : « طريقة » .

[٢] - في ز : « قنفد » .

[٣] - في ت : « ما عملناه » .

(طريق[١] أخرىٰ) قال ابن أبي حاتم(٨١٧) ، حدثنا أبي ، حدثنا سلمة بن بشير ، حدثنا هشيم ، عن أبي عامر ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة ؛ قالت : قلت : يا رسول اللَّه ، إني لأعلم أشد آية في القرآن ، فقال : « **ما هي يا عائشة ؟** » قلت : ﴿ **من يعمل سوءًا يجز به** ﴾ . فقال : « **هو ما يصيب العبد المؤمن حتىٰ النكبة ينكبها** » .

رواه ابن جرير من حديث هشيم ، به ، ورواه أبو داود من حديث أبي عامر صالح بن رستم [الخراز][٢] ، به .

(طريق[٣] أخرىٰ) قال أبو داود الطيالسي(٨١٨) : حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن[٤] زيد ، عن أمية[٥] أنها سألت عائشة عن هذه الآية : ﴿ **من يعمل سوءًا يجز به** ﴾ فقالت : ما سألني أحد عن هذه الآية منذ سألت عنها رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ، سألت رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم فقال : « **يا عائشة ، هذه معاتبة اللَّه للعبد مما يصيبه من الحُمَّىٰ والنكبة والشوكة حتىٰ البضاعة يضعها[٦] في كمه ، فيفزع لها فيجدها في جيبه ، حتىٰ إن المؤمن ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الأحمر من الكير** » .

= ثم إنه لم يوثقه غير ابن حبان « الثقات » (٦٣٠/٧) ، لكن روى عنه جمع من الثقات انظر « تعجيل المنفعة » لابن حجر (٢/ت ١١٨٩) فالإسناد حسن إن شاء الله تعالى ، وقد رواه البيهقي (٩٨٠٦/٧) من طريق محمد بن يعقوب الأصم نا بحر بن نصر نا ابن وهب به ليس فيه « يزيد » ورواية الجماعة أصح ، وانظر ما بعده.

(٨١٧) - تفسير ابن أبي حاتم (٥٩٩٦/٤) ، ورواه ابن جرير (١٠٥٣٢/٩) حدثني يعقوب بن إبراهيم ثنا هشيم به ، ورواه أيضًا (١٠٥٣٠/٩) من طريق روح بن عبادة ، وإسحاق بن راهويه فى « مسنده » (٣/ ٧٠٦) أخبرنا النضر بن شميل ، وأبو داود فى « السنن » (٣٠٩٣) من طريق يحيى بن سعيد ، وعثمان ابن عمر ، والبيهقى فى « الشعب » (٩٨١٠/٧) من طريق يحيى بن سعيد أربعتهم : (روح والنضر ويحيى وعثمان) عن أبى عامر به ، وأبو عامر هو صالح بن رستم ضعفه ابن معين ، وقال الدارقطنى وأبو أحمد الحاكم : ليس بالقوى ، لكن قال أحمد بن حنبل : « صالح الحديث » ووثقه أبو داود الطيالسى والسجستانى والبزار ، وفى « التقريب » : « صدوق كثير الخطأ » ويحتمل هنا تحسين حديثه ، حيث روى من طرق أخرى عن عائشة ، انظر السابق والآتى .

(٨١٨) - رواه الطيالسى فى « مسنده » (١٥٨٤) ومن طريقه رواه البيهقى فى « الشعب » (٩٨٠٩/٧) ورواه أحمد فى « المسند » (٢١٨/٦) ثنا بهز ، وإسحاق بن راهويه فى « مسنده » (٨٧٠/٣) والترمذى فى « الجامع » (٢٩٩١) من طريق روح بن عبادة مقرونًا به الحسن بن موسى عند الترمذى ، وابن =

[١] - في خ : « طريقة » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « الحرار » .
[٣] - في خ : « طريقة » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - غير واضحة في : ز ، وفي خ : « منية » .
[٦] - في خ : « فيضعها » .

(طريق[١] أخرىٰ) قال ابن مردويه : حدثنا محمد بن[٢] أحمد بن[٣] إبراهيم ، حدثنا أبو القاسم ، حدثنا شُريج بن يونس ، حدثنا أبو معاوية ، عن محمد بن إسماعيل ، عن محمد بن زيد بن المهاجر ، عن عائشة قالت : سئل رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ، عن هذه الآية ﴿ من يعمل سوءًا يجز به ﴾ ، قال : « **إن المؤمن يؤجر في كل شيء ، حتىٰ في الفيظ عند الموت** » .

وقال الإمام أحمد(٨١٩) : حدثنا حسين ، [عن زائدة][٤] ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن عائشة ؛ قالت : قال رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم : « **إذا كثرت ذنوب العبد ، ولم يكن له ما يكفرها ابتلاه اللَّه بالحزن ليكفرها عنه**[٥] » .

(حديث آخر) قال سعيد بن منصور(٨٢٠) ، عن سفيان بن عيينة ، عن عمر بن عبد الرحمن بن محيصن ، سمع محمد بن قيس بن مخرمة يخبر أن أبا هريرة ، رضي اللَّه عنه ، قال : لما نزلت : ﴿ **من يعمل سوءًا يجز به** ﴾ ، شق ذلك علىٰ المسلمين ، فقال لهم رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم : « **سددوا وقاربوا ؛ فإن في كل ما يصاب به المسلم كفارةً حتىٰ الشوكة يشاكها ، والنكبة ينكبها** » .

= أبي حاتم في « تفسيره » (٣٠٦٢/٢) وابن جرير (١٠٥٣١/٩) من طريق سليمان بن حرب ، وابن جرير أيضًا (٦٤٩٥/٦) من طريق أسد بن موسى خمستهم : (بهز وروح والحسن وسليمان وأسد) عن حماد بن سلمة به وقال الترمذي : « هذا حديث حسن غريب من حديث عائشة لانعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة » وهو ثقة إمام ، غير أن شيخه ضعيف ، وانفرد بالرواية عن « أمية بنت عبد الله » وذكر المصنف هذا الحديث فيما مضى (سورة البقرة/ آية ٢٨٤) وقال : « علي بن زيد بن جدعان » ضعيف يغرب في رواياته . وهو يروي هذا الحديث عن امرأة أبيه ، أم محمد أمية بنت عبد الله عن عائشة ، وليس لها عنها في الكتب سواه » .

(٨١٩) - « المسند » (١٥٧/٦) ورواه ابن أبي الدنيا في « الهم والحزن » (رقم ٣) ، والبزار (٣٢٦٠/٤/ كشف الأستار) ، وأبو نعيم في « أخبار أصبهان » (١٨٩/٢) ، من طريق حسين بن علي به ، وعلقه ابن حبان في « المجروحين » (٢٣١/٢) من طريق زائدة به وإسناده ضعيف لضعف ليث وهو ابن أبي سليم ، ثم إنه مدلس وقد عنعن ، وقد أعله به الهيثمي ، فقال في « المجمع » (٢٩٤/٢) : « رواه أحمد ، وفيه ليث بن أبي سليم وهو مدلس ، وبقية رجاله ثقات » . ومع هذا فقد ذكره (١٩٥/١٠) وقال : « رواه أحمد والبزار وإسناده حسن » !! وأورده السيوطي في « الدر المنثور » (٤٠١/٢) ولم يعزه لغير أحمد .

(٨٢٠) - وعزاه إلى سعيد بن منصور السيوطي في « الدر المنثور » (٤٠١/٢) وقد رواه مسلم ، كتاب : البر

[١] - في خ : « طريقة » .
[٢] - في خ : « أبو » .
[٣] - في ز : « أبو » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « بن زيادة » .
[٥] - سقط من : ز .

وهكذا رواه أحمد عن سفيان بن عيينة، ومسلم والترمذي والنسائي من حديث سفيان بن عيينة - به . ورواه ابن مردويه(٨٢١) من حديث روح ومعتمر كلاهما، عن إبراهيم بن يزيد، عن عبد الله[١] بن إبراهيم، سمعت أبا هريرة يقول : لما نزلت هذه الآية : ﴿ **ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءًا يجز به** ﴾ بكينا وحزنا وقلنا : يا رسول الله، ما أبقت هذه الآية من شيء ! قال : « **أما والذي نفسي بيده، إنها لكما نزلت**[٢] ، **ولكن أبشروا وقاربوا وسددوا، فإنه لا يصيب أحدًا منكم مصيبة في الدنيا إلا كفر الله بها من**[٣] **خطيئته، حتىٰ الشوكة يشاكها أحدكم في قدمه** » .

وقال عطاء بن يسار، عن أبي سعيد وأبي هريرة، أنهما سمعا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول : « **ما يصيب المسلم من نصب**[٤] **ولا وصب**[٥] **ولا سقم ولا حزن، حتىٰ الهم يهمه إلا كفر به**[٦] **من سيئاته** » أخرجاه(٨٢٢) .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(٨٢٣) : حدثنا يحيىٰ عن[٧] سعد[٨] بن إسحاق، حدثتني زينب بنت كعب بن عجرة، عن أبي سعيد الخدري ؛ قال : جاء رجل إلىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وآله وسلم، فقال[٩] : أرأيت هذه الأمراض التي تصيبنا ما لنا بها ؟ قال : « **كفارات** »،

والصلة والآداب، باب : ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن (٢٥٧٤)، والترمذى، كتاب : تفسير القرآن (٣٠٣٨)، والنسائى فى التفسير من « الكبرى » (٦/١١١٢٢) وغيرهم من طرق عن سفيان بن عيينة به .

(٨٢١) - وعزاه لابن مردويه من هذا الوجه، السيوطى فى « الدر المنثور » (٢/٤٠١) وإبراهيم بن يزيد هو الخوزى، متروك وشيخه - عبد الله أو عبيد الله - لم أجد له ترجمة ويشهد له اللفظ السابق .

(٨٢٢) - رواه البخارى، كتاب : المرضى، باب : ما جاء فى كفارة المرض (٥٦٤١، ٥٦٤٢)، ومسلم، كتاب : البر والصلة والآداب، باب : ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن (٥٢) (٢٥٧٣)، والترمذى، كتاب : الجنائز، باب : ما جاء فى ثواب المريض (٩٦٦) وأحمد (٢/ ٣٠٣، ٣٣٥) (٣/ ٤، ١٨، ٢٤، ٤٨، ٨١) من طريقين عن عطاء به .

(٨٢٣) - « المسند » (٣/٢٣) - ومن طريقه أبو القاسم ابن عساكر فى « تاريخ دمشق » (٢/٥٩٤/ مخطوط) ورواه النسائى فى « الكبرى » (٤/٧٤٨٩)، وأبو يعلى فى « مسنده » (٢/٩٩٥) ومن طريقه=

---

[١] - في ز، خ : « عبيد الله » .
[٢] - في خ : « أنزلت » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - النَّصبُ : التعب .
[٥] - الوصب : دوام الوجع ولُزومُه .
[٦] - في خ : « الله » .
[٧] - في ت : « بن » .
[٨] - في خ، ز : سعيد . وهو تحريف .
[٩] - سقط من : خ .

قال أبي : وإن قلَّتْ ؟ قال : « حتىٰ الشوكة فما فوقها » قالت : فدعا أبي علىٰ نفسه ؛ أنه لا يفارقه الوعك[١] حتىٰ يموت ، في أن لا يشغله عن حج ولا عمرة ولا جهاد في سبيل اللَّه ولا صلاة مكتوبة في جماعة ، فما مسه إنسان إلا وجد حره حتىٰ مات ، رضي اللَّه عنه . تفرد به أحمد .

(وحديث آخر) روىٰ ابن مردويه(٨٢٤) من طريق حسين بن واقد ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال : قيل : يا رسول اللَّه ، ﴿ **من يعمل سوءًا يجز به** ﴾ قال : « **نعم ومن يعمل حسنة يجز بها عشرًا** » . فهلك من [غلب واحدته][٢] عشرًا .

وقال ابن جرير(٨٢٥) : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن حميد ، عن الحسن ﴿ **من يعمل سوءًا يجز به** ﴾ قال : الكافر ، ثم قرأ : ﴿ **وهل نجازي إلا الكفور** ﴾ .

= ابن حبان (٢/ح ٦٩٢/ موارد) (٢٩٢٨/٧/ إحسان) وابن عساكر - وابن أبي الدنيا فى « المرض والكفارات » كما فى « الدر المنثور » (٤٠١/٢) - ومن طريقه البيهقى فى « الشعب » (٩٩٧١/٧) - ومسدد فى « مسنده » - كما فى « الدر المنثور » - ومن طريقه الحاكم فى « المستدرك » (٣٠٨/٤) - والطحاوى فى « مشكل الآثار » (٢٣٦١) كلهم من طريق يحيى بن سعيد القطان به . ورواه البيهقى أيضًا (٩٩٧٠/٧) ومن طريقه ابن عساكر من طريق محمد بن جعفر بن أبى كثير ، والطحاوى (٣/ ٢٣٦٠) من طريق أنس بن عياض الليثى . كلاهما (محمد وأنس) عن سعد بن إسحاق به . وقال الحاكم : « حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » ووافقه الذهبى !! ولم يخرجا بهذا الإسناد شيئًا ، بل لم يخرجا أصلاً ل « سعد بن إسحاق » وهو ثقة - وزينب بنت كعب والأخيرة وثقها ابن حبان « الثقات » وجود إسنادًا لها الحافظ ابن حجر راجع « التهذيب » وذكرها ابن الأثير وابن فتحون فى « الصحابة » فالإسناد صحيح إن شاء الله تعالى وقد جوده الحافظ العراقى فى « تخريج أحاديث الإحياء » (٣٧١٤/٦/ مستخرج) والحديث زاد نسبته السيوطى إلى الطبرانى فى « الأوسط » ولم أجده فيه ، بل لم يعزه الهيثمى فى « المجمع » له فقد ذكره (٢/ ٣٠٤، ٣٠٥) وقال : « رواه أحمد وأبو يعلى ورجاله ثقات » قال أبو حاتم ابن حبان : « زينب هذه هى بنت كعب بن عجرة - وهى زوجة أبى سعيد الخدرى - والذى دعا على نفسه هو أبى بن كعب » .

(٨٢٤) - لم أجده فى غير هذا الموضع ، والكلبى - هو محمد بن السائب - متهم بالكذب .

(٨٢٥) - تفسير ابن جرير (١٠٥١١/٩) ورواه ابن أبى حاتم (٥٩٩٧/٤) من طريقين عن حماد به وإسناده صحيح ، وقد رواه ابن جرير أيضًا (١٠٥١٢/٩) من طريق سهل عن حميد به =

---

[١] - الوعك : الحُمَّىٰ . وقيل : أَلَمُها . [٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « علب واحدًا » .

وهكذا روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير(٨٢٦) أنهما فسرا السوء هاهنا بالشرك أيضًا .

وقوله : ﴿ **ولا يجد له من دون الله وليًا ولا نصيرًا** ﴾ قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : إلا أن يتوب ، فيتوب الله عليه . رواه ابن أبي حاتم(٨٢٧) .

والصحيح أن ذلك عام في جميع الأعمال لما تقدم من الأحاديث ، وهذا اختيار ابن جرير والله أعلم .

وقوله : ﴿ **ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثىٰ وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرًا** ﴾ . لما ذكر الجزاء علىٰ السيئات ، وأنه لا بد أن يأخذ مستحقها من العبد ، إما في الدنيا وهو الأجود له ، وإما في الآخرة - والعياذ بالله من ذلك ، ونسأله العافية في الدنيا والآخرة ، والصفح والعفو والمسامحة - شرع في بيان إحسانه وكرمه ورحمته في قبول الأعمال الصالحة من عباده ، ذكرانهم وإناثهم[١] بشرط الإيمان ، وأنه سيدخلهم الجنة ولا يظلمهم من حسناتهم ولا مقدار النقير ، وهو : النقرة التي في ظهر نواة التمرة ، [وقد تقدم الكلام علىٰ الفتيل ، وهو الخيط الذي في شق النواة ، وهذا النقير وهما في نواة التمرة][٢] ، وكذا القطمير : وهو اللفافة التي علىٰ نواة التمرة ، والثلاثة في القرآن .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ومن أحسن دينًا ممن أسلم وجهه لله** ﴾ أي : أخلص العمل لربه - عز وجل - فعمل إيمانًا واحتسابًا ﴿ **وهو محسن** ﴾ أي : متبعًا[٣] في عمله ما شرعه الله له ، وما أرسل به رسوله من الهدىٰ ودين الحق ، وهذان الشرطان لا يصح عمل عامل بدونهما : أن[٤] يكون خالصًا صوابًا ، والخالص : أن يكون لله ، والصواب أن يكون متابعًا[٥] للشريعة فيصح ظاهره بالمتابعة ، وباطنه بالإخلاص ، فمتىٰ فقد العمل أحد هذين الشرطين فسد ؛ فمن فقد الإخلاص كان منافقًا ، وهم الذين يراءون الناس . ومن فقد المتابعة كان ضالًا جاهلًا ، ومتىٰ جمعهما فهو[٦] عمل المؤمنين : ﴿ **الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون** ﴾ ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **واتبع ملة**

= (٩/ ١٠٥١٣، ١٠٥١٤) من طريقين عن الحسن به .

(٨٢٦) - انظر تفسير ابن جرير (٩/ص٢٣٩) ، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/٥٩٩١) .

(٨٢٧) - تفسير ابن أبي حاتم (٤/٥٩٩٨) وكذا رواه ابن جرير (٩/١٠٥١٨) .

[١] - في ز : « أناثيهم » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من ز ، خ .
[٣] - في ت : « اتبع » .
[٤] - في ت : « أي » .
[٥] - في ز : « متبعًا » .
[٦] - في ت : « كان » .

إبراهيم حنيفًا ﴾ وهم محمد وأتباعه إلىٰ يوم القيامة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **إن أولىٰ الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله وليُّ المؤمنين** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين** ﴾ . والحنيف هو المائل عن الشرك قصدًا ، أي : تاركًا له عن بصيرة ، ومقبل علىٰ الحق بكليته ، لا يصده عنه صاد ، ولا يرده عنه راد .

وقوله : ﴿ **واتخذ اللَّه إبراهيم خليلًا** ﴾ ، وهذا من باب الترغيب في اتباعه ، لأنه إمام يقتدىٰ به حيث وصل إلىٰ غاية ما يتقرب به العباد له ، فإنه انتهىٰ إلىٰ درجة الخلة التي هي أرفع مقامات المحبة ، وما ذاك[١] إلا لكثرة طاعته لربه كما وصفه به في قوله : ﴿ **وإبراهيم الذي وفىٰ** ﴾ قال كثير من علماء السلف : أي قام بجميع ما أمر به ، ووفى كل مقام من مقامات العبادة ، فكان لا يشغله أمر جليل عن حقير ، ولا كبير عن صغير ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وإذ ابتلىٰ إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إمامًا** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **إن إبراهيم كان أمة قانتًا للَّه حنيفًا ولم يك من المشركين شاكرًا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنةً وإنه في الآخرة لمن الصالحين** ﴾ .

وقال البخاري(٨٢٨) : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا شعبة ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن عمرو بن ميمون ، قال : إن معاذًا لما قدم اليمن صلىٰ بهم الصبح ، فقرأ : ﴿ **واتخذ اللَّه إبراهيم خليلًا** ﴾ فقال رجل من القوم : لقد قرت عين أم إبراهيم .

وقد ذكر ابن جرير في تفسيره(٨٢٩) عن بعضهم أنه إنما سماه اللَّه خليلًا من أجل أنه أصاب أهل ناحيته جدب ، فارتحل إلىٰ خليل له من أهل الموصل - وقال بعضهم : من أهل مصر - ليمتار طعامًا لأهله من قبله ، فلم يصب عنده حاجته ، فلما قرب من أهله مرّ بمفازة ذات رمل فقال : لو ملأت غرائري من هذا الرمل لئلا أغم[٢] أهلي برجوعي إليهم بغير ميرة ، وليظنوا أني أتيتهم بما يحبون ، ففعل ذلك ، فتحول ما في غرائره من الرمل دقيقًا ، فلما صار إلىٰ منزله نام ، وقام أهله ففتحوا الغرائر فوجدوا دقيقًا فعجنوا منه وخبزوا ، فاستيقظ فسألهم عن الدقيق الذي منه خبزوا ، فقالوا : من الدقيق الذي جئت به من عند خليلك ، فقال : نعم ، هو من عند[٣] خليلي اللَّه ، فسماه اللَّه بذلك خليلًا . وفي صحة هذا ووقوعه نظر ، وغايته أن يكون خبرًا إسرائيليًا لا يصدق

(٨٢٨) - رواه البخارى ، كتاب : المغازى ، باب : بعث أبى موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع (٤٣٤٨) .

(٨٢٩) - تفسير ابن جرير (٩/ص ٢٥١، ٢٥٢) .

[١] - في ز : « ذا » .

[٢] - في ز : « أرغم » .

[٣] - سقط من : ز .

ولا يكذب ، وإنما سمي خليل الله لشدة محبة ربه ، عز وجل ، له ، لما قام له به[١] من الطاعة التي يحبها ويرضاها ، ولهذا ثبت في الصحيحين(٨٣٠) من حديث[٢] أبي سعيد الخدري أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لما خطبهم في آخر خطبة خطبها ، قال : « **أما بعد أيها الناس فلو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلًا ؛ لاتخذت أبا بكر بن أبي قحافة خليلًا ، ولكن صاحبكم خليل الله** » .

وجاء من طريق جندب بن عبد الله البجلي (٨٣١)، وعبد الله بن عمرو بن العاص (٨٣٢)، وعبد الله بن مسعود (٨٣٣)، عن النبي ؛ قال : « **إن الله اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا** » .

وقال أبو بكر بن مردويه (٨٣٤): حدثنا عبد الرحيم بن محمد بن مسلم ، حدثنا إسماعيل بن

(٨٣٠) - رواه البخارى ، كتاب : الصلاة ، باب : الخَوْخَة والمَمَرّ فى المسجد (٤٦٦) ، ومسلم : كتاب : فضائل الصحابة ، باب : من فضائل أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - (٢٣٨١) وغيرهما من حديث أبى سعيد الخدرى ، مخالفًا فى بعض الأحرف اللفظ الذى أورده المصنف .

(٨٣١) - رواه مسلم ، كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، باب : النهى عن بناء المساجد على القبور (٢٣) (٥٣٢) ، والنسائى فى التفسير من « الكبرى » (١١١٢٣/٦) وغيرهما من حديث جندب وصححه ابن حبان (٦٤٢٥/١٤/ إحسان) ، وقصر فى عزوه جدًا السيوطى ، فى « الدر المنثور » (٤٠٧/٢) فلم يعزه لغير الحاكم (٥٥٠/٢) !! .

(٨٣٢) - رواه ابن ماجه فى « المقدمة » (رقم ١٤١) ، والعقيلى فى « الضعفاء » (٧٧/٣) ، وابن حبان فى « المجروحين » (١٤٨/٢) وابن عدى فى « الكامل » (١٩٣٣/٥) ، والخطيب فى « تاريخ بغداد » (٥/ ٢٢٧) من طريق عبد الوهاب بن الضحاك ثنا إسماعيل بن عياش عن صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن ابن جبير بن نفير عن كثير بن مُرَّة عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا ، ولفظه : « إن الله اتخذنى خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ، فمنزلى ومنزل إبراهيم فى الجنة يوم القيامة تجاهين ، والعباس بيننا مؤمن بين خليلين » ، قال العقيلى : « عبد الوهاب بن الضحاك الحمصى ، شامى ، متروك الحديث لا يتابعه إلا من هو دونه أو مثله ، وليس للحديث أصل عن ثقة » ، وقال أبو حاتم ابن حبان : « كان عبد الوهاب يسرق الحديث ، ولا يحل الاحتجاج به » ، وبه أعله ابن الجوزى ، فكان من نصيب « موضوعاته » (٣٢/٢) ، وحكم عليه بالوضع أيضًا ابن رجب الحنبلى - كما فى حاشية « سنن ابن ماجه » - وكذا أبو عبد الرحمن الألبانى ، فسود به حديث رقم (٢٦) من « ضعيف سنن ابن ماجه » . وسرقه أحمد بن معاوية بن بكر الباهلى ، فرواه عن إسماعيل بن عياش به ، استنكره ابن عدى لأحمد هذا فى « الكامل » (١/ ١٧٧) ، ومن طريقه رواه ابن الجوزى (٣٢/٢) .

(٨٣٣) - صحيح مسلم ، كتاب : فضائل الصحابة (٣، ٧) (٢٣٨٣) .

(٨٣٤) - وذكره المصنف كما هنا فى « قصص الأنبياء » (رقم ٢٤٩/ بتحقيقى) وعزاه أيضًا لابن مردويه=

[١] - سقط من: ز ، خ.

[٢] - في خ : « رواية » .

أحمد بن أسيد ، حدثنا إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني بمكة ، حدثنا عبيد الله[١] الحنفي ، حدثنا زمعة[٢] بن صالح ، عن سلمة بن وهرام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ قال : جلس ناس من أصحاب رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ، ينتظرونه ، فخرج حتىٰ إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون ، فسمع حديثهم ، وإذا بعضهم يقول : عجبًا[٣] إن اللَّه اتخذ من خلقه خليلًا ! فإبراهيم خليله . وقال آخر : ماذا بأعجب من أن اللَّه كلم موسىٰ تكليمًا ! وقال آخر : فعيسىٰ روح اللَّه وكلمته ! ، وقال آخر : آدم اصطفاه اللَّه ! فخرج عليهم فسلم ، وقال : « **قد سمعت كلامكم وتعجبكم أن إبراهيم خليل اللَّه ، وهو كذلك ، وموسىٰ كليمه ، وعيسىٰ روحه وكلمته ، وآدم اصطفاه اللَّه ، وهو كذلك ، وكذلك [محمد قال][٤] : ألا وإني حبيب اللَّه ولا فخر ، [وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر][٥] ، وأنا أول شافع ، وأول مشفع ولا فخر ، وأنا أول من يحرك حلقة[٦] الجنة ، فيفتح[٧] اللَّه فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر ، وأنا أكرم الأولين والآخرين يوم القيامة ولا فخر** » .

وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، ولبعضه شواهد في الصحاح وغيرها .

وقال قتادة : عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال : أتعجبون من أن تكون الخلة لإبراهيم ، والكلام لموسىٰ ، والرؤية لمحمد ، صلوات اللَّه وسلامه عليهم أجمعين ؟ !

رواه الحاكم في المستدرك (٨٣٥)، وقال : صحيح علىٰ شرط البخاري ولم يخرجاه ، وكذا

= السيوطى فى « الدر المنثور » (٤٠٧/٢) . وقد رواه الترمذى ، كتاب : المناقب (٣٦١٦) والدارمى (رقم ٤٨) من طريق عبيد الله الحنفى به ، وقال الترمذى : « حديث غريب » وعلته زمعة بن صالح ، فقد ضعفه أحمد وابن معين وأبو حاتم والنسائى وغيرهم غير أن ابن عدى قواه فقال : « ربما يهم فى بعض ما يرويه ، وأرجو أن حديثه صالح لا بأس به » ، واعتمد ذلك أبو عبد الرحمن الألبانى فقال فى « الصحيحة » (٩٨/٤/ رقم ١٥٧٠) : « إسناده لا بأس به فى الشواهد ، فإن زمعة ، قرنه مسلم بغيره ، وسلمة وهو ابن وهرام مثله ، أو أحسن حالاً منه » وراجع شواهد للحديث فى المصدر المذكور آنفًا والله الموفق .

(٨٣٥) - « المستدرك » (٦٥/١) (٤٦٩/٢) ، ورواه أيضًا النسائى فى التفسير من « الكبرى » (٦/ ١١٥٣٩) ، وابن أبى عاصم فى « السنة » (٤٣٦، ٤٤٢) عن قتادة به وصححه الحاكم على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبى ، وكذا صححه ابن خزيمة فى « التوحيد » (٢/ ٢٧٦، ٢٧٧) ، وابن حجر فى « الفتح » (٦٠٨/٨) .

[١] - في ز : « عبد الله » .
[٢] - في ز : « جمعة » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ .
[٦] - في ت : « حلق» .
[٧] - في ز : « فيفتحه » .

روي عن أنس بن مالك وغير واحد من الصحابة والتابعين والأئمة من السلف والخلف .

وقال ابن أبي حاتم (٨٣٦): حدثنا يحيىٰ بن عبدك القزويني ، حدثنا محمد - يعني ابن سعيد ابن سابق - حدثنا عمرو - يعني ابن أبي قيس - عن عاصم ، عن أبي راشد ، عن عبيد بن عمير ، قال : كان إبراهيم ، عليه السلام ، يُضَيِّف الناس ، فخرج يومًا يلتمس إنسانًا[١] يضيفه ، فلم يجد أحدًا يضيفه ، فرجع إلىٰ داره فوجد فيها رجلًا قائمًا ، فقال : يا عبد اللَّه ما أدخلك داري بغير إذني ؟ قال : دخلتها بإذن ربها ، قال : ومن أنت ؟ قال : أنا ملك الموت ، أرسلني ربي إلىٰ عبد من عباده أبشره بأن[٢] اللَّه قد اتخذه خليلًا . قال : من هو ؟ فواللَّه إن أخبرتني به ثم كان بأقصىٰ البلاد لآتينه ، ثم لا أبرح له جارًا حتىٰ يفرق بيننا الموت ، قال : ذاك[٣] العبد أنت . قال : أنا ؟ قال : نعم . قال[٤] : فبم اتخذني ربي خليلًا ؟ قال : إنك تعطي الناس ولا تسألهم .

[وحدثنا أبي][٥] (٨٣٧) ، حدثنا محمود بن خالد السلمي ، حدثنا الوليد ، عن إسحاق بن يسار ، قال : لما اتخذ اللَّه إبراهيم خليلًا ألقي في قلبه الوجل ، حتىٰ إنْ [كان][٦] خفقان قلبه ليسمع من بعيد ؛ كما يسمع خفقان الطير في الهواء . وهكذا جاء في صفة رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ، أنه كان يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل ، [إذا اشتدّ غليانها][٧] ، من البكاء (٨٣٨) .

وقوله : ﴿ **ولله ما في السماوات وما في الأرض** ﴾ أي : الجميع ملكه وعبيده وخلقه ، وهو المتصرف في جميع ذلك ، لا رادَّ لما قضىٰ ، ولا معقب لما حكم ، ولا يسأل عما يفعل

(٨٣٦) - تفسير ابن أبي حاتم (٦٠١٦/٤) ، ونقله المصنف كما هنا في « قصص الأنبياء » (رقم ٢٥٢/ بتحقيقي) ، وإسناده حسن إلى عبيد بن عمير .

(٨٣٧) - تفسير ابن أبي حاتم (٦٠١٥/٤) ، ونقله المصنف كما هنا في « قصص الأنبياء » (رقم ٢٥/ بتحقيقي) ورجاله ثقات ، غير أن الوليد وهو ابن مسلم - مدلس ، وقد عنعن ، ولم يذكروا له رواية عن إسحاق بن يسار ، والله أعلم .

(٨٣٨) - رواه أحمد (٤/ ٢٥، ٢٦) ، وأبو داود (٩٠٤) ، والترمذي (٣٢٢) ، والنسائي (١٣/٣) وغيرهم من حديث عبد الله بن الشخير وصححه ابن خزيمة (٩٠٠) ، وابن حبان (٦٦٥/٢/ إحسان) .

[١] - في خ : « أحدًا » .

[٢] - في ز : « أن » .

[٣] - في خ : « ذلك » .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

لعظمته وقدرته وعدله وحكمته ولطفه ورحمته .

وقوله : ﴿ وكان الله بكل شيء محيطًا ﴾ أي : علمه نافذ في جميع ذلك ، لا تخفىٰ عليه خافية من عباده ، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ، ولا أصغر من ذلك ، ولا أكبر ولا تخفىٰ عليه الذرة[١] لما تراءىٰ للناظر[٢] وما توارىٰ .

وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ فِى يَتَـٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّـٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَـٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾

قال البخاري(٨٣٩) : حدثنا عبيد بن إسماعيل ، حدثنا أبو أسامة ، قال : حدثنا هشام بن عروة ، أخبرني عن أبيه ، عن عائشة -رضي الله عنها- : ﴿ **ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهنّ** ﴾ [إلىٰ قوله][٣] ﴿ **وترغبون أن تنكحوهنّ** ﴾ قالت عائشة[٤] : هو الرجل تكون عنده اليتيمة ، هو وليها ووارثها ، [قد شركته][٥] في ماله حتىٰ في العذق ، فيرغب أن ينكحها ويكره أن يزوّجها رجلًا ؛ فيشركه في ماله بما شركته ، فيعضلها فنزلت هذه الآية .

وكذلك[٦] رواه مسلم عن أبي كريب وعن[٧] أبي بكر بن أبي شيبة ، كلاهما عن أبي أسامة .

وقال ابن أبي حاتم (٨٤٠): قرأت علىٰ محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، أخبرني عروة بن الزبير ؛ قالت عائشة : ثم إن الناس استفتوا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بعد هذه الآية فيهن ، فأنزل الله : ﴿ **ويستفتونك في النساء**

(٨٣٩) - رواه البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ ويستفتونك فى النساء ... ﴾ (٤٦٠٠) ، ومسلم ، كتاب : التفسير (٧) (٣٠١٧) .

(٨٤٠) - تفسير ابن أبي حاتم (٦٠١٧/٤ ، ٦٠٢٠) وإسناده صحيح ، وانظر ما بعده .

[١] - في خ : « ذرة » .
[٢] - في خ : « للناظرين » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ت : « فأشركته » .
[٦] - في ز : « وكذا » .
[٧] - سقط من : ز .

قل اللَّه يفتيكم فيهنّ وما يتلىٰ عليكم في الكتاب ﴾ الآية ، قالت : والذي ذكر اللَّه أنه يتلىٰ عليهم في الكتاب ، الآية الأولىٰ التي قال اللَّه : ﴿ **وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامىٰ فانكحوا ما طاب لكم من النساء** ﴾ .

وبهذا الإسناد(٨٤١) عن عائشة قالت : وقول اللَّه -عز وجل- : ﴿ **وترغبون أن تنكحوهنّ** ﴾ ، رغبة أحدكم عن يتيمته التي تكون في حجره ، حين تكون قليلة المال والجمال ، فنُهوا أن ينكحوا من رغبوا في مالها وجمالها من يتامىٰ النساء إلا بالقسط ، من أجل رغبتهم عنهنّ .

وأصله ثابت في الصحيحين من طريق يونس بن يزيد الأيلي ، به .

والمقصود أن الرجل إذا كان في حجره يتيمة يحل له تزويجها ، فتارة يرغب في أن يتزوّجها ، فأمره اللَّه أن يمهرها أسوة أمثالها من النساء ، فإن لم يفعل فليعدل إلىٰ غيرها من النساء ، فقد وسَّع اللَّه عز وجل ، وهذا المعنىٰ في الآية الأولىٰ التي في أول السورة .

وتارة لا يكون للرجل[١] فيها رغبة لدمامتها عنده ، أو في نفس الأمر ، فنهاه اللَّه ، عز وجل ، أن يعضلها عن الأزواج خشية أن يشركوه في ماله الذي بينه وبينها ، كما قال علي ابن أبي طلحة (٨٤٢)، عن ابن عباس [في الآية وهي][٢] قوله : ﴿ **في يتامىٰ النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن** ﴾ : كان[٣] الرجل في الجاهلية تكون عنده اليتيمة فيلقي عليها ثوبه ، فإذا فعل ذلك لم يقدر أحد أن يتزوّجها أبدًا ، فإن كانت جميلة وهويها تزوّجها وأكل مالها ، وإن كانت دميمة منعها الرجال أبدًا حتىٰ تموت ، فإذا ماتت ورثها . فحرم اللَّه ذلك ونهىٰ عنه .

وقال في قوله : ﴿ **والمستضعفين من الولدان** ﴾ : كانوا في الجاهلية لا يورثون الصغار ولا البنات ، وذلك كقوله[٤] : ﴿ **لا تؤتونهنّ ما كتب لهنّ** ﴾ فنهىٰ اللَّه عن ذلك ، وبين لكل

(٨٤١) - تفسير ابن أبى حاتم (٦٠٢٥/٤) ، ورواه البخارى ، كتاب : الشركة ، باب : شركة اليتيم وأهل الميراث (٢٤٩٤) ، ومسلم ، كتاب : التفسير (٦) (٣٠١٨) وكذا رواه أبو داود (٢٠٦٨) والنسائى (٦/ ١١٥) .

(٨٤٢) - رواه ابن جرير (١٠٥٦٥/٩) ، وابن أبى حاتم (٦٠٢٦/٤) وزاد نسبته السيوطى فى « الدر المنثور » (٤٠٩/٢) إلى ابن المنذر .

[١] - في زخ : « له » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٣] - في ز : « فكان » .

[٤] - في ز : « قوله » .

ذي سهم سهمه فقال : ﴿ للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾ صغيرًا أو كبيرًا .

وكذا قال سعيد بن جبير وغيره . وقال[١] سعيد بن جبير في قوله : ﴿ وأن تقوموا لليتامىٰ بالقسط ﴾ : كما إذا كانت ذات جمال ومال نكحتها ، واستأثرت بها ، كذلك إذا لم تكن ذات مال ولا جمال فأنكحها واستأثر بها .

وقوله : ﴿ وما تفعلوا من خير فإن اللَّه كان به عليمًا ﴾ تهييجًا علىٰ فعل الخيرات ، وامتثالًا للأوامر ، وأن اللَّه ، عز وجل ، عالم بجميع ذلك ، و[٢] سيجزي عليه أوفر الجزاء وأتمه .

وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا ومشرعًا عن حال[٣] الزوجين : تارة في حال نفور الرجل عن المرأة ، وتارة في حال اتفاقه معها ، وتارة [عند][٤] فراقه لها . فالحالة الأولىٰ ما إذا خافت المرأة من زوجها أن ينفر عنها أو يعرض عنها ؛ فلها أن تسقط عنه حقها أو بعضه من نفقة أو كسوة أو مبيت ، أو غير ذلك من الحقوق[٥] عليه ، وله أن يقبل ذلك منها فلا جناح[٦] عليها في بذلها ذلك له ، ولا عليه في قبوله منها ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ فلا جناح عليهما أن يصَّالحا[٧] بينهما صلحًا ﴾ ، ثم قال : ﴿ والصلح خير ﴾ أي : من الفراق . وقوله : ﴿ وأحضرت الأنفس الشح ﴾ أي : الصلح عند المشاحة خير من الفراق ، ولهذا لما كبرت سودة بنت زمعة عزم رسول اللَّه ، صلى اللَّه

---

[١] - في خ : « قال » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ت : « في حال » .
[٥] - في خ : « حقوقها » .
[٦] - في ت : « حرج » .
[٧] - كذا ، وهي قراءة ابن كثير ، ونافع ، ابن عامر ، وأبي عمرو . وقرأ عاصم وحمزة والكسائي : ﴿ يُصْلحا﴾ .

عليه وسلم ، على فراقها ، [فصالحته على][١] أن يمسكها وتترك يومها لعائشة ، فقبل ذلك منها ، وأبقاها على ذلك .

(ذكر الرواية بذلك) .

قال أبو داود الطيالسي(٨٤٣) : حدثنا سليمان بن معاذ ، عن سماك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ قال : خشيت سودة أن يطلقها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا رسول الله ، لا تطلقني ، واجعل يومي لعائشة . ففعل ، ونزلت هذه الآية : ﴿ **وإن امرأة خافت من بعلها نشوزًا أو إعراضًا فلا جناح عليهما** ﴾ الآية . قال ابن عباس : فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز .

ورواه الترمذي ، عن محمد بن المثنى ، عن أبي داود الطيالسي ، به . وقال : حسن غريب .

وقال[٢] الشافعي (٨٤٤): أخبرنا مسلم ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، توفي عن تسع نسوة ، وكان يقسم لثمان .

وفي الصحيحين(٨٤٥) من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ؛ قالت : لما كبرت سودة بنت زمعة وهبت يومها لعائشة ، فكان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، يقسم لها بيوم سودة .

وفي صحيح البخاري(٨٤٦) من حديث الزهري عن عروة عن عائشة نحوه .

---

(٨٤٣) - « مسند الطيالسي » (٢٦٨٣) - ومن طريقه رواه الترمذي ، كتاب : تفسير القرآن (٣٠٤٠) ، وابن جرير (١٠٦٠٨/٩) ، وابن أبي حاتم (٤/ ٦٠٣٦، ٦٠٤٣) والطبراني في « المعجم الكبير » (١١/ ١١٧٤٦) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (٢٩٧/٧) - وقال الترمذي : « حديث حسن غريب » ورجاله ثقات غير أن رواية سماك عن عكرمة مضطربة كماقال ابن المديني وغيره ، لكن أصل الحديث في الصحيحين فانظر الآتي .

(٨٤٤) - « مسند الشافعي » (٢/رقم ٨٣، ٨٤/ شفاء العي) - ومن طريقه البغوي في « شرح السنة » (٩/ ٢٣٢٢) - وإسناده ضعيف ، لضعف مسلم - وهو ابن خالد الزنجي - وعنعنة ابن جريج ، لكن الحديث متفق على صحته من وجه آخر ، فانظر الآتي .

(٨٤٥) - رواه البخاري ، كتاب : النكاح ، باب : المرأة تَهَبُ يومها من زوجها لضَرَّتها وكيف يَقسمُ ذلك (٥٢١٢) ، ومسلم ، كتاب : الرضاع ، باب : جواز هبتها نوبتها لضرتها (٤٧، ٤٨) (١٤٦٣) .

(٨٤٦) - رواه البخاري ، كتاب : الهبة ، باب : هبة المرأة لغير زوجها (٢٥٩٣) وكذا رواه أحمد=

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « صالحته » . [٢] - في خ : « قال » .

وقال سعيد بن منصور(٨٤٧) : أنبأنا عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن هشام [بن عروة][١] ، عن أبيه عروة[٢] قال : [ ][٣] أنزل الله في سودة وأشباهها : ﴿ **وإن امرأة خافت من بعلها نشوزًا أو إعراضًا** ﴾ ؛ وذلك أن سودة كانت امرأة قد أسنت فَفَزِعَت أن يفارقها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وضنت بمكانها منه ، وعرفت من حب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عائشة ومنزلتها منه ، فوهبت يومها من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لعائشة ، فقبل ذلك رسول الله .

قال البيهقي : وقد رواه أحمد بن يونس ، عن الحسن بن أبي الزناد ، موصولًا ، وهذه الطريق رواها الحاكم في مستدركه (٨٤٨)، فقال :

حدثنا أبو بكر بن إسحاق الفقيه ، أخبرنا الحسن بن علي بن زياد ، حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة أنها قالت له : يا ابن أختي ، كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لا يفضل بعضنا علىٰ بعض في مكثه عندنا ، وكان قل يوم إلا وهو يطوف علينا ، فيدنو من كل امرأة من غير مسيس حتىٰ يبلغ إلىٰ من هو يومها فيبيت عندها ، ولقد قالت سودة بنت زمعة حين أسنت وفرقت أن يفارقها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، يومي هذا لعائشة ، فقبل ذلك رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قالت عائشة : ففي ذلك أنزل الله : ﴿ **وإن امرأة خافت من بعلها نشوزًا أو إعراضًا** ﴾ .

وكذا[٤] رواه أبو داود ، عن أحمد بن يونس ، به . ثم قال الحاكم[٥] : صحيح الإِسناد ولم يخرجاه .

= (١١٧/٦) ، وأبو داود (٢١٣٨) ، وابن ماجه (١٩٧٠) (٢٣٤٧) .

(٨٤٧) - ومن طريق سعيد بن منصور ، رواه البيهقي في « السنن الكبرى » (٢٩٧/٧) وانظر ما بعده .

(٨٤٨) - « المستدرك » (١٨٦/٢) ، ورواه أبو داود في « السنن » كتاب : النكاح ، باب : في القسم بين النساء (٢١٣٥) - ومن طريقه البيهقي في « السنن الكبرى » (٧/ ٧٤، ٧٥) - ثنا أحمد بن يونس به ، ورواه أحمد (٦/ ١٠٧، ١٠٨) ثنا سريج عن عبد الرحمن بن أبي الزناد به مختصرًا وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي ، وإسناده حسن لكلام في حفظ ابن أبي الزناد . وانظر ما بعده .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « لما » .

[٤] - في خ : « وكذلك » .

[٥] - زيادة من : خ .

وقد رواه [ ][١] ابن مردويه (٨٤٩): من طريق أبي بلال الأشعري ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، به نحوه ، ومن رواية عبد العزيز بن[٢] محمد الدراوردي ، عن هشام بن عروة ، بنحوه[٣] مختصرًا ، والله أعلم .

وقال أبو العباس محمد بن عبد الرحمن الدغولي في أول « معجمه »(٨٥٠) : حدثنا محمد بن يحيىٰ ، حدثنا مسلم[٤] بن إبراهيم ، حدثنا هشام الدستوائي ، حدثنا القاسم بن أبي بزة ، قال : بعث النبي ، صلى الله عليه وسلم ، إلىٰ سودة بنت زمعة بطلاقها ، فلما أن أتاها جلست له علىٰ طريق عائشة فلما رأته قالت له : أنشدك بالذي أنزل عليك كتابه[٥] واصطفاك علىٰ خلقه ، لما راجعتني فإني قد كبرت ولا حاجة لي في الرجال . [لكن أريد أن][٦] أبعث مع نسائك يوم القيامة . فراجعها فقالت : إني[٧] جعلت يومي وليلتي لحِبَّة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . وهذا غريب ومرسل .

وقال البخاري(٨٥١) : حدثنا محمد بن مقاتل ، أخبرنا [عبد الله][٨] ، أنبأنا هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة : ﴿ **وإن امرأة خافت من بعلها نشوزًا أو إعراضًا** ﴾ قالت[٩] : الرجل تكون عنده المرأة المسنة[١٠] ليس بمستكثر منها ، يريد أن يفارقها ، فتقول : أجعلك من شأني في حِلٍّ ، فنزلت هذه الآية .

وقال ابن جرير (٨٥٢): حدثنا ابن[١١] وكيع ، حدّثنا أبي ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ،

(٨٤٩) - ورواه أيضًا ابن سعد فى « الطبقات » (٤٣/٨) من طريق الواقدى نا محمد بن عبد الله ، حدثنى ابن أبى الزناد به .

(٨٥٠) - ورواه ابن سعد فى « الطبقات » (٤٣/٨) أخبرنا مسلم بن إبراهيم به . وإسناده صحيح لكنه مرسل .

(٨٥١) - رواه البخارى ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ وإن امرأة خافت من بعلها نُشوزًا أو إعراضًا ﴾ (٤٦٠١) .

(٨٥٢) - تفسير ابن جرير (٩/ ١٠٥٨٤، ١٠٥٨٥) ، ورواه البخارى ، كتاب : النكاح ، باب : المرأة تَهَبُ يومها من زوجها لضَرَّتها (٥٢١٢) ، ومسلم ، كتاب : الرضاع ، باب : جواز هبتها نوبتها لضرتها (٤٧، ٤٨) (١٤٦٣) ، وأحمد (٦/ ٦٨، ٧٦) ، والنسائى فى « الكبرى » كتاب : عشرة النساء=

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « الحاكم » .
[٢] - في خ ، ت : «عن» خطأ .
[٣] - في ز : « نحوه » .
[٤] - في ز ، خ : « سلمة » .
[٥] - في ت : « كلامه » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٧] - في خ : « فإني » .
[٨] - ما بين المعكوفتين في خ : « أبو عبد الله » .
[٩] - في ز : « قال » .
[١٠] - سقط من : خ .
[١١] - سقط من : ز ، خ .

عن عائشة : ﴿ **وإن امرأة خافت من بعلها نشوزًا أو إعراضًا فلا جناح عليهما أن يصَّالحا**[١] **بينهما صلحًا والصلح خير** ﴾ قالت : هذا في المرأة تكون عند الرجل فلعله ألا يكون يستكثر منها ، ولا يكون لها ولد ، و[٢] لها صحبة ، فتقول : لا تطلقني وأنت في حل من شأني .

حدثني المثنى ، حدثنا حجاج بن منهال ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن هشام ، عن عروة ، عن عائشة في قوله : ﴿ **وإن امرأة خافت من بعلها نشوزًا أو إعراضًا** ﴾ قالت : هو الرجل يكون له المرأتان : إحداهما قد كبرت ، [أو هي][٣] دميمة وهو لا يستكثر منها فتقول : لا تطلقني ، وأنت في حل من شأني .

وهذا الحديث ثابت في الصحيحين ، من غير وجه ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة بنحو ما تقدم ، ولله الحمد والمنة .

قال ابن جرير(٨٥٣) : حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا : حدثنا جرير ، عن أشعث ، عن ابن سيرين قال : جاء رجل إلى عمر [رضي الله عنه][٤] فسأله عن آية ، فكره ذلك وضربه بالدرة ، فسأله آخر عن هذه الآية : ﴿ **وإن امرأة خافت من بعلها نشوزًا أو إعراضًا** ﴾ فقال : عن مثل هذا فاسألوا ، ثم قال : هذه المرأة تكون عند الرجل ، قد خلا[٥] من سِنِّها فيتزوج المرأة الشابة يلتمس ولدها ، فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز .

وقال ابن أبي حاتم (٨٥٤): حدثنا علي بن الحسن الهسنجاني ، حدثنا مسدد ، حدثنا

= باب : المرأة تهب يومها لامرأة من نساء زوجها (٥/٨٩٣٤) ، وابن ماجه ، كتاب : النكاح ، باب : المرأة تهب يومها لصاحبتها (١٩٧٢) من طرق عن هشام بن عروة به .

(٨٥٣) - تفسير ابن جرير (٩/١٠٥٧٩) ولم يعزه السيوطي فى « الدر المنثور » (٢/٤١١) لغيره ، وهذا منقطع بين عمر ، وابن سيرين ، وأشعث هو ابن سوَّار ضعيف ، وجرير هو ابن عبد الحميد .

(٨٥٤) - تفسير ابن أبي حاتم (٤/٦٠٤٢) ، ورواه ابن أبي شيبة فى « المصنف » (٣/٣٢٩) ، وابن جرير (٩/١٠٥٧٥) ثنا هناد بن السرى ، كلاهما (ابن أبي شيبة وهناد) ثنا أبو الأحوص به . ورواه ابن جرير (٩/١٠٥٧٦) من طريق محمد بن جعفر ثنا شعبة عن سماك به . و(٩/١٠٥٧٧) من طريق أبي داود الطيالسي - ولم أجده فى المسند - ثنا شعبة وحماد بن سلمة وأبو الأحوص كلهم عن سماك به (٩/ ١٠٥٧٨) من طريق إسرائيل عن سماك به ، والبيهقي فى « السنن الكبرى » (٧/٢٩٧) من طريق آدم بن أبي إياس نا حماد بن سلمة به ، ورجاله ثقات غير خالد بن عرعرة لم يوثقه غير ابن حبان « الثقات »=

[١] - سبق تخريج هذه القراءة . [٢] - في ت : « ويكون » .

[٣] - في ز ، خ : والأخرى . والمثبت من تفسير الطبري .

[٤] - ما بين المعكوفتين في خ : « بن الخطاب » . [٥] - أي : كبرت ومضى معظم عمرها .

أبوالأحوص ، عن سماك بن حرب ، عن خالد بن عرعرة قال : جاء رجل إلىٰ علي بن أبي طالب فسأله عن قول الله عز وجل : ﴿ **وإن امرأة خافت من بعلها نشوزًا أو إعراضًا فلا جناح عليهما** ﴾ قال علي : يكون الرجل عنده المرأة ، فتنبو عيناه عنها من دمامتها ، أو كبرها ، أو سوء خلقها ، أو فقرها[١] فتكره فراقه ، فإن وضعت له من مهرها شيئًا حل له ، وإن جعلت له من أيامها فلا حرج .

وكذا رواه أبو داود الطيالسي ، عن شعبة ، و[٢] حماد بن سلمة وأبي الأحوص . ورواه ابن جرير من طريق إسرائيل أربعتهم عن سماك ، به .

وكذا فسرها ابن عباس وعَبِيدة السلماني ومجاهد بن جبر[٣] والشعبي وسعيد بن جبير وعطاء وعطية العوفي ومكحول والحسن والحكم بن عتيبة[٤] وقتادة وغير واحد من السلف والأئمة ، ولا أعلم [خلافًا في ذلك][٥] ، أن المراد بهذه الآية هذا ، والله أعلم .

وقال الشافعي(٨٥٥) : أنبأنا ابن عيينة ، عن الزهري ، عن ابن المسيب أن ابنة محمد بن مسلمة كانت عند رافع بن خديج ، فكره منها أمرًا ، إما كبرًا أو غيره ، فأراد طلاقها فقالت : لا تطلقني واقسم لي ما بدا لك ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **وإن امرأة خافت من بعلها نشوزًا أو إعراضًا** ﴾ الآية .

وقد رواه الحاكم في مستدركه(٨٥٦) من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار بأطول من هذا السياق .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي (٨٥٧): أخبرنا أبو سعيد بن أبي عمرو ، حدثنا أبو محمد أحمد

= وروى عنه غير سماك ، القاسم ابن عوف الشيبانى ، وجزم أبو عبد الله البخارى بسماعه من على ، انظر «التاريخ الكبير » (١٦٢/٣) .

(٨٥٥) - « مسند الشافعى » (١/ ٨٦، ٨٧/ شفاء العي) - ومن طريق الشافعى رواه البيهقى فى « السنن الكبرى » (٢٩٦/٧) - ورواه ابن أبي شيبة فى « المصنف » (٣٢٨/٣) ثنا ابن عيينة به وإسناده صحيح ، لكنه مرسل وانظر ما بعده .

(٨٥٦) - « المستدرك » (٢/ ٣٠٨، ٣٠٩) والحديث فى تفسير عبد الرزاق (١٧٥/١) ومن طريقه أيضًا ابن جرير فى تفسيره (١٠٦٠٠/٩) وانظرما بعده .

(٨٥٧) - « السنن الكبرى » للبيهقى (٢٩٦/٧) ، ورواه ابن أبى حاتم فى تفسيره (٦٠٤٤/٤) ثنا أبى ، =

---

[١] - في ز : « قددها » وفي خ : قذذها . والمثبت من الطبري .

[٢] - في خ : « عن » .

[٣] - في خ ، ت : « جبير » .

[٤] - في ت : « عتبة » .

[٥] - في خ : « في ذلك خلافًا » .

ابن عبد الله المزني ، أخبرنا علي بن محمد بن عيسىٰ ، أنبأنا أبو اليمان ، أخبرني شعيب بن أبي حمزة ، عن الزهري ، أخبرني سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار : أن السنة في هاتين الآيتين اللتين ذكر الله فيهما نشوز المرء وإعراضه عن امرأته في قوله : ﴿ **وإن امرأة خافت من بعلها نشوزًا أو إعراضًا** ﴾ إلىٰ تمام الآيتين[١] أن المرء[٢] إذا نشز عن امرأته وآثر عليها ؛ فإن من الحق أن يعرض عليها أن يطلقها ، أو تستقر عنده علىٰ ما كانت من أثرة في القسم من ماله ونفسه ، [فإن استقرت عنده على ذلك ، فكرهت أن يطلقها ، فلا حرج عليه فيما آثر عليها من ذلك ، فإن لم يعرض عليها الطلاق وصالحها على أن يعطيها من ماله ما ترضاه وتقر عنده على الأثر في القسم من ماله ونفسه][٣] صلح له ذلك ، وجاز[٤] صلحها عليه . كذلك ذكر سعيد بن المسيب وسليمان الصلح الذي قال الله عز وجل : ﴿ **فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحًا والصلح خير** ﴾ وقد ذكر لي أن رافع بن خديج الأنصاري ، وكان من أصحاب النبي ، صلى الله عليه وسلم ، كانت عنده امرأة حتىٰ إذا كبرت تزوّج عليها فتاة شابة ، وآثر عليها الشابة ، فناشدته الطلاق فطلقها تطليقة ، ثم أمهلها[٥] ، حتىٰ إذا كادت تحل راجعها ، [ثم عاد فآثر][٦] [عليها الشابة فناشدته الطلاق][٧] [فطلقها تطليقة أخرى ثم أمهلها حتى إذا كادت تحل راجعها][٨] ، [ثم عاد فآثر الشابة عليها فناشدته الطلاق][٩] ، فقال لها : ما شئت إنما بقيت لك تطليقة واحدة ، فإن شئت استقررت علىٰ ما ترين[١٠] من الأثرة ، وإن شئت فارقتك ، فقالت : لا بل أستقرّ علىٰ الأثرة . فأمسكها علىٰ ذلك ، فكان ذلك صلحهما ، ولم ير رافع عليه إثمًا[١١] حين رضيت أن تستقرّ عنده علىٰ الأثرة ، فيما آثر به عليها .

وهكذا[١٢] رواه بتمامه عبد الرحمن بن أبي حاتم : عن أبيه ، عن أبي اليمان ، عن شعيب ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار ، فذكره بطوله ، والله أعلم .

= ثنا أبو اليمان به .

---

[١] - في ز : « آيتين » .
[٢] - في ز ، خ : « المراد » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ .
[٤] - في ز : « وكان » .
[٥] - في ز : « أملها » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[١٠] - في ز : « ترى » .
[١١] - في ز : « أنها » .
[١٢] - في ز ، خ: «وهذا» .

وقوله : ﴿ **والصلح خير** ﴾ قال علي بن أبي طلحة(٨٥٨) عن ابن عباس : يعني التخيير أن يخير الزوج لها بين الإقامة والفراق خير من تمادي الزوج علىٰ أثرة غيرها عليها .

والظاهر من الآية أن صلحهما علىٰ ترك بعض حقها للزوج ، وقبول الزوج ذلك خير من المفارقة بالكلية كما أمسك النبي ، صلى الله عليه وسلم ، سودة بنت زمعة علىٰ أن تركت يومها لعائشة ، رضي الله عنها ، ولم يفارقها بل تركها من جملة نسائه ، وفعله ذلك لتتأسىٰ به أمته في مشروعية[١] ذلك وجوازه ، فهو أفضل في حقه ، عليه الصلاة والسلام ، لما كان الوفاق أحب إلىٰ الله من الفراق ؛ قال : ﴿ **والصلح خير** ﴾ ، بل الطلاق بغيض إليه سبحانه وتعالىٰ ، ولهذا جاء في الحديث الذي رواه أبو داود وابن ماجة جميعًا(٨٥٩) عن كثير ابن عبيد ، عن محمد بن خالد ، عن معرِّف بن واصل ، عن محارب بن دثار ، عن عبد الله ابن عمر ؛ قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **أبغض الحلال إلىٰ الله الطلاق** » .

ثم رواه أبو داود : عن أحمد بن يونس ، عن معرِّف[٢] ، عن محارب قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ... فذكر معناه مرسلًا .

وقوله : ﴿ **وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرًا** ﴾ : وإن تتجشموا مشقة الصبر علىٰ ما[٣] تكرهون منهنّ ، وتقسموا لهنّ أسوة أمثالهنّ فإنّ الله عالم بذلك ، وسيجزيكم علىٰ ذلك أوفر الجزاء .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم** ﴾ أي : لن[٤] تستطيعوا أيها الناس ، أن تساووا بين النساء من جميع الوجوه ، فإنه وإن حصل[٥] القسم الصوري : ليلة وليلة ، فلابد من التفاوت في المحبة والشهوة والجماع ؛ كما قاله ابن عباس وعبيدة السلماني ومجاهد والحسن البصري والضحاك بن مزاحم .

---

(٨٥٨) - رواه ابن جرير (١٠٥٨٧/٩) مطولاً .

(٨٥٩) - « السنن » لأبي داود ، كتاب : النكاح ، باب : في كراهية الطلاق (٢١٧٧، ٢١٧٨) ، ورواه ابن ماجه (٢٠١٨) ثنا كثير بن عبيد ثنا محمد بن خالد عن عبيد الله بن الوليد الوَصَّافي عن محارب به ، وفيه خلاف على وصله وإرساله ، والراجح فيه الإرسال وقد حرر ذلك أبو عبد الرحمن الألباني فانظر « الإرواء » (٢٠٤٠/٧) .

---

[١] - في ز : « شرعية » .

[٢] - في ت : « معروف » .

[٣] - في ز : « من » .

[٤] - في ز : « لا » .

[٥] - في ت : « وقع ».

وقد[١] قال ابن أبي حاتم (٨٦٠): حدثنا أبو زرعة ، حدثنا ابن أبي شيبة ، حدثنا حسين الجعفي ، عن زائدة ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن ابن أبي مليكة ؛ قال : نزلت هذه الآية : ﴿ **ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم** ﴾ في عائشة . يعني أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، كان يحبها أكثر من غيرها ، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأهل السنن(٨٦١) من حديث حماد بن سلمة ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن[٢] عبد الله بن يزيد ، عن عائشة قالت : كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقسم بين نسائه ، فيعدل ، ثم يقول : « **اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك** » يعني القلب . هذا[٣] لفظ أبي داود ، وهذا إسناد صحيح ، لكن قال الترمذي : رواه حماد بن زيد وغير واحد ، عن أيوب ، عن أبي قلابة مرسلًا . قال : وهذا أصح .

وقوله : ﴿ **فلا تميلوا كل الميل** ﴾ أي : فإذا ملتم إلىٰ واحدة منهنّ فلا تبالغوا في الميل بالكلية ، ﴿ **فتذروها كالمعلقة** ﴾ ، أي : فتبقىٰ هذه[٤] الأخرىٰ معلقة .

قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن والضحاك والربيع بن أنس والسدي ومقاتل ابن حيان : معناه[٥] لا ذات زوج ولا مطلقة .

و[٦] قال أبو داود الطيالسي(٨٦٢) : أنبأنا همام ، عن قتادة ، عن النضر بن أنس ، عن بشير بن نهيك ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **من كانت له امرأتان ، فمال إلىٰ إحداهما ، جاء يوم القيامة وأحد شقيه ساقط** » .

---

(٨٦٠) - تفسير ابن أبي حاتم (٤/٦٠٥٦) .

(٨٦١) - رواه أحمد (٦/١٤٤) وأبو داود (٢١٣٤) ، والنسائى (٧/٦٣) والترمذى (١١٤٠) ، وابن ماجه (١٩٧١) وغيرهم ، وصححه ابن حبان (١٠/٤٢٠٥) ، والحاكم (٢/١٨٧) من طرق عن حماد بن سلمة به . لكن أعله بالإرسال أبو عيسى الترمذى فقال : « رواه حماد بن زيد وغير واحد عن أيوب ، عن أبي قلابة مرسلاً - وهذا أصح من حديث حماد بن سلمة » وكذا أعله النسائى وأبو زرعة وأبو حاتم ، وأقرهم أبو عبد الرحمن الألبانى ، فانظر « الإرواء » (٧/٢٠١٨) .

(٨٦٢) - « مسند الطيالسى » (رقم : ٢٤٥٤) ، ورواه أحمد (٢/ ٢٩٥، ٣٤٧، ٤٧١) ، وأبو داود (٢١٣٣) ، والترمذى (١١٤١) ، والنسائى (٧/٦٣) ، وابن ماجه (١٩٦٩) وغيرهم من طريق همام بن يحيى به . وقال الترمذى : « وإنما أسند هذا الحديث همام بن يحيى عن قتادة ، رواه هشام الدستوائى=

---

[١] - في ت : « و » .
[٢] - في ز : « بن » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « معنى » .
[٦] - في ز : « وقد » .

وهكذا رواه الإمام أحمد وأهل السنن من حديث همام بن يحيىٰ ، عن قتادة ، به . وقال الترمذي : إنما أسنده همام ، ورواه هشام الدستوائي ، عن قتادة ، قال : كان يقال ، ولا يعرف هذا الحديث مرفوعًا ، إلا من حديث همام .

وقوله : ﴿ وإن تصلحوا وتتقوا فإن اللَّه كان غفورًا رحيمًا ﴾ أي : وإن أصلحتم في أموركم ، وقسمتم بالعدل فيما تملكون ، واتقيتم اللَّه في جميع الأحوال ، غفر اللَّه لكم ما كان من ميل إلىٰ بعض النساء دون بعض .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ وإن يتفرّقا يغن اللَّه كلًّا من سعته وكان اللَّه واسعًا حكيمًا ﴾ ، وهذه هي الحالة[١] الثالثة ، وهي حالة الفراق ، وقد أخبر اللَّه[٢] تعالىٰ أنهما إذا تفرقا ؛ فإن اللَّه يغنيه عنها ، ويغنيها عنه ، بأن يعوّضه اللَّه[٣] من هو خير له منها ، ويعوّضها عنه بمن هو خير لها منه ، ﴿ وكان اللَّه واسعًا حكيمًا ﴾ أي : واسع الفضل عظيم المنّ حكيمًا في جميع أفعاله وأقداره وشرعه .

وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾

يخبر تعالىٰ أنه مالك السموات والأرض ، وأنه الحاكم فيهما ، ولهذا قال : ﴿ ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم ﴾ أي : وصيناكم بما وصيناهم به من تقوىٰ اللَّه ، عز وجل ، بعبادته وحده لا شريك له .

= عن قتادة قال : كان يقال ، ولا نعرف هذا الحديث مرفوعًا إلا من حديث همام ، وهمام ثقة حافظ » والحديث انتقاه ابن الجارود (٧٢٢) ، وصححه ابن حبان (٤٢٠٧/١٠) ، والحاكم (١٨٦/٢) ووافقه الذهبى وأقرهم أبو عبد الرحمن فى « الإرواء » (٢٠١٧/٧) .

[١] - في خ : « الحال » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في ز : « بها » .

ثم قال : ﴿ **وإن تكفروا فإن للَّه ما في السموات وما في الأرض وكان الله غنيًّا حميدًا** ﴾ ، كما قال تعالىٰ إخبارًا عن موسىٰ أنه قال لقومه : ﴿ **إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعًا فإن اللَّه لغني حميد** ﴾ وقال : ﴿ **فكفروا وتولوا واستغنىٰ اللَّه واللَّه غني حميد** ﴾ أي : غني عن عباده ، ﴿ **حميد** ﴾ أي : محمود في جميع ما يقدره ويشرعه .

وقوله : ﴿ **وللَّه ما في السمٰوات وما في الأرض وكفىٰ باللَّه وكيلًا** ﴾ أي : هو القائم علىٰ كل نفس بما كسبت ، الرقيب الشهيد علىٰ كل شيء .

وقوله : ﴿ **إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان اللَّه علىٰ ذلك قديرًا** ﴾ أي : هو قادر علىٰ إذهابكم وتبديلكم بغيركم ، إذا عصيتموه ، كما[١] قال : ﴿ **وإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم** ﴾ وقال[٢] بعض السلف : ما أهون العباد علىٰ اللَّه إذا أضاعوا أمره ! وقال تعالىٰ : ﴿ **إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك علىٰ اللَّه بعزيز** ﴾ أي : وما[٣] هو عليه بممتنع. وقوله : ﴿ **من كان يريد ثواب الدنيا فعند اللَّه ثواب الدنيا والآخرة** ﴾ أي : يا من ليس همته[٤] إلا الدنيا ، اعلم أن عند اللَّه ثواب الدنيا والآخرة ، وإذا سألته من هذه وهذه أعطاك وأغناك وأقناك ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه** ﴾ الآية ، وقال تعالىٰ : ﴿ **من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿**انظر كيف فضلنا بعضهم علىٰ بعض** ﴾ الآية .

وقد زعم ابن جرير(٨٦٣) أن المعنىٰ في هذه الآية : ﴿ **من كان يريد ثواب الدنيا** ﴾ أي : من المنافقين الذين أظهروا الإيمان لأجل ذلك ﴿ **فعند اللَّه ثواب الدنيا** ﴾ ، وهو[٥] ما حصل لهم[٦] من المغانم وغيرها مع المسلمين . وقوله : ﴿ **والآخرة** ﴾ أي : وعند اللَّه ثواب الآخرة ، وهو ما ادّخره لهم من العقوبة بنار[٧] جهنم ، وجعلها كقوله : ﴿ **من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها** ﴾

(٨٦٣) - انظر تفسيره (٩/٢٩٩ - ٣٠١) .

[١] - في ز : « وكما » .
[٢] - في خ : « قال » .
[٣] - في ز : « ما » .
[٤] - في ت : «له همه».
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في ت : « في نار» .

إلىٰ قوله : ﴿ وباطل ما كانوا يعملون ﴾ .

ولا شك أن هذه الآية معناها ظاهر ، وأما تفسيره الآية الأولىٰ بهذا ففيه نظر ؛ فإن قوله : ﴿ فعند اللَّه ثواب الدنيا والآخرة ﴾ ، ظاهر في حضور الخير في الدنيا والآخرة ، أي : بيده هذا وهذا ، فلا يقتصرنّ قاصر الهمة علىٰ السعي للدنيا فقط ، بل لتكن همته سامية إلىٰ نيل المطالب العالية في الدنيا والآخرة ، فإن مرجع ذلك كله إلىٰ الذي بيده الضر والنفع ، وهو اللَّه الذي[١] لا إله إلا هو الذي قد قسم السعادة والشقاوة بين الناس في الدنيا والآخرة ، وعدل بينهم فيما علمه فيهم ممن يستحق هذا ، وممن يستحق هذا . ولهذا قال : ﴿ وكان اللَّه سميعًا بصيرًا ﴾ .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾

يأمر تعالىٰ عباده المؤمنين أن يكونوا قوّامين بالقسط ، أي : بالعدل فلا يعدلوا[٢] عنه يمينًا ولا شمالًا ، [أن لا][٣] يأخذهم[٤] في الحقِّ[٥] لومة لائم ، ولا يصرفهم عنه صارف ، وأن يكونوا متعاونين متساعدين متعاضدين متناصرين فيه .

وقوله : ﴿ شهداء للَّه ﴾ ، كما قال : ﴿ وأقيموا الشهادة للَّه ﴾ أي : [ليكن أداؤها][٦] ابتغاء وجه اللَّه ، فحينئذ تكون صحيحة عادلة حقًّا خالية من التحريف والتبديل والكتمان ، ولهذا قال : ﴿ ولو علىٰ أنفسكم ﴾ أي : اشهد الحق ولو عاد ضررها عليك ، وإذا سئلت عن الأمر فقل الحق فيه ؛ وإن[٧] [كان مضرةً][٨] عليك ، فإن اللَّه سيجعل لمن أطاعه فرجًا ومخرجًا ، من كل أمر يضيق عليه .

وقوله : ﴿ أو الوالدين والأقربين ﴾ أي : وإن كانت الشهادة علىٰ والديك وقرابتك ، فلا

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « تعدلوا » .
[٣] - في خ : « لا » .
[٤] - في خ : « تأخذهم » .
[٥] - في ت : « الله » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ت : « أدوها » .
[٧] - في خ : « ولو » .
[٨] - ما بين المعكوفتين في ت : « عادت مضرته » .

تراعهم فيها ؛ بل اشهد بالحق وإن عاد ضررها عليهم ؛ فإن الحق حاكم علىٰ كل أحد ، [وهو مقدم على كل أحد][١] .

وقوله : ﴿ **إن يكن غنيًا أو فقيرًا فالله أولىٰ بهما** ﴾ أي : لا ترعاه لغناه ، ولا تشفق عليه لفقره ، الله يتولاهما ، بل هو أولىٰ بهما منك ، وأعلم بما فيه صلاحهما .

وقوله : ﴿ **فلا تتبعوا الهوىٰ أن تعدلوا** ﴾ أي : فلا يحملنكم الهوىٰ والعصبية وبغضة[٢] الناس [ ][٣] إليكم علىٰ ترك العدل في أموركم وشئونكم ، بل الزموا العدل علىٰ أي حال كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولا يجرمنكم شنآن قوم علىٰ أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوىٰ** ﴾ .

ومن هذا القبيل[٤] قول عبد الله بن رواحة لما بعثه النبي ، صلى الله عليه وسلم ، يخرص علىٰ أهل خيبر ثمارهم وزروعهم ، فأرادوا أن يرشوه ليرفق بهم ، فقال : والله لقد جئتكم من عند أحب الخلق إلي ، ولأنتم أبغض إلي من أعدادكم من القردة والخنازير ، وما[٥] يحملني حبي إياه وبغضي لكم علىٰ أن لا أعدل فيكم . فقالوا : بهذا قامت السملوات والأرض . وسيأتي الحديث مسندًا في سورة المائدة (٨٦٤)، إن شاء الله تعالىٰ .

وقوله : ﴿ **وإن تلووا أو تعرضوا** ﴾ قال مجاهد وغير واحد من السلف : ﴿**تلووا**﴾ أي : تحرفوا الشهادة وتغيروها ، واللي : هو التحريف وتعمد الكذب ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **وإنّ منهم لفريقًا يلوون ألسنتهم بالكتاب** ﴾ الآية . والإعراض هو : كتمان الشهادة وتركها ، قال تعالىٰ : ﴿ **ومن يكتمها فإنه آثم قلبه** ﴾ . وقال النبي ، صلى الله عليه وسلم : « **خير الشهداء الذي يأتي بالشهادة قبل أن يسألها** »(٨٦٥) . ولهذا توعدهم الله بقوله : ﴿ **فإن الله كان بما تعملون خبيرًا** ﴾ أي : وسيجازيكم[٦] بذلك .

---

(٨٦٤) - يأتى تخريجه (سورة المائدة) .

(٨٦٥) - رواه مسلم (١٩) (١٧١٩) ، وأبو داود (٣٥٩٦) ، والترمذى (٢٢٩٥، ٢٢٩٧) ، والنسائى فى « الكبرى » (٦٠٢٩/٣) ، وابن ماجه (٢٣٦٤) ، وأحمد (٥/ ١١٥، ١٣٢، ١٩٣) من حديث زيد بن خالد الجهنى .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ.

[٢] - في خ : « بغض » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « هو بغضا » .

[٤] - سقط من : م.

[٥] - في ز : « ما » .

[٦] - في خ : «وسيجزيكم».

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾

يأمر تعالىٰ عباده المؤمنين بالدخول في جميع شرائع الإيمان وشعبه وأركانه ودعائمه ، وليس هذا من باب تحصيل الحاصل ، بل من باب تكميل الكامل وتقريره وتثبيته والاستمرار عليه ، كما يقول المؤمن فيَ كل صلاة[١] : ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم** ﴾ أي : بصرنا فيه ، وزدنا هدىً ، وثبتنا عليه فأمرهم بالإيمان به وبرسوله ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللّه وآمنوا برسوله** ﴾ .

وقوله : ﴿ **والكتاب الذي نزل علىٰ رسوله** ﴾ يعني القرآن ، ﴿ **والكتاب الذي أنزل من قبل** ﴾ ، وهذا جنس يشمل جميع الكتب المتقدّمة . وقال في القرآن ﴿ **نزل** ﴾ لأنه نزل مفرقًا منجمًا على الوقائع بحسب ما يحتاج العباد إليه في معادهم ومعاشهم ، وأما الكتب المتقدمة فكانت تنزل جملة واحدة ، لهذا قال تعالىٰ : ﴿ **والكتاب الذي أنزل من قبل** ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ **ومن يكفر باللّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيدًا** ﴾ أي : فقد خرج عن طريق الهدىٰ ، وبعد عن القصد كل البعد .

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾

---

[١] - في ز : « صراط » .

يخبر تعالىٰ عمن دخل في الإيمان ، ثم رجع عنه ، ثم عاد فيه ، ثم رجع واستمرّ علىٰ ضلاله ، وازداد حتىٰ مات ، فإنه لا توبة بعد موته . ولا يغفر اللَّه له ولا يجعل له مما هو فيه فرجًا ولا مخرجًا ، ولا طريقًا إلىٰ الهدىٰ ؛ ولهذا قال : ﴿ **لم يكن اللَّه ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلًا** ﴾ .

قال ابن أبي حاتم(٨٦٦) : حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن عبدة ، حدثنا حفص بن جميع ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله تعالىٰ : ﴿ **ثم ازدادوا كفرًا** ﴾ ، قال : تمّوا[١] علىٰ كفرهم حتىٰ ماتوا ، وكذا قال مجاهد .

وروىٰ ابن أبي حاتم(٨٦٧) من طريق جابر المعلى ، عن عامر الشعبي ، عن علي ، رضي اللَّه عنه ، أنه قال : يستتاب المرتد ثلاثًا ثم تلا هذه الآية : ﴿ **إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرًا لم يكن اللَّه ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلًا** ﴾ ثم قال : ﴿ **بشر المنافقين بأن لهم عذابًا أليمًا** ﴾ يعني : أن المنافقين من هذه الصفة ، فإنهم آمنوا ثم كفروا فطبع اللَّه[٢] علىٰ قلوبهم ، ثم وصفهم بأنهم يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، بمعنىٰ أنهم معهم في الحقيقة يوالونهم ويسرون إليهم بالمودَّة ، ويقولون لهم إذا خلوا بهم : إنما نحن معكم ، إنما نحن مستهزئون . أي : بالمؤمنين في إظهارنا لهم الموافقة ؛ قال اللَّه تعالىٰ منكرًا عليهم فيما سلكوه من موالاة الكافرين : ﴿ **أيبتغون عندهم العزة** ﴾ .

ثم أخبر اللَّه تعالىٰ بأن العزة كلها للّه[٣] وحده لا شريك له ، ولمن جعلها له ؛ كما قال تعالىٰ في الآية الأخرىٰ : ﴿ **من كان يريد العزة فلله العزة جميعًا** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون** ﴾ .

(٨٦٦) - تفسير ابن أبى حاتم (٦١١٤/٤) ، ولم يعزه السيوطى فى « الدر المنثور » (٤١٥/٢) لغيره ، وحفص بن جميع ضعيف ، ورواية سماك عن عكرمة مضطربة . كما قال ابن المدينى وغيره .

(٨٦٧) - تفسير ابن أبى حاتم (٦١١٠/٤) من طريق شريك عن جابر به ، ورواه ابن جرير (١٠٧٠٥/٩) من طريق سفيان عن جابر به ، وجابر هو الجعفى ضعيف ، ورواه ابن جرير (١٠٧٠٤/٩) من طريق أشعث بن سوار عن الشعبى به . وأشعث ضعيف أيضًا ، والشعبى لم يسمع إلا أحرفًا يسيرة من على ، والخبر لم يعزه السيوطى فى « الدر المنثور » (٤١٥/٢) .

[١] - في ز ، خ : « تموا » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في خ : « له » .

والمقصود من هذا التهييج علىٰ طلب العزة من جناب اللَّه ، والالتجاء[١] إلى[٢] عبوديته ، والانتظام في جملة عباده المؤمنين الذين لهم النصرة في هذه الحياة الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد .

[ومناسب هنا أن يذكر] الحديث الذي رواه الإمام أحمد (٨٦٨): حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن حميد الكندي ، عن عبادة بن نُسَيّ عن أبي ريحانة أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « **من انتسب إلىٰ تسعة آباء كفار يريد بهم عزًّا وفخرًا فهو عاشرهم في النار** » .

تفرد به أحمد ، وأبو ريحانة هذا هو أزدي ، ويقال : أنصاري . واسمه شمعون بالمعجمة فيما قاله البخاري ، وقال غيره : بالمهملة ، واللَّه أعلم .

وقوله : ﴿ **وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات اللَّه يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتىٰ يخوضوا في حديث غيره إنكم إذًا مثلهم** ﴾ أي : إنكم[٣] إذا ارتكبتم النهي بعد وصوله إليكم ورضيتم بالجلوس معهم في المكان الذي يكفر فيه بآيات اللَّه ويستهزأ وينتقص بها وأقررتموهم علىٰ ذلك ، فقد شاركتموهم في الذي هم فيه ؛ فلهذا قال تعالىٰ : ﴿ **إنكم إذًا مثلهم** ﴾ في المأثم ، كما جاء في الحديث(٨٦٩) : « **من كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر فلا**

(٨٦٨) - « المسند » (١٣٤/٤) ، ورواه البخارى فى « التاريخ الكبير » (٣٥٥/٢) ، وأبو يعلى فى « مسنده » (١٤٣٩/٣) - ومن طريقه ابن عساكر فى « تاريخ دمشق » (١٢٧/٨/ مخطوط) - والطبرانى فى « الأوسط » (١/رقم : ٤٤٣) ، وأبو نعيم فى « أخبار أصبهان » (٣٣٥/١) (٣٦٣/٢) ، والبيهقى فى « الشعب » (٥١٣٢/٤) من طرق عن أبى بكر بن عياش به . وقال الطبرانى : « لا يُروى هذا الحديثُ عن أبى ريحانة إلا بهذا الإسناد ، تفرد به أبو بكر بن عياش » وهو ثقة إمام غير أن شيخه مجهول ، وعبادة لم يدرك أبا ريحانة ، وبذلك أعله ابن الجوزى ، فقال فى « المتناهية » (١٢٩٥/٢) : « هذا حديث لا يصح ،وحميد مجهول ، وعبادة لم يدرك أبا ريحانة » ، وبالثانية أعله البخارى فقال عقبه : « لا أراه إلا مرسلًا » واكتفى أبو عبد الرحمن الألبانى بإعلاله بضعف حميد فحسب ، فرقم به (حديث ٢٤٣١) من « الضعيفة » . ومع هذا فقد رمز لحسنه السيوطى فى « الجامع الصغير » ونقل المناوى فى « فيض القدير » (٨٩/٦) عن ابن حجر فى « الفتح » قال : « إسناده حسن » ومن قبله قال شيخه الهيثمى فى « المجمع » (٨٨/٨) : « رواه أحمد والطبرانى فى « الكبير » و « الأوسط » وأبو يعلى ، ورجال أحمد ثقات !!

(٨٦٩) - رواه الترمذى ، كتاب : الأدب ، باب : ما جاء فى دخول الحمام (٢٨٠١) وأبو يعلى فى « مسنده » (١٩٢٥/٣) من طريق ليث بن أبى سليم عن طاوس عن جابر به مطولًا . وقال الترمذي :=

[١] - في ت : « الإلجاء » .

[٢] - في ز : « على » .

[٣] - سقط من : ز .

يجلس علىٰ مائدة يدار عليها الخمر » .

والذي أُحيل عليه في هذه الآية من النهي في ذلك ، هو قوله تعالىٰ في سورة الأنعام وهي مكية : ﴿ **وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم** ﴾ الآية . قال مقاتل بن حيان نسخت هذه الآية التي في سورة[١] الأنعام . يعني : نسخ قوله : ﴿ **إنكم إذًا مثلهم** ﴾ لقوله : ﴿ **وما علىٰ الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرىٰ لعلهم يتقون** ﴾

وقوله : ﴿ **إن اللَّه جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعًا** ﴾ أي : كما اشتركوا[٢] في الكفر ، كذلك شارك اللَّه بينهم في الخلود في نار جهنم أبدًا ، وجمع بينهم في دار العقوبة والنكال والقيود والأغلال وشرب[٣] الحميم والغسلين لا الزلال .

ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَـٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾

يخبر تعالىٰ عن المنافقين أنهم يتربصون بالمؤمنين دوائر السوء ، بمعنىٰ ينتظرون زوال دولتهم ، وظهور الكفرة[٤] عليهم ، وذهاب ملتهم . ﴿ **فإن كان لكم[٥] فتح من اللَّه** ﴾ أي : نصر وتأييد وظفر وغنيمة ، ﴿ **قالوا ألم نكن معكم** ﴾ أي : يتوددون إلىٰ المؤمنين بهذه المقالة ، ﴿ **وإن كان للكافرين نصيب** ﴾ أي : إدالة علىٰ المؤمنين في بعض الأحيان ، كما وقع يوم أحد ؛ فإن الرسل تبتلىٰ ثم يكون لها العاقبة ؛ ﴿ **قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين** ﴾

= حديث حسن غريب ، لا نعرفه من حديث طاوس عن جابر إلا من هذا الوجه ، قال محمد بن إسماعيل - البخارى - : ليث بن أبي سليم صدوق ربما يهم فى الشيء ... » لكن أصل الحديث ثابت عن جابر ، فقد رواه أحمد (٣/٣٣٩) من طريق ابن لهيعة والنسائى (١/١٩٨) جزء من المطول ، والحاكم (٤/٢٨٨) من طريق عطاء ، كلاهما (ابن لهيعة وعطاء) عن أبى الزبير عن جابر به ، وصححه الحاكم على شرط مسلم : ووافقه الذهبى ، وجود إسناده الحافظ ابن حجر فى « الفتح » (٩/٢٥٠) وذكر له شواهد ، وحسنه أبو عبد الرحمن الألبانى فى « غاية المرام » (ح١٩٠) و « آداب الزفاف » (ص٦٧) .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ت : « أشركوكم » .
[٣] - في ت : « شراب » .
[٤] - في م : « الكفر » .
[٥] - في ز : « لهم » .

أي : ساعدناكم في الباطن ، وما ألوناهم خبالًا وتخذيلًا حتىٰ انتصرتم عليهم .

وقال السدي : ﴿ **نستحوذ عليكم** ﴾ : نغلب عليكم ؛ كقوله : ﴿ **استحوذ عليهم الشيطان** ﴾ وهذا أيضًا تودد منهم إليهم ؛ فإنهم كانوا يصانعون هؤلاء وهؤلاء ليحظوا عندهم ، ويأمنوا كيدهم ، وما ذاك إلا لضعف إيمانهم ، وقلة إيقانهم .

قال الله تعالىٰ : ﴿ **فاللَّه يحكم بينكم يوم القيامة** ﴾ أي : بما يعلمه منكم أيها المنافقون ، من البواطن الرديئة ، فلا تغتروا بجريان الأحكام الشرعية عليكم ظاهرًا في الحياة الدنيا ، لما له في ذلك من الحكمة ، فيوم القيامة لا تنفعكم[١] ظواهركم ؛ بل هو يوم تبلىٰ فيه السرائر ويُحَصَّل ما في الصدور .

وقوله : ﴿ **ولن يجعل اللَّه للكافرين علىٰ المؤمنين سبيلًا** ﴾ قال عبد الرزاق (٨٧٠): أنبأنا الثوري ، عن الأعمش ، عن ذر عن[٢] يُسَيْع الكندي ؛ قال : جاء رجل إلىٰ علي بن أبي طالب فقال : كيف هذه الآية ﴿ **ولن يجعل اللَّه للكافرين علىٰ المؤمنين سبيلًا** ﴾ ؟ فقال علي - رضي اللَّه عنه - : ادنه ادنه ، [ثم قال][٣] : ﴿ **فاللَّه يحكم بينكم يوم القيامة ، ولن يجعل اللَّه للكافرين علىٰ المؤمنين سبيلًا** ﴾ .

وكذا روىٰ ابن جريج(٨٧١) عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس : ﴿ **ولن يجعل اللَّه للكافرين علىٰ المؤمنين سبيلًا** ﴾ قال : ذاك يوم القيامة . وكذا روى السدي عن أبي مالك الأشجعي : يعني يوم القيامة . وقال السدي : ﴿ **ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلًا** ﴾ أي : حجة .

(٨٧٠) - ومن طريق عبد الرزاق رواه ابن جرير (١٠٧١٥/٩) ورواه أيضًا (١٠٧١٦) من طريق عبد الرحمن بن مهدى ، والحاكم فى « المستدرك » (٣٠٩/٢) من طريق أبى حذيفة ، كلاهما عن سفيان الثورى به . ورواه ابن جرير أيضًا (١٠٧١٤/٩) من طريق جرير عن الأعمش به ، و (١٠٧١٧/٩) وابن أبى حاتم (٦١٣٥/٤) من طريق الفضل بن موسى ثنا الأعمش به . من طريق غندر عن شعبة سمعت سليمان الأعمش يحدث عن ذر عن رجل عن على به . ولا يضره ذلك ؛ لأنه قد زال إبهامه فى طرق أخرى ، وقد صحح إسناده الحاكم ، ووافقه الذهبى ،وزاد نسبته السيوطى فى « الدر المنثور » (٤١٦/٢) إلى الفريابى وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٨٧١) - رواه ابن جرير (١٠٧١٩/٩) وهو منقطع بين ابن عباس وعطاء ، وذكره السيوطى فى « الدرالمنثور » (٤١٦/٢) إلى ابن المنذر .

[١] - في ز : « ينفعكم » . [٢] - في م : « بن » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

ويحتمل أن يكون المعنىٰ[١] : ﴿ **ولن يجعل اللَّه للكافرين علىٰ المؤمنين سبيلًا** ﴾ أي : في الدنيا ، بأن يسلطوا عليهم استيلاء استئصال بالكلية ، وإن حصل لهم ظفر في بعض الأحيان علىٰ بعض الناس ؛ فإن العاقبة للمتقين في الدنيا والآخرة ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا** ﴾ الآية . وعلىٰ هذا فيكون ردًّا علىٰ المنافقين فيما أملوه وتربصوه[٢] وانتظروه من زوال دولة المؤمنين ، وفيما سلكوه من مصانعتهم الكافرين خوفًا علىٰ أنفسهم منهم ، إذا هم ظهروا علىٰ المؤمنين فاستأصلوهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فترىٰ الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **نادمين** ﴾ .

وقد استدل كثير من الفقهاء[٣] بهذه الآية الكريمة علىٰ أصح قولي العلماء ، وهو المنع من بيع العبد المسلم للكافرين[٤] لما في صحة ابتياعه من التسليط له[٥] عليه ، والإذلال[٦] ، ومن قال منهم بالصحة يأمره بإزالة ملكه عنه في الحال ، لقوله تعالىٰ : ﴿ **ولن يجعل اللَّه للكافرين علىٰ المؤمنين سبيلًا** ﴾ .

إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾

قد تقدم في أول سورة البقرة قوله تعالىٰ : ﴿ **يخادعون اللَّه والذين آمنوا** ﴾ وقال هٰهنا : ﴿ **إن المنافقين يخادعون اللَّه وهو خادعهم** ﴾ ولا شك أن اللَّه لا يخادع ؛ فإنه العالم بالسرائر والضمائر ، ولكن المنافقين لجهلهم وقلة علمهم وعقلهم يعتقدون أن أمرهم كما راج عند الناس وجرت عليهم أحكام الشريعة ظاهرًا ، فكذلك يكون حكمهم يوم القيامة عند الله ، وأن أمرهم يروج عنده ، كما أخبر تعالىٰ عنهم أنهم يوم القيامة ، يحلفون له : أنهم كانوا علىٰ الاستقامة والسداد ، ويعتقدون أن ذلك نافع لهم عنده [كما قال][٧] تعالىٰ : ﴿ **يوم يبعثهم اللَّه جميعًا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون** ﴾ الآية .

---

[١] - في ز : « المراد » .
[٢] - في خ : « ورجوه » .
[٣] - في خ : « العلماء » .
[٤] - في ز : « من الكافر » ، خ : « من الكافرين » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في خ : « والإخلال » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز : « فقال » .

وقوله : ﴿ **وهو خادعهم** ﴾ أي : هو الذي يستدرجهم في طغيانهم وضلالهم ، ويخذلهم عن الحق ، والوصول إليه في الدنيا ، وكذلك في[١] القيامة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **وبئس المصير** ﴾ . وقد ورد في الحديث (٨٧٢): « **من سمَّع[٢] سمَّع اللَّه به ومن راءىٰ راءىٰ اللَّه به** » . وفي [الحديث الآخر][٣] : « **إن اللَّه يأمر بالعبد إلىٰ الجنة فيما يبدو للناس ، ويعدل به إلىٰ النار** » . عياذًا باللَّه من ذلك !

وقوله : ﴿ **وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالىٰ يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا** ﴾ الآية . هذه صفة المنافقين في أشرف الأعمال وأفضلها وخيرها وهي الصلاة ، إذا قاموا إليها قاموا وهم كسالىٰ عنها ؛ لأنهم لا نية لهم فيها ، ولا إيمان لهم بها ولا خشية ، ولا يعقلون معناها ، كما روىٰ ابن مردويه(٨٧٣) من طريق عبيد اللَّه بن زَحْر ، عن خالد بن أبي عمران ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ؛ قال : يكره أن يقوم الرجل إلىٰ الصلاة وهو كسلان ، ولكن يقوم إليها طلق الوجه ، عظيم الرغبة شديد الفرح ، فإنه يناجي اللَّه ، وإن اللَّه أمامه[٤] يغفر له ويجيبه إذا دعاه ، ثم يتلو ابن عباس هذه الآية : ﴿ **وإذا قاموا إلىٰ الصلاة قاموا كسالىٰ** ﴾ .

وروي من غير هذا الوجه ، عن ابن عباس نحوه .

فقوله تعالىٰ : ﴿ **وإذا قاموا إلىٰ الصلاة قاموا كسالىٰ** ﴾ هذه صفة ظواهرهم ، كما قال : ﴿ **ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالىٰ** ﴾ ثم ذكر تعالىٰ صفة بواطنهم الفاسدة ، فقال :

---

(٨٧٢) - رواه البخارى ، كتاب : الرقاق ، باب : الرياء والسمعة (٦٤٩٩) ومسلم ، كتاب : الزهد والرقائق ، باب : من أشرك فى عمله غير الله (٤٨) (٢٩٨٦) من حديث جندب بن عبد الله ، ورواه مسلم أيضًا (٤٧) (٢٩٨٦) من حديث ابن عباس .

(٨٧٣) - لم أجده معزوًا لابن مردويه فى غير هذا الموطن ، وإسناده حسن ، وقد رواه ابن أبى حاتم (٤/ ٦١٣٩) ، وابن أبى الدنيا فى « الصمت » (رقم : ٣٦٧) من طريقين عن مسعر بن كدام عن سماك الحنفى عن ابن عباس أنه كان يكره أن يقول الرجل : إنى كسلان ويتأول هذه الآية . وهذا إسناد حسن . والخبر ذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٤١٧/٢) وزاد عزوه إلى ابن المنذر .

---

[١] - في ت : « يوم » .

[٢] - يقال : سمعت بالرجل تسميعًا وتسمعةً : إذا أشهرته ونذَّدت به . وسمَّع فلان بعمله : إذا أظهره ليُسمع . وقيل : أراد : من سمع الناس بعمله سمَّعه الله وأراه ثوابه من غير أن يعطيه . وقيل : من أراد بعمله الناس أسمعه الله الناس ، وكان ذلك ثوابه .

[٣] - في ز : « حديث آخر » .

[٤] - في ت : « تجاهه » .

﴿ يراءون الناس ﴾ أي : لا إخلاص لهم ، [ولا معاملة مع اللَّه ، بل إنما يشهدون الناس تقية لهم ومصانعة][١] ؛ ولهذا يتخلفون كثيرًا عن الصلاة التي لا يرون فيها غالبًا كصلاة العشاء في وقت العتمة ، وصلاة الصبح في وقت الغلس ، كما ثبت في الصحيحين(٨٧٤) أن رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ؛ قال : « **أثقل الصلاة علىٰ المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوًا ، ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ، ثم آمر رجلًا فيصلي بالناس ، ثم أنطلق معي برجال ومعهم حزم من حطب إلىٰ قوم لا يشهدون الصلاة ، فأحرق عليهم بيوتهم بالنار**[٢] » .

وفي رواية: « **والذي نفسي بيده ، لو علم أحدهم أنه يجد عَرْقًا ثمينا أو مرماتين**[٣] **حسنتين ، لشهد الصلاة** »(٨٧٥) ، « **ولولا ما في البيوت من النساء والذرية لحرقت عليهم بيوتهم بالنار** »(٨٧٦) .

وقال الحافظ أبو يعلى (٨٧٧): حدّثنا محمد [بن إبراهيم بن][٤] أبي بكر المقدمي ، حدثنا

(٨٧٤) - رواه البخاري ، كتاب : الأذان ، باب : فضل العشاء فى الجماعة (٦٥٧) ، ومسلم ، كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، باب : فضل صلاة الجماعة (٢٥٢) (٦٥١) ، وأبو داود ، كتاب : الصلاة ، باب : فى التشديد فى ترك الجماعة (٥٤٨) ، وابن ماجه (٧٩١، ٧٩٧) من طرق عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة مرفوعًا به .

(٨٧٥) - رواه البخاري ، كتاب : الأذان ، باب : وجوب صلاة الجماعة (٦٤٤) ، ومسلم ، كتاب : المساجد ومواضع الصلاة (٢٥١) (٦٥١) ، والنسائى (١٠٧/٢) من طريق أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة مرفوعًا به .

(٨٧٦) - رواه أحمد (٣٦٧/٢) ثنا خلف ثنا أبو معشر عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة مرفوعًا به ، وأبو معشر هو نجيح بن عبد الرحمن السندى ، ضعفه الجمهور ، وبه أعله الهيثمى فى « المجمع » (٤٥/٢) فقال : « رواه أحمد ، وأبو معشر ضعيف ، ومع هذا فقد أشار لهذه الرواية ابن حجر فى « الفتح » (٢/ ١٢٦) وسكت عنها !! .

(٨٧٧) - مسند أبى يعلى (٥١١٧/٩) ويعيده المصنف كما هنا عند خاتمة سورة الكهف ، وقد رواه عبد الرزاق فى « المصنف » (٢/رقم ٣٧٣٨) عن سفيان الثورى ، والبيهقى فى « السنن الكبرى » =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز . [٢] - في ز : « في النار » .

[٣] - العَرْق : العظم إذا أخذ عنه مُعْظم اللحم . والمرماة : ظلف الشاة . وقيل : ما بين ظلفها . وقيل : المرماة السهم الصغير الذي يُتَعَلَّم به الرمي ، وهو أحقر السهام وأدناها ، أي : لو دُعي إلى أن يُعطى سهمين من هذه السهام لأسرع الإجابة .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « هو ابن » .

محمد بن دينار ، عن إبراهيم الهجري ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **من أحسن الصلاة حيث يراه الناس ، وأساءها حيث يخلو ، فتلك استهانة استهان بها ربه عز وجل** » .

وقوله : ﴿ **ولا يذكرون الله إلا قليلًا** ﴾ أي : في صلاتهم لا يخشعون ولا يدرون ما يقولون ، بل هم عن[١] صلاتهم ساهون لاهون ، وعما يراد بهم من الخير معرضون .

وقد روىٰ الإمام مالك (٨٧٨)، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة المنافق : يجلس يرقب الشمس ؛ حتىٰ إذا كانت بين قرني الشيطان ، قام فنقر أربعًا لا يذكر الله فيها إلا قليلًا** » .

وكذا رواه مسلم والترمذي والنسائي من حديث إسماعيل بن جعفر المدني ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقوله : ﴿ **مذبذبين بين ذلك لا إلىٰ هؤلاء ولا إلىٰ هؤلاء** ﴾ يعني : المنافقين محيرين بين الإيمان والكفر ، فلا هم مع المؤمنين ظاهرًا وباطنًا ، ولا مع الكافرين ظاهرًا وباطنًا ، بل ظواهرهم مع المؤمنين ، وبواطنهم مع الكافرين ، ومنهم من يعتريه الشك ، فتارة يميل إلىٰ هؤلاء ، وتارة يميل

= (٢/٢٩٠) من طريق زائدة بن قدامة ، كلاهما (الثورى وزائدة) عن إبراهيم الهجرى به . وإبراهيم بن مسلم الهجرى هذا ضعفه الجمهور ، وبه أعله الهيثمى فى « المجمع » (١٠/٢٢٤) فقال : « رواه أبويعلى ، وفيه إبراهيم بن مسلم الهجرى ، وهو ضعيف ، ومن قبل الهيثمى ذكره المنذرى فى « الترغيب والترهيب » (١/٦٧/ رقم ١٨) وقال : « رواه عبد الرزاق فى كتابه وأبو يعلى ، كلاهما من رواية إبراهيم ابن مسلم الهجرى عن أبى الأحوص عنه ، ورواه من هذه الطرق ابن جرير الطبرى - ولم أقف عليه فى تفسيره فى مظانه فلعله فى كتاب آخر له والله أعلم - مرفوعًا أيضًا وموقوفًا على ابن مسعود وهو أشبه ومع هذا فقد حسنه ابن حجر كما فى « المطالب العالية » (٣/١٨٣/٣٢٠٠) !! ورمز لضعفه السيوطى فى « الجامع الصغير » (٦/٨٣٣٧/فيض) ورقم به أبو عبد الرحمن الألبانى (حديث ٥٣٦١) من « ضعيف الجامع الصغير » .

(٨٧٨) - رواه مالك فى « الموطأ » كتاب : الصلاة ، باب : النهى عن الصلاة بعد الصبح وبعد العصر (١/٢٢١) ومن طريقه أحمد (٣/ ١٤٩، ١٨٥) ، وأبو داود ، كتاب : الصلاة ، باب : وقت العصر (٤١٣) ، ورواه مسلم ، كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، باب : استحباب التبكير بالعصر (١٩٥) (٦٢٢) ، والترمذى ، كتاب : الصلاة ، باب : ما جاء فى تعجيل العصر (١٦٠) ، والنسائى ، كتاب : المواقيت ، باب : التشديد فى تأخير العصر (١/٢٥٤) من طريق إسماعيل بن جعفر عن العلاء بن عبدالرحمن به .

[١] - في خ : « في » .

إلىٰ أولئك ، ﴿ **كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا** ﴾ الآية .

وقال مجاهد : ﴿ **مذبذبين بين ذلك لا إلىٰ هؤلاء** ﴾ ، يعني : أصحاب محمد ، ﴿ **ولا إلىٰ هؤلاء** ﴾ يعني اليهود .

وقال ابن جرير (٨٧٩): حدثنا محمد بن المثنىٰ ، حدثنا عبد الوهاب ، حدثنا عبيد اللَّه ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « **مثل المنافق كمثل الشاة العائرة**[١] **بين الغنمين ، تعير إلىٰ هذه مرة ، وإلىٰ هذه مرة ، لا تدري أيتهما تتبع** » .

تفرد به مسلم ، وقد رواه(٨٨٠) عن محمد بن المثنىٰ مرة أخرىٰ ، عن عبد الوهاب ، فوقف به علىٰ ابن عمر ، ولم يرفعه . قال : حدثنا به عبد الوهاب مرتين ، كذلك .

قلت : وقد رواه الإمام أحمد (٨٨١)، عن إسحاق بن يوسف عن عبيد اللَّه ، به مرفوعًا ، وكذا رواه إسماعيل بن عياش ، وعلي بن عاصم ، عن عبيد اللَّه ، [عن نافع ، عن ابن عمر مرفوعًا][٢] . وكذا رواه عثمان بن محمد بن أبي شيبة ، عن عبدة ، عن عبد اللَّه ، به مرفوعًا . ورواه حماد بن سلمة ، عن عبيد اللَّه أو عبد اللَّه بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر مرفوعًا . ورواه أيضًا صخر بن جويرية ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بمثله .

وقال الإمام أحمد(٨٨٢) : حدثنا خلف بن الوليد ، حدثنا الهذيل بن بلال ، عن ابن[٣] عبيد ، عن أبيه : أنه جلس ذات يوم بمكة وعبد اللَّه بن عمر معه ، [فقال أبي][٤] : قال رسول اللَّه ،

(٨٧٩) - تفسير ابن جرير (١٠٧٢٨/٩) ، ورواه أحمد (٢/ ٤٧، ١٠٢، ١٤٣) ، ومسلم ، كتاب : صفات المنافقين وأحكامهم (١٧) (٢٧٨٤) من طرق عن عبيد الله به . ورواه مسلم أيضًا والنسائى (٨/ ١٢٤) من طريق موسى بن عقبة عن نافع به .

(٨٨٠) - يعنى ابن جرير فى تفسيره (١٠٧٢٩/٩) ولا يضره وقف عبد الوهاب له ؛ لأنه قد رواه مرة موقوفًا كما تقدم ، ثم إن الجماعة رووه مرفوعًا فانظر الآتى .

(٨٨١) - « المسند » (٤٧/٢) ، ورواه ابن جرير (١٠٧٣٠/٩) من طريق إسماعيل بن عياش عن عبيد الله به . ولم أهتد له من باقى طرقه .

(٨٨٢) - « المسند » (٦٨/٢) وهذيل بن بلال وهاه ابن معين ، وضعفه ابن سعد وأبو داود والنسائى=

[١] - أي : المترددة قطيعين ، لا تدري أيهما تتبع .

[٢] - في ز : « به مرفوعًا عن نافع عن ابن عمر مرفوعا » .

[٣] - سقط من : م .

[٤] - في م : « فقال بن أبي عبيدة ، قال أبي » .

صلى الله عليه وسلم : « **إن مثل المنافق يوم القيامة كالشاة بين الربيضين**[١] **من الغنم ؛ إن أتت هؤلاء نَطَحْنَها**[٢] ، **وإن أتت هؤلاء نَطَحْنَها** » فقال له ابن عمر : كذبت . فأثنىٰ القوم علىٰ أبي خيرًا أو معروفًا ، فقال ابن عمر : لا أظن صاحبكم إلا كما تقولون ، ولكني [شاهد نبي][٣] اللَّه ، إذ قال : « **كالشاة بين الغنمين**[٤] » ، فقال : هو سواء ، فقال : هكذا سمعته .

وقال[٥] الإمام[٦] أحمد(٨٨٣) : حدثنا يزيد ، حدثنا المسعودي ، عن أبي[٧] جعفر محمد بن علي قال : بينما عبيد بن عمير يقص وعنده عبد اللَّه بن عمر ، فقال عبيد بن عمير ، قال رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم : « **مثل المنافق كشاة**[٨] **بين ربيضين إذا أتت هؤلاء نَطَحْنَها ، وإذا أتت هؤلاء نطحنها**[٩] » ، فقال ابن عمر : ليس كذلك قال رسول الله ، صلى اللَّه عليه وسلم ، إنما قال رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم : « **كشاة بين غنمين**[١٠] » قال : فاحتفظ[١١] [١٢] الشيخ وغضب ، فلما رأي ذلك ابن عمر قال : أما إني لو لم أسمعه لم أردد ذلك عليك .

(طريق[١٣] أخرىٰ عن ابن عمر) قال الإمام أحمد(٨٨٤) : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ،

= والدارقطنى وقال أبو زرعة : ليس بالقوى ، وقال ابن حبان : يقلب الأسانيد ، ويرفع المراسيل على قلة روايته ، فصار متروكًا ، وقال أبو حاتم الرازى : محله الصدق ، يكتب حديثه ، ووثقه معاوية بن صالح ، وقال أحمد : لا أرى به بأسًا . راجع « تعجيل المنفعة » لابن حجر (ت : ١١٢٩) وانظر ما بعده .

(٨٨٣) - « المسند » (٣٢/٢) والمسعودى - هو عبد الرحمن بن عبد الله - اختلط ، وسماع يزيد منه بعد الاختلاط ، ورواه الطيالسى فى « مسنده » (١٨٠٢) ثنا المسعودى به والطيالسى ممن سمع من المسعودى بعد الاختلاط أيضًا . لكن رواه الحميدى (٦٨٨) ، وأحمد (٨٢/٢) ، والدارمى (٣٢٤) وابن حبان فى « صحيحه » (١/ح٢٦٤/ إحسان) ، والبيهقى فى « الشعب » (٨٤٣٧/٦) من طريق محمد بن سوقة عن أبى جعفر به ، وهذا إسناد صحيح .

(٨٨٤) - « المسند » (٨٨/٢) وصحح إسناده أبو الأشبال فى حاشيته على « المسند » (٨/رقم ٥٦١٠) .

---

[١] - الرَّبيض : الغنم نفسها . وروي : « كالشاة بين الربضين » والربض : الموضع الذي تربض فيه الغنم .

[٢] - في ز ، خ : نطحتها . والمثبت من المسند . [٣] - ما بين المعكوفتين في خ : « شاهدى » .

[٤] - في خ :« الغنيمين » . [٥] - في خ : « قال » .

[٦] - سقط من : ز . [٧] - في ز ، خ : « ابن » .

[٨] - في خ : « كالشاة » .

[٩] - في ز ، خ : نطحتها . المثبت من المسند . وقد تكررت وصححت جميعها من المسند .

[١٠] - في م : « غنيمين » . [١١] - في ز : « فاختطف » .

[١٢] - احتفظ : مطاوع أحفظه ، بمعنى أغضبه . [١٣] - في خ : « طريقة » .

عن عثمان بن بودويه ، عن يعفر بن روذي قال : سمعت عبيد بن عمير ، وهو يقص يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **مثل المنافق كمثل الشاة الرابضة بين الغنمين** » فقال ابن عمر : ويلكم ! لا تكذبوا علىٰ رسول اللّٰه ، صلى الله عليه وسلم ، إنما قال رسول اللّٰه ، صلى الله عليه وسلم : « **مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين** » . [ورواه أحمد أيضًا من طرق عن عبيد بن عمير عن ابن عمر][١] .

وقال ابن أبي حاتم(٨٨٥) : حدثنا أبي ، حدثنا عبيد اللّٰه بن موسىٰ ، أخبرنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد اللّٰه - هو ابن مسعود - قال : مثل المؤمن والمنافق والكافر مثل ثلاثة نفر انتهوا إلىٰ واد فدفع أحدهم فعبر ، ثم وقع الآخر حتىٰ إذا أتىٰ علىٰ نصف الوادي ، ناداه الذي علىٰ شفير الوادي : ويلك ! أين تذهب ؟ إلىٰ الهلكة ! ارجع عودك علىٰ بدئك[٢] ، وناداه الذي عبر : هلم إلىٰ[٣] النجاة ، فجعل ينظر إلىٰ هذا مرّة ، وإلىٰ هذا مرّة ، قال : فجاءه سيل فأغرقه ، فالذي عبر المؤمن والذي غرق المنافق ﴿ **مذبذبين بين ذلك لا إلىٰ هؤلاء ولا إلىٰ هؤلاء** ﴾ والذي مكث الكافر .

وقال ابن جرير (٨٨٦): حدثنا بشر ، حدثنا يزيد ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ﴿ **مذبذبين بين ذلك لا إلىٰ هؤلاء ولا إلىٰ هؤلاء** ﴾ يقول : ليسوا بمؤمنين مخلصين ، ولا مشركين مصرحين بالشرك . قال : وذكر لنا أن نبي اللّٰه ، صلى الله عليه وسلم ، كان يضرب مثلًا للمؤمن وللمنافق وللكافر ، كمثل رهط ثلاثة دفعوا[٤] إلىٰ نهر ، فوقع المؤمن فقطع ، ثم وقع المنافق حتىٰ إذا كاد يصل إلىٰ المؤمن ، ناداه الكافر : أن هلم إليَّ ، فإني أخشىٰ عليك . وناداه المؤمن : أن هلم إلي ، فإنّ عندي وعندي ، يحصي[٥] له ما عنده ، فما زال المنافق يتردّد بينهما حتىٰ أتىٰ آذيٌّ[٦] فغرّقه ، وإنّ المنافق لم يزل في شك وشبهة حتىٰ أتىٰ عليه الموت ، وهو كذلك . قال وذكر لنا أن نبي اللّٰه ، صلى اللّٰه عليه وآله وسلم ، كان يقول : « **مثل المنافق كمثل ثاغية[٧] بين غنمين ، رأت غنمًا علىٰ نَشَزٍ[٨] . فأتتها وشامَّتها[٩]**

(٨٨٥) - تفسير ابن أبي حاتم (٤/٦١٤٤) ولم يعزه السيوطى فى « الدر المنثور » (٢/٤١٧) لغيره ، وإسناده صحيح ، ولا تضر عنعنة أبى إسحاق هنا ؛ لأن إسرائيل حفيده ، من أثبت الناس فيه .

(٨٨٦) - تفسير ابن جرير (٩/١٠٧٣٢) وإسناده صحيح إلى قتادة .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.

[٢] - في ز : « يديك » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - في ز: « وقعوا ».

[٥] - في ز : « يحطي » .

[٦] - الآذي : الموج الشديد .

[٧] - الثاغية : الشاة .

[٨] - النشز : المكان المرتفع من الأرض .

[٩] - شامتها : أي دنت إليها وشمتها ، لتعرف أهي أخواتها أم غيرها . يقال : شاممت فلانًا :إذا قاربته =

فلم[١] تُعْرَفْ ، ثم رأت غنمًا على نشز فأتتها فشامَّتها فلم تعرف » .

ولهذا قال الله تعالىٰ : ﴿ **ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلًا** ﴾ أي ومن صرفه عن طريق الهدى ﴿ **فلن تجد له وليًا مرشدًا** ﴾ فإنه ﴿ **من يضلل الله فلا هادي له** ﴾ والمنافقون الذين أضلهم عن سبيل النجاة فلا هادي[٢] لهم ، ولا منقذ لهم مما هم فيه ، فإنه تعالىٰ لا معقب لحكمه ، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

ينهىٰ الله[٣] تعالىٰ عباده المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، يعني[٤] مصاحبتهم ومصادقتهم ، ومناصحتهم وإسرار المودّة إليهم ، وإفشاء أحوال المؤمنين الباطنة إليهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه** ﴾ أي : يحذركم عقوبته في ارتكابكم نهيه ؛ ولهذا قال هٰهنا : ﴿ **أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانًا مبينًا** ﴾ أي : حجة عليكم في عقوبته إياكم .

قال ابن أبي حاتم (٨٨٧): حدثنا أبي ، حدثنا مالك بن إسماعيل ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ **سلطانًا مبينًا** ﴾ قال[٥] : كل سلطان

(٨٨٧) - تفسير ابن أبي حاتم (٦١٥١/٤) وإسناده صحيح ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٢/ ٤١٨) إلى عبد الرزاق ، وابن مردويه .

=وتعرفت ما عنده بالاختبار والشم .

[١] - في خ : « لم » .

[٢] - في خ : « هدى » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - سقط من : خ .

في القرآن حجة .

وهذا إسناد صحيح ، وكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، ومحمد بن كعب القرظي ، والضحاك ، والسدي ، والنضر بن عربي .

ثم أخبر تعالىٰ : ﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ﴾ أي : يوم القيامة جزاء علىٰ كفرهم الغليظ . قال الوالبي(٨٨٨) ، عن ابن عباس : ﴿ في الدرك الأسفل من النار ﴾ أي : في أسفل النار ، وقال غيره : النار دركات كما أن الجنة درجات . وقال سفيان الثوري : عن عاصم ، عن ذكوان أبي صالح ، عن أبي هريرة : ﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ﴾ قال : في توابيت ترتج عليهم . كذا رواه ابن جرير(٨٨٩) : عن ابن وكيع ، عن يحيىٰ بن يمان ، عن سفيان الثوري[١] ، به . ورواه ابن أبي حاتم(٨٩٠) عن المنذر بن شاذان ، عن عبيد الله بن موسىٰ ، عن إسرائيل ، عن عاصم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة : ﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ﴾ قال : الدرك الأسفل بيوت لها أبواب تطبق عليهم[٢] ، فتوقد من تحتهم ومن فوقهم .

وقال ابن جرير(٨٩١) : حدثنا ابن بشار ، حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن خيثمة ، عن عبد الله - يعني ابن مسعود - : ﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ﴾ قال : في توابيت من نار تطبق عليهم . [أي : مغلقة مقفلة][٣] .

ورواه ابن أبي حاتم(٨٩٢) : عن أبي سعيد الأشج ، عن وكيع ، عن سفيان ، عن سلمة ، عن خيثمة ، عن ابن مسعود : ﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ﴾ قال : في توابيت من حديد مبهمة عليهم . ومعنىٰ قوله : مبهمة ، أي : مغلقة مقفلة لا يهتدىٰ لمكان فتحها .

---

(٨٨٨) - رواه ابن جرير (١٠٧٤٤/٩) ، وابن أبى حاتم (٦١٥٥/٤) ولم يعزه السيوطى فى « الدر المنثور » (٤١٩/٢) لغيرهما ، والوالبى هو على بن أبى طلحة ، لم يسمع من ابن عباس .

(٨٨٩) - تفسير ابن جرير (١٠٧٤٣/٩) وسفيان بن وكيع ضعيف ، لكنه صح من وجه آخر ، فانظر الآتى.

(٨٩٠) - تفسير ابن أبى حاتم (٦١٥٤/٤) وإسناده صحيح .

(٨٩١) - تفسير ابن جرير (١٠٧٤٦/٩) وإسناده صحيح ، وانظر ما بعده .

(٨٩٢) - تفسير ابن أبي حاتم (٦١٥٣/٤) ورواه ابن أبى شيبة فى « المصنف » (٩٢/٨) ثنا وكيع به .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في خ : « عليها » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وقال[١] ابن أبي حاتم(٨٩٣) : حدثنا أبي ، حدثنا أبو أسامة ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا علي بن يزيد ، عن القاسم بن عبد الرحمن : أن ابن مسعود سئل عن المنافقين فقال : يجعلون في توابيت من نار تطبق عليهم في أسفل درك من النار .

﴿ **ولن تجد لهم نصيرًا** ﴾ أي : ينقذهم مما هم فيه ، ويخرجهم من أليم العذاب .

ثم أخبر تعالىٰ أن من تاب في الدنيا ، تاب عليه ، وقبل ندمه وإذا أخلص في توبته وأصلح عمله ، واعتصم بربه في جميع أمره فقال تعالىٰ : ﴿ **إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله** ﴾ أي : بدلوا الرياء بالإخلاص ، فينفعهم العمل الصالح وإن قلَّ .

قال ابن أبي حاتم (٨٩٤): أخبرنا يونس بن عبد الأعلىٰ قراءة ، أنبأنا ابن وهب ، أخبرني يحيىٰ ابن أيوب ، عن عبيد الله بن زحر ، عن خالد بن أبي عمران ، [ ][٢] عن عمرو بن مرة ، عن معاذ بن جبل : أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « **أخلص[٣] دينك يكفك القليل من العمل** » .

﴿ **فأولئك مع المؤمنين** ﴾ أي : في زمرتهم يوم القيامة ﴿ **وسوف يؤت الله المؤمنين أجرًا عظيمًا** ﴾ . ثم قال تعالىٰ مخبرًا عن غناه عما سواه ، وأنه إنما يعذب العباد بذنوبهم فقال تعالىٰ : ﴿ **ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم** ﴾ أي : أصلحتم العمل وآمنتم بالله ورسوله

---

(٨٩٣) - تفسير ابن أبى حاتم (٦١٥٦/٤) وإسناده ضعيف لضعف على بن يزيد وهو الألهانى ، ورواه ابن أبى الدنيا فى « صفة النار » (رقم : ١٠٠) بإسناد ضعيف أيضًا ، وصح من وجه آخر كما تقدم .

(٨٩٤) - تفسير ابن أبى حاتم (٦١٦٢/٤) ، ورواه الحاكم فى « المستدرك » (٣٠٦/٤) وعنه البيهقى فى « الشعب » (٥/ ٣٤٢، ٣٤٣/ ٦٨٥٩) وأبو نعيم فى « الحلية » (٢٤٤/١) من طريقين عن عبد الله بن وهب به . وتحرف شيخ ابن زحر فى « المستدرك » إلى « الوليد بن أبى عمران » ، وقد رواه ابن أبى الدنيا فى « الإخلاص » - كما فى « الدر المنثور » (٤١٩/٢) ومن طريقه الحاكم وعن الحاكم البيهقى فى « الشعب » (٦٨٥٩/٥) قال البيهقى : « وكذلك رواه يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب ، وعمرو بن مرة هذا هو الجهمى ، كذا قال شيخنا أبو عبد الله الحاكم - إنما أراد عمرو بن مرة الذى له صحبة ، وقد قال فى موضع آخر - فذكر إسناد المستدرك وفيه عمرو بن مرة الجملى . قال البيهقى : هذا هو الكوفى الذى ليست له صحبة ، ولا أدرك معاذًا ، فيكون الحديث مرسلًا ومع هذا فقد صحح إسناده الحاكم !! وتعقبه الذهبى ، ورقم به أبو عبد الرحمن الألبانى حديث (٢١٦٠) من « الضعيفة » وأعله بضعف عبيد الله بن زحر والانقطاع بين عمرو بن مرة ومعاذ .

---

[١] - في ت : « وروى » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ت : عن عمران . وهي زيادة مقحمة .

[٣] - في ز : « خلص » .

﴿ **وكان الله شاكرًا عليمًا** ﴾ أي : من شكر شكر له ، ومن آمن قلبه به ، علمه وجازاه على ذلك أوفر الجزاء .

﴿ لَا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾

قال علي[١] بن أبي طلحة(٨٩٥) عن ابن عباس [في الآية][٢] ﴿ **لا يحب الله الجهر بالسوء من القول** ﴾ ، يقول : لا يحب الله أن يدعو أحد على أحد إلا أن يكون مظلومًا ، فإنه قد أرخص له أن يدعو على من ظلمه ، وذلك قوله : ﴿ **إلا من ظلم** ﴾ وإن صبر فهو خير له .

وقد[٣] قال أبو داود (٨٩٦): حدثنا عبد الله بن معاذ ، حدثنا أبي ، حدثنا سفيان ، عن حبيب ، عن عطاء ، عن عائشة ، قالت[٤] : سرق لها شيء فجعلت تدعو عليه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « **لا تسبخي[٥] عنه** » .

وقال الحسن البصري (٨٩٧): لا يدع عليه ، وليقل : اللهم أعني عليه واستخرج حقي منه .

---

(٨٩٥) - رواه ابن جرير (١٠٧٤٩/٩) وابن أبي حاتم (٦١٦٧/٤) ، وذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٤٢٠/٢) وزاد نسبته إلى ابن المنذر ، وعلى بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس .

(٨٩٦) - سنن أبي داود ، كتاب : الأدب ، باب : فمن دعا على من ظلم (٤٩٠٩) ، ورواه أحمد في « المسند » (١٢٦/٦) ، والنسائي في « الكبرى » (٧٣٥٩/٤) والبغوي في « شرح السنة » (١٣٥٤/٥) من طريق سفيان الثوري به . ورواه أحمد (٤٥/٦) وإسحاق بن راهويه في « مسنده » (٦٧٩/٣) وابن أبي شيبة في « المصنف » (٩٣/٧) ، وفي « السنن » (١٤٩٧) من طريق الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت به . ورجاله ثقات غير أن حبيب بن أبي ثابت مدلس وقد عنعن ، وقد رواه النسائي من طريق سفيان عن حبيب عن عطاء مرسلًا وقد رواه أحمد أيضًا (٢١٥/٦) من طريق إبراهيم بن مهاجر عن إبراهيم عن عائشة به وإبراهيم بن مهاجر ضعيف وإبراهيم التيمي لم يسمع من عائشة . والحديث لم يعزه السيوطي في « الدر المنثور » (٤٢٠/٢) لغير أبي داود وقد رقم به أبو عبد الرحمن الألباني حديث (٦٢٣٣) من « ضعيف الجامع الصغير » .

(٨٩٧) - رواه ابن جرير (١٠٧٥٢/٩) بإسناد صحيح إلى الحسن ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٤٢٠/٢) إلى ابن المنذر .

---

[١] - سقط من : ت.

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٣] - سقط من : م.

[٤] - في م : « قال » .

[٥] - أي لا تخففي عنه الإثم الذي استحقه بالسرقة .

وفي رواية عنه قال : قد أرخص له أن يدعو علىٰ من ظلمه من غير أن يعتدي عليه .

وقال عبد الكريم بن مالك الجزري(٨٩٨) في هذه الآية : هو الرجل يشتمك فتشتمه ، ولكن إن افترىٰ عليك فلا تفترِ عليه ؛ لقوله : ﴿ **ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل** ﴾ .

وقد[١] قال أبو داود (٨٩٩): حدثنا[٢] القعنبي ، حدثنا عبد العزيز بن محمد ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « **المستبان ما قالا فعلى البادئ منهما ما لم يعتد المظلوم** » .

وقال عبد الرزاق (٩٠٠): أنبأنا المثنى بن الصباح ، عن مجاهد في قوله : ﴿ **لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم** ﴾ قال : ضاف رجل رجلًا ، فلم يؤدّ إليه حق ضيافته ، فلما خرج أخبر الناس فقال : ضفت فلانًا فلم يؤدّ إلي حق ضيافتي . قال[٣] : فذلك الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم [حين لم][٤] يؤدّ إليه الآخر حق ضيافته .

وقال محمد بن إسحاق (٩٠١): عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، ﴿ **لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم** ﴾ قال : قال : هو الرجل ينزل بالرجل فلا يحسن ضيافته ، فيخرج فيقول : أساء ضيافتي ولم يحسن . وفي رواية : هو الضيف المحول رحله ، فإنه يجهر لصاحبه بالسوء من القول .

وكذا روي عن غير واحد ، عن مجاهد نحو هذا ، وقد روىٰ الجماعة(٩٠٢) - سوىٰ النسائي

(٨٩٨) - رواه ابن أبي حاتم (٤/٦١٧٢) بإسناد صحيح إليه .

(٨٩٩) - « السنن » لأبي داود ، كتاب : الأدب ، باب : المستبّان (٤٨٩٤) ورواه أحمد (٢/ ٢٣٥، ٤٨٨، ٥١٧) ،ومسلم ، كتاب : البر والصلة والآداب باب : النهى عن السباب (٦٨) (٢٥٨٧) والترمذى ، كتاب : البر والصلة ، باب : ما جاء فى الشتم (١٩٨١) من طرق عن العلاء بن عبد الرحمن به .

(٩٠٠) - تفسير عبد الرزاق (١/١٧٦) ومن طريقه رواه ابن جرير (٩/١٠٧٦٠) وابن أبى حاتم (٤/ ٦١٦٨) والمثنى ضعيف لكن رواه ابن جرير (٩/١٠٧٦١) من طريق حجاج قال : قال ابن جريج ، قال مجاهد : وهذا فيه تدليس ابن جريج لكن له وجوه أخرى صحيحة انظر تفسير ابن جرير (٩/ ٣٤٦، ٣٤٧) وابن أبى حاتم (٤/٦١٧٠) .

(٩٠١) - تفسير ابن جرير (٩/ ١٠٧٥٣، ١٠٧٥٥) .

(٩٠٢) - رواه البخارى ، كتاب : المظالم ، باب : قصاص المظلوم إذا وجد مال ظالمه (٢٤٦١) وكتاب : الأدب ، باب : إكرام الضيف (٦١٣٧) ، ومسلم ، كتاب : اللقطة ، باب : الضيافة ونحوها =

[١] - سقط من : م.
[٢] - سقط من : خ.
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين في م : « حتى ».

والترمذي - من طريق الليث بن سعد - والترمذي من حديث ابن لهيعة - كلاهما عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي الخير مرثد بن عبد الله ، عن عقبة بن عامر ؛ قال : قلنا : يا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إنك تبعثنا[١] فننزل بقوم فلا يقرونا ، فما ترىٰ في ذلك ؟ ، فقال : « **إذا نزلتم بقوم فأمروا لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا منهم ، وإن لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي لهم** » .

وقال الإمام أحمد (٩٠٣): حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، سمعت أبا الجودي يحدث عن سعيد بن المهاجر ، عن المقدام أبي[٢] كريمة[٣] ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « **أيما مسلم ضاف قومًا فأصبح الضيف محرومًا ، فإن حقًا علىٰ كل مسلم نصره حتىٰ يأخذ بقرىٰ ليلته من زرعه وماله** » .

تفرد به أحمد من هذا الوجه ، وقال أحمد أيضًا (٩٠٤): حدثنا يحيىٰ بن سعيد ، حدثنا شعبة ، حدثني منصور ، عن الشعبي ، عن المقدام أبي كريمة ، سمع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : « **ليلة الضيف واجبة علىٰ كل مسلم ، فإن أصبح بفنائه محرومًا كان**

= (١٧) (١٧٢٧) ، وأبو داود ، كتاب : الأطعمة ، باب : ما جاء في الضيافة (٣٧٥٢) ، وابن ماجه ، كتاب : الأدب ، باب : حق الضيف (٣٦٧٦) وأحمد في « المسند » (١٤٩/٤) من طريق الليث بن سعد به . ورواه الترمذي (١٥٨٩) ثنا قتيبة ثنا ابن لهيعة عن يزيد به . وقال الترمذي : « هذا حديث حسن ، وقد رواه الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب أيضًا ، وإنما معنى هذا الحديث أنهم كانوا يخرجون في الغزو فيمرون بقوم لا يجدون من الطعام ما يشترون بالثمن ، وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - « إن أبوا أن يبيعوا إلا أن تأخذوا كرهًا فخذوا ، هكذا روى في بعض الحديث مفسرًا ...» .

(٩٠٣) - « المسند » (١٣٣/٤) ورواه أيضًا (٤/ ١٣١، ١٣٣) ، والطيالسي في « مسنده » (١١٤٩) - ومن طريقه المزي في « تهذيب الكمال » (١١/ ٨٢، ٨٣/ ت ٢٣٦٢) - والدارمي (٢٠٤٣) ، وأبو داود (٣٧٥١) ، والبغوي في « شرح السنة » (٣٠٠٤/١١) من طرق عن شعبة به . ورجاله ثقات غير سعيد بن المهاجر لم يوثقه غير ابن حبان « الثقات » وجهله ابن القطان ، وابن حجر في « التقريب » وللحديث إسناد آخر ، انظر الآتي .

(٩٠٤) - « المسند » (١٣٠/٤) ورواه أيضًا (٤/ ١٣٠، ١٣٢، ١٣٣) ، وأبو داود (٣٧٥٠) ، وابن ماجه (٣٦٧٧) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٧٤٤) وغيرهم من طرق عن منصور به . وإسناده صحيح ، ولذلك رقم به أبو عبد الرحمن الألباني حديث (٢٢٠٤) من « الصحيحة » .

[١] - في ز : « بعثتنا » .

[٢] - في خ : ابن أبي . وهو تحريف . والمقدام : هو ابن معدي كرب الكندي . صحابي مشهور .

[٣] - في خ : « كريم » .

دينًا له[١] عليه ، إن[٢] شاء اقتضاه وإن شاء تركه » .

ثم رواه أيضًا عن غندر ، عن شعبة . وعن زياد بن عبد الله البكائي ، عن وكيع وأبي نعيم ، عن سفيان الثوري ، ثلاثتهم عن منصور ، به ، وكذا رواه أبو داود من حديث أبي عوانة ، عن منصور ، به .

ومن هذه الأحاديث وأمثالها ذهب أحمد وغيره إلىٰ وجوب الضيافة ، ومن هذا القبيل الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البزار (٩٠٥): حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا صفوان بن عيسىٰ ، حدثنا محمد بن عجلان ، عن أبيه ، عن أبي هريرة أن رجلًا أتىٰ النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن لي جارًا يؤذيني ، فقال له : « **أخرج متاعك فضعه علىٰ الطريق** » ، فأخذ الرجل متاعه فطرحه علىٰ الطريق ، [فجعل كل][٣] من مر به قال : مالك ؟ ، قال : جاري يؤذيني فيقول : اللهم العنه ! اللهم اخزه ! قال : فقال الرجل : ارجع إلىٰ منزلك والله[٤] لا أوذيك أبدًا .

وقد رواه أبو داود في كتاب الأدب عن أبي توبة الربيع بن نافع ، عن سليمان بن حيان أبي خالد الأحمر ، عن محمد بن عجلان ، به .

ثم قال البزار : لا نعلمه يروىٰ عن أبي هريرة إلا بهذا الإسناد . ورواه أبو جحيفة وهب بن عبد الله ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم (٩٠٦)، ويوسف بن عبد الله بن سلام ، عن النبي ،

---

(٩٠٥) - ورواه البخارى فى « الأدب المفرد » (١٢٤) والحاكم فى « المستدرك » (٤/ ١٦٥، ١٦٦) من طريق صفوان بن عيسى به . وعلقه الذهبى فى كتاب « حق الجوار » (رقم : ٥) من طريق حاتم بن إسماعيل وصفوان بن عيسى ثنا ابن عجلان به . ورواه أبو داود ، كتاب : الأدب ، باب : فى حق الجوار (٥١٥٣) ثنا الربيع بن نافع ثنا سليمان بن حيان عن ابن عجلان به . وقال الحاكم : « صحيح على شرط مسلم » وإسناده حسن لكلام مشهور فى ابن عجلان ، ثم إن مسلمًا أخرج له متابعة ، وللحديث شواهد انظر الآتى .

(٩٠٦) - رواه البزار (٢/رقم ١٩٠٣/ كشف الأستار) والطبرانى فى « المعجم الكبير » (٢٢/رقم ٣٥٦) ، وعلقه الذهبى فى « حق الجار » (رقم : ٥) من طريق شريك عن أبى عمر عن أبى جحيفة به . وذكره الهيثمى فى « المجمع » (٨/١٧٣) وقال : « رواه الطبرانى والبزار ... وفيه أبو عمر المنبهى ، تفرد عنه شريك ، وبقية رجاله ثقات » كذا قال : وشريك سيىء الحفظ أيضًا ، وأبو عمر هذا جهله غير واحد ومع هذا فقد صحح الحاكم (٤/١٦٦) الحديث على شرط مسلم ووافقه الذهبى وهو القاضى .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في م : « فإن » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في م : « فكل » .
[٤] - في خ : « وقال » .

صلى الله عليه وسلم (٩٠٧).

وقوله : ﴿ إن تبدوا خيرًا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن اللَّه كان عفوًّا قديرًا ﴾ أي : إن تظهروا أيها الناس خيرًا أو أخفيتموه أو عفوتم عمن أساء إليكم فإن ذلك مما يقربكم عند اللَّه ، ويجزل ثوابكم لديه ، فإن من صفاته تعالىٰ أنه[١] يعفو عن عباده مع قدرته علىٰ عقابهم ، ولهذا قال : ﴿ فإن اللَّه كان عفوًّا قديرًا ﴾ ، ولهذا ورد في الأثر أن حملة العرش يسبحون اللَّه ، فيقول بعضهم : سبحانك علىٰ حلمك بعد علمك . ويقول بعضهم : سبحانك علىٰ عفوك بعد قدرتك . وفي الحديث الصحيح (٩٠٨): « ما نقص مال من صدقة ، وما[٢] زاد اللَّه عبدًا بعفو إلا عزًّا ، ومن تواضع للَّه رفعه اللَّه » .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا (١٥١) وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا (١٥٢) ﴾

يتوعد تبارك وتعالىٰ الكافرين به وبرسله من اليهود والنصارىٰ ، حيث فرّقوا بين اللَّه ورسله في الإيمان ، فآمنوا ببعض الأنبياء وكفروا ببعض ، بمجرد التشهي والعادة وما ألفوا عليه آباءهم ، لا عن دليل قادهم إلىٰ ذلك ، فإنه لا سبيل لهم إلىٰ ذلك ، بل بمجرد الهوىٰ والعصبية ، فاليهود عليهم لعائن اللَّه آمنوا بالأنبياء إلا عيسىٰ ومحمد - عليهما الصلاة السلام - والنصارىٰ آمنوا بالأنبياء

(٩٠٧) - رواه علي بن الجعد - ومن طريقه ابن أبي الدنيا في « مكارم الأخلاق » (٣٢٥) والذهبي في « حق الجار » (٧) معلقًا - أخبرني سلام بن مسكين نا شهر بن حوشب عن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام أن رجلًا أتى النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - فقال : ... الحديث ، وشهر بن حوشب ضعيف ، وهذا منقطع ، وقد رواه علي بن أبي بكر الإسفذني عن سلّام عن شهر فقال : عن محمد بن يوسف عن عبد الله بن سلام موصولًا ، لكن الإسفذني هذا يخطئ ، وابن الجعد أضبط منه ، وعلى كل ففي إسناده شهر ، وهو ضعيف ، ويغني عنه حديث أبي هريرة السابق ، والله الموفق ، .

(٩٠٨) - رواه مسلم ، كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : استحباب العفو والتواضع (٦٩) (٢٥٨٨) من حديث أبي هريرة .

[١] - في خ : « أن » . [٢] - في م: « ولا ».

وكفروا بخاتمهم وأشرفهم محمد ، صلى الله عليه وسلم ، والسامرة لا يؤمنون بنبي بعد يوشع خليفة موسىٰ بن عمران ، والمجوس يقال : إنهم كانوا يؤمنون بنبي لهم [اسمه][١] : زرادشت ثم كفروا بشرعه ، فرفع من بين أظهرهم ، والله أعلم .

والمقصود أن من كفر بنبي من الأنبياء فقد كفر بسائر الأنبياء ، فإن الإيمان واجب بكل نبي بعثه الله إلىٰ أهل الأرض ، فمن ردّ نبوته للحسد أو العصبية أو التشهي ، تبين أن إيمانه بمن آمن به من الأنبياء ليس إيمانًا[٢] شرعيًا ، إنما هو عن غرض وهوىٰ وعصبية ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **إن الذين يكفرون بالله ورسله** ﴾ فوسمهم بأنهم كفار بالله ورسله ﴿ **ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله** ﴾ أي : في الإيمان ﴿ **ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلًا** ﴾ أي : طريقًا ومسلكا ، ثم أخبر تعالىٰ عنهم فقال : ﴿ **أولئك هم الكافرون حقًا** ﴾ أي : كفرهم محقق لا محالة بمن ادعوا الإيمان به ؛ لأنه ليس شرعيًا ، إذ لو كانوا مؤمنين به لكونه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لآمنوا بنظيره وبمن هو أوضح دليلًا وأقوىٰ برهانًا منه ، أو نظروا حق النظر في نبوته .

وقوله : ﴿ **وأعتدنا للكافرين عذابًا مهينًا** ﴾ أي : كما استهانوا بمن كفروا به ، إما[٣] لعدم نظرهم فيما جاءهم به من الله ، وإعراضهم عنه وإقبالهم علىٰ جمع حطام الدنيا مما لا ضرورة بهم إليه ، وإما بكفرهم به بعد علمهم بنبوته ، كما كان يفعله كثير من أحبار اليهود في زمان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حيث حسدوه علىٰ ما آتاه الله من النبوة العظيمة ، وخالفوه وكذبوه وعادوه وقاتلوه ، فسلط الله عليهم الذل الدنيوي الموصول بالذل الأخروي : ﴿ **وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله** ﴾ في الدنيا والآخرة .

وقوله : ﴿ **والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم** ﴾ يعني بذلك : أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فإنهم يؤمنون بكل كتاب أنزله الله وكل[٤] نبي بعثه الله ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله** ﴾ الآية .

ثم أخبر تعالىٰ بأنه قد أعد لهم الجزاء الجزيل والثواب الجليل والعطاء الجميل ، فقال : ﴿ **أولئك سوف يؤتيهم[٥] أجورهم** ﴾ علىٰ ما آمنوا بالله ورسله ﴿ **وكان الله غفورًا رحيمًا** ﴾ أي : لذنوبهم ، [ ][٦] إن كان لبعضهم ذنوب .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في خ : « يقال له » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في خ : « بكل » .
[٥] - في ز : « نؤتيهم » .
[٦] - ما بين المعكوفين في خ : أي .

﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾

قال محمد بن كعب القرظي والسدي وقتادة : سأل اليهود رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ، أن ينزل عليهم[١] كتابًا من السماء كما نزلت[٢] التوراة علىٰ موسىٰ مكتوبة .

قال ابن جريج : سألوه أن ينزل عليهم صحفًا من اللَّه مكتوبة إلىٰ فلان وفلان وفلان بتصديقه فيما جاءهم به . وهذا إنما قالوه علىٰ سبيل التعنت والعناد والكفر والإلحاد ، كما سأل كفار قريش قبلهم نظير ذلك ، كما هو مذكور في سورة سبحان : ﴿ **وقالوا لن نؤمن لك حتىٰ تفجر لنا من الأرض ينبوعًا** ﴾ الآيات ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **فقد سألوا موسىٰ أكبرمن ذلك فقالوا أرنا اللَّه جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم** ﴾ ، أي : بطغيانهم وبغيهم وعتوهم وعنادهم ، وهذا مفسر في سورة البقرة حيث يقول تعالىٰ : ﴿ **وإذ قلتم يا موسىٰ لن نؤمن لك حتىٰ نرىٰ اللَّه جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ثم بعثاكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات** ﴾ أي : من بعد ما رأوا من الآيات الباهرة والأدلة القاهرة علىٰ يد موسىٰ ، عليه السلام ، في بلاد مصر ، وما كان من إهلاك عدو اللَّه فرعون هو[٣] وجميع جنوده في اليمّ ، فما جاوزوه إلا يسيرًا حتىٰ أتوا علىٰ قوم يعكفون علىٰ أصنام لهم ، فقالوا لموسىٰ : ﴿ **اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون** ﴾ ثم ذكر تعالىٰ قصة اتخاذهم العجل مبسوطة في سورة الأعراف وفي سورة طه بعد ذهاب موسىٰ إلىٰ مناجاة اللَّه ، عز وجل ، [ثم لما رجع وكان ما كان ، جعل اللَّه توبتهم من الذي صنعوه وابتدعوه أن يقتل من لم يعبد العجل منهم من عبده ،

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز ، خ : « سألت » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .

فجعل يقتل بعضهم بعضًا ، ثم أحياهم الله ، عز وجل][١] ، فقال[٢] الله تعالىٰ : ﴿ **فعفونا عن ذلك وآتينا موسىٰ سلطانًا مبينًا** ﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿ **ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم** ﴾ وذلك حين امتنعوا من الالتزام بأحكام التوراة ، وظهر منهم إباء عما جاءهم به موسىٰ ، عليه السلام ، رفع الله علىٰ رءوسهم جبلًا ، ثم ألزموا فالتزموا وسجدوا وجعلوا ينظرون إلىٰ فوق رءوسهم خشية أن يسقط عليهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون** ﴾ الآية .

﴿ **وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدًا** ﴾ أي : فخالفوا ما أمروا به من القول والفعل ، فإنهم أمروا أن يدخلوا باب بيت المقدس سجدًا وهم يقولون حطة ، أي : اللهم حط عنا ذنوبنا في تركنا الجهاد ، ونكولنا عنه حتىٰ تهنا في التيه أربعين سنة ، فدخلوا يزحفون علىٰ أستاههم وهم يقولون : حنطة في شعرة .

﴿ **وقلنا لهم لا تعدوا في السبت** ﴾ أي : وصيناهم بحفظ السبت والتزام ما حرم الله عليهم ما دام مشروعًا لهم ، ﴿ **وأخذنا منهم ميثاقًا غليظًا** ﴾ أي : شديدًا ، فخالفوا وعصوا وتحيلوا علىٰ ارتكاب ما حرم[٣] الله - عز وجل - كما هو مبسوط في سورة الأعراف عند قوله : ﴿ **واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت** ﴾ الآيات ، وسيأتي حديث صفوان بن عسال في سورة سبحان عند قوله : ﴿ **ولقد آتينا موسىٰ تسع آيات بينات** ﴾ وفيه : وعليكم خاصة يهود أن لا تعدوا في السبت .

فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في خ : « مناهي » .

ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾

وهذه[١] من الذنوب التي ارتكبوها ، مما أوجب لعنتهم وطردهم وإبعادهم عن الهدىٰ ، وهو نقضهم المواثيق والعهود التي أخذت عليهم ، وكفرهم بآيات اللّٰه ، أي : حججه وبراهينه ، والمعجزات التي شاهدوها علىٰ يد الأنبياء عليهم السلام .

وقوله[٢] : ﴿ **وقتلهم الأنبياء بغير حق** ﴾ وذلك لكثرة إجرامهم واجترائهم علىٰ أنبياء اللّٰه ، فإنهم قتلوا جمًّا غفيرًا من الأنبياء ، عليهم السلام ، وقولهم : ﴿ **قلوبنا غلف** ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والسدي وقتادة وغير واحد : أي : في غطاء ، وهذا كقول المشركين : ﴿ **وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون** ﴾ ، وقيل : معناه أنهم ادعوا أن قلوبهم غلف للعلم ، أي : أوعية للعلم قد حوته وحصلته . رواه الكلبي(٩٠٩) عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وقد تقدم نظيره في سورة البقرة .

قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **بل طبع اللّٰه عليها بكفرهم** ﴾ فعلىٰ القول الأول كأنهم يعتذرون إليه بأن قلوبهم لا تعي ما يقول ؛ لأنها في غلف وفي أكنة ، قال اللّٰه : بل هي مطبوع عليها بكفرهم . وعلىٰ القول الثاني عكس عليهم ما ادعوه من كل وجه ، وقد تقدم الكلام علىٰ مثل هذا في سورة البقرة .

﴿ **فلا يؤمنون إلَّا[٣] قليلًا** ﴾ أي : مردت قلوبهم علىٰ الكفر والطغيان ، وقلة الإيمان . ﴿ **وبكفرهم وقولهم علىٰ مريم بهتانًا عظيمًا** ﴾ قال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس : يعني[٤] : أنهم رموها بالزنا .

وكذا[٥] قال السدي ، وجويبر ، ومحمد بن إسحاق ، وغير واحد ، وهو ظاهر من الآية أنهم رموها وابنها بالعظائم ، فجعلوها زانية وقد حملت بولدها من ذلك ، زاد بعضهم : وهي حائض ، فعليهم لعائن اللّٰه المتتابعة إلىٰ يوم القيامة .

وقولهم : ﴿ **إنا قتلنا المسيح عيسىٰ ابن مريم رسول اللّٰه** ﴾ أي : هذا الذي يدعي لنفسه

---

[١] - في خ : « وهذا » .
[٢] - في خ : « قوله » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في خ : « وكذلك » .

ذلك[١] [المنصب قتلناه . وهذا منهم من باب التهكم والاستهزاء ، كقول المشركين : ﴿ **يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون** ﴾][٢] .

وكان من خبر اليهود ، عليهم لعائن اللّٰه وسخطه وغضبه وعقابه ، أنه لما بعث اللّٰه عيسىٰ ابن مريم بالبينات والهدىٰ ، حسدوه علىٰ ما آتاه اللّٰه تعالىٰ من النبوة والمعجزات الباهرات التي كان يبرئ بها الأكمه والأبرص ويحيي الموتىٰ بإذن اللّٰه ويصور من الطين طائرًا ثم ينفخ فيه فيكون طائرًا يشاهد طيرانه بإذن اللّٰه ، عز وجل ، إلىٰ غير ذلك من المعجزات التي أكرمه اللّٰه بها وأجراها علىٰ يديه ، ومع هذا كذبوه وخالفوه وسعوا في أذاه بكل ما أمكنهم ، حتىٰ جعل نبي اللّٰه عيسىٰ ، عليه السلام ، لا يساكنهم في بلدة ، بل يكثر السياحة هو وأمه عليهما السلام ، ثم لم يقنعهم ذلك حتىٰ سعوا إلىٰ ملك دمشق في ذلك الزمان ، وكان رجلًا مشركًا من عبدة الكواكب ، وكان يقال لأهل ملته : اليونان ، وأنهوا إليه أن [ببيت][٣] المقدس رجلًا يفتن الناس ويضلهم ويفسد علىٰ الملك رعاياه ؛ فغضب الملك من هذا وكتب إلىٰ نائبه بالقدس[٤] أن يحتاط علىٰ هذا المذكور وأن يصلبه ويضع الشوك علىٰ رأسه ويكف أذاه عن الناس . فلما وصل الكتاب امتثل [متولي البلد][٥] ذلك ، وذهب هو وطائفة من اليهود إلىٰ المنزل الذي فيه عيسىٰ ، عليه السلام ، وهو في جماعة من أصحابه ، اثنا[٦] عشر أو ثلاثة عشر ، وقيل : سبعة عشر نفرًا ، وكان ذلك يوم الجمعة بعد العصر ليلة السبت ، فحصروه هنالك ، فلما أحس بهم وأنه لا محالة من دخولهم عليه أو خروجه إليهم[٧] قال لأصحابه : أيكم يلقىٰ عليه شبهي وهو رفيقي في الجنة ؟ فانتدب لذلك شاب منهم ، فكأنه استصغره عن ذلك ، فأعادها ثانية وثالثة وكل ذلك لا ينتدب إلا ذلك الشاب فقال : أنت هو ، وألقىٰ اللّٰه عليه شبه عيسىٰ حتىٰ كأنه هو ، وفتحت رَوْزنة[٨] من سقف البيت وأخذت عيسىٰ ، عليه السلام ، سنة من النوم ، فرفع إلىٰ السماء وهو كذلك كما قال اللّٰه[٩] تعالىٰ : ﴿ **إذ قال اللّٰه يا عيسىٰ إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا** ﴾ .

فلما رفع خرج أولئك النفر ، فلما رأىٰ أولئك ذلك الشاب ظنوا أنه عيسىٰ فأخذوه في الليل

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - ما بين المعكوفين مكانه في ز : « أنت مجنون » ، خ : « ذلك أنت » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في خ : « في بيت » .

[٤] - في م : « بالمقدس » .

[٥] - ما بين المعكوفين في ت : « وإلى بيت المقدس » .

[٦] - في خ : « اثني » .

[٧] - في ز ، خ : « عليهم » .

[٨] - الروزنة : الكُوَّة غير النافذة .

[٩] - سقط من ز .

وصلبوه ووضعوا الشوك علىٰ رأسه ، وأظهر اليهود أنهم سعوا في صلبه وتبجحوا بذلك ، وسلم لهم طوائف من[١] النصارىٰ ذلك لجهلهم وقلة عقلهم ، ما عدا من كان في البيت مع المسيح فإنهم شاهدوا رفعه ، وأما الباقون فإنهم ظنوا كما ظن اليهود أن المصلوب هو المسيح ابن مريم حتىٰ ذكروا أن مريم جلست تحت ذلك المصلوب وبكت ، ويقال : إنه خاطبها ، والله أعلم .

وهذا كله من امتحان الله عباده ؛ لما له في ذلك من الحكمة البالغة ، وقد وضَّح[٢] الله الأمر وجلاه وبينه وأظهره في القرآن العظيم الذي نزله[٣] علىٰ رسوله الكريم المؤيد بالمعجزات والبينات والدلائل الواضحات ، فقال تعالىٰ وهو أصدق القائلين ، وهو[٤] رب العالمين المطلع علىٰ السرائر والضمائر الذي يعلم السر في السموات والأرض ، العالم بما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف [كان][٥] يكون - : ﴿ **وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم** ﴾ أي : رأوا شبهه فظنوه إياه ، ولهذا قال : ﴿ **وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن** ﴾ يعني بذلك من ادعىٰ قتله من اليهود ، ومن سلمه إليهم[٦] من جهال النصارىٰ ، كلهم في شك من ذلك وحيرة وضلال وسعر ، ولهذا قال : ﴿ **وما قتلوه يقينًا** ﴾ أي : وما قتلوه متيقنين أنه هو ، بل شاكين متوهمين ﴿ **بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزًا حكيمًا** ﴾ أي : منيع الجناب ، لا يرام جنابه ، ولا يضام من لاذ ببابه ﴿ **حكيمًا** ﴾ أي : في جميع ما يقدره ويقضيه من الأمور التي يخلقها ، وله الحكمة[٧] البالغة والحجة الدامغة والسلطان العظيم والأمر القديم .

قال ابن أبي حاتم (٩١٠): حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ؛ قال : لما أراد الله[٨] أن يرفع

---

(٩٠٩) - هذا الإسناد ضعيف جدًّا ، محمد بن السائب الكلبي متهم بالكذب وقد روى ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٧/ الترجمة ١٤٧٨) عن أبي عاصم النبيل قال : زعم لي سفيان الثوري ، قال : قال لنا الكلبي : ما حدثت عن أبي صالح عن ابن عباس فهو كذب فلا ترووه . وروى عن أحمد بن أبي الحواري عن مروان بن محمد قال : تفسير الكلبي باطل .

(٩١٠) - رواه ابن أبي حاتم في (٤/١١١٠) (٦٢٣٣) ، ورواه النسائي في تفسيره (٦١١) قال : حدثنا محمد بن العلاء قال : حدثنا أبو معاوية ... فذكره ، ورواه ابن جرير الطبري في تفسيره أيضًا (٩٢/١٤) عند تفسير الآية (١٤) من سورة الصف فقال : حدثني أبو السائب قال حدثنا أبو معاوية ... فذكر الخبر وقد نقله ابن كثير في هذا التفسير المبارك عن هذا الموضع من تفسير الطبري في تفسير الآية المشار إليها=

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في م : « أوضح » .
[٣] - في ت : « أنزله » .
[٤] - في م : « و » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز ، خ : « الحجة » .
[٨] - سقط من : ز ، خ .

عيسىٰ إلىٰ السماء خرج علىٰ أصحابه - وفي البيت اثنا عشر رجلًا من الحواريين يعني فخرج عليهم من عين في البيت ورأسه يقطر ماء - فقال : إن منكم من يكفر بي اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن بي ، قال : ثم قال : أيكم يلقىٰ عليه شبهي فيقتل مكاني ويكون معي في درجتي ، فقام شاب من أحدثهم سنًّا ، فقال له : اجلس . ثم أعاد عليهم فقام ذلك[١] الشاب ، فقال : اجلس . ثم أعاد عليهم[٢] فقام الشاب فقال : أنا ، فقال : [أنت هو][٣] ذاك ، فألقي عليه شبه عيسىٰ ، ورفع عيسىٰ من روزنة في البيت إلىٰ السماء ، قال : وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشبه فقتلوه ثم صلبوه ، فكفر[٤] به بعضهم اثنتي[٥] عشرة مرة بعد أن آمن به ، وافترقوا ثلاث فرق ، فقالت طائفة[٦] : كان اللَّه فينا ما شاء ثم صعد إلىٰ السماء ، وهؤلاء اليعقوبية ، وقالت فرقة : كان فينا ابن اللَّه ما شاء ثم رفعه اللَّه إليه ، وهؤلاء النسطورية ، وقالت فرقة : كان فينا عبد اللَّه ورسوله ما شاء اللَّه[٧] ثم رفعه اللَّه إليه ، وهؤلاء المسلمون ، فتظاهرت الكافرتان علىٰ المسلمة فقتلوها ، فلم يزل الإِسلام طامسًا حتىٰ بعث اللَّه محمدًا ، صلى الله عليه وسلم .

وهذا إسناد صحيح إلىٰ ابن عباس ، ورواه النسائي عن أبي كريب عن أبي معاوية بنحوه ، وكذا ذكر غير واحد من السلف أنه قال لهم : أيكم يلقىٰ عليه شبهي فيقتل مكاني وهو رفيقي في الجنة .

وقال ابن جرير (٩١١): حدثنا ابن حميد ، حدثنا يعقوب القمي ، عن هارون بن عنترة ، عن وهب بن منبه قال : أتىٰ عيسىٰ [وعنده][٨] سبعة عشر من الحواريين في بيت فأحاطوا[٩] بهم ، فلما دخلوا عليه صوّرهم اللَّه ، عز وجل ، كلهم علىٰ صورة عيسىٰ ، فقالوا لهم : سحرتمونا ليبرزن لنا عيسىٰ أو لنقتلنكم جميعًا ، فقال عيسىٰ لأصحابه : من يشري نفسه منكم اليوم بالجنة ؟ فقال رجل منهم : أنا ، فخرج إليهم فقال[١٠] : أنا عيسىٰ ، وقد صوره اللَّه علىٰ

= من سورة الصف ، وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٤٢٣/٢) وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن مردويه .

(٩١١) - رواه ابن جرير فى تفسيره (٣٦٨/٩) (١٠٧٧٩) ، ويعقوب القمى هو يعقوب بن عبد الله بن سعد الأشعرى صدوق يهم ، وهارون بن عنترة لا بأس به كذا فى « التقريب » .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - ما بين المعكوفتين في خ : « هو أنت » .
[٤] - في ز : « وكفر » .
[٥] - في ز : « اثني » .
[٦] - في ت : « فرقة » .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - في ت : « ومعه » .
[٩] - في ز : « أحاطوا » .
[١٠] - في خ : « وقال » .

صورة عيسىٰ ، فأخذوه وقتلوه[١] وصلبوه . فمن ثم شبه لهم ، فظنوا أنهم قد قتلوا عيسىٰ ، وظنت النصارىٰ مثل ذلك أنه عيسىٰ ؛ ورفع اللَّه عيسىٰ من يومه ذلك .

وهذا سياق غريب جدًّا .

قال ابن جرير (٩١٢): وقد روي عن وهب نحو هذا القول ، وهو ما حدثني به[٢] المثنى ، حدثنا إسحاق ، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، حدثني عبد الصمد بن معقل : أنه سمع وهبًا يقول : إن عيسىٰ ابن مريم لما أعلمه اللَّه أنه خارج من الدنيا جزع من الموت وشق عليه ، فدعا الحواريين فصنع[٣] لهم طعامًا ، فقال : احضروني الليلة فإن لي إليكم حاجة ، فلما اجتمعوا إليه من الليل عشاهم وقام يخدمهم ، فلما فرغوا من الطعام أخذ يغسل أيديهم ويوضئهم بيده ويمسح أيديهم بثيابه ، فتعاظموا ذلك وتكارهوه ، فقال : ألا من رد علي شيئًا الليلة مما أصنع فليس مني ولا أنا منه فأقروه ، حتىٰ إذا فرغ من ذلك قال : أما ما صنعت بكم الليلة مما خدمتكم علىٰ الطعام وغسلت أيديكم بيدي فليكن لكم بي أسوة ، فإنكم ترون أني خيركم ، فلا يتعظم[٤] بعضكم على بعض ، وليبذل بعضكم نفسه لبعض كما بذلت نفسي لكم ، وأما حاجتي الليلة التي أستعينكم[٥] عليها[٦] فتدعون لي اللَّه وتجتهدون في الدعاء أن يؤخر أجلي . فلما نصبوا أنفسهم للدعاء ، وأرادوا أن يجتهدوا ، فأخذهم النوم حتىٰ لم يستطيعوا دعاء ، فجعل يوقظهم[٧] ، ويقول : سبحان اللَّه ! أما تصبرون لي ليلة واحدة تعينونني فيها ؟ قالوا[٨] : واللَّه ما ندري ما لنا ؛ لقد كنا نسمر فنكثر السمر وما نطيق الليلة سمرًا ، وما نريد دعاء إلا حيل بيننا وبينه ، فقال : يُذهب بالراعي[٩] وتفرق الغنم . وجعل يأتي بكلام نحو هذا ينعي به[١٠] نفسه . ثم قال[١١] : الحق ، ليكفرنّ بي أحدكم قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات ، وليبيعني أحدكم بدراهم يسيرة ، وليأكلن[١٢] ثمني . فخرجوا وتفرقوا ، وكانت اليهود تطلبه ، فأخذوا شمعون أحد الحواريين ، وقالوا :

(٩١٢) - تفسير الطبرى (٩/٣٦٨ ، ٣٦٩) (١٠٧٨٠) وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٢/٤٢٤) وزاد نسبته لعبد بن حميد .

[١] - في خ : « فقتلوه » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في خ : « وصنع » .
[٤] - في خ : « يتعاظم » .
[٥] - في خ : « استعنتكم » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في ز : « يوقفهم » .
[٨] - في خ : « فقالوا » .
[٩] - في ز : « الداعي » .
[١٠] - في ز : « بها » .
[١١] - سقط من : ز ، خ .
[١٢] - في ز : « ليأكلني » .

هذا من أصحابه ، فجحد ، وقال : ما أنا بصاحبه ؛ فتركوه . ثم أخذه آخرون فجحد كذلك ، ثم سمع صوت ديك فبكىٰ وأحزنه ، فلما أصبح أتىٰ أحد الحواريين إلىٰ اليهود فقال : ما تجعلون لي إن دللتكم علىٰ المسيح ؟ فجعلوا[١] له ثلاثين درهمًا ، فأخذها ودلهم عليه ، وكان شبه عليهم قبل ذلك ، فأخذوه فاستوثقوا منه ، وربطوه بالحبل ، وجعلوا يقودونه ويقولون له[٢] : أنت كنت تحيي الموتىٰ وتنهر الشيطان وتبرئ[٣] المجنون ؛ أفلا تنجي نفسك من هذا الحبل ؟ ويبصقون عليه ، ويلقون عليه الشوك ، حتىٰ أتوا به الخشبة التي[٤] أرادوا أن يصلبوه عليها ، فرفعه الله إليه وصلبوا ما شبه لهم ، فمكث سبعًا .

ثم إن أمه والمرأة التي كان يداويها عيسىٰ ، عليه السلام ، فأبرأها الله من الجنون ، جاءتا تبكيان[٥] حيث المصلوب ، فجاءهما عيسىٰ فقال : علام[٦] تبكيان ؟ فقالتا : عليك . فقال : إني قد رفعني الله إليه ، ولم يصبني إلا خير ، وإن هذا شبه لهم فأمرا الحواريين يلقوني إلىٰ مكان كذا وكذا . فلقوه إلىٰ ذلك المكان أحد عشر . وفقدوا الذي كان[٧] باعه ودل عليه اليهود ، فسأل عنه أصحابه فقال : إنه ندم علىٰ ما صنع فاختنق ، وقتل نفسه . فقال : لو تاب لتاب الله عليه . ثم سألهم عن غلام كان[٨] تبعهم يقال له : يحيىٰ ، فقال : هو معكم فانطلقوا ، فإنه سيصبح كل إنسان يحدث بلغة قومه[٩] فلينذرهم وليدعهم . سياق غريب جدًا .

ثم قال ابن جرير(٩١٣) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق قال : كان اسم ملك بني إسرائيل الذي بعث إلىٰ عيسىٰ ليقتله رجلًا منهم ، يقال له : داود ، فلما أجمعوا لذلك منه ، لم يفظع عبد من عباد الله بالموت فيما ذكر لي فظعه ، ولم يجزع منه جزعه ، ولم يدع الله في صرفه عنه دعاءه ، حتىٰ إنه ليقول فيما يزعمون : اللهم إن كنت صارفًا هذه الكأس عن أحد من خلقك ؛ فاصرفها عني ، وحتى إن جلده من كرب ذلك ليتفصد دمًا ، فدخل المدخل الذي أجمعوا أن يدخلوا عليه فيه ليقتلوه هو وأصحابه ، وهم ثلاثة عشر[١٠] بعيسىٰ عليه السلام ، فلما أيقن أنهم داخلون عليه قال لأصحابه من الحواريين - وكانوا اثني عشر رجلًا : فطرس[١١] ،

(٩١٣) - تفسير الطبرى (٩/٣٧١ - ٣٧٣) (١٠٧٨٥) .

[١] - في م : « فجعل » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « فيبرأ » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في ز : « يبكيان » .
[٦] - في ز : « ما » .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - في خ : « كاد » .
[٩] - في ز : « قوم » .
[١٠] - سقط من : ز ، خ .
[١١] - في ز ، خ : « فرطوس » .والمثبت من تفسير الطبري .

[ويعقوب بن زبدي][١] ويحنس أخو يعقوب ، وأندارابيس[٢] ، وفيلبس [وأبر ثلما][٣] ، ومتى[٤] وتوماس[٥] ، ويعقوب بن حلفيا[٦] ، وتداوسيس ، وقثانيا ، ويودس[٧] [زكريا يوطا][٨] .

قال ابن حميد : قال سلمة ، قال ابن إسحاق . وكان فيهم - فيما ذكر لي - رجل اسمه سرجس ، فكانوا[٩] ثلاثة عشر رجلًا سوىٰ عيسىٰ ، عليه السلام ، جحدته النصارىٰ ، وذلك أنه هو الذي شبه ليهود[١٠] مكان[١١] عيسىٰ ، قال : فلا أدري ما[١٢] هو ؟ من هؤلاء الاثني عشر أو كان ثالث عشر ، فجحدوه حين أقروا لليهود بصلب عيسىٰ ، وكفروا بما جاء به محمد ، صلى الله عليه وسلم ، من الخبر عنه . فإن كانوا ثلاثة عشر ؛ فإنهم دخلوا المدخل حين دخلوا [وهم بعيسىٰ أربعة عشر][١٣] ، [وإن كانوا اثني عشر فإنهم دخلوا المدخل وهم ثلاثة عشر][١٤] .

قال ابن إسحاق : وحدثني رجل كان نصرانيًا فأسلم : أن عيسىٰ حين جاءه من الله ﴿ **إني رافعك إلي** ﴾ قال - : يا معشر الحواريين ، أيكم يحب أن يكون رفيقي في الجنة ، [على أن يشبه للقوم][١٥] في صورتي ؛ فيقتلوه في مكاني . فقال سرجس : أنا يا روح الله . قال : فاجلس في مجلسي ، فجلس فيه ، ورفع عيسىٰ ، عليه السلام ، فدخلوا عليه فأخذوه فصلبوه ، فكان هو الذي صلبوه ، وشبه لهم به ، وكانت[١٦] عدتهم حين دخلوا مع عيسىٰ معلومة ؛ قد رأوهم وأحصوا عدتهم ، فلما دخلوا عليهم[١٧] ليأخذوه ؛ وجدوا عيسىٰ [فيما يرون وأصحابه][١٨] ، وفقدوا رجلًا من العدة فهو الذي اختلفوا[١٩] فيه ، وكانوا لا يعرفون عيسىٰ حتىٰ جعلوا ليودس زكريا يوطا ثلاثين درهمًا علىٰ أن يدلهم عليه ، ويعرفهم إياه ، فقال لهم : إذا دخلتم عليه ، فإني سأقبله وهو الذي أقبل ، فخذوه[٢٠] ، فلما دخلوا

---

[١] - في ز : « ويعقوب بس ويلا » ، خ : « ويعقوب بن ريدى » .

[٢] - في ز : « أندارابيس » .

[٣] - في . خ : « وابن يلما » .

[٤] - في ز : « منتا » .

[٥] - في ز : « قوماس » .

[٦] - في ز ، خ : « حلقايا » .

[٧] - في ز : « يردس » .

[٨] - في ز ، خ : « وكريا يوطا » .

[٩] - في ز : « وكانوا » .

[١٠] - في خ : « لليهود » .

[١١] - في ز ، خ : « وكان » .

[١٢] - سقط من : ز ، خ .

[١٣] - في ز ، خ : « وهم ثلاثة عشر » .

[١٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[١٥] - في ز : « حتى يشبه اليوم » .

[١٦] - في ز : « فكانت » .

[١٧] - في ز : « عليه » .

[١٨] - في خ : « وأصحابه فيما يرون » .

[١٩] - في ز : « أخلفوا » .

[٢٠] - في ز ، خ : « فخذه » .

وقد رفع عيسىٰ ، ورأىٰ سرجس في صورة عيسىٰ فلم يشكّك[١] أنه عيسىٰ ، فأكب عليه فقبله فأخذوه فصلبوه .

ثم إن يودس[٢] زكريا يوطا ندم علىٰ ما صنع فاختنق بحبل حتىٰ قتل نفسه ، وهو ملعون في النصارىٰ ، وقد كان أحد المعدودين من أصحابه ، وبعض النصارىٰ يزعم أن يودس زكريا يوطا هو الذي شبه لهم فصلبوه ، وهو يقول : إني لست بصاحبكم ، أنا الذي دللتكم عليه ، فاللّه[٣] أعلم أي ذلك كان .

و[٤] قال ابن جريج[٥] عن مجاهد : صلبوا رجلًا شبهوه بعيسىٰ ، ورفع اللّه ، عز وجل ، عيسىٰ إلىٰ السماء حيًا . واختار ابن جرير أن شبه عيسىٰ ألقي علىٰ جميع أصحابه .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدًا** ﴾ .

قال ابن جرير (٩١٤): اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ؛ فقال بعضهم : معنى ذلك ﴿ **وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به** ﴾ [يعني : بعيسىٰ ﴿ **قبل موته** ﴾][٦] يعني قبل موت عيسىٰ ، يوجه ذلك إلىٰ أن جميعهم يصدقون به إذا نزل لقتل الدجال ، فتصير الملل كلها واحدة ، وهي ملة الإسلام الحنيفية ، دين إبراهيم عليه السلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار(٩١٥) ، حدثنا عبد الرحمن ، عن[٧] سفيان ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ **وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته** ﴾ قال : قبل موت

(٩١٤) - تفسير الطبرى (٣٧٩/٩) .

(٩١٥) - رواه ابن جرير فى تفسيره (٣٨٠/٩) (١٠٧٩٤) ورواه ابن أبى حاتم (١١١٤/٤) (٦٢٥٤) فقال : حدثنا أحمد بن سنان ثنا عبد الرحمن يعنى ابن مهدى ... فذكره ، ورواية العوفى عن ابن عباس رواها الطبرى فى تفسيره (٣٨١/٩) (١٠٨٠٧) بلفظ : « يعنى : أنه سيدرك أناسٌ من أهل الكتاب حين يبعث عيسى ، فيؤمنون به ، » ﴿ ويوم القيامة يكون عليهم شهيدًا ﴾ .

[١] - في خ : « يشك » .
[٢] - في ز : « ليودس » .
[٣] - في خ : « والله » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ت : « جرير » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .
[٧] - في ز : « ثنا » .

عيسىٰ ابن مريم ، عليه السلام ، . وقال العوفي : عن ابن عباس مثل ذلك .

وقال أبو مالك في قوله : ﴿ **إلا ليؤمنن به قبل موته** ﴾ قال : ذلك عند نزول عيسىٰ ابن مريم ، عليه السلام ، لا يبقىٰ أحد من أهل الكتاب إلا آمن به .

وقال الضحاك عن ابن عباس : ﴿ **وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته** ﴾ يعني اليهود خاصة ، وقال الحسن البصري : يعني النجاشي وأصحابه . رواهما ابن أبي حاتم (٩١٦) .

وقال ابن جرير (٩١٧): وحدثني يعقوب ، حدثنا ابن علية[١] ، حدثنا أبو رجاء ، عن الحسن : ﴿ **وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته** ﴾ قال : قبل موت عيسىٰ ، والله إنه الآن حيٌّ عند الله ، ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون .

وقال ابن أبي حاتم(٩١٨) ، حدثنا أبي ، حدثنا علي بن عثمان اللاحقي ، حدثنا جويرية بن بشير ، قال : سمعت رجلًا قال للحسن : يا أبا سعيد ، قول الله عز وجل : ﴿ **وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته** ﴾ قال : قبل موت عيسىٰ ، إن الله رفع إليه[٢] عيسىٰ وهو باعثه قبل يوم القيامة مقامًا يؤمن به البر والفاجر .

وكذا قال قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد . وهذا القول هو الحق ، كما سنبينه بعد بالدليل القاطع إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان .

قال ابن جرير ، وقال آخرون : معنىٰ ذلك : وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به [قبل موت][٣] الكتابي ، ذكر من كان يوجه ذلك إلىٰ أنه إذا عاين علم الحق من الباطل ؛ لأن كل من نزل به الموت لم تخرج نفسه حتىٰ يتبين له الحق من الباطل في دينه .

---

(٩١٦) - أثر أبي مالك رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١١١٣/٤) (٦٢٥٣) بلفظ : « ليس أحد من أهل الأرض يدركه نزول عيسى ابن مريم إلّا آمن به » ، ورواه الطبرى فى تفسيره (٣٨١/٩) (١٠٨٠٤) بنحوه ، ورواية الضحاك عن ابن عباس رواها ابن أبى حاتم فى تفسيره (١١١٢/٤) (٦٢٤٧) وأثر الحسن رواه ابن أبى حاتم برقم (٦٢٤٨) .

(٩١٧) - تفسير الطبرى (٣٨٠/٩) (١٠٧٩٨) ، وانظر الدر المنثور (٤٢٨/٢) وعزاه لابن جرير .

(٩١٨) - تفسير ابن أبى حاتم (١١١٣/٤) (٦٢٥١) ، وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٤٢٨/٢) وعزاه لابن أبى حاتم .

---

[١] - في ت : « عالية » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ؛ قوله : ﴿ **وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته** ﴾ قال : لا يموت يهودي حتىٰ يؤمن بعيسىٰ (٩١٩).

حدثني المثنى ، حدثنا[١] أبو حذيفة ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : ﴿ **إلا ليؤمنن به قبل موته** ﴾ ، كل صاحب كتاب يؤمن بعيسىٰ قبل موته ؛ قبل موت صاحب الكتاب . و[٢] قال ابن عباس : لو ضربت عنقه لم تخرج نفسه حتىٰ يؤمن بعيسىٰ (٩٢٠).

حدثنا ابن حميد ، حدثنا أبو تميلة يحيىٰ بن واضح ، حدثنا حسين بن واقد ، عن يزيد النحوي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ قال : لا يموت اليهودي حتىٰ يشهد أن عيسىٰ عبد الله ورسوله ، ولو عجل عليه بالسلاح (٩٢١).

حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، حدثنا عتاب بن بشير ، عن خصيف ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ **وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته** ﴾ ، قال : هي في قراءة أبي : « **قبل موتهم** » ليس يهودي[٣] يموت أبدًا ، حتىٰ يؤمن بعيسىٰ . قيل لابن عباس : أرأيت إن خرّ من فوق بيت ، قال : يتكلم به[٤] في الهُوِيّ[٥] ، فقيل : أرأيت إن ضربت عنق [أحد منهم][٦] ، قال : يلجلج بها لسانه (٩٢٢).

وكذا روىٰ سفيان الثوري ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، ﴿ **وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته** ﴾ ، قال : لا يموت يهودي حتىٰ يؤمن بعيسىٰ ، عليه السلام ، وإن ضرب بالسيف تكلم به ؛ قال : وإن هوىٰ تكلم به وهو يهوي (٩٢٣) .

---

(٩١٩) - رواه ابن جرير فى تفسيره (٣٨٢/٩) (١٠٨٠٩) .

(٩٢٠) - رواه ابن جرير فى تفسيره (٣٨٢/٩ ، ٣٨٣) (١٠٨١٢) .

(٩٢١) - تفسير الطبري (٣٨٣/٩) (١٠٨١٣) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٢٧) وزاد نسبته لعبد بن حميد .

(٩٢٢) - تفسير ابن جرير (٣٨٣/٩) (١٠٨١٤) وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٤٢٧/٢) وعزاه للطيالسى وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر . وقد فتشت عنه فى مسند الطيالسى فلم أعثر عليه . والله أعلم .

(٩٢٣) - رواه ابن جرير فى تفسيره (٣٨٣/٩) (١٠٨١٥) .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في خ : « بيهودي » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز ، خ : « الهواء » .
[٦] - في خ : « أحدهم » .

وكذا روىٰ أبو داود الطيالسي(٩٢٤) ، عن شعبة ، عن أبي هارون الغنوي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس . فهذه كلها[١] أسانيد صحيحة إلىٰ ابن عباس ، وكذا صح عن مجاهد وعكرمة ، ومحمد بن سيرين ، وبه يقول الضحاك وجويبر ، وقاله[٢] السدي ، وحكاه عن ابن عباس ، ونقل قراءة أبي بن كعب : « قبل موتهم » .

وقال عبد الرزاق (٩٢٥): عن إسرائيل ، عن فرات القزاز ، عن الحسن في قوله : ﴿ إلا ليؤمنن به قبل موته ﴾ قال : لا يموت أحد منهم حتىٰ يؤمن بعيسىٰ قبل أن يموت .

وهذا يحتمل أن يكون مراد الحسن ما تقدم عنه ، ويحتمل أن يكون مراده ما أراده هؤلاء .

قال ابن جرير : وقال آخرون : معنىٰ ذلك وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بمحمد ، صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، قبل موت الكتابي .

(ذكر من قال ذلك)

حدثني ابن المثنى ، حدثنا الحجاج بن المنهال ، حدثنا حماد ، عن حميد ، قال : قال عكرمة : لا يموت النصراني ولا اليهودي حتىٰ يؤمن بمحمد ، صلى الله عليه وسلم . [ ][٣] قوله : ﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ﴾(٩٢٦) .

ثم قال ابن جرير : وأولىٰ هذه الأقوال بالصحة القول الأول ؛ وهو أنه لا يبقىٰ أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسىٰ ، عليه السلام ، إلا آمن به [قبل موته ، أي][٤] : قبل موت عيسىٰ عليه السلام . ولا شك أن هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح ؛ لأنه المقصود من سياق الآي في تقرير بطلان ما ادّعته اليهود من قتل عيسىٰ وصلبه ، وتسليم من سلم لهم من النصارىٰ الجهلة

(٩٢٤) - رواه ابن جرير فى تفسيره (٩/٣٨٣ ، ٣٨٤) (١٠٨١٦) من طريق محمد بن جعفر قال : حدثنا شعبة ، عن أبى هارون الغنوى عن عكرمة عن ابن عباس . وأبو هارون الغنوى هو إبراهيم بن العلاء ثقة روى له البخارى فى كتاب الجنائز من صحيحه .

(٩٢٥) - تفسير عبد الرزاق (١/١٧٧) ومن طريقه رواه ابن جرير فى تفسيره (٩/٣٨٥) (١٠٨٢٤) ورواه ابن جرير أيضًا برقم (١٠٨٢٣) قال : حدثنا ابن وكيع قال : حدثنا أبى عن إسرائيل ... فذكره مثل رواية عبد الرزاق .

(٩٢٦) - تفسير ابن جرير (٩/٣٨٦) (١٠٨٢٩) .

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ز ، خ : « و » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ت : يعني في .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

ذلك ، فأخبر اللَّه أنه لم يكن الأمر كذلك[١] ، وإنما كذلك شبه لهم فقتلوا الشبيه وهم لا يتبينون ذلك ، ثم إنه رفعه إليه ، وإنه باق حيٌّ ، وإنه سينزل قبل يوم القيامة ، كما دلت عليه الأحاديث المتواترة التي سنوردها إن شاء اللَّه قريبا ، فيقتل مسيح[٢] الضلالة ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ، يعني : لا يقبلها من أحد من أهل الأديان ، بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف ، فأخبرت هذه الآية الكريمة : أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ ، ولا يتخلَّف[٣] عن التصديق به واحد منهم ؛ ولهذا قال : ﴿ **وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته** ﴾ أي : قبل موت عيسىٰ عليه السلام ، الذي زعم اليهود ومن وافقهم من النصارىٰ أنه قتل وصلب . ﴿ **ويوم القيامة يكون عليهم شهيدًا** ﴾ أي : بأعمالهم التي شاهدها منهم قبل رفعه إلىٰ السماء ، وبعد نزوله إلىٰ الأرض .

فأما من فسر هذه الآية بأن المعنىٰ : أن كل كتابي لا يموت حتى يؤمن بعيسىٰ أو بمحمد ، عليهما الصلاة والسلام ، فهذا هو الواقع ، وذلك أن كل أحد عند احتضاره ينجلي له ما كان جاهلًا به ؛ فيؤمن به ، ولكن لا يكون ذلك إيمانا نافعًا له إذا كان قد شاهد الملك ، كما قال تعالىٰ في أوّل[٤] هذه السورة : ﴿ **وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتىٰ إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا باللَّه وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا** ﴾ الآية ، وهذ يدل علىٰ ضعف ما احتج به ابن جرير في ردّ هذا القول حيث قال : ولو كان المراد بهذه الآية هذا لكان كل من آمن بمحمد أو بالمسيح ممن كفر بهما يكون علىٰ دينهما ؛ وحينئذ لا يرثه أقرباؤه من أهل دينه ، [لأنه قد][٥] أخبر الصادق أنه يؤمن به قبل موته ، فهذا ليس بجيد إذ لا يلزم من إيمانه في حالة لا ينفعه إيمانه أنه يصير بذلك مسلمًا ، ألا ترىٰ إلىٰ[٦] قول ابن عباس : ولو تردّىٰ من شاهق ، أو ضرب بسيف ، أو افترسه سبع ، فإنه لابد أن يؤمن بعيسىٰ ، فالإيمان به[٧] في [مثل][٨] هذه الحالات[٩] ليس بنافع ولا ينقل صاحبه عن كفره لما قدّمناه ، واللَّه أعلم .

---

[١] - سقط من خ .
[٢] - في ز : « المسيح » .
[٣] - في خ : « يختلف » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « كونه » .
[٦] - سقط من : ت .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .
[٩] - في ت : « الحال » .

ومن تأمّل هذا جيدًا ، وأمعن النظر اتضح له [أن هذا و][١] إن[٢] كان[٣] هو الواقع ، لكن لا يلزم منه أن يكون المراد بهذه الآية هذا ، بل المراد بها ما ذكرناه من تقرير وجود عيسىٰ ، عليه السلام ، وبقاء حياته في السماء ، وأنه سينزل إلىٰ الأرض قبل يوم القيامة ؛ ليكذب هؤلاء وهؤلاء من اليهود والنصارىٰ الذين تباينت أقوالهم فيه ، وتضادت[٤] وتعاكست وتناقضت وخلت عن الحق ، ففرط هؤلاء اليهود ، وأفرط هؤلاء النصارىٰ ، تنقَّصه اليهود بما رموه به وأمّه من العظائم ، وأطراه النصارىٰ بحيث ادّعوا فيه ما[٥] ليس فيه ؛ فرفعوه في مقابلة أولئك عن مقام النبوّة إلىٰ مقام الربوبية ، تعالىٰ الله ، عما يقول هؤلاء وهؤلاء علوًّا كبيرًا ، وتنزه وتقدّس ، لا إله إلا هو .

(ذكر الأحاديث الواردة في نزول عيسىٰ ابن مريم إلىٰ الأرض من السماء في آخر الزمان قبل يوم القيامة وأنه يدعو إلىٰ عبادة الله وحده لا شريك له)

قال البخاري ، رحمه الله ، في كتاب ذكر الأنبياء من صحيحه المتلقىٰ بالقبول : (نزول عيسىٰ ابن مريم عليه السلام) حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا أبي ، عن صالح ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **والذي نفسي بيده ، ليوشكنّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلًا فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتىٰ لا يقبله أحد ، وحتىٰ تكون السجدة خيرًا من الدنيا وما فيها** » . ثم يقول أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم : ﴿ **وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدًا** ﴾ (٩٢٧).

(٩٢٧) - رواه البخارى فى « صحيحه » فى الموضع المشار إليه برقم (٣٤٤٨) ورواه فى كتاب البيوع ، باب : قتل الخنزير حديث (٢٢٢٢) وفى كتاب المظالم ، باب : كسر الصليب وقتل الخنزير حديث (٢٤٧٦) ، وفى أحاديث الأنبياء أيضًا ، باب : نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام حديث (٣٤٤٩) ، ومسلم فى الإيمان ، باب : نزول عيسى ابن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حديث (١٥٥) ، والترمذى فى كتاب الفتن ، باب : ما جاء فى نزول عيسى ابن مريم عليه السلام حديث (٢٢٣٣) ، وابن ماجه فى الفتن ، باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : « إنه » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ت : « وتصادمت » .
[٥] - في خ : « بما » .

وكذا رواه مسلم ، عن الحسن الحلواني وعبد بن حميد ، كلاهما عن يعقوب ، به ، وأخرجه البخاري ومسلم أيضًا من حديث سفيان بن عيينة ، عن الزهري به ، وأخرجاه من طريق الليث عن الزهري ، به . ورواه ابن مردويه من طريق محمد بن أبي حفصة ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلاً ، يقتل الدجال ، ويقتل الخنزير ، ويكسر الصليب ، ويضع الجزية ، ويفيض المال ، وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين** » ، قال أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم ﴿ **وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته** ﴾ موت عيسىٰ ابن مريم ، ثم يعيدها أبو هريرة ثلاث مرات .

(طريق أخرىٰ عن أبي هريرة) . قال الإمام أحمد (٩٢٨): حدثنا روح ، حدثنا محمد بن أبي حفصة ، عن الزهري ، عن حنظلة بن علي الأسلمي ، عن أبي هريرة أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **ليهلنّ عيسىٰ ابن مريم بفج الروحاء بالحج أو العمرة ، أو ليثنيهما جميعًا** » .

وكذا رواه مسلم منفردًا به من حديث سفيان بن عيينة والليث بن سعد ويونس بن يزيد ، ثلاثتهم عن الزهري به .

وقال أحمد (٩٢٩): حدثنا يزيد ، حدثنا سفيان - هو ابن حسين - عن الزهري ، عن حنظلة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ينزل عيسىٰ ابن مريم فيقتل الخنزير ، ويمحو الصليب ، وتجمع له الصلاة ، ويعطي المال حتىٰ لا يقبل ، ويضع الخراج ، وينزل الروحاء فيحج منها أو يعتمر أو يجمعهما** » . قال : وتلا أبو هريرة : ﴿ **وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته** ﴾ الآية ، فزعم حنظلة أنّ أبا هريرة قال :

=ومأجوج حديث (٤٠٧٨) وأحمد فى مسنده (٢/٢٤٠ ، ٢٧٢ ، ٥٣٨) من طرق عن الزهرى به .

(٩٢٨) - مسند أحمد (٢/٥١٣) ، ورواه أحمد فى (٢/٢٤٠) قال : حدثنا سفيان ، وفى (٢/٢٧٢) عن الزهرى عن معمر ، وفى (٢/٥٤٠) عن محمد بن مصعب عن الأوزاعى ثلاثتهم عن الزهرى به ، ورواه مسلم فى كتاب الحج ، باب : إهلال النبى - صلى الله عليه وسلم - وهديه حديث (١٢٥٢/٣١٦) من طريق ابن عيينة والليث بن سعد ، ويونس عن الزهرى بالحديث .

(٩٢٩) - المسند (٢/٢٩٠) ، ورواه ابن أبى حاتم فى تفسيره (٤/١١١٣) (٦٢٤٩) قال : حدثنى أبى ثنا محمد بن المثنى أبو موسى ثنا يزيد بن هارون ... فذكره ، وسفيان هو ابن حسين ثقة لكن روايته عن الزهرى ضعيفة ضعفها أحمد وابن معين وغيرهما وقد روى له البخارى فى « القراءة خلف الإمام » وفى « الأدب » ومسلم فى مقدمة كتابه وأصحاب السنن لكن تابعه غير واحد من الثقات عن الزهرى كما تقدم فى الحديث السابق .

يؤمن به قبل موت عيسىٰ ، فلا أدري : هذا كله حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، أو شيء قاله أبو هريرة .

وكذا رواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن أبي موسىٰ محمد بن المثنى ، عن يزيد بن هارون ، عن سفيان بن حسين ، عن الزهري ، به .

(طريق أخرىٰ) قال البخاري (٩٣٠): حدثنا ابن بكير ، حدثنا الليث ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، عن نافع مولىٰ أبي قتادة الأنصاري ، أنّ أبا هريرة قال : قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم : « **كيف بكم إذا نزل فيكم المسيح ابن مريم ، وإمامكم منكم** » . تابعه عقيل والأوزاعي .

وهكذا رواه الإمام أحمد عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن عثمان بن عمر ، عن ابن[١] أبي ذئب ، كلاهما عن الزهري ، به . وأخرجه مسلم من رواية يونس ، والأوزاعي وابن أبي ذئب ، به .

(طريق أخرىٰ) قال الإمام أحمد (٩٣١): حدثنا عفان ، حدثنا همام ، أنبأنا قتادة ، عن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة أنّ النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم قال : « **الأنبياء إخوة لعلّات** ،

(٩٣٠) - صحيح البخارى كتاب أحاديث الأنبياء ، باب : نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام . حديث (٣٤٤٩) ، ورواه مسلم فى كتاب الإيمان ، باب نزول عيسى ابن مريم حاكمًا بشريعة نبينا . حديث (٢٤٤، ٢٤٥ ، ٢٤٦/١٥٥) وأحمد فى مسنده (٢/٢٧٢ ، ٣٣٦) من طرق عن الزهرى به .

ورواية ابن أبى ذئب فى صحيح مسلم (٢٤٦/١٥٥) عن ابن شهاب عن نافع مولى أبى قتادة عن أبى هريرة أن رسول الله - صلى اللّه عليه وسلم - قال : كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم فأمّكم منكم ؟ » فقلت لابن أبى دئب : إن الأوزاعى حدثنا عن الزهرى ، عن نافع عن أبى هريرة : « وإمامكم منكم » قال ابن أبى ذئب : تدرى ما أمكم منكم ؟ قلت : تخبرنى . قال : فأمّكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكم صلى اللّه عليه وسلم .

(٩٣١) - المسند (٢/٤٠٦) ، ورواه أحمد أيضًا فى (٢/٤٣٧) وأبو داود فى الملاحم ، باب : خروج الدجال حديث (٤٣٢٤) مختصرًا ، وابن حبان فى صحيحه (٦٨١٤) ، (٦٨٢١) والحاكم (٢/٥٩٥) وابن جرير فى تفسيره (٩/٣٨٨) (١٠٨٣٠) من طرق عن قتادة به . وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبى . وهو كما قالا ، ورواه عبد الرزاق فى مصنفه (١١/٤٠١) (٢٠٨٤٥) عن معمر عن قتادة عن رجل عن أبى هريرة قال : قال رسول الله - صلى اللّه عليه وسلم - : إن الأنبياء إخوة لعلات ... الحديث بنحوه ، وقد رواه البخارى وغيره من طريق أبى سلمة عن أبى هريرة وسيأتى برقم (٩٣٧) .

[١] - سقط من : ت .

أمهاتهم شتىٰ ودينهم واحد ، وإني أولىٰ الناس بعيسىٰ ابن مريم ؛ لأنه لم يكن بيني وبينه نبي ، وإنه نازل ، فإذا رأيتموه فاعرفوه ، رجل مربوع إلىٰ الحمرة والبياض ، عليه ثوبان ممصران كأنّ رأسه يقطر و[١] إن لم يصبه بلل : فيدق الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويدعو الناس إلىٰ الإسلام ، ويهلك اللَّه في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ، ويهلك اللَّه في زمانه المسيح الدجال ، ثم تقع الأمنة علىٰ الأرض ؛ حتىٰ ترتع الأسود مع الإبل ، والنمار مع البقر ، والذئاب مع الغنم ، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم ، فيمكث أربعين سنة ثم يتوفىٰ ويصلي عليه المسلمون » .

كذا رواه أبو داود ، عن هدبة بن خالد ، عن همام بن يحيىٰ ، ورواه ابن جرير ، ولم يورد عند هذه الآية سواه ، عن بشر بن معاذ ، عن يزيد بن هارون ، عن سعيد بن أبي عروبة ، كلاهما عن قتادة ، عن عبد الرحمن بن آدم - وهو مولىٰ أم برثن صاحب السقاية - عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه ، وقال : « **فيقاتل الناس علىٰ الإسلام** » .

وقد روىٰ البخاري (٩٣٢)، عن أبي اليمان ، عن شعيب ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : سمعت رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : « **أنا أولىٰ الناس بعيسىٰ ابن مريم ، والأنبياء أولاد[٢] علات ليس بيني وبينه نبي** » .

ثم روى عن محمد بن سنان ، عن فليح بن سليمان ، عن هلال بن علي ، عن عبد الرحمن بن أبي عمرة ، عن أبي عمرة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم : [« **أنا أولىٰ الناس بعيسىٰ ابن مريم في الدنيا والآخرة ، والأنبياء إخوة لعلات : أمّهاتهم شتىٰ ودينهم واحد** » . وقال إبراهيم بن طهمان ، عن موسىٰ بن عقبة ، عن صفوان بن سليم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه](٩٣٣)[٣] .

(٩٣٢) - رواه البخارى فى « صحيحه » كتاب أحاديث الأنبياء ، باب : قول الله : ﴿ واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها ﴾ حديث (٣٤٤٢) ، ومسلم فى كتاب الفضائل ، باب : فضائل عيسى عليه السلام ، حديث (١٤٣/٢٣٦٥) وأبو داود كتاب السنة ، باب : ما يدل على ترك الكلام فى الفتنة حديث (٤٦٧٥) من طريق ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب به . ورواه مسلم (١٤٤/٢٣٦٥) سفيان عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى سلمة عن أبى هريرة به . ورواه أحمد (٤٦٣/٢ ، ٥٤١) من طريقين عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة (لم يذكر فى الإسناد أبا سلمة) وللحديث طريق آخر عن أبى عمرة عن أبى هريرة يأتى تخريجه برقم (٩٣٨) .

(٩٣٣) - رواه البخارى فى « صحيحه » كتاب أحاديث الأنبياء ، باب : قول الله : ﴿ واذكر فى =

[١] - سقط من : ت . [٢] - في خ : « أولات » .

[٣] - سقط من : خ .

(حديث[١] آخر) قال مسلم في صحيحه(٩٣٤) : حدثني زهير بن حرب ، حدثنا معلىٰ[٢] بن منصور ، حدثنا سليمان بن بلال ، حدثنا سهيل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « **لا تقوم الساعة حتىٰ ينزل الروم بالأعماق ، أو بدابق ، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ ، فإذا تصافوا قالت الروم : خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم ، فيقول المسلمون : لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا ، فيقاتلونهم ، فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدًا ، ويقتل [ثلث هم][٣] أفضل الشهداء عند الله عز وجل ، ويفتتح الثلث لا يفتنون أبدًا ، فيفتتحون قسطنطينية ، فبينما هم يقسمون الغنائم ، قد علقوا سيوفهم بالزيتون ، إذ صاح فيهم الشيطان ، إن المسيح قد خلفكم في أهليكم ، فيخرجون وذلك باطل ، فإذا جاءوا الشام ، خرج ، فبينما هم يعدّون للقتال ، يسوّون الصفوف ، إذ أقيمت الصلاة ، فينزل عيسىٰ ابن مريم أمامهم[٤] ، فإذا رآه عدوّ الله ذاب كما يذوب الملح في الماء ، فلو تركه لذاب حتىٰ يهلك ، ولكن يقتله الله بيده ؛ فيريهم دمه في حربته** » .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد (٩٣٥): حدثنا هشيم ، عن العوام بن حوشب ، عن جبلة بن سحيم ، عن مؤثر بن عفازة ، عن ابن مسعود ، عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « **لقيت ليلة أسري بي إبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ – عليهم السلام – ، فتذاكروا أمر الساعة ، فردّوا أمرهم إلىٰ إبراهيم ، فقال : لا علم لي بها ، فردوا أمرهم إلىٰ موسىٰ فقال : لا علم لي بها ، فردّوا أمرهم إلىٰ عيسىٰ فقال : أما وجبتها فلا يعلم بها أحد إلا الله ، وفيما عهد إلي ربي – عز وجل – أن الدجال خارج ، قال : ومعي قضيبان ، فإذا رآني ذاب كما يذوب الرصاص[٥] ، قال : فيهلكه الله إذا رآني ، حتىٰ إن الحجر والشجر يقول : يا مسلم إن تحتي كافرًا فتعال فاقتله ، قال : فيهلكهم الله ، ثم يرجع الناس إلىٰ بلادهم وأوطانهم ، فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيطئون بلادهم ، فلا يأتون**

= الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها ﴾ حديث (٣٤٤٣) وهو عند أحمد فى مسنده (٢/٤٨٢) قال : حدثنا سريج عن فليح بن سليمان به . وانظر تخريج الحديث السابق .

(٩٣٤) – صحيح مسلم كتاب الفتن ، وأشراط الساعة ، باب : فى فتح قسطنطينية ، وخروج الدجال ... حديث (٣٤/٢٨٩٧) .

(٩٣٥) – سيأتي في تفسير سورة الأعراف الآية ١٨٧ رقم (٢٨٥) .

[١] – في ز : « قال » .
[٢] – في خ : « يعلى » .
[٣] – ما بين المعكوفتين في ت : « ثلثه » .
[٤] – في ت : « فأمهم » .
[٥] – في خ : « الرضاب » .

علىٰ شيء إلا أهلكوه ، ولا يمرون علىٰ ماء إلا شربوه ، قال : ثم يرجع الناس يشكونهم فأدعو اللَّه عليهم ، فيهلكهم ويميتهم حتىٰ تجوىٰ الأرض من نتن ريحهم ، وينزل اللَّه المطر فيجترف أجسادهم ، حتىٰ يقذفهم في البحر ، ففيما عهد إلي ربي ، عز وجل ، أن ذلك إذا كان كذلك ، أن الساعة كالحامل المتم ؛ لا يدري أهلها متىٰ تفاجئهم بولادها ليلًا أو نهارًا » رواه ابن ماجة عن محمد بن بشار ، عن يزيد بن هارون ، عن العوام بن حوشب - به نحوه .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد (٩٣٦): حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن أبي نضرة قال : أتينا عثمان بن أبي العاص في يوم جمعة لنعرض عليه مصحفًا لنا[١] علىٰ مصحفه ؛ فلما حضرت الجمعة أمرنا فاغتسلنا ، ثم أتينا بطيب فتطيبنا ، ثم جئنا المسجد فجلسنا إلىٰ رجل فحدثنا عن الدجال ، ثم جاء عثمان بن أبي العاص ، فقمنا إليه ، فجلسنا فقال : سمعت رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : **« يكون للمسلمين ثلاثة[٢] أمصار : مصر[٣] بملتقىٰ البحرين ، ومصر بالحيرة ، ومصر بالشام ، فيفزع[٤] الناس ثلاث فزعات ، فيخرج الدجال في أعراض الناس ، فيهزم من قبل المشرق ، فأوّل مصر يرده المصر الذي بملتقىٰ البحرين ؛ فيصير أهلهم ثلاث فرق ؛ فرقة[٥] [تقيم تقول][٦] [نُشَامُه[٧] ننظر][٨] [ ][٩] ما هو ، وفرقة تلحق بالأعراب ، وفرقة تلحق بالمصر الذي يليهم . ومع الدجال سبعون ألفًا عليهم السيجان[١٠] ، وأكثر من معه اليهود والنساء ، [ثم يأتي المصر الذي يليه ، فيصير أهله ثلاث فرق . فرقة تقول : نشامه وننظر ما هو ؟ وفرقة تلحق بالأعراب ، وفرقة تلحق بالمصر الذي يليهم بغرب**

---

(٩٣٦) - المسند (٢١٦/٤) ، ورواه أيضًا فى (٢١٧/٤) قال : حدثنا عفان ، والطبرانى فى الكبير (٥١/٩ ، ٥٢) (٨٣٩٢) عن محمد بن عبد الله الخزاعى كلاهما (عفان ، ومحمد بن عبد الله) قالا : حدثنا حماد ابن سلمة به . وإسناده ضعيف من أجل على بن زيد والحديث ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (٣٤٥/٧) وقال : رواه أحمد ، والطبرانى - وفيه على بن زيد وفيه ضعف وقد وثق وبقية رجالهما رجال الصحيح .

---

[١] - في ت : « له » .
[٢] - في خ : « ثلاث » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز : « ففزع » .
[٥] - في ز : « فدعة » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ت : « تقول نقيم » .
[٧] - يقال : شامِمْه ؛ أي : انظر ما عنده ، وقاربه ، وادن منه .
[٨] - ما بين المعكوفتين في خ : « شامة تنظر » .
[٩] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « إليه » .
[١٠] - في خ : « السجان » .

الشام][١] ، **وينحاز المسلمون إلىٰ عقبة أفيق ، فيبعثون**[٢] **سرحًا لهم ، فيصاب سرحهم ، فيشتد ذلك عليهم ، وتصيبهم**[٣] **مجاعة شديدة وجهد شديد ؛ حتىٰ إن أحدهم ليحرق وتر قوسه فيأكله ، فبينما هم كذلك إذ نادىٰ مناد من السَّحر**[٤] : **يا أيها الناس ، أتاكم الغوث « ثلاثًا »** فيقول بعضهم لبعض : إن هذا لصوت رجل شبعان ، وينزل عيسىٰ ابن مريم - عليه السلام - عند صلاة الفجر ، فيقول له أميرهم : يا روح اللَّه ، تقدم صلِّ[٥] ، فيقول : هذه الأمّة أمراء بعضهم علىٰ بعض ، فيتقدم أميرهم فيصلي [فإذا][٦] قضىٰ صلاته ، أخذ عيسىٰ حربته فيذهب[٧] نحو الدجال ، فإذا رآه الدجال ذاب كما يذوب الرصاص ، فيضع حربته بين ثندوته فيقتله ، ويهزم[٨] أصحابه ، فليس يومئذ شيء يواري منهم أحدًا ، حتىٰ إن الشجرة لتقول[٩] : يا مؤمن ، هذا كافر . ويقول الحجر : يا مؤمن ، هذا كافر » . تفرّد به أحمد من هذا الوجه .

(حديث آخر) قال أبو عبد اللَّه محمد بن يزيد بن ماجة في سننه المشهورة[١٠](٩٣٧) ،

(٩٣٧) - سنن ابن ماجه كتاب الفتن ، باب طلوع الشمس من مغربها حديث (٤٠٧٧) (١٣٥٩/٢ - ١٣٦٣) وقد وقع فى المطبوع من سنن ابن ماجه - بتحقيق فؤاد عبد الباقى - أبى زرعة الشيبانى بالشين المعجمة وهو خطأ والصواب السيبانى بالسين المهملة ، كذا فى تحفة الأشراف (٤/رقم ٤٨٩٦) وقال المزى عقب رواية ابن ماجه : « كذا قال - يعنى على بن محمد - وكذا رواه سهل بن عثمان عن المحاربى ، وهو وهم فاحش » .

قلت : الوهم الذى أراده المزى رحمه الله هو سقوط عمرو بن عبد الله الحضرمى - الذى يرويه عن أبى أمامة - من السند وقد عقب على ذلك الحافظ ابن حجر فى « النكت الظراف » بقوله : « هذا وقع فى بعض النسخ وقد وقع فى نسخة صحيحة قابلها المسورى عن إسماعيل بن رافع أبى رافع عن أبى زرعة السيبانى يحيى بن أبى عمرو عنه (يعني عمرو بن عبد الله الحضرمي) به . وسقط ذكر عمرو بن عبد الله فى نسخة أخرى . وأخرجه أبو نعيم الأصبهانى ، عن أبى الشيخ ، عن عبد الرحمن بن مسلم ، عن سهل ابن عثمان - على الصواب ، قال أبو نعيم : وراه محمد بن شعيب بن شابور ، حدثنى أبو زرعة ، حدثنى عمرو ، عن أبى أمامة » .

والصواب ذكر عمرو فى الحديث فإن السيبانى لم يسمع من الصحابة . والحديث رواه أيضًا أبو داود فى سننه كتاب الملاحم ، باب : خروج الدجال حديث (٤٣٢٢) ، وابن أبى عاصم فى « السنة » (٣٩١)=

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ .
[٢] - في ز : « فيبعوني » .
[٣] - في ز : « ويصيبهم » .
[٤] - في ز ، خ : « البحر » .
[٥] - في ز : « صلي » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في خ : « حتى إذا » .
[٧] - في خ : « فذهب » .
[٨] - في ت : « وينهزم » .
[٩] - في خ : « تقول » .
[١٠] - في ز : « المشهور » .

حدثنا علي بن محمد ، حدثنا عبد الرحمن المحاربي ، عن إسماعيل بن رافع - أبي رافع - عن أبي زرعة السيباني - يحيىٰ بن أبي عمرو - عن أبي أمامة الباهلي ، قال : خطبنا رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فكان أكثر خطبته حديثًا حدثناه عن الدجال ، وحذرناه ، فكان من قوله أن قال : « **لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ اللَّه ذرية آدم - عليه السلام - أعظم من فتنة الدجال ، وإن اللَّه لم يبعث نبيًا إلا حذر أمّته الدجال ، وأنا آخر الأنبياء ، وأنتم آخر الأمم ، وهو خارج فيكم لا محالة ، فإن يخرج وأنا بين ظهرانيكم ؛ فأنا حجيج لكل مسلم ، وإن يخرج من بعدي فكلٌّ حجيج نفسه ، وإن[١] اللَّه خليفتي علىٰ كل مسلم ، وإنه يخرج من خَلّة[٢] بين الشام والعراق فيعيث[٣] يمينًا ويعيث شمالًا ، ألا[٤] يا عباد اللَّه ، أيها الناس : فاثبتوا ، وإني سأصفه لكم صفة لم يصفها إياه نبي قبلي : إنه يبدأ فيقول : أنا نبي . فلا نبي من[٥] بعدي ، ثم يثني فيقول : أنا ربكم . ولا ترون ربكم حتىٰ تموتوا ، وإنه أعور ، وإن ربكم - عز وجل - ليس بأعور ، وإنه مكتوب بين عينيه : كافر ؛ يقرؤه كل مؤمن كاتب أو[٦] غير كاتب ، وإن من فتنته أن معه جنة ونارًا . فناره جنة ، وجنته نار ؛ فمن ابتلي بناره فليستغث باللَّه ، وليقرأ فواتح الكهف ؛ فتكون عليه بردًا وسلامًا ، كما كانت النار علىٰ إبراهيم . وإن من فتنته أن يقول لأعرابي : أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك ، أتشهد أني ربك ؟ فيقول : نعم ، فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه ، فيقولان : يا بني ، اتبعه فإنه ربك ، وإن من فتنته أن يسلط علىٰ نفس واحدة فيقتلها وينشرها بالميشار[٧] [٨] حتىٰ يلقىٰ شقين ، ثم يقول : انظروا[٩] إلىٰ عبدي هذا فإني أبعثه الآن ، ثم يزعم أن له ربًا غيري ، فيبعثه اللَّه ، فيقول له الخبيث : من ربك ؟ فيقول : ربي اللَّه ، وأنت عدوّ اللَّه [أنت][١٠] الدجال ، واللَّه ما كنت بعد أشد بصيرة**

= والآجرى فى الشريعة (٩٣٧) من طريق ضمرة عن السيبانى عن عمرو بن عبد الله عن أبى أمامة بالحديث مختصرًا عند جميعهم لكن عند ابن أبى عاصم جزء كبير منه والحديث ضعف إسناده الألبانى فى « ضعيف سنن ابن ماجه » (٨٨٤) وفى « ظلال الجنة » (٣٩١) وقال فى الأخير : إسناده ضعيف ، رجاله كلهم ثقات غير عمرو بن عبد الله الحضرمى لم يوثقه غير ابن حبان ... ولى رسالة فى تخريج هذا الحديث وتحقيق الكلام على فقراته التى وجدت لأكثرها شواهد تقويها .

[١] - سقط من : ز .

[٢] - أي : طريق بين الشام والعراق .

[٣] - عاث يعيث : أفسد .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - في ز : « و » .

[٧] - في خ : « بالمنشار » .

[٨] - الميشار : المنشار . وفيه لغة ثالثة : مئشار .

[٩] - في خ : « انظر » .

[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .

بك مني اليوم » ، قال أبو الحسن الطنافسي ، فحدثنا[١] المحاربي ، حدثنا عبيد[٢] اللّه بن الوليد الوصّافي ، عن عطية ، عن أبي سعيد قال : قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم : « **ذلك الرجل أرفع أمتي درجة في الجنة »** . قال : قال أبو سعيد : واللّه ما كنا نرىٰ ذلك الرجل إلا عمر بن الخطاب ، حتىٰ مضىٰ لسبيله .

ثم[٣] قال المحاربي : ثم رجعنا إلىٰ حديث أبي رافع قال : « **وإن من فتنته أن يأمر السماء أن تمطر فتمطر ، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت . وإن من فتنته أن يمر بالحي [فيكذبونه ، فلا تبقىٰ لهم سائمة[٤] إلا هلكت . وإن من فتنته أن يمر بالحي][٥] فيصدقونه ، فيأمر السماء أن تمطر فتمطر ، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت ، حتىٰ تروح[٦] مواشيهم من يومهم ذلك[٧] أسمن ما كانت وأعظمه وأمدّه خواصر وأدرّه ضروعًا ، وإنه لا يبقىٰ شيء من الأرض إلا وطئه وظهر عليه إلا مكة والمدينة ؛ فإنه لا يأتيهما[٨] من نقب[٩] من نقابهما[١٠] ، إلا لقيته الملائكة بالسيوف صَلتةً[١١] ، حتىٰ ينزل عند الظريب[١٢] [١٣] الأحمر ، عند منقطع السبخة[١٤] فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات ، فلا يبقىٰ منافق ولا منافقة إلا خرج إليه ، فَيَنْفِي[١٥] الخبث منها كما ينفي[١٦] الكِيرُ خَبَثَ الحديد ، ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص »** . فقالت أم شريك بنت أبي العكر : يا رسول اللّه ، فأين العرب يومئذ ؟ قال : « **هم قليل ، وجُلُّهم يومئذ[١٧] ببيت المقدس ، وإمامهم [رجل صالح ، فبينما إمامهم][١٨] قد تقدم يصلي بهم الصبح ، إذ نزل عليهم[١٩] عيسىٰ [ابن مريم][٢٠] - عليه السلام - الصبح ، فرجع ذلك الإمام [ينكص][٢١] ، يمشي القهقرىٰ ؛ ليتقدم عيسىٰ - عليه السلام - [يصلي**

---

[١] - في ز : « محمد ثنا » .
[٢] - في ز ، خ : « عبد » .
[٣] - سقط من : ت .
[٤] - السائمة : الشاة ترعى حيث شاءت ، أو التي دامت على الكلأ .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - أي ترجع من الرعي آخر النهار .
[٧] - في ز : « ذاك » .
[٨] - في ز : « يأتيها » .
[٩] - النقب : الطريق بين جبلين .
[١٠] - في ز : « نقابها » .
[١١] - أصلت السيف : جرده من غمده .
[١٢] - في ز ، خ : « الضريب » .
[١٣] - الظريب تصغير ظَرِب ، وهو الجبل الصغير .
[١٤] - في ز : « المسبخة » .
[١٥] - في خ : « فتنفي » .
[١٦] - في خ : « فينفي » .
[١٧] - سقط من : ز .
[١٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[١٩] - سقط من : ز .
[٢٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٢١] - سقط من : ز ، خ .

بالناس][١] ، فيضع عيسىٰ - عليه السلام - يده بين كتفيه ثم يقول [له][٢] : تقدم فصل ؛ فإنها لك أقيمت ، فيصلي بهم إمامهم ، فإذا انصرف ، قال عيسىٰ عليه السلام : افتحوا الباب ، فيفتح ووراءه الدجال معه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلًى وساجٍ ، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء ، وينطلق هاربًا فيقول[٣] عيسىٰ : إن لي فيك ضربة لن تستبقني بها ، فيدركه عند باب لُد[٤] الشرقي فيقتله ، ويهزم الله اليهودَ ، فلا يبقىٰ شيء مما خلق الله تعالىٰ يتوارىٰ به يهودي[٥] إلا أنطق الله ذلك الشيء: لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة - إلا الغرقدة فإنها من شجرهم لا تنطق[٦] - إلا قال : يا عبد الله المسلم ، هذا يهودي فتعال اقتله » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **وإن أيامه أربعون سنة[٧] ، السنة كنصف السنة ، والسنة كالشهر ، والشهر كالجمعة ، وآخر أيامه كالشررة[٨] ، يصبح أحدكم علىٰ باب المدينة ، فلا يبلغ بابها الآخر حتىٰ يمسي** » فقيل له : يا نبي الله ، كيف نصلي في تلك الأيام القصار ؟ قال : « **تقدرون فيها[٩] الصلاة ، كما تقدرون[١٠] في هذه الأيام الطوال ، ثم صلوا** » .

قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **فيكون عيسىٰ ابن مريم في أمتي حكمًا عدلًا وإماما مقسطًا ؛ يدق الصليب ، ويقتل[١١] الخنزير ، ويضع الجزية ، ويترك الصدقة فلا يسعىٰ علىٰ شاة ولا بعير ، وترتفع[١٢] الشحناء والتباغض ، وتنزع حمة كل ذات حمة ، حتىٰ يُدخِل الوليدُ يدَه في الحية فلا تضره ، [وتُفِرُّ[١٣] الوليدة][١٤] الأسدَ فلا يضرها ، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها ، وتملأ الأرض من السلم[١٥] كما يملأ الإناء من الماء ، وتكون الكلمة واحدة فلا يعبد إلا الله وتضع الحرب أوزارها ، وتسلب قريش ملكها ، وتكون الأرض كفاثور[١٦] الفضة تنبت نباتها كعهد آدم ؛ حتىٰ يجتمع النفر**

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .
[٣] - في ز : « ويقول » .
[٤] - موضع بالشام ، وقيل : بفلسطين .
[٥] - في ز : « اليهود » .
[٦] - في ز : « ينطق » .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - في ز : « كالشزرة » .
[٩] - سقط من : ت .
[١٠] - في ز : « تقدرونه » .
[١١] - في ت : « ويذبح » .
[١٢] - في ز : « يرفع » .
[١٣] - أي : تحمله على الفرار . وفعله : أَفَرَّ يُفِرُّ .
[١٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « يفر الوليد » .
[١٥] - في ز : « المسلم » .
[١٦] - الفاثور : الخوان ، وقيل : هو طست أو جام من فضة أو ذهب .

علىٰ القطف من العنب فيشبعهم ، ويجتمع النفر علىٰ الرمانة فتشبعهم ، ويكون الثور بكذا وكذا من المال ، ويكون الفرس بالدريهمات » .

قيل : يا رسول اللَّه ، وما يرخص الفرس ؟ قال : « **لا تركب لحرب أبدًا** » فقيل له : فما يغلي الثور ؟ قال : « **يحرث[١] الأرض كلها** » .

« **وإن قبل خروج الدجال[٢] ثلاث سنوات شداد يصيب الناس فيها جوع شديد ، و[٣] يأمر اللَّه السماء في السنة [الأولىٰ أن تحبس ثلث مطرها ، ويأمر الأرض فتحبس ثلث نباتها ، ثم يأمر اللَّه السماء في السنة الثانية فتحبس ثلثي مطرها ، ويأمر الأرض فتحبس ثلثي نباتها ، ثم يأمر اللَّه - عز وجل - السماء في السنة][٤] الثالثة فتحبس مطرها كله ، فلا تقطر قطرة ، ويأمر الأرض أن تحبس نباتها كله فلا تنبت خضراء ، فلا تبقىٰ[٥] ذات ظلف إلا هلكت إلا ما شاء اللَّه** » .

فقيل : فما يعيش الناس في ذلك الزمان ؟! قال : « **التهليل والتكبير والتسبيح والتحميد ، ويجري ذلك عليهم مجرىٰ الطعام** » .

قال ابن ماجه : سمعت أبا الحسن الطنافسي ، يقول : سمعت عبد الرحمن المحاربي يقول[٦] : ينبغي أن يدفع[٧] هذا الحديث إلىٰ المؤدب حتىٰ يعلمه الصبيان في الكتاب .

هذا حديث غريب جدًّا من هذا الوجه ، ولبعضه شواهد من أحاديث أخر ؛ [من ذلك ما رواه مسلم من حديث نافع وسالم عن عبد اللَّه بن عمر ، قال : قال رسول اللَّه : « **لتقاتلن اليهود ، فلتقتلنهم حتىٰ يقول الحجر : يا مسلم ، هذا يهودي ، فتعال فاقتله** »(٩٣٨) . وله من طريق

(٩٣٨) - رواه مسلم فى صحيحه كتاب الفتن وأشراط الساعة باب : لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء حديث (٧٩) (٢٩٢١) من طريق عبيد الله بن عمرو عن نافع عن ابن عمر باللفظ المذكور ، ورواه البخارى فى « صحيحه » كتاب الجهاد ، باب : قتال اليهود حديث (٢٩٢٥) من طريق مالك عن نافع عن ابن عمر بلفظ : « تقاتلون اليهود حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر فيقول : يا عبد الله ، هذا يهودى ورائى فاقتله » ، ورواه البخارى فى كتاب المناقب ، باب علامات النبوة فى الإسلام حديث (٣٥٩٣) ، ومسلم فى الفتن أيضًا حديث (٨١) (٢٩٢١) من طريق يونس عن ابن شهاب حدثنى سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر أخبره ، أن رسول الله - صلى اللّه عليه وسلم =

[١] - في ز : « تحرث » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ .
[٥] - في ز : « يبقى » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في خ: « يرفع» .

سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « **لا تقوم الساعة حتىٰ يقاتل المسلمون اليهود ، فيقتلهم المسلمون ، حتىٰ يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر والشجر : يا مسلم ، يا عبد الله ، هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله - إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود** »(٩٣٩) [١] . ولنذكر حديث النواس بن سمعان هٰهنا لشبهه [بسياق هذا][٢] الحديث ؛ قال مسلم بن الحجاج في صحيحه (٩٤٠): حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر [حدثني يحيى بن جابر][٣] الطائي قاضي حمص ، حدثني عبد الرحمن بن جبير ، عن أبيه جبير بن نفير الحضرمي ، أنه سمع النواس بن سمعان الكلابي (ح)[٤] وحدثنا [محمد بن][٥] مهران الرازي ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، عن يحيىٰ بن جابر الطائي [قاضي حمص][٦]، عن عبد الرحمن ابن جبير ، عن أبيه جبير بن نفير [الحضرمي أنه سمع النواس بن سمعان الكلابي][٧] [وحدثنا محمد بن مهران الرازي حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن يحيى بن جابر الطائي عن عبد الرحمن بن جُبَيْر ، عن أبيه جبير بن نفير][٨] ، [عن النواس بن سمعان][٩] قال : ذكر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الدجال ذات غداة ، فخفض فيه[١٠] ورفع حتىٰ ظنناه في طائفة النخل ، فلما رحنا إليه عرف ذلك [ ][١١] فينا[١٢] ؛ فقال : « **ما شأنكم ؟** » قلنا : يا

= قال : « تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر : يا مسلم ! هذا يهودى ورائى فاقتله » ورواه مسلم (٨٠) (٢٩٢١) من طريق عمر بن حمزة عن سالم عن ابن عمر نحوه .

(٩٣٩) - رواه مسلم فى « صحيحه » كتاب الفتن وأشراط الساعة ، حديث (٨٢) (٢٩٢٢) ، وأحمد فى مسنده (٤١٧/٢) قالا : حدثنا قتيبة بن سعيد قال : حدثنا يعقوب يعنى ابن عبد الرحمن ، عن سهيل عن أبيه عن أبى هريرة بالحديث ، ورواه البخارى فى « صحيحه » كتاب الجهاد ، باب : قتال اليهود حديث (٢٩٢٦) من طريق عمارة بن القعقاع عن أبى زرعة عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود حتى يقول الحجر وراءه اليهودى : يامسلم هذا يهودى ورائى فاقتله » .

(٩٤٠) - رواه مسلم فى « صحيحه » كتاب الفتن ، باب : ذكر الدجال وصفته وما معه حديث =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ت: « بهذا » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .

[٤] - سقط من: خ .

[٥] - [٦] - [٧] - سقط من : ز .

[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[١٠] - سقط من : ز .

[١١] - في خ في .

[١٢] - في ت : «وجوهنا» .

رسول اللَّه ، ذكرت الدجال غداة[١] فخفضت فيه ورفعت حتىٰ ظنناه في طائفة النخل ، فقال : « **غير الدجال أخوفني عليكم ؛ إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم ، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه ، واللَّه خليفتي علىٰ كل مسلم . إنه شاب قطط عينه طافئة ، كأني أشبهه بعبد العزىٰ بن قطن ، من أدركه[٢] منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف ، إنه خارج من خلة بين الشام والعراق ، فعاث يمينًا وعاث شمالاً ، يا عباد اللَّه ، فاثبتوا** » ، قلنا : يا رسول اللَّه ، وما[٣] لبثه في الأرض ؟ قال : « **أربعون[٤] يومًا : يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم** » .

قلنا : يا رسول اللَّه ؛ [فذلك اليوم الذي كسنة ، أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : « **لا . اقدروا له قدره** » ، قلنا : يا رسول اللَّه][٥] ، وما إسراعه في الأرض ؟ قال : « **كالغيث استدبرته الريح ، فيأتي علىٰ قوم فيدعوهم [فيؤمنون به ، ويستجيبون له ، فيأمر السماء فتمطر ، والأرض فتنبت ، فتروح عليهم سارحتهم[٦] أطول ما كانت ذرى[٧] ، وأسبغه[٨] [٩] ضروعًا وأمده خواصر[١٠] ، ثم يأتي القوم فيدعوهم][١١] فيردون عليه قوله ، فينصرف عنهم ، فيصبحون ممحلين[١٢] ليس بأيديهم شيء من أموالهم ، ويمر بالخربة فيقول لها : أخرجي كنوزك ؛ فتتبعه [بكنوزها كيعاسيب][١٣] النحل ، ثم يدعو**

= (١١٠) (٢١٣٧) ، ورواه أحمد (١٨١/٤) ، وأبو داود مختصرًا فى كتاب الملاحم - باب خروج الدجال حديث (٤٣٢١) من طريق الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد به . ورواه مسلم فى (١١١) (٢١٣٧) ، والترمذى فى الفتن ، باب : ما جاء فى فتنة الدجال حديث (٢٢٤٠) ، والنسائى فى عمل اليوم والليلة (٩٤٧) وفى « الكبرى » فى كتاب فضائل القرآن ، باب الكهف حديث (٨٠٢٤) مختصرًا من طريق على بن حجر قال : حدثنا الوليد بن مسلم وعبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر (دخل حديث أحدهما فى حديث الآخر) عن عبد الرحمن بن يزيد به . ورواه ابن ماجه فى الفتن ، باب : فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم وخروج يأجوج ومأجوج حديث (٤٠٧٥) من طريق يحيى بن حمزة ثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر به .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « أدرك » .
[٣] - في خ : « فما » .
[٤] - في ز : « أربعين » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - السارحة : الماشية التي تسرح ، أي : تذهب أول النهار إلى المرعى .
[٧] - الذرى : الأعالي .
[٨] - في ز : « أشبعه » .
[٩] - أي : أطوله لكثرة اللبن .
[١٠] - وذلك لكثرة امتلائها من الشبع .
[١١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[١٢] - أمحل القوم : أجدبوا ، واحتبس عنهم المطر.
[١٣] - في ز : « كيعاسب كنوزها » .

رجلًا ممتلئًا شبابًا ، فيضربه بالسيف ، فيقطعه جَزلتين[١] رمية الغرض[٢] ، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك[٣] . فبينما هو كذلك إذ بعث اللَّه المسيح ابن مريم ، عليه السلام ، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين[٤] واضعًا كفيه علىٰ أجنحة ملكين ، إذا طأطأ رأسه قطر ، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ[٥] ، ولا يحل لكافر يجد ريح نَفَسِهِ إلا مات ونَفَسُهُ ينتهي حيث ينتهي طَرْفُهُ ، فيطلبه حتىٰ يدركه بباب لُدٍّ فيقتله .

ثم يأتي عيسىٰ ، عليه السلام ، قومًا قد عصمهم اللَّه منه ، فيمسح عن وجوههم ، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة ، فبينما هو كذلك ، إذ أوحىٰ اللَّه ، عز وجل ، إلىٰ عيسىٰ : إني قد أخرجت عبادًا لي ، لا يدان لأحد بقتالهم ، فحرز عبادي إلىٰ الطور ، ويبعث اللَّه يأجوج ومأجوج ، وهم من كل حدب ينسلون ، فيمر أولهم علىٰ بحيرة طبرية[٦] فيشربون ما فيها ، ويمر آخرهم فيقولون : لقد كان بهذه مرة ماء ، ويُحْصَر[٧] نبي اللَّه عيسىٰ وأصحابه ؛ حتىٰ يكون رأس الثور لأحدهم خير من مائة دينار لأحدكم اليوم ، فيرغب نبي اللَّه عيسىٰ وأصحابه فيرسل اللَّه عليهم النَّغَفَ[٨] في رقابهم ، فيصبحون فَرْسىٰ[٩] كموت نفس واحدة .

ثم يهبط نبي اللَّه عيسىٰ وأصحابه إلىٰ الأرض ، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم[١٠] ونتنهم ، فيرغب نبي اللَّه عيسىٰ وأصحابه إلىٰ اللَّه ، فيرسل اللَّه طيرًا كأعناق البخت ؛ فتحملهم فتطرحهم حيث شاء اللَّه ، ثم يرسل اللَّه مطرًا لا يَكُنُّ[١١] [١٢] منه بيت[١٣] مدر ولا وبر ، فيغسل الأرض حتىٰ يتركها كالزلفة[١٤] [١٥] ، ثم يقال للأرض : أخرجي ثمرك وردي بركتك ، فيومئذ تأكل[١٦] العصابة من الرمانة ، ويستظلون بقِحْفِها[١٧] ، ويبارك اللَّه في الرسل حتىٰ إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس ، [واللقحة من الغنم[١٨] لتكفي الفخذ من الناس][١٩] فبينما هم كذلك ، إذ بعث اللَّه

---

[١] - أي : قطعتين .
[٢] - أي يجعل بين الجزلتين مقدار رميته .
[٣] - في ز : « ويضحك » .
[٤] - المهرودة : ثوب مصبوغ بورس ثم بزعفران .
[٥] - في ز : « اللؤلؤ » .
[٦] - في ز : « الطبرية » .
[٧] - في ز : « يحضر » .
[٨] - النغف : دود يكون في أنوف الإبل والغنم .
[٩] - فرسىٰ ؛ أي : قتلى ، والواحد فريس .
[١٠] - زهمهم : دسمهم ورائحتهم الكريهة .
[١١] - في ز : « يمكن » .
[١٢] - أي لا يمنع من نزول الماء بيت .
[١٣] - في : « نبت » .
[١٤] - في ز : « كالزلقة » .
[١٥] - قيل : معناه كالمرآة في صفائها ، وقيل :كالإجانة ، وقيل : كالصحفة .
[١٦] - في ز : « يأكل » .
[١٧] - هو مقعر قشرها .
[١٨] - في ت : « الفم » . والمثبت من صحيح مسلم .
[١٩] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ .

ريحًا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم ، فتقبض[١] روح كل مؤمن وكل مسلم ، ويبقىٰ شرار الناس يتهارجون[٢] فيها تهارج الحمر ، فعليهم تقوم الساعة » .

ورواه الإمام أحمد وأهل السنن من حديث عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، به . وسنذكره أيضًا من طريق أحمد عند قوله تعالىٰ ، في سورة الأنبياء : ﴿ **حتىٰ إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون** ﴾ .

(حديث[٣] آخر) قال مسلم في صحيحه أيضًا(٩٤١) : حدثنا عبيد[٤] اللَّه بن معاذ بن معاذ العنبري ، حدثنا أبي ، حدثنا شعبة ، عن النعمان بن سالم قال : سمعت يعقوب بن عاصم ابن عروة بن مسعود الثقفي يقول : سمعت عبد اللَّه بن عمرو ، وجاءه رجل فقال : ما هذا الحديث الذي تحدث به ؛ تقول : إن الساعة تقوم إلىٰ كذا وكذا ؟! . فقال : سبحان اللَّه - أو لا إله إلا اللَّه ، أو كلمة نحوها - لقد هممت أن لا أحدث أحدًا شيئًا أبدًا ، إنما قلت : إنكم[٥] سترون بعد قليل أمرًا عظيمًا : يحرق البيت ويكون ويكون ، ثم قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين - لا أدري أربعين يومًا أو أربعين شهرًا أو أربعين عامًا - فيبعث اللَّه تعالىٰ عيسىٰ ابن مريم كأنه عروة بن مسعود ، فيطلبه فيهلكه ، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ، ثم يرسل اللَّه ريحًا باردة من قبل الشام ؛ فلا يبقىٰ على وجه الأرض [أحد في قلبه][٦] مثقال ذرة من خير أو[٧] إيمان إلا[٨] قبضته ، حتىٰ لو أن أحدكم دخل في[٩] كبد جبل لدخلته عليه حتىٰ تقبضه** » . قال : سمعتها من رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « **فيبقىٰ شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع ؛ لا يعرفون معروفًا ، ولا ينكرون منكرًا ، فيتمثل لهم الشيطان فيقول : ألا تستجيبون ؟ فيقولون : فما[١٠] تأمرنا ؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان ،**

(٩٤١) - رواه مسلم فى « صحيحه » كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب : فى خروج الدجال ومكثه فى الأرض حديث (١١٦) (٢٩٤٠) ، ورواه فى (١١٧) (٢٩٤٠) ، والنسائي في « الكبرى » كتاب التفسير - باب سورة المزمل حديث (١١٦٢٩) وفى تفسيره رقم (٦٤٩) قالا : حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن النعمان بن سالم به .

[١] - في ز : « فيقبض » .

[٢] - أي : يجامع الرجال النساء بحضرة الناس ؛ كما يفعل الحمير ، ولا يكترثون بذلك .

[٣] - في خ : « وقال » .

[٤] - في ز : « عبد » .

[٥] - في ز : « لكم » .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٧] - في ز : « و » .

[٨] - في ز : « حتى » .

[٩] - سقط من : ز .

[١٠] - في ز : « مما » .

وهم في ذلك دارّ رزقهم ، حسن عيشهم ، ثم ينفخ[١] **في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغىٰ ليتًا ، ورفع لِيتًا ، قال : وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله ، قال : فيصعق ، ويصعق الناس ، ثم يرسل اللَّه**[٢] **، أو قال : ينزل اللَّه مطرًا كأنه الطل أو قال : الظل**[٣] **- نعمان الشاك - فتنبت منه أجساد الناس ، ثم ينفخ**[٤] **فيه أخرىٰ فإذا هم قيام ينظرون ، ثم يقال : يا أيها الناس ، هلموا إلىٰ ربكم ﴿ وقفوهم إنهم مسئولون ﴾** ، قال[٥] : ثم يقال : أخرجوا بعث النار ، فيقال[٦] : من كم ؟ فيقال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين[٧] . قال : فذلك يوم يجعل الولدان شيبًا ، وذلك يوم يكشف عن ساق » . ثم رواه مسلم والنسائي في تفسيره جميعًا عن محمد بن بشار ، عن غندر ، عن شعبة ، عن النعمان[٨] بن سالم ، به .

(حديث[٩] آخر) قال الإمام أحمد (٩٤٢): حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن عبد اللَّه ابن عبيد اللَّه بن ثعلبة الأنصاري ، عن عبد اللَّه بن زيد الأنصاري ، عن مجمع بن جارية[١٠] ، قال : سمعت رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : « **يقتل ابنُ مريم المسيح الدجالَ بباب لُدٍّ أو إلىٰ جانب لد** » .

ورواه أحمد أيضًا عن سفيان بن عيينة ، [ومن][١١] حديث الليث والأوزاعي ، ثلاثتهم عن الزهري ، عن عبد اللَّه بن عبيد اللَّه بن ثعلبة ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عمه مجمع بن جارية[١٢] ، عن رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « **يقتل ابن مريم الدجال بباب لد** » .

---

(٩٤٢) - المسند (٣/٤٢٠) ، (٤/٢٢٦ ، ٣٩٠) وهو عند عبد الرزاق فى مصنفه (١١/٣٩٨) (٢٠٨٣٥) ومن طريقه الطبرانى فى الكبير (١٩/٤٤٣) (١٠٧٦) ، ورواه أحمد فى (٣/٤٢٠) قال : حدثنا سفيان ابن عيينة ثنا الزهرى ... فذكر الحديث ، ورواه الحميدى (٨٢٨) والطبرانى فى الكبير (١٩/١٠٧٦) عن سفيان ، وأحمد فى (٣/٤٢٠) عن الليث والأوزاعى ، والترمذى فى « سننه » كتاب الفتن ، باب : ما جاء فى قتل عيسى ابن مريم الدجال حديث (٢٢٤٤) والطبرانى فى الكبير (١٩/رقم ١٠٧٥) ، وابن حبان (٦٨١١) عن الليث ثلاثتهم عن ابن شهاب الزهرى قال : أخبرنى عبيد الله بن عبد الله بن ثعلبة =

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز ، خ : « الضال » .
[٤] - في خ : « نفخ » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في خ : « فيقول » .
[٧] - في خ : « تسعون » .
[٨] - في خ : « نعمان » .
[٩] - في خ : « وقال » .
[١٠] - في ز : « حارثة » .
[١١] - في خ : « من » .
[١٢] - في ز : « حارثة » .

وكذا رواه الترمذي عن قتيبة ، عن الليث ، به . وقال : هذا حديث صحيح . قال : وفي الباب عن عمران بن حصين ، ونافع بن عتبة[١] ، وأبي برزة وحذيفة بن أسيد ، وأبي هريرة ، وكيسان ، وعثمان بن أبي العاص ، وجابر ، وأبي أمامة ، وابن مسعود ، وعبد الله بن عمرو ، وسمرة بن جندب ، والنواس بن سمعان ، وعمرو[٢] بن عوف ، وحذيفة بن اليمان ، رضي الله عنهم .

ومراده برواية هؤلاء ، ما فيه ذكر الدجال ، وقتل عيسىٰ ابن مريم ، عليه السلام ، له ، فأما أحاديث ذكر الدجال فقط فكثيرة جدًّا ، وهي أكثر من أن تحصىٰ[٣] لانتشارها وكثرة رواتها في الصحاح والحسان والمسانيد وغير ذلك .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(٩٤٣) : حدثنا سفيان ، عن فرات ، عن أبي الطفيل ، عن حذيفة ابن أسيد الغفاري ، قال : أشرف علينا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من غرفة[٤] ، ونحن نتذاكر الساعة ، فقال : « **لا تقوم الساعة حتىٰ تروا[٥] عشر آيات : طلوع الشمس من مغربها ، والدخان ، والدابة ، وخروج يأجوج ومأجوج ، ونزول عيسىٰ ابن مريم ، والدجال ، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، ونار تخرج من قعر عدن ، تسوق -أو تحشر- الناس تبيت معهم حيث باتوا ، وتقيل معهم حيث قالوا** » .

وهكذا رواه مسلم وأهل السنن من حديث فرات[٦] القزاز ، به ، ورواه مسلم أيضًا من رواية

= أنه سمع عبد الرحمن بن يزيد بن جارية ... فذكره ، وكذلك رواه الطبرانى (١٠٧٩/١٩) عن زمعة وفى (١٠٨٠/١٩) عن عبد الرحمن بن إسحاق ، وفى (١٠٨١/١٩) عن عقيل بن خالد كلهم عن ابن شهاب به . وقد ترجم ابن حجر فى « التقريب » لعبيد الله بن عبد الله بن ثعلبة فقال : ابن ثعلبة الأنصارى المدنى ، وقيل عبد الله بن عبيد الله ، شيخ الزهرى لا يعرف ، واختلف عليه فى إسناد حديثه والحديث صححه الألبانى فى « صحيح سنن الترمذى » (١٨٢٩) .

(٩٤٣) - المسند (٦/٤) ورواه الحميدى (٨٢٧) ومسلم فى « صحيحه » كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب فى الآيات التى تكون قبل الساعة حديث (٣٩) (٢٩٠١) من طرق عن سفيان بن عيينة عن فرات به . ورواه أحمد (٧/٤) ، ومسلم (٤٠ ، ٤١) (٢٩٠١) ، والترمذى فى الفتن ، باب ما جاء فى =

[١] - في ز ، خ : « عيينة » .
[٢] - في ز : « عمر » .
[٣] - في ز : « تحصر » .
[٤] - في خ : « عرفة » .
[٥] - في ز : « ترد » .
[٦] - سقط من : ز .

عبد العزيز بن رفيع ، عن أبي الطفيل ، عن أبي سريحة [ ][١] حذيفة بن أسيد الغفاري موقوفًا ، فالله[٢] أعلم .

فهذه أحاديث متواترة عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من رواية أبي هريرة ، وابن مسعود ، وعثمان بن أبي العاص ، وأبي أمامة ، والنواس بن سمعان ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، ومجمع بن جارية[٣] ، وأبي سريحة [ ][٤] حذيفة بن أسيد ، رضي الله عنهم .

وفيها دلالة علىٰ صفة نزوله ومكانه من أنه بالشام ، بل بدمشق عند المنارة الشرقية ، وأن ذلك يكون عند إقامة صلاة الصبح[٥] ، وقد بنيت في هذه الأعصار ، في سنة إحدىٰ وأربعين وسبعمائة ، منارة للجامع الأموي بيضاء من حجارة منحوتة عوضًا عن المنارة التي هدمت بسبب الحريق المنسوب إلىٰ صنيع النصارىٰ - عليهم لعائن الله المتتابعة إلىٰ يوم القيامة - وكان أكثر عمارتها من أموالهم ، وقويت الظنون أنها هي التي ينزل عليها المسيح[٦] عيسىٰ ابن مريم ، عليه السلام ، فيقتل الخنزير ، ويكسر الصليب ، ويضع الجزية ، فلا يقبل إلا الإسلام ، كما تقدم في الصحيحين ، وهذا إخبار من النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ، وتقرير وتشريع وتسويغ له علىٰ ذلك في ذلك الزمان ، حيث تنزاح عللهم ، وترتفع شبههم من أنفسهم ، ولهذا كلهم يدخلون في دين الإسلام ، متابعة لعيسىٰ ، عليه السلام ، وعلىٰ يديه ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدًا** ﴾ .

= الخسف حديث (٢١٨٣) من طرق عن شعبة عن فرات به . ورواه أبو داود فى الملاحم ، باب : أمارات الساعة ، حديث (٤٣١١) ، والترمذى (٢١٨٣) ، والنسائى فى الكبرى كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض ﴾ حديث (١١٣٨٠) من طريق أبى الأحوص عن فرات . ورواه أحمد (٤/٧) ، والترمذى (٢١٨٣) وابن ماجه فى الفتن ، باب : أشراط الساعة حديث (٤٠٤١) ، وفى باب الآيات حديث (٤٠٥٥) من طريق سفيان الثورى عن فرات ، ورواه أبو داود الطيالسى (١٠٦٧) ومن طريقه الترمذى (٢١٨٣) عن المسعودى عن فرات به . ورواه النسائى فى الكبرى فى التفسير ، باب : يوم تأتى السماء بدخان مبين حديث (١١٤٨٢) عن عبد الرحمن قال حدثنا فرات ... فذكر الحديث .

---

[١] - في خ : و . وهو خطأ ؛ لأن أبا سريحة هو نفسه حذيفة بن أسيد .

[٢] - في خ : « والله » .

[٣] - في ز : « حارثة » .

[٤] - في خ : و .

[٥] - في ز : « للصبح » .

[٦] - سقط من : ز .

وهذه الآية كقوله تعالى ﴿ **وإنه لعلم للساعة** ﴾ وقرئ « **لَعَلَمٌ** »[١] بالتحريك أي : أمارة[٢] ودليل على اقتراب الساعة ، وذلك لأنه ينزل بعد خروج المسيح الدجال فيقتله الله على يديه ، كما ثبت في الصحيحين[٣] : « **إن الله لم يخلق داء إلا أنزل له شفاء** »(٩٤٤) . ويبعث الله في أيامه يأجوج ومأجوج ، فيهلكهم الله تعالى ببركة دعائه ، وقد قال تعالى : ﴿ **حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق** ﴾ الآية .

(صفة عيسى عليه السلام)

قد تقدم في حديث عبد الرحمن بن آدم ، عن أبي هريرة : « **فإذا رأيتموه فاعرفوه : رجل مربوع إلى الحمرة والبياض ، عليه ثوبان ممصران ، كأن رأسه يقطر ، وإن لم يصبه بلل** »(٩٤٥) . وفي حديث النواس بن سمعان : « **فينزل عند المنارة البيضاء ، شرقي دمشق ، بين مهرودتين ، واضعًا كفيه على أجنحة ملكين ، إذا طأطأ رأسه قطر ، وإذا رفعه[٤] تحدر منه مثل جمان اللؤلؤ ، ولا يحل لكافر أن[٥] يجد ريح نفسه إلا مات ، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه** »(٩٤٦) .

وروى البخاري ومسلم من طريق الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **ليلة أسري بي لقيت[٦] [موسى]** » ، قال : فنعته « **فإذا رجل - قال : حسبته قال - مضطرب ، رجل الرأس ، كأنه من رجال شنوءة** » . قال : « [و][٧] **لقيت[٨] عيسى** » فنعته النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : « **ربعة أحمر كأنما**

---

(٩٤٤) - رواه البخاري في « صحيحه » كتاب الطب ، باب : ما أنزل الله داء إلَّا أنزل له شفاء ، حديث (٥٦٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ما أنزل الله داء إلَّا أنزل له شفاء . ورواه النسائي في الكبرى كتاب الطب ، باب : الأمر بالدواء حديث (٧٥٥٥) ، وابن ماجه في الطب ، باب : ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء (٣٤٣٩) من حديث عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة .

(٩٤٥) - تقدم تخريجه قريبًا .

(٩٤٦) - تقدم تخريجه قريبًا .

---

[١] - في ز : « عَلَم » .

[٢] - في خ : « إشارة » .

[٣] - في ز : « الصحيح » .

[٤] - في ز : « رفع » .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - سقط من : ز .

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٨] - سقط من : خ .

خرج من ديماس » يعني الحمام ، « **ورأيت إبراهيم ، وأنا أشبه ولده به** »(٩٤٧) الحديث .

وروى البخاري(٩٤٨) من حديث مجاهد ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **رأيت موسى وعيسى وإبراهيم : فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر ، وأما موسى فآدم جسيم سبط ؛ كأنه من رجال الزط** » . وله ولمسلم من طريق موسى بن عقبة ، عن نافع ، قال[١] [قال عبد الله][٢] ابن عمر : ذكر النبي ، صلى الله عليه وسلم ، يومًا بين ظهراني الناس المسيح الدجال ، فقال : « **إن الله ليس بأعور ؛ ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى ، كأن عينه عنبة طافية** »(٩٤٩) .

[ولمسلم عنه مرفوعًا][٣] : « **وأراني الله عند الكعبة في المنام ، فإذا[٤] رجل آدم كأحسن ما ترى من أدم الرجال ، تضرب لمته بين منكبيه ، رجل الشعر ، يقطر رأسه ماءً ، واضعًا يديه على منكبي رجلين ، وهو يطوف بالبيت ، فقلت : من هذا ؟ قالوا : المسيح ابن مريم ، ثم رأيت رجلًا وراءه جعدًا قططًا أعور العين[٥] اليمنى ، كأشبه من رأيت بابن قطن ، واضعًا**

(٩٤٧) - يأتى تخريجه فى أول تفسير سورة الإسراء .

(٩٤٨) - رواه البخارى فى صحيحه كتاب أحاديث الأنبياء ، عن محمد بن كثير عن إسرائيل عن عثمان بن المغيرة عن مجاهد عن ابن عمر كذا فى تحفة الأشراف للحافظ أبى الحجاج المزى (٥/حديث ٦٤١٣) وكذا وقع فى نسخة صحيح البخارى (٢٠٢/٤) طبعة الشعب المصورة عن الطبعة السلطانية فى تسعة أجزاء لكن وقع فى طبعة فؤاد عبد الباقى الحديث (٣٤٣٨) (ابن عباس) مكان (ابن عمر) وهو خطأ فاحش .

قال ابن حجر فى فتح البارى (٤٨٤/٦) : (عن ابن عمر) كذا وقع فى جميع الروايات التى وقعت لنا من نسخ البخارى ، وقد تعقبه أبو ذر فى روايته فقال : كذا وقع فى جميع الروايات المسموعة عن الفربرى « مجاهد عن ابن عمر » قال : ولا أدرى أهكذا حدث به البخارى أو غلط فيه الفربرى لأنى رأيته فى جميع الطرق عن محمد بن كثير وغيره عن مجاهد عن ابن عباس ثم ساقه بإسناده إلى حنبل بن إسحاق قال حدثنا محمد بن كثير وقال فيه (ابن عباس) - قال : وكذا رواه عثمان بن سعيد الدارمى عن محمد بن كثير قال : وتابعه نصر بن على عن أبى أحمد الزبيرى عن إسرائيل وكذا رواه يحيى بن زكريا بن أبى زائدة عن إسرائيل انتهى .... والذى يرجح أن الحديث لابن عباس لا لابن عمر ما سيأتى من إنكار ابن عمر على من قال أن عيسى أحمر وحلفه على ذلك ، وفى رواية مجاهد هذه « فأما عيسى فأحمر جعد » فهذا يؤيد أن الحديث لمجاهد عن ابن عباس لا عن ابن عمر والله أعلم انتهى كلام الحافظ من الفتح .

(٩٤٩) - رواه البخارى فى « صحيحه » كتاب أحاديث الأنبياء ، قول الله تعالى : ﴿ واذكر فى الكتاب=

[١] - في خ : « عن » .

[٢] - ما بين المعكوفين سقط من خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز : « وإذا » .

[٥] - في ز : « عين » .

يديه علىٰ منكبي رجل ، يطوف بالبيت ، فقلت : من هذا ؟ قالوا : المسيح الدجال »(٩٥٠) .
تابعه عبيد اللَّه ، عن نافع .

ثم رواه البخاري(٩٥١) ، عن أحمد بن محمد المكي ، عن إبراهيم بن سعد[١] ، عن الزهري ، عن سالم ، عن أبيه ، قال : لا واللَّه ، ما قال النبي ، صلى الله عليه وسلم ، لعيسىٰ : أحمر ، ولكن قال : « **بينما أنا نائم أطوف بالكعبة ، فإذا رجل آدم سبط الشعر ، يُهادَىٰ[٢] بين رجلين ينطف رأسه ماء - أو يهراق رأسه ماء - فقلت : من هذا ؟ ، فقالوا : ابن مريم ، فذهبت ألتفت فإذا رجل أحمر جسيم جعد الرأس أعور عينه اليمنىٰ ، كأن عينه عنبة طافية ، قلت : من هذا ؟ ، قالوا : الدجال ، وأقرب الناس به شبهًا ابن قطن . قال الزهري : رجل من خزاعة هلك في الجاهلية .**

هذه كلها ألفاظ البخاري ، رحمه اللَّه ، وقد تقدم في حديث عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة : أن عيسىٰ ، عليه السلام ، يمكث في الأرض بعد نزوله أربعين سنة ، ثم يُتوفىٰ ويصلي عليه المسلمون (٩٥٢). وفي حديث عبد اللَّه بن عمرو عند مسلم (٩٥٣): أنه يمكث سبع سنين ، فيحتمل - واللَّه أعلم - أن يكون المراد بلبثه في الأرض أربعين سنة مجموع إقامته فيها قبل رفعه

= مريم إذ انتبذت من أهلها ﴾ حديث (٣٤٣٩) ، ومسلم فى « صحيحه » كتاب الإيمان ، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال حديث (٢٧٤) (١٦٩) كتاب الفتن ، باب : ذكر الدجال وصفته وما معه حديث (١٠٠) (١٦٩) من طريق موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر وقد رواه البخارى ومسلم وغيرهما من طرق عن نافع .

(٩٥٠) - رواه مسلم فى « صحيحه » كتاب الإيمان ، باب ذكر المسيح ابن مريم حديث (٢٧٤) (١٦٩) من رواية موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر به . وهو عند البخارى فى أحاديث الأنبياء حديث (٣٤٤٠) من طريق موسى بن عقبة أيضًا ، ورواه مسلم فى الفتن ، باب ذكر الدجال وصفته ومامعه حديث (١٠٠) (١٦٩) ، والترمذى فى الفتن باب : ما جاء فى صفة الدجال حديث (٢٢٤١) ، وأحمد فى مسنده (٣٧/٢ ، ١٢٤) من طريق عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر ، وانظر الحديث السابق .

(٩٥١) - رواه البخارى فى « صحيحه » كتاب أحاديث الأنبياء ، باب : قول الله تعالى : ﴿ واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها ﴾ حديث (٣٤٤١) ، ورواه أيضًا فى كتاب التعبير ، باب : الطواف بالكعبة فى المنام حديث (٧٠٢٦) ، وفى الفتن ، باب ذكر الدجال حديث (٧١٢٨) ، ومسلم فى كتاب الإيمان ، باب : ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال حديث (٢٧٧) (١٧١) وأحمد (١٢٢/٢ ، ١٤٤) من طرق عن الزهرى به . دون قول ابن عمر فى أوله : « لا والله ما قال النبى - صلى الله عليه وسلم - لعيسى أحمر » .

(٩٥٢) - تقدم تخريجه برقم (٩٣٦) .

[١] - في ز : « سعيد » . [٢] - في خ : « يتهادى » .

وبعد نزوله ، فإنه رفع وله ثلاث وثلاثون سنة في الصحيح . وقد ورد ذلك في حديث في صفة أهل الجنة أنهم علىٰ صورة آدم وميلاد عيسىٰ : ثلاث وثلاثين[١] سنة . وأما ما حكاه ابن عساكر عن بعضهم أنه رفع وله مائة وخمسون سنة ، فشاذ غريب بعيد . وذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر في ترجمة عيسىٰ ابن مريم من تاريخه عن بعض السلف : أنه يدفن مع النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في حجرته ، فالله أعلم .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ويوم القيامة يكون عليهم شهيدًا** ﴾ قال قتادة : يشهد عليهم أنه قد بلغهم الرسالة من الله ، وأقر [بالعبودية لله][٢] -عز وجل- . وهذا كقوله تعالىٰ في آخر سورة المائدة : ﴿ **وإذ قال الله يا عيسىٰ ابن مريم أأنت قلت للناس** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **العزيز الحكيم** ﴾ .

فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾

يخبر تعالىٰ أنه بسبب ظلم اليهود بما ارتكبوه من الذنوب العظيمة ؛ حرم عليهم طيبات كان أحلها لهم كما قال ابن أبي حاتم (٩٥٤):

حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقري ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو قال : قرأ ابن عباس : (طيبات كانت أحلت لهم) .

وهذا التحريم قد يكون قدريًّا بمعنىٰ أنه تعالىٰ [قيضهم لأنهم][٣] تأولوا في كتابهم وحرفوا

(٩٥٣) - تقدم تخريجه برقم (٩٤٦) .

(٩٥٤) - تفسير ابن أبي حاتم (١١١٤/٤) (٦٢٥٨) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٣٤/٢) وزاد نسبته لسعيد بن منصور وابن المنذر .

[١] - في خ : « ثلاثون » .

[٢] - في خ : « بعبودية الله » .

[٣] - في ز : « قبضهم لأن » .

وبدلوا أشياء كانت حلالًا لهم ، فحرموها علىٰ أنفسهم تشديدًا منهم علىٰ أنفسهم وتضييقًا وتنطعًا ، ويحتمل أن يكون شرعيًا بمعنىٰ أنه تعالىٰ حرم عليهم في التوراة أشياء كانت حلالًا لهم قبل ذلك كما قال تعالىٰ : ﴿ **كل الطعام كان حلًا لبني إسرائيل إلَّا ما حرم إسرائيل علىٰ نفسه من قبل أن تنزل التوراة** ﴾ . [وقد قدمنا الكلام علىٰ هذه الآية ، وأن المراد أن الجميع من الأطعمة كانت حلالًا لهم من قبل أن تنزل التوراة][١] ما عدا ما كان حرم إسرائيل علىٰ نفسه من لحوم الإبل وألبانها ، ثم إنه تعالىٰ حرم أشياء كثيرة في التوراة كما قال في سورة الأنعام : ﴿ **وعلىٰ الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون** ﴾ أي : إنما حرمنا عليهم ذلك لأنهم يستحقون ذلك ؛ بسبب بغيهم وطغيانهم ومخالفتهم رسولهم واختلافهم عليه ، ولهذا قال : ﴿ **فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدّهم عن سبيل اللَّه كثيرًا** ﴾ أي : صدّوا الناس وصدّوا أنفسهم عن اتباع الحق ، وهذه سجية لهم متصفون بها من قديم الدهر وحديثه ، ولهذا كانوا أعداء الرسل ، وقتلوا خلقًا[٢] من الأنبياء ، وكذبوا عيسىٰ ومحمدًا صلوات اللَّه وسلامه عليهما .

وقوله : ﴿ **وأخذهم الربا وقد نهوا عنه** ﴾ أي : إن اللَّه قد نهاهم عن الربا فتناولوه وأخذوه واحتالوا عليه بأنواع من الحيل وصنوف من الشبه ، وأكلوا أموال الناس بالباطل ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **وأعتدنا للكافرين منهم عذابًا أليمًا** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **لكن الراسخون في العلم منهم** ﴾ أي : الثابتون في الدين لهم قدم راسخة في العلم النافع ، وقد تقدّم الكلام علىٰ ذلك في سورة آل عمران .

﴿ **والمؤمنون** ﴾ عطف علىٰ الراسخين ، وخبره : ﴿ **يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك** ﴾ .

قال ابن عباس : أنزلت في عبد اللَّه بن سلام ، وثعلبة بن سعية[٣] [ ][٤] ، وزيد بن سعية ، وأسد بن عبيد الذين دخلوا في الإسلام ، وصدّقوا بما أرسل اللَّه به[٥] محمدًا ، صلى الله عليه وسلم .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز : « خلفًا » .
[٣] - في ز : « شعية » .
[٤] - ما بين المعكوفين في ت : وأسد .
[٥] - سقط من : ز .

وقوله : ﴿ **والمقيمين الصلاة** ﴾ هكذا هو في جميع مصاحف الأئمة وكذا هو في مصحف أبي بن كعب ، وذكر ابن جرير أنها في مصحف ابن مسعود : (والمقيمون الصلاة) ، قال : والصحيح قراءة الجميع ، ثم ردّ على من زعم أن ذلك من غلط الكتاب[١] ، ثم ذكر اختلاف الناس فقال بعضهم : هو منصوب على المدح كما جاء في قوله : ﴿ **والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا** ﴾ قالوا[٢] : وهذا سائغ في كلام العرب ؛ كما قال الشاعر :

لا يَبْعدنْ قومِي الَّذينَ هُمُو[٣] سُمٌّ[٤] العُدَاةِ[٥] وآفةُ الجُزرِ
النَّازلين بكل مُعْتَرَكٍ والطَّيِّبونَ مَعَاقِدَ الأُزُرِ

وقال آخرون : هو مخفوض عطفًا على قوله : ﴿ **بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك** ﴾ يعني : وبالمقيمين الصلاة ، وكأنه يقول : وبإقامة الصلاة ؛ أي : يعترفون بوجوبها وكتابتها عليهم ، أو أن المراد بالمقيمين الصلاة : الملائكة ، وهذا اختيار ابن جرير ، يعني : يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالملائكة ، وفي هذا نظر ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **والمؤتون الزكاة** ﴾ يحتمل أن يكون المراد زكاة الأموال ، ويحتمل زكاة النفوس ، ويحتمل الأمرين ، والله أعلم . ﴿ **والمؤمنون بالله واليوم الآخر** ﴾ أي : يصدّقون بأنه لا إله إلا الله ، ويؤمنون بالبعث بعد الموت والجزاء على الأعمال خيرها وشرها .

وقوله : ﴿ **أولئك** ﴾ هو الخبر عما تقدّم ، ﴿ **سنؤتيهم أجرًا عظيمًا** ﴾ يعني : الجنة .

۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٦٥﴾

---

[١] - في ز : « الكاتب » .
[٢] - في خ : « قال » .
[٣] - في ز : « هم » .
[٤] - في ز : « أشدُّ » ، خ : «أسد» .
[٥] - في ز : « الغداة » .

قال محمد بن إسحاق(٩٥٥) : عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال سُكين وعدي بن زيد : يا محمد ؛ ما نعلم [ ][١] [أنزل اللَّه][٢] علىٰ بشر من شيء بعد موسىٰ ، فأنزل اللَّه في ذلك من قولهما ، ﴿ **إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلىٰ نوح والنبيين من بعده** ﴾ إلىٰ آخر الآيات .

وقال ابن جرير (٩٥٦): حدثنا الحارث ، حدثنا عبد العزيز ، حدثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظي ؛ قال : أنزل اللَّه : ﴿ **يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابًا من السماء** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **وقولهم علىٰ مريم بهتانًا عظيمًا** ﴾ قال[٣] : فلما تلاها عليهم - يعني : علىٰ اليهود - وأخبرهم بأعمالهم الخبيثة جحدوا كل ما أنزل اللَّه وقالوا : ما أنزل اللَّه علىٰ بشر من شيء ولا موسىٰ ولا عيسىٰ ولا علىٰ نبي من شيء ، قال : فحل حبوته[٤] وقال[٥] : ولا علىٰ أحد ، فأنزل اللَّه عز وجل : ﴿ **وما قدروا اللَّه حق قدره إذ قالوا ما أنزل اللَّه علىٰ بشر من شيء** ﴾ .

وفي هذا الذي قاله محمد بن كعب القرظي نظر ، فإن هذه الآية التي[٦] في سورة الأنعام مكية[٧] ، وهذه الآية التي[٨] في سورة النساء مدنية ، وهي رد عليهم لما سألوا النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أن ينزل عليهم كتابًا من السماء ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **فقد سألوا موسىٰ أكبر من ذلك** ﴾ ثم ذكر فضائحهم ومعايبهم وما كانوا عليه وما هم عليه الآن من الكذب والافتراء .

ثم ذكر تعالىٰ أنه أوحىٰ إلىٰ عبده ورسوله محمد ، صلى الله عليه وسلم ، كما أوحىٰ إلىٰ غيره من الأنبياء المتقدّمين فقال : ﴿ **إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلىٰ نوح والنبيين من بعده** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **وآتينا داود زبورًا** ﴾ . والزبور : اسم للكتاب الذي أوحاه اللَّه إلىٰ داود عليه السلام ،

---

(٩٥٥) - سيرة ابن هشام (٥٩٦/٢) ومن طريق ابن إسحاق رواه ابن جرير فى تفسيره (٤٠٠/٩) (١٠٨٤٠) ، وابن أبى حاتم (١١١٨/٤) (٦٢٧٨) ، والبيهقى فى دلائل النبوة (٥٣٥/٢) وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٤٣٥/٢) وزاد نسبته لابن المنذر .

(٩٥٦) - تفسير ابن جرير (٤٠١/٩) (١٠٨٤١) .

---

[١] - ما بين المعكوفين في خ : أن .
[٢] - في خ : « الله أنزل » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « حيوته » .
[٥] - في ز : « فقال » .
[٦] - في ز : « مكية » .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - سقط من : ت .

وسنذكر ترجمة كل واحد من هؤلاء الأنبياء - عليهم من الله أفضل[١] الصلاة والسلام عند قصصهم [في السور الآتية][٢] إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان .

وقوله : ﴿ و[٣] **رسلًا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلًا لم نقصصهم عليك** ﴾ أي : من قبل هذه الآية ؛ يعني : في السور المكية وغيرها .

وهذه تسمية الأنبياء الذين نص الله[٤] علىٰ أسمائهم في القرآن ، وهم : آدم ، وإدريس ، ونوح ، وهود ، وصالح ، وإبراهيم ، ولوط ، وإسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب ، ويوسف ، وأيوب ، وشعيب ، وموسىٰ ، وهارون ، ويونس ، وداود ، وسليمان ، وإلياس ، واليسع ، وزكريا ، ويحيىٰ ، وعيسىٰ ، وكذا ذو الكفل عند كثير من المفسرين ، وسيدهم محمد ، صلىٰ الله عليه وسلم .

وقوله : ﴿ **ورسلًا لم نقصصهم عليك** ﴾ أي : خلقًا آخرين لم يُذكروا في القرآن ، وقد اختلف في عدة[٥] الأنبياء والمرسلين ، والمشهور في ذلك حديث أبي ذر الطويل ، وذلك فيما رواه ابن مردويه ، رحمه الله ، في تفسيره حيث قال (٩٥٧): حدثنا إبراهيم بن محمد ، حدثنا جعفر بن محمد بن الحسن والحسين بن عبد الله بن يزيد قالا : حدثنا إبراهيم بن هشام بن يحيىٰ الغساني ، حدثني أبي ، عن جدّي ، عن أبي[٦] إدريس الخولاني ، عن أبي ذر قال : قلت : يا رسول الله ؛ كم الأنبياء ؟ قال : « **مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا** » ، قلت : يارسول الله ، كم الرسل منهم ؟ قال : « **ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير** » ، قلت : يارسول الله ، من كان أوّلهم ؟ قال : « **آدم** » ، قلت : يا رسول الله ؛ نبي مرسل ؟ قال : « **نعم ، خلقه الله بيده و[٧] نفخ فيه من روحه ثم سواه قبلا** » ، ثم قال : « **يا أبا ذر ؛ أربعة سريانيون[٨] : آدم وشيث[٩] ونوح وخنوخ ، وهو إدريس ، وهو أوّل من خط بقلم[١٠] ، وأربعة من العرب : هود وصالح وشعيب ونبيك يا أبا ذر ، وأوّل نبي من**

(٩٥٧) - رواه ابن حبان فى « صحيحه » (٢/رقم ٣٦١ - إحسان) وأبو نعيم فى حلية الأولياء (١/١٦٦ - ١٦٨) والآجرى كما سينقله عنه المصنف برقم (٥٥) من طرق عن إبراهيم بن هشام بن يحيى الغسانى به مطولًا . وإسناده ضعيف جدًا ؛ إبراهيم بن هشام بن يحيى الغسانى كذبه أبو حاتم وأبو زرعة وترجم له الذهبى فى « الميزان » وقد أورده ابن حبان فى « الثقات » (٨/٧٩) وصحح حديثه فلم يصب . وانظر الحديث رقم (٩٦٨) .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ت : « من سورة الأنبياء » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ت : « عدد » .
[٦] - في خ : « ابن » .
[٧] - في خ : « ثم » .
[٨] - في ز : « شرياميون » .
[٩] - في ز : « شيت » .
[١٠] - في خ : « بالقلم » .

بني إسرائيل موسىٰ وآخرهم عيسىٰ ، وأوّل النبيين آدم وآخرهم نبيك » .

وقد روىٰ هذا الحديث بطوله الحافظ أبو حاتم بن حبان[١] البستي[٢] في كتابه الأنواع والتقاسيم ، وقد وسمه بالصحة ، وخالفه أبو الفرج بن الجوزي فذكر هذا الحديث في كتابه «الموضوعات» واتهم به إبراهيم بن هشام هذا ، ولا شك أنه قد تكلم فيه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل من أجل هذا الحديث ، فالله[٣] أعلم .

وقد روي هذا الحديث[٤] من وجه آخر ، عن صحابي آخر ، فقال ابن أبي حاتم (٩٥٨): حدثنا محمد بن عوف ، حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا معان بن رفاعة ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة قال : قلت : يا نبي الله ، كم الأنبياء ؟ ، قال : « **مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا ، من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمًّا غفيرًا** » .

معان بن رفاعة السلامي ضعيف ، وعلي بن يزيد ضعيف ، والقاسم أبو عبد الرحمن ضعيف أيضًا .

[وقد][٥] قال الحافظ أبو يعلى الموصلي (٩٥٩): حدثنا أحمد بن إسحاق أبو عبد الله الجوهري البصري ، حدثنا مكي بن إبراهيم ، حدثنا موسىٰ بن عبيدة الربذي ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **بعث الله ثمانية آلاف نبي : أربعة آلاف إلىٰ**

(٩٥٨) - تفسير ابن أبي حاتم (١١١٨/٤) (٦٢٨٣) ، ورواه أحمد في مسنده (٢٦٥/٥) قال : حدثنا أبو المغيرة ، والطبراني في الكبير (٢٥٨/٨ ، ٢٥٩) (٧٨٧١) قال : حدثنا أحمد بن عبد الوهاب ثنا أبوالمغيرة فذكرا الحديث مطولًا وإسناده ضعيف من أجل علي بن يزيد والقاسم ومعان بن رفاعة والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٤/١) وقال : رواه أحمد والطبراني في الكبير ... ومداره على علي ابن يزيد وهو ضعيف . والحديث نقل المصنف جزءًا آخر منه في سورة الأنعام وعزاه لابن أبي حاتم ويأتي تخريجه هناك في تفسير الآية (١١٢) وذكر الهيثمي جزء آخر منه في المجمع (١١٨/٣) وقال : رواه أحمد في حديث طويل والطبراني في الكبير وفيه علي بن يزيد وفيه كلام . وانظر الحديث (٩٦٩) .

(٩٥٩) - رواه أبو يعلى في مسنده (١٥٩/٧ ، ١٦٠) (٤١٣٢) ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٥٣/٣) من طريق إبراهيم بن زهير الحلواني قال : حدثنا مكي بن إبراهيم به . والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١٣/٨) وقال : رواه أبو يعلى وفيه موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف جدًا . وذكره ابن حجر في المطالب العالية (٢٧٠/٣) رقم (٣٤٥٥) وعزاه إلى أبي يعلى وذكره أيضًا السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٣٦) وعزاه لأبي يعلى وأبي نعيم وقال : بسند ضعيف .

[١] - في ز : « حاتم » .
[٢] - في ز : « الليتي » ، خ : « الليثى » .
[٣] - في خ : « والله » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في خ : « و » .

بني إسرائيل ، وأربعة آلاف إلىٰ سائر الناس » .

وهذا أيضًا إسناد ضعيف ، فيه الربذي ضعيف ، وشيخه الرقاشي أضعف منه [أيضًا][١] ، والله أعلم .

وقال أبو يعلى(٩٦٠) : حدثنا أبو الربيع ، حدثنا محمد بن ثابت العبدي ، حدثنا معبد[٢] بن خالد الأنصاري ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : **« كان فيمن خلا من إخواني من الأنبياء ثمانية آلاف نبي ، ثم كان عيسىٰ ابن مريم ، ثم كنت أنا »** .

وقد رويناه عن أنس من وجه آخر ، فأخبرنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي(٩٦١) ، أخبرنا أبو الفضل بن عساكر ، أنبأنا الإمام أبو بكر القاسم بن أبي سعيد الصفار ، أخبرتنا [عمة أبي][٣] عائشة بنت أحمد بن منصور بن الصفار ، أخبرنا الشريف أبو السنابك هبة الله بن أبي الصهباء محمد بن حيدر القرشي ، حدثنا الإمام الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني ، قال : أخبرنا الإمام أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي ، حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا أحمد بن طارق ، حدثنا مسلم[٤] بن خالد ، حدثنا زياد بن سعد ، عن محمد بن المنكدر ، عن صفوان بن سليم ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه

(٩٦٠) - مسند أبي يعلى (١٣١/٧ ، ١٣٢) (٤٠٩٢) ، ورواه الحاكم فى المستدرك (٥٩٨/٢) من طريق أبى الربيع الزهرانى به وإسناده ضعيف جدًا ، محمد بن ثابت العبدى قال ابن حجر فى التقريب : صدوق لين الحديث ، ويزيد الرقاشى قال ابن حجر فى التقريب : زاهد ضعيف ، والحديث ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (٢١٤/٨) وقال : رواه أبو يعلى وفيه محمد بن ثابت العبدى وهو ضعيف وذكره ابن حجر فى المطالب (٢٧٠/٣) (٣٤٥٦) وعزاه لأبى يعلى وقد سكت عليه الحاكم لكن قال الذهبى : واهٍ .

(٩٦١) - رواه المصنف هنا بسنده وأعله بأحمد بن طارق لكن رواه أبو نعيم فى حلية الأولياء (١٦٢/٣) من طريق زكريا بن عدى ثنا مسلم بن خالد به . وإسناد أبى نعيم جيد رجاله ثقات إلّا أن مسلم بن خالد كثير الوهم ، ورواه الحاكم (٥٩٧/٢) ، والطبرانى فى الأوسط (٧٧٤) من طريق إبراهيم بن المنذر الحزامى ثنا إبراهيم بن المهاجر بن مسمار عن محمد بن المنكدر وصفوان بن سليم عن يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك رضى الله عنه وليس فى رواية الطبرانى ذكر ابن المنكدر . والحديث ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (٨/ ٢١٣) وقال : رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه مهاجر بن مسمار وهو ضعيف . وقد ضعفه الذهبى أيضًا فى تلخيص المستدرك فقال : إبراهيم ويزيد واهيان .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من خ » .
[٢] - في ز : « محمد » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « أمي » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .

وسلم : « **بعثت على أثر ثلاثة**[١] [ ][٢] **من بني إسرائيل** » . وهذا عزيز[٣] من هذا الوجه ، وإسناده لا بأس به ، رجاله كلهم معروفون إلا أحمد بن طارق هذا فإني لا أعرفه بعدالة ولا جرح ، والله أعلم .

[ ][٤] حديث أبي ذر الغفاري الطويل في عدد الأنبياء - عليهم السلام - :

قال محمد بن الحسين الآجري(٩٦٢) : حدثنا أبو بكر جعفر بن محمد بن الفريابي[٥] إملاء في شهر رجب سنة سبع وتسعين ومائتين ، حدثنا إبراهيم بن هشام بن يحيىٰ الغساني ، حدثنا أبي ، عن جدّه ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن أبي ذر قال : دخلت المسجد فإذا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، جالس وحده ، فجلست إليه فقلت : يا رسول الله ؛ إنك أمرتني بالصلاة . قال : « **الصلاة خير موضوع**[٦] ، **فاستكثر أو استقل** » قال : قلت : يا رسول الله ، فأي الأعمال أفضل ؟ قال : « **إيمان بالله ، وجهاد في سبيله** » ، قلت : يا رسول الله ، فأي المؤمنين أفضل ؟ قال : « **أحسنهم خلقًا** » ، قلت : يا رسول الله ، فأي المسلمين أسلم ؟ قال : « **من سلم الناس من لسانه ويده** » ، قلت[٧] : يا رسول الله ، فأي الهجرة أفضل ؟

---

(٩٦٢) - رواه ابن حبان ، وأبو نعيم مطولاً وقد تقدم برقم (٩٦٣) ومن قوله : « أوصيك بتقوى الله ... إلى آخر الحديث . أخرجه الطبرانى فى الكبير (١٦٥١) عن أحمد بن أنس بن مالك عن إبراهيم بن هشام به ، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (٢١٩/٤) وقال : رواه الطبرانى وفيه إبراهيم بن هشام بن يحيى الغسانى وثقه ابن حبان وضعفه أبو حاتم وأبو زرعة . وقوله : « قل الحق وإن كان مرًا » رواه الطبرانى فى مكارم الأخلاق رقم (١) والقضاعى فى « مسند الشهاب » (٦٥١) وروى ابن ماجه فى الزهد ، باب : الورع والتقوى حديث (٤٢١٨) عن الماضى بن محمد بن على بن سليمان عن القاسم بن محمد عن أبى إدريس الخولانى عن أبى ذر مرفوعًا : لا عقل كالتدبير . ولا ورع كالكف . ولا حسب كحسن الخلق . وقال البوصيرى فى الزوائد (٣٠٠/٣) : هذا إسناد ضعيف لضعف الماضى بن محمد الغافقى المصرى . ورواه أحمد فى مسنده من حديث أبى ذر أيضًا قال الألبانى فى « الضعيفة » (٣٨٣/٤) : لم أره فى « المسند » ولا عزاه إليه السيوطى فى « الجامع » .

والحديث رواه ابن عدى فى الكامل (٢٦٩٩/٧) والبيهقى فى السنن (٤/٩) ، وأبو نعيم فى الحلية (١/ ١٦٨) من طريق يحيى بن سعيد الكوفى السعدى ثنا ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن أبى ذر به . وقال ابن عدى : هذا حديث منكر من هذا الطريق عن ابن جريج عن عطاء ، عن عبيد بن عمير =

---

[١] - في ت : « ثمانية » .

[٢] - ما بين المعكوفين في خ : نبي .

[٣] - في ت : « غريب » .

[٤] - ما بين المعكوفين في خ : و .

[٥] - في ز : « الغيارنى » .

[٦] - في خ : « موضع » .

[٧] - في ز : « فقلت » .

قال : « **من هجر السيئات** » . قلت : يا رسول اللّٰه ؛ أي الصلاة أفضل ؟ قال : « **طول القنوت** » قلت : يا رسول اللّٰه فأي الصيام أفضل ؟ قال : « **فرض مجزئ وعند اللّٰه أضعاف كثيرة** » قلت : يا رسول اللّٰه ؛ فأي الجهاد أفضل ؟ قال : « **من عقر جواده وأهريق دمه** » قلت : يا رسول اللّٰه ، فأي الرقاب أفضل ؟ قال : « **أغلاها ثمنًا وأنفسها عند أهلها** » ، قلت : يا رسول اللّٰه ، فأي الصدقة أفضل ؟ قال : « **جهد من مقل ، وسر إلىٰ فقير** » ، قلت : يا رسول اللّٰه ، فأي آية ما أنزل عليك أعظم ؟ قال : « **آية الكرسي** » ، ثم قال : « **يا أبا ذر ، وما السمٰوات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، وفضل العرش علىٰ الكرسي كفضل الفلاة علىٰ الحلقة** » ، قال : قلت : يا رسول اللّٰه ، كم الأنبياء ؟ قال : « **مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا** » ، قال : قلت : يا رسول اللّٰه ، كم الرسل من ذلك ؟ قال : « **ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير كثير طيب** » . قلت : فمن كان أولهم ؟ قال : « **آدم** » ، قلت : أنبي مرسل ؟ قال : « **نعم ، خلقه اللّٰه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وسوّاه قبيلًا** » .

ثم قال : « **يا أبا ذر أربعة سريانيون**[١] : **آدم وشيث**[٢] **وخنوخ - وهو إدريس ، وهو أول من خط بقلم - ونوح . وأربعة من العرب : هود ، وشعيب ، وصالح ، ونبيك يا أبا ذر ؛ وأوّل أنبياء بني إسرائيل موسىٰ وآخرهم عيسىٰ ، وأول الرسل : آدم ، وآخرهم : محمد** » . قال : قلت : يا رسول اللّٰه ، كم كتابًا أنزله اللّٰه ؟ قال : « **مائة كتاب وأربعة كتب ، أنزل اللّٰه علىٰ شيث خمسين صحيفة ، وعلىٰ خنوخ ثلاثين صحيفة ، وعلىٰ إبراهيم عشر صحائف ، وأنزل علىٰ موسىٰ من قبل التوراة عشر صحائف ، وأنزل التوراة والإِنجيل والزبور والفرقان** » .

قال : قلت : يا رسول اللّٰه ، ما كانت صحف إبراهيم ؟ قال : « **كانت كلها يا أيها الملك المسلط المبتلى المغرور ، إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها علىٰ بعض ، ولكني بعثتك لتردّ عني دعوة المظلوم ، فإني لا أردّها ولو كانت من كافر ، وكان فيها أمثال**[٣] **، وعلىٰ العاقل أن**

=عن أبي ذر وهذا الحديث ليس له من الطرق إلّا من رواية أبي إدريس الخولاني والقاسم بن محمد عن أبي ذر والثالث حديث ابن جريج وهذا أنكر الروايات والجزء الأول من الحديث رواه أيضًا أحمد في مسنده (١٧٨/٥ ، ١٧٩) والبزار في مسنده كما في كشف الأستار (٩٣/١) (١٦٠) من طريق المسعودي عن أبي عمر الدمشقي عن عبيد بن الخشخاش - بمعجمات - عن أبي ذر قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٠/١) : فيه المسعودي وهو ثقة لكنه اختلط .

[١] - في ز : « سرانيون » ، خ : « اسرائيون » . [٢] - في ز : « وشيت » .
[٣] - في ز : « مثال » .

يكون له ساعات : ساعة يناجي فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يفكر في صنع اللّٰه ، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب ، وعلىٰ العاقل ألّا يكون ضاعنًا إلا لثلاث : تزوّد لمعاد ، أو مرمة لمعاش ، أو لذة في غير محرم ، وعلىٰ العاقل أن يكون بصيرًا بزمانه ، مقبلًا علىٰ شأنه ، حافظًا للسانه ، ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه » .

قال : قلت : يا رسول اللّٰه ، فما كانت صحف موسىٰ ؟ قال : « **كانت عبرًا كلها : عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح ، عجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب ، وعجبت لمن يرىٰ الدنيا وتقلبها بأهلها ثم [هو][١] يطمئن إليها ، وعجبت لمن أيقن بالحساب غدًا ثم هو لا يعمل »** .

قال : قلت : يا رسول اللّٰه ، فهل في أيدينا شيء مما كان في أيدي إبراهيم وموسىٰ وما أنزل اللّٰه[٢] عليك ؟ ، قال : « **نعم ، اقرأ يا أبا ذر ﴿ قد أفلح من تزكىٰ وذكر اسم ربه فصلىٰ بل تؤثرون[٣] الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقىٰ إن هذا لفي الصحف الأولىٰ صحف إبراهيم وموسىٰ ﴾** .

قال : قلت[٤] : يا رسول اللّٰه ، فأوصني ، قال : « **أوصيك بتقوىٰ اللّٰه ، فإنه رأس أمرك »** .

قال : قلت : يا رسول اللّٰه ، زدني ، قال : « **عليك بتلاوة القرآن وذكر اللّٰه ، فإنه ذكر لك في السماء ونور لك في الأرض »** .

قال : قلت : يا رسول اللّٰه ، زدني . قال : « **إياك وكثرة الضحك ، فإنه يميت القلب ويذهب بنور الوجه »** .

قلت : يا رسول اللّٰه ، زدني ، قال : « **عليك بالجهاد ، فإنه رهبانية أمتي »** .

قلت : زدني ، قال : « **عليك بالصمت إلا من خير ، فإنه مطردة للشيطان وعون لك علىٰ أمر دينك »** .

قلت : زدني ، قال : « **انظر إلىٰ من هو تحتك ولا تنظر إلىٰ من هو فوقك ، فإنه أجدر لك**

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ز : « يؤثرون » .
[٤] - في ز : « فقلت » .

أن لا تزدري نعمة اللَّه عليك » ، قلت : زدني ، قال : « **أحبب المساكين وجالسهم ، فإنه أجدر أن لا تزدري نعمة اللَّه عليك** » .

قلت : زدني ، قال : « **صِلْ قرابتك وإن قطعوك** » ، قلت : زدني ، قال : « **قل الحق وإن كان مرًّا** » .

قلت : زدني ، قال : « **لا تخف في اللَّه لومة لائم** » .

قلت : زدني ، قال : « **يردّك عن الناس ما تعرف من نفسك ، ولا[١] تجد عليهم فيما تحب ، [وكفى بك عيبًا أن تعرف من الناس ما تجهل[٢] من نفسك ، أو تجد عليهم فيما تحب][٣]** » .

ثم ضرب بيده صدري فقال : « **يا أبا ذر ، لا عقل كالتدبير ، ولا ورع كالكف ، ولا حسب كحُسْنِ الخلق** » .

وروى الإمام أحمد عن أبي المغيرة (٩٦٣)، عن معان بن رفاعة عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة أن أبا ذر سأل النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فذكر : أمر الصلاة والصيام والصدقة ، وفضل آية الكرسي ولا حول ولا قوة إلا باللَّه ، وأفضل الشهداء ، وأفضل الرقاب ، ونبوة آدم وأنه مكلم ، وعدد الأنبياء والمرسلين ؛ كنحو ما تقدّم .

وقال عبد اللَّه بن الإمام أحمد(٩٦٤) : وجدت في كتاب أبي بِخَطِّهِ : حدثني عبد المتعالي بن

---

(٩٦٣) - رواه أحمد فى مسنده (٥/٢٦٥) وقد تقدم قريبًا .

(٩٦٤) - المسند (٣/٧٩) ونقله الهيثمى فى مجمع الزوائد (٧/٣٤٩) فقال : رواه أحمد وفيه مجالد بن سعيد وثقه النسائى فى رواية وقال فى أخرى : ليس بالقوى وضعفه جماعة .

قلت : وفيه أيضًا عبد المتعال بن عبد الوهاب الأنصارى قال أبو زرعة العراقى فى « ذيل الكاشف » : لا أعرف حاله لكن تعقبه ابن حجر فى تعجيل المنفعة (ت ٦٦٨) بقوله : « قلت : قد عرفه أبو أحمد الحاكم فذكره فى « الكنى » فيمن يكنى أبا سعيد فقال : عبد المتعال بن عبد الوهاب الأنصارى من ولد زيد بن ثابت ، سمع النضر بن شميل ثم ساق من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل عن عبد المتعال بن عبد الوهاب ، فعلى هذا قد شارك عبد الله أباه فى الرواية عن عبد المتعال ، وقرأت فى كتاب « الرد على الجهمية » لابن أبى حاتم : أخبرنا إبراهيم بن الحارث بن مصعب أنا أبو سعيد عبد المتعال بن عبد الوهاب سمعت أبى يقول ... فذكر حكاية فكملت الرواة عنه ثلاثة .. » . =

---

[١] - في خ : « أو » .

[٢] - في ز : « يجهل » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

عبد الوهاب ، حدثنا يحيىٰ بن سعيد الأموي ، حدثنا مجالد ، عن أبي الوداك قال : قال أبو سعيد : هل تقول الخوارج بالدجال ؟ قال : قلت : لا ، فقال : قال رسول اللَّه : « **إني خاتم ألف نبي أو أكثر ، وما بعث نبي يتبع إلا وقد حذر أمّته منه ، وإني قد بين لي فيه ما لم يبين لأحد[١] ، وإنه أعور وإن ربكم ليس بأعور ، وعينه اليمنىٰ عوراء جاحظة لا تخفى كأنها نخامة في حائط مجصص ، وعينه اليسرىٰ كأنها كوكب دري ، معه من كل لسان ، ومعه صورة الجنة خضراء يجري فيها الماء وصورة النار سوداء تدخن** » .

وقد رويناه في الجزء الذي فيه رواية أبي يعلى الموصلي ، عن يحيىٰ بن معين ، حدثنا مروان بن معاوية ، حدثنا مجالد ، عن أبي الوداك ، عن أبي سعيد قال : قال رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم : « **إني أختم ألف ألف نبي أو أكثر ، ما بعث اللَّه من نبي إلىٰ قومه إلا حذرهم الدجال** » . وذكر تمام الحديث هذا لفظه بزيادة ألف ، وقد تكون مقحمة[٢] ، واللَّه أعلم . وسياق رواية الإمام أحمد أثبت وأولىٰ بالصحة ، ورجال إسناد هذا الحديث لا بأس بهم ، وقد[٣] روي هذا الحديث من طريق جابر بن عبد اللَّه ، رضي اللَّه عنه ، قال الحافظ أبو بكر البزار (٩٦٥) :

حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا يحيىٰ بن سعيد ، حدثنا مجالد ، عن الشعبي ، عن جابر قال : قال رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم : « **إني لخاتم ألف نبي أو أكثر ، وإنه ليس منهم نبي[٤] إلا وقد أنذر قومه الدجال ، وإنه[٥] قد بين لي ما لم يبين لأحد منهم ، وإنه أعور وإن ربكم ليس بأعور** » .

وقوله[٦] : ﴿ **وكلم اللَّهُ موسىٰ تكليمًا** ﴾ وهذا تشريف لموسىٰ ، عليه السلام ، بهذه

= والحديث أخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » كتاب الفتن باب : « ما ذكر في فتنة الدجال » (٨/ ٦٤٧) : والحاكم في المستدرك (٥٩٧/٢ ، ٥٩٨) من طريق مروان بن معاوية عن مجالد به ، وسكت عنه الحاكم لكن تعقبه الذهبي بقوله : « مجالد ضعيف » ورواية الحاكم مقتصرة على قوله : « إني خاتم ألف نبي أو أكثر » وذكره المصنف في البداية والنهاية (١٨٣/٢) من طريق أحمد وقال : هذا حديث غريب . ورواية أبي يعلى عن ابن معين التي ذكرها ابن كثير هنا لم أقف عليها في مسنده ولا وقفت على الجزء المشار إليه .

(٩٦٥) - رواه البزار في « مسنده » كما في كشف الأستار (١٣٥/٤) (٣٣٨٠) ، ورواه ابن أبي شيبة =

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز : « معجمة » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في ت : « وإني » .
[٦] - في خ : « قوله » .

الصفة ، ولهذا يقال له : الكليم ، وقد قال الحافظ أبو بكر بن مردُويه(٩٦٦) : حدثنا أحمد بن محمد بن سليمان المالكي ، حدثنا مسيح بن حاتم ، حدثنا عبد الجبار بن عبد اللَّه قال : جاء رجل إلىٰ أبي بكر بن عياش فقال : سمعت رجلًا يقرأ : (**وكلم اللَّهَ موسىٰ تكليمًا**) ، فقال أبو بكر : ما قرأ هذا إلا كافر ، قرأت علىٰ الأعمش ، وقرأ الأعمش علىٰ يحيىٰ[١] بن وثاب ، وقرأ يحيىٰ بن وثاب علىٰ أبي عبد الرحمن السلمي ، وقرأ أبو[٢] عبد الرحمن السلمي[٣] علىٰ علي بن أبي طالب ، وقرأ علي بن أبي طالب علىٰ رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم : ﴿ **وكلم اللَّهُ موسىٰ تكليمًا** ﴾ .

وإنما اشتدّ غضب أبي بكر بن عياش ، رحمه اللَّه ، علىٰ من قرأ كذلك ؛ لأنه حرَّفَ لفظ القرآنِ ومعناه ، وكأنَّ[٤] هذا من المعتزلة الذين ينكرون أن يكون[٥] اللَّه كلم موسىٰ ، عليه السلام ، أو يكلم أحدًا من خلقه ؛ كما روينا[٦] عن بعض المعتزلة أنه قرأ علىٰ بعض المشايخ (**وكلم اللَّهَ موسىٰ تكليمًا**) فقال له : يا بن اللخناء[٧] ! فكيف[٨] تصنع بقوله تعالىٰ : ﴿ **ولما جاء موسىٰ لميقاتنا وكلمه ربه** ﴾ يعني أن هذا لا يحتمل التحريف ولا التأويل .

وقال ابن مردُويه (٩٦٧): حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، حدثنا أحمد بن الحسين بن بهرام[٩] ، حدثنا محمد بن مرزوق ، حدثنا هانئ بن يحيىٰ ، عن الحسن بن أبي جعفر ، عن قتادة ، عن يحيىٰ بن وثاب ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم : « **لما كلّم اللَّه موسىٰ كان يبصر دبيب النمل علىٰ الصفا في الليلة الظلماء** » .

= (٦٤٦/٨) ، وابن سعد (١٥١/١) مختصرًا ، وأبو نعيم فى الحلية (٣٣٤/٤ ، ٣٣٥) من طرق عن مجالد به ، ومجالد ضعيف كما تقدم .

(٩٦٦) - عزاه أيضًا لابن مردويه السيوطى فى الدر المنثور (٤٣٨/٢) والحديث رواه الطبرانى فى الأوسط (٨٦٠٨) قال : حدثنا مسيح بن حاتم قال : ثنا عبد الجبار بن عبد الله ... فذكره وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٥/٧ ، ١٦) وقال : رواه الطبرانى فى الأوسط ، وعبد الجبار بن عبد الله لم أعرفه وبقية رجاله ثقات ، والذى وجدته روى عن أبى بكر بن عياش أحمد بن عبد الجبار بن ميمون وهو ضعيف والنسخة سقيمة .

(٩٦٧) - سيأتي في تفسير سورة الأعراف الآية (١٤٣) .

[١] - سقط من : ز ، خ.
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في خ : « كان » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في خ : « رويناه » .
[٧] - عبارة تستعمل في السب والشتم ، يقال : رجل لخن وامرأة لخناء ، إذا أنتن .
[٨] - في خ : « كيف » .
[٩] - في ز : « ما بهرام » .

وهذا حديث غريب ، وإسناده لا يصح ، وإذا صح موقوفًا كان جيدًا .

وقد روىٰ الحاكم في مستدركه وابن مردُويه من حديث حميد بن قيس[١] الأعرج ، عن عبد اللّه بن الحارث ، عن ابن مسعود ، قال : قال رسول اللّه ، صلى الله عليه وسلم : « **كان علىٰ موسىٰ يوم كلمه ربه جبة صوف وكساء صوف وسراويل صوف ونعلان من جلد حمار غير ذكي** »(٩٦٨) .

(٩٦٨) - رواه الحاكم فى مستدركه (٢٨/١) من طريق سعيد بن منصور قال : حدثنا خلف بن خليفة - وفى (٣٧٩/٢) عن عمر بن حفص بن غياث عن أبيه وخلف بن خليفة كلاهما عن حميد بن قيس عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود به ، وقال الحاكم عقب الحديث فى الموضع الأول : « قد اتفقا جميعًا على الاحتجاج بحديث سعيد بن منصور وحميد هذا ليس بابن قيس الأعرج . قال البخارى فى « التاريخ » : حميد بن على الأعرج الكوفى منكر الحديث وعبد الله بن الحارث النجرانى محتج به واحتج مسلم وحده بخلف بن خليفة ، وهذا حديث كبير فى التصوف » وسكت عنه الذهبى ، وقال الحاكم فى الموضع الثانى : هذا حديث صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه ، فتعقبه الذهبى بقوله : بل ليس على شرط البخارى وإنما غره أن فى الإسناد حميد بن قيس كذا ، وهو خطأ ، إنما هو حميد الأعرج الكوفى بن على - أو ابن عمار - أحد المتروكين فظنه المكى الصادق .

ورواه الترمذى فى اللباس ، باب : ما جاء فى لبس الصوف حديث (١٧٣٤) ، وأبو يعلى فى مسنده (٤٩٨٣) ، وابن جرير فى تفسيره (١٤٤/١٦) ، والعقيلى فى الضعفاء (٢٦٨/١) ، وابن عدى فى الكامل (٦٨٨/٢) وابن حبان فى المجروحين (٢٦٢/١) ، والبيهقى فى « الأسماء والصفات » (٤١٨) من طرق عن خلف بن خليفة به .

وقال الترمذى : هذا حديث غريب لا نعرفه إلَّا من حديث حميد الأعرج ، وحميد هو ابن على الكوفى قال : سمعت محمدًا يقول : حميد بن على الأعرج منكر الحديث وحميد بن قيس الأعرج المكى صاحب مجاهد ثقة . وقال ابن حبان فى ترجمة حميد - سماه حميد بن عطاء - : منكر الحديث يروى عن عبد الله بن الحارث عن ابن مسعود نسخة كأنها موضوعة ، وقال ابن عدى : لحميد عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود غير هذه الأحاديث التى ذكرتها وله عن غير عبد الله بن الحارث أحاديث وهذه الأحاديث عن عبد الله بن الحارث عن ابن مسعود أحاديث ليست بمستقيمة ولا يتابع عليها وهو الذى يحدث به عن عبد الله بن الحارث .

والحديث ضعفه ابن جرير أيضًا فى الموضع المشار إليه فى التخريج ، ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات (١/ ١٩٢ ، ١٩٣) من طريق أبى عبد الله بن بطة قال : حدثنا إسماعيل بن محمد الصفار قال : حدثنا الحسن ابن عرفة قال حدثنا خلف بن خليفة ... فذكره ، وزاد فى آخره : « فقال : من ذا العبرانى الذى يكلمنى من هذه الشجرة ؟ قال : أنا الله » وقال ابن الجوزى عقبه : هذا حديث لا يصح فإن كلام الله =

[١] - في خ : « قبس » .

وقال ابن مردُويه بإسناده : عن جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : إن اللَّه ناجىٰ موسىٰ بمائة ألف كلمة وأربعين ألف كلمة في ثلاثة أيام وصايا كلها ، فلما سمع موسىٰ كلام الآدميين مقتهم ، مما وقع في مسامعه من كلام الرب عز وجل .

وهذا أيضًا إسناد[١] ضعيف ، فإن جويبرًا ضُعِّف[٢] ، والضحاك لم يدرك ابن عباس ، رضي اللَّه عنهما . فأما الأثر الذي رواه ابن أبي حاتم وابن مردُويه وغيرهما من طريق الفضل بن عيسىٰ الرقاشي ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد اللَّه أنه[٣] قال : لما كلم اللَّه موسىٰ يوم الطور كلمه بغير الكلام الذي كلمه يوم ناداه ، فقال له موسىٰ : يا رب هذا كلامك الذي كلمتني به ؟ قال : لا يا موسىٰ ؛ إنما[٤] كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان ، ولي قوة الألسنة كلها وأنا أقوىٰ من ذلك ، فلما رجع موسىٰ إلىٰ بني إسرائيل قالوا : يا موسىٰ ، صف لنا كلام الرحمن ، قال : لا أستطيعه ، قالوا : فشبه لنا ، قال : ألم تسمعوا إلىٰ صوت الصواعق ، فإنها[٥] قريب منه وليس به(٩٦٩) .

= لا يشبه كلام المخلوقين ، والمتهم به حميد واختلف فى اسم أبيه فقيل : على . وقيل : عطاء . وقيل : عمار . وليس بحميد بن قيس الأعرج صاحب الزهرى فإنه مخرج عنه فى الصحيحين . وتعقبه السيوطى فى اللآلئ (١/ ١٥٠، ١٥١) بقوله : « قلت : قال الحافظ فى لسان الميزان كلا والله بل حميد بريء من هذه الزيادة فقد أنبأنا به الحافظ أبو الفضل بن الحسين (فساقه ابن حجر بسنده إلى إسماعيل الصفار دون الزيادة) ثم قال : وكذا رواه الترمذى عن على بن حجر عن خلف بن خليفة بدون هذه الزيادة وكذا رواه سعيد بن منصور عن خلف بدون هذه الزيادة وكذا رواه أبو يعلى فى مسنده عن أحمد بن حاتم عن خلف ابن خليفة بدون هذه الزيادة ورواه الحاكم فى المستدرك ظنًا منه أن حميدًا الأعرج هو حميد بن قيس المكى الثقة وهو وهم منه وقد رواه من طريق عمرو بن حفص بن غياث عن أبيه وخلف بن خليفة جميعًا عن حميد بدون هذه الزيادة وما أدرى ما أقول فى ابن بطة بعد هذا فما أشك أن إسماعيل بن محمد الصفار لم يحدث بهذا قط والله أعلم .

ومما تقدم يتبين أن الحديث ضعيف لضعف حميد بن على الأعرج وأمَّا الزيادة التى أوردها ابن الجوزى فى الموضوعات من طريق ابن بطة فهي باطلة ومن أجلها أورد ابن الجوزى الحديث فى موضوعاته ، والله أعلم

(٩٦٩) - تفسير ابن أبى حاتم (٤/١١١٩) (٦٢٨٦) ، وإسناده ضعيف كما قال المصنف رحمه الله فإن الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشى ضعفه ابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم وأبو داود والنسائى وقال ابن عدى : والضعف بين على ما يرويه . ترجمته فى « تهذيب الكمال » والراوى عنه على بن عاصم الواسطى صدوق لكنه يخطئ ويصر كما فى « التقريب » لكن نقل ابن الجوزى تكذيبه عن يزيد بن هارون ، والحديث رواه البزار فى مسنده كما فى كشف الأستار - (٢٣٥٣) ، والبيهقى فى الأسماء =

---

[١] - في خ : « إسناده » .
[٢] - في ت : « ضعيف » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « إنا » .
[٥] - في خ : « فإنه » .

وهذا إسناد ضعيف ؛ فإن الفضل [الرقاشي هذا][١] ضعيف بمرة .

وقال عبد الرزاق (٩٧٠): أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ، عن[٢] جزء بن جابر الخثعمي ، عن كعب قال : إن الله لما كلم موسىٰ كلمه[٣] بالألسنة كلها سوىٰ كلامه ، فقال له[٤] موسىٰ : يا رب ، هذا كلامك ؟ قال : لا ، ولو كلمتك بكلامي لم تستقم له ، قال : يارب ، فهل من خلقك شيء[٥] يشبه كلامك ؟ قال : لا ، وأشدّ خلقي شبهًا بكلامي أشدّ ما تسمعون[٦] من الصواعق .

= والصفات (٦٠١) ، وأبو نعيم فى حلية الأولياء (٦/ ٢١٠) ، وابن الجوزى فى الموضوعات (١/ ١١٢ ، ١١٣) كلهم من طريق على بن عاصم عن الفضل بن عيسى به . وقد تعقب السيوطى فى اللآلئ (١/ ١٩) على ابن الجوزى إيراده هذا الحديث فى الموضوعات فقال : « فى الحكم بوضعه نظر فإن الفضل لم يتهم بكذب وأكثر ما عيب عليه الندرة وهو من رجال ابن ماجه » وقال ابن عراق فى « تنزيه الشريعة » (١/ ١٤١) : هذا الحديث أعله ابن الجوزى بالفضل وبراويه عنه على بن عاصم ونقل عن يزيد بن هارون أنه قال فى على : ما زلنا نعرفه بالكذب . واقتصر السيوطى على إعلاله بالفضل وتعقبه ولم يتعرض للآخر ، واقتصر الذهبى فى التلخيص على إعلاله بعلى - وذكر كلام ابن هارون فيه ، والله أعلم .

(٩٧٠) - رواه فى تفسيره (١/ ٢٣٨) ومن طريقه رواه عبد الله بن أحمد فى السنة (٥٣٩) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره (٤/ ١١١٩) (٦٢٨٧) ، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٦٠٢) ورواه ابن جرير فى تفسيره (٩/ ٤٠٤) (١٠٨٤٣) وفى (٩/ ٤٠٥ ، ٤٠٦) (١٠٨٤٥ ، ١٠٨٤٦) ، والدارمى فى الرد على الجهمية رقم (٣٢١) كلهم من طريق أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام . وجزء بن جابر مختلف فى اسمه قال البيهقى : رواه ابن أخى الزهرى عنه عن أبى بكر فقال : عن جرير بن جابر الخثعمى ، وقال البخارى : وقال يونس وابن أخى الزهرى والزبيدى : جرو وقال شعيب جرز بن جابر وهو رجل مجهول ثم يحتمل أنه أراد : ما سمع للسماوات والأرض من الأصوات عند إسماع الرب جل ذكره إياه كلامه ، كما روينا عن أهل السماوات أنهم يسمعون عند نزول الوحى للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا ، وكما روينا فى الحديث الصحيح عن أبى هريرة عن نبى الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إذا قضى الله الأمر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله كأنه سلسلة على صفوان » . وكما روينا عن نبينا - صلى الله عليه وسلم - : أنه كان يأتيه الوحى أحيانًا فى مثل صلصلة الجرس » وكل ذلك مضاف إلى غير الله سبحانه وتعالى وكذلك الصوت المذكور فى هذا الحديث إن كان صحيحًا فإنه يحدث عن التوراة التى أخبر الله تعالى عن أهلها أنهم حرفوها وبدلوها فليس من قوله ما يلزمنا توجيهه ، إذا لم يوافق أصول الدين والله أعلم . والحديث ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٢/ ٢١٥) وزاد نسبته لابن المنذر .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « هذا الرقاشي » .
[٢] - في ز ، خ : « بن » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ت .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « يسمعون » .

فهذا موقوف علىٰ كعب الأحبار ، وهو يحكي عن الكتب المتقدّمة المشتملة علىٰ أخبار بني إسرائيل وفيها الغث والسمين .

وقوله : ﴿ **رسلًا مبشرين ومنذرين** ﴾ أي : يبشرون من أطاع اللَّه واتبع رضوانه بالخيرات ، وينذرون من خالف أمره وكذب رسله بالعقاب والعذاب .

وقوله : ﴿ **لئلا يكون للناس علىٰ اللَّه حجة بعد الرسل وكان اللَّه عزيزًا حكيمًا** ﴾ أي : إنه تعالىٰ أنزل كتبه وأرسل رسله بالبشارة والنذارة ، وبين ما يحبه ويرضاه ، مما يكرهه ويأباه ؛ لئلا يبقىٰ لمعتذر عذر ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولًا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزىٰ** ﴾ وكذا قوله تعالى : ﴿ **ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولًا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين** ﴾ . وقد ثبت في الصحيحين(٩٧١) عن ابن مسعود .

قال : قال رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم : « **لا أحد أغير من اللَّه ؛ من أجل ذلك حرم اللَّه[١] الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا أحد أحب إليه المدح من اللَّه – عز وجل – من أجل[٢] ذلك مدح نفسه ، ولا أحد أحب إليه العذر من اللَّه ؛ من أجل ذلك بعث النبيين مبشرين ومنذرين** » . وفي لفظ آخر[٣] : « **من أجل ذلك أرسل رسله وأنزل كتبه** » .

لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ

(٩٧١) – رواه البخارى فى « صحيحه » فى التفسير ، باب : ﴿ ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ﴾ حديث (٤٦٣٤) ، وفى باب : قول الله عز وجل : ﴿ قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن » حديث (٤٦٣٧) ، وفى النكاح ، باب : الغيرة ، حديث (٥٢٢٠) ، وفى كتاب التوحيد ، باب : قول الله تعالى ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ حديث (٧٤٠٣) ، ومسلم فى « صحيحه » فى التوبة ، باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش ، حديث (٢٧٦٠) من طريقين عن أبى وائل شقيق بن سلمة عن ابن مسعود به.

[١] – سقط من : ز ، خ . [٢] – في ز : « أحد » .

[٣] – سقط من : خ .

ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾

لما تضمن قوله تعالىٰ : ﴿ **إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده** ﴾ إلىٰ آخر السياق - إثبات نبوته ، صلى الله عليه وسلم ، والرد علىٰ من أنكر نبوته من المشركين وأهل الكتاب ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **لكن الله يشهد بما أنزل إليك** ﴾ أي : وإن كفر به من كفر به ممن كذبك وخالفك ، فالله يشهد لك بأنك رسوله الذي أنزل عليه الكتاب وهو القرآن العظيم الذي ﴿ **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** ﴾ ، ولهذا قال : ﴿ **أنزله بعلمه** ﴾ أي : فيه علمه الذي أراد أن يطلع العباد عليه من البينات والهدىٰ والفرقان ، وما يحبه الله ويرضاه ، وما يكرهه ويأباه ، وما فيه من العلم بالغيوب من الماضي والمستقبل ، وما فيه من ذكر صفاته تعالىٰ المقدسة التي لا يعلمها نبي مرسل ولا ملك مقرب إلا أن يعلمه الله به ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء** ﴾ وقال ﴿ **ولا يحيطون به علمًا** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم(٩٧٢) : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا الحسن بن سهل الجعفري وخزز[١] ابن المبارك قالا : حدثنا عمران بن عيينة ، حدثنا عطاء بن السائب قال : أقرأني أبو عبد الرحمن السلمي القرآن ، وكان إذا قرأ عليه أحدنا القرآن قال : قد أخذت علم الله فليس أحد اليوم أفضل منك إلا بعمل ثم يقرأ قوله[٢] : ﴿ **أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفىٰ بالله شهيدًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **والملائكة يشهدون** ﴾ [أي][٣] : [بصدق][٤] ما جاءك وأوحي إليك وأنزل عليك مع شهادة الله تعالىٰ لك بذلك ﴿ **وكفى بالله شهيدًا** ﴾ .

وقد قال محمد بن إسحاق(٩٧٣) : عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : دخل علىٰ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، جماعة من اليهود فقال لهم :

---

(٩٧٢) - تفسير ابن أبي حاتم (١١٢١/٤) (٦٢٩٦) .

(٩٧٣) - سيرة ابن هشام (٥٩٧/٢) ومن طريق ابن إسحاق رواه ابن جرير في تفسيره (٤٠٩/٩) (١٠٨٥٠) ، والبيهقي في دلائل النبوة (٥٣٥/٢) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٣٩/٢) وزاد نسبته لابن المنذر .

---

[١] - في ز : « وخرز » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - سقط من ز .

[٤] - في خ : « تصدق » .

« **إني لأعلم والله إنكم لتعلمون أني رسول الله** » ، فقالوا : ما نعلم ذلك ، فأنزل الله - عز وجل - : ﴿ **لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالاً بعيدًا** ﴾ أي : كفروا في أنفسهم ، فلم يتبعوا الحق وسعوا في صد الناس عن اتباعه والاقتداء به ، قد خرجوا عن الحق وضلوا عنه وبعدوا منه بُعدًا عظيمًا شاسعًا .

ثم أخبر تعالىٰ عن حكمه في الكافرين بآياته وكتابه ورسوله ، الظالمين لأنفسهم بذلك وبالصد عن سبيله وارتكاب مآثمه[١] وانتهاك محارمه[٢] بأنه لا يغفر لهم : ﴿ **ولا ليهديهم طريقًا** ﴾ أي : سبيلًا إلىٰ الخير ، ﴿ **إلا طريق جهنم** ﴾ وهذا استثناء منقطع ﴿ **خالدين فيها أبدًا وكان ذلك على الله يسيرًا** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرًا لكم** ﴾ أي: قد جاءكم محمد ، صلوات الله وسلامه عليه ، بالهدىٰ ودين الحق والبيان الشافي من الله - عز وجل - فآمنوا بما جاءكم به واتبعوه يكن خيرًا لكم .

ثم قال : ﴿ **وإن تكفروا فإن لله ما في السموات والأرض** ﴾ أي : فهو غني عنكم وعن إيمانكم ، ولا يتضرر بكفرانكم ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **وقال موسىٰ إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعًا فإن الله لغني حميد** ﴾ ، وقال هٰهنا : ﴿ **وكان الله عليمًا حكيمًا** ﴾ أي : بمن يستحق منكم الهداية فيهديه ، وبمن يستحق الغواية فيغويه ﴿ **حكيمًا** ﴾ أي : في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره .

يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾

ينهى تعالىٰ أهل الكتاب عن الغلو والإطراء ، وهذا كثير في النصارىٰ ، فإنهم تجاوزوا [حد

---

[١] - في ز : « محارمه » . [٢] - في ز : « مآثمه » .

التصديق][١] بعيسى حتىٰ رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه اللَّه إياها ، فنقلوه من حيز النبوة إلىٰ أن اتخذوه إلهًا من دون اللَّه يعبدونه ، كما يعبدونه . بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن[٢] زعم أنه علىٰ دينه ، فادعوا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه ، سواء كان حقًّا أو باطلًا ، أو ضلالًا أو رشادًا ، أو صحيحًا أو كذبًا ، ولهذا قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون اللَّه والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون** ﴾ .

وقال الإمام أحمد (٩٧٤): حدثنا هشيم ، قال : زعم الزهري ، عن عبيد اللَّه بن عبد اللَّه بن عتبة بن مسعود ، عن ابن عباس ، عن عمر أن رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « **لا تطروني كما أطرت النصارىٰ عيسىٰ ابن مريم ، فإنما أنا عبد الله ورسوله** » .

ثم رواه هو وعلي بن المديني عن سفيان بن عيينة عن الزهري كذلك . وقال علي بن المديني : هذا حديث صحيح سنده ، وهكذا رواه البخاري : عن الحميدي ، عن سفيان بن عيينة ، عن الزهري به ، ولفظه : « **فإنما أنا عبد ، فقولوا : عبد اللَّه ورسوله** » .

وقال الإمام أحمد (٩٧٥): حدثنا حسن بن موسىٰ ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت[٣]

(٩٧٤) - المسند (٢٣/١) (١٥٤- شاكر) وقال العلامة أحمد شاكر فى التعليق على هذا الحديث فى المسند : « إسناده صحيح . هشيم بن بشير الواسطي : ثقة حجة إلّا أنهم تكلموا فى سماعه من الزهرى ، وأنه سمع منه صحيفة فطارت منه فلم يحفظ منها إلّا قليلًا ، وأنه يدلس فى بعض روايته وقوله هنا « زعم الزهرى » قد يؤيد أنه لم يسمعه منه ، ولكن الحديث ورد بأسانيد أخرى عن الزهرى ، فتبين أنه صحيح عنه » .

والحديث رواه أحمد (٢٤/١ رقم ١٦٤) والحميدى (٢٧) ومن طريقه البخارى فى كتاب أحاديث الأنبياء ، باب : قول الله تعالى : ﴿ واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها ﴾ حديث (٣٤٤٥) عن سفيان قال : سمعت الزهرى يقول : أخبرنى عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس : سمع عمر رضى الله عنه يقول على المنبر : سمعت النبى - صلى اللّه عليه وسلم - يقول : « لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا : عبد الله ورسوله » .

وهو جزء من حديث السقيفة وقد رواه بتمامه أحمد فى مسنده (٥٥/١ - رقم ٣٩١) والبخارى فى كتاب الحدود ، باب رجم الحبلى فى الزنا إذا أحصنت حديث (٦٨٣٠) وغيرهما من حديث الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بإسناده .

(٩٧٥) - المسند (١٥٣/٣ ، ٢٤١) ورواه عبد بن حميد (١٣٣٧) قال : حدثنا الحسن بن موسى به =

[١] - في ز : « الحد بالتصديق » .

[٢] - في ز : « من » .

[٣] - في ز : « سالم » .

البُناني ، عن أنس بن مالك أن رجلًا قال : [يا محمد][١] ، يا سيدنا ، وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « [يا][٢] **أيها الناس ؛ عليكم بقولكم[٣] ، ولا يستهوينكم الشيطان ، أنا محمد بن عبد الله ، عبد الله ورسوله ، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل** » . تفرد به من هذا الوجه .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ولا تقولوا علىٰ الله إلا الحق** ﴾ أي : لا تفتروا عليه وتجعلوا له صاحبة وولدًا ، تعالىٰ الله ، عز وجل ، عن ذلك علوًّا كبيرًا ، وتنزه وتقدس ، وتوحد في سؤدده وكبريائه وعظمته ، فلا إله إلا هو ولا رب سواه ؛ ولهذا قال : ﴿ **إنما المسيح عيسىٰ ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلىٰ مريم وروح منه** ﴾ أي : إنما هو عبد من عباد الله ، وخلق من خلقه ، قال له : كن ، فكان ، ورسول من رسله ﴿ **وكلمته ألقاها إلى مريم** ﴾ أي : خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل ، عليه السلام ، إلىٰ مريم ، فنفخ فيها من روحه بإذن ربه ، عز وجل ، [فكان عيسى بإذن الله ، عز وجل ، وصارت][٤] تلك النفخة التي نفخها في جيب درعها فنزلت حتىٰ ولجت فرجها بمنزلة لقاح الأب والأم - والجميع مخلوق لله ، عز وجل ، ولهذا قيل لعيسىٰ : إنه كلمة الله وروح منه ؛ لأنه لم يكن له أب تولد منه ، وإنما هو ناشئ عن الكلمة التي قال له بها : كن ، فكان ، والروح التي أرسل بها جبريل ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ **ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **إن مثل عيسىٰ عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها[٥] وابنها آية للعالمين** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين** ﴾ [ ][٦] ، وقال تعالىٰ إخبارًا عن المسيح ﴿ **إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلًا لبني إسرائيل** ﴾ .

= ورواه أحمد (٣/٢٤١ ، ٢٤٩) ، وعبد بن حميد (١٣٠٩) ، والنسائى فى عمل اليوم والليلة (٢٤٩) وابن حبان فى « صحيحه » (١٤/١٣٣) (٦٢٤٠) من طرق عن حماد بن سلمة به . ورواه النسائى فى عمل اليوم والليلة (٢٤٨) من طريق العلاء بن عبد الجبار قال : حدثنا حماد بن سلمة قال حدثنا ثابت وحميد عن أنس به . ورواه أحمد (٣/٢٤١) من طريق مؤمل حدثنا حماد عن حميد عن أنس به . وهو حديث صحيح على شرط مسلم وقد صححه الألبانى فى « السلسلة الصحيحة » (١٠٩٧) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .
[٣] - في المسند (٣/١٥٣) : « بتقواكم » .
[٤] - ما بين المعكوفين في خ : « وكانت » .
[٥] - في ز : « وجعلنا » .
[٦] - في ت : إلى آخر السورة .

وقال عبد الرزاق (٩٧٦): عن معمر، عن قتادة: ﴿ **وكلمته ألقاها إلىٰ مريم [وروح منه]**[١] ﴾ هو كقوله: ﴿ **كن فيكون**[٢] ﴾.

وقال ابن أبي حاتم (٩٧٧): حدثنا أحمد بن سنان الواسطي، قال: سمعت شاذ[٣] بن يحيىٰ يقول في قول الله: ﴿ **وكلمته ألقاها إلىٰ مريم وروح منه** ﴾ قال: ليس الكلمة صارت عيسىٰ، ولكن بالكلمة صار عيسىٰ.

وهذا أحسن مما ادعاه ابن جرير في قوله: ﴿ **ألقاها إلىٰ مريم** ﴾ أي: أعلمها بها كما زعمه في قوله: ﴿ **إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه** ﴾ أي: يعلمك بكلمة منه ويجعل ذلك كقوله[٤] تعالىٰ: ﴿ **وما كنت ترجو أن يلقىٰ إليك الكتاب إلا رحمة من ربك** ﴾ بل الصحيح أنها الكلمة التي جاء بها جبريل إلىٰ مريم فنفخ فيها بإذن الله فكان عيسىٰ عليه السلام.

وقال البخاري (٩٧٨): حدثنا صدقة بن الفضل، حدثنا[٥] الوليد، حدثنا الأوزاعي، حدثني عمير بن هانئ، حدثني جنادة بن أبي أمية، عن عبادة بن الصامت، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: « **من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسىٰ عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلىٰ مريم وروح منه، وأن**[٦] **الجنة حق والنار حق – أدخله الله الجنة علىٰ ما كان من العمل** ». [ ][٧] قال الوليد: فحدثني عبد الرحمن بن يزيد ابن جابر، عن عمير بن هانئ عن جنادة زاد: « **من أبواب الجنة الثمانية يدخل**[٨] **من أيها شاء** ».

---

(٩٧٦) – تفسير عبد الرزاق (١٧٧/١) ومن طريق عبد الرزاق رواه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (٤١٩/٩) (١٠٨٥٤)، وابن أبى حاتم فى تفسيره (١١٢٣/٤) (٦٣٠٩)، وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٢/ ٤٣٩) وزاد نسبته لابن المنذر.

(٩٧٧) – تفسير ابن أبى حاتم (١١٢٣/٤) (٦٣١٠).

(٩٧٨) – صحيح البخارى كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قوله تعالى: ﴿ يأهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ﴾ حديث (٣٤٣٥) ورواه مسلم فى « صحيحه » كتاب الإيمان، باب: الدليل على صحة إسلام من حضره الموت .. حديث (٢٨)، والنسائى فى عمل اليوم والليلة (١١٣٠، ١١٣١)، وأحمد=

---

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من: ز.
[٢] – في ز: « فكان ».
[٣] – في ت: « شاذان ».
[٤] – في ز: « كما قال ».
[٥] – في ز، خ: « بن ».
[٦] – سقط من: ز.
[٧] – ما بين المعكوفين في خ: و.
[٨] – سقط من: ز، خ.

وكذا رواه مسلم عن داود بن رشيد ، عن الوليد ، عن ابن جابر ، به . ومن وجه آخر عن الأوزاعي به ، فقوله في الآية والحديث : « **وروح منه** » ، كقوله : ﴿ **وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعًا منه** ﴾ أي : من خلقه ومن عنده ، وليست (من) للتبعيض كما تقوله النصارىٰ عليهم لعائن اللَّه المتتابعة ، بل هي لابتداء الغاية كما في الآية الأخرىٰ .

وقد قال مجاهد في قوله : ﴿ **وروح منه** ﴾ أي : ورسول منه . وقال غيره : ومحبة منه . والأظهر الأول ، وهو[١] أنه مخلوق من روح مخلوقة ، وأضيفت الروح إلىٰ اللَّه علىٰ وجه التشريف كما أضيفت الناقة والبيت إلىٰ اللَّه في قوله : ﴿ **هذه ناقة اللَّه** ﴾ وفي قوله : ﴿ **وطهر بيتي للطائفين** ﴾ وكما ورد في الحديث الصحيح : « **فأدخل علىٰ ربي في داره** » ، أضافها إليه إضافة تشريف لها ، وهذا كله من قبيل واحد ونمط واحد .

وقوله : ﴿ **فآمنوا باللَّه ورسله[٢]** ﴾ أي : فصدقوا بأن اللَّه واحد أحد لا صاحبة[٣] له ولا ولد[٤] ، واعلموا وتيقنوا بأن عيسىٰ عبد اللَّه ورسوله ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ولا تقولوا ثلاثة** ﴾ أي : لا تجعلوا عيسىٰ وأمه مع اللَّه شريكين ، تعالىٰ اللَّه عن ذلك علوًّا كبيرًا .

وهذه الآية والتي تأتي[٥] في سورة المائدة حيث يقول تعالىٰ : ﴿ **لقد كفر الذين قالوا إن اللَّه ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد** ﴾ وكما قال في آخر السورة المذكورة : ﴿ **وإذ قال اللَّه يا عيسىٰ ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلـٰهين من دون الله قال سبحانك** ﴾ الآية ، وقال في أولها : ﴿ **لقد كفر الذين قالوا إن اللَّه هو المسيح ابن مريم** ﴾ الآية . فالنصارىٰ[٦] عليهم لعنة[٧] اللَّه من جهلهم ليس لهم ضابط ولا لكفرهم حد ، بل أقوالهم وضلالهم منتشر ، فمنهم من يعتقده[٨] إلهًا ، ومنهم من يعتقده شريكًا ، ومنهم من يعتقده ولدًا ، وهم طوائف كثيرة لهم آراء مختلفة ، وأقوال غير مؤتلفة ، ولقد أحسن بعض المتكلمين حيث قال : لو اجتمع عشرة من النصارىٰ لافترقوا علىٰ[٩] أحد عشر قولًا ، ولقد ذكر بعض علمائهم المشاهير عندهم وهو سعيد بن بطريق بطرق[١٠] الإسكندرية في حدود

= (٥/٣١٣ ، ٣١٤) من طريق عمير بن هانئ قال حدثني جنادة بن أبي أمية به .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز : « رسوله » .
[٣] - في خ : « ولد » .
[٤] - في خ : « صاحبة » .
[٥] - سقط من : ت .
[٦] - في خ : « والنصارىٰ » .
[٧] - في خ : « لعائن » .
[٨] - في ز : « يعتقد » .
[٩] - في ز : « عن » .
[١٠] - في خ : « بترك » .

سنة أربعمائة من الهجرة النبوية أنهم اجتمعوا المجمع الكبير الذي عقدوا فيه الأمانة الكبيرة التي لهم ، وإنما هي الخيانة الحقيرة الصغيرة ، وذلك في أيام قسطنطين باني المدينة المشهورة ، وأنهم اختلفوا عليه اختلافًا لا ينضبط ولا ينحصر ، فكانوا أزيد من ألفين أسقفًا فكانوا أحزابًا كثيرة ، كل خمسين منهم علىٰ مقالة ، وعشرون علىٰ مقالة ، ومائة علىٰ مقالة ، وسبعون علىٰ مقالة ، وأزيد من ذلك وأنقص .

فلما رأى [عصابة منهم] قد زادوا علىٰ الثلاثمائة وثمانية[١] عشر نفرًا ، وقد توافقوا علىٰ مقالة فأخذها الملك ونصرها وأيدها وكان فيلسوفًا داهية[٢] ، ومحق ما عداها من الأقوال ، وانتظم دست أولئك الثلاثمائة وثمانية[٣] عشر ، وبنيت لهم الكنائس ، ووضعوا لهم كتبًا وقوانين ، وأحدثوا فيها[٤] الأمانة التي يلقنونها الولدان من الصغر[٥] ليعتقدوها ، ويُعَمِّدونهم عليها ، وأتباع هؤلاء هم الملكية[٦] ، ثم أنهم اجتمعوا مجمعًا ثانيًا فحدث فيهم اليعقوبية ، ثم مجمعًا ثالثًا فحدث فيهم النسطورية ، وكل هذه الفرق تثبت الأقانيم الثلاثة في المسيح ، ويختلفون في كيفية ذلك وفي اللاهوت والناسوت علىٰ زعمهم هل اتحدا أو ما اتحدا أو امتزجا أو حل فيه ؟ علىٰ ثلاث مقالات ، وكل منهم يكفر الفرقة الأخرىٰ ، ونحن نكفر الثلاثة ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **انتهوا خيرًا لكم** ﴾ أي : يكن خيرًا لكم ﴿ **إنما اللَّه إله واحد سبحانه أن يكون له ولد** ﴾ أي : تعالىٰ وتقدس عن ذلك علوًّا كبيرًا ﴿ **له ما في السموات وما في الأرض وكفىٰ باللَّه وكيلًا** ﴾ أي : الجميع ملكه وخلقه ، وجميع [ما فيهما][٧] عبيده وهم تحت تدبيره وتصريفه ، وهو وكيل[٨] علىٰ كل شيء ، فكيف يكون له منهم صاحبة أو[٩] ولد ، كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **بديع السموات والأرض أنىٰ يكون له ولد ولم يكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا لقد جئتم شيئًا إدًّا** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **فردًا** ﴾ .

لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

---

[١] – في خ : « بثمانية » .
[٢] – في ز : « ذا هيئة » .
[٣] – في خ : « الثمانين » .
[٤] – سقط من : ز ، خ .
[٥] – في خ : « الصغار » .
[٦] – في خ : « المالكية » .
[٧] – ما بين المعكوفتين في ز : « من فيها » .
[٨] – في خ : « الوكيل » .
[٩] – في خ : « و » .

فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾

قال ابن أبي حاتم (٩٧٩): حدثنا أبي ، حدثنا إبراهيم بن موسىٰ ، حدثنا هشام ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس قوله : ﴿ **لن يستنكف المسيح أن يكون عبدًا لله** ﴾ : لن يستكبر .

وقال قتادة : لن يحتشم ﴿ **المسيح أن يكون عبدًا لله ولا الملائكة المقربون** ﴾ وقد استدل بعض من ذهب إلى تفضيل الملائكة على البشر بهذه الآية حيث قال : ﴿ **ولا الملائكة المقربون** ﴾ وليس له في ذلك دلالة ؛ لأنه إنما عطف الملائكة علىٰ المسيح ؛ لأن الاستنكاف هو الامتناع ، والملائكة أقدر علىٰ ذلك من المسيح ، فلهذا قال : ﴿ **ولا الملائكة المقربون** ﴾ ولا يلزم من كونهم أقوىٰ وأقدر علىٰ الامتناع أن يكونوا أفضل .

وقيل : إنما ذكروا ؛ لأنهم اتخذوا آلهة مع اللَّه ، كما اتخذ المسيح ، فأخبر تعالىٰ أنهم عبيد من عبيده وخلق من خلقه ؛ كما قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا سبحانه بل عباد مكرمون** ﴾ . الآيات .

ثم[١] قال : ﴿ **ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعًا** ﴾ أي : فيجمعهم إليه[٢] يوم القيامة ، ويفصل بينهم بحكمه العدل الذي لا يجور فيه ولا يحيف . ولهذا قال : ﴿ **فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله** ﴾ يعني[٣] : فيعطيهم من الثواب علىٰ قدر أعمالهم الصالحة ، ويزيدهم علىٰ ذلك من فضله وإحسانه وسعة رحمته وامتنانه .

وقد روىٰ ابن مردويه (٩٨٠) من طريق بقية ، عن إسماعيل بن عبد اللَّه الكندي ، عن الأعمش ،

(٩٧٩) - تفسير ابن أبي حاتم (١١٢٤/٤) (٦٣١٧) ، وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٤٤٠/٢) ، ولم يعزه لغير ابن أبى حاتم .

(٩٨٠) - رواه الطبرانى فى الكبير (٢٤٨/١٠) (١٠٤٦٢) وفى الأوسط (٥٧٧٠) والإسماعيلى « معجمه » رقم (٢٠١) من طريق بقية بن الوليد عن إسماعيل به . وإسناده ضعيف لضعف إسماعيل بن عبد الله الكندى ترجم له الذهبى فى الميزان (٢٣٥/١) وقال : عن الأعمش وعنه بقية بخبر عجيب منكر =

[١] - في ت : « ولهذا » . [٢] - سقط من : ز .

[٣] - في خ : « أي » .

عن شَقِيق[١] ، عن عبد اللّه [ ][٢] قال : قال رسول اللّه ، صلى الله عليه وسلم : ﴿ **فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله** ﴾ قال : [ ][٣] : « **أجورهم : أدخلهم الجنة** » . ﴿ **ويزيدهم من فضله** ﴾ قال : « **الشفاعة فيمن وجبت له النار ممن صنع إليهم المعروف في الدنيا[٤]** » .

وهذا إسناد لا يثبت ، وإذا روي عن ابن مسعود موقوفًا فهو جيد .

﴿ **وأما الذين استنكفوا واستكبروا** ﴾ أي : امتنعوا من طاعة اللّه وعبادته واستكبروا عن ذلك ﴿ **فيعذبهم عذابًا أليمًا ولا يجدون لهم من دون اللّه وليًا ولا نصيرًا** ﴾ [كما قال تعالى][٥] : ﴿ **إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين** ﴾ أي : صاغرين حقيرين ذليلين كما كانوا ممتنعين مستكبرين .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿١٧٥﴾

يقول تعالىٰ مخاطبًا جميع الناس ومخبرًا [لهم][٦] بأنه قد جاءهم منه برهان عظيم ، وهو الدليل القاطع للعذر[٧] والحجة المزيلة للشبهة ؛ ولهذا قال : ﴿ **وأنزلنا إليكم نورًا مبينًا** ﴾ أي : ضياء واضحًا علىٰ الحق ، قال ابن جريج وغيره : وهو[٨] القرآن .

= والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦/٧) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، والكبير وفيه إسماعيل بن عبد الله الكندي ضعفه الذهبي من عند نفسه فقال : أتى بخبر منكر ، وبقية رجاله وثقوا . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٤٠/٢) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي نعيم ولم أقف عليه عند ابن أبي حاتم في تفسيره إلّا من كلام الأعمش في (١١٢٤/٤) (٦٣٢٠ ، ٦٣٢١) عن بقية عن إسماعيل عن الأعمش من قوله .

[١] - في ز ، خ : سفيان . وهو تحريف . والصواب ما أثبتناه ؛ كما جاء في معجم الإسماعيلي . وشقيق هو ابن سلمة ، أبو وائل الكوفي ، يروي عن عبد الله بن مسعود ، وعنه الأعمش .

[٢] - ما بين المعكوفين في ت : مرفوعًا .

[٣] - ما بين المعكوفين في ت : قال .

[٤] - في ت : « دنياهم » .

[٥] - في خ : « كقوله » .

[٦] - سقط من خ .

[٧] - في ز : « المقدر » .

[٨] - في خ : « هو » .

﴿ فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به ﴾ أي : جمعوا بين مقامي العبادة والتوكل على الله في جميع أمورهم . وقال ابن جريج [ ][١] : آمنوا بالله واعتصموا بالقرآن . رواه ابن جرير(٩٨١) . ﴿ فسيدخلهم[٢] في رحمة منه وفضل ﴾ أي : يرحمهم ، فيدخلهم الجنة ويزيدهم ثوابًا ومضاعفة ورفعًا في درجاتهم من فضله عليهم وإحسانه إليهم ، ﴿ ويهديهم إليه صراطًا مستقيمًا ﴾ أي : طريقًا واضحًا قصدًا قوامًا لا اعوجاج فيه ولا انحراف ، وهذه صفة المؤمنين في الدنيا والآخرة ، فهم في الدنيا على منهاج الاستقامة وطريق السلامة في جميع الاعتقادات والعمليات ، وفي الآخرة على صراط الله المستقيم المفضي إلى روضات الجنات . وفي حديث الحارث الأعور عن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « **القرآن صراط الله المستقيم ، وحبل الله المتين** » .

وقد تقدم الحديث بتمامه في أول التفسير ، ولله الحمد والمنة .

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾

قال البخارى (٩٨٢): حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ؛ قال : سمعت البراء قال : آخر سورة نزلت براءة ، وآخر آية [نزلت][٣] ﴿ **يستفتونك** ﴾ .

(٩٨١) - تفسير ابن جرير (٤٢٩/٩) (١٠٨٦٣) ، وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٤٤١/٢) وزاد نسبته لابن المنذر .

(٩٨٢) - صحيح البخارى كتاب التفسير ، باب : قوله : ﴿ إنَّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح ﴾ حديث (٤٦٠٥) ورواه البخارى فى المغازى ، باب : حج أبى بكر بالناس فى سنة تسع حديث (٤٣٦٤) ، وفى التفسير ، باب : سورة براءة حديث (٤٦٥٤) ، وفى الفرائض باب : ﴿ يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة ... ﴾ حديث (٦٧٤٤) ، ومسلم فى كتاب الفرائض ، باب : آخر آية أنزلت آية الكلالة حديث (١٦١٨) من طرق عن أبى إسحاق قال سمعت البراء بن عازب به .

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : وغيره هو القرآن . [٢] - في ز : « فيدخلهم » .

[٣] - سقط من خ .

وقال الإمام أحمد (٩٨٣): حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة عن محمد بن المنكدر؛ قال: سمعت جابر بن عبد الله قال: دخل عليَّ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأنا مريض لا أعقل قال: فتوضأ[١] ثم صب عليَّ - أو قال: صَبُّوا عليَّ[٢] - [فعقلت][٣] فقلت: إنه[٤] لا يرثني إلا كلالة فكيف الميراث؟ [فنزلت][٥] آية الفرائض. أخرجاه في الصحيحين من حديث شعبة، ورواه الجماعة من طريق سفيان بن عيينة عن محمد بن المنكدر عن جابر به، و[٦] في بعض الألفاظ: فنزلت آية الميراث ﴿ **يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة** ﴾ الآية.

وقال ابن أبي حاتم (٩٨٤): حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد، حدثنا سفيان، وقال أبو الزبير: قال - يعني جابرًا -: نزلت فيَّ ﴿ **يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة** ﴾ وكأن معنى الكلام - والله أعلم -: يستفتونك [عن الكلالة][٧] ﴿ **قل الله يفتيكم** ﴾ فيها، فدل المذكور على المتروك. وقد تقدم الكلام على الكلالة واشتقاقها وأنها مأخوذة من الإكليل الذى يحيط بالرأس من جوانبه؛ ولهذا فسرها أكثر العلماء بمن يموت وليس له ولد ولا [والد][٨]، ومن الناس من

(٩٨٣) - المسند (٢٩٨/٣) ورواه البخارى فى الوضوء، باب: صب النبى - صلى الله عليه وسلم - وضوءه على المغمى عليه حديث (١٩٤)، وفى كتاب المرضى، باب: وضوء العائد للمريض حديث (٥٦٧٦)، وفى الفرائض، باب: ميراث الأخوات والإخوة حديث (٦٧٤٣)، ومسلم فى صحيحه فى الفرائض، باب: ميراث الكلالة حديث (١٦١٦) (٨)، والنسائى فى الكبرى كتاب الفرائض، باب: ذكر الكلالة حديث (٦٣٢١) والدارمى (٧٣٩) من طرق عن شعبة به. ورواه أحمد (٣٠٧/٣)، والحميدى (١٢٢٩)، والبخارى فى كتاب المرض، باب: عيادة المغمى عليه حديث (٥٦٥١)، وفى الفرائض، باب: وقول الله تعالى: ﴿ يوصيكم الله فى أولادكم ﴾ (٦٧٢٣)، وفى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب: ما كان النبى - صلى الله عليه وسلم - يسأل مما لم ينزل عليه الوحى حديث (٧٣٠٩)، ومسلم فى (١٦١٦) (٥)، وأبو داود فى الفرائض، باب: فى الكلالة حديث (٢٨٨٦)، والترمذى فى كتاب الفرائض، باب: ميراث الأخوات، حديث (٢٠٩٧)، وفى تفسير القرآن، باب ومن سورة النساء حديث (٣٠١٥)، والنسائى فى المجتبى كتاب الطهارة، باب: الانتفاع بفضل الوضوء (٨٧/١)، وابن ماجه فى الفرائض، باب: الكلالة، حديث (٢٧٢٨) من طرق عن سفيان بن عيينة عن محمد بن المنكدر به. وللحديث طرق أخرى عند البخارى وغيره عن ابن المنكدر بألفاظ مختصرة.

(٩٨٤) - تفسير ابن أبى حاتم (١١٢٦/٤) (٦٣٢٩).

[١] - في خ: « فوضأ ».
[٢] - في م: « عليه ».
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من خ.
[٤] - سقط من: ز.
[٥] - ما بين المعكوفتين في خ: « فأنزل الله ».
[٦] - سقط من: ز.
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٨] - ما بين المعكوفتين في ز، خ: « ولد ولدٍ ».

يقول : الكلالة من لا ولد له كما دلت عليه هذه الآية ﴿ **إن امرؤ هلك ليس له ولد** ﴾ وقد أشكل حكم الكلالة على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضي اللَّه عنه ، كما ثبت عنه فى الصحيحين أنه قال : ثلاث وددت أن رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، كان عهد إلينا فيهن عهدًا ننتهي إليه : الجد ، والكلالة ، وأبواب[١] من أبواب الربا .

وقال الإمام أحمد (٩٨٥): حدثنا إسماعيل ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن معدان بن أبي طلحة ؛ قال : قال عمر بن الخطاب : ما سألت رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ، عن شيء أكثر مما سألته عن الكلالة حتى طعن بأصبعه فى صدري وقال : « **يكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء** » . هكذا رواه مختصرًا ، وقد[٢] أخرجه مسلم[٣] مطولًا أكثر من هذا .

(طريق أخرى) قال الإمام أحمد(٩٨٦) : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا مالك - يعني : ابن مغول - [ ][٤] سمعت الفضل بن عمرو ، عن إبراهيم ، عن عمر ؛ قال : سألت رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ، عن الكلالة فقال : « **يكفيك آية الصيف** » فقال : لأن أكون سألت رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ، عنها أحب إلي من أن يكون لي حُمْرُ النَّعَم . وهذا إسناد جيد إلا أن فيه انقطاعًا بين إبراهيم وبين عمر ؛ فإنه لم يدركه .

وقال الإمام أحمد (٩٨٧): حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا أبو بكر ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن

---

(٩٨٥) - المسند (٢٦/١) ، ورواه أحمد فى المسند أيضًا (١٥/١ ، ٢٧ ، ٤٨) ، ومسلم فى « صحيحه » كتاب المساجد ، باب : نهى من أكل ثومًا أو بصلًا أو كراثًا أو نحوها حديث (٥٦٧) ، وفى الفرائض ، باب : ميراث الكلالة حديث (١٦١٧) من طريق قتادة عن سالم بن أبي الجعد بهذا الإسناد مطولًا .

(٩٨٦) - المسند (٣٨/١) وإسناده ضعيف بسبب الانقطاع بين إبراهيم النخعى وعمر بن الخطاب فإنه لم يدركه كما قال المصنف وكذا العلامة أحمد شاكر فى تعليقه على هذا الموضع من المسند لكن يشهد له الطريق السابق قبل هذا عند مسلم وغيره .

(٩٨٧) - المسند (٢٩٥/٤) ، ورواه أبو داود فى الفرائض ، باب : من كان ليس له ولد وله أخوات حديث (٢٨٨٩) ، والترمذى فى تفسير القرآن ، باب : ومن سورة النساء حديث (٣٠٤٢) ، وابن عبد البر فى « التمهيد » (١٨٧/٥) من طريق أبي بكر بن عياش عن أبي إسحاق به ، وأبو إسحاق السبيعى مدلس وقد عنعن لكن رواه أحمد فى مسنده (٢٩٥/٤ ، ٣٠١) ، وأبو يعلى فى مسنده (٢١٦/٣ ، ٢١٧) (١٦٥٦) والرويانى فى مسنده (٣٠٢) من طريق حجاج بن أرطأة عن أبي إسحاق به . وحجاج أيضًا ضعيف مدلس وسماعه من أبي إسحاق متأخر وكذا أبو بكر بن عياش فالحديث ضعيف بالإسنادين لكن يشهد =

---

[١] - في خ : « باب » . [٢] - في خ : « و » .
[٣] - سقط من: ز ، خ . [٤] - ما بين المعكوفين في ت : يقول .

عازب ؛ قال : جاء رجل إلى النبى ، صلى اللّه عليه وسلم ، فسأله عن الكلالة ؛ فقال : « **يكفيك آية الصيف** » ، وهذا إسناد جيد ، رواه أبو داود والترمذي من حديث أبي بكر بن عياش ، به . وكأن المراد بآية الصيف أنها نزلت فى فصل الصيف واللّه أعلم . ولما أرشده النبي ، صلى الله عليه وسلم ، إلى تفهمها ؛ فإن فيها كفاية نسي أن يسأل النبي ، صلى الله عليه وسلم ، عن معناها ؛ ولهذا قال : فلأن أكون سألتُ رسول اللّه ، صلى الله عليه وسلم ، عنها أحب إلى من أن يكون لي حُمْرُ النَّعَم .

وقال ابن جرير(٩٨٨): حدثنا ابن وكيع ، حدثنا جرير ، عن[١] الشيباني ، عن عمرو بن مرة ، عن سعيد بن المسيب ؛ قال : سأل عمر بن الخطاب النبي ، صلى الله عليه وسلم ، عن الكلالة ؛ فقال : « **أليس قد بين اللّه ذلك ؟** » ؛ فنزلت : ﴿ **يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة** ﴾ وقال قتادة : ذكر لنا أن أبا بكر الصديق قال في خطبته : ألا إن الآية التي أنزلت[٢] فى أول سورة النساء في شأن الفرائض أنزلها اللّه فى الولد والوالد ، والآية الثانية أنزلها فى الزوج والزوجة والإخوة من الأم ، والآية التى ختم بها سورة النساء أنزلها فى الإخوة والأخوات من الأب والأم ، والآية التي ختم بها سورة الأنفال أنزلها فى أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب اللّه مما جرت الرحم من العصبة ، رواه ابن جرير(٩٨٩) .

ذكر الكلام على معناها وباللّه المستعان وعليه التكلان

قوله تعالى : ﴿ **إن امرؤ هلك** ﴾ أي : مات ؛ قال اللّه تعالى : ﴿ **كل شيء هالك إلا وجهه** ﴾ كل شيء يفنى ولا يبقى إلا اللّه ، عز وجل ؛ كما قال : ﴿ **كل من عليها فان ويبقي وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾ وقوله : ﴿ **ليس له ولد** ﴾ تمسك به من ذهب إلى أنه ليس من شرط الكلالة انتفاء الوالد ، بل يكفي في وجود الكلالة انتفاء الولد ، وهو رواية عن عمر بن الخطاب رواه[٣] ابن جرير عنه بإسناد صحيح إليه ، ولكن الذى رجع[٤] إليه هو قول الجمهور وقضاء الصديق أنه من[٥] لا ولد له ولا والد ، ويدل على ذلك قوله :

= له حديث عمر السابق رقم (٩٩٣ ، ٩٩٤) ولعل الحافظ ابن كثير جود إسناده هنا لهذا السبب ، والله أعلم.

(٩٨٨) - تفسير ابن جرير (٤٣١/٩) (١٠٨٦٦) .

(٩٨٩) - تفسير ابن جرير الطبرى (٤٣١/٩) (١٠٨٦٥) ورواه البيهقى فى السنن (٢٣١/٦) من طريق سعيد عن قتادة وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٤٤٥/٣) وزاد نسبته لعبد بن حميد .

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في خ : « نزلت » .

[٣] - في خ : « رواها » .

[٤] - في ت : « يرجع » .

[٥] - في خ : « الذي » .

﴿ **وله أخت فلها نصف ما ترك** ﴾ ولو كان معها أب لم ترث شيئًا ؛ لأنه يحجبها بالإجماع ؛ فدل على أنه من لا ولد له[١] بنص القرآن ، ولا والد له بالنص عند التأمل أيضًا ؛ لأن الأخت لا يفرض لها النصف مع الوالد بل ليس لها ميراث بالكلية .

و[٢] قال الإمام أحمد(٩٩٠) : حدثنا الحكم بن نافع ، حدثنا أبو بكر بن عبد اللّه ، عن مكحول ، وعطية وحمزة وراشد ، عن زيد بن ثابت ؛ أنه سئل عن زوج وأخت لأب وأم[٣] فأعطى الزوج النصف والأخت النصف ، فكلِّم في ذلك ، فقال : حضرت رسول اللّه ، صلى الله عليه وسلم ، قضىٰ بذلك .

تفرد به أحمد من هذا الوجه . وقد نقل ابن جرير وغيره عن ابن عباس وابن الزبير أنهما كانا يقولان فى الميت ترك بنتًا وأختًا : إنه لا شيء للأخت ؛ لقوله : ﴿ **إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك** ﴾ قالا[٤] : فإذا ترك بنتًا فقد ترك ولدًا ، فلا شيء للأخت ، وخالفهما الجمهور ؛ فقالوا في هذه المسألة : للبنت النصف بالفرض ، وللأخت النصف الآخر بالتعصيب ؛ بدليل غير هذه الآية ؛ وهذه الآية نصَّت أن يفرض لها في هذه الصورة ، وأما وراثتها بالتعصيب ، فلما رواه البخارى(٩٩١) من طريق سليمان عن إبراهيم عن الأسود ؛ قال : قضى فينا معاذ بن جبل على عهد رسول اللّه ، صلى الله عليه وسلم: النصف للابنة[٥] والنصف للأخت ، ثم قال سليمان : قضى فينا ، ولم يذكر على عهد رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم.

---

(٩٩٠) - المسند (١٨٨/٥) وفى إسناده أبو بكر بن عبد الله بن أبى مريم ضعفه أحمد وابن معين ، وأبو زرعة وأبو حاتم وقال : الحافظ فى « التقريب » : ضعيف وكان قد سرق بيته فاختلط والحديث ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (٢٣١/٤) وقال : فيه أبو بكر بن أبى مريم وقد اختلط وبقية رجاله رجال الصحيح وجود إسناده السيوطى فى الدر المنثور (٤٤٤/٢) .

(٩٩١) - صحيح البخارى فى الفرائض ، باب : ميراث الأخوات مع البنات عصبة حديث (٦٧٤١) ، ورواه أيضًا فى الفرائض ، باب : ميراث البنات حديث (٦٧٣٤) من طريق أشعث عن الأسود بن يزيد قال : أتانا معاذ بن جبل باليمن معلمًا وأميرًا ، فسألناه عن رجل توفى وترك ابنته وأخته فأعطى الابنة النصف والأخت النصف . ورواه أبو داود في سننه فى الفرائض ، باب : ما جاء فى ميراث الصلب حديث (٢٨٩٣) من طريق أبى حسان عن الأسود بن يزيد أن معاذ بن جبل ورث أختًا وابنة فجعل لكل واحدة منهما النصف ، وهو باليمن ، ونبى الله - صلى اللّه عليه وسلم - يومئذ حى .

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « الأم » .

[٤] - في خ : « قال » .

[٥] - في خ : « للبت » .

وفي صحيح البخاري أيضًا(٩٩٢) عن هزيل بن شرحبيل ؛ قال : سئل أبو موسى الأشعري عن [ابنة و][١] ابنة ابن ، وأخت[٢] فقال : للابنة النصف وللأخت النصف ، وأتِ ابن مسعود فسيتابعني[٣] ، فسأل[٤] ابن مسعود فأخبره[٥] بقول أبي موسى ، فقال : ﴿ **لقد ضللت إذًا وما أنا من المهتدين** ﴾ أقضي فيها بما قضى النبي ، صلى الله عليه وسلم : [للابنة النصف][٦] [ولابنة][٧] الابن السدس تكملةَ الثلثين ، وما بقي فللأخت ، [فأتينا أبا موسى][٨] فأخبرناه بقول ابن مسعود فقال : لا تسألوني ما دام هذا الحبر فيكم .

وقوله : ﴿ **وهو يرثها إن لم يكن لها ولد** ﴾ ؛ أي : والأخ يرث جميع مالها إذا ماتت [كلالة][٩] و[١٠] ليس لها ولد ؛ أي : ولا والد ؛ لأنه[١١] لو كان لها والد لم يرث الأخ شيئًا ، فإن فرض أن[١٢] معه من له فرض صرف إليه فرضه كزوج أو أخ من أم ، وصرف الباقي إلى الأخ ، لما ثبت في الصحيحين(٩٩٣) عن ابن عباس أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « **ألحقوا الفرائض بأهلها ، فما أبقت الفرائض فلأولىٰ رجل ذَكَرٍ** » .

وقوله ﴿ **فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك** ﴾ ؛ أي : فإن كان لمن يموت كلالة أختان ؛ فرض لهما الثلثان ، وكذا ما زاد على الأختين في حكمهما ، ومن هٰهنا أخذ الجماعة حكم البنتين كما استفيد[١٣] حكم الأخوات من البنات في قوله : ﴿ **فإن كن نساء فوق اثنتين فلهنّ ثلثا ما ترك** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وإن كانوا إخوة رجالًا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين** ﴾ هذا حكم العصبات

(٩٩٢) - صحيح البخارى كتاب الفرائض ، باب ميراث ابنة ابن مع ابنة حديث (٦٧٣٦) ورواه فى الفرائض ، باب : ميراث الأخوات مع البنات عصبة حديث (٦٧٤٢) من طريق سفيان عن أبى قيس عن هزيل قال : قال عبد الله لأقضين فيها بقضاء النبى - صلى الله عليه وسلم - أو قال : قال النبى - صلى الله عليه وسلم - : للابنة النصف ولابنة الابن السدس وما بقى فللأخت .

(٩٩٣) - تقدم تخريجه فى هذه السورة تفسير الآية (٣٣) .

[١] - سقط من خ .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « فينايعني » .
[٤] - في ز : « فسل » .
[٥] - في ز : « وأخبر » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في خ : « النصف للبنت » .
[٧] - في خ : ولبنت .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[١٠] - سقط من : ز .
[١١] - في خ : « لأنها » .
[١٢] - في ز : « أنه » .
[١٣] - سقط من : ز .

من البنين وبني البنين والإِخوة ، إذا اجتمع ذكورهم وإناثهم أعطي [للذكر منهم][١] مثل حظ الأنثيين .

وقوله : ﴿ **يبين الله لكم** ﴾ ؛ أي : يفرض لكم فرائضه ، ويحد لكم حدوده ، ويوضح لكم شرائعه .

وقوله : ﴿ **أن تضلوا** ﴾ ؛ أي : لئلا تضلوا عن الحق بعد البيان ﴿ **والله بكل شيء عليم** ﴾ ؛ أي : هو عالم بعواقب الأمور ومصالحها وما فيها[٢] من الخير لعباده وما يستحقه كل واحد من القرابات بحسب قربه من المتوفىٰ .

وقد قال أبو جعفر بن جرير: حدثني يعقوب ، حدثني ابن علية ، أنبأنا ابن عون ، عن محمد ابن سيرين ؛ قال : كانوا فى مسير ، ورأس راحلة حذيفة عند ردف راحلة رسول الله ، صلى الله تعالى عليه وسلم ، ورأس راحلة عمر عند ردف راحلة حذيفة ؛ قال : ونزلت : ﴿ **يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة** ﴾ فلقاها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حذيفة ، فلقاها حذيفة عمر ، فلما كان بعد ذلك سأل عمر عنها حذيفة[٣] فقال : والله[٤] إنك لأحمق إن كنت ظننت أنه لقانيها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فلقيتكها كما لقانيها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، والله ، لا أزيدك عليها شيئًا أبدًا .

قال : فكان عمر يقول : اللهم ؛ إن كنت بينتها له فإنها لم تبين لي . كذا رواه ابن جرير .

ورواه أيضًا عن الحسن بن يحيى ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن أيوب ، عن ابن سيرين كذلك بنحوه وهو منقطع بين ابن سيرين وحذيفة .

وقد قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو البزار فى مسنده : حدثنا يوسف بن حماد المعنيّ ، ومحمد بن مرزوق قالا : أخبرنا عبد الأعلىٰ بن عبد الأعلى ، حدثنا هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي عبيدة بن حذيفة [عن أبيه قال : نزلت آية الكلالة على النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وهو في مسير له فوقف النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وإذا هو بحذيفة][٥] وإذا رأس ناقة حذيفة عند [مؤتزر][٦] النبى ، صلى الله عليه وسلم ، فلقاها

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « الذكر » .

[٢] - في ز : « فيه » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز ، خ .

[٦] - في ت : « رادف راحلة » .

إياه ، فنظر حذيفة فإذا عمر ، رضي اللّه عنه ، فلقاها إياه ، فلما كان في خلافة عمر ، [نظر عمر][١] فى الكلالة فدعا حذيفة : فسأله عنها . فقال حذيفة : لقد لقانيها رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم ، فلقيتك[٢] كما لقاني [ ][٣] واللّه إني لصادق ، وواللّه لا أزيدك[٤] على ذلك شيئًا أبدًا .

ثم قال البزار : وهذا الحديث لا نعلم أحدًا[٥] رواه إلا حذيفة ، ولا نعلم له طريقًا عن حذيفة إلا هذا الطريق . ولا رواه عن هشام إلا عبد الأعلى .

وكذا رواه ابن مردُويه من حديث عبد الأعلى .

وقال عثمان بن أبي شيبة : حدثنا جرير ، عن الشيباني ، عن عمرو بن مرة ، عن سعيد – هو ابن المسيب – أن عمر سأل رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم : كيف يورث[٦] الكلالة ؟ قال : فأنزل اللّه ﴿ **يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة** ﴾ الآية . قال : فكأنّ عمر لم يفهم ؛ فقال لحفصة : إذا رأيت من رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم ، طيب نفس فسليه[٧] عنها ؛ فرأت منه طيب نفس فسألته عنها[٨] فقال : « **أبوك ذكر لك هذا ما أرى أباك يعلمها** » . قال : فكان[٩] عمر يقول : ما أراني أعلمها ، وقد قال رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم ، ما قال .

رواه ابن مردُويه ثم رواه من[١٠] طريق ابن عيينة ، [ ][١١] عن [عمرو عن][١٢] طاوس أن عمر أمر حفصة أن تسأل النبي ، صلى اللّه عليه وسلم ، عن الكلالة فأملاها عليها فى كتف فقال : « **من أمرك بهذا ؟ أعمر ؟ ما أراه يقيمها[١٣] أو ما تكفيه آية الصيف ؟** » [قال : سفيان][١٤] وآية الصيف التي في النساء ﴿ **وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة** ﴾ فلما سألوا رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم ، نزلت الآية التي هي خاتمة النساء [فألقىٰ عمر][١٥] الكتف . كذا قال في هذا الحديث وهو مرسل .

---

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] – في خ : « فلقيتكها » .
[٣] – في خ : « رسول الله ﷺ » .
[٤] – في ز : « أزيد » .
[٥] – سقط من : خ .
[٦] – في خ : « تورث » .
[٧] – في ز : « فسليها » .
[٨] – في ز : « عنه » .
[٩] – في ز : « وكان » .
[١٠] – في خ : « عن » .
[١١] – في خ : و .
[١٢] – ما بين المعكوفتين في ز : « عمرو بن » .
[١٣] – في ز : « يقمها » .
[١٤] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[١٥] – ما بين المعكوفتين في ز : « ألقى » .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو[١] كريب ، حدثنا عثام عن الأعمش ، عن قيس بن [مسلم عن][٢] طارق بن شهاب ؛ قال : أخذ عمر كتفًا وجمع أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : لأقضين في الكلالة قضاء تحدث به النساء في خدورهن ، فخرجت حينئذ حية من البيت فتفرقوا فقال : لو أراد الله ، عز وجل ، أن يتم هذا الأمر لأتمه .

وهذا إسناد صحيح ، وقال الحاكم أبو عبد الله النيسابوري : حدثنا علي بن محمد بن [ ][٣] عقبة الشيباني بالكوفة ، حدثنا الهيثم بن خالد ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ؛ سمعت محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة يحدّث عن عمر بن الخطاب قال : لأن أكون سألت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عن ثلاث أحب إلي من حُمْر النَّعَم : مَنْ الخليفة بعده ؟ وعن قوم قالوا : نقر بالزكاة في أموالنا ولا نؤديها إليك[٤] أيحل قتالهم ؟ وعن الكلالة .

ثم قال : صحيح الإسناد[٥] على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

ثم روى بهذا[٦] الإسناد إلى[٧] سفيان بن عيينة ، عن عمر بن مرة ، عن [مرة ، عن][٨] عمر قال : ثلاث لأن يكون النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بينهنّ لنا أحب إلي من الدنيا وما فيها : الخلافة ، والكلالة ، والربا .

ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وبهذا الإسناد إلى سفيان بن عيينة قال : سمعت سليمان الأحول يحدّث عن طاوس ؛ قال : سمعت ابن عباس قال : كنت آخر الناس عهدًا بعمر فسمعته يقول : القول ما قلت . قلت : وما قلت ؟ قال : قلت : الكلالة من لا ولد له .

ثم قال : صحيح على شرطهما ولم يخرجاه .

وهكذا رواه ابن مردويه من طريق زمعة بن صالح ، عن عمرو بن دينار ، وسليمان الأحول ،

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « محمد بن » .
[٤] - في ت : « شليك » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في خ : « هذا » .
[٧] - في خ : « عن » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .

عن طاوس ، عن ابن عباس ؛ قال : كنت آخر الناس[١] عهدًا بعمر بن الخطاب قال : اختلفت أنا وأبو بكر في الكلالة ، والقول ما قلت ، قال : وذكر أن عمر شرَّك بين الإخوة [للأب والأم][٢] وبين الإِخوة للأم في الثلث إذا اجتمعوا وخالفه أبو بكر ، رضي اللَّه عنهما .

وقال ابن جرير : حدثنا [ابن][٣] وكيع ، حدثنا محمد بن حميد العمري ، عن معمر ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ؛ أن عمر كتب في الجد والكلالة كتابًا فمكث يستخير اللَّه يقول : اللهم ؛ إن علمت فيه خيرًا فأمضه[٤] . حتى إذا طُعِنَ دعا بكتاب فمحي ، ولم يدر أحد ما كتب فيه ، فقال : إني كنت كتبت في الجد والكلالة كتابًا ، وكنت أستخير[٥] اللَّه فيه ، فرأيت أن أترككم على ما كنتم عليه .

قال ابن جرير : وقد روي عن عمر ، رضي اللَّه عنه ، أنه قال : إني لأستحي أن أخالف فيه أبا بكر ، وكان أبو بكر ، رضي اللَّه عنه ، يقول : هو ما عدا الولد والوالد .

وهذا الذي قاله الصديق عليه جمهور الصحابة والتابعين والأئمة في قديم الزمان وحديثه ، وهو مذهب الأئمة الأربعة والفقهاء السبعة ، [وقول علماء الأمصار][٦] قاطبة[٧] ، وهو الذي يدل عليه القرآن ، كما أرشد اللَّه أنه قد بين ذلك ووضحه[٨] في قوله : ﴿ **يبين اللَّه لكم أن تضلوا واللَّه بكل شيء عليمٌ** ﴾ . [واللَّه أعلم][٩] .

☆ ☆ ☆

انتهى بحمد اللَّه وحسن توفيقه المجلد الرابع

ويليه إن شاء اللَّه تعالى المجلد الخامس

وأوله تفسير سورة المائدة

---

[١] - سقط من : ت .

[٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « للأم والأب » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .

[٤] - في ت : « فاقضه » .

[٥] - في ز : « استخرت » .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٧] - سقط م : خ .

[٨] - في ز ، خ : « وصححه » .

[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

تفسير القرآن العظيم

للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء
إسماعيل بن كثير الدمشقي
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

هذه الطبعة أول طبعة مقابلة على النسخة الأزهرية
وكذلك على نسخة كاملة بدار الكتب المصرية

تحقيق

مصطفى السيد محمد — محمد السيد رشاد
محمد فضل العجماوي — علي أحمد عبد الباقي
حسن عباس قطب

المجلد الخامس

مكتبة أولاد الشيخ للتراث
٣٦ ش اليابان - عمرانية غربية - جيزة
ت : ٥٦٢٨٣١٨ - ٥٦١١٤٤٢

مؤسسة قرطبة
طباعة . نشر . توزيع
جيزة - ت : ٥٨١٥٠٢٧

رقم الإيداع : ٩٣٤٩ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولى : I.S.B.N
977 - 5234 - 33 - 6

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر هاتف: ٢٠٥٥٦٨٨-٤٣٠٧٥٢٦ القاهرة

تفسير

القرآن العظيم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

تفسير سورة المائدة وهي مدنية

قال الإمام أحمد(١) : حدثنا أبو النضر ، حدثنا أبو معاوية شيبان ، عن ليث ، عن شهر بن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد ، قالت : إني لآخذة بزمام العضباء ، ناقة رسول الله ﷺ ، إذ نزلت عليه المائدة كلها ، وكادت من ثقلها تدق عضد الناقة .

وروىٰ ابن مردويه(٢) من حديث صالح بن سهيل[١] ، عن عاصم الأحول قال : حدثتني أمّ عمرو ، عن عمها : أنه كان في مسير مع رسول الله ﷺ ، فنزلت عليه سورة المائدة ، فاندق عنق الراحلة من ثقلها .

وقال أحمد أيضًا(٣) : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثني حيي بن عبد الله ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي ، عن عبد الله بن عمرو قال : أنزلت علىٰ رسول الله ﷺ سورة المائدة وهو راكب علىٰ راحلته ، فلم تستطع أن تحمله فنزل عنها . تفرّد به أحمد .

وقد روىٰ الترمذي(٤) ، عن قتيبة ، عن عبد الله بن وهب ، عن حيي ، عن أبي

---

(١) - **إسناده ضعيف** ، ليث هو ابن أبي سليم : صدوق ، اختلط ، فلم يتميز حديثه ، فترك . وشهر بن حوشب : صدوق ، كثير الأوهام والإرسال ، والحديث رواه أحمد في المسند (٦/٤٥٥) ، (٦/٤٥٨) ، وإسحاق بن راهويه (٢٢٩٨) ، والطبراني في الكبير (٢٤/١٧٨) برقم (٤٤٨) من طريق ليث ، عن شهر به ، وقال الهيثمي في المجمع (٧/١٣) : « فيه شهر بن حوشب وهو ضعيف وقد وثق». وصححه أحمد شاكر في عمدة التفسير (٤/٦١) .

(٢) - ورواه ابن أبي شيبة في مسنده (٦٦٠) ، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١٢٢٦) ، وابن الأثير في أسد الغابة (٦/٣٧٣) من طريق إبراهيم بن طهمان به . ورواه البغوي في معجمه ، والبيهقي في دلائل النبوة كما في الدر المنثور (٣/٣) .

(٣) - **إسناده ضعيف** ، حيي ترجم له ابن عدي في الكامل (٢/٨٥٥) ونقل قول البخاري : « فيه نظر » ثم ذكر له ابن عدي حديثين من طريق ابن وهب ، عنه ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي ، وقال : له بهذا الإسناد خمس وعشرون حديثًا عامتها لا يتابع عليها . وابن لهيعة تقدم الكلام عليه . والحديث رواه أحمد في المسند (٢/١٧٦) ، وقال الهيثمي في المجمع (٧/١٣) : « فيه ابن لهيعة ، والأكثر على ضعفه وقد يحسن حديثه ، وبقية رجاله ثقات » .

(٤) - **إسناده ضعيف** ، رواه الترمذي في كتاب التفسير برقم (٣٠٦٣) ، والحاكم في المستدرك (٢/٣١١) ، والبيهقي (٧/١٧٢) وصححه الحاكم على شرط الشيخين . وضعف إسناده الألباني في ضعيف الترمذي=

---

[١] - في خ : « سهل » .

عبد الرحمن ، عن عبد الله بن عمرو قال : آخر سورة أنزلت [سورة المائدة والفتح ؛ ثم قال الترمذي : هذا حديث غريب حسن . وقد روي عن ابن عباس أنه قال : آخر سورة أنزلت][١] : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ .

وقد روىٰ الحاكم في مستدركه من طريق عبد الله بن وهب بإسناده نحو رواية الترمذي ، ثم قال : صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وقال الحاكم أيضًا(٥) : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا بحر[٢] بن نصر ، قال : قرئ علىٰ عبد الله بن وهب : أخبرني معاوية بن صالح ، عن أبي الزاهرية ، عن جبير بن نفير ، قال : حججت فدخلت علىٰ عائشة ، فقالت لي : يا جبير ، تقرأ المائدة ؟ فقلت : نعم . فقالت : أما إنها آخر سورة نزلت ، فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه ، وما وجدتم فيها[٣] من حرام فحرموه . ثم قال : صحيح علىٰ شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .

ورواه الإمام أحمد ، عن عبد الرحمن بن مهدي ، عن معاوية بن صالح وزاد : وسألتها عن خُلق رسول الله ﷺ ، فقالت : القرآن . ورواه النسائي من حديث ابن مهدي(٦) .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَـٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ

= (٥٨٩) . ونسبه السيوطي في الدر المنثور إلى أحمد وابن مردويه .

(٥) - المستدرك (٣١١/٢) ، ومن طريق الحاكم رواه البيهقي (١٧٢/٧) . وقول الحاكم رحمه الله : « علي شرط الشيخين » فيه نظر . فإن أبا الزاهرية ، ومعاوية بن صالح خرَّج لهما مسلم دون البخاري . والله أعلم . ورواه أبو عبيد في فضائله (٢٣٩ - ٢٤٠) ، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (ص ٣٥٧) .

(٦) - رواه أحمد في المسند (١٨٨/٦) ، والنسائي في الكبرى برقم (١١١٣٨) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٢] - في ت : « يحيى » .

[٣] - سقط من : ت .

إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢﴾

قال ابن أبي حاتم(٧) : حدثنا أبي ، حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، حدثنا مسعر ، حدثني معن وعوف أو أحدهما ، أن رجلًا أتىٰ عبد الله بن مسعود ، فقال : اعهد إِليَّ ؛ فقال : إِذا سمعت الله يقول : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ فأرْعِها سمعك ، فإِنه خير يأمر به ، أو شر ينهىٰ عنه .

وقال : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا عبد الرحمن بن إِبراهيم - دحيم - حدثنا الوليد ، حدثنا الأوزاعي ، عن الزهري ، قال : إِذا قال الله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ افعلوا ، فالنبي ﷺ منهم .

وحدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا محمد بن عبيد ، حدثنا الأعمش ، عن خيثمة قال : كل شيء في القرآن : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ فهو في التوراة : يا أيها المساكين .

فأما ما رواه عن زيد بن إِسماعيل الصائغ البغدادي ، حدثنا معاوية - يعني ابن هشام - عن عيسىٰ بن راشد ، عن علي بن بذيمة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : ما في القرآن آية : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ إِلا أن عليًا سيدها وشريفها وأميرها ، وما من أصحاب النبي ﷺ أحد إِلا قد عوتب في القرآن ، إِلا علي بن أبي طالب ؛ فإِنه لم يعاتب في شيء منه(٨) .

فهو أثر غريب ، ولفظه فيه نكارة ، وفي إِسناده نظر . قال البخاري : عيسىٰ بن راشد هذا مجهول ، وخبره منكر . قلت : وعلي بن بذيمة[١] ، وإِن كان ثقة إِلا أنه شيعي غالٍ ، وخبره في مثل هذا فيه تهمة ، فلا يقبل . وقوله : ولم يبق أحد من الصحابة إِلا عوتب في القرآن إِلا عليًا . إِنما يشير به إِلىٰ الآية الآمرة بالصدقة بين يدي النجوىٰ ، فإِنه قد ذكر غير واحد أنه لم يعمل بها أحد إِلا علي ، ونزل قوله : ﴿ **أأشفقتم أن تقدّموا بين يدي نجواكم صدقات**[٢] ؟ **فإِذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم** ﴾ الآية . وفي كون هذا عتابًا نظر ؛ فإِنه قد قيل : إِن الأمر كان ندبًا لا إِيجابًا ثم قد نسخ ذلك عنهم قبل الفعل ؛ فلم ير من أحد منهم خلافه . وقوله عن علي : إِنه لم يعاتب في شيء من القرآن ، فيه نظر أيضًا ؛ فإِن الآية التي في الأنفال التي فيها

(٧) - تفسير ابن أبي حاتم (١٩٦/١) رقم (١٠٣٧) ، وقد تقدم في تفسير سورة البقرة آية (١٠٤) .
(٨) - تقدم في تفسير سورة البقرة آية (١٠٤) .

[١] - في ز : « جننيمة » . [٢] - في ز : « صدقة » .

المعاتبة علىٰ أخذ الفداء عمت جميع من أشار بأخذه ، ولم يسلم منها إلا عمر بن الخطاب - رضي اللَّه عنه - فعلم بهذا وبما تقدّم ضعف هذا الأثر ، واللَّه أعلم .

وقال ابن جرير (٩) : حدثني المثنىٰ ، حدثنا عبد اللَّه بن صالح ، حدثنا الليث ، حدثني يونس قال : قال محمد بن مسلم : قرأت كتاب رسول اللَّه ﷺ الذي كتب لعمرو بن حزم ، حين بعثه إلىٰ نجران ، وكان الكتاب عند أبي بكر بن حزم فيه : « **هذا بيان من اللَّه ورسوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾** فكتب الآيات منها[١] ، حتىٰ بلغ : **﴿ إن اللَّه سريع الحساب ﴾** » .

وقال ابن أبي حاتم(١٠) : حدثنا أبو سعيد ، حدثنا يونس بن بكير ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثني عبد اللَّه بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن أبيه ، قال : هذا كتاب رسول اللَّه ﷺ عندنا ، الذي كتبه لعمرو بن حزم ، حين بعثه إلىٰ اليمن يفقه أهلها ويعلمهم السنة ، ويأخذ صدقاتهم ، فكتب له كتابًا وعهدًا ، وأمره [ ][٢] فكتب : « **بسم اللَّه الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من اللَّه ورسوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾ عهد من محمد رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، لعمرو بن حزم ، حين بعثه إلىٰ اليمن ، آمره بتقوىٰ اللَّه في أمره كله ، فإن اللَّه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** » .

قوله تعالىٰ : **﴿ أوفوا بالعقود ﴾** قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد : يعني بالعقود : العهود . وحكىٰ ابن جرير الإجماع علىٰ ذلك . قال : والعهود ما كانوا يتعاهدون عليه من الحلف وغيره .

وقال علي بن أبي طلحة(١١) ، عن ابن عباس في قوله : **﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾** يعني بالعهود ، يعني ما أحل اللَّه وما حرم ، وما فرض ، وما حدّ في القرآن كله ، ولا تغدروا ولا تنكثوا . ثم شدّد في ذلك ، فقال تعالىٰ : **﴿ والذين ينقضون عهد اللَّه من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر اللَّه به أن يوصل ﴾** إلىٰ قوله : **﴿ سوء الدار ﴾** .

وقال الضحاك : **﴿ أوفوا بالعقود ﴾** قال : ما أحل اللَّه وحرم ، وما أخذ اللَّه من الميثاق علىٰ

---

(٩) - تفسير الطبري (٩/٤٥٤) . والحديث تقدم الكلام عليه في تفسير سورة النساء .

(١٠) - ورواه البيهقي في دلائل النبوة (٥/٤١٣) من طريق أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بكير به .

(١١) - رواه الطبري في تفسيره (٩/٤٥٢) (١٠٩٠٧) .

---

[١] - سقط من : خ . [٢] - في ز : « فيه بأمره » .

من أقر بالإيمان بالنبي والكتاب ، أن يوفوا بما أخذ اللّه عليهم من الفرائض من الحلال والحرام .

وقال زيد بن أسلم : ﴿ **أوفوا بالعقود** ﴾ ، قال : هي ستة : عهد اللّه ، وعقد الحلف ، وعقد الشركة ، وعقد البيع ، وعقد النكاح ، وعقد اليمين .

وقال محمد بن كعب : هي خمسة ؛ منها حلف الجاهلية ، وشركة المفاوضة .

وقد استدل بعض من ذهب إلى أنه لا خيار في مجلس البيع بهذه الآية ﴿ **أوفوا بالعقود** ﴾ ، قال : فهذا يدل على لزوم العقد وثبوته ، فيقتضي نفي خيار المجلس ، وهذا مذهب أبي حنيفة ومالك ، وخالفهما [في ذلك][١] الشافعي وأحمد بن حنبل والجمهور .

والحجة في ذلك ما ثبت في الصحيحين(١٢) عن ابن عمر قال : قال رسول اللّه ﷺ : « **البيعان بالخيار ما لم يتفرقا** » .

وفي لفظ آخر[٢] للبخاري(١٣) : « **إذا تبايع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا** » .

وهذا صريح في إثبات خيار المجلس المتعقب لعقد البيع ، وليس هذا منافيًا للزوم العقد ، بل هو من مقتضياته شرعًا ، فالتزامه من تمام الوفاء بالعقود[٣] .

وقوله تعالى : ﴿ **أحلت لكم بهيمة الأنعام** ﴾ هي الإبل والبقر والغنم . قاله الحسن[٤] وقتادة وغير واحد . قال ابن جرير : وكذلك هو عند العرب . وقد استدل ابن عمر وابن عباس وغير واحد بهذه الآية ؛ على إباحة الجنين إذا وجد ميتًا في بطن أمه إذا ذبحت ، وقد ورد في ذلك حديث في السنن ، رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة ، من طريق مجالد ، عن أبي الودَّاك جبر ابن نوف[٥] ، عن أبي سعيد ، قال : قلنا : يا رسول اللّه ، ننحر[٦] الناقة ونذبح[٧] البقرة أو الشاة في بطنها الجنين ؛ أنلقيه أم نأكله ؟ فقال : « **كلوه إن شئتم ؛ فإن ذكاته ذكاة أمه** »(١٤) .

(١٢) - رواه البخاري في البيوع برقم (٢١٠٩) ، ومسلم في البيوع برقم (١٥٣١) .
(١٣) - البخاري في البيوع برقم (٢١١٢) ، ومسلم برقم (١٥٣١) .
(١٤) - رواه أبو داود في الأضاحي برقم (٢٨٢٧) ، والترمذي في الأطعمة برقم (١٤٧٦) ، وابن ماجة =

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « بالعقد » .
[٤] - في خ : « أبو الحسن » .
[٥] - في خ : « نوفل » .
[٦] - في ز : « تنحر » .
[٧] - في ز : « وتذبح » .

وقال الترمذي : حديث حسن .

قال أبو داود (١٥) : حدثنا محمد بن يحيىٰ بن فارس ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا عتاب بن بشير ، حدثنا عبيد اللّٰه بن أبي زياد القداح[١] المكي ، عن أبي الزبير ، عن جابر ابن عبد اللّٰه ، عن رسول اللّٰه ﷺ قال : « **ذكاة الجنين ذكاة أمه** » . تفرد به أبو داود .

وقوله : ﴿ **إلا ما يتلىٰ عليكم** ﴾ قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس(١٦) : يعني بذلك : الميتة والدم ولحم الخنزير . وقال قتادة (١٧) : يعني بذلك : الميتة ، وما لم يذكر اسم اللّٰه عليه .

والظاهر واللّٰه أعلم أن المراد بذلك قوله : ﴿ **حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير اللّٰه به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع** ﴾ فإن هذه ، وإن كانت من الأنعام ، إلا أنها تحرم بهذه العوارض ، ولهذا قال : ﴿ **إلا ما ذكيتم وما ذبح علىٰ النصب** ﴾ ، يعني منها ، فإنه حرام لا يمكن استدراكه وتلاحقه ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلىٰ عليكم** ﴾ أي : إلا ما سيتلىٰ عليكم من تحريم بعضها في بعض الأحوال .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **غير محلي الصيد وأنتم حرم** ﴾ قال بعضهم : هذا منصوب علىٰ الحال ، والمراد بالأنعام ما يعم الإنسي من الإبل والبقر والغنم ، وما يعم الوحشي كالظباء والبقر والحمر ، فاستثنىٰ من الإنسي ما تقدم ، واستثنىٰ من الوحشي الصيد في حال الإحرام .

وقيل : المراد أحللنا [لكم الأنعام] في جميع الأحوال ، فحرموا الصيد في حال الإحرام ،

= في الذبائح برقم (٣١٩٩) . وأبو يعلى (٩٩٢) وابن الجارود (٩٠٠) ، والدارقطني (٢٧٢/٤ :٢٧٤) والبيهقي (٣٣٥/٩) والبغوي (٢٧٨٩) . وقال الترمذي : حديث حسن صحيح ، وقد روي من غير هذا الوجه عن أبي سعيد . ومجالد بن سعيد : قال الحافظ في التقريب : ليس بالقوي وقد تغير في آخر عمره .

(١٥) - رواه أبو داود في الأضاحي برقم (٢٨٢٨) . والدارمي (١٩٨٥) ، والدارقطني (٢٧٣/٤) ، والحاكم (١٢٧/٤) (١١٤/٤) ، والبيهقي (٣٣٤/٩ - ٣٣٥) من طرق عن أبي الزبير عن جابر . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . وقال الألباني : وهو كما قالا لولا أن أبا الزبير مدلس وقد عنعنه في جميع الطرق عنه ، وبه أعله ابن حزم في المحلى (٤١٩/٧) ا.هـ من الإرواء (١٧٢/٨) .

(١٦) - أخرجه ابن جرير (٤٥٨/٩) رقم (١٠٩٣٢) .

(١٧) - عبد الرزاق في تفسيره (١٨١/١) ومن طريقه الطبري (٤٥٨/٩) رقم (١٠٩٢٩) .

---

[١] - في خ : « القدامى » .

فإن اللّٰه قد حكم بهذا ، وهو الحكيم في جميع ما يأمر به وينهىٰ عنه ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **إن اللّٰه يحكم ما يريد** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر اللّٰه** ﴾ قال ابن عباس (١٨) : يعني بذلك : مناسك الحج . و[١] قال مجاهد (١٩) : الصفا والمروة ، والهدي والبدن من شعائر اللّٰه .

وقيل : شعائر اللّٰه محارمه ، أي : لا تحلوا محارم اللّٰه التي حرمها تعالىٰ ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ولا الشهر الحرام** ﴾ ، يعني بذلك تحريمه ، والاعتراف بتعظيمه ، وترك ما نهىٰ اللّٰه عن تعاطيه فيه من الابتداء بالقتال ، وتأكيد اجتناب المحارم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **إن عدة الشهور عند اللّٰه اثنا عشر شهرًا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم فلا تظلموا فيهن أنفسكم** ﴾ . الآية .

وفي صحيح البخاري (٢٠) ، عن أبي بكرة ، أن رسول اللّٰه ﷺ قال في حجة الوداع : « **إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق اللّٰه السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهرًا ، منها أربعة حرم ثلاث متواليات : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ورجب مضر الذي بين جمادىٰ وشعبان** » .

وهذا يدل علىٰ استمرار تحريمها إلىٰ آخر وقت ، كما هو مذهب طائفة من السلف .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس(٢١) - رضي اللّٰه عنهما - في قوله تعالىٰ : ﴿ **ولا**

---

(١٨) - رواه ابن جرير (٩/٤٦٣) (١٠٩٤٠)

(١٩) - أخرجه ابن جرير (٩/ ٤٦٣) (١٠٩٤٢) من طريق عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد به . وعيسى هو ابن ميمون الجُرَشي المعروف بابن دراية قال الحافظ في التقريب (٥٣٣٤) : ثقة .

(٢٠) - هو حديث أبي بكرة في خطبة النبي - صلى اللّٰه عليه وسلم - يوم النحر ، أخرجه البخاري : كتاب بدء الخلق ، باب : ما جاء في سبع أرضين ، الحديث (٣١٩٧) ، وفي التفسير ، باب : قوله : ﴿ **إن عدة الشهور** ... ﴾ الآية الحديث (٤٦٦٢) ، وفي كتاب الأضاحي ، باب من قال : الأضحى يوم النحر الحديث (٥٥٥٠) ، في كتاب التوحيد ، باب : قول اللّٰه تعالى : ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة** ... ﴾ الآية الحديث (٧٤٤٧) ، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة والحديث رواه البخاري أيضًا (٦٧ ، ١٠٥، ١٧٤١) ، وليس فيه الجزء المذكور .

(٢١) - أخرجه ابن جرير الطبري (٩/٤٦٥) رقم ١٠٩٤٥) من طريق معاوية بن صالح عن علي عن ابن عباس ، وقد تقدم الكلام على هذا الإسناد في سورة البقرة .

---

[١] - سقط من : ز .

الشهر الحرام ﴾ يعني لا تستحلوا قتالًا[١] فيه وكذا قال مقاتل بن حيان وعبد الكريم بن مالك الجزري ، واختاره ابن جرير أيضًا(٢٢) . و[٢] ذهب الجمهور إلىٰ أن ذلك منسوخ ، وأنه يجوز ابتداء القتال في الأشهر الحرم . واحتجوا بقوله تعالىٰ : ﴿ فإذا انسلخ الأشهر الحرم ﴾ قالوا : والمراد : أشهر التسيير الأربعة ، ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ قالوا : فلم يستثن شهرًا حرامًا من غيره .

وقد حكىٰ الإمام أبو جعفر الإجماع علىٰ أن الله قد أحل قتال أهل الشرك في الأشهر الحرم وغيرها من شهور السنة ، قال : وكذلك أجمعوا علىٰ أن المشرك لو قلد عنقه أو ذراعيه بلحاء[٣] جميع أشجار الحرم ؛ لم يكن ذلك له أمانًا من القتل ، إذا لم يكن تقدم له عقد ذمة من المسلمين ، أو أمان . ولهذه المسألة بحث آخر له موضع أبسط من هذا .

وقوله تعالىٰ : ﴿ ولا الهدي ولا القلائد ﴾ يعني : لا تتركوا الإهداء إلىٰ البيت الحرام[٤] ، فإن فيه تعظيمًا لشعائر[٥] الله ، ولا تتركوا تقليدها في أعناقها لتتميز به عما عداها من الأنعام ، وليعلم أنها هدي إلىٰ الكعبة فيجتنبها[٦] من يريدها بسوء ، وتبعث من يراها علىٰ الإتيان بمثلها ؛ فإن من دعا إلىٰ هدىٰ كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه ، من غير أن ينقص من أجورهم شيء[٧] ، ولهذا لما حج رسول الله ﷺ بات بذي الحليفة ، وهو وادي العقيق ، فلما أصبح طاف علىٰ نسائه ، وكن تسعًا ، ثم اغتسل وتطيب وصلىٰ ركعتين ، ثم أشعر هديه وقلده ، وأهل بالحج[٨] والعمرة ، وكان هديه إبلا كثيرة ، تنيف علىٰ الستين ، من أحسن الأشكال والألوان ، كما قال تعالىٰ : ﴿ ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوىٰ القلوب ﴾ .

و[٩] قال بعض السلف : إعظامها : استحسانها واستسمانها .

و[١٠] قال علي بن أبي طالب : أمرنا رسول الله ﷺ أن نستشرف العين والأذن . رواه أهل السنن .

---

(٢٢) - انظر جامع البيان (٩/٤٦٥) .

---

[١] - في ت : « القتال » .
[٢] - في ز : « وقد » .
[٣] - في ز : « بلحا » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ت : « شعائر » .
[٦] - في ز : « فيتجنبها » .
[٧] - في ز : « شيئًا » .
[٨] - في ت : « للحج » .
[٩] - سقط من : ز .
[١٠] - سقط من : ز .

و[١] قال مقاتل بن حيان(٢٣) : قوله[٢] : ﴿ ولا القلائد ﴾ فلا تستحلوه . وكان أهل الجاهلية إذا خرجوا من أوطانهم في غير الأشهر الحرم ؛ قلدوا أنفسهم بالشعر والوبر ، وتقلد[٣] مشركوا الحرم من لحاء شجر الحرم فيأمنون به .

(٢٣) - أخرجه أحمد (١/ ٩٥ ، ١٠٥ ، ١٢٥ ، ١٥٢) ، والترمذي كتاب الأضاحي ، باب : في الضحية بعضباء القرن والأذن الحديث (١٥٠٣) ، والنسائي ، كتاب الضحايا ، باب : المدابرة وهي ما قطع من مؤخر أذنها (٧/ ٢١٧) ، وابن ماجة كتاب الأضاحي ، باب : ما يكره أن يضحى به الحديث (٣١٤٣) ، والدارمي (١٩٥٧) ، وابن خزيمة (٢٩١٤) ، (٢٩١٥) ، والحاكم (٤/ ٢٢٥) ، والبيهقي (٩/ ٢٧٥) من طرق عن سلمة بن كهيل عن حجية عن علي بن أبي طالب .

وقال الترمذي : حسن صحيح . وصححه الحاكم وقال : لم يحتجا بحجية بن عدي وهو من كبار أصحاب أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه .

قال العلامة الألباني في الإرواء (٤/ ٣٦٢) : « لا يبلغ درجة الصحة فإن حجية هذا ، وإن كان من كبار أصحاب علي - رضي الله عنه - كما قال الحاكم ، فقد أورده الذهبي في « الميزان » ، وقال : « قال أبو حاتم : شبه مجهول ، لا يحتج به . قلت : روي عنه الحكم وسلمة بن كهيل ، وأبو إسحاق ، وهو صدوق إن شاء الله تعالى ، قد قال فيه العجلي : ثقة » ا. هـ

قلت : ترجمته في الميزان (٢/ ٤٦٦) ، وقال الحافظ في « التقريب » : صدوق يخطئ .

ورواه أحمد (١/ ١٠٨، ١٤٩) ، وأبو داود كتاب الأضاحي ، باب : ما يكره من الضحايا ، الحديث (٢٨٠٤) ، والترمذي كتاب الأضاحي ، باب : ما يكره من الأضاحي ، الحديث (١٤٩٨) ، والنسائي (٧/ ١١٦ ، ٢١٧) كتاب الضحايا ، وابن ماجة كتاب الأضاحي ، باب : ما يكره أن يضحى به الحديث (٣١٤٢) ، والدارمي (١٩٥٨) ، وابن الجارود (٩٠٦) ، والحاكم (٤/ ٢٢٤) ، والبيهقي (٩/ ٢٧٥) من طرق عن أبي إسحاق عن شريح بن النعمان عن علي بألفاظ بعضها مطولٌ وبعضها مختصرٌ .

وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . وصححه الحاكم وقال : ولم يخرجاه وأظنه لزيادة ذكرها قيس بن الربيع عن أبي إسحاق على أنهما لم يحتجا بقيس » ثم روي عن قيس قال : قلت لأبي إسحاق : سمعته من شريح ؟ قال : حدثني ابن أشوع عنه » اهـ .

قلت : أبو إسحاق السبيعي عمرو بن عبد الله معروف بالتدليس ، وهذا دليل على أنه دلس هذا الحديث وابن أشوع هو سعيد بن عمرو من رجال الشيخين ، قال الحافظ في « التقريب » : ثقة . فلو صح أن أبا إسحاق سمعه من ابن أشوع كان الإسناد صحيحًا ، وقد قال العلامة الشيخ ناصر الدين الألباني في الإرواء (٤ / ٣٦٤) فإذا صح أنه هو الواسطة بين أبي إسحاق وشريح فقد زالت شبهة التدليس وبقيت علة الاختلاط » اهـ .

قلت : يقصد - حفظه الله - أن أبا إسحاق كان قد اختلط بأخرة كما قال الحافظ في « التقريب » =

[١] - سقط من : ز . [٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « وقلد » .

رواه ابن أبي حاتم[٢٤] ثم قال : حدثنا محمد بن عمار ، حدثنا سعيد بن سليمان : حدثنا عباد ابن العوام ، عن سفيان بن حسين ، عن الحكم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - ، قال : نسخ من هذه السورة آيتان : آية القلائد ، وقوله : ﴿ **فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم** ﴾ .

وحدثنا المنذر بن شاذان[٢٥] ، حدثنا زكريا بن عدي ، حدثنا محمد بن أبي عدي ، عن ابن عون ، قال : قلت للحسن : نسخ من المائدة شيء ؟ قال : لا .

= لكن هذا الحديث رواه عنه جمع منهم زهير بن معاوية وإسرائيل بن يونس ، وزكريا بن أبي زائدة وزياد ابن خيثمة ، وشريك بن عبد الله ، وأبو بكر بن عياش ، ورواية إسرائيل ، وزكريا بن أبي زائدة عنه مخرجة في الصحيحين كما في الكواكب النيرات لابن الكيال (ص ٣٥١) ، والله أعلم .

والحديث رواه أيضًا عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (١٣٢/١) من طريق أبي إسحاق الهمداني عن هبيرة بن يريم عن علي . وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند .

وهبيرة أورده الذهبي في الميزان (٤١٨/٥) ونقل عن أبي حاتم قوله فيه : شبيه بالمجهول ، وترجمه الحافظ في التقريب (٧٢٦٨) وقال : لا بأس به . والحديث صحيح بمجموع طرقه كما قال الألباني - حفظه الله - في الإرواء (١١٤٩) .

(٢٤) - أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١١٣٥) (٦٣٨٨) ، ورواه الطبراني (١١ / ٦٣ - ٦٤) (١١٠٥٤) ، والحاكم (٣١٢/٢) والنحاس في « الناسخ والمنسوخ » (ص ٣٩٧) ، البيهقي (٢٤٨/٨ - ٢٤٩) كلهم من طريق سعيد بن سليمان عن عبّاد به . إلا الطبراني فرواه من طريق أبي موسى الهروي واسمه إسحاق بن إبراهيم عن عبّاد بن العوّام ، وسفيان هو ابن عيينة وشيخه هو الحكم بن أبان العدني قال الحافظ في التقريب : صدوق عابد له أوهام . وقال أبوجعفر النحاس : هذا إسناد مستقيم ، وأهل الحديث يدخلونه في المسند . اهـ .

وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٠٣/٢) وزاد نسبته إلى ابن مردويه .

(٢٥) - المنذر بن شاذان ترجمه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٨ / ٢٤٤) (١١٠٩) ، وقال : كتبنا عنه وهو صدوق ، سئل أبي عنه فقال : لا بأس به . اهـ .

وزكريا بن عدي ترجمه أيضًا ابن أبي حاتم (٣/ ٦٠٠) ونقل عنه ابن شاذان قال : ما أدركت أحدًا أحفظ من زكرياء بن عدي جاءه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين فقالا له : تخرج إلينا كتاب عبيد الله بن عمرو فقال : ما تصنعون بالكتاب ؟ خذوه حتى أملي عليكم كله .

ومحمد بن أبي عدي ثقة روى له الجماعة لكن ابن عون هو محمد بن عون ، ترجمه في « التهذيب » ، قال فيه الحافظ : متروك .

والحديث ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٤٧/٢) وعزاه إلى عبد بن حميد ، وأبي داود في ناسخه ، وابن المنذر ، وكذا الشوكاني في فتح القدير (٢ / ٥) .

وقال عطاء (٢٦) : كانوا يتقلدون من شجر الحرم فيأمنون ، فنهىٰ اللَّه عن قطع شجره . وكذا قال مطرف بن عبد اللَّه.

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلًا من ربهم ورضوانًا** ﴾ أي : ولا تستحلوا قتال القاصدين إلىٰ بيت اللَّه الحرام ، الذي من دخله كان آمنًا ، وكذا من قصده طالبًا فضل اللَّه ، وراغبًا في رضوانه ، فلا تصدوه ولا تمنعوه ولا تهيجوه .

قال مجاهد وعطاء وأبو العالية ومُطَرِّف بن عبد اللَّه وعبد اللَّه بن عبيد بن عمير والربيع بن [أنس ومقاتل بن حيان وقتادة] [وغير واحد][١] في قوله : ﴿ **يبتغون فضلًا من ربهم** ﴾ يعني بذلك التجارة .

وهذا كما تقدم(٢٧) في قوله : ﴿ **ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلًا من ربكم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ورضوانًا** ﴾ قال ابن عباس : يترضون اللَّه بحجهم .

وقد ذكر عكرمة والسدي وابن جريج أن هذه الآية نزلت في الحطم[٢] بن هند البكري ، كان قد أغار علىٰ سَرْحِ المدينة ، فلما كان من العام المقبل ، اعتمر إلىٰ البيت ، فأراد بعض الصحابة أن يعترضوا في طريقه إلىٰ البيت ، فأنزل اللَّه عز وجل : ﴿ **ولا آمّين البيت الحرام يبتغون فضلًا من ربهم ورضوانًا** ﴾ (٢٨) .

---

(٢٦) - أخرجه ابن جرير الطبري (٩/ ٤٦٨) (١٠٩٥١) ، حدثنا ابن وكيع حدثنا أبي عن مالك بن مغول عن عطاء ، وابن وكيع هو سفيان بن وكيع بن الجراح ، وسفيان هذا قال فيه الحافظ في « التقريب » : كان صدوقًا إلا أنه ابتلي بورّاقه فأدخل عليه ما ليس من حديثه فنصح فلم يقبل فسقط حديثه . ا هـ . وانظر ترجمته في الميزان (٢/ ٣٦٣) .
وأمّا أبوه فثقة حافظ عابد كما في « التقريب » ومالك بن مغول أيضًا ثقة ثبت من رجال التهذيب .
والأثر ذكره السيوطي في الدر (٢/٤٥٠) وعزاه لابن جرير أيضًا .

(٢٧) - انظر تفسير سورة البقرة الآية (١٩٨) .

(٢٨) - أمّا الرواية عن عكرمة : فأخرجها ابن جرير الطبري في تفسيره (٩/ ٤٧٢) (١٠٩٥٩) من طريق حجاج عن ابن جريج عن عكرمة ، وحجاج هو ابن محمد ثقة من رجال الشيخين ، وليس في هذا الإسناد سوى ما يخشى من تدليس ابن جريج فإنه معروف بذلك .
والأثر ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/٤٥١) وزاد نسبته إلى ابن المنذر .
أما الرواية عن ابن جريج فقد علقها الطبري في تفسيره (٩/ ٢٧٩) عقب أثر عكرمة هذا ، ورواه =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ . [٢] - في ز : « الحطم » .

وقد حكىٰ ابن جرير الإجماع علىٰ أن المشرك يجوز قتله ، إذا لم يكن له أمان ، وإن أمّ البيت الحرام أو بيت المقدس ، فإن هذا الحكم منسوخ في حقهم ، والله أعلم . فأما من قصده بالإلحاد فيه والشرك عنده والكفر به ، فهذا يُمنع . كما قال تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا** ﴾ . [ولهذا [ ][١] بعث رسول الله ﷺ عام تسع - لما أمّر الصدّيق علىٰ الحجيج - عليًا وأمره أن ينادي علىٰ سبيل النيابة عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ببراءة ، وأن لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوفنّ بالبيت عريان][٢](٢٩) .

[وقال [علي] بن أبي طلحة ، عن ابن عباس(٣٠) : قوله : ﴿ **ولا آمّين البيت الحرام** ﴾ يعني من توجه قبل البيت الحرام ، فكان المؤمنون والمشركون يحجون البيت الحرام ، فنهىٰ الله المؤمنين أن يمنعوا أحدًا يحج البيت أو يعرضوا له من مؤمن أو كافر ، ثم أنزل الله بعدها : ﴿ **إنما المشركون نجس ، فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا** ﴾ الآية][٣] . وقال تعالىٰ : ﴿ **ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله** ﴾ . وقال : ﴿ **إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر** ﴾ . فنفىٰ المشركين من المسجد الحرام .

وقال عبد الرزاق(٣١) : حدثنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ **ولا القلائد ولا آمّين البيت الحرام** ﴾ ، قال : منسوخ ؛ كان الرجل في الجاهلية إذا خرج من بيته يريد الحج تقلد من

= عن ابن جريج بالإسناد نفسه وهو إسناد صحيح إلى ابن جريج ، والله أعلم .

وأما الرواية عن السدي : فأخرجها ابن جرير في تفسيره (٩/ ٤٧٢) (١٠٩٥٨) من طريق أحمد بن المفضل قال : حدثنا أسباط ، عن السدي ، وهو أطول من رواية عكرمة ورواية ابن جريج . وأسباط هو ابن نصر الهمداني وثقه ابن معين وذكره ابن حبان في الثقات (٦/٨٥) ، وضعفه النسائي وغيره ، ترجمته في تهذيب الكمال (٢/٣٥٧) (٣٢١) ، قال الحافظ في « التقريب » : صدوق كثير الخطأ يغرب . وأحمد بن المفضل هو الحضري من رجال التهذيب قال فيه الحافظ : صدوق شيعي في حفظه شيء ، والأثر ذكره القرطبي في تفسيره (٦/٤٣) ، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٥٠ - ٤٥١) .

(٢٩) - يأتي تخريج هذا في أول سورة التوبة .

(٣٠) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (٩/٤٧٨) (١٠٩٧٥) والنحاس في ناسخه (ص ٣٥٩ - ٣٦٠) ، وقد تقدم الكلام على هذا الإسناد ، والأثر ذكره السيوطي في الدر (٢/٤٤٩) وزاد نسبته إلى : ابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٣١) - أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/١٨٢) ومن طريقه ابن جرير في تفسيره (٩/٤٧٨) (١٠٩٧٦) ، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (ص ٣٥٩) ، ومعمر بن راشد من أثبت الناس في قتادة روى ابن أبي حاتم=

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « لما » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

الشجر ، فلم يعرض له أحد ، فإذا[١] رجع تقلد قلادة من شعر ، فلم يعرض له أحد ، وكان المشرك يومئذ لا يصد عن البيت ، فأمروا أن لا يقاتلوا في الشهر الحرام ، ولا عند البيت ، فنسخها قوله : ﴿ **اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم** ﴾ .

وقد اختار ابن جرير أن المراد بقوله : ﴿ **ولا القلائد** ﴾ ، يعني : إن تقلدوا[٢] قلادة من الحرم فأمّنوهم[٣] . قال : ولم تزل العرب تعير من أخفر ذلك . قال الشاعر :

ألم تقتلا الحرجين إذ أعورا[٤] لكم يمران بالأيدي اللحاء المضفرا

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وإذا حللتم فاصطادوا** ﴾ أي : إذا فرغتم من إحرامكم وأحللتم منه ، فقد أبحنا لكم ما كان محرمًا عليكم في حال الإحرام من الصيد ، وهذا أمر بعد الحظر[٥] ، والصحيح الذي يثبت[٦] علىٰ السَّبْر ، أنه يرد الحكم إلىٰ ما كان عليه قبل النهي ، فإن كان واجبًا رده واجبًا ، وإن كان مستحبًا فمستحبٌّ ، أو مباحًا فمباح ، ومن قال : إنه علىٰ الوجوب ينتقض عليه بآيات كثيرة ، ومن قال : إنه للإباحة يرد عليه آيات أخرىٰ[٧] ، والذي ينتظم الأدلة كلها هذا الذي ذكرناه ، كما اختاره بعض علماء الأصول - واللَّه أعلم .

وقوله : ﴿ **ولا يجرمنكم شنآن قوم إن(*) صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا** ﴾ . ومن القراء من قرأ : ﴿ **أن صدوكم** ﴾ بفتح الألف ، من « **أن** » ، ومعناها ظاهر ، أي : لا يحملنكم بغض قوم[٨] قد كانوا صدوكم عن الوصول إلىٰ المسجد الحرام ، وذلك عام الحديبية ، علىٰ أن تعتدوا حكم اللَّه فيكم ، فتقتصوا منهم ظلمًا وعدوانًا ، بل احكموا بما أمركم اللَّه به من العدل ، في حق[٩] كل أحد ، وهذه الآية كما سيأتي من قوله تعالى : ﴿ **ولا يجرمنكم شنآن قوم علىٰ أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوىٰ** ﴾ ، أي : لا يحملنكم بغض أقوامٍ علىٰ ترك العدل ؛ فإن العدل واجب علىٰ كل أحد في كل أحد في

= في الجرح والتعديل (٨/٢٥٦) عن محمد بن كثير الصناني أنا معمر قال : جلست إلى قتادة وأنا ابن أربع عشرة سنة فما سمعت منه حديثًا إلّا كأنه مُنَقَّشٌ في صدري . ا هـ .

والأثر ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/٤٥٠) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد .

(*) - وهي قراءة أبي عمرو وابن كثير - على أنها شرطية .

---

[١] - في ز : « وإذا » .

[٢] - في ز ، خ : « تقلد » .

[٣] - في خ : « فأمنوه » .

[٤] - في ز : « أعوزا » .

[٥] - في ز : « الحضر » .

[٦] - في ز : « ثبت » .

[٧] - في ز : « أخر » .

[٨] - في ت : « من » .

[٩] - سقط من : ز ، خ .

كل حال ، وقال بعض السلف : ما عاملت من عصىٰ اللَّه فيك بمثل أن تطيع اللَّه فيه . والعدل به قامت السموات والأرض .

وقال ابن أبي حاتم(٣٢) : حدثنا أبي ، حدثنا سهل بن عفان ، حدثنا عبد اللَّه بن جعفر ، عن زيد بن أسلم ، قال : كان رسول اللَّه ﷺ بالحديبية وأصحابه ، حين صدهم المشركون عن البيت ، وقد اشتد ذلك عليهم ، فمر بهم أناس من المشركين من أهل المشرق يريدون العمرة ، فقال أصحاب النبي ﷺ : نصد هؤلاء كما صدنا أصحابهم . فأنزل اللَّه هذه الآية .

والشنآن ، هو : البغض . قاله ابن عباس وغيره(٣٣) . وهو مصدر من [شنأته أشنؤه شنآنًا][١] بالتحريك ، مثل قولهم : جمزان ودرجان ورفلان من جمز ودرج ورفل[٢] . قال ابن جرير : من العرب من يسقط التحريك في شنآن فيقول شنان ، ولم أعلم أحدًا قرأ بها. ومنه قول الشاعر :

وما العيش إلا ما تحب وتشتهي وإن لام فيه ذو الشنان وفندا

وقوله تعالىٰ : ﴿ وتعاونوا علىٰ البر والتقوىٰ ولا تعاونوا علىٰ الإثم والعدوان ﴾ يأمر تعالىٰ عباده المؤمنين بالمعاونة علىٰ فعل الخيرات وهو البر ، وترك المنكرات[٣] وهو التقوىٰ ، وينهاهم عن التناصر علىٰ الباطل ، والتعاون علىٰ المآثم والمحارم .

قال ابن جرير : الإثم ترك ما أمر اللَّه بفعله ، والعدوان مجاوزة ما حدّ الله في دينكم ، ومجاوزة ما فرض اللَّه عليكم في أنفسكم وفي غيركم .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا هشيم ، حدثنا عبيد اللَّه بن أبي بكر بن أنس ، [عن جده][٤] أنس بن مالك ، قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا » . قيل : يا رسول

(٣٢) - في إسناده عبد الله بن جعفر وهو المديني ، ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال (١١٥/٣) وقال : وأما سهل بن عثمان وهو العسكري أبو مسعود فروىٰ عنه أبو حاتم الرازي وأبو زرعة وسئل عنه أبو حاتم فقال : صدوق ، نقل ذلك عنه ابنه في الجرح والتعديل (٢٠٣/٤) وذكره ابن حبان في الثقات (٨/ ٢٩٢) ، والأثر ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٥٠/٢) .

(٣٣) - رواه عنه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤٨٧/٩) (١٠٩٩٣) من طريق علي بن طلحة عنه ورواه أيضًا عن قتادة ، وابن زيد ، وانظر أيضًا الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٥/٦ - ٤٦) .

[١] - في ز : « شنيته اشناوه اشناتا » .
[٢] - في ت : « رقل » .
[٣] - في ز ، خ : « المنكر » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في خ : « بن » .

اللَّه ؛ هذا نصرته مظلومًا ، فكيف أنصره إذا كان ظالمًا ؟ قال : [« **تحجزه و**[١] **تمنعه فإن ذلك نصره** » .

انفرد به البخاري من حديث هشيم به نحوه ، وأخرجاه من طريق ثابت عن أنس قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا** » . قيل : يا رسول اللَّه ، هذا نصرته مظلومًا ، فكيف أنصره ظالمًا ؟ قال][٢] : « **تمنعه من الظلم ، فذاك نصرك إياه** » .

وقال الإمام أحمد (٣٤) : حدثنا يزيد ، حدثنا سفيان بن سعيد ، عن الأعمش ، عن يحيىٰ بن وثاب ، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **المؤمن الذي يخالط الناس ، ويصبر علىٰ أذاهم ، أعظم أجرًا من الذي لا يخالط الناس**[٣] ، **ولا يصبر علىٰ أذاهم** » .

وقد رواه أحمد أيضًا(٣٥) في مسند عبد اللَّه بن عمر ، حدثنا حجاج ، حدثنا شعبة ، عن الأعمش ، عن يحيىٰ بن وثاب ، عن شيخ من أصحاب النبي ﷺ أنه - [أي النبي ﷺ][٤] - قال : « **المؤمن الذي يخالط الناس ، ويصبر علىٰ أذاهم ، خير من الذي لا يخالطهم ، ولا يصبر علىٰ أذاهم** » .

(٣٤) - أخرجه أحمد (٥/٣٦٥) ، ورجال إسناده ثقات رجال الشيخين . وقد تابع شعبةُ عليه سفيانَ بن سعيد ، وانظر الذي بعده .

(٣٥) - أخرجه أحمد (٢/٤٣) ، وأخرجه الترمذي كتاب صفة القيامة الحديث (٢٥٠٧) قال : حدثنا أبو موسى محمد بن المثنى حدثنا ابن أبي عدي عن شعبة ... فذكره بلفظ : « المسلم إذا كان يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم »

قال الإمام أحمد : وأراه ابن عمر ، قال حجاج : قال شعبة : قال سليمان - يعني الأعمش - : وهو ابن عمر . ا هـ .

وقال الترمذي : « قال أبو موسى : قال ابن أبي عدي : كان شعبة يرى أنه ابن عمر . ا هـ .

ورواه البخاري في الأدب المفرد (٣٨٨) قال حدثنا آدم عن شعبة فذكره كما في المسند . والحديث إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين وجهالة الصحابي لا تضر ، وقد ذكره أحمد وشعبة والأعمش أنه ابن عمر . وقد جاء مصرحًا به في رواية أخرى أخرجها ابن ماجة كتاب الفتن ، باب : الصبر على البلاء ، الحديث (٤٠٣٢) قال : حدثنا علي بن ميمون الرَّقي ثنا عبد الواحد بن صالح ثنا إسحاق بن يوسف عن الأعمش عن يحيى بن وثاب عن ابن عمر مرفوعًا وفيه « أعظم أجرًا » بدل « خير من » وقد حسن الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٠ / ٥١٢) إسناده ، لكن قال الألباني في الصحيحة (٢/٦٥٢) : =

[١] - سقط من : ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وهكذا رواه الترمذي من حديث شعبة ، وابن ماجة من طريق إسحاق بن يوسف ، كلاهما عن الأعمش به .

وقال الحافظ أبو بكر البزار (٣٦) : حدّثنا إبراهيم بن عبد اللَّه بن محمد أبو شيبة الكوفي ، حدّثنا بكر بن عبد الرحمن ، حدثنا عيسىٰ بن المختار ، عن ابن أبي ليلىٰ ، عن فضيل بن عمرو ، عن أبي وائل[١] ، عن عبد اللَّه قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : «**الدال علىٰ الخير كفاعله** » ، ثم قال : لا نعلمه يروىٰ إلا بهذا الإسناد .

= « إن إسناده عند ابن ماجة ليس بحسن ... وعبد الواحد هذا لا يعرف إلا في هذا الإسناد بهذا الحديث ، ولم يرو عنه إلا على بن ميمون الرقي كما قال الذهبي ، وأشار بذلك إلى أنه مجهول وقد صرح بذلك الحافظ في التقريب . ا هـ

قلت : رواه شعبة عن الأعمش به ، وذكر في إسناده ابن عمر وهو عند البيهقي في السنن (١٠/٨٩) ، وقد رواه أبو نعيم في الحلية (٧/٣٦٥) وذكر فيه ابن عمر أيضًا . وللحديث طريق آخر رواه أبو نعيم في الحلية (٥ / ٦٢ - ٦٣) عن أبي بكر الداهري عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن ابن عمر .

وقال : غريب من حديث حبيب والأعمش تفرد به الداهري .

قلت : وقع في المطبوع من الحلية (الزاهري) وهو خطأ ترجمه الذهبي في الميزان (٦/١٧٣) فقال : ليس بثقة ولا مأمون . ولا يعد هذا اضطرابًا يرد به الحديث ؛ لأن رواية الضعفاء لا ترد رواية الثقات فرواية شعبة ومن وافقه هي المحفوظة ورواية من خالفهم شاذة ، والله أعلم .

(٣٦) - أخرجه البزار في « البحر الزخار » (٥/١٥٠) (١٧٤٢) وهو في كشف الأستار (١/٩٠) (١٥٤) وقال البزار : « لا نعلمه يُروى عن عبد الله عن النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد » اهـ .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/١٧١) أيضًا وقال : « رواه البزار وفيه عيسى بن المختار تفرد عنه بكر ابن عبد الرحمن » . اهـ .

قلت : عيسى هو ابن المختار بن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، وثقه الحافظ في « التقريب» ، وقال الذهبي في الميزان (٣/٢٤٣) : « تفرد عنه ابن عمه بكر بن عبد الرحمن - مقل » وبكر ابن عبد الرحمن هذا روى له أبو داود ، والنسائي ، وابن ماجة ، ووثقه الحافظ في « التقريب » ، لكن ابن أبي ليلى وهو محمد بن عبد الرحمن ضعيف لسوء حفظه - وبه أعل الألباني - حفظه الله - الحديث في الصحيحة (٤/٢١٧) ، وللحديث شواهد من حديث أبي مسعود البدري ، وسهل بن سعد ، وبريدة وغيرهم ، ينظر تخريجها في الصحيحة رقم (١٦٦٠) ، وانظر مجمع الزوائد (١/١٧١) وانظر أيضًا الحديث التالي .

[١] - في ز : « نايل » .

قلت : وله شاهد في الصحيح(٣٧) : « **من دعا إلىٰ هدًى ، كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه إلىٰ يوم القيامة ، لا ينقص ذلك[١] من أجورهم شيئًا ، ومن دعا إلىٰ ضلالة ، كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه إلىٰ يوم القيامة ، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا** » .

وقال أبو القاسم الطبراني (٣٨) : حدثنا عمرو بن إسحاق [بن إبراهيم بن العلاء][٢] بن زبريق[٣] الحمصي ، حدثنا أبي ، حدثنا عمرو بن الحارث ، عن عبد الله بن سالم ، عن الزبيدي[٤] : قال [عباس بن يونس][٥] : إن أبا الحسن نمران بن مخمر حدثه ، أن رسول الله ﷺ قال : « **من مشىٰ مع ظالم ليعينه ، وهو يعلم أنه ظالم ؛ فقد خرج من الإسلام** ».

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ

(٣٧) - أخرجه مسلم في صحيحه كتاب العلم ، باب : من سن سنة حسنة أو سيئة ، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة الحديث (١٦ / ٢٤٧٤) من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيهي عن أبي هريرة مرفوعًا .

(٣٨) - أخرجه الطبراني في الكبير (٢٢٧/١) (٩١٦) ، وعزاه له ابن كثير في جامع المسانيد (٤٢٧/١) (٤٢٨) ، والمنذري في الترغيب والترهيب (١٤٣/٣) ، وقال : وهو حديث غريب اهـ ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٠٨/٤) وقال : رواه الطبراني في الكبير وفيه عياش بن مؤنس ولم أجد من ترجمه ، وبقية رجاله وثقوا ، وفي بعضهم كلام . اهـ

والحديث رواه أيضًا البخاري في التاريخ الكبير (٢٥٠/٤) تعليقًا فقال : قال عمرو بن الحارث حدثني عبد الله بن سالم ... فذكره ، ووصله البيهقي في شعب الإيمان (١٢٢/٦) (٧٦٧٥) قال : أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان أنا أحمد بن عبيد الصفار نا أبو إسماعيل الترمذي حدثني إسحاق بن إبراهيم حدثني عمرو بن الحارث ... فذكره ، قال الألباني - حفظه الله - في الضعيفة (١٨١/٢) (٧٥٨) : « هذا إسناد ضعيف جدًّا عمرو بن إسحاق لم أعرفه ولم يورده ابن عساكر في تاريخه » مع أنه على شرطه ، وأبو إسحاق بن إبراهيم بن زبريق ضعيف جدًّا ، قال النسائي : ليس بثقة . وقال أبو داود : « ليس بشيء » وكذبه محدث حمص محمد بن عوف الطائي وهو أعرف بأهل بلده ، أما أبو حاتم فقال : لا بأس به ! وعياش بن مؤنس وشيخه أبو الحسن بن نمران بن مخمر لم أعرفهما . » ا هـ .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : زريق .

[٤] - في خ : « الزبيد » .

[٥] - كذا ،وصوابه : عياش بن مؤنس .

﴿ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾

يخبر تعالىٰ عباده خبرًا متضمنًا النهي عن تعاطي هذه المحرمات من الميتة ، وهي ما مات من الحيوان حتف أنفه من غير ذكاة ولا اصطياد ، وما ذاك إلا لما فيها من المضرة ، لما فيها من الدم المحتقن ، فهي ضارة للدين والبدن ، فلهذا حرمها اللَّه - عز وجل - ويستثنىٰ من الميتة السمك ، فإنه حلال ، سواء مات بتذكية أو غيرها ، لما رواه مالك في موطئه ، والشافعي وأحمد في مسنديهما ، وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة في سننهم ، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما ، عن أبي هريرة أن رسول اللَّه ﷺ سئل عن ماء البحر ، فقال : « **هو الطهور ماؤه الحل ميتته** »(٣٩) وهكذا الجراد لما سيأتي من الحديث .

وقوله : ﴿ **والدم** ﴾ يعني به[١] المسفوح ، لقوله : ﴿ **أو دمًا مسفوحًا** ﴾ قاله ابن عباس ، وسعيد بن جبير .

(٣٩) - أخرجه مالك في الموطأ (١/ ٥٠) ومن طريقه الشافعي (١/ ٦٥) (٤٢ - شفاء العي) ، وأحمد (٢/ ٢٣٧ ، ٣٦١) ، والبخاري في التاريخ الكبير (٣/ ٤٧٨) ، وأبو داود كتاب الطهارة ، باب : الوضوء بماء البحر الحديث (٨٣) ، والترمذي كتاب الطهارة ، باب : ما جاء في ماء البحر أنه طهور الحديث (٦٩) ، والنسائي (١/ ٥٠) في الطهارة ، باب : ماء البحر ، (١/ ١٧٦) في المياه ، باب : الوضوء بماء البحر ، وفي (٧/ ٢٠٧) في الصعيد ، باب : ميتة البحر ، وابن ماجة في الطهارة ، باب : الوضوء بماء البحر الحديث (٣٨٦) ، وفي الصيد ، باب : الطافي من صيد البحر الحديث (٣٢٤٦) ، وابن خزيمة (١١١) ، وابن حبان (٤/ ٤٩) (١٢٤٣) ، (١٢/ ٦٢ - ٦٣) (٥٢٥٨) ، والدارمي (٧٣٥) ، (٢٠١٧) ، وابن الجارود (٤٣) ، والبغوي في شرح السنة (٢٨١) ، والحاكم (١/ ١٤٠) ، والبيهقي (١/ ٣) عن صفوان بن سليم عن سعيد بن سلمة من آل ابن الأزرق عن المغيرة بن أبي بردة وهو من بني عبد الدار أنه سمع أبا هريرة يقول : « جاء رجل إلى رسول الله - صلى اللَّه عليه وسلم - فقال : يا رسول الله ، إنا نركب البحر ، ونحمل معنا القليل من الماء فإن توضأنا به عطشنا أفنتوضأ به ؟ فقال رسول الله - صلى اللَّه عليه وسلم- : « هو الطهور ماؤه الحل ميتته » . ورواه أحمد (٢/ ٣٩٢) من طريق أبي أويس قال : حدثنا صفوان بن سليم عن سعيد بن سلمة عن أبي بردة عن أبي هريرة ... فذكره نحوه ، ولم يذكر فيه المغيرة » ، ورواه الدارمي (٧٣٤) من طريق محمد بن إسحاق عن يزيد بن أبي حبيب عن الجلاح ، عن عبد الله بن سعيد المخزومي عن المغيرة بن أبي بردة عن أبيه عن أبي هريرة ... فذكره نحوه . =

[١] - سقط من : ز .

قال ابن أبي حاتم(٤٠) : حدثنا كثير بن شهاب المذحجي ، حدثنا محمد بن سعيد بن سابق ، حدثنا عمرو - يعني ابن قيس - عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه سئل عن الطحال ، فقال : كلوه . فقالوا : إنه دم . فقال : إنما حرم عليكم الدم المسفوح .

وكذا رواه حماد بن سلمة ، عن يحيىٰ بن سعيد ، عن القاسم ، عن عائشة قالت : إنما نهىٰ عن الدم السافح .

وقد قال أبو عبد اللَّه محمد بن إدريس الشافعي(٤١) : حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن ابن عمر مرفوعًا[١] قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **أحل لنا ميتتان ودمان ، فأما الميتتان فالحوت والجراد ، وأما الدمان فالكبد والطحال** » .

= والحديث صحيح ؛ قال الترمذي : هذا الحديث حسن صحيح وقال في العلل رقم (٢٣) : سألت محمد بن إسماعيل البخاري عن هذا الحديث فقال : هو حديث صحيح . ا هـ . وقال الحافظ في تهذيب التهذيب (١٠ / ٢٣٠) في ترجمة المغيرة بن أبي بردة : « وصحح حديثه عن أبي هريرة في البحر ابن خزيمة وابن حبان وابن المنذر والخطابي والطحاوي ، وابن منده ، والحاكم وابن حزم ، والبيهقي وعبد الحق وآخرون » اهـ .

وانظر نصب الراية (١/ ٩٥ - ٩٩) ، وتلخيص الحبير (١/ ٢١ - ٢٤) ، والإرواء (٩) .

(٤٠) - أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٥٤٧) ، والبيهقي في سننه (١٠ / ٧) من طريق أبي الأحوص عن سماك به ، وأبو الأحوص هو سلام بن سليم الحنفي روى له الجماعة وهو ثقة ، وشيخه هو سماك بن حرب صدوق لكن روايته عن عكرمة خاصة مضطربة ، وقد تغير بأخرة فكان ربما تلقن .

قال يعقوب بن شيبة : قلت لعلي بن المديني : رواية سماك عن عكرمة ؟ فقال : مضطربة ؛ سفيان ، وشعبة يجعلونها عن عكرمة ، وغيرهما يقول : عن ابن عباس - إسرائيل . وأبو الأحوص ، وانظر ترجمته في تهذيب الكمال (١٣٢ / ١١٥ - ١٢١) (ترجمة ٢٥٧٩) ، والأثر ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٩٧) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وأبي الشيخ . ا هـ .

(٤١) - أخرجه الشافعي في المسند (٢ / رقم ٦٠٨ - شفاء العي) ، ومن طريقه البيهقي (٩/ ٢٥٧) ، والبغوي (٢٨٠٣) ، ورواه أحمد (٢/٩٧) (٥٧٢٣) ، وابن ماجة في الصيد ، باب صيد الحيتان والجراد الحديث (٣٢١٨) مختصرًا ، وفي الأطعمة باب الكبد والطحال الحديث (٣٣١٤) كاملًا ، والدارقطني (٤/٢٧١ - ٢٧٢) ، وابن حبان في المجروحين (٢ / ٥٨) ، وابن عدي في الكامل (٤/١٥٨٢) من طريق عبد الرحمن بن زيد به .

وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف قال ابن حبان في المجروحين : كان ممن يقلب الأخبار وهو لا يعلم حتى كثر ذلك في روايته من رفع المراسيل وإسناد الموقوف ، فاستحق الترك . اهـ . =

[١] - سقط من : خ .

وكذا رواه أحمد بن حنبل وابن ماجة والدارقطني والبيهقي من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وهو ضعيف . قال الحافظ البيهقي : ورواه إسماعيل بن أبي إدريس ، عن أسامة وعبد الله وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن ابن عمر مرفوعًا .

قلت : وثلاثتهم كلهم[١] ضعفاء ولكن بعضهم أصلح من بعض ، وقد رواه سليمان بن بلال أحد الأثبات ، عن زيد بن أسلم ، عن ابن عمر فوقفه بعضهم عليه ، قال الحافظ أبو زرعة الرازي : وهو أصح .

و[٢] قال ابن أبي حاتم(٤٢) : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ، حدثنا بشير بن سريج ، عن أبي غالب ، عن أبي أمامة وهو صدي بن عجلان ، قال : بعثني رسول الله ﷺ إلىٰ قومي ، أدعوهم إلىٰ الله ورسوله ، وأعرض عليهم شرائع الإسلام ، فأتيتهم ، فبينا نحن كذلك ، إذ جاءوا بقصعة من دم ، فاجتمعوا[٣] عليها

= وقد تابعه عليه أخوه أسامة ، وعبد الله ، رواه ابن عدي في الكامل (٣٨٨/١) ، والبيهقي في السنن (١/ ٢٥٤) وقال ابن عدي : وبنو زيد بن أسلم على أن القول فيهم أنهم ضعفاء لكنهم يكتب حديثهم ... ولم أجد لأسامة بن زيد حديثًا منكرًا جدًّا لا إسنادًا ولا متنًا ، وأرجو أنه صالح . ا هـ .

ورواه ابن عدي في الكامل (٤ / ١٥٠٣) من طريق عبد الله بن زيد بن أسلم وسليمان بن بلال عن زيد ابن أسلم عن ابن عمر مرفوعًا ، وقال : هذا يدور رفعه على الإخوة الثلاثة عبد الله بن زيد وعبد الرحمن ابن زيد وأسامة أخوهما ، وأما ابن وهب فإنه يرويه عن سليمان بن بلال موقوفًا . اهـ .

قلت : طريق ابن وهب هذه أخرجها البيهقي في سننه (٢٥٤/١) ثم قال : هذا إسناد صحيح وهو في معنى المسند وقد رفعه أولاد زيد عن أبيهم . اهـ .

وسئل أبو زرعة عن هذا الحديث فقال : الموقوف أصح . انظر العلل (٢/ ١٧) . وعلى فرض صحة الموقوف فإن له حكم الرفع فإن قول الصحابي : أحل لنا كذا ، وحرم علينا كذا ؛ يكون له حكم المرفوع كما هو مذكور في كتب مصطلح الحديث ، وانظر نصب الراية (٤ / ٢٠١ - ٢٠٢) ، تلخيص الحبير (٣٧/١ - ٣٨) وتعليق الشيخ أحمد شاكر على المسند (٧٩/٨ - ٨٠) ، والصحيحة للألباني رقم (١١١٨) .

(٤٢) - أخرجه أيضًا الطبراني في الكبير (٣٣٥/٨) (٨٠٧٤) حدثنا زكريا بن يحيى الساجي وعبد العزيز بن محمد بن عبد الله بن عبيد بن عقيل المقرئ قالا : ثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ... فذكره مطولًا مثل رواية ابن مردويه التي ذكرها الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٨٩/٩ - ٣٩٠) وقال : فيه بشير ابن سريج وهو ضعيف . اهـ . =

[١] - سقط من : ز .

[٢] - سقط من : ز . [٣] - في ز : « واجتمعوا » .

يأكلونها ، فقالوا[١] : هلم يا صدي فكل . قال : قلت : ويحكم ، إنما أتيتكم من عند [من يحرم][٢] هذا عليكم وأنزل الله عليه . [فأقبلوا عليه][٣] ، قالوا : وما ذاك ؟ قال : فتلوت عليهم هذه الآية : ﴿ حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ﴾ الآية .

و[٤] رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه من حديث ابن أبي الشوارب بإسناده مثله ، وزاد بعده[٥] هذا السياق : قال : فجعلت أدعوهم إلىٰ الإسلام ويأبون علي ، فقلت لهم[٦] : ويحكم ، اسقوني شربة من ماء ، فإني شديد العطش ، قال : وعليّ عباءتي ، فقالوا : لا ، ولكن ندعك حتىٰ تموت عطشًا . قال : فاغتممت ، وضربت برأسي في العباء ، ونمت علىٰ الرمضاء في حرّ شديد ، قال : فأتاني آت في منامي بقدح من زجاج لم ير الناس أحسن منه ، وفيه شراب لم ير الناس [ ][٧] ألذ منه ، فأمكنني منها فشربتها ، فلما[٨] فرغت من شرابي استيقظت ، فلا والله ما عطشت ولا عريت بعد تيك الشربة(٤٣) .

ورواه الحاكم في مستدركه عن علي بن حُمْشاذ[٩] ، عن [عبد الله بن][١٠] أحمد بن

= وقد تابعه صدقة بن غالب ، رواه الطبراني (٣٣٥/٨) ، والحاكم (٦٤١/٣ - ٦٤٢) من طريقه عن أبي غالب به . والحديث سكت عليه الحاكم ، وتعقبه الذهبي بقوله : في صدقة بن هرمز ضعفه ابن معين . اهـ.

وترجمة صدقة في الجرح والتعديل (٤ / ٤٣١) (١٨٩٢) وذكر فيه تضعيف ابن معين له .

ورواه الطبراني (٣٤٣/٨) (٨٠٩٩) من طريق الحسين بن واقد عن أبي غالب به ، والحسين بن واقد من رجال التهذيب قال فيه الحافظ في التقريب : ثقة له أوهام . لكن مدار هذه الطرق جميعًا على أبي غالب ترجمته في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٣١٥/٣ - ٣١٦) وسماه حزَوَّر ، ونقل فيه قول ابن معين : أبو غالب صالح الحديث وسمعت أبي يقول : أبو غالب الحزور ليس بالقوي .

وقد نقل ابن حجر الاختلاف في حاله في تهذيب التهذيب (٤ / ٥٧٠) ولخص حاله في التقريب فقال : صدوق يخطئ .

قلت : ولم يتابع أبا غالب عليه أحد فصار الحديث ضعيفًا . والله أعلم . والحديث ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٥٣/٢) ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه والحاكم .

(٤٣) - تقدم في الذي قبله .

[١] - في ز : « قالوا » .
[٢] - في ز : « محرم » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « بعد » .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز : « شرابًا » .
[٨] - في ز ، خ : « فحيث » .
[٩] - في ز ، خ : « حماد » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

حنبل ، حدثني عبد الله بن سلمة بن عياش العامري ، حدثنا صدقة بن هرمز[١] ، عن أبي غالب ، عن أبي أمامة فذكر نحوه ، وزاد بعد قوله : بعد تيك الشربة . فسمعتهم يقولون : أتاكم رجل من سراة قومكم ، فلم تمجعوه[٢] بمذقة ، [فأتوني بمذقة][٣] ، فقلت : لا حاجة لي فيها ؛ إن الله[٤] أطعمني وسقاني ، وأريتهم بطني ، فأسلموا عن آخرهم (٤٤) .

وما أحسن ما أنشد الأعشىٰ في قصيدته التي ذكرها ابن إسحاق(٤٥) :

وإياك والميتات [لا تقربنها][٥] ولا تأخذن عظمًا حديدًا فتفصدا[٦]

أي : لا تفعل [فعل][٧] الجاهلية ، وذلك أن أحدهم كان إذا جاع أخذ[٨] شيئًا محددًا من عظم ونحوه ، فيفصد به بعيره ، أو حيوانًا من أي صنف كان ، فيجمع ما يخرج منه من الدم فيشربه ، ولهذا حرم الله الدم علىٰ هذه الأمة ، ثم قال الأعشىٰ :

وذا النصب المنصوب لا تأتينه ولا تعبد الأوثان والله فاعبدا

قوله : ﴿ **ولحم الخنزير** ﴾ يعني : إنسيه ووحشيه ، واللحم يعم جميع أجزائه ، حتىٰ الشحم ، ولا يحتاج إلىٰ تحذلق الظاهرية في جمودهم هاهنا ، وتعسفهم في الاحتجاج بقوله : ﴿ **فإنه رجس أو فسقًا** ﴾ يعنون قوله تعالىٰ : ﴿ **إلا أن يكون ميتة أو دمًا مسفوحًا أو لحم خنزير فإنه رجس** ﴾ أعادوا الضمير فيما فهموه علىٰ الخنزير حتىٰ يعم جميع أجزائه ، وهذا بعيد من حيث اللغة ، فإنه لا يعود الضمير إلا إلىٰ المضاف دون المضاف إليه ، والأظهر أن اللحم يعم جميع الأجزاء ، كما هو المفهوم من لغة العرب ، ومن العرف المطرد . وفي صحيح مسلم(٤٦) عن بريدة بن الحصيب الأسلمي - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « **من لعب بالنردشير ؛ فكأنما صبغ يده في لحم الخنزير ودمه** » ، فإذا كان هذا [التنفير لمجرد اللمس][٩] ، فكيف يكون التهديد والوعيد الأكيد علىٰ أكله والتغذي به .

(٤٤) - تقدم رقم (٤٥) .

(٤٥) - انظر سيرة ابن هشام (١/٢٥٩) .

(٤٦) - أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الشعر ، باب : تحريم اللعب بالنردشير الحديث (١٠ / ٢٢٦٠) من حديث سليمان بن بريدة عن أبيه .

[١] - في ز ، خ : « هرم » .
[٢] - في ز : « تجمعوه » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - في ز : « ربي » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز : « فتفتصدا » .
[٧] - في ز : « كما فعله » .
[٨] - في ت : « يأخذ » .
[٩] - في ز ، خ : « تنفير بمجرد ملامسته باللمس » .

وفيه دلالة علىٰ شمول اللحم لجميع الأجزاء من الشحم وغيره .

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « **إن الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام** » . فقيل : يا رسول الله ، أرأيت شحوم الميتة ، فإنها تطلىٰ بها السفن ، وتدهن بها الجلود ، ويستصبح بها الناس ، فقال : « **لا هو حرام** »(٤٧) .

وفي صحيح البخاري من حديث أبي سفيان ، أنه قال لهرقل ملك الروم : نهانا عن الميتة والدم(٤٨) .

وقوله : ﴿ **وما أهل لغير الله به** ﴾ أي : ما ذبح فذكر عليه اسم غير الله ، فهو حرام ؛ لأن الله تعالىٰ أوجب أن تذبح مخلوقاته علىٰ اسمه العظيم ، فمتىٰ عدل بها عن ذلك ، وذكر عليها اسم غيره ، من صنم أو طاغوت أو وثن أو غير ذلك من سائر المخلوقات ؛ فإنها حرام بالإجماع . وإنما اختلف العلماء في المتروك التسمية عليه إما عمدًا ، أو نسيانًا ، كما سيأتي تقريره في سورة الأنعام .

وقد قال ابن أبي حاتم(٤٩) : حدثنا علي بن الحسن الهسنجاني[١] ، حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا ابن فضيل ، عن الوليد بن جميع ، عن أبي الطفيل قال : نزل آدم بتحريم أربع : الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ، وإن هذه الأربعة أشياء لم تحل قط ، ولم تزل حرامًا منذ خلق

(٤٧) - أخرجه البخاري كتاب البيوع ، باب بيع الميتة والأصنام الحديث (٢٢٣٦) ، ومسلم كتاب البيوع ، باب : تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام الحديث (١٥٨١/٧١) من طريق يزيد بن أبي حبيب عن عطاء بن أبي رباح عن جابر به ، وزادا فيه ثم قال : قاتل الله اليهود إن الله عز وجل لما حرم شحومها جملوه ثم باعوه فأكلوا ثمنه » وهو عند البخاري في المغازي الحديث (٤٢٩٦) من نفس الطريق مختصرًا بلفظ : « إن الله ورسوله حرم بيع الخمر » ثم خرج البخاري الزيادة وحدها في كتاب التفسير ، باب : ﴿**وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ...** ﴾ الآية ، الحديث (٤٦٣٣) .

(٤٨) - لم أقف عليه في صحيح البخاري .

(٤٩) - أبو الطفيل هو عامر بن واثلة ، والوليد بن جميع هو الوليد بن عبد الله بن جميع روى له مسلم في صحيحه ، والبخاري في الأدب المفرد وقال الحافظ في التقريب : صدوق يهم ، وابن فضيل هو محمد بن فضيل بن غزوان من رجال الشيخين ، ونعيم بن حماد روى عنه البخاري مقرونًا ، وروى له مسلم في مقدمة كتابه وأبو داود والترمذي وابن ماجة لكن ضعفه النسائي وغيره وقد لخص ابن حجر حاله في التقريب فقال : صدوق يخطئ كثيرًا فقيه عارف بالفرائض ... تتبع ابن عدي ما أخطأ فيه وقال : باقي حديثه مستقيم . وأما علي بن الحسن الهسنجاني شيخ ابن أبي حاتم فقد ترجم هو له في الجرح والتعديل (١٨١/٣) فقال : كتبنا عنه وهو ثقة صدوق . والأثر لم أقف عليه في غير هذا الموضع .

[١] - في ز : « الهنجاني » .

الله السموات والأرض ، فلما كانت بنو إسرائيل حرم الله عليهم طيبات أحلت لهم بذنوبهم ، فلما بعث الله عيسىٰ ابن مريم عليه السلام ، نزل بالأمر الأوّل الذي جاء به آدم ، وأحل لهم ما سوىٰ ذلك ، فكذبوه وعصوه . وهذا أثر غريب .

وقال ابن أبي حاتم أيضًا(٥٠) : حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا ربعي بن عبد الله ، قال : سمعت الجارود بن أبي سبرة ، قال : هو جدي ، قال : كان رجل من بني رياح يقال له : ابن وثيل ، وكان شاعرًا نافَرَ غالبًا أبا الفرزدق بماءٍ بظهر الكوفة ، علىٰ أن يعقر هذا مائة من إبله ، [وهذا مائة من إبله][١] ، إذا وردت الماء ، فلما وردت الماء قاما إليها بالسيوف ، فجعلا يكسفان عراقيبها ، قال : فخرج الناس علىٰ الحمرات والبغال يريدون اللحم ، قال : وعليٌّ بالكوفة ، قال : فخرج علي[٢] علىٰ بغلة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم البيضاء ، وهو ينادي : يا أيها الناس لا تأكلوا من لحومها ؛ فإنها[٣] أهل بها لغير الله .

هذا أثر غريب . ويشهد له بالصحة ما رواه أبو داود(٥١) . حدثنا هارون بن عبد الله ، ثنا[٤] حماد بن مسعدة ، عن عوف ، عن أبي ريحانة ، عن ابن عباس ، قال : نهىٰ رسول الله ﷺ عن معاقرة الأعراب .

ثم قال أبو داود محمد بن جعفر - هو غندر - أوقفه علىٰ ابن عباس . تفرد به أبو داود.

وقال أبو داود أيضًا(٥٢) : حدثنا هارون بن زيد بن [ ][٥] أبي الزرقاء ، حدثنا أبي ، حدثنا

(٥٠) - الجارود بن أبي سبرة خرج له أبو داود في سننه ، وقال فيه الحافظ في التقريب : صدوق . وربعي بن عبد الله هو ابن عبد الله بن الجارود صدوق أيضًا والراوية عنه هو أحمد بن يونس بن المسيب الضبي قال عنه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢/ ٨١) : سمعنا منه وكان محله عندنا محل الصدق . والأثر لم أقف عليه في غير هذا الموضع وقد استغربه المصنف وإسناده حسن إلى ابن وثيل هذا ، والله أعلم .

(٥١) - أخرجه أبو داود في الأضاحي ، باب ما جاء في أكل معاقرة الأعراب الحديث (٢٨٢٠) ، ومن طريقه البيهقي في سننه (٩/٣١٣) ، وهارون بن عبد الله هو أبو موسى الحمال ، وهو ثقة روى عنه الستة سوى البخاري وقد خالفه غندر محمد بن جعفر فوقفه على ابن عباس ، ورواية أبي موسى زيادة ثقة مقبولة إن شاء الله ، والحديث قال الألباني في صحيح أبي داود (٢٤٤٦) : حسن صحيح .

(٥٢) - أخرجه أبو داود في الأطعمة ، باب : في طعام المتباريين الحديث (٣٧٥٤) ، وأخرجه ابن عدي في الكامل (٢/ ٥٠٩) من طريق بقية بن الوليد حدثني ابن المبارك عن جرير بن حازم به . =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « فإنما » .

[٤] - في خ : « بن » .

[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « بن » .

جرير بن حازم ، عن الزبير بن خريت[١] ، قال : سمعت عكرمة يقول : إن رسول الله ﷺ نهىٰ عن طعام المتباريين أن يؤكل .

ثم قال أبو داود : أكثر من رواه عن[٢] جرير ، لا يذكر فيه ابن عباس . تفرد به أيضًا .

وقوله : ﴿ والمنخنقة ﴾ وهي التي تموت بالخنق ، إما قصدًا ، وإما اتفاقًا ، بأن تتخبل[٣] في وثاقها فتموت به ، فهي حرام .

وأما ﴿ الموقوذة ﴾ ، [فهي التي][٤] تضرب بشيء ثقيل غير محددٍ ، حتىٰ تموت ، كما قال ابن عباس(٥٣) وغير واحد][٥] : هي[٦] التي[٧] تضرب بالخشبة حتىٰ توقذ بها فتموت .

وقال قتادة (٥٤) : كان أهل الجاهلية يضربونها بالعصيِّ ، حتىٰ إذا ماتت أكلوها .

= وقال ابن عدي : هذا الحديث الأصل فيه مرسل ، وما أقل من أوصله ، وممن أوصله بقية عن ابن المبارك عن جرير بن حازم .

ورواه الطبراني في الكبير (١١/٣٤٠) (١١٩٤٣) ، والحاكم (٤/١٢٨ - ١٢٩) من طريق هارون بن موسى النحوي عن الزبير بن الخريت به موصولًا . وصحح إسناده الحاكم ووافقه الذهبي . ورواه الخطيب في تاريخه (٣/٢٤٠) من طريق أخرى عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعًا . والحديث صوب الألباني في الصحيحة (٢/٢٠٣) إرساله وقال : هو مرسل صحيح الإسناد . وله شاهد من حديث أبي هريرة أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥/١٢٩) (٦٠٦٨) وابن السماك في جزء من حديثه كما في الصحيحة للألباني (٢/٢٠٣) من طريق سعيد بن عثمان ثنا معلى بن أسد المروزي ثنا على بن الحسن عن أبي حمزة السكري عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة به مرفوعًا ، ووقع عند ابن السماك : « المترائيان » ، قال الألباني - حفظه الله - : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات رجال البخاري ، غير سعيد بن عثمان الأهوازي ترجمه الخطيب وقال (٩/٩٧) : « وكان ثقة ، وقال الدارقطني : صدوق حدث ببغداد » اهـ . قلت : وهو يقوي بمرسل عكرمة المذكور .

(٥٣) - أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٩/٤٩٦) (١١٠٠٧) من طريق علي بن أبي طلحة عنه قال : الموقوذة التي تضرب بالخشب حتى توقذ بها فتموت . وقد تقدم الكلام على هذا الإسناد ، وانظر الدر المنثور (٢/٤٥٤) ، وفتح القدير (٢/١١) .

(٥٤) - أخرجه ابن جرير الطبري (٩/ ٤٩٦) (١١٠٠٨) حدثنا بشر قال : حدثنا سعيد عن قتادة به ، وإسناده حسن بشر هو ابن معاذ العقدي روى له الترمذي والنسائي وابن ماجة ، وهو صدوق ، =

[١] - في ز : « حريث » .
[٢] - في ز : « غير ابن » .
[٣] - في ز : « تتحبل » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز : « فهي » ، وسقط من : خ .
[٧] - سقط من : خ .

وفي الصحيح : أن عدي بن حاتم قال : قلت : يا رسول الله ، إني أرمي بالمعراض الصيد فأصيب ، قال : « **إذا رميت بالمعراض فخزق فكله ، وإن أصابه[١] بعرضه فإنما هو وقيذ فلا تأكله** »(٥٥) .

[ففرق بين ما أصابه بالسهم أو بالمزراق ونحوه بحده فأحله][٢] ، وما أصابه[٣] بعرضه فجعله وقيذًا فلم[٤] يحله ، [وقد أجمع الفقهاء][٥] [على هذا الحكم هاهنا][٦] ، واختلفوا فيما إذا صدم الجارحة الصيد فقتله بثقله ، ولم يجرحه ، على قولين هما قولان للشافعي رحمه الله :

(أحدهما) : لا يحل كما في السهم ، والجامع أن كلًّا منهما ميت بغير جرح ، فهو وقيذ .

(والثاني) : أنه يحل لأنه حكم بإباحة ما صاده الكلب ، ولم يستفصل ، فدل على إباحة ما ذكرناه ؛ لأنه قد[٧] دخل في العموم ، وقد قررت لهذه المسألة فصلًا ، فليكتب هاهنا.

[فصل]

اختلف العلماء رحمهم الله تعالى فيما إذا أرسل كلبًا على صيد فقتله بثقله ولم يجرحه ، أو صدمه ، هل يحل أم لا ؟ على قولين :

(أحدهما) : أن ذلك حلال لعموم قوله تعالى : ﴿ **فكلوا مما أمسكن عليكم** ﴾ ، وكذا عمومات حديث عدي بن حاتم ، وهذا قول حكاه الأصحاب عن الشافعي - رحمه الله - وصححه بعض المتأخرين منهم[٨] كالنووي والرافعي .

= قال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٣٦٨/٢) : سئل أبي عنه فقال : صالح الحديث صدوق . ويزيد هو ابن زريع ثقة ثبت روى له الجماعة ، وشيخه هو سعيد بن أبي عروبة أوثق الناس في قتادة .

(٥٥) - أخرجه البخاري في البيوع ، باب : تفسير المشبهات الحديث (٢٠٥٤) ، وأطرافه في (١٧٥) ، (٥٤٧٥) ، (٥٤٧٦) ، (٥٤٧٧) ، (٥٤٨٣) ، (٥٤٨٤) ، (٥٤٨٥) ، (٥٤٨٦) ، (٥٤٨٧) ، (٧٣٩٧) .

ومسلم في الصيد والذبائح باب : الصيد بالكلاب المعلمة الحديث (١٩٢٩) عن عدي بن حاتم به ، والروايات مطولة ومختصرة .

[١] - في ت : « أصاب » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ت : « أصاب » .
[٤] - في ت : « لم » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ت : « وهذ مجمع عليه عند الفقهاء » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٧] - سقط من : ت .
[٨] - سقط من : ز .

(قلت) : وليس ذلك بظاهر من كلام الشافعي في الأم والمختصر ، فإنه قال في كلا الموضعين: يحتمل معنيين ، ثم وجه كُلًّا منهما ، فحمل ذلك الأصحاب منه ، فأطلقوا في المسألة قولين عنه ، اللهم إلا أنه في بحثه حكايته للقول بالحل رشحه قليلًا ، ولم يصرح بواحد منهما ولا جزم به ، والقول بذلك - أعني الحل - نقله ابن الصباغ عن أبي حنيفة من رواية الحسن بن زياد عنه ، ولم يذكر غير ذلك . وأما أبو جعفر بن جرير فحكاه في تفسيره(٥٦) ، عن سلمان الفارسي وأبي هريرة وسعد بن أبي وقاص وابن عمر ، وهذا غريب جدًّا ، وليس يوجد ذلك مصرحًا به عنهم ، إلا أنه من تصرفه ، - رحمه الله ورضي عنه - .

(والقول الثاني) : أن ذلك لا يحل ، وهو أحد القولين عن الشافعي رحمه الله ، واختاره المزني ، ويظهر من كلام ابن الصباغ ترجيحه أيضًا ، والله أعلم . ورواه أبو يوسف ومحمد عن[١] أبي حنيفة ، وهو المشهور عن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، وهذا القول أشبه بالصواب ، والله أعلم ؛ لأنه أجرىٰ علىٰ القواعد الأصولية ، وأمس بالأصول الشرعية ، واحتج ابن الصباغ له بحديث رافع بن خديج ، قلت : يا رسول الله ، إنا لاقوا العدو غدًا ، وليس معنا مدي[٢] ، أفنذبح بالقصب ، قال : « **ما أنهر الدم ، وذكر اسم الله عليه ، فكلوه** » . الحديث بتمامه وهو في الصحيحين(٥٧) .

(٥٦) - انظر تفسير ابن جرير الطبري (٩ /٥٥٩ - ٥٦٤) وسيأتي تخريج هذه الآثار انظر (١٣٢) وما بعده.

(٥٧) - أخرجه البخاري في الشركة باب : قسمة الغنم ، الحديث (٢٤٨٨) وفي كتاب الرهن باب من عدل عشرة من الغنم بجزور في القسم الحديث (٢٥٠٧) ، وفي الجهاد والسير باب : ما يكره من ذبح الإبل والغنم في المغانم الحديث (٣٠٧٥) ، وفي الذبائح والصيد باب : التسمية على الذبيحة ومن ترك متعمدًا الحديث (٥٤٩٨) ، وفي الذبائح والصيد باب : ما أنهر الدم من القصب والمروة والحديد ، الحديث (٥٥٠٣) ، وباب لا يذكى بالسن والعظم والظفر الحديث (٥٥٠٦) ، وفي باب : ما ند من البهائم فهو بمنزلة الوحش الحديث (٥٥٠٩) وفي الأضاحي ، باب : إذا ندَّ بعير لقوم فرماه بعضهم بسهم فقتله ... الحديث (٥٥٤٤) .

ومسلم في الأضاحي ، باب : جواز الذبح بكل ما أنهر الدم إلَّا السن والظفر وسائر العظام ، الحديث (١٩٦٨/٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣) من طرق عن سعيد بن مسروق عن عباية بن رفاعة بن رافع عن جده .

ورواه البخاري في الذبائح والصيد ، باب : إذا أصاب قوم غنيمة فذبح بعضهم غنمًا أو إبلًا بغير أمر أصحابه لم تؤكل ... الحديث (٥٥٤٣) من طريق عباية بن رفاعة عن أبيه عن رافع بن خديج به ، والروايات مطولة ومختصرة .

[١] - في ز : « بن » . [٢] - في ز : « مذا » .

وهذا وإن كان واردًا علىٰ سبب خاص ، فالعبرة بعموم اللفظ عند جمهور من العلماء في الأصول والفروع ، كما سئل – عليه السلام – عن البتع ، وهو نبيذ العسل ، فقال : « **كل شراب أسكر فهو حرام** »(٥٨) . أفيقول فقيه : إن هذا اللفظ مخصوص بشراب العسل ؟ وهكذا [هذا][١] سألوه عن شيء من الذكاة ، فقال لهم كلامًا عامًّا يشمل ذاك المسئول عنه وغيره ؛ لأنه – عليه السلام – كان[٢] قد أوتي جوامع الكلم .

إذا تقرر هذا فما صدمه الكلب ، أو غمه بثقله ؛ ليس مما أنهر دمه فلا يحل لمفهوم هذا الحديث ، فإن قيل : هذا الحديث ليس من هذا القبيل بشيء ، لأنهم إنما سألوه[٣] عن الآلة التي يُذَكَّىٰ بها ، و[٤] لم يسألوه عن الشيء الذي يُذَكَّىٰ ، ولهذا استثنىٰ من ذلك السن والظفر ، حيث قال : « **ليس السنّ والظفر ، وسأحدثكم عن ذلك ، أما السن فعظم ، وأما الظفر فمدىٰ الحبشة** »(٥٩) والمستثنىٰ يدل علىٰ جنس المستثنىٰ منه ، وإلا لم يكن متصلًا ، فدل علىٰ أن المسئول عنه هو الآلة ، فلا يبقىٰ فيه دلالة لما ذكرتم .

فالجواب[٥] عن هذا بأن في الكلام ما يشكل عليكم أيضًا ، حيث يقول : « **ما أنهر الدم ، وذكر اسم الله عليه ، فكلوه** » . ولم يقل فاذبحوا به ، فهذا يؤخذ منه الحكمان معًا ، يؤخذ حكم الآلة التي يذكىٰ بها ، وحكم المذكىٰ ، وأنه لابد من إنهار دمه بآلة ليست سنًّا ولا ظفرًا ، هذا مسلك .

والمسلك الثاني : طريقة المزني ، وهي أن السهم جاء التصريح فيه بأنه إن قتل بعرضه فلا تأكل ، وإن خزق فكل ، والكلب جاء مطلقًا فيحمل علىٰ ما قيد هناك من الخزق ؛ لأنهما اشتركا في الموجب ، وهو الصيد ، فيجب الحمل هنا ، وإن اختلف السبب ، كما وجب حمل مطلق الإعتاق في الظهار علىٰ تقييده بالإيمان في القتل ، بل هذا أولىٰ ، وهذا يتوجه له

(٥٨) – أخرجه البخاري كتاب الوضوء ، باب : لا يجوز الوضوء بالنبيذ ولا المسكر ، الحديث (٢٤٢) ، وفي الأشربة ، باب : الخمر من العسل ، وهو البتع الحديث (٥٥٨٥) ، (٥٥٨٦) ، ومسلم في الأشربة ، باب : بيان أن كل مسكر خمر ، وأن كل خمر حرام الحديث (٢٠٠١) ، من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة ، رضي الله عنها .

(٥٩) – جزء من حديث رافع المتقدم رقم (٦٠) .

[١] – زيادة من ز .

[٢] – سقط من : ز .

[٣] – في ز : « سألو » .

[٤] – سقط من : ز .

[٥] – في ز : « الجواب » .

علىٰ من يسلم له أصل هذه القاعدة ، من حيث هي ، وليس فيها خلاف بين الأصحاب قاطبة - فلابدّ لهم من جواب عن هذا . وله أن يقول : هذا قتله الكلب بثقله ، فلم يحل ؛ قياسًا علىٰ ما قتله السهم بعرضه ، والجامع أن كلًّا منهما آلة للصيد ، وقد مات بثقله فيهما ، ولا يعارض ذلك بعموم الآية ؛ لأن القياس مقدم علىٰ العموم ، كما هو مذهب الأئمة الأربعة والجمهور ، وهذا مسلك حسن أيضًا .

(مسلك[١] آخر) : وهو أن قوله تعالىٰ : ﴿ **فكلوا مما أمسكن عليكم** ﴾ عام فيما قتلن بجرح أو غيره ، لكن هذا المقتول علىٰ هذه الصورة المتنازع فيها لا يخلو إما أن يكون نطيحًا أو في حكمه ، أو منخنقًا أو في حكمه ، وأيا مّا كان ؛ فيجب تقديم هذه الآية علىٰ تلك ؛ لوجوه :

(أحدها) : أن الشارع قد اعتبر حكم هذه الآية حالة الصيد ، حيث يقول لعدي بن حاتم : « **وإن أصابه بعرضه[٢] ؛ فإنما هو وقيذ فلا تأكله** » . ولم نعلم أحدًا من العلماء فصل بين حكم وحكم من هذه الآية ، فقال : إن الوقيذ معتبر حالةَ الصيد ، والنطيح ليس معتبرًا ، فيكون القول بحل المتنازع فيه خرقًا للإجماع ، لا قائل به ، وهو محظور عند كثير من العلماء .

(الثاني) : أن تلك الآية : ﴿ **فكلوا مما أمسكن عليكم** ﴾ ليست علىٰ عمومها بالإجماع ، بل مخصوصة بما صدن من الحيوان المأكول ، وخرج من عموم لفظها الحيوان غير المأكول بالاتفاق والعموم المحفوظ مقدّم علىٰ غير المحفوظ .

(المسلك[٣] الآخر) : أن هذا الصيد ، والحالة هذه ، في حكم الميتة سواء ؛ لأنه قد احتقن فيه الدماء وما يتبعها من الرطوبات ، فلا تحل قياسًا علىٰ الميتة .

(المسلك[٤] الآخر) : أن آية التحريم - أعني قوله : ﴿ **حرمت عليكم الميتة** ﴾ إلىٰ آخرها - محكمة لم يدخلها نسخ ولا تخصيص ، وكذا ينبغي أن تكون آية التحليل محكمة ، أعني قوله تعالىٰ : ﴿ **يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين** ﴾ الآية . فينبغي أن لا يكون بينهما تعارض أصلًا ، وتكون السنة جاءت لبيان ذلك ، وشاهد ذلك قصة السهم ، فإنه ذكر حكم ما دخل في هذه الآية ، وهو ما إذا خزقه المعراض فيكون حلالًا ، لأنه من الطيبات ، وما دخل في حكم تلك الآية ؛ آية التحريم ، وهو ما إذا أصابه بعرض فلا يؤكل ، لأنه وقيذ ، فيكون أحد أفراد آية التحريم ، وهكذا يجب أن يكون حكم هذا ،

---

[١] - في خ : « الحديث » . [٢] - في ز : « بعرض » .

[٣] - [٤] - في خ : « الحديث » .

سواء إن كان قد جرحه الكلب ، فهو داخل في حكم آية التحليل ، وإن لم يجرحه بل صدمه أو قتله بثقله ؛ فهو نطيح أو في حكمه ؛ فلا يكون حلالًا .

(فإن قيل) : فلم لا فصَّل في حكم الكلب ، فقال ما ذكرتم ؛ إن جرحه فهو حلال ، وإن لم يجرحه فهو حرام ؟ .

(فالجواب) : أن ذلك نادر ؛ لأن من شأن الكلب أن يقتل بظفره أو نابه أو بهما معًا ، وأما اصطدامه هو والصيد فنادر ، وكذا قتله إياه بثقله ، فلم يحتج إلىٰ الاحتراز من ذلك لندوره ، أو لظهور حكمه عند من علم تحريم الميتة والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة ، وأما السهم والمعراض فتارة يخطئ لسوء رمي راميه ، أو للهواء ، أو نحو ذلك ، بل خطؤه أكثر من إصابته ، فلهذا ذكر كلًا من حكميه مفصلًا ، والله أعلم .

ولهذا لما كان الكلب من شأنه أنه [قد][١] يأكل من الصيد ، ذكر حكم ما إذا أكل من الصيد ، فقال : « **إن أكل فلا تأكل ، فإني أخاف أن يكون أمسك علىٰ نفسه** » . وهذا صحيح ثابت في الصحيحين (٦٠) ، وهو أيضًا مخصوص من عموم آية التحليل عند كثيرين ، فقالوا : لا يحل ما أكل منه الكلب ، حكي ذلك عن أبي هريرة وابن عباس ، وبه قال الحسن والشعبي والنخعي ، وإليه ذهب أبو حنيفة وصاحباه ، وأحمد بن حنبل والشافعي في المشهور عنه . وروىٰ ابن جرير في تفسيره(٦١) ، عن علي وسعد وسلمان وأبي هريرة وابن عمر وابن عباس ، أن الصيد يؤكل ، وإن أكل منه الكلب ، حتىٰ قال سعد[٢] وسلمان وأبو هريرة وابن عمر وغيرهم : يؤكل ولو لم يبق منه إلا بضعة . وإلىٰ ذلك ذهب مالك والشافعي في قوله القديم ، وأومأ في الجديد إلىٰ قولين ، قال ذلك الإمام أبو نصر بن الصباغ وغيره من الأصحاب عنه[٣] .

وقد روىٰ أبو داود بإسناد جيد قوي عن أبي ثعلبة الخشني(٦٢) ، عن رسول الله ﷺ ، أنه قال

---

(٦٠) – جزء من حديث عدي بن حاتم المتقدم رقم (٥٨) .

(٦١) – انظر رقم (٥٩) .

(٦٢) – أخرجه أبو داود في الصيد ، باب : في الصيد الحديث (٢٨٥٢) من طريق بسر بن عبيد الله عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ثعلبة الخشني به ، وأصل الحديث عند البخاري في الذبائح والصيد باب : صيد القوس ، الحديث (٥٤٧٨) ، وفي باب : ما جاء في التصيد الحديث (٥٤٨٨) ، وفي باب : آنية =

---

[١] – سقط من ت . [٢] – في ز : « سعيد » .

[٣] – سقط من : ز ، خ .

في صيد الكلب : « **إذا أرسلت كلبك ، وذكرت اسم الله فكل وإن أكل منه ، وكل ما ردت عليك يدك** » .

ورواه أيضا النسائي(٦٣) من حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده أن أعرابيًا يقال له : أبو ثعلبة ، قال : يا رسول الله ؛ ... فذكر نحوه .

وقال محمد بن جرير في تفسيره (٦٤) : حدثنا عمران بن بكار الكلاعي ، حدثنا عبد العزيز بن موسىٰ - هو اللاحوني - ، حدثنا محمد بن دينار - هو الطاحي - عن أبي إياس وهو معاوية بن قرة عن سعيد بن المسيب ، عن سلمان الفارسي ، عن رسول الله ﷺ قال : « **إذا أرسل الرجل**[١] **كلبه علىٰ الصيد ، فأدركه وقد أكل منه ، فليأكل ما بقي** » ، ثم[٢] إن ابن جرير علله بأنه قد رواه قتادة وغيره عن سعيد بن المسيب عن سلمان موقوفًا . وأما الجمهور فقدّموا حديث عدي علىٰ ذلك ، وراموا تضعيف حديث أبي ثعلبة وغيره ، وقد حمله بعض العلماء علىٰ أنه إن أكل بعد ما انتظر صاحبه ، فطال عليه الفصل ، ولم يجئ فأكل منه لجوعه

= المجوس الحديث (٥٤٩٦) ، ومسلم في الصيد والذبائح ، باب : الصيد بالكلاب المعلمة ، الحديث (١٩٣٠) من طريق ربيعة بن يزيد الدمشقي عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ثعلبة به مطولًا .

(٦٣) - أخرجه النسائي كتاب الصيد ، والذبائح ، باب : الرخصة في ثمن كلب الصيد (١٩١/٧) من طريق أبي مالك عبيد بن الأخنس عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، وعبيد الله بن الأخنس وثقه ابن معين كما في الجرح والتعديل (٥ / ٣٠٧) ، وأبو داود والنسائي كما في تهذيب الكمال (٦/١٩) وقد روى له الجماعة .

ورواه أبو داود في الصيد ، باب : في الصيد ، الحديث (٢٨٥٧) ، وأحمد (١٨٤/٢) (٦٧٢٥) ، والدارقطني في سننه (٢٩٤/٤) باب الصيد والذبائح حديث (٨٨) من طريق حبيب المعلم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن أبا ثعلبة الخشني أتى النبي- صلى الله عليه وسلم - ... فذكره .

وحبيب أيضًا روى له الجماعة وقال فيه الحافظ في التقريب : صدوق . والحديث صحح إسناده العلامة أحمد شاكر في تعليقه على المسند وقد جاءت القصة بنحوها من رواية أبي ثعلبة الخشني نفسه مطولة ومختصرة ، وقد تقدم تخريجها .

(٦٤) - أخرجه ابن جرير الطبري في تفسير (٥٦٥/٩) (١١٢١١) وعمران بن بكار الكلاعي ترجم له ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢٩٤/٦) ترجمة (١٦٣٣) وقال : سمعت منه وهو صدوق . وقال الحافظ في « التقريب » : ثقة .

وعبد العزيز بن موسى اللاحوني ، قال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٥/الترجمة ١٨٣٨) : كتب عنه بسلمية ، وهو صدوق ثقة مأمون . اهـ . ووثقه أيضًا ابن شاهين في ثقاته (٨٨٧) فقال : ثقة ثقة . وذكره ابن حبان في الثقات (٣٩٥/٨) ، وأما محمد بن دينار الطاحي فقد اختلف فيه قول =

[١] - سقط من : ز . [٢] - سقط من : ز .

ونحوه ، فإنه لا بأس بذلك ، لأنه والحالة هذه ؛ لا يخشىٰ أنه إنما أمسك علىٰ نفسه ، بخلاف ما إذا أكل[١] منه أول وهلة ، فإنه يظهر منه أنه أمسك علىٰ نفسه ، والله أعلم .

فأما الجوارح من الصيد ، فنص الشافعي علىٰ أنها كالكلب[٢] ، فيحرم ما أكلت منه عند الجمهور ، ولا يحرم عند الآخرين ، واختار المزني من أصحابنا أنه لا يحرم أَكْلُ ما أكلتْ منه الطيور والجوارح ، وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد ، قالوا : لأنه لا يمكن تعليمها كما يعلم الكلب بالضرب ونحوه . وأيضًا فإنها لا تعلم إلا بأكلها من الصيد ، فيعفىٰ عن ذلك ، وأيضًا فالنص إنما ورد في الكلب لا في الطير ، وقال الشيخ أبو علي في الإفصاح : إذا قلنا يحرم ما أكل منه الكلب ، ففي تحريم ما أكل منه الطير وجهان . وأنكر القاضي أبو الطيب هذا التفريع والترتيب ؛ لنص الشافعي - رحمه الله - علىٰ التسوية بينهما ، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم .

وأما المتردّية : فهي التي تقع من شاهق ، أو موضع عال ، فتموت بذلك ، فلا تحل .

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس (٦٥) : المتردّية التي تسقط من جبل . وقال قتادة (٦٦) : هي التي تتردّىٰ في بئر .

= ابن معين والنسائي ، وقال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٧/ الترجمة ١٣٦٧) سألت أبي عن محمد ابن دينار الطاحي فقال : لا بأس به ، وسئل أبو زرعة عن محمد بن دينار بن صندل فقال : صدوق . ولخص الحافظ حاله في « التقريب » فقال : صدوق سيئ الحفظ ورمي بالقدر . وبقية إسناده ثقات . وقال ابن جرير : « قيل : هذا خبر في إسناده نظر فإن « سعيدًا » غير معلوم له سماع من « سلمان » والثقات من أهل الآثار يقفون هذا الكلام على سلمان ، ويروونه عنه من قبله غير مرفوع إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - والحفاظ الثقات إذا تتابعوا على نقل شيء بصفة فخالفهم واحد منفرد ليس له حفظهم ، كانت الجماعة الأثبات أحق بصحة ما نقلوا من الفرد الذي ليس له حفظهم . اهـ .

وله طريق أخرى عن سعيد عند أبي نعيم في الحلية (٨/١٣٧ - ١٣٨) لكنها ضعيفة أيضًا . وقد رواه ابن جرير في تفسيره (١١١٨٧) ، (١١١٨٨) (١١١٨٩) ، (١١١٩٠) ، (١١١٩١) ، (١١١٩٣) ، (١١١٩٤) من طرق عن سلمان موقوفًا عليه وهو الصواب ، والله أعلم .

والحديث سينقله المصنف رحمه الله مرة أخرى بمتنه وإسناده ، انظر رقم (١٣٨) .

(٦٥) - أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٩/٤٩٨) (١١٠١٥) وقد تقدم الكلام على هذا الإسناد .

(٦٦) - أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٩/٤٩٨) (١١٠١٧) .

---

[١] - سقط من : ز . [٢] - في خ : « كالكلاب » .

[وقال السدي(٦٧) : هي التي تقع من جبل ، أو تتردّىٰ في بئر][١] .

وأما النطيحة : فهي[٢] التي ماتت بسبب نطح غيرها لها ، فهي حرام ، وإن جرحها القرن ، وخرج منها الدم ، ولو من مذبحها .

والنطيحة فعيلة بمعنىٰ مفعولة ، أي منطوحة ، وأكثر ما ترد هذه البنية في كلام العرب بدون تاء التأنيث ، فيقولون : [عين كحيل ، وكف[٣] خضيب][٤] ، ولا يقولون : كف خضيبة ، ولا عين كحيلة ، وأما هذه فقال بعض النحاة : إنما استعمل فيها تاء التأنيث لأنها أجريت مجرىٰ الأسماء ، كما في قولهم: طريقة طويلة ، وقال بعضهم : إنما أُتي بتاء التأنيث فيها ؛ لتدل علىٰ التأنيث من أوّل وهلة ، بخلاف ، عين كحيل ، وكف خضيب ؛ لأن التأنيث مستفاد من أوّل الكلام .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وما أكل السبع** ﴾ أي : ما عدا عليها أسد أو فهد أو نمر أو ذئب أو كلب ؛ فأكل بعضها فماتت بذلك ، فهي حرام ؛ وإن كان قد سال منها الدم[٥] ، ولو من مذبحها ، فلا تحل بالإجماع ، وقد كان أهل الجاهلية يأكلون ما أفضل السبع من الشاة ، أو البعير أو البقرة ونحو ذلك ، فحرّم اللَّه ذلك علىٰ المؤمنين .

وقوله : ﴿ **إلا ما ذكيتم** ﴾ عائد علىٰ ما يمكن عوده عليه مما انعقد سبب موته ، فأمكن تداركه بذكاة وفيه حياة مستقرّة ، وذلك إنما يعود علىٰ قوله : ﴿ **والمنخنقة والموقوذة والمتردّية والنطيحة وما أكل السبع** ﴾ .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **إلا ما ذكيتم** ﴾ يقول : إلا ما ذبحتم من هؤلاء ، وفيه روح ، فكلوه ، فهو ذكي . وكذا روي عن سعيد بن جبير والحسن البصري والسدي .

وقال ابن أبي حاتم(٦٨) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا حفص بن غياث ، حدثنا جعفر بن

(٦٧) - أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٩/٤٩٨) (١١٠١٨) .

(٦٨) - أبو سعيد الأشج هو عبد الله بن سعيد بن حصين إمام ثقة . والأثر أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٤/٤٩٩) (٨٦٣٤) عن الأسلمي عن جعفر بن محمد عن أبيه ، قال : وذكره ابن جريج عن جعفر =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ.

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في خ: « كيف ».

[٤] - في ز : « كف خضيب ، وعين كحيل » .

[٥] - في ز : « الدماء » .

محمد ، عن أبيه ، عن علي في الآية ، قال : إن مصعت بذنبها ، أو ركضت برجلها ، أو طرفت بعينها ؛ فكل .

وقال ابن جرير (٦٩) : حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثنا هشيم وعباد ، قالا : حدثنا حجاج ، عن حصين ، عن الشعبي ، عن الحارث ، عن علي قال : إذا أدركت ذكاة الموقوذة والمتردّية والنطيحة وهي تحرك يدًا أو رجلًا ؛ فكلها .

وهكذا روي عن طاوس والحسن وقتادة وعبيد بن عمير والضحاك وغير واحد - أن المذكّاة متىٰ تحرّكت بحركة تدل علىٰ بقاء الحياة فيها بعد الذبح ؛ فهي حلال ، وهذا مذهب جمهور الفقهاء . وبه قال أبو حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل .

قال ابن وهب (٧٠) : سئل مالك عن الشاة التي يخرق جوفها السبع ، حتىٰ تخرج أمعاؤها ، فقال مالك : لا أرىٰ أن تذكىٰ ، أي شيء يذكىٰ منها ؟ .

وقال أشهب (٧١) : سئل مالك عن الضبع يعدو علىٰ الكبش فيدق ظهره ، أترىٰ أن يذكىٰ قبل أن يموت فيؤكل ؟ فقال : إن كان قد بلغ السُّحْرة فلا أرىٰ أن يؤكل ، وإن كان أصاب أطرافه فلا أرىٰ بذلك بأسًا . قيل له : وثب عليه فدق ظهره ؟ فقال : لا يعجبني ، هذا لا يعيش منه . قيل له : فالذئب يعدو علىٰ الشاة فيشق بطنها ولا يشق الأمعاء ؟ فقال : إذا شق بطنها فلا أرىٰ أن تؤكل .

= ابن محمد عن أبيه أن عليًا قال : إذا ضربت بذنبها أو رجلها أو طرفت بعينها فهي ذكي . والأسلمي شيخ عبد الرزاق هو سعيد بن سفيان الأسلمي قال عنه الحافظ في التقريب : مقبول . ورواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٩/ ٥٠٣) (١١٠٣٨) قال : حدثنا أبو كريب قال : حدثنا مصعب بن سلام التميمي قال : حدثنا جعفر بن محمد به .

قلت : وهذا مرسل صحيح الإسناد فإن جعفر هو ابن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب ، قال الحافظ العلائي في جامع التحصيل (ص ٢٦٦) : أرسل عن جديه الحسن والحسين وجده الأعلى علي رضي الله عنهم . اهـ .

(٦٩) - أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٥٠٣/٩) (١١٠٣٦) وفي إسناده الحارث الأعور قال الحافظ في التقريب : كذبه الشعبي في رأيه ورمي بالرفض وفي حديثه ضعف ، وليس له عند النسائي سوى حديثين .

وللعلامة الألباني بحث في تضعيف الحارث ومدافعة للشيخ عبد العزيز الغماري في ذلك .

(٧٠) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (٥٠٥/٩) (١١٠٤٥) قال : حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب ... فذكره .

(٧١) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (٩/ ٥٠٥) (١١٠٤٦) حدثني يونس عن أشهب به .

هذا مذهب مالك - رحمه اللّٰه - ، وظاهر الآية عام[١] فيما استثناه مالك رحمه اللّٰه ؛ من الصور التي بلغ الحيوان فيها إِلىٰ حالة لا يعيش بعدها ، فيحتاج إِلىٰ دليل مخصص للآية ، واللّٰه أعلم .

وفي الصحيحين(٧٢) عن رافع بن خديج أنه قال : قلت يا رسول اللّٰه ، إِنا لاقو العدوّ غدًا ، وليس معنا مدى[٢] ، أفنذبح بالقصب ؟ فقال : « **ما أنهر الدم ، وذكر اسم اللّٰه عليه ؛ فكلوه ، ليس السن والظفر ، وسأحدثكم عن ذلك : أما السن فعظم ، وأما الظفر فمدى الحبشة** » .

[وفي الحديث الذي][٣] [رواه الدارقطني مرفوعًا وفيه نظر(٧٣) ، ورُوي عن عمر موقوفًا ،

(٧٢) - تقدم تخريجه رقم (٦٠) ، وانظر رقم (٦٢) .

(٧٣) - أخرجه الدارقطني (٢٨٣/٤) حدثنا محمد بن مخلد وآخرون قالوا : نا محمد بن سليمان بن الحارث الواسطي نا سعيد بن سلام العطار ، نا عبد الله بن بديل الخزاعي عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة ، وفيه سعيد بن سلام العطّار قال ابن حبان في المجروحين (٣١٧/١) : منكر الحديث ينفرد عن الأثبات بما لا أصل له . اهـ .

قال الذهبي في الميزان (٣٣١/٢) : كذبه ابن نمير ، وقال : البخاري : يذكر بوضع الحديث . وقال النسائي وغيره : بصري ضعيف . وقال أحمد بن حنبل : كذاب . اهـ .

وانظر ترجمته في لسان الميزان (٣٧/٣) . وبه أعل الشيخ الألباني الحديث في إرواء الغليل (١٧٦/٨) فقال : هذا إسناد هالك العطار هذا كذاب كما قال أحمد . وقال البخاري : يذكر بوضع الحديث . اهـ . ووهاه الحافظ في الفتح (٦٤١/٩) وانظر نصب الراية (٤٨٤/٢) ، (١٨٥/٤) ، وأما الأثر الموقوف على عمر : فأخرجه عبد الرزاق (٤٩٥/٤) (٨٦١٤) أخبرنا معمر عن يحيى بن أبي كثير عن رجل عن ابن الفرافصة الحنفي عن أبيه أنه قال لعمر : إنكم تذبحون ذبائح لا تحل تعجلون على الذبيحة . فقال عمر : نحن أحق أن نتقي ذلك أبا حيان ! الذكاة في الحلق واللبة لمن قدر وذر الأنفس حتى تزهق . وعلقه البيهقي في السنن (٢٧٨/٩) ثم قال : وقد روى وجه ضعيف مرفوعًا وليس بشيء . اهـ .

قلت : يريد حديث أبي هريرة المذكور والله أعلم .

وعزاه الحافظ في الفتح (٦٤١/٩) لسفيان الثوري في جامعه ، ورواه عبد الرزاق (٤٩٥/٤) (٨٦١٥) ، والبيهقي (٢٧٨/٩) من طريق أيوب السختياني عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال : الذكاة في الحلق واللبة .

وعلقه البخاري في صحيحه كتاب الذبائح والصيد باب : النحر والذبح (٦٤٠/٩) ، وقال الحافظ : وصله سعيد بن منصور والبيهقي من طريق أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال : الذكاة في الحلق واللبة ، وهذا إسناد صحيح . اهـ .

[١] - في ز : « عامة » .

[٢] - في ز : « مدًا » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

وهو أصح : « **ألا إن الذكاة في الحلق واللبة ولا تعجلوا الأنفس أن تزهق**[١] » .

وفى الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأهل السنن من رواية حماد بن سلمة ، عن أبي العشراء الدارمي ، عن أبيه ، قال : قلت : يا رسول الله ، أما تكون الذكاة إلا من اللبة والحلق ؟ فقال : « **لو طعنت في فخذها لأجزأ عنك** »(٧٤) .

وهو حديث صحيح(٧٥) ، ولكنه محمول على ما لا[٢] يقدر[٣] [على ذبحه][٤] في الحلق واللبة .

وقوله : ﴿ **وما ذبح على النصب** ﴾ . قال مجاهد(٧٦)

(٧٤) - أخرجه أحمد (٣٤/٤) ، وأبو داود في الأضاحي باب : ما جاء في ذبيحة المتردية ، الحديث (٢٨٢٥) ، والترمذي في الأطعمة ، باب : ما جاء في الذكاة في الحلق واللبة ، الحديث (١٤٨١) ، والنسائي (٢٢٨/٧) ، وابن ماجة في الذبائح ، باب : ذكاة النَّاد من البهائم ، الحديث (٣١٨٤) ، والدارمي (١٩٧٨) والبخاري في التاريخ (٢١/٢ - ٢٢) ، وابن الجارود (٩٠١) وأبو نعيم (٦/ ٢٥٧ ، ٣٤١) ، وأبو يعلى (٧٢/٣ - ٧٣) (١٥٠٣) والطبراني في الكبير (١٩٩/٧) رقم (٦٧١٩) ، (٦٧٢٠) ، (٦٧٢١) ، والبيهقي (٢٤٦/٩) من طرق عن حماد بن سلمة عن أبي العُشَراء به ، والحديث ضعفه أبو عبد الله البخاري في تاريخه فقال في ترجمة أبي العشراء : « في حديثه واسمه وسماعه من أبيه - نظر » . اهـ . وقال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة ولا نعرف لأبي العشراء عن أبيه غير هذا الحديث واختلفوا في اسم أبي العشراء فقال بعضهم : اسمه أسامة بن قهطم ، ويقال : اسمه يسار بن برز ، يقال : ابن بلز ، ويقال : اسمه عطارد نسب إلى جده » اهـ .

وقال الخطابي في « معالم السنن » (٤/ ٢٨٠) : « ضعفوا هذا الحديث ؛ لأن راويه مجهول ، وأبو العشراء الدارمي لا يدرى من أبوه ولم يروه عنه غير حماد بن سلمة » اهـ . وأبو العشراء ذكره ابن حبان في الثقات (٣/٣) وقاعدته توثيق المجاهيل معروفة . فقد قال الحافظ في التقريب : أعرابي مجهول . اهـ . وقال في فتح الباري (٦٤١/٩) في شرح أثر ابن عباس المتقدم في تخريج الحديث السابق الذي علقه البخاري في صحيحه : « وكأن المصنف [يعني البخاري] لمح بضعف الحديث الذي أخرجه أصحاب السنن من رواية حماد بن سلمة عن أبي العشراء الدارمي عن أبيه ... لكن من قواه حمله على الوحش والمتوحش » .اهـ .

والحديث ضعفه الألباني - حفظه الله - في الإرواء (٢٥٣٥) وقد رواه الطبراني في الأوسط (٤٨٦٧) من حديث أنس ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٧/٤) وقال : فيه بكر بن الشرود وهو ضعيف . اهـ .

(٧٥) - صحح المصنف هذا الإسناد هنا ، وأبو العشراء لم يوثقه غير ابن حبان ، وبه أعل الحديث غير واحد كما تقدم.

(٧٦) - أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٥٠٨/٩) (١١٠٥٠) ، (١١٠٥١) من طريق بن أبي نجيح عن مجاهد ، ورواه رقم (١١٠٤٩) من طريق ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ : حجارة كان يذبح عليها أهل الجاهلية ، والأثر ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٥٤/٢) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « بقدر » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وابن جريج(٧٧) : [كانت النصب حجارة حول الكعبة . قال ابن جريج][١] : وهي ثلاثمائة وستون نصبًا ، كانت[٢] العرب في جاهليتها يذبحون عندها ، وينضحون ما أقبل منها إلىٰ البيت بدماء تلك الذبائح ، ويشرحون اللحم ، ويضعونه علىٰ النصب .

وكذا ذكره غير واحد ، فنهىٰ الله المؤمنين عن هذا الصنيع ، وحرّم عليهم أكل هذه الذبائح التي فعلت عند النصب ، [حتىٰ ولو كان يذكر عليها اسم الله ؛ لما في الذبح عند النصب][٣] من الشرك[٤] الذي حرّمه الله ورسوله ، وينبغي أن يحمل هذا علىٰ هذا ؛ لأنه قد تقدم تحريم ما أهل به لغير الله .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وأن تستقسموا بالأزلام** ﴾ أي : حرّم عليكم أيها المؤمنون الاستقسام بالأزلام ، واحدها : زُلَم[٥] ، وقد تفتح الزاي فيقال : زَلَم ، وقد كانت العرب في جاهليتها يتعاطون ذلك ، وهي عبارة عن قداح ثلاثة ، علىٰ أحدها مكتوب : « **افعل** » ، وعلىٰ الآخر : « **لاتفعل** » ، والثالث : غفلٌ ليس عليه شيء . ومن الناس من قال : مكتوب علىٰ الواحد : « **أمرني ربي** » ، وعلىٰ الآخر : « **نهاني ربي** » ، والثالث : غفل[٦] ليس عليه شيء ، فإذا أجالها[٧] فطلع السهم الآمر فعله ، أو الناهي تركه ، وإن طلع الفارغ أعاد .

و[٨] الاستقسام مأخوذ من طلب القسم من هذه الأزلام ، هكذا قرّر ذلك أبو جعفر بن جرير .

وقال ابن أبي حاتم (٧٨) : حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدثنا الحجاج بن محمد ، أخبرنا ابن جريج وعثمان بن عطاء ، عن عطاء ، عن ابن عباس ﴿ **وأن تستقسموا بالأزلام** ﴾ قال : والأزلام : قداح كانوا يستقسمون بها في الأمور .

---

(٧٧) - أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٥٠٨/٩) ، (١١٠٤٨) .

(٧٨) - عثمان بن عطاء هو ابن عطاء بن أبي مسلم الخراساني ضعفه يحيى بن معين ، وعمرو بن علي الفلاس ، ومسلم والدارقطني ، وانظر ترجمته في تهذيب الكمال (١٩/ ترجمة ٣٨٤٦) ، ومتابعة ابن جريج له لا تفيد ؛ لأن ابن جريج مدلس وعطاء ذهب المزي في تهذيب الكمال (١٠٧/٢٠) إلى أن روايته عن الصحابة مرسلة .

وقال العلائي في جامع التحصيل (ص ٢٣٨) : قال أحمد بن حنبل رأى ابن عمر ولم يسمع من =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز : « كان » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٤] - في ز : « الشول » .

[٥] - في ز : « زُلُم » .

[٦] - في ز ، خ : « عطل » .

[٧] - في ز ، خ : « جاء أجلاها » .

[٨] - سقط من : ز .

وكذا روي عن مجاهد وإبراهيم النخعي والحسن البصري ومقاتل بن حيان .

وقال ابن عباس : هي قداح[١] كانوا يستقسمون بها في الأمور ، وذكر محمد بن إسحاق(٧٩) وغيره : أن أعظم أصنام قريش صنم كان يقال له : هبل ، [منصوب علىٰ بئر داخل الكعبة][٢] ، توضع الهدايا وأموال الكعبة فيه ، وكان عنده سبعة أزلام مكتوب فيها ما يتحاكمون فيه مما أشكل عليهم ، فما خرج لهم منها رجعوا إليه ولم يعدلوا عنه .

وثبت في الصحيح أن النبي ﷺ لما دخل الكعبة ، وجد إبراهيم وإسماعيل مصوّرين فيها ، وفي أيديهما الأزلام ، فقال : « **قاتلهم اللّٰه ، لقد علموا أنهما لم يستقسما بها أبدًا** »(٨٠) .

وفي الصحيح(٨١) أن سراقة بن مالك بن جُعْشم ، لما خرج في طلب النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وأبي بكر ، وهما ذاهبان إلىٰ المدينة مهاجرين ، قال : فاستقسمت بالأزلام ، هل أضرهم أم لا ؟ فخرج الذي أكره لا تضرهم[٣] ، قال : فعصيت الأزلام واتبعتهم ، ثم إنه استقسم بها ثانية

= ابن عباس شيئًا ... . وقال إسحاق بن منصور عن يحيى بن معين : لا أعلمه لقي أحدًا من أصحاب النبي – صلى اللّٰه عليه وسلم . والأثر رواه ابن جرير في تفسيره (٥١٥/٩) (١١٠٧٣) من طريق على بن طلحة عن ابن عباس .

(٧٩) – رواه ابن جرير في تفسيره (٥١٣/٩ – ٥١٤) (١١٠٧٢) بسنده إلى ابن إسحاق ، وانظر أيضًا السيرة النبوية لابن هشام (١٦٨/١) .

(٨٠) – أخرجه البخاري في الحج ، باب : من كبَّر في نواحي الكعبة ، الحديث (١٦٠١) ، وفي أحاديث الأنبياء ، باب : قول الله تعالى : ﴿ **واتخذ الله إبراهيم خليلًا** ﴾ الحديث (٣٣٥٢) وفي المغازي باب : أين ركز النبي – صلى اللّٰه عليه وسلم – الراية يوم الفتح الحديث (٤٢٨٨) ، وأبو داود في المناسك ، باب : في دخول الكعبة الحديث (٢٠٢٧) ، وأحمد (٣٣٤/١ ، ٣٦٥) من طريق عكرمة عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : إن رسول الله – صلى اللّٰه عليه وسلم – لما قدم أبَى أن يدخل البيت وفيه الآلهة ، فأمر بها فأُخرجت فأخرجوا صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما الأزلام فقال رسول الله – صلى اللّٰه عليه وسلم – : « قاتلهم الله ، أما والله قد علموا أنهما لم يستقسما بها قط » .

(٨١) – جزء من حديث سراقة بن جعشم الطويل في الهجرة وقد رواه البخاري في صحيحه كتاب مناقب الأنصار ، باب هجرة النبي– صلى اللّٰه عليه وسلم – وأصحابه إلى المدينة الحديث (٣٩٠٦) .

[١] – في ز : « القداح » .

[٢] – ما بين المعكوفتين في ز : « وكان داخل الكعبة منصوب على بئر فيها » ، خ : «مكان داخل الكعبة منصوب على بئر فيها» .

[٣] – في ز : « يضرهم » .

وثالثة ، كل ذلك يخرج الذي يكره : لا تضرهم ، وكان كذلك ، وكان سراقة لم يسلم إذ ذاك ، ثم أسلم بعد ذلك .

وروى ابن مردويه(٨٢) من طريق إبراهيم بن يزيد ، عن رقَبَة[١] ، عن عبد الملك بن عمير ،

(٨٢) - أخرجه الطبراني في « الكبير » كما في الروض البسام » (٣/ ٢٥٢ - ٢٥٣) من طريق يحيى بن داود نا إبراهيم بن يزيد به .

ورواه تمام في فوائده (١٠٣١- الروض) من هذه الطريق ولم يذكر فيه « عبد الملك بن عمير » بين رقبة ورجاء ، وذكر أم الدرداء بين رجاء وأبي الدرداء . ولم يذكر المزي في تهذيب الكمال رجاء بن حيوة في شيوخ رقبة ولا ذكر رقبة في الرواة عن رجاء ، وإبراهيم بن يزيد بن مراد نبه القرشي قال أبو حاتم في الجرح والتعديل (١٤٥/٢) : شيخ يكتب حديثه ولا يحتج به .

وقال البخاري في التاريخ الأوسط : لا يحتجون بحديثه . وذكره ابن حبان في الثقات وقال الأزدي : عنده مناكير . وانظر تهذيب التهذيب (٩٤/١) .

ورواية رجاء عن أبي الدرداء مرسلة كما قال العلائي في جامع التحصيل (ص ١٧٥) ؛ ولذلك قال الحافظ في فتح الباري (١٠ / ٢١٣) : رجاله ثقات إلا أنني أظن فيه انقطاعًا . اهـ . فلعله - رحمه الله - أراد الانقطاع بين رجاء وأبي الدرداء ، لكن رواية تمام فيها « عن رجاء عن أم الدرداء عن أبي الدرداء » وأم الدرداء هي أم الدرداء الصغرى زوج أبي الدرداء وهي فقيهة ثقة ترجمتها في التهذيب ، وفيه أن لرجاء رواية عنها .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢١/٥) : رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما ثقات » اهـ . وقد رواه الطبراني في الأوسط (٣٦٦٣) ، وأبو نعيم في الحلية (١٧٤/٥) والخطيب في تاريخه (٢٠١/٥) ، وابن عساكر في تاريخه (٦/ ٢٣١ - مخطوط) من طريق محمد بن الحسن بن أبي يزيد عن سفيان الثوري عن عبد الملك بن عمير عن رجاء عن أبي الدرداء مرفوعًا بلفظ : « إنما العلم بالتعلم ... » الحديث وفيه : « ثلاث من كن فيه لم يسكن الدرجات العلا - ولا أقول لكم الجنة - من تكهن أو استقسم أو رده من سفر تطير » .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٣/١) : فيه محمد بن الحسن بن أبي يزيد وهو كذَّاب . اهـ . ورواه البيهقي في شعب الإيمان (٦٤/٢) (١١٧٧) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٣١/٦ - مخطوط) من طريق أبي المحياة عن عبد الملك بن عمير عن رجاء عن أبي الدرداء عن النبي - صلى اللّه عليه وسلم - قال: « من تكهن أو تقسم أو تطير طيرة فرده عن سفره لم ينظر إلى الدرجات من الجنة يوم القيامة .

وقال البيهقي : وكذلك رواه رقبة بن مصقلة ، وعكرمة بن إبراهيم عن عبد الملك بن عمير . اهـ . وقد تقدم طريق رقبة بن مصقلة ، وأما طريق عكرمة فهو عند ابن عساكر في تاريخه .

وقد رواه هناد في الزهد (١٢٩٤) عن وكيع ، وابن عساكر عن عبيد الله بن عمرو الرقي كلاهما عن عبد الملك عن رجاء موقوفًا على أبي الدرداء . وللحديث شاهد من حديث عمران أخرجه البزار في =

[١] - في ز : « رقية » .

عن رجاء بن حيوة ، عن أبي الدرداء ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **لن يلج الدرجات من تكهن[١] أو استقسم أو رجع من سفر طائرًا** » .

وقال مجاهد(٨٣) في قوله : ﴿ **وأن تستقسموا بالأزلام** ﴾ قال : هي سهام العرب ، وكعاب فارس والروم ، كانوا يتقامرون بها[٢] .

وهذا الذي ذكر عن مجاهد في الأزلام أنها موضوعة للقمار - فيه نظر ، اللهم إلا أن يقال : إنهم كانوا يستعملونها في الاستخارة تارة ، وفي القمار أخرىٰ ، والله أعلم . فإن الله سبحانه قد فرق [بين هذه][٣] وبين القمار ، وهو الميسر فقال في آخر السورة : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون** ﴾ وهكذا قال هاهنا : ﴿ **وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق** ﴾ [أي : تعاطيه][٤] فسق[٥] وغي وضلال وجهالة وشرك . وقد أمر الله المؤمنين إذا ترددوا في أمورهم أن يستخيروه ، بأن يعبدوه ، ثم يسألوه الخيرة في الأمر الذي يريدونه ، كما رواه الإمام أحمد والبخاري وأهل السنن من طرق عن عبد الرحمن بن أبي الموالي ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله قال(٨٤) : كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة[٦] [في

= البحر الزخار (٩/٥٢) (٣٥٧٨) وهو في كشف الأستار رقم (٣٠٤٤) من طريق أبي حمزة العطار إسحاق بن الربيع عن عمران بن حصين - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ليس منا من تطير أو تُطير له أو تكهن أو تكهن له أو سحر أو سحر له ، ومن عقد عقدة - أو قال - : من عقد عقدة أو أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد - صلى الله عليه وسلم » .

قال البزار : لا نعلم طريقًا عن عمران بن حصين إلا هذا الطريق وأبو حمزة العطار بصري لا بأس به . وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٣/٦١٨) : رواه البزار بإسناد جيد . اهـ .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/١٢٠) : رجاله رجال الصحيح خلا إسحاق بن الربيع وهو ثقة » .

(٨٣) - أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٩/ ٥١٢) (١١٠٦٤) من طريق إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد به ، وإبراهيم بن مهاجر هو ابن مهاجر بن جابر البجلي صدوق لين الحفظ . والأثر ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/٤٥٤) وزاد نسبته لعبد بن حميد .

(٨٤) - أخرجه البخاري كتاب التهجد ، باب : ما جاء في المتطوع مثنى مثنى الحديث (١١٦٢) ، في الدعوات ، باب : الدعاء عند الاستخارة الحديث (٦٣٨٢) ، وفي التوحيد باب : قول الله تعالى :=

[١] - في ز : « تكبر » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ت : « بينها » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ.

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - في حاشية ز : « دعاء الاستخارة » .

الأمور][1] ، كما يعلمنا السورة من القرآن و[2] يقول : « **إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ، ثم ليقل : اللهم إني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ؛ فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم[3] إن كنت تعلم أن[4] هذا الأمر - ويسميه باسمه - خير[5] لي في ديني ودنياي[6] ، ومعاشي وعاقبة أمري - [أو قال : عاجل أمري وآجله][7] - فاقدره لي ، ويسره لي ، ثم[8] بارك لي فيه ، اللهم[9] وإن كنت تعلم[10] [أنه شر][11] لي في ديني ودنياي[12] ، ومعاشي وعاقبة أمري ؛ فاصرفني عنه ، واصرفه عني ، واقدر لي الخير حيث كان ، ثم رضني به** » . لفظ أحمد .

وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن أبي الموالي .

و[13] قوله : ﴿ **اليوم يئس الذين كفروا من دينكم** ﴾ قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس(٨٥) : يعني : يئسوا أن يراجعوا دينهم .

وكذا روي عن عطاء بن أبي رباح والسدي ومقاتل بن حيان . وعلى هذا المعنى يرد[14] الحديث الثابت في الصحيح(٨٦) أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **إن**

= ﴿ **قل هو القادر** ﴾ الحديث (٧٣٩٠) ، ورواه في الأدب المفرد (٧٠٣) ، وأبو داود في الصلاة ، باب : في الاستخارة الحديث (١٥٣٨) ، والترمذي في أبواب الصلاة ، باب : في صلاة الاستخارة الحديث (٤٨٠) ، والنسائي في النكاح ، باب : كيف الاستخارة (٦/٨٠) ، وابن ماجة في إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : ما جاء في صلاة الاستخارة الحديث (١٣٨٣) .

(٨٥) - أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٩/٥١٦) (١١٠٧٥) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٥٥) ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر ، وانظر فتح القدير (٢/١٤) .

(٨٦) - أخرجه مسلم في صحيحه في صفات المنافقين ، باب : تحريش الشيطان ، وبعثه سراياه لفتنة الناس=

[1] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[2] - سقط من : ز .

[3] - سقط من : ز .

[4] - سقط من : ز .

[5] - سقط من : ز .

[6] - سقط من: ز ، خ .

[7] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ .

[8] - في ز : « و » .

[9] - سقط من: ز ، خ .

[10] - في ز : « تعلمه » .

[11] - ما بين المعكوفتين في ز : « شرًّا » .

[12] - سقط من: ز ، خ .

[13] - سقط من : ز .

[14] - في ز : « يورد » .

الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ، ولكن بالتحريش بينه» .

ويحتمل أن يكون المراد أنهم يئسوا من مشابهة المسلمين ، لما[١] تميز به المسلمون من هذه الصفات المخالفة للشرك وأهله ، لهذا[٢] قال تعالىٰ آمرًا عباده المؤمنين أن يصبروا ويثبتوا في مخالفة الكفار ، ولا يخافوا أحدًا إلا الله فقال : ﴿ **فلا تخشوهم واخشوني** ﴾ أي : لا تخافوهم[٣] في مخالفتكم إياهم ، واخشوني ، أنصركم عليهم ، وأبيدهم ، وأظفركم بهم ، وأشف صدوركم منهم ، وأجعلكم فوقهم في الدنيا والآخرة .

وقوله : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا** ﴾ هذه أكبر نعم الله تعالىٰ علىٰ هذه الأمة ، حيث أكمل تعالىٰ لهم دينهم ، فلا يحتاجون إلىٰ دين غيره ، ولا إلىٰ نبي غير نبيهم ، صلوات الله وسلامه عليه ، ولهذا جعله الله تعالىٰ خاتم الأنبياء ، وبعثه إلىٰ الإنس والجن ، فلا حلال إلا ما أحله ، ولا حرام إلا ما حرمه ، ولا دين إلا ما شرعه ، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وتمت كلمة[٤] ربك صدقًا وعدلًا** ﴾ أي : صدقًا في الأخبار ، وعدلًا في الأوامر والنواهي ، فلما أكمل [لهم الدين][٥] تمت [عليهم النعمة] ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا** ﴾ أي : فارضوه أنتم لأنفسكم ؛ فإنه الدين الذي [أحبه الله ورضيه] ، وبعث به أفضل الرسل[٦] الكرام ، وأنزل به أشرف كتبه .

و[٧] قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس(٨٧) : قوله : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** ﴾

= وأن مع كل إنسان قرينًا ، الحديث (٢٨١٢) ، والترمذي في كتاب البر والصلة باب : ما جاء في التباغض الحديث (١٩٣٧) ، وأحمد (٣/٣١٣) من طريق أبي سفيان - طلحة بن نافع - عن جابر رضي الله عنه.

ورواه أحمد (٣/٣٥٤) من طريق ماعز التميمي عن جابر .

(٨٧) - أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٩/٥١٨) (١١٠٨٠) من طريق على بن أبي طلحة عن ابن عباس ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢ / ٤٥٦) ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر ، وانظر فتح القدير (٢/ ١٥) .

---

[١] - في ز : « بما » .

[٢] - في ز : « ولهذا » .

[٣] - في ز ، خ : « لا تخافوا منهم » .

[٤] - في ز : « كلمات » .

[٥] - في ز : « الدين لهم » .

[٦] - في ز : « رسله » .

[٧] - سقط من : ز .

وهو الإِسلام أخبر اللَّه نبيه ﷺ والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الإِيمان ، فلا يحتاجون إِلىٰ زيادة أبدًا ، وقد أتمه اللَّه فلا ينقصه أبدًا ، وقد رضيه اللَّه فلا يسخطه أبدًا .

وقال أسباط عن السدي (٨٨) : نزلت هذه الآية يوم عرفة ، فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام ، ورجع رسول اللَّه ﷺ فمات . قالت أسماء بنت عميس : حججت مع رسول اللَّه ﷺ تلك الحجة ، فبينما نحن نسير إِذ تجلىٰ له جبريل ، فمال رسول اللَّه ﷺ علىٰ الراحلة ؛ فلم تطق الراحلة من ثقل ما عليها من القرآن ، فبركت ، فأتيته فسجيت عليه بردًا كان علي .

و[١] قال ابن جريج[٢] وغير واحد : مات رسول اللَّه ﷺ بعد يوم عرفة بأحد وثمانين يومًا ، رواهما ابن جرير(٨٩) .

ثم قال : حدثنا سفيان بن وكيع ، حدثنا ابن فضيل ، عن هارون بن عنترة ، عن أبيه قال : لما نزلت : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** ﴾ وذلك يوم الحج الأكبر ، بكىٰ عمر ، فقال له النبي ﷺ : « **ما يبكيك** » ؟ قال : أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا ، فأما [إِذا كمل][٣] ؛ فإِنه لم يكمل شيء إِلا نقص . فقال : « **صدقت** »(٩٠) .

ويشهد لهذا المعنىٰ الحديث الثابت : « **إِن الإِسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا فطوبىٰ**

(٨٨) - أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٩/٥١٨) (١١٠٨١) وقد تقدم الكلام على هذا الإِسناد في رقم (٣٠) والسدي هو إِسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة ، روى له مسلم ، وأصحاب السنن الأربعة ، وهو صدوق يهم كما قال الحافظ في التقريب : .
وروايته عن أسماء بنت عميس مرسلة ؛ فإِن المزي ذكر في تهذيب الكمال (٣/١٣٢) ترجمة (٤٦٢) روايته عن أنس فقط من الصحابة ، وقال : « ورأى الحسن بن على بن أبي طالب ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وأبا سعيد ، وأبا هريرة » اهـ .
والأثر ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/٤٥٨) وعزاه إِلى ابن المنذر فقط .

(٨٩) - قوله : « رواهما ابن جرير » أي : أثر السدي السابق وأثر ابن جريج أخرجه ابن جرير في تفسيره (٩/٥١٨) (١١٠٨٢) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/٤٥٨) .

(٩٠) - أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٩/٥١٩) (١١٠٨٣) ، ومحمد بن فضيل صدوق تقدمت ترجمته ، وهارون بن عنترة هو ابن عنترة بن عبد الرحمن الشيباني ، وثقه ابن معين وقال أبو زرعة : لا بأس به ، وذكره ابن حبان في الثقات ، انظر تهذيب الكمال (٣٠ /ترجمة ٦٥٢١) .
وأبوه عنترة بن عبد الرحمن قال الحافظ في التقريب : ثقة من الثانية وهم من زعم أن له صحبة . اهـ .=

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في خ : « جرير » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « إِذ كمل » .

للغرباء »(٩١) .

وقال الإمام أحمد(٩٢) : حدثنا جعفر بن عون ، حدثنا أبو العميس ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب ، قال : جاء رجل من اليهود إلىٰ عمر بن الخطاب ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنكم تقرءون آية في كتابكم لو علينا معشر[١] اليهود نزلت ؛ لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا . قال : وأي آية ؟ قال : قوله : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي** ﴾ فقال عمر : واللّٰه إني لأعلم اليوم الذي نزلت علىٰ رسول اللّٰه ﷺ ، والساعة التي نزلت[٢] فيها علىٰ رسول اللّٰه ﷺ ، نزلت[٣] عشية عرفة في يوم جمعة .

ورواه البخاري عن الحسن بن الصباح ، عن جعفر بن عون به . ورواه أيضًا مسلم[٤] والترمذي والنسائي[٥] من طرق عن قيس بن مسلم به .

= قلت : ذكره الطبراني في المعجم الكبير (١٨ / ٨٧) ، وابن الأثير في أسد الغابة (٣٠٥/٤) وقال ابن حجر - رحمه الله - في الإصابة (١٧٤/٧ - ترجمة ٦٠٧٤) : « كلام الدارقطني يقتضي أن عنترة تابعي ، فإن البرقاني قال : سألت عن عبد الملك بن هارون بن عنترة فقال : يكذب ، وأبوه يحتج به ، وجدُّه يعتبربه ، وكذا ذكره مسلم ، وابن حبان ، وغيرهما في التابعين وأخرج له النسائي حديثًا من روايته عن ابن عباس ، فالله أعلم .

قلت : فالحديث مرسل حسن الإسناد لأجل محمد بن فضيل ، ويشهد لمعناه الحديث التالي كما قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله .

(٩١) - أخرجه مسلم فى الإيمان ، باب : بيان أن الإسلام بدأ غريبًا ، الحديث (١٤٦) من حديث عبد الله ابن عمر . ورواه مسلم (١٤٥) ، وابن ماجه (٣٩٨٦) من حديث أبى هريرة بلفظ « بدأ الإسلام غريبًا ، وسيعود كما بدأ غريبًا فطوبى للغرباء » وانظر تخريج الحديث فى « السلسلة الصحيحة » للعلامة محمد ناصر الدين الألبانى رقم (١٢٧٣) .

(٩٢) - أخرجه أحمد فى المسند (٢٨/١) (١٨٨) وبهذا الإسناد أخرجه عبد بن حميد (٣٠) قال : أخبرنا ابن عون ... فذكره . وأخرجه البخارى فى المغازى ، باب حجة الوداع ، الحديث (٤٤٠٧) ، وفى التفسير ، باب قوله : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** ﴾ ، الحديث (٤٦٠٦) ، وفى الاعتصام بالكتاب والسنة ، الحديث (٧٢٦٨) . ومسلم فى التفسير ، الحديث (٣٠١٧) من طرق عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب . ورواه البخارى فى الإيمان ، باب زيادة الإيمان ونقصانه ، الحديث (٤٥) عن طارق بن شهاب عن عمر - رضى الله عنه - فجعله من مسند عمر .

---

[١] - في ت : «يا معشر » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - في ز : « ومسلم » .

[٥] - في ز : «والنسائي أيضًا » .

ولفظ البخاري عند تفسير هذه الآية (٩٣) ، من طريق سفيان الثوري ، عن قيس ، عن طارق قال : قالت اليهود لعمر : إنكم تقرءون آية ، لو نزلت فينا لاتخذناها عيدًا . فقال عمر : إني لأعلم حين أنزلت ، وأين أنزلت[١] ، وأين رسول الله ﷺ حيث أنزلت يوم عرفة ، وإنا والله بعرفة . قال سفيان : وأشك - كان يوم الجمعة أم لا . ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** ﴾ الآية .

وشك سفيان - رحمه الله - ، إن كان في الرواية فهو تورّع ، حيث شك هل أخبره شيخه بذلك أم لا ؟ وإن كان شكًا في كون الوقوف في حجة الوداع كان يوم جمعة ؛ فهذا ما إخاله يصدر عن الثوري - رحمه الله - ، فإن هذا أمر معلوم مقطوع به ، لم يختلف فيه أحد من أصحاب المغازي والسير ، ولا من الفقهاء ، وقد وردت في ذلك أحاديث متواترة ، لا يشك في صحتها ، والله أعلم . وقد روي هذا الحديث[٢] من غير وجه عن عمر (٩٤) .

وقال ابن جرير (٩٥) : حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن علية ، أخبرنا رجاء بن أبي سلمة ، أخبرنا عبادة بن نسي ، أخبرنا أميرنا إسحاق - قال أبو جعفر بن جرير : هو إسحاق ابن خَرَشَة[٣] - عن قبيصة - يعني : ابن ذؤيب[٤] - قال : قال كعب : لو أن غير هذه

(٩٣) - رواه البخارى فى التفسير ، باب قوله : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** ﴾ الحديث (٤٦٠٦) ، وانظر الحديث السابق .

(٩٤) - تابع سفيانَ على هذا الحديث جمعٌ من الحفاظ منهم إدريس بن يزيد والد عبد الله بن إدريس ، وأبو العميس عتبة بن عبد الله بن عتبة ، وهما ثقتان روايتهما فى الصحيحين وغيرهما .

(٩٥) - أخرجه ابن جرير الطبرى (٥٢٦/٩) (١١١٠٠) ، ورجاء بن أبى سلمة : اسمه مهران ، قال ابن حجر فى « التقريب » : ثقة فاضل . وعبادة بن نسى أيضًا ثقة فاضل ، حديثه عند أصحاب السنن الأربعة . وإسحاق شيخ عبادة رجح الإمام أبو جعفر الطبرى أنه إسحاق بن خرشة ، وتعقبه الشيخ محمود محمد شاكر - رحمه الله - وبين أنه إسحاق بن قبيصة بن ذؤيب (انظر التعليق على تفسير الطبرى) وإسحاق بن قبيصة هذا صدوق له ترجمة فى التهذيب . والحديث إسناده حسن . وقد رواه الطبرانى فى الأوسط (٨٣٠) من طريق زيد بن الحباب قال : أخبرنى رجاء بن أبى سلمة أبو المقدام ... فذكره ، وقال فى إسناده : « إسحاق بن قبيصة بن ذؤيب عن كعب الأحبار » وإسحاق بن قبيصة يروى عن أبيه وعن كعب الأحبار ؛ فالرواية متصلة فى كلتا الحالتين ؛ لاحتمال أن يكون سمعه منهما جميعًا فحدث به مرة عن هذا ومرة عن هذا ، والله أعلم . والحديث ذكره الحافظ ابن حجر فى فتح البارى (١٠٥/١) وعزاه إلى مسدد فى مسنده ، والطبرى فى تفسيره ، والطبرانى فى الأوسط ، كلهم من طريق رجاء =

[١] - في ز : « نزلت » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في ز : « حوشة » .

[٤] - في ز : « أبي ذئب » .

الأمّة نزلت عليهم هذه الآية ، لنظروا اليوم الذي أنزلت فيه عليهم ، فاتخذوه عيدًا يجتمعون فيه . فقال عمر : أي آية يا كعب ؟ فقال : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** ﴾ فقال عمر : قد علمت اليوم الذي أنزلت ، والمكان الذي أنزلت[١] فيه ، نزلت في يوم الجمعة[٢] ، ويوم عرفة ، وكلاهما بحمد الله لنا عيد .

وقال ابن جرير(٩٦) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا قبيصة ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن عمار - هو مولىٰ بني هاشم - أن ابن عباس قرأ : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا** ﴾ فقال يهودي : لو نزلت هذه الآية علينا لاتخذنا يومها عيدًا . فقال ابن عباس : فإنها نزلت في يوم عيدين اثنين : يوم عيد ويوم جمعة .

وقال ابن مردويه(٩٧) : حدثنا أحمد بن كامل ، حدثنا موسىٰ بن هارون ، حدثنا يحيىٰ [بن

= ابن أبى سلمة عن عبادة بن نسى عن إسحاق بن خرشة - كذا فى الفتح : - عن قبيصة عن كعب . والله أعلم بالصواب .

(٩٦) - أخرجه الطبرى فى تفسيره (٩/٥٢٥ - ٥٢٦) (١١٠٩٨) وقبيصة هو ابن عقبة بن محمد السوائى ، روى له الجماعة ، وثقه أحمد ، وابن معين ، وابن سعد ، والعجلى ، تكلم بعضهم فى روايته عن سفيان ، وانظر تهذيب الكمال (٢٣/ترجمة ٤٨٤٣) . وعمار هو ابن أبى عمار مولى بنى هاشم ، ثقة روى له مسلم وأصحاب السنن ، وثقه أحمد ، و أبو زرعة ، وأبو حاتم ، وأبو داود ، وقال النسائى : ليس به بأس . انظر تهذيب الكمال (٢١/ ترجمة ٤١٦٧) ، وذكره ابن حبان فى الثقات (٥/٢٦٧) وقال : كان يخطئ وقال الحافظ فى « التقريب » : صدوق ربما أخطأ .

قلت : لم يترجم له ابن عدى فى « كامله » ، ولا ذكره الذهبى فى « الميزان » وقول البخارى - رحمه الله - فى « الأوسط » : « وكان شعبة يتكلم فيه » جرح غير مفسر . قال أبو داود : قلت لأحمد : روى شعبة عنه حديث الحيض ؟ قال : لم يسمع غيره . قلت : تركه عمدًا ؟ قال : لا ، لم يسمع . والأثر : أخرجه الطيالسى رقم (٢٧٠٩) والترمذى فى تفسير القرآن ، باب : ومن سورة المائدة ، الحديث (٣٠٤٤) وابن جرير فى تفسيره (٩/ ٥٢٥، ٥٢٦) (١١٠٩٧: ١١٠٩٩) ، والطبرانى في الكبير (١٢/ ١٨٤) (١٢٨٣٥) ، والواحدى فى « أسباب النزول » رقم (٣٨٢) من طريق حماد بن سلمة به ، وذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٢/٤٥٧) - وزاد نسبته إلى عبد بن حميد ، والبيهقى فى « الدلائل » - قال الترمذى : هذا حديث حسن غريب من حديث ابن عباس وهو صحيح . اهـ .

(٩٧) - يحيى بن الحمانى هو ابن عبد الحميد الحمانى ، قال الحافظ فى « التقريب » : حافظ إلَّا أنهم اتهموه بسرقة الحديث . وقيس بن الربيع هو الأسدى صدوق تغير لما كبر ، وأدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به . وإسماعيل بن سلمان هو ابن أبى المغيرة الأزرق ، ضعفه أبو حاتم الرازى وغيره ، وقال النسائى : متروك . انظر تهذيب الكمال (٣/ترجمة ٤٥٠) وأبو عمر البزار هو دينار بن عمر ، =

[١] - في ز : « نزلت » .
[٢] - في ز : « جمعة » .

الحماني][١] ، حدثنا قيس بن الربيع ، عن إسماعيل بن سلمان[٢] ، عن أبي عمر البزار ، عن ابن[٣] الحنفية ، عن علي قال : نزلت هذه الآية علىٰ رسول الله ﷺ - وهو قائم عشية عرفة : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ .

وقال ابن جرير (٩٨) : حدثنا أبو عامر إسماعيل بن عمرو السكوني ، حدثنا هشام[٤] بن عمار ، حدثنا ابن عياش ، حدثنا عمرو بن قيس السكوني ، أنه سمع معاوية بن أبي سفيان علىٰ المنبر ينتزع[٥] بهذه الآية : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ حتىٰ ختمها ، فقال : نزلت في يوم عرفة ، في يوم جمعة .

ورویٰ ابن مردويه(٩٩) ، من طريق محمد بن إسحاق ، عن عمر[٦] بن موسىٰ بن وجيه ، عن

= وثقه وكيع ، وقال أبو حاتم فى « الجرح والتعديل » (٣/الترجمة ١٩٥٧) : ليس بالمشهور . وقال البخارى فى « التاريخ » (٨٤٦/٣ - الترجمة ٨٤٨) : يقال كان مختاريًّا من شرطة المختار . ولخص حاله الحافظ فى « التقريب » فقال : صالح الحديث رمى بالرفض . فالإسناد ضعيف ؛ لضعف إسماعيل بن سلمان ويحيى الحمانى . والأثر ذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٤٥٧/٢) وعزاه إلى ابن جرير الطبرى وابن مردويه ، ولم أقف عليه فى تفسير ابن جرير . والله أعلم .

(٩٨) - أخرجه ابن جرير الطبرى فى « تفسيره » (٥٢٩/٩) (١١١٠٨) ، وأبو عامر السكونى ترجم له ابن أبى حاتم فى « الجرح والتعديل » (١٩٠/٢ - الترجمة ٦٤٢) فقال : إمام مسجد حمص ، روى عن على ابن عياش والربيع بن روح ويحيى بن صالح الوحاظى ، سمعت منه وهو صدوق . اهـ . و هشام بن عمار روى له البخارى والأربعة ، قال الحافظ فى « التقريب » : « صدوق مقرئ كبر فصار يتلقن ؛ فحديثه القديم أصح » اهـ .

وإسماعيل : هو ابن عياش ، ثقة فى روايته عن الشاميين ، وهذه منها ؛ فإن عمرو بن قيس هو ابن ثور السكونى أبو ثور الشامى الحمصى ، قال الحافظ فى « التقريب » : « ثقة » . والأثر إسناده حسن . رواه أيضًا الطبرانى فى « الكبير » (٣٩٢/١٩) (٩٢١) من طرق عن هشام بن عمار ، به . وزاد فيه : « ثم تلا هذه الآية : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحًا ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا ﴾ وقال : إنها آخر آية نزلت » .

وذكره الهيثمى فى « مجمع الزوائد » (١٧/٧) وقال : « رجاله ثقات » اهـ . وانظر « الدر المنثور » (٢/ ٤٥٧) .

(٩٩) - فى إسناده محمد بن إسحاق وهو مدلس وقد عنعنه ، وعمر بن موسى بن وجيه : قال ابن حبان =

[١] - في ز ، خ : « الجماني » .
[٢] - في ز : « سليمان » .
[٣] - في خ : « أبي » .
[٤] - في ز ، خ : « هشيم » .
[٥] - في ز : « ينوع » .
[٦] - في خ : « عمرو » .

قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة قال : نزلت هذه الآية : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا** ﴾ يوم عرفة ورسول الله ﷺ واقف على الموقف .

فأما ما رواه ابن جرير وابن مردويه والطبراني من طريق ابن لهيعة ، عن خالد بن أبي عمران ، عن حنش بن عبد الله الصنعاني ، عن ابن عباس(١٠٠) قال : ولد نبيكم صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين ، وخرج من مكة يوم الإثنين ، ودخل المدينة يوم الإثنين ، [وفتح بدرًا يوم الإثنين ، وأنزلت سورة المائدة يوم الاثنين ، ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** ﴾ ، ورفع الذكر يوم الإثنين][١] . فإنه أثر غريب ، وإسناده ضعيف .

وقد رواه الإمام أحمد(١٠١) حدثنا موسى بن داود ، حدثنا ابن لهيعة ، عن خالد بن أبي عمران ، عن حنش الصنعاني ، عن ابن عباس قال : ولد النبي ﷺ يوم الإثنين ، واستنبئ

= في « المجروحين » (٨٦/٢) : كان ممن يروى المناكير عن المشاهير ، فلما كثر في روايته عن الثقات ما لا يشبه حديث الأثبات ، حتى خرج عن حد العدالة إلى الجرح ؛ فاستحق الترك » .

وقال ابن عدى فى « الكامل » (١٦٧٣/٥) : هو بين الأمر فى الضعفاء وهو في عداد من يضع الحديث متنًا وإسنادًا . وقتادة والحسن معروفان بالتدليس ، وأيضًا رواية الحسن عن سمرة مرسلة . والحديث أخرجه الطبرانى فى « الكبير » (٢٦٦/٧) (٦٩١٦) والبزار (٤٨/٣) (٢٢٠٧) من طريق محمد بن إسحاق به ، وقال الهيثمى فى « مجمع الزوائد » (١٧/٧) : رواه الطبرانى والبزار ، وفيه عمر بن موسى ابن وجيه ، وهو ضعيف .

(١٠٠) - أخرجه ابن جرير الطبرى فى « تفسيره » (٥٣٠/٩) (١١١٠٩) والطبرانى فى « الكبير » (١٢/ ٢٣٧) (١٢٩٨٤) ، وخالد بن أبي عمران هو التجيبى ثقة ، وحنش بن عبد الله تابعى ثقة أيضًا . لكن فى إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف . والحديث رواه أحمد فى « المسند » (٢٧٧/١) (٢٥٠٦) وليس فيه : « وأنزلت سورة المائدة ...» وذكره الهيثمى فى « مجمع الزوائد » (٢٠١/١) وقال : « رواه أحمد والطبرانى فى « الكبير » وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف ، وبقية رجاله ثقات من أهل الصحيح » . وانظر أيضًا « المجمع » (٢٢٣/٨) .

(تنبيه) : وقع عند ابن كثير - رحمه الله - هنا فى التفسير : « ورفع الذكر » وكذا هو عند ابن جرير الطبرى ، وشرحه الشيخ محمود شاكر فقال : يعنى وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بأبى هو وأمى - وانقطاع الوحى من بعد قبضه ولحاقه بالرفيق الأعلى . اهـ . والذى عند الطبرانى فى « الكبير » : « ورَفَعَ الركن » وهو الصواب عندى ؛ ويؤيده ما وقع فى رواية « المسند » : « ورَفَعَ الحجرَ الأسود يوم الاثنين » وأيضًا قد وقع فيه عند الطبرانى : « وتوفى يوم الاثنين » بعد ذكر : « رفع الركن » وهو ما فسر به الشيخ محمود شاكر رحمه الله « رفع الذكر » ، والله أعلم .

(١٠١) - أخرجه أحمد (٢٧٧/١) (٢٥٠٦) وانظر السابق .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ.

يوم الإثنين ، وخرج مهاجرًا من مكة إلىٰ المدينة يوم الإثنين ، وقدم المدينة يوم الإثنين ، وتوفي يوم الإثنين ، ووضع[١] الحجر الأسود يوم الإثنين .

هذا لفظ أحمد ، ولم يذكر نزول المائدة يوم الإثنين ، فاللَّه أعلم . ولعل ابن عباس أراد أنها نزلت يوم عيدين اثنين ، كما تقدم فاشتبه علىٰ الراوي ، واللَّه أعلم .

و[٢] قال ابن جرير (١٠٢) : وقد قيل ليس ذلك بيوم معلوم عند الناس ، ثم روىٰ من طريق العوفي ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** ﴾ يقول : ليس ذلك بيوم معلوم عند الناس ، قال : وقد قيل : إنها نزلت علىٰ رسول اللَّه ﷺ في مسيره إلىٰ حجة الوداع . ثم رواه من طريق أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس(١٠٣) .

قلت : وقد روىٰ ابن مردويه (١٠٤) ، من طريق أبي هارون العبدي ، عن أبي سعيد الخدري ، أنها نزلت علىٰ رسول اللَّه ﷺ يوم غدير خم حين قال لعلي : « **من كنت مولاه ، فعليّ مولاه** » .

ثم رواه عن أبي هريرة(١٠٥) ، وفيه : أنه اليوم الثامن عشر من ذي الحجة ، يعني : مرجعه

(١٠٢) - انظر تفسير الطبرى (٥٣١/٩) وأثر ابن عباس عنده رقم (١١١١٣) .

(١٠٣) - رواه الطبرى فى « تفسيره » (١١١١٢) .

(١٠٤) - ذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٤٥٧/٢) وعزاه إلى ابن مردويه وابن عساكر ، وضعف إسناده . قلت : أبو هارون العبدى هو عمارة بن جوين ؛ قال الحافظ فى « التقريب » : متروك . وقد تابعه عطية العوفى عند الطبرانى فى « الأوسط » (٨٤٣٤) ، وهو فى « مجمع البحرين » رقم (٣٧٣٧) ، وعطية صدوق لكنه كثير الخطأ ، وكان شيعيًا مدلسًا ، وحديث : « من كنت مولاه فعلى مولاه » حديث صحيح ورد عن جمع من الصحابة ، وانظر تخريجه فى « الصحيحة » للعلامة الشيخ ناصر الدين الألبانى (١٧٥٠) .

(١٠٥) - أخرجه الخطيب فى « تاريخه » (٢٩٠/٨) ، وذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٤٥٧/٢ - ٤٥٨) وعزاه لابن مردويه ، والخطيب ، وابن عساكر ، وضعف إسناده . وأخرجه ابن أبى شيبة (٤٩٩/٧) وأبو يعلى فى « مسنده » (٣٠٧/١١) (٦٤٢٣) ، والبزار فى « مسنده » (١٨٧/٣ - ١٨٨) رقم (٢٥٣١ ، ٢٥٣٢) من طريق أبى يزيد الأودى عن أبيه عن أبى هريرة مختصرًا ، وليس فيه نزول آية المائدة . وقد رواه الطبرانى فى « الأوسط » (٦٨/٢ - ٦٩) (١١١٥) من طريق إدريس بن يزيد الأودى عن أبيه عن أبى هريرة مختصرًا أيضًا . وقال الهيثمى فى « مجمع الزوائد » (١٠٩/٩) : رواه أبو يعلى . والبزار بنحوه ، والطبرانى فى « الأوسط » وفى أحد إسنادى البزار رجل غير مسمى وبقية رجاله =

[١] - في ز : « وقع » . [٢] - سقط من : ز .

عليه السلام من حجة الوداع .

ولا يصح [ ][١] هذا ولا هذا ، بل الصواب الذي لا شك فيه ولا مرية ، أنها أنزلت يوم عرفة ، وكان يوم جمعة ، كما روىٰ ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب ، وأول ملوك الإسلام معاوية بن أبي سفيان ، وترجمان القرآن عبد الله بن عباس ، وسمرة بن جندب - رضي الله عنهم - وأرسله الشعبي وقتادة بن دعامة وشهر بن حوشب وغير واحد من الأئمة والعلماء(١٠٦) . واختاره ابن جرير الطبري رحمه الله(١٠٧) .

وقوله : ﴿ **فمن اضطرّ في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم** ﴾ أي : فمن احتاج إلىٰ تناول شيء من هذه المحرّمات التي ذكرها الله تعالىٰ لضرورة ألجأته إلىٰ ذلك ؛ فله [تناول ذلك][٢] ، والله غفور رحيم له ، لأنه تعالىٰ يعلم حاجة عبده المضطرّ ، وافتقاره إلىٰ ذلك ، فيتجاوز عنه ويغفر له ، وفي المسند وصحيح ابن حبان(١٠٨) عن ابن عمر مرفوعًا[٣] قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله يحب أن تؤتىٰ رخصته ، كما يكره أن تؤتىٰ**

= في الآخر . وفى إسناد أبى يعلى داود بن يزيد وهو ضعيف اهـ .
وانظر الذى قبله .

(١٠٦) - تقدم ذلك عن عمر برقم (٩٥ - ٩٨) ، وعن على بن أبى طالب برقم (١٠٠) ، وعن معاوية برقم (١٠١) ، وعن ابن عباس برقم (٩٩) وعن سمرة برقم (١٠٢) . وأمّا مرسل الشعبى فأخرجه ابن جرير الطبرى (٥٢٢/٩) (١١٠٩٠ - ١١٠٩٢) وذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٤٥٦/٢) وزاد نسبته إلى ابن المنذر . ومرسل قتادة أخرجه عبد الرزاق (١٨٣/١ - ١٨٤) وابن جرير الطبرى (٥٢٢/٩) (١١٠٨٩) ، وذكره أيضًا السيوطى فى « الدر المنثور » (٤٥٦/٢) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد . ومرسل شهر بن حوشب أخرجه ابن جرير الطبرى (٥٢٨/٩) (١١١٠٦) من طريق ليث عن شهر به ، وليث هو ابن أبى سليم وهو ضعيف .

(١٠٧) - قال ابن جرير - رحمه الله - في « تفسيره » (٥٣١/٩) : وأولى الأقوال فى وقت نزول الآية القول الذي روى عن عمر بن الخطاب : أنها نزلت يوم عرفة يوم الجمعة ؛ لصحة سنده ، ووهى أسانيد غيره اهـ .

(١٠٨) - أخرجه ابن حبان (٤٥١/٦) (٢٧٤٢) ، (٣٣٣/٨) (٣٥٦٨) ، من طريق قتيبة بن سعيد حدثنا الدراوردى عن عمارة بن غزية عن حرب بن قيس عن نافع عن ابن عمر ، ورواه أحمد فى مسنده (١٩٨/٢) (٥٨٧٣) حدثنا قتيبة فذكره ، ولم يذكر فى إسناده حرب بن قيس . ورواه القضاعى فى مسند « الشهاب » (١٠٧٨) من طريق سعيد بن منصور حدثنا عبد العزيز بن محمد فذكره ، ورواه البزار =

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « لا » . [٢] - ما بين المعكوفتين في ت : « تناوله » .
[٣] - سقط من : ز .

معصيته ». لفظ ابن حبان

وفي لفظ لأحمد [(١٠٩)] : **« من لم يقبل رخصة اللَّه كان عليه من الإثم مثل جبال عرفة »**.

ولهذا قال الفقهاء : قد يكون تناول الميتة واجبًا في بعض الأحيان ، وهو ما إذا خاف علىٰ مهجته التلف ، ولم يجد غيرها ، وقد يكون مندوبًا ، وقد يكون مباحًا ، بحسب الأحوال ، واختلفوا هل يتناول منها قدر ما يسد به الرمق ؛ أو له أن يشبع ، أو يشبع ويتزوّد ؟ علىٰ

= في مسنده (٤٦٩/١) رقم (٩٨٨ - كشف الأستار) عن أحمد بن أبان عن عبد العزيز بن محمد فذكره ، ورواه الخطيب في تاريخه (٣٤٧/١٠) من طريق علي بن المديني قال : حدثنا أبي وعبد العزيز عن عمارة ابن غزية فذكره ، ورواه أحمد (١٠٨/٢) (٥٨٦٦) والبيهقي في « شعب الإيمان » (٤٠٣/٣) (٣٨٨٩) من طريق علي بن المديني نا عبد العزيز . . . فذكره عن عبد العزيز وحده ، ورواه الطبراني في « الأوسط » (٥٣٠٢) والبيهقي في « الكبرى » (١٤٠/٣) من طريق إبراهيم بن حمزة الزبيري قال : نا عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن موسى بن عقبة عن حرب بن قيس ... فذكره ، والبيهقي في « الكبرى » (٣/ ١٤٠) وفي « الشعب » (٣٨٨٩) من طريق هارون بن معروف عن الدراوردي عن موسى ، ورواه البيهقي في « الكبرى » أيضًا من طريق أبي مصعب عن عبد العزيز عن عمارة بن حرب به ، ثم قال : « وهكذا رواه علي بن المديني وقتيبة وغيرهما عن عبد العزيز عن عمارة ، وكأنه سمعه منهما جميعًا » اهـ . ورواية أحمد عن ابن المديني صححها العلامة ناصر الدين الألباني في « الإرواء » (٥٦٤) على شرط مسلم . قلت : وحرب بن قيس المذكور في الطرق الأخرى ترجم له البخاري في « التاريخ » (٦١/٣) ونقل عن عمارة بن غزية قوله فيه « كان رضًا » وترجم له أيضًا ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٢٤٩/٣) ولم يذكر فيه جرحًا أو تعديلاً ، وذكره ابن حبان في « الثقات » (٢٣٠/٦) وقد تابع عبد العزيز بن محمد عليه جمع : منهم يحيى بن زياد عند ابن خزيمة في « صحيحه » (٧٣/٢) (٩٥٠) وبكر بن مضر عند ابن خزيمة أيضًا (٢٥٩/٣) (٢٠٢٧) ورواه ابن الأعرابي في معجمه كما في الإرواء (١٠/٣) من طريق يحيى بن أيوب - ثلاثتهم (يحيى بن زياد ، وبكر ، ويحيى بن أيوب) عن عمارة بن غزية عن حرب عن نافع عن ابن عمر به . وقال المنذري - رحمه الله - في « الترغيب والترهيب » (١٣٥/٢) : « رواه أحمد بإسناد صحيح ، والبزار والطبراني في الأوسط بإسناد حسن ، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما » اهـ . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٥/٣) : « رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، والبزار والطبراني في الأوسط وإسناده حسن » اهـ . وللحديث شواهد انظرها في « الترغيب والترهيب » و «مجمع الزوائد » و « الإرواء » رقم (٥٦٤) .

(١٠٩) - أخرجه أحمد في « مسنده » (٧١/٢) (٥٣٩٢) حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا أبو طُعْمة أنه قال : كنت عند ابن عمر إذ جاءه رجل فقال : يا أبا عبد الرحمن ، إني أقوى على الصيام في السفر ؟ فقال ابن عمر : سمعت رسول الله صلى اللَّه عليه وسلم يقول : « من لم يقبل ... » الحديث ، وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٦٥/٣) وقال : رواه أحمد ، والطبراني في « الكبير » ، وإسناد أحمد حسن ، و صححه العلامة أحمد شاكر في تعليقه على المسند ، وانظر تفسير سورة البقرة الآية / ١٨٥.

أقوال كما هو مقرر في كتاب الأحكام ، وفيما إذا وجد ميتة وطعام الغير أو[١] صيدًا وهو محرم ، هل يتناول الميتة ، أو ذلك الصيد ، ويلزمه الجزاء ، أو[٢] ذلك الطعام ، ويضمن بدله ؟ علىٰ قولين : هما قولان للشافعي - رحمه اللَّه - وليس من شرط جواز[٣] تناول الميتة أن يمضي عليه ثلاثة أيام لا يجد طعامًا ، كما قد يتوهمه كثير من العوام وغيرهم ، بل متىٰ اضطر إلىٰ ذلك جاز له

وقد قال الإمام أحمد(١١٠) : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا الأوزاعي ، حدثنا حسان بن عطية ، عن أبي واقد الليثي ، أنهم قالوا : يا رسول اللَّه ؛ إنا بأرض تصيبنا[٤] بها المخمصة ، فمتىٰ تحل لنا بها الميتة ؟ فقال : « **إذا لم تصطبحوا[٥] ، ولم تغتبقوا[٦] ، ولم تحتفئوا[٧] بها[٨]**

(١١٠) - أخرجه فى المسند (٢١٨/٥) وابن جرير فى تفسيره (٥٣٨/٩) (١١١٢٥) والبيهقى فى السنن (٣٥٦/٩) من طريق محمد بن القاسم الأسدى عن الأوزاعى به ، ومحمد بن القاسم هذا هو الأسدى المعروف بـ « كاو » قال ابن حجر فى « التقريب » : « كذبوه » . لكن تابعه عليه الوليد بن مسلم كما تقدم ، ورواه أيضًا الدارمى (٢٠٠٢) ، والحاكم (١٢٥/٤) من طريق أبى عاصم ثنا الأوزاعى ... فذكره ، وصححه الحاكم على شرط الشيخين فتعقبه الذهبى بقوله : « فيه انقطاع » وتابعه محمد بن كثير فرواه عن الأوزاعى مثله ؛ أخرجه البيهقى (٣٥٦/٩) قال المزى فى « تهذيب الكمال » (٣٥/٦) ترجمة حسان بن عطية : « روى عن أبى واقد الليثى ولم يسمع منه ، بينهما مسلم بن يزيد » اهـ . وقال الهيثمى فى « مجمع الزوائد » (١٦٨/٤) : رواه أحمد بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح إلَّا أن المزى قال : لم يسمع حسان بن عطية من أبى واقد ، والله أعلم . اهـ . قلت : قد رواه الطبرانى فى «الكبير » (٢٨٤/٣) (٣٣١٥) ، والبيهقى فى « السنن الكبرى » (٣٥٦/٩) من طريق إسحاق بن راهويه عن الوليد بن مسلم ثنا الأوزاعى عن حسان بن عطية عن مرثد أو أبى مرثد عن أبى واقد الليثى به ، عند البيهقى « عن ابن مرثد أو أبى مرثد » . ورواه الطبرانى فى « الكبير » (٢٨٤/٣) (٣٣١٦) من طريق عبد الله بن كثير القرشى ثنا الأوزاعى حدثنا حسان بن عطية حدثنى مسلم عن أبى واقد الليثى ... فذكره . قال الطبرانى : هكذا رواه الوليد بن مسلم عن الأوزاعى عن حسان عن مرثد أو أبى مرثد وهو وهم ، والصواب ما رواه عبد الله بن كثير القارئ عن الأوزاعى . اهـ . قلت : ومرثد أو أبو مرثد هذا لم أجد له ترجمة ، وكذلك مسلم بن يزيد ، والحديث ذكره الهيثمى فى « مجمع الزوائد » (٥٣/٥) وقال : « رواه الطبرانى ورجاله ثقات » . وله طريق أخرى مرسلة عند ابن جرير سيذكرها ابن كثير رحمه الله .

[١] - في ز : « و » .
[٢] - في ز : « و » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « يصيبنا » .
[٥] - في ز : « يصطبحوا » .
[٦] - في ز : « يغتبقوا » .
[٧] - في ز : « يختفيوا » .
[٨] - سقط من: ز ، خ .

بقلًا ؛ فشأنكم بها » .

تفرد به أحمد من هذا الوجه ، وهو إسناد صحيح علىٰ شرط الصحيحين ، وكذا رواه ابن جرير ، عن عبد الأعلىٰ بن واصل ، عن محمد بن القاسم الأسدي ، عن الأوزاعي به .

لكن رواه بعضهم عن الأوزاعي ، [عن حسان بن عطية ، عن مسلم بن يزيد ، عن أبي واقد به .

ومنهم من رواه عن الأوزاعي][١] ، عن حسان ، عن مرثد أو أبي مرثد ، عن أبي واقد به .

ورواه ابن جرير(١١١) ، عن هناد بن السري ، عن عيسىٰ بن يونس ، عن حسان ، عن رجل قد سمي له فذكره ، ورواه أيضًا عن هناد ، عن ابن المبارك ، عن الأوزاعي عن حسان مرسلًا .

وقال ابن جرير(١١٢) : حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن علية ، عن ابن عون قال : وجدت عند الحسن كتاب سمرة ، فقرأته عليه ، فكان فيه : ويجزئ من الاضطرار غبوق أو صبوح .

حدثنا أبو كريب(١١٣) ، حدثنا هشيم ، عن الخصيب بن زيد التميمي ، حدثنا الحسن أن رجلًا سأل النبي ﷺ فقال : متىٰ يحل الحرام ؟ قال : فقال : « **إلىٰ متىٰ يَرْوَىٰ أهلك من اللبن أو تجيء ميرتهم** » .

حدثنا ابن حميد(١١٤) ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، حدثني عمر بن عبد اللَّه بن

(١١١) - رواية حسان عن رجل عند ابن جرير في تفسيره (٥٤٢/٩) (١١١٣٣) ، ورواية حسان المرسلة عنده برقم (١١١٣٢) .

(١١٢) - أخرجه ابن جرير في « تفسيره » (٥٤١/٩) (١١١٢٩) ورواه أيضًا (١١١٣٠) من طريق يحيى ابن زائدة عن ابن عون قال : قرأت في كتاب سمرة بن جندب ... فذكره .

(١١٣) - أخرجه ابن جرير الطبرى فى « تفسيره » (٥٣٩/٩) (١١١٢٦) وهو من مراسيل الحسن - رحمه الله - وهى ضعيفة .

(١١٤) - أخرجه ابن جرير الطبرى (٥٤٠/٩) (١١١٢٨) وذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٤٥٩/٢) لم ينسبه لغير ابن جرير . وعمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير قال عنه الحافظ فى « التقريب » : مقبول . قلت : روى له الشيخان حديثًا ، وذكره ابن حبان فى « الثقات » (١٦٦/٧) ومحمد بن إسحاق صدوق تحامل عليه مالك وهشام بن عروة رحمهما الله ، وطعنهما فيه مما لا يقبل مثله ، وانظر « الميزان » للحافظ شمس الدين الذهبى . وقد رُوى نحوه عن سمرة بن جندب ذكره الهيثمى فى « مجمع الزوائد »=

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

عروة ، عن جده عروة بن الزبير ، [عن جدته][١] أن رجلًا من الأعراب أتىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم يستفتيه في الذي حرم الله عليه ، والذي أحل له ، فقال النبي ﷺ : « **يحل لك الطيبات ، ويحرم عليك الخبائث ، إلا أن تفتقر إلىٰ طعام [لا يحل][٢] لك ، فتأكل منه حتىٰ تستغني عنه** » . فقال الرجل : وما فقري الذي يحل لي ، وما غناي الذي يغنيني عن ذلك ؟ فقال النبي ﷺ : [« **إذا كنت ترجو نتاجًا ، فتبلَّغ بلحوم ماشيتك إلى نتاجك ، أو كنت ترجو غني تطلبه فتبلَّغ من ذلك شيئًا ؛ فأطعم أهلك ما بدا لك حتىٰ تستغني عنه** » . فقال الأعرابي : ما غناي الذي أدعه إذا وجدته ؟ فقال ﷺ][٣] : « **إذا أرويت أهلك غبوقًا من الليل ، فاجتنب ما حرم الله عليك من طعام[٤] ، وأما[٥] مالُك[٦] ؛ فإنه ميسور كله ، ليس[٧] فيه حرام** » .

ومعنىٰ قوله : « **ما لم[٨] تصطبحوا** » يعني ، به الغداء ، « **ومالم تغتبقوا** » يعني به العشاء ، « **أو تحتفئوا بقلًا فشأنكم بها ، فكلوا منها** » . و[٩] قال ابن جرير : يروىٰ هذا الحرف ، يعني قوله : « **أو تحتفئوا** » علىٰ أربعة أوجه : تحتفِئوا بالهمزة ، « **وتحتفيوا** » بتخفيف الياء والحاء ، « **وتحتفّوا** » بتشديد [الفاء][١٠] « **وتحتفوا** » بالحاء ، وبالتخفيف ، ويحتمل الهمز ، كذا ذكره[١١] في التفسير .

(حديث آخر) : قال أبو داود(١١٥) : حدثنا هارون بن عبد الله ، حدثنا الفضل بن دكين ،

= (١٦٦/٤) وقال : رواه الطبرانى فى « الكبير » والبزار باختصار كثير ، وفى إسناد الطبرانى مساتير ، وإسناد البزار ضعيف اهـ .

(١١٥) - أخرجه أبو داود فى « سننه » فى الأطعمة ، باب : فى المضطر إلى الميتة ، الحديث (٣٨١٧) ، ومن طريقه البيهقى (٣٥٧/٩) ورواه ابن أبى شيبة فى « مسنده » (٦٠٩) والبخارى فى « تاريخه » (٧/ ١٣٧) والطبرانى فى الكبير (٣٢١/١٨) (٨٢٩) والمزى فى « تهذيب الكمال » (٢٣١/٢٠) من طريق أبى نعيم به . ورواه ابن أبى عاصم فى الآحاد والمثانى (١٧٢/٣) (١٥٠٣) من طريق عبد الملك بن حسين عن عقبة بن وهب بإسناده نحوه ، والحديث ضعف إسناده العلامة محمد ناصر الدين الألبانى فى « ضعيف أبى داود » (٨٢٢) ، لكن قال الحافظ فى « الإصابة » (٨٢/٨) فى ترجمة الفجيع : له =

[١] - في الطبري : عمن حدثه .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ .
[٤] - في خ: « طعامك » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - سقط من: خ .
[٧] - في خ : « فليس » .
[٨] - سقط من : ز .
[٩] - سقط من : ز .
[١٠] - زيادة من الطبري .
[١١] - في خ : « رواه » .

حدثنا عقبة بن وهب بن عقبة العامري ، سمعت أبي يحدث عن الفجيع العامري ، أنه أتىٰ رسول الله ﷺ فقال : ما يحل لنا من الميتة ؟ قال : « **ما طعامكم ؟** » قلنا : [نصطبح ونغتبق] . قال أبو نعيم : فسره لي عقبة : قدح غدوة ، وقدح عشية ، قال : ذاك وأبي الجوع ، وأحل لهم الميتة علىٰ هذه الحال .

تفرد به أبو داود ، وكأنهم كانوا يصطبحون ويغتبقون شيئًا لا يكفيهم ، فأحل لهم الميتة لتمام كفايتهم ، وقد يحتج به من يرىٰ جواز الأكل منها ؛ حتىٰ يبلغ حد الشبع ، ولا يتقيد ذلك[١] بسد الرمق ، والله أعلم .

(حديث آخر) : قال أبو داود (١١٦) : حدثنا موسىٰ بن إسماعيل ، حدثنا حماد ، حدثنا سماك ، عن جابر بن سمرة : أن رجلًا نزل الحرة ومعه أهله وولده ، فقال له رجل : إن ناقة لي ضلت ؛ فإن وجدتها فأمسكها ، فوجدها ، ولم يجد صاحبها ، فمرضت ، فقالت له امرأته : انحرها ، فأبىٰ ، فنفقت ، فقالت له امرأته : اسلخها حتىٰ نقدد شحمها ولحمها فنأكله ، [فقال][٢] ، حتىٰ أسأل رسول الله ﷺ فأتاه فسأله ، فقال : « **هل عندك غنى يغنيك ؟** »

= حديث فى سنن أبى داود بإسناد لا بأس به . قلت : عقبة بن وهب العامرى قال ابن معين : صالح ، وسئل عنه سفيان بن عيينة فقال : ما كان ذاك يدرى ما هذا الأمر ولا كان من شأنه . نقل ذلك عنهما ابن أبى حاتم فى « الجرح والتعديل » (٦/الترجمة ١٧٧٠) . ونقل المزى فى « تهذيب الكمال » (٢٠/٢٣١) عن ابن حبان أنه ذكره فى الثقات ، وقال الحافظ فى « التقريب » : مقبول . قلت : عند المتابعة وإلَّا فلين كما هى طريقة الحافظ فى « التقريب » ، وهذا الحديث مما تفرد به عقبة ولم يروه غيره . وأبوه وهب بن عقبة العامرى البكائى ذكره ابن حبان فى « الثقات » (٥/٤٨٨) وقال الحافظ فى « التقريب » : مستور . وقال الذهبى فى « الكاشف » (٢/٣٥٧) : وُثِّقَ . قلت : فرق الحافظ فى « تهذيب التهذيب » بينه وبين وهب ابن عقبة العجلى ، ونقل فى ترجمة الأول توثيق ابن حبان له ، وفى ترجمة الثانى قول ابن معين فيه : ثقة . وجعلهما البخارى فى « التاريخ » (٨/١٦٥) واحدًا ، وكذا ابن أبى حاتم فى « الجرح والتعديل » (٩/٢٦) ، وعلى فرض التسليم بأن وهب بن عقبة البكائى المذكور فى الحديث هو العجلى الذى وثقه ابن معين ، فإن ابنه عقبة قد تفرد عنه بهذا الحديث ولم يتابعه عليه غيره ، وهو ليس ممن تقبل انفراداته .

(١١٦) - أخرجه أبو داود فى الأطعمة ، باب : فى المضطر إلى الميتة ، الحديث (٣٨١٦) ومن طريقه البيهقى فى « السنن » (٩/٢٥٦) ورواه أحمد فى « مسنده » (٥/١٠٤) قال : حدثنا أبو كامل وبهز ، وعبد الله بن أحمد فى « زوائد المسند » (٥/٩٦) قال : حدثنى الحسن بن يحيى حدثنا عبد الصمد - كلهم (أبو كامل ، وبهز ، وعبد الصمد) قالوا : حدثنا حماد بن سلمة ... فذكره ، وهذا إسناد على شرط مسلم ، لكن سماك بن حرب تغير بأخرة ، فكان ربما تلقن ، وروايته عن عكرمة خاصة مضطربة . وقد رواه أحمد (٥/ ٨٧، ٨٨) حدثنا أبو كامل حدثنا شريك عن سماك ... فذكره مختصرًا . ورواه=

[١] - في ز : « بذلك » . [٢] - في ت : « قال لا » .

قال : لا ، قال : « **فكلوها** » قال : فجاء صاحبها فأخبره الخبر ، فقال : هلا كنت نحرتها ؟ قال : استحييت منك .

تفرد به ، وقد يحتج به من يجوز الأكل والشبع والتزود منها مدة يغلب على ظنه الاحتياج إليها ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **غير متجانف لإثم** ﴾ أي : [غير] متعاط لمعصية الله ، فإن الله قد أباح ذلك له ، وسكت عن الآخر ، كما قال في سورة البقرة : ﴿ **فمن اضطر غير باغٍ ولا عادٍ فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم** ﴾ .

وقد استدل بهذه الآية من يقول بأن العاصي بسفره لا يترخص بشيء من رخص السفر ؛ لأن الرخص لا تنال بالمعاصي ، والله أعلم .

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ (٤)

لما ذكر تعالى ما حرمه في الآية المتقدمة من الخبائث الضارة لمتناولها ، إما في بدنه أو في[١] دينه أو فيهما ، واستثنى ما استثناه في حال الضرورة ، كما قال : ﴿ **وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه** ﴾ . قال بعدها : ﴿ **يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات** ﴾ . كما في سورة الأعراف في صفة محمد ﷺ : أنه يحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث .

قال ابن أبي حاتم(١١٧) : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير ، حدثني عبدالله

= فى (٥/ ٨٩، ٩٧) من طريق أبى عوانة عن سماك مختصرًا . والحديث حسّن إسناده العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى فى صحيح أبى داود (٣٢٣٤) قلت : لعل ذلك من أجل سماك بن حرب ، وقد تقدم حاله ، عليه رحمة الله .

(١١٧) - عبد الله بن لهيعة خلط بعد احتراق كتبه وهو صدوق ، وعطاء بن دينار هو الهذلى : نقل ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل (٦/الترجمة ١٨٤٥) توثيقه عن الإمام أحمد ، ووثقه أبو داود كما فى « تهذيب الكمال » (٢٠/٦٨) ، وذكره ابن حبان فى « الثقات » (٧/٢٥٤) ، قال ابن أبى حاتم : سئل أبى عن عطاء بن دينار ؟ فقال : هو صالح الحديث إلا أن التفسير أخذه من الديوان ؛ فإن عبد الملك =

[١] - سقط من : ز .

ابن لهيعة ، حدثني عطاء بن دينار ، عن سعيد بن جبير ، أن عدي بن حاتم وزيد بن مهلهل[١] الطائيين ، سألا رسول الله ﷺ فقالا : يا رسول الله : قد حرم الله الميتة ، فماذا يحل لنا منها ؟ فنزلت : ﴿ **يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات** ﴾ [قال سعيد : يعني الذبائح الحلال الطيبة لهم . وقال مقاتل][٢] : الطيبات[٣] ما[٤] أحل لهم من كل شيء أن يصيبوه ، وهو الحلال من الرزق .

وقد سئل الزهري عن شرب البول للتداوي ، فقال : ليس هو من الطيبات . رواه ابن أبي حاتم .

وقال ابن وهب : سئل مالك عن بيع الطين الذي يأكله الناس ؛ فقال : ليس هو من الطيبات .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وما علمتم من الجوارح مكلبين** ﴾ أي : أحل لكم الذبائح التي ذكر اسم الله عليها ، والطيبات من الرزق ، وأحل لكم ما صدتموه[٥] بالجوارح ، وهي من الكلاب والفهود والصقور وأشباهها[٦] ، كما هو مذهب الجمهور من الصحابة والتابعين والأئمة ، وممن قال ذلك علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وما علمتم من الجوارح مكلبين** ﴾ : وهن الكلاب المعلمة ، والبازي ، وكل طير يعلم للصيد ، والجوارح يعني : الكلاب الضواري ، والفهود والصقور وأشباهها .

رواه ابن أبي حاتم(١١٨) ، ثم قال : وروي عن خيثمة وطاوس ومجاهد ومكحول ويحيىٰ بن

= ابن مروان كتب يسأل سعيد بن جبير أن يكتب إليه بتفسير القرآن ، فكتب سعيد بن جبير بهذا التفسير إليه ، فوجده عطاء بن دينار فى الديوان فأخذه وأرسله عن سعيد بن جبير اهـ . وقال أحمد بن صالح : عطاء بن دينار من ثقات أهل مصر ، وتفسيره فيما يروى عن سعيد بن جبير ، صحيفة وليست له دلالة على أنه سمع من سعيد بن جبير (الجرح والتعديل) (٣٣٢/٦) والحديث ذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٤٥٩/٢) ولم يعزه لغير ابن أبى حاتم .

(١١٨) - رواه ابن جرير الطبرى فى « تفسيره » (٥٤٨/٩) (١١١٤٩) ، والبيهقى فى « سننه » (٢٣٥/٩) من طريق على بن أبى طلحة عن ابن عباس . والأثر ذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٤٦٠/٢) وزاد نسبته لابن المنذر .

---

[١] - في ز : « المهلل » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز : « فالطيبات » ، وسقط من : خ .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - في ز : « اصتدتموه » .

[٦] - في ز ، خ : « وأشباه ذلك » .

أبي كثير نحو ذلك ، وروي عن الحسن أنه قال : الباز والصقر من الجوارح . وروي عن علي بن الحسين مثله . ثم روى عن مجاهد أنه كره صيد الطير كله ، وقرأ قوله[١] تعالى : ﴿ **وما علمتم من الجوارح مكلبين** ﴾ . قال : وروي عن سعيد بن جبير نحو ذلك ، ونقله ابن جرير عن الضحاك والسدي ، ثم قال (١١٩) :

حدثنا هناد ، حدثنا ابن أبي زائدة ، أخبرنا ابن جريج ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : أما ما صاد من الطير البزاة وغيرها من الطير ، فما أدركت فهو لك ، وإلا فلا تطعمه .

قلت : والمحكي عن الجمهور ؛ أن [الصيد بالطيور كالصيد بالكلاب][٢] ؛ لأنها تكلب الصيد بمخالبها[٣] ، كما تكلبه الكلاب فلا فرق ، وهو[٤] مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم ، واختاره ابن جرير . واحتج في ذلك بما رواه عن هناد ، حدثنا عيسىٰ بن يونس، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن عدي بن حاتم قال : سألت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن صيد البازي ، فقال : « **ما أمسك عليك فكل** »(١٢٠) .

واستثنىٰ الإمام أحمد صيد الكلب الأسود ؛ لأنه عنده مما يجب قتله ، ولا يحل اقتناؤه ، لما

(١١٩) - انظر تفسير الطبرى (٥٤٩/٩) وأثر ابن عمر عنده برقم (١١١٥٥) ، وابن جريج ثقة لكنه معروف بالتدليس .

(١٢٠) - أخرجه الطبرى (٥٥٠/٩) (١١١٥٦) ، وفى إسناده مجالد وهو ابن سعيد ليس بالقوى ، وتغير فى آخر عمره ، وقد انفرد بذكر البازى فى هذا الحديث ، فإن الحفاظ قد رووا هذا عن الشعبى عن عدى فى الكلب المعلم ، ولم يذكروا البازى كما سيأتى ذكر ذلك عن الترمذى والبيهقى . والحديث رواه الترمذى فى الصيد ، باب : ما جاء فى صيد البزاة ، الحديث (١٤٦٧) حدثنا نصر بن على ، وهناد ، وأبو عمار ، قالوا : حدثنا عيسى بن يونس ... فذكره . ورواه ابن أبى شيبة فى مصنفه كتاب الصيد ، باب البازى يأكل من صيده (٦١٠/٤) عن عيسى بن يونس به . قال الترمذى : هذا حديث لا نعرفه إلّا من حديث مجالد عن الشعبى ، والعمل على هذا عند أهل العلم ، لا يرون بصيد البزاة والصقور بأسًا ...» اهـ . ورواه أبو داود في الصيد ، باب : فى الصيد ، الحديث (٢٨٥١) وعنه البيهقى فى السنن (٢٣٨/٩) حدثنا عثمان بن أبى شيبة ثنا عبد الله بن نمير ثنا مجالد ، عن الشعبى ، عن عدى بن حاتم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما علمت من كلب أو باز ثم أرسلته وذكرت اسم الله ، فكل مما أمسك عليك » الحديث . ورواه أحمد (٢٥٧/٤) قال : حدثنا عبد الله بن نمير ... فذكره مطولاً قال البيهقى : « فجمع بينهما - أى بين الكلب والبازى - فى المنع إلا أن ذكر البازى فى هذه الرواية لم يأت به الحفاظ الذين قدمنا ذكرهم عن الشعبى ، وإنما أتى به مجالد والله أعلم . ويذكر عن سعيد =

[١] - في ز : « قول الله » .

[٢] - في ز : « صيد الطيور كصيد الكلاب » .

[٣] - في ز : «بمخاليبها » .

[٤] - في ز : « هذا » .

ثبت في صحيح مسلم(١٢١) عن أبي ذر[١] أن رسول الله ﷺ قال : « **يقطع الصلاة الحمار والمرأة والكلب الأسود** » . فقلت : ما بال الكلب الأسود من الأحمر ؟ فقال : « **الكلب الأسود شيطان** » .

وفي الحديث الآخر أن رسول الله ﷺ أمر بقتل الكلاب ، ثم قال : « **ما بالهم وبال الكلاب ، اقتلوا منها كل أسود بهيم** »(١٢٢) .

وسميت هذه الحيوانات التي يصطاد بهنّ جوارح من الجرح ، وهو الكسب ، كما تقول العرب : فلان جرح أهله خيرًا ، أي : كسبهم خيرًا ، ويقولون : فلان لا جارح له ، أي : لا كاسب له ، وقال الله تعالىٰ : ﴿ **وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار** ﴾ أي : ما كسبتم من خير وشر .

= ابن المسيب عن سلمان الفارسى - رضى الله عنه - أنه قال : « إذا أرسلت كلبك أو بازك أو صقرك على الصيد فأكل منه فكل وإن أكل نصفه » فهذا جمع بينهما فى الإباحة . اهـ . والحديث ذكره الألبانى - حفظه الله - فى « ضعيف أبى داود » (٦٠٨) وصححه دون قوله : « أو باز » قال : فإنه منكر . وضعفه أيضًا فى « ضعيف الجامع » (٥١١٣) . وقد رواه الترمذى (١٤٧٠) من طريق سفيان عن مجالد ولم يذكر فيه البازى ، وكذلك رواه أحمد فى مسنده (٣٧٩/٤) من طريق هشيم عن مجالد ، وقد تقدم حديث عدى بن حاتم هذا برقم (٥٨) (٦٣) .

(١٢١) - أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الصلاة ، باب : قدر ما يستر المصلى ، الحديث (٥١٠) من طريق عبد الله بن الصامت عن أبى ذر .

(١٢٢) - لم أجده هكذا ، لكن رواه مسلم فى الطهارة ، باب حكم ولوغ الكلب ، الحديث (٢٨٠) ، وفى كتاب المساقاة ، باب : الأمر بقتل الكلاب وبيان نسخه ، الحديث (١٥٧٠) ، من طريق مطرف بن عبد الله بن المغفل قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب . ثم قال : « ما بالهم وبال الكلاب ؟ » ثم رخص فى كلب الصيد ، وكلب الغنم . وزاد في الرواية التى فى كتاب الطهارة « وقال : إذا ولغ الكلب فى الإناء فاغسلوه سبع مرات ، وعفروه الثامنة فى التراب » ومن هذه الطريق رواه أحمد (٨٦/٤) ، (٥٦/٥) وأبو داود (٧٤) ، والنسائى (١/ ٥٤، ١٧٧) ، وابن ماجه (٣٢٠١) وغيرهم وليس عند أحد منهم الأمر بقتل الكلب الأسود وإنما جاء ذلك من طريق الحسن عن عبد الله بن مغفل أخرجه أحمد (٨٥/٤) و (٥/ ٥٤، ٥٦) وأبو داود فى الصيد ، باب فى اتخاذ الكلب للصيد وغيره ، الحديث (٢٨٤٥) ، والترمذى فى الأحكام ، باب : ما جاء فى قتل الكلاب ، الحديث (١٤٨٦) ، وفى باب : ما جاء من أمسك كلبًا ما ينقص من أجره (١٤٨٩) والنسائى فى الصيد والذبائح ، باب : صفة الكلاب التى أمر بقتلها (١٨٥/٧) من طرق عن الحسن عن عبد الله بن مغفل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لولا أنّ الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها ، فاقتلوا منها الأسود البهيم** » =

---

[١] - سقط من : ز .

وقد ذكر في[١] سبب نزول هذه الآية الشريفة[٢] الحديث الذي رواه ابن أبي حاتم(١٢٣) :

حدثنا حجاج بن[٣] حمزة ، حدثنا زيد بن الحباب ، حدثني موسىٰ بن عبيدة ، حدثني أبان ابن صالح ، عن القعقاع بن حكيم ، عن سلمىٰ أم رافع ، عن أبي رافع مولىٰ رسول الله ﷺ ، [أن رسول الله ﷺ][٤] أمر بقتل الكلاب ، فقتلت ، فجاء الناس ، فقالوا : يارسول الله ، ما يحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها ؟ فسكت ، فأنزل الله : ﴿ **يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين** ﴾ الآية . فقال رسول الله ﷺ : « **إذا أرسل الرجل كلبه وسمىٰ ، فأمسك عليه ، فيأكل[٥] ما لم يأكل** » .

= وفى بعض الطرق : « وما من أهل بيت يرتبطون كلبًا إلّا نقص من عملهم كل يوم قيراط ، إلّا كلب صيد أو كلب حرثٍ أو كلب غنم » اهـ ، وإسناده صحيح وقد صرح الحسن البصرى - رحمه الله - بسماعه من عبد الله بن مغفل عند أحمد فى « المسند » (٥٤/٥) وانظر تخريج العلامة الشيخ ناصر الدين الألبانى للحديث فى غاية المرام (١٤٨) .

(١٢٣) - أخرجه الطبرى فى « تفسيره » (٥٤٥/٩) (١١١٣٤) قال : حدثنا أبو كريب حدثنا زيد بن حباب العكلى ... فذكره نحوه ، ورواه الطبرانى فى « الكبير » (٣٢٦/١) (٩٧٢) من طريق على بن المدينى قال : حدثنا زيد بن الحباب ، ومن طريق عثمان بن أبى شيبة قال : حدثنا عبد الله بن نمير قالا (ابن الحباب ، وابن نمير) : حدثنا موسي بن عبيدة ... فذكره دون قوله : « إذا أرسل الرجل ... إلخ » ورواه الواحدى فى « أسباب النزول » (ص ١٩٣) من طريق يحيى بن أبى زائدة عن موسى به ، وموسى ابن عبيدة الربذى : نقل البخارى فى التاريخ (٧/الترجمة ١٢٤٢) عن الإمام أحمد قال : منكر الحديث . ونقل ابن أبى حاتم فى « الجرح والتعديل » (٨/الترجمة ٦٨٦) عن أحمد قال : لا تحل الرواية عنه عندى . وعن ابن معين قوله : موسى بن عبيدة لا يحتج بحديثه . وقال مرة : ضعيف . وقال : سألت أبى عن موسى بن عبيدة فقال : منكر الحديث . وسئل أبو زرعة عنه فقال : ليس بقوى الحديث . وقال الحافظ فى « التقريب » : ضعيف ، ولا سيما فى عبد الله بن دينار ، وكان عابدًا . وبقية إسناده ثقات ، وسلمى أم رافع زوج أبى رافع قال الحافظ فى « التقريب » : لها صحبة ، وأحاديث . اهـ . وقد تابع موسى بن عبيدة على هذا الحديث محمدُ بن إسحاق فرواه عن أبان مثل رواية ابن أبى حاتم هذه دون قوله : « إذا أرسل الرجل كلبه وسمى ... إلخ » أخرجه الحاكم فى « المستدرك » (٣١١/٢) ، وعنه البيهقى فى «السنن » (٢٣٥/٩) من طريق ابن أبى زائدة عن ابن إسحاق عن أبان بن صالح به ، وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبى ، وابن إسحاق صدوق لكنه مشهور بالتدليس وقد عنعن ولم يصرح بالتحديث ، وروى أحمد (٣٩١/٦) قال : حدثنا أبو عامر ، والطبرانى فى الكبير (٣١٣/١ - ٣١٤) (٩٢٧) من طريق القعنبى ، وإسماعيل بن أبى أويس قالوا : حدثنا يعقوب بن محمد بن طحلاء ثنا أبو الرجال عن سالم =

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز ، خ : « الكريمة » .
[٣] - في خ : « حدثنا » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٥] - في ز : « فليأكل » .

وهكذا رواه ابن جرير(١٢٤) ، عن أبي كريب ، عن زيد بن الحباب بإسناده ، عن أبي رافع قال : جاء جبريل إلىٰ النبي ﷺ ليستأذن عليه ، فأذن له ، فقال : « **قد أذنّا لك يا رسول الله ، قال : أجل ، ولكنا لا ندخل بيتًا فيه كلب** » . قال أبو رافع : فأمرني أن أقتل كل كلب بالمدينة فقتلت[١] ، حتىٰ انتهيت إلىٰ امرأة عندها كلب ينبح عليها ، فتركته رحمة لها ثم جئت إلىٰ رسول الله ﷺ فأخبرته ، فأمرني فرجعت إلىٰ الكلب فقتلته ، فجاءوا فقالوا : يا رسول الله ، ما يحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها ؟ قال : فسكت رسول الله ﷺ ، قال : فأنزل الله عز وجل : ﴿ **يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين** ﴾ .

ورواه الحاكم في مستدركه ، من طريق محمد بن إسحاق ، عن أبان بن صالح به . وقال : صحيح ولم يخرجاه .

وقال ابن جرير (١٢٥) : حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة : أن رسول الله ﷺ بعث أبا رافع في قتل الكلاب ، حتىٰ بلغ العوالي ، فجاء[٢] عاصم ابن عدي وسعد بن خيثمة وعويم بن ساعدة ، فقالوا : ماذا أحل لنا يا رسول الله ؟ فنزلت الآية[٣] .

= ابن عبد الله عن أبى رافع قال : أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقتل الكلاب . وفيه قصة وإسناده حسن ؛ ابن طحلاء روى له مسلم ، وقال الحافظ فى « التقريب » : ما به بأس . وأبو الرجال هو محمد ابن عبد الرحمن بن حارثة الأنصارى وهو ثقة ، ورواه أحمد (٦/٩) ، والبزار فى « مسنده » (٣٨٦٩) وهو فى كشف الأستار (٢/٧٠) (١٢٢٧) والحارث بن أبى أسامة كما فى البغية (١/٤٨٣) (٤١٧) ، والرويانى فى « مسنده » (٦٨٥) من طريق ابن جريج أخبرنى العباس بن أبى خداش عن الفضل بن عبيد الله بن أبى رافع عن أبى رافع أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ... والعباس بن أبى خداش ترجم له ابن أبى حاتم فى « الجرح والتعديل » (٦/٢١٧) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً ، وذكره ابن حبان فى « الثقات » (٧/٢٧٥) والفضل بن عبيد الله بن أبى رافع قال الحافظ فى « التقريب » : مقبول . والحديث ذكره الهيثمى فى « مجمع الزوائد » (٤/٤٥) وقال : « رواه البزار ، وأحمد بأسانيد رجال بعضها رجال الصحيح ، ورواه الطبرانى فى الكبير أيضًا » ورواه ابن جرير عن عكرمة مرسلاً وسيأتى رقم (١٢٨) .

(١٢٤) - تفسير الطبرى (٩/٥٤٥) (١١١٣٤) وانظر التخريج السابق .

(١٢٥) - أخرجه الطبرى فى « تفسيره » (٩/٥٤٦) (١١١٣٥) وانظر تخريج الحديث رقم (١٢٦) .

---

[١] - سقط من : ز ، خ . [٢] - في ز ، خ : « فدخل » .

[٣] - في ز : « ﴿ **يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين** ﴾ » .

ورواه الحاكم(١٢٦) من طريق سماك ، عن عكرمة ، وكذا[١] قال محمد بن كعب القرظي في سبب نزول هذه الآية ، أنه[٢] في قتل الكلاب(١٢٧) .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **مكلبين** ﴾ يحتمل أن يكون حالًا من الضمير في علمتم ؛ فيكون حالًا من الفاعل ، ويحتمل أن يكون حالًا من المفعول ، وهو الجوارح ، أي : وما علمتم من الجوارح في حال كونهنّ مكلبات للصيد ، وذلك أن تقتنصه بمخالبها أو[٣] أظفارها ، فيستدل بذلك - والحالة هذه - على أن الجارحة إذا قتل الصيد بصدمته أو بمخلابه وظفره - أنه لا يحل كما هو أحد قولي الشافعي ، وطائفة من العلماء ؛ ولهذا قال : ﴿ **تعلمونهنّ مما علمكم اللّٰه** ﴾ ، وهو أنه إذا أرسله استرسل ، وإذا أشلاه استشلىٰ ، وإذا أخذ الصيد أمسكه علىٰ صاحبه ، حتىٰ يجيء إليه ، ولا يمسكه لنفسه ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم اللّٰه عليه** ﴾ . فمتىٰ كان الجارح[٤] معلمًا ، وأمسك علىٰ صاحبه ، وكان قد ذكر اسم اللّٰه عليه وقت إرساله - حَلَّ الصيد ، وإن قتله بالإجماع .

وقد وردت السنة بمثل ما دلت عليه هذه الآية الكريمة ، كما ثبت في الصحيحين(١٢٨) عن عدي بن حاتم ، قال : قلت : يا رسول اللّٰه ؛ إني أرسل الكلاب المعلمة ، وأذكر اسم اللّٰه . فقال : « **إذا أرسلت كلبك المعلم ، وذكرت اسم اللّٰه ، فكل ما أمسك عليك** » . قلت : وإن قتلن ؟ قال : « **وإن قتلن ، ما لم يشركها كلب ليس منها ؛ فإنك إنما سميت علىٰ كلبك ، ولم تسم علىٰ غيره** » . قلت له : فإني أرمي بالمعراض الصيد فأصيب ؟ فقال : « **إذا رميت بالمعراض فخزق فكله ، وإن أصابه بعرض فإنه وقيذ ؛ فلا تأكله** » . وفي لفظ لهما : « **إذا أرسلت كلبك ؛ فاذكر اسم اللّٰه[٥] ؛ فإن أمسك عليك فأدركته حيًا فاذبحه ، وإن**

(١٢٦) - لم أقف عليه فى المستدرك فلعله فى تصنيف آخر للحاكم ، وقد ذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٤٥٩/٢) وعزاه لابن جرير الطبرى وحده .

(١٢٧) - أخرجه الطبرى فى « تفسيره » (٥٤٦/٩) (١١١٣٦) عن عبد الله بن الزبير قال : حدثونا عن محمد بن كعب القرظى قال : لما أمر النبي صلى اللّٰه عليه وسلم بقتل الكلاب ، قالوا : يا رسول الله ، فماذا يحل لنا من هذه الأمة ؟ فنزلت : ﴿ يسألونك ماذا أحل لهم ... ﴾ الآية وشيخ ابن الزبير مبهم غير معروف .

(١٢٨) - تقدم رقم (٥٨) .

[١] - في ز : « هكذا » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ز : « و » .
[٤] - في ز : « الجارحة » .
[٥] - سقط من : خ .

أدركته قد قتل ولم يأكل منه فكله ، فإن أخذ الكلب ذكاته » . وفي رواية لهما : « **فإن أكل فلا تأكل ، فإني أخاف أن يكون أمسك على نفسه »** .

فهذا دليل للجمهور ، وهو الصحيح من مذهب الشافعي ، وهو أنه إذا أكل الكلب من الصيد يحرم مطلقًا ، ولم يستفصلوا كما ورد بذلك الحديث ، وحكي عن طائفة من السلف أنهم قالوا : لا يحرم مطلقًا .

(ذكر الآثار بذلك)

قال ابن جرير(١٢٩) : حدثنا هناد ، حدثنا وكيع ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، قال : قال سلمان الفارسي : كُلْ ، وإن أكل ثلثيه ، يعني الصيد إذا أكل منه الكلب . وكذا رواه سعيد بن أبي عروبة وعمر بن عامر ، عن قتادة . وكذا رواه محمد بن زيد ، عن سعيد بن المسيب ، عن سلمان .

ورواه ابن جرير أيضًا(١٣٠) عن مجاهد بن موسىٰ ، عن يزيد ، عن حميد ، [عن بكر بن عبد الله المزني ، والقاسم : أن سلمان قال : إذا أكل الكلب فكل ، وإن أكل ثلثيه .

وقال ابن جرير(١٣١) : حدثنا يونس بن عبد الأعلىٰ ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني مخرمة بن

(١٢٩) - أخرجه ابن جرير الطبرى (٥٦١/٩) (١١١٩٠) وإسناده صحيح . فقد تابع شعبة عليه سعيدُ بن أبي عروبة عند ابن أبي شيبة (٦٠٣/٤ - ٦٠٤) وابن جرير الطبرى (١١١٨٧) ، (١١١٩١ - ١١١٩٢) والبيهقى (٢٣٧/٩) وعمر بن عامر عند ابن جرير (١١٢٠١) وقد كان شعبة لا يحدث عن قتادة إلّا بما سمع قتادة من شيوخه ، وسعيد بن أبي عروبة أوثق الناس فى قتادة ، وعمر بن عامر هو السلمى البصرى القاضى ، وثقه أحمد لكن قال فيه الحافظ فى « التقريب » : صدوق له أوهام . وقد تابع قتادة عليه محمد بن زيد ، فرواه عن سعيد عن سلمان أخرجه ابن أبي شيبة (٦١١/٤) وابن جرير الطبرى (١١١٩٤) ، ومحمد بن زيد بن علي هو العبدى ، قاضى مرو ، نقل ابن أبي حاتم فى « الجرح والتعديل » (٤١٩/٣) توثيقه عن ابن معين ، وذكره ابن حبان فى الثقات (٤٢٤/٧) وسيأتى رقم (١٣٣) عن بكر بن عبد الله المزنى والقاسم : أن سلمان قال : إذا أكل الكلب فكل وإن أكل ثلثيه ، وقد روى هذا عن سلمان مرفوعًا لكنه لا يصح ، وقد تقدم تخريجه رقم (٦٧) وسيأتى أيضًا رقم (١٣٨) .

(١٣٠) - أخرجه ابن جرير فى تفسيره (٥٦١/٩) (١١١٩٣) وانظر الذى قبله .

(١٣١) - أخرجه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (٥٦١/٩) (١١١٩٥) ورجال إسناده ثقات غير مخرمة بن بكير ؛ قال فيه الحافظ : صدوق وروايته عن أبيه وجادة من كتابه .

وقد تابعه ابن أبي ذئب فرواه عن بكير بن عبد الله الأشج ؛ أخرجه ابن أبي شيبة في « مصنفه » (٤/ ٦٠٣) وابن جرير فى تفسيره (٥٦٣/٩) (١١٢٠٧) والبيهقى فى سننه (٢٣٧/٧) ورواه ابن أبي ذئب أيضًا عن يعقوب بن عبد الله بن الأشج عن حميد قال : سألت سعدًا ... فذكر نحو رواية بكير ، =

بكير ، عن أبيه ، عن حميد][١] بن مالك بن خثيم الدؤلي ، أنه سأل سعد بن أبي وقاص عن الصيد يأكل منه الكلب ، فقال : كل ، وإن لم يبق منه إلا حذية ، يعني بضعة .

ورواه شعبة (١٣٢) ، عن عبد ربه بن سعيد ، عن بكير بن الأشج ، عن سعيد بن المسيب ، عن سعد بن أبي وقاص قال : كُلْ ، وإن أكل ثلثيه .

وقال ابن جرير(١٣٣) : حدثنا ابن المثنىٰ ، حدثنا عبد الأعلىٰ ، حدثنا داود ، عن عامر ، عن أبي هريرة قال : إذا أرسلت كلبك فأكل منه ، فإن أكل ثلثيه وبقىٰ ثلثه ، فكله .

وقال ابن جرير(١٣٤) : حدثنا محمد بن عبد الأعلىٰ ، حدثنا المعتمر ، قال سمعت عبيد الله . وحدثنا هنّاد ، حدثنا[٢] عبدة ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر ، قال : إذا أرسلت كلبك المعلَّم ، وذكرت اسم الله ، فكل ما أمسك عليك ، أكل أو لم يأكل .

= أخرجه ابن جرير رقم (١١٢٠٨) ويعقوب بن عبد الله بن الأشج أخو بكير ، وهو ثقة روى له مسلم والنسائى والترمذى وابن ماجه ، ولا يعد ذلك اضطرابًا من ابن أبى ذئب - رحمه الله - لاحتمال أن يكون سمعه من بكير ، وسمعه من يعقوب أيضًا ، فكان يحدث به عن هذا تارة وعن الآخر تارة أخرى ، والله أعلم . وله طريق آخر عن سعد يأتى فى الذى بعده .

(١٣٢) - أخرجه ابن جرير فى « تفسيره » (٥٦٢/٩) (١١١٩٦) قال : حدثنا محمد بن المثنى حدثنى عبد الصمد حدثنا شعبة به ، ورواه ابن جرير أيضًا (١١١٩٧) حدثنا ابن المثنى قال : حدثنا سعيد بن الربيع قال : حدثنا شعبة عن عبد ربه بن سعيد قال : سمعت بكير بن الأشج ، عن سعيد بن المسيب - قال شعبة : قلت سمعته من سعيد ؟ قال : لا - قال : كل وإن أكل ثلثيه . قال : ثم إن شعبة قال فى حديثه : عن سعد قال : كل ، وإن أكل نصفه . ورواه البيهقى (٢٣٧/٩) من طريق أبى عمر الحوضى عن شعبة عن عبد ربه بن سعيد عن بكير بن عبد الله عن سعد نحوه ، وقال البيهقى : وهذا أيضًا مرسل . ثم رواه عن عبد ربه عن حميد عن سعد ثم قال : وهذا موصول .

(١٣٣) - أخرجه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (٥٦٢/٩) (١١١٩٨) ورواه أيضًا رقم (١١١٩٩) قال : حدثنا ابن المثنى حدثنا يزيد بن هارون قال : أخبرنا داود بن أبى هند ... فذكره ورواه ابن أبى شيبة فى مصنفه (٦٠٤/٤) نا يزيد بن هارون فذكره بلفظ : « إذا أرسلت كلبك فأكل فكل وإن أكل ثلثه » ، وإسناده صحيح على شرط مسلم .

(١٣٤) - أخرجه فى تفسيره (٥٦٣/٩) (١١٢٠٢) وأخرجه البيهقى (٢٣٧/٩) من طريق ابن أبى نمر عن عبيد الله به ، وأخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه (٦٠٤/٤) وابن جرير رقم (١١٢٠٦) من طريق وكيع عن ابن أبى ذئب عن نافع عن ابن عمر نحوه ، ورواه عبد الرزاق (٨٥١٦) ، (٨٥١٧) من طريق أيوب وعبد الله بن عمر عن نافع بنحوه ، ورواه ابن جرير (١١٢٠٥) من طريق ابن وهب عن عبيد الله بن عمر ، وابن أبى ذئب وغير واحد عن نافع مثله .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٢] - في خ : « بن » .

وكذا رواه عبيد الله بن عمر وابن أبي ذئب ، وغير واحد عن نافع .

فهذه الآثار ثابتة عن سلمان وسعد بن أبي وقاص وأبي هريرة وابن عمر ، وهو محكي عن علي وابن عباس . واختلف فيه عن عطاء والحسن البصري ، وهو قول الزهري وربيعة ومالك وإليه ذهب الشافعي في القديم ، وأومأ إليه في الجديد .

وقد روي من طريق سلمان الفارسي مرفوعًا ، فقال ابن جرير (١٣٥) :

حدثنا عمران بن بكار الكلاعي ، حدثنا عبد العزيز بن موسىٰ اللاحوني ، حدثنا محمد بن دينار - وهو الطاحي - عن أبي إياس معاوية بن قرة ، عن سعيد بن المسيب ، عن سلمان الفارسي ، عن رسول الله ﷺ قال : « **إذا أرسل الرجل كلبه علىٰ الصيد ، فأدركه وقد أكل منه ؛ فليأكل ما بقي** » .

ثم قال ابن جرير (١٣٦) : وفي إسناد هذا الحديث نظر ، وسعيد غير معلوم له سماع من سلمان ، والثقات يروونه من كلام سلمان غير مرفوع .

وهذا الذي قاله ابن جرير صحيح ، لكن قد روي هذا المعنىٰ مرفوعًا من وجوه أخر .

فقال أبو داود(١٣٧) : حدثنا محمد بن المنهال الضرير ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا حبيب المعلم ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدّه ، أن أعرابيًا يقال له : أبو ثعلبة قال : يا رسول الله ، إن لي كلابًا مكلبة ، فأفتني في صيدها ، فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن كان لك كلاب مكلبة ؛ فكل مما أمسكن عليك** » . فقال : ذكيًا وغير ذكي ، [قال : « **نعم** » . قال][١] : وإن أكل منه ؟ قال : « **نعم وإن أكل منه** » . فقال : يا رسول الله ، أفتني في قوسي . قال : « **كل ما ردت عليك قوسك** » . قال : «ذكيًا وغير ذكي » [قال : وإن تغيب عني؟][٢] قال : « **وإن تغيب عنك ما لم يَصِلَّ ، أو تجد فيه أثرًا غير سهمك** » . قال : أفتني في آنية المجوس إذا اضطررنا إليها ، قال : « **اغسلها وكل فيها** » .

هكذا رواه أبو داود . وقد أخرجه النسائي .

---

(١٣٥) - تقدم بمتنه وإسناده رقم (٦٧) .

(١٣٦) - انظر تفسير الطبرى (٥٦٦/٩) .

(١٣٧) - تقدم رقم (٦٦) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - سقط من ز ، خ ، وأثبتناه من سنن أبي داود.

وكذا رواه أبو داود(١٣٨) من طريق [بُشر بن][١] [عبيد الله][٢] ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن أبي ثعلبة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إذا أرسلت كلبك ، وذكرت اسم الله ، فكل وإن أكل منه ، وكل ما ردت عليك يدك** » .

وهذان إسنادان جيدان ، وقد روىٰ الثوري ، عن سماك بن حرب ، عن عدي قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم : « **ما كان من كلب ضارٍ أمسك عليك فكل** » قلت : وإن أكل ؟ قال : « **نعم** » .

وروىٰ عبد الملك بن حبيب ، حدثنا أسد بن موسىٰ ، عن ابن أبي زائدة ، عن الشعبي ، عن عدي بمثله(١٣٩) .

فهذه آثار دالة علىٰ أنه يغتفر إن أكل منه الكلب ، وقد احتج بها من لم يحرم الصيد بأكل الكلب وما أشبهه ، كما تقدم عمن حكيناه عنهم . وقد توسط آخرون فقالوا : إن أكل عقب ما أمسكه ؛ فإنه يحرم لحديث عدي بن حاتم ، وللعلة التي أشار إليها النبي ﷺ : « **فإن أكل فلا تأكل ؛ فإني أخاف أن يكون أمسك علىٰ نفسه** » . وأما إن أمسكه ، ثم انتظر صاحبه ، فطال عليه وجاع ، فأكل منه لجوعه ، فإنه لا يؤثر في التحريم ، وحملوا علىٰ ذلك حديث أبي ثعلبة الخشني . وهذا تفريق حسن ، وجمع بين الحديثين صحيح . وقد تمنىٰ الأستاذ أبو المعالي الجويني في كتابه النهاية ، أن لو فصَّل مفصِّل هذا التفصيل ، وقد حقق الله أمنيته ، وقال بهذا القول والتفريق طائفة من الأصحاب منهم ، وقال آخرون قولًا رابعًا في المسألة ، وهو التفرقة بين أكل الكلب ، فيحرم لحديث عدي ، وبين أكل الصقور ونحوها فلا يحرم ، لأنه لا يقبل التعليم إلا بالأكل .

وقال ابن جرير(١٤٠) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا أسباط بن محمد ، حدثنا أبو إسحاق الشيباني ، عن حماد ، عن[٣] إبراهيم ، عن ابن عباس أنه قال في الطير : [إذا أرسلته فقتل فكل ؛ فإن الكلب إذا ضربته لم يعد ، وإن تعليم الطير أن][٤] يرجع إلىٰ صاحبه وليس

(١٣٨) - تقدم رقم (٦٥) .

(١٣٩) - تقدم رقم (٥٨) .

(١٤٠) - تفسير الطبرى (٥٥٧/٩) (١١١٧٥) وإسناده حسن ؛ لأجل حماد بن أبى سليمان ، فإنه قال فيه الحافظ فى التقريب : صدوق له أوهام . لكن إبراهيم وهو ابن يزيد النخعى لم يسمع من ابن عباس =

[١] - ما بين المعكوفتين في خ : « يوسف بن » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « يوسف » .

[٣] - في خ : « بن » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

يضرب ، فإذا أكل من الصيد ونتف الريش فكل .

وكذا قال إبراهيم النخعي والشعبي وحماد بن أبي سليمان .

وقد يحتج لهؤلاء بما رواه ابن أبي حاتم(١٤١)

حدثنا أبو سعيد ، حدّثنا المحاربي ، حدثنا مجالد ، عن الشعبي ، عن عدي بن حاتم قال : قلت : يا رسول اللَّه ، إنا قوم نصيد بالكلاب والبزاة ، فما يحل لنا منها ؟ قال : « **يحل لكم ما علمتم من الجوارح مكلّبين تعلمونهنّ مما علمكم اللَّه ، فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم اللَّه عليه** » . ثم قال : « **ما أرسلت من كلب وذكرت اسم اللَّه عليه ؛ فكل مما أمسك عليك** » . قلت : وإن قتل ؟ قال : « **وإن قتل مالم يأكل** » . قلت : يا رسول اللَّه ، وإن خالطت كلابنا كلابًا[١] غيرها ؟ قال : « **فلا تأكل حتىٰ تعلم أن كلبك هو الذي أمسك** » . قال : قلت : إنا قوم نرمي فما يحل لنا ؟ قال : « **ما ذكرت اسم اللَّه عليه وخزقت ؛ فكُلْ** » .

فوجه الدلالة لهم أنه اشترط في الكلب أن لا يأكل ، ولم يشترط ذلك في البزاة ، فدل علىٰ التفرقة بينهما في الحكم ، واللَّه أعلم .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم اللَّه عليه** ﴾ ، أي : عند إرساله[٢] ، كما قال النبي ﷺ لعدي بن حاتم : « **إذا أرسلت كلبك المعلم ، وذكرت اسم اللَّه ، فكل ما أمسك عليك** »(١٤٢) . وفي حديث أبي ثعلبة المخرج في الصحيحين أيضًا (١٤٣) : « **إذا أرسلت كلبك فاذكر اسم اللَّه ، وإذا رميت بسهمك ، [فاذكر اسم اللَّه]**[٣] » .

ولهذا اشترط من اشترط من الأئمة كالإمام أحمد - رحمه اللَّه - في المشهور عنه : التسمية

= كما قال ابن المدينى ، نقله المزى فى ترجمة إبراهيم من « تهذيب الكمال » .

(١٤١) - ذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٢/٤٦٠ - ٤٦١) ولم يعزه لغير ابن أبى حاتم ، وقد تقدم تخريجه رقم (١٢٣) .

(١٤٢) - تقدم حديث عدى مرارًا ، وانظر تخريجه رقم (٥٨) .

(١٤٣) - تقدم تخريجه فى رقم (٦٥) .

[١] - في خ : « كلب » .

[٢] - في خ : « الإرسال » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

عند إرسال الكلب ، والرمي بالسهم ، لهذه الآية ، وهذا الحديث ، وهذا القول هو المشهور عند الجمهور ، أن المراد بهذه الآية الأمر بالتسمية عند الإرسال ، كما قاله السدي وغير واحد .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله : ﴿ **واذكروا اسم اللّٰه عليه** ﴾ يقول : إذا أرسلت جارحك ، فقل : بسم اللّٰه ، وإن نسيت فلا حرج(١٤٤) .

وقال بعض الناس : المراد بهذه الآية الأمر بالتسمية عند الأكل ، كما ثبت في الصحيح أن رسول اللّٰه ﷺ علم ربيبه عمر بن أبي سلمة فقال : « **سم اللّٰه وكل بيمينك ، وكل مما يليك** »(١٤٥) .

وفي صحيح البخاري عن عائشة : أنهم قالوا : يا رسول اللّٰه ؛ إن قومًا يأتوننا حديث عهدهم[١] بكفر بلحمان ، لا ندري أذكر اسم اللّٰه عليها أم لا ؟ فقال : « **سموا اللّٰه أنتم وكلوا** »(١٤٦) .

(حديث آخر) : وقال الإمام أحمد (١٤٧) : حدثنا يزيد ، حدثنا هشام[٢] ، عن بديل ، عن

---

(١٤٤) - أخرجه ابن جرير فى تفسيره (٥٧١/٩) (١١٢١٨) وذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٢/ ٤٦٠) وزاد نسبته إلى « ابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والبيهقى في سننه » .

(١٤٥) - أخرجه البخارى فى الأطعمة ، باب : التسمية على الطعام والأكل باليمين ، الحديث (٥٣٧٦) ، ومسلم فى الأشربة ، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما ، الحديث (٢٠٢٢ - ١٠٨) من طريق الوليد بن كثير عن وهب بن كيسان سمعه من عمر بن أبى سلمة قال : كنت فى حجر رسول الله صلى اللّٰه عليه وسلم وكانت يدى تطيش فى الصحفة فقال لى : « يا غلام ! سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك » . ورواه البخارى (٥٣٧٧) ، ومسلم (٢٠٢٢ - ١٠٩) من طريق محمد بن عمرو بن حلحلة عن وهب بن كيسان عن عمر ، مقتصرًا على قوله : « كل مما يليك » ورواه مالك فى الموطأ (٧١١/٢) ومن طريقه البخارى فى الأطعمة ، باب : الأكل مما يليه ، الحديث (٥٣٧٨) عن وهب بن كيسان أبى نعيم قال : أتى رسول الله صلى اللّٰه عليه وسلم بطعام ومعه ربيبه عمر بن أبى سلمة فقال له رسول الله صلى اللّٰه عليه وسلم : « **سم الله وكل مما يليك** » .

(١٤٦) - أخرجه البخارى فى التوحيد ، باب : السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها ، الحديث (٧٣٩٨) ، وهو عند البخارى أيضًا فى البيوع ، باب من لم ير الوساوس ونحوها من الشبهات ، الحديث (٢٠٥٧) ، وفي الذبائح والصيد باب : ذبيحة الأعراب ونحوهم الحديث (٥٥٠٧) من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة .

(١٤٧) - أخرجه أحمد فى مسنده (١٤٣/٦) والدارمى (٩٤/٢) ، وابن ماجه فى الأطعمة ، باب : فى التسمية عند الطعام ، الحديث (٣٢٦٤) وابن حبان في صحيحه (١٣/١٢) (٥٢١٤) من طريق يزيد =

---

[١] - في خ : «عهد لهم» . [٢] - في خ ، ز: « هشيم» .

عبد اللَّه بن عبيد بن عمير ، عن عائشة أن رسول اللَّه ﷺ كان يأكل طعامًا[١] في ستة نفر من أصحابه ، فجاء أعرابي فأكله بلقمتين ، فقال النبي ﷺ : « **أما إنه لو كان[٢] ذكر اسم اللَّه لكفاكم ، فإذا أكل أحدكم طعامًا[٣] فليذكر اسم اللَّه ، فإن نسي أن يذكر اسم اللَّه أوّله ، فليقل باسم اللَّه أوّله وآخره** » .

وهكذا رواه ابن ماجه ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن يزيد بن هارون به .

وهذا منقطع بين عبد اللَّه بن عبيد بن عمير وعائشة ؛ فإنه لم يسمع منها هذا الحديث ، بدليل ما رواه الإمام أحمد(١٤٨) :

حدثنا عبد الوهاب ، أخبرنا هشام يعني ابن أبي عبد اللَّه الدستوائي ، عن بديل ، عن عبد اللَّه بن عبيد بن عمير ، أن امرأة منهم يقال لها : أم كلثوم حدثته عن عائشة : أن رسول اللَّه ﷺ كان يأكل طعامًا في ستة نفر من أصحابه ، فجاء أعرابي جائع فأكله بلقمتين فقال : « **أما إنه لو ذكر اسم اللَّه لكفاكم ، فإذا أكل أحدكم فليذكر اسم اللَّه ، فإن نسي اسم اللَّه في أوّله فليقل :**

= ابن هارون به ، وقد خالف يزيد بن هارون جماعة من الثقات فرووه عن هشام بن أبى عبد الله الدستوائى عن بديل بن ميسرة العقيلى عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، أن امرأة منهم يقال لها : أم كلثوم حدثته عن عائشة ... فذكره ، ولا شك أن رواية الجماعة هى الصواب . وسيأتى فى الذى بعده من هذه الطريق .

(١٤٨) - أخرجه أحمد فى المسند (٦/٢٦٥) ، ورواه أيضًا فى (٦/٢٤٦) والبيهقى (٧/٢٧٦) عن روح ، وأبو داود في الأطعمة ، باب التسمية علي الطعام ، الحديث (٣٧٦٧) عن إسماعيل بن علية ، وأحمد (٦/٢٠٧ - ٢٠٨) ، والترمذى فى الأطعمة : باب : ما جاء فى التسمية على الطعام ، الحديث (١٨٥٨) عن وكيع ، والنسائى فى « اليوم والليلة » (٢٨١) عن المعتمر بن سليمان ، والطيالسى (١٥٦٦) ومن طريقه الطحاوى فى « مشكل الآثار » (٢/٢١) والبيهقى (٧/٢٧٦) ورواه الحاكم (٤/١٠٨) عن عفان كلهم عن هشام به ، وقال الترمذى : حديث حسن صحيح . وأم كلثوم هى بنت محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه » .

قال الألبانى - حفظه الله - فى الإرواء (٧/٢٤) : كذا قال ، وفيه نظر ، فقد وقع فى رواية غير الترمذى : « عن امرأة منهم يقال لها أم كلثوم » يعنى أنها ليثية ، ولذلك ترجمها الحافظ المزى بـ « أم كلثوم الليثية المكية » ولو كانت هى بنت محمد بن أبى بكر الصديق لكانت تيمية .

قلت : وقد سبق إلى ذلك الحافظ المنذرى رحمه الله فى « مختصر سنن أبى داود » (٥/٣٠٠) فقال : « ووقع فى بعض روايات الترمذى : « أم كلثوم : هى بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنه » وقال غيره فيها : أم كلثوم الليثية ، وهو الأشبه ؛ لأن عبيد بن عمير ليثى ، ومثل بنت أبى بكر لا يكنى عنها بامرأة ، ولا سيما مع قوله « منهم » وقد سقط هذا من بعض نسخ الترمذى وسقوطه الصواب . =

---

[١] - في خ : الطعام .

[٢] - سقط من : ت . [٣] - سقط من : خ .

باسم اللَّه أوّله وآخره » .

ورواه أحمد أيضًا ، وأبو داود والترمذي والنسائي من غير وجه عن هشام الدستوائي به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

(حديث آخر) : قال أحمد (١٤٩) : حدثنا علي بن عبد اللَّه ، حدثنا يحيىٰ بن سعيد ، حدثنا جابر بن صبح ، حدثني المثنى بن عبد الرحمن الخزاعي ، وصحبته إلىٰ واسط فكان يسمي في أوّل طعامه ، وفي آخر لقمة يقول : بسم اللَّه أوله وآخره ، [فقلت له : إنك تسمي في أوّل ما تأكل ، أرأيت قولك في آخر ما تأكل: بسم اللَّه أوله وآخره][١] ؟ فقال : أخبرك [عن ذلك إنَّ جدي][٢] أمية بن مخشي ، وكان من أصحاب النبي ﷺ [سمعته يقول : إن رجلًا كان يأكل ، والنبي ينظر ، فلم يسم ، حتىٰ كان في آخر طعامه ، قال : بسم اللَّه أوّله وآخره ،

= والله عز وجل أعلم » . وسواء كانت أم كلثوم بنت محمد بن أبي بكر أو أم كلثوم الليثية فهى على الحالتين مجهولة لم يرو عنها غير عبد الله بن عبيد بن عمير ، قال العلامة ناصر الدين الألبانى : وجملة القول أن الإسناد ضعيف لجهالة أم كلثوم هذه حتى لو فرض أنها ابنة محمد بن أبى بكر الصديق ، لكن الحديث صحيح فإن له شاهدين اهـ . ثم ذكر حديث أمية بن مخشي التالى ، وحديث عبد الله بن مسعود الذى أخرجه ابن حبان (١٢/١٢) (٥٢١٣) ، وابن السنى فى « عمل اليوم والليلة » (٤٦١) من طريق القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **من نسي أن يذكر الله فى أول طعامه فليقل حين يذكر : بسم الله فى أوله وآخره ، فإنه يستقبل طعامه جديدًا ، ويمنع الخبيث ما كان يصيب منه** » . ورواه أيضًا الطبرانى فى « الكبير » (١٠/ ٢١٠) (١٠٣٥٤) ، وفى الأوسط (٤٥٧٦) من نفس الطريق ، وذكره الهيثمى فى « مجمع الزوائد » (٢٦/٥) وقال : « رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير ورجاله ثقات » .

وصحح إسناده الألبانى حفظه الله فى الإرواء (٢٧/٧) .

(١٤٩) – أخرجه فى المسند (٣٣٦/٤) ، ورواه أبو داود فى الأطعمة ، باب التسمية على الطعام ، الحديث (٣٧٦٨) والنسائى فى الكبرى كتاب الوليمة ، باب : ما يقول إذا نسى التسمية ثم ذكر ، الحديث (١٠١١٣) ، والبخارى فى التاريخ الكبير (٦/٢ – ٧) ، وابن أبى عاصم فى « الآحاد والمثانى » (٢٣٠١) ، والطبرانى فى « الكبير » (٢٦٨/١) (٨٥٤، ٨٥٥) والحاكم فى « المستدرك » (١٠٨/٤ – ١٠٩) وابن السنى فى « عمل اليوم والليلة » (٤٦١) كلهم من طريق يحيى بن سعيد عن جابر بن صبح به . وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح الإسناد » ووافقه الذهبى قلت : المثنى بن عبد الرحمن الخزاعى ذكره الذهبى فى الميزان (٣٥٥/٤) وقال : لا يعرف . تفرد عنه جابر بن صبح ، وقال ابن المدينى : مجهول . وقال الحافظ فى « التقريب » : مستور . وبه أعل الألبانى الحديث فى الإرواء (٢٦/٧) فقال بعد أن نقل تصحيح الحاكم وموافقة الذهبى له : « وليس كما قال » ثم ذكر كلام الذهبى وابن حجر – رحمهما الله – فى المثنى بن عبد الرحمن لكن يشهد لهذا الحديث حديث عائشة المتقدم قبله .

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من: خ. [٢] – في خ، ز: «أن خالد بن أمية ...».

فقال النبي ﷺ : « **والله**[١] **ما زال الشيطان يأكل معه حتىٰ سمىٰ ، فلم يبق شيء في بطنه حتىٰ قاءه** » .

وهكذا رواه أبو داود والنسائي من حديث جابر بن صبح الراسبي أبي بشر البصري ، وثقه ابن معين والنسائي ، وقال أبو الفتح الأزدي : لا تقوم به الحجة .

(حديث آخر) : قال الإمام أحمد(١٥٠) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن خيثمة ، عن أبي حذيفة - قال أبو عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد : واسمه سلمة بن الهيثم بن صهيب من أصحاب ابن مسعود - عن حذيفة قال : كنا إذا حضرنا مع النبي [علىٰ طعام لم نضع أيدينا ، حتىٰ يبدأ رسول الله فيضع يده ، وإنا حضرنا معه][٢] طعامًا ما ، فجاءت جارية كأنما تدفع ، فذهبت تضع يدها في الطعام ، فأخذ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بيدها ، وجاء أعرابي كأنما يدفع ، فذهب يضع يده في الطعام ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ، فقال رسول الله ﷺ : « **إن الشيطان يستحل الطعام إذا لم يذكر اسم الله عليه ، وإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها ، فأخذت بيدها ، وجاء بهذا الأعرابي ليستحل به ، فأخذت بيده ، والذي نفسي بيده ، إن يده في يدي مع يديهما** » يعني : الشيطان . وكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي من حديث الأعمش به.

(حديث آخر) : روىٰ مسلم وأهل السنن إلا الترمذي(١٥١) ، من طريق ابن جريج ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله ، [عن النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم][٣] قال : « **إذا دخل**

(تنبيه) : وقع عند أبي داود : « عن المثنى بن عبد الرحمن عن عمه أمية بن مخشي » وهو كذلك عند الطبراني رقم (٨٥٥) لكن عند غيرهما « عن المثنى عن جدّه » .

(١٥٠) - أخرجه في المسند (٣٨٢/٥) ورواه مسلم في الأشربة باب : آداب الطعام والشراب وأحكامهما ، الحديث (٢٠١٧) وأبو داود في الأطعمة باب : التسمية على الطعام ، الحديث (٣٧٦٦) من طريق أبي معاوية عن الأعمش به ، ورواه مسلم ، وأحمد (٣٩٧/٥) من طريق سفيان عن الأعمش به ، ورواه مسلم ، والنسائي في الكبرى ، كتاب آداب الأكل ، باب : ذكر ما يستحل به الشيطان الطعام ، الحديث (٦٧٥٤) من طريق عيسى بن يونس عن الأعمش به .

(١٥١) - أخرجه مسلم في الأشربة ، باب : آداب الطعام والشراب وأحكامهما ، الحديث (٢٠١٨) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (١٠٩٦) وأبو داود في الأطعمة ، باب التسمية على الطعام ، الحديث (٣٧٦٥) والنسائي في « عمل اليوم والليلة » (١٧٨) ، وابن ماجه في الدعاء ، باب ما يدعو به إذا دخل بيته ، الحديث (٣٨٨٧) وأحمد (٣٨٣/٣) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

الرجل بيته ، فذكر الله عند دخوله ، وعند طعامه ، قال الشيطان : لا مبيت لكم ولا عشاء ، وإذا دخل فلم يذكر اسم الله عند [دخوله ، قال الشيطان : أدركتم المبيت ، فإذا لم يذكر اسم الله عند][١] طعامه ، قال : أدركتم المبيت والعشاء » . لفظ أبي داود .

(حديث آخر) : قال الإمام أحمد (١٥٢) : حدثنا يزيد بن عبد ربه ، حدثنا الوليد بن مسلم ، عن [وحشي بن حرب بن][٢] وحشى بن حرب عن أبيه ، عن جده أن رجلًا قال للنبي صلىٰ الله عليه وسلم : إنا نأكل وما نشبع . قال : « **فلعلكم تأكلون متفرقين ، اجتمعوا علىٰ طعامكم ، واذكروا اسم الله ؛ يبارك لكم فيه** » .

ورواه أبو داود وابن ماجة من طريق الوليد بن مسلم.

﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى

(١٥٢) - أخرجه فى المسند (٥٠١/٣) ، وأخرجه أبو داود فى الأطعمة ، باب الاجتماع على الطعام ، الحديث (٣٧٦٤) ، وابن ماجه فى الأطعمة ، باب الاجتماع على الطعام ، الحديث (٣٢٨٦) والطبرانى فى الكبير (١٣٩/٢٢) (٣٦٨) ، وابن حبان في صحيحه (٥٢٢٤) وهو فى الموارد رقم (١٣٤٥) وأورده الحاكم (١٠٣/٢) شاهدًا ولم يصححه هو ولا الذهبى . وابن أبى عاصم فى « الآحاد والمثانى » رقم (٤٨٢) والمزى فى « تهذيب الكمال » (٥٣٩/٥) -كلهم من طريق الوليد بن مسلم به ، وقد صرح الوليد بن مسلم بالتحديث عند أبى داود وغيره فزالت شبهة التدليس ، ووحشي بن حرب بن وحشى ترجم له البخارى في التاريخ (١٨٠/٨) وابن أبى حاتم فى « الجرح والتعديل » (٤٥/٩ - ٤٦) ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلاً ، وذكره العجلى فى تاريخ الثقات (١٧٦٧) وقال : شامى ، لا بأس به . وذكره ابن حبان فى « الثقات » (٥٦٤/٧) أيضًا ، لكن نقل المزى فى « تهذيب الكمال » (٤٢٨/٣٠) عن صالح ابن محمد قال : لا يشتغل به ولا بأبيه . وقال الذهبى فى « الكاشف » : لين . وأبوه حرب بن وحشي ترجم له البخارى فى التاريخ الكبير (٦١/٣) وابن أبى حاتم فى « الجرح والتعديل » (٢٤٩/٣) ولم يذكرا فيه أيضًا جرحًا ولا تعديلاً ، وذكره ابن حبان فى ثقاته (١٧٣/٤) ونقل الحافظ فى ترجمته فى « التهذيب » عن البزار قال : مجهول فى الرواية معروف فى النسب . والحديث حسنه العراقى فى تخريج الإحياء فتعقبه الألبانى فى الصحيحة رقم (٦٦٤) فضعف إسناده ثم قال : لكن الحديث حسن لغيره ؛ لأن له شواهد فى معناه .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

﴿ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٥﴾

لما ذكر تعالىٰ ما حرمه علىٰ عباده المؤمنين من الخبائث ، وما أحله لهم من الطيبات ،

قال بعده : ﴿ **اليوم أحل لكم الطيبات** ﴾ ثم ذكر حكم ذبائح أهل الكتابين ، من اليهود والنصارىٰ ، فقال : ﴿ **وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم** ﴾ قال ابن عباس وأبو أمامة ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وعطاء والحسن ومكحول وإبراهيم النخعي والسدي ومقاتل ابن حيان : يعني : ذبائحهم .

وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء ، أن ذبائحهم حلال للمسلمين ، لأنهم يعتقدون تحريم الذبح لغير الله ، ولا يذكرون علىٰ ذبائحهم إلا اسم الله ، وإن اعتقدوا فيه تعالىٰ ماهو منزه عنه تعالىٰ وتقدس . وقد ثبت في الصحيح عن عبد الله بن مغفل قال : دلي بجراب من شحم يوم خيبر ، فاحتضنته وقلت : لا أعطي اليوم من هذا أحدًا ، والتفت فإذا النبي ﷺ يتبسم(١٥٣) .

فاستدل به الفقهاء؛ علىٰ أنه يجوز تناول ما يحتاج إليه من الأطعمة ونحوها من الغنيمة قبل القسمة ، وهذا ظاهر ، واستدل به الفقهاء الحنفية والشافعية والحنابلة؛ علىٰ أصحاب مالك في منعهم أكل ما يعتقد اليهود تحريمه من ذبائحهم؛ كالشحوم ونحوها مما حرم عليهم ، فالمالكية لا يجوّزون للمسلمين أكله؛ لقوله تعالىٰ : ﴿ **وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم** ﴾ قالوا : وهذا ليس من طعامهم ، واستدل عليهم الجمهور بهذا الحديث ، وفي ذلك نظر ؛ لأنه قضية عين ، ويحتمل أن يكون شحمًا يعتقدون حله ، كشحم الظهر والحوايا ونحوهما ، والله أعلم .

وأجود منه في الدلالة ما ثبت في الصحيح(١٥٤) ؛ أن أهل خيبر أهدوا لرسول الله ﷺ شاة

(١٥٣) – أخرجه البخارى فى الجزية والموادعة ، باب : ما يصيب من الطعام فى أرض العدو ، الحديث (٣١٥٣) ، وفى المغازى ، باب : غزوة خيبر ، الحديث (٤٢١٤) ، وفى الذبائح والصيد ، باب : ذبائح أهل الكتاب وشحومها ، من أهل الحرب وغيرهم ، الحديث (٥٥٠٨) ، ومسلم فى الجهاد والسير ، باب جواز الأكل من طعام الغنيمة فى دار الحرب الحديث (١٧٧٢) عن حميد بن هلال عن عبد الله بن مغفل .

(١٥٤) – أخرجه البخارى فى الجزية والموادعة ، باب إذا غدر المشركون بالمسلمين هل يعفى عنهم ؟ الحديث (٣١٦٩) وفي المغازى ، باب الشاة التى سمت للنبى صلى الله عليه وسلم بخيبر ، الحديث (٤٢٤٩) ، وفى الطب ، باب ما يذكر فى سم النبى صلى الله عليه وسلم ، الحديث (٥٧٧٧) ، وأحمد (٢/ ٤٥١) ، والدارمى (٧٠) من طرق عن الليث بن سعد حدثنى سعيد بن أبى سعيد المقبرى ، وليس فيه أنه قتلها بيشر ، بل قد روى أبو داود فى الديات ، باب : فيمن سقى رجلاً سمًا أو أطعمه فمات أيقاد منه =

مصلية ، وقد سموا ذراعها ، وكان يعجبه الذراع ، فتناوله ، فنهش منه نهشة ، فأخبره الذراع أنه مسموم ، فلفظه ، وأثر ذلك السم في ثنايا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وآله وسلم ، وفي أبهره ، وأكل معه منها بشر بن البراء بن معرور ، فمات ، فقتل اليهودية التي سمتها ، وكان اسمها زينب ، فقتلت ببشر بن البراء .

ووجه الدلالة منه أنه عزم علىٰ أكلها ومن معه ، ولم يسألهم ، هل نزعوا منها ما يعتقدون تحريمه من شحمها أم لا ؟

وفي الحديث الآخر أنّ رسول اللّٰه ﷺ أضافه يهودي علىٰ[1] خبز شعير ، وإهالة سنخة (١٥٥) . يعني : ودكًا زنخًا .

= الحديث (٤٥٠٩) ومن طريقه البيهقي في سننه (٤٦/٨) من طريق عباد بن العوام عن سفيان بن حسين عن الزهرى عن سعيد وأبي سلمة ، عن أبى هريرة أن امرأة من اليهود أهدت إلى النبى صلى اللّٰه عليه وسلم شاة مسمومة ، قال : فما عرض لها النبى صلى اللّٰه عليه وسلم . وفى حديث جابر عند أبى داود (٤٥١٠) وعنه البيهقى (٤٦/٨) ورواه الدارمى (٦٩) عن الزهرى عن جابر ، وفيه « فعفا عنها رسول الله صلى اللّٰه عليه وسلم ولم يعاقبها » قال الحافظ فى الفتح (٤٩٧/٧) : وهذا منقطع لأن الزهرى لم يسمع من جابر .

ورواه أبو داود (٤٥١١) ومن طريقه البيهقي (٤٦/٨) عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة نحو حديث جابر ، وفيه : « فأمر بها رسول الله صلى اللّٰه عليه وسلم فقتلت » . وقد وصله البيهقى (٤٦/٨) عن أبى هريرة . وروى عبد الرزاق فى « مصنفه » كما فى فتح البارى (٤٩٧/٧) عن معمر عن الزهرى عن أبى ابن كعب مثل حديث أبى سلمة وسعيد عن أبى هريرة ، وقال : قال الزهرى : « فأسلمت فتركها » ، قال معمر : والناس يقولون : قتلها . وروى البخارى فى كتاب الهبة وفضلها ، باب : قبول الهدية من المشركين ، الحديث (٢٦١٧) ، ومسلم فى كتاب السلام ، باب : السم ، الحديث (٢١٩٠) من حديث هشام بن زيد عن أنس أن امرأة يهودية أتت رسول الله صلى اللّٰه عليه وسلم بشاة مسمومة فأكل منها ... الحديث ، وفيه : « قالوا : ألا تقتلها ؟ قال : « لا » .

قال البيهقى - رحمه الله - : اختلفت الروايات فى قتلها ورواية أنس بن مالك أصحها ويحتمل أنه صلى اللّٰه عليه وسلم فى الابتداء لم يعاقبها حين لم يمت أحد من أصحابه مما أكل فلما مات بشر بن البراء أمر بقتلها ، فأدى كل واحد من الرواة ما شاهد ، والله أعلم .

وقال الإمام ابن القيم - رحمه الله - فى « زاد المعاد » (٣٣٦/٣) : وقد وفق بين الروايتين بأنه لم يقتلها أولاً ، فلما مات بشر قتلها . اهـ .

(١٥٥) - أخرجه أحمد فى مسنده (٢١٠/٣ - ٢١١) ثنا عبد الصمد ثنا أبان ثنا قتادة عن أنس أن يهوديًا دعا النبى صلى اللّٰه عليه وسلم إلى خبز شعير وإهالة سنخة ، فأجابه ، وأصل الحديث رواه البخارى فى صحيحه فى البيوع ، باب شراء النبى صلى اللّٰه عليه وسلم بالنسيئة ، الحديث (٢٠٦٩) ، وفى =

[١] - سقط من : خ .

وقال ابن أبي حاتم (١٥٦) : قرئ علىٰ العباس بن الوليد بن مزيد ، أخبرنا محمد بن شعيب ، أخبرني النعمان بن المنذر ، عن مكحول قال : أنزل اللّٰه : ﴿ **ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم اللّٰه عليه** ﴾ ثم نسخه الرب -عز وجل- ، ورحم المسلمين فقال : ﴿ **اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم** ﴾ فنسخها بذلك ، وأحل طعام أهل الكتاب .

وفي هذا الذي قاله مكحول -رحمه اللّٰه- نظر ؛ فإنه لا يلزم من إباحته طعام أهل الكتاب إباحة أكل ما لم يذكر اسم عليه ؛ لأنهم يذكرون اسم اللّٰه علىٰ ذبائحهم [وقرابينهم ، وهم متعبدون بذلك ، ولهذا لم يبح ذبائح من عداهم من أهل الشرك ، ومن شابههم لأنهم لا يذكرون اسم اللّٰه علىٰ ذبائحهم][١] ، بل ولا يتوقفون فيما يأكلونه من اللحم علىٰ ذكاة ، بل يأكلون الميتة بخلاف أهل الكتابين ، ومن شاكلهم من السامرة والصابئة ، ومن تمسك[٢] بدين إبراهيم وشيث وغيرهما من الأنبياء علىٰ أحد قولي العلماء ، ونصارىٰ العرب ، كبني تغلب وتنوخ وبهراء وجذام ولخم وعاملة ، ومن أشبههم ، لا تؤكل ذبائحهم عند الجمهور.

و[٣] قال أبو جعفر بن جرير(١٥٧) : حدّثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن علية ، عن أيوب ، عن محمد بن عبيدة قال : قال علي : لا تأكلوا ذبائح بني تغلب ؛ لأنهم إنما يتمسكون من النصرانية بشرب الخمر .

وكذا قال غير واحد من الخلف والسلف .

وقال سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب والحسن : أنهما كانا لا يريان

= الرهن ، باب : فى الرهن فى الحضر ، الحديث (٢٥٠٨) من طريق هشام الدستوائى عن أنس - رضى الله عنه - أنه مشى إلى النبى صلى اللّٰه عليه وسلم بخبز شعير وإهالة سنخة .

(١٥٦) - انظر سورة الأنعام الآية (١٢١) .

(١٥٧) - أخرجه فى تفسيره (٩/٥٧٥) (١١٢٣٠) وإسناده من أصح الأسانيد عن على - رضى الله عنه - ورواه الشافعى فى الأم (٢/١٩٦) ومن طريقه البيهقى في السنن (٩/٢٨٤) ، ورواه عبد الرزاق فى المصنف (٤/٤٨٥) (٨٥٧٠) من طريق أيوب عن ابن سيرين به ، قال الحافظ ابن حجر فى « فتح البارى » (٩/٦٣٧) : أخرجه الشافعى وعبد الرزاق بأسانيد صحيحة . اهـ ، ورواه ابن جرير (١١٢٣١ - ١١٢٣٤) من طرق عن على - رضى الله عنه - وروى النحاس فى ناسخه (ص ٣٦٥) عن الحسن قال : ما علمت أحدًا من أصحاب محمد ص حرم ذبائح بنى تغلب إلا على بن أبى طالب ، رضى الله عنه .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ.

[٢] - في خ : « يتمسك » .

[٣] - سقط من : ز .

بأسًا بذبيحة نصارىٰ بني تغلب (١٥٨) .

وأما المجوس ؛ فإنهم ؛ وإن أخذت منهم الجزية تبعًا وإلحاقًا لأهل الكتاب ؛ فإنهم لا تؤكل ذبائحهم ، ولا تنكح نساؤهم ، خلافًا لأبي ثور إبراهيم بن خالد الكلبي ، أحد الفقهاء ، من أصحاب الشافعي وأحمد بن حنبل . ولما قال ذلك واشتهر عنه ، أنكر عليه الفقهاء ذلك ، حتىٰ قال عنه الإمام أحمد : أبو ثور كاسمه ، يعني في هذه المسألة ، وكأنه تمسك بعموم حديث روي مرسلًا عن النبي ﷺ أنه قال : « **سنوا بهم سنة أهل الكتاب** » (١٥٩) .

ولكن لم يثبت بهذا اللفظ ، وإنما الذي[١] في صحيح البخاري ، عن عبد الرحمن بن عوف أن

---

(١٥٨) - أخرجه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (٥٧٤/٩) (١١٢٢٣) .

(١٥٩) - أخرجه مالك فى الموطأ (ص ٢٣٣) فى الزكاة ، باب : جزية أهل الكتاب والمجوس ، الحديث (٤٢) ومن طريقه الشافعى فى مسنده (٢/رقم ٤٣١ - ترتيب) ، والبيهقى (١٨٩/٩) عن جعفر بن محمد بن على عن أبيه أن عمر بن الخطاب ذكر المجوس ، فقال : ما أدرى كيف أصنع فى أمرهم ؟ فقال عبد الرحمن بن عوف : أشهد لسمعت رسول الله صلى اللّٰه عليه وسلم يقول : « **سنوا بهم سنة أهل الكتاب** » ورواه عبد الرزاق فى مصنفه (٦٨/٦) (١٠٠٢٥) أخبرنا ابن جريج قال : حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه أن عمر بن الخطاب خرج فمر على ناس من أصحاب النبى ﷺ فيهم عبد الرحمن بن عوف فقال : ما أدرى ما أصنع فى هؤلاء القوم الذين ليسوا من العرب ، ولا من أهل الكتاب ؟ يعنى المجوس ، فقال عبد الرحمن بن عوف : أشهد لسمعت رسول الله صلى اللّٰه عليه وسلم يقول : « **سنوا بهم سنة أهل الكتاب** » اهـ . وعزاه الألبانى فى الإرواء (٨٨/٥) إلى ابن أبى شيبة فى « المصنف » عن حاتم بن إسماعيل عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : قال عمر ، وهو فى مجلس بين القبر والمنبر : ما أدرى كيف أصنع بالمجوس ، وليسوا بأهل كتاب ؟ فقال عبد الرحمن ... قال الحافظ فى « فتح البارى » (٢٦١/٦) : هذا منقطع مع ثقات رجاله . ورواه ابن المنذر والدارقطنى فى « الغرائب » من طريق أبى على الحنفى عن مالك ، فزاد فيه « عن جده » وهو منقطع أيضًا ؛ لأن جده على بن الحسين لم يلحق عبد الرحمن بن عوف ولا عمر ، فإن كان الضمير فى قوله : « عن جده » يعود على محمد بن على فيكون متصلاً ؛ لأن جده الحسين بن على سمع من عمر بن الخطاب ومن عبد الرحمن بن عوف ، وله شاهد من حديث مسلم ابن العلاء بن الحضرمى أخرجه الطبرانى فى آخر حديث بلفظ : « سنوا بالمجوس سنة أهل الكتاب » . قلت : وطريق أبى على الحنفى عن مالك رواه أيضًا البزار فى « مسنده » (٢٦٤/٣) (١٠٥٦) وقال : وهذا الحديث قد رواه جماعة عن جعفر بن محمد عن أبيه ولم يقولوا : « عن جده » وجده على بن الحسين ، والحديث مرسل ولا نعلم أحدًا قال : « عن جعفر عن أبيه عن جده » إلا أبو على الحنفى عن مالك » اهـ . وحديث مسلم بن العلاء بن الحضرمى عند الطبرانى فى الكبير (٤٣٧/١٩) رقم (١٠٥٩) وهو شديد الضعف ؛ قال الحافظ نفسه فى الإصابة (١٩٨/٩) بعد ذكر حديث الطبرانى هذا : وأخرجه أبو سليمان بن زَبْر من هذا الوجه لكن قال : « عن جده العلاء » وأخرجه ابن منده =

---

[١] - في ز : « النهي » .

رسول الله ﷺ أخذ الجزية من مجوس هجر(١٦٠) .

ولو سلم صحة هذا الحديث ، فعمومه مخصوص بمفهوم هذه الآية : ﴿ **وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم** ﴾ . فدل بمفهومه - مفهوم المخالفة - على[١] أن طعام من عداهم من أهل الأديان لا يحل .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وطعامكم حل لهم** ﴾ أي[٢] : ويحل لكم أن تطعموهم من ذبائحكم ، وليس هذا إخبارًا عن الحكم عندهم ، اللهم إلا أن يكون خبرًا عما أمروا به من الأكل من كل طعام ذكر اسم الله عليه ، سواء كان من أهل ملتهم ، أو غيرها . والأول أظهر في المعنىٰ ، أي : ولكم أن تطعموهم من ذبائحكم ، كما أكلتم من ذبائحهم ، وهذا من باب المكافأة والمقابلة والمجازاة ، كما ألبس النبي ﷺ ثوبه لعبد الله بن أبي ابن سلول حين مات ، ودفنه فيه . قالوا : لأنه كان قد كسا العباس حين قدم المدينة ثوبه ، فجازاه[٣] النبي ﷺ ذلك بذلك(١٦١) ، فأما الحديث الذي فيه : « **لا تصحب إلا مؤمنًا ، ولا يأكل طعامك إلا تقي** »(١٦٢) فمحمول علىٰ الندب والاستحباب ، والله أعلم .

= كالطبراني وزاد : وكان اسم مسلم العاص ، فسماه النبى صلى الله عليه وسلم مسلمًا ، وهذا يضعف رواية أبي سليمان ، ومدار هذا الحديث على عمر بن إبراهيم ، وهو ساقط . وانظر الكلام على الحديث فى نصب الراية (٣/٤٤٨ - ٤٤٩) والإرواء (١٢٤٨) .

(١٦٠) - أخرجه البخارى فى صحيحه فى الجزية والموادعة ، باب : الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب ، الحديث (٣١٥٧) .

(١٦١) - أما قصة إعطاء النبى صلى الله عليه وسلم قميصه لعبد الله بن أبى فثابتة فى الصحيحين من حديث ابن عمر ؛ أخرجه البخارى فى صحيحه فى الجنائز ، باب : الكفن فى القميص الذى يكف أو لا يكف ، الحديث (١٢٦٩) وأطرافه فى (٤٦٧٠، ٤٦٧٢، ٥٧٩٦) ، ومسلم فى صفات المنافقين وأحكامهم ، الحديث (٢٧٧٤) لكن ذكر السبب فى ذلك ورد من حديث جابر أخرجه البخارى فى صحيحه فى الجهاد والسير ، باب : الكسوة للأسارى ، الحديث (٣٠٠٨) عن عمرو بن دينار سمع جابر ابن عبد الله - رضى الله عنهما - قال : لما كان يوم بدر أتى بأسارى وأتى بالعباس ولم يكن عليه ثوب ، فنظر النبي ﷺ له قميصًا فوجدوا قميص عبد الله بن أبى يقدر عليه فكساه النبى صلى الله عليه وسلم فلذلك نزع النبى صلى الله عليه وسلم قميصه الذى ألبسه ، قال ابن عيينة : كانت له عند النبى صلى الله عليه وسلم يد فأحب أن يكافئه . والحديث عند البخارى (١٢٧٠) ، (١٣٥٠) ، (٥٧٩٥) ، ومسلم (٢٧٧٣) .

(١٦٢) - أخرجه أبو داود فى الأدب ، باب : من يؤمر أن يجالس ، الحديث (٤٨٣٢) ، والترمذى =

[١] - في ز : « إلى » . [٢] - سقط من: ز ، خ .

[٣] - في ز : « فجزاه » .

وقوله : ﴿ **والمحصنات من المؤمنات** ﴾ أي : وأحل لكم نكاح الحرائر العفائف من النساء المؤمنات ، وذكر هذا توطئة لما بعده ، وهو قوله تعالىٰ : ﴿ **والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم** ﴾ فقيل : أراد بالمحصنات : الحرائر دون الإماء . حكاه ابن جرير عن مجاهد(١٦٣) ، وإنما قال مجاهد : المحصنات : الحرائر ، فيحتمل[١] أن يكون أراد ما حكاه عنه[٢] ، ويحتمل أن يكون أراد بالحرة : العفيفة ، كما قاله مجاهد في الرواية الأخرىٰ عنه(١٦٤) ، وهو قول الجمهور هٰهنا وهو الأشبه ؛ لئلا يجتمع فيها أن تكون ذمية ، وهي مع ذلك غير عفيفة ، فيفسد حالها بالكلية ، ويتحصل زوجها علىٰ ما قيل في المثل : « **حشفًا وسوء كيلة** » . والظاهر من الآية ؛ أن المراد بالمحصنات : العفيفات عن الزنا ، كما قال تعالىٰ في الآية الأخرىٰ : ﴿ **محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان** ﴾ .

ثم اختلف المفسرون والعلماء في قوله تعالىٰ : ﴿ **والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم** ﴾ هل يعم كل[٣] كتابية عفيفة ، سواء كانت حرة أو أمة ؟ حكاه ابن جرير عن طائفة من السلف ممن فسر المحصنة بالعفيفة ، وقيل : المراد بأهل الكتاب هٰهنا : الإسرائيليات ، وهو مذهب الشافعي ، وقيل : المراد بذلك : الذميات دون الحربيات ، لقوله : ﴿ **قاتلوا الذين لا يؤمنون باللّٰه ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا**

= فى الزهد ، باب : ما جاء فى صحبة المؤمن ، الحديث (٢٣٩٥) ، والدارمي (٢٠٦٣) ، وأحمد (٣٨/٣) ، وأبو يعلى (١٣١٥) من طريق حيوة بن شريح أخبرنا سالم بن غيلان أن الوليد بن قيس التجيبى أخبره ، أنه سمع أبا سعيد الخدرى أو عن أبى الهيثم ، عن أبى سعيد الخدرى ، أنه سمع رسول الله صلى اللّٰه عليه وسلم يقول : « **لا تصاحب إلَّا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلَّا تقى** » ، وفى بعض الروايات : « لا تصحب » . ورواه ابن حبان (٣١٤/٢) (٥٥٤) ، (٣٢٠/٢) (٥٦٠) ، والحاكم (١٢٨/٤) ، والبغوى فى شرح السنة (٣٤٨٤) من طرق عن حيوة بن شريح عن سالم بن غيلان أن الوليد بن قيس حدثه عن أبى سعيد عن النبى صلى اللّٰه عليه وسلم ... فذكره ، ولم يذكر الشك فى إسناده ، قال الترمذى : هذا حديث حسن إنما نعرفه من هذا الوجه . وصحح إسناده الحاكم ، ووافقه الذهبى . وحسن إسناده العلامة الشيخ ناصر الدين الألبانى فى « المشكاة » (١٣٩٧/٣) .

(١٦٣) - تفسير ابن جرير الطبرى (٥٨١/٩ - ٥٨٢) ، والرواية عن مجاهد عنده رقم (١١٢٥٦، ١١٢٥٧) . وهذه الرواية عن مجاهد ذكرها السيوطى فى « الدر المنثور » (٤٦٢/٢) وزاد نسبتها إلى عبد ابن حميد .

(١٦٤) - أخرج ذلك عنه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (٥٨٥/٩) (١١٢٦٨، ١١٢٦٩) .

[١] - في ز : « ويحتمل » .

[٢] - في ز : « منه » .

[٣] - سقط من : ز .

يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ﴾ .

وقد كان عبد اللَّه بن عمر لا يرىٰ التزويج بالنصرانية ، ويقول : لا أعلم شركًا أعظم من أن تقول : إن ربها عيسىٰ ، وقد قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **ولا تنكحوا المشركات حتىٰ يؤمن** ﴾ الآية(١٦٥) .

وقال ابن أبي حاتم(١٦٦) : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن حاتم بن سليمان المؤدب ، حدثنا القاسم بن مالك - يعني المزني - حدثنا إسماعيل بن سميع ، عن أبي مالك الغفاري ، عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ **ولا تنكحوا المشركات حتىٰ يؤمن** ﴾ قال : فحجز الناس عنهن حتىٰ نزلت الآية التي بعدها : ﴿ **والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم** ﴾ ، فنكح الناس نساء أهل الكتاب .

وقد تزوج جماعة من الصحابة من نساء النصارىٰ ، ولم يروا بذلك بأسًا ، أخذًا بهذه الآية الكريمة : ﴿ **والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم** ﴾ فجعلوا هذه مخصصة[١] للآية للتي في سورة[٢] البقرة : ﴿ **ولا تنكحوا المشركات حتىٰ يؤمن** ﴾ إن قيل بدخول الكتابيات في عمومها ، وإلا فلا معارضة بينها وبينها[٣] ؛ لأن أهل الكتاب قد انفصلوا[٤] في ذكرهم عن المشركين في غير موضع ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتىٰ تأتيهم البينة** ﴾ ، وكقوله[٥] : ﴿ **وقل للذين أوتوا الكتاب**

(١٦٥) - أخرج ذلك عنه البخارى فى صحيحه فى الطلاق ، باب قول الله تعالى : ﴿ **ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم** ﴾ الحديث (٥٢٨٥) عن نافع أن ابن عمر كان إذا سئل عن نكاح النصرانية واليهودية ؟ قال : « إن الله حرم المشركات على المؤمنين ، ولا أعلم من الإشراك شيئًا أكبر من أن تقول : المرأة ربها عيسى ، وهو عبد من عباد الله » . ورواه نحوه النحاس فى ناسخه (ص ١٩٥ - ١٩٦) ورواه ابن أبى شيبة فى مصنفه (٢٩٧/٣) عن ميمون بن مهران عن ابن عمر أنه كره نكاح نساء أهل الكتاب وقرأ : ﴿ **ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن** ﴾ ومن هذا الطريق رواه ابن أبى حاتم بهذا اللفظ كما نقله عنه المصنف - رحمه الله - فى تفسير سورة البقرة الآية (٢٢١) .

(١٦٦) - أخرجه أيضًا الطبرانى فى « الكبير » (١٠٥/١٢) (١٢٦٠٧) حدثنا عبيد العجلى ثنا محمد بن حاتم ... فذكره ، وقال الهيثمى فى « مجمع الزوائد » (٢٧٧/٤) : رواه الطبرانى ورجاله ثقات . وذكره السيوطى في « الدر المنثور » (٤٥٨/١) وعزاه للطبرانى وابن أبى حاتم .

[١] - في ز ، خ : « مخصوصة » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « بينه » .
[٤] - في ز : « تفصل » .
[٥] - في ز : « لقوله » .

والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا ﴾ الآية .

وقوله : **﴿ إذا آتيتموهنّ أجورهنّ ﴾** يعني[١] : مهورهنّ ، أي : كما هنّ محصنات عفائف ، فابذلوا لهنّ المهور عن طيب نفس ، وقد أفتىٰ جابر بن عبد الله [ ][٢] وعامر الشعبي [وإبراهيم النخعي][٣] والحسن البصري - بأن الرجل إذا نكح امرأة، فزنت[٤] قبل دخوله بها أنه يفرق [بينه وبينها][٥] ، وترد عليه ما بذل لها من المهر ، رواه ابن جرير عنهم(١٦٧) .

وقوله : **﴿ محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان ﴾** فكما شرط الإحصان في النساء - وهي العفة عن الزنا - كذلك شرطها في الرجال ، وهو أن يكون الرجل [ ][٦] محصنًا عفيفًا ، ولهذا قال : **﴿ غير مسافحين ﴾** وهم : الزناة الذين لا يرتدعون عن معصية ، ولا يردون أنفسهم عمن جاءهم ، **﴿ ولا متخذي أخدان ﴾** أي : ذوي[٧] العشيقات ، اللاتي[٨] لا يفعلون إلا معهن ، كما تقدم في سورة النساء سواء، ولهذا ذهب الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - إلىٰ أنه لا يصح نكاح المرأة البغي حتىٰ تتوب ، وما دامت كذلك لا يصح تزويجها من رجل عفيف ، وكذلك لا يصح عنده عقد الرجل الفاجر علىٰ عفيفة حتىٰ يتوب ، ويقلع عما هو فيه من الزنا ، لهذه الآية ، وللحديث الآخر[٩] : « **لا ينكح الزاني المجلودُ إلا مثله** »(١٦٨) .

وقال ابن جرير(١٦٩) : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا أبو هلال ، عن قتادة ، عن الحسن قال : قال عمر بن الخطاب : لقد هممت أن لا أدع أحدًا أصاب فاحشة في الإسلام أن يتزوج محصنة . فقال له أبي بن كعب : يا أمير المؤمنين ، الشرك أعظم من ذلك ،

---

(١٦٧) - تفسير الطبرى (٥٨٦/٩ - ٥٨٧) .

(١٦٨) - أخرجه أبو داود فى النكاح ، باب : فى قوله تعالى : **﴿ الزانى لا ينكح إلَّا زانية ﴾** الحديث (٢٠٥٢) ، أحمد (٣٢٤/٢) ، والحاكم (١٦٦/٢) من طريق حبيب المعلم عن عمرو بن شعيب عن سعيد المقبرى ، عن أبى هريرة به ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد . ووافقه الذهبى ، قال الألبانى فى « الصحيحة » (٢٤٤٤) : وهو كما قالا . وصححه أيضًا فى صحيح الجامع (٧٦٨٥) وصحيح أبى داود (١٨٠٧) .

(١٦٩) - تفسير ابن جرير (٥٨٤/٩) (١١٢٦٧) .

---

[١] - في ت : « أي » .

[٢] - في ز : « وإبراهيم النخعي » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٤] - في خ : « فنزلت » .

[٥] - ما بين المعكوفتين في ت : « بينهما » .

[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « أيضًا » .

[٧] - في ز : « دون » .

[٨] - في ت : « الذين » .

[٩] - سقط من : ت .

وقد يقبل منه إذا تاب .

وسيأتي الكلام على هذه المسألة مستقصى عند قوله : ﴿ **الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين** ﴾ . ولهذا قال تعالى ههنا : ﴿ **ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين** ﴾ .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٦

قال كثيرون من السلف في قوله : ﴿ **إذا قمتم إلى الصلاة** ﴾ معناه : وأنتم محدثون .

وقال آخرون : إذا قمتم من النوم إلى الصلاة ، وكلاهما قريب .

وقال آخرون : بل المعنى أعم من ذلك ، فالآية آمرة بالوضوء عند القيام إلى الصلاة ، [ولكن في حق المحدث على سبيل الإيجاب ، وفي حق المتطهر على سبيل الندب والاستحباب][١] ، وقد قيل : إن الأمر بالوضوء لكل صلاة كان واجبًا في ابتداء الإسلام ثم نسخ .

وقال الإمام أحمد بن حنبل (١٧٠) : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان ، عن علقمة بن

(١٧٠) - المسند (٣٥٨/٥) ، ورواه مسلم فى الطهارة ، باب : جواز الصلوات كلها بوضوء واحد ، الحديث (٢٧٧) ، وأبو داود فى الطهارة ، باب : الرجل يصلى الصلوات بوضوء واحد ، الحديث (١٧٢) ، والترمذى فى أبواب الطهارة ، باب : ما جاء أنه يصلى الصلوات بوضوء واحد ، الحديث (٦١) ، والنسائى فى الطهارة ، باب : الوضوء لكل صلاة (٨٦/١) وأحمد في المسند (٣٥٠/٥، ٣٥١) ، والدارمى (٦٦٥) ، وابن خزيمة (١٢) من طريق سفيان عن علقمة بن مرثد به . ورواه ابن ماجه فى الطهارة وسننها ، باب الوضوء لكل صلاة والصلوات كلها بوضوء واحد ، الحديث (٥١٠) ، وابن خزيمة (١٣، ١٤) عن محارب بن دثار عن سليمان بن بريدة به .

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « ولكن هو في حق المحدث واجب ، وفي حق المتطهر ندب » .

مرثد ، عن سليمان بن بريدة ، عن أبيه قال : كان النبي ﷺ يتوضأ عند كل صلاة ، فلما كان يوم الفتح توضأ ومسح على خفيه ، وصلى الصلوات بوضوء واحد ، فقال له عمر : يا رسول الله ، إنك فعلت شيئًا لم تكن تفعله ! قال : « **إني عمدًا فعلته يا عمر** » .

وهكذا رواه مسلم وأهل السنن من حديث سفيان الثوري ، عن علقمة بن مرثد ، ووقع في سنن ابن ماجة ، عن سفيان ، عن محارب بن دثار - بدل علقمة بن مرثد - كلاهما عن سليمان ابن بريدة به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقال ابن جرير (١٧١) : حدثنا محمد بن عباد بن موسى ، أخبرنا زياد بن عبد الله بن الطفيل البكائي ، حدثنا الفضل بن المبشر ، قال : رأيت جابر بن عبد الله يصلي الصلوات بوضوء واحد ، فإذا بال أو أحدث توضأ ، ومسح بفضل طهوره الخفين ، فقلت : أبا عبد الله ، شيء[١] تصنعه برأيك ؟ قال : بل رأيت النبي ﷺ يصنعه ، [فأنا أصنعه ؛ كما رأيت رسول الله يصنعه][٢] .

وكذا رواه ابن ماجة عن إسماعيل بن توبة ، عن زياد البكائي به .

وقال أحمد(١٧٢) : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن ابن[٣] إسحاق ، حدثني محمد بن

(١٧١) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١١/٩) (١١٣١٨) ورواه ابن ماجه فى الطهارة ، باب : الوضوء لكل صلاة ، والصلوات كلها بوضوء واحد ، الحديث (٥١١) حدثنا إسماعيل بن توبة ثنا زياد بن عبد الله ... فذكره ، وفى إسناده الفضل بن مبشر ، ضعفه ابن معين وأبو داود وغير واحد ، وقال البزار : صالح الحديث . وقال العجلى : لا بأس به . وذكره ابن حبان فى « الثقات » لكن قال الحافظ فى « التقريب » : فيه لين . لكن يشهد له حديث بريدة المتقدم . والحديث صححه الألبانى فى صحيح ابن ماجه (٤١٣) بحديث بريدة المتقدم قبل هذا ، وانظر مصباح الزجاجة (٢٠٢/١) .

(١٧٢) - رواه في المسند (٢٢٥/٥) ، ورواه الحاكم (١٥٥/١ - ١٥٦) من هذه الطريق لكن فى المطبوع من المستدرك سَقْطٌ ، والإسنادُ يبدأ بكلمة « أبى عن ابن إسحاق » فلعله يكون من طريق يعقوب بن إبراهيم قال : حدثنا أبى ... بالحديث ، وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم . ووافقه الذهبى ، وهو وهم منهما - رحمهما الله - فإن مسلمًا لم يحتج بابن إسحاق وإنما أخرج له متابعة . والحديث رواه ابن خزيمة (١٥) من طريق يعقوب بن إبراهيم عن أبيه عن ابن إسحاق به . ورواه أبو داود فى الطهارة باب : السواك ، الحديث (٤٨) ، والدارمى (٦٦٤) ، وابن خزيمة (١٥) ، (١٣٨) ، والطحاوى فى شرح المعانى (٤٢/١) ، والبيهقى (٣٧/١) من طريق أحمد بن خالد ثنا محمد بن إسحاق عن محمد بن يحيى ابن حبان عن عبد الله بن عمر ... فذكره ، قال أبو داود : إبراهيم بن سعد رواه عن محمد بن إسحاق قال : « عبيد الله بن عبد الله » اهـ . ووقع عند الدارمى من طريق « أحمد بن خالد » فقال فيه : =

[١] - في ت : « أشيء » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في خ : « أبي » .

يحيىٰ بن حبان الأنصاري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر ، قال : [قلت له][١] : أرأيت وضوء عبد الله بن عمر لكل صلاة ، طاهرًا كان[٢] أو غير طاهر ؛ عمّن هو ؟ قال : حدثته أسماء بنت زيد بن الخطاب ، أن عبد الله بن حنظلة [بن أبي عامر][٣] بن الغسيل ، حدثها أن رسول الله ﷺ كان أمر بالوضوء لكل صلاة ، طاهرًا كان أو غير طاهر ، فلما شق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالسواك عند كل صلاة ، ووضع عنه الوضوء إلا من حدث ، فكان عبد الله يرىٰ أن به قوّة علىٰ ذلك ، كان يفعله حتىٰ مات .

وهكذا[٤] رواه أبو داود عن محمد بن عوف[٥] الحمصي ، عن أحمد بن خالد الذهبي ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن يحيىٰ بن[٦] حبان ، عن عبد[٧] الله بن عبد الله بن عمر ، ثم قال أبو داود : ورواه إبراهيم[٨] بن سعد ، عن محمد بن إسحاق ، فقال : عبيد الله بن عمر . يعني : كما تقدم في رواية الإمام أحمد .

وأيًّا ما كان فهو إسناد صحيح ، وقد صرح ابن إسحاق فيه بالتحديث والسماع من محمد بن يحيىٰ بن حبان ، فزال محذور التدليس ، لكن قال الحافظ ابن عساكر : رواه سلمة بن الفضل ، وعلي بن مجاهد ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة ، عن محمد بن يحيىٰ بن حبان به ، والله[٩] أعلم .

وفي فعل ابن عمر هذا ، ومداومته علىٰ إسباغ الوضوء لكل صلاة ، دلالة علىٰ استحباب ذلك ، كما هو مذهب الجمهور.

= « عبيد الله بن عمر » كذا في المطبوع ولعله وهم من الناسخ ولم أجد من نبه عليه فإن رواية أحمد بن خالد عند أبي داود وغيره عن « عبد الله » المكبر وليس المصغر . والحديث عزاه ابن حجر - رحمه الله - في « التلخيص » (٧٨/١) إلى ابن حبان ولم أجده في « الإحسان » المطبوع وعزاه له أيضًا ابن الملقن في « البدر المنير » (١٧٠/٣ - ١٧١) فلعله وهم منه رحمه الله تبعه عليه الحافظ في « التلخيص » فإنه - يرحمه الله - ذكر الحديث في « الفتح » (٣١٦/١) وقال : « أخرجه أبو داود وصححه ابن خزيمة » ولم يعزه لابن حبان فالله أعلم . والحديث حسنه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود (٣٨) وفي تعليقه على صحيح ابن خزيمة .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٤] - في ز : « كذا » .
[٥] - في ز ، خ : « عون » .
[٦] - في ز : « عن » .
[٧] - في ز ، خ : « عبيد » .
[٨] - في خ : « أبو داود » .
[٩] - في ز : « فالله » .

وقال ابن جرير(١٧٣) : حدثنا زكريا بن يحيىٰ بن أبي زائدة ، حدثنا أزهر ، عن ابن عون ، عن ابن سيرين ، أن الخلفاء كانوا يتوضئون لكل صلاة .

وقال ابن جرير(١٧٤) : حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، سمعت مسعود بن علي الشيباني ، سمعت عكرمة يقول : كان علي -رضي اللَّه عنه- يتوضأ عند كل صلاة ، ويقرأ هذه الآية : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إِذا قمتم إِلىٰ الصلاة ﴾ الآية .

وحدثنا ابن المثنىٰ ، حدثني وهب بن جرير ، أخبرنا شعبة ، عن عبد الملك بن ميسرة ، عن[١] النزال بن سبرة قال : رأيت عليًا صلىٰ الظهر ، ثم قعد للناس في الرحبة ، ثم أتي بماء فغسل وجهه ويديه ، ثم مسح برأسه ورجليه ، وقال : هذا وضوء من لم يحدث(١٧٥) .

وحدثني يعقوب بن إِبراهيم(١٧٦) ، حدثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إِبراهيم ؛ أن عليًا اكتال[٢]

---

(١٧٣) - رواه فى تفسيره (١٣/١٠) (١١٣٢٤) ، ورواه ابن أبى شيبة فى « مصنفه » (٤٣/١) قال : حدثنا وكيع عن ابن عون عن ابن سيرين ... فذكره ، وابن عون هو عبد الله بن عون بن أرطبان المزنى ، وهو ثقة من أقران أيوب فى العلم والعمل والسنن ، كما فى « التقريب » .

(١٧٤) - رواه فى تفسيره (١٢/١٠) (١١٣٢٣) ، ومسعود بن على هذا ترجم له البخارى فى التاريخ (٧/ ٤٢٣) وقال : سمع عكرمة ، مرسل ، روى عنه يحيى القطان ، وقال : لم يكن به بأس . وذكره ابن حبان فى « الثقات » (٥٠١/٧) ونقل العلائى فى « جامع التحصيل » (ص ٢٣٩) أيضًا أن روايته عن أبى بكر الصديق ، وعلى - رضى الله عنهما - مرسلة ، ذكر ذلك عن أبى زرعة . والأثر رواه الطحاوى فى شرح المعانى (٤٥/١) عن عبد الصمد عن شعبة به ، ورواه النحاس فى ناسخه (ص ٣٦٩ - ٣٧٠) عن بشر بن عمر وعبد الصمد بن عبد الوارث قالا : حدثنا شعبة ... فذكره ، وانظر « الدر المنثور » (٢/ ٤٦٣) .

(١٧٥) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١٣/١٠) (١١٣٢٦) وعبد الملك بن ميسرة هو الهلالى ثقة روى له الجماعة . والنزال بن سبرة ثقة قيل : إن له صحبة ، روى له الجماعة . والحديث رواه البخارى فى الأشربة ، باب الشرب قائمًا ، الحديث (٥٦١٦) قال : حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا عبد الملك بن ميسرة ، سمعت النزال بن سبرة يحدث عن على - رضى الله عنه - أنه صلى الظهر ثم قعد فى حوائج الناس فى رحبة الكوفة ، حتى حضرت صلاة العصر ، ثم أتى بماء فشرب وغسل وجهه ويديه - وذكر رأسه ورجليه - ثم قام فشرب فضله وهو قائم ثم قال : « إن ناسًا يكرهون الشرب قائمًا ، وإن النبى صلى اللَّه عليه وسلم صنع مثل ما صنعت » اهـ ، وانظر مسند أحمد (١٣٩/١) (١١٧٣، ١١٧٤) (١/ ١٥٣) (١٣١٥) .

(١٧٦) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١٣/١٠ - ١٤) (١١٣٢٧) وإبراهيم هو ابن يزيد النخعى ثقة إِلَّا أنه يرسل ، وروايته عن على مرسلة .

---

[١] - سقط من : ز ، خ . [٢] - في ز ، خ : « أدار » .

من حُبٍّ (*) ، فتوضأ وضوءًا فيه تجوز[١] ، فقال : هذا وضوء من لم يحدث . وهذه طرق جيدة عن علي ، يقوي بعضها بعضًا .

وقال ابن جرير أيضًا : حدثنا ابن بشار ، حدثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس قال : توضأ عمر بن الخطاب وضوءًا فيه تجوز خفيفًا(**) ، فقال : هذا وضوء من لم يحدث ، وهذا إسناد صحيح(١٧٧) .

وقال محمد بن سيرين : كان الخلفاء يتوضئون[٢] لكل صلاة (١٧٨) .

وأما ما رواه أبو داود الطيالسي(١٧٩) ، عن أبي هلال ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، [أنه قال : الوضوء من غير حدث اعتداء ، فهو غريب عن سعيد بن المسيب][٣] ، ثم هو محمول على أن من اعتقد وجوبه فهو معتد ، وأما مشروعيته استحبابًا ، فقد دلت السنة على ذلك .

وقال الإمام أحمد(١٨٠) : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا سفيان ، عن عمرو بن عامر الأنصاري ، سمعت أنس بن مالك يقول : كان النبي ﷺ يتوضأ عند كل صلاة ، قال : قلت : فأنتم كيف كنتم تصنعون ؟ قال : كنا نصلي الصلوات كلها[٤] بوضوء واحد ، ما لم نحدث .

وقد رواه البخاري وأهل السنن من غير وجه عن عمرو[٥] بن عامر به .

(*) الحُبُّ : هو الجرة الضخمة أو الجابية التي يجعل فيها الماء .

(**) صفة لـ : «وضوءًا» .

(١٧٧) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١٣/١٠) (١١٣٢٥) وإسناده صحيح ، وابن أبى عدى هو محمد بن إبراهيم ثقة روى له الجماعة .

(١٧٨) - تقدم برقم (١٧٣) .

(١٧٩) - رواه ابن أبى شيبة فى مصنفه (٤٢/١) كتاب الطهارة ، باب : من كان يصلى الصلاة بوضوء واحد ، الحديث (١٢) قال : حدثنا وكيع عن أبي هلال عن قتادة به . وأبو هلال هو محمد بن سليم الراسبى ، ضعفه يحيى بن سعيد ، ويزيد بن ذريع والبخارى والنسائى وغيرهم ، وقال ابن معين : صدوق . ووثقه أبو داود - ترجمته فى « التهذيب » - وقال ابن حجر فى « التقريب » : صدوق فيه لين .

(١٨٠) - المسند (١٣٢/٣) ، ورواه البخارى فى الطهارة ، باب : الوضوء من غير حدث ، =

[١] - في ز ، خ : « تجاوز » .
[٢] - في ز : « يتوضون » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « عمر » .

وقال ابن جرير(١٨١) : حدثنا أبو سعيد البغدادي ، حدثنا إسحاق بن منصور ، عن هُرَيم ، عن عبد الرحمن بن زياد ، - هو الأفريقي - عن [أبي غطيف][١] ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « من توضأ على طهر كتب له عشر حسنات »

ورواه أيضًا من حديث عيسىٰ بن يونس ، عن[٢] الأفريقي ، عن أبي غطيف[٣] ، عن ابن عمر فذكره ، وفيه قصة .

وهكذا رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة من حديث الأفريقي به نحوه . وقال الترمذي : وهو إسناد ضعيف .

و[٤] قال ابن جرير(١٨٢) : وقد قال قوم : إن هذه الآية نزلت إعلامًا من الله ، أن الوضوء لا

= الحديث (٢١٤) وأبو داود فى الطهارة ، باب : الرجل يصلى الصلوات بوضوء واحد ، الحديث (١٧١) ، والترمذى فى أبواب الطهارة ، باب : ما جاء فى الوضوء لكل صلاة ، الحديث (٦٠) ، والنسائى في الطهارة ، باب الوضوء لكل صلاة (٨٥/١) ، وابن ماجه فى الطهارة ، باب : الوضوء لكل صلاة ، والصلوات كلها بوضوء واحد ، الحديث (٥٠٩) ، وأحمد فى المسند (٣/ ١٥٤، ١٩٤) من طرق عن عمرو بن عامر به .

(١٨١) - رواه فى تفسيره (٢٢/١٠) (١١٣٣٨) ، وأبو سعيد البغدادى : قال الشيخ شاكر فى تعليقه على تفسير ابن جرير (٦٦٨٤) : لم أجد له ترجمة فيما بين يدى من الكتب . وإسحاق بن منصور : هو السلولى ثقة ، وشيخه هو هريم بن سفيان البجلى روى له الجماعة . والحديث أخرجه أبو داود فى الطهارة ، باب : الرجل يجدد الوضوء من غير حدث ، الحديث (٦٢) ، والترمذى فى أبواب الطهارة ، باب الوضوء لكل صلاة ، الحديث (٥٩) ، وابن ماجه فى الطهارة ، باب الوضوء على الطهارة ، الحديث (٥١٢) ، وعبد بن حميد (٨٥٩) وابن جرير أيضًا (٢١/١٠) (١١٣٣٧) ، والطحاوى في « شرح معانى الآثار » (٤٢/١) ، والبيهقى فى « السنن الكبرى » (١٦٢/١) ، وابن الجوزى فى « العلل المتناهية » (١/ ٣٥٢) من طرق عن عبد الرحمن بن زياد الإفريقى عن أبي غطيف الهذلى عن ابن عمر به ، والرواية عند ابن ماجه وابن جرير والطحاوى مطولة فيها قصة ، وعند أبى داود ذكر القصة لكن مختصرة . والحديث إسناده ضعيف ؛ لضعف عبد الرحمن بن زياد وجهالة أبى غطيف هذا ، قال ابن الجوزى : اسم الإفريقى عبد الرحمن بن زياد ، قال أحمد : نحن لا نروى عنه شيئًا . وقال الدارقطنى : ليس بالقوى ، وقال ابن حبان : يروى الموضوعات عن الثقات ويدلس . اهـ . وقد ضعفه الترمذى في « سننه » ، والبغوى فى « شرح السنة » (٤٤٩/١) والعلامة أحمد شاكر فى تعليقه على الترمذى ، والألبانى فى « تمام المنة » (ص ١١٠) وضعيف أبى داود (١٢) .

(١٨٢) - تفسير الطبرى (٢٢/١٠) ، وقد نقل المصنف - رحمه الله - كلامه بتصرف يسير . وحديث علقمة بن الفغواء عنده برقم (١١٣٣٩) ورواه ابن أبى عاصم فى « الآحاد والمثانى » (١٦٤/٥) =

[١] - في ز : « عطيف » . [٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « عطيف » . [٤] - سقط من : ز .

يجب إلا عند القيام إلى الصلاة ، دون غيرها من الأعمال ، وذلك لأنه - عليه السلام - كان إذا أحدث ؛ امتنع من الأعمال كلها حتىٰ يتوضأ .

حدثنا أبو كريب ، حدثنا معاوية بن هشام ، عن سفيان[١] ، عن جابر ، عن عبد الله بن أبي بكر ابن عمرو بن حزم ، عن عبد الله بن علقمة بن الفَغْواء[٢] ، عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ إذا أراد[٣] البول نكلمه ولا[٤] يكلمنا ، ونسلم عليه فلا يرد علينا ، حتىٰ نزلت آية الرخصة : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلىٰ الصلاة** ﴾ الآية .

ورواه ابن أبي حاتم ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي كريب به نحوه . وهو حديث غريب جدًّا ، وجابر هذا هو ابن يزيد الجعفي ضعفوه .

وقال أبو داود(١٨٣) : حدثنا مسدد ، حدثنا إسماعيل ، حدثنا أيوب ، عن عبد الله بن أبي مليكة ، عن عبد الله بن عباس أن رسول الله ﷺ خرج من الخلاء ، فقدم إليه طعام ، فقالوا : ألا نأتيك بوضوء ؟ فقال : « **إنما أمرت بالوضوء إذا قمت إلىٰ الصلاة** » .

=(٢٧٠٢) قال : سمعت أبا كريب يقول : حدثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن جابر عن عبد الرحمن بن محمد ابن أبي بكر بن عمرو بن حزم ، عن عبد الله بن علقمة بن فغواء عن أبيه به مختصرًا . ورواه الطبراني في « الكبير » (٦/١٨) (٣) من طريق أبي كريب قال : ثنا أبو معاوية بن هشام (كذا في المطبوع من الطبراني ، وهو خطأ والصواب : معاوية بن هشام) عن شيبان عن جابر عن عبد الله بن محمد بن أبي بكر ابن عمرو بن حزم عن عبد الله بن علقمة بن فغواء عن أبيه به . وذكره ابن الأثير في « أسد الغابة » (٨٧/٤) فقال : روى أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن عبد الله بن علقمة بن الفغواء عن أبيه ... فذكره ، وذكره النحاس في ناسخه (ص ٣٧٠ - ٣٧١) فقال : حديث عبد الله بن علقمة بن الفغواء عن أبيه . والحديث في إسناده جابر الجعفي وهو رافضي ضعيف . وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٢٨١/١) وقال : رواه الطبراني في الكبير وفيه جابر الجعفي وهو ضعيف . اهـ . وانظر تعليق الشيخ شاكر على هذا الحديث في تفسير الطبري لزامًا .

(١٨٣) - أخرجه أبو داود في « سننه » في الأطعمة ، باب : في غسل اليدين عند الطعام ، الحديث (٣٧٦٠) ، والترمذي في الأطعمة ، باب : في ترك الوضوء قبل الطعام ، الحديث (١٨٤٧) وفي الشمائل (١٨٤٧) ، والنسائي في الطهارة ، باب : الوضوء لكل صلاة (٨٥/١) ، وأحمد (٢٨٢/١) (٢٥٤٩) ، (٣٥٩/١) ، (٣٣٨١) ، وابن خزيمة (٣٥) ، والبيهقي (٤٢/١) ، (٣٤٨/١) ، والبغوي في « شرح السنة » (٢٨٣/١١) (٢٨٣٥) من طرق عن أيوب عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس . وقال الترمذي : حديث حسن صحيح . وقال البغوي : هذا حديث حسن . وصححه الألباني في مختصر=

---

[١] - في الطبري : شيبان .
[٢] - في ز : « النعواء » .
[٣] - في ت : « أراق » .
[٤] - في ت : « فلا » .

وكذا رواه الترمذي عن أحمد بن منيع ، والنسائي ، عن زياد بن أيوب ، عن إسماعيل وهو ابن علية به . وقال الترمذي : هذا حديث حسن .

وروىٰ مسلم(١٨٤) ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن سعيد بن الحويرث ، عن ابن عباس قال : كنا عند النبي ﷺ فأتىٰ الخلاء ، ثم إنه رجع ، فأتي بطعام ، فقيل : يا رسول الله ؛ ألا تتوضأ ؟ فقال [ ][١] : [« لِمَ ؟ أأصلي][٢] **فأتوضأ ؟!** » .

وقوله : ﴿ **فاغسلوا وجوهكم** ﴾ ، قد استدل طائفة من العلماء بقوله تعالىٰ : ﴿ **إذا قمتم إلىٰ الصلاة فاغسلوا وجوهكم** ﴾ علىٰ وجوب النية في الوضوء ؛ لأن تقدير الكلام : إذا قمتم إلىٰ الصلاة فاغسلوا وجوهكم لها ، كما تقول العرب : إذا رأيت الأمير فقم ؛ أي له . وقد ثبت في الصحيحين(١٨٥) حديث : « **الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوىٰ** » .

ويستحب قبل غسل الوجه ، أن يذكر اسم الله تعالىٰ علىٰ وضوئه ، لما ورد في الحديث من طرق جيدة عن جماعة من الصحابة عن النبي ﷺ أنه قال : « **لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه** »(١٨٦) .

= الشمائل (١٥٨) ورواه الطبراني (١١/١٢٢) (١١٢٤١) من طريق إسماعيل بن علية عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس به . وأصل الحديث رواه مسلم فى صحيحه من طريق عمرو بن دينار عن سعيد بن الحويرث ، وسيأتى بعد هذا .

(١٨٤) - أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الحيض ، باب جواز أكل المحدث الطعام ، الحديث (٣٧٤) ، ورواه أحمد (١/ ٢٢١، ٢٨٣، ٣٥٩، ٦٩٠) والترمذى فى الشمائل (١٨٦) ، والدارمى (٧٧٣) من طرق عن عمرو بن دينار به .

(١٨٥) - رواه البخارى فى بدء الوحى ، باب : كيف كان بدء الوحى إلى رسول الله ﷺ ، الحديث (١) ، وأطرافه فى : (٥٤ ، ٢٥٢٩ ، ٣٨٩٨ ، ٥٠٧٠ ، ٦٦٨٩ ، ٦٩٥٣) ومسلم فى الإمارة ، باب : قوله صلى الله عليه وسلم : « **إنما الأعمال بالنية** » الحديث (١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه .

(١٨٦) - رُوى من طرق أصحها حديث أبى هريرة ، رواه أحمد (٢/٤١٨) وأبو داود فى الطهارة ، باب : التسمية على الوضوء ، الحديث (١٠١) ، وابن ماجه فى الطهارة ، باب ما جاء فى التسمية فى الوضوء ، الحديث (٣٩٩) ، والحاكم (١/١٤٦) ، والبيهقى (١/٤٣) ، والبغوى فى شرح السنة (٢٠٩) والترمذى فى العلل ، وابن السكن ؛ كما فى التلخيص الحبير (١/٨٤) ، ونيل الأوطار (١/١٣٤) من طريق يعقوب ابن سلمة عن أبيه عن أبى هريرة مرفوعًا وقد حسنه الشيخ الألبانى فى الإرواء (٨١) ، وفى الحديث كلام كثير يراجع له تلخيص الحبير ونيل الأوطار . ورواه أيضًا أحمد (٣/٤١) ، وابن ماجه فى =

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « فقال » . [٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « لم أصل » .

ويستحب أن يغسل كفيه قبل إدخالهما في الإناء ، ويتأكد ذلك عند القيام من النوم ؛ لما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « **إذا استيقظ أحدكم من نومه ؛ فلا يدخل يده في الإناء ، قبل أن يغسلها ثلاثًا ؛ فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده** »(١٨٧) .

وحد الوجه عند الفقهاء ما بين منابت شعر الرأس ، ولا اعتبار بالصلع ولا بالغمم إلىٰ منتهىٰ اللحيين والذقن طولًا ، ومن الأذن إلىٰ الأذن عرضًا ، وفي النزعتين[١] والتحذيف خلاف ، هل هما من الرأس أو الوجه؟ وفي المسترسل من اللحية عن محل الفرض قولان :

(أحدهما) : أنه يجب إفاضة الماء عليه لأنه تقع[٢] به المواجهة . وروي في حديث أن النبي ﷺ رأىٰ رجلًا مغطيًا لحيته فقال : « **اكشفها فإن اللحية من الوجه** »(١٨٨) . وقال مجاهد : هي من الوجه ، ألا تسمع إلىٰ قول العرب في الغلام إذا نبتت لحيته : طلع وجهه .

= الطهارة ، باب : ما جاء فى التسمية فى الوضوء (٣٩٧) ، والدارمى (٦٩٧) وابن أبى شيبة (١٢/١ - ١٣) والدارقطنى (٧١/١) ، وأبو يعلى (١٠٦٠) ، والحاكم (١٤٧/١) وعنه البيهقى (٤٣/١) من حديث أبى سعيد ، وقد حسنه البوصيرى فى الزوائد ، والألبانى فى صحيح ابن ماجه (٣١٨) . قال الحافظ المنذرى فى « الترغيب والترهيب » (٢٢٥/١) : « وفى الباب أحاديث كثيرة لا يسلم شيء منها عن مقال . وقد ذهب الحسن وإسحاق بن راهويه وأهل الظاهر إلى وجوب التسمية فى الوضوء ، حتى إنه إذا تعمد تركها أعاد الوضوء ، وهو رواية عن الإمام أحمد ، ولا شك أن الأحاديث التى وردت فيها ، وإن كان لا يسلم شيء منها عن مقال ، فإنها تتعاضد بكثرة طرقها ، وتكتسب قوة ، والله أعلم » . وقال الحافظ فى « التلخيص » (٨٦/١) : والظاهر أن مجموع الأحاديث يحدث منها قوة تدل على أن له أصلاً . وقال أبو بكر بن أبى شيبة : ثبت لنا أن النبى صلى الله عليه وسلم قاله اهـ . قال الشوكانى فى النيل (١٣٥/١) : قال ابن سيد الناس فى « شرح الترمذى » : ولا يخلو هذا الباب من حسن صريح وصحيح غير صريح . اهـ .

(١٨٧) - رواه البخارى فى صحيحه فى الوضوء ، باب : الاستجمار وترًا ، الحديث (١٦٢) ، ومسلم فى الطهارة ، باب : كراهية غمس المتوضئ وغيره يده المشكوك في نجاستها في الإناء قبل غسلها ثلاثًا ، الحديث (٢٧٨) من طريق الأعرج عن أبى هريرة ، وللحديث طرق أخرى عن أبى هريرة عند مسلم وغيره .

(١٨٨) - قال الحافظ فى « التلخيص » (٦٨/١) : « لم أجده هكذا ، نعم ذكره الحازمى فى تخريج أحاديث المهذب فقال : هذا الحديث ضعيف ، وله إسناد مظلم ، ولا يثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم فيه شيء . وتبعه المنذرى ، وابن الصلاح ، والنووى ، وزاد : وهو منقول عن ابن عمر . يعنى قوله . وقال ابن دقيق العيد : لم أقف له على إسناد مظلم ولا مضيء . انتهى . وقد أخرجه صاحب « مسند الفردوس » من حديث ابن عمر بلفظ : « لا يغطين أحدكم لحيته فى الصلاة ، فإن اللحية =

[١] - في ز : « النزعتان » . [٢] - في ز : « يقع » .

ويستحب للمتوضئ أن يخلل لحيته إذا كانت كثَّة .

قال الإمام أحمد (١٨٩) : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا إسرائيل ، عن عامر بن[١] شقيق بن جمرة[٢] ، [عن أبي وائل][٣] قال : رأيت عثمان توضأ ... فذكر الحديث ، قال : وخلل اللحية ثلاثًا حين غسل وجهه ، ثم قال : رأيت رسول الله ﷺ فعل الذي رأيتموني فعلت .

ورواه الترمذي وابن ماجة من حديث عبد الرزاق ، وقال الترمذي : حسن صحيح . وحسنه البخاري .

= من الوجه » وإسناده مظلم كما قال الحازمي . وانظر كلام ابن الملقن على الحديث في « البدر المنير » (٣/٢٨) .

(١٨٩) – لم أقف على الحديث بهذا الإسناد في المسند المطبوع ، ولم أعثر عليه في أطراف المسند للحافظ ابن حجر ، ولا ذكره صانعو المسند الجامع (١٢/٤٣٢) (٩٦٦١) لكن رواه الحاكم في المستدرك (١/ ١٤٩) ، وعنه البيهقي (١/٥٤) قال : أخبرنا أحمد بن القطيعي ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي حدثني عبد الرزاق ... فذكره ، قال الحاكم : اتفق الشيخان على إخراج طرق لحديث عثمان في دبر وضوئه ، ولم يذكرا في روايتهما تخليل اللحية ثلاثًا ، وهذا إسناد صحيح قد احتجا بجميع رواته غير عامر بن شقيق ، ولا أعلم في عامر بن شقيق طعنًا بوجه من الوجوه . اهـ . وتعقبه الذهبي : بأنه قد ضعفه ابن معين . والحديث أخرجه عبد الرزاق في « مصنفه » (١/٤١) (١٢٥) بإسناده وفيه : « وخلل أصابعه وخلل لحيته حين غسل وجهه قبل أن يغسل قدميه » ولم يقل : « وخلل لحيته ثلاثًا » . وقد رواه الترمذي في أبواب الطهارة ، باب ما جاء في تخليل اللحية ، الحديث (٣١) وابن ماجه في الطهارة وسننها ، باب : ما جاء في تخليل اللحية ، الحديث (٤٣٠) ، وابن المنذر في الأوسط (١/٣٨٥) (ح ٣٧٠) من طريق عبد الرزاق مختصرًا ، وليس عند واحد منهم أنه خلل ثلاثًا ، لكن رواه عبد بن حميد في « المنتخب » (رقم ٦٢) ، والدارقطني (١/٨٦) من طريق عبد الله بن نمير حدثنا إسرائيل ... فذكره ، وهو عند ابن أبي شيبة (١/٢٤) ومن طريقه ابن حبان في صحيحه (١٠٨١) حدثنا عبد الله بن نمير ... فذكره مقتصرًا على قوله : « رأيت عثمان يتوضأ فخلل لحيته ثلاثًا وقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله » . وقد وقع لابن نمير وهم في هذا الحديث ؛ فإنه قدم غسل الوجه على المضمضة والاستنشاق ، وهو خلاف ما رواه الثقات عن إسرائيل ، قال الدارقطني : وفي هذا الحديث موضع فيه عندنا وهم ؛ لأن فيه الابتداء بغسل الوجه قبل المضمضة والاستنشاق ، وقد رواه عبد الرحمن بن مهدي عن إسرائيل بهذا الإسناد فبدأ فيه بالمضمضة والاستنشاق قبل غسل الوجه ، وتابعه أبو غسان مالك بن إسماعيل عن إسرائيل فبدأ فيه بالمضمضة والاستنشاق قبل الوجه ، وهو الصواب . وانظر أيضًا العلل له (٣/٣٤ - ٣٥) قلت : لم ينفرد ابن نمير بهذا فقد تابعه عليه خلف بن الوليد ؛ كما عند ابن خزيمة في « الصحيح » (١/٧٨) رقم (١٥١) ورواه أيضًا البزار (٢/٤٩) (٣٩٣) حدثنا يوسف بن موسى القطان قال : نا وكيع بن الجراح قال : نا إسرائيل ... فذكره ، وفيه تقديم غسل الوجه على المضمضة والاستنشاق ، وفيه أيضًا : =

[١] – سقط من : ت .

[٢] – في ز : « حمزة » .

[٣] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

وقال أبو داود(١٩٠) : حدثنا أبو توبة الربيع بن نافع ، حدثنا أبو المليح ، حدثنا الوليد بن زَوْرَان[١] ، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان إذا توضأ أخذ كفًّا من ماء فأدخله

= « وخلل لحيته ثلاثًا » وقال البزار : وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن عثمان إلّا من هذا الوجه بهذا الإسناد . ا هـ . ورواية وكيع هذه أخرجها أحمد في مسنده (٥٧/١) عنه عن إسرائيل بإسناده عن عثمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ ثلاثًا ثلاثًا . ورواه ابن الجارود فى « المنتقى » (٧٢) ، وابن خزيمة (١٥٢) والدارقطنى (٨٦/١) من طريق عبد الرحمن بن مهدى ثنا إسرائيل ... فذكره ، وفيه عند ابن خزيمة والدارقطنى تخليل اللحية ثلاثًا ، ورواه أبو داود فى سننه فى الطهارة ، باب صفة وضوء النبى صلى الله عليه وسلم ، الحديث (١١٠) ومن طريقه البيهقى فى « الخلافيات » (٣٠٦/١) عن يحيى بن آدم ثنا إسرائيل بإسناده إلى أبى وائل قال : رأيت عثمان بن عفان غسل ذراعيه ثلاثًا ثلاثًا ، ومسح رأسه ثلاثًا ثم قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل هذا . ورواه الدارقطنى فى « السنن » (٩١/١) من غير طريق أبى داود عن يحيى بن آدم به ، وقال البيهقى في « السنن » (٦٢/١) : « وقد روى من أوجه غريبة عن عثمان - رضى الله عنه - ذكر التكرار فى مسح الرأس إلّا أنها مع خلاف الحفاظ الثقات ليست بحجة عند أهل المعرفة ، وإن كان بعض أصحابنا يحتج بها » . وعامر بن شقيق بن جمرة : قال ابن معين فى تاريخه (٥٢١/٣) : ليس هو ابن شقيق بن سلمة . وترجم له البخارى فى التاريخ (٤٥٨/٦) ولم يورد فيه جرحًا ولا تعديلاً ، ونقل ابن أبى حاتم فى « الجرح والتعديل » (٣٢٢/٦) تضعيفه عن ابن معين وقال : سألت أبى عن عامر بن شقيق ؟ فقال : شيخ ليس بالقوى وليس من أبى وائل بسبيل . وقال النسائى (تهذيب الكمال) : ليس بالقوى . وذكره ابن حبان فى « الثقات » (٢٤٩/٧) ، وقال الذهبى فى « الكاشف » : صدوق ضُعِّف . وقال ابن حجر فى « التقريب » : لين الحديث . والحديث قال الألبانى فى صحيح أبى داود (١٠١) : حسن صحيح . وذكره فى صحيح الترمذى (٢٨) ، وصححه أيضًا فى صحيح ابن ماجه (٣٤٥) لكن عاد فضعف إسناده في صحيح ابن خزيمة (١٥١، ١٥٢) وقال : عامر بن شقيق لين الحديث . فلعله صححه أولاً لشواهده ، وقد صحّحه لشواهده المعلقُ على الإحسان (٣/ ٣٦٣) . والحديث رواه أبو عبيد فى الطهور (٨١) والطيالسى فى مسنده (ص ١٤) ، وابن ماجه رقم (٤١٣) والطحاوى فى « شرح معانى الآثار » (٢٩/١) ، والبزار فى « المسند » (٣٩٤) من طريق عبدة ابن أبى لبابة عن شقيق بن سلمة قال : رأيت عثمان وعليًا يتوضأان ثلاثًا ثلاثًا ، ويقولان : هكذا كان وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا رواه أبو الحسن بن القطان فى زوائده على ابن ماجة . وللحديث شاهد من حديث عمار عند الترمذى (٢٩) ومن حديث ابن عمر عند ابن ماجة (٤٣٢) ، وانظر نصب الراية (٢٣/١ - ٢٦) ، والتلخيص الحبير (١/ ٩٥، ٩٦) .

(١٩٠) - رواه فى سننه كتاب الطهارة ، باب : تخليل اللحية ، الحديث (١٤٥) وعنه البيهقى (٥٤/١) ورواه المزى فى « تهذيب الكمال » (١٣/٣١) من طريق أبى طالب عبد الجبار بن عاصم الهروى قال : حدثنا أبو المليح ... فذكره . والوليد بن زروان : قال الآجرى : سألت أبا داود عنه : حدث عن أنس ؟ قال : جزرى لا ندرى سمع من أنس أم لا . نقله المزى فى « تهذيب الكمال » . وذكره ابن حبان فى « الثقات » (٥٥٠/٧) وتناقض فيه قول الذهبى - رحمه الله - فقال فى « الكاشف » : ثقة . وقال =

[١] - في ز : « زروان » .

تحت حنكه يخلل به لحيته ، وقال : « **هكذا أمرني به ربي عز وجل** » .

تفرد به أبو داود ، وقد روي هذا[١] من غير وجه ، عن أنس .

قال البيهقي : وروينا في تخليل اللحية عن عمار وعائشة وأم سلمة عن النبي ﷺ ، ثم عن علي وغيره . وروينا في الرخصة في تركه عن ابن عمر والحسن بن علي ، ثم عن النخعي وجماعة

= في الميزان (١٢/٦) : ما ذا بحجة . مع أن ابن حبان وثقه : والصواب أنه مجهول الحال كما قال الحافظ في التلخيص الحبير (٩٧/١) . وللحديث طرق أخرى عن أنس ؛ فرواه الحاكم (١٤٩/١) ، وأبو جعفر البختري في فوائده كما في « التلخيص الحبير » من طريق موسى بن أبي عائشة عن أنس قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم توضأ وخلل لحيته ، وقال : « **بهذا أمرني ربي** » . قال الحافظ في « التلخيص » : رجاله ثقات لكنه معلول ؛ فإنما رواه موسى بن أبي عائشة عن زيد بن أبي أنيسة عن يزيد الرقاشي عن أنس ؛ أخرجه ابن عدى في ترجمة جعفر بن الحارث أبي الأشهب ، وصححه ابن القطان من طريق أخرى .اهـ . قلت : هو عند ابن عدى في « كامله » (٥٦١/٢) وقد أعله بذلك أبو حاتم في علله أيضًا (١/ ١٧) فقال : موسى بن أبي عائشة يحدث عن رجل عن يزيد الرقاشي عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ورواه ابن ماجة في سننه (٤٣١) من طريق يحيى بن كثير أبي النضر صاحب البصري عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا توضأ خلل لحيته وفرج أصابعه مرتين . وقال البوصيري في الزوائد (١٧٦/١) : هذا إسناد ضعيف لضعف يحيى بن كثير وشيخه . والطريق الأخرى التي أشار إليها الحافظ – رحمه الله – رواها الحاكم في مستدركه (١٤٩/١) والذهلي في « الزهريات » كما في « التلخيص » من طريق الزبيدي عن الزهري عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم توضأ وخلل لحيته بأصابعه من تحتها ، وقال : « بهذا أمرني ربي » قال ابن الملقن في « البدر المنير » (٣٩٨/٣) : إسناده صحيح كما قاله ابن القطان في علله . اهـ . وقد ذكر له الحافظ في « التلخيص » علة فقد رواه الذهلي من طريق أخرى عن الزبيدي أنه بلغه عن أنس ولم يذكر فيه الزهري ، قال ابن حجر : وصححه الحاكم قبل ابن القطان أيضًا ولم تقدح هذه العلة عندهما فيه .

ورواه العقيلي في الضعفاء (١٥٧/٣) من طريق عمر بن ذؤيب عن ثابت البناني ، عن أنس بن مالك قال : وضأت رسول الله صلى الله عليه وسلم – فلما فرغ من وضوئه أدخل يده فخلل لحيته وقال : « هكذا أمرني ربي » وقال العقيلي : عمر بن ذؤيب مجهول بالنقل حديثه غير محفوظ ولعله عمر بن حفص ابن ذؤيب . ورواه ابن عدى في « الكامل » (٣/ ١٠٥٦، ١١٤٧) من طريق معاوية بن قرة عن أنس قال : وضأت النبي ﷺ فخلل لحيته ثم قال : « بهذا أمرني ربي » . والحديث صححه الألباني في الإرواء (٩٢) بمجموع طرقه .

[١] – في ت : هذا الوجه .

من التابعين[١٩١] .

وقد ثبت عن النبي ﷺ من غير وجه ، في الصحاح وغيرها ، أنه كان إذا توضأ تمضمض واستنشق ، فاختلف الأئمة في ذلك : هل هما واجبان في الوضوء والغسل ، كما هو مذهب أحمد بن حنبل رحمه الله ؟ أو مستحبان فيهما ، كما هو مذهب الشافعي ومالك . لما ثبت

---

(١٩١) – انظر السنن الكبرى للبيهقى (٥٤/١) وحديث عمار : أخرجه الطيالسى (٦٤٥) والحميدى (١٤٦) والترمذى فى أبواب الطهارة ، باب ما جاء فى تخليل اللحية ، الحديث (٢٩) ، وابن ماجة فى الطهارة باب : ماجاء فى تخليل اللحية ، الحديث (٤٢٩) وابن جرير فى تفسيره (١١٤١٥) ، والحاكم (١٤٩/١) من طريق سفيان بن عيينة عن عبد الكريم بن أبى المخارق أبى أمية عن حسان بن بلال قال : رأيت عمار بن ياسر توضأ فخلل لحيته ، فقيل له – أو قال : فقلت له – : أتخلل لحيتك ؟ قال : وما يمنعنى ؛ ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلل لحيته . قال الترمذى : وسمعت إسحاق بن منصور يقول : قال أحمد بن حنبل : قال ابن عيينة : لم يسمع عبد الكريم من حسان بن بلال حديث التخليل . اهـ. وقع فى رواية الحاكم « عبد الكريم الجزرى » وهو وهم ، والصواب : عبد الكريم بن أبى المخارق كما صرح به الترمذى ، وانظر تعليق العلامة أحمد شاكر على سنن الترمذى . وعبد الكريم بن أبى المخارق قال أبو حاتم : ضعيف . وقال أبو زرعة : هو لين ، الجرح والتعديل (٦٠/٦) وقال النسائى فى الضعفاء والمتروكين (ترجمة ٤٠١) : متروك الحديث . وضعفه الحافظ فى « التقريب » ولكن أخرجه الحميدى (١٤٧) ، والترمذى (٣٠) وابن ماجه (٤٢٩) ، والحاكم (١٤٩/١) من طريق سفيان عن سعيد ابن أبى عروبة عن قتادة عن حسان بن بلال عن عمار ، مثل رواية عبد الكريم ، قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – فى « التلخيص » (٩٧/١) : « وحسان ثقة ، لكن لم يسمعه ابن عيينة من سعيد ، ولا قتادة من حسان » . وقال أبو محمد بن حزم فى « المحلى » (٣٦/٢) : حديث عمار من طريق حسان بن بلال المزنى وهو مجهول ، وأيضًا لا يعرف له لقاء لعمار . وتعقبه ابن الملقن فى « البدر المنير » (٣٩٨/٣) بأن حسانًا روى عنه جماعة ، وقال ابن المدينى : ثقة . وبأنه وقع فى الترمذى عن حسان قال : رأيت عمار ابن ياسر ... فذكر الحديث وفى الطبرانى نحوه ، قلت : فاندفعت علة ضعف حسان وكذلك الانقطاع بين حسان وعمار . وأمّا قول الحافظ ابن حجر : « لم يسمعه ابن عيينة من سعيد فيرده قول سفيان عند الحاكم : « حدثنا سعيد » فقد صرح بسماعه من سعيد ، والله أعلم . لكن بقيت علة واحدة وهى ما يخشى من تدليس قتادة فإنه معروف بذلك ، لكن رواية سعيد عنه صحيحة وقد سأل ابن أبي حاتم أباه عن هذا الحديث ؟ فقال : لم يحدث بهذا أحد سوى ابن عيينة عن ابن أبى عروبة . قلت : صحيح ؟ قال : لو كان صحيحًا لكان في مصنفات ابن أبى عروبة ولم يذكر ابن عيينة فى هذا الحديث وهذا أيضًا مما يوهنه .

قال الشيخ أحمد شاكر : وآخر الكلام مضطرب ولعل صوابه : « ولم يذكر ابن عيينة فى هذا الحديث سماعًا » ، والحديث صححه الألبانى فى صحيح الترمذى (٢٧) ، وصحيح ابن ماجه (٣٤٤)

وأمّا حديث عائشة فأخرجه أحمد فى مسنده (٢٣٤/٦) ، والحاكم (١٥٠/١) من طريق عمر بن أبى وهب الخزاعى البصرى حدثنى موسى بن ثروان عن طلحة بن عبيد الله بن كريز الخزاعى عن عائشة =

في الحديث الذي رواه أهل السنن ، وصححه ابن خزيمة ، عن رفاعة بن رافع الزرقي أن النبي ﷺ قال للمسيء [ ][١] صلاته : « توضأ كما أمرك الله »(١٩٢) أو يجبان في الغسل دون الوضوء؟ كما هو مذهب أبي حنيفة ، أو يجب الاستنشاق دون المضمضة؟ كما هو رواية عن الإمام

= أن رسول الله ﷺ كان إذا توضأ خلل لحيته بالماء » قال الحافظ في « التلخيص » (٩٧/١) : إسناده حسن . وذكره الهيثمى فى « مجمع الزوائد » (٢٤٠/١) وقال : رواه أحمد ورجاله موثقون . وأمّا حديث أم سلمة فرواه ابن جرير فى تفسيره (٣٩/١٠) (١١٤١٢) والطبرانى فى الكبير (٢٩٨/٢٣) (٦٦٤) ، والعقيلى فى الضعفاء (٣/٢) من طريق خالد بن إلياس ، عن عبد الله بن رافع عن أم سلمة ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ ويخلل اللحية ، وهذا لفظ العقيلى ، والحديث أشار إليه الترمذى فى جامعه (٤٥/١) والبيهقى فى سننه (٥٤/١) ولم يذكرا لفظه . والحديث ذكره الهيثمي فى « مجمع الزوائد » (٢٤٠/١) وقال : رواه الطبرانى فى الكبير وفيه خالد بن إلياس ولم أر من ترجمه ».

قلت : ترجم له البخارى فى التاريخ (١٤٠/٣) وقال : ليس بشيء . واتهمه ابن حبان فى المجروحين (١/ ٢٧٥) ولذلك قال الحافظ ابن حجر فى التلخيص : فى إسناده خالد بن إلياس وهو منكر الحديث .

وحديث على رواه الطبرانى فيما انتقاه أبو بكر بن مردويه عليه فيما انتقاه هو عن أهل البصرة من حديث أبى البخترى الطائى قال : رأيت عليًا يخلل لحيته إذا توضأ ويقول : هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل . كذا قال ابن الملقن فى « البدر المنير » (٤٠٣/٣ - ٤٠٤) قال الحافظ فى « التلخيص » (١/ ٩٨) : وإسناده ضعيف ومنقطع . قلت : أبو البخترى الطائى لم يسمع من على ولم يدركه قاله ابن المدينى ، وأبو حاتم ، وأبو زرعة كما فى المراسيل لابن أبى حاتم (ص ٧٦، ٧٧) .

وفى تخليل اللحية أحاديث ينظر تخريجها فى « نصب الراية » (١/ ٢٣ - ٢٦) ، وتلخيص الحبير (١/ ٩٦ - ٩٨) ، مجمع الزوائد (٢٤٠/١ - ٢٤١) .

وأمّا الرخصة فى ذلك عن ابن عمر فأخرجه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (٣٥/١٠) (١١٣٩١) من طريق نافع عن ابن عمر أنه كان إذا توضأ عرك عارضيه بعض العرك ، وشبك لحيته بأصابعه أحيانًا ويترك أحيانًا .

ورواه ابن المنذر فى « الأوسط » (٣٨٣/١) (٣٦٧) من طريق يحيى البكاء أن ابن عمر كان يتوضأ ولا يخلل لحيته . وقد نقله عن الحسن بن على أيضًا ، وقال ابن المنذر : وهذا قول طاوس والنخعى وأبى العالية والشعبى ومحمد بن على ومجاهد والقاسم وقال سعيد بن عبد العزيز والأوزاعى : « ليس عرك العارضين وتشبيك اللحية بواجب فى الوضوء » .

(١٩٢) - أخرجه الطيالسى فى مسنده (١٣٧٢) ، وأبو داود فى سننه فى الصلاة ، باب : صلاة من لا يقيم صلبه في الركوع والسجود ، الحديث (٨٦١) ، والترمذى فى أبواب الصلاة ، باب : ما جاء فى وصف الصلاة ، الحديث (٣٠٢) ، وابن خزيمة فى صحيحه (٥٤٥) والبيهقى (٣٨٠/٢) والبغوى فى شرح السنة (٦/٣ - ٧) (٥٥٣) من طريق إسماعيل بن جعفر حدثنا يحيى بن على بن يحيى بن خلاد بن رفاعة ابن رافع الزرقى عن أبيه عن جده عن رفاعة بن رافع فذكرحديث المسيء صلاته وفيه : « إذا قمت إلى الصلاة فتوضأ كما أمرك الله عز وجل » ، والحديث رواه أحمد (٣٤٠/٤) ، وأبو داود =

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « في » .

أحمد ؛ لما ثبت في الصحيحين(١٩٣) أن رسول الله ﷺ قال : « **من توضأ فَلْيَسْتَنْثِر**[١] » . وفي رواية : « **إِذا توضأ أحدكم فليجعل في منخريه من الماء ثم لينتثر** » . والانتثار : هو المبالغة في الاستنشاق.

وقال الإمام أحمد(١٩٤) : حدثنا أبو سلمة الخزاعي ، حدثنا سليمان بن بلال ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن عباس ، أنه توضأ فغسل وجهه ، ثم[٢] أخذ غرفة من ماء فتمضمض بها واستنثر ، [ثم أخذ غرفة فجعل بها هكذا ، يعني أضافها إِلىٰ يده الأخرىٰ فغسل بها وجهه][٣] ، ثم أخذ غرفة من ماء فغسل بها يده اليمنىٰ ، ثم أخذ غرفة من ماء فغسل بها يده اليسرىٰ ، ثم مسح رأسه ، ثم أخذ غرفة من ماء ثم رش علىٰ رجله اليمنىٰ حتىٰ غسلها ، ثم أخذ غرفة [من ماء][٤] فغسل بها رجله اليسرىٰ ، ثم قال : هكذا رأيت رسول الله ﷺ . يعني يتوضأ .

= (٨٥٧ - ٨٦٠) ، والنسائي (٢/ ١٩٣، ٢٢٥) (٣/ ٥٩، ٦٠) ، وابن ماجه (٤٦٠) ، والدارمي (١٣٣٥) وابن خزيمة (٥٩٧) ، (٦٣٨) ، والحاكم (١/ ٢٤١ - ٢٤٣) والبيهقي (٢/ ١٠٢، ١٣٣، ١٣٤) من طرق عن علي بن يحيى به بألفاظ متقاربة وفي بعضها : « إنها لا تتم صلاة أحدكم حتى يسبغ الوضوء كما أمره الله عز وجل » .

(١٩٣) - أخرجه البخاري في كتاب الوضوء ، باب : الاستنثار في الوضوء الحديث (١٦١) ، ومسلم في الطهارة ، باب : الإيتار في الاستنثار ، والاستجمار ، الحديث (٢٣٧/٢٢) من طريق أبي إدريس الخولاني عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من توضأ فليستنثر ، ومن استجمر فليوتر » . ورواه البخاري في الوضوء ، باب الاستجمار وترًا ، الحديث (١٦٢) ، ومسلم في الطهارة ، باب : الإيتار في الاستنثار والاستجمار الحديث (٢٣٧/ ٢٠) من طريق الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا توضأ أحدكم فليجعل في أنفه ماء ثم لينثر » ، ورواه مسلم (٢٣٧/ ٢١) من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة عن محمد صلى الله عليه وسلم ، فذكر أحاديث منها ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا توضأ أحدكم فليستنشق بمنخريه من الماء ثم لينتثر » .

(١٩٤) - رواه في المسند (١/ ٢٦٨) ورواه البخاري في صحيحه كتاب الوضوء ، باب غسل الوجه باليدين من غرفة واحدة ، الحديث (١٤٠) حدثنا محمد بن عبد الرحيم قال أخبرنا أبو سلمة الخزاعي منصور بن سلمة فذكره . ورواه أحمد (١/ ٣٦٥) حدثنا عبد الرزاق أخبرنا سفيان عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابن عباس قال : ألا أخبركم بوضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فدعا بماء فجعل يغرف بيده اليمنى ثم يصب على اليسرى .

[١] - في ز : « فليستنشق » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « أخرى » .

ورواه البخاري عن محمد بن عبد الرحيم ، عن أبي سلمة منصور بن سلمة الخزاعي به .

وقوله : ﴿ **وأيديكم إلىٰ المرافق** ﴾ أي : مع المرافق . كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولا تأكلوا أموالهم إلىٰ أموالكم إنه كان حوبًا كبيرًا** ﴾ .

وقد رویٰ الحافظ الدارقطني وأبو بكر البيهقي من طريق القاسم بن محمد ، عن عبد اللَّه بن محمد ابن عقيل ، عن جده ، عن جابر بن عبد اللَّه(١٩٥) قال : كان رسول اللَّه ﷺ إذا توضأ أدار الماء علىٰ مرفقيه . ولكن القاسم هذا متروك الحديث ، وجده ضعيف ، واللَّه أعلم .

ويستحب للمتوضئ أن يشرع في العضد ، فيغسله مع ذراعيه ، لما رویٰ البخاري ومسلم من حديث نعيم المجمر ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **إن أمّتي يدعون يوم القيامة غرًّا محجلين من آثار الوضوء ، فمن استطاع منكم أن يطيل غرّته فليفعل** »(١٩٦) .

وفي صحيح مسلم(١٩٧) ، عن قتيبة[١] ، عن خلف بن خليفة ، عن أبي مالك الأشجعي ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال : سمعت خليلي ﷺ يقول : « **تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء** » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وامسحوا برءوسكم** ﴾ اختلفوا في هذه الباء : هل هي للإلصاق ؟ وهو الأظهر ، أو للتبعيض ؟ وفيه نظر ، علىٰ قولين ، ومن الأصوليين من قال : هذا مجمل ،

---

(١٩٥) - أخرجه الدارقطنى فى سننه (٨٣/١) ، والبيهقى (٥٦/١) وقال الدارقطنى : ابن عقيل ليس بقوى . وقال الألبانى فى الصحيحة (٢٠٦٧) : الظاهر أنه عنى الجد وهو عبد الله بن محمد بن عقيل ، فإنه مختلف فيه ، والراجح فيه أنه حسن الحديث إذا لم يخالف ، وعليه فكان الأولى إعلاله بحفيده ؛ فإنه شديد الضعف . قال الذهبى فى « الضعفاء » : قال أبو حاتم وغيره : متروك . وقال أحمد : ليس بشىء . وقد ضعف إسناده أيضًا الحافظ ابن حجر فى « فتح البارى » (٢٩٢/١) لكن ذكر له الحافظ شواهد ، ثم قال : وهذه الأحاديث يقوي بعضها بعضًا . وصححه أيضًا الألبانى - حفظه الله - بشواهده فى الصحيحة ، وفى صحيح الجامع (٤٥٧٤) .

(١٩٦) - أخرجه البخارى فى الوضوء ، باب : لا تقبل صلاة بغير طهور ، الحديث (١٣٦) ، ومسلم فى الطهارة ، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل فى الوضوء ، الحديث (٣٥/٢٤٦) .

(١٩٧) - رواه فى صحيحه فى الطهارة ، باب : تبلغ الحلية حيث يبلغ الوضوء ، الحديث (٢٥٠) ، ورواه النسائى (٩٣/١) حدثنا قتيبة فذكره ، ورواه أحمد فى مسنده (٣٧١/٢) حدثنا حسين بن محمد حدثنا خلف به .

---

[١] - في خ : « قتادة » .

فليرجع في بيانه إِلىٰ السنة . وقد ثبت في الصحيحين(١٩٨) من طريق مالك ، عن عمرو بن يحيىٰ المازني ، عن أبيه : أن رجلًا قال لعبد الله بن زيد بن عاصم – وهو جد عمرو بن يحيى ، وكان من أصحاب النبي ﷺ – [هل تستطيع أن تريني كيف كان رسول الله ﷺ][١] يتوضأ ؟ فقال عبد الله بن زيد : نعم ، فدعا بوضوء ، فأفرغ علىٰ يديه ، [فغسل يديه][٢] مرتين مرتين ، ثم مضمض واستنشق ثلاثًا ، وغسل وجهه ثلاثًا ، ثم غسل يديه مرتين[٣] مرتين إِلىٰ المرفقين ، ثم مسح رأسه بيديه فأقبل بهما وأدبر ، بدأ بمقدّم رأسه ، ثم ذهب بهما إِلىٰ قفاه ، ثم ردّهما حتىٰ رجع إِلىٰ المكان الذي بدأ منه ، ثم غسل رجليه .

وفي حديث عبد خير ، عن علي في صفة وضوء رسول الله ﷺ نحو هذا(١٩٩) . وروىٰ أبوداود عن معاوية والمقدام بن معد يكرب في صفة وضوء رسول الله ﷺ مثله (٢٠٠) .

ففي هذه الأحاديث دلالة لمن ذهب إِلىٰ وجوب تكميل مسح جميع الرأس ، كما هو مذهب الإِمام مالك وأحمد بن حنبل ، لا سيما علىٰ قول من زعم أنها خرجت مخرج البيان لما أجمل في القرآن .

وقد ذهب الحنفية إِلىٰ وجوب مسح ربع الرأس وهو مقدار الناصية .

وذهب أصحابنا إِلىٰ أنه إِنما يجب ما يطلق عليه اسم مسح ، و[٤] لا يتقدر ذلك بحد ؛ بل لو

---

(١٩٨) – أخرجه البخارى فى الوضوء ، باب : مسح الرأس كله ، الحديث (١٨٥) ، ومسلم فى الطهارة ، باب : فى وضوء النبى ﷺ ، الحديث (٢٣٥) وللحديث طرق كثيرة عن عمرو بن يحيى عند الشيخين وغيرهما .

(١٩٩) – أخرجه أحمد (١/ ١١٠، ١١٣، ١٢٢، ١٢٣، ١٣٥، ١٣٩، ١٥٤) ، وأبو داود (١١١ – ١١٣) ، والترمذى (٤٩) ، والنسائى (١/٦٧ – ٦٩) وابن ماجه (٤٠٤) ، والدارمى (٧٠٧) ، وعبد الله بن أحمد فى زوائد المسند (١/ ١١٣، ١١٤، ١٢٣ – ١٢٥، ١٤١) ، وابن خزيمة (١٤٧) من طرق عن عبد خير عن على ، والروايات مطولة ومختصرة ، وألفاظها متقاربة .

(٢٠٠) – حديث معاوية أخرجه أبو داود فى الطهارة ، باب : صفة وضوء النبى ص ، الحديث (١٢٤) ومن طريقه البيهقى فى سننه (٥٩/١) وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود رقم (١١٥) .
وأمّا حديث المقدام فأخرجه أبو داود فى الطهارة ، باب : صفة وضوء النبى صلى الله عليه وسلم ، الحديث (١٢٢) ومن طريقه البيهقى (٥٩/١) من طريقين عن الوليد بن مسلم عن حريز بن عثمان عن عبد الرحمن بن ميسرة عن المقدام بن معد يكرب ، قال : رأيت رسول الله ﷺ توضأ فلما بلغ مسح =

---

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ . [٢] – ما بين المعكوفتين سقط من: خ .
[٣] – سقط من : ز . [٤] – سقط من : ز .

مسح بعض شعرة من رأسه أجزأه .

واحتج الفريقان بحديث المغيرة بن شعبة قال : تخلف النبي ﷺ فتخلفت معه ، فلما قضىٰ حاجته قال : « **هل معك ماء ؟** » فأتيته بمطهرة ؛ فغسل كفيه ووجهه ، ثم ذهب يحسر عن ذراعيه ، [فضاق كم الجبة ، فأخرج يديه من تحت الجبة ، وألقىٰ الجبة علىٰ منكبيه ، فغسل ذراعيه][١] ، ومسح بناصيته ، وعلىٰ العمامة ، وعلىٰ خفيه . وذكر باقي الحديث ، وهو في صحيح مسلم وغيره (٢٠١) .

فقال لهم أصحاب الإمام أحمد : إنما اقتصر علىٰ مسح الناصية ؛ لأنه كمل مسح بقية الرأس علىٰ العمامة ، ونحن نقول بذلك ، وأنه يقع عن الموقع ، كما وردت بذلك أحاديث كثيرة ، وأنه كان يمسح علىٰ العمامة وعلىٰ الخفين ، فهذا أولىٰ ، وليس لكم فيه دلالة علىٰ جواز الاقتصار علىٰ مسح الناصية ، أو بعض الرأس من غير تكميل علىٰ العمامة ، والله أعلم .

= رأسه وضع كفيه على مقدم رأسه فأمرهما حتى بلغ القفا ثم ردهما إلى المكان الذى بدأ منه . وقد قال الوليد فى إحدى الروايتين : أخبرنى حريز . فزالت وصمة التدليس . والحديث ذكره عبد الحق فى «أحكامه » (١٧٠/١) ساكتًا عليه فتعقبه ابن القطان فى « بيان الوهم » (١٠٩/٤) وأعله بعلتين الأولى : عبد الرحمن بن ميسرة مجهول الحال لا يعرف ، ما روى عنه إلا حريز بن عثمان ، وحريز كان له رأى سوء فى الصحابة . والأخرى : تدليس الوليد بن مسلم فإنه كان يدلس ويسوى ولم يقل فى هذا الحديث : أنا ولا ثنا ، ولا سمعت ولا ذكر عن حريز أنه قال ذلك . قلت : أما عبد الرحمن بن ميسرة الحضرمى فقد ذكره ابن حبان فى « الثقات » (١٠٩/٥) وقال العجلى فى « ثقاته » (ت ٩٨٦) : تابعى ثقة . وروى عنه غير واحد كما فى « تهذيب الكمال » . وأمَّا وصمة التدليس فقد صرح بالسماع عند أبى داود ، وقد رواه أيضًا ابن ماجه (٤٤٢) من طريق هشام بن عمار قال حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا حريز بن عثمان فذكره مختصرًا والحديث واحد . وقد تابعه عليه أيضًا أبو المغيرة وهو ثقة روى له الجماعة عند أبى داود (١٢١) ، وأحمد (١٣٢/٤) قال : حدثنا حريز بن عثمان عن عبد الرحمن بن ميسرة عن المقدام فى صفة الوضوء أيضًا . والحديث حسنه ابن حجر فى « تلخيص الحبير » (١٠١/١) ونقل ابن الملقن فى « البدر المنير » (٣٤٣/٣) عن النووى قال فى الخلاصة : رواه أبو داود بإسناد صحيح . وصححه الألبانى فى « صحيح أبى داود » (١١٢، ١١٣) .

(٢٠١) - رواه مسلم فى صحيحه فى الطهارة ، باب المسح على الناصية والعمامة ، الحديث (٢٧٤/٨١) من حديث عروة بن المغيرة عن أبيه والحديث من هذه الطريق عند البخارى في صحيحه فى كتاب الوضوء ، باب : المسح على الخفين ، الحديث (٢٠٣) مختصرًا . وقد ورد الحديث من طرق كثيرة عن المغيرة فى الصحيحين وغيرهما .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

ثم اختلفوا في أنه هل يستحب تكرار مسح الرأس ثلاثًا ، كما هو المشهور من مذهب الشافعي ، أو[١] إنما يستحب مسحة واحدة كما هو مذهب أحمد بن حنبل ومن تابعه علىٰ قولين ؛ فقال عبد الرزاق(٢٠٢) : عن معمر ، عن الزهري ، عن عطاء بن يزيد الليثي ، عن حمران بن أبان ، قال : رأيت عثمان بن عفان توضأ فأفرغ علىٰ يديه ثلاثًا فغسلهما ، ثم تمضمض[٢] واستنشق ، ثم غسل وجهه ثلاثًا ، ثم غسل يده اليمنىٰ إلىٰ المرفق ثلاثًا ، ثم غسل اليسرىٰ مثل ذلك ، ثم مسح برأسه ، ثم غسل قدمه اليمنىٰ ثلاثًا ، ثم اليسرىٰ ثلاثًا مثل ذلك ، ثم قال : رأيت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم توضأ نحو وضوئي هذا . ثم قال : **« من توضأ نحو وضوئي هذا ، ثم صلىٰ ركعتين لا يحدث فيهما نفسه ؛ غفر له ما تقدم من ذنبه »** .

أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين ، من طريق الزهري به نحو هذا .

وفي سنن أبي داود من رواية عبد اللَّه بن عبيد اللَّه بن أبي مليكة ، عن عثمان في صفة الوضوء : **« ومسح برأسه مرة واحدة »**(٢٠٣) ، وكذا من رواية عبد خير عن علي

(٢٠٢) - رواه في مصنفه (٤٤/١) (١٣٩) ومن طريقه أخرجه أحمد (٥٩/١) ، وأبو داود في الطهارة ، باب صفة وضوء النبي صلى اللَّه عليه وسلم ، الحديث (١٠٦) ، والبيهقي (٥٧/١ - ٥٨) والحديث رواه البخاري في الصيام ، باب سواك الرطب واليابس للصائم ، الحديث (١٩٣٤) حدثنا عبدان - أخبرنا عبد الله أخبرنا معمر ... فذكره . ورواه البخاري في الوضوء ، باب : الوضوء ثلاثًا ثلاثًا ، الحديث (١٥٩) ، ومسلم في الطهارة ، باب صفة الوضوء وكماله ، الحديث (٤/٢٢٦) من طريق سعد بن إبراهيم عن الزهري به .

(٢٠٣) - رواه أبو داود في سننه كتاب الطهارة ، باب : صفة وضوء النبي ﷺ ، الحديث (١٠٨) ومن طريقه البيهقي في سننه (٦٤/١) عن عثمان بن عبد الرحمن التيمي ، قال : سئل ابن أبي مليكة عن الوضوء ، فقال : رأيت عثمان سئل عن الوضوء فذكره وفيه : « فمسح برأسه وأذنيه فغسل بطونهما وظهورهما مرة واحدة » وقال أبو داود : أحاديث عثمان رضي الله عنه الصحاح كلها تدل على أنه مسح الرأس مرة ، فإنهم ذكروا الوضوء ثلاثًا ، وقالوا فيها : ومسح رأسه ، ولم يذكروا عددًا كما ذكروا في غيره . والحديث صححه الألباني في « صحيح أبي داود » رقم (٩٩) ، ورواه الدارقطني في « سننه » (٩٣/١) من طريق زيد بن الحباب عن عمر بن عبد الرحمن بن سعد المخزومي حدثني جدي أن عثمان بن عفان خرج في نفر من أصحابه حتى جلس على المقاعد فدعا بوضوء فذكر وضوء عثمان وفيه : « ومسح برأسه مرة واحدة » وسكت عنه الزيلعي في « نصب الراية » (٣١/١) وقال الحافظ في « تلخيص الحبير » (٩٤/١) : وهو في الصحيحين مطلق غير مقيد ، وفي الأوسط للطبراني من طريق عبد الله بن جعفر عن عثمان نحوه . ا هـ . قلت : ورواية عبد الله بن جعفر عند الطبراني في الأوسط رقم (٨٤٩٩) وفيها :=

[١] - في ز : « و » . [٢] - في ز : « مضمض » .

مثله[٢٠٤] .

واحتج من استحب تكرار مسح الرأس بعموم الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن عثمان - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ توضأ ثلاثًا ثلاثًا .

وقال أبو داود[٢٠٥] : حدثنا محمد بن المثنىٰ ، حدثنا الضحاك بن مخلد ، حدثنا عبد الرحمن بن وردان ، حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن ، حدثني حمران قال : رأيت عثمان بن عفان توضأ فذكر نحوه ، ولم يذكر المضمضة والاستنشاق ، قال فيه : ثم مسح رأسه ثلاثًا ، ثم غسل رجليه ثلاثًا ، ثم قال : رأيت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم توضأ هكذا ، وقال : « **من توضأ دون[١] هذا كفاه** » .

تفرّد به أبو داود ، ثم قال : وأحاديث عثمان في[٢] الصحاح تدل علىٰ أنه مسح الرأس مرة واحدة .

وقوله : ﴿ **وأرجلكم إلىٰ الكعبين** ﴾ قرئ ﴿ **وأرجلكم** ﴾ بالنصب عطفًا علىٰ ﴿ **فاغسلوا وجوهكم وأيديكم** ﴾ .

قال[٣] ابن أبي حاتم[٢٠٦] : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا أبو سلمة ، حدثنا وهيب ، عن خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس - أنه قرأها ﴿ **وأرجلكم** ﴾ . يقول : رجعت إلىٰ الغسل .

= « ومسح برأسه » كذا مطلقًا دون القيد بعدد ، والله أعلم ، وهو عند البزار (١١/٢) رقم (٣٤٩) ، والدارقطني (٩١/١) وفيه : « ومسح برأسه ثلاثًا » .

(٢٠٤) - تقدم حديث على رقم (١٩٩) .

(٢٠٥) - رواه في سننه في الطهارة ، باب : صفة وضوء النبي ص ، الحديث (١٠٧) ورواه من طريقه البيهقي في سننه (٦٢/١) ، ورواه الدارقطني (٩١/١) ، والبزار في « مسنده » (٧٣/٢) (٤١٨) ، والبيهقي (٦٢/١) من طريق عبد الرحمن بن وردان به . والحديث صححه الألباني في « صحيح أبي داود » (٩٨) .

(٢٠٦) - رواه ابن جرير الطبري (٥٥/١٠) (١١٤٥٩) من طريق عبد الوهاب بن عبد الأعلى عن خالد به ، وأبو جعفر النحاس في ناسخه (ص ٣٧٦) من طريق هشيم قال : أخبرنا خالد فذكره ، وخالد هو ابن مهران الحذاء وهو ثقة . والأثر ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٤٦٤/٢) وزاد نسبته إلى « سعيد ابن منصور ، وابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر » .

---

[١] - سقط من : ز . [٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « وقال » .

وروي عن عبد الله بن مسعود وعروة وعطاء وعكرمة والحسن ومجاهد ؛ وإبراهيم والضحاك والسدي ومقاتل بن حيان والزهري وإبراهيم التيمي - نحو ذلك .

وهذه قراءة ظاهرة في وجوب الغسل كما قاله السلف ، ومن لههنا ذهب من ذهب إلىٰ وجوب الترتيب [في الوضوء][١] ، كما هو مذهب الجمهور ، خلافًا لأبي حنيفة ، حيث لم يشترط الترتيب ؛ بل لو غسل قدميه ، ثم مسح رأسه ، وغسل يديه ، ثم وجهه أجزأه ذلك ؛ لأن الآية أمرت بغسل هذه الأعضاء ، والواو لا تدل علىٰ الترتيب . وقد سلك الجمهور في الجواب عن هذا البحث طرقًا .

فمنهم من قال : الآية دلت علىٰ وجوب غسل الوجه ابتداء عند القيام إلىٰ الصلاة ؛ لأنه مأمور به بفاء التعقيب ، وهي مقتضية للترتيب ، ولم يقل أحد من الناس بوجوب غسل الوجه أولًا ، ثم لا يجب الترتيب بعده ، بل القائل اثنان : أحدهما يوجب الترتيب ، كما هو واقع في الآية ، والآخر يقول : لا يجب الترتيب مطلقًا ، والآية دلت علىٰ وجوب غسل الوجه ابتداء ، فوجب الترتيب فيما بعده بالإجماع[٢] ، حيث[٣] لا فارق .

ومنهم من قال : لا نسلم أن الواو لا تدل علىٰ الترتيب ، بل هي دالة كما هو مذهب طائفة من النحاة ، وأهل اللغة ، وبعض الفقهاء ، ثم يقول بتقدير تسليم[٤] كونها لا تدل علىٰ الترتيب اللغوي ؛ هي دالة علىٰ الترتيب شرعًا ، فيما من شأنه أن يرتب ، والدليل علىٰ ذلك أنه ﷺ لما طاف بالبيت ؛ خرج من باب الصفا ، وهو يتلو قوله تعالىٰ : ﴿ **إن الصفا والمروة من شعائر الله** ﴾ ثم قال : « **أبدأ بما بدأ الله به** » . لفظ مسلم ، ولفظ النسائي : « **ابدءوا بما بدأ الله به** » . وهذا لفظ أمر ، وإسناده صحيح(٢٠٧) ، فدل علىٰ وجوب البداءة بما بدأ الله به ، وهو معنىٰ كونها تدل علىٰ الترتيب شرعًا ، والله أعلم .

---

(٢٠٧) - هو جزء من حديث جابر الطويل فى صفة حجته صلى الله عليه وسلم رواه مسلم فى صحيحه فى كتاب الحج ، باب حجة النبى ﷺ ، الحديث (١٢١٨) من طريق جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر .
وقد جمع العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى - حفظه الله - طرق هذا الحديث فى رسالة مفردة وهى مطبوعة ، وذكر متن الحديث بزياداته فى الإرواء رقم (١٠١٧) وأمَّا الرواية الثانية التى ذكرها الحافظ ابن كثير هنا « ابدءوا بما بدأ الله به » فأخرجها أحمد فى مسنده (٣٩٤/٣) من طريق سليمان بن بلال عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر ، ورواه الدارقطنى (٢٥٤/٢) (٧٩) ، والبيهقى (٨٥/١) من طريق سفيان الثورى عن جعفر به . وعزاه المصنف هنا للنسائى ، وكذا النووى فى شرح مسلم (٢٤٥/٨) والزيلعى فى نصب الراية (٥٤/٣) ، وغيرهم من الحفاظ ، ولم أقف عليه فى سننه الصغرى ، =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٢] - في ز : « الإجماع » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .

ومنهم من قال : لما ذكر اللَّه تعالىٰ هذه الصفة في هذه الآية علىٰ هذا الترتيب ، فقطع النظير عن النظير ، وأدخل الممسوح بين المغسولين ، دل ذلك علىٰ إرادة الترتيب .

ومنهم من قال : لا شك أنه قد روىٰ أبو داود وغيره من طريق عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده - أن رسول اللَّه ﷺ توضأ مرة مرة ، ثم قال : « **هذا وضوء لا يقبل اللَّه الصلاة إلا به** »(٢٠٨) قالوا : فلا يخلو ؛ إما أن يكون توضأ مرتبًا[١] ؛ فيجب الترتيب ، أو يكون توضأ غير مرتب ، فيجب عدم الترتيب ، ولا قائل به ، فوجب ما ذكرناه .

= ولكن وجدته فى الكبرى فى كتاب الحج ، باب : الدعاء على الصفا ، الحديث (٣٩٦٨) أخبرنا إبراهيم بن هارون البلخى حدثنا حاتم بن إسماعيل حدثنا جعفر بن محمد به ، ومن طريق النسائى رواه ابن حزم فى « المحلى » (٦٦/٢) ورواه أحمد فى « مسنده » (٣٩٤/٣) من طريق سليمان بن بلال عن جعفر به ، والثورى وسليمان بن بلال ثقتان محتج بهما فى الصحيحين ، وحاتم بن إسماعيل وثقه يحيى بن معين والدارقطنى ، وابن حبان والعجلى ، والذهبى ، وهو من رجال الصحيحين أيضًا ولم يقف العلامة الألبانى - حفظه الله - على الحديث بهذا اللفظ في سنن النسائى الكبرى لكن نقله عن ابن حزم وأعله بالشذوذ لمخالفته هذه الرواية بجميع الطرق عن حاتم بن إسماعيل ، ثم قال : وجملة القول : أن هذا اللفظ : « ابدءوا » شاذ لا يثبت لتفرد الثورى وسليمان به ، مخالفين فيه سائر الثقات الذين سبق ذكرهم وهم سبعة ، وقد قالوا : « نبدأ » فهو الصواب ، ولا يمكن القول بتصحيح اللفظ الآخر لأن الحديث واحد ، وتكلم به صلى اللَّه عليه وسلم مرة واحدة عند صعوده على الصفا ، فلابد من الترجيح ، وهو ما ذكرنا » .

(٢٠٨) - لم أجده في سنن أبى داود هكذا والذى فى سنن أبى داود من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلًا أتى النبى صلى اللَّه عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، كيف الطهور ؟ فدعا بماء فى إناء ... الحديث . وفيه أنه علمه الوضوء ثلاثًا ثلاثًا وليس مرة مرة ، وفى آخره : « ثم قال : هكذا الوضوء فمن زاد على هذا أو نقص فقد أساء وظلم » أو « ظلم وأساء » والحديث صححه الألبانى فى « صحيح سنن أبى داود » (١٢٣) دون قوله أو « نقص » فإنه شاذ . لكن روى الطبرانى فى « الأوسط » (٧٣٤٦) ، والبزار فى مسنده (٣٦٩/٦) (٢٣٨٥) ، وهو فى كشف الأستار (١٤٢/١) (٢٦٩) ، ومختصر زوائد البزار لابن حجر (١/ ١٦٤، ١٦٦) من طريق بكر بن يحيى بن زبان العنزى قال : أخبرنا مندل بن على عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن النبى صلى اللَّه عليه وسلم توضأ مرة مرة ، زاد الطبرانى : « ثم قام فصلى » وقال الهيثمى فى « مجمع الزوائد » (١/ ٢٣٧) : فيه مندل بن على ضعفه أحمد وابن المدينى وابن معين فى رواية ووثقه فى أخرى . ا هـ . قلت : وضعفه أيضًا الحافظ فى « التقريب » والحديث مُخَالفٌ بما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبى ﷺ علم الرجل الذي سأله : كيف الطهور ؟ أن يتوضأ ثلاثًا ثلاثًا .

[١] - في خ : « مرة » .

وأما القراءة الأخرىٰ ، وهي قراءة من قرأ ﴿ وأرجلِكم ﴾ بالخفض . فقد احتج بها الشيعة في قولهم بوجوب مسح الرجلين ؛ لأنها عندهم معطوفة علىٰ مسح الرأس . وقد روي عن طائفة من السلف ما يوهم القول بالمسح ، فقال ابن جرير(٢٠٩) :

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن علية ، حدثنا حميد قال : قال موسىٰ بن أنس لأنس ، ونحن عنده : يا أبا حمزة ، إن الحجاج خطبنا بالأهواز ، ونحن معه ، فذكر الطهور ، فقال : اغسلوا وجوهكم وأيديكم ، وامسحوا برءوسكم وأرجلكم ، وأنه ليس شيء من ابن آدم أقرب من خبثه من قدميه ، فاغسلوا بطونهما وظهورهما وعراقيبهما ، فقال أنس : صدق الله وكذب الحجاج . قال الله تعالىٰ : ﴿ وامسحوا برءوسكم وأرجلكم ﴾ قال : وكان أنس إذا مسح قدميه بلّهما . إسناد صحيح إليه .

وقال ابن جرير(٢١٠) : حدثنا علي بن سهل ، حدثنا مؤمل ، حدثنا حماد ، حدثنا عاصم الأحول ، عن أنس[١] قال : نزل القرآن بالمسح ، [والسنة بالغسل][٢] . وهذا أيضًا إسناد صحيح .

وقال ابن جرير (٢١١) : حدثنا أبو كريب ، [حدثنا محمد بن قيس][٣] الخراساني ، عن ابن

(٢٠٩) - رواه في تفسيره (١٠/٥٨) (١١٤٧٥) قال : حدثنا حميد بن مسعدة قال : حدثنا بشر بن المفضل ، عن حميد ح ، وحدثنا يعقوب بن إبراهيم قال حدثنا ابن علية قال ، حدثنا حميد قال موسى ابن أنس فذكره ورواه (١٠/٥٨ - ٥٩) (١١٤٧٧) حدثنا ابن بشار قال حدثنا ابن أبي عدى عن حميد عن موسى بن أنس فذكر نحوه ، ورواه البيهقى فى سننه (١/٧١) من طريق عبد الوهاب بن عطاء أنا حميد عن موسى بن أنس بنحوه ، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١/٣٠) حدثنا إسماعيل بن علية عن حميد قال : كان أنس إذا مسح على قدميه بلهما . ولم يذكر فى إسناده موسى بن أنس وموسى بن أنس روى عن أبيه وعن ابن عباس وثقه ابن سعد وذكره ابن حبان فى « الثقات » (٥/٤٠١) وروى له الجماعة . والأثر ذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٢/٤٦٤ - ٤٦٥) وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور .

(٢١٠) - رواه فى تفسيره (١٠/٥٨) (١١٤٧٦) .

(٢١١) - رواه فى تفسيره (١٠/٥٨) (١١٤٧٤) ، ومحمد بن قيس قال الشيخ شاكر : لم أجد له ذكرًا ، ولم أعرف من يكون ، وعسى أن يكون محرفًا . قلت : فى بعض نسخ ابن كثير « ابن ميسرة » ولم أجد فى الرواة عن ابن جريج لا محمد بن قيس ولا محمد بن ميسرة لكن تابعه عبد الرزاق فرواه فى مصنفه (١/١٩) (٥٥) عن ابن جريج أنه سمع عكرمة يقول قال ابن عباس : الوضوء مسحتان وغسلتان ، =

[١] - في ز ، خ: « الحسن » . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « بن ميسرة » .

جريج ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : الوضوء غسلتان ومسحتان .

وكذا رویٰ سعيد بن أبي عروبة عن قتادة(٢١٢) .

وقال ابن أبي حاتم (٢١٣) : حدثنا أبي ، حدثنا أبو معمر المنقري ، حدثنا عبد الوهاب ، حدثنا علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس : ﴿ وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلىٰ الكعبين ﴾ قال : هو المسح . ثم قال : وروي عن ابن عمر وعلقمة وأبي جعفر محمد بن علي والحسن في إحدىٰ الروايات وجابر بن زيد ومجاهد في إحدىٰ الروايات - نحوه .

وقال ابن جرير(٢١٤) : حدثنا يعقوب ، حدثنا ابن علية ، حدثنا أيوب ، قال : رأيت عكرمة يمسح علىٰ رجليه قال : وكان يقوله .

وقال[١] ابن جرير(٢١٥) : حدثني أبو السائب ، حدثنا ابن إدريس ، عن داود بن أبي هند ،

= ورواه عبد الرزاق (٥٤) عن معمر عن قتادة عن جابر بن يزيد ، أو عكرمة عن ابن عباس قال : افترض الله غسلتين ومسحتين ألا ترى أنه ذكر التيمم فجعل مكان الغسلتين مسحتين وترك المسحتين . وقال رجل لمطر الوراق : من كان يقول : المسح على الرجلين ؟ فقال : فقهاء كثير .

(٢١٢) - رواه ابن جرير في تفسيره (٦٠/١٠) (١١٤٨٧) عن قتادة بلفظ : « افترض الله غسلتين ، ومسحتين » . وذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٤٦٤/٢) وزاد نسبته إلى ابن المنذر .

(٢١٣) - في إسناده على بن زيد بن جدعان وهو ضعيف روى له أصحاب السنن ولم يحتج به مسلم ، وإنما روى له مقرونًا بثابت البناني ، والأثر : ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٤٦٤/٢) ولم يعزه لغير ابن أبي حاتم ، وروى ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٢/١) ومن طريقه ابن ماجة في الطهارة ، باب : ما جاء في غسل القدمين ، الحديث (٤٥٨) حدثنا ابن علية عن روح بن القاسم ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الرُّبيع ، قالت : أتاني ابن عباس فسألني عن هذا الحديث - تعنى حديثها الذى ذكرت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ وغسل رجليه - فقال ابن عباس : إن الناس أبوا إلَّا الغسل ، ولا أجد في كتاب الله إلَّا المسح . ورواه عبد الرزاق في مصنفه (٢٢/١) (٦٥) عن معمر عن عبد الله بن محمد بن عقيل فذكره . وقال البوصيرى في مصباح الزجاجة (١٨٣/١) : إسناده حسن وحسنه الألبانى في ضعيف ابن ماجة دون قول ابن عباس فقال : فإنه منكر .

(٢١٤) - رواه في تفسيره (٥٩/١٠) (١١٤٧٨) قال حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية حدثنا عبيد الله العتكى عن عكرمة قال : ليس على الرجلين غسل إنما نزل فيهما المسح . ورواه ابن أبي شيبة (٣٠/١) قال حدثنا ابن علية فذكره كما نقله المصنف هنا تمامًا ، والله أعلم .

(٢١٥) - رواه في تفسيره (٥٩/١٠) (١١٤٨٠) ورواه عبد الرزاق (١٩/١) (٥٦) ، وابن أبي شيبة (١/ ٣٠) من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي وسيأتي في الذى بعده .

---

[١] - مكانها بياض في ز .

عن الشعبي قال : نزل جبريل بالمسح ، ثم قال الشعبي : ألا ترىٰ أن التيمم أن يمسح ما كان غسلًا ، ويلغي[١] ما كان مسحًا .

وحدثنا ابن أبي زياد(٢١٦) ، حدثنا يزيد ، أخبرنا إسماعيل ، قلت لعامر : إن ناسًا يقولون : إن جبريل نزل بغسل الرجلين ، فقال : نزل جبريل بالمسح .

فهذه آثار غريبة جدًّا ، وهي محمولة علىٰ أن المراد بالمسح : هو الغسل الخفيف ، لما سنذكره من السنة الثابتة في وجوب غسل الرجلين ، وإنما جاءت هذه القراءة بالخفض ، إما علىٰ المجاورة ، وتناسب الكلام ، كما في قول العرب : جُحْر ضبٍّ خربٍ ، وكقوله تعالىٰ : ﴿ **عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق** ﴾ ، وهذا ذائع شائع في لغة العرب ، سائغ ، ومنهم من قال : هي محمولة علىٰ مسح القدمين ، إذا كان عليهما الخفان ، قاله أبو عبد الله الشافعي -رحمه الله- ومنهم من قال : هي دالة علىٰ مسح الرجلين ، ولكن المراد بذلك الغسل الخفيف ، كما وردت[٢] به السنة ، وعلىٰ كل تقدير ، فالواجب غسل الرجلين ، فرضًا لابد منه ، للآية والأحاديث التي سنوردها ، ومن أحسن ما يستدل به علىٰ أن المسح يطلق علىٰ الغسل الخفيف ، ما رواه الحافظ البيهقي حيث قال(٢١٧) :

أخبرنا أبو علي الروذباري ، حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمويه العسكري ، حدثنا جعفر بن محمد القلانسي ، حدثنا آدم ، حدثنا شعبة ، حدثنا عبد الملك بن ميسرة ، سمعت النزال بن سبرة يحدث عن علي بن أبي طالب ؛ أنه صلىٰ الظهر ، ثم قعد في حوائج الناس في رحبة الكوفة ، حتىٰ حضرت صلاة العصر ، ثم أتىٰ بكوز من ماء ، فأخذ منه حفنة واحدة ، فمسح بها وجهه ويديه ورأسه ورجليه ، ثم قام فشرب فضله ، وهو قائم ، ثم قال : إن ناسًا يكرهون الشرب قائمًا ، وإن رسول الله ﷺ صنع كما[٣] صنعت . وقال : « **هذا وضوء من لم يحدث** » .

رواه البخاري في الصحيح عن آدم ببعض معناه .

ومن أوجب[٤] من الشيعة مسحهما ، كما يمسح الخف - فقد ضل وأضل ، وكذا من جوز

(٢١٦) - رواه فى تفسيره (١٠/٦٠) (١١٤٨٥) ، وانظر الذى قبله .

(٢١٧) - رواه فى سننه (١/٧٥) ، وقد تقدم تخريجه رقم (١٧٥) .

[١] - في ز ، خ : « وبلغني » .

[٢] - في ز : « ورد » .

[٣] - في ز : « ما » .

[٤] - في ز : « أحب » .

مسحهما ، وجوز غسلهما فقد أخطأ أيضًا ، ومن نقل عن أبي جعفر بن جرير ، أنه أوجب غسلهما للأحاديث ، وأوجب مسحهما للآية ، فلم يحقق مذهبه في ذلك ، فإن كلامه في تفسيره ؛ إنما يدل على أنه أراد أنه يجب دَلْكُ الرجلين من دون سائر أعضاء الوضوء ، لأنهما يليان الأرض والطين ، وغير ذلك ؛ فأوجب دلكهما ليذهب ما عليهما ، ولكنه عبر عن الدلك بالمسح ، فاعتقد من لم يتأمل كلامه ، أنه أراد وجوب الجمع بين غسل الرجلين ومسحهما ، فحكاه من حكاه كذلك ، ولهذا يستشكله كثير من الفقهاء ، وهو معذور ؛ فإنه لا معنىٰ للجمع بين المسح والغسل ، سواء تقدمه أو تأخر عليه لاندراجه فيه ، وإنما أراد الرجل ما ذكرته ، والله أعلم . ثم تأملت كلامه أيضًا ، فإذا هو يحاول الجمع بين القراءتين في قوله : ﴿ وأرجلكم ﴾ خفضًا على المسح ، وهو الدلك ، ونصبًا على الغسل ، فأوجبهما أخذًا بالجمع بين هذه وهذه .

ذكر الأحاديث الواردة في غسل الرجلين وأنه لابد منه[١]

قد تقدم في حديث أميرَيِ المؤمنين : عثمان وعلي ، وابن عباس ومعاوية وعبد الله بن زيد بن عاصم والمقداد بن معد يكرب ، أن رسول الله ﷺ غسل الرجلين في وضوئه ، إما مرة وإما مرتين أو ثلاثا ، على اختلاف رواياتهم(٢١٨) .

وفي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، أن رسول الله ﷺ توضأ ، فغسل قدميه ، ثم قال : « **هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به** »(٢١٩) .

وفي الصحيحين(٢٢٠) من رواية أبي عوانة ، عن أبي بشر ، عن يوسف بن ماهك ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : تخلف عنا رسول الله ﷺ في سفرة سافرناها ، فأدركنا وقد أرهقتنا الصلاة - صلاة العصر - ونحن نتوضأ ، فجعلنا نمسح على أرجلنا ، فنادى بأعلى صوته :

(٢١٨) - تقدم حديث عثمان برقم (١٨٩) و (٢٠٢ ، ٢٠٥) وحديث على برقم (١٩٩) ، وحديث ابن عباس رقم (١٩٨) وحديث عبد الله بن زيد رقم (١٩٨) ، وحديث معاوية وحديث المقدام تقدما برقم (٢٠٠) .

(٢١٩) - تقدم رقم (٢٠٨) .

(٢٢٠) - أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب العلم ، باب : من رفع صوته بالعلم ، الحديث (٦٠) ، وفي باب : من أعاد الحديث ثلاثًا ليفهم عنه الحديث (٩٦) ، وفى الوضوء ، باب : غسل الرجلين ، ولا يمسح على القدمين ، الحديث (١٦٣) ، ومسلم فى الطهارة باب : وجوب غسل الرجلين بكمالهما ، الحديث (٢٧/٢٤١) .

[١] - سقط من : ز ، خ .

« **أسبغوا الوضوء ، ويل للأعقاب من النار** » .

وكذلك هو في الصحيحين عن أبي هريرة .(٢٢١)

وفي صحيح مسلم ، عن عائشة ، عن النبي ﷺ أنه قال : « **أسبغوا الوضوء ، ويل للأعقاب من النار** »(٢٢٢) .

وروى الليث بن سعد ، عن حيوة بن شريح ، عن عقبة بن مسلم ، عن عبد الله بن الحارث بن [جَزْءٍ أنه][١] سمع رسول الله ﷺ يقول : « **ويل للأعقاب وبطون الأقدام من النار** »(٢٢٣) ، رواه البيهقي والحاكم ، وهذا إسناد صحيح .

وقال الإمام أحمد(٢٢٤) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق أنه سمع سعيد بن أبي كرب أو شعيب بن أبي كرب قال : سمعت جابر بن عبد الله ، وهو على جمل[٢] ،

---

(٢٢١) - رواه البخارى فى الوضوء ، باب : غسل الأعقاب ، الحديث (١٦٥) ، ومسلم فى الطهارة ، باب وجوب غسل الرجلين بكمالهما ، الحديث (٢٤٢) من طريق محمد بن زياد عن أبى هريرة .

(٢٢٢) - رواه مسلم فى الطهارة ، باب : غسل الرجلين بكمالهما الحديث (٢٤٠) من طريق سالم مولى شداد بن الهاد عن عائشة رضى الله عنها .

(٢٢٣) - رواه ابن خزيمة فى صحيحه (١٦٣) والدارقطنى (٩٥/١) والحاكم (١٦٢/١) والطحاوى فى «شرح معانى الآثار » (٣٨/١) ، والبيهقى (٧٠/١) من طريق الليث بن سعد به ، وصحح إسناده الألبانى فى تعليقه على صحيح ابن خزيمة ، وفى صحيح الترغيب والترهيب (٢١٦) وللحديث طريق آخر أخرجه أحمد فى مسنده (١٩١/٤) وابن أبى عاصم فى « الآحاد والمثانى » (٢٤٨٤) ، والطحاوى (٣٨/١) من طريق ابن لهيعة ثنا حيوة بن شريح به . وأشار إليه الترمذى فى سننه فى أبواب الطهارة ، باب ما جاء : «ويل للأعقاب من النار » عقب الحديث (٤١) ، والحديث ذكره الهيثمى فى « مجمع الزوائد » (١/ ٢٤٥) وعزاه للطبرانى مرفوعًا ولأحمد موقوفًا ، قال : ورجال أحمد والطبرانى ثقات . قلت : وهو عند أحمد مرفوعًا أيضًا كما تقدم . وصحح إسناده أيضًا الشيخ أحمد شاكر فى تعليقه على الترمذى .

(٢٢٤) - رواه فى المسند (٣٦٩/٣) ، ورواه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (٦٩/١٠) (١١٥١١ - ١١٥١٣) من طرق عن شعبة به ، ورواه ابن ماجه كتاب الطهارة وسننها ، باب : غسل العراقيب ، الحديث (٤٥٤) ، وأحمد (٣٩٠/٣) ، وابن جرير فى تفسيره (١٠/ ٧٠، ٧١) (١١٥١٤ - ١١٥١٦) ، والطحاوى فى شرح المعانى (٣٨/١) من طرق عن أبى إسحاق به . ورواه أحمد (٣٩٣/٣) من طريق يزيد بن عطاء عن أبى إسحاق عن سعيد بن أبى كرب وعبد الله بن مرثد فذكراه ، ورواه أحمد (٣١٦/٣) ، وابن جرير (٧١/١٠) (١١٥١٧، ١١٥١٨) من طريق الأعمش عن أبى سفيان عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى قومًا يتوضئون فلم يمس أعقابهم الماء ، فقال : « ويل للأعقاب=

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « جزانة » . [٢] - في ز : « جبل » .

يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **ويل**[١] **للعراقيب من النار** » .

وحدثنا أسود بن عامر ، أخبرنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن أبي كرب ، عن جابر بن عبد الله ، قال : رأى النبي ﷺ في رِجْلِ رَجُلٍ مثل الدرهم لم يغسله ، فقال : « **ويل للأعقاب**[٢] **من النار** »(٢٢٥) .

ورواه ابن ماجة عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن أبي[٣] الأحوص ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد به نحوه .

وكذا رواه ابن جرير ، من حديث سفيان الثوري ، وشعبة بن الحجاج ، وغير واحد ، عن أبي إسحاق السبيعي ، عن سعيد بن أبي كرب ، عن جابر ، عن النبي ﷺ مثله ، ثم قال(٢٢٦) :

حدثنا علي[٤] بن مسلم ، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، حدثنا حفص ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر أن رسول الله ﷺ رأى قومًا يتوضئون ، لم يصب أعقابهم الماء ، فقال : « **ويل للعراقيب من النار!** » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا خلف بن الوليد ، حدثنا أيوب بن عتبة[٥] ، عن يحيى[٦] بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن معيقيب قال : قال رسول الله ﷺ : « **ويل للأعقاب من النار !** »(٢٢٧) . تفرد به أحمد .

وقال ابن جرير : حدثني [علي بن] عبد الأعلى ، حدثنا المحاربي ، عن مطرِّح بن يزيد ، عن

= من النار » . وأصل الحديث فى الصحيحين من حديث ابن عمرو - وأبى هريرة وقد تقدم تخريجهما قريبًا .

(٢٢٥) - رواه فى مسنده (٣/٣٩٠) وراجع الذى قبله .

(٢٢٦) - رواه فى تفسيره (١٠/٧١) (١١٥١٨) ، وانظر رقم (٢٢٤) .

(٢٢٧) - رواه فى مسنده (٣/٤٢٦) ، (٥/٤٢٥) ، ورواه ابن جرير الطبرى (١٠/٧١) (١١٥١٩) قال : حدثنا أبو سفيان الغنوى يزيد بن عمرو قال : حدثنا خلف بن الوليد فذكره . ورواه الطبرانى فى الكبير (٢٠/٣٥٠) (٨٢٢) من طريقين عن أيوب بن عتبة به . والحديث ذكره الهيثمى فى « مجمع الزوائد » (١/٢٤٠) وعزاه لأحمد والطبرانى فى الكبير وقال : « وفيه أيوب بن عتبة والأكثر على تضعيفه » . قلت : تابعه الأوزاعى رواه الطبرانى فى الكبير (٢٠/٣٥٠) (٨٢٣) من طريق مبشر بن إسماعيل عن الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير به . وللحديث شواهد من حديث ابن عمرو ، وعائشة وغيرهما .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « للعقب » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ز ، خ : « عفان » .
[٥] - في ز : « عقبة » .
[٦] - في خ : « محمد » .

عبيد اللَّه بن زحر ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « [ويل للأعقاب من النار!][١]» . قال[٢] : فما بقي في المسجد شريف ولا وضيع إِلا نظرت إِليه ، يقلب عرقوبيه ينظر إِليهما(٢٢٨) .

وحدثنا أبو كريب ، حدثنا حسين ، عن زائدة ، عن ليث ، حدثني عبد الرحمن بن سابط ، عن أبي أمامة - أو عن أخي أبي أمامة - أن رسول اللَّه ﷺ أبصر قومًا يصلون ، وفي عقب أحدهم ، أو كعب أحدهم مثل موضع الدرهم ، أو موضع الظفر لم يمسه الماء ، فقال : « **ويل للأعقاب من النار!** » . قال : فجعل الرجل إِذا رأىٰ في عقبه شيئًا لم يصبه الماء ؛ أعاد وضوءه(٢٢٩) .

ووجه الدلالة من هذه الأحاديث ظاهرة ، وذلك أنه لو كان فرض الرجلين مسحهما ، أو أنه يجوز ذلك فيهما - لما توعد علىٰ تركه ؛ لأن المسح لا يستوعب جميع الرجل ، بل يجري فيه ما يجري في مسح الخف ، وهكذا وجّه هذه[٣] الدلالة علىٰ الشيعة الإِمام أبو جعفر بن جرير ، رحمه اللَّه تعالىٰ .

وقد روىٰ مسلم[٤] في صحيحه من طريق أبي الزبير ، عن جابر ، عن عمر بن الخطاب - أن رجلًا توضأ ، فترك موضع ظفر علىٰ قدمه ، فأبصره النبي ﷺ ، فقال : « **ارجع فأحسن**

---

(٢٢٨) - رواه في تفسيره (١٠/٧٣) (١١٥٢٥) ، وفي إسناده عبيد الله بن زحر وثقه أبو زرعة والنسائى وأحمد فى رواية والأكثر على تضعيفه ترجمته فى التهذيب ، وانظر أيضًا « الجرح والتعديل » (٥/الترجمة ١٤٩٩) وعلى بن يزيد هو الألهانى قال الحافظ فى « التقريب » ضعيف . وقال العلامة أحمد شاكر فى تفسير الطبرى (٧/١٢٧) فى الكلام على عبيد الله بن زحر : « من تكلم فيه إنما هو من أجل نسخة يرويها عن على بن يزيد الألهانى ، الحمل فيها على على بن يزيد » وقد روى الحديث من طريق أخرى عن أبى أمامة وهى أيضًا ضعيفة انظر التالى .

(٢٢٩) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١٠/٧٤) (١١٥٢٦) ورواه الطبرانى فى الكبير (٨/٣٤٧) (٨١٠٩) عن على بن مسهر وفى (٨/٣٤٨ - ٣٤٩) (٨١١٦) من طريق عبد الواحد بن زياد ، كلاهما قال : ثنا ليث فذكره ورواه الطبرانى فى الكبير أيضًا (٨١١٠ - ٨١١٢، ٨١١٤، ٨١١٥) من طرق عن ليث ابن أبى سليم نحوه . قال الهيثمى فى « مجمع الزوائد » (١/٢٤٥) : رواه الطبرانى فى الكبير من طرق ففى بعضها عن أبى أمامة وأخيه ، وفى بعضها عن أبى أمامة فقط ، وفى بعضها عن أخيه فقط ... ومدار طرقه كلها على ليث بن أبى سليم وقد اختلط » .

(٢٣٠) - رواه مسلم فى صحيحه فى الطهارة ، باب : وجوب استيعاب جميع أجزاء محل الطهارة ، الحديث (٢٤٣) ، وابن ماجة فى كتاب الطهارة وسننها ، باب من توضأ فترك موضعًا لم يصبه الماء ،=

---

[١] - ما بين المعكوفتين مكرر في ز .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في خ : «أبو مسلم» .

وضوءك »(٢٣٠) .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي(٢٣١) : أخبرنا أبو عبد اللّه الحافظ ، أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن إسحاق الصاغاني[١] ، حدثنا هارون بن معروف ، حدثنا ابن وهب ، حدثنا جرير بن حازم ، أنه سمع قتادة بن دعامة قال : حدثنا أنس بن مالك ، أن رجلًا جاء إلىٰ النبي ﷺ قد توضأ ، وترك علىٰ قدمه مثل موضع الظفر ، فقال له رسول اللّه ﷺ : **« ارجع فأحسن وضوءك »** .

وهكذا رواه أبو داود عن هارون بن معروف ، وابن ماجة عن حرملة ويحيىٰ كلاهما عن ابن وهب به .

وهذا إسناد جيد ، رجاله كلهم ثقات ، لكن قال أبو داود : ليس هذا الحديث بمعروف ، لم يروه إلا ابن وهب .

وحدثنا موسىٰ بن إسماعيل ، حدثنا حماد ، أخبرنا يونس وحميد ، عن الحسن أن رسول اللّه ﷺ ... بمعنىٰ حديث قتادة .

وقال الإمام أحمد (٢٣٢) : حدثنا إبراهيم بن أبي العباس ، حدثنا بقية ، حدثني بَحِير بن سعد ، عن خالد بن معدان ، عن بعض أزواج النبي ﷺ ، [أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم][٢] رأىٰ رجلًا يصلي ، وفي ظهر قدمه لمعة قدر الدرهم ، لم يصبها الماء ، فأمره رسول اللّه

= الحديث (٦٦٦) ، وأحمد (١/ ٢١، ٢٣) من طريق أبي الزبير به .

(٢٣١) - رواه في « السنن الكبرى » (١٠/٧٠) ، ورواه أبو داود ، في الطهارة ، باب : تفريق الوضوء ، الحديث (١٧٣) ومن طريقه البيهقى (٨٣/١) ورواه أبو يعلى (٣٢٢/٥) (٢٩٤٤) وعبد الله بن أحمد فى زوائد المسند (١٤٦/٣) قالوا حدثنا هارون بن معروف به . ورواه أحمد (١٤٦/٣) ، وابن ماجه فى الطهارة ، باب : من توضأ فترك موضعًا لم يصبه الماء ، الحديث (٦٦٥) ، وابن خزيمة (٨٤/١ - ٨٥) (١٦٤) ، والدارقطنى (١٠٨/١) من طرق عن عبد الله بن وهب به . وقال الألبانى - حفظه الله - فى الإرواء (١٢٧/١) سنده صحيح . قلت : أعله أبو داود فقال : وهذا الحديث ليس بمعروف عن جرير بن حازم . ولم يروه إلا ابن وهب وقد روى عن معقل بن عبيد الله الجزرى عن أبي الزبير عن جابر عن عمر عن النبى ص نحوه وقال : « ارجع فأحسن الوضوء » ثم رواه عن الحسن مرسلاً . قلت : أمَّا تفرد جرير به فلا يضر فإنه ثقة ، وكذا قال الدارقطنى فى سننه ، وأمَّا الطريق المرسلة فإنها لا تضر حديث قتادة عن أنس الموصول بل تقويها .

(٢٣٢) - المسند (٤٢٤/٣) والذى فيه : عن خالد بن معدان عن بعض أصحاب النبى وكذا هو فى سنن=

[١] - في ز : « الصنعاني » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

ﷺ أن يعيد الوضوء .

ورواه أبو داود من حديث بقية ، وزاد : والصلاة ، وهذا إسناد جيد قوي صحيح ، والله أعلم .

وفي حديث حُمران[١] ، عن عثمان في صفة وضوء النبي ﷺ ، أنه خلل بين أصابعه (٢٣٣) . وروىٰ أهل السنن من حديث إسماعيل بن كثير ، عن عاصم بن لقيط بن صبرة ، عن أبيه ، قال : قلت يا رسول الله ، أخبرني عن الوضوء فقال : « **أسبغ الوضوء ، وخلل بين الأصابع ، وبالغ في الاستنشاق ، إلا أن تكون صائمًا** »(٢٣٤) .

= أبي داود والبيهقي لكن قال ابن حجر في التلخيص (١٠٦/١) : في المسند والمستدرك تصريح بقية بالتحديث ، وفيه عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ولم أقف عليه في المسند المطبوع ولا في أطراف المسند لابن حجر نفسه . وقد ذكر الحديث رقم (١١٠١٧) عن خالد عن بعض الصحابة ، فلعله يكون في بعض النسخ دون بعض والله أعلم ، ورواه أبو داود في الطهارة ، باب : تفريق الوضوء ، الحديث (١٧٥) ومن طريقه البيهقي في سننه (٨٣/١) قال : حدثنا حيوة بن شريح حدثنا بقية عن بحير ابن سعد فذكره . وليس فيه إلّا ما يخشى من تدليس بقية بن الوليد وهو وإن صرح بالتحديث في روايته عن شيخه إلّا أنه كان يسوي الأسانيد كما هو معروف عنه فيلزمه أن يصرح بالتحديث في كل طبقات الإسناد وهو لم يفعل . والحديث أعله أيضًا البيهقي بالإرسال وتعقبه ابن التركماني في « الجوهر النقي » بقوله : « تسميته هذا مرسلاً ليس بجيد ، لأن خالدًا هذا أدرك جماعة من الصحابة وهم عدول ، فلا يضرهم الجهالة » وقال الأثرم : قلت - يعني لابن حنبل - : إذا قال رجل من التابعين : حدثني رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يسمه فالحديث صحيح ؟ قال : نعم » . وانظر « نصب الراية » (٣٥/١) ، وتلخيص الحبير (١٠٦/١) والإرواء (١/ ١٢٦، ١٢٧) .

(٢٣٣) - أخرجه البخاري في الوضوء ، باب الوضوء ثلاثًا ثلاثًا ، الحديث (١٥٩) وفي باب المضمضة في الوضوء ، الحديث (١٦٤) ، وفي الصيام ، باب : سواك الرطب واليابس ، الحديث (١٩٣٤) ، ومسلم في صحيحه كتاب الطهارة ، باب : صفة الوضوء وكماله الحديث (٢٢٦) من طريق ابن شهاب الزهري عن عطاء بن يزيد الليثي عن حمران به . وقد تقدم حديث عثمان رقم (١٨٩، ٢٠٦) .

(٢٣٤) - أخرجه أبو داود في الطهارة ، باب في الاستنثار ، الحديث (١٤٢- ١٤٤) ، وفي الصوم ، باب : الصائم يصب عليه الماء من العطش ، الحديث (٢٣٦٦) والترمذي في الصوم ، باب : ما جاء في كراهية مبالغة الاستنشاق للصائم ، الحديث (٧٨٨) ، والنسائي في الطهارة ، باب : المبالغة في الاستنشاق (٦٦/١) ، وفي باب : الأمر بتخليل الأصابع (٧٩/١) ، وابن ماجة في الطهارة ، باب المبالغة في الاستنشاق ، الحديث (٤٠٧) ، وفي باب : تخليل الأصابع ، الحديث (٤٤٨) ، وأحمد (٤/ ٣٢، ٣٣) وابن خزيمة (١٥٠) ، (١٦٨) ، وابن حبان (١٠٥٤) ، (١٠٨٧) ، والحاكم (١/ ١٤٧، ١٤٨) ، والبيهقي (١/ ٥١، ٥٢) (٤/ ٢١١، ٢٦١) من طرق عن إسماعيل بن كثير عن عاصم بن لقيط عن أبيه . والألفاظ مطولة ومختصره .

[١] - في ز ، خ : « عمران » .

وقال الإمام أحمد (٢٣٥) : حدثنا عبد اللَّه بن يزيد أبو عبد الرحمن المقري ، حدثنا عكرمة بن عمار ، حدثنا شداد بن عبد اللَّه الدمشقي ، قال : قال أبو أمامة : حدثنا عمرو بن عبسة ، قال : قلت : يا رسول اللَّه ، أخبرني عن الوضوء ؟ قال : « **ما منكم من أحد يقرب وضوءه ، ثم يتمضمض ، ويستنشق ، ويستنثر ، إلا خرت خطاياه من فمه وخياشيمه مع الماء حين يستنثر[١] ، ثم يغسل وجهه كما أمره اللَّه ، إلا خرت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء ، ثم يغسل يديه إلىٰ المرفقين ، إلا خرت خطايا يديه من أطراف أنامله ، ثم يمسح رأسه ، إلا خرت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء ، ثم يغسل قدميه إلىٰ الكعبين كما أمره اللَّه ، إلا خرت خطايا قدميه من أطراف أصابعه مع الماء ، ثم يقوم فيحمد اللَّه ، ويثني عليه[٢] بالذي هو له أهل ، ثم يركع ركعتين إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه** » . قال أبو أمامة : يا عمرو ، انظر ما تقول ، سمعت هذا من رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ؟ أيعطي هذا الرجل كله في مقامه ؟ فقال عمرو بن عبسة : يا أبا أمامة لقد كبرت سني ، ورق عظمي ، واقترب أجلي ، وما بي حاجة أن أكذب علىٰ اللَّه وعلىٰ رسول اللَّه ﷺ ، لو لم أسمعه من رسول اللَّه ﷺ إلا مرة أو مرتين أو ثلاثًا ! لقد سمعته سبع مرات أو أكثر من ذلك .

وهذا إسناد صحيح ، وهو في صحيح مسلم من وجه آخر ، وفيه : « **ثم يغسل قدميه كما أمره اللَّه** » . فدل علىٰ أن القرآن يأمر بالغسل .

وهكذا روىٰ أبو إسحاق السبيعي ، عن الحارث ، عن علي بن أبي طالب - رضي اللَّه عنه - أنه قال : اغسلوا القدمين إلىٰ الكعبين كما أمرتم(٢٣٦) .

(٢٣٥) - رواه في مسنده (١١٢/٤) ، ورواه أيضًا في (١١١/٤) قال : حدثنا غندر قال : حدثنا عكرمة بن عمار فذكره ، ورواه أيضًا (١١١/٤) من طريق أبي سلام الدمشقي وعمرو بن عبد الله عن أبي أمامة ، والحديث عند مسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين ، باب : إسلام عمرو بن عبسة ، الحديث (٨٣٢) قال : حدثني أحمد بن جعفر المعقرى قال حدثنا النضر بن محمد قال : حدثنا عكرمة بن عمار فذكره مطولاً جدًّا .

(٢٣٦) - رواه البيهقي في سننه (٧١/١) من طريق عمار بن رزيق عن أبي إسحاق به ، وعمار بن رزيق - بتقديم الراء المهملة - وهو الضبي أبو الأحوص ، وثقه أحمد وغيره ، وقال الحافظ في « التقريب » : لا بأس به ، لكن أبو إسحاق السبيعي وإن كان ثقة إلَّا أنه يدلس ، والحارث هو ابن عبد الله الأعور صاحب علي رضي الله عنه قال الحافظ في التقريب : « كذبه الشعبي في رأيه ورمي بالرفض وفي حديثه ضعف وليس له عند النسائي سوى حديثين » . والأثر : رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣١/١) وابن جرير الطبري في تفسيره (٥٦/١٠) (١١٤٦٧) من طريق وكيع عن سفيان عن أبي إسحاق عن الحارث=

[١] - في ز : « ينتثر » . [٢] - سقط من : ز ، خ .

ومن هاهنا يتضح لك المراد من[١] حديث عبد خير ، عن علي أن رسول الله ﷺ رش علىٰ قدميه الماء ، وهما في النعلين فدلكهما ، إنما أراد غسلًا خفيفًا وهما في النعلين ، ولا مانع من إيجاد الغسل والرجل في نعلها ، ولكنْ في هذا رد علىٰ المتعمقين والمتنطعين من الموسوسين .

وهكذا الحديث الذي أورده ابن جرير علىٰ نفسه ، وهو من روايته ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن حذيفة قال : أتىٰ رسول الله ﷺ سباطة قوم ، فبال عليها[٢] قائمًا ، ثم دعا بماء ، فتوضأ ومسح علىٰ نعليه(٢٣٧) . وهو حديث صحيح .

وقد أجاب ابن جرير عنه بأن الثقات الحفاظ رووه عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن حذيفة قال : فبال قائمًا ثم توضأ ، ومسح علىٰ خفيه . قلت : ويحتمل الجمع بينهما ، بأن يكون في رجليه خفان ، وعليهما نعلان .

= عن على قال : اغسل القدمين إلى الكعبين . ورواه ابن جرير (١٠/٥٤) (١١٤٥٤) من طريق محمد بن أبان عن أبى إسحاق عن الحارث عن على قال : اغسلوا الأقدام إلى الكعبين .

(٢٣٧) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١٠/٧٥) (١١٥٢٨) عن عبد الله بن الحجاج بن المنهال قال : حدثنى أبى قال : حدثنا جرير بن حازم قال : سمعت الأعمش فذكره ، ثم رواه فى (١٠/٧٨ - ٧٩) (١١٥٣١ - ١١٥٣٦) وهو عند البخارى فى الوضوء ، باب : البول قائمًا وقاعدًا ، الحديث (٢٢٤) ، وأطرافه فى (٢٢٥، ٢٢٦) ، (٢٤٧١) ، ومسلم فى الطهارة ، باب : المسح على الخفين (٢٧٣) وغيرهم من طرق عن الأعمش ، وتابع الأعمش عليه منصور ولم يقل أحد ممن رواه « ومسح على نعليه » غير جرير بن حازم ، وقال ابن جرير (١٠/٨٠) : وكل هؤلاء يحدث ذلك عن الأعمش بالإسناد الذى ذكرنا عن حذيفة : « أن النبى ص مسح على خفيه » ، وهم أصحاب الأعمش ، ولم ينقل هذا الحديث عن الأعمش غير جرير بن حازم ، ولو لم يخالفه فى ذلك مخالف ، لوجب التثبت فيه لشذوذه ، فكيف والثقات من أصحاب الأعمش يخالفونه فى روايته ما روى من ذلك ، ولو صح ذلك عن النبى ص كان جائزًا أن يكون مسح على نعليه وهما ملبوستان فوق الجوربين ، وإذا جاز ذلك لم يكن لأحد صرف الخبر إلى أحد المعانى المحتملها الخبر إلَّا بحجة يجب التسليم لها .

والحديث رواه ابن ماجه فى الطهارة ، باب : ما جاء فى البول قائمًا ، الحديث (٣٠٦) من طريق شعبة عن عاصم عن أبى وائل عن المغيرة بن شعبة « أن رسول الله صلى اللّٰه عليه وسلم أتى سباطة قوم فبال قائمًا » قال شعبة : قال عاصم يومئذٍ : وهذا الأعمش يرويه عن أبى وائل عن حذيفة وما حفظه فسألت عنه منصورًا فحدثنيه عن أبي وائل عن حذيفة ... فذكره وقال الترمذى فى سننه عقب حديث حذيفة الذى خرجه برقم (١٣) : وروى حماد بن أبى سليمان وعاصم بن بهدلة عن أبى وائل عن المغيرة بن شعبة عن النبى ص : وحديث أبى وائل عن حذيفة أصح . قال الحافظ فى « فتح البارى » (١/٣٢٩) عقب قول الترمذى هذا : وهو كما قال ، وإن جنح ابن خزيمة إلى تصحيح الروايتين لكون حماد =

[١] - في ز : « في » . [٢] - سقط من : ز .

وهكذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد بن حنبل(٢٣٨) : حدثنا يحيىٰ ، عن شعبة ، حدثني يعلىٰ ، عن أبيه ، عن أوس بن أبي أوس ، قال رأيت رسول اللَّه ﷺ توضأ[١] ، ومسح علىٰ نعليه ، ثم قام إلىٰ الصلاة .

وقد رواه أبو داود ، عن مسدد وعباد بن موسىٰ كلاهما عن هشيم ؛ عن يعلىٰ بن عطاء ، عن أبيه ، عن أوس بن أبي أوس قال : رأيت رسول اللَّه ﷺ أتىٰ سباطة قوم فبال ، وتوضأ ومسح علىٰ نعليه وقدميه .

وقد رواه ابن جرير من طريق شعبة ومن طريق هشيم ، ثم قال : وهذا محمول علىٰ أنه توضأ كذلك ، وهو غير محدث إذ كان غير جائز أن تكون فرائض اللَّه وسنن رسوله متنافية متعارضة ، وقد صح عنه ﷺ الأمر بعموم غسل القدمين في الوضوء بالماء ، بالنقل[٢] المستفيض ، القاطع عذر من انتهىٰ إليه وبلغه .

= ابن أبي سليمان وافق عاصمًا على قوله عن المغيرة ، فجاز أن يكون أبو وائل سمعه منهما فيصح القولان معًا ، لكن من حيث الترجيح رواية الأعمش ومنصور لاتفاقهما أصح من رواية عاصم وحماد لكونهما فى حفظهما مقال . اهـ .

(٢٣٨) – رواه فى مسنده (٨/٤) ورواه الطبرانى فى الكبير (٢٢٢/١) (٦٠٨) فقال : حدثنا معاذ بن المثنى ثنا مسدد ثنا يحيى بن سعيد عن شعبة فذكره ، وابن جرير فى تفسيره (٧٤/١٠) (١١٥٢٧) عن محمد ابن المثنى حدثنا يحيى بن سعيد به . ورواه الطبراني رقم (٦٠٧) من طريق زيد بن الحريش حدّثني يحيى ابن سعيد ، به . ولم يقل « وقام إلى الصلاة » ورواه أبو داود فى سننه كتاب الطهارة ، الحديث (١٦٠) ومن طريقه البيهقى فى السنن (٢٨٦/١) قال : حدثنا مسدد وعباد بن موسى ، قالا : ثنا هشيم ، عن يعلى بن عطاء ، عن أبيه قال عباد : قال أخبرنى أوس بن أبى أوس الثقفى أن رسول الله ص توضأ ومسح على نعليه وقدميه ، وقال عبّاد : رأيت رسول الله صلى اللَّه عليه وسلم أتى كظامة قوم – يعنى الميضأة – ولم يذكر مسدد الميضأة والكظامة ، ثم اتفقا « فتوضأ ومسح على نعليه وقدميه » . والحديث نقله الحافظ ابن كثير هنا وعزاه إلى أبى داود بلفظ : « أتى سباطة قوم فبال » وليس هو كذلك عند أبى داود كما مر بل الذى فى السنن : « أتى كِظامة قوم » وفسر الكظامة بأنها « الميضأة » أمّا السباطة فهى : الكناسة أو هى الموضع الذى يرمى فيه التراب والأوساخ وما يكنس من المنازل انظر النهاية (٣٣٥/٢) ، وليس فيه : « فبال » والحديث رواه أحمد (٨/٤) مختصرًا فقال : « أتى كظامة قوم فتوضأ » ورواه الطبرانى فى الكبير (٢٢١/١) (٦٠٣) فقال : « أتى كظامة – يعنى مطهرة – فتوضأ ومسح على قدميه » كلاهما من طريق هشيم عن يعلى ورواه ابن جرير فى تفسيره (١١٥٢٩) من طريق هشيم أيضًا بلفظ : « أتى سباطة قوم ، فتوضأ ومسح على قدميه » ورواه أحمد (٩/٤) ، والطبرانى (٦٠٥) ، والطحاوى فى شرح المعانى (٩٦/١) ، والبيهقى (٢٨٦/١ – ٢٨٧) من طريق حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن أوس بن أبى أوس قال : رأيت أبى يومًا توضأ فمسح على النعلين فقلت له : أتمسح عليهما ؟ ! فقال : هكذا رأيت=

[١] – في ز : « يتوضأ » . [٢] – في ز ، خ : « بالفعل » .

ولما كان القرآن آمرًا بغسل الرجلين ، كما في قراءة النصب ، وكما هو[١] الواجب في حمل قراءة الخفض عليها[٢] - توهم بعض السلف أن هذه الآية ناسخة لرخصة المسح على الخفين ، وقد روي ذلك عن علي بن أبي طالب ، ولكن لم يصح إسناده ، ثم الثابت عنه خلافه ، وليس كما زعموه ، فإنه قد ثبت أن النبي ﷺ مسح على[٣] الخفين بعد نزول هذه الآية الكريمة .

وقال الإمام أحمد (٢٣٩) : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا زياد بن عبد الله بن علاثة ، عن عبد الكريم بن مالك الجزري ، عن مجاهد ، عن جرير بن عبد الله البجلي ، قال : أنا أسلمت بعد نزول المائدة ، وأنا رأيت رسول الله ﷺ يمسح بعدما أسلمت . تفرد به أحمد .

وفي الصحيحين(٢٤٠) من حديث الأعمش ، عن إبراهيم ، عن همام قال : بال جرير ، ثم توضأ ومسح على خفيه ، فقيل : تفعل هذا ؟ فقال : نعم ، رأيت رسول الله ﷺ بال ثم توضأ ، ومسح على خفيه . قال الأعمش : قال إبراهيم : فكان يعجبهم هذا الحديث ، لأن إسلام جرير كان بعد نزول المائدة . لفظ مسلم .

وقد ثبت بالتواتر عن رسول الله ﷺ مشروعيةُ المسح على الخفين ، قولًا منه وفعلًا ، كما هو مقرر في كتاب الأحكام الكبير ، مع[٤] ما يحتاج إلى ذكره هناك من تأقيت المسح ، أو عدمه ، أو التفصيل فيه ، كما هو مبسوط في موضعه ، وقد خالفت الروافض [ذلك كله][٥] بلا مستند ، بل بجهل وضلال . مع أنه ثابت في صحيح مسلم(٢٤١) من رواية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

= رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل . ورواه أحمد (٤/ ٩، ١٠) ، والطبراني (٦٠٦) ، والطحاوى (٩٧/١) ، من طريق شريك عن يعلى بن عطاء عن أوس عن أبيه أن النبى ص توضأ ومسح على نعليه . وهذا لفظ أحمد والحديث صححه العلامة الألبانى فى صحيح أبى داود (١٤٥) .

(٢٣٩) - رواه فى مسنده (٣٦٣/٤) والحديث فى الصحيحين من طريق همام عن جرير ، انظر الحديث التالى .

(٢٤٠) - رواه البخارى في صحيحه فى الصلاة ، باب : الصلاة فى الخفاف ، الحديث (٣٨٧) ، ومسلم فى الطهارة ، باب : المسح على الخفين ، الحديث (٢٧٢) ، وفى رواية البخارى : قال إبراهيم : فكان يعجبهم لأن جريرًا كان من آخر من أسلم .

(٢٤١) - رواه مسلم فى صحيحه فى كتاب الطهارة ، باب : التوقيت فى المسح على الخفين ، الحديث (٢٧٦) عن شريح بن هانئ قال : أتيت عائشة أسألها عن المسح على الخفين فقالت : عليك =

[١] - في ز : « في » .
[٢] - في ت : « عليه » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز ، خ : « و » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ت : « في ذلك » .

- رضي الله عنه - كما ثبت في الصحيحين(٢٤٢) عنه عن النبي ﷺ النهيُ عن نكاح المتعة ، وهم يستبيحونها ، وكذلك هذه الآية الكريمة دالة علىٰ وجوب غسل الرجلين ، مع ما ثبت بالتواتر من فعل رسول الله ﷺ علىٰ وفق ما دلت عليه الآية الكريمة ، وهم مخالفون لذلك كله ، وليس لهم دليل صحيح في نفس الأمر ، ولله الحمد .

وهكذا خالفوا الأئمة والسلف في الكعبين اللذين في القدمين ، فعندهم أنهما في ظهر القدم ، فعندهم في كل رجل كعبٌ ، وعند الجمهور أن الكعبين هما العظمان الناتئان عند مفصل الساق والقدم. قال الربيع : قال الشافعي : لم أعلم مخالفًا في أن الكعبين اللذين ذكرهما الله في[١] [كتابه في الوضوء هما الناتئان ، وهما مجمع مفصل الساق والقدم ، هذا لفظه ، فعند الأئمة رحمهم الله][٢] في[٣] كل قدم كعبان[٤] ، كما هو المعروف عند الناس ، وكما دلت عليه السنة ، ففي الصحيحين(٢٤٣) من طريق حُمران ، عن عثمان أنه توضأ ؛ فغسل رجله اليمنىٰ إلىٰ الكعبين ، واليسرىٰ مثل ذلك .

ورویٰ البخاري تعليقًا مجزومًا به ، وأبو داود وابن خزيمة في صحيحه من رواية أبي القاسم الحسين بن الحارث الجدلي ، عن النعمان بن بشير ، قال : أقبل علينا رسول الله ﷺ بوجهه ، فقال : « **أقيموا صفوفكم - ثلاثًا - والله لتقيمن صفوفكم ، أو ليخالفن الله بين قلوبكم** » . قال : فرأيت الرجل يُلزِقُ كعبه بكعب صاحبه ، وركبته بركبة صاحبه ، ومنكبه بمنكبه . لفظ ابن خزيمة (٢٤٤) .

= بابن أبي طالب فسله ؛ فإنه كان يسافر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فسألناه فقال : جعل رسول الله ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر ويومًا وليلة للمقيم . والحديث رواه أحمد في مسنده (١/ ٩٦، ١١٣، ١٣٤، ١٤٦، ١٤٩) ، والنسائي (٨٤/١) ، والدارمي (٧٢٠) وغيرهم .

(٢٤٢) - رواه البخاري في المغازي ، باب غزوة خيبر ، الحديث (٤٢١٦) وفي النكاح ، باب نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نكاح المتعة أخيرًا ، الحديث (٥١١٥) ، وفي الصيد والذبائح ، باب لحوم الحمر الإنسية ، الحديث (٥٥٢٣) ، وفي كتاب الحيل ، باب الحيلة في النكاح ، الحديث (٦٩٦١) ، ومسلم في النكاح ، باب : نكاح المتعة وبيان أنه أبيح ثم نسخ ... الحديث (١٤٠٧) من طريق عبد الله والحسن ابني محمد بن على عن أبيهما عن على بن أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن أكل لحوم الحمر الإنسية .

(٢٤٣) - تقدم حديث عثمان رقم (٢٠٢) ، وانظر أيضًا رقم (٢٠٦) .

(٢٤٤) - أخرجه أحمد (٢٧٦/٤) ، وأبو داود في الصلاة ، باب : تسوية الصفوف ، الحديث (٦٦٢) ، وابن خزيمة في صحيحه ، الحديث (١٦٠) من طرق عن زكريا بن أبي زائدة عن حسين بن الحارث =

[١] - سقط من : ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .

فليس يمكن أن يلزق كعبه بكعب صاحبه ، إلا والمراد به العظم الناتئ في الساق ، حتىٰ يحاذي كعب الآخر ، فدل ذلك علىٰ ما ذكرناه؛ من أنهما العظمان الناتئان عند مفصل الساق والقدم[١] ، كما هو مذهب أهل السنة .

وقد قال ابن أبي حاتم (٢٤٥) : حدثنا أبي ، حدثنا إسماعيل بن موسىٰ ، أخبرنا شريك ، عن يحيىٰ بن الحارث [بن عبد الله][٢] التيمي - يعني : الجابر - قال : نظرت في قتلىٰ أصحاب زيد ، فوجدت الكعب فوق [ ][٣] ظهر القدم ، وهذه عقوبة عوقب بها الشيعة بعد قتلهم ، تنكيلًا بهم في مخالفتهم الحق ، وإصرارهم عليه .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وإن كنتم مرضىٰ أو علىٰ سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدًا طيبًا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه** ﴾ ، كل ذلك قد تقدّم الكلام عليه في تفسير آية النساء ، فلا حاجة بنا إلىٰ إعادته؛ لئلا يطول الكلام . وقد[٤] ذكرنا سبب نزول آية التيمم هناك . لكن البخاري روىٰ هاهنا حديثًا خاصًا بهذه الآية الكريمة ، فقال(٢٤٦) :

= أبى القاسم الجدلى به ، وعلقه البخارى فى صحيحه فى الأذان ، باب إلزاق المنكب بالمنكب والقدم بالقدم فى الصف (٢/٢١١) فقال : وقال النعمان بن بشير : رأيت الرجل منا يلزق كعبه بكعب صاحبه . وقال الحافظ ابن حجر : استدل بحديث النعمان هذا على أن المراد بالكعب فى آية الوضوء العظم الناتئ فى جانبى الرجل - وهو عند ملتقى الساق والقدم - وهو الذى يمكن أن يلزق بالذى بجنبه ، خلافًا لمن ذهب أن المراد بالكعب مؤخر القدم وهو قول شاذ ينسب إلى بعض الحنفية ولم يثبته محققوهم وأثبته بعضهم فى مسألة الحج لا الوضوء ، وأنكر الأصمعى قول من زعم أن الكعب فى ظهر القدم » ا.هـ . والحديث رواه البخارى فى صحيحه كتاب الأذان ، باب : تسوية الصفوف عند الإقامة وبعدها ، الحديث (٧١٧) ، ومسلم فى الصلاة ، باب : تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها ... الحديث (٤٣٦) من طريق سالم بن أبى الجعد قال : سمعت النعمان بن بشير قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم » .

(٢٤٥) - فى إسناده شريك بن عبد الله القاضى وهو ضعيف ، ويحيى بن عبدالله الجابر ، قال الإمام أحمد : ليس به بأس . وقال على بن المدينى : معروف ، لكن ضعفه ابن معين وأبو حاتم والنسائى ، وقال الجوزجانى : يحيى الجابر غير محمود . وقال الحافظ فى « التقريب » : لين الحديث .

(٢٤٦) - رواه فى صحيحه كتاب التفسير ، باب : قوله : ﴿ **فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدًا طيبًا** ﴾ الحديث (٤٦٠٨) والحديث رواه البخارى أيضًا رقم (٣٣٤) ، (٣٦٧٢) (٤٦٠٧) ، (٥٢٥٠) ، (٦٨٤٤) ، (٦٨٤٥) وغيره من طريق عبد الرحمن بن القاسم بهذا الإسناد والروايات مطولة ومختصرة .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « الكعب » .
[٤] - في ز : « و » .

حدّثنا يحيىٰ بن سليمان ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، أن عبد الرحمن بن القاسم ، حدثه عن أبيه ، عن عائشة قالت[١] : سقطت قلادة لي بالبيداء، ونحن داخلون المدينة ، فأناخ رسول اللّٰه ﷺ ونزل فثنىٰ رأسه في حجري راقدًا ، فأقبل[٢] أبو بكر فلكزني لكزة شديدة ، وقال : حبست الناس في قلادة ؟ فَبيَ الموت لمكان رسول اللّٰه ﷺ مني ، وقد أوجعني ، ثم إن النبي ﷺ استيقظ، وحضرت الصبح، فالتمس الماء فلم يوجد ، فنزلت : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلىٰ الصلاة فاغسلوا وجوهكم ﴾ [إلىٰ آخر][٣] الآية ، فقال أسيد بن الحضير : لقد بارك اللّٰه للناس فيكم يا آل أبي بكر ، ما أنتم إلا بركة لهم .

وقوله تعالىٰ ﴿ ما يريد اللّٰه ليجعل عليكم في الدين من حرج ﴾ أي : فلهذا سهل عليكم ويسر ولم يعسر ، بل أباح التيمم عند المرض ، وعند فقد الماء، توسعةً عليكم ورحمةً بكم ، وجعله في حق من شرع له يقوم مقام الماء، إلا من بعض الوجوه كما تقدم بيانه ، وكما هو مقرر في كتاب الأحكام الكبير .

وقوله تعالىٰ : ﴿ ولكن يريد[٤] ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون ﴾ [أي : لعلكم تشكرون][٥] نعمه عليكم ، فيما شرعه لكم من التوسعة والرأفة؛ والرحمة والتسهيل والسماحة ، وقد وردت السنة بالحث علىٰ الدعاء عقب الوضوء ؛ بأن يجعل فاعله من المتطهرين الداخلين في امتثال هذه الآية الكريمة ، كما رواه الإمام أحمد ومسلم، وأهل السنن عن عقبة بن عامر(٢٤٧) ، قال : كانت علينا رعاية الإبل ، فجاءت نوبتي، فروحتها بعشي ، فأدركت رسول اللّٰه ﷺ قائمًا يحدّث الناس ، فأدركت من قوله : « ما من مسلم يتوضأ ،

(٢٤٧) - رواه مسلم فى صحيحه كتاب الطهارة ، باب الذكر المستحب عقب الوضوء ، الحديث (٢٣٤) ، ورواه أحمد (٤/ ١٤٥، ١٥٣) ، وأبو داود فى الطهارة ، باب : ما يقول الرجل إذا توضأ ، الحديث (١٦٩) ، وابن خزيمة (٢٢٢) من طرق عن معاوية بن صالح عن ربيعة بن يزيد عن أبى إدريس الخولانى ، فذكره . ورواه الترمذى فى أبواب الطهارة ، باب فيما يقال بعد الوضوء ، الحديث (٥٥) من طريق زيد بن الحباب عن معاوية بن صالح عن ربيعة بن يزيد الدمشقى عن أبى إدريس الخولانى وأبى عثمان عن عمر بن الخطاب به : « وليس فيه حديث عقبة » وزاد فيه « ... اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين ...» وقال الترمذى : قد خولف زيد بن الحباب فى هذا الحديث . وروى عبد الله بن صالح وغيره عن معاوية بن صالح عن ربيعة عن أبى عثمان عن جبير بن نفير عن عمر ، وهذا حديث فى إسناده اضطراب ولا يصح عن النبى صلى اللّٰه عليه وسلم فى هذا الباب كبير شيء . =

[١] - سقط من : ز . [٢] - في ز : « أقبل » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « هذه » .

[٤] - سقط من : ز . [٥] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ .

فيحسن وضوءه ، ثم يقوم فيصلي ركعتين ، مقبلًا عليهما بقلبه ووجهه - إلا وجبت له الجنة » . قال : قلت : ما أجود هذه ! فإذا قائل بين يدي يقول : التي قبلها أجود منها ، فنظرت فإذا عمر -رضي الله عنه- ، فقال : إني قد رأيتك جئتَ آنفًا ، قال : **« ما منكم من أحد يتوضأ ، فيبلغ -أو فيسبغ- الوضوء يقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا عبده ورسوله ؛ إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية ، يدخل من أيها شاء »** لفظ مسلم .

وقال مالك (٢٤٨) : عن سُهَيْل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة - أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : **« إذا توضأ[١] العبد المسلم أو المؤمن ؛ فغسل وجهه ، خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء ، أو مع آخر قطر[٢] الماء ، فإذا غسل يديه ؛ خرج من يديه كل خطيئة بطشتها يداه مع الماء ، أو مع آخر قطر الماء ، فإذا غسل رجليه ؛ خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء ، أو مع آخر قطر الماء ، حتىٰ يخرج نقيًّا من الذنوب »** .

رواه مسلم ، عن أبي الطاهر ، عن ابن وهب ، عن مالك به .

وقال ابن جرير (٢٤٩) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا معاوية بن هشام ، عن سفيان عن[٣]

= قال محمد : وأبو إدريس لم يسمع من عمر شيئًا . ورواه النسائى فى الطهارة ، با ب: القول بعد الفراغ من الوضوء (٩٢/١) ، وفى الكبرى (٩٤/١) (١٤١) من طريق زيد بن الحباب قال حدثنا معاوية بن صالح عن ربيعة بن يزيد عن أبى إدريس الخولانى وأبى عثمان عن عقبة بن عامر عن عمر بن الخطاب فذكر حديث عمر فقط ورواه ابن خزيمة (٢٢٣) من طريق أسد بن موسى قال : حدثنا معاوية بن صالح قال : حدثنى ربيعة بن يزيد عن أبى إدريس الخولانى عن عقبة بن عامر عن عمر بن الخطاب به ورواه مسلم (٢٣٤) من طريق زيد بن الحباب حدثنا معاوية بن صالح عن ربيعة بن يزيد عن أبى إدريس الخولانى وأبى عثمان عن جبير بن نفير بن مالك الحضرمى عن عقبة بن عامر فذكره ولم يذكر حديث عمر وقد دفع علة الاضطراب التى ذكرها الترمذى ، الألبانى فقال فى الإرواء (١٣٥/١) « أعله الترمذى بالاضطراب ، وليس بشىء فإنه اضطراب مرجوح كما تبينته فى « صحيح سنن أبى داود » (رقم ١٦٢) » . وانظركلام العلامة أحمد شاكر فى تعليقه على سنن الترمذى .

(٢٤٨) - رواه فى الموطأ كتاب الطهارة ، باب جامع الوضوء ، الحديث (٣١) ومن طريقه أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الطهارة باب : خروج الخطايا مع ماء الوضوء ، الحديث (٢٤٤) ، والترمذى فى أبواب الطهارة ، باب ما جاء فى فضل الطهور ، الحديث (٢) ، والدارمى (٧٢٤) ، وأحمد (٣٠٣/٢) ، وابن خزيمة (٤) وقال الترمذى : حديث حسن صحيح .

(٢٤٩) - رواه فى تفسيره (٨٧/١٠) (١١٥٤٦) ، ورواه أحمد فى مسنده (٢٣٥/٤) ثنا محمد =

[١] - في ز : « توا » .
[٢] - في ز : « قطرة » .
[٣] - في ز : « بن » .

منصور ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن كعب بن مرة قال : قال رسول الله ﷺ : **« ما من رجل يتوضأ ، فيغسل يديه أو ذراعيه ؛ إلا خرجت خطاياه منهما ، فإذا غسل وجهه ، خرجت خطاياه من وجهه ، فإذا مسح رأسه ؛ خرجت خطاياه من رأسه ، فإذا غسل رجليه ؛ خرجت خطاياه من رجليه »** .

هذا لفظه ، وقد رواه الإمام أحمد ، عن محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن منصور ، عن سالم ، عن مرة بن كعب ، أو كعب بن مرة السلمي ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : **« وإذا توضأ العبد فغسل يديه خرجت خطاياه من بين يديه ، وإذا غسل وجهه ، خرجت خطاياه من وجهه ، وإذا غسل ذراعيه ، خرجت خطاياه [من ذراعيه ، وإذا غسل رجليه ، خرجت خطاياه][١] من رجليه »** . قال شعبة : ولم يذكر مسح الرأس . وهذا إسناد صحيح .

ورویٰ ابن جریر من طريق شمر بن عطية ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : **« من توضأ فأحسن الوضوء ، ثم قام إلىٰ الصلاة ؛ خرجت ذنوبه من سمعه وبصره ويديه ورجليه »** (٢٥٠) .

= ابن جعفر ثنا شعبة عن منصور ، عن سالم بن أبى الجعد ، عن مرة بن كعب ، أو كعب بن مرة السلمى به مطولاً قال شعبة : قد حدثنى به منصور ، وذكر ثلاثة بينه وبين مرة بن كعب ثم قال بعد : عن منصور ، عن سالم ، عن مرة أو عن كعب به ، ورواه أيضًا فى المسند (٣٢١/٤) قال حدثنا عبد الرزاق أخبرنا سفيان عن منصور عن سالم بن أبى الجعد عن رجل عن كعب بن مرة البهزى فذكره دون شك قال أبو داود : سالم لم يسمع من شراحبيل ، مات شراحبيل بصفين . قلت : وهذا يؤيد ما ذكره شعبة من أن بين منصور وكعب ثلاثة . فالحديث منقطع . وقد رواه أبو داود (٣٩٦٧) ، وأحمد (٢٣٥/٤) وابن أبى شيبة فى مسنده (٦٠٨) وابن أبى عاصم فى « الآحاد والمثانى » (١٤٠٨) ، والطبرانى فى الكبير (٢٠/ رقم ٧٥٥) من طريق شعبة عن عمرو بن مرة عن سالم بن أبى الجعد عن شراحبيل بن السمط ، والحديث صححه الحافظ ابن كثير هنا ، وصححه أيضًا الألبانى فى صحيح أبى داود (٣٣٥٧) .

(٢٥٠) - رواه الطبرى فى تفسيره (٨٦/١٠) (١١٥٤٥) قال : حدثنا أبوكريب ، ومحمد بن المثنى ، ويحيى بن داود الواسطى قالوا : حدثنا إبراهيم بن يزيد بن مردانبه القرشى قال ، أخبرنا رقبة بن مصقلة العبدى ، عن شمر بن عطية ، عن شهر بن حوشب ، فذكره والحديث رواه أحمد (٥/ ٢٥٢، ٢٥٦) ، والنسائى في عمل اليوم والليلة (٨٠٧) ، والطبراني فى الكبير (١٤٥/٨) (٧٥٦٠، ٧٥٦٢ - ٧٥٦٧) ، وفى الأوسط (٤٤٣٩) من طرق عن شمر بن عطية عن شهربن حوشب به وشمر بن عطية وثقه يحيى بن معين والنسائى وابن سعد والعجلى وابن حبان وغيرهم ولم أجد فيه طعنًا وهو من رجال التهذيب . وشهر بن حوشب ضعيف لكن يعتبر بحديثه . وقد رواه أحمد فى مسنده (٢٦٣/٥) من طريق عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب حدثنى أبو أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم =

[١] - ما بين المعكوفتين مكانها بياض في ز .

وروى مسلم في صحيحه(٢٥١) من حديث يحيى بن أبي كثير، عن زيد بن سلام، عن جده ممطور، عن أبي مالك الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ[1] الميزان، [وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض، والصلاة نور، والصبر ضياء، والصدقة برهان][2]، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو، فبائع نفسه؛ فمعتقها أو موبقها**».

وفي صحيح مسلم(٢٥٢) من رواية سماك بن حرب، عن مصعب بن سعد، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يقبل الله صدقة من غلول، ولا صلاة بغير طهور**».

وقال أبو داود الطيالسي(٢٥٣): حدثنا شعبة، عن قتادة، سمعت أبا المليح الهذلي يحدث

= قال: «أيما رجل قام إلى وضوئه يريد الصلاة، ثم غسل كفيه نزلت خطيئته من كفيه مع أول قطرة، فإذا مضمض، واستنشق واستنثر نزلت خطيئته من لسانه وشفتيه مع أول قطرة، فإذا غسل وجهه نزلت خطيئته من سمعه وبصره مع أول قطرة، فإذا غسل يديه إلى المرفقين ورجليه إلى الكعبين سلم من كل ذنب هو له، ومن كل خطيئة كهيئته يوم ولدته أمه قال: فإذا قام إلى الصلاة رفع الله بها درجته، وإن قعد قعد سالمًا» وعبد الحميد بن بهرام وثقه أحمد بن حنبل وابن معين وغيرهما وقال على بن المدينى عن يحيى بن سعيد: من أراد حديث شهر فعليه بعبد الحميد بن بهرام. وقال ابن أبى حاتم: سألت أبى عن عبد الحميد فقال: هو فى شهر بن حوشب مثل الليث في سعيد المقبرى قلت: ما تقول فيه؟ فقال: ليس به بأس، أحاديثه عن شهر صحاح لا أعلم روى عن شهر أحاديث أحسن منها ولا أكثر منها، أملى عليه فى سواد الكوفة قلت: يحتج به قال: لا ولا بحديث شهربن حوشب ولكن يكتب حديثه. انظر «الجرح والتعديل (٩/٦)، ورواه أحمد أيضًا (٢٦٤/٥) من طرق عن عاصم بن أبى النجود عن شهر بن حوشب وللحديث شواهد يرتقى بها إلى الحسن قال المنذرى فى «الترغيب والترهيب» (٢١٥/١): رواه أحمد وغيره من طريق عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب وقد حسنها الترمذى لغير هذا المتن، وهو إسناد حسن فى المتابعات لا بأس به. ثم ذكر الحديث من طرق أخرى ثم حسن إسناده.

(٢٥١) - رواه مسلم فى صحيحه كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، الحديث (٢٢٣) حدثنا إسحاق بن منصور حدثنا حبان بن هلال حدثنا أبان حدثنا يحيى فذكره.

(٢٥٢) - رواه فى صحيحه فى الطهارة، باب وجوب الطهارة للصلاة، الحديث (٢٢٤) من طرق عن سماك بن حرب به.

(٢٥٣) - رواه فى مسنده (ص ١٨٧) رقم (١٣١٩) ومن طريقه البيهقى فى السنن (٤٢/١)، ورواه أحمد (٧٤/٥)، وأبو داود كتاب الطهارة باب فرض الوضوء، الحديث (٥٩)، والنسائى (٥٦/٥- ٥٧) فى الزكاة، باب الصدقة من غلول، وابن ماجه فى الطهارة، باب: لا يقبل الله صلاة بغير =

[١] - في ت: «تملآن».
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

عن أبيه ، قال : كنت مع رسول الله ﷺ في بيت ، فسمعته يقول : « **إن الله لا يقبل صلاة من غير طهور ، ولا صدقة من غلول** » . وكذا رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجة من حديث شعبة .

﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨) وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٩) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١١) ﴾

يقول تعالىٰ مذكرًا عباده المؤمنين نعمته عليهم في شرعه لهم هذا الدين العظيم ، وإرساله إليهم هذا الرسول الكريم ، وما أخذ عليهم من العهد والميثاق في مبايعته علىٰ متابعته ومناصرته ومؤازرته ، والقيام بدينه ، وإبلاغه عنه ، وقبوله منه ، فقال تعالىٰ : ﴿ **واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا** ﴾ . وهذه هي البيعة التي كانوا يبايعون رسول الله ﷺ عليها عند إسلامهم ، كما قالوا : بايعنا رسول الله ﷺ علىٰ السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا ، وأثرة علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله(٢٥٤) ، وقال الله تعالىٰ :

= طهور ، الحديث (٢٧١) ، وابن حبان (٦٠٥/٤) (١٧٠٥) ، والدارمي (٦٩٢) ، وأبو عوانة (١/ ٢٣٥) ، والطبراني (٥٠٥) ، والبيهقي (٢٣٠/١) من طرق عن شعبة به . ورواه أحمد (٧٥/٥) من طريق سعيد ابن أبي عروبة عن قتادة به . ورواه النسائي (٨٧/١ - ٨٨) في الطهارة ، باب فرض الوضوء ، والطبراني (٥٠٦) من طريق أبي عوانة عن قتادة به والحديث صحيح رجال إسناده ثقات رجال الشيخين . وللحديث شاهد من حديث ابن عمر رواه مسلم وغيره .

(٢٥٤) - رواه البخاري في صحيحه في الفتن ، باب قول النبي ص : « سترون بعدى أمورًا تنكرونها » ، الحديث (٧٠٥٦، ٧٠٥٧) ، ومسلم في الإمارة : باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية ، الحديث (١٧٠٩/٤٢) من طريق جنادة بن أبي أمية قال دخلنا على عبادة بن الصامت =

﴿ وما لكم لا تؤمنون باللّٰه والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين ﴾ . وقيل : هذا تذكار لليهود بما أخذ عليهم من المواثيق والعهود في متابعة محمد صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، والانقياد لشرعه .

رواه علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس(٢٥٥) . وقيل : هو تذكار بما أخذ تعالىٰ من العهد علىٰ ذرية آدم ، حين استخرجهم من صلبه ، وأشهدهم علىٰ أنفسهم : **﴿ ألست بربكم قالوا بلىٰ شهدنا ﴾** قاله مجاهد ومقاتل بن حيان . والقول الأوّل أظهر ، وهو المحكي عن ابن عباس والسدي ، واختاره[١] ابن جرير .

ثم قال تعالىٰ : **﴿ واتقوا اللّٰه ﴾** تأكيد وتحريض علىٰ مواظبة التقوىٰ في كل حال .

ثم أعلمهم أنه يعلم ما يتخالج في الضمائر والسرائر من الأسرار والخواطر ، فقال : **﴿ إن اللّٰه عليم بذات الصدور ﴾** .

وقوله تعالىٰ : **﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين لله شهداء ﴾** أي : كونوا قوّامين[٢] بالحق للّٰه -عز وجل- لا لأجل الناس والسمعة ، وكونوا **﴿ شهداء بالقسط ﴾** أي : بالعدل لا بالجور . وقد ثبت في الصحيحين عن النعمان بن بشير(٢٥٦) أنه قال : نحلني أبي نحلًا ، فقالت أمي عمرة بنت رواحة : لا أرضى حتىٰ تشهد عليه[٣] رسول اللّٰه ﷺ ، فجاءه[٤] ليشهده على صدقتي ، فقال : « **أكلَّ ولدك نحلت مثله ؟** » قال : لا . قال : « **اتقوا اللّٰه ، واعدلوا في أولادكم** » وقال : « **إني لا أشهد علىٰ جور** » . قال : فرجع أبي فرد تلك الصدقة .

=وهو مريض فقلنا : حدثنا أصلحك الله بحديث ينفع الله به ، سمعته من رسول الله صلى اللّٰه عليه وسلم فقال : دعانا رسول الله صلى اللّٰه عليه وسلم فبايعناه فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة ، فى منشطنا ومكرهنا ، وعسرنا ويسرنا ، وأثرة علينا ، وألّا ننازع الأمر أهله ، قال : « إلّا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان » .

(٢٥٥) - رواه الطبرانى فى الكبير (٢٥٦/١٢) وابن جرير فى تفسيره (٩٢/١٠) (١١٥٥٢) من طريق على ابن أبى طلحة عن ابن عباس وقد تقدم الكلام على هذا الإسناد . وانظر أيضًا « الدر المنثور » (٤٦٩/٢) .

(٢٥٦) - رواه البخارى فى كتاب الهبة ، باب : الإشهاد فى الهبة ، الحديث (٢٥٨٧) ، وفى الشهادات ، باب : لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد ، الحديث (٢٦٥٠) ، ومسلم فى صحيحه كتاب الهبات ، الحديث (١٦٢٣) من طرق عن الشعبى عن النعمان بن بشير به .

[١] - في ز ، خ : « واختيار » .
[٢] - في ز : « قائمين » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « فجاء » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ولا يجرمنكم شنآن قوم علىٰ أن لا تعدلوا** ﴾ أي : لا يحملنكم بغض قوم علىٰ ترك العدل فيهم ؛ بل استعملوا العدل في كل أحد ، صديقًا كان أو عدوًّا ، ولهذا قال : ﴿**اعدلوا هو أقرب للتقوىٰ** ﴾ أي : عدلكم أقرب إِلىٰ التقوىٰ من تركه ، ودل الفعل علىٰ المصدر الذي عاد الضمير عليه ، كما في نظائره من القرآن وغيره ، كما في قوله : ﴿ **وإِن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكىٰ لكم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **هو أقرب للتقوىٰ** ﴾ من باب استعمال أفعل التفضيل في المحل الذي ليس في الجانب الآخر منه شيء ، كما في قوله تعالىٰ : ﴿ **أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرًّا وأحسن مقيلًا** ﴾ وكقول بعض الصحابيات لعمر : أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ(٢٥٧) .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **واتقوا اللَّه إِن اللَّه خبير بما تعملون** ﴾ أي : وسيجزيكم علىٰ ما علم من أفعالكم التي عملتموها ؛ إِن خيرًا فخير ، وإِن شرًّا فشر ، ولهذا قال بعده : ﴿ **وعد اللَّه الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة** ﴾ ، أي : لذنوبهم ، ﴿ **وأجر عظيم** ﴾ ، وهو الجنة ، التي هي من رحمته علىٰ عباده ؛ لا ينالونها بأعمالهم ، بل برحمة منه وفضل ، وإِن كان سبب وصول الرحمة إِليهم أعمالهم ، وهو تعالىٰ الذي جعلها أسبابًا إِلىٰ نيل رحمته وفضله وعفوه ورضوانه ، فالكل منه وله ، فله الحمد والمنة .

ثم قال : ﴿ **والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم** ﴾ وهذا من عدله تعالىٰ وحكمته وحكمه الذي لا يجور فيه ، بل هو الحكم العدل الحكيم القدير .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة اللَّه عليكم إِذ هم قوم أن يبسطوا إِليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم** ﴾ .

قال عبد الرزاق(٢٥٨) : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، ذكره عن أبي سلمة ، عن جابر أن النبي

---

(٢٥٧) - رواه البخارى فى صحيحه فى كتاب بدء الخلق ، باب صفة إبليس وجنوده ، الحديث (٣٢٩٤) وفى فضائل أصحاب النبى صلى اللَّه عليه وسلم ، باب مناقب عمر بن الخطاب ، الحديث (٣٦٨٣) ، وفى كتاب الأدب ، باب : التبسم والضحك ، الحديث (٦٠٨٥) ، ومسلم فى صحيحه كتاب فضائل الصحابة ، باب : من فضائل عمر رضى الله عنه ، الحديث (٢٣٩٦) من طريق محمد بن سعد بن أبى وقاص أن أباه سعدًا قال : استأذن عمر على رسول الله ﷺ وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه فذكر قصة وفيها : ثم قال عمر : أى عدوات أنفسهن أتهبننى ولا تهبن رسول الله ﷺ ؟ قلن : نعم أنت أغلظ وأفظ من رسول الله صلى اللَّه عليه وسلم .

(٢٥٨) - رواه فى تفسيره (١٨٥/١) ومن طريقه ، رواه البخارى فى صحيحه فى المغازى ، باب غزوة =

ﷺ نزل منزلًا ، وتفرق الناس في العضاة يستظلون تحتها ، وعلق النبي ﷺ ، سلاحه بشجرة ، فجاء أعرابي إِلىٰ سيف رسول اللَّه ﷺ فأخذه فسله ، ثم أقبل علىٰ النبي ﷺ فقال : من يمنعك مني ؟ قال : « **اللَّه عز وجل** ». قال الأعرابي مرتين أو ثلاثًا : من يمنعك مني ؟ والنبي ﷺ يقول : « **اللَّه** ». قال : فشام الأعرابي السيف ، فدعا النبي ﷺ أصحابه فأخبرهم خبر الأعرابي ، وهو جالس إِلىٰ جنبه ولم يعاقبه .

وقال معمر : كان قتادة يذكر نحو هذا ، ويذكر أن قومًا من العرب أرادوا أن يفتكوا برسول اللَّه ﷺ ، فأرسلوا هذا الأعرابي ، وتأول ﴿ **اذكروا نعمة اللَّه عليكم إِذ هم قوم أن يبسطوا إِليكم أيديهم** ﴾ الآية .

وقصة هذا الأعرابي - وهو غورث بن الحارث - ثابتة في الصحيح .

وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة اللَّه عليكم إِذ هم قوم أن يبسطوا إِليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم** ﴾ وذلك أن قومًا من اليهود صنعوا لرسول اللَّه ﷺ ولأصحابه طعامًا ليقتلوهم[١] ، فأوحىٰ اللَّه تعالى إِليه بشأنهم ، فلم يأت الطعام ، وأمر أصحابه فلم يأتوه . رواه ابن أبي حاتم (٢٥٩) .

وقال أبو مالك : نزلت في كعب بن الأشرف وأصحابه ، حين أرادوا أن يغدروا بمحمد وأصحابه في دار كعب بن الأشرف . رواه ابن أبي حاتم .

وذكر محمد بن إِسحاق بن يسار ، ومجاهد وعكرمة ، وغير واحد - أنها نزلت في شأن بني النضير ؛ حين أرادوا أن يلقوا علىٰ رأس رسول اللَّه ﷺ الرحىٰ ، لما جاءهم يستعينهم في دية العامريين ، ووكلوا عمرو بن جَحَّاش بن كعب بذلك ، وأمروه إِن جلس النبي ﷺ تحت الجدار ، واجتمعوا عنده أن يلقىٰ تلك الرحىٰ من فوقه ، فأطلع اللَّه النبي ﷺ علىٰ ما تمالئوا عليه ، فرجع إِلىٰ المدينة ، وتبعه أصحابه ، فأنزل اللَّه في ذلك : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة اللَّه عليكم إِذ هم قوم أن يبسطوا إِليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا**

= بنى المصطلق من خزاعة ، حديث (٤١٣٩) ، ومسلم كتاب الفضائل ، باب توكله على الله تعالى ، وعصمة الله تعالى له من الناس ، الحديث (٨٤٣/١٣) وللحديث طرق أخرى عن جابر فى الصحيحين وغيرهما .

(٢٥٩) - رواه أيضًا ابن جرير الطبرى (١٠٥/١٠) (١١٥٦٤) من طريق عطية عن ابن عباس ، والعوفى ضعيف . والأثر ذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٤٧١/٢) وعزاه إلى ابن أبى حاتم وابن جرير الطبرى .

---

[١] - في خ : « ليقتلوه » .

الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ . ثم أمر رسول الله ﷺ أن يغدو[١] إليهم فحاصرهم ، حتى أنزلهم فأجلاهم .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وعلىٰ الله فليتوكل المؤمنون** ﴾ ، يعني من توكل علىٰ الله كفاه الله ما أهمه ، وحفظه من شرّ الناس ، وعصمه .

۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾

لما أمر تعالىٰ عباده المؤمنين بالوفاء بعهده ، وميثاقه الذي أخذه عليهم ، علىٰ لسان عبده ورسوله محمد ﷺ ، وأمرهم بالقيام بالحق والشهادة بالعدل ، وذكرهم نعمه عليهم الظاهرة والباطنة ؛ فيما هداهم له من الحق والهدىٰ ، شرع يبين لهم كيف أُخذ العهود والمواثيق علىٰ كل[٢] من كان قبلهم ؛ من أهل الكتابين اليهود والنصارىٰ ، فلما نقضوا عهوده ومواثيقه ، أعقبهم ذلك لعنًا منه لهم ، وطردًا عن بابه وجنابه ، وحجابًا لقلوبهم عن الوصول إلىٰ الهدىٰ ودين الحق ؛ وهو العلم النافع والعمل الصالح ، فقال تعالىٰ : ﴿ **ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبًا** ﴾ يعني : عرفاء علىٰ قبائلهم ، بالمبايعة والسمع والطاعة لله ولرسوله ولكتابه .

---

[١] - في خ : « يهدوا » .

[٢] - سقط من : خ .

وقد ذكر ابن عباس ومحمد بن إسحاق وغير واحد (٢٦٠) - أن هذا كان لما توجه موسىٰ عليه السلام لقتال الجبابرة ؛ فأمر بأن يقيم نقباء . من كل سبط نقيب . قال محمد بن إسحاق : فكان من سبط روبيل «شامون بن زكور[١]» ، ومن سبط شمعون « شافاط بن حري »، ومن سبط يهوذا «كالب بن يوفنا »، ومن سبط أبين «فيخاييل بن يوسف »، ومن سبط يوسف - وهو سبط إفرايم - «يوشع بن نون »، ومن سبط بنيامين «فلطمي بن رفون» ، ومن سبط زبلون «جدي بن سودي »، ومن سبط يوسف وهو منشا بن يوسف « جدي بن سوسي »، ومن سبط دان «خملائيل بن جمل »، ومن سبط أسير «ساطور بن ملكيل[٢]» ، ومن سبط نفثالي «نحى[٣] ابن وفسىٰ »، ومن سبط جاد[٤] «جولايل بن ميكي[٥]» .

وقد رأيت في السفر الرابع من التوراة تعداد النقباء علىٰ أسباط بني إسرائيل ، وأسماء مخالفة لما ذكره ابن إسحاق ، والله أعلم . قال فيها : فعلىٰ بني روبيل الصوني بن سادون ، وعلىٰ بني شمعون شموال بن صورشكي ، وعلىٰ بني يهوذا يحشون بن عمبياذاب[٦] ، وعلىٰ بني يساخر[٧] شال ابن صاعون ، وعلىٰ بني زبلون[٨] إلياب بن حالوب ، وعلىٰ بني يوسف أفرايم ومنشا بن عمنهود ، وعلىٰ بني منشا حمليائيل بن يرصون ، وعلىٰ بني بنيامين[٩] أبيدن ابن جدعون ، وعلىٰ بني دان جعيذر بن عميشذي ، وعلىٰ بني أسير نحايل بن عجران ، وعلىٰ بني حاز السيف بن دعوايل ، وعلىٰ بني نفتالي أجزع بن عمينان .

وهكذا لما بايع رسول الله ﷺ الأنصار ليلة العقبة ؛ كان فيهم اثنا عشر نقيبًا ؛ ثلاثة من الأوس وهم : أسيد بن الحضير ، وسعد بن خيثمة ، ورفاعة بن عبد المنذر .

ويقال بدله أبو الهيثم بن التيهان - رضي الله عنهم - ، وتسعة من الخزرج وهم : أبو أمامة أسعد بن زرارة ، وسعد بن الربيع ، وعبد الله بن رواحة ، ورافع بن مالك بن العجلان ، والبراء

(٢٦٠) - أمّا الرواية عن ابن عباس رضى الله عنهما فأخرجها ابن جرير فى تفسيره (١١٧/١٠) (١١٥٧٦) من طريق العوفى عن ابن عباس مختصرة وليس فيها ذكر أسماء النقباء ، وقد ذكرها السيوطى فى « الدر المنثور » (٤٧٣/٢) وزاد نسبتها إلى ابن أبى حاتم . وأمّا الرواية عن ابن إسحاق فأخرجها ابن جرير الطبرى فى تفسيره (١١٣/١٠) (١١٥٧٥) بسنده إلى ابن إسحاق مطولة وفيها ذكر أسماء النقباء الاثنى عشر .

[١] - في خ : « ركون » .
[٢] - في خ : « بلكيك » .
[٣] - في خ : « بحر » .
[٤] - في خ : « دار » .
[٥] - في خ : « مكيد » .
[٦] - في ز : « عميناذاب » .
[٧] - في ز : « اليساخر » .
[٨] - في ز : « زايلون » ، خ : « زائلون » .
[٩] - في ز : « منيامين » .

ابن معرور ، وعبادة بن الصامت ، وسعد بن عبادة ، وعبد اللَّه بن عمرو بن حرام ، والمنذر بن [عمرو بن خُنيس][١] ، - رضي اللَّه عنهم - ، وقد ذكرهم كعب بن مالك في شعر له ، كما أورده ابن إِسحاق رحمه اللَّه(٢٦١) .

والمقصود أن هؤلاء كانوا عرفاء على قومهم ليلتئذ ، عن أمر النبي ﷺ لهم بذلك ، وهم الذين ولوا المعاقدة والمبايعة عن قومهم للنبي ﷺ على السمع والطاعة .

قال[٢] الإِمام أحمد(٢٦٢) : حدثنا حسن بن موسىٰ ، حدثنا حماد بن زيد ، عن مجالد[٣] ، عن الشعبي ، عن مسروق قال : كنا جلوسًا عند عبد اللَّه بن مسعود ، وهو يقرئنا القرآن ، فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن ، هل سألتم رسول اللَّه ﷺ كم يملك هذه الأمة من خليفة ؟ فقال عبد اللَّه : ما سألني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك ، ثم قال : نعم . ولقد سألنا رسول اللَّه ﷺ فقال : « **اثنا عشر كعدة نقباء بني إِسرائيل** » .

هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وأصل هذا الحديث ثابت في الصحيحين(٢٦٣) من[٤] حديث[٥] جابر بن سمرة ، قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « **لا يزال أمر الناس ماضيًا ما وليهم اثنا عشر رجلًا** » . ثم تكلم النبي ﷺ بكلمة خفيت علي ، فسألت أبي : ماذا قال

(٢٦١) - انظر السيرة النبوية لابن هشام (٣/٤٦٦ - ٤٦٨) باب أسماء النقباء الاثنى عشر وتمام خبر العقبة .

(٢٦٢) - رواه أحمد فى مسنده (١/٣٩٨) ، ورواه أيضًا فى (١/٤٠٦) من طريق أبى عقيل عن مجالد به . ورواه أبو يعلى (٨/٤٤٤) (٥٠٣١) ، وفى (٩/٢٢٢) (٥٣٢٢، ٥٣٢٣) ، والبزار (٥/٣٢٠) (١٩٣٧، ١٩٣٨) ، والطبرانى فى الكبير (١٠/١٩٥) (١٠٣١٠) من طرق عن مجالد به . ومجالد ليس بالقوى وقد تغير فى آخر عمره كما قال الحافظ فى « التقريب » والحديث ذكره الهيثمى فى « مجمع الزوائد » (٥/١٩٣) وقال : « رواه أحمد ، وأبو يعلى ، والبزار ، وفيه مجالد بن سعيد وثقه النسائى ، وضعفه الجمهور ، وبقية رجاله ثقات » .

(٢٦٣) - رواه مسلم فى صحيحه كتاب الإمارة ، باب : الناس تبع لقريش ، والخلافة فى قريش ، الحديث (٦/١٨٢١) باللفظ المذكور من طريق سفيان عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة به . ورواه البخارى فى كتاب الأحكام ، الحديث (٧٢٢٢، ٧٢٢٣) من طريق شعبة عن عبد الملك : سمعت جابر ابن سمرة قال : سمعت النبى صلى اللَّه عليه وسلم يقول : « يكون اثنا عشر أميرًا » فقال كلمة لم أسمعها - فقال أبى : إنه قال : « كلهم من قريش » .

[١] - في ز : « عمرو بن حنيش » .
[٢] - في ز : « وقال » .
[٣] - في ز : « المجالد » .
[٤] - في ز : « عن » .
[٥] - سقط من : ز .

النبي ﷺ ؟ قال : « **كلهم من قريش** » . وهذا لفظ مسلم .

ومعنىٰ هذا الحديث البشارة بوجود اثني[١] عشر خليفة صالحًا[٢] ، يقيم الحق ويعدل فيهم ، ولا يلزم من هذا تواليهم وتتابع أيامهم ، بل قد وجد منهم أربعة علىٰ[٣] نسق ، وهم الخلفاء الأربعة أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي - رضي الله عنهم - ومنهم عمر بن عبد العزيز بلا شك عند الأئمة ، وبعض بني العباس ، ولا تقوم الساعة حتىٰ تكون ولايتهم لا محالة ، والظاهر أن منهم المهدي المبشر به في الأحاديث الواردة بذكره ، فذكر[٤] أنه يواطئ اسمه اسم النبي ﷺ واسم أبيه اسم أبيه ، فيملأ الأرض عدلًا وقسطًا ، كما ملئت جورًا وظلمًا ، وليس هذا بالمنتظر الذي يتوهم[٥] الرافضة وجوده ، ثم ظهوره من سرداب سامرا ؛ فإن ذلك ليس له حقيقة ولا وجود بالكلية ، بل هو من هوس العقول السخيفة ، وتوهم الخيالات الضعيفة ، وليس المراد بهؤلاء[٦] الخلفاء الاثني عشر ؛ الأئمة الذين يعتقد فيهم الاثنا عشرية من الروافض لجهلهم وقلة عقلهم . وفي التوراة البشارة بإسماعيل - عليه السلام - وأن الله يقيم من صلبه اثني عشر عظيمًا ، وهم هؤلاء الخلفاء الاثنا[٧] عشر ، المذكورون في حديث ابن مسعود وجابر بن سمرة . وبعض الجهلة ممن أسلم[٨] من اليهود ، إذا اقترن بهم بعض الشيعة يوهمونهم أنهم الأئمة الاثنا عشر ؛ فيتشيع كثير منهم جهلًا وسفهًا ، لقلة علمهم وعلم من لقنهم ذلك - بالسنن الثابتة عن النبي ﷺ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وقال الله إني معكم** ﴾ ، أي : بحفظي وكلاءتي ونصري ، ﴿ **لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي** ﴾ أي : صدّقتموهم فيما[٩] يجيئونكم به من الوحي ، ﴿ **وعزرتموهم** ﴾ أي : نصرتموهم وآزرتموهم علىٰ الحق ، ﴿ **وأقرضتم الله قرضًا حسنًا** ﴾ وهو الإنفاق في سبيله ، وابتغاء مرضاته ، ﴿ **لأكفرنّ عنكم سيئاتكم** ﴾ أي : ذنوبكم ، أمحوها[١٠] وأسترها ولا أؤاخذكم بها ، ﴿ **ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار** ﴾ أي : أدفع عنكم المحذور ، وأحصل لكم المقصود .

وقوله : ﴿ **فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل** ﴾ أي : فمن خالف هذا الميثاق بعد عقده وتوكيده ، وشدّه ، وجحده وعامله معاملة من لا[١١] يعرفه ، فقد أخطأ الطريق

---

[١] - في ز : « اثنا » .
[٢] - في ز : « صالح » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في خ : « تتوهم » .
[٦] - سقط من : ت .
[٧] - في ز : « الاثني » .
[٨] - في ز : « سلم » .
[٩] - في ز : « بما » .
[١٠] - في ز ، خ : « أمحصها » .
[١١] - في ز : « لم » .

الواضح[١] ، وعدل عن الهدىٰ إلىٰ الضلال .

ثم أخبر تعالىٰ عما حل[٢] بهم من العقوبة عند مخالفتهم ميثاقَهُ ، ونقضهم عهده فقال : ﴿ **فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم** ﴾ أي : فبسبب نقضهم الميثاق الذي أخذ عليهم ؛ لعناهم أي : أبعدناهم عن الحق ، وطردناهم عن الهدىٰ ، ﴿ **وجعلنا قلوبهم قاسية** ﴾ أي : فلا يتعظون بموعظة لغلظها[٣] وقساوتها . ﴿ **يحرّفون الكلم عن مواضعه** ﴾ أي : فسدت فهومهم ، وساء تصرفهم في آيات اللَّه ، وتأوّلوا كتابه علىٰ غير ما أنزله ، وحملوه علىٰ غير مراده ، وقالوا عليه ما لم يقل ، عياذًا باللَّه من ذلك . ﴿ **ونسوا حظًا مما ذكروا به** ﴾ أي : وتركوا العمل به رغبة عنه .

و[٤] قال الحسن : تركوا عرىٰ دينهم ووظائف اللَّه تعالىٰ التي لا يقبل العمل إلا بها(٢٦٤) . وقال غيره : تركوا العمل فصاروا إلىٰ حالة رديئة ، فلا قلوب سليمة ، ولا فِطَرَ مستقيمة ، ولا أعمال قويمة .

﴿ **ولا تزال تطلع علىٰ خائنة منهم** ﴾ يعني : مكرهم ، وغدرهم ، لك ولأصحابك .

وقال مجاهد وغيره : يعني بذلك : تمالؤهم علىٰ الفتك برسول اللَّه ﷺ (٢٦٥) .

﴿ **فاعف عنهم واصفح** ﴾ [ ][٥] وهذا هو عين النصر والظفر ، كما قال بعض السلف : ما عاملت من عصىٰ اللَّه فيك ، بمثل أن تطيع اللَّه فيه . وبهذا يحصل لهم تأليف وجمع علىٰ الحق ، ولعل اللَّه أن يهديهم ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **إن اللَّه يحب المحسنين** ﴾ يعني به : الصفح عمن أساء إليك .

وقال قتادة : هذه الآية ﴿ **فاعف عنهم واصفح** ﴾ منسوخة بقوله : ﴿ **قاتلوا الذين لا يؤمنون باللَّه ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من**

(٢٦٤) - رواه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (١٣٠/١٠) (١١٥٨٨) من طريق مبارك بن فضالة عن الحسن . ومبارك صدوق لكنه يدلس ويسوى وقد عنعن عن الحسن هنا . والأثر ذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٤٧٤/٢) ولم يعزه لغير ابن جرير .

(٢٦٥) - رواه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (١٣١/١٠ - ١٣٢) (١١٥٩٠ ، ١١٥٩٢) من طرق عن مجاهد ، وذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٤٧٤/٢) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر .

[١] - في ز : « الحق » .

[٢] - في ز : « أحل » .

[٣] - في ز : « لغلظتها » .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « عنهم » .

الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ﴾ (٢٦٦) .

وقوله تعالىٰ : **﴿ ومن الذين قالوا إنا نصارىٰ أخذنا ميثاقهم ﴾** أي : ومن الذين ادّعوا لأنفسهم أنهم نصارىٰ ، يتابعون المسيح ابن مريم -عليه السلام- وليسوا كذلك ، أخذنا عليهم[١] العهود والمواثيق علىٰ متابعة الرسول صلىٰ اللّٰه عليه وآله وسلم ومناصرته ، ومؤازرته ، واقتفاء آثاره ، وعلىٰ[٢] الإيمان بكل نبي يرسله اللّٰه إلىٰ أهل الأرض ، ففعلوا كما فعل اليهود ؛ خالفوا المواثيق ، ونقضوا العهود ؛ ولهذا قال تعالىٰ : **﴿ فنسوا حظًا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلىٰ يوم القيامة ﴾** أي : فألقينا بينهم العداوة والبغضاء[٣] لبعضهم بعضًا ، ولا يزالون كذلك إلىٰ قيام الساعة ، وكذلك طوائف النصارىٰ علىٰ اختلاف أجناسهم ؛ لا يزالون متباغضين متعادين ، يكفر بعضهم بعضًا ، ويلعن بعضهم بعضًا ، فكل فرقة تحرم الأخرىٰ ، ولا تدعها تلج معبدها ؛ فالملكية تكفر اليعقوبية ، وكذلك الآخرون ، وكذلك النسطورية والآريوسية ، كل طائفة تكفر الأخرىٰ في هذه الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد .

ثم قال تعالى : **﴿ وسوف ينبئهم اللّٰه بما كانوا يصنعون ﴾** . وهذا تهديد ووعيد أكيد للنصارىٰ ، علىٰ ما ارتكبوه من الكذب علىٰ اللّٰه وعلى[٤] رسوله ، وما نسبوه إلىٰ الرب -عز وجل- وتعالىٰ وتقدّس عن قولهم علوًّا كبيرًا ، من جَعْلِهم له صاحبةً وولدا ، تعالىٰ الواحد الأحد الفرد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوًا أحد .

يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن نفسه الكريمة أنه قد أرسل رسوله محمدًا ﷺ بالهدىٰ ودين الحق إلىٰ جميع أهل الأرض ؛ عربهم وعجمهم ، أمّيهم وكتابيهم[٥] ، وأنه بعثه بالبينات ، والفرق بين

(٢٦٦) - رواه عبد الرزاق فى تفسيره (١/١٨٥) ، ومن طريقه ابن جرير فى تفسيره (١٠/١٣٤)=

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز ، خ : « التباغض » .
[٤] - في ت : « و » .
[٥] - في ز : « كاتبهم » ، خ : « كتابهم » .

الحق والباطل ، فقال تعالىٰ : ﴿ **يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرًا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير** ﴾ أي : يبين ما بدلوه وحرّفوه وأوّلوه ، وافتروا علىٰ الله فيه ، ويسكت عن كثير مما غيروه ، ولا فائدة في بيانه .

وقد روىٰ الحاكم في مستدركه(٢٦٧) من حديث الحسين بن واقد ، عن يزيد النحوي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال : من كفر بالرجم فقد كفر بالقرآن ، من حيث لا يحتسب ، قوله : ﴿ **يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرًا مما كنتم تخفون من الكتاب** ﴾ فكان الرجم مما أخفوه .

ثم قال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

ثم أخبر تعالىٰ عن القرآن العظيم ، الذي أنزله علىٰ نبيه الكريم فقال : ﴿ **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام** ﴾ أي : طرق النجاة والسلامة ، ومناهج الاستقامة ، ﴿ **ويخرجهم من الظلمات إلىٰ النور بإذنه ويهديهم إلىٰ صراط مستقيم** ﴾ أي : ينجيهم من المهالك ، ويوضح لهم أبين المسالك ، فيصرف عنهم المحذور ، ويحصل لهم أحب[١] الأمور ، وينفي عنهم الضلالة ، ويرشدهم إلىٰ أقوم حالة .

لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًاۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

= (١١٥٩٣) ، والنحاس فى « ناسخه » (ص ٣٨١) قال : أخبرنا معمر عن قتادة ... فذكره .

(٢٦٧) - رواه فى مستدركه (٣٥٩/٤) وقال : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه . ووافقه الذهبى . والحسين ابن واقد وثقه يحيى بن معين ، وقال أحمد بن حنبل ، وأبو زرعة ، والنسائى ، وأبو داود : لا بأس به . لكن قال ابن حبان فى « الثقات » (٢٠٩/٦) : ربما أخطأ فى الروايات . فالإسناد حسن ، والله أعلم .

[١] - في ز و خ : « أنجب » .

يقول تعالىٰ مخبرًا وحاكمًا بكفر النصارىٰ في ادعائهم في المسيح ابن مريم ، وهو عبد من عباد اللَّه ، وخلق من خلقه ، أنه هو اللَّه - تعالىٰ اللَّه عن قولهم علوًّا كبيرا .

ثم قال مخبرًا عن قدرته علىٰ الأشياء ، وكونها تحت قهره وسلطانه : ﴿ **قل فمن يملك من اللَّه شيئًا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعًا** ﴾ أي : لو أراد ذلك فمن ذا الذي كان يمنعه منه[١] ؟ أو من ذا الذي يقدر علىٰ صرفه عن ذلك ؟

ثم قال : ﴿ **ولله ملك السمٰوات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء** ﴾ أي : جميع الموجودات ملكه وخلقه ، وهو القادر علىٰ ما يشاء ، لا يسأل عما يفعل ؛ لقدرته وسلطانه وعدله وعظمته ، وهذا رد علىٰ النصارىٰ عليهم لعائن اللَّه المتتابعة[٢] إلىٰ يوم القيامة .

ثم قال تعالىٰ ردًّا علىٰ اليهود والنصارىٰ في كذبهم وافترائهم : ﴿ **وقالت اليهود والنصارىٰ نحن أبناء اللَّه وأحباؤه** ﴾ أي : نحن منتسبون إلىٰ أنبيائه ، وهم بنوه ، وله بهم عناية ، وهو يحبنا ، ونقلوا عن كتابهم أن اللَّه تعالىٰ قال لعبده إسرائيل : أنت ابني بكري ، فحملوا هذا علىٰ غير تأويله وحرفوه . وقد رد عليهم غير واحد ممن أسلم من عقلائهم ، وقالوا : هذا يطلق عندهم علىٰ التشريف والإكرام ، كما نقل النصارىٰ من[٣] كتابهم ؛ أن عيسىٰ قال لهم : إني ذاهب إلىٰ أبي وأبيكم ، يعني ربي وربكم ، ومعلوم أنهم لم يدّعوا لأنفسهم من البنوة ما ادّعوها في عيسىٰ - عليه السلام - وإنما أرادوا من ذلك[٤] معزتهم لديه ، وحظوتهم عنده ، ولهذا قالوا : نحن أبناء اللَّه وأحباؤه .

قال اللَّه تعالىٰ رادًّا عليهم : ﴿ **قل فلم يعذبكم بذنوبكم** ﴾ أي : لو كنتم [كما تدعون أبناؤه وأحباؤه ، فلِمَ أعدَّ لكم نار جهنم][٥] علىٰ كفركم وكذبكم وافترائكم ؟ وقد قال بعض شيوخ الصوفية لبعض الفقهاء : أين تجد في القرآن أن الحبيب لا يعذب حبيبه ؟ فلم يرد عليه فتلا عليه الصوفي هذه الآية ﴿ **قل فلم يعذبكم بذنوبكم** ﴾ وهذا الذي قاله حسن ، وله شاهد في المسند للإمام أحمد حيث قال(٢٦٨) :

(٢٦٨) - رواه في المسند (٣/١٠٤) ، ورواه أيضًا في (٣/٢٣٥) من طريق محمد بن عبد الله الأنصاري قال : حدثنا حميد ... فذكره بنحوه ، ورواه أبو يعلى في مسنده (٦/٣٩٧ - ٣٩٨) (٣٧٤٧ - ٣٧٤٩) ، والحاكم (١/٥٨) ، (٤/١٧٧) من طرق عن حميد به ، وصححه الحاكم على شرط=

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « التابعة » .
[٣] - في ز : « عن » .
[٤] - في ز : « بذلك » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

حدثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس قال : مر النبي ﷺ في نفر من أصحابه ، وصبي في الطريق ، فلما رأت أمه القوم خشيت علىٰ ولدها أن يوطأ ، فأقبلت تسعىٰ وتقول : ابني ابني ، وسعت فأخذته . فقال القوم : يا رسول الله ، ما كانت هذه لتلقى ولدها[١] في النار . قال : فَخَفَّضَهُم النبي ﷺ فقال : « و[٢]لا والله [- عز وجل -][٣] ما يلقي حبيبه في النار » . تفرد به أحمد[٤] .

﴿ بل أنتم بشر ممن خلق ﴾ أي : لكم أسوة أمثالكم من بني آدم ، وهو سبحانه[٥] الحاكم في جميع عباده ، ﴿ يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ﴾ أي : هو فعال لما يريد ، لا معقب لحكمه ، وهو سريع الحساب ﴿ ولله ملك السموات والأرض وما بينهما ﴾ أي : الجميع ملكه وتحت قهره وسلطانه ﴿ وإليه المصير ﴾ أي : المرجع والمآب إليه ؛ فيحكم في عباده بما يشاء ، وهو العادل الذي لا يجور .

وروىٰ[٦] محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : وأتىٰ رسول الله ﷺ نعمان بن آصا[٧] وبحري[٨] بن عمرو وشاس بن عدي ، فكلموه ، وكلمهم رسول الله ﷺ ، ودعاهم إلىٰ الله ، وحذرهم نقمته ، فقالوا : ما تخوفنا يا محمد ؛ نحن - والله - أبناء الله وأحباؤه ، كقول النصارىٰ ، فأنزل الله فيهم : ﴿ وقالت اليهود والنصارىٰ نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ إلىٰ آخر الآية .

رواه ابن أبي حاتم وابن جرير(٢٦٩) .

= الشيخين ، ووافقه الذهبي . وذكره الهيثمي فى « مجمع الزوائد » (١٠/٣٨٦) وقال : « رواه أحمد والبزار بنحوه ، وأبو يعلى ، ورجالهم رجال الصحيح » وللحديث شاهد من حديث عمر رواه البخارى فى صحيحه ، كتاب الأدب ، باب : رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ، الحديث (٥٩٩٩) .

(٢٦٩) - رواه ابن إسحاق وعنه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (١٠/١٥٠ - ١٥١) (١١٦١٣) ، والبيهقى فى « الدلائل » (٢/٥٣٥) قال : حدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال : حدثنى سعيد بن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس ، فذكره ، ومحمد بن أبى محمد : قال الحافظ فى « التقريب » : مجهول تفرد عنه ابن إسحاق . والحديث ذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٢/٤٧٦) وعزاه إلى ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والبيهقى فى « الدلائل » .

---

[١] - في ز : « ابنها » .
[٢] - زيادة من المسند .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « تعالى هو » .
[٦] - في ز : « قال » .
[٧] - في ت : « أضاء » .
[٨] - في ز : « وبجري » .

ورويا أيضًا(٢٧٠) من طريق أسباط، عن السدي في قول الله: ﴿ **وقالت اليهود والنصارىٰ نحن أبناء الله وأحباؤه** ﴾. أما قولهم: ﴿ **نحن أبناء الله** ﴾؛ فإنهم قالوا: إن الله أوحىٰ إلىٰ إسرائيل: [ولدًا من ولدك، أدخلهم النار] فيكونون فيها أربعين ليلة، حتىٰ تطهرهم، وتأكل خطاياهم، ثم ينادى مناد: أن أخرجوا كل مختون من ولد إسرائيل، فأخرجوهم[١]، فذلك قولهم: ﴿ **لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودات** ﴾.

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٩﴾ ﴾

يقول تعالىٰ مخاطبًا أهل الكتاب من اليهود والنصارىٰ، بأنه[٢] قد أرسل إليهم رسوله محمدًا[٣] صلىٰ الله عليه وآله وسلم، خاتم النبيين الذي لا نبي بعده ولا رسول، بل هو المعقب لجميعهم، ولهذا قال: ﴿ **علىٰ فترة من الرسل** ﴾ أي: بعد مدة متطاولة، ما بين إرساله، وعيسىٰ ابن مريم.

وقد اختلفوا في مقدار هذه الفترة: كم هي؟ فقال أبو عثمان النهدي وقتادة في رواية عنه: كانت ستمائة سنة.

ورواه البخاري عن سلمان الفارسي.

وعن قتادة: خمسمائة وستون سنة(٢٧١).

وقال معمر عن بعض أصحابه: خمسمائة وأربعون سنة (٢٧٢).

وقال الضحاك: أربعمائة وبضع[٤] وثلاثون سنة (٢٧٣).

(٢٧٠) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١٠/١٥١) (١١٦١٤).

(٢٧١) - رواه عبد الرزاق فى تفسيره (١/١٨٦)، ومن طريقه ابن جرير فى تفسيره (١٠/١٥٦) (١١٦١٨) عن معمر عن قتادة به وزاد عبد الرزاق: قال معمر: وقال الكلبى: خمسمائة سنة وأربعون سنة.

(٢٧٢) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١٠/١٥٧) (١١٦٢٠).

(٢٧٣) - رواه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (١٠/١٥٧) (١١٦٢١) وذكره السيوطى فى «الدر المنثور» (٢/٤٧٧) ولم يعزه لغير ابن جرير.

[١] - في ز: «فأخرجهم».

[٢] - في ز: «أنه».

[٣] - في ز: «محمد».

[٤] - في ز: «وبضعة».

وذكر ابن عساكر في ترجمة عيسىٰ -عليه السلام- عن الشعبي أنه قال: ومن رفع المسيح إلىٰ هجرة النبي ﷺ تسعُمائة وثلاثة وثلاثون سنة(٢٧٤).

والمشهور هو القول[١] الأول، وهو أنها ستمائة سنة، ومنهم من يقول: ستمائة وعشرون سنة، ولا منافاة بينهما؛ فإن القائل الأول أراد ستمائة سنة شمسية، والآخر أراد قمرية، وبين كل مائة[٢] سنة شمسية وبين القمرية نحوٌ من[٣] ثلاث[٤] سنين، ولهذا قال تعالىٰ في قصة أهل الكهف: ﴿ **ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعًا** ﴾ أي: قمرية لتكميل ثلاثمائة الشمسية التي كانت معلومة لأهل الكتاب، وكانت الفترة بين عيسىٰ ابن مريم آخر أنبياء بني إسرائيل، وبين محمد خاتم النبيين من بني آدم علىٰ الإطلاق، كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: « **إن أولىٰ الناس بابن مريم لأنا؛ لأنه لا نبي بيني وبينه** »(٢٧٥) وهذا فيه رد علىٰ من زعم أنه بعث بعد عيسىٰ نبي يقال له: خالد بن سنان، كما حكاه القضاعي وغيره.

والمقصود أن الله بعث محمدًا ﷺ علىٰ فترة من الرسل، وطموس من السبل، وتغير الأديان، وكثرة عبادة الأوثان والنيران والصلبان. فكانت النعمة به أتم النعم، والحاجة إليه أمر عمم[٥]، فإن الفساد كان قد عم[٦] جميع البلاد، والطغيان والجهل قد ظهر في سائر العباد، إلا قليلًا من المتمسكين ببقايا من دين الأنبياء الأقدمين، من بعض أحبار اليهود وعباد النصارىٰ والصابئين، كما قال الإمام أحمد(٢٧٦):

(٢٧٤) - رواه ابن عساكر فى تاريخه (٣٠/١٤ - مخطوط) وذكره ابن منظور فى مختصر تاريخ دمشق (٨٦/٢٠).

(٢٧٥) - رواه البخارى في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿ **واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها** ... ﴾ الحديث (٣٤٤٢)، ومسلم فى كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، الحديث (١٤٤/٢٣٦٥) من طريق أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة. ورواه البخارى فى أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿ **واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها** ... ﴾ الحديث (٣٤٤٣) من طريق عبد الرحمن بن أبى عمرة عن أبى هريرة به.

(٢٧٦) - رواه فى مسنده (١٦٢/٤) ورواه في (٤/ ١٦٢، ٢٦٦)، ومسلم فى كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: الصفات التي يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار، الحديث (٢٨٦٥)، والنسائى فى الكبرى، كتاب فضائل القرآن، باب قراءة القرآن على كل الأحوال، الحديث (٨٠٧٠)، =

[١] - سقط من: ز، خ.
[٢] - سقط من: ز.
[٣] - سقط من: ز.
[٤] - في ز، خ: «ثمان».
[٥] - في ز، خ: «عام».
[٦] - في ز: «ما».

حدثنا يحيىٰ بن سعيد ، حدثنا هشام ، حدثنا قتادة ، عن مطرف ، عن عياض بن حمار المجاشعي -رضي اللَّه عنه- أن النبي ﷺ خطب ذات يوم فقال في خطبته : « **وإن ربي أمرني أن أعلمكم مما جهلتم مما علمني في يومي هذا ، كل مال نحلته عبادي حلال ، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، [وإن الشياطين أتتهم][١] فأضلتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا ، ثم إن اللَّه عز وجل نظر إلىٰ أهل الأرض فمقتهم ، [عربهم وعجمهم] ، إلا بقايا من أهل الكتاب [ ][٢] ، وقال : إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك ، وأنزلت عليك كتابًا لا يغسله الماء ، تقرأه نائمًا ويقظانًا ، ثم إن اللَّه أمرني أن أحرق قريشًا فقلت : يا رب إذن يثلغوا(*) رأسي فيدعوه خُبزَةً[٣] ، فقال : استخرجهم كما استخرجوك ، واغزهم نغزك ، وأنفق عليهم فسننفق[٤] عليك ، وابعث جيشا[٥] نبعث خمسة أمثاله ، وقاتل بمن أطاعك[٦] من عصاك ، وأهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط [موفق متصدق] ، ورجل رحيم رقيق القلب ، بكل ذي قربىٰ ومسلم ، ورجل [عفيف فقير] [ذو عيال][٧] متصدق ، وأهل النار خمسة : الضعيف [الذي لا زبر(**) له][٨] ، و[٩] الذين هم فيكم تبعًا أو تبعاء -**

= وابن ماجة فى الزهد ، باب البراءة من الكبر والتواضع ، الحديث (٤١٧٩) من طرق عن قتادة به ، ولفظ ابن ماجة مختصر جدًّا ، ورواه الإمام أحمد فى مسنده (٤/٢٦٦) ثنا عفان ثنا همام ثنا قتادة ثنا العلاء بن زياد العدوى ، حدثنى يزيد أخو مطرف قال : وحدثنى عقبة ، كل هؤلاء يقول حدثنى مطرف أن عياض بن حمار حدثه أنه سمع النبى صلى اللَّه عليه وسلم يقول فى خطبته ... فذكره ، قال همام : قال بعض أصحاب قتادة : ولا أعلمه إلَّا قال : يونس الإسكاف قال لى : إن قتادة لم يسمع حديث عياض بن حمار من مطرف . قلت : هو حدثنا عن مطرف وتقول أنت لم يسمعه من مطرف ؟ قال : فجاء أعرابى فجعل يسأله واجترأ عليه . قال: فقلنا للأعرابى : سله هل سمع حديث عياض بن حمار عن مطرف ؟ فسأله : فقال : لا ، حدثنى أربعة عن مطرف فسمى الثلاثة الذى قلت لكم . ورواه ابن حبان (٦٥٣) ، والطبرانى فى الكبير (١٧/رقم ٩٩٣) من طريقين عن همام بهذا الإسناد ، ورواه ابن حبان (٦٥٤) ، وأحمد (٤/٢٦٦) والنسائى فى الكبرى (٨٠٧١) ، والطبرانى فى الكبير (١٧/رقم ٩٩٦) من طريق عن عوف بن أبى جميلة عن حكيم بن الأثرم عن الحسن عن مطرف عن عياض بن حمار .

(*) أي : يشدخوه ويشجوه كما يشدخ الخبز أي : يكسر .

(**) أي : لا عقل له يزبره وينهاه عن الإقدام على ما لا ينبغي .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « وإنهم أتتهم الشياطين » ، خ : « وإنهم إلتبستهم الشياطين » .

[٢] - في ز : « بني إسرائيل » .

[٣] - في ز : « خبرة » .

[٤] - في ز : « فسينفق » .

[٥] - في ز : « جندًا » ، خ : « جنداء » .

[٦] - في ت : « أطاعوك » .

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٨] - في ز ، خ : « لا دين له » .

[٩] - سقط من : ز .

شك يحيىٰ - لا يتغون أهلًا ولا مالًا ، والخائن الذي لا يخفىٰ له طمع وإن دق إلا خانه ، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك » . وذكر البخل أو الكذب ، والشنظير الفاحش .

ثم رواه الإمام أحمد ومسلم والنسائي من غير وجه ، عن قتادة ، عن مطرّف بن عبد اللَّه بن الشخير . وفي رواية سعيد[١] عن قتادة التصريح بسماع قتادة هذا الحديث من مطرف . [وقد ذكر الإمام أحمد في مسنده أن قتادة لم يسمعه من مطرف][٢] ، وإنما سمعه من أربعة عنه . ثم رواه هو عن روح عن عوف عن حكيم الأثرم عن الحسن ، قال : حدثني مطرف ، عن عياض بن حمار فذكره . و[٣] رواه النسائي من حديث غندر ، عن عوف الأعرابي به .

والمقصود من إيراد هذا الحديث قوله : « **وإن اللَّه نظر إلىٰ أهل الأرض فمقتهم ، [عجمهم وعربهم] ، إلا بقايا من بني إسرائيل** » وفي لفظ مسلم : « **من أهل الكتاب** » ، فكان[٤] الدين قد التبس علىٰ أهل الأرض كلهم ، حتىٰ بعث اللَّه محمدًا ﷺ ، فهدىٰ الخلائق ، وأخرجهم اللَّه به من الظلمات إلىٰ النور ، وتركهم علىٰ المحجة البيضاء والشريعة الغراء ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير** ﴾ أي : لئلا تحتجوا[٥] وتقولوا[٦] [- يا أيها الذين بدلوا دينهم وغيروه -][٧] ما جاءنا من رسول يبشر بالخير ، وينذر من الشر ، فقد جاءكم بشير ونذير ، يعني محمدًا ﷺ . ﴿ **واللَّه علىٰ كل شيء قدير** ﴾ . قال ابن جرير : معناه إني قادر علىٰ عقاب من عصاني وثواب من أطاعني

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا

---

[١] - في ز : « شعبة » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - في ز : « وكذا » .
[٤] - في ز : « وكان » .
[٥] - في ز : « يحتجوا » .
[٦] - في ز : « ويقولوا » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز : « ما جاء يا أيها الذين بدلوا دينهم وغيروه » .

﴿ جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾
قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ
فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن
نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ
رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ
فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ
﴿٢٦﴾ ﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن عبده ورسوله وكليمه موسىٰ بن عمران - عليه السلام - فيما ذكر به قومه من[١] نعم الله عليهم وآلائه لديهم ، في جمعه لهم خير الدنيا والآخرة ، لو استقاموا علىٰ[٢] طريقتهم المستقيمة . فقال تعالىٰ : ﴿ **وإذ قال موسىٰ لقومه ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء** ﴾ أي : كلما هلك نبي قام فيكم نبي من لدن أبيكم إبراهيم إلىٰ من[٣] بعده ، وكذلك كانوا لا يزال فيهم الأنبياء يدعون إلىٰ الله ، ويحذرون نقمته ، حتىٰ ختموا بعيسىٰ [ابن مريم][٤] عليه السلام ، ثم أوحىٰ الله إلىٰ خاتم الأنبياء والرسل علىٰ الإطلاق محمد بن عبد الله ، المنسوب إلىٰ إسماعيل بن إبراهيم - عليه السلام - وهو أشرف من كل من تقدمه منهم صلىٰ الله عليه وسلم .

وقوله : ﴿ **وجعلكم ملوكًا** ﴾ . قال عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن منصور ، عن الحكم أو غيره ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وجعلكم ملوكا** ﴾ قال : الخادم والمرأة والبيت(٢٧٧) .

(٢٧٧) - رواه عبد الرزاق فى تفسيره (١٨٧/١) ومن طريقه رواه ابن جرير فى تفسيره (١٦٢/١٠) (١١٦٣١) ، وذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٤٧٧/٢) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد ، والحكم بن عتيبة ثقة لكن يرسل ويدلس .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « في » .
[٣] - في ز : « ما » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

وروىٰ الحاكم في مستدركه(٢٧٨) من حديث الثوري أيضًا ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : المرأة والخادم ، ﴿ **وآتاكم ما لم يؤت أحدًا من العالمين** ﴾ قال : الذين هم بين ظهرانيهم يومئذ . ثم قال الحاكم : صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وروىٰ[١] ميمون بن مهران ، عن ابن عباس قال : كان الرجل من بني إسرائيل ؛ إذا كان له الزوجة والخادم والدار[٢] ؛ سمي ملكًا (٢٧٩) .

وقال : ابن جرير(٢٨٠) : حدثنا يونس بن عبد الأعلىٰ ، أنبأنا ابن وهب ، أنبأنا أبو هانئ أنه سمع أبا عبد الرحمن الحُبُلي ، يقول : سمعت عبد اللّٰه بن عمرو بن العاص ، وسأله رجل [فقال : ألسنا][٣] من فقراء المهاجرين ؟ فقال عبد اللّٰه : ألك امرأة تأوي إليها ؟ قال : نعم . قال : ألك مسكن تسكنه ؟ قال : نعم ؛ قال : فأنت من الأغنياء . فقال : إن لي خادما . قال : فأنت من الملوك .

وقال الحسن البصري : هل الملك إلا مركب وخادم ودار .

رواه ابن جرير(٢٨١) ، ثم روىٰ عن الحكم ومجاهد ومنصور وسفيان الثوري نحوًا من هذا . وحكاه ابن أبي حاتم ، عن ميمون بن مهران .

(٢٧٨) - رواه في المستدرك (٢/٣١١ - ٣١٢) وعنه البيهقي في الشعب (٤/١٤٩ - ١٥٠) (٤٦١٨) وصححه الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ، ورواه ابن جرير في تفسيره (١٠/١٦٤) (١١٦٣٩) مقتصرًا على الشطر الثاني ، وذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٢/٤٧٧) وزاد نسبته للفريابي وابن المنذر .

(٢٧٩) - رواه ابن جرير في تفسيره (١٠/١٦٢ - ١٦٣) (١١٦٣٣) من طريق حجاج بن تميم عن ميمون ابن مهران به ، وحجاج بن تميم : قال الحافظ في « التقريب » : ضعيف . والأثر : ذكره السيوطي في «الدر المنثور » (٢/٤٧٧) ولم يعزه لغير ابن جرير .

(٢٨٠) - رواه في تفسيره (١٠/١٦١) (١١٦٢٥) ، ورواه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الزهد والرقائق ، الحديث (٢٩٧٩) قال : حدثني أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن سرح أخبرنا ابن وهب به . والأثر ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٢/٤٧٨) وعزاه إلى سعيد بن منصور وابن جرير فقط ولم يعزه لمسلم ، والله أعلم .

(٢٨١) - رواه ابن جرير في تفسيره (١٠/١٦١ - ١٦٢) (١١٦٢٧) حدثنا سفيان بن وكيع قال : حدثنا العلاء بن عبد الجبار ، عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن به . ورجاله ثقات غير سفيان بن وكيع =

[١] - في ز : « وقال » . [٢] - في ز : « والمعراة » .

[٣] - في ز : « وقال : ألست » .

وقال ابن شوذب : كان الرجل من بني إسرائيل إذا كان له منزل وخادم ؛ واستؤذِنَ عليه فهو ملك . وقال قتادة(٢٨٢) : كانوا أول من ملك الخدم .

وقال السدي في قوله : ﴿ وجعلكم ملوكًا ﴾ قال : يملك الرجل منكم [نفسه وماله وأهله] .

رواه ابن أبي حاتم(٢٨٣) ، وقال ابن أبي حاتم : ذكر عن ابن لهيعة ، عن دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله ﷺ قال : [« **كان بنو إسرائيل إذا كان لأحدهم خادم ودابة وامرأة ؛ كتب ملكا** »(٢٨٤) .

وهذا حديث غريب من هذا الوجه .

وقال ابن جرير(٢٨٥) : حدثنا الزبير بن بكار ، حدثنا أبو ضمرة أنس بن عياض ، سمعت زيد ابن أسلم ، يقول : ﴿ وجعلكم ملوكا ﴾ فلا أعلم إلا أنه قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه

= قال الحافظ ابن حجر فى « التقريب » : كان صدوقًا إلَّا أنه ابتلى بوراقه ؛ فأدخل عليه ما ليس من حديثه ، فنصح فلم يقبل ؛ فسقط حديثه . والأثر ذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٤٧٨/٢) وعزاه لابن جرير فقط .

(٢٨٢) - رواه عبد الرزاق فى تفسيره (١٨٦/١) ومن طريقه رواه ابن جرير فى تفسيره (١٦٣/١٠) (١١٦٣٤) وذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٤٧٧/٢) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢٨٣) - ورواه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (١٦٣/١٠) (١١٦٣٦) من طريق أسباط عن السدى به .

(٢٨٤) - فى إسناده ابن لهيعة ، وهو ضعيف كما تقدم مرارًا ، ودراج : هو ابن سمعان أبو السمح ضعفه أبو حاتم والدارقطنى ، وقال النسائى : ليس بالقوى . وقال فى موضع آخر : منكر الحديث ، وثقه يحيى بن معين فى رواية الدارمى عنه - انظر تاريخ عثمان بن سعيد الدارمى رقم (٣١٥) وسئل ابن معين أيضًا عن حديث دَرَّاج عن أبى الهيثم ، عن أبى سعيد ؟ فقال : ما كان هكذا الإسناد ، فليس به بأس . انظر تاريخ ابن معين (١٥٥/٢) . وروى أبو عبيد الآجرى عن أبى داود قال : أحاديثه مستقيمة إلَّا ما كان عن أبى الهيثم عن أبى سعيد . قال المنذرى فى خاتمة « الترغيب والترهيب » (٤٨٣/٤) : ضعفه أبو حاتم والدارقطنى وغيرهما ، وقال أحمد : أحاديثه مناكير . وقال النسائى : منكر الحديث . وقال مرة : ليس بالقوى وثقه يحيى بن معين وعلى بن المدينى وغيرهما ، وصحح حديثه عن أبى الهيثم الترمذى ، واحتج به ابن خزيمة وابن حبان والحاكم وغيرهما . قلت : لخص ابن حجر حاله بقوله فى « التقريب » : صدوق ، فى حديثه عن أبى الهيثم ضعف . وهذا الحديث من روايته عن أبى الهيثم ، وأيضًا الراوى له عن دراج إنما هو ابن لهيعة وهو ضعيف كما تقدم .

(٢٨٥) - رواه فى تفسيره (١٦١/١٠) (١١٦٢٦) ، والزبير بن بكار - شيخ الطبرانى - وأنس بن عياض ثقتان من رجال التهذيب . والحديث ذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٤٧٨/٢) وزاد نسبته للزبير=

وسلم][١] : « **من كان له بيت وخادم فهو ملك** » .

وهذا مرسل غريب .

وقال مالك : بيت وخادم وزوجة.

وقد ورد في الحديث : « **من أصبح منكم معافىٰ في جسده ، آمنًا في سربه ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها** »(٢٨٦) .

وقوله : ﴿ **وآتاكم ما لم يؤت أحدًا من العالمين** ﴾ يعني عالمي زمانكم ، فإنهم[٢] كانوا أشرف[٣] الناس في زمانهم ، من اليونان ، والقبط ، وسائر أصناف بني آدم ، كما قال : ﴿ **ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوّة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم علىٰ العالمين** ﴾ وقال تعالىٰ إخبارًا عن موسىٰ لما قالوا : ﴿ **اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال أغير اللّٰه أبغيكم إلهًا وهو فضلكم علىٰ العالمين** ﴾ .

والمقصود أنهم كانوا أفضل أهل زمانهم ، وإلا فهذه الأمة أشرف منهم وأفضل عند اللّٰه ، وأكمل شريعة ، وأقوم منهاجًا ، وأكرم نبيًا ، وأعظم ملكًا ، وأغزر أرزاقًا ، وأكثر أموالًا وأولادًا ، وأوسع مملكة ، وأدوم عزًّا . قال اللّٰه تعالىٰ ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس** ﴾ وقال : [﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء علىٰ الناس** ﴾ . وقد ذكرنا الأحاديث المتواترة في فضل هذه الأمة، وشرفها، وكرمها عند اللّٰه عز وجل عند قوله تعالىٰ][٤] : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت**

= ابن بكار فى الموفقيات ولأبى داود فى مراسيله . قلت : هو فى مراسيل أبى داود (ص ١٨٠، ١٨١) رقم (٢٠٤) قال : حدثنا أبو توبة الربيع بن نافع ، حدثنا أبو ضمرة عن زيد بن أسلم به ، وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الشيخين إلّا أن الحديث مرسل .

(تنبيه) : قال العلامة محمود شاكر - رحمه الله - فى تعليقه على تفسير الطبرى : « والحديث خرجه السيوطى في « الدر المنثور » ولم ينسبه لابن جرير ، ونسبه للزبير بن بكار فى الموفقيات ، ولأبى داود فى مراسيله » قلت : بل عزاه لابن جرير فلعله يكون سقط من نسخة الشيخ رحمه الله . والله أعلم .

(٢٨٦) - روى هذا من حديث عبيد الله بن محصن الأنصارى ، وأبى الدرداء ، وابن عمر ، وعلى ، وعمر.

أمّا حديث عبيد الله بن محصن : فرواه البخارى فى الأدب المفرد (٣٠٠) وفى التاريخ الكبير =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ .
[٢] - في ز ، خ : « فكأنهم » .
[٣] - في ز : « أشراف » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ .

= (٥/ ٣٧٢، ٣٧٣) ، والترمذى فى كتاب الزهد ، باب (٣٤) ، الحديث (٢٣٤٦) ، وابن ماجه فى سننه كتاب الزهد ، باب القناعة ، الحديث (٤١٤١) ، والحميدى فى مسنده (٤٣٩) ، والعقيلى في « الضعفاء » (١٤٦/٢) ، والخطيب فى تاريخه (٣٦٤/٣) ، والبيهقى فى الزهد (ص ٨٨ - رقم ١٠٥) ، والقضاعى فى « مسند الشهاب » (٣٢٠/١) (٥٤٠) من طريق سلمة بن عبيد الله بن محصن الأنصارى عن أبيه مرفوعًا ، قال العقيلى : سلمة بن عبيد الله بن محصن مجهول فى النقل ، ولا يتابع على حديثه ولا يعرف إلّا به . وروى عن عبد الله بن أحمد قال : سألت أبى عن سلمة بن عبيد الله بن محصن الأنصارى ؟ فقال : لا أعرفه . وقال الحافظ فى « التقريب » : مجهول . لكن الحديث يشهد له الطرق التالية .

وأمّا حديث أبى الدرداء : فأخرجه ابن حبان فى صحيحه (٤٤٥/٢) (٦٧١) وهو في « موارد الظمآن » برقم (٢٥٠٣) وأبو نعيم فى الحلية (٢٤٩/٥) ، والخطيب فى التاريخ (١٦٦/٦) ، والقضاعى فى مسنده (٣١٩/١ - ٣٢٠) (٥٣٩) من طريق عبد الله بن هانئ بن عبد الرحمن بن أبى عبلة أبو عمرو قال : نا أبى عن إبراهيم بن أبى عبلة عن أم الدرداء عن أبى الدرداء به مرفوعًا ، وسنده ضعيف جدًّا ؛ عبد الله بن هانئ ترجم له ابن أبى حاتم فى « الجرح والتعديل » (١٩٤/٥) فقال : « روى عنه محمد بن عبد الله بن محمد بن مخلد الهروى ، عن أبيه عن إبراهيم بن أبى عبلة - أحاديث بواطيل ، سمعت أبى يقول : قدمت الرملة ، فذكر لى أن فى بعض القرى هذا الشيخ وسألت عنه فقيل : هو شيخ يكذب ، فلم أخرج إليه ولم أسمع منه » ، وقال الذهبى فى « الميزان » : متهم بالكذب اهـ . وأبوه هانئ ذكره ابن حبان فى الثقات (٣٥٧/٨) وقال : ربما أغرب . والحديث ذكره الهيثمى فى « مجمع الزوائد » (٢٩٢/١٠) وقال : رواه الطبرانى ورجاله وثقوا على ضعف فى بعضهم . وأمّا حديث ابن عمر : فأخرجه الطبرانى فى « الأوسط » (٢٣٠/٢) (١٨٢٨) من طريق علي بن عابس عن فضيل بن مرزوق عن عطية عن ابن عمر مرفوعًا ، قال الهيثمى فى « مجمع الزوائد » (٢٩٢/١٠) : رواه الطبرانى فى « الأوسط » ، وفيه على بن عابس وهو ضعيف .

قلت : وفضيل بن مرزوق فيه كلام ، لكن يمكن أن يحسن حديثه خاصة إذا كان له من الشواهد مثل ما لهذا الحديث ، لكن شيخه عطية هو العوفى ، وهو ضعيف أيضًا . والحديث عزاه أيضًا الألبانى فى «الصحيحة » (٤١٠/٥) إلى ابن أبى الدنيا فى « القناعة » .

وأمّا حديث علي : فأخرجه السهمى فى « تاريخ جرجان » (٣٢٢) من طريق أحمد بن عيسى العلوى حدثنا محمد بن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده مرفوعًا ، وأحمد بن عيسى العلوى هذا هو أبو طاهر الهاشمى ، ذكره الدارقطنى فى « الضعفاء والمتروكين » (ت ٥٣) وقال : كذاب وانظر ترجمته فى «الميزان » (١٢٦/١) .

وأمّا حديث عمر : فأخرجه الطبرانى فى الأوسط (٣٦١/٨) (٨٨٧٥) وهو فى « مجمع البحرين » برقم (٥٠١٠) من طريق أبى بكر الداهرى نا ثور بن يزيد عن خالد بن مهاجر عن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ابن آدم عندك ما يكفيك ، وأنت تطلب ما يطغيك ؟! ... ابن آدم إذا أصبحت معافى فى جسدك آمنًا فى سربك عندك قوت يومك ، فعلى الدنيا العفاء » والحديث ذكره الهيثمى فى «مجمع الزوائد » (٢٩٢/١٠) وقال : « رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه أبو بكر الداهرى وهو ضعيف » قال الألبانى فى « الصحيحة » (٤١٠/٥) رقم (٢٣١٨) : « وبالجملة فالحديث حسن إن شاء الله =

للناس ﴾ من سورة آل عمران .

وروىٰ ابن جرير عن ابن عباس ، وأبي مالك ، وسعيد بن جبير أنهم قالوا في قوله : ﴿ **وآتاكم ما لم يؤت أحدًا من العالمين** ﴾ يعني أمة محمدٍ ﷺ (٢٨٧) . وكأنهم أرادوا أن هذا الخطاب في قوله : ﴿ **وآتاكم ما لم يؤت أحدًا** ﴾ مع هذه الأمة .

والجمهور علىٰ أنه خطاب من موسىٰ لقومه ، وهو محمول علىٰ عالمي زمانهم كما قدمنا .

وقيل : المراد ﴿ **وآتاكم ما لم يؤت أحدًا من العالمين** ﴾ يعني بذلك ما كان تعالىٰ نزله عليهم من المن والسلوىٰ ، [ويظللهم به من الغمام][١] وغير ذلك ، مما كان تعالىٰ يخصهم به من خوارق العادات ، فالله أعلم .

ثم قال تعالىٰ مخبرًا عن تحريض موسىٰ -عليه السلام- لبني[٢] إسرائيل علىٰ الجهاد ، والدخول إلىٰ بيت المقدس ، الذي كان بأيديهم في زمان أبيهم يعقوب ؛ لما ارتحل هو وبنوه وأهله إلىٰ بلاد مصر ، أيام يوسف -عليه السلام- ، [ثم لم يزالوا بها حتىٰ خرجوا مع موسىٰ][٣] ، فوجدوا فيها قومًا من العمالقة الجبارين ، قد استحوذوا عليها وتملكوها ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم موسىٰ -عليه السلام- بالدخول إليها ، وبقتال أعدائهم ، وبشرهم بالنصرة والظفر عليهم ، فنكلوا وعصوا وخالفوا أمره ؛ فعوقبوا بالذهاب في التيه ، والتمادي في سيرهم حائرين، لا يدرون كيف يتوجهون إلىٰ[٤] مقصد مدة أربعين

= بمجموع حديثى الأنصارى وابن عمر ، والله أعلم » .

(٢٨٧) - أمّا الرواية عن ابن عباس فى هذا فلم أجدها عند ابن جرير ، بل الذى في تفسير ابن جرير (١٠/ ١٦٤) : قال أبو جعفر : اختلف فيمن عنوا بهذا الخطاب فقال بعضهم : عنى به أمة محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال : ذكر من قال ذلك وذكر الأثر عن أبى مالك وسعيد بن جبير ، ثم قال : وقال آخرون : عنى به قوم موسى ثم نقل ذلك عن مجاهد ، وابن عباس وقد تقدم تخريج أثر ابن عباس هذا برقم (٢٨٧) .

وأمّا الرواية عن أبى مالك وسعيد بن جبير ، فقد أخرجها ابن جرير فى تفسيره (١٠/١٦٤) (١١٦٣٧) حدثنا سفيان بن وكيع قال : حدثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان عن السدى عن أبى مالك وسعيد بن جبير . وسفيان بن وكيع ضعيف ضعفه أبو حاتم والبخارى وغيرهما ، قال الحافظ فى « التقريب » : «كان صدوقًا إلّا أنه ابتلى بوراقه فأدخل عليه ما ليس من حديثه فنصح فلم يقبل فسقط حديثه » ويحيى ابن يمان قال فيه الحافظ فى « التقريب » : صدوق عابد يخطئ كثيرًا وقد تغير .

[١] - في ز : « وتظللهم من الغمام » ، خ : « وتظللهم بالغمام » .

[٢] - في ز : « عن بني » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز : « فيه إلى » .

سنة ، عقوبة لهم علىٰ تفريطهم في أمر اللَّه تعالىٰ . فقال تعالىٰ مخبرًا عن موسىٰ أنه قال : ﴿ **يا قوم ادخلوا الأرض المقدّسة** ﴾ أي : المطهرة .

و[١] قال سفيان الثوري ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **ادخلوا الأرض المقدّسة** ﴾ قال : هي الطور وما حوله (٢٨٨) . وكذا قال مجاهد(٢٨٩) وغير واحد .

وروىٰ[٢] سفيان الثوري ، عن أبي سعيد[٣] البقال ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : هي أريحاء(٢٩٠) . وكذا ذكر عن[٤] غير واحد من المفسرين .

وفي هذا نظر ؛ لأن أريحاء ليست هي المقصودة بالفتح ، ولاكانت في طريقهم إلىٰ بيت المقدس ، وقد قدموا من بلاد مصر حين أهلك اللَّه عدوّهم فرعون ، اللهم[٥] إلا أن يكون المراد [بأريحاء أرض بيت المقدس ، كما قاله السدي فيما رواه ابن جرير(٢٩١) عنه لا أن المراد][٦] بها هذه البلدة المعروفة في طرف الغَوْر ، شرقي بيت المقدس .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **التي كتب اللَّه لكم** ﴾ أي : التي وعدكموها اللَّه علىٰ لسان أبيكم إسرائيل ، أنه وراثة من آمن منكم ، ﴿ **ولا ترتدوا علىٰ [ ][٧] أدباركم** ﴾ أي : ولا تنكلوا

(٢٨٨) - رواه ابن جرير في تفسيره (١٠/١٦٧) (١١٦٤٦) .

(٢٨٩) - رواه ابن جرير في تفسيره (١٠/١٦٧) (١١٦٤٤، ١١٦٤٥) .

(٢٩٠) - رواه ابن جرير في تفسيره (١٠/١٦٨) (١١٦٥٠) حدثني عبد الكريم بن الهيثم حدثنا إبراهيم بن بشار حدثنا سفيان عن أبي سعيد عن عكرمة عن ابن عباس به ، وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس رضى الله عنهما ؛ عبد الكريم بن الهيثم بن زياد القطان ثقة ترجمته في تاريخ بغداد (١١/ ٧٨، ٧٩) ، وإبراهيم بن بشار هو الرمادى ثقة له أوهام من رجال التهذيب ، وأبو سعيد الراوى - عن عكرمة - هو عبد الكريم بن مالك الجزرى ، قال عنه الحافظ في « التقريب » : ثقة متقن . وقد ظن المصنف أن سفيان هو الثورى وإنما هو ابن عيينة وشيخه ليس البقال ؛ فإن البقال اسمه سعيد بن المرزبان وكنيته « أبو سعد » وليس « أبو سعيد » والله أعلم .

(٢٩١) - رواه ابن جرير في تفسيره (١٠/١٧٢) (١١٦٥٦) من طريق أسباط عن السدى في قصة ذكرها من أمر موسى وبنى إسرائيل قال : « ثم أمرهم بالسير إلى أريحا - وهى أرض بيت المقدس - ... فساروا ... » الأثر . وقد تقدم الكلام على هذا الإسناد قبل ذلك .

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ز : « وقال » .

[٣] - في ز : « سعد » .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ .

[٧] - ما بين المعكوفتين في ز : « أعقابكم » .

عن الجهاد ، ﴿ **فتنقلبوا خاسرين قالوا يا موسىٰ إن فيها قومًا جبارين وإنا لن ندخلها [حتىٰ يخرجوا منها][١] فإن يخرجوا منها فإنا داخلون** ﴾ أي : اعتذروا بأن في هذه البلدة التي أمرتنا بدخولها وقتال أهلها قومًا جبارين ، أي : ذوي خلق هائلة ، وقوىٰ شديدة ، وإننا لا نقدر علىٰ مقاومتهم ، ولا مصاولتهم ، ولا يمكننا الدخول إليها ما داموا فيها ؛ فإن يخرجوا منها دخلناها ، وإلا فلا طاقة لنا بهم .

وقد قال ابن جرير(٢٩٢) : حدثني عبد الكريم بن الهيثم ، حدثنا إبراهيم بن بشار ، حدثنا سفيان ، قال : قال أبو سعيد : قال عكرمة : عن ابن عباس قال : أمر موسىٰ أن يدخل مدينة الجبارين ، قال : فسار موسىٰ بمن معه ، حتىٰ نزل قريبًا من المدينة ، وهي أريحاء ، فبعث إليهم اثني عشر عينا ، من كل سبط منهم عين ليأتوه بخبر القوم ، قال : فدخلوا المدينة ، فرأوا أمرًا عظيمًا من هيئتهم ، وجسمهم ، وعظمهم ، فدخلوا حائطًا لبعضهم ، فجاء صاحب الحائط ليجتني الثمار من حائطه ، فجعل يجتني الثمار ، وينظر[٢] إلىٰ آثارهم ، فتتبعهم[٣] ، فكلما أصاب واحدًا منهم أخذه فجعله في كمه مع الفاكهة ، حتىٰ التقط الاثني عشر كلهم ، فجعلهم في كمه مع الفاكهة ، [وذهب بهم][٤] إلىٰ ملكهم ، فنثرهم بين يديه ، فقال لهم[٥] الملك : قد رأيتم شأننا وأمرنا ، فاذهبوا فأخبروا صاحبكم ، قال : فرجعوا إلىٰ موسىٰ فأخبروه بما عاينوا من أمرهم .

وفي هذا[٦] الإسناد نظر .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : لما نزل موسىٰ وقومه ، بعث منهم اثني عشر رجلًا ، وهم النقباء ، الذين[٧] ذكرهم[٨] الله ، فبعثهم ليأتوه[٩] بخبرهم ، فساروا فلقيهم رجل من الجبارين ، فجعلهم في كسائه ، فحملهم[١٠] حتىٰ أتىٰ بهم المدينة ، ونادىٰ في قومه ، فاجتمعوا إليه ، فقالوا : من أنتم ؟ قالوا : نحن قوم موسىٰ ، بعثنا نأتيه بخبركم ،

(٢٩٢) - رواه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (١٧٣/١٠) (١١٦٥٧) وإسناده صحيح إلى ابن عباس وقد تكلمنا على هذا الإسناد قريبًا ، والأثر ذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٤٧٩/٢) وعزاه لابن أبى حاتم وابن جرير .

أ

[١] - في ز : « أبدًا ما داموا فيها » .
[٢] - في ز : « فنظر » .
[٣] - في خ : « فتبعهم » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « فذهب » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز : « الذي » .
[٨] - في ز : « ذكر » .
[٩] - في ز : « ليأتوهم » .
[١٠] - سقط من : ز .

فأعطوهم حبة من عنب ، تكفي الرجل ، فقالوا لهم : اذهبوا إلىٰ موسىٰ وقومه ، فقولوا لهم هذا[١] قدر فاكهتهم ، [فرجعوا إلىٰ موسىٰ ، فأخبروه بما رأوا ، فلما أمرهم موسىٰ - عليه السلام - بالدخول عليهم وقتالهم][٢] ، قالوا : يا موسىٰ ، اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا هٰهنا قاعدون .

رواه ابن أبي حاتم(٢٩٣) . ثم قال :

حدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي مريم ، حدثنا يحيىٰ بن أيوب ، عن يزيد بن الهاد ، حدثني يحيىٰ ابن عبد الرحمن ، قال : رأيت أنس بن مالك أخذ عصا ، فذرع فيها بشيء لا أدري كم ذرع ، ثم قاس بها في الأرض خمسين أو خمسًا وخمسين ، ثم قال : هكذا طول العماليق(٢٩٤) .

وقد ذكر كثير من المفسرين هٰهنا أخبارًا من وضع بني إسرائيل ، في عظمة خلق هؤلاء الجبارين ، [وأنه كان فيهم][٣] عوج بن عنق بن آدم - عليه السلام - ، وأنه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائة وثلاثة وثلاثون ذراعًا وثلث ذراع ، تحرير الحساب ، وهذا شيء يستحيىٰ من ذكره ، ثم هو مخالف لما ثبت في الصحيحين(٢٩٥) أن رسول الله ﷺ قال : « **إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعًا ، ثم لم يزل الخلق ينقص حتىٰ الآن** » .

ثم ذكروا أن هذا الرجل كان كافرًا ، وأنه كان ولد زنية ، وأنه امتنع من ركوب سفينة نوح ، وأن الطوفان لم يصل إلىٰ ركبته . وهذا كذب وافتراء ، فإن الله تعالىٰ ذكر أن نوحًا دعا علىٰ أهل الأرض من الكافرين ، فقال : ﴿ **رب لا تذر علىٰ الأرض من الكافرين ديارًا** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون ثم أغرقنا بعد الباقين** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **لا عاصم**

(٢٩٣) - أخرجه أيضًا ابن جرير الطبرى فى تفسيره (١٠/١٨٠) (١١٦٧٦) من طريق على بن أبى طلحة عن ابن عباس . وقد سبق الكلام على هذا الإسناد . والأثر : ذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٢/ ٤٧٩) وعزاه لابن أبى حاتم وابن جرير .

(٢٩٤) - إسناده رجاله ثقات إلا يحيى بن أيوب وهو أبو العباس المصرى ، قال الحافظ فى « التقريب » : صدوق ربما أخطأ . وابن أبى مريم هو سعيد بن الحكم بن محمد بن سالم بن أبى مريم ، ثقة من رجال التهذيب . والأثر : ذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٢/٤٧٩) ولم يعزه لغير ابن أبى حاتم .

(٢٩٥) - أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب أحاديث الأنبياء ، باب : خلق آدم وذريته ، الحديث (٣٣٢٦) ، وفى كتاب الاستئذان باب : بدء السلام ، الحديث (٦٢٢٧) ، ومسلم فى كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، الحديث (٢٨٤١) من طريق همام عن أبى هريرة .

[١] - في خ : « قدروا » . [٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « فلما أتوهم » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ت : « وأن منهم » .

اليوم من أمر الله إلا من رحم ﴾ وإذا كان ابن نوح الكافر غرق ، فكيف يبقىٰ عوج بن عنق وهو كافر، وولد زنية ؟ هذا لا يسوغ في عقل ولا شرع ، ثم في وجود رجل يقال له : عوج بن عنق نظر، والله أعلم .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما** ﴾ أي : فلما نكل بنو إسرائيل عن طاعة الله ، ومتابعة رسول الله موسىٰ عليه السلام ، حرضهم رجلان ، لله عليهما نعمة عظيمة ، وهما ممن يخاف أمر الله ، ويخشىٰ عقابه .

وقرأ بعضهم : ﴿ **قال رجلان من الذين يُخافون** ﴾ أي : ممن لهما مهابة وموضع من الناس ، ويقال : إنهما يوشع بن نون ، وكالب بن يوفنا . قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وعطية والسدي والربيع بن أنس وغير واحد من السلف والخلف ، رحمهم الله (٢٩٦) . فقالا : ﴿ **ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلىٰ الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين** ﴾ أي : متى[١] توكلتم علىٰ الله ، واتبعتم أمره ، ووافقتم رسوله ، نصركم الله علىٰ أعدائكم ، وأيدكم وظفركم بهم ، ودخلتم البلد[٢] التي كتبها الله[٣] لكم ، فلم ينفع ذاك فيهم شيئًا . ﴿ **قالوا يا موسىٰ إنا لن ندخلها أبدًا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هٰهنا قاعدون** ﴾ وهذا نكول منهم عن الجهاد ، ومخالفة لرسولهم ، وتخلف عن مقاتلة الأعداء .

ويقال : إنهم لما نكلوا عن الجهاد، وعزموا علىٰ الانصراف والرجوع إلىٰ مصر[٤] ، سجد موسىٰ وهارون عليهما السلام قدّام ملإٍ من بني إسرائيل ؛ إعظاما لما هموا به ، وشق يوشع بن نون وكالب بن يوفنا[٥] ثيابهما ، ولاما قومهما علىٰ ذلك ، فيقال : إنهم رجموهما ، وجرىٰ أمر عظيم وخطر جليل .

وما أحسن ما أجاب به الصحابة - رضي الله عنهم - يوم بدر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، حين استشارهم في قتال النفير، الذين جاءوا لمنع العير الذي كان مع أبي سفيان ، فلما فات اقتناص العير واقترب منهم النفير، وهم في جمع ما بين التسعمائة إلىٰ الألف في العدّة والبيض واليَلَب(*) ، فتكلم أبو بكر - رضي الله عنه - فأحسن ، ثم تكلم من [تكلم

(٢٩٦) - هذه الآثار أخرجها ابن جرير في تفسيره (١٠/١٧٦ - ١٧٨) (١١٦٦٤ - ١١٦٧٣) ، وانظر « الدر المنثور » (٢/٤٧٩ - ٤٨٠) .

(*) اليلب : الدروع من الجلود .

[١] - في ت : « إن » .
[٢] - في ز : « البلدة » .
[٣] - سقط من : ت .
[٤] - في ز : « بلادهم » .
[٥] - في ز : « يوقنا » .

من][1] الصحابة من المهاجرين، ورسول الله ﷺ يقول: « **أشيروا علي أيها المسلمون** » . وما يقول ذلك إلا ليستعلم ما عند الأنصار؛ لأنهم كانوا جمهور الناس يومئذ، فقال سعد بن معاذ: كأنك تعرض بنا يا رسول الله، والذي[2] بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته، لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقىٰ بنا[3] عدوّنا غدًا، إنا لصُبُر[4] في الحرب، صُدق في اللقاء، لعل الله أن[5] يريك منا ما تقرّ به عينك[6] ، فَسِرْ بنا علىٰ بركة الله. فسر رسول الله ﷺ بقول سعد، ونشطه ذلك(٢٩٧) .

وقال أبو بكر بن مردويه(٢٩٨) : حدثنا علي بن الحسين، حدثنا أبو حاتم الرازي، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، حدثنا حميد، عن أنس: أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لما سار إلىٰ بدر؛ استشار المسلمين، فأشار عليه عمر، ثم استشارهم، فقالت الأنصار: يا معشر الأنصار، إياكم يريد رسول الله ﷺ . قالوا: إذًا، لا نقول له كما قالت بنو إسرائيل لموسىٰ: ﴿ **اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هٰهنا قاعدون** ﴾ ، [والذي بعثك بالحق، لو ضربت أكبادها إلى بَرْك الغِمَاد لاتبعناك .

ورواه الإمام أحمد(٢٩٩) : عن عبيدة بن حميد، عن حميد الطويل، عن أنس به . ورواه النسائي (٣٠٠) : عن محمد بن المثنىٰ، عن خالد بن الحارث، عن حميد، به .

ورواه ابن حبان(٣٠١) : عن أبي يعلى، عن عبد الأعلىٰ بن حماد، عن معمر بن سليمان، عن حميد به . وقال ابن مردويه (٣٠٢) : أنا عبد الله بن جعفر، أنا إسماعيل بن عبد الله، حدثنا

(٢٩٧) - انظر السيرة لابن هشام (٦١٥/١) بدون إسناد، وانظر حديث أنس وحديث ابن مسعود الآتيين قريبًا .

(٢٩٨) - إسناده صحيح، أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ١٠٥، ١٨٨) والنسائي في فضائل الصحابة رقم (٢٤٣)، وأبو يعلى في مسنده (٣٨٠٣) ومن طريقه ابن حبان في صحيحه (٤٧٢١) وأخرجه أبو يعلى (٣٧٦٦)، وابن حبان (٤٧٢٢) من طرق عن حميد عن أنس به .

(٢٩٩) - رواه في المسند (١٨٨/٣) وانظر السابق .

(٣٠٠) - رواه النسائي في فضائل الصحابة (٢٤٣)، وانظر رقم (٢٩٨) .

(٣٠١) - رواه في صحيحه (٢٤/١١) (٤٧٢٢) وانظر رقم (٢٩٨) .

(٣٠٢) - رواه أحمد في مسنده (٤/ ١٨٣، ١٨٤)، والطبراني في الكبير (١٢٤/١٧) (٣٠٦) من طريق الحسن بن أيوب به، وفي رواية: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالقتال فرمى رجل=

[1] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[2] - في ت : « فوالذي » .
[3] - سقط من : ز .
[4] - « لصُبرٌ » .
[5] - سقط من : ز .
[6] - في خ : « عينيك » .

عبد الرحمن بن إبراهيم ، حدثنا محمد بن شعيب ، عن الحسن بن أيوب ، عن عبد الله بن ناسج ، عن عتبة بن عبد السلمي ، قال : قال النبي ﷺ لأصحابه : « **ألا تقاتلون ؟** » قالوا : نعم ، ولا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسىٰ : ﴿ **اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هٰهنا قاعدون** [١] ﴾ ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون .

وكان ممن أجاب[٢] يومئذٍ المقدادُ بن عمرو الكندي - رضي الله عنه - ، كما قال الإمام أحمد (٣٠٣) :

حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن مخارق بن عبد الله [ ][٣] الأحمسي ، عن طارق - هو ابن شهاب - أن المقداد قال لرسول الله ﷺ يوم بدر : يا رسول الله ، إنا لا نقول لك كما قالت بنو[٤] إسرائيل لموسىٰ : ﴿ **اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هٰهنا قاعدون** ﴾ ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا معكما[٥] مقاتلون .

هكذا رواه أحمد من هذا الوجه ، وقد رواه من طريق أخرىٰ ، فقال(٣٠٤) :

حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا إسرائيل ، عن مخارق ، عن طارق بن شهاب ، قال : قال عبد الله [هو][٦] ابن مسعود - رضي الله عنه - : لقد[٧] شهدت من المقداد مشهدًا ، لأن أكون أنا

= من أصحابه بسهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أوجب هذا » وقالوا حين أمرهم بالقتال ... الحديث . وقد خرج أحمد (١٨٤/٤) ، والطبراني (١٢٣/١٧) (٣٠٥) هذه الزيادة فحسب دون بقية الحديث . والحديث ذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٤٨٠/٢) وعزاه لأحمد وابن مردويه فحسب . والحديث حسن إسناده الهيثمى فى « مجمع الزوائد » (٢٧٣/٥) ، وفى (١٧/٧) .

(٣٠٣) - رواه فى مسنده (٣١٤/٤) وذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٤٨٠/٢) وعزاه لأحمد ، وسيأتى فى الذى بعده من طريق طارق بن شهاب عن ابن مسعود .

(٣٠٤) - رواه فى مسنده (٣٨٩/١) ، ورواه أيضًا فى (١/ ٣٨٩، ٤٢٨، ٤٥٧) والبخارى فى المغازى ، باب قول الله تعالى : ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم ... ﴾ الحديث (٣٩٥٢) ، وفى التفسير ،باب قوله : ﴿ فاذهب أنت وربك فقاتلا إنَّا هٰهنا قاعدون ﴾ الحديث (٤٦٠٩) ، والنسائى فى الكبرى كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : ﴿ قالوا يا موسى إنا لن ندخلها ... ﴾ الآية ، الحديث (١١١٤٠) من طرق عن مخارق به .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ .
[٢] - في ز ، خ : «أجاد» .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « البجلي » .
[٤] - في خ : « بني » .
[٥] - في ز : « معكم » .
[٦] - سقط من خ .
[٧] - سقط من: ز ، خ .

صاحبه، أحب إلي مما عدل به، أتىٰ رسول الله ﷺ وهو يدعو علىٰ المشركين، فقال: والله يا رسول الله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسىٰ: ﴿ **اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هٰهنا قاعدون** ﴾، ولكنا نقاتل عن يمينك، وعن يسارك، ومن بين يديك، ومن خلفك. فرأيت وجه رسول الله ﷺ يشرق لذلك وسر[١] بذلك.

وهكذا رواه البخاري في المغازي، وفي التفسير من طرق عن مخارق به، ولفظه في كتاب التفسير (٣٠٥): عن عبد الله قال: قال المقداد يوم بدر: يا رسول الله، لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسىٰ: ﴿ **اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هٰهنا قاعدون** ﴾، ولكن امض ونحن معك. فكأنه سري عن رسول الله ﷺ.

ثم قال البخاري: رواه وكيع، عن سفيان، عن مخارق، عن طارق، أن المقداد قال للنبي ﷺ.

و[٢] قال ابن جرير(٣٠٦): حدثنا بشر، حدثنا يزيد، حدثنا سعيد، حدثنا[٣] قتادة، قال: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يوم الحديبية، حين صدّ المشركون الهدي، وحيل بينهم وبين مناسكهم: « **إني ذاهب بالهدي فناحره عند البيت** ». فقال له[٤] المقداد بن الأسود: أما[٥] والله لانكون كالملأ من بني إسرائيل إذ قالوا لنبيهم: ﴿ **اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هٰهنا قاعدون** ﴾، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا معكما[٦] مقاتلون، فلما سمعها أصحاب رسول الله ﷺ تتابعوا[٧] علىٰ ذلك.

وهذا إن كان محفوظًا يوم الحديبية، فيحتمل أنه كرر هذه المقالة يومئذ، كما قاله يوم بدر.

وقوله: ﴿ **قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين** ﴾ يعني: لما نكل بنو إسرائيل عن القتال، غضب عليهم موسىٰ عليه السلام، وقال داعيًا عليهم: ﴿ **رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي** ﴾ [أي: ليس أحد يطيعني منهم فيمتثل أمر الله، ويجيب إلىٰ ما

(٣٠٥) - صحيح البخارى كتاب التفسير الحديث (٤٦٠٩).

(٣٠٦) - رواه فى تفسيره (١٠/١٨٦) (١١٦٨٣)، وهو مرسل وقد ذكره السيوطى في « الدر المنثور » (٢/٤٨٠) ولم يعزه لغير ابن جرير.

[١] - في ز: « وسره ».

[٢] - سقط من: ز.

[٣] - في ز: « عن ».

[٤] - سقط من: ز.

[٥] - في ز: « إنا ».

[٦] - في ز: « معكم ».

[٧] - في ز: « تبايعوا ».

دعوت إليه ، إلا أنا وأخي][١] هارون ﴿ فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ﴾ . قال العوفي عن ابن عباس : يعني : اقض بيني وبينهم . وكذا قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس(٣٠٧) .

[وكذا قال الضحاك : اقض بيننا وبينهم ، وافتح بيننا وبينهم(٣٠٨) . وقال غيره : افرق][٢] : افصل بيننا وبينهم ، كما قال الشاعر :

يارب فافرق بينه وبيني أشد ما فرقت بين اثنين[٣]

وقوله تعالىٰ : ﴿ فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين ﴾ ، لما دعا عليهم موسىٰ - عليه السلام - حين نكلوا عن الجهاد ، حكم الله [عليهم] بتحريم دخولها قدر[٤] مدة أربعين سنة ، فوقعوا في التيه ، يسيرون دائمًا لا يهتدون للخروج منه ، وفيه كانت أمور عجيبة وخوارق كثيرة ؛ من تظليلهم بالغمام وإنزال[٥] المن والسلوىٰ عليهم ، ومن إخراج الماء الجاري من صخرة صماء ، تحمل معهم علىٰ دابة ، فإذا ضربها موسىٰ بعصاه ؛ انفجرت من ذلك الحجر اثنتا عشرة عينًا تجري لكل شعب عين ، وغير ذلك من المعجزات التي أيد الله بها موسىٰ بن عمران ، وهناك أنزلت[٦] التوراة ، وشرعت لهم الأحكام ، وعملت قبة العهد ، ويقال لها : قبة الزمان .

قال يزيد بن هارون : عن أصبغ بن زيد[٧] ، عن القاسم بن أبي أيوب ، عن سعيد بن جبير : سألت ابن عباس عن قوله ﴿ فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض ﴾ الآية ، قال : فتاهوا في الأرض أربعين سنة ، يصبحون كل يوم يسيرون ليس لهم قرار ، ثم ظلل عليهم الغمام في التيه ، وأنزل عليهم المنّ والسلوىٰ . وهذا قطعة من حديث الفتون(٣٠٩) . ثم كانت وفاة هارون - عليه السلام - ثم بعده بمدة ثلاث سنين وفاة[٨] موسىٰ

(٣٠٧) - أمّا رواية العوفى عن ابن عباس : فأخرجها ابن جرير فى تفسيره (١٠/ ١٨٨، ١٨٩) (١١٦٨٦) ، وذكرها السيوطى فى « الدر المنثور » (٤٨١/٢) وزاد نسبتها إلى ابن أبى حاتم . وأمّا رواية على بن أبى طلحة عن ابن عباس : فأخرجها ابن جرير فى تفسيره (١٨٩/١٠) (١١٦٨٧) .

(٣٠٨) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١٨٩/١٠) (١١٦٨٩) .

(٣٠٩) - سيأتي تخريجه في سورة (طه / آية ٤٠) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز : « اثنيني » .

[٤] - في ز : « قدرا » .

[٥] - في ز : « وإنزاله » .

[٦] - في ز : « أنزلت » .

[٧] - في ز : « يزيد » .

[٨] - في ز ، خ : « مات » .

الكليم - عليه السلام - وأقام اللَّه فيهم يوشع بن نون - عليه السلام - نبيًّا خليفة عن موسىٰ بن عمران ، ومات أكثر بني إسرائيل هناك في تلك المدة ، ويقال : إنه لم يبق منهم أحد سوىٰ يوشع وكالب ، ومن هٰهنا قال بعض المفسرين في قوله : ﴿ **قال فإنها محرمة عليهم** ﴾ : هذا[١] وقف تام ، وقوله : ﴿ **أربعين سنة** ﴾ [منصوب بقوله][٢] ﴿ **يتيهون في الأرض** ﴾ . فلما انقضت المدة خرج بهم يوشع بن نون - عليه السلام - أو بمن بقي منهم ، وبسائر بني إسرائيل من الجيل الثاني ، فقصد بهم بيت المقدس ، فحاصرها ، فكان فتحها يوم الجمعة بعد العصر ، فلما تضيفت الشمس للغروب ، وخشي[٣] دخول السبت عليهم ، قال : إنك مأمورة ، وأنا مأمور ، اللهم احبسها علي . فحبسها اللَّه تعالىٰ حتىٰ فتحها ، وأمر اللَّه يوشع بن نون أن يأمر بني إسرائيل حين يدخلون بيت المقدس ؛ أن يدخلوا بابها سجدًا ، وهم يقولون : حطة . أي : حط عنا ذنوبنا ، فبدلوا ما أمروا به ، ودخلوا[٤] يزحفون علىٰ أستاههم ، وهم يقولون : حبة في شعرة ، وقد تقدم هذا كله في سورة البقرة .

و[٥] قال ابن أبي حاتم(٣١٠) : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن أبي عمر العدني[٦] ، حدثنا سفيان ، عن أبي سعيد[٧] ، عن عكرمة ، عن ابن عباس - رضي اللَّه عنه - قوله : ﴿ **فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض** ﴾ قال : فتاهوا أربعين سنة . قال[٨] : فهلك موسىٰ وهارون في التيه ، وكل من جاوز الأربعين سنة ، فلما مضت الأربعون سنة ، ناهضهم[٩] يوشع بن نون وهو الذي قام بالأمر بعد موسىٰ ، وهو الذي افتتحها ، وهو الذي قيل له : اليوم يوم الجمعة ، فهموا بافتتاحها ، ودنت الشمس للغروب ، فخشي إن دخلت ليلة السبت أن يسبتوا ، فنادىٰ الشمس : إني مأمور ، وإنك مأمورة ، فوقفت حتىٰ افتتحها ، فوجد فيها من الأموال ما لم ير مثله قط ، فقربوه إلىٰ النار فلم تأته[١٠] ، فقال : فيكم

(٣١٠) - رواه أيضًا ابن جرير فى تفسيره (١٠/١٩٣) (١١٦٩٥) حدثنى عبد الكريم بن الهيثم قال : حدثنا إبراهيم بن بشار قال : حدثنا سفيان قال أبو سعيد عن عكرمة به مختصرًا ، وفيه : « فكل من دخل التيه ممن جاوز العشرين سنة مات فى التيه » . والذى نقله ابن كثير هنا والسيوطى فى « الدر المنثور » (٢/ ٤٨١) : « فهلك موسى وهارون وكل من جاوز الأربعين سنة » وإسناد ابن جرير هذا تقدم الكلام عليه فى رقم (٢٩٢) .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « واحسى » .
[٤] - في ز : « فدخلوا » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « العذني » .
[٧] - في ز : « سعد » .
[٨] - سقط من : ز ، خ .
[٩] - في ز : « ماهضهم » .
[١٠] - في ز : « تأت » .

الغلول ، فدعا رءوس الأسباط وهم اثنا[١] عشر رجلا فبايعهم ، والتصقت يد رجل منهم بيده ، فقال : الغلول عندك فأخرجه ، فأخرج رأس بقرة من ذهب ، لها عينان من ياقوت ، وأسنان من لؤلؤ ، فوضعه مع القربان ، فأتت النار فأكلتها .

وهذا السياق له شاهد في الصحيح (٣١١) .

وقد اختار ابن جرير أن قوله : ﴿ فإنها[٢] محرمة عليهم ﴾ [هو العامل][٣] في أربعين سنة ، وأنهم مكثوا لا يدخلونها أربعين سنة ، وهم تائهون في البرية لا يهتدون لمقصد ، قال : ثم خرجوا مع موسىٰ - عليه السلام - ففتح بهم بيت المقدس . ثم احتج علىٰ ذلك من[٤] قال بإجماع علماء أخبار[٥] الأولين أن عوج بن عنق قتله موسىٰ - عليه السلام - قال : فلو كان قَتْله إياه قبل التيه ؛ لما رهبت[٦] بنو إسرائيل من العماليق ، فدل علىٰ أنه كان بعد التيه . قال : وأجمعوا علىٰ أن بلعام بن باعورا أعان الجبارين بالدعاء علىٰ موسىٰ . قال : وما ذاك إلا بعد التيه ؛ لأنهم كانوا قبل التيه لا يخافون من موسىٰ وقومه . هذا استدلاله ، ثم قال(٣١٢) :

حدثنا أبو كريب ، حدثنا ابن عطية ، حدثنا قيس ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كانت عصا موسىٰ عشرة أذرع ، ووثبته عشرة أذرع ، وطوله عشرة أذرع ، فوثب ، فأصاب كعب عوج فقتله ، فكان جسرًا لأهل النيل سنة .

وروى أيضًا (٣١٣) : عن محمد بن بشار ، حدثنا مؤمل ، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ،

(٣١١) - رواه البخارى فى صحيحه كتاب فرض الخمس ، باب قول النبى صلى الله عليه وسلم : « أحلت لكم الغنائم » الحديث (٣١٢٤) ، وفى كتاب النكاح ، باب من أحب البناء قبل الغزو ، الحديث (٥١٥٧) ، ومسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير ، باب تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة ، الحديث (١٧٤٧) من طريق معمر عن همام بن منبه عن أبى هريرة .

(٣١٢) - رواه فى تفسيره (١٠/١٩٩) (١١٦٩٩) وقد ذكر الإمام ابن القيم - رحمه لله - فى « المنار المنيف » أمورًا كلية يعرف بها كون الحديث موضوعًا فقال فى (ص ٧٦، ٧٧) : « ومنها أن يكون الحديث مما تقوم الشواهد الصحيحة على بطلانه ، كحديث عوج بن عنق الطويل الذى قصد واضعه الطعن فى أخبار الأنبياء » وانظر بقية كلامه - رحمه الله - فى « المنار » لزامًا .

(٣١٣) - رواه فى تفسيره (١٠/١٩٩) (١١٦٩٨) ، وانظر الحديث السابق .

[١] - في ز : « اثنى » .
[٢] - في ز : « إنها » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « والعامل » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « أحبار » .
[٦] - في ز : « وهنت » .

عن نوف - هو[١] البكالي - قال : كان سرير عوج ثمانمائة[٢] ذراع ، وكان طول موسىٰ عشرة أذرع ، وعصاه عشرة أذرع ، ووثب في السماء عشرة أذرع ، فضرب عوجًا ، فأصاب كعبه فسقط ميتًا ، وكان جسرًا للناس يمرون عليه .

وقوله تعالىٰ : ﴿ فلا تأس علىٰ القوم الفاسقين ﴾ تسلية لموسىٰ عليه السلام عنهم ، أي : لا تأسف ولا تحزن عليهم ، فمهما حكمت عليهم به ؛ فإنهم مستحقون[٣] ذلك .

وهذه القصة تضمنت تقريع اليهود وبيان فضائحهم ، ومخالفتهم للّٰه ولرسوله ، ونكولهم عن طاعتهما [فيما أمراهم][٤] به من الجهاد ، فضعفت أنفسهم عن مصابرة الأعداء ومجالدتهم ومقاتلتهم ، مع أن بين أظهرهم رسول اللّٰه عليه السلام ، وكليمه ، وصفيه من خلقه في ذلك الزمان ، وهو يعدهم بالنصر والظفر بأعدائهم ، هذا [مع ما][٥] شاهدوا ما[٦] أحل[٧] اللّٰه بعدوهم فرعون من العذاب والنكال ، والغرق له ولجنوده في اليم ، وهم ينظرون لِتَقَرّ به أعينهم ، وما بالعهد من قدم ، ثم ينكلون عن مقاتلة أهل بلد[٨] ؛ هي[٩] بالنسبة إلىٰ ديار مصر لا توازي عشر المعشار في عدّة أهلها وعددهم ، فظهرت[١٠] قبائح صنيعهم للخاص والعام ، وافتضحوا فضيحة لا يغطيها الليل ، ولا يسترها الذيل ، هذا[١١] ، وهم في جهلهم يعمهون وفي غيهم يتردّدون ، وهم البُغَضَاء إلىٰ اللّٰه ، وأعداؤه ، ويقولون مع ذلك نحن أبناء اللّٰه وأحباؤه ، فقبح اللّٰه وجوههم ، التي مسخ منها الخنازير والقرود ، وألزمهم لعنة تصحبهم إلىٰ النار ذات الوقود ، ويقضي لهم فيها بتأبيد الخلود ، وقد فعل وله الحمد من جميع الوجود .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « ثلاثمائة » .
[٣] - في ز : « يستحقون » .
[٤] - في ز : « في الذي أمرهم » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « وقد » .
[٦] - في ز : « من » .
[٧] - في ت : « فعل » .
[٨] - في ز : « بلدهم » .
[٩] - سقط من : ز .
[١٠] - في ز : « وظهرت » .
[١١] - سقط من : خ .

۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ
ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى
مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ
بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ
قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ
كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ
سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾

يقول تعالىٰ مبينًا وخيم عاقبة البغي والحسد والظلم؛ في خبر ابني[١] آدم لصلبه - في قول الجمهور - وهما [قابيل وهابيل] ، كيف عدا أحدهما علىٰ الآخر فقتله بغيًا عليه ، وحسدًا له فيما وهبه اللَّه من النعمة ، وتقبل القربان الذي أخلص فيه للَّه عز وجل ، ففاز المقتول بوضع الآثام والدخول إلىٰ الجنة ، وخاب القاتل ، ورجع بالصفقة الخاسرة في الدارين[٢] ، فقال تعالىٰ : ﴿ **واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق** ﴾ أي : واقصص علىٰ هؤلاء البغاة الحسدة ، إخوان الخنازير والقردة ، من اليهود وأمثالهم وأشباههم ، خبر ابني آدم ، وهما هابيل وقابيل فيما ذكره غير واحد من السلف والخلف .

وقوله : ﴿ **بالحق** ﴾ أي : علىٰ الجلية ، والأمر الذي لا لبس فيه ، ولا كذب ، [ولا وهم][٣] ، ولا تبديل ، ولا زيادة ولا نقصان ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **إنّ هذا لهو القصص الحق** ﴾ ، وقوله تعالىٰ : ﴿ **نحن نقص عليك نبأهم بالحق** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **ذلك عيسىٰ ابن مريم قول الحق** ﴾ .

وكان من خبرهما فيما ذكره غير واحد من السلف والخلف : أن اللَّه تعالىٰ [ ][٤] شرع لآدم - عليه السلام - أن يزوّج بناته من بنيه لضرورة الحال ، ولكن قالوا[٥] : كان يولد له في كل بطن

---

[١] - في ز : « بني » .
[٢] - في ز ، خ : « الدنيا والآخرة » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - بين المعكوفتين في ز : « قد » .
[٥] - سقط من : ز .

ذكر وأنثىٰ ، فكان يزوج أنثىٰ هذا البطن لذكر البطن الآخر ، وكانت[١] أخت هابيل دميمة[٢] ، وأخت قابيل وضيئة ، فأراد أن يستأثر بها علىٰ أخيه ، فأبىٰ آدم ذلك إلا أن يقرّبا قربانًا ، فمن تقبل منه فهي له ، فقربا فتقبل من هابيل ولم يتقبل من قابيل فكان من أمرهما ما قصه[٣] اللَّه في كتابه .

ذكر أقوال المفسرين هٰهنا

قال السدي : فيما ذكر عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرّة عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم : أنه كان لا يولد لآدم مولود إلا ولد ومعه[٤] جارية ، فكان يزوّج غلام هذا البطن جارية هذا البطن الآخر ، ويزوج جارية هذا البطن غلام هذا البطن الآخر ، حتىٰ ولد له ابنان يقال لهما : [هابيل وقابيل] ، وكان قابيل صاحب زرع ، وكان هابيل صاحب ضرع ، وكان قابيل أكبرهما ، وكان له أخت أحسن من أخت هابيل ، وأن هابيل طلب أن ينكح أخت قابيل فأبىٰ عليه ، وقال : هي أختي ولدت معي ، وهي أحسن من أختك ، وأنا أحق أن أتزوّج بها . فأمره أبوه أن يزوّجها هابيل فأبىٰ ، وأنهما قرّبا قربانًا إلىٰ اللَّه عز وجل أيهما أحق بالجارية ، وكان آدم - عليه السلام - قد غاب عنهما أتىٰ مكة ينظر إليها ، قال اللَّه - عز وجل - : هل تعلم أن لي بيتًا في الأرض ؟ قال : اللهم لا . قال : إنّ لي بيتًا [في مكة][٥] فأته . فقال آدم للسماء : احفظي ولدي بالأمانة . فأبت ، وقال للأرض فأبت ، وقال للجبال فأبت ، فقال لقابيل ، فقال : نعم ، تذهب وترجع ، وتجد أهلك كما يسرك . فلما انطلق آدم قربا قربانًا ، وكان قابيل يفخر عليه ، فقال : أنا أحق بها منك ، هي أختي وأنا أكبر منك ، وأنا وصي والدي . فلما قربا قرّب هابيل جذعة سمينة ، وقرب قابيل حزمة سنبل ، فوجد فيها سنبلة عظيمة ، ففركها وأكلها[٦] ، فنزلت النار فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل ، فغضب ، وقال : لأقتلنك حتىٰ لا تنكح أختي . فقال هابيل : إنما يتقبل اللَّه من المتقين رواه ابن جرير(٣١٤) .

---

(٣١٤) - رواه في تفسيره (٢٠٧،٢٠٦/١٠) (٢١٧/٥) حدثني موسى بن هارون قال : حدثنا عمرو بن حماد قال : حدثنا أسباط عن السدي ... فذكره .

وإسناده حسن : أسباط بن نصر صدوق ، لكنه كثير الخطأ يغرب ، وشيخه السدي صدوق ، لكن عابوا عليه التشيع ، وهي علة غير قادحة ، وأما الراوي عن أسباط وهو عمرو بن حماد القناد ، فروى =

---

[١] - في ز : « فكانت » .
[٢] - في ز : « ذميمة » .
[٣] - في ز : « قص » .
[٤] - في ز ، خ : « معه » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « بمكة » .
[٦] - في ز : « فأكلها » .

وقال ابن أبي حاتم(٣١٥) : حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، أخبرني ابن خثيم ، قال : أقبلت مع سعيد بن جبير ، فحدثني عن ابن عباس قال : نهىٰ أن تنكح المرأة أخاها توأمها ، [وأمر أن ينكحها][١] غيره من إخوتها ، وكان يولد له في كل [بطن رجل][٢] وامرأة [فبينما هم][٣] كذلك، ولد له امرأة وضيئة ، وولد له أخرىٰ قبيحة دميمة[٤] ، فقال أخو الدميمة[٥] : أنكحني أختك، وأنكحك أختي . فقال[٦] : لا ، أنا أحق بأختي . فقربا قربانًا، فتقبل من صاحب الكبش ، ولم يتقبل من صاحب الزرع ، فقتله . إسناد جيد .

وحدثنا أبي ، حدثنا أبو سلمة ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، وقوله[٧] : ﴿ إذ قربا قربانًا ﴾ فقربا قربانهما فجاء صاحب الغنم بكبش أعين أقرن أبيض ، وصاحب الحرث بصبرة من طعامه[٨] ، فقبل الله الكبش فخزنه في الجنة أربعين خريفًا ، وهو الكبش[٩] الذي ذبحه إبراهيم عليه السلام . إسناد جيد(٣١٦) .

وقال ابن جرير(٣١٧) : حدثنا ابن بشار ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا عوف ، عن أبي

= له البخاري في الأدب ، ومسلم في صحيحه وأصحاب السنن . قال الحافظ في التقريب : صدوق رمي بالرفض .

والأثر ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٨٣/٢) عن ابن مسعود عن ناس من الصحابة وعزاه لابن جرير وحده .

(٣١٥) - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٨٣/٢) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن عساكر وجود إسناده .

(٣١٦) - إسناده صحيح ، وأبو سلمة هو موسى بن إسماعيل التبوذكي ، ثقة ثبت روى له الجماعة ، وابن خثيم روى له البخاري تعليقا ومسلم وأصحاب السنن .

(٣١٧) - رواه ابن جرير في تفسيره (٢٠٢/١٠، ٢٠٣) (١١٧٠٥) ثم أعاده مرة أخرى في (٢١٣/١٠) (١١٧٢٧) بإسناده مقتصرًا على قوله : « أيم الله إن كان المقتول ...»

وأبو المغيرة القواس ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٩/ الترجمة ٢٢٠٣) وقال : سئل =

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « وإن نكحها » .
[٢] - ما بين المعكوفتين مكانها بياض في ز.
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « فبينهما » .
[٤] - في ز : « ذميمة » .
[٥] - في ز : « الذميمة » .
[٦] - في ز : « قال » .
[٧] - في ز ، خ : « قوله » .
[٨] - في ز : « طعام » .
[٩] - سقط من : خ .

المغيرة ، عن عبد اللَّه بن عمرو[١] ، قال : إن ابني آدم اللذين قربّا قربانا فتقبل من أحدهما ، ولم يتقبل من الآخر ؛ كان أحدهما صاحب حرث ، والآخر صاحب غنم ، وأنهما[٢] أمرا أن يقربا قربانًا ، وإنّ صاحب الغنم قرب أكرم غنمه وأسمنها وأحسنها ، طيبة بها نفسه ، وإن صاحب الحرث قرب أشر حرثه الكردن[٣] والزوان ، غير طيبة بها نفسه ، وإن اللَّه -عز وجل- تقبل قربان صاحب الغنم ، ولم يتقبل قربان[٤] صاحب الحرث ، وكان من قصتهما ما قص اللَّه في كتابه ، قال : وايم اللَّه ، إن كان المقتول لأشدّ الرجلين ، ولكن منعه التحرّج أن يبسط يده[٥] إلىٰ أخيه .

وقال إسماعيل بن رافع المدني القاص : بلغني أن ابني آدم لما أمرا بالقربان كان أحدهما صاحب غنم ، وكان أنتج له حمل في غنمه ، فأحبه حتىٰ كان يؤثره بالليل ، وكان يحمله علىٰ ظهره من حبه ، حتىٰ لم يكن له مال أحب إليه منه ، فلما أمر بالقربان قرّبه للَّه - عز وجل - فقبله اللَّه منه ، فما زال يرتع في الجنة ، حتىٰ فدي به ابن[٦] إبراهيم - عليه السلام - . رواه ابن جرير(٣١٨) .

وقال ابن أبي حاتم(٣١٩) : حدثنا أبي ، حدثنا الأنصاري ، حدثنا القاسم بن عبد الرحمن ، حدثنا محمد بن علي بن الحسين ، قال : قال آدم - عليه السلام - لهابيل وقابيل : إن ربي عهد

=أبي زرعة عن اسم أبي المغيرة القواس فقال : لا أعلم أحدًا يسميه . ضعفه سليمان التيمي ، ووثقه يحيى ابن معين . وذكره ابن حبان في الثقات (٥٦٥/٥) وبقية رجاله ثقات . وانظر ميزان الاعتدال (٢٥٠/٦) .
والأثر ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٨٤/٢) ولم يعزه لغير ابن جرير .

(٣١٨) - رواه في تفسيره (٢٠٢/١٠) (١١ ٤٠٧) (١١٧٠٤) قال : حدثنى المثنى بن إبراهيم قال : حدثنا إسحاق قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن هشام بن سعد عن إسماعيل بن رافع به .
وإسماعيل بن رافع هو ابن رافع بن عويمر الأنصارى قال الحافظ فى التقريب : ضعيف الحفظ مات فى حدود الخمسين أى بعد المائة والراوى عنه هو هشام بن سعد المدنى قال ابن معين : ليس بذاك القوى ، وفى رواية : ليس بشيء كان يحيى بن سعيد لا يحدث عنه ، وضعفه فى رواية الدورى . وضعفه النسائى أيضًا وروى أبو طالب عن أحمد قال: ليس هو محكم الحديث لكن قال العجلى: جائز الحديث ، حسن الحديث ، وقال أبو زرعة : شيخ محله الصدق .
قلت : فمثل هذا لا يصلح إلا للمتابعات والشواهد وأمّا تفرداته فضعيفة ولاشك . والله أعلم .

(٣١٩) - إسناده ضعيف ، الأنصارى هو محمد بن عبد الله بن المثنى ثقة لكن شيخه فى هذا الحديث هو القاسم بن عبد الرحمن الأنصارى ترجم له ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل (١١٢/٧-١١٣) ونقل=

[١] - في ز ، خ : « عمر » .
[٢] - في ز : « وإنما » .
[٣] - في ت : « الكودن » .
[٤] - سقط من : ت .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - سقط من : ز ، خ .

إليّ أنه كائن من ذريتي من يقرب القربان ، فقرِّبا قربانا ، حتىٰ تقر عيني إذا تقبل قربانكما . فقرَّبا ، وكان هابيل صاحب غنم ، فقرب أكولة غنمه[١] خير ماله ، وكان قابيل صاحب زرع فقرب مشاقة[٢] من زرعه ، فانطلق آدم معهما ، ومعهما قربانهما ، فصعدا الجبل ، فوضعا قربانهما ، ثم جلسوا ثلاثتهم : آدم وهما ، ينظران إلىٰ القربان ، فبعث اللّٰه نارًا حتىٰ إذا كانت فوقهما ؛ دنا منها عنق فاحتمل قربان هابيل ، وترك قربان قابيل ، فانصرفوا وعلم آدم أن قابيل مسخوط عليه ، فقال : ويلك يا قابيل ، ردّ عليك قربانك !! فقال قابيل : أحببته ، فصليت علىٰ قربانه ، ودعوت له ، فتقبل قربانه ، ورد علي قرباني . فقال[٣] قابيل لهابيل : لأقتلنك وأستريح[٤] منك ، دعا لك أبوك ، فصلَّىٰ علىٰ قربانك ، فتقبل منك . وكان يتواعده بالقتل ، إلىٰ أن احتبس هابيل ذات عشية في غنمه ، فقال آدم : يا قابيل ، أين أخوك ؟ قال : [ ][٥] وبعثتني[٦] له راعيًا لا أدري . فقال آدم : ويلك يا قابيل ، انطلق فاطلب أخاك . فقال قابيل في نفسه : الليلة أقتله . وأخذ معه حديدة ، فاستقبله وهو منقلب ، فقال : يا هابيل تقبل قربانك ورد علي قرباني لأقتلنك . فقال هابيل : قربت أطيب مالي ، وقربت أنت أخبث مالك ، وإن اللّٰه لا يقبل إلا الطيب ، إنما يتقبل اللّٰه من المتقين . فلما قالها غضب قابيل[٧] فرفع الحديدة وضربه[٨] بها ، فقال : ويلك يا قابيل ، أين أنت من اللّٰه كيف يجزيك بعملك ؟ فقتله فطرحه في جوبة(*) من الأرض ، وحثىٰ عليه شيئًا من التراب[٩] .

وروىٰ[١٠] محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول : أن آدم أمر ابنه قينًا أن ينكح أخته توأمة هابيل ، وأمر هابيل أن ينكح أخته توأمة قين ، فسلم لذلك هابيل ورضي ، وأبىٰ ذلك قين[١١] ، وكره تكرما عن أخت هابيل ، ورغب بأخته عن هابيل ، وقال[١٢] :

= عن ابن معين قوله : ليس بشيء ، وعن أبى حاتم أنه قال :ضعيف الحديث مضطرب الحديث حدثنا عنه الأنصارى بحديثين باطلين أحدهما وفاة آدم صلى الله عليه وسلم والآخر عن أبى حازم . وقال : سألت أبا زرعة عن القاسم بن عبد الرحمن الذى يروى عنه الأنصارى فقال : منكر الحديث . وقد ترجم له الذهبى فى الميزان فى موضعين : (٤/الترجمة٦٧٢٠ ، ٦٧٢٢) .

(*) - الجوبة : الحفرة ، والمكان الوطيء في جلدٍ ، وفجوة ما بين البيوت ، أو فضاء أملس بين أرضين . القاموس (٨٩) .

[١] - في خ : « غنم » .
[٢] - في ز : « مساقة » .
[٣] - في ز : « وقال » .
[٤] - في ز : « فأستريح » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « قال » .
[٦] - غير معجمة في : « ز » .
[٧] - في ز : « فأقبل » .
[٨] - في ز : « فضربه » .
[٩] - في ز : « تراب » .
[١٠] - في ز : « وقال » .
[١١] - في ز : « قينن » .
[١٢] - سقط من : ز .

نحن من[١] ولادة الجنة ، وهما من ولادة[٢] الأرض ، وأنا أحق بأختي . ويقول بعض أهل العلم بالكتاب الأول : كانت أخت قين من أحسن الناس ، فضن[٣] بها علىٰ[٤] أخيه ، وأرادها لنفسه ، والله أعلم أي ذلك كان ، فقال له أبوه : يا بني ، [إنها لا تحل لك . فأبىٰ قابيل أن يقبل ذلك من قول أبيه ، قال له أبوه : يا بني][٥] ، قرب قربانًا ويقرب أخوك هابيل قربانًا فأيكما تُقُبل قربانه ، فهو أحق بها . وكان قين علىٰ بذر الأرض ، وكان هابيل علىٰ رعاية الماشية ، فقرب قين قمحًا ، وقرب هابيل أبكارًا من أبكار غنمه ، وبعضهم يقول : قرب بقرة ، فأرسل الله نارًا بيضاء ، فأكلت قربان هابيل ، وتركت قربان قين ، وبذلك كان يقبل القربان إذا قبله . رواه ابن جرير(٣٢٠) .

وروىٰ[٦] العوفي عن ابن عباس قال : كان[٧] من شأنهما أنه لم يكن مسكين يتصدق عليه ، وإنما كان القربان يقربه الرجل ، فبينا ابنا آدم قاعدان ، إذ قالا : لو قربنا قربانًا . وكان الرجل إذا قرب قربانًا ، فرضيه الله أرسل إليه نارًا فتأكله ، وإنْ لم يكن رضيه الله خبت النار ، فقربا قربانًا وكان أحدهما راعيًا وكان الآخر حراثًا ، وإن صاحب الغنم قرب خير غنمه وأسمنها ، وقرب الآخر بعض زرعه ، فجاءت النار فنزلت بينهما فأكلت الشاة وتركت الزرع ، وإن ابن آدم قال لأخيه : أتمشي في الناس وقد علموا أنك قربت قربانًا فتقبل منك وردّ علي ، فلا والله لا ينظر الناس إليك[٨] وإليّ وأنت خير مني . فقال : لأقتلنك . فقال له أخوه : ما ذنبي ؟ إنما يتقبل الله من المتقين . رواه ابن جرير(٣٢١) .

فهذا الأثر يقتضي أن تقريب القربان كان لا عن سبب ، ولا عن تدارئ[٩] في امرأة ، كما تقدم عن جماعة ممن[١٠] تقدم ذكرهم ، وهو ظاهر القرآن ﴿ **إذ قربا قربانًا فتقبل من أحدهما**

---

(٣٢٠) - رواه ابن جرير في تفسيره (١٠ /٢٠٥) (١١٧١٤) بسنده إلى ابن إسحاق.

(٣٢١) - رواه ابن جرير في تفسيره (١٠/ ٢٠٣) (١١٧٠٦) ، وأعاده مرة أخرى في (١٠/٢٢٢) (١١٧٥٠) مقتصرًا على آخره عن ابن عباس قال : لما أكلت النار قربان ابن آدم الذى تقبل قربانه ، قال الآخر لأخيه . أتمشى فى الناس وقد علموا أنك قربت إلخ . والأثر : ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٢/ ٤٨٤) ولم يعزه لغير ابن جرير .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « ولاد » .
[٣] - في ز : « فظن » .
[٤] - في ز : « عن » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز : « وقال » .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - سقط من : خ .
[٩] - في ز : « تدارء » .
[١٠] - في ز : « من » .

ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل اللَّه من المتقين ﴾ فالسياق يقتضي أنه إنما غضب عليه وحسده[١] لقبول[٢] قربانه دونه .

ثم المشهور عند الجمهور أن الذي قرب الشاة هو هابيل ، وأن الذي قرب الطعام هو قابيل ، وأنه تقبل من هابيل شاته - حتىٰ قال ابن عباس وغيره : إنها الكبش الذي فدي به الذبيح ، وهو مناسب ، واللَّه أعلم [ ][٣] - [ولم يتقبل من قابيل][٤] .

كذلك نص عليه غير واحد من السلف والخلف ، وهو المشهور عن مجاهد أيضًا ، ولكن روىٰ ابن جرير عنه أنه قال : الذي قرب الزرع قابيل ، وهو المتقبل منه ، وهذا خلاف المشهور ، ولعله لم يحفظ عنه جيدًا ، واللَّه أعلم .

ومعنىٰ[٥] قوله : ﴿ **إنما يتقبل اللَّه من المتقين** ﴾ أي : ممن اتقىٰ اللَّه في فعله ذلك .

وقال ابن أبي حاتم (٣٢٢) : حدثنا أبي ، حدثنا إبراهيم بن العلاء بن زبريق[٦] ، حدثنا إسماعيل ابن عياش ، حدثني صفوان بن عمرو ، عن تميم - يعني ابن مالك المقري[٧] - قال : سمعت أبا الدرداء يقول : [لأن أستيقن أن اللَّه قد تقبل لي صلاة واحدة أحب إلي من الدنيا وما فيها ، إن اللَّه يقول][٨] : ﴿ **إنما يتقبل اللَّه من المتقين** ﴾ .

وحدثنا أبي (٣٢٣) : حدثنا عبد اللَّه بن عمران ، حدثنا إسحاق بن سليمان - يعني الرازي -

(٣٢٢) - **إسناده حسن** : إبراهيم بن العلاء بن زبريق ، روى ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (م/ الترجمة٣٧٠) عن أبيه أنه سئل عن إبراهيم بن العلاء فقال : صدوق .

قلت : هذا من رسم أبي حاتم في ثقات شيوخه وإسماعيل بن عياش روايته عن الشاميين مقبولة وهذا منها فإن صفوان بن عمرو هو السكسكي الحمصي . قال الحافظ في التقريب : ثقة .

وشيخ صفوان تميم بن مالك ذكره البخاري في التاريخ الكبير (٢/١٥٥) ، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢/٤٤٤) ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلًا ، وذكره ابن حبان في الثقات (٨/١٥٦) على طريقته في توثيق المجاهيل ، لكن هذا من التابعين والجرح فيهم قليل فروايته مقبولة خصوصًا في مثل معنى كلام أبي الدرداء هذا .

والأثر ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/٤٨٤) ولم يعزه لغير ابن أبي حاتم .

(٣٢٣) - **إسناده ضعيف** : عبد اللَّه بن عمران هو الأصبهاني . روى عنه أبو حاتم الرازي ومحمد =

[١] - في ز : « حده » .
[٢] - في خ : « لقبوله » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « كذلك » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - في ز : « ومنه » .
[٦] - في ز ، خ : « زبر » .
[٧] - في ز : « المقراى » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

عن المغيرة بن مسلم ، عن ميمون بن أبي حمزة ، قال : كنت جالسًا عند أبي وائل فدخل علينا رجل ، يقال له : أبو عفيف من أصحاب معاذ ، فقال له [شقيق بن سلمة][1] : يا أبا عفيف ، ألا تحدثنا عن معاذ بن جبل . قال : بلىٰ ، سمعته يقول : يحبس الناس في بقيع واحد ، فينادي مناد أين المتقون ؟ فيقومون في كنف من الرحمن ، لا يحتجب اللّٰه منهم ، ولا يستتر . قلت : من المتقون ؟ قال : قوم اتقوا الشرك ، وعبادة الأوثان وأخلصوا العبادة ، فيمرون إلىٰ الجنة .

وقوله : ﴿ **لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف اللّٰه رب العالمين** ﴾ يقول له أخوه الرجل الصالح الذي تقبل اللّٰه قربانه لتقواه ، حين تواعده أخوه بالقتل علىٰ غير ما ذنب منه إليه : ﴿ **لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك** ﴾ أي : لا أقابلك علي صنيعك الفاسد بمثله ، فأكون أنا وأنت سواء في الخطيئة ﴿ **إني أخاف اللّٰه رب العالمين** ﴾ أي : من أن أصنع كما تريد أن تصنع ، بل أصبر وأحتسب .

قال عبد اللّٰه بن عمرو(٣٢٤) : وايم اللّٰه ، إن كان لأشد الرجلين ، ولكن منعه التحرج . يعني : الورع .

ولهذا ثبت في الصحيحين(٣٢٥) عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أنه قال : « **إذا تواجه المسلمان بسيفيهما ، فالقاتل والمقتول في النار** » . قالوا يا رسول اللّٰه ، هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال : « **إنه كان حريصًا علىٰ قتل صاحبه** » .

=ابن أيوب روى عن أبي داود الطيالسي ، وبهز بن أسد وغيرهما . قال أبو حاتم الرازي : صدوق . وهذا من رسمه في شيوخه الثقات كما سبق . وإسحاق بن سليمان الرازي روى له الجماعة ، ثقة فاضل . والمغيرة هو المغيرة بن مسلم القسملي السراج . قال الحافظ في التقريب : صدوق .لكن شيخه ميمون أبو حمزة هو أبو حمزة القصاب التمار قال أحمد : متروك الحديث ، وقال الدارقطنى : ضعيف وقال البخارى : ليس بالقوى عندهم . وقال النسائى : ليس بثقة وقال أبو حاتم . يكتب حديثه . انظر ميزان الاعتدال (٥/ ٣٥٩) وضعفه الحافظ ابن حجر فى التقريب أيضًا وأبو عفيف صاحب معاذ لم أقف على ترجمته .

(٣٢٤) - تقدم مطولًا رقم (٣٢٨) .

(٣٢٥) - رواه البخارى فى صحيحه كتاب الفتن ، باب : إذا التقى المسلمان بسيفيهما ، الحديث (٧٠٨٣) ، ومسلم في الفتن باب : إذا تواجه المسلمان بسيفيهما ، الحديث (٢٨٨٨ - ١٤) من حديث أبي بكرة باللفظ المذكور وفيه قصة ورواه البخارى فى الإيمان ، باب : ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾ الحديث (٣١) ، وفى كتاب الديات ، باب : ﴿ومن أحياها﴾ الحديث (٦٨٧٥) ، ومسلم فى الفتن باب : إذا تواجه المسلمان بسيفيهما الحديث (٢٨٨٨-١٥) بلفظ : « إذا التقى المسلمان بسيفيهما » ورواه مسلم (٢٨٨٨-١٦) من طريق ربعي بن حراش عن أبى بكرة عن النبى =

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « سفيان بن سلمة » .

وقال الإمام أحمد(٣٢٦) : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا ليث بن سعد ، عن عياش [بن عباس ، عن بكير بن عبد الله ، عن][١] بُشر بن سعيد : أن سعد بن أبي وقاص قال عند فتنة عثمان : أشهد أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **إنها ستكون فتنة ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشي ، والماشي خير من الساعي** » . قال : أفرأيت إن دخل عليَّ بيتي ، فبسط يده إليَّ ليقتلني ؟ فقال[٢] : « **كن كابن آدم** » .

وكذا رواه الترمذي عن قتيبة بن سعيد ، وقال : هذا حديث حسن ، وفي الباب عن أبي هريرة وخباب بن الأرت[٣] وأبي بكر وابن مسعود وأبي واقد وأبي موسىٰ وخرشة . ورواه بعضهم عن الليث بن سعد ، وزاد في الإسناد رجلًا[٤] .

قال الحافظ ابن عساكر : الرجل هو[٥] حسين الأشجعي .

= صلى الله عليه وسلم قال : « إذا المسلمان حمل أحدهما على أخيه السلاح فهما على جرف جهنم فإذا قتل أحدهما صاحبه دخلاها جميعًا » .

(٣٢٦) - رواه أحمدفي مسنده (١٨٥/١) بالإسناد المذكور وكذا رواه الترمذى فى سننه كتاب الفتن ، باب : ما جاء تكون فتنة ، القاعد فيها خير من القائم ، الحديث (٢١٩٤) قال : حدثنا قتيبة ... فذكره ، وإسناده صحيح على شرط مسلم كما قال الألبانى فى الإرواء (١٠٤/٨) ورواه أبو داود فى سننه كتاب الفتن والملاحم ، باب : فى النهى عن السعى فى الفتنة الحديث (٤٢٥٧) قال : حدثنا يزيد بن خالد الرملى ثنا مفضل عن عياش عن بكير عن بُشر عن حسين بن عبد الرحمن الأشجعى أنه سمع سعد بن أبى وقاص به فزاد فى إسناده « حسين بن عبد الرحمن الأشجعى » وقد انقلب الاسم على ابن لهيعة فقال : حدثنا بكير بن الأشج أنه سمع عبد الرحمن بن حسين يحدث أنه سمع سعد بن أبى وقاص ... فذكر الحديث ، رواه أحمد فى المسند (١٦٨/١) والحسين بن عبد الرحمن ذكره ابن حبان فى الثقات وقال الحافظ فى التقريب : مقبول والحديث صححه العلامة أحمد شاكر فى تعليقه على المسند (٢٩/٣) من الطريقين فقال : وبُشر بن سعيد تابعى ثقة ، ثبت سماعه من سعد وكان يجالسه . كما فى التاريخ الكبير(١٢٤/١٢٣/٢/١) فالظاهر عندى أن الإسنادين صحيحان وأن عبد الرحمن بن حسين وبُشر بن سعيد سمعاه من سعد - وسمعه منهما بكير بن الأشج ويحتمل أن يكون فى رواية أبى داود شىء من الوهم - ويكون صوابها « عن بكير عن بسر بن سعيد وحسين بن عبد الرحمن » اهـ . وعلى فرض ألّا يرتقى هذا الإسناد الى درجة الصحة فإن له شواهد تصححه من حديث - أبى موسى ، وأبى ذر وغيرهما انظر تخريجها فى الإرواء للعلامة الألبانى - حفظه الله (٢٤٥١) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « بن بكير بن بشر » ، خ : « بن بكير بن بسر » .
[٢] - في ز : « قال » .
[٣] - في ز : « الأرث » .
[٤] - في ز : « رجلان » .
[٥] - سقط من : ز .

قلت[١] : وقد رواه أبو داود من طريقه فقال(٣٢٧) : حدثنا يزيد بن خالد الرملي ، حدثنا المفضل ، عن عياش بن عباس ، عن بكير ، عن بُشر[٢] بن سعيد ، عن حسين[٣] بن عبد الرحمن الأشجعي : أنه سمع سعد بن أبي وقاص عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم في هذا الحديث ، قال : فقلت : يا رسول اللَّه ، أرأيت إن دخل بيتي ، وبسط يده ليقتلني ؟ قال : فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **كن كابن آدم** » وتلا يزيد[٤] ﴿ **لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف اللَّه رب العالمين** ﴾ .

قال أيوب السختياني : إن أول من أخذ بهذه الآية من هذه الأمة ﴿ **لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف اللَّه رب العالمين** ﴾ لعثمان بن عفان - رضي اللَّه عنه - . رواه ابن أبي حاتم .

وقال الإمام أحمد(٣٢٨) : حدثنا [ ][٥] مرحوم ، حدثني أبو عمران الجوني ، عن عبد اللَّه بن الصامت ، عن أبي ذر ، قال : ركب النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم حمارًا وأردفني خلفه وقال : « **يا أبا ذر ، أرأيت إن أصاب الناس جوع شديد ، لا تستطيع[٦] أن تقوم[٧] من فراشك إلىٰ مسجدك كيف تصنع ؟** » قال : اللَّه ورسوله أعلم . [قال : « **تعفف** » . قال : « **يا أبا ذر ، أرأيت إن أصاب الناس موت شديد ، يكون البيت فيه بالعبد - يعني القبر - كيف تصنع ؟** » قلت : اللَّه ورسوله أعلم][٨] . قال : « **اصبر** » . قال : « **يا أبا ذر ، أرأيت إن**

(٣٢٧) - سنن أبي داود كتاب الفتن ، باب ؛ فى النهى عن السعى فى الفتنة ، الحديث (٤٢٥٧) ، وانظر السابق .

(٣٢٨) - رواه فى مسنده (١٤٩/٥) ، رواه أيضًا في (٥/ ١٦٣) من طريق عبد العزيز بن عبد الصمد العمى ثنا أبو عمران الجونى به ، وزاد فى أوله : « يا أبا ذر ، صل الصلاة لوقتها ، وان جئت وقد صلى الإمام كنت قد أحرزت صلاتك قبل ذلك وإن جئت ولم يصل صليت معه وكانت صلاتك لك نافلة وكنت قد أحرزت صلاتك . يا أبا ذر ! أرأيت إِن الناس جاعوا حتى لا تبلغ مسجدك من الجهد ... » فذكر الحديث بنحوه وإسناده صحيح رجاله ثقات ، ورواه أبو داود فى الفتن والملاحم ، باب فى النهى عن السعى فى الفتنة حديث (٤٢٦١) وابن ماجه كتاب الفتن ، باب التثبت فى الفتنة حديث (٣٩٥٨) والمزى فى تهذيب الكمال (٢٨/٩-١٠) من طريق حماد بن زيد عن أبي عمران الجونى عن المشعث=

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في ز : « بشر » .
[٣] - في ز : « سعيد » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ت : « ابن » .
[٦] - في ز : « يستطيع » .
[٧] - في ز : « يقوم » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

قتل الناس بعضهم بعضا - يعني حتىٰ تغرق حجارة الزيت، من الدماء - كيف تصنع ؟ » . قال : اللّٰه ورسوله أعلم . قال : « **اقعد في بيتك وأغلق عليك بابك** » . قال : فإن لم أترك ؟ قال : « **فأت من أنت منهم فكن منهم** » . قال : فآخذ سلاحي ؟ قال : « **فإذًا[١] تشاركهم فيما هم فيه ، ولكن إذا[٢] خشيت أن يروعك[٣] شعاع السيف ، فألق طرف ردائك علىٰ وجهك كي[٤] يبوء بإثمه وإثمك** » .

ورواه مسلم وأهل السنن سوىٰ النسائي من طرق ، عن أبي عمران الجوني ، عن عبد اللّٰه بن الصامت به . ورواه أبو داود وابن ماجة من طريق حماد بن زيد ، عن أبي عمران ، عن المشعث[٥] بن طريف ، عن عبد اللّٰه بن الصامت ، عن أبي ذر بنحوه .

قال أبو داود : ولم يذكر المشعث[٦] في هذا الحديث غير حماد بن زيد .

وقال ابن مردويه(٣٢٩) : حدثنا محمد بن علي بن دحيم ، حدثنا أحمد بن حازم ، حدثنا قبيصة بن عقبة ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن ربعي ، قال : كنا في جنازة حذيفة ، فسمعت رجلًا يقول : [سمعت هذا يقول][٧] في ناس مما سمعت من رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه

= ابن طريف عن عبد الله بن الصامت ... فذكر الحديث ، واختصره أبو داود في كتاب الحدود ، باب : فى قطع النباش ، حديث (٤٤٠٩) بإسناده والمشعث بن طريف لم يروعنه إلا أبو عمران الجونى لكن ذكره ابن حبان فى الثقات (٥٢٤/٧) وقال صالح بن محمد الأسدى الحافظ : كان قاضى هراة ولا يعرف بخراسان قاض أقدم منه إلا يحيى بن يعمر ومشعث جليل لا يعرف فى قضاة خراسان أجل منه .

والجزء الأول المتعلق بتأخير الصلاة الذى رواه أحمد فى مسنده من الطريق الثانى رواه مسلم فى صحيحه كتاب المساجد ، باب كراهية تأخير الصلاة عن وقتها المختار ، وما يفعله المأموم إذا أخرها الإمام حديث (٦٤٨) وأبو داود فى الصلاة باب : إذا أخر الإمام الصلاة عن وقتها ، حديث (٤٣١) ، والترمذى فى أبواب الصلاة ، باب ما جاء فى تعجيل الصلاة إذا أخرها الإمام ، الحديث (١٧٦) ، والنسائى كتاب الإمامة ، باب الصلاة مع أئمة الجور (٢/ ٧٥) ، وفى باب إعادة الصلاة بعد ذهاب وقتها مع الجماعة (٢/ ١١٣) وابن خزيمة رقم (١٦٣٧) ، (١٦٣٩) من طرق عن عبد الله بن الصامت ، به .

(٣٢٩) - إسناده رجاله ثقات ؛ محمد بن على بن دحيم أبو جعفر ثقة ترجمته فى سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٦ -٣٧) وشيخه أحمد بن خازم الإمام الحافظ المعروف بابن أبى غرزة ترجمته فى السير أيضًا =

[١] - في ز : « إذًا » .
[٢] - في ز : « إن » .
[٣] - في ز : « يردعك » .
[٤] - غير واضحة في ز .
[٥] - في ز ، خ : « الشعث » .
[٦] - في ز ، خ : « الشعث » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

عليه وسلم : « **لئن اقتتلتم لأنظرن إلىٰ أقصىٰ بيت في داري فَلأَلِجَنَّه ، فلئن دخل علي [فلان لأقولن]**[١] **: ها بؤ بإثمي وإثمك ، فأكون كخير ابني آدم** » .

وقوله : ﴿ **إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين** ﴾ . قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة والسدي في قوله : ﴿ **إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك** ﴾ أي : بإثم قتلي ، وإثمك الذي عليك قبل ذلك . قاله ابن جرير(٣٣٠) .

وقال آخرون : يعني بذلك إني أريد أن تبوء بخطيئتي فتتحمل وزرها ، وإثمك في قتلك إياي . وهذا قول وجدته عن مجاهد وأخشىٰ أن يكون غلطًا ؛ لأن الصحيح من الرواية عنه خلافه . يعني ما رواه سفيان الثوري ، عن منصور ، عن مجاهد ﴿ **إني أريد أن تبوء بإثمي** ﴾ [قال : بقتلك إياي][٢] ، ﴿ **وإثمك** ﴾ قال : بما كان منك قبل ذلك .

وكذا روى[٣] عيسىٰ بن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله(٣٣١) . وروىٰ شبل ، عن ابن أبي نجيح[٤] ، عن مجاهد ﴿ **إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك** ﴾ يقول : إني أريد أن يكون عليك خطيئتي ودمي . فتبوء[٥] بهما جميعًا(٣٣٢) .

= (٢٣٩/١٣) ، وبقية رجاله ثقات أيضًا . والأثر ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٢/ ٤٨٦) ولم يعزه لغير ابن مردويه .

(٣٣٠) - تفسير الطبرى (١٠/ ٢١٥-٢١٦) ، وانظر الدر المنثور (٢/ ٤٨٥-٤٨٦) .

(٣٣١) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١٠/ ٢١٥-٢١٦) (١١٧٣٤) قال : حدثنى الحارث حدثنا عبد العزيز عن سفيان عن منصور به . ورواه فى (١٠/ ٢١٥)(١١٧٣٣) من طريق أبى عاصم قال : حدثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد به وإسنادهما صحيح وعيسى هو ابن ميمون الجرشي ، قال الحافظ فى التقريب : « ثقة » وقد رواه شبل بن عباد المكى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد باللفظ الذى ذكره المصنف بعد هذا مباشرة وصوب ابن جرير الرواية الأولى عن مجاهد فلعل الوهم يكون من الراوى عن شبل بن عباد على ما سيأتى فى الذى بعد هذا .

(٣٣٢) - رواه ابن جرير فى تفسيره (٢١٦/١٠) (١١٧٣٦) قال : حدثنى المثنى قال : حدثنا أبو حذيفة قال : حدثنا شبل عن ابن أبى نجيح به . وأبو حذيفة هو موسى بن مسعود النهدى قال الحافظ فى « التقريب » : صدوق سيئ الحفظ وكان يصحف حديثه عن البخارى فى المتابعات » قلت : ومع ذلك فقد خالفه عيسى بن ميمون فرواه عن ابن أبى نجيح عن مجاهد على النحو السابق ، وتابعه سفيان فرواه عن منصور عن مجاهد مثل رواية عيسى.والله أعلم وانظر السابق .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « فلأقولن » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ .
[٣] - في ت : « رواه » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « فبؤ » .

(قلت) : وقد يتوهم كثير من الناس هذا القول ، ويذكرون في ذلك حديثًا لا أصل له : « **ما ترك القاتل علىٰ المقتول من ذنب** »(٣٣٣) . وقد روىٰ الحافظ أبو بكر البزار حديثًا يشبه هذا ، ولكن ليس به ، فقال :

حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا عامر بن إبراهيم الأصبهاني ، حدثنا يعقوب بن عبد اللّٰه ، حدثنا عتبة بن سعيد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **قتل الصبر لا يمر بذنب إلا محاه** »(٣٣٤) .

وهذا بهذا لا يصح ، ولو صح فمعناه : أن اللّٰه يكفر عن المقتول بألم القتل ذنوبه ، فأما أن يتحمل[١] علىٰ القاتل فلا ، ولكن قد يتفق هذا في بعض الأشخاص ، وهو الغالب ، فإن المقتول يطالب القاتل في العرصات ، فيؤخذ له من حسناته بقدر مظلمته ، فإن نفذت[٢] ولم يستوف حقه ، أخذ من سيئات المقتول فطرحت علىٰ القاتل ، فربما لا يبقىٰ علىٰ المقتول خطيئة إلا وضعت علىٰ القاتل ، وقد صح الحديث بذلك عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في المظالم كلها(٣٣٥) ، والقتل من أعظمها وأشدها ، واللّٰه أعلم .

وأما ابن جرير فقال[٣] : والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن تأويله : إني أريد أن

---

(٣٣٣) - انظر تخريجه فى «قصص الأنبياء» للمصنف - بتحقيقنا - قصة آدم .

(٣٣٤) - رواه البزار فى « مسنده » كما فى كشف الأستار (٢/٢١٤)(١٥٤٥) ، وقال البزار : لا نعلمه يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم إلا من هذا الوجه، ولا نعلم أسنده إلا يعقوب . وعزاه العجلونى فى كشف الخفاء (٢/١٦٥) لأبى نعيم والديلمى ، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (٦/٢٦٩) وقال : رواه البزار .. ورجاله ثقات . قلت : يعقوب بن عبد الله هو أبو الحسن القمى الذى يروى عن عنبسة بن سعيد بن الضريس قاضى الرى صدوق وثقه الطبرانى ، وقال النسائى : ليس به بأس ، وذكره ابن حبان فى الثقات ، لكن قال الدارقطنى : ليس بالقوى . وقد ذكره الذهبى فى كتابه « من تكلم فيه وهو موثق » وقال : صالح الحديث . والحديث له شاهد من حديث أبى هريرة رواه البزار فى مسنده كما فى كشف الأستار (١٥٤٤) بلفظ « قتل الرجل صبرًا كفارة لما قبله من الذنوب » وإسناده ضعيف جدًّا ؛ فيه متروك كما فى الزوئد (٦/٢٦٩) . لكن حديث عائشة حسنه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (٤٢٣٦) .

(٣٣٥) - ورد معنى ذلك من حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أتدرون من المفلس؟ .. الحديث رواه مسلم فى صحيحه كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم ، الحديث (٢٥٨١) والترمذى فى صفة القيامة ، باب : ما جاء فى شأن الحساب والقصاص الحديث (٢٤١٨) ، وأحمد (٢/ ٣٠٣، ٣٣٤، ٣٧١) وابن حبان (٤٤١١) ، والبيهقى (٦/٩٣) ، والبغوى (٤١٦٤) .

---

[١] - في ت : « تحمل » . [٢] - في ز : « فقدت » .

[٣] - في ز : « قال » .

تنصرف بخطيئتك في قتلك إياي ، وذلك هو معنىٰ قوله : ﴿ إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك ﴾ ، [وأمّا معنىٰ][١] « وإثمك[٢] » : فهو إثمه بغير[٣] قتله ، وذلك معصية اللّٰه عز وجل في أعمال سواه .

وإنما قلنا ذلك هو الصواب ؛ لإِجماع أهل التأويل عليه ، وأن اللّٰه عز وجل أخبرنا أن كل عامل فجزاء عمله له أو عليه ، وإذا كان هذا حكمه في خلقه ، فغير جائز أن تكون آثام المقتول مأخوذًا بها القاتل ، وإنما يؤخذ القاتل بإثمه بالقتل المحرّم ، وسائر آثام معاصيه التي ارتكبها بنفسه ، دون ما ركبه قتيله (٣٣٦) .

هذا لفظه ، ثم أورد [علىٰ هذا][٤] سؤالًا حاصله : كيف أراد هابيل أن يكون علىٰ أخيه قابيل إثم قتله وإثم نفسه ، مع أن قتله له محرّم ؟ وأجاب بما حاصله : أن هابيل أخبر عن نفسه بأنه لا يقاتل أخاه إن قاتله ، بل يكف [عنه يده][٥] ، طالبًا إن وقع قتل أن يكون من أخيه ، لا منه .

قلت : وهذا الكلام متضمن موعظة له لو اتعظ ، وزجرًا له لو انزجر ، ولهذا قال : ﴿ إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك ﴾ [أي : تتحمل إثمي وإثمك][٦] ﴿ فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ﴾ .

و[٧] قال ابن عباس : خوّفه بالنار[٨] فلم ينته ولم ينزجر .

وقوله تعالىٰ : ﴿ فطوّعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين ﴾ أي : فحسَّنت وسوّلت له نفسه ، وشجعته علىٰ قتل أخيه فقتله ، أي : بعد هذه الموعظة[٩] وهذا الزجر .

و[١٠] قد تقدم في الرواية عن أبي جعفر الباقر - وهو محمد بن علي بن الحسين - أنه قتله بحديدة في يده (٣٣٧) .

---

(٣٣٦) - تفسير ابن جرير (١٠/٢١٧) .

(٣٣٧) - تقدم رقم (٣٣٠) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « يعني » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « يده عنه » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - في ز : « النار » .
[٩] - سقط من : خ .
[١٠] - سقط من : ز .

وقال السدي : عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة عن عبد اللَّه ، وعن ناس من أصحاب النبي صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم : ﴿ **فطوّعت له نفسه قتل أخيه** ﴾ فطلبه ليقتله فراغ الغلام منه في رءوس الجبال ، فأتاه يومًا من الأيام وهو يرعىٰ غنمًا له وهو نائم ، فرفع صخرة ، فشدخ بها رأسه ، فمات ، فتركه بالعراء . رواه ابن جرير(٣٣٨) .

وعن بعض أهل الكتاب : أنه قتله خنقًا وعضًّا كما تقتل السباع . وقال ابن جرير : لما أراد أن يقتله جعل يلوي عنقه ، فأخذ إبليس دابة ، فوضع[١] رأسها علىٰ حجر ، ثم أخذ حجرًا آخر فضرب به رأسها حتىٰ قتلها وابن آدم ينظر ، ففعل بأخيه مثل ذلك . رواه ابن أبي حاتم(٣٣٩) .

وقال عبد اللَّه بن وهب : عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، قال : أخذ برأسه ليقتله ، فاضطجع له ، وجعل يغمز رأسه وعظامه ، ولا يدري كيف يقتله ، فجاءه إبليس فقال : أتريد أن تقتله ؟ قال : نعم . قال : فخذ هذه الصخرة فاطرحها علىٰ رأسه . قال : فأخذها فألقاها عليه فشدخ رأسه ، ثم جاء إبليس إلىٰ حوّاء مسرعًا ، فقال : يا حوّاء ، إن قابيل قتل هابيل . فقالت له : ويحك ، و[٢] أي شيء يكون القتل ؟ قال : لا يأكل ولا يشرب ولا يتحرّك . قالت : ذلك الموت . قال : فهو الموت . فجعلت تصيح ، حتىٰ دخل عليها آدم وهي تصيح ، فقال : ما لك ؟ فلم تكلمه ، فرجع إليها مرّتين فلم تكلمه ، فقال : عليك الصيحة ، وعلىٰ بناتك ، وأنا وابني منها برآء . رواه ابن أبي حاتم .

وقوله : ﴿ **فأصبح من الخاسرين** ﴾ أي : في الدنيا والآخرة ، وأي خسارة أعظم من هذه ، وقد قال الإمام أحمد(٣٤٠) : حدثنا أبو معاوية ووكيع ، قالا : حدثنا الأعمش ، عن عبد اللَّه بن مرة ، عن مسروق ، عن عبد اللَّه بن مسعود ، قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لا تقتل نفس ظلمًا ، إلا كان علىٰ ابن آدم الأول كفل من دمها ؛ لأنه كان أول من سنّ القتل** » .

(٣٣٨) - رواه في تفسيره (١٠/٢٢١-٢٢٢) (١١٧٤٦) ، وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٢/٤٨٧) ولم يعزه لغير ابن جرير .

(٣٣٩) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١٠/٢٢٢) (١١٧٤٨) من طريق الحجاج بن محمد المصيصى عن ابن جريج به ، ورواه أيضًا برقم (١١٧٤٧) نحوه مختصرًا وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٢/٤٨٨) باللفظ المختصر وعزاه إلى ابن أبى حاتم وابن جرير .

(٣٤٠) - صحيح ، « المسند » (١/٣٨٣) ، ورواه أحمد (١/٤٣٣) ثنا وكيع ، و (١/٤٣٠) ثنا يحيى - وهو ابن سعيد - كلاهما (وكيع ، ويحيى) عن سفيان وهو الثوري - عن الأعمش ، به . =

[١] - في ت : « ووضع » . [٢] - سقط من : ز .

وقد أخرجه الجماعة سوىٰ أبي داود من طرق عن الأعمش به .

وقال ابن جرير(٣٤١) : حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال مجاهد : علقت إحدىٰ رجلي القاتل بساقها إلىٰ فخذها من يومئذ ، [إلى يوم القيامة][١] ووجهه في الشمس حيثما دارت دار عليه في الصيف حظيرة من نار ، وعليه في الشتاء حظيرة من ثلج . قال : وقال عبد اللَّه بن عمرو : و[٢] إنا لنجد ابن آدم القاتل يقاسم أهل النار قسمة صحيحة العذاب عليه شطر عذابهم .

وقال ابن جرير(٣٤٢) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن حكيم بن حكيم ، أنه حدث عن عبد اللَّه بن عمرو ، أنه كان يقول : إنّ أشقىٰ أهل النار رجلًا ، ابنُ آدم الذي قتل أخاه ، ما سفك دم في الأرض منذ قتل أخاه إلىٰ يوم القيامة ؛ إلا لحق به منه شر ؛ وذلك أنه أول من سنّ القتل .

وقال إبراهيم النخعي : ما من مقتول يقتل ظلمًا ، إلا كان علىٰ ابن آدم الأول والشيطان كفلٌ منه . رواه ابن جرير أيضًا(٣٤٣) .

وقوله تعالىٰ : **﴿ فبعث اللَّه غرابًا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه قال يا ويلتىٰ أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين ﴾** .

= وانظر : « أطراف المسند » لابن حجر (٥٧٢٣/٤) ، ثم وجدت رواية وكيع مقرونًا به أبا معاوية ، عن الأعمش مباشرة عند ابن جرير في تفسيره (١١٧٣٨/١٠) .

(٣٤١) - رواه في تفسيره (٢١٨/١٠) (١١٧٣٧) ورواه فى (٢٠٤/١٠-٢٠٥) بنفس الإسناد وزاد فيه : « ومعه سبعة أملاك كلما ذهب ملك جاء الآخر » والأثر ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٤٨٤/٢) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٣٤٢) - رواه فى تفسيره (٢١٩/١٠) (١١٧٤١). وفى إسناده محمد بن إسحاق وهو صدوق لكنه يدلس وقد عنعن فى هذا الحديث وشيخه هو حكيم بن حكيم بن عباد بن ضيف . قال ابن سعد: كان قليل الحديث ولايحتجون بحديثه . وقال ابن حجر في « تهذيب التهذيب » قال العجلى : ثقة . وصحح له الترمذى وابن خزيمة وغيرهما . وقال ابن القطان : لا يعرف حاله . وقال فى « التقريب » : صدوق . والأثر : ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٤٨٨/٢) ولم يعزه لغير ابن جرير .

(٣٤٣) - رواه فى تفسيره (١٠/ ٢١٩) (١١٧٤٠) قال : حدثنا ابن وكيع قال : حدثنا أبى ، عن الحسن ابن صالح عن إبراهيم بن مهاجر عن إبراهيم النخعي به ، وإسناده رجاله ثقات غير سفيان بن وكيع شيخ ابن جرير تكلموا فيه بسبب وراقه فإنه أدخل فى حديثه ما ليس منه ، وقد تقدمت ترجمته .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ. [٢] - سقط من : ز .

قال السدي(٣٤٤) بإسناده المتقدم إلىٰ الصحابة -رضي الله عنهم- : لما مات الغلام، تركه بالعراء ولا يعلم كيف يدفن، فبعث الله غرابين أخوين فاقتتلا، فقتل أحدهما صاحبه، فحفر له، ثم حثىٰ عليه، فلما رآه قال : ﴿ **يا ويلتىٰ أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي** ﴾ .

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قال : جاء غراب[١] إلىٰ غراب ميت، فبحث عليه من التراب حتىٰ واراه، فقال الذي قتل أخاه : ﴿ **يا ويلتىٰ أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي** ﴾ (٣٤٥) .

وقال الضحاك، عن ابن عباس : مكث يحمل أخاه في جراب علىٰ عاتقه سنة، حتىٰ بعث الله الغرابين، فرآهما يبحثان، فقال : [﴿ **أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب** ﴾][٢] [فدفن أخاه (٣٤٦) .

وقال ليث بن أبي سليم، عن مجاهد : كان يحمله علىٰ عاتقه مائة سنة ميتًا، لا يدري ما يصنع به، يحمله ويضعه إلىٰ الأرض، حتىٰ رأىٰ الغراب يدفن الغراب، فقال : ﴿ **يا ويلتىٰ**][٣] [**أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب**][٤] **فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين** ﴾. رواه ابن جرير وابن أبي حاتم(٣٤٧) .

وقال عطية العوفي : لما قتله ندم، فضمه إليه حتىٰ أروح، وعكفت عليه الطيور والسباع،

---

(٣٤٤) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١٠/ ٢٢٥) (١١٧٥٤) وقد تقدم الكلام على إسناده انظر رقم (٣٢٥) والأثر : ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٢/٤٨٧) .

(٣٤٥) - رواه فى تفسيره (١٠/ ٢٢٦) (١١٧٥٨) . وقد تقدم الكلام على هذا الإسناد . والأثر : ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٨٩) وزاد نسبته إلى ابن أبى حاتم .

(٣٤٦) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١٠/ ٢٢٥) (١١٧٥٢) حدثنا سفيان بن وكيع قال : حدثنا يحيى بن أبى روق الهمدانى عن أبيه عن الضحاك به وسفيان بن وكيع تكلموا فيه . ويحيى بن أبى روق ترجمته فى الجرح والتعديل (٩/الترجمة ٧٤٥) قال ابن معين : ليس بثقة . والأثر : ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٢/٤٨٩) ولم يعزه لغير ابن جرير .

(٣٤٧) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١٠/ ٢٢٧) (١١٧٦٢) . وفى إسناده ليث بن أبى سليم وقد اختلط ولم يتميز حديثه فترك .

---

[١] - في ز : « الغراب » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ.

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

تنتظر متىٰ يرمي به فتأكله . رواه ابن جرير(٣٤٨) .

وروىٰ[١] محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول : لما قتله سقط في يده ، أي : ولم يدر كيف يواريه ، وذلك أنه كان - فيما يزعمون - أولَ قتيل في بني آدم ، وأول ميت . ﴿ **فبعث اللَّه غرابًا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه قال يا ويلتىٰ أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين** ﴾ قال : وزعم أهل التوراة : أن قينًا لما قتل أخاه هابيل[٢] ، قال له اللَّه -عز وجل- : يا قين[٣] ، أين أخوك هابيل[٤] ؟ قال : ما أدري ، ما كنت عليه رقيبًا . فقال اللَّه : إن صوت دم أخيك ليناديني من الأرض و[٥] الآن أنت ملعون من الأرض التي فتحتْ فاها ، فتلقتْ دم أخيك من يدك ، فإن أنت عملت في الأرض ، فإنها لاتعود تعطيك حرثها ، حتىٰ تكون فزعًا تائهًا في الأرض(٣٤٩) .

وقوله : ﴿ **فأصبح من النادمين** ﴾ قال الحسن البصري : علاه اللَّه بندامة بعد الخسران .

فهذه أقوال المفسرين في هذه القصة ، وكلهم متفقون علىٰ أن هذين ابنا آدم لصلبه ، كما هو ظاهر القرآن ، وكما نطق به الحديث في قوله : « **إلا كان علىٰ [ابن آدم][٦] الأول كفلٌ من دمها ؛ لأنه أول من سنّ القتل** »(٣٥٠) . وهذا ظاهر جلي ، و[٧] لكن قال ابن جرير :

حدثنا ابن[٨] وكيع ، حدثنا سهل بن يوسف ، عن عمرو ، عن الحسن - هو البصري - قال : كان الرجلان اللذان في القرآن ، اللذان قال اللَّه : ﴿ **واتل عليهم نبأ ابني آدم**

(٣٤٨) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١٠/ ٢٢٦) (١١٧٥٩) حدثنا ابن وكيع قال : حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن فضيل بن مرزوق عن عطية به . وإسناده ضعيف : ابن وكيع ضعفوه لأجل وراقه السوء وفضيل بن مرزوق تكلموا فيه من قبل حفظه ، وقال الحافظ فى « التقريب» : صدوق يهم . أما شيخ ابن وكيع فهو عبيد الله بن موسى العبسى الحافظ الثقة . والأثر : ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٢/ ٤٨٩) مطولاً وزاد نسبته إلى عبد بن حميد .

(٣٤٩) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١٠/ ٢٢٨) (١١٧٦٥) بسنده إلى ابن إسحاق به أطول من هذا .

(٣٥٠) - تقدم رقم (٣٥٢) .

[١] - في ز : « وقال » .

[٢] - في ز ، خ : « هابل» .

[٣] - في ز : « قينا » .

[٤] - في ز ، خ : « هابل» .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٧] - سقط من : ز .

[٨] - سقط من : ز ، خ .

بالحق ﴾ - من بني إسرائيل ، ولم يكونا ابني آدم لصلبه ، وإنما كان القربان من[١] بني إسرائيل ، وكان آدم أول من مات (٣٥١) .

وهذا غريب جدًّا ، وفي إسناده نظر .

وقد قال عبد الرزاق (٣٥٢) : عن معمر ، عن الحسن ، قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن ابني آدم - عليه السلام - ضربا لهذه الأمة[٢] مثلًا ، فخذوا بالخير منهما[٣]** » .

ورواه ابن المبارك(٣٥٣) : عن عاصم الأحول ، عن الحسن ، قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن اللَّه ضرب لكم ابني آدم مثلًا ، فخذوا من خيرهم ودعوا شرهم[٤]** » .

وكذا أرسل هذا الحديث بكر بن عبد اللَّه المزني . روىٰ ذلك كله ابن جرير .

وقال سالم بن أبي الجعد(٣٥٤) : لما قتل ابن آدم أخاه ، مكث آدم مائة سنة حزينًا لا يضحك ،

(٣٥١) - رواه فى تفسيره (١٠/ ٢٠٨) (١١٧١٩) ، وإسناده ضعيف ؛ ابن وكيع ضعيف تقدمت ترجمته ، وسهل هو ابن يوسف الأنماطى ثقة رمى بالقدر ، وشيخه هو عمرو بن عبيد المعتزلى وهو متروك الحديث عند جمهور أهل الحديث وقد رد ذلك الحسن لمخالفته للأحاديث الواردة عن النبى صلى الله عليه وسلم والتى تقول بأنه أول من سن القتل ، ولا شك أن القتل كان قبل بنى إسرائيل وانظر تفسير الطبرى(١٠/ ٢١٩-٢٢٠) .

(٣٥٢) - رواه فى تفسيره (١/ ١٨٧) ومن طريقه ابن جرير الطبرى (١٠/ ٢٣٠) (١١٧٦٨) وهو حديث مرسل ومراسيل الحسن لا يحتج بها وهاها جمع من الحفاظ ، وانظر الكلام على ذلك فى كتاب « المرسل الخفى وعلاقته بالتدليس » تأليف الشريف حاتم بن عارف العونى (١/ ٣٠٠ وما بعدها) وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٢/ ٤٨٦) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد عن الحسن قال : بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن ابنى آدم ضربا مثلًا لهذه الأمة فخذوا بالخير منهما » . ورواه ابن المبارك ومن طريقه ابن جرير (١١٧٦٩) عن عاصم عن الحسن به ، وهو مرسل أيضًا ، ورواه ابن جرير (١١٧٦٧) من طريق المعتمر بن سليمان عن أبيه قال : قلت لبكر بن عبد الله المزنى : أما بلغك أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله جل وعز ضرب لكم ابنى آدم مثلًا فخذوا خيرهما ودعوا شرهما » قال : بلى . والطرق الثلاثة مرسلة .

(٣٥٣) - تقدم فى الذى قبله .

(٣٥٤) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١٠/٢٠٩) (١١٧٢٠) حدثنا مجاهد بن موسى حدثنا يزيد بن هارون حدثنا حسام بن المصك عن عمار الدهنى عن سالم بن أبى الجعد به ، وفى إسناده حسام بن مصك =

[١] - في ز : « في » .

[٢] - في ز : « الآية » .

[٣] - في ز : « منها » .

[٤] - في ز ، خ : « الشر » .

ثم أتي فقيل له : حيَّاك اللَّه وبيَّاك . أي : أضحكك .

رواه ابن جرير ، ثم قال(٣٥٥) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا سلمة ، عن غياث بن إبراهيم ، عن أبي إسحاق الهمداني ، قال : قال علي بن أبي طالب ، لما قتل ابن آدم آخاه بكاه آدم فقال :

تغيرت البلاد ومن عليها ... فلون الأرض مغبر قبيح
تغير كل ذي لون وطعم ... وقل بشاشة الوجه المليح

فأجيب آدم عليه الصلاة والسلام :

أبا هابيل قد قتلا جميعًا ... وصار الحي كالميْت[١] الذبيح
وجاء بشرَّةٍ قد كان منها[٢] ... علىٰ خوف فجاء بها يصيح

والظاهر أن قابيل عوجل بالعقوبة ، كما ذكره [ ][٣] مجاهد بن جبر : أنه علقت ساقه بفخذه [إلىٰ يوم القيامة][٤] ، وجعل اللَّه وجهه إلىٰ الشمس حيث دارت ، عقوبة له وتنكيلا به (٣٥٦) ، وقد ورد في الحديث أن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **ما من ذنب أجدر أن يعجل اللَّه عقوبته في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة : من البغي وقطيعة الرحم** » (٣٥٧) . وقد اجتمع في[٥] فعل قابيل هذا وهذا ، فإنا للَّه وإنا إليه راجعون .

مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي

= قال أحمد : مطروح الحديث . وقال يحيى بن معين : ليس حديثه بشيء ، وقال أبو زرعة : واهي الحديث ، منكر الحديث . وقال البخارى : ليس بالقوى عندهم وقال النسائى ضعيف . ولذلك قال الحافظ فى « التقريب » : ضعيف يكاد أن يترك .

والأثر: ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٤٨٩/٢) وزاد نسبته إلى ابن عساكر .

(٣٥٥) - رواه ابن جرير فى تفسيره (٢٠٩/١٠) (١١٧٢١) وفى إسناده غياث بن إبراهيم قال ابن حبان فى المجروحين (٢/٢٠٠-٢٠١) : كان يضع الحديث على الثقات ويأتى بالمعضلات عن الأثبات، روى عن العراقيين ، لا يحل كتابة حديثه إلّا على جهة التعجب ، ولا ذكر روايته إلاّ مع أهل الصناعة للاعتبار والادكار.

(٣٥٦) - تقدم رقم (٣٥٣) .

(٣٥٧) - سياتي تخريجه فى سورة يونس / آية ٢٣ .

[١] - في ز ، خ : « بالميت » .

[٢] - في ز ، خ : « منه » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « ابن » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « يوم قتله » .

[٥] - سقط من : ز .

ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۚ
وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ
لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن
يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ
ٱلْأَرْضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَاۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا
ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْۖ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾

يقول تعالىٰ : من أجل قتل ابن آدم أخاه ظلمًا وعدوانًا ﴿ **كتبنا علىٰ بني إسرائيل** ﴾ أي : شرعنا لهم وأعلمناهم ﴿ **أنه من قتل نفسًا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعًا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا** ﴾ أي : من[١] قتل[٢] [نفسًا بغير سبب من قصاص أو فساد في الأرض ، واستحل قتلها بلا سبب ، ولا جناية - فكأنما][٣] قتل[٤] الناس جميعًا ؛ لأنه لافرق عنده بين نفس ونفس ؛ ﴿ **ومن أحياها** ﴾ أي : حرم قتلها واعتقد ذلك ، فقد سلم الناس كلهم منه بهذا الاعتبار ، ولهذا قال : ﴿ **فكأنما أحيا الناس جميعًا** ﴾ .

[وقال][٥] الأعمش وغيره ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : دخلت علىٰ عثمان يوم الدار ، فقلت : جئت لأنصرك ، وقد طاب الضرب يا أمير المؤمنين . فقال : يا أبا هريرة : أيسرك[٦] أن تقتل الناس جميعًا وإياي معهم ؟ قلت : لا . قال : فإنك إن قتلت رجلًا واحدًا ، فكأنما[٧] قتلت الناس جميعًا ، فانصرف مأذونًا لك ، مأجورًا غير مأزور . قال : فانصرفت ولم أقاتل(٣٥٨) .

(٣٥٨) - رواه ابن سعد فى الطبقات (٣/ ٥١) قال : أخبرنا أبو معاوية الضرير قال : أخبرنا الأعمش ... فذكره ، والأثر : ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٢/ ٤٩٠) ولم يعزه لغير ابن سعد .

[١] - في ز : « ومن » ، وسقط من : خ .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « قال » .
[٦] - في ز : « أبشرك » .
[٧] - في ز : « فإنما » .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : هو كما قال الله تعالىٰ : ﴿ **من قتل نفسًا بغير نفس [أو فساد في الأرض]**[١] **فكأنما قتل الناس جميعًا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا** ﴾ وإحياؤها ألا يقتل نفسًا حرمها الله ، فذلك الذي أحيا الناس جميعًا . يعني : أنه من حرم قتلها إلا[٢] بحق حيي الناس منه(٣٥٩) . وهكذا قال مجاهد : ﴿ **ومن أحياها** ﴾ أي : كف عن قتلها (٣٦٠) .

وقال العوفي ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **فكأنما قتل الناس جميعًا** ﴾ يقول : من قتل نفسًا واحدة حرمها الله ، فهو مثل من قتل الناس جميعًا(٣٦١) .

وقال سعيد بن جبير : من استحل دم مسلم ؛ فكأنما استحل دماء الناس جميعًا ، ومن حرم دم مسلم ؛ فكأنما حرم دماء[٣] الناس جميعًا .

هذا قول ، وهو الأظهر ، وقال عكرمة والعوفي عن ابن عباس : من قتل نبيًّا أو إمام عدل ، فكأنما قتل الناس جميعًا ، ومن شدّ علىٰ عضد نبي أو إمام عادل ، فكأنما أحيا الناس جميعًا . رواه ابن جرير(٣٦٢) .

وقال مجاهد في رواية أخرىٰ عنه : ﴿ **من قتل نفسًا بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعًا** ﴾ ؛ وذلك لأنه من قتل النفس فله النار ، فهو كما لو قتل الناس جميعًا[٤] .

قال ابن جريج ، عن الأعرج ، عن مجاهد في قوله : ﴿ **فكأنما قتل الناس جميعًا** ﴾ من قتل النفس المؤمنة متعمدًا ؛ جعل الله جزاءه جهنم ، وغضب [ ][٥] عليه ولعنه ، وأعدّ له عذابًا

(٣٥٩) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١٠/ ٢٣٥) (١١٧٨١) وقد تقدم الكلام على رواية على بن طلحة عن ابن عباس .

(٣٦٠) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١٠/ ٢٣٦) (١١٧٨٣) وفى إسناده سفيان بن وكيع وهو ضعيف تقدمت ترجمته .

(٣٦١) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١٠/ ٢٣٣) (١١٧٧٢) وقد تقدم الكلام على رواية العوفى عن ابن عباس .

(٣٦٢) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١٠/ ٢٣٢-٢٣٣) (١١٧٧١) من طريق عكرمة عن ابن عباس به ، ورواية العوفى عن ابن عباس سبق الكلام عليها .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - في ت : « كلهم » .

[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « الله » .

عظيمًا ، يقول : لو قتل الناس جميعًا ، لم يزد على مثل ذلك العذاب(٣٦٣) .

قال ابن جريج : قال مجاهد : ﴿ **ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا** ﴾ قال : من لم يقتل أحدًا فقد حَيِيَ الناس منه (٣٦٤) .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : من قتل نفسًا ، فكأنما قتل الناس ، يعني : فقد وجب عليه القصاص ، فلا فرق بين الواحد والجماعة ، ﴿ **ومن أحياها** ﴾ أي : عفا عن قاتل وليه ؛ فكأنما أحيا الناس جميعًا . وحكى ذلك عن أبيه . رواه ابن جرير(٣٦٥) ، وقال مجاهد في رواية : ﴿ **ومن أحياها** ﴾ أي : أنجاها من غرق أو حرق أو هلكة (٣٦٦) .

وقال الحسن وقتادة : في قوله : ﴿ **أنه من قتل نفسًا بغير نفس [أو فساد في الأرض]**[١] **فكأنما قتل الناس جميعًا** ﴾ هذا تعظيم لتعاطي القتل ، قال قتادة : عظم[٢] والله وزرها ، وعظم[٣] والله أجرها (٣٦٧) .

وقال ابن المبارك ، عن سلام بن مسكين ، عن سليمان بن علي الربعي ، قال : قلت للحسن : هذه الآية لنا يا أبا سعيد كما كانت لبني إسرائيل ؟ فقال : إي والذي لا إله غيره ، كما كانت لبني إسرائيل ، وما جعل دماء بني إسرائيل أكرم على الله من دمائنا(٣٦٨) .

(٣٦٣) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١٠/ ٢٣٥) (١١٧٧٨) ، وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٢/ ٤٩٠) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٣٦٤) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١١٧٧٨) من طريق ابن جريج عنه ولفظه : « فقد استراح الناس منه » كذا فى المطبوع من تفسير الطبرى . ورواه الطبرى فى (١٠/ ٢٣٦) (١١٧٨٥) باللفظ المذكور من طريق ابن أبى نجيح عن مجاهد .

(٣٦٥) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١٠ / ٢٣٧) (١١٧٨٧) (١١٧٨٨) .

(٣٦٦) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١٠/٢٣٨) (١١٧٩٢) وشيخه فيه سفيان بن وكيع ، وتكلموا فيه لأجل وراقه السوء . وقد تقدمت ترجمته مرارًا ، وبقية رجاله ثقات . والأثر : ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٢/٤٩١) وزاد نسبته لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٣٦٧) - رواه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (١٠/٢٣٩) (١١٧٩٧) عن الحسن .

وقول قتادة رواه عبد الرازق فى تفسيره (١/١٨٨) وابن جرير رقم (١١٧٩٨) ، (١١٧٩٩) .

(٣٦٨) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١٠/٢٣٩) (١١٨٠٠) قال : حدثنى المثنى قال : حدثنا سويد بن نصر قال : أخبرنا ابن المبارك ... فذكره ، وإسناده صحيح رجاله ثقات .

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ت : « عظيم » .

[٣] - في ت : « عظيم » .

وقال الحسن البصري : ﴿ **فكأنما قتل الناس جميعًا** ﴾ قال : وزرًا ، ﴿ **ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا** ﴾ قال : أجرًا (٣٦٩) .

وقال الإمام أحمد (٣٧٠) : [حدثنا حسن][١] ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا حيي[٢] بن عبد الله ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي ، عن عبد الله بن عمرو[٣] ، قال : جاء حمزة بن عبد المطلب إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، اجعلني علىٰ شيء أعيش به . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **يا حمزة ، نفس تحييها أحب إليك أم نفس تميتها ؟** » قال : بل نفس أحييها . قال : « **عليك بنفسك** » .

قوله[٤] تعالىٰ : ﴿ **ولقد جاءتهم رسلنا[٥] بالبينات** ﴾ أي : بالحجج والبراهين ، والدلائل الواضحة ﴿ **ثم إن كثيرًا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون** ﴾ وهذا تقريع لهم وتوبيخ علىٰ ارتكابهم المحارم بعد علمهم بها ، كما كانت بنو قريظة والنضير ، وغيرهم من بني قينقاع ، ممن حول المدينة من اليهود ، الذين كانوا يقاتلون مع الأوس والخزرج ، إذا وقعت بينهم الحروب في الجاهلية ، ثم إذا وضعت الحروب أوزارها ، فدوا من أسروه ، وودوا من قتلوه ، وقد أنكر الله عليهم ذلك في سورة البقرة حيث يقول : ﴿ **وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون * ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقًا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارىٰ تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلىٰ أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون** ﴾ .

قوله[٦] : ﴿ **إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادًا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض** ﴾ الآية . المحاربة : هي المضادة

(٣٦٩) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١٠/٢٤٠) (١١٨٠٢) ، وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٢/٤٩١) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر .

(٣٧٠) - رواه فى المسند (٢/١٧٥) ، ورواته ثقات إلاّ ابن لهيعة فإنه ضعيف ، وانظر الترغيب والترهيب (٣/٩٧) ، مجمع الزوائد (٥/٢٠٢) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٢] - في ز : « يحيى » .

[٣] - في ت : « عمر » .

[٤] - في ز : « وقوله » .

[٥] - في ز : « رسلهم » .

[٦] - في ز : « وقوله » .

والمخالفة ، وهي صادقة على الكفر ، وعلى قطع الطريق ، وإخافة السبيل ، وكذا الإفساد في الأرض يطلق على أنواع من الشر ، حتى قال كثير من السلف ، منهم سعيد بن المسيب : إن قرض[١] الدراهم والدنانير من الإفساد في الأرض ، وقد قال الله تعالى : ﴿ **وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل، والله لا يحب الفساد** ﴾ . ثم قال بعضهم : نزلت هذه الآية [ ][٢] في المشركين ، كما قال ابن جرير(٣٧١) .

حدثنا ابن حميد ، حدثنا يحيى بن واضح ، حدثنا الحسين بن واقد ، عن يزيد ، عن عكرمة ، والحسن البصري قالا : ﴿ **إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله** ﴾ إلى ﴿ **إن الله غفور رحيم** ﴾ نزلت هذه الآية في المشركين ، فمن تاب منهم من قبل أن تقدروا عليه؛ لم يكن عليه سبيل ، وليست تحرز هذه الآية الرجل المسلم من الحد ، إن قتل أو أفسد في الأرض، أو حارب الله ورسوله ، ثم لحق[٣] بالكفار قبل أن يقدر عليه ، لم يمنعه ذلك أن يقام عليه الحد الذي أصاب .

ورواه أبو داود والنسائي من طريق عكرمة عن ابن عباس ﴿ **إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادًا** ﴾ نزلت في المشركين فمن[٤] تاب منهم قبل أن يقدر عليه ، لم يمنعه ذلك أن يقام عليه[٥] الحد الذي أصابه(٣٧٢) .

---

(٣٧١) - رواه فى تفسيره (١٠/٢٤٤) (١١٨٠٦) ، وفى (١٠/٢٧٧-٢٧٨) (١١٨٧٢) وإسناده رجاله ثقات رجال مسلم إلا يزيد النحوى وهو ثقة روى له البخارى فى الأدب ، وأصحاب السنن .

(٣٧٢) - رواه أبو داود (٤/١٣٢) كتاب الحدود ، باب :ما جاء فى المحاربة ، حديث (٤٣٧٢) قال : حدثنا أحمد بن محمد بن ثابت ، والنسائى فى كتاب تحريم الدم ، باب ذكر اختلاف طلحة بن مصرف ومعاوية بن صالح على يحيى بن سعيد فى هذا الحديث (٧/١٠١) قال : أخبرنا زكريا بن يحيى قال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم .كلاهما (أحمد بن محمد ، وإسحاق) عن على بن الحسين عن أبيه عن يزيد النحوى عن عكرمة عن ابن عباس به ، وإسناده رجاله ثقات إلا على بن الحسين بن واقد فقد ضعفه أبو حاتم الرازى فى الجرح والتعديل (٦/١٧٩) وذكره العقيلى فى الضعفاء (٣/٢٢٦) وروىعن البخارى أنه قال : رأينا على بن الحسين بن واقد فى سنة عشر ومائتين ، وكان أبو يعقوب - يعنى إسحاق بن راهويه - سيئ الرأى فيه فى حياته لعلة الإرجاء ، فتركناه ، ثم كتبت عن إسحاق عنه . لكن قال النسائى : ليس به بأس . قلت : إنما تكلموا فيه لأجل الإرجاء وهو جرح غير معتبر ، فالرجل لم يكن داعية ، ولم ينقل أحد عنه ذلك ، وقد وثقه النسائى مع تعنته فى الرجل ، وروى له البخارى فى الأدب المفرد ، ومسلم=

---

[١] - في ت : « قبض » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « الكريمة » .

[٣] - في ز : « ألحق » .

[٤] - في ز : « فيمن » .

[٥] - في ز : « فيه » .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادًا** ﴾ الآية . قال : كان قوم من أهل الكتاب بينهم وبين النبي صلىٰ الله عليه وسلم عهد وميثاق ، فنقضوا العهد ، وأفسدوا في الأرض ، فخير الله رسوله : إن شاء أن يقتل ، وإن شاء أن يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف . رواه ابن جرير(٣٧٣) .

وروىٰ شعبة ، عن منصور ، عن هلال بن يساف ، عن مصعب بن سعد ، عن أبيه قال : نزلت في الحرورية ﴿ **إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادًا** ﴾ . رواه ابن مردويه(٣٧٤) .

والصحيح أن هذه الآية عامة في المشركين وغيرهم ، ممن ارتكب هذه الصفات ، كما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي قلابة - واسمه : عبد الله بن زيد الجرمي البصري - عن أنس بن مالك : أن نفرًا من عكل ثمانية ، قدموا علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، [فبايعوه علىٰ الإسلام][١] ، [فاستوخموا المدينة ، وسقمت أجسامهم ، فشكوا إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ذلك][٢] فقال : « **ألا تخرجوا[٣] مع راعينا في إبله ، فتصيبوا من أبوالها وألبانها** » . فقالوا : بلىٰ . فخرجوا ، فشربوا من أبوالها ، وألبانها ، فصحوا[٤] ، فقتلوا الراعي ، وطردوا الإبل ، فبلغ ذلك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فبعث في آثارهم ؛ فأدركوا فجيء بهم ، فأمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم وسمرت أعينهم ، ثم نبذوا في الشمس حتىٰ ماتوا(٣٧٥) .

= في مقدمة صحيحه ، وأصحاب السنن في كتبهم ، فمثل هذا يحسن حديثه . والحديث حسنه الألباني في صحيح أبي داود (٣٦٧٥) ، وفي صحيح النسائي (٣٧٧٦) .

(٣٧٣) - رواه في تفسيره (١٠/ ٢٤٣) (١١٨٠٣) ، ورواه الطبراني في الكبير (١٢/٢٥٦) (١٢٠٣٢) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما به ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٨) وقال : رواه الطبراني ، وعلي بن أبي طلحة لم يدرك ابن عباس . قلت : سبق الكلام على هذا مرارًا فأغنى عن إعادته هنا .

(٣٧٤) - إسناده صحيح رجاله ثقات، ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٩١) ولم يعزه لغير ابن مردويه .

(٣٧٥) - رواه مسلم في صحيحه كتاب القسامة والمحاربين ، والقصاص ، والديات ، باب حكم المحاربين والمرتدين- الحديث (١٠/ ١٦٧١) بهذا اللفظ . والحديث رواه البخاري في صحيحه (٢٣٣) ، وانظر أطرافه هناك من حديث أنس .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ .
[٣] - في ت : « تخرجون » .
[٤] - في ز : « فنصحوا » .

لفظ مسلم ، وفي لفظ لهما(٣٧٦) : من عكل أو عرينة . وفي لفظ : وألقوا في الحرة ، فجعلوا[١] يستسقون ، فلا يسقون (٣٧٧) . وفي لفظ لمسلم : ولم يحسمهم(٣٧٨) . وعند البخاري : قال أبو قلابة : فهؤلاء سرقوا ، وقتلوا ، وكفروا بعد إيمانهم ، وحاربوا اللَّه ورسوله(٣٧٩) . ورواه مسلم من طريق هشيم ، عن عبد العزيز بن صهيب وحميد ، عن أنس ، فذكره[٢] [نحوه ، وعنده : فارتدوا[٣](٣٨٠) . وقد أخرجاه من رواية قتادة ، عن أنس][٤] بنحوه (٣٨١) . وقال سعيد ، عن قتادة : من عكل وعرينة . ورواه مسلم من طريق سليمان التيمي ، عن أنس ، قال : إنما سمل النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم أعين أولئك ؛ لأنهم سملوا أعين الرعاء(٣٨٢) . ورواه مسلم من حديث معاوية بن قرة ، عن أنس ، قال : أتىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم نفر من عرينة ؛ فأسلموا وبايعوه[٥] ، وقد وقع بالمدينة المُومُ . [وهو البرسام][٦] ثم ذكر نحو حديثهم وزاد : عنده شباب من الأنصار ، قريب من عشرين فارسًا ، فأرسلهم وبعث معهم قائفًا يقفو[٧] أثرهم(٣٨٣) . وهذه كلها ألفاظ مسلم ، رحمه

(٣٧٦) - رواه البخارى كتاب الوضوء ، باب أبوال الإبل والدواب والغنم ومرابضها ، الحديث (٢٣٣) ، ومسلم فى القسامة ، باب حكم المحاربين والمرتدين الحديث (١١/ ١٦٧١) ، وانظر رقم (٣٩١) .

(٣٧٧) - رواه البخارى فى الوضوء حديث (٢٣٣) ، وفى الحدود حديث (٦٨٠٥) ، ومسلم حديث رقم (١١/ ١٦٧١) وفيه : « وألقوا فى الحرة يستسقون فلا يسقون » .

(٣٧٨) - رواه مسلم فى القسامة حديث (١٢/ ١٦٧١) .

(٣٧٩) - صحيح البخارى (٢٣٣) .

(٣٨٠) - صحيح مسلم كتاب القسامة ، باب : حكم المحاربين والمرتدين الحديث (١٦٧١/٩) .

(٣٨١) - رواه البخارى فى الزكاة ، باب إستعمال إبل الصدقة وألبانها لأبناء السبيل ، الحديث (١٥٠١) ، وفى المغازى ، باب قصة عكل وعرينة حديث (٤١٩٢) ، وفى الطب ،باب الدواء بأبوال الإبل الحديث (٥٦٨٦) ، وباب : من خرج من أرض لا تلائمه حديث (٥٧٢٧) ، ومسلم فى القسامة ، باب حكم المحاربين والمرتدين ، حديث (١٦٧١/ ١٣) .

(٣٨٢) - رواه مسلم فى صحيحه حديث (١٦٧١/١٤) ، ورواه الترمذى فى أبواب الطهارة باب ما جاء فى بول ما يؤكل لحمه الحديث (٧٣) ، والنسائى تحريم الدم ، باب ذكر اختلاف طلحة بن مصرف ومعاوية بن صالح (١٠٠/٧) من هذه الطريق أيضًا .

(٣٨٣) - رواه مسلم فى صحيحه حديث (١٦٧١/١٣) .

[١] - سقط من: ز ، خ.

[٢] - في ز : « فذكر » ، وسقط من : خ .

[٣] - في ز : « وارتدوا » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.

[٥] - في ز : « وبايعو » .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من: ت .

[٧] - في ز ، خ: « يقص».

الله.

وقال حماد بن سلمة : حدثنا قتادة ، وثابت البناني ، وحميد الطويل ، عن أنس بن مالك : أن ناسًا من عرينة قدموا المدينة فاجتووها ، فبعثهم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في إبل الصدقة ، وأمرهم أن يشربوا من أبوالها وألبانها[١] ، ففعلوا فصحوا ، فارتدوا عن الإسلام ، وقتلوا الراعي ، وساقوا الإبل ، فأرسل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في آثارهم فجيء بهم ، فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، وسمر أعينهم ، وألقاهم في الحرة . قال أنس : فلقد رأيت أحدهم يكدم الأرض بفيه عطشًا حتىٰ ماتوا ، ونزلت ﴿ **إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله** ﴾ الآية(٣٨٤) .

وقد رواه أبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن مردويه وهذا لفظه . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقد رواه ابن مردويه من طرق كثيرة ، عن أنس بن مالك [منها : ما رواه من طريقين ، عن سلام بن أبي الصهباء ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك][٢] قال : ما ندمت علىٰ حديث ؛ ما ندمت علىٰ حديث سألني عنه الحجاج ؛ قال : أخبرني عن أشد عقوبة عاقب بها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم . قال : قلت : قدم علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قوم من عرينة من البحرين ، فشكوا إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ما لقوا من بطونهم ، وقد اصفرت ألوانهم ، وضمرت[٣] بطونهم ، فأمرهم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أن يأتوا إبل الصدقة ؛ فيشربوا من أبوالها وألبانها ، حتىٰ إذا رجعت إليهم ألوانهم ، وانخمصت بطونهم ، عدوا[٤] إلىٰ الراعي فقتلوه ، واستاقوا الإبل ، فأرسل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في آثارهم فقطع أيديهم ، وأرجلهم ، وسمر أعينهم ، ثم ألقاهم في الرمضاء حتىٰ ماتوا ، فكان الحجاج إذا صعد المنبر يقول : إن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قد قطع أيدي قوم وأرجلهم ، ثم ألقاهم في الرمضاء ، حتىٰ

(٣٨٤) - رواه أبو داود فى الحدود ، باب : ما جاء فى المحاربة حديث (٤٣٦٧) والترمذى فى أبواب الطهارة باب ما جاء فى بول ما يؤكل لحمه حديث (٧٢) ، وفى الأطعمة ، باب : ما جاء في شرب أبوال الإبل حديث (١٨٤٥) ، وفى الطب ، باب ما جاء فى شرب أبوال الإبل حديث (٢٠٤٢) ، والنسائى فى تحريم الدم ، باب : ذكر اختلاف الناقلين لخبر حميد عن أنس بن مالك فيه . من طرق عن حماد بن سلمة عن حميد وقتادة ، وثابت به ، وليس فى إسناده عن النسائى ذكر (حميد) .

[١] - سقط من : ز . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - في ز : « وضحمت » .خ : « وصحمت » . [٤] - في ت : « عمدوا » .

ماتوا لحال ذود[١] [من الإبل][٢] ، فكان[٣] الحجاج[٤] يحتج بهذا الحديث على الناس(٣٨٥) .

وقال ابن جرير(٣٨٦) : حدثنا علي بن سهل ، حدثنا الوليد - يعني ابن مسلم - حدثني سعيد ، عن قتادة ، عن أنس قال : كانوا أربعة نفر من عرينة ، وثلاثة نفر من عكل ، فلما أتي بهم قطع أيديهم وأرجلهم ، وسمل أعينهم ، ولم يحسمهم وتركهم يتلقَّون[٥] الحجارة بالحرة ، فأنزل الله في ذلك : ﴿ **إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله** ﴾ الآية .

وقال ابن أبي حاتم(٣٨٧) : حدثنا علي بن حرب الموصلي ، حدثنا أبو مسعود - يعني : عبد الرحمن بن الحسن الزجاج - حدثنا أبو سعد[٦] - يعني : البقال - عن أنس بن مالك ، قال : كان رهط من عرينة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبهم جهد ، مصفرة ألوانهم ، عظيمة بطونهم ، فأمرهم أن يلحقوا بالإبل ، فيشربوا من أبوالها وألبانها ، ففعلوا فصفت ألوانهم ، وخمصت بطونهم ، وسمنوا ، فقتلوا الراعي ، واستاقوا الإبل ، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم في طلبهم ، فأتي بهم ، فقتل بعضهم ، وسمر أعين بعضهم ، وقطع أيدي بعضهم وأرجلهم ، ونزلت : ﴿ **إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله** ﴾ إلى آخر الآية .

وقال أبو جعفر بن جرير (٣٨٨) : حدثنا أبو علي بن سهل ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا

---

(٣٨٥) - في إسناده سلام بن أبي الصهباء وهو ضعيف ، ترجمته في الميزان (٢/٣٧٠) ، ولسان الميزان (٣/٦٧) لكن الحديث رواه البخاري في صحيحه في الطب ، باب : الدواء بألبان الإبل ، حديث (٥٦٨٥) من طريق سلام بن مسكين عن ثابت عن أنس نحوه ، وليس فيه قصة الحجاج إلا أن البخاري قال عقب الحديث : قال سلام : فبلغني أن الحجاج قال لأنس حدثني : بأشد عقوبة عاقبها النبي صلى الله عليه وسلم ، فحدثه بهذا ، فبلغ الحسن فقال : وددت أنه لم يحدثه .

(٣٨٦) - رواه في تفسيره (١٠/٢٥٠) (١١٨١٥) ، وقد تقدم تخريج رواية قتادة عن أنس برقم (٣٩٧) .

(٣٨٧) - إسناده ضعيف : أبو مسعود عبد الرحمن بن الحسن الزجاج قال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٥/٢٢٧) : سألت أبي عنه فقال : يكتب حديثه ولا يحتج به . وشيخه أبو سعد البقال :هو سعيد بن المرزبان قال الحافظ في التقريب : ضعيف مدلس ، وقد تقدمت ترجمته . والحديث تقدم تخريجه من طرق عن أنس .

(٣٨٨) - رواه في تفسيره (١٠/٢٥٠) (١١٨١٦) ، وفي (١٠/٢٦٧) (١١٨٥٤) ، وإسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة وقد تقدمت ترجمته مرارًا .

---

[١] - في ز : « ذوذ » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ .

[٣] - في ز : « وكان » .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - في ز ، خ: « يتلقمون » .

[٦] - في خ : « سعيد » .

ابن[١] لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب أن عبد الملك بن مروان كتب إلىٰ أنس يسأله عن هذه الآية ، فكتب إليه أنس يخبره أن هذه الآية نزلت في أولئك النفر العرنيين ، وهم من بجيلة . قال أنس : فارتدوا عن الإسلام ، وقتلوا الراعي ، واستاقوا الإبل ، وأخافوا السبيل ، وأصابوا الفرج الحرام .

وقال(٣٨٩) : حدثني يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن أبي الزناد ، عن عبد الله بن عبيد الله ، [عن عبد الله][٢] [ ][٣] بن عمر - أو عمرو شك يونس - عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بذلك - يعني : بقصة العرنيين - ونزلت فيهم آية المحاربة ، ورواه أبو داود والنسائي من طريق أبي الزناد ، وفيه : عن ابن عمر من غير شك .

وقال ابن جرير (٣٩٠) : حدّثنا محمد بن خلف ، حدثنا الحسن بن حماد ، عن عمرو بن هاشم ، عن موسىٰ بن عبيدة ، عن محمد بن إبراهيم ، عن جرير قال : قدم علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قوم من عرينة ، حفاة مضرورين ، فأمر بهم رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، فلما صحوا واشتدوا ، قتلوا رعاء اللقاح [ثم خرجوا باللقاح][٤] عامدين بها إلىٰ

(٣٨٩) - رواه فى تفسيره (١٠/٢٤٩) (١١٨١٣) ، ورواه أبو داود فى سننه (٤/١٣١) كتاب الحدود ، باب : ما جاء فى المحاربة ، حديث (٤٣٦٩) قال : حدثنا أحمد بن صالح حدثنا عبد الله بن وهب ... فذكره مطولًا ، ورواه النسائى (٧/١٠٠) فى تحريم الدم ، باب ذكر اختلاف طلحة بن مصرف ، ومعاوية ابن صالح على يحيى .. قال : أخبرنا عمرو بن السرح قال : أخبرنا ابن وهب ... فذكره مثل رواية ابن جرير الطبرى ، وليس عند أبى داود ولا النسائى الشك المذكور عند ابن جرير . وإسناده صحيح رجاله ثقات . وسعيد بن أبى هلال الليثى وإن قال فيه الحافظ : صدوق - فقد روى له الشيخان فى صحيحيهما ، ووثقه ابن سعد والعجلى ، وابن خزيمة ، والدارقطنى وغيرهم وقال الألبانى فى صحيح أبى داود (٣٦٧٤) ، وصحيح النسائى (٣٧٧٢) : حسن صحيح وقد رواه أبو داود رقم (٤٣٧٠) ، والنسائى (٧/١٠٠) عن أحمد بن عمرو بن السرح ، أخبرنا ابن وهب أخبرنى الليث بن سعد عن محمد بن عجلان عن أبى الزناد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قطع الذين سرقوا لقاحه وسمل أعينهم بالنار عاتبه الله فى ذلك فأنزل الله تعالى : ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ﴾ الآية كلها .
وهذا مع إرساله فإن محمد بن عجلان قال فيه الحافظ فى « التقريب » : صدوق إلا أنه اختلطت عليه أحاديث أبى هريرة .

(٣٩٠) - رواه فى تفسيره (١٠/٢٤٧) (١١٨١١) . وإسناده ضعيف ، عمرو بن هشام أبو مالك الجنبى روى عبد الله بن أحمد عن أبيه قال : صدوق لم يكن صاحب حديث ، وقال البخارى : فيه نظر ، وقال أبو حاتم : لين الحديث يكتب حديثه ، وقال النسائى : ليس بالقوى . وقال ابن حبان فى المجروحين =

[١] - في ت : « يزيد بن » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « بن عبيد الله » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

أرض قومهم . قال جرير : فبعثني رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في نفر من المسلمين ، حتىٰ أدركناهم بعد ما أشرفوا علىٰ بلاد قومهم ، فقدمنا بهم علىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، وسمل أعينهم ، فجعلوا يقولون : الماء ، ورسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « **النار** » ! حتىٰ هلكوا . قال : وكره اللّٰه - عز وجل - سَمْل الأعين ، فأنزل هذه الآية : ﴿ **إنما جزاء الذين يحاربون اللّٰه ورسوله** ﴾ إلىٰ آخر الآية .

هذا حديث غريب ، وفي إسناده الربذي ؛ وهو ضعيف ، [وفي إسناده][١] فائدة : وهو ذكر أمير هذه السرية ، وهو جرير بن عبد اللّٰه البجلي ، وقد[٢] تقدم في صحيح مسلم (٣٩١) : أن هذه[٣] السرية كانوا عشرين فارسًا من الأنصار . وأما قوله : فكره اللّٰه سمل الأعين ؛ فأنزل هذه الآية . فإنه منكر . وقد تقدّم في صحيح مسلم(٣٩٢) : أنهم سملوا أعين الرعاء ، فكان ما فعل بهم قصاصًا ، واللّٰه أعلم .

وقال عبد الرزاق(٣٩٣) : عن إبراهيم بن محمد الأسلمي ، عن صالح مولىٰ التوأمة ، عن أبي هريرة ، قال : قدم علىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم رجالٌ من بني فَزَارة ، قد ماتوا هزلًا ، فأمرهم النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم إلىٰ لقاحه ، فشربوا منها حتىٰ صحوا ، ثم عمدوا إلىٰ لقاحه فسرقوها ، فطلبوا ، فأتي بهم النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فقطع أيديهم وأرجلهم ، وسمر أعينهم . قال أبو هريرة ففيهم نزلت هذه الآية : ﴿ **إنما جزاء الذين يحاربون اللّٰه ورسوله** ﴾ فترك النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم سمر الأعين بعد .

=(٧٧/٢) : كان ممن يقلب الأسانيد ، ويروى عن الثقات ما لا يشبه حديث الأثبات ، لا يجوز الاحتجاج بخبره . وقال الحافظ فى « التقريب » : لين الحديث ، أفرط فيه ابن حبان . وشيخه موسى بن عبيدة الربذى ضعيف أيضًا ؛ قال الأستاذ محمود شاكر فى تعليقه على تفسير ابن جرير : وهذا الخبر ضعيف جدًّا ، وهو أيضًا لا يصح ، لأن جرير بن عبد الله البجلى صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفد على النبى - صلى الله عليه وسلم - فى العام الذى توفى فيه ، وخبر العرنيين كان فى شوال سنة ست ، فى رواية الواقدى (ابن سعد ٦٧/١/٢) وكان أمير السرية كرز بن جابر الفهرى وذلك قبل وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى شهر ربيع الأول سنة ١١من الهجرة ، بأعوام .

(٣٩١) - تقدم رقم (٣٩٤) .

(٣٩٢) - انظر رقم (٣٩٣) وما بعده .

(٣٩٣) - في إسناده إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى الأسلمي وثقه الشافعي وابن الأصبهاني ، وضعفه أحمد ومالك ، وقال البخاري : جهمي تركه ابن المبارك والناس ، كان يرى القدر . وقال النسائي : متروك . وقال في موضع آخر : ليس بثقة ، ولا يكتب حديثه . =

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « فيه » .

[٢] - سقط من : ز ، خ . [٣] - سقط من : ز .

وروي من وجه آخر عن أبي هريرة .

وقال أبو بكر بن مردويه(٣٩٤) : حدثنا أحمد بن إسحاق ، حدثنا الحسين بن إسحاق التستري[١] ، حدثنا أبو القاسم محمد بن الوليد ، عن عمرو بن محمد المديني ، حدثنا محمد بن طلحة ، عن موسىٰ بن محمد بن إبراهيم التيمي ، عن أبيه ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن سلمة بن الأكوع قال : كان للنبي صلىٰ الله عليه وسلم غلام يقال له : يسار ، فنظر إليه يحسن الصلاة فأعتقه ، وبعثه في لقاح له بالحرة ، فكان بها . قال : فأظهر قوم الإسلام من عرينة ، وجاءوا وهم مرضىٰ موعوكون ، قد عظمت بطونهم ، قال : فبعث بهم[٢] النبي صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ يسار ، فكانوا يشربون من ألبان الإبل ؛ حتىٰ انطوت بطونهم ، ثم عدوا علىٰ يسار فذبحوه ، وجعلوا الشوك في عينيه ، ثم أطردوا الإبل ، فبعث النبي صلىٰ الله عليه وسلم في آثارهم خيلًا من المسلمين أميرهم كُرْز بن جابر الفِهْري ، فلحقهم فجاء بهم إليه ، فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم .

= وروى ابن عدي في الكامل (٢٢٢/١) . ترجمة إبراهيم . عن ابن عقدة أحمد بن محمد بن سعيد ، قلت له : تعلم أحدًا أحسن القول في إبراهيم بن أبي يحيى غير الشافعي ؟ فقال : نعم ، حدثنا أحمد بن يحيى الأودي ، قال : سمعت حمدان بن الأصبهاني - يعني محمد بن سعيد - قلت : أتدين بحديث إبراهيم ابن أبي يحيي ؟ فقال : نعم . ثم قال لي أحمد بن محمد بن سعيد : نظرت في حديث إبراهيم ابن أبي يحيى كثيرًا وليس بمنكر الحديث .

ثم قال ابن عدي : وهذا الذي قاله كما قال ، وقد نظرت أنا أيضًا في حديثه الكثير فلم أجد فيه منكرًا إلا عن شيوخ يحتملون ، وقد حدث عنه ابن جريج والثوري وعباد بن منصور ومندل وأبو أيوب ويحيى بن أيوب المصري وغيرهم من الكبار .

وشيخه هو صالح بن نبهان مولى التوءمة صدوق لكنه اختلط .

والحديث ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٤٩٢/٢) ولم يعزه لغير عبد الرزاق .

وقد رواه الواقدي في « المغازي » كما في « نصب الراية » (٣٨٦/٣) قال : حدثني إسحاق عن صالح مولى التوءمة به ، والواقدي متروك عند علماء الحديث .

(٣٩٤) - رواه الطبراني في الكبير (٧/٧) (٦٢٢٣) من طريقين عن محمد بن طلحة به ، وفي إسناده موسى ابن محمد بن إبراهيم التيمي ، قال الحافظ في « التقريب » : منكر الحديث . وبه أعل الحديث الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٤٥/٤) ، (٢٩٧/٦) فقال : فيه موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، وهو ضعيف .

والحديث ذكره الحافظ في الإصابة (٣٦٨/١٠-٣٦٩) في ترجمة يسار ، ساكتًا عليه .

[١] - في ز ، خ : « القشيري » . [٢] - سقط من : ز .

غريب جدًّا . وقد روىٰ قصة العرنيين من حديث جماعة من الصحابة ، منهم : جابر ، وعائشة ، وغير واحد ، وقد[١] اعتنىٰ الحافظ الجليل أبو بكر بن مردويه بطرق هذا الحديث من وجوه كثيرة جدًّا ، فرحمه اللَّه وأثابه .

وقال ابن جرير(٣٩٥) : حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق ، سمعت أبي يقول : سمعت أبا حمزة ، عن[٢] عبد الكريم ، وسئل عن أبوال الإبل ، فقال : حدثني سعيد بن جبير عن المحاربين ، فقال : كان أناس[٣] أتوا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقالوا : نبايعك علىٰ الإسلام . فبايعوه وهم كذبة وليس الإسلامَ يريدون . ثم قالوا : إنا نجتوي المدينة ، فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **هذه اللقاح تغدوا عليكم وتروح فاشربوا من أبوالها وألبانها** » . قال : فبينا هم كذلك إذ جاءهم الصريخ [ ][٤] ، فصرخ إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقال : قتلوا الراعي ، واستاقوا النعم . فأمر النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فنودي في الناس : « **أن يا خيل اللَّه اركبي** » . قال : فركبوا ، لا ينتظر فارس فارسًا . قال : وركب رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم علىٰ إثرهم ، فلم يزالوا يطلبونهم حتىٰ أدخلوهم مأمنهم ، فرجع صحابة رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم وقد أسروا منهم ، فأتوا بهم النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فأنزل اللَّه : ﴿ **إنما جزاء الذين يحاربون اللَّه ورسوله** ﴾ الآية . قال : فكان نفيهم أن نفوهم حتىٰ أدخلوهم مأمنهم وأرضهم ، ونفوهم من أرض المسلمين ، وقتل نبي اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم منهم ، وصلب وقطع ، وسمر الأعين . قال : فما مثَّل رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قبل ولا بعد . قال : ونهىٰ عن المثلة ، قال : « **ولا تمثلوا بشيء** » . قال : وكان أنس يقول ذلك غير أنه قال : أحرقهم بالنار بعد ما قتلهم .

قال : وبعضهم يقول : هم ناس من بني سليم ، ومنهم من عرينة ناس من بجيلة .

وقد اختلف الأئمة في حكم هؤلاء العرنيين ، هل [هو منسوخ][٥] [أو محكم][٦] ؛

---

(٣٩٥) - رواه في تفسيره (١٠/٢٤٥،٢٤٦) (١١٨١٠) مرسل صحيح الإسناد رجاله ثقات ؛ أبو حمزة هو محمد بن ميمون السكري وشيخه هو عبد الكريم الجزري .
وقد ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/٤٩٢) وزاد نسبته لعبد الرزاق .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز : « بن » .
[٣] - في ز : « ناس » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ت : « المستغيث » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « بهذه الآية » ، وسقط من : خ .

فقال[١] بعضهم[٢] : [هو منسوخ بهذه الآية][٣] ، وزعموا أن فيها عتابًا للنبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم كما في قوله : ﴿ **عفا اللَّه عنك لم أذنت لهم** ﴾ . ومنهم من قال : هو منسوخ بنهي النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم عن المثلة . وهذا القول فيه نظر ، ثم قائله[٤] مطالب ببيان تأخر الناسخ الذي ادعاه عن المنسوخ . وقال بعضهم : كان هذا قبل أن تنزل الحدود ، قاله محمد بن سيرين ، [وفي هذا][٥]نظر ؛ فإن قصتهم متأخرة . وفي رواية جرير بن عبد اللَّه(٣٩٦) لقصتهم ما يدل علىٰ تأخرها ، فإنه أسلم بعد نزول المائدة . ومنهم من قال : لم يسمل النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم أعينهم ، وإنما عزم علىٰ ذلك ، حتىٰ نزل القرآن فبين حكم المحاربين ، وهذا القول[٦] أيضًا فيه نظر ؛ فإنه قد تقدم في الحديث المتفق عليه أنه سمل ، وفي رواية : سمر أعينهم(٣٩٧) .

وقال ابن جرير(٣٩٨) : حدثنا علي بن سهل ، حدثنا الوليد بن مسلم قال : ذاكرت الليث بن سعد ما كان من سمل النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم أعينهم ، وتركه حسمهم حتىٰ ماتوا ، فقال[٧] : سمعت محمد بن عجلان يقول : أنزلت هذه الآية علىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم معاتبة في ذلك ، وعلّمه عقوبة مثلهم من القتل والقطع والنفي ، ولم يسمل بعدهم غيرهم . قال : وكان هذا القول ذكر لأبي عمرو - يعني الأوزاعي - فأنكر أن يكون نزلت معاتبة ، وقال : بل كانت عقوبة أولئك النفر بأعيانهم ، ثم نزلت هذه الآية في عقوبة غيرهم ممن حارب بعدهم ، ورفع عنهم السمل .

ثم قد احتج بعموم هذه الآية جمهور العلماء ، في ذهابهم إلىٰ أن المحاربة في الأمصار وفي السبلان علىٰ السواء ؛ لقوله : ﴿ **ويسعون في الأرض فسادًا** ﴾ وهذا مذهب مالك ، والأوزاعي ، والليث بن سعد ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، حتىٰ قال مالك في الذي يغتال الرجل ، فيخدعه حتىٰ يدخله بيتًا ، فيقتله ويأخذ ما معه : إن هذه[٨] محاربة ، ودمه إلىٰ السلطان ، لا إلىٰ ولي المقتول ، ولا اعتبار بعفوه عنه في إنفاذ القتل .

---

(٣٩٦) - تقدم تخريجه برقم (٤٠١) .

(٣٩٧) - يريد المصنف - رحمه الله - حديث أنس بن مالك المتقدم برقم (٣٩١) وما بعده .

(٣٩٨) - رواه في تفسيره (١٠/٢٥٣) (١١٨١٨)

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٤] - في ز ، خ : « صاحبه » .

[٥] - في ت : « وفيه » .

[٦] - في خ : « القرآن » .

[٧] - في ز : « قال » .

[٨] - سقط من : ز .

وقال أبو حنيفة وأصحابه : لا تكون المحاربة إلا في الطرقات ، فأما في الأمصار فلا ؛ لأنه يلحقه الغوث إذا استغاث ، بخلاف الطريق ؛ لبعده ممن يغيثه ويعينه .

وأما قوله : ﴿ **أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض** ﴾ الآية ، قال [ابن أبي طلحة ، عن ابن عباس في الآية][١] : من شهر السلاح في قبة الإسلام ، وأخاف السبيل ، ثم ظفر به وقدر عليه ، فإمام المسلمين فيه بالخيار ؛ إن شاء قتله ، وإن شاء صلبه ، وإن شاء قطع يده ورجله(٣٩٩) .

وكذا قال سعيد بن المسيب ، ومجاهد ، وعطاء ، والحسن البصري ، وإبراهيم النخعي ، والضحاك ، وروى ذلك كله أبو جعفر ابن جرير(٤٠٠) ، وحُكي مثله عن [مالك بن][٢] أنس - رحمه الله - ومستند هذا القول : أن[٣] ظاهر « أو » للتخيير ، كما في نظائر ذلك من القرآن ؛ كقوله في جزاء الصيد : ﴿ **فجزاءٌ مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديًا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما** ﴾ ، وكقوله في كفارة الترفه[٤] : ﴿ **فمن كان منكم مريضًا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك** ﴾ ، وكقوله في كفارة اليمين : ﴿ **فإطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة** ﴾ هذه كلها على التخيير ، فكذلك فلتكن هذه الآية . وقال الجمهور : هذه الآية منزلة على أحوال ، كما قال أبو عبد الله الشافعي(٤٠١) : أنبأنا إبراهيم هو ابن أبي يحيى ، عن صالح مولى التوأمة ، عن ابن عباس في قطاع الطريق : إذا قتلوا وأخذوا المال : قتلوا وصلبوا ، وإذا قتلوا ولم يأخذوا المال : قتلوا ولم يصلبوا ، وإذا أخذوا المال ولم يقتلوا : قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف ، وإذا أخافوا السبيل ولم يأخذوا المال : نفوا من الأرض .

وقد رواه ابن أبي شيبة : عن عبد الرحيم بن سليمان ، عن حجاج ، عن عطية ، عن ابن

---

(٣٩٩) - رواه ابن جرير في تفسيره (٢٦٣/١٠) (١١٨٥٠) ، وأبو جعفر النحاس في ناسخه (ص٣٩٢) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٩٣/٢) وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

(٤٠٠) - انظر تفسير الطبري (٢٦٢/١٠،٢٦٣)

(٤٠١) - رواه الشافعي في مسنده (١٧٣/٢) (٢٨٢ - شفاء العي) ومن طريقه البيهقي (٢٨٣/٨) وفي إسناده إبراهيم بن أبي يحيى وهو متروك ، ورواه ابن جرير في تفسيره (٢٥٧/١٠) (١١٨٢٩) والبيهقي من طريق العوفي عن ابن عباس ، وإسناده ضعيف أيضًا . =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - سقط من : ز ، خ . [٤] - في ز : « الرفة » .

عباس بنحوه . وعن أبي مجلز ، وسعيد بن جبير ، وإبراهيم النخعي ، والحسن ، وقتادة ، والسدي ، وعطاء الخراساني : نحو ذلك . وهكذا قال غير واحد من السلف والأئمة .

واختلفوا : هل يصلب حيًا ، ويترك حتىٰ يموت بمنعه من الطعام والشراب ؟ أو بقتله برمح أو نحوه ، أو يقتل أولًا ثم يصلب ، تنكيلًا وتشديدًا[١] لغيره من المفسدين ؟ وهل يصلب ثلاثة أيام ثم ينزل ، أو يترك حتىٰ يسيل صديده ؟ في ذلك كله خلاف محرر في موضعه ، وبالله الثقة ، وعليه التكلان .

ويشهد لهذا التفصيل الحديث الذي رواه ابن جرير في تفسيره إن صح سنده ، فقال (٤٠٢) :

حدثنا علي بن سهل ، حدثنا الوليد بن مسلم ، [عن ابن لهيعة][٢] ، عن يزيد بن أبي حبيب : أن عبد الملك بن مروان كتب إلىٰ أنس [بن مالك][٣] يسأله عن هذه الآية ، فكتب إليه يخبره : أنها نزلت في أولئك النفر العرنيين ، وهم من بجيلة . قال أنس : فارتدوا عن الإسلام ، وقتلوا الراعي ، واستاقوا الإبل ، وأخافوا السبيل ، وأصابوا الفرج الحرام ، قال أنس : فسأل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم جبريل -عليه السلام- عن القضاء فيمن حارب ، فقال : من سرق وأخاف السبيل : [فاقطع يده بسرقته ، ورجله بإخافته ، ومن قتل فاقتله ، ومن قتل وأخاف السبيل][٤] واستحل الفرج الحرام فاصلبه .

وأما قوله تعالىٰ : ﴿ **أو ينفوا من الأرض** ﴾ قال بعضهم : هو أن يطلب حتىٰ يقدر عليه ، فيقام عليه الحد ، أو يهرب من دار الإسلام .

= ورواه ابن أبي شيبة (٥٨٩/٦) في الحدود من طريق حجاج عن عطية عن ابن عباس ، وإسناده ضعيف أيضًا لضعف حجاج وعطية .

ورواه الدارقطني (١٣٨/٣) ومن طريقه البيهقي عن عبد الرزاق عن إبراهيم عن داود عن عكرمة عن ابن عباس به .

وإسناده حسن ، إبراهيم هو ابن طهمان ثقة تكلموا فيه للإرجاء ، وشيخه داود بن أبي هند ثقة ، قال الحافظ في التقريب : كان يهم بأخرة .

(٤٠٢) - تقدم برقم (٣٩٩) .

---

[١] - في ز : « تشريدا » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

رواه ابن جرير (٤٠٣) : عن ابن عباس ، وأنس بن مالك ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، و[١] الربيع بن أنس ، والزهري ، والليث بن سعد ، ومالك بن أنس .

وقال آخرون : هو أن ينفىٰ من بلده[٢] إلىٰ بلد آخر ، أو يخرجه السلطان ، أو نائبه من معاملته بالكلية . [وقال الشعبي : ينفيه - كما قال][٣] ابن هبيرة - من عمله كله . وقال عطاء الخراساني : ينفىٰ من جندٍ إلىٰ جند سنين ، ولا يخرج من أرض الإسلام .

[وكذا قال سعيد بن جبير ، وأبو الشعثاء ، والحسن ، والزهري ، والضحاك ، ومقاتل بن حبان : إنه ينفىٰ ولا يخرج من أرض الإسلام][٤] .

وقال آخرون : المراد بالنفي هٰهنا السجن ، وهو قول أبي حنيفة وأصحابه . واختار ابن جرير : أن المراد بالنفي هٰهنا : أن يخرج من بلده إلىٰ بلد آخر فيسجن فيه(٤٠٤) .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم** ﴾ أي : هذا الذي ذكرته من قتلهم ، ومن صلبهم ، وقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، ونفيهم - خزي لهم بين[٥] الناس في هذه الحياة الدنيا ، مع ما ادخر الله لهم من العذاب العظيم يوم القيامة ، وهذا قد يتأيد به من ذهب إلى أن هذه الآية نزلت في المشركين ، فأما أهل الإسلام : فقد ثبت في صحيح مسلم عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال : أخذ علينا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كما أخذ علىٰ النساء : ألا نشرك بالله شيئًا ، ولا نسرق ، ولا نزني ، ولا نقتل أولادنا ، ولايَعْضَه بعضنا بعضًا ، « **فمن وفىٰ منكم فأجره علىٰ الله تعالىٰ ، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب فهو كفارة له**[٦] ، **ومن ستره الله فأمره إلىٰ الله ؛ إن شاء عذبه ؛ وإن شاء غفر له**(٤٠٥) .

(٤٠٣) - تفسير ابن جرير (١٠/٢٦٨-٢٧٠) ، وانظر الدر المنثور (٢/٤٩٤) .
(٤٠٤) - تفسير ابن جرير (١٠/ ٢٧٤) .
(٤٠٥) - رواه مسلم فى صحيحه كتاب الحدود ، باب الحدود كفارات لأهلها ، الحديث (٤٣/ ١٧٠٩) من طريق هشيم قال : أخبرنا خالد عن أبى قلابة عن أبي الأشعث الصنعانى عن عبادة بن الصامت به ، ورواه أحمد (٥/ ٣١٣، ٣٢٠) وابن ماجه فى الحدود ، باب الحد كفارة ، الحديث (٢٦٠٣) من طرق عن خالد به ، ولفظ ابن ماجه مختصر ، وقد تقدم حديث عبادة بلفظ آخر فى سورة النساء الآية / ٩٥ .

[١] - في ز : « عن » .
[٢] - في ز : « بلد » .
[٣] - في ز ، خ : « وكان الشعبى ينفيه » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز : « من » .
[٦] - سقط من : ز .

وعن علي قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **من أذنب ذنبًا في الدنيا [فعوقب به ، فاللَّه أعدل من أن يثني عقوبته علىٰ عبده ، ومن أذنب ذنبًا في الدنيا]**[١] **، فستره اللَّه عليه وعفا عنه ، فاللَّه أكرم من أن يعود في شيء قد عفا عنه** »(٤٠٦) .

رواه الإِمام أحمد ، والترمذي ، وابن ماجه ، وقال الترمذي : حسن غريب . وقد سئل الحافظ الدارقطني عن هذا الحديث ، فقال : روي مرفوعا وموقوفا ، قال : ورفعه صحيح .

وقال ابن جرير في قوله : ﴿ **ذلك لهم خزي في الدنيا** ﴾ يعني : [شر وعار][٢] ، ونكال[٣] وذلة ، وعقوبة في عاجل الدنيا قبل الآخرة . ﴿ **ولهم في الآخرة عذاب عظيم** ﴾ أي : إذا لم يتوبوا من فعلهم ذلك حتىٰ هلكوا ﴿ **في الآخرة** ﴾ مع الجزاء الذي جازيتهم به في الدنيا ، والعقوبة التي عاقبتهم[٤] بها في الدنيا فيها[٥] ﴿ **عذاب عظيم** ﴾ يعني : عذاب جهنم .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن اللَّه غفور رحيم** ﴾ أما علىٰ قول من قال : إنها[٦] في أهل الشرك فظاهر ، وأما المحاربون المسلمون فإذا تابوا قبل القدرة

(٤٠٦) - رواه الترمذى فى الإيمان ، باب ما جاء لا يزنى الزاني وهو مؤمن ، الحديث (٢٦٢٦) ، وابن ماجه فى الحدود ، باب : الحد كفارة ، الحديث (٢٦٠٤) ، وأحمد (١/ ٩٩، ١٥٩) ، والدارقطنى (٣/ ٢١٥) ، والحاكم (٢/ ٤٤٥) ، والبيهقى (٨/ ٣٢٨) من طريق حجاج بن محمد عن يونس بن أبي إسحاق عن أبي إسحاق عن أبى جحيفة عن على به . وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وإنما أخرجه إسحاق بن إبراهيم عند قوله عز وجل : ﴿ وما أصاب من مصيبة فبما كسبت أيديكم ﴾ ووافقه الذهبى ، قلت : يونس بن أبي إسحاق لم يخرج له البخارى فى صحيحه ، إنما روى له فى جزء « القراءة خلف الإمام » وهو صدوق روى له مسلم وأصحاب السنن ، وأبو إسحاق السبيعى مدلس لكنه صرح بالتحديث فى رواية الحاكم . وقد سئل الحافظ أبو الحسن الدارقطنى عن هذا الحديث ؟ فقال (العلل ١٢٨/٣- ١٢٩) : « يرويه أبو إسحاق السبيعى واختلف عنه ؛ فرواه يونس بن أبى أسحاق والخليل بن مرة ، والحكم بن عبد الله النصرى ، وحفص بن سليمان ، وأبو حمزة الثمالى ثابت بن أبى صفية عن أبى إسحاق عن أبى جحيفة عن على ، واختلف عن حفص بن سليمان وأبى حمزة فقيل : عن حفص ، عن أبى إسحاق ، عن عون بن أبى جحيفة عن أبيه عن على . وهذا القول وهم من قائله ، والصحيح : عن أبى إسحاق ، عن أبى جحيفة . وقال : عبد الملك بن أبى سليمان عن أبى حمزة الثمالى عن أبى إسحاق عن أبي جحيفة موقوفًا . ورفعه صحيح .اهـ .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « شروعا » .
[٣] - في ز : « وفكاكا » .
[٤] - في ز : « عاقبهم » .
[٥] - سقط من : ت .
[٦] - في خ : « هى » .

عليهم ، فإنه يسقط عنهم انحتام[١] القتل والصلب وقطع الرجل . وهل يسقط قطع اليد أم لا ؟ فيه قولان للعلماء ، وظاهر الآية يقتضي سقوط الجميع ، وعليه عمل الصحابة ، كما قال ابن أبي حاتم (٤٠٧) :

حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة ، عن مجالد[٢] ، عن الشعبي ، قال : كان حارثة[٣] بن بدر التميمي من أهل البصرة ، وكان قد أفسد في الأرض وحارب ، فكلم رجالا من قريش ، منهم : الحسن بن علي ، وابن عباس ، وعبد الله بن جعفر ، فكلموا عليًّا فيه[٤] فلم يؤمنه ، فأتىٰ سعيد بن قيس الهمداني ، فخلفه في داره ، ثم أتىٰ عليًّا ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أرأيت من حارب الله ورسوله ، وسعىٰ في الأرض فسادًا ، فقرأ حتىٰ بلغ : ﴿ إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم ﴾ قال : فكتب له أمانًا . قال سعيد بن قيس : فإنه حارثة[٥] بن بدر .

وكذا رواه ابن جرير من غير وجه عن مجالد ، عن الشعبي به ، وزاد : فقال حارثة[٦] بن بدر :

ألا أبلغن هَمْدان إمَّا لقيتها ... علىٰ النأي لا يسلم عدو يعيبها
لعمر أبيها إن همدان تتقي الـ ... إله ويقضي بالكتاب خطيبها

وروىٰ ابن جرير (٤٠٨) : من طريق سفيان الثوري ، عن السدي . ومن طريق أشعث ، كلاهما عن عامر الشعبي ، قال : جاء رجل من مراد إلىٰ أبي موسىٰ وهو علىٰ الكوفة في إمارة[٧] عثمان

(٤٠٧) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١٠/ ٢٧٩- ٢٨٠) (١١٨٧٩) (١١٨٨٠) ، (١١٨٨١) من طرق عن مجالد عن الشعبى به ، وذكره السيوطى في الدر المنثور (٢/ ٤٩٤) وزاد نسبته إلى ابن أبى شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن أبى الدنيا فى كتاب الأشراف . ومجالد هو ابن سعيد ضعيف تقدمت ترجمته .

(٤٠٨) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١٠/ ٢٨٢) (١١٨٨٤) من طريق أشعث عن الشعبى ، وفى (١٠/ ٢٨٣) (١١٨٨٥) من طريق الثورى عن السدى عن الشعبى به ، وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٢/ ٤٩٤-٤٩٥) وعزاه إلى ابن أبى شيبة ، وعبد بن حميد عن الأشعث عن رجل قال : صلى رجل مع أبى موسى الأشعرى ... فذكر نحو رواية الشعبى .

[١] - في ز : « انحسام » .
[٢] - في ت : « مجاهد » .
[٣] - في ز : « جارية » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « جارية » .
[٦] - في ز : « جارية » .
[٧] - في ز : « إمرة » .

- رضي الله عنه - بعدما صلىٰ المكتوبة ، فقال : يا أبا موسىٰ ، هذا مقام العائذ بك ، أنا فلان بن فلان المرادي ، وإني كنت حاربت الله ورسوله ، وسعيت في الأرض فسادًا ، وإني تبت من قبل أن تقدروا[١] علي . فقام أبو موسىٰ ، فقال : إن هذا فلان ابن فلان ، وإنه كان حارب الله ورسوله ، وسعىٰ في الأرض فسادًا ، وإنه تاب من[٢] قبل أن نقدر[٣] عليه ، فمن لقيه فلا يعرض له إلا بخير ، فإن يك صادقًا فسبيل من صدق ، وإن يك كاذبًا تدركه ذنوبه . فأقام الرجل ما شاء الله ، ثم إنه خرج فأدركه الله تعالىٰ بذنوبه فقتله .

ثم قال ابن جرير(٤٠٩) : حدثني علي ، حدثنا الوليد بن مسلم ، قال : قال الليث : وكذلك حدثني موسىٰ بن إسحاق المدني ، وهو الأمير[٤] عندنا : أن عليًا الأسدي حارب ، وأخاف[٥] السبيل ، وأصاب الدم والمال ، فطلبه الأئمة والعامة فامتنع ، ولم يقدروا[٦] عليه حتىٰ جاء تائبًا ، وذلك أنه سمع رجلا يقرأ هذه الآية : **﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا علىٰ أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم ﴾** فوقف عليه ، فقال : يا عبد الله ، أعد قراءتها . فأعادها عليه ، فغمد سيفه ، ثم جاء تائبًا حتىٰ قدم المدينة من السحر ، فاغتسل ، ثم أتىٰ مسجد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فصلىٰ الصبح ، ثم قعد إلىٰ أبي هريرة في أغمار[٧] أصحابه ، فلما أسفروا عرفه الناس ، فقاموا إليه ، فقال : لا سبيل لكم عليَّ ، جئت تائبًا من قبل أن تقدروا علي . فقال أبو هريرة : صدق . وأخذ بيده [ ][٨] حتىٰ أتىٰ مروان بن الحكم ، [وهو أمير][٩] علىٰ المدينة في زمن معاوية ، فقال : هذا علي[١٠] جاء تائبًا ولا سبيل لكم عليه ولا قتل . قال : فترك من [ذلك كله][١١] . قال : وخرج علي تائبًا مجاهدًا في سبيل الله في البحر فلقوا الروم ، فقربوا [سفينته إلىٰ][١٢] سفينة من سفنهم فاقتحم علىٰ الروم في سفينتهم ، فهربوا منه إلىٰ شقها الآخر ، فمالت [به

(٤٠٩) - رواه في تفسيره (١٠/٢٨٤) (١١٨٨٩) . في إسناده الوليد بن مسلم وهو ثقة لكنه كثير التدليس والتسوية ولم يصرح هنا بالسماع . وموسى بن إسحاق المدنى لم أقف له على ترجمة ، وقال محمود شاكر فى تعليقه على تفسير الطبرى : لم أعرف من يكون .

[١] - في ز : « يقدر » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « يقدر » .
[٤] - في ز : « الأمر » .
[٥] - في ز : « وخاف » .
[٦] - في ز : « يقدر » .
[٧] - في ز ، خ : «عمار» .
[٨] - ما بين المعكوفتين في ز : « أبو هريرة » .
[٩] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : «في إمرته» .
[١٠] - في ز : « عليًا » .
[١١] - ما بين المعكوفتين في ز : « كلمته » .
[١٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

وبهم][١] فغرقوا جميعًا .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ (٣٥) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ (٣٦) يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ (٣٧) ﴾

يقول تعالىٰ آمرًا عباده المؤمنين بتقواه ، وهي إذا قرنت بطاعته[٢] كان المراد بها الانكفاف عن المحارم ، وترك المنهيات ، وقد قال بعدها : ﴿ **وابتغوا إليه الوسيلة** ﴾ قال سفيان الثوري ، عن طلحة ، عن عطاء ، عن ابن عباس : أي القربة . وكذا قال مجاهد ، وعطاء[٣] ، وأبو وائل ، والحسن ، وقتادة ، وعبد الله بن كثير ، والسدي ، وابن زيد ، [وغير واحد][٤] .

و[٥] قال قتادة : أي تقربوا إليه بطاعته ، والعمل بما يرضيه ، وقرأ ابن زيد : ﴿ **أولئك الذين يدعون يبتغون إلىٰ ربهم الوسيلة** ﴾ وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه . وأنشد [عليه ابن جرير][٦] قول الشاعر :

إذا غفل الواشون عدنا لوصلنا وعاد التصافي بيننا والوسائل

والوسيلة : هي التي يتوصل بها إلىٰ تحصيل المقصود ، والوسيلة أيضا : عَلَمٌ علىٰ أعلىٰ منزلة في الجنة ، وهي منزلة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وداره في الجنة ، وهي أقرب أمكنة[٧] الجنة إلىٰ العرش ، وقد ثبت في صحيح البخاري (٤١٠) : من طريق محمد بن المنكدر ، عن جابر بن

(٤١٠) - رواه البخارى فى صحيحه كتاب الأذان ، باب : الدعاء عند النداء ، حديث (٦١٤) ، وفى التفسير ، باب قوله : ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا ﴾ حديث (٤٧١٩) ورواه أيضًا أصحاب السنن وابن خزيمة فى صحيحه من طريق ابن المنكدر عن جابر أيضًا .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « بهم وبه » .
[٢] - في ز : « بالطاعة » .
[٣] - سقط من : ت .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « ابن جرير عليه » .
[٧] - في ز : « الأمكنة » .

عبد اللّٰه ، قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته ، إلا حلت له الشفاعة يوم القيامة** » .

(حديث آخر) : في صحيح مسلم(٤١١) : من حديث كعب بن علقمة ، عن عبد الرحمن ابن جبير ، عن عبد اللّٰه بن عمرو بن العاص : أنه سمع النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « **إذا سمعتم المؤذن ، فقولوا مثلما يقول ، ثم صلوا عليّ ، فإنه من صلىٰ عليّ صلاة صلىٰ اللّٰه عليه بها[١] عشرا ، ثم سلوا اللّٰه[٢] لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد اللّٰه ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة ، حلت عليه الشفاعة** » .

(حديث آخر) : قال الإمام أحمد(٤١٢) :

حدثنا عبد الرازق ، أخبرنا سفيان ، عن ليث ، عن كعب ، عن أبي هريرة : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **إذا صليتم علي فسلوا لي الوسيلة** » . قيل : يا رسول اللّٰه ، وما الوسيلة ؟ قال : « **أعلىٰ درجة في الجنة ، لا ينالها إلا رجل واحد ، وأرجو أن أكون أنا هو** » .

ورواه الترمذي : عن بندار ، عن أبي عاصم ، عن سفيان هو[٣] الثوري ، عن ليث بن أبي سليم ، عن كعب ، قال : حدثني أبو هريرة به . ثم قال : غريب ، وكعب ليس بمعروف ، لا نعرف أحدًا روىٰ عنه غير ليث بن أبي سليم .

---

(٤١١) - رواه فى صحيحه كتاب الصلاة ، باب : استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ، حديث (٣٨٤) والحديث رواه أيضا أبو داود ، والترمذى والنسائى وغيرهم .

(٤١٢) - رواه فى المسند (٢/٢٦٥) وأعاده ابن كثير مرة أخرى فى تفسير سورة براءة / آية ٧٢ ، وهو عند عبد الرزاق فى مصنفه (٢/ ٢١٦- ٢١٧) (٣١٢٠) ورواه من طريقه المزى فى تهذيب الكمال (٢٤/ ١٩٨) ورواه الترمذى فى المناقب باب : فى فضل النبى صلى الله عليه وسلم ، حديث (٣٦١٢) من طريق أبي عاصم عن سفيان به ، ورواه ابن راهويه فى مسنده (٢٩٧) ، (٣٦٥) من طريقين عن ليث به ، ورواه أحمد فى المسند (٢/ ٣٦٥) من طريق شريك عن ليث به ، ولفظ الترمذى : « سلوا الله لى الوسيلة » قالوا : يا رسول الله ، وما الوسيلة ؟ ... » الحديث ، ولفظ رواية شريك عند أحمد : « صلوا على فإنها زكاة لكم واسألوا الله لى الوسيلة » فإنها درجة فى أعلى الجنة ... » الحديث .
وقال الترمذي : هذا حديث غريب إسناده ليس بالقوي ، وكعب ليس هو بمعروف ولا نعلم أحدًا =

---

[١] - سقط من : ز . [٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : ت .

(طريق[١] أخرىٰ) : عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه ، قال أبو بكر بن مردويه(٤١٣) : حدثنا عبد الباقي بن قانع[٢] ، حدثنا محمد بن نصر الترمذي ، حدثنا عبد الحميد بن صالح ، حدثنا أبو شهاب ، عن ليث ، عن المعلىٰ ، عن محمد بن كعب ، عن أبي هريرة رفعه ، قال : « **صلوا علي صلاتكم ، وسلوا اللَّه لي الوسيلة – فسألوه أو أخبرهم – أن الوسيلة درجة في الجنة ليس ينالها إلا رجل واحد وأرجو أن أكون أنا**[٣] » .

(حديث آخر) : قال الحافظ أبو القاسم الطبراني (٤١٤) ، أنا أحمد بن علي الأبار ، حدثنا

= روى عنه غير ليث بن أبي سليم .

قلت : ليث ضعيف ، والراوي عنه هو كعب المدني مجهول .

قال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (١٦١/٧) : سئل أبي عن كعب الذي روى عن أبي هريرة ؟ فقال : هو رجل وقع إلى الكوفة ، روى عنه ليث بن أبي سليم ، لا يعرف ، مجهول لا أعلم روى عنه غير ليث وأبي عوانة حديثًا واحدًا .

وقال الذهبي في الميزان (٣/الترجمة ٦٩٦٣) : شيخ مديني مجهول . وقال الحافظ في التقريب : مجهول .

وللحديث طريق آخر رواه البزار في مسنده كما في كشف الأستار (٣٦٣) عن ذؤاد بن علبة عن ليث عن مجاهد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صلوا علي ... » فذكر مثل رواية شريك .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٣٧/١) وقال : فيه ذؤاد بن علبة ، ضعفه ابن معين والنسائي وغيرهما ، ووثقه ابن نمير ، وقال موسى بن داود الضبي : ثنا ذؤاد بن علبة ، وأثنى عليه خيرًا ، وقال ابن عدي : هو في جملة الضعفاء ممن يكتب حديثه .

وله طريق أخرى نقلها المصنف عن ابن مردويه يأتي تخريجها رقم (٤٣٢) .

والحديث صححه الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح (٥٧٦٧) وفي صحيح الترمذي (٢٨٥٧) .

(٤١٣) – في إسناده أبو شهاب الحناط وهو عبد ربه بن نافع ، وثقه ابن معين ويعقوب بن شيبة وابن سعد وغيرهم ، وروى له الجماعة سوى الترمذي . ومعلى لم أجده منسوبًا ولم أعرفه ولعله يكون معلى بن زياد القردوسي الذى روى عن الحسن البصرى وطبقته ، وروى عنه حماد بن زيد وطبقته . وهو ثقة من رجال « التهذيب » وانظر الحديث السابق .

(٤١٤) – رواه فى الأوسط (٦٣٣) ، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (٣٣٨/١) وقال: فيه الوليد بن عبد الملك الحرانى ، وقد ذكره ابن حبان فى الثقات وقال: مستقيم الحديث إذا روى عن الثقات . =

[١] – في خ : « حديث » .

[٢] – في ز ، خ : « قالع » .

[٣] – سقط من : ز .

الوليد بن عبد الملك الحراني ، حدثنا موسىٰ بن أعين ، عن ابن أبي ذئب[١] ، عن محمد بن عمرو ابن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **سلوا اللَّه لي الوسيلة ، فإنه لم يسألها لي عبد في الدنيا إلا كنت له شهيدًا أو شفيعًا يوم القيامة** » .

ثم قال الطبراني : لم يروه عن ابن أبي ذئب إلا موسىٰ بن أعين ، كذا قال ، وقد رواه ابن مردويه : حدثنا محمد بن علي بن دحيم ، حدثنا أحمد بن حازم ، حدثنا عبيد اللَّه بن موسىٰ ، حدثنا موسىٰ بن عبيدة ، عن محمد بن عمرو بن عطاء ، فذكر بإسناده نحوه(٤١٥) .

(حديث آخر) : روىٰ ابن مردويه بإسناده ، عن عمارة بن غزية ، عن موسىٰ بن وردان ، أنه سمع أبا سعيد الخدري يقول : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن الوسيلة درجة عند اللَّه ليس[٢] فوقها درجة ، فسلوا اللَّه أن يؤتيني الوسيلة علىٰ خلقه** »(٤١٦) .

(حديث آخر) : روىٰ ابن مردويه أيضا من طريقين ، عن عبد الحميد بن بحر ، حدثنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن علي ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **في الجنة درجة تدعىٰ الوسيلة ، فإذا سألتم اللَّه فسلوا لي الوسيلة** » . قالوا : يا رسول

= قلت : وهذا من روايته عن موسى بن أعين وهو ثقة .

وكذا قال المنذرى فى الترغيب والترهيب (٢٥٨/١) ، وحسنه الشيخ الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (٢٥٢) .

(٤١٥) - فى إسناده موسى بن عبيدة الربذى وهو ضعيف من رجال « التهذيب » وانظر السابق .

(٤١٦) - رواه الطبرانى فى الأوسط (٢٦٣) ، (١٤٦٦) من طريقين عن عمارة بن غزية به ، وإسناده حسن ؛ عمارة بن غزية ثقة وثقه أحمد بن حنبل وأبو زرعة وابن سعد وغيرهم ، وقال ابن معين ، والنسائى : ليس به بأس ، روى له مسلم وأصحاب السنن .

وموسى بن وردان صدوق كما قال الذهبى فى « الكاشف » .

ورواه أحمد في مسنده (٨٣/٣) من طريق ابن لهيعة عن موسى بن وردان به ، وقال فيه : « فسلوا الله أن يؤتيني الوسيلة » .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٣٧/١) : رواه أحمد والطبراني في الأوسط وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف .

قلت : رواية الأوسط ليس فيها ابن لهيعة ، بل هي من طريق عمارة بن غزية عن موسى بن وردان كما تقدم .

والحديث له شاهد من حديث ابن عمرو المتقدم رقم (٤٢٣) وحديث أبي هريرة رقم (٤٢٤) .

---

[١] - في ز ، خ : « حبيب » . [٢] - سقط من : ز .

اللَّه ، من يسكن معك ؟ قال : « **علي وفاطمة والحسن والحسين** » (٤١٧) .

هذا حديث غريب منكر من هذا الوجه .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين، حدثنا الحسن الدشتكى ، حدثنا أبو زهير ، حدثنا سعد[١] بن طريف ، عن علي بن الحسين الأزدي مولىٰ سالم بن ثوبان ، قال : سمعت علي بن أبي طالب ينادي علىٰ منبر الكوفة : يا أيها الناس إن في الجنة لؤلؤتين إحداهما بيضاء ، والأخرىٰ صفراء أما الصفراء فإنها إلىٰ بطنان العرش ، والمقام المحمود من اللؤلؤة البيضاء سبعون ألف غرفة ، كل بيت منها ثلاثة أميال ، وغرفها ، وأبوابها ، وأسرتها ، وكأنها من عرق واحد، واسمها الوسيلة هي لمحمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم وأهل بيته ، [والصفراء فيها مثل ذلك هي لإبراهيم عليه السلام وأهل بيته][٢] .

وهذا أثر غريب أيضًا .

وقوله : ﴿ **وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون** ﴾ لما أمرهم بترك المحارم ، وفعل الطاعات ، أمرهم بقتال الأعداء من الكفار والمشركين ، الخارجين عن الطريق المستقيم ، و[٣] التاركين للدين القويم ، ورغبهم في[٤] ذلك بالذي أعده للمجاهدين في سبيله يوم القيامة ، من الفلاح والسعادة العظيمة الخالدة المستمرة ، التي لا تبيد ولا تحول ولا تزول ، في الغرف العالية الرفيعة الآمنة ، الحسنة[٥] مناظرها ، الطيبة مساكنها ، التي من سكنها ينعم لا ييأس ، ويحيىٰ لا يموت ، لا تبلىٰ ثيابه ، ولا يفنىٰ شبابه .

ثم أخبر تعالىٰ بما أعده لأعدائه الكفار من العذاب والنكال يوم القيامة فقال : ﴿ **إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعًا ومثله معه ليفتدوا [به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم** ﴾ أي : لو أن أحدهم جاء يوم القيامة بملء الأرض ذهبًا

(٤١٧) - إسناده ضعيف جدًّا عبد الحميد بن بحر ضعيف جدًّا ؛ قال ابن حبان في المجروحين (١٤٢/٢) : يروي عن مالك وشريك والكوفيين ما ليس من أحاديثهم ، كان يسرق الحديث ، لا يحل الاحتجاج به بحال .

وقال ابن عدي في الكامل (١٩٥٩/٥) : لعبد الحميد هذا غير حديث منكر رواه وسرقه من قوم ثقات . وانظر ترجمته في الميزان (٢٥٢/٣) .

[١] - في ز : « سعيد » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - في ز : « و » .

[٥] - سقط من: ز ، خ .

وبمثله ؛ ليفتدي]^[١] بذلك من عذاب اللّٰه الذي قد أحاط به ، وتيقن وصوله إليه ما تقبل ذلك منه بل لا مندوحة عنه ، ولا محيص له ، ولا مناص ؛ ولهذا قال : ﴿ **ولهم عذاب** [**أليم** ﴾ أي : موجع ﴿ **يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب**]^[٢] **مقيم** ﴾ كما قال تعالىٰ : ﴿ **كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها** ﴾ الآية ، فلا يزالون يريدون الخروج مما هم فيه من شدته ، وأليم مسه ، ولا سبيل لهم إلىٰ ذلك ، و[٣] كلما رفعهم اللهب ، فصاروا في أعلىٰ[٤] جهنم ، ضربتهم الزبانية بالمقامع الحديد ، فيردوهم إلىٰ أسفلها ﴿ **ولهم عذاب مقيم** ﴾ أي : دائم مستمر لا خروج لهم منها ، ولا محيد لهم عنها .

وقد قال حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **يؤتىٰ بالرجل من أهل النار ، فيقال**[٥] **له : يا ابن آدم ؛ كيف وجدت مضجعك ؟ فيقول : شر مضجع . فيقال**[٦] **: هل تفتدي بقراب الأرض ذهبًا ؟ قال ، فيقول : نعم ، يا رب . فيقول** [**اللّٰه تعالىٰ**]^[٧] **: كذبت ؛ قد سألتك أقل من ذلك فلم تفعل . فيؤمر به إلىٰ النار** » . رواه مسلم والنسائي(٤١٨) من طريق حماد بن سلمة بنحوه ، وكذا رواه البخاري ومسلم أخرجاه[٨] من طريق معاذ بن هشام الدستوائي ، عن أبيه ، عن قتادة ، عن أنس به(٤١٩) . وكذا أخرجاه من طريق أبي عمران الجوني واسمه : عبد الملك بن حبيب ، عن

---

(٤١٨) - رواه مسلم في صفات المنافقين ، باب صبغ أنعم أهل الدنيا في النار ، حديث (٢٨٠٧) من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ، ثم يقال : يا ابن آدم ! هل رأيت خيرًا قط ؟ هل مر بك نعيم قط ؟ فيقول : لا والله يا رب . ويؤتى بأشد الناس بؤسًا في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له : يا ابن آدم هل رأيت بؤسًا قط ؟ هل مر بك شدة قط ؟ فيقول : لا والله يا رب ، ما مر بي بؤس قط ، ولا رأيت شدة قط » .

ورواه النسائي في سننه كتاب الجهاد ، باب ما يتمنى أهل الجنة (٣٦/٦) من نفس الطريق مختصرًا .

ورواه أحمد في مسنده (٣/ ٢٥٣ ، ٣٠٣) وعبد بن حميد في مسنده كما في المنتخب (١٣١٣) .

(٤١٩) - رواه البخاري في الرقاق ، باب من نوقش الحساب عذب ، حديث (٦٥٣٨) ، ومسلم في صفات المنافقين ، باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهبًا ، حديث (٥٢١٢٨٠٥) ، من طريق معاذ ابن هشام به .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - في ز : « أعالي » .

[٥] - في خ : « فيقول » .

[٦] - في ز ، خ : « فيقول » .

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٨] - سقط من : ز ، خ .

أنس بن مالك به(٤٢٠) . ورواه مطر الوراق ، عن أنس بن مالك ، ورواه ابن مردويه من طريقه عنه(٤٢١) .

ثم روى[١] ابن مردويه من طريق المسعودي : عن يزيد بن صهيب الفقير ، عن جابر بن عبد الله : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **يخرج من النار قوم فيدخلون الجنة** » . قال : فقلت لجابر بن عبد الله : يقول الله : ﴿ **يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها** ﴾ قال : اتل أول الآية ﴿ **إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعًا ومثله معه ليفتدوا به** ﴾ الآية ، ألا إنهم الذين كفروا (٤٢٢) .

وقد روىٰ الإمام أحمد ومسلم هذا الحديث من وجه آخر ، عن يزيد الفقير ، عن جابر ، وهذا أبسط سياقا .

وقال ابن أبي حاتم(٤٢٣) : حدثنا [الحسين بن محمد بن شنبة][٢] الواسطي ، حدثنا يزيد بن

(٤٢٠) - رواه البخاري في أحاديث الأنبياء ، باب خلق آدم وذريته ، حديث (٣٣٣٤) ، ومسلم في صفات المنافقين ، باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهبًا ، حديث (٢٨٠٥ ، ٥١) من طريق أبي عمران الجوني عن أنس به .

(٤٢١) - في إسناده مطر الوراق ؛ ضعفه يحيى القطان وأحمد بن حنبل وابن معين والنسائي وغيرهم ، وقال البزار : ليس به بأس . وذكره ابن حبان في الثقات ، وتقدمت ترجمته ، وروايته عن أنس مرسلة ؛ قال أبو زرعة في الجرح والتعديل (٨/الترجمة١٣١٩) : روايته عن أنس مرسلة ، لم يسمع من أنس شيئًا .
وقد تقدم الحديث من غير هذا الطريق عن أنس في الصحيحين وغيرهما . انظر السابق .

(٤٢٢) - في إسناده المسعودي عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة وهو ثقة اختلط قبل موته بسنة أو سنتين وترجمته في التهذيب .
والحديث رواه مسلم في صحيحه (٣/٦١-٦٢) كتاب الإيمان ، باب : أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، حديث (١٩١) (٣١٩) ، وأحمد (٣/٣٥٥) من طريق قيس بن سليم العنبري قال : حدثني يزيد الفقير حدثنا جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن قومًا يخرجون من النار يحترقون فيها إلا دارات وجوههم حتى يدخلون الجنة » .

(٤٢٣) - في إسناده مبارك بن فضالة صدوق يدلس ويسوي ، لكنه صرح بالسماع من يزيد في هذا الإسناد .
والحديث رواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، حديث (٣٢٠) (١٩١) من طريق أبي عاصم قال : حدثني يزيد الفقير ... فذكره .

[١] - في ت : « رواه » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « الحسن بن محمد بن أبي شيبة » .

هارون ، أخبرنا مبارك بن فضالة ، حدثني يزيد الفقير ، قال : جلست إلىٰ جابر بن عبد اللّٰه ، وهو يحدث فحدث : أن ناسا يخرجون من النار ، قال : وأنا يومئذ أنكر ذلك فغضبت ، وقلت : ما أعجب من الناس ، ولكن أعجب منكم يا أصحاب محمد ، تزعمون أن اللّٰه يخرج ناسًا[١] من النار ، واللّٰه يقول : ﴿ **يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم** ﴾ الآية . فانتهرني أصحابه ، وكان أحلمهم فقال : دعوا الرجل ، إنما ذلك للكفار : ﴿ **إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعًا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة** ﴾ حتىٰ بلغ ﴿ **ولهم عذاب مقيم** ﴾ أما تقرأ القرآن ؟ قلت : بلىٰ ، قد جمعته . قال : أليس اللّٰه يقول : ﴿ **ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسىٰ أن يبعثك ربك مقاما محمودًا** ﴾ فهو ذلك المقام ، فإن اللّٰه تعالىٰ يحتبس أقوامًا بخطاياهم في النار ما شاء لا يكلمهم ، فإذا أراد أن يخرجهم أخرجهم . قال : فلم أعد بعد ذلك إلىٰ أن أكذب به .

ثم قال ابن مردويه (٤٢٤) : حدثنا دعلج بن أحمد ، حدثنا عمرو[٢] بن حفص السدوسي ، حدثنا عاصم بن علي ، أخبرنا العباس بن الفضل ، حدثنا سعيد بن المهلب ، حدثني طلق بن حبيب ، قال : كنت من أشد الناس تكذيبًا بالشفاعة ، حتىٰ لقيت جابر بن عبد اللّٰه ، فقرأت عليه كل آية أقدر عليها يذكر اللّٰه فيها خلود أهل النار . فقال : يا طلق ، أتراك أقرأ لكتاب اللّٰه وأعلم بسنة رسول اللّٰه مني ؟ إن الذين[٣] قرأت هم أهلها هم المشركون ، ولكن هؤلاء قوم أصابوا ذنوبًا فعذبوا ، ثم أخرجوا منها ، ثم أهوىٰ بيديه إلىٰ أذنيه ، فقال : صُمَّتا إن لم أكن سمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « **يخرجون من النار بعد ما**

(٤٢٤) - عمر بن حفص السدوسي ذكره ابن حبان في الثقات (٤٤٧/٨) وقال : من أهل البصرة ، يروي عن أبي الوليد الطيالسي والبصريين ، كتب عنه أصحابنا . وقال المعلق على كتاب الثقات : لم نظفر به .

والقاسم بن الفضل هو الحداني ثقة ، وشيخه سعيد بن المهلب ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٤/ الترجمة ٢٨٠) وذكره ابن حبان في الثقات (٣٦٦/٦) فقال في نسبه : « سعيد بن المهلب بن أبي صفرة » . وقال ابن حجر في « التقريب » : مقبول ، وقيل : إنه ابن المهلب بن أبي صفرة . وطلق بن حبيب تابعي صدوق رمي بالإرجاء ، وهذا جرح غير معتبر .

والحديث رواه أحمد في مسنده (٣٣٠/٣) من طريق عبد الصمد بن عبد الوارث قال : حدثنا القاسم ... فذكره كما رواه ابن مردويه ، ورواه البخاري في الأدب المفرد (٨١٨) من طريق موسى بن إسماعيل وهو ثقة عن القاسم به مختصرًا .

وقد تقدم الحديث من طرق عن جابر ، فالحديث بهذا الإسناد صحيح لغيره . والحديث ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٩٦/٢) وزاد نسبته للبيهقي في « شعب الإيمان » .

[١] - سقط من : ز . [٢] - في ز : « عمر » .

[٣] - في ز : « الذي » .

دخلوا » . ونحن نقرأ كما قرأت .

وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾

يقول تعالىٰ حاكمًا وآمرًا بقطع يد السارق والسارقة . وروىٰ الثوري ، عن جابر بن يزيد الجعفي ، عن عامر بن شراحيل الشعبي : أن ابن مسعود كان يقرؤها : (والسارق والسارقة فاقطعوا أيمانهما)(٤٢٥) وهذه قراءة شاذة ، وإن كان[١] الحكم عند جميع العلماء موافقا لها ، لا بها ، بل هو مستفاد من دليل آخر . وقد كان القطع معمولاً به في الجاهلية ، فقرر في الإسلام وزيدت شروط أخر ، كما سنذكره إن شاء اللَّه تعالىٰ ، كما كانت القسامة ، والدية ، والقراض ، وغير ذلك من الأشياء التي ورد الشرع بتقريرها علىٰ ما كانت عليه ، وزيادات هي من تمام المصالح . ويقال : إن أول من قطع الأيدي في الجاهلية قريش ، قطعوا رجلًا يقال له : دويك ، مولىٰ لبني مليح بن عمرو من خزاعة ، كان قد سرق كنز الكعبة ، ويقال : سرقه قوم فوضعوه عنده .

---

(٤٢٥) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١٠/٢٩٥) (١١٩١٠) قال : حدثنا ابن وكيع حدثنا أبى عن سفيان عن جابر به وسفيان بن وكيع ضعيف .

وجابر هو ابن يزيد الجعفى ضعيف أيضًا ورواه أيضًا فى (١١٩٠٧) حدثنا ابن وكيع حدثنا يزيد بن هارون عن ابن عون عن إبراهيم قال : فى قراءتنا - قال : وربما قال : فى قراءة عبد الله - (والسارقون والسارقات فاقطعوا أيمانهما) .

ورواه البيهقى فى سننه (٨/٢٧٠) من طريق سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى قال : ثنا مسلم بن خالد عن ابن أبى نجيح عن مجاهد به .

ومسلم بن خالد ضعفه غير واحد من الحفاظ واختلف فيه قول ابن معين والدارقطنى فوثقاه مرة وضعفاه أخرى ، وقال ابن عدى فى الكامل (٦/٢٣١٣) : وهو حسن الحديث ، وأرجو أنه لا بأس به . والأثر ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٢/٤٩٦) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وأبى الشيخ ، وذكر أيضًا رواية ابن عون عن إبراهيم وزاد نسبتها إلى سعيد بن منصور وابن المنذر وأبى الشيخ .

---

[١] - سقط من : ز .

وقد ذهب بعض الفقهاء من أهل الظاهر إلىٰ أنه متىٰ سرق السارق شيئًا ؛ قطعت يده به سواء كان قليلًا أو كثيرًا ؛ لعموم هذه الآية : ﴿ **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما** ﴾ فلم يعتبروا نصابًا ولا حرزًا بل أخذوا بمجرد السرقة .

وقد روىٰ ابن جرير وابن أبي حاتم : من طريق عبد المؤمن ، عن نجدة الحنفي قال : سألت ابن عباس عن قوله : ﴿ **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما** ﴾ أخاص أم عام ؟ فقال : بل عام(٤٢٦) .

وهذا يحتمل أن يكون موافقة [من ابن عباس][١] لما ذهب إليه هؤلاء ، ويحتمل غير ذلك . فالله أعلم .

وتمسكوا بما ثبت في الصحيحين(٤٢٧) ، عن أبي هريرة : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ، ويسرق الحبل فتقطع يده** » .

وأما الجمهور فاعتبروا [النصاب في][٢] السرقة وإن كان قد وقع بينهم الخلاف في قدره ، فذهب كل من الأئمة الأربعة إلىٰ قول علىٰ حدة ؛ فعند الإمام مالك بن أنس رحمه الله : النصاب ثلاثة دراهم مضروبة خالصة ، فمتىٰ سرقها أو ما يبلغ ثمنها فما فوقه وجب القطع ،

---

(٤٢٦) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١٠/ ٢٩٦) (١١٩١٤) قال : حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا عبد المؤمن به .

ونجدة بن نفيع الحنفى قال الذهبى فى الميزان (٥/٣٧٠) : لا يعرف . وقال ابن حجر فى « التقريب » : مجهول .

والأثر : ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٢ / ٤٩٦) وعزاه لابن جرير وابن أبى حاتم .

(٤٢٧) - رواه البخارى فى صحيحه كتاب الحدود ، باب : لعن السارق إذا لم يسم ، حديث (٦٧٨٣) ، وفي باب قول الله تعالى : ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ﴾ وفى كم يقطع ؟ حديث (٦٧٩٩) ، ومسلم فى صحيحه كتاب الحدود ، باب حد السرقة ونصابها ، حديث (١٦٨٧) وغيرهما من طرق عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة به .

(٤٢٨) - رواه مالك فى الموطأ كتاب الحدود ، باب : ما يجب فيه القطع ، حديث (٢١) ومن طريقه رواه البخارى فى صحيحه كتاب الحدود ، باب قول الله تعالى : ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ﴾ وفى كم تقطع ؟ حديث (٦٧٩٥) ومسلم فى الحدود ، باب : حد السرقة ونصابها ، حديث (١٦٨٦) .

ورواه البخارى فى نفس الموضع حديث (٦٧٩٦ - ٦٧٩٨) ، ومسلم (١٦٨٦) من طرق عن نافع عن ابن عمر به .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « لابن » . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

واحتج في ذلك بما رواه عن نافع عن ابن عمر : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم « **قطع في مِجَن ثمنه ثلاثة دراهم** » . أخرجاه في الصحيحين(٤٢٨) .

قال مالك رحمه اللَّه : وقطع عثمان رضي اللَّه عنه في أترجة قومت بثلاثة دراهم ، وهو أحب ما سمعت في ذلك . وهذا الأثر عن عثمان رضي اللَّه عنه قد رواه مالك ، عن عبد اللَّه بن أبي بكر ، عن أبيه ، عن عمرة بنت عبد الرحمن : أن سارقًا سرق في زمن عثمان أترجة ، فأمر بها عثمان أن تقوم ، فقومت بثلاثة دراهم من[١] صرف[٢] اثني[٣] [عشر درهما][٤] بدينار[٥] ، فقطع عثمان يده(٤٢٩) .

قال أصحاب مالك : ومثل هذا الصنيع يشتهر ، ولم ينكر ، فمن مثله يحكىٰ الإِجماع السكوتي ، وفيه دلالة علىٰ القطع في الثمار خلافا للحنفية ، وعلىٰ اعتبار ثلاثة دراهم خلافا لهم في أنه لابد من عشرة دراهم ، وللشافعية في اعتبار ربع دينار ، واللَّه أعلم .

وذهب الشافعي رحمه اللَّه إلىٰ : أن الاعتبار في قطع يد السارق بربع دينار ، أو ما يساويه من الأثمان أو العروض فصاعدًا ، والحجة في ذلك ما أخرجه الشيخان : البخاري ومسلم من طريق الزهري ، عن عمرة ، عن عائشة رضي اللَّه عنها : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **تقطع يد السارق في ربع دينار فصاعدًا** »(٤٣٠) .

ولمسلم من طريق أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن عمرة ، عن عائشة - رضي اللَّه

---

(٤٢٩) - رواه مالك فى الموطأ كتاب الحدود ، باب ما يجب فيه القطع ، حديث (٢٣) وعنه رواه الشافعى (٢/ رقم ٢٧٣- شفاء العى) والبيهقى فى السنن الكبرى (٨/ ٢٦٢) ، وإسناده صحيح .

(٤٣٠) - رواه الشافعى (٢ / رقم ٢٧٠- شفاء العى) ، والبخارى في صحيحه ، كتاب : الحدود ، باب قول الله تعالى : ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ﴾ وفى كم يقطع ؟ حديث (٦٧٨٩) ، ومسلم فى صحيحه فى الحدود ، باب : حد السرقة ونصابها ، حديث (١٦٨٤ / ١) من طريق الزهرى عن عمرة عن عائشة .

ورواه البخارى رقم (٦٧٩٠) ، ومسلم (١٦٨٤ /٢) وغيرهما من طريق يونس عن ابن شهاب عن عروة وعمرة عن عائشة به .

وللحديث طرق أخرى فى الصحيحين وغيرهما والألفاظ متقاربة . وانظر التالي .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في ز : « اثنا » ، وسقط من : ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

عنها - : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعدًا** »[(٤٣١)] .

قال أصحابنا : فهذا الحديث فاصل في المسألة ، ونص في اعتبار ربع الدينار لا ما ساواه . قالوا : وحديث ثمن المجن ، وأنه كان ثلاثة دراهم لا ينافي هذا ؛ لأنه إذ ذاك كان الدينار باثنى عشر درهمًا ، فهي ثمن ربع دينار ، فأمكن الجمع بهذا الطريق .

ويرویٰ هذا المذهب عن عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب - رضي اللّٰه عنهم- وبه يقول عمر بن عبد العزيز ، والليث بن سعد ، والأوزاعي ، والشافعي ، وأصحابه ، وإسحاق بن راهويه في رواية عنه ، وأبو ثور ، وداود بن علي الظاهري . رحمهم اللّٰه.

وذهب الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه في رواية عنه : إلىٰ أن كل واحد من ربع الدينار والثلاثة دراهم مرد شرعي ، فمن سرق واحدًا منهما ، أو ما يساويه قطع عملا بحديث ابن عمر ، وبحديث عائشة رضي اللّٰه عنهما[(٤٣٢)] ، ووقع في لفظ عند الإمام أحمد[(٤٣٣)] ، عن عائشة : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **اقطعوا في ربع دينار ولا تقطعوا فيما هو أدنىٰ من ذلك** » . وكان ربع الدينار يومئذ ثلاثة دراهم والدينار اثني عشر درهمًا . وفي لفظ للنسائي[(٤٣٤)] : « **لا تقطع يد السارق فيما دون ثمن المجن** » قيل لعائشة : ما ثمن المجن ؟ قالت[[١]] : ربع دينار .

وهذه كلها نصوص دالة علىٰ عدم اشتراط عشرة دراهم ، واللّٰه أعلم.

وأما الإمام أبو حنيفة وأصحابه : أبو يوسف ومحمد وزفر ، وكذا سفيان الثوري ، رحمهم اللّٰه ، فإنهم ذهبوا إلىٰ أن النصاب : عشرة دراهم مضروبة غير مغشوشة ، واحتجوا

---

(٤٣١) - رواه مسلم فى صحيحه فى الحدود ، باب حد السرقة ونصابها ، حديث (١٦٨٤/ ٤) ، والنسائى فى كتاب قطع السارق ، باب : ذكر اختلاف أبى بكر بن محمد وعبد الله بن أبى بكر عن عمرة فى هذا الحديث (٨/ ٧٩ - ٨٠) من طريق أبى بكر بن محمد به ، وانظر الحديث السابق .

(٤٣٢) - تقدم حديث ابن عمر رقم (٤٤٨) ، وحديث عائشة تقدم رقم (٤٥٠) ، (٤٥١) .

(٤٣٣) - رواه فى المسند (٦/ ٨١) من طريق أبى بكر بن محمد عن عمرة . وفيه قصة ، وانظر رقم (٤٥١) .

(٤٣٤) - رواه النسائى فى قطع السارق ، باب : ذكر اختلاف أبى بكر بن محمد وعبد الله بن أبى بكر عن عمرة فى هذا الحديث (٧/ ٨١) من طريق سليمان بن يسار عن عمرة عن عائشة .

---

[١] - في ز : « قال » .

بأن ثمن المجن الذي قطع فيه يد[١] السارق علىٰ عهد رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم كان ثمنه عشرة دراهم ، وقد روىٰ أبو بكر بن أبي شيبة(٤٣٥) : حدثنا ابن نمير وعبد الأعلىٰ ، عن محمد ابن إسحاق ، [عن أيوب بن موسىٰ ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : كان ثمن المجن علىٰ عهد

(٤٣٥) - رواه ابن أبي شيبة فى الحدود ، باب : من قال : لا تقطع فى أقل من عشرة دراهم ، (٦/ ٤٦٥) (٢) وعنه أبو يعلى فى مسنده (٤ / ٣٧٥) (٢٤٩٥) قال : حدثنا عبد الأعلى عن محمد بن إسحاق ... فذكره بإسناده إلى ابن عباس قال : لا تقطع يد السارق فى دون ثمن المجن وثمن المجن عشرة دراهم .

ورواه النسائى فى كتاب قطع السارق ، باب : ذكر اختلاف أبى بكر بن محمد وعبد الله عن عمرة فى هذا الحديث (٨/ ٨٣) ، والدارقطنى فى سننه (٣/ ١٩٢) عن ابن نمير ، والحاكم (٤/ ٣٧٨) والدارقطنى (٣/ ١٩٢) والبيهقى (٨/ ٢٥٧) من طريق أحمد بن خالد الوهبى كلاهما ، (ابن نمير ، وأحمد بن خالد) عن محمد بن إسحاق بإسناده بلفظ : « كان ثمن المجن على عهد رسول الله صلى عليه وسلم يقوم عشرة دراهم » .

ورواه أبو داود فى الحدود ، باب ما يقطع فيه السارق حديث (٤٣٨٧) من طريقين عن ابن نمير عن محمد ابن إسحاق بنفس الإسناد ولفظه : « قطع رسول الله صلى الله عليه وسلم يد رجل فى مجن قيمته دينار أو عشرة دراهم » وهذا إسناده ضعيف ؛ محمد بن إسحاق صدوق لكنه يدلس وقد عنعن فى هذا الإسناد واختلف عليه فيه ؛ فرواه النسائى (٨٣/٨) عن محمد بن سلمة قال : حدثني ابن إسحاق عن أيوب بن موسى عن عطاء مرسل ، ومحمد بن سلمة هو الحرانى ثقة لكن خالفه عبد الأعلى وابن نمير ، وأحمد بن خالد الوهبى ؛ فرووه عن ابن إسحاق موصولاً فروايتهم عن ابن إسحاق أصح .

ورواه النسائى (٨٣/٨) من طريق إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق قال : حدثنى عمرو بن شعيب عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس به .

وإبراهيم بن سعد ثقة من رجال الشيخين فيبدو أن ابن إسحاق قد اضطرب فى هذا الحديث ؛ فرواه مرة موصولاً ومرة مرسلًا ، ومرة عن أيوب عن عطاء ، وأخرى عن عمرو بن شعيب عن عطاء .

والحديث ضعفه الألبانى فى ضعيف أبى داود (٩٤٤) ، وضعيف النسائى (٣٦١ - ٣٦٣) لكن يشهد له حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن قيمة المجن كان على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم عشرة دراهم » ؛ رواه أحمد (١٨٠/٢) والنسائى (٨٤/٨) وابن أبى شيبة (٤٦٥/٦) من طريق عبد الله ابن إدريس عن محمد بن إسحاق عن عمرو بن شعيب به ، والحديث عمرو هذا طرق خرجها الألبانى - حفظه الله - فى الإرواء (٢٤١٣) وحسن الحديث . وقد جمع الشافعى - رحمه الله - بين هذا وما رواه الشيخان من حديث ابن عمر بن الخطاب المتقدم رقم (٤٤٢) : أن قيمة المجن ثلاثة دراهم فقال - رضى الله عنه - : هذا رأى من عبد الله بن عمرو فى رواية عمرو بن شعيب والمجان قديمًا وحديثًا سلع يكون ثمن عشرة ، ومائة ، ودرهمين ، فإذا قطع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى ربع دينار قطع فى أكثر منه » .

[١] - سقط من : خ .

النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم عشرة دراهم .

ثم قال(٤٣٦) : حدثنا عبد الأعلىٰ، عن محمد بن إسحاق][١] ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **لا تقطع يد السارق في دون ثمن المجن** » . وكان ثمن المجن عشرة دراهم .

قالوا : فهذا ابن عباس وعبد اللّٰه بن عمرو قد خالفا ابن عمر في ثمن المجن ؛ فالاحتياط : الأخذ بالأكثر ؛ لأن الحدود تدرأ بالشبهات (٤٣٧) .

وذهب بعض السلف إلىٰ أنه تقطع يد السارق في عشرة دراهم أو دينار[٢] ، أو ما يبلغ قيمته واحدًا[٣] منهما . يحكىٰ هذا عن علي ، وابن مسعود ، وإبراهيم النخعي ، وأبي جعفر الباقر ، رحمهم اللّٰه تعالىٰ .

وقال بعض السلف : لا تقطع الخمس إلا في خمس . أي : في خمسة دنانير أو خمسين درهمًا ، وينقل هذا عن سعيد بن جبير رحمه اللّٰه .

وقد أجاب الجمهور عما تمسك به الظاهرية من حديث أبي هريرة : « **يسرق البيضة فتقطع يده ، ويسرق الحبل فتقطع يده** »(٤٣٨) بأجوبة :

أحدها : أنه منسوخ بحديث عائشة (٤٣٩) ، وفي هذا نظر ؛ لأنه لابد من بيان التاريخ .

والثاني : أنه مؤول ببيضة الحديد وحبل السفن . قاله الأعمش فيما حكاه البخاري وغيره عنه(٤٤٠) .

---

(٤٣٦) - رواه ابن أبي شيبة فى مصنفه فى الحدود ، باب من قال : لا تقطع فى أقل من عشرة دراهم ، حديث (٢) ، وانظر تخريجه فى الحديث السابق .

(٤٣٧) - انظر كلام الشافعى فى الجمع بين الروايتين فى رقم (٤٤١) .

(٤٣٨) - تقدم رقم (٤٣٧) .

(٤٣٩) - تقدم حديث عائشة رقم (٤٤١) ، (٤٤٢) .

(٤٤٠) - رواه البخارى فى صحيحه فى الحدود ، باب لعن السارق إذا لم يسم ، عقب حديث أبى هريرة رقم (٦٧٨٣) المتقدم برقم (٤٤٧) قال : قال الأعمش ... فذكره ، وقال الحافظ فى شرحه : هو موصول بالإسناد المذكور . أى : إسناد حديث أبى هريرة .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز : « دينارًا » . [٣] - في ز : « واحد » .

والثالث : أن هذه وسيلة إلىٰ التدرج في السرقة من القليل إلىٰ الكثير الذي تقطع فيه يده ، ويحتمل أن يكون هذا خرج مخرج الإخبار عما كان الأمر عليه في الجاهلية حيث كانوا يقطعون في القليل والكثير ، فلعن السارق الذي يبذل يده الثمينة في الأشياء المهينة .

وقد ذكروا أن أبا العلاء المعري لما قدم بغداد[١] اشتهر عنه أنه أورد إشكالًا علىٰ الفقهاء ، في جعلهم نصاب السرقة ربع دينار ، ونظم في ذلك شعرًا دل علىٰ جهله وقلة عقله ، فقال :

[يد بخمس مئين عسجد وُدِيَتْ[٢] ما بالها قطعت في ربع دينار
تناقض مالنا إلا السكوت له وأن نعوذ بمولانا من النار][٣]

ولما قال ذلك واشتهر عنه تطلبه الفقهاء ، فهرب منهم ، وقد أجابه الناس في ذلك ، فكان جواب القاضي عبد الوهاب المالكي رحمه اللَّه أنه قال : لما كانت أمينة ، كانت ثمينة ، ولما خانت هانت . ومنهم من قال : هذا من تمام الحكمة والمصلحة وأسرار الشريعة العظيمة ، فإنه[٤] في باب الجنايات ناسب أن تعظم قيمة اليد بخمسمائة دينار ؛ لئلا يجنىٰ عليها ، وفي باب السرقة ناسب أن يكون القدر الذي تقطع فيه ربع دينار ؛ لئلا يتسارع الناس في سرقة الأموال ، فهذا هو عين الحكمة عند ذوي الألباب. ولهذا قال : ﴿ **جزاء بما كسبا نكالًا من اللَّه ، واللَّه عزيز حكيم** ﴾ أي : مجازاة علىٰ صنيعهما السيىء في أخذهما أموال الناس بأيديهم ، فناسب أن يقطع ما استعانا به في ذلك .

﴿ **نكالا من اللَّه** ﴾ أي : تنكيلًا من اللَّه بهما علىٰ ارتكاب ذلك . ﴿ **واللَّه عزيز** ﴾ أي : في انتقامه . ﴿ **حكيم** ﴾ أي[٥] : في أمره ونهيه ، وشرعه وقدره .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن اللَّه يتوب عليه ، إن اللَّه غفور رحيم** ﴾ أي : من تاب بعد سرقته وأناب إلىٰ اللَّه ؛ فإن اللَّه يتوب عليه فيما بينه وبينه ، فأما أموال الناس فلابد من ردها إليهم أو بدلها عند الجمهور .

وقال أبو حنيفة : متىٰ قطع وقد تلفت في يده فإنه لا يرد [ ][٦] بدلها ، وقد روىٰ الحافظ أبو الحسن الدارقطني من حديث [محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان][٧] عن أبي هريرة أن رسول اللَّه

---

[١] - في ز : « بغذاد » .
[٢] - في ز : « فديت » .
[٣] - في ز : « البيت الأول بعد البيت الثاني » .
[٤] - في ز : « فإن » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « في » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أتي بسارق قد سرق شملة ، فقال : « ما إخاله سرق ؟ » فقال السارق : بلىٰ يا رسول اللّٰه . قال : « اذهبوا به فاقطعوه ثم احسموه ثم ائتوني به » . فقطع فأتي به ، فقال : « تب إلىٰ اللّٰه » . فقال : تبت إلىٰ اللّٰه . فقال : « تاب اللّٰه عليك »(٤٤١) .

وقد روي من وجه آخر مرسلًا ، ورجح إرساله علي بن المدني[١] وابن خزيمة رحمهما اللّٰه .

(٤٤١) - رواه الدارقطني في سننه (٣/ ١٠٢) ومن طريقه البيهقي في سننه (٨/ ٢٧١) ورواه البزار في مسنده كما في كشف الأستار (١٥٦٠) ، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٣/ ١٦٨) والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٨١) ، والبيهقي (٨/ ٢٧٥- ٢٧٦) من طرق عن عبد العزيز بن محمد الدراوردي به موصولًا ، وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي

قلت : وليس هو على شرط مسلم ، فإنه اختلف فيه عن الدراوردي ، فرواه جماعة عن الدراوردي متصلًا وتابعه على وصله سيف بن محمد عند الدارقطني (٣/ ١٠٣) وهو كذاب كما في« التقريب » ورواه سريج بن يونس وسعيد بن منصور - كما في علل الدارقطني (١٠/ ٦٦)- وعلى بن المديني كما في سنن البيهقي (٨/ ٢٧١) عن الدراوردي مرسلًا لم يذكروا فيه أبا هريرة ، وهو الصواب ؛ فإن المرسل رواه عبد الرزاق في مصنفه (٣٨٩/٧) (١٣٥٨٣) عن ابن جريج وسفيان الثوري . وأبو داود في مراسيله . والدارقطني (٣/ ١٠٣) ، والطحاوي (٣/ ١٦٨) والبيهقي (٨ / ٢٧١) عن سفيان الثوري ، والطحاوي عن ابن جريج ، وأبو عبيد في غريب الحديث (١/ ٣٤٩) عن إسماعيل بن جعفر ، والطحاوي والبيهقي عن ابن إسحاق ، أربعتهم (سفيان ، وابن جريج ، وإسماعيل ، وابن إسحاق) عن يزيد بن خصيفة به مرسلًا . ورجح ابن خزيمة وابن المديني - كما في التلخيص الحبير (٤/ ٧٤) والدارقطني في العلل (١٠/ ٦٧) وغير واحد - : إرساله ، قال ابن حجر : وصحح ابن القطان الموصول . والحديث ضعفه الألباني في الإرواء (٢٤٣١) ، وانظر نصب الراية (٣/ ٣٧١) وللحديث شاهد من رواية حماد بن سلمة عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أبي المنذر مولى أبي ذر عن أبي أمية المخزومي أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أتي بلص اعترف اعترافًا ولم يوجد معه متاع ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما إخالك سرقت ؟ » قال : بلى قال : « فاذهبوا به فاقطعوه ثم جيئوا به » فقطعوه ثم جاءوا به .

فقال له : « قل : أستغفر الله وأتوب إليه » . فقال : أستغفر الله وأتوب إليه . قال : « اللهم تب عليه » .

أخرجه أحمد (٥/ ٢٩٣) ، وأبو داود في الحدود ، باب في التلقين في الحد ، حديث (٤٣٨٠) ، والنسائي في قطع السارق ، باب تلقين السارق (٨/ ٦٧) ، وابن ماجه في الحدود ، باب تلقين السارق حديث (٢٥٩٧) والدارمي (٢٣٠٨) ، والطحاوي في شرح المعاني (٣/ ١٦٨ - ١٦٩) ، والبيهقي (٨/ ٢٧٦) من طرق عن حماد بن سلمة به .

وإسناده ضعيف لجهالة أبي المنذر مولى أبي ذر ؛ قال الخطابي - كما في التلخيص الحبير (٧٤/٤) - في إسناده مقال ، قال : والحديث إذا رواه مجهول لم يكن حجة ، ولم يجب الحكم به . والحديث ضعفه أيضا الألباني في إرواء الغليل (٢٤٤٦) .

[١] - في ز : « المديني » .

وروىٰ ابن ماجة(٤٤٢) : من حديث ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن عبد الرحمن بن ثعلبة الأنصاري ، عن أبيه : أن عمرو بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس جاء إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله إني سرقت جملا لبني فلان ، فطهرني . فأرسل إليهم النبي صلىٰ الله عليه وسلم فقالوا : إنا افتقدنا جملا لنا فأمر به فقطعت يده ، [قال ثعلبة : أنا أنظر إليه حين وقعت يده][١] وهو يقول : الحمد لله الذي طهرني منك أردت أن تدخلي جسدي النار .

وقال ابن جرير (٤٤٣) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا موسىٰ بن داود ، حدثنا ابن لهيعة ، عن حيي[٢] بن عبد الله ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : سرقت امرأة حليًا ، فجاء الذين سرقتهم ، فقالوا : يا رسول الله ، سرقتنا هذه المرأة . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **اقطعوا يدها اليمنىٰ** » . فقالت المرأة : هل من توبة ؟ فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أنت اليوم من خطيئتك كيوم ولدتك أمّك** » . قال : فأنزل الله عز وجل ﴿ **فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم** ﴾ .

وقد رواه الإمام أحمد بأبسط من هذا ، فقال(٤٤٤) : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثني حيي بن عبد الله ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي ، عن عبد الله بن عمرو : أن امرأة سرقت علىٰ عهد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فجاء بها الذين سرقتهم ، فقالوا : يا رسول الله ، إن هذه المرأة سرقتنا . قال قومها : فنحن نفديها . فقال رسول الله صلىٰ الله

---

(٤٤٢) - رواه ابن ماجه فى سننه كتاب الحدود ، باب السارق يعترف ، حديث (٢٥٨٨) قال : حدثنا محمد بن يحيى حدثنا ابن أبى مريم أنبأنا ابن لهيعة به .

ورواه الطبرانى فى الكبير (٢/ ٨٦) (١٣٨٥) حدثنا أبو حبيب يحيى بن نافع المصرى ثنا سعيد بن أبى مريم ثنا ابن لهيعة به .

وإسناده ضعيف ؛ لضعف عبد الله بن لهيعة . والحديث ضعفه البوصيرى فى مصباح الزجاجة (٢/ ٣١٧) ، والألبانى فى ضعيف ابن ماجه (٥٦٢) .

(٤٤٣) - رواه فى تفسيره (١٠/ ٢٩٩) (١١٩١٧) ، ورواه أحمد فى مسنده (٢/ ١٧٧) قال : حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة ... فذكره ، وقد نقله عنه الحافظ ابن كثير هنا .

والحديث فى إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف ، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (٦/ ٢٧٩) وقال : رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف ، وبقية رجاله ثقات .

وذكره الحافظ فى الفتح (١٢/ ٩٥) ساكتًا عليه ، وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٢/ ٤٩٧) وزاد نسبته لابن أبى حاتم . وأصل قصة المخزومية فى الصحيحين من حديث عائشة كما سيأتى .

(٤٤٤) - رواه فى مسنده (٢/ ١٧٧) ، وانظر الحديث السابق .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .   [٢] - في خ : « يحيى » .

عليه وسلم : « **اقطعوا يدها** » . [فقالوا : نحن نفديها بخمسمائة دينار فقال : « **اقطعوا يدها** » . قال][١] : فقطعت يدها اليمنىٰ فقالت المرأة : هل لي من توبة يا رسول الله ؟ قال : « **نعم ، أنت اليوم من خطيئتك كيوم ولدتك أمك** » . فأنزل الله في سورة المائدة ﴿ **فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم** ﴾ .

وهذه المرأة هي المخزومية التي سرقت ، وحديثها ثابت في الصحيحين(٤٤٥) من رواية الزهري ، [عن عروة][٢] ، عن عائشة : أن قريشًا أهمهم شأن المرأة التي سرقت في عهد النبي صلىٰ الله عليه وسلم في غزوة الفتح ، فقالوا : من يكلم فيها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؟ فقالوا : ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم . فأتي بها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فكلمه فيها أسامة بن زيد ، فتلون وجه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال : « **أتشفع في حدٍّ من حدود الله -عز وجل- !** » . فقال له أسامة : استغفر لي يا رسول الله . فلما كان العشي قام رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فاختطب ، فأثنىٰ علىٰ الله بما هو أهله ، ثم قال : « **أما بعد ، فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدّ ، وإني والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها** » . ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت فقطعت يدها . قالت عائشة : فحسنت توبتها بعد وتزوّجت ، وكانت تأتي بعد ذلك ، فأرفع حاجتها إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم . وهذا لفظ مسلم ، وفي لفظ له عن عائشة قالت : كانت امرأة مخزومية تستعير المتاع وتجحده ، فأمر النبي صلىٰ الله عليه وسلم بقطع يدها .

وعن ابن عمر قال : كانت امرأة مخزومية تستعير متاعًا علىٰ ألسنة جاراتها وتجحده ، فأمر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بقطع يدها . رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والنسائي وهذا لفظه ، وفي لفظ له : أن امرأة كانت تستعير الحلي للناس ، ثم تمسكه ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « [**لتتب هذه المرأة إلىٰ الله وإلىٰ رسوله وتردّ ما تأخذ علىٰ القوم** » .

(٤٤٥) - رواه البخارى فى صحيحه كتاب الحدود ، باب : كراهية الشفاعة فى الحد إذا رفع إلى السلطان ، حديث (٦٧٨٨) وأطرافه في (٢٦٤٨) ، (٣٤٧٥) ، (٣٧٣٢) ، (٣٧٣٣) ، (٤٣٠٤) ، (٦٧٨٧) ، (٦٧٨٨) ، (٦٨٠٠) ، ومسلم فى كتاب الحدود ، باب قطع السارق الشريف وغيره ، والنهى عن الشفاعة فى الحدود حديث (١٦٨٨) من طرق عن الزهرى عن عروة به ، والروايات مطولة ومختصرة وألفاظها متقاربة المعنى ، واللفظ الذى ذكره المصنف لفظ مسلم برقم (١٦٨٨/ ٩) ، واللفظ الثانى الذى ذكره الحافظ ابن كثير عند مسلم برقم (١٠/١٦٨٨) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ. [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ.

ثم قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم][1] : « **قم يا بلال فخذ بيدها فاقطعها** »(٤٤٦) .

وقد ورد في أحكام السرقة أحاديث كثيرة مذكورة في كتاب الأحكام ، ولله الحمد والمنة .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض** ﴾ أي : هو المالك لجميع ذلك ، الحاكم فيه الذي لا معقب لحكمه ، وهو الفعال لما يريد [﴿ **يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله علىٰ كل شيء قدير** ﴾][2] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ۛ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ

(٤٤٦) - رواه أحمد (٢/١٥١) ، وأبو داود فى الحدود ، باب : فى القطع فى العارية إذا جحدت ، حديث (٤٣٩٥) والنسائى فى كتاب قطع السارق ، باب ما يكون حرزًا وما لا يكون (٨/٧٠ - ٧١) من طريق عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن نافع عن ابن عمر وإسناده صحيح على شرط الشيخين كما قال الألبانى فى إرواء الغليل (٨/ ٦٦) .

واللفظ الثانى رواه النسائى فى (٨/ ٧١) قال : أخبرنا عثمان بن عبد الله قال حدثنى الحسن بن حماد ، قال : حدثنا عمرو بن هاشم الجنبى أبو مالك عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما به .

ومن طريقه رواه المزى فى « تهذيب الكمال » فى ترجمة الحسن بن حمّاد الحضرمى ، وفى إسناده أبو مالك الجنبى قال البخارى فى التاريخ (٦/٣٨١) فيه نظر . وقال أبو حاتم الرازى فى الجرح والتعديل (٦/ ٢٦٧) لين الحديث يكتب حديثه . وقال النسائى : ليس بالقوى . وقال ابن حبان فى المجروحين (٢/ ٧٧) : كان ممن يقلب الأسانيد ويروى عن الثقات ما لا يشبه حديث الأثبات ، لا يجوز الاحتجاج بخبره . وقال ابن حجر فى « التقريب » : لين أفرط فيه ابن حبان .

ورواه النسائى (٨/ ٧١) من طريق شعيب بن إسحاق عن عبيد الله عن نافع به مرسلًا .

والحديث ذكره الحافظ فى فتح البارى (١٢/ ٩٠) من الطريقين وزاد نسبتهما إلى أبى عوانة .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ.

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « ﴿ **يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير** ﴾ » .

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔاۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًاۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾

نزلت هذه الآيات الكريمات في المسارعين في الكفر، الخارجين عن طاعة اللّٰه ورسوله، المقدمين آراءهم[١] وأهواءهم على شرائع اللّٰه عز وجل ﴿ **ومن الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم** ﴾ أي: أظهروا الإيمان بألسنتهم، وقلوبهم خراب خاوية منه، وهؤلاء هم المنافقون ﴿ **ومن الذين هادوا** ﴾ أعداء الإسلام وأهله وهؤلاء كلهم ﴿ **سماعون للكذب** ﴾ أي: مستجيبون[٢] له منفعلون عنه ﴿ **سماعون لقوم آخرين لم يأتوك** ﴾ أي: يستجيبون لأقوام آخرين[٣] لا يأتون مجلسك يا محمد، وقيل: المراد أنهم يتسمعون الكلام وينهونه إلى أقوام آخرين ممن لا يحضر عندك من أعدائك ﴿ **يحرّفون الكلم من بعد مواضعه** ﴾ أي: يتأولونه على غير تأويله ويبدّلونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ﴿ **يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا** ﴾.

قيل: نزلت في أقوام من اليهود قتلوا قتيلًا، وقالوا: تعالوا حتى نتحاكم إلى محمد، فإن أفتانا بالدية فخذوا ما قال، وإن حكم بالقصاص فلا تسمعوا منه.

---

[١] - في ز، خ: «أموالهم». [٢] - في ز: «يستجيبون».

[٣] - سقط من: ز، خ.

والصحيح : أنها نزلت في اليهوديَّيْن اللذين[١] زنيا ، وكانوا قد بدلوا كتاب اللّٰه الذي بأيديهم من الأمر برجم من أحصن منهم فحرّفوا ، واصطلحوا فيما بينهم علىٰ الجلد مائة جلدة ، والتحميم والإركاب علىٰ حمار مقلوبين ، فلما وقعت تلك الكائنة بعد هجرة النبي صلى اللّٰه عليه وسلم قالوا فيما بينهم : تعالوا حتىٰ نتحاكم إليه ، فإن حكم بالجلد والتحميم فخذوا عنه ، واجعلوه حجة بينكم وبين اللّٰه ، ويكون نبي من أنبياء اللّٰه قد حكم بينكم[٢] بذلك ، [وإن حكم بالرجم فلا تتبعوه في ذلك .

وقد وردت الأحاديث بذلك][٣] فقال مالك ، عن نافع ، عن عبد اللّٰه بن عمر رضي اللّٰه عنهما أنه قال : إن اليهود جاءوا إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فذكروا له أن رجلا منهم وامرأة زنيا ، فقال لهم رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ما تجدون في التوراة في شأن الرجم ؟** » فقالوا : نفضحهم ويجلدون . قال عبد اللّٰه بن سلام : كذبتم ، إن فيها الرجم . فأتوا بالتوراة فنشروها ، فوضع أحدهم يده علىٰ آية الرجم ، فقرأ[٤] ما قبلها وما بعدها ، فقال له عبد اللّٰه بن سلام : ارفع يدك . فرفع يده فإذا فيها[٥] آية الرجم ، فقالوا : صدق يا محمد فيها آية الرجم . فأمر بهما رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فرجما ، فرأيت الرجل يحني علىٰ المرأة يقيها الحجارة (٤٤٧) .

أخرجاه[٦] وهذا لفظ البخاري ، وفي لفظ له فقال لليهود : « **ما تصنعون بهما ؟** » . قالوا :

(٤٤٧) - رواه مالك فى الموطأ فى الحدود باب : ما جاء فى الرجم حديث (١) ومن طريقه البخارى فى صحيحه فى المناقب . باب قول الله تعالى : ﴿ يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ... ﴾ الآية حديث (٣٦٣٥).

وفى الحدود ، باب أحكام أهل الذمة وإحصانهم إذا زنوا . ورفعوا إلى الإمام حديث (٦٨٤١) ومسلم فى الحدود ، باب: رجم اليهود ، أهل الذمة ، فى الزنى ، حديث (١٦٩٩/٢٧) ، وأبو داود فى الحدود ، باب : فى رجم اليهوديين ، حديث (٤٤٤٦) ، والترمذى فى الحدود ، باب : ما جاء فى رجم أهل الكتاب حديث (١٤٣٦) ورواية الترمذى مختصرة .

ورواه البخارى رقم (١٣٢٩) ، (٤٥٥٦) ، (٧٣٣٢) ، (٧٥٤٣) ومسلم (١٦٩٩) وغيرهما من طرق عن نافع عن ابن عمر ، والروايات مختصرة مطولة .

ورواه البخارى فى (٦٨١٩) من طريق عبد الله بن دينار عن ابن عمر نحو رواية نافع .

[١] - في ز : « الذين » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - في خ : « فقال » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز : « وأخرجاه » .

نُسخِّم وجوههما ونخزيهما . قال : ﴿ **فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين** ﴾ فجاءوا فقالوا لرجل منهم ممن يرضون أعور : اقرأ ، فقرأ حتىٰ انتهىٰ إلىٰ موضع منها فوضع يده عليه ، فقال[١] : ارفع يدك ، فرفع فإذا آية الرجم تلوح ، قال : يا محمد إن فيها آية الرجم ولكنا نتكاتمه بيننا ، فأمر بهما فرجما (٤٤٨) .

وعند مسلم : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أتي بيهودي ويهودية قد زنيا ، فانطلق رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم حتىٰ جاء يهود فقال : « **ما تجدون في التوراة علىٰ من زنىٰ ؟** » قالوا : نسوّد وجوههما [ونحملهما ونخالف بين وجوههما][٢] ويطاف بهما . قال : ﴿ **فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين** ﴾ قال : فجاءوا بها فقرءوها ، حتىٰ إذا مر بآية الرجم وضع الفتىٰ الذي يقرأ يده علىٰ آية الرجم ، وقرأ ما بين يديها وما وراءها ، فقال له عبد اللَّه بن سلام وهو مع رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : مره فليرفع يده . [فرفع يده][٣] فإذا تحتها آية الرجم ، فأمر بهما رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فرجما[٤] . قال عبد اللَّه بن عمر : كنت فيمن رجمهما ، فلقد رأيته يقيها من الحجارة بنفسه (٤٤٩) .

وقال أبو داود (٤٥٠) : حدثنا أحمد بن سعيد الهمداني ، حدثنا ابن وهب ، حدثنا هشام بن

(٤٤٨) - رواه البخاري في التوحيد ، باب : ما يجوز من تفسير التوراة من كتب الله بالعربية وغيرها .. حديث (٧٥٤٣) ، وانظر الحديث السابق .

(٤٤٩) - صحيح مسلم كتاب الحدود ، باب رجم اليهود ، أهل الذمة فى الزنى ، حديث (١٦٩٩/٢٦) ، وانظر الحديث (٤٦٧) .

(٤٥٠) - رواه فى سننه كتاب الحدود ، باب : فى رجم اليهوديين حديث (٤٤٤٩) وقد تقدم الحديث من طريق نافع عن ابن عمر برقم (٤٦٧) وهو فى الصحيحين وغيرهما . وإسناد حديث أبى داود هذا حسن كما قال الألبانى فى إرواء الغليل (٩٤/٥) فإن أحمد بن سعيد الهمدانى قال فيه النسائى : ليس بالقوى . وقال : لو رجع عن حديث الغار لحدثت عنه .
لكن ترجم له الذهبى في الميزان (١٠٠/١) فقال : لا بأس به .
وقال ابن حجر فى « التقريب » : صدوق . وهشام بن سعد يعتبر بحديثه فى الشواهد والمتابعات فقد ضعفه يحيى بن سعيد القطان وأحمد بن حنبل ،وقال ابن معين مرة : ضعيف ، وقال مرة : ليس بمتروك الحديث ، وضعفه النسائى أيضًا ، وقال أبو زرعة الرازى : شيخ محله الصدق ، وكذا محمد بن إسحاق هكذا هو عندى ، وهشام أحب إلى من محمد بن إسحاق ، وقال أبو حاتم : يكتب حديثه ولا يحتج به ومحمد بن إسحاق عندى واحد لكن روى أبو عبيد الآجرى عن أبى داود قال : هشام بن سعد =

[١] - في ز : « قال » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ .
[٤] - في ز : « فرجمهما » .

سعد : أن زيد بن أسلم حدثه عن ابن عمر قال : أتىٰ نفر من اليهود فدعوا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم إلىٰ القف فأتاهم في بيت المدراس ، فقالوا : يا أبا القاسم إن رجلا منا زنىٰ بامرأة فاحكم . قال : ووضعوا لرسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم وسادة ، فجلس عليها ، ثم قال : « **ائتوني**[١] [**بالتوراة** » . فأتي بها فنزع الوسادة من تحته ، ووضع التوراة عليها ، وقال : « **آمنت بك وبمن أنزلك** » . ثم قال][٢] : « **ائتوني**[٣] **بأعلمكم** » . فأتي بفتى شاب ، ثم ذكر قصة الرجم نحو حديث مالك ، عن نافع .

وقال الزهري : سمعت رجلًا من مزينة ممن يتبع العلم ويعيه ، ونحن عند ابن المسيب ، عن أبي هريرة قال : زنىٰ رجل من اليهود بامرأة ، فقال بعضهم لبعض : اذهبوا إلىٰ هذا النبي فإنه بعث بالتخفيف ، فإن أفتانا بفتيا دون الرجم قبلنا واحتججنا بها عند اللَّه ، قلنا : فتيا [نبي من أنبيائك][٤] . قال : فأتوا النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم وهو جالس في المسجد في أصحابه ، فقالوا : يا أبا القاسم ، ما تقول في رجل وامرأة منهم زنيا ؟ فلم يكلمهم كلمة حتىٰ أتىٰ بيت مدراسهم[٥] ؛ فقام علىٰ الباب فقال : « **أنشدكم باللَّه الذي أنزل التوراة علىٰ موسىٰ ، ما تجدون في التوراة علىٰ من زنىٰ إذا أحصن** » . قالوا : يحمم ويجبه ويجلد . والتجبية : أن يحمل الزانيان علىٰ حمار ، وتقابل أقفيتهما ، ويطاف بهما . قال : وسكت شاب منهم ، فلما رآه رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم سكت ألظ به رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم النشدة ، فقال : اللهم إذ نشدتنا فإنا نجد في التوراة الرجم . فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم « **فما أوّل ما ارتخصتم أمر اللَّه** » ؟ فقال : زنىٰ ذو قرابة من ملك من ملوكنا ، فأخر عنه الرجم ، ثم زنىٰ رجل في إثره من الناس ، فأراد رجمه فحال قومه دونه ، وقالوا : لا يرجم صاحبنا حتىٰ تجيء بصاحبك فترجمه ، فاصطلحوا هذه العقوبة بينهم ، فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **فإني أحكم بما في التوراة** » . فأمر بهما فرجما . قال الزهري : فبلغنا أن هذه الآية نزلت فيهم : ﴿ **إنا أنزلنا التوراة فيها هدىً ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا** ﴾ فكان النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم منهم(٤٥١) .

= أثبت الناس فى زيد بن أسلم . قلت : فحديثه عن زيد قابل للتحسين خصوصًا وقد جاء الحديث من غير طريق عن ابن عمر رضى الله عنهما .

(٤٥١) - رواه أبو داود فى الحدود ، باب : فى رجم اليهوديين حديث (٤٤٥٠) قال : حدثنا محمد بن يحيى ، ثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر عن الزهرى ثنا رجل من مزينة ، ح ، وثنا أحمد بن صالح ثنا =

[١] - سقط من : خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « بني إسرائيل » .

[٥] - في ز : « مدارسهم » .

رواه أحمد ، وأبو داود وهذا لفظه ، وابن جرير .

وقال الإمام أحمد (٤٥٢) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن البراء بن عازب قال مر علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يهودي محمم مجلود فدعاهم فقال : « **أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم** » ؟ فقالوا : نعم فدعا رجلا من علمائهم فقال : « **أنشدك بالذي أنزل التوراة علىٰ موسىٰ أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم** » ؟ فقال : لا والله ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك ، نجد حد الزاني في كتابنا الرجم ، ولكنه كثر في أشرافنا ، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه ، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد ، فقلنا : تعالوا حتىٰ نجعل شيئًا نقيمه علىٰ الشريف والوضيع ، فاجتمعنا علىٰ التحميم والجلد . فقال

= عنبسة ثنا يونس قال : قال محمد بن مسلم : سمعت رجلًا من مزينة ممن يتبع العلم ويعيه ... فذكر الحديث كما نقله المصنف هنا .

والحديث رواه أبو داود أيضًا برقم (٤٤٥١) ومن طريقه البيهقى فى السنن (٢٤٧/٨)من طريق ابن إسحاق عن الزهرى قال : سمعت رجلًا من مزينة يحدث عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة فذكره بمعنى الرواية الأولى .

ورواه البيهقى (٢٤٦/٨-٢٤٧) من طريق أخرى عن ابن إسحاق ، قال : حدثنى الزهرى فذكره نحوه ، وصرح بالسماع من الزهرى ورواه أيضًا فى الأقضية ، باب كيف يحلف الذمى ؟؟ حديث (٣٦٢٥) من طريق ابن إسحاق أيضًا ورواه ابن جرير فى تفسيره (٣٠٣/١٠) (١١٩٢١) من طريق ابن إسحاق قال : حدثنى الزهرى قال : سمعت رجلًا من مزينة يحدث عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة حدثهم ... فذكره ، ورواه أبو داود برقم (٣٦٢٤)من طريق عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهرى ثنا رجل من مزينة ، ونحن عند سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم - يعنى لليهود - : « أنشدكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى ، ما تجدون فى التوراة على من زنى »

وساق الحديث فى قصة الرجم . ورواه أحمد فى مسنده (٢٧٩/٢) قال حدثنا عبد الرزاق ... فذكره بإسناده إلى ابن المسيب أن النبى صلى الله عليه وسلم رجم يهوديًا ويهودية .

والحديث رجاله ثقات إلاّ أن الرجل المزنى لم يسم لكن يشهد له حديث ابن عمر المتقدم رقم (٤٦٧) .

(٤٥٢) - رواه فى مسنده (٢٨٦/٤) كما نقله عنه ابن كثير-رحمه الله- هنا ثم أعاده مرة أخرى بنفس الإسناد مختصرًا فى نفس الصفحة .

والحديث رواه مسلم فى صحيحه كتاب الحدود ، باب رجم اليهود ، أهل الذمة فى الزنى حديث (١٧٠٠) وأبو داود فى الحدود ، باب : فى رجم اليهوديين حديث (٤٤٤٧) ، (٤٤٤٨) ،والنسائى فىالكبرى كتاب الرجم ، باب : إقامة الإمام الحد على أهل الكتاب إذا تحاكموا إليه حديث (٧٢١٨)وفى التفسير حديث (١١١٤٤) وابن ماجه فى الأحكام ، باب : بما يستحلف أهل الكتاب حديث (٢٣٢٧) مختصرًا ، وفى الحدود ، باب رجم اليهودى واليهودية حديث (٢٥٥٨) مطولًا ، وأحمد فى المسند (٤/ ٢٩٠،٣٠٠) من طريق الأعمش عن عبد الله بن مرة به .

النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **اللهم إني أوّل من أحيا أمرك إذ أماتوه** » . قال : فأمر به فرجم . قال : فأنزل اللَّه عز وجل : ﴿ **يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه** ﴾ أي : يقولون ائتوا محمدًا فإن أفتاكم بالتحميم والجلد فخذوه ، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا . إلىٰ قوله : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل اللَّه فأولئك هم الكافرون** ﴾ . قال : في اليهود إلىٰ قوله : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل اللَّه فأولئك هم الظالمون** ﴾ قال : في اليهود . ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل اللَّه فأولئك هم الفاسقون** ﴾ قال : في الكفار كلهم .

انفرد بإخراجه مسلم دون البخاري ، وأبو داود والنسائي وابن ماجة من غير وجه ، عن الأعمش به .

وقال الإمام أبو بكر عبد اللَّه بن الزبير الحميدي في مسنده(٤٥٣) : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن مجالد بن سعيد الهمداني ، عن الشعبي ، عن جابر بن عبد اللَّه ، قال : زنىٰ رجل من أهل فدك ، فكتب أهل فدك إلىٰ ناس من اليهود بالمدينة : أن سلوا محمدًا عن ذلك ، فإن أمركم بالجلد فخذوه عنه ، وإن أمركم بالرجم فلا تأخذوا عنه ، فسألوه عن ذلك فقال : « **أرسلوا إليّ أعلم رجلين فيكم** » . فجاءوا برجل أعور يقال له : ابن صوريا وآخر ، فقال لهما النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : [« **أنتما أعلم من قبلكما** » . فقالا : قد دعانا قومنا لذلك . فقال النبي

---

(٤٥٣) - مسند الحميدى (١٢٩٤) . ورواه أبو داود فى الحدود ، باب فى رجم اليهوديين حديث (٤٤٥٢) وابن ماجه فى السنن كتاب الأحكام ، باب بما يستحلف أهل الكتاب حديث (٢٣٢٨) مختصرًا من طريق أبى أسامة عن مجالد به ، ورواية ابن ماجة مقتصرة على أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال ليهوديين : « أنشدتكما بالله الذى أنزل التوراة على موسى عليه السلام ... » .

وفى رواية أبى داود : « فدعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالشهود فجاء أربعة فشهدوا » وقد ذكر المصنف - رحمه الله - لفظ أبى داود كاملًا .

وذكر الشهود فى هذه الرواية منكر ، وقد رواها الدارقطنى فى سننه (١٧٠/٤) وإسحاق بن راهويه وأبو يعلى والبزار فى مسانيدهم ، كما فى نصب الراية (٨٥/٤) كلهم قالوا : فدعا بالشهود فشهدوا .

قال الزيلعى : وقال فى « التنقيح » قوله فى الحديث : فدعا بالشهود فشهدوا زيادة فى الحديث تفرد بها مجاهد ولا يحتج بما تفرد به . قال ابن عدى : عامة ما يرويه غير محفوظ .

وقد رواه أبو داود (٤٤٥٣) عن هشيم عن مغيرة عن إبراهيم والشعبى عن النبى صلى الله عليه وسلم نحو رواية مجالد ولم يذكر : فدعا بالشهود فشهدوا .

والموصول ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٥٠٠/٢) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن مردويه ، وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود رقم (٣٧٤٠ ، ٣٧٤١) بشواهده .

صلىٰ اللّٰه عليه وسلم][١] لهما : « **أليس عندكما التوراة فيها حكم اللّٰه** » . قالا : بلىٰ . فقال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **فأنشدكم بالذي فلق البحر لبني إسرائيل ، وظلل عليكم الغمام ، وأنجاكم من آل فرعون ، وأنزل المن والسلوىٰ علىٰ بني إسرائيل ، ما تجدون في التوراة في شأن الرجم ؟** » . فقال أحدهما للآخر : ما نشدت بمثله قط . قالا : نجد ترداد النظر زنية ، والاعتناق زنية ، والتقبيل زنية ، فإذا شهد أربعة أنهم رأوه يبدئ ويعيد كما يدخل الميل في المكحلة ، فقد وجب الرجم . فقال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **هو ذاك** » . فأمر به فرجم ، فنزلت : ﴿ **فإن جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم ، وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئًا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن اللّٰه يحب المقسطين** ﴾ .

ورواه أبو داود وابن ماجه : من حديث مجالد به نحوه ، ولفظ أبي داود : عن جابر ، قال : جاءت اليهود برجل وامرأة منهم زنيا ، فقال صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ائتوني بأعلم رجلين منكم** » فأتوه بابني صوريا فنشدهما : « **كيف تجدان أمر هذين في التوراة ؟** » قالا : نجد في التوراة إذا شهد أربعة أنهم رأوا ذكره في فرجها مثل الميل في المكحلة رجما . قال : « **فما يمنعكم أن ترجموهما ؟** » . قالا : ذهب سلطاننا ، فكرهنا القتل . فدعا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بالشهود ، فجاء أربعة فشهدوا : أنهم رأوا ذكره [في فرجها][٢] مثل الميل في المكحلة ، فأمر رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم برجمهما .

ثم رواه أبو داود : عن الشعبي وإبراهيم النخعي مرسلًا ، ولم يذكر فيه : فدعا بالشهود فشهدوا .

فهذه أحاديث دالة علىٰ أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم حكم بموافقة حكم التوراة ، وليس هذا من باب الإلزام لهم بما يعتقدون صحته ؛ لأنهم مأمورون باتباع الشرع المحمدي لا محالة ، ولكن هذا بوحي خاص من اللّٰه عز وجل إليه بذلك وسؤاله إياهم عن ذلك ، ليقرّرهم علىٰ ما[٣] بأيديهم مما تراضوا علىٰ كتمانه وجحده ، وعدم العمل به تلك الدهور الطويلة ، فلما اعترفوا به مع عملهم[٤] علىٰ خلافه ، بان زيغهم وعنادهم وتكذيبهم لما يعتقدون صحته من الكتاب الذي بأيديهم ، وعدولهم إلىٰ تحكيم الرسول صلىٰ اللّٰه عليه وسلم إنما كان عن هوى منهم وشهوة ، لموافقة آرائهم لا لاعتقادهم صحة ما يحكم به ، ولهذا قالوا[٥] : ﴿ **إن أوتيتم**

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « علمهم » .
[٥] - في ز : « قال و » .

هذا ﴾ أي : الجلد والتحميم ﴿ **فخذوه** ﴾ أي : اقبلوه ﴿ **وإن لم تؤتوه فاحذروا** ﴾ أي : من قبوله واتباعه .

قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **ومن يرد اللَّه فتنته فلن تملك له من اللَّه شيئًا أولئك الذين لم يرد اللَّه أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم * سماعون للكذب** ﴾ أي : الباطل ﴿ **أكالون للسحت** ﴾ أي : الحرام وهو الرشوة ، كما قاله ابن مسعود(٤٥٤) وغير واحد ، أي : ومن كانت هذه صفته كيف يطهر اللَّه قلبه ، وأنىٰ يستجيب له .

ثم قال لنبيه : ﴿ **فإن جاءوك** ﴾ أي : يتحاكمون إليك ﴿ **فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئًا** ﴾ أي : فلا عليك أن لا تحكم بينهم ؛ لأنهم لا يقصدون بتحاكمهم إليك اتباع الحق بل ما وافق أهواءهم[١] . قال ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة ، والسدي ، وزيد بن أسلم ، [وعطاء][٢] الخراساني : هي منسوخة بقوله : ﴿ **وأن احكم بينهم بما أنزل اللَّه** ﴾ . ﴿ **وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط** ﴾ أي : بالحق والعدل ، وإن كانوا ظلمة خارجين عن طريق العدل ﴿ **إن اللَّه يحب المقسطين** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ منكرًا عليهم في آرائهم الفاسدة ، ومقاصدهم الزائغة ، في تركهم ما يعتقدون صحته من الكتاب الذي بأيديهم الذي يزعمون أنهم مأمورون بالتمسك به أبدًا ، ثم خرجوا عن حكمه ، وعدلوا إلىٰ غيره مما يعتقدون في نفس الأمر بطلانه ، وعدم لزومه لهم فقال : ﴿ **وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم اللَّه ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين** ﴾ .

ثم مدح التوراة التي أنزلها علىٰ عبده ورسوله موسىٰ بن عمران فقال : ﴿ **إنا أنزلنا التوراة فيها هدىً ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا** ﴾ أي : لا يخرجون عن حكمها ، ولا يبدلونها ، ولا يحرّفونها ، ﴿ **والربانيون والأحبار** ﴾ أي : وكذلك الربانيون [ ][٣] وهم

(٤٥٤) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١١٩٤٧) ، (١١٩٤٩) ، (١١٩٥١) ، (١١٩٥٨) من طريق سالم ابن أبي الجعد عن مسروق عن عبد الله بن مسعود وللأثر طرق أخرى عن ابن مسعود عند ابن جرير ، وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٢/٥٠٢) وزاد نسبته لعبد الرزاق ، والفريابى وعبد بن حميد وابن أبى حاتم وهو عند ابن أبى حاتم فى التفسير (٤/١١٣٤) (٦٣٨٢) من طريق عبيد الله بن أبى الجعد عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال : من شفع لرجل ليدفع عنه مظلمة أو يرد عليه حقًّا فأهدى له هدية فقبلها فذلك السحت . فقلنا : يا أبا عبد الرحمن ، إنا كنا نعد السحت الرشوة فى الحكم فقال عبد الله :﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ .

[١] - في ز : « هواهم » . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « منهم » .

[العلماء العباد][١] ، والأحبار هم[٢] العلماء ﴿ **بما استحفظوا من كتاب الله** ﴾ أي : بما استودعوا من كتاب الله الذي أمروا أن يظهروه ويعملوا به ﴿ **وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون** ﴾ أي : لا تخافوا منهم وخافوني ﴿ **ولا تشتروا بآياتي ثمنًا قليلًا ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾ فيه قولان سيأتي بيانهما .

سبب آخر [في نزول][٣] هذه الآيات الكريمات

قال الإمام أحمد (٤٥٥) : حدثنا إبراهيم بن العباس ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن عبيد[٤] الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، قال : إن الله أنزل : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾ ﴿ **فأولئك هم الظالمون** ﴾ ، ﴿ **فأولئك[٥] هم الفاسقون** ﴾ قال : قال ابن عباس : أنزلها الله في الطائفتين من اليهود ، كانت إحداهما قد قهرت الأخرىٰ في الجاهلية حتىٰ ارتضوا ، واصطلحوا علىٰ أن كل قتيل قتلته العزيزة من الذليلة [فديته خمسون وَسْقا ، وكل قتيل قتلته الذليلة من العزيزة فديته مائة وسق ، فكانوا علىٰ ذلك حتىٰ قدم النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، فذلت الطائفتان كلتاهما ؛ لمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويومئذٍ لم يظهر ، ولم يوطئها عليه ، وهو في الصلح ، فقتلت الذليلة][٦] [من العزيزة قتيلا][٧] ، فأرسلت العزيزة إلىٰ الذليلة : أن ابعثوا لنا بمائة وسق ، فقالت الذليلة : وهل كان هذا[٨] في حيين قط[٩] دينهما واحد ، ونسبهما واحد ، وبلدهما واحد ، دية بعضهم نصف دية بعض إنما أعطيناكم هذا ضيما منكم لنا وفرقا منكم ، فأما إذ قدم محمد فلا نعطيكم .

(٤٥٥) - المسند (٢٤٦/١) ورواه أبو داود فى سننه فى الأقضية ، باب : فى القاضى يخطئ ، حديث (٣٥٧٦) من طريق زيد بن أبى الزرقاء ثنا ابن أبى الزناد عن أبيه عن عبيد الله عن ابن عباس قال : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) إلى قوله (الفاسقون) هؤلاء الآيات الثلاث نزلت فى اليهود خاصة فى قريظة والنضير .

والحديث ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٤٩٨/٢) وزاد نسبته لابن جرير ، وابن المنذر والطبرانى ، وأبى الشيخ وابن مردويه .

وقال الألبانى فى صحيح أبى داود (٣٠٥٣) حسن صحيح الإسناد .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « العباد العلماء » ، وفي خ : « العلماء » .
[٢] - في ز : « وهم » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « لنزول » .
[٤] - في ز : « عبد » .
[٥] - في ز : « وأولئك » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٨] - سقط من: ز ، خ .
[٩] - سقط من: ز ، خ .

فكادت الحرب تهيج بينهما ، ثم ارتضوا علىٰ أن يجعلوا[١] رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بينهم ، ثم ذكرت العزيزة فقالت : والله ما محمد بمعطيكم منهم ضعف ما يعطيهم منكم ، ولقد صدقوا ما أعطونا هذا إلا ضيمًا منا وقهرًا لهم ، فدسوا إلىٰ محمد من يخبر لكم رأيه إن أعطاكم ما تريدون حكمتموه ، وإن لم يعطكم حذرتم فلم تحكموه ، فدسوا إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ناسًا من المنافقين ليخبروا لهم رأي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فلما جاءوا[٢] رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، أخبر الله رسوله صلىٰ الله عليه وسلم بأمرهم كله وما أرادوا ، فأنزل الله تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **الفاسقون** ﴾ ففيهم والله أنزل ، وإياهم عنى الله عز وجل .

ورواه أبو داود من حديث ابن أبي الزناد ، عن أبيه بنحوه .

وقال أبو جعفر بن جرير(٤٥٦) : حدثنا هناد بن السري وأبو كريب ، قالا : حدثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن الآيات التي[٣] في المائدة قوله : ﴿ **فاحكم بينهم أو أعرض عنهم** ﴾ إلىٰ ﴿ **المقسطين** ﴾ إنما أنزلت في الدية في بني النضير وبني قريظة ؛ وذلك أن قتلىٰ بني النضير كان لهم شرف تودىٰ الدية كاملة ، وأن قريظة كان يُودَوْن[٤] لهم[٥] نصف الدية ، فتحاكموا في ذلك إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فأنزل الله ذلك فيهم ، فحملهم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ الحق في ذلك ، فجعل الدية في ذلك سواء . والله أعلم أي ذلك كان .

ورواه أحمد ، وأبو داود ، والنسائي من حديث ابن إسحاق بنحوه[٦] .

(٤٥٦) - التفسير (٣٢٦/١٠) (١١٩٧٤) ، ورواه أحمد (٣٦٣/١) ، وأبو داود في الأقضية ، باب : الحكم بين أهل الذمة حديث (٣٥٩١) ، والنسائي (١٩/٨) كتاب القسامة ، باب تأويل قول الله تعالى : ﴿ وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط ﴾ من طريقين عن محمد بن إسحاق به .
وإسناده حسن فإن ابن أبي إسحاق صدوق وقد صرح بالسماع في رواية ابن جرير فزالت شبهة تدليسه ، والله أعلم .
وقد صحح إسناده العلامة أحمد شاكر في تعليقه على المسند .

[١] - في ز : « جعلوا » .
[٢] - في ز : « جاء » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز : « يؤدون » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - سقط من : ز ، خ .

ثم قال ابن جرير(٤٥٧) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا عبيد اللّٰه بن موسىٰ ، عن علي بن صالح ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كانت قريظة والنضير ، وكانت النضير أشرف من قريظة ، فكان إذا قتل رجل من قريظة [رجلًا من النضير][١] قتل به ، وإذا قتل رجل من النضير رجلًا من قريظة ودى بمائة[٢] وسق من[٣] تمر ، فلما بعث رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قتل رجل من النضير رجلا من قريظة ، فقالوا : ادفعوه إلينا[٤] . فقالوا : بيننا وبينكم رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم . فنزلت[٥] : **﴿ وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط ﴾** .

ورواه أبو داود ، والنسائي ، وابن حبان ، والحاكم في المستدرك : من حديث عبيد اللّٰه بن موسىٰ بنحوه .

وهكذا قال قتادة ، ومقاتل بن حيان ، وابن زيد ، وغير واحد .

وقد روىٰ العوفي ، وعلي بن أبي طلحة الوالبي ، عن ابن عباس : أن هذه الآيات نزلت في اليهوديين اللذين[٦] زنيا . كما تقدمت الأحاديث بذلك(٤٥٨) ، وقد يكون اجتمع هذان السببان في وقت واحد ، فنزلت هذه الآية[٧] في ذلك كله واللّٰه أعلم .

(٤٥٧) - رواه فى تفسيره (١٠/٣٢٧) (١١٩٧٥) ، ورواه أبو داود فى الديات ، باب النفس بالنفس حديث (٤٤٩٤) ، والنسائى فى القسامة ، باب تأويل قول الله تعالى : ﴿ وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط ﴾ (٨/١٨-١٩) والحاكم فى المستدرك (٤/٣٦٦) ، وابن حبان (١١/٤٤٢) (٥٠٥٧) . والبيهقى فى السنن (٨/٢٤) من طرق عن عبيد الله بن موسى به ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبى وقد تقدم من غير هذا الطريق رقم (٤٦٤) ، (٤٦٤) .

(٤٥٨) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١٠/٣١٥) (١١٩٣٦) من طريق على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله : ﴿ إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ﴾ هم اليهود زنت منهم امرأة ... فذكر القصة ، ورواه فى (١٠/٣٢٥) (١١٩٧٢) من طريق العوفى عن ابن عباس بمعناه مختصرًا من رواية على بن أبى طلحة .

والأثر : ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٢/٥٠٠) وزاد نسبته للطبرانى وابن مردويه .

وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (٧/١٨) وقال : « رواه الطبرانى وعلى بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس » . قلت : تقدم الكلام على رواية على عن ابن عباس فى تفسير سورة البقرة وغيرها .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - في ز : « مائة » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - في ز : « إليه » .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - في ز : « الذين » .

[٧] - في ز : « الآيات » .

ولهذا قال بعد ذلك : ﴿ **وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين** ﴾ إلىٰ آخرها ، وهذا يقوي أن سبب النزول قضية القصاص ، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾ قال البراء بن عازب ، وحذيفة بن اليمان ، وابن عباس ، وأبو مجلز ، وأبو رجاء العطاردي ، وعكرمة ، وعبيد الله بن عبد الله ، والحسن البصري ، وغيرهم : نزلت في أهل الكتاب . زاد الحسن البصري : وهي علينا واجبة .

وقال عبد الرزاق[١] : عن سفيان الثوري ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : نزلت هذه الآيات في بني إسرائيل ، ورضي الله لهذه الأمة بها ، رواه ابن جرير(٤٥٩) .

وقال [ابن جرير][٢] أيضًا(٤٦٠) : حدثنا يعقوب ، حدثنا هشيم ، أخبرنا عبد الملك بن أبي سليمان ، عن سلمة بن كهيل ، عن علقمة ومسروق : أنهما سألا ابن مسعود عن الرشوة ؟ فقال : من السحت . قال : فقالا : وفي الحكم ؟ قال : ذاك الكفر . ثم تلا : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾ .

وقال السدي : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾ يقول : ومن لم يحكم بما أنزلت فتركه عمدًا ، أو جار وهو يعلم فهو من الكافرين(٤٦١) .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾ قال : من جحد ما أنزل الله فقد كفر ، ومن أقرّ به ولم يحكم فهو ظالم فاسق . رواه ابن جرير(٤٦٢) .

---

(٤٥٩) - رواه عبد الرزاق فى تفسيره (١٩١/١) ومن طريقه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (٣٥٦/١٠) (١٢٠٥٧) . وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٥٠٧/٢) وزاد نسبته لعبد بن حميد وأبى الشيخ .

(٤٦٠) - رواه فى تفسيره (٣٥٧/١٠) (١٢٠٦١) وإسناده صحيح .

(٤٦١) - رواه ابن جرير فى تفسيره (٣٥٧/١٠) (١٢٠٦٢) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره (١١٤٢/٤) (٦٤٢٧) .

(٤٦٢) - رواه فى تفسيره (٣٥٧/١٠) (١٢٠٦٣) وقد تقدم الكلام على إسناده . وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٥٠٧/٢) وزاد نسبته لابن المنذر ، وابن أبى حاتم . وهو فى تفسير ابن أبى حاتم (١١٤٢/٤) (٦٤٢٧) .

---

[١] - في ز ، خ : « الوارث » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

ثم اختار أن الآية المراد بها أهل الكتاب ، أو من جحد حكم الله المنزل في الكتاب .

وقال عبد الرزاق (٤٦٣) : عن الثوري ، عن زكريا ، عن الشعبي ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله** ﴾ قال : للمسلمين .

وقال ابن جرير(٤٦٤) : حدثنا ابن المثنى ، حدثنا عبد الصمد ، حدثنا شعبة ، عن ابن أبي السفر ، عن الشعبي [﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾ قال : هذا في المسلمين ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون** ﴾ قال : هذا في اليهود][١] ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون** ﴾ قال : هذا في النصارىٰ . وكذا رواه هشيم ، والثوري ، عن زكريا بن أبي زائدة ، عن الشعبي .

وقال عبد الرزاق أيضًا(٤٦٥) : أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، قال : سئل ابن عباس عن قوله : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾ ، قال : هي به كفر . قال ابن طاوس : وليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله .

وقال الثوري : عن ابن جريج ، عن عطاء ، أنه قال : كفر دون كفر ، وظلم دون ظلم ، وفسق دون فسق . رواه ابن جرير(٤٦٦) .

---

(٤٦٣) - رواه عبد الرزاق فى تفسيره (١٩١/١) بسنده إلى الشعبى قال : الأولى للمسلمين ، والثانية لليهود ، والثالثة للنصارى ومن طريق عبد الرزاق أخرجه ابن جرير فى تفسيره (٣٥٥/١٠) (١٢٠٤٥) وابن أبى حاتم (١١٤٣/٤) (٦٤٣٣) ولفظ ابن أبى حاتم مختصر كما نقله ابن كثير ، ورواه ابن جرير فى تفسيره (١٢٠٣٨) ، (١٢٠٤٣) (١٢٠٤٤) (١٢٠٤٦) من طرق عن زكريا عن الشعبى ورواه فى (١٢٠٣٩ - ١٢٠٤٢) من طرق عن الشعبى نحو رواية زكريا . والأثر : ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٥٠٧/٢) وزاد نسبته لعبد بن حميد ، وابن المنذر وأبى الشيخ .

(٤٦٤) - رواه فى تفسيره (٣٥٤/١٠) (١٢٠٤٢) ، وانظر السابق .

(٤٦٥) - رواه فى تفسيره (١٩١/١) ، ومن طريقه ابن جرير فى تفسيره (٣٥٦/١٠) (١٢٠٥٥) ، وابن أبى حاتم (١١٤٣/٤) (٦٤٣٥) ورواه ابن جرير فى (١٢٠٥٣) ، (١٢٠٥٤) من طريقه عن سفيان عن معمر به ، لكن أدخل كلام طاوس فى كلام ابن عباس ، وسيأتى الأثر من طريق آخر عن طاوس عن ابن عباس برقم (٤٨٨) .

(٤٦٦) - رواه ابن جرير فى تفسيره (٣٥٥/١٠) (١٢٠٤٧) ، (١٢٠٥٠) ، (١٢٠٥١) من طريقين عن سفيان به ورواه أيضًا رقم (١٢٠٤٨) ، (١٢٠٤٩) من طريق حماد عن أيوب ابن أبى تميمة عن عطاء ابن أبى رباح نحو رواية سفيان عن ابن جريج .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

وقال وكيع : عن سفيان عن سعيد المكي ، عن طاوس : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾ قال : ليس بكفر ينقل عن الملة(٤٦٧) .

وقال ابن أبي حاتم (٤٦٨) : حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقري ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن هشام بن حجير[١] ، عن طاوس ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾ قال : ليس بالكفر [الذي تذهبون][٢] إليه .

ورواه الحاكم في مستدركه من حديث سفيان بن عيينة ، وقال : صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه .

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾

وهذا أيضًا مما وبخت به اليهود وقرعوا عليه ، فإن عندهم في نص التوراة أن النفس بالنفس ، وهم يخالفون حكم ذلك عمدًا وعنادًا ، ويقيدون النضري من القرظي ، ولا يقيدون القرظي من النضري بل يعدلون إلىٰ الدية ، كما خالفوا حكم التوراة المنصوص عندهم في رجم الزاني المحصن ، وعدلوا إلىٰ ما اصطلحوا عليه من الجلد والتحميم والإشهار ، ولهذا قال هناك : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾ ؛ لأنهم جحدوا حكم الله قصدًا منهم وعنادًا وعمدًا ، وقال ههنا : ﴿ **فأولئك هم الظالمون** ﴾ ؛ لأنهم لم ينصفوا المظلوم من

---

(٤٦٧) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١٠/٣٥٥) (١٢٠٥٢) .

(٤٦٨) - رواه فى تفسيره (٤/ ١١٤٣) (٦٤٣٤) ، ورواه الحاكم فى « مستدركه » (٢/ ٣١٣) من طريق على بن حرب عن سفيان به . وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى . وهشام بن حجير وثقه العجلى ، وابن شبرمة وذكره ابن حبان فى « الثقات » (٧/ ٥٦٧) ووثقه الذهبى ، وقال أبو حاتم : يكتب حديثه ، وضعفه أحمد بن حنبل وابن معين ويحيى بن سعيد القطان، والعقيلى ، وذكر أبو داود أنه ضرب الحد بمكة . قال ابن حجر فى « التقريب » : صدوق له أوهام .

قلت : روى له البخارى حديثا واحدا بمتابعة عبد الله بن طاوس وروى له مسلم والنسائى . فمثل هذا الإسناد لايمكن تصحيحه مع هذا الكلام فى هشام .

---

[١] - في ز : « حجيز » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « الذين يذهبون » .

الظالم [في الأمر][1] الذي أمر اللّٰه بالعدل والتسوية بين الجميع فيه ، فخالفوا وظلموا [وتعدّىٰ بعضهم على بعض][2] .

وقال الإمام أحمد(٤٦٩) : حدثنا [يحيىٰ بن آدم][3] ، حدثنا ابن المبارك ، عن يونس بن يزيد ، عن أبي علي بن يزيد - أخي يونس بن يزيد - ، عن الزهري ، عن أنس بن مالك : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قرأها : (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعينُ بالعين) نصب النفس ورفع العين .

وكذا رواه أبو داود ، والترمذي ، والحاكم في مستدركه : من حديث عبد اللّٰه بن المبارك ، وقال الترمذي : حسن غريب .

وقال البخاري : تفرّد ابن المبارك بهذا الحديث .

وقد استدل كثير ممن ذهب من الأصوليين والفقهاء إلىٰ أن : شرع من قبلنا شرع لنا إذا حكىٰ مقررًا ولم ينسخ ، كما هو المشهور عن الجمهور ، وكما حكاه الشيخ أبو إسحاق الإِسفراييني عن نص الشافعي وأكثر الأصحاب - بهذه الآية حيث كان الحكم عندنا علىٰ وفقها في الجنايات عند جميع الأئمة .

---

(٤٦٩) - رواه فى « مسنده » (٣/ ٢١٥) ، ورواه أبو داود فى سننه أول كتاب الحروف والقراءات ، حديث (٣٩٧٦) ، (٣٩٧٧) ، والترمذي في كتاب القراءات ، باب: فى فاتحة الكتاب حديث (٢٩٢٩) والحاكم (٢/ ٢٣٦) والمزى فى تهذيب الكمال (٣٤/ ١٠٣)كلهم من طريق عبد الله بن المبارك به .

وقال الترمذى: هذا حديث حسن غريب . وصححه الحاكم ووافقه الذهبى .

وأبو على بن يزيد أخو يونس بن يزيد الأيلى مجهول . كذا قال الذهبى فى « الميزان » وابن حجر فى « التقريب » .

وسئل أبو حاتم عن هذا الحديث فقال : هذا حديث منكر ولا أعلم أحدًا روى عن يونس بن يزيد غير ابن المبارك ، وأبو على بن يزيد مجهول وقال : يرويه عقيل عن الزهرى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، مرسل قال : وأهاب هذا الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم جدًّا قيل له : إن أبا عبيد يقول هو حديث صحيح فأجاب بما وصفنا .

والحديث ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٢/ ٥١٠) وزاد نسبته لابن مردويه .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « وتعدّوا على بعضهم بعضا » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : «آدم حدثنا ابن آدم» .

وقال الحسن البصري : هي عليهم وعلىٰ الناس عامّة . رواه ابن أبي حاتم(٤٧٠) .

وقد حكىٰ الشيخ أبو زكريا النووي[١] في هذه المسألة ثلاثة أوجه ؛ ثالثها : أن شرع إبراهيم حجة دون غيره ، وصحح منها عدم الحجية ، ونقلها الشيخ أبو إسحاق الإسفراييني أقوالًا عن الشافعي ، ورجح أنه حجة عند الجمهور من أصحابنا ، فالله أعلم

وقد حكىٰ الإمام أبو نصر بن الصباغ رحمه الله في كتابه الشامل - إجماع[٢] العلماء علىٰ الاحتجاج بهذه الآية علىٰ ما دلت عليه ، وقد احتج الأئمة كلهم علىٰ أن الرجل يقتل بالمرأة بعموم هذه الآية الكريمة ، وكذا ورد في الحديث الذي رواه النسائي وغيره : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كتب في كتاب عمرو بن حزم : « **أن الرجل يقتل بالمرأة** » . وفي الحديث الآخر : « **المسلمون تتكافأ دماؤهم** »(٤٧١) . وهذا قول جمهور العلماء .

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب : أن الرجل إذا قتل المرأة لا يقتل بها ، إلا أن يدفع وليها إلىٰ أوليائه نصف الدية ؛ لأن ديتها علىٰ النصف من دية الرجل ، وإليه ذهب أحمد في رواية ، [وحكي عن الحسن وعطاء وعثمان البتي ، ورواية عن أحمد : أن الرجل إذا قتل المرأة][٣] لا يقتل بها بل تجب ديتها .

وكذا[٤] احتج أبو حنيفة - رحمه الله تعالىٰ - بعموم هذه الآية علىٰ أنه يقتل المسلم بالكافر الذمي ، وعلىٰ قتل الحر بالعبد ، وقد خالفه الجمهور فيهما . ففي[٥] الصحيحين عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لا يقتل مسلم بكافر** »(٤٧٢) .

---

(٤٧٠) - رواه ابن أبى حاتم فى تفسيره (٤/ ١١٤٤) (٦٤٣٦) حدثنا أبى ثنا أبو الوليد عبد الملك بن الأصبغ بن محمد بن مرزوق ، ثنا الوليد ثنا أبو عمرو الأوزاعى ، حدثنى النضر بن عمرو المقرى عن الحسن به . وهذا إسناد رجاله ثقات غير عبد الملك بن الأصبغ ترجم له ابن أبى حاتم فى « الجرح والتعديل » (٥/ ٣٤٣) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا لكن ذكره الذهبى فى « الميزان » (٣/ ٣٦٥) فقال : عبد الملك بن أصبغ البعلبكى . عن الوليد بن مسلم بخبر منكر .
والأثر : ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٢/ ٥٠٩) ولم يعزه لغير ابن أبى حاتم .

(٤٧١) - تقدم فى سورة البقرة / الآية ١٧٨

(٤٧٢) - تقدم تخريجه فى سورة البقرة/ آية ١٧٨

---

[١] - في ز : « النواوي » .
[٢] - في ز : « اجتماع » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ.
[٤] - في ز : « وهكذا » .
[٥] - في ز : « وفي » .

وأما العبد [ففيه عن][1] السلف [ ][2] آثار متعدّدة : أنهم لم يكونوا يُقيدون العبد من الحر ولا يقتلون حرًا بعبد ، وجاء في ذلك أحاديث لا تصح ، وحكىٰ الشافعي الإجماع علىٰ خلاف قول الحنفية في ذلك ، ولكن لا يلزم من ذلك بطلان قولهم إلا بدليل مخصص للآية الكريمة.

ويؤيد ما قاله ابن الصباغ من الاحتجاج بهذه الآية الكريمة : الحديث الثابت في ذلك ؛ كما قال الإمام أحمد(٤٧٣) .

حدثنا محمد بن أبي عدي ، حدثنا حميد ، عن أنس بن مالك : أن الربيّع عمة أنس كسرتْ ثنية جارية ، فطلبوا إلىٰ القوم العفو فأبوا ، فأتوا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال : « **القصاص** » . فقال أخوها أنس بن النضر : يا رسول اللَّه ، تكسر ثنية فلانة . فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **يا أنس ، كتاب اللَّه القصاص** » . قال : فقال : لا والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنية فلانة . قال : فرضي القوم فعفوا وتركوا القصاص ، فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن من عباد اللَّه من لو أقسم علىٰ اللَّه لأبره** » .

أخرجاه في الصحيحين . وقد رواه محمد بن عبد اللَّه بن المثنىٰ الأنصاري في الجزء المشهور من حديثه ، عن حميد ، عن أنس بن مالك : أن الربيع بنت النضر عمته لطمت جارية فكسرت ثنيتها ، فعرضوا عليهم الأرش فأبوا ، فطلبوا الأرش والعفو فأبوا ، فأتوا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فأمرهم بالقصاص ، فجاء أخوها أنس بن النضر ، فقال : يا رسول اللَّه ، أتكسر[3] ثنية الربيع ، والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها . فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **يا أنس ، كتاب اللَّه القصاص** » . فعفا القوم ، فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم :

(٤٧٣) - رواه فى مسنده (٣/ ١٢٨) كما نقله ابن كثير هنا ، والحديث رواه البخارى فى « صحيحه » كتاب الجهاد والسير ، باب قول الله عز وجل : ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ...﴾ الآية حديث (٢٨٠٦) من طريق عبد الأعلى ، وفى التفسير ، باب ﴿ ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص ﴾ حديث (٤٥٠٠) عن عبد الله بن بكر السهمى ، وفى التفسير ، باب : قوله ﴿ والجروح قصاص ﴾ حديث (٤٦١١) عن الفزارى . ثلاثتهم عن حميد عن أنس به

ورواه البخارى فى (٢٧٠٣) ، (٤٤٩٩) ، (٦٨٩٤) من طريق محمد بن عبد الله الأنصارى عن حميد به وسيشير المصنف إلى هذه الرواية .

ورواه مسلم فى صحيحه فى القسامة والمحاربين والقصاص والديات ، باب : إثبات القصاص فى الأسنان وما فى معناها ، حديث (١٦٧٥) من طريق ثابت عن أنس به

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « فعن » . [٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « في » .

[٣] - في ز : « لا تكسر » .

« **إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره** » . [رواه البخاري عن الأنصاري (٤٧٤) .

فأما الحديث الذي][١] رواه أبو داود(٤٧٥) : حدثنا أحمد بن حنبل ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثنا أبي ، عن قتادة ، عن أبي نضرة[٢] ، عن عمران بن حصين : أن غلامًا لأناس فقراء قطع أذن غلام لأناس أغنياء ، فأتىٰ أهله النبي صلىٰ الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله إنا أناس فقراء . فلم يجعل عليه شيئًا . وكذا رواه النسائي ، عن إسحاق بن راهويه ، عن معاذ بن هشام الدستوائي ، عن أبيه ، عن قتادة به . وهذا إسناد قوي رجاله كلهم ثقات ، وهو[٣] حديث مشكل ، اللهم إلا أن يقال إن الجاني كان قبل البلوغ فلا قصاص عليه ، ولعله تحمل أرش ما نقص من غلام الأغنياء عن الفقراء أو استعفاهم عنه .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **والجروح قصاص** ﴾ قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قال : تقتل النفس بالنفس ، وتفقأ العين بالعين ، ويقطع الأنف بالأنف ، وتنزع[٤] السن بالسن ، وتقتص الجراح بالجراح . فهذا يستوي فيه أحرار المسلمين فيما بينهم ؛ رجالهم ونساؤهم إذا كان عمدًا ، في النفس وما دون النفس ، ويستوي فيه العبيد ؛ رجالهم ونساؤهم فيما بينهم إذا كان عمدًا ، في النفس وما دون النفس . رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم(٤٧٦) .

---

(٤٧٤) - رواه البخارى فى صحيحه كتاب الصلح ، باب الصلح فى الدية ، حديث (٢٧٠٣) قال حدثنا محمد بن عبد الله الأنصارى فذكره نحوه ورواه فى (٤٤٩٩) ، (٦٨٩٤) عن محمد بن عبد الله مختصرًا ، وانظر رقم (٤٩٥)

(٤٧٥) - رواه فى سننه فى كتاب السنة ، باب : فى جناية العبد يكون للفقراء حديث (٤٥٩٠) وهو عند الإمام أحمد فى مسنده (٤/ ٤٣٨) ، ورواه النسائى فى كتاب القسامة ، باب سقوط القود بين المماليك فيما دون النفس (٨/ ٢٥، ٢٦) ، والدارمى فى كتاب الديات باب: القصاص بين العبيد فى القتل ، حديث (٢٣٧٣) ، والطبرانى فى الكبير (١٨/ ٢٠٨) (٥١٢) ، والبيهقى فى الكبرى (٨/ ١٠٥) من طريق معاذ بن هشام به .

وإسناده صحيح كما قال الألبانى فى صحيح سنن أبى داود (٣٨٣٧) وصحيح سنن النسائى (٤٤٢٦) .

(٤٧٦) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١٠/ ٣٦٠) (١٢٠٦٥) ، (١٠/ ٣٦١) (١٢٠٧٢) ورواه ابن حاتم فى تفسيره متفرقا برقم (٦٤٣٨) ، (٦٤٤٠) ، (٦٤٤٢) ، (٦٤٤٥) ، (٦٤٤٧) والبيهقى فى سننه (٨/ ٣٩، ٤٠) من طريق على بن أبى طلحة وقد تقدم الكلام على روايته عن ابن عباس والأثر ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٢/ ٥١٠) وزاد نسبته إلى ابن المنذر

---

[١] - سقط من: خ.

[٢] - في ز : « نصرة » .

[٣] - في ز : « فإنه » .

[٤] - في ز : « وينزع » .

قاعدة مهمة :

الجراح تارة تكون في مَفْصل فيجب فيه القصاص بالإجماع ؛ كقطع اليد والرجل والكف والقدم ونحو ذلك ، وأما إذا لم تكن الجراح في مفصل بل في عظم ؛ فقال مالك رحمه اللَّه : فيه القصاص إلا في الفخذ وشبهها ؛ لأنه مخوف خطر . وقال أبو حنيفة وصاحباه : لا يجب القصاص في شيء من العظام إلا في السن . وقال الشافعي : لا يجب القصاص في شيء من العظام مطلقًا ، وهو مروي عن عمر بن الخطاب ، وابن عباس ، وبه يقول عطاء ، والشعبي ، والحسن البصري ، والزهري ، وإبراهيم النخعي ، وعمر بن عبد العزيز ، وإليه ذهب سفيان الثوري ، والليث بن سعد ، وهو المشهور من مذهب الإمام أحمد .

وقد احتج أبو حنيفة - رحمه اللَّه - بحديث الربيع بنت النضر علىٰ مذهبه : أنه لا قصاص في عظم إلا في السن ، وحديث الربيع لا حجة فيه ؛ لأنه ورد بلفظ : كسرت ثنية جارية ، وجائز أن تكون سقطت من غير كسر ، فيجب القصاص والحالة هذه بالإجماع ، وتمموا الدلالة بما رواه ابن ماجة : من طريق أبي بكر بن عياش ، عن دهثم[١] بن قران ، عن نمران ابن جارية ، عن أبيه جارية بن ظفر الحنفي : أن رجلا [ضرب رجلًا][٢] علىٰ ساعده بالسيف من غير المفصل فقطعها ، فاستعدىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فأمر له بالدية فقال : يا رسول اللَّه ، أريد القصاص ، فقال : « **خذ الدية**[٣] ، **بارك اللَّه لك فيها** » ولم يقض له بالقصاص (٤٧٧) .

قال الشيخ أبو عمر بن [عبد البر][٤] : ليس لهذا الحديث غير هذا الإسناد ، ودهثم[٥] بن

(٤٧٧) - رواه ابن ماجه فى السنن كتاب الديات ، باب : ما لا قود فيه ، حديث (٢٦٣٦) قال : حدثنا محمد بن الصباح ، وعمار بن خالد الواسطى قالا : حدثنا أبو بكر بن عياش فذكره .
ورواه الطبرانى فى الكبير (٢/ ٢٦٠) (٢٠٨٩) ، والبيهقى فى سننه (٨/ ٦٥) من طرق عن أبى بكر ابن عياش به
وفى إسناده دهثم بن قران ضعفه أحمد ، وابن معين ، والنسائى ، وقال أبو حاتم ، محله محل الأعراب . لم يخرج له من أصحاب الكتب الستة سوى ابن ماجه وقال الحافظ فى « التقريب » : متروك وبه أعله البوصيرى فى مصباح الزجاجة (٢/ ٣٣٦) وأيضًا نمران بن جارية مجهول كما قال الحافظ ابن حجر والحديث ضعفه الألبانى فى إرواء الغليل (٢٢٣٥) .

[١] - في ز : « دهشم » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٣] - سقط من : خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : «عبد العزيز» . [٥] - في ز : « دهشم » .

قران العكلي ضعيف أعرابي ليس حديثه مما يحتج به ، ونمران بن جارية ضعيف أعرابي أيضًا ، وأبوه جارية بن ظفر مذكور في الصحابة .

ثم قالوا : لا يجوز أن يقتص من الجراحة حتىٰ تندمل جراحة المجني عليه ، فإن اقتص منه قبل الاندمال ، ثم زاد جرحه ؛ فلا شيء له ، والدليل علىٰ ذلك ما رواه الإمام أحمد (٤٧٨) : حدثنا [يعقوب ، حدثني أبي ، عن محمد بن إسحاق ، فذكر حديثًا . قال ابن إسحاق][١] : وذكر[٢] عمرو[٣] بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده : أن رجلًا طعن رجلًا بقرن في ركبته ، فجاء إلىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال : أقدني . [فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **لا تعجل حتى يبرأ جرحك** » . قال : فأبىٰ الرجل إلا أن يستقيد][٤] فأقاده [رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم منه ، فعرج المستقيد وبرأ المستقاد منه فأتى المستقيد إلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم][٥] فقال له[٦] : يا رسول اللَّه ، عرجت [وبرأ صاحبي][٧] . فقال : « **قد نهيتك فعصيتني فأبعدك اللَّه وبطل عرجك** » . ثم نهىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أن يقتص من جرح حتىٰ يبرأ صاحبه . تفرد به أحمد .

مسألة

فلو اقتص المجني عليه من الجاني ، فمات من القصاص ؛ فلا شيء عليه عند مالك ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وهو قول الجمهور من الصحابة والتابعين ، وغيرهم . وقال أبو حنيفة : تجب الدية في مال المقتص . وقال عامر الشعبي ، وعطاء ، وطاوس ، وعمرو بن دينار ، والحارث العكلي ، وابن أبي ليلىٰ ، وحماد بن أبي سليمان ، والزهري ، والثوري :

(٤٧٨) - رواه أحمد (٢/ ٢١٧) كما نقله ابن كثير - رحمه الله- ورواه الدارقطني في سننه (٣/ ٨٨) ومن طريقه البيهقي في السنن (٨/ ٦٧، ٦٨) عن ابن جريج عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده به .

قال الألباني في الإرواء (٧/ ٢٩٨) : رجاله ثقات غير أن ابن إسحاق وابن جريج مدلسان ولم يصرحا بالتحديث . وقد خالفهما أيوب فقال عن عمرو بن شعيب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبعدك الله أنت عجلت اهـ .

قلت : رواية عمرو المرسلة هذه عند الدارقطني (٣/ ٩٠) والحديث صححه الألباني بشواهده في إرواء الغليل رقم (٢٢٣٧) وانظر نصب الراية (٤/ ٣٧٦- ٣٧٨)

[١] - سقط من : ز ، في خ : « وروى » .

[٢] - في ز : « عن » ، وسقط من : خ .

[٣] - في ز : « عمر » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٦] - سقط من : ز .

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

تجب الدية على عاقلة المقتص له . وقال ابن مسعود ، وإبراهيم النخعي ، والحكم بن عتيبة ، وعثمان البتي : يسقط عن المقتص له قدر تلك الجراحة ، ويجب الباقي في ماله .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **فمن تصدق به فهو كفارة له** ﴾ قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ **فمن تصدق به** ﴾ يقول : فمن عفا عنه ، وتصدق عليه ؛ فهو كفارة للمطلوب ، وأجر للطالب (٤٧٩) .

وقال سفيان الثوري ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ **فمن تصدق به فهو كفارة له** ﴾ [قال : كفارة][١] للجارح ، وأجر المجروح على الله عز وجل . ورواه ابن أبي حاتم(٤٨٠) ، ثم قال : وروي عن خيثمة بن عبد الرحمن ، ومجاهد ، وإبراهيم في أحد قوليه ، وعامر الشعبي ، وجابر بن زيد ؛ نحو ذلك الوجه الثاني ، ثم قال ابن أبي حاتم(٤٨١) :

حدثنا حماد بن زاذان ، حدثنا حرمي - يعني : ابن عمارة - حدثنا شعبة ، عن عمارة - يعني : ابن أبي حفصة - ، عن رجل ، عن جابر بن عبد الله في قول الله عز وجل : ﴿ **فمن تصدق به فهو كفارة له** ﴾ قال : المجروح[٢] . وروي عن الحسن البصري ، وإبراهيم النخعي في أحد قوليه ، وأبي إسحاق الهمداني : نحو ذلك .

(٤٧٩) - رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١١٤٥) (٦٤٤٧) من طريق على بن أبي طلحة عن ابن عباس باللفظ الذى ذكره المصنف ، ورواه ابن جرير فى تفسيره (١٠/ ٣٦٧) (١٢٠٩٦) بسنده مختصرًا بلفظ « كفارة للمتصدِّق عليه » .

وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٢/ ٥١١) وزاد نسبته للفريابى وسعيد بن منصور ، وابن أبى شيبة وعبد ابن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ .

(٤٨٠) - رواه ابن أبى حاتم فى تفسيره (٤/ ١١٤٦) (٦٤٤٩) وابن جرير (٩/ ٣٦٧، ٣٦٨) (١٢٠٩٨) .

(٤٨١) - رواه ابن أبى حاتم فى تفسيره (٤/ ١١٤٦) ورواه ابن جرير فى تفسيره (١٠/ ٣٦٣) (١٢٠٧٨) قال : حدثنا ابن المثنى قال : حدثنى مرمى بن عمارة به .

وقد وقع فى تفسير الطبرى « جابر بن زيد » وليس « جابر بن عبد الله » كما فى تفسير ابن أبى حاتم المطبوع وكذا وقع هنا فى تفسير ابن كثير ، وقد رواه ابن جرير أيضًا فى (١٢٠٧٦) من طريق عبد الصمد بن عبد الوارث قال : حدثنا شعبة ، عن عمارة بن أبى حفصة ، عن أبى عقبة ، عن جابر بن زيد به .

وإسناده صحيح إلا أن أبا عقبة لم أظفر بترجمته .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - في ز : « للمجروح » .

وروىٰ ابن جرير ؛ عن عامر الشعبي وقتادة : مثله(٤٨٢) .

وقال ابن أبي حاتم (٤٨٣) : حدثنا يونس بن حبيب ، حدثنا أبو داود الطيالسي ، حدثنا شعبة ، عن قيس - يعني : ابن مسلم - ، قال : سمعت طارق بن شهاب ، يحدث عن الهيثم أبي[١] العريان النخعي ، قال : رأيت عبد اللَّه بن عمرو عند معاوية أحمر شبيهًا[٢] بالموالي ، فسألته عن قول اللَّه : ﴿ **فمن تصدق به فهو كفارة له** ﴾ قال : يهدم عنه من ذنوبه بقدر ما تصدق به . وهكذا رواه سفيان الثوري ، عن قيس بن مسلم ، وكذا رواه ابن جرير : من طريق سفيان ، وشعبة .

وقال ابن مردويه(٤٨٤) : حدثني محمد بن علي ، حدثنا عبد الرحيم بن محمد المجاشعي ، حدثنا محمد بن أحمد بن الحجاج المهري ، حدثنا يحيىٰ بن سليمان الجعفي ، حدثنا معلى - يعني : ابن هلال[٣] - : أنه سمع أبان بن تغلب ، عن أبي[٤] العريان الهيثم بن الأسود ، عن عبد اللَّه بن عمرو ، عن أبان بن تغلب ، عن الشعبي ، عن رجل من الأنصار ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم في قوله : ﴿ **فمن تصدق به فهو كفارة له** ﴾ قال : « **هو الذي تكسر سنه ، أو تقطع يده ، أو يقطع الشيء منه ، أو يجرح في بدنه فيعفو عن ذلك** » . قال : « **فيحط عنه**

---

(٤٨٢) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١٠/ ٣٦٥) (١٢٠٨٣) بسنده إلى الشعبى قال : كفارة لمن تصدق به .

ورجال إسناده ثقات إلا ابن وكيع شيخ ابن جرير وقد تقدم حاله ، وأما أثر قتادة فرواه ابن جرير برقم (١٢٠٨٤) من طريق سعيد عن قتادة قوله : « فمن تصدق به فهو كفارة له » قال: لولى القتيل الذى عفا .

(٤٨٣) - رواه فى تفسيره (٤/ ١١٤٦) (٦٤٤٨) ، ورواه ابن جرير فى تفسيره (١٠/ ٣٦٢) (١٢٠٧٣) ، (١٢٠٧٤) ، (١٢٠٧٥) ، وفى (١٠/ ٣٦٥) (١٢٠٨٥) من طريق شعبة وسفيان عن قيس بن مسلم به .

ورواه البيهقى فى سننه (٨/ ٥٤) من طريق سفيان الثورى عن قيس به .

وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٢/ ٥١٠) وزاد نسبته إلى الفريابى وابن أبى شيبة وعبد بن حميد وأبى الشيخ وابن مردويه .

(٤٨٤) - ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٢/ ٥١٠) عن رجل من الأنصار وعزاه لابن مردويه وذكره من حديث ابن عمر وعزاه للديلمى .وإسناد ابن مردويه ضعيف جدًّا فإن معلى بن هلال اتفق النقاد على تكذيبه كما قال الحافظ فى « التقريب » .

---

[١] - في ز : « بن » .
[٢] - في ز : « شبيةٌ » .
[٣] - في ز : « بلال » .
[٤] - سقط من : خ .

قدر خطاياه ، فإن كان ربع الدية ؛ فربع خطاياه ، وإن كان الثلث ؛ فثلث خطاياه ، وإن كانت الدية ؛ حطت عنه خطاياه كذلك » .

ثم قال ابن جرير(٤٨٥) : حدثنا زكريا بن يحيىٰ بن أبي زائدة ، حدثنا ابن فضيل ، عن يونس ابن أبي إسحاق ، عن أبي السفر ، قال : دفع رجل من قريش رجلًا من الأنصار فاندقت ثنيته ، فرفعه الأنصاري إلىٰ معاوية ، فلما ألح عليه الرجل قال : شأنك وصاحبك . قال : وأبو الدرداء عند معاوية ، فقال أبو الدرداء : سمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « **ما من مسلم يصاب بشيء في[١] جسده فيهبه ، إلا رفعه اللّٰه به درجة ، وحط عنه به خطيئة** » . فقال الأنصاري : أنت سمعته من رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ؟ فقال : سمعَته أذناي ، ووعاه قلبي . فخلىٰ سبيل القرشي ، فقال معاوية : مروا له بمال .

هكذا رواه ابن جرير ، ورواه الإمام أحمد فقال(٤٨٦) :

حدثنا وكيع ، حدثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي السفر ، قال : كسر رجل من قريش سن رجل من الأنصار فاستعدىٰ عليه معاوية ، فقال[٢] [القرشي إن هذا دق سني][٣] . قال[٤] معاوية : إنا سنرضيه ، فألح الأنصاري ، فقال معاوية : شأنك بصاحبك . وأبو الدرداء جالس ، فقال أبو الدرداء : سمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « **ما من مسلم يصاب بشيء في جسده فيتصدق به ، إلا رفعه اللّٰه به درجة وحط به[٥] عنه [ ][٦] خطيئة** » فقال الأنصاري : فإني قد عفوت .

---

(٤٨٥) - التفسير (١٠/ ٣٦٤) (١٢٠٨٠) ، ورواه أحمد (٦/ ٤٤٨) والترمذى فى الديات باب ما جاء فى العفو ، حديث (١٣٩٣) ، وابن ماجه فى الديات ، باب : العفو فى القصاص حديث (٢٦٩٣) ، والبيهقى فى سننه (٨/ ٥٥) من طرق عن يونس بن أبى إسحاق به .

وقال الترمذى : هذا حديث غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه ولا أعرف لأبى السفر سماعًا من أبى الدرداء ، وأبو السفر اسمه سعيد بن أحمد ويقال : ابن يحمد الثورى .

قلت : أبو السفر ثقة روى له الجماعة ، لكن ذكر المزى أن روايته عن أبى الدرداء مرسلة . وكذا ابن حجر فى تهذيب التهذيب ، والحديث ضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع (٥١٧٧) .

(٤٨٦) - المسند (٦/ ٤٤٨) ، وانظر السابق .

---

[١] - في ت : « من » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « بها » .

وهكذا رواه الترمذي من حديث ابن المبارك ، وابن ماجة من حديث وكيع ، كلاهما عن يونس بن أبي إسحاق به ، ثم قال الترمذي : غريب [لا نعرفه إلا][١] من هذا الوجه ، ولا أعرف لأبي السفر سماعًا من أبي الدرداء .

وقال ابن مردويه(٤٨٧) : حدثنا دعلج بن أحمد ، حدثنا محمد بن علي بن زيد ، حدثنا سعيد ابن منصور ، حدثنا سفيان ، عن عمران بن ظبيان ، عن عدي بن ثابت : أن رجلا هتم[٢] فمه رجل علىٰ عهد معاوية رضي اللَّه عنه ، فأعطي دية ، فأبىٰ إلا أن يقتص ، فأعطي ديتين فأبىٰ ، فأعطي ثلاثًا فأبىٰ ، فحدث رجل من أصحاب رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **من تصدق بدم فما دونه فهو كفارة له ، من يوم ولد إلىٰ يوم يموت** » .

وقال الإمام أحمد(٤٨٨) : حدثنا سُريج بن النعمان ، حدثنا هشيم ، عن المغيرة ، عن الشعبي : أن عبادة بن الصامت قال : سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « **ما من رجل يجرح من[٣] جسده جراحة ، فيتصدق بها ، إلا كفر اللَّه عنه مثل ما تصدق به** » .

(٤٨٧) - رواه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (١٠/ ٣٦٨) (١٢١٠٠) قال : حدثنى المثنى قال حدثنا إسحاق قال : حدثنا عمران بن ظبيان به . وفى إسناده عمران بن ظبيان قال البخارى فى تاريخه (٦/ الترجمة ٢٨٦٢) : فيه نظر ، وهذا جرح شديد من البخارى ، وقال أبو حاتم فى الجرح والتعديل (٦ / الترجمة ١٦٦٣) : يكتب حديثه وقال ابن حبان فى المجروحين (٢/ ١٢٤) : كان ممن يخطئ ، لم يفحش خطؤه حتى يبطل الاحتجاج به ولكن لايحتج بما انفرد به من الأخبار . ثم تناقض رحمه الله فذكره فى الثقات (٧/٢٣٩) ، وضعفه ابن حجر فى « تقريبه » فقال : ضعيف ورمى بالتشيع تناقض فيه ابن حبان .

والحديث ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٢/ ٥١١) وزاد نسبته لسعيد بن منصور .

(٤٨٨) - المسند (٥/ ٣١٦) كما نقله ابن كثير هنا ورواه عبد الله بن أحمد فى زوائد المسند (٥/ ٣٢٩، ٣٣٠) والنسائى فى التفسير من الكبرى ، باب قوله تعالى : ﴿ فمن تصدق فهو كفارة له ﴾ . حديث (١١١٤٦) وهو فى التفسير رقم (١٦٦) ، والطبرى فى تفسيره (١٠/ ٣٦٤، ٣٦٥) (١٢٠٨١) ، من طرق عن مغيرة عن الشعبى به .

وعزاه المتقى الهندى فى كنز العمال (٣٩٨٥١) ، (٣٩٨٥٢) للطبرانى فى الكبير والضياء فى المختارة عن عبادة به .

ورواه الطيالسى (٥٨٧) ومن طريقه البيهقى (٨/ ٥٦) عن محمد بن أبان الجعفى عن علقمة بن مرثد عن الشعبى عن عبادة مرفوعًا نحوه وفى إسناده محمد بن أبان وهو ضعيف .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز : « هشم » .

[٣] - في ز : « في » .

ورواه النسائي : عن علي بن حجر ، عن جرير بن عبد الحميد . ورواه ابن جرير : عن محمود ابن خداش ، عن هشيم ، كلاهما عن المغيرة به .

وقال الإمام أحمد (٤٨٩) : حدثنا يحيىٰ بن سعيد القطان ، عن مجالد ، عن عامر ، عن المحرر ابن أبي هريرة ، عن رجل من أصحاب النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **من أصيب بشيء من جسده فتركه للّٰه كان كفارة له** » .

وقوله : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل اللّٰه فأولئك هم الظالمون** ﴾ قد تقدم عن طاوس وعطاء أنهما قالا : كفر دون كفر ، وظلم دون ظلم ، وفسق دون فسق .

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **وقفينا** ﴾ أي : أتبعنا علىٰ آثارهم ، يعني : أنبياء بني إسرائيل ﴿ **بعيسىٰ ابن مريم مصدقًا لما بين يديه من التوراة** ﴾ أي : مؤمنا بها حاكما بما[١] فيها ، ﴿ **وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور** ﴾ أي : هدىٰ إلىٰ الحق ، ونور يستضاء به في إزالة الشبهات وحل المشكلات : ﴿ **ومصدقًا لما بين يديه من التوراة** ﴾ أي : متبعًا لها غير مخالف لما فيها ، إلا في القليل مما بين لبني إسرائيل بعض ما كانوا يختلفون فيه ؛ كما قال تعالىٰ إخبارًا عن المسيح أنه قال لبني إسرائيل : ﴿ **ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم** ﴾ ولهذا كان المشهور من قولَي العلماء : أن الإنجيل نسخ بعض أحكام التوراة .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وهدى وموعظة للمتقين** ﴾ أي : وجعلنا الإنجيل هدىٰ يهتدي به ، ﴿ **وموعظة** ﴾ أي : وزاجرًا عن ارتكاب المحارم والمآثم ﴿ **للمتقين** ﴾ أي : لمن اتقىٰ اللّٰه ،

(٤٨٩) - رواه فى مسنده (٥/ ٤١٢) ، وإسناده ضعيف بسبب مجالد بن سعيد ضعفه يحيى القطان وأحمد بن حنبل وابن معين وغيرهم واختلف فيه قول النسائى فوثقه فى موضع وقال فى موضع آخر : ليس بالقوى . وانظر « تهذيب الكمال » وقال الحافظ فى « التقريب » : ليس بالقوى وقد تغير في آخر عمره .

والحديث ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (٦/ ٣٠٥) وقال : فيه مجالد وقد اختلط .

[١] - سقط من : خ .

وخاف وعيده وعقابه .

وقوله تعالىٰ : ﴿ وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل اللَّه فيه ﴾ قرئ : ﴿ وليحكمَ ﴾ بالنصب ، علىٰ أن اللام لام كي ، أي : وآتيناه الإنجيل [ ][١] ليحكم أهل ملته به في زمانهم ، وقرئ : ﴿ وليحكمْ ﴾ بالجزم ، [علىٰ أن][٢] اللام لام الأمر ، [أي : ليؤمنوا بجميع ما فيه ، وليقيموا ما أمروا به فيه ، ومما فيه البشارة ببعثة محمد والأمر][٣] باتباعه وتصديقه إذا وجد ، كما قال تعالىٰ : ﴿ قل يا أهل الكتاب لستم علىٰ شيء حتىٰ تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم ﴾ ... الآية ، وقال تعالىٰ : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ المفلحون ﴾ ، ولهذا قال هٰهنا : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل اللَّه فأولئك هم الفاسقون ﴾ أي : الخارجون عن طاعة ربهم ، المائلون إلىٰ الباطل ، التاركون للحق . وقد تقدم أن هذه الآية نزلت في النصارىٰ ، وهو ظاهر السياق .

وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾

لما ذكر تعالىٰ التوراة التي أنزلها علىٰ موسىٰ كليمه ، ومدحها وأثنىٰ عليها ، وأمر [باتباعها حيث كانت سائغة الاتباع ، وذكر الإنجيل ومدحه ، وأمر أهله بإقامته][٤] ، واتباع ما فيه كما تقدم بيانه - شرع تعالى في ذكر القرآن العظيم الذي أنزله علىٰ عبده ورسوله الكريم ، فقال تعالىٰ : ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق ﴾ أي : بالصدق الذي لا ريب فيه أنه من عند

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « فيه هدى ونور » . [٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « و » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

الله ﴿ **مصدقًا لما بين يديه من الكتاب** ﴾ أي : من[١] الكتب المتقدمة المتضمنة ذكره ومدحه ، وأنه سينزل من عند الله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، فكان نزوله كما أخبرت به ، مما زادها صدقًا عند حامليها من ذوي البصائر الذين انقادوا لأمر الله ، واتبعوا شرائع الله ، وصدقوا رسل الله ؛ كما قال تعالى : ﴿ **إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدًا ، ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا** ﴾ أي : إن كان ماوعدنا الله على ألسنة الرسل المتقدمين من مجيء محمد عليه السلام ﴿ **لمفعولا** ﴾ أي : لكائنا لا محالة ولا بد .

وقوله تعالى : ﴿ **ومهيمنا عليه** ﴾ قال سفيان الثوري وغيره ، عن أبي إسحاق ، عن التميمي ، عن ابن عباس ، أي : مؤتمنًا عليه (٤٩٠) .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : المهيمن الأمين . قال : القرآن أمين على كل كتاب قبله (٤٩١) .

وروي عن عكرمة ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، ومحمد بن كعب ، وعطية ، والحسن ، وقتادة ، وعطاء الخراساني ، والسدي ، وابن زيد نحو ذلك .

---

(٤٩٠) - رواه ابن جرير في تفسيره (١٠/ ٣٧٨) (١٢١٠٧) ، (١٢١٠٨) ، (١٢١٠٩) ، (١٢١١٠) ، (١٢١١١) ، (١٢١١٢) ، (١٢١١٣) ، (١٢١١٦) ، (١٢١١٧) ، (١٢١١٨) .

وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١١٥٠) (٦٤٧٢) والبيهقي في « الأسماء والصفات » (١٠٨) من طرق عن أبي إسحاق به .

والتميمي هذا سماه ابن أبي حاتم في روايته (أربد) وقد ترجم له المزي في « تهذيب الكمال » فقال : روى عن عبد الله بن عباس ، روى عنه أبو إسحاق السبيعي ولم يرو عنه غيره ورُوي عن أبي إسحاق عنه أنه قال : ما سمعت بأرض فيها علم إلا أتيتها وقال الحافظ في « التقريب » : أربد التميمي المفسر صدوق .

والأثر ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥١٢) وزاد نسبته إلى الفريابي ، وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه .

(٤٩١) - رواه ابن جرير في تفسيره (١٠/ ٣٧٩) (١٢١١٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١١٥٠) (٦٤٧٤) والبيهقي في « الأسماء والصفات » (١٠٩) من طريق علي بن أبي طلحة به وقد تقدم الكلام على هذا الإسناد .

---

[١] - سقط من : ز .

وقال ابن جريج : القرآن أمين على الكتب المتقدمة ، فما وافقه منها فهو حق ، وما خالفه منها فهو باطل(٤٩٢) .

وعن الوالبي ، عن ابن عباس : ﴿ ومهيمنًا ﴾ أي : شهيدًا . وكذا قال مجاهد ، وقتادة ، والسدي (٤٩٣) .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : ﴿ ومهيمنًا ﴾ أي : حاكمًا على ما قبله من الكتب(٤٩٤) .

وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى ، فإن اسم المهيمن يتضمن هذا كله فهو أمين ، وشاهد ، وحاكم على كل كتاب قبله ، جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب ، وخاتمها ، و[١] أشملها ، وأعظمها ، وأكملها[٢] ، حيث جمع فيه محاسن ما قبله ، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره ؛ فلهذا جعله شاهدًا ، وأمينًا ، وحاكمًا عليها كلها ، وتكفل تعالى بحفظه[٣] بنفسه الكريمة ، فقال تعالى : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ .

فأما ما حكاه ابن أبي حاتم عن عكرمة ، وسعيد بن جبير ، وعطاء الخراساني ، وابن أبي نجيح عن مجاهد : أنهم قالوا في قوله : ﴿ **ومهيمنًا عليه** ﴾ يعني : محمدًا صلى الله عليه وسلم أمين على القرآن . فإنه صحيح في المعنى ، ولكن في تفسير هذا بهذا نظر ، وفي تنزيله عليه من حيث العربية أيضًا نظر ، وبالجملة : فالصحيح الأول . قال أبو جعفر بن جرير بعد حكايته له عن مجاهد : وهذا التأويل بعيد من المفهوم في كلام العرب بل هو خطأ ، وذلك أن المهيمن عطف على المصدق ، فلا يكون إلا من صفة ما كان المصدق صفة له ، [ ][٤] ولو كان الأمر[٥] كما قال مجاهد ، لقال : (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق[٦] مصدقا لما بين يديه من

(٤٩٢) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١٠/ ٣٧٨) (١٢١٠٦) ووقع فى المطبوع من تفسير ابن جرير بتحقيق الشيخ شاكر: وقال ابن جريج : وقال آخرون : القرآن أمين على الكتب فيما إذا أخبرنا أهل الكتاب فى كتابهم بأمر . كذا والصواب : قال ابن جريج وآخرون ... الخ ، وهو الذى يتناسب مع ما نقله ابن كثير هنا عن ابن جريج .

(٤٩٣) - روى ذلك عنهم ابن جرير فى تفسيره (١٠/ ٣٧٧، ٣٧٨) (١٢١٠٣ م) ، (١٢١٠٤) (١٢١٠٥) ، (١٢١٠٦) والوالبى الذى يروى عن ابن عباس هو على بن أبى طلحة .

(٤٩٤) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١٠/ ٣٧٩) (١٢١١٥) .

(٤٩٥) - انظر تفسير ابن جرير (١٠/ ٣٨١) بتصرف .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز ، خ : « وأحكمها » .
[٣] - في ز : « حفظه » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « قال » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - سقط من : ز .

الكتاب مهيمنًا عليه) يعني : من غير عطف (٤٩٥) .

وقوله تعالىٰ : ﴿ فاحكم بينهم بما أنزل اللّه ﴾ أي : فاحكم يا محمد بين الناس : عربهم وعجمهم ، أميهم وكتابيهم ، ﴿ بما أنزل اللّه ﴾ إليك في[١] هذا الكتاب العظيم ، وبما قرره لك من حكم من كان قبلك من الأنبياء ، ولم ينسخه في شرعك . هكذا وجهه ابن جرير بمعناه(٤٩٦) .

قال ابن أبي حاتم(٤٩٧) : حدثنا محمد بن عمار ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا عباد بن العوام ، عن سفيان بن حسين ، عن الحكم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : كان النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم مخيرًا إن شاء حكم بينهم ، وإن شاء أعرض عنهم فردهم إلىٰ أحكامهم ، فنزلت : ﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل اللّه ولا تتبع أهواءهم ﴾ فأمر رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم أن يحكم بينهم بما في كتابنا .

وقوله : ﴿ ولا تتبع أهواءهم ﴾ [أي : آراءهم][٢] التي اصطلحوا عليها ، وتركوا بسببها ما أنزل اللّه علىٰ رسله ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ﴾ أي : لا تنصرف عن الحق الذي أمرك اللّه به إلىٰ أهواء هؤلاء من الجهلة الأشقياء .

وقوله تعالىٰ : ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا ﴾ قال ابن أبي حاتم(٤٩٨) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن يونس[٣] بن أبي إسحاق ، عن أبيه ، عن التميمي ، عن ابن عباس : ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ﴾ قال : سبيلًا .

وحدثنا أبو سعيد ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن التميمي ، عن ابن عباس : ﴿ ومنهاجًا ﴾ قال : وسنة(٤٩٩) .

---

(٤٩٦) - انظر تفسير الطبرى (١٠/ ٣٨٢، ٣٨٣) .

(٤٩٧) - رواه ابن أبى حاتم فى تفسيره (٤/ ١١٣٥) (٦٣٨٨) كما نقله ابن كثير هنا ورواه فى (٤/ ١١٥٣) (٦٤٩٤) قال : حدثنا أبى ثنا أحمد بن جميل المروزى ثنا عباد بن العوام به .

(٤٩٨) - التفسير (٤/ ١١٥١) (٦٤٨٢) .

(٤٩٩) - التفسير (٤/١١٥٢) (٦٤٨٥) ، ورواه ابن جرير فى تفسيره (١٠/ ٣٨٧) (١٢١٣٠ - ١٢١٣٦) من طرق عن أبى إسحاق عن التميمى به . =

---

[١] - في ز ، خ : « من » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ت : « يوسف » .

وكذا روىٰ العوفي ، عن ابن عباس : ﴿ **شرعة ومنهاجًا** ﴾ سبيلًا وسنة(٥٠٠) .

وكذا روي عن مجاهد ، وعكرمة ، والحسن البصري ، وقتادة ، والضحاك ، والسدي ، وأبي إسحاق السبيعي : أنهم قالوا في قوله : ﴿ **شرعة ومنهاجًا** ﴾ أي : سبيلًا وسنة .

وعن ابن عباس ومجاهد أيضًا وعطاء الخراساني عكسه - [﴿ **شرعة ومنهاجًا** ﴾ أي : سنة وسبيلًا . والأول أنسب ؛ فإن الشرعة][١] وهي الشريعة أيضًا ؛ هي ما يبتدأ فيه إلىٰ الشيء ومنه يقال : شرع في كذا أي : ابتدأ فيه ، وكذا الشريعة ، وهي ما يشرع منها[٢] إلىٰ الماء . أما المنهاج ؛ فهو الطريق الواضح السهل ، والسنن : الطرائق ، فتفسير قوله ﴿ **شرعة ومنهاجًا** ﴾ بالسبيل والسنة أظهر في المناسبة من العكس والله أعلم .

ثم هذا إخبار عن الأمم المختلفة الأديان ، باعتبار ما بعث الله به رسله الكرام من الشرائع المختلفة في الأحكام المتفقة في التوحيد ؛ كما ثبت في صحيح البخاري(٥٠١) ، عن أبي هريرة : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات ، ديننا واحد** » . يعني بذلك : التوحيد الذي بعث الله به كل رسول أرسله ، وضمنه كل كتاب أنزله ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي[٣] إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولًا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾ الآية . وأما الشرائع فمختلفة في الأوامر والنواهي ، فقد يكون الشيء في هذه[٤] الشريعة حرامًا ، ثم يحل في الشريعة الأخرىٰ ، وبالعكس ، وخفيفًا فيزاد في الشدة في هذه دون هذه ؛ وذلك لما له تعالىٰ في ذلك من الحكمة البالغة والحجة الدامغة .

= والتميمي هو أربد أو أربدة المفسر وقد تقدم الكلام على هذا الإسناد فى رقم (٥١٢) .
وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٢/ ٥١٣) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد ، وسعيد بن منصور ، والفريابى وابن المنذر وأبى الشيخ وابن مردويه .

(٥٠٠) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١٠/ ٣٨٨) (١٢١٣٧) .

(٥٠١) - رواه البخارى فى صحيحه فى أحاديث الأنبياء ، باب : قول الله ﴿ واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها ﴾ ... حديث (٣٤٤٣) من طريق عبد الرحمن بن أبى عمرة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا أولى الناس بعيسى بن مريم فى الدنيا والآخرة والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد » ورواه مسلم فى صحيحه فى الفضائل ، باب : فضائل عيسى عليه السلام حديث (٢٣٦٥/ ١٤٥) من طريق همام بن منبه عن أبى هريرة نحوه . =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.
[٢] - سقط من : ز ، خ.
[٣] - في ز : « يوحي » .
[٤] - سقط من : ز ، خ.

قال سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، قوله : ﴿ **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا** ﴾ يقول : سبيلًا وسنة ، والسنن مختلفة ، هي في التوراة شريعة ، وفي الإنجيل شريعة ، وفي الفرقان شريعة ، يحل الله فيها ما يشاء ، ويحرم ما يشاء ؛ ليعلم من يطيعه ممن يعصيه ، والدين الذي لا يقبل الله غيره : التوحيد والإخلاص لله الذي جاءت به جميع[١] الرسل عليهم الصلاة والسلام(٥٠٢) .

وقيل[٢] : المخاطب [بهذه الآية][٣] [هذه الأمة][٤] ، ومعناه : ﴿ **لكل جعلنا** ﴾ القرآن ﴿ **منكم** ﴾ أيتها الأمة : ﴿ **شرعة ومنهاجًا** ﴾ أي : هو لكم كلكم تقتدون به ، وحذف الضمير المنصوب في قوله : ﴿ **لكل جعلنا منكم** ﴾ أي : جعلناه يعني القرآن ﴿ **شرعة ومنهاجًا** ﴾ أي : سبيلًا إلىٰ المقاصد الصحيحة وسنة أي : طريقًا ومسلكًا واضحًا بينًا .

هذا مضمون ما حكاه ابن جرير عن مجاهد رحمه الله ، والصحيح : القول الأول ، ويدل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ بعده[٥] : ﴿ **ولو شاء الله لجعلكم أمّة واحدة** ﴾ فلو كان هذا خطابًا لهذه الأمّة ؛ لما صح أن يقول : ﴿ **ولو شاء الله لجعلكم أمّة واحدة** ﴾ [وهم أمّة واحدة][٦] ، ولكن هذا خطاب لجميع الأمم ، وإخبار عن قدرته تعالىٰ العظيمة ، التي لو شاء لجمع الناس كلهم علىٰ دين واحد وشريعة واحدة ، لا ينسخ شيء منها ، ولكنه تعالىٰ شرع لكل رسول شرعة علىٰ حدة ، ثم نسخها أو بعضها برسالة الآخر الذي بعده ، حتىٰ نسخ الجميع بما بعث به عبده ورسوله محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم ، الذي[٧] ابتعثه إلىٰ أهل الأرض قاطبة ، وجعله خاتم الأنبياء كلهم ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم** ﴾ أي : أنه تعالىٰ شرع الشرائع مختلفة ؛ ليختبر عباده فيما شرع لهم ، ويثيبهم أو يعاقبهم علىٰ طاعته ومعصيته بما فعلوه أو عزموا عليه من ذلك كله .

= ورواه البخارى رقم (٣٤٤٢) ومسلم (٢٣٦٥/ ١٤٣، ١٤٤) من طريق أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة نحوه .

(٥٠٢) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١٠/ ٣٨٥) (١٢١٢٦) ، ابن أبى حاتم (١١٥٢/٤) (٦٤٨٨) من طريق يزيد بن ذريع ثنا سعيد عن قتادة به .

وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٢/ ٥١٣) وزاد نسبته لعبد بن حميد وأبى الشيخ .

---

[١] - سقط من: ز ، خ.

[٢] - في خ: « وقال ».

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « بهذا » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٥] - سقط من: ز ، خ.

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٧] - سقط من: خ.

و[١] قال عبد الله بن كثير : ﴿ فيما آتاكم ﴾ يعني : من الكتاب .

ثم إنه تعالىٰ ندبهم إلىٰ المسارعة إلىٰ الخيرات والمبادرة إليها ، فقال : ﴿ **فاستبقوا الخيرات** ﴾ وهي : طاعة الله واتباع شرعه الذي جعله ناسخًا لما قبله ، والتصديق بكتابه القرآن الذي هو آخر كتاب أنزله .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **إلىٰ الله مرجعكم جميعًا** ﴾ أي : معادكم أيها الناس ، ومصيركم إليه يوم القيامة ﴿ **فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون** ﴾ أي : فيخبركم بما اختلفتم فيه من الحق ، فيجزي الصادقين بصدقهم ، ويعذب الكافرين الجاحدين المكذبين بالحق العادلين عنه إلىٰ غيره بلا دليل ولا برهان ، بل هم معاندون للبراهين القاطعة ، والحجج البالغة ، والأدلة الدامغة .

وقال الضحاك : ﴿ **فاستبقوا الخيرات** ﴾ يعني : أمة محمد صلىٰ الله عليه وسلم(٥٠٣) . والأول أظهر .

وقوله : ﴿ **وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم** ﴾ تأكيد لما تقدم من الأمر بذلك والنهي عن خلافه .

ثم قال : ﴿ **واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك** ﴾ أي : و[٢] احذر أعداءك اليهود أن يدلسوا عليك الحق فيما ينهونه إليك من الأمور ، فلا تغتر بهم ، فإنهم كذبة كفرة خونة ﴿ **فإن تولوا** ﴾ أي : عما تحكم به بينهم من الحق وخالفوا شرع الله ﴿ **فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم** ﴾ أي : فاعلم أن ذلك كائن عن قدرة[٣] الله وحكمته فيهم ، لأن يصرفهم عن الهدىٰ لما عليهم من الذنوب السالفة ، التي اقتضت إضلالهم ونكالهم ﴿ **وإن كثيرًا من الناس لفاسقون** ﴾ أي : إن[٤] أكثر الناس خارجون عن طاعة ربهم مخالفون للحق ناءون عنه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله** ﴾ الآية .

(٥٠٣) - رواه ابن جرير في تفسيره (١٠/ ٣٩١) (١٢١٤٩) قال : حدثنا ابن وكيع ، وابن أبي حاتم (٤/ ١١٥٣) (٦٤٩١) حدثنا أبو سعيد الأشج قالا : حدثنا زيد بن الحباب عن أبي سنان قال سمعت الضحاك يقول فذكره وإسناده حسن رجاله رجال مسلم

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « قدر » .
[٤] - سقط من : ز .

و[١] قال محمد بن إسحاق(٥٠٤) : حدثني محمد بن أبي محمد مولىٰ زيد بن ثابت ، حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال كعب بن أسد ، وابن صلوبا ، وعبد الله بن صوريا ، وشاس بن قيس ، بعضهم لبعض : اذهبوا بنا إلىٰ محمد لعلنا نفتنه عن دينه فأتوه ، فقالوا : يا محمد ، إنك قد عرفت أنا أحبار يهود وأشرافهم وساداتهم ، وإنا إن اتبعناك اتبعنا يهود ولم يخالفونا ، وإن بيننا وبين قومنا خصومة[٢] ، فنحاكمهم إليك ، فتقضي لنا عليهم ونؤمن لك ونصدقك . فأبىٰ ذلك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فأنزل الله عز وجل فيهم ﴿ **وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **لقوم يوقنون** ﴾ .

رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكمًا لقوم يوقنون** ﴾ ينكر تعالىٰ علىٰ من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل علىٰ كل خير ، الناهي عن كل شر ، وعدل إلىٰ ما سواه ؛ من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله ، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات ، مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم ، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم [جنكيز خان][٣] ، الذي وضع لهم اليساق[٤] ، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى : من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها[٥] ، وفيها كثير من الأحكام أخذها من[٦] مجرد نظره وهواه ، فصارت في بنيه شرعا متبعًا يقدمونها علىٰ الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فمن[٧] فعل ذلك [منهم] فهو كافر ، يجب قتاله حتىٰ يرجع إلىٰ حكم الله ورسوله ، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **أفحكم الجاهلية يبغون** ﴾ أي : يبتغون ويريدون ، وعن حكم الله يعدلون ﴿ **ومن أحسن من الله حكمًا لقوم يوقنون** ﴾ أي : ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل

(٥٠٤) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١٠/ ٣٩٣) (١٢١٥٠) وابن أبي حاتم فى تفسيره (١١٥٤/٤) (٦٤٩٨) والبيهقى فى دلائل النبوة (٢/ ٥٣٦) من طريق ابن إسحاق به . وهو عند ابن إسحاق فى السيرة (٢/ ٦٠١) .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز ، خ : « حكومة » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « سنكرخان » .
[٤] - في ز : « الياسف » .
[٥] - سقط من: ز ، خ.
[٦] - في ز : « عن » .
[٧] - في ز : « ومن » .

عن اللّٰه شرعه ، وآمن به وأيقن ، وعلم أن اللّٰه أحكم الحاكمين ، وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها ، فإنه تعالىٰ هو العالم بكل شيء ، القادر علىٰ كل شيء ، العادل في كل شيء .

و[١] قال ابن أبي حاتم(٥٠٥) : حدثنا أبي ، حدثنا هلال بن فياض ، حدثنا أبو عبيدة الناجي ، قال : سمعت الحسن يقول : من حكم بغير حكم اللّٰه فحكم الجاهلية .

وأخبرنا يونس بن عبد الأعلىٰ قراءة ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، قال : كان طاوس إذا سأله رجل : أفضل بين ولدي في النحل ؟ قرأ : ﴿ **أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكمًا لقوم يوقنون** ﴾(٥٠٦) .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني(٥٠٧) : حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة الحوطي[٢] ، حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع ، أنا شعيب بن أبي حمزة ، عن عبد اللّٰه بن عبد الرحمن بن أبي حسين ، عن نافع بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **أبغض الناس إلىٰ اللّٰه عز وجل مبتغ في الإسلام**[٣] **سنة الجاهلية ، وطالب دم امرئ بغير حق ليريق دمه** » ورویٰ البخاري عن أبي اليمان بإسناده نحوه[٤] [ ][٥] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ

(٥٠٥) - رواه في تفسيره (٤/ ١١٥٥) (٦٥٠٤) . وفي إسناده أبو عبيدة الناجي واسمه بكر ابن الأسود أحد الزهاد ضعفه ابن معين ، والنسائي ، والدارقطني : وقال ابن حبان : غلب عليه التقشف حتى غفل عن تعاهد الحديث فصار الغالب على حديثه المعضلات وكان يحيى ابن كثير العنبري يروى عنه ويكذبه . انظر ترجمته في ميزان الاعتدال (١/ الترجمة ١٢٧٢) .

(٥٠٦) - رواه في تفسيره (٤/ ١١٥٥) (٦٥٠٥) وإسناده صحيح .

(٥٠٧) - رواه في معجمه الكبير (١٠/ ٣٧٤) (١٠٧٤٩) ، ورواه البخاري في صحيحه كتاب الديات ، باب : من طلب دم امرئ بغير حق ، حديث (٦٨٨٢) قال : حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب فذكره بلفظ « أبغض الناس إلى الله ثلاثة : ملحد في الحرم ، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية ، ومن طلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه » .

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ز : « الحوطي » .

[٣] - في ز : « الناس » .

[٤] - في ز ، خ : « بزيادة » .

[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « قوله تعالى » .

﴿فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾

ينهىٰ تبارك وتعالىٰ عباده المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارىٰ الذين هم أعداء الإسلام وأهله [قاتلهم الله][١] ، ثم أخبر أن بعضهم أولياء بعض ، ثم تهدد وتوعد من يتعاطىٰ ذلك ، فقال : ﴿ **ومن يتولهم منكم فإنه منهم** ﴾ .

[قال ابن أبي حاتم (٥٠٨) : حدثنا كثير بن شهاب ، حدثنا محمد - يعني : ابن سعيد بن سابق - ، حدثنا عمرو بن أبي قيس ، عن سماك بن حرب ، عن عياض : أن عمر أمر أبا موسىٰ الأشعري أن يرفع إليه ما أخذ وما أعطىٰ في أديم واحد ، وكان له كاتب نصراني ، فرفع إليه ذلك ، فعجب عمر وقال : إن هذا لحفيظ ، هل أنت قارئ لنا كتابًا في المسجد جاء من الشام . فقال : إنه لا يستطيع . فقال عمر : أجنب هو ؟ قال : لا ، بل نصراني . قال : فانتهرني وضرب فخذي ، ثم قال : أخرجوه ، ثم قرأ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارىٰ أولياء** ﴾ الآية][٢] .

ثم[٣] قال [ ][٤] (٥٠٩) : حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدثنا عثمان بن عمر ، أنبأنا ابن عون ، عن محمد بن سيرين ، قال : قال عبد الله بن عتبة : ليتق أحدكم أن يكون يهوديًّا أو نصرانيًّا وهو لا يشعر . قال : فظنناه يريد هذه الآية : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارىٰ أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم** ﴾ الآية .

وحدثنا أبو سعيد الأشج (٥١٠) ، حدثنا ابن فضيل ، عن عاصم ، عن عكرمة ، عن ابن

(٥٠٨) - رواه في تفسيره (٤/ ١١٥٦) (٦٥١٠) .. وإسناده حسن ، كثير بن شهاب هو المذحجي ، قال عنه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٧/ الترجمة ٨٥٣) : كتبت عنه بقزوين وهو صدوق ، وعمرو بن أبي قيس قال ابن حجر في « التقريب » : صدوق له أوهام .

والأثر ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥١٦) وزاد نسبته للبيهقي في شعب الإيمان .

(٥٠٩) - رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١١٥٦) (٦٥١١) .

(٥١٠) - رواه في تفسيره (٤/ ١١٥٧) (٦٥١٢) ورواه ابن جرير في تفسير (١٠/ ٤٠١) (١٢١٦١) =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : بياض .

عباس : أنه سئل عن ذبائح نصارىٰ العرب فقال : كُلْ ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **ومن يتولهم منكم فإنه منهم** ﴾ .

وروي عن أبي الزناد : نحو ذلك .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **فترىٰ الذين في قلوبهم مرض** ﴾ أي : شك وريب ونفاق ﴿ **يسارعون فيهم** ﴾ ، أي : يبادرون إلىٰ موالاتهم[١] ومودّتهم[٢] في الباطن والظاهر ﴿ **يقولون نخشىٰ أن تصيبنا دائرة** ﴾ أي : يتأولون في مودتهم وموالاتهم : أنهم يخشون أن يقع أمر من ظفر الكافرين[٣] بالمسلمين ، فتكون لهم أياد عند اليهود والنصارىٰ فينفعهم ذلك ، عند ذلك قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **فعسىٰ اللَّه أن يأتي بالفتح** ﴾ قال السدي : يعني : فتح مكة ، وقال غيره : يعني : القضاء والفصل ، ﴿ **أو أمر من عنده** ﴾ قال السدي : يعني : ضرب الجزية علىٰ اليهود والنصارىٰ ﴿ **فيصبحوا** ﴾ يعني : الذين والَوا اليهود والنصارىٰ من المنافقين ﴿ **علىٰ ما أسروا في أنفسهم** ﴾ من الموالاة ﴿نادمين﴾ ، أي : علىٰ ما كان منهم مما لم يُجد عنهم شيئًا ولا دفع عنهم محذورًا ، بل كان عين المفسدة فإنهم فضحوا ، وأظهر اللَّه أمرهم في الدنيا لعباده المؤمنين ، بعد أن كانوا مستورين لا يُدرى كيف حالهم ، فلما انعقدت الأسباب الفاضحة لهم تبين أمرهم لعباد اللَّه المؤمنين ، فتعجبوا منهم كيف كانوا يظهرون أنهم من المؤمنين ، ويحلفون علىٰ ذلك ويتأولون ، فبان كذبهم وافتراؤهم ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين** ﴾.

وقد اختلف القراء في هذا الحرف ؛ فقرأه[٤] الجمهور بإثبات الواو في قوله : ﴿ **ويقول**

=من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس نحو رواية ابن أبي حاتم .

ورواه ابن جرير فى تفسيره (١٢١٦٣) وابن أبى حاتم فى تفسيره (٤/ ١١٥٧) (٦٥١٣) من طريق عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس قال : كلوا ذبائح نصارى بنى تغلب . فإن الله يقول : ﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ فلو لم يكونوا منهم إلا بالولاية لكانوا منهم .

وذكره السيوطى بهذا اللفظ فى الدر المنثور (٢/ ٥١٦) وزاد نسبته لابن المنذر وابن أبى شيبة

ورواه ابن جرير فى تفسيره (١٢١٦٢) من طريق على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى تفسير الآية قال : إنها فى الذبائح . من دخل فى دين قوم فهو منهم .

---

[١] - في ز : « ولايتهم » .
[٢] - في ز : « مواددتهم » .
[٣] - في ز : « فيكون » .
[٤] - في ز : « فقرأ » .

الذين[١] ﴾ ثم منهم من رفع ، ويقول على الابتداء ، ومنهم من نصب عطفًا على قوله ﴿ **فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده** ﴾ تقديره : أن يأتي وأن يقول ، وقرأ أهل المدينة ﴿ **يقول الذين آمنوا** ﴾ بغير واو ، وكذلك هو في مصاحفهم على ما ذكره ابن جرير ، قال ابن جريج[٢] ، عن مجاهد : ﴿ **فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده** ﴾ حينئذ (يقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين)(٥١١) .

واختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآيات الكريمات ؛ فذكر السدي : أنها نزلت في رجلين ، قال أحدهما لصاحبه بعد وقعة أحد : أمّا أنا فإني ذاهب إلى ذلك اليهودي [فآوي إليه][٣] وأتهوّد معه ؛ لعله ينفعني إذا وقع أمر أو حدث حادث . وقال الآخر : أما[٤] أنا [فإني ذاهب][٥] إلى فلان النصراني بالشام [فآوي إليه][٦] وأتنصر معه . فأنزل الله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ...** ﴾(٥١٢) الآيات .

وقال عكرمة : نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر ، حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة ، فسألوه ماذا هو صانع بنا ؟ فأشار بيده إلى حلقه ، أي : إنه الذبح . رواه ابن جرير(٥١٣) .

وقيل : نزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول ، كما قال ابن جرير(٥١٤) :

حدثنا أبو كريب ، حدثنا ابن إدريس ، قال : سمعت أبي ، عن عطية بن سعد ، قال : جاء

(٥١١) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١٠/ ٤٠٧) (١٢١٧٦) .

(٥١٢) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١٠/ ٣٩٧) (١٢١٥٩) ، وابن أبى حاتم (٤/ ١١٥٥) (٦٥٠٧) ، وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٢/ ٥١٥) ولم يعزه لغيرهما .

(٥١٣) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١٠/٣٩٨) (١٢١٦٠) ، وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٢/٥١٥) مطولًا وزاد نسبته لابن المنذر .

(٥١٤) - رواه فى تفسيره (١٠/ ٣٩٥، ٣٩٦) (١٢١٥٦) إسناده صحيح رجاله ثقات إلا عطية بن سعد العوفى وهو ضعيف وقد أرسله . وكذا علقه الواحدى فى أسباب النزول (ص٢٠٠) والحديث رواه ابن إسحاق فى السيرة (٢/٨١٠) ومن طريقه ابن جرير فى تفسيره (١٠/ ٣٩٦، ٣٩٧) (١٢١٥٨)=

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز ، خ : « جرير » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « فأواليه » .
[٤] - في ز : « وأما » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « فأذهب » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « فأواليه » .

عبادة بن الصامت من بني الخزرج إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فقال : يا رسول اللّٰه ، إن لي موالي من يهود كثير عددهم ، وإني أبرأ إلىٰ اللّٰه ورسوله من ولاية يهود ، وأتولىٰ اللّٰه ورسوله . فقال عبد اللّٰه بن أبي : إني رجل أخاف الدوائر لا أبرأ من ولاية موالي . فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وآله وسلم لعبد اللّٰه بن أبي : « **يا أبا الحباب ، ما بخلت به من ولاية يهود علىٰ عبادة بن الصامت فهو لك دونه** » . قال : قد[١] قبلت . فأنزل اللّٰه عز وجل ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارىٰ أولياء بعضهم أولياء بعض** ﴾ إلى قوله : ﴿ **فترىٰ الذين في قلوبهم مرض** ﴾ .

ثم قال ابن جرير(٥١٥) : حدثنا هناد ، حدثنا يونس بن بكير ، حدثنا عثمان بن عبد الرحمن ، عن الزهري ، قال : لما انهزم أهل بدر ، قال المسلمون لأوليائهم من اليهود[٢] : آمنوا قبل أن يصيبكم اللّٰه بيوم مثل يوم بدر . فقال مالك بن الصيف : أغركم إن أصبتم رهطًا من قريش لا علم لهم بالقتال ، أما لو أمررنا[٣] العزيمة أن نستجمع[٤] عليكم لم يكن لكم يد[٥] بقتالنا . فقال عبادة [بن الصامت][٦] : يا رسول اللّٰه ، إن أوليائي من اليهود كانت شديدة أنفسهم ، كثيرًا سلاحهم ، شديدة شوكتهم ، وإني أبرأ إلىٰ اللّٰه وإلى[٧] رسوله من ولاية يهود ، ولا مولىٰ لي إلا اللّٰه ورسوله . فقال عبد اللّٰه ابن أبي : لكني لا أبرأ من ولاء يهود إني[٨] رجل لابد لي منهم . فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وآله وسلم : « **يا أبا الحباب ، أرأيت الذي نفست به من ولاية يهود علىٰ عبادة بن الصامت فهو لك دونه** » . فقال :

= وابن أبي حاتم في التفسير (١١٥٥/٤) (٦٥٠٦) ، والبيهقي في دلائل النبوة (٣/ ١٧٤، ١٧٥) قال : حدثني أبي إسحاق بن يسار ، عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال: لما حاربت بنو قينقاع رسول الله صلى الله عليه وسلم تشبث بأمرهم عبد الله بن أُبيّ ابن سلول فذكر نحو ما رواه عطية وإسناده صحيح رجاله ثقات وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث وهو إمام في المغازي ، لكنه مرسل أيضًا فإن عبادة بن الوليد من التابعين ولم يدرك حرب بني قينقاع .

والأثر ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥١٥/٢) عن عبادة بن الوليد وزاد نسبته لابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه وابن عساكر . وذكره أيضًا عن عطية وزاد نسبته لابن أبي شيبة .

(٥١٥) - رواه في تفسيره (٣٩٦/١٠) (١٢١٥٧) وهو مع إرساله ، في إسناده عثمان بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن أبي وقاص ، قال الحافظ في « التقريب » : متروك وكذبه ابن معين .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز : « يهود » .
[٣] - في ز : « أسررنا » ، خ : « أصررنا » .
[٤] - في ز : « يستجمع » .
[٥] - في ز : « بد » .
[٦] - ما بين العكوفتين سقط من : ز .
[٧] - في ت : « و » .
[٨] - في ز : « أنا » .

إذًا أقبل . قال : فأنزل اللَّه : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارىٰ أولياء بعضهم أولياء بعض** ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ ﴿ **واللَّه يعصمك من الناس** ﴾ .

وقال محمد بن إسحاق : فكانت أول قبيلة من اليهود نقضت ما بينها وبين رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم [بنو قينقاع ، فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال : فحاصرهم رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم][١] حتىٰ نزلوا علىٰ حكمه ، فقام إليه عبد اللَّه بن أبي ابن سلول حين أمكنه اللَّه منهم ، فقال : يا محمد ، أحسن في موالي . وكانوا حلفاء الخزرج ، قال : فأبطأ عليه رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقال : يا محمد ، أحسن في موالي . قال : فأعرض عنه ، فأدخل يده في جيب درع رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقال له رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أرسلني** » . وغضب رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم حتىٰ رُئي لوجهه ظللًا ، ثم قال : « **ويحك ! أرسلني** » . قال : لا والله لا أرسلك حتىٰ تحسن في موالي ، أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع ، قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم[٢] في غداة واحدة ، إني امرؤ أخشىٰ الدوائر . قال : فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **هم لك** »(٥١٦) .

قال محمد بن إسحاق (٥١٧) : فحدثني أبي إسحاق بن يسار ، عن عبادة بن الوليد بن عبادة ابن الصامت ، قال : لما حاربت بنو قينقاع رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم تشبث بأمرهم عبد اللَّه ابن أبي وقام دونهم ، و[٣] مشىٰ عبادة بن الصامت إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وكان أحد بني عوف بن الخزرج له من حلفهم مثل الذي لعبد اللَّه بن أبي ، فجلعهم[٤] إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم وتبرأ إلىٰ اللَّه ورسوله صلى الله عليه وسلم من حلفهم ، وقال : يا رسول اللَّه ، أتبرأ إلىٰ اللَّه وإلىٰ رسوله من حلفهم ، وأتولىٰ اللَّه ورسوله والمؤمنين ، وأبرأ من حلف الكفار وولايتهم . ففيه وفي عبد اللَّه بن أبي نزلت الآيات في المائدة : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارىٰ أولياء بعضهم أولياء بعض** ﴾ [ ][٥] إلىٰ قوله : ﴿ **ومن يتول اللَّه ورسوله والذين آمنوا فإن حزب اللَّه هم الغالبون** ﴾ .

(٥١٦) - سيرة ابن هشام (٢/ ٨٠٩، ٨١٠) ومن طريقه رواه البيهقى فى دلائل النبوة (٣/١٧٤) .
(٥١٧) - رواه ابن إسحاق فى السيرة (٢/٨١٠) ، وهو مرسل صحيح الإسناد ، وقد تقدم تخريجه .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز : « يحصدني » ، خ : « تحصدني » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « فجعلهم » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « الآيات » .

وقال الإمام أحمد(٥١٨) : حدثنا قتيبة بن سعيد[١] ، حدثنا يحيىٰ بن زكريا بن أبي زائدة ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن عروة ، عن أسامة بن زيد ، قال : دخلت مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ عبد الله بن أبيّ نعوده ، فقال له النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **قد كنت أنهاك عن حب يهود** » . فقال عبد الله : فقد أبغضهم أسعد[٢] بن زرارة فمات .

وكذا رواه أبو داود من حديث محمد بن إسحاق .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن قدرته العظيمة : أنه من تولىٰ عن نصرة دينه وإقامة شريعته ، فإن الله يستبدل به من هو خير لها منه ؛ وأشدّ منعة ، وأقوم سبيلًا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم** ﴾ ، [وقال تعالىٰ : ﴿ **إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين** ﴾][٣] وقال تعالىٰ : ﴿ **إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك علىٰ الله بعزيز** ﴾ أي : بممتنع ولا صعب . وقال تعالىٰ [هاهنا][٤] : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا**

(٥١٨) - رواه في مسنده (٢٠١/٥) كما نقله ابن كثير ، ورواه أبو داود في الجنائز ، باب في العيادة حديث (٣٠٩٤) والحاكم في المستدرك (٣٤١/١) عن عبد العزيز بن يحيى ، ثنا محمد بن سلمة ثنا محمد بن إسحاق به ، ولفظه « قد أبغضهم سعد بن زرارة فمه » ثم زادا فيه « فلما مات أتاه ابنه فقال : يا رسول الله إن عبد الله بن أبيّ قد مات فأعطني قميصك أكفنه فيه ، فنزع رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه فأعطاه إياه » .

وصححه الحاكم على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي وليس كما قالا فإن ابن إسحاق لم يخرج له مسلم إلا في المتابعات وهو مدلس وقد عنعن فلم يصرح بالسماع من الزهري لكن قصة القميص التي ذكرها أبو داود والحاكم ثابتة في الصحيحين .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « سعد » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

من يرتد منكم عن دينه ﴾ أي : يرجع عن الحق إلىٰ الباطل .

قال محمد بن كعب : نزلت في الولاة من قريش(٥١٩) . وقال الحسن البصري : نزلت في أهل الردّة أيام أبي بكر. ﴿ فسوف يأتي اللَّه بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ [قال الحسن : هو واللَّه أبو بكر وأصحابه . رواه ابن أبي حاتم(٥٢٠) . وقال أبو بكر بن أبي شيبة : سمعت أبا بكر بن عياش يقول في قوله : ﴿ فسوف يأتي اللَّه بقوم يحبهم ويحبونه ﴾][١] : هم أهل القادسية(٥٢١) . وقال ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد : هم قوم من سبأ(٥٢٢) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا عبد اللَّه بن الأجلح ، عن محمد بن عمرو ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قوله : ﴿ فسوف يأتي اللَّه بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ قال : ناس من أهل اليمن ، ثم من كندة ثم من السَّكون .

وحدثنا أبي(٥٢٣) ، حدثنا محمد بن المصفىٰ ، حدثنا معاوية - يعني : ابن حفص - ، عن أبي زياد الحلفاني ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد اللَّه ، قال : سئل رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم عن قوله ﴿ فسوف يأتي اللَّه بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ قال : « هؤلاء قوم من

---

(٥١٩) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١٠/٤١٠) (١٢١٧٧) وابن أبى حاتم (٤/١١٥٩) (٦٥٣١) . وإسناده حسن .

(٥٢٠) - رواه فى تفسيره (٤/١١٦٠) (٦٥٣٧) من طريق الفضل بن دلهم عن الحسن . والفضل لين كما قال الحافظ فى « التقريب » ورواه من هذا الطريق ابن جرير فى تفسيره (١٠/٤١١) (١٢١٧٨) (١٢١٧٩) ورواه أيضًا فى (١٢١٨٠) ، (١٢١٨١) ، (١٢١٨٢) ، وابن أبى حاتم (٦٥٣٣) من طرق عن الحسن به .
والأثر ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٢/٥١٧) وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ وخيثمة الأترابلسى فى فضائل الصحابة ، والبيهقى فى الدلائل .

(٥٢١) - رواه ابن أبى حاتم فى تفسيره (٤/١١٦١) (٦٥٣٩) تعليقًا فقال :ذكر عن أبى بكر بن أبى شيبة فذكره .

(٥٢٢) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١٠/٤١٧) (١٢١٩٧) وابن أبى حاتم (٤/١١٦١) رقم (٦٥٤٠) . وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٢/٥١٨) وعزاه إلى أبى الشيخ وحده .

(٥٢٣) رواه فى تفسيره (٤/ ١١٦٠) (٦٥٣٤) . ورواه الطبرانى فى الأوسط (١٣٩٢) من طريق أبى حميد أحمد بن محمد بن المغيرة بن سيار الحمصى قال : نا معاوية بن حفص به . وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (٧/ ١٩) وقال : رواه الطبرانى فىالأوسط وإسناده حسن . وحسنه السيوطى فى الدر المنثور (٢/ ٥١٨) وزاد نسبته للحاكم فى الكنى وأبى الشيخ وابن مردويه .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

أهل اليمن ، ثم من كندة ، ثم من السكون ، ثم من تجيب » .

وهٰذا حديث غريب جدًّا .

وقال ابن أبي حاتم(٥٢٤) : حدثنا عمر بن شبة ، حدثنا عبد الصمد - يعني : ابن عبد[١] الوارث - حدثنا شعبة ، عن سماك : سمعت عياضًا يحدث عن [أبي موسىٰ][٢] الأشعري ، قال : لما نزلت ﴿ **فسوف يأتي اللّٰه بقوم يحبهم ويحبونه** ﴾ قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **هم قوم هذا** » . ورواه ابن جرير : من حديث شعبة بنحوه .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **أذلة علىٰ المؤمنين أعزة علىٰ الكافرين** ﴾ هذه صفات المؤمنين الكمل ؛ أن يكون أحدهم متواضعًا لأخيه ووليه ، متعززًا علىٰ خصمه وعدوّه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **محمد رسول اللّٰه والذين معه أشدّاء علىٰ الكفار رحماء بينهم** ﴾ وفي صفة رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : أنه الضحوك[٣] القتال ، فهو ضحوك لأوليائه قتال لأعدائه .

---

(٥٢٤) - رواه فى تفسيره (٤/ ١١٦٠) (٦٥٣٥) ، ورواه ابن جرير فى تفسيره (١٠/ ٤١٥) (١٢١٨٩) من طريق أبى الوليد الطيالسى عن شعبة به .

ورواه ابن سعد فى الطبقات (٤/ ٨٠) عن عبد الله بن إدريس ، وعفان بن مسلم ، وابن أبي شيبة فى مصنفه (١٢/ ١٢٣) وفى مسنده رقم (٦٦٤) ومن طريقه ابن أبى عاصم فى « الآحاد والمثانى » (٢٥١٥) ، وابن جرير فى تفسيره (١٠/ ٤١٥) (١٢١٩١) عن عبد الله بن إدريس ، والطبرانى فى الكبير (١٧/ ٣٧١) (١٠١٦) عن سليمان بن حرب ، وحفص بن عمر الحوضي ، والحاكم فى المستدرك (٢/ ٣١٣) عن وهب بن جرير وسعيد بن عامر ، وابن جرير فى تفسيره (١٢١٨٨) عن محمد بن جعفر وفى (١٢١٩٢) عن يزيد ، كلهم (ابن إدريس ، وعفان ، وسليمان بن حرب ، وحفص بن عمر ، ووهب بن جرير ، وسعيد بن عامر ، ومحمد بن جعفر ، ويزيد) قالوا : حدثنا شعبة عن سماك بن حرب قال : سمعت عياضًا الأشعرى يقول فذكروه ولم يذكر أحد منهم أبا موسى الأشعرى ، ورواه البيهقى فى الدلائل (٥/ ٣٥١) من طريق أبى معمر ، حدثنا عبد الله بن إدريس عن أبيه عن سماك بن حرب ، عن عياض الأشعرى عن أبى موسى به .

والإسنادان صحيحان فإن شعبة قد روى عن سماك بن حرب قبل اختلاطه كما فى « الكواكب النيرات » (ص ٢٤٠) .

والرواية الأولى صحيحة أيضًا فإن أبا الوليد الطيالسي واسمه هشام بن عبد الملك ثقة ثبت . وقد اختلف فى صحبة عياض الأشعرى فيبدو - والله أعلم - أن عياضًا سمع هذا من أبى موسى فكان يحدث به عنه على الوجهين وقد رواه عنه سماك وعن سماك شعبة على الوجهين كما فعل عياض .

---

[١] - سقط من : ت .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز : « الضحاك » .

وقوله عز وجل : ﴿ يجاهدون في سبيل اللّٰه ولا يخافون لومة لائم ﴾ أي : لا يردّهم عما هم فيه من طاعة اللّٰه ، [وإقامة الحدود ، وقتال أعدائه][١] ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، لا يردّهم عن ذلك راد ، ولا يصدّهم عنه صاد ، ولا يحيك[٢] فيهم لوم[٣] لائم ، ولا عذل عاذل .

قال الإمام أحمد (٥٢٥) : حدثنا عفان ، حدثنا سلام أبو المنذر ، عن محمد بن واسع ، عن عبد اللّٰه بن الصامت ، عن أبي ذر قال : أمرني خليلي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بسبع : أمرني بحب المساكين والدنو منهم ، وأمرني أن أنظر إلىٰ من هو دوني ، ولا أنظر إلىٰ من هو فوقي ، وأمرني أن أصل الرحم وإن أدبرت، وأمرني أن لا أسأل أحدًا شيئًا ، وأمرني أن أقول الحق وإن كان مرًّا ، وأمرني أن لا أخاف في اللّٰه لومة لائم ، وأمرني أن أكثر من قول لا حول ولا قوّة إلا بالله ، فإنهن من كنز تحت العرش .

وقال الإمام[٤] أحمد أيضًا(٥٢٦) : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا صفوان ، عن[٥] أبي المثنىٰ : أن

---

(٥٢٥) - رواه فى مسنده (٥/ ١٥٩) ، ورواه النسائى فى الكبرى كتاب عمل اليوم والليلة . باب : ما يقول إذا انتهى إلى قوم فجلس إليهم ، حديث (١٠١٨٦) وفى « عمل اليوم والليلة » (٣٥٤) ، والطبرانى فى الأوسط (٧٧٣٩) ، وفى الصغير (١/ ٢٦٨) والبيهقى فى الكبرى (١٠/ ٩١) ، وفى الشعب (٦/ ٩٣، ٩٤) (٧٥٨٣) من طرق عن محمد بن واسع بهذا الإسناد . ولفظ النسائى مختصرًا على « أوصاني خليلى أبو القاسم صلى الله عليه وسلم أن أكثر من قول لاحول ولا قوة إلا بالله ، فإنها كنز من كنوز الجنة » .

وإسناده صحيح. ورواه الطبرانى فى الكبير (٢/ ١٥٦) (١٦٤٩) من طريق محمد بن بشر ثنا إسماعيل ابن أبى خالد عن عامر وربما قال إسماعيل - بعض أصحابنا - عن أبى ذر به .

ورجاله ثقات إلا أن الشعبى لم يعرف له سماع من أبى ذر ورواه أيضا برقم (١٦٤٨) من طريق يحيى بن أبى زكريا الغسانى عن إسماعيل عن بديل بن ميسرة عن عبد الله بن الصامت عن أبى ذر .

ورواه أحمد فى مسنده (٥/ ١٧٣) من طريق محمد بن كعب عن أبى ذر قال : أوصانى حبى بخمس : أرحم المساكين وأجالسهم ، وأنظر إلى من هو تحتى ولا أنظر إلى من هو فوقى ، وأن أصل الرحم وإن أدبرت ، وأن أقول بالحق وإن كان مرًا وأن أقول : لا حول ولا قوة إلا بالله .

(٥٢٦) - رواه فى مسنده (٥/١٧٢)، ورواه فى نفس الموضع من طريق صفوان عن أبى اليمان عن أبى ذر مقتصرًا على أوله . والحديث ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (٣/ ٩٥، ٩٦) وقال : « رواه كله =

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « وقتال أعدائه ، وإقامة الحدود » .

[٢] - في ز : « يحيل » .

[٣] - في ز : « لومة » .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - في خ : « بن » .

أبا ذر - رضي الله عنه - قال : بايعني رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسًا وواثقني سبعًا ، وأشهد الله عليَّ تسعًا ؛ أني لا أخاف في الله لومة لائم . قال أبو ذر : فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « **هل لك إلى بيعة ولك الجنة ؟** » . قلت : نعم . قال : وبسطت يدي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشترط علي : « [ ][١] **أن لا تسأل الناس شيئًا** » . قلت : نعم . قال : « **ولا سوطك وإن سقط منك** » . يعني : تنزل إليه فتأخذه .

وقال الإمام أحمد أيضًا (٥٢٧) : حدثنا محمد بن الحسن ، حدثنا جعفر ، عن المعلى القردوسي ، عن الحسن ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ألا لا يمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق إذا رآه أو شهده ، فإنه[٢] لا يقرب[٣] من أجل ، ولا يباعد[٤] من رزق ، أن يقول بحق ، أو أن[٥] يذكر بعظيم** » . تفرد به أحمد .

= أحمد ورجاله ثقات » قلت : أبو المثنى هو ضمضم الأملوكى قال الذهبى فى الكاشف : وثق ، وقال الحافظ فى التقريب : وثقه العجلى ، وأبو اليمان هو عامر بن عبد الله بن لحى قال الحافظ فى « التقريب » : مقبول . وبقية رجاله ثقات كما قال الهيثمى رحمه الله .

(٥٢٧) - رواه أحمد فى مسنده (٣/٥٠) كما نقله ابن كثير هنا .

ورواه أحمد فى (٣/٨٧) ، وأبو يعلى فى مسنده (١٤١١) ، والطبرانى فى الأوسط (٢٨٠٤) من طريق المعلى بن زياد القردوسى عن الحسن به .

ورواه أحمد فى (٣/٧١) من طريق على بن زيد عن الحسن به . والحسن البصرى إمام ثقه لكنه يدلس وقد وقع تصريحه بالسماع من أبى سعيد عند أبى يعلى وللحديث طريق آخر رواه أحمد فى مسنده (٣/ ٥، ٤٤، ٤٦، ٥٣، ٨٧، ٩٢) وعبد بن حميد فى « مسنده » كما فى المنتخب من المسند (٨٦٩) والطيالسي فى مسنده (٢١٥١، ٢١٥٦، ٢١٥٨) ، والترمذى فى كتاب الفتن ، باب : ما جاء ما أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة حديث (٢١٩١) ، وابن ماجه فى الفتن ، باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، حديث (٤٠٠٧) ، والحاكم (٤/ ٥٠٦) وأبو يعلى (١٢١٢) وابن حبان (٢٧٥) ، (٢٧٨) والطبرانى فى الأوسط (٤٩٠٦) ، والصغير (١/ ٢٥٨) ، وأبو نعيم فى الحلية (٣/ ٩٨، ٩٩) والبيهقى فى الكبرى (١٠/ ٩٠) من طرق عن أبى نضرة به . والحديث صححه الألبانى - رحمه الله - فى الصحيحة (١٦٨) .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « على » .
[٢] - في ز : « إنه » .
[٣] - في ز : « يباعد » .
[٤] - في ز : « يقرب » .
[٥] - سقط من : ز .

وقال أحمد (٥٢٨) : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا سفيان ، عن زبيد ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البختري ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لا يحقرن أحدكم نفسه ، أن يرىٰ أمرًا للَّه [فيه مقال فلا يقول][١] فيه ، فيقال له يوم القيامة : ما منعك أن تكون قلت في كذا وكذا ؟ فيقول : مخافة الناس ، فيقول : إياي أحق أن تخاف** » . ورواه ابن ماجة : [من حديث الأعمش ، عن عمرو بن مرة به .

ورویٰ أحمد وابن ماجة][٢] (٥٢٩) : من حديث عبد اللَّه بن عبد الرحمن أبي طوالة ، عن نهار بن عبد اللَّه العبدي المدني ، عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **إن اللَّه ليسأل العبد يوم القيامة ، حتىٰ إنه ليسأله يقول له : أي عبدي رأيت منكرًا فلم تنكره ؟ فإذا لقن اللَّه عبدًا حجته ، قال : [أي رب][٣] وثقت بك وخفت الناس** » . وثبت في

(٥٢٨) - رواه في مسنده (٣/ ٧٣) ، ورواه في (٣/ ٤٧) قال : حدثنا وكيع وعبد الرزاق عن سفيان فذكره ، ورواه عبد بن حميد في « مسنده » كما في المنتخب رقم (٩٧٢) قال : حدثنا أبو نعيم عن سفيان عن زبيد به ، وقد تابع زبيدًا عليه سليمان بن مهران الأعمش فرواه عن عمرو بن مرة عند أحمد (٣/ ٣٠) ، وعبد بن حميد (٩٧١) وابن ماجه في الفتن ، باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حديث (٤٠٠٨) ، والبيهقى (١٠/ ٩٠، ٩١) وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٨٤) ، وقال البوصيرى في الزوائد (٣/ ٢٤٢) : إسناده صحيح .

قلت : بل أبو النجترى لم يسمع من أبي سعيد . كذا قال أبو داود عقب الحديث (١٠٥٩) ونقله عنه ابن حجر في « تهذيب التهذيب » ونقل عن ابن أبي حاتم في المراسيل : عن أبيه قال : لم يدرك أبا ذر ولا أبا سعيد ولا زيد بن ثابت ولا رافع بن جريج .

فالحديث إسناده منقطع ويؤيد ذلك أيضًا أن شعبة روى الحديث عن عمرو بن مرة عن أبي النجترى عن رجل عن أبي سعيد أخرجه الطيالسي في مسنده (٢٢٠٦) ومن طريقه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٨٤) والبيهقى في الشعب (٧٥٧١) ورواه أيضًا أبو نعيم من طريق زيد بن أبي أنيسة فسمى الرجل فقال: عن أبي النجترى عن مشفعة عن أبي سعيد ، ومشفعة هذا مجهول لا يعرف .

(٥٢٩) - رواه أحمد (٣/ ٢٧، ٢٩، ٧٧) ، وابن ماجه في كتاب الفتن ، باب : قوله تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنو عليكم أنفسكم ﴾ حديث (٤٠١٧) والحميدى في « مسنده » (٧٣٩) وعبد بن حميد في « مسنده » كما في المنتخب (٩٧٤) ، وأبو يعلى في مسنده (١٠٨٩، ١٣٤٤) ، وابن حبان (٧٣٦٨) والبيهقى في سننه الكبرى (١٠/ ٩٠) وفي « شعب الإيمان » (٧٥٧٤، ٧٥٧٥) والمزى في « تهذيب الكمال » (٣٠/ ٢٦) من طرق عن أبي طوالة عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر به ، والحديث صحح إسناده البوصيرى في مصباح الزجاجة (٣/ ٢٤٤) .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « فقال : فلا تقول » .[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « رب أي » .

الصحيح : « **ما ينبغي للمؤمن**[١] **أن يذل نفسه** » . قالوا : وكيف يذل نفسه يا رسول اللّه ؟ قال : « **يتحمل من البلاء ما لا يطيق** »(٥٣٠) .

﴿ **ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء** ﴾ أي : من اتصف بهذه الصفات فإنما هو من فضل اللّه عليه وتوفيقه له . ﴿ **واللّه واسع عليم** ﴾ أي : واسع الفضل ، عليم بمن يستحق ذلك ممن يحرمه إياه .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **إنما وليكم اللّه ورسوله والذين آمنوا** ﴾ أي : ليس اليهود بأوليائكم ، بل ولايتكم راجعة إلىٰ اللّه ورسوله والمؤمنين .

وقوله : ﴿ **الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة** ﴾ أي : المؤمنون المتصفون بهذه الصفات ، من إقام الصلاة التي هي أكبر أركان الإسلام ، وهي له[٢] وحده لا شريك له ، وإيتاء الزكاة التي هي حق المخلوقين ، ومساعدة للمحتاجين من الضعفاء والمساكين .

وأما قوله : ﴿ **وهم راكعون** ﴾ فقد توهم بعضهم أن هذه الجملة في موضع الحال من قوله : ﴿ **ويؤتون الزكاة** ﴾ أي : في حال[٣] ركوعهم ، ولو كان هذا كذلك ؛ لكان دفع الزكاة في حال الركوع أفضل من غيره ؛ لأنه ممدوح ، وليس الأمر كذلك عند أحد من العلماء ممن نعلمه

(٥٣٠) - لم أقف على هذا الحديث فى أىٍّ من الصحيحين ، بل رواه الترمذى فى الفتن ، باب : ٦٧، حديث (٢٢٥٤) ، وابن ماجة فى الفتن ، باب : قوله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ﴾ حديث (٤٠١٦) ، وأحمد (٤٠٥/٥) ، وأبو الشيخ فى الأمثال (١٥١) والبزار فى « مسنده » (٢٧٩٠)، والقضاعى فى مسند الشهاب (٨٦٦) ، (٨٦٧) ، والبغوى فى « شرح السنة » (٣٦٠١) ، من طريق على بن زيد عن الحسن عن جندب عن حذيفة مرفوعًا وهذا إسناد ضعيف ، على بن زيد ضعيف والحسن البصرى مدلس وقد عنعن . وقال ابن أبى حاتم فى « العلل » (١٣٨/٢) عن أبيه : « هذا حديث منكر » وذكره فى موضع آخر (٣٠٦/٢) من طريق عمرو بن عاصم الكلابى عن حماد بن سلمة عن على بن زيد به ، قال : « قال أبى : قد زاد فى الإسناد جندبًا ، وليس بمحفوظ ، حدثنا أبو سلمة عن حماد ، وليس فيه جندب » . وللحديث شاهد من حديث ابن عمر مرفوعًا . رواه الطبرانى فى الكبير كما فى مجمع الزوائد (٢٧٧/٧) - وفى الأوسط (٥٣٥٧) والبزار فى « مسنده » كما فى كشف الأستار (١١٢/٤) (٣٣٢٣) وقال الهيثمى فى المجمع : وإسناد الطبرانى فى الكبير جيد ورجاله رجال الصحيح غير زكريا بن يحيى بن أيوب الضرير ذكره الخطيب روى عن جماعة وروى عنه جماعة ولم يتكلم فيه أحد .

والحديث صححه الألبانى فى الصحيحة (٦١٣) بشاهده هذا .

[١] - في ز : « لمؤمن » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .

من أئمة الفتوىٰ ، وحتىٰ إن بعضهم ذكر في هذا أثرًا عن علي بن أبي طالب : أن هذه الآية نزلت فيه ؛ وذلك[١] أنه مر به سائل في حال ركوعه ، فأعطاه خاتمه(٥٣١) .

وقال[٢] ابن أبي حاتم(٥٣٢) : حدثنا الربيع بن سليمان المرادي ، حدثنا أيوب بن سويد ، عن عتبة بن أبي حكيم في قوله : ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ﴾ قال : هم المؤمنون وعلي بن أبي طالب .

وحدثنا أبو سعيد الأشج(٥٣٣) ، حدثنا الفضل بن دكين أبو نعيم الأحول ، حدثنا موسىٰ بن قيس الحضرمي ، عن سلمة بن كهيل ، قال : تصدق علي بخاتمه وهو راكع ، فنزلت : ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾ .

وقال ابن جرير(٥٣٤) : حدثني الحارث ، حدثنا عبد العزيز ، حدثنا غالب بن عبيد الله ،

---

(٥٣١) - رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١١٦٢/٤) (٦٥٥١) عن سلمة بن كهيل قال : تصدق على بخاتمه وهو راكع فنزلت ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ...﴾ الآية ، وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٥٢٠/٢) وزاد نسبته لأبي الشيخ وابن عساكر . وسيأتي عند ابن كثير برقم (٥٥٥) ورواه الخطيب فى المتفق كما فى «الدر المنثور » (٢/ ٥١٩) عن ابن عباس قال : تصدق على بخاتمه وهو راكع فقال النبى صلى الله عليه وسلم للسائل : « من أعطاك هذا الخاتم ؟ » قال : ذاك الراكع فأنزل الله ﴿ إنما وليكم الله ورسوله ﴾ .

ورواه الطبرانيفى الأوسط (٦٢٣٢) من حديث عمار بن ياسر قال : وقف على على بن أبى طالب سائل ، وهو راكع فى تطوع فنزع خاتمه فأعطاه السائل فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعلمه ذلك فنزلت على النبى صلى الله عليه وسلم هذه الآية ، فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « من كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » .

وذكره السيوطى فى الدر المنثور وزاد نسبته لابن مردويه وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٢٠/٧) : فيه من لم أعرفهم .

(٥٣٢) - رواه فى تفسيره (٤/ ١١٦٢) (٦٥٤٩) ، ورواه ابن جرير فى (١٠/ ٤٢٦) (١٢٢١٣) قال : حدثنا إسماعيل بن إسرائيل الرملى قال : حدثنا أيوب بن سويد به .

وفى إسناده عتبة بن أبى حكيم ، قال الحافظ فى « التقريب » : صدوق يخطئ كثيرًا .

(٥٣٣) - رواه ابن أبى حاتم فى تفسيره (٤/ ١١٦٢) (٦٥٥١) وانظر رقم (٥٥٣) .

(٥٣٤) - رواه فى تفسيره (١٠/ ٤٢٦) (١٢٢١٤) وفى إسناده غالب بن عبيد ترجم له البخارى فى التاريخ الكبير (٧/ ١٠١) فقال : منكر الحديث سمع مجاهدًا ، روى عنه أبو بكر الحنفى الشامى . وقال أبو حاتم فى الجرح والتعديل (٧/ ٤٨) . متروك الحديث منكر الحديث .

---

[١] - سقط من : ز . [٢] - في ز : « قوله » .

سمعت مجاهدًا يقول في قوله : ﴿ **إنما وليكم الله ورسوله** ﴾ الآية : نزلت في علي بن أبي طالب تصدق وهو راكع .

وقال عبد الرزاق : حدثنا عبد الوهاب بن مجاهد ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله : ﴿ **إنما وليكم الله ورسوله** ﴾ الآية : نزلت في علي بن أبي طالب .

عبد الوهاب بن مجاهد لا يحتج به .

وروىٰ ابن مردويه (٥٣٥) : من طريق سفيان الثوري ، عن أبي سنان ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : كان علي بن أبي طالب قائمًا يصلي ، فمر سائل وهو راكع فأعطاه خاتمه ، فنزلت ﴿ **إنما وليكم الله ورسوله** ﴾ الآية .

الضحاك لم يلق ابن عباس .

وروىٰ ابن مردويه أيضًا(٥٣٦) : من طريق محمد بن السائب الكلبي وهو متروك ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال : خرج رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ المسجد ، والناس يصلون بين راكع وساجد ، وقائم وقاعد ، وإذا مسكين يسأل ، فدخل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال : « **أعطاك أحد شيئًا ؟** » قال : نعم . قال : « **من ؟** » قال : ذلك الرجل القائم . قال : « **علىٰ أي حال أعطاكه ؟** » . قال : وهو راكع . قال : وذلك علي بن أبي طالب . قال : فكبر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عند ذلك ، وهو يقول : ﴿ **ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون** ﴾ .

وهذا إسناد لا يفرح به .

ثم رواه ابن مردويه (٥٣٧) : من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه نفسه ، وعمار بن

---

(٥٣٥) - رجال إسناده ثقات ، وأبو سنان هو ضرار بن مرة الكوفى ثقة ثبت ، لكن اختلف فى سماع الضحاك من ابن عباس .
والأثر ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٢/ ٥٢٠) ولم يعزه لغير ابن مردويه .

(٥٣٦) - فى إسناده محمد بن السائب وهو متروك كما قال ابن كثير رحمه الله ، وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٢/ ٥٢٠) ولم يعزه لغير ابن مردويه .

(٥٣٧) - تقدم تخريج أثر على ، وعمار قريبًا وحديث أبى رافع رواه الطبرانى فى الكبير (١/ ٣٢١) وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (٩/ ١٣٧) وقال : فيه محمد بن عبيد الله بن أبى رافع ضعفه الجمهور ووثقه ابن حبان ، ويحيى بن الحسين بن الفرات لم أعرفه وبقية رجاله ثقات . وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٢/ ٥٢٠) وزاد نسبته لابن مردويه وأبى نعيم ورواية ميمون بن مهران عن ابن عباس ذكرها السيوطى فى الدر وعزاه لابن مردويه .

ياسر ، وأبي رافع ، وليس يصح شيء منها بالكلية ؛ لضعف أسانيدها وجهالة رجالها ، ثم روىٰ بسنده عن ميمون بن مهران ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **إنما وليكم الله ورسوله** ﴾ نزلت في المؤمنين ، وعلي بن أبي طالب أولهم .

وقال ابن جرير(٥٣٨) : حدثنا هناد ، حدثنا عبدة ، عن عبد الملك ، عن أبي جعفر ، قال : سألته عن هذه الآية ﴿ **إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون** ﴾ قلنا : من الذين آمنوا ؟ [قال : الذين آمنوا][١] . قلنا : بلغنا أنها نزلت في علي ابن أبي طالب . قال : علي من الذين آمنوا .

وقال أسباط ، عن السدي : نزلت هذه الآية في جميع المؤمنين ، ولكن علي بن أبي طالب مر به سائل وهو راكع في المسجد فأعطاه خاتمه(٥٣٩) .

وقال علي بن أبي طلحة الوالبي ، عن ابن عباس : من أسلم فقد تولىٰ الله ورسوله والذين آمنوا . رواه ابن جرير (٥٤٠) .

وقد تقدم في الأحاديث التي أوردناها أن هذه الآيات[٢] كلها نزلت في عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - حين تبرأ من حلف يهود ورضي بولاية الله ورسوله والمؤمنين ؛ ولهذا قال تعالىٰ بعد هذا كله : ﴿ **ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون** ﴾ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز * لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون** ﴾ .

(٥٣٨) - رواه في تفسيره (١٠/ ٤٢٥، ٤٢٦) (١٢٢١١) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٢٠) وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر ، ورواه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٨٥) من طريق عبد الملك بن أبي سليمان قال : سألت أبا جعفر محمد بن علي عن قوله ﴿ إنما وليكم الله ...﴾ الآية ، قال : أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . قلت : يقولون علي ؟ قال : علي منهم .

(٥٣٩) - رواه ابن جرير في تفسيره (١٠/ ٤٢٥) (١٢٢١٠) بسنده إلى السدي .

(٥٤٠) - رواه ابن جرير في تفسيره (١٠/ ٤٢٥) (١٢٢٠٩) ، وابن أبي حاتم (٤/ ١١٦٢) (٦٥٤٦) . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٢٠) ولم يعزه لغيرهما ، وقد تقدم الكلام على رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - في ز : « الآية » .

فكل من رضي بولاية الله ورسوله والمؤمنين ؛ فهو مفلح في الدنيا والآخرة ، ومنصور في الدنيا والآخرة ؛ ولهذا قال تعالىٰ في هذه الآية الكريمة : ﴿ **ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون** ﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾

وهذا تنفير من موالاة أعداء الإسلام وأهله من الكتابيين والمشركين ، الذين يتخذون أفضل ما يعمله العاملون ، وهي شرائع الإسلام المطهرة المحكمة ، المشتملة علىٰ كل خير دنيوي وأخروي ، يتخذونها هزوًا يستهزئون بها ، ولعبًا يعتقدون أنها نوع من اللعب في نظرهم الفاسد ، وفكرهم البارد ، كما قال القائل :

وكم من[١] عائب قولًا صحيحًا وآفته من الفهم السقيم

وقوله تعالىٰ : ﴿ **من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار** ﴾ « مِنَ » هاهنا لبيان الجنس ، كقوله : ﴿ **فاجتنبوا الرجس من الأوثان** ﴾ وقرأ بعضهم : (والكفار) بالخفض عطفًا ، وقرأ آخرون : بالنصب علىٰ أنه معمول ﴿ **لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوًا ولعبًا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم** ﴾ تقديره : (ولا الكفار أولياء) أي : لا تتخذوا هؤلاء ولا هؤلاء أولياء .

والمراد بالكفار هاهنا المشركون ، وكذلك وقع في قراءة ابن مسعود فيما رواه ابن جرير (لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوًا ولعبًا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا)(٥٤١) .

وقوله : ﴿ **واتقوا الله إن كنتم مؤمنين** ﴾ أي : اتقوا الله أن تتخذوا هؤلاء الأعداء لكم ولدينكم أولياء ، إن كنتم مؤمنين بشرع الله الذي اتخذه هؤلاء هزوًا ولعبًا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من**

(٥٤١) - رواه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (١٠/ ٤٣٠) (١٢٢١٧) .

[١] - سقط من : خ .

اللَّه في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم اللَّه نفسه وإلىٰ اللَّه المصير ﴾ .

وقوله : **﴿ وإذا ناديتم إلىٰ الصلاة اتخذوها هزوًا ولعبًا ﴾** أي : وكذلك إذا أذنتم داعين إلىٰ الصلاة التي هي أفضل الأعمال ، لمن يعقل ويعلم من ذوي الألباب **﴿ اتخذوها ﴾** أيضًا **﴿ هزوًا ولعبًا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ﴾** معاني عبادة اللَّه وشرائعه ، وهذه صفات أتباع « **الشيطان الذي إذا سمع الأذان أدبر وله حُصاص**[١] ، أي : ضراط حتى لا يسمع التأذين ، فإذا قضي التأذين أقبل ، فإذا ثوب بالصلاة أدبر ، فإذا قضي التثويب أقبل حتىٰ يخطر بين المرء وقلبه ، فيقول : اذكر كذا ، اذكر كذا ، لما لم يكن يذكر ، حتىٰ يظل[٢] الرجل إن يدري كم صلىٰ ، فإذا وجد أحدكم ذلك فليسجد سجدتين قبل السلام » . متفق عليه(٥٤٢) .

وقال الزهري : قد ذكر اللَّه التأذين في كتابه ، فقال : **﴿ وإذا ناديتم إلىٰ الصلاة اتخذوها هزوًا ولعبًا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ﴾** . رواه ابن أبي حاتم(٥٤٣) .

وقال أسباط ، عن السدي في قوله : **﴿ وإذا ناديتم إلىٰ الصلاة اتخذوها هزوًا**[٣] **ولعبًا ﴾** قال : كان رجل من النصارىٰ بالمدينة إذا سمع المنادي ينادي : أشهد أن محمدًا رسول اللَّه ، قال : حرق الكاذب . فدخلت خادمه ليلة من الليالي بنار ، وهو نائم وأهله نيام ، فسقطت شرارة فأحرقت البيت فاحترق هو وأهله .

رواه ابن جرير وابن أبي حاتم(٥٤٤) ، وذكر محمد بن إسحاق بن يسار في السيرة : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال ، فأمره أن يؤذن وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد[٤] والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة ، فقال عتاب بن أسيد[٥] : لقد أكرم

---

(٥٤٢) - رواه مالك فى « الموطأ » كتاب الصلاة ، باب : ما جاء فى النداء للصلاة حديث (٦) ومن طريقه البخارى فى « صحيحه » كتاب الأذان ، باب : فضل التأذين حديث (٦٠٨) ، ومسلم فى المساجد ، ومواضع الصلاة ، باب : من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدرك تلك الصلاة ، حديث (٦٠٨) عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة .

وللحديث أسانيد أخرى فى الصحيحين وغيرهما .

(٥٤٣) - رواه فى تفسيره (٤/ ١١٦٤) (٦٥٥٨) .

(٥٤٤) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١٠/ ٤٣٢) (١٢٢١٨) ، وابن أبى حاتم (٤/ ١١٦٣، ١١٦٤) (٦٥٥٧) ، وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٢/ ٥٢١) وزاد نسبته إلى أبى الشيخ .

---

[١] - في ز : « حضاض » .
[٢] - في ز : « يضل » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - [٥] - في ز : « أسد » .

اللَّه أسيدًا[١] أن لا يكون سمع هذا فيسمع منه ما يغيظه . وقال الحارث بن هشام : أما واللَّه لو أعلم أنه محق لاتبعته . فقال أبو سفيان : لا أقول شيئًا ، لو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصىٰ . فخرج عليهم النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال : « **قد علمت الذي قلتم** » ، ثم ذكر ذلك لهم ، فقال الحارث وعتاب : نشهد أنك رسول اللَّه ، ما اطلع علىٰ هذا أحد كان معنا ؛ فنقول أخبرك(٥٤٥) .

وقال الإمام أحمد (٥٤٦) : حدثنا روح بن عبادة ، حدثنا ابن جريج ، أخبرنا عبد العزيز بن عبد الملك بن أبي محذورة : أن عبد اللَّه بن محيريز أخبره ، وكان يتيمًا في حجر أبي محذورة ، قال : قلت لأبي محذورة : يا عم ، إني خارج إلىٰ الشام ، وأخشىٰ أن أسأل عن تأذينك ؟ فأخبرني أن أبا محذورة قال له[٢] : نعم ، خرجت في نفر ، وكنا ببعض طريق حنين ، مقفل رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم من حنين ، فلقينا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ببعض الطريق ، فأذن مؤذن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بالصلاة عند رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فسمعنا صوت المؤذن ونحن متنكبون[٣] ، فصرخنا [نحكيه و][٤] نستهزئ به ، فسمع رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم الصوت[٥] ، فأرسل إلينا إلىٰ أن وقفنا بين يديه ، فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أيكم الذي سمعت صوته قد ارتفع ؟** » . فأشار

---

(٥٤٥) - رواه ابن هشام فى السيرة النبوية (٤/ ٨٧١- محى الدين عبد الحميد) قال : وحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دخل الكعبة فذكره .

(٥٤٦) - رواه أحمد فى مسنده (٤٠٩/٣) حدثنا روح بن عبادة ثنا ابن جريج ح ، ومحمد بن بكر أنبأنا ابن جريج قال أخبرني عبد العزيز فذكره ، ورواه أبو داود فى الصلاة / باب : كيف الأذان ، حديث (٥٠٣) والنسائى (٢/ ٥) كتاب الأذان ، باب كيف الأذان ، وابن ماجه فى الأذان والسنة فيها ، باب : الترجيع فى الأذان حديث (٧٠٨) ، وابن خزيمة (٣٧٩) من طرق عن ابن جريج به . وعبد العزيز بن عبد الملك ابن أبى محذورة ذكره البخارى فى التاريخ (٥/ ١٨) ، وابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل (٦/ ٣٨٨) ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلًا ، وقال الحافظ فى « التقريب » : مقبول .

قلت : قد تابعه مكحول فرواه عن عبد الله بن محيريز عن أبى محذورة ، رواه مسلم فى الصلاة ، باب : صفة الأذان حديث (٣٧٩/٦) وأبو داود فى الصلاة ، باب : كيف الأذان ، حديث (٥٠٢) ، والترمذى فى الصلاة ، باب : ماجاء فى الترجيع فى الأذان (١٩٢) ، والنسائى (٤/٢) فى الأذان باب : كم الأذان من كلمة ، وفى باب: كيف الأذان (٢/ ٤، ٥) وابن ماجه فى كتاب الأذان ، باب: الترجيع فى الأذان ، حديث (٧٠٩) ، وابن خزيمة (٣٧٧) . =

---

[١] - في ز : « أسدًا » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز : « متكئون » .

[٤] - في ز : « عليه » ، خ : « عليه ونحن » .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

القوم كلهم إلي وصدقوا ، فأرسل كلهم وحبسني ، وقال : « **قم فأذن بالصلاة**[١] » . فقمت ولا شيء أكره إليّ من رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ولا مما يأمرني به ، فقمت بين يدي رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فألقىٰ علي رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وآله وسلم التأذين هو بنفسه ، قال : « **قل : اللّٰه أكبر اللّٰه أكبر ، أشهد أن لا إله إلا اللّٰه ، أشهد أن لا إله إلا اللّٰه ، أشهد أن محمدًا رسول اللّٰه ، أشهد أن محمدًا رسول اللّٰه [ثم قال لي : ارجع فامدد من صوتك** » . ثم قال : « **أشهد أن لا إله إلا اللّٰه أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمدًا رسول اللّٰه ، أشهد أن محمدًا رسول اللّٰه]**[٢] **، حي علىٰ الصلاة ، حي علىٰ الصلاة ، حي علىٰ الفلاح ، حي علىٰ الفلاح ، اللّٰه أكبر اللّٰه أكبر ، لا إله إلا اللّٰه** » . ثم دعاني حين قضيت التأذين ، فأعطاني[٣] صرة فيها شيء من فضة ، ثم وضع يده علىٰ ناصية أبي محذورة ثم أمرها على وجهه ، ثم بين ثدييه ، ثم علىٰ كبده حتىٰ بلغت يد رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم سرة أبي محذورة ، ثم قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **بارك اللّٰه فيك وبارك عليك** » . فقلت : يا رسول اللّٰه ، [ ][٤] مرني بالتأذين بمكة . فقال : « **قد أمرتك به** » . وذهب كل شيء كان لرسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم من كراهة ، وعاد ذلك كله محبة لرسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فقدمت علىٰ عتاب بن أسيد عامل رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بمكة[٥] ، فأذنت معه بالصلاة عن أمر رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وأخبرني ذلك من أدركت من أهلي ممن أدرك أبا محذورة ، علىٰ نحو ما أخبرني عبد اللّٰه بن محيريز .

= ورواه أبو داود (٥٠٥) من طريق عبد الملك بن أبي محذورة عن عبد الله بن محيريز به .
ورواه أحمد (٣/ ٤٠٨) والبخارى في خلق أفعال العباد (١٨٢) ، وأبو داود (٥٠٠، ٥٠٤) من طرق عن عبد الملك بن أبي محذورة أنه سمع أبا محذورة يقول : ألقى على رسول الله صلى الله عليه وسلم الأذان حرفًا حرفًا الحديث مختصرًا دون ذكر عبد الله بن محيريز ، ورواه الترمذى (١٩١) ، والنسائى (٣/٢) وابن خزيمة (٣٧٨) من طريق بشر بن معاذ حدثنى إبراهيم وهو ابن عبد العزيز بن عبد الملك بن أبى محذورة حدثني أبي عبد العزيز وجدي عبد الملك بن أبي محذورة عن أبي محذورة به .
قال ابن خزيمة : فخبر ابن أبي محذورة ثابت صحيح من جهة النقل . وهذا الاختلاف في الإسناد لا يقدح فى الحديث ولا يعد إضطرابًا فإن عبد العزيز بن عبد الملك بن أبى محذورة ، وأباه قد سمعا من أبى محذورة ومن ابن محيريز ، وأيضًا طريق مكحول التى عند مسلم طريق صحيحة ، والله أعلم .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « مرني » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .

[هكذا رواه الإمام أحمد ، وقد أخرجه مسلم في صحيحه وأهل السنن الأربعة : من طريق عن عبد الله بن محيريز][١] ، عن أبي محذورة ، واسمه سمرة بن معير[٢] بن لوذان أحد مؤذني رسول الله صلى الله عليه وسلم الأربعة ، وهو مؤذن أهل مكة وامتدت أيامه - رضي الله عنه وأرضاه .

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾

يقول تعالى : ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهؤلاء الذين اتخذوا دينكم هزوًا ولعبًا من أهل الكتاب : ﴿ **هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل** ﴾ أي : هل لكم علينا مطعن أو عيب إلا هذا ؟ وهذا ليس بعيب ولا مذمة ؛ فيكون الاستثناء منقطعًا ، كما في قوله تعالى : ﴿ **وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد** ﴾ ، وكقوله : ﴿ **وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله** ﴾ ، وفي الحديث المتفق عليه : « **ما ينقم ابن جميل إلا أن كان فقيرًا فأغناه الله** »(٥٤٧) .

وقوله : ﴿ **وأن أكثركم فاسقون** ﴾ [معطوف على ﴿ **أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل** ﴾ أي : وآمنا بأن أكثركم فاسقون][٣] ، أي : خارجون عن الطريق المستقيم.

(٥٤٧) - رواه البخاري في كتاب الزكاة ، باب : قول الله تعالى : ﴿ وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله ﴾ حديث (١٤٦٨) ومسلم في (٧٩/٧) كتاب الزكاة ، باب في تقديم الزكاة ومنعها ، حديث (٩٨٣) من حديث الأعرج عن أبي هريرة .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - في ز : « مغير » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

ثم قال : ﴿ **قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله** ﴾ أي : هل أخبركم بشر جزاء عند الله يوم القيامة مما تظنونه بنا ؟ وهم أنتم الذين هم متصفون بهذه الصفات القصيرة[١] فقوله : ﴿ **من لعنه الله** ﴾ أي : أبعده من رحمته ﴿ **وغضب عليه** ﴾ أي : غضبًا لا يرضىٰ بعده أبدًا ﴿ **وجعل منهم القردة والخنازير** ﴾ كما تقدم بيانه في سورة البقرة ، و[٢] كما سيأتي إيضاحه في سورة الأعراف .

وقد قال سفيان الثوري : عن علقمة بن مرثد ، عن المغيرة بن عبد الله ، عن المعرور بن سويد ، عن ابن مسعود قال : سئل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن القردة والخنازير أهي مما مسخ الله ؟ فقال[٣] « **إن الله لم يهلك قومًا - [أو قال : لم يمسخ قومًا][٤] - فيجعل لهم نسلًا ولا عقبًا[٥] ، وإن القردة والخنازير كانت قبل ذلك** »(٥٤٨) .

وقد رواه مسلم : من حديث سفيان الثوري ومسعر كلاهما ، عن مغيرة بن عبد الله اليشكري به .

وقال أبو داود الطيالسي(٥٤٩) : حدثنا داود بن أبي الفرات ، عن محمد بن زيد ، عن أبي الأعين العبدي ، عن أبي الأحوص ، عن ابن مسعود قال : سألنا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن القردة والخنازير أهي من نسل اليهود ؟ فقال : « **لا ، إن الله لم يلعن قومًا [قط فمسخهم][٦] فكان لهم نسل ، ولكن هذا خلق كان ، فلما غضب الله علىٰ اليهود**

(٥٤٨) - رواه مسلم في صحيحه في القدر ، باب بيان أن الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص عما سبق به القدر ، حديث (٢٣/٢٦٦٣) وأحمد في مسنده (٤١٣/١، ٤٣٣، ٤٦٦) عن سفيان الثوري به . ورواه مسلم وغيره عن مسعر عن علقمة بن مرثد به .

(٥٤٩) - رواه في مسنده (٣٠٧) ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره (١١٦٥/٤) (٦٥٦٢) ورواه أحمد في مسنده (٣٩٥/١، ٣٩٦، ٤٢١) من طرق عن داود بن أبي الفرات به ، وإسناده ضعيف ؛ فيه أبو الأعين العبدي ، قال ابن حبان في المجروحين (١٥٠/٣) : كان ممن يأتي بأشياء مقلوبة وأوهام معمولة كأنه تعمدها ، لا يجوز الاحتجاج به وهو الذي روى عن أبي الأحوص عن عبد الله مرفوعا « من قتل حية فكأنما قتل رجلا مشركا » .. في نسخة كتبناها عنه بهذا الإسناد ما لشيء منها أصل يرجع إليه اهـ والحديث ضعف الشيخ أحمد شاكر إسناده في تعليقه على المسند رقم (٣٧٤٧)

[١] - في ت : « القصيدة » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « قال » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : « عاقبة » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ت : « فيمسخهم » .

فمسخهم جعلهم مثلهم » . ورواه أحمد من حديث داود بن أبي الفرات به .

وقال ابن مردويه(٥٥٠) : حدثنا عبد الباقي ، حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا الحسن بن محبوب ، حدثنا عبد العزيز بن المختار ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **الحيات مسخ الجن ، كما مسخت القردة والخنازير** » .

هذا حديث غريب جدًا .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وعَبَد الطاغوت** ﴾ و[١] قرئ : (**وعَبَد الطاغوت**) علىٰ أنه فعل ماض ، والطاغوت منصوب به ، أي : وجعل منهم من عبد الطاغوت ، وقرئ : (**وعبْدَ الطاغوت**) بالإضافة علىٰ أن المعنىٰ وجعل منهم خدم الطاغوت ، أي : خدامه وعبيده ، وقرئ : (**وعُبُد الطاغوت**) علىٰ أنه جمع الجمع عبد وعبيد وعبد ، مثل ثمار وثمر ، حكاها ابن جرير عن الأعمش ، وحكىٰ عن بريدة الأسلمي : أنه كان يقرؤها : [(وعابد الطاغوت) . وعن أبيّ وابن مسعود : (وعبدوا) . وحكىٰ ابن جرير ، عن أبي جعفر القارئ : أنه كان يقرؤها][٢] [(وعُبِدَ الطاغوتُ)][٣] علىٰ أنه مفعول ما لم يسم فاعله ، ثم استبعد معناها ، والظاهر : أنه لا بعد في ذلك ؛ لأن هذا من باب التعريض بهم ؛ أي : وقد عبدت

---

(٥٥٠) - رواه ابن حبان في صحيحه (٤٥٧/١٢) (٥٦٤٠) والبزار (٧٢/٢) برقم (١٢٣٢- كشف) من طريق أبي كامل الجحدري قال : حدثنا عبد العزيز بن المختار قال : حدثنا خالد الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس .

ورواه عبد الله بن أحمد (٣٤٨/١) ومن طريقه الطبراني في الكبير (٣٤١/١١) (١١٩٤٦) قال حدثنا إبراهيم بن الحجاج حدثنا عبد العزيز بن المختار فذكره ، وإسناده صحيح رجاله ثقات . ورواه ابن أبي حاتم في العلل (٢٩٠/٢) (٢٣٧٢) من طريق عبد العزيز وقال أبو زرعة : هذا الحديث هو موقوف لا يرفعه إلا عبد العزيز بن المختار و لا بأس بحديثه .

ورواه عبد الرزاق (١٩٦١٧) ومن طريقه أحمد (٣٤٨/١) والطبراني (١١٨٤٦) والبزار (٧٢/٢) من طريق معمر عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس . لا أعلمه إلا رفع الحديث - وعند البزار « عن النبي صلى الله عليه وسلم » . وقال البزار : حديث عبد العزيز لا نعلم حدث به إلا معمر .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٩/٤، ٥٠) وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبزار بالاختصار ورجاله رجال الصحيح اهـ .

والحديث صححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند والشيخ الألباني في « الصحيحة » (١٨٢٤)

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

الطاغوت فيكم ، وكنتم أنتم الذين تعاطوا ذلك ، وكل هذه القراءات يرجع معناها إلىٰ أنكم يا أهل الكتاب الطاعنين في ديننا : الذي هو توحيد اللّٰه وإفراده بالعبادات دون ما[١] سواه ، كيف يصدر منكم هذا وأنتم قد وجد منكم جميع ما ذكر ؟! ولهذا قال : ﴿ **أولئك شر مكانًا** ﴾ أي : مما تظنون بنا ﴿ **وأضل عن سواء السبيل** ﴾ .

وهذا من باب استعمال أفعل التفضيل فيما ليس في الطرف الآخر مشاركة ؛ كقوله - عز وجل - ﴿ **أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرًا وأحسن مقيلًا** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وإذا جاءوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به** ﴾ وهذه صفة المنافقين منهم : أنهم يصانعون المؤمنين في الظاهر وقلوبهم منطوية علىٰ الكفر ؛ ولهذا قال : ﴿ **وقد دخلوا** ﴾ أي : إلى[٢] عندك يا محمد ﴿ **بالكفر** ﴾ أي : مستصحبين الكفر في قلوبهم ، ثم خرجوا وهو كامن فيها لم ينتفعوا بما قد سمعوا منك من العلم ، ولا نجعت فيهم المواعظ ولا الزواجر ، ولهذا قال : ﴿ **وهم قد خرجوا به** ﴾ فخصصهم به دون غيرهم .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **واللّٰه أعلم بما كانوا يكتمون** ﴾ أي[٣] : واللّٰه عالم[٤] بسرائرهم[٥] وما تنطوي عليه ضمائرهم[٦] ، وإن أظهروا لخلقه خلاف ذلك وتزينوا بما ليس فيهم ، فإن اللّٰه عالم الغيب والشهادة أعلم بهم منهم وسيجزيهم علىٰ ذلك أتم الجزاء .

وقوله : ﴿ **وترىٰ كثيرًا منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت** ﴾ أي : يبادرون إلىٰ ذلك من تعاطي المآثم والمحارم ، والاعتداء علىٰ الناس ، وأكل أموالهم بالباطل ﴿ **لبئس ما كانوا يعملون** ﴾ أي : لبئس العمل كان[٧] عملهم ، وبئس الاعتداء[٨] اعتداؤهم[٩] .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون** ﴾ يعني : هلا كان ينهاهم الربانيون والأحبار عن تعاطي ذلك ، والربانيون[١٠]

---

[١] - سقط من : ت .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في ز : « بسرائركم » .
[٦] - في ز : « ضمائركم » .
[٧] - في ز : « كانوا » .
[٨] - في ز : « الاعتماد » .
[٩] - في ز : « اعتمادهم » .
[١٠] - في ز : « الربانيون » ، سقط من : خ .

منهم وهم العلماء العمال أرباب الولايات عليهم ، والأحبار هم[١] العلماء فقط .

﴿ لبئس ما كانوا يصنعون ﴾ .

قال[٢] علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : يعني الربانيين ، أنهم بئس ما كانوا يصنعون ، يعني : في تركهم ذلك (٥٥١) . وقال[٣] عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : قال لهؤلاء حين لم ينهوا و[٤] لهؤلاء حين عملوا . قال : وذلك الأركان . قال : ويعملون ويصنعون واحد . رواه ابن أبي حاتم (٥٥٢) .

وقال ابن جرير (٥٥٣) : حدثنا أبو كريب ، حدّثنا ابن عطية ، حدثنا قيس ، عن العلاء بن المسيب ، عن خالد بن دينار ، عن ابن عباس ، قال : ما في القرآن آية[٥] أشد توبيخًا من هذه الآية : (لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإِثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون) قال : كذا قرأ .

وكذا قال الضحاك : ما في القرآن آية[٦] أخوف عندي منها أنا لا ننهي[٧] . رواه ابن جرير (٥٥٤) .

وقال ابن أبي حاتم(٥٥٥) : ذكره يونس بن حبيب ، حدثنا أبو داود ، حدثنا [محمد بن][٨] مسلم بن أبي الوضاح ، حدثنا ثابت أبو[٩] سعيد الهمْداني ، قال : رأيته بالري ، فحدث عن يحيىٰ بن يعمر ، قال : خطب علي بن أبي طالب ، فحمد اللّه وأثنىٰ عليه ، ثم قال : أيها

(٥٥١) - رواه ابن جرير في تفسيره (١٠/٤٥٠) (١٢٢٤١) وابن أبي حاتم (٤/١١٦٧) (٦٥٧٣)

(٥٥٢) - رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/١١٧٦) (٦٥٧٤) .

(٥٥٣) - رواه في تفسيره (١٠/٤٤٩) (١٢٢٣٩) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/٥٢٤) وزاد نسبته إلى أبي الشيخ .

(٥٥٤) - رواه في تفسيره (١٠/٤٤٩) (١٢٢٣٨).

(٥٥٥) - رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/١١٦٦) (٦٥٧١) .

[١] - في ز : « وهم » .

[٢] - في ز : « وقال » .

[٣] - في ز : « قوله » .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - سقط من : ز .

[٧] - في ز : « ننتهى » .

[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٩] - في ت : « ابن ».

الناس ، إنما هلك من كان قبلكم بركوبهم المعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار ، [فلما تمادوا في المعاصي ، ولم ينههم الربانيون والأحبار][١] أخذتهم العقوبات ، فمُروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ، قبل أن ينزل بكم مثل الذي نزل بهم ، واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقطع رزقًا ولا يقرب أجلًا .

وقال الإمام أحمد (٥٥٦) : حدثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن المنذر ابن جرير ، عن أبيه ، قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ما من قوم يكون بين أظهرهم من يعمل بالمعاصي هم أعز منه وأمنع ، لم يغيروا إلا أصابهم اللّٰه منه بعذاب** » .

تفرد به أحمد من هذا الوجه .

ورواه أبو داود : عن مسدد ، عن[٢] أبي الأحوص ، عن أبي إسحاق ، عن المنذر بن جرير ، عن جرير ، قال : سمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « **ما من رجل يكونُ في قوم يعمل فيهم بالمعاصي ، يقدرون أن يغيروا[٣] [عليه فلا][٤] يغيرون ، إلا أصابهم اللّٰه بعقاب قبل أن يموتوا** »(٥٥٧) .

(٥٥٦) - رواه في مسنده (٤/٣٦٣) بسنده ومتنه إلا أن الذي في المسند في هذه الرواية « إلا أصابهم الله عز وجل منه بعقاب » بدلا من « بعذاب » .
ورواه أحمد (٤/٣٦١،٣٦٦) والطبراني في الكبير (٢٣٧٩) من طريق شريك به ، وشريك هو ابن عبد الله القاضي وهو ضعيف ، والمنذر بن جرير قال الحافظ في « التقريب » : مقبول . لكن الحديث رواه أبو داود في الملاحم ، باب : الأمر والنهي ، حديث (٤٣٣٩) وابن ماجه في الفتن ، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حديث (٤٠٠٩) وابن حبان (٣٠٠) وأبو يعلى (٧٥٠٨) والطبراني في الكبير (٢٣٨٠ - ٢٣٨٥) والبيهقي في السنن (١٠/٩١) من طرق عن أبي إسحاق عن عبيد الله بن جرير عن أبيه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فذكره .
وإسناده جيد ، عبيد الله بن جرير ذكره البخاري في التاريخ (٥/٣٧٥) وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٥/٣١٠) ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلًا ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال الحافظ في التقريب : مقبول ، وأما ما يخشى من تدليس أبي إسحاق فيدفعه أن الحديث من رواية شعبة وغيره من الثقات عنه ، وشعبة لا يروي عنه إلا ما سمع ، والحديث حسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٢٣٨) .

(٥٥٧) - رواه أبو داود في الملاحم ، باب الأمر النهي ، حديث (٤٣٣٩) لكن من طريق أبي إسحاق عن ابن جرير عن جرير ، ولم يقل « المنذر بن جرير » وانظر الحديث السابق .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وقد رواه ابن ماجه : عن علي بن محمد ، عن وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عبيد اللَّه بن جرير ، عن أبيه به(٥٥٨) .

[ ][١] قال الحافظ المزي : وهكذا رواه شعبة ، عن أبي إسحق به .

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ (٦٤) وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ (٦٥) وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ (٦٦) ﴾

يخبر تعالىٰ عن اليهود عليهم لعائن اللَّه المتتابعة[٢] إلىٰ يوم القيامة : بأنهم وصفوه[٣] تعالىٰ عن قولهم علوًّا كبيرًا بأنه بخيل ، كما وصفوه بأنه فقير وهم أغنياء ، وعبروا عن البخل [بأن قالوا][٤] : ﴿ **يد اللَّه مغلولة** ﴾ .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو عبد اللَّه الطهراني[٥] ، حدثنا حفص بن عمر العدني ، حدثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، قال : قال ابن عباس : ﴿ **مغلولة** ﴾ أي : بخيلة(٥٥٩) .

و[٦] قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ **وقالت اليهود يد اللَّه مغلولة** ﴾ قال :

(٥٥٨) - رواه ابن ماجه في الفتن ، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حديث (٤٠٠٩) .

(٥٥٩) - رواه في تفسيره (٤/١١٦٧) (٦٥٧٥) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/٥٢٥) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « قال » .

[٢] - في ز : « التابعة » .

[٣] - في ز : « وصفوا الله - عز وجل - و » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « بقولهم » .

[٥] - في ز : « الظهراني » .

[٦] - سقط من : ز .

لا يعنون بذلك أن يد اللّٰه موثقة[١] ، ولكن يقولون : بخيل ، أمسك ما عنده بخلًا[٢] . تعالىٰ اللّٰه عما يقولون علوًّا كبيرًا(٥٦٠) .

وكذا روي عن مجاهد ، و عكرمة ، وقتادة ، والسدي ، والضحاك وقرأ : ﴿ **ولا تجعل يدك مغلولة إلىٰ عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملومًا محسورًا** ﴾ يعني : أنه ينهىٰ عن البخل ، وعن التبذير : و[هو زيادة][٣] الإنفاق في غير محله ، وعبر عن البخل بقوله : ﴿ **ولا تجعل يدك مغلولة إلىٰ عنقك** ﴾ وهذا هو الذي أراد هؤلاء اليهود عليهم لعائن اللّٰه ، وقد قال عكرمة : إنها نزلت في فنحاص اليهودي عليه لعنة اللّٰه(٥٦١) ، وقد تقدم أنه الذي قال : ﴿ **إن اللّٰه فقير ونحن أغنياء** ﴾ فضربه أبو بكر الصديق - رضي اللّٰه عنه -(٥٦٢) .

وقال محمد بن إسحاق(٥٦٣) : حدثنا محمد بن أبي محمد[٤] ، عن سعيد أو عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال رجل من اليهود يقال له شأس[٥] بن قيس : إن ربك بخيل لا ينفق . فأنزل اللّٰه : ﴿ **وقالت اليهود يد اللّٰه مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء** ﴾ .

وقد ردّ اللّٰه عز وجل عليهم ما قالوه ، وقابلهم فيما اختلقوه وافتروه وائتفكوه ، فقال : ﴿ **غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا** ﴾ وهكذا وقع لهم فإن عندهم من البخل والحسد والجبن والذلة - أمر عظيم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرًا * أم يحسدون الناس علىٰ ما آتاهم اللّٰه من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكًا عظيمًا * فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرًا** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من اللّٰه وحبل من**

---

(٥٦٠) - رواه ابن جرير في تفسيره (٤٥٢/١٠) (١٢٢٤٢) وابن أبي حاتم (١١٦٧/٤) (٦٥٧٦) .

(٥٦١) - رواه ابن جرير في تفسيره (٤٥٣/١٠) (١٢٢٤٧) وذكره السيوطي في الدر المنثور(٥٢٥/٢) ولم يعزه لغير ابن جرير .

(٥٦٢) - تقدم في تفسير آل عمران : الآية (١٨١) .

(٥٦٣) - رواه ابن إسحاق ومن طريقه الطبراني في الكبير (٦٧/١٢، ٦٨) (١٢٤٩٧) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٠/٧) وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات . =

---

[١] - في ز ، خ : « منفقة » . [٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « هي الزيادة في » .

[٤] - سقط من : خ . [٥] - في ز : « الشاس » .

الناس ﴾ .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء** ﴾ أي : بل[١] هو الواسع الفضل الجزيل العطاء ، الذي ما من شيء إلا عنده خزائنه ، وهو الذي ما بخلقه من نعمة فمنه وحده لا شريك له ، الذي خلق لنا كل شيء مما نحتاج إليه ، في ليلنا ونهارنا ، وحضرنا وسفرنا ، وفي جميع أحوالنا ، كما قال : ﴿ **وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار** ﴾ والآيات في هذا كثيرة . وقد قال الإمام أحمد ابن حنبل(٥٦٤) :

حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن يمين الله ملأىٰ لا يغيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار ، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض ، فإنه لم يغض ما في يمينه – قال – وعرشه علىٰ الماء ، وفي يده الأخرىٰ الفيض[٢] يرفع ويخفض – قال – : وقال الله تعالىٰ : أنفق أنفق عليك** » أخرجاه في الصحيحين : البخاري في التوحيد عن علي بن المديني ومسلم فيه عن محمد بن رافع ، و[٣] كلاهما عن عبد الرزاق به .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وليزيدن كثيرًا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانًا وكفرًا** ﴾ أي : يكون ما آتاك الله يا محمد من النعمة نقمة في حق أعدائك من اليهود وأشباههم ، فكما يزداد به المؤمنون تصديقًا وعملا صالحا وعلمًا نافعًا ، يزداد به الكافرون[٤] الحاسدون لك ولأمتك ﴿ **طغيانًا** ﴾ وهو المبالغة والمجاوزة للحدّ في الأشياء ﴿ **وكفرًا** ﴾ أي : تكذيبًا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارًا** ﴾ .

= قلت : بل في إسناده محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت ، قال ابن جرير في التقريب : مجهول من السادسة ، تفرد عنه ابن إسحاق .

والأثر ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/٥٢٥) وزاد نسبته إلى ابن مردويه .

(٥٦٤) – رواه في مسنده (٢/ ٣١٣، ٣١٤) ورواه البخاري في كتاب التوحيد ، باب : « وكان عرشه على الماء ، وهو رب العرش العظيم » حديث (٧٤١٩) ومسلم في الزكاة ، باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف ، حديث (٩٩٣/٣٧) من طريق عبد الرزاق به .

---

[١] – سقط من : ز ، خ.
[٢] – في ز : « القبض » .
[٣] – سقط من : ز .
[٤] – في ز : « الكفرة » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلىٰ يوم القيامة** ﴾ يعني : أنه لا تجتمع قلوبهم ، بل العداوة واقعة بين فرقهم بعضهم في بعض دائمًا ؛ لأنهم لا يجتمعون علىٰ حق ، وقد خالفوك وكذبوك .

وقال إبراهيم النخعي : ﴿ **وألقينا بينهم العداوة والبغضاء** ﴾ قال : الخصومات والجدال في الدين . رواه ابن أبي حاتم(٥٦٥) .

وقوله : ﴿ **كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها اللَّه** ﴾ أي : كلما عقدوا أسبابًا يكيدونك بها ، و[١] كلما أبرموا أمورًا يحاربونك بها ، أبطلها[٢] اللَّه وردَّ[٣] كيدهم عليهم ، وحاق[٤] مكرهم السيئ بهم .

﴿ **ويسعون في الأرض فسادًا واللَّه لا يحب المفسدين** ﴾ أي : من سجيتهم أنهم دائمًا يسعون في الإفساد في الأرض ، واللَّه لا يحب من هذه صفته .

ثم قال جل وعلا : ﴿ **ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا** ﴾ أي : لو أنهم آمنوا بالله ورسوله ، واتقوا ما كانوا يتعاطونه من [المآثم والمحارم][٥] ﴿ **لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم** ﴾ أي : لأزلنا عنهم المحذور وأنلناهم[٦] المقصود .

﴿ **ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم** ﴾ قال ابن عباس وغيره : هو[٧] القرآن .

﴿ **لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم** ﴾ أي : لو أنهم عملوا بما في الكتب التي بأيديهم عن الأنبياء ، علىٰ ما هي عليه من غير تحريف ولا [تبديل ولا تغيير][٨] ، لقادهم ذلك إلىٰ اتباع الحق ، والعمل بمقتضىٰ ما بعث اللَّه به محمدًا صلىٰ اللَّه عليه وسلم ؛ فإن كتبهم ناطقة بتصديقه ، والأمر باتباعه حتمًا لا محالة .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم** ﴾ يعني بذلك : كثرة الرزق النازل

---

(٥٦٥) - رواه في تفسيره (١١٦٨/٤) (٦٥٨٤) عن إبراهيم التيمي

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « يبطلها » .
[٣] - في ز : « يردّ » .
[٤] - في ز : « ويحيق » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « المحارم والمآثم » .
[٦] - في ز ، خ : « ولحصلنا لهم » .
[٧] - في ز ، خ : « يعنى » .
[٨] - في ز : « تغيير ولا تبديل » .

عليهم من السماء ، والنابت لهم من الأرض .

و[١] قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ **لأكلوا من فوقهم** ﴾ يعني : لأرسل السماء عليهم مدرارًا ﴿ **ومن تحت أرجلهم** ﴾ يعني : يخرج من الأرض بركاتها(٥٦٦) .

وكذا قال مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، والسدي ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولو أن أهل القرىٰ آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون** ﴾ .

وقال بعضهم معناه : ﴿ **لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم** ﴾ يعني : من غير كد ولا تعب ، ولا شقاء ولا عناء .

وقال ابن جرير : قال بعضهم : معناه لكانوا في الخير كما يقول القائل : هو في الخير من قرنه إلىٰ قدمه . ثم رد هذا القول ؛ لمخالفته أقوال السلف .

وقد ذكر ابن أبي حاتم عند قوله : ﴿ **ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل** ﴾ حدثنا[٢] علقمة ، عن صفوان بن عمرو ، عن عبد الرحمن [بن جبير][٣] بن نفير ، عن أبيه : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **يوشك أن يُرفع العِلْم** » . فقال زياد بن لبيد : يا رسول الله ، وكيف يرفع العلم وقد قرأنا القرآن وعلمناه أبناءنا ؟ فقال : « **ثكلتك أمك يا بن لبيد ، إن كنت لأراك من أفقه أهل المدينة ، أو ليست التوراة والإنجيل بأيدي اليهود والنصارىٰ ، فما أغنىٰ عنهم حين تركوا أمر الله** » . ثم قرأ : ﴿ **ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل** ﴾(٥٦٧) .

هكذا رواه[٤] ابن أبي حاتم حديثًا[٥] معلقًا من أول إسناده ، مرسلًا في آخره ، وقد رواه الإمام

---

(٥٦٦) - رواه ابن جرير في تفسيره (٤٦٣/١٠) (١٢٢٥٧) ، وابن أبي حاتم (١١٧١/٤) (٦٥٩٩) (٦٦٠٠) .

(٥٦٧) - رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١١٧٠/٤)(٦٥٩٥) وهو معلق من أول الإسناد مرسل من آخره كما قال المصنف رحمه الله .

وقد وصله أحمد (٢٦/٦) والبخاري في "خلق أفعال العباد" ص ٤٢، والنسائي في الكبرى ، كتاب العلم ، باب كيف يرفع العلم ، حديث (٥٩٠٩) وابن حبان في صحيحه (٤٥٧٢) والحاكم =

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ت : « حديث » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٤] - في ت : « أورده » .

[٥] - سقط من : م .

أحمد بن حنبل متصلًا موصولًا ؛ فقال (٥٦٨) :

حدثنا وكيع ، حدثنا الأعمش ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن زياد بن لبيد : أنه[١] قال : ذكر النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم شيئًا فقال : « **وذاك عند[٢] ذهاب العلم** » . قال : قلنا : يا رسول اللَّه ، وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا ، و[٣] أبناؤنا يقرئونه[٤] أبناءهم إلىٰ يوم القيامة ؟ فقال : « **ثكلتك أمّك يا بن أم لبيد ، إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة ، أو ليس هذه اليهود والنصارىٰ يقرءون التوراة والإنجيل ولا ينتفعون بما فيهما[٥] بشيء** » .

وكذا رواه ابن ماجة عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن وكيع بإسناده[٦] نحوه . وهذا إسناد صحيح .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **منهم أمّة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون** ﴾ كقوله : ﴿ **ومن قوم موسىٰ أمّة يهدون بالحق وبه يعدلون** ﴾ ، وكقوله عن أتباع عيسىٰ : ﴿ **فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون** ﴾ . فجعل أعلىٰ مقاماتهم الاقتصاد ، وهو[٧] أوسط

= (٩٨/١، ٩٩) والخطيب في " اقتضاء العلم العمل " رقم (٨٩) والطبراني في الكبير (١٨/رقم ٧٥) ، والبزار (٢٣٢) من طريق إبراهيم بن أبي عيلة عن الوليد بن عبد الرحمن عن جبير بن نفير عن عوف بن مالك به .

وإسناده صحيح ، وصححه الألباني في تعليقه على "اقتضاء العلم العمل"

ورواه الترمذي في العلم ، باب : ما جاء في ذهاب العلم ، حديث (٢٦٥٥) والدارمي في المقدمة (١/ ٨٧، ٨٨) والحاكم (٩٩/١) من طريق عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه جبير عن أبي الدرداء ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

لكن قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب .

والحديث رواه أحمد وغيره من حديث زياد بن لبيد ، وسيأتي تخريجه في الحديث التالي .

(٥٦٨) - رواه في المسند (١٦٠/٤، ٢١٨) ورواه زهير بن حرب في "كتاب العلم" رقم (٥٢) ومن طريقه ابن الأثير في أسد الغابة (٢٧٤/٢) ورواه أحمد (٢١٩/٤) وابن ماجه في الفتن ، باب : ذهاب القرآن والعلم ، حديث (٥٢٩٠) والطبراني (٥٢٩٠)، والحاكم (٥٩٠/٣) من طريق سالم بن أبي الجعد عن ابن لبيد ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ، وقال الألباني في التعليق على كتاب "العلم" : حديث صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « عن » .
[٣] - في ز : « ويقرئه » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « فيها » .
[٦] - في ت : « به » .
[٧] - في ز : « وهي » .

مقامات هذه الأمة ، وفوق ذلك رتبة السابقين ، كما في قوله -عز وجل- : ﴿ **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات بإذن اللَّه، ذلك هو الفضل الكبير * جنات عدن يدخلونها** ﴾ الآية . والصحيح : أن الأقسام الثلاثة من هذه الأمة كلهم[١] يدخلون الجنة .

وقد قال أبو بكر بن مردويه(٥٦٩) : حدثنا عبد اللَّه بن جعفر ، حدثنا أحمد بن يونس الضبي ، حدثنا عاصم بن علي ، حدثنا أبو معشر ، عن يعقوب بن يزيد بن طلحة ، عن زيد بن أسلم ، عن أنس بن مالك ، قال : كنا عند رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال : « **تفرقت أمة موسىٰ علىٰ إحدىٰ وسبعين ملة ، سبعون منها في النار وواحدة في الجنة ، وتفرقت أمّة عيسىٰ علىٰ ثنتين وسبعين ملة ، واحدة منها في الجنة وإحدىٰ وسبعون منها في النار ، و**[٢] **تعلو أمتي علىٰ الفريقين جميعًا ، واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار** » . قالوا : من هم يا رسول اللَّه ؟ قال : « **الجماعات الجماعات** » .

قال يعقوب بن زيد : كان علي بن أبي طالب إذا حدث بهذا[٣] الحديث عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، تلا فيه قرآنًا قال[٤] : ﴿ **ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم [ولأدخلناهم جنات النعيم]**[٥] ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **منهم أمّة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون** ﴾ ، وتلا أيضًا [قوله تعالىٰ] : ﴿ **وممن خلقنا أمّة يهدون بالحق وبه يعدلون** ﴾ يعني : أمة محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم .

وهذا حديث غريب جدًّا من هذا الوجه وبهذا السياق ، وحديث افتراق الأمم إلىٰ بضع وسبعين مروي من طرق عديدة ، وقد ذكرناه في موضع آخر ولله الحمد والمنة .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾

(٥٦٩) - رواه أبو يعلى في مسنده (٣٦٦٨) حدثنا محمد بن بكار ثنا أبو معشر فذكره ، وإسناده ضعيف لضعف أبي معشر نجيح ، وقد أسن واختلط .

والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٢٦٠،٢٦١) وقال : فيه أبو معشر نجيح ، وفيه ضعف .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « هذا » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - ما بين العكوفتين سقط من : ز .

يقول تعالىٰ مخاطبًا عبده ورسوله محمدًا صلىٰ اللَّه عليه وسلم باسم الرسالة ، وآمرًا له بإبلاغ[١] جميع[٢] ما أرسله اللَّه به ، وقد امتثل عليه أفضل الصلاة والسلام ذلك ، وقام به أتم القيام .

قال البخاري عند تفسير هذه الآية : حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا سفيان ، عن إسماعيل ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة رضي اللَّه عنها ، قالت : من حدثك أن محمدًا كتم شيئًا مما أنزل عليه فقد كذب ، اللَّه[٣] يقول : ﴿ **يا أيها الرسول ؛ بلغ ما أنزل إليك من ربك** ﴾ (٥٧٠) .

هكذا رواه هاهنا مختصرًا ، وقد أخرجه في مواضع من صحيحه مطولًا ، وكذا رواه مسلم في كتاب الإيمان ، والترمذي والنسائي في كتاب[٤] التفسير من سننهما من طرق عديدة[٥] ، عن عامر الشعبي ، عن مسروق بن الأجدع عنها - رضي اللَّه عنها - .

وفي الصحيحين [عنها أيضًا][٦] أنها قالت : لو كان محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم كاتمًا شيئًا[٧] من القرآن لكتم هذه الآية : ﴿ **وتخفي في نفسك ما اللَّه مبديه وتخشىٰ الناس واللَّه أحق أن تخشاه** ﴾(٥٧١) .

(٥٧٠) - صحيح البخاري (٨/٢٧٥) كتاب التفسير ، باب : ﴿ يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ﴾ حديث (٤٦١٢) ، ورواه في التفسير ، باب سورة النجم ، حديث (٤٨٥٥) ، وفي التوحيد ، باب : قول الله تعالى : ﴿ يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ... ﴾ حديث (٧٥٣١) ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب : معنى قول الله عز وجل : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء ؛ حديث (١٧٧) ، والترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الأنعام (٣٠٦٨) ، وفي باب : ومن سورة النجم حديث (٣٢٧٨) ، والنسائي في الكبرى كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ يأيها الرسول بلغ ... ﴾ الحديث (١١١٤٧) ، وفي باب قوله تعالى : ﴿ وتخفي في نفسك ما الله مبديه ﴾ حديث (١١٤٠٨) ، وأحمد (٦/ ٢٣٦، ٢٤١) من طريق مسروق به . والروايات مطولة ومختصرة .

(٥٧١) - ليس في الصحيحين ولا في واحد منها إنما رواه الترمذي وابن جرير والطبراني وابن أبي حاتم وابن المنذر وغيرهم وسيأتي تخريجه في تفسير سورة الأحزاب / الآية ٣٧.

[١] - في ز : « بالإبلاغ » .
[٢] - في ز : « بجميع » .
[٣] - في ز : « وهو » .
[٤] - في ز : « كتابي » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « أيضًا عنها » .
[٧] - سقط من : ز .

وقال ابن أبي حاتم(٥٧٢) : حدثنا أحمد بن منصور الرمادي ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا عباد ، عن هارون بن عنترة ، عن أبيه قال : كنت عند ابن عباس فجاء رجل ، فقال له : إن ناسًا يأتونا فيخبرونا أن عندكم شيئًا لم يبده رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم للناس ؛ فقال ابن عباس : ألم تعلم أن اللّٰه تعالىٰ قال : ﴿ **يا أيها الرسول ؛ بلغ ما أنزل إليك من ربك** ﴾ واللّٰه ما ورثنا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم سوداء في بيضاء .

وهذا إسناد جيد ، وهكذا في صحيح البخاري من رواية أبي جحيفة وهب بن عبد اللّٰه السوائي قال : قلت لعلي بن أبي طالب رضي اللّٰه عنه : هل عندكم شيء من الوحي مما ليس في القرآن ؟ فقال : لا ، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، إلا فهمًا يعطيه اللّٰه رجلًا في القرآن وما في هذه الصحيفة . قلت : وما في هذه الصحيفة ؟ قال : العقل ، وفكاك الأسير ، وأن لا يقتل مسلم بكافر (٥٧٣) .

وقال البخاري - رضىٰ اللّٰه عنه - : قال الزهري : من اللّٰه الرسالة ، وعلىٰ الرسول البلاغ ، وعلينا التسليم .

وقد شهدت له أمته بإبلاغ الرسالة ، وأداء الأمانة ، واستنطقهم بذلك في أعظم المحافل في خطبته يوم حجة الوداع ، وقد كان هناك من أصحابه[١] نحوًا من أربعين ألفًا ، كما ثبت في صحيح مسلم ، عن جابر بن عبد اللّٰه : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال في خطبته يومئذ : « **أيها الناس ، إنكم مسئولون عني فما أنتم قائلون ؟** » . قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت . فجعل يرفع أصبعه إلىٰ السماء ويقلبها إليهم[٢] ويقول : « **اللهم هل بلغت ، اللهم بلغت** »(٥٧٤) .

---

(٥٧٢) - رواه في تفسيره (١١٧٢/٤) (٦٦١١) .

(٥٧٣) - رواه البخاري في كتاب العلم ، باب : كتابة العلم ، حديث (١١١) وفي كتاب الجهاد ، باب : فكاك الأسير . حديث (٣٠٤٧) ، وفي الديات ، باب : لا يقتل المسلم بالكافر ، حديث (٦٩١٥) ، والترمذي في كتاب الديات ، باب : ما جاء لا يقتل مسلم بكافر ، حديث (١٤١٢) ، والنسائي في (٨/ ٢٣) كتاب القسامة ، باب : سقوط القود من المسلم للكافر ، وابن ماجه في كتاب الديات ، باب : لا يقتل مسلم بكافر حديث (٢٦٥٨) ، والدارمي (٢٣٦١) ، وأحمد (٧٩/١) ، والحميدي (٤٠) من طرق عن مطرف بن طريف عن الشعبي عن أبي جحيفة به .

(٥٧٤) - جزء من حديث جابر بن عبد الله الطويل في الحج ، وقد أخرجه مسلم في « صحيحه » في الحج ، باب : حجة النبي ﷺ حديث (١٢١٨) بتمامه .

---

[١] - في ز : « الصحابة » . [٢] - سقط من : خ .

قال[١] الإمام أحمد(٥٧٥) : حدثنا ابن نمير ، حدثنا فضيل - يعني ابن غزوان - ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في حجة الوداع : « **يا أيها الناس ، أي يوم هذا ؟** » قالوا : يوم حرام . قال : « **أي بلد هذا ؟** » قالوا : بلد حرام . قال : « **فأي شهر هذا ؟** » قالوا : شهر حرام . قال : « **فإن أموالكم ودماءكم وأعراضكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا ، في بلدكم هذا ، في شهركم هذا** » . ثم أعادها مرارًا ثم رفع أصبعه إلىٰ السماء فقال : « **اللهم هل بلغت** » . مرارًا . قال : يقول ابن عباس : والله لوصية إلىٰ ربه عز وجل . ثم قال : « **ألا فليبلغ الشاهد الغائب ، لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض** » .

وقد روىٰ البخاري عن علي بن المديني ، عن يحيىٰ بن سعيد ، عن فضيل بن غزوان به نحوه .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وإن لم تفعل فما بلغت رسالته** ﴾ يعني : وإن لم تؤد[٢] إلىٰ الناس ما أرسلتك به ﴿ **فما بلغت رسالته** ﴾ [أي : وقد علم ما يترتب علىٰ ذلك لو وقع .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ **وإن لم تفعل فما بلغت رسالته**][٣] ﴾ يعني : إن كتمت آية مما أنزل إليك من ربك لم تبلغ رسالته(٥٧٦) .

قال[٤] ابن أبي حاتم (٥٧٧) : حدثنا أبي ، حدثنا قبيصة بن عقبة[٥] ، حدثنا سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد قال : لما نزلت ﴿ **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك** ﴾

(٥٧٥) - رواه في مسنده (١/٢٣٠) ، ورواه البخاري في كتاب الحج ، باب : الخطبة أيام منى حديث (١٧٣٩) ، قال : حدثنا علي بن عبد الله حدثني يحيى بن سعيد حدثنا فضيل بن غزوان به . ورواه البخاري في الفتن ، باب قول النبي ﷺ : « لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض » حديث (٧٠٧٩) ، والترمذي في الفتن ، باب : ما جاء لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض حديث (٢١٩٣) من طريق فضيل بن غزوان به .

(٥٧٦) - رواه ابن جرير في تفسيره (١٠/٤٦٨) (١٢٢٧٠) ، وابن أبي حاتم (٤/١١٧٣) (٦٦١٢) .

(٥٧٧) - رواه في تفسيره (٤/١١٧٣) (٦٦١٣) ، ورواه ابن جرير في تفسيره (١٠/٤٦٨) (١٢٢٧٢) قال : حدثني الحارث بن محمد حدثنا عبد العزيز حدثنا سفيان الثوري عن رجل فذكره . وفي إسناده راوٍ مبهم . والأثر : ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/٥٢٨) وزاد نسبته لعبد بن حميد وأبي الشيخ .

[١] - في ز : « وقال » .

[٢] - في ز : « ترد » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٤] - في ز : « وقال » .

[٥] - في ز : « عتبة » .

قال : « **يا رب كيف أصنع وأنا وحدي يجتمعون علي** » . فنزلت : ﴿ **وإن لم تفعل فما بلغت رسالته** ﴾ .

ورواه ابن جرير من طريق سفيان - وهو الثوري - به .

وقوله تعالىٰ ﴿ **والله يعصمك من الناس** ﴾ أي : بلغ أنت رسالتي ، وأنا حافظك وناصرك ، ومؤيدك علىٰ أعدائك ، ومظفرك بهم ، فلا تخف ولا تحزن ، فلن يصل أحد منهم إليك بسوء يؤذيك .

وقد كان النبي صلىٰ الله عليه وسلم قبل نزول هذه الآية يحرس ، كما قال الإمام أحمد (٥٧٨):

حدثنا يزيد ، حدثنا يحيىٰ ، قال[١] : سمعت عبد الله بن عامر بن ربيعة يحدث : أن عائشة رضي الله عنها كانت تحدث : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم سهر ذات ليلة وهي إلىٰ جنبه ، قالت : فقلت : ما شأنك يا رسول الله ؟ قال : « **ليت رجلًا صالحًا من أصحابي يحرسني الليلة** » . قالت : فبينا أنا علىٰ ذلك إذ سمعت صوت السلاح ، فقال : « **من هذا ؟** » فقال : أنا سعد بن مالك . فقال : « **ما جاء بك ؟** » قال : جئت لأحرسك يا رسول الله . قالت : فسمعت غطيط رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في نومه . أخرجاه في الصحيحين من طريق يحيىٰ بن سعيد الأنصاري به .

وفي لفظ : سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة مقدمه المدينة ، يعني : علىٰ أثر هجرته بعد دخوله بعائشة رضي الله عنها ، وكان ذلك في سنة ثنتين منها(٥٧٩) .

---

(٥٧٨) - رواه في مسنده (٦/١٤٠) ، ورواه البخاري في كتاب الجهاد ، باب : الحراسة في الغزو في سبيل الله حديث (٢٨٨٥) وفي كتاب التمني ، باب : قوله ﷺ : « ليت كذا وكذا » حديث (٧٢٣١) ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب : في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه حديث (٢٤١٠) ، والترمذي في « المناقب » ، باب : مناقب سعد بن أبي وقاص ، حديث (٣٧٥٦) ، والنسائي في « الكبرى » كتاب المناقب ، باب سعد بن مالك رضي الله عنه حديث (٨٢١٧) ، وفي كتاب السير ، باب : الدعاء للحارس ، حديث (٨٨٦٧) من طرق عن يحيى بن سعيد به .

(٥٧٩) - رواه مسلم في « صحيحه » في فضائل الصحابة ، باب في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه حديث (٢٤١٠) ، وانظر التخريج السابق .

---

[١] - سقط من : ز .

وقال ابن أبي حاتم (٥٨٠) : حدثنا إبراهيم بن مرزوق البصري نزيل مصر ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا الحارث بن عبيد - يعني : أبا قدامة - عن الجريري ، عن عبد اللّٰه بن شقيق ، عن عائشة قالت : كان النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يحرس حتىٰ نزلت هذه الآية : ﴿ **واللّٰه يعصمك من الناس** ﴾ قالت : فأخرج النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم رأسه من القبة ، وقال : « **يا أيها الناس ، انصرفوا ، فقد عصمني اللّٰه عز وجل** » .

وهكذا رواه الترمذي عن عبد بن حميد ، وعن نصر بن علي الجهضمي كلاهما ، عن مسلم ابن إبراهيم به ، ثم قال : وهذا حديث غريب .

وهكذا رواه ابن جرير والحاكم في مستدركه ، من طريق مسلم بن إبراهيم به ، ثم قال الحاكم : صحيح الإِسناد ، ولم يخرجاه . وكذا رواه سعيد بن منصور ، عن الحارث بن عبيد أبي قدامة ، عن الجريري عن عبد اللّٰه بن شقيق ، عن عائشة به .

ثم قال الترمذي : وقد روىٰ بعضهم هذا عن الجريري ، عن ابن شقيق قال : كان النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يحرس[١] .... ولم يذكر عائشة .

قلت : هكذا رواه ابن جرير : من طريق إسماعيل بن علية ، وابن مردويه من طريق وهيب كلاهما ، عن الجريري ، عن عبد اللّٰه بن شقيق مرسلًا(٥٨١) ، وقد روي هذا مرسلًا ، عن سعيد ابن جبير ، ومحمد بن كعب القرظي ، رواهما ابن جرير(٥٨٢) ، والربيع بن أنس ، رواه ابن

(٥٨٠) - رواه في تفسيره (١١٧٣/٤) (٦٦١٥) ، ورواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة المائدة ، حديث (٣٠٤٦)، وابن جرير في « تفسيره » (٤٦٩/١٠) (١٢٢٧٦) ، والحاكم (٢/ ٣١٣) ، والبيهقي في الدلائل (١٨٤/٢) من طريق مسلم بن إبراهيم به . وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي . وليس كما قالا فإن الحارث بن عبيد الإيادي أبا قدامة وإن كان صدوقًا إلّا أنه يخطئ كما قال الحافظ في « التقريب » . وقد خولف على هذا الحديث فرواه غيره عن عبد الله بن شقيق مرسلًا ، قال الترمذي : روى بعضهم هذا الحديث عن الجريري عن عبد الله بن شقيق قال : كان النبي ﷺ يحرس ولم يذكروا فيه عن عائشة . والمرسل رواه ابن جرير من طريق ابن علية عن الجريري وسيأتي برقم (٥٩١) لكن يشهد له حديث عائشة السابق برقم (٥٨٨) ، وقد حسن هذا الحديث الألباني في صحيح الترمذي (٢٤٤٠) ، والحديث ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٢٩/٢) وزاد نسبته لعبد بن حميد ، وابن المنذر وأبي الشيخ وأبي نعيم في « الدلائل ».

(٥٨١) - رواه ابن جرير في تفسيره (٤٦٩/١٠) (١٢٢٧٤) .

(٥٨٢) - أثر سعيد بن جبير رواه ابن جرير (٤٦٨/١٠) (١٢٢٧٣) ، وذكره السيوطي في « الدر المنثور »=

[١] - سقط من: ز ، خ .

مردويه ثم قال :

حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا أحمد بن رشدين المصري ، حدثنا خالد بن عبد السلام الصدفي ، حدثنا الفضل بن المختار ، عن عبيد الله بن موهب ، عن عصمة بن مالك الخطمي ، قال : كنا نحرس رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بالليل حتىٰ نزلت : ﴿ **والله يعصمك من الناس** ﴾ فترك الحرس .

حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا حمد بن محمد بن حمد أبو نصر الكاتب البغدادي ، حدثنا كردوس بن محمد الواسطي ، حدثنا يعلىٰ بن عبد الرحمن ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية ، عن أبي سعيد الخدري قال : كان العباس عم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فيمن يحرسه ؛ فلما نزلت هذه الآية ﴿ **والله يعصمك من الناس** ﴾ ترك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم الحرس .

حدثنا علي بن أبي حامد المديني ، حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد ، حدثنا محمد بن مفضل ابن إبراهيم الأشعري ، حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن معاوية بن عمار ، حدثنا أبي قال : سمعت أبا الزبير المكي يحدث ، عن جابر بن عبد الله قال : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إذا خرج بعث معه أبو طالب من يكلؤه ، حتىٰ نزلت : ﴿ **والله يعصمك من الناس** ﴾ فذهب ليبعث معه فقال : « **يا عم ، إن الله قد عصمني لا حاجة لي إلىٰ من تبعث** »(٥٨٣) .

وهذا حديث غريب وفيه نكارة ؛ فإن هذه الآية مدنية ، وهذا الحديث يقتضي أنها مكية .

ثم قال (٥٨٤) : حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، حدثنا محمد بن يحيىٰ ، حدثنا

= (٥٣٠/٢) وزاد نسبته لأبي الشيخ ، والرواية عن محمد بن كعب رواها ابن جرير في تفسيره (١٢٢٧٥) وذكرها السيوطي في الدر وزاد نسبتها لعبد بن حميد وأبي الشيخ .

(٥٨٣) - رواه الطبراني في « الأوسط » (٣٥١٠) ، و« الصغير » (١٤٩/١) وعنه رواه ابن مردويه كما نقله ابن كثير هنا . وقال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن فضيل بن مرزوق إلا معلى بن عبد الرحمن ، ولا يروى عن أبي سعيد إلا بهذا الإسناد ، والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٠/٧) وقال : فيه عطية العوفي وهو ضعيف .

قلت : هذا قصور من الهيثمي رحمه الله فإن في الإسناد معلى بن عبد الرحمن متهم بالوضع وقد رمى بالرفض كما في « التقريب » .

(٥٨٤) - رواه الطبراني في الكبير (٢٥٦/١١) (١١٦٦٣) ، والواحدي في أسباب النزول (ص ٢٠٥/رقم ٤٠٥) من طريق عبد الحميد الحماني به ، وإسناده ضعيف فإن النضر هو ابن عبد الرحمن قال الحافظ في « التقريب » : متروك . والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٠/٧) وقال : فيه النضر بن عبد الرحمن وهو ضعيف . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٢٩/٢) لأبي الشيخ ، وأبي نعيم في الدلائل وابن عساكر .

أبو كريب ، حدثنا عبد الحميد الحماني ، عن النضر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يحرس ، فكان [أبو طالب يرسل إليه][١] كل يوم رجالًا[٢] من بني هاشم يحرسونه ، حتىٰ نزلت عليه هذه الآية : ﴿ **يا أيها الرسول ؛ بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس** ﴾ قال : فأراد عمه أن يرسل معه من يحرسه فقال : « **إن الله قد عصمني من الجن والإنس** » . رواه[٣] الطبراني عن يعقوب بن غيلان العماني ، عن أبي كريب به .

وهذا أيضا حديث[٤] غريب ، والصحيح : أن هذه الآية مدنية بل هي من أواخر ما نزل بها ، والله أعلم .

ومن عصمة الله لرسوله حفظه له من أهل مكة وصناديدها ، وحسادها ومعانديها ومترفيها ، مع شدة العداوة والبغضة ، ونصب المحاربة له ليلًا ونهارًا - بما يخلقه الله من الأسباب العظيمة ، بقدرته وحكمته العظيمة ، فصانه في ابتداء الرسالة بعمه أبي طالب ، إذ كان رئيسًا مطاعًا كبيرًا في قريش ، وخلق الله في قلبه محبة طبيعية لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لا شرعية ، ولو كان أسلم لاجترأ عليه كفارها وكبارها ، ولكن لما كان بينه وبينهم قدر مشترك في الكفر هابوه واحترموه ؛ فلما مات عمه[٥] أبو طالب نال منه المشركون أذى يسيرًا ، ثم قيض الله له الأنصار ، فبايعوه علىٰ الإسلام ، وعلىٰ أن يتحول[٦] إلىٰ دارهم : وهي المدينة ، فلما صار إليها حَمَوْه من الأحمر والأسود ، فكلما هم أحد من المشركين وأهل الكتاب بسوء كاده الله ورد كيده عليه ، كما كاده اليهود بالسحر فحماه الله منهم ، وأنزل عليه سورتي المعوذتين دواء لذلك الداء ، ولما سمه[٧] اليهود في[٨] ذراع تلك الشاة بخيبر أعلمه الله به وحماه منه ، ولهذا أشباه كثيرة جدًا يطول ذكرها ، فمن ذلك ما ذكره المفسرون عند هذه الآية الكريمة .

قال[٩] أبو جعفر بن جرير(٥٨٥) : حدثنا الحارث ، حدثنا عبد العزيز ، حدثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظي وغيره ، قالوا[١٠] : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إذا نزل

(٥٨٥) - رواه في تفسيره (١٠/٤٧٠) (١٢٢٧٨) ، وفي إسناده أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن ، وهو ضعيف ، وقد تقدمت القصة من حديث جابر ، تقدم تخريجه رقم (٢٦١) وانظر التالي .

[١] - في ز : « يرسل معه أبو طالب » .
[٢] - في ز : « رجلًا » .
[٣] - في ز : « ورواه » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في خ : « يتحمل » .
[٧] - في ز : « سم » .
[٨] - سقط من : ز .
[٩] - في ز : « وقال » .
[١٠] - في ز : « قال » .

منزلًا[١] ، اختار له أصحابه شجرة ظليلة فيقيل تحتها ، فأتاه أعرابي فاخترط سيفه ، ثم قال : من يمنعك مني؟ فقال : « **الله عز وجل** » . فرعدت يد الأعرابي ، وسقط السيف منه . قال : وضرب برأسه الشجرة حتىٰ انتثر دماغه ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **والله يعصمك من الناس** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم (٥٨٦) : حدثنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن يحيىٰ بن سعيد القطان ، حدثنا زيد بن الحباب ، حدثنا موسىٰ بن عبيدة ، حدثني زيد بن أسلم ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال : لما غزا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بني أنمار نزل ذات الرقاع[٢] بأعلىٰ نخل ، فبينا هو جالس علىٰ رأس بئر قد دلىٰ رجليه ، فقال [غَوْرَث بن الحارث][٣] من بني النجار : لأقتلن محمدًا . فقال له أصحابه : كيف تقتله ؟ قال : أقول له أعطني سيفك ، فإذا أعطانيه قتلته به . قال : فأتاه فقال : يا محمد ، أعطني سيفك أشيمه[٤] . فأعطاه إياه ، فرعدت يده حتىٰ سقط السيف من يده ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **حال الله بينك وبين ما تريد** » . فأنزل الله -عز وجل- : ﴿ **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس** ﴾ .

وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، وقصة غورث بن الحارث مشهورة في الصحيح .

وقال أبو بكر بن مردويه : حدثنا أبو عمرو أحمد بن محمد بن إبراهيم ، حدثنا محمد بن عبد الوهاب ، حدثنا آدم ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : كنا إذا صحبنا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في سفر ، تركنا له أعظم شجرة وأظلها فينزل تحتها ، فنزل ذات يوم تحت شجرة وعلق سيفه فيها ، فجاء رجل فأخذه فقال : يا محمد ، من يمنعك مني ؟ فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **الله يمنعني منك ، ضع السيف** » . فوضعه ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **والله يعصمك من الناس** ﴾ .

وكذا رواه أبو حاتم بن حبان في صحيحه عن عبد الله بن محمد ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن المؤمل بن إسماعيل ، عن حماد بن سلمة به .

---

(٥٨٦) - رواه في تفسيره (٤/١١٧٣) (٦٦١٤) ، وفي إسناده موسى بن عبيدة الرَّبذي وهو ضعيف . وزيد بن أسلم عن جابر مرسل كما قال علي بن الحسين بن الجنيد (انظر جامع التحصيل ص ١٧٨) وقصة غوث بن الحارث التي أشار إليها ابن كثير تقدم تخريجها رقم (٢٦١) .

---

[١] - في ز : « منزلة » .
[٢] - في ز : « الرقيع » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « الوارث » .
[٤] - في ز : « أسيمه » .

وقال الإمام أحمد (٥٨٧) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، سمعت أبا[١] إسرائيل - يعني الجشمي - سمعت جعدة - هو ابن خالد بن الصمة الجشمي رضي الله عنه - قال : سمعت النبي صلىٰ الله عليه وسلم ورأىٰ رجلًا سمينًا ، فجعل النبي صلىٰ الله عليه وسلم يومئ إلىٰ بطنه بيده ويقول : « **لو كان هذا في غير هذا لكان خيرًا لك** » . قال : وأتي النبي صلىٰ الله عليه وسلم برجل ، فقيل[٢] : هذا أراد أن يقتلك . فقال له[٣] النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **لم ترع [لم ترع]**[٤] ، **ولو أردت ذلك لم يسلطك**[٥] **الله**[٦] **علي**» .

وقوله : ﴿ **إن الله لا يهدي القوم الكافرين** ﴾ أي : بلغ أنت والله هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، كما[٧] قال تعالىٰ : ﴿ **ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء** ﴾ ، وقال : ﴿ **فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب** ﴾ .

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾

---

(٥٨٧) - رواه أحمد في مسنده (٣/٤٧١) ، الجزء الأول من الحديث رواه أحمد (٣/٤٧١) ، (٤/٣٣٩) ، والبخاري في التاريخ الكبير (٢/٢٣٨ ، ٢٣٩) ، والطبراني في الكبير (٢/٢٨٤) حديث (٢١٨٤، ٢١٨٥) ، والحاكم (٤/١٢١ ، ١٢٢) ، والبيهقي في الشعب (٥/٣٣) (٥٦٦٦) (٥٦٦٧) من طرق عن شعبة به . وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي . والجزء الثاني رواه النسائي في الكبرى (٦/٢٦٣) كتاب عمل اليوم والليلة ، باب ما يقول للخائف حديث (١٠٩٠٣) ، وفي عمل اليوم والليلة رقم (١٠٦٤) ، والطبراني في الكبير (٢١٨٣) ، والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/٣٤) وقال : رواه كله الطبراني ورواه أحمد ، ورجال الجميع رجال الصحيح غير أبي إسرائيل الجشمي وهو ثقة . والحديث ضعفه الألباني في الضعيفة (١١٣١) وأعله بأبي إسرائيل فإنه لم يوثقه غير ابن حبان وأيضًا للاختلاف في صحبة جعدة .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز : « فقال » .
[٣] - سقط من : ت .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : « يسلط » .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - سقط من : ت .

يقول تعالىٰ : ﴿ قل ﴾ يا محمد : ﴿ يا أهل الكتاب ؛ لستم علىٰ شيء ﴾ أي : من الدين ﴿ حتىٰ تقيموا التوراة والإنجيل ﴾ أي : حتىٰ تؤمنوا بجميع ما بأيديكم من الكتب المنزلة من الله علىٰ الأنبياء ، وتعملوا بما فيها ، ومما فيها الأمر باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، والإيمان بمبعثه والاقتداء بشريعته ؛ ولهذا قال ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد في قوله : ﴿ وما أنزل إليكم من ربكم ﴾ يعني : القرآن العظيم(٥٨٨) .

وقوله : ﴿ وليزيدن كثيرًا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانًا وكفرًا ﴾ تقدم تفسيره ، ﴿ فلا تأس علىٰ القوم الكافرين ﴾ أي : فلا تحزن عليهم ولا يهيدنك[١] ذلك منهم .

ثم قال : ﴿ إن الذين آمنوا ﴾ وهم المسلمون ﴿ والذين هادوا ﴾ وهم حملة التوراة ﴿ والصابئون ﴾ لما طال الفصل حسن العطف بالرفع ، والصابئون : طائفة بين[٢] النصارىٰ والمجوس ليس لهم دين ، قاله مجاهد ، وعنه : بين[٣] اليهود والمجوس . وقال سعيد بن جبير بين[٤] : اليهود والنصارىٰ ، وعن الحسن : إنهم كالمجوس . وقال قتادة : هم قوم يعبدون الملائكة ويصلون إلىٰ غير القبلة ويقرءون الزبور . وقال وهب بن منبه : هم قوم يعرفون الله وحده ، وليست لهم شريعة يعملون بها ولم يحدثوا كفرًا(٥٨٩) .

وقال ابن وهب (٥٩٠) : أخبرني ابن أبي الزناد ، عن أبيه قال : الصابئون هم[٥] قوم مما يلي العراق وهم بكوثي[٦] ، وهم يؤمنون بالنبيين كلهم ، ويصومون كل سنة ثلاثين يومًا ، ويصلون إلىٰ اليمن كل يوم خمس صلوات . وقيل : غير ذلك .

وأما النصارىٰ فمعروفون ، وهم حملة الإنجيل .

والمقصود : أن كل فرقة آمنت بالله واليوم[٧] الآخر - وهو الميعاد والجزاء يوم الدين - وعملت

---

(٥٨٨) - رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١١٧٥/٤) (٦٦٢١) من طريق ليث عن مجاهد (ما أنزل إليكم من ربكم) قال : ما أنزل على محمد ﷺ .

(٥٨٩) - انظر هذه الأقوال في تفسير ابن أبي حاتم (١١٧٥/٤ ، ١١٧٦) .

(٥٩٠) - رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١١٧٦/٤) (٦٦٢٩) .

---

[١] - أي : لا تنزعج .

[٢] - في ز ، خ : « من » .

[٣] - في ز ، خ : « من » .

[٤] - في ز ، خ : « من » .

[٥] - سقط من : ت .

[٦] - في ز : « بلوثا » .

[٧] - في ز : وباليوم .

عملًا صالحًا ، ولا يكون ذلك كذلك[١] حتىٰ يكون موافقًا للشريعة المحمدية ، بعد إرسال صاحبها المبعوث إلىٰ جميع الثقلين ، فمن اتصف بذلك ﴿ **فلا خوف عليهم** ﴾ فيما يستقبلونه ، ولا علىٰ ما تركوا وراء ظهورهم ﴿ **ولا هم يحزنون** ﴾ وقد تقدم الكلام علىٰ نظيرتها في سورة البقرة بما أغنىٰ عن إعادته هٰهنا[٢] .

لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾

يذكر تعالىٰ أنه أخذ العهود والمواثيق علىٰ بني إسرائيل علىٰ السمع والطاعة للّٰه ولرسله[٣] ، فنقضوا تلك العهود والمواثيق ، واتبعوا آراءهم وأهواءهم ، وقدموها علىٰ الشرائع ، فما وافقهم منها قبلوه وما خالفهم ردّوه ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **كلما جاءهم رسول بما لا تهوىٰ أنفسهم فريقًا كذّبوا وفريقًا يقتلون * وحسبوا أن لا تكون فتنة** ﴾ أي : وحسبوا أن لا يترتب لهم شر علىٰ ما صنعوا فترتب ، وهو : أنهم عموا عن الحق وصموا ، فلا يسمعون حقًّا ولا يهتدون إليه ﴿ **ثم تاب اللّٰه عليهم** ﴾ أي : مما كانوا فيه ﴿ **ثم عموا** ﴾ أي : بعد ذلك ﴿ **وصموا كثير منهم واللّٰه بصير بما يعملون** ﴾ أي : مطلع عليهم ، وعليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية .

لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ

---

[١] - سقط من : ت .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « لرسوله » .

كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾

يقول تعالى حاكمًا بتكفير فرق النصارى من الملكية واليعقوبية والنسطورية ، ممن قال منهم بأن المسيح هو الله ، تعالىٰ الله عن قولهم وتنزه وتقدس علوًّا كبيرًا .

هذا ، وقد تقدم إليهم المسيح بأنه عبد الله ورسوله ، وكان أول كلمة نطق بها وهو صغير في المهد أن قال : ﴿ **إني عبد الله** ﴾ ، ولم يقل : إني[١] أنا الله ولا ابن الله بل قال : ﴿ **إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيًا** ﴾ إلىٰ أن قال : ﴿ **وإن الله ربي وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم** ﴾ .

وكذلك قال لهم في حال كهولته و نبوته ، آمرًا لهم بعبادة الله ربه وربهم وحده لاشريك له ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وقال المسيح يا بني إسرائيل؛ اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله** ﴾ أي : فيعبد معه[٢] غيره ﴿ **فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار** ﴾ أي : فقد أوجب له النار وحرم عليه الجنة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ونادىٰ أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما علىٰ الكافرين** ﴾ .

وفي الصحيح : أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم بعث مناديًا ينادي في الناس : إن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة - و في لفظ مؤمنة - »(٥٩١) .

وتقدم في أول سورة النساء عند قوله : ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به** ﴾ حديث يزيد بن بابنوس عن عائشة : الدواوين ثلاثة ، فذكر منهم ديوانًا لا يغفره الله وهو الشرك بالله ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة** ﴾ . الحديث في مسند أحمد .

---

(٥٩١) - رواه البخاري في « صحيحه » في الرقاق ، باب : الحشر ، حديث (٦٥٢٨) ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب : كون هذه الأمة نصف أهل الجنة ، حديث (٢٢١/٣٧٧) من حديث ابن مسعود .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ز .

ولهذا قال تعالىٰ إخبارًا عن المسيح أنه قال لبني إسرائيل : ﴿ **إنه من يشرك بالله فقد حرم اللَّه عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار** ﴾ أي : وما له عند اللَّه ناصر ولا معين ولا منقذ مما هو فيه .

وقوله : ﴿ **لقد كفر الذين قالوا إن اللَّه ثالث ثلاثة** ﴾ قال ابن أبي حاتم(٥٩٢) :

حدثنا علي بن الحسن الهسنجاني[١] ، حدثنا سعيد بن الحكم بن أبي مريم ، حدثنا الفضل ، حدثني أبو صخر في قول اللَّه تعالىٰ : ﴿ **لقد كفر الذين قالوا إن اللَّه ثالث ثلاثة** ﴾ قال : هو قول اليهود : عزير ابن اللَّه ، وقول النصارىٰ : المسيح ابن اللَّه ، فجعلوا اللَّه ثالث ثلاثة .

وهذا قول غريب في تفسير الآية أن المراد بذلك طائفتا[٢] اليهود والنصارىٰ ، [والصحيح أنها][٣] [أنزلت في النصارىٰ][٤] خاصة . قاله مجاهد وغير واحد .

ثم اختلفوا في ذلك ؛ فقيل : المراد بذلك كفرهم[٥] في قولهم بالأقانيم الثلاثة ؛ وهو أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم الكلمة المنبثقة من الأب إلىٰ الابن ، تعالىٰ اللَّه عن قولهم علوًّا كبيرًا . قال[٦] ابن جرير وغيره . والطوائف الثلاثة من الملكية واليعقوبية والنسطورية تقول بهذه الأقانيم ، وهم مختلفون فيها اختلافًا متباينًا ليس هذا موضع بسطه ، وكل فرقة منهم تكفر الأخرىٰ ، والحق أن الثلاث كافرة .

وقال السدي وغيره : نزلت في جعلهم المسيح وأمه إلهين مع اللَّه ، فجعلوا اللَّه ثالث ثلاثة بهذا[٧] الاعتبار ، قال السدي : وهي كقوله تعالىٰ في آخر السورة : ﴿ **وإذ قال اللَّه ياعيسىٰ ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني و أمي إلهين من دون اللَّه قال سبحانك** ﴾ الآية(٥٩٣) . وهذا القول هو الأظهر ، واللَّه أعلم .

---

(٥٩٢) - رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١١٧٩/٤) (٦٦٤٧) .

(٥٩٣) - رواه ابن جرير في تفسيره (٤٨٣/١٠) (١٢٢٩٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١١٧٩/٤) (٦٦٤٦) .

---

[١] - في ز : « الهستجاني » .
[٢] - في ز : « طائفتي » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز : « كفارهم » .
[٦] - في ز : « قاله » .
[٧] - في ز : « فبهذا » .

قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **وما من إله إلا إله واحد** ﴾ أي : ليس متعددًا ، بل هو وحده لا شريك له إله جميع الكائنات وسائر الموجودات .

ثم قال تعالىٰ متوعدًا لهم ومتهددًا : ﴿ **وإن لم ينتهوا عما يقولون** ﴾ أي : من هذا الافتراء والكذب ﴿ **ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم** ﴾ أي : في الآخرة من الأغلال والنكال .

ثم قال : ﴿ **أفلا يتوبون إلىٰ اللّٰه ويستغفرونه واللّٰه غفور رحيم** ﴾ وهذا من كرمه تعالىٰ وجوده ولطفه ، ورحمته بخلقه مع هذا الذنب العظيم ، وهذا الافتراء والكذب والإفك ، يدعوهم إلىٰ التوبة والمغفرة ، فكل من تاب إليه تاب عليه . ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة** ﴾ أي : له سَوِيَّة[١] أمثاله من سائر المرسلين المتقدمين عليه ، وأنه عبد من عباد اللّٰه ، ورسول من رسله الكرام ، كما قال : ﴿ **إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلًا لبني إسرائيل** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وأمه صديقة** ﴾ أي : مؤمنة به مصدقة له ، وهذا أعلىٰ مقاماتها ، فدل علىٰ أنها ليست بنبية ، كما زعمه ابن حزم وغيره ممن ذهب إلىٰ نبوة سارة أم إسحاق ، ونبوة أم موسىٰ ، ونبوة أم عيسىٰ ؛ [استدلالًا منهم بخطاب][٢] الملائكة لسارة و مريم ، وبقوله : ﴿ **وأوحينا إلىٰ أم موسىٰ أن أرضعيه** ﴾ وهذا معنىٰ النبوة ، والذي عليه الجمهور أن اللّٰه لم يبعث نبيًا إلا من الرجال ، قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **وما أرسلنا قبلك إلا رجالًا نوحي إليهم من أهل القرىٰ** ﴾ ، وقد حكىٰ الشيخ أبو الحسن الأشعري رحمه اللّٰه الإجماع علىٰ ذلك .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **كانا يأكلان الطعام** ﴾ أي : يحتاجان إلىٰ التغذية به وإلىٰ خروجه منهما ، فهما عبدان كسائر الناس وليسا بإلهين ، كما زعمت[٣] فرق النصارىٰ الجهلة ، عليهم لعائن اللّٰه المتتابعة[٤] إلىٰ يوم القيامة .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **انظر كيف نبين لهم الآيات** ﴾ أي : نوضحها ونظهرها ﴿ **ثم انظر أنىٰ يؤفكون** ﴾ أي : ثم انظر بعد هذا البيان والوضوح والجلاء[٥] أين يذهبون ؟ وبأي قول يتمسكون ؟ وإلىٰ أي مذهب من الضلال يذهبون ؟

---

[١] - في خ : « أسوة » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « استدلالهم منهم لخطاب » .

[٣] - في ز : « زعة » .

[٤] - في ز : « التابعة » .

[٥] - في ز : « الخلاء » .

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾

يقول تعالىٰ منكرًا علىٰ من عبد غيره من الأصنام والأنداد والأوثان ، ومبينًا له أنها لا تستحق شيئًا من الإلهية : ﴿ **قل** ﴾ أي : يا محمد لهؤلاء العابدين غير الله من سائر فرق بني آدم ، ودخل في ذلك النصارىٰ وغيرهم ﴿ **أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرًا ولا نفعًا** ﴾ أي : لا يقدر علىٰ إيصال ضر[١] إليكم ، ولا إيجاد نفع ﴿ **والله هو السميع العليم** ﴾ أي : فلم عدلتم عن إفراد السميع لأقوال عباده ، العليم بكل شيء ، [فلم عدلتم عنه][٢] إلىٰ عبادة جماد لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم شيئًا ، ولا يملك ضرًا ولا نفعًا لغيره ولا لنفسه .

ثم قال : ﴿ **قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق** ﴾ أي : لا تجاوزوا الحد في اتباع الحق ، ولا تطروا من أمرتم بتعظيمه ، فتبالغوا فيه حتىٰ تخرجوه عن حيز النبوة إلىٰ مقام الإلهية ، كما صنعتم في المسيح و[٣] هو نبي من الأنبياء ، فجعلتموه إلهًا من دون الله ، وما ذاك إلا لاقتدائكم بشيوخ الضلال الذين هم سلفكم ممن ضل قديمًا ﴿ **وأضلوا كثيرًا وضلوا عن سواء السبيل** ﴾ أي : وخرجوا عن طريق الاستقامة والاعتدال إلىٰ طريق الغواية والضلال .

قال ابن أبي حاتم (٥٩٤) : حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، قال : وقد كان قائم قام عليهم ، فأخذ بالكتاب والسنة زمانًا فأتاه[٤] الشيطان ، فقال : إنما تركب أثرًا أو أمرًا قد عمل قبلك فلا تجمد عليه ، ولكن ابتدع أمرًا من قبل نفسك ، وادع إليه واجبر الناس عليه ؛ ففعل ، ثم ادّكر بعد فعله زمانًا فأراد أن يتوب منه ، فخلع سلطانه وملكه وأراد أن يتعبد ، فلبث في عبادته أيامًا ، فأتي[٥] فقيل له : لو أنك تبت من خطيئة عملتها فيما بينك وبين ربك ، عسىٰ أن يتاب عليك ، ولكن ضل فلان وفلان وفلان في سبيلك[٦] ، حتىٰ فارقوا الدنيا وهم علىٰ الضلالة ، فكيف لك بهداهم فلا توبة لك

(٥٩٤) - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/٥٣٣) ولم يعزه لغير ابن أبي حاتم .

[١] - في خ : « ضرر » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في خ : « فأواه » .
[٥] - في ز : « فأبى » .
[٦] - في ز : « سببك » .

أبدًا . ففيه سمعنا وفي أشباهه هذه الآية : **﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرًا وضلوا عن سواء السبيل ﴾** .

لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾

يخبر تعالىٰ أنه لعن الكافرين من بني إسرائيل من دهر طويل ، فيما أنزله[١] علىٰ داود نبيه عليه السلام ، و علىٰ لسان عيسىٰ ابن مريم ؛ بسبب عصيانهم للّه واعتدائهم علىٰ خلقه .

قال العوفي ، عن ابن عباس : لعنوا[٢] في التوراة والإنجيل وفي الزبور وفي الفرقان(٥٩٥) .

ثم بين حالهم فيما كانوا يعتمدونه في زمانهم ، فقال تعالىٰ : **﴿ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾** أي : كان لا ينهىٰ أحد منهم أحدًا عن ارتكاب المآثم والمحارم ، ثم ذمهم علىٰ ذلك ؛ ليحذر أن يرتكب[٣] مثل الذي ارتكبوه[٤] فقال : **﴿ لبئس ما كانوا يفعلون[٥] ﴾** .

وقال الإمام أحمد(٥٩٦) - رحمه اللّه - : حدثنا يزيد ، حدثنا شريك بن عبد الله[٦] ، عن

(٥٩٥) - رواه ابن جرير (٤٨٩/١٠) (١٢٢٩٨) ، وابن أبي حاتم (١١٨٢/٤) (٦٦٦٣) .

(٥٩٦) - رواه أحمد في مسنده (٣٩١/١) (٣٧١٣) ، وقال العلامة أحمد شاكر في تعليقه على المسند : « إسناده ضعيف ؛ لانقطاعه » . قلت : إسناده منقطع لأن أبا عبيدة بن عبد الله بن مسعود لم يسمع من أبيه . =

[١] - في ز : « أنزل » .
[٢] - في ز : « احنوا » .
[٣] - في ز ، خ : « يركب » .
[٤] - في ز : « ارتكبو » .
[٥] - في ز : « يعملون » .
[٦] - بعده في خ : « عن عبد الله » .

علي بن بذيمة ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ، قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي ، نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم** - قال يزيد : وأحسبه قال[١] : **وأسواقهم - وواكلوهم وشاربوهم ، فضرب اللّٰه قلوب بعضهم ببعض ، ولعنهم علىٰ لسان داود وعيسىٰ ابن مريم ﴿ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾** » . وكان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم متكئًا ، فجلس ، فقال : « **لا والذي نفسي بيده ، حتى تأطروهم[٢] علىٰ الحق أطرًا[٣]** » .

وقال أبو داود (٥٩٧) : حدثنا عبد الله بن محمد النفيلي ، حدثنا يونس بن راشد ، عن علي[٤] ابن بذيمة ، [عن أبي عبيدة][٥] ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إن أول ما دخل النقص علىٰ بني إسرائيل : كان الرجل يلقىٰ الرجل ، فيقول : يا هذا ، اتق اللّٰه ودع ما تصنع ، فإنه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب اللّٰه قلوب بعضهم ببعض ، ثم قال : ﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل علىٰ لسان داود وعيسي ابن مريم ﴾** إلىٰ قوله : **﴿ فاسقون ﴾** ، ثم قال : « **كلا واللّٰه لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن علىٰ يد الظالم ، ولتأطرنه[٦] علىٰ الحق أطرًا ، أو تقصرنه علىٰ الحق قصرًا** » .

= والحديث رواه أبو داود في الملاحم ، باب الأمر والنهي حديث (٤٣٣٦) والترمذي في تفسير القرآن ، باب : ومن سورة المائدة ، حديث (٣٠٤٧، ٣٠٤٨) ، وابن ماجه في الفتن ، باب : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حديث (٤٠٠٦) ، وابن جرير في تفسيره (١٠/ ٤٩٢) (١٢٣٠٧، ١٢٣٠٨) (١٢٣١٠) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٧٥٤٤) من طرق عن علي بن بذيمة عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود به . ورواه أبو داود في سننه (٤٣٣٧) ، وابن جرير (١٢٣٠٦) ، وابن أبي حاتم (٦٦٦١) ، والبيهقي في الشعب (٧٥٤٥) من طرق عن سالم الأفطس عن أبي عبيدة عن عبد الله به ، ورواه الترمذي (٣٠٤٨) ، وابن ماجه (٤٠٠٦) وابن جرير (١٢٣٠٩، ١٢٣١٠، ١٢٣١١) من طرق عن ابن بذيمة عن أبي عبيدة مرسلاً ، والحديث ضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٩٣٢) ، وضعيف ابن ماجه (٨٦٧) .

(٥٩٧) - سنن أبي داود في الملاحم ، باب : الأمر والنهي ، حديث (٤٣٣٦) ، وانظر التخريج السابق .

---

[١] - في ت : « تال » .

[٢] - في ز ، خ : « تطروهم » . ومعنى تأطروهم : تعطفوهم . النهاية .

[٣] - في ز ، خ : إطراهم » .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٦] - في ز ، خ : « ولتطرنه » .

وكذا رواه الترمذي وابن ماجة ، من طريق علي بن بذيمة به . وقال الترمذي : حسن غريب . ثم رواه هو وابن ماجة عن بندار ، عن ابن مهدي ، عن سفيان ، عن علي بن بذيمة ، عن أبي عبيدة مرسلًا .

وقال ابن أبي حاتم(٥٩٨) : حدثنا أبوسعيد الأشج وهارون بن إسحاق الهمداني قالا : حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي ، عن العلاء بن المنسيب ، عن عبد الله بن عمرو بن مرة ، عن سالم الأفطس ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن الرجل من بني إسرائيل كان إذا رأىٰ أخاه علىٰ الذنب نهاه عنه تعزيرًا ، فإذا كان من الغد لم يمنعه ما رأى منه أن يكون أكيله وخليطه وشريكه** » . وفي حديث هارون : « **وشريبه** » . ثم اتفقا في المتن : « **فلما رأىٰ الله ذلك منهم ؛ ضرب قلوب بعضهم علىٰ بعض ، ولعنهم علىٰ لسان نبيهم داود وعيسىٰ ابن مريم ﴿ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾** » . ثم قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **والذي نفسي بيده ، لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن علىٰ يد المسيء ، ولتأطرنه[١] علىٰ الحق أطرًا ، أو ليضربن الله قلوب بعضكم علىٰ بعض ، أو ليلعنكم كما لعنهم** » . والسياق لأبي سعيد ، كذا قال في روايته[٢] هذا الحديث .

وقد رواه أبو داود أيضًا عن خلف بن هشام ، عن أبي شهاب الخياط ، عن العلاء[٣] بن المسيب ، عن عمرو بن مرة ، عن سالم - وهو ابن عجلان الأفطس - عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود ، عن أبيه ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم بنحوه . ثم قال أبو داود : وكذا رواه خالد ، عن العلاء ، عن عمرو بن مرة به . ورواه المحاربي ، عن العلاء بن المسيب ، عن عبد الله بن عمرو بن مرة ، عن سالم الأفطس ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله(٥٩٩) .

قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي : وقد رواه خالد بن عبد الله الواسطي ، عن العلاء [بن المسيب][٤] ، عن عمرو بن مرة ، [عن أبي عبيدة][٥] ، عن أبي موسىٰ .

(٥٩٨) - تفسير ابن أبي حاتم (١١٨١/٤) (٦٦٦١) ، وانظر تخريج الحديث (٦٢٢) .
(٥٩٩) - سنن أبي داود (٤٣٣٧) ، وانظر الحديث (٦٢٢) .

[١] - في ز ، خ : « ولتطرنه » .
[٢] - في ت : « رواية » .
[٣] - في خ : « علي » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

والأحاديث في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة جدًّا، ولنذكر منها ما يناسب هذا المقام. قد تقدم حديث جرير[1] عند قوله: ﴿ **لولا ينهاهم الربانيون والأحبار** ﴾ وسيأتي عند قوله: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم** ﴾ حديثُ أبي بكر الصديق وأبي ثعلبة الخشني، فقال الإمام أحمد(٦٠٠) :

حدثنا سليمان الهاشمي، أنبأنا إسماعيل بن جعفر، أخبرني عمرو بن أبي عمرو، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأشهلي، عن حذيفة بن اليمان، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « **والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا من عنده، ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم** ».

ورواه الترمذي عن علي بن حجر، عن إسماعيل بن جعفر به. وقال: هذا حديث حسن.

وقال أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة(٦٠١) : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا معاوية ابن هشام، عن هشام بن سعد، عن عمرو بن عثمان، عن عاصم بن عمر بن عثمان، عن عروة، عن عائشة، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « **مروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم** ».

(٦٠٠) - رواه في مسنده (٥/٣٨٨، ٣٨٩)، ورواه الترمذي في الفتن، باب: ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حديث (٢١٦٩) قال: حدثنا علي بن حجر أخبرنا إسماعيل بن جعفر بهذا الإسناد نحوه، ورواه الترمذي أيضًا من طريق عبد العزيز بن محمد عن عمرو بن أبي عمرو به، وقال الترمذي: هذا حديث حسن. وعبد الله بن عبد الرحمن الأشهلي قال الحافظ في « التقريب »: مقبول. وقد ذكره ابن حبان في الثقات (٥/١٤) لكن قاعدته في توثيق المجاهيل معروفة، والحديث حسنه الألباني في صحيح الترمذي (١٧٦٢) فلعله حسنه لشواهده، والله أعلم. وقد تقدم الحديث في سورة آل عمران / الآية ١٠٤.

(٦٠١) - سنن ابن ماجه كتاب الفتن، باب: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، حديث (٤٠٠٤) وإسناده ضعيف؛ عاصم بن عمر بن عثمان قال ابن حجر في « التقريب »: مجهول. وعمرو بن عثمان هو ابن عثمان بن هانئ - انقلب اسمه في رواية أحمد في المسند فقال عثمان بن عمرو بن هانئ - قال عنه الحافظ في « التقريب »: مستور. والحديث رواه أحمد في مسنده (٦/١٥٩)، وابن حبان في صحيحه (١/٥٢٦) (٢٩٠)، وأبو يعلى في مسنده (٤٩١٤)، والبزار كما في كشف الأستار (٤/ ١٠٥، ١٠٦) (٣٣٠٤، ٣٣٠٥) من طريق عمرو بن عثمان بهذا الإسناد مطولاً، ووقع في رواية أحمد عثمان بن عمرو كما تقدم بيانه، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٢٦٩) وقال: « روى =

[١] - في خ: « جابر ».

تفرد به ، وعاصم هذا مجهول .

وفي الصحيح (٦٠٢) : من طريق الأعمش ، عن إسماعيل بن رجاء ، عن أبيه ، عن أبي سعيد ، وعن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **من رأىٰ منكم منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان** » . رواه مسلم .

وقال الإمام أحمد(٦٠٣) : حدثنا ابن نمير ، حدثنا سيف - هو ابن أبي سليمان - سمعت عدي بن [ ][١] عدي الكندي يحدث ، عن مجاهد ، قال : حدثني مولىٰ لنا ، أنه سمع جدي - يعني عدي بن عميرة - رضي اللَّه عنه - يقول : سمعت النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « **إن اللَّه لا يعذب العامة بعمل الخاصة ، حتىٰ يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون علىٰ أن ينكروه فلا ينكرونه**[٢] **، فإذا فعلوا ذلك عذب اللَّه الخاصة والعامة** » .

= ابن ماجه بعضه - رواه أحمد والبزار وفيه عاصم بن عمر أحد المجاهيل » .

(٦٠٢) - رواه مسلم في « صحيحه » في كتاب الإيمان ، باب : بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ، وأن الإيمان يزيد وينقص حديث (٧٩/٤٩) .

(٦٠٣) - رواه أحمد في مسنده (١٩٢/٤) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٧٠/٧) وقال : « رواه أحمد من طريقين : إحداها هذه والأخرى عن عدي بن عدي حدثني مولى لنا وهو الصواب ، وكذلك رواه الطبراني وفيه رجل لم يسم وبقية رجال أحد الإسنادين ثقات » .

قلت : الطريق الثانية التي ذكرها الهيثمي وصوبها رواها عبد الله بن المبارك في الزهد (١٣٥٢) ومن طريقه أحمد في مسنده (١٩٢/٤) ، والطبراني في الكبير (١٣٩/١٧) (٣٤٤) ، والبغوي في شرح السنة (١٤/ ٣٤٦) (٤١٥٥) عن سيف بن أبي سليمان قال : سمعت عدي بن عدي الكندي يقول : حدثني مولى لنا أنه سمع جدي يقول : سمعت رسول الله ﷺ فذكره . قلت : ومولى عدي هذا مجهول لا يعرف كما تقدم في كلام الهيثمي ، وقد ضعف الحديث العلامة الألباني في ضعيف الجامع (١٦٧٥) ، لكن قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٤/١٣) : أخرجه أحمد بسند حسن .

قلت : لعل الحافظ رحمه الله حسن هذا الحديث لشواهده فإن له شاهدًا من حديث العرس بن عميرة أخي عدي بن عميرة ، أخرجه الطبراني في الكبير (١٣٨/١٧) (٣٤٣) من حديث خالد بن يزيد عن عدي ابن عدي بن عميرة عن العرس بن عميرة الكندي مرفوعًا نحوه ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٧١/٧) وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات ، ورواه أبو داود في الملاحم ، باب : الأمر والنهي ، حديث (٤٣٤٥) من حديث مغيرة بن زياد الموصلي ، عن عدي بن عدي عن العرس بن عميرة مرفوعًا بلفظ : « إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرهها » ، وقال مرة : « أنكرها » كمن غاب عنها ، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها » . وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٣٦٥١) .

[١] - في ز : « أبي » . [٢] - في خ : « ينكروه » .

ثم رواه أحمد (٦٠٤) : عن أحمد بن الحجاج ، عن عبد الله بن المبارك ، عن سيف بن أبي سليمان ، عن عيسىٰ بن عدي الكندي[١] ، حدثني مولىً لنا ، أنه سمع جدي يقول : سمعت[٢] رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول[٣] ، فذكره ، هكذا رواه الإمام أحمد من هذين الوجهين .

وقال أبو داود(٦٠٥) : [حدثنا محمد][٤] بن[٥] العلاء ، حدثنا أبو بكر ، حدثنا المغيرة بن زياد الموصلي ، عن عدي بن عدي ، عن العرس - يعني : ابن عميرة - عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرهها** - وقال مرة : **فأنكرها - كان كمن غاب عنها ، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها** » .

تفرد به أبو داود ، ثم رواه عن أحمد بن يونس ، عن أبي شهاب ، عن مغيرة بن زياد ، عن عدي بن عدي مرسلًا .

و[٦] قال أبو داود(٦٠٦) : حدثنا سليمان بن حرب وحفص بن عمر ، قالا : حدثنا شعبة - وهذا لفظه - عن عمرو بن مرة ، عن أبي البختري ، قال : أخبرني من سمع النبي صلىٰ الله عليه وسلم - وقال سليمان : حدثني رجل من أصحاب النبي صلىٰ الله عليه وسلم : أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم - قال : « **لن يهلك الناس حتىٰ يَعذروا أو يُعذروا من أنفسهم** » .

وقال ابن ماجة (٦٠٧) : حدثنا عمران بن موسىٰ ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا علي بن زيد

---

(٦٠٤) - المسند (١٩٢/٤) ، وانظر السابق .

(٦٠٥) - رواه أبو داود في الملاحم ، باب الأمر والنهي حديث (٤٣٤٥) والرواية المرسلة عنده برقم (٤٣٤٦) ، والحديث حسنه الألباني في صحيح أبي داود رقم (٣٦٥١ ، ٣٦٥٢) ، وانظر الحديث رقم (٦٢٩) .

(٦٠٦) - سنن أبي داود كتاب الملاحم ، باب : الأمر والنهي ، حديث (٤٣٤٧) ، ورواه أحمد (٤/ ٢٦٠) ، (٢٩٣/٥) من طريق شعبة به . وجهالة الصحابي لا تضر فإن الصحابة جميعهم عدول . والحديث صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٦٥٣) .

(٦٠٧) - رواه في سننه كتاب الفتن ، باب : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حديث (٤٠٠٧) ، ورواه الترمذي في كتاب الفتن ، باب : ما جاء ما أخبر النبي ﷺ أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة حديث (٢١٩١) ، وعبد الرزاق (٢٠٧٢٠) (٣٤٦/١١ ، ٣٤٧) والطيالسي في مسنده (٢١٥٦) ، =

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٥] - في ت : « حدثنا » ، وفي ز ، خ : « أبو » .
[٦] - سقط من : ز .

ابن جدعان ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام خطيبًا ، فكان فيما قال : « **ألا لا يمنعن رجلًا هيبة الناس أن يقول الحق إذا علمه** » . قال : فبكى أبو سعيد وقال : قد والله رأينا أشياء فهبنا[١] .

وفي حديث إسرائيل ، [عن محمد بن جحادة][٢] ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر** »(٦٠٨) .

رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة ، وقال الترمذي : حسن غريب من هذا الوجه .

وقال ابن ماجة(٦٠٩) : حدثنا راشد بن سعيد الرملي ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا حماد

= وأبو يعلى (٢/٣٥٢ ، ٣٥٣) (١١٠١) ، والحاكم (٤/٥٠٦) من طريق علي بن زيد عن أبي نضرة به . وعلي بن زيد ضعيف لكن تابعه غير واحد على هذا الحديث فرواه الطيالسي (٢١٥١) وابن حبان في صحيحه (١/٥١١ ، ٥١٢) (٢٧٨) ، والبيهقي في الكبرى (١٠/٩٠) ، وأبو نعيم في الحلية (٣/٩٩) من طريق شعبة عن قتادة عن أبي نضرة به . وإسناده صحيح فإن رواية شعبة عن قتادة محمولة على السماع ، ورواه الطيالسي في مسنده (٢١٥٨) وأبو يعلى (٢/٤١٩) (١٢١٢) ، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٩٨ ، ٩٩) من طريق المستمر بن الريان عن أبي نضرة به ، ورواه الطبراني في الأوسط (٥/١٤٤ ، ١٤٥) (٤٩٠٦) ، والصغير (١/٢٥٨) من طريق سليمان التيمي عن أبي نضرة ، والحديث صححه العلامة الألباني في الصحيحة (١٦٨) .

(٦٠٨) - رواه أبو داود في الملاحم ، باب : الأمر والنهي ، حديث (٤٣٤٤) ، والترمذي في الفتن ، باب : ما جاء في أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر حديث (٢١٧٤) ، وابن ماجه في الفتن ، باب : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حديث (٤٠١١) ، والخطيب في تاريخ بغداد (٧/٢٣٨ ، ٢٣٩) من طريق إسرائيل قال : حدثنا محمد بن جحادة به . وفي إسناده عطية بن سعد العوفي وهو ضعيف لكن للحديث طريق أخرى رواها أحمد في مسنده (٣/ ١٩، ٦١) والحاكم (٤/٥٠٥ ، ٥٠٦) والحميدي في مسنده (٧٥٢) من طريق علي بن زيد بن جدعان عن أبي نضرة عن أبي سعيد ضمن حديث . وعلي بن زيد وإن ضعفه بعضهم إلّا أن حديثه قابل للتحسين في المتابعات ويشهد له حديث أبي أمامة التالي . وحديث طارق بن شهاب عند النسائي (٢/١٨٧) ، وأحمد (٤/٣١٥) قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : أي الجهاد أفضل ؟ قال : كلمة حق عند إمام جائر . وانظر الكلام على هذا الحديث وشواهده في السلسلة الصحيحة للعلامة الشيخ ناصر الدين الألباني رقم (٤٩١) .

(٦٠٩) - سنن ابن ماجه كتاب الفتن ، باب : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حديث (٤٠١٢) ، ورواه أحمد (٥/ ٢٥١، ٢٥٦) ، والطبراني في الكبير (٨/٣٣٨) (٨٠٨٠، ٨٠٨١) ، والروياني في مسنده (١١٧٩) (١١٨٢) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٧٥٨١) من حديث أبي غالب عن أبي أمامة به . قال الألباني في الصحيحة (١/٨٠٧) : هذا إسناد حسن ، وفي أبي غالب خلاف لا ينزل حديثه عن =

[١] - في ت : « فهبناها » . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

ابن سلمة ، عن أبي غالب ، عن أبي أمامة ، قال : عرض لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم رجل عند الجمرة [الأولىٰ ، فقال : يا رسول الله ، أي الجهاد أفضل ؟ فسكت عنه ، فلما رمىٰ الجمرة][١] الثانية سأله فسكت عنه ، فلما رمىٰ جمرة العقبة ووضع رجله في الغرز ليركب قال : « **أين السائل ؟** » قال : أنا يا رسول الله . قال : « **كلمة حق تقال عند ذي سلطان جائر** » . تفرد به .

وقال ابن ماجة(٦١٠) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا عبد الله بن نمير وأبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البختري ، عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لا يحقر أحدكم نفسه** » . قالوا : يا رسول الله ، كيف يحقر أحدنا نفسه ؟ قال : « **يرىٰ أمرًا لله فيه مقال ، ثم لا يقول فيه ، فيقول الله [له][٢] يوم القيامة : ما منعك أن تقول في[٣] كذا وكذا وكذا . فيقول : خشية الناس . فيقول : فإياي كنت أحق أن تخشىٰ[٤]** » . تفرد به .

وقال أيضًا(٦١١) : حدثنا علي بن محمد ، حدثنا محمد بن فضيل ، حدثنا يحيىٰ بن سعيد ، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن أبو طوالة ، حدثنا نهار العبدي ، أنه سمع أبا سعيد الخدري يقول : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **إن الله ليسأل العبد يوم القيامة حتىٰ يقول : ما منعك إذا رأيت المنكر أن تنكره ؟ فإذا لقن الله عبدًا حجته قال : يا رب ، رجوتك وفرقت من[٥] الناس** » . تفرد به أيضًا ابن ماجة ، وإسناده لا بأس به .

وقال الإمام أحمد (٦١٢) : حدثنا عمرو بن عاصم ، عن حماد[٦] بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن الحسن ، عن جندب ، عن حذيفة ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **لا**

= رتبة الحسن ، وحديثه هذا صحيح بشواهده . قلت : يشهد له حديث أبي سعيد ، وحديث طارق بن شهاب المتقدمان في الحديث السابق .

(٦١٠) - سنن ابن ماجه كتاب الفتن ، باب : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حديث (٤٠٠٨) . وقد تقدم تخريجه في تفسير هذه السورة الآية (٥٤) برقم (٥٥٠) .

(٦١١) - تقدم في تفسير الآية (٥٤) برقم (٥٥١) .

(٦١٢) - تقدم في تفسير الآية (٥٤) برقم (٥٥٢) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - سقط من خ .
[٣] - سقط من: ت.
[٤] - في ز : « يخشىٰ » .
[٥] - سقط من: ز ، خ.
[٦] - في ز ، خ: « خالد ».

ينبغي لمسلم أن يذل نفسه » . قيل : وكيف يذل نفسه ؟ قال : « **يتعرض من البلاء ما[١] لا يطيق** » .

وكذا رواه الترمذي وابن ماجة جميعًا عن محمد بن بشار ، عن عمرو بن عاصم به ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح[٢] غريب .

وقال ابن ماجة (٦١٣) : حدثنا العباس بن الوليد الدمشقي ، حدثنا زيد بن يحيىٰ بن عبيد الخزاعي ، حدثنا الهيثم بن حميد ، حدثنا أبو معبد حفص بن غيلان الرعيني ، عن مكحول ، عن أنس بن مالك ، قال : قيل : يا رسول الله : متىٰ يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ قال : « **إذا ظهر فيكم ما ظهر في الأمم قبلكم** » . قلنا : يا رسول الله ، وما ظهر في الأمم قبلنا ؟ قال : « **الملك في صغاركم ، والفاحشة في كباركم ، والعلم في رُذّالكم** » . قال زيد : تفسير معنىٰ قول النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **والعلم في رُذّالكم** » : إذا كان العلم في الفساق .

تفرد به ابن ماجة ، وسيأتي في حديث أبي ثعلبة عند قوله : ﴿ **لا يضركم من ضل إذا اهتديتم** ﴾ - شاهد لهذا إن شاء الله تعالىٰ وبه الثقة .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ترىٰ كثيرًا منهم يتولون الذين كفروا** ﴾ قال مجاهد : يعني بذلك المنافقين . وقوله : ﴿ **لبئس ما قدمت لهم أنفسهم** ﴾ يعني بذلك : موالاتهم للكافرين ، وتركهم موالاة المؤمنين ، التي أعقبتهم نفاقًا في قلوبهم ، وأسخطت الله عليهم سخطًا مستمرًا إلىٰ يوم معادهم ، ولهذا قال : ﴿ **أن سخط الله عليهم** ﴾ فسر بذلك ما ذمهم به ، ثم أخبر عنهم[٣] أنهم ﴿ **وفي العذاب هم[٤] خالدون** ﴾ يعني : يوم القيامة .

---

(٦١٣) - سنن ابن ماجه كتاب الفتن ، باب : قوله تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ﴾ حديث (٤٠١٥) ورواه أحمد في مسنده (١٨٧/٣) ثنا زيد بن يحيى الدمشقي قال : حدثنا أبو معبد فذكره . قال البوصيري في « مصباح الزجاجة » (٢٤٤/٣) : هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات .

قلت : رجاله ثقات لكن مكحول ذكره ابن حجر في المدلسين (ص ١٥٦) في المرتبة الثالثة وهي مرتبة من أكثر من التدليس فلم يحتج الأئمة من حديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع كما نص عليه في المقدمة ، وقد عنعن مكحول في هذا الإسناد ، وبه أعل العلامة الألباني الحديث في ضعيف ابن ماجه رقم (٨٧٠) .

---

[١] - في ت : « لما » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز : « هم » .

قال ابن أبي حاتم(٦١٤) : حدّثنا أبي ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا مسلمة[١] بن علي ، عن الأعمش بإسناد ذكره قال : « **يا معشر المسلمين ، إياكم والزنا ؛ فإن فيه ست خصال : ثلاثًا[٢] في الدنيا وثلاثًا[٣] في الآخرة ؛ فأما التي في الدنيا : فإنه يُذهب البهاء ، ويورث الفقر ، وينقص العمر ، وأما التي في الآخرة : فإنه يوجب سخط الرب ، وسوء الحساب ، والخلود في النار** » . ثم تلا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط اللَّه عليهم وفي العذاب هم خالدون** ﴾ .

هكذا ذكره ابن أبي حاتم ، وقد رواه ابن مردويه ، من طريق هشام بن عمار ، عن مسلمة[٤] ، عن الأعمش ، عن شقيق ، عن حذيفة ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فذكره ، وساقه أيضًا : من طريق سعيد بن عُفير ، عن مسلمة[٥] ، عن أبي عبد الرحمن الكوفي ، عن الأعمش ، عن شقيق ، عن حذيفة ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فذكر مثله .

وهذا حديث ضعيف علىٰ كل حال ، واللَّه أعلم .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء** ﴾ أي : لو آمنوا حق الإِيمان بالله والرسول والقرآن[٦] لما ارتكبوا ما ارتكبوه ؛ من موالاة الكافرين في الباطن ، ومعاداة المؤمنين بالله والنبي وما أنزل إليه [ما حذرهم أولياء][٧] ، ﴿ **ولكن كثيرًا منهم فاسقون** ﴾ أي : خارجون عن طاعة اللَّه ورسوله ، مخالفون لآيات وحيه وتنزيله.

---

(٦١٤) - تفسير ابن أبي حاتم (١١٨٣/٤) (٦٦٦٨) ، ورواه الخرائطي في مساوئ الأخلاق (٤٨٢) ، وابن عدي في الكامل (٢٣١٨/٦) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٤٧٥) ، والطبراني ومن طريقه أبو نعيم في حلية الأولياء (١١١/٤) من طريق مسلمة بن علي الخشني عن أبي عبد الرحمن الكوفي عن الأعمش عن شقيق عن حذيفة بن اليمان به مرفوعًا . وإسناده ضعيف مسلمة بن علي الخشني متروك كما قال الحافظ في « التقريب » ، ورواه الطبراني في الأوسط (٧٠٩٦) من طريق عمرو بن جميع عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس مرفوعًا بلفظ : « إياكم والزنا فإن فيه أربع خصال : يذهب البهاء عن الوجه ، ويقطع الرزق ، ويسخط الرحمن ، والخلود في النار » . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥٨/٦) وقال : فيه عمرو بن جميع وهو متروك . والحديث ضعفه الألباني في الضعيفة رقم (١٤٣) .

---

[١] - في ز ، خ : « مسلم » .
[٢] - في ز : « ثلاث » .
[٣] - في ز : « ثلاث » .
[٤] - في ز ، خ : « مسلم » .
[٥] - في ز ، خ : « مسلم » .
[٦] - في ز ، خ : « والفرقان » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : نزلت هذه الآيات في النجاشي وأصحابه ، الذين حين تلا عليهم جعفر بن أبي طالب بالحبشة القرآن بكوا حتىٰ أخضلوا لحاهم(٦١٥) . وهذا القول فيه نظر ؛ لأن هذه الآية مدنية وقصة جعفر مع النجاشي قبل الهجرة .

وقال سعيد بن جبير والسدي وغيرهما(٦١٦) : نزلت في وفد بعثهم النجاشي إلىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ؛ ليسمعوا كلامه ويروا صفاته ، فلما رأوه[١] و[٢] قرأ عليهم [النبي صلى الله عليه وسلم][٣] القرآن أسلموا وبكوا وخشعوا ، ثم رجعوا إلىٰ النجاشي فأخبروه . قال السدّي : فهاجر النجاشي فمات في الطريق .

وهذا من أفراد السدي ، فإن النجاشي مات وهو ملك الحبشة ، وصلىٰ عليه النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم يوم مات ، وأخبر به أصحابه ، وأخبر أنه مات بأرض الحبشة .

---

(٦١٥) - رواه ابن جرير في تفسيره (٤٩٩/١٠ ، ٥٠٠) (١٢٣١٧) وابن أبي حاتم (١١٨٤/٤) (٦٦٧٧) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٣٨/٢) وزاد نسبته لابن مردويه .

(٦١٦) - رواه ابن جرير في تفسيره (٥٠٥/١٠) (١٢٣٢٣) ، وابن أبي حاتم (١١٨٥/٤) (٦٦٧٩) عن سعيد بن جبير ، وأمّا الرواية عن السدي فأخرجها ابن جرير في تفسيره (٥٠٧/١٠) (١٢٣٢٥) وابن أبي حاتم (١٢٣٢٥) .

---

[١] - سقط من: ز ، خ. [٢] - سقط من : ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

ثم اختلف في عدة هذا الوفد ؛ فقيل : اثنا عشر ؛ سبعة قساوسة[١] ، وخمسة رهابين . وقيل : بالعكس . وقيل : خمسون . وقيل : بضع وستون . وقيل : سبعون رجلًا . فاللَّه أعلم .

وقال عطاء بن أبي رباح : هم قوم من أهل الحبشة أسلموا حين قدم عليهم مهاجرة الحبشة من المسلمين(٦١٧) . وقال قتادة : هم قوم كانوا علىٰ دين عيسىٰ ابن مريم ، فلما رأوا المسلمين وسمعوا القرآن أسلموا ولم يتلعثموا(٦١٨) . واختار ابن جرير أن هذه الآيات[٢] نزلت في صفة أقوام بهذه المثابة سواء كانوا من الحبشة أو غيرها .

فقوله تعالىٰ : ﴿ لتجدنَّ أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ﴾ وما ذاك إلا لأن كفر اليهود عناد وجحود ، ومباهتة للحق ، وغمط[٣] للناس ، وتنقص بحملة العلم ؛ ولهذا قتلوا كثيرًا من الأنبياء ، حتىٰ هموا بقتل [رسول اللَّه][٤] صلىٰ اللَّه عليه وسلم غير مرة ، وسموه[٥] وسحروه ، وألبوا عليه أشباههم من المشركين ، عليهم لعائن اللَّه المتتابعة[٦] إلىٰ يوم القيامة .

وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه عند تفسير هذه الآية(٦١٩) : حدثنا أحمد بن محمد بن السري ، حدثنا محمد بن علي بن حبيب الرقي ، حدثنا علي بن سعيد العلاف ، حدثنا أبو

---

(٦١٧) - تفسير ابن جرير (٥٠١/١٠) (١٢٣١٩) .

(٦١٨) - رواه ابن جرير في تفسيره (٥٠١/١٠) (١٢٣٢٠) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٣٩/٢) وعزاه لأبي الشيخ وعبد بن حميد .

(٦١٩) - رواه الديلمي في « مسند الفردوس » - كما في حاشية الفردوس (١٠٨/٤) رقم (٦٣٤٠) وابن حبان في المجروحين (١٢٢/٣) من طريق يحيى بن عبد الله بن موهب التيمي به . ويحيى بن عبيد قال ابن حبان : يروى عن أبيه ما لا أصل له وأبوه ثقة ، فلما كثر روايته عن أبيه ما ليس من حديثه سقط عن حد الاحتجاج به وكان سيئ الصلاة وكان ابن عيينة شديد الحمل عليه . وللحديث طريق آخر رواه الخطيب في تاريخه (٣١٦/٨) من طريق خالد بن يزيد بن وهب بن جرير حدثني أبي : يزيد بن وهب حدثني أبي : وهب بن جرير بن حازم عن أبيه جرير بن حازم عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة نحو رواية ابن مردويه الثانية ، وقال الخطيب : « هذا غريب جدًّا » وخالد بن يزيد لم يذكر فيه الخطيب جرحًا ولاتعديلًا وقال الذهبي في الميزان : أتى بخبر منكر . ويزيد بن وهب لم أقف على ترجمته والحديث عزاه العجلوني في كشف الخفاء (٢٦٧/٢) للثعلبي .

---

[١] - في ز : « قساقسة » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز ، خ : « وغيظ » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « الرسول » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « التابعة » .

النضر ، عن الأشجعي ، عن سفيان ، عن يحيىٰ بن عبد الله ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما خلا يهودي [بمسلم قط] إلا هم بقتله** » . ثم رواه عن محمد بن أحمد بن إسحاق اليشكري ، حدثنا أحمد بن سهل بن أيوب الأهوازي ، حدثنا فرج بن عبيد ، حدثنا عباد بن العوام ، عن يحيىٰ بن عبيد الله ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما خلا يهودي بمسلم إلا حدّثته[١] نفسه بقتله** » .

وهذا حديث غريب جدًّا .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ولتجدن أقربهم مودّة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارىٰ** ﴾ أي : الذين زعموا أنهم نصارىٰ من أتباع المسيح وعلىٰ منهاج إنجيله - فيهم مودة للإسلام وأهله في الجملة ، وما ذاك[٢] إلا لما في قلوبهم إذ كانوا علىٰ دين المسيح من الرقة والرأفة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة** ﴾ ، وفي كتابهم : من ضربك علىٰ خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر. و[٣] ليس القتال مشروعًا في ملتهم ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانًا وأنهم لا يستكبرون** ﴾ أي : يوجد فيهم القسيسون وهم خطباؤهم وعلماؤهم ، واحدهم قسيس وقس أيضًا ، وقد يجمع علىٰ قسوس ، والرهبان : جمع راهب ، وهو العابد مشتق من الرهبة وهي[٤] الخوف ، كراكب وركبان وفارس وفرسان .

قال ابن جرير(٦٢٠) : وقد يكون الرهبان واحدًا وجمعه رهابين ، مثل قربان وقرابين ، [وجردان وجرادين][٥] ، وقد يجمع علىٰ رهابنة ، ومن الدليل علىٰ أنه يكون عند العرب واحدًا قول[٦] الشاعر :

لو عاينت رهبان دير في القلل لانحدر الرهبان يمشي ونزل

وقال الحافظ أبو بكر البزار(٦٢١) : حدثنا بشر بن آدم ، حدثنا نصير بن أبي الأشعث ، حدثني

---

(٦٢٠) - انظر تفسير الطبري (١٠/٨٢) .

(٦٢١) - البحر الزخار (٦/٤٩٩) (٢٥٣٧) ، ورواه ابن أبي شيبة في مسنده (٤٦٥) والبخاري في التاريخ الكبير (٨/١١٦) ، وأبو عبيد في فضائل القرآن (ص ١٧٠) والحارث بن أبي أسامة ، في « مسنده » بغية الباحث (٢/٧٢٠) (٧١٠) والطبراني في الكبير (٦/٢٦٦) (٦١٧٥) وابن أبي حاتم في تفسيره =

---

[١] - في ز : « حدثت » .
[٢] - في ز : « ذا » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « هو » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « جوذان و جواذين » ، خ : « وجوزان وجوازين » .
[٦] - في ت : « كقول » .

الصلت الدهان ، عن حامية[١] بن رئاب ، قال : سألت سلمان عن قول الله تعالىٰ : ﴿ **ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانًا** ﴾ فقال : دع القسيسين في البيع والخرب ، أقرأني رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ذلك بأن منهم صديقين ورهبانًا** » .

وكذا رواه ابن مردويه : من طريق يحيىٰ بن عبد الحميد[٢] الحماني ، عن نصير بن زياد الطائي ، عن صلت الدهان ، عن حامية بن رئاب ، [عن سلمان به .

وقال ابن أبي حاتم(٦٢٢) : ذكره أبي ، حدثنا يحيىٰ بن عبد الحميد الحماني ، حدثنا نصير بن زياد الطائي ، حدثنا صلت الدهان ، عن حامية بن رئاب][٣] ، قال : سمعت سلمان وسئل عن قوله : ﴿ **ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانًا** ﴾ فقال : هم الرهبان الذين هم في الصوامع والخرب فدعوهم فيها . قال سلمان : وقرأت علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **ذلك بأن منهم قسيسين** ﴾ فأقرأني « **ذلك بأن منهم صديقين ورهبانًا** » .

فقوله : ﴿ **ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانًا وأنهم لا يستكبرون** ﴾ تضمن وصفهم بأن فيهم العلم والعبادة والتواضع ، ثم وصفهم بالانقياد للحق واتباعه والإنصاف ، فقال : ﴿ **وإذا سمعوا ما أنزل إلىٰ الرسول ترىٰ أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق** ﴾ أي : مما عندهم من البشارة ببعثة محمد صلىٰ الله عليه وسلم ، ﴿ **يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين** ﴾ أي : مع من يشهد بصحة هذا ويؤمن به .

وقد روىٰ النسائي عن عمرو بن علي الفلاس ، عن عمر[٤] بن علي بن مقدم ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، قال : نزلت هذه الآية في النجاشي وفي أصحابه :

= (١١٨٣/٤) (٦٦٧١) من طريق نصير بن زياد به . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٠/٧) : رواه الطبراني وفيه يحيى الحماني ونصير بن زياد وكلاهما ضعيف .

و(نصير بن أبي الأشعث) كذا عند البزار وعند الباقين نصير بن زياد الطائي وقد ذكره البخاري في «التاريخ » وابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلًا . وحامية بن رئاب لم يذكر فيه البخاري وابن أبي حاتم جرحًا ولا تعديلًا وذكره ابن حبان في الثقات (١٩١/٤) والحديث ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٣٩/٢) وزاد نسبته لعبد بن حميد ، والحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » وابن الأنباري في « المصاحف » وابن المنذر وابن مردويه .

(٦٢٢) - تفسير ابن أبي حاتم (١١٨٣/٤) (٦٦٧١) ، وانظر الحديث (٦٤٨) .

[١] - في ز : « حائمة » ، خ : « حاتمة » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - في ز ، خ : « عمرو » .

﴿ وإذا سمعوا ما أنزل إلىٰ الرسول ترىٰ أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ﴾(٦٢٣) .

وقال الطبراني(٦٢٤) : حدثنا أبو شبيل [عبيد الله بن عبد الرحمن][١] بن واقد ، حدثنا أبي ، حدثنا العباس بن الفضل ، عن عبد الجبار بن نافع الضبي ، عن قتادة وجعفر بن إياس ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله[٢] : **﴿ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع ﴾** . قال إنهم كانوا نواتين[٣] - يعنى : ملاّحين[٤] - قدموا مع جعفر بن أبي طالب من الحبشة ، فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم[٥] القرآن آمنوا ، وفاضت أعينهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لعلكم إذا رجعتم إلى أرضكم انتقلتم إلى دينكم** » . فقالوا : لن ننتقل عن ديننا . فأنزل الله ذلك من قولهم .

وروىٰ ابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم في مستدركه(٦٢٥) : من طريق سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : **﴿ فاكتبنا مع الشاهدين ﴾** أي : مع محمد صلىٰ الله

(٦٢٣) - رواه النسائي في الكبرى كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع ﴾ حديث (١١١٤٨) ، وفي التفسير رقم (١٦٨) ورواه ابن جرير في تفسيره (١٠/٥٠٨) (١٢٣٢٦) وابن أبي حاتم (٤/١١٨٥) (٦٦٨٠) عن عمرو بن علي الفلاس به . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/٥٣٧) وزاد نسبته لابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه والطبراني ، ورواه البزار كما في كشف الأستار (٢٧٥٨) عن محمد بن عثمان ثنا محمد بن عبد الرحمن الطفاوي أو عمر بن علي عن هشام به . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٤١٩) : رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عثمان بن بحر وهو ثقة . قلت : بل هو صدوق من رجال التهذيب .

(٦٢٤) - المعجم الكبير (١٢/٥٥) (١٢٤٥٥) ، والأوسط (٤٦٣٩) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢١) : فيه العباس بن الفضل الأنصاري وهو ضعيف .

قلت : العباس هذا له ترجمة في « التقريب » قال فيه الحافظ ابن حجر : متروك ، واتهمه أبو زرعة ، وقال ابن حبان : حديثه عن البصريين أرجى من حديثه عن الكوفيين .

(٦٢٥) - رواه ابن أبي حاتم (٤/١١٨٥) (٦٦٨١) والحاكم في مستدركه (٢/٣١٣) وقال الحاكم : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي ، ورواه أيضًا ابن جرير في تفسيره (١٠/٥٠٩) (١٢٣٣٠) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/٥٤٣) وزاد نسبته لابن المنذر وابن مردويه .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « عبيد الله بن عبد الله » ، خ : « عبد الله بن عبد الله » .

[٢] - في ز : « قول الله » .

[٣] - في ز ، خ : « قرابين » . والمثبت من الطبري . [٤] - في ز ، خ : فلاحين والمثبت من الطبري .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

عليه وسلم ، وأمته و[١]هم الشاهدون : يشهدون لنبيهم صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه قد بلغ وللرسل أنهم قد بلغوا . ثم قال الحاكم : صحيح الإِسناد ولم يخرجاه .

﴿ وما لنا لا نؤمن باللَّه وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ﴾ . وهذا الصنف من النصارىٰ هم المذكورون في قوله تعالىٰ : **﴿ وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين للّه لا يشترون بآيات الله ثمنًا قليلًا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب ﴾** . وهم الذين قال اللَّه فيهم : **﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلىٰ عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين ﴾** [إلىٰ قوله][٢] : **﴿ لا نبتغي الجاهلين ﴾** ، ولهذا قال تعالىٰ هاهنا : **﴿ فأثابهم اللَّه بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾** أي : فجازاهم علىٰ إيمانهم وتصديقهم واعترافهم بالحق **﴿ جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ﴾** أي : ساكنين فيها أبدًا لا يحولون ولا يزولون **﴿ وذلك جزاء المحسنين ﴾** أي : في اتباعهم الحق وانقيادهم له حيث كان وأين كان ومع من كان .

ثم أخبر عن حال الأشقياء فقال : **﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا ﴾** أي : جحدوا بها وخالفوها **﴿ أولئك أصحاب الجحيم ﴾** أي : هم أهلها والداخلون فيها[٣] .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : نزلت هذه الآية في رهط من أصحاب النبي صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم ، قالوا : نقطع مذاكيرنا ، ونترك شهوات الدنيا ، ونسيح في الأرض كما يفعل الرهبان . فبلغ ذلك النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فأرسل إليهم ، فذكر لهم ذلك . فقالوا : نعم . فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأنام ، وأنكح النساء ، فمن أخذ بسنتي فهو مني ، ومن لم يأخذ بسنتي فليس مني** » . رواه ابن أبي حاتم(٦٢٦) .

---

(٦٢٦) - تفسير ابن أبي حاتم (١١٨٧/٤) (٦٦٨٩) ، ورواه أيضًا ابن جرير (٥١٨/١٠) (١٢٣٤٦) =

---

[١] - سقط من ت .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز . [٣] - في ز : « إليها » .

وروىٰ ابن مردويه : من طريق العوفي ، عن ابن عباس نحو ذلك [٦٢٧] .

وفي الصحيحين[٦٢٨] : عن عائشة رضي اللّٰه عنها : أن ناسًا من أصحاب رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم سألوا أزواج النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم عن عمله في السر ، فقال بعضهم : لا آكل اللحم ، وقال بعضهم : لا أتزوج النساء ، وقال بعضهم : لا أنام علىٰ فراش . فبلغ ذلك النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فقال : « **ما بال أقوام يقول أحدهم كذا وكذا ، لكني أصوم وأفطر ، وأنام وأقوم ، وآكل اللحم ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني** » .

وقال ابن أبي حاتم[٦٢٩] : حدثنا أحمد بن عصام الأنصاري ، حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد ، عن عثمان يعني : ابن سعد - أخبرني عكرمة ، عن ابن عباس : أن رجلًا أتىٰ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقال : يا رسول اللّٰه ، إني إذا أكلت اللحم انتشرت للنساء ، وإني حرمت عليَّ اللحم . فنزلت : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل اللّٰه لكم** ﴾ .

وكذا رواه الترمذي وابن جرير جميعًا : عن عمرو بن علي الفلاس ، عن أبي عاصم النبيل به . وقال : حسن غريب . وقد روي من وجه آخر مرسلًا ، وروي موقوفًا علىٰ ابن عباس ، فاللّٰه أعلم .

وقال سفيان الثوري ووكيع : عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن عبد اللّٰه بن مسعود ، قال : كنا نغزو مع النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وليس معنا نساء ، فقلنا : ألا نستخصي ، فنهانا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وعلىٰ آله وسلم عن ذلك ، ورخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلىٰ أجل ، ثم قرأ عبد اللّٰه : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما**

= من طريق علي بن أبي طلحة به . وفي سماع علي من ابن عباس رضي الله عنه خلاف تقدم بيانه في تفسير سورة البقرة وغيرها . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٤٤/٢) وزاد نسبته لابن مردويه .

(٦٢٧) - ورواه أيضًا ابن جرير في تفسيره (٥١٨/١٠) (١٢٣٤٧) .

(٦٢٨) - انظر الدر المنثور (٥٤٤/٢) ، ومسلم (٢٥٠/٩) (١٤٠١) .

(٦٢٩) - تفسير ابن أبي حاتم (١١٨٦/٤) (٦٦٨٧) ، ورواه الترمذي في تفسير القرآن ، باب : ومن سورة المائدة حديث (٣٠٥٤) ، وابن جرير (٥٢٠/١٠) (١٢٣٥٠) ، والطبراني في الكبير (٣٥٠/١١) (١١٩٨١) وابن عدي في الكامل (١٨١٧/٥) ، والواحدي في « أسباب النزول »ص ٢٠٧ رقم (٤١٠) كلهم من طريق أبي عاصم النبيل به . قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب .

قلت : في إسناده عثمان بن سعد الكاتب قال الحافظ في « التقريب » : ضعيف . وللحديث علة أخرى قال الترمذي : رواه بعضهم عن عثمان بن سعد مرسلًا ، ليس فيه عن ابن عباس ، ورواه خالد الحذاء عن عكرمة مرسلًا . والحديث ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٤٤/٢) وزاد نسبته لابن مردويه .

أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾ .

أخرجاه من حديث إسماعيل(٦٣٠) ، وهذا كان قبل تحريم نكاح المتعة ، والله أعلم .

وقال الأعمش : عن إبراهيم ، عن همام بن الحارث ، عن عمرو بن شرحبيل ، قال : جاء معقل بن مقرن إلىٰ عبد الله بن مسعود ، فقال : إني حرمت فراشي ، فتلا هذه الآية : **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾**(٦٣١) .

وقال الثوري : عن منصور ، عن أبي الضحىٰ ، عن مسروق ، قال : كنا عند عبد الله بن مسعود فجيء بضرع فتنحىٰ رجل ، فقال له[١] عبد الله : ادن . فقال : إني حرمت أن آكله . فقال عبد الله : ادن ، فاطعَم وكفر عن يمينك ، وتلا هذه الآية : **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ﴾**(٦٣٢) الآية .

رواهن ابن أبي حاتم ، وروىٰ الحاكم هذا الأثر الأخير في مستدركه : من طريق إسحاق بن راهويه ، عن جرير ، عن[٢] منصور به ، ثم قال : علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه .

ثم قال ابن أبي حاتم(٦٣٣) : حدثنا يونس بن عبد الأعلىٰ ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني هشام

(٦٣٠) - رواه البخاري في التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ﴾ حديث (٤٦١٥) ، وفي النكاح ، باب : تزويج المعسر الذي معه القرآن والإسلام ، حديث (٥٠٧١) ، وباب : ما يكره من التبتل والخصاء ، حديث (٥٠٧٥) ، ومسلم في كتاب النكاح ، باب : نكاح المتعة وبيان أنه أبيح ثم نسخ ... حديث (١٤٠٤) من طرق عن إسماعيل بن أبي خالد به .

(٦٣١) - رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١١٨٧/٤) (٦٦٩٠) ، حدثنا أحمد بن عفان ثنا أبو معاوية بن نهر عن الأعمش فذكره . ورواه الطبراني في الكبير (٣٩٧/٩) (٩٦٩٢) من طريق إبراهيم عن همام بن الحارث به . ورواه أيضًا برقم (٩٦٩٣) عن إبراهيم عن همام ولم يذكر في الإسناد عمرو بن شرحبيل . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٧٧/٦) وقال : رواه الطبراني بأسانيد ، ورجال هذا وغيره رجال الصحيح . وذكره أيضًا السيوطي في الدر المنثور (٥٤٧/٢) وزاد نسبته لابن سعد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن جرير .

(٦٣٢) - رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١١٨٧/٤) (٦٦٩١) حدثنا أسيد بن عاصم ثنا الحسين بن حفص ثنا سفيان به . ورواه الطبراني في الكبير (٢٠٦/٩) (٨٩٠٧) من طريق أبي نعيم ثنا سفيان به مختصرًا . ورواه الحاكم (٣١٤/٢) من طريق جرير عن منصور به . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٩٣/٤) وقال : رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح .

(٦٣٣) - تفسير ابن أبي حاتم (١١٨٧/٤) (٦٦٩٢) ، ورواه أيضًا ابن جرير في تفسيره =

[١] - سقط من : خ . [٢] - في ز : « بن » .

ابن سعد ، أن زيد بن أسلم حدثه : أن عبد اللّٰه بن رواحة ضافه[١] ضيف[٢] من أهله وهو عند النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، ثم رجع إلىٰ أهله فوجدهم لم يطعموا ضيفهم انتظارًا له ، فقال لامرأته : حبست ضيفي من أجلي هو عليَّ حرام . فقالت امرأته : هو عليَّ حرام . وقال الضيف : هو عليَّ حرام . فلما رأىٰ ذلك وضع يده وقال : كلوا بسم اللّٰه . ثم ذهب إلىٰ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فذكر الذي كان منهم ، ثم أنزل اللّٰه : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل اللّٰه لكم** ﴾ . وهذا أثر منقطع .

وفي صحيح البخاري في قصة الصديق مع أضيافه شبيه بهذا ، وفيه وفي هذه القصة دلالة لمن ذهب من العلماء كالشافعي وغيره : إلىٰ أن من حرم مأكلًا أو ملبسًا أو شيئًا ما عدا النساء أنه لا يحرم عليه ، ولا كفارة عليه أيضا ، ولقوله تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل اللّٰه لكم** ﴾ ؛ ولأن الذي حرم اللحم علىٰ نفسه كما في الحديث المتقدم لم يأمره النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بكفارة ، وذهب آخرون منهم الإمام أحمد بن حنبل : إلىٰ أن من حرم مأكلًا أو مشربًا [أو ملبسًا][٣] أو شيئًا من الأشياء فإنه يجب عليه بذلك كفارة يمين ، كما إذا التزم تركه باليمين ، فكذلك يؤاخذ بمجرد تحريمه علىٰ نفسه إلزامًا له بما التزمه ، كما أفتىٰ بذلك ابن عباس ، وكما في قوله تعالىٰ : ﴿ **يا أيها النبي لم تحرم ما أحل اللّٰه لك تبتغي مرضات أزواجك واللّٰه غفور رحيم** ﴾ ثم قال : ﴿ **قد فرض اللّٰه لكم تحلة أيمانكم** ﴾ الآية . وكذلك هٰهنا لما ذكر هذا الحكم عقبه بالآية المبينة لتكفير اليمين ، فدل علىٰ أن هذا منزل منزلة اليمين في اقتضاء التكفير ، واللّٰه أعلم .

وقال ابن جرير(٦٣٤) : حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : أراد رجال منهم عثمان بن مظعون وعبد اللّٰه بن عمرو ، أن يتبتلوا ، ويخصوا أنفسهم ، ويلبسوا المسوح ، فنزلت هذه الآية إلىٰ قوله : ﴿ **واتقوا اللّٰه الذي أنتم به مؤمنون** ﴾ . قال ابن جريج ، عن عكرمة : إن عثمان بن مظعون وعلي بن أبي طالب وابن مسعود والمقداد بن الأسود وسالمًا مولىٰ أبي حذيفة في أصحاب تبتلوا ، فجلسوا في البيوت ،

= (١٠/٥١٩ ، ٥٢٠) (١٢٣٤٩) قال : حدثني يونس بن عبد الأعلى فذكره . وهو مرسل فإن زيد بن أسلم لم يلق ابن رواحة ولا شهد القصة فإنه من الطبقة الثالثة من رجال التقريب .

(٦٣٤) - تفسير الطبري (١٠/٥١٩) (١٢٣٤٨) وذكر السيوطي في الدر المنثور (٢/٥٤٦) قول مجاهد وزاد نسبته لأبي الشيخ . ثم ذكر قول عكرمة وزاد نسبته لابن المنذر وأبي الشيخ .

---

[١] - في ز : « أضافه » . [٢] - في ز : « ضيفًا » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز . [٤] - في ز : هنا .

واعتزلوا النساء ، ولبسوا المسوح ، وحرموا طيبات[١] الطعام واللباس ، إلا ما يأكل ويلبس أهل السياحة من بني إسرائيل ، وهموا بالإخصاء ، وأجمعوا لقيام الليل وصيام النهار ، فنزلت [هذه الآية][٢] : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين** ﴾ يقول : لا تسيروا بغير سنة المسلمين ، يريد ما حرموا من النساء والطعام واللباس ، وما أجمعوا له من قيام الليل وصيام النهار ، وما هموا به من الإخصاء ، فلما نزلت فيهم بعث إليهم[٣] رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال : « **إن لأنفسكم حقًّا وإن لأعينكم حقًّا ، صوموا وأفطروا ، وصلوا وناموا ، فليس منا من ترك سنتنا** » . فقالوا : اللهم سلمنا واتبعنا ما أنزلت .

وقد ذكر هذه القصة غير واحد من التابعين مرسلة ، ولها شاهد في الصحيحين من رواية عائشة أم المؤمنين ، كما تقدم ذلك ولله الحمد والمنة(٦٣٥) .

وقال أسباط : عن السدّي في قوله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين** ﴾ : وذلك أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم جلس يومًا فذكّر الناس ، ثم قام ولم يزدهم علىٰ التخويف ، فقال ناس من أصحاب النبي صلىٰ الله عليه وسلم - كانوا عشرة ، منهم : علي بن أبي طالب ، وعثمان بن مظعون - : ما حقنا إن لم نحدث عملًا ، فإن النصارىٰ قد حرموا علىٰ أنفسهم فنحن نحرم . فحرم بعضهم أن يأكل اللحم والودك وأن يأكل بالنهار ، وحرم بعضهم النوم ، وحرم بعضهم النساء ، فكان عثمان ابن مظعون ممن حرم النساء ؛ فكان[٤] لا يدنو من أهله ولا تدنو منه ، فأتت امرأته عائشة رضي الله عنها وكان يقال لها : الحولاء ، فقالت لها[٥] عائشة ومن عندها من أزواج النبي صلىٰ الله عليه وسلم : ما بالك يا حولاء متغيرة اللون ، لا تمتشطين ولا تتطيبين ؟ فقالت : وكيف أمتشط وأتطيب وما وقع عليَّ زوجي وما رفع عني[٦] ثوبًا منذ كذا وكذا ! قال : فجعلن يضحكن من كلامها ، فدخل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وهن يضحكن ، فقال : « **ما يضحككن ؟** » . قالت : يا رسول الله ، إن الحولاء سألتها[٧] عن أمرها ، فقالت : ما رفع عني زوجي ثوبا منذ كذا وكذا . فأرسل إليه فدعاه ، فقال : « **ما لك يا**

(٦٣٥) - تقدم حديث عائشة برقم (٦٥٥) .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « وكان » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في خ : « علي » .
[٧] - في ز : « سألنها » .

عثمان ؟ » قال : إني تركته لله ، لكي أتخلىٰ للعبادة . وقص عليه أمره ، وكان عثمان قد[١] أراد أن يجب نفسه ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أقسمت عليك[٢] إلا رجعت فواقعت أهلك** » . فقال : يا رسول الله ، إني صائم . فقال : « **أفطر** » . فأفطر وأتىٰ أهله ، فرجعت الحولاء إلىٰ عائشة وقد امتشطت واكتحلت وتطيبت ، فضحكت عائشة وقالت : ما لك يا حولاء ؟ فقالت : إنه أتاها أمس . وقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما بال أقوام حرموا النساء والطعام والنوم ، ألا إني أنام وأقوم ، وأفطر وأصوم ، وأنكح النساء ، فمن رغب عني فليس مني** » . فنزلت : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا** ﴾ يقول لعثمان : لا تجبَّ نفسك ؛ فإن هذا هو الاعتداء[٣] ، وأمرهم أن يكفروا عن[٤] أيمانهم ، فقال : ﴿ **لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان** ﴾ . رواه[٥] ابن جرير(٦٣٦) .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ولا تعتدوا** ﴾ يحتمل أن يكون المراد منه : ولا تبالغوا في التضييق علىٰ أنفسكم بتحريم[٦] المباحات عليكم ، كما قاله من قاله من السلف ، ويحتمل أن يكون المراد : كما لا تحرموا الحلال فلا تعتدوا في تناول الحلال ، بل خذوا منه بقدر كفايتكم وحاجتكم ، ولا تجاوزوا الحد فيه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين** ﴾ . وقال : ﴿ **والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قوامًا** ﴾ فشرع الله عدل بين الغالي فيه والجافي[٧] عنه ، لا إفراط ولا تفريط ؛ ولهذا قال : ﴿ **لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **وكلوا مما رزقكم الله حلالًا طيبًا** ﴾ أي : في حال كونه حلالًا طيبًا ﴿ **واتقوا الله** ﴾ أي : في جميع أموركم ، واتبعوا طاعته ورضوانه ، واتركوا مخالفته[٨] وعصيانه ، ﴿ **واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون** ﴾ .

لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ

(٦٣٦) - تفسير الطبري (١٠/٥١٧) (١٢٣٤٥) .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في خ : « الاعتذار » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز : « ورواه » .
[٦] - في ز : « في تحريم » .
[٧] - في ز : « الحاني » .
[٨] - في ز ، خ : « محارمه » .

فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٨٩﴾

و[١] قد تقدم الكلام على اللغو في اليمين في سورة البقرة بما أغنى عن إعادته هاهنا ولله الحمد والمنة . وأنه قول الرجل في الكلام من غير قصد : لا والله ، وبلى والله . وهذا مذهب الشافعي[٢] ، وقيل : هو في الهزل ، وقيل : في المعصية ، وقيل : على غلبة الظن ، وهو قول أبي حنيفة وأحمد . وقيل : اليمين في الغضب . وقيل : في النسيان . وقيل : هو الحلف على ترك المأكل والمشرب والملبس ونحو ذلك ، واستدلوا بقوله : ﴿ **لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم** ﴾ .

والصحيح : أنه اليمين من غير قصد ، بدليل قوله : ﴿ **ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان** ﴾ أي : بما صممتم عليه [من الأيمان][٣] وقصدتموها ﴿ **فكفارته إطعام عشرة مساكين** ﴾ يعني : محاويج من الفقراء ومن لا يجد ما يكفيه .

وقوله : ﴿ **من أوسط ما تطعمون أهليكم** ﴾ قال ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة : أي : من أعدل ما تطعمون أهليكم (٦٣٧) .

[وقال عطاء الخراساني : من أمثل ما تطعمون أهليكم (٦٣٨)][٤] .

قال ابن أبي حاتم(٦٣٩) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن حجاج ، عن أبي إسحاق السبيعي ، عن الحارث ، عن علي ، قال : خبز ولبن ، وخبز[٥] وسمن .

(٦٣٧) - رواه ابن أبي حاتم (١١٩٢/٤) (٦٧١٧) عن سعيد بن جبير وقال : وروى عن ابن عباس وعكرمة نحو ذلك وإسناده إلى سعيد بن جبير فيه عبد الله بن لهيعة وهو ضعيف .

(٦٣٨) - رواه ابن أبي حاتم (١١٩٢/٤) (٦٧١٧م) من طريق عثمان بن عطاء عن أبيه ، وعثمان ضعيف كما قال الحافظ في « التقريب » .

(٦٣٩) - تفسير ابن أبي حاتم (١١٩٢/٤) (٦٧١٩) وفي إسناده الحارث الأعور وهو ضعيف ، ورواه أيضًا ابن جرير في تفسيره (٥٣٤/١٠) (١٢٣٩١) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٥٣/٢) وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر .

[١] - سقط من : ز . [٢] - في خ : « ثاني » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في م : « منها » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٥] - في ز : « خبز » ، خ : « وخمر » .

وقال ابن أبي حاتم(٦٤٠) : أنبأنا يونس بن عبد الأعلىٰ قراءة ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن سليمان - يعني : ابن أبي المغيرة - ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كان الرجل يقوت بعض[١] أهله قوت دون ، وبعضهم قوتًا فيه سعة ، فقال الله تعالىٰ : ﴿ **من أوسط ما تطعمون أهليكم** ﴾ أي[٢] : من[٣] الخبز والزيت .

وحدثنا أبو سعيد الأشج : عن[٤] وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر ، عن ابن عباس : ﴿ **من أوسط ما تطعمون أهليكم** ﴾ قال : من عسرهم ويسرهم(٦٤١) .

وحدثنا عبد الرحمن بن خلف الحمصي ، حدثنا محمد بن شعيب - يعني : ابن شابور - حدثنا شيبان بن عبد الرحمن التميمي ، عن ليث بن أبي سليم ، عن عاصم الأحول ، عن رجل يقال له : عبد الرحمن التميمي[٥] ، عن ابن عمر رضي الله عنه ، أنه قال : ﴿ **من أوسط ما تطعمون أهليكم** ﴾ قال : الخبز واللحم ، [والخبز والسمن][٦] ، والخبز واللبن ، والخبز والزيت ، والخبز والخل(٦٤٢) .

وحدثنا علي بن حرب الموصلي ، حدثنا أبو معاوية ، عن عاصم ، عن ابن سيرين ، عن ابن عمر ، في قوله : ﴿ **من أوسط ما تطعمون أهليكم** ﴾ قال : الخبز والسمن ، [والخبز واللبن][٧] ، والخبز والزيت ، والخبز والتمر ، ومن أفضل ما تطعمون أهليكم الخبز

(٦٤٠) - تفسير ابن أبي حاتم (١١٩٣/٤) (٦٧٢٢) ، ورواه ابن جرير في تفسيره (٥٤٢/١٠ ، ٥٤٣) (١٢٤٤٠) وابن ماجه في سننه كتاب الكفارات ، باب : من أوسط ما تطعمون أهليكم ، حديث (٢١١٣) من طريق سفيان بن عيينة عن سليمان به . وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١٤٨/٢) : « هذا إسناد موقوف صحيح الإسناد » وأورده الألباني في صحيح ابن ماجه برقم (١٧١٧) ، والأثر : ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٥٣/٢) وزاد نسبته لأبي الشيخ وابن مردويه .

(٦٤١) - تفسير ابن أبي حاتم (١١٩٣/٤) (٦٧٢٤) ، ورواه ابن جرير في تفسيره (٥٤١/١٠) (١٢٤٣٢) ، (٥٤٢/١٠) (١٢٤٣٩) من طريقين عن جابر عن عامر عن ابن عباس به . وفي إسناده جابر بن يزيد الجعفي وهو ضعيف . والأثر ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٥٣/٢) وزاد نسبته لعبد بن حميد .

(٦٤٢) - تفسير ابن أبي حاتم (١١٩٢/٤) (٦٧٢٠) .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « ثنا » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

واللحم(٦٤٣) .

ورواه ابن جرير : عن هناد وابن وكيع كلاهما ، عن أبي معاوية . ثم روىٰ ابن جرير(٦٤٤) : عن عبيدة ، والأسود ، وشريح القاضي ، ومحمد بن سيرين ، والحسن ، والضحاك ، وأبي رزين ، أنهم قالوا نحو ذلك ، وحكاه ابن أبي حاتم عن مكحول أيضا .

واختار ابن جرير أن المراد بقوله : ﴿ **من أوسط ما تطعمون أهليكم** ﴾ أي : في القلة والكثرة .

ثم اختلف العلماء في مقدار ما يطعمهم ؛ فقال ابن أبي حاتم (٦٤٥) :

حدثنا أبو سعيد ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن حجاج ، عن حصين الحارثي ، عن الشعبي ، عن الحارث ، عن علي - رضي الله عنه - في قوله : ﴿ **من أوسط ما تطعمون أهليكم** ﴾ قال : يغذيهم ويعشيهم .

وقال الحسن ومحمد بن سيرين : يكفيه أن يطعم عشرة مساكين أكلة واحدة : خبزًا ولحمًا . زاد الحسن : فإن لم [يجد فخبزًا][١] وسمنًا ولبنًا ، فإن لم يجد[٢] فخبزًا وزيتًا وخلًّا حتىٰ يشبعوا .

وقال آخرون : يطعم كل واحد من العشرة نصف صاع من بر أو تمر ونحوهما . و[٣] هذا قول عمر وعلي وعائشة ومجاهد والشعبي وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي وميمون بن مهران وأبي مالك والضحاك والحكم ومكحول وأبي قلابة ومقاتل بن حيان .

وقال أبو حنيفة : نصف صاع بر وصاع مما عداه .

---

(٦٤٣) - تفسير ابن أبي حاتم (١١٩٣/٤) (٦٧٢١) ، ورواه أيضًا ابن جرير في تفسيره (٥٣٢/١٠) (١٢٣٨٠) قال : حدثنا هناد وابن وكيع قالا : حدثنا أبو الأحوص عن عاصم الأحول به . ورواه أيضًا برقم (١٢٣٨١) من طريق ليث عن ابن سيرين ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٥٣/٢) وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه .

(٦٤٤) - تفسير ابن جرير (٥٣١/١٠ - ٥٣٤) .

(٦٤٥) - تفسير ابن أبي حاتم (١١٩٢/٤) (٦٧١٨) ، وانظر رقم (٦٦٧) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « تجد خبزًا » . [٢] - في ز : « تجد » .

[٣] - سقط من : ز .

وقد قال أبو بكر بن مردويه(٦٤٦) : حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن الثقفي ، حدثنا عبيد بن الحسن بن يوسف ، حدثنا محمد بن معاوية ، حدثنا زياد بن عبد الله بن الطفيل بن سخبرة[١] ابن أخي عائشة لأمه ، حدثنا عمر بن يعلىٰ ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كفر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بصاع من تمر وأمر الناس به ، ومن لم يجد فنصف صاع من بر .

ورواه ابن ماجه : عن العباس بن يزيد ، عن زياد بن عبد الله البكائي ، عن عمر[٢] بن عبد الله ابن يعلىٰ الثقفي ، عن المنهال بن عمرو به .

لا يصح هذا الحديث ؛ لحال عمر بن عبد الله هذا فإنه مجمع علىٰ ضعفه ، وذكروا أنه كان يشرب الخمر ، وقال الدارقطني : متروك .

وقال ابن أبي حاتم (٦٤٧) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا ابن إدريس ، عن[٣] داود - يعني : ابن أبي هند - عن عكرمة ، عن ابن عباس ، [أنه قال][٤] : مد[٥] من بر . يعني : لكل مسكين ومعه إدامه .

ثم قال : وروي عن ابن عمر وزيد بن ثابت وسعيد بن المسيب ومجاهد وعطاء وعكرمة وأبي الشعثاء والقاسم[٦] وسالم وأبي سلمة بن عبد الرحمن وسليمان بن يسار والحسن ومحمد بن سيرين والزهري نحو[٧] ذلك.

وقال الشافعي : الواجب في كفارة اليمين مد بمد النبي صلىٰ الله عليه وسلم لكل مسكين ، ولم يتعرض للأدم ، واحتج بأمر النبي صلىٰ الله عليه وسلم للذي جامع في رمضان : بأن يطعم ستين مسكينًا من مكيل يسع[٨] خمسة عشر صاعًا ، لكل واحد منهم مد .

(٦٤٦) - رواه ابن ماجه كتاب الكفارات ، باب : كم يطعم في كفارة اليمين حديث (٢١١٢) ، وابن عدي في الكامل (١٦٩٢/٥) من طريق زياد بن عبد الله به . والحديث ضعفه البوصيري في « مصباح الزجاجة » (١٤٧/٢) فقال : هذا إسناد فيه عمر بن عبد الله بن يعلى الثقفي وهو ضعيف . وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجه (٤٥٩) .

(٦٤٧) - تفسير ابن أبي حاتم (١١٩٢/٤) (٦٧١٦) ، ورواه عبد الرزاق في مصنفه (١٦٠٧٢) =

[١] - في ز : « سحيرة » .
[٢] - في ز ، خ : «عمرو» .
[٣] - في ز : « هو » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٥] - في ز : « مدًا » .
[٦] - في ز ، خ : « وأبي القاسم» .
[٧] - في ز : « ونحو » .
[٨] - في ز : « تسع » .

وقد ورد حديث آخر ، صريح في ذلك ؛ فقال أبو بكر بن مردويه(٦٤٨) : حدثنا أحمد بن علي بن الحسن المقري ، حدثنا محمد بن إسحاق السراج ، حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا النضر بن زرارة الكوفي ، عن عبد اللَّه بن عمر[١] العمري ، عن نافع ، عن ابن عمر : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم كان يقيم كفارة اليمين مدًّا من حنطة بالمد الأول .

إسناده ضعيف ؛ لحال[٢] النضر بن زرارة بن عبد الأكرم الذهلي الكوفي نزيل بلخ ، قال فيه أبو حاتم الرازي : هو مجهول . مع أنه قد روىٰ عنه غير واحد ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : روىٰ عنه قتيبة بن سعيد أشياء مستقيمة . فالله أعلم ، ثم إن شيخه العمري ضعيف أيضًا .

وقال أحمد بن حنبل : الواجب مد من بر ، أو مدان من غيره . واللَّه أعلم.

وقوله تعالىٰ : ﴿ أو كسوتهم ﴾ قال الشافعي - رحمه اللَّه - : لو دفع إلىٰ كل واحد من العشرة ما يصدق عليه اسم الكسوة : من قميص أو سراويل أو إزار أو عمامة أو مقنعة - أجزأه ذلك . واختلف أصحابه في القلنسوة هل تجزئ أم لا ؟ علىٰ وجهين ؛ فمنهم من ذهب إلىٰ الجواز احتجاجًا بما رواه ابن أبي حاتم (٦٤٩) :

حدثنا أبو سعيد الأشج وعمار بن خالد الواسطي قالا : حدثنا القاسم بن مالك ، عن محمد ابن الزبير ، عن أبيه ، قال : سألت عمران بن الحصين عن قوله : ﴿ أو كسوتهم ﴾ قال : لو أن وفدًا قدموا علىٰ أميركم فكساهم[٣] قلنسوة قلنسوة قلتم قد كسوا .

= وابن أبي شيبة في « مصنفه » (٣/٤٧٤) كتاب الأيمان ، باب : في كفارة اليمين ، من قال : نصف صاع حديث (١) ، وابن جرير (١٠/٥٣٨) (١٢٤١٦، ١٢٤١٧) والبيهقي (١٠/٥٥) من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة به . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/٥٥٢) وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٦٤٨) - في إسناده عبد الله بن عمر العمري وهو ضعيف ، والراوي عنه النضر بن زرارة قال ابن حجر في « التقريب » : مستور . وقد خالف مالك عبد الله العمري فرواه عن نافع عن ابن عمر موقوفًا عليه . كذا رواه البيهقي في سننه (١٠/٥٥) ، ورواه عبد الرزاق في مصنفه (٨/٥١٠) (١٦٠٨٦) عن ابن جريج عن نافع عن ابن عمر موقوفًا . ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣/٤٧٤) عن عبيد الله العمري عن نافع به موقوفًا أيضًا .

(٦٤٩) - تفسير ابن أبي حاتم (٤/١١٩٣) (٦٧٢٥) ، وفي إسناده محمد بن الزبير الحنظلي قال أبو حاتم : ليس بالقوي ، في حديثه إنكار ، وقال البخاري : منكر الحديث وفيه نظر . وضعفه النسائي أيضًا ، =

[١] - في ز : « عمرو » . [٢] - في ز : « قال » .
[٣] - في ز : « وكساهم » .

ولكن هذا إسناد ضعيف ؛ لحال محمد بن الزبير، هذا والله أعلم ، وهكذا حكىٰ الشيخ أبو حامد الإسفراييني في الخف وجهين أيضًا ، والصحيح عدم الإجزاء .

وقال مالك وأحمد بن حنبل : لا بد أن يدفع إلىٰ كل واحد منهم من الكسوة ، ما يصح أن يصلي فيه ، إن كان رجلًا أو امرأةً كل بحسبه ، والله أعلم .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : عباءة لكل مسكين أو شملة(٦٥٠) .

وقال مجاهد : أدناه ثوب ، وأعلاه ما شئت (٦٥١) .

وقال ليث ، عن مجاهد : يجزئ في كفارة اليمين كل شيء إلا التبان(٦٥٢) .

وقال الحسن وأبو جعفر الباقر وعطاء وطاووس وإبراهيم النخعي وحماد بن أبي سليمان وأبو مالك : ثوب ثوب (٦٥٣) .

وعن إبراهيم النخعي أيضًا : ثوب جامع كالملحفة والرداء ، ولا يرىٰ[١] الدرع والقميص والخمار ونحوه جامعًا(٦٥٤) . وقال الأنصاري عن أشعث ، عن ابن سيرين والحسن : ثوبان ثوبان[٢](٦٥٥) .

وقال الثوري : عن داود بن أبي هند ، عن سعيد بن المسيب : عمامة يلف بها رأسه ، وعباءة يلتحف بها(٦٥٦) .

= وقال ابن حجر في « التقريب » : متروك . والأثر ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٥٤/٢) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٦٥٠) - رواه ابن جرير (٥٤٧/١٠) (١٢٤٥٢) ، وابن أبي حاتم (١١٩٣/٤) (٦٧٢٧) .

(٦٥١) - رواه عبد الرزاق في مصنفه (٥١٣/٨) (١٦٠٩٨) ، وابن جرير (٥٤٥/١٠) (١٢٤٤٢) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٥٤/٢) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وأبي الشيخ .

(٦٥٢) - رواه ابن جرير في تفسيره (٥٥٠/١٠) (١٢٤٧٨) وليث هو ابن أبي سليم ضعيف تقدمت ترجمته كثيرًا . والتبان : سروال صغير يستر العورة المغلظة فقط . النهاية (١٨١/١)

(٦٥٣) - انظر تفسير ابن أبي حاتم (١١٩٣/٤ ، ١١٩٤) .

(٦٥٤) - رواه ابن جرير في تفسيره (٥٤٩/١٠ ، ٥٥٠) (١٢٤٧٠ ، ١٢٤٧٦) .

(٦٥٥) - رواه ابن جرير في تفسيره (٥٤٧/١٠) (١٢٤٥٨) .

(٦٥٦) - رواه ابن جرير (٥٤٧/١٠) (١٢٤٥٧) .

---

[١] - سقط من : ز ، خ . [٢] - سقط من : م .

وقال ابن جرير(٦٥٧) : حدثنا هناد ، حدثنا ابن المبارك ، عن عاصم الأحول ، عن ابن سيرين ، عن أبي موسىٰ : أنه حلف علىٰ يمين فكسا ثوبين من معقدة البحرين .

وقال ابن مردويه(٦٥٨) : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا أحمد بن المعلىٰ ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن مقاتل بن سليمان ، عن أبي عثمان ، عن أبي عياض ، عن عائشة ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في قوله : : ﴿ أو كسوتهم ﴾ قال : « **عباءة لكل مسكين** » . حديث غريب .

وقوله : ﴿ **أو تحرير رقبة** ﴾ أخذ أبو حنيفة بإطلاقها ، فقال : تجزئ الكافرة كما تجزئ المؤمنة . وقال الشافعي وآخرون : لابد أن تكون مؤمنة ، وأخذ تقييدها بالإيمان من كفارة القتل ؛ لاتحاد الموجب وإن اختلف السبب ، ولحديث[١] معاوية بن الحكم السلمي الذي هو في موطأ مالك ومسند الشافعي وصحيح مسلم أنه ذكر أن عليه عتق رقبة وجاء معه بجارية سوداء ، فقال لها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أين الله ؟** » . قالت : في السماء . قال : « **من أنا ؟** » . قالت : أنت رسول الله . قال : « **أعتقها فإنها مؤمنة** » . الحديث بطوله(٦٥٩) .

فهذه خصال ثلاث في كفارة اليمين ، أيها فعل الحانث أجزأ عنه بالإجماع ، وقد بدأ بالأسهل فالأسهل ؛ فالإطعام [أسهل و][٢] أيسر من الكسوة ، كما أن الكسوة أيسر من العتق ، فرقى[٣] فيها من الأدنىٰ إلىٰ الأعلىٰ ، فإن لم يقدر المكلف على واحدة من هذه الخصال الثلاث ، كفر بصيام ثلاثة أيام ، كما [قال تعالىٰ : ﴿ **فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام** ﴾][٤] .

(٦٥٧) - تفسير ابن جرير (١٠/٥٤٨) (١٢٤٦٢) ؛ ورواه ابن جرير (١٢٤٦٣، ١٢٤٦٥) من طريقين عن ابن سيرين نحوه ، ورواه في (١٢٤٦٤) عن محمد بن عبد الأعلى نحو رواية ابن سيرين ، ورواه عبد الرزاق في مصنفه (٨/٥١٣) (١٦١٠١) عن هشام بن محمد أن أبا موسى الأشعري حلف ... فذكر نحو رواية ابن سيرين أيضًا .

(٦٥٨) - في إسناده مقاتل بن سليمان الخراساني قال ابن حجر في « التقريب » : كذبوه وهجروه ورمي بالتجسيم - وأيضًا هو خراساني ورواية ابن عياش عن غير الشاميين ضعيفة . وأبو عثمان وأبو عياض لا أعرف من يكونان .

(٦٥٩) - رواه مالك في الموطأ (٢/٥٩٥) كتاب العتق والولاء ، باب ما يجوز من العتق في الرقاب الواجبة حديث (٨) ومن طريقه رواه الشافعي في الرسالة فقرة (٢٤٢) ، والنسائي في « الكبرى » كتاب النعوت ، باب المعافاة والعقوبة حديث (٧٧٥٦) ، وفي كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : ﴿ ثم =

[١] - في ت : « ومن حديث » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٣] - في ت : « فترقى » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

وروىٰ[١] ابن جرير عن سعيد بن جبير والحسن البصري أنهما قالا : من وجد ثلاثة دراهم لزمه الإِطعام وإلا صام(٦٦٠) .

وقال ابن جرير حاكيًا عن بعض متأخري متفقهة[٢] زمانه أنه قال : جائز لمن لم يكن له فضل عن رأس مال يتصرف به[٣] لمعاشه[٤] [ما يكفر به بالإطعام أن يصوم إلا أن يكون له كفاية ومن المال ما يتصرف][٥] [به لمعاشه][٦] ، ومن الفضل عن ذلك ما يكفر به عن يمينه .

ثم اختار ابن جرير أنه الذي لا يفضل عن قوته وقوت عياله في يومه ذلك ما يخرج به كفارة اليمين ، واختلف العلماء هل يجب فيها التتابع [أو يستحب ، و لا يجب ويجزئ التفريق][٧] على قولين[٨] ؛ أحدهما[٩] : [أنه][١٠] [لا يجب][١١] و[١٢] هذا منصوص الشافعي في كتاب الأيمان ، وهو قول مالك لإِطلاق قوله : ﴿ فصيام ثلاثة أيام ﴾ وهو صادق علىٰ المجموعة والمفرقة ، كما في قضاء رمضان لقوله : ﴿ فعدّة من أيام آخر ﴾ .

ونص الشافعي في موضع آخر في الأم علىٰ وجوب التتابع ، كما هو قول الحنفية والحنابلة ؛ لأنه قد روي عن أبي بن كعب وغيره : أنهم كانوا يقرءونها (فصيام ثلاثة أيام متتابعات) .

= استوى إلى السماء ﴾ حديث (١١٤٦٥) عن هلال بن أسامة عن عطاء بن يسار عن عمر بن الحكم قال : أتيت رسول الله ﷺ بجارية فذكره . وقد وهم الإمام مالك رحمه الله في اسم (عمر بن الحكم) قال الشافعي : هو معاوية بن الحكم ، وكذلك رواه غير مالك وأظن مالكًا لم يحفظ اسمه .

قلت : حديث معاوية بن الحكم رواه مسلم في « صحيحه » كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب : تحريم الكلام في الصلاة ، ونسخ ما كان من إباحة حديث (٥٣٧) من طريق يحيى بن أبي كثير عن هلال ابن أبي ميمونة به .

(٦٦٠) – رواه ابن جرير في تفسيره (١٠/٥٥٨) (١٢٤٩٢، ١٢٤٩٥) عن سعيد بن جبير . ورواه عن الحسن برقم (١٢٤٩٤) ولفظه : « إذا كان عنده درهم » وكذلك ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٥٥) وعزاه لأبي الشيخ .

---

[١] – في ز : « روىٰ » ، خ : « كما روى » .
[٢] – في ز : « متفقة » .
[٣] – سقط من : ز ، خ .
[٤] – سقط من : خ .
[٥] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٧] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٨] – في ت : « قولان » .
[٩] – سقط من : خ .
[١٠] – سقط من خ .
[١١] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[١٢] – في ز : « والتتابع » .

قال أبو جعفر الرازي : عن الربيع ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب : إنه كان يقرؤها : (فصيام ثلاثة أيام متتابعات)(٦٦١) .

وحكاها مجاهد والشعبي وأبو إسحاق عن عبد الله بن مسعود(٦٦٢) .

وقال إبراهيم : في قراءة أصحاب[١] عبد الله بن مسعود : (فصيام [ثلاث أيام][٢] متتابعات)(٦٦٣) .

وقال الأعمش : كان أصحاب ابن مسعود يقرءونها كذلك(٦٦٤) .

وهذه إذا لم يثبت كونها قرآنًا متواترًا فلا أقل من[٣] أن يكون [خبرًا واحدًا][٤] ، أو تفسيرًا من الصحابة وهو في حكم المرفوع .

وقال أبو بكر بن مردويه (٦٦٥) : حدثنا محمد بن علي ، حدثنا محمد بن جعفر الأشعري ،

(٦٦١) - رواه ابن جرير في تفسيره (٥٥٩/١٠) (١٢٤٩٧، ١٢٤٩٨) ، وابن أبي داود في « المصاحف » (ص ٥٣) والبيهقي في الكبرى (٦٠/١٠) كلهم من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع به ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٥٥/٢) وزاد نسبته إلى « ابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ». وروى مالك في الموطأ (٢٥٢/١) كتاب الصيام ، باب : ما جاء في قضاء رمضان والكفارات حديث (٤٩) ومن طريقه البيهقي (٦٠/١٠) عن حميد بن قيس المكي أنه أخبره قال : كنت مع مجاهد وهو يطوف بالبيت فجاءه إنسان فسأله عن صيام أيام الكفارة أمتتابعات أم يقطعها ؟ قال حميد : فقلت له : نعم يقطعها إن شاء . قال مجاهد : لا يقطعها فإنها في قراءة أبي بن كعب (ثلاثة أيام متتابعات) . وجاء ذلك عن غير أبي كما في تفسير ابن جرير (٥٥٩/١٠ ، ٥٦٠) وسنن البيهقي (٦٠/١٠) والدر المنثور (٥٥٥/٢) .

(٦٦٢) - رواه الطبري في تفسيره (٥٦٠/١٠) (١٢٤٩٩) ، (١٢٥٠٣، ١٢٥٠٤) وهو عند عبد الرزاق في المصنف (٥١٣/٨ ، ٥١٤) (١٦١٠٢، ١٦١٠٣) ، والبيهقي (٦٠/١٠) من طرق عن ابن مسعود به ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٥٥/٢) وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن الأنباري وأبي الشيخ .

(٦٦٣) - رواه ابن جرير في تفسيره (٥٦٠/١٠) (١٢٥٠٢) .

(٦٦٤) - تفسير ابن جرير (١٢٥٠٥) .

(٦٦٥) - إسناده ضعيف جدًّا ، الهيثم بن خالد القرشي قال ابن حجر في « التقريب » : صدوق يغرب =

[١] - سقط من : ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « خبر واحد » .

حدثنا الهيثم بن خالد القرشي ، حدثنا يزيد بن قيس ، عن إسماعيل بن يحيىٰ ، [عن ابن جريج][١] ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت آية الكفارات ، قال حذيفة : يا رسول اللَّه ، نحن بالخيار ؟ قال : « **أنت بالخيار ، إن شئت أعتقت ، وإن شئت كسوت ، وإن شئت أطعمت ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام متتابعات** » . وهذا حديث غريب جدًّا .

وقوله : ﴿ **ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم** ﴾ [أي : هذه كفارة اليمين الشرعية][٢] ﴿ **واحفظوا أيمانكم** ﴾ قال ابن جرير : معناه لا تتركوها بغير تكفير . ﴿ **كذلك يبين اللَّه لكم آياته** ﴾ أي : يوضحها وينشرها ﴿ **لعلكم تشكرون** ﴾ .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٣﴾

يقول تعالىٰ ناهيًا عباده المؤمنين عن تعاطي الخمر والميسر ؛ وهو القمار .

وقد ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه أنه قال : الشطرنج من الميسر . رواه ابن أبي حاتم ، [عن أبيه][٣] عن عُبيس بن مرحوم ، عن حاتم ، عن جعفر بن محمد ، عن

= ويزيد بن قيس وإسماعيل بن يحيى لم أقف لهما على ترجمة ولا أدرى من هما ، وابن جريج إمام ثقة لكنه لم يدرك أحدًا من الصحابة قال العلائى في جامع التحصيل (ص ٢٢٩ ، ٢٣٠) : « ذكر ابن المديني أنه لم يلق أحدًا من الصحابة » ثم نقل العلائي اختلاف العلماء في سماعه من جمع من التابعين وهو معروف بالتدليس وقد عنعن في هذا الحديث . وقد ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٥٥/٢) ولم يعزه لغير ابن مردويه .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .

أبيه ، عن علي به(٦٦٦) .

وقال ابن أبي حاتم (٦٦٧) : حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ليث ، عن عطاء ومجاهد وطاوس - قال سفيان : أو اثنين منهم - قالوا : كل شيء من القمار فهو من الميسر ، حتىٰ لعب الصبيان بالجوز .

ورويٰ عن راشد بن سعد وحمزة بن حبيب مثله[١] ، وقالا : حتىٰ الكعاب والجوز والبيض التي تلعب بها الصبيان . وقال موسىٰ بن عقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : الميسر هو القمار (٦٦٨) .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : الميسر هو القمار ، كانوا يتقامرون في الجاهلية إلىٰ مجيء الإسلام ، فنهاهم الله عن هذه الأخلاق القبيحة(٦٦٩) .

وقال مالك ، عن داود بن الحصين ، إنه سمع سعيد بن المسيب يقول : كان ميسر أهل الجاهلية بيع اللحم بالشاة والشاتين(٦٧٠) . وقال الزهري ، عن الأعرج ، قال : الميسر الضرب بالقداح علىٰ الأموال والثمار(٦٧١) .

وقال القاسم بن محمد : كل ما ألهىٰ عن ذكر الله وعن الصلاة فهو من الميسر (٦٧٢) .

رواهن ابن أبي حاتم .

وقال ابن أبي حاتم(٦٧٣) : حدثنا أحمد بن منصور الرمادي ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا

---

(٦٦٦) - تفسير ابن أبي حاتم (١١٩٧/٤) (٦٧٥١) .

(٦٦٧) - تفسير ابن أبي حاتم (١١٩٧/٤) (٦٧٤٩) .

(٦٦٨) - تفسير ابن أبي حاتم (٦٧٤٧) .

(٦٦٩) - تفسير ابن أبي حاتم (٦٧٤٨) .

(٦٧٠) - تفسير ابن أبي حاتم (٦٧٥٣) .

(٦٧١) - تفسير ابن أبي حاتم (٦٧٥٢) .

(٦٧٢) - تفسير ابن أبي حاتم (٦٧٥٠) .

(٦٧٣) - تفسير ابن أبي حاتم (١١٩٦/٤) (٦٧٤٥) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٦٣/٢) وزاد نسبته لابن مردويه . وقال ابن أبي حاتم في العلل (٢٩٧/٢ ، ٢٩٨) : سألت أبي عنه ؟ فقال : هذا حديث باطل وهو من علي بن زيد . وعثمان لا بأس به .

---

[١] - سقط من خ .

صدقة ، حدثنا عثمان بن أبي العاتكة ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، عن أبي موسىٰ الأشعري ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **اجتنبوا هذه الكعاب الموسومة التي يزجر بها زجرًا ؛ فإنها من الميسر** » . حديث غريب ، وكأن المراد بهذا هو النرد الذي ورد الحديث به في صحيح مسلم ، عن بريدة بن الحصيب الأسلمي ، قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه** »(٦٧٤) .

وفي موطأ مالك ومسند أحمد وسنني أبي داود وابن ماجه : عن أبي موسىٰ الأشعري ، قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **من لعب بالنرد فقد عصىٰ اللَّه ورسوله** »(٦٧٥) . وروي موقوفًا علىٰ[١] أبي موسىٰ من قوله ، فاللَّه أعلم .

وقال الإمام أحمد(٦٧٦) : حدثنا مكي[٢] بن إبراهيم ، حدثنا الجعيد[٣] ، عن موسىٰ بن عبد الرحمن الخطمي[٤] ، أنه سمع محمد بن كعب وهو يسأل عبد الرحمن يقول : أخبرني ما سمعت أباك يقول عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ؟ فقال عبد الرحمن : سمعت أبي يقول : سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « **مثل الذي يلعب بالنرد ثم يقوم فيصلي ، مثل الذي يتوضأ بالقيح ودم الخنزير ثم يقوم فيصلي** » .

---

(٦٧٤) - رواه مسلم في « صحيحه » كتاب الشعر ، باب : تحريم اللعب بالنردشير حديث (٢٢٦٠) .

(٦٧٥) - رواه مالك في الموطأ كتاب الرؤيا - باب : ما جاء في النرد حديث (٦) (٧٢٩/٢) ، وأبو داود في الأدب ، باب : في النهي عن اللعب بالنرد ، حديث (٤٩٣٩) ، وابن ماجه في كتاب الأدب ، باب : اللعب بالنرد حديث (٣٧٦٢) ، والبخاري في الأدب المفرد (١٢٦٩) (٣٧٦٢) ، وعبد بن حميد (٥٤٧)، وأحمد (٤/ ٣٩٤، ٣٩٧، ٤٠٠) ، وابن حبان (٥٨٧٢) ، وأبو يعلى (٧٢٩٠) ، والحاكم (٥٠/١) ، والبيهقي (١٠/ ٢١٤، ٢١٥) والبغوي في شرح السنة (٣٤١٤) كلهم من طريق سعيد بن أبي هند عن أبي موسى به .

قال الألباني في الإرواء (٢٨٥/٨) : له علة ، وهي الانقطاع بين سعيد وأبي موسى ، فقد ذكر أبو زرعة وغيره أن حديثه عنه مرسل ، وقال الدارقطني في « العلل » : رواه أسامة بن زيد الليثي عن سعيد بن أبي هند عن أبي مرة مولى أم هانئ عن أبي موسى ، قال الدارقطني بعد أن أخرجه : هذا أشبه بالصواب » . والحديث حسنه الألباني في « الإرواء » لشواهده .

(٦٧٦) - رواه أحمد في مسنده (٣٧٠/٥) ، ورواه البخاري في التاريخ (٢٩١/٧ ، ٢٩٢) ، وأبو يعلى في مسنده (١١٠٤) ، والبيهقي في سننه (٢١٥/١٠) من طريق موسى بن عبد الرحمن الخطمي به . وموسى ابن عبد الرحمن قال ابن حجر في « تعجيل المنفعة » : مجهول . والحديث ذكره الهيثمي في =

---

[١] - في ز : « عن » .
[٢] - في ز : « علي » .
[٣] - في خ : « الجعيدي » .
[٤] - في ز : « الحطمي » .

وأما الشطرنج ، فقد قال عبد اللَّه بن عمر : إنه شر من النرد . وتقدم عن علي أنه قال : هو من الميسر . ونص علىٰ تحريمه مالك وأبو حنيفة وأحمد ، وكرهه الشافعي رحمهم اللَّه تعالىٰ .

وأما الأنصاب : فقال ابن عباس ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير والحسن وغير واحد : هي حجارة كانوا يذبحون قرابينهم عندها .

وأما الأزلام ، فقالوا أيضًا : هي قداح كانوا يستقسمون بها .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **رجس من عمل الشيطان** ﴾ قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، أي : سخط من عمل الشيطان .

وقال سعيد بن جبير : إثم . وقال زيد بن أسلم : أي : شر من عمل الشيطان .

﴿ **فاجتنبوه** ﴾ الضمير عائد علىٰ الرجس ، أي : اتركوه ﴿ **لعلكم تفلحون** ﴾ وهذا ترغيب .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر اللَّه وعن الصلاة فهل أنتم منتهون** ﴾ وهذا تهديد وترهيب[١] .

[ذكر الأحاديث الواردة في بيان[٢] تحريم الخمر]

قال الإمام أحمد(٦٧٧) : حدثنا سريج ، حدثنا أبو معشر ، عن أبي وهب مولىٰ أبي هريرة ، عن أبي هريرة ، قال : حرمت الخمر ثلاث مرات ؛ قدم رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم المدينة وهم يشربون الخمر ، ويأكلون الميسر ، فسألوا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم عنهما ، فأنزل اللَّه : ﴿ **يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس** ﴾ إلىٰ آخر الآية . فقال الناس : ما حرما[٣] علينا ، إنما قال : ﴿ **فيهما إثم كبير ومنافع للناس** ﴾ ، وكانوا

= مجمع الزوائد (١١٣/٨) وقال : رواه أحمد وأبو يعلى - وزاد : لا تقبل صلاته - والطبراني ، وفيه موسى بن عبد الرحمن الخطمي ولم أعرفه ، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح .

(٦٧٧) - المسند (٣٥١/٢) وإسناده ضعيف لضعف أبي معشر وجهالة أبي وهب مولى أبي هريرة . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٤/٥) : رواه أحمد ، وأبو وهب مولى أبي هريرة لم يجرحه أحد ولم يوثقه ، وأبو معشر نجيح ضعيف لسوء حفظه ، وقد وثقه غير واحد وسريج ثقة . وكذلك ضعفه العلامة أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٨٦٠٥) لضعف أبي معشر نجيح وجهالة أبي وهب مولى أبي هريرة .

[١] - في ز ، خ : « ترغيب » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « حرم » .

يشربون الخمر حتىٰ كان يوم[١] من الأيام ، صلىٰ رجل من المهاجرين أَمَّ أصحابه في المغرب فخلط[٢] في قراءته ، فأنزل اللَّه آية أغلظ منها : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارىٰ حتىٰ تعلموا ما تقولون** ﴾ فكان[٣] الناس يشربون حتىٰ يأتي أحدهم الصلاة وهو مفيق . ثم أنزلت آية أغلظ من ذلك : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون** ﴾ قالوا : انتهينا ربنا ! وقال الناس : يا رسول اللَّه ، ناس قتلوا في سبيل اللَّه وماتوا علىٰ سرفهم ، كانوا يشربون الخمر ويأكلون الميسر ، وقد جعله اللَّه رجسًا من عمل الشيطان ؟ فأنزل اللَّه تعالىٰ : ﴿ **ليس علىٰ الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا** ﴾ إلىٰ آخر الآية . وقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لو حرم عليهم لتركوه كما تركتم** » . انفرد به أحمد .

وقال الإمام أحمد(٦٧٨) : حدثنا خلف بن الوليد ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة ، عن عمر بن الخطاب ، أنه قال : لما نزل تحريم الخمر قال : اللهم بين لنا في الخمر بيانًا شافيًا . فنزلت هذه الآية التي في البقرة : ﴿ **يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير** ﴾ فدعي[٤] عمرُ فقرئت عليه ، فقال : اللهم بين لنا في الخمر بيانًا شافيًا . فنزلت الآية التي في سورة[٥] النساء : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارىٰ** ﴾ ، فكان منادي رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم إذا [أقام][٦] الصلاة نادىٰ : أن[٧] لا يقربن الصلاة سكران . فدعي عمر[٨] فقرئت عليه فقال : اللهم بين لنا في الخمر بيانًا شافيًا ، فنزلت

(٦٧٨) - المسند (٥٣/١) (٣٧٨) ، والحديث رواه أبو داود كتاب الأشربة ، باب : في تحريم الخمر حديث (٣٦٧٠) والترمذي في تفسير القرآن - باب ومن سورة المائدة حديث (٣٠٤٩) ، والنسائي كتاب الأشربة باب تحريم الخمر (٢٨٦/٨ ، ٢٨٧) ، وابن جرير في تفسيره (٥٥٦/١٠ ، ٥٦٨) (١٢٥١٢ ، ١٢٥١٦) ، والحاكم (٢٧٨/٢) ، وابن أبي حاتم (١٢٠٠/٤) (٦٧٦٩) ، والبيهقي (٢٨٥/٨) ، والواحدي في أسباب النزول (ص ٢٠٩) رقم (٤١٣) من طرق عن أبي إسحاق السبيعي عن أبي ميسرة به . والحديث صحح إسناده العلامة أحمد شاكر في تعليقه على المسند وقال : « وقول أبي زرعة أن أبا ميسرة لم يسمع من عمر ، لا أجد له وجهًا ، فإن أبا ميسرة لم يذكر بتدليس ، وهو تابعي قديم مخضرم ، مات سنة ٦٣، وفي طبقات ابن سعد عن أبي إسحاق قال : أوصى أبو ميسرة أخاه الأرقم : لا تؤذن بي أحدًا من الناس ، وليصل عليّ شريح قاضي المسلمين وإمامهم » وشريح الكندي استقضاه =

[١] - في ز : « يومًا » .
[٢] - في ز : « خلط » .
[٣] - في ز : « وكان » .
[٤] - في ز : « فدعا » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ت : « قال : حي على الفلاح » .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - سقط من : ز .

الآية[١] التي في المائدة ، فدعي عمر فقرئت عليه ، فلما بلغ [قول اللّٰه تعالىٰ][٢] : ﴿ **فهل أنتم منتهون** ﴾ قال عمر : انتهينا [انتهينا][٣] .

وهكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي من طرق عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق عمرو[٤] بن عبد اللّٰه السبيعي ، عن أبي ميسرة - واسمه عمرو بن شرحبيل الهمداني - عن عمر[٥] به . وليس له عنه سواه . قال أبو زرعة : ولم يسمع منه . وصحح هذا الحديث علي بن المديني والترمذي .

وقد ثبت في الصحيحين(٦٧٩) عن عمر بن الخطاب أنه قال في خطبته علىٰ منبر رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : أيها الناس ، إنه نزل تحريم الخمر وهي من خمسة : [من][٦] العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير ، والخمر ما خامر العقل .

وقال البخاري (٦٨٠) : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا محمد بن بشر ، حدثنا عبد العزيز ابن عمر بن عبد العزيز ، حدثني نافع ، عن ابن عمر ، قال : نزل تحريم الخمر وإن بالمدينة يومئذ لخمسة[٧] أشربة ما فيها شراب العنب .

(**حديث آخر**) : قال أبو داود الطيالسي(٦٨١) : حدثنا محمد بن أبي حميد ، عن المصري

= عمر على الكوفة وأقام على القضاء بها ستين سنة فأبو ميسرة أقدم منه . والحديث صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣١١٧) ، وغيره .

(٦٧٩) - رواه البخاري في « صحيحه » (٢٧٧/٨) كتاب التفسير ، باب : « إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان » حديث (٤٦١٩) ، وفي كتاب الأشربة ، باب : الخمر من العنب وغيره حديث (٥٥٨١) ، وفي باب : ما جاء في أن الخمر ما خامر العقل من الشراب حديث (٥٥٨٨) (٥٥٨٩) ، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب : ما ذكر النبي ﷺ وحض على اتفاق أهل العلم حديث (٧٣٣٧) ومسلم في « صحيحه » كتاب التفسير ، باب : في نزول تحريم الخمر حديث (٣٠٣٢) من حديث عبد الله بن عمر عن أبيه .

(٦٨٠) - صحيح البخاري كتاب التفسير ، باب : ﴿ **إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان** ﴾ حديث (٤٦١٦) .

(٦٨١) - مسند الطيالسي (١٩٥٧) ومن طريقه رواه ابن أبي حاتم (١١٩٩/٤) (٦٧٦٢) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٥/٤ ، ٥) (٥٥٧٠) ورواه ابن جرير في تفسيره (٣٣١/٤) (٤١٤٣) من طريق محمد ابن أبي حميد عن أبي توبة المصري به ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٥٧/٢) وزاد نسبته =

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٣] - سقط من ت .
[٤] - في ز : « عمر » .
[٥] - في ز : « عمرو » .
[٦] - سقط من ت .
[٧] - في ت : « خمسة » .

- يعني : أبا طعمة قارئ مصر - قال : سمعت ابن عمر يقول : نزلت في الخمر ثلاث آيات ؛ فأول شيء نزل : ﴿ **يسألونك عن الخمر والميسر** ﴾ الآية ، فقيل : حرمت الخمر ، فقالوا : يا رسول الله ، دعنا[١] ننتفع بها كما قال الله تعالىٰ ! قال : فسكت عنهم . ثم نزلت هذه الآية : ﴿ **لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارىٰ** ﴾ فقيل : حرمت الخمر . فقالوا : يا رسول الله ، إنا لا نشربها قرب الصلاة . فسكت عنهم ثم نزلت : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون** ﴾ الآيتين[٢] . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: « **حرمت الخمر** » .

(**حديث آخر**) : قال الإمام أحمد(٦٨٢) : حدثنا يعلىٰ ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن القعقاع بن حكيم ، أن عبد الرحمن بن وعلة قال : سألت ابن عباس عن بيع الخمر ، فقال : كان لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم صديق من ثقيف أو من دوس ، فلقيه يوم الفتح براوية خمر[٣] يهديها إليه ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **يا فلان ؛ أما علمت أن الله حرمها** » . فأقبل الرجل علىٰ غلامه فقال : اذهب فبعها . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **يا فلان ؛ بماذا أمرته ؟** » فقال : أمرته أن يبيعها . قال : « **إن الذي حرم شربها حرم بيعها** » . فأمر بها[٤] فأفرغت في البطحاء .

رواه مسلم من طريق ابن وهب ، عن مالك ، عن زيد بن أسلم . ومن طريق ابن وهب أيضًا ، عن سليمان بن بلال ، عن يحيىٰ بن سعيد كلاهما ، عن عبد الرحمن بن وعلة ، عن ابن عباس به . ورواه النسائي : عن قتيبة ، عن مالك به .

= لابن مردويه . وإسناده ضعيف لضعف محمد بن أبي حميد ضعفه ابن حجر في « التقريب » . وأبو توبة المصري : كذا وقع اسمه عند الطيالسي وابن جرير والبيهقي لكن وقع عند ابن أبي حاتم « أبو طعمة قارئ مصر » وهو الصواب ، قال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على تفسير ابن جرير : « أبو توبة المصري : لا يوجد راوٍ بهذا الاسم ، وإنما هو من تخليط محمد بن أبي حميد ، وصحته (أبو طعمة الأموي) بضم الطاء وسكون العين المهملة ، وهو مولى عمر بن عبد العزيز شامي سكن مصر ، وكان قارئًا ، يقرئ القرآن بمصر وهو تابعي ثقة » .

(٦٨٢) - المسند (١/٢٣٠) ورواه الدارمي (٢١٠٩) قال : حدثنا يعلى فذكره . ورواه في (٢٥٧٤) من طريق عبد الرحمن بن أبي يزيد عن القعقاع بن حكيم به . والحديث رواه مسلم في « صحيحه » كتاب البيوع ، باب : تحريم الخمر حديث (١٥٧٩) من طريقين عن عبد الرحمن بن وعلة به .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من : ز .

(**حديث آخر**) : قال الحافظ أبو يعلىٰ الموصلي(٦٨٣) : حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي ، حدثنا أبو بكر الحنفي ، حدثنا عبد الحميد بن جعفر ، عن شهر بن حوشب ، عن تميم الداري : أنه كان يهدي لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم [كل عام][١] راوية من خمر ، فلما أنزل الله تحريم الخمر جاء بها ، فلما رآها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ضحك ، وقال : « **إنها قد حرمت بعدك** » . قال : يا رسول الله ، فأبيعها وأنتفع بثمنها ؟ فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لعن الله اليهود ؛ حرمت[٢] عليهم شحوم البقر والغنم فأذابوه وباعوه ، والله حرم الخمر وثمنها** » .

وقد رواه أيضًا الإمام أحمد فقال(٦٨٤) : حدثنا روح ، حدثنا عبد الحميد بن بهرام ، قال : سمعت شهر بن حوشب ، قال : حدثني عبد الرحمن بن غنم : أن الداري كان يهدي لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كل عام راوية من خمر ، فلما كان عام حرمت جاء براوية ، فلما نظر إليه ضحك ، فقال : « **أشعرت أنها قد حرمت بعدك** » . فقال : يا رسول الله ، ألا أبيعها وأنتفع بثمنها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « **لعن الله اليهود ؛ انطلقوا إلىٰ ما حرم عليهم من شحم البقر والغنم فأذابوه فباعوا به ما يأكلون ، وإن الخمر حرام وثمنها حرام ، وإن الخمر حرام وثمنها حرام ، [وإن الخمر حرام وثمنها حرام][٣]** » .

(**حديث آخر**) : قال الإمام أحمد (٦٨٥) : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا ابن لهيعة ، عن

(٦٨٣) - لم أجده في مسند أبي يعلى المطبوع ، لكن ذكره ابن حجر في المطالب العالية (١٠٣/٢ ، ١٠٤) (١٧٧٤) وعزاه لأبي يعلى فلعله يكون في « المسند الكبير » له ، وإسناده ضعيف لضعف شهر بن حوشب ، وعبد الحميد بن جعفر فيه كلام ، والحديث رواه الطبراني في الكبير (٥٧/٢) (١٢٧٥) عن زيد بن أخزم ثنا أبو بكر الحنفي فذكره مختصرًا . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩١/٤) : رواه أحمد هكذا عن ابن غنم وفيه شهر بن حوشب وحديثه حسن وفيه كلام . ورواه الطبراني في الكبير عن عبد الرحمن بن غنم عن تميم الداري أنه كان يهدي فذكر نحوه باختصار ، إلّا أنه قال : أنه حرام شراؤها وثمنها . وإسناده متصل حسن » .

قلت : الحديث رواه أحمد في مسنده (٢٢٧/٤) من طريقين عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب به ، وشهر ضعيف كما تقدم .

(٦٨٤) - مسند أحمد (٢٢٧/٤) وانظر السابق .

(٦٨٥) - المسند (٣٣٥/٤ ، ٣٣٦) ، ورواه الطبراني في الكبير (١٩٥/١٩) (٤٣٨) وفي الأوسط (٣١٢٥) من طريق شعيب بن يحيى عن ابن لهيعة به . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩١/٤) : =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٢] - في ز : « حرم » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

سليمان بن عبد الرحمن ، عن نافع بن كيسان ، أن أباه أخبره أنه كان يتجر في الخمر في زمن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وأنه أقبل من الشام ومعه خمر في الزقاق يريد بها التجارة ، فأتىٰ بها رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال : يا رسول اللَّه ، إني جئتك بشراب طيب . فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **يا كيسان ، إنها قد حرمت بعدك** » . قال : فأبيعها يا رسول اللَّه ؟ فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إنها قد حرمت وحرم ثمنها** » . فانطلق كيسان إلىٰ الزقاق فأخذ بأرجلها ثم هراقها .

(**حديث آخر**) : قال الإمام أحمد(٦٨٦) : حدثنا يحيىٰ بن سعيد ، عن حميد ، عن أنس ، قال : كنت أسقي أبا عبيدة بن الجراح ، وأبي بن كعب ، وسهيل بن بيضاء ، ونفرًا من أصحابه عند أبي طلحة ، [وأنا أسقيهم][١] حتىٰ كاد الشراب يأخذ منهم ، فأتىٰ آت من المسلمين ، فقال : أما شعرتم أن الخمر قد حرمت ؟ فما قالوا[٢] : حتىٰ ننظر ونسأل . فقالوا : يا أنس ، اكف[٣] ما بقي[٤] في إنائك . فو اللَّه ما عادوا فيها ، وما هي إلا التمر والبسر ، و[٥] هي خمرهم يومئذ .

أخرجاه في الصحيحين من غير وجه عن أنس ، وفي رواية حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : كنت ساقي القوم يوم حرمت الخمر في بيت أبي طلحة ، وما شرابهم إلا الفضيخ : البسر والتمر ، فإذا مناد ينادي ، قال : اخرج فانظر . فإذا مناد ينادي : ألا إن الخمر قد حرمت . فجرت في سكك المدينة ، قال : فقال لي أبو طلحة : اخرج فأهرقها . فهرقتها ، فقالوا - أو قال بعضهم - : قتل فلان وفلان وهي في بطونهم ؟ . قال : فأنزل اللَّه : ﴿ **ليس علىٰ الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا** ﴾ الآية(٦٨٧) .

= رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ، وفيه نافع بن كيسان وهو مستور .

(٦٨٦) - رواه في المسند (٣/٨١) ، ورواه البخاري في « صحيحه » كتاب المظالم ، باب : صب الخمر في الطريق حديث (٢٤٦٤) ، وأطرافه في (٤٦١٧، ٤٦٢٠، ٥٥٨٠، ٥٥٨٢، ٥٥٨٣، ٥٦٠٠، ٥٦٢٢، ٧٢٥٣) ورواه مسلم في كتاب الأشربة ، باب : تحريم الخمر ، وبيان أنها تكون من عصير العنب ومن التمر والبسر والزبيب حديث (١٩٨٠) من طرق عن أنس به ، والروايات مطولة ومختصرة .

(٦٨٧) - رواه البخاري في صحيحه كتاب المظالم ، باب : صب الخمر في الطريق حديث (٢٤٦٤) ، ومسلم في « صحيحه » في الأشربة ، باب تحريم الخمر حديث (٣/١٩٨٠) ، من طريق حماد به ، وانظر الحديث السابق .

[١] - سقط من : ت.
[٢] - في ت : « فقالوا » .
[٣] - في ت : « اسكب » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - سقط من : ز .

وقال ابن جرير (٦٨٨) : حدثنا محمد بن بشار ، حدثني عبد الكبير بن عبد المجيد[١] ، حدثنا عباد بن راشد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، قال : بينا أنا أدير الكأس على أبي طلحة وأبي عبيدة بن الجراح [وأبي دجانة] ومعاذ بن جبل وسهيل بن بيضاء ، حتى مالت رءوسهم من خليط بسر وتمر ، فسمعت مناديًا ينادي : ألا إن الخمر قد حرمت . قال : فما دخل علينا داخل ولا خرج منا خارج حتى أهرقنا الشراب وكسرنا القلال ، وتوضأ بعضنا واغتسل بعضنا ، وأصبنا من طيب أم سليم ثم خرجنا إلى المسجد ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون** ﴾ إلى قوله : ﴿ **فهل أنتم منتهون** ﴾ فقال رجل : يا رسول الله ، فما منزلة من مات وهو يشربها[٢] ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ **ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ الآية . فقال رجل لقتادة : أنت[٣] سمعته من أنس بن مالك ؟ قال : نعم . قال رجل لأنس بن مالك : أنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، أو : حدثني من لم يكذب ، ما كنا نكذب ولا ندري ما الكذب .

(**حديث آخر**) : قال الإمام أحمد (٦٨٩) : حدثنا يحيى بن إسحاق ، أخبرني يحيى بن أيوب ، عن عبيد الله بن زحر ، عن بكر بن سوادة ، عن قيس بن سعد بن عبادة ، أن

(٦٨٨) - تفسير ابن جرير الطبري (١٠/٥٧٨) (١٢٥٢٧) ، والحديث رواه البخاري في « صحيحه » كتاب الأشربة ، باب : من رأى أن لا يخلط البسر والتمر حديث (٥٦٠٠) ، ومسلم في « صحيحه » كتاب الأشربة ، باب : تحريم الخمر حديث (١٩٨٠/٧) من طريق قتادة به مختصرًا .

(٦٨٩) - المسند (٤٢٢/٣) ، والحديث رواه ابن أبي شيبة في مصنفه كتاب الأشربة ، باب : في الخمر وما جاء فيها ، حديث (٢١) وابن عبد الحكم في « فتوح مصر » (٢٧٣) كما في « تحريم آلات الطرب » للألباني (ص ٦٠ ، ٦١) ، والطبراني في الكبير (٣٥٢/١٨) (٨٩٧) والبيهقي في « السنن الكبرى » (٢٢٢/١٠) من طريق عبيد الله بن زحر به ، وإسناده ضعيف ، لضعف عبيد الله بن زحر وقد ضعفه الحافظ العراقي في « تخريج الإحياء » (٢٧٢/٢) ، وللحديث طريق آخر رواه البيهقي في سننه (١٠/ ٢٢٢) عن الليث بن سعد وابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب عن عمرو بن الوليد بن عبدة عن قيس بن سعد رضي الله عنه وكان صاحب راية النبي صلى الله عليه وسلم فذكره بنحو الرواية الأولى ، قال الألباني في « تحريم آلات الطرب » (ص ٥٩ - ٦٠) : وهذا إسناد حسن رجاله ثقات على ما عرفت من تفرد يزيد بن أبي حبيب بالرواية عن عمرو بن الوليد . وللحديث شواهد خرجها الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٧٠٨) .

[١] - في ز : « الحميد » . [٢] - في ز : « ويشربها » .
[٣] - سقط من : ز .

رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **إن ربي تبارك وتعالىٰ حرم [عليّ][١] الخمر والكوبة[٢] والقنين** (*) ، **وإياكم والغبيراء** (**) **فإنها ثلث خمر العالم** » .

(**حديث آخر**) : قال الإمام أحمد(٦٩٠) : حدّثنا يزيد ، حدثنا فرج بن فضالة ، عن إبراهيم ابن عبد الرحمن بن رافع ، عن أبيه ، عن عبد اللَّه بن عمرو[٣] ، قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن اللَّه حرم علىٰ أمتي الخمر والميسر[٤] والمزر** (***) **والكوبة والقنين ، وزادني صلاة الوتر** » . قال يزيد : القنين : البرابط . تفرد به أحمد .

وقال أحمد أيضًا(٦٩١) : حدثنا أبو عاصم - وهو النبيل - أخبرنا عبد الحميد بن جعفر ،

(*) القنين : لعبة للروم يقامرون بها . وقيل : هو الطنبور بالحبشية . النهاية (١١٦/٤) .

(**) الغبيراء : ضرب من الشراب يتخذه الحبش من الذرة . وهي تسكر ، وتسمى : السُّكُرْكة . النهاية (٣/ ٣٣٨) .

(***) المزر : نبيذ يتخذ من الذرة . وقيل من الشعير او الحنطة . النهاية (٣٢٤/٤) .

(٦٩٠) - رواه أحمد في مسنده (١٦٥/٢) ورواه في (١٦٧/٢) قال : حدثنا أبو النضر عن الفرج بن فضالة به . ورواه الطبراني في الكبير كما في « تحريم آلات الطرب » للألباني (ص ٥٩) من طريق الفرج به ، وإسناده ضعيف لضعف الفرج بن فضالة ، وعبد الرحمن بن رافع هو التنوخي قال الحافظ في «التقريب » : ضعيف ، وابنه إبراهيم قال الألباني : لم أجد له ترجمة .

وللحديث طريق آخر رواه أبو داود كتاب الأشربة ، باب : النهي عن المسكر حديث (٣٦٨٥) ؛ والبيهقي (٢٢١/١٠ ، ٢٢٢) ، وابن عبد البر في التمهيد (١٦٧/٥) والمزي في « تهذيب الكمال » (٤٥/٣١ ، ٤٦) من طرق عن يزيد بن أبي حبيب عن الوليد بن عبدة - ويقال : عمرو بن الوليد بن عبدة - عن عبد الله بن عمرو به . وهو عند أحمد في المسند وسيذكره المصنف بعد هذا . وعمرو بن الوليد هذا قال الحافظ في « التقريب » : صدوق . ورواه أحمد (١٧٢/٢) والبيهقي (٢٢٢/١٠) من طريق ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة عن أبي هريرة أو هبيرة العجلاني عن مولى لعبد الله بن عمرو ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعًا بلفظ : « إن ربي حرم على الخمر والميسر والكوبة والقنين » . قال الألباني في « تحريم آلات الطرب » (ص ٥٨) : رجال البيهقي ثقات غير المولى فلم أعرفه ، ولعله هو أبو هبيرة نفسه وهو مجهول كما في « تعجيل المنفعة » . قلت : وعلى ذلك فالحديث حسن لا سيما والطريق الثانية التي رواها أبو داود يمكن تحسينها لذاتها .

(٦٩١) - مسند أحمد (١٧١/٢) ، ورواه أيضًا في (١٥٨/٢) قال : حدثنا يحيى بن إسحاق أخبرني ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب به . وانظر التخريج السابق .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « عليّ » .

[٢] - في حاشية ز : « قال المزني : الكوبة : الطبل » .

[٣] - في ز ، خ : «عمر» . [٤] - سقط من : ز ، خ .

حدثنا يزيد بن أبي حبيب ، عن عمرو بن الوليد ، عن عبد الله بن عمرو ، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **من قال عليَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من جهنم** » . قال : وسمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **إن الله حرم الخمر والميسر والكوبة والغبيراء ، وكل مسكر حرام** » .

تفرد به أحمد أيضًا .

(**حديث آخر**) : قال الإمام أحمد (٦٩٢) : حدثنا وكيع ، حدثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، عن أبي طعمة مولاهم ، وعن عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي : أنهما سمعا ابن عمر يقول : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لعنت الخمر علىٰ عشرة وجوه ؛ لعنت الخمر بعينها ، وشاربها ، وساقيها ، وبائعها ، ومبتاعها ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وحاملها ، والمحمولة إليه ، وآكل ثمنها** » .

و[١] رواه أبو داود وابن ماجة من حديث وكيع به .

وقال أحمد(٦٩٣) : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا أبو طعمة ، سمعت ابن عمر يقول : خرج رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ المربد ، فخرجت معه فكنت عن يمينه ، وأقبل أبو بكر ، فتأخرت عنه فكان[٢] عن يمينه وكنت عن يساره ، ثم أقبل عمر فتنحيت له فكان عن يساره ، فأتىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم المربد ، فإذا بزقاق علىٰ المربد فيها خمر ، قال ابن عمر : فدعاني رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بالمدية ، قال ابن عمر : وما عرفت المدية إلا يومئذ . فأمر بالزقاق فشقت ، ثم قال : « **لعنت الخمر ، وشاربها ، وساقيها ، وبائعها** ،

(٦٩٢) - مسند أحمد (٢/ ٢٥، ٧١) ورواه ابن ماجه في كتاب الأشربة ، باب : لعنت الخمر على عشرة أوجه ، حديث (٣٣٨٠) من طريقين عن وكيع به . ورواه أبو داود كتاب الأشربة ، باب : العنب يعصر للخمر حديث (٣٦٧٤) حدثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا وكيع عن ... فذكره بإسناده نحوه . لكن وقع عنده أبو علقمة والصواب أبو طعمة وهو مولى عمر بن عبد العزيز وثقه ابن عمار الموصلي والذهبي . والحديث صحيح ؛ صححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند رقم (٤٧٨٧) والشيخ الألباني في صحيح أبي داود (٣١٢١) ، وله طريق أخرى في المسند سيأتي تخريجها في الحديث التالي .

(٦٩٣) - المسند (٢/٧١) وقال العلامة أحمد شاكر في تعليقه عليه : إسناده صحيح وقد سبق المرفوع منه في قوله « لعنت الخمر » إلخ . قلت : ابن لهيعة ضعيف خلط بعد احتراق كتبه ، والله أعلم . وانظر الحديث السابق .

[١] - سقط من : ز . [٢] - في ز : « وكان » .

ومبتاعها ، وحاملها ، والمحمولة إليه ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وآكل ثمنها » .

وقال أحمد(٦٩٤) : حدثنا الحكم بن نافع ، حدثنا أبو بكر بن أبي مريم ، عن ضمرة بن حبيب ، قال : قال عبد الله بن عمر : أمرني رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أن آتيه بمدية - وهي الشفرة - فأتيته بها فأرسل بها فأرهفت(*) ، ثم أعطانيها وقال : « **اغد عليَّ بها** » . ففعلت . فخرج بأصحابه إلىٰ أسواق المدينة وفيها زقاق الخمر قد جلبت من الشام ، فأخذ المدية مني فشق ما كان من تلك الزقاق بحضرته ، ثم أعطانيها وأمر أصحابه الذين كانوا معه أن يمضوا معي وأن يعاونوني ، وأمرني أن آتي الأسواق كلها فلا أجد فيها زق خمر إلا شققته ، ففعلت فلم أترك في أسواقها زقًّا إلا شققته .

(**حديث آخر**) : قال عبد الله بن وهب(٦٩٥) : أخبرني عبد الرحمن بن شريح وابن لهيعة والليث بن سعد ، عن خالد بن يزيد ، عن ثابت بن يزيد الخولاني أخبره : أنه كان له عم يبيع الخمر وكان يتصدق ، فنهيته عنها فلم ينته ، فقدمت المدينة فلقيت[١] ابن عباس فسألته عن الخمر وثمنها ، فقال : هي حرام وثمنها حرام . ثم قال [ ][٢] - : يا معشر أمة محمد ، إنه لو كان كتاب بعد كتابكم ونبي بعد نبيكم ، لأنزل فيكم كما أنزل فيمن قبلكم ، ولكن أخر ذلك من أمركم إلىٰ يوم القيامة ، ولعمري لهو أشد عليكم . قال ثابت : فلقيت عبد الله بن عمر فسألته عن

---

(٦٩٤) - المسند (١٣٢/٢) وإسناده ضعيف أبو بكر بن أبي مريم ضعفه ابن معين والرازيان وأحمد وأبو داود ، والنسائي والدارقطني ، لكن تقدم هذا الحديث بمعناه من طريق أبي طعمة عن ابن عمر في الحديث السابق . وقد ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٦/٥ ، ٥٧) الروايتين ثم قال : رواه كله أحمد بإسنادين في أحدهما أبوبكر بن أبي مريم وقد اختلط ، وفي الآخر أبو طعمة وقد وثقه محمد بن عبد الله بن عمار الموصلي وضعفه مكحول ، وبقية رجاله ثقات .

(*) أي : سُنَّت ، وأخرج حدَّاها . النهاية (٢٨٣/٢) .

(٦٩٥) - رواه البيهقي في كتاب الأشربة والحد فيها ، باب : ماجاء في تحريم الخمر (٢٨٧/٨) بسنده إلى ابن وهب به . ورواه الحاكم في مستدركه (١٤٤/٤) من طريق ابن وهب أخبرني عبد الرحمن بن شريح الخولاني أنه كان له عم يبيع الخمر وكان يتصدق بثمنه فنهيته عنها فلم ينته فقدمت المدينة فلقيت ابن عباس فذكره . وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي . ورواه أيضًا الطبراني في الكبير (٢٣٣/١٢ ، ٢٣٤) (١٢٩٧٧) من طريق ابن وهب عن عبد الرحمن بن شريح والليث بن سعد وابن لهيعة عن خالد بن يزيد عن ثابت بن يزيد الخولاني أخبره أنه قدم المدينة فلقى ابن عباس فذكره نحو رواية الحاكم والبيهقي وجعله كله من مسند ابن عباس ولم يذكر فيه ابن عمر . وإسناده ضعيف لجهالة خالد بن يزيد ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٦/٥) : رواه الطبراني ، وخالد بن يزيد لم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات .

---

[١] - في ز : « فتلقيت » . [٢] - في ت : ابن عباس ﷺ .

ثمن الخمر ؟ فقال : سأخبرك عن الخمر ؛ إني كنت عند[١] رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم في المسجد ، فبينا[٢] هو محتب حل حبوته ثم قال : « **من كان عنده من هذه الخمر شيء فليأتنا بها** » . فجعلوا يأتونه فيقول أحدهم : عندي راوية ، ويقول الآخر : عندي زق . أو ما شاء اللَّه أن يكون عنده ، فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **اجمعوا ببقيع كذا وكذا ثم آذنوني** » . ففعلوا ثم آذنوه فقام وقمت معه ، فمشيت[٣] عن يمينه وهو متكئ عليَّ ، فَلَحِقَنا أبو بكر -رضي اللَّه عنه- فأخرني رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فجعلني عن شماله وجعل أبا[٤] بكر مكاني[٥] ، ثم لحقنا عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه فأخرني وجعله عن يساره ، فمشىٰ بينهما حتىٰ إذا وقف علىٰ الخمر قال للناس : « **أتعرفون هذه**[٦] ؟ » قالوا : نعم يا رسول اللَّه ، هذه الخمر . قال : « **صدقتم** » . قال[٧] : « **فإن اللَّه لعن الخمر ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وشاربها ، وساقيها ، وحاملها ، والمحمولة إليه ، وبائعها ، ومشتريها ، وآكل ثمنها** » . ثم دعا بسكين فقال : « **اشحذوها** » . ففعلوا ثم أخذها رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يخرق بها الزقاق ، قال : فقال الناس : في هذه الزقاق منفعة . فقال[٨] : « **أجل ، ولكني إنما أفعل ذلك غضبًا للَّه عز وجل لما فيها من سخطه** » . فقال عمر : أنا أكفيك يا رسول اللَّه . قال : « **لا** » .

قال ابن وهب : وبعضهم يزيد علىٰ بعض في قصة الحديث . رواه البيهقي .

(**حديث آخر**) : قال الحافظ أبو بكر البيهقي(٦٩٦) : أنبأنا أبو الحسين بن بشران ، أنبأنا إسماعيل بن محمد الصفار ، حدثنا محمد [ ][٩] بن عبيد اللَّه المنادي ، حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا شعبة ، عن سماك ، عن مصعب بن سعد ، [عن سعد][١٠] ، قال : أنزلت في الخمر أربع آيات ، فذكر الحديث ، قال : وضع رجل من الأنصار طعامًا ، فدعانا فشربنا

(٦٩٦) - سنن البيهقي الكبرى كتاب الأشربة والحد فيها ، باب : ما جاء في تحريم الخمر (٢٨٥/٨) ، والحديث رواه مسلم في « صحيحه » (٢٦٦/١٥) كتاب فضائل الصحابة ، باب : في فضل سعد بن أبي وقاص ، رضي الله عنه حديث (١٧٤٨/٤٤) من طريق شعبة عن سماك بن حرب به . ورواه أيضًا أبو داود (٢٧٤٠) ، والترمذي (٣٠٧٩) ، (٣١٨٩) وغيرهما من حديث مصعب بن سعد عن أبيه به .

[١] - في ت : « مع » .
[٢] - في ت : « فبينما » .
[٣] - في ت : « ومشيت » .
[٤] - في ز : « أبو » .
[٥] - في ت : في مكاني .
[٦] - في ز : « هذا » .
[٧] - في ت : ثم قال .
[٨] - في ز : « قال » .
[٩] - ما بين المعكوفتين في ز : « بن محمد » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

الخمر قبل أن تحرم حتىٰ انتشينا[١] ، فتفاخرنا ؛ فقالت[٢] الأنصار : نحن أفضل ، وقالت قريش : نحن أفضل ، فأخذ رجل من الأنصار لحي جزور فضرب به أنف سعد ففزره (*) ، [وكانت أنف سعد مفزورًا][٣] ، فنزلت [آية الخمر][٤] : ﴿ **إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام** ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ **فهل أنتم منتهون** ﴾ .

أخرجه مسلم من حديث شعبة .

(**حديث آخر**) : قال البيهقي (٦٩٧) : وأخبرنا أبو نصر بن قتادة ، أنبأنا أبو علي الرفاء ، حدثنا علي بن عبد العزيز ، حدثنا حجاج بن منهال ، حدثنا ربيعة بن كلثوم ، حدثني أبي ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : إنما نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الأنصار شربوا ، فلما أن ثمل القوم عبث بعضهم ببعض ، فلما أن[٥] صحوا جعل الرجل يرىٰ الأثر بوجهه ورأسه ولحيته فيقول : صنع بي هذا أخي فلان ، وكانوا إخوة ليس في قلوبهم ضغائن[٦] ، [فيقول : والله لو كان بي رءوفًا رحيمًا ما صنع بي هذا ، حتىٰ وقعت الضغائن في قلوبهم][٧] فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان** ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ **فهل أنتم منتهون** ﴾ فقال ناس[٨] من المتكلفين : هي رجس وهي في بطن فلان وقد قتل يوم أحد . فأنزل الله تعالىٰ : ﴿ **ليس علىٰ الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين** ﴾ .

(*) أي : شقه . النهاية (٣/٤٤٣)

(٦٩٧) - سنن البيهقي (٨/٢٨٥ ، ٢٨٦) ، ورواه النسائي في السنن الكبرى (٦/٣٣٧) كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ **إنما الخمر والميسر** ﴾ حديث (١١١٥١) وفي التفسير (١٧١) ، وابن جرير في تفسيره (١٠/٥٧١) (١٢٥٢٢) ، والطبراني في الكبير (١٢/٥٦ ، ٥٧) (١٢٤٥٩) ، والحاكم في المستدرك (٤/١٤١ ، ١٤٢) من طريق ربيعة بن كلثوم عن أبيه به . والحديث صححه الذهبي على شرط مسلم « تلخيص مستدرك الحاكم » وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٢١) وقال : « رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح » . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٢/٥٥٧) نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه ، ويشهد له حديث سعد المتقدم قبل هذا .

---

[١] - في ز : « انتشبنا » .
[٢] - في ز : « فقال » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من ت .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز ، خ : « شيء » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٨] - في ت : « أناس » .

ورواه النسائي في التفسير عن محمد بن عبد الرحيم صاعقة ، عن حجاج بن منهال .

(**حديث آخر**) : قال ابن جرير(٦٩٨) : حدثني محمد بن خلف ، حدثنا سعيد بن محمد الحرمي ، عن أبي تميلة ، عن سلام مولىٰ حفص أبي القاسم ، عن ابن[١] بريدة ، عن أبيه ، قال : بينا نحن قعود علىٰ شراب لنا ونحن علىٰ رملة ، ونحن ثلاثة أو أربعة ، وعندنا باطية(*) لنا ونحن نشرب الخمر حلًّا ، إذ قمت حتىٰ آتي رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم فأسلم عليه ، إذ نزل تحريم الخمر ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر** ﴾ إلىٰ آخر الآيتين[٢] ﴿ **فهل أنتم منتهون** ﴾ ، فجئت إلىٰ أصحابي فقرأتها عليهم إلىٰ قوله : ﴿ **فهل أنتم منتهون** ﴾ قال : وبعض القوم شَرْبته في يده قد شرب بعضها ، وبقي بعض في الإناء ، فقال بالإناء تحت شفته العليا كما يفعل الحجام ، ثم صبوا ما في باطيتهم ، فقالوا : انتهينا ربنا !.

(**حديث آخر**) : قال البخاري (٦٩٩) : حدثنا صدقة بن الفضل ، أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن جابر ، قال : صبح أناس[٣] غداة أحد الخمر فقتلوا من يومهم جميعا[٤] شهداء ، وذلك قبل تحريمها .

هكذا رواه البخاري في تفسيره من صحيحه ، وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده(٧٠٠) : حدثنا أحمد بن عبدة ، حدثنا سفيان ، عن[٥] عمرو بن دينار ، سمع جابر ابن عبد الله يقول : اصطبح ناس الخمر من أصحاب النبي صلىٰ الله عليه وسلم ثم قتلوا شهداء يوم أحد ، فقالت اليهود : فقد مات بعض الذين قتلوا وهي في بطونهم . فأنزل الله : ﴿ **ليس علىٰ الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا** ﴾ . ثم قال : وهذا إسناد

(٦٩٨) - تفسير ابن جرير (١٠/٥٧٢) (١٢٥٢٣) ، وإسناده رجاله ثقات غير سلام مولى حفص ذكره البخاري في التاريخ (١٣٣/٤) ، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢٦٢/٤) ، ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلاً وذكره ابن حبان في الثقات ، والخبر ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٥٧/٢) ولم يعزه لغير ابن جرير .

(*) الباطية : إناء الخمر ، وهي تصنع من الزجاج وتملأ بالخمر ويغرف منها الشرب . انظر لسان العرب (ب ط ى)

(٦٩٩) - صحيح البخاري (٢٧٧/٨) كتاب التفسير ، باب : ﴿ **إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان** ﴾ حديث (٤٦١٨) .

(٧٠٠) - لم يطبع مسند جابر بن عبد الله من « البحر الزخار » المعروف بمسند البزار بعد ، وليس الحديث في كشف الأستار ولا هو من شرطه ؛ فإن الحديث في صحيح البخاري وغيره من الكتب الستة .

---

[١] - في ت : « أبي » .
[٢] - في ز : « الآية » .
[٣] - في ز : « ناس » .
[٤] - سقط من : ت .
[٥] - في ز : « بن » .

صحيح . وهو كما قال ، ولكن في سياقه غرابة .

(**حديث آخر**) : قال أبو داود الطيالسي (٧٠١) : حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ابن عازب ، قال : لما نزل تحريم الخمر قالوا : كيف بمن كان يشربها قبل أن تحرم ؟ فنزلت : ﴿ **ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا** ﴾ الآية . و[١] رواه الترمذي [ ][٢] عن غندر ، عن شعبة به نحوه ، وقال : حسن صحيح .

(**حديث آخر**) : قال الحافظ أبو يعلى الموصلي(٧٠٢) : حدثنا جعفر بن حميد الكوفي ، حدثنا يعقوب القمي ، عن عيسى بن جارية ، عن جابر بن عبد الله ، قال : كان رجل يحمل الخمر من خيبر إلى المدينة فيبيعها من المسلمين ، فحمل[٣] منها بمال فقدم بها المدينة فلقيه رجل من المسلمين ، فقال : يا فلان ؛ إن الخمر قد حرمت . فوضعها حيث انتهى على تل وسجى عليها بأكسية ، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، بلغني أن الخمر قد حرمت ؟ قال : « **أجل** » . قال : ألي[٤] أن أردها على من ابتعتها منه ؟ قال : « **لا يصلح[٥] ردها** » . قال : ألي[٦] أن أهديها إلى من يكافئني منها ؟ قال : « **لا** » . قال : فإن فيها مالًا ليتامى في حجري . قال : « **إذا أتانا مال البحرين فأتنا نعوض أيتامك**

(٧٠١) - مسند الطيالسي (٧١٥) ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٠١/٤) (٦٧٧٥) ، ورواه الترمذي في التفسير باب : ومن سورة المائدة حديث (٣٠٥١) ، وأبو يعلى في مسنده (١٧١٩، ١٧٢٠) ، وابن جرير في تفسيره (١٢٥٢٩) من طريق شعبة به ، ورواه الترمذي (٣٠٥٠) ، والطبري (١٢٥٢٨) من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق به ، وقال الترمذي عقب الطريقين : حسن صحيح . وإسناده صحيح على شرط الشيخين لكن في مسند أبي يعلى عقب الحديث : قال شعبة : أسمعته من البراء ؟ قال : لا . لكن الحديث صححه الألباني - حفظه الله - في صحيح سنن الترمذي برقم (٢٤٤٣، ٢٤٤٤) والخبر ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٦٦/٢) وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه .

(٧٠٢) - مسند أبي يعلى (٤٠٤/٣) (١٨٨٤) وإسناده ضعيف عيسى بن جارية ضعفه ابن معين وقال أبو داود : منكر الحديث . وذكره ابن حبان في الثقات (٢١٤/٥) وقال الحافظ في « التقريب » : « فيه لين » . والحديث رواه الطبراني في « الأوسط » (٣٧٢٧) - مختصرًا - قال : حدثنا عثمان بن عبيد الله الطلحي قال : نا جعفر بن حميد ، قال : نا يعقوب القمي فذكره مختصرًا . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٢/٤) وقال : « رواه أبو يعلى ، وفي الطبراني في الأوسط طرف منه بمعناه وفي إسناد الجميع يعقوب القمي وعيسى بن جارية وفيهما كلام وقد وثقا » .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « عن بندار » .
[٣] - في ز ، خ : « فحل » .
[٤] - في ز : « لي » .
[٥] - في ت : « يصح » .
[٦] - في ز : « لي » .

من مالهم » . ثم نادىٰ بالمدينة ، فقال رجل : يا رسول اللَّه الأوعية ننتفع بها ؟ قال : « **فحلوا أوكيتها** » ، فانصبت حتىٰ استقرت في بطن الوادي . هذا حديث غريب .

(**حديث آخر**) : قال الإمام أحمد (٧٠٣) : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن السدي ، عن أبي هبيرة - وهو يحيىٰ بن عباد الأنصاري - عن أنس بن مالك : أن أبا طلحة سأل رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم عن أيتام في حجره ورثوا خمرًا . فقال[١] : « **أهرقها** » . قال : أفلا نجعلها خلًّا ؟ قال : « **لا** » .

ورواه مسلم وأبو داود والترمذي من حديث الثوري به نحوه .

(**حديث آخر**) : قال ابن أبي حاتم(٧٠٤) : حدثنا أبي ، حدثنا عبد اللَّه بن رجاء ، حدثنا عبد العزيز بن أبي[٢] سلمة ، حدثنا هلال بن أبي هلال ، عن عطاء بن يسار ، عن عبد اللَّه بن عمرو ، قال : إن هذه الآية التي في القرآن : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون** ﴾ قال : هي في التوراة : إن اللَّه أنزل[٣] الحق ليذهب به الباطل ، ويبطل به اللعب والمزامير والزفن والكِنَّارات يعني البرابط - والزمارات يعني بها[٤] الدف والطنابير والشعر ، والخمر مرة لمن طعمها ، أقسم اللَّه بيمينه وعزة حَيْله[٥] من شربها بعد ما حرمتها لأعطشنه يوم القيامة ، ومن تركها بعد ما حرمتها لأسقينه إياها في حظيرة القدس .

وهذا إسناد صحيح .

(٧٠٣) - رواه في المسند (٣/ ١١٩، ١٨٠) ، ورواه أبو داود في الأشربة ، باب : ما جاء في الخمر تخلل حديث (٣٦٧٥) حدثنا زهير بن حرب ثنا وكيع فذكره ، ورواه مسلم في الأشربة ، باب : تحريم تخليل الخمر ، حديث (١٩٨٣) ، والترمذي في البيوع ، باب : النهي أن يتخذ الخمر خلًّا حديث (١٢٩٤) ، وأحمد (٣/٢٦٠) ، والدارمي (٢١٢١) من طريقين عن السدي به ، والسدي هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة قال الحافظ في « التقريب » : صدوق يهم روى له مسلم والأربعة وقد تابعه ليث ابن أبي سليم فرواه عن يحيى بن عباد عند أحمد في مسنده (٣/٢٦٠) وليث ضعيف أيضًا .

(٧٠٤) - تفسير ابن أبي حاتم (٤/١١٩٦) (٦٧٤٤) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/٥٦٠) وزاد نسبته لأبي الشيخ والبيهقي .

[١] - في ز : « قال » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « نزل » .
[٤] - في ز : « به » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .

(**حديث آخر**) : قال عبد الله بن وهب (٧٠٥) : أخبرني عمرو بن الحارث ، أن عمرو بن شعيب حدثهم ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **من ترك الصلاة سكرًا مرة واحدة فكأنما كانت له الدنيا وما عليها فسلبها ، ومن ترك الصلاة سكرًا أربع مرات كان حقًا علىٰ الله أن يسقيه من طينة الخبال** » . قيل : وما طينة الخبال ؟ قال : « **عُصارة أهل جهنم** » .

ورواه أحمد من طريق عمرو بن شعيب .

(**حديث آخر**) : قال أبو داود(٧٠٦) : حدثنا محمد بن رافع ، حدثنا إبراهيم بن عمر الصنعاني ، قال : سمعت النعمان - هو ابن أبي شيبة الجندي[١] - يقول : عن طاوس ، عن ابن عباس ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **كل مخمر خمر ، وكل مسكر حرام ، ومن شرب مسكرًا بخست صلاته أربعين صباحًا ، فإن تاب تاب الله عليه ، فإن عاد الرابعة كان[٢] حقًا علىٰ الله أن يسقيه من طينة الخبال** » . قيل : وما طينة الخبال يا رسول الله ؟ قال : « **صديد أهل النار ، ومن سقاه صغيرًا لا يعرف حلاله من حرامه كان حقًا علىٰ الله أن يسقيه من طينة الخبال** » .

تفرد به أبو داود .

(٧٠٥) - رواه أحمد في مسنده (١٧٨/٢) بسنده إلى ابن وهب به ، ورواه الحاكم في المستدرك (١٤٦/٤) حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أنبأ ابن وهب به ، ورواه البيهقي في سننه (٢٨٧/٨) من طرق عن أبي العباس محمد بن يعقوب بالحديث .

والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٢/٥ ، ٧٣) إلى قوله : فسلبها ، وقال : رواه أحمد ورجاله ثقات . قال العلامة أحمد شاكر عقب قول الهيثمي هذا : لا أدري لم ترك باقيه ؟ فإني لم أجده فيه في موضع آخر . قلت له كذلك في بعض نسخ المسند فإن المنذري - رحمه الله - ذكر الحديث بتمامه في الترغيب (٢٢٧/٣) وعزاه للحاكم وقال : « وروى أحمد فيه » من ترك الصلاة ... فسلبها » ثم قال ورواته ثقات . والحديث صحح إسناده الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند . والحق أن إسناد هذا الحديث لا يرتقى إلى درجة الصحة للاختلاف في رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده . والله أعلم .

(٧٠٦) - سنن أبي داود كتاب الأشربة ، باب : النهي عن المسكر حديث (٣٦٨٠) ومن طريقه رواه البيهقي في السنن (٢٨٨/٨) وابن عبد البر في التمهيد (٢٥٥/١) وإسناده صحيح . قال الألباني في «السلسلة الصحيحة » (٢٠٣٩) : هذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات ، والنعمان هذا هو ابن أبي شيبة عبيد الصنعاني ، وهو ثقة بلا خلاف . ومثله إبراهيم بن عمر الصنعاني .

[١] - في خ : « الجندرى » . [٢] - في ز : « فإن » .

(**حديث آخر**) : قال الشافعي رحمه الله(٧٠٧) : أنبأنا مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرمها في الآخرة** » .

أخرجه البخاري ومسلم من حديث مالك به .

وروىٰ مسلم عن أبي الربيع ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **كل مسكر خمر ، وكل مسكر حرام ، ومن شرب الخمر فمات وهو يدمنها ولم يتب منها لم يشربها في الآخرة** »(٧٠٨) .

(**حديث آخر**) : قال ابن وهب (٧٠٩) : أخبرني عمر بن محمد ، عن عبد الله بن يسار ، أنه سمع سالم بن عبد الله يقول : قال عبد الله بن عمر : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ؛ العاق لوالديه ، والمدمن الخمر ، والمنان بما أعطىٰ** » .

ورواه النسائي : عن عمرو بن علي ، عن يزيد بن زريع ، عن عمر بن محمد العمري به .

وروىٰ أحمد[١] (٧١٠) : عن غندر ، عن شعبة ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن مجاهد ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **لا يدخل الجنة منان ، ولا عاق ، ولا مدمن خمر** »

(٧٠٧) - مسند الشافعي (٢/رقم ٣٠٠ - شفاء العي) ، والحديث رواه مالك في الموطأ (٢/٦٤٥) كتاب الأشربة ، باب تحريم الخمر حديث (١١) ومن طريقه رواه البخاري في « صحيحه » كتاب الأشربة ، باب قول الله تعالى : ﴿ **إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس** ﴾ ... الآية حديث (٥٥٧٥) ، ومسلم في الأشربة ،باب : عقوبة من شرب الخمر إذا لم يتب منها ، يمنعه إياها في الآخرة ، (٧٦، ٧٧/ ٢٠٠٣) .

(٧٠٨) - رواه مسلم في الأشربة ، باب : بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام ، حديث (٧٣/ ٢٠٠٣) قال : حدثنا أبو الربيع العتكي وأبو كامل قالا : حدثنا حماد بن زيد فذكره ، ورواه أبو داود (٣٦٧٩) ، والترمذي (١٨٦١) ، وأحمد (٢/٩٨) عن حماد بن زيد به .

(٧٠٩) - تقدم تخريجه في « تفسير البقرة » /الآية (٢٦٤) .

(٧١٠) - رواه في المسند (٣/٤٤) ، ورواه في (٣/٢٨) قال : حدثنا عبد الصمد قال حدثنا عبد العزيز - يعني بن مسلم - ثنا يزيد عن مجاهد به . ورواه أبو يعلى في مسنده (٢/٣٩٤) (١١٦٨) حدثنا أبو خيثمة حدثنا جرير عن يزيد بن أبي زياد به . ورواه النسائي في الكبرى كتاب العتق ، باب : عتق =

[١] - في خ : « محمد » .

ورواه أحمد أيضًا (٧١١) : عن عبد الصمد ، عن عبد العزيز بن مسلم[١] عن يزيد بن أبي زياد ، عن مجاهد به . وعن مروان بن شجاع ، عن خصيف ، عن مجاهد به . ورواه النسائي(٧١٢) عن القاسم بن زكريا ، عن الحسين[٢] الجعفي ، عن زائدة ، عن يزيد[٣] بن[٤] أبي زياد ، عن سالم بن أبي الجعد ومجاهد كلاهما ، عن أبي سعيد به .

(**حديث آخر**) : قال الإمام[٥] أحمد (٧١٣) : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن جابان ، عن عبد اللَّه بن عمرو ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **لا يدخل الجنة عاق ، ولا مدمن خمر ، ولا منان ، ولا ولد زِنْيَة**[٦] » .

= ولد الزنا حديث (٤٩٢٠) من طريق زائدة عن يزيد بن أبي زياد عن سالم بن أبي الجعد ومجاهد عن أبي سعيد به . ورواه الخطيب في « موضح أوهام الجمع والتفريق » (١٨٣/٢) من طريق يزيد بن أبي زياد عن سالم ابن أبي الجعد عن أبي سعيد ، والحديث مدار طرقه على يزيد بن أبي زياد وهو ضعيف .

(٧١١) - مسند أحمد (٢٨/٣) وانظر التخريج السابق .

(٧١٢) - سنن النسائي الكبرى (٤٩٢٠) وانظر رقم (٧٣٨) .

(٧١٣) - رواه في المسند (٢٠٣/٢) وهو عند عبد الرزاق في « مصنفه » (٤٥٤/٧) (١٣٨٥٩) ورواه أيضًا عبد بن حميد كما في المنتخب من المسند » (٣٢٤) ، والنسائي في « الكبرى » كتاب العتق ، باب ما ذكر في ولد الزنا وذكر اختلاف الناقلين لخبر عبد الله بن عمرو في ذلك حديث (٤٩١٤) ، والدارمي (٢٠٩٩) وابن خزيمة في التوحيد (٥٨١) ، وابن حبان في « صحيحه » (٣٣٨٣) ، والخطيب في تاريخه (١٧/١١) من طريق سفيان ، والنسائي في « الكبرى » (٤٩١٦) وابن خزيمة في التوحيد (٥٨٣) من طريق جرير ، وأحمد في المسند (١٦٤/٢) من طريق همام ، والطحاوي في « مشكل الآثار » (٩١٤) من طريق شيبان أربعتهم عن منصور . والحديث رواه شعبة عن منصور لكن اختلف عليه فيه فرواه النسائي في « الصغرى » كتاب الأشربة ، باب : الرواية في المدمنين في الخمر (٣١٨/٨) ، وفي « الكبرى » كتاب العتق ، باب : عتق ولد الزنا حديث (٤٩١٤) (١٧٥/٣) وأحمد (٢٠١/٢) ، والدارمي (٢١٠٠) ،والطيالسي (٢٢٩٥) ، وابن حبان (٣٣٨٤) من طريق شعبة عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن نبيط بن شريط عن جابان عن عبد الله بن عمرو به . لكن وقع عند الطيالسي « شميط بن نبيط » ، وقال البخاري في « التاريخ » (٢٥٧/٢) : قال الجعفي ثنا وهب سمع شعبة : عن منصور عن سالم عن نبيط عن جابان عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم قال : « **لا يدخل الجنة ولد زنا** » وتابعه غندر ، ولم يقل جرير والثوري : نبيط ، وقال عبدان عن أبيه عن شعبة عن يزيد عن سالم عن عبد الله بن عمرو - قوله : ولم يصح ولا يعرف لجابان سماع من عبد الله بن عمرو ولا لسالم من

[١] - في ز : « أسلم » .
[٢] - في ز : « حسين » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « رنية » .

وكذا رواه عن يزيد ، عن همام ، عن منصور ، عن سالم ، عن جابان ، عن عبد اللَّه بن عمرو به . وقد رواه أيضًا عن غندر وغيره ، عن شعبة ، عن منصور ، عن سالم ، عن نبيط[١] بن شُرَيط ، عن جابان ، عن عبد اللَّه بن عمرو ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **لا يدخل الجنة منان ، ولا عاق والديه ، ولا مدمن خمر** » .

ورواه النسائي من حديث شعبة كذلك ، ثم قال : ولا نعلم[٢] أحدًا تابع شعبة عن نبيط[٣] بن شريط .

وقال البخاري : لا يعرف[٤] لجابان سماع من عبد اللَّه ، ولا لسالم من جابان ولا نبيط .

وقد روي هذا الحديث من طريق مجاهد عن ابن عباس ، ومن طريقه أيضًا عن أبي هريرة ، فاللَّه أعلم .

وقال الزهري (٧١٤) : حدثني أبو بكر بن [عبد الرحمن][٥] بن الحارث بن هشام ، أن أباه

جابان ولا من نبيط . وقد صوب الحافظ أبو حاتم بن حبان في صحيحه رواية سفيان ومن وافقه على رواية شعبة فقال : اختلف شعبة والثوري في إسناد هذا الخبر فقال الثوري : عن سالم عن جابان ، وهما ثقتان حافظان إلَّا أن الثوري كان أعلم بحديث أهل بلده من شعبة وأحفظ لها منه ، ولا سيما حديث الأعمش وأبي إسحاق ومنصور ، فالخبر متصل عن سالم عن جابان فمرة روى كما قال شعبة وأخرى كما قال سفيان . وصوب العلامة أحمد شاكر في تعليقه على المسند رواية سفيان وصحح إسناده من هذا الطريق فقال : « ولا نكاد نشك بعد هذا في أن شعبة لم يتقن حفظ هذا الإسناد وأن هذا الاضطراب منه لا من الرواة عنه فتخلص لنا رواية الحافظين الثقتين : همام والثوري ، عن منصور عن سالم عن جابان عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا كما بينا ولا يؤثر خلاف شعبة لهما ، بما زاد من راويين سالم وجابان بأنه اضطرب في ذلك واختلف قوله فلم يتقن ما روى عن منصور » اهـ . وأمَّا العلة الثانية التي ذكرها البخاري – رحمه الله – من أن سالمًا لم يسمع من جابان ولا من نبيط وأن جابان لم يسمع من ابن عمرو فقد ردها الشيخ أحمد شاكر بأن ذكر نبيط في الإسناد خطأ وأن سالم بن أبي الجعد تابعي معروف سمع من الصحابة فلا يحتاج إلى إثبات سماعه من جابان بالتنصيص كما هو بديهي ، وهو لو شاء أن يدلسه فيجعل الرواية عن عبد الله بن عمرو مباشرة لما تردد أحد في أنه متصل ولكنه أدى الأمانة حق أدائها فذكر الواسطة بينه وبين ابن عمرو في هذا الحديث بعينه ، فمن التجني أن يشك أحد في اتصاله وأن يحمله على التدليس !! وأمَّا عن رواية جابان عن ابن عمرو فقد جاء الحديث من وجهين آخرين عن ابن عمرو ذكرهما العلامة أحمد شاكر . وأيضًا يشهد لهذا الحديث حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب المتقدم قريبًا ، والله أعلم .

(٧١٤) – سنن البيهقي (٨/٢٨٧ ، ٢٨٨) ، ورواه عبد الرزاق (١٧٠٦٠) ، والنسائي =

---

[١] – في ز : « نبيطة » .
[٢] – في ز : « يعلم » .
[٣] – في ز : « نبيطة » .
[٤] – في ز : « نعرف » .
[٥] – ما بين المعكوفتين في ز : « عبد الكريم » .

قال : سمعت عثمان بن عفان يقول : اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث ، إنه كان رجل فيمن خلا قبلكم يتعبد ويعتزل الناس ، فعلقته امرأة غوية ، فأرسلت إليه جاريتها ، فقالت : إنا ندعوك لشهادة ، فدخل معها فطفقت كلما دخل بابًا أغلقته دونه ، حتىٰ أفضىٰ إلىٰ امرأة وضيئة عندها غلام وباطية خمر ، فقالت : إني واللَّه ما دعوتك لشهادة ، ولكني[١] دعوتك لتقع عليَّ ، أو تقتل هذا الغلام ، أو تشرب هذا الخمر ، فسقته كأسًا ، فقال : زيدوني ، فلم يرم حتىٰ وقع عليها وقتل النفس ، فاجتنبوا الخمر فإنها لا تجتمع هي والإيمان أبدًا ، إلا أوشك أحدهما أن يخرج صاحبه .

و[٢] رواه البيهقي وهذا إسناد صحيح ، وقد رواه أبو بكر بن أبي الدنيا في كتابه ذم المسكر(٧١٥) عن محمد بن عبد اللَّه بن بزيع ، عن الفضيل بن سليمان النميري ، عن عمر بن سعيد ، عن الزهري به مرفوعًا ، والموقوف أصح ، واللَّه أعلم . وله شاهد في الصحيحين(٧١٦) عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه قال : « **لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق سرقة حين يسرقها وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن** » .

وقال أحمد بن حنبل (٧١٧) : حدثنا أسود بن عامر ، أخبرنا إسرائيل ، عن سماك ، عن

= (٣١٥/٨ ، ٣١٦) في الأشربة ، باب ذكر الآثار المتولدة عن شرب الخمر من ترك الصلوات ... موقوفًا . ورواه ابن حبان في « صحيحه » (١٦٨/١٢ ، ١٦٩) (٥٣٤٨) ، وابن أبي الدنيا في ذم المسكر (١) ومن طريقه ابن الجوزي في العلل المتناهية (١١٢٢) قال حدثني عبد الله بن محمد بن بزيع فذكر الحديث كما نقله عنه المصنف في الحديث التالي ، والصواب وقف الحديث كما قال المصنف - رحمه الله - فإن المرفوع في إسناده عمر ابن سعيد بن سريج - ويقال له : ابن سريج - لينه الذهبي وقال ابن عدي : أحاديثه ليست مستقيمة .

(٧١٥) - ذم المسكر لابن أبي الدنيا رقم (١) ، و من طريقه ابن الجوزي في العلل المتناهية (١١٢٢) ، وانظر التخريج السابق .

(٧١٦) - رواه البخاري في « صحيحه » كتاب المظالم ، باب : النهي بغير إذن صاحبه حديث (٢٤٧٥) وأطرافه في (٥٥٧٨) (٦٧٧٢) (٦٨١٠) ، ومسلم في كتاب الإيمان باب : بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ، ونفيه عن المتلبس بالمعصية حديث (٥٧) من طرق عن أبي هريرة .

(٧١٧) - المسند (٢٩٥/١) (٢٦٩١) ، ورواه في (٢٣٤/١) (٢٠٨٨) قال : حدثنا وكيع ، وفي (١/ ٣٠٤) (٢٧٧٥) قال : حدثنا خلف ، والترمذي كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة المائدة حديث (٣٠٥٢) قال : حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبد العزيز بن أبي زرقة ، والحاكم في المستدرك (١٤٣/٤) من طريق عبيد الله بن موسى ، خمستهم عن إسرائيل عن سماك به ، وقال الترمذي : حديث حسن =

[١] - سقط من : ز ، خ .   [٢] - سقط من : ز .

عكرمة ، عن ابن عباس ، قال . لما حرمت الخمر[١] قال أناس : يا رسول اللَّه ، أصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها ؟ فأنزل اللَّه : ﴿ **ليس علىٰ الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا** ﴾ [إلىٰ آخر][٢] الآية . قال[٣] : ولما حولت القبلة قال أناس : يا رسول اللَّه ، أصحابنا الذين ماتوا وهو[٤] يصلون إلىٰ بيت[٥] المقدس ؟ فأنزل اللَّه : ﴿ **وما كان ليضيع إيمانكم** ﴾ .

وقال الإمام أحمد (٧١٨) : حدثنا داود بن مهران الدباغ ، حدثنا داود - يعني : العطار - عن ابن خثيم ، عن شهر بن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد ، أنها سمعت النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « **من شرب الخمر لم يرض اللَّه عنه أربعين ليلة ، إن مات مات كافرًا ، وإن تاب تاب اللَّه عليه ، وإن عاد كان حقًّا علىٰ اللَّه أن يسقيه من طينة الخبال** » . قالت : قلت : يا رسول اللَّه ، وما طينة الخبال ؟ قال : « **صديد أهل النار** » .

وقال الأعمش(٧١٩) ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد اللَّه بن مسعود ، أن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال لما نزلت : ﴿ **ليس علىٰ الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا** ﴾ فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم « **قيل لي : أنت منهم** » . وهكذا رواه مسلم والترمذي والنسائي من طريقه .

= صحيح . وقال الحاكم : صحيح الإسناد . ووافقه الذهبي

(٧١٨) - رواه في المسند (٦/٤٦٠) ، ورواه الطبراني في الكبير (٢٤/١٦٨) (٤٢٨) ، وابن أبي الدنيا في «ذم المسكر » (٢٥) من طريق داود العطار عن عبد الله بن عثمان بن خثيم به . ورواه الطبراني (٢٤/ ١٦٩) (٤٢٩) من طريق يحيى بن سليم عن عبد الله بن خثيم بإسناده نحوه . وإسناده حسن لولا أن شهر بن حوشب ضعيف ، والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/٧٢) وقال رواه أحمد والطبراني وفيه شهر بن حوشب وهو ضعيف وقد حسن حديثه ، وبقية رجال أحمد ثقات »

(٧١٩) - رواه مسلم في « صحيحه » كتاب فضائل الصحابة ، باب : من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رضي الله تعالى عنهما حديث (٢٤٥٩) ، والترمذي في كتاب التفسير ، باب : « ومن سورة المائدة » حديث (٣٠٥٣) ، والنسائي في « الكبرى » كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : ﴿ **ليس علي الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا** ﴾ حديث (١١١٥٣) وهو في تفسير النسائي رقم (١٧٣) .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ر

[٣] - سقط من : ت .

[٤] - في ت : « وهو » .

[٥] - في ت «البيت »

وقال عبد اللّٰه ابن الإمام أحمد(٧٢٠) : قرأت علىٰ أبي ، حدثنا علي بن عاصم ، حدثنا إبراهيم الهجري ، عن أبي الأحوص ، عن عبد اللّٰه بن مسعود ، قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إياكم وهاتان الكعبتان**[١] [**الموسومتان اللتان تزجران**][٢] **زجرًا ، فإنهما ميسر العجم** » .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ (٩٤) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ (٩٥) ﴾

قال الوالبي عن ابن عباس قوله : ﴿ **ليبلونكم اللّٰه بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم** ﴾ قال : هو الضعيف من الصيد وصغيره يبتلي اللّٰه به عباده في إحرامهم ، حتىٰ لو شاءوا يتناولونه بأيديهم ، فنهاهم اللّٰه أن يقربوه .

وقال مجاهد : ﴿ **تناله أيديكم** ﴾ يعني : صغار الصيد وفراخه ﴿ **ورماحكم** ﴾ يعني :

(٧٢٠) - زوائد « المسند » (١/٤٤٦) ، وإسناده ضعيف لضعف إبراهيم الهجري واسمه إبراهيم بن مسلم أبو إسحاق الهجري ضعفه ابن معين والنسائي وأبو حاتم (وانظر ترجمته في الميزان (١/٦٥)) والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/١١٦) وقال : رواه أحمد والطبراني ورجال الطبراني رجال الصحيح . قال العلامة أحمد شاكر في تعليقه على المسند : « إياكم وهاتان » إلخ : هكذا ثبت في الأصلين والزوائد . وكذلك في كتاب الزواجر لابن حجر المكي ٢/٢١٢ (طبعة بولاق سنة ١٢٨٤) وكتب مصححه الشيخ محمد الصباغ - رحمه الله - بهامشه : « كذا في الأصول التي بأيدينا ، ولعله على لغة من يلزم المثنى الألف » ، وهو كما قال ، قلت : في كامل ابن عدي (١/٢١٦) ترجمة إبراهيم الهجري ذكر ابن عدي هذا الحديث في مناكيره لكن بلفظ : « إياكم وهاتين الكعبتين ..» إلخ وأغلب الظن عندي أن هذا تحريف من الناسخ أو من القائمين على طبع الكتاب فإن هذه الطبعة كثيرة التحريفات والتصحيفات .

[١] - في ز : « الكيتان » ، خ : « الكستان » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « الموسمتان الذين يزجران » .

كباره .

وقال مقاتل بن حيان : أنزلت هذه الآية في عمرة الحديبية ، فكانت الوحش والطير والصيد تغشاهم[١] في رحالهم ، لم يروا مثله قط فيما خلا ، فنهاهم اللّه عن قتله وهم محرمون .

﴿ **ليعلم اللّه من يخافه بالغيب** ﴾ يعني : أنه تعالىٰ يبتليهم بالصيد يغشاهم في رحالهم ، يتمكنون من أخذه بالأيدي والرماح ، [سرًا وجهرًا] ، ليظهر طاعة من يطيع منهم في سره أو[٢] جهره ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير** ﴾ .

وقوله هٰهنا : ﴿ **فمن اعتدىٰ بعد ذلك** ﴾ قال السدي وغيره : يعني بعد هذا الإِعلام والإِنذار والتقدم ، ﴿ **فله عذاب أليم** ﴾ أي : لمخالفته أمر اللّه وشرعه .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم** ﴾ وهذا تحريم منه تعالىٰ لقتل الصيد في حال الإِحرام ونهي عن تعاطيه فيه ، وهذا إنما يتناول من حيث المعنىٰ المأكول وما يتولد منه ومن غيره ، فأما غير المأكول من حيوانات البر فعند الشافعي يجوز للمحرم قتلها ، والجمهور علىٰ تحريم قتلها أيضًا ، ولا يستثنىٰ من ذلك إلا ما [ثبت في الصحيحين(٧٢١)][٣] من طريق الزهري ، عن عروة ، عن عائشة أم المؤمنين ، أن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم قال : « **خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم[٤] ؛ الغراب ، والحدأة ، والعقرب ، والفأرة ، والكلب العقور** » .

وقال مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم قال : « **خمس من الدواب ليس علىٰ المحرم في قتلهن جناح ؛ الغراب ، والحدأة ، والعقرب ، والفأرة ، والكلب العقور** » . أخرجاه (٧٢٢) .

---

(٧٢١) - تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة / الآية ٢٧.

(٧٢٢) - رواه مالك في الموطأ كتاب الحج ، باب : ما يقتل المحرم من الدواب حديث (٨٨) ، ومن طريقه رواه البخاري في صحيحه كتاب جزاء الصيد ، باب : ما يقتل المحرم من الدواب حديث (١٨٢٦) ، ومسلم في « صحيحه » كتاب الحج ، باب : ما يندب للمحرم وغيره قتله من الدواب في الحل والحرم ، حديث (٧٦/١١٩٩) ، ورواه مسلم برقم (١١٩٩) من طرق عن نافع به . ورواه مالك في الموطأ (٨٩) ومن طريقه البخاري (١٨٢٦) ، ورواه مسلم (٧٩/١١٩٩) من طريق عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما به نحو رواية نافع .

---

[١] - في ز : « يغشاهم » . [٢] - في ز : « و » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ت : « الصحيحين » . [٤] - في ز : « الإحرام » .

ورواه أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر مثله . قال أيوب : قلت لنافع : فالحية ؟ قال : الحية لا شك فيها ، ولا يختلف في قتلها .

ومن العلماء كمالك وأحمد من ألحق بالكلب العقور الذئب والسبع والنمر والفهد ؛ لأنها أشد ضررًا منه ، فالله أعلم . وقال [زيد بن أسلم وسفيان بن عيينة] : الكلب العقور يشمل هذه السباع العادية كلها . واستأنس من قال بهذا بما روي أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لما دعا علىٰ عتبة بن أبي لهب قال : « **اللهم سلط عليه كلبك بالشام** »(٧٢٣) . فأكله السبع بالزرقاء قالوا : فإن قتل ما عداهن فداها كالضبع والثعلب وهر البر ونحو ذلك .

قال مالك : وكذا يستثنىٰ من ذلك صغار هذه الخمس المنصوص عليها ، وصغار الملحق بها من السباع العوادي . وقال الشافعي : يجوز للمحرم قتل كل ما لا يؤكل لحمه ، ولا فرق بين صغاره وكباره ، وجعل العلة الجامعة كونها لا تؤكل .

وقال أبو حنيفة : يقتل المحرم : الكلب العقور ، والذئب ؛ لأنه كلب بري ، فإن قتل غيرهما فداه ، إلا أن يصول عليه سبع غيرهما فيقتله فلا فداء عليه . وهذا قول الأوزاعي والحسن بن صالح بن حيي[١] .

وقال زفر بن الهذيل : يفدي ما سوىٰ ذلك وإن صال عليه .

وقال بعض الناس : المراد [بالغراب هٰهنا الأبقع] ، وهو الذي في بطنه وظهره بياض ، دون الأدرع وهو الأسود ، والأعصم وهو الأبيض ، لما رواه النسائي(٧٢٤) عن عمرو بن علي الفلاس ، عن يحيىٰ القطان ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، عن عائشة ، عن النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « **خمس يقتلهن المحرم ؛ الحية ، والفأرة ، والحدأة ، والغراب**

(٧٢٣) - كذا ذكره القاضي عياض في الشفا بدون إسناد ، ونقله الحافظ ابن كثير في تفسير سورة النجم ، الآية (٩) وقال : ذكره الحافظ ابن عساكر بسنده إلى هبار بن الأسود ، رضي الله عنه ، ورواه الحاكم (٥٣٩/٢) من طريق نوفل بن أبي عقرب عن أبيه قال : كان لهب بن أبي لهب يسب النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « **اللهم سلط عليه كلبك** » فذكر الحديث وقد حسنه الحاكم في فتح الباري (٣٩/٤) .

(٧٢٤) - « المجتبى » كتاب مناسك الحج ، باب : قتل الحية (١٨٨/٥) ، والحديث رواه مسلم كتاب الحج ، باب : ما يندب للمحرم وغيره قتله من الدواب في الحل والحرم حديث (١١٩٨ /٦٧) ، والنسائي كتاب مناسك الحج ، باب : قتل الحية في الحرم (٢٠٨/٥) من طرق عن شعبة بهذا الإسناد بلفظ : « يقتلن في الحل والحرم » . وللحديث طرق أخرى عن عائشة في الصحيحين وغيرهما .

[١] - في ز : « حي » .

الأبقع ، والكلب العقور » .

والجمهور علىٰ أن المراد به أعم من ذلك ، لما ثبت في الصحيحين(٧٢٥) من إطلاق لفظه .

وقال مالك رحمه الله : لا يقتل المحرم الغراب إلا إذا صال عليه وآذاه .

وقال مجاهد بن جبر وطائفة : لا يقتله بل يرميه . ويروىٰ مثله عن علي .

وقد روىٰ هشيم : حدثنا يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الرحمن بن أبي نُعْم ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أنه سئل عما يقتل المحرم فقال : **« الحية ، والعقرب ، والفويسقة ، ويرمي الغراب ولا يقتله ، والكلب العقور ، والحدأة ، والسبع العادي »**(٧٢٦) .

رواه أبو داود ، عن أحمد بن حنبل ، والترمذي ، عن أحمد بن منيع ، كلاهما عن هشيم . وابن ماجة عن أبي كريب ، و[١] عن محمد بن فضيل ، كلاهما عن يزيد بن أبي زياد وهو ضعيف به . وقال الترمذي : هذا حديث حسن .

وقوله تعالىٰ : **﴿ ومن قتله منكم متعمدًا فجزاء مثل ما قتل من النعم ﴾** قال ابن أبي حاتم (٧٢٧) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا ابن علية ، عن أيوب ، قال : نبئت عن طاوس ، أنه[٢] قال : لا يحكم[٣] علىٰ من أصاب صيدًا خطأ ، إنما يحكم علىٰ من أصابه

(٧٢٥) - انظر حديث ابن عمر المتقدم قريبًا وحديث عائشة السابق له .

(٧٢٦) - رواه أحمد في مسنده (٣/٣) ومن طريقه أبو داود في سننه كتاب المناسك ، باب : ما يقتل المحرم من الدواب حديث (١٨٤٨) ، والترمذي كتاب الحج ، باب ما يقتل المحرم من الدواب حديث (٨٣٨) ، ورواه البيهقي في سننه (٥/٢١٠) كتاب الحج ، باب : ما للمحرم قتله من دواب البر في الحل والحرم . عن هشيم عن يزيد بن أبي زياد به . ورواه أحمد (٣/ ٣٢، ٧٩) ، والبخاري في الأدب المفرد (١٢٢٣) . وابن ماجة كتاب المناسك ، باب : ما يقتل المحرم حديث (٣٠٨٩) من طرق عن يزيد بن أبي زياد بهذا الإسناد . ولفظ الحديث عند الترمذي : « يقتل المحرم السبع ... والغراب » ولم يقع ذكر الغراب في رواية ابن ماجه . وفي رواية : « فقيل له : لم قيل لهما الفويسقة ؟ قال : لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم استيقظ لها وقد أخذت الفتيلة لتحرق بها البيت . الحديث ذكره البوصيري في زوائد ابن ماجة (٣/٣٩ ، ٤٠) وقال : هذا إسناد ضعيف ، يزيد بن أبي زياد ضعيف وإن أخرج له مسلم فإنما أخرج له مقرونًا بغيره ومع ضعفه فقد اختلط بآخره ، وضعفه أيضًا الألباني في الإرواء (٤/٢٢٦) لكن يشهد لمعناه حديث عائشة المتقدم قريبًا .

(٧٢٧) - تفسير ابن أبي حاتم (٤/١٢٠٥) (٦٧٩٧) .

[١] - سقط من : ز .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز : « تحكم » .

متعمدًا .

وهذا مذهب غريب عن طاوس وهو متمسك بظاهر الآية .

وقال مجاهد بن جبر : المراد [بالمتعمد هٰهنا] القاصد إلىٰ قتل الصيد الناسي لإحرامه ، فأما المتعمد لقتل الصيد مع ذكره لإحرامه فذاك أمره أعظم من أن يكفّر وقد بطل إحرامه .

رواه ابن جرير(٧٢٨) عنه من طريق ابن أبي نجيح وليث بن أبي سليم وغيرهما عنه ، وهو قول غريب أيضًا ، والذي عليه الجمهور : أن العامد والناسي سواء في وجوب الجزاء عليه . وقال الزهري : دل الكتاب علىٰ العامد وجرت السنة علىٰ الناسي . ومعنىٰ هذا أن القرآن دل علىٰ وجوب الجزاء علىٰ المتعمد وعلىٰ تأثيمه بقوله : ﴿ **ليذوق وبال أمره عفا اللّٰه عما سلف ومن عاد فينتقم اللّٰه منه** ﴾ وجاءت السنة من أحكام النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وأحكام أصحابه بوجوب الجزاء في الخطأ كما دل الكتاب عليه في العمد ، وأيضًا فإن قتل الصيد إتلاف ، والإتلاف مضمون في العمد وفي النسيان ، لكن المتعمد مأثوم والمخطئ غير ملوم .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **فجزاء مثل ما قتل من النعم** ﴾ [قرأ بعضهم بالإضافة وقرأ آخرون بعطفها ﴿ **فجزاء مثل ما قتل من النعم** ﴾][١] ، وحكىٰ ابن جرير أن ابن مسعود قرأها : (فجزاؤه مثل ما قتل من النعم) وفي قوله : ﴿ **فجزاء مثل ما قتل من النعم** ﴾ علىٰ كل من القراءتين دليل لما ذهب إليه مالك والشافعي وأحمد والجمهور - من وجوب الجزاء من[٢] مثل ما قتله المحرم إذا كان له مثل من الحيوان الإنسي ، خلافًا لأبي حنيفة رحمه اللّٰه حيث أوجب القيمة سواء كان الصيد المقتول مثليًا أو غير مثلي ، قال : وهو مخير إن شاء تصدق بثمنه وإن شاء اشترىٰ به هديًا . والذي حكم به الصحابة في المثلى أولىٰ بالاتباع ، فإنهم حكموا في النعامة ببدنة ، وفي بقرة الوحش ببقرة ، وفي الغزال بعنز ، وذكر قضايا الصحابة وأسانيدها مقرر في كتاب الأحكام ، وأما إذا لم يكن الصيد مثليًا فقد حكم ابن عباس فيه بثمنه يحمل إلىٰ مكة . رواه البيهقي .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **يحكم به ذوا عدل منكم** ﴾ يعني : أنه يحكم بالجزاء في المثلي أو بالقيمة في غير المثلي عدلان من المسلمين ، واختلف العلماء في القاتل هل يجوز أن يكون أحد الحكمين علىٰ قولين :

---

(٧٢٨) - تفسيرابن جرير (١١/ ٨ ، ٩) (١٢٥٤٤ ، ١٢٥٥١) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز : « في » .

(**أحدهما**) : لا ؛ لأنه قد يتهم[١] في حكمه علىٰ نفسه ، وهذا مذهب مالك .

(**والثاني**) : نعم ؛ لعموم الآية ، وهو مذهب الشافعي وأحمد .

واحتج الأولون : بأن الحاكم لا يكون محكومًا عليه في صورة واحدة .

قال ابن أبي حاتم (٧٢٩) : حدثنا أبي ، حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، حدثنا جعفر - هو ابن برقان - عن ميمون بن مهران : أن أعرابيًا أتىٰ أبا بكر فقال[٢] : قتلت صيدًا وأنا محرم فما ترىٰ عليَّ من الجزاء ؟ فقال أبو بكر رضي اللّٰه عنه لأبي بن كعب وهو جالس عنده : ما ترىٰ فيما قال ؟ فقال الأعرابي : أتيتك وأنت خليفة رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أسألك فإذا أنت تسأل غيرك ! فقال أبو بكر : وما تنكر ؟ يقول اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم** ﴾ فشاورت صاحبي حتىٰ[٣] إذا اتفقنا علىٰ أمر أمرناك به .

وهذا إسناد جيد لكنه منقطع بين ميمون وبين الصديق ومثله يحتمل هٰهنا ، فبين له الصديق الحكم برفق وتؤدة لما رآه أعرابيًا جاهلًا ، وإنما دواء الجهل التعليم ، فأما إذا كان المعترض منسوبًا[٤] إلىٰ العلم فقد قال ابن جرير (٧٣٠) :

حدثنا هناد وأبو هشام الرفاعي ، قالا : حدثنا وكيع بن الجراح ، عن المسعودي ، عن عبد الملك بن عمير ، عن قبيصة بن جابر ، قال : خرجنا حجاجًا ، فكنا إذا صلينا الغداة اقتدنا رواحلنا نتماشىٰ[٥] نتحدث ، قال[٦] : فبينما نحن ذات غداة إذ سنح لنا ظبي أو برح ، فرماه رجل كان معنا بحجر فما أخطأ حشاه ، فركب ودعه[٧] ميتًا ، قال : فعظمنا عليه .

فلما قدمنا مكة خرجت معه حتىٰ أتينا عمر بن الخطاب - رضي اللّٰه عنه - [قال] فقص عليه

(٧٢٩) - تفسير ابن أبي حاتم (١٢٠٦/٤ ، ١٢٠٧) (٦٨٠٥) .

(٧٣٠) - تفسير ابن جرير الطبري (٢٤/١١ ، ٢٥) (١٢٥٨٨) ، ورواه أيضًا ابن جرير الطبري في تفسيره (١٢٥٧٣، ١٢٥٧٤، ١٢٥٧٥، ١٢٥٧٧) بألفاظ مختلفة ، ورواه البيهقي في سننه (١٨١/٥) من طريقين عن عبد الملك بن عمير به ، ورواه الحاكم في المستدرك (٣١٠/٣) والطبراني في الكبير (١٢٦/١) (٢٥٨) ،وابن أبي حاتم (١٢٠٦/٤) (٦٨٠٤) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٨١/٢) وزاد نسبته لابن المنذر وصححه الحاكم علي شرط البخاري ومسلم ووافقه الذهبي .

[١] - في خ : « يتوهم » .

[٢] - في ز : « قال » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - في ز : « منسوب » .

[٥] - في خ : « نتمشا » .

[٦] - سقط من : ز .

[٧] - في ز : « ردعه » .

القصة ، قال : وإذا[١] إلىٰ جنبه رجل كأن وجهه قلب فضة - يعني عبد الرحمن بن عوف - فالتفت عمر[٢] إلىٰ صاحبه فكلمه ، قال : ثم أقبل علىٰ الرجل ، فقال : أعمدًا قتلته أم خطأً ؟ فقال الرجل : لقد تعمدت رميه وما أردت قتله . فقال عمر : ما أراك إلا قد أشركت بين العمد والخطأ ، اعمد إلىٰ شاة فاذبحها وتصدق[٣] بلحمها واستبق إهابها . قال : فقمنا من عنده ، فقلت لصاحبي : أيها الرجل ، عظم شعائر الله ، فما درىٰ أمير المؤمنين ما يفتيك حتىٰ سأل صاحبه ، اعمد إلىٰ ناقتك فانحرها ففعل ذاك . قال قبيصة : ولا أذكر الآية من سورة المائدة ﴿ يحكم به ذوا عدل منكم ﴾ قال : فبلغ عمر مقالتي فلم يفجأنا منه إلا ومعه الدِّرة ، قال : فعلا صاحبي ضربًا بالدرة ، [وجعل يقول][٤] : أقتلت في[٥] الحرم ، وسفهت الحكم . قال : ثم أقبل علي ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، لا أحل لك اليوم شيئًا يحرم عليك مني . فقال[٦] : يا قبيصة بن جابر ، إني أراك شاب السن ، فسيح الصدر ، بيِّن اللسان ، وإن الشاب يكون فيه تسعة أخلاق حسنة وخلق سيئ ، فيفسد الخلق السيئ الأخلاق الحسنة ، فإياك وعثرات الشباب .

وقد روى هشيم هذه القصة عن عبد الملك بن عمير عن قبيصة بنحوه ، ورواها أيضًا عن حصين ، عن الشعبي ، عن قبيصة بنحوه ، وذكرها مرسلة عن عمر [ ][٧] بكر بن عبد الله المزني ومحمد بن سيرين .

وقال ابن جرير(٧٣١) : حدثنا ابن بشار ، حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا شعبة ، عن منصور ، عن أبي وائل ، أخبرني جرير[٨] البجلي ، قال : أصبت ظبيًا وأنا محرم ، فذكرت ذلك لعمر ، فقال : ائت رجلين من إخوانك فليحكما عليك . فأتيت عبد الرحمن وسعدًا فحكما علي بتيس أعفر .

وقال ابن جرير(٧٣٢) : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا ابن عيينة ، عن مخارق ، عن طارق ، قال :

(٧٣١) - تفسير ابن جرير (١١/٢٧) (١٢٥٩٣) ، ورواه ابن سعد في الطبقات (٦/٢٠٠) قال أخبرنا عبيد الله بن موسى قال : حدثنا إسرائيل عن منصور فذكره ، ورواه البيهقي (٥/١٨١ ، ١٨٢) من طريق شعبة به . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/٥٨١) وزاد نسبته لأبي الشيخ .

(٧٣٢) - تفسير ابن جرير (١١/٢٦) (١٢٥٨٩) ، ورواه الشافعي في مسنده (١/رقم ٨٦٠ - شفاء =

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « فتصدق » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « قال » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز : « بن » .
[٨] - في ز ، خ : «ابن جرير» .

[أوطأ أربد][١] ظبيًا فقتله وهو محرم ، فأتىٰ عمر ليحكم عليه ، فقال له عمر : احكم معي . فحكما فيه جديًا قد جمع الماء والشجر ، ثم قال عمر : ﴿ **يحكم به ذوا عدل منكم** ﴾ .

وفي هذا دلالة علىٰ جواز كون القاتل أحد الحكمين كما قاله الشافعي وأحمد رحمهما الله .

واختلفوا هل تستأنف الحكومة في كل ما يصيبه المحرم ، فيجب أن يحكم فيه ذوا عدل وإن كان قد حكم [في مثله][٢] الصحابة ، [أو يكتفىٰ بأحكام الصحابة المتقدمة ؟ علىٰ قولين ؛ فقال الشافعي وأحمد : يتبع في ذلك ما حكمت به الصحابة ، وجعلاه شرعًا مقررًا[٣] لا يعدل عنه ، وما لم يحكم فيه[٤] الصحابة][٥] يرجع فيه إلىٰ عدلين ، وقال مالك وأبو حنيفة : بل يجب الحكم في كل فرد فرد ، سواء وُجد للصحابة في مثله حكم أم لا ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿ **يحكم به ذوا عدل منكم** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **هديًا بالغ الكعبة** ﴾ أي : واصلًا إلىٰ الكعبة ، والمراد : وصوله إلىٰ الحرم بأن يذبح هناك ، ويفرق لحمه علىٰ مساكين الحرم ، وهذا أمر متفق عليه في هذه الصورة .

وقوله : ﴿ **أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صيامًا** ﴾ أي[٦] : إذا لم يجد المحرم مِثْل ما قتل من النعم ، أو لم يكن الصيد المقتول من ذوات الأمثال ، أو قلنا بالتخيير في هذا المقام بين الجزاء والإطعام والصيام ، كما هو قول مالك وأبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن ، وأحد قولَي الشافعي ، والمشهور عن أحمد رحمهم الله ؛ لظاهر الآية « أو » فإنها للتخيير ، والقول الآخر أنها علىٰ الترتيب .

فصورة ذلك أن يعدل إلىٰ القيمة ؛ فيقوَّم الصيد المقتول عند مالك وأبي حنيفة وأصحابه وحماد وإبراهيم ، وقال الشافعي : يقوَّم مثله من النعم لو كان موجودًا ، ثم يُشترىٰ به طعام فيتصدق[٧] به ، فيصرف لكل مسكين مد منه عند الشافعي ومالك وفقهاء الحجاز ، واختاره ابن جرير .

= العي) ومن طريقه البيهقي في السنن الكبرى (١٨٢/٥) قال أخبرنا ابن عيينة فذكره ورواه عبد الرزاق في مصنفه (٤٠٢/٤) (٨٢٢١) عن ابن عيينة به ورواه أيضًا من طريق معمر عن الأعمش عن سليمان بن ميسرة عن طارق بن شهاب نحوه وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٨١/٢) وزاد نسبته لابن أبي شيبة وابن المنذر .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « أمطى أريد » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « من قبله » .
[٣] - في ز : « مقدرًا » .
[٤] - في ز : « به » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في ز : « ويتصدق » .

وقال أبو حنيفة وأصحابه : يطعم كل مسكين مُدَّين . وهو قول مجاهد .

وقال أحمد : مدٌّ من حنطة أو مدان من غيره .

فإن لم يجد أو قلنا بالتخيير صام عن إطعام كل مسكين يومًا .

وقال ابن جرير : وقال آخرون : يصوم مكان كل صاع يومًا كما في جزاء المترفة بالحلق ونحوه ، فإن الشارع أمر كعب بن عجرة أن يطعم فَرَقًا بين ستة ، أو يصوم ثلاثة أيام ، والفرق : ثلاثة آصع .

واختلفوا في مكان هذا الإطعام ؛ فقال الشافعي : محله[١] الحرم وهو قول عطاء ، وقال مالك[٢] : يطعم في المكان الذي أصاب فيه الصيد أو أقرب الأماكن إليه ، وقال أبو حنيفة : إن شاء أطعم في الحرم ، وإن شاء أطعم في غيره .

ذكر أقوال السلف في هذا المقام

قال ابن أبي حاتم (٧٣٣) : حدثنا أبي ، حدثنا يحيىٰ بن المغيرة ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس في قول اللَّه تعالىٰ : ﴿ **فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديًا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صيامًا** ﴾ قال : إذا أصاب المحرم الصيد حكم عليه جزاؤه من النعم ، [فإن وجد جزاء ذبح ، فتصدق به][٣] ، وإن[٤] لم يجد نظر كَمْ ثمنه ، ثم قوّم ثمنه طعامًا ، فصام مكان كل نصف صاع يومًا ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صيامًا** ﴾ قال : إنما أريد بالطعام الصيام ، أنه إذ وجد الطعام وجد جزاؤه .

ورواه ابن جرير من طريق جرير (٧٣٤) .

---

(٧٣٣) - رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٠٨/٤) (٦٨١١) ، ورواه ابن جرير في تفسيره (١٥/١١) (١٢٥٦٩) (١٢٥٧٠) (١٢٥٧٢) ، والبيهقي في (١٨٦/٥) من طريق منصور عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس به ، ورواه ابن جرير (١٢٥٧١) من طريق سفيان بن حسين عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٧٧/٢) وزاد نسبته لابن المنذر .

(٧٣٤) - تفسير ابن جرير (١١/ ١٥، ١٦) (١٢٥٧٠) ، وانظر السابق .

---

[١] - في ت : « مكانه » .
[٢] - في ز ، خ : « مجاهد » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ **هديًا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صيامًا** ﴾ إذا[١] قتل المحرم شيئًا من الصيد حكم عليه فيه ، فإن قتل ظبيًا أو نحوه فعليه شاة تذبح بمكة ، فإن لم يجد فإطعام ستة مساكين ، فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ، فإن قتل إيلًا[٢] أو نحوه فعليه بقرة ، فإن لم يجدها أطعم عشرين مسكينًا ، فإن لم يجد صام عشرين يومًا ، وإن قتل نعامة أو حمار وحش أو نحوه فعليه بدنة من الإبل ، فإن لم يجد أطعم ثلاثين مسكينًا ، فإن لم يجد صام ثلاثين يومًا(٧٣٥) .

رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وزادوا : الطعام مدٌّ مدٌّ يشبعهم[٣] .

وقال جابر الجعفي : عن عامر الشعبي وعطاء ومجاهد ﴿ **أو عدل ذلك صيامًا** ﴾ قالوا : إنما الطعام لمن لا يبلغ الهدي . رواه ابن جرير .

وكذا روىٰ ابن جريج[٤] عن مجاهد وأسباط عن السدي : أنها علىٰ الترتيب .

وقال عطاء ، وعكرمة ، ومجاهد - في رواية الضحاك - وإبراهيم النخعي : هي علىٰ الخيار ، وهي[٥] رواية الليث عن مجاهد عن ابن عباس ، واختار ذلك ابن جرير رحمه اللَّه .

وقوله : ﴿ **ليذوق وبال أمره** ﴾ أي : أوجبنا عليه الكفارة ليذوق عقوبة فعله الذي ارتكب فيه المخالفة ﴿ **عفا اللَّه عما سلف** ﴾ أي : في زمان الجاهلية لمن أحسن في الإسلام ، واتبع شرع اللَّه ولم يرتكب المعصية .

ثم قال : ﴿ **ومن عاد فينتقم اللَّه منه** ﴾ أي : ومن فعل ذلك بعد تحريمه في الإسلام وبلوغ الحكم الشرعي إليه ﴿ **فينتقم اللَّه منه واللَّه عزيز ذو انتقام** ﴾ .

قال ابن جريج : قلت لعطاء : ما ﴿ **عفا اللَّه عما سلف** ﴾ ؟ قال : عما كان في الجاهلية . قال : قلت : وما[٦] ﴿ **ومن عاد فينتقم اللَّه منه** ﴾ [؟ قال : ومن عاد في الإسلام فينتقم اللَّه منه][٧] ، وعليه مع ذلك الكفارة . قال : قلت : فهل في العود حدٌّ تعلمه ؟ قال : لا .

(٧٣٥) - رواه ابن جرير في تفسيره (٣١/١١) (١٢٦٠٠) ، وابن أبي حاتم (١٢٠٨/٤) (٦٨١٤) .

[١] - في ز : « فإذا » .
[٢] - في ز : « أيلًا » .
[٣] - في ز : « شبعهم » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في ز : « وهو » .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

قال[١] : قلت : فترىٰ حقًّا علىٰ الإمام أن يعاقبه ؟ قال : لا ، هو ذنب أذنبه فيما بينه وبين اللَّه - عز وجل - ولكن يفتدي .

و[٢] رواه ابن جرير(٧٣٦) . وقيل : معناه فينتقم اللَّه منه بالكفارة ، قاله سعيد بن جبير وعطاء .

ثم الجمهور من السلف والخلف علىٰ أنه متىٰ قتل المحرم الصيد وجب الجزاء ، ولا فرق بين الأولىٰ[٣] والثانية ، وإن تكرر ما تكرر ، سواء الخطأ في ذلك والعمد .

وقال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس ، قال : من قتل شيئًا من الصيد خطأ وهو محرم يحكم عليه فيه كما[٤] قتله ، وإن قتله عمدًا يحكم عليه فيه مرة واحدة ، فإن عاد يقال له : ينتقم اللَّه منك كما قال اللَّه - عز وجل - (٧٣٧) .

وقال ابن جرير(٧٣٨) : حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا يحيىٰ بن سعيد وابن أبي عدي جميعًا ، عن هشام - هو ابن حسان - عن عكرمة ، عن ابن عباس فيمن أصاب صيدًا فحكم[٥] عليه ثم عاد قال : لا يحكم عليه ، ينتقم اللَّه منه .

وهكذا قال شريح ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن البصري وإبراهيم النخعي ، رواهن ابن جرير ثم اختار القول الأول .

وقال ابن أبي حاتم (٧٣٩) : حدثنا العباس بن يزيد العبدي ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن زيد أبي المعلىٰ ، عن الحسن البصري : أن رجلًا أصاب صيدًا فتجوز عنه ، ثم عاد فأصاب صيدًا آخر ، فنزلت نار من السماء فأحرقته ، فهو قوله : ﴿ **ومن[٦] عاد فينتقم اللَّه منه** ﴾ .

وقال ابن جرير(٧٤٠) في قوله : ﴿ **واللَّه عزيز ذو انتقام** ﴾ يقول عز ذكره : واللَّه منيع في

---

(٧٣٦) - تفسير ابن جرير (١١/ ٤٨، ٤٩) .
(٧٣٧) - رواه ابن جرير (١١/ ٥٠، ٥١) (١٢٦٥٠) .
(٧٣٨) - تفسير ابن أبي حاتم (١١/٥٢) (١٢٦٦١) .
(٧٣٩) - تفسير ابن أبي حاتم (٤/١٢١٠) (٦٨٢٣) .
(٧٤٠) - تفسير ابن جرير (١١/ ٥٦، ٥٧) .

---

[١] - سقط من: ز ، خ.
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « الأولة » .
[٤] - في ت : « كلما » .
[٥] - في ز : « يحكم » .
[٦] - في ز : « فمن » .

سلطانه لا يقهره قاهر ، ولا يمنعه من الانتقام ممن انتقم منه ، ولا من عقوبة من أراد عقوبته مانع ؛ لأن الخلق خلقه والأمر أمره ، له العزة والمنعة . وأما[١] قوله : ﴿ **ذو انتقام** ﴾ يعني أنه ذو معاقبة لمن عصاه علىٰ معصيته إياه[٢] .

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾

قال [ابن أبي طلحة : عن][٣] ابن عباس في رواية عنه ، وسعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير ، وغيرهم في قوله تعالىٰ : ﴿ **أحل لكم صيد البحر** ﴾ يعني : ما يصطاد منه طريًّا ﴿ **وطعامه** ﴾ ما يتزود منه مليحًا[٤] يابسًا .

وقال ابن عباس في الرواية المشهورة عنه : صيده ما أخذ منه حيًّا ﴿ **وطعامه** ﴾ ما لفظه ميتًا .

وهكذا[٥] روي عن أبي بكر الصديق وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمر[٦] وأبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنهم - وعكرمة وأبي سلمة بن عبد الرحمن وإبراهيم النخعي والحسن البصري .

قال سفيان بن عيينة : عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن أبي بكر الصديق أنه قال : ﴿ **طعامه** ﴾ كل ما فيه . رواه ابن جرير وابن أبي حاتم .

---

[١] - في ت : « و » .

[٢] - في ز : « آخر الجزء الثاني من تفسير القرآن العظيم يتلوه في الثالث قوله تعالى : ﴿ **أحل لكم صيد البحر** ﴾ . والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد ، وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا وحسبنا الله ونعم الوكيل . وفي خ : « إلى هنا انتهى الجزء الثاني من التفسير من المخطوطة » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز ، خ : « مملحا » .

[٥] - في ز : « وهكذا » .

[٦] - في ز ، خ : « عمرو » .

وقال ابن جرير(٧٤١) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن سماك ، قال : حدثت عن ابن عباس قال : خطب أبو بكر الناس فقال : ﴿ **أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعًا لكم** ﴾ وطعامه ما قذف .

قال (٧٤٢) : وحدثنا يعقوب ، حدثنا ابن علية ، عن سليمان التيمي ، عن أبي مجلز ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **أحل لكم صيد البحر وطعامه** ﴾ قال : ﴿ **طعامه** ﴾ ما قذف .

وقال عكرمة : عن ابن عباس قال[١] : طعامه [ ][٢] ما لفظ من ميتة . ورواه ابن جرير أيضا .

وقال سعيد بن المسيب : طعامه ما لفظه حيًا أو حسر عنه فمات . رواه ابن أبي حاتم .

وقال ابن جرير(٧٤٣) : حدثنا ابن بشار ، حدثنا عبد الوهاب ، حدثنا أيوب ، عن نافع : أن عبد الرحمن بن أبي هريرة سأل ابن عمر فقال : إن البحر قد قذف حيتانًا كثيرًا ميتًا أفنأكله ؟ فقال : لا تأكلوه[٣] . فلما رجع عبد الله إلى أهله ، أخذ المصحف فقرأ سورة المائدة ، فأتى هذه الآية ﴿ **وطعامه متاعًا لكم وللسيارة** ﴾ فقال : اذهب فقل له : فليأكله ؛ فإنه طعامه .

وهكذا اختار ابن جرير أن المراد بطعامه ما مات فيه . قال : وقد رُوي في ذلك خبر وإن بعضهم يرويه موقوفًا .

وحدثنا هناد بن السري ، قال : حدثنا عبدة بن سليمان ، عن محمد بن عمرو ، حدثنا

(٧٤١) - رواه ابن جرير في تفسيره (٦١/١١) (١٢٦٨٦) ورواه أيضًا بهذا الإسناد في (٥٧/١١) (١٢٦٦٨) لكن فيه « فصيده ما أخذ » ولم يقل فيه : « وطعامه ما قذف » .

(٧٤٢) - تفسير ابن جرير (٦١/١١) (١٢٦٨٧) .

(٧٤٣) - تفسير ابن جرير (٦٤/١١) (١٢٧٠٠) ، ورواه مالك في « موطئه » كتاب الصيد ، باب ما جاء في صيد البحر حديث (٩) ومن طريقه البيهقي في سننه (٢٥٥/٩) عن نافع أن عبد الرحمن بن أبي هريرة سأل عبد الله بن عمر عما لفظ البحر فنهاه عن أكله . قال نافع : ثم انقلب عبد الله فدعا بالمصحف فقرأ - أحل لكم صيد البحر وطعامه - قال نافع : فأرسلني عبد الله بن عمر إلى عبد الرحمن بن أبي هريرة : إنه لا بأس بأكله . ورواه ابن جرير أيضًا برقم (١٢٦٩٩) (١٢٧٠١) (١٢٧٠٣) من طرق عن نافع به . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٨٦/٢) وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر .

[١] - سقط من : ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « قال : » .

[٣] - في خ : « تأكله » .

أبو سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : ﴿ **أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعًا لكم** ﴾ قال : « **طعامه ما لفظه ميتًا** »(٧٤٤) .

ثم قال : وقد وقف بعضهم هذا الحديث علىٰ أبي هريرة .

حدثنا هناد ، حدثنا ابن أبي زائدة ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة في قوله : ﴿ **أحل لكم صيد البحر وطعامه** ﴾ قال : طعامه ما لفظه[١] ميتًا(٧٤٥) .

وقوله : ﴿ **متاعًا لكم وللسيارة** ﴾ أي : منفعة وقوتًا لكم أيها المخاطبون ﴿ **وللسيارة** ﴾ وهو[٢] جمع سيار ، قال عكرمة : لمن كان بحضرة البحر ﴿ **وللسيارة** ﴾[٣] : وللسفر[٤] .

وقال غيره : الطري منه لمن يصطاده من حاضرة البحر ، وطعامه ما مات فيه أو اصطيد منه وملح وقدد يكون[٥] زادًا للمسافرين والنائين عن البحر .

وقد رُوي نحوه عن ابن عباس ومجاهد والسدي وغيرهم[٦] . وقد استدل [جمهور العلماء][٧] علىٰ حل ميتة البحر بهذه الآية الكريمة ، وبما رواه الإمام مالك بن أنس(٧٤٦) ،

(٧٤٤) - تفسير ابن جرير (١١/٧٠) (١٢٧٢٩) وإسناده صحيح رجاله ثقات . والحديث ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/٥٨٥) ولم يعزه لغير ابن جرير وقد اختلف في هذا الحديث على عبدة بن سليمان فرواه أبو سعيد الأشج عن عبدة به موقوفًا على أبي هريرة . كذا رواه ابن أبي حاتم (٤/١٢١١) (٦٨٣٤) ، ورواه ابن جرير (١٢٧٣٠) قال حدثنا هناد قال : حدثنا ابن أبي زائدة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة به موقوفًا ، وأحسب أن الاضطراب في هذا الحديث من محمد بن عمرو وهو محمد بن عمرو بن علقمة ابن وقاص الليثي ، قال أبو حاتم : صالح الحديث يكتب حديثه ، وهو شيخ ، وقال النسائي : ليس به بأس ، وقال في موضع آخر : ثقة . لكن روى ابن أبي خيثمة قال : سئل ابن معين عن محمد بن عمرو فقال : ما زال الناس يتقون حديثه . قيل له : وما علة ذلك ، قال : كان يحدث مرة عن أبي سلمة بالشيء من رأيه ثم يحدث به مرة أخرى عن أبي سلمة عن أبي هريرة . قلت : وعلى ذلك لا يبعد أن يكون حدث بالحديث مرة عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعًا ومرة عن أبي سلمة عن أبي هريرة موقوفًا ولم أجد له متابعًا حتى يتبين لي صوابه .

(٧٤٥) - تفسير ابن جرير (١١/ ٧٠، ٧١) (١٢٧٣٠) ، وانظر التخريج السابق .

(٧٤٦) - رواه مالك في الموطأ (٢/٧٠٩) كتاب صفة النبي ﷺ حديث (٢٤) ومن طريقه رواه البخاري =

[١] - في ز ، خ : « لفظ » .
[٢] - في ت : « وهم » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ت : « السفر » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « وغيرهما » .
[٧] - في ت : « الجمهور » .

عن ابن وهب بن كيسان ، عن جابر بن عبد اللّٰه ، قال : بعث رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وآله وسلم بعثًا قِبَل الساحل ، فأمَّر عليهم أبا عبيدة بن الجراح وهم ثلاثمائة قال[١] : وأنا فيهم ، قال : فخرجنا حتىٰ إذا كنا ببعض الطريق فني الزاد ، فأمر أبو عبيدة بأزواد ذلك الجيش فجمع ذلك كله ، فكان مزودَي تمر ، قال : فكان يقوِّتنا كل يوم قليلًا قليلًا حتىٰ فني ، فلم يكن يصيبنا[٢] إلا تمرة تمرة : [فقلت : وما تغنى تمرة][٣] ؟ . فقال : فقد وجدنا فقدها حين[٤] فنيت[٥] ، قال : [ ][٦] ثم انتهينا إلىٰ البحر ، فإذا حوت مثل الظرب[٧] ، فأكل منه ذلك الجيش ثماني عشرة[٨] ليلة ، ثم أمر أبو عبيدة بضلعين من أضلاعه[٩] فنصبا ، ثم أمر براحلة فرحلت ، ومرت تحتهما[١٠] فلم تصبهما[١١] .

وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وله طرق عن جابر .

وفي صحيح مسلم(٧٤٧) من رواية أبي الزبير عن جابر : فإذا علىٰ ساحل البحر مثل الكثيب الضخم ، فأتيناه فإذا بدابة يقال لها : العنبر ، قال : قال أبو عبيدة : ميتة . ثم قال : لا ، نحن رسل رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وآله وسلم [وفي سبيل اللّٰه][١٢] وقد اضطررتم فكلوا . قال : فأقمنا عليه شهرًا ونحن ثلاثمائة حتىٰ سَمِنَّا ، ولقد رأيتنا نغترف من وَقْبِ(*) عينه بالقلال الدهن ونقتطع منه الفِدَر(**) كالثور [أو كقدر كالثور][١٣] . قال : ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر

= في « صحيحه » كتاب الشركة ، باب : الشركة في الطعام والنهد والعروض حديث (٢٤٨٣) ، وفي المغازي ، باب غزوة سيف البحر حديث (٤٣٦٠) ، ومسلم في الصيد ، باب : إباحة ميتات البحر الحديث (٢١/١٩٣٥) وابن حبان (٥٢٦٢) ، والبغوي في شرح السنة (٢٨٠٦) . والحديث رواه البخاري في (٢٩٨٣) ، (٤٣٦٠) (٤٣٦١) (٤٣٦٢) (٥٤٩٣) (٥٤٩٤) ، ومسلم في (١٩٣٥) وغيرهما من طرق عن وهب بن كيسان به .

(٧٤٧) - صحيح مسلم حديث رقم (١٧/١٩٣٥) وفيه : « فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم ....» الحديث .

(*) - الوقب : كل نقرة في الجسد ، كنقرة العين والكتف . القاموس المحيط (و ق ب) .

(**) - الفدر : جمع فدرة : القطعة من اللحم . القاموس (ف د ر)

[١] - سقط من : ت .
[٢] - في ز : « نصيبنا » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - في خ : « حتى » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز ، خ : « فقدت » .
[٧] - في ز : « المطرب » .
[٨] - في ز : « عشر » .
[٩] - في ز : « أضلاعها » .
[١٠] - في ز : « تحتها » .
[١١] - في ز : « تصبها » .
[١٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[١٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

رجلًا فأقعدهم[١] في وقب عينه ، وأخذ ضلعًا من أضلاعه فأقامها ، ثم رحل أعظم بعير معنا فمرّ من تحته ، وتزوّدنا من لحمه وَشَائِق (*) ، فلما قدمنا المدينة ، أتينا رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم فذكرنا ذلك له ، فقال : « **هو رزق أخرجه الله لكم ، هل معكم من لحمه شيء فتطعمونا** ؟ » قال : فأرسلنا إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم منه فأكله .

وفي بعض روايات مسلم أنهم كانوا مع النبي صلىٰ الله عليه وسلم حين وجدوا هذه السمكة ، فقال بعضهم : هي واقعة أخرىٰ ، وقال بعضهم : بل هي قضية واحدة ، ولكن كانوا أولًا مع النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، ثم بعثهم سرية مع أبي عبيدة ، فوجدوا هذه في سريتهم تلك مع أبي عبيدة ، والله أعلم .

وقال مالك(٧٤٨) : عن صفوان بن سليم ، عن سعيد بن سلمة من آل ابن الأزرق : أن المغيرة ابن أبي بردة وهو من بني عبد الدار ، أخبره أنه سمع أبا هريرة يقول : سأل رجل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إنا نركب البحر ، ونحمل معنا القليل من الماء ، فإن توضأنا به عطشنا ، أفنتوضأ بماء البحر ؟ فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **هو الطهور ماؤه ، الحل[٢] ميتته** » .

وقد روىٰ هذا الحديث الإمامان الشافعي وأحمد بن حنبل وأهل السنن الأربعة وصححه البخاري والترمذي وابن خزيمة وابن حبان وغيرهم ، وقد روي عن جماعة من الصحابة عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم بنحوه . وقد روىٰ الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة من طرق : عن حماد بن سلمة ، حدثنا أبو المهزم - هو يزيد بن سفيان - ، سمعت أبا هريرة يقول : كنا مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في حج أو عمرة ، فاستقبلنا رجل جراد ، فجعلنا نضربهن بعصينا وسياطنا[٣] فنقتلهن ، فأسقط في أيدينا ، فقلنا : ما نصنع ونحن محرمون ، فسألنا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال : « **لا بأس بصيد البحر** »(٧٤٩) .

أبو المُهَزّم ضعيف ، والله أعلم .

(*) - وشائق : جمع وشيقة ، وهي اللحم يقدد ويحمل في الأسفار . القاموس (وش ق)

(٧٤٨) - تقدم في تفسير سورة البقرة / الآية ١٧٣، وفي تفسير المائدة /الآية ٣.

(٧٤٩) - سيأتي في تفسير سورة الأعراف الآية ١٣٣.

---

[١] - في ز : « فأعهدهم » .

[٢] - في خ : « الحلال » .

[٣] - سقط من : ز .

وقال ابن ماجة (٧٥٠) : حدثنا هارون بن عبد الله الحمال ، حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا زياد بن عبد الله بن علاثة ، عن موسىٰ[١] بن محمد بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن جابر وأنس بن مالك : أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم كان إذ دعا علىٰ الجراد قال : « **اللهم أهلك كباره ، واقتل صغاره ، وأفسد بيضه ، واقطع دابره ، وخذ بأفواهه عن معايشنا وأرزاقنا ، إنك سميع الدعاء** » . فقال خالد : يا رسول الله ، كيف تدعو[٢] علىٰ جند[٣] من أجناد الله بقطع دابره ؟ فقال : « **إن الجراد نثرة[٤] الحوت في البحر** » . قال هاشم : قال زياد : فحدثني من رأىٰ الحوت ينثره .

تفرد به ابن ماجة .

وقد روىٰ الشافعي عن سعيد ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس : أنه أنكر علىٰ[٥] من يصيد الجراد في الحرم .

وقد احتج بهذه الآية الكريمة من ذهب من الفقهاء إلىٰ أنه [تؤكل داوب][٦] البحر ولم يستثن من ذلك شيئًا ، وقد تقدم عن الصديق أنه قال : طعامه كل ما فيه .

وقد استثنىٰ بعضهم الضفادع وأباح ما سواها ؛ لما رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي من رواية ابن أبي ذئب ، عن سعيد بن خالد ، عن سعيد بن المسيب ، عن عبد الرحمن بن عثمان التيمي : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم نهىٰ عن قتل الضفدع(٧٥١) .

وللنسائي عن عبد الله بن عمرو قال : نهىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن قتل الضفدع وقال : « **نقيقها تسبيح** »(٧٥٢) .

(٧٥٠) - سيأتي في تفسير سورة الأعراف الآية ١٣٣. ينقل من الأعراف الآية ١٣٣.

(٧٥١) - رواه الطيالسي (١١٨٣) وأحمد في مسنده (٣/ ٤٥٣، ٤٩٩) وعبد بن حميد (٣١٣) وابن أبي شيبة (٧/ ٤٥٠/ ٣٧٦١) وأبو داود في الطب ، باب في الأدوية المكروهة حديث (٣٨٧١) وفي الأدب ، باب في قتل الضفدع حديث (٥٢٦٩) والنسائي (٧/ ٢١٠) كتاب الصيد والذبائح ، باب : الضفدع ، والحاكم (٤/ ٤١٠، ٤١١) ، والدارمي (٢٠٠٤) والبيهقي (٦/ ٣١٨) من طرق عن ابن أبي ذئب به . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، والحديث صححه الألباني - حفظه الله - في صحيح الجامع (٦٨٤٨) وانظر نصب الراية (٤/ ٢٠١) .

(٧٥٢) - سيأتي تخريجه في الإسراء / الآية ٤٤.

[١] - في ز : « علام عن » .
[٢] - في ز : « ندعو » .
[٣] - في ز : « أجناد » .
[٤] - في ز : « نثر » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في ز : « يؤكل دواب » .

وقال آخرون : يؤكل من صيد البحر السمك ولا يؤكل الضفدع ، واختلفوا فيما سواهما ؛ فقيل : يؤكل سائر ذلك ، وقيل : لا يؤكل ، وقيل : ما أكل شبهه من البر أكل مثله في البحر ، وما لا يؤكل شبهه لا يؤكل ، وهذه كلها وجوه في مذهب الشافعي رحمه الله تعالىٰ .

وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالىٰ : لا يؤكل ما مات في البحر كما لا يؤكل ما مات في البر ؛ لعموم قوله تعالىٰ : ﴿ **حرمت عليكم الميتة** ﴾ .

وقد ورد حديث بنحو ذلك فقال ابن مردويه(٧٥٣) :

حدثنا عبد الباقي - هو ابن قانع - ، حدثنا الحسين بن إسحاق التستري وعبد الله بن موسىٰ ابن أبي عثمان ، قالا : حدثنا الحسين بن يزيد الطحان ، حدثنا حفص بن غياث ، عن ابن أبي ذئب ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، قال : قال[١] رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما صدتموه وهو حي فمات فكلوه ، وما ألقىٰ البحر ميتًا طافيًا فلا تأكلوه** » .

ثم رواه من طريق إسماعيل بن أمية ويحيىٰ بن أبي أنيسة ، عن أبي الزبير ، عن جابر به . وهو منكر .

وقد احتج الجمهور من أصحاب مالك والشافعي وأحمد بن حنبل بحديث العنبر المتقدم ذكره ، وبحديث : « **هو الطهور ماؤه الحل ميتته** » . وقد تقدم أيضًا .

وروىٰ الإمام أبو عبد الله الشافعي(٧٥٤) عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أحلت لنا ميتتان ودمان ؛ فأما الميتتان : فالحوت والجراد ، وأما الدمان : فالكبد والطحال** » .

ورواه أحمد وابن ماجة والدارقطني والبيهقي وله شواهد ، ورُوي موقوفًا ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **وحرّم عليكم صيد البر ما دمتم حرمًا** ﴾ أي : في حال إحرامكم يحرم عليكم الاصطياد ، ففيه دلالة علىٰ تحريم ذلك ، فإذا اصطاد المحرم الصيد متعمدًا أثم وغرم ، أو مخطئًا

---

(٧٥٣) - إسناده ضعيف ، الحسين بن يزيد الطحان قال أبو حاتم في الجرح والتعديل (٣/ الترجمة ٣٠٤) : لين الحديث . وكذا قال الحافظ ابن حجر في « التقريب » ، وأيضًا أبو الزبير مدلس ولم يصرح بالسماع من جابر في هذا الحديث .

(٧٥٤) - تقدم في تفسير البقرة الآية (١٧٣) ، وذكره المصنف أيضًا في أول تفسير سورة المائدة الآية (٣) .

---

[١] - في ز : « وقال » .

غرم وحرم عليه أكله ؛ لأنه في حقه كالميتة ، وكذا في حق غيره من المحرمين والمحلين عند مالك والشافعي في أحد قوليه ، وبه يقول عطاء والقاسم وسالم وأبو يوسف ومحمد بن الحسن وغيرهم ، فإن أكله أو شيئًا منه فهل يلزمه جزاء ثان[١] ؟ فيه قولان للعلماء :

أحدهما : نعم ، قال عبد الرزاق(٧٥٥) : عن ابن جريج ، عن عطاء ، قال : إن ذبحه ثم أكله فكفارتان . وإليه ذهب طائفة .

والثاني : لا جزاء عليه بأكله ، نص عليه مالك بن أنس .

قال أبو عمر بن عبد البر : وعلىٰ هذا مذاهب فقهاء الأمصار وجمهور العلماء . ثم وجهه أبو عمر بما لو وطئ ثم وطئ ثم وطئ قبل أن يحد فإنما عليه حد واحد . وقال أبو حنيفة : عليه قيمة ما أكل .

وقال أبو ثور : إذا قتل المحرم الصيد فعليه جزاؤه ، وحلال أكل ذلك الصيد ، إلا أنني أكرهه للذي قتله ؛ للخبر عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **صيد البر لكم حلال ، ما لم تصيدوه أو يصد لكم** » (٧٥٦) .

وهذا الحديث سيأتي بيانه ، وقوله بإباحته للقاتل غريب ، وأما لغيره ففيه خلاف قد ذكرنا المنع عمن تقدم . وقال آخرون بإباحته لغير القاتل سواء المحرمون والمحلون ؛ لهذا الحديث ، واللَّه أعلم .

وأما إذا صاد حلال صيدًا فأهداه إلىٰ محرم ، فقد ذهب ذاهبون إلىٰ إباحته مطلقًا ، ولم يستفصلوا بين أن يكون قد صاده لأجله أم لا ، حكىٰ هذا القول أبو عمر بن عبد البر : عن عمر بن الخطاب وأبي هريرة والزبير بن العوام وكعب الأحبار ومجاهد وعطاء في رواية وسعيد بن جبير . [قال][٢] وبه قال الكوفيون .

قال ابن جرير(٧٥٧) : حدثنا محمد بن عبد اللَّه بن بزيع ، حدثنا بشر بن المفضل ، حدثنا

---

(٧٥٥) - رواه عبد الرزاق في مصنفه (٤/٤٣٩) (٨٣٦٢) .

(٧٥٦) - سيأتي قريبًا .

(٧٥٧) - تفسير ابن جرير (١١/٧٩) (١٢٧٥٤) ، ورواه أيضًا في (١٢٧٥٦) ، (١٢٧٥٧) من طريقين عن قتادة عن سعيد به . ورواه في (١٢٧٦٢) من طريق يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب به . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/٥٨٧) وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - سقط من ت .

سعيد ، عن قتادة ، أن سعيد بن المسيب حدثه ، عن أبي هريرة : أنه سئل عن لحم صيد صاده حلال أيأكله المحرم ، قال : فأفتاهم بأكله ، ثم لقي عمر بن الخطاب فأخبره بما كان من أمره ، فقال : لو أفتيتهم بغير هذا لأوجعت لك رأسك .

وقال آخرون لا يجوز أكل الصيد للمحرم بالكلية ومنعوا من ذلك مطلقًا ؛ لعموم هذه الآية الكريمة .

و[١] قال عبد الرزاق (٧٥٨) : عن معمر ، عن ابن طاوس ، وعبد الكريم بن أبي أمية ، عن طاوس ، عن ابن عباس : أنه كره أكل لحم الصيد للمحرم ، وقال : هي مبهمة . يعني قوله : ﴿ وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرمًا ﴾ .

قال (٧٥٩) : وأخبرني معمر ، عن الزهري ، عن ابن عمر : أنه كان يكره للمحرم أن يأكل من لحم الصيد على كل حال ، قال معمر : وأخبرني أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر مثله .

قال ابن عبد البر : وبه قال طاوس وجابر بن زيد وإليه ذهب الثوري وإسحاق بن راهويه في رواية ، وقد رُوي نحوه عن علي بن أبي طالب . رواه ابن جرير (٧٦٠) من طريق سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب : أن عليًا كره أكل[٢] لحم الصيد للمحرم على كل حال .

وقال مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه - في رواية - والجمهور : إن كان الحلال قد قصد المحرم بذلك الصيد لم يجز للمحرم أكله ؛ لحديث الصعب بن جثَّامة : أنه أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم حمارًا وحشيًا وهو بالأبواء أو بودان فرده عليه ، فلما رأى ما في وجهه

(٧٥٨) - لم أقف عليه بهذا الإسناد عند عبد الرزاق في المصنف ولا في التفسير لكن رواه في مصنفه (٨٣٢٩) عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس أنه كان يكره لحم الصيد للمحرم ورواه برقم (٨٣٣٠) عن ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن طاوس عن ابن عباس قال : هي مبهمة . ورواه ابن أبي حاتم (١٢١٣/٤) (٦٨٤٨) قال حدثني : أبي ثنا ابن أبي عمر ثنا سفيان عن عبد الكريم أبي أمية عن طاوس عن ابن عباس في هذه الآية قال : هي صيده وأكله حرام على المحرم ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٨٧/٢) وزاد نسبته لأبي عبيد وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر .

(٧٥٩) - رواه عبد الرزاق في مصنفه (٤٢٥/٤) (٨٣١٤) ورواية معمر عن أيوب في المصنف برقم (٨٣١٥) .

(٧٦٠) - تفسير ابن جرير (٧٦/١١) (١٢٧٤٤) .

[١] - سقط من : ز . [٢] - سقط من : ز .

قال : « **إنا لم نرده عليك إلا أنَّا حرم** »(٧٦١) .

وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وله ألفاظ كثيرة ، قالوا : فوجهه أن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ظن أن هذا إنما صاده من أجله فرده لذلك ، فأما إذا لم يقصده بالاصطياد فإنه يجوز له الأكل منه ؛ لحديث أبي قتادة حين صاد حمار وحش وكان حلالًا لم يحرم ، وكان أصحابه محرمين فتوقفوا في أكله ، ثم سألوا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقال : « **هل كان منكم أحد أشار إليها وأعان في قتلها ؟** » قالوا : لا . قال :« **فكلوا** » . وأكل منها رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم(٧٦٢) .

وهذه القصة ثابتة أيضا في الصحيحين بألفاظ كثيرة .

وقال الإمام أحمد(٧٦٣) : حدثنا سعيد بن منصور وقتيبة بن سعيد ، قالا : حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ، عن عمرو بن أبي عمرو ، عن المطلب بن عبد اللّٰه بن حنطب ، عن جابر بن عبد اللّٰه ، قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم . وقال قتيبة في حديثه : سمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « **صيد البر لكم حلال - قال سعيد : وأنتم حرم - ما لم تصيدوه أو يُصَدْ لكم** » .

(٧٦١) - رواه مالك في الموطأ (٢٨٦/١) كتاب الحج ، باب : ما لا يحل للمحرم أكله من الصيد ، حديث (٨٣) ومن طريقه البخاري في « صحيحه » كتاب جزاء الصيد ، باب : إذا أهدى للمحرم حمارًا وحشيًا حيًا لم يقبل حديث (١٨٢٥) وفي كتاب الهبة ، باب : قبول الهدية حديث (٢٥٧٣) ، ومسلم في « صحيحه » كتاب الحج ، باب : تحريم الصيد للمحرم حديث (٥٠/١١٩٣) عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس عن الصعب به ورواه البخاري كتاب الهبة ، باب من لم يقبل الهدية لعلة حديث (٢٥٩٦) ومسلم ، في صحيحه (١١٩٣) وغيرهما من طرق عن الزهري به .

(٧٦٢) - رواه البخاري في « صحيحه » كتاب جزاء الصيد ، باب : إذا صاد الحلال فأهدى للمحرم الصيد أكله حديث (١٨٢١) وأطرافه في (١٨٢٢) (١٨٢٣) ، (١٨٢٤) ، (٢٥٧٠) (٢٨٥٤) ، (٢٩١٤) ، (٤١٤٩) ، (٥٤٠٦) ، (٥٤٠٧) ، (٥٤٩٠) ، (٥٤٩١) ، (٥٤٩٢) ، ومسلم في « صحيحه » كتاب الحج ، باب : تحريم الصيد للمحرم حديث (١١٩٦) من طرق عن أبي قتادة .

(٧٦٣) - المسند (٣٦٢/٣) ورواه في (٣/ ٣٨٧، ٣٨٩) ، وأبو داود في كتاب الحج ، باب : لحم الصيد للمحرم ، حديث (١٨٥١) ، والترمذي في كتاب الحج ، باب : ما جاء في أكل الصيد للمحرم ، حديث (٨٤٦) ، والنسائي في كتاب مناسك الحج ، باب : إذا أشار المحرم إلى الصيد فقتله الحلال (٥/ ١٨٧) وعبد الرزاق (٤/ ٤٣٤، ٤٣٥) (٨٣٤٩) ، والشافعي (٣٢٢/١) ، والطحاوي في « شرح المعاني » (١٧١/٢) ، وابن خزيمة (١٨٠/٤) (٢٦٤١) ، وابن حبان (٢٨٣/٩) (٣٩٧١) ، والدارقطني (٢٩٠/٢) وابن الجارود (٤٣٧) ، والحاكم (١/ ٤٥٢، ٤٧٦) ، والبيهقي (١٩٠/٥) ، والبغوي في « شرح السنة » (١٩٨٩) من طرق عن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب عن جابر ، وإسناده ضعيف =

وكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي جميعًا عن قتيبة ، وقال الترمذي : لا نعرف للمطلب سماعًا من جابر ، ورواه الإمام محمد بن إدريس الشافعي رضي اللَّه عنه : من طريق عمرو بن أبي عمرو ، عن مولاه المطلب ، عن جابر ، ثم قال : وهذا أحسن حديث روي في هذا الباب وأقيس .

وقال مالك - رضي اللَّه عنه - (٧٦٤) : عن عبد اللَّه بن أبي بكر ، عن عبد اللَّه بن عامر ابن[١] ربيعة ، قال : رأيت عثمان بن عفان بالعرج ، وهو محرم في يوم صائف ، قد غطى وجهه بقطيفة أرجوان ، ثم أتي بلحم صيد فقال لأصحابه : كلوا . فقالوا : أو لا تأكل أنت . فقال : إني لست كهيئتكم ، إنما صيد من أجلي .

[وقد نقل ابن جرير خلافًا في صفة الصيد الذى حرمه الله تعالى على المحرم ، فقال بعضهم : صيد البر : كل ما كان يعيش في البر والبحر ، وإنما صيد البحر ما كان يعيش في الماء دون البر ويأوى إليه .

روى عمران بن حدير[٢] ، عن أبي مجلز[٣] أنه قال في قوله تعالى : ﴿ **وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حُرُمًا** ﴾ ، قال : ما كان يعيش في البر والبحر فلا تصده ، وما كان حياته في الماء فذاك (٧٦٥) .

= فيه انقطاع فإن المطلب بن حنطب لم يسمع من جابر ، قال الترمذي : المطلب لا نعرف له سماعًا من جابر ، وقال ابن أبي حاتم في « المراسيل » (ص ٢١٠) : « عامة أحاديثه مراسيل لم يدرك أحدًا من أصحاب النبي ﷺ ولم يسمع من جابر » . وللحديث علة أخرى وهي أن عمرو بن أبي عمرو وإن كان ثقة إلَّا أنه يهم كما قال الحافظ في « التقريب » وقد قال النسائي عقب روايته لهذا الحديث : عمرو بن أبي عمرو ليس بالقوي وإن كان روى له مالك . والحديث ضعفه الألباني في ضعيف الجامع حديث (٣٥٢٤) وفي المشكاة حديث (٢٧٠٠) .

(٧٦٤) - رواه في الموطأ كتاب الحج ، باب : ما لا يحل للمحرم أكله من الصيد ، حديث (٨٤) ومن طريقه رواه الشافعي في مسنده (١/رقم ٨٤٣ - شفاء العي) وهو موقوف صحيح الإسناد ، ورواه عبد الرزاق في مصنفه (٨٣٤٥) ، ومن طريقه رواه الدارقطني (٢/ ٢٩١، ٢٩٢) والبيهقي (٥/١٩١) عن معمر عن الزهري عن عروة بن الزبير عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أبيه أنه اعتمر مع عثمان فذكره نحو رواية عبد الله بن عامر ، ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب وأبوه ثقتان كما في « التقريب » .

(٧٦٥) - رواه ابن جرير في تفسيره (١١/٨٧) (١٢٧٧٣) ، وابن أبي حاتم (٤/١٢١٣) (٦٨٤٩) =

[١] - في ز : « عن » .
[٢] - في ز ، خ : جرير .
[٣] - في ز ، خ : مجلد .

وعن عطاء قال : « ما كان يعيش في البر فأصابه المحرم فعليه جزاؤه ، نحو السلحفاء ؛ والسرطان ، والضفادع » وقال بعضهم : صيد البر ما كان كونه في البر أكثر من كونه في البحر .

رُوِى عن ابن جريج قال : « سألت عطاء عن ابن الماء ، أصيد بر أم بحر ؟ وعن أشباهه . فقال : حيث يكون أكثر ، فهو صيده » .

وعن عطاء بن أبي رباح قال : أكثر ما يكون حيث يفرخ ، فهو منه » .

وقوله تعالى : ﴿ **واتقوا الله الذى إليه تحشرون** ﴾ .

قال ابن جرير(٧٦٦) : « يقول تعالى ذكره : واخشوا الله ، أيها الناس ، واحذروه بطاعته فيما أمركم به من فرائضه ،وفيما نهاكم عنه في هذه الآيات التي أنزلها على نبيكم صلى الله عليه وسلم ، من النهى عن الخمر والميسر والأنصاب والأزلام وعن إصابة صيد البر وقتله في حال إحرامكم وفي غيرها ، فإن لله مصيركم ومرجعكم ، فيعاقبكم بمعصيتكم إياه ، ويجازيكم فيثيبكم على طاعتكم له » .

وقوله تعالى : ﴿ **جعل الله الكعبة البيت الحرام قيامًا للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد** ﴾ [[١]] .

[« يقول تعالى ذكره : صير الله الكعبةالبيت الحرام قوامًا للناس الذين لا قوام لهم ، من رئيس يحجز قويهم عن ضعيفهم ، ومسيئهم عن محسنهم ، وظالمهم عن مظلومهم - والشهر الحرام والهدى والقلائد - فحجز بكل واحد من ذلك بعضهم عن بعض ، إذ لم يكن لهم قيام غيره ، وجعلها معالم لدينهم ، ومصالح أمورهم » .

وقد روى عن مجاهد قال : « إنما سميت الكعبة لأنها مربعة » . ورُوي مثله عن عكرمة .

قال ابن جرير : « وأما ﴿ الكعبة ﴾ فالحرم كله .وسماها الله تعالى « حرامًا » ؛ لتحريمه إياها أن يصاد صيدها أو يختلى خلالها ، أو يعضد شجرها »] .

= من طرق عن وكيع عن عمران بن حدير به . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٨٦/٢) وزاد نسبته لابن أبي شيبة وأبي الشيخ .

(٧٦٦) - تفسير ابن جرير الطبري (٨٩/١١) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وقد فسر ابن جرير ﴿ **قيامًا للناس** ﴾ بالقوام. وروى في ذلك آثارًا منها(٧٦٧) :

حدثنا هناد قال، حدثنا ابن أبي زائدة قال، أخبرنا من سمع خصَيفًا يحدث، عن مجاهد في : ﴿ **جعل الله الكعبة البيت الحرام قيامًا للناس** ﴾، قال : قواما للناس.

وقال سعيد بن جبير : ﴿ **قياما للناس** ﴾، قال : صلاحًا لدينهم. وعنه أيضًا : « شدة لدينهم ».

وعن ابن عباس قال : « قيامها : أن يأمن من توجه إليها »، وعنه أيضًا : « قيامًا لدينهم، ومعالم لحجهم ».

وقال السدى : « جعل الله هذه الأربعة قيامًا للناس، هو قوام أمرهم ».

قال ابن جرير(٧٦٨) : « **وهذه الأقوال وإن اختلفت من ألفاظ قائليها ألفاظها، فإن معانيها آيلة إلى ما قلنا من ذلك، من أن** « **القوام** » للشيء، هو الذى به صلاحه، كما أن الملك الأعظم، قوام رعيته ومن في سلطانه ؛ لأنه مدبر أمرهم، وحاجز ظالمهم عن مظلومهم، والدافع عنهم مكروه من بغاهم وعاداهم. وكذلك كانت الكعبة والشهر الحرام والهدى والقلائد، قوام أمر العرب الذى كان به صلاحهم في الجاهلية، وهى في الإسلام لأهله معالم حجهم ومناسكهم ومتوجههم لصلاتهم، وقبلتهم التي باستقبالها يتم فرضهم ».

ثم قال ابن جرير : وبنحو الذى قلنا في ذلك قالت جماعة أهل التأويل.

حدثنا بشر بن معاذ(٧٦٩) قال، حدثنا جامع بن حماد، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : ﴿ **جعل الله الكعبة البيت الحرام قيامًا للناس والشهر الحرام والهدى**]‏[١] [**والقلائد** ﴾، حواجز أبقاها الله بين الناس في الجاهلية، فكان الرجل لو جر كل جَرِيرة ثم لجأ إلى الحرم لم يتناول ولم يقرب. وكان الرجل لو لقى قاتل أبيه في الشهر الحرام لم يعرض له ولم يقرب. وكان الرجل إذا أراد البيت تقلد قلادة من شعر فأحمته ومنعته من الناس، حتي يأتى أهله، حواجز أبقاها الله بين الناس في الجاهلية.

وروي نحوه عن ابن زيد، وابن عباس.

---

(٧٦٧) - تفسير ابن جرير (٩١/١١) (١٢٧٨٢).

(٧٦٨) - تفسير ابن جرير الطبري (٩٢/١١).

(٧٦٩) - تفسير ابن جرير الطبري (٩٣/١١) (١٢٧٩٠).

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ.

وقد مضى في أول السورة ذكر (الشهر الحرام) و (الهدى) و (القلائد).

وقوله تعالى: ﴿**اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم**﴾.

قال ابن جرير(٧٧٠): «يقول تعالى ذكره: اعلموا، أيها الناس، أن ربكم الذى يعلم ما في السموات وما في الأرض، ولا يخفى عليه شيء من سرائر أعمالكم وعلانيتها، وهو يحصيها عليكم ليجازيكم بها، شديد عقابه من عصاه وتمرّد عليه، على معصيته إياه- وهو غفور لذنوب من أطاعه وأناب إليه، فساتر عليه وتارك فضيحته بها رحيم به أن يعاقبه على ما سلف من ذنوبه، بعد إنابته وتوبته منها.

وقوله: ﴿**ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون**﴾.

هذا من الله تعالى ذكره، تهديد لعباده ووعيد، يقول تعالى ذكره: ليس على رسولنا الذى أرسلناه إليكم، أيها الناس، بإنذاركم عقابنا بين يدى عذاب شديد، وإعذارنا إليكم بما فيه قطع حججكم - إلا أن يؤدى إليكم رسالتنا، ثم إلينا الثواب على الطاعة، وعلينا العقاب على المعصية.

﴿**والله يعلم ما تبدون وما تكتمون**﴾.

يقول: وغير خفى علينا المطيع منكم، القابل رسالتنا العامل بما أمرته بالعمل به- من المُعَاصى الآبى رسالتنا، التارك العمل بما أمرته بالعمل به؛ لأنا نعلم ما عمله العامل منكم فأظهره بجوارحه ونطق به لسانه. ﴿**وما تكتمون**﴾، يعنى: وما تخفون في أنفسكم من إيمان وكفر، أو يقين وشك ونفاق.

يقول تعالى ذكره: فمن كان كذلك، لا يخفى عليه شيء من ضمائر الصدور، وظواهر أعمال النفوس، مما في السموات وما في الأرض، وبيده الثواب والعقاب- فحقيق أن يُتَّقى، وأن يطاع، فلا يعصى»[١].

قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ

---

(٧٧٠) - تفسير ابن جرير الطبري (١١/٩٥).

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾

يقول تعالىٰ لرسوله صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك** ﴾ أي : يا أيها الإنسان ﴿ **كثرة الخبيث** ﴾ يعني : أن القليل الحلال النافع خير من الكثير الحرام الضار ، كما جاء في الحديث : « **ما قل وكفىٰ خير مما كثر وألهىٰ** » .

وقال أبو القاسم البغوي في معجمه(٧٧١) : حدثنا أحمد بن زهير ، حدثنا الحوطي ، حدثنا محمد بن شعيب ، حدثنا معان بن رفاعة ، عن أبي عبد الملك علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة : أنه أخبره عن ثعلبة بن حاطب الأنصاري أنه قال : يا رسول الله ، ادع الله [ ][١] أن يرزقني مالًا . فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه** » .

﴿ **فاتقوا الله يا أولي الألباب** ﴾ أي : يا ذوي العقول الصحيحة المستقيمة ، وتجنبوا الحرام ودعوه ، واقنعوا[٢] بالحلال واكتفوا به ﴿ **لعلكم تفلحون** ﴾ أي : في الدنيا والآخرة .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم** ﴾ هذا تأديب من الله تعالىٰ لعباده المؤمنين ، ونهي لهم عن أن يسألوا [عن أشياء مما][٣] لا فائدة لهم في السؤال والتنقيب عنها ، لأنها إن أظهرت[٤] لهم تلك الأمور ربما ساءتهم وشق عليهم

(٧٧١) - رواه الطبراني في الكبير (٨/ ٢٦٠) (٧٨٧٣) وأبو نعيم في « معرفة الصحابة » (٣/ ٢٧١، ٢٧٢) (١٣٧٥) وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٢٥٣) مختصرًا . كلهم من طريق معان بن رفاعة السلامي به . وإسناده ضعيف فإن معان بن رفاعة قال الحافظ في « التقريب » : لين الحديث كثير الإرسال . وعلي بن يزيد الألهاني متروك ، قال البخاري : منكر الحديث ، وقال النسائي : ليس بثقة ، وقال أبو زرعة : ليس بقوي ، وقال الدارقطني : متروك ، انظر ترجمته في الميزان (٤/ ٨١) والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٤، ٣٥) وقال : رواه الطبراني وفيه علي بن يزيد الألهاني وهو متروك . والحديث ذكره ابن حجر في الإصابة (٢/ ١٩) في ترجمة ثعلبة بن حاطب أو ابن أبي حاطب الأنصاري فقال : « روىٰ الباوردي وابن السكن ، وابن شاهين وغيرهم ... من طريق معان بن رفاعة عن علي بن يزيد عن القاسم فذكر الحديث ثم قال : وفي كون صاحب هذه القصة - إن صح الخبر ولا أظنه يصح - هو البدري المذكور قبله نظر ، وقد تأكدت المغايرة بينهما بقول ابن الكلبي : إن البدري استشهد بأحد » .

[١] - في ز : « أن يا رسول الله ادع الله » . [٢] - في ز : « اقتنعوا » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « عما » .

[٤] - في ز : « ظهرت » .

سماعها ، كما جاء في الحديث أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **لا يبلغني أحد عن أحد شيئًا ، إني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر** »(٧٧٢) .

وقال البخاري (٧٧٣) : حدثنا منذر بن الوليد بن عبد الرحمن الجارودي ، حدثنا أبي ، حدثنا شعبة ، عن موسىٰ بن أنس ، عن أنس بن مالك ، قال : خطب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط ، قال : « **لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا** » . قال : فغطىٰ أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وجوههم لهم حنين ، فقال رجل : مَنْ أبي ؟ قال[١] : « **فلان** » فنزلت هذه الآية ﴿ **لا تسألوا عن أشياء** ﴾ .

رواه النضر وروح بن عبادة عن شعبة ، وقد رواه البخاري في غير هذا الموضع ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي من طرق عن شعبة بن الحجاج به .

وقال ابن جرير(٧٧٤) : حدثنا بشر ، حدثنا يزيد ، حدثنا سعيد ، عن قتادة في قوله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم** ﴾ الآية ، قال : فحدثنا أن أنس بن

(٧٧٢) - رواه أبو داود كتاب الأدب ، باب : في رفع الحدث حديث (٤٨٦٠) ، والترمذي كتاب المناقب ، باب ٦٤، حديث (٣٨٩٦، ٣٨٩٧) ، وأحمد في مسنده (١/٣٩٥) من طريقين عن إسرائيل بن يونس عن الوليد بن أبي هشام مولى الهمداني عن زيد بن زائد عن عبد الله بن مسعود به مرفوعًا . قال الترمذي : هذا حديث غريب من هذا الوجه وقد زيد في هذا الإسناد رجل ثم رواه من طريق الحسين بن محمد عن إسرائيل عن السدي عن الوليد بن أبي هشام عن زيد بن زائد عن ابن مسعود فزاد في الإسناد « السدي » وهو إسماعيل بن عبد الرحمن متكلم فيه ، والحديث ضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (١٠٣٥) .

(٧٧٣) - رواه البخاري في « صحيحه » كتاب التفسير ، باب : ﴿ لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ﴾ حديث (٤٦٢١) ، ورواه البخاري في كتاب الرقاق ، باب : قول النبي ﷺ : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا » حديث (٦٤٨٥) ، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب : ما يكره من كثرة السؤال ، ومن تكلف ما لا يعنيه حديث (٧٢٩٥) ، ومسلم في « صحيحه » كتاب الفضائل ، باب : توقيره ﷺ ، وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه ، حديث (١٣٤، ١٣٥/ ٢٣٥٩) ، والترمذي كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة المائدة حديث (٣٠٥٦) ، والنسائي في الكبرى كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم ﴾ حديث (١١١٥٤) ، وأحمد في مسنده (٣/ ٢٠٦، ٢١٠، ٢٦٨) من طرق عن شعبة به . وبعض الروايات مطولة وبعضها مختصرة والحديث رواه البخاري في (٩٣) (٥٤٠) (٦٣٦٢) ، (٧٠٨٩) (٧٠٩٠) (٧٠٩١) (٧٠٩٤) ، ومسلم (٢٣٥٩) وغيرهما من طرق عن أنس به .

(٧٧٤) - تفسير الطبري (١١/ ١٠٠، ١٠١) (١٢٧٩٧) ، ورواه البخاري في كتاب الفتن ، باب :=

[١] - سقط من : ز ، خ .

مالك حدثه : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم سألوه حتىٰ أحفوه بالمسألة ، فخرج عليهم ذات يوم فصعد المنبر فقال : « **لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بينته لكم** » . فأشفق أصحاب رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أن يكون بين يدي أمر قد حضر ، فجعلت لا ألتفت يمينًا ولا شمالًا إلا وجدت كلًّا لافًّا[١] رأسه في ثوبه يبكي ، فأنشأ رجل كان يلاحي فيدعىٰ إلىٰ غير أبيه ، فقال : يا نبي اللّٰه ، من أبي ؟ قال : « **أبوك حذافة** » . قال : ثم قام عمر - أو قال : فأنشأ عمر - فقال : رضينا باللّٰه ربًّا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمد رسولًا ، عائذًا باللّٰه - أو قال : أعوذ باللّٰه - من شر الفتن . قال : و[٢] قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **لم أر في الخير والشر كاليوم قط ، صورت لي الجنة والنار حتىٰ رأيتهما دون الحائط** » .

أخرجاه من طريق سعيد .

ورواه معمر عن الزهري عن أنس بنحو ذلك أو قريبًا منه ، قال الزهري : فقالت أم عبد اللّٰه بن حذافة : ما رأيت ولدًا أعق منك قط[٣] ، [ ][٤] أكنت تأمن أن تكون[٥] أمك قد قارفت ما قارف أهل الجاهلية فتفضحها علىٰ رءوس الناس . فقال : واللّٰه لو ألحقني بعبد أسود للحقته(٧٧٥) .

وقال ابن جرير أيضًا(٧٧٦) : حدثنا الحارث ، حدثنا عبد العزيز ، حدثنا قيس ، عن أبي حصين ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : خرج رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وهو

= التعوذ من الفتن حديث (٧٠٩٠) (٧٠٩١) ، ومسلم في « صحيحه » في الفضائل ، باب : توقيره ﷺ وترك سؤاله ... حديث (٢٣٥٩/١٣٧) ، وأحمد (٢٥٤/٣) من طريق سعيد عن قتادة ، ورواه البخاري في كتاب الدعوات ، باب التعوذ من الفتن حديث (٦٣٦٢) ، ومسلم (١٣٧/ ٢٣٥٩) من طريق هشام عن قتادة عن أنس وانظر السابق ، والتالي .

(٧٧٥) - رواه البخاري في « صحيحه » كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب ما يكره من كثرة السؤال ، ومن تكلف ما لا يعنيه حديث (٧٢٩٤) ، ومسلم (٢٣٥٩/١٣٦) من طريق عبد الرزاق عن معمر عن الزهري بالحديث ، ورواه البخاري في كتاب العلم ، باب : من برك على ركبتيه عند الإمام أو المحدث حديث (٩٣) ، وفي كتاب المواقيت ، باب وقت الظهر عند الزوال حديث (٥٤٠) ، ومسلم في (٢٣٥٩/١٣٦) وغيرهما من غير طريق معمر عن الزهري به ، وانظر الحديث (٨٠٢، ٨٠٣) .

(٧٧٦) - رواه ابن جرير في تفسيره (١٠٣/١١) (١٢٨٠٢) ، وإسناده ضعيف في إسناده عبد العزيز وهو ابن أبان الأموي قال الحافظ في « التقريب » : متروك ، وكذبه ابن معين وغيره . وقيس هو =

[١] - في ز : « لافًا » . [٢] - سقط من : ز .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « قالت » . [٥] - سقط من : خ .

غضبان محمارٌّ وجهه ، حتىٰ جلس علىٰ المنبر فقام إليه رجل ، فقال : أين أبي[١] ؟ فقال[٢] : « **في النار** » . فقام آخر فقال : من أبي ؟ فقال : « **أبوك حذافة** » . فقام عمر بن الخطاب فقال : رضينا بالله ربًّا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمد صلىٰ الله عليه وسلم نبيًّا ، وبالقرآن إمامًا ، إنا يا رسول الله حديثو عهد بجاهلية وشرك ، والله أعلم من أباؤنا . قال : فسكن غضبه ونزلت هذه الآية : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم** ﴾ الآية .

إسناده[٣] جيد ، وقد ذكر هذه القصة مرسلة غير واحد من السلف منهم : أسباط عن السدي أنه قال في قوله تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم** ﴾ قال : غضب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يومًا من الأيام ، فقام خطيبًا فقال : « **سلوني فإنكم لا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به** » . فقام إليه رجل من قريش من بني سهم يقال له : عبد الله بن حذافة وكان يطعن فيه ، فقال : يا رسول الله ، من أبي ؟ فقال : « **أبوك فلان** » . فدعاه لأبيه ، فقام إليه عمر بن الخطاب فقبل رجله ، وقال : يا رسول الله ، رضينا بالله ربًّا ، وبك نبيًّا ، وبالإسلام دينًا ، وبالقرآن إمامًا ، فاعف عنا عفا الله عنك . فلم يزل به حتىٰ رضي ، فيومئذ قال : « **الولد للفراش وللعاهر الحجر** »(٧٧٧) .

ثم قال البخاري (٧٧٨) : حدثنا الفضل بن سهل ، حدثنا أبو النضر ، حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا أبو الجويرية ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : كان قوم يسألون رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم استهزاء ، فيقول الرجل : من أبي ؟ ويقول الرجل تضل ناقته : أين ناقتي ؟ فأنزل الله فيهم[٤] هذه الآية : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم** ﴾ حتىٰ فرغ من الآية كلها . تفرد به البخاري .

= ابن الربيع الأسدي ، قال في « التقريب » : صدوق تغير لما كبر وأدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به . والحديث ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/٥٩٢) وزاد نسبته للفريابي وابن مردويه .

(٧٧٧) - رواه ابن جرير الطبري (١١/ ١٠٢، ١٠٣) (١٢٨٠١) ، وابن أبي حاتم (٤/١٢١٩) (٦٨٨٢) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/٥٩١) ولم يعزه لغير ابن جرير وابن أبي حاتم .

(٧٧٨) - رواه البخاري في « صحيحه » كتاب التفسير ، باب : ﴿ لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ﴾ حديث (٤٦٢٢) ، ورواه ابن جرير (١١/٩٨) (١٢٧٩٤) ، وابن أبي حاتم (٤/ ١٢١٧، ١٢١٨) (٦٨٧٧) ، والطبراني في الكبير (١٢٦٩٥) كلهم من طريق زهير أبي خيثمة عن أبي الجويرية به .

---

[١] - في ز : « أنا » .
[٢] - في ز : « قال » .
[٣] - في ز : « إسناد » .
[٤] - سقط من : ز .

وقال الإمام أحمد (٧٧٩) : حدثنا منصور بن وردان الأسدي ، حدثنا علي بن عبد الأعلىٰ ، عن أبيه ، عن أبي البختري - وهو سعيد بن فيروز - ، عن علي ، قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ **ولله علىٰ الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلًا** ﴾ قالوا : يا رسول الله ، في[١] كل عام ؟ فسكت . فقالوا : أفي كل عام ؟ فسكت . قال : ثم قالوا : أفي كل عام ؟ فقال : « **لا ، ولو قلت نعم لوجبت** ، [**ولو وجبت لما استطعتم**][٢] » . فأنزل الله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم** ﴾ [ ][٣] الآية .

كذا[٤] رواه الترمذي وابن ماجة من طريق منصور بن وردان به ، وقال الترمذي : غريب من هذا الوجه ، وسمعت البخاري يقول : أبو البختري لم يدرك عليًّا .

وقال ابن جرير(٧٨٠) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا عبد الرحيم بن سليمان[٥] ، عن إبراهيم بن مسلم الهجري ، عن أبي عياض ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن الله كتب عليكم الحج** » . فقال رجل : أفي كل عام يا رسول الله ؟ فأعرض عنه حتىٰ عاد مرتين أو ثلاثًا ، فقال : « **من السائل ؟** » فقال : فلان . فقال : « **والذي نفسي بيده ، لو قلت : نعم لوجبت ، ولو وجبت عليكم ما أطقتموه ، ولو تركتموه لكفرتم** » . فأنزل الله عز وجل : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم** ﴾ حتىٰ ختم الآية .

ثم رواه ابن جرير : من طريق الحسين بن واقد ، عن محمد بن زياد ، عن أبي هريرة ، وقال : فقام محصن الأسدي ، وفي رواية من هذه الطريق : عكاشة بن محصن وهو أشبه .

وإبراهيم بن مسلم الهجري ضعيف .

وقال ابن جرير أيضًا (٧٨١) : حدثني زكريا بن يحيىٰ [بن أبان المصري ، حدثنا أبو زيد

---

(٧٧٩) - رواه في المسند (١/١١٣) (٩٠٥) وضعفه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه عليه وقد نقله المصنف عن هذا الموضع من المسند أيضًا في تفسير سورة « آل عمران » الآية (٩٧) وانظر تخريجه هناك .

(٧٨٠) - تقدم تخريجه في تفسير سورة آل عمران الآية (٩٧) .

(٧٨١) - رواه ابن جرير في تفسيره (١١/ ١٠٧، ١٠٨) (١٢٨٠٧) ، ورواه الطبراني في الكبير (٨/ ١٨٦، ١٨٧) (٧٦٧١) قال : حدثنا أبو الزنباع روح بن الفرج ثنا أبو زيد بن أبي الغمر ، فذكره .=

---

[١] - في ز : « أفي » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « إلى آخر » .
[٤] - في ز : « وكذا » .
[٥] - في ز ، خ : « سلمان » .

عبدالرحمن بن أبي الغمر ، حدثنا أبو مطيع معاوية بن يحيىٰ][1] ، عن صفوان بن عمرو ، حدثني سليم بن عامر ، قال : سمعت أبا أمامة الباهلي يقول : قام رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في الناس فقال : « **كتب عليكم الحج** » . فقام رجل من الأعراب ، فقال : أفي كل عام ؟ قال : فغلَق[2] كلام رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وأسكت واستغضب ومكث طويلًا ، ثم تكلم فقال : « **من السائل ؟** » فقال الأعرابي : أنا ذا . فقال : « **ويحك ، ماذا يؤمنك أن أقول نعم ، واللّٰه لو قلت نعم لوجبت ، ولو وجبت لكفرتم ، ألا إنه إنما أهلك الذين من قبلكم أئمة الحرج**[3] ، **واللّٰه لو أني أحللت لكم جميع ما في الأرض ، وحرمت عليكم منها موضع خف لوقعتم فيه** » . قال : فأنزل اللّٰه عند ذلك : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم** ﴾ إلىٰ آخر الآية .

في إسناده ضعف ، وظاهر الآية : النهي عن السؤال عن الأشياء التي إذا أعلم بها الشخص ساءته ، فالأولىٰ الإِعراض عنها وتركها ، وما أحسن الحديث الذي رواه الإِمام أحمد(٧٨٢) حيث قال :

حدثنا حجاج ، قال : سمعت إسرائيل بن يونس ، عن الوليد بن أبي هشام[4] مولىٰ الهمداني ، عن زيد بن زائد ، عن عبد اللّٰه بن مسعود ، قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم لأصحابه : « **لا يبلغني أحد عن أحد شيئًا ؛ فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر** » . الحديث .

وقد رواه أبو داود والترمذي من حديث إسرائيل ، قال أبو داود : عن الوليد . وقال الترمذي : عن إسرائيل ، عن السدي ، عن الوليد بن أبي هشام[5] به . ثم قال الترمذي : غريب من هذا الوجه .

= والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/٢٠٧) وقال : رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن جيد . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/٥٩٢) وزاد نسبته لابن مردويه . قال الشيخ محمود شاكر في تعليقه على ابن جرير : نقله ابن كثير في تفسيره عن هذا الموضع من التفسير وقال : في إسناده ضعف وكأن علة ضعفه عنده هو زكريا بن يحيى بن أبان المصري . قلت : زكريا بن يحيى لم ينفرد به إنما تابعه روح بن الفرج عند الطبراني كما تقدم وروح أبو الزنباع ثقة كما قال الحافظ في « التقريب » فالحديث حسن جيد كما قال الهيثمي رحمه الله .

(٧٨٢) - رواه أحمد في مسنده (١/ ٣٩٥، ٣٩٦) وقد تقدم تخريجه .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز : « فعلن » .
[٣] - في ز : « الجرح » .
[٤] - في خ : « هاشم » .
[٥] - في خ ، م : « هاشم » . وهو خطأ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم** ﴾ أي : وإن تسألوا عن هذه الأشياء التي نهيتم عن السؤال عنها ، حين ينزل الوحي علىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم تبين لكم ، وذلك يسير .

ثم قال : ﴿ **عفا اللَّه عنها** ﴾ أي : عما كان منكم قبل ذلك ﴿ **والله غفور حليم**[١] ﴾ .

وقيل : المراد بقوله : ﴿ **وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم** ﴾ أي : لا تسألوا عن أشياء تستأنفون السؤال عنها ؛ فلعله قد ينزل بسبب سؤالكم تشديد أو تضييق ، وقد ورد في الحديث : « **أعظم المسلمين جرمًا من سأل عن شيء لم يحرم ، فحرم من أجل مسألته** »(٧٨٣) . ولكن إذا نزل القرآن بها مجملة فسألتم عن بيانها حينئذٍ ، تبينت لكم لاحتياجكم إليها .

﴿ **عفا اللَّه عنها** ﴾ أي : ما لم يذكره في كتابه فهو مما عفا عنه ، فاسكتوا أنتم عنها كما سكت عنها ، وفي الصحيح(٧٨٤) عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه قال : « **ذروني ما تركْتُكم**[٢] ، **فإنما أهلك من كان قبلكم : كثرة سؤالهم واختلافهم علىٰ أنبيائهم** » .

وفي الحديث الصحيح أيضًا : « **إن اللَّه تعالىٰ فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحدَّ حدودًا فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها** »(٧٨٥) .

---

(٧٨٣) - رواه البخاري في « صحيحه » كتاب الاعتصام ، باب : ما يكره من كثرة السؤال ، ومن تكلف ما لا يعنيه حديث (٧٢٨٩) ، ومسلم كتاب الفضائل ، باب توقيره ﷺ ، وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه أو لا يتعلق به تكليف حديث (١٣٣٧) ، وأبو داود كتاب السنة ، باب : لزوم السنة حديث (٤٦١٠) ، والحميدي (٦٧) ، وأحمد (١/ ١٧٦، ١٧٩) وغيرهم من حديث عامر بن سعد عن أبيه وقد تقدم في تفسير سورة البقرة الآية (١٠٨) .

(٧٨٤) - تقدم في تفسير سورة البقرة / الآية (١٠٨) .

(٧٨٥) - رواه الدارقطني في سننه (٤/ ١٨٣، ١٨٤) من طريق إسحاق الأزرق نا داود بن أبي هند عن مكحول عن أبي ثعلبة الخشني قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله عز وجل فرض فرائض ... فذكر الحديث . وقد تابع إسحاق الأزرق على هذا الحديث غير واحد منهم محمد بن فضيل كما في العلل للدارقطني (٦/٣٢٤) وعلي بن مسهر عند البيهقي في السنن (١٠/ ١٢، ١٣) ، وقد رواه البيهقي (١٠/ ١٢) من طريق حفص بن غياث عن داود بن أبي هند موقوفًا وكذلك رواه يزيد بن هارون عن داود =

---

[١] - في ز : « رحيم » . [٢] - في خ : « ما تركتم » .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين** ﴾ أي : قد سأل هذه المسائل المنهي عنها قوم من قبلكم فأجيبوا عنها ، ثم لم يؤمنوا بها فأصبحوا بها كافرين ، أي : بسببها أن بينت لهم فلم[١] ينتفعوا بها ؛ لأنهم لم يسألوا علىٰ وجه الاسترشاد ، وإنما سألوا علىٰ وجه التعنت والعناد .

قال العوفي : عن ابن عباس قوله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم** ﴾ وذلك أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أذن في الناس فقال : « **يا قوم كتب عليكم الحج** » . فقام رجل من بني أسد ، فقال : يا رسول الله ، أفي كل عام ؟ فأغضب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم غضبًا شديدًا ، فقال : « **والذي نفسي بيده ، لو قلت نعم لوجبت ، ولو وجبت ما استطعتم ، وإذًا لكفرتم ، فاتركوني ما تركتكم ، وإذا أمرتكم بشيء فافعلوا ، وإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا عنه** » . فأنزل الله [هذه الآية][٢] ، نهاهم أن يسألوا عن مثل الذي سألت النصارىٰ من المائدة فأصبحوا بها كافرين ، فنهىٰ الله عن ذلك ، وقال : لا تسألوا عن أشياء إن نزل القرآن فيها بتغليظ ساءكم ذلك ، ولكن انتظروا ، فإذا نزل القرآن فإنكم لا تسألون عن شيء إلا وجدتم تبيانه .

رواه ابن جرير (٧٨٦) .

وقال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم** ﴾ قال : لما نزلت آية الحج نادىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم في الناس ، فقال : « **يا أيها الناس إن الله قد كتب عليكم الحج فحجوا** » . فقالوا : يا رسول الله ، أعامًا واحدًا أم كل عام ؟ فقال : « **لا ، بل عامًا**

=كما في العلل للدارقطني قال الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١٤٦/٢) : « له علتان : إحداهما : أن مكحولًا لم يصح له السماع من أبي ثعلبة . كذلك قال أبو مسهر الدمشقي وأبو نعيم الحافظ وغيرهما . والثانية : أنه اختلف في رفعه ووقفه على أبي ثعلبة ورواه بعضهم عن مكحول من قوله ، لكن قال الدارقطني : الأشبه بالصواب المرفوع . قال : وهو الأشهر . وقد حسن الشيخ (يعني النووي) - رحمه الله - هذا الحديث وكذلك حسنه قبله الحافظ أبو بكر بن السمعاني في « أماليه » .والحديث ضعفه الألباني في « غاية المرام » رقم (٤) .

(٧٨٦) - رواه ابن جرير في تفسيره (١٠٩/١١) (١٢٨٠٨) ، وإسناده ضعيف لأجل العوفي وقد تقدم الكلام على هذا الإسناد في تفسير سورة البقرة .

---

[١] - في ز : « ولم » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم** » .

واحدًا ، ولو قلت كل عام لوجبت ، ولو وجبت لكفرتم » . ثم قال الله تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **ثم أصبحوا بها كافرين** ﴾ .

رواه ابن جرير(٧٨٧) .

وقال خصيف : عن مجاهد ، عن ابن عباس : ﴿ **لا تسألوا عن أشياء** ﴾ قال : هي البحيرة والوصيلة والسائبة والحام ، ألا [ترىٰ أنه قال بعدها][١] : ﴿ **ما جعل الله من بحيرة** ﴾ ولا كذا ولا كذا . قال : وأما عكرمة فقال : إنهم كانوا يسألونه عن الآيات فنهوا عن ذلك ، ثم قال : ﴿ **قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين** ﴾ .

رواه ابن جرير(٧٨٨) .

يعني عكرمة رحمه الله أن المراد بهذا النهي عن سؤال وقوع الآيات ، كما سألت قريش أن يجري لهم أنهارًا ، وأن يجعل لهم الصفا ذهبًا وغير ذلك ، وكما سألت اليهود أن ينزل عليهم كتابًا من السماء ، وقد قال الله تعالىٰ : ﴿ **وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأوّلون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفًا** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون * ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أوّل مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون * ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتىٰ وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون** ﴾ .

مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍۙ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴿١٠٤﴾

(٧٨٧) - تفسير ابن جرير (١١/١١٠) (١٢٨٠٩) .

(٧٨٨) - تفسير ابن جرير (١١/١١١) (١٢٨١١) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/٥٩٣) وزاد نسبته لسعيد بن منصور وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه .

[١] - في ز ، خ : «أنه يقول بعد ذلك» .

قال البخاري (٧٨٩) : حدّثنا موسىٰ بن إسماعيل ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، عن صالح بن كيسان ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، قال : البحيرة : التي يمنع[١] درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس ، والسائبة : كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شيء . قال : وقال[٢] أبو هريرة : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار ، كان أول من سيب السوائب** » . والوصيلة : الناقة البكر تبكر[٣] في أول نتاج الإبل ، ثم تثنى بعد بأنثىٰ ، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بالأخرىٰ ليس بينهما ذكر ، والحام : فحل الإبل يضرب الضراب المعدود ، فإذا قضىٰ ضرابه ودعوه للطواغيت وأعفوه عن الحمل ، فلم يحمل عليه شيء وسموه الحامي .

وكذا رواه مسلم والنسائي من حديث إبراهيم بن سعد به .

ثم قال البخاري(٧٩٠) : وقال لنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، عن الزهري ، قال سمعت سعيدًا يخبر بهذا ، [ ][٤] وقال أبو هريرة عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم نحوه . و[٥] رواه ابن الهاد ، عن ابن شهاب ، عن سعيد ، عن أبي هريرة رضي اللَّه تعالىٰ عنه ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم .

قال الحاكم : أراد البخاري أن يزيد بن عبد اللَّه بن الهاد رواه عن عبد الوهاب بن بخت عن الزهري . كذا حكاه شيخنا أبو الحجاج المزي في الأطراف وسكت ولم ينبه عليه ، وفيما قاله الحاكم نظر ؛ فإن الإمام أحمد وأبا جعفر بن جرير روياه : من حديث الليث بن سعد ، عن ابن الهاد ، عن الزهري نفسه واللَّه أعلم .

(٧٨٩) - رواه البخاري في « صحيحه » كتاب التفسير ، باب : ﴿ ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ﴾ حديث (٤٦٢٣) ، ورواه البخاري في المناقب ، باب : قصة خزاعة حديث (٣٥٢٠) ، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء حديث (٢٨٥٦) ، والنسائي في الكبرى كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ﴾ حديث (١١١٥٦) ، وأحمد (٢/٣٦٦) من طريق ابن شهاب الزهري عن ابن المسيب به .

(٧٩٠) - صحيح البخاري كتاب التفسير عقب الحديث (٤٦٢٣) .

[١] - في ز : « تمنع » .
[٢] - في ز : « فقال » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « قال » .
[٥] - سقط من : ز .

ثم قال البخاري (٧٩١) : حدثنا محمد بن أبي يعقوب أبو عبد اللَّه الكرماني ، حدثنا حسان بن إبراهيم ، حدثنا يونس ، عن الزهري ، عن عروة ، أن عائشة رضي اللَّه تعالىٰ عنها قالت : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **رأيت جهنم يحطم بعضها بعضًا ، ورأيت عمرًا يجر قصبه وهو أول من سيب السوائب** » .

تفرد[١] به البخاري .

وقال ابن جرير(٧٩٢) : حدثنا هناد ، حدثنا يونس بن بكير ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول لأكثم بن الجون : « **يا أكثم ، رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجر قصبه في النار ، فما رأيت رجلًا أشبه برجل [به منك ولا منك به]** » فقال أكثم : تخشىٰ أن يضرني شبهه يا رسول اللَّه ؟ فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لا ، إنك مؤمن [وهو كافر ، إنه أول من غير دين إبراهيم ، وبحر البحيرة ، وسيب السائبة ، وحمىٰ الحامي** » . ثم رواه عن][٢] هناد ، عن عبدة ، [عن محمد بن عمرو][٣] ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم بنحوه أو مثله .

---

(٧٩١) - رواه البخاري في « صحيحه » كتاب التفسير ، باب: ﴿ ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ﴾ حديث (٤٦٢٤) ورواه في كتاب العمل في الصلاة ، باب : إذا انفلتت الدابة في الصلاة حديث (١٢١٢) قال : حدثنا محمد بن مقاتل أخبرنا عبد الله أخبرنا يونس فذكره بهذا الإسناد وأوله : « خسفت الشمس فقام النبي ﷺ فقرأ سورة طويلة ... فذكر الحديث وفي آخره : « ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضًا حين رأيتموني تأخرت ورأيت فيها عمرو بن لحي وهو الذي سيب السوائب » .

(٧٩٢) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١١/ ١١٧، ١١٨) (١٢٨٢٠) وهو عند ابن هشام فى السيرة (١/ ٨٩) ومن طريق ابن إسحاق رواه أيضًا ابن الأثير فى « أسد الغابة » (١٣٣/١) وإسناده صحيح رجاله ثقات وقد صرح ابن إسحاق بالسماع من محمد بن إبراهيم التيمى . والحديث رواه ابن جرير أيضًا فى تفسيره (١٢٤/١١) (١٢٨٢٧) قال : حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق فذكر الحديث . ورواه ابن جرير (١٢٨٢٢) قال حدثنا هناد قال : حدثنا عبدة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبى هريرة نحوه ، ورواه الحاكم فى المستدرك (٦٠٥/٤) من طريق محمد بن عبد الله الأنصارى ثنا محمد بن عمرو به . وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه =

---

[١] - في ز : « انفرد » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : «عن عبده عن عمرو» .

ليس هذان الطريقان في الكتب .

وقال الإمام أحمد(٧٩٣) : حدثنا عمرو بن مجمع ، حدثنا إبراهيم الهجري ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله بن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **إن أول من سيب السوائب وعبد الأصنام أبو خزاعة عمرو بن عامر ، وإني رأيته يجر أمعاءه في النار** » .

تفرد به أحمد من هذا الوجه ، وقال عبد الرزاق(٧٩٤) : أنبأنا معمر ، عن زيد بن أسلم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إني لأعرف أول من سيب السوائب ، وأول من غير دين إبراهيم عليه السلام** » . قالوا : من هو يا رسول الله ؟ قال : « **عمرو ابن لحي أخو بني كعب ، لقد رأيته يجر قصبه في النار يؤذي ريحه أهل النار ، وإني لأعرف أول من بحر البحائر** » . قالوا : و[١] من هو يا رسول الله ؟ قال : « **رجل من بني مدلج كانت له ناقتان ، فجدع[٢] آذانهما ، وحرم ألبانهما ، ثم شرب ألبانهما بعد ذلك ، فلقد رأيته في النار وهما يعضانه بأفواههما ويخبطانه بأخفافهما** » . فعمرو هذا هو ابن لحي

= الذهبى ، والحديث ذكره ابن حجر فى « الإصابة » (٩٥/١) - ترجمة أكثم بن أبى الجون - فقال : قال أحمد : حدثنا محمد بن بشير ، حدثنا محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة فذكر الحديث وعزاه لأحمد فى فتح البارى (١٠١/١٣) أيضًا ولم أقف عليه فى المسند ولا فى أطراف المسند فلعله فى كتاب آخر غير المسند وإن كان هو المتبادر عند إطلاق العزو لأحمد ، والله أعلم .

(٧٩٣) - رواه أحمد فى المسند (٤٤٦/١) ورواه أيضًا عقبه مباشرة حدثنا حسين بن محمد حدثنا يزيد بن عطاء عن أبى إسحاق الهجرى فذكره مثله ولم يذكر « وعبد الأصنام » وإسناده ضعيف لأجل إبراهيم بن مسلم الهجرى فإنه لين يرفع موقوفات كما قال الحافظ فى « التقريب » وانظر تعليق العلامة أحمد شاكر على المسند (٤٢٥٨) ، (٤٢٥٩) ، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٢١/١) وقال : رواه أحمد وفيه إبراهيم الهجرى وهو ضعيف ، وذكره أيضًا السيوطى فى الدر المنثور (٥٩٧/٢) وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن مردويه .

(٧٩٤) - رواه عبد الرزاق فى تفسيره (١٩٧/١) ومن طريقه رواه ابن جريرفى تفسيره (١٠٣/١١) (١٢٨٢٤) ، ورواه ابن جرير أيضًا فى (١٢٨٢١) قال : حدثنا هناد حدثنا يونس حدثنى هشام بن سعد عن زيد بن أسلم . وهشام بن سعد هو المدنى ضعفه ابن سعيد القطان وأحمد بن حنبل وابن معين ، والنسائى وابن سعد وابن حبان وابن عبد البر ، وقال أبو حاتم : يكتب حديثه ولا يحتج به ، وقال أبو زرعة : شيخ محله الصدق وقال فى موضع آخر واهى الحديث وقال العجلى : جائز الحديث ، حسن الحديث لخص الحافظ حاله فى « التقريب » فقال : صدوق له أوهام ، وقد روى له مسلم وأصحاب السنن ، فمتابعة معمر له تقويه لكن الحديث مع ذلك مرسل ، وقد ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٢/ ٥٩٧) وزاد نسبته لابن أبى شيبة وعبد بن حميد .

[١] - سقط من : ز . [٢] - في ز : « فجذع » .

ابن قمعة ، أحد رؤساء خزاعة الذين ولوا البيت بعد جرهم ، وكان أول من غير دين إبراهيم الخليل ، فأدخل الأصنام إلىٰ الحجاز ، ودعا الرعاع[١] من الناس إلىٰ عبادتها والتقرب بها ، وشرع لهم هذه الشرائع الجاهلية في الأنعام وغيرها ، كما ذكره اللَّه تعالىٰ في سورة الأنعام عند قوله تعالىٰ : ﴿ **وجعلوا للَّه مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبًا** ﴾ إلىٰ آخر الآيات في ذلك .

فأما البحيرة : فقال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما : هي الناقة إذا نتجت خمسة أبطن نظروا إلىٰ الخامس ، فإن كان ذكرًا ذبحوه فأكله الرجال دون النساء ، وإن كان أنثىٰ جدعوا[٢] آذانها فقالوا : هذه بحيرة . وذكر السدي وغيره قريبًا من هذا .

وأما السائبة : فقال مجاهد : هي من الغنم نحو ما فسر من البحيرة ، إلا أنها ما ولدت من[٣] ولد بينها وبينه[٤] ستة أولاد كانت علىٰ هيئتها ، فإذا ولدت السابع ذكرًا أو ذكرين ذبحوه فأكله رجالهم دون نسائهم .

وقال محمد بن إسحاق : السائبة : هي الناقة إذا ولدت عشر إناث من الولد ليس بينهن ذكر ، سيبت فلم تركب ولم يُجز وبرها ، ولم يحلب لبنها إلا الضيف .

وقال أبو روق : السائبة : كان الرجل إذا خرج فقضيت حاجته سيب من ماله ناقة أو غيرها فجعلها للطواغيت ، فما ولدت من شيء كان لها .

وقال السدي : كان الرجل منهم إذا قضيت حاجته ، أو عوفي من مرض ، أو كثر ماله ، سيب شيئًا من ماله للأوثان ، فمن عرض له من الناس عوقب بعقوبة في الدنيا .

وأما الوصيلة : فقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : هي الشاة إذا نُتجت سبعة أبطن نظروا إلىٰ[٥] السابع ، فإن كان ذكرًا أو أنثىٰ وهو ميت اشترك فيه الرجال دون النساء ، وإن كان أنثىٰ استحيوها ، وإن كان ذكرًا وأنثىٰ في بطن واحد[٦] استحيوهما ، وقالوا : وصلته أخته فحرمته علينا .

رواه ابن أبي حاتم(٧٩٥) .

---

(٧٩٥) - تفسير ابن أبي حاتم (١٢٢٢/٤) (٦٨٩٨) .

---

[١] - في ز ، خ : « الرعاء » .

[٢] - في ز : « جذعوا » .

[٣] - في ز : « بين » .

[٤] - في ز : « وبين » .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - سقط من : ز .

وقال عبد الرزاق(٧٩٦) : أنبأنا معمر ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ﴿ ولا وصيلة ﴾ قال : فالوصيلة من الإبل ، كانت الناقة تبتكر بأنثىٰ ، ثم تثني[١] بأنثىٰ فيسمونها[٢] الوصيلة ، ويقولون : وصلت أُنْثَيَيْنِ[٣] ليس بينهما ذكر فكانوا[٤] يجدعونها لطواغيتهم .

وكذا روي عن الإمام مالك بن أنس رحمه اللّٰه تعالىٰ .

وقال محمد بن إسحاق : الوصيلة من الغنم إذا ولدت عشر إناث في خمسة أبطن ، توأمين توأمين في كل بطن ، سميت الوصيلة وتركت ، فما ولدت بعد ذلك من ذكر أو أنثىٰ جعلت للذكور[٥] دون الإناث ، وإن كانت ميتة اشتركوا فيها .

وأما الحام : فقال العوفي : عن ابن عباس ، قال : كان الرجل إذا لقح فحله عشرًا ، قيل : حام فاتركوه . و[٦] كذا قال أبو روق ، وقتادة . وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : وأما الحام فالفحل من الإبل إذا ولد لولده ، قالوا : حمىٰ هذا ظهره ، فلا يحملون عليه شيئًا ، ولا يجزون له وبرًا ، ولا يمنعونه من حمىٰ رعي ، ومن حوض يشرب منه ، وإن كان الحوض لغير صاحبه .

وقال ابن وهب : سمعت مالكًا يقول : أما الحام فمن[٧] الإبل ، كان يضرب في الإبل ، فإذا انقضىٰ ضرابه جعلوا عليه ريش الطواويس وسيبوه .

وقد قيل غير ذلك في تفسير هذه الآية ، وقد ورد في ذلك حديث رواه ابن أبي حاتم (٧٩٧) : من طريق أبي إسحاق السبيعي ، عن أبي الأحوص[٨] الجشمي ، عن أبيه مالك بن نضلة[٩] ، قال : أتيت النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في خُلْقان من الثياب ، فقال لي : « **هل لك من مال ؟** »

(٧٩٦) - رواه عبد الرزاق فى تفسيره (١/ ١٩٦، ١٩٧) .

(٧٩٧) - قطعه ابن أبى حاتم فى تفسيره فرواه فى (٤/١٢٢٠) رقم (٦٨٨٥) ، وفى (٦٨٩١) ، وفى (٦٨٩٧) وقطعه أيضًا ابن جرير فى تفسيره (١١/١٠٣) (١٢٨٢٥) ، وفى (١٢٨٢٦) ، و(١٢٨٣١) ، ورواه الطيالسى فى « مسنده » (١٣٠٣) ، (١٣٠٤) وأبو داود كتاب اللباس باب فى غسل الثوب ، حديث (٤٠٦٣) ، والنسائى فى الزينة باب : الجلاجل (٨/ ١٨٠، ١٨١) وفى باب =

[١] - في ز : « ثنت » .
[٢] - في ز : « يسموها » .
[٣] - في ز : « اثنتين » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « للذكر » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في ز : « فاما من » .
[٨] - في ز : « الأخوص » .
[٩] - في ز : « فضلة » .

فقلت[١] : نعم . قال : « **من أي المال ؟** » قال : فقلت : من كل المال ؛ من الإبل والغنم والخيل والرقيق قال : « **فإذا آتاك اللّه مالاً فَلْيُرَ[٢] عليك** » . ثم قال : « **تنتج إبلك وافية آذانها ؟** » قال : قلت : نعم . قال : « **وهل تنتج الإبل إلا كذلك ؟** » . قال : « **فلعلك تأخذ الموسىٰ فتقطع آذان طائفة منها ، وتقول : هذه بحير ، وتشق آذان طائفة منها وتقول هذه حرم[٣]** » . قلت : نعم . قال : « **فلا تفعل ، إن كل ما آتاك اللّه لك حل** » . ثم قال : ﴿ **ما جعل اللّه من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام** ﴾ . أما البحيرة : فهي التي يجدعون[٤] آذانها ، فلا تنتفع[٥] امرأته ولا بناته ولا أحد من أهل بيته بصوفها ، ولا أوبارها ولا أشعارها ولا ألبانها ، فإذا ماتت اشتركوا فيها . وأما السائبة : فهي التي يسيبون لآلهتهم و[٦] يذهبون إلىٰ آلهتهم فيسيبونها . وأما الوصيلة : فالشاة تلد ستة أبطن فإذا ولدت السابع [جدعت وقطع][٧] قرنها ، فيقولون : قد وصلت فلا يذبحونها ولا تضرب ، ولا تمنع مهما وردت علىٰ حوض . هكذا يذكر تفسير ذلك مدرجًا في الحديث .

وقد روي من وجه آخر عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص[٨] عوف بن مالك من قوله وهو أشبه ، وقد روىٰ هذا الحديث الإمام أحمد : عن سفيان بن عيينة ، عن أبي الزعراء عمرو بن عمرو ، عن عمه أبي الأحوص[٩] عوف بن مالك بن نضلة ، عن أبيه به . وليس فيه تفسير هذه ، واللّه أعلم .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ولكن الذين كفروا يفترون علىٰ اللّه الكذب وأكثرهم لا يعقلون** ﴾ أي : ما شرع اللّه هذه الأشياء ولا هي عنده قربة ، ولكن المشركين[١٠] افتروا ذلك ، وجعلوه شرعًا لهم

= ذكر ما يستحب من لبس الثياب وما يكره منها (١٩٦/٨) وأحمد (٤٧٣/٣) (٤/ ١٣٦، ١٣٧) وابن حبان (٥٤١٦) والطبراني في الكبير (١٩/رقم ٦٠٧، ٦٠٨) (٦٢١) ، والبيهقي في الكبرى (١٠/١٠) وفي « الأسماء والصفات » (٧٤٢) ، والبغوي (٣١١٨) من طرق عن أبي إسحاق به . والروايات مطولة ومختصرة ورواه أحمد (٤٧٣/٣) ، والطبراني (١٩/رقم ٦٢٤) ، وابن حبان (٥٤١٧) من طريق عبد الملك بن عمير عن أبي الأحوص عن أبيه به . وليس فيه تفسير الآية ، ورواه أحمد (٤/ ١٣٦، ١٣٧) من طريق عمرو بن عمرو عن عمه أبي الأحوص كذلك .

[١] - في ز : « قلت » .
[٢] - في ز : « فكثر » .
[٣] - في ز : « صرم » .
[٤] - في ز : « يجذعون » .
[٥] - في ز : « ينتفع » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز : « جذعت وقطعت » .
[٨] - في ز : « الأخوص » .
[٩] - في ز : « الأخوص » .
[١٠] - في ز : « المشركون » .

وقربة يتقربون بها إليه ، وليس ذلك بحاصل لهم بل هو وبال عليهم .

﴿ **وإذا قيل لهم تعالوا إلىٰ ما أنزل اللّٰه وإلىٰ الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا** ﴾ أي : إذا دعوا إلىٰ دين اللّٰه وشرعه وما أوجبه وترك ما حرمه ، قالوا : يكفينا ما وجدنا عليه الآباء والأجداد من الطرائق والمسالك ، قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا** ﴾ أي : لا يفهمون حقًّا ولا يعرفونه ولا يهتدون إليه ، فكيف يتبعونهم والحالة هذه ؟ لا يتبعهم إلا من هو أجهل منهم وأضل سبيلًا .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾

يقول تعالىٰ : آمرًا عباده المؤمنين أن يصلحوا أنفسهم ، ويفعلوا الخير بجهدهم وطاقتهم ، ومخبرًا لهم : أنه من أصلح أمره لا يضره فساد من فسد من الناس ، سواء كان قريبًا منه أو بعيدًا .

قال العوفي ، عن ابن عباس عند[١] تفسير هذه الآية : يقول تعالىٰ إذا ما العبد أطاعني فيما أمرته به من الحلال [ونهيته عنه من][٢] الحرام ، فلا يضره من ضل بعده إذا عمل بما أمرته به .

وكذا روىٰ الوالبي عنه ، وهكذا قال مقاتل بن حيان ، فقوله تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم** ﴾ نصب علىٰ الإغراء ﴿ **لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلىٰ اللّٰه مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون** ﴾ أي : فيجازي كل عامل بعمله ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًّا فشر .

وليس في الآية مُسْتَدَل علىٰ ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا كان فعل ذلك ممكنًا ، وقد قال الإمام أحمد رحمه اللّٰه(٧٩٨) :

(٧٩٨) - المسند (١/٥) وإسناده صحيح كما قال العلامة أحمد شاكر فى تعليقه على المسند ورواه أحمد فى المسند (١/ ٢، ٧، ٩) وأبو داود فى « سننه » كتاب الملاحم باب : الأمر والنهى حديث (٤٣٣٨) ، والترمذى كتاب الفتن ، باب : ما جاء فى نزول العذاب إذا لم يغير المنكر حديث (٢١٦٨) ، وفى تفسير القرآن ، باب : ومن سورة المائدة حديث (٣٠٥٧) ، وابن ماجه فى الفتن ، باب : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حديث (٤٠٠٥) ، والنسائى فى الكبرى كما فى تحفة الأشراف (٦٦١٥) ، وابن حبان فى صحيحه (٣٠٤) ، والبيهقى فى السنن (١٠/٩١) من طرق عن إسماعيل بن أبى خالد به . =

[١] - سقط من : ت . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا زهير - يعني ابن معاوية - ، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد ، حدثنا قيس ، قال : قام أبو بكر الصديق[١] رضي الله عنه فحمد الله وأثنىٰ عليه ، ثم[٢] قال : أيها الناس ، إنكم تقرءون هذه الآية : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم** ﴾ إلى آخر الآية . وإنكم تضعونها علىٰ غير موضعها ، وإني سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول[٣] : « **إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه ، أوشك [ ][٤] الله عز وجل أن يعمهم بعقابه** » . قال : وسمعت أبا بكر يقول : يا أيها الناس ، إياكم والكذب ؛ فإن الكذب مجانب الإيمان .

وقد روىٰ هذا الحديث أصحاب السنن الأربعة وابن حبان في صحيحه وغيرهم ، من طرق كثيرة ، عن جماعة كثيرة ، عن إسماعيل بن أبي[٥] خالد به متصلًا مرفوعًا ، ومنهم من رواه عنه به موقوفًا علىٰ الصديق ، وقد رجح رفعه الدارقطني وغيره ، وذكرنا طرقه والكلام عليه مطولًا في مسند الصديق - رضي الله عنه - .

وقال أبو عيسىٰ الترمذي (٧٩٩) : حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقاني ، حدثنا عبد الله بن

= وقال الترمذى فى الموضع الثانى : هذا حديث حسن صحيح ، وقد رواه غير واحد عن إسماعيل بن أبى خالد نحو هذا الحديث مرفوعًا وروى بعضهم عن إسماعيل عن قيس عن أبى بكير قوله ولم يرفعوه .

(٧٩٩) - رواه الترمذى فى كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة المائدة حديث (٣٠٥٨) وقال الترمذى : هذا حديث حسن غريب ، كذا فى المطبوع من سنن الترمذى والذى نقله ابن كثير هنا « حسن غريب صحيح » والذى نقله صاحب « تحفة الأحوذى » حسن غريب . والحديث رواه أبو داود كتاب الملاحم ، باب : الأمر والنهى ، حديث (٤٣٤١) ، وابن ماجه كتاب الفتن ، باب : قوله تعالى : ﴿ يأيها الذين أمنوا عليكم أنفسكم ﴾ حديث (٤٠١٤) ، وابن جرير فى تفسيره (١٤٥/١١) (١٢٨٦٢) ، (١٢٨٦٣) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره (١٢٢٥/٤) ، (٦٩١٥) والبيهقى فى الشعب (٧٥٥٣) ، والمزى فى تهذيب الكمال (٥٦٣/٢١) من طريق عتبة بن أبى حكيم عن عمه عمرو بن جارية بالحديث ، وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٥٩٨/٢) ، وزاد نسبته للبغوى فى معجمه وابن المنذر والطبرانى وأبى الشيخ وابن مردويه والحاكم ، وفى إسناده عمرو بن جارية اللخمى ذكره البخارى فى التاريخ الكبير (٣١٩/٦) وابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل (٢٢٤/٦) ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلًا وذكره ابن حبان فى الثقات (٢١٨/٧) وقال ابن حجر فى التقريب : مقبول . وكذا قال فى أبى أمية الشعبانى والحديث ضعفه الألبانى فى ضعيف الترمذى (٥٨٥) وقال فى تخريج المشكاة (٥١٤٤) : إسناده ضعيف ولبعضه شواهد .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « و » .
[٣] - في ز : « قال » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « أن » .
[٥] - سقط من : ز .

المبارك ، حدثنا عتبة بن أبي حكيم ، حدثنا عمرو بن جارية[١] اللخمي ، عن أبي أمية الشعباني ، قال : أتيت أبا ثعلبة الخشني ، فقلت له[٢] : كيف تصنع في هذه الآية ؟ فقال : أية آية ؟ قلت : قول الله تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم** ﴾ فقال : أما والله لقد سألتَ عنها خبيرًا ، سألت عنها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال : « **بل ائتمروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر ، حتىٰ إذا رأيت شحًا مطاعًا ، وهوى متبعًا ، ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه ، فعليك بخاصة نفسك ، ودع العوام ، فإن من ورائكم أيامًا ، الصبر فيهن مثل القبض[٣] علىٰ الجمر ، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلًا يعملون كعملكم** » . قال عبد الله بن المبارك : وزاد [ ][٤] غير عتبة : قيل : يا رسول الله ، أجر خمسين رجلًا [منا أو منهم] ؟ قال : « [ ][٥] **بل أجر خمسين منكم** » .

ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب صحيح .

وكذا رواه أبو داود : من طريق ابن المبارك ، ورواه ابن ماجة وابن جرير وابن أبي حاتم عن عتبة بن أبي حكيم .

وقال عبد الرزاق(٨٠٠) : أنبأنا معمر ، عن الحسن : أن ابن مسعود - رضي الله عنه - سأله رجل عن قول الله : ﴿ **عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم** ﴾ فقال[٦] : إن هذا ليس بزمانها ، إنها اليوم مقبولة ، ولكنه قد أوشك[٧] أن يأتي زمانها ، تأمرون فيصنع بكم كذا وكذا - أو قال : فلا يقبل منكم - فحينئذ عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل .

ورواه أبو جعفر الرازي عن الربيع ، عن أبي العالية ، عن ابن مسعود ، في قوله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم** ﴾ الآية . قال : كانوا عند عبد الله بن

(٨٠٠) - رواه فى تفسيره (١٩٩/١) ومن طريقه رواه ابن جرير فى تفسيره (١٤١/١١) (١٢٨٥٥) ، ورواه ابن جرير فى (١٢٨٤٨) (١٢٨٤٩) ، (١٢٨٥٠) ، والطبرانى (٢٥١/٩) (٩٠٧٢) من طرق عن الحسن عن ابن مسعود به .
وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (٢٢/٧) : رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح إلا أن الحسن البغوى لم يسمع من ابن مسعود .

[١] - في ز : « حارثة » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « القابض » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « في » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « لا » .
[٦] - في ز : « قال » .
[٧] - في ت : « يوشك » .

مسعود جلوسًا ، فكان بين رجلين بعض ما يكون بين الناس ، حتىٰ قام كل واحد منهما[١] إلىٰ صاحبه ، فقال رجل من جلساء عبد الله : ألا أقوم فآمرهما بالمعروف وأنهاهما عن المنكر . فقال آخر إلىٰ جنبه : عليك بنفسك ، فإن الله يقول : ﴿ **عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم** ﴾ . قال : فسمعها ابن مسعود فقال : مه ، لم يجئ تأويل هذه بعد ، إن القرآن أنزل حيث أنزل ومنه آي قد مضىٰ تأويلهن قبل أن ينزلن ، ومنه آي قد وقع تأويلهن علىٰ عهد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، ومنه آي قد وقع تأويلهن بعد النبي صلىٰ الله عليه وسلم بيسير ، [ومنه آي يقع تأويلهن][٢] [بعد اليوم ، ومنه آي يقع تأويلهن عند الساعة على ما ذكر من الساعة][٣] ، [ومنه آي يقع تأويلهن][٤] يوم الحساب على[٥] ما ذكر من الحساب والجنة والنار ، فما دامت قلوبكم واحدة وأهواؤكم واحدة ، [ولم تلبسوا شيعًا ، ولم يذق بعضكم بأس بعض][٦] - [فأمروا وانهوا ، وإذا اختلفت القلوب والأهواء وألبستم شيعًا ، وذاق بعضكم بأس بعض][٧] ، فأمره[٨] ونفسه ، وعند ذلك جاءنا تأويل هذه الآية . رواه ابن جرير (٨٠١) .

وقال ابن جرير(٨٠٢) : حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا شبابة بن سوار ، حدثنا الربيع بن صبيح ، عن سفيان بن عقال ، قال : قيل لابن عمر : لو جلست في هذه الأيام فلم تأمر [ولم تنه ، فإن الله قال : ﴿ **عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم** ﴾ . فقال ابن][٩] عمر : إنها ليست لي ولا لأصحابي ، إن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **ألا فليبلغ الشاهد الغائب** » ، فكنا نحن الشهود وأنتم الغُيّب ، ولكن هذه الآية لأقوام يجيئون من بعدنا ، إن قالوا لم يقبل منهم .

---

(٨٠١) - رواه ابن جرير في تفسيره (١٤٣/١١) (١٢٨٥٩) ، ورواه أيضًا ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢٢٧) (٦٩٢٢) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٩٩/٢) وزاد نسبته إلى « عبد بن حميد ، ونعيم ابن حماد في الفتن وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان » .

(٨٠٢) - وراه ابن جرير في تفسيره (١٣٩/١١) (١٢٨٥١) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٩٩/٢) وزاد نسبته لابن مردويه .

---

[١] - في ز : « منهم » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٨] - في ت : « فأمروا » .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

وقال أيضًا(٨٠٣) : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا محمد بن جعفر وأبو عاصم ، قالا : حدثنا عوف ، عن سوار بن شبيب ، قال : كنت عند ابن عمر إذ أتاه رجل جليد في العين شديد اللسان ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، نفر ستة كلهم قد قرأ القرآن فأسرع فيه[١] ، وكلهم مجتهد لا يألو ، وكلهم بغيض إليه أن يأتي دناءة ، وهم في ذلك يشهد بعضهم علىٰ بعض بالشرك . [فقال رجل من القوم : وأي دناءة تريد أكثر من أن يشهد بعضهم علىٰ بعض بالشرك][٢] ؟ فقال الرجل : إني لست إياك أسأل ، إنما أسأل الشيخ . فأعاد علىٰ عبد الله الحديث ، فقال عبد الله : لعلك ترىٰ لا أبا لك أني سآمرك أن تذهب فتقتلهم ، عظهم وانههم فإن عصوك فعليك نفسك ، فإن الله -عز وجل- يقول : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعًا فينبئكم بما كنتم تعملون** ﴾ .

وقال أيضًا(٨٠٤) : حدثني أحمد بن المقدام ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، سمعت أبي ، حدثنا قتادة ، عن أبي مازن ، قال : انطلقت علىٰ عهد عثمان إلىٰ المدينة ، فإذا قوم من المسلمين جلوس ، فقرأ أحدهم هذه الآية : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل** ﴾ فقال[٣] أكبرهم : لم يجئ تأويل هذه الآية اليوم .

وقال(٨٠٥) : حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثنا ابن فضالة ، عن معاوية بن صالح ، عن

(٨٠٣) - تفسير الطبرى (١١/١٤٠) (١٢٨٥٤) ، وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٢/٦٠٠) وعزاه لابن مردويه وحسب .

(٨٠٤) - تفسير الطبرى (١١/١٤٠) (١٢٨٥٢) ورواه أيضًا برقم (١٢٨٥٧) من طريق سعيد عن قتادة قال : حدثنا أبو مازن ، رجل من صالحى الأزد من بنى الحدان فذكره نحو رواية سليمان عن قتادة، ورواه عبد الرزاق (١/١٩٩) ومن طريقه الطبرى فى تفسيره (١١/١٤١) (١٢٨٥٦) عن معمر عن قتادة عن رجل قال : كنت فى خلافة عثمان فذكره ، والرجل المبهم فى هذه الرواية إنما هو أبو مازن وأبو مازن لم أجد له ترجمة إلَّا فى الجرح والتعديل لابن أبى حاتم (٩/٤٤٤) قال : كان من صلحاء الأزد قدم المدينة فى زمن عثمان رضى الله عنه ، روى قتادة عن صاحب له عنه ، سمعت أبى يقول ذلك ، قلت : الرواية التى عند ابن جرير عن قتادة عن أبى مازن مباشرة لكنه صرح به مرة ومرة أخرى أبهمه .

(٨٠٥) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١١/١٤٢) (١٢٨٥٨) وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٢/٥٩٩) ولم ينسبه لغير ابن جرير .

[١] - في ز : « فيهم » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز : « وقال » .

جبير بن نفير ، قال : كنت في حلقة فيها أصحاب رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وإني لأصغر القوم ، فتذاكروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقلت أنا : أليس اللّٰه يقول في كتابه : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم** ﴾ ؟ فأقبلوا عليَّ بلسان واحد ، وقالوا : تنزع آية من القرآن لا تعرفها ، ولا تدري ما تأويلها . حتى تمنيت أني لم أكن تكلمت ، وأقبلوا يتحدثون ، فلما حضر قيامهم قالوا : إنك غلام حدث السن ، وإنك نزعت بآية و[١] لا تدري ما هي ، وعسىٰ أن تدرك ذلك الزمان ، إذا رأيت شحًا مطاعًا ، وهوىً متبعًا ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه ، فعليك بنفسك لا يضرك من ضل إذا اهتديت .

وقال ابن جرير(٨٠٦) : حدثنا علي بن سهل ، حدثنا ضمرة بن ربيعة قال : تلا[٢] الحسن هذه الآية : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم** ﴾ فقال الحسن : الحمد للّٰه بها ، والحمد للّٰه عليها ، ما كان مؤمن فيما مضىٰ ، ولا مؤمن فيما بقي ، إلا وإلىٰ جانبه منافق يكره عمله .

وقال سعيد بن المسيب : إذا أمرت بالمعروف ، ونهيت عن المنكر ، فلا يضرك من ضل إذا اهتديت . رواه ابن جرير(٨٠٧) ، وكذا روي من طريق سفيان الثوري ، عن أبي العميس ، عن أبي البختري ، عن حذيفة مثله . وكذا قال غير واحد من السلف .

وقال ابن أبي حاتم(٨٠٨) : حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن خالد الدمشقي ، حدثنا الوليد ، حدثنا ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن كعب في قوله : ﴿ **عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم** ﴾ قال : إذا هدمت كنيسة [ ][٣] دمشق فجعلت مسجدًا ، وظهر لبس العَصْب ، فحينئذ تأويل هذه الآية .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ

---

(٨٠٦) – رواه ابن جرير فى تفسيره (١١/١٤٨) (١٢٨٦٨) وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٢/٦٠١) ولم ينسبه لغير ابن جرير .

(٨٠٧) – تفسير الطبرى (١١/١٤٨) (١٢٨٦٩) وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٢/٦٠١) ولم ينسبه لغير ابن جرير .

(٨٠٨) – تفسير ابن أبى حاتم (٤/١٢٢٧) (٦٩٢٤) .

---

[١] – سقط من : ز .

[٢] – في ز : « قال » ، وسقط من : خ .

[٣] – ما بين المعكوفتين في ز : « مسجد » .

مِنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

اشتملت هذه الآية الكريمة على حكم عزيز ، قيل : إنه منسوخ ، رواه العوفي عن ابن عباس ، وقاله[١] حماد بن أبي سليمان ، عن إبراهيم : إنها منسوخة . وقال آخرون وهم الأكثرون فيما قاله ابن جرير : بل هو محكم ، ومن ادَّعى النسخ فعليه البيان .

فقوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان** ﴾ هذا هو الخبر لقوله : ﴿ **شهادة بينكم** ﴾ فقيل : تقديره شهادة اثنين ، حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ، وقيل : دل الكلام على تقدير أن يشهد اثنان .

وقوله تعالى : ﴿ **ذوا عدل** ﴾ وصف الاثنين بأن يكونا عدلين .

وقوله : ﴿ **منكم** ﴾ أي : من المسلمين . قاله الجمهور ، قال[٢] علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله : ﴿ **ذوا عدل منكم** ﴾ قال : من المسلمين . رواه ابن أبي حاتم(٨٠٩) ، ثم قال : روي عن عبيدة وسعيد بن المسيب ، والحسن ومجاهد ، ويحيى بن يعمر والسدي ، وقتادة ومقاتل بن حيان ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم[٣] نحو ذلك .

(٨٠٩) - تفسير ابن أبي حاتم (١٢٢٩/٤) (٦٩٣٢) .

[١] - في ز : « وقال » .
[٢] - في ز : « وقال » .
[٣] - سقط من : ز .

قال[١] ابن جرير : وقال آخرون - عني بذلك[٢] - ﴿ **ذوا عدل منكم** ﴾ أي[٣] : من حي الموصي ، وذلك قول روي عن عكرمة وعبيدة وعدة غيرهما .

وقوله : ﴿ **أو آخران من غيركم** ﴾ قال ابن أبي حاتم (٨١٠) : حدثنا أبي ، حدثنا سعيد بن عون ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا حبيب بن أبي عمرة ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال ابن عباس في قوله : ﴿ **أو آخران من غيركم** ﴾ قال : من غير المسلمين يعني : أهل الكتاب .

ثم قال : وروي عن عبيدة وشريح ، وسعيد بن المسيب ومحمد بن سيرين ، ويحيىٰ بن يعمر وعكرمة ، ومجاهد وسعيد بن جبير ، والشعبي وإبراهيم النخعي ، وقتادة وأبي مجلز ، والسدي ومقاتل بن حيان ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم[٤] نحو ذلك .

وعلىٰ ما حكاه ابن جرير عن عكرمة وعبيدة في قوله : ﴿ **منكم** ﴾ أن[٥] المراد من قبيلة الموصي ، يكون المراد هاهنا ﴿ **أو آخران من غيركم** ﴾ أي : من غير قبيلة الموصي ، وقد روي عن ابن أبي حاتم مثله عن الحسن البصري والزهري رحمهما اللّٰه .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **إن أنتم ضربتم في الأرض** ﴾ أي : سافرتم ﴿ **فأصابتكم مصيبة الموت** ﴾ وهذان شرطان لجواز استشهاد الذميين عند فقد المؤمنين ؛ أن يكون ذلك في سفر ، وأن يكون في وصية ، كما صرح بذلك شريح القاضي .

قال ابن جرير(٨١١) : حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا أبو معاوية ووكيع ، قالا : حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن شريح ، قال : لا تجوز[٦] شهادة اليهودي والنصراني إلا في سفر ، ولا تجوز[٧] في سفر إلا في الوصية[٨] .

---

(٨١٠) - رواه ابن أبى حاتم فى تفسيره (١٢٢٩/٤) (٦٩٣٤) ، وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٦٠٤/٢) وزاد نسبته لأبى الشيخ وابن مردويه والضياء فى المختارة .

(٨١١) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١٦٣/١١) (١٢٩١١) ورواه ابن جرير أيضًا (١٢٩١٢) قال : حدثنا ابن وكيع حدثنا أبى عن الأعمش بهذا الإسناد نحوه ، ورواه أيضًا فى رقم (١٢٩١٠) من طريق هشيم عن الأعمش بإسناده نحوه ، وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٦٠٤/٢) وزاد نسبته لعبد الرزاق وعبد بن حميد وأبى الشيخ .

---

[١] - في ز : « وقال » .
[٢] - في ت : « ذلك » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « أي » .
[٦] - في ز : « يجوز » .
[٧] - في ز : « يجوز » .
[٨] - في ز : « وصية » .

ثم رواه عن أبي كريب ، عن أبي بكر بن عياش ، عن أبي إسحاق السبيعي ، قال : قال شريح : فذكر مثله(٨١٢) . وقد روي مثله عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالىٰ ، وهذه المسألة من أفراده ، وخالفه الثلاثة فقالوا : لا تجوز شهادة أهل الذمة علىٰ المسلمين ، وأجازها أبو حنيفة فيما بين بعضهم بعضًا .

وقال ابن جرير(٨١٣) : حدّثنا عمرو بن علي ، حدثنا أبو داود ، حدثنا صالح بن أبي الأخضر ، عن الزهري ، قال : مضت السنة أنه لا تجوز شهادة الكافر[١] في حضر ولا سفر ، إنما هي في المسلمين .

وقال ابن زيد : نزلت هذه الآية في رجل توفي وليس عنده أحد من أهل الإسلام ، وذلك في أول الإسلام ، والأرض حرب والناس كفار ، وكان الناس يتوارثون بالوصية ثم نسخت الوصية ، وفرضت الفرائض وعمل الناس بها . رواه ابن جرير(٨١٤) ، وفي هذا نظر ، والله أعلم .

وقال ابن جرير : اختلف في قوله : ﴿ **شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم** ﴾ هل المراد أن يوصي إليهما أو يشهدهما ؟ علىٰ قولين :

أحدهما : أن[٢] يوصي إليهما ، كما قال [محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن عبد الله بن قُسَيط ، قال : سئل ابن مسعود رضي الله عنه عن هذه الآية ، قال][٣] : هذا رجل سافر[٤] ومعه مال فأدركه قدره ، فإن وجد رجلين من المسلمين دفع إليهما تركته ، وأشهد عليهما عدلين من المسلمين .

رواه[٥] ابن أبي حاتم(٨١٥) وفيه انقطاع .

(٨١٢) - تفسير الطبرى (١١/١٦٤) (١٢٩٢٥) .
(٨١٣) - تفسير الطبرى (١١/١٦٦) (١٢٩٣٣) .
(٨١٤) - تفسير الطبرى (١١/١٦٦) (١٢٩٣١) .
(٨١٥) - تفسير ابن أبى حاتم (٤/١٢٢٩) (٦٩٣١) .

[١] - في ز : « كافر » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز : « مسافر » .
[٥] - في ز : « ورواه » .

والقول الثاني : أنهما يكونان شاهدين ، وهو ظاهر سياق الآية الكريمة ، فإن لم يكن وصي ثالث معهما اجتمع فيهما[١] الوصفان : الوصاية والشهادة ، كما في قصة تميم الداري وعدي ابن بدّاء ، كما سيأتي ذكرهما آنفًا إن شاء الله ، وبه التوفيق .

وقد استشكل ابن جرير كونهما شاهدين قال : لأنا لا نعلم حكمًا يحلف[٢] فيه الشاهد . وهذا لا يمنع الحكم الذي تضمنته هذه الآية الكريمة ، وهو حكم مستقل بنفسه ، لا يلزم أن يكون جاريا علىٰ قياس جميع الأحكام ، علىٰ أن هذا حكم خاص بشهادة خاصة في محل خاص ، وقد اغتفر فيه من الأمور ما لم يغتفر في غيره ، فإذا قامت قرائن الريبة حلف[٣] هذا الشاهد بمقتضىٰ ما دلت عليه هذه الآية الكريمة .

[وقوله تعالىٰ][٤] : ﴿ **تحبسونهما من بعد الصلاة** ﴾ قال العوفي[٥] ، عن[٦] ابن عباس : يعني صلاة العصر .

وكذا قال سعيد بن جبير وإبراهيم النخعي وقتادة وعكرمة ومحمد بن سيرين . وقال الزهري : يعني صلاة المسلمين .

وقال السدي ، عن ابن عباس : يعني صلاة أهل دينهما .

[وروي عن عبد الرزاق(٨١٦) عن أيوب ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة ، وكذا قال إبراهيم وقتادة وغير واحد][٧] . والمقصود أن يقام هذان الشاهدان بعد صلاة اجتمع الناس فيها بحضرتهم ﴿ **فيقسمان بالله** ﴾ [أي : فيحلفان بالله][٨] ﴿ **إن ارتبتم** ﴾ أي[٩] : إن ظهرت لكم منهما[١٠] ريبة أنهما قد خانا أو غلّا فيحلفان حينئذ بالله ﴿ **لا نشتري به** ﴾ أي : بأيماننا ، قاله مقاتل بن حيان ﴿ **ثمنًا** ﴾ أي : لا نعتاض عنه بعوض قليل من الدنيا الفانية الزائلة ﴿ **ولو كان ذا قربىٰ** ﴾ أي : ولو كان المشهود عليه قريبا إلينا لا نحابيه ﴿ **ولا نكتم شهادة الله** ﴾ أضافها إلىٰ الله تشريفًا لها وتعظيمًا لأمرها .

(٨١٦) - رواه عبد الرزاق فى تفسيره (١/٢٠٠) .

[١] - في ز ، خ : « معهما » .
[٢] - في ز : « يخلف » .
[٣] - في ز : « خلف » .
[٤] - في ز : « قال الله تعالى » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٩] - سقط من : ز .
[١٠] - في ز : « منا » .

وقرأ بعضهم : ﴿ ولا نكتم شهادة اللّه ﴾ مجرورًا علىٰ القسم ، رواها ابن جرير (٨١٧) عن عامر الشعبي ، وحكىٰ عن بعضهم أنه قرأها : (ولا نكتم شهادة اللّه) ، والقراءة الأولىٰ هي المشهورة .

﴿ إنا إذًا لمن الآثمين ﴾ أي : إن فعلنا شيئا من ذلك من تحريف الشهادة أو تبديلها أو تغييرها أو كتمها بالكلية .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ فإن عثر علىٰ أنهما استحقا إثمًا ﴾ أي : فإن[١] اشتهر وظهر وتحقق من الشاهدين الوصيين أنهما خانا أو غلّا شيئًا من المال الموصىٰ به إليهما ، وظهر عليهما بذلك ﴿ فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان ﴾ [هذه قراءة الجمهور (استحق عليهم الأوليان) وروي عن علي وأبيّ والحسن البصري أنهم قرءوها ﴿ استحق عليهم الأوليان ﴾][٢] .

وقد روىٰ الحاكم في المستدرك (٨١٨) : من طريق إسحاق بن محمد الفروي ، عن سليمان بن بلال ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن عبيد اللّه بن أبي رافع ، عن علي بن أبي طالب - رضي اللّه عنه - : أن النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم قرأ : ﴿ من الذين استحق عليهم الأوْليان ﴾ .

[ثم قال : صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه .

وقرأ بعضهم ومنهم ابن عباس : (من الذين استحق عليهم الأوَّلين][٣]) . وقرأ الحسن : (من الذين استحق عليهم الأوَّلان) حكاه ابن جرير (٨١٩) .

فعلىٰ قراءة الجمهور يكون المعنىٰ بذلك : أي متىٰ تحقق ذلك[٤] بالخبر الصحيح علىٰ خيانتهما فليقم اثنان من الورثة المستحقين للتركة ، وليكونا من أولىٰ من يرث ذلك المال ﴿ فيقسمان باللّه لشهادتنا أحق من شهادتهما ﴾ أي : لقولنا أنهما[٥] خانا أحق وأصح وأثبت من شهادتهما

(٨١٧) - تفسير ابن جرير (١١/١٠٦) (١٢٩٥٧) .

(٨١٨) - رواه الحاكم فى المستدرك (٢/٢٣٧) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبى ، والحديث ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٢/٦٠٦) وزاد نسبته لابن مردويه .

(٨١٩) - أثر ابن عباس رواه ابن جرير فى تفسيره (١١/٢٠٢) (١٢٩٧٦) ، (١٢٩٧٧) وأما أثر الحسن فذكره فى (١١/١٩٤) بدون إسناد .

[١] - سقط من : ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - في ز : « إنهما » .

المتقدمة ﴿ **وما اعتدينا** ﴾ أي : فيما قلنا من الخيانة ﴿ **إنا إذًا لمن الظالمين** ﴾ أي : إن كنا قد كذبنا عليهما . وهذا التحليف للورثة والرجوع إلىٰ قولهما والحالة هذه ، كما يحلف أولياء المقتول إذا ظهر لوث في جانب القاتل ، فيقسم المستحقون علىٰ القاتل فيدفع برمته إليهم ، كما هو مقرر في باب القسامة من الأحكام .

وقد وردت السنة بمثل ما دلت عليه هذه الآية الكريمة ، فقال ابن أبي حاتم(٨٢٠) :

حدثنا أبي ، حدثنا الحسين بن زياد ، حدثنا محمد بن سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن أبي[١] النضر ، عن باذان - يعني : أبا صالح مولىٰ أم هانئ بنت أبي طالب - ، عن ابن عباس ، عن تميم الداري في هذه الآية : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت** ﴾ قال : برئ الناس منها غيري وغير عدي بن بدَّاء ، وكانا نصرانيين يختلفان إلىٰ الشام قبل الإسلام ، فأتيا الشام لتجارتهما وقدم عليهما مولىٰ لبني سهم ، يقال له : بديل بن أبي مريم بتجارة و[٢] معه جام من فضة يريد به الملك ، وهو عُظْم تجارته فمرض فأوصىٰ إليهما ، وأمرهما أن يبلغا ما ترك أهله ، قال تميم : فلما مات أخذنا ذلك الجام فبعناه بألف درهم ، ثم اقتسمناه أنا وعدي [ ][٣] ، فلما قدمنا إلىٰ أهله دفعنا إليهم ما كان معنا ، وفقدوا الجام فسألونا عنه ، فقلنا : ما ترك غير هذا وما دفع إلينا غيره . قال تميم : فلما أسلمت بعد قدوم رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم المدينة تأثمت من ذلك ، فأتيت أهله فأخبرتهم الخبر ودفعت إليهم خمسمائة درهم ، وأخبرتهم أن عند صاحبي مثلها فوثبوا إليه ، فأمرهم النبي[٤] أن يستحلفوه بما يعظم به علىٰ أهل دينه ، فحلف فأنزل اللَّه : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما** ﴾ فقام عمرو بن العاص ورجل آخر منهم ، فحلفا فنزعت الخمسمائة من عدي بن بداء .

---

(٨٢٠) - تفسير ابن أبى حاتم (٤/ ١٢٣٠، ١٢٣١) (٦٩٤١) ، ورواه الترمذى كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة المائدة حديث (٣٠٥٩) ، وابن جرير فى تفسيره (١٨٦/١١) (١٢٩٦٧) ، وأبو جعفر النحاس فى ناسخه (ص ٤٠٩) كلهم من طريق الحسن بن أحمد بن أبى شعيب الحرانى حدثنا محمد بن سلمة به، وإسناده ضعيف أبو النضر هو محمد بن السائب الكلبى متروك وشيخه باذام قال الحافظ فى التقريب : ضعيف يرسل .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « بن بداء » .

[٤] - سقط من : ز .

وهكذا رواه أبو عيسىٰ الترمذي وابن جرير كلاهما : عن الحسن بن أحمد بن أبي شعيب الحراني ، عن محمد بن سلمة ، عن محمد بن إسحاق به . فذكره وعنده : فأتوا به رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فسألهم البينة ، فلم يجدوا ، فأمرهم أن يستحلفوه بما يعظم به[١] علىٰ أهل دينه ، فحلف فأنزل اللَّه [هذه الآية][٢] إلىٰ قوله : ﴿ **أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم** ﴾ فقام عمرو بن العاص ورجل آخر ، فحلفا فنزعت الخمسمائة من عدي بن بداء .

ثم قال : هذا حديث غريب وليس إسناده بصحيح ، وأبو النضر الذي روىٰ عنه محمد بن إسحاق هذا الحديث هو عندي : محمد بن السائب الكلبي[٣] ، يكنىٰ أبا النضر ، وقد تركه أهل العلم بالحديث ، وهو صاحب التفسير ، سمعت محمد بن إسماعيل يقول : محمد بن السائب الكلبي يكنىٰ أبا النضر . ثم قال : ولا نعرف لسالم أبي النضر رواية عن أبي صالح مولىٰ أم هانئ ، وقد روي عن ابن عباس شيء من هذا علىٰ الاختصار من غير هذا الوجه .

حدثنا سفيان بن وكيع ، حدثنا يحيىٰ بن آدم ، عن ابن أبي زائدة ، عن محمد بن أبي القاسم ، عن عبد الملك بن سعيد بن جبير ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري وعدي بن بداء ، فمات السهمي بأرض ليس بها مسلم ، فلما قدما بتركته ، فقدوا جامًا من فضة مخوصًا بالذهب ، فأحلفهما رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ووجدوا الجام بمكة ، فقيل : اشتريناه من تميم وعدي ، فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما ، وأن الجام لصاحبهم ، وفيهم نزلت : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم** ﴾ الآية (٨٢١) .

---

(٨٢١) - رواه الترمذى فى « سننه » كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة المائدة حديث (٣٠٦٠) وكذا رواه ابن جرير فى تفسيره (١١/١٨٥) (١٢٩٦٦) بسنده ومتنه ورواه البخارى فى « صحيحه » كتاب الوصايا ، باب : إذا قال الواقف : لا نطلب ثمنه إلا إلى الله . فهو جائز حديث (٢٧٨٠) وفى التاريخ الكبير (١/٢١٥) قال : قال لنا على - وفى الصحيح قال لى على بن عبد الله حدثنا يحيى بن آدم ... فذكر الحديث ، ورواه أبو داود فى سننه كتاب الأقضية ، باب الشهادة فى الرضاع حديث (٣٦٠٦) حدثنا الحسن بن على حدثنا يحيى بن آدم به ، ورواه أيضًا النحاس فى الناسخ والمنسوخ (ص ٤٠٨) والبيهقى فى السنن (١٠/١٦٥) ، والطبرانى فى الكبير (١٢/٧١) (١٢٥٠٩) ، وذكره السيوطى الدر المنثور (٢/٦٠٢) وزاد نسبته لابن المنذر ، وأبى الشيخ وابن مردويه .

---

[١] - سقط من : ت .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « ﴿ **يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت** ﴾ » .

[٣] - في ز : « الكندي » .

وكذا رواه أبو داود : عن الحسن بن علي ، عن يحيىٰ بن آدم به . ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب . وهو حديث ابن أبي زائدة .

ومحمد بن أبي القاسم كوفي[١] قيل : إنه صالح الحديث ، وقد ذكر هذه القصة مرسلة غير واحد من التابعين منهم : عكرمة ومحمد بن سيرين وقتادة ، وذكروا أن التحليف كان بعد صلاة العصر . رواه ابن جرير(٨٢٢) ، وكذا ذكرها مرسلة مجاهد والحسن والضحاك ، وهذا يدل علىٰ اشتهارها في السلف وصحتها .

ومن الشواهد لصحة هذه القصة أيضًا : ما رواه أبو جعفر بن جرير(٨٢٣) :

حدثني يعقوب ، حدثنا هشيم ، أخبرنا زكريا ، عن الشعبي : أن رجلًا من المسلمين حضرته الوفاة[٢] بدقوقا . قال : فحضرته الوفاة ولم يجد[٣] أحدًا من المسلمين يشهده علىٰ وصيته ، فأشهد رجلين من أهل الكتاب ، قال : فقدما الكوفة فأتيا الأشعري - يعني : أبا موسىٰ الأشعري رضي الله عنه - فأخبراه ، وقدما بتركته ووصيته ، فقال الأشعري : هذا أمر لم[٤] يكن بعد الذي كان في عهد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : فأحلفهما بعد العصر بالله ما خانا ، ولا كذبا ، ولا بدَّلا ، ولا كتما ، ولا غيَّرا ، وإنها لَوَصية الرجل وتركته ، قال : فأمضىٰ شهادتهما .

ثم رواه عن عمرو بن علي الفلاس ، عن أبي داود الطيالسي ، عن شعبة ، عن مغيرة الأزرق ، عن الشعبي : أن أبا موسىٰ قضىٰ بدقوقا(٨٢٤) .

وهذان إسنادان صحيحان إلىٰ الشعبي عن أبي موسىٰ الأشعري .

---

(٨٢٢) - تفسير ابن جرير (١١/١٨٨) (١٢٩٦٨) .

(٨٢٣) - رواه ابن جرير فى تفسيره (١١/١٧٤) (١٢٩٤٨) ، ورواه أيضًا فى (١٢٩٥٣) قال حدثنا عمرو ابن على حدثنا يحيى القطان حدثنا زكريا ، ورواه أيضًا برقم (١٢٩٢٦) بالسند المذكور ، والأثر رواه أبو داود فى سننه كتاب الأقضية باب : شهادة أهل الذمة ، وفى الوصية فى السفر حديث (٣٦٠٥) . حدثنا زياد بن أيوب ثنا هشيم أخبرنا زكريا به ، وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٢/٦٠٤) وزاد نسبته لعبد الرزاق وأبى عبيد وعبد بن حميد وابن المنذر والطبرانى وابن مردويه والحاكم .

(٨٢٤) - تفسير الطبرى (١١/١٦٥) (١٢٩٢٧) .

---

[١] - في ت : « الكوفي » .
[٢] - في ز : « الصلاة » .
[٣] - في ز : « يجدوا » .
[٤] - في ز : « فلم » .

فقوله : هذا أمر لم يكن بعد الذي كان على[١] عهد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم . الظاهر والله أعلم أنه إنما أراد بذلك قصة تميم وعدي بن بداء ، قد[٢] ذكروا أن إسلام تميم بن أوس الداري رضي الله عنه كان في سنة تسع من الهجرة ، فعلىٰ هذا يكون هذا الحكم متأخرًا[٣] يحتاج مدعي نسخه[٤] إلىٰ دليل فاصل في هذا المقام والله أعلم .

وقال أسباط ، عن السدي [في الآية][٥] : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم** ﴾ قال : هذا في الوصية عند الموت ، يوصي ويشهد رجلين من المسلمين علىٰ ما له و[٦] عليه . قال : هذا في الحضر ﴿ **أو آخران من غيركم** ﴾ في السفر ﴿ **إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت** ﴾ هذا الرجل يدركه الموت[٧] في سفره ، وليس بحضرته أحد من المسلمين ، فيدعو رجلين من اليهود والنصارىٰ والمجوس فيوصي إليهما ويدفع إليهما ميراثه ، فيقبلان به ، فإن رضي[٨] أهل الميت الوصية وعرفوا [ ][٩] تركوا الرجلين ، وإن ارتابوا رفعوهما إلىٰ السلطان ، فذلك قوله تعالىٰ : ﴿ **تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله إن ارتبتم** ﴾ . قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه : كأني أنظر إلىٰ العلجين حين انتهي بهما إلىٰ أبي موسىٰ الأشعري في داره ، ففتح الصحيفة فأنكر أهل الميت وخونوهما[١٠] ، فأراد أبو موسىٰ أن يستحلفهما بعد العصر ، فقلت [له : إنهما][١١] لا يباليان صلاة العصر ، ولكن استحلفهما بعد صلاتهما في دينهما ، فيوقف[١٢] الرجلان بعد صلاتهما في دينهما ، فيحلفان بالله لا نشتري به ثمنًا قليلًا ولو كان ذا قربىٰ ، ولا نكتم شهادة الله إنا إذًا لمن الآثمين ، إنّ صاحبهم لبهذا أوصىٰ ، وإن هذه لتركته ، فيقول لهما الإمام قبل أن يحلفا : إنكما إن [كنتما][١٣] كتمتما أو خنتما فضحتكما في قومكما ، ولم تجز لكما شهادة وعاقبتكما ، فإذا قال لهما ذلك فإن ذلك أدنىٰ أن يأتوا بالشهادة علىٰ وجهها .

---

[١] - في ز : « في » .
[٢] - في ز : « وقد » .
[٣] - في ز : « متأخر » .
[٤] - في ز : « نسخها » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٦] - في م : « وما » .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - في ز ، خ : « أوصى » .
[٩] - ما بين المعكوفتين في ز : « قال صاحبهم » .
[١٠] - في ز : « خوفوهما » .
[١١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « لهما » .
[١٢] - في ز : « فتوقف » .
[١٣] - سقط من ت .

رواه ابن جرير(٨٢٥) .

وقال ابن جرير(٨٢٦) : حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثنا هشيم ، أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم وسعيد بن جبير ، أنهما قالا في هذه الآية : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم** ﴾ الآية ، قالا : إذا حضر الرجل الوفاة في سفر فليشهد رجلين من المسلمين ، فإن لم يجد رجلين من المسلمين فرجلين من أهل الكتاب ، فإذا قدما بتركته فإن صدقهما الورثة قُبِل قولهما ، وإن اتهموهما حلفا بعد صلاة العصر بالله ما كتمنا ولا كذبنا ، ولا خنا ولا غيرنا .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في تفسير هذه الآية : فإن ارتيب[١] في شهادتهما استحلفا بعد العصر[٢] : بالله ما اشترينا بشهادتنا ثمنًا قليلًا ، فإن اطلع الأولياء[٣] علىٰ أن الكافرَيْن كذبا في شهادتهما ، قام رجلان من الأولياء فحلفا بالله إن شهادة الكافرَيْن باطلة[٤] وإنا لم نعتد . فذلك[٥] قوله : ﴿ **فإن عثر علىٰ أنهما استحقا إثمًا** ﴾ يقول : إن[٦] اطلع علىٰ أن الكافرين كذبا ﴿ **فآخران يقومان مقامهما** ﴾ يقول : من الأولياء فحلفا بالله إن شهادة الكافرين باطلة وإنا لم نعتد . فتردّ شهادة الكافرين وتجوز شهادة الأولياء .

وهكذا روىٰ العوفي عن ابن عباس . رواهما ابن جرير(٨٢٧) .

وهكذا قرر هذا الحكم علىٰ مقتضىٰ هذه الآية غير واحد من أئمة التابعين والسلف - رضي الله عنهم - وهو مذهب الإمام أحمد رحمه الله .

وقوله : ﴿ **ذلك أدنىٰ أن يأتوا بالشهادة علىٰ وجهها** ﴾ أي : شرعية هذا الحكم علىٰ هذا

---

(٨٢٥) - تفسير الطبرى (١١/ ١٧٥، ١٧٦) (١٢٩٥٤) .

(٨٢٦) - تفسير الطبرى (١٧٥/١١) (١٢٩٥٢) .

(٨٢٧) - أما رواية على بن أبى طلحة فهى عند الطبرى فى تفسيره (١٧٣/١١) (١٢٩٤٧) ، (١٨١/١١) (١٢٩٦١) ، وأبو جعفر النحاس في « ناسخه » (ص ٤٠٤) ، وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٢/ ٦٠٣) وزاد نسبته لابن المنذر وابن أبى حاتم وهو عند ابن أبى حاتم فى تفسيره (١٢٢٩/٤) (٦٩٣٢) مختصرًا جدًّا . وأما رواية العوفى عن ابن عباس فرواها ابن جرير فى تفسيره (١٢٨٩٢) ، (١٢٩٢٤) مختصرًا . ورواه فى (١٢٩٦٣) مطولًا ورواه ابن أبى حاتم فى (١٢٣٣/٤) (٦٩٥٨) ، (٤/ ١٢٣٤، ١٢٣٥) (٦٩٦٥) ولم يعزه السيوطى فى الدر المنثور (٦٠٣/٢) لغيرهما .

---

[١] - في ز : « ارتبت » .

[٢] - في ز : « الصلاة » .

[٣] - في ز : « الأوليان » .

[٤] - في ز : « باطل » .

[٥] - في ز : « وذلك » .

[٦] - في ز : « أن » .

الوجه المرضي : [من تحليف الشاهدين الذمّيين وقد استريب بهما - أقرب إلى إقامتهما الشهادة على الوجه المرضي][١] .

وقوله : ﴿ أو يخافوا أن تردّ أيمان بعد أيمانهم ﴾ أن[٢] يكون الحامل[٣] لهم على الإتيان بالشهادة على وجهها هو تعظيم الحلف بالله ومراعاة جانبه وإجلاله ، والخوف من الفضيحة بين الناس إذا ردّت اليمين على الورثة ، فيحلفون ويستحقون ما يدعون ؛ ولهذا قال : ﴿ أو يخافوا أن تردّ أيمان بعد أيمانهم ﴾ .

ثم قال : ﴿ واتقوا الله ﴾ أي : في جميع أموركم ﴿ واسمعوا ﴾ أي : وأطيعوا ﴿ والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ أي : الخارجين عن طاعته ومتابعة شريعته .

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾

هذا إخبار عما يخاطب الله به المرسلين يوم القيامة ، عما أجيبوا به من أممهم الذين أرسلهم إليهم ، كما قال تعالى : ﴿ فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون ﴾ .

وقول الرسل : ﴿ لا علم لنا ﴾ قال مجاهد والحسن البصري والسدي : إنما قالوا ذلك من هول ذلك اليوم .

قال عبد الرزاق : عن الثوري ، عن الأعمش ، عن مجاهد ﴿ يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم ﴾ فيفزعون فيقولون ﴿ لا علم لنا ﴾ . رواه ابن جرير وابن أبي حاتم(٨٢٨) .

وقال ابن جرير(٨٢٩) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا حكام ، حدثنا عنبسة ، قال : سمعت

(٨٢٨) - رواه عبد الرزاق فى تفسيره (٢٠١/١) ومن طريقه رواه ابن جرير فى تفسيره (٢١٠/١١) (١٢٩٨٨) ، ورواه ابن أبى حاتم فى تفسيره (١٢٣٦/٤) (٦٩٧٢) من طريق محمد بن يوسف الفريابى ثنا سفيان ... فذكره وزاد فيه : « فترد إليهم أفئدتهم فيعلمون » .

(٨٢٩) - تفسير ابن جرير (٢١٠/١١) (١٢٩٨٧) وفيه سقط فى الإسناد يمكن تداركه مما نقله ابن كثير رحمه الله هنا .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - في ز : « أي » .

[٣] - في ز : « الحاصل » .

شيخًا يقول : سمعت الحسن يقول في قوله : ﴿ **يوم يجمع الله الرسل** ﴾ الآية ، قال : من هول ذلك اليوم .

وقال أسباط : عن السدي : ﴿ **يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا** ﴾ ذلك أنهم نزلوا منزلًا ذهلت فيه العقول ، فلما سئلوا قالوا : ﴿ **لا علم لنا** ﴾ ثم نزلوا منزلًا آخر فشهدوا على قومهم . رواه ابن جرير(٨٣٠) .

ثم قال ابن جرير(٨٣١) : حدثنا القاسم ، حدثنا[١] الحسين ، حدثنا الحجاج[٢] ، عن ابن جريج قوله : ﴿ **يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم** ﴾ أي[٣] : ماذا عملوا بعدكم ، وماذا أحدثوا بعدكم ؟ ﴿ **قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب** ﴾ .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ﴿ **يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب** ﴾ يقولون للرب عز وجل : لا علم لنا إلا علم أنت أعلم به منا .

رواه ابن جرير(٨٣٢) ، ثم اختاره على هذه الأقوال الثلاثة ، ولا شك أنه قول حسن ، وهو من باب التأدب مع الرب جل جلاله ، أي : لا علم لنا بالنسبة إلى علمك المحيط بكل شيء ، فنحن وإن كنا قد أجبنا وعرفنا من أجابنا ، ولكن منهم من كنا إنما نطلع على ظاهره لا علم لنا بباطنه ، وأنت العليم بكل شيء ، المطلع على كل شيء ، فعلمنا بالنسبة إلى علمك كلا علم ، فإنك ﴿ **أنت علام الغيوب** ﴾ .

إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ

(٨٣٠) – تفسير ابن جرير (١١/٢١٠) (١٢٩٨٦) ، ورواه أيضًا ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/١٢٣٦) (٦٩٧٣) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/٦٠٧) وزاد نسبته لأبي الشيخ .

(٨٣١) – تفسير ابن جرير (١١/٢١١) (١٢٩٩١) .

(٨٣٢) – رواه ابن جرير (١١/٢١١) (١٢٩٩٠) ، وابن أبي حاتم (٤/١٢٣٦) (٦٩٧٥) وذكره السيوطي في الدر (٢/٦٠٧) وزاد نسبته لابن المنذر .

[١] – في ز : « بن » . [٢] – في ز : « حجاج » .

[٣] – سقط من : ز .

وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي
إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ
(١١٠) وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا
مُسْلِمُونَ (١١١)

يذكر تعالىٰ ما امتن به علىٰ عبده ورسوله عيسىٰ ابن مريم - عليه السلام - مما[١] أجراه علىٰ يديه من المعجزات الباهرات[٢] وخوارق العادات فقال : ﴿ **وإذ قال الله يا عيسىٰ ابن مريم اذكر نعمتي عليك** ﴾ أي : في خلقي إياك من أم بلا ذكر ، وجعلي إياك آية ودلالة قاطعة علىٰ كمال قدرتي علىٰ الأشياء ﴿ **وعلىٰ والدتك** ﴾ حيث جعلتك[٣] لها برهانًا علىٰ براءتها مما نسبه[٤] الظالمون الجاهلون إليها[٥] من الفاحشة ﴿ **إذ أيدتك بروح القدس** ﴾ وهو جبريل - عليه السلام - وجعلتك نبيًّا داعيًا إلىٰ الله في صغرك وكبرك ، فأنطقتك في المهد صغيرًا فشهدت ببراءة أمك من كل عيب ، واعترفت لي بالعبودية ، وأخبرت عن رسالتي إياك ودعوت[٦] إلىٰ عبادتي ؛ ولهذا قال : ﴿ **تكلم الناس في المهد وكهلًا** ﴾ أي : تدعو [الناس إلىٰ الله] في صغرك وكبرك ، وضمَّن تكلم تدعو ؛ لأن كلامه الناس في كهولته ليس بأمر عجيب .

وقوله : ﴿ **وإذ علمتك الكتاب والحكمة** ﴾ أي : الخط والفهم ﴿ **والتوراة** ﴾ وهي المنزلة علىٰ موسىٰ بن عمران الكليم ، وقد يرد لفظ التوراة في الحديث ويراد به ما هو أعم من ذلك .

وقوله : ﴿ **وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني** ﴾ أي : تصوره وتشكله علىٰ هيئة الطائر بإذني لك في ذلك ﴿ [**فتنفخ فيها فتكون طيرًا**][٧] **بإذني** ﴾ أي : فتنفخ في تلك الصورة التي شكلتها بإذني لك في ذلك ، فتكون[٨] طيرًا ذا روح تطير[٩] بإذن الله وخلقه .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني** ﴾ قد تقدم الكلام علىٰ ذلك في سورة آل عمران بما أغنىٰ عن إعادته . وقوله : ﴿ **وإذ تخرج الموتىٰ بإذني** ﴾ أي : تدعوهم فيقومون من

---

[١] - في ز : « بما » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « جعلت » .
[٤] - في ز : « نسبها » .
[٥] - في ز : « إليه » .
[٦] - في ز : « دعوتك » .
[٧] - في ز : « فيكون طائرًا » .
[٨] - في ز : « فيكون » .
[٩] - سقط من : ز .

قبورهم بإذن الله وقدرته وإرادته ومشيئته .

وقد قال ابن أبي حاتم(٨٣٣) : حدثنا أبي ، حدثنا مالك بن إسماعيل ، حدثنا محمد بن طلحة - يعني ابن مصرف - عن [ ][١] أبي بشر ، عن أبي الهذيل ، قال : كان عيسىٰ ابن مريم عليه السلام إذا أراد أن يحيي الموتىٰ صلىٰ ركعتين ، يقرأ في الأولىٰ : ﴿ **تبارك الذي بيده الملك** ﴾ ، وفي الثانية : ﴿ **الم تنزيل** ﴾ السجدة ، فإذا فرغ منهما مدح الله وأثنىٰ عليه ثم دعا بسبعة أسماء : يا قديم ، يا خفي ، يا دائم ، يا فرد ، يا وتر ، يا أحد ، يا صمد ، وكان إذا أصابته شدة[٢] دعا بسبعة أخر ؛ يا حي ، يا قيوم ، يا الله ، يا رحمن ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا نور السموات والأرض وما بينهما ، ورب العرش العظيم يارب . وهذا أثر عجيب[٣] جدًا .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين** ﴾ أي : واذكر نعمتي عليك في كفي إياهم عنك ، حين جئتهم بالبراهين والحجج القاطعة علىٰ نبوّتك ورسالتك من الله إليهم فكذبوك ، واتهموك بأنك ساحر ، وسعوا في قتلك وصلبك ، فنجيتك منهم ورفعتك إليَّ ، وطهرتك من دنسهم وكفيتك شرهم ، وهذا يدل علىٰ أن هذا الامتنان كان من الله إليه بعد [ ][٤] رفعه إلىٰ السماء الدنيا ، أو يكون هذا الامتنان [ ][٥] واقعًا يوم القيامة ، وعبر عنه بصيغة الماضي دلالة علىٰ وقوعه لا محالة ، وهذا من أسرار الغيوب التي أطلع الله عليها نبيه[٦] محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم .

وقوله : ﴿ **وإذ أوحيت إلىٰ الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي** ﴾ وهذا أيضًا من الامتنان عليه - عليه السلام - : بأن جعل له أصحابًا وأنصارًا ، ثم قيل : المراد بهذا الوحي وحي إلهام ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وأوحينا إلىٰ أمّ موسىٰ أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين** ﴾ ، هذا[٧] وحي إلهام بلا خلاف ، وكما قال تعالىٰ : ﴿ **وأوحىٰ ربك إلىٰ النحل أن اتخذي من الجبال بيوتًا ومن الشجر ومما يعرشون * ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا** ﴾ الآية ، وهكذا قال بعض السلف في هذه الآية ﴿ **وإذ أوحيت إلىٰ الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا**

(٨٣٣) - رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٤١/٤) (٧٠٠٣) .

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « بن » .
[٢] - في ز : « شديدة » .
[٣] - في خ : « عظيم » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « أن » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « كان من الله إليه بعد أن رفعه إلى السماء الدنيا أو يكون هذا الامتنان » .
[٦] - في ز : « رسوله » .
[٧] - في ز : « وهذا » .

آمنا واشهد بأننا مسلمون ﴾ أي : ألهموا ذلك فامتثلوا ما ألهموا .

قال الحسن البصري : ألهمهم الله عز وجل ذلك .

وقال السدي : قذف في قلوبهم ذلك .

ويحتمل أن يكون المراد : وإذ أوحيت [إلى الحواريين][١] بواسطتك ، فدعوتهم إلى الإيمان بالله وبرسوله ، واستجابوا لك وانقادوا وتابعوك ، فقالوا : ﴿ **آمنا واشهد بأننا مسلمون** ﴾ .

إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾

هذه قصة المائدة وإليها تنسب السورة فيقال : سورة المائدة ، وهي [مما امتن][٢] الله به على عبده ورسوله عيسى - عليه السلام - لما[٣] أجاب دعاءه بنزولها ، فأنزلها الله آية ودلالة معجزة[٤] باهرة وحجة قاطعة .

وقد ذكر بعض الأئمة : أن قصة المائدة ليست مذكورة في الإنجيل ، ولا يعرفها النصارى إلا من المسلمين ، فالله أعلم .

فقوله تعالى : ﴿ **إذ قال الحواريون** ﴾ وهم أتباع عيسى عليه السلام ﴿ **يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك** ﴾ هذه قراءة كثيرين ، وقرأ آخرون [(هل تَسْتَطيع ربَّك) ، أي][٥] : هل

---

[١] - ما بين المعكوفتين في م : « إليهم » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « ماتمنن » .
[٣] - في ز : « فبما » ، خ : « فيما » .
[٤] - في ز : « ومعجزة » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

تستطيع أن تسأل ربك ﴿ أن ينزل علينا مائدة من السماء ﴾ .

والمائدة : هي الخوان عليه طعام ، وذكر بعضهم : أنهم إنما سألوا ذلك لحاجتهم وفقرهم ، فسألوا أن ينزل عليهم مائدة كل يوم يقتاتون منها ، ويتقوون بها[١] على العبادة .

﴿ قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين ﴾ أي : فأجابهم المسيح عليه السلام قائلًا لهم : اتقوا الله ولا تسألوا هذا ؛ فعساه أن يكون فتنة لكم ، وتوكلوا على الله في طلب الرزق إن كنتم مؤمنين .

﴿ قالوا نريد أن نأكل منها ﴾ أي : نحن محتاجون إلى الأكل منها ﴿ وتطمئن قلوبنا ﴾ إذا شاهدنا نزولها رزقًا لنا من السماء ﴿ ونعلم أن قد صدقتنا ﴾ أي : ونزداد إيمانا بك ، وعلمًا برسالتك ﴿ ونكون عليها من الشاهدين ﴾ أي : ونشهد أنها آية من عند الله ، ودلالة وحجة على نبوّتك ، وصدق ما جئت به .

﴿ قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدًا لأوّلنا وآخرنا ﴾ .

قال السدي : أي : نتخذ ذلك اليوم الذي نزلت فيه عيدًا نعظمه نحن ومن بعدنا .

وقال سفيان الثوري : يعني : يومًا نصلي فيه .

وقال قتادة : أرادوا أن تكون لعقبهم من بعدهم . وعن سلمان الفارسي : عظة لنا ولمن بعدنا .

وقيل : كافية لأوّلنا وآخرنا

﴿ وآية منك ﴾ أي : دليلًا تنصبه على قدرتك على الأشياء ، وعلى إجابتك دعوتي ، فيصدّقوني فيما أبلغه عنك ﴿ وارزقنا ﴾ أي : من عندك رزقًا هنيئًا بلا كلفة ولا تعب ﴿ وأنت خير الرازقين قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم ﴾ أي : فمن كذب بها من أمّتك يا عيسى وعاندها ﴿ فإني أعذبه عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين ﴾ أي : من عالمي زمانكم ، كقوله[٢] تعالى : ﴿ ويوم القيامة أدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب ﴾ ، وكقوله[٣] : ﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ﴾ .

وقد روى ابن جرير(٨٣٤) : من طريق عوف الأعرابي ، عن أبي المغيرة القوّاس ، عن عبد الله

(٨٣٤) - رواه ابن جرير فى تفسيره (٢٣٣/١١) (١٣٠٢٥) (١٣٠٢٦) وعوف الأعرابى هو عوف =

[١] - سقط من : خ .

[٢] - في ز : « ولقوله » .

[٣] - في ز : « ولقوله » .

ابن عمرو ، قال : إن أشدّ الناس عذابًا يوم القيامة ثلاثة : المنافقون ، ومن كفر من أصحاب المائدة ، وآل فرعون .

[ذكر أخبار رويت عن السلف في نزول المائدة علىٰ الحواريين]

قال أبو جعفر بن جرير(٨٣٥) : حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثني حجاج ، عن ليث ، عن عقيل ، عن ابن عباس ، أنه كان يحدّث عن عيسىٰ ابن مريم : أنه قال لبني إسرائيل : هل لكم أن تصوموا للَّه ثلاثين يومًا ثم تسألوه فيعطيكم ماسألتم ، فإن أجر العامل علىٰ من عمل له ، ففعلوا ثم قالوا : يا معلم الخير ، قلت لنا إن أجر العامل علىٰ من عمل له ، وأمرتنا أن نصوم ثلاثين يومًا ففعلنا ، ولم نكن نعمل لأحد ثلاثين يومًا إلا أطعمنا حين نفرغ طعامًا ، فهل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟ قال عيسىٰ : ﴿ **اتقوا اللَّه إن كنتم مؤمنين قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين قال عيسىٰ ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدًا لأوّلنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين * قال اللَّه إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين** ﴾ قال : فأقبلت الملائكة تطير بمائدة من السماء ، عليها سبعة أحوات وسبعة أرغفة ، حتىٰ وضعتها بين أيديهم ، فأكل منها آخر الناس كما أكل منها أوّلهم .

كذا رواه ابن جرير ، ورواه ابن أبي حاتم : عن يونس بن عبد الأعلىٰ ، عن ابن وهب ، عن الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، قال : كان ابن عباس يحدث فذكر نحوه .

وقال ابن أبي حاتم أيضًا (٨٣٦) : حدثنا سعيد بن عبد اللَّه بن عبد الحكم ، حدثنا أبو زرعة وهب اللَّه[١] بن راشد ، حدثنا عقيل بن خالد ، أن ابن شهاب أخبره ، عن ابن

= ابن أبي جميلة العبدي البصري ثقة قال ابن حجر في « التقريب » : ثقة رمي بالقدر وبالتشيع ، وأبو المغيرة القواس معروف بكنيته قال أبو زرعة الرازي : لا أعلم أحدًا يسميه ، ونقل ابن أبي حاتم تضعيفه عن سليمان التيمي وتوثيقه عن ابن معين . واللَّه أعلم انظر الجرح والتعديل (٤٣٩/٩) ، وميزان الاعتدال (٦/ ٢٥٠) . والأثر : ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦١٤/٢) وزاد نسبته لعبد بن حميد وأبي الشيخ .

(٨٣٥) - رواه ابن جرير في تفسيره (٢٢٢/١١) (١٢٩٩٥) ، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٤٤/٤) (٧٠١٦) بالإسناد الذي ذكره المصنف ، والأثر ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦١٢/٢) وزاد نسبته لأبي الشيخ .

(٨٣٦) - رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٤٦/٤) (٧٠٢٤) .

[١] - سقط من : ز ، خ .

عباس : أن عيسىٰ ابن مريم قالوا له : ادع اللَّه أن ينزل علينا مائدة من السماء .

قال : فنزلت الملائكة بمائدة يحملونها ، عليها سبعة أحوات وسبعة أرغفة ، [حتىٰ وضعتها بين أيديهم][١] ، فأكل منها آخر الناس كما أكل منها أوّلهم .

وقال ابن أبي حاتم (٨٣٧) : حدثنا أبي ، حدثنا الحسن بن قزعة الباهلي ، حدثنا سفيان بن حبيب ، حدثنا سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن خلاس[٢] ، عن عمار بن ياسر ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **نزلت المائدة من السماء عليها خبز ولحم ، وأمروا أن لا يخونوا ولا يرفعوا لغد ، فخانوا وادّخروا ورفعوا ، فمسخوا قردة وخنازير** » .

وكذا رواه ابن جرير : عن الحسن بن قزعة .

ثم رواه ابن جرير (٨٣٨) عن ابن بشار ، عن ابن أبي عدي ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن خلاس ، عن عمار ، قال : نزلت المائدة وعليها ثمر من ثمار الجنة ، فأمروا أن لا يخونوا ولا يخبئوا ولا يدخروا ، قال : فخان القوم وخبئوا وادّخروا ، فمسخهم اللَّه قردة وخنازير .

وقال ابن جرير (٨٣٩) : حدثنا ابن المثنىٰ ، حدثنا عبد الأعلىٰ ، حدثنا داود ، عن سماك بن حرب ، عن رجل من بني عجل ، قال : صليت إلىٰ جانب[٣] عمار بن ياسر ، فلما فرغ قال : هل تدري كيف كان شأن مائدة بني إسرائيل ؟ قال : قلت : لا . قال : إنهم سألوا عيسىٰ ابن

(٨٣٧) - رواه ابن أبى حاتم فى تفسيره (١٢٤٥/٤) (٧٠٢٢) ، ورواه الترمذى فى « سننه » كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة المائدة حديث (٣٠٦١) ، وابن جرير فى تفسيره (١١/ ٢٢٨، ٢٢٩) (١٣٠١٢) قالا : حدثنا الحسن بن قذعة به ، وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٦١٢/٢) وزاد نسبته لابن الأنبارى فى كتاب « الأضداد » وأبى الشيخ وابن مردويه . وقال الترمذى عقب الحديث : هذا حديث قد رواه أبو عاصم وغير واحد عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن خلاس عن عمار بن ياسر موقوفًا ولا نعرفه مرفوعًا إلَّا من حديث الحسن بن قزعة حدثنا حميد بن مسعدة حدثنا سفيان بن حبيب عن سعيد بن أبى عروبة نحوه ولم يرفعه وهذا أصح من حديث الحسن بن قزعة ولا نعلم للحديث المرفوع أصلًا . وسيأتى تخريج الموقوف فى الحديث التالى .

(٨٣٨) - تفسير ابن جرير الطبرى (٢٢٩/١١) (١٣٠١٤) ، ورواه ابن أبى حاتم فى تفسيره (١٢٤٥/٤) (٧٠٢٣) من طريق أبى عاصم النبيل ثنا سعيد به مختصرًا ، وذكره السيوطى فى الدر (٦١٣/٢) وزاد نسبته لابن المنذر ثم قال والوقف أصح . وانظر التخريج السابق .

(٨٣٩) - رواه ابن جرير فى تفسيره (٢٢٨/١١) (١٣٠١١) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٢] - في ز : « جلاس » .
[٣] - في ز : « جنب » .

مريم مائدة يكون عليها طعام يأكلون منه لا ينفد[١] . قال : فقيل لهم : فإنها مقيمة لكم ما لم تخبئوا أو تخونوا أو ترفعوا ، فإن فعلتم فإني معذبكم عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين . قال : فما مضىٰ يومهم حتىٰ خبئوا ورفعوا وخانوا ، فعذبوا عذابًا لم يعذبه أحد[٢] من العالمين ، وإنكم يا[٣] معشر العرب كنتم تتبعون أذناب الإبل والشاء ، فبعث اللَّه فيكم رسولًا من أنفسكم ، تعرفون حسبه ونسبه ، وأخبركم أنكم ستظهرون علىٰ العجم ، ونهاكم أن تكنزوا[٤] الذهب والفضة ، وايم اللَّه لا يذهب الليل والنهار حتىٰ تكنزوهما ، ويعذبكم اللَّه عذابًا أليمًا .

وقال (٨٤٠) : حدثنا القاسم ، حدثنا حسين ، حدثني حجاج ، عن أبي معشر ، عن إسحاق ابن عبد اللَّه : أن المائدة نزلت علىٰ عيسىٰ ابن مريم ، عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات ، يأكلون منها ما شاءوا . قال : فسرق بعضهم منها ، وقال : لعلها لا تنزل غدًا ، فرفعت .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : نزلت على عيسىٰ ابن مريم والحواريين ، خوان عليه خبز وسمك يأكلون منه أينما نزلوا إذا شاءوا .

وقال خصيف عن عكرمة ، ومقسم عن ابن عباس : كانت المائدة سمكة وأريغفة .

وقال مجاهد : هو طعام كان ينزل عليهم حيث نزلوا .

وقال أبو عبد الرحمن السلمي : نزلت المائدة خبزًا وسمكًا .

وقال عطية العوفي : المائدة سمك فيه طعم كل شيء .

وقال وهب بن منبه : أنزلها اللَّه من السماء علىٰ بني إسرائيل ، فكان ينزل عليهم في كل يوم في تلك المائدة من ثمار الجنة ، فأكلوا ما شاءوا من ضروب شتى ، فكان يقعد عليها أربعة آلاف فإذا أكلوا أبدل اللَّه مكان ذلك لمثلهم ، فلبثوا [علىٰ ذلك][٥] ما شاء اللَّه - عز وجل - .

وقال وهب بن منبه : نزل عليهم قرصة من شعير وأحوات ، وحشا اللَّه بين أضعافهن البركة ،

---

(٨٤٠) - تفسير الطبرى (٢٢٨/١١) (١٣٠١٠) ، وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٦١٣/٢) ولم يعزه لغير ابن جرير .

---

[١] - في ز : « ينفذ » .
[٢] - في ز : « أحدًا » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ت : « تكتنزوا » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « بذلك » .

فكان قوم يأكلون ثم يخرجون ، [ثم يجيء آخرون فيأكلون ثم يخرجون][١] ، حتىٰ أكل جميعهم وأفضلوا .

وقال الأعمش ، عن مسلم ، عن سعيد بن جبير : أنزل عليها كل شيء إلا اللحم .

وقال سفيان الثوري ، عن عطاء بن السائب ، عن زاذان[٢] وميسرة ، وجرير ، عن عطاء ، عن ميسرة قال : كانت المائدة [إذا وضعت][٣] لبني إسرائيل اختلفت[٤] عليهم الأيدي بكل طعام إلا اللحم .

وعن عكرمة : كان خبز المائدة من الأرز . رواه ابن أبي حاتم(٨٤١) .

وقال ابن أبي حاتم (٨٤٢) : أخبرنا جعفر بن علي فيما كتب إلي ، حدثنا إسماعيل بن أبي أويس ، حدثني أبو عبد الله عبد القدوس بن إبراهيم بن أبي عبيد الله بن مرداس العبدري مولىٰ بني عبد الدار ، عن إبراهيم بن عمر ، عن وهب بن منبه ، عن أبي عثمان النهدي ، عن سلمان الخير أنه قال : لما سأل الحواريون عيسىٰ ابن مريم المائدة ، كره ذلك جدًّا وقال : اقنعوا بما رزقكم الله في الأرض ، ولا تسألوا المائدة من السماء ، فإنها إن نزلت عليكم كانت آية من ربكم ، وإنما هلكت ثمود حين سألوا نبيهم آية ، فابتلوا بها حتىٰ كان بوارهم فيها . فأبوا إلا أن يأتيهم بها ، فلذلك ﴿ **قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين** ﴾ .

فلما رأىٰ عيسىٰ أن قد أبوا إلا أن يدعو لهم بها ، قام فألقىٰ عنه الصوف ولبس الشعر الأسود ، وجبة من شعر وعباءة من شعر ، ثم[٥] توضأ واغتسل ودخل مصلاه ، فصلىٰ ما شاء الله ، فلما قضىٰ صلاته قام قائمًا مستقبل القبلة ، وصف قدميه حتىٰ استويا ، فألصق الكعب بالكعب ،

(٨٤١) - تفسير ابن أبى حاتم (١٢٤٦/٤) (٧٠٢٨) ، وذكره أيضًا السيوطى فى الدر (٦١٣/٢) ولم يعزه لغير ابن أبى حاتم .

(٨٤٢) - رواه ابن أبى حاتم مقطّعًا فى تفسيره فى (١٢٤٤/٤) (٧٠١٧) ، (٧٠١٩) ، (١٢٤٥/٤) (٧٠٢٠) ، (١٢٤٦/٤) (٧٠٢٩) (١٢٤٨/٤) (٧٠٣٤) ، (١٢٤٩/٤) (٧٠٣٩) ، (٧٠٤٠) (٤/ ١٢٥١) (٧٠٤٢) ، (٧٠٤٤) ، (١٢٥٥/٤) (٧٠٥٩) ، ورواه أبو الشيخ فى العظمة (٩٩٩) وأبو بكر الشافعى فى الغيلانيات (ص ٣١٣ - ٣١٦) ، وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٦١٠/٢ - ٦١٢) وزاد نسبته للترمذى الحكيم فى « نوادر الأصول » .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - في ز : « زادان » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « اداوا » .
[٤] - في ز : « اختلف » .
[٥] - في ز : « و » .

وحاذى الأصابع ، ووضع يده اليمنى على اليسرى فوق صدره ، وغض بصره وطأطأ رأسه خشوعًا ، ثم أرسل عينيه بالبكاء ، فما زالت دموعه تسيل على خديه ، وتقطر من أطراف لحيته ، حتى ابتلت الأرض حيال وجهه من خشوعه ، فلما رأى ذلك دعا اللَّه فقال : ﴿ **اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء** ﴾ فأنزل اللَّه عليهم سفرة حمراء بين غمامتين ؛ غمامة فوقها وغمامة تحتها ، وهم ينظرون إليها في الهواء منقضة من فلك السماء تهوي إليهم ، وعيسى يبكي خوفًا للشروط التي اتخذها اللَّه عليهم فيها : أنه يعذب من يكفر بها منهم بعد نزولها عذابًا لم يعذبه أحدًا من العالمين ، وهو يدعو اللَّه في[١] مكانه ويقول : اللهم اجعلها رحمة ، إلهي لا تجعلها عذابًا ، إلهي كم من عجيبة سألتك فأعطيتني ، إلهي اجعلنا لك شكّارين ، اللهم[٢] إني[٣] أعوذ بك أن تكون أنزلتها غضبًا وجزاءً ، إلهي اجعلها سلامة وعافية ، ولا تجعلها فتنة ومثلة .

فما زال يدعو حتى استقرت السفرة بين يدي عيسى والحواريين ، وأصحابه حوله يجدون رائحة طيبة ، لم يجدوا فيما مضى رائحة مثلها قط ، وخر عيسى والحواريون للَّه سجدًا ؛ شكرًا [له لما][٤] رزقهم من حيث لم يحتسبوا ، وأراهم فيه آية عظيمة ذات عجب وعبرة ، وأقبلت اليهود ينظرون فرأوا أمرًا عجيبًا أورثهم كمدًا وغمًّا ، ثم انصرفوا بغيظ شديد ، وأقبل عيسى والحواريون وأصحابه حتى جلسوا حول السفرة ، فإذا عليها منديل مغطى ، فقال[٥] عيسى : من أجرأنا على كشف المنديل عن هذه السفرة ، وأوثقنا بنفسه ، وأحسننا بلاء عند ربه - فليكشف عن هذه الآية ، حتى نراها ونحمد ربنا ، ونذكر باسمه ونأكل من رزقه الذي رزقنا . فقال الحواريون : يا روح اللَّه وكلمته أنت أولانا بذلك وأحقنا بالكشف عنها . فقام عيسى عليه السلام واستأنف وضوءًا جديدًا ، ثم دخل مصلاه فصلى كذلك ركعات ، ثم بكى بكاء[٦] طويلًا ، ودعا اللَّه أن يأذن له في الكشف عنها ، ويجعل له ولقومه فيها بركة ورزقًا ، ثم انصرف فجلس إلى السفرة ، وتناول المنديل وقال : بسم اللَّه خير الرازقين ، وكشف عن السفرة فإذا هو عليها بسمكة[٧] ضخمة مشوية ليس عليها بواسير ، وليس في جوفها شوك ، يسيل السمن منها سيلًا ، قد نضد حولها بقول من كل صنف غير الكراث ، وعند رأسها خل ، وعند ذنبها ملح ، وحول البقول خمسة أرغفة ، على واحد منها زيتون ، وعلى الآخر

---

[١] - في ز : « من » .
[٢] - في ز : « إلهي » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « بما » .
[٥] - في ز : « قال » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ت : « بسمكة » .

ثمرات ، وعلىٰ الآخر خمس رمانات .

فقال شمعون رأس الحواريين لعيسىٰ : يا روح اللّٰه وكلمته ، أمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الجنة ؟ فقال عيسىٰ[١] : أما آن لكم أن تعتبروا بما ترون من الآيات ، وتنتهوا عن تنقير المسائل ؟ ما أخوفني عليكم أن تعاقبوا في سبب نزول[٢] هذه الآية . فقال شمعون : وإله إسرائيل ما أردت بها سؤالاً يا ابن الصديقة . فقال عيسىٰ عليه السلام : ليس شيء مما ترون من طعام الدنيا[٣] ، ولا من طعام الجنة[٤] ، إنما هو شيء ابتدعه اللّٰه في الهواء بالقدرة العالية القاهرة ، فقال له : كن ؛ فكان أسرع من طرفة عين ، فكلوا مما سألتم باسم اللّٰه ، واحمدوا عليه ربكم يمدكم منه ويزدكم ، فإنه بديع قادر شاكر .

فقالوا : يا روح اللّٰه وكلمته ، إنا نحب أن ترينا آية في هذه الآية . فقال عيسىٰ : سبحان اللّٰه ! أما اكتفيتم بما رأيتم في هذه الآية حتىٰ تسألوا فيها آيه أخرىٰ ؟ ثم أقبل عيسىٰ عليه السلام علىٰ السمكة ، فقال : يا سمكة عودي بإذن اللّٰه حية كما كنت . فأحياها اللّٰه بقدرته فاضطربت ، وعادت بإذن اللّٰه حية طرية تلمظ كما يتلمظ الأسد ، تدور عيناها لها بصيص ، وعادت عليها بواسيرها ، ففزع القوم منها وانحازوا ، فلما رأىٰ عيسىٰ [منهم ذلك] قال : ما لكم تسألون الآية ، فإذا أراكموها ربكم كرهتموها ؟ ما أخوفني عليكم أن تعاقبوا بما تصنعون ، يا سمكة عودي بإذن اللّٰه كما كنت ؛ فعادت بإذن اللّٰه مشوية كما كانت في خلقها الأول .

فقالوا لعيسىٰ كن أنت يا روح اللّٰه الذي تبدأ بالأكل منها ثم نحن بعد . فقال عيسىٰ : معاذ اللّٰه من ذلك ، يبدأ بالأكل من طلبها . فلما رأىٰ الحواريون وأصحابهم[٥] امتناع عيسىٰ[٦] منها ، خافوا أن يكون نزولها سخطة ، وفي أكلها مَثُلةً فتحاموها ، فلما رأىٰ ذلك عيسىٰ منهم[٧] دعا لها الفقراء والزَّمْنىٰ ، وقال : كلوا من رزق ربكم ودعوة نبيكم ، واحمدوا اللّٰه الذي أنزلها لكم ، فيكون مهنؤها لكم ، وعقوبتها علىٰ غيركم ، وافتتحوا أكلكم باسم اللّٰه ، واختموه بحمد اللّٰه . ففعلوا ، فأكل منها ألف وثلاثمائة إنسان بين رجل وامرأة ، يصدرون عنها كل واحد منهم[٨] شبعان يتجشأ ، ونظر عيسىٰ والحواريون فإذا ما عليها كهيئته إذ أنزلت من السماء لم

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « الجنة » .
[٤] - في ز : « الدنيا » .
[٥] - في ت : « وأصحابه » .
[٦] - في ز : « نبيهم » .
[٧] - في ز : « نبيهم » .
[٨] - في ز : « منها » .

ينقص[١] منها شيء ، ثم إنها رفعت إلىٰ السماء وهم[٢] ينظرون ، فاستغنىٰ كل فقير أكل منها ، وبرئ كل زَمِنٍ أكل[٣] منها[٤] ، فلم يزالوا أغنياء أصحاء[٥] حتىٰ خرجوا من الدنيا .

وندم الحواريون وأصحابهم الذين أبوا أن يأكلوا منها : ندامة سالت منها أشفارهم ، وبقيت حسرتها في قلوبهم إلىٰ يوم الممات . قال : وكانت[٦] المائدة إذا نزلت بعد ذلك أقبلت بنو إسرائيل إليها [يسعون من كل مكان] ، يزاحم بعضهم بعضًا : الأغنياء والفقراء ، والصغار والكبار ، والأصحاء والمرضىٰ ، يركب بعضهم بعضًا ، فلما رأىٰ ذلك جعلها نوائب ، تنزل يومًا ولا تنزل يومًا ، فلبثوا علىٰ[٧] ذلك أربعين يومًا ، تنزل عليهم غبًّا عند ارتفاع الضحىٰ ، فلا تزال موضوعة يؤكل منها حتىٰ إذا قالوا ارتفعت عنهم [إلىٰ جو السماء بإذن اللَّه] ، وهم ينظرون إلىٰ ظلها في الأرض حتىٰ توارىٰ عنهم .

قال : فأوحىٰ اللَّه إلىٰ نبيه عيسىٰ عليه السلام : أن اجعل رزقي ؛ المائدة [للفقراء واليتامىٰ] والزمنى ، دون الأغنياء من الناس ، فلما فعل ذلك ارتاب بها الأغنياء من الناس ، وغمطوا[٨] ذلك حتىٰ شكوا فيها في أنفسهم ، وشككوا فيها الناس ، وأذاعوا في أمرها القبيح والمنكر ، وأدرك الشيطان منهم حاجته ، وقذف وسواسه في قلوب المرتابين ، حتىٰ قالوا لعيسىٰ : أخبرنا عن المائدة ونزولها من السماء أحق[٩] ، فإنه قد ارتاب بها [منا بشر] كثير ؟ فقال عيسىٰ عليه السلام : هلكتم وإله المسيح ؛ طلبتم المائدة إلىٰ نبيكم أن يطلبها لكم إلىٰ ربكم ، فلما أن فعل وأنزلها عليكم رحمة ورزقًا ، وأراكم فيها الآيات والعبر كذبتم بها وشككتم فيها ، فأبشروا بالعذاب فإنه نازل بكم إلا أن يرحمكم اللَّه . فأوحىٰ اللَّه إلىٰ عيسىٰ : إني آخذ المكذبين بشرطي ، فإني معذب منهم من كفر بالمائدة بعد نزولها عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين . قال : فلما أمسىٰ المرتابون بها ، وأخذوا مضاجعهم في أحسن صورة مع نسائهم آمنين ، فلما كان في آخر الليل مسخهم اللَّه خنازير ، فأصبحوا يتبعون الأقذار في الكناسات .

هذا أثر غريب جدًّا قطعه ابن أبي حاتم في مواضع من هذه القصة ، وقد جمعته أنا [ ][١٠]

---

(٨٤٣) - رواه ابن جرير في تفسيره (١١/ ٢٣٠، ٢٣١) (١٣٠١٩) قال : حدثنا ابن وكيع حدثنا يحيى=

---

[١] - في ز : « ينتقص » .
[٢] - في ز : « ولهم » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « منهم » .
[٥] - في ز : « صحاحًا » .
[٦] - في ز : « فكانت » .
[٧] - في ز : « في » .
[٨] - في ز : « غمضوا » .
[٩] - في ز : « حق » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين في ز : « له » .

ليكون سياقه أتم وأكمل ، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم .

وكل هذه الآثار دالة علىٰ أن المائدة نزلت علىٰ بني إسرائيل أيام عيسىٰ ابن مريم ، إجابة من الله لدعوته ، وكما دل علىٰ ذلك ظاهر هذا السياق من القرآن العظيم ﴿ **قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين** ﴾ ، و[١] قال قائلون : إنها لم تنزل ؛ فروىٰ ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد في قوله : ﴿ **أنزل علينا مائدة من السماء** ﴾ قال : هو مثل ضُرب ولم ينزل شيء .

رواه ابن أبي حاتم وابن جرير (٨٤٣) .

ثم قال ابن جرير (٨٤٤) : حدثنا الحارث ، حدثنا القاسم - هو ابن سلام - ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : مائدة عليها طعام أَبَوْهَا حين عرض عليهم العذاب إن كفروا ، فأبوا أن تنزل[٢] عليهم .

وقال أيضًا (٨٤٥) : حدثنا ابن المثنىٰ ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن منصور بن زاذان[٣] ، عن الحسن ، أنه قال في المائدة : إنها لم تنزل .

وحدثنا بشر ، حدثنا يزيد ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان الحسن يقول : لما قيل لهم : ﴿ **فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين** ﴾ قالوا : لا حاجة لنا فيها فلم تنزل .

وهذه أسانيد صحيحة إلىٰ مجاهد والحسن ، وقد يتقوىٰ ذلك بأن خبر المائدة لا تعرفه النصارىٰ ، وليس هو في كتابهم ، ولو كانت قد نزلت لكان ذلك مما تتوفر[٤] الدواعي علىٰ

= ابن آدم ، عن شريك عن ليث به ، وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٦١٤/٢) وزاد نسبته لعبد بن حميد وأبى الشيخ .

(٨٤٤) - تفسير ابن جرير (٢٣١/١١) (١٣٠٢٢) ، وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٦١٤/٢) وزاد نسبته لأبى عبيد وابن المنذر .

(٨٤٥) - تفسير الطبرى (٢٣١/١١) (١٣٠٢١) ورواه ابن أبى حاتم فى تفسيره (١٢٥٢/٤) بغير إسناد فقال : وكان الحسن يقول : لما قيل لهم فمن كفر فإنى أعذبه عذابًا قالوا : لا حاجة لنا فيها فلم تنزل . وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٦١٤/٢) وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن الأنبارى .

---

[١] - في ز : « وقد » .

[٢] - في ز : « ينزل » .

[٣] - في ز : « زادان » .

[٤] - في ز : « يتوفر » .

نقله ، وكان يكون موجودًا في كتابهم متواترًا ، ولا أقل من الآحاد ، والله أعلم : ولكن [الذي عليه][١] الجمهور : أنها نزلت ، وهو الذي اختاره ابن جرير ، قال : [لأن الله][٢] تعالىٰ أخبر بنزولها [في قوله][٣] تعالىٰ : ﴿ **إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين** ﴾ قال : ووعد الله ووعيده حق وصدق .

وهذا القول هو والله أعلم الصوابُ ، كما دلت عليه الأخبار والآثار عن السلف وغيرهم ، وقد ذكر أهل التاريخ : أن موسىٰ بن نصير نائب بني أمية في فتوح بلاد المغرب ، وجد المائدة هنالك مرصعة باللآلئ وأنواع الجواهر ، فبعث بها إلىٰ أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك باني جامع دمشق ، فمات وهي في الطريق ، فحملت إلى أخيه سليمان بن عبد الملك الخليفة بعده ، فرآها الناس فتعجبوا منها كثيرًا لما فيها من اليواقيت النفيسة والجواهر[٤] اليتيمة . ويقال : إن هذه المائدة كانت لسليمان بن داود عليهما السلام فالله أعلم .

وقد قال الإمام أحمد (٨٤٦) : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن عمران بن الحكم ، عن ابن عباس قال : قالت قريش للنبي صلىٰ الله عليه وسلم : ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهبًا ونؤمن بك . قال : « **وتفعلون ؟** » قالوا : نعم . قال : فدعا فأتاه جبريل ، فقال : إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك : إن شئت أصبح لهم الصفا ذهبا ، فمن كفر منهم بعد ذلك عذبته عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين ، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة . قال : « **بل باب التوبة والرحمة** » .

(٨٤٦) - رواه أحمد فى مسنده (٢٤٢/١) (٢١٦٦) كما نقله المصنف هنا ، ورواه فى (٣٤٥/١) (٣٢٢٣) وعبد بن حميد (٧٠٠) والحاكم فى المستدرك (٣١٤/٢) من طريقين عن سفيان به ، وإسناده صحيح لكن وقع فى الإسناد عند أحمد والحاكم « عمران بن الحكم » وهو خطأ والصواب « عمران أبو الحكم » وهو عمران بن الحارث السلمي أبو الحكم الكوفى وهو ثقة وقد نبه على ذلك العلامة أحمد شاكر فى تعليقه على المسند فقال « ... أظن أن الخطأ فيه من عبد الرحمن بن مهدى أو سفيان الثورى ففى « التعجيل » ٣١٩: « كذا وقع ، والصواب عمران بن الحارث أبو الحكم كما فى صحيح مسلم وغيره » يعنى فى حديث آخر فإن هذا الحديث ليس فى صحيح مسلم والظاهر أن أصل الرواية « عن عمران أبى الحكم » فأخطأ أحد الرواة فقال : « عن عمران بن الحكم » .
وسينقل المصنف هذا الحديث مرة أخرى فى تفسير سورة الإسراء الآية (٥٩) عن هذا الموضع من المسند وبإسناد آخر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بمعناه .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « لأنه » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « بقوله » .
[٤] - في ز : « بالجواهر » .

ثم رواه أحمد وابن مردويه والحاكم في مستدركه من حديث سفيان الثوري به .

وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾

هذا أيضا مما يخاطب اللَّه به عبده ورسوله عيسىٰ ابن مريم - عليه السلام - قائلًا له يوم القيامة بحضرة من اتخذه وأمه إلهين من دون اللَّه : ﴿ **يا عيسىٰ ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله** ﴾ وهذا تهديد للنصارىٰ وتوبيخ وتقريع علىٰ رءوس الأشهاد ، هكذا قال[١] قتادة وغيره ، واستدل قتادة علىٰ ذلك بقوله تعالىٰ : ﴿ **هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم** ﴾ .

وقال السدي : هذا الخطاب والجواب في الدنيا .

قال ابن جرير : هذا[٢] هو الصواب ، وكان ذلك حين رفعه الله إلىٰ السماء الدنيا . واحتج ابن جرير علىٰ ذلك بمعنيين :

أحدهما : [أن الكلام بلفظ][٣] المضي[٤] .

والثاني : قوله : ﴿ **إن تعذبهم** ﴾ ، ﴿ **وإن تغفر لهم** ﴾ .

وهذان الدليلان فيهما نظر ؛ لأن كثيرًا من أمور يوم القيامة ذكر بلفظ المضي[٥] ؛ ليدل علىٰ الوقوع والثبوت ، ومعنىٰ قوله : ﴿ **إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز**

---

[١] - في ز : « قاله » .
[٢] - في ز : « وهذا » .
[٣] - في خ : « أن لفظ الكلام لفظ » .
[٤] - في خ : « المعنى » .
[٥] - في خ : « المعنى » .

الحكيم ﴾ : التبري منهم ورد المشيئة فيهم إلىٰ اللَّه ، وتعليق ذلك علىٰ الشرط لا يقتضي وقوعه ، كما في نظائر ذلك من الآيات .

والذي[١] قاله قتادة وغيره هو الأظهر ، واللَّه أعلم : أن ذلك كائن يوم القيامة ؛ ليدل علىٰ تهديد النصارىٰ وتقريعهم وتوبيخهم علىٰ رءوس الأشهاد يوم القيامة ، وقد روي بذلك حديث مرفوع ، رواه الحافظ ابن عساكر(٨٤٧) في ترجمة أبي عبد اللَّه مولىٰ عمر بن عبد العزيز وكان ثقة ، قال : سمعت أبا بردة يحدث عمر بن عبد العزيز ، عن أبيه أبي موسىٰ الأشعري ، قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إذا كان يوم القيامة دعي[٢] بالأنبياء وأممهم[٣] ، ثم يدعىٰ بعيسىٰ فيذكره اللَّه نعمته عليه فيقر بها ، فيقول : ﴿ يا عيسىٰ ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلىٰ والدتك ﴾** الآية ، ثم يقول : **﴿ أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون اللَّه ﴾** فينكر أن يكون قال ذلك ، فيؤتىٰ بالنصارىٰ فيسئلون فيقولون : نعم هو أمرنا بذلك . قال فيطول شعر عيسىٰ عليه السلام ، فيأخذ كل ملك من الملائكة بشعرة من شعر رأسه وجسده ، فيجاثيهم بين يدي اللَّه - عز وجل - مقدار ألف عام ، حتىٰ ترفع عليهم الحجة ، ويرفع لهم الصليب ، وينطلق بهم إلىٰ النار » .

وهذا حديث غريب عزيز .

وقوله[٤] : **﴿ قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ﴾** هذا[٥] توفيق للتأدب في الجواب الكامل ، كما قال ابن أبي حاتم(٨٤٨) :

حدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن طاوس ، عن أبي هريرة ، قال : يلقىٰ عيسىٰ حجته ولقَّاه اللَّه تعالىٰ في قوله : **﴿ وإذ قال اللَّه يا عيسىٰ ابن مريم**

---

(٨٤٧) - رواه ابن عساكر فى تاريخه (١٩/ق ١٢٧، ١٢٨) مخطوط) وابن أبى حاتم فى تفسيره (٤/ ١٢٣٦) (٦٩٧٦) من طريق الوليد بن مسلم ثنا روح بن جناح عن مولى لعمر بن عبد العزيز أنه سمع أبا بردة بن أبى موسى يحدث عمر بن عبد العزيز فى إمرته على المدينة أن أباه أباموسى حدثهم فذكر الحديث ، وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٦٠٨/٢) وزاد نسبته لابن مردويه ومولى عمر بن عبد العزيز هذا مجهول .

(٨٤٨) - تفسير ابن أبى حاتم (١٢٥٣/٤) (٧٠٥٢) ، ورواه الترمذى فى « سننه » كتاب تفسير القرآن =

---

[١] - في ز : « فالذي » .
[٢] - في ز : « دعا » .
[٣] - في ز : « أممهما » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « وهذا » .

أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ﴾ قال أبو هريرة ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم : فلقاه الله : ﴿ **سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته** ﴾ [إلىٰ آخر][١] الآية .

وقد رواه الثوري ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن طاوس بنحوه(٨٤٩) .

وقوله : ﴿ **إن كنت قلته فقد علمته** ﴾ أي : إن كان صدر مني هذا فقد علمته يارب ؛ فإنه لا يخفىٰ عليك شيء ، مما قلته ولا أردته في نفسي [ولا أضمرته ؛ ولهذا قال : ﴿ **تعلم ما في نفسي**][٢] **ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتني به** ﴾ يإبلاغه ﴿ **أن اعبدوا الله ربي وربكم** ﴾ [أي : ما دعوتهم إلا إلىٰ الذي أرسلتني به وأمرتني يإبلاغه ﴿ **أن اعبدوا الله ربي وربكم** ﴾][٣] أي : هذا هو الذي قلت لهم ، ﴿ **وكنت عليهم شهيدًا ما دمت فيهم** ﴾ [أي : كنت أشهد علىٰ أعمالهم حين كنت بين أظهرهم][٤] ﴿ **فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت علىٰ كل شيء شهيد** ﴾ .

قال أبو داود الطيالسي(٨٥٠) : حدثنا شعبة ، قال : انطلقت أنا وسفيان الثوري إلىٰ المغيرة بن النعمان ، فأملاه علىٰ سفيان وأنا معه ، فلما قام انتسخت من سفيان فحدثنا ، قال : سمعت سعيد بن جبير يحدث ، عن ابن عباس ، قال : قام فينا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بموعظة فقال : « **يا أيها الناس ، إنكم محشورون إلىٰ الله عز وجل حفاة عراة غرلًا** ﴿ **كما بدأنا أول خلق نعيده** ﴾ ، وإن أول الخلائق يكسىٰ [يوم القيامة][٥] إبراهيم ، ألا وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول : أصحابي ، فيقال : إنك لا

= باب « ومن سورة المائدة » حديث (٣٠٦٢) قال : حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان ، ورواه النسائي في تفسيره (١٨٢) نا زكريا بن يحيى نا محمد نا سفيان ، ومحمد هو ابن أبي عمر وهو صدوق من رجال « التهذيب » روى له مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه ، والحديث ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٦١٤) وزاد نسبته لأبي الشيخ وابن مردويه والديلمي .

(٨٤٩) - رواه ابن جرير في تفسيره (١١/ ٢٣٩، ٢٤٠) (١٣٠٣٤) (١٣٠٣٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٥٣/٤) (٧٠٥٣) من طريق سفيان عن معمر به ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦١٥/٢) وزاد نسبته لعبد الرزاق والفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٨٥٠) - رواه أبو داود الطيالسي في مسنده (٢٦٣٨) سيأتي تخريجه في تفسير الأعراف الآية (٢٩) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول كما قال العبد الصالح : ﴿ **وكنت عليهم شهيدًا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت علىٰ كل شيء شهيد إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ فيقال : إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين علىٰ أعقابهم منذ فارقتهم » .

ورواه البخاري(٨٥١) عند هذه الآية : عن [أبي][١] الوليد عن شعبة - وعن محمد بن كثير ، عن سفيان الثوري كلاهما ، عن المغيرة بن النعمان به .

وقوله : ﴿ **إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ هذا الكلام يتضمن رد المشيئة إلىٰ الله عز وجل ، فإنه الفعال لما يشاء الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، ويتضمن[٢] التبري من النصارىٰ الذين كذبوا علىٰ الله وعلىٰ رسوله ، وجعلوا لله ندًّا وصاحبة وولدًا ، تعالىٰ الله عما يقولون علوًّا كبيرًا ، وهذه الآية لها شأن عظيم ، ونبأ عجيب ، وقد ورد في الحديث أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قام بها ليلة حتىٰ الصباح يرددها .

قال الإمام أحمد(٨٥٢) : حدثنا محمد بن فضيل ، حدثني فُلَيْت العامري ، عن جسرة العامرية ، عن أبي ذر رضي الله عنه ، قال : صلى النبي صلىٰ الله عليه وسلم [ذات ليلة][٣] ، فقرأ بآية حتىٰ أصبح ، يركع بها ويسجد بها : ﴿ **إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ فلما أصبح قلت : يا رسول الله ، ما زلت تقرأ هذه الآية حتىٰ أصبحت تركع بها وتسجد بها ؟ قال : « **إني سألت ربي عز وجل الشفاعة**

---

(٨٥١) - البخاري في صحيحه برقم (٤٦٢٥) .

(٨٥٢) - رواه أحمد فى مسنده (١٤٩/٥) ومن طريقه الخطيب فى الموضح (١/ ٤٥٤، ٤٥٥) ، ورواه النسائى فى « المجتبى » كتاب الافتتاح ، باب : ترديد الآية (١٧٧/٢) وفى الكبرى كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ إن تعذبهم ﴾ حديث (١١١٦١) وهو فى تفسير النسائى رقم (١٨١) ، وأحمد فى المسند أيضًا (٥/ ١٥٦، ١٧٠، ١٧٧) ، وابن ماجه فى « سننه » كتاب إقامة الصلاة ، باب ماجاء فى القراءة فى صلاة الليل حديث (١٣٥٠) ، والبزار كما فى كشف الأستار (١/ ٣٥٠، ٣٥١) (٧٣٠) ، والطحاوى فى شرح معانى الآثار (٣٤٧/١) ، والحاكم (٢٤١/١) وصححه ووافقه الذهبى ، والبيهقى فى سننه (١٤/٣) ، والبغوى فى « شرح السنة » (٩١٥) ، والخطيب فى « موضح الأوهام » (٤٥٦/١) ، والمزى فى « تهذيب الكمال » (٥٤٨/٢٣) فى ترجمة قدامة بن عبد الله - من طرق عن قدامة بن عبد الله عن جسرة عن أبى ذر به . وفى إسناده قدامة بن عبد الله ذكره ابن حبان فى الثقات (١٢١/٤) وقال الحافظ فى « التقريب » : مقبول وجسرة أيضًا قال عنها ابن حجر فى « التقريب » : « مقبولة ... ويقال إن لها إدراكًا » وباقى رجال الإسناد ثقات .

---

[١] - في ش : عن الوليد عن أبي شعبة . [٢] - في ز : « تضمن » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

لأمتي فأعطانيها ، وهي نائلة إن شاء اللَّه لمن لا يشرك بالله شيئًا » .

([طريق أخرىٰ وسياق آخر][١]) قال الإمام[٢] أحمد (٨٥٣) : حدثنا يحيىٰ ، حدثنا قدامة ابن عبد اللَّه ، حدثتني جسرة بنت دجاجة : أنها انطلقت معتمرة ، فانتهت إلىٰ الرَّبذَة ، فسمعت أبا ذر يقول : قام رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ليلة من الليالي في صلاة العشاء فصلىٰ بالقوم ، ثم تخلف أصحاب له يصلون ، فلما رأىٰ قيامهم وتخلفهم انصرف إلىٰ رحله ، فلما رأىٰ القوم قد أخلوا المكان رجع إلىٰ مكانه فصلىٰ ، فجئت فقمت خلفه ، فأومأ[٣] إليَّ بيمينه فقمت عن يمينه ، ثم جاء ابن مسعود فقام خلفي وخلفه ، فأومأ إليه بشماله فقام عن شماله ، فقمنا ثلاثتنا يصلي كل واحد منا بنفسه ، ويتلو من القرآن ما شاء اللَّه أن يتلو[٤] ، وقام بآية من القرآن يرددها حتىٰ صلىٰ الغداة ، فلما أصبحنا أومأت إلىٰ عبد اللَّه بن مسعود : أن سله ما أراد إلىٰ ما صنع البارحة ، فقال ابن مسعود بيده[٥] : لا أسأله عن شيء حتىٰ يحدث إليَّ . فقلت : بأبي وأمي ، قمتَ بآية من القرآن ومعك القرآن ، لو فعل هذا بعضنا لوجدنا عليه . قال : « **دعوت لأمتي** » . قلت : فماذا أجبت أو ماذا رد عليك ؟ قال : « **أُجِبْتُ بالذي لو اطلع عليه كثير منهم طلعة تركوا الصلاة** » . قلت : أفلا أبشر الناس ؟ قال : « **بلىٰ** » . فانطلقت معنقًا قريبًا من قذفة بحجر ، فقال عمر : يا رسول اللَّه ، إنك إن تبعث إلىٰ الناس بهذا نكلوا عن العبادة . فناداه أن «**ارجع**» فرجع ، وتلك الآية : ﴿ **إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم (٨٥٤) : حدثنا يونس بن عبد الأعلىٰ ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، أن بكر بن سوادة حدثه ، عن عبد الرحمن بن جبير ، عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص : أن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم تلا قول عيسىٰ : ﴿ **إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ فرفع يديه فقال : « **اللهم أمتي . وبكىٰ ، فقال اللَّه** :

(٨٥٣) - رواه أحمد في مسنده (٥/ ١٧٠، ١٧٧) وانظر التخريج السابق .

(٨٥٤) - رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٥٤/٤) (٧٠٥٨) ، ورواه مسلم في « صحيحه » كتاب الإيمان ، باب دعاء النبي ﷺ لأمته وبكائه شفقة عليهم حديث (٢٠٢) ، والنسائي في « الكبرى » كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ وأحلوا قومهم دار البوار ﴾ حديث (١١٢٦٩) وهو في تفسيره برقم (٢٨٩) قالا : حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب ... الحديث ، والحديث سيأتي عند المصنف مرة أخرى في تفسير سورة إبراهيم الآية (٣٦) .

[١] - في ز ، خ : « وقال أخرى » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « وأومأ » .

[٤] - في ز : « نتلوا » ، خ : « نتلو » .

[٥] - سقط من : ز .

يا جبريل اذهب إلىٰ محمد - وربك أعلم - فاسأله ما يبكيه ؟ فأتاه جبريل فسأله ، فأخبره رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بما قاله[١] [وهو أعلم][٢] ، فقال اللَّه : يا جبريل ، اذهب إلىٰ محمد فقل : إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك » .

وقال الإمام أحمد(٨٥٥) : حدثنا حسين[٣] ، قال[٤] حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا ابن هبيرة ، أنه سمع أبا تميم الجيشاني يقول : حدثني سعيد بن المسيب ، سمعت حذيفة بن اليمان يقول : غاب عنا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يومًا فلم يخرج ، حتىٰ ظننا أن لن يخرج ، فلما خرج سجد سجدة ظننا أن نفسه قد قبضت فيها ، فلما رفع رأسه قال : « **إن ربي عز وجل استشارني في أمتي ماذا أفعل بهم ؟ فقلت : ما شئتَ أي رب هم خلقك وعبادك ، فاستشارني الثانية فقلت له كذلك ، فقال : لا أخزيك في أمتك يا محمد ، وبشرني أن[٥] أول من يدخل الجنة من أمتي معي سبعون ألفًا ، مع كل ألف سبعون ألفًا ليس عليهم حساب ، ثم أرسل إليَّ فقال : ادع تجب وسل تعط ، فقلت لرسوله : أو معطي ربي سؤلي ؟ فقال[٦] : ما أرسلني إليك إلا ليعطيك . ولقد أعطاني ربي ولا فخر ، وغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر وأنا أمشي حيًا[٧] صحيحًا ، وأعطاني أن لا تجوع أمتي ولا تغلب ، وأعطاني الكوثر وهو نهر في الجنة يسيل في حوضي ، وأعطاني العز والنصر والرعب يسعىٰ بين يدي أمتي شهرًا ، وأعطاني أني[٨] أول الأنبياء يدخل الجنة ، وطيب لي ولأمتي الغنيمة ، وأحل لنا كثيرًا مما شدد علىٰ من قبلنا ، ولم يجعل علينا في الدين من حرج** » .

﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾

يقول تعالىٰ مجيبًا لعبده ورسوله عيسىٰ ابن مريم - عليه السلام - فيما أنهاه إليه من التبري من

(٨٥٥) - رواه أحمد فى مسنده (٥/٣٩٣) وفى إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف لكن الحديث حسنه الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٠/ ٧١، ٧٢) .

[١] - في ز : « قال » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « حسن » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « قال » .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - سقط من : ز ، خ .

النصارىٰ الملحدين ، الكاذبين علىٰ اللَّه وعلىٰ رسوله ، ومن رد المشيئة فيهم إلىٰ ربه عز وجل ، فعند ذلك يقول تعالىٰ : ﴿ **هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم** ﴾ .

قال الضحاك ، عن ابن عباس : يقول : [يوم][١] ينفع الموحدين توحيدهم .

﴿ **لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا** ﴾ أي : ماكثين فيها لا يحولون ولا يزولون ، رضي اللَّه عنهم ورضوا عنه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ورضوان من اللَّه أكبر** ﴾ .

وسيأتي ما يتعلق بتلك الآية من الحديث .

وقد روىٰ ابن أبي حاتم هٰهنا حديثًا [عن أنس][٢] فقال(٨٥٦) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا المحاربي ، عن ليث ، عن عثمان - يعني : ابن عمير أبا[٣] اليقظان - عن أنس قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **ثم يتجلىٰ لهم الرب جل جلاله فيقول : سلوني سلوني أعطكم ، قال : فيسألونه الرضا** ، [**فيقول : رضاي أحلكم داري وأنالكم كرامتي . فسلوني أعطكم . فيسألونه الرضا**][٤] ، **قال : فيشهدهم أنه قد رضي عنهم سبحانه وتعالىٰ** » .

وقوله : ﴿ **ذلك الفوز العظيم** ﴾ أي : هذا الفوز الكبير الذي لا أعظم منه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **لمثل هذا فليعمل العاملون** ﴾ ، وكما قال : ﴿ **وفي ذلك فليتنافس المتنافسون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **للَّه ملك السمٰوات والأرض وما فيهن وهو علىٰ كل شيء قدير** ﴾ أي : هو الخالق للأشياء المالك لها ، المتصرف فيها القادر عليها ، فالجميع ملكه وتحت قهره وقدرته وفي مشيئته ، فلا نظير له ولا وزير ولا عديل ، ولا والد ولا ولد ولا صاحبة ، ولا إله غيره ، ولا رب سواه .

قال ابن وهب : سمعت حيي بن عبد اللَّه يحدث ، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي ، عن عبد اللَّه بن عمر قال : آخر سورة أنزلت سورة المائدة(٨٥٧) .

---

(٨٥٦) - رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢٥٦، ١٢٥٧) (٧٠٧٠) وإسناده ضعيف ليث هو ابن أبي سليم ضعيف وشيخه عثمان بن عمير أبو اليقظان الكوفي الأعمى قال الحافظ في « التقريب » ضعيف واختلط وكان يدلس ويغلو في التشيع .

(٨٥٧) - تقدم تخريجه في أول السورة .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٣] - في ت : « أبو » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

انتهى بحمد اللَّه وحسن توفيقه المجلد الخامس
ويليه إن شاء اللَّه تعالى المجلد السادس
وأوله تفسير سورة الأنعام

☆ ☆ ☆

تفسير القرآن العظيم

للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء
إسماعيل بن كثير الدمشقي
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

هذه الطبعة أول طبعة مقابلة على النسخة الأزهرية
وكذلك على نسخة كاملة بدار الكتب المصرية

تحقيق

مصطفى السيد محمد — محمد السيد رشاد
محمد فضل العجماوي — علي أحمد عبد الباقي
حسن عباس قطب

المجلد السادس

مؤسسة قرطبة
طباعة . نشر . توزيع
جيزة - ت : ٥٨١٥٠٢٧

مكتبة أولاد الشيخ للتراث
٣٦ ش اليابان - عمرانية غربية - جيزة
ت : ٥٦٢٨٣١٨ - ٥٦١١٤٤٢

رقم الإيداع : ٩٣٤٩/ ٢٠٠٠

الترقيم الدولى : I.S.B.N
6 - 33 - 5234 - 977

الطبعة الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر هاتف: ٤٣٠٧٥٢٦-٢٠٥٥٦٨٨ القاهرة

تفسير

القرآن العظيم

سورة الأنعام [وهي مكية][١]

قال العوفي وعكرمة وعطاء ، عن ابن عباس(١) : أنزلت سورة الأنعام بمكة .

وقال الطبراني(٢) : حدثنا علي بن عبد العزيز ، حدثنا حجاج بن منهال ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، قال : نزلت سورة الأنعام بمكة ليلًا جملة ، حولها سبعون ألف ملك ، يجأرون حولها بالتسبيح .

وقال سفيان الثوري(٣) : عن ليث ، عن شهر بن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد ، قالت : نزلت سورة الأنعام علىٰ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم [جملة ، وأنا آخذة بزمام ناقة النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، إن كادت من ثقلها لتكسر عظام الناقة .

وقال شريك(٤) : عن ليث ، عن شهر، عن أسماء ، قال : نزلت سورة الأنعام علىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم][٢] وهو في مسير في زجل[٣] من الملائكة، وقد نظموا[٤] ما بين السماء

---

(١) - ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٣/٣) وعزاه إلى ابن الضريس وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في « الدلائل » ، وهو في « الدلائل » (١٤٤/٧) من طريق خصيف عن مجاهد عن ابن عباس .

(٢) - **إسناده ضعيف** « المعجم الكبير » (١٢/ رقم ١٢٩٣٠) ، وأخرجه أبو عبيد القاسم بن سلّام في « فضائل القرآن » (ص ٢٤٠) حدثنا حجاج به ، وابن الضريس في « فضائل القرآن » (رقم ١٩٦) أخبرنا سليمان بن حرب ، وموسى بن إسماعيل وعلي بن عثمان قالوا : أنبا حماد به، ويوسف بن مهران قال أحمد : « لا يُعرف ولا أعرف أحدًا روى عنه إلا علي بن زيد » ، وقال ابن حجر في « التقريب » : « لم يرو عنه إلا ابن جُدْعان ، وهو لين الحديث » كذا قال : وقد نقل في « التهذيب » توثيق أبي زرعة وابن سعد له وعلى كلٍ فإن ابن جدعان ضعيف . والأثر زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣/٣) إلى ابن المنذر وابن مردويه .

(٣) - **إسناده ضعيف** ، أخرجه الطبراني في « الكبير » (٢٤/ رقم ٤٤٩) ثنا حفص بن عمر بن الصباح الرقي ، ثنا قبيصة بن عقبة ثنا سفيان به . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٣/٧) وقال : « رواه الطبراني وفيه شهر بن حوشب وهو ضعيف وقد وثق » . وليث هو ابن أبي سليم تُرك حديثه لاختلاطه وعدم تميز صحيح حديثه من سقيمه . والأثر زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣/٣) إلى ابن مردويه .

(٤) - **كسابقه** ، وأخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (٢٢٩٨/٥) والطبراني في « الكبير » (٢٤/ ٤٥٠) من طريق جرير عن ليث به .

---

[١] - زيادة من : ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ز: « رجل » .

[٤] - في ز : « نطقوا » .

والأرض .

وقال السدي(٥) : عن مرة ، عن عبد اللّه ، قال : نزلت سورة الأنعام يشيعها سبعون ألفًا من الملائكة .

وروىٰ نحوه من وجه آخر عن ابن مسعود .

وقال الحاكم في مستدركه(٦) : حدثنا أبو عبد اللّه محمد بن يعقوب الحافظ وأبو الفضل الحسن بن يعقوب العدل قالا : حدثنا محمد بن عبد الوهاب العبدي ، أخبرنا جعفر بن عون ، حدثنا إسماعيل بن عبد الرحمن السدي ، حدثنا محمد بن المنكدر ، عن جابر قال : لما نزلت سورة الأنعام سبح رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم ، ثم قال : « **لقد شيع هذه السورة من الملائكة ما سد الأفق** » .

ثم قال : صحيح علىٰ شرط مسلم .

وقال أبو بكر بن مردويه(٧) : حدثنا محمد بن معمر ، حدثنا إبراهيم بن دَرَسْتَوَيه الفارسي ، حدثنا [أبو بكر أحمد][١] بن محمد بن سالم ، حدثنا ابن أبي فديك ، حدثني عمر بن طلحة

(٥) - أخرجه ابن مردويه - كما في « الدر المنثور » (٣/٣) - والسدي هو إسماعيل بن عبد الرحمن - « صدوق يهم » - كما في « التقريب ». ومرة هو ابن شَرَاحيل الهمداني ، ثقة عابد ، وعبد اللّه هو ابن مسعود .

(٦) - « المستدرك » (٣١٤/٢ - ٣١٥) ، وعنه البيهقي في « الشعب » (٢٤٣١/٢) وقال الحاكم : « صحيح على شرط مسلم ... » وتعقبه الذهبي فقال : « لا واللّه ، لم يدرك جعفرٌ السُّدِّيَّ ، وأظن هذا موضوعًا » قلت : السدي توفي سنة مائة وسبع وعشرين وجعفر توفي سنة ست ومائتين وهو ابن سبع وثمانين . وقيل : ابن سبع وتسعين . وعلى كلا التقديرين يكون إدراك جعفر للسدي ممكنًا ؛ لأنه على اعتبار التقدير الأول يكون عمره تسع سنوات ، وهي كافية في الإدراك والتحمل . والتقدير الثاني يكون عمره تسع عشرة سنة ، وهذا السِّنُّ لا خلاف في إمكان سماعه منه ، واللّه أعلم . وأخرجه البيهقي في « الشعب » أيضًا (٢٤٣٢/٢) من طريق أبي عثمان البصري عن أبي أحمد محمد بن عبد الوهاب ثنا جعفر بن عون أنا موسى بن عُبيدة عن محمد بن المنكدر قال : ... فذكره مرسلًا ، وموسى ابن عبيدة ضعيف . والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣/٣) إلى الإسماعيلي في معجمه .

(٧) - **إسناده فيه جهالة** ، وعزاه لابن مردويه السيوطي في « الدر المنثور » (٣/٣) - وأخرجه أبو بكر الإسماعيلي في « المعجم » (٥٥١/٢ - ٥٥٢) - ومن طريقه البيهقي في « الشعب » (٢٤٣٤/٢)=

[١] - في ت : « أبو بكر بن أحمد » ولفظة " ابن " مقحمة ، والصواب عدم إثباتها ، انظر مصادر التخريج و« تاريخ بغداد » (٧١/٦) .

الرقاشي ، عن [نافع بن مالك أبي سهيل][1]، عن أنس بن مالك قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **نزلت سورة الأنعام معها موكب من الملائكة سد ما بين الخافقين ، لهم زجل بالتسبيح والأرض بهم ترتج** » ورسول اللّه يقول : « **سبحان اللّه العظيم ، سبحان اللّه العظيم** » .

ثم روىٰ ابن مردويه(٨) : عن الطبراني ، عن إبراهيم بن نائلة ، عن إسماعيل بن عمرو ، عن يوسف بن عطية ، عن ابن عون ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **نزلت عليَّ سورة الأنعام جملة واحدة ، وشيعها سبعون ألفًا من الملائكة ، لهم زجل بالتسبيح والتحميد** » .

= ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن درستويه الفارسي به ، وأخرجه الطبراني في « الأوسط » (٦٤٤٧/٦) ثنا محمد بن عبد اللّه بن عِرْس ، والبيهقي في « الشعب » (٢٤٣٣/٢) من طريق محمد بن إسحاق الصغاني ، وأبو جعفر النحاس - كما في تفسير القرطبي (٣٨٢/٦ الشعب) - من طريق روح بن الفرج ثلاثتهم (ابن عِرس والصغاني وروح) عن أبي بكر أحمد بن محمد به .

وقال الطبراني : « لم يرو هذا الحديث عن أبي سهيل نافع بن مالك إلا عمر بن طلحة ، ولا عن عمر بن طلحة إلا ابن أبي فديك ، تفَّرَد به أحمد بن محمد السالميُّ » ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٧/ ٢٣) وقال : « رواه الطبراني عن شيخه محمد بن عبد اللّه بن عرس عن أحمد بن محمد بن أبي بكر السالمي ولم أعرفهما ، وبقية رجاله ثقات » قلت : أما الأول فمتابع كما تقدم ، وأما الثاني، فلم أجد من ترجمه غير أن الخطيب البغدادي أشار إليه في تاريخه (٧١/٦) في ترجمة ابن درستويه الفارسي .

والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣/٣) إلى أبي الشيخ والسلفي في « الطيوريات » .

(٨) - **إسناده ضعيف جدًا** - وعزاه لابن مردويه السيوطي في « الدر المنثور » (٣/٣) - وهو في « المعجم الصغير » للطبراني (٨١/١) ومن طريق الطبراني أيضًا أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٤٤) ، وفي « أخبار أصبهان » (١٨٩/١) وقال الطبراني : « لم يروه عن ابن عون إلا يوسف بن عطية ، تفرد به إسماعيل بن عمرو ، وقال أبو نعيم في « الحلية » : « غريب من حديث ابن عون لم نكتبه إلا من حديث إسماعيل عن يوسف» . قلت : ويوسف بن عطية متروك كما في « التقريب » وارتقى به الهيثمي في « المجمع » (٢٣/٧) فقال : « ضعيف » ، وانظر ترجمته في « التهذيب » ، وإسماعيل بن عمرو هو ابن نجيح البجلي ضعفه أبو حاتم والدارقطني وقال الخطيب : صاحب غرائب ومناكير . انظر « لسان الميزان » (١/ت ١٣٣٨) .

---

[١] - في ت : « نافع بن مالك بن أبي سهيل » وهو خطأ والصواب ما أثبتناه انظر مصادر التخريج و« تهذيب الكمال » (٢١/ت٤٢٦٢) .

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ ﴾

يقول اللَّه تعالىٰ مادحًا نفسه الكريمة ، وحامدًا لها علىٰ خلقه السموات والأرض قرارًا لعباده ، وجعل الظلمات والنور منفعة لعباده في ليلهم ونهارهم ، فجمع لفظ الظلمات ووحد لفظ النور ؛ لكونه أشرف ، [كقوله][١] : ﴿ **عن اليمين والشمائل** ﴾][٢] ، وكما قال في آخر هذه السورة : ﴿ **وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ثم الذين كفروا بربهم يعدلون** ﴾ أي : ومع هذا كله كفر به بعض عباده ، وجعلوا معه[٣] شريكًا وعدلًا ، واتخذوا له صاحبة وولدًا ، تعالىٰ اللَّه عز وجل عن ذلك علوًّا كبيرًا .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **هو الذي خلقكم من طين** ﴾ يعني : أباهم آدم الذي هو أصلهم ، ومنه خرجوا فانتشروا في المشارق والمغارب ، وقوله : ﴿ **ثم قضىٰ أجلًا وأجل مسمًّى عنده** ﴾ قال سعيد بن جبير(٩) ، عن ابن عباس : ﴿ **ثم قضىٰ أجلًا** ﴾ يعني : الموت ﴿ **وأجل مسمى عنده** ﴾ يعني : الآخرة .

وهكذا روي عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والضحاك وزيد بن أسلم وعطية والسدي ومقاتل بن حيان وغيرهم .

---

(٩) - **أثر صحيح** ، أخرجه ابن جرير (١٣٠٥٧/١١)، وابن أبي شيبة - كما في «الدر المنثور» (٧/٣) ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٠٩٠/٤) من طريق سفيان عن أبي حَصِين عن سعيد به ، وأخرجه الحاكم (٣١٥/٢) من طريق أبي بكر بن عياش عن أبي حصين به وقال : « حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبي وأخرجه ابن جرير (١٣٠٦٦/١١) ، وابن أبي حاتم (٧٠٩١/٤) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس به نحوه ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٧/٣) إلى ابن المنذر والفريابي وأبي الشيخ .

---

[١] - في ز ، خ : « كما قال » [٢] - في خ : « عن اليمين وعن الشمال » .

[٣] - في ت : « له » والمثبت من خ ، ز .

وقول الحسن[١] في رواية عنه : ﴿ **ثم قضىٰ أجلًا** ﴾ [قال][٢] : ما بين أن يخلق إلىٰ أن يموت ﴿ **وأجلٌ مسمى عنده** ﴾ وهو[٣] ما بين أن يموت إلىٰ أن يبعث . وهو يرجع إلىٰ ما تقدم ، وهو تقدير الأجل الخاص وهو عمر كل إنسان ، وتقدير الأجل العام وهو عمر الدنيا بكمالها ، ثم انتهائها وانقضائها وزوالها والمصير إلىٰ الدار الآخرة .

وعن ابن عباس(١٠) ومجاهد : ﴿ **ثم قضىٰ أجلًا** ﴾ يعني : مدة الدنيا ﴿ **وأجل مسمى عنده** ﴾ يعني : عمر الإنسان إلىٰ حين موته . وكأنه مأخوذ من قوله تعالىٰ بعد هذا : ﴿ **وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار [ثم يبعثكم فيه ليقضي أجل مسمى ثم إليه مرجعكم]**[٤] ﴾ .

وقال عطية(١١) ، عن ابن عباس : ﴿ **ثم قضىٰ أجلًا** ﴾ يعني : النوم يقبض فيه الروح ، ثم يرجع إلىٰ صاحبه عند اليقظة ﴿ **وأجل مسمى عنده** ﴾ يعني : أجل موت الإنسان . وهذا قول غريب .

ومعنىٰ قوله : ﴿ **عنده** ﴾ أي : لا يعلمه إلا هو ، لقوله تعالى : ﴿ [**إنما علمها عند ربي**][٥] **لا يجليها لوقتها إلا هو** ﴾ ، وكقوله : ﴿ **يسألونك عن الساعة أيان مرساها * فيم أنت من ذكراها * إلىٰ ربك منتهاها** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ثم أنتم تمترون** ﴾ قال السدي وغيره : يعني : تشكون[٦] في أمر الساعة .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وهو اللّٰه في السمٰوات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون** ﴾ اختلف مفسرو هذه الآية علىٰ أقوال ، بعد الاتفاق علىٰ تخطئة قول الجهمية الأوَلِ القائلين بأنه - تعالىٰ عن قولهم علوًّا كبيرًا - في كل مكان ، حيث حملوا الآية علىٰ ذلك ، [فالأصح من][٧] الأقوال : أنه المدعو اللّٰه في السموات وفي الأرض ، أي : يعبده ويوحده ويقر له بالإلٰهية من في السموات ومن في الأرض ، ويسمونه اللّٰه ويدعونه رغبًا ورهبًا ، إلا من كفر من الجن والإنس ، وهذه الآية علىٰ هذا القول كقوله تعالىٰ : ﴿ **وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله** ﴾ أي : هو إله من في السماء وإله من في الأرض ، وعلىٰ هذا فيكون

(١٠) - انظر السابق .

(١١) - **إسناده ضعيف** ، وعطية هو ابن سعد العوفي ضعيف وأخرجه ابن جرير (١٣٠٦٨/١١) ، وابن أبي حاتم (٧٠٩٣/٤) .

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ز : « وقال » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٦] - في ز : « يشكون » .

[٧] - ما بين المعكوفتين في ز : « فأصح » .

قوله : ﴿ **يعلم سركم وجهركم** ﴾ [خبرًا أو حالًا][١] .

والقول الثاني : أن المراد أنه اللَّه الذي يعلم ما في السمٰوات وما في الأرض : من سر وجهر ، فيكون قوله ﴿ **يعلم** ﴾ متعلقًا بقوله : ﴿ **في السموات وفي الأرض** ﴾ تقديره : وهو اللَّه يعلم سركم وجهركم في السمٰوات وفي الأرض ويعلم ما تكسبون .

والقول الثالث : أن قوله ﴿ **وهو اللَّه في السمٰوات** ﴾ وقف تام ، ثم استأنف الخبر فقال : ﴿ **وفي الأرض يعلم سرّكم وجهركم** ﴾ وهذا اختيار ابن جرير وقوله : ﴿ **ويعلم ما تكسبون** ﴾ أي جميع أعمالكم خيرها وشرها .

وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن المشركين المكذبين المعاندين : أنهم مهما أتتهم ﴿ **من آية** ﴾ ، أي : دلالة ومعجزة ، وحجة[٢] من الدلالات علىٰ وحدانية اللَّه [٣] ، وصدق رسله الكرام ، فإنهم يعرضون عنها ، فلا ينظرون فيها ولا يبالون[٤] بها ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون** ﴾ وهذا تهديد لهم ، ووعيد شديد علىٰ تكذيبهم بالحق : بأنه لابد أن يأتيهم خبر ما هم فيه من التكذيب ، وليجدن غِبّه وليذوقن وباله .

ثم قال تعالىٰ واعظًا ومحذرًا لهم : أن يصيبهم من العذاب والنكال الدنيوي ما حل بأشباههم ونظرائهم من القرون السالفة ، الذين كانوا أشد منهم[٥] قوة وأكثر جمعًا ، وأكثر أموالًا وأولادًا ، واستغلالًا للأرض وعمارة لها ، فقال : ﴿ **ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم** ﴾ أي : من الأموال والأولاد ، والأعمار والجاه العريض ، والسعة والجنود ، ﴿ **وأرسلنا السماء عليهم مدرارًا** ﴾ أي : شيئًا بعد شيء ﴿ **وجعلنا الأنهار تجري من**

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « خبر أو حال »
[٢] - في ز : « وجهة » . [٣] - في ز : « الرب » .
[٤] - في خ ، ز : « ولا يتأولون » . [٥] - سقط من : ز .

تحتهم ﴾ أي : أكثرنا عليهم أمطار السماء وينابيع الأرض ، أي : استدراجًا وإملاء لهم ﴿ فأهلكناهم بذنوبهم ﴾ أي : بخطاياهم وسيئاتهم التي اجترموها ﴿ وأنشأنا من بعدهم قرنًا آخرين ﴾ أي : فذهب الأولون كأمس الذاهب ، وجعلناهم أحاديث ﴿ وأنشأنا من بعدهم قرنًا آخرين ﴾ أي : جيلًا آخر ؛ لنختبرهم[١] ، فعملوا مثل أعمالهم[٢] ، فهلكوا كهلاكهم ، فاحذروا أيها المخاطبون أن يصيبكم مثل[٣] ما أصابهم ، فما[٤] أنتم بأعز علىٰ الله منهم ، والرسول الذي كذبتموه أكرم علىٰ الله من رسولهم ، فأنتم أولىٰ بالعذاب ومعاجلة العقوبة منهم لولا لطفه وإحسانه .

وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾

يقول الله تعالىٰ مخبرًا عن كفر المشركين وعنادهم ، ومكابرتهم للحق ومباهتتهم[٥] ومنازعتهم[٦] فيه : ﴿ ولو نزلنا عليك كتابًا في قرطاس فلمسوه بأيديهم ﴾ أي : عاينوه ورأوا نزوله ، وباشروا ذلك ﴿ لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين ﴾ وهذا كما قال تعالىٰ مخبرًا عن مكابرتهم للمحسوسات : ﴿ ولو فتحنا عليهم بابًا من السماء فظلوا فيه يعرجون * لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ وإن يروا كسفًا من السماء ساقطًا يقولوا سحاب مركوم ﴾ .

﴿ وقالوا لولا أنزل عليه ملك ﴾ [أي : ليكون معه نذيرًا][٧] ، قال الله تعالىٰ : ﴿ ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون ﴾ أي : لو نزلت الملائكة علىٰ ما هم عليه لجاءهم من الله

---

[١] - في خ : « لنختبره » .
[٢] - في ز : « عملهم » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « ما » .
[٥] - في ز : « مباهتهم » .
[٦] - سقط من : خ ، ز .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

العذاب ، كما قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **ما ننزل**[١] **الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين** ﴾ ، وقال[٢] تعالى : ﴿ **يوم يرون الملائكة لا بشرىٰ يومئذ للمجرمين** [**ويقولون حجرًا محجورًا**][٣] ﴾ ، وقوله تعالىٰ : ﴿ **ولو جعلناه ملكًا لجعلناه رجلًا وللبسنا عليهم ما يلبسون** ﴾ أي : لو أنزلنا مع الرسول البشري ملكا ، أي[٤] : لو بعثنا إلىٰ البشر رسولًا ملكيًا لكان علىٰ هيئة الرجل ؛ لتُفْهَم مخاطبته والانتفاع بالأخذ عنه ، ولو كان كذلك لالتبس عليهم الأمر ، كما يلبسون علىٰ أنفسهم في قبول رسالة البشري ، كقوله[٥] تعالىٰ : ﴿ **قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكًا رسولًا** ﴾ ، فمن رحمته تعالىٰ بخلقه : أنه يرسل إلىٰ كل صنف من الخلائق رسلًا منهم ؛ ليدعوا بعضهم بعضًا ؛ وليمكن بعضهم أن ينتفع ببعض في المخاطبة والسؤال ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **لقد منّ اللَّه علىٰ المؤمنين إذ بعث فيهم رسولًا من أنفسهم** [**يتلو عليهم آياته ويزكيهم**][٦] ﴾ الآية .

قال الضحاك(١٢) : عن ابن عباس في [قوله : ﴿ **ولو جعلناه ملكًا لجعلناه رجلًا** ﴾][٧] يقول : لو أتاهم ملك ما أتاهم إلا في صورة رجل[٨] ؛ لأنهم لا يستطيعون النظر إلىٰ الملائكة من النور . ﴿ **وللبسنا عليهم ما يلبسون** ﴾ أي : ولخلطنا عليهم ما يخلطون .

وقال الوالبي(١٣) عنه : ولشبّهنا عليهم .

وقوله[٩] : ﴿ **ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون** ﴾ هذا تسلية للنبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم في تكذيب من كذبه من قومه ، ووعد له وللمؤمنين به بالنصرة ، والعاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين** ﴾ أي : فكروا في أنفسكم ، وانظروا ما أحل اللَّه بالقرون الماضية الذين كذبوا رسله[١٠] وعاندوهم : من العذاب

---

(١٢) - أخرجه ابن جرير (١٣٠٨٤/١١) وابن أبي حاتم (٧١٢٨/٤ ، ٧١٢٩ ، ٧١٣١) من طريق بشر بن عمارة عن أبي روق عنه به . والضحاك لم يسمع من ابن عباس وبشر بن عمارة ضعيف .

(١٣) - هذه النسبة إلى والبة ، وهي حيٌّ من بني أسد [انظر « الأنساب » للسمعاني (٥٦٨/٥)] والأثر أخرجه ابن جرير (١٣٠٨٩/١١) وابن أبي حاتم (٧١٣٢/٤) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس .

---

[١] - في ز : « تنزل » .
[٢] - في ت : « قال » والمثبت من : ز .
[٣] - في ت : « الآية » .
[٤] - في ز : « أو » .
[٥] - في ز : « كما قال » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٧] - في ت ، خ : « الآية » .
[٨] - في ز : « الرجل » .
[٩] - سقط من : ز .
[١٠] - في ز : « رسلهم » .

والنكال ، والعقوبة في الدنيا مع ما ادخر لهم من العذاب الأليم في الآخرة ، وكيف نجى رسله وعباده المؤمنين .

﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٤ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥ مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ١٦ ﴾

يخبر تعالىٰ أنه مالك السموات والأرض ومن فيهن ، وأنه قد كتب علىٰ نفسه المقدسة الرحمة ، كما ثبت في الصحيحين(١٤) : من طريق الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن الله لما خلق الخلق كتب كتابًا عنده فوق العرش : إن رحمتي تغلب غضبي** » .

وقوله : ﴿ **ليجمعنكم إلىٰ يوم القيامة لا ريب فيه** ﴾ هذه اللام هي الموطئة للقسم ، فأقسم

(١٤) - كذا عزاه المصنف للصحيحين من هذا الطريق، وإنما أخرجه البخاري، ك: التوحيد، ب: قول الله تعالى: ﴿ **ويحذركم الله نفسه** ﴾ وأحمد (٣٩٧/٢ ، ٤٦٦) والنسائي في «الكبرى» (٤/ ٧٧٥١) - دون مسلم - من طرق ثلاثة عن الأعمش به، وأخرجه مسلم ، كتاب: التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالى ... (١٦:١٤) (٢٧٥١) من طريق أبي الزناد عن الأعرج ، ومن طريق الحارث بن عبد الرحمن عن عطاء بن ميناء كلاهما (الأعرج وعطاء) عن أبي هريرة به نحوه [وانظر « تحفة الأشراف » (٣٤٦/٩ : ٣٨٤)] وأخرجه البخاري (٣١٩٤ ، ٧٤٢٢ ، ٧٤٥٣) وأحمد (٢٤٢/٢، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٣٥٨) ، والنسائي في « الكبرى » (٧٧٥٠/٤) من طريق أبي الزناد عن الأعرج به . وأخرجه البخاري أيضًا (٧٤٥٣ ، ٧٤٥٤) وأحمد (٣١٣/٢، ٣٨١ ، ٤٣٣) ، والترمذي (٣٥٣٧ - ط دعاس) . وابن ماجه (١٨٩ ، ٤٢٩٥) من طرق عن أبي هريرة به نحوه . وانظر ما يأتي برقم (٦٠: ٦٨) .

[بنفسه][١] الكريمة ليجمعن عباده ﴿ [إلىٰ ميقات][٢] **يوم معلوم** ﴾ وهو يوم القيامة الذي ﴿ **لا ريب فيه** ﴾ أي[٣] : لا شك فيه[٤] عند عباده المؤمنين ، فأما الجاحدون المكذبون فهم في ريبهم يترددون ، وقال ابن مردويه عند تفسير هذه الآية(١٥) : حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، حدثنا عبيد الله بن أحمد بن عقبة ، حدثنا عباس بن محمد ، حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا محصن بن عقبة اليماني، عن الزبير بن شبيب ، عن [عثمان][٥] بن حاضر، عن ابن عباس، قال : سئل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن الوقوف بين يدي رب العالمين [وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة][٦] هل فيه ماء ؟ قال : « **والذي نفسي بيده إن فيه لماء ، إن أولياء الله ليردون حياض الأنبياء ، ويبعث الله تعالىٰ سبعين**[٧] **ألف ملك في أيديهم عصي من نار ، يذودون الكفار عن حياض الأنبياء** » .

هذا حديث غريب ، وفي الترمذي(١٦) : « **إن لكل نبي حوضًا [وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة]**[٨]**، وأرجو أن أكون أكثرهم واردًا** » .

ولهذا قال : ﴿ **الذين خسروا أنفسهم** ﴾ [أي : يوم القيامة][٩] ﴿ **فهم لا يؤمنون** ﴾ أي : لا يصدقون بالمعاد ، ولا يخافون شر ذلك اليوم .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **وله ما سكن في الليل والنهار** ﴾ أي : كل دابة في السموات والأرض ، الجميع عباده وخلقه ، وتحت قهره وتصرفه[١٠] وتدبيره ، لا إله إلا هو .

---

(١٥) - **إسناده فيه جهالة** ، وذكره المصنف في « النهاية » (٣٤٥/١) من طريق ابن أبي الدنيا قال : ثنا العباس بن محمد به ، وقال المصنف عقبه : « حديث غريب من هذا الوجه وليس هو في شيء من الكتب الستة » وذكره الألباني في « الصحيحة » (١١٩/٤) عن المصنف من « النهاية » وقال : « الزبير ومحصن لم أجد من ترجمها » . وانظر ما بعده .

(١٦) - **إسناده ضعيف وهو صحيح لشواهده** ، رواه الترمذي في كتاب : صفة الجنة ، باب : ما جاء في صفة الحوض (٢٤٤٥) من حديث سمرة ، وأعله الترمذي بالإرسال ، وله علتان أخريان انظرهما في « الصحيحة » للألباني (٤/رقم ١٥٨٩) مع شواهده التي بها صح الحديث ، ولله الحمد .

---

[١] - مكرر في ز . [٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « لميقات » .
[٣] - في ز : « و » . [٤] - سقط من : ز .
[٥] - وقع في النهاية للمصنف - وكذا نقله عنه الألباني في « الصحيحة » - « أبي عثمان » هكذا وغير منسوب وهو مصحف والصواب المثبت هنا وانظر ترجمة عثمان بن حاضر في « التهذيب » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٧] - سقط من: خ ، ز .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز . [٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[١٠] - سقط من : ز .

﴿**وهو السميع العليم**﴾ أي: السميع لأقوال عباده، العليم بحركاتهم وضمائرهم وسرائرهم .

ثم قال تعالىٰ لعبده ورسوله محمد صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، الذي بعثه بالتوحيد العظيم وبالشرع[١] القويم ، وأمره أن يدعو الناس إلىٰ [صراط اللّٰه][٢] المستقيم : ﴿ **قل أغير اللّٰه أتخذ وليًا فاطر السمٰوات والأرض** ﴾ كما قال : ﴿ **قل أفغير اللّٰه تأمروني أعبد أيها الجاهلون** ﴾ والمعنىٰ : لا أتخذ وليا إلا اللّٰه وحده لا شريك له ، فإنه فاطر السموات والأرض ، أي : خالقهما ومبدعهما علىٰ غير مثال سبق .

﴿ **وهو يُطْعِم ولا يُطْعَم** ﴾ أي : وهو الرزاق لخلقه من غير احتياج إليهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ الآيات .

وقرأ بعضهم هاهنا (وهو يطعم ولا يَطْعم) أي : لا يأكل .

وفي حديث(١٧) سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة - رضي اللّٰه عنه - قال : دعا رجل من الأنصار من أهل قباء النبيَّ صلىٰ اللّٰه عليه وسلم [علىٰ طعام][٣] ، فانطلقنا معه ، فلما طعم النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وغسل يديه قال : « **الحمد للّٰه الذي يُطْعِم ولا يُطْعَم ، [ومنَّ][٤] علينا فهدانا ، وأطعمنا وسقانا ، وكلَّ بلاءٍ حسن أبلانا ، الحمد للّٰه غير مودع ولا مكافأ ولا مكفور ، ولا مستغنىٰ عنه ، الحمد للّٰه الذي أطعمنا من الطعام ، وسقانا من الشراب ، وكسانا من العُرْي ، وهدانا من الضلال ، وبصرنا من العمىٰ ، وفضلنا علىٰ كثير ممن خلق تفضيلًا ، الحمد للّٰه رب العالمين** » .

﴿ **قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم** ﴾ أي : من هذه الأمة ﴿ **ولا تكونن من المشركين * قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم** ﴾ يعني : يوم القيامة ﴿ **من يصرف عنه** ﴾ أي[٥] : العذاب ﴿ **يومئذ فقد رحمه** ﴾ يعني : فقد رحمه اللّٰه ﴿ **وذلك هو الفوز**

(١٧) - **صحيح** ، أخرجه النسائي في « عمل اليوم والليلة » من « السنن الكبرى » (١٠١٣٣/٦) وابن السني في « اليوم والليلة » (٤٨٦) والطبراني في « الدعاء » (٨٩٦/٢) وأبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٢٤٢) والبيهقي في « الشعب » (٤٣٧٧/٤) ، وصححه ابن حبان (٥٢١٩/١٢ - إحسان) والحاكم (٥٤٦/١) على شرط مسلم، ووافقه الذهبي وهو كما قالوا . وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١٢/٣) : إلى ابن مردويه .

[١] - في ز : « والشرع » . [٢] - في خ ، ز : « صراطه » .
[٣] - سقط من خ ، وفي ز : « قال » .
[٤] - في جميع مصادر التخريج - حاشا الدر المنثور (١٢/٣) - « منَّ » .
[٥] - في خ ، ز : « يعني » .

المبين﴾ كقوله[١] : **﴿ فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ﴾** والفوز هو : حصول الربح ونفي الخسارة .

وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (١٧) وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ (١٨) قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (١٩) ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٢١)

يقول تعالىٰ مخبرًا : أنه مالك الضر والنفع ، وأنه المتصرف في خلقه بما يشاء ، لا معقب لحكمه ، ولا راد لقضائه **﴿ وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو علىٰ كل شيء قدير ﴾** ، كما قال تعالىٰ : **﴿ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده ...﴾** الآية[٢] . وفي الصحيح(١٨) : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان يقول : « **اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد** » ؛ ولهذا قال تعالىٰ : **﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾** أي : هو الذي خضعت له الرقاب ، وذلت له الجبابرة ، وعنت له الوجوه ، وقهر كل شيء ، ودانت له الخلائق ، وتواضعت لعظمة جلاله وكبريائه ، وعظمته وعلوه وقدرته - الأشياء ، واستكانت وتضاءلت بين يديه ، وتحت قهره وحكمه .

---

(١٨) - أخرجه البخاري ، كتاب : الأذان ، باب : الذكر بعد الصلاة رقم (٨٤٤) ، ومسلم ، كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، باب : استحباب الذكر بعد الصلاة ، وبيان صفته رقم ١٣٧ ، ١٣٨ - (٥٩٣) ، وأبو داود ، كتاب: الصلاة ، ، باب : ما يقول الرجل إذا سلم (١٥٠٥) ، والنسائي كتاب : السهو ، باب : نوع من القول عند انقضاء الصلاة (٣/ ٧٠ ، ٧١) ، وأحمد (٤/ ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ومواضع أخر) من حديث المغيرة بن شعبة .

---

[١] - في ز : « كما قال » .
[٢] - سقط من : ز .

﴿ **وهو الحكيم** ﴾ أي : في جميع ما يفعله[١] ﴿ **الخبير** ﴾ بمواضع الأشياء ومحالها ، فلا يعطي إلا لمن يستحق ، ولا يمنع إلا من[٢] يستحق .

ثم قال : ﴿ **قل أي شيء أكبر شهادة** ﴾ أي : من أعظم الأشياء شهادة[٣] ﴿ **قل الله شهيد بيني وبينكم** ﴾ أي : هو العالم بما جئتكم به ، وما أنتم قائلون لي ﴿ **وأوحي إليَّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ** ﴾ أي : وهو نذير لكل من بلغه ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده** ﴾ .

قال ابن أبي حاتم(١٩) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا وكيع وأبو أسامة وأبو خالد ، عن موسىٰ بن عبيدة ، عن محمد بن كعب في قوله : ﴿ **ومن بلغ** ﴾ من بلغه القرآن فكأنما رأىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم . زاد أبو خالد : وكلمه .

ورواه ابن جرير(٢٠) : من طريق أبي معشر ، عن محمد بن كعب ، قال : من بلغه القرآن فقد أبلغه محمد صلىٰ الله عليه وسلم .

وقال عبد الرزاق(٢١) : عن معمر ، عن قتادة ، في قوله تعالىٰ : ﴿ **لأنذركم به ومن بلغ** ﴾ : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **بلغوا عن الله ، فمن بلغته آية من كتاب الله فقد بلغه أمر الله** » .

وقال الربيع بن أنس(٢٢) : حق علىٰ من اتبع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : أن يدعو كالذي دعا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، وأن ينذر كالذي أنذر .

---

(١٩) - **إسناده ضعيف** ، « التفسير » لابن أبي حاتم (٧١٦٥/٤) وأخرجه ابن جرير (١٣١٢٠/١١) من طريق وكيع عن موسى بن عُبيدة به ، وموسى بن عُبيدة هو الرَّبذي ضعيف . وانظر ما بعده .
(٢٠) - **كسابقه** ، «التفسير » لابن جرير (١٣١٢٤/١١) وأبو معشر هو نجيح بن عبد الرحمن السِّندي ضعيف ، والأثر زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١٣/٣) إلى ابن أبي شيبة وابن الضريس وابن المنذر وأبي الشيخ .
(٢١) - **مرسل** ، « التفسير » لعبد الرزاق (٢٠٥/٢) ومن طريقه ابن جرير (١٣١١٩/١١) وابن أبي حاتم (٧١٦٦/٤) وزاد نسبته السيوطي (١٣/٣) إلى عبد بن حميد .
(٢٢) - أخرجه ابن أبي حاتم (٧١٦٧/٤) ثنا أبي ثنا أحمد بن عبد الرحمن ، ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع به .

---

[١] - في ت : « أفعاله » والمثبت من خ ، ز .
[٢] - في ز : « لمن » .
[٣] - سقط من : خ ، ز

وقوله : ﴿ **أئنكم لتشهدون** ﴾ أيها المشركون ﴿ **أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد** ﴾ ، كقوله : ﴿ **فإن شهدوا فلا تشهد معهم** ﴾ . ﴿ **قل إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ مخبرًا عن أهل الكتاب : إنهم يعرفون هذا الذي جئتهم به كما يعرفون أبناءهم ، بما عندهم من الأخبار والأنباء [عن المرسلين المتقدمين والأنبياء][١] ، فإن الرسل كلهم بشروا بوجود محمد صلىٰ الله عليه وسلم ، وببعثه وصفته وبلده ومهاجره وصفة أمته ؛ ولهذا قال بعده[٢] : ﴿ **الذين خسروا أنفسهم** ﴾ أي : خسروا كل الخسارة ﴿ **فهم لا يؤمنون** ﴾ بهذا الأمر الجلي الظاهر ، الذي بشرت به الأنبياء ، ونوهت به في قديم الزمان وحديثه .

ثم قال : ﴿ **ومن أظلم ممن افترىٰ علىٰ الله كذبًا أو كذب بآياته** ﴾ [أي : لا أظلم ممن تقوّل علىٰ الله : فادَّعىٰ أن الله أرسله ولم يكن أرسله ، ثم لا أظلم ممن][٣] كذب بآيات الله وحججه وبراهينه ودلالاته ﴿ **إنه لا يفلح الظالمون** ﴾ أي : [لا يفلح هذا][٤] ولا هذا ، لا المفتري ولا المكذب .

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن المشركين : ﴿ **يوم نحشرهم جميعًا** ﴾ يوم القيامة ، فيسألهم[٥] عن الأصنام والأنداد التي كانوا يعبدونها من دونه ، قائلًا لهم[٦] : ﴿ **أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون** ﴾ ، كقوله تعالىٰ في سورة القصص : ﴿ **ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم**

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ز : « بعد هذا » . [٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « لا يلفح لا هذا ».
[٥] - في ز : « فنسألهم » . [٦] - سقط من : ز .

تزعمون ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ثم لم تكن فتنتهم** ﴾ أي : حجتهم .

وقال عطاء الخراساني(٢٣) ، عن ابن عباس : [أي :][١] معذرتهم . وكذا قال قتادة .

[وقال ابن جريج ، عن ابن عباس][٢] : أي : قيلهم . وكذا قال الضحاك .

وقال عطاء الخراساني : ﴿ **ثم لم تكن فتنتهم**[٣] ﴾ بليتهم حين ابتلوا ﴿ **إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين** ﴾ .

وقال ابن جرير : والصواب ثم لم يكن قيلهم عند فتنتنا إياهم ، اعتذارًا عما[٤] سلف منهم من الشرك بالله ﴿ **إلا أن قالوا و الله ربنا ما كنا مشركين** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم(٢٤) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو يحيىٰ الرازي ، عن عمرو بن أبي قيس ، عن مطرف ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : أتاه رجل فقال :

(٢٣) - **منقطع** ، علقه ابن أبي حاتم (٧١٧٥/٤) ثم وصله (٧١٧٧/٤) هو وابن جرير (١١/ ١٣١٣٥) من طريق ابن جريج عن عطاء به ، وعطاء الخراساني لم يسمع من ابن عباس شيئًا كما في « جامع التحصيل» للعلائي (ص ٢٣٨) وعلقه البخاري في الصحيح ، كتاب : التفسير ، باب : سورة الأنعام . وقال الحافظ في « الفتح » (٢٨٧/٨) : « وصله ابن أبي حاتم من طريق ابن جريج عن عطاء عنه » .

(٢٤) - **أثر صحيح** ، « التفسير » لابن أبي حاتم (٧١٨٠/٤) وأخرجه ابن جرير (٩٥٢٠/٨) ، (١١/ ١٣١٤٠) والحاكم (٣٠٦/٢ ، ٣٠٧) من طريق عمرو بن أبي قيس به . وقال الحاكم : « حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » كذا قال وأخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : التفسير ، باب : سورة حم السجدة (٥٥٥/٨ ، ٥٥٦ فتح) والطبراني في « الكبير » (١٠٥٩٤/١٠) ومن طريقه الذهبي في « السير » (٤٨٦/١٠) والبيهقي في « الأسماء والصفات» (٢/رقم ٨٠٩) وفي «البعث والنشور» (رقم ٧٨) من طريق يوسف بن عدي عن عبيد الله بن عمرو عن زيد بن أبي أنيسة عن المنهال بن عمرو به مطولاً . وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١٦٠/١ - ١٦١) ومن طريقه ابن جرير (٩٥٢١/٨) عن معمر عن رجل عن المنهال به وأخرجه ابن جرير (١٣١٤٩/١١) من طريق عبد العزيز ثنا المنهال بن عمرو به . =

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « أين » .
[٢] - كذا وقد أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣١٣٥/١١) من طريق حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس به .
[٣] - سقط من : خ ، ز .
[٤] - في ز : « مما » .

يا ابن[١] عباس ، سمعت اللَّه يقول : ﴿ **واللَّه ربنا ما كنا مشركين** ﴾ ؟ قال : أما قوله : ﴿ **واللَّه ربنا ما كنا مشركين** ﴾ فإنهم [إذا][٢] رأوا أنه[٣] لا يدخل الجنة إلا أهل الصلاة ، قالوا : تعالوا فلنجحد ، فيجحدون فيختم اللَّه علىٰ أفواههم ، وتشهد أيديهم وأرجلهم ، ولا يكتمون اللَّه حديثًا ، فهل في قلبك الآن شيء ؟ إنه ليس من القرآن شيء إلا [وقد أنزل][٤] فيه شيء ، ولكن لا تعلمون وجهه .

وقال الضحاك(٢٥) ، عن ابن عباس : هذه في المنافقين .

وفي هذا نظر ؛ فإن هذه الآية مكية ، والمنافقون إنما كانوا بالمدينة ، والتي نزلت في المنافقين آية المجادلة : ﴿ **يوم يبعثهم اللَّه جميعًا فيحلفون له [كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكذبون]**[٥] ﴾ ، وكذا[٦] قال في حق هؤلاء : ﴿ **انظر كيف كذبوا علىٰ أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون** ﴾ ، كما قال : ﴿ **ثم**[٧] **قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون اللَّه قالوا ضلوا عنا [بل لم نكن ندعوا من قبل شيئًا كذلك يضل اللَّه الكافرين]**[٨] ﴾ .

وقوله : ﴿ **ومنهم من يستمع إليك وجعلنا علىٰ قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرًا وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها** ﴾ أي : يجيئوك ليسمعوا قراءتك ولا تجزي عنهم شيئًا ؛ لأن اللَّه ﴿ **جعل علىٰ قلوبهم أكنة** ﴾ أي : أغطية ؛ لئلا يفهموا القرآن ﴿ **وفي آذانهم وقرًا** ﴾ أي : صمما عن السماع النافع فَهْمُ[٩] ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء [صم بكم عمى فهم لا يعقلون]**[١٠] ﴾ .

وقوله : ﴿ **وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها** ﴾ أي : مهما رأوا من الآيات والدلالات والحجج

= وجاء في رواية أن الذي سأل ابن عباس هو نافع بن الأزرق ، فأخرجه ابن جرير (٩٥٢٢/٨) من طريق الضحاك : أن نافع بن الأزرق أتى ابن عباس فقال : ... فذكر الحديث بنحوه . والأثر زاد نسبته السيوطي (٢٩٢/٢) إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه ، وغفل عن عزوه إلى البخاري ، وباللَّه التوفيق .

(٢٥) - **إسناده ضعيف** ، أخرجه ابن أبي حاتم (٧١٨١/٤) مطولًا وفي إسناده بشر بن عمارة الخَثْعَمي ، ضعيف ومن قبله مُعَلٌّ بالانقطاع بين الضحاك وابن عباس .

---

[١] - في ز : « أبا » .
[٢] - زيادة من تفسير ابن أبي حاتم . [٣] - في ز : « أن » .
[٤] - المثبت من تفسير ابن أبي حاتم وفي ت ، خ ، ز : « قد نزل » .
[٥] - في ت : « الآية » . [٦] - في ز : « هكذا » .
[٧] - في ز : « و » . [٨] - في ت : « الآية » .
[٩] - في خ : « لهم » . [١٠] - في ت : « الآية » .

البينات والبراهين[١] لا يؤمنوا بها ، فلا فهم عندهم ولا إنصاف ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ولو علم الله فيهم خيرًا لأسمعهم [ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون]**[٢] ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **حتىٰ إذا جاءوك يجادلونك** ﴾ أي : يحاجونك ويناظرونك في الحق بالباطل ﴿ **يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين** ﴾ أي : ما هذا الذي جئت به إلا مأخوذ من كتب الأوائل ومنقول عنهم .

وقوله : ﴿ **وهم ينهون عنه وينأون عنه** ﴾ وفي معنىٰ ﴿ **ينهون عنه** ﴾ قولان :

أحدهما : أن المراد أنهم ينهون الناس عن اتباع الحق ، وتصديق الرسول ، والانقياد للقرآن ، [﴿ **وينأون عنه** ﴾ أي : ويبعدونهم عنه ، فيجمعون بين الفعلين القبيحين : لا ينتفعون][٣] ولا يدعون[٤] أحدًا ينتفع .

قال علي بن أبي طلحة(٢٦) ، عن ابن عباس : ﴿ **وهم ينهون عنه** ﴾قال :ينهون الناس عن محمد صلىٰ الله عليه وسلم أن يؤمنوا به .

وقال محمد بن الحنفية(٢٧) : كان كفار قريش لا يأتون النبي صلىٰ الله عليه وسلم وينهون عنه .

وكذا قال [قتادة ومجاهد] والضحاك وغير واحد ، وهذا القول أظهر و الله أعلم ، وهو اختيار ابن جرير .

والقول الثاني : رواه سفيان الثوري(٢٨) ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عمن سمع ابن عباس ،

---

(٢٦) - أخرجه ابن جرير (١٣١٦٠/١١) وابن أبي حاتم (٧٢٠٠/٤) وابن المنذر وابن مردويه كما في « الدر المنثور » (١٥/٣) .

(٢٧) - أخرجه ابن جرير (١٣١٥٩/١١) وابن أبي حاتم (٧٢٠١/٤) من طريق حجاج عن سالم عنه وسالم هو ابن أبي الجعد وحجاج هو ابن أرطأة كثير الخطأ والتدليس ولم يصرح هنا بالسماع .

(٢٨) - أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٠٦/٢) وابن جرير (١٣١٧٠/١١ : ١٣١٧٢) وابن أبي حاتم (٧١٩٩/٤) والحاكم (٣١٥/٢) والبيهقي في « الدلائل » (٣٤٠/٢) كلهم من طريق سفيان الثوري به وخالفه قيس بن الربيع - وهو صدوق تغير لما كبر - فقال عن حبيب بن أبي ثابت عن ابن عباس به أخرجه الطبراني في « الكبير » (١٢٦٨٢/١٢) وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٣/٧) وقال : « ... فيه قيس بن الربيع ، وثقه شعبة وغيره ، وضعفه ابن معين وغيره ، وبقية رجاله ثقات »

---

[١] - سقط من : ز . [٢] - في ت : « الآية » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٤] - في خ ، ز : « يتركوا » .

يقول في قوله ﴿ **وهم ينهون عنه** ﴾ قال : نزلت في أبي طالب ، [كان ينهىٰ الناس][١] عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أن يؤذىٰ .

وكذا قال القاسم بن مُخَيْمِرة وحبيب بن أبي ثابت وعطاء بن دينار وغيره[٢] : إنها نزلت في أبي طالب .

وقال سعيد بن [ ][٣] أبي هلال : نزلت في عمومة النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وكانوا عشرة ، فكانوا أشدّ الناس معه في العلانية ، وأشدّ الناس عليه في السر .

رواه ابن أبي حاتم(٢٩) .

وقال محمد بن كعب القرظي(٣٠) : ﴿ **وهم ينهون عنه** ﴾ أي : ينهون الناس عن قتله .

وقوله : ﴿ **وينأون عنه** ﴾ أي : يتباعدون منه ، ﴿ **وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون** ﴾ أي : وما يهلكون بهذا الصنيع ولا يعود وباله إلا عليهم وما[٤] يشعرون .

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓاْ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾

= وأخرجه الحاكم أيضًا ومن طريقه البيهقي في « الدلائل » (٢/٣٤٠ - ٣٤١) من طريق حمزة بن حبيب عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به وقال الحاكم : « حديث حمزة بن حبيب صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي كذا قالا ، وحمزة بن حبيب لم يخرج له البخاري شيئًا وهو صدوق ربما وهم كما في « التقريب » .

والأثر زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣/١٥) إلى الفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه .

(٢٩) - «التفسير» لابن أبي حاتم (٤/٧٢٠٤) ثنا أبي ، ثنا هشام بن خالد ، ثنا الوليد ، عن ابن لهيعة عن خالد بن يزيد - وهو المصري - عنه به .

(٣٠) - أخرجه ابن أبي حاتم (٤/٧٢٠٥) وفي إسناده أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي وهو ضعيف .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « قال ينهى » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « جبير » .

[٤] - في ت : « وهم لا » ، والمثبت من : خ ، ز .

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

يذكر تعالىٰ حال الكفار إذا وقفوا يوم القيامة علىٰ النار ، وشاهدوا ما فيها من السلاسل والأغلال ، ورأوا بأعينهم تلك الأمور العظام والأهوال ، فعند ذلك قالوا : ﴿ **يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا [ونكون من المؤمنين]**[١]﴾ يتمنون أن يردوا إلىٰ الدار الدنيا ؛ ليعملوا عملًا صالحًا ، ولا يكذبوا بآيات ربهم ، ويكونوا من المؤمنين ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **بل بدا لهم ما كانوا يخفون [من قبل** ﴾ أي : بل ظهر لهم حينئذ ما كانوا يخفون][٢] في أنفسهم من الكفر والتكذيب والمعاندة ، وإن أنكروها في الدنيا أو في الآخرة ، كما قال قبل هذا بيسير : ﴿ **ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا و اللَّه ربنا ما كنا مشركين * انظر كيف كذبوا علىٰ أنفسهم** ﴾ .

ويحتمل أنهم ظهر لهم ما كانوا يعلمونه من أنفسهم ، من صدق ما جاءتهم[٣] به الرسل في الدنيا ، وإن كانوا يظهرون لأتباعهم خلافه ، [كما قال تعالى][٤] مخبرًا عن موسىٰ أنه قال لفرعون : ﴿ **لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السمٰوات والأرض بصائر ...**﴾ الآية[٥] ، وقوله تعالىٰ مخبرًا عن فرعون وقومه : ﴿ **وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم [ظلمًا وعلوًا]**[٦]﴾ .

ويحتمل أن يكون المراد بهؤلاء : المنافقين[٧] ، الذين كانوا يظهرون للناس الإيمان ويبطنون الكفر ، ويكون هذا إخبارًا عما يكون يوم القيامة من كلام طائفة من الكفار ، ولا ينافي هذا كون هذه السورة[٨] مكية ، والنفاق إنما كان من بعض أهل المدينة ومن حولها من الأعراب ، فقد[٩] ذكر اللَّه وقوع النفاق في سورة مكية[١٠] ، وهي العنكبوت ، فقال : ﴿ **وليعلمن اللَّه الذين آمنوا وليعلمن المنافقين** ﴾ وعلىٰ هذا : فيكون هذا إخبارًا عن حال المنافقين في الدار الآخرة حين يعاينون العذاب ، يظهر لهم حينئذ غب ما كانوا يبطنون من الكفر والنفاق والشقاق واللَّه أعلم .

وأما معنىٰ الإضراب[١١] في قوله : ﴿ **بل بدا لهم [ما كانوا يخفون من قبل]**[١٢] ﴾ فإنهم[١٣] ما طلبوا العود إلىٰ الدنيا رغبة ومحبة[١٤] في الإيمان ، بل خوفًا من العذاب الذي

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ز : « جاءت » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ت : « كقوله » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٧] - في ز : « المنافقون » .
[٨] - سقط من : ز .
[٩] - في ز : « وقد » .
[١٠] - بياض في : ز .
[١١] - في ز : « الاعتراف » .
[١٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[١٣] - في ز : « فهم » .
[١٤] - سقط من : ز .

عاينوه ، جزاء[١] علىٰ ما كانوا عليه من الكفر ، فسألوا الرجعة إلىٰ الدنيا ؛ ليتخلصوا مما شاهدوا من النار ، ولهذا قال : ﴿ **ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون** ﴾ أي : في تمنيهم الرجعة رغبة ومحبة في الإيمان .

ثم قال مخبرًا عنهم : إنهم لو ردوا إلىٰ الدار الدنيا لعادوا لما نهوا عنه [من الكفر والمخالفة][٢] ﴿ **وإنهم لكاذبون** ﴾ أي : في قولهم : ﴿ **يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين** ﴾ ، ﴿ **وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين** ﴾ .

أي : لعادوا لما نهوا عنه ، و[٣]إنهم لكاذبون ولقالوا : إن هي إلا حياتنا الدنيا ، أي : ما هي إلا هذه الحياة الدنيا ثم[٤] لا معاد بعدها ، ولهذا قال : ﴿ **وما نحن بمبعوثين** ﴾ ، ثم قال : ﴿ **ولو ترىٰ إذ وقفوا علىٰ ربهم** ﴾ أي : أوقفوا بين يديه ﴿ **قال أليس هذا بالحق** ﴾ أي : أليس هذا المعاد بحق ، وليس بباطل كما[٥] كنتم تظنون ﴿ **قالوا بلىٰ وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون** ﴾ أي : بما كنتم تكذبون به ، فذوقوا اليوم مسه ﴿ **أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون** ﴾ .

قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن خسارة من كذب بلقاء اللَّه ، وعن خيبته إذا جاءته الساعة بغتة ، وعن ندامته علىٰ ما فرط من العمل ، وما أسلف من قبيح الفعال ، ولهذا قال : ﴿ **حتىٰ إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا علىٰ ما فرطنا فيها** ﴾ ، وهذا الضمير : يحتمل عوده علىٰ الحياة ، وعلىٰ الأعمال ، وعلىٰ الدار الآخرة أي : في أمرها .

وقوله : ﴿ **وهم يحملون أوزارهم علىٰ ظهورهم ألا ساء ما يزرون** ﴾ أي : يحملون .

وقال قتادة(٣١) : يعملون .

(٣١) - أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٠٦/٢) ومن طريقه ابن جرير (١٣١٨٩/١١) وابن أبي حاتم (٧٢٣٠/٤) عن معمر عنه في قوله تعالى : ﴿ **سَاءَ ما يَزِرُونَ** ﴾ قال : ساء ما يعملون .

[١] - في ز : « وجزاء » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٣] - زيادة من : ز .
[٤] - سقط من : ت ، والمثبت من خ ، ز .
[٥] - في ز : « عما » .

وقال[١] ابن أبي حاتم(٣٢) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو خالد الأحمر[٢] ، عن عمرو[٣] بن قيس ، عن أبي مرزوق ، قال : ويُستقبل الكافر أو الفاجر عند خروجه من قبره كأقبح صورة رآها وأنتن[٤] ريحًا ، فيقول : من أنت ؟ فيقول : أَوَ مَا تعرفني ؟ فيقول : لا واللهِ[٥] ، إلا أن اللَّه [قبح وجهك وأنتن ريحك][٦] . فيقول : أنا عملك الخبيث ، هكذا كنت[٧] في الدنيا خبيث[٨] العمل منتنه ، طالما ركبتني في الدنيا ، هلم أركبك . فهو قوله ﴿ **وهم يحملون أوزارهم علىٰ ظهورهم [ألا ساء ما يزرون][٩]** ﴾ .

وقال أسباط(٣٣) ، عن السدي أنه قال : ليس من رجلٍ ظالم يموت[١٠] فيدخل قبره ، إلا جاءه رجل قبيح الوجه أسود اللون منتن الرائحة ، وعليه[١١] ثياب دنسة حتىٰ يدخل معه قبره ، فإذا رآه قال : ما أقبح وجهك . قال : كذلك كان عملك قبيحًا[١٢] . قال : ما أنتن ريحك . قال : كذلك كان عملك منتنًا[١٣] . قال : ما أدنس ثيابك ، قال : فيقول : إن عملك كان دنسًا ، قال له : من أنت ؟ قال : أنا عملك ، قال : فيكون معه[١٤] في قبره ، فإذا بعث يوم القيامة قال له : إني كنت أحملك في الدنيا باللذات والشهوات وأنت اليوم تحملني ، قال : فيركب علىٰ ظهره فيسوقه حتىٰ يدخله النار فذلك قوله : ﴿ **وهم[١٥] يحملون أوزارهم علىٰ ظهورهم ألا ساء ما يزرون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو** ﴾ أي : إنما غالبها كذلك ﴿ **وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون[١٦]** ﴾ .

---

(٣٢) - « التفسير » لابن أبي حاتم (٧٢٢٨/٤) وأخرجه ابن جرير (١٣١٨٧/١١) من كلام عمرو بن قيس الملائي لم يبلغ به أبا مرزوق .

(٣٣) - أخرجه ابن جرير (١٣١٨٨/١١) وابن أبي حاتم (٧٢٢٩/٤) .

---

[١] - في ز : « قال » .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - في خ ، ز : « معمر » .
[٤] - في ز : « وأنتنه » ، وفي تفسير ابن أبي حاتم : « وأنتنها » .
[٥] - سقط من : خ ، ز .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « قد قبح وجهك ونتن ريحك » .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - في ز : « خبث » .
[٩] - ما بين المعكوفتين من : ز ، وفي ت : « الآية » .
[١٠] - سقط من : ز .
[١١] - في ز : « عليه » .
[١٢] - في ز : « قبيح » .
[١٣] - في ز : « منتن » .
[١٤] - سقط من : ز .
[١٥] - سقط من : ز .
[١٦] - في ز : « يعقلون » .

قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾

يقول تعالىٰ مسليًا لنبيه صلىٰ اللَّه عليه وسلم في تكذيب قومه له ، ومخالفتهم إياه : ﴿ **قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون** [ ][١] ﴾ أي : قد أحطنا علمًا [بتكذيب قومك][٢] لك ، وحزنك وتأسفك عليهم ، كقوله[٣] : ﴿ **فلا تذهب نفسك عليهم حسرات** ﴾ ، كما قال تعالىٰ في الآية الأخرىٰ : ﴿ **لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين** ﴾ ، ﴿ **فلعلك باخع نفسك علىٰ آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **فإنهم لا يكذبونك** ﴾ أي : لا يتهمونك بالكذب في نفس الأمر ﴿ **ولكن الظالمين بآيات اللَّه يجحدون** ﴾ أي : ولكنهم يعاندون الحق ويدفعونه بصدورهم ، كما قال سفيان الثوري(٣٤) ، عن أبي إسحاق ، عن ناجية بن كعب ، عن علي قال : قال[٤] أبو جهل للنبي صلىٰ اللَّه تعالىٰ عليه وآله وسلم : إنا لا نكذبك ، ولكن نكذب بما جئت به . فأنزل اللَّه :

(٣٤) - أخرجه الترمذي (٣٠٦٦) وابن أبي حاتم (٧٢٣٤/٤) والدارقطني في « العلل » (١٤٣/٤ - ١٤٤) ، والضياء في « المختارة » (٢/رقم ٧٤٨) من طرق عن معاوية بن هشام عن سفيان به هكذا موصولًا وخالفه عبد الرحمن بن مهدي ، ويحيى بن آدم فقالا : عن سفيان ، عن أبي إسحاق عن ناجية به مرسلًا رواه على هذا الوجه . الترمذي - عقب السابق - وابن جرير (١٣١٩٥/١١ ، ١٣١٩٦) وابن أبي حاتم (٧٢٣٥/٤) وقال الترمذي : « وهذا أصح » وقال الدارقطني : « وهو المحفوظ » قال ابن عدي - « الكامل » (٢٤٠٣/٦) - في معاوية هذا : =

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « فإنهم » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ت : « بتكذيبهم » ، والمثبت من : ز .
[٣] - سقط من : خ ، ز . [٤] - سقط من : ز .

﴿ **فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات اللَّه يجحدون** ﴾ . رواه[١] الحاكم : من طريق إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، ثم قال : صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وقال ابن أبي حاتم(٣٥) : حدثنا محمد بن الوزير الواسطي بمكة ، حدثنا بشر بن المبشر الواسطي ، عن سلام بن مسكين ، عن أبي يزيد المدني : أن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم لقي أبا جهل فصافحه[٢] ، فقال له رجل : ألا أراك تصافح[٣] هذا الصابئ ؟ فقال و اللَّه إني أعلم إنه لنبي ، ولكن متىٰ كنا لبني عبد مناف تبعًا ؟ وتلا أبو يزيد : ﴿ **فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات اللَّه يجحدون** ﴾ .

وقال أبو صالح وقتادة : يعلمون أنك رسول اللَّه ويجحدون .

وذكر محمد بن إسحاق(٣٦) ، عن الزهري في قصة أبي جهل حين جاء يستمع قراءة النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم من الليل ، هو وأبو سفيان صخر بن حرب والأخنس بن شريق ولا يشعر واحد منهم بالآخر فاستمعوها إلىٰ الصباح ، فلما هجم الصبح تفرقوا فجمعتهم الطريق ، فقال كل منهم للآخر : ما جاء بك ؟ فذكر له ما جاء له ، ثم تعاهدوا أن لا يعودوا لما يخافون من علم شباب قريش بهم ، لئلا يفتتنوا بمجيئهم ، فلما كانت الليلة الثانية جاء كل منهم ظنًا منه أن

= « أغرب عن الثوري بأشياء» ، وقد رواه إسرائيل عن أبي إسحاق عن ناجية عن علي به موصولًا كذا رواه الحاكم (٣١٥/٢) وقال : « حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » وتعقبه الذهبي فقال : « ما خرجا لناجية شيئًا » قلت : واختلف فيه على إسرائيل أيضًا ، فقد ذكر الدارقطني في «العلل» أن إسرائيل رواه عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة - عمرو بن شرحبيل - مرسلًا ، والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١٧/٣) إلى أبي الشيخ وابن مردويه .

(٣٥) - **مرسل** ، « التفسير » لابن أبي حاتم (٧٢٣٩/٤) وأبو يزيد المدني روى عن عدد من الصحابة وروى عنه جمع من الثقات وروى له البخاري والنسائي ووثقه ابن معين ، وقال أبو حاتم : يكتب حديثه، وقال أبو داود: سألت أحمد عنه، فقال: تسأل عن رجل روى عنه أيوب - يعني السختياني- !! وقصر به الحافظ ، فقال في « التقريب » : مقبول ، وبشر بن مبشر الواسطي روى عنه جماعة ، ووثقة ابن حبان « الثقات » (١٣٨/٨) . وباقي رجاله ثقات ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور» (١٨/٣) إلى أبي الشيخ .

(٣٦) - **فيه انقطاع** ، وهو « السيرة » لابن هشام (٢٠٧/١ ، ٢٠٨) ومن طريق ابن إسحاق أخرجه البيهقي في « الدلائل » (٢٠٦/٢ ، ٢٠٧) وسوف يعيده المصنف كما هنا في [سورة الإسراء / آية ٤٧] .

---

[١] - في ز : « ورواه » .
[٢] - في خ ، ز : « فصالحه » .
[٣] - في خ، ز : « تصالح » .

صاحبيه لا يجيئان ؛ لما سبق[١] من العهود ، فلما أصبحوا[٢] جمعتهم الطريق فتلاوموا ، ثم تعاهدوا أن لا يعودوا ، فلما كانت الليلة الثالثة جاءوا أيضًا ، فلما أصبحوا تعاهدوا أن لا يعودوا لمثلها .

[ثم تفرقوا][٣] ، فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ، ثم خرج حتىٰ أتىٰ أبا سفيان ابن حرب في بيته ، فقال : أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد . قال : يا أبا ثعلبة ، و اللَّه لقد سمعت أشياء أعرفها ، وأعرف ما يراد بها ، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ، ولا ما يراد بها . قال الأخنس : وأنا والذي حلفت به .

ثم خرج من عنده حتىٰ أتىٰ أبا جهل ، فدخل عليه في[٤] بيته ، فقال : يا أبا الحكم ، ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ قال : ماذا سمعت ؟ قال : تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف : أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتىٰ إذا تجاثينا علىٰ الركب ، وكنا كفرسي رهان ، قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتىٰ ندرك هذه ؟ و اللَّه لا نؤمن به أبدًا ولا نصدقه . قال : فقام عنه الأخنس وتركه .

ورویٰ ابن جرير(٣٧) : من طريق أسباط ، عن السدي في قوله : ﴿ **قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات اللَّه يجحدون** ﴾ لما كان يوم بدر قال الأخنس بن شريق لبني زهرة : يا بني زهرة ، إن محمدًا ابن أختكم ، فأنتم أحق من كف [عن ابن أخته][٥] ، فإنه إن كان نبيًا لم تقاتلوه اليوم ، وإن كان كاذبا كنتم أحق من كف عن ابن أخته[٦] ، قفوا [هاهنا][٧] حتىٰ ألقىٰ أبا الحكم ، فإن غُلب محمد رجعتم سالمين ، وإن غَلب محمد فإن قومكم لم يصنعوا بكم شيئًا - فيومئذ سمي [الأخنس][٨] وكان اسمه أُبيّ - فالتقىٰ الأخنس وأبو جهل فخلا الأخنس بأبي جهل فقال : يا أبا الحكم ، أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب ، فإنه ليس هاهنا من قريش غيري وغيرك يسمع كلامنا ! فقال أبو جهل : ويحك واللَّه إن محمدًا لصادق ، وما كذب محمد قط ، ولكن إذا ذهبت بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة

(٣٧) - تفسير ابن جرير (١٣١٩٣/١١) .

[١] - في خ ، ز : « تقدم » .
[٢] - في خ ، ز : « أجمعوا » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « عنكم » .
[٦] - في خ ، ز : « أختكم » .
[٧] - سقط من : خ ، ز .
[٨] - سمي « الأخنس » لأنه من « خنس يخنس خنوسًا » إذا انقبض عن الشيء وتأخر ورجع - [من هامش تفسير ابن جرير (٣٣٣/١١)] .

والنبوة ، فماذا يكون لسائر قريش ؟ فذلك قوله : ﴿ **فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون** ﴾ فآيات الله محمد صلىٰ الله عليه وسلم .

وقوله : ﴿ **ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا علىٰ ما كذبوا وأوذوا حتىٰ أتاهم نصرنا** ﴾ هذه تسلية للنبي صلىٰ الله عليه وسلم ، وتعزية له فيمن كذبه من قومه ، وأمر له بالصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ، ووعد[١] له بالنصر كما نصروا ، وبالظفر حتى[٢] كانت لهم العاقبة ، بعد ما نالهم من التكذيب من قومهم والأذىٰ البليغ ، ثم جاءهم النصر في الدنيا كما لهم النصر في الآخرة ، ولهذا قال : ﴿ **ولا مبدل لكلمات الله** ﴾ أي[٣] : التي كتبها بالنصر[٤] في الدنيا والآخرة لعباده المؤمنين، كما قال: ﴿ **ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * إنهم لهم المنصورون * وإن جندنا لهم الغالبون** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ولقد جاءك من نبإ المرسلين** ﴾ أي : من خبرهم كيف نصروا ، وأيدوا علىٰ من كذبهم من قومهم ، فلك فيهم أسوة وبهم قدوة .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **وإن كان كبر عليك إعراضهم** ﴾ أي : إن كان شق عليك إعراضهم عنك ﴿ **فإن استطعت أن تبتغي نفقًا في الأرض أو سلمًا في السماء** ﴾ قال علي بن أبي طلحة(٣٨) ، عن ابن عباس : النفق : السّرب ، فتذهب فيه فتأتيهم بآية ، أو تجعل لك[٥] سلما في السماء ، فتصعد فيه فتأتيهم بآية أفضل مما أتيتهم به فافعل .

وكذا قال قتادة والسدي وغيرهما .

وقوله : ﴿ **ولو شاء الله لجمعهم علىٰ الهدىٰ فلا تكونن من الجاهلين** ﴾ كقوله تعالىٰ : ﴿ **ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعًا [أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين]**[٦] ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة(٣٩) ، عن ابن عباس : في قوله : ﴿ **ولو شاء الله**

---

(٣٨) - أخرجه ابن جرير (١٣٢٠١/١١) وأخرجه أيضًا (١٣٢٠٤/١١) وابن أبي حاتم (٧٢٤٥/٤) من طريق ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس به وعطاء الخراساني لم يسمع من ابن عباس ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١٩/٣) إلى ابن المنذر والبيهقي في « الأسماء والصفات ».

(٣٩) - أخرجه ابن أبي حاتم (٧٢٥٠/٤) .

---

[١] - في ز : « وعد » .
[٢] - في خ ، ز : « بالظفر كما » .
[٣] - سقط من : خ ، ز .
[٤] - في ز : « بالنصرة » .
[٥] - في ز : « لم » .
[٦] - في ت : « الآية » .

لجمعهم علىٰ الهدىٰ ﴾ قال : إن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم كان يحرص أن يؤمن جميع الناس ، ويتابعوه علىٰ الهدىٰ ، فأخبر اللَّه أنه لا يؤمن إلا من قد[١] سبق له من اللَّه السعادة في الذكر الأول .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **إنما يستجيب الذين يسمعون** ﴾ أي : إنما يستجيب لدعائك يا محمد من يسمع الكلام ويعيه ويفهمه ، كقوله : ﴿ **لينذر من كان حيًا ويحق القول علىٰ الكافرين** ﴾ وقوله : ﴿ **والموتىٰ يبعثهم اللَّه** [**ثم إليه يرجعون**][٢]﴾ يعني بذلك الكفار ؛ لأنهم[٣] موتىٰ القلوب ، فشبههم [اللَّه بأموات][٤] الأجساد فقال : ﴿ **والموتىٰ يبعثهم اللَّه ثم إليه يرجعون** ﴾ وهذا من باب التهكم بهم والازدراء عليهم .

﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن المشركين: إنهم كانوا يقولون : ﴿ **لولا نزل عليه [آية من ربه]**[٥] ﴾ أي : خارق علىٰ مقتضىٰ ما كانوا يريدون ، ومما يتعنتون ، كقولهم[٦] : ﴿ **لن نؤمن لك حتىٰ تفجر لنا من الأرض ينبوعًا** ﴾ الآيات .

﴿ **قل إن اللَّه قادر علىٰ أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون** ﴾ أي : هو تعالىٰ قادر علىٰ ذلك ولكن حكمته تعالىٰ تقتضي تأخير ذلك ؛ لأنه لو أنزلها وفق ما طلبوا ثم لم يؤمنوا ، لعاجلهم بالعقوبة كما فعل بالأمم السالفة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفًا** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين** ﴾ .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٣] - في ز : « فإنهم » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « بالأموات » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٦] - في ز : « كما قالوا » .

وقوله : ﴿ **وما من دآبة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم** ﴾ .

قال مجاهد : أي : أصناف مصنفة تعرف بأسمائها .

وقال قتادة : الطير أمة ، والإنس أمة ، والجن أمة .

وقال السدي : ﴿ **إلا أمم أمثالكم** ﴾ أي : خلق أمثالكم .

وقوله : ﴿ **ما فرطنا في الكتاب من شيء** ﴾ أي : الجميع علمهم عند الله ولا ينسىٰ واحدا من جميعها : من رزقه وتدبيره ، سواء كان بريًّا أو بحريًّا[١] ، كقوله : ﴿ **وما من دابة في الأرض إلا علىٰ الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين** ﴾ أي : مفصح بأسمائها وأعدادها ومظانها ، وحاصر لحركاتها وسكناتها ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم** ﴾ .

وقد قال الحافظ أبو يعلىٰ(٤٠) : حدثنا محمد بن المثنىٰ ، حدثنا عبيد بن واقد القيسي أبو عباد ، حدثني محمد بن عيسىٰ بن كيسان ، حدثنا محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله ، قال : قلَّ الجراد في سنة من سني عمر - رضي الله عنه - التي ولي فيها ، فسأل عنه فلم يُخبر بشيء ، فاغتم لذلك فأرسل راكبًا إلىٰ كذا ، وآخر إلىٰ الشام ، وآخر إلىٰ العراق يسأل : هل رؤى[٢] من الجراد شيء أم لا ؟ فأتاه الراكب الذي من قبل اليمن بقبضة من[٣] جراد ، فألقاها بين

(٤٠) - **إسناده ضعيف جدًّا** ، في « مسنده الكبير » - كما في « المجمع » (٣٢٥/٧) - ومن طريقه ابن حبان في « المجروحين » (٢٥٦/٢ ، ٢٥٧) وكذا ذكره المصنف من طريقه في « البداية والنهاية » (٣٠/١) وتقدم عنده هنا [سورة الفاتحة / آية رقم ١] .

وأخرجه ابن عدي في « الكامل » (١٩٩٠/٥) (٢٢٤٩/٦) وأبو الشيخ في « العظمة » (٥/رقم ١٢٨٥) والخطيب في تاريخه (٢١٧/١١، ٢١٨) - ومن طريقه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/ ١٣، ١٤) - والبيهقي في « الشعب » (١٠١٣٢/٧ ، ١٠١٣٣) من طريق عبيد بن واقد به ، وقال ابن حبان : « وهذا شيء لاشك أنه موضوع ليس هذا من كلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم». قلت : علته عبيد بن واقد وشيخه ، قال المصنف في « البداية » : عبيد بن واقد أبو عباد البصري ضعفه أبو حاتم ، وقال ابن عدي : « عامة ما يرويه لا يتابع عليه » وشيخه أضعف منه . قال الفلاس والبخاري : منكر الحديث ، وقال أبو زرعة : لا ينبغي أن يحدث عنه ، وضعفه ابن حبان والدارقطني وأنكر عليه ابن عدي هذا الحديث بعينه وغيره والله أعلم » ، وضعف إسناده السيوطي في « الدر المنثور » (٣٦/١) وتعقب ابن الجوزي في إيراد هذا الحديث في « الموضوعات » فقال في « اللآلىء » (٨٢/١) : « لم يتهم محمد بن عيسى بكذب، بل وثقه بعضهم فيما نقله الذهبي ، =

[١] - في ز : « جريًا » .

[٢] - في ز : « رأى » . [٣] - سقط من : ز .

يديه ، فلما رآها كبر ثلاثًا ، ثم قال : سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « **خلق اللَّه عز وجل ألف أمة ؛ منها ستمائة في البحر ، وأربعمائة في البر ، وأول شيء يهلك من هذه الأمم الجراد ، فإذا هلكت تتابعت مثل النظام إذا قطع سلكه** » .

وقوله : ﴿ **ثم إلىٰ ربهم يحشرون** ﴾ قال ابن أبي حاتم(٤١) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا سفيان ، عن أبيه ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله : ﴿ **ثم إلىٰ ربهم يحشرون** ﴾ قال : حشرها الموت .

وكذا رواه ابن جرير(٤٢) من طريق إسرائيل ، عن سعيد [بن][١] مسروق ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : موت البهائم حشرها . وكذا رواه العوفي عنه .

قال ابن أبي حاتم : وروي عن مجاهد والضحاك مثله .

= وقال ابن عدي : أنكر عليه هذا الحديث ، وحديث آخر والحديث أخرجه أبو الشيخ في « العظمة » والبيهقي في « شعب الإيمان » - واقتصر الحافظ - يعني ابن حجر - على تضعيفه ، وتابع السيوطي في تعقبه ابن عَرَّاق في « تنزيه الشريعة » (١٩٠/١) ويبدو أن المصنف يذهب إلى تضعيفه فحسب أيضًا فإنه قال - فيما تقدم (آية رقم ١ - من سورة الفاتحة) : محمد بن عيسى هذا - وهو الهلالي - ضعيف » وكذا الهيثمي حيث قال في « المجمع » : « فيه عبيد بن واقد القيسي وهو ضعيف » والبوصيري فقال - كما في حاشية « المطالب العالية » (٣١٢/٢) - : « سنده ضعيف لضعف محمد بن عيسى بن كيسان » والحق أن هذا الحديث إن لم يكن موضوعًا ، فهو ضعيف جدًّا ، فإن محمد بن عيسى هذا فوق ما نقله ابن كثير من كلام الأئمة فيه فقد اتهمه ابن طاهر المقدسي في « معرفة التذكرة » (٤٢٠) وقال فيه ابن حبان : « يروى عن محمد بن المنكدر العجائب ، وعن الثقات الأوابد ، لا يجوز الاحتجاج بخبره إذا انفرد » ، وقال الذهبي في « المغني » (٦٦٢/١) : « ضعفوه بمرّة » وأما ما نقله ابن عدي : بإسناده إلى نعيم بن حماد، حدثني عبيد بن واقد عن محمد بن عيسى أبي يحيى الهلالي وكان ثقة » وهذا ما عناه الذهبي في « الميزان » (٥/ت ٨٠٣٢) - ونقله عنه السيوطي في كلامه المتقدم - بقوله : « ووثقه بعضهم » فإنه مردود لأنه توثيق من ضعيف يحتاج إلى من يُعدِّله ، ولم يوجد - فكيف يقبل تعديله لغيره !! وباللَّه التوفيق .

(٤١) - **إسناده صحيح** ، « التفسير » لابن أبي حاتم (٧٢٦١/٤) وسفيان هو الثوري واسم أبيه ، سعيد بن مسروق وهو ثقة ، مترجم له في « التهذيب » .

(٤٢) - **كسابقه** ، في تفسيره (١٣٢١٩/١١) ورواه أيضًا (١٣٢٢٠/١١) من طريق العوفي عنه به .

---

[١] - في خ ، ز : « و » و في ت « عن » وكذا في تفسير ابن جرير (١٣٢١٩/١١) وهو خطأ وإنما هو سعيد بن مسروق ؛ فإن إسرائيل يروي عنه وعكرمة لا يروي عنه من اسمه مسروق ، انظر « تهذيب الكمال » (٢/ت ٤٠٢) (٢٠/ت٤٠٠٩).

والقول الثاني : أن حشرها [هو][١] بعثها يوم القيامة ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإذا الوحوش حشرت** ﴾ .

وقال الإمام أحمد(٤٣) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن سليمان ، عن منذر الثوري ، عن أشياخ لهم ، عن أبي ذر : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم رأىٰ شاتين تنتطحان[٢] ، فقال : « **يا أبا ذر ، هل تدري فيم تنتطحان**[٣]؟ » قال : لا . قال: « **لكن اللَّه يدري وسيقضي بينهما** » .

ورواه عبد الرزاق(٤٤) ، عن معمر ، عن الأعمش ، عمن ذكره ، عن أبي ذر ، قال : بينا نحن[٤] عند رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم إذ انتطحت عنزان ، فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أتدرون فيم انتطحتا ؟** » قالوا : لا ندري . قال : « **لكن اللَّه يدري وسيقضي**

---

(٤٣) - **صحيح** ، « المسند » (١٦٢/٥) وأخرجه الطيالسي (٤٨٠) ثنا شعبة به غير أنه قال : « عن أصحابه » بدل من قوله : « عن أشياخ لهم » وأخرجه أحمد أيضًا ، وابن أبي الدنيا في « كتاب الأهوال » (١٨١) من طريقين عن الأعمش ، به .

قال الألباني في « الصحيحة » (١١٧/٤/رقم ١٥٨٨) : « إسناده صحيح ، رجاله ثقات رجال الشيخين غير أصحاب المنذر - وهو ابن يعلى الثوري - فإنهم لم يسموا ، وذلك مما لا يضر ، لأنهم جمع من التابعين ينجبر جهالتهم بكثرتهم كما نبَّه على ذلك الحافظ السخاوي في غير هذا الحديث » وقال نحو ذلك أيضًا عند رقم (١٩٦٧) من « الصحيحة » وانظر ما بعده .

(٤٤) - « التفسير » لعبد الرزاق (٢٠٦/٢) ومن طريقه ابن جرير في تفسيره (١٣٢٢٣/١١) ، وأخرجه أحمد (١٧٣/٥) والبزار (٤٣٥٠/٤ - كشف) والطبراني في « الأوسط » (٦١١٠/٦) من طريق حماد بن سلمة عن ليث بن أبي سليم عن عبد الرحمن بن ثروان عن هُزيل بن شرحبيل عن أبي ذر بنحوه وليث ضعيف لاختلاطه . وأخرجه أسد بن موسى في « الزهد » (١٠٣) نا ابن لهيعة نا ابن سوارة عن أبي تميم الجيشاني قال : دخلنا على أبي ذر الغفاري ، فسمعته يقول - هكذا موقوفًا - « والذي نفسي بيده ! لتُسْألن الشاة فيما نطحت صاحبتها ، وليسألن الحجر فيما نَكَبَ أُصْبَعَ الرجل » ورجاله ثقات غير ابن لهيعة فقد ضعف لاختلاطه وسوء حفظه .

تنبيه : ذكر الأديب الشيخ محمود شاكر في حاشيته على ابن جرير الحديث من طريق أحمد السابق إلا أنه غفل فأسقط ليث بن أبي سليم في الإسناد ثم قال : « وهذا إسناد حسن متصل » وهذا خطأ أو سهو فليستدرك وانظر « العلل » للدارقطني (٦/س ١١٢٥) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين زيادة من ز .
[٢] - في ز : « ينتطحان » .
[٣] - في ز : « ينتطحان » .
[٤] - في خ ، ز : « أنا » .

بينهما » . رواه ابن جرير ، ثم رواه(٤٥)[١] من طريق منذر الثوري ، عن أبي ذر .... فذكره ، وزاد : قال أبو ذر : ولقد تركنا رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم ، وما يقلب[٢] طائر جناحيه[٣] في السماء ، إلا [ذكر لنا][٤] منه علمًا .

وقال عبد اللّه بن الإمام أحمد في مسند أبيه(٤٦) : حدثني عباس بن محمد وأبو يحيىٰ البزار ، قالا : حدثنا حجاج بن نصير[٥] ، حدثنا شعبة ، عن العوام بن مُرَاجم[٦] من بني قيس بن ثعلبة ، عن أبي عثمان النهدي ، عن عثمان - رضي اللّه عنه - أن النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم قال : « **إن الجمَّاء لتقتص من القرناء يوم القيامة** » .

---

(٤٥) - **إسناده منقطع وهو حديث صحيح** ، ابن جرير في تفسيره (١٣٢٢٤/١،١) حدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحاق بن سليمان ، قال : حدثنا فطر بن خليفة عن منذر الثوري به وأخرجه أحمد (١٦٢/٥) ثنا حجاج ، ووكيع في « الزهد » (٥٢٢/٣) كلاهما (حجاج ووكيع) ، ثنا فطر به بالزيادة الأخيرة . كذا قال فطر فأسقط الواسطة بين منذر وأبي ذر وهو هكذا منقطع لأن منذرًا لم يسمع من أحد من الصحابة ، لكن خالف فطرًا الأعمش - وهو أثبت منه - فأثبت الواسطة كما تقدم في السابق والذي قبله - والزيادة الأخيرة أخرجه أحمد أيضًا (١٦٢،١٥٣/٥) من طريقين عن الأعمش عن منذر الثوري ، قال : ثنا أشياخ من التيم قالوا : قال أبو ذر : ... فذكره ، وهذا إسناده صحيح كما تقدم عند رقم (٤٤) .

(٤٦) - **إسناده ضعيف** ، « المسند » (٧٢/١) وأخرجه يحيى بن معين في « التاريخ » (٤/رقم ٤٢٤٦) والبزار في مسنده (٢/رقم ٣٨٧) ، والعقيلي في « الضعفاء » (٢٨٥/١) وابن عدي في « الكامل » (٦٤٩/٢) والدارقطني في « العلل » (٦٤/٣) ، وابن أبي داود في « البعث » (٣٥) والرافعي في « أخبار قزوين » (٨٠/٢) كلهم من طريق حجاج بن نصير بهذا الإسناد .

قال البزار : « هذا الحديث لا نعلمه يروى عن عثمان إلا من هذا الوجه ، ولم يرو هذا الحديث بهذا الإسناد إلا الحجاج عن شعبة » .

قلت : حجاج هذا ضعفه النسائي ، والدارقطني ، وابن سعد ، وأبو حاتم وزاد الأخير « منكر الحديث ترك حديثه » ، وضعفه ابن معين في رواية وقال في أخرى : كان شيخًا صدوقًا ، ولكنهم أخذوا عليه أشياء في حديث شعبة . قلت : وهذا منها فقد استنكر له ابن عدي هذا الحديث بعينه عن شعبة هكذا ونقل عن شيخه ابن صاعد قال : ليس هذا في حديث عثمان عن النبي =

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « تقلب » .
[٣] - في ز : « بجناحيه » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « ذكرنا » .
[٥] - في ز : « نصر » .
[٦] - في خ ، ز : « مزاحم » وثقه ابن معين وقال : لم أسمع أحدًا يحدث عنه إلا شعبة إلا إنه صحفه فقال : « ابن مزاحم » بالزاي والحاء ، فرُدَّ عليه ، وإنما هو ابن مراجم بالراء المهملة والجيم [انظر مقدمة ابن الصلاح (ص ٤١٠) و « العلل » للدارقطني (٦٤/٣ ، ٦٥)].

وقال عبد الرزاق(٤٧) : أخبرنا معمر ، عن جعفر بن بُرْقَان ، عن يزيد بن الأصم ، عن أبي هريرة في قوله : ﴿ **إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلىٰ ربهم يحشرون** ﴾ قال : يحشر الخلق كلهم يوم القيامة ؛ البهائم والدواب والطير وكل شيء ، فيبلغ من عدل الله يومئذ أن يأخذ للجماء من القرناء . قال : ثم يقول : كوني ترابًا . [ ][١] فلذلك يقول الكافر : ﴿ **يا ليتني كنت ترابًا** ﴾ .

وقد روي هذا مرفوعًا في حديث الصور(٤٨) .

وقوله : ﴿ **والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات** ﴾ أي : مثلهم في جهلهم ، وقلة علمهم ، وعدم فهمهم ، كمثل أصم : وهو الذي لا يسمع ، أبكم : وهو الذي لا يتكلم ، وهو مع هذا في ظلمات[٢] لا يبصر ، فكيف يهتدي مثل هذا إلىٰ الطريق ، أو يخرج مما هو فيه ، كقوله : ﴿ **مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون * صم بكم عمي فهم لا يرجعون** ﴾ ، وكما قال تعالىٰ : ﴿ **أو كظلمات**

= صلى الله عليه وسلم - إنما رواه أبو عثمان عن سلمان من قوله ، وفي « التاريخ » لابن معين قال أبو الفضل : ذكر في هذا الحديث ليحيى بن معين قال : إنما هو أبو عثمان عن سلمان . وقال أبو حاتم - كما في « العلل » لابنه - (٢/رقم ٢١٤٢) : « ليس لهذا الحديث أصل في حديث شعبة مرفوع ، وحجاج ترك حديثه لسبب هذا الحديث » وبنحو ذلك قال أبو زرعة كما في « العلل » لابن أبي حاتم أيضًا (٢/رقم ٢١٦٦) ، وقال الدارقطني في علله (٦٣/٣) : « وهم فيه - يعني حجاجًا - وخالفه غندر فرواه عن شعبة عن العوام بن مراجم عن أبي السليل عن أبي عثمان عن سلمان موقوفًا وهو الصواب » . والموقوف أخرجه العقيلي وابن عدي والدارقطني به من طريق غندر محمد بن جعفر - تصحف كالمعتاد في « الكامل » إلى محمد بن حفص - عن شعبة والحديث ذكره الهيثمي في « المجمع » (٣٥٥/١٠) وقال : « رواه الطبراني في « الكبير » - لم أجده في المطبوع منه - والبزار وعبد الله بن أحمد وفيه الحجاج بن نصير وقد وثق على ضعفه ، وبقية رجال البزار رجال الصحيح غير العوام بن مزاحم وهو ثقة » .

(٤٧) - **أثر صحيح** ، « التفسير » لعبد الرزاق (٢٠٦/٢) ومن طريقه ابن جرير (١٣٢٢٢/١١) والحاكم في « المستدرك » (٣١٧/٢) وأخرجه ابن جرير أيضًا من طريق آخر عن معمر به وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٢٦٢/٤) من طريق كثير بن هشام عن جعفر بن برقان به وقال الحاكم : « جعفر الجذري هو ابن برقان قد احتج به مسلم ، وهو صحيح على شرطه ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي وهو كما قالا ، وزاد نسبته السيوطي (٢٠/٣) إلى أبي عبيد وابن المنذر وأعاده أيضًا عند تفسير [آية رقم ٤٠/ سورة الأنبياء] وعزاه إلى عبد بن حميد ، والبيهقي في « البعث والنشور » .

(٤٨) - يأتي تخريجه برقم (١٣٤) .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « قال » . [٢] - في خ : « ظلام » .

في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور ﴾ ؛ ولهذا قال : ﴿ **من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم** ﴾ أي : هو المتصرف في خلقه بما يشاء .

﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَنكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٤٠) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ (٤١) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٤٣) فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٤٥) ﴾

يخبر تعالىٰ أنه الفعال لما يريد ، المتصرف في خلقه بما يشاء ، وأنه لا معقب لحكمه ، ولا يقدر أحد علىٰ صرف حكمه عن خلقه ، بل هو وحده لا شريك له الذي إذا سئل يجيب لمن يشاء ؛ ولهذا قال : ﴿ **قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة** ﴾ أي : أتاكم هذا أو هذا ﴿ **أغير الله تدعون إن كنتم صادقين** ﴾ أي : لا تدعون غيره ؛ لعلمكم أنه لا يقدر أحد علىٰ دفع ذلك سواه ؛ ولهذا قال : ﴿ **إن كنتم صادقين** ﴾ أي : في اتخاذكم آلهة معه ﴿ **بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون** ﴾ أي : في وقت الضرورة لا تدعون أحدًا سواه ، وتذهب[١] عنكم أصنامكم وأندادكم ، كما قال : ﴿ **وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه** ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ **ولقد أرسلنا إلىٰ أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء** ﴾ يعني : الفقر والضيق في العيش ﴿ **والضراء** ﴾ وهي الأمراض والأسقام والآلام ﴿ **لعلهم يتضرعون** ﴾ أي : يدعون الله ويتضرعون إليه ويخشعون . قال الله تعالىٰ : ﴿ **فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا** ﴾ أي : فهلا إذا ابتليناهم بذلك تضرعوا إلينا وتمسكنوا لدينا[٢] ﴿ **ولكن قست قلوبهم** ﴾ أي : ما رقت ولا خشعت ﴿ **وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون** ﴾ أي : من الشرك والمعاندة[٣] والمعاصي .

---

[١] - في ز : « يذهب » . [٢] - في خ : « إلينا » .
[٣] - سقط من : خ .

﴿ **فلما نسوا ما ذكروا به** ﴾ أي : أعرضوا عنه وتناسوه وجعلوه وراء ظهورهم ﴿ **فتحنا عليهم أبواب كل شيء** ﴾ أي : فتحنا عليهم أبواب الرزق من كل ما يختارون ، وهذا استدراج منه تعالىٰ وإملاء لهم ، عياذًا بالله من مكره ، ولهذا قال : ﴿ **حتىٰ إذا فرحوا بما أوتوا** ﴾ أي : من الأموال والأولاد والأرزاق ﴿ **أخذناهم بغتة** ﴾ أي : علىٰ غفلة ﴿ **فإذا هم مبلسون** ﴾ أي : آيسون من كل خير .

قال الوالبي(٤٩) عن ابن عباس : المبلس الآيس .

وقال[١] الحسن البصري : من وسع الله عليه فلم ير أنه يمكر به فلا رأي له ، ومن قتر عليه فلم ير أنه ينظر له فلا رأي له ، ثم قرأ : ﴿ **فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتىٰ إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون** ﴾ قال الحسن : مكر بالقوم وربِّ الكعبة ، أعطوا حاجتهم ثم أخذوا . رواه ابن أبي حاتم(٥٠) .

وقال قتادة : بغت القوم أمر الله ، وما أخذ الله قومًا قط إلا عند سكرتهم[٢] وغرتهم ونعيمهم ، فلا تغتروا بالله ؛ فإنه[٣] لا يغتر بالله إلا القوم الفاسقون .

ورواه[٤] ابن أبي حاتم أيضًا(٥١) .

[وقال مالك عن الزهري : ﴿ **فتحنا عليهم أبواب كل شيء** ﴾ قال : أرخاء[٥] الدنيا وسترها][٦].

---

(٤٩) - أخرجه ابن أبي حاتم (٧٢٩٧/٤) والوالبي هو علي بن أبي طلحة .

(٥٠) - « التفسير » لابن أبي حاتم (٧٢٩٣/٤) وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٢٢/٣) إلى أبي الشيخ .

(٥١) - « التفسير » لابن أبي حاتم (٧٢٩٤/٤) وعزاه السيوطي (٢٣/٣) إلى عبد بن حميد وأبي الشيخ .

---

[١] - في ز : « قال » .

[٢] - في خ ، ز : « سلوتهم » .

[٣] - في ز : « إنه » .

[٤] - في ز : « رواه » .

[٥] - في ز : « أرحا » .

[٦] - كذا في المخطوطة وأخشى أن يكون وهمًا أو خطأ من الناسخ فقد أخرجه ابن جرير (١١/ ١٣٢٢٨) وابن أبي حاتم (٧٢٨٩/٤) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى ذكره ﴿ **ففتحنا عليهم أبواب كل شيء** ﴾ قال : رخاء الدنيا ويُسْرها على القرون الأولى ولم أجد ذكرًا للزهري عند هذه الآية والله أعلم .

وقد قال الإمام أحمد(٥٢) : حدثنا يحيىٰ بن غيلان ، حدثنا رشدين - يعني ابن سعد أبا[١] الحجاج المهري[٢] - عن حرملة بن عمران التجيبي ، عن عقبة بن مسلم ، عن عقبة بن عامر ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **إذا رأيت اللّٰه يعطي العبد من الدنيا علىٰ معاصيه ما يحب ، فإنما هو استدراج** » ثم تلا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : ﴿ **فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتىٰ إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون** ﴾ .

ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث حرملة وابن لهيعة ، عن عقبة بن مسلم ، عن عقبة ابن عامر به .

وقال ابن أبي حاتم(٥٣) : حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا عراك بن خالد بن يزيد ،

---

(٥٢) - **صحيح** ، « المسند » (١٤٥/٤) وفي « الزهد » (ص ١٨) وهذا إسناد رجاله ثقات غير رشدين بن سعد فهو ضعيف ، لكن تابعه جماعة فأخرجه الخرائطي في « فضيلة الشكر » (٧٠) وأبو سعيد الأعرابي في « المعجم » (رقم ١٧١) والطبراني في « الكبير » (١٧/رقم ٩١٣) وفي « الأوسط » (٩٢٧٢/٩) والبيهقي في « الشعب » (٤٥٤٠/٤) من طريق أبي صالح عبد اللّٰه بن صالح ، وابن جرير (١٣٢٤٠/١١) من طريق أبي الصلت ، والدولابي في « الكنى » (١١١/١) من طريق حجاج بن سليمان ثلاثتهم (أبو صالح ، أبو الصلت ، حجاج) عن حرملة بن عمران به ، وهم وإن تكلم فيهم إلا أن بعضهم يقوي بعضًا . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٣/٧) ونسبه إلى أحمد والطبراني في « الكبير » ولم يتكلم على إسناده ، وقال في « المجمع » (٢٤٨/١٠) : « رواه الطبراني في « الأوسط » عن شيخه الوليد بن العباس المصري وهو ضعيف » .

وقال الطبراني «الأوسط» : « لا يروى هذا الحديث عن عقبة بن عامر إلا بهذا الإسناد، تفرد به حرملة بن عمران » كذا قال وتابع حرملة ابن لهيعة عن عقبة به . أخرجه ابن أبي الدنيا في « كتاب الشكر » (ص٩) من طريق بشر بن عمر ، وأبو سعيد الأعرابي (١٧٢) من طريق أبي صالح وعلقه ابن جرير (١٣٢٤١/١١) من طريق محمد بن حرب ثلاثتهم عن ابن لهيعة به . قال الألباني في « الصحيحة » (١/رقم ٤١٣) : « وهو عندي صحيح ... فإن ابن لهيعة ثقة في نفسه وإنما يخشى من سوء حفظه فإذا تابعه ثقة فذلك دليل على أنه قد حفظ » قلت : ولا سيما إذا رواه عنه أحد العبادلة الثلاثة - (عبد اللّٰه بن وهب وعبد اللّٰه بن المبارك وعبد اللّٰه بن يزيد) فيصح حديثه ، فإن روايتهم عنه صحيحه - وهو ما كان ، فقد أخرجه الروياني في مسنده (٢٦٠/١ ، ٢٦١) وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ٧٢٨٨) نا أحمد بن عبد الرحمن أبو عبيد اللّٰه ابن أخى ابن وهب ثنا عمي ابن وهب ثنا حرملة وابن لهيعة به .

والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٢٢/١) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه .

(٥٣) - **إسناده ضعيف وفيه انقطاع** ، « التفسير » لابن أبي حاتم (٧٢٨٣/٤) =

---

[١] - في ز : « أبو » . [٢] - في ز : « المهدي » .

حدثني أبي ، عن إبراهيم بن أبي عبلة ، عن عبادة بن الصامت : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : [« **إن الله إذا أراد بقوم بقاء أو نماء رزقهم القصد والعفاف ،**][١] **وإذا أراد الله بقوم اقتطاعًا فتح لهم أو فتح عليهم باب خيانة** » .

﴿ **حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون** ﴾ كما قال : ﴿ **فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين** ﴾ .

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ (٤٦) قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٤٧) وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٤٨) وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ (٤٩)

يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ **قل** ﴾ لهؤلاء المكذبين المعاندين ﴿ **أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم** ﴾ أي : سلبكم إياهما كما أعطاكموها ، فإنه[٢] ﴿ **هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار [والأفئدة قليلًا ما تشكرون]**[٣] ﴾ .

= وأخرجه الطبراني - ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٢٢/١١ - مخطوط) - وأبو الشيخ - كما في « الدر المنثور » للسيوطي (٢٢/٣) - ومن طريقه الديلمي (٩٧/١/١) - كما في « الضعيفة » للألباني (٥/رقم ٢٣٠٦) - عن عراك بن خالد به ، وعراك هذا قال فيه أبو حاتم : « مضطرب الحديث ، ليس بالقوي » وقال الدارقطني : « لا بأس به » ، وذكره ابن حبان في « الثقات » (٥٢٥/٨) وقال : « ربما أغرب وخالف » ، ولينه ابن حجر في « التقريب » وأبوه ضعفه ابن معين والدارقطني والعقيلي وابن الجوزي والذهبي وابن حجر وقال النسائي : « ليس بثقة » وبهما اكتفى الألباني بإعلال الحديث ، وهو مُعلّ أيضًا بالانقطاع بين إبراهيم بن أبي عبلة وعبادة بن الصامت ، فإنه لم يدركه قاله أبو حاتم [انظر « العلل » (١/ رقم ٢٢١/٦٤٠) «وجامع التحصيل» للعلائي (ص١٤٠)] . والحديث زاد نسبته السيوطي إلى ابن مردويه والله الهادي إلى الصواب .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ت : « كما قال تعالى » ، والمثبت من : خ . ز .
[٣] - في ت : « الآية » .

ويحتمل أن يكون هذا عبارة عن منع الانتفاع بهما الانتفاع[١] الشرعي ؛ ولهذا قال : ﴿ **وختم علىٰ قلوبكم** ﴾ كما قال : ﴿ **أمّن يملك السمع والأبصار** ﴾ وقال : ﴿ **واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه** ﴾ .

وقوله : ﴿ **من إله غير الله يأتيكم به** ﴾ أي : هل أحد غير الله يقدر علىٰ ردّ ذلك إليكم ، إذا سلبه الله منكم ؟ لا يقدر علىٰ ذلك أحد سواه ، ولهذا قال : ﴿ **انظر كيف نصرف الآيات** ﴾ أي : نبينها ونوضحها ونفسرها ، دالة علىٰ أنه لا إله إلا الله ، وأن ما يعبدون من دونه باطل وضلال ﴿ **ثم هم يصدفون** ﴾ أي : ثم هم مع هذا البيان [يصدفون ، أي :][٢] يعرضون عن الحق ويصدّون الناس عن اتباعه .

قال العوفي(٥٤) : عن ابن عباس : ﴿ **يصدفون** ﴾ أي:[٣] يعدلون .

وقال مجاهد وقتادة : يعرضون .

وقال السدي : يصدّون .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة [أو جهرة** ﴾ بغتة][٤] أي : وأنتم لا تشعرون به حتىٰ بغتكم وفجأكم ﴿ **أو جهرة** ﴾ أي : ظاهرًا عيانًا ﴿ **هل يهلك إلا القوم الظالمون** ﴾ أي : إنما كان يحيط بالظالمين أنفسهم بالشرك بالله ، وينجو الذين كانوا يعبدون الله وحده لا شريك له ، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، كقوله : ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم [أولئك لهم الأمن وهم مهتدون][٥]** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين** ﴾ أي : مبشرين عباد الله المؤمنين بالخيرات ، ومنذرين من كفر بالله النقمات والعقوبات ؛ ولهذا قال : ﴿ **فمن آمن وأصلح** ﴾ أي : فمن آمن قلبه بما [جاءوا به][٦] ، وأصلح عمله باتباعه إياهم ﴿ **فلا خوف عليهم** ﴾ أي : بالنسبة لما[٧] يستقبلونه ﴿ **ولا هم يحزنون** ﴾ أي : بالنسبة إلىٰ ما فاتهم وتركوه وراء ظهورهم من

(٥٤) - أخرجه ابن جرير (١٣٢٤٦/١١) وابن أبي حاتم (٧٣١٠/٤) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس به ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٢٣/٣) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ ، فلعله عندهما أو عند أحدهما من الطريق الذي ذكره المصنف وإن كان الأصل في العزو عند المصنف تفسير ابن جرير وابن أبي حاتم والله تعالى أعلم .

[١] - في ز : « النفع » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز .
[٥] - في ت : « الآية » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « جاء » .
[٧] - في ز : « إلى ما » .

أمر الدنيا وصنيعها[١] ، الله وليهم فيما خلفوه ، وحافظهم فيما تركوه .

ثم قال : ﴿ **والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون** ﴾ أي : ينالهم العذاب بما كفروا بما جاءت به الرسل ، وخرجوا عن أوامر الله وطاعته[٢] ، وارتكبوا مناهيه ومحارمه ، وانتهاك حرماته .

قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ
إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾
وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا
شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ
وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ
فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟
أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ
ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ
أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾

يقول الله تعالىٰ لرسوله صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **قل لا أقول لكم عندي خزائن الله** ﴾ أي : لست أملكها ولا أتصرف[٣] فيها ﴿ **ولا أعلم الغيب** ﴾ أي : ولا أقول لكم إني أعلم الغيب ، إنما ذاك من علم الله - عز وجل - لا أطلع منه إلا علىٰ ما أطلعني[٤] عليه ﴿ **ولا أقول لكم إني ملك** ﴾ أي : ولا أدعي أني ملك ، إنما أنا بشر من البشر يوحىٰ إليَّ من الله عز وجل ، شرفني بذلك وأنعم عليَّ به ؛ ولهذا قال : ﴿ **إن أتبع إلا ما يوحىٰ إليَّ** ﴾ أي : لست أخرج عنه قيد شبر ولا أدنىٰ منه .

---

[١] - في ز : « وضيعتها » .
[٢] - في ز : « وطاعاته » .
[٣] - في ز : « التصرف » .
[٤] - في ز : « أطلعنيه » .

﴿ **قل هل يستوي الأعمىٰ والبصير** ﴾ أي : هل يستوي من اتبع الحق وهدي إليه ، ومن ضل عنه ولم يَنْقَد له ﴿ **أفلا تتفكرون** ﴾ وهذه كقوله تعالىٰ : ﴿ **أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمىٰ إنما يتذكر أولو الألباب** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلىٰ ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع** ﴾ أي : وأنذر بهذا القرآن يا محمد : ﴿ **الذين هم من خشية ربهم مشفقون** ﴾ ، والذين ﴿ **يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب** ﴾ .

﴿ **الذين يخافون أن يحشروا إلىٰ ربهم** ﴾ أي : يوم القيامة ﴿ **ليس لهم** ﴾ أي : يومئذ ﴿ **من دونه ولي ولا شفيع** ﴾ أي : لا قريب لهم ، ولا شفيع فيهم من عذابه إن أراده بهم ﴿ **لعلهم يتقون** ﴾ أي : أنذر هذا اليوم الذي لا حاكم فيه إلا اللّٰه -عز وجل- ﴿ **لعلهم يتقون** ﴾ فيعملون في هذه الدار عملًا ينجيهم اللّٰه به يوم القيامة من عذابه ، ويضاعف لهم به الجزيل من ثوابه .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه** ﴾ أي : لا تبعد هؤلاء المتصفين بهذه الصفات[١] عنك ، بل اجعلهم جلساءك وأخصاءك ، كما قال : ﴿ **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **يدعون ربهم** ﴾ أي : يعبدونه ويسألونه ﴿ **بالغداة والعشي** ﴾ قال سعيد بن المسيب ومجاهد والحسن وقتادة : المراد بذلك الصلوات المكتوبات .

وهذا كقوله : ﴿ **وقال ربكم ادعوني أستجب لكم** ﴾ أي : أتقبل منكم .

وقوله : ﴿ **يريدون وجهه** ﴾ أي : يريدون[٢] بذلك العمل وجه[٣] اللّٰه الكريم ، فهم مخلصون فيما هم فيه من العبادات والطاعات .

وقوله : ﴿ **ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء** ﴾ كقول نوح -عليه السلام- في جواب[٤] الذين ﴿ **قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون * قال وما علمي بما كانوا يعملون * إن حسابهم إلا علىٰ ربي لو تشعرون** ﴾ أي : إنما حسابهم علىٰ اللّٰه -عز وجل- وليس عليَّ من حسابهم من شيء ، كما أنه ليس عليهم من حسابي من شيء .

---

[١] - في ز : « الصفة » .
[٢] - في ز : « يبتغون » .
[٣] - في ز : « لوجه » .
[٤] - سقط من : ز .

وقوله : ﴿ فتطردهم فتكون من الظالمين ﴾ أي : إن فعلت هذا والحالة هذه .

قال الإمام أحمد(٥٥) : حدثنا أسباط - هو ابن محمد - حدثني أشعث ، عن كُرْدُوس ، عن ابن مسعود ، قال : مَرَّ الملأُ من قريش علىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وآله وسلم ، وعنده خَبَّاب وصُهيب وبلال وعمار ، فقالوا : يا محمد ، أرضيت بهؤلاء ؟ فنزل فيهم القرآن : ﴿ وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلىٰ ربهم ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ [أليس اللّٰه بأعلم بالشاكرين][١] ﴾ .

ورواه[٢] ابن جرير من طريق أشعث ، عن كردوس ، عن ابن مسعود ، قال : مر الملأ من قريش برسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وآله وسلم ، وعنده صهيب وبلال وعمار وخباب ، وغيرهم من ضعفاء المسلمين ، فقالوا : يا محمد ، أرضيت[٣] بهؤلاء من قومك ؟ أهؤلاء الذين من اللّٰه عليهم من بيننا ؟ [ونحن نكون][٤] تبعًا لهؤلاء ؟ اطردهم عنك[٥] ، فلعلك إن طردتهم أن نتبعك . فنزلت هذه الآية : ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ﴾ ، ﴿ وكذلك فتنا بعضهم ببعض ﴾ إلىٰ آخر الآية .

---

(٥٥) - **إسناده ضعيف** ، « المسند » (٤٢٠/١) (رقم ٣٩٨٥ - شاكر) وأخرجه البزار في مسنده (٢٠٤١/٥) وابن جرير في تفسيره (١٣٢٥٥/١١ ، ١٣٢٥٦) والطبراني في « الكبير » (١٠/رقم ١٠٥٢٠) وعنه أبو نعيم في « الحلية » (١٨٠/٤ - ١٨١) من طرق عن أشعث بن سَوَّار به .
وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٣/٧-٢٤) وقال : « رواه أحمد والطبراني ... ورجال أحمد رجال الصحيح غير كردوس وهو ثقة » قلت : أشعث بن سوار وإن روى له مسلم فقد ضعفه النسائي والدارقطني وابن معين في رواية ، ولينه أبو زرعة . وقد اختلف عليه فيه فرواه عنه جماعة هكذا متصلًا ورواه عنه حفص بن غياث مرسلًا أخرجه من هذا الوجه ابن جرير (١٣٢٥٧/١١) وحفص بن غياث ثقة لكن تغير حفظه قليلًا ولعل البلاء من أشعث نفسه واللّٰه أعلم ، والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٢٤/٣) إلى أبي الشيخ وابن مردويه وابن أبي حاتم - وهو في تفسير الأخير (٧٣٢٦/٤) من طريق أشعث عن كردوس عن ابن عباس هكذا من مسند ابن عباس وأخشى أن يكون خطأ فإن النسخة المطبوعة مليئة بالتحريفات وإلى اللّٰه المشتكى ، وكردوس اسم أبيه عباس فلعله حرفت ابن إلى عن وقد وقع مثل ذلك في نسخة ابن جرير [(٢٠١/٧) - ط الحلبي] قال الشيخ محمود شاكر في حاشيته على ابن جرير (٣٧٥/١١) : « هذا الخبر لم يُرو عن غير ابن مسعود ، وكردوس لم يذكر أنه روى عن ابن عباس ، والخبر لم ينسبه أحد في الكتب إلى غير عبد اللّٰه بن مسعود » واللّٰه أعلم .

---

[١] - في ز : ﴿ واللّٰه أعلم بالظالمين ﴾ . [٢] - في ز : « رواه » .
[٣] - في ز : « رضيت » .
[٤] - في ت : «أنحن نصير» والمثبت من خ ، ز .
[٥] - سقط من : ز .

وقال ابن أبي حاتم(٥٦) : حدثنا أبو سعيد بن يحيىٰ بن[١] سعيد القطان ، حدثنا عمرو بن محمد العنقزي ، حدثنا أسباط بن نصر ، عن السدي ، عن أبي سعيد الأزدي - وكان قارئ الأزد - عن أبي الكنود ، عن خباب في قول اللَّه - عز وجل : ﴿ **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي** ﴾ قال : جاء الأقرع بن حابس التميمي ، وعيينة بن حصن الفزاري ، فوجدوا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم مع صهيب وبلال وعمار وخباب ، قاعدًا في ناس من الضعفاء من المؤمنين ، فلما رأوهم حول النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم حقروهم ، فأتوه فخلوا به ، فقالوا : إنا نريد أن تجعل لنا منك مجلسًا تعرف لنا به العرب فضلنا ، فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا العرب مع هذه الأعبد ، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا ، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت . قال : « **نعم** » . قالوا : فاكتب لنا[٢] عليك كتابًا . قال : فدعا بصحيفة[٣] ودعا عليًّا ليكتب ، ونحن قعود في ناحية ، فنزل جبريل فقال : ﴿ **ولا تطرد الذين يدعون ربهم [بالغدوة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين]**[٤] ﴾ . فرمىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بالصحيفة [من يده][٥] ثم دعانا

(٥٦) - **إسناده فيه جهالة** « التفسير » لابن أبي حاتم (٤/٧٣٣١،٧٣٤٤،٧٣٤٦) وأخرجه ابن ماجه (٤١٢٧) ثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان ، ثنا عمرو بن محمد به ، والبزار في مسنده (٦/٢١٢٩) وابن جرير في تفسيره (١١/١٣٢٥٨) من طريق الحسين بن عمرو ، والبيهقي في « الشعب » (٧/١٠٤٩١) من طريق إسحاق الحنظلي ، كلاهما (الحسين وإسحاق) عن عمرو بن محمد به . وأخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » [كتاب : الفضائل ، باب : ما جاء في بلال وصهيب وخباب (٧/٥٦٣ - ٥٦٤)] وفي مسنده (١/٤٧٧) والبزار (٦/٢١٣٠) وابن جرير (١١/١٣٢٥٩) والطحاوي في « مشكل الآثار » (١/١٥٧ - ١٥٨) والطبراني في « الكبير » (٤/ ٣٦٩٣) وأبو نعيم في « الحلية » (١/١٤٦ - ١٤٧) والمزي في « تهذيب الكمال » (٣٤/٢٣٠/ ترجمة أبي الكنود) من طريق أحمد بن الفضل ثنا أسباط بن نصر به وتابعه حكيم بن زيد ، قال : حدثنا السُّدي به ، أخرجه من هذا الوجه البيهقي في « الدلائل » (١/٣٥٢ - ٣٥٣) . قال البوصيري في « الزوائد » (٣/٢٧٧): « هذا إسناد صحيح ... وأصله في صحيح مسلم وغيره من حديث سعد بن أبي وقاص» - يأتي حديث سعد بعد هذا - قلت: أبو سعد - وقيل : أبو سعيد - الأزدي لم يوثقه غير ابن حبان « الثقات » (٥/٥٦٨) وأبو الكنود وثقه ابن سعد وذكره ابن حبان أيضًا في « الثقات » (٥/٤٤) ووسمهما الحافظ في « التقريب » بالقبول ، وعليه فإن هذا الإسناد لا يرتقي إلى الحسن فضلًا عن الصحة ، ثم إن له علة أخرى وهو ما أشار إليه المصنف - انظر أعلاه . والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣/٢٥) إلى أبي يعلى وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه .

[١] - في خ ، ز : « ثنا » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « بالصحيفة » .
[٤] - في : ت : « الآية » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

فأتيناه .

ورواه ابن جرير من حديث أسباط به .

وهذا حديث غريب ؛ فإن هذه الآية مكية ، والأقرع بن حابس وعيينة إنما أسلما بعد الهجرة بدهر .

وقال سفيان الثوري(٥٧) ، عن المقدام بن شريح ، عن أبيه ، قال : قال سعد : نزلت هذه الآية في ستة من أصحاب النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم منهم ابن مسعود، قال: كنا نستبق[١] إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وندنو منه ونسمع منه ، فقالت قريش : تدني[٢] هؤلاء دوننا . فنزلت ﴿ **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي** ﴾ .

رواه الحاكم في مستدركه(٥٨) من طريق سفيان ، وقال : علىٰ شرط الشيخين . وأخرجه ابن حبان في صحيحه(٥٩) من طريق المقدام بن شريح به .

وقوله : ﴿ **وكذلك فتنا بعضهم ببعض** ﴾ أي : ابتلينا واختبرنا وامتحنا بعضهم ببعض ﴿ **ليقولوا أهؤلاء من اللّٰه عليهم من بيننا** ﴾ وذلك أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، كان

---

(٥٧) - أخرجه من هذه الطريق مسلم في صحيحه ، كتاب : فضائل الصحابة ، باب : في فضل سعد بن أبي وقاص - رضي اللّٰه عنه - (٤٥) (٢٤١٣) ، والنسائي في المناقب من « الكبرى » (٥/ ٨٢٢٠ ، ٨٢٦٤) وفي « التفسير » (١١١٦٣/٦) والبزار في مسنده (١٢٢٨/٤) وأبو يعلى (٢/ ٨٢٦) وابن جرير في تفسيره (١٣٢٦٣/١١) وابن أبي حاتم (٤/ص ١٢٩٨) والبيهقي في « الشعب » (١٠٤٩٠/٧) وانظر ما بعده .

(٥٨) - « المستدرك » (٣١٩/٣) لكن إسناده في الطبعتين اللتين بين يدي هكذا « أخبرني أبو علي الحافظ ، أنا إبراهيم بن أبي طالب ثنا محمد بن بشار ، ثنا مؤمل بن سفيان [ثنا إسماعيل بن المقدام] عن المقدام بن شريح عن أبيه عن سعد به » . هكذا وقع « مؤمل بن سفيان » وصوابه « مؤمل عن سفيان » وما بين المعكوفتين مقحم في الإسناد وربما أراد الناسخ أن يكتب « مؤمل بن إسماعيل عن سفيان » فسها وكتبه هكذا واللّٰه أعلم . وأما قول الحاكم عقبه « حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » وموافقه الذهبي له ، فهو مُتعقب ، فقد أخرجه مسلم كما في السابق - وانظر ما بعده أيضًا .

(٥٩) - « الصحيح » (٦٥٧٣/١٤ - إحسان) من طريق إسرائيل عن المقدام بن شريح به ، ومن هذه الطريق أخرجه عبد بن حميد في « المنتخب » (١٣١) ومسلم (٤٦) (٢٤١٣) والنسائي في المناقب من « الكبرى » (٨٢٣٧/٥ ، ٨٢٦٦) والبيهقي في « الدلائل » (٣٥٣/١) وأخرجه ابن ماجه ، كتاب : الزهد ، باب : مجالسة الفقراء (٤١٢٨) من طريق قيس بن الربيع عن المقدام به .

---

[١] - في ز : « نسبق » . [٢] - في ز : « يدني » .

غالب من اتبعه في أول بعثته[١] ضعفاء الناس ؛ من الرجال والنساء والعبيد والإماء ، ولم يتبعه من الأشراف إلا قليل ، كما قال قوم نوح لنوح : ﴿ **وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي** ﴾ الآية . وكما قال[٢] هرقل ملك الروم لأبي سفيان حين سأله [عن تلك][٣] المسائل ، فقال له : [فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟][٤] فقال[٥] : بل ضعفاؤهم . فقال : هم أتباع الرسل(٦٠) .

والغرض أن مشركي قريش كانوا يسخرون بمن آمن من ضعفائهم ، ويعذبون من يقدرون عليه منهم ، وكانوا يقولون : أهؤلاء منّ اللَّه عليهم من بيننا أي : ما كان اللَّه ليهدي هؤلاء إلىٰ الخير لو كان ما صاروا إليه خيرًا ويدعنا ، كقولهم : ﴿ **لو كان خيرًا ما سبقونا إليه** ﴾ وكقوله تعالىٰ : ﴿ **وإذا تتلىٰ عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقامًا وأحسن نديًّا** ﴾ .

قال اللَّه تعالىٰ في جواب ذلك : ﴿ **وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثًا ورئيًا** ﴾ ، وقال في جوابهم حين قالوا : ﴿ **أهؤلاء منّ اللَّه عليهم من بيننا أليس اللَّه بأعلم بالشاكرين** ﴾ أي : أليس هو أعلم بالشاكرين له ؛ بأقوالهم وأفعالهم وضمائرهم ، فيوفقهم ويهديهم سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلىٰ النور [بإذنه ، ويهديهم إلىٰ صراط مستقيم][٦]، كما قال تعالىٰ : ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن اللَّه لمع المحسنين** ﴾ وفي الحديث الصحيح(٦١) : « **إن اللَّه لا ينظر إلىٰ صوركم ولا إلىٰ ألوانكم ، ولكن ينظر إلىٰ قلوبكم وأعمالكم** » .

---

(٦٠) - أخرجه البخاري (رقم ٧) ومسلم كتاب : الجهاد والسير ، باب : كتاب النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام (٧٤) (١٧٧٣) ، وأحمد (٢٦٢/١) من حديث ابن عباس الطويل ، وأخرجه مختصرًا أبو داود (٥١٣٦) والترمذي (٢٧١٨) .

(٦١) - أخرجه مسلم ، كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ... (٣٤) (٢٥٦٤) وابن ماجة ، كتاب : الزهد ، باب : القناعة (٤١٤٣) وأحمد (٢٨٤/٢ - ٢٨٥ ، ٥٣٩) من حديث أبي هريرة مرفوعًا لكن بلفظ : « **إن اللَّه لا ينظر إلى صُوَرِكُم وأموالكم ...** » .

---

[١] - في ز : « البعثه » . [٢] - في ز : « سأل » .
[٣] - سقط من : ت ، والمثبت من : خ ، ز .
[٤] - في خ ، ز : « فهل اتبعه ضعفاء الناس أو أشرافهم » .
[٥] - في ز : « قال » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « ويهديهم إليه صراطًا مستقيمًا » .

وقال ابن جرير(٦٢) : حدثنا القاسم ، حدثنا[١] الحسين ، عن[٢] حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة في قوله : ﴿ **وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلىٰ ربهم** ﴾ الآية . قال : جاء عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، ومطعم بن عدي ، والحارث بن نوفل ، و[قرظة بن عبد عمرو][٣] بن نوفل ، في أشراف من[٤] بني عبد مناف من أهل الكفر إلىٰ أبي طالب ، فقالوا : يا أبا طالب لو أن ابن أخيك محمدًا يطرد عنه موالينا وحلفاءنا ، فإنما هم عبيدنا وعسفاؤنا ، كان أعظم في صدورنا ، وأطوع له عندنا ، وأدنىٰ لاتباعنا إياه وتصديقنا له . قال : فأتىٰ أبو طالب النبيَّ صلىٰ الله عليه وسلم فحدثه بالذي كلموه ، فقال عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه : لو فعلت ذلك حتىٰ تنظر[٥] ما الذي يريدون ، وإلىٰ ما يصيرون من قولهم . فأنزل اللَّه عز وجل هذه الآية : ﴿ **وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلىٰ ربهم** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **أليس اللَّه بأعلم بالشاكرين** ﴾ . قال : وكانوا : بلالًا ، وعمار بن ياسر ، وسالمًا مولىٰ أبي حذيفة ، وصبيحًا مولىٰ أسيد ، ومن الحلفاء : ابن مسعود ، والمقداد بن عمرو ، ومسعود بن القارى[٦] ، وواقد بن عبد اللَّه الحنظلي ، وعمرو بن عبد عمرو ، وذو الشمالين ، [ومرثد بن أبي مرثد ، وأبو مرثد الغنوي][٧] حليف حمزة بن عبد المطلب ، وأشباههم من الحلفاء ، ونزلت في أئمة الكفر من قريش والموالي والحلفاء ﴿ **وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من اللَّه عليهم من بيننا** ﴾ الآية . فلما نزلت أقبل عمر - رضي اللَّه عنه - [فأتىٰ النبيَّ صلىٰ اللَّه عليه وسلم][٨] فاعتذر من مقالته ، فأنزل اللَّه - عز وجل - : ﴿ **وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم** ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ **وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم** ﴾ أي : فأكرمهم بردّ السلام عليهم ، وبشرهم برحمة اللَّه الواسعة الشاملة لهم ؛ ولهذا قال : ﴿ **كتب ربكم علىٰ نفسه الرحمة** ﴾ أي : أوجبها علىٰ نفسه الكريمة ، تفضلًا منه وإحسانًا وامتنانًا .

﴿ **أنه من عمل منكم سوءًا بجهالة** ﴾ قال بعض السلف(٦٣) : كل من عصىٰ اللَّه فهو جاهل .

---

(٦٢) - **مرسل** ، ابن جرير في تفسيره (١١/١٣٢٦٤) وابن المنذر كما في « الدر المنثور » (٣/٢٤ - ٢٥) للسيوطي.

(٦٣) - [انظر سورة النساء آية رقم ١٧] .

---

[١] - في ز : « بن » . [٢] - في ز : « ثنا » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « قرظة بن عمرو » .

[٤] - سقط من : خ ، ز . [٥] - في ز : « ننظر » .

[٦] - في ز : « العاري » .

[٧] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « ويزيد بن أبي يزيد من غنى » .

[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

وقال معتمر بن سليمان ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة في قوله : ﴿ [**من عمل منكم سوءًا**] [١] **بجهالة** ﴾ قال : الدنيا كلها جهالة . رواه ابن أبي حاتم(٦٤) .

﴿ **ثم تاب من بعده وأصلح** ﴾ أي : رجع عما كان عليه من المعاصي ، وأقلع وعزم على أن لا يعود ، وأصلح العمل في المستقبل ﴿ **فأنه غفور رحيم** ﴾ .

قال الإمام أحمد(٦٥) : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن همام بن منبه ، قال : هذا ما حدثنا به[٢] أبو هريرة ، قال[٣] : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **لما قضى اللَّه** [ ][٤] **الخلق ، كتب في كتاب**[٥] **فهو عنده فوق العرش : إن رحمتي غلبت غضبي** » .

أخرجاه في الصحيحين . وهكذا رواه الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة(٦٦) ، ورواه موسى بن عقبة ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة(٦٧) . وكذا رواه الليث وغيره ، عن محمد بن عجلان ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم بذلك(٦٨).

---

(٦٤) - ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٣٥١/٤) .

(٦٥) - **إسناده صحيح** « المسند » (٣١٣/٢) والحديث عند عبد الرزاق في « التفسير » (٢٠٥/٢) ومن طريق عبد الرزاق أخرجه أيضًا البغوي في « شرح السنة » (٤١٧٧/١٤) وفي « معالم التنزيل » (٨٧/٢) .

(٦٦) - تقدم تخريجه من هذه الطريق (برقم ١٤) .

(٦٧) - لم أهتد إليه من هذه الطريق ، وقد أخرجه النسائي ، كتاب : النعوت ، باب : الرحمة والغضب (٧٧٥٠/٤) من طريق موسى بن عقبة قال : أخبرني أبو الزناد عن الأعرج به ، هكذا بزيادة « أبو الزناد» بين موسى والأعرج غير أنه لموسى بن عقبة رواية عن الأعرج مباشرة وبدون واسطة [انظر « تهذيب الكمال » (٢٩/ت ٦٢٨٢)] وانظر المتقدم برقم (١٤) والآتي .

(٦٨) - **صحيح** أخرجه الترمذي ، كتاب : الدعوات ، باب : رحمة اللَّه غلبت غضبه (٣٥٣٧) ، وابن حبان في صحيحه (٦١٤٥/١٤) من طريقين عن الليث عن محمد بن عجلان به وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح غريب » وأخرجه أحمد (٤٣٣/٢) وابن ماجه المقدمة (١٨٩) ، وكتاب : الزهد ، باب : ما يرجى من رحمة اللَّه يوم القيامة (٤٢٩٥) من طريق (يحيى بن سعيد ، وصفوان بن عيسى ، وأبي خالد الأحمر) ثلاثتهم عن ابن عجلان به .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « عملوا السوء » .
[٢] - سقط من : ز . [٣] - سقط من : ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « على » . [٥] - في ز : « كتابه » .

وقد روىٰ ابن مردويه(٦٩) من طريق الحكم بن أبان[١] ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إذا فرغ اللَّه من القضاء بين الخلق ، أخرج كتابًا من تحت العرش : إن رحمتي سبقت غضبي ، وأنا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة أو قبضتين ، فيخرج من النار خلقًا لم يعملوا خيرًا ، مكتوب بين أعينهم : عتقاء اللَّه** » .

وقال عبد الرزاق(٧٠): أخبرنا معمر ، عن عاصم بن سليمان ، عن أبي عثمان النهدي ، عن سلمان في قوله : ﴿ **كتب ربكم علىٰ نفسه الرحمة** ﴾ قال : إنا نجد في التوراة عطفتين ؛ إن اللَّه خلق السموات والأرض ، وخلق مائة رحمة أو جعل مائة رحمة قبل أن يخلق الخلق ، ثم خلق الخلق فوضع بينهم رحمة واحدة ، وأمسك عنده تسعًا وتسعين رحمة ، قال : فبها يتراحمون ، وبها يتعاطفون ، وبها يتباذلون ، وبها يتزاورون ، وبها تحن الناقة ، وبها تَثِجُّ البقرة ، وبها [تثغو][٢] الشاة ، وبها تتتابع[٣] الطير ، وبها تتتابع[٤] الحيتان في البحر ، فإذا كان يوم القيامة جمع اللَّه تلك الرحمة إلىٰ ما عنده ، ورحمته أفضل وأوسع .

وقد روي هذا مرفوعًا من وجه آخر(٧١) ، وسيأتي كثير من الأحاديث الموافقة لهذه عند قوله :

---

(٦٩) - ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (١٠/٣) واقتصر على عزوه إلى ابن مردويه ، والحكم بن أبان متكلم في حفظه ، ولم أقف على إسناده حتى أعرف حال من دون الحكم والعلم عند اللَّه تبارك وتعالى ثم وجدت عبد الرزاق أخرجه في تفسيره (٢٠٤/٢ ، ٢٠٥) - ومن طريقه ابن جرير (١١/ ١٣١٠٤) وعنده أيضًا من طريق آخر (١٣١٠٣/١١) - من طريق معمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة حسبته أسنده قال فذكره بنحوه هكذا دون الجزم بإسناده ولم ينم به إلى ابن عباس .

(٧٠) - **إسناده صحيح** « التفسير » لعبد الرزاق (٢٠٣/٢ ، ٢٠٤) ومن طريقه ابن جرير (١١/ ١٣١٠٠) - ومن طريق آخر (١٣٠٩٩/١١) - وابن أبي حاتم (٧١٤٢/٤) وأخرجه ابن جرير أيضًا (١٣٠٩٧/١١ ، ١٣٠٩٨) من طريقين عن داود بن أبي هندٍ عن أبي عثمان به مختصرًا وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١٠/٣) إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٧١) - أخرجه أحمد (٤٣٩/٥) ومسلم ، كتاب : التوبة ، باب : في سعة رحمة اللَّه تعالى وأنها سبقت غضبه (٢٠) (٢٧٥٣) من طريق سليمان التيمي، وأخرجه مسلم أيضًا (٢١) (٢٧٥٣) من طريق داود بن أبي هندٍ كلاهما (سليمان وداود) عن أبي عثمان النهدي عن سلمان، قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم - لفظ داود - : « **إن اللَّه خلق ، يوم خلق السماء والأرض ، مائةَ رحمة ، كُلُّ رحمةٍ طِبَاقَ ما بين السماء والأرض فجعل منها في الأرض رحمة ، فبها تَعْطِفُ الوالدةُ على ولدها ، والوحش والطير بعضُها على بعض . فإذا كان يومُ القيامة أكمَلَهَا بهذه الرحمة** » .

---

[١] - في ز : « دابان » .
[٢] - في مصنف عبد الرزاق وابن جرير : « تيعر » .
[٣] - في ز : « تتابع » .
[٤] - في ز : « تتابع » .

﴿ ورحمتي وسعت كل شيء ﴾ .

ومما يناسب هذه الآية من الأحاديث أيضًا : قوله صلىٰ اللّه عليه وسلم لمعاذ بن جبل(٧٢) : « **أتدري ما حق اللّه علىٰ العباد ؟ أن يعبدوه لا يشركوا به شيئًا** » . ثم قال : « **أتدري ما حق العباد علىٰ اللّه إذا هم فعلوا ذلك ؟ أن لا يعذبهم** » . وقد رواه الإمام أحمد(٧٣) : من طريق كميل بن زياد ، عن أبي هريرة - رضي اللّه عنه - .

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾

يقول تعالىٰ : وكما بينا ما تقدم بيانه ، من الحجج والدلائل علىٰ طريق الهداية والرشاد ، وذم

(٧٢) - أخرجه أحمد (٢٢٨/٥ ، ٢٢٩ ، ٢٣٦ ، ومواضع أخر) والبخاري ، كتاب : الجهاد ، باب : اسم الفرس والحمار (٢٨٥٦) - وانظر أطرافه ثمة - ومسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا (٤٨ : ٥١) (٣٠) وغيرهم وقد تقدم [البقرة/ آية ٢٢] ، و[النساء / آية ٣٦] .

(٧٣) - **صحيح** « المسند » (٣٠٩/٢ ، ٥٢٥ ، ٥٣٥) وأخرجه أيضًا عبد الرزاق في « المصنف » (١١/رقم ٢٠٥٤٧) والبزار (٣٠٨٩/٤ - كشف) وصححه الحاكم (٥١٧/١) ووافقه الذهبي ، وذكره الهيثمي في موضعين من « المجمع » (٥٥/١) ، (١٠١/١٠ - ١٠٢) عزاه في الأول إلى أحمد وقال : « رجاله ثقات أثبات » وفي الثاني إلى البزار وقال : « رواه مطولًا ومختصرًا ، ورجالهما رجال الصحيح غير كميل بن زيادٍ وهو ثقة » وذكره المنذري في « الترغيب والترهيب » (١٨٥/٤) وقال : « رواه أحمد ورواته ثقات ... » .

المجادلة والعناد ﴿ **كذلك نفصل الآيات** ﴾ أي : التي يحتاج المخاطبون إلىٰ بيانها ﴿ **ولتستبين**[١] **سبيلَ المجرمين** ﴾ أي : ولتظهر طريق المجرمين المخالفين للرسل ، وقرئ (وليستبين[٢] سبيلَ المجرمين)[٣] أي : وليستبين[٤] يا محمد أو يا مخاطب سبيل المجرمين .

وقوله : ﴿ **قل**[٥] **إني علىٰ بينة من ربي** ﴾ أي : علىٰ بصيرة من شريعة اللّٰه التي أوحاها اللّٰه[٦] إلي ﴿ **وكذبتم به** ﴾ أي : بالحق الذي جاءني من اللّٰه ﴿ **ما عندي ما تستعجلون به** ﴾ أي : من العذاب ﴿ **إن الحكم إلا لله** ﴾ أي : إنما يرجع أمر ذلك إلىٰ اللّٰه ، إن شاء عجل لكم ما سألتموه من ذلك ، وإن شاء أنظركم وأجلكم ؛ لما له في ذلك من الحكمة العظيمة ؛ ولهذا قال : ﴿ [**إن الحكم إلا لله**][٧] **يقص الحق وهو خير الفاصلين** ﴾ أي : وهو خير من فصل القضايا ، وخير الفاتحين الحاكمين بين عباده .

وقوله : ﴿ **قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم** ﴾ أي : لو كان مرجع ما تستعجلونه[٨] به إليَّ لأوقعت بكم ما تستحقونه من ذلك ﴿ **و اللّٰه أعلم بالظالمين**﴾ .

فإن قيل : فما الجمع بين هذه الآية وبين ما ثبت في الصحيحين(٧٤) من طريق ابن وهب ، عن يونس ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، أنها قالت لرسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : يا رسول اللّٰه ، هل أتىٰ عليك يوم كان أشدَّ من يوم أحد ؟ فقال : « **لقد لقيت من قومك ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ، إذ عرضت نفسي علىٰ ابن عبد ياليل بن عبد كُلال ، فلم يجبني إلىٰ ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم علىٰ وجهي ، فلم أستفق إلا بِقَرْن الثَّعَالب ، فرفعت رأسي فإذا أنا بسَحَابَةٍ قد أظلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام ، فناداني فقال : إن اللّٰه قد سمع قول قومك لك ، وما ردّوا عليك ، وقد بعث إليك مَلَكَ الجِبال لتأمُرَهُ بما شئت فيهم . قال : فناداني ملك الجبال وسلّم عليَّ ، ثم قال : يا محمد ، إن اللّٰه قد سمع قول قومك لك ، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك ، فما شئت ، إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين** » . فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **بل أرجو أن يُخرِجَ اللّٰه من أصلابهم من**

---

(٧٤) - أخرجه البخاري ، كتاب : بدء الخلق ، باب : إذا قال أحدكم : « آمين » (٣٢٣١) ، ومسلم : كتاب : الجهاد والسير ، باب : ما لقي النبي - صلى اللّٰه عليه وسلم - من أذى المشركين والمنافقين (١١١) (١٧٩٥) .

---

[١] - في ز : « ليستبين » .
[٢] - في ز : « لتستبين » .
[٣] - هي قراءة نافع (كما في السبعة لابن مجاهد ص ٢٥٨)
[٤] - في ز : « لتستبين » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز .
[٨] - في ز : «تستعجلون » .

يعبد اللَّه لا يشرك به شيئًا » . وهذا لفظ مسلم .

فقد عرض عليه عذابهم واستئصالهم ، [فاستأنىٰ بهم][١] وسأل لهم التأخير ؛ لعل اللَّه أن يخرج من أصلابهم من لا يشرك به شيئًا ، فما الجمع بين هذا وبين قوله تعالىٰ في هذه الآية الكريمة : ﴿ **قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم و اللَّه أعلم بالظالمين** ﴾

فالجواب و اللَّه أعلم : أن هذه الآية دلت علىٰ أنه لو كان إليه وقوع العذاب الذي يطلبونه حال طلبهم له لأوقعه بهم ، وأما الحديث فليس فيه أنهم سألوه وقوع العذاب بهم ، بل عرض عليه ملك الجبال أنه إن شاء أطبق عليهم الأخشبين ؛ وهما جبلا مكة اللذان[٢] يكتنفانها جنوبًا وشمالًا ، فلهذا استأنىٰ بهم وسأل الرفق لهم .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو** ﴾ قال البخاري(٧٥) : حدثنا عبد العزيز ابن عبد اللَّه ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، عن ابن شهاب ، عن سالم بن عبد اللَّه ، عن أبيه : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا اللَّه** : ﴿ **إن اللَّه عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن اللَّه عليم خبير** ﴾ » .

وفي حديث عمر(٧٦) : أن جبريل حين تبدىٰ له[٣] في صورة أعرابي ، فسأل عن الإسلام والإيمان والإحسان ، فقال[٤] له النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فيما قاله[٥] له : « **خمس لا يعلمهن إلا اللَّه** » . ثم قرأ : ﴿ **إن اللَّه عنده علم الساعة ...** ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ **ويعلم ما في البر والبحر** ﴾ أي : يحيط علمه الكريم بجميع الموجودات ؛ بريِّهَا وبحريِّهَا ، لا يخفىٰ عليه من ذلك شيء ، ولا مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، وما أحسن ما قال الصَّرْصَري :

فلا يخفىٰ عليه الذر إما   تراءىٰ للنواظر أو توارىٰ

(٧٥) - صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو** ﴾ (٤٦٢٧)، وأخرجه أحمد (١٢٢/٢) ، والنسائي في « الكبرى » كتاب : النعوت (٧٧٢٨/٤) من طريقين عن إبراهيم بن سعد به .

ويعيده المصنف بإسناد آخر [سورة الرعد/ آية ٨/ رقم ١٩] ، [سورة لقمان/ آية٣٤] .

(٧٦) - **صحيح** يأتي تخريجه [سورة لقمان/آية ٣٤] .

[١] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « فاستأناهم » .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « قال » .
[٥] - في ز : « قال » .

وقوله : ﴿ **وما تسقط من ورقة إلا يعلمها** ﴾ أي : ويعلم الحركات حتىٰ من الجمادات ، فما ظنك بالحيوانات ، ولا سيما المكلفون منهم من جنهم وإنسهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم(٧٧) : حدثنا أبي ، حدثنا الحسن بن الربيع ، حدثنا أبو الأحوص[١] ، عن سعيد بن مسروق ، حدثنا حسان النمري ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وما تسقط من ورقة إلا يعلمها** ﴾ قال : ما من شجرة في بر ولا بحر ، إلا وملك موكل بها يكتب ما يسقط منها .

وقوله : ﴿ **ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين** ﴾ .

قال محمد بن إسحاق(٧٨) ، عن يحيىٰ بن النضر ، عن أبيه ، سمعت عبد اللّٰه بن عمرو بن العاص يقول : إن تحت الأرض الثالثة وفوق الرابعة من الجن ، ما لو أنهم ظهروا - يعني لكم - لم تروا معهم نورًا ، على كل زاوية من زوايا الأرض[٢] خاتم من خواتيم اللّٰه - عز وجل - على كل خاتم ملك من الملائكة ، يبعث اللّٰه - عز وجل - إليه في كل يوم ملكًا من عنده أن احتفظ بما عندك .

قال ابن أبي حاتم(٧٩) : حدثنا عبد اللّٰه بن محمد بن عبد الرحمن بن المسور الزهري ، حدثنا مالك بن سعير ، حدثنا الأعمش ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد اللّٰه بن الحارث ، قال : ما في الأرض من شجرة ولا مغرز إبرة ، إلا عليها ملك موكل يأتي اللّٰه بعلمها : رطوبتها إذا رطبت ، ويبوستها[٣] إذا يبست .

---

(٧٧) - ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٣٦٩/٤) وأخرجه مسدد في مسنده - كما في « المطالب العالية » (٣٩٧٤/٨- ط قرطبة) - ثنا أبو الأحوص به ورجاله ثقات غير حسان النمري فلم أهتد لترجمته وفي « التاريخ الكبير » للبخاري (٣٥/٣) ذكر « حسان بن وبرة أبو عثمان النميري » يروي عن أبي هريرة ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا ، ويحتمل أن يكون هو واللّٰه أعلم والأثر زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٢٨/٣) إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه .

(٧٨) - أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٣٧٠/٤) ولم يعزه السيوطي في « الدر المنثور » (٢٨/٣) لغير ابن أبي حاتم .

(٧٩) - ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٣٧١/٤) وأخرجه ابن جرير (١٣٣٠٨/١١) من طريق مالك بن سعير به وأبو الشيخ في « العظمة » (٢/رقم ٣٢٦) من طريق إبراهيم بن حميد الرواسي عن الأعمش به ويزيد بن أبي زياد هو الهاشمي الكوفي مولى عبد اللّٰه بن الحارث ، ضعيف ، والأثر زاد نسبته السيوطي (٢٩/٣) إلى ابن أبي شيبة .

---

[١] - في ز : « الأخوص » . [٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « يسبها » .

وكذا رواه ابن جرير : [عن أبي الخطاب زياد بن عبد الله الحساني][١]، عن مالك بن سعير به .

ثم قال ابن أبي حاتم(٨٠) : ذكر عن أبي حذيفة ، حدثنا سفيان ، عن عمرو بن قيس ، عن رجل ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : خلق الله النون - وهي الدواة - وخلق الألواح ، فكتب فيها أمر الدنيا حتىٰ ينقضي[٢] ما كان من خلق مخلوق ، أو رزق حلال أو حرام ، أو عمل بر أو فجور ، وقرأ هذه الآية : ﴿ **وما تسقط من ورقة إلا يعلمها [ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين][٣]** ﴾ .

وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾

يخبر[٤] تعالىٰ : إنه يَتَوَفَّىٰ عباده في منامهم بالليل ، وهذا هو التوفي الأصغر ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **إذ قال الله يا عيسىٰ إني متوفيك ورافعك إلي** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **الله يتوفىٰ الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضىٰ عليها الموت ويرسل الأخرىٰ إلىٰ أجل مسمى** ﴾ فذكر في هذه الآية الوفاتين : الكبرىٰ والصغرىٰ ، وهكذا ذكر في هذا المقام حكم الوفاتين الصغرىٰ ثم الكبرىٰ ، فقال : ﴿ **وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار** ﴾ [أي : ويعلم ما كسبتم من الأعمال بالنهار][٥] ، وهذه جملة معترضة دلت علىٰ

(٨٠) - ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٣٧٢/٤) وإسناده فيه جهالة وانقطاع وزاد السيوطي نسبته في « الدر المنثور » (٢٩/٣) إلى عبد بن حميد .

[١] - الذي في تفسير ابن جرير هو « زياد بن يحيى الحساني أبو الخطاب » وفي الحاشية للشيخ شاكر قال : « جاء في المخطوطة وتفسير ابن كثير « زياد بن عبد الله الحساني أبو الخطاب » وهو خطأ لا شك فيه ، فإن الذي يروي عن « مالك بن سعير » هو « زياد بن يحيى الحساني أبو الخطاب » فضلًا عن أنه ليس في الرواة من يسمى « زياد بن عبد الله الحساني أبو الخطاب » .

[٢] - في ز : « تنقضي » .

[٣] - في ت : « إلى آخر الآية » .

[٤] - في ت : « يقول » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

إحاطة علمه تعالىٰ بخلقه ؛ في ليلهم ونهارهم ، في حال سكونهم وحال حركتهم ، كما قال : ﴿ **سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار** ﴾ ، وكما قال تعالىٰ : ﴿ **ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه** ﴾ أي : في الليل ﴿ **ولتبتغوا من فضله** ﴾ أي : في النهار ، كما قال : ﴿ **وجعلنا الليل لباسًا * وجعلنا النهار معاشًا** ﴾ ، ولهذا قال تعالىٰ هاهنا : ﴿ **وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار** ﴾ أي : ما[١] كسبتم [من الأعمال فيه][٢] ﴿ **ثم يبعثكم فيه** ﴾ أي : في النهار . قاله مجاهد وقتادة والسدي.

وقال ابن جريج عن عبد الله بن كثير : أي : في المنام .

والأوّل أظهر ، وقد روىٰ ابن مردويه(٨١) بسنده عن الضحاك ، عن ابن عباس ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **مع كل إنسان ملك** ، [**إذا نام يأخذ**][٣] **نفسه ويرده**[٤] **إليه** ، **فإن أذن الله في قبض روحه قبضه** ، **وإلا رد إليه** » . فذلك قوله : ﴿ **وهو الذي يتوفاكم بالليل** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ليقضىٰ أجل مسمى** ﴾ يعني به : أجل كل واحد من الناس ﴿ **ثم إليه مرجعكم** ﴾ أي : يوم القيامة ﴿ [**ثم ينبئكم**][٥] ﴾ أي : فيخبركم ﴿ **بما كنتم تعملون** ﴾ أي : ويجزيكم علىٰ ذلك ؛ إن خيرًا فخير ، وإن شرًّا فشر .

وقوله : ﴿ **وهو القاهر فوق عباده** ﴾ أي : وهو[٦] الذي قهر كل شيء ، وخضع لجلاله وعظمته وكبريائه - كل شيء ﴿ **ويرسل عليكم حفظة** ﴾ أي : من الملائكة يحفظون بدن الإنسان ، كقوله : ﴿ **له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله** ﴾ وحفظة يحفظون عمله ويحصونه عليه[٧]، كقوله : ﴿ **وإن عليكم لحافظين** [**كرامًا كاتبين يعلمون ما تفعلون**][٨]﴾ . وكقوله : ﴿ **عن اليمين وعن الشمال قعيد * ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد** ﴾ . [وقوله : ﴿ **إذ يتلقىٰ المتلقيان** ﴾ الآية][٩] . وقوله : ﴿ **حتىٰ إذا جاء أحدكم الموت** ﴾ أي : احتضر وحان أجله ﴿ **توفته رسلنا** ﴾ أي : ملائكة موكلون بذلك .

---

(٨١) - وعزاه لابن مردويه السيوطي في « الدر المنثور » (٢٩/٣) وزاد عزوه إلى أبي الشيخ ، والضحاك هو ابن مزاحم لم يسمع من ابن عباس .

---

[١] - سقط من: ز.
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - في ز : « إذ نام يأخذ ».
[٤] - في ز : « ويرد » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « فينبئكم » .
[٦] - في ز : « هو » .
[٧] - سقط من: ت .
[٨] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز ، وفي : ت : « الآية » .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

قال ابن عباس(٨٢) وغير واحد : لملك الموت أعوان من الملائكة ، يخرجون الروح من الجسد ، فيقبضها ملك الموت إذا انتهت إلىٰ الحلقوم . وسيأتي عند قوله تعالىٰ : ﴿ **يثبت اللّٰه الذين آمنوا بالقول الثابت** ﴾ الأحاديث المتعلقة بذلك ، الشاهدة لهذا المروي عن ابن عباس وغيره بالصحة .

وقوله : ﴿ **وهم لا يفرطون** ﴾ أي : في حفظ روح المتوفىٰ ، بل يحفظونها وينزلونها حيث شاء[١] اللّٰه - عز وجل - إن كان من الأبرار ففي عليين ، وإن كان من الفجار ففي سجين ، عياذًا باللّٰه من ذلك .

وقوله : ﴿ **ثم ردوا إلىٰ اللّٰه مولاهم الحق** ﴾ [قال ابن جرير : ﴿ **ثم ردوا** ﴾ يعني : الملائكة ﴿ **إلىٰ اللّٰه مولاهم الحق** ﴾][٢] .

ونذكر هاهنا الحديث الذي رواه الإمام أحمد حيث قال(٨٣) : حدّثنا حسين بن محمد ، حدثنا ابن أبي ذئب ، عن محمد بن عمرو بن عطاء ، عن سعيد بن يسار ، [عن أبي هريرة][٣] رضي اللّٰه عنه ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أنه قال : « **إن الميت تحضره الملائكة ، فإذا كان الرجل الصالح قالوا : اخرجي أيتها النفس الطيبة[٤] ، كانت في الجسد الطيب ، اخرجي حميدة ، وأبشري بروح وريحان ، ورب غير غضبان ، فلا تزال[٥] يقال لها ذلك حتىٰ تخرج ، ثم يعرج بها إلىٰ السماء فيستفتح [فيفتح][٦] لها ، [فيقال : من هذا][٧] ؟ فيقال : فلان. [فيقال][٨] : مرحبًا بالنفس الطيبة ، كانت في الجسد الطيب ، ادخلي**

(٨٢) - أخرجه ابن جرير (١١/٤١٠ ، ٤١١ - شاكر) وابن أبي حاتم (٤/٧٣٨٧) وأبو الشيخ في « العظمة » (٣/رقم ٤٥٦) من طريق إبراهيم النخعي عنه به وإبراهيم النخعي لم يثبت سماعه من ابن عباس كما في « التهذيب » (١/٩٣ - الرسالة) وانظر الآثار الأخرى في المصادر السابقة و« الدر المنثور » (٣/٣٠ ، ٣١) .

(٨٣) - **إسناده صحيح** في « المسند » (٢/٣٦٤ - ٣٦٥) (رقم ٨٧٥٤ - شاكر) وسيعيده المصنف - كما هنا - في [سورة إبراهيم/ آية ٢٧] .

ويذكره أيضًا في [سورة الأعراف/آية ٤٠] مختصر الإسناد ، وأخرجه أحمد أيضًا (٦/١٤٠) والنسائي في « التفسير » من « الكبرى » (٦/١١٤٤٢) وفي « الملائكة » - كما في « التحفة» (١٠/١٣٣٨٧) وابن ماجة ، كتاب : الزهد ، باب : ذكر الموت والاستعداد له (٤٢٦٢) ، باب : ذكر القبر والبلى (٤٢٦٨) وابن جرير في تفسيره (١٢/١٤٦١٥ ، ١٤٦١٦) =

[١] - في ز : « يشاء » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - في ز : « المطمئنة » .
[٥] - في ز : « يزال » .
[٦] - زيادة من : ز .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

حميدة ، وأبشري بروح وريحان ، ورب غير غضبان ، فلا تزال[١] يقال لها ذلك ، حتىٰ ينتهىٰ بها إلىٰ السماء التي فيها الله عز وجل . وإذا كان الرجل السوء قالوا : اخرجي أيتها النفس الخبيثة ، كانت في الجسد الخبيث ، اخرجي ذميمة ، وأبشري بحميم وغساق ، وآخر من شكله أزواج ، فلا تزال يقال لها ذلك حتىٰ تخرج ، ثم يعرج بها إلىٰ السماء فيستفتح لها ، فيقال : من هذا ؟ فيقال : فلان . فيقال : لا مرحبًا بالنفس الخبيثة ، كانت في الجسد الخبيث ، ارجعي ذميمة فإنه لا يفتح لك أبواب السماء ، فترسل من السماء ، ثم تصير إلىٰ القبر ، فيجلس الرجل الصالح فيقال له مثل ما قيل في الحديث الأوّل ، ويجلس الرجل السوء فيقال له مثل ما قيل في الحديث الأول » . هذا حديث غريب .

ويحتمل أن يكون المراد بقوله : ﴿ **ثم ردوا إلىٰ الله** ﴾ يعني : الخلائق كلهم إلىٰ الله يوم القيامة ، فيحكم فيهم بعدله ، كما قال : ﴿ **قل إن الأوّلين والآخرين لمجموعون إلىٰ ميقات يوم معلوم** ﴾ ، وقال : ﴿ **وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدًا** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **ولا يظلم ربك أحدًا** ﴾ ، ولهذا قال : ﴿ **مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين** ﴾ .

قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾

يقول تعالىٰ ممتنًا علىٰ عباده في إنجائه المضطرين منهم من ظلمات البر والبحر ، أي : الحائرين الواقعين في المهامة البرية ، وفي[٢] اللجج البحرية ، إذا هاجت الرياح العاصفة ، فحينئذ يفردون

= والآجري في «الشريعة» (٩٧٩/٢) والبيهقي في « إثبات عذاب القبر » (٣٩) من طرق عن ابن أبي ذئب بهذا الإسناد وصحح إسناده البوصيري في « الزوائد » (٣١١/٣) والمنذري في « الترغيب والترهيب » (٣٧٠/٤) وأخرجه النسائي في « الصغرى » (٨/٤ - ٩) وصححه ابن حبان (٧/ ٣٠١٣ ، ٣٠١٤) والحاكم (٣٥٢/١ ، ٣٥٣) ووافقه الذهبي من طريقين عن أبي هريرة بنحو هذا اللفظ .

[١] - في ز : « يزال » . [٢] - سقط من : ز .

الدعاء له وحده لا شريك له ، كقوله : ﴿ **وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه [فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورًا]**[١] ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **هو الذي يسيركم في البر والبحر حتىٰ إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا اللَّه مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين [فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق]**[٢] ﴾ ، وقوله : ﴿ **أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرًا بين يدي رحمته أإله مع اللَّه تعالىٰ اللَّه عما يشركون** ﴾ .

وقال في هذه الآية الكريمة : ﴿ **قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعًا وخفية** ﴾ أي : جهرًا وسرًّا ﴿ **لئن أنجيتنا من هذه** ﴾ أي : من هذه الضائقة ﴿ **لنكونن من الشاكرين** ﴾ أي : بعدها . قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **قل اللَّه ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم** ﴾ أي : بعد ذلك ﴿ **تشركون** ﴾ أي : تدعون معه في حال الرفاهية آلهة أخرىٰ .

وقوله : ﴿ **قل هو القادر علىٰ أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم أو من تحت أرجلكم** ﴾ لما قال : ﴿ **ثم أنتم تشركون** ﴾ عقبه بقوله : ﴿ **قل هو القادر علىٰ أن يبعث عليكم عذابًا** ﴾ أي : بعد إنجائه إياكم ، كقوله في سورة سبحان : ﴿ **ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيمًا * وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلىٰ البر أعرضتم وكان الإنسان كفورًا * أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبًا ثم لا تجدوا لكم وكيلًا * أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرىٰ فيرسل عليكم قاصفًا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعًا** ﴾ .

قال ابن أبي حاتم(٨٤) : ذكر عن مسلم بن إبراهيم ، حدثنا هارون الأعور ، عن [حفص][٣] ابن سليمان ، عن الحسن في قوله : ﴿ **قل هو القادر علىٰ أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم** ﴾ قال : هذه للمشركين .

---

(٨٤) - **أثر صحيح** ، رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٤٠٥/٤) هكذا معلقًا ، ووصله ابن جرير (١٣٣٧٩/١١) من طريق ابن المبارك عن هارون به وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣٦/٣) إلى أبي الشيخ .

---

[١] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز ، وفي ت : « الآية » .
[٢] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز ، وفي ت : « الآية » .
[٣] - في « ت ، خ ، ز » « جعفر » وهو خطأ والصواب المثبت كما في تفسير ابن أبي حاتم وابن جرير وانظر ترجمته في « التهذيب » .

وقال ابن أبي نجيح : عن مجاهد في قوله : ﴿ **قل هو القادر علىٰ أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم** ﴾ لأمة محمد صلىٰ اللّه عليه وسلم فعفا عنهم .

ونذكر هنا الأحاديث الواردة في ذلك والآثار وباللّه المستعان وعليه التكلان وبه الثقة .

قال البخاري رحمه اللّه تعالىٰ(٨٥) في قوله : ﴿ **قل هو القادر علىٰ أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعًا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون** ﴾ : يلبسكم : يخلطكم ، من الالتباس ، يلبسوا : يخلطوا ، شيعًا : فرقًا .

حدثنا أبو النعمان ، حدثنا حماد بن زيد ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر بن عبد اللّه ، قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ **قل هو القادر علىٰ أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم** ﴾ قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **أعوذ بوجهك** » ﴿ **أو من تحت أرجلكم** ﴾ قال : « **أعوذ بوجهك** » ﴿ **أو يلبسكم شيعًا ويذيق بعضكم بأس بعض** ﴾ قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **هذا أهون - أو قال : - هذا أيسر** » .

وهكذا رواه أيضًا في كتاب التوحيد(٨٦) ، عن قتيبة ، عن حماد به .

ورواه النسائي في التفسير(٨٧) : عن قتيبة ومحمد بن النضر بن مساور ويحيىٰ بن حبيب بن عربي[١] أربعتهم[٢] ، عن حماد بن زيد به .

وقد رواه الحميدي في مسنده(٨٨) : عن سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار : سمع جابرًا

---

(٨٥) - صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب: ﴿ **قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم ...** ﴾ (٤٦٢٨) ومن طريقه البغوي في « شرح السنة » (٤٠١٦/١٤) .

(٨٦) - باب : قول اللّه عز وجل : ﴿ **كل شيء هالك إلا وجهه** ﴾ (٧٤٠٦) ، وأخرجه أيضًا ، كتاب : الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب : قول اللّه تعالى : ﴿ **أو يلبسكم شيعًا** ﴾ (٧٣١٣) حدثنا علي بن عبد اللّه حدثنا سفيان قال عمرو : سمعت جابر بن عبد اللّه ... فذكره .

(٨٧) - من « الكبرى » (١١١٦٤/٦) وفي « النعوت » من الكبرى (٧٧٣١/٤) عن قتيبة بمفرده ، به وأخرجه أيضًا (١١١٦٥/٦) أنا محمد بن رافع ، نا عبد الرزاق نا معمر عن عمرو وهو في تفسير عبد الرزاق (٢١١/٢) مقرونًا بمعمر ابن عيينة، ومن طريق عبد الرزاق أيضًا ابن جرير (١١/ ١٣٣٧٢).

(٨٨) - مسند الحميدي رقم (١٢٥٩) وأخرجه أحمد في « المسند » (٣٠٩/٣) =

---

[١] - في خ ، ز : « عدي » .

[٢] - كذا قال المصنف : « أربعتهم » وهم ثلاثة فلعله سهو أو خطأ من الناسخ والله أعلم .

عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم به .

ورواه ابن حبان في صحيحه(٨٩) : عن أبي يعلىٰ الموصلي ، عن أبي خيثمة ، عن سفيان بن عيينة به .

ورواه ابن جرير في تفسيره(٩٠) : عن أحمد بن الوليد القرشي وسعيد بن الربيع وسفيان بن وكيع ، كلهم عن سفيان بن عيينة به .

ورواه أبو بكر بن مردويه(٩١) : من حديث آدم بن أبي إياس ويحيىٰ بن عبد الحميد وعاصم بن علي ، عن سفيان بن عيينة به .

ورواه سعيد بن منصور(٩٢) ، عن حماد بن زيد وسفيان بن عيينة كلاهما ، عن عمرو بن دينار به .

(طريق أخرىٰ) قال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره(٩٣) : حدثنا سليمان بن أحمد ،

= ثنا سفيان ، به ، وهذا إسناد ثلاثي على شرط الشيخين ، وأخرجه الترمذي في جامعه ، كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة الأنعام (٣٠٦٧) ثنا ابن أبي عمر ، ثنا سفيان به ، وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح » .

(٨٩) - صحيح ابن حبان (٧٢٢٠/١٦ - الإحسان) - وهو في مسند أبي يعلى الموصلي (٣/ ١٨٢٩) وأخرجه أبو يعلى أيضًا (١٩٦٧/٣) ثنا عمرو - وهو الناقد - ثنا سفيان به وأخرجه أيضًا (١٩٨٢/٣ ، ١٩٨٣) من طريقين عن حماد بن زيد عن عمرو بن دينار به .

(٩٠) - تفسير ابن جرير (١٣٣٦٥/١١ ، ١٣٣٦٦) ورواه ابن أبي حاتم (٧٤١٠/٤) من طريق محمد بن عبد الله بن يزيد المقريء ، وابن خزيمة في « التوحيد » (١/رقم ١١) من طريق عبد الجبار ابن العلا العطار ، وسعيد بن عبد الرحمن المخزومي والبيهقي في « الأسماء والصفات » (٢/رقم ٦٤٦) من طريق سعدان بن نصر ، أربعتهم (محمد وعبد الجبار وسعيد وسعدان) عن سفيان بن عيينة به ، وأخرجه نعيم بن حماد في « الفتن » (ص ٤٢٠) ثنا ابن عيينة به .

(٩١) - وعزاه لابن مردويه السيوطي في « الدر المنثور » (٣٢/٣) وزاد عزوه إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٩٢) - وأخرجه ابن أبي عاصم في « السنة » (١/رقم ٣٠٠) ثنا هدبة بن خالد ، ثنا حماد بن سلمة عن عمرو بن دينار به .

(٩٣) - **إسناده ضعيف** وعزاه لابن مردويه السيوطي في « الدر المنثور » (٣٢/٣) والحديث عند الطبراني سليمان بن أحمد في « الأوسط » (٩٠٦٨/٩) وقال : « لم يرو هذا الحديث عن خالد بن يزيد إلا ابن لهيعة » وأخرجه ابن أبي حاتم (٧٤١١/٤) من طريق النضر بن عبد الجبار ثنا ابن لهيعة به ، وابن لهيعة سيء الحفظ ، وأبو الزبير مدلس وقد عنعن .

حدثنا مقدام بن داود ، حدثنا عبد اللَّه بن يوسف ، حدثنا [عبد اللَّه][١] بن لهيعة ، عن خالد ابن يزيد ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، قال : لما نزلت ﴿ **قل هو القادر علىٰ أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم** ﴾ قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أعوذ بالله من ذلك** » . ﴿ **أو من تحت أرجلكم** ﴾ قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أعوذ بالله من ذلك** » . ﴿ **أو يلبسكم شيعًا** ﴾ قال : « **هذا أيسر** » . وإن[٢] استعاذه لأعاذه .

ويتعلق بهذه الآية أحاديث كثيرة .

(أحدها) قال الإمام أحمد بن حنبل في مسنده(٩٤) : حدثنا أبو اليمان ، حدثنا أبو بكر - يعني[٣] ابن أبي مريم - ، عن راشد - هو ابن سعد المقرائي - ، عن سعد بن أبي وقاص ، قال : سئل رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم عن هذه الآية : ﴿ **قل هو القادر علىٰ أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم أو من تحت أرجلكم** ﴾ فقال : « **أما إنها[٤] كائنة ، ولم يأت تأويلها بعد** » .

وأخرجه الترمذي : عن الحسن بن عرفة ، عن إسماعيل بن عياش ، عن أبي بكر بن أبي مريم به . ثم قال : هذا حديث غريب .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(٩٥) : حدثنا يعلىٰ - هو ابن عبيد - ، حدثنا عثمان بن حكيم ، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه ، قال : أقبلنا مع رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه

---

(٩٤) - **إسناده ضعيف** ، وهو في « المسند » (١/١٧٠ - ١٧١) وأخرجه تمام في فوائده (٤/١٣٣٨ - الروض البسام) من طريق أبي اليمان به وأخرجه الحسن بن عرفه في « جزئه » (رقم ٧٧) - ومن طريقه الترمذي (٣٠٦٨) وابن أبي حاتم (٤/٧٣٩٧) وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢/١٧١ - مخطوط) - والذهبي في « معجم شيوخه » (١/٢٦٤ - ٢٦٥) من طريق إسماعيل بن عياش عن أبي بكر به ، ونعيم بن حماد في « الفتن » (ص ٤١٥) ثنا بقية عن أبي بكر بن أبي مريم به ، وقال الترمذي : « حديث حسن غريب ونقل تحسينه عنه السيوطي في « الدر المنثور» (٣/٣٢) . وفي بعض النسخ - كما في « التحفة » (٣/رقم ٣٨٥١) - قال : « غريب » دون تحسينه وهو أشبه إذ إن أبا بكر بن أبي مريم ضعيف مختلط ، وبه أعله الشيخ شاكر في « المسند » (٣/رقم ١٤٦٦) وكذا الذهبي فقال : « هذا حديث إسناده ضعيف من قبل أبي بكر الغساني أخرجه الترمذي عن الحسن بن عرفة وقال : هذا حديث غريب » . والحديث زاد نسبته السيوطي إلى ابن مردويه .

(٩٥) - **صحيح** ، وهو في « المسند » (١/١٧٥) (رقم ١٥١٦ - شاكر) وأخرجه أيضًا (١/١٨١ - ١٨٢) (١٥٧٤) حدثنا عبد اللَّه بن نمير عن عثمان به . وانظر ما بعده .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٢] - في ز : « لو » .
[٣] - في ز : « هو » .
[٤] - سقط من : ز .

وسلم حتىٰ مررنا علىٰ مسجد بني معاوية ، فدخل فصلىٰ ركعتين فصلينا معه ، فناجىٰ ربه عز وجل طويلًا ، ثم[١] قال : « **سألت ربي ثلاثًا ؛ سألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها ، وسألته أن لا يهلك أمتي بالسَّنَة فأعطانيها ، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها** » .

انفرد بإخراجه مسلم ، فرواه في كتاب الفتن(٩٦) : عن أبي بكر بن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله ابن نمير كلاهما ، عن عبد الله بن نمير . وعن محمد بن يحيىٰ بن أبي عمر ، عن مروان بن معاوية كلاهما[٢] ، عن عثمان بن حكيم به .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(٩٧) : قرأت علىٰ عبد الرحمن بن مهدي ، عن مالك ، عن [عبد الله بن عبد الله بن جابر بن عتيك][٣] ، [عن جابر بن عتيك][٤] أنه قال : جاءنا عبد الله ابن عمر في حرة[٥] بني معاوية - قرية[٦] من قرىٰ الأنصار - فقال لي : هل تدري أين صلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في مسجدكم هذا ؟ فقلت : نعم . فأشرت إلىٰ ناحية منه ، فقال : هل تدري ما الثلاث التي دعا بهن فيه ؟ فقلت : نعم . فقال : أخبرني[٧] بهن . فقلت : دعا أن لا يُظْهِر عليهم عدوًّا من غيرهم ، ولا يهلكهم بالسنين فَأُعْطِيَهُما ، ودعا بأن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعها . قال : صدقت ، فلا يزال الهرج[٨] إلىٰ يوم القيامة .

ليس هو في شيء من الكتب الستة ، وإسناده جيد قوي ، ولله الحمد والمنة .

---

(٩٦) - مسلم ، كتاب : الفتن وأشراط الساعة ، باب : هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض (٢٠ ، ٢١) (٢٨٩٠) .

(٩٧) - **إسناده صحيح** « المسند » (٤٤٥/٥) والحديث في « الموطأ » كتاب : القرآن (رقم ٣٥) وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٢٤/٧) وقال : « رواه أحمد ورجاله ثقات » وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٣٤/٣) إلى أحمد والحاكم ونقل عن الأخير تصحيحه ، ولم أجده في « المستدرك » والله أعلم . ورجاله ثقات أثبات ، رجال الصحيحين غير صحابيِّه فأخرج له أبو داود والنسائي .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - يعني : « عبد الله بن نمير ومروان بن معاوية » .

[٣] - في « المسند » عبد الله بن جابر بن عتيك وهو خطأ والصواب ماهنا وجاء على الصواب أيضًا في أطراف المسند لابن حجر (١٧٨/٢) واختلف في اسم جده هل جابر أو جبر انظر ذلك في « التهذيب » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - سقط من : ز .

[٧] - في ز : « فأخبرني » .

[٨] - في ز : « العرج » .

(حديث آخر) قال محمد بن إسحاق : عن حكيم بن حكيم بن عباد[١] بن حنيف ، عن علي بن عبد الرحمن ، أخبرني حذيفة بن اليمان ، قال : خرجت مع رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم إلىٰ حرة بني معاوية ، قال : فصلىٰ ثماني ركعات فأطال فيهن ، ثم التفت إلي فقال : « **حبستك [يا حذيفة** »][٢] . قلت : اللَّه ورسوله أعلم . قال : « **إني سألت اللَّه ثلاثًا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة ؛ سألته ألا يسلط علىٰ أمتي عدوًّا من غيرهم فأعطاني ، وسألته أن لا يهلكهم بغرق فأعطاني ، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني** » .

رواه ابن مردويه(٩٨) : من حديث محمد[٣] بن إسحاق .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(٩٩) : حدثنا عَبيدة بن حُميد ، حدثني سليمان [ ][٤] الأعمش ، عن رجاء الأنصاري ، عن عبد اللَّه بن شداد ، عن معاذ بن جبل - رضي اللَّه عنه - قال : أتيت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أطلبه[٥] فقيل لي : خرج قبل . قال : فجعلت لا أمر بأحد إلا قال مر من[٦] قبل ، حتىٰ مررت فوجدته قائمًا يصلي ، قال : فجئت حتىٰ قمت خلفه [ ][٧] فأطال الصلاة ، [فلما قضىٰ صلاته قلت][٨] : يا رسول اللَّه ، قد[٩] صليت صلاة طويلة . فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إني صليت صلاة رغبة ورهبة ، إني[١٠] سألت اللَّه**

---

(٩٨) - **إسناده ضعيف** وعزاه لابن مردويه السيوطي في « الدر المنثور » (٣٤/٣) وأخرج ابن أبي شيبة في « المصنف » كتاب : الدعاء ، باب: ما دعا النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - لأمته فأعطى بعضه (٨٠/٧) ، كتاب : الفضائل، باب : ما أعطى اللَّه تعالى محمدًا - صلى اللَّه عليه وسلم - (٤٢٢/٧) وكتاب : صلاة التطوع (٣٠١/١) مختصرًا جدًّا ثنا عبد اللَّه بن نمير ، ثنا محمد بن إسحاق عن حكيم به ، وأخرجه البخاري في « التاريخ الكبير » (٢٨٥/٦) من طريق عبدة بن سليمان عن محمد بن إسحاق به مختصرًا جدًّا ، وعلي بن عبد الرحمن هو مولى ربيعة بن الحارث ، وفي طبقته على بن عبد الرحمن المُعاوي الأنصاري ، وتردد فيهما البخاري هل هما واحد أو اثنان ؟؟ ولم يفرق بينهما أبو حاتم (١٩٥/٦) بينما فرق بينهما ابن حبان في « الثقات » (١٦٦/٥) والأول لم يوثقه غير ابن حبان بينما الثاني روى له مسلم ووثقه أبو زرعة والنسائي وعلى كل ففي الإسناد محمد بن إسحاق وهو صدوق مدلس ، ولم يصرح بالتحديث .

(٩٩) - « المسند » (٢٤٠/٥) ومن طريقه المزي في « تهذيب الكمال » (١٧١/٩/ت رجاء الأنصاري) وأخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » كتاب : الدعاء ، باب : =

---

[١] - في ز : « عبادة » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « بن » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز : « قال » .
[٨] - ما بين المعكوفتين في ز : « فقلت » .
[٩] - في ز : « لقد » .
[١٠] - سقط من : ز .

عز وجل ثلاثًا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة ؛ سألته أن لا يهلك أمتي غرقًا فأعطاني ، وسألته أن لا يظهر عليهم عدوًّا ليس منهم فأعطانيها ، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فردها علي» .

ورواه ابن ماجة في الفتن[١] : عن محمد بن عبد اللّٰه بن نمير وعلي بن محمد كلاهما ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش به . ورواه ابن مردويه : من حديث أبي عوانة ، عن [عبد اللّٰه بن عمير][٢] ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ ، عن معاذ بن جبل ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بمثله أو نحوه .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(١٠٠) : حدثنا هارون بن معروف ، حدثنا عبد اللّٰه بن

= ما دعا النبي - صلى اللّٰه عليه وسلم - لأمته فأعطي بعضه (٨٠/٧) وابن ماجه ، كتاب : الفتن ، باب : ما يكون من الفتن (٣٩٥١) وابن خزيمة في صحيحه (١٢١٨) من طريقين عن الأعمش به وقال البوصيري في « الزوائد » (٢٢٩/٣) : « إسناد صحيح رجاله ثقات » كذا قال ، ورجاء الأنصاري لم يرو عنه سوى الأعمش كما قال الذهبي في « الميزان » (٢٣٦/٢) وقال في « المجرد في أسماء رجال سنن ابن ماجه » (ص٧٤) : « جُهِلَ » وقال ابن حجر في « التقريب » : مقبول . وبه أعل هذه الطريق الألباني في « الصحيحة » (١٧٢٤/٤) وأخرجه أحمد (٢٤٣/٥ ، ٢٤٧) وابن مردويه كما قال المصنف - من طريق عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بنحوه ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى لم يسمع من معاذ ، قاله ابن المديني والترمذي وابن خزيمة . انظر « التهذيب » (٥٤٩/٢ - الرسالة) . وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣٥/٣) إلى ابن المنذر وغفل عن عزوه لابن خزيمة ، وباللّٰه التوفيق .

(١٠٠) - « المسند » (١٤٦/٣) وأخرجه النسائي في « الكبرى » - كما في « التحفة » (١/رقم ٩٢٠) - وابن خزيمة في صحيحه (٢/رقم ١٢٢٨) وأبو نعيم «الحلية» (٣٢٦/٨) من طريق عبد اللّٰه ابن وهب به ، وأخرجه ابن خزيمة والحاكم (٣١٤/١) من طريق سعيد بن أبي مريم ثنا بكر بن مضر عن عمرو بن الحارث به وأخرجه أحمد أيضًا (١٥٦/٣) من طريق رشدين عن عمرو به . قال الحاكم : « حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ... » ووافقه الذهبي ، قلت : في إسناده الضحاك ابن عبد اللّٰه القرشي فيه جهالة ، قال ابن حجر في « تعجيل المنفعة » (رقم ٤٨١) : « ذكره ابن حبان في « الثقات » (٣٨٨/٤) والبخاري في « التاريخ » (٣٣٤/٤) وزاد : إن لم يكن ابن خالد بن حزام القرشي الأسدي ، فلا أعرفه وتبعه ابن أبي حاتم - « الجرح والتعديل » (٤٥٩/٤) - وزاد : إنه روى عن حكيم بن حزام ، وفي « التهذيب » : الضحاك بن عثمان بن عبد اللّٰه الأسدي، فيحتمل أن يكون هو نسب إلى جده : لكن في ترجمة ابن عثمان أنه روى عن بكير بن عبد اللّٰه=

[١] - في ز : « السنن » .
[٢] - كذا في جميع النسخ ، وهو خطأ وصوابه « عبد الملك بن عمير » إذ ليس في الرواة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى من اسمه هكذا ، وفي الرواة من اسمه عبد الله بن عمير ولكن في طبقة أعلى من هذا ثم إن الإسناد جاء على الصواب في « المسند » (٢٤٣/٥ ، ٢٤٧) .

وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، عن بكير بن الأشج ، أن الضحاك بن عبد الله القرشي حدثه ، عن أنس بن مالك ، أنه قال : رأيت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في سفر صلىٰ سبحة الضحىٰ ثماني ركعات ، فلما انصرف قال : « **إني صليت صلاة رغبة ورهبة ، وسألت ربي ثلاثًا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة ؛ سألته أن لا يبتلي أمتي بالسنين ففعل ، وسألته أن لا يظهر عليهم عدوهم ففعل ، وسألته أن لا يلبسهم شيعًا فأبىٰ علي** » .

رواه النسائي في الصلاة عن محمد بن سلمة عن ابن وهب به .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد (١٠١): حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب بن أبي حمزة ، قال : قال الزهري ، حدثني عبد الله بن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن عبد الله بن خباب [ابن الأرت][١] عن أبيه خباب بن الأرت[٢] مولىٰ بني زهرة ، وكان قد شهد بدرًا مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم [أنه قال : راقبت : رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم][٣] في ليلة صلاها كلها ، حتىٰ كان مع الفجر فسلم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من صلاته ، فقلت[٤] : يا رسول الله ، لقد صليت الليلة صلاة ما رأيتك صليت مثلها . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أجل ، إنها صلاة رغب ورهب ، سألت ربي عز وجل فيها ثلاث خصال فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة ؛ سألت ربي عز وجل أن لا يهلكنا بما أهلك به الأمم قبلنا فأعطانيها ، وسألت ربي عز وجل أن لا يظهر[٥] علينا عدوًا من غيرنا فأعطانيها ، وسألت ربي عز وجل أن لا يلبسنا شيعًا فمنعنيها** » .

ورواه النسائي(١٠٢) : من حديث شعيب بن أبي حمزة به . ومن وجه آخر وابن حبان في

= ابن الأشج ، والراوى عن أنس روى عنه بكير المذكور والظاهر التفرقة ، وأيضًا ليست لابن عثمان رواية عن أنس . وللحديث طريق آخر عن أنس أخرجه الطبراني في « الصغير » (٨/١) قال الهيثمي في « المجمع » (٢٢٥/٧) : « فيه جنادة بن مروان وهو ضعيف » .

وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٣٤/٣) إلى أحمد والنسائي وابن مردويه .

(١٠١) - **إسناده صحيح** « المسند » (١٠٨/٥) مقرونًا بأبي اليمان ، علي بن عياش الحمصي وأخرجه من الطريقين أيضًا الطبراني في « الكبير » (٣٦٢١/٤) ومن طريقه المزي في «تهذيب الكمال» (١٤/ ٤٤٧/ت عبد الله بن خباب) ، وانظر ما بعده .

(١٠٢) - في « الصغرى » كتاب : قيام الليل وصلاة التطوع ، باب : إحياء الليل (٢١٦/٣ - ٢١٧) ، وفي « الكبرى » (١٣٣٢/١) من طريق عثمان بن سعيد وبقية عن شعيب به وتحرف في « الصغرى » عبد الله بن عبد الله بن الحارث إلى عبيد الله بن عبد الله ، فليصحح .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٢] - في ز : « الأرث » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - في ز : « قلت » .
[٥] - في خ : « يظفر » .

صحيحه بإسناديهما : عن صالح بن كيسان(١٠٣) . والترمذي في الفتن(١٠٤) : من حديث النعمان ابن راشد كلاهما ، عن الزهري به . وقال : حسن صحيح .

(حديث آخر) قال أبو جعفر بن جرير في تفسيره(١٠٥) : حدثني زياد بن عبيد[١] اللَّه المزني ، حدثنا مروان بن معاوية الفزاري ، حدثنا أبو مالك ، حدثني نافع بن خالد الخزاعي ، عن أبيه : أن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم صلىٰ صلاة خفيفة تامة الركوع والسجود فقال : « **قد كانت صلاة رغبة ورهبة ، سألت اللَّه عز وجل فيها ثلاثًا أعطاني اثنتين ومنعني واحدة : سألت اللَّه أن لا يصيبكم بعذاب أصاب به من كان[٢] قبلكم فأعطانيها[٣]** ، **وسألت اللَّه أن لا يسلط عليكم عدوًّا يستبيح بيضتكم فأعطانيها** ، **وسألت اللَّه أن لا يلبسكم شيعًا ويذيق بعضكم بأس بعض فمنعنيها** » . قال أبو مالك : فقلت له : أبوك[٤] سمع هذا من في[٥] رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه

(١٠٣) - أخرجه من هذا الوجه النسائي في « الكبرى » (١/رقم ١٣٣٣) وابن حبان في صحيحه (٧٢٣٦/١٦ - إحسان) وأحمد في « المسند » (١٠٩/٥) - ومن طريقه الطبراني في « الكبير » (٣٦٢٢/٤) - والخطيب في « تاريخ بغداد » (٣١٩/١٣) .

(١٠٤) - جامع الترمذي باب : ما جاء في سؤال النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - ثلاثًا في أمته (٢١٧٦) وقال : « حديث حسن صحيح غريب » ومن هذا الوجه أخرجه الطبراني في « الكبير » (٣٦٢٣/٤) وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢١٠/٢) - ومن طريقه ابن جرير (١٣٣٧١/١١) والطبراني (٣٦٢٤/٤) - وابن جرير أيضًا من طريق آخر (١٣٣٧٠/١١) عن معمر عن الزهري به وأخرجه الطبراني (٣٦٢٦/٤) من طريق إسماعيل بن أبي أويس ثنا أبي عن ابن شهاب به و(٤/ ٣٦٢٥) من طريق عمرو بن الحارث ثنا عبد اللَّه بن سالم عن الزبيدي عن عبد اللَّه بن عبد اللَّه بن الحارث به .

(١٠٥) - تفسير ابن جرير (١٣٣٦٧/١١) وأخرجه ابن أبي عاصم في « الآحاد والمثاني » (٤/رقم ٢٣٣٣) والطبراني في « الكبير » (٤١١٢/٤) من طريق مروان بن معاوية وأخرجه الطبراني (٤/ ٤١١٤) والبزار (١٦٢٩/٢ - مختصر الزوائد) وابن مردويه - كما يأتي برقم (١٠٩) - من طريق محمد بن فضيل ثنا أبو مالك الأشجعي به وأخرجه البخاري في « التاريخ الكبير » (١٣٨/٣) والطبراني (٤١١٣/٤) من طريق زكريا بن أبي زائدة عن سعد بن طارق - أبي مالك الأشجعي - به مختصرًا وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٢٥/٧) وقال : « رواه الطبراني بأسانيد ورجال بعضها رجال الصحيح غير نافع بن خالد وقد ذكره ابن أبي حاتم - « الجرح والتعديل » (٤٥٧/٨) وكذا ذكره البخاري في « التاريخ » (٨٥/٨) وهو في ثقات ابن حبان (٥٣٢/٧) - ولم يجرحه ، ورواه البزار » وأشار إلى هذا الحديث الحافظ في « الفتح » (٢٩٣/٨) وعزاه في « الإصابة » =

[١] - في خ : « عبد » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ز : « فأعطاني » .
[٤] - في ز : « أبو » .
[٥] - سقط من : خ ، ز .

وسلم ؟ فقال : نعم ، سمعته يحدث بها القوم أنه سمعها من في رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(١٠٦) : حدثنا عبد الرزاق ، قال : قال معمر : أخبرني أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أبي الأشعث الصنعاني ، عن أبي أسماء الرحبي ، عن شداد بن أوس : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **إن اللّٰه زوىٰ لي الأرض حتىٰ رأيت مشارقها ومغاربها ، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها ، وإني أعطيت الكنزين : الأبيض والأحمر ، وإني سألت ربي عز وجل أن لا يهلك أمتي بِسَنَةٍ بعامةٍ ، وأن لا يسلط عليهم عدوًّا فيهلكهم بعامة ، وأن[١] لا يلبسهم شيعًا وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض ، فقال : يا محمد ، إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد ، وإني قد أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة ، وأن لا أسلط عليهم عدوًّا ممن[٢] سواهم فيهلكهم بعامة ، حتىٰ يكون بعضهم يهلك بعضًا ، وبعضهم يقتل بعضا ، وبعضهم يسبي بعضًا** » . قال : وقال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **وإني[٣] لا أخاف علىٰ أمتي إلا الأئمة المضلين ، فإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنهم إلىٰ يوم القيامة** » .

= (٧٥/٣) إلى الحسن بن سفيان وأبي يعلى والطبراني والطبري في تفسيره وقال : « رجاله ثقات » وحسن إسناده في « زوائد البزار » مع أن نافع بن خالد لم يوثقه غير ابن حبان وهو معروف بتساهله في التوثيق ، فتنبه !!

(١٠٦) - **صحيح** « المسند » (١٢٣/٤) والحديث في تفسير عبد الرزاق (٢/ ٢١٠ ، ٢١١) - ومن طريقه أيضًا البزار في مسنده (٣٤٨٧/٨) وابن جرير (١٣٣٦٩/١١) - وأخرجه ابن جرير أيضًا (١٣٣٦٨/١١) من طريق محمد بن ثور كلاهما عن معمر به .

وأخرجه ابن حبان (٤٥٧٠/١٠) من طريق عبد الرزاق به مختصرًا وليس في إسناده « أبو أسماء الرحبي » وقال المصنف : « إسناده جيد قوي » وصحح إسناده ابن حجر في « الفتح » (٢٩٣/٨) وقال الهيثمي في « المجمع » (٢٢٤/٧) : « رواه أحمد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح » قلت : وهو كما قالوا إلا أنه أُعِلَّ في إسناده بما لا يضر صحة متنه ، فقال عبد الرزاق : « سمعت غير معمر يقول : عن أبي أسماء عن ثوبان ، وكان معمر يقول : عن أبي أسماء عن شداد بن أوس » وقال البزار : هذا الحديث رواه حماد بن زيد ، وعباد بن منصور عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان عن النبي - صلى اللّٰه عليه وسلم - وهو الصواب ، ورواه قتادة عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن النبي - صلى اللّٰه عليه وسلم - » وهذا اختلاف لا يضر الحديث فأيما كان عن شداد أو ثوبان، فقد اتصل إسناده إلى النبي - صلى اللّٰه عليه وسلم - واللّٰه أعلم .

---

[١] - سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ز : « فمن » .
[٣] - في ز : « إني » .

ليس في شيء من الكتب الستة ، وإسناده جيد قوي ، وقد رواه ابن مردويه(١٠٧) : من حديث حماد بن زيد وعباد بن منصور وقتادة[١] ، ثلاثتهم عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أبي أسماء ، عن ثوبان ، عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بنحوه واللَّه [٢] أعلم .

(حديث [آخر) قال][٣] الحافظ أبو بكر بن مردويه(١٠٨) : حدثنا عبد اللَّه بن إسماعيل ابن إبراهيم الهاشمي وميمون بن إسحاق بن الحسن الحنفي قالا : حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا محمد بن فضيل ، عن أبي مالك الأشجعي، عن نافع بن خالد الخزاعي ، عن أبيه قال - وكان أبوه من أصحاب رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم وكان من أصحاب الشجرة - : كان رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم إذا صلىٰ والناس حوله صلىٰ صلاة خفيفة ، تامة الركوع والسجود ، قال : فجلس يومًا فأطال الجلوس ، حتىٰ أومأ بعضنا إلىٰ بعض [أن اسكتوا][٤] إنه ينزل عليك[٥] ، فلما فرغ قال له بعض القوم : يا رسول اللَّه ، لقد أطلت الجلوس حتىٰ أومأ بعضنا إلىٰ بعض أن اسكتوا إنه ينزل عليه . قال : « **لا ، ولكنها كانت صلاة رغبة ورهبة ، [سألت اللَّه][٦] فيها ثلاثًا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة ؛ سألت اللَّه أن لا يعذبكم بعذاب عذب به من كان قبلكم فأعطانيها ، وسألت اللَّه أن لا يسلط علىٰ أمتي عدوًّا يستبيحها فأعطانيها ، وسألته أن لا يلبسكم شيعًا و[أن لا][٧] يذيق بعضكم بأس بعض فمنعنيها** » . قال : قلت له : أبوك سمعها

(١٠٧) - **صحيح** - وعزاه لابن مردويه السيوطي في « الدر المنثور » (٣/٣٣) - وأخرجه مسلم (١٩) (٢٨٨٩) وأبو داود (٤٢٥٢) والترمذي (٢٢٠٣) - وقال : « حسن صحيح » - وغيرهم من طريق حماد بن زيد به ورواية مسلم إلى قوله : « **ويسبي بعضهم بعضًا** » ورواية الترمذي مقتصرة على قوله : « **إذا وضع** » وأخرجه الروياني في مسنده (١/رقم ٦٣٥) من طريق عباد بن منصور به وأخرجه مسلم وابن ماجه (٣٩٥٢) وابن حبان (١٥/٦٧١٤) من طريق قتادة عن أبي قلابة به ، وقتادة لم يسمع من أبي قلابة قاله أحمد ويحيى بن معين ويعقوب بن سفيان ، وقد رواه بواسطة أيوب كما أفاده المصنف من رواية ابن مردويه فعلم من هذه الرواية الذي أسقطه قتادة تدليسًا ، وأخرجه الحاكم (٤/٤٤٩ ، ٤٥٠) من طريق يحيى بن كثير ثنا أبو قلابة به مطولًا وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي - مع أن أبا أسماء الرَّحَبي واسمه عمرو بن مرثد من رجال مسلم فحسب وكذا صحابيه ثوبان .

(١٠٨) - تقدم تخريجه (١٠٥) .

[١] - وهذه من رواية الأكابر عن الأصاغر فإن قتادة من شيوخ أيوب وقد رواه قتادة عن أبي قلابة مباشرة وبدون واسطة انظر رقم (١٠٧ ، ١٠٨) .

[٢] - في ز : « فالله » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٥] - في ت : « عليه » ، والمثبت من خ ، ز .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

من رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم؟ قال : نعم، سمعته يقول: إنه سمعها من رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم عدد أصابعي هذه : عشر أصابع .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(١٠٩) : حدثنا يونس - هو ابن محمد المؤدب - حدثنا ليث - هو ابن سعد - عن أبي وهب الخولاني ، عن رجل قد سماه ، عن أبي بَصْرَة الغفاري صاحب رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم : [أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم][١] قال : « **سألت ربي عز وجل أربعًا فأعطاني ثلاثًا ومنعني واحدة ؛ سألت الله أن لا يجمع أمتي علىٰ ضلالة فأعطانيها ، وسألت الله أن لا يظهر عليهم عدوًا من غيرهم فأعطانيها ، وسألت الله أن لا يهلكهم بالسنين كما أهلك الأمم قبلهم فأعطانيها ، وسألت الله عز وجل أن لا يلبسهم شيعًا و[أن لا][٢] يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها** » .

لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة .

(حديث آخر) قال الطبراني(١١٠) : حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا منجاب ابن الحارث ، حدثنا أبو حذيفة الثعلبي ، عن زياد بن علاقة ، عن جابر بن سمرة السُّوائي ، عن علي : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « **سألت ربي ثلاث خصال فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة ؛ فقلت : يا رب لا تهلك أمتي جوعًا . فقال[٣] : هذه لك . قلت : يا رب لا تسلط عليهم عدوًا من غيرهم - يعني : أهل الشرك - فيجتاحهم . قال : ذلك لك . قلت :**

(١٠٩) - **إسناده فيه جهالة** « المسند » (٣٩٦/٦) وأخرجه الطبراني في « الكبير » (٢١٧١/٢) من طريق عبد الله بن صالح حدثني الليث عن أبي هاني الخولاني عمن حدثه عن أبي بصرة به ، كذا وقع في إسناد الطبراني أبو هاني الخولاني واسمه حُميد بن هاني وهذا وثقه الدارقطني وقال أبو حاتم : صالح ، وقال النسائي وابن عبد البر : ليس به بأس وهو في ثقات ابن حبان (١٤٩/٤) وأما أبو وهب الذي في إسناد أحمد فلم أر من نسبه إلى خولان وإنما قالوا أبو وهب الجيشاني ، وكلاهما (أبو هاني وأبو وهب) مصري ويروى عن الليث بن سعد ، لكن الثاني هذا لم يوثقه غير ابن حبان - كما في « التهذيب » ولم أجده في المطبوع من « الثقات » - وقال ابن القطان : مجهول الحال ، وعلى كل فإن الإسناد فيه جهالة شيخهما وبهذه الجهالة أعله الهيثمي في « المجمع » (١٨٢/١) ، (٢٢٥/٧) . والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣٤/٣) إلى ابن مردويه .

(١١٠) - **إسناده فيه جهالة** « المعجم الكبير » (١/رقم ١٧٩) وعزاه له الهيثمي في « المجمع » (٧/ ٢٢٥) وقال : « فيه أبو حذيفة الثعلبي ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات » قلت : أبو حذيفة هذا ذكره أبو أحمد الحاكم في « الكنى » (١١٥/٤) وسماه حماد بن عمير ، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا.

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٣] - في ز : « قال » .

يا رب لا تجعل بأسهم بينهم . قال : فمنعني هذه » .

(حديث آخر) **قال الحافظ** أبو بكر بن مردويه(١١١) : حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، عن أحمد بن محمد بن عاصم ، حدثنا أبو الدرداء المروزي ، حدثنا إسحاق بن عبد اللَّه بن كيسان ، حدثني أبي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم قال : « **دعوت ربي عز وجل أن يرفع عن أمتي أربعًا ، فرفع اللَّه عنهم ثنتين ، وأبىٰ عليَّ أن يرفع عنهم ثنتين ؛ دعوت ربي أن يرفع الرجم من السماء ، والغرق من الأرض ، [وأن لا يلبسهم شيعًا ، وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض ، فرفع اللَّه عنهم الرجم من السماء والغرق من الأرض]**[١]**، وأبىٰ اللَّه أن يرفع اثنتين**[٢] **: القتل والهرج »** .

(طريق أخرىٰ) **عن ابن عباس أيضًا** قال ابن مردويه(١١٢) : حدثنا عبد اللَّه بن محمد بن يزيد[٣] ، حدثني **الوليد بن أبان** ، حدثنا جعفر بن نمير ، حدثنا أبو بدر شجاع بن الوليد ، حدثنا

---

(١١١) - **إسناده ضعيف جدًا** - وعزاه لالن مردويه السيوطي في « الدر المنثور » (٣/٣٣ ، ٥٠٦) - وأخرجه الطبراني في « الكبير » (١٢٠٤٩/١١) ثنا محمد بن علي المروزي ثنا أبو الدرداء به مطولًا ومن طريق الطبراني سيذكره المصنف عند [الآية رقم ١١٤/ من سورة التوبة] وقال هناك : « حديث غريب ، وسياق عجيب » وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٢٢/١) وقال : رواه الطبراني في « الكبير » وفيه أبو الدرداء عبد الغفار - كذا والذي في «المعجم» عبد العزيز وهو الصواب - ونسخة «المجمع» **مليئة بالتحريفات** - ابن المنيب عن إسحاق بن عبد اللَّه عن أبيه عن عكرمة ومن عدا عكرمة لم أعرفهم ولم أر من ذكرهم » قلت : منهم اثنان من رجال « التهذيب » عبد العزيز بن المنيب - وقال فيه أبو حاتم : صدوق ، وقال النسائي والدارقطني : ليس به بأس - وعبد اللَّه بن كيسان المروزي والد إسحاق - قال أبو حاتم : ضعيف الحديث وقال النسائي : ليس بالقوي ، وقال العقيلي : في حديثه وهم كثير وقال ابن عدي « الكامل » (١٥٤٨/٤) بعد أن ساق له أحادث : « ولعبد اللَّه بن كيسان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أحاديث غير ما أمليت غير محفوظة وعن ثابت عن أنس كذلك » **وأما ابنه إسحاق** فقد قال البخاري في ترجمة أبيه - كما في « تهذيب الكمال » (٤٨١/١٥) - : **له ابن يُسَمَّى إسحاق** منكر الحديث وقال ابن حبان في « الثقات » (٣٣/٧) - ترجمة أبيه عبد اللَّه - : يتقى حديثه من رواية ابنه عنه ونقل الحافظ في « اللسان » (١/ت ١١٤٩) تليين أبي أحمد الحاكم لإسحاق هذا .

(١١٢) - **إسناده فيه جهالة** - وعزاه لابن مردويه السيوطي في « الدر المنثور » (٣٣/٣) - وللحديث طريق عند الخطيب البغدادي في « موضح أوهام الجمع والتفريق » (٤٠٧/٢ ، ٤٠٨) لكن في إسناده أبو هشام محمد بن السائب الكلبي النسابة المفسر وهو متهم بالكذب .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ز : « اثنين » .

[٣] - في خ، ز : « زيد » .

عمرو بن قيس ، عن رجل ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ **قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعًا ويذيق بعضكم بأس بعض** ﴾ قال : فقام النبي صلى الله عليه وسلم فتوضأ ، ثم قال : « **اللهم لا ترسل على أمتي عذابًا من فوقهم ، ولا من تحت أرجلهم ، ولا تلبسهم شيعًا ، ولا تذيق بعضهم بأس بعض** » . قال : فأتاه جبريل فقال : يا محمد ، إن الله قد أجار أمتك أن يرسل عليهم عذابًا من فوقهم أو من تحت أرجلهم .

(حديث آخر) قال ابن مردويه(١١٣): حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الله البزاز، حدثنا عبد الله ابن أحمد بن موسى ، حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد ، حدثنا عمرو بن محمد العَنْقَزي ، حدثنا أسباط ، عن السدي ، عن أبي المنهال ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **سألت ربي لأمتي أربع خصال فأعطاني ثلاثًا ومنعني واحدة ؛ سألته أن لا تكفر أمتي واحدة فأعطانيها ، وسألته أن لا يعذبهم بما عذب به الأمم قبلهم فأعطانيها ، وسألته أن لا يظهر عليهم عدوًّا من غيرهم فأعطانيها ، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها** » .

ورواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد بن يحيى بن سعيد القطان عن عمرو بن محمد العنقزى به نحوه .

(طريق أخرى) وقال ابن مردويه(١١٤) : حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، حدثنا محمد بن يحيى ، حدثنا أبو كريب ، حدثنا زيد بن الحباب ، حدثنا كثير بن زيد الليثي المديني ، حدثنا الوليد بن رباح مولى آل أبي ذباب ، سمع أبا هريرة يقول : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **سألت ربي ثلاثًا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة . سألته ألا يسلط على أمتي [عدوًّا من][١] غيرهم [ ][٢]**،

---

(١١٣) - **إسناده حسن** - وعزاه لابن مردويه السيوطي في « الدر المنثور » (٣٦/٣) - وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٤١٥/٤) والطبراني في « الأوسط » (١٨٦٢/٢) من طريق عمرو بن محمد العَنْقَزِي به وعمرو بن محمد « ثقة » روي له البخاري تعليقًا ومسلم والأربعة ، وقال الطبراني : « لم يرو هذا الحديث عن السُّدِّيِّ إلا أسباط ، تفرد به العنقزي » قلت : يعني موصولًا هكذا وإلا فقد أخرجه ابن جرير (١٣٣٧٤/١١) من طريق أحمد بن المفضل ثنا أسباط عن السدي . قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فذكره هكذا معضلًا ، والموصول ذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٢٥/٧) وقال : « رواه الطبراني في « الأوسط » ورجاله ثقات .... » قلت : أسباط ، والسدي متكلم فيهما لكن لا ينزل حديثهما عن مرتبة الحسن والله أعلم . وانظر ما بعده .

(١١٤) - وعزاه لابن مردويه السيوطي في « الدر المنثور » (٣٤/٣) وزيد بن الحباب وكثير بن زيد متكلم فيهما ، وانظر ما قبله ، وما بعده .

---

[١] - في ت : « عدًا عن » ، والمثبت من : ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « فأعطاني » .

وسألته ألا يهلكهم بالسنين فأعطاني ، وسألته ألا يلبسهم شيعًا وألا[١] يذيق بعضهم بأس بعض فمنعني » .

ثم رواه ابن مردويه بإسناده عن سعد [بن][٢] سعيد بن أبي سعيد المقبرى ، عن أبيه ، عن أبي هريرة عن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم بنحوه .

ورواه البزار(١١٥) عن[٣] طريق عمر بن [أبي][٤] سلمة ، عن أبيه ، عن أبي هريرة عن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم بنحوه .

(أثر آخر) قال سفيان الثوري(١١٦) : عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب ، قال : أربعة في[٥] هذه الأمة ، قد مضت اثنتان ، وبقيت اثنتان ﴿ **قل هو القادر علىٰ أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم** ﴾ قال : الرجم ﴿ **أو من تحت أرجلكم** ﴾ قال : الخسف ﴿ **أو يلبسكم شيعًا ويذيق بعضكم بأس بعض** ﴾ قال سفيان : يعني الرجم والخسف .

وقال أبو جعفر الرازي : عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب : ﴿ **قل هو القادر علىٰ أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعًا ويذيق**

---

(١١٥) - كما في « مختصر الزوائد » لابن حجر (٢/رقم ١٦٢٥) - حدثنا خالد بن يوسف [بن خالد] ثنا أبو عوانة عن عُمر بن أبي سلمة به وقال ابن حجر عقبه : « صحيح » يعني بمجموع طرقه ، وإلا فإن عمر بن أبي سلمة متكلم فيه ووسمه في تقريبه بأنه صدوق يخطىء ، وشيخ البزار لم أجد له ترجمة غير أنه في تلاميذ أبي عوانة من يسمى خالد بن خداش وهو مترجم في « التهذيب » ، فأخشى أن يكون صحف على الناسخ أو خطأ من التحقيق أو أنه شيخ للبزار مجهول ، وكثير من شيوخه مجاهيل وليست لهم تراجم عرفناه بالتتبع ثم وجدت البخاري في « التاريخ الصغير » أرخ لسنة تسع وأربعين ومائتين بوفاة خالد بن يوسف السمتي فيحتمل أن يكون هو فإن البزار ولد سنة نيف عشرة ومائتين وتوفي في سنة ٢٩٢ ، وخالد بن يوسف هذا ترجم له الذهبي في « المغنى » (١/ ٢٠٨) وقال : « فيه تضعيف ، وأبوه يوسف ساقط » واللّٰه أعلم .

(١١٦) - أخرجه ابن جرير (١٣٣٨٠/١١) وعلقه الذهبي في « السير » (٣٩٣/١) من طريق الثوري وأبي جعفر الرازي ، ومن طريق الأخير أخرجه أحمد (١٣٤/٥ ، ١٣٥) وابن أبي شيبة في « المصنف » [كتاب : الفتن ، باب : ما ذكر في فتنة الدجال (٦٧٠/٨)] وابن أبي حاتم في تفسيره (٧٣٩٨/٤) وأبو نعيم في « الحلية » (٢٥٣/١) والأثر ذكره الهيثمي في « المجمع » =

[١] - سقط من : ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ت : « أبي » ، والمثبت من : ز . وسعد هذا لين الحديث كما في التقريب .
[٣] - في ز : « من » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت ، والمثبت من : ز .
[٥] - في ز : « من » .

بعضكم بأس بعض ﴾ قال : فهي أربع خلال ؛ منها اثنتان بعد وفاة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة[١] ؛ ألبسوا شيعًا وذاق بعضهم بأس بعض ، وبقيت اثنتان لابد منهما واقعتان : الرجم والخسف .

ورواه أحمد عن وكيع ، عن أبي جعفر . ورواه ابن أبي حاتم .

وقال ابن أبي حاتم(١١٧) : حدثنا المنذر بن شاذان ، حدثنا أحمد بن إسحاق ، حدثنا أبو الأشهب ، عن الحسن في قوله : **﴿ قل هو القادر علىٰ أن يبعث [عليكم عذابًا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعًا][٢]﴾** ، قال : حبست عقوبتها حتىٰ عمل ذنبها ، فلما عمل ذنبها أرسلت عقوبتها .

وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وأبو مالك والسدي وابن زيد [وغير واحد][٣] في قوله : **﴿ عذابًا من فوقكم ﴾** يعني : الرجم **﴿ أو من تحت أرجلكم ﴾** يعني : الخسف ، وهذا هو اختيار ابن جرير .

ورواه ابن جرير(١١٨) : عن يونس ، عن ابن وهب ، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في

= (٢٤/٧) وقال: « رواه أحمد ، ورجاله ثقات قلت - الهيثمي - : « والظاهر أن من قوله فمضت اثنتان إلى آخره من قول رفيع - أبي العالية - فإن أبي بن كعب لم يتأخر إلى زمن الفتنة والله أعلم » ، وأخرج ابن جرير (١٣٣٦١/١١) من طريق ابن المبارك عن الربيع بن أنس عن أبي العالية بطوله من قوله لم ينم به أبي بن كعب . وذكره ابن حجر في « الفتح » (٢٩٢/٨) وعزاه إلى أحمد والطبري وقال : « قد أُعل هذا الحديث بأن أبي بن كعب لم يدرك سنة خمس وعشرين من الوفاة النبوية ، وأعل أيضًا بأنه مخالف لحديث جابر - تقدم برقم (٩٤) - وغيره وأجيب بأن طريق الجمع أن الإعادة المذكورة في حديث جابر وغيره مقيدة بزمان مخصوص وهو وجود الصحابة والقرون الفاضلة وأما بعد ذلك فيجوز وقوع ذلك فيهم » والأثر زاد نسبته السيوطي (٣٢/٣) إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه .

(١١٧) - **أثر صحيح** ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٣٩٩/٤) وأخرجه أيضًا (٧٤٢٣/٤) ثنا أبي ، ثنا سعيد بن سليمان الواسطي ، ثنا أبو الأشهب به وأخرجه ابن جرير (١٣٣٨٥/١١) من طريق ابن المبارك عن جعفر بن حيان - أبي الأشهب - به وزاد نسبته السيوطي (٣٧/٣) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ .

(١١٨) - **إسناده ضعيف** ابن جرير في تفسيره (١٣٣٤٨/١١) وهو منقطع بين عبد الرحمن وابن مسعود ، فضلًا عن أن عبد الرحمن بن زيد هذا ضعيف .

[١] - سقط من: خ، ز .
[٢] - في ت : « الآية » .
[٣] - سقط من : ز .

قوله : ﴿ **قل هو القادر علىٰ أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم أو من تحت أرجلكم** ﴾ قال : كان عبد اللَّه بن مسعود يصيح وهو في المجلس أو علىٰ المنبر يقول : ألا أيها الناس إنه قد نزل بكم ، إن اللَّه يقول : ﴿ **قل هو القادر علىٰ أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم** [**أو من تحت أرجلكم**][١]﴾ لو جاءكم عذاب من السماء لم يُبْقِ منكم أحدًا ﴿ **أو من تحت أرجلكم** ﴾ [لو خسف][٢] بكم الأرض أهلككم ولم يُبْقِ منكم أحدًا ﴿ [**أو يلبسكم شيعًا**][٣] **ويذيق بعضكم بأس بعض** ﴾ ألا إنه نزل بكم أسوأ الثلاث .

قول ثان : قال ابن جرير وابن أبي حاتم(١١٩) : حدثنا يونس بن عبد الأعلىٰ ، أخبرنا ابن وهب ، سمعت خلاد بن سليمان ، يقول : سمعت عامر بن عبد الرحمن ، يقول : إن ابن عباس كان يقول في هذه الآية : ﴿ **قل هو القادر علىٰ أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم** ﴾ [فأما العذاب من فوقكم][٤] فأئمة السوء ﴿ **أو من تحت أرجلكم** ﴾ فخدم السوء .

وقال علي بن أبي طلحة(١٢٠) ، عن ابن عباس : ﴿ **عذابًا من فوقكم** ﴾ يعني : أمراءكم ﴿ **أو من تحت أرجلكم** ﴾ يعني : عبيدكم وسفلتكم .

وحكىٰ ابن أبي حاتم[٥] عن أبي سنان[٦] وعمير بن هانئ نحو ذلك .

---

(١١٩) - أخرجه ابن جرير (١٣٣٤٩/١١) وابن أبي حاتم (٧٤٠٠/٤ ، ٧٤٠٧) ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣١/٣) إلى أبي الشيخ ، قال الشيخ الأديب محمود شاكر في حاشيته على ابن جرير : « خلاد بن سليمان الحضرمي المصري ، كان خياطًا أميًا ... روى عنه ابن وهب ، ثقه مترجم في « التهذيب » وأما « عامر بن عبد الرحمن » فإن البخاري وابن أبي حاتم . ذكراه في ترجمة خلاد ، وذكرا أنه سمع منه ، ولكني لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من المراجع - وهذا عجيب » قلت : ترجم له البخاري في « التاريخ الكبير » (٤٤٩/٦) قال : « عامر بن عبد الرحمن اليحصبي عن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - روى عنه خلاد بن سليمان ، حديثه عن المصريين » كما ذكره ابن حبان في « الثقات » (١٨٨/٥) غير أنه قال : « ... روى عنه خالد بن سليمان » كذا قال : « خالد » ونبه المزي على أن ذلك وهم وقد ترجم له أيضًا ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٣٢٦/٦) غير أنه سماه « عامر بن عبد اللَّه اليحصبي » وكذا وقع في « تهذيب الكمال » (٨/ ٣٥٥/ ترجمة خلاد بن سليمان) فيبدو أن الاختلاف في اسم أبي عامر قديم واللَّه تعالى أعلم .

(١٢٠) - أخرجه ابن جرير (١٣٣٥٠/١١) وابن أبي حاتم (٧٤٠٨/٤) وزاد نسبته السيوطي (٣/ ٣١) إلى ابن المنذر .

---

[١] - زيادة من : ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « لخسف » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٥] - في تفسيره (١٣١٠/٤ ، ١٣١١) .
[٦] - في ز : « بيان » .

وقال ابن جرير[١] : وهذا القول وإن كان له وجه صحيح لكن الأول أظهر وأقوىٰ .

وهو كما قال ابن جرير رحمه الله ، ويشهد له بالصحة قوله تعالىٰ : ﴿ **أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور * أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبًا فستعلمون كيف نذير** ﴾ وفي الحديث(١٢١) : « **ليكونن في هذه الأمة قذف وخسف ومسخ** » . وذلك مذكور مع نظائره في أمارات الساعة وأشراطها ، وظهور الآيات قبل يوم القيامة ، وستأتي في موضعها إن شاء الله تعالىٰ .

وقوله : ﴿ **أو يلبسكم شيعًا** ﴾ يعني[٢] : يجعلكم ملتبسين شيعًا فرقًا متخالفين .

قال الوالبي(١٢٢) ، عن ابن عباس : يعني الأهواء .

وكذا قال مجاهد وغير واحد .

وقد ورد في الحديث المروي من طرق عنه صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « **وستفترق هذه الأمة علىٰ ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة** »(١٢٣) .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ويذيق بعضكم بأس بعض** ﴾ قال ابن عباس وغير واحد : يعني يسلط بعضكم علىٰ بعض بالعذاب والقتل .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **انظر كيف نصرف الآيات** ﴾ أي : نبينها ونوضحها ونقرها ﴿ **لعلهم يفقهون** ﴾ أي : يفهمون ويتدبرون عن الله آياته وحججه وبراهينه .

قال زيد بن أسلم : لما نزلت ﴿ **قل هو القادر علىٰ أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم** ﴾

---

(١٢١) - **صحيح** أخرجه الترمذي ، كتاب : القدر (٢١٥٢) وابن ماجه ، كتاب : الفتن (٤٠٦١) من حديث عبد الله بن عمر وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح غريب » وفي الباب عن عبد الله بن مسعود وسهل بن سعد وعبد الله بن عمرو عند ابن ماجه (٤٠٥٩) و (٤٠٦٠) و (٤٠٦٢) وصححه ابن حبان (٦٧٥٩/١٥) من حديث أبي هريرة وانظر - غير مأمور - الصحيحة للألباني (رقم ١٧٨٧، ٢٢٠٣) .

(١٢٢) - الوالبي هو علي بن أبي طلحة وأخرجه من طريقه ابن جرير (١٣٣٥٦/١١) وأخرجه أيضًا (١٣٣٥٥/١١) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس به .

(١٢٣) - **صحيح** يأتي تخريجه [سورة يونس/آية رقم ٣٠] .

---

[١] - في تفسيره (١١/ ٤١٨) والمصنف نقله عنه بمعناه .

[٢] - في ز : « أي » .

الآية ، قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لا ترجعوا بعدي كفَّارًا ، يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيوف** » . قالوا : ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ؟ قال : [« **نعم** » . فقال بعضهم][١]: لا يكون هذا أبدًا أن يقتل بعضنا بعضًا ونحن مسلمون . فنزلت ﴿ **انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون * وكذب**[٢] **به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل * لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون** ﴾ .

رواه ابن أبي حاتم وابن جرير(١٢٤) .

وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ (٦٦) لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٦٧) وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٦٨) وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٦٩)

يقول تعالىٰ : ﴿ **وكذب به** ﴾ أي : بالقرآن الذي جئتهم به والهدىٰ والبيان ﴿ **قومك** ﴾ يعني : قريشًا ﴿ **وهو الحق** ﴾ أي : الذي ليس وراءه حق ﴿ **قل لست عليكم بوكيل** ﴾ أي : لست عليكم بحفيظ ، ولست بموكل بكم ، كقوله : ﴿ **وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** ﴾ أي : إنما عليَّ البلاغ ، وعليكم السمع والطاعة ، فمن اتبعني سعد في الدنيا والآخرة ، ومن خالفني فقد شقي في الدنيا والآخرة ؛ ولهذا قال : ﴿ **لكل نبأ مستقر** ﴾ .

(١٢٤) - **مرسل** أخرجه ابن أبي حاتم (٧٤١٨/٤) وابن جرير (١٣٣٧٨/١١) من طريق مؤمل بن إسماعيل ثنا يعقوب بن إسماعيل بن يسار قال سمعت زيد بن أسلم فذكره هكذا مرسلًا ، وفضلًا عن هذا فإن يعقوب بن إسماعيل هذا لم أجد له ذكرًا في كتب التراجم وأخشى أن يكون محرفًا ومؤمل بن إسماعيل ضُعِّفْ ، لكن قوله - صلى الله عليه وسلم- : « **لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض** » صح من حديث جرير بن عبد الله وغيره وحديث جرير عند البخاري (١٢١) ومسلم (٦٥) والنسائي (١٢٧/٧- ١٢٨) وابن ماجه (٣٩٤٢) وأحمد (٤/ ٣٥٨، ٣٦٣، ٣٦٦) .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « فقال بعض الناس » .
[٢] - في ز : « كذبك » .

قال ابن عباس وغير واحد : أي : لكل نبأ حقيقة . أي : لكل خبر وقوع ولو بعد حين ، كما قال : ﴿ **ولتعلمن نبأه بعد حين** ﴾ وقال : ﴿ **لكل أجل كتاب** ﴾ .

وهذا تهديد ووعيد أكيد ، ولهذا قال بعده : ﴿ **وسوف تعلمون** ﴾ .

وقوله[١] : ﴿ **وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا** ﴾ أي : بالتكذيب والاستهزاء ﴿ **فأعرض عنهم حتىٰ يخوضوا في حديث غيره** ﴾ أي : حتىٰ يأخذوا في كلام آخر غير ما كانوا فيه من التكذيب ﴿ **وإما ينسينك الشيطان** ﴾ والمراد بذلك كل فرد من آحاد الأمة : أن لا يجلس[٢] مع المكذبين الذين يحرفون آيات اللّٰه ، ويضعونها علىٰ غير موضعها[٣] ، فإن جلس أحد معهم[٤] ناسيًا ﴿ **فلا تقعد بعد الذكرىٰ** ﴾ [بعد التذكر][٥] ﴿ **مع القوم الظالمين** ﴾ .

ولهذا ورد في الحديث : « **رفع عن أمّتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه** »(١٢٥) .

وقال السدي : عن أبي مالك وسعيد بن جبير في قوله : ﴿ **وإما ينسيَنَّك الشيطان** ﴾ قال : إن نسيت فذكرت فلا تجلس معهم . وكذا قال مقاتل بن حيان[٦] .

وهذه الآية هي المشار إليها في قوله : ﴿ **وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات اللّٰه يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتىٰ يخوضوا في حديث غيره إنكم إذًا مثلهم** ﴾ الآية ، أي : إنكم إذا جلستم معهم وأقررتموهم علىٰ ذلك ، فقد ساويتموهم في الذي هم فيه .

وقوله : ﴿ **وما علىٰ الذين يتقون من حسابهم من شيء** ﴾ أي : إذا تجنبوهم فلم يجلسوا

(١٢٥) - قال الزيلعي في « نصب الراية » (٢/٦٤) : « هذا لا يوجد بهذا اللفظ ، وإن كان الفقهاء كلهم لا يذكرونه إلا بهذا اللفظ وأقرب ما وجدناه بلفظ « رفع اللّٰه عن هذه الأمة ثلاثًا » رواه ابن عدي في « الكامل » (٢/٥٧٣) من حديث أبي بكرة » قلت : ورواه أيضًا أبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (١/٩٠ - ٩١) وفي إسناده جعفر بن جسر قال ابن عدي : « عامة ما يرويه منكر » وأبوه جسر بن فرقد متكلم فيه . وقال ابن حجر في « فتح الباري » (٥/١٦١) « أخرجه ابن ماجه (٢٠٤٥) من حديث ابن عباس إلا أنه بلفظ « وضع » بدل « رفع » وأخرجه الفضل بن جعفر التيمي في « فوائده » بالإسناد الذي أخرجه به ابن ماجه بلفظ « رفع » ورجاله ثقات إلا أنه أعل بعلة غير قادحة فإنه من رواية الوليد عن الأوزاعي عن عطاء عنه وقد رواه بشر بن بكر عن الأوزاعي فزاد « عبيد بن عمير » بين عطاء وابن عباس ... » ، ويأتي تخريج بعض طرقه (٢٢٤ : ٢٢٨) .

[١] - في ز : « ثم قال » . [٢] - في ز : « يجلسوا » .
[٣] - في ز : « مواضعها » . [٤] - في خ : « منهم » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٦] - في ز : « حبان » .

معهم في ذلك ، فقد برؤا[١] من عهدتهم وتخلصوا من إثمهم .

وقال ابن أبي حاتم (١٢٦): حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا عبيد اللَّه بن موسىٰ ، عن إسرائيل ، عن السدي ، عن أبي مالك وسعيد بن جبير قوله : ﴿ **وما علىٰ الذين يتقون من حسابهم من شيء** ﴾ قال : ما عليك أن يخوضوا في آيات اللَّه إذا فعلت ذلك ، أي : إذا تجنبتهم وأعرضت عنهم .

وقال آخرون : بل معناه وإن جلسوا معهم فليس عليهم من حسابهم من شيء . وزعموا أن هذا منسوخ بآية النساء المدنية ، وهي قوله : ﴿ **إنكم إذا مثلهم** ﴾ قاله مجاهد والسدي وابن جريج وغيرهم . وعلىٰ قولهم يكون قوله : ﴿ **ولكن ذكرىٰ لعلهم يتقون** ﴾ أي : ولكن أمرناكم بالإعراض عنهم حينئذ تذكيرًا لهم عما هم فيه ، لعلهم يتقون ذلك ولا يعودون إليه .

وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **وذر الذين اتخذوا دينهم لعبًا ولهوًا وغرّتهم الحياة الدنيا** ﴾ أي : دعهم وأعرض عنهم وأمهلهم قليلًا ، فإنهم صائرون إلىٰ عذاب عظيم ؛ ولهذا قال : ﴿ **وذكر به** ﴾ أي : ذكر[٢] الناس بهذا القرآن ، وحذرهم نقمة اللَّه : وعذابه الأليم يوم القيامة .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **أن تُبسل نفس بما كسبت** ﴾ أي : لئلا تبسل ، قال الضحاك عن ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، والسدي : ﴿ **تبسل** ﴾ تُسْلَم .

وقال الوالبي(١٢٧) : عن ابن عباس : تفضح .

وقال قتادة : تحبس . وقال مرة وابن زيد : تؤاخذ . وقال الكلبي : تجازىٰ .

---

(١٢٦) - ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٤٣٩/٤) .

(١٢٧) - أخرجه ابن جرير (١٣٤١٤/١١) وابن أبي حاتم (٧٤٥٨/٤) والوالبي هو علي بن أبي طلحة .

---

[١] - في ز : « برئوا » . [٢] - في ز : « وذكر » .

وكل هذه [الأقوال و][١] العبارات متقاربة في المعنىٰ ، وحاصلها : الإسلام للَّهلكة ، والحبس عن الخير ، والارتهان عن درك المطلوب ، كقوله[٢] : ﴿ **كل نفس بما كسبت رهينة * إلا أصحاب اليمين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ليس لها من دون اللَّه ولي ولا شفيع** ﴾ أي : لا قريب ولا أحد يشفع فيها ، كقوله[٣] : ﴿ **من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها** ﴾ أي : ولو بذلت كل مبذول ما قبل منها ، كقوله[٤] : ﴿ **إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا [ولو افتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين]**[٥] ﴾ ، وكذا[٦] قال هاهنا : ﴿ **أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون** ﴾ .

قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

قال السدي : قال المشركون للمسلمين[٧]: اتبعوا سبيلنا واتركوا دين محمد، فأنزل اللَّه - عز وجل - ﴿ **قل أندعوا من دون اللَّه مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد علىٰ أعقابنا** ﴾ أي : في الكفر ﴿ **بعد إذ هدانا اللَّه** ﴾ فيكون مثلنا مثل الذي استهوته الشياطين في الأرض ، يقول : مثلكم إن

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٢] - في ز : « كما قال » .
[٣] - في ز : « كما قال » .
[٤] - في ز : « كما قال » .
[٥] - في ت : « الآية » .
[٦] - في ز : « هكذا » .
[٧] - في ز : « للمؤمنين » .

كفرتم بعد إيمانكم[١] كمثل رجل خرج[٢] مع قوم علىٰ الطريق ، فضل الطريق فحيرته الشياطين ، واستهوته في الأرض ، وأصحابه علىٰ الطريق فجعلوا يدعونه إليهم ، يقولون : ائتنا فإنا علىٰ الطريق ، فأبىٰ أن يأتيهم ، فذلك مثل من[٣] يتبعهم بعد المعرفة بمحمد صلىٰ اللَّه عليه وعلىٰ آله وسلم ، ومحمد هو الذي يدعو إلىٰ الطريق ، والطريق هو الإسلام .

رواه ابن جرير(١٢٨) .

وقال قتادة : ﴿ **استهوته الشياطين في الأرض** ﴾ أضلته في الأرض . يعني استهوته [سيرته ، كقوله][٤] : ﴿ **تهوي إليهم** ﴾ .

وقال [ ][٥] بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **قل أندعوا من دون اللَّه مالا ينفعنا ولا يضرنا** ﴾ الآية: هذا مثل ضربه اللَّه للآلهة ومن يدعو[٦] إليها ، وللدعاة الذين يدعون إلىٰ هدىٰ[٧] اللَّه - عز وجل - كمثل رجل ضل عن الطريق تائهًا [ ][٨] ضالًا ، إذ ناداه مناد : يا فلان بن فلان ، هلم إلىٰ الطريق ، وله أصحاب يدعونه : يا فلان هلم إلىٰ الطريق ، فإن اتبع الداعي الأول انطلق به حتىٰ يلقيه إلىٰ الهلكة ، وإن أجاب من يدعوه إلىٰ الهدىٰ اهتدىٰ إلىٰ الطريق ، وهذه الداعية التي تدعو في البرية من الغيلان ، يقول[٩] : مثل من يعبد هذه الآلهة من دون اللَّه ، فإنه يرىٰ أنه في شيء حتىٰ يأتيه الموت ، فيستقبل الندامة والهلكة ، وقوله : ﴿ **كالذي استهوته الشياطين في الأرض** ﴾ هم الغيلان ﴿ **يدعونه** ﴾ باسمه واسم أبيه وجده ، فيتبعها وهو[١٠] يرىٰ أنه في شيء، فيصبح وقد ألقته في هلكة ، وربما أكلته أو تلقيه في مضلة من الأرض ، يهلك فيها عطشًا ، فهذا مثل من أجاب الآلهة التي تعبد من دون اللَّه - عز وجل - .

رواه ابن جرير(١٢٩) .

---

(١٢٨) - ابن جرير في تفسيره (١٣٤٢٢/١١) وابن أبي حاتم (٧٤٦٦/٤ ، ٧٤٦٨ ، ٧٤٧٢ ، ٧٤٧٤) مفرقًا من طريق أحمد بن المفضل ثنا أسباط عنه به وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٤٠/٣) إلى أبي الشيخ .

(١٢٩) - ابن جرير في تفسيره (١٣٤٢٣/١١) وابن أبي حاتم (٧٤٧٣/٤) وابن المنذر - كما في « الدر المنثور » (٤٠/٣) .

---

[١] - في خ، ز : « الإيمان » .
[٢] - في ز : « كان » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « مثل قوله » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « على » .
[٦] - في ز : « يدعوا » .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - ما بين المعكوفتين في ز : « منا » .
[٩] - في ز : « تقول » .
[١٠] - سقط من : ز .

وقال ابن أبي نجيح : عن مجاهد ﴿ **كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران** ﴾ قال : رجل حيران يدعوه أصحابه إلىٰ الطريق ، وذلك مثل من يضل بعد أن[١] هدي .

وقال العوفي : عن ابن عباس قوله : ﴿ **كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب** ﴾ هو[٢] الذي لا يستجيب لهدىٰ[٣] اللَّه ، وهو رجل أطاع الشيطان ، وعمل في الأرض بالمعصية ، وحاد[٤] عن الحق وضل عنه ، وله أصحاب يدعونه إلىٰ الهدىٰ ، ويزعمون أن الذي يأمرونه هدى ، يقول اللَّه ذلك لأوليائهم من الإنس : يقول اللَّه [٥] : ﴿ **إن الهدىٰ هدىٰ اللَّه** ﴾ والضلال ما يدعو إليه الجن .

رواه ابن جرير(١٣٠) ، ثم قال : وهذا يقتضي[٦] أن أصحابه يدعونه إلىٰ ضلال ويزعمون أنه هدىٰ . قال : وهذا خلاف ظاهر الآية ؛ فإن اللَّه أخبر أن أصحابه يدعونه إلىٰ الهدىٰ ، فغير جائز أن يكون ضلالاً وقد أخبر اللَّه أنه هدى .

وهو كما قال ابن جرير ؛ [فإن السياق][٧] يقتضي أن هذا الذي استهوته الشياطين في الأرض حيران ، وهو منصوب علىٰ الحال ، أي : في حال حيرته وضلاله وجهله وجه[٨] المحجة ، وله أصحاب علىٰ المحجة سائرون فجعلوا يدعونه إليهم وإلىٰ الذهاب معهم علىٰ الطريقة المثلىٰ ، وتقدير الكلام : فيأبىٰ عليهم ولا يلتفت إليهم ، ولو شاء اللَّه لهداه ولرد به إلىٰ الطريق ؛ ولهذا قال : ﴿ **قل إن هدىٰ اللَّه هو الهدىٰ** ﴾ ، كما قال : ﴿ [**ومن يهد اللَّه فما له من مضل**][٩] ﴾ ، وقال : ﴿ **إن تحرص علىٰ هداهم فإن اللَّه لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين** ﴾ . وقوله : ﴿ **وأمرنا لنسلم لرب العالمين** ﴾ أي : نخلص له العبادة وحده لا شريك له .

﴿ **وأن أقيموا الصلاة واتقوه** ﴾ أي : وأمرنا بإقامة الصلاة وبتقواه في جميع الأحوال ﴿ **وهو الذي إليه تحشرون** ﴾ أي : يوم القيامة .

---

(١٣٠) - ابن جرير في تفسيره (١٣٤٢٩/١١) وابن أبي حاتم (٧٤٧٥/٤) وعطية العوفي ضعيف .

---

[١] - في ابن جرير (١٣٤٢٦/١١) وابن أبي حاتم (٧٤٧١/٤) والدر المنثور (٤١/٣) : « إذ » .
[٢] - في ز : « فهو » .
[٣] - في ز : « لهدا » .
[٤] - في ز : « جار » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « تقتضي » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز : « وكان سياق الآية » .
[٨] - في ز : « بوجه » .
[٩] - ما بين المعكوفتين في ز : ﴿ **من يهده اللَّه فلا مضل له** ﴾ .

﴿ **وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق** ﴾ أي : بالعدل ، فهو خالقهما ومالكهما والمدبر لهما ولمن فيهما .

وقوله : ﴿ **ويوم يقول كن فيكون** ﴾ يعني : يوم القيامة ، الذي يقول اللَّه : كن فيكون عن أمره كلمح البصر أو هو أقرب ، ويوم منصوب إما على العطف على قوله : ﴿ **واتقوه** ﴾ وتقديره : واتقوا يوم يقول : كن فيكون وإما على قوله : ﴿ **خلق السموات والأرض** ﴾ أي : وخلق يوم يقول : كن فيكون فذكر بدء الخلق وإعادته وهو مناسب ، وإما على إضمار فعل تقديره : واذكر يوم يقول : كن فيكون .

وقوله[١] : ﴿ **قوله الحق وله الملك** ﴾ جملتان محلهما الجر على أنهما صفتان لرب العالمين .

وقوله : ﴿ **ويوم ينفخ في الصور** ﴾ يحتمل أن يكون بدلًا من قوله : ﴿ **ويوم يقول كن فيكون** ﴾ ﴿ **يوم ينفخ في الصور** ﴾ ويحتمل أن يكون ظرفًا لقوله[٢] : ﴿ **وله الملك يوم ينفخ في الصور** ﴾ كقوله : ﴿ **لمن الملك اليوم للَّه الواحد القهار** ﴾ ، وكقوله : ﴿ **الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يومًا على الكافرين عسيرًا** ﴾ وما أشبه ذلك .

واختلف المفسرون في قوله : ﴿ **يوم ينفخ في الصور** ﴾ فقال بعضهم : المراد بالصور هنا[٣] جمع صورة ، أي : يوم ينفخ فيها فتحيا .

قال ابن جرير[٤] : كما يقال : سور لسور البلد ، وهو جمع سورة .

والصحيح : **أن** المراد بالصور القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام ، قال ابن جرير : والصواب عندنا ما تظاهرت به الأخبار عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم أنه قال : « **إن إسرافيل قد التقم الصور ، وحنى جبهته ، ينتظر متى يؤمر فينفخ** »(١٣١) .

---

(١٣١) - لم أهتد إليه بهذا اللفظ مسندًا وقد علقه ابن جرير في تفسيره (١١/٤٦٣) من دون إسناد ، وقد صح بلفظ : « **كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته يستمع متى يؤمر فينفخ** » تقدم تخريجه [آل عمران/ آية ١٧٣] .

قال ابن حجر في « الفتح » (٨/٣٦٨) : « اشتهر أن صاحب الصور إسرافيل عليه السلام ، ونقل فيه الحليمي الإجماع ... » .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ز : « كقوله » .

[٣] - في ز : « هاهنا » .

[٤] - ابن جرير في تفسيره (١١/٤٦٣) .

وقال الإمام أحمد(١٣٢) : حدثنا إسماعيل ، حدثنا سليمان التيمي ، عن أسلم العجلي ، عن بشر بن شغاف[١] ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : قال أعرابي : يا رسول الله ، ما الصور ؟ قال : « **قرن ينفخ فيه** » .

وقد روينا حديث الصور بطوله : من طريق الحافظ أبي القاسم الطبراني في كتابه « **الطوالات** »(١٣٣) ، قال[٢] : حدثنا أحمد بن الحسن المصري[٣] [الأيلي][٤] ، حدثنا أبو عاصم النبيل ، حدثنا إسماعيل بن رافع ، عن محمد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن

(١٣٢) - **صحيح** « المسند » (١٦٢/٢) (٦٥٠٧ - شاكر) - ومن طريقه المزي في « تهذيب الكمال » (١٣٠/٤/ت٦٩٢) - وأخرجه أحمد أيضًا (١٩٢/٢) (رقم ٦٨٠٥) وأبو داود (٤٧٤٢) والترمذي (٢٤٣٢، ٣٢٣٩) والنسائي في « التفسير » من « الكبرى » (١١٣١٢/٦) وابن المبارك في « الزهد » (١٥٩٩) والدارمي (٢٨٠١/٢) وابن أبي الدنيا في « الأهوال » (٤٧) وابن جرير في « التفسير » (٢٩/١٦/الكهف/ آية ١٠٠) وابن أبي حاتم (٧٤٨٣/٤) وأبو نعيم في « الحلية » (٢٤٣/٧) والبيهقي في « الشعب » (١/رقم ٣٥٠) من طرق عن سليمان التيمي به وقال الترمذي « حديث حسن » وفي رواية (ط دعاس/ رقم ٢٤٣٢) « حسن صحيح » ونقل عنه التحسين فقط ابن حجر في « الفتح » (٣٦٨/١١) والسيوطي في « الدر المنثور » (٦٣٢/٥/ الزمر/ آية ٦٨) . وصححه ابن حبان (٧٣١٢/١٦ - إحسان) (٢٥٧٠/٨ - موارد) والحاكم (٢/ ٥٠٦) ، (٥٦٠/٤) ووافقه الذهبي وهو كما قالوا ، وقول الترمذي عقبه : « لا نعرفه إلا من حديث سليمان التيمي » لا يضره لأن سليمان ثقه من رجال الشيخين . وزاد نسبته السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في « البعث » وليس في المطبوع من « البعث » . والله أعلم .

(١٣٣) - **إسناده ضعيف جدًا وفيه اضطراب** ، شيخ الطبراني كذبه ابن حبان والدارقطني وإسماعيل ابن رافع ضعفه أحمد وابن معين وأبو حاتم والعقيلي وغيرهم وتركه النسائي والدارقطني ، وقال ابن عدي « أحاديثه كلها مما فيه نظر إلا أنه يكتب حديث في جملة الضعفاء » ومحمد بن يزيد بن أبي زياد ذكره ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٨/ت٥٦٧) وقال : « روى عن أبيه ونافع مولى ابن عمر روى عنه معقل بن عبيد الله وإسماعيل بن رافع حديث الصور سمعت أبي يقول ذلك وسألت عنه فقال : مجهول » . =

[١] - في خ، ز : « شفاف » . [٢] - سقط من : ز .
[٣] - وقع في « الطوالات » : « النحوي » وهو مصحف من « المصري » وقد ترجم له ابن حجر في « اللسان » (١/رقم ٤٨٧) : « قال ابن عدي - الكامل » (٢٠٠/١) : كان يسرق الحديث ، وقال ابن حبان - « المجروحين » (١٤٩/١ - ١٥٠) - كذاب دجال ، يضع الحديث على الثقات ، وقال الدارقطني : حدثونا عنه وهو كذاب ، قلت - ابن حجر - وهو من كبار شيوخ الطبراني » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في خ : « البصري الأبلي » ، وفي ز : « الأبلي » .

أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : حدثنا رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم وهو في طائفة من أصحابه فقال : « **إن الله لما فرغ من خلق السموات والأرض ، خلق الصور فأعطاه إسرافيل ، فهو واضعه علىٰ فيه ، شاخصًا بصره إلىٰ العرش، ينتظر متىٰ يؤمر** ». قلت: يا رسول الله وما

= والحديث أخرجه الطبراني في « الطوالات » الجزء المطبوع في آخر « المعجم الكبير » (٢٥/رقم ٣٦) وأخرجه أبو الشيخ في « العظمة » (٣٨٦/٣) من طريق عبدة بن سليمان عن إسماعيل بن رافع به ، وأخرجه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (رقم ٥٥، ٦٤ ، ٧١) وأبو يعلى في « الكبير » - كما في « النهاية » لابن كثير (٢٢٧/١) و«فتح الباري » لابن حجر (٣٦٨/١١) - ومن طريقه الحافظ ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٨٣٦/٢ - مخطوط) - وابن جرير في تفسيره (٤/رقم ٤٠٣٩ - شاكر) [(١٨/٢٠ ، ١٩) (٣٠/١٩) - ط الحلبي] وأبو الشيخ (٣٨٧/٣) والبيهقي في « البعث » (٦٠٩) وفي « الشعب » (١/رقم ٣٥٣) من طريق إسماعيل بن رافع عن محمد بن يزيد بن أبي زياد . ووقع عند ابن جرير تسميته بيزيد بن أبي زياد - عن محمد بن كعب عن رجل من الأنصار عن أبي هريرة به مطولاً ومختصرًا ، وأخرجه ابن جرير (١٩/٢٠) من طريق إسماعيل عن محمد عن أبي هريرة ، وأبو الشيخ (٣٨٨/٣) من طريق إسماعيل عن محمد بن يزيد عن أبي هريرة ونقل ابن عدي في « الكامل » (٢٧٨/١) عن البخاري قال : « روى إسماعيل بن رافع عن محمد بن يزيد بن أبي زياد ، عن رجل عن محمد بن كعب حديث الصور مرسل لا يصح » . وزاد نسبته ابن حجر في « الفتح » إلى عبد بن حميد وعلي بن معبد في « كتاب الطاعة والمعصية » وقال : مداره على إسماعيل بن رافع واضطرب في سنده مع ضعفه فرواه عن محمد بن كعب القرظي تارة بلا واسطة وتارة بواسطة رجل مبهم ، ومحمد عن أبي هريرة تارة بلا واسطة وتارة بواسطة رجل من الأنصار مبهم أيضًا، وأخرجه إسماعيل بن أبي زياد الشامي أحد الضعفاء أيضًا في تفسيره عن محمد بن عجلان عن محمد بن كعب القرظي ، واعترض مغلطاي على عبد الحق في تضعيفه الحديث بإسماعيل بن رافع ، وخفي عليه أن الشامي أضعف منه ولعله سرقه منهم فألصقة بابن عجلان وقد قال الدارقطني : إنه متروك ، يضع الحديث ، وقال الخليلي : شيخ ضعيف شحن تفسيره بما لا يتابع عليه » ثم قال : « وقد صحح الحديث من طريق إسماعيل بن رافع القاضي أبو بكر بن العربي في « سراجه » وتبعه القرطبي في « التذكرة » وقول عبد الحق في تضعيفه أولى وضعفه قبله البيهقي » .

وكذا ضعفه الألباني ، فقال في « تعليقاته على الطحاوية » (ص٢٣٢) : « إسناده ضعيف لأنه من طريق إسماعيل بن رافع المدني عن يزيد بن أبي زياد (كذا) وكلاهما ضعيف بسندهما عن رجل من الأنصار وهو مجهول لم يسم » .

ونسبه السيوطي في « الدر المنثور » (٦٣٤/٥) إلى عبد بن حميد وعلي بن سعيد في « كتاب الطاعة والعصيان » وأبي يعلى وأبي الحسن القطان في « المطولات » وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبي موسى المديني كلاهما في « المطولات » وأبي الشيخ في « العظمة » والبيهقي في « البعث والنشور » .

الصور ؟ قال : « القرن » . قلت : كيف هو ؟ قال : « **عظيم والذي بعثني بالحق ، إن عظم دارة فيه كعرض[١] السموات والأرض ، ينفخ فيه ثلاث نفخات ؛ النفخة الأولىٰ نفخة الفزع ، والثانية نفخة الصعق ، والثالثة نفخة القيام[٢] لرب العالمين ، يأمر اللّٰه تعالىٰ إسرافيل بالنفخة الأولىٰ فيقول: انفخ، فينفخ [نفخة الفزع][٣] ، فيفزع أهل السموات والأرض إلا من شاء اللّٰه ، ويأمره فيطيلها ويديمها ولا يفتر ، وهي كقول اللّٰه : ﴿ وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق ﴾ فيسير اللّٰه الجبال فتمر مر السحاب فتكون سرابًا .**

ثم ترتج الأرض بأهلها راجًا ، فتكون كالسفينة المرمية في البحر تضربها الأمواج ، تكفأ بأهلها كالقنديل المعلق [بالعرش][٤] ترجرجه الرياح ، وهي الذي[٥] يقول : ﴿ يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة ﴾ فيميد الناس علىٰ ظهرها ، وتذهل المراضع ، وتضع الحوامل ، وتشيب[٦] الولدان ، وتطير الشياطين هاربة من الفزع حتىٰ تأتي الأقطار ، فتأتيها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع ، ويولي الناس مدبرين ما لهم من أمر اللّٰه من عاصم ، ينادي بعضهم بعضًا[٧] ، وهو الذي يقول اللّٰه تعالىٰ : ﴿ يوم التناد ﴾ .

فبينما هم علىٰ ذلك ، إذ انصدعت الأرض من قطر إلىٰ قطر ، فرأوا أمرًا عظيمًا لم يروا مثله ، وأخذهم لذلك من[٨] الكرب والهول ما اللّٰه به عليم ، ثم ينظروا[٩] إلىٰ السماء فإذا هي كالمهل ، ثم انشقت السماء[١٠] فانتثرت نجومها ، وانخسفت شمسها وقمرها » . قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وآله وسلم : « **الأموات لا يعلمون بشيء من ذلك** » .

قال أبو هريرة : يا رسول اللّٰه ، من استثنىٰ اللّٰه - عز وجل - حين يقول : **﴿ ففزع من في السمٰوات ومن في الأرض إلا من شاء اللّٰه ﴾** ؟ قال : « **أولئك الشهداء ، وإنما يصل الفزع إلىٰ الأحياء وهم أحياء عند ربهم[١١] يرزقون ، وقاهم اللّٰه فزع ذلك اليوم وآمنهم منه ، وهو عذاب اللّٰه يبعثه علىٰ شرار خلقه - قال: وهو الذي يقول اللّٰه عز وجل : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل**

[١] - في ز : « لعرض » .
[٢] - في ت : « القيامة » والمثبت من خ ، ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « نفخته للفزع » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ت : « في العرش » والمثبت من خ ، ز .
[٥] - في ز : « التي » .
[٦] - في ز : « يشيب » .
[٧] - سقط من: خ، ز .
[٨] - سقط من : ز .
[٩] - في ز : « ينظر » .
[١٠] - سقط من : ز .
[١١] - في ز : « اللّٰه » .

ذات حمل حملها وترىٰ الناس سكارىٰ وما هم بسكارىٰ ولكن عذاب اللّٰه شديد ﴾ فيكونون في ذلك البلاء[١] ما شاء اللّٰه أن[٢] يطول .

ثم يأمر اللّٰه إسرافيل بنفخة الصعق ، فينفخ نفخة الصعق ، فيصعق أهل السموات والأرض إلا من شاء اللّٰه ، فإذا هم قد خمدوا ، وجاء[٣] ملك الموت إلىٰ الجبار عز وجل فيقول : يارب ، قد مات أهل السموات والأرض إلا من شئت . فيقول اللّٰه وهو أعلم بمن بقي : فمن بقي ؟ فيقول : يارب بقيت أنت الحي الذي لا يموت ، وبقيت حملة العرش ، وبقي جبريل وميكائيل ، [وبقيت أنا . فيقول اللّٰه عز وجل : ليمت جبريل وميكائيل][٤] . فينطق اللّٰه العرش فيقول : يارب يموت جبريل وميكائيل . فيقول : اسكت ، فإني كتبت الموت علىٰ كل من كان تحت عرشي . فيموتان ، ثم يأتي ملك الموت إلىٰ الجبار فيقول : يارب قد مات جبريل وميكائيل . فيقول اللّٰه وهو أعلم بمن بقي : فمن بقي ؟ فيقول : بقيت أنت الحي الذي لا يموت[٥] وبقيت حملة عرشك [وبقيت أنا][٦] . فيقول اللّٰه : ليمت حملة العرش[٧] . فيموتوا ، ويأمر اللّٰه العرش فيقبض الصور من إسرافيل ، ثم يأتي ملك الموت فيقول : يارب قد مات حملة عرشك . فيقول اللّٰه وهو أعلم بمن بقي فمن بقي فيقول : يارب بقيت أنت الحي الذي لا يموت وبقيت أنا . فيقول اللّٰه : أنت خلق من خلقي ، خلقتك لما رأيت ، فمت . فيموت ، فإذا لم يبق إلا اللّٰه الواحد القهار الأحد الصمد[٨] الذي لم يلد ولم يولد كان آخرًا كما كان أولا ، طوىٰ السموات والأرض [طي السجل للكتب][٩] ، ثم دحاهما ، ثم تلقفهما[١٠] ثلاث مرات ، ثم يقول : أنا الجبار ، أنا الجبار ، [أنا الجبار][١١] ، ثلاثًا ثم هتف بصوته : ﴿ لمن الملك اليوم ﴾ [ ][١٢] ثلاث مرات[١٣] ، فلا يجيبه أحد ، ثم يقول لنفسه : ﴿ للّٰه الواحد القهار﴾ يقول اللّٰه : ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسمٰوات ﴾ فيبسطهما ويسطحهما[١٤]، ثم يمدهما مد الأديم العكاظي[١٥] ﴿ لا ترىٰ فيها عوجًا ولا أمتًا ﴾ .

ثم[١٦] يزجر اللّٰه الخلق زجرة واحدة[١٧] ، فإذا هم في هذه الأرض[١٨] المبدلة مثل ماكانوا

---

[١] - في ت : « العذاب » .
[٢] - في خ ، ز : « إلا أنه » .
[٣] - في ز : « جاء » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٥] - في ز : « تموت » .
[٦] - سقط من : خ ، ز .
[٧] - في ز : « عرشي » .
[٨] - سقط من : ز .
[٩] - في ز : « على السجل الكتاب » .
[١٠] - في ز : « تلقفهما » .
[١١] - سقط من : ز .
[١٢] - في ز : « لمن الملك اليوم » .
[١٣] - في ز : « مرار » .
[١٤] - في خ : « ويسخطهما » ، وفي ز : « ويسحطهما » .
[١٥] - في ز : « الالعكاظى » .
[١٦] - سقط من : ز .
[١٧] - سقط من : خ ، ز .
[١٨] - سقط من : خ ، ز .

فيها من الأولىٰ ، من كان في بطنها كان في بطنها ، ومن كان علىٰ ظهرها كان علىٰ ظهرها ، ثم ينزل الله عليهم ماء من تحت العرش ، ثم يأمر الله السماء أن[١] تمطر ، فتمطر أربعين يومًا حتىٰ يكون الماء فوقهم اثني عشر ذراعًا ، ثم يأمر الله الأجساد أن تنبت ، فتنبت كنبات الطراثيث أو كنبات البقل ، حتىٰ إذا تكاملت أجسادهم فكانت كما كانت ، قال الله عز وجل : ليحيىٰ حملة عرشي فيحيون ، ويأمر الله إسرافيل فيأخذ الصور فيضعه علىٰ فيه ، ثم يقول: ليحيىٰ جبريل وميكائيل فيحييان ، ثم يدعو الله الأرواح فيؤتىٰ بها ، تتوهج أرواح المسلمين نورًا ، وأرواح الكافرين ظلمة ، فيقبضها جميعًا ثم يلقيها في الصور .

ثم يأمر الله إسرافيل أن ينفخ نفخة البعث ، [فينفخ نفخ البعث][٢] ، فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض ، فيقول : وعزتي وجلالي ليرجعن كل روح إلىٰ جسده ، فتدخل[٣] الأرواح في الأرض إلىٰ الأجساد فتدخل في الخياشيم ، ثم تمشي في الأجساد كما يمشي السم في اللديغ ، ثم تنشق الأرض عنكم ، وأنا أوّل من تنشق الأرض عنه ، فتخرجون سراعًا إلىٰ ربكم تنسلون ﴿ مهطعين إلىٰ الداع[٤] يقول الكافرون هذا يوم عسر ﴾ حفاة عراة غلفًا[٥] غرلًا ، فتقفون[٦] موقفًا واحدًا مقداره سبعون عامًا ، لا ينظر إليكم ولا يقضىٰ بينكم ، فتبكون حتىٰ تنقطع الدموع ، ثم تدمعون دمًا ، وتعرقون حتي يلجمكم العرق[٧] أو يبلغ الأذقان ، وتقولون[٨] : من يشفع لنا إلىٰ ربنا فيقضي بيننا ، فتقولون[٩] من أحق بذلك من أبيكم آدم ؛ خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وكلمه قبلًا ، فتأتون آدم فتطلبون ذلك إليه فيأبىٰ ، ويقول : ما أنا بصاحب ذلك ، فيستقرئون الأنبياء نبيًا نبيًا ، كلما جاءوا نبيًا أبىٰ عليهم – قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم « حتىٰ يأتوني فأنطلق إلىٰ الفحص فأخر ساجدًا » قال أبو هريرة : يا رسول الله وما الفحص ؟ قال : « قدّام العرش – حتىٰ يبعث الله إليَّ ملكًا، فيأخذ بعضدي ويرفعني[١٠]، فيقول لي : يا[١١] محمد ، فأقول : نعم يارب ، فيقول الله عز وجل : ما شأنك ؟ - وهو أعلم فأقول : يارب وعدتني الشفاعة فشفعني في خلقك فاقض بينهم ، قال الله [١٢] : قد شفعتك أنا آتيكم أقضي بينكم .

قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « فأرجع فأقف مع الناس ، فبينما نحن وقوف إذ سمعنا من السماء حسًا شديدًا فهالنا ، فنزل أهل السماء الدنيا بمثلي من في الأرض من الجن

---

[١] – سقط من : ز .
[٢] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٣] – في ز : « فدخل » .
[٤] – في ز : « الداعى » .
[٥] – سقط من: خ ، ز .
[٦] – في ز : « فيقفون » .
[٧] – سقط من : ز .
[٨] – في ز : « ويقولون » .
[٩] – في ز : « فيقولون » .
[١٠] – في ز : « فيرفعنى » .
[١١] – سقط من : ز .
[١٢] – سقط من : ز .

والإنس ، حتىٰ إذا دنوا من الأرض ، أشرقت الأرض بنورهم وأخذوا مصافهم ، وقلنا لهم : أفيكم ربنا ؟ قالوا : لا ، [وهو آت .

ثم ينزل أهل السماء الثانية بمثلي من نزل من الملائكة ، وبمثلي من فيها من الجن والإنس ، حتىٰ إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم وأخذوا مصافهم ، وقلنا لهم : أفيكم ربنا ؟ فيقولون : لا ، وهو آت][١] .

ثم ينزلون علىٰ قدر ذلك من التضعيف ، حتىٰ ينزل الجبار عز وجل في ظلل من الغمام والملائكة ، ويحمل عرشه يومئذ ثمانية ، وهم اليوم أربعة ، أقدامهم في تخوم الأرض السفلىٰ ، والأرض والسماوات إلى حجزتهم ، والعرش علىٰ مناكبهم ، لهم زجل في تسبيحهم ، يقولون : سبحان ذي العرش والجبروت ، سبحان ذي الملك والملكوت ، سبحان الحي الذي لا يموت ، سبحان الذي يميت الخلائق ولا يموت ، سبوح قدوس قدوس ، سبحان ربنا الأعلىٰ رب الملائكة والروح ، سبحان ربنا الأعلىٰ الذي يميت الخلائق ولا يموت ، فيضع اللّٰه كرسيه حيث يشاء[٢] من أرضه ، ثم يهتف بصوته : يا معشر الجن والإنس : إني قد أنصت لكم منذ خلقتكم إلىٰ يومكم هذا ، أسمع قولكم وأبصر أعمالكم [فأنصتوا إليَّ ، فإنما هي أعمالكم][٣] وصحفكم تقرأ عليكم ، فمن وجد خيرًا فليحمد اللّٰه ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه .

ثم يأمر اللّٰه جهنم فيخرج منها عنق ساطع ، ثم يقول : ﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين * وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم * ولقد أضل منكم جبلا كثيرًا أفلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التي كنتم توعدون ﴾ - أو[٤] : بها تكذبون ، [شك أبو عاصم][٥] - ﴿ وامتازوا اليوم أيها المجرمون ﴾ فيميز اللّٰه الناس وتجثوا الأمم . يقول اللّٰه تعالىٰ : ﴿ وترىٰ كل أمّة جاثية كل أمّة تدعىٰ إلىٰ كتابها [اليوم تجزون ما كنتم تعملون][٦] ﴾ فيقضي اللّٰه - عز وجل - بين خلقه إلا الثقلين : الجن والإنس ، فيقضي بين الوحوش[٧] والبهائم ، حتىٰ إنه ليقتص[٨] للجماء من ذات القرن ، فإذا فرغ من ذلك ، فلم تبق تبعة عند واحدة للأخرىٰ ، قال اللّٰه لها[٩] : كوني ترابًا ، فعند ذلك يقول الكافر : ﴿ يا ليتني كنت ترابا ﴾ . ثم يقضي اللّٰه بين العباد ، فكان أوّل ما يقضي فيه الدماء ، ويأتي كل قتيل في سبيل اللّٰه ، ويأمر اللّٰه - عز وجل - كل قتيل فيحمل رأسه تشخب أوداجه ،

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ز : « شاء » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٤] - في ز : « و » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٧] - في ز : « الوحش » .
[٨] - في خ : « ليقضي » .
[٩] - سقط من : ز .

فيقول[١] : يارب فيم قتلني هذا ؟ فيقول - وهو أعلم - فيم قتلتهم ؟ فيقول : قتلتهم لتكون العزة لك ، فيقول الله له : صدقت ، فيجعل الله وجهه مثل نور الشمس ، ثم تمر به الملائكة إلىٰ الجنة ، ثم[٢] يأتي كل من قتل علىٰ[٣] غير ذلك يحمل رأسه و[٤]تشخب أوداجه ، فيقول : يارب فيم[٥] قتلني هذا ؟ فيقول - وهو أعلم : لم قتلتهم ؟ فيقول : يارب قتلتهم لتكون العزة لك ولي ، فيقول[٦] : تعست ، ثم لا تبقىٰ نفس قتلها إلا قتل[٧] بها ، [ولا مظلمة ظلمها إلا أخذ بها ، وكان في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء رحمه .

ثم يقضي الله تعالىٰ بين من بقي من خلقه][٨] ، حتىٰ لا تبقىٰ مظلمة لأحد عند أحد إلا أخذها الله[٩] للمظلوم من الظالم ، حتىٰ إنه ليكلف شائب اللبن بالماء ثم يبيعه : [ ][١٠] أن يخلص اللبن من الماء .

فإذا فرغ الله من ذلك نادىٰ مناد يسمع الخلائق كلهم : ألا ليلحق كل قوم بآلهتهم [وما كانوا يعبدون من دون الله ، فلا يبقىٰ أحد عبد من دون الله إلا مثلت له آلهته بين يديه ، ويجعل يومئذ ملك من الملائكة علىٰ صورة عزير ، ويجعل ملك من الملائكة علىٰ صورة عيسىٰ ابن مريم ، ثم يتبع هذا اليهود وهذا النصارىٰ ، ثم قادتهم آلهتهم][١١] إلىٰ النار، وهو الذي يقول ﴿ لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون ﴾ فإذا لم يبق إلا المؤمنون فيهم المنافقون، جاءهم الله فيما شاء من هيئته فقال : يا أيها الناس ، ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما[١٢] كنتم تعبدون. فيقولون : والله ما لنا إله إلا الله وما كنا نعبد غيره . [فينصرف عنهم وهو الله الذي يأتيهم ، فيمكث ما شاء الله أن يمكث ، ثم يأتيهم فيقول : يا أيها ، الناس ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون. فيقولون : و الله ما لنا إله إلا الله وما كنا نعبد غيره][١٣] . فيكشف لهم عن ساقه ، ويتجلىٰ لهم من عظمته ما يعرفون أنه ربهم ، فيخرون للأذقان[١٤] سجدًا علىٰ وجوههم ، ويخر كل منافق علىٰ قفاه ، ويجعل الله أصلابهم كصياصي البقر ، ثم يأذن الله لهم فيرفعون ، ويضرب الله الصراط بين ظهراني جهنم كحد الشفرة[١٥] أو كحد السيف ، عليه كلاليب وخطاطيف وحسك كحسك السعدان ، دونه

---

[١] - في ز : « يقول » .
[٢] - في ز : « و » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في خ: « سئل »، وفي ز : « مثل » .
[٨] - سقط من : خ ، ز .
[٩] - سقط من : ز .
[١٠] - في ز : « إلى » .
[١١] - سقط من : خ ، ز .
[١٢] - في ز : « ما » .
[١٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[١٤] - سقط من: خ ، ز .
[١٥] - في ز : « الشعرة » .

جسر دحض[١] مزلة ، فيمرون كطرف العين ، أو كلمح البرق ، أو كمر الريح ، أو كجياد الخيل ، أو كجياد الركاب ، أو كجياد الرجال ، فناج سالم ، وناج مخدوش ، ومكردس علىٰ وجهه في جهنم .

فإذا أفضىٰ أهل الجنة إلىٰ الجنة ، قالوا : من يشفع لنا إلىٰ ربنا فندخل الجنة ؟ فيقولون : من أحق بذلك من أبيكم آدم عليه السلام ؛ خلقه اللّٰه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وكلمه قبلًا . فيأتون آدم فيطلب[٢] ذلك إليه ، فيذكر ذنبًا ويقول : ما أنا بصاحب ذلك ، ولكن عليكم بنوح ، فإنه أول رسل اللّٰه ، فيؤتىٰ نوح فيطلب ذلك إليه ، فيذكر ذنبًا ويقول : ما أنا بصاحب ذلك ، ويقول : عليكم بإبراهيم ؛ فإن اللّٰه اتخذه خليلًا ، فيؤتىٰ إبراهيم فيطلب ذلك إليه ، فيذكر ذنبًا ويقول : ما أنا بصاحب ذلك ، ويقول : عليكم بموسىٰ ؛ فإن اللّٰه قربه نجيًّا وكلمه وأنزل عليه التوراة ، فيؤتىٰ موسىٰ فيطلب ذلك إليه ، فيذكر ذنبًا ويقول : لست بصاحب ذلك ، ولكن عليكم بروح اللّٰه وكلمته عيسىٰ ابن مريم ، فيؤتى عيسىٰ ابن مريم فيطلب ذلك إليه ، فيقول : ما أنا بصاحبكم ولكن عليكم بمحمد - قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فيأتوني ولي عند ربي ثلاث شفاعات وعدنيهن[٣] ، فأنطلق فآتي الجنة ، فآخذ بحلقة الباب فأستفتح فيفتح[٤] لي ، فأحيا ويرحب بي ، فإذا دخلت الجنة فنظرت إلىٰ ربي خررت ساجدًا ، فيأذن اللّٰه لي من تحميده[٥] وتمجيده بشيء ما أذن به لأحد من خلقه ، ثم يقول : ارفع رأسك[٦] يا محمد ، واشفع تشفع وسل تعط[٧] . فإذا رفعت رأسي يقول[٨] اللّٰه - وهو أعلم - : ما شأنك ؟ فأقول : يا رب وعدتني الشفاعة فشفعني[٩] في أهل الجنة فيدخلون الجنة . فيقول اللّٰه : قد شفعتك وقد أذنت لهم في دخول الجنة » .

وكان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « والذي نفسي بيده ، ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم ، فيدخل كل رجل منهم علىٰ[١٠] اثنتين[١١] وسبعين زوجة ؛ سبعين[١٢] مما ينشيء اللّٰه عز وجل ، واثنتين آدميتين من ولد آدم ، لهما فضل علىٰ من أنشأ اللّٰه لعبادتهم[١٣] اللّٰه في الدنيا ، فيدخل علىٰ الأولىٰ في غرفة من ياقوتة ، علىٰ سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ ، عليها [سبعون زوجًا][١٤] من سندس

---

[١] - في خ : « رحض » .
[٢] - في ز : « فيطلبون » .
[٣] - سقط من : خ ، ز .
[٤] - سقط من : خ ، ز .
[٥] - في ز : « حمده » .
[٦] - في ز : « تعطه » .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - في ز : « فيقول » .
[٩] - في ز : « فيشفعني » .
[١٠] - في ز : « في » .
[١١] - في ز : « ثنتين » .
[١٢] - سقط من : خ ، ز .
[١٣] - في خ ، ز : « لعبادتهما » .
[١٤] - في ز : « سبعين روحًا » .

وإستبرق ، ثم إنه يضع يده بين كتفيها ، ثم ينظر إلىٰ يده من صدرها ، ومن وراء ثيابها وجلدها ولحمها ، وإنه لينظر إلىٰ مخ ساقها ، كما ينظر [أحدكم إلىٰ][١] السلك في قصبة الياقوت ، كبدها له مرآة وكبده لها مرآة ، فبينا هو عندها لا يملها ولا تمله ، ما يأتيها من مرة إلا وجدها عذراء ، ما يفتر ذكره وما يشتكي قبلها ، فبينا هو كذلك إذ نودي : إنا قد عرفنا أنك لا تَمل ولا تُمل إلا أنه لا مني ولا منية ، إلا أن لك أزواجًا غيرها ، فيخرج فيأتيهن[٢] واحدة واحدة ، كلما أتىٰ واحدة قالت له[٣] : و اللَّه ما أرىٰ في الجنة شيئًا أحسن منك ، ولا في الجنة شيء أحب إلي منك .

وإذا وقع أهل النار في النار ، وقع فيها خلق من خلق ربك أوبقتهم أعمالهم ، فمنهم من تأخذ النار قدميه لا تجاوز ذلك[٤] ، ومنهم من تأخذه إلىٰ أنصاف ساقيه ، ومنهم من تأخذه إلىٰ ركبتيه ، ومنهم من تأخذه إلىٰ حقويه ، ومنهم من تأخذ جسده كله إلا وجهه ، حرم اللَّه صورته عليها » - قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم - : « فأقول[٥] : يارب [شفعني فيمن][٦] وقع في النار من أمتي . فيقول: أخرجوا من عرفتم . فيخرج أولئك حتىٰ لا يبقىٰ منهم أحد ، ثم يأذن اللَّه في الشفاعة، فلا يبقىٰ نبي ولا شهيد إلا شفع، فيقول اللَّه : أخرجوا من وجدتم في قلبه زنة دينار[٧] إيمانًا، فيخرج أولئك حتىٰ لا يبقىٰ منهم أحد، ثم يشفع اللَّه فيقول: أخرجوا من وجدتم[٨] في قلبه إيمانًا ثلثي دينار ، ثم يقول : ثلث دينار ، ثم يقول : ربع دينار ، ثم يقول : قيراطًا[٩] ، ثم يقول : حبة من خردل ، فيخرج[١٠] أولئك حتىٰ لا يبقىٰ منهم أحد[١١] ، وحتىٰ لا يبقىٰ في النار من عمل للَّه خيرًا قط ، ولا يبقىٰ أحد له شفاعة إلا شفع ، حتىٰ إن إبليس يتطاول[١٢] مما يرىٰ من رحمة اللَّه رجاء أن يشفع له ، ثم يقول : بقيت وأنا أرحم الراحمين ، فيدخل يده في جهنم فيخرج منها ما لا يحصيه غيره كأنهم حمم ، فيلقون علىٰ نهر يقال له : نهر الحيوان ، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ، [فما يلي][١٣] الشمس منها أخيضر ، وما يلي الظل منها أصيفر ، فينبتون كنبات الطراثيث حتىٰ يكونوا أمثال الذر ، مكتوب في رقابهم الجهنميون عتقاء الرحمن ، يعرفهم أهل الجنة بذلك الكتاب ما عملوا خيرًا للَّه قط ، فيمكثون في الجنة ما شاء اللَّه وذلك الكتاب في رقابهم ، ثم يقولون :

---

[١] - سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ز : « فيأتيهم » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من : خ ، ز .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في خ ، ز: « من » .
[٧] - في ز : « الدينار » .
[٨] - سقط من : ز .
[٩] - في ز : « قيراط » .
[١٠] - في خ ، ز : « فيقول » .
[١١] - سقط من: خ ، ز .
[١٢] - في ز : « ليتطاول » .
[١٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « ما يلقى » .

ربنا امح عنا هذا الكتاب ، فيمحوه[١] الله عز وجل عنهم ».

هذا حديث مشهور[٢] ، وهو غريب جدًا ، ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة ، وفي بعض ألفاظه نكارة ، تفرد به إسماعيل بن رافع قاص أهل المدينة وقد اختلف فيه ؛ فمنهم من وثقه ، ومنهم من ضعفه ، ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة : كأحمد بن حنبل وأبي حاتم الرازي وعمرو بن علي الفلاس ، ومنهم من قال فيه : هو متروك ، وقال ابن عدي : أحاديثه كلها فيها نظر ، إلا أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء .

قلت : وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة ، قد أفردتها في جزء على حدة ، وأما سياقه فغريب جدًا ، ويقال : إنه جمعه من أحاديث كثيرة ، وجعله سياقًا واحدًا ، فأنكر عليه بسبب ذلك ، وسمعت شيخنا الحافظ أبا[٣] الحجاج المزي يقول : إنه رأى للوليد بن مسلم مصنفًا ، قد جمع فيه كل الشواهد لبعض مفردات هذا الحديث . فالله أعلم[٤] .

---

[١] - في ز : « فيمحاه » .

[٢] - يعني بين الناس ولا يريد « المشهور » بالمعنى الاصطلاحي عند علماء الحديث ومن المعلوم أيضًا أن الشهرة هذه لا تستلزم صحة الحديث .

[٣] - في ز : « أبو » .

[٤] - وقال المصنف في « النهاية » (١/٢٣٤ ، ٢٣٥) : « وهو حديث مشهور ، رواه جماعات من الأئمة في كتبهم كابن جرير في تفسيره والطبراني في « المطولات » والحافظ البيهقي في كتابه « البعث والنشور » والحافظ أبي موسى المديني في « المطولات » أيضًا ، من طرق متعددة عن إسماعيل بن رافع قاص أهل المدينة ، وقد تكلم فيه بسببه ، وفي بعض سياقه نكارة واختلاف بينت طرقه في جزء مفرد ، قلت - الحافظ ابن كثير - وإسماعيل بن رافع المديني ليس في الوضاعين وكأنه جمع هذا الحديث من طرق وأماكن متفرقة ، فجمعه وساقه سياقة واحدة ، فكان يقص به على أهل المدينة ، وقد حضره جماعة من أعيان الناس في عصره ورواه عنه جماعة من الكبار كأبي عاصم النبيل والوليد بن مسلم ومكي بن إبراهيم ومحمد بن شعيب بن سابور وعبدة بن سليمان وغيرهم واختلف عليه ، فتارة يقول : عن محمد بن زياد ، عن محمد بن كعب عن رجل عن أبي هريرة ، وتارة يسقط الرجل ، وقد رواه إسحاق بن راهويه عن عبدة بن سليمان عن إسماعيل بن رافع ، عن محمد بن زيد بن أبي زياد عن رجل من الأنصار عن محمد بن كعب عن رجل من الأنصار عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - بطوله ومنهم من أسقط الرجل الأول قال شيخنا الحافظ المزي : وهذا أقرب قال : وقد رواه عن إسماعيل بن رافع عن الوليد بن مسلم ، وله عليه مصنف بين شواهده من الأحاديث الصحيحة وقال الحافظ أبو موسى المديني بعد إيراده بتمامه : وهذا الحديث وإن كان في إسناده من تكلم فيه فعامة ما يروى فيه مفرقًا من أسانيد ثابتة » .

۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٧٤) وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (٧٩) .

قال الضحاك ، عن ابن عباس : إن أبا إبراهيم لم يكن اسمه آزر ، وإنما[١] كان اسمه تارح[٢] . رواه ابن أبي حاتم(١٣٤) .

وقال أيضًا(١٣٥) : حدثنا أحمد بن عمرو بن أبي عاصم النبيل ، حدثنا أبي ، حدثنا أبو عاصم [أنا][٣] شبيب ، حدثنا عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر** ﴾ يعني : بآزر الصنم ، وأبو إبراهيم اسمه تارح[٤] ، وأمّه اسمها مثاني ، وامرأته اسمها سارة ، وأم إسماعيل اسمها هاجر وهي سرية إبراهيم .

وهكذا قال غير واحد من علماء النسب : إن اسمه تارح[٥] .

---

(١٣٤) - ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٤٩١/٤) والضحاك لم يسمع من ابن عباس وفي إسناده بشر بن عمارة ضعيف كما في « التقريب » .

(١٣٥) - ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٤٨٩/٤) وشيخ ابن أبي حاتم قال هو عنه في « الجرح والتعديل » (٦٧/٢) : « سمعت منه وكان صدوقًا » وباقي رجاله ثقات غير شبيب وهو ابن بشر أبو بشر البجلي فهو صدوق يخطئ - كما في « التقريب » .

---

[١] - في ز : « إنما » . [٢] - في ز : « تارخ » .
[٣] - ساقطة من « ت ، خ ، ز » والمثبت من تفسير ابن أبي حاتم .
[٤] - في ز : « يازخ » . [٥] - في ز : « تارخ » .

وقال مجاهد والسدي : آزر اسم صنم .

قلت : كأنه غلب عليه آزر لخدمته ذلك الصنم ، فالله أعلم .

وقال ابن جرير وقال آخرون : هو سب وعيب بكلامهم ومعناه مِعْوجٌ ، ولم يسنده ولا حكاه عن أحد .

وقد قال ابن أبي حاتم(١٣٦) : ذكر عن معتمر بن سليمان : سمعت أبي يقرأ : ﴿ **وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر** ﴾ قال[١] : بلغني أنها أعوج ، وأنها أشد كلمة قالها إبراهيم عليه السلام.

ثم قال ابن جرير : والصواب أن اسم أبيه آزر ، ثم أورد علىٰ نفسه قول النسابين أن اسمه تارح[٢] ، ثم أجاب : بأنه قد يكون له اسمان كما لكثير من الناس ، أو يكون أحدهما لقبًا ، وهذا الذي قاله جيد قوي والله أعلم .

واختلف القراء في أداء قوله تعالىٰ : ﴿ **وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر** ﴾ فحكىٰ ابن جرير عن الحسن البصري وأبي يزيد المدني[٣] : أنهما كانا يقرآن : ﴿ **وإذ قال إبراهيم لأبيه آزرُ أتتخذ أصنامًا آلهة** ﴾ **معناه : يا آزر أتتخذ أصناما آلهة** .

وقرأ الجمهور بالفتح ، إما علىٰ أنه علم أعجمي لا ينصرف وهو بدل من قوله ﴿ لأبيه ﴾ ، أو عطف بيان وهو أشبه .

وعلىٰ قول من جعله نعتًا لا ينصرف أيضًا كأحمر وأسود .

فأما من زعم أنه[٤] منصوب لكونه معمولًا لقوله : ﴿ **أتتخذ أصنامًا** ﴾ تقديره : يا أبت أتتخذ آزر أصنامًا آلهة ، فإنه قول بعيد في اللغة ؛ لأن ما بعد حرف الاستفهام لا يعمل فيما قبله ، لأن له صدر الكلام ، كذا قرره ابن جرير وغيره ، وهو مشهور في قواعد العربية .

والمقصود أن إبراهيم عليه السلام وعظ أباه في عبادة الأصنام ، وزجره عنها ونهاه فلم ينته ، كما قال: ﴿ **وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصنامًا آلهة** ﴾ أي : أتتأله لصنم تعبده من دون الله ﴿ **إني أراك وقومك** ﴾ أي : السالكين مسلكك ﴿ **في ضلال مبين** ﴾ أي : تائهين لا يهتدون

---

(١٣٦) - ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٤٩٣/٤) وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٤٣/٣) إلى ابن جرير في تفسيره في مظانه ، والله أعلم .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « تارخ » .
[٣] - في ز : « المديني » .
[٤] - سقط من : خ ، ز .

أين يسلكون ، بل في حيرة وجهل ، وأمركم في الجهالة [والضلال بيِّن واضح لكل ذي][١] عقل صحيح .

وقال تعالىٰ : ﴿ **واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صدّيقًا نبيًا * إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئًا * يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطًا سويًا * يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيًا * يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليًا * قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليًا * قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيًا * وأعتزلكم وما تدعون من دون اللَّه وأدعو ربي عسىٰ أن لا أكون بدعاء ربي شقيًا** ﴾ فكان إبراهيم عليه السلام يستغفر لأبيه مدة حياته ، فلما مات علىٰ الشرك ، وتبين إبراهيم ذلك رجع عن الاستغفار له وتبرأ منه ، قال تعالىٰ : ﴿ **وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدوٌّ للَّه تبرأ منه إن إبراهيم لأوّاه حليم** ﴾ .

وثبت في الصحيح(١٣٧) : « **أن إبراهيم يلقىٰ أباه آزر يوم القيامة ، فيقول له آزر**[٢] **: يا بني اليوم لا أعصيك ، فيقول إبراهيم : أي رب ، ألم تعدني أنك لا تخزني يوم يبعثون**[٣] ، **وأي خزي أخزىٰ من أبي الأبعد ؟ فيقال : يا إبراهيم ، انظر ما وراءك . فإذا هو بذِيخ**[٤] **متلطخ ، فيؤخذ بقوائمه فيلقىٰ في النار** » .

وقوله : ﴿ **وكذلك نري إبراهيم ملكوت السمٰوات والأرض** ﴾ [أي : نبين له وجه الدلالة في نظره إلىٰ خلقهما ، علىٰ وحدانية اللَّه عز وجل في ملكه وخلقه ، وأنه لا إله غيره ولا رب سواه ، كقوله : ﴿ **قل انظروا ماذا في السموات والأرض** ﴾][٥] ، وقال : ﴿ **[أو لم]**[٦] **ينظروا في ملكوت السمٰوات والأرض** ﴾ ، وقال : ﴿ **أفلم يروا**[٧] **إلىٰ ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفًا من السماء إن في ذلك لآية لكل عبد منيب** ﴾ .

وأما ما حكاه ابن جرير وغيره : عن مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير والسدي وغيرهم قالوا - واللفظ لمجاهد - : فرجت له السموات فنظر إلىٰ ما فيهن ، حتىٰ انتهىٰ بصره إلىٰ العرش ،

(١٣٧) - أخرجه البخاري ، كتاب : الأنبياء ، باب : قول اللَّه تعالى : ﴿ **واتخذ اللَّه إبراهيم خليلًا** ﴾ (٣٣٥٠) .

[١] - في ز : « والضلالة لكل » . [٢] - في ز : « أبوه » .
[٣] - في خ ، ز : « الدين » . [٤] - في ز : « بذبح » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « أفلم » .
[٧] - في ز : « ينظروا » .

وفرجت له الأرضون السبع فنظر إلىٰ ما فيهن . وزاد غيره : فجعل ينظر إلىٰ العباد علىٰ المعاصي ويدعو عليهم ، فقال اللّٰه له : إني أرحم بعبادي منك ، لعلهم أن يتوبوا [أو يرجعوا][١] .

وقد روىٰ ابن مردويه في ذلك حديثين مرفوعين عن معاذ(١٣٨) وعلي(١٣٩) ، ولكن لا يصح إسنادهما و اللّٰه أعلم .

وروىٰ ابن أبي حاتم(١٤٠) : من طريق العوفي ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وكذلك نري إبراهيم ملكوت السمٰوات والأرض وليكون من الموقنين** ﴾ : فإنه [تعالىٰ جلَّا له][٢] الأمر سره وعلانيته ، فلم يخف عليه شيء من أعمال الخلائق ، فلما جعل يلعن أصحاب الذنوب ، قال اللّٰه : إنك لا[٣] تستطيع هذا . فرده اللّٰه [٤] كما كان قبل ذلك ، فيحتمل أن يكون هذا كشف له عن بصره حتىٰ رأىٰ ذلك عيانًا ، ويحتمل أن يكون عن بصيرته حتىٰ شاهده بفؤاده وتحققه وعرفه ، وعلم ما في ذلك من الحكم الباهرة والدلالات القاطعة ، كما رواه الإمام أحمد والترمذي وصححه(١٤١) : عن معاذ بن جبل في حديث المنام : « **أتاني ربي في أحسن صورة ، فقال : يا محمد ، فيم يختصم الملأ الأعلىٰ ؟ فقلت : لا أدري يارب ، فوضع كفه بين كتفي ، حتىٰ وجدت برد أنامله بين ثديي ، فتجلىٰ لي كل شيء وعرفت** » . وذكر الحديث .

وقوله : ﴿ **وليكون من الموقنين** ﴾ قيل : الواو زائدة ، تقديره : وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض ليكون من الموقنين ، كقوله : ﴿ **وكذلك[٥] نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين** ﴾ .

---

(١٣٨) - **إسناده ضعيف** ، وعزاه لابن مردويه السيوطي في « الدر المنثور » (٣/٤٥) ونسبه أيضًا إلى أبي الشيخ ، والبيهقي في « الشعب » ، وهو في « الشعب » (٥/رقم ٦٧٠٠) من طريق ليث بن أبي سليم عن شهر بن حوشب عنه ، وشهر ضعيف وليث أضعف منه .

(١٣٩) - **كسابقه** ، وكذا عزاه لابن مردويه السيوطي في « الدر المنثور » (٣/٤٥) ولم أهتد إليه عند غيره ، وأفادنا المصنف أن إسناد هذا والذي قبله لا يصح .

(١٤٠) - **إسناده ضعيف** ، رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/٧٥٠٧) ، وكذا أخرجه ابن جرير (١١/ ١٣٤٦٠) من طريق عطية العوفي وهو مشهور بالضعف .

(١٤١) - **صحيح** ، أخرجه أحمد في « المسند « (٥/٢٤٣) ، والترمذي (٣٢٣٥) وقال : « حديث حسن صحيح » ويأتي تخريجه [سورة ص/ آية ٦٩] .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « ويراجعوا » ، والمثبت من : خ ، ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « جل جلاله » .
[٣] - في ز : « لن » . [٤] - سقط من : ز .
[٥] - سقط من : ز .

وقيل : بل هي على بابها ، أي : نريه ذلك ليكون عالمًا وموقنًا .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **فلما جن عليه الليل** ﴾ أي : تغشاه وستره ﴿ **رأىٰ كوكبًا** ﴾ أي : نجمًا ﴿ **قال هذا ربي فلما أفل** ﴾ أي : غاب ، قال محمد بن إسحاق بن يسار : الأفول الذهاب . وقال ابن جرير : يقال : أفل النجم يأفُل ويأفِل أفولًا وأفلًا إذا غاب ، ومنه قول ذي الرمة :

مَصَابِيحُ لَيْسَتْ باللَّوَاتِي تَقُودُها نجومٌ[١] ولا بالآفِلَات الـدَّوَالِـــكِ

ويقال : أين أفلت عنا ؟ بمعنىٰ[٢] : أين غبت عنا . قال : ﴿ **لا أحب الآفلين** ﴾ قال قتادة : علم أن ربه دائم لا يزول ، ﴿ **فلما رأىٰ القمر بازغًا** ﴾ أي : طالعًا ﴿ **قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين * فلما رأىٰ الشمس بازغة قال هذا ربي** ﴾ أي : هذا المنير الطالع ربي ﴿ **هذا أكبر** ﴾ أي : جرمًا من النجم ومن القمر وأكثر إضاءة ﴿ **فلما أفلت** ﴾ أي : غابت ﴿ **قال يا قوم إني بريء مما تشركون * إني وجهت وجهي** ﴾ أي : أخلصت ديني [ ][٣] وأفردت عبادتي ﴿ **للذي فطر السموات والأرض** ﴾ أي : خلقهما وابتدعهما علىٰ غير مثال بسبق ﴿ **حنيفًا** ﴾ أي : في حال كوني حنيفًا ، أي : مائلًا عن الشرك إلىٰ التوحيد ، ولهذا قال : ﴿ **وما أنا من المشركين** ﴾ وقد اختلف المفسرون في هذا المقام ؛ هل هو مقام نظر أو مناظرة ؟ فروىٰ ابن جرير(١٤٢) : من طريق علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ما يقتضي أنه مقام نظر ، واختاره ابن جرير مستدلًا بقوله : ﴿ **لئن لم يهدني ربي [لأكونن من القوم الضالين][٤]** ﴾ .

وقال محمد بن إسحاق(١٤٣) : قال ذلك حين خرج من السَّرَب الذي ولدته فيه أمه ، حين تخوفت عليه [من نمرود][٥] بن كنعان ، لما كان[٦] قد أخبر بوجود[٧] مولود يكون ذهاب ملكه علىٰ يديه ، فأمر بقتل الغلمان عامئذ ، فلما حملت أم إبراهيم به وحان وضعها ، ذهبت به إلىٰ سرب ظاهر البلد ، فولدت فيه إبراهيم وتركته هناك . وذكر أشياء من خوارق العادات ، كما ذكرها غيره من المفسرين من السلف والخلف .

والحق : أن إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- كان في هذا المقام مناظرًا لقومه ، مبينًا لهم

---

(١٤٢) - ابن جرير في تفسيره (١٣٤٦٢/١١) .

(١٤٣) - أخرجه ابن جرير أيضًا (١٣٤٦٤/١١) .

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - في ز : « يعنى » .

[٣] - بعده في خ : « أي » .

[٤] - في : ت : « الآية » .

[٥] - خ ، ز : « النمرود » .

[٦] - في خ ، ز : « أن » .

[٧] - في ز : « بموجود » .

بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل والأصنام ، فبين في المقام الأول مع أبيه خطأهم في عبادة الأصنام الأرضية ، التي هي علىٰ صور[١] الملائكة السماوية ليشفعوا لهم إلىٰ الخالق العظيم ، الذي هم عند أنفسهم أحقر من أن يعبدوه ، وإنما يتوسلون إليه بعبادة ملائكته ؛ ليشفعوا لهم عنده في الرزق والنصر[٢] ، وغير ذلك مما يحتاجون إليه . وبين في هذا المقام خطأهم وضلالهم في عبادة الهياكل : وهي الكواكب السيارة السبعة المتحيرة ، وهي : القمر ، وعطارد ، والزهرة ، والشمس ، والمريخ ، والمشتري ، وزحل ، وأشدهنّ إضاءة وأشرفهنّ[٣] عندهم : الشمس ، ثم القمر ، ثم الزهرة ، فبين أولًا [صلوات اللَّه وسلامه عليه][٤] : أن هذه الزهرة لا تصلح للإلهية ؛ لأنها مسخرة مقدرة بسير معين ، لا تزيغ عنه يمينًا ولا شمالًا ، ولا تملك لنفسها تصرفًا ، بل هي جرم من الأجرام خلقها اللَّه منيرة ، لما له في ذلك من الحكم العظيمة ، وهي تطلع من المشرق ثم تسير فيما بينه وبين المغرب ، حتىٰ تغيب عن الأبصار فيه ، ثم تبدو في الليلة القابلة علىٰ هذا المنوال ، ومثل هذه لا تصلح للإلهية ، ثم انتقل إلىٰ القمر فبين فيه مثل ما تقدم في النجم ، ثم انتقل إلىٰ الشمس كذلك[٥] ، فلما انتفت الإلهية عن هذه الأجرام الثلاثة ، التي هي أنور ما تقع عليه[٦] الأبصار ، وتحقق ذلك بالدليل القاطع ؛ ﴿ **قال يا قوم إني بريء مما تشركون** ﴾ أي : أنا بريء من عبادتهن وموالاتهن ، فإن كانت آلهة فكيدوني بها جميعًا ثم لا تنظرون [ ][٧] ﴿ **إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين** ﴾ أي : إنما أعبد خالق هذه[٨] الأشياء ومخترعها ومسخرها ومقدرها ومدبرها ، الذي بيده ملكوت كل شيء ، و[٩]خالق كل شيء وربه ومليكه وإلهه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **إن ربكم اللَّه الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوىٰ علىٰ العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثًا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك اللَّه رب العالمين** ﴾ وكيف يجوز أن يكون إبراهيم ناظرًا في هذا المقام ، وهو الذي قال اللَّه في حقه : ﴿ **ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين * إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون** ﴾ الآيات ، وقال تعالىٰ : ﴿ **إن إبراهيم كان أمة قانتًا للَّه حنيفًا ولم يك من المشركين * شاكرًا لأنعمه اجتباه وهداه إلىٰ صراط مستقيم * وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين * ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين** ﴾ ، [وقال تعالىٰ : ﴿ **قل إنني هداني ربي إلىٰ صراط مستقيم دينًا قيمًا ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين** ﴾][١٠] .

---

[١] - في ز : « صورة » .
[٢] - في ز : « الرزق » .
[٣] - في ز : « أشرقهنّ » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٥] - في ز : « فكذلك » .
[٦] - في ز : « عليها » .
[٧] - بعده في خ : « أي » .
[٨] - سقط من : ز .
[٩] - سقط من : ز .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

وقد ثبت في الصحيحين(١٤٤) : عن أبي هريرة ، عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أنه قال : « **كل مولود يولد علىٰ الفطرة** » ، وفي صحيح مسلم(١٤٥) : عن عياض بن حمار : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **قال اللّٰه : إني خلقت عبادي حنفاء** » ، وقال اللّٰه في كتابه العزيز : ﴿ **فطرت اللّٰه التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق اللّٰه** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم علىٰ أنفسهم ألست بربكم قالوا بلىٰ** ﴾ ومعناه علىٰ أحد القولين كقوله : ﴿ **فطرت اللّٰه التي فطر الناس عليها** ﴾ كما سيأتي بيانه .

فإذا كان هذا في حق سائر الخليقة ، فكيف يكون إبراهيم الخليل - الذي جعله اللّٰه أمة قانتًا لله حنيفًا ولم يكن[١] من المشركين - ناظرًا في هذا المقام ، بل هو أولىٰ الناس بالفطرة السليمة ، والسجية المستقيمة[٢] بعد رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بلا شك ولا ريب ، ومما يؤيد أنه كان في هذا المقام مناظرًا لقومه فيما كانوا فيه من الشرك لا ناظرًا . قوله تعالىٰ :

وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًاۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾

(١٤٤) - أخرجه البخاري كتاب : الجنائز ، باب : إذا أسلم الصبيُّ فمات هل يُصلَّى عليه .. (١٣٥٨) ، ومسلم ، كتاب : القدر ، باب : معنى كل مولود يولد على الفطرة ... (٢٢) (٢٦٥٨) ، وأبو داود ، كتاب : السنة ، باب : في ذراري المشركين (٤٧١٤) ، والترمذي، كتاب : القدر ، باب : ما جاء كل مولود يولد على الفطرة (٢١٣٨) ، والنسائي (٥٨/٤) ، وأحمد (٢٤٤/٢ - وفي غير موضع) من حديث أبي هريرة بروايات مطولة ومختصرة .

(١٤٥) - صحيح مسلم كتاب : صفة الجنة ونعيمها وأهلها ، باب : الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (٦٣) (٢٨٦٥) ضمن حديث طويل ، وأخرجه أيضًا النسائي في « الكبرى » (٨٠٧٠/٥، ٨٠٧١) ، وابن ماجة (٤١٧٩) مختصرًا ، وأحمد (١٧٥٣١) (١٦٢/٤) .

[١] - في ز : « يك » . [٢] - في ز : « السقيمة » .

يقول تعالىٰ [مخبرًا عن خليله إبراهيم ، حين][١] جادله قومه فيما ذهب إليه من التوحيد ، وناظروه بشبه[٢] من القول ، أنه[٣] قال : ﴿ **أتحاجوني في الله وقد هدان**[٤] ﴾ أي : تجادلوني[٥] في أمر الله وأنه لا إله إلا هو ، وقد بصرني وهداني إلىٰ الحق ، وأنا علىٰ بينة منه ، فكيف ألتفت إلىٰ أقوالكم[٦] الفاسدة[٧] وشبهكم الباطلة .

وقوله : ﴿ **ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئًا** ﴾ أي : ومن الدليل علىٰ بطلان قولكم فيما ذهبتم إليه : أن هذه الآلهة التي تعبدونها لا تؤثر شيئًا ، وأنا لا أخافها ولا أباليها ، فإن كان لها صنع فكيدوني بها ولا تنظرون ، بل عاجلوني بذلك .

وقوله تعالىٰ: ﴿ **إلا أن يشاء ربي شيئًا** ﴾ استثناء منقطع ، أي : لا يضر ولا ينفع إلا الله - عز وجل - .

﴿ **وسع ربي كل شيء علمًا** ﴾ أي : أحاط علمه بجميع الأشياء فلا تخفىٰ[٨] عليه خافية .

﴿ **أفلا تتذكرون** ﴾ أي : فيما بينته لكم ، فتعتبرون أن هذه الآلهة باطلة فتنزجروا عن عبادتها ، وهذه الحجة نظير ما احتج بها[٩] نبي الله هود عليه السلام علىٰ قومه عاد ، فيما قص عنهم في كتابه حيث يقول ﴿ **قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين * إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون * من دونه فكيدوني جميعًا ثم لا تنظرون * إني توكلت علىٰ الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها [إن ربي على صراط مستقيم]**[١٠] ﴾ .

وقوله : ﴿ **وكيف**[١١] **أخاف ما أشركتم** ﴾ أي : كيف أخاف من هذه الأصنام التي تعبدونها[١٢] من دون الله ﴿ **ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانًا [فأي الفريقين]**[١٣] ﴾ قال ابن عباس وغير واحد من السلف : أي : حجة . وهذا كقوله تعالىٰ : ﴿ **أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله** ﴾ ، وقوله تعالىٰ : ﴿ **إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان** ﴾ .

---

[١] - سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ز : « وسبه » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « هداني » .
[٥] - في ز : « تجادلونني » .
[٦] - في ز : « قولكم » .
[٧] - في ز : « الفاسد » .
[٨] - في ز : « يخفى » .
[٩] - في ز : « به » .
[١٠] - في ت : « الآية » .
[١١] - في ز : « فكيف » .
[١٢] - في ز : « تعبدون » .
[١٣] - ما بين المعكوفتين من : ز .

وقوله : ﴿ **فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون** ﴾ أي : فأي الطائفتين أصوب : الذي عبد من بيده الضر والنفع ، أو الذي عبد من لا يضر[١] ولا ينفع بلا دليل ، أيهما أحق بالأمن من عذاب الله يوم القيامة ؟ قال الله تعالىٰ : ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** ﴾ أي : هؤلاء الذين أخلصوا[٢] العبادة لله وحده لا شريك له ، ولم يشركوا به شيئًا ، هم الآمنون[٣] يوم القيامة ، المهتدون في الدنيا والآخرة .

قال البخاري(١٤٦) : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله ، قال : لما نزلت : ﴿ **ولم يلبسوا إيمانهم بظلم** ﴾ قال أصحابه : وأينا لم يظلم نفسه ؟ فنزلت : ﴿ **إن الشرك لظلم عظيم** ﴾ .

وقال الإمام أحمد(١٤٧) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله ، قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم** ﴾ شق ذلك علىٰ الناس ، فقالوا[٤] : يا رسول الله ، [أينا لم][٥] يظلم نفسه ؟ قال : « **إنه ليس الذي تعنون ، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح : ﴿ يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ﴾ إنما هو الشرك** » .

وقال ابن أبي حاتم(١٤٨) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا وكيع وابن إدريس ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله ، قال : لما نزلت ﴿ **ولم يلبسوا إيمانهم**

---

(١٤٦) - في صحيحه ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **ولم يلبسوا إيمانهم بظلم** ﴾ (٤٦٢٩) وانظره بأطرافه كتاب : الإيمان ، باب : ظُلْمٌ دون ظُلْم (رقم ٣٢) ، وأخرجه مسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : صدق الإيمان وإخلاصه (١٩٧ ، ١٩٨) (١٢٤) ، والترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الأنعام (٣٠٦٩) والنسائي في « التفسير » من « الكبرى » (١١١٦٦/٦) . وانظر ما بعده .

(١٤٧) - **إسناده صحيح** ، وهو في « المسند » (٣٧٨/١) (٣٥٨٩) وأخرجه أيضًا (٤٢٤/١ ، ٤٤٤) (٤٠٣١ ، ٤٢٤٠) من طريقين عن الأعمش ، به . وانظر ما قبله وما بعده .

(١٤٨) - **كسابقه** ، رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٥٤٢/٤ ، ٧٥٤٣) وكذا أخرجه أبو يعلى في مسنده (٥١٥٩/٩) وابن جرير في تفسيره (٤٩٤/١١ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦) من طرق عن الأعمش ، به . وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٤٩/٣) إلى ابن المنذر ، والدارقطني في « الأفراد » ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه .

---

[١] - في ز : « يبصر » .
[٢] - في ز : « أخلطوا » .
[٣] - في ز : « المؤمنون » .
[٤] - في ز : « وقالوا » .
[٥] - في ز : « فأينا لا » .

بظلم ﴾ شق ذلك على أصحاب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ، قالوا : وأينا لم يظلم نفسه ؟ فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **ليس كما تظنون ، إنما قال [لقمان][١] لابنه : ﴿ يا بني لا تشرك باللَّه إن الشرك لظلم عظيم** ﴾ » .

وحدثنا عمر بن شَبَّةَ النميري[٢] ، حدثنا أبو أحمد ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد اللَّه [بن مسعود][٣] ، عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم في قوله : ﴿ **ولم يلبسوا إيمانهم بظلم** ﴾ قال : « **بشرك** » .

قال : وروي عن أبي بكر الصديق ، وعمر ، وأبي بن كعب ، وسلمان ، وحذيفة ، وابن عباس ، وابن عمر ، وعمرو بن شرحبيل ، وأبي عبد الرحمن السلمي ، ومجاهد ، وعكرمة ، والنخعي ، والضحاك ، وقتادة ، والسدي ، [وغير واحد][٤] : نحو ذلك .

وقال ابن مردويه(١٤٩) : حدثنا الشافعي ، حدثنا محمد بن شداد المسمعي ، حدثنا أبو عاصم ، حدثنا سفيان الثوري ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد اللَّه ، قال : لما نزلت ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم**[٥] ﴾ قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **قيل لي : أنت منهم** » .

وقال الإمام أحمد(١٥٠) : حدثنا إسحاق بن يوسف ، حدثنا أبو جناب ، عن زاذان[٦] ، عن جرير بن عبد اللَّه ، قال : خرجنا مع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ، فلما برزنا من المدينة ، إذا

(١٤٩) - **إسناده ضعيف جدًّا** . وعزاه لابن مردويه السيوطي في « الدر المنثور » كما في الحديث السابق - والشافعي هو الإمام المحدث المتقن الفقيه ، مسند العراق محمد بن عبد اللَّه بن إبراهيم بن عبدويه أبو بكر البغدادي الشافعي البزار ، صاحب الأجزاء الغيلانيّات العالية - انظر ترجمته في « السير » للذهبي (٣٩/١٦) ، ومحمد بن شداد أبو يعلى المسمعي البصري ملقب بزُرْقان، قال أبو بكر البَرْقاني : ضعيف جدًّا ، كان الدارقطني يقول: لا يكتب حديثه، انظر « السير » (١٤٨/١٣) و« الميزان » للذهبي (٥/ت ٧٦٦٥) .

(١٥٠) - **إسناده ضعيف** . « المسند » (٣٥٩/٤) ، ومن طريقه أبو نعيم في « الحلية » (٢٠٣/٤) عن هذا الموضع غير أنه وقع الحديث عنده من زيادات عبد اللَّه بن أحمد وهو تحريف ، فإن عبد اللَّه بن أحمد لا نعرف له رواية عن إسحاق الأزرق ، وقد تصحف هناك أيضًا « أبو جناب إلى خباب » فليصحح ، وأبو جناب هذا - واسمه يحيى بن أبي حَيَّة - ضعفه ابن سعد ، =

[١] - زيادة من تفسير ابن أبي حاتم .
[٢] - في ت : « شبة النمري » وفي ز : « شيبة النميري » والمثبت من ابن أبي حاتم .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٥] - سقط من : ز . [٦] - في ز : « زادان » .

راكب يُوضِع[١] نحونا ، فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **كأن هذا الراكب إياكم يريد** » . فانتهىٰ إلينا الرجل فسلم فرددنا عليه ، فقال له النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **من أين أقبلت ؟** » قال : من أهلي وولدي وعشيرتي. قال : « **ما[٢] تريد ؟** » . قال : أريد رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ؛ قال : « **تعال[٣] فقد أصبته** » ، قال : يا رسول اللَّه ، علمني ما الإيمان ؟ قال : « **أن[٤] تشهد أن لا إله إلا اللَّه ، وأن محمدًا رسول اللَّه ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت** » ، قال : قد أقررت . قال : ثم إن بعيره دخلت يده في شبكة جرذان ، فهوىٰ بعيره وهوىٰ الرجل فوقع علىٰ هامته فمات، فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم: « **علي بالرجل** ». فوثب إليه عمار بن ياسر وحذيفة ابن اليمان فأقعداه ، فقالا : يا رسول اللَّه ! قُبِضَ الرجل . قال : فأعرض عنهما رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، ثم قال لهما رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أما رأيتما إعراضي عن الرجل ، فإني رأيت ملكين يدسان في فيه من ثمار الجنة ، فعلمت أنه مات جائعًا** » . ثم قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **هذا من الذين قال اللَّه عز وجل فيهم ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم [أولئك لهم الأمن وهم مهتدون][٥] ﴾** - ثم قال : « **دونكم أخاكم** ». قال : فاحتملناه إلىٰ الماء ، فغسلناه وحنطناه وكفناه ، وحملناه إلىٰ القبرْ ، فجاء رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم حتىٰ جلس علىٰ شفير القبر ،

= ويحيى القطان ، وابن معين في رواية ، وقال النسائي وأبو حاتم : ليس بالقوي . وقال أبو زرعة : صدوق غير أنه كان يُدلس .

قلت : ولم يصرح هنا بالسماع ، وبه أعله الهيثمي في « المجمع » حيث ذكره (٤٦/١ ، ٤٧) وقال : « رواه أحمد ، والطبراني في « الكبير » ، وفي إسناده أبو جناب وهو مدلس وقد عنعنه » كذا عزاه للطبراني في « الكبير » من هذه الطريق ، وإنما أخرجه (٢/رقم ٢٣٢٩) ، والبيهقي في « الشعب » (٤٣١٨/٤) من طريق أبي حمزة الثمالي ، عن أبي اليقظان ، عن زاذان ، به وأبو اليقظان وأبو حمزة الثمالي ضعيفان . والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٥٠/٣) إلى أبي الشيخ ، وابن مردويه وانظر ما بعده ، وقوله فيه : « **اللحد لنا والشق لغيرنا** » رواه أحمد (٣٥٧/٤ ، ٣٦٢) ، وابن ماجه (١٥٥٥) ، والطيالسي (٦٦٩) ، والحميدي (٨٠٨) ، والطبراني في « الكبير » (٣١٧/٢ ، ٣١٨) وغيرهم من طرق ضعيفة عن زاذان ، به . لكن لهذا الجزء شاهد من حديث ابن عباس عند أبي داود (٣٢٠٨) ، والترمذي (١٠٤٥) ، والنسائي (٨٠/٤) ، وابن ماجه (١٥٥٤) . وحسنه الترمذي ، وصححه ابن السكن ، وفي إسناده ضعف ، لكن له شواهد أخرى صح بها . انظر « أحكام الجنائز » للألباني (ص ٩٤) .

[١] - أي : يُسْرِعُ يقال : وَضَع البعيرُ يَضَعُ وضْعًا ، وأوضَعَه راكبُه إيضاعًا ، إذا حمله على سُرْعَة السَّيْر [النهاية لابن الأثير ١٩٦/٥] .

[٢] - في ت : «فأين» ، والمثبت من : ز . [٣] - سقط من: ت .

[٤] - سقط من : ز . [٥] - في ت : « الآية » .

فقال : « **ألحدوا ولا تشقوا ؛ فإن اللحد لنا ، والشق لغيرنا** » .

ثم رواه أحمد(١٥١) عن أسود بن عامر ، عن [عبد الحميد بن أبي جعفر الفراء][١] ، عن ثابت ، عن زاذان ، عن جرير بن عبد الله : فذكر نحوه ، وقال فيه : « **هذا ممن عمل قليلًا وأجر كثيرًا** » .

وقال ابن أبي حاتم(١٥٢) : حدثنا أبي ، حدثنا يوسف بن موسىٰ القطان ، حدثنا مهران بن أبي عمر ، حدثنا [علي بن عبد الأعلى][٢] ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كنا مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في مسير ساره ، إذ عرض له أعرابي فقال : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق ، لقد خرجت من بلادي وتلادي ومالي لأهتدي بهداك ، وآخذ من قولك ، وما بلغتك حتىٰ ما لي طعام إلا من خضر الأرض ، فأعرض علي ؛ فعرض عليه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقبل ، فازدحمنا حوله فدخل خف بكره في بيت جرذان ، فتردىٰ الأعرابي فانكسرت عنقه ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **صدق والذي بعثني بالحق ، لقد خرج من بلاده وتلاده وماله ليهتدي بهداي ، ويأخذ من قولي وما بلغني حتىٰ ما له طعام إلا من خضر الأرض ، أسمعتم بالذي عمل قليلًا وأجر كثيرًا ؟ هذا منهم ، أسمعتم بالذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ؟ فإن هذا منهم** » .

[وفي لفظ قال : « **هذا عمل قليلًا وأجر كثيرًا** » .

وروىٰ ابن مردويه(١٥٣) من حديث محمد بن المُعَلَّى[٣] الكوفي وكان نزل الري ، حدثنا زياد

---

(١٥١) - **كسابقه** . « المسند » (٣٥٩/٤) ، وثابت هو ابن أبي صفية أبو حمزة الثُّمالي ضعيف - كما تقدم في السابق .

(١٥٢) - ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٥٤٦/٤) وفي إسناده عبد الأعلى بن عامر الثعلبي والد علي ضعفه أحمد وأبو زرعة وقال الأخير : « ربما رفع الحديث وربما وقفه » وقال ابن معين والنسائي وأبو حاتم « ليس بالقوي » .

(١٥٣) - **ضعيف جدًّا** . وعزاه لابن مردويه السيوطي في « الدر المنثور » (٥٠/٣) ، =

---

[١] - في « ت ، خ ، ز » : « عبد الحميد بن جعفر الفراء » والتصويب من « المسند » و«التاريخ الكبير » للبخاري (٥٢/٦) « والثقات » لابن حبان (٣٩٨/٨) .

[٢] - وقع في المطبوع من تفسير ابن أبي حاتم « يونس بن عبد الأعلى » وهو خطأ والمثبت هنا هو الصواب . انظر « تهذيب الكمال » (٥٩٦/٢٨) .

[٣] - في « ت ، خ ، ز » : « يعلى » والمثبت من مصادر التخريج انظر « تهذيب الكمال » (٩/ ٤٥٧).

ابن خيثمة ، عن أبي داود ، عن عبد الله بن سخبرة ، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم : « **من أعطي فشكر ، ومنع فصبر ، وظَلم فاستغفر ، وظُلم فغفر** » وسكت ، فقالوا : يا رسول الله ما له ؟ قال : ﴿ **أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** ﴾ [١] .

وقوله : ﴿ **وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم علىٰ قومه** ﴾ أي : وجهنا حجته [على قومه][٢] .

قال مجاهد وغيره : يعني بذلك قوله : ﴿ **وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانًا فأي الفريقين أحق بالأمن [إن كنتم تعلمون][٣]** ﴾. وقد صدقه الله وحكم له بالأمن والهداية فقال : ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** ﴾ ثم قال بعد ذلك كله : ﴿ **وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم علىٰ قومه نرفع درجات من نشاء** ﴾ .

قرئ بالإضافة وبلا إضافة[٤] كما في سورة يوسف ، وكلاهما قريب في المعنىٰ .

= وأخرجه ابن أبي حاتم (٤/٧٥٤٨) من طريق محمد بن المُعَلَّى به هكذا مرسلًا ، وأخرجه الطبراني في « الكبير » (٧/٦٦١٤) ، والبغوي في « المعجم » ، وعزاه له السيوطي وزاد عزوه إلى ابن قانع - ومن طريق البغوي أخرجه المزي في « تهذيب الكمال » (١٠/٢١٠) - والبيهقي في « الشعب » (٤/٤٤٣١) من طريق محمد بن المعلى به موصولًا من حديث سخبرة والد عبد الله ، غير أنه تحرف سخبرة إلى سمرة عند البيهقي ، وأخرجه الطبراني أيضًا (٧/٦٦١٣) من طريق محمد بن المعلي غير أنه سقط منه عبد الله ، فرواه أبو داود الأعمى عن سخبرة بلا واسطة ، وعبد الله بن سخبرة لا يعرف قاله الذهبي في « المغنى » وجهله في « الديوان » ، وكذا ابن حجر في « التقريب » ، وقال الذهبي في « الميزان » : تفرد عنه أبو داود نفيع الأعمى ، وأبو داود تالف . واكتفى الهيثمي بإعلاله بأبي داود هذا فقال ، في « المجمع» (١٠/٢٨٧): « رواه الطبراني وفيه أبو داود الأعمى وهو متروك » فالعجب إذن من المُناوي أن يحسن مثل هذا الإسناد في « التيسير بشرح الجامع الصغير » !!! وقد قال البيهقي عقب الحديث : « ليس بالقوي ، وروي من وجه آخر - ثم ذكر بإسناده من حديث أبي هريرة وأعقبه بقوله - وهذا الإسناد ضعيف » قلت : وقد روى الترمذي حديثًا بنفس هذا الإسناد ، كتاب : العلم ، باب : فضل طلب العلم (٢٦٥٠) وهو حديث : « **من طلب العلم كان كفارة لما مضى** » وقال عقبه : « هذا حديث ضعيف الإسناد ، أبو داود يضعف ، ولا نعرف لعبد الله بن سخبرة كبير شيء ولا لأبيه ، واسم أبي داود نفيع الأعمى ، تكلم فيه قتادة وغير واحد من أهل العلم » .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ت : «عليهم» ، والمثبت من : خ ، ز .
[٣] - في ت : « الآية » .
[٤] - قرأ بالإضافة : ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وقرأ بالتنوين بلا إضافة : عاصم ، وحمزة ، والكسائي . (السبعة لابن مجاهد ص ٢٦١ - ٢٦٢) .

وقوله : ﴿ **إن ربك حكيم عليم** ﴾ أي : حكيم في [أقواله وأفعاله][١] ، عليم ؛ أي : بمن يهديه ومن يضله ، وإن قامت عليه الحجج والبراهين ، كما قال : ﴿ **إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون * ولو جاءتهم كل آية حتىٰ يروا العذاب الأليم** ﴾ ولهذا قال هاهنا : ﴿ **إن ربك حكيم عليم** ﴾ .

وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾

يخبر تعالىٰ أنه وهب لإبراهيم إسحاق بعد أن طعن في السن ، وأيس هو وامرأته سارة من الولد ، فجاءته الملائكة وهم ذاهبون إلىٰ قوم لوط فبشروهما بإسحاق ، فتعجبت المرأة من ذلك وقالت : ﴿ **يا ويلتىٰ أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخًا إن هذا لشيء عجيب * قالوا أتعجبين من أمر اللَّه رحمة اللَّه وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد** ﴾ فبشروهما[٢] مع وجوده بنبوته ، وبأن له نسلًا وعقبًا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وبشرناه بإسحاق نبيًّا من الصالحين** ﴾ وهذا أكمل في البشارة ، وأعظم في النعمة ، وقال : ﴿ **فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب** ﴾ أي : ويولد لهذا المولود ولد في حياتكما ، فتقر أعينكما به كما قرت بوالده ؛ فإن الفرح بولد الولد شديد لبقاء النسل والعقب ، ولما كان ولد الشيخ والشيخة قد يتوهم أنه لا يعقب

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « أفعاله وأقواله » .
[٢] - في ز : « وبشروهما » .

لضعفه ، ووقعت البشارة به وبولده باسم يعقوب ، الذي فيه اشتقاق العقب والذرية ، وكان هذا مجازاة لإبراهيم عليه السلام ، حين اعتزل قومه وتركهم ونزح عنهم ، وهاجر من بلادهم ذاهبا إلىٰ عبادة اللّٰه في الأرض ، فعوضه اللّٰه - عز وجل - عن قومه وعشيرته بأولاد صالحين من صلبه علىٰ دينه ؛ لتقر[١] بهم عينه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون اللّٰه وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلًا جعلنا نبيًّا** ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ **ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلًّا هدينا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ونوحًا هدينا من قبل** ﴾ أي : من قبله هديناه ، كما هديناه ، ووهبنا له ذرية صالحة ، وكل منهما له خصوصية عظيمة ، أما نوح عليه السلام : فإن اللّٰه تعالىٰ لما أغرق أهل الأرض إلا من آمن به ، وهم الذين صحبوه في السفينة ، جعل اللّٰه ذريته هم الباقين ، فالناس كلهم من ذرية نوح ، وأما[٢] الخليل إبراهيم عليه السلام : لم يبعث اللّٰه عز وجل بعده نبيًّا إلا من ذريته ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب** ﴾ الآية ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ولقد أرسلنا نوحًا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **أولئك الذين أنعم اللّٰه عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلىٰ عليهم آيات الرحمن خروا سجدًا وبكيًّا** ﴾ .

وقوله في هذه الآية الكريمة : ﴿ **ومن ذريته** ﴾ أي : وهدينا من ذريته ﴿ **داود وسليمان** ﴾ الآية ، وعود الضمير إلىٰ نوح ؛ لأنه أقرب المذكورين ظاهر [لا إشكال فيه ، وهو اختيار ابن جرير][٣] ، وعوده إلىٰ إبراهيم ، لأنه الذي سيق[٤] الكلام من أجله حسن ، لكن يشكل على ذلك لوط ؛ فإنه ليس من ذرية إبراهيم ، بل هو ابن أخيه[٥] ماران بن آزر ، اللّٰهم إلا أن يقال إنه دخل في الذرية تغليبًا ، كما في قوله : ﴿ **أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي * قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهًا واحدًا ونحن له مسلمون** ﴾ فإسماعيل عمه ودخل في آبائه تغليبًا .

[وكما قال في قوله : ﴿ **فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس** ﴾ فدخل إبليس في أمر الملائكة بالسجود وذُمّ علىٰ المخالفة ؛ لأنه كان في تشبه بهم ، فعومل معاملتهم ودخل معهم تغليبا ، وإلا فهو كان من الجن وطبيعته من النار ، والملائكة من النور][٦] .

---

[١] - في ز : « تقر » .
[٢] - في خ ، ز : « وكذلك » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « وهو اختيار ابن جير ، ولا إشكال عليه » .
[٤] - في ز : « سبق » .
[٥] - سقط من : خ ، ز .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

وفي ذكر عيسىٰ - عليه السلام - في ذرية إبراهيم أو نوح علىٰ القول الآخر : دلالة علىٰ دخول ولد البنات في ذرية الرجل ؛ لأن عيسىٰ عليه السلام إنما ينسب إلىٰ إبراهيم عليه السلام بأمه مريم عليها السلام ؛ فإنه لا أب له .

قال ابن أبي حاتم(١٥٤) : حدثنا سهل بن [بحر][١] العسكري ، حدثنا عبد الرحمن بن صالح ، حدثنا علي بن عابس ، عن عبد اللَّه بن عطاء المكي ، عن أبي حرب بن أبي الأسود ، قال : أرسل الحجاج إلىٰ يحيىٰ بن يعمر ، فقال : بلغني أنك تزعم أن الحسن والحسين من ذرية النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم تجده في كتاب اللَّه ، وقد قرأته من أوله إلىٰ آخره فلم أجده ؟ قال : أليس تقرأ سورة الأنعام : ﴿ **ومن ذريته داود وسليمان** ﴾ حتىٰ بلغ ﴿ **ويحيىٰ وعيسىٰ** ﴾ قال : بلىٰ ، قال أليس عيسىٰ[٢] من ذرية إبراهيم وليس له أب ؟ قال : صدقت .

فلهذا إذا أوصىٰ الرجل لذريته ، أو وقف علىٰ ذريته ، أو وهبهم دخل أولاد البنات فيهم ، فأما إذا أعطىٰ الرجل بنيه أو وقف عليهم ، فإنه يختص بذلك بنوه لصلبه ، وبنو بنيه ، واحتجوا بقول الشاعر العربي :

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأجانب

وقال آخرون : ويدخل بنو البنات فيهم أيضا[٣] ؛ لما ثبت في صحيح البخاري(١٥٥) : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم قال للحسن[٤] بن علي : « **إن ابني هذا سيد ، ولعل اللَّه أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين** » . فسماه ابنًا فدل علىٰ دخوله في الأبناء .

وقال آخرون[٥] : هذا تجوز .

(١٥٤) - ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٥٥٤/٤) ، وعبد اللَّه بن عطاء ترجم له ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (١٣٢/٥) ، وكذا البخاري في « الكبير » (١٦٥/٥) ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلًا ، وقال النسائي : ليس بالقوي ، وقال الذهبي : صدوق إن شاء اللَّه . انظر « ميزان الاعتدال » (٤٤٥١/٣) . وعلي بن عابس ضعيف - كما في « التقريب » .

(١٥٥) - صحيح البخاري كتاب: الصلح، باب : قول النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - للحسن بن علي - رضي اللَّه عنهما - : « **ابني هذا سيِّد** ... » (٢٧٠٤) من حديث أبي بكرة ، وسيذكره المصنف مرة ثانية عند [آية رقم ٩/ من سورة الحجرات] .

[١] - في « ت ، خ ، ز » : « يحيى » وهو محرف صوابه ما أثبتناه كما في التفسير (٧٥٥٤/٤) و« الجرح والتعديل » (١٩٤/٤) لابن أبي حاتم .

[٢] - سقط من: خ ، ز .

[٣] - سقط من: خ ، ز .

[٤] - في خ ، ز : « للحسين » .

[٥] - في ز : « الآخرون » .

وقوله : ﴿ **ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم** ﴾ ذكر أصولهم وفروعهم ، وذوي طبقتهم ، وأن الهداية والاجتباء شملهم كلهم ، ولهذا قال : ﴿ **واجتبيناهم وهديناهم إلىٰ صراط مستقيم** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ذلك هدىٰ اللَّه يهدي به من يشاء من عباده** ﴾ أي : إنما حصل لهم ذلك بتوفيق اللَّه لهم وهدايته إياهم ﴿ **ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون** ﴾ تشديد لأمر الشرك ، وتغليظ لشأنه ، وتعظيم لملابسته ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ولقد أوحي إليك وإلىٰ الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك** ﴾ الآية ، وهذا شرط والشرط لا يقتضي جواز الوقوع ، كقوله : ﴿ **قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين** ﴾ ، وكقوله : ﴿ **لو أردنا أن نتخذ لهوًا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين** ﴾ ، وكقوله : ﴿ **لو أراد اللَّه أن يتخذ ولدًا لاصطفىٰ مما يخلق ما يشاء سبحانه هو اللَّه الواحد القهار** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة** ﴾ أي : أنعمنا عليهم بذلك ؛ رحمة للعباد بهم ، ولطفًا منا بالخليقة ﴿ **فإن يكفر بها** ﴾ أي : بالنبوة ، ويحتمل أن يكون الضمير عائدًا علىٰ هذه الأشياء الثلاثة : الكتاب ، والحكم ، والنبوة .

وقوله : ﴿ **هؤلاء** ﴾ يعني : أهل مكة ، قاله ابن عباس ، وسعيد بن المسيب ، والضحاك ، وقتادة ، والسدي ، [وغير واحد][١] ، ﴿ **فقد وكلنا بها قومًا ليسوا بها بكافرين** ﴾ أي : إن يكفر بهذه النعم من كفر بها من قريش ، وغيرهم من سائر أهل الأرض : من عرب وعجم ، ومليين وكتابيين ﴿ **فقد وكلنا بها قومًا** ﴾ ، يعنى[٢] : المهاجرين والأنصار وأتباعهم إلىٰ يوم القيامة ﴿ **ليسوا بها بكافرين** ﴾ أي : لا يجحدون منها شيئًا ، ولا يردون منها حرفًا واحدًا ، بل يؤمنون بجميعها : محكمها ومتشابهها ، جعلنا اللَّه منهم بمنه وكرمه وإحسانه .

ثم قال تعالىٰ مخاطبًا عبده ورسوله محمدًا صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **أولئك** ﴾ يعني : الأنبياء المذكورين ، مع من أضيف إليهم من الآباء والذرية والإخوان : وهم الأشباه ﴿ **الذين هدىٰ اللَّه** ﴾ أي : هم أهل الهداية لا غيرهم ﴿ **فبهداهم اقتده** ﴾ أي : اقتد واتبع ، وإذا كان هذا أمرًا للرسول صلىٰ اللَّه عليه وسلم فأمته تبع له فيما يشرعه ويأمرهم به .

قال البخاري(١٥٦) عند هذه الآية : حدثنا إبراهيم بن موسىٰ ، أخبرنا هشام ، أن ابن جريج

(١٥٦) - صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **أولئك الذين هدى اللَّه فبهداهم اقتده** ﴾ حديث رقم (٤٦٣٢) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ت : « أي » ، والمثبت من خ ، ز .

أخبرهم ، قال : أخبرني سليمان الأحول ، أن مجاهدًا أخبره : أنه سأل ابن عباس : أفي (ص) سجدة ؟ فقال : نعم . ثم تلا : ﴿ **ووهبنا له إسحاق ويعقوب**[١] ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **فبهداهم اقتده** ﴾ ثم قال : هو منهم . زاد يزيد بن هارون ومحمد بن عبيد وسهل بن يوسف ، عن العوام ، عن مجاهد قال[٢] : قلت لابن عباس : فقال : نبيكم صلىٰ الله عليه وسلم ممن أُمِرَ أن يَقْتدِيَ بهم .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجرًا** ﴾ أي : لا أطلب منكم علىٰ إبلاغي إياكم هذا القرآن [أجرًا ، أي][٣] : أجرة ولا أريد منكم شيئًا ﴿ **إن هو إلا ذكرىٰ للعالمين** ﴾ أي : يتذكروا به فيرشدوا من العمىٰ إلىٰ الهدىٰ ، ومن الغي إلىٰ الرشاد ، ومن الكفر إلىٰ الإيمان .

وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾

يقول تعالىٰ : وما عظموا اللَّه حق تعظيمه إذ كذبوا رسله إليهم .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وعبد اللَّه بن كثير : نزلت في قريش . واختاره ابن جرير[٤] .

وقيل : نزلت في طائفة من اليهود . وقيل : في فنحاص رجل منهم . وقيل : في مالك بن الصيف[٥] .

﴿ **قالوا ما أنزل اللَّه علىٰ بشر من شيء** ﴾ والأول [هو الأظهر][٦] ؛ لأن الآية مكية ، واليهود لا ينكرون إنزال الكتب من السماء ، وقريش والعرب قاطبة كانوا يبعدون إرسال رسول

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - ابن جرير في تفسيره (٥٢٤/١١) .
[٥] - في ز : « الضيف » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ت : « أصح » .

من البشر ، كما قال : ﴿ أكان للناس عجبًا أن أوحينا إلىٰ رجل منهم أن أنذر الناس ﴾ ، وكقوله تعالىٰ : ﴿ وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدىٰ إلا أن قالوا أبعث اللَّه بشرًا رسولًا * قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكًا رسولًا ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ وما قدروا اللَّه حق قدره إذ قالوا ما أنزل اللَّه علىٰ بشر من شيء ﴾ . قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورًا وهدىٰ للناس ﴾ أي : قل يا محمد لهؤلاء المنكرين لإنزال شيء من الكتب من عند اللَّه ، في جواب سلبهم العام بإثبات قضية جزئية موجبة ﴿ من أنزل الكتاب الذي جاء به موسىٰ ﴾ يعني التوراة ، التي قد علمتم وكل أحد أن اللَّه قد أنزلها علىٰ موسىٰ بن عمران ﴿ نورًا وهدًى للناس ﴾ أي : ليستضاء بها في كشف المشكلات ، ويهتدىٰ بها من ظلم الشبهات .

وقوله : ﴿ [تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون][١] كثيرًا ﴾ أي : يجعلها حملتها قراطيس ، أي : قطعًا تكتبونها[٢] من الكتاب الأصلي الذي بأيديكم[٣] ، [وتحرفون منها ما تحرفون ، وتبدلون وتتأولون وتقولون][٤] هذا من عند اللَّه ، أي : في كتابه المنزل ، ما هو من عند اللَّه ، ولهذا قال : ﴿ [تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون][٥] كثيرًا ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم ﴾ أي : ومن أنزل القرآن الذي علمكم اللَّه فيه : من خبر ما سبق ، ونبأ ما يأتي ، ما لم تكونوا تعلمون ذلك أنتم ولا آباؤكم .

قال قتادة : هؤلاء مشركو العرب . وقال مجاهد : هذه للمسلمين .

وقوله تعالىٰ : ﴿ قل اللَّه ﴾ قال علي بن أبي طلحة(١٥٧) ، عن ابن عباس : أي : قل اللَّه أنزله . وهذا الذي قاله ابن عباس هو المتعين في تفسير هذه الكلمة ، [لا ما قاله بعض المتأخرين من أن معنىٰ ﴿ قل اللَّه ﴾ أي : لا يكون خطابك لهم إلا هذه الكلمة كلمة][٦] « اللَّه » .

وهذا الذي قاله هذا القائل يكون أمرًا بكلمة مفردة من غير تركيب ، والإتيان بكلمة مفردة لا يفيد في لغة العرب فائدة يحسن السكوت عليها .

---

(١٥٧) - أخرجه ابن جرير (١٣٥٤٩/١١) ، وابن أبي حاتم (٧٦٠٨/٤) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون » .
[٢] - في ز : « يكتبونها » . [٣] - في خ : « بأيديهم » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « ويحرفون فيها ما يحرفون ، ويبدلون ويتأولون ويقولون » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

وقوله : ﴿ **ثم ذرهم في خوضهم يلعبون** ﴾ أي : ثم دعهم في جهلهم وضلالهم يلعبون ، حتىٰ يأتيهم من الله اليقين ، فسوف يعلمون ألهم العاقبة أم لعباد الله المتقين ؟ وقوله : ﴿ **وهذا كتاب** ﴾ يعني : القرآن ﴿ **أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرىٰ** ﴾ يعني : مكة ، ﴿ **وَمَنْ حولها** ﴾ من أحياء العرب ، ومن سائر طوائف بني آدم : من عرب وعجم ، كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا** ﴾ ، وقال : ﴿ **لأنذركم به ومن بلغ** ﴾ ، وقال : ﴿ **ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده** ﴾ ، وقال : ﴿ **تبارك الذي نزَّل الفرقان علىٰ عبده ليكون للعالمين نذيرًا** ﴾ ، وقال : ﴿ **وقل للذين أوتوا الكتاب والأمّيين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد** ﴾ ، وثبت في الصحيحين(١٥٨) : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي** » [وذكر منهن][١] « **وكان النبي يبعث إلىٰ قومه خاصة**[٢] ، **وبعثت إلىٰ الناس عامة** » . ولهذا قال : ﴿ **والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به** ﴾ أي : كل من آمن بالله واليوم الآخر يؤمن[٣] بهذا الكتاب المبارك ، الذي أنزلناه إليك يا محمد وهو القرآن ﴿ **وهم علىٰ صلاتهم يحافظون** ﴾ أي : يقيمون بما افترض عليهم من أداء الصلوات في أوقاتها .

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

(١٥٨) - تقدم تخريجه [سورة النساء/ آية ٤٣] .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « فذكر منهم » .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ز : « آمن » .

يقول تعالىٰ : ﴿ **ومن أظلم ممن افترىٰ علىٰ اللَّه كذبًا** ﴾ أي : لا أحد أظلم ممن كذب علىٰ اللَّه فجعل له شريكًا أو ولدًا ، أو ادعىٰ أن اللَّه أرسله إلىٰ الناس ولم يكن أرسله ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء** ﴾ قال عكرمة وقتادة : نزلت في مسيلمة الكذاب .

﴿ **ومن قال سأنزل مثل ما أنزل اللَّه** ﴾ [أي : و][1] من ادعىٰ أنه يعارض ما جاء من عند اللَّه من الوحي مما يفتريه من القول ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **وإذا تتلىٰ عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا [إن هذا إلا أساطير الأولين]**[2] ﴾ . قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **ولو ترىٰ إذ الظالمون في غمرات الموت** ﴾ أي : في سكراته وغمراته وكرباته : ﴿ **والملائكة باسطوا أيديهم** ﴾ أي: بالضرب، كقوله : ﴿ **لئن بسطت إليَّ يدك لتقتلني [ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك]**[3]﴾ وقوله : ﴿ **ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء** ﴾ الآية .

وقال الضحاك وأبو صالح : ﴿ **باسطوا أيديهم** ﴾ أي : بالعذاب . كقوله : ﴿ **ولو ترىٰ إذ يتوفىٰ الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم** ﴾ ، ولهذا قال : ﴿ **والملائكة باسطوا أيديهم** ﴾ أي : بالضرب لهم حتىٰ تخرج أنفسهم من أجسادهم ، ولهذا يقولون لهم : ﴿ **أخرجوا أنفسكم** ﴾ وذلك أن الكافر إذا احتضر ، بشرته الملائكة بالعذاب والنكال ، والأغلال والسلاسل ، والجحيم والحميم ، وغضب الرحمن الرحيم ، فتتفرق روحه في جسده ، وتعصىٰ وتأبىٰ الخروج ، فتضربهم الملائكة حتىٰ تخرج أرواحهم من أجسادهم ، قائلين لهم : ﴿ **أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون علىٰ اللَّه غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون** ﴾ ، أي : اليوم تهانون غاية الإهانة ، كما كنتم تكذبون على اللَّه ، وتستكبرون عن اتباع آياته والانقياد لرسله .

وقد وردت [الأحاديث المتواترة][4] في كيفية احتضار المؤمن والكافر عند الموت ، وهي مقررة عند قوله تعالىٰ : ﴿ **يثبت اللَّه الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾ ، وقد ذكر ابن مردويه(١٥٩) هاهنا حديثًا مطولاً جدًّا من طريق غريبة ، عن الضحاك ، عن ابن عباس مرفوعًا ، فاللَّه أعلم .

وقوله : ﴿ **ولقد جئتمونا فرادىٰ كما خلقناكم أول مرة** ﴾ [أي : يقال لهم يوم معادهم هذا ، كما قال : ﴿ **وعرضوا علىٰ ربك صفًا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة** ﴾][5] أي :

---

(١٥٩) - **ضعيف** . وذكر نصه السيوطي في « الدر المنثور » (٣/٥٦ : ٥٨) وقال : أخرجه ابن مردويه بسند ضعيف عن ابن عباس .

---

[١] - في ز : « يعني : أو » .
[٢] - في ت : « الآية » .
[٣] - في ت : « الآية » .
[٤] - في ز : « أحاديث » .
[٥] - سقط من : خ ، ز .

كما بدأناكم أعدناكم[١] ، وقد كنتم تنكرون ذلك وتستبعدونه ، فهذا يوم البعث .

وقوله : ﴿ **وتركتم ما خولناكم [وراء ظهوركم]**[٢] ﴾ أي : من النعم والأموال التي اقتنيتموها في الدار الدنيا وراء ظهوركم ، وثبت في الصحيح(١٦٠) : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **يقول ابن آدم : مالي مالي ، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت** » وما سوىٰ ذلك فذاهب وتاركه للناس .

وقال الحسن البصري : يؤتى بابن آدم يوم القيامة كأنه بذج[٣] ، فيقول اللَّه عز وجل [له] : أين ما جمعت ؟ فيقول : يارب جمعته وتركته أوفر ما كان . فيقول [له : يا ابن آدم أين][٤] ما قدمت لنفسك ؟ فلا يراه قدم شيئًا ، وتلا هذه الآية : ﴿ **ولقد جئتمونا فرادىٰ كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم** ﴾ . رواه ابن أبي حاتم(١٦١) .

وقوله : ﴿ **وما نرىٰ معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء** ﴾ تقريع لهم وتوبيخ علىٰ ما كانوا اتخذوا في [ ][٥] الدنيا من الأنداد والأصنام والأوثان ، ظانين أنها[٦] تنفعهم في معاشهم ومعادهم إن كان ثم معاد ، فإذا كان يوم القيامة تقطعت الأسباب ، وانزاح الضلال ، وضل عنهم ما كانوا يفترون ، ويناديهم الرب جل جلاله علىٰ رءوس الخلائق : ﴿ **أين شركائي الذين كنتم تزعمون** ﴾ ، ﴿ **وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون**[٧] **من دون اللَّه هل ينصرونكم أو ينتصرون** ﴾ ولهذا قال هاهنا : ﴿ **وما نرىٰ معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء** ﴾ [أي : في العبادة لهم فيكم قسط في استحقاق العبادة لهم][٨] .

[ثم قال تعالىٰ][٩] : ﴿ **لقد تقطع بينكم** ﴾ قرئ بالرفع أي : شملكم ، وقرئ بالنصب أي : لقد انقطع ما بينكم من لأسباب والوصلات والوسائل ﴿ **وضل عنكم** ﴾ أي[١٠] : وذهب عنكم ﴿ **ما كنتم تزعمون** ﴾ من رجاء[١١] الأصنام والأنداد[١٢] ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **إذ تبرأ الذين**

---

(١٦٠) - تقدم تخريجه [سورة البقرة / آية ٢١٢] .

(١٦١) - ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٦٤١/٤) معلقًا قال : وذكر عن أبي داود ، عن أبي حرة ، عن الحسن فذكره ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٦٠/٣) إلى عبد بن حميد .

---

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٣] - في ز : « بدج » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « فأين » .

[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « الدار » .

[٦] - في خ ، ز : «أن تلك» .

[٧] - في ز : « تشركون » .

[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[١٠] - سقط من : ز .

[١١] - في ز : « رجوى » .

[١٢] - سقط من : خ ، ز .

اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب * وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **إنما اتخذتم من دون الله أوثانًا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضًا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين** ﴾ ، وقال : ﴿ **وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم** ﴾ الآية ، وقال : ﴿ **ويوم نحشرهم جميعًا ثم نقول للذين أشركوا** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **وضل عنهم ما كانوا يفترون** ﴾ والآيات في هذا كثيرة جدًّا.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾

يخبر تعالىٰ أنه فالق الحب والنوىٰ ، أي : يشقه في الثرىٰ ، فتنبت منه[١] الزروع علىٰ اختلاف أصنافها : من الحبوب والثمار علىٰ اختلاف [ألوانها وأشكالها وطعومها][٢] من النوىٰ ، ولهذا فسر قوله[٣] : ﴿ **فالق الحب والنوىٰ** ﴾ بقوله : ﴿ **يخرج الحي من الميت** ﴾ أي : يخرج النبات الحي من الحب والنوىٰ الذي هو[٤] كالجماد الميت ، كقوله : ﴿ **وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **ومن أنفسهم ومما لا يعلمون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ومخرج الميت من الحي** ﴾ معطوف علىٰ ﴿ **فالق الحب والنوىٰ** ﴾ ثم فسره ، ثم عطف عليه قوله : ﴿ **ومخرج الميت من الحي** ﴾ .

وقد عبروا عن هذا بعبارات كلها متقاربة مؤدية للمعنىٰ ، فمن قائل : يخرج الدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة ، ومن قائل يخرج الولد الصالح من [الفاجر والفاجر][٥] من الصالح ، وغير ذلك من العبارات التي تنتظمها الآية وتشملها .

---

[١] - سقط من : خ ، وفي ز : « فينبت ». [٢] - في ز : « أشكالها وألوانها وطعامها » .
[٣] - سقط من : ز . [٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « الكافر و الكافر » .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ذلكم اللَّه** ﴾ أي : فاعل هذه الأشياء هو اللَّه وحده لا شريك له ﴿ **فأنىٰ تؤفكون** ﴾ أي : فكيف تصرفون عن الحق وتعدلون عنه إلىٰ الباطل فتعبدون مع اللَّه غيره .

وقوله : ﴿ **فالق الإصباح وجعل[١] الليل سكنًا** ﴾ أي : خالق الضياء والظلام ، كما قال في أول السورة : ﴿ **وجعل الظلمات والنور** ﴾ أي[٢] : فهو سبحانه يفلق ظلام[٣] الليل عن غرة الصباح ، فيضيء[٤] الوجود ويستنير الأفق ، ويضمحل الظلام ، ويذهب الليل بدآدئه[٥] وظلام رواقه ، ويجيء النهار بضيائه[٦] وإشراقه ، كقوله : ﴿ **يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا** ﴾ ، فبين تعالىٰ قدرته علىٰ خلق الأشياء المتضادة المختلفة ، الدالة علىٰ كمال عظمته وعظيم سلطانه ، فذكر أنه فالق الإِصباح، وقابل ذلك بقوله: ﴿ **وجعل[٧] الليل سكنًا** ﴾ أي : ساجيًا مظلمًا لتسكن[٨] فيه الأشياء ، كما قال : ﴿ **والضحىٰ * والليل إذا سجىٰ** ﴾ ، وقال : ﴿ **والليل إذا يغشىٰ * والنهار إذا تجلىٰ** ﴾ ، وقال : ﴿ **والنهار إذا جلاها * والليل إذا يغشاها** ﴾ .

وقال صهيب الرومي - رضي اللَّه عنه - لامرأته وقد[٩] عاتبته في كثرة سهره : إن اللَّه جعل الليل سكنًا إلا لصهيب ، إن صهيبًا إذا ذكر الجنة طال شوقه ، وإذا ذكر النار طار[١٠] نومه . رواه ابن أبي حاتم(١٦٢) .

وقوله : ﴿ **والشمس والقمر حسبانًا** ﴾ أي : يجريان بحساب مقنن مقدر لا يتغير و[١١]لا يضطرب ، بل كل منهما له منازل يسلكها في الصيف والشتاء ، فيترتب علىٰ ذلك اختلاف الليل والنهار طولًا وقصرًا ، كما قال : ﴿ **هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورًا وقدره منازل [لتعلموا عدد السنين والحساب][١٢]** ﴾ الآية ، وكما قال : ﴿ **لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر[١٣] ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون** ﴾ ، وقال : ﴿ **والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ذلك تقدير العزيز العليم** ﴾ أي : الجميع جار بتقدير العزيز الذي لا يمانَع ولا

---

(١٦٢) - ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/٧٦٧٦) وفي سنده انقطاع .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « فيفضي » .
[٥] - في ز : « بداءديه » .
[٦] - في ز : « بضائه » .
[٧] - في ز : « جاعل » .
[٨] - في ز : « تسكن » .
[٩] - سقط من : ز .
[١٠] - في ت : « طال » .
[١١] - سقط من : ز .
[١٢] - في ت : « الآية » .
[١٣] - سقط من : ز .

يخالف ، العليم بكل شيء ، فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، وكثيرًا ما[١] إذا ذكر الله تعالىٰ خلق الليل والنهار والشمس والقمر يختم الكلام بالعزة والعلم ، كما ذكر في هذه الآية ، وكما في قوله : ﴿ **وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون * والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم** ﴾ .

ولما ذكر خلق السمٰوات والأرض وما فيهن في أول سورة حم السجدة قال : ﴿ **وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظًا ذلك تقدير العزيز العليم** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر** ﴾ قال بعض السلف : من اعتقد في هذه النجوم غير ثلاث فقد أخطأ ، وكذب علىٰ الله سبحانه : أن الله جعلها زينة للسماء ، ورجومًا للشياطين ، ويهتدىٰ بها في[٢] ظلمات البر والبحر .

وقوله : ﴿ **قد فصلنا الآيات** ﴾ أي : قد بيناها ووضحناها ﴿ **لقوم يعلمون** ﴾ أي : يعقلون ويعرفون الحق ويجتنبون الباطل .

وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٩﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة** ﴾ يعني : آدم عليه السلام ، كما قال : ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالًا كثيرًا ونساء** ﴾ .

وقوله : ﴿ **فمستقر ومستودع** ﴾ اختلفوا في معنىٰ ذلك ؛ فعن ابن مسعود(١٦٣) ، وابن

(١٦٣) - لم أهتد إلى هذا الوجه عن ابن مسعود ، وقد ذكر هذا الوجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٥٧) وعزاه للمذكورين هنا، حاشا ابن مسعود وعطاء- وأثر عطاء عند ابن جرير (١١/ ١٣٦٣٩) - وأخرج الفريابي - ومن طريقه الطبراني في « الكبير » (٩٠١٦/٩) - وسعيد بن منصور - ومن طريقه الطبراني أيضًا (٩٠١٧/٩) - وابن جرير (٥٦٢/١١ ، ٥٦٣) وابن أبي حاتم

[١] - سقط من : ز . [٢] - في ز : « من » .

عباس(١٦٤) ، وأبي عبد الرحمن السلمي ، وقيس بن أبي حازم ، ومجاهد ، وعطاء ، وإبراهيم النخعي ، والضحاك ، وقتادة ، والسدي ، وعطاء الخراساني ، وغيرهم[١] ﴿ **فمستقر** ﴾ أي : في الأرحام ، قالوا - أو[٢] أكثرهم - ﴿ **ومستودع** ﴾ أي : في الأصلاب .

وعن ابن مسعود وطائفة : عكس ذلك .

وعن ابن مسعود أيضًا وطائفة : فمستقر في الدنيا ، ومستودع حيث يموت .

[وقال سعيد بن جبير : فمستقر في الأرحام ، وعلىٰ ظهر الأرض ، وحيث يموت][٣] .

وقال الحسن البصري : المستقر : الذي مات فاستقر به عمله .

وعن ابن مسعود(١٦٥) : ومستودع في الدار الآخرة .

والقول الأول هو الأظهر والله أعلم .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون** ﴾ أي يفهمون ويعون كلام الله ومعناه .

(٨٦٨٥/٤) من طرق عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن إبراهيم النخعي ، عن عبد الله بن مسعود قال : « المستقر الرحم ، والمستودع الأرض التي يموت فيها » وفي لفظ « مستودعها في الدنيا ومستقرها في الرحم » وإسناده رجاله ثقات رجال الصحيح كما قال الهيثمي في « المجمع » (٧/ ٢٤) غير أنه أعله بالانقطاع فقال : « إبراهيم لم يدرك ابن مسعود » قلت : لكن قال الأعمش : قلت لإبراهيم : أسند لي عن ابن مسعود ، فقال إبراهيم : إذا حدثتكم عن رجل عن عبد الله فهو الذي سمعت ، وإذا قلت : قال عبد الله ؛ فهو عن غير واحد عن عبد الله » ثم إن للأثر طريقًا آخر بإسناد حسن أخرجه ابن جرير (١٣٦١٧/١١) ، وابن أبي حاتم (٧٦٩٤/٤) ، وانظر الآتي برقم (١٦٦) .

(١٦٤) - أخرجه ابن جرير (٥٦٥/١١ : ٥٦٧) ، وابن أبي حاتم (٧٦٨٣، ٧٦٩٢) من طرق عن ابن عباس، وصححه الحاكم (٣١٦/٢) على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٦٦/٣) إلى سعيد بن منصور ، وابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(١٦٥) - أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢١٥/٢) ومن طريقه ابن أبي حاتم (٧٦٨٤/٤) عن ابن عيينة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن إبراهيم قال : قال عبد الله ... فذكره وزاد نسبته السيوطي (٦٦/٣) إلى أبي الشيخ ، وانظر المتقدم برقم (١٦٤) .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « إذ » .
[٣] - سقط من : خ ، ز .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وهو الذي أنزل من السماء ماء** ﴾ أي بقدر مباركًا[١] رزقًا للعباد ، وإحياء[٢] وغياثًا[٣] للخلائق ، رحمة من الله بخلقه[٤] ﴿ **فأخرجنا به نبات كل شيء** ﴾ كقوله : ﴿ **وجعلنا من الماء كل شيء حي** ﴾ .

﴿ **فأخرجنا منه خضرًا** ﴾ أي : زرعًا وشجرًا أخضر ، ثم بعد ذلك يخلق فيه الحب والثمر ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **نخرج منها[٥] حبًا متراكبًا** ﴾ أي : يركب بعضه بعضًا[٦] كالسنابل ونحوها ﴿ **ومن النخل[٧] من طلعها قنوان** ﴾ أي : جمع قنو ، وهي عذوق الرطب ﴿ **دانية** ﴾ أي : قريبة من المتناول ، كما قال علي بن أبي طلحة الوالبي ، عن ابن عباس : ﴿ **قنوان دانية** ﴾ يعني : بالقنوان الدانية قصار النخل المتلاصقة[٨] عذوقها بالأرض[٩] . رواه ابن جرير(١٦٦) .

قال ابن جرير : وأهل الحجاز يقولون : قنوان ، وقيس يقولون[١٠] : قُنوان . وقال امرؤ القيس :

فَـأَتَّـتْ أَعَـالِـيـهِ وَآدَتَ أُصُـولُـهُ وَمَالَ[١١] بِقِنْوانٍ من البُسْرِ أَحْمَرَا

قال : وتميم يقولون : قنيان بالياء . قال : وهي جمع قنو ، كما أن صنوان جمع صنو .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وجنات من أعناب** ﴾ أي : ونخرج منه جنات من أعناب ، وهذان النوعان هما أشرف الثمار عند أهل الحجاز ، وربما كانا[١٢] خيار الثمار في الدنيا ، كما امتن الله بهما علىٰ عباده في قوله تعالىٰ : ﴿ **ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرًا ورزقًا حسنًا** ﴾ وكان ذلك قبل تحريم الخمر ، وقال : ﴿ **وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب** ﴾ . وقوله تعالىٰ : ﴿ **والزيتون والرمان مشتبهًا وغير متشابه** ﴾ قال قتادة وغيره : يتشابه في الورق ، و[ ][١٣] الشكل قريب[١٤] بعضه من بعض ، ويتخالف في الثمار شكلًا وطعمًا وطبعًا[١٥] .

---

(١٦٦) - ابن جرير في تفسيره (١٣٦٦٢/١١) ، وابن أبي حاتم (٧٧٠٥/٤) ، وابن المنذر كما في « الدر المنثور » (٦٧/٣) .

---

[١] - في ز : « مبارك » .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ز : « عبانا » .
[٤] - في ز : « لخلقه » .
[٥] - في ز : « منه » .
[٦] - في ز : « بعضه » .
[٧] - « النخيل » .
[٨] - في ت : « اللاصقة » .
[٩] - في ز ، خ : « بالنخل » .
[١٠] - في ت : « يقول » .
[١١] - سقط من : ز .
[١٢] - في خ ، ز : « أنهما » .
[١٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « قريب » .
[١٤] - في ز : « من »
[١٥] - سقط من : ت .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **انظروا إلىٰ ثمره إذا أثمر وينعه** ﴾ أي : نضجه ، قاله البراء بن عازب ، وابن عباس ، والضحاك ، وعطاء الخراساني ، والسدي ، وقتادة ، وغيرهم ، أي : فكروا في قدرة خالقه من العدم إلىٰ الوجود ، بعد أن كان حطبًا صار عنبًا ورطبًا ، وغير ذلك مما خلق سبحانه وتعالىٰ ، من الألوان والأشكال والطعوم والروائح ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقىٰ**[١] **بماء واحد ونفضل بعضها علىٰ بعض في الأكل [إن في ذلك لأيت لقوم يعلقون]**[٢] ﴾ ، ولهذا قال هاهنا : ﴿ **إن في ذلكم** ﴾ [أيها الناس][٣] ﴿ **لآيات** ﴾ أي : دلالات علىٰ كمال قدرة خالق هذه الأشياء وحكمته ورحمته ﴿ **لقوم يؤمنون** ﴾ أي : يصدقون به ويتبعون رسله .

وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾

هذا رد علىٰ المشركين الذين عبدوا مع اللَّه غيره ، وأشركوا [به في عبادته][٤]، أن عبدوا الجن فجعلوهم شركاء اللَّه في العبادة ، تعالىٰ اللَّه عن شركهم وكفرهم .

فإن قيل : فكيف عُبِدَتْ الجن وإنما كانوا يعبدون الأصنام ؟ فالجواب : أنهم ما[٥] عبدوا الأصنام إلا[٦] عن طاعة الجن ، وأمرهم إياهم بذلك ، كقوله : ﴿ **إن يدعون من دونه إلا إناثًا وإن يدعون إلا شيطانًا مريدًا * لعنه اللَّه وقال لأتخذن من عبادك نصيبًا مفروضًا * ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق اللَّه ومن يتخذ الشيطان وليًّا من دون اللَّه فقد خسر خسرانًا مبينًا * يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورًا** ﴾ ، وكقوله تعالىٰ : ﴿ **أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني [وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلًا]**[٧] ﴾ ، وقال إبراهيم لأبيه : ﴿ **يا أبت**[٨] **لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيًّا** ﴾ ، وكقوله : ﴿ **ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين * وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم** ﴾ ، وتقول الملائكة يوم القيامة : ﴿ **سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون** ﴾ ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وجعلوا للَّه شركاء الجن وخلقهم** ﴾ أي : وقد خلقهم ، فهو الخالق وحده لا شريك له ، فكيف يعبد معه غيره ، كقول إبراهيم : ﴿ **أتعبدون ما تنحتون * واللَّه خلقكم وما تعملون** ﴾ .

---

[١] - في ز : « تسقى » .
[٢] - في ت : « الآية » .
[٣] - سقط من : خ ، ز .
[٤] - في ز : « في عبادة اللَّه » .
[٥] - في ز : « إنما » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في ت : « الآية » .
[٨] - في ز : « أبة » .

ومعنىٰ الآية : أنه سبحانه وتعالىٰ هو المستقل بالخلق وحده ، فلهذا يجب أن يفرد بالعبادة وحده ، لا شريك له .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وخرقوا له بنين وبنات بغير علم** ﴾ ينبه به تعالىٰ علىٰ ضلال من ضل في وصفه تعالىٰ بأن له ولدًا ، كما يزعمه من قاله من اليهود في عزير[١] ، ومن قال من النصارىٰ في [المسيح ، وكما][٢] قال المشركون من العرب في الملائكة أنها بنات اللَّه ، تعالىٰ اللَّه عما [يقول الظالمون][٣] علوًّا كبيرًا ومعنىٰ وقوله : ﴿ **وخرقوا** ﴾ أي : اختلقوا[٤] وَأْتفكوا وتخرصوا[٥] وكذبوا ، كما قاله علماء السلف .

قال علي بن أبي طلحة(١٦٧) ، عن ابن عباس : ﴿ **وخرقوا** ﴾ يعني : [أنه تخرصوا][٦] .

وقال العوفي(١٦٨) ، عنه : ﴿ **وخرقوا له بنين وبنات بغير علم** ﴾ قال : جعلوا له بنين وبنات . وقال مجاهد ﴿ **وخرقوا له بنين وبنات** ﴾ قال : كذبوا . وكذا قال الحسن ، وقال الضحاك : وضعوا . وقال السدي : قطعوا[٧] .

قال ابن جرير : فتأويل الكلام إذًا : وجعلوا للَّه الجن شركاء في عبادتهم إياه ، وهو المنفرد بخلقهم بغير شريك ولا معين ولا ظهير ﴿ **وخرقوا له بنين وبنات** ﴾ [يقول : وتخرصوا للَّه كذبًا ، فافتعلوا له بنين وبنات][٨] ﴿ **بغير علم** ﴾ بحقيقة ما يقولون ، ولكن جهلًا باللَّه وبعظمته ؛ فإنه[٩] لا ينبغي لمن[١٠] كان إلهًا أن يكون له بنون وبنات ولا صاحبة ، ولا أن يشركه في خلقه شريك ، ولهذا قال : ﴿ **سبحانه وتعالىٰ عما يصفون** ﴾ أي : تقدس وتنزه وتعاظم عما يصفه هؤلاء الجهلة الضالون : من الأولاد ، والأنداد ، والنظراء ، والشركاء[١١] .

---

(١٦٧) - أخرجه ابن جرير (١٣٦٨١/١٢) ، وابن أبي حاتم (٧٧١٨/٤) ، وابن المنذر - كما في « الدر المنثور » - (٦٨/٣) .

(١٦٨) - أخرجه ابن جرير (١٣٦٨٢/١٢) ، وابن أبي حاتم (٧٧١٩/٤) ، والعوفي ضعيف .

---

[١] - في ز : « العزيز » .
[٢] - في ت : « عيسى ، ومن » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « يقولون » .
[٤] - في ت : « اختلفوا » .
[٥] - في ز : « تحرصوا » .
[٦] - في ز : « أنهم تحرصوا » .
[٧] - في ز : « فظعوا » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٩] - في ز : « وأنه » .
[١٠] - في ز : « إن » .
[١١] - في حاشية « ز » : آخر أول أجزاء المؤلف رحمه اللَّه من هذه السورة ، ومن هذه الآية ابتدأ بتعليق هذا التفسير إلى آخر القرآن العظيم ثم فسر من سورة البقرة إلى هاهنا ، ووافق آخر التعليق يوم الجمعة رابع عشري ذي قعدة سنة إحدى وأربعين وسبعمائه فكتب الجميع في نحو أربع سنين .

بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾

﴿ **بديع السموات والأرض** ﴾ أي : مبدعهما[١] وخالقهما ومنشئهما ومحدثهما[٢] على غير مثال سبق ، كما قال مجاهد والسدي ، ومنه سميت البدعة بدعة ؛ لأنه لا نظير لها فيما سلف .

﴿ **أنى يكون له ولد** ﴾ أي : كيف يكون له ولد ﴿ **ولم تكن له صاحبة** ﴾ أي : والولد إنما يكون متولدًا بين[٣] شيئين متناسبين ، والله تعالىٰ لا يناسبه ولا يشابهه شيء من خلقه ؛ لأنه خالق كل شيء فلا صاحبة له ولا ولد ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا * لقد جئتم شيئًا إدًّا** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **وكلهم آتيه يوم القيامة فردًا** ﴾ .

[﴿ **وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم** ﴾][٤] فبين تعالىٰ أنه الذي خلق كل شيء وأنه بكل شيء عليم ، فكيف يكون له صاحبة من خلقه تناسبه وهو الذي لا نظير له ، فأنى يكون له ولد ، تعالىٰ الله عن ذلك علوًّا كبيرًا .

ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **ذلكم الله ربكم** ﴾ أي : الذي خلق كل شيء ولا ولد له ولا صاحبة ﴿ **لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه** ﴾ أي : فاعبدوه وحده لا شريك له ، وأقروا له بالوحدانية ، وأنه لا إله إلا هو ، وأنه لا ولد له ولا والد ولا صاحبة له ، ولا نظير ولا عديل ﴿ **وهو علىٰ كل شيء وكيل** ﴾ أي : حفيظ ورقيب يدبر كل ما سواه ، ويرزقهم ويكلأهم بالليل والنهار .

وقوله : ﴿ **لا تدركه الأبصار** ﴾ فيه أقوال للأئمة من السلف :

أحدها[٥] : لا تدركه في الدنيا ، وإن كانت تراه في الآخرة ، كما تواترت به الأخبار عن

---

[١] - في ز : « مبدع السماوات والأرض » . [٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ز : « من » . [٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٥] - في ت : « أحدهما » .

رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، من غير ما طريق ثابت في الصحاح والمسانيد والسنن ، كما قال مسروق عن عائشة أنها قالت : من زعم أن محمدًا أبصر ربه فقد كذب - [وفي رواية : علىٰ اللَّه][١] - فإن اللَّه تعالىٰ قال[٢] : ﴿**لا تدركه الأبصار [وهو يدرك الأبصار]**[٣] ﴾ .

رواه ابن أبي حاتم(١٦٩) : من حديث أبي بكر بن عياش ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن أبي الضحىٰ ، عن مسروق . ورواه غير واحد [عن مسروق][٤](١٧٠) ، وثبت في الصحيح وغيره عن عائشة من غير وجه(١٧١) .

وقد خالفها ابن عباس فعنه إطلاق الرؤية ، وعنه أنه رآه بفؤاده مرتين ، والمسألة تذكر في أول سورة النجم إن شاء اللَّه .

وقال ابن أبي حاتم(١٧٢) : ذكر محمد بن مسلم ، حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا يحيىٰ بن معين ، قال : سمعت إسماعيل بن علية يقول في قول اللَّه : ﴿ **لا تدركه الأبصار [وهو يدرك الأبصار]**[٥] ﴾ قال : هذا في الدنيا . [ ][٦] وذكر أبي عن هشام بن عبيد اللَّه [٧] أنه قال نحو ذلك .

---

(١٦٩) - **إسناده صحيح** . ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٧٣٥/٤) ثنا أبو سعيد بن يحيى بن سعيد القطان ، ثنا يحيى بن آدم ، ثنا أبو بكر بن عياش ، به .

(١٧٠) - فأخرجه البخاري ، كتاب : بدء الخلق ، باب : إذا قال أحدكم : « آمين » (٣٢٣٥) ، وفي مواضع أخر انظر أطرافه عند رقم (٣٢٣٤) ، ومسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : معنى قول اللَّه عز وجل : ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى** ... ﴾ (٢٨٧ : ٢٩٠) (١٧٧) ، والترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الأنعام (٣٠٧٠) وباب : ومن سورة النجم (٣٢٧٤) ، والنسائي في « التفسير » من « الكبرى » (١١٤٠٨/٦، ١١٤٠٩) ، وأحمد (٢٣٦/٦ ، ٢٤١) من طريق عامر الشعبي ، وأخرجه النسائي في « التفسير » (١١١٤٧/٦) ، وابن خزيمة في « التوحيد » (ص ٢٢٥) من طريق إبراهيم بن يزيد النخعي ، كلاهما (عامر وإبراهيم) عن مسروق ، به مطولاً .

(١٧١) - أخرجه البخاري ، كتاب : بدء الخلق ، باب : إذا قال أحدكم « آمين ... » (٣٢٣٤) من طريق القاسم عنها ، به .

(١٧٢) - ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٧٤٠/٤ ، ٧٧٤١) ، وعزاه السيوطي في « الدر المنثور» (٣/ ٦٩) إلى أبي الشيخ .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٢] - في ز : « يقول » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز . [٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين زيادة من ز . [٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « قال » .
[٧] - سقط من : ز .

وقال آخرون : ﴿ **لا تدركه الأبصار** ﴾ أي : جميعها ، وهذا مخصص بما ثبت من رؤية المؤمنين له في الدار[١] الآخرة .

وقال آخرون من المعتزلة بمقتضى ما فهموه من هذه الآية : إنه لا يرىٰ في الدنيا ولا في الآخرة ، فخالفوا أهل السنة والجماعة في ذلك ، مع ما ارتكبوه من الجهل بما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ؛ أما الكتاب : فقوله تعالىٰ : ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة * إلىٰ ربها ناظرة** ﴾ ، وقال تعالىٰ عن الكافرين : ﴿ **كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون** ﴾ .

قال الإمام الشافعي : فدل هذا علىٰ أن المؤمنين لا يحجبون عنه تبارك وتعالىٰ .

وأما السنة : فقد تواترت الأخبار عن أبي سعيد ، وأبي هريرة ، وأنس ، وجرير ، وصهيب ، وبلال ، وغير واحد من الصحابة(١٧٣) ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم : أن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة في العرصات ، وفي روضات الجنات جعلنا الله تعالىٰ منهم بمنه وكرمه ، آمين .

وقيل : المراد بقوله : ﴿ **لا تدركه الأبصار** ﴾ أي : العقول . رواه ابن أبي حاتم(١٧٤) ، عن علي ابن الحسين ، عن الفلاس ، عن ابن مهدي ، عن أبي الحصين يحيىٰ بن الحصين - قارئ أهل مكة - أنه قال ذلك ، وهذا غريب جدًّا ، وخلاف ظاهر الآية ، وكأنه اعتقد أن الإدراك في معنىٰ الرؤية ، والله أعلم .

وقال آخرون : لا منافاة بين إثبات الرؤية ونفي الإدراك ؛ فإن الإدراك أخص من الرؤية ، ولا يلزم من نفي الأخص انتفاء الأعم . ثم اختلف هؤلاء في الإدراك المنفي ، ما هو ؟ فقيل : معرفة الحقيقة ، فإن هذا لا يعلمه إلا هو وإن رآه المؤمنون ، كما أن من رأىٰ القمر فإنه لا يدرك حقيقته وكنهه وماهيته ، فالعظيم أولىٰ بذلك وله المثل الأعلىٰ .

---

(١٧٣) - يأتي تخريج حديث أبي سعيد وأبي هريرة وجرير عند تفسير الآية (رقم ٢٣/ من سورة القيامة) ، وحديث صهيب يأتي تخريجه عند تفسير الآية (رقم ٢٦/من سورة يونس) ، وحديث أنس يأتي تخريجه عند تفسير (سورة الإسراء/ آية رقم ٧٩) ، وأما حديث بلال فلم أهتد إليه وقد قال اللالكائي في « شرح أصول الاعتقاد » (٤٩٥/٣) : « تحصل في الباب ممن روى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الصحابة حديث الرؤية ثلاث وعشرون نفسًا ... » فذكرهم ليس فيهم بلال ، وكذا لم يذكره الدارقطني في كتابه « الرؤية » ، فالله أعلم .

(١٧٤) - ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٧٣٩/٤) ، وكذا أخرجه اللالكائي في « شرح أصول الاعتقاد » (٣/رقم ٩٢٢) من طريق عبد الله بن محمد بن أبي الأسود قال : سمعت عبد الرحمن بن مهدي ، به . وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٦٩/٣) إلى أبي الشيخ .

---

[١] - سقط من : ز .

وقال آخرون : المراد بالإدراك الإحاطة ، قالوا : ولا يلزم من عدم الإِحاطة عدم الرؤية ، كما لا يلزم من [عدم] إحاطة العلم عدم العلم ، قال تعالىٰ : ﴿ **ولا يحيطون به علمًا** ﴾ ، وفي صحيح مسلم(١٧٥) : « **لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت علىٰ نفسك** » . ولا يلزم منه[١] عدم الثناء فكذلك هذا .

قال العوفي(١٧٦) ، عن ابن عباس في قوله تعالىٰ : ﴿ **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار** ﴾ قال : لا يحيط بصر[٢] أحد بالملك .

وقال ابن أبي حاتم(١٧٧) : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا عمرو بن حماد بن طلحة القناد ، حدثنا أسباط ، عن سماك ، عن عكرمة : أنه قيل له : ﴿ **لا تدركه الأبصار** ﴾ قال : ألست ترىٰ السماء ؟ قال : بلىٰ . قال : فكلها ترىٰ ؟ وقال سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة [في الآية][٣] : ﴿ **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار** ﴾ وهو أعظم من أن تدركه الأبصار .

وقال ابن جرير(١٧٨) : حدثنا سعد[٤] بن عبد الله بن عبد الحكم ، حدثنا خالد بن عبد الرحمن ، حدثنا أبو عرفجة ، عن عطية العوفي ، في قوله تعالىٰ : ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة** *

---

(١٧٥) - صحيح مسلم كتاب : الصلاة ، باب : النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود (٢٢٢) (٤٨٦) ، وكذا أخرجه أبو داود ، كتاب : الصلاة ، باب : الدعاء في الركوع والسجود (٨٧٩) ، والنسائي (١/١٠٢) (٢/٢١٠) ، وابن ماجه (٣٨٤١) ، وأحمد (٦/٥٨ ، ٢٠١) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(١٧٦) - أخرجه ابن جرير (١٢/١٣٦٩٤) ، والعوفي ضعيف .

(١٧٧) - ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/٧٧٣٧) ، وقوله : « وقال سعيد ... » أخرجه ابن جرير (١٢/ ١٣٦٩٥) .

(١٧٨) - ابن جرير في تفسيره (١٢/١٣٦٩٦) و[(٢٩/١٩٢)/سورة القيامة/آية ٢٢] ، والعوفي ضعيف ، وأبو عرفجة مجهول الحال ، فقد ذكره ابن ماكولا في « الإكمال » (٦/٣٧٩) ، والسمعاني في « الأنساب» (٤/٣٤٤) وابن ناصر الدين في « توضيح المشتبه » (٧/٢٩) ، وذكروا أنه يروي عن عطية العوفي زاد ابن ماكولا والسمعاني ، روى عنه أبو معاوية الضرير الكوفي ، وقد روى عنه هنا آخر فزالت جهالة عينه .

---

[١] - في ز : « من هذا » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٤] - في ز : « سعيد » .

إلىٰ ربها ناظرة ﴾ قال : هم ينظرون إلىٰ اللَّه ، لا تحيط أبصارهم به من عظمته ، وبصره محيط بهم ، فذلك قوله : ﴿ **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار** ﴾ .

وقد[١] ورد في تفسير هذه الآية حديث رواه ابن أبي حاتم هاهنا فقال(١٧٩) : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا منجاب بن الحارث [التميمي][٢] ، حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم في قوله : ﴿ **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار** ﴾ قال : « **لو أن الجن والإنس والشياطين والملائكة ، منذ خلقوا إلىٰ أن فنوا صفوا صفًا واحدًا ما أحاطوا باللَّه أبدًا** » .

غريب لا يعرف إلا من هذا الوجه ، ولم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة ، واللَّه أعلم .

وقال آخرون في[٣] : ﴿ **لا تدركه الأبصار** ﴾ : بما رواه الترمذي في جامعه ، وابن أبي عاصم في كتاب السنة له ، وابن أبي حاتم في تفسيره ، وابن مردويه أيضًا ، والحاكم في مستدركه : من حديث الحكم بن أبان قال : سمعت عكرمة يقول : سمعت ابن عباس يقول : رأىٰ محمد ربه تبارك وتعالىٰ ؛ فقلت : أليس اللَّه يقول : ﴿ **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار** ﴾ ؟الآية

---

(١٧٩) - **إسناده ضعيف جدًا**، رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٧٣٦/٤) ، وأخرجه أبو الشيخ في « العظمة » (١/رقم ٧٢) من طريق أبي زرعة ، به . والعقيلي في « الضعفاء » (١٤٠/١) من طريق منجاب بن الحارث به في ترجمة بشر بن عمارة وقال : « ولا يتابع عليه . لا يعرف إلا به » وابن عدي في « الكامل » (٤٤٢/٢ ، ٤٤٣) ، ومن طريقه ابن الجوزي في « الموضوعات » (١١٤/١) عن سفيان بن بشر الكوفي ، ثنا بشر بن عمارة ، به . قال ابن الجوزي : « هذا حديث لا يصح عن رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - يوهم عظمة الذات على وجه التشبيه والتجسيم تعالى عن ذلك ، قال العقيلي : وبشر بن عمارة لا يتابع على هذا الحديث ، قال ابن حبان - « المجروحين » (١٨٨/١) - : لا يحتج ببشر إذا انفرد، وأما عطية فقد ضعفه الجماعة ، وقال ابن حبان - « المجروحين » (١٧٦/٢) - : كان قد سمع من أبي سعيد الخدري أحاديث فلما مات جعل يجالس الكلبي ، فإذا قال الكلبي : قال رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - حفظ ذلك ورواه عنه ، وكناه أبا سعيد فيظن أنه أراد الخدري ، وإنما أراد الكلبي، لا يحل كتب حديثه إلا على التعجب ، قلت - ابن الجوزي - : هذا الحديث مما أفلته عمل الكلبي » . وانظر «اللآلئ المصنوعة » للسيوطي (١٣/١) و«تنزيه الشريعة » للكناني (١٤١/١) و« الفوائد المجموعة » للشوكاني (ص ٣١٥) .

---

[١] - سقط من : ت .
[٢] - في « ت ، خ ، ز » : « السهمي » والمثبت هو الصواب كما في التفسير لابن أبي حاتم (٤/ ٧٧٣٦) وانظر « التهذيب » (١٥٢/٤ - الرسالة) .
[٣] - في ز : « في قوله » .

فقال لي : لا أم لك ، ذلك[١] نوره الذي هو نوره ، إذا تجلىٰ بنوره لا يدركه شيء . وفي رواية : لا يقوم له شيء(١٨٠) .

[قال الحاكم : صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه][٢] .

وفي معنىٰ هذا الأثر ما ثبت في الصحيحين(١٨١) : [من حديث][٣] أبي موسىٰ الأشعري رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **إن اللَّه لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجابه النور – أو النار – ولو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهىٰ إليه بصره من خلقه** » .

وفي الكتب المتقدمة : إن اللَّه تعالىٰ قال لموسىٰ لما سأل الرؤية : يا موسىٰ ، إنه لا يراني حي إلا مات ، ولا يابس إلا تدهده . أي : تدعثر . وقال تعالىٰ : ﴿ **فلما تجلىٰ ربه للجبل جعله دكا وخرَّ موسىٰ صعقًا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين** ﴾ .

ونفي هذا الأثر[٤] الإدراك الخاص لا ينفي الرؤية يوم القيامة يتجلىٰ لعباده المؤمنين كما يشاء ، فأما جلاله وعظمته علىٰ ما هو عليه تعالىٰ وتقدس وتنزه فلا تدركه الأبصار ، ولهذا كانت أم المؤمنين عائشة(١٨٢) – رضي اللَّه عنها – تثبت الرؤية في الدار الآخرة وتنفيها في الدنيا ، وتحتج بهذه الآية : ﴿ **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار** ﴾ فالذي نفته الإدراك الذي هو بمعنىٰ رؤية العظمة والجلال علىٰ ما هو عليه ، فإن ذلك غير ممكن للبشر ولا للملائكة ولا لشيء .

---

(١٨٠) – **صحيح** . يأتي تخريجه [سورة النجم/ آية رقم ١٣] .

(١٨١) – كذا عزاه المصنف للصحيحين وهو سبق قلم أو خطأ من الناسخ ، ولعل الثاني أقرب ، فإنه ذكره فيما تقدم من [سورة البقرة/ آية ٢٥٥] وعزاه للصحيح فقط ، وقد أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان ، باب : في قوله عليه السلام : « **إن اللَّه لا ينام** ... » (٢٩٣ : ٢٩٥) (١٧٩) ، وكذا أخرجه أحمد (٣٩٥/٤ ، ٤٠٠ ، ٤٠٥) ، وابن ماجه في المقدمة ، باب : فيما أنكرت الجهمية (١٩٥ ، ١٩٦) ، وانظر « تحفة الأشراف » (٩١٤٦/٦) .

(١٨٢) – تقدم حديثها (١٧٠ : ١٧٢) .

---

[١] – في ز : « ذاك » .

[٢] – كذا نقل المصنف ، والذي في المطبوع من المستدرك : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ، وهذا أشبه ، وإن فيه تساهل بَيِّنٌ حيث أخرجه من طريق إبراهيم بن الحكم بن أبان ، حدثني أبي به ، وإبراهيم هذا ضعفه الجمهور ، ولذا تعقب الذهبي الحاكم في حكمه السابق فقال : « بل إبراهيم متروك » قلت : ولم يخرج الشيخان له ولا لأبيه شيئًا ، فتنبه !!

[٣] – ما بين المعكوفتين في ز : « عن » .

[٤] – سقط من : ز .

وقوله : ﴿ **وهو يدرك الأبصار** ﴾ أي : يحيط بها ويعلمها علىٰ ما هي عليه ؛ لأنه خلقها ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** ﴾ .

وقد يكون عبر بالأبصار عن المبصرين ، كما قال السدي[١] في قوله : ﴿ **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار** ﴾ لا يراه شيء وهو يرىٰ الخلائق .

وقال أبو العالية في قوله تعالىٰ : ﴿ **وهو اللطيف الخبير** ﴾ قال[٢] : اللطيف باستخراجها[٣] ، الخبير بمكانها ، والله أعلم .

وهذا كما قال تعالىٰ إخبارًا عن لقمان فيما وعظ به ابنه : ﴿ **يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل[٤] فتكن في صخرة أو في السملوات أو في الأرض يأت بها الله إنّ الله لطيف خبير** ﴾ .

قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾

البصائر : هي البينات والحجج التي اشتمل عليها القرآن ، وما جاء به الرسول صلىٰ الله عليه وسلم ﴿ **فمن أبصر فلنفسه** ﴾ ، كقوله[٥] : ﴿ **فمن[٦] اهتدىٰ فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها** ﴾ ؛ ولهذا قال : ﴿ **ومن عمي فعليها** ﴾ لما ذكر البصائر قال : ﴿ **ومن عمي فعليها** ﴾ أي : فإنما يعود وبال ذلك عليه ، كقوله[٧] : ﴿ **فإنها لا تعمىٰ الأبصار ولكن تعمىٰ القلوب التي في الصدور** ﴾ ،

﴿ **وما أنا عليكم بحفيظ** ﴾ أي : بحافظ ولا رقيب ، بل أنا مبلغ والله يهدي من يشاء ويضل من يشاء .

وقوله : ﴿ **وكذلك نصرف الآيات** ﴾ أي : وكما فصلنا الآيات في هذه السورة من بيان التوحيد ، وأنه لا إله إلا هو ، هكذا نوضح الآيات ونفسرها ونبينها في كل موطن لجهالة[٨]

---

[١] - سقط من : خ ، ز .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « لاستخراجها » .
[٤] - في ز : « خرذل » .
[٥] - في ز : « مثل قوله » .
[٦] - في ز : « من » .
[٧] - في ز : « لقوله » .
[٨] - في ز : « لجهلة » .

الجاهلين ، وليقول المشركون والكافرون المكذبون : دارست يا محمد مَن قبلك من أهل الكتاب ، وقارأتهم وتعلمت منهم .

هكذا قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، وغيرهم .

و[١]قال الطبراني(١٨٣) : حدثنا عبد اللَّه بن أحمد ، حدثنا أبي ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عمرو بن كيسان ، قال[٢] : سمعت ابن عباس يقرأ[٣] : (دارست) : تلوت ، خاصمت ، جادلت .

وهذا كقوله تعالىٰ إخبارًا عن كذبهم وعنادهم : ﴿ **وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلمًا وزورًا * وقالوا أساطير الأولين اكتتبها [فهي تملى عليه بكرة وأصيلا]**[٤] ﴾ ، وقال تعالىٰ إخبارًا عن زعيمهم وكاذبهم : ﴿ **إنه فكر وقدّر * فقتل كيف قدّر * ثم قتل كيف قدّر * ثم نظر * ثم عبس وبسر * ثم أدبر واستكبر * فقال إن هذا إلا سحر يؤثر * إن هذا إلا قول البشر** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ولنبينه لقومٍ يعلمون** ﴾ أي : ولنوضحه لقوم يعلمون الحق فيتبعونه ، والباطل فيجتنبونه ، فللَّه تعالىٰ الحكمة البالغة[٥] في إضلال أولئك ، وبيان الحق لهؤلاء ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **يضل به كثيرًا ويهدي به كثيرًا [وما يضل به إلا الفاسقين]**[٦] ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ **ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم** ﴾ و ﴿**إن اللَّه لهادي الذين آمنوا إلىٰ صراط مستقيم** ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ **وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانًا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد اللَّه بهذا مثلًا كذلك يضل اللَّه من يشاء**

(١٨٣) - في « المعجم الكبير » (١١٢٨٣/١١) ، وأخرجه عبد الرزاق في « المصنف » (٢١٦/٢) ، ومن طريقه ابن أبي حاتم (٧٧٥١/٤) ، وابن جرير (١٣٧١٩/١٢) ، وكذا أخرجه من طريق آخر (١٣٧٢٠/١٢) من طريق سفيان بن عيينة به وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٤/٧ ، ٢٥) وقال : « رواه الطبراني ورجاله ثقات » ، قلت : عمرو بن كيسان لم يوثقه غير ابن حبان - « الثقات » (١٨٤/٥) - وباقي رجاله ثقات من رجال الشيخين ، والأثر زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٧٠/٣) إلى سعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه .

[١] - في ز : « وقد » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ت : « يقول » .
[٤] - في ت : « الآية » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ت : « الآية » .

ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾ .

وقال : ﴿ **ونننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارًا** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **قل هو للذين آمنوا هدًى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عميً أولئك ينادون من مكان بعيد** ﴾ إلىٰ غير ذلك من الآيات الدالة علىٰ أنه[١] تعالىٰ أنزل القرآن هدى للمتقين ، وأنه يضل به[٢] من يشاء ويهدي به من يشاء ، ولهذا قال هاهنا[٣] : ﴿ **وكذلك نصرف الآيات وليقولوا دارست ولنبينه لقوم يعلمون** ﴾ ، وقرأ بعضهم : ﴿ **وليقولوا درست** ﴾ .

قال التميمي(١٨٤) ، عن ابن عباس : ﴿ **درست** ﴾ أي : قرأت وتعلمت . وكذا قال مجاهد والسدي والضحاك وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم [وغير واحد][٤] .

وقال عبد الرزاق(١٨٥) : عن معمر ، قال الحسن ﴿ **وليقولوا دَرَسَتْ** ﴾ يقول : تقادمت وانمحت .

وقال عبد الرزاق(١٨٦) أيضًا : أنبأنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، سمعت ابن[٥] الزبير يقول : إن صبيانًا يقرءون هاهنا (دارست) وإنما هي ﴿ **درست** ﴾ .

وقال شعبة : حدثنا أبو إسحاق الهمداني قال : في قراءة ابن مسعود (**دَرَسَتْ**) . يعني : بغير ألف بنصب السين[٦] ووقف علىٰ[٧] التاء .

---

(١٨٤) - أخرجه ابن جرير (١٢/ ٢٧ ، ٢٨) ، وابن أبي حاتم (٤/ ٧٧٤٩) ، والتميمي هو أَرْبِدة ، ويقال : أربد التميمي البصري صاحب « التفسير » ، كان يجالس ابن عباس ، وثقه العجلي وابن حبان ، وجهله ابن البرقي ، والأثر زاد نسبته السيوطي (٣/ ٧٠) إلى الفريابي ، وعبد بن حميد ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه .

(١٨٥) - عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢١٦) - ومن طريقه ابن أبي حاتم (٤/ ٧٧٥٣) - وأخرجه ابن جرير (١٢/ ١٣٧٣٤) من طريق محمد بن ثور عن معمر ، به و(١٢/ ١٣٧٣١) من طريق سعيد عن قتادة قال : كان الحسن يقرأ فذكره وعزاه السيوطي (٣/ ٧٠) إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(١٨٦) - في تفسيره (٢/ ٢١٦) ، ومن طريقه ابن جرير (١٢/ ١٣٧٣٣) ، وزاد نسبته السيوطي (٣/ ٧٠) إلى سعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ .

---

[١] - في ز : « أن الله » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « الراء » .
[٧] - سقط من : ز .

قال[١] ابن جرير : ومعناه انمحت وتقادمت ، أي : إن هذا الذي تتلوه علينا قد مر بنا قديمًا وتطاولت مدته .

وقال سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة أنه قرأها : (دُرِسَتْ) ، أي : قرأت وتعلمت .

وقال معمر ، عن قتادة : (دُرِسَت) قرئت . وفي حرف ابن مسعود (دَرَسَ) .

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام(١٨٧) : حدثنا حجاج ، عن هارون ، قال : هي في حرف أبي ابن كعب ، وابن مسعود (وليقولوا دَرَسَ) . قال : يعنون النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه قرأ .

وهذا غريب ، فقد[٢] روي عن أبي بن كعب خلاف هذا ، قال أبو بكر بن مردويه(١٨٨) : حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، حدثنا الحسن بن الليث ، حدثنا أبو سلمة ، حدثنا أحمد بن أبي بزة المكي ، حدثنا وهب بن زمعة ، عن أبيه ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب قال : أقرأني رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **وليقولوا دَرَسْتَ** ﴾ .

ورواه الحاكم في مستدركه : من حديث وهب بن زمعة ، وقال : يعني بجزم السين ونصب التاء . ثم قال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾

يقول تعالىٰ آمرًا لرسوله صلىٰ اللَّه عليه وسلم ولمن اتبع طريقه : ﴿ **اتبع ما أوحي إليك من ربك** ﴾ أي : اقتد به ، واقتف أثره ، واعمل به ، فإن ما أوحي إليك من ربك هو الحق الذي لا مرية فيه ، لأنه لا إله إلا هو .

﴿ **وأعرض عن المشركين** ﴾ أي : اعف عنهم واصفح واحتمل أذاهم ، حتىٰ يفتح اللَّه لك

(١٨٧) - وعزاه لابن عبيد السيوطي في « الدر المنثور » (٣/٧٠) - ومن طريقه أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٢/١٣٧٣٥) ، وقد تصحف اسم « أبو عبيد » إلى « أبو عبيدة » ولم ينبه عليه الشيخ الأديب محمود شاكر .

(١٨٨) - وعزاه لابن مردويه السيوطي في « الدر المنثور » (٣/٧٠) - وصححه الحاكم (٢/٢٣٨، ٢٣٩) ووافقه الذهبي .

[١] - في ز : « وقال » . [٢] - في ز : « وقد » .

وينصرك ويظفرك عليهم ، واعلم أن لله حكمة في إضلالهم ، فإنه لو شاء لهدىٰ الناس كلهم جميعًا .

﴿ ولو شاء الله ما أشركوا ﴾ أي : بل له المشيئة والحكمة فيما يشاؤه ويختاره ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، وقوله تعالىٰ : ﴿ وما جعلناك عليهم حفيظًا ﴾ أي : حافظًا تحفظ أقوالهم وأعمالهم ﴿ وما أنت عليهم بوكيل ﴾ أي : موكل علىٰ أرزاقهم وأمورهم إن عليك إلا البلاغ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ فذكر إنما أنت مذكر * لست عليهم بمسيطر ﴾ .

وقال : ﴿ فإنما[١] عليك البلاغ وعلينا الحساب ﴾ .

وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾

يقول الله [٢] تعالىٰ ناهيًا رسوله[٣] صلىٰ الله عليه وسلم والمؤمنين عن سب آلهة المشركين ، وإن كان فيه مصلحة ، إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها ، وهي : مقابلة المشركين بسب[٤] إله المؤمنين وهو ﴿ الله لا إله إلا هو ﴾ كما قال علي بن أبي طلحة(١٨٩) ، عن ابن عباس في هذه الآية: قالوا : يا محمد ، لتنتهين عن سبك آلهتنا أو لنهجون ربك . فنهاهم الله أن يسبوا أوثانهم ﴿ فيسبوا الله عدوًا بغير علم ﴾ .

وقال عبد الرزاق(١٩٠) : عن معمر ، عن قتادة : كان المسلمون يسبون أصنام الكفار ، فيسب الكفار الله عدوًا بغير علم ، فأنزل الله : ﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله ﴾ .

وروىٰ ابن جرير وابن أبي حاتم(١٩١) ، عن السدي أنه قال في تفسير هذه الآية : لما حضر أبا

---

(١٨٩) - أخرجه ابن جرير (١٣٧٣٨/١٢) ، وابن أبي حاتم (٧٧٦٠/٤) ، وزاد نسبته السيوطي (٣/ ٧١) إلى ابن المنذر ، وابن مردويه .

(١٩٠) - في تفسيره (٢١٥/٢) - ومن طريقه ابن أبي حاتم (٧٧٦١/٤) - وأخرجه ابن جرير (١٢/ ١٣٧٤١) من طريق محمد بن ثور عن معمر به و(١٣٧٣٩/١٢) من طريق سعيد عن قتادة به نحوه ، وزاد نسبته السيوطي (٧٢/٣) إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(١٩١) - **مرسل ، وصح موصولًا** . أخرجه ابن جرير (١٣٧٤٠/١٢) ، وابن أبي حاتم (٧٧٦٢/٤) وهذا مرسل ، وقد صح موصولًا من حديث ابن عباس ، يأتي تخريجه عند [آية رقم ٦/من سورة ص] .

---

[١] - في ز : « إنما » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « لرسوله » .
[٤] - في ز : « سب » .

طالب الموت ، قالت قريش : انطلقوا فلندخل علىٰ هذا الرجل فلنأمره أن ينهىٰ عنا ابن أخيه ، فإنا نستحي أن نقتله بعد موته ، فتقول العرب : كان يمنعهم[١] فلما مات قتلوه ، فانطلق أبو سفيان ، وأبو جهل والنضر بن الحارث وأمية وأبي ابنا خلف وعقبة بن أبي معيط وعمرو بن العاص والأسود ابن البختري ، وبعثوا رجلًا منهم يقال له : المطلب ، قالوا : استأذن لنا علىٰ أبي طالب ، فأتىٰ أبا طالب ، فقال : هؤلاء مشيخة قومك يريدون الدخول عليك ، فأذن لهم عليه فدخلوا عليه ، فقالوا : يا أبا طالب ، أنت كبيرنا وسيدنا ، وإن محمدًا قد آذانا وآذىٰ آلهتنا ، فنحب أن تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا ولندعه وإلهه ، فدعاه فجاء النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال له أبو طالب : هؤلاء قومك وبنو عمك . قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **ما تريدون**[٢] ؟ » قالوا : نريد أن تدعنا وآلهتنا ولندعك وإلهك . [قال له أبو طالب : قد أنصفك قومك ، فاقبل منهم][٣] . فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أرأيتم إن أعطيتكم هذا ، هل أنتم معطي كلمة إن تكلمتم**[٤] **بها ملكتم بها العرب ، ودانت لكم بها العجم ، [وأدّت لكم]**[٥] **الخراج ؟** » قال أبو جهل : وأبيك لنعطينكها وعشرة أمثالها ، [ ][٦] فما هي ؟ قال : « **قولوا : لا إله إلا اللَّه** » . فأبوا واشمأزوا ، قال أبو طالب : يا ابن أخي ، قل غيرها فإن قومك قد فزعوا منها ، قال : « **يا عم ، ما أنا بالذي يقول**[٧] **غيرها ، حتىٰ يأتوا بالشمس فيضعوها في يدي ، ولو أتوا بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت غيرها** » . إرادة أن يؤيسهم ، فغضبوا وقالوا : لتكفن عن شتم آلهتنا أو لنشتمنك ونشتمن[٨] من يأمرك . فذلك قوله : ﴿ **فيسبوا اللَّه عدوًا بغير علم** ﴾ .

ومن هذا القبيل - وهو ترك المصلحة لمفسدة أرجح منها - ما جاء في الصحيح(١٩٢) : أن رسول

(١٩٢) - **صحيح** . تقدم تخريجه في [سورة النساء/ آية ٣١] وهو من حديث عبد اللَّه بن عمرو ، ولكن ليس فيه قوله : « **ملعون من سب والديه** » وهذه اللفظة لها شاهد عند مسلم (٤٣ :٤٥) (١٩٧٨) ، والنسائي (٢٣٢/٧) ، وأحمد (٢١٧/١ ، ٣١٧) من حديث علي بن أبي طالب وآخر من حديث ابن عباس عند أحمد (٢١٧/١ ، ٣٠٩ ، ٣١٧) ، والطبراني في « الكبير » (١١/ ١١٥٤٦) ، وصححه ابن حبان (٤٤١٧/١٠) ، والحاكم (٣٥٦/٤) ، ووافقه الذهبي ، وهو كما قالوا ، وثالث من حديث أبي هريرة عند الخرائطي في « مساوئ الأخلاق » (٧٨) ، والحاكم (٤/ ٣٥٦) شاهدًا وفي إسناد الحاكم هارون بن هارون التيمي أعله به الذهبي في « التلخيص » فقال : « ضعفوه » وفي إسناد الخرائطي محرز بن هارون قال البخاري : « منكر الحديث » .

[١] - في ز : « يمنعه » . [٢] - في ز : « يريدون » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٤] - في خ ، ز : « تكلفتم » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « قال » .
[٧] - في ز : « أقول » . [٨] - في ز : « نشتم » .

اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **ملعون من سب والديه** » . قالوا : يا رسول اللَّه ، وكيف يسب الرجل والديه ؟ قال : « **يسب أبا الرجل فيسب أباه ، ويسب أمّه فيسب أمه** » . أو كما قال صلىٰ اللَّه عليه وسلم .

وقوله تعالى : ﴿ **كذلك زينا لكل أمّة عملهم** ﴾ أي : وكما زينا لهؤلاء القوم حب أصنامهم والمحاماة لها والانتصار ﴿ **كذلك زينا لكل أمة** ﴾ أي[١] : من الأمم الخالية على الضلال ﴿**عملهم**﴾ الذي كانوا فيه ، ولله الحجة البالغة والحكمة التامّة فيما يشاؤه ويختاره ، ﴿ **ثم إلىٰ ربهم مرجعهم** ﴾ أي : معادهم ومصيرهم ﴿ **فينبئهم بما كانوا يعملون** ﴾ أي : يجازيهم بأعمالهم إن خيرًا فخيرًا[٢] ، وإن شرًّا فشرًّا[٣] .

وَأَقْسَمُواْ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾

يقول تعالىٰ إخبارًا عن المشركين : أنهم أقسموا باللَّه جهد أيمانهم ، أي : حلفوا أيمانًا مؤكدة ﴿ **لئن جاءتهم آية** ﴾ أي : معجزة وخارق ﴿ **ليؤمنن بها** ﴾ أي : ليصدقنها ﴿ **قل إنما الآيات عند اللَّه** ﴾ أي : قل يا محمد لهؤلاء الذين يسألونك الآيات تعنتًا وكفرًا وعنادًا ، لا علىٰ سبيل الهدىٰ والاسترشاد : إنما مرجع هذه الآيات إلىٰ اللَّه ، إن شاء أجابكم ، وإن شاء ترككم كما قال .

قال ابن جرير :(١٩٣) حدثنا هناد ، حدثنا يونس بن بكير ، حدثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : كلم رسولُ اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قريشًا فقالوا : يا محمد ، تخبرنا أن موسىٰ كان معه عصا يضرب بها الحجر ، فانفجرت منه اثنتا[٤] عشرة عينًا ، وتخبرنا أن عيسىٰ كان يحيي الموتىٰ ، وتخبرنا أن ثمود كانت لهم ناقة ، فأتنا من الآيات حتىٰ نصدّقك . فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أي شيء تحبون أن آتيكم به ؟** » قالوا : تجعل لنا الصفا ذهبًا . فقال[٥] لهم : « **فإن فعلت تصدقوني ؟** » قالوا : نعم ، واللَّه لئن فعلت لنتبعنك

---

(١٩٣) - **مرسل ، وصح موصولًا** . أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣٧٤٦/١٢) وصح موصولًا من حديث ابن عباس وغيره ، يأتي تخريجه [سورة الإسراء/ آية ٥٩] .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « فخير » .
[٣] - في ز : « فشرّ » .
[٤] - في ز : « اثنتى » .
[٥] - في ز : « قال » .

أجمعين . فقام رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم يدعو ، فجاءه جبريل - عليه السلام - فقال له : [لك ما شئت][١] ، إن شئت أصبح الصفا ذهبًا ، ولئن أرسل آية فلم يصدقوا عند ذلك ليعذبنَّهم ، وإن شئت فاتركهم حتىٰ يتوب تائبهم . [فقال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **بل يتوب تائبهم** » . فأنزل اللّه تعالىٰ : ﴿ **وأقسموا باللّه جهد أيمانهم** ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ **ولكن أكثرهم يجهلون** ﴾][٢] .

وهذا مرسل وله شواهد من وجوه أخر ، وقال اللّه تعالىٰ : ﴿ **وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأوّلون [وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفًا]**[٣]﴾.

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون** ﴾ قيل : المخاطب بما يشعركم المشركون . وإليه ذهب مجاهد ، كأنه يقول لهم : وما يدريكم بصدقكم[٤] في هذه الأيمان التي تقسمون بها ، وعلىٰ هذا فالقراءة : ﴿ **إنها إذا جاءت لا يؤمنون** ﴾ بكسر « **إنها** » علىٰ استئناف الخبر عنهم بنفي الإيمان عند مجيء الآيات التي طلبوها ، وقرأ[٥] بعضهم : (**أنها إذا جاءت لا تؤمنون**) بالتاء المثناة من فوق .

وقيل : المخاطب بقوله : ﴿ **وما يشعركم** ﴾ المؤمنون ، أي : وما يدريكم أيها المؤمنون ، وعلىٰ هذا فيجوز في قوله[٦] ﴿ **أنها** ﴾ الكسر كالأوّل ، والفتح علىٰ أنه معمول يشعركم ، وعلىٰ هذا فتكون « **لا** » في قوله ﴿ **أنها إذا جاءت لا يؤمنون** ﴾ صلة ، كما في قوله : ﴿ **ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك** ﴾ ، وقوله : ﴿ **وحرام علىٰ قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون** ﴾ ، أي : ما منعك أن تسجد إذ أمرتك ، وقوله : وحرام أنهم يرجعون ، وتقديره في هذه الآية : وما يدريكم أيها المؤمنون الذين تودّون لهم ذلك حرصًا علىٰ إيمانهم ، أنها إذا جاءتهم الآيات يؤمنون .

وقال بعضهم : « **أنها** » بمعنىٰ لعلها .

قال ابن جرير : وذكروا أن ذلك كذلك في قراءة أبي بن كعب . قال : وقد ذكر عن العرب سماعا : اذهب إلىٰ السوق أنك تشتري لنا[٧] شيئًا ، بمعنىٰ : لعلك تشتري .

قال : وقد قيل : إن قول عدي بن زيد العبادي من هذا :

---

[١] - سقط من : خ ، وفي ز : « ما شئت » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « ﴿ **لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها** ﴾ إلى قوله : ﴿ **يعمهون** ﴾ » .
[٣] - في ت : « الآية » .
[٤] - في ز : « يصدقكم » .
[٥] - في ز : « وقراءة » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في ز : « لي » .

أَعَـاذِلَ مـا يُـدْرِيـكِ أَنَّ مَـنِـيَّـتِـي إِلَىٰ سَاعَةٍ في اليَومِ أَوْ في ضُحَىٰ الغَدِ

وقد اختار هذا القول ابن جرير ، وذكر عليه شواهد من أشعار العرب ، و اللَّه أعلم .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة** ﴾ قال العوفي(١٩٤) ، عن ابن عباس في هذه الآية : لما جحد المشركون ما أنزل اللَّه لم تثبت قلوبهم علىٰ شيء ، ورُدَّت عن كل أمر .

وقال مجاهد في قوله : ﴿ **ونقلب أفئدتهم وأبصارهم** ﴾ ونحول بينهم وبين الإيمان ، ولو جاءتهم كل آية فلا يؤمنون[١] ، كما حلنا بينهم وبين الإيمان أول مرة .

وكذا قال عكرمة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

وقال [ ][٢]بن أبي طلحة(١٩٥) ، عن ابن عباس رضي اللَّه عنه أنه قال : أخبر اللَّه ما العباد قائلون قبل أن يقولوه ، وعملهم قبل أن يعملوه . قال : ﴿ **ولا ينبئك مثل خبير** ﴾ [جل وعلا][٣] ، وقال : ﴿ **أن تقول نفس يا حسرتىٰ علىٰ ما فرطت في جنب اللَّه** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **لو أن لي كرة فأكون من المحسنين** ﴾ ، فأخبر اللَّه [٤] سبحانه أنهم لو ردوا لم يقدروا علىٰ الهدىٰ ، وقال : ﴿ **ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة** ﴾ ، قال : ولو[٥] ردوا إلىٰ الدنيا لحيل بينهم وبين الهدىٰ ، كما حلنا[٦] بينهم وبينه أول مرة وهم في الدنيا .

وقوله : ﴿ **ونذرهم** ﴾ أي : نتركهم ﴿ **في طغيانهم** ﴾ قال ابن عباس والسدي : في كفرهم .

وقال أبو العالية ، والربيع بن أنس ، وقتادة : في ضلالهم .

﴿ **يعمهون** ﴾ قال الأعمش : يلعبون . وقال ابن عباس ومجاهد وأبو العالية والربيع و[أبو مالك وغيرهم][٧] : في كفرهم يترددون .

۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا

(١٩٤) - أخرجه ابن جرير (١٣٧٥١/١٢) ، وابن أبي حاتم (٧٧٧١/٤) ، والعوفي ضعيف .

(١٩٥) - أخرجه ابن جرير (١٣٧٥٤/١٢) .

[١] - في ز : « يؤمنوا » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « علي » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « لو » .
[٦] - في ز : « جعلنا » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز : « مالك » .

مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾

يقول تعالىٰ : ولو أننا أجبنا سؤال هؤلاء ، الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ، فنزلنا عليهم الملائكة [ ][١] تخبرهم بالرسالة من الله بتصديق الرسل ، كما سألوا فقالوا : ﴿ **أو تأتي بالله والملائكة قبيلًا** ﴾ ، ﴿ **وقالوا لن نؤمن لك[٢] حتىٰ نؤتىٰ مثل ما أوتي رسل الله** ﴾ ، ﴿ **وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرىٰ ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوًّا كبيرًا** ﴾ . ﴿ **وكلمهم الموتىٰ** ﴾ أي[٣] : فأخبروهم بصدق ما جاءتهم به الرسل ﴿ **وحشرنا عليهم كل شيء قبلًا** ﴾ قرأ بعضهم : (قِبَلا) بكسر القاف وفتح الباء ، من المقابلة والمعاينة ، [وقرأ آخرون : بضمها ؛ قيل : معناه من المقابلة والمعاينة][٤] أيضًا ، [كما رواه][٥] علي بن أبي طلحة والعوفي(١٩٦) ، عن ابن عباس ، وبه قال قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

وقال مجاهد : ﴿ **قبلا** ﴾ أي[٦] : أفواجًا قبيلًا قبيلًا ، أي : تعرض عليهم كل أمة [بعد أمة][٧] فيخبرونهم بصدق الرسل فيما جاءوهم به. ﴿ **ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله** ﴾ أي : إن الهداية إليه لا إليهم ، بل يهدي من يشاء ، ويضل من يشاء ، وهو الفعال لما يريد لا[٨] يسأل عما يفعل وهم يسألون ؛ لعلمه وحكمته وسلطانه وقهره وغلبته ، وهذه الآية كقوله تعالىٰ : ﴿ **إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون * ولو جاءتهم كل آية حتىٰ يروا العذاب الأليم** ﴾ .

وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾

---

(١٩٦) - أخرجه ابن جرير (١٢/١٣٧٥٧ ، ١٣٧٦٢) ، وابن أبي حاتم (٤/٧٧٨٣ ، ٧٧٨٣) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « أي » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « قاله » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز : « من الأمم » .
[٨] - في ز : « ولا » .

يقول تعالىٰ : وكما جعلنا لك يا محمد أعداء يخالفونك ويعادونك ، جعلنا لكل نبي من[١] قبلك أيضًا أعداء فلا يهيدنك ذلك ، كما قال تعالىٰ : [﴿ **[فإن كذبوك فقد كذب]**[٢] **رسل من قبلك** ﴾ وقال تعالىٰ][٣] : ﴿ **ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا علىٰ ما كذبوا وأوذوا [حتى أتاهم نصرنا]**[٤] ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وكذلك جعلنا لكل نبي عدوًّا من المجرمين [وكفى بربك هاديًا ونصيرًا]**[٥] ﴾ .

وقال ورقة بن نوفل لرسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : إنه[٦] لم يأت أحدبمثل ما جئت به إلا عودي(١٩٧) .

وقوله : ﴿ **شياطين الإِنس والجن** ﴾ بدل من ﴿ **عدوًّا** ﴾ أي : لهم أعداء من شياطين الإِنس والجن ، [والشيطان كل من خرج عن نظيره بالشر ، ولا يعادي الرسل إلا الشياطين][٧] من هؤلاء وهؤلاء ، قبحهم اللَّه ولعنهم .

قال عبد الرزاق(١٩٨) : حدثنا معمر ، عن قتادة ، في قوله : ﴿ **شياطين الإِنس والجن** ﴾ قال : من الجن شياطين ومن الإنس شياطين ، يوحي بعضهم إلىٰ بعض . قال قتادة : وبلغني أن أبا ذر كان يومًا يصلي ، فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **تعوذ[٨] يا أبا ذر من شياطين الإِنس والجن** » . فقال : أو إن من الإِنس شياطين[٩] ؟ فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **نعم** » .

وهذا منقطع بين قتادة وأبي ذر ، وقد روي من وجه آخر عن أبي ذر - رضي اللَّه عنه - .

قال ابن جرير(١٩٩) : حدثنا المثنىٰ ، حدثنا أبو صالح ، حدثني معاوية بن صالح ، عن [أبي

---

(١٩٧) - جزء من حديث الوحي الطويل ، يأتي تخريجه [سورة العلق / آية ١] .

(١٩٨) - **منقطع بين قتادة وأبي ذر** . رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/٢١٦ ، ٢١٧) ، ومن طريقه ابن جرير (١٢/١٣٧٧١) (١٢/١٣٧٧٠) عن طريق معمر به ، (١٢/١٣٧٧٢) من طريق سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، به نحوه .

(١٩٩) - **منقطع بين ابن عائذ وأبي ذر** . رواه ابن جرير في تفسيره (١٢/١٣٧٦٩) ، =

---

[١] - في ز : « ممن » .
[٢] - في ز : « وإن يكذبوك فقد كذبت » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - في ت : « الآية » .
[٥] - في ت : « الآية » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٨] - في ز : « تعوذت » .
[٩] - في ز : « لشياطين » .

عبد اللَّه محمد بن أيوب][١] وغيره من[٢] المشيخة ، عن ابن عائذ ، عن أبي ذر ، قال : أتيت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم في مجلس قد أطال فيه الجلوس ، قال : فقال : « **يا أبا ذر هل صليت ؟** » قلت[٣] : لا ، يا رسول اللَّه . قال : « **قم فاركع ركعتين** » . قال : ثم جئت فجلست إليه ، فقال: « **يا أبا ذر، هل تعوذت باللَّه من شياطين الجن والإنس ؟** ». قال : قلت : لا، يا رسول اللَّه ، وهل للإنس من شياطين ؟ قال : « **نعم ، هم شر من شياطين الجن** » .

وهذا أيضًا فيه انقطاع .

وروي متصلًا كما قال الإمام أحمد(٢٠٠) : حدثنا وكيع ، حدثنا المسعودي ، أنبأنا أبو عمر

= وأخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٦٧/٨ - مخطوط) من طريق أبي صالح به ، وهذا فيه انقطاع أيضًا بين ابن عائذ - وهو عبد الرحمن - وأبي ذر قال العلائي في « جامع التحصيل » (ص ٢٢٣) : « روى عن عمر وأبي ذر - رضي اللَّه عنهما - والظاهر أنه مرسل » .

(٢٠٠) - **إسناده ضعيف** « المسند» (١٧٨/٥) ، وأخرجه الطيالسي في مسنده (٤٧٨) -ومن طريقه البزار (١/رقم ١٦٠ - كشف) والبيهقي في « الشعب » (٣٥٧٦/٣) والمزي في « تهذيب الكمال » (٢٠٤/١٩ ، ٢٠٥) : ثنا المسعودي به ، وأخرجه البزار أيضًا ، والنسائي في « السنن » (٢٧٥/٨) وابن مردويه - كما ذكره المصنف - وابن سعد في « الطبقات » (٢٨/١ ، ٤٥) ، والذهبي في « سير أعلام النبلاء » (٦٢/٢) بلفظ آخر كلهم من طرق عن المسعودي به ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٦٤/١، ١٦٥) وقال : « رواه أحمد ، والبزار ، والطبراني في « الأوسط » بنحوه ، وعند النسائي طرف منه ، وفيه المسعودي ، وهو ثقة ولكنه اختلط ... » قلت : سماع وكيع منه قديم كما قال ابن الكيَّال في « الكواكب» (ص ٢٩٣) لكن العلة ليست فيه، وإنما في عبيد بن الخشخاش - ويقال ابن الحسحاس - فلم يوثقه غير ابن حبان « الثقات » (١٣٦/٥) ، وقال البرقاني (سؤالاته/ت ٣٢٧) عن الدارقطني : «متروك» ، وقال البخاري =

[١] - كذا كني هنا محمد بن أيوب بأبي عبد اللَّه ، وكذا في تفسير ابن جرير ، قال الشيخ الأديب محمود شاكر في تعليقه على تفسير ابن جرير (٥٤/١٢) : « أبو عبد اللَّه محمد بن أيوب » كأنه خطأ من الناسخ ، صوابه : أبو عبد الملك محمد بن أيوب » قال البخاري في « الكبير » (٢٩/١/١ ، ٣٠) : « محمد بن أيوب أبو عبد الملك الأزدي ، عن ابن عائذ ، عن أبي ذر ، عن النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - قال : آدم نبي مكلم ، قال لنا : عبد اللَّه بن صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن محمد بن أيوب ، حديثه في الشاميين ، سمع منه معاوية بن صالح » وترجمه ابن أبي حاتم (١٩٦/٢/٣ ، ١٩٧) فذكر مثله » اهـ . قلت : وقد جاء على الصواب أيضًا في رواية ابن عساكر في « التاريخ » (١٦٧/٨ - مخطوط) .

[٢] - في ز : « عن » .

[٣] - في ز : « قال » .

الدمشقي ، عن عبيد بن الخشخاش[١] ، عن أبي ذر ، قال : أتيت النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم وهو في المسجد فجلست ، فقال : « **يا أبا ذر هل صليت ؟** » قلت : لا . قال : « **قم فصل** » . قال : فقمت فصليت ثم جلست ، فقال : « **يا أبا ذر ، تعوذ باللَّه من شر[٢] شياطين الإنس والجن** » . قال : قلت : يا رسول اللَّه ! وللإِنس شياطين ؟ قال : « **نعم** » . وذكر تمام الحديث بطوله .

وكذا رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره : من حديث جعفر بن عون ، ويعلىٰ بن عبيد ، وعبيد اللَّه بن موسىٰ ، ثلاثتهم عن المسعودي ، به .

(طريق أخرىٰ عن أبي ذر) قال ابن جرير(٢٠١) : حدثنا المثنىٰ ، حدثنا الحجاج ، حدثنا حماد ، عن حميد بن هلال ، حدثني رجل من أهل دمشق ، عن عوف[٣] بن مالك ، عن أبي ذر : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **يا أبا ذر ، هل تعوّذت باللَّه من شر[٤] شياطين الإِنس والجن ؟** » قال : قلت : يا رسول اللَّه ، هل للإِنس من شياطين ؟ قال : « **نعم** » .

(طريق أخرىٰ للحديث) قال ابن أبي حاتم(٢٠٢): حدثنا محمد بن عوف[٥] الحمصي ،

= في « التاريخ الكبير » (٤٤٧/٥) : « لم يذكر سماعًا من أبي ذر رضي اللَّه عنه » ، ووسمه ابن حجر في « التقريب » باللين . وأبو عُمر الدِّمشقي - وقيل أبو عمرو - قال الدارقطني : متروك ، وكذا قال الهيثمي في « المجمع » (١١٩/٣) .

(٢٠١) - **فيه جهالة وانقطاع** في تفسيره (١٣٧٦٨/١٢) ، وحماد هو ابن سلمة ، وحميد بن هلال ثقة متكلم فيه سمع من « عوف بن مالك » ، لكنه روى هذا بالواسطة عن مجهول « رجل من أهل دمشق » وعوف بن مالك هو ابن نضلة الأشجعي « ثقة » لم يذكر أنه سمع من أبي ذر . وللحديث طرف آخر بلفظ آخر تقدم [سورة النساء /آية رقم ١٦٤] .

(٢٠٢) - **إسناده ضعيف جدًّا** . ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٧٨٦/٤) ، وأخرجه أحمد في « المسند » (٢٦٥/٥) ، والطبراني في « الكبير » (٧٨٧١/٨) من طريق أبي المغيرة به مطولًا ، وذكر المصنف جزءًا من هذا المطول عند [سورة النساء/آية ١٦٤] من طريق ابن أبي حاتم بهذا الإسناد الذي ذكره وقال هناك : « مُعان بن رفاعة السَّلامي ضعيف ، وعلي بن يزيد ضعيف ، والقاسم أبو عبد الرحمن ضعيف أيضًا » وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٦٤/١) مطولًا وقال : « مداره على علي بن يزيد وهو ضعيف » ، (١١٨/٣) وقال : « رواه أحمد في حديث طويل ، والطبراني في « الكبير » ، وفيه علي بن زيد - كذا وهو خطأ صوابه علي بن يزيد وهو الألهاني - وفيه كلام » .

[١] - في ز : « الحسحاس » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « عون » .
[٤] - سقط من : خ ، ز .
[٥] - في ز : « عون » .

حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا معان بن رفاعة ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **يا أبا ذر ، تعوّذت من شياطين الجن والإنس** ؟ » قال : يا رسول اللَّه ، وهل للإنس شياطين ؟ قال : « **نعم ﴿ شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلىٰ بعض زخرف القول غرورًا ﴾** » .

وقوله : **﴿ يوحي بعضهم إلىٰ بعض زخرف القول غرورًا ﴾** .

فهذه طرق لهذا الحديث ، ومجموعها يفيد قوته وصحته ، واللَّه أعلم .

قال[١] ابن جرير(٢٠٣) : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا أبو نعيم ، عن شريك ، عن سعيد بن مسروق ، عن عكرمة **﴿ شياطين الإنس والجن ﴾** قال : ليس من[٢] الإنس شياطين ، ولكن شياطين الجن يوحون إلىٰ شياطين الإنس ، وشياطين الإنس يوحون إلىٰ شياطين الجن .

قال(٢٠٤) : وحدثنا[٣] الحارث ، حدثنا عبد العزيز ، حدثنا إسرائيل ، عن السدي ، [عن عكرمة][٤] في قوله : **﴿ يوحي بعضهم إلىٰ بعض زخرف القول غرورًا ﴾** [قال : للإنس شياطين ، وللجن شياطين ، فيلقىٰ شيطان الإنس شيطان الجن ، فيوحي بعضهم إلىٰ بعض زخرف القول غرورًا][٥] .

وقال أسباط ، عن السدي ، عن عكرمة في قوله : **﴿ يوحي بعضهم إلىٰ بعض ﴾** [في تفسير هذه الآية][٦] : أما شياطين الإنس فالشياطين التي تضل الإنس ، وشياطين الجن [التي تضل الجن ، يلتقيان][٧] فيقول كل واحد منهما لصاحبه : إني أضللت صاحبي بكذا وكذا ، فأضلل أنت صاحبك بكذا وكذا ، فيعلم بعضهم بعضًا .

ففهم ابن جرير من هذا أن[٨] المراد [بشياطين الإنس عند عكرمة والسدي: الشياطين من الجن

(٢٠٣) - ابن جرير في تفسيره (١٣٧٦٦/١٢) وابن وكيع هو سفيان ساقط الحديث ، وشريك هو ابن عبد اللَّه النخعي ساء حفظه لما ولي قضاء الكوفة ، لكن سماع أبي نعيم منه قبل توليه القضاء فحديثه عنه قوي صحيح ، فاحفظ هذا .

(٢٠٤) - أخرجه ابن جرير أيضًا في تفسيره (١٣٧٦٧/١٢) .

[١] - في ز : « وقد روى » .

[٢] - في ز : « في » .

[٣] - في تفسير ابن جرير « حدثني » .

[٤] - مقحمة في الإسناد ، وليست موجودة في تفسير ابن جرير .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

[٧] - ما بين المعكوفتين في ز : « الذين يضلون يتلقيان » .

[٨] - في ز : « أنهم » .

الذين يضلون الناس ، لا أن المراد منه[١] شياطين الإنس منهم، ولا شك أن هذا ظاهر من كلام عكرمة، وأما كلام السدي فليس مثله في هذا المعنىٰ وهو محتمل ، وقد روىٰ ابن أبي حاتم(٢٠٥) نحو هذا عن ابن عباس من رواية الضحاك عنه قال : إن للجن[٢] شياطين يضلونهم مثل شياطين الإنس يضلونهم . قال : فيلتقي شياطين الإنس وشياطين الجن ، فيقول هذا لهذا أضللّه بكذا ، أضللّه بكذا ، فهو قوله : ﴿ **يوحي بعضهم إلىٰ بعض زخرف القول غرورًا** ﴾ .

وعلىٰ كل حال فالصحيح ما تقدم من حديث أبي ذر : أن للإنس شياطين منهم ، وشيطان[٣] كل شيء مارده ، ولهذا جاء في صحيح مسلم(٢٠٦) : عن أبي ذر أن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم قال : « **الكلب الأسود شيطان** » . ومعناه - واللّه أعلم - : شيطان في الكلاب .

وقال ابن جريج : قال مجاهد في تفسير هذه الآية : كفار الجن شياطين يوحون إلىٰ شياطين الإنس كفار الإنس زخرف القول غرورًا .

وروىٰ ابن أبي حاتم(٢٠٧) : عن عكرمة قال : قدمت علىٰ المختار فأكرمني وأنزلني ، حتىٰ كاد يتعاهد مبيتي بالليل ، قال : فقال لي : [اخرج إلىٰ الناس فحدثهم][٤] . قال : فخرجت فجاء رجل فقال : ما تقول في الوحي ؟ فقلت : الوحي وحيان ؛ قال اللّه تعالىٰ : ﴿ **بما[٥] أوحينا إليك هذا القرآن** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلىٰ بعض زخرف القول غرورًا** ﴾ . قال : فهموا بي أن يأخذوني ، فقلت لهم[٦] : ما لكم ذاك إني مفتيكم وضيفكم فتركوني .

وإنما عرّض عكرمة بالمختار وهو ابن أبي عبيد قبحه اللّه ، وكان يزعم أنه يأتيه الوحي ، وقد كانت أخته صفية تحت عبد اللّه بن عمر وكانت من الصالحات ، ولما أُخبر عبد اللّه بن عمر أن المختار

(٢٠٥) - ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٧٩١/٤) ، وفي إسناده بشر بن عمارة ضعيف ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٧٣/٣) إلى أبي الشيخ .

(٢٠٦) - صحيح مسلم ، كتاب : الصلاة ، باب : قدر ما يستر المصلي (٢٦٥) (٥١٠) ، وكذا أخرجه أحمد (١٤٩/٥ ومواضع أخر) ، وأبو داود (٧٠٢) ، والترمذي (٣٣٨) ، والنسائي (٢/ ٦٣ ، ٦٤) ، وابن ماجه (٩٥٢ ، ٣٢١٠).

(٢٠٧) - ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٧٨٩/٤) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٢] - في ز : « الجن » .
[٣] - في ز : « شياطين » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : «اخرج فحدث الناس» .
[٥] - في ز : « إنا » . [٦] - سقط من : خ ، ز .

يزعم أنه يوحىٰ إليه قال : صدق ، قال[١] اللَّه تعالىٰ : ﴿ **وإن الشياطين ليوحون إلىٰ أوليائهم** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **يوحي بعضهم إلىٰ بعض زخرف القول غرورًا** ﴾ أي : يلقي بعضهم إلىٰ بعض القول المزين المزخرف ، وهو المزوق الذي[٢] يغتر سامعه من الجهلة بأمره .

﴿ **ولو شاء ربك ما فعلوه** ﴾ أي : وذلك كله بقدر اللَّه وقضائه وإرادته ومشيئته ، أن يكون لكل نبي عدوًّا من هؤلاء ﴿ **فذرهم** ﴾ أي : فدعهم ﴿ **وما يفترون** ﴾ أي : يكذبون ، أي : دع أذاهم وتوكل علىٰ اللَّه في عدواتهم ، فإن اللَّه كافيك وناصرك عليهم .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ولتصغىٰ إليه** ﴾ أي : ولتميل إليه - قاله ابن عباس - ﴿ **أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة** ﴾ أي : قلوبهم وعقولهم وأسماعهم .

وقال السدي : قلوب الكافرين . ﴿ **وليرضوه** ﴾ أي : يحبوه ويريدوه ، وإنما يستجيب لذلك من لا يؤمن بالآخرة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فإنكم وما تعبدون * ما أنتم عليه بفاتنين * إلا من هو صال[٣] الجحيم** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **إنكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وليقترفوا ما هم مقترفون** ﴾ قال علي بن أبي طلحة(٢٠٨) ، عن ابن عباس : وليكتسبوا ما هم مكتسبون .

وقال السدي وابن زيد : وليعملوا ما هم عاملون .

أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾

يقول تعالىٰ لنبيه محمد[٤] صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **قل** ﴾ لهؤلاء المشركين باللَّه غيره ، الذين يعبدون غيره ﴿ **أفغير اللَّه أبتغي حكمًا** ﴾ أي : بيني وبينكم ﴿ **وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلًا** ﴾ أي : مبينًا ﴿ **والذين آتيناهم الكتاب** ﴾ أي : من اليهود والنصارىٰ

(٢٠٨) - أخرجه ابن جرير (١٣٧٨٥/١٢) .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « صالي » .
[٤] - سقط من : ت .

﴿ **يعلمون أنه منزل من ربك بالحق** ﴾ أي : بما عندهم من البشارات بك من الأنبياء المتقدمين ﴿ **فلا تكونن من الممترين** ﴾ ، كقوله : ﴿ **فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين** ﴾ وهذا شرط ، والشرط لا يقتضي وقوعه ، ولهذا جاء عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه قال : « **لا أشك ولا أسأل** »(٢٠٩) .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وتمت كلمة**[١] **ربك صدقًا وعدلًا** ﴾ قال قتادة : صدقًا فيما قال ، وعدلًا فيما حكم .

يقول : صدقًا في الإخبار ، وعدلًا في الطلب ، فكل ما أخبر به فحق لا مرية فيه[٢] ولا شك ، وكل ما أمر به فهو العدل الذي لا عدل سواه ، وكل ما نهىٰ عنه فباطل ؛ فإنه لا ينهىٰ إلا عن مفسدة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر [ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث]**[٣] ﴾ .

﴿ **لا مبدل لكلماته** ﴾ أي : ليس أحد يعقب حكمه تعالىٰ لا في الدنيا ولا في الآخرة ﴿ **وهو السميع** ﴾ لأقوال عباده ﴿ **العليم** ﴾ بحركاتهم وسكناتهم الذي يجازي كل عامل بعمله .

وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾

يخبر تعالىٰ عن حال أكثر أهل الأرض من بني آدم : أنه الضلال ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين** ﴾ وهم في ضلالهم ليسوا علىٰ يقين من أمرهم ، وإنما هم في ظنون كاذبة وحسبان باطل [﴿ **إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون** ﴾][٤] فإن الخرص[٥] هو الحَزْر ، ومنه خرص النخل : وهو حزر ما عليها من التمر ، وذلك كله عن قدر اللَّه ومشيئته ﴿ **هو**[٦] **أعلم من يضل عن سبيله** ﴾ فييسره

(٢٠٩) - **مرسل** ، يأتي تخريجه [سورة يونس/آية رقم ٩٤] .

[١] - في ز : « كلمات » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ت : « إلى آخر الآية » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٥] - في ز : « الحرص » .
[٦] - في ز : « وهو » .

لذلك ﴿ **وهو أعلم بالمهتدين** ﴾ فييسرهم[١] لذلك ، « **وكل ميسر لما خلق له** »(٢١٠) .

فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾

هذا إباحة من الله لعباده المؤمنين : أن يأكلوا من الذبائح ما ذكر عليه اسمه ، ومفهومه : **أنه لا** يباح ما لم يذكر اسم الله عليه ، كما كان يستبيحه كفار قريش[٢] من أكل الميتات ، وأكل ما ذبح على النصب وغيرها ، ثم ندب إلى الأكل مما ذكر اسم الله عليه فقال : ﴿ **وما لكم أن لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم** ﴾ أي : قد بين لكم ما حرم عليكم ووضحه .

وقرأ بعضهم : ﴿ **فصَّل** ﴾ بالتشديد ، وقرأ آخرون بالتخفيف ، والكل بمعنى البيان والوضوح .

﴿ **إلا ما اضطررتم إليه** ﴾ أي : إلا في حال الاضطرار فإنه يباح لكم ما وجدتم .

ثم بين تعالى جهالة المشركين في آرائهم الفاسدة في استحلالهم الميتات ، وما ذكر عليه غير اسم الله تعالى ، فقال : ﴿ **وإن كثيرًا ليضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالمعتدين** ﴾ أي : هو أعلم باعتدائهم وكذبهم وافترائهم .

وَذَرُوا۟ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾

قال مجاهد : ﴿ **وذروا ظاهر الإثم وباطنه** ﴾ معصيته في السر والعلانية . وفي رواية عنه : هو ما ينوي مما هو عامل .

وقال قتادة : ﴿ **وذروا ظاهر الإثم وباطنه** ﴾ أي : سره وعلانيته ، قليله وكثيره .

(٢١٠) - جزء من حديث يأتي تخريجه [سورة هود/ آية ١٠٥] .

[١] - في ز : « فييسره » .
[٢] - في خ ، ز : « المشركين » .

وقال السدي : ظاهره الزنا مع البغايا ذوات الرايات ، وباطنه الزنا مع الخليلة[١] والصدائق والأخدان .

وقال عكرمة : ظاهره نكاح ذوات المحارم .

والصحيح أن الآية عامّة في ذلك كله ، وهي كقوله تعالىٰ : ﴿ **قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن [والإثم والبغى بغير الحق]**[٢] ﴾ .

ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون** ﴾ أي : سواء كان ظاهرًا أو خفيًا ، فإن اللّٰه سيجزيهم عليه .

قال ابن أبي حاتم(٢١١) : حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن معاوية ابن صالح ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، عن أبيه ، عن النواس بن سمعان ، قال : سألت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم عن الإثم فقال : « **الإثم ما حاك في صدرك ، وكرهت أن يطلع الناس عليه** » .

وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾

استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب إلىٰ [أن الذبيحة لا تحل إذا][٣] لم يذكر اسم اللّٰه عليها ، ولو كان الذابح مسلمًا ، وقد اختلف الأئمة رحمهم اللّٰه في هذه المسألة علىٰ ثلاثة أقوال :

فمنهم من قال لا تحل هذه الذبيحة بهذه الصفة ، وسواء متروك التسمية عمدًا أو سهوًا ، وهو مروي عن ابن عمر ونافع مولاه وعامر الشعبي ومحمد بن سيرين ، وهو رواية عن الإمام مالك ، ورواية عن أحمد بن حنبل نصرها طائفة من أصحابه المتقدمين والمتأخرين ، وهو اختيار أبي ثور وداود الظاهري ، واختار ذلك أبو الفتوح محمد بن محمد بن علي الطائي من متأخري الشافعية في كتابه الأربعين ، واحتجوا لمذهبهم هذا بهذه الآية ، وبقوله في آية الصيد : ﴿ **فكلوا مما**

---

(٢١١) - **صحيح** ، في تفسيره (٧٨٣١/٤) ، وأخرجه أحمد (١٨٢/٤) ، ومسلم ، كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : تفسير البر والإثم (١٤ ، ١٥) (٢٥٥٣) ، والترمذي ، كتاب : الزهد ، باب : ما جاء في البر والإثم (٢٣٩٠) من طرق عن معاوية بن صالح بهذا الإسناد .

---

[١] - في ز : « الحليلة » . [٢] - في ت : « الآية » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « أنه لا تحل الذبيحة التي » .

أمسكن عليكم واذكروا اسم اللَّه عليه ﴾ ثم قد أكد في هذه الآية بقوله : ﴿ **وإنه لفسق** ﴾ والضمير قيل : عائد علىٰ الأكل ، وقيل : عائد علىٰ الذبح لغير اللَّه ، وبالأحاديث الواردة في الأمر بالتسمية عند الذبيحة والصيد ؛ كحديثي عدي بن حاتم(٢١٢) وأبي ثعلبة(٢١٣) : « **إذا أرسلت كلبك المعلَّم ، وذكرت اسم اللَّه عليه**[١] ، **فكل ما أمسك عليك** » . وهما في الصحيحين ، وحديث رافع بن خديج(٢١٤) : « **ما أنهر الدم ، وذكر اسم اللَّه عليه ، فكلوه** » . وهو في الصحيحين أيضًا ، و[٢]حديث ابن مسعود : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم قال للجن : « **لكم كل عظم ذكر اسم اللَّه عليه** » . رواه مسلم(٢١٥) ، وحديث جندب بن سفيان البجلي قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **من ذبح قبل أن يصلي فليذبح مكانها أخرىٰ ، ومن لم يكن ذبح حتىٰ صلينا فليذبح باسم اللَّه** » . أخرجاه(٢١٦) ، وعن عائشة رضي اللَّه عنها : أن ناسًا قالوا : يا رسول اللَّه ، إن قومًا يأتوننا باللحم ، لا ندري أذكر اسم اللَّه عليه أم لا ؟ قال : « **سموا عليه أنتم**[٣] **وكلوا** » . قالت : وكانوا حديثي عهد بالكفر[٤] . رواه البخاري(٢١٧) .

ووجه الدلالة : أنهم فهموا أن التسمية لابد منها ، وخشوا أن لا تكون وجدت من أولئك لحداثة إسلامهم ، فأمرهم بالاحتياط بالتسمية عند الأكل ؛ لتكون كالعوض عن المتروكة عند الذبح إن لم تكن وجدت ، وأمرهم بإجراء أحكام المسلمين علىٰ السداد ، واللَّه أعلم .

والمذهب الثاني في المسألة : أنه لا يشترط التسمية بل هي مستحبة ، فإن تركت عمدًا أو

(٢١٢) - **صحيح** ، تقدم تخريجه [سورة المائدة/آية ٤] .

(٢١٣) - **صحيح** ، تقدم تخريجه [سورة المائدة/آية ٤] .

(٢١٤) - **صحيح** ، تقدم تخريجه [سورة المائدة/آية ٣] .

(٢١٥) - رواه مسلم في صحيحه ، كتاب : الصلاة ، باب : الجهر بالقراءة في الصبح ، والقراءة على الجن (٤٥٠) .

ويذكره المصنف بطرقه مطولًا عند [آية رقم ٢٩/ من سورة الأحقاف] .

(٢١٦) - البخاري ، كتاب : العيدين ، باب : كلام الإمام والناس في خطبة العيد (٩٨٥) ، ومسلم ، كتاب : الأضاحي ، باب : وقتها (١٩٦٠) ، وكذا أخرجه أحمد (٣١٢/٤ ، ٣١٣) ، والنسائي (٢١٤/٧ ، ٢٢٤) وابن ماجه (٣١٥٢) .

(٢١٧) - صحيح البخاري ، كتاب : البيوع ، باب : مَنْ لَمْ يَرَ الوَساوِس ونحوها من الشُّبُهات (٢٠٥٧) ، وكذا أخرجه أبو داود (٢٨٢٩) والنسائي (٢٣٧/٧) ، وابن ماجه (٣١٧٤) .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « اسم اللَّه » .
[٤] - في ز : « بكفر » .

نسيانًا لم يضر[١] ، وهذا مذهب الإمام الشافعي رحمه اللَّه وجميع أصحابه ، ورواية عن الإمام أحمد نقلها عنه حنبل ، وهو رواية عن الإمام مالك ، ونص علىٰ ذلك أشهب بن عبد العزيز من أصحابه ، وحكي عن ابن عباس ، وأبي هريرة ، وعطاء بن أبي رباح ، واللَّه أعلم . وحمل الشافعي الآية الكريمة : ﴿ **ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم اللَّه عليه وإنه لفسق** ﴾ علىٰ ما ذبح لغير اللَّه ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **أو فسقًا أهل لغير اللَّه به** ﴾ .

وقال ابن جريج ، عن عطاء ﴿ **ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم اللَّه عليه** ﴾ قال : ينهىٰ عن ذبائح كانت تذبحها[٢] قريش للأوثان ، وينهىٰ عن ذبائح المجوس . وهذا المسلك الذي طرقه[٣] الإمام الشافعي قوي ، وقد حاول بعض المتأخرين أن يقويه بأن جعل الواو في قوله ﴿ **وإنه لفسق** ﴾ حالية ، أي : لا تأكلوا مما لم يذكر اسم اللَّه عليه في حال كونه فسقًا ، ولا يكون فسقًا حتىٰ يكون قد أهل به لغير اللَّه . ثم ادعىٰ أن هذا متعين ، ولا يجوز أن تكون الواو عاطفة ؛ لأنه يلزم منه عطف جملة اسمية خبرية علىٰ جملة فعلية طلبية ، وهذا ينتقض عليه بقوله : ﴿ **وإن الشياطين ليوحون إلىٰ أوليائهم** ﴾ فإنها عاطفة لا محالة ، فإن كانت الواو التي[٤] ادعىٰ أنها حالية صحيحة علىٰ ما قال ؛ امتنع عطف هذه عليها ، فإن عطفت علىٰ الطلبية ورد عليه ما أورد علىٰ غيره ، وإن لم تكن الواو حالية بطل ما قال من أصله ، و اللَّه أعلم .

وقال ابن أبي حاتم(٢١٨) : حدثنا أبي ، حدثنا يحيىٰ بن المغيرة ، أنبأنا جرير ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس [في الآية][٥] ﴿ **ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم اللَّه عليه** ﴾ قال : هي الميتة .

ثم رواه : عن أبي زرعة ، [عن يحيىٰ بن أبي كثير][٦] ، عن ابن لهيعة ، عن عطاء وهو ابن السائب به .

---

(٢١٨) - في تفسيره (٨٧٣٣/٤) وكذا أخرجه (٧٨٣٤/٤ ، ٧٨٣٩) ثنا أبو زرعة ، ثنا يحيى بن عبد اللَّه ابن بكير ، عن ابن لهيعة ، حدثني عطاء عن سعيد بن جبير من قوله ، به ، لم ينم به إلى ابن عباس وقد نما به المصنف هنا إلى ابن عباس ، فاللَّه أعلم .

---

[١] - في ز : « تضر » .
[٢] - في ز : « يذبحها » .
[٣] - في خ : « طرده » .
[٤] - في ز : « الذي » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « قوله » .
[٦] - كذا في جميع النسخ التى اطلعت عليها ، وهو خطأ ؛ فإن يحيى بن أبي كثير من المحال أن يروي عن ابن لهيعة ، كيف وابن لهيعة لا يعد حتى تلميذًا له ، فبينهما مفاوز ، وإنما صوابه يحيى بن عبد اللَّه بن بكير ، كذا في تفسير ابن أبي حاتم (٧٨٣٤/٤ ، ٧٨٣٩) وهو الصواب ، وانظر « تهذيب الكمال » (٤٠١/٣١ ، ٥٠٤)

وقد استدل لهذا المذهب بما رواه أبو داود في المراسيل(٢١٩) : من حديث ثور بن يزيد ، عن الصلت السدوسي - مولىٰ سويد بن منجوف ، أحد التابعين الذين ذكرهم أبو حاتم بن حبان في كتاب الثقات[١] - قال: قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم: « **ذبيحة المسلم حلال ، ذكر اسم اللَّه أو لم يذكر ، إنه إن ذكر لم يذكر إلا اسم اللَّه** » .

وهذا مرسل يعضد بما رواه الدارقطني(٢٢٠) ، عن ابن عباس أنه قال : إذا ذبح المسلم ولم يذكر اسم اللَّه فليأكل ، فإن المسلم فيه اسم من أسماء اللَّه .

واحتج البيهقي أيضًا بحديث عائشة - رضي اللَّه عنها - المتقدم(٢٢١) : [**أن ناسًا قالوا : يا رسول اللَّه**][٢] ، إن قومًا حديثي عهد بجاهلية يأتوننا بلحم، لا ندري أذكروا[٣] اسم اللَّه عليه أم لا ؟ فقال : « **سموا أنتم وكلوا** » . قالوا : فلو كان وجود التسمية شرطًا لم يرخص[٤] لهم إلا مع تحققها ، واللَّه أعلم .

المذهب الثالث في المسألة : إن ترك البسملة علىٰ الذبيحة نسيانًا لم يضر ، وإن تركها عمدًا لم تحل .

هذا هو المشهور من مذهب الإِمام مالك ، وأحمد بن حنبل ، وبه يقول أبو حنيفة وأصحابه ،

(٢١٩) - **مرسل ضعيف** ، « المراسيل » (رقم ٣٧٨) - ومن طريقه البيهقي في « السنن الكبرى» (٩/ ٢٤٠) - وابن الجوزي في «التحقيق» (٢/رقم ١٩٣٨) عن مسدد ، ثنا عبد اللَّه بن داود ، عن ثور بن يزيد به ، قال عبد الحق في « الأحكام الوسطى » (١٠٤/٧) : « هذا مرسل وضعيف » قال ابن القطان في « بيان الوهم والإيهام » (٣/رقم ١٣٦٩) : « وعلته مع الإرسال هي : أن الصلت السدوسي لا تعرف له حال ، ولا يعرف بغير هذا ، ولا روى عنه إلا ثور بن يزيد » وانظر - غير مأمور - « نصب الراية » للزيلعي (١٨٣/٤) ، و« الإرواء » للألباني (١٧٠/٨) .

(٢٢٠) - **صحيح موقوفًا** ، في « السنن » (٢٩٥/٤ ، ٢٩٦) (رقم ٩٦) ، وكذا أخرجه سعيد بن منصور - ومن طريقه البيهقي في « السنن » (٢٣٩/٩) - والحميدي - ومن طريقه البيهقي أيضًا (٢٣٩/٩،٢٤٠) - وقد روي مرفوعًا - يأتي برقم (٢٢٣) - وإسناده ضعيف ، كما قال الحافظ في « التلخيص » (١٥١/٤) وصحح إسناد الموقوف في « الفتح » (٦٢٤/٩) ، وقال في « الدراية » (٢٠٦/٢) : « ورواه سعيد بن منصور ، وعبد الرزاق ، والحميدي ... فوقفوه ، وصوب الحفاظ وقفه » وانظر « نصب الراية » (١٨٢/٤) ، و« الإرواء » (١٧٠/٨ ، ١٧١) .

(٢٢١) - **صحيح** ، تقدم ذكره قريبًا (برقم ٢١٧) .

[١] - الثقات لابن حبان (٤٧١/٦) .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ز : « أذكر » .
[٤] - في ز : « رخص » .

وإسحاق بن راهويه ، وهو محكي عن علي ، وابن عباس ، وسعيد بن المسيب ، وعطاء ، وطاوس ، والحسن البصري ، وأبي مالك ، وعبد الرحمن بن أبي ليلىٰ ، وجعفر بن محمد وربيعة ابن أبي عبد الرحمن .

ونقل الإِمام أبو الحسن المَرْغِينَانِي[١] في كتابه « الهداية » : الإِجماع قبلَ الشافعي علىٰ تحريم متروك التسمية عمدًا ، فلهذا قال أبو يوسف والمشايخ : لو حكم حاكم بجواز بيعه لم ينفذ لمخالفة الإِجماع .

وهذا الذي قاله غريب جدًّا ، وقد تقدم نقل الخلاف عمن قبل الشافعي ، واللَّه أعلم .

وقال الإِمام أبو جعفر بن جرير رحمه اللَّه : من حرم ذبيحة الناسي فقد خرج من قول جميع الحجة ، وخالف الخبر الثابت عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم في ذلك .

يعني : ما رواه الحافظ أبو بكر البيهقي(٢٢٢) : أنبأنا أبو عبد اللَّه الحافظ ، حدثنا أبو العباس الأصم ، حدثنا أبو أمية الطرسوسي ، حدثنا محمد بن يزيد ، حدثنا معقل بن عبيد اللَّه ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **المسلم يكفيه اسمه إن نسي أن يسمي حين يذبح ، فليذكر اسم اللَّه وليأكله** » .

وهذا الحديث رفعه خطأ ، أخطأ فيه معقل بن عبيد اللَّه الجزيرى[٢] ، فإنه وإن كان من رجال مسلم ، إلا أن سعيد بن منصور وعبد اللَّه بن الزبير الحميدي[٣] روياه عن سفيان بن عيينة[٤] ،

(٢٢٢) - **ضعيف مرفوعًا** ، في كتابه « معرفة السنن والآثار » (٧/رقم ٥٥٩٧) وأخرجه في « السنن الكبرى » (٢٣٩/٩) ، ومن قبله الدارقطني في « السنن » (٢٩٦/٤) (رقم ٩٨) - ومن طريق الدارقطني علقه ابن الجوزي في « التحقيق » (٢/رقم ١٩٣٧) - من طريق أبي حاتم الرازي ، نا محمد بن يزيد به و وقال البيهقي : « المحفوظ رواية سفيان بن عيينة ، عن عمرو ، عن أبي الشعثاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس موقوفًا » - وهي الرواية المتقدمة قريبًا (رقم ٢٢١) - وقال ابن حجر في « التلخيص » (١٥١/٤) : « في إسناده ضعف ، وأعله ابن الجوزي بمعقل بن عبيد اللَّه ، فزعم أنه مجهول ، فأخطأ ؛ بل هو ثقة من رجال مسلم ...» لكنه أخطأ في رفعه - كما قال المصنف - ثم إن محمد بن يزيد وهو ابن سنان الرُّهاوي ضعفه الترمذي والدارقطني ، وقال النسائي : ليس بالقوي . وقال أبو حاتم : « ليس بالمتين هو أشد غفلة من أبيه » وأعله به ابن القطان في « الوهم والإيهام » (١٣٧٠/٣) ، وانظر الحديث المتقدم برقم (٢٢١) .

[١] - في ز : « المرغانى » . [٢] - في ز : « الجزري » .
[٣] - وكذا عبد الرزاق انظر تخريج رقم (٢٢٠) .
[٤] - وجعله الشيخ الألباني في «الإرواء» (١٧١/٨) «سفيان الثوري» .

عن عمرو ، عن أبي الشعثاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس من قوله ، فزادا في إسناده أبا[١] الشعثاء ووقفا ، [والله أعلم][٢] وهذا أصح ، نص عليه البيهقي [وغيره من الحفاظ][٣] .

وقد نقل ابن جرير وغيره ، عن الشعبي ومحمد بن سيرين : أنهما كرها متروك التسمية نسيانًا . والسلف يطلقون الكراهة على التحريم كثيرًا والله أعلم ، إلا أن من قاعدة ابن جرير أنه لا يعتبر قول الواحد ولا الاثنين مخالفًا لقول الجمهور فيعده إجماعًا ، فليعلم هذا ، و الله الموفق .

قال ابن جرير(٢٢٣) : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا أبو أسامة ، عن جَهير بن يزيد ، قال : سُئِل الحسن سأله رجل : أتيت بطير كَرَيّ[٤] ، فمنه ما قد ذبح فذكر اسم الله عليه ، ومنه ما نسي أن يذكر اسم الله عليه واختلط الطير ؟ فقال الحسن : كُلْهُ كُلَّه . قال : وسألت محمد بن سيرين فقال : قال الله : ﴿ **ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه** ﴾ .

واحتج لهذا المذهب بالحديث المروي من طرق عند ابن ماجة : عن ابن عباس(٢٢٤) ، وأبي

(٢٢٣) - ابن جرير في تفسيره (١٣٨٢٨/١٢) ، ورجاله ثقات غير ابن وكيع فضعيف .

(٢٢٤) - أخرجه ابن ماجه (٢٠٤٥) ، والعقيلي في « الضعفاء » (١٤٥/٤) ، وابن عدي في « الكامل » (٧٥٨/٢) - ومن طريقه البيهقي في « السنن الكبرى » (٣٥٦/٧ ، ٣٥٧) - والطبراني في « الأوسط » (٨٢٧٣/٨) من طرق عن محمد بن المُصَفَّى ، ثنا الوليد بن مسلم ، ثنا الأوزاعي ، عن عطاء عن ابن عباس ، مرفوعًا به . وأعل هذا الطريق بالانقطاع ، فقال البوصيري في « مصباح الزجاجة » (١٣٠/٢ ، ١٣١) : « هذا إسناد صحيح إن سلم من الانقطاع ، والظاهر أنه منقطع .... وليس ببعيد أن يكون السقط من صنعة الوليد بن مسلم ، فإنه كان يدلس تدليس التسوية » . قلت : وقد وصله بشر بن بكر التنيسي ، عن الأوزاعي ، عن عطاء ، عن عبيد بن عمير ، عن ابن عباس ، به .

أخرجه ابن حبان (٧٢١٩/١٦/ إحسان) ، والطحاوي في « شرح معاني الآثار » (٩٥/٣) ، والطبراني في « المعجم الصغير » (٢٧٠/١) و وابن عدي في « الكامل » (٧٥٨/٢ ، ٧٥٩) ، والدارقطني في « السنن » (١٧٠/٤ ، ١٧١) (رقم ٣٣) ، وابن حزم في « المحلّى » (٢٠٥/١٠) ، وابن الصيداوي في « معجم الشيوخ » (ص ٣٦١ ، ٣٦٢) ، والحاكم (١٩٨/٢) ، والبيهقي (٣٥٦/٧) (١٠/ ٦٠، ٦١) من طريق الربيع بن سليمان عن بشر بن بكر ، به . وقال الطبراني : « لم يروه عن الأوزاعي إلا بشر تفرد به الربيع بن سليمان » كذا قال ، وتابعه غير واحد فقال ابن عدي : « رواه عن بشر ثلاثة أنفس : البويطي ، والربيع ، والحسين بن أبي معاوية » واختلف فيه على الربيع فرواه جماعة من المصريين وغيرهم عنه هكذا ، ورواه أبو العباس محمد بن يعقوب عنه ، ثنا أيوب =

[١] - في ز : « أبي » . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٤] - في خ ، ز : « كذا » .

هريرة(٢٢٥) ، ....

=ا بن سويد ، ثنا الاوزاعي ، به أخرجه من هذا الوجه الحاكم (١٩٨/٢) . وقال البيهقي أيضًا : « جوَّد إسناده بشر بن بكر وهو من الثقات ، ورواه الوليد بن مسلم عن الأوزاعي ، فلم يذكر في إسناده عبيد بن عمير » وقد صحح الطريق الموصولة الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ، وجوَّد إسناده العقيلي في « الضعفاء » ، وكذا صححه ابن حبان وابن حزم وقال النووي في « الأربعين » وغيره : « حديث حسن » . وقال الحافظ في « الفتح » (١٦١/٥) : « رجال ثقات ، إلا أنه أعل بعلة غير قادحة ... » وصححه الشيخ الألباني في « الإرواء » (١/رقم ٨٢) ، وقال ابن رجب في « جامع العلوم والحكم » (٣٩٠/٢) : « إسناده صحيح في ظاهر الأمر ، ورواته كلهم محتج بهم في « الصحيحين » ، وقد خرجه الحاكم ، وقال : « صحيح على شرطهما » كذا قال ، ولكن له عِلّة » . وهذه العلة هي قول أبي حاتم الرازي - « العلل » لابنه (١/رقم ١٢٩٦) - : « لم يسمع الأوزاعي هذا الحديث عن عطاء ، وإنما سمعه من رجل لم يسمه أتوهم أنه عبد اللّٰه أو إسماعيل بن مسلم ولا يصح هذا الحديث، ولا يثبت إسناده » ومقتضى هذا أن الأوزاعي - الإمام الثقة العلم - مدلس !! ولم يصفه أحد بذلك ، فتنبه !! وقد أنكر الإمام أحمد هذا الحديث جدًّا وقال : « ليس يروى فيه إلا عن الحسن عن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم » [« العلل » لعبد اللّٰه بن أحمد (١/رقم ١٣٤٠)] وللحديث طرق أخرى عن ابن عباس ضعيفة ، انظر « المعجم الكبير » للطبراني (١١/ ١١٢٧٤) ، و« الكامل » لابن عدي (٧٦/٢) و(٢٨٢/٥) و(١٦٢/٦) - وانظر لزامًا - « نصب الراية » للزيلعي (٦٤/٢ ، ٦٥) و« تلخيص الحبير » لابن حجر (٥١٠/١ ، ٥١٥/ط قرطبة)، و« جامع العلوم والحكم » لابن رجب (٣٩٠/٢ : ٣٩٨) ، و« كشف الخفا » للعجلوني ، و« الإرواء » للألباني .

(٢٢٥) - أخرجه ابن ماجه (٢٠٤٤) ثنا هشام بن عمار ، ثنا سفيان بن عيينة ، عن مسعر ، عن قتادة ، عن زرارة بن أوفى ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللّٰه - صلى اللّٰه عليه وسلم - : « **إن اللّٰه تجاوز لأمتي عما توسوس به صُدُورها ما لم تعمل به أو تتكلم به ، وما استكرهوا عليه** » . قال ابن رجب في « جامع العلوم والحكم » (٣٩٥/٢ ، ٣٩٦) : « رواه ابن عيينة ... وزاد فيه « وما استكرهوا عليه » وقد أنكرت هذه الزيادة على ابن عيينة ، ولم يتابعه عليها أحدٌ ، والحديث مُخرَّج من رواية قتادة في « الصحيحين » و« السنن » و « المسانيد » - تقدم تخريجه في سورة البقرة آية (٢٨٤) - بدونها » كذا أناط ابن رجب هذه الزيادة بسفيان بن عيينة ، ويستعبد مثل هذا عن هذا الإمام الثقة الحافظ ، والأولى أن تكون من هشام بن عمار لاسيما وقد تغير لما كبر وكان يتلقن ، ثم وجدت بعد هذا الاستبعاد - واللّٰه شهيد على ذلك - ما أثلج صدرى فقال الحافظ في « تلخيص الحبير » (٥١١/١) : « والزيادة هذه أظنها مدرجة كأنها دخلت على هشام بن عمار من حديث في حديث واللّٰه أعلم » ، وقال أيضًا : « وخرَّج الدارقطني - « السنن » (١٧١/٤) (رقم ٣٤) - من رواية ابن جريج ، عن عطاء عن أبي هريرة عن النبي - صلى اللّٰه عليه وسلم - قال : « **إن اللّٰه تجاوز عن أمتي ما حَدَّثت به أنفسها وما أكرهوا عليه إلا أن يتكلموا به أو يعملوا** » وهو لفظ غريب ، وقد خرجه النسائي - « السنن » (١٥٦/٦) - ولم يذكر الإكراه » .

وأبي ذر(٢٢٦) ، وعقبة بن عامر(٢٢٧) ، [وعبد الله بن عمرو][١](٢٢٨) ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه** » . وفيه نظر ، والله أعلم .

وقد رَوىٰ الحافظ أبو أحمد بن عدي(٢٢٩) : من حديث مروان بن سالم القرقساني ، عن

---

(٢٢٦) - أخرجه ابن ماجه (٢٠٤٣) من طريق أبي بكر الهذلي ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي ذر الغفاري قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « **إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان ، وما استكرهوا عليه** » ، قال البوصيري في « مصباح الزجاجة » (١٣٠/٢) : « هذا إسناد ضعيف لا تفاقهم على ضعف أبي بكر الهذلي » . وأعله ابن حجر في « تلخيص الحبير » بشهر بن حوشب وقال : « وفي الإسناد انقطاع أيضًا » . قلت : وقد روي بنفس الإسناد ، لكن من حديث أبي الدرداء - تقدم [سورة البقرة /آية ٢٨٦] .

(٢٢٧) - هذا الحديث لم يروه ابن ماجه، وإنما رواه الطبراني في « الأوسط » (٨٢٧٦/٨) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (٣٥٧/٧) من طريقين عن محمد بن المُصَفَّى ، نا الوليد ، نا ابن لهيعة ، عن موسى بن وردان قال : سمعت عقبة بن عامر - رضي الله عنه - يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **وضع الله عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه** » قال الطبراني : « لم يرو حديث عقبة بن عامر إلا موسى بن وَرْدَان ، ولا رواه عن موسى إلا ابن لهيعة ، تفرَّد به الوليد » وذكر لأبي حاتم الرازي حديث الأوزاعي - المتقدم (٢٢٥) - وحديث مالكٍ - الآتي بعد هذا - وقيل له : إن الوليد روى - أيضًا - عن ابن لهيعة ، عن موسى بن وردان، عن عقبة بن عامر ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - مثله ، فقال أبو حاتم : هذه أحاديث منكرة كأنها موضوعة ... » .

(٢٢٨) - هذا الحديث لم يروه ابن ماجه أيضًا ، وإنما رواه العقيلي في « الضعفاء » (١٤٥/٤) ، والطبراني في « الأوسط » (٨٢٧٤/٨) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣٥٢/٦) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (٨٤/٦) من طريق محمد بن المصفى ، ثنا الوليد بن مسلم ، ثنا مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر مرفوعًا بلفظ - رواية أبي نعيم - « **إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه** » وقال : « غريب من حديث مالك ، تفرد به ابن مصفى عن الوليد » وقال الحافظ ابن حجر في « تلخيص الحبير » (٥١١/١) : « رواه البيهقي وقال - لم أهتد لقوله هذا في كتابه « السنن الكبرى » وربما يكون في كتابه « الخلافيات » والله أعلم - قال الحاكم : « هو صحيح غريب ، تفرد به الوليد عن مالك ، وقال البيهقي في موضع آخر : ليس بمحفوظ عن مالك ، ورواه الخطيب في « كتاب الرواة عن مالك » في ترجمة سوادة بن إبراهيم عنه وقال : « سوادة مجهول ، والخبر منكر عن مالك » .

(٢٢٩) - **إسناده ضعيف** ، رواه بن عدي في كتابه « الكامل » (٢٣٨١/٦) - ومن طريقه =

---

[١] - كذا في ز ، خ ، ت ، : [عبد الله بن عمرو] والذي في هذا الباب هو حديث عبد الله بن عمر ، وانظر مصادر التخريج .

الأوزاعي ، عن يحيىٰ بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : جاء رجل إلىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال : يا رسول اللَّه ! أرأيت الرجل منا يذبح وينسىٰ أن يسمي ؟ فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **اسم اللَّه علىٰ كل مسلم** » .

ولكن هذا إسناده ضعيف ؛ فإن مروان بن سالم القرقساني أبا عبد اللَّه الشامي ضعيف ، تكلم فيه غير واحد من الأئمة واللَّه أعلم .

وقد أفردت هذه المسألة علىٰ حدة ، وذكرت مذاهب الأئمة ومآخذهم وأدلتهم ، ووجه الدلالات والمناقضات والمعارضات ، واللَّه أعلم .

قال ابن جرير[١] : وقد اختلف أهل العلم في هذه الآية هل نسخ من حكمها شيء أم لا ؟ فقال بعضهم : لم ينسخ منها شيء وهي محكمة فيما عُنيت به ، وعلىٰ هذا قول عامّة أهل العلم .

وروي عن الحسن البصري وعكرمة : ما حدثنا به ابن حميد(٢٣٠) ، حدثنا يحيىٰ بن واضح ، عن الحسين بن واقد ، عن عكرمة والحسن البصري قالا : قال اللَّه : ﴿ **فكلوا مما ذكر اسم اللَّه عليه إن كنتم بآياته مؤمنين** ﴾ ، وقال : ﴿ **ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم اللَّه عليه وإنه لفسق** ﴾ فنسخ واستثنىٰ من ذلك فقال : ﴿ **وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم(٢٣١) : قرئ علىٰ العباس بن الوليد بن [مزيد][٢] ، حدثنا محمد بن شعيب ، أخبرني النعمان - يعني ابن المنذر - ، عن مكحول ، قال : أنزل اللَّه في[٣] القرآن ﴿ **ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم اللَّه عليه** ﴾ ثم نسخها الرب ورحم المسلمين فقال : ﴿ **اليوم**

= البيهقي في « الكبرى » (٩/٢٤٠) - وكذا أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٥/٤٧٦٩) ، والدارقطني في « السنن » (٤/٢٩٥) (رقم ٩٤) من طريق مروان بن سالم به ، وقال الطبراني: « لم يرو هذا الحديث عن الأوزاعي إلا مروان بن سالم ...» قال البيهقي : « وهو ضعيف ضعفه أحمد بن حنبل والبخاري ، وغيرهما وهذا الحديث منكر بهذا الإسناد » ، وكذا أعله به الدارقطني والهيثمي في « المجمع » (٤/٣٣) ، وابن القطان في « الوهم والإيهام» (٣/١٣٧١) ، والزيلعي في « نصب الراية » (٤/١٨٢) ، وابن حجر في « التلخيص » (٤/١٥٠) ، والألباني في « الإرواء » (٤/رقم ١٦٩) .

(٢٣٠) - أخرجه ابن جرير (١٢/١٣٨٣٥) .

(٢٣١) - ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/٧٨٣٧) .

[١] - في تفسيره (١٢/٨٧) .

[٢] - في « ت ، خ ، ز » « يزيد » وهو خطأ وصوابه المثبت كما في تفسير ابن أبي حاتم (٧/٧٨٣٧) وانظر ترجمته في « التهذيب » .

[٣] - سقط من : خ .

أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ﴾ فنسخها بذلك وأحل طعام أهل الكتاب .

ثم قال ابن جرير : والصواب أنه لا تعارض بين حل طعام أهل الكتاب ، وبين تحريم ما لم يذكر اسم اللَّه عليه .

وهذا الذي قاله صحيح ، ومن أطلق من السلف النسخ هاهنا فإنما أراد التخصيص ، واللَّه سبحانه وتعالىٰ أعلم .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وإن الشياطين ليوحون إلىٰ أوليائهم** ﴾ قال ابن أبي حاتم(٢٣٢) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي إسحاق ، قال : قال رجل لابن عمر : إن المختار يزعم أنه يوحىٰ إليه . قال : صدق ، وتلا هذه الآية : ﴿ **وإن الشياطين ليوحون إلىٰ أوليائهم** ﴾ .

وحدثنا أبي ، حدثنا أبو حذيفة ، حدثنا عكرمة بن عمار ، عن أبي زميل ، قال : كنت قاعدًا عند ابن عباس ، وحج المختار بن أبي عبيد ، فجاءه رجل فقال : يا ابن عباس ، زعم أبو إسحاق أنه أوحي إليه الليلة . فقال ابن عباس : صدق . فنفرت[١] وقلت : يقول ابن عباس صدق . فقال ابن عباس : هما وحيان ؛ وحي اللَّه ، ووحي الشيطان ، فوحي اللَّه إلىٰ محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، ووحي الشيطان إلىٰ أوليائه . ثم قرأ : ﴿ **وإن الشياطين ليوحون إلىٰ أوليائهم** ﴾ .

وقد تقدم عن عكرمة في قوله : ﴿ **يوحي بعضهم إلىٰ بعض زخرف القول غرورًا** ﴾ نحو هذا .

وقوله : ﴿ **ليجادلوكم** ﴾ قال ابن أبي حاتم(٢٣٣) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا عمران ابن عيينة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، قال : خاصمت اليهود النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقالوا : نأكل مما قتلنا ، ولا نأكل مما قتل اللَّه ؟ فأنزل اللَّه : ﴿ **ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم اللَّه عليه وإنه لفسق** ﴾ .

هكذا رواه مرسلًا ، ورواه أبو داود(٢٣٤) متصلًا .

---

(٢٣٢) - ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/٧٨٤٠ ، ٧٨٤١) ، وأخرج الجزء الثاني منه ابن جرير (١٢/ ١٣٨٣٢) حدثني المثنى ، ثنا أبو حذيفة ، به .

(٢٣٣) - **مرسل ضعيف** ، ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/٧٨٣٢) وانظر ما بعده .

(٢٣٤) - « السنن » لأبي داود كتاب : الأضاحي ، باب : في ذبائح أهل الكتاب (٢٨١٩) - ومن طريقه البيهقي في « المعرفة » (٧/رقم ٥٥٩٩) وأخرجه ابن مردويه - ومن طريقه اختاره =

---

[١] - في ز : « فنفر » .

فقال : حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا عمران بن عيينة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : جاءت اليهود إلىٰ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وآله وسلم ، فقالوا : نأكل مما قتلنا ولا نأكل مما قتل اللّٰه ؟ فأنزل اللّٰه ﴿ **ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم اللّٰه عليه** ﴾ الآية .

وكذا[١] رواه ابن جرير(٢٣٥) : عن محمد بن عبد الأعلىٰ وسفيان بن وكيع كلاهما ، عن عمران بن عيينة به[٢] .

ورواه البزار (٢٣٦): عن محمد بن موسىٰ الحرشي[٣] ، عن عمران بن عيينة به[٤] . وهذا فيه نظر من وجوه ثلاثة :

أحدها : أن اليهود لا يرون إباحة الميتة حتىٰ يجادلوا .

الثاني : أن الآية من الأنعام وهي مكية .

الثالث : أن هذا الحديث رواه الترمذي(٢٣٧) عن محمد بن موسىٰ الحرشي[٥] ، عن زياد بن

= الضياء في «المختارة» (١٠/رقم ٢٧١) من طريق عثمان بن أبي شيبة به ، وأخرجه عبد اللّٰه بن أحمد ، وعنه الطبراني في « الكبير » (١٢٢٩٥/١١) ، ومن طريق الطبراني اختاره الضياء (٢٦٩/١٠) عن عبد اللّٰه بن عمر بن أبان ، ثنا عمران بن عيينة ، به .

وأخرجه البيهقي في « الكبرى » (٢٤٠/٩) من طريق محمد بن أبي بكر ، ثنا عمران بن عيينة ، به . وانظر ما بعده .

(٢٣٥) - ابن جرير في تفسيره (١٣٨٢٥/١٢) .

(٢٣٦) - وعمران بن عيينة ضعفه أبو زرعة وابن معين في رواية ، وقال أبو حاتم : لا يحتج بحديثه لأنه يأتي بالمناكير ، وقال العقيلي : في حديثه وهم وخطأ ، وقال أبو بكر البزار : ليس به بأس ، وقال : أبو صالح صدوق ، وفي « التقريب » : صدوق له أوهام ، وعطاء بن السائب مختلط ، ولم يذكروا عمران - مع ضعفه - فيمن روى عنه قبل الاختلاط .

(٢٣٧) - « الجامع » للترمذي كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الأنعام (٣٧٠١) وزياد بن عبد اللّٰه البكائي ضعفه ابن المديني والنسائي وابن معين في غير ابن إسحاق ، وقال أبو حاتم : يكتب حديثه ولا يحتج به ، ووسمه أحمد وأبو زرعة بالصدق، وفي « التقريب » : صدوق ثبت في المغازي ، وفي حديثه عن غير ابن إسحاق لين ...» ثم إن عطاء بن السائب مختلط ، =

[١] - في ز : « كذا » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « الجرشي » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « الجرشي » .

عبد اللَّه البكائي ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، [عن ابن عباس ، ورواه الترمذي بلفظ : أتىٰ ناس النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فذكره ، وقال : حسن غريب . وروي عن سعيد بن جبير][1] مرسلًا .

وقال الطبراني(٢٣٨) : حدثنا علي بن المبارك ، حدثنا زيد بن المبارك ، حدثنا موسىٰ بن عبد العزيز ، حدثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت : ﴿ **ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم اللَّه عليه** ﴾ أرسلت فارس إلىٰ قريش أن خاصموا محمدًا ، وقولوا له : فما[2] تذبح أنت بيدك بسكين فهو حلال ، وما ذبح اللَّه عز وجل بشمشير من ذهب - يعني الميتة - فهو حرام . فنزلت هذه الآية : ﴿ **وإن الشياطين ليوحون إلىٰ أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون** ﴾ [قال : الشياطين من فارس ، وأولياؤهم قريش][3] .

وقال أبو داود(٢٣٩) : حدثنا محمد بن كثير ، أخبرنا إسرائيل ، حدثنا سماك ، عن عكرمة ،

= ولم يذكروا زيادًا فيمن روى عنه قبل الاختلاط ، واللَّه أعلم .

وقد رواه ابن مردويه عن الطبْراني قال : ثنا أبو زرعة الدمشقي ، ثنا محمد بن الصلت ، ثنا أبو كُدَنية - وهو يحيى بن المهلب - عن عطاء بن السائب به ومن هذه الطريق اختاره الضياء في « المختارة » (١٠/٢٧٠) وأخرجه ابن جرير (١٢/١٣٨٢٣) ثنا ابن وكيع ثنا جرير عن عطاء به وجرير ممن سمع من عطاء بعد الاختلاط فضلًا عن أن ابن وكيع ضعفوه لكن تابعه عثمان بن أبي شيبة ثنا جرير به عند ابن أبي حاتم (٤/٧٨٤٦) .

(٢٣٨) - « المعجم الكبير » (١١/١١٦١٤) ، وأخرجه ابن جرير (١٢/١٣٨٠٥) حدثني عبد الرحمن بن بشر بن الحكم النيسابوري ، ثنا موسى بن عبد العزيز به ، وموسى بن عبد العزيز ضعفه ابن المديني ، وقال السُّليماني : منكر الحديث ، وقال ابن معين والنسائي : ليس به بأس ، وفي « التقريب » : صدوق سيئ الحفظ . وعزاه بهذا اللفظ السيوطي (٣/٧٨) إلى أبي الشيخ ، وابن مردويه .

(٢٣٩) - في « السنن » كتاب : الأضاحي ، باب : في ذبائح أهل الكتاب (٢٨١٨) ومن طريقه البيهقي في « الكبرى » (٩/٢٤١) وأخرجه ابن جرير (١٢/١٣٨٢٢) ، وابن أبي حاتم (٤/٧٨٤٥) ، وابن ماجه، كتاب: الذبائح ، باب : التسمية عند الذبح (٣١٧٣) من طريق عمرو بن عبد اللَّه الأودي ، ثنا وكيع ، عن إسرائيل به ، وأخرجه ابن جرير أيضًا (١٢/١٣٨١٢) من طريق عبيد اللَّه ، عن إسرائيل به ، (١٢/١٣٨٠٩) من طريق شريك ، عن سماك ، به ، وقد صحح المصنف هذا الإسناد مع أنه من رواية سماك عن عكرمة وهي رواية معروفة بين أهل العلم بالاضطراب ، وأخرجه النسائي في سننه (٧/٢٣٧) وابن جرير (١٢/١٣٨١١) ، =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٢] - في ز : « لما » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ت : « أي : وإن الشياطين من فارس ليوحون إلى أوليائهم من قريش » .

عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وإن الشياطين ليوحون إلىٰ أوليائهم** ﴾ يقولون ما ذبح اللَّه فلا تأكلوه ، وما ذبحتم أنتم فكلوه ، فأنزل اللَّه : ﴿ **ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم اللَّه عليه** ﴾ .

ورواه ابن ماجة وابن أبي حاتم ، عن عمرو بن عبد اللَّه ، عن وكيع ، عن إسرائيل به . وهذا إسناد صحيح ، ورواه ابن جرير(٢٤٠) من طرق متعددة عن ابن عباس وليس فيه ذكر اليهود ، فهذا هو المحفوظ ، واللَّه أعلم .

وقال ابن جريج(٢٤١) : قال عمرو بن دينار ، عن عكرمة : إن مشركي قريش كاتبوا فارسًا علىٰ الروم ، وكاتبتهم فارس ، فكتبت[١] فارس إلى مشركي قريش : إن محمدًا وأصحابه يزعمون أنهم يتبعون أمر اللَّه ، فما ذبح اللَّه بسكين من ذهب فلا يأكله [محمد وأصحابه – للميتة][٢] – [وما ذبحوا هم يأكلونه][٣] . فكتب بذلك المشركون إلىٰ أصحاب [رسول اللَّه][٤] صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فوقع في أنفس ناس من المسلمين [من ذلك شيء ، فأنزل اللَّه : ﴿ **وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلىٰ أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون** ﴾][٥] . ونزلت : ﴿ **يوحي بعضهم إلىٰ بعض زخرف القول غرورًا** ﴾ .

وقال السدي في تفسير هذه الآية : إن المشركين قالوا للمسلمين[٦] : كيف تزعمون أنكم تتبعون مرضاة اللَّه ، [وما ذبح][٧] اللَّه فلا تأكلونه، وما ذبحتم أنتم تأكلونه[٨]؟ فقال اللَّه تعالىٰ : وإن[٩] أطعتموهم فأكلتم الميتة ﴿ **إنكم لمشركون** ﴾ . وهكذا قال[١٠] مجاهد والضحاك وغير واحد من علماء السلف [رحمهم اللَّه].

= وأبو جعفر النحاس في « الناسخ والمنسوخ » (ص ٤٤١) ، والمزي في « تهذيب الكمال » (٢٢/ ٤٢٤) من طريق سفيان – وهو الثوري – عن هارون بن عنترة ، عن أبيه ، عن ابن عباس في قوله عز وجل ﴿ **ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم اللَّه عليه** ﴾ قال : « خاصمهم المشركون ، فقالوا : ما ذبح اللَّه فلا تأكلوه وما ذبحتم أنتم أكلتموه » وصححه من هذه الطريق الحاكم (٢٣٣/٤) ووافقه الذهبي ، وإسناده حسن ، والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٧٨/٣) إلى الفريابي ، وابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه .

(٢٤٠) – انظر (١٣٨٠٨/١٢ ، ١٣٨١٠ ، ١٣٨١٥) وما سبق من طرقه .

(٢٤١) – أخرجه ابن جرير (١٣٨٠٦/١٢) .

---

[١] – في ز : « وكتبت » .
[٢] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٣] – في ز : « وأما ما ذبحوا هم يأكلون » .
[٤] – ما بين المعكوفتين في ز : « محمد » .
[٥] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٦] – في خ ، ز : « للمؤمنين » .
[٧] – ما بين المعكوفتين في ت : « وما قتل » .
[٨] – في ز : « أكلتموه » .
[٩] – في ز : « لئن » .
[١٠] – في ز : « قاله » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وإن أطعتموهم إنكم لمشركون** ﴾ أي : حيث عدلتم عن أمر اللَّه لكم وشرعه ، إلىٰ قول غيره فقدمتم عليه غيره ، فهذا هو الشرك ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون اللَّه** [**والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون**][١] ﴾ ، وقد روىٰ الترمذي في تفسيرها ، عن عدي بن حاتم أنه قال : يا رسول اللَّه ، ما عبدوهم . فقال : « **بلىٰ**[٢] ، **إنهم أحلوا لهم الحرام ، وحرموا عليهم الحلال فاتبعوهم ، فذلك عبادتهم إياهم** »(٢٤٢) .

أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾

هذا مثل ضربه اللَّه تعالىٰ للمؤمن الذي كان ميتًا ، أي : في الضلالة هالكًا حائرًا فأحياه اللَّه ، أي : أحيا قلبه بالإيمان وهداه له ووفقه لاتباع رسله ﴿ **وجعلنا له نورًا يمشي به في الناس** ﴾ أي : يهتدي كيف يسلك ، وكيف يتصرف به[٣] ، والنور هو القرآن ، كما رواه العوفي وابن أبي طلحة عن ابن عباس . وقال السدي : الإسلام . والكل صحيح .

﴿ **كمن مثله في الظلمات** ﴾ أي : الجهالات والأهواء والضلالات المتفرقة ﴿ **ليس بخارج منها** ﴾ أي : لا يهتدي إلىٰ منفذ ولا مخلص مما هو فيه ، [وفي مسند الإمام أحمد(٢٤٣) عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه قال : « **إن اللَّه خلق خلقه في ظلمة ، ثم رش عليهم من نوره ، فمن أصابه ذلك النور اهتدىٰ ، ومن أخطأه ضل** »][٤] . كما قال تعالىٰ : ﴿ **اللَّه ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلىٰ النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلىٰ الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ **أفمن يمشي مكبًا علىٰ وجهه أهدىٰ أم من يمشي سويًا علىٰ صراط مستقيم** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **مثل الفريقين كالأعمىٰ والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلًا أفلا تذكرون** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وما يستوي الأعمىٰ والبصير ولا الظلمات ولا النور**

(٢٤٢) - يأتي تخريجه [سورة التوبة/آية ٣١] .

(٢٤٣) - **صحيح** « المسند » (١٧٦/٢ ، ١٩٧) ويأتي تخريجه [سورة النور/آية٣٥] .

---

[١] - في ت : « الآية » .

[٢] - في ز : « بل » .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن اللَّه يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور * إن أنت إلا نذير ﴾ والآيات في هذا كثيرة ، ووجه المناسبة في ضرب المثلين هاهنا بالنور[١] والظلمات لما تقدم في أول السورة ﴿ **وجعل الظلمات والنور** ﴾ .

و[٢]زعم بعضهم أن المراد بهذا المثل رجلان معينان ؛ فقيل : عمر بن الخطاب هو الذي كان ميتًا فأحياه اللَّه ، وجعل له نورًا يمشي به في الناس ، وقيل : عمار بن ياسر ، وأما الذي في الظلمات ليس بخارج منها أبو جهل عمرو بن هشام لعنه اللَّه . والصحيح : أن الآية عامة يدخل فيها كل مؤمن وكافر .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون** ﴾ أي : حسنا لهم ما هم[٣] فيه من الجهالة والضلالة ، قدرًا من اللَّه وحكمة بالغة ، لا إله إلا هو [وحده لا شريك له][٤] .

وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

يقول تعالىٰ : وكما جعلنا في قريتك يا محمد أكابر من المجرمين ، ورؤساء ودعاة إلىٰ الكفر والصد عن سبيل اللَّه ، وإلىٰ مخالفتك وعداوتك ، كذلك كانت الرسل من قبلك يبتلون بذلك ثم تكون لهم العاقبة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وكذلك جعلنا لكل نبي عدوًّا من المجرمين [وكفى بربك هاديًا ونصيرًا]**[٥] ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرًا** ﴾ ، قيل : معناه أمرناهم بالطاعات فخالفوا فدمرناهم ، وقيل : أمرناهم أمرًا قدريًّا كما قال هاهنا ﴿ **ليمكروا فيها** ﴾ .

وقال ابن أبي طلحة(٢٤٤) ، عن ابن عباس ﴿ **أكابر مجرميها** ﴾ قال : سلطنا شرارها فعصوا

(٢٤٤) - أخرجه ابن أبي حاتم (٤/٧٨٦٦) .

[١] - في ز : « به النور » .
[٢] - في ز : « وقد » .
[٣] - في ت : « كانوا » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٥] - في ت : « الآية » .

فيها ، فإذا فعلوا ذلك أهلكناهم بالعذاب .

وقال مجاهد وقتادة : ﴿ **أكابر مجرميها** ﴾ قال : عظماءها[١] .

قلت : [وهكذا قوله][٢] تعالىٰ : ﴿ **وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون * وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولادًا وما نحن بمعذبين** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وكذلك ما أرسلنا [من قبلك][٣] في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا علىٰ أمة وإنا علىٰ آثارهم مقتدون** ﴾ .

والمراد بالمكر هاهنا : دعاؤهم إلىٰ الضلالة بزخرف من المقال والفعال ، كما قال تعالىٰ إخبارًا عن قوم نوح : ﴿ **ومكروا مكرًا كبارًا** ﴾ ، وكقوله تعالىٰ : ﴿ **ولو ترىٰ إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلىٰ بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين * قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدىٰ بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين * وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادًا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم(٢٤٥) : حدثنا أبي ، حدّثنا [ابن أبي عمر][٤] ، حدثنا سفيان ، قال : كل مكر في القرآن فهو عمل .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون** ﴾ أي : وما يعود وبال مكرهم ذلك وإضلالهم من أضلوه إلا علىٰ أنفسهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم** ﴾ ، وقال : ﴿ **ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتىٰ نؤتىٰ مثل ما أوتي رسل الله** ﴾ أي : إذا جاءتهم آية وبرهان وحجة قاطعة ﴿ **قالوا لن نؤمن حتىٰ نؤتى مثل ما أوتي رسل الله** ﴾ أي : حتىٰ تأتينا الملائكة من الله بالرسالة كما تأتي إلىٰ الرسل ، [كقوله جل وعلا][٥] : ﴿ **وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرىٰ ربنا [لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا**

---

(٢٤٥) - في تفسيره (٧٨٦٨/٤) وابن أبي عمر هو محمد بن يحيى العَدَني صدوق صنف المسند ، وكان لازم ابن عيينة ، لكن قال أبو حاتم : كانت فيه غفلة . « التقريب » .

---

[١] - في ز : « عظماؤها » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « هذا كقوله » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٤] - في خ : « أبو عمرو » ، وفي ز : « أبو عمر » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

عتوًا كبيرًا][١] ﴾ .

وقوله : ﴿ **اللَّه أعلم حيث يجعل رسالاته** ﴾ أي : هو أعلم حيث يضع رسالته ، ومن يصلح لها من خلقه ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **وقالوا لولا نزل هذا القرآن علىٰ رجل من القريتين عظيم * أهم يقسمون رحمة ربك** ﴾ الآية ، يعنون لولا نزل هذا القرآن علىٰ رجل عظيم كبير جليل[٢] مبجل في أعينهم ﴿ **من القريتين** ﴾ أي : من مكة والطائف ، وذلك أنهم[٣] قبحهم اللَّه كانوا يزدرون بالرسول صلوات اللَّه وسلامه عليه بغيًا وحسدًا ، وعنادًا واستكبارًا ، كقوله تعالىٰ مخبرًا عنهم : ﴿ **وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوًا أهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي بعث اللَّه رسولا** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون** ﴾ هذا وهم معترفون بفضله وشرفه ونسبه ، وطهارة بيته ومرباه ، ومنشئه [صلَّىٰ اللَّه وملائكته والمؤمنون عليه][٤] ، حتىٰ أنهم كانوا يسمونه بينهم قبل أن يوحىٰ إليه « **الأمين** » ، وقد اعترف بذلك رئيس الكفار أبو سفيان ، حين سأله هرقل ملك الروم : كيف نسبه فيكم ؟ قال : هو فينا ذو نسب ، قال : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال : لا . الحديث بطوله(٢٤٦) الذي استدل به ملك الروم بطهارة صفاته عليه السلام علىٰ صدق[٥] نبوته ، وصحة ما جاء به .

وقال الإِمام أحمد(٢٤٧) : حدثنا محمد بن مصعب ، حدثنا الأوزاعي ، عن شداد أبي عمار ،

---

(٢٤٦) - **صحيح** ، تقدم تخريجه برقم (٦١/من هذه السورة) .

(٢٤٧) - **صحيح دون الاصطفاء الأول** ، « المسند » (١٠٧/٤) وأخرجه ابن سعد في « الطبقات » (١٧/١ ، ١٨) وابن أبي شيبة في « المصنف » (٤٣٠/٧ - ط دار الفكر) وعنه ابن أبي عاصم في « السنة » (١٤٩٦/٢) والترمذي، كتاب : المناقب ، باب : ما جاء في فضل النبي - صلى الله عليه وسلم - (٣٦٠٩) من طريق محمد بن مصعب به وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح » قلت : محمد بن مصعب وهو القرقساني ، صدوق كثير الغلط كما في « التقريب » وقد انفرد بذكر الاصطفاء الأول : فقد أخرجه أحمد (١٠٧/٤) ومسلم في صحيحه (٢٢٧٦) والبخاري في « التاريخ الصغير » (٣٥/١) - وعنه الترمذي (٣٦١٢) - والطبراني في « الكبير » (٢٢/رقم ١٦١) والبغوي في « شرح السنة » (٣٦١٣/١٣) وغيرهم من طرق عن الأوزاعي به دون ذكر الاصطفاء الأول وقد أخرجه الطبراني أيضًا من طريق محمد بن مصعب ، عن الأوزاعي به كالجادة وانظر « الصحيحة » للألباني (١/رقم ٣٠٢) .

---

[١] - في ت : « الآية » .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ز : « لأنهم » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٥] - في ز : « صدقه و » .

عن واثلة بن الأسقع رضي اللَّه عنه ، أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **إن اللَّه اصطفىٰ من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفىٰ من بني إسماعيل بني كنانة ، واصطفىٰ من بني كنانة قريشًا ، واصطفىٰ من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم** » .

انفرد بإخراجه مسلم من حديث الأوزاعي : وهو عبد الرحمن بن عمرو إمام أهل الشام به نحوه .

وفي صحيح البخاري(٢٤٨) : عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **بعثت من خير قرون بني آدم قرنًا فقرنًا ، حتىٰ بعثت من القرن الذي كنت فيه** » .

وقال الإمام أحمد(٢٤٩) : حدثنا أبو نعيم، عن سفيان ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد اللَّه ابن الحارث بن نوفل ، عن المطلب بن أبي وَدَاعة ، قال : قال العباس : بلغه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بعض ما يقول الناس ، فَصَعِدَ المنبَر فقال : « **مَنْ أنا ؟** » قالوا : أنت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم . فقال[١] : « **أنا محمد بن عبد اللَّه بن عبد المطلب ، إن اللَّه خلق الخلق فجعلني في خير خلقه ، وجعلهم فرقتين**[٢] ، **فجعلني في خير فرقة ، وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة ،**

---

(٢٤٨) - صحيح البخاري كتاب : المناقب ، باب : صفة النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - (٣٥٥٧) وكذا أخرجه أحمد (٣٧٣/٢، ٤١٧) .

(٢٤٩) - **ضعيف مضطرب** « المسند » (٢١٠/١) (١٧٨٨ - شاكر) وأخرجه البيهقي في « الدلائل » (١٦٩/١ ، ١٧٠) من طريق أبي نعيم به والترمذي (٣٦١١) من طريق أبي أحمد نا سفيان به وحسنه في رواية وفي أخرى صححه مع أن في إسناده يزيد بن أبي زياد وهو الهاشمي في « التقريب » : ضعيف كبر فتغير وصار يتلقن وكان شيعيًا ، واختلف عليه فيه فرواه أبو نعيم وأبو أحمد الزبيري ، هكذا ، ورواه محمد بن فضيل عنه عن عبد اللَّه بن الحارث عن عبد المطلب بن ربيعة أن ناسًا من الأنصار قالوا للنبي - صلى اللَّه عليه وسلم - فذكر الحديث أخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٤٠٧/٧) وفي « المسند » (٢/رقم ٩١٩ - وفيه تحريفات تصحح من هنا) - ومن طريقه ابن أبي عاصم في « الآحاد والمثاني » (١/رقم ٤٣٩) و« السنة » (١٤٩٧/٢) والحاكم (٢٤٧/٣) - لكن عنده عن عبد اللَّه بن الحارث بن عبد المطلب عن ربيعة - وعنه البيهقي (١/ ١٦٨) وقال عقبه : « كذا قال : عن ربيعة بن الحارث ، وقال غيره : عن المطلب بن ربيعة بن الحارث ، وابن ربيعة إنما هو عبد المطلب بن ربيعة له صحبة » وتابع ابن فضيل يزيد بن عطاء عن يزيد بن أبي زياد به . رواه أحمد (١٦٦/٤) ورواه إسماعيل بن أبي خالد عنه عن عبد اللَّه بن الحارث بن نوفل عن العباس به . أخرجه الترمذي (٣٦١٠) والحاكم (٣٣٣/٣) والبيهقي (١/ ١٦٧، ١٦٨) ورواه الحاكم (٣٣٢/٣ ، ٣٣٣) من طريق جرير عن يزيد عن عبد اللَّه بن الحارث عن المطلب بن ربيعة قال : جاء العباس إلى رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - وهو مغضب فذكر الحديث .

---

[١] - في ز : « قال » . [٢] - في ز : « فريقين » .

وجعلهم بيوتًا فجعلني في خيرهم بيتًا ، فأنا خيركم بيتًا وخيركم نفسًا » . صدق صلوات الله وسلامه عليه .

وفي الحديث أيضًا المروي عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **قال لي جبريل : قلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد** [**رجلًا أفضل من محمد** ، **وقلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد**][١] **بني أب أفضل من بني**[٢] **هاشم** » . رواه الحاكم والبيهقي (٢٥٠) .

وقال الإمام أحمد(٢٥١) : حدثنا أبو بكر ، حدثنا عاصم ، عن زر بن حبيش ، عن عبد الله ابن مسعود ، قال : إن الله نظر في قلوب العباد ، فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه[٣] برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد صلىٰ الله عليه وسلم ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد ، فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون علىٰ دينه[٤] ، فما رآه[٥]

(٢٥٠) - **إسناده ضعيف** ، وكذا عزاه المصنف في « البداية والنهاية » (٣١٧/٢) إلى الحاكم والبيهقي، ولم أجده في « المستدرك » ومن طريق الحاكم ومن طريق آخر أخرجه البيهقي في « الدلائل » (١٧٦/١) وكذا أخرجه ابن أبي عاصم في « السنة » (١٤٩٤/٢) والطبراني في « الأوسط » (٦٢٨٥/٦) من طريق موسى بن عبيدة حدثني عمرو بن عبد الله بن نوفل عن الزهري عن أبي سلمة عن عائشة به وأودعه السيوطي في « الجامع الصغير » وعزاه إلى الحاكم في « الكنى » وابن عساكر في « التاريخ »، وتعقبه المناوي في « فيض القدير » (٥٠٠/٤) بأنه كان ينبغي عليه أن يعزوه إلى من هم أقدم منهما ثم عزاه إلى الإمام أحمد في « المناقب » (١٠٧٣/٢) ، والطبراني والبيهقي والديلمي وابن لال والمحاملي وغيرهم » ثم نقل عن ابن حجر أنه قال في « أماليه » : « لوائح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن » ، قلت : قال الطبراني انفرد به موسى بن عبيدة - وهو ضعيف كما وسمه الحافظ نفسه في « التقريب » وبه أعله الهيثمي في « المجمع » (٢٢٠/٨) وشيخ موسى بن عبيدة لم أهتد إلى ترجمته والله أعلم . ولهذا كان الحديث من نصيب « ضعيف الجامع » للألباني . لكن قال البيهقي - وقد روى أحاديث في هذا الباب - « هذه الأحاديث وإن كان في روايتها من لا تصح به ، فبعضها يؤكد بعضًا ... » .

(٢٥١) - **إسناده حسن** « المسند » (٣٧٩/١) (٣٦٠٠/شاكر) وكذا أخرجه أبو مالك القطيعي في « زوائد فضائل الصحابة » (١/رقم٥٤١) ومن طريقه الحاكم (٧٨/٣ ، ٧٩) - والبزار في مسنده (١٨١٦/٥) وابن الأعرابي في معجمه (٤/رقم ٨٦٠) والطبراني في « الكبير » (٨٥٨٢/٩) من طريق أبي بكر- وهو ابن عياش - به مطولًا ومختصرًا وصحح إسناده الحاكم =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ت : « فبعثه » . [٤] - في خ ، ز : « نبيه » .
[٥] - في ز : « رأى » .

المسلمون حسنًا فهو عند اللَّه حسن ، وما رآه المسلمون سيئًا فهو عند اللَّه سيئ .

[وقال أحمد(٢٥٢) : حدثنا شجاع بن الوليد ، قال : ذكر قابوس بن أبي ظبيان ، عن أبيه ، عن سلمان ، قال : قال لي رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **يا سلمان لا تبغضني فتفارق دينك** » . قلت : يا رسول اللَّه ، كيف أبغضك وبك هدانا اللَّه ؟ قال : « **تبغض العرب فتبغضني**][١] » .

وقال[٢] ابن أبي حاتم(٢٥٣) في تفسير هذه الآية : ذكر عن محمد بن منصور الجواز ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبي حسين ، قال : أبصر رجل ابنَ عباس وهو يدخل من باب المسجد ، فلما نظر إليه راعه ، فقال : من هذا ؟ قالوا : ابن عباس ابن عم رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ؛ فقال[٣] : ﴿ **اللَّه أعلم حيث يجعل رسالاته** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **سيصيب الذين أجرموا صغار عند اللَّه وعذاب شديد** [**بما كانوا**

= ووافقه الذهبي وهو حسن من أجل عاصم وهو ابن أبي النجود وقد أخرجه الطيالسي (٢٤٦) والطبراني (٩/٨٥٨٣) وأبو نعيم في «الحلية» (١/٣٧٥ ، ٣٧٦) وغيرهم من طريق المسعودي عن عاصم ، عن أبي وائل عن ابن مسعود به والمسعودي كان يغلط إذا حدَّث عن عاصم وسلمة بن كهيل - كما في « التهذيب » وانظر «العلل» للدارقطني (٥/٦٧ ، ٦٨) ورفعه بعض الكذابين إلى النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - ولا يصح ، انظر « الضعيفة » للألباني (٢/رقم ٥٣٢ ، ٥٣٣) .

(٢٥٢) - **إسناده ضعيف وفيه انقطاع** « المسند » (٥/٤٤٠ ، ٤٤١) وأخرجه الطيالسي (٦٥٨) والترمذي ، كتاب : المناقب ، باب : في فضل العرب (٣٩٢٣) والبزار في مسنده (٦/رقم ٢٥١٣) والعقيلي في « الضعفاء » (٢/١٨٤) والطبراني في « الكبير » (٦/٦٠٩٣ ، ٦٠٩٤) وأبو نعيم في « أخبار أصبهان » (١/٥٦ ، ٩٩) والحاكم في « المستدرك » (٤/٨٦) والخطيب في « تاريخ بغداد » (٩/٢٤٧ ، ٢٤٨) كلهم من طريق شجاع بن الوليد به وصحح إسناده الحاكم فتعقبه الذهبي « بأن قابوس ابن أبي ظبيان تكلم فيه » قلت : ضعفه النسائي والدارقطني وابن معين في رواية ووثقه في أخرى، وقال أبو حاتم : « يكتب حديثه ولا يحتج به » وقال أحمد : « ليس بذاك » وفي « التقريب »: « فيه لين » وللحديث علة أخرى فقال الترمذي بعده : « حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي بدر شجاع بن الوليد ، وسمعت محمد بن إسماعيل يقول : أبو ظبيان لم يدرك سلمان مات سلمان قبل علي » وبهذا أعله أبو حاتم كما في كتاب « المراسيل » لابنه (ص ٥٠) وله طريق آخر موصول أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٧/٢٧٠) لكن في إسناده خالد بن عبد الرحمن المخزومي وهو متروك وانظر « الضعيفة » للألباني (٥/رقم ٢٠٢٩) .

(٢٥٣) - « التفسير » لابن أبي حاتم (٤/٧٨٦٩) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٢] - في ت : « وذكر » .
[٣] - في ز : « قال » .

يمكرون[١] ﴾ ، هذا وعيد شديد من اللَّه ، وتهديد أكيد لمن تكبر عن اتباع رسله ، والانقياد لهم فيما جاءوا به ، فإنه سيصيبه يوم القيامة بين يدي اللَّه : صغار وهو الذلة الدائمة ، كما[٢] أنهم استكبروا أعقبهم ذلك ذلًّا ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين** ﴾ أي : صاغرين ذليلين حقيرين .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وعذاب شديد بما كانوا يمكرون** ﴾ لما كان المكر[٣] غالبًا إنما يكون خفيًّا ، وهو التلطف في التحيل[٤] والخديعة ، قوبلوا بالعذاب الشديد [من اللَّه يوم القيامة][٥] جزاءً وفاقًا ﴿ **ولا يظلم ربك أحدًا** ﴾ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يوم تبلىٰ السرائر** ﴾ أيْ : تظهر المستترات والمكنونات والضمائر ، وجاء في الصحيحين(٢٥٤) عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه قال : « **ينصب لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة ، فيقال : هذه غدرة فلان بن فلان** » .

والحكمة في هذا : أنه لما كان الغدر خفيًّا لا يطلع عليه الناس ، فيوم القيامة يصير علمًا منشورًا علىٰ صاحبه بما فعل .

فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **فمن يرد اللَّه أن يهديه يشرح صدره للإسلام** ﴾ أيْ : ييسره له وينشطه ويسهله لذلك ، فهذه علامة علىٰ الخير ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **أفمن شرح اللَّه صدره للإسلام فهو علىٰ نور من ربه [فويل للقاسية قلوبهم من ذكر اللَّه أولئك في ضلال مبين]**[٦] ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ولكن اللَّه حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون** ﴾ .

(٢٥٤) - البخاري ، كتاب : الأدب ، باب : ما يدعى الناس بآبائهم (٦١٧٧) ومسلم ، كتاب : الجهاد والسير ، باب : تحريم الغدر (١٧٣٥) من حديث عبد اللَّه بن عمر وانظر ما يأتي [سورة النحل/ آية ٢٧] و [سورة الكهف /آية ٤٩] .

[١] - في ت : « الآية » .
[٢] - في خ : « لما » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « التخيل » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٦] - في ت : « الآية » .

وقال[١] ابن عباس(٢٥٥) - رضي اللَّه عنهما - [في قوله][٢] : ﴿ **فمن يرد اللَّه أن يهديه يشرح صدره للإسلام** ﴾ يقول تعالىٰ : يوسع قلبه للتوحيد والإيمان به . وكذا قال أبو مالك وغير واحد، وهو ظاهر .

وقال عبد الرزاق(٢٥٦) : أخبرنا الثوري ، عن عمرو بن قيس ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي جعفر ، قال : سئل رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أي المؤمنين أكيس ؟ قال : « **أكثرهم ذكرًا للموت ، وأكثرهم لما بعده استعدادًا** » . قال : وسئل النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم عن هذه الآية : ﴿ **فمن يرد اللَّه أن يهديه يشرح صدره للإسلام** ﴾ قالوا : كيف يشرح صدره يا رسول اللَّه ؟ قال : « **نور يقذف فيه فينشرح له وينفسح** » . قالوا : فهل لذلك من أمارة يعرف بها ؟ قال : « **الإنابة إلىٰ دار الخلود ، والتجافي عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل لقاء الموت** » .

وقال ابن جرير(٢٥٧) : حدثنا هناد ، حدثنا قبيصة ، عن سفيان - يعني الثوري - عن عمرو ابن مرة ، عن رجل يكنىٰ أبا جعفر كان يسكن المدائن ، قال : سئل النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم عن قول اللَّه تعالىٰ : ﴿ **فمن يرد اللَّه أن يهديه [يشرح صدره للإسلام]**[٣]﴾ فذكر نحو ما تقدم .

وقال ابن أبي حاتم(٢٥٨) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا ابن[٤] إدريس ، عن الحسن بن الفرات القزاز ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي جعفر ، قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **فمن يرد اللَّه أن يهديه يشرح صدره للإسلام** ﴾ قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إذا دخل الإيمان القلب انفسح له القلب وانشرح** » . قالوا : يا رسول اللَّه ، هل لذلك من أمارة ؟ قال : « **نعم ، الإنابة إلىٰ دار الخلود ، والتجافي عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل الموت** » .

---

(٢٥٥) - أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٨٧٤/٤) بإسناد صحيح عنه .
(٢٥٦) - **ضعيف جدًّا** ، عبد الرزاق في تفسيره (٢١٨/٢١٧/٢) ومن طريقه ابن جرير (١٢/ ١٣٨٥٣) وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره يذكره المصنف (رقم ٢٦٠) من طريق أبي خالد الأحمر عن عمرو بن قيس به وانظر ما بعده .
(٢٥٧) - في تفسيره (١٣٨٥٤/١٢) وأخرجه البيهقي في « الأسماء والصفات » (١/رقم ٣٢٥) من طريق أبي الجواب عن سفيان به .
(٢٥٨) - في تفسيره (٧٨٧٢/٤) .

---

[١] - في ز : « قال » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٤] - في خ : « أبو » .

وقد رواه ابن جرير(٢٥٩) : عن سوار بن عبد الله العنبري ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، سمعت أبي يحدث ، عن عبد الله بن مرة ، [عن أبي جعفر فذكره .

وقال ابن أبي حاتم(٢٦٠) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن عمرو بن قيس ، عن عمرو بن مرة][١] ، عن عبد الله بن المسور ، قال : تلا رسوُل اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم هذه الآية[٢] : ﴿ **فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام** ﴾ ، قالوا : يا رسول اللّٰه ، ما هذا الشرح ؟ قال : « **نور يقذف به في القلب** » . قالوا : يا رسول اللّٰه ، فهل لذلك من أمارة تعرف[٣] ؟ قال : « **نعم** » . قالوا : وما هي ؟ قال : « **الإنابة إلىٰ دار الخلود ، والتجافي عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل الموت** » .

وقال ابن جرير أيضًا(٢٦١) : حدثني هلال بن العلاء ، حدثنا سعيد بن عبد الملك بن واقد ، حدثنا محمد بن سلمة[٤] ، عن أبي عبد الرحيم[٥] ، عن زيد بن أبي أنيسة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة ، عن[٦] عبد اللّٰه بن مسعود ، قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إذا**

---

(٢٥٩) - في تفسيره (١٣٨٥٢/١٢) .

(٢٦٠) - في تفسيره (٧٨٧٣/٤) وأخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (١٢٦/٨ ، ١٢٧) من طريق أبي خالد الأحمر غير أنه قال : « عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن مسعود » وابن أبي شيبة أيضًا (١٢٦/٨) وابن المبارك في « الزهد » (٣١٥) ووكيع في « الزهد » (١/رقم ١٥) من طريقين عن عمرو بن مرة عن أبي جعفر عبد الله بن المسور به وأخرجه سعيد بن منصور - ومن طريقه البيهقي في « الأسماء والصفات » (١/رقم ٣٢٦) - وابن جرير (١٣٨٥٦/١٢) - وأبو نعيم في « أخبار أصبهان » (٣٠٥/١) من طريق سفيان بن عيينة عن خالد بن أبي كريمة عن عبد اللّٰه بن المسور به وقال البيهقي عقبه : « هذا منقطع » قلت : وعبد اللّٰه بن المسور في هذه الطرق هو نفسه أبو جعفر المدائني كذاب وضاع ترجمته في « الميزان » و«اللسان» سوداء مظلمة قال ابن المديني: «كان يضع الحديث على رسول اللّٰه - صلى اللّٰه عليه وسلم - ولا يضع إلا ما فيه أدب وزهد ، فيقال له في ذلك فيقول : إن فيه أجرًا » ، وقد زاد السيوطي في « الدر المنثور » (٨٣/٣) عزوه من هذه الطريق إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه ، وانظر ما بعده .

(٢٦١) - **إسناده ضعيف منقطع** ، في تفسيره (١٣٨٥٥/١٢) وسعيد بن عبد الملك قال فيه الدارقطني : ضعيف لا يحتج به قال أبو حاتم : يتكلمون فيه روى أحاديث كذب ، وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه عبد اللّٰه بن مسعود .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - في ز : « الآيات » .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - في خ : «مسلم» ، وفي ز : « سلم » .

[٥] - في خ ، ز : «الرحمن» .

[٦] - في ز : « بن » .

دخل النور القلب انفسح وانشرح » . قالوا : فهل لذلك من علامة يعرف بها ؟ قال : « **الإنابة إلىٰ دار الخلود ، والتنحي عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل لُقِي الموت** » .

وقد رواه(٢٦٢) من وجه آخر عن ابن مسعود متصلًا مرفوعًا فقال : حدثني ابن سنان القزاز ، حدثنا محبوب بن الحسن الهاشمي ، عن يونس ، عن[١] عبد الرحمن بن [عبد اللَّه][٢]بن عتبة ، عن عبد اللَّه بن مسعود ، عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : ﴿ **فمن يرد اللَّه أن يهديه يشرح صدره للإسلام** ﴾ ، قالوا : يا رسول اللَّه ، وكيف يشرح صدره ؟ قال : « **يدخل فيه النور فينفسح** » . قالوا : وهل لذلك علامة يا رسول اللَّه ؟ قال : « **التجافي عن دار الغرور ، والإنابة إلىٰ دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل أن ينزل الموت** » .

فهذه طرق لهذا الحديث مرسلة ومتصلة ، يشد بعضها بعضًا[٣] ، و اللَّه أعلم .

---

(٢٦٢) - **إسناده ضعيف،** ابن جرير في تفسيره (١٣٨٥٧/١٢) ومحبوب هذا- هو لقبه واسمه محمد - ضعفه النسائي ، وقال أبو حاتم : ليس بالقوي وقال ابن معين : ليس به بأس ، وروى له البخاري مقرونًا وفي « التقريب » صدوق فيه لين ، وعبد الرحمن بن عبد اللَّه بن عتبة هو المسعودي وهو مختلط ، وبينه وبين ابن مسعود مفاوز والراوي عن المسعودي هو يونس بن عبيد ، ثقة من رجال الشيخين وهو أكبر سنًّا من المسعودي وقد أشكل ذلك على الشيخ الأديب محمود محمد شاكر في تعليقه على تفسير ابن جرير ورجح أن الصواب : « عن يونس عن أبي عبد الرحمن عبد اللَّه بن عتبة » لا المسعودي ورد ذلك الشيخ الألباني في « الضعيفة » (٩٦٥/٢) فراجعه إن شئت . وأخرجه ابن أبي الدنيا في « قصر الأمل » (١٣١) والحاكم (٣١١/٤) والبيهقي في « الشعب » (١٠٥٥٢/٧) من طريق عدي بن الفضل عن المسعودي عن القاسم بن عبد الرحمن - سقط عند ابن أبي الدنيا - عن أبيه عن ابن مسعود به وسكت عنه الحاكم فقال الذهبي : « عدي ساقط » وفي « التقريب » متروك، وللحديث طرق أخرى ذكرها الدارقطني في « العلل » (٥/س٨١٢) ثم قال : « والصواب عن عمرو بن مرة عن أبي جعفر عبد اللَّه بن المسور - يعني المتقدم برقم (٢٥٧ : ٢٦١) - مرسلًا عن النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - كذلك قاله الثوري ، وعبد اللَّه بن المسور بن عون بن جعفر بن أبي طالب هذا متروك » .

فائدة : عزا ابن القيم هذا الحديث في كتابه « الفوائد » (ص٤٨) إلى الترمذي وأفاد الألباني أن هذا وهم والعصمة للَّه وحده وباللَّه التوفيق .

---

[١] - في ز : « بن » .
[٢] - في ز ، خ : عبيد اللَّه ، والمثبت من تفسير ابن جرير .
[٣] - كذا قال المصنف وقد تبين أن الطريق المرسلة رواها أبو جعفر المدائني وهو كذاب وضاع فكيف يستشهد بمثل هذا ؟ وأما الطريق المتصلة فقد تبين أنها وهم من الرواة فضلًا على أنها لا تخلو من ضعف أو انقطاع ، فلا شدة إذن في مجموع هذه الطرق .

وقوله تعالىٰ : ﴿ ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقًا حرجًا ﴾ قرئ[١] بفتح الضاد وتسكين الياء[٢] ، والأكثرون ﴿ ضيّقًا ﴾ بتشديد الياء وكسرها[٣] ، [وهما][٤] لغتان : كهَيْنْ وهَيِّنٌ ، وقرأ بعضهم : (حَرِجًا) بفتح الحاء وكسر الراء ، قيل : بمعنىٰ أثم ، قاله[٥] السُّدي ، وقيل : بمعنىٰ القراءة الأخرىٰ ﴿ حَرَجًا ﴾ بفتح الحاء والراء ، وهو الذي لا يتسع لشيء من الهدىٰ ، ولا يخلص إليه شيء مّا ينفعه من الإيمان ولا ينفذ فيه .

وقد سأل عمرُ بن الخطاب -رضي اللَّه عنه- رجلًا من الأعراب ، من أهل البادية من مُدْلج - ما الحرجة ؟ فقال[٦] : هي الشجرة تكون بين الأشجار ، لا تصل إليها[٧] راعية ولا وحشية ولا شيء . فقال عمر -رضي اللَّه عنه- : كذلك قلب المنافق ، لا يصل إليه شيء من الخير(٢٦٣) .

وقال العوفي(٢٦٤) ، عن ابن عباس : يجعل اللَّه عليه الإسلام ضيّقًا والإسلام واسع ، وذلك حين يقول : ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ يقول : ما جعل عليكم في الإسلام من ضيق .

وقال مجاهد والسدي : ﴿ ضيقًا حرجًا ﴾ شاكًّا .

وقال عطاء الخراساني : ﴿ ضيقًا حرجًا ﴾ [أي[٨] : ليس للخير فيه منفذ[٩]] .

وقال ابن المبارك ، عن ابن جريج : ﴿ ضيقًا حرجًا ﴾][١٠] بلا إله إلا اللَّه ، حتىٰ لا [تستطيع أن تدخل قلبه][١١] ، كأنما يصعد في السماء من شدة ذلك عليه .

وقال سعيد بن جبير : ﴿ يجعل صدره ضيقًا حرجًا ﴾ قال : لا يجد فيه مسلكًا إلا صُعدًا .

(٢٦٣) - أخرجه ابن جرير (١٢/١٣٨٦٢) وفي إسناده جهالة وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٨٤/٣) إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٢٦٤) - أخرجه ابن جرير (١٢/١٣٨٦٣/شاكر) ، (١٧/٢٠٧/ط الحلبي) والبيهقي في « الأسماء والصفات » (١/٣٢٤) والعوفي ضعيف ، ومَنْ دَوَنهُ في الإسناد مثله أو أشد ضعفًا منه .

[١] - سقط من : خ ، ز .
[٢] - وكذا قرأها ابن كثير .
[٣] - وهي قراءة الجمهور .
[٤] - في ز : « هما » .
[٥] - في ز : « وقال » .
[٦] - في ز : « قال » .
[٧] - في ز : « إلى » .
[٨] - سقط من : ز .
[٩] - في ز : « منفد » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[١١] - في ز : « يستطيع أن يدخله » .

وقال السدي : ﴿كأنما يصعد في السماء﴾ من ضيق صدره .

وقال[١] عطاء الخراساني : ﴿ كأنما يصعد في السماء ﴾ يقول : مثله كمثل الذي لا يستطيع أن يصعد إلى السماء .

وقال الحكم بن أبان(٢٦٥) ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ كأنما يصعد في السماء ﴾ يقول : فكما لا يستطيع ابن آدم أن يبلغ السماء ، فكذلك [لا يستطيع][٢] أن يُدْخِل التوحيد والإيمان قلبه ، حتىٰ يدخله اللَّه في[٣] قلبه .

وقال الأوزاعي : ﴿ كأنما يصعد في السماء ﴾ كيف يستطيع من جعل اللَّه صدره ضيقًا[٤] أن يكون مسلمًا .

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير[٥] : وهذا مثل ضربه اللَّه لقلب هذا الكافر ، في شدة تضييقه[٦] إياه عن وصول الإيمان إليه ، يقول : فمثله في امتناعه من قبول الإيمان وضيقه عن وصوله إليه ، مثل امتناعه عن الصعود إلىٰ السماء وعجزه عنه ؛ لأنه ليس في وسعه وطاقته .

وقال في قوله : ﴿ كذلك يجعل اللَّه الرجس علىٰ الذين لا يؤمنون ﴾ يقول : كما يجعل اللَّه صدر من أراد إضلاله ضيقًا حرجًا ، كذلك يسلط اللَّه الشيطان عليه وعلىٰ أمثاله ، ممن أبىٰ الإيمان باللَّه ورسوله ، فيغويه ويصده عن سبيل اللَّه . وقال[٧] ابن أبي طلحة(٢٦٦) ، عن ابن عباس : الرجس الشيطان . وقال مجاهد : الرجس كل ما لا خير فيه . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : الرجس العذاب .

وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾

لما ذكر تعالىٰ طريقة الضالين عن سبيله الصادين عنها ، نبه علىٰ أشرف ما أرسل به رسوله من

(٢٦٥) - أخرجه ابن أبي حاتم (٧٨٨١/٤) وفي إسناده قبل الحكم حفص بن عمر العدني ، قال ابن معين والنسائي « ليس بثقة » وقال العقيلي : « يحدث بالأباطيل » ، وقال الدارقطني : « متروك ».
(٢٦٦) - أخرجه ابن جرير (١٣٨٨١/١٢) .

[١] - بياض في : ز .
[٢] - في ز : « يقدر على » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في خ - ز : « ميتًا » .
[٥] - في تفسيره (١٠٩/١٢) .
[٦] - في ز : « تضيقه » .
[٧] - في ز : « قال » .

الهدىٰ ودين الحق ، فقال تعالىٰ : ﴿ **وهذا صراط ربك مستقيمًا** ﴾ منصوب علىٰ الحال ، أي : هذا الدين الذي شرعناه [ ][١] لك يا محمد ، بما أوحينا إليك هذا القرآن ، هو صراط الله المستقيم ، كما تقدم في حديث الحارث ، عن علي في نعت القرآن : هو صراط الله المستقيم ، وحبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم . رواه أحمد والترمذي بطوله(٢٦٧) .

﴿ **قد فصلنا الآيات** ﴾ أي : وضحناها وبيناها وفسرناها ﴿ **لقوم يذكرون** ﴾ أي : لمن له فهم ووعي يعقل عن الله ورسوله .

﴿ **لهم دار السلام** ﴾ وهي الجنة ﴿ **عند ربهم** ﴾ أي : يوم القيامة ، وإنما وصف الله [٢] الجنة هاهنا بدار السلام ؛ لسلامتهم فيما سلكوه من الصراط المستقيم ، المقتفي أثر الأنبياء وطرائقهم ، فكما سلموا من آفات الاعوجاج أفضوا إلىٰ دار السلام .

﴿ **وهو وليهم** ﴾ أي : والسلام - وهو الله - وليهم ، أي : حافظهم وناصرهم ومؤيدهم ﴿ **بما كانوا يعملون** ﴾ أي : جزاء علىٰ[٣] أعمالهم الصالحة تولاهم ، وأثابهم الجنة بمنه وكرمه .

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٢٨)

يقول تعالىٰ : واذكر يا محمد فيما تقصه[٤] عليهم وتذكرهم به ﴿ **ويوم يحشرهم جميعًا** ﴾ يعني : الجن وأولياءهم[٥] [من الإنس][٦] الذين كانوا يعبدونهم في الدنيا ، ويعوذون بهم ويطيعونهم ، ويوحي بعضهم إلىٰ بعض زخرف القول غرورا ﴿ **يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس** ﴾ أي : ثم يقول يا معشر الجن ، وسياق الكلام يدل علىٰ المحذوف .

ومعنىٰ قوله : ﴿ **قد استكثرتم من الإنس** ﴾ أي : من إغوائهم وإضلالهم ، كقوله[٧] تعالىٰ : ﴿ **ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين * وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم * ولقد أضل منكم جبلًا كثيرًا أفلم تكونوا تعقلون** ﴾ . وقال علي بن أبي

(٢٦٧) - تقدم في فضائل القرآن .

[١] - في ز : « شرعناه » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « نقصه » .
[٥] - في ز : « أولياؤهم » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٧] - في ز : « كما قال » .

طلحة(٢٦٨) ، عن ابن عباس : ﴿ يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس ﴾ يعني[١] : أضللتم منهم كثيرًا . وكذا[٢] قال مجاهد والحسن وقتادة .

﴿ وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض ﴾ يعني : أن أولياء الجن من الإنس قالوا مجيبين لله تعالىٰ عن ذلك بهذا .

قال ابن أبي حاتم(٢٦٩) : حدثنا أبي ، حدثنا أبو الأشهب هوذة بن خليفة ، حدثنا عوف[٣] ، عن الحسن في هذه الآية قال : استكثر ربكم أهل النار يوم القيامة ، فقال أولياؤهم من الإنس : ﴿ربنا استمتع بعضنا ببعض﴾ . قال الحسن : وما كان استمتاع بعضهم ببعض إلا أن الجن أمرت وعملت الإنس .

و[٤]قال محمد بن كعب في قوله : ﴿ ربنا استمتع بعضنا ببعض ﴾ قال : الصحابة في الدنيا .

وقال ابن جريج : كان الرجل [في الجاهلية ينزل الأرض][٥] ، فيقول : أعوذ بكبير هذا الوادي . فذلك استمتاعهم فاعتذروا يوم القيامة .

وأما استمتاع الجن بالإنس : فإنه[٦] كان فيما ذكر : ما ينال الجنّ من الإنس من تعظيمهم إياهم في استعانتهم[٧] بهم ، فيقولون : قد سدنا الإنس والجن .

﴿ وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا ﴾ قال السدي : يعني[٨] الموت .

﴿ قال النار مثواكم ﴾ أي : مأواكم ومنزلكم أنتم وأولياؤكم ﴿ خالدين فيها ﴾ أي : ماكثين [فيها مكثًا][٩] مخلدًا إلا ما شاء الله .

قال بعضهم : يرجع معنىٰ الاستثناء إلىٰ البرزخ . وقال بعضهم : هذا رد إلىٰ مدة الدنيا . وقيل غير ذلك من الأقوال ، التي سيأتي تقريرها عند قوله تعالىٰ في سورة هود : ﴿ خالدين فيها ما دامت السمٰوات والأرض إلا ماشاء ربك إن ربك فعال لما يريد ﴾ .

---

(٢٦٨) - أخرجه ابن جرير (١٣٨٨٥/١٢) وابن أبي حاتم (٧٨٩٠/٤) .
(٢٦٩) - في تفسيره (٧٨٩٣/٤) .

---

[١] - في ز : « بمعنى » .
[٢] - في ز : « كذلك » .
[٣] - في خ ، ز : « عون » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « ينزل في الجاهلية » .
[٦] - في ز : « كأنه » .
[٧] - في ز : « استعاذتهم » .
[٨] - في ز : « أي » .
[٩] - في ز : « سكنا » .

وقد روىٰ ابن جرير وابن أبي حاتم(٢٧٠) في تفسير هذه الآية : من طريق عبد اللَّه بن صالح كاتب الليث ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة[١] ، عن ابن عباس قال : ﴿ **النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء اللَّه إن ربك حكيم عليم** ﴾ قال : إن هذه الآية آية لا ينبغي لأحد أن يحكم علىٰ اللَّه في خلقه ، ولا ينزلهم جنة ولا نارًا .

وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٢٩﴾

قال سعيد : عن قتادة في تفسيرها : إنما يولي اللَّه [][٢] الناس بأعمالهم ، فالمؤمن ولي المؤمن أين كان وحيث كان ، والكافر ولي الكافر أينما كان وحيثما كان ، ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي .

واختار [هذا القول][٣] ابن جرير[٤] .

وقال معمر ، عن قتادة في تفسيرها : [﴿ **نولي بعض الظالمين بعضًا** ﴾][٥] في النار ، يتبع بعضهم بعضًا .

وقال مالك بن دينار : قرأت في الزبور : إني أنتقم من المنافقين بالمنافقين ، ثم أنتقم من المنافقين جميعًا ، وذلك في كتاب اللَّه [ ][٦] تعالىٰ : ﴿ **وكذلك نولي بعض الظالمين بعضًا** ﴾ .

[وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله : ﴿ **وكذلك نولي بعض الظالمين بعضًا** ﴾][٧] قال : ظالمي الجن وظالمي الإنس ، وقرأ ﴿ **ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانًا فهو له قرين** ﴾ قال : ونسلط[٨] ظلمة الجن علىٰ ظلمة الإنس .

وقد روىٰ الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الباقي بن أحمد(٢٧١) : من طريق سعيد بن

---

(٢٧٠) - أخرجه ابن جرير (١٣٨٩٢/١٢) وابن أبي حاتم (٧٨٩٧/٤) .

(٢٧١) - **موضوع** - وعزاه لابن عساكر السيوطي في « الجامع الصغير » - وأفاد المناوي في « الفيض » (٧٣/٦) أن ابن عساكر أخرجه في « التاريخ » من جهة الحسن بن زكريا - وهو الحسن بن علي ابن زكريا أبو سعيد العدوي - عن سعيد بن عبد الجبار به قال السخاوي : « وابن زكريا هو العدوي متهم بالوضع فهو آفته » وأخرجه أبو حفص الكتاني في « جزء من حديثه » =

---

[١] - في خ ، ز : « حاتم » . [٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « بين » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت . [٤] - في تفسيره (١٢٠/١٢) .
[٥] - في ز : (يولى اللَّه بعض الظالمين بعضًا) .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « قول اللَّه » . [٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٨] - في ز : « سلط » .

عبد الجبار الكرابيسي[١] ، عن حماد بن سلمة ، عن عاصم ، عن زر ، عن ابن مسعود مرفوعًا : « **من أعان ظالمًا سلطه الله عليه** » .

وهذا حديث غريب ، وقال بعض الشعراء :

وما من يد إلا يد الله فوقها ولا[٢] ظالم إلا سيبلىٰ بظالم

ومعنىٰ الآية الكريمة : كما[٣] ولينا هؤلاء الخاسرين من الإنس تلك الطائفة التي أغوتهم من الجن ، كذلك نفعل بالظالمين نسلط بعضهم علىٰ بعض ، ونهلك بعضهم ببعض ، وننتقم من بعضهم ببعض ، جزاء علىٰ ظلمهم وبغيهم .

﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾

وهذا أيضًا مما يقرع[٤] الله سبحانه وتعالى به كافري الجن والإنس يوم القيامة ، حيث يسألهم وهو أعلم هل[٥] بلغتهم الرسل رسالاته ؟ وهذا استفهام تقرير ﴿ **يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم** ﴾ أي : من جملتكم ، والرسل من الإنس فقط ، [وليس من الجن رسل][٦] كما نص علىٰ ذلك مجاهد وابن جريج وغير واحد من الأئمة من السلف والخلف .

وقال ابن عباس : الرسل من بني آدم ومن الجن نذر .

وحكىٰ ابن جرير[٧] عن الضحاك بن مزاحم : أنه زعم أن في الجن رسلًا ، واحتج بهذه الآية الكريمة ، وفي الاستدلال بها على ذلك نظر ؛ لأنها محتملة وليست بصريحة ، وهي و الله أعلم كقوله : ﴿ **مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان** ﴾ إلىٰ أن قال ﴿ **يخرج منهما اللؤلؤ**

= (١٤١ - ١٤٢) - كما في « الضعيفة » للألباني (١٩٣٧/٤) - ثنا أبو سعيد (هو الحسن بن علي العدوي) : نا سعيد بن عبد الجبار به قال الألباني : « وهذا إسناد موضوع ، رجاله كلهم ثقات ، غير العدوي هذا ، وهو كذاب ، فهو آفته ... » وأخذ على ابن كثير تقصيره بعدم ذكر « الحسن ابن علي » هذا إذ هو آفته ولعل قوله بعده : « حديث غريب » يشفع له .

---

[١] - في ز : « الكريبيسي » .
[٢] - في ز : « ما » .
[٣] - في ز : « وما » .
[٤] - في ز : « يفزع » .
[٥] - في ز : « أهل » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٧] - ابن جرير في تفسيره (١٢/١٢١ ، ١٢٢).

والمرجان ﴾ ومعلوم أن اللؤلؤ والمرجان إنما يستخرجان[١] من الملح لا من الحلو ، وهذا واضح ولله الحمد ، وقد نص علىٰ هذا الجواب بعينه ابن جرير[٢] .

والدليل علىٰ أن الرسل إنما هم من الإنس قوله تعالىٰ : ﴿ **إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلىٰ نوح والنبيين من بعده** ﴾ إلىٰ قوله[٣] ﴿ **رسلًا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس علىٰ اللّٰه حجة بعد الرسل** ﴾ ، وقوله تعالىٰ عن إبراهيم : ﴿ **وجعلنا في ذريته النبوّة والكتاب** ﴾ فحصر النبوّة والكتاب بعد إبراهيم في ذريته ، ولم يقل أحد من الناس إن النبوّة كانت في الجن قبل إبراهيم الخليل ، ثم انقطعت عنهم ببعثته ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق** ﴾ ، وقال : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك إلا رجالًا نوحي[٤] إليهم من أهل القرىٰ** ﴾ ، ومعلوم أن الجن تبع للإنس في هذا الباب ، ولهذا قال تعالىٰ إخبارًا عنهم : ﴿ **وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلىٰ قومهم منذرين * قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابًا أنزل من بعد موسىٰ مصدقًا لما بين يديه يهدي إلىٰ الحق وإلىٰ طريق مستقيم * يا قومنا أجيبوا داعي اللّٰه وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم * ومن لا يجب داعي اللّٰه فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين** ﴾ .

وقد جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره(٢٧٢): أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم تلا عليهم سورة الرحمن، وفيها قوله تعالىٰ: ﴿ **سنفرغ لكم أيها الثقلان * فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾ .

وقال تعالىٰ في هذه الآية الكريمة : ﴿ **يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا علىٰ أنفسنا** ﴾ أي : أقررنا أن الرسل قد بلغونا رسالاتك ، وأنذرونا لقاءك ، وأن هذا اليوم كائن لا محالة .

و[٥]قال تعالىٰ : ﴿ **وغرتهم الحياة الدنيا** ﴾ أي : وقد فرطوا في حياتهم الدنيا ، [وهلكوا بتكذيبهم الرسل ، ومخالفتهم للمعجزات ؛ لما اغتروا به من زخرف الحياة الدنيا][٦] وزينتها وشهواتها ﴿ **وشهدوا علىٰ أنفسهم** ﴾ أي : يوم القيامة ﴿ **أنهم كانوا كافرين** ﴾ أي : في الدنيا بما جاءتهم به[٧] الرسل صلوات اللّٰه وسلامه عليهم .

---

(٢٧٢) - يأتي تخريجه [فاتحة سورة الرحمن] .

---

[١] - في ز : « يستخرجان » .
[٢] - في ز : « جريج » .
[٣] - في ز : « أن قال » .
[٤] - في ز : « يوحى » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - سقط من : خ ، ز .
[٧] - سقط من : ز .

﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ (١٣١) وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٣٢)﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرىٰ بظلم وأهلها غافلون** ﴾ أي : إنما أعذرنا إلىٰ الثقلين بإرسال الرسل وإنزال الكتب ؛ لئلا يعاقب أحدا بظلمه وهو لم تبلغه دعوة ، ولكن أعذرنا إلىٰ الأمم ، وما عذبنا أحدًا إلا بعد إرسال الرسل إليهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإن من أمة**[١] **إلا خلا فيها نذير** ﴾، وقال تعالىٰ : ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾، كقوله: ﴿ **وما كنا معذبين حتىٰ نبعث رسولاً** ﴾، وقال تعالىٰ : ﴿ **كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير [قالوا بلىٰ قد جاءنا نذير فكذبنا** ﴾][٢] والآيات في هذا كثيرة .

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير[٣] ويحتمل قوله تعالىٰ : ﴿ **بظلم** ﴾ وجهين :

أحدهما : ﴿ **ذلك** ﴾ من أجل [﴿ **أن لم يكن ربك مهلك القرىٰ بظلم** ﴾][٤] أهلها بالشرك ونحوه ﴿ **وهم غافلون** ﴾ يقول : لم يكن يعاجلهم بالعقوبة ، حتىٰ يبعث إليهم رسولًا[٥] ينبههم علىٰ حجج الله عليهم ، وينذرهم عذاب الله يوم معادهم ، ولم يكن بالذي يؤاخذهم غفلة ، فيقولوا : ما جاءنا من بشير ولا نذير .

والوجه الثاني : ﴿ **ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرىٰ بظلم** ﴾ يقول : لم يكن ربك ليهلكهم دون التنبيه والتذكير بالرسل ، والآيات والعبر ، فيظلمهم بذلك ، و الله غير ظلام لعبيده .

ثم شرع يرجح الوجه الأول ، ولا شك أنه أقوىٰ و الله أعلم .

قال[٦]: وقوله تعالىٰ: ﴿ **ولكل درجات مما عملوا**﴾ أي: ولكل عامل من[٧] طاعة الله أو معصيته مراتب ومنازل من عمله ، يبلغه الله إياها ويثيبه بها ، إن خيرًا [فخيرًا ، وإن شرًا فشرًا][٨] .

---

[١] - في ز : « قرية » . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٣] - ابن جرير في تفسيره (١٢/١٣١ ، ١٣٢) .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « أن ربك ليهلك القرى بظلم أهلها بالشرك » .
[٥] - في خ ، ز : « من » .
[٦] - في ز : « وقال » . [٧] - سقط من : ت .
[٨] - في ز : « فخير ، وإن شرًا فشر » .

(قلت) : ويحتمل أن يعود قوله : ﴿ **ولكل درجات مما عملوا** ﴾ أي : [ولكل عامل من طاعة اللَّه أو معصيته][١] من كافري الجن والإنس ، أي : ولكل درجة في النار بحسبه ، كقوله : ﴿ **قال لكل ضعف** ﴾ ، وقوله : ﴿ **الذين كفروا وصدوا عن سبيل اللَّه زدناهم عذابًا فوق العذاب بما كانوا يفسدون** ﴾ .

﴿ **وما ربك بغافل عما يعملون** ﴾ قال ابن جرير[٢] : أي : وكل ذلك [من عملهم يا محمد][٣] بعلم من ربك يحصيها ويثبتها لهم عنده ؛ ليجازيهم عليها عند لقائهم إياه ومعادهم إليه .

وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأَتٍۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **وربك** ﴾ يا محمد ﴿ **الغني** ﴾ أي : عن جميع خلقه من[٤] جميع الوجوه ، وهم الفقراء إليه في جميع أحوالهم ﴿ **ذو الرحمة** ﴾ أي : وهو مع ذلك رحيم بهم ، رءوف[٥] كما قال تعالىٰ : ﴿ **إن اللَّه بالناس لرءوف رحيم** ﴾ .

﴿ **إن يشأ يذهبكم** ﴾ أي : إذا خالفتم أمره ﴿ **ويستخلف من بعدكم ما يشاء** ﴾ أي : قومًا آخرين ، أي : يعملون بطاعته ﴿ **كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين** ﴾ أي : هو قادر علىٰ ذلك سهل عليه يسير لديه ، كما أذهب القرون[٦] الأول وأتىٰ بالذي بعدها[٧] ، كذلك هو قادر علىٰ إذهاب هؤلاء والإتيان بآخرين ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان اللَّه علىٰ ذلك قديرًا** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الناس أنتم الفقراء إلىٰ اللَّه واللَّه هو الغني الحميد * إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك علىٰ اللَّه بعزيز** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **واللَّه [ ][٨] الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم** ﴾ .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت . [٢] - في تفسيره (١٢/١٢٥) .
[٣] - في ز : «يا محمد بعملهم » . [٤] - في ز : « و » .
[٥] - سقط من : ت .
[٦] - في ز : « القرن » . [٧] - في ز : « بعده » .
[٨] - ما بين المعكوفتين في ز : « هو » .

وقال محمد بن إسحاق(٢٧٣) ، عن يعقوب بن عتبة قال : سمعت أبان بن عثمان يقول في هذه الآية ﴿ **كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين** ﴾ الذرية : الأصل ، والذرية : النسل . وقوله تعالىٰ : ﴿ **إنما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين** ﴾ أي : أخبرهم يا محمد أن الذي يوعدون به من أمر المعاد كائن لا محالة ﴿ **وما أنتم بمعجزين** ﴾ أي : و[١]لا تعجزون الله ، بل هو قادر علىٰ إعادتكم ، وإن صرتم ترابًا رفاتًا وعظامًا هو[٢] قادر لا يعجزه شيء .

وقال ابن أبي حاتم في تفسيرها(٢٧٤) : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن المصفىٰ ، حدثنا محمد ابن حمير ، عن أبي بكر بن أبي مريم ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « **يا بني آدم ، إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتىٰ ، والذي نفسي بيده ﴿ إنما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين ﴾** » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **قل يا قوم اعملوا علىٰ مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون** ﴾ هذا تهديد [شديد ، ووعيد أكيد][٣] ، أي : استمروا علىٰ طريقتكم وناحيتكم إن كنتم تظنون أنكم علىٰ هدىٰ ، فأنا مستمر علىٰ طريقتي ومنهجي ، كقوله[٤] : ﴿ **وقل للذين لا يؤمنون اعملوا علىٰ مكانتكم إنا عاملون * وانتظروا إنا منتظرون** ﴾ .

قال علي بن أبي طلحة(٢٧٥) ، عن ابن عباس : ﴿ **علىٰ مكانتكم** ﴾ أي : ناحيتكم .

﴿ **فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون** ﴾ أي : تكون لي أو لكم ،

---

(٢٧٣) - أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٩٠٦/٤) .

(٢٧٤) - **ضعيف** ، ابن أبي حاتم في « تفسيره » (٧٩٠٧/٤) وأخرجه ابن أبي الدنيا في « قِصَرُ الأَمَلِ » (رقم ٦) والطبراني في « مسند الشاميين » - كما في إتحاف السادة المتقين (٢٣٧/١٠ - ٢٣٨) - والأصبهاني في « الترغيب » (١٧٤) وأبو نعيم في « الحلية » (٩١/٦) والبيهقي في « الشعب » (١٠٥٦٤/٧) وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٩٤/٢ ، ٦٩٥/مخطوط) كلهم من طريق محمد بن حمير به مطولًا وقال أبو نعيم : « غريب من حديث عطاء وأبي بكر تفرد به محمد بن حمير » قلت : وفيه علتان : الأولى : الانقطاع بين عطاء وأبي سعيد فإنه رآه ولم يسمع منه ، قاله ابن المديني ، والثانية : ضعف أبي بكر بن أبي مريم ، والحديث ضعف إسناده العراقي في « تخريج أحاديث الإحياء » (٦/رقم ٣٩٠٥)/ المستخرج) ، وسود به المنذري « الترغيب والترهيب » (٤/ ٢٤٢) وعزاه لابن أبي الدنيا وأبي نعيم والبيهقي والأصبهاني ولم يتكلم على إسناده .

(٢٧٥) - أخرجه ابن أبي حاتم (٧٩٠٩/٤) وابن المنذر - كما في « الدر المنثور » (٨٨/٣) .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٤] - في ز : « كما قال تعالى » .

وقد أنجز اللَّه [١] موعوده لرسوله[٢] صلوات اللَّه عليه ، فإنه تعالىٰ مكن له في البلاد ، وحكمه في نواصي مخالفيه من العباد ، وفتح له مكة ، وأظهره علىٰ من كذبه من قومه وعاداه وناوأه ، واستقر أمره علىٰ سائر جزيرة العرب ، وكذلك اليمن والبحرين ، وكل ذلك في حياته ، ثم فتحت الأمصار والأقاليم والرساتيق[٣] بعد وفاته ، في أيام خلفائه رضي اللَّه عنهم أجمعين ، كما قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **كتب اللَّه لأغلبن أنا ورسلي إن اللَّه قوي عزيز** ﴾ ، وقال : ﴿ **إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار** ﴾ ، [وقال تعالىٰ : ﴿ **ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون** ﴾][٤] ، وقال تعالىٰ إخبارًا عن رسله : ﴿ **فأوحىٰ إليهم ربهم لنهلكن الظالمين * ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وعد اللَّه الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضىٰ لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنًا يعبدونني لا يشركون بي شيئًا** ﴾ الآية ، وقد فعل اللَّه ذلك بهذه الأمة المحمدية[٥] ، وله الحمد والمنة ، أولًا وآخرًا ، و[ظاهرًا وباطنًا] .

وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿١٣٦﴾

هذا ذم وتوبيخ من اللَّه للمشركين ، الذين ابتدعوا بدعًا وكفرًا وشركًا ، وجعلوا لله شركاء[٦] وجزءًا من خلقه ، وهو خالق كل شيء سبحانه وتعالىٰ [عما يشركون][٧] ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وجعلوا للَّه مما ذرأ** ﴾ أي : مما خلق وبرأ ﴿ **من الحرث** ﴾ أي : من الزروع والثمار ﴿ **والأنعام نصيبًا** ﴾ أي : جزءًا وقسمًا ﴿ **فقالوا هذا للَّه بزعمهم وهذا لشركائنا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **فما كان لشركائهم فلا يصل إلىٰ اللَّه وما كان للَّه فهو يصل إلىٰ شركائهم** ﴾

---

[١] - سقط من : ز . [٢] - في ز : « له » .
[٣] - الرستاق ويقال (الرزداق) : السَّوَادُ والقُرى مُعَرَّب : رُسْتَا . (القاموس المحيط ص ١١٤٤).
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٥] - سقط من : ز .
[٦] - سقط من: خ ، ز . [٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

قال علي بن أبي طلحة والعوفي(٢٧٦) ، عن ابن عباس أنه قال في تفسير هذه الآية : إن أعداء اللَّه كانوا إذا حرثوا حرثًا أو كانت لهم ثمرة ، جعلوا لله منه جزءًا وللوثن جزءًا ، فما كان من حرث أو ثمرة أو شيء من نصيب الأوثان حفظوه وأحصوه ، وإن سقط منه شيء فيما سمي للصمد ردّوه إلىٰ ما جعلوه للوثن ، وإن سبقهم الماء الذي جعلوه للوثن ، فسقىٰ شيئًا جعلوه لله جعلوا ذلك للوثن . وإن سقط شيء من الحرث والثمرة التي جعلوها لله ، فاختلط بالذي جعلوه للوثن ، قالوا : هذا فقير ولم يردّوه إلىٰ ما جعلوه لله ، وإن سبقهم الماء الذي جعلوه لله ، فسقىٰ ما سمي للوثن تركوه للوثن ، وكانوا يحرمون من أنعامهم[١] البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، فيجعلونه[٢] للأوثان ويزعمون أنهم يحرمونه قربة[٣] لله ، فقال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبًا** ﴾ الآية .

وهكذا قال مجاهد وقتادة والسدي وغير واحد .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في الآية[٤] : كل شيء جعلوه[٥] لله من ذبح يذبحونه لا يأكلونه أبدًا ، حتىٰ يذكروا معه أسماء الآلهة ، وما كان للآلهة لم يذكروا اسم اللَّه معه ، وقرأ الآية حتىٰ بلغ : ﴿ **ساء ما يحكمون** ﴾ .

أي : ساء ما يقسمون ، فإنهم أخطئوا أولًا في القسمة ؛ لأن[٦] اللَّه تعالىٰ هو رب كل شيء ومليكه وخالقه وله الملك ، وكل شيء له وفي تصرفه ، وتحت قدرته ومشيئته ، لا إله غيره ولا رب سواه .

ثم لما قسموا فيما زعموا لم يحفظوا القسمة التي هي فاسدة ، بل جاروا فيها ، كقوله جل وعلا : ﴿ **ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وجعلوا له من عباده جزءًا إن الإنسان لكفور مبين** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ألكم الذكر وله الأنثىٰ * تلك إذًا قسمة ضيزىٰ** ﴾ .

---

(٢٧٦) - أخرجه من الطريقين ابن جرير (١٢/١٣٩٠٠ ، ١٣٩٠١) وابن أبي حاتم (٧٩١١/٤ ، ٧٩١٣) .

---

[١] - في « ت ، خ ، ز » « أموالهم » والمثبت من مصادر التحقيق .
[٢] - في ز : « فيحطونه » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « تفسيره » .
[٥] - في ز : « يجعلوه » .
[٦] - في ز : « فإن » .

﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١٣٧) ﴾

يقول تعالىٰ : وكما زينت الشياطين لهؤلاء المشركين أن يجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبًا ، كذلك زينوا لهم قتل أولادهم خشية الإِملاق[١] ، ووأد البنات خشية العار .

وقال علي بن أبي طلحة(٢٧٧) ، عن ابن عباس : ﴿ **وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم** ﴾ زينوا لهم قتل أولادهم .

وقال مجاهد : ﴿ **شركاؤهم** ﴾ شياطينهم يأمرونهم أن يئدوا أولادهم خشية[٢] العَيْلة .

وقال السدي : أمرتهم الشياطين أن يقتلوا البنات ، إما ليردوهم فيهلكوهم ، وإما ليلبسوا عليهم دينهم ، أي[٣] : فيخلطوا عليهم دينهم .

ونحو ذلك قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقتادة .

وهذا كقوله تعالىٰ : ﴿ **وإذا بشر أحدهم بالأنثىٰ ظل وجهه مسودًا وهو كظيم * يتوارىٰ من القوم من سوء ما بشر به [أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون][٤]** ﴾ ، وكقوله : ﴿ **وإذا الموؤدة سئلت * بأي ذنب قتلت** ﴾ وقد كانوا أيضًا يقتلون الأولاد من الإِملاق وهو الفقر ، أو خشية الإِملاق أن يحصل لهم في تلف[٥] المال ، وقد نهاهم عن قتل أولادهم لذلك وإنما كان هذا كله من شرع الشيطان وتزيينه[٦] لهم ذلك .

قوله[٧] تعالىٰ : ﴿ **ولو شاء اللّه ما فعلوه** ﴾ أي : كل هذا واقع بمشيئته تعالىٰ ، وإرادته واختياره لذلك كونًا ، وله الحكمة[٨] التامّة في ذلك ، فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴿ **فذرهم وما يفترون** ﴾ أي : فدعهم واجتنبهم وما هم فيه ، فسيحكم اللّه بينك وبينهم .

---

(٢٧٧) - أخرجه ابن جرير (١٣٩٠٨/١٢) وابن أبي حاتم (٧٩١٧/٤) وابن المنذر - كما في « الدر المنثور » (٨٩/٣) .

---

[١] - في ز : « إملاق » .
[٢] - في خ ، ز : « خيفة » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ت : « الآية » .
[٥] - في خ : « تأنى » ، وفي ز : « تاني » .
[٦] - في ز : « تزيينه » .
[٧] - في ز : « قال » .
[٨] - في ز : « الحملة » .

وَقَالُوا هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾

قال علي بن أبي طلحة(٢٧٨) ، عن ابن عباس : الحجر : الحرام مما[١] حرموا من الوصيلة وتحريم ما حرموا .

وكذلك قال مجاهد والضحاك والسدي وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم[٢] .

وقال قتادة : ﴿ **وقالوا هذه أنعام وحرث حجر ...** ﴾ : الآية تحريم كان عليهم من الشياطين [في أموالهم وتغليظ وتشديد][٣] ، ولم يكن من الله تعالىٰ .

وقال ابن[٤] زيد بن أسلم : ﴿ **حجر** ﴾ إنما احتجروها لآلهتهم .

وقال السدي : ﴿ **لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم** ﴾ يقولون[٥] : حرام أن نطعم إلا من شئنا .

وهذه الآية الكريمة كقوله تعالىٰ : ﴿ **قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حرامًا وحلالًا قل آللّه أذن لكم أم علىٰ الله تفترون** ﴾ .

وكقوله تعالىٰ : ﴿ **ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون علىٰ الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون** ﴾ .

وقال السدي: أما [الأنعام التي][٦] حرمت ظهورها: فهي البحيرة والسائبة والوصيلة[٧] والحام ، وأما الأنعام التي لا يذكرون اسم الله عليها قال : إذا أولدوها[٨] ولا إن نحروها .

---

(٢٧٨) - أخرجه ابن جرير (١٣٩١٨/١٢) وابن أبي حاتم (٧٩٢٣/٤) وابن المنذر - كما في « الدر المنثور » (٨٩/٣) .

---

[١] - في ز : « ما » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٤] - سقط من: خ ، ز .
[٥] - في ز : « يقول » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « أنعام » .
[٧] - سقط من: خ ، ز .
[٨] - في هامش تفسير ابن جرير (١٢٥/١٢) لعل الصواب : « لا إن أولدوها » . قلت . وجاءت في تفسير ابن ابي حاتم (٧٠٣١/٤) : « إذا ولدوها ».

وقال أبو بكر بن عياش(٢٧٩) ، عن عاصم بن أبي النجود ، قال لي أبو وائل : أتدري[١] ما في قوله ﴿ **وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم اللَّه عليها** ﴾ ؟ قلت : لا . قال : هي البحيرة كانوا لا يحجون عليها .

وقال مجاهد : كان من إبلهم طائفة لا يذكرون اسم اللَّه عليها في بشأن[٢] من شأنها ، لا إن ركبوا ، ولا إن حلبوا ، ولا إن حملوا ، ولا إن سحبوا ، ولا إن عملوا شيئًا .

﴿ **افتراء عليه** ﴾ أي : علىٰ اللَّه ، وكذبًا منهم في إسنادهم ذلك إلىٰ دين اللَّه وشرعه ؛ فإنه لم يأذن لهم في ذلك ، ولا رضيه منهم ﴿ **سيجزيهم بما كانوا يفترون** ﴾ أي : عليه ، ويُسْندون إليه .

وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾

قال أبو إسحاق السبيعي(٢٨٠) : عن عبد اللَّه بن أبي الهذيل ، عن ابن عباس : ﴿ **وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا** ﴾ الآية ، قال[٣] : اللبن .

[وقال العوفي(٢٨١) ، عن ابن عباس ﴿ **وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا** ﴾][٤] فهو اللبن كانوا يحرمونه علىٰ إناثهم ، ويشربه ذكرانهم ، وكانت الشاة إذا ولدت [ ][٥] ذكرًا ذبحوه وكان للرجال دون النساء ، وإن كانت أنثىٰ تركت فلم تذبح ، وإن كانت ميتة فهم فيها[٦] شركاء ، فنهىٰ اللَّه عن ذلك . وكذا قال السدي .

(٢٧٩) – أخرجه ابن جرير (١٣٩٢٦/١٢ ، ١٣٩٢٨) وابن أبي حاتم (٧٩٣٠/٤) وزاد السيوطي (٩٠/٣) عزوه إلى عبد بن حميد وابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٢٨٠) – أخرجه ابن جرير (١٣٩٣٢/١٢ ، ١٣٩٣٣) وابن أبي حاتم (٧٩٣٥/٥) من طرق عن إسرائيل عن أبي إسحاق به ، وأبو إسحاق السبيعي مدلس وقد عنعن وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٩٠/٣) إلى الفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٢٨١) – أخرجه ابن جرير (١٣٩٣٧/١٢) وابن أبي حاتم (٧٩٣٣/٥) والعوفي ضعيف .

[١] – في ز : « تدري » .
[٢] – في ت : « شيء » .
[٣] – في ز : « فهو » .
[٤] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٥] – ما بين المعكوفتين في ز : « ولدًا » .
[٦] – في ز : « فيه » .

وقال الشعبي : البحيرة لا يأكل من لبنها إلا الرجال ، وإن مات منها شيء أكله الرجال والنساء . وكذا قال عكرمة وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

وقال مجاهد في قوله : ﴿ **وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم علىٰ أزواجنا** ﴾ قال : هي السائبة والبحيرة . وقال أبو العالية ومجاهد وقتادة [في قول الله :][١] ﴿ **سيجزيهم وصفهم** ﴾ أي : قولهم الكذب في ذلك . يعني قوله[٢] تعالىٰ : ﴿ **ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا علىٰ الله الكذب إن الذين يفترون علىٰ الله الكذب لا يفلحون متاع** ﴾ الآية .

﴿ **إنه حكيم** ﴾ أي : في أفعاله وأقواله وشرعه وقدره[٣] ﴿ **عليم** ﴾ بأعمال عباده من خير وشر ، وسيجزيهم عليها[٤] أتم الجزاء.

قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾

يقول تعالىٰ : قد خسر الذين فعلوا[٥] هذه الأفعال في الدنيا والآخرة ، أما في الدنيا فخسروا أولادهم بقتلهم ، وضيقوا عليهم في أموالهم ، فحرموا أشياء ابتدعوها من تلقاء أنفسهم ، وأما في الآخرة فيصيرون إلىٰ شر المنازل ، بكذبهم علىٰ الله وافترائهم ، كقوله : ﴿ **قل**[٦] **إن الذين يفترون علىٰ الله الكذب لا يفلحون * متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون** ﴾ .

وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه(٢٨٢) في تفسير هذه الآية : حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، حدثنا محمد بن أيوب ، حدثنا عبد الرحمن بن المبارك ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : إذا سرك أن تعلم جهل العرب ، فاقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الأنعام : ﴿ **قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهًا بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء علىٰ الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين** ﴾ .

---

(٢٨٢) - وعزاه لابن مردويه السيوطي في « الدر المنثور » (٣/٩١) وزاد نسبته إلىٰ عبد بن حميد وأبي الشيخ وأخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : المناقب ، باب : قصة زمزم وجهل العرب (٣٥٢٤) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٢] - في ز : « لقوله » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ز : « على ذلك » .
[٥] - في خ ، ز : « صنعوا » .
[٦] - سقط من : ز .

وهكذا رواه البخاري منفردًا في كتاب مناقب قريش من صحيحه : عن أبي النعمان محمد بن الفضل عارم ، عن[١] أبي عوانة واسمه الوضاح بن عبد الله اليشكري ، عن أبي بشر واسمه جعفر بن أبي وحشية [ ][٢] إياس ، به .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾

يقول تعالى [مبينًا أنه][٣] الخالق لكل شيء : من الزروع[٤] والثمار والأنعام ، التي تصرف فيها هؤلاء[٥] المشركون بآرائهم الفاسدة ، وقسموها وجزءوها ، فجعلوا منها حرامًا وحلالًا ، فقال : ﴿ **وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات** ﴾ .

قال علي بن أبي طلحة(٢٨٣) ، عن ابن عباس : [﴿ **معروشات** ﴾][٦] مسموكات[٧] . وفي رواية : المعروشات : ما عرش الناس ، ﴿**وغير معروشات**﴾ ما خرج في البر والجبال من الثمرات .

وقال عطاء الخراساني(٢٨٤) ، عن ابن عباس : ﴿ **معروشات** ﴾ : ما عرش من الكرم ﴿ **وغير معروشات** ﴾ ما لم يعرش من الكرم . وكذا قال السدي .

وقال ابن جريج : ﴿**متشابهًا وغير متشابه**﴾.قال: متشابهًا في المنظر ، وغير متشابه في المطعم[٨] .

وقال محمد بن كعب : ﴿ **كلوا من ثمره إذا أثمر** ﴾ قال : من رطبه وعنبه .

(٢٨٣) - أخرجه ابن جرير (١٣٩٥٥/١٢ ، ١٣٩٥٦) .

(٢٨٤) - أخرجه ابن جرير (١٣٩٥٨/١٢) وعطاء الخراساني لم يسمع من ابن عباس .

[١] - في ز : « بن » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « عن » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « بيانًا لأنه » .
[٤] - في ز : « الزرع » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٧] - مرفوعات .
[٨] - في ز : « الطعم » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وآتوا حقه يوم حصاده** ﴾ قال ابن جرير[١] : قال بعضهم : هي الزكاة المفروضة .

حدثنا عمرو(٢٨٥) ، حدثنا عبد الصمد ، حدثنا يزيد بن درهم ، قال : سمعت أنس بن مالك يقول : ﴿ **وآتوا حقه يوم حصاده** ﴾ قال : الزكاة المفروضة .

وقال علي بن أبي طلحة(٢٨٦) ، عن ابن عباس : ﴿ **وآتوا حقه يوم حصاده** ﴾ يعني : الزكاة المفروضة يوم يكال ويعلم كيله . وكذا قال سعيد بن المسيب .

وقال العوفي(٢٨٧) ، عن ابن عباس : ﴿ **وآتوا حقه يوم حصاده** ﴾ وذلك أن الرجل كان إذا زرع فكان يوم حصاده ، لم يخرج مما حصد شيئًا ، فقال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **وآتوا حقه يوم حصاده** ﴾ وذلك أن يعلم ما كيله ، وحقه من كل عشرة واحدًا ، وما يلقط الناس من سنبله .

وقد روىٰ الإمام أحمد وأبو داود في سننه(٢٨٨) : من حديث محمد بن إسحاق ، حدثني محمد بن يحيىٰ بن حبان ، [عن عمه واسع بن حبان][٢] ، عن جابر بن عبد اللَّه : أن النبي

(٢٨٥) - **إسناده ضعيف** ، أخرجه ابن جرير (١٢/١٣٩٦٣) ، وأخرجه أيضًا ابن أبي حاتم (٥/٧٩٥٣) وأبو جعفر النحاس في « الناسخ والمنسوخ » (ص ٤٢١) وابن عدي في « الكامل » (٧/٢٧٣٢) ومن طريقه البيهقي في « السنن الكبرى » (٤/١٣٢) من طرق عن عبد الصمد به قال البيهقي : « هذا موقوف غير قوي » **قلت** : علته يزيد بن درهم هذا فقد وثقه الفلاس ، لكن قال فيه ابن معين ليس بشيء وذكره ابن حبان في « الثقات » (٥/٥٣٨) وقال : « يخطيء كثيرًا » وذكره الساجي والعقيلي وابن الجارود في « الضعفاء » وقال ابن عدي : « لا أعرف ليزيد بن درهم كثير رواية إلا مقاطيع عن التابعين وعن الصحابة » .

(٢٨٦) - أخرجه ابن جرير (١٢/١٣٩٧١) وابن أبي حاتم (٥/٧٩٥٨) وعزاه السيوطي (٣/٩٤) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢٨٧) - أخرجه ابن جرير (١٢/١٣٩٧٢) ولفظ المصنف مغايرٌ له في بعض الأحرف . وعطية العوفي ضعيف مضى مرارًا .

(٢٨٨) - **إسناده حسن** ، أخرجه أحمد (٣/٣٥٩ ، ٣٦٠) وأبو داود (١٦٦٢) وكذا أخرجه أبو يعلى في « المسند » (٣/رقم ١٧٨١) والطحاوي في « شرح معاني الآثار » (٤/٣٠) والبيهقي في « السنن الكبرى » (٥/٣١١) من طريق محمد بن إسحاق به ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٤/١٠٦) - ولم يشر إلى رواية أبي داود - وقال : « رواه أبو يعلى وفيه ابن إسحاق وهو ثقة ولكنه مدلس وبقية رجاله رجال الصحيح » **قلت** : صرح ابن إسحاق بالتحديث عند أحمد ، والحديث صححه ابن خزيمة (٤/٢٤٦٩) .

[١] - ابن جرير في تفسيره (١٢/١٥٨) . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

صلىٰ اللَّه عليه وسلم أمر مِنْ كُلِّ جَادٍ عَشْرَةَ أَوسُقٍ من التمر ، بِقِنْوٍ يُعَلَّقُ في المسجد للمساكين .

وهذا إسناد[١] جيد قوي .

وقال طاوس وأبو الشعثاء وقتادة والحسن والضحاك وابن جريج : هي الزكاة .

وقال الحسن البصري : هي الصدقة من الحب والثمار . وكذا قال ابن زيد بن أسلم .

وقال آخرون : هو حق آخر سوىٰ الزكاة .

وقال أشعث ، عن محمد بن سيرين و[ ][٢] نافع ، عن[٣] ابن عمر في قوله : ﴿ **وآتوا حقه يوم حصاده** ﴾ قال : كانوا يعطون شيئًا سوىٰ الزكاة . رواه ابن مردويه(٢٨٩) .

وروىٰ عبد اللَّه بن المبارك وغيره ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء بن أبي رباح في قوله : ﴿ **وآتوا حقه يوم حصاده** ﴾ قال : يعطي من حضره يومئذ ما تيسر ، وليس بالزكاة .

وقال مجاهد : إذا حضرك المساكين طرحت لهم منه .

وقال عبد الرزاق(٢٩٠) : عن ابن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿ **وآتوا حقه يوم حصاده** ﴾ قال : عند الزرع يعطي القبضَ ، وعند الصِّرام يعطي القبض ، ويتركهم فيتبعون آثار الصرام .

وقال الثوري : عن حماد ، عن إبراهيم النخعي[٤] ، قال : يعطي مثل الضغث .

---

(٢٨٩) - **إسناده ضعيف** وعزاه لابن مردويه السيوطي في « الدر المنثور » (٩٢/٣) وأخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٧٦/٣) والطبراني في « الأوسط » (٦٠٤١/٦) من طريق عبد الرحيم بن سليمان عن أشعث بن سوار به غير مقرون ابن سيرين بنافع عند الطبراني ، وقال الطبراني : « لم يرو هذا الحديث عن أشعث بن سوار إلا عبد الرحيم بن سليمان » كذا قال وتابعه حفص بن غياث عن أشعث به عند ابن شاهين في « الناسخ والمنسوخ » (ص ٤٢٣) والبيهقي في « السنن الكبرى » (١٣٢/٤) - ورواية ابن شاهين ليس فيها « ابن سيرين » - وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٥/٧) وقال : « رواه الطبراني في « الأوسط » ورجاله ثقات » قلنا : كيف ؟ وأشعث ضعفه أحمد وابن معين في رواية - والنسائي والدارقطني وغيرهم - وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣/ ٩٢) : إلى ابن المنذر وأبي الشيخ .

(٢٩٠) - عبد الرزاق في تفسيره (٢١٩/٢) ومن طريقه ابن جرير (١٤٠١٩/١٢) وله طرق عن مجاهد انظر تفسير ابن جرير (١٦٣/١٢ : ١٦٧) .

---

[١] - في ز : « إسناده » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « عن » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - سقط من : خ ، ز .

وقال ابن المبارك : عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ﴿ **وآتوا حقه يوم حصاده** ﴾ قال : كان هذا قبل الزكاة ، للمساكين القبضة ، و[١]الضغث لعلف دابته .

وفي حديث ابن لهيعة ، عن دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي[٢] سعيد مرفوعًا . ﴿ **وآتوا حقه يوم حصاده** ﴾ قال : «**ما سقط من السنبل**» . رواه ابن مردويه(٢٩١) .

وقال آخرون : هذا كله[٣] شيء كان واجبًا ، ثم نسخه اللَّه بالعشر أو[٤] نصف العشر . حكاه ابن جرير : عن ابن عباس ، ومحمد بن الحنفية ، وإبراهيم النخعي ، والحسن ، والسدي ، وعطية العوفي ، وغيرهم ، واختاره ابن جرير رحمه[٥] اللَّه .

قلت : وفي تسمية هذا نسخًا نظر ؛ لأنه قد كان شيئًا واجبًا في الأصل ، ثم إنه فصل بيانه ، وبين مقدار المخرج وكميته ، قالوا : وكان هذا في السنة الثانية من الهجرة فاللَّه أعلم .

وقد ذم اللَّه سبحانه الذين يصرمون ولا يتصدقون ، كما ذكر عن أصحاب الجنة في سورة « ن » : ﴿ **إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين * ولا يستثنون * فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون * فأصبحت كالصريم** ﴾ أي : كالليل المدلهم سوداء محترقة ﴿ **فتنادوا مصبحين * أن اغدوا علىٰ حرثكم إن كنتم صارمين * فانطلقوا وهم يتخافتون * أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين * وغدوا علىٰ حرد** ﴾ أي : قوة وجلد وهمة ﴿ **قادرين * فلما رأوها قالوا إنا لضالون * بل نحن محرومون * قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون * قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين * فأقبل بعضهم علىٰ بعض يتلاومون * قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين * عسىٰ ربنا أن يبدلنا خيرًا منها إنا إلىٰ ربنا راغبون * كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين** ﴾ قيل : معناه لا[٦] تسرفوا في الإعطاء ، فتعطوا فوق المعروف .

وقال أبو العالية : كانوا يعطون يوم الحصاد شيئًا ، ثم تباروا فيه وأسرفوا ، فأنزل اللَّه : ﴿ ولا

---

(٢٩١) - **إسناده ضعيف** وعزاه لابن مردويه السيوطي في « الدر المنثور » (٣/٩٢) - وأخرجه ابن شاهين في « الناسخ والمنسوخ » (ص ٤٢٧) من طريق ابن لهيعة به وابن لهيعة سيىء الحفظ ، « وأحاديث دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد غير مستقيمة » قاله أبو داود ، والحديث زاد السيوطي عزوه إلى ابن المنذر وأبي الشيخ .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - في ز : « كل » .
[٤] - في ز : « و » .
[٥] - في ز : « رحمهم » .
[٦] - في ز : « ولا » .

تسرفوا ﴾ .

وقال ابن جريج : نزلت في ثابت بن قيس بن شماس[١] ، جدَّ[٢] نخلًا له[٣] فقال : لا يأتيني اليوم أحد إلا أطعمته ، فأطعم حتىٰ أمسىٰ وليست له ثمرة ، فأنزل اللَّه تعالىٰ : ﴿ **ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين** ﴾ . رواه ابن جرير(٢٩٢) عنه .

وقال ابن جريج ، عن عطاء : نهوا[٤] عن السرف في كل شيء .

وقال إياس بن معاوية : ما جاوزت به أمر اللَّه فهو سرف .

وقال السدي في قوله : ﴿ **ولا تسرفوا** ﴾ قال : لا تعطوا أموالكم فتقعدوا فقراء .

وقال سعيد بن المسيب ومحمد بن كعب في قوله : ﴿ **ولا تسرفوا** ﴾ قال : لا تمنعوا الصدقة فتعصوا ربكم[٥] .

ثم اختار ابن جرير قول عطاء : إنه نَهيٌ عن الإِسراف في كل شيء ، ولا شك أنه صحيح ، لكن الظاهر و اللَّه أعلم من سياق الآية حيث قال تعالىٰ : ﴿ **كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا** ﴾ أن[٦] يكون عائدًا على[٧] الأكل ، أي : لا تسرفوا في الأكل ؛ لما فيه من مضرة العقل والبدن ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا [إنه لا يحب المسرفين]**[٨] ﴾ .

وفي صحيح البخاري تعليقًا(٢٩٣) : « **كلوا واشربوا [والبسوا [وتصدقوا]**[٩] **[في]**[١٠] **غير إسراف ولا مخيلة** » . وهذا من هذا و اللَّه أعلم .

وقوله -عز وجل- : ﴿ **ومن الأنعام حمولة وفرشًا** ﴾ أي : وأنشأ لكم من الأنعام ما هو

---

(٢٩٢) - ابن جرير في تفسيره (١٢/١٤٠٤٠) وكذا أخرجه ابن أبي حاتم (٥/٧٩٦٦) عن ابن جريج غير أنه قال : جَذَّ معاذ بن جبل فذكره وهو على الوجهين معضل .

(٢٩٣) - **حسن** ، صحيح البخاري كتاب : اللباس ، باب : قول اللَّه تعالى : ﴿ **قل من حرم زينة اللَّه التى أخرج لعباده** ﴾ (١٠/٢٥٢/فتح) ، ويأتي موصولًا من حديث عمرو بن العاص [سورة الأعراف/آية/ ح ٣١] ويخرج هناك إن شاء اللَّه تعالى .

---

[١] - في ز : « الشماس » .
[٢] - في ز : « جذ » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « ينهى »
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ت : « أي » .
[٧] - في ز : « إلى » .
[٨] - في ت : « الآية » .
[٩] - زيادة من صحيح البخاري .
[١٠] - في خ : من .

حمولة ، وما هو فرش ، قيل المراد بالحمولة : ما يحمل عليه من الإبل ، والفرش : الصغار منها ، كما قال الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله في قوله : ﴿ **حمولة** ﴾ ما حمل عليه[١] من الإبل ﴿ **وفرشًا** ﴾ قال[٢] : الصغار من الإبل . رواه الحاكم(٢٩٤) وقال : صحيح الإسناد[٣] ولم يخرجاه[٤] .

وقال ابن عباس(٢٩٥) : الحمولة هي الكبار ، والفرش الصغار من الإبل . وكذا قال مجاهد .

وقال علي بن أبي طلحة(٢٩٦) ، عن ابن عباس : ﴿ **ومن الأنعام حمولة وفرشًا** ﴾ أما الحمولة فالإبل والخيل والبغال والحمير ، وكل شيء يحمل عليه ، وأما الفرش : فالغنم .

واختاره ابن جرير ، قال : وأحسبه إنما سمي فرشًا لدنوه من الأرض .

وقال الربيع بن أنس والحسن والضحاك وقتادة وغيرهم[٥] : الحمولة : الإبل والبقر ، والفرش : الغنم .

وقال السدي : أما الحمولة : فالإبل ، وأما الفرش : فالفصلان والعجاجيل[٦] والغنم ، وما حمل عليه فهو حمولة .

---

(٢٩٤) - « المستدرك » (٣١٧/٢) وأخرجه الفريابي في تفسيره - كما في « الدر المنثور » (٩٤/٣) - ومن طريقه الطبراني في « الكبير » (٩٠١٨/٩) - وابن جرير (١٧٨/١٢ ، ١٧٩) وابن أبي حاتم (١٤٠٠/٥) كلهم من طريق الثوري به وصححه الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ، والثوري أثبت الناس في أبي إسحاق ، قاله المزي في « تهذيب الكمال » (١٠٩/٢٢) ورواه ابن جرير (١٧٩/١٢) من طريق شعبة عن أبي إسحاق به غير أن شعبة قال في آخره : « إنما كان حدثني سفيان عن أبي إسحاق » وزاد نسبته السيوطي (٩٤/٣) إلى عبد بن حميد ، وأبي عبيد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(٢٩٥) - أخرجه ابن جرير (١٤٠٤٨/١٢) وفي إسناده أبو بكر الهذلي ، أخباري متروك ، وعزاه السيوطي (٩٤/٣) إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم وأبي الشيخ .

(٢٩٦) - أخرجه ابن جرير (١٤٠٥٨/١٢) وابن أبي حاتم (٧٩٧٢/٥) وابن المنذر كما في « الدر المنثور » (٩٥/٣) .

---

[١] - سقط من : ز . [٢] - سقط من : ت .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - الذي في المستدرك حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

[٥] - سقط من: خ ، ز .

[٦] - « العجاجيل » جمع « عِجَّول » بكسر العين ، وتشديد الجيم وفتحها ، وسكون الواو وهو « العجل » ولد البقر . القاموس المحيط : ١٣٣١ . .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : الحمولة ما تركبون ، والفرش ما تأكلون وتحلبون ، شاة لا تحمل تأكلون لحمها ، وتتخذون من صوفها لحافًا وفراشًا[١] .

وهذا الذي قاله عبد الرحمن في تفسير هذه الآية الكريمة حسن ، يشهد له قوله تعالىٰ : ﴿ **أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعامًا فهم لها مالكون * وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين** ﴾ إلىٰ أن قال : ﴿ **ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثًا ومتاعًا إلىٰ حين** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون * ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلىٰ الفلك تحملون * ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **كلوا مما رزقكم الله** ﴾ أي : من الثمار والزروع ، والأنعام ، فكلها خلقها الله ، وجعلها رزقًا لكم ﴿ **ولا تتبعوا خطوات الشيطان** ﴾ أي : طرائقه وأوامره كما اتبعها المشركون ، الذين حرموا ما رزقهم الله ، أي : من الثمار والزروع افتراء علىٰ الله ﴿ **إنه لكم** ﴾ أي : إن الشيطان أيها الناس لكم ﴿ **عدو مبين** ﴾ أي : بينٌ[٢] ظاهر العداوة ، كما قال تعالى : ﴿ **إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوًّا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير** ﴾ ، وقال تعالىٰ ﴿ **يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما** ﴾ الآية ، وقال تعالىٰ : ﴿ **أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلًا** ﴾ والآيات في هذا كثيرة في القرآن .

ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾

---

[١] - في ت : « وفرشًا » .

[٢] - في ز : « مبين » .

وهذا بيان لجهل العرب قبل الإسلام ، فيما كانوا حرموا من الأنعام ، وجعلوها أجزاء وأنواعا : بحيرة وسائبة ووصيلة وحامًا ، وغير ذلك من الأنواع التي ابتدعوها ، في الأنعام والزروع والثمار ، فبين تعالىٰ أنه أنشأ جنات معروشات وغير معروشات ، وأنه أنشأ من الأنعام حمولة وفرشًا . ثم بين أصناف الأنعام ؛ إلىٰ غنم ؛ وهو بياض وهو الضأن ، وسواد وهو المعز : ذكره وأنثاه ، وإلىٰ إبل : ذكورها وإناثها ، وبقر كذلك ، وأنه تعالىٰ لم يحرم شيئًا من ذلك ، ولا شيئًا من أولادها ، بل كلها مخلوقة لبني آدم : أكلًا وركوبًا ، وحمولة وحلبًا ، وغير ذلك من وجوه المنافع ، كما قال : ﴿ **وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج** ﴾ الآية .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين** ﴾ رد عليهم في قولهم : ﴿ **ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم علىٰ أزواجنا** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **نبئوني بعلم إن كنتم صادقين** ﴾ أي : أخبروني عن يقين : كيف حرم الله عليكم ما زعمتم تحريمه ، من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ونحو ذلك .

وقال العوفي(٢٩٧) ، عن ابن عباس قوله : ﴿ **ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين** ﴾ فهذه أربعة أزواج ﴿ **ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين** ﴾ يقول : [لم أحرم شيئًا من ذلك ﴿ **أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين** ﴾ يعني : هل يشتمل الرحم إلا علىٰ ذكر أو أنثىٰ ، فلم تحرمون بعضًا وتحلون بعضًا ؟][١] ﴿ **نبئوني بعلم إن كنتم صادقين** ﴾ يقول تعالىٰ : كله حلال .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا** ﴾ تهكم بهم فيما ابتدعوه ، وافتروه علىٰ الله من تحريم ما حرموه من ذلك ﴿ **فمن أظلم ممن افترىٰ علىٰ الله كذبًا ليضل الناس بغير علم** ﴾ أي : لا أحد أظلم[٢] منه ﴿ **إن الله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾ .

وأول[٣] من دخل في هذه الآية عمرو بن لحي بن قمعة ؛ لأنه[٤] أول [من غير دين الأنبياء ، وأول][٥] من سيب السوائب ، ووصل الوصيلة ، وحما الحام ، كما ثبت ذلك في الصحيح(٢٩٨) .

---

(٢٩٧) - أخرجه ابن جرير (١٤٠٧٦/١٢) وابن أبي حاتم (٧٩٩١/٥) والعوفي ضعيف .

(٢٩٨) - تقدم تخريجه [سورة المائدة /آية ١٠٣] .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٢] - في ز : « أضل » .
[٣] - في ز : « وأولى » . [٤] - في ز : « فإنه » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾

يقول تعالىٰ آمرًا عبده ورسوله محمدًا صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **قل** ﴾ لهؤلاء الذين حرموا ما رزقهم اللَّه افتراء علىٰ اللَّه ﴿ **لا أجد فيما أوحي إلي محرمًا علىٰ طاعم يطعمه** ﴾ أي : آكل يأكله ، قيل : معناه لا أجد شيئًا مما حرمتم حرامًا سوىٰ هذه ، وقيل : معناه لا أجد من الحيوانات شيئًا حرامًا سوىٰ هذه ، فعلىٰ هذا يكون ما ورد من التحريمات[١] بعد هذا في سورة المائدة ، وفي الأحاديث الواردة : رافعًا لمفهوم هذه الآية .

ومن الناس من يسمي هذا[٢] نسخًا ، والأكثرون من المتأخرين لا يسمونه نسخًا ؛ لأنه من باب رفع مباح الأصل ، و اللَّه أعلم .

وقال العوفي(٢٩٩) ، عن ابن عباس ﴿ **أو دمًا مسفوحًا** ﴾ يعني : المهراق .

وقال عكرمة في قوله : ﴿ **أو دمًا مسفوحًا** ﴾ لولا هذه الآية لتتبع [الناس][٣] ما في العروق[٤] ، كما تتبعه اليهود .

وقال حماد ، عن عمران بن حُدَير قال : سألت أبا مجلز عن الدم ، وما يتلطَّخ من الذبح من الرأس ، وعن القِدْر يرىٰ[٥] فيها الحُمرة ؟ فقال : إنما نهىٰ اللَّه عن الدم المسفوح .

وقال قتادة : حُرِّم من الدماء ما كان مسفوحًا ، فأما اللحم[٦] خَالَطَه دم فلا بأس به .

(٢٩٩) - لم أجده من هذه الطريق ، وإنما أخرجه ابن أبي حاتم (٨٠٠٨/٥) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس به .

[١] - في ز : « التحرمات » .
[٢] - في ز : « ذلك » .
[٣] - في تفسير عبد الرزاق (٢٢٠/٢) وابن جرير (١٤٠٨٩/١٢) وابن أبي حاتم (٨٠١٤/٥): « المسلمون » وكذا ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٩٧/٣) وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور وابن المنذر وأبي الشيخ .
[٤] - في ز : « المعروق » .
[٥] - في ز : « نرى » .
[٦] - في ز : « لحم » .

وقال ابن جرير(٣٠٠) : حدثنا المثنىٰ ، حدثنا حجاج بن منهال ، حدثنا حماد ، عن يحيىٰ بن سعيد ، عن القاسم ، عن عائشة رضي اللَّه عنها : أنها كانت لا ترىٰ بلحوم السباع بأسًا ، والحمرة والدم [يكونان علىٰ][١] القدر بأسًا ، وقرأت هذه الآية . صحيح غريب .

وقال الحميدي(٣٠١) : حدثنا سفيان ، حدثنا عمرو بن دينار ، قال : قلت [لجابر بن عبد اللَّه][٢]: إنهم يزعمون أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم نهىٰ عن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر ؟ فقال : قد كان يقول ذلك الحكم بن عمرو عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، ولكن أبىٰ ذلك البحر - يعني : ابن عباس - ، وقرأ : ﴿ **قل لا أجد فيما أوحي إليَّ محرمًا [علىٰ طاعم يطعمه]**[٣] ﴾ الآية .

وكذا[٤] رواه البخاري(٣٠٢) : عن علي بن المديني ، عن سفيان به . وأخرجه أبو داود : من

---

(٣٠٠) - **صحيح** ، **ابن جرير في تفسيره** (١٤٠٩٠/١٢) وأخرجه ابن أبي حاتم (٨٠١١/٥) وأبو جعفر النحاس في « الناسخ والمنسوخ » (ص ٤٣٤) من طريقين عن يحيى بن سعيد به ، وقال أبو جعفر النحاس : « هذا إسناد صحيح لا مطعن فيه » وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣/ ٩٦) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه وغفل عن عزوه إلى ابن جرير .
وكثيرًا ما يغفل هذا المصدر الأخير ، فتنبه لهذا !!

(٣٠١) - **صحيح** ، الحميدي في مسنده (٢/رقم ٨٥٩) ومن طريقه الطبراني في «الكبير» (٣/ ٣١٦٤) والحاكم في «المستدرك» (٣١٧/٢) - وانظر ما بعده .

(٣٠٢) - صحيح البخاري ، كتاب : الذبائح والصيد ، باب : لحوم الحمر الإنسية (٥٥٢٩) وأخرجه أحمد في « المسند » (٢١٣/٤) ثنا سفيان بن عيينة به وأخرجه أبو داود ، كتاب : الأطعمة ، باب : في لحوم الحمر الأهلية (٣٨٠٨) من طريق ابن جريج عن عمرو به وابن الجعد في مسنده (٢/ ١٦٩٢) من طريق شعبة عن عمرو بن دنيار به .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « يكونوا أعلى » .
[٢] - وكذا وقع في « المستدرك » للحاكم وهو وهم أو خطأ من الناسخ وصوابه « جابر بن زيد » كما في مصادر التخريج وهو نفسه أبو الشعثاء كما جاء في رواية أحمد (٢١٣/٤) وصرح به ابن حجر في « الفتح » (٦٥٥/٩) وقد بينت رواية أبي داود ذلك بيانًا شافيًا رواه في سننه (٣٨٠٨) من طريق عمرو بن دينار ، أخبرني رجل - جاء تسميته في رواية عند البخاري (٥٥٢٠) وغيره - عن جابر بن عبد اللَّه قال : نهى رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - يوم خيبر عن أن نأكل لحوم الحمر ، أمرنا أن نأكل لحوم الخيل ، قال عمرو : فأخبرت هذا الخبر أبا الشعثاء - (جابر بن زيد) - فقال : قد كان الحكم الغفاري فينا يقول هذا ، وأبى ذلك البحر ، يريد ابن عباس » ولعل الوهم والخطأ دخل من هنا واللَّه أعلم .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز . [٤] - في ز : « هكذا » .

حديث ابن جريج ، عن عمرو بن دينار . ورواه الحاكم في مستدركه(٣٠٣) [مع أنه في صحيح البخاري كما رأيت .

وقال أبو بكر بن مردويه والحاكم في مستدركه][١] : حدثنا [محمد بن علي بن دحيم][٢]، حدثنا أحمد بن حازم ، حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، حدثنا محمد بن شريك ، عن عمرو ابن دينار ، عن أبي الشعثاء ، عن ابن عباس قال : كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ، ويتركون أشياء تقذرًا ، فبعث اللَّه نبيه ، وأنزل كتابه ، وأحل حلاله ، وحرم حرامه ، فما أحل فهو حلال ، وما حرم فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عفو ، وتلا[٣] هذه الآية : ﴿ **قل لا أجد فيما أوحي إلي محرمًا على طاعم يطعمه** ﴾ إلى آخر الآية .

وهذا لفظ ابن مردويه(٣٠٤) ، ورواه أبو داود منفردًا به : عن محمد بن داود بن صبيح ، عن أبي نعيم به . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإِسناد ولم يخرجاه .

وقال الإِمام أحمد(٣٠٥) : حدثنا عفان ، حدثنا أبو عوانة ، عن سماك بن حرب ، عن

(٣٠٣) - « المستدرك » (٣١٧/٢) واستدراك المصنف على الحاكم بأن الحديث في صحيح البخاري هو مستدرك فإن في رواية الحاكم زيادة ليست عند البخاري وهي قوله « وقد كان أهل الجاهلية يتركون أشياء تقذرًا فأنزل اللَّه عز وجل وبين حلاله وحرامه فما أحل فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو ثم تلا هذه الآية : ﴿ **قل لا أجد ....** ﴾ .

وقال الحاكم عقبه « حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة » ووافقه الذهبي ، وعليه فإن لاستدراك الحاكم هذا الحديث على الشيخين له وجهه لا سيما وقوله الأخير يدل على ذلك . فتنبه لمثل ذلك وباللَّه التوفيق .

(٣٠٤) - **صحيح** وعزاه لابن مردويه السيوطي في « الدر المنثور » (٩٦/٣) - وأخرجه الحاكم (٤/ ١١٥) أخبرني محمد بن علي بن دحيم - تحرف إلى علي بن محمد فليصحح - وأخرجه أبو داود (٣٨٠٠) من طريق محمد بن داود بن صبيح ، وابن أبي حاتم (٨٠٠٠/٥) من طريق موسى بن عبد الرحمن كلاهما عن أبي نعيم به وصحح إسناده الحاكم ووافقه الذهبي وهو كما قالا : وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٩٦/٣) إلى عبد بن حميد وأبي الشيخ ، وانظر ما قبله .

(٣٠٥) - **إسناده ضعيف** . « المسند » (٣٢٧/١ ، ٣٢٨) (رقم ٣٠٢٧- شاكر) ، وذكره الحافظ في « الفتح » (٦٥٩/٩، ٦٦٠) من طريق أحمد وأخرجه ابن أبي حاتم (٨٠٠٣/٥) ، والطبراني في « الكبير » (١١٧٦٥/١١) و (٢٤/رقم ١٠٠) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (١٨/١) من

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - تحرف في « المستدرك » إلى « علي بن محمد » وهو خطأ والصواب المثبت هنا انظر « السير » (٣٦/١٦) و « العبر » (٢٩٣/٢) للذهبي .
[٣] - في ت : « وقرأ » .

عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : ماتت شاة لسودةَ بنت زَمْعَة ، فقالت : يا رسول اللَّه ، ماتت فلانة - تعني الشاة - قال : « **فلم لا أخذتم مَسْكَها ؟** » . قالت : نأخذ مَسْكَ شاةٍ قد ماتت ؟ فقال لها رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إنما قال اللَّه ﴿ قل لا أجد فيما أوحي إلي محرمًا على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دمًا مسفوحًا أو لحم خنزير ﴾ وإنكم لا تطعمونه ، إن تدبغوه فتنتفعوا**[١] **به** » . فأرسلت فسلخت مَسْكها فدبغته ، فاتخذت منه قربة حتىٰ تخرَّقت عندها .

ورواه البخاري والنسائي(٣٠٦) : من حديث الشعبي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن سودة بنت زمعة بذلك أو نحوه . وقال سعيد بن منصور(٣٠٧) : حدثنا عبد العزيز بن محمد ، عن عيسىٰ بن نميلة الفزاري ، عن أبيه ، قال : كنت عند ابن عمر ، فسأله رجل عن أكل القُنَفُذ[٢] ، فقرأ عليه : **﴿ قل لا أجد فيما أوحي إلي محرمًا على طاعم يطعمه ﴾** الآية . فقال شيخ عنده :

طريق مسدد وغيره ثنا أبو عوانة به مقرونًا بأبي عوانة أبو الأحوص عند ابن أبي حاتم ، ومن طريق أبي الأحوص أخرجه الطحاوي في « شرح معاني الآثار » (٤٧١/٤) والطبراني أيضًا (١١/ ١١٧٦٦) مختصرًا وقال الطبراني : « قال أبو الأحوص : أم الأسود - ورواية أبي الأحوص عند الطحاوي قال فيها : سودة - وإنما الصواب سودة » قلت : وإسناده رجاله رجال الصحيح ، إلا أن رواية سماك عن عكرمة مضطربة ، وقد رواه أحمد أيضًا (٣٢٨/١) ، وابن أبي حاتم (٨٠٠٥/٥) ، والطبراني في « الكبير » (٣٦/٢٤) من طريق سماك ، عن عكرمة ، عن سودة بنت زمعة . وإسحاق بن راهويه في مسنده (٢٠٩٠/٤) من طريق يزيد بن أبي زياد ، عن عكرمة بالإسناد السابق هكذا منقطعًا بدون ذكر ابن عباس ، وصح من طرق أخرى بلفظ آخر ، انظر الآتي .

(٣٠٦) - أخرجه البخاري ، كتاب : الأيمان والنذور ، باب : إذا حلف أن لا يشرب نبيذًا ... (٦٦٨٦) ، والنسائي ، كتاب : الفرع والعتيرة ، باب : جلود الميتة (١٧٣/٧) ، وكذا أخرجه أحمد (٤٢٩/٦) ، وإسحاق بن راهويه في مسنده (٢٠٩١/٤) ، والطحاوي في « شرح معاني الآثار » (٤٧٠/٤) ، والطبراني في « الكبير » (٣٥/٢٤ ، ٣٦) وغيرهم من طريق عامر الشعبي به .

(٣٠٧) - **إسناده فيه جهالة** . وعزاه لسعيد بن منصور السيوطي في « الدر المنثور » (٩٦/٣) - ومن طريقه أخرجه أحمد في « المسند » (٣٨١/٢) (٨٩٤١) - ومن طريق أحمد المزي في « تهذيب الكمال » (٥٢/٢٣ ، ٥٣) - وابن أبي حاتم في « التفسير » (٨٠٠٧/٥) وأبو داود في « السنن » ، كتاب : الأطعمة ، باب : في أكل حشرات الأرض (٣٧٩٩) - ومن طريق أبي داود البيهقي في « السنن الكبرى » (٣٢٦/٩) وقال : « هذا حديث لم يرو إلا بهذا الإسناد وهو إسناد فيه ضعف » ، وعلقه في « معرفة السنن والآثار » (٢٦٠/٧) وقال : « إسناده غير قوي ورواية شيخ مجهول » وقال الخطابي في « معالم السنن » (٣١٣/٥) : « ليس إسناده بذاك » =

[١] - في ز : « تنتفعوا » .
[٢] - في ز : « القنفد » .

سمعت أبا هريرة يقول : ذكر عند النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقال : « **خبيث**[١] **من الخبائث** » . فقال ابن عمر : إن كان النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قاله فهو كما قال .

ورواه أبوداود : عن أبي ثور ، عن سعيد بن منصور به .

وقوله تعالىٰ: ﴿ **فمن اضطر غير باغ ولا عاد** ﴾ أي : فمن اضطر إلىٰ أكل شيء مما حرم اللّٰه [٢] في هذه الآية الكريمة ، وهو غير متلبس ببغي ولا عدوان ﴿ **فإن ربك غفور رحيم** ﴾ أي[٣] : غفور له رحيم به .

وقد تقدم تفسير هذه الآية في سورة[٤] البقرة بما فيه كفاية .

والمقصود من سياق هذه الآية الكريمة : الرد علىٰ المشركين ، الذين ابتدعوا ما ابتدعوه من تحريم المحرمات علىٰ أنفسهم ، بآرائهم الفاسدة من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ونحو ذلك ، فأمر رسوله أن يخبرهم أنه لا يجد فيما أوحاه اللّٰه إليه أن ذلك محرم ، وإنما حرم ما ذكر في هذه[٥] الآية : من الميتة ، والدم المسفوح ، ولحم الخنزير ، وما أهل لغير اللّٰه به ، وما عدا ذلك فلم يحرم ، وإنما هو عفو مسكوت عنه ، فكيف تزعمون أنتم[٦] أنه حرام ؟ ومن أين حرمتموه ولم يحرمه اللّٰه [٧] ؟ وعلىٰ هذا فلا يبقىٰ تحريم أشياء أخر فيما بعد هذا، كما جاء النهي عن لحوم الحمر الأهلية[٨] ، ولحوم السباع ، وكل ذي مخلب من الطير، علىٰ المشهور من مذاهب العلماء .

وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾

قال ابن جرير : يقول تعالىٰ وحرمنا علىٰ اليهود كل ذي ظفر ، وهو من البهائم والطير ما لم

= ومال إلى تضعيفه الحافظ ابن حجر في « تلخيص الحبير » (١٧٢/٤) قلت : وعلته نميلة الفزاري وابنه فكلاهما « مجهول » ، وإن كان الابن وثقه ابن حبان « الثقات » (٤٨٩/٨) ، ثم إن الراوي عن أبي هريرة مجهول أيضًا ، والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٩٦/٣) إلى ابن مردويه، ولم يعزه لأحمد !! .

---

[١] - في خ ، ز : « خبيثة » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - سقط من: خ ، ز .

يكن مشقوق الأصابع : كالإِبل والنَّعام والأوز والبط .

قال علي بن أبي طلحة(٣٠٨) ، عن ابن عباس : ﴿ **وعلىٰ الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر** ﴾ وهو البعير والنعامة .

وكذا قال مجاهد والسدي في رواية .

وقال سعيد بن جبير : هو الذي ليس بمنفرج الأصابع . وفي رواية عنه : كل [ ][١] مفترق الأصابع ومنه الديك .

وقال قتادة في قوله : ﴿ **وعلىٰ الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر** ﴾ وكان يقال : البعير والنعامة [وأشباهه][٢] من الطير والحيتان . وفي رواية : البعير والنعامة ، وحرم عليهم من الطير البط وشبهه ، وكل شيء ليس بمشقوق الأصابع .

وقال ابن جريج ، عن مجاهد ﴿ **كل ذي ظفر** ﴾ قال : النعامة والبعير شقًّا شقًّا . قلت للقاسم بن أبي بَزَّة : وحدثنيه[٣] ما شقًّا شقًّا ؟ قال : كل [ما لا يفرج من][٤] قوائم البهائم . قال : وما انفرج أكلته اليهود[٥] . قال : انفرجت قوائم البهائم والعصافير . قال : فيهود تأكلها . قال : ولم تنفرج قائمة البعير - خفه - ولا خف النعامة ، ولا[٦] قائمة الوز ، فلا تأكل اليهود الإِبل ولا النعام ولا الوز ، ولا كل شيء لم تنفرج قائمته ، ولا تأكل حمار وحش .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما** ﴾ قال السدي : [يعني الثرب][٧] وشحم الكليتين ، وكانت اليهود تقول[٨] إنه حرمه إسرائيل فنحن نحرمه . وكذا قال ابن زيد .

وقال قتادة : الثرب[٩] ، وكل شحم كان كذلك ليس في عظم .

وقال علي بن أبي طلحة(٣٠٩) ، عن ابن عباس : ﴿ **إلا ما حملت ظهورهما** ﴾ يعني : ما علق بالظهر من الشحوم . وقال السدي وأبو صالح : الإِلية مما حملت ظهورهما[١٠] .

---

(٣٠٨) - أخرجه ابن جرير (١٤٠٩٢/١٢) .

(٣٠٩) - أخرجه ابن جرير (١٤١٠٧/١٢) ، وابن أبي حاتم (٨٠٣٥/٥) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « من » .

[٢] - في « ت ، خ ، ز » « أشياء » والمثبت من تفسير ابن جرير لأنه أقرب للمعنى .

[٣] - في ز : « حدثته » .

[٤] - في خ : «ما لم يفرج بين» .

[٥] - سقط من: خ ، ز .

[٦] - سقط من : ز .

[٧] - ما بين المعكوفتين في ز : « الترب » .

[٨] - في ز : « يقولون » .

[٩] - سقط من: خ ، ز .

[١٠] - في ز : « ظهورها » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **أو الحوايا** ﴾ قال الإمام أبو جعفر بن جرير[١] : الحوايا : جمع واحدها حاوياء[٢] وحاوية وحَويَّة[٣] ، وهي[٤] ما تحَوَّي من البطن [فاجتمع و][٥] استدار ، وهي بنات[٦] اللبن وهي المباعر ، وتسمىٰ المرابض ، وفيها الأمعاء . قال : ومعنىٰ الكلام : ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما [أو ما حملت الحوايا][٧] .

وقال علي بن أبي طلحة(٣١٠) ، عن ابن عباس : ﴿ **أو الحوايا** ﴾ وهي المبعر .

وقال مجاهد : الحوايا المبعر والمربض . وكذا قال سعيد بن جبير ، والضحاك ، وقتادة ، وأبو مالك ، والسدي .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم [وغير واحد][٨] : الحوايا المرابض التي تكون فيها الأمعاء ، تكون وسطها وهي بنات اللبن ، وهي في كلام العرب تدعىٰ المرابض .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **أو ما اختلط بعظم** ﴾ أي : وإلا ما اختلط من الشحوم بالعظام فقد أحللناه لهم .

وقال[٩] ابن جريج : شحم الإلية ما[١٠] اختلط بالعُصْعُص ؛ فهو حلال ، وكل شيء في القوائم والجنب والرأس والعين ، وما اختلط بعظم فهو حلال ونحوه قاله[١١] السدي .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ذلك جزيناهم ببغيهم** ﴾ أي : هذا التضييق إنما فعلناه بهم ، وألزمناهم به مجازاة [لهم][١٢] علىٰ بغيهم ومخالفتهم أوامرنا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل اللَّه كثيرًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وإنا لصادقون** ﴾ أي : وإنا لعادلون فيما جزيناهم به .

وقال ابن جرير[١٣] : وإنا لصادقون فيما أخبرناك به يا محمد ، من تحريمنا ذلك عليهم ، لا

---

(٣١٠) - أخرجه ابن جرير (١٢/١٤١٠٩) ، وابن أبي حاتم (٥/٧٠٣٧) .

---

[١] - في تفسيره (١٢/٢٠٣) .
[٢] - في ز : « حاويا » .
[٣] - سقط من: خ ، ز .
[٤] - في ت : ، وهو .
[٥] - في ز : « مما اجتمع أو » .
[٦] - في ز : « نبات » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٩] - في ز : قال .
[١٠] - سقط من : ز .
[١١] - في ز : « قال » .
[١٢] - من ز .
[١٣] - في تفسيره (١٢/٢٠٦) .

كما زعموا من أن إسرائيل هو الذي حرمه [علىٰ نفسه][١] ، واللَّه أعلم .

وقال عبد اللَّه بن عباس : بلغ عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه أن سمرة باع خمرًا ، فقال : قاتل اللَّه سمرة ، ألم يعلم أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه علية وآله وسلم قال : « **لعن اللَّه اليهود ؛ حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها** » .

أخرجاه(٣١١) من حديث سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن طاوس ، عن ابن عباس ، عن عمر ، به .

وقال الليث : حدثني يزيد بن أبي حبيب ، قال : قال عطاء بن أبي رباح ، سمعت جابر بن عبد اللَّه يقول : [سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول][٢] عام الفتح : « **إن اللَّه ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام** » . فقيل : يا رسول اللَّه ، أرأيت شحوم الميتة ، فإنها[٣] يدهن بها الجلود ، ويطلىٰ بها السفن ، ويستصبح بها الناس ؟ فقال : « **لا ، هو حرام** » . ثم قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم عند ذلك : « **قاتل اللَّه اليهود ، إن اللَّه لما حرم عليهم شحومها ، جملوه ثم باعوه وأكلوا ثمنه** » .

رواه الجماعة من طرق عن يزيد بن أبي حبيب ، به(٣١٢) .

وقال الزهري : عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **قاتل اللَّه اليهود[٤] ، حرمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها[٥]** » . ورواه

(٣١١) - البخاري في كتاب : البيوع ، باب : لا يذاب شحم الميتة ، ولا يُباع وَدَكُهُ .. (٢٢٢٣) ، ومسلم في كتاب : البيوع ، باب : تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام (٧٢) (١٥٨٢) ، وكذا أخرجه أحمد (٢٥/١) ، والنسائي (١٧٧/٧) ، وابن ماجه (٣٣٨٣) من طريق سفيان بن عيينة ، به .

(٣١٢) - أخرجه البخاري ، كتاب : البيوع ، باب : بيع الميتة والأصنام (٢٢٣٦) ، ومسلم ، كتاب : البيوع ، باب : تحريم بيع الخمر ... (٧١)(١٥٨١) ، وأبو داود ، كتاب : البيوع ، باب : في ثمن الخمر والميتة (٣٤٨٦ ، ٣٤٨٧) ، والترمذي ، كتاب : البيوع ، باب : ما جاء في بيع جلود الميتة والأصنام (١٢٩٧) ، والنسائي ، كتاب: الفرع والعتيرة ، باب : النهي عن الانتفاع بشحوم الميتة (١٧٧/٧) كتاب : البيوع ، باب : بيع الخنزير (٣٠٩/٧ ، ٣١٠) ، وابن ماجه : كتاب : التجارات ، باب : ما لا يحل بيعه (٢١٦٧) ، وكذا أحمد (٣٢٤/٣ ، ٣٢٦) من طريق (الليث وعبد الحميد بن جعفر) عن يزيد بن أبي حبيب ، به .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ز : « فإنه » . [٤] - في ز : « يهود » .
[٥] - في ز : « ثمنه » .

البخاري ومسلم جميعًا(٣١٣) : عن عبدان ، عن ابن المبارك ، عن يونس ، عن الزهري ، به .

وقال ابن مردويه(٣١٤) : حدثنا محمد بن عبد اللَّه بن إبراهيم ، حدثنا إسماعيل بن إسحاق ، حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا وهيب ، حدثنا خالد الحذاء ، عن بركة أبي الوليد ، عن ابن عباس : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم كان قاعدًا خلف المقام ، فرفع بصره إلىٰ السماء فقال : « **لعن اللَّه اليهود** - ثلاثًا - ؛ **إن اللَّه حرم عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا ثمنها ، وإن اللَّه لم يحرم علىٰ قوم أكل شيء إلا حرم عليهم ثمنه** » .

وقال الإمام أحمد(٣١٥) : حدثنا علي بن عاصم ، أنبأنا خالد الحذاء ، عن بركة أبي الوليد ، أنبأنا ابن عباس ، قال : كان رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وعلىٰ آله وسلم قاعدًا في المسجد ، مستقبلًا الحِجْر ، فنظر إلىٰ السماء فضحك ، ثم[١] قال : « **لعن اللَّه اليهود ؛ حرمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها ، وإن اللَّه إذا حرم علىٰ قوم أكل شيء حرم عليهم ثمنه** » .

ورواه أبو داود : من حديث خالد الحذاء .

---

(٣١٣) - أخرجه البخاري ، كتاب : البيوع ، باب : لايُذاب شحم الميتة ... (٢٢٢٤) ثنا عبدان به ، وعزو المصنف له من طريق عبدان إلى مسلم سبق قلم ، فمسلم إنما أخرجه - كتاب : البيوع ، باب : تحريم بيع الخمر ... (٧٤) (١٥٨٣) من طريق حرملة بن يحيى . أخبرنا ابن وهب أخبرني يونس به وأخرجه أيضًا (٧٣) (١٥٨٣) من طريق إسحاق بن إبراهيم الحنظلي ، أخبرنا رَوْحُ بن عُبادة ، ثنا ابن جريج ، أخبرني ابن شهاب به ، وانظر « تحفة الأشراف » (١٣١٩٩/١٠ ، ١٣٣٣٧) .

(٣١٤) - **صحيح** ، وعزاه لابن مردويه السيوطي في « الدر المنثور » (١٠٠/٣) - وأخرجه البيهقي في « السنن الكبرى » (١٣/٦ ، ١٤) من طريق إسماعيل بن إسحاق به ، والبخاري في « التاريخ » (١٤٧/٢) من طريق موسى بن إسماعيل ، ثنا وهيب به . وانظر ما بعده .

(٣١٥) - **صحيح** ، « المسند » (٢٤٧/١) (٢٢٢١)- وأخرجه الضياء في « المختارة » (٤٩٤/٩) من طريق أحمد بن منيع ، ثنا علي بن عاصم به ، وعلي بن عاصم : «صدوق يخطئ ويُصِرُّ ، وَرُمِي بالتشيع» « التقريب » - لكنه متابع - كما تقدم ، وكذا أخرجه أحمد (٢٩٢/١ ، ٢٩٣ ، ٣٢٢) (٢٦٧٨ ، ٢٩٦٤) - ومن طريقه الضياء في « المختارة » (٤٩٥/٩ ، ٤٩٦) - وأبو يعلى - ومن طريقه الضياء أيضًا (٤٩٣/٩) - وأبو داود ، كتاب : البيوع ، باب : في ثمن الخمر والميتة (٣٤٨٨) ، والطبراني في « الكبير » (١٢٨٨٧/١٢) ، والدارقطني في « السنن » (٧/٣) ، وابن عبد البر في « التمهيد » (٤٤/٩) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (١٣/٦) ، (٣٥٣/٩) من طرق عن خالد الحذاء به .

---

[١] - سقط من : خ ، ز .

وقال الأعمش(٣١٦) : عن جامع بن شداد ، عن كلثوم ، عن أسامة بن زيد ، قال : دخلنا علىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وعلىٰ آله وسلم وهو مريض نعوده ، فوجدناه نائمًا قد غطىٰ وجهه ببرد عدني ، فكشف عن وجهه وقال[١] : « **لعن اللَّه اليهود ، يحرمون شحوم الغنم ويأكلون أثمانها** » . وفي رواية : « **حرمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها** » .

فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾

يقول تعالىٰ : فإن كذبك[٢] يا محمد مخالفوك من المشركين واليهود ومن شابههم ﴿ **فقل ربكم ذو رحمة واسعة** ﴾ وهذا ترغيب لهم في ابتغاء رحمة اللَّه الواسعة واتباع رضوانه[٣] ﴿ **ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين** ﴾ ترهيب لهم من[٤] مخالفتهم الرسول خاتم النبيين ، وكثيرًا ما يقرن اللَّه تعالىٰ بين الترغيب والترهيب في القرآن ، كما قال تعالىٰ في آخر هذه السورة : ﴿ **إن ربك سريع[٥] العقاب وإنه لغفور رحيم** ﴾ ، وقال : ﴿ **وإن ربك لذو مغفرة للناس علىٰ ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم * وأن عذابي هو العذاب الأليم** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب** ﴾ ، وقال : ﴿ **إن بطش ربك لشديد * إنه هو يبدئ ويعيد * وهو الغفور الودود** ﴾ والآيات في هذا كثيرة جدًّا .

سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ

---

(٣١٦) - **صحيح** ، أخرجه البزار في « مسنده » (٧/رقم ٢٦٠٨) والحاكم في «المستدرك» (١٩٤/٤) من طريق عبيد اللَّه بن موسى ، أنبا شيبان بن عبد الرحمن عن الأعمش به بالرواية الأولى ، وقال البزار : « هذا الحديث لا نعلمه يروى عن أسامة إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد » ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا فإن رجاله ثقات رجال الشيخين حاشا كلثوم الخزاعي وهو ابن علقمة بن ناجية بن المصطلق الخزاعي ثقة ، ويقال : له صحبة - كذا في « التقريب » - والحديث عزاه السيوطي في « الدر المنثور » (١٠٠/٣) إلى ابن مردويه فحسب ، والهندي في « الكنز » (٢٩٨٤) إلى أبي يعلى - ولم أجده في « المطبوع من مسنده » ولا في « المعجم » فلعله في « المسند الكبير » واللَّه أعلم - والهيثم بن كليب ، والحاكم ، وابن منصور .

---

[١] - في ز : « فقال » .
[٢] - في ز : « كذبوك » .
[٣] - في ت : « رسوله » .
[٤] - في ز : « في » .
[٥] - في ز : « لسريع » .

عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾

هذه مناظرة ذكرها اللَّه تعالىٰ ، وشبهة تشبث[١] بها المشركون في شركهم وتحريم ما حرموا ، فإن اللَّه مطلع علىٰ ما هم فيه من الشرك والتحريم لما حرموه ، وهو قادر علىٰ تغييره بأن يلهمنا الإيمان ، أو يحول بيننا وبين الكفر فلم يغيره ، فدل علىٰ أنه بمشيئته وإرادته ورضاه منا ذلك ، ولهذا قالوا[٢] : ﴿ **لو شاء اللَّه ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء** ﴾ ، كما في قوله تعالىٰ : ﴿ **وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم [ما لهم بذلك من علم]**[٣] ﴾ ، وكذلك[٤] الآية التي في النحل[٥] مثل هذه سواء ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **كذلك كذب الذين من قبلهم** ﴾ أي : بهذه الشبهة ضل من ضل قبل هؤلاء ، وهي حجة داحضة باطلة ؛ لأنها لو كانت صحيحة لما أذاقهم اللَّه بأسه ، ودمر عليهم ، وأدال عليهم رسله الكرام ، وأذاق المشركين من أليم الانتقام .

﴿ **قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا** ﴾ أي : بأن اللَّه راض عنكم فيما أنتم فيه ﴿ **فتخرجوه لنا** ﴾ أي : فتظهروه لنا وتبينوه وتبرزوه ﴿ **إن تتبعون إلا الظن** ﴾ أي : الوهم والخيال ، والمراد بالظن هاهنا الاعتقاد الفاسد ﴿ **وإن أنتم إلا تخرصون** ﴾ أي : تكذبون علىٰ اللَّه فيما ادعيتموه .

قال علي بن أبي طلحة(٣١٧) ، عن ابن عباس : ﴿ **ولو شاء اللَّه ما أشركنا** ﴾ ، وقال : ﴿ **كذلك كذب الذين من قبلهم** ﴾ ، ثم قال : ﴿ **ولو شاء اللَّه ما أشركوا** ﴾ فإنهم قالوا عبادتنا الآلهة تقربنا إلىٰ اللَّه زلفىٰ ، فأخبرهم اللَّه أنها لا تقربهم ، وقوله : ﴿ **ولو شاء اللَّه ما أشركوا** ﴾ يقول تعالىٰ : لو شئت لجمعتهم علىٰ الهدىٰ أجمعين .

(٣١٧) - أخرجه ابن جرير (١٤١٢٩/١٢) ، وكذا أخرجه ابن أبي حاتم (٨٠٥١/٥) مختصرًا .

[١] - في ز : « تثبثت » .
[٢] - في ز : « قال » .
[٣] - في ت : « الآية » .
[٤] - في ز : « كذا » .
[٥] - آية رقم (٣٥) .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **قل فللَّهِ الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين** ﴾ يقول تعالىٰ لنبيه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **قل** ﴾ لهم يا محمد ﴿ **فللَّه الحجة البالغة** ﴾ أي : له الحكمة التامة ، والحجة البالغة ، في هداية من هدىٰ ، وإضلال من أضل ﴿ **فلو شاء لهداكم أجمعين** ﴾ فكل[١] ذلك بقدرته ومشيئته واختياره ، وهو مع ذلك يرضىٰ عن المؤمنين ، ويبغض الكافرين ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولو شاء اللَّه لجمعهم علىٰ الهدىٰ** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ولو شاء ربك لآمن من في الأرض** ﴾ ، وقوله : ﴿ **ولو شاء ربك لجعل الناس أمّة واحدة ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين** ﴾ . قال[٢] الضحاك : لا حجة لأحد عصىٰ اللَّه ، ولكن لله الحجة البالغة علىٰ عباده .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **قل هلم شهداءكم** [﴾ أي : أحضروا شهداءكم ﴿][٣] **الذين يشهدون أن اللَّه حرم هذا** ﴾ أي : هذا الذي حرمتموه وكذبتم وافتريتم علىٰ اللَّه فيه ﴿ **فإن شهدوا فلا تشهد معهم** ﴾ أي : لأنهم إنما يشهدون والحالة هذه كذبًا وزورًا ﴿ **ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون** ﴾ أي : يشركون به ويجعلون له عديلًا .

۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

قال داود الأودي(٣١٨) : عن الشعبي ، عن علقمة ، عن ابن مسعود - رضي اللَّه عنه - قال :

---

(٣١٨) - **إسناده ضعيف** ، أخرجه الترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الأنعام (٣٠٧٢) ، وابن أبي حاتم (٨٠٥٦/٥)، والطبراني في « الكبير » (١٠٠٦٠/١٠) ، والبيهقي في « الشعب » (٧٩١٨/٦) من طريق محمد بن فضيل ، عن داود الأودي به ، وقال الترمذي : « حديث حسن غريب » قلت : داود هو ابن يزيد بن عبد الرحمن الأودي ضعفه أحمد ، وابن معين، وأبو داود ، والدارقطني وغيرهم ، وقال النسائي : ليس بثقة ، وقال أبو حاتم : ليس بالقوي ؛ وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١٠٣/٣) إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه .

---

[١] - في ز : « وكل » . [٢] - في ز : « وقال » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

من أراد أن يقرأ صحيفة رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم التي عليها خاتمه فليقرأ هؤلاء الآيات : ﴿ **قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئًا** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **لعلكم تعقلون** ﴾ .

وقال الحاكم في مستدركه(٣١٩) : حدثنا بكر بن محمد الصيرفي بمرو ، حدثنا عبد الصمد بن الفضل، حدثنا مالك بن إسماعيل النهدي، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عبد اللَّه بن خليفة ، قال : سمعت ابن عباس يقول : في الأنعام آيات محكمات هنّ أم الكتاب ؛ ثم قرأ : ﴿ **قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم** ﴾ الآيات .

ثم قال الحاكم[١] : صحيح الإِسناد ولم يخرجاه .

قلت : ورواه زهير وقيس بن الربيع كلاهما ، عن أبي إسحاق ، عن عبد اللَّه بن قيس ، عن ابن عباس به ، واللَّه [٢] أعلم .

وروىٰ الحاكم أيضًا في مستدركه(٣٢٠)[٣]: من حديث يزيد بن هارون ، عن سفيان بن

(٣١٩) - « المستدرك » (٣١٧/٢ ، ٣١٨) وصحح إسناده ووافقه الذهبي ، كذا قالا ، وعبد اللَّه بن خليفة لم يوثقه غير ابن حبان « الثقات » (٢٨/٥) ، وقال الذهبي نفسه في « الميزان » : « لا يعرف » ، وفي « التقريب » مقبول ، لكنه توبع تابعه عبد اللَّه بن قيس أخرجه ابن أبي حاتم (٣١٦٨/٢) من طريق قيس بن الربيع عن أبي إسحاق عنه به - غير أنه ورد فيه « عبد اللَّه بن فلان » بدلًا من « عبد اللَّه بن قيس » - وأخرجه ابن أبي حاتم (٨٠٥٧/٥) والحاكم أيضًا (٢٨٨/٢) من طريق علي بن صالح بن حُييّ ، عن أبي إسحاق ، عن عبد اللَّه بن قيس به ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي لكن إسرائيل اثبت في جده أبي إسحاق من غيره ، والأثر زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٦/٢) من هذه الطريق إلى سعيد بن منصور وابن مردويه . وله طريق أخرى عن ابن عباس عند ابن جرير (٦٥٧٣/٦) ، وابن أبي حاتم (٣١٦٩/٢) لكن في إسناده جهالة ، وأما رواية زهير عن أبي إسحاق التي أشار إليها المصنف، فلم أهتد إليها ولعلها عند سعيد بن منصور أو ابن مردويه من هذه الطريق ، واللَّه تعالى أعلم .

(٣٢٠) - **إسناده ضعيف** ، « المستدرك » (٣١٨/٢) ثنا أبو عبد اللَّه محمد بن عبد اللَّه الصفار ، ثنا محمد بن مسلمة الواسطي ، ثنا يزيد بن هارون به ، ومحمد بن مسلمة هذا ضعيف [انظر « لسان الميزان » (٨١٨٥/٥)] ، لكن تابعه أحمد بن سنان الواسطي ، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ٨٠٧٧) - وسيذكره المصنف من هذه الطريق هنا برقم (٣٥٥) - ومع هذا فإن الإسناد ضعيف أيضًا لضعف سفيان بن حسين هذا في الزهري ، قاله أحمد ، وابن معين ، والنسائي ، وابن عدي ، وابن حبان وغيرهم ، حتى قال ابن حجر في « التقريب » : « ثقة في غير الزهري باتفاقهم » وقد رواه أصحاب الزهري عنه بغير هذا اللفظ انظر الآتي . =

[١] - سقط من : ز . [٢] - في ز : « فاللَّه » .
[٣] - في ز : « مسنده » .

حسين ، عن الزهري ، عن أبي إدريس ، عن عبادة بن الصامت ، قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أيكم يبايعني على ثلاث** » . ثم تلا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم** ﴾ حتى فرغ من الآيات . « **فمن وفىٰ فأجره علىٰ اللَّه ، ومن انتقص منهن شيئًا، فأدركه اللَّه به في الدنيا كانت عقوبته**[١]**، ومن أخر إلىٰ الآخرة فأمره إلىٰ اللَّه ، إن شاء عذبه ، وإن شاء عفا عنه** » .

ثم قال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وإنما اتفقا علىٰ حديث الزهري ، عن أبي إدريس ، عن عبادة : « **بايعوني علىٰ أن لا تشركوا باللَّه شيئًا** .... »(٣٢١) الحديث . وقد روى سفيان بن حسين كلا الحديثين[٢] ، فلا ينبغي أن ينسب إلى الوهم في أحد الحديثين إذا جمع بينهما ، واللَّه أعلم .

وأما تفسيرها : فيقول تعالىٰ لنبيه ورسوله محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين عبدوا غير اللَّه ، وحرموا ما رزقهم اللَّه ، وقتلوا أولادهم ، وكل ذلك فعلوه بآرائهم وتسويل الشياطين لهم ﴿ **قل** ﴾ لهم ﴿ **تعالوا** ﴾ أي : هلموا وأقبلوا ﴿ **أتل ما حرم ربكم عليكم** ﴾ أي : أقص عليكم ، وأخبركم بما حرم ربكم عليكم ، حقًّا لا تخرصًا ولا ظنًّا ، بل وحيًا منه وأمرًا من عنده ﴿ **ألا تشركوا به شيئًا** ﴾ وكأن في الكلام محذوفًا دل عليه السياق ، وتقديره : وأوصاكم ﴿ **ألا تشركوا به شيئًا** ﴾ ولهذا قال في آخر الآية : ﴿ **ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون** ﴾ ، وكما قال الشاعر :

حَجَّ وَأَوْصَىٰ بِسُلَيْمَىٰ الأَعْبُدَا[٣] أَنْ لَا تَرَىٰ ولا تُكَلِّمْ أَحَدًا
وَلَا يَزَلْ[٤] شَرَابُهَا مُبَرَّدا

وتقول العرب : أمرتك أن لا تقوم .

= وقد زاد نسبة الحديث بهذا اللفظ السيوطي في « الدر المنثور » (١٠٣/٣) إلى عبد بن حميد وأبي الشيخ، وابن مردويه .

(٣٢١) - **صحيح** ، يأتي تخريجه [سورة الممتحنة/ آية ١٢] .

---

[١] - في خ : « عقوبة » .
[٢] - لم أهتد لروايته لهذا اللفظ « **بايعوني على أن لا تشركوا** ... » وقول الحاكم : « فلا ينبغي أن ينسب إلى الوهم ... » كان ينبغي على المصنف أن يتعقبه فيه لأن سفيان بن حسين ضعيف في الزهري حتى نقبل روايته ، ومع كونه ضعيف في الزهري ؛ فقد خالف أصحاب الزهري في روايته الحديث عنه ، فتنبه ! .
[٣] - في ز : « الأغبدا » . [٤] - في ز : « يزال » .

وفي الصحيحين(٣٢٢): من حديث أبي ذر - رضي اللّه عنه - قال: قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **أتاني جبريل ، فبشرني أنه من مات لا يشرك باللّه شيئًا من أمّتك دخل الجنة . قلت : وإن زنىٰ وإن سرق ؟ قال : وإن زنىٰ وإن سرق ، قلت : وإن زنىٰ وإن سرق ؟ قال : وإن زنىٰ وإن سرق ، قلت : وإن زنىٰ وإن سرق [وإن شرب الخمر][١] ؟ قال : وإن زنىٰ وإن سرق وإن شرب الخمر** ». وفي بعض الروايات : أن قائل[٢] ذلك إنما هو أبو ذر لرسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم ، وأنه عليه الصلاة والسلام قال في الثالثة : « **وإن رغم أنف أبي ذر** » ، فكان أبو ذر يقول بعد تمام الحديث : وإن رغم أنف أبي ذر .

وفي بعض المسانيد والسنن(٣٢٣) : عن أبي ذر ، قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **يقول اللّه تعالىٰ : « يا بن آدم ، إنك ما دعوتني ورجوتني فإني أغفر لك علىٰ ما كان منك ولا أبالي ، ولو أتيتني بقراب الأرض خطيئة أتيتك بقرابها مغفرة ما لم تشرك بي شيئًا ، وإن أخطأت حتىٰ تبلغ خطاياك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك** » .

ولهذا شاهد في القرآن ، قال اللّه تعالىٰ : ﴿ **إن اللّه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ . وفي صحيح مسلم(٣٢٤) : عن ابن مسعود : « **من مات لا يشرك باللّه شيئًا دخل**

(٣٢٢) - أخرجه البخاري ، كتاب : الجنائز ، باب : في الجنائز ، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا اللّه (١٢٣٧) - وانظر أطرافه في هذا الموضع - ومسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : من مات لا يشرك باللّه شيئًا دخل الجنة ... (١٥٣ ، ١٥٤) (٩٤) ، وكذا أخرجه أحمد (١٥٢/٥ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٦)، والنسائي في « عمل اليوم والليلة » (١١١٦ ، ١١٢٣) .

(٣٢٣) - **حسن لغيره** ، أخرجه أحمد (١٧٢/٥) ، والدارمي في « السنن » (٢٧٩١) وفي إسناده شهر بن حوشب وهو ضعيف من قبل حفظه ، وله شاهد من حديث أنس عند أحمد (٢٣٨/٣) ، والبخاري في « التاريخ الكبير » (٦٥/٢) وأبي يعلى (١٤٧١/٧) وفي إسناده جهالة ، وله طريق آخر عند الترمذي (٣٥٣٤) وحسنه ، وفي إسناده كثير بن فائد لم يوثقه غير ابن حبان (٢٥/٩) ، وشاهد آخر من حديث ابن عباس عند الطبراني في « الكبير » (١٢٣٤٦/١٢) ، و« الأوسط » (٥٤٨٣/٥) ، و« الصغير » (٢٠/٢) ، وفي « الدعاء » (٢/رقم١٩) ، وأبي نعيم في « الحلية » (٣٠١/٤) قال الهيثمي في « المجمع » (٢١٩/١٠) « وفيه إبراهيم بن إسحاق الصيني ، وقيس بن الربيع وكلاهما مختلف فيه ، وبقية رجاله رجال الصحيح » ، وجزؤه الأوسط أصله في صحيح مسلم (٢٢) (٢٦٨٧) من حديث أبي ذر وكذا جزؤه الأخير له شاهد من حديث أبي أيوب وأبي هريرة عند مسلم أيضًا (٢٧٤٨ ، ٢٧٤٩) ، وانظر « الصحيحة » للألباني (١/رقم ١٢٧) .

(٣٢٤) - صيح مسلم كتاب: الإيمان ، باب : من مات لا يشرك باللّه شيئًا دخل الجنة ... (١٥٠) (٩٢) ، وكذا أخرجه البخاري كتاب : الجنائز ، باب : في الجنائز ، ومن كان آخر =

[١] - سقط من : خ ، ز . [٢] - في ز : « القائل » .

الجنة » . والآيات والأحاديث في هذا كثيرة جدًّا . وروىٰ ابن مردويه(٣٢٥) : من حديث عبادة وأبي الدرداء : « **لا تشركوا بالله شيئًا وإن قطعتم أو صلبتم أو حرقتم** » .

وقال ابن أبي حاتم(٣٢٦) : حدثنا محمد بن عوف الحمصي ، حدثنا ابن أبي مريم ، حدثنا نافع ابن يزيد ، حدثني سيار بن عبد الرحمن ، عن يزيد بن قوذر ، عن سلمة بن شريح ، عن عبادة بن الصامت ، قال : أوصانا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بسبع خصال : « [**ألا تشركوا**][١] **بالله شيئًا وإن حرّقتم وقطعتم وصلبتم** » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وبالوالدين إحسانًا** ﴾ أي : وأوصاكم وأمركم بالوالدين إحسانا ، [أي : أن تحسنوا إليهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وقضىٰ ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا**][٢] ﴾، وقرأ بعضهم : (**ووصىٰ ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانًا**) [أي : أحسنوا إليهم][٣] ، و الله تعالىٰ كثيرًا ما[٤] يقرن بين طاعته وبر الوالدين ، كما قال : ﴿ **أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير * وإن جاهداك علىٰ أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا**

= كلامه لا إله إلا الله (١٢٣٨) .

(٣٢٥) - أما حديث عبادة - فيأتي تخريجه بعد هذا - وحديث أبي الدرداء يأتي تخريجه برقم (٣٢٩) .

(٣٢٦) - **إسناده فيه جهالة** ، ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٠٥٨/٥) - ومن طريقه اللالكائي في « شرح أصول الاعتقاد » (٤/رقم ١٥٢٢) - وأخرجه البخاري في « التاريخ الكبير » (٧٥/٤) ، ومحمد بن نصر المروزي في « تعظيم قدر الصلاة» (٩٢٠/٢) من طريق ابن أبي مريم به مطولًا وقال البخاري : « لا يعرف إسناده » قلت : سلمة بن شريح ، قال الذهبي في « الميزان » : « لا يعرف » ، وتبعه ابن حجر في « اللسان » . ويزيد بن قوذر لم يوثقه غير ابن حبان « الثقات » (٧/ ٦٢٦) ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢١٩/٤) وقال : رواه الطبراني وفيه سلمة بن شريح ، قال الذهبي : « لا يعرف ، وبقية رجاله رجال الصحيح » ومع أني لم أقف على إسناد الطبراني فأخشى أن يكون قول الهيثمي الأخير وهمًا ، فإن أبا سعيد بن يونس أخرج الحديث في « تاريخ مصر » [ترجمة سلمة بن شريح] وقال : « لم يحدث بهذا الحديث غير سيار وحده -ولا يحدث عن سلمة غير يزيد بن قوذر » ومن فوق ابن أبي مريم - وهو سعيد بن الحكم ووهم من ظنه نوح بن أبي مريم - ليس لهما في الصحيح شيء ، وقد عزا ابن حجر في « تلخيص الحبير » (١٥٥/٢) الحديث للطبراني ، وضعف إسناده ويأتي تضعيف المصنف له عند رقم (٣٢٩) . لكن للحديث شواهد يتقوى بها يأتي تخريجها عند الرقم المذكور .

---

[١] - في خ : «أن لا نشرك» ، وفي ز : « ألا نشرك » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٤] - سقط من : ز .

معروفًا واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ﴾ . فأمر بالإحسان إليهما وإن كانا مشركين بحسبهما ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا اللَّه وبالوالدين إحسانًا** ﴾ الآية ، والآيات في هذا كثيرة ، وفي الصحيحين(٣٢٧) عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه أنه[١] قال : سألت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أي العمل أفضل[٢] ؟ قال : « **الصلاة علىٰ وقتها** » ، قلت : ثم أي ؟ قال : « **بر الوالدين** » . قلت: ثم أي ؟ قال: « **الجهاد في سبيل اللَّه** ». قال ابن مسعود : حدثني بهن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، ولو استزدته لزادني .

ورویٰ الحافظ أبو بكر بن مردويه بسنده(٣٢٨) : عن أبي الدرداء وعن عبادة بن الصامت ، كل منهما يقول : أوصاني خليلي [رسول اللَّه][٣] صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أطع والديك وإن أمراك أن تخرج لهما من الدنيا فافعل** » .

ولكن في إسناديهما ضعف واللَّه أعلم .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم** ﴾ لما أوصىٰ[٤] تعالىٰ

---

(٣٢٧) - **صحيح** ، تقدم تخريجه [سورة البقرة/آية ٨٣] .

(٣٢٨) - حديث عبادة بن الصامت تقدم تخريجه (٣٢٧) ، أما حديث أبي الدرداء فأخرجه البخاري في « الأدب المفرد » (١٨) ، ومحمد بن نصر المروزي في « تعظيم قدر الصلاة » (٩١١/٢) ، واللالكائي في « شرح أصول الاعتقاد » (١٥٢٤/٤) مطولًا ، وأخرجه ابن ماجه (٣٣٧١ ، ٤٠٣٤) ، والبيهقي في « الشعب » (٥٥٨٩/٥) مختصرًا من طريق راشد أبي محمد الحماني ، عن شهر بن حوشب ، عن أم الدرداء ، عن أبي الدرداء فذكره ، وقال البوصيري : « إسناده حسن، وشهر مختلف فيه » ، وعزاه الهيثمي في « المجمع » (٢٢٠/٤) إلى الطبراني وقال : « وفيه شهر بن حوشب ، وحديثه حسن ، وبقية رجاله ثقات » قلت : الراجح في شهر هذا ضعفه ، وقد ضعف هذا الإسناد ابن حجر في « التلخيص » (١٥٥/٢) لكن للحديث شواهد يتقوى بها منها حديث معاذ بن جبل عند أحمد (٢٣٨/٥) وفي سنده انقطاع ، وأخرجه الطبراني في « الكبير » (٢٠/رقم ١٥٦) ، وفي « الأوسط » (٨٩٥٦/٨) ، والمروزي (٩٢١) وفي إسناده عمرو بن واقد متروك ، وأفحش الهيثمي فيه القول فقال في « المجمع » (٢١٨/٤) - وعزا الحديث لأحمد والطبراني - « ... وإسناد الطبراني متصل ، وفيه عمرو بن واقد القرشي وهو كذاب » ، وشاهد آخر من حديث أميمة مولاة رسول اللَّه -صلى اللَّه عليه وسلم - أخرجه الطبراني (٢٤/رقم ٤٧٩)، والحاكم (٤١/٤) وسكت عنه ، وقال الذهبي : « سنده واهٍ » ، وأبان علة =

---

[١] - سقط من : ز . [٢] - في خ: «أحب إلى اللَّه».
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز . [٤] - في ز : « وصى » .

ببر الآباء والأجداد ، عطف علىٰ ذلك الإحسان إلىٰ الأبناء والأحفاد ، فقال تعالىٰ : ﴿ **ولا تقتلوا أولادكم من إملاق** ﴾ وذلك أنهم كانوا يقتلون أولادهم ، كما سولت لهم الشياطين ذلك ، فكانوا يئدون البنات خشية العار ، وربما قتلوا بعض الذكور خشية[١] الافتقار ، ولهذا ورد[٢] في الصحيحين(٣٢٩) : من حديث عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قلت : يا رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – أي الذنب أعظم ؟ قال : « **أن تجعل لله ندًا وهو خلقك** » ، قلت : ثم أي ؟ قال : « **أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك** » ، قلت : ثم أي ؟ قال : « **أن تزاني حليلة جارك** » ، ثم تلا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **والذين لايدعون مع الله إلهًا آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون [ومن يفعل ذلك يلق أثاما][٣]** ﴾.

وقوله تعالىٰ : ﴿ **من إملاق** ﴾ قال ابن عباس ، وقتادة ، والسدي ، وغيره[٤] : هو الفقر ؛ أي : ولا تقتلوهم من فقركم الحاصل ، وقال في سورة الإسراء[٥] : ﴿ **ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق** ﴾ أي : [لاتقتلوهم خشية][٦] حصول فقر في الآجل ، ولهذا قال هناك[٧] : ﴿ **نحن نرزقهم وإياكم** ﴾ فبدأ برزقهم للاهتمام بهم ، أي : لا تخافوا من فقركم بسببهم فرزقهم علىٰ الله ، وأما هنا[٨] فلما كان الفقر حاصلًا قال : ﴿ **نحن نرزقكم وإياهم** ﴾ لأنه الأهم هاهنا والله أعلم .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن** ﴾ ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا وأن تقولوا علىٰ الله ما لا تعلمون** ﴾ ، وقد تقدم تفسيرها في قوله تعالىٰ : ﴿ **وذروا ظاهر[٩] الإثم وباطنه** ﴾ ، وفي الصحيحين(٣٣٠) : عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لا أحد أغير من الله ؛ من أجل ذلك حرم الفواحش ما**

= ذلك الهيثمي في « المجمع » (٤/٢٢٠) فقال : « فيه يزيد بن سنان الرهاوي وثقه البخاري وغيره والأكثر على تضعيفه ، وبقية رجاله ثقات » ، وشاهد ثالث في حديث أم أيمن عند البيهقي في « السنن » (٧/٣٠٤) لكن فيه انقطاع أيضًا ، وقد صحح الألباني حديث معاذ لهذه الشواهد فانظر « الإرواء » (٧/رقم ٢٠٢٦) .

(٣٢٩) – تقدم تخريجه [سورة البقرة/ آية ١٦٥] .

(٣٣٠) – يأتي تخريجه [سورة الأعراف /آية /٣٣ / ح رقم ٦٦] .

[١] – في ز : « خيفة » .
[٢] – في ز : « جاء » .
[٣] – في ت : « الآية » .
[٤] – سقط من: خ ، ز .
[٥] – في ز : « سبحان » .
[٦] – ما بين المعكوفتين في ز : « خيفة » .
[٧] – في ز : « هنا » .
[٨] – في ز : « في هذه الآية » .
[٩] – في ز : « ظاهرًا من » .

ظهر منها وما بطن » .

وقال عبد الملك بن عمير ، عن ورّاد ، عن مولاه[١] المغيرة ، قال : قال سعد بن عبادة : لو رأيت مع امرأتي رجلًا لضربته بالسيف غير مصفح . فبلغ ذلك رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال : « **أتعجبون من غيرة سعد ؟ فواللَّه لأنا أغير من سعد ، و اللَّه أغير مني ، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن** » . أخرجاه(٣٣١) .

وقال كامل أبو العلاء ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : قيل : يا رسول اللَّه ، إنا نغار ؛ قال : « **واللَّه إني لأغار ، واللَّه أغير مني ، ومن غيرته نهىٰ عن الفواحش** » .

رواه ابن مردويه(٣٣٢) ، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة ، وهو علىٰ شرط الترمذي ، فقد روىٰ بهذا السند : « **أعمار أمتي ما بين الستين إلىٰ السبعين** »(٣٣٣) .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ولا تقتلوا النفس التي حرم اللَّه إلا بالحق** ﴾ وهذا مما نص تبارك وتعالىٰ عن النهي عنه تأكيدًا ، وإلا فهو داخل في النهي عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، فقد جاء في الصحيحين(٣٣٤) : عن ابن مسعود رضي اللَّه تعالىٰ عنه قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه

---

(٣٣١) - أخرجه البخاري ، كتاب : التوحيد، باب : قول النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - «**لا شخص أغيرُ من اللَّه**» (٧٤١٦) وانظر طرفه الآخر عند رقم (٦٨٤٦) - ومسلم ، كتاب : اللعان (ح/١٧/١٤١٩) ، وكذا أخرجه أحمد (٢٤٨/٤) .

(٣٣٢) - **حديث صحيح** ، وعزاه لابن مردويه السيوطي في « الدر المنثور » [(١٥١/٣) سورة الأعراف/آية ٣٣] فحسب - فقصر في عزوه هو والمصنف ، فقد أخرجه أحمد في « المسند » (٢/ ٣٢٦) (٨٣٠٤) ثنا الأسود بن عامر ، أنا كامل به ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٥٧/٦) وقال : « رواه أحمد ورجاله ثقات » وذكره قبل في (٣٣١/٤) وقال : « رواه أحمد ، وفيه كامل أبو العلاء ، وفيه كلام لا يضر وهو ثقة ، وبقية رجاله رجال الصحيح » قلت : تكلم في أبي العلاء هذا ابن سعد فقال : « ليس بذاك » ، وقال ابن حبان : « كان ممن يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل من حيث لا يدرى فبطل الاحتجاج بخبره » ، واستنكر له ابن عدي هذا الحديث بعينه - « الكامل » (٢١٠١/٦) - وقال : « رأيت في بعض رواياته أشياء أنكرتها ، وأرجو أنه لا بأس به » وقال النسائي : ليس بالقوي ، وقال في موضع آخر : ليس به بأس ، ووثقه ابن معين ويعقوب بن سفيان وفي « التقريب » صدوق يخطئ ، وعلى كلٍّ فيشهد للحديث ما تقدم برقم (٣٣٠ ، ٣٣١) .

(٣٣٣) - **صحيح** ، يأتي تخريجه [سورة فاطر/ آية ٣٧] .

(٣٣٤) - **صحيح** ، تقدم تخريجه [سورة النساء/ آية ٩٢] .

---

[١] - في ز ، خ : « مولى » .

وسلم : « **لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا اللَّه وأني رسول اللَّه ، إلا بإحدىٰ ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة** » .

وفي لفظ لمسلم[١] : « **والذي لا إله غيره ، لا يحل دم رجل مسلم** » . وذكره ، قال الأعمش : فحدثت به إبراهيم ، فحدثني عن الأسود ، عن عائشة بمثله .

وروىٰ أبو داود والنسائي(٣٣٥) : عن عائشة رضي اللَّه عنها : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدىٰ ثلاث خصال : زان محصن يرجم ، ورجل قتل رجلًا**[٢] **متعمدًا فيقتل ، ورجل يخرج من الإسلام و**[٣]**حارب اللَّه ورسوله فيقتل ، أو يصلب ، أو ينفىٰ من الأرض** » . وهذا لفظ النسائي .

وعن أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي اللَّه عنه - : أنه قال وهو محصور : سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « **لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدىٰ ثلاث : رجل كفر بعد إسلامه**[٤] **، أو زنىٰ بعد إحصانه ، أو قتل نفسًا بغير نفس** » ؛ فو اللَّه ما زنيت في جاهلية ولا إسلام ، ولا تمنيت أن لي بديني بدلًا منه بعد إذ هداني اللَّه ، ولا قتلت نفسًا ، فبم تقتلونني . رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة(٣٣٦) ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن .

---

(٣٣٥) - **صحيح** ، أخرجه أبو داود، كتاب : الحدود ، باب : الحكم فيمن ارتد (٤٣٥٣) ، والنسائي ، كتاب : تحريم الدم ، باب : الصلب (٧/١٠١ ، ١٠٢) ، كتاب : القسامة ، باب : سقوط القود من المسلم للكافر (٨/٢٣) بإسناد صحيح على شرط الشيخين ، وأخرجه أحمد (٦/ ٥٨ ، ١٨١ ، ٢٠٥ ، ٢١٤) ، والنسائي (٧/٩١) ، والطيالسي (١٤٧٤) ، وإسحاق بن راهويه في مسنده (٣/١٠٦٠ ، ١٠٦١) ، وأبو يعلى (٨/٤٦٧٦) وغيرهم بلفظ آخر ، وإسناد هذا اللفظ فيه جهالة ، وانظر « إرواء الغليل » (٧/٢١٩٦) .

(٣٣٦) - **صحيح** ، أخرجه أحمد (١/٦١ - ٦٢ ، ٧٠) ، والترمذي (٢١٥٩) ، والنسائي (٧/٩١ ، ٩٢) ، وابن ماجه (٢٥٣٢) ، وكذا أخرجه الشافعي (٣١٨ ، ٣١٩) ، والطيالسي (٧٢) ، والدارمي (٢٣٠٢) ، وأبو داود (٤٥٠٢) ، وابن الجارود (٨٣٦) ، والبغوي في « شرح السنة » (١٠/٢٥١٨) ، وحسنه الترمذي لكنه أعله بالوقف والذين رفعوه ثقات فلا يضره من أوقفه - انظر « الإرواء » للألباني (٧/٢١٩٦) - وقد صححه الحاكم على شرط الشيخين (٤/٣٥٠) ووافقه الذهبي .

---

[١] - في صحيحه ، ك : القسامة والمحاربين والقصاص والديات ، ب : ما يباح به دم المسلم (٢٦) (١٦٧٦) .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - في ز : « الإسلام » .

وقد جاء النهي والزجر والوعيد في قتل المعاهد ، وهو المستأمن من أهل الحرب ، كما رواه البخاري(٣٣٧) : عن عبد اللّٰه بن عمرو رضي اللّٰه عنهما ، عن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال : « **من قتل معاهدًا لم يَرِح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد**[١] **من مسيرة أربعين عامًا** » .

وعن أبي هريرة - رضي اللّٰه عنه - عن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال : « **من قتل معاهدًا له ذمة اللّٰه وذمة رسوله ، فقد أخفر بذمة اللّٰه ، فلا يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين**[٢] **خريفًا** » .

رواه ابن ماجه والترمذي(٣٣٨)[٣] وقال : حسن صحيح .

(٣٣٧) - كتاب : الديات ، باب : إثم من قتل ذميًا بغير جرم (٦٩١٤) ، وأخرجه أيضًا في كتاب : الجزية والموادعة ، باب : إثم من قتل معاهدًا بغير جرم (٣١٦٦) ، وكذا أخرجه أحمد (٢/١٨٦) ، والنسائي (٨/٢٥) ، وابن ماجه (٢٦٨٦) .

(٣٣٨) - **ضعيف بهذا اللفظ** ، **وصح بلفظ آخر** ، أخرجه ابن ماجه ، كتاب : الديات ، باب : من قتل معاهدًا (٢٦٨٧) ، والترمذي ، كتاب : الديات ، باب : ما جاء فيمن قتل نفسًا معاهدة (١٤٠٣) ، وأبو يعلى في « المسند » (١١/٦٤٥٢) من طريق مَعْدِيٍّ بن سليمان ، عن ابن عجلان ، عن أبيه ، عن أبي هريرة به ، وقال الترمذي : « حديث أبي هريرة حسن صحيح ، وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم » ، وصححه الحاكم على شرط مسلم (٢/١٢٧) ووافقه الذهبي ، وكذا صحح إسناده الألباني في « الصحيحة » (٥/٢٣٥٦) مع أن معدي بن سليمان هذا لم يخرج له مسلم وقد ضعفه النسائي ، وقال البخاري : منكر الحديث ذاهب ، وقال أبو زرعة : واهي الحديث ، يُحدِّث عن ابن عجلان بمناكير ، وذكره ابن حبان وابن الجوزي في جملة الضعفاء ثم وجدت الشيخ الألباني قد أعل الحديث به في «غاية المرام» (٤٥٠) . لكن للجزء الأخير منه شاهد من حديث عبد اللّٰه بن عمرو عند أحمد (٢/١٧١ ، ١٩٤) وإسناده صحيح وشاهد آخر عند أحمد (٤/٢٣٧) (٥/٣٦٩) ، والنسائي (٤/٢٢١) وسنده صحيح كذلك ، وقد ورد الحديث من وجه آخر عن أبي هريرة - كما أشار إلى ذلك الترمذي - فأخرجه الطبراني في « الأوسط » (١/رقم ٦٦٣) من طريق مُعَلَّل بن نفيل ، عن عيسى بن يونس ، عن عوف الأعرابي ، عن محمد بن سيرين ، عنه مرفوعًا بلفظ « **من قتل نفسًا معاهدة بغير حقها لم يَرِح رائحة الجنة ، وإن ريح الجنة توجد من مسيرة مائة عام** » . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٦/ ٢٩٧) وقال: « رواه الطبراني في «الأوسط » عن شيخه أحمد بن القاسم ولم أعرفه - وهو متابع - وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح غير معلل ابن نفيل وهو ثقة » . قلت : وأخرجه الطبراني أيضًا في « الأوسط » (٨/٨٠١١) ثنا موسى بن هارون ، نا محمد بن مهران ، عن عيسى بن يونس ، به =

[١] - في ز : « يوجد » . [٢] - في ز : « خمسين » .

[٣] - تنبيه : في كتاب « صفة الجنة » (ص١٤٢/ط دار ابن كثير) للمصنف جاء عزو هذا الحديث إلى أبي داود والترمذي ، وعزوه إلى أبي داود خطأ فليستدرك من هنا ، وباللّٰه التوفيق .

وقوله : ﴿ **ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون** ﴾ أي : هذا ما وصاكم به لعلكم تعقلون [عن الله][١] أمره ونهيه .

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾

قال عطاء بن السائب : عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما أنزل الله ﴿ **ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن** ﴾ و ﴿ **إن الذين يأكلون أموال اليتامىٰ ظلمًا** ﴾ الآية ، فانطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه ، وشرابه من شرابه ، فجعل يفضل الشيء فيحبس له حتىٰ يأكله أو[٢] يفسد ، فاشتد ذلك عليهم ، فذكروا ذلك لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فأنزل الله : ﴿ **ويسئلونك عن اليتامىٰ قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم** ﴾ قال : فخلطوا طعامهم بطعامهم ، وشرابهم بشرابهم . رواه أبو داود(٣٣٩) .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **حتىٰ يبلغ أشده** ﴾ قال الشعبي ، ومالك ، وغير واحد من السلف : يعني حتىٰ يحتلم .

وقال السدي : حتىٰ يبلغ ثلاثين سنة . وقيل : أربعون سنة . وقيل : ستون سنة . قال : وهذا كله بعيد هاهنا ، والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ **وأوفوا الكيل والميزان بالقسط** ﴾ يأمر تعالى بإقامة العدل في الأخذ والإعطاء كما توعد على تركه في قوله تعالىٰ : ﴿ **ويل للمطففين * الذين إذا اكتالوا علىٰ الناس يستوفون * وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون * ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون * ليوم عظيم * يوم يقوم الناس لرب العالمين** ﴾ ، وقد أهلك الله أمة من الأمم كانوا يبخسون المكيال والميزان .

= وقد صحح الضياء - كما في « صفة الجنة » للمصنف (ص ١٤٢) - حديث أبي هريرة من هذا الوجه فقال : « هو عندي على شرط الصحيح » ، ووافقه الألباني في « الصحيحة » .

(٣٣٩) - « السنن » كتاب : الوصايا ، باب : مخالطة اليتيم في الطعام (٢٨٧١) . وتقدم تخريجه [سورة البقرة/آية ٢٢٠] .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « عنه » . [٢] - في ز : « و » .

وفي كتاب الجامع لأبي عيسىٰ الترمذي(٣٤٠) : من حديث الحسين بن قيس أبي علي الرحبي ، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لأصحاب الكيل والميزان: « **إنكم وليتم أمرًا هلكت فيه الأمم السالفة قبلكم** ». ثم قال: لا نعرفه مرفوعًا إلا من حديث الحسين، وهو ضعيف في الحديث، وقد روي بإسناد صحيح عن ابن عباس موقوفًا .

قلت : وقد رواه ابن مردويه في تفسيره(٣٤١) : من حديث شريك ، عن الأعمش ، عن سالم ابن أبي الجعد ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إنكم معشر الموالي قد بشركم الله بخصلتين بها هلكت القرون المتقدمة : المكيال ، والميزان** » .

وقوله تبارك وتعالىٰ : ﴿ **لا [نكلف نفسًا][١] إلا وسعها** ﴾ أي : من اجتهد في أداء الحق وأخذه ، فإن أخطأ بعد استفراغ وسعه وبذل جهده[٢] فلا حرج عليه .

وقد روىٰ ابن مردويه(٣٤٢) : من حديث بقية ، عن مبشر بن عبيد، عن عمرو بن ميمون بن

---

(٣٤٠) - **ضعيف مرفوعًا ، وصح موقوفًا** . جامع الترمذي كتاب : البيوع ، باب : ما جاء في المكيال والميزان (١٢١٧) - ومن طريقه ابن الجوزي في « العلل المتناهية » (٢/رقم ٩٧٢) ، وأخرجه الطبراني في « الكبير» (١١/١١٥٣٥) و وابن عدي في « الكامل » (٢/٧٦٣) ، والحاكم (٢/ ٣١) ، والبيهقي في « الكبرى » (٦/٣٢) ، وفي « الشعب » (٤/٥٢٨٨) من طريق الحسين بن قيس أبي علي الرحبي به ، وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » فتعقبه الذهبي بقوله : « حسين بن قيس ضعفوه » ، وكذا تعقبه الحافظ المنذري في « الترغيب » (٢/٥٦٨) فقال - عقب قول الحاكم - « كيف ! وحسين بن قيس متروك والصحيح عن ابن عباس موقوف ، كذا قال الترمذي وغيره » ، وقال البيهقي في « الكبرى » : « أسنده أبو علي حنش ، ووفقه غيره ، من وجه آخر عن ابن عباس » ثم أخرجه هنا من طريق عبد الله بن نمير في « الشعب » (٤/٥٢٨٧) من طريق يعلى بن عبيد كلاهما عن الأعمش ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن كريب عنه بنحوه موقوفًا ، وهذا إسناد صحيح واختلف فيه على الأعمش فرواه الثقات عنه هكذا أخطأ فيه شريك عنه فرواه مرفوعًا وهو الآتي .

(٣٤١) - **كسابقه** ، وعزاه لابن مردويه السيوطي في « الدر المنثور » (٣/١٠٥) - وشريك هو ابن عبد الله القاضي ، سيئ الحفظ ، وقد أخطأ في رفعه ، انظر السابق .

(٣٤٢) - **مرسل وإسناده ضعيف جدًا** ، وعزاه لابن مردويه السيوطي في « الدر المنثور » (٣/١٠٥) ومبشر بن عبيد هذا هو القرشي ، أبو حفص الحمصي قال أحمد : « روى عنه بقية ، وأبو المغيرة ، أحاديث موضوعة كذب » . وقال البخاري : « منكر الحديث » ، وكذا قال أبو حاتم ، وقال أبو زرعة : « هو عندي ممن يكذب » . وتركه الدارقطني وغيره « تهذيب الكمال » (٢٧/ت ٥٧٦٩) .

---

[١] - في ز : « تكلف نفس » . [٢] - في ز : « وجهه » .

مهران، عن أبيه، عن سعيد بن المسيب قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: ﴿ **وأوفو الكيل والميزان بالقسط لا [نكلف نفسًا][١] إلا وسعها** ﴾ فقال: « **من أوفىٰ علىٰ يده في [الكيل والميزان][٢]، و الله يعلم صحة نيته بالوفاء فيهما لم يؤاخذ، وذلك تأويل وسعها** ».
هذا مرسل غريب.

وقوله: ﴿ **وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربىٰ** ﴾ كقوله[٣]: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط** ﴾ الآية[٤]، وكذا التي[٥] تشبهها في سورة النساء، يأمر تعالىٰ بالعدل [في الفعال والمقال، علىٰ القريب والبعيد، و الله تعالىٰ يأمر بالعدل][٦] لكل أحد في كل وقت وفي كل حال.

وقوله[٧]: ﴿ **وبعهد الله أوفوا** ﴾ قال ابن جرير[٨]: يقول وبوصية الله التي أوصاكم بها فأوفوا، وإيفاء [لذلك بأن][٩] تطيعوه فيما أمركم ونهاكم، وتعملوا بكتابه وسنة رسوله، وذلك هو الوفاء بعهد الله.

﴿ **ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون** ﴾ يقول تعالىٰ: هذا وصاكم به، وأمركم به، وأكد عليكم فيه ﴿ **لعلكم تذكرون** ﴾ أي: تتعظون وتنتهون عما[١٠] كنتم فيه من قبل، هذا وقرأ بعضهم بتشديد الذال، وآخرون بتخفيفها.

وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾

قال علي بن أبي طلحة(٣٤٣)، عن ابن عباس في[١١] قوله: ﴿ **فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** ﴾، وفي[١٢] قوله: ﴿ **أن[١٣] أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** ﴾ ونحو هذا في القرآن، قال: أمر الله المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنه

(٣٤٣) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤١٦٦/١٢).

[١] - في ز: « تكلف نفس ».
[٢] - سقط من: خ، ز.
[٣] - في ز: « كما قاله تعالى ».
[٤] - سقط من: ز.
[٥] - في ز: « الذي ».
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.
[٧] - سقط من: ز.
[٨] - في تفسيره (٢٢٦/١٢، ٢٢٧).
[٩] - في ز: « ذلك أن ».
[١٠] - في ز: « مما ».
[١١] - سقط من: ز.
[١٢] - سقط من: ز.
[١٣] - سقط من: ز.

إنما[١] هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله .

ونحو هذا قاله مجاهد وغير واحد .

وقال الإمام أحمد بن حنبل(٣٤٤) : حدثنا الأسود بن عامر شاذان، حدثنا أبو بكر - هو ابن عياش - عن عاصم - هو ابن أبي النجود - عن أبي وائل ، عن عبد الله - هو ابن مسعود رضي الله عنه - قال : خط رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، خطًا بيده ثم قال : « **هذا سبيل الله مستقيمًا** » ، وخط عن يمينه وشماله ، ثم قال : « **هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه** » ، ثم قرأ : ﴿ **وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** ﴾ .

وكذا رواه الحاكم(٣٤٥) : عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن أبي بكر بن عياش به . وقال : صحيح ولم يخرجاه .

وهكذا رواه أبو جعفر الرازي ، وورقاء ، وعمرو بن أبي قيس ، عن عاصم ، عن أبي وائل شقيق بن سلمة ، عن ابن [مسعود مرفوعًا به][٢] نحوه .

وكذا رواه يزيد بن هارون ومسدد(٣٤٦) والنسائي(٣٤٧) - عن يحيى بن حبيب بن عربي - وابن حبان(٣٤٨) - من حديث ابن وهب - أربعتهم[٣] ، عن حماد بن زيد ، عن عاصم ، عن

(٣٤٤) - « المسند » (٤٦٥/١) (٤٤٣٧/شاكر) .

(٣٤٥) - « المستدرك » (٣١٨/٢) وصححه ، ووافقه الذهبي ، وسنده حسن ، رجاله ثقات غير عاصم بن بهدلة بن أبي النجود ، فهو « صدوق له أوهام » ، وقد تابع أبا بكر بن عياش عليه جماعة وهم :

١ - أبو جعفر الرازي وورقاء - كما قال المصنف - ولم أهتد لروايتهما فيما بين يدي من مصادر .

٢ - عمرو بن أبي قيس عند ابن أبي حاتم في « التفسير » (٨١٠٢/٥) .

٣ - حماد بن زيد وهو الآتي من (٣٤٤ : ٣٤٨) .

(٣٤٦) - أخرجه أحمد في « المسند » (٤٣٥/١) (٤١٤٢) ، واللالكائي في « شرح أصول الاعتقاد » (١/رقم ٩٤) من طريق يزيد بن هارون ، وطريق مسدد لم أهتد إليه .

(٣٤٧) - في التفسير من « الكبرى » (١١١٧٤/٦) .

(٣٤٨) - في صحيحه (١/رقم ٧) .

[١] - في ز : « لما » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « مسعود به مرفوعًا » .

[٣] - يزيد بن هارون ومسدد ويحيى بن حبيب وابن وهب .

أبي وائل ، عن ابن مسعود به .

وكذا رواه ابن جرير(٣٤٩) : عن المثنى ، عن الحماني ، عن حماد بن زيد به . [ ][١] ورواه الحاكم(٣٥٠) : عن أبي بكر بن إسحاق ، عن إسماعيل بن إسحاق القاضي ، عن سليمان بن حرب ، عن حماد بن زيد ، به ، كذلك ، وقال : صحيح ولم يخرجاه .

وقد روى هذا الحديث النسائي والحاكم(٣٥١) : من حديث أحمد بن عبد الله بن يونس ، عن أبي بكر بن عياش ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله بن مسعود ، به ، مرفوعًا .

وكذا رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه(٣٥٢) : من حديث يحيى الحماني ، عن أبي بكر بن عياش ، عن عاصم ، عن زر ، به .

فقد صححه الحاكم كما رأيت من الطريقين ، ولعل هذا الحديث عند عاصم بن أبي النجود ، عن زر ، وعن أبي وائل شقيق بن سلمة كلاهما ، عن ابن مسعود ، به ، و الله أعلم .

وقال الحاكم[٢] : وشاهد هذا الحديث حديث الشعبي عن جابر من وجه غير معتمد .

---

(٣٤٩) - في تفسيره (١٤١٦٨/١٢) ، والحماني هو يحيى بن عبد الحميد « حافظ إلا أنهم اتهموه بسرقة الحديث » وهو متابع كما تقدم ويأتي ، وأخرجه أحمد (٤٣٥/١) (٤١٤٢) ، والدارمي (٢٠٨) وابن أبي عاصم في « السنة » (١/رقم ١٧) ، والبزار في « المسند » (١٧١٨/٥) ، وابن حبان في «الصحيح» (١/رقم ٦) ، وابن أبي زَمَنِين في « أصول السنة » (ص ٣٦) ، والهيثم بن كليب في مسنده (٥٣٥ ، ٥٣٦) ومحمد بن نصر المروزي في « السنة » (١١) ، واللالكائي في « شرح أصول الاعتقاد » (١/رقم ٩٢ ، ٩٣) والبغوي في « شرح السنة » (١/رقم ٩٧) من طرق عن حماد بن زيد به ، وانظر ما بعده .

(٣٥٠) - « المستدرك » (٣١٨/٢) ومن طريق سليمان بن حرب عن حماد به ، وأخرجه الآجري في « الشريعة » (١/رقم١٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢٦٣/٦) ، وأخرجه الطيالسي في مسنده (٢٤٤) ثنا حماد بن زيد به .

(٣٥١) - أخرجه النسائي في « التفسير » من « الكبرى » (١١١٧٥/٦) ، والحاكم (٢٣٨/٢ ، ٢٣٩) وقال : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي ، وأخرجه ابن بطة في « الإبانة » (١/رقم ١٢٦) من طريق أحمد بن عبد الله بن يونس به ، والآجري في « الشريعة » (١/رقم ١١) من طريق أبي هشام الرفاعي ، عن أبي بكر به .

(٣٥٢) - وعزاه لابن مردويه السيوطي في « الدر المنثور » (١٠٦/٣) - وأخرجه ابن بطة في « الإبانة » (١/رقم ١٢٨) من طريق يحيى الحماني به مقرونًا بأبي بكر بن عياش =

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « الحماني عن حماد بن زيد به » .
[٢] - المستدرك (٣١٨/٢) .

يشير إلىٰ الحديث الذي قال الإمام أحمد[١] وعبد بن حميد [ ][٢] واللفظ لأحمد(٣٥٣): حدثنا عبد اللَّه بن محمد - وهو أبوبكر بن أبي شيبة - أنبأنا أبو خالد الأحمر ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن جابر قال : كنا جلوسًا عند النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فخط خطًّا هكذا أمامه ، فقال : « **هذا سبيل اللَّه** » وخطين عن يمينه ، وخطين عن شماله ، وقال : « **هذه سبيل الشيطان** » . ثم وضع يده في الخط الأوسط ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ **وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون** ﴾ .

ورواه ابن ماجة في كتاب[٣] السنة من سننه والبزار ، عن أبي سعيد عبد اللَّه بن سعيد ، عن

= أبو عوانة ، وأخرجه ابن بطة أيضًا (١/رقم ١٢٧) من طريق سليمان بن حرب ، ثنا حماد بن زيد عن عاصم ، عن زر به ، وجميع الطرق التي ذكرها المصنف مدارها على عاصم بن أبي النجود وهو صدوق له أوهام ، لكنه توبع تابعه سليمان الأعمش عن أبي وائل ، عن عبد اللَّه به ، أخرجه البزار في مسنده (٥/رقم ١٦٩٤) ثنا أبو موسى - محمد بن المثنى - نا محمد بن حازم ، عن الأعمش به ، وهذا إسناد صحيح رجاله رجال الشيخين إلا أنهم تكلموا في البزار نفسه فجرحه النسائي ، وقال أبو أحمد الحاكم : « يخطئ في الإسناد والمتن » وكذا قال الدارقطني وقال أبو الشيخ : « غرائب حديثه وما ينفرد به كثير » وأخرجه أيضًا من طريق جرير ، عن منصور ، عن أبي وائل به (٥/رقم ١٦٧٧) ، وله طريق آخر عنده (١٨٦٥/٥) بإسناد رجاله ثقات حاشا البزار فمتكلم في حفظه - كما تقدم - وعلى كلٍ فمثل هذه الطرق وإن لم تكن صحيحة بذاتها فهي شواهد لطريق عاصم بن أبي النجود ، والحديث قد صححه ابن حبان ، والحاكم ووافقه الذهبي ، وحسن إسناده الألباني في « السنة » لابن أبي عاصم (١/رقم ١٧) وله شاهد من حديث جابر بن عبد اللَّه وهو الآتي .

(٣٥٣) - **إسناده ضعيف ، وهو صحيح بما قبله** ، والحديث في « المسند » لأحمد (٣٩٧/٣) ، وفي « المنتخب » لعبد بن حميد (١١٤١) - ومن طريق أحمد أخرجه ابن بطة في « الإبانة » (١/رقم ١٢٩) - وأخرجه ابن أبي عاصم في « السنة » (١/رقم ١٦) ثنا أبو بكر بن أبي شيبة به . وأخرجه ابن ماجه في المقدمة ، باب : اتباع سنة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم (رقم ١١) ، والبزار (٣/ ٢٢١٠ - كشف الأستار) ، وابن أبي حاتم في « التفسير » (٨١٠١/٥) ، والآجري في « الشريعة » (١/رقم ١٣) ، وابن مردويه كما قال المصنف ، - وعزاه له السيوطي في « الدر المنثور » (١٠٦/٣) - من طريق عبد اللَّه بن سعيد أبي سعيد الأشج الكندي ، ثنا أبو خالد به ، وأخرجه اللالكائي في « أصول الاعتقاد » (١/رقم ٩٥) من طريق حفص - ابن غياث - عن مجالد به ، ومجالد هو ابن سعيد ليس بالقوي ، ولا بأس به في الشواهد وهذا منها .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « جميعًا » . [٣] - سقط من : ز .

أبي[١] خالد الأحمر ، به .

قلت : ورواه الحافظ ابن مردويه من طريقين : عن أبي سعيد الكندي ، حدثنا أبوخالد ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن جابر ، قال : خط رسول اللَّه خطًّا ، وخط عن يمينه خطًّا ، وخط عن يساره خطًّا ، ووضع يده على الخط الأوسط ، وتلا هذه الآية : ﴿ **وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه** ﴾ .

ولكن العمدة على حديث ابن مسعود ، مع ما فيه من الاختلاف إن كان مؤثرًا ، وقد روي موقوفًا عليه .

وقال ابن جرير(٣٥٤) : حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن[٢] أبان : أن رجلًا قال لابن مسعود : ما الصراط المستقيم ؟ قال : تركنا محمد صلى اللَّه عليه وسلم في أدناه ، وطرفه في الجنة ، وعن يمينه جواد ، وعن يساره جواد ، و[٣]ثمَّ رجال يدعون من مر بهم ، فمن أخذ في تلك الجوادّ انتهت به إلى النار ، ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة . ثم قرأ ابن مسعود : ﴿ **وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** ﴾ الآية .

وقال ابن مردويه(٣٥٥) : حدثنا أبو عمرو ، حدثنا محمد بن عبد الوهاب ، حدثنا آدم ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، حدثنا [أبان بن أبي عياش][٤]، عن مسلم بن أبي عمران ، عن عبد اللَّه بن عمر : سأل عبد اللَّه عن الصراط المستقيم ؟ فقال ابن مسعود : تركنا محمد صلى اللَّه عليه وسلم في أدناه وطرفه في الجنة . وذكر تمام الحديث كما تقدم و اللَّه أعلم .

وقد روي من حديث النواس بن سمعان نحوه .

---

(٣٥٤) - **إسناده ضعيف جدًّا** . ابن جرير في تفسيره (١٤١٧٠/٢) وفيه جهالة الراوي عن ابن مسعود، وأبان هو ابن أبي عياش: « متروك » ، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٢٣/٢) عن أبان بن أبي عياش به .

(٣٥٥) - **كسابقه** ، وعزاه لابن مردويه السيوطي في « الدر المنثور » (١٠٦/٣) وأبان بن أبي عياش « متروك » كما تقدم في السابق .

---

[١] - سقط من : ز . [٢] - في ز : « بن » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - في « ت ، خ ، ز » : « أبان بن عياش » والمثبت من ترجمته في « التهذيب » وغيره من كتب الرجال .

قال الإمام أحمد(٣٥٦) : حدثني الحسن بن سوار أبو العلاء ، حدثنا ليث - يعني ابن سعد - عن معاوية بن صالح ، أن عبد الرحمن بن جبير بن نفير حدثه ، عن أبيه ، عن النواس بن سمعان ، عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **ضرب اللَّه مثلًا صراطًا مستقيمًا ، وعن جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة ، وعلىٰ الأبواب ستور مرخاة ، وعلىٰ باب الصراط داع يقول : يا أيها الناس ، ادخلوا الصراط المستقيم جميعًا[١] ولا تتفرجوا[٢] ، وداع يدعو من جوف الصراط ، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئًا من تلك الأبواب ، قال : ويحك لا تفتحه ، فإنك إن تفتحه تلجه . فالصراط : الإسلام ، والسوران : حدود اللَّه ، والأبواب المفتحة : محارم اللَّه ، وذلك الداعي علىٰ رأس الصراط : كتاب اللَّه ، والداعي من فوق الصراط[٣] : واعظ اللَّه في قلب كل مسلم** » .

ورواه الترمذي والنسائي : عن علي بن حجر ، زاد النسائي وعمرو بن عثمان كلاهما ، عن بقية بن الوليد ، عن بحير بن سعد ، عن خالد بن معدان ، عن جبير بن نفير ، عن النواس بن سمعان به . وقال الترمذي : حسن غريب .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **فاتبعوه ولا تتبعوا السبل** ﴾ إنما وحد سبيله ؛ لأن الحق واحد ، ولهذا جمع السبل[٤] ؛ لتفرقها وتشعبها ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **اللَّه ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلىٰ النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلىٰ الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم(٣٥٧) : حدثنا أحمد بن سنان الواسطي ، حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا سفيان بن حسين ، عن الزهري ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن عبادة بن الصامت ، قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أيكم يبايعني علىٰ هذه الآيات الثلاث ؟** » . ثم تلا : ﴿ **قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم** ﴾ حتىٰ فرغ من ثلاث آيات[٥] ، ثم قال : « **ومن وفىٰ بهن [فأجره علىٰ][٦] اللَّه ، ومن انتقص منهن شيئًا [فأدركه اللَّه][٧] في الدنيا كانت عقوبته ،**

(٣٥٦) - **صحيح** ، « المسند » (١٨٢/٤) ، وذكره المصنف عند تفسير [آية رقم (٦) من سورة الفاتحة] كما هنا وخرج هناك .

(٣٥٧) - **إسناده ضعيف لضعف سفيان بن حسين في الزهري** ، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ٨٠٧٧) وقد تقدم تخريجه هنا برقم (٣٢١) .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « تفرجوا » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « الآيات » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « أجره » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز : « أدركه » .

ومن أخره إلىٰ الآخرة كان أمره إلىٰ اللَّه ؛ إن شاء أخذه ، وإن شاء عفا عنه » .

ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾

قال ابن جرير[١] : ﴿ **ثم آتينا موسىٰ الكتاب** ﴾ تقديره : ثم قل يا محمد مخبرًا عنا : بأنا آتينا موسىٰ الكتاب ، بدلالة قوله : ﴿ **قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم** ﴾ .

قلت : وفي هذا نظر ، و« **ثم** » هاهنا إنما هي لعطف الخبر بعد الخبر ، لا للترتيب هاهنا ، كما قال الشاعر :

قل لمن ساد ثم ساد أبوه ثم قد[٢] ساد قبل ذلك جده

وهاهنا لما أخبر اللَّه سبحانه عن القرآن بقوله : ﴿ **وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه** ﴾ عطف بمدح[٣] التوراة [ورسولها ، فقال : ﴿ **ثم آتينا موسىٰ الكتاب** ﴾ وكثيرًا ما يقرن سبحانه بين ذكر القرآن والتوراة][٤] ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ومن قبله كتاب موسىٰ إمامًا ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانًا عربيًا** ﴾ ، وقوله أول هذه السورة : ﴿ **قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسىٰ نورًا وهدًى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرًا** ﴾ الآية ، وبعدها : ﴿ **وهذا كتاب أنزلناه مبارك** ﴾ الآية ، وقال تعالىٰ مخبرًا عن المشركين : ﴿ **فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسىٰ** ﴾ ، قال تعالىٰ : ﴿ **أو لم يكفروا بما أوتي موسىٰ من قبل قالوا سحران[٥] تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون** ﴾ ، وقال تعالىٰ مخبرًا عن الجن أنهم قالوا : ﴿ **يا قومنا إنا سمعنا كتابًا أنزل من بعد موسىٰ مصدقًا لما بين يديه يهدي إلىٰ الحق وإلى طريق مستقيم** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **تمامًا علىٰ الذي أحسن وتفصيلًا** ﴾ أي : آتيناه الكتاب الذي أنزلناه إليه تمامًا كاملًا ، جامعًا لما[٦] يحتاج إليه في شريعته ، كقوله : ﴿ **وكتبنا له في الألواح من كل شيء [موعظة وتفصيلًا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها][٧]** ﴾ .

---

[١] - في تفسيره (٢٣٢/١٢) .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « يمدح » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٥] - في ز : « ساحران » .
[٦] - في ز : « لجميع ما » .
[٧] - في ت : « الآية » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **علىٰ الذي أحسن** ﴾ أي : جزاء علىٰ إحسانه في العمل ، وقيامه بأوامرنا وطاعتنا ، كقوله : ﴿ **هل جزاء الإحسان إلا الإحسان** ﴾ ، وكقوله : ﴿ **وإذ ابتلىٰ إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً** ﴾ ، وكقوله : ﴿ **وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون** ﴾ .

وقال أبوجعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ﴿ **ثم آتينا موسىٰ الكتاب تمامًا علىٰ الذي أحسن** ﴾ يقول : أحسن فيما أعطاه اللَّه .

وقال قتادة : من أحسن في الدنيا تمم[١] له ذلك في الآخرة . واختار ابن جرير أن تقدير الكلام : ﴿ **ثم آتينا موسىٰ الكتاب تمامًا** ﴾ علىٰ إحسانه ، فكأنه جعل « **الذي** » مصدرية ، كما قيل في قوله تعالىٰ : ﴿ **وخضتم كالذي خاضوا** ﴾ أي : كخوضهم ، وقال ابن رواحة :

فثبَّت اللَّه ما أتاك من حَسَنٍ   في المرسلين ونَصْرًا كالذي نُصِروا

وقال آخرون : « **الذي** » ها هنا بمعنىٰ الذين .

قال ابن جرير[٢] : وقد ذكر عن عبد اللَّه بن مسعود أنه كان يقرؤها : (تمامًا علىٰ الذين أحسنوا) .

وقال ابن أبي نجيح ، عن[٣] مجاهد : ﴿ **تمامًا علىٰ الذي أحسن** ﴾ قال : علىٰ المؤمنين والمحسنين . وكذا قال أبو عبيدة ، وقال البغوي : المحسنون الأنبياء والمؤمنون ، يعني : أظهرنا فضله عليهم .

قلت : كقوله تعالىٰ : ﴿ **قال يا موسىٰ إني اصطفيتك علىٰ الناس برسالاتي وبكلامي** ﴾ ولا يلزم اصطفاؤه علىٰ محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم خاتم الأنبياء والخليل - عليهما السلام - لأدلة أخرىٰ[٤] .

قال ابن جرير(٣٥٨) : وروىٰ أبو[٥] عمرو بن العلاء ، عن يحيىٰ بن يعمر : أنه كان يقرؤها : (تماما علىٰ الذي أحسنُ) رفعًا بتأويل علىٰ الذي هو أحسن . ثم[٦] قال : وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها ، وإن كان لها في العربية وجه صحيح .

---

(٣٥٨) - في تفسيره ابن جرير (١٤١٧٧/١٢) موصولًا بإسناده إلى أبي عمرو بن العلاء .

---

[١] - في ز : « ثم » .
[٢] - في تفسيره (٢٣٤/١٢) .
[٣] - في ز : « قال ابن » .
[٤] - في ز : « أخر » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - سقط من : ت .

وقيل : معناه تمامًا على إحسان الله إليه [زيادة على ما أحسن الله إليه][١] . حكاه ابن جرير والبغوي .

ولا منافاة بينه وبين القول الأول ، وبه جمع ابن جرير كما بيناه ، ولله الحمد .

وقوله تعالى : ﴿ **وتفصيلًا لكل شيء وهدًى ورحمة** ﴾ فيه مدح لكتابه الذي أنزله الله عليه ﴿ **لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون * وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون** ﴾ فيه الدعوة إلى اتباع القرآن ، ووصفه بالبركة لمن اتبعه وعمل به في الدنيا والآخرة ؛ [لأنه حبل الله المتين][٢] .

أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾

قال ابن جرير : معناه وهذا كتاب أنزلناه لئلا يقولوا : ﴿ **إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا** ﴾ . يعني : لينقطع عذرهم ، كقوله تعالى : ﴿ **ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولًا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين** ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ **على طائفتين من قبلنا** ﴾ قال علي بن أبي طلحة(٣٥٩) ، عن ابن عباس : هم اليهود والنصارى .

وكذا قال مجاهد والسدي وقتادة وغير واحد .

وقوله : ﴿ **وإن كنا عن دراستهم لغافلين** ﴾ أي : وما كنا نفهم ما يقولون ؛ لأنهم ليسوا بلساننا ، ونحن مع ذلك في غفلة وشغل عما هم فيه .

---

(٣٥٩) - أخرجه ابن جرير (١٤١٨٠/١٢) وابن أبي حاتم (٨١٢٦/٥) وابن المنذر - كما في « الدر المنثور » (١٠٨/٣) .

---

[١] - سقط من : خ . [٢] - سقط من : خ ، ز .

وقوله : ﴿ **أو تقولوا[١] لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدىٰ منهم** ﴾ أي : وقطعنا تعللكم[٢] : أن تقولوا لو أنا أنزل علينا ما أنزل عليهم ، لكنا أهدىٰ منهم فيما أوتوه ، كقوله : ﴿ **وأقسموا باللَّه جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدىٰ من إحدىٰ الأمم [فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورًا][٣]** ﴾ ، وهكذا قال هاهنا : ﴿ **فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة** ﴾ يقول : فقد جاءكم من اللَّه علىٰ لسان محمد صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم النبي العربي قرآن عظيم ، فيه بيان للحلال والحرام ، وهدى لما في القلوب ، ورحمة من اللَّه بعباده الذين يتبعونه ويقتفون ما فيه .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **فمن أظلم ممن كذب بآيات اللَّه وصدف عنها** ﴾ أي : لم ينتفع بما جاء به الرسول ، ولا اتبع ما أرسل به ، ولا ترك غيره ، بل صدف عن اتباع آيات اللَّه ، أي : صرف الناس وصدهم عن ذلك ، قاله السدي .

وعن ابن عباس(٣٦٠) ومجاهد وقتادة ﴿ **وصدف عنها** ﴾ : أعرض عنها .

وقول السدي هاهنا فيه قوة ؛ لأنه قال : ﴿ **فمن أظلم ممن كذب بآيات اللَّه وصدف عنها** ﴾ كما تقدم في أول السورة ﴿ **وهم ينهون عنه وينأون عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **الذين كفروا وصدوا عن سبيل اللَّه زدناهم عذابًا فوق العذاب** ﴾ ، وقال في هذه الآية الكريمة : ﴿ **سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون** ﴾ .

وقد يكون المراد [فيما قاله][٤] ابن عباس ومجاهد وقتادة ﴿ **فمن أظلم ممن كذب بآيات اللَّه وصدف عنها** ﴾ أي : لا آمن بها ولا عمل بها ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **فلا صدّق ولا صلىٰ * ولكن كذب وتولىٰ** ﴾ وغير[٥] ذلك من الآيات الدالة علىٰ اشتمال الكافر علىٰ التكذيب بقلبه ، وترك العمل بجوارحه ، ولكن المعنى الأول أقوىٰ وأظهر واللَّه أعلم .

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ

(٣٦٠) - أخرجه ابن جرير (١٤١٩١/١٢) وابن أبي حاتم (٨١٣٤/٥) وابن المنذر - كما في « الدر المنثور » (١٠٨/٣) من طريق علي بن ابي طلحة عنه به .

[١] - في ز : « يقولوا » . [٢] - في ز : « لتعللكم » .
[٣] - ما بين المعكوفتين من : ز ، وفي ت : « الآية » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « كما قال » .
[٥] - في ز : « نحو » .

إِيمَٰنِهَا خَيْرًاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾

يقول تعالىٰ متوعدًا للكافرين به ، والمخالفين لرسله ، والمكذبين آياته ، والصادّين عن سبيله : **﴿ هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك ﴾**[١] وذلك كائن يوم القيامة **﴿ أو يأتي بعض آيات ربك ﴾** وذلك قبل يوم القيامة ، كائن من أمارات الساعة وأشراطها ، كما قال البخاري في تفسير هذه الآية(٣٦١) :

حدثنا موسىٰ بن إسماعيل ، حدثنا عبد الواحد ، حدثنا عمارة ، حدثنا أبو زرعة ، [عن أبي][٢] هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لا تقوم الساعة حتىٰ تطلع الشمس من مغربها ، فإذا رآها الناس آمن من عليها ، فذلك حين : ﴿ لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل ﴾** » .

حدثنا إسحاق ، حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن همام بن منبه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لا تقوم الساعة حتىٰ تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون ، وذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها [لم تكن آمنت من قبل]**[٣] » ثم قرأ هذه الآية .

هكذا روي هذا الحديث من هذين الوجهين ، ومن الوجه الأول أخرجه بقية الجماعة(٣٦٢) في كتبهم إلا الترمذي : من طرق ، عن عمارة بن القعقاع بن شُبْرُمة ، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير ، عن أبي هريرة به .

وأما الطريق الثاني : فرواه عن إسحاق غير منسوب[٤] ، فقيل : هو ابن منصور الكوسج ، وقيل : إسحاق بن نصر و الله أعلم .

(٣٦١) - البخاري في صحيحه (٤٦٣٥ ، ٤٦٣٦) .

(٣٦٢) - مسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان (٢٤٨) (١٥٧) وأبو داود كتاب : الملاحم ، باب : أمارات الساعة (٤٣١٢) والنسائي في « التفسير » من « الكبرىٰ » (١١١٧٧/٦) ، وابن ماجة ، كتاب : الفتن ، باب : طلوع الشمس من مغربها (٤٠٦٨) وكذا أحمد في « المسند » (٢٣١/٢) .

[١] - في ز : « رسله » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « ثنا أبو » . [٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٤] - قال ابن حجر في « الفتح » (٢٩٧/٨) : « جزم خلف بأنه ابن نصر ، وأبو مسعود بأنه ابن منصور ، وقول خلف أقوىٰ » وجزم البيهقي في السنن الكبرىٰ (١٨٠/٩) بأنه إسحاق بن منصور . والله أعلم .

وقد رواه مسلم(٣٦٣) عن محمد بن رافع الجنديسابوري كلاهما[١] ، عن عبد الرزاق به .

وقد ورد هذا الحديث من طرق أخر عن أبي هريرة ، كما انفرد مسلم(٣٦٤) بروايته من حديث العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب مولىٰ الحُرقة ، عن أبيه ، عن أبي هريرة به[٢] .

وقال ابن جرير(٣٦٥) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا ابن فضيل ، عن أبيه ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **ثلاث إذا خرجن ﴿ لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا ﴾ ؛ طلوع الشمس من مغربها ، والدجال ، ودابة الأرض** » .

ورواه أحمد[٣] ، عن وكيع ، عن فضيل بن غزوان ، عن أبي حازم سلمان ، عن أبي هريرة به . وعنده : والدخان .

ورواه مسلم : عن أبي بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب ، عن وكيع .

ورواه هو أيضًا والترمذي : من غير وجه[٤] ، عن فضيل بن غزوان به .

ورواه إسحاق بن عبد اللَّه الفروي[٥] ، عن مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة . ولكن لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه ؛ لضعف الفروي ، واللَّه أعلم .

---

(٣٦٣) - مسلم في صحيحه (٢٤٨) (١٥٧) ومن هذا الوجه أخرجه أحمد في « المسند » (٣١٣/٢) عن عبد الرزاق به .

(٣٦٤) - في صحيحه (٢٤٨) (١٥٧) ومن هذا الوجه أخرجه أحمد في « المسند » (٣٣٧/٢ ، ٣٧٢).

(٣٦٥) - في تفسيره (١٤٢٤٧/١٢) وأخرجه أحمد (٤٤٥/٢) ومسلم (٢٤٩) (١٥٨) والترمذي (٣٠٧٤) من طريق فضيل بن غزوان به .

---

[١] - يعني (إسحاق - شيخ البخاري - ومحمد بن رافع) .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في « المسند » (٢٣١/٢) .

[٤] - مسلم من طريق زهير بن حرب ثنا إسحاق بن يوسف الأزرق ، والترمذي ثنا عبد بن حميد ثنا يعلى بن عبيد كلاهما (إسحاق ويعلى) عن فضيل به .

[٥] - لم أهتد لهذه الطريق ويأتي عزو المصنف له لابن مردويه (٣٦٧) وأخرجه أحمد في « المسند » (٥٣٠/٢) (١٠٨٧١) ثنا علي ، أخبرنا ورقاء ، عن أبي الزناد ، به . ومسلم في صحيحه (٢٤٨) (١٥٧) من طريق حسين بن علي ، عن زائدة ، عن عبد اللَّه بن ذكون أبي الزناد ، به ، والبخاري (٦٥٠٦ ، ٧١٢١) من طريق شعيب ، عن أبي الزناد به مطولًا .

وقال ابن جرير(٣٦٦) : حدثنا الربيع بن سليمان ، حدثنا شعيب بن الليث ، عن أبيه ، عن جعفر بن ربيعة ، عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « **لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت آمن الناس كلهم ، وذلك حين ﴿لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل﴾** » الآية .

ورواه ابن لهيعة ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة به . [ورواه وكيع ، عن فضيل بن غزوان ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة به][١].

أخرج هذه الطرق كلها الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره(٣٦٧) .

وقال ابن جرير(٣٦٨) : حدثنا الحسن بن يحيى ، أخبرنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، [عن أيوب][٢] ، عن ابن سيرين ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **من**

---

(٣٦٦) - في تفسيره (١٤٢١٩/١٢) وإسناده صحيح وأخرجه مسلم (٢٤٨) (١٥٧) وأحمد (٢/ ٥٣٠) من طريقين عن أبي الزناد عن الأعرج عبد الرحمن بن هرمز به ، وأخرجه أحمد (٣٥٠/٢) ثنا حسن ، ثنا ابن لهيعة عن عبد الرحمن الأعرج به وأخرجه البخاري ، كتاب : الرقاق : باب (٤٠) (٦٥٠٦) ، كتاب : الفتن ، باب : (٢٥) (ح ٧١٢١) من طريق أبي اليمان ثنا شعيب ثنا أبو الزناد به مطولًا ويذكره المصنف من طريق البخاري في [سورة الأعراف /آية ١٨٧] .

(٣٦٧) - وعزاه لابن مردويه السيوطي في « الدر المنثور » (١٠٩/٣) .

(٣٦٨) - **صحيح** ، في تفسيره (١٤٢٢٠/١٢) وهو عند عبد الرزاق في تفسيره (٢٢١/٢) وعنه أحمد في « المسند » (٢٧٥/٢) ، وأخرجه ابن عدي في « الكامل » (١٢١٤/٣) وتمام في « فوائده » (١٦٩٥/٥) من طريق سعيد بن زيد قال : سمعت أيوب به مقرونًا بأيوب هشام - وهو ابن حسان - عند ابن عدي ، وقول المصنف : « لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة » إن كان يقصد بهذا الإسناد فنعم ! وإلا فقد أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب : الذكر والدعاء ، باب : استحباب الاستغفار والاستكثار منه (٤٣) (٢٧٠٣) وكذا أحمد في « المسند » (٤٢٧/٢ ، ٤٩٥) من طريقين عن هشام ابن حسان عن محمد بن سيرين به سواء غير أنه قال بدل قوله : « قبل منه » « **تاب الله عليه** » وأخرجه بلفظ الصحيح ، الطبراني في « الأوسط » (٧٣٤٤/٧) من طريق الحسن بن أبي جعفر عن أشعث بن جابر الحُدَّاني عن محمد بن سيرين به وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٠١/١٠) - وهو على غير شرطه - وقال : « رواه الطبراني في الأوسط - ولم يشر لرواية مسلم - وفيه الحسن بن أبي جعفر وهو ضعيف » وأخرجه أحمد أيضًا (٣٩٥/٢) والنسائي في « التفسير » من « الكبرى » (١١١٧٩/٦) من طريق عوف الأعرابي عن محمد بن سيرين به والحمد لله على توفيقه .

---

[١] - هذه الطريق معادة انظر حاشية (٢٣٦). [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها قبل منه » . لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة .

(حديث آخر) عن أبي ذر الغفاري في الصحيحين وغيرهما(٣٦٩) من طرق : عن إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي ، عن أبيه ، عن أبي ذر جندب بن جنادة - رضي الله عنه - قال : قال لي[١] رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أتدري[٢] أين تذهب الشمس إذا غربت ؟** » قلت : لا أدري . قال : « **إنها تنتهي دون العرش فتخر[٣] ساجدة ، ثم تقوم حتىٰ يقال لها : ارجعي ، فيوشك يا أبا ذر أن يقال لها[٤]: ارجعي من حيث جئت ، وذلك حين ﴿ لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل ﴾** » .

(حديث آخر) عن حذيفة بن أسيد بن[٥] أبي سريحة الغفاري رضي الله عنه .

قال الإِمام أحمد بن حنبل(٣٧٠) : حدثنا سفيان ، عن[٦] فرات ، عن أبي الطفيل ، عن حذيفة ابن أسيد الغفاري ، قال : أشرف علينا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من غرفة ونحن نتذاكر الساعة ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لا تقوم الساعة حتىٰ تروا عشر آيات ؛ طلوع الشمس من مغربها ، والدخان ، والدابة ، وخروج يأجوج ومأجوج ، وخروج عيسىٰ ابن مريم ، وخروج[٧] الدجال ، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، ونار تخرج من قعر عدن تسوق أو تحشر الناس ، تبيت معهم حيث باتوا ، وتقيل معهم حيث قالوا** » .

---

(٣٦٩) - يأتي تخريجه في [سورة يس /آية ٤] .

(٣٧٠) - **صحيح** « المسند » (٦/٤) وسفيان هو ابن عيينة ، وأخرجه أحمد أيضًا (٧/٤) ومسلم ، كتاب : الفتن وأشراط الساعة ، باب : في الآيات التي تكون قبل الساعة (٣٩ : ٤١) (٢٩٠١) وأبو داود ، كتاب : الملاحم ، باب : أمارات الساعة (٤٣١١) والترمذي ، كتاب : الفتن ، باب : ما جاء في الخسف (٢١٨٤)، والنسائي في « التفسير » من « الكبرى » (١١٣٨٠/٦ ، ١١٤٨٢) وابن ماجه ، كتاب : الفتن ، باب : أشراط الساعة (٤٠٤١) مختصرًا ، باب : الآيات (٤٠٥٥) من طرق عن فرات القزاز به .

تنبيه : عزا السيوطي في « الدر المنثور » (١١٣/٣) هذا الحديث إلى أحمد والسنن الأربعة ، وغفل عن عزوه إلى مسلم ، فليستدرك من هنا ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

---

[١] - سقط من : ت .
[٢] - في ز : « تدري » .
[٣] - في ز : « ثم تخر » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « بن » .
[٧] - سقط من : خ ، ز .

وهكذا رواه مسلم وأهل السنن الأربعة : من حديث فرات القزاز ، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة ، [عن حذيفة بن أسيد به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

(حديث آخر)][١] عن حذيفة بن اليمان رضي اللّه عنه .

قال الثوري : عن منصور ، عن ربعي ، عن حذيفة ، قال : سألت رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم فقلت : يا رسول اللّه ، ما آية طلوع الشمس من مغربها ؟ فقال النبي صلىٰ اللّه عليه وآله وسلم : « **تطول تلك الليلة حتىٰ تكون قدر ليلتين ، فبينما الذين كانوا يصلون فيها يعملون كما كانوا يعملون قبلها ، والنجوم لا تسري قد قامت مكانها ، ثم يرقدون ، ثم يقومون فيصلون ، ثم يرقدون ، ثم يقومون فيطل عليهم جنوبهم**[٢] **، حتىٰ يتطاول عليهم الليل ، فيفزع الناس ولا يصبحون ، فبينما هم ينتظرون طلوع الشمس من مشرقها إذ طلعت من مغربها ، فإذا رآها الناس آمنوا فلم**[٣] **ينفعهم إيمانهم** » .

رواه ابن مردويه(٣٧١)، وليس [هو في شيء من][٤] الكتب الستة من هذا الوجه ، و اللّه أعلم .

(حديث آخر) عن أبي سعيد الخدري واسمه سعد بن مالك بن سنان [ ][٥] رضي اللّه عنه – وأرضاه .

قال الإمام أحمد(٣٧٢) : حدثنا وكيع ، حدثنا ابن أبي ليلىٰ ، عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد الخدري – رضي اللّه عنه – عن النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم : « ﴿ **يوم يأتي بعض آيات ربك لا**

---

(٣٧١) – **موضوع** وعزاه لابن مردويه السيوطي في « الدر المنثور » (١٠٩/٣) – ثم أورده بإسناده في « اللآلىء المصنوعة » (٥٨/١ ، ٥٩) فقال : « قال ابن مردويه : حدثنا محمد بن علي بن سهل ثنا محمد بن يوسف الرازي ثنا إدريس بن علي الرازي ثنا يحيى بن الضريس ثنا سفيان .... » وهذا إسناد موضوع ، والمتهم به محمد بن يوسف هذا اتهمه بالوضع الدارقطني والخطيب وترجمته في « اللسان » سوداء مظلمة ، وشيخه إدريس لم أهتد لترجمته ، ومن هنا كان الأولى بالحافظ بن كثير ، أن يبين لنا حقيقة هذا الإسناد أو لا يحذف منه ما يدل على وضعه عفا اللّه عنا وعنه .

(٣٧٢) – **إسناده ضعيف** ، « المسند » (٣١/٣ ، ٩٨) – ومن طريق أحمد أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٣٧٧/٨) – وأخرجه عبد بن حميد في « المنتخب » (٩٠٢) والترمذي ، كتاب : التفسير ، باب : « ومن سورة الأنعام » (٣٠٧٣) وأبو يعلى في مسنده (١٣٥٣/٢) وابن جرير (١٤٢٠٢/١٢) وابن أبي حاتم في تفسيره (٨١٤١/٥) من طريق وكيع به =

---

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] – في ز : « جيوبهم » .

[٣] – في ز : « ولا » .

[٤] – ما بين المعكوفتين في ز : « في » .

[٥] – ما بين المعكوفتين في ز : « بن مالك » .

ينفع نفسًا إيمانها ﴾ قال : « **طلوع الشمس من مغربها** » .

ورواه الترمذي : عن سفيان بن وكيع ، عن أبيه به[١] . وقال : غريب . ورواه بعضهم ولم يرفعه .

وفي حديث طالوت بن عباد(٣٧٣)[٢]، عن فَضَّال بن جُبَيْر، عن أبي أمامة صدي بن عجلان قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن أول الآيات : طلوع الشمس من مغربها** » .

وفي حديث عاصم بن أبي النجود(٣٧٤) ، عن زر بن حبيش ، عن صفوان بن عسال ، قال : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **إن الله فتح بابًا قبل المغرب ، عرضه سبعون**

= وأخرجه ابن جرير (١٤٢٠١/١٢) من طريق يحيى بن عيسى عن ابن أبي ليلى به وقال الترمذي: « حديث حسن - غير موجودة في بعض النسخ - غريب ، ورواه بعضهم ولم يرفعه » وقال أبو نعيم : « لا أعلم رواه عن عطية مرفوعًا إلا ابن أبي ليلى » قلت : والموقوف أخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٦٦٩/٨) عن وكيع بهذا الإسناد ، وابن أبي ليلى سيئ الحفظ ، وعطية العوفي ضعيف ، والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١٠٨/٣) إلى أبي الشيخ وابن مردويه .

(٣٧٣) - **إسناده ضعيف** ، أخرجه الطبراني في « الكبير » (٨٠٢٢/٨) وابن حبان في « المجروحين » (٢٠٤/٢) وابن عدي في « الكامل » (٢٠٤٧/٦) كلاهما في ترجمة (فَضَّال بن جُبَيْر) - والخطيب في « تاريخ بغداد » (١٥٦/٢) ، (٢٤/٥) وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٧/٢/ مخطوط) كلهم من طريق طالوت بن عباد به وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٢/٨) وقال : « رواه الطبراني في « الأوسط » - كذا ولم أجده فيه ولعله محرف من « الكبير » فإن الهيثمي لم يذكره في « مجمع البحرين في زوائد المعجمين » - الصغير والأوسط - وفيه فضال - تصحف إلى فضالة - ابن جبير وهو ضعيف وأنكر هذا الحديث » قلت : وفَضَّال هذا قال فيه ابن حبان : « يروي عن أبي أمامة ماليس من حديثه ، لا يحل الاحتجاج به بحال » وقال ابن عدي : « لفضَّال بن جبير عن أبي أمامة قدر عشرة أحاديث كلها غير محفوظة » . وأما طالوت بن عباد : قال أبو حاتم وصالح جزرة « صدوق » وذكره ابن حبان في « الثقات » (٣٢٩/٨) وقال ابن حجر : ليس به بأس وأما ابن الجوزي فقال - من غير تثبت - « ضعفه علماء النقل » [انظر « لسان الميزان » (٢٤٤/٣)] . ويشهد له حديث عبد الله بن عمرو الآتي برقم (٣٧٦) .

(٣٧٤) - **إسناده حسن** ، أخرجه الترمذي ، كتاب : الدعوى ، باب : ما جاء في فضل التوبة والاستغفار من رحمة الله لعباده (٣٥٢٩، ٣٥٣٠) والنسائي في « التفسير » من « الكبرى » (٦/ ١١١٧٨) وابن ماجه ، كتاب : الفتن، باب : طلوع الشمس من مغربها (٤٠٧٠) ، وكذا أخرجه أحمد (٢٤٠/٤) وغيرهم مطولًا ومختصرًا وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح » وصححه ابن خزيمة (١٧) وابن حبان (١٣٢٢/٤) ، وإسناده حسن ، لأن مداره على عاصم بن أبي النجود ، وهو حسن الحديث .

[١] - سقط من : ز . [٢] - في ز : « عبادة » .

عامًا للتوبة ، [ ][١] لا يغلق حتىٰ تطلع الشمس منه » .

رواه الترمذي وصححه النسائي وابن ماجة في حديث طويل .

(حديث آخر) عن عبد اللَّه بن أبي أوفىٰ .

قال ابن مردويه(٣٧٥) : حدثنا محمد بن علي بن دحيم ، حدثنا أحمد بن حازم ، حدثنا ضرار ابن صرد ، حدثنا ابن فضيل ، عن سليمان بن زيد[٢] ، عن عبد اللَّه بن أبي أوفىٰ قال : سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « **ليأتين علىٰ الناس ليلة تعدل ثلاث ليال من لياليكم هذه ، فإذا كان ذلك يعرفها المتنفلون ، يقوم أحدهم فيقرأ حزبه ثم ينام ، ثم يقوم فيقرأ حزبه ثم ينام ، فبينما هم كذلك إذ صاح الناس بعضهم من[٣] بعض ، فقالوا : ما هذا ؟ فيفزعون إلىٰ المساجد ، فإذا هم بالشمس قد طلعت [من مغربها ، فضج الناس ضجة واحدة][٤] ، حتىٰ إذا[٥] صارت في وسط السماء رجعت وطلعت من مطلعها . قال : حينئذ لا ينفع نفسًا إيمانها** » .

هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وليس هو في شيء من الكتب الستة .

(حديث آخر) عن عبد اللَّه بن عمرو .

قال الإمام أحمد(٣٧٦) : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا [أبو حيان][٦] ، عن أبي زُرْعة بن عمرو بن جرير ، قال : جلس ثلاثة نفر من المسلمين إلىٰ مروان بالمدينة ، فسمعوه [ ][٧] وهو يحدث

(٣٧٥) - **إسناده ضعيف** وعزاه لابن مردويه السيوطي في « الدر المنثور » (١١١/٣) وكذا في « اللآليء المصنوعة » (٥٩/١) - وزاد عزوه في « الدر المنثور » إلى عبد بن حميد ومن قبله عزاه شيخه ابن حجر في « الفتح » (٣٥٥/١١) إلى عبد بن حميد وسكت عنه - وسليمان بن زيد هذا هو أبو إدام المحاربي ، قال يحيى بن معين : « أبو إدام ، ليس بثقة ، كذاب ، ليس يسوى حديثه فلسًا » ، وقال أبو حاتم : « ليس بالقوي ، وهو أحسن حالًا وأصلح من فائد » وقال النسائي : « ليس بثقة » وقال ابن عدي « الكامل » [١١٠٩/٣] : « أكثر روايته عن ابن أبي أوفى ، على أنه قليل الحديث ولم أر له حديثًا منكرًا جدًّا فأذكره » « تهذيب الكمال » (١١/ت٢٥١٨) وفي « التقريب » : « ضعيف رماه يحيى بن معين » .

(٣٧٦) - **صحيح** ، « المسند » (٢٠١/٢) (٦٨٨١) وأخرجه أحمد أيضًا (١٦٤/٢) (٦٥٣١) ومسلم ، كتاب : الفتن وأشراط الساعة ، باب : في خروج الدجال ومكثه ... (١١٨) (٢٩٤١) =

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « ثم » .
[٢] - في ز : « يزيد » .
[٣] - في ز : « في » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في خ ، ز : « حبان » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز : « يقول » .

عن[١] الآيات ، يقول[٢] : إن أولها خروج الدجال . قال : فانصرفوا[٣] إلىٰ عبد اللّٰه بن عمرو ، فحدثوه بالذي سمعوه من مروان في الآيات ، فقال : لم يقل مروان شيئا ، قد[٤] حفظت من رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، [في مثل ذلك حديثًا لم أنسه بعد ، سمعت رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم][٥] يقول : « **إن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها ، وخروج[٦] الدابة ضحى ، فأيتهما[٧] كانت قبل صاحبتها فالأخرىٰ علىٰ إثرها** » . ثم قال عبد اللّٰه - وكان يقرأ الكتب - : وأظن أولها خروجًا طلوع الشمس من مغربها ، وذلك أنها كلما غربت أتت تحت العرش فسجدت ، واستأذنت في الرجوع ، فأذن لها في الرجوع ، حتىٰ إذا بدا للّٰه أن تطلع من مغربها ، فعلت كما كانت تفعل ، أتت تحت العرش فسجدت ، واستأذنت في الرجوع ، فلم يردّ عليها شيء ، ثم تستأذن في الرجوع فلا يرد عليها شيء [ثم تستأذن فلا يرد عليها شيء][٨] ، حتىٰ إذا ذهب من الليل ما شاء اللّٰه أن يذهب وعرفت أنه إذا[٩] أذن لها في الرجوع لم تدرك المشرق ، قالت : رب ما أبعد المشرق من لي بالناس ، حتىٰ إذا صار الأفق كأنه طوق استأذنت في الرجوع ، فيقال لها : من مكانك فاطلعي . فطلعت علىٰ الناس من مغربها ، ثم تلا عبد اللّٰه هذه الآية : ﴿ **لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل [أو كسبت في إيمانها خيرًا][١٠]** ﴾ .

وأخرجه مسلم في صحيحه وأبو داود وابن ماجة في سننيهما : من حديث أبي حيان التيمي واسمه يحيىٰ بن سعيد بن حيان ، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير به .

(حديث آخر عنه) قال الطبراني(٣٧٧) : حدثنا أحمد بن يحيىٰ بن خالد بن حبان[١١]

= وأبو داود ، كتاب : الملاحم ، باب : أمارات الساعة (٤٣١٠) وابن ماجه ، كتاب : الفتن ، باب : طلوع الشمس من مغربها (٤٠٦٨) من طرق عن أبي حيَّان التيمي به مختصرًا دون قول ابن عمرو الأخير وأخرجه الحاكم (٥٤٧/٤ ، ٥٤٨) من طريق جعفر بن عون العمري أنبأ أبو حيان به مطولًا كما هنا وقال : « صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » وقد أخرجه مسلم مختصرًا كما رأيت فتنبه لمثله !! وذكر الهيثمي هذا المطول في « المجمع » (١١/٨) مشيرًا إلى رواية مسلم ثم قال : « رواه أحمد والبزار والطبراني في « الكبير » ورجاله رجال الصحيح » .

(٣٧٧) - **منكر** ، في « الكبير » كما في « المجمع » للّهيثمي (١١/٨) - وفي « الأوسط » (١/رقم ٩٤) وقال : « لا يروى هذا الحديث عن عبد اللّٰه بن عمرو إلا بهذا الإسناد تفرد به =

[١] - في ز : « في » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « فانصرف النفر » .
[٤] - سقط من : ت .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٦] - في ز : « طلوع » .
[٧] - في ز : « وأيتهما ما » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٩] - في ز : « إن » .
[١٠] - في ت : « الآية » .
[١١] - في ز : « حيَّان » .

الرَّقِّيش ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن[١] زِبْرِيق الحمصي ، حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار ، حدثنا ابن لهيعة ، عن حُيَيِّ بن عبد اللَّه ، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلِي ، عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص ، قال : قال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إذا طَلَعَتِ الشمسُ من مغربها ، خر إبليس ساجدًا ينادي ويجهر : إلهي مُرْنِي أن أسجد لمن شئت . قال : فيجتمع إليه زبانيتهُ فيقولون : يا سيِّدَهُم ، ما هذا التضرُّعُ ؟ فيقول : إنما سألتُ ربي أن يُنْظِرَني إلىٰ الوقتِ المعلوم ، وهذا الوقت المعلوم . قال : ثم تخرجُ دابَّةُ الأرض من صَدْعٍ في الصَّفا . قال : فأوَّلُ خطوة تَضَعُها بأنطاكيَّةَ فتأتي إبليس فتخطمه**[٢] » .

هذا حديث غريب جدًّا وسنده ضعيف ، ولعله من الزاملتين اللتين أصابهما عبد اللَّه بن عمرو يوم اليرموك ، فأما رفعه فمنكر ، و اللَّه أعلم .

(حديث آخر) عن عبد اللَّه بن عمرو ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن أبي سفيان – رضي اللَّه عنهم – أجمعين .

قال الإمام أحمد(٣٧٨) : حدثنا الحكم بن نافع ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن ضمضم[٣] ابن زرعة ، عن شريح بن عبيد يردّه إلىٰ مالك بن يُخَامِر ، عن ابن السعدي : أنّ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « **لا تنقطع الهجرة ما دام العدو يقاتل**[٤] » . فقال معاوية

= عثمان بن سعيد » قلت : وهو « ثقة عابد » – كما في « التقريب » – لكن أعله الهيثمي فقال : « فيه إسحاق بن إبراهيم بن زبريق وهو ضعيف » قلت : هذا هو الراجح فيه وإلا فقد أثنى عليه ابن معين وقال أبو حاتم : « شيخ » وذكره ابن حبان في « الثقات » (١١٣/٨) لكن قال النسائي « ليس بثقة » كذا قاله المزي في « تهذيب الكمال » (٣٧٠/٢) عنه مطلقًا ، وأفاد محققه أن المنقول عن النسائي مُقَيَّدٌ إذا روى إسحاق عن عمرو بن الحارث ، وقال أبو داود : ليس بشيء وقال ابن عوف يكذب ، وفي « التقريب » : « صدوق يهم كثيرًا » قلت : وهو مُعَلّ قبله بابن لهيعة فإنه ضعيف لسوء حفظه ، واستنكر رفعه المصنف ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١١٦/٣) إلى ابن مردويه .

(٣٧٨) – **إسناده حسن** ، « المسند » (١٩٢/١) (رقم ١٦٧١) وذكره الهيثمي في « المجمع » (٥/ ٢٥٣، ٢٥٤) وقال : « روى أبو داود والنسائي بعض حديث معاوية رواه أحمد والطبراني ... ورجال أحمد ثقات » وذكر الألباني في « الإرواء » (٣٣/٥ ، ٣٤) طريق أحمد وقال : « إسناد شامي حسن ، رجاله كلهم ثقات وفي ضمضم بن زرعة كلام يسير وابن السعدي اسمه عبد اللَّه واسم أبيه وقدان صحابي معروف ... » . وأخرجه البزار في « المسند » (٣/رقم ١٠٥٤) من طريق أبي اليمان الحكم بن نافع به من حديث عبد الرحمن بن عوف فقط ، وأخرجه =

---

[١] – سقط من : ز .
[٢] – في خ ، ز : « فتلطمه » .
[٣] – في ز : « جهضم » .
[٤] – في خ ، ز : « يقاتلك » .

وعبد الرحمن بن عوف وعبد اللَّه بن عمرو بن العاص : إن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « [**إنَّ الهجرة**][١] **خصلتان؛ إحداهما**[٢]: **تهجر السيئات، والأخرىٰ تهاجر إلىٰ اللَّه ورسوله ، ولا تنقطع ما تقبلت التوبة ، ولا تزال التوبة مقبولة حتىٰ تطلع الشمس من مغربها**[٣] ، **فإذا طلعت طبع علىٰ كل قلب بما فيه ، وكفي الناس العمل** » .

هذا الحديث[٤] حسن الإِسناد ، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة ، واللَّه أعلم .

(حديث آخر) عن ابن مسعود - رضي اللَّه عنه - .

قال عوف الأعرابي(٣٧٩) : عن محمد بن سيرين ، حدثني أبو عبيدة ، عن ابن مسعود : أنه كان يقول : ما ذكر من الآيات فقد مضى ، غير أربع ؛ طلوع الشمس من مغربها ، والدجال ، ودابة الأرض ، وخروج يأجوج ومأجوج . قال : وكان يقول : الآية التي تختم بها الأعمال : طلوع الشمس من مغربها ، ألم تر أن اللَّه يقول : ﴿ **يوم يأتي بعض آيات ربك** ﴾ الآية كلها ، يعني : طلوع الشمس من مغربها .

(حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما) رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره(٣٨٠) : من

= ابن جرير (١٤٢١٢/١٢) و الطبراني في « الكبير » (٨٩٥/١٩) وفي « الأوسط » (١/رقم ٥٩) والبيهقي في « الشعب » (٧٢١٥/٥) من طريق سليمان بن عبد الرحمن نا إسماعيل بن عياش به ليس فيه ذكر حديث ابن السعدي ، وأخرجه أبو داود (٢٤٧٩) والنسائي في « الكبرى » (٥/ ٨٧١١) وأحمد (٩٩/٤) من حديث معاوية وفي إسناده جهالة وللحديث طرق أخرى عند النسائي في « الكبرى » (٢١٦/٥ ، ٢١٧) وصحح بعضها ابن حبان (٤٨٦٦/١١) .

(٣٧٩) - أخرجه ابن جرير (١٤٢٢٩/١٢) من طريق ابن أبي عدي وعبد الوهاب عن عوف به وليس فيه تحديد اسم ابن سيرين ، وأخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٦٧٠/٨) ثنا وكيع عن عوف - تصحف إلى ابن عون - عن ابن سيرين به وصححه الحاكم (٥٤٥/٤) ووافقه الذهبي من طريق سفيان عن عوف عن أنس بن سيرين به كذا قال أنس ورجح الشيخ الأديب محمود شاكر في حاشيته على ابن جرير أنه « محمد بن سيرين » مع أنهم ذكروا أنس بن سيرين فيمن روى عن أبي عبيدة بن عبد اللَّه بن مسعود ولم يذكروا محمدًا فتنبه !! وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه قاله غير واحد لكن للحديث طرق أخرى صحيحة أخرجها ابن جرير في تفسيره (٢٤٦/١٢ ، ٢٥٩ ، ٢٦٢) مختصرة بنحو هذا اللفظ .

(٣٨٠) - **إسناده واهٍ** وعزاه لابن مردويه السيوطي في « الدر المنثور » (١١٤/٣) ووهى إسناده !! قلت : « والمتهم به عبد المنعم بن إدريس هذا وهو قصاص مشهور ، ليس يعتمد عليه ،=

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٢] - في ز : « احديهما » .
[٣] - في ز : « المغرب » . [٤] - في ز : « حديث » .

حديث عبد المنعم بن إدريس ، عن أبيه ، عن وهب بن منبه ، عن ابن عباس مرفوعًا ، فذكر حديثًا طويلًا غريبًا منكرًا رفعه ، وفيه : « **أن الشمس والقمر يطلعان يومئذ [من المغرب]**[١] **مقرونين ، وإذا نصَّفا السماء رجعا ثم عادا إلىٰ ما كانا عليه** » . وهو حديث غريب جدًّا ، بل منكر ، بل موضوع إن ادّعى أنه مرفوع ، فأما وقفه علىٰ ابن عباس أو وهب بن منبه وهو الأشبه فغير مدفوع[٢] ، و اللَّه أعلم .

وقال سفيان : عن منصور ، عن عامر ، عن عائشة رضي اللَّه عنها ، قالت : إذا خرج أول الآيات طرحت الأقلام[٣] ، وحُبِست الحفظة ، وشهدت الأجساد علىٰ الأعمال . رواه ابن جرير(٣٨١) رحمه اللَّه تعالىٰ .

فقوله تعالىٰ : ﴿ **لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل** ﴾ أي : إذا أنشأ[٤] الكافر إيمانًا يومئذ لا يقبل منه ، فأما من كان مؤمنًا قبل ذلك ، فإن كان مصلحًا في عمله فهو بخير عظيم ، وإن كان مخلِّطًا فأحدث توبة حينئذ[٥] لم تقبل منه توبته ، كما دلت عليه الأحاديث المتقدمة ، وعليه يحمل قوله تعالىٰ : ﴿ **أو كسبت في إيمانها خيرًا** ﴾ أي : ولا يقبل منها كسب عمل صالح إذا لم يكن عاملًا به قبل ذلك .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **قل انتظروا إنا منتظرون** ﴾ تهديد شديد للكافرين ، ووعيد أكيد لمن سوّف بإيمانه وتوبته إلىٰ وقت لا ينفعه ذلك ، وإنما كان [هذا الحكم][٦] عند طلوع الشمس من مغربها ؛ لاقتراب [وقت القيامة][٧] ، وظهور أشراطها ، كما قال : ﴿ **فهل ينظرون إلا الساعة أن**

= تركه غير واحد ، وأفصح أحمد بن حنبل ، فقال : كان يكذب على وهب بن منبه ، وقال البخاري: ذاهب الحديث ... وقال ابن حبان : يضع الحديث على أبيه وعلى غيره ، وقال : إسماعيل بن عبد الكريم ، مات إدريس ، وعبد المنعم رضيع » [انظر « لسان الميزان » (٩١/٤)] وأبوه أحسن حالًا منه وإن تركه الدارقطني لكن قال ابن معين : « يكتب حديثه في الرقاق » ، وقال ابن عدي : « أرجو أنه من الضعفاء الذين يكتب حديثهم » ترجمته في « تهذيب الكمال » (٢/رقم ٢٩١) .

(٣٨١) - في تفسيره (١٤٢٤٦/١٢) وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٢٢/٢) وابن أبي شيبة في « المصنف » (٦٧٠/٨) من طريق سفيان الثوري به ورجاله ثقات رجال الصحيح غير أن ابن معين وأبا حاتم والحاكم نفوا سماع الشعبي من عائشة . والأثر زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣/ ١١٢) إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٢] - في خ ، ز : « مرفوع » .
[٣] - سقط من : خ ، ز .
[٤] - في ز : « أفشا » .
[٥] - في خ ، ز : « يومئذ » .
[٦] - في ز : « الحكم هذا » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ت : « الساعة » .

تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنىٰ لهم إذا جاءتهم ذكراهم ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين * فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا [سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون][١]** ﴾ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ (١٥٩) ﴾

قال مجاهد وقتادة والضحاك والسدي : نزلت هذه الآية في اليهود والنصارىٰ .

وقال العوفي(٣٨٢) ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **إن الذين فرقوا[٢] دينهم وكانوا شيعًا** ﴾ وذلك أن اليهود والنصارىٰ اختلفوا قبل أن يبعث محمد صلىٰ الله عليه وسلم فتفرقوا ، فلما بعث محمد صلىٰ الله عليه وسلم أنزل [الله عليه][٣] : ﴿ **إن الذين فرقوا[٤] دينهم وكانوا شيعًا لست منهم في شيء** ﴾ الآية .

وقال ابن جرير(٣٨٣) : حدثني سعيد بن عمرو[٥] السكوني[٦] ، حدثنا بقية بن الوليد ، كتب إليَّ عباد بن كثير ، حدثني ليث ، عن طاوس ، عن أبي هريرة -رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم [في هذه الآية][٧] : ﴿ **إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا لست منهم في شيء** ﴾ : « **وليسوا منك ، هم أهل البدع وأهل الشبهات ، وأهل الضلالة من هذه**

(٣٨٢) - أخرجه ابن جرير (١٤٢٦١/١٢) ، وابن أبي حاتم (٨١٥٣/٥) والعوفي ضعيف وله طريق آخر عنه عند النحاس في « الناسخ والمنسوخ » (ص ٤٤٢) وفي سنده انقطاع .

(٣٨٣) - **لا يصح** ، في تفسيره (١٤٢٦٦/١٢) وأخرجه الطبراني في « الأوسط » (١/رقم ٦٦٤) من طريق مُعَلَّل ، نا موسى بن أعين ، عن سفيان الثوري عن ابن طاوس ، عن أبيه عن أبي هريرة به نحوه مرفوعًا وذكره الهيثمي في « المجمع » (٧/٢٥ ، ٢٦) وقال : « رواه الطبراني في « الأوسط » ورجاله رجال الصحيح غير مُعلل بن نفيل وهو ثقة » وهو كما قال إلا أنه أُعِلَّ بالوقف كما قال المصنف ، وقد ذكره الدارقطني في « العلل » (٨/س١٥٩٢) وقال : « يرويه ليث بن أبي سليم ، واختلف عنه فرواه شيبان بن عبد الرحمن والثوري عن ليث عن طاوس عن أبي هريرة موقوفًا ، ورفعه عباد بن كثير عن ليث، ورواه موسى بن أعين عن الثوري فقال عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ووهم في موضعين في رفعه ، وفي قوله : عن ابن طاوس ، لأن هذا من حديث ليث ، ولا يصح عن ابن طاوس » . =

[١] - ما بين المعكوفتين من : ز ، وفي ت : « الآية » .
[٢] - في ز : « فارقوا » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « فارقوا » .
[٥] - في ت : « عمر » .
[٦] - في ز : « السكوتي » .
[٧] - في ز : « إن في هذه الأمة » .

الأمّة » . لكن هذا الإسناد[١] لا يصح ؛ فإن عباد بن كثير متروك الحديث ، ولم يختلق هذا الحديث ، ولكنه وهم في رفعه ، فإنه رواه سفيان الثوري ، عن ليث - وهو ابن أبي سليم - عن طاوس ، عن أبي هريرة في قوله : ﴿ **إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا** ﴾ أنه[٢] قال : نزلت في هذه الأمّة .

وقال أبو غالب(٣٨٤) ، عن أبي أمامة في قوله : ﴿ **وكانوا شيعا** ﴾ قال : هم الخوارج . وروي عنه مرفوعًا ولا يصح .

وقال شعبة ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن شريح ، عن عمر - رضي اللّه عنه - : أن رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، قال لعائشة - رضي اللّه عنها - : ﴿ **إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا** ﴾ قال : « **هم أصحاب البدع** » .

وهذا رواه ابن مردويه(٣٨٥) ، وهو غريب أيضًا ، ولا يصح رفعه .

= قلت : وليث بن أبي سليم ترك حديثه لاختلاطه وعدم تميز صحيح حديثه من سقيمه .
وقد عزا المرفوع السيوطي في « الدر المنثور » (١١٧/٣) إلى الحكيم الترمذي ، والشيرازي في « الألقاب » وابن مردويه أيضًا والموقوف أخرجه ابن جرير (١٤٢٦٤/١٢ ، ١٤٢٦٥) وابن أبي حاتم في « التفسير » (٨١٥١/٥) من طريقين عن الثوري به وزاد نسبة الموقوف السيوطي إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه .

(٣٨٤) - **لا يصح** ، أخرج الموقوف عبد بن حميد وأبو الشيخ وابن مردويه كما في « الدر المنثور » (١١٧/٣) وأما المرفوع فأخرجه ابن أبي حاتم (٨١٥٠/٦) وعلقه النحاس في « الناسخ والمنسوخ » (ص٤٤٣) من طريق أبي غالب عن أبي أمامة به ، وأبو غالب هذا وثقه جماعة ولينه آخرون ، وفي « التقريب » : « صدوق يخطىء » ولعل رفع هذا الموقوف من أخطائه ، ولذلك قال المصنف : « وروى عنه مرفوعًا ولا يصح » .

(٣٨٥) - **إسناده ضعيف** وعزاه لابن مردويه السيوطي في « الدر المنثور » (١١٧/٣) - وأخرجه ابن أبي عاصم في « السنة » (١/رقم٤) ، وابن أبي حاتم في « التفسير » (٨١٥٧/٥) والطبراني في « الصغير » (٢٠٣/١) وأبو نعيم في « الحلية » (١٣٧/٤ ، ١٣٨) والبيهقي في « الشعب » (٥/ ٧٢٣٩ ، ٧٢٤٠) وابن الجوزي في « المتناهية » (١/رقم ٢٠٩) من طريق محمد بن مُصفّى عن بقية عن شعبة - في بعض الروايات عن شعبة أو غيره - به وقال الطبراني : « لم يروه عن شعبة إلا بقية تفرد به ابن مصفى وهو حديثه » كذا قال : وقال الدارقطني في « العلل » (١٦٣/٢ ، ١٦٤) : « يرويه محمد بن مُصفّى عن بقية ... وتابعه جحدر بن الحارث» - وهو ضعيف يسرق الحديث - عن بقية ، وخالفهما وهب بن حفص الحراني - وكان ضعيفًا - فرواه عن الجُدّي عبد الملك عن شعبة عن مجالد عن الشعبي عن مسروق عن عمر ولا يثبت عن شعبة ولا عن مجالد واللّه أعلم »

---

[١] - في ز : « إسناد » . [٢] - سقط من : ز .

والظاهر أن الآية عامّة في كل من فارق دين اللَّه ، وكان مخالفًا له ، فإن اللَّه بعث رسوله بالهدىٰ ودين الحق ؛ ليظهره علىٰ الدين كله ، وشرعه واحد[١] لا اختلاف فيه ولا افتراق ، فمن اختلف فيه ﴿**وكانوا شيعًا**﴾ أي: فرقًا كأهل الملل والنحل و[ ][٢] الأهواء والضلالات ، [فإن اللَّه تعالىٰ][٣] قد برأ [رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم][٤] مما هم فيه ، وهذه الآية كقوله تعالىٰ : ﴿ **شرع لكم من الدين ما وصىٰ به نوحًا والذي أوحينا إليك [وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه][٥]** ﴾ ، وفي الحديث(٣٨٦) : « **نحن معاشر[٦] الأنبياء أولاد علات ديننا واحد** » .

فهذا هو الصراط المستقيم ، وهو ما جاءت به الرسل من عبادة اللَّه وحده لا شريك له ، والتمسك بشريعة الرسول المتأخر ، وما خالف ذلك فضلالات وجهالات ، وآراء وأهواء ، والرسل برآء منها ، كما قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **لست منهم في شيء** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **إنما أمرهم إلىٰ اللَّه ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون** ﴾ ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارىٰ والمجوس والذين أشركوا إن اللَّه يفصل بينهم يوم القيامة [إن اللَّه على كل شيء شهيد][٧]** ﴾ ، ثم بين [لنفسه فضله سبحانه في حكمه وعدله

= وقال ابن الجوزي ونقل كلام الدارقطني هذا : « أما بقية فكان يدلس والظاهر أنه سمع من ضعيف فأسقط ذكره فلا يوثق بما يروي ، وأما وهب فقال ابن عروبة : كذاب يضع الحديث يكذب كذبًا فاحشًا » قلت : وما استظهره ابن الجوزي صواب ، فقد أفاد أبو حاتم في « العلل » (١/رقم ١٧٢٤) أن محمد بن المصفى كان يروي دهرًا من الدهر هذا الحديث عن بقية عن شعبة عن مجالد به قال : « وحدث عوذة بهذا الحديث عند عمرو بن عثمان قال : حدثنا بقية قال : حدثنا الثقة عن مجالد ، فعلمنا أنه أخطأ فيه » وضعف الحديث الهيثمي أيضًا فقال في « المجمع » (١/١٩٣) : « رواه الطبراني في « الصغير » وفيه بقية ومجالد بن سعيد وكلاهما ضعيف » مع أنه جوَّد إسناده في (٧/٢٥) فأبعد !! والحديث ذكره المصنف في « البداية والنهاية » (٩/٣٢/ ترجمة شريح ابن الحارث) وقال : « حديث ضعيف غريب رواه محمد بن مصفى ، عن بقية ، عن شعبة - أو غيره - عن مجالد ، عن الشعبي ، وإنما تفرد بقية بن الوليد من هذا الوجه وفيه علة أيضًا » وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » إلى الحكيم الترمذي وأبي الشيخ وأبي نصر السجزي في « الإبانة » .

(٣٨٦) - **صحيح** ، يأتي تخريجه [سورة يونس / آية ٧٢] .

---

[١] - في ز : « واحدًا » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « هي » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « فاللَّه » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « رسوله » .
[٥] - في ت : « الآية » .
[٦] - في ز : « معشر » .
[٧] - في ت : « الآية » .

يوم القيامة][١]، فقال تعالىٰ :

﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾

وهذه الآية الكريمة مفصلة لما أجمل في الآية الأخرىٰ ، وهي قوله : ﴿ **من جاء بالحسنة فله خير منها** ﴾ وقد وردت الأحاديث مطابقة لهذه الآية ، كما قال الإمام أحمد بن حنبل(٣٨٧) - رحمه الله - : حدثنا عفان[٢] ، حدثنا جعفر بن سليمان ، حدثنا الجَعْد أبو عثمان ، عن أبي رجاء العطاردي ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - : أن[٣] رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال[٤] فيما يروي عن ربه تبارك وتعالىٰ [ ][٥] : « **إن ربكم - عز وجل - رحيم ، مَنْ هَمَّ بحسنة فلم يعملها كُتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشرًا إلىٰ سبعمائة إلىٰ أضعافٍ كثيرة ، ومن هم بسيئةٍ فلم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له واحدة أو يمحوها الله عز وجل ، ولا يَهْلِكُ علىٰ الله إلا هالكٌ** » .

ورواه البخاري ومسلم والنسائي : من حديث الجعد أبي عثمان به .

وقال أحمد أيضًا(٣٨٨) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن المعرور بن سويد ، عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم : « **يقول الله عز وجل** :

---

(٣٨٧) - « المسند » (٢٧٩/١) وأخرجه أيضًا (٣١٠/١ ، ٣٦٠) والبخاري نحوه ، كتاب : الرقاق ، باب : من هم بحسنة أو بسيئة (٦٤٩١) ، ومسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : إذا هم العبد بحسنة كتبت ، وإذا هم بسيئة لم تكتب (٢٠٧ ، ٢٠٨) (١٣١) والنسائي في « النعوت » من « الكبرى » (٧٦٧٠/٤) وفي « الرقاق » من « الكبرى » أيضًا كما في « التحفة » (٦٣١٨/٥) من طرق عن الجعد أبي عثمان به .

(٣٨٨) - **صحيح** ، « المسند » (١٥٣/٥ ، ١٦٩) وأخرجه مسلم ، كتاب : الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب : فضل الذكر والدعاء ، والتقرب إلى الله تعالى (٢٢) (٢٦٨٧) ، وابن ماجه ، كتاب : الأدب ، باب : فضل العمل (٣٨٢١) من طريق (أبي معاوية محمد بن خازم ووكيع) عن الأعمش به وأخرجه أحمد (١٤٧/٥ ، ١٤٨ ، ١٥٥ ، ١٨٠) من طريقين عن المعرور بن سويد به نحوه .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « لنفسه فصله يوم القيامة في حكمه وعدله » .
[٢] - في ز : « عثمان » . [٣] - في ز : « عن » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

من عمل حسنة فله عشر أمثالها وأزيد ، ومن عمل سيئة فجزاؤه[١] **مثلها أو أغفر ، ومن عمل قراب الأرض خطيئة ، ثم لقيني لا يشرك بي شيئًا جعلت له مثلها مغفرة ، ومن [ ]**[٢] **اقترب إليّ شبرًا اقتربت إليه ذراعًا ، ومن اقترب إليّ ذراعًا اقتربت إليه باعًا ، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة »** .

ورواه مسلم : عن أبي كريب ، عن أبي معاوية به . وعن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن وكيع ، عن الأعمش به . ورواه ابن ماجه : عن علي بن محمد الطنافسي ، عن وكيع به .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي(٣٨٩) : حدثنا شيبان ، حدثنا حماد ، حدثنا ثابت ، عن أنس ابن مالك - رضي الله عنه - : أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « **من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشرًا ، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم يكتب عليه شيء ، فإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة**[٣] » .

واعلم أن تارك السيئة الذي لا يعملها على ثلاثة أقسام ؛ تارة يتركها لله ، فهذا تكتب[٤] له حسنة على كفه عنها لله تعالى ، وهذا عمل ونية ، ولهذا جاء أنه يكتب له حسنة ، كما جاء في بعض ألفاظ الصحيح(٣٩٠) : « **فإنما تركها من جرائي**[٥] » أي : من أجلي . وتارة يتركها نسيانًا وذهولًا عنها ، فهذا لا له ولا عليه ؛ لأنه لم ينو خيرًا ولا فعل شرًّا . وتارة يتركها عجزًا وكسلًا عنها ، بعد السعي في أسبابها والتلبس بما يقرب منها ، فهذا يتنزل منزلة فاعلها ، كما جاء [في الحديث][٦] في الصحيحين(٣٩١) [عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال][٧] : « **إذا تواجه**

(٣٨٩) - **صحيح** ، أبو يعلى في مسنده (٣٤٥١/٦) وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٤٨/١٠) وقال : « رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح » وهو جزء من حديث الإسراء الطويل الذي أخرجه أحمد (١٤٨/٣، ١٤٩) ، ومسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : الإسراء برسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى السماوات ، وفرض الصلوات (٢٥٩) (١٦٢) .

(٣٩٠) - أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب : الإيمان ، باب : إذا همّ العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب (٢٠٥) (١٢٩) من طريق همام بن مُنَبِّه عن أبي هريرة به ومن وجه آخر عن أبي هريرة ، أخرج البخاري في صحيحه، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿**يريدون أن يبدِّلوا كلام الله**﴾. (٧٥٠١) بلفظ : « ... **يقول الله إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها فإن عملها فاكتبوها بمثلها ، وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة** » .

(٣٩١) - **صحيح** ، تقدم تخريجه [سورة المائدة / آية ٢٨] .

[١] - في ز : « فجزاؤها » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « أومن » .
[٣] - سقط من: خ ، ز .
[٤] - في ز : « يكتب » .
[٥] - في ز : « جراي » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار » . قالوا : يارسول الله ، هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال : « **إنه كان حريصًا علىٰ قتل صاحبه** » .

وقال الإمام أبو يعلي الموصلي(٣٩٢) : حدثنا مجاهد بن موسىٰ ، حدثنا علي وحدثنا الحسن بن الصباح وأبو خيثمة قالا : حدثنا إسحاق بن سليمان كلاهما[١] ، عن موسىٰ بن عبيدة ، عن أبي بكر بن عبيد الله بن أنس ، عن جده أنس ، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **من هم بحسنة كتب الله له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشرًا**[٢] ، **ومن هم بسيئة لم تكتب عليه حتىٰ يعملها ، فإن عملها كتبت عليه سيئة ، فإن تركها كتبت له حسنة ، يقول الله تعالىٰ : إنما تركها من مخافتي** » . هذا لفظ حديث مجاهد يعني ابن موسىٰ .

وقال الإمام أحمد(٣٩٣) : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا شيبان بن عبد الرحمن ، عن الركين بن الربيع ، عن أبيه ، عن عمه فلان بن عَمِيلة ، عن خُريم بن فاتك الأسدي : أن النبي

(٣٩٢) - **إسناده ضعيف** لم أجده في المطبوع من مسنده ، ولم يعزه له الهيثمي في « المجمع » من هذه الطريق ، وإنما عزاه له من الطريق المتقدم هنا برقم (٣٩٠) ولعل هذا في « المسند الكبير » والله تعالى أعلم - وموسى بن عُبيدة هو الرَّبَذيُّ ضعيف وشيخه « مجهول الحال » كما في « التقريب ».

(٣٩٣) - **إسناده صحيح** ، « المسند » (٣٤٥/٤) - ومن طريقه أبو نعيم في « الحلية » (٣٤/٩ ، ٣٥) وابن الأثير في « أسد الغابة » (١٣١/٢) - وأخرجه البخاري في « التاريخ الكبير » (٨/ ٤٢٢/ت يُسَير ابن عَميلة) من طريق ابن مهدي وأبي داود ، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٦١٧١) من طريق أبي داود وحده ، والطبراني في « الكبير » (٤١٥٣/٤) من طريق عبيد الله بن موسى ثلاثتهم (ابن مهدي ، وأبو داود ، وعبيد الله بن موسى) عن شيبان بن عبد الرحمن به ، وفيه تسمية المبهم هنا بـ « يُسَيْر بن عميلة » وأخرجه الطبراني (٤١٥٤/٤) من طريق سفيان عن الركين به ، وابن أبي شيبة في « المسند » (٢/رقم ٤٧٣) - ومن طريقه ابن أبي عاصم في « الآحاد والمثاني » (٢/رقم ١٠٤٧) ، والطبراني في « الكبير » (٤١٥٥/٤) - عن حسين بن علي ، وابن حبان (٤٦٤٧/١٠) عن عبد الله بن المبارك والحاكم (٨٧/٢) وعنه البيهقي في « الشعب » (٤/ ٤٢٦٨) من طريق معاوية بن عمرو ثلاثتهم عن زائدة عن الركين بن الربيع عن أبيه عن يُسَير بن عميلة عن خريم به وخالفهم موسى بن مسعود - وهو سيئ الحفظ - فرواه عن زائدة عن الركين عن أبيه أراه ابن عميلة عن خريم به ، علقه البخاري في « التاريخ » ثم أخرجه من طريق مالك بن إسماعيل عن مسلمة بن جعفر عن الركين الفزاري قال : حدثني عمي عن أبي عن خريم به ومن طريق مالك بن إسماعيل أخرجه الطبراني في « الكبير » (٤١٥١/٤) غير أنه تحرف عنده مسلمة بن جعفر إلى مسلمة بن إسحاق ووقع عنده : « حدثني عمي عن أبي عبد خريم » ، وأخرجه الحاكم (٨٧/٢) وعنه البيهقي في « الشعب » (٤٢٦٩/٤ ، ٤٢٧٠) من طريق مسلمة بن جعفر =

[١] - في ز : « كلا » . [٢] - في ز : « عشر » .

صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **الناس أربعة والأعمال ستة ؛ فالناس مُوَسَّعٌ له في الدنيا والآخرة ، وموسع له في الدنيا مقتور عليه في الآخرة ، ومقتور عليه في الدنيا موسع له في الآخرة ، وشقي في الدنيا والآخرة . والأعمال ؛ مُوجِبَتان ، ومثل بمثل ، وعشرة أضعاف ، وسبعمائة ضعف ، فالموجبتان : من مات مسلمًا مؤمنًا لا يشرك باللَّه شيئًا وجبت له الجنة ، ومن مات كافرًا وجبت له النار ، ومن هم بحسنة فلم يعملها ، فعلم اللَّه أنه قد أشعرها قلبه ، وحرص عليها كتبت له حسنة ، ومن هم بسيئة لم تكتب عليه ، ومن عملها كتبت واحدة ولم تضاعف عليه ، ومن عمل حسنة كانت عليه بعشر أمثالها ، ومن أنفق نفقة في سبيل اللَّه - عز وجل - كانت له بسبعمائة ضعف** » .

ورواه الترمذي والنسائي(٣٩٤) : من حديث الركين بن الربيع ، عن أبيه ، عن يسير بن عميلة ، عن خُرَيْمِ بن فَاتِكٍ به ببعضه ، و اللَّه أعلم .

وقال ابن أبي حاتم(٣٩٥) : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا عبيد اللَّه بن عمر القواريري ، حدثنا يزيد ابن زريع ، حدثنا حبيب المعلم ، عن عمرو[١] بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي

= عن الركين حدثني عمي عن أبي يحيى خريم بن فاتك به وأخرجه ابن الجوزي في « العلل المتناهية » (١٣٥٠/٢) من طريق مسلمة بن جعفر - تصحف إلى حفص سمعت الركين الفزاري قال : حدثني عمي عن خريم بن فاتك ومسلمة بن جعفر لم يوثقه غير ابن حبان (١٨٠/٩) ، ورواه الطبراني في « الكبير » (٤١٥٢/٤) وفي « الأوسط » (٤٠٥٩/٤) من طريق الحكم بن بشير عن عمرو بن قيس عن الركين بن ربيع عن الربيع بن عميلة عن خريم به ، والرواي عن الحكم بن بشير مهران أبو عبد اللَّه الرازي سيئ الحفظ ، واضطرب فيه المسعودي فرواه مرة عن الركين بن ربيع عن رجل عن خريم ، ومرة عن الركين عن أبيه عن خريم أخرجه أحمد (٣٢١/٤ ، ٣٤٦) وهذه الروايات كلها خطأ ، قال البخاري : « الأول أصح » يعني رواية من رواه - وهم شيبان وسفيان وزائدة - عن الركين عن أبيه عن عمه يُسير بن عميلة عن خريم به ، وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات رجال مسلم غير يسير بن عميلة وهو ثقة وقد صحح هذا الحديث ابن حبان والحاكم . ووهم فيه ابن الجوزي ، فقال عقبه : « هذا حديث لا يصح عن رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - والمتهم به الركين ، قال جرير : لم يكن ممن يؤخذ عنه الحديث كان عريفًا وكان مغفلًا » ولم يتعقبه الذهبي في « تلخيص العلل » (رقم ٨٧٧) والذي جرحه جرير وغيره هو « الركين بن عبد الأعلى » وأما الذي هنا فثقة لم يجرحه أحد ولله الأمر من قبل ومن بعد . وانظر ما تقدم في [سورة البقرة/آية ٢٦١] .

(٣٩٤) - **إسناده صحيح** ، تقدم تخريجه [سورة البقرة/آية ٢٦١] .

(٣٩٥) - **إسناده حسن** ، في تفسيره (٨١٦٧/٥) وعزاه له السيوطي في « الدر المنثور » (١٢٠/٣)=

---

[١] - في ز : « عمر » .

صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **يحضر الجمعة ثلاثة نفر ؛ رجل حضرها بلغو[١] فهو حظه منها ، ورجل حضرها بدعاء فهو رجل دعا اللَّه ؛ فإن[٢] شاء أعطاه ، وإن شاء منعه ، ورجل حضرها بإنصات وسكوت ، ولم يتخط رقبة مسلم ، ولم يؤذ أحدًا ، فهي كفارة له إلىٰ الجمعة التي تليها ، وزيادة ثلاثة أيام** » . وذلك لأن اللَّه عز وجل يقول : ﴿ **من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها** ﴾ .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني(٣٩٦) : حدثنا هاشم بن مَرْثَد ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثني أبي ، حدثني ضمضم بن زرعة ، عن شريح بن عبيد ، عن أبي مالك الأشعري ، قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **الجمعة كفارة لما بينها وبين الجمعة التي تليها[٣]** ، **وزيادة ثلاثة أيام ، وذلك لأن اللَّه تعالىٰ قال : ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴾** » .

وعن أبي ذر - رضي اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **من صام ثلاثة أيام من [كل شهر][٤] فقد صام الدهر كله** » .

= وكذا لابن مردويه فحسب ، فقصر !! فقد أخرجه أحمد (٢/٢١٤) (٧٠٠٢) وأبو داود ، كتاب : الصلاة ، باب : الكلام والإمام يخطب (١١١٣) ومن طريقه البيهقي في « السنن الكبرى » (٣/٢١٩) - وابن خزيمة في صحيحه (٣/رقم ١٨١٣) من طرق عن يزيد - وهو ابن زريع به ، وهذا إسناد حسن للخلاف المعروف في رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، وأخرجه أحمد (٢/١٨١) (٦٧٠١) ثنا محمد بن جعفر ثنا سعيد عن يوسف - غير منسوب - عن عمرو بن شعيب به ، وأخرجه ابن عدي في « الكامل » (٤/١٥٦٦) من طريق عبد اللَّه بن بزيع عن سعيد عن أيوب عن عمرو به نحوه ، وعبد اللَّه بن بزيع هذا قال فيه ابن عدي : « أحاديثه عمن يروى عنه ليست بمحفوظة أو عامتها » وقال الدارقطني : « لين ، ليس بمتروك » وقال الساجي : « ليس بحجة » [انظر « لسان الميزان » (٣/٣١٦)] .

(٣٩٦) - **منقطع** ، في « المعجم الكبير » (٣/٣٤٥٩) ومحمد بن إسماعيل هو ابن عياش ، قال أبو داود ، « لم يكن بذاك .. سألت عمرو بن عثمان عنه ، فَدَفَعَهُ » ومع ضعفه فهو لم يسمع من أبيه شيئًا فقال الهيثمي في « المجمع » (٢/١٧٦ ، ١٧٧) - وعزا الحديث للطبراني في « الكبير » : « فيه محمد بن إسماعيل بن عياش عن أبيه - قال أبو حاتم - : « الجرح والتعديل » (٧/ت١٠٧٨) لم يسمع من أبيه شيئًا » قلت : وهو منقطع أيضًا بين شريح بن عبيد وأبي مالك الأشعري ؛ فإن شريحًا لم يسمع منه ، قاله أبو حاتم أيضًا كما في « جامع التحصيل » للعلائي (ص ١٩٥) ، لكن يشهد له حديث أبي هريرة عند مسلم (٢٦ ، ٢٧) (٨٥٧) وغيره بنحوه وليس فيه ذكر الآية .

---

[١] - في ز : « بلغوا » .
[٢] - في ز : « إن » .
[٣] - في خ ، ز : « قبلها » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « الشهر » .

رواه الإمام أحمد وهذا لفظه(٣٩٧) ، والنسائي وابن ماجة والترمذي وزاد : فأنزل اللَّه تصديق ذلك في كتابه ﴿ **من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها** ﴾ اليوم بعشرة أيام . ثم قال : هذا حديث حسن .

وقال ابن مسعود(٣٩٨) : ﴿ **من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها** ﴾ من جاء بلا إله إلا اللَّه ، ومن جاء بالسيئة يقول بالشرك .

وهكذا جاء[١] عن جماعة من السلف .

وقد ورد فيه حديث مرفوع اللَّه أعلم بصحته(٣٩٩) ، لكني لم أره من وجه يثبت ، والأحاديث والآثار في هذا كثيرة جدًّا ، وفيما ذكر كفاية إن شاء اللَّه وبه الثقة .

قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾

يقول تعالىٰ آمرًا نبيه[٢] صلىٰ اللَّه عليه وسلم سيد المرسلين : أن يخبر بما أنعم اللَّه به عليه من الهداية إلىٰ صراطه المستقيم ، الذي لا اعوجاج[٣] فيه ولا انحراف ﴿ **دينًا قيمًا** ﴾ أي : قائمًا ثابتًا

(٣٩٧) - **إسناده صحيح** ، « المسند » (١٤٥/٥ ، ١٤٦) وأخرجه الترمذي ، كتاب : الصوم ، باب : ما جاء في صوم ثلام أيام من كل شهر (٧٦٢) والنسائي ، كتاب : الصيام (٢١٩/٤) ، وابن ماجه ، كتاب : الصيام ، باب : ما جاء في صيام ثلاثة أيام من كل شهر (١٧٠٨) والبزار في مسنده (٣٩٠٤/٩) وابن أبي حاتم في تفسيره (٨١٦٦/٥) من طرق عن عاصم الأحول عن أبي عثمان النهدي عن أبي ذر به وحسنه الترمذي ، وفي بعض النسخ قال : « حسن صحيح » والآخير أشبه ؛ إذ إن رجاله ثقات رجال الشيخين وسنده متصل ولا وجه لإعلاله بأنه قد رواه غير عاصم عن أبي عثمان عن أبي هريرة وانظر « العلل » للدارقطني (٦/س ١١٤١) .

(٣٩٨) - أخرجه ابن أبي حاتم (٨١٦٥/٥) بإسناد حسن ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١١٨/٣) إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي نعيم في « الحلية » ولم أجده في ترجمته من « الحلية » (١٢٤/١ : ١٣٩) فلعله في مكان آخر منها واللَّه أعلم .

(٣٩٩) - **منقطع** ، وهو ما أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨١٧٠/٥) من حديث عقبة بن عامر قال : « تلقاني أصحابي فقالوا : قال النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - ﴿ **ومن جاء بالسيئة** ﴾ قال : « هي كلمة الشرك » وفي سنده انقطاع .

[١] - في ز : « ورد » .
[٢] - في ز : « لنبيه » .
[٣] - في ز : « انعواج » .

﴿ ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين ﴾ ، كقوله : **﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ﴾** ، وقوله : **﴿ وجاهدوا في اللَّه حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم ﴾** ، وقوله : **﴿ إن إبراهيم كان أمّة قانتًا للَّه حنيفًا ولم يك من المشركين * شاكرًا لأنعمه اجتباه وهداه إلىٰ صراط مستقيم * وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين * ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين ﴾** .

وليس يلزم من كونه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أمر باتباع ملة إبراهيم [ ][1] الحنيفية : أن يكون إبراهيم أكمل منه فيها ؛ لأنه عليه السلام قام بها قيامًا عظيمًا ، وأكملت له إكمالا تامًا ، لم يسبقه أحد إلىٰ هذا الكمال ، ولهذا كان[2] خاتم الأنبياء ، وسيد ولد آدم علىٰ الإطلاق ، وصاحب المقام المحمود الذي يرغب إليه الخلق حتىٰ [إبراهيم][3] الخليل عليه السلام .

وقد قال ابن مردويه(٤٠٠) : حدثنا محمد بن عبد اللَّه بن حفص ، حدثنا أحمد بن عصام ، حدثنا أبو داود الطيالسي ، حدثنا شعبة ، أنبأنا سلمة بن كهيل ، سمعت ذر بن عبد اللَّه الهمداني يحدث ، عن ابن أبزىٰ ، عن أبيه ، قال : كان رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم إذا أصبح قال : « **أصبحنا علىٰ ملة الإسلام ، وكلمة الإخلاص ، ودين نبينا محمد ، وملة أبينا[4] إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين** » .

---

(٤٠٠) - **صحيح** ، وعزاه لابن مردويه السيوطي في « الدر المنثور » (١٢٣/٣) ، وأخرجه أحمد (٣/ ٤٠٦، ٤٠٧) ، والنسائي في « عمل اليوم والليلة » (رقم ٣) من طريق شعبة به ، وجاء تسمية ابن أبزى في الموضع الثاني عند أحمد ، وهو « سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى » قلت : وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين وذكره الهيثمي في « المجمع » (١١٩/١٠) وقال : « رواه أحمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح » ، وقد رواه سفيان عن سلمة بن كهيل به غير أنه قال : « عبد اللَّه بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه » أخرجه أحمد (٤٠٧/٣) ، والدارمي (٢٦٩١) ، والنسائي (١/ ٣٤٣، ٣٤٤) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٤٣/٦) ، والطبراني في « الدعاء » (٢/رقم ٢٩٤) ، قال الحافظ ابن حجر في « نتائج الأفكار » (ص ١٧٦) : « رجاله محتج بهم في الصحيح ، إلا عبد اللَّه ابن عبد الرحمن وهو حسن الحديث » وقال أيضًا : « حديث حسن » وسعيد وعبد اللَّه أخوان ، قال الأثرم : قلت لأحمد : أيهما أحب إليك ؟ قال: « كلاهما عندي حسن الحديث » قلت: وسعيد أوثق من عبد اللَّه فقد روىٰ له الجماعة ووثقه النسائي ، وابن حبان ، وابن شاهين ، والذهبي ، وابن حجر ، وأما عبد اللَّه فلم يوثقه غير ابن حبان ، وحَسَّنَ حديثه أحمد ، وقال عنه في « التقريب » : مقبول .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « في » . [٢] - في ز : « قال » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت . [٤] - سقط من : ز .

وقال[١] الإمام أحمد(٤٠١) : حدثنا يزيد ، أخبرنا محمد بن إسحاق ، عن داود بن الحُصَين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما أنه[٢] قال : قيل لرسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : أيُّ الأديان أحبُّ إلىٰ اللَّه تعالىٰ ؟ قال : « **الحنيفية السَّمْحَة** » .

وقال أحمد أيضًا(٤٠٢) : حدثنا سليمان بن داود ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة - رضي اللَّه عنها - قالت : وضع رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ذقني[٣] علىٰ منكبه ؛ لأنظر إلىٰ زفن الحبشة ، حتىٰ كنت التي مللت فانصرفت عنه. قال عبد الرحمن، عن أبيه، قال: قال لي عروة : إن عائشة قالت : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه

(٤٠١) - **إسناده ضعيف ، وهو حديث صحيح** ، « المسند » (٢٣٦/١) (رقم ٢١٠٧) - ومن طريقه ابن حجر في « تغليق التعليق » (٤١/٢) - وأخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» (٥٦٩) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٢٨٧) ، والبزار (١/رقم ٧٨ - كشف) والطبراني في « الكبير » (١١٥٧١/١١ ، ١١٥٧٢) ، وفي « الأوسط » (١/رقم ١٠٠٦) من طريق محمد بن إسحاق به ، وهذا إسناد ضعيف لضعف داود بن حصين في عكرمة ، قال أبو داود وغيره : « أحاديثه عن عكرمة مناكير » ومحمد بن إسحاق مدلس وقد عنعن ، وبه أعله الهيثمي فقال في « المجمع » (٦٥/١) : « رواه أحمد والطبراني في « الكبير » و« الأوسط » ، والبزار ، وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ولم يصرح بالسماع » وقال الحافظ في « التغليق »: « لم أره من حديثه إلا معنعنًا » ومع هذا فقد حسن هذا الإسناد في « الفتح » (٩٤/١) ومع كون هذا الإسناد ضعيفًا إلا أن الحديث له شواهد كثيرة يصح بها - منها الآتي بعد هذا - ولذلك علقه البخاري في صحيحه - جازمًا به فقال: « باب: الدِّينُ يُسْر »، وقول النبي صلى اللَّه عليه وسلم : « أَحبُّ الدين إلى اللَّه الحنيفية السمحة » ، وانظر [سورة الأعراف/آية ١٥٧] و[التوبة/آية ١٢٨] وانظر أيضًا الحديث الآتي .

(٤٠٢) - **إسناده حسن** ، « المسند » (١١٦/٦) ومختصرًا (٢٣٣/٦) والجزء الأخير منه المعلق هنا موصول عند أحمد في الموضعين من طريق سليمان بن داود ، ثنا عبد الرحمن - يعني ابن أبي الزناد - عن أبيه به .

وكذا نقله الحافظ ابن حجر في « تغليق التعليق » (٤٣/٢) من « المسند » كما هنا ، وقال عقبه : « هذا الإسناد حسن ، وفي الباب عن أبي بن كعب ، وجابر ، وابن عمر ، وأبي أمامة ، وأبي هريرة ، وأسعد بن عبد اللَّه الخزاعي وغيرهم » وذكر الحافظ له هناك عدة شواهد أخرى مرسلة مصححًا بعضها ، عزا حديث عائشة هذا بهذه الرواية في « الفتح » (٤٤٤/٢) إلى السراج وقد عزاه العجلوني في « كشف الخفا » إلى « الديلمي » ، وذكره الألباني في « الصحيحة » (٤٤٣/٤) من طريق أحمد هذه مُجوِّدًا لإسناده ، وصحح اللفظ المقصود هنا من قَبْلُ في « الصحيحة » أيضًا (٢/رقم ٨٨١) .

[١] - في ز : « قال » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من: خ ، ز .

عليه وسلم يومئذ : « **لتعلم**[١] **يهود أن في ديننا فسحة ، إني أرسلت بحنيفية سمحة** » .

أصل الحديث مخرج في الصحيحين(٤٠٣) ، والزيادة لها شواهد من طرق عدة ، وقد استقصيت طرقها في شرح البخاري ، ولله الحمد والمنة .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين** ﴾ يأمره تعالىٰ أن يخبر المشركين ، الذين يعبدون غير الله ، ويذبحون لغير اسمه : أنه مخالف لهم في ذلك ، فإن صلاته لله ، ونسكه علىٰ اسمه وحده لا شريك له ، وهذا كقوله تعالىٰ : ﴿ **فصل لربك وانحر** ﴾ أي : أخلص له صلاتك وذبحك[٢] ، فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام ويذبحون لها ، فأمره الله تعالىٰ بمخالفتهم ، والانحراف عما هم فيه ، والإقبال بالقصد والنية والعزم علىٰ الإخلاص لله تعالىٰ .

قال مجاهد في قوله : ﴿ **إن صلاتي ونسكي** ﴾ [قال][٣] النسك : الذبح في الحج والعمرة .

وقال الثوري : عن السدي ، عن سعيد بن جبير ﴿ **ونسكي** ﴾ قال : ذبحي . وكذا قال السدي والضحاك .

وقال ابن أبي حاتم(٤٠٤) : حدثنا محمد بن عوف ، حدثنا أحمد بن خالد الوهبي[٤] ، حدثنا

---

(٤٠٣) - البخاري، كتاب: الصلاة ، باب : أصحاب الحراب في المسجد (٤٥٤) ، - وانظر أطرافه ثمة - ومسلم ، كتاب : صلاة العيدين ، باب : الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد (٨٩٢) .

(٤٠٤) - **إسناده ضعيف** ، في تفسيره (٨١٨٣/٥) ، وأخرجه الدارمي (١٩٥٢) ، والبيهقي في « الكبرى » (٢٨٧/٩) من طريق أحمد بن خالد به ، وأبو داود ، كتاب : الضحايا ، باب : ما يستحب من الضحايا (٢٧٩٥) - ومن طريقه البيهقي - وابن ماجه، كتاب : الأضاحي ، باب : أضاحي رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣١٢١) ، والمزي في « تهذيب الكمال » [(٣٤/ ١٦٣) ، ت/ أبي عياش المَعَافري المصري] من طريق محمد بن إسحاق به ، وإسناده ضعيف ، لعنعنة ابن إسحاق وجهالة حال أبي عياش هذا وهو المعافري المصري ، وأما ما وقع نسبته عند ابن ماجه بأنه : « أبو عياش الزرقي » - وهما اثنان بهذا الاسم أحدهما صحابي ، والآخر تابعي اسمه زيد بن عياش وهو ثقة - فمع كون إسناده لا يسلم من عنعنة ابن إسحاق فهو خطأ ، قال الألباني في « الإرواء » (٣٥١/٤) : « يؤيده أنهم لم يذكروا في الرواة عنه يزيد بن أبي حبيب =

---

[١] - في ز : « ليعلم » . [٢] - في خ ، ز : « وذبيحتك » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت . [٤] - في ز : « الذهبي » .

محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن [أبي عياش][١] ، عن جابر بن[٢] عبد الله ، قال : ضحىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في يوم عيد بكبشين ، وقال حين [ذبحهما][٣] : ﴿ **وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين** ﴾ ، ﴿ **إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي للّه رب العالمين * لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وأنا أول المسلمين** ﴾ ، قال قتادة : أي من هذه الأمّة .

وهو كما قال ، فإن جميع الأنبياء قبله كلهم كانت دعوتهم إلىٰ الإسلام ، وأصله عبادة الله وحده لا شريك له ، كما قال : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلّا نوحي[٤] إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾ ، وقد أخبر تعالىٰ عن نوح أنه قال لقومه : ﴿ **فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا علىٰ اللّه وأمرت أن أكون من المسلمين** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين * إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين * ووصىٰ بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن اللّه اصطفىٰ لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾ ، وقال يوسف عليه السلام : ﴿ **رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلمًا وألحقني بالصالحين** ﴾ ، وقال موسىٰ : ﴿ **يا قوم إن كنتم آمنتم باللّه فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين * فقالوا علىٰ اللّه توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين * ونجنا برحمتك من القوم الكافرين** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها**

= وإنما ذكروه في الرواة عن المعافري » قلت : ويؤيده أيضًا أنهم ذكروا المعافري هذا في شيوخ خالد بن أبي عمران التُّجيبي ، وقد أخرج أحمد هذا الحديث في «المسند » (٣٧٥/٣) ، وكذا ابن خزيمة في صحيحه (٢٨٩٩/٤) ، والحاكم في « المستدرك » (٤٦٧/١) من طريق ابن إسحاق حدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن خالد بن أبي عمران ، عن أبي عياش عن ، جابر به ، وصححه الحاكم على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي ، وهو مع كونه خلا من عنعنة ابن إسحاق إلا أن أبا عياش هذا مجهول الحال ، ولم يخرج له مسلم ، ولحديث جابر طرق أخرى بألفاظ أخر صحيحة انظرها في « الإرواء » (٤/رقم ١١٣٨) ولهذا اللفظ شاهد من حديث عمران بن حصين عند الحاكم (٢٢٢/٤) وصحح إسناده فرده الذهبي بأن في إسناده : «أبا حمزة - وهو الثمالي - ضعيف جدًّا، وابن إسماعيل - وهو النضر بن إسماعيل البجلي - ليس بذاك » ولهذا كان من نصيب ضعيفة الألباني (٢/رقم ٥٢٨).

---

[١] - في « ت » « ابن عباس » وفي ز : « أبي عباس » وكلاهما خطأ والصواب ما أثبتناه انظر مصادر التخريج .

[٢] - في ز : « أن » .

[٣] - في تفسير ابن أبي حاتم « وجههما » .

[٤] - في ز : « يوحى » .

النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار ﴾ الآية ، وقوله تعالىٰ : ﴿ **وإذ أوحيت إلىٰ الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون** ﴾ .

فأخبر تعالىٰ أنه[١] بعث رسله بالإسلام ، ولكنهم متفاوتون فيه ، بحسب شرائعهم الخاصة التي ينسخ بعضها بعضًا ، إلىٰ أن نسخت بشريعة محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم التي لا تنسخ أبد الآبدين ، ولا تزال قائمة منصورة ، وأعلامها مشهورة إلىٰ قيام الساعة ، ولهذا قال عليه السلام : « **نحن معاشر الأنبياء أولاد[٢] علات ديننا واحد** »(٤٠٥) ، فإن أولاد العلات : هم الأخوة من أب واحد وأمهات شتىٰ ، فالدين واحد وهو عبادة اللَّه وحده لا شريك له ، وإن تنوعت الشرائع التي هي بمنزلة الأمهات ، كما أن إخوة الأخياف عكس هذا : بنو[٣] الأم الواحدة من آباء شتىٰ ، والأخوة الأعيان : الأشقاء[٤] من أب واحد وأم واحدة ، و اللَّه أعلم .

وقد قال الإمام أحمد(٤٠٦) : حدثنا أبو سعيد ، حدثنا عبد العزيز بن عبد اللَّه الماجشون ، حدثنا عبد اللَّه بن الفضل الهاشمي ، عن الأعرج ، عن عبيد اللَّه بن أبي رافع ، عن علي رضي اللَّه عنه ، أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم كان إذا كبر استفتح ثم قال : « ﴿ **وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين** ﴾ ، ﴿ **إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي للَّه رب العالمين * لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول[٥] المسلمين** ﴾ ، **اللَّهم أنت الملك ، لا إله إلا أنت [أنت][٦] ربي وأنا عبدك ، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي ، فاغفر لي ذنوبي جميعًا لا يغفر الذنوب إلا أنت ، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت، تباركت وتعاليت ، أستغفرك وأتوب إليك** » . ثم ذكر تمام الحديث فيما يقوله في الركوع والسجود والتشهد ، وقد رواه مسلم في صحيحه .

﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ وَلَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٍ إِلَّا عَلَيۡهَاۚ وَلَا

(٤٠٥) - **صحيح** ، تقدم في هذه السورة برقم (٣٨٦) .

(٤٠٦) - **صحيح** ، « المسند » (٩٤/١) (٧٢٩) وأخرجه أيضًا (٩٣/١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١١٩) ، ومسلم ، كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ، باب : الدعاء في صلاة الليل وقيامه (٧٧١) ، وأبو داود (٧٤٤ ، ٧٦٠ ، ٧٦١، ١٥٠٩) ، والترمذي (٢٦٦ ، ٣٤١٨ ، ٣٤١٩) ، والنسائي (٢/ ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٩٢ ، ٢٢٠ ، ٢٢١) ، وابن ماجه (٨٦٤ ، ١٠٥٤) من طرق عن عبد الرحمن الأعرج به مطولًا ومختصرًا .

[١] - في ز : « أن » .
[٢] - في ز : « أولات » .
[٣] - في ز : « بني » .
[٤] - في ز : « والأشقاء » .
[٥] - في ز : « من » .
[٦] - زيادة من ز .

تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين باللَّه في إخلاص العبادة له والتوكل عليه ﴿ **أغير اللَّه أبغي ربًا** ﴾ أي : أطلب ربًّا سواه ﴿ **وهو رب كل شيء** ﴾ يربيني ويحفظني ويكلؤني ويدبر أمري ، أي : لا أتوكل إلا عليه ، ولا أنيب إلا إليه ؛ لأنه رب كل شيء ومليكه ، وله الخلق والأمر .

[ففي هذه الآية][١] الأمر بإخلاص [العبادة و][٢] التوكل ، كما تضمنت الآية التي قبلها إخلاص العبادة [للَّه وحده][٣] لا شريك له ، وهذا معنىً يقرن بالآخر كثيرًا [في القرآن][٤] ، كقوله تعالىٰ مرشدًا لعباده أن يقولوا له[٥] : ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ ، وقوله : ﴿ **فاعبده وتوكل عليه** ﴾ ، وقوله : ﴿ **قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا** ﴾ ، وقوله : ﴿ **رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلًا** ﴾ وأشباه ذلك من الآيات .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرىٰ** ﴾ إخبار عن الواقع يوم القيامة ، في جزاء اللَّه تعالىٰ وحكمه وعدله : أن النفوس إنما تجازىٰ بأعمالها إن خيرًا فخير ، وإن شرًّا فشر ، وأنه لا يحمل من خطيئة أحد علىٰ أحد ، وهذا من عدله تعالىٰ ، كما قال : ﴿ **وإن تدع مثقلة إلىٰ حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربىٰ** ﴾ ، وقوله تعالىٰ : ﴿ **فلا[٦] يخاف ظلمًا ولا هضمًا** ﴾ قال علماء التفسير : أي : فلا يظلم بأن يحمل[٧] عليه سيئات غيره ، ولا يهضم بأن ينقص من حسناته ، وقال تعالىٰ : ﴿ **كل نفس بما كسبت رهينة * إلا أصحاب اليمين** ﴾ معناه : كل نفس مرتهنة بعملها السيئ إلا أصحاب اليمين ، فإنه قد تعود بركات أعمالهم الصالحة علىٰ ذرياتهم[٨] [وقراباتهم ، كما قال في سورة الطور : ﴿ **والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم**][٩] **بإيمان ألحقنا بهم [ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء** ﴾ أي : ألحقنا بهم][١٠] ذرياتهم في المنزلة الرفيعة في الجنة ، وإن لم يكونوا قد شاركوهم في الأعمال ، بل في أصل الإيمان ، ﴿ **وما ألتناهم** ﴾ أي : أنقصنا[١١] أولئك السادة الرفعاء من أعمالهم شيئًا ، حتىٰ ساويناهم وهؤلاء الذين هم أنقص منهم [ ][١٢] منزلة ، بل رفعهم تعالىٰ إلىٰ منازل الآباء

---

[١] – في ز : « بهذه الآية فيها » .
[٢] – زيادة من خ .
[٣] – ما بين المعكوفتين في ز : « له » .
[٤] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٥] – سقط من : ز .
[٦] – في ز : « لا » .
[٧] – في ز : « تحمل » .
[٨] – في خ ، ز : « ذراريهم » .
[٩] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[١٠] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[١١] – في ز : « انقضا » .
[١٢] – ما بين المعكوفتين في ز : « في » .

ببركة أعمالهم بفضله ومنته ، ثم قال : ﴿ **كل امرئ بما كسب رهين** ﴾ أي : من شر .

وقوله : ﴿ **ثم إلىٰ ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون** ﴾ أي : اعملوا علىٰ مكانتكم[١] ، إنا عاملون علىٰ ما نحن عليه ، فستعرضون ونعرض عليه ، وينبئنا وإياكم بأعمالنا وأعمالكم ، وما كنا نختلف فيه في الدار الدنيا ، كقوله : ﴿ **قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون * قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم** ﴾ .

وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **وهو الذي جعلكم خلائف الأرض** ﴾ أي : جعلكم تعمرونها[٢] جيلًا بعد جيل ، وقرنًا بعد قرن ، وخلفًا بعد سلف . قاله[٣] ابن زيد وغيره ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون** ﴾ ، [وكقوله تعالىٰ : ﴿ **ويجعلكم خلفاء الأرض** ﴾ ، وقوله : ﴿ **إني جاعل في الأرض خليفة** ﴾][٤] ، وقوله : ﴿ **عسىٰ ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ورفع بعضكم فوق بعض درجات** ﴾ أي : فاوت بينكم في الأرزاق والأخلاق ، والمحاسن والمساوئ ، والمناظر والأشكال والألوان ، وله الحكمة في ذلك ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضًا سخريًّا** ﴾ ، وقوله : ﴿ **انظر كيف فضلنا بعضهم علىٰ بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلًا** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ليبلوكم فيما آتاكم** ﴾ أي : ليختبركم في الذي أنعم به عليكم ، وامتحنكم به ، ليختبر الغني في غناه ويسأله عن شكره ، والفقير في فقره ويسأله عن صبره .

وقد روى مسلم في صحيحه(٤٠٧) : من حديث أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

(٤٠٧) - صحيح مسلم كتاب : الرقاق ، باب : أكثر أهل الجنة الفقراء ، وأكثر أهل النار النساء ، وبيان الفتنة بالنساء (٩٨) (٢٧٤٢) ، وأخرجه أحمد في « المسند » (٢٢/٣ ، ٤٠ ، ٦٨) والنسائي في « الكبرى » كتاب : عشرة النساء ، باب : ما ذكر في النساء (٩٢٦٩/٥) وسيذكره المصنف في [سورة يونس/آية ١٤] و [سورة الكهف /آية ٨] .

[١] - في ز : « مكاناتكم » .
[٢] - في ز : « تعمرون الأرض » .
[٣] - في ز : « قال » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن اللَّه مستخلفكم فيها ، لينظر ماذا**[١] **تعملون ، فاتقوا الدنيا**[٢] ، **واتقوا النساء ؛ فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء** » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم** ﴾ ترهيب وترغيب ، أن حسابه وعقابه سريع فيمن[٣] عصاه ، وخالف رسله ﴿ **وإنه لغفور رحيم** ﴾ لمن والاه ، واتبع رسله فيما جاءوا به من خبر وطلب .

وقال محمد بن إسحاق : يرحم العباد علىٰ ما فيهم . رواه ابن أبي حاتم(٤٠٨) .

وكثيرًا ما يقرن اللَّه تعالىٰ في القرآن بين هاتين الصفتين ، كقوله : [﴿ **وإن ربك لذو مغفرة للناس علىٰ ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب** ﴾ ، وقوله][٤] : ﴿ **نبىء عبادي أني أنا الغفور الرحيم * وأن عذابي هو العذاب الأليم** ﴾ إلىٰ[٥] غير ذلك من الآيات المشتملة علىٰ الترغيب والترهيب ، فتارة يدعو عباده إليه بالرغبة ، وصفة الجنة ، والترغيب فيما لديه ، وتارة يدعوهم إليه بالرهبة ، وذكر النار وأنكالها وعذابها والقيامة وأهوالها ، وتارة بهذا وبهذا لينجع في كل بحسبه ، جعلنا اللَّه ممن أطاعه فيما أمر ، وترك ما عنه نهىٰ وزجر ، وصدقه فيما أخبر ، إنه قريب مجيب ، سميع الدعاء ، جواد كريم وهاب .

وقد قال الإمام أحمد(٤٠٩) : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا زهير ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **لو يعلم المؤمن ما عند اللَّه من العقوبة ما طمع بالجنة أحد ، ولو يعلم الكافر ما عند اللَّه من الرحمة ما قنط أحد من الجنة ، خلق اللَّه مائة رحمة ؛ فوضع واحدة بين خلقه يتراحمون بها ، وعند اللَّه تسعة وتسعون** » .

---

(٤٠٨) - ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١١٩٨) .

(٤٠٩) - **صحيح** ، « المسند » (٢/٤٨٤) وأخرجه أيضًا (٢/٣٣٤) ثنا أبو عامر ، ثنا زهير به ، و(٢/٣٩٧) ، ومسلم في صحيحه كتاب : التوبة ، باب : في سعة رحمة اللَّه تعالى ، وأنها سبقت غضبه (٢٣) (٢٧٥٥) والترمذي مفرقًا ، كتاب : الدعوات ، باب : خلق اللَّه مائة رحمة واحدة منها في الأرض (٣٥٣٥) ، باب : عظم العقوبة وعظم الرجاء (٣٥٣٦) من طرق عن العلاء بن عبد الرحمن به ، وأخرجه البخاري ، كتاب: الرقاق ، باب : الرجاء مع الخوف - (٦٤٦٩) من وجه آخر عن أبي هريرة بنحوه وانظر [رقم (١٤) من هذه السورة] [سورة الأعراف/ آية ١٥٦].

---

[١] - في ز : « كيف » .

[٢] - في خ : « اللَّه » .

[٣] - في ز : « ممن » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٥] - في ز : « و » .

ورواه الترمذي : عن قتيبة ، عن عبد العزيز الدراوردي ، عن العلاء به . وقال : حسن .

ورواه مسلم : عن يحيىٰ بن [يحيىٰ][١] وقتيبة وعلي بن حجر ثلاثتهم ، عن إسماعيل بن جعفر ، عن العلاء .

[آخر تفسير سورة الأنعام][٢]

☆ ☆ ☆

---

[١] - كذا ، وقد رواه مسلم عن « يحيى بن أيوب » لا عن « يحيى بن يحيى » وكلاهما شيخ لمسلم ويرويان عن إسماعيل بن جعفر ، والله أعلم .

[٢] - سقط من : ت .

تفسير سورة الأعراف

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾

قد تقدم الكلام في أول سورة البقرة علىٰ ما يتعلق بالحروف وبسطه واختلاف الناس فيه .

قال ابن جرير(١) : حدثنا سفيان بن وكيع ، حدثنا أبي ، عن شريك ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي الضحىٰ ، عن ابن عباس ﴿ **المص** ﴾ : أنا اللّٰه أفصل . وكذا قال سعيد بن جبير .

﴿ **كتاب أنزل إليك** ﴾ أي : هذا كتاب أنزل إليك ، أي : من ربك ﴿ **فلا يكن في صدرك حرج منه** ﴾ قال مجاهد وقتادة والسدي : شك منه .

وقيل : لا تتحرج به في إبلاغه والإنذار به واصبر كما صبر أولو[١] العزم من الرسل ، ولهذا قال : ﴿ **لتنذر به** ﴾ أي : أنزلناه[٢] إليك لتنذر به الكافرين ﴿ **وذكرىٰ للمؤمنين** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ مخاطبًا للعالم : ﴿ **اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم** ﴾ أي : اقتفوا آثار النبي الأمي الذي جاءكم بكتاب أنزل إليكم[٣] من رب كل شيء ومليكه ﴿ **ولا تتبعوا من دونه أولياء** ﴾ أي : لا تخرجوا عما جاءكم به الرسول إلىٰ غيره ، فتكونوا قد عدلتم عن حكم اللّٰه إلىٰ حكم غيره .

﴿ **قليلًا ما تذكرون** ﴾ كقوله : ﴿ **وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين** ﴾ ، وقوله :

---

(١) - تفسير ابن جرير (١٤٣١٠/١٢) وأخرجه البيهقي في « الأسماء والصفات » (١/رقم١٦٧) من طريق يحيى بن أبي بكير ثنا شريك به ، وشريك هو ابن عبد اللّٰه القاضي ، سيئ الحفظ ، وقد خالفه شيبان فرواه عن عطاء عن أبي الضحى قوله ، لم ينم به إلى ابن عباس ، أخرجه ابن أبي حاتم في (٨٢٠٠/٥) ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١٢٥/٣) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس .

---

[١] - في ز : « ألوا » .
[٢] - في ز : « أنزل » .
[٣] - سقط من : خ ، ز .

﴿ **وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله** ﴾ الآية[١] ، وقوله : ﴿ **وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون** ﴾ .

وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **وكم من قرية أهلكناها** ﴾ أي : بمخالفة رسلنا وتكذيبهم ، فأعقبهم ذلك خزي الدنيا موصولاً بذل الآخرة ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون** ﴾ ، وكقوله : ﴿ **فكأين[٢] من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية علىٰ عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً وكنا نحن الوارثين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **فجاءها بأسنا بياتًا أو هم قائلون** ﴾ أي : فكان منهم من جاءه أمر الله وبأسه ونقمته ﴿ **بياتًا** ﴾ أي : ليلًا ﴿ **أو هم قائلون** ﴾ من القيلولة ، وهي الاستراحة وسط النهار ، وكلا الوقتين وقت غفلة ولهو ؛ كما قال : ﴿ **أفأمن أهل القرىٰ أن يأتيهم بأسنا بياتًا وهم نائمون * أو أمن أهل القرىٰ أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون** ﴾ ، وقال : ﴿ **أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون * أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين * أو يأخذهم علىٰ تخوف فإن ربكم لرءوف رحيم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين** ﴾ أي : فما كان قولهم عند مجيء العذاب إلا أن اعترفوا بذنوبهم ، وأنهم حقيقون بهذا ؛ كقوله تعالىٰ : ﴿ **وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة** ﴾ إلىٰ قوله ﴿ **خامدين** ﴾ .

وقال ابن جرير(٢) : في هذه الآية الدلالة[٣] الواضحة علىٰ صحة ما جاءت به الرواية عن رسول

(٢) - **إسناده ضعيف** تفسير ابن جرير (١٤٣٢٣/١٢) وشيخ ابن جرير هو محمد بن حميد الرازي ، حافظ ضعيف ، وخالفه محمد بن عيسى الدَّامغاني - وهو أقوى منه - فرواه عن جرير به موقوفًا على ابن مسعود ، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٢١٢/٥) لكن عبد الملك بن ميسرة لم يدرك ابن مسعود =

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « وكأين » .
[٣] - في ز : « الدالة » .

اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم من قوله : « **ما هلك قوم حتىٰ يُعْذِروا**[١] **من أنفسهم** » ، حدثنا بذلك ابن حميد ، حدثنا جرير ، عن أبي سنان ، عن عبد الملك بن ميسرة الزراد قال : قال عبد اللَّه بن مسعود : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **ما هلك قوم حتىٰ يعذروا من أنفسهم** » . قال : قلت لعبد الملك : كيف يكون ذاك . قال : فقرأ هذه الآية : ﴿ **فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **فلنسألن الذين أرسل إليهم [ولنسألن المرسلين]**[٢] ﴾ ؛ [كقوله : ﴿ **ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين** ﴾][٣] ، وقوله : ﴿ **يوم يجمع اللَّه الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب** ﴾ [فيسأل اللَّه الأمم يوم القيامة][٤] عما أجابوا رسله فيما أرسلهم به، ويسأل الرسل أيضًا عن إبلاغ[٥] رسالاته؛ ولهذا قال علي بن أبي طلحة(٣) : عن ابن عباس في تفسير هذه الآية ﴿ **فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين** ﴾ [قال: يسأل اللَّه الناس عما أجابوا المرسلين ، ويسأل المرسلين][٦] عما بلغوا .

وقال ابن مردويه(٤) : حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، حدثنا إبراهيم بن محمد بن

= فإسناده منقطع . وأخرج أحمد (٢٦٠/٤) و(٢٩٣/٥) ، وأبو داود (٤٣٤٧) ، وابن أبي الدنيا في « العقوبات » (ص ١٨ ، ١٩) من طرق عن شعبة ، أخبرني عمرو بن مُرَّة ، قال : سمعت أبا البختري يقول : أخبرني من سمع النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - يقول : « **لن يَهْلِك الناس حتى يُعْذِروا أو يُعْذَروا من أنفسهم** » . وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات ، وأبو البختري اسمه سعيد ابن فيروز وثقه غير واحد ، وقال ابن سعد في « الطبقات الكبرى » (٢٩٧/٦) : « ... كان أبو البختري كثير الحديث يرسل حديثه ، ويروي عن أصحاب رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - ولم يسمع من كبير أحد ، فما كان من حديثه سماعًا فهو حسن وما كان عن فهو ضعيف » وهو هنا صرح بالسماع ولم يعنعن ، وجهالة الصحابي لا تضر.

(٣) - أخرجه ابن جرير (١٤٣٢٤/١٢) وابن أبي حاتم (٨٢١٣/٥ ، ٨٢١٨) وعزاه السيوطي في « الدرالمنثور » (١٢٦/٣) إلى البيهقي في « البعث » وهو غير موجود في المطبوع منه - واللَّه أعلم .

(٤) - **صحيح** وعزاه لابن مردويه السيوطيُّ في « الدر المنثور » (١٢٨/٣) - وأخرجه مسلم ، كتاب : الإمارة ، باب : فضيلة الإمام العادل - (٢٠) (١٨٢٩) والترمذي ، كتاب : الجهاد ، باب : =

[١] - يُعْذِرُوا : يُقال : أعذر فلان من نَفْسِه إذا أمكن منها ، يعنى أنهم لا يهكلون حتى تكثر ذنوبهم وعيوبهم فيستوجبون العقوبة ويكون لمن يعذبهم عذر ، كأنهم قاموا بعذره في ذلك . ويُرْوَى بفتح الياء ، من عَذَرْته ، وهو بمعناه . وحقيقة عَذَرْت : مَحَوْتُ الإساءة وطمستها . نهاية [١٩٧/٣] .

[٢] - ما بين المعكوفتين من : ز ، وفي : ت « الآية » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « فالرب تبارك وتعالى يوم القيامة يسأل الأمم » .

[٥] - في ز : « بلاغ » .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

الحسن ، حدثنا أبو سعيد الكندي ، حدثنا المحاربي ، عن ليث ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ، فالإمام يسأل عن الرجل ، والرجل يسأل عن أهله ، والمرأة تسأل عن بيت زوجها ، والعبد يسأل عن مال سيده** » . قال الليث : وحدثني ابن طاوس مثله ثم قرأ : ﴿ **فلنسألنَّ الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين** ﴾ . وهذا الحديث مخرج في الصحيحين بدون هذه الزيادة .

وقال ابن عباس(٥) [في قوله][١] : ﴿ **فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين** ﴾ : يوضع الكتاب يوم القيامة فيتكلم بما كانوا يعملون .

[﴿ **وما كنا غائبين** ﴾][٢] يعني : أنه تعالىٰ يخبر عباده يوم القيامة بما قالوا ، وبما عملوا من قليل وكثير وجليل وحقير ؛ لأنه تعالىٰ شهيد علىٰ كل شيء ، لا يغيب عنه شيء ، ولا يغفل عن شيء ، بل هو العالم بخائنة الأعين وما تخفي الصدور ﴿ **وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين** ﴾ .

وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **والوزن** ﴾ أي : للأعمال يوم القيامة ﴿ **الحق** ﴾ أي : لا يظلم تعالىٰ أحدًا ؛ كقوله : ﴿ **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفىٰ بنا حاسبين** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرًا عظيمًا** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية * وأما من خفت موازينه فأمه هاوية * وما أدراك ماهيه * نار حامية** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون * فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون** ﴾ .

ما جاء في الإمام (١٥٠٧) من طريق الليث - وهو ابن سعد - به ، وأخرجه البخاري ، كتاب : الجمعة ، باب : الجمعة في القرى والمدن (٨٩٣) - وانظر أطرافه ثمة - ومسلم وأحمد (٢/٥ ، ١٠٨ ، ١١١، ١٢١) من طرق عن عبد الله بن عمر به دون قوله : « قال الليث : وحدثني ابن طاوس .....» وهذه الزيادة أخرجها ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٢١٧/٥) ثنا أبو سعيد الأشج ، ثنا المحاربي ، قال ليث ... فذكره .

(٥) - أخرجه ابن جرير (١٤٣٢٥/١٢) وابن أبي حاتم (٨٢٢١/٥) من طريق مسلسل بالضعفاء أولهم عطية العوفي عن ابن عباس ، به .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

فصل

والذي يوضع في الميزان يوم القيامة قيل : الأعمال ، وإن كانت أعراضًا ، إلا أن اللّٰه تعالىٰ يقلبها يوم القيامة أجسامًا .

قال البغوي[١] : يُروىٰ هذا عن ابن عباس ؛ كما جاء في الصحيح(٦) من أن البقرة وآل عمران يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف . و[من ذلك][٢] في الصحيح(٧) قصة القرآن ، وأنه يأتي صاحبه في صورة شاب شاحب اللون ، فيقول : من أنت ؟ فيقول : أنا القرآن الذي أسهرت ليلك وأظمأت[٣] نهارك . وفي حديث البراء(٨) في قصة سؤال القبر : « **فيأتي المؤمن شاب حسن اللون طيب الريح ، فيقول : من أنت ؟ فيقول أنا عملك الصالح** » . وذكر عكسه في شأن الكافر والمنافق .

وقيل : يوزن كتاب الأعمال ؛ كما جاء في حديث البطاقة في الرجل الذي يؤتىٰ به ، ويوضع له في كفة تسعة وتسعون سجلًا كل سجل مدّ البصر ، ثم يؤتى بتلك البطاقة [ ][٤] فيها لا إلٰه إلا اللّٰه ، فيقول : يارب وما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقول اللّٰه تعالىٰ : إنك لا تظلم ، فتوضع تلك البطاقة في كفة الميزان ، قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **فطاشت السجلات ، وثقلت البطاقة** » .

رواه الترمذي(٩) بنحو من هذا وصححه[٥] .

وقيل : يوزن صاحب العمل ؛ كما في الحديث(١٠) : « **يُؤتىٰ يوم القيامة بالرجل السمين ، فلا يزن عند اللّٰه جناح بعوضة** » ، ثم قرأ : ﴿ **فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنًا** ﴾ .

---

(٦) - **صحيح** ، تقدم تخريجه [سورة البقرة / ما ورد في فضلها مع آل عمران] .

(٧) - كذا عزاه المصنف للصحيح ، وإنما أخرجه ابن ماجه (٣٧٨١) فحسب من بين أصحاب الكتب الستة ، وقد أخرجه أحمد (٣٤٨/٥) ضمن حديث طويل ، ونقله المصنف في صدر تفسير سورة البقرة وخرجناه هناك وللّٰه الحمد والمنة .

(٨) - **صحيح** ، يأتي تخريجه [سورة إبراهيم / آية ٢٧] .

(٩) - **صحيح** ، يأتي تخريجه [سورة الأنبياء / آية ٤٧] .

(١٠) - **صحيح** ، يأتي تخريجه [سورة الكهف / آية ١٠٥] .

---

[١] - في تفسيره (٢١٥/٣) .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز « لذلك » .

[٣] - في ز « ظمأت » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز « في الرجل » .

[٥] - الموجود عند الترمذي في « جامعه ٢٦٣٩ » أنه قال : « حسن غريب » وكذا هو في « تحفة الأشراف » (٢٥٣/٦) وكذا نقله المصنف نفسه عنه في تفسير [سورة الأنبياء/ آية ٤٧] .

وفي مناقب عبد الله بن مسعود أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « **أتعجبون من دقة ساقيه ؟ فوالذي نفسي بيده لهما في الميزان أثقل من أحد** »(١١) .

وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحًا ؛ فتارة[١] توزن الأعمال ، وتارة توزن محالها ، وتارة يوزن فاعلها ، والله أعلم .

﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

يقول تعالى ممتنًّا على عبيده فيما مكن لهم من أنه[٢] جعل الأرض قرارًا ، وجعل فيها[٣] رواسي وأنهارًا ، وجعل لهم فيها منازل وبيوتًا ، وأباح لهم منافعها ، وسخر لهم السحاب ؛ لإخراج أرزاقهم منها ، وجعل لهم فيها معايش ، أي : مكاسب وأسبابًا [يكسبون بها][٤] ، ويتجرون فيها ، ويتسببون أنواع الأسباب ، وأكثرهم مع هذا قليل الشكر على ذلك ؛ كقوله : ﴿ **وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار** ﴾ .

وقد قرأ الجميع : ﴿ **معايش** ﴾ بلا همز إلا عبد الرحمن بن هرمز الأعرج فإنه همزها ، والصواب الذي عليه الأكثرون بلا همز ؛ لأن معايش جمع مَعِيشة من عاش يعيش عيشًا ، ومعيشة أصلها مَعْيِشة ، فاستثقلت الكسرة على الياء فنقلت[٥] إلى العين فصارت معِيشة ، فلما جمعت رجعت الحركة إلى الياء لزوال الاستثقال ، فقيل : معايِش ووزنه مفاعل ؛ لأن الياء أصلية في الكلمة ، بخلاف مدائن وصحائف وبصائر ، جمع مدينة وصحيفة وبصيرة ، من مدن وصحف وأبصر ؛ فإن الياء فيها زائدة ؛ ولهذا تجمع على فعائل ، وتهمز لذلك ، والله أعلم .

---

(١١) - **صحيح بطرقه** أخرجه الطيالسي (٣٥٥) وأحمد في « المسند » (١/ ٤٢٠ ، ٤٢١) وفي « الفضائل » (٢/رقم ١٥٥٢) وابن سعد في « الطبقات » (٣/ ١١٥) والفسوي في « المعرفة والتاريخ » (٢/ ٥٤٥) والبزار في مسنده (٥/ ١٨٢٧) وأبو يعلى (٩/ ٥٣١٠) والطبراني في « الكبير » (٩/ ٧٥) وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ١٢٧) من حديث عبد الله بن مسعود - وهو مغاير في بعض الأحرف لسياق المصنف - بإسناد حسن ، وله شاهد من حديث علي بن أبي طالب عند أحمد (١/ ١١٤) والبخاري في « الأدب المفرد » (٢٣٧) وأبي يعلى (١/ ٥٣٩) وغيرهم وإسناده حسن ، وشاهد آخر من حديث قرة بن إياس عند البزار (٣/ ٢٦٧٧/ كشف الأستار) والطبراني في « الكبير » (١٩/ ٢٨) والفسوي (٢/ ٥٤٦) والخطيب في « تاريخ بغداد » (١/ ١٤٨) وصححه الحاكم (٣/ ٣١٧) ووافقه الذهبي ، وانظر - غير مأمور - « إرواء الغليل » للألباني (١/ رقم ٦٥) وكذا « صحيح الأدب المفرد » (١٧٦) .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز « لها » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٥] - سقط من : ز .

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (١١) ﴾

ينبه تعالىٰ بني آدم في هذا المقام[١] علىٰ شرف أبيهم آدم ، ويبين لهم عداوة[٢] عدوهم إبليس ، وما هو منطو عليه من الحسد لهم ولأبيهم آدم ؛ ليحذروه ولا يتبعوا طرائقه ، فقال تعالىٰ : ﴿ **ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا** ﴾ ، وهذا كقوله تعالىٰ : ﴿ **وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرًا من صلصال من حمأ مسنون * فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين** ﴾ ، وذلك أنه تعالىٰ لما خلق آدم عليه السلام بيده من طين لازب ، وصوّره بشرًا سويًّا[٣] ، ونفخ فيه من روحه - أمر[٤] الملائكة بالسجود له تعظيمًا لشأن اللّه[٥] تعالىٰ وجلاله ، فسمعوا كلهم وأطاعوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين . وقد تقدم الكلام علىٰ إبليس في أول تفسير سورة البقرة .

وهذا الذي قررناه هو اختيار ابن جرير[٦] : أن المراد بذلك كله آدم عليه السلام .

وقال سفيان الثوري : عن الأعمش ، عن منهال[٧] بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ﴿ **ولقد خلقناكم ثم صوّرناكم** ﴾ قال : خلقوا في أصلاب الرجال ، وصوّروا في أرحام النساء .

رواه الحاكم(١٢)، وقال : صحيح علىٰ شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .

ونقل[٨] ابن جرير[٩] ، عن بعض السلف أيضًا : أن المراد بـ ﴿ **خلقناكم ثم صورناكم** ﴾

---

(١٢) - « المستدرك » (٣١٩/٢) من طريق أبي نعيم ثنا سفيان به ، وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ، وأخرجه ابن أبي حاتم (٨٢٣٢/٥ ، ٨٢٣٤) من طريق عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان به ، وأخرجه ابن جرير (١٤٣٤٩/١٢) من طريق مؤمل ثنا سفيان قال : سمعت الأعمش يقرأ : ﴿ ولقد خلقناكم ... ﴾ فذكره من قول الأعمش ومؤمل هو ابن إسماعيل سيئ الحفظ ، والأثر زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١٣٤/٣) إلى عبد الرزاق - ولم أجده في تفسيره - وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ والبيهقي في « الشُّعب » .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز « وأمر » .
[٥] - في ز « الرب » .
[٦] - في تفسيره (٣٢٠/١٢ ، ٣٢١) .
[٧] - في ز « المنهال » .
[٨] - في ز « نقله » .
[٩] - في تفسيره (٣١٩/١٢) عن الضحاك وعكرمة .

الذرية .

وقال الربيع بن أنس والسدي وقتادة والضحاك في هذه الآية : ﴿ **ولقد خلقناكم ثم صورناكم** ﴾ أي : خلقنا آدم ثم صورنا الذرية .

وهذا فيه نظر ؛ لأنه قال بعده : ﴿ **ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم** ﴾ فدل علىٰ أن المراد بذلك آدم ، وإنما قيل ذلك بالجمع ؛ لأنه أبو البشر ؛ كما قال اللَّه تعالىٰ لبني إسرائيل الذين كانوا في زمن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **وظللنا عليكم**[١] **الغمام وأنزلنا عليكم**[٢] **المن والسلوىٰ** ﴾ ، والمراد آباؤهم الذين كانوا في زمن[٣] موسىٰ ، ولكن لما كان ذلك منة علىٰ الآباء الذين هم أصل صار [ ][٤] كأنه واقع علىٰ الأبناء ، وهذا بخلاف قوله : ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين** ﴾ [الآية ، فإن المراد منه آدم المخلوق من السلالة][٥] ، وذريته مخلوقون من نطفة ، وصح هذا ؛ لأن المراد من[٦] خلقنا الإنسان الجنس لا معينًا ، واللَّه أعلم .

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾

قال بعض النحاة في توجيه قوله تعالىٰ : ﴿ **ما منعك ألَّا تسجد إذ أمرتك** ﴾ لا هنا[٧] زائدة .

وقال بعضهم : زيدت لتأكيد الجحد ، كقول الشاعر :

* ما إن رأيت ولا سمعت بمثله *

فأدخل « **إنْ** » وهي للنفي علىٰ « **ما** » النافية لتأكيد النفي . قالوا : [وكذا هنا][٨] : ﴿ **ما منعك أن لا تسجد** ﴾ مع تقدم قوله : ﴿ **لم يكن من الساجدين** ﴾ .

حكاهما ابن جرير[٩] ، وردهما واختار : أن منعك تضمَّن[١٠] معنىٰ فعل آخر تقديره : ما أحوجك وألزمك واضطرك أن لا تسجد إذ أمرتك ، ونحو هذا[١١] .

وهذا القول قوي حسن ، واللَّه أعلم .

---

[١] - في ز « عليهم » .
[٢] - في ز « عليهم » .
[٣] - في ز « زمان » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز « به » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٦] - في ز « و » .
[٧] - في ز « هاهنا » .
[٨] - في ز « وكذلك هاهنا » .
[٩] - في تفسيره (١٢/٣٢٥ ، ٣٢٦) .
[١٠] - في ز « يضمن » .
[١١] - في ز « ذلك » .

وقول إبليس لعنه اللَّه : ﴿ **أنا خير منه** ﴾ من العذر الذي هو أكبر من الذنب ، كأنه امتنع من الطاعة ؛ لأنه لا يؤمر الفاضل بالسجود للمفضول ، يعني لعنه اللَّه : وأنا خير منه فكيف تأمرني بالسجود له ؟ ثم بين أنه خير منه بأنه خلق من نار ، والنار أشرف مما خلقته منه وهو الطين ، فنظر اللعين إلىٰ أصل العنصر ، ولم ينظر إلىٰ التشريف العظيم ، وهو أن اللَّه تعالىٰ خلق آدم بيده ونفخ فيه من روحه ، وقاس قياسًا فاسدًا في مقابلة نص [ ][١] قوله تعالىٰ : ﴿ **فقعوا له ساجدين** ﴾ ، فشذ من بين الملائكة بترك السجود ، فلهذا أبلس من الرحمة ؛ [أي : آيس من الرحمة][٢]، فأخطأ قبحه اللَّه في قياسه ودعواه أن النار أشرف من الطين أيضًا ، فإن الطين من شأنه الرزانة والحلم والأناة والتثبت ، والطين محل النبات والنمو والزيادة والإصلاح ، والنار من شأنها الإحراق والطيش والسرعة ؛ ولهذا خان إبليسَ عنصرُه ، ونفع آدمَ عنصرُه بالرجوع[٣] والإنابة والاستكانة والانقياد والاستسلام لأمر اللَّه ، والاعتراف وطلب التوبة والمغفرة .

وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **خلقت الملائكة من نور ، وخلق إبليس من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم** » . هكذا[٤] رواه مسلم(١٣) .

وقال ابن مردويه(١٤) : حدثنا عبد اللَّه بن جعفر ، حدثنا إسماعيل بن[٥] عبد اللَّه بن مسعود ، حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **خلق اللَّه الملائكة من نور العرش ، وخلق الجان من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم** » . قلت لنعيم بن حماد : أين سمعت هذا من عبد الرزاق ؟ قال : باليمن . وفي بعض ألفاظ هذا الحديث في غير الصحيح : « **وخلقت الحور العين من**

(١٣) – صحيح مسلم ، كتاب : الزهد والرقائق ، باب : في أحاديث متفرقة (٦٠) (٢٩٩٦) ثنا محمد بن رافع وعبد بن حميد (قال عبد : أخبرنا وقال ابن رافع : حدثنا) عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة به ، وانظر ما بعده .

(١٤) – **صحيح** وعزاه لابن مردويه السيوطي في « الدر المنثور » (١٩٣/٦) – وهو عند عبد الرزاق في « المصنف » (٢٠٩٠٤/٤٢٥/١١) ومن طريقه أيضًا أحمد في « المسند » (١٥٣/٦ ، ١٦٨) وعبد ابن حميد في « المنتخب » (١٤٧٩) – ومن طريق عبد بن حميد مسلم كما في السابق ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦١٨/٢ – مخطوط) – وأبو الشيخ في « العظمة » (٧٢٥/٢ ، ٧٢٦) وابن منده في « الرد على الجهمية » (ص ٩١ ، ٩٢) وابن حبان في صحيحه (٦١٥٥/١٤) والبيهقي في « الكبرى » (٩/ ٣) وفي « الأسماء والصفات » (٨١٨/٢) وفي « الشعب » (١٤٣/١) وأخرجه أبو الشيخ أيضًا (٧٢٥/٢، ٧٢٧) من طريقين آخرين عن معمر ، به .

[١] – ما بين المعكوفتين في ز « اللَّه » .
[٢] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٣] – في ز « في الرجوع » .
[٤] – في ز « وهذا » .
[٥] – في ت : « عن » .

الزعفران »(١٥) .

وقال ابن جرير(١٦) : حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثنا محمد بن كثير ، عن ابن شوذب ، عن مطر الوراق ، عن الحسن في قوله : ﴿ **خلقتني من نار وخلقته من طين** ﴾ قال : قاس إبليس ، وهو أول من قاس .

إسناده[١] صحيح .

وقال(١٧) : حدثني عمرو[٢] بن مالك ، حدثنا يحيىٰ بن سليم[٣] الطائفي ، عن هشام ، عن ابن سيرين ، قال : أول من قاس إبليس ، وما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس .

إسناد صحيح أيضًا .

قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾

يقول تعالىٰ مخاطبًا لإبليس بأمر قدري كوني ﴿ **فاهبط منها** ﴾ أي : بسبب عصيانك لأمري ، وخروجك عن طاعتي ، فما يكون لك أن تتكبر فيها .

---

(١٥) - **ضعيف** لم أهتد إليه من حديث عائشة ، وإنما أخرجه أبو نعيم في « صفة الجنة » (٣/رقم ٣٨٤) والخطيب في « تاريخ بغداد » (٩٩/٧) من حديث أنس بلفظ « **حور العين خلقن من الزعفران** » وفي إسناده جهالة ، واستنكره البيهقي كما في « حادي الأرواح » لابن القيم (ص ٣٣٥) وروي أيضًا من طريقين عن أبي أمامة أخرجهما الطبراني في « الكبير » (٧٨١٣/٨) وفي « الأوسط » (١/رقم ٢٨٨) وعنه أبو نعيم في « صفة الجنة » (٣٨٣/٣ ، ٣٨٥) وإسنادهما ضعيف .

(١٦) - تفسير ابن جرير (١٤٣٥٦/١٢) وصحح المصنف إسناده مع أن رجاله متكلم فيهم بما لا يرتقي إسنادهم إلى الحسن فضلًا عن الصحة فانظر إن شئت تراجمهم في « التهذيب » والله أعلم .

(١٧) - تفسير ابن جرير (١٤٣٥٥/١٢) وصحح المصنف إسناده مع أن شيخ ابن جرير ضعفه أبو يعلى الموصلي ، وقال ابن عدي « منكر الحديث عن الثقات ، ويسرق الحديث » وقال ابن أبي حاتم : « ترك أبي التحديث عنه وكذلك أبو زرعة ترك الرواية عنه » وقال ابن حبان في « الثقات » (٤٨٧/٨) : « يُغرِبُ ويخطئ » وقد أخطأ في هذا الإسناد ، فقد رواه أبو بكر بن أبي شيبة في « المصنف » (٣٣٤/٨) ثنا يحيى بن سليم الطائفي عن داود بن أبي هند عن ابن سيرين ، به . وهذا إسناد حسن لكلام في يحيى بن سُلَيم وهو مترجم له في « التهذيب » .

---

[١] - في ز « إسناد » .

[٢] - في خ : « عمر » .

[٣] - في ز « سليمان » .

قال كثير من المفسرين : الضمير عائد إلىٰ الجنة ، ويحتمل أن يكون عائدًا علىٰ[١] المنزلة التي هو فيها في الملكوت الأعلىٰ .

﴿ **فاخرج إنك من الصاغرين** ﴾ أي : الذليلين الحقيرين ، معاملة له بنقيض قصده ، ومكافأة لمراده بضده ، فعند ذلك استدرك اللعين ، وسأل النظرة إلىٰ يوم الدين ، قال : ﴿ **أنظرني**[٢] **إلىٰ يوم يبعثون * قال إنك من المنظرين** ﴾ ، أجابه تعالىٰ إلىٰ ما سأل ؛ لما له في ذلك من الحكمة والإرادة والمشيئة التي لا تخالف ولا تمانع ، ولا معقب لحكمه ، وهو سريع الحساب .

﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾

يخبر تعالىٰ أنه لما أنظر إبليس ﴿ **إلىٰ يوم يبعثون** ﴾ ، واستوثق إبليس بذلك ، أخذ في المعاندة والتمرد ، فقال : ﴿ **فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم** ﴾ أي : كما أغويتني .

قال ابن عباس(١٨) : كما[٣] أضللتني . وقال غيره : كما[٤] أهلكتني لأقعدن لعبادك الذين تخلقهم من ذرية هذا الذي أبعدتني بسببه ، علىٰ ﴿ **صراطك المستقيم** ﴾ أي : طريق الحق وسبيل النجاة ، فلأضلنهم[٥] عنها لئلا يعبدوك ولا يوحدوك بسبب إضلالك إياي .

وقال بعض النحاة : الباء هاهنا قسمية ، كأنه يقول : فبإغوائك إياي لأقعدن لهم صراطك المستقيم .

[قال مجاهد ﴿ **صراطك المستقيم** ﴾][٦] يعني : الحق .

وقال محمد بن سوقة : عن عون بن عبد الله : يعني طريق مكة .

قال ابن جرير[٧] : والصحيح أن الصراط المستقيم أعم من ذلك .

(قلت) : لما روىٰ الإمام أحمد(١٩) : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا أبو عقيل - يعني :

(١٨) - أخرجه ابن جرير (١٤٣٦١/١٢) واللالكائي في « أصول الاعتقاد » (٣/رقم ١٠٠٢) من طريق علي ابن أبي طلحة عنه به ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١٣٥/٣) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(١٩) - **حسن** « المسند » (٤٨٣/٣) ومن طريقه المزي في « تهذيب الكمال » (٢٠٢/١٠ ، ٢٠٣) = =

[١] - في خ « إلى » .
[٢] - في ز « فأنظرني » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في خ « ولأضلنهم » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٧] - في تفسيره (٣٣٦/١٢) .

الثقفي عبد اللَّه بن عقيل - ، حدثنا موسىٰ بن المسيب ، أخبرني سالم بن أبي الجعد ، عن سبرة ابن أبي فاكه ، قال : سمعت رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يقول[١] : « **إن الشيطان قعد لابن آدم بطرقه ، فقعد له بطريق الإسلام ، فقال : أتسلم وتذر دينك ودين آبائك ، قال : فعصاه وأسلم** » ، قال : « **وقعد له بطريق الهجرة ، فقال : أتهاجر وتدع أرضك وسماءك ، وإنما مثل المهاجر كالفرس في الطِّوَل**[٢] ، **فعصاه وهاجر ، ثم قعد له بطريق الجهاد وهو جهاد النفس والمال ، فقال : تقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال ، قال : فعصاه وجاهد** » . قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **فمن فعل ذلك منهم فمات كان حقًّا علىٰ اللَّه أن يدخله الجنة ،** [**وإن قتل كان حقًّا علىٰ اللَّه أن يدخله الجنة ، وإن غرق كان حقًّا علىٰ اللَّه أن يدخله الجنة**][٣] ، **أو وقصته دابة كان حقًّا علىٰ اللَّه أن يدخله الجنة** » .

وقوله : ﴿ **ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم** ﴾ الآية .

قال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس ﴿ **ثم لآتينهم من بين أيديهم** ﴾ يقول[٤] : أشككهم في آخرتهم ﴿ **ومن خلفهم** ﴾ : أرغبهم في دنياهم ﴿ **وعن أيمانهم** ﴾ : أشبه عليهم أمر دينهم ﴿ **وعن شمائلهم** ﴾ : أشهي لهم المعاصي .

وقال ابن أبي طلحة في رواية والعوفي كلاهما عن ابن عباس : أما من بين أيديهم فمن قبل دنياهم ، وأما من خلفهم فأمر آخرتهم ، وأما عن أيمانهم فمن قبل حسناتهم ، وأما عن[٥]

وأخرجه النسائي ، كتاب : الجهاد ، باب : ما لمن أسلم وهاجر وجاهد (٦/٢١ ، ٢٢) - ومن طريقه ابن الأثير في « أسد الغابة » (٢/٣٢٤ ، ٣٢٥) - وأبو يعلى وعنه ابن حبان في صحيحه (١٠/٤٥٩٣) - والبيهقي في « الشعب » (٤/٤٢٤٦) من طريق هاشم بن القاسم به ، وأخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٤/٥٦٤) - ومن طريقه ابن أبي عاصم في « الآحاد والمثاني » (٢/١٠٤٣) (٥/٢٦٧٥) والطبراني في « الكبير » (٧/٦٥٥٨) - والبخاري في « التاريخ الكبير » (٤/١٨٧ ، ١٨٨) من طريق محمد بن فضيل عن موسى أبي جعفر الثقفى به ، وخالفهما - أبا عقيل الثقفي ومحمد بن فضيل - محمد بن عجلان فرواه عن أبي جعفر - يعنى موسى بن المسيب - قال : سمعت سالم بن أبي الجعد يقول : حدثني جابر بن أبي سبرة ، رواه البيهقي (٤/٤٢٤٧) وعلقه المزي ، ومثل هذا الاختلاف لا يضره وقد صحح إسناده العراقي في « تخريج أحاديث الإحياء » (المستخرج/٤/١٥٥٢) وحسنه ابن حجر في « الإصابة » (٤/١٢٠) وهو أشبه إذ إن موسى بن المسيب : « صدوق » ولم يوثقه غير ابن حبان والعجلي ، وقال ابن معين وأبو حاتم : « صالح » .

---

[١] - في ز « قال » .
[٢] - هو الحبل الطويل يشد أحد طرفيه في وتد أو غيره ، والطرف الآخر في يد الفرس ؛ ليدور فيه ويرعى ولا يذهب لوجهه . «نهاية».
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٤] - سقط من : ت .
[٥] - في ز « من » .

شمائلهم فمن قبل سيئاتهم .

وقال سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة : أتاهم من بين أيديهم ، فأخبرهم أنه لا بعث ولا جنة ولا نار ، « **ومن خلفهم**» من أمر الدنيا فزينها[١] لهم ودعاهم إليها ، «**وعن أيمانهم**» من قبل حسناتهم بطَّأهم عنها ، «**وعن شمائلهم**» زين لهم السيئات والمعاصي ، ودعاهم إليها وأمرهم بها ، آتاك يا بن آدم من كل وجه ، غير أنه لم يأتك من فوقك ، لم[٢] يستطع أن يحول بينك وبين رحمة اللَّه .

وكذا روي عن إبراهيم النخعي والحكم بن عتيبة[٣] والسدي وابن جريج[٤] إلا أنهم قالوا : من بين أيديهم : الدنيا ، ومن خلفهم : الآخرة .

وقال مجاهد : من بين أيديهم وعن أيمانهم : حيث يبصرون ، [ومن خلفهم وعن شمائلهم : حيث لا يبصرون][٥].

واختار ابن جرير[٦] : أن المراد : جميع طرق الخير والشر ، فالخير يصدهم عنه ، والشر يحببه لهم .

وقال الحكم بن أبان(٢٠) : عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم** ﴾ : ولم يقل من فوقهم ؛ لأن الرحمة تنزل من فوقهم .

وقال علي بن أبي طلحة(٢١) : عن ابن عباس ﴿ **ولا تجد أكثرهم شاكرين** ﴾ قال : موحدين .

وقول إبليس هذا إنما هو ظن منه وتوهم ، وقد وافق في هذا الواقع ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقًا من المؤمنين * وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وربك علىٰ كل شيء حفيظ** ﴾ .

---

(٢٠) - أخرجه ابن جرير (١٤٣٨٢/١٢) من طريق حفص بن عمر ثنا الحكم بن أبان به ، وحفص بن عمر ضعيف ، وتابعه إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه به أخرجه اللالكائي في « أصول الاعتقاد » (٦٦١/٣) وإبراهيم ضعيف كذلك ، وزاد نسبته السيوطي في «الدر المنثور» (١٣٦/٣) إلى عبد بن حميد .

(٢١) - أخرجه ابن جرير (١٤٣٨٣/١٢) وابن أبي حاتم (٨٢٦٣/٥) .

---

[١] - في ز « وزينها » . [٢] - سقط من : خ .

[٣] - في خ ، ز : « عيينة » ، والمثبت من تفسير ابن جرير (٣٤٠/١٢) .

[٤] - في ت « جرير » . [٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٦] - في تفسيره (٣٤٠/١٢) .

ولهذا ورد في الحديث : الاستعاذةُ من تسلط الشيطان علىٰ الإِنسان من جهاته كلها ؛ كما قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده(٢٢) :

حدثنا نصر بن علي ، حدثنا عمرو بن مجمع ، عن يونس بن خباب ، عن ابن جبير بن مطعم - يعني نافع بن جبير - ، عن ابن عباس .

وحدثناه عمر بن الخطاب - يعني السجستاني - ، حدثنا عبد اللَّه بن جعفر ، حدثنا عبيد[١] اللَّه بن عمرو ، عن زيد بن أبي أنيسة ، عن يونس بن خباب ، عن ابن جبير بن مطعم ، عن ابن عباس قال : كان رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يدعو[٢] : « **اللَّهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي ، وأهلي ومالي ، اللَّهم استر عوراتي ، وآمن روعاتي ، واحفظني من بين يدي ومن خلفي ، وعن يميني وعن شمالي ، ومن فوقي ، وأعوذ بك اللَّهم أن أغتال من تحتي** » .

تفرد به البزار وحسنه .

وقال الإِمام أحمد(٢٣): حدثنا وكيع، حدثنا[٣] عبادة بن مسلم الفزاري ، حدثني جبير[٤] بن

---

(٢٢) - **إسناده ضعيف** رواه البزار - كما في « مختصر الزوائد » لابن حجر (٢١٦٠/٢) - وأخرجه الطبراني في « الدعاء » (٣/رقم ١٢٩٧) ثنا أحمد بن إسحاق الخشاب الرقي ، ثنا عبد اللَّه بن جعفر به مختصرًا وقال البزار : « وقد روي من غير وجه بغير لفظه ، فذكرنا هذا لاختلاف لفظه ، ولا نعلم أسند يونس عن ابن جبير إلا هذا » قال ابن حجر : « وهو ضعيف » ومن قبله ذكر الحديث شيخه الهيثمي في « المجمع » (١٧٨/١٠) وقال : « رواه البزار وفيه يونس بن خباب وهو ضعيف » قلت : واختلف فيه على عبيد اللَّه بن عمرو فرواه عبد اللَّه ابن جعفر - وهو ثقة تغير - عن عبيد اللَّه به هكذا ، ورواه الوليد بن صالح - وهو ثقة - عن عبيد اللَّه بن عمرو به غير أنه سمى الصحابي « عبد اللَّه بن عمر » أخرجه البخاري في « الأدب المفرد » (٦٩٨) وانظر ما بعده .

(٢٣) - **صحيح** « المسند » (٢٥/٢) (٤٧٨٥) ومن طريقه الحاكم (٥١٧/١ ، ٥١٨) وأخرجه البخاري في « الأدب المفرد » (١٢٠٠) وعلقه في « التاريخ الكبير » (٢٢٥/٢) ، وأبو داود ، كتاب : الأدب ، باب : ما يقول إذا أصبح (٥٠٧٤) وابن ماجه ، كتاب : الدعاء ، باب : ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى (٣٨٧١) وابن أبي شيبة في « المصنف » (٤١/٧) من طريق وكيع به ، وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي وصححه أيضًا ابن حبان (٩٦١/٣) وأخرجه عبد بن حميد في « المنتخب » (٨٣٧) ، وأبو داود (٥٠٧٤) والنسائي ، كتاب : الاستعاذة ، باب : الاستعاذة من الخسف (٢٨٢/٨) وفي « عمل اليوم والليلة » (٥٦٦) مختصرًا ، وابن أبي شيبة (٤١/٧) والطبراني في « الكبير » (١٣٢٩٦/١٢) وفي « الدعاء » (٢/رقم ٣٠٥) والبيهقي في « الأسماء والصفات » (٢٧٨/١) من طرق عن عبادة بن مسلم به .

---

[١] - في خ ، ز : « عبد »
[٢] - في خ ، ز : « يقول » .
[٣] - في ز « بن » .
[٤] - سقط من: خ ، ز .

أبي سليمان بن جبير بن مطعم ، سمعت عبد اللَّه بن عمر[١] يقول : لم يكن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يَدَعُ هؤلاء الدعوات حين يصبح وحين يُمسي : « **اللَّهم ؛ إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة ، اللَّهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي ، اللَّهم استر عوراتي ، وآمن روعاتي ، اللَّهم احفظني من بين يدي ومن خلفي ، وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي ، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي** » ، قال وكيع : [« **من تحتي** »][٢] يعني : الخسف .

ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجة وابن حبان والحاكم من حديث عبادة بن مسلم به[٣] ، وقال الحاكم : صحيح الإِسناد .

﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ ﴾

أكد (تعالىٰ) اللعنة والطرد والإِبعاد والنفي عن محل الملأ الأعلىٰ بقوله : ﴿ **اخرج منها مذءومًا مدحورًا** ﴾ .

قال ابن جرير[٤] : أما المذءوم : فهو المعيب ، والذام - غير مشدّد - : العيب ، يقال : ذأمه يذأمه ذأمًا فهو مذءوم ، ويتركون الهمز ، فيقولون : ذمته أذيمه ذيمًا وذامًا ، والذام والذيم أبلغ في العيب من الذم .

قال : والمدحور : المُقْصَى ، وهو المبعد المطرود .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ما نعرف المذءوم والمذموم إلا واحدًا .

وقال سفيان الثوري(٢٤) : عن أبي إسحاق ، عن التميمي ، عن ابن عباس ﴿ **اخرج منها مذءومًا مدحورًا** ﴾ قال : مقيتًا .

وقال علي بن أبي طلحة(٢٥) : عن ابن عباس : صغيرًا منفيًا[٥] . وقال السدي : مقيتًا

---

(٢٤) - أخرجه ابن جرير (١٤٣٩١/١٢) وابن أبي حاتم (٨٢٦٦/٥ ، ٨٢٧١) من طرق عن سفيان به ، ورجاله ثقات رجال الشيخين غير التميمي واسمه أَرْبِدة وهو صدوق روى له أبو داود .

(٢٥) - إنما أخرجه ابن جرير (١٤٣٨٦/١٢) وابن أبي حاتم (٨٢٦٧/٥ ، ٨٢٧٢) من طريق العوفي عن ابن عباس ، به .

---

[١] - في ز « عمرو » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - في تفسيره (٣٤٢/١٢) .

[٥] - في خ ، ز : « مقيتًا » ، والمثبت من تفسير ابن جرير .

مطرودًا . وقال قتادة : لعينًا مقيتًا . وقال مجاهد : منفيًا مطرودًا . وقال الربيع بن أنس : مذءومًا منفيًا ، والمدحور : المصغَّر .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين** ﴾ كقوله : ﴿ **قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورًا * واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورًا * إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفىٰ بربك وكيلًا** ﴾ .

وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٩) فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ (٢١)

يذكر تعالىٰ أنه أباح لآدم عليه السلام ولزوجته حوّاء[١] الجنة ؛ أن يأكلا منها من جميع ثمارها إلا شجرة واحدة ، وقد تقدم الكلام علىٰ ذلك في سورة البقرة ، فعند ذلك حسدهما الشيطان ، وسعىٰ في المكر والوسوسة والخديعة ؛ ليُسْلَبَا ما هما فيه من النعمة واللباس الحسن ﴿ **وقال** ﴾ كذبًا وافتراء ﴿ **ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين** ﴾ [أي : لئلا تكونا ملكين][٢] أو خالدين هاهنا ، ولو[٣] أنكما أكلتما منها لحصل لكما ذلك[٤] ؛ كقوله : ﴿ **قال يا آدم هل أدلك علىٰ شجرة الخلد وملك لا يبلىٰ** ﴾ أي : لئلا تكونا ملكين ؛ كقوله : ﴿ **يبين الله لكم أن تضلوا** ﴾ أي : لئلا تضلوا ﴿ **وألقىٰ في الأرض رواسي أن تميد بكم** ﴾ [أي : لئلا تميد بكم][٥] .

وكان ابن عباس(٢٦) ويحيىٰ بن أبي كثير يقرآن : (**إلا أن تكونا مَلِكين**) بكسر اللام ، وقراءة[٦] الجمهور بفتحها .

---

(٢٦) - أخرجه ابن جرير (١٢/١٤٣٩٤) وفي إسناده عبد الرحمن بن أبي حماد وهو « مجهول الحال » ، وقال ابن جرير (١٢/٣٤٩) : « والقراءة التي لا أستجيز القراءة في ذلك بغيرها ، القراءة التي عليها قرأة الأمصار وهي ، فتح « اللام » من « مَلَكَيْنِ » بمعنى : ملكين من الملائكة ...» .

---

[١] - سقط من : خ ، ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ز « فلو » .
[٤] - في ز « إلا أن تكون ملكين » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٦] - في خ « قرأه » .

﴿ وقاسمهما ﴾ أي : حلف لهما بالله ﴿ إني لكما لمن الناصحين ﴾ فإني من قبلكما هاهنا ، وأعلم بهذا المكان ، وهذا من باب المفاعلة ، والمراد أحد الطرفين ؛ كما قال خالد بن زهير ابن عم أبي ذؤيب :

وقاسَمَها[١] باللّه جَهْدًا لَأَنْتُمُ ... أَلَذُّ من السَّلْوَىٰ إذا[٢] ما[٣] نَشُورُها

أي : حلف لهما بالله [علىٰ ذلك][٤] حتىٰ خدعهما ، وقد يخدع المؤمن بالله ، فقال : إني خلقت قبلكما ، وأنا أعلم منكما ، فاتبعاني[٥] أرشدكما . وكان بعض أهل العلم يقول : [من خدعنا بالله انخدعنا له][٦] .

فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾

قال سعيد بن أبي عروبة(٢٧) : عن قتادة ، عن الحسن ، عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : كان آدم رجلًا طوالًا كأنه نخلة سحوق ، كثير شعر الرأس ، فلما وقع فيما[٧] وقع فيه[٨] من الخطيئة ، بدت له عورته عند ذلك وكان لا يراها ، فانطلق هاربًا في الجنة ، فتعلقت برأسه شجرة من شجر الجنة ، فقال لها : أرسليني ، فقالت : إني غير مرسلتك ، فناداه ربه عز وجل : يا آدم أمني تفر ؟ قال : يا[٩] رب ، إني استحييتك[١٠] . وقد رواه ابن جرير وابن مردويه من طرق : عن الحسن ، عن أبي بن كعب عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، والموقوف أصح إسنادًا .

وقال عبد الرزاق(٢٨) : أنبأنا سفيان بن عيينة وابن المبارك ، عن الحسن بن عمارة ، عن المنهال

(٢٧) - تقدم تخريجه [سورة البقرة/آية ٣٦] .

(٢٨) - **إسناده ضعيف جدًا** وعزاه لعبد الرزاق السيوطي في « الدر المنثور » (١٠٨/٣) - ومن طريقه أخرجه ابن جرير (١٤٣٩٩/١٢) وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٢٧/٢ ، ٦٢٨/ مخطوط) ، والحسن بن عمارة « متروك » كما في « التقريب » .

[١] - في ز « قاسمهما » .
[٢] - بياض في : ز .
[٣] - في ز « أما » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٥] - في خ « فاتبعان » .
[٦] - في خ ، ز : « من خادعنا بالله خدعنا » .
[٧] - في ز « بما » .
[٨] - في ز « به » .
[٩] - سقط من : ز .
[١٠] - في ز « أستحييك » .

ابن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كانت الشجرة التي نهىٰ اللَّه عنها آدم وزوجته : السنبلة ، فلما أكلا منها بدت لهما سوآتهما ، وكان الذي وارىٰ عنهما [من سوآتهما][١] أشعارهما ، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ورق التين ، يلزقان بعضه إلىٰ بعض ، فانطلق آدم - عليه السلام - موليًا في الجنة ، فعلقت[٢] برأسه شجرة من الجنة ، فناداه اللَّه[٣] : يا آدم ، أمني تفر ؟ قال : لا ، ولكني استحييتك يا رب ، قال : أما كان لك فيما منحتك من الجنة وأبحتك منها مندوحة عما حرمت عليك ؟ قال : بلىٰ يا رب ، ولكن وعزتك ما حسبت أن أحدًا يحلف بك كاذبًا . قال : وهو قول اللَّه عز وجل : ﴿ **وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين** ﴾ ؛ قال : فبعزتي لأهبطنك إلىٰ الأرض ، ثم لا تنال العيش إلا كدًّا ، قال : فأهبط من الجنة ، وكانا يأكلان منها رغدًا ، فأهبط إلىٰ غير رغد من طعام وشراب ، فعلم صنعة الحديد ، وأمر بالحرث فحرث وزرع ، ثم سقىٰ ، حتىٰ إذا بلغ حصد ، ثم داسه ، ثم ذرّاه ، ثم طحنه ، ثم عجنه ، ثم خبزه ، ثم أكله ، فلم يبلعه[٤] حتىٰ بلغ[٥] منه ما شاء اللَّه أن يبلغ[٦] .

وقال الثوري(٢٩) : عن ابن أبي ليلىٰ ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ﴿ **وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة** ﴾ قال : ورق التين . صحيح إليه .

قال مجاهد : جعلا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، قال[٧] : كهيئة الثوب .

وقال وهب بن منبه في قوله : ﴿ **ينزع عنهما لباسهما** ﴾ قال : كان لباس آدم وحوّاء نورًا علىٰ فروجهما ، لا يرىٰ هذا عورة هذه ، ولا هذه عورة هذا ، فلما أكلا من الشجرة بدت لهما سوآتهما .

(٢٩) - أخرجه ابن جرير (١٢/١٤٤٠٤) وابن أبي حاتم (٥/٨٣٠٢) وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢/٦٢٧/مخطوط) من طريق جعفر بن عون عن سفيان الثوري به ، ورواه يحيى بن آدم عن شريك عن ابن أبي ليلى به ؛ أخرجه ابن جرير (١٢/١٤٤٠٥) وقد صحح المصنف إسناده مع أن ابن أبي ليلى - وهو محمد بن عبد الرحمن - ضعف لسوء حفظه ، لكن رواه البيهقي في « السنن الكبرى » (٢/٢٤٤) من طريق معاوية بن هشام عن سفيان أظنه عن عمرو بن قيس الملائي عن المنهال به ، لكن معاوية بن هشام : « صدوق له أوهام » فأخشى أن يكون ذلك من أوهامه ، لاسيما ولم يجزم به ، والأثر زاد نسبته في « الدر المنثور » (٣/١٣٩) إلى الفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه .

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز « وعلقت » .
[٣] - سقط من: خ ، ز .
[٤] - في خ ، ز : « يبلغه » .
[٥] - في ت : « بلغ » .
[٦] - في ت : « يبلغ » .
[٧] - سقط من : ز .

رواه ابن جرير(٣٠) بسند[١] صحيح إليه .

وقال عبد الرزاق(٣١) : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : قال آدم : أي رب ، أرأيت إن تبت واستغفرت ؟ قال : إذًا أدخلك الجنة ، وأما إبليس فلم يسأله التوبة ، وسأله النظرة ، فأعطىٰ كل واحد منهما الذي سأله .

وقال ابن جرير(٣٢) : حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثنا عباد بن العوام ، عن سفيان بن حسين ، عن يعلىٰ بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما أكل آدم من الشجرة ، قيل له : لم أكلت من الشجرة التي نهيتك عنها[٢] ؟ قال : حواء أمرتني ؛ قال : فإني قد أعقبتها أن لا تحمل إلا كرْهًا ، ولا تضع إلا كرهًا ، قال : فرنت [عند ذلك حواء][٣] ، فقيل لها : الرنة عليك وعلىٰ ولدك .

وقال الضحاك بن مزاحم في قوله : ﴿ **ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين** ﴾ : هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه .

﴿ قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

قيل : المراد بالخطاب في[٤] : ﴿ **اهبطوا** ﴾ آدم وحواء وإبليس والحية ، ومنهم من لم يذكر الحية ، والله أعلم .

والعمدة في العداوة آدم وإبليس ؛ ولهذا قال تعالىٰ في سورة طه ، ﴿ **قال اهبطا منها جميعًا** ﴾

---

(٣٠) - تفسير ابن جرير (١٤٤٠٨/١٢) وكذا أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٢٧/٢/مخطوط) والحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » وابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في « الدر المنثور » (١٣٨/٣).

(٣١) - « التفسير » لعبد الرزاق (٢٢٦/٢) .

(٣٢) - **صحيح موقوف** ابن جرير في تفسيره (١٤٤١٠/١٢) وأخرجه أبو الشيخ في « العظمة » (١٠٤٨/٥) وابن أبي الدنيا في « كتاب البكاء » - كما في « الدر المنثور » (١٠٩/١) - ومن طريقه الحاكم في « المستدرك » (٣٨١/٢) وقال : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي وهو كما ، قالا وزاد نسبته السيوطي إلى ابن منيع وابن المنذر والبيهقي في « الشعب » وابن عساكر .

---

[١] - في ز « بإسناد » .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ز « حواء عند ذلك » .
[٤] - سقط من : ز .

الآية ، وحواء تبع لآدم ، والحية إن كان ذكرها صحيحًا فهي تبع لإبليس .

وقد ذكر المفسرون الأماكن التي هبط فيها كل منهم ، ويرجع حاصل تلك الأخبار إلىٰ الإسرائيليات ، واللَّه أعلم بصحتها ، ولو كان في تعيين تلك البقاع فائدة تعود على المكلفين في أمر دينهم أو دنياهم ، لذكرها اللَّه تعالىٰ في كتابه أو رسوله صلىٰ اللَّه عليه وسلم .

وقوله[١] : ﴿ **ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلىٰ حين** ﴾ أي : قرار وأعمار مضروبة إلىٰ آجال معلومة ، قد جرىٰ بها القلم ، وأحصاها القدر ، وسطرت في الكتاب الأول .

وقال ابن عباس : ﴿ **مستقر** ﴾ القبور . وعنه [قال : ﴿ **مستقر** ﴾ فوق][٢] الأرض وتحتها . رواهما ابن أبي حاتم(٣٣) .

وقوله : ﴿ **قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون** ﴾ كقوله تعالىٰ : ﴿ **منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرىٰ** ﴾ ، يخبر تعالىٰ أنه جعل[٣] الأرض دارًا لبني آدم مدة الحياة الدنيا ؛ فيها محياهم، وفيها مماتهم وقبورهم، ومنها نشورهم ليوم القيامة[٤] الذي يجمع اللَّه فيه الأولين والآخرين ، ويجازي كلًّا بعمله .

﴿ يَـٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

يمتن تعالىٰ علىٰ عباده بما جعل لهم من اللباس والرياش ، فاللباس المذكور ها هنا لستر العورات ، وهي : السوآت ، والرياش والريش : هو[٥] ما يتجمل به ظاهرًا ، فالأول من الضروريات ، والريش من التكملات والزيادات .

قال ابن جرير[٦] : الرياش في كلام العرب : الأثاث ، وما ظهر من الثياب .

وقال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس ، وحكاه البخاري(٣٤) عنه : الرياش[٧] : المال .

(٣٣) - « التفسير » لابن أبي حاتم (٥/٨٣٢١ ، ٨٣٢٢) بإسنادين حسنين عنه ، به .

(٣٤) - صحيح البخاري، كتاب: التفسير ، باب : « سورة الأعراف » معلقًا عن ابن عباس ، ووصله ابن جرير (١٢/١٤٤٢٨) وابن أبي حاتم (٥/٨٣٣١) من طريق علي بن أبي طلحة عنه ، به .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز « وجه » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز « يجعل » .
[٤] - في خ ، ز : « المعاد » .
[٥] - سقط من خ .
[٦] - في تفسيره (١٢/٣٦٤) .
[٧] - في ز « الريش » .

وهكذا[١] قال مجاهد وعروة بن الزبير والسدي والضحاك [وغير واحد][٢] .

وقال العوفي(٣٥) : عن ابن عباس : الرياش : اللباس والعيش والنعيم .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : الرياش : الجمال .

وقال الإمام أحمد(٣٦) : حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا أصبغ ، عن أبي العلاء الشامي قال : لبس أبو أمامة ثوبًا جديدًا ، فلما بلغ ترقوته قال : الحمد للّه الذي كساني ما أواري به عورتي ، وأتجمل به في حياتي ، ثم قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **من استجد ثوبًا فلبسه ، فقال حين يبلغ ترقوته : الحمد للّه الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به في حياتي، ثم عمد إلىٰ الثوب الخلق[٣] – أو : ألقى – فتصدق به – كان في ذمة اللّه ، وفي جوار اللّه ، وفي كنف اللّه حيًّا وميتًا** » .

ورواه الترمذي وابن ماجه : من رواية يزيد بن هارون ، عن أصبغ – هو ابن زيد الجهني – وقد وثقه يحيىٰ بن معين وغيره ، وشيخه أبو العلاء الشامي لا يُعرف إلا بهذا الحديث ، ولكن لم

(٣٥) – أخرجه ابن جرير (١٤٤٣٤/١٢) وابن أبي حاتم (٨٣٣٣/٥) والعوفي ضعيف .

(٣٦) – **إسناده ضعيف** « المسند » (٤٤/١) (٣٠٥) – ومن طريقه ابن الجوزي في « العلل المتناهية » (٢/رقم ١١٣٠) – وأخرجه ابن أبي شيبة (٥٩/٦) ، (١٢٢/٧) – وعنه ابن ماجة ، كتاب : اللباس ، باب : ما يقول الرجل إذا لبس ثوبًا جديدًا (٣٥٥٧) – وعبد بن حميد في « المنتخب » (١٨) والترمذي في « الدعوات » (٣٥٥٥) وابن السني في « عمل اليوم والليلة » (١٠٩ ، ١١٠) والمزي في « تهذيب الكمال » (١٥٨/٣٤) من طريق يزيد بن هارون به ، وقال الترمذي : « هذا حديث غريب ، وقد رواه يحيى بن أيوب عن عبيد اللّه بن زَحْر عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي أمامة » وقال ابن الجوزي : « هذا حديث لا يصح ، أصبغ هو ابن زيد قال ابن عدي : له أحاديث غير محفوظة ، قال ابن حبان ، لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد – قلت وثقه غير واحد من الأئمة انظر « التهذيب » – قال الدارقطني : « وأبو العلاء هذا مجهول ...» والطريق الذي أشار إليه الترمذي ، أخرجه ابن المبارك في « الزهد » (٧٤٩) – ومن طريقه الحاكم (١٩٣/٤) ، والبيهقي في « الشعب » (٦٢٨٦/٥) – والطبراني في « الدعاء » (٣٩٣/١) من طريق يحيى بن أيوب عن عبيد اللّه بن زَحْر به ، وقال الحاكم : « هذا حديث لم يحتج الشيخان – رضي اللّه عنهما – بإسناده .... على أنه حديث تفرد به إمام خراسان عبد اللّه بن المبارك عن أئمة الشام – رضي اللّه عنهم أجمعين – فآثرت إخراجه ليرغب المسلمون في استعماله » . وذكر له الدارقطني في « العلل » (٢/س ١٦٠) طرقًا أخرى عن عبيد اللّه بن زحر ثم قال : « عبيد اللّه بن زحر ضعيف ، والحديث غير ثابت » .

[١] – في ز « وكذا » .
[٢] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٣] – في ز « خلق » وفي المسند « الذي أخلق » .

يجرحه[١] أحد ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد أيضًا(٣٧) : حدثنا محمد بن عبيد ، حدثنا مختار بن نافع التمار ، عن أبي مطر : أنه رأىٰ عليًا رضي الله عنه أتىٰ غلامًا حدثًا فاشترىٰ منه قميصًا بثلاثة دراهم ، ولبسه إلىٰ[٢] ما بين الرسغين[٣] إلىٰ الكعبين ، يقول حين[٤] لبسه : الحمد لله الذي رزقني من الرياش ما أتجمل به في الناس ، وأواري به عورتي . فقيل : هذا شيء ترويه عن نفسك أو عن النبي[٥] صلىٰ الله عليه وسلم ؟ قال : هذا شيء سمعته من رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يقول عند الكسوة : « **الحمد لله الذي رزقني من الرياش ما أتجمل به في الناس ، وأواري به عورتي** » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ولباس التقوىٰ ذلك خير** ﴾ قرأ بعضهم : (**ولباسَ التقوىٰ**) بالنصب ، وقرأ الآخرون بالرفع علىٰ الابتداء ، و﴿ **ذلك خير** ﴾ خبره .

واختلف المفسرون في معناه ؛ فقال عكرمة : يقال : هو ما يلبسه المتقون يوم القيامة . رواه ابن أبي حاتم(٣٨) .

وقال زيد بن علي والسدي وقتادة وابن جريج : ﴿ **ولباس التقوىٰ** ﴾ الإيمان .

وقال العوفي(٣٩) : عن ابن عباس : [العمل الصالح .

وقال زياد بن عمرو(٤٠) : عن ابن عباس][٦] : هو السمت الحسن في الوجه .

---

(٣٧) - **إسناده ضعيف** « المسند » (١/١٥٧ ، ١٥٨) (١٣٥٤) وأخرجه عبد بن حميد في « المنتخب » (٩٦) - ومن طريقه ذكره المصنف في « البداية والنهاية » (٨/٤ ، ٥) - ثنا محمد بن عبيد به مطولًا وأخرجه عبد الله بن أحمد في « زوائد المسند » (١/١٥٧) (١٣٥٢) وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/٨٣٣٢) وأبو يعلى في « المسند » (١/رقم ٢٩٥) والطبراني في « الدعاء » (٢/رقم ٣٩٥) من طرق عن المختار بن نافع به ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٥/١٢١ ، ١٢٢) وقال : « رواه أحمد ، وأبو يعلى ... وفيه مختار بن نافع وهو ضعيف » قلت : تابعه اثنان عند أبي يعلى (١/٣٢٧) والطبراني (١/٣٩٤) لكن شيخهم أبا مطر هذا جهله أبو حاتم والذهبي ، وقال أبو زرعة : لا يعرف اسمه . والحديث ذكره ابن حجر في « المطالب العالية » (١/١٢٧٠ ، ١٣٦٢) وزاد نسبته إلى إسحاق بن راهويه - وزاد السيوطي نسبته في « الدر المنثور » (٣/١٤١) إلى ابن مردويه .

(٣٨) - « التفسير » لابن أبي حاتم (٥/٨٣٣٧ ، ٨٣٤١) وإسناده حسن .

(٣٩) - أخرجه ابن جرير (١٢/١٤٤٤٤) ، وابن أبي حاتم (٥/٨٣٣٦) والعوفي ضعيف .

(٤٠) - أخرجه ابن جرير (١٢/١٤٤٤٥) وقد تحرف في مخطوطته « زياد بن عمرو » إلى =

---

[١] - في خ ، ز : « يخرجه » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز « الرصغين » .
[٤] - في خ ، ز : « و » .
[٥] - في ز « نبي الله » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

وعن عروة بن الزبير : ﴿ **لباس التقوىٰ** ﴾ خشية الله .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ﴿ **ولباس التقوىٰ** ﴾ يتقي الله فيواري عورته ، فذاك لباس التقوىٰ .

وكل هذه متقاربة ، ويؤيد ذلك الحديث الذي رواه ابن جرير حيث قال(٤١) :

حدثني المثنىٰ ، حدثنا إسحاق بن الحجاج ، حدثني إسحاق بن إسماعيل ، عن سليمان بن أرقم ، عن الحسن قال : رأيت عثمان بن عفان رضي الله عنه علىٰ منبر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، عليه[١] قميص قوهي[٢] محلول الزر ، وسمعته يأمر بقتل الكلاب ، وينهى عن اللعب بالحمام، ثم قال: يا أيها الناس اتقوا الله في هذه السرائر ، فإني سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **والذي نفس محمد بيده ، ما عمل أحد قط سرًا إلا ألبسه الله رداء علانية ، إن خيرًا فخير[٣] ، وإن شرًا فشر[٤]** » . ثم قرأ[٥] هذه الآية : (ورياشًا) ولم يقرأ ﴿ **وريشًا** ﴾ ، ﴿ **ولباس التقوىٰ ذلك خير ذلك من آيات الله** ﴾ قال : السمت الحسن .

هكذا رواه ابن جرير من رواية سليمان بن أرقم ، وفيه ضعف . وقد روىٰ الأئمة الشافعي وأحمد والبخاري في كتاب الأدب من طرق صحيحة : عن الحسن البصري : أنه سمع أمير المؤمنين عثمان بن عفان يأمر بقتل الكلاب ، وذبح الحمام يوم الجمعة علىٰ المنبر(٤٢) .

= « الدبا بن عمرو » وفي طبعة الحلبي منه (١٤٩/٨) إلى : « الزباء بن عمرو » وفي بعض نسخ ابن كثير المطبوعة إلى « الديال بن عمرو » ولذلك لم يعرفه الشيخ الأديب محمود شاكر فتركه بياضًا في طبعته من ابن جرير والصواب المثبت عندنا هنا وقد ترجم له « البخاري » في « التاريخ » (٣٦٧/٣) ، وابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٥٤٠/٣) وابن حبان في « الثقات » (٢٥٦/٤) وكذا ابن حجر في « لسان الميزان » (٥٧٧/٢) وذكروا أنه يروي عن ابن عباس ، لكنه مجهول كما قال أبو حاتم .

(٤١) - **إسناده ضعيف** تفسير ابن جرير (١٤٤٤٦/١٢) وأخرجه ابن أبي حاتم (٨٣٤٢/٥) من طريق حفص المهرقاني ، ثنا إسحاق بن إسماعيل به ، وقال ابن جرير (٣٦٣/١٢) : « في إسناده نظر » قلت : علته سليمان بن أرقم هذا : تركه أبو حاتم وأبو داود والترمذي وغير واحد ، وقال أبو زرعة : « ضعيف الحديث ، ذاهب الحديث » وقال ابن عدي : « عامة ما يرويه لا يتابع عليه » . وقد نفى جماعة سماع الحسن من عثمان ، لكنه قد صرح بالسماع منه كما في الآتي .

(٤٢) - **صحيح موقوف** ، عزاه المصنف لأحمد وهو في «المسند» (٧٢/١) (٥٢١) من زيادات عبد الله- ومن طريق عبد الله أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » ترجمة عثمان بن عفان رضي الله عنه =

[١] - سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ز « فوهي » . والقوهي : ثياب بيض . (القاموس المحيط ١٦١٥ .
[٣] - في ز « فخيرًا » .
[٤] - في ز « فشرًا » .
[٥] - في ز « تلا » .

وأما المرفوع منه فقد روىٰ الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير له شاهدًا من وجه آخر حيث قال : حدثنا [محمود بن محمد المروزي ، ثنا حامد بن آدم المروزي ، ثنا الفضل بن موسى ، عن محمد بن عبيد اللَّه العرزمي ، عن سلمة بن كهيل ، عن جندب بن سفيان ، قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **ما أسرَّ عبدٌ سريرة إلا ألبسه اللَّه رداءها إن خيراً فخير ، وإن شرًّا فشر** » . ...(٤٣)[١]

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾

يقول تعالىٰ محذرًا بني آدم من إبليس وقبيله ، ومبينًا لهم عداوته القديمة لأبي البشر آدم عليه السلام ، في سعيه في إخراجه من الجنة ، التي هي دار النعيم ، إلىٰ دار التعب والعناء ، والتسبب في هتك عورته بعد ما كانت مستورة عنه ، وما هذا إلا عن عداوة أكيدة ، وهذا كقوله تعالىٰ : ﴿ **أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا** ﴾ .

وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ

= (ص ٢٢١ ، ٢٢٢) – قال : ثنا شيبان بن أبي شيبة ثنا مبارك بن فضالة ثنا الحسن قال : شهدت عثمان ... فذكره ، وأخرجه البخاري في « الأدب المفرد » (١٣٠١) وابن أبي الدنيا في « ذم الملاهي » (١٣ أ مخطوط) من طريق مبارك بن فضالة . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٤٥/٤) وقال : « رواه أحمد – كذا قال وهو من زيادات عبد اللَّه – وإسناده حسن إلا أن مبارك بن فضالة مدلس » لكنه صرح بالسماع هنا وقد وثقه غير واحد ، وضعفه آخرون وهو متابع عند البخاري وعبد الرزاق في « المصنف » (١٩٧٣٣/١١) – ومن طريقه البيهقي في « السنن الكبرى » (٤١٣/٢) وفيه تحريفات في المتن – وابن أبي شيبة في « المصنف » (٦٣٩/٤) وأُعلَّ بعدم سماع الحسن من عثمان حيث قال أبو زرعة : « رآه رؤية ولم يسمع منه » لكن قال علي بن المديني في « العلل » (ص ٦٠) : « سمع الحسن من عثمان بن عفان وهو يخطب » قلت : ونص الأثر هنا يشهد لسماعه منه . وباللَّه التوفيق .

(٤٣) – ما بين المعكوفتين بياض بالأصل وقد استدركناه من المعجم الكبير للطبراني ، وقد جاء بسنده كاملًا عند [آية رقم ٢٩/ من سورة الفتح] ولفظه « **ما أسر عبدٌ سريرة إلا ألبسه اللَّه رداءها إن خيرًا فخير ، وإن شرًّا فشر** » ويخرج في المكان المذكور .

[١] – بياض بالمخطوطة .

وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ
(٢٩) فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن
دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ (٣٠)

قال مجاهد : كان المشركون يطوفون بالبيت عراة ، يقولون : نطوف كما ولدتنا أمهاتنا ، فتضع المرأة علىٰ فرجها النِّسعة أو الشيء وتقول :

الـيَـوْمَ يَـبْـدُو بَـعْـضُـهُ أَوْ كُـلُّـهُ وَمَـا بَـدَا مِـنْـهُ فَـلَا أُحِـلُّـهُ

فأنزل اللَّه : ﴿ **وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا واللَّه أمرنا بها** ﴾ الآية .

قلت : كانت العرب ما عدا قريشًا[١] لا يطوفون بالبيت في ثيابهم التي لبسوها ، يتأولون في ذلك أنهم لا يطوفون في ثياب عصوا اللَّه فيها ، وكانت قريش وهم الحمس يطوفون في ثيابهم ، فمن[٢] أعاره أحمسي ثوبًا طاف فيه ، ومن معه ثوب جديد طاف فيه ثم يلقيه ، فلا يتملكه أحد ، فمن لم يجد ثوبًا جديدًا ولا أعاره أحمسي ثوبًا طاف عريانًا ، وربما كانت امرأة فتطوف[٣] عريانة ، فتجعل على فرجها شيئًا ليستره بعض الشيء ، وتقول :

الـيَـوْمَ يَـبْـدُو بَـعْـضُـهُ أو كُـلُّـهُ وَمَـا بَـدَا مِـنْـهُ فَـلَا أُحِـلُّـهُ

وأكثر ما كان النساء يطفن عراة بالليل ، وكان هذا شيئًا قد ابتدعوه من تلقاء أنفسهم ، واتبعوا فيه آباءهم ، ويعتقدون أن فعل آبائهم مستند إلىٰ أمر من اللَّه وشرع ، فأنكر اللَّه تعالىٰ عليهم ذلك ، فقال : ﴿ **وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا واللَّه أمرنا بها** ﴾ فقال تعالىٰ ردًّا عليهم : ﴿ **قل** ﴾ أي : قل يا محمد لمن ادعىٰ ذلك ﴿ **إن اللَّه لا يأمر بالفحشاء** ﴾ أي : هذا الذي تصنعونه فاحشة منكرة ، واللَّه لا يأمر بمثل ذلك ، ﴿ **أتقولون علىٰ اللَّه ما لا تعلمون** ﴾ أي : أتسندون إلىٰ اللَّه من الأقوال ما لا تعلمون صحته .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **قل أمر ربي بالقسط** ﴾ أي : بالعدل والاستقامة ﴿ **وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين** ﴾ أي : أمركم بالاستقامة[٤] في عبادته في محالها ، وهي متابعة المرسلين المؤيَّدين بالمعجزات فيما أخبروا به عن اللَّه ، وما جاءوا به من الشرائع ، وبالإخلاص له في عبادته ، فإنه تعالىٰ لا يتقبل العمل حتىٰ يجمع هذين الركنين : أن يكون صوابًا موافقًا للشريعة ، وأن يكون خالصًا من الشرك .

---

[١] - في ز « قريش » .
[٢] - في ز « ومن » .
[٣] - في ز « تطوف » .
[٤] - في ز « بالاستعانة » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ كما بدأكم تعودون ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ الضلالة ﴾ اختلف في معنىٰ قوله : ﴿ كما بدأكم تعودون ﴾ .

فقال ابن أبي نجيح : عن مجاهد : ﴿ كما بدأكم تعودون ﴾ : يحييكم بعد موتكم .

وقال الحسن البصري : كما بدأكم في الدنيا ، كذلك تعودون يوم القيامة أحياء .

وقال قتادة : ﴿ كما بدأكم تعودون ﴾ قال : بدأ فخلقهم ولم يكونوا شيئًا ، ثم ذهبوا ، ثم يعيدهم .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : كما بدأكم أولًا كذلك يعيدكم آخرًا .

واختار هذا القول أبو جعفر بن جرير(٤٤) ، وأيده بما رواه : من حديث سفيان الثوري وشعبة ابن الحجاج كلاهما ، عن المغيرة بن النعمان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قام فينا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بموعظة ، فقال : « **يا أيها الناس ، إنكم تحشرون إلىٰ اللَّه حفاة عراة غرلًا ، ﴿كما بدأنا أوّل خلق نعيده وعدًا علينا إنا كنا فاعلين﴾** » .

وهذا الحديث مخرج في الصحيحين : من حديث شعبة ، وفي صحيح[١] البخاري أيضًا : من حديث الثوري به .

[وقال وقاء[٢] بن إياس أبو يزيد : عن مجاهد : ﴿ كما بدأكم تعودون ﴾ قال : يبعث المسلم مسلمًا ، والكافر كافرًا .

وقال أبو العالية ﴿ كم بدأكم تعودون ﴾ : ردّوا إلىٰ علمه فيهم][٣] .

---

(٤٤) - تفسير ابن جرير (١٢/٣٨٥ ، ٣٨٦) وأخرج الحديث (١٢/رقم ١٤٥٠٢) وأحمد (١/٢٣٥ ، ٢٥٣) والبخاري كتاب : التفسير ، باب : « وكنت عليهم شهيدًا ما دمت فيهم ....» (٤٦٢٥) ، وباب : « كما بدأنا أول خلق نعيده ....» سورة الأنبياء (٤٧٤٠) ، وكتاب : الرقاق ، باب : الحشر (٦٥٢٦) ، ومسلم ، ك : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ب : فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة (٥٨) (٢٨٦٠) ، والترمذي ، كتاب : صفة القيامة ، باب : ما جاء في شأن الحشر (٢٤٢٥) ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الأنبياء عليهم السلام (٣١٦٦) والنسائي (٤/١١٧) من طريق شعبة عن المغيرة به وأخرجه ابن جرير (١٢/رقم ١٤٥٠٠ ، ١٤٥٠١) وأحمد (١/٢٢٣ ، ٢٢٩) والبخاري كتاب: الأنبياء، باب: قول اللَّه تعالى ﴿ واتخذ اللَّه إبراهيم خليلًا ﴾ (٣٣٤٩) - وانظر أطرافه ثمة - والترمذي (٢٤٢٥) والنسائي (٤/١١٤) من طريق سفيان عن المغيرة به .

---

[١] - في خ « حديث » . [٢] - في خ ، ز : « ورقاء » .
[٣] - سقط من : خ ، ز .

وقال سعيد بن جبير : ﴿ **كما بدأكم تعودون** ﴾ : كما كتب عليكم تكونون . وفي رواية : كما كنتم تكونون عليه تكونون .

وقال محمد بن كعب القرظي في قوله تعالىٰ : ﴿ **كما بدأكم تعودون** ﴾ : من ابتدأ الله خلقه على الشقاوة ، صار إلىٰ [ما ابتدئ عليه خلقه][١] ، وإن عمل بأعمال أهل السعادة [كما أن إبليس عمل بأعمال أهل السعادة ، ثم صار إلىٰ ما ابتدئ عليه خلقه][٢] ، ومن ابتدأ خلقه علىٰ السعادة صار إلىٰ ما ابتدئ خلقه عليه ، وإن[٣] عمل بأعمال أهل الشقاء ، كما أن السحرة عملوا[٤] بأعمال أهل الشقاء ، ثم صاروا إلى ما ابتدئوا[٥] عليه .

وقال السدي : ﴿ **كما بدأكم تعودون فريقًا هدى [وفريقًا حق عليهم الضلالة** ﴾ يقول : ﴿ **كما بدأكم تعودون** ﴾][٦]: كما خلقناكم[٧] فريق مهتدون ، وفريق ضلال ، كذلك تعودون وتخرجون من بطون أمهاتكم .

وقال علي بن أبي طلحة(٤٥) ، عن ابن عباس قوله : ﴿ **كما بدأكم تعودون فريقًا هدىٰ وفريقًا حق عليهم الضلالة** ﴾ ، قال : إن الله تعالىٰ بدأ خلق ابن آدم مؤمنًا وكافرًا ؛ كما قال : ﴿ **هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن** ﴾ ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدأهم مؤمنًا وكافرًا .

قلت : ويتأيد هذا القول بحديث ابن مسعود في صحيح البخاري(٤٦) : « **فوالذي لا إله غيره ، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتىٰ ما يكون بينه وبينها إلا باع أو ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع أو ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة** » .

وقال أبو القاسم البغوي(٤٧) : حدثنا علي بن الجعد ، حدثنا أبو غسان[٨] ، عن أبي حازم ، عن

(٤٥) - أخرجه ابن جرير (١٢/١٤٤٧٨) وابن أبي حاتم (٥/٨٣٦٤) وابن المنذر ؛ كما في « الدر المنثور » (٣/١٤٤) .

(٤٦) - صحيح البخاري كتاب : الخلق ، باب : ذكر الملائكة ... (٣٢٠٨) مغايرًا في بعض الأحرف لسياق المصنف ، ويذكره المصنف مطولًا عند [آية رقم ١٤/ من سورة المؤمنون] ويأتي تخريجه ثمة .

(٤٧) - **صحيح** ومن طريق أبي القاسم البغوي أخرجه أبو محمد البغوي في « شرح السنة » (١/رقم ٨٠) =

[١] - في ت : « ما ابتدأ الله خلقه عليه » . [٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ز « فإن » . [٤] - في ز « عملت » .
[٥] - في ز « ابتدءوا » . [٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٧] - في خ ، ز : « خلقكم » . [٨] - بياض في : خ .

سهل بن سعد ، قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إن العبد ليعمل فيما يرى الناس بعمل أهل الجنة ، وإنه من أهل النار ، وإنه ليعمل فيما يرى الناس بعمل أهل النار ، وإنه من أهل الجنة ، وإنما الأعمال بالخواتيم** » .

هذا قطعة من حديث رواه البخاري : من حديث أبي غسان محمد بن مطرف المدني في قصة قزمان يوم أحد .

وقال ابن جرير(٤٨) : حدثني ابن بشار ، حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أنه قال : « **تبعث كل نفس علىٰ ما كانت عليه** » .

وهذا الحديث رواه مسلم وابن ماجة من غير وجه ، عن الأعمش به ، ولفظه : « **يبعث كل عبد علىٰ ما مات عليه** » .

قلت : ولابد من الجمع بين هذا القول إن كان هو المراد من الآية وبين قوله تعالىٰ : ﴿ **فأقم وجهك للدين حنيفًا فطرت اللّٰه التي فطر الناس عليها** ﴾ ، وما جاء في الصحيحين(٤٩) : عن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **كل مولود يولد علىٰ الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه** » . وفي صحيح مسلم(٥٠) : عن عياض بن حمار قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **يقول اللّٰه تعالىٰ : إني خلقت عبادي حنفاء ، فجاءتهم الشياطين ، فاجتالتهم عن دينهم** » الحديث . ووجه الجمع علىٰ هذا أنه تعالىٰ خلقهم ؛ ليكون منهم مؤمن وكافر في ثاني الحال ، وإن كان قد فطر الخلق كلهم علىٰ معرفته وتوحيده

= وهو في « المسند » لابن الجعد (٣٠٣٧/٢) وأخرجه أحمد (٣٣٥/٥) ، والبخاري ، كتاب : الرقاق ، باب : الأعمال بالخواتيم ، وما يُخافُ منها (٦٤٩٣) ، وكتاب : القدر ، باب : العمل بالخواتيم (٦٦٠٧) من طرق عن أبي غسان به مطولًا ، وأخرجه أحمد (٣٣١/٥) والبخاري كتاب : الجهاد ، باب : لا يقول فلان شهيد (٢٨٩٨) - وانظر أطرافه ثمة - ومسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه (١٧٩) (١١٢) من طرق عن أبي حازم مطولًا دون قوله : « **وإنما الأعمال بالخواتيم** » .

(٤٨) - **صحيح** تفسير ابن جرير (١٤٤٨٩/١٢) وأخرجه مسلم ، كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : الأمر بحسن الظن باللّٰه تعالى عند الموت (٨٣) (٢٨٧٨) من طريق (جرير وسفيان) وأحمد (٣٣١/٣ ، ٣٦٦) من طريق سفيان كلاهما جرير سفيان عن الأعمش به بلفظ « **يبعث كل عبدٍ على ما مات عليه** » وأخرجه ابن ماجة ، كتاب : الزهد ، باب : النية (٤٢٣٠) من طريق شريك عن الأعمش به بلفظ « **يحشر الناس على نيّاتهم** » وشريك هو ابن عبد اللّٰه القاضي « سيئ الحفظ » وأخرجه أحمد (٣١٤/٣) ثنا أبو معاوية ثنا بعض أصحابنا عن الأعمش به ولفظه « **من مات علي شيء بعثه اللّٰه عليه** » .

(٤٩) - **صحيح** تقدم تخريجه [سورة الأنعام/ آية ٧٩] .

(٥٠) - **صحيح** تقدم تخريجه [سورة الأنعام/ آية ٧٩] .

والعلم بأنه لا إله غيره ، كما أخذ عليهم الميثاق بذلك ، وجعله في غرائزهم وفطرهم ، ومع هذا قدر أن منهم شقيًا ومنهم سعيدًا ﴿ **هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن** ﴾ . وفي الحديث(٥١) : « **كل الناس يغدو ، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها** » . وقدر اللّه نافذ في بريته ، فإنه هو ﴿ **الذي قدر فهدىٰ** ﴾ ، و ﴿ **الذي أعطىٰ كل شيء خلقه ثم هدىٰ** ﴾ . وفي الصحيحين(٥٢) : « **فأما من كان منكم**[١] **من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة** ، **وأما**[٢] **من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل**[٣] **الشقاوة** » . ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **فريقًا هدىٰ وفريقًا حق عليهم الضلالة** ﴾ ، ثم علل ذلك فقال : ﴿ **إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون اللّه** [**ويحسبون أنهم مهتدون**][٤] ﴾ .

قال ابن جرير[٥] : وهذا من أبين الدلالة علىٰ خطأ من زعم : أن اللّه لا يعذب أحدًا علىٰ معصية ركبها ، أو ضلالة اعتقدها إلا أن يأتيها بعد علم منه بصواب وجهها ، فيركبها عنادًا منه لربه فيها ؛ لأن ذلك[٦] لو كان كذلك لم يكن بين فريق الضلالة الذي ضل وهو يحسب أنه هاد وفريق الهدىٰ ؛ فرق ، وقد فرق اللّه تعالىٰ بين أسمائهما وأحكامهما في هذه الآية .

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾

هذه الآية الكريمة رد علىٰ المشركين فيما كانوا يعتمدونه من الطواف بالبيت عراة ؛ كما رواه مسلم والنسائي وابن جرير واللفظ له(٥٣) : من حديث شعبة ، عن سلمة بن كهيل ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كانوا يطوفون بالبيت عراة : الرجال والنساء ، الرجال بالنهار ، والنساء بالليل ، وكانت المرأة تقول :

اليَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أو كُلُّهُ وَمَا بَدَا مِنْهُ فَلَا أُحِلُّهُ

فقال تعالىٰ : ﴿ **خذوا زينتكم عند كل مسجد** ﴾ .

---

(٥١) - **صحيح** جزء من حديث تقدم تخريجه [سورة المائدة/ آية ٦] من حديث أبي مالك الأشعري .

(٥٢) - **صحيح** يأتي تخريجه [سورة الليل/ آية ٧] من حديث علي بن أبي طالب .

(٥٣) - تفسير ابن جرير (١٢/١٤٥٠٤) وأخرجه أيضًا (١٢/١٤٥٠٣ ، ١٤٥٠٦) ومسلم ، كتاب : التفسير ، باب : في قوله تعالى : ﴿ **خذوا زينتكم عند كل مسجد** ﴾ (٢٥) (٣٠٢٨) والنسائي ، كتاب : الحج ، باب : قوله عز وجل ﴿ **خذوا زينتكم عند كل مسجد** ﴾ (٥/٢٣٣ ، ٢٣٤) .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ت : « الآية » .
[٥] - في تفسيره (١٢/٣٨٨) .
[٦] - سقط من: ت .

وقال العوفي(٥٤) : عن ابن عباس في قوله : ﴿ خذوا زينتكم عند كل مسجد ﴾ الآية ، قال : كان رجال يطوفون بالبيت عراة ، فأمرهم اللَّه بالزينة ، والزينة : اللباس وهو ما يواري السوأة ، وما سوىٰ ذلك من جيد البزِّ والمتاع ، فأمروا أن يأخذوا زينتهم عند كل مسجد .

وكذا قال مجاهد وعطاء وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبير وقتادة والسدي والضحاك [ومالك ، عن الزهري][١] وغير واحد من أئمة السلف في تفسيرها : إنها نزلت[٢] في طواف المشركين بالبيت عراة .

وقد روىٰ الحافظ ابن مردويه(٥٥) : من حديث سعيد بن بشير والأوزاعي ، عن قتادة ، عن أنس مرفوعًا : أنها أنزلت في الصلاة في النعال . ولكن في صحته نظر ، واللَّه أعلم .

ولهذه الآية وما ورد في معناها من السنة : يستحب التجمل عند الصلاة ، ولاسيما يوم الجمعة ويوم العيد ، والطيب ؛ لأنه من الزينة ، والسواك ؛ لأنه من تمام ذلك ، ومن أفضل اللباس[٣] البياض ؛ كما قال الإمام أحمد(٥٦) :

---

(٥٤) – أخرجه ابن جرير (١٤٥٠٨/١٢) وابن أبي حاتم (٨٣٧٧/٥) وابن مردويه كما في « الدر المنثور » (١٤٥/٣) .

(٥٥) – **إسناده ضعيف جدًا** وعزاه لابن مردويه السيوطي في « الدر المنثور » (١٤٦/٣) – وأخرجه العقيلي في « الضعفاء » (١٤٢/٣، ١٤٣) – ومن طريقه ابن الجوزي في « الموضوعات » (٩٥/٢) – وابن حبان في « المجروحين » (١٧٢/٢) وتمام في « فوائده » (١٣٣٩/٥ – الروض البسّام » والسهمي في « تاريخ جرجان » (ص٨٨) والخطيب البغدادي في « تلخيص المتشابه » (١/رقم ٦١٨) وفي « الجامع لأخلاق الراوى » (٦١٤/١) من طريق عبادة بن جويرية عن الأوزاعي به ، قال ابن الجوزي : «هذا حديث لا يصح ولا يعرف إلا بعباد بن جويرية ولا يتابع عليه ، قال أحمد – وعنه قاله البخاري – كما في « اللسان » لابن حجر (٢٧٧/٣) و« الكامل » لابن عدي (١٦٥٠/٤) – : كذاب » وقد تعقبه السيوطي في « اللآلى المصنوعة » (١٧/٢) وتابعه ابن عَرَّاق في « تنزيه الشريعة » (١٠١/٢) : بأن (عَبَّاد بن جُويرية) لم ينفرد بروايته عن الأوزاعي بل تابعه (يحيى بن عبد اللَّه الدمشقي) أخرج هذه المتابعة الخطيب في « تاريخ بغداد » (٢٨٧/١٤) وابن عساكر في « تاريخ دمشق (١٥٠/١٨/مخطوط) من طريق يعقوب بن إسحاق الدَّعَّاء ثنا يحيى بن عبد اللَّه الدمشقي به ، ويعقوب ذكره الخطيب ، وشيخه ذكره ابن عساكر ولم يحكيا فيهما جرحًا ولا تعديلًا ، لكن ذكر السيوطي وابن عراق له شواهد لا يصلح معها الحكم عليه بالوضع ، وقال الشوكاني في «الفوائد المجموعة» (ص٢٤) – « وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة الثابتة عن أكثر من ثلاثين صحابيًا في الصلاة في النّعال مالا يحتاج معه إلى أحاديث الكذابين » وباللَّه التوفيق .

(٥٦) – **إسناده جيد** « المسند » (٢٤٧/١) وأخرجه أيضًا (٢٣١/١ ، ٢٧٤، ٣٢٨ ، ٣٥٥ ، ٣٦٣)=

---

[١] – لم أهتد إليه من هذه الطريق ، وإنما أخرجه ابن جرير (١٤٥٢٤/١٢) من طريق معمر عن الزهري .

[٢] – سقط من : ز . [٣] – في ز « الثياب » .

حدثنا علي بن عاصم ، حدثنا عبد اللَّه بن عثمان بن خثيم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **البسوا من ثيابكم البياض ، فإنها من خير ثيابكم ، وكفنوا فيها موتاكم ، وإن من خير أكحالكم الإِثمد ، فإنه يجلو البصر ويُنبِتُ الشعر** » .

هذا حديث جيد الإِسناد ، رجاله علىٰ شرط مسلم ، ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجة : من حديث عبد اللَّه بن عثمان بن خثيم به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وللإِمام أحمد(٥٧) أيضًا وأهل السنن[١] بإسناد جيد: عن سمرة بن جندب قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **عليكم بثياب[٢] البياض فالبسوها ، فإنها أطهر وأطيب ، وكفنوا فيها موتاكم** » .

وروىٰ الطبراني(٥٨) بسند صحيح : عن قتادة ، عن محمد بن سيرين : أن تميمًا الداري اشترىٰ

= وأبو داود ، كتاب : الطب ، باب : في الأمر بالكحل (٣٨٧٨) ، كتاب : اللباس ، باب : في البياض (٤٠٦١) والترمذي ، كتاب : الجنائز ، باب : ما يستحب من الأكفان (٩٩٤) والنسائي ، كتاب : الزينة ، باب : الكحل (١٤٩/٨ ، ١٥٠) - الشطر الثاني منه دون الأول - وابن ماجه ، كتاب : الجنائز ، باب : ما جاء فيما يستحب من الكفن (١٤٧٢) ، كتاب : اللباس ، باب : البياض من الثياب (٣٥٦٦) وغيرهم من طرق عن عبد اللَّه بن عثمان به مطولًا ومختصرًا وأعله النسائي فقال عقبه : « عبد اللَّه بن عثمان بن خثيم لين الحديث » مع أنه وثقه في رواية ، وكذا وثقه ابن معين في رواية ، وقال أبو حاتم : « مابه بأس صالح الحديث » وتكلم فيه ابن المديني وابن حبان وقد صحح حديثه هذا الترمذي فقال عقبه : « حديث حسن صحيح » وكذا صححه ابن حبان (٥٤٢٣/١٢) والحاكم على شرط مسلم (٣٥٤/١) ووافقه الذهبي وجوَّد إسناده المصنف وهو أشبه .

(٥٧) - **صحيح** أخرجه أحمد (١٠/٥، ١٢ - وفي غير موضع) والترمذي ، كتاب : الأدب ، باب : ما جاء في لبس البياض (٢٨١١) ، والنسائي ، كتاب : الجنائز ، باب : أي الكفن خير (٣٤/٤) ، كتاب : الزينة ، باب : الأمر بلبس البيض من الثياب (٢٠٥/٨) وابن ماجه ، كتاب : اللباس ، باب : البياض من الثياب (٣٥٦٧) وغيرهم وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح » وصححه الحاكم (١٨٥/٤) ووافقه الذهبي ، وكذا صحح إسناده ابن حجر في « الفتح » (١٣٥/٣) وكذا الألباني في « أحكام الجنائز » (ص ٨٢) .

(٥٨) - **رجاله رجال الصحيح** في « المعجم الكبير » (١٢٤٨/٢) وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٣٨/٥) وقال : « رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح » لكن قتادة مدلس ، ولم يصرح بالتحديث .

[١] - كذا قال المصنف ، ولم يخرجه أبو داود من بينهم كما قال ابن حجر في « تلخيص الحبير » (٧٤/٢) وكذا لم يعزه إلى أبي داود السيوطي في « الدر المنثور » (١٤٧/٣) وانظر « تحفة الأشراف » (٨٠/٤ ، ٨٤ ، ٨٦) و« جامع المسانيد » للمصنف (٥٩٠/٥ ، ٦٠٠)

[٢] - في ز « بالثياب » .

رداء بألف ، وكان[١] يصلي فيه .

وقوله تعالىٰ : ﴿ وكلوا واشربوا [ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين][٢] ﴾ ، قال بعض السلف : جمع اللّه الطب كله في نصف آية ﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾ .

وقال البخاري(٥٩) : قال ابن عباس : كل ما شئت ، والبس ما شئت ، ما أخطأتك خصلتان : سرف ومخيلة .

وقال ابن جرير(٦٠) : حدثنا محمد بن عبد الأعلىٰ ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : أحل اللّه الأكل والشرب ما لم يكن سرفًا أو مخيلة . إسناده صحيح .

وقال الإمام أحمد(٦١) : حدثنا بهز ، حدثنا همام ، عن قتادة ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، أن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم قال : « كلوا واشربوا ، والبسوا وتصدقوا ، في[٣] غير مخيلةٍ ولا سَرَفٍ ، فإن اللّه يُحِبُّ أن يرىٰ نعمته علىٰ عبده » .

---

(٥٩) - **إسناده صحيح** صحيح البخاري ، فاتحة كتاب اللباس (١٠/٢٥٢/ فتح) معلقًا ، ووصله ابن أبي شيبة في « المصنف » (٦/٣٦) ، وابن حجر في « تغليق التعليق » (٥/٥٤) من طريق سفيان بن عيينة عن إبراهيم بن ميسرة عن طاوس عن ابن عباس به . وزاد نسبته ابن حجر في « الفتح » (١٠/٢٥٣) إلى الدينوري في « المجالسة » ، والسيوطي في « الدر المنثور » (٣/١٤٩) إلى عبد بن حميد ، وانظر ما بعده .

(٦٠) - **إسناده صحيح** تفسير ابن جرير (١٢/١٤٥٢٩) وأخرجه عبد الرزاق في « المصنف » - كما في « تغليق التعليق » (٥/٥٤) و« الفتح » (١٠/٢٥٣ ، ٢٥٤) لابن حجر - عن معمر ، به .

(٦١) - **حسن** : « المسند » (٢/١٨٢) (٦٧٠٨) وأخرجه أيضًا (٢/١٨١) (٦٦٩٥) والترمذي ، كتاب : الأدب ، باب : ما جاء أن اللّه تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده (٢٨٢٠) الجزء الأخير منه - والنسائي ، كتاب : الزكاة ، باب : الاختيال في الصدقة ، (٥/٧٩) وابن أبي شيبة في « المصنف » (٦/٣٥، ٣٦) وعنه ابن ماجه ، كتاب : اللباس ، باب : البس ما شئت ما أخطأك سرف أو مخيلة (٣٦٠٥) وابن أبي الدنيا في « الشكر » (٥١) - ومن طريقه ابن حجر في «تغليق التعليق» (٥/٥٣) - وأخرجه ابن أبي الدنيا أيضًا في « التواضع والخمول » (١٥٧) والبيهقي في « الشعب » (٥/٦١٩٦) وابن مردويه كما في « التغليق » و« الدر المنثور » (٣/١٤٨) - من طرق عن همام به مطولاً ومختصرًا ، وصححه الحاكم (٤/١٣٥) ووافقه الذهبي وقال الترمذي : « حديث حسن » وهو أشبه للخلاف المعروف في رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، وقد رواه الطيالسي في « المسند » (٢٢٦١) - ومن طريقه البيهقي (٥/٦١٩٦) وابن حجر في « التغليق » (٥/٥٢) - عن همام عن رجل عن عمرو بن شعيب به ، ورواه تمام في « الفوائد » (٣/١٠٣٤ - الروض البسام) من طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن عمرو بن شعيب به وهو في صحيح البخاري معلقًا وقد تقدم تخريجه [سورة الأنعام / آية رقم ١٤١] .

---

[١] - في ز « فكان » . [٢] - في ت : « الآية » .

[٣] - سقط من: خ ، ز .

ورواه النسائي وابن ماجه : من حديث قتادة ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **كلوا وتصدقوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة** » .

وقال الإمام أحمد(٦٢) : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا سليمان بن سليم الكناني ، حدثنا يحيىٰ بن جابر الطائي[١] ، سمعت المقدام بن معدي كرب الكندي قال : سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « **ما ملأ [ابن آدم]**[٢] **وعاء شرًّا من بطنه**[٣] ، **حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه ، فإن كان فاعلًا لا محالة ، فثلث لطعامه**[٤] ، **وثلث لشرابه**[٥] ، **وثلث لنفسه** ».

ورواه النسائي والترمذي من طرق ، عن يحيىٰ بن جابر به . وقال الترمذي : حسن . وفي نسخة : حسن صحيح .

وقال الحافظ أبو يعلىٰ الموصلي في مسنده(٦٣) : حدثنا [سويد بن عبد العزيز][٦] ، حدثنا بقية ، عن يوسف بن أبي كثير ، عن نوح بن ذكوان ، عن الحسن ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن من السرف أن تأكل كل ما اشتهيت** » .

---

(٦٢) - **صحيح** « المسند » (١٣٢/٤) وأخرجه الترمذي ، كتاب : الزهد ، باب : ما جاء في كراهية كثرة الأكل (٢٣٨١) ، والنسائي في الوليمة من « الكبرى » (١٧٧/٤ ، ١٧٨) وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح » وصححه ابن حبان (٦٧٤/٢) ، واستدركه الحاكم على الشيخين (١٢١/٤) وسكت عنه في النسخة التى بين يديَّ ، ونقل تصحيحه عنه الحافظ في «الفتح» (٥٢٨/٩) و(٢٤٨/١٣)- وكذا صححه الذهبي في «تلخيص المستدرك»- وحسنه ابن حجر ، وأعله أبو حاتم - كما في « المراسيل » لابنه (ص ٢٤٤) - بالإرسال بين يحيى بن جابر والمقدام - وقد صرح يحيى بن جابر بسماعه من المقدام كما في مسند أحمد هنا وانظر « الإرواء » للألباني (٧/رقم ١٩٨٣) ، وللحديث طريق آخر عن المقدام عند ابن ماجه (٣٣٤٩) لكن في إسناده جهالة ، وطريق ثالث عند النسائي وابن حبان (٥٢٣٦/١٢) والبيهقي في « الأدب » (٧٠١) وفي إسناده صالح بن يحيى بن المقدام وهو « لينٌ » كما في « التقريب » ، فالمعول على الإسناد الأول ، وقد صح ولله الحمد .

(٦٣) - **موضوع** « المسند » لأبي يعلى (٢٧٦٥/٥) وعن أبي يعلى ابن حبان في « المجروحين » (٤٧/٣) وأخرجه ابن ماجه ، كتاب : الأطعمة ، باب : من الإسراف أن تأكل كل ما اشتهيت (٣٣٥٢) وابن أبي الدنيا في « كتاب الجوع » (رقم ١٨١) وابن عدي في « الكامل » (٢٠٠٨/٧ ، ٢٠٠٩) والدارقطني في « الأفراد » - كما في « اللآلىء المصنوعة » للسيوطي (٢٠٩/٢) ومن طريقه المزي في «تهذيب الكمال» (٥٠/٣٠) وكذا من طريقه وطريق غيره ابن الجوزي في « الموضوعات » (٣٠/٣) = =

---

[١] - في ز « الطاري » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز « آدمي » .
[٣] - في ز « بطن » .
[٤] - في ز « طعام » .
[٥] - في ز « شراب » .
[٦] - في جميع النسخ : « سويد بن عبد العزيز » وهو خطأ صوابه : « سويد بن سعيد » كما في مسند أبي يعلى وكتب الرجال .

ورواه الدارقطني في الأفراد ، وقال : هذا حديث غريب ، تفرد به بقية .

وقال السدي : كان الذين يطوفون بالبيت عراة يحرمون عليهم الودك[١] ما أقاموا في الموسم ، فقال اللَّه تعالىٰ لهم : ﴿ **كلوا واشربوا ولا تسرفوا [إنه لا يحب المسرفين]**[٢]﴾، يقول : لا تسرفوا في التحريم.

وقال مجاهد : أمرهم أن يأكلوا ويشربوا مما رزقهم اللَّه .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ﴿ **ولا تسرفوا** ﴾ يقول : ولا تأكلوا حرامًا ، ذلك الإسراف .

وقال عطاء الخراساني(٦٤) : عن ابن عباس قوله : ﴿ **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين** ﴾ : في الطعام والشراب.

وقال ابن جرير[٣]: : وقوله : ﴿ **إنه لا يحب المسرفين** ﴾ يقول اللَّه تعالىٰ : إن اللَّه لا يحب المتعدين[٤] ، حدّه في حلال أو حرام ، الغالين فيما أحل أو حرم ، بإحلال الحرام أو بتحريم الحلال ، ولكنه يحب أن يحلل ما أحَل ويحرم ما حرم ، وذلك العدل الذي أمر به .

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ

وأبو نعيم في « الحلية » (٢١٣/١٠) والبيهقي في « الشعب » (١٤٦/٥) كلهم من طريق سويد بن سعيد وغيره عن بقية به ، ورواه سليمان بن عمر عن بقية ثنا شعبة عن يوسف بن أبي كثير به رواها البيهقي في « الشعب » وقال أبو نعيم : « غريب من حديث الحسن عن أنس لا أعلم رواه عنه إلا نوح » قلت : وهو المتهم به فقد قال البوصيري في « الزوائد » : « هذا إسناد ضعيف ، لأن نوح بن ذكوان متفق على تضعيفه ، وقال الدميري : هذا الحديث مما أنكر عليه » وهو كما قال فقد ذكر له ابن عدي هذا الحديث وغيره ثم قال : « نوح بن ذكوان يروى عنه يوسف بن أبي كثير ، وعن يوسف يرويه بقية وهذه الأحاديث عن الحسن عن أنس ليست بمحفوظة » ولذلك كان من نصيب « الضعيفة » للعلامة الألباني (١/رقم ٢٤١) وقد حكم عليه بالوضع لعلل أخرى فيه - انظرها إن شئت ثمة - وزاد نسبته السيوطي في « اللآلئ » إلى الخرائطي في « اعتلال القلوب » وفي « الدر المنثور » (١٤٨/٣) إلى ابن مردويه .

(٦٤) - أخرجه ابن جرير (١٤٥٣٠/١٢) وابن أبي حاتم (٨٣٨٠/٥) وعطاء الخراساني لم يسمع من ابن عباس .

[١] - « الودك » دسم اللحم ودهنه الذي يستخرج منه . « والموسم » مجتمع الناس في أيام الحج .

[٢] - في ت : « الآية » .

[٣] - في تفسيره (٣٩٥/١٢) .

[٤] - في ز « المعتدين » .

يَعۡلَمُونَ ﴿٣٢﴾

يقول تعالىٰ ردًّا علىٰ من حرم شيئًا من المآكل أو[١] المشارب أو[٢] الملابس ، من تلقاء نفسه من غير شرع من اللَّه : ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يحرمون ما يحرمون بآرائهم الفاسدة وابتداعهم ﴿ **من حرم زينة اللَّه التي أخرج لعباده** [**والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا**][٣]﴾ ، أي : هي مخلوقة لمن آمن باللَّه ، وعبده في الحياة الدنيا ، وإن شركهم فيها الكفار حسًّا في الدنيا ، فهي لهم خاصة يوم القيامة ، لا يشركهم فيها أحد من الكفار ، فإن الجنة محرمة علىٰ الكافرين .

قال أبو القاسم الطبراني(٦٥) : حدثنا أبو حصين محمد بن الحسين القاضي ، حدثنا يحيىٰ الحماني ، حدثنا يعقوب القمي ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة ، يصفرون ويصفقون ، فأنزل اللَّه : ﴿ **قل من حرم زينة اللَّه التي أخرج لعباده** ﴾ فأمروا بالثياب .

قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾

قال الإمام أحمد(٦٦) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن شقيق ، عن عبد اللَّه قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لا أحد أغير من اللَّه** ؛ [**فلذلك حرم الفواحش ما ظهر**

(٦٥) - **إسناده ضعيف** في « المعجم الكبير » ١٢٣٢٤/١٢) - وتحرف فيه محمد بن الحسين إلى محمد بن الحصين فليضبط انظر « السير » (٥٦٩/١٣) - وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٦/٧) وقال : « رواه الطبراني وفيه يحيى الحماني وهو ضعيف » .

(٦٦) - **صحيح** « المسند » (٣٨١/١) (٣٦١٦) وأخرجه أيضًا (٤٢٥/١) (٤٠٤٤) والبخاري ، كتاب : النكاح ، باب : الغَيرة (٥٢٢٠) ، وك : التوحيد ، باب : قول اللَّه تعالى : ﴿ **ويحذركم اللَّه نفسه** ﴾ (٧٤٠٣) ومسلم ، كتاب : التوبة ، باب : غيرة اللَّه تعالى ، وتحريم الفواحش (٣٢ ، ٣٣) (٢٧٦٠) والنسائي في « التفسير » (١١١٨٣/٦) من طرق عن الأعمش به ، وأخرجه أحمد (٤٣٦/١) (٤١٥٣) والبخاري ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن** ﴾ (٤٦٣٤) وباب : ﴿ **إنما حرَّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن** ﴾ (٤٦٣٧) ومسلم (٣٤) (٢٧٦٠) والترمذي ، كتاب : الدعوات ، باب : لا أحد أغير من اللَّه (٣٥٢٠) والنسائي في « التفسير » من « الكبرى » (٦/ ١١١٧٣) من طرق عن شعبة عن عمرو بن مرة عن شقيق أبي وائل ، به .

[١] - في ز « و » . [٢] - في ز « و » .
[٣] - في ت : « الآية » .

منها وما بطن ، ولا أحد أحب إليه المدح من اللَّه »][١] أخرجاه في الصحيحين : من حديث سليمان بن مهران الأعمش ، عن [شقيق أبي وائل][٢] ، عن عبد اللَّه بن مسعود به[٣] . وتقدم الكلام علىٰ ما يتعلق بالفواحش ما ظهر منها وما بطن في سورة الأنعام .

وقوله : ﴿ **والإِثم والبغي بغير الحق** ﴾ قال السدي : أما الإِثم فالمعصية ، والبغي أن تبغي علىٰ الناس بغير الحق .

وقال مجاهد : الإِثم : المعاصي كلها ، وأخبر أن الباغي بغيه كائن علىٰ نفسه .

وحاصل ما فسر[٤] به الإِثم أنه الخطايا المتعلقة بالفاعل نفسه ، والبغي هو التعدي إلىٰ الناس ، فحرم اللَّه هذا وهذا .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وأن تشركوا باللَّه ما لم ينزل به سلطانًا** ﴾ أي : تجعلوا له شركاء[٥] في عبادته ﴿ **وأن تقولوا علىٰ اللَّه ما لا تعلمون** ﴾ [ ][٦] من الافتراء والكذب من دعوىٰ أن له ولدًا ، ونحو ذلك مما لا علم لكم به ؛ كقوله : ﴿ **فاجتنبوا الرجس من الأوثان [واجتنبوا قول الزور حنفاء للَّه غير مشركين به]**[٧] ﴾.

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٣٤) يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٥) وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٣٦) ﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **ولكل أمة** ﴾ أي[٨] : قرن وجيل ﴿ **أجل فإذا جاء أجلهم** ﴾ أي : ميقاتهم المقدر لهم ﴿ **لا يستأخرون ساعة** ﴾ عن ذلك ﴿ **ولا يستقدمون** ﴾ .

ثم أنذر تعالىٰ بني آدم بأنه[٩] سيبعث إليهم رسلًا يقصون عليهم آياته ، وبشر وحذر ، فقال : ﴿ **فمن اتقىٰ وأصلح** ﴾ أي : ترك المحرمات وفعل الطاعات ﴿ **فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**

---

[١] - سقط من : خ ، ز .
[٢] - في خ ، ت : « شقيق عن أبي وائل » .
[٣] - سقط من : ت .
[٤] - في ز « فسرا » .
[٥] - في ز « شريكًا » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز « عليه » .
[٧] - في ت : « الآية » .
[٨] - سقط من : ز .
[٩] - في خ « أنه » .

والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها ﴾ أي : كذبت بها قلوبهم ، واستكبروا عن العمل بها ﴿ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ أي : ماكثون فيها مكثًا مخلدًا .

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾

يقول : ﴿ فمن أظلم ممن افترىٰ علىٰ اللَّه كذبًا أو كذَّب بآياته ﴾ أي : لا أحد أظلم ممن افترىٰ الكذب علىٰ اللَّه أو كذب بآياته[١] المنزلة .

﴿ أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب ﴾ اختلف المفسرون في معناه ؛ فقال العوفي(٦٧) : [عن ابن عباس][٢] : ينالهم ما كتب عليهم ، وكتب لمن يفتري علىٰ اللَّه أن وجهه مسَودٌ .

وقال علي بن أبي طلحة(٦٨) : عن ابن عباس يقول : نصيبهم من الأعمال ، من عمل خيرًا جُزِي به ، ومن عمل شرًّا جُزِي به .

وقال مجاهد : ما وعدوا فيه من خير وشر.

وكذا قال قتادة والضحاك وغير واحد واختاره ابن جرير[٣] .

وقال محمد بن كعب القرظي : ﴿ أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب ﴾ قال : عمله ورزقه وعمره.

وكذا قال الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

وهذا القول قوي في المعنىٰ ، والسياق يدل عليه ، وهو قوله : ﴿ حتىٰ إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم ﴾ ويصير[٤] المعنىٰ في هذه الآية كما في قوله : ﴿ إن الذين يفترون علىٰ اللَّه الكذب لا يفلحون * متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون ﴾ ،

---

(٦٧) - أخرجه ابن جرير (١٤٥٨٨/١٢) والعوفي ضعيف .
(٦٨) - أخرجه ابن جرير (١٤٥٧٣/١٢) وابن أبي حاتم (٨٤٣٨/٥) وابن المنذر كما في « الدر المنثور » (٣/ ١٥٣) .

---

[١] - في ز « بآيات اللَّه » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٣] - في تفسيره (٤١٤/١٢) .
[٤] - في ت « نظير » .

وقوله : ﴿ **ومن كفر فلا يحزنك كفره إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا إن الله عليم بذات الصدور * نمتعهم قليلًا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ** ﴾ .

وقوله : ﴿ **حتىٰ إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم [قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا][١]** ﴾ ، يخبر تعالىٰ أن الملائكة إذا توفت المشركين ، تفزعهم عند الموت وقبض أرواحهم إلىٰ النار ، يقولون لهم : أين الذين كنتم تشركون بهم في الحياة الدنيا ، وتدعونهم وتعبدونهم من دون الله ، ادعوهم يخلصوكم مما أنتم فيه ، قالوا : ﴿ **ضلوا عنا** ﴾ أي : ذهبوا عنا ، فلا نرجو نفعهم ولا خيرهم ﴿ **وشهدوا علىٰ أنفسهم** ﴾ أي : أقروا واعترفوا علىٰ أنفسهم ﴿ **أنهم كانوا كافرين** ﴾.

قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾

يقول تعالى مخبرًا عما يقوله لهؤلاء المشركين به ، المفترين عليه ، المكذبين بآياته : ﴿ **ادخلوا في أمم** ﴾ أي : من أشكالكم وعلىٰ صفاتكم ﴿ **قد خلت من قبلكم** ﴾ أي : من الأمم السالفة الكافرة .

﴿ **من الجن والإنس في النار** ﴾ يحتمل أن يكون بدلًا من قوله : ﴿ **في أمم** ﴾ ، ويحتمل أن يكون ﴿ **في أمم** ﴾ أي : مع أمم .

وقوله : ﴿ **كلما دخلت أمة لعنت أختها** ﴾ ، كما قال الخليل عليه السلام : ﴿ **ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض [ويلعن بعضكم بعضًا][٢]** ﴾ ، وقوله تعالىٰ : ﴿ **إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب * وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار** ﴾.

وقوله : ﴿ **حتىٰ إذا اداركوا فيها جميعًا** ﴾ أي : اجتمعوا فيها كلهم ﴿ **قالت أخراهم**

---

[١] - في ت : « الآية » . [٢] - في ت : « الآية » .

لأولاهم ﴾ أي : آخرهم دخولًا . وهم الأتباع لأولادهم وهم المتبوعون لأنهم أشد جرمًا من أتباعهم ، فدخلوا قبلهم ، فيشكوهم الأتباع إلىٰ اللَّه يوم القيامة ؛ لأنهم هم الذين أضلوهم عن سواء السبيل ، فيقولون : ﴿ **ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابًا ضعفًا من النار** ﴾ أي : أضعف عليهم العقوبة ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **يوم تقلب وجوههم في النار يقولون ياليتنا أطعنا اللَّه وأطعنا الرسولا * وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا * ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنًا كبيرًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون** ﴾ أي : قد فعلنا ذلك ، وجازينا كلا بحسبه ؛ كقوله : ﴿ **الذين كفروا وصدوا عن سبيل اللَّه زدناهم عذابًا [فوق العذاب بما كانوا يفسدون][١]** ﴾ ، وقوله : ﴿ **وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم** ﴾، وقوله : ﴿ **ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم [ألا ساء ما يزرون][٢]** ﴾ .

﴿ **وقالت أولاهم لأخراهم** ﴾ أي : قال المتبوعون للأتباع ﴿ **فما كان لكم علينا من فضل** ﴾ قال السدي : فقد ضللتم كما ضللنا.

﴿ **فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون** ﴾ وهذا الحال كما أخبر اللَّه[٣] تعالىٰ عنهم في حال محشرهم في قوله تعالىٰ : ﴿ **ولو ترىٰ إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلىٰ بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين * قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدىٰ بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين * وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر باللَّه ونجعل له أندادًا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون** ﴾

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤١﴾

قوله : ﴿ **لا تفتح لهم أبواب السماء** ﴾ قيل : المراد لا يرفع لهم منها عمل صالح ولا دعاء .

قاله مجاهد وسعيد بن جبير ، ورواه العوفي وعلي بن أبي طلحة : عن ابن عباس . وكذا رواه

---

[١] - في ت : « الآية » . [٢] - في ت : « الآية » .
[٣] - سقط من : ز .

الثوري : عن ليث ، عن عطاء ، عن ابن عباس(٦٩) .

وقيل : المراد لا تفتح لأرواحهم أبواب السماء .

رواه الضحاك(٧٠) عن ابن عباس ، وقاله السدي وغير واحد ، ويؤيده ما قال ابن جرير(٧١) :

حدثنا أبو كريب ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن الأعمش ، عن المنهال - هو ابن عمرو - ، عن زاذان ، عن البراء : أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، ذكر قبض روح الفاجر ، وأنه يصعد بها إلىٰ السماء ، قال[١] : « **فيصعدون بها فلا يمرون**[٢] **علىٰ ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذه الروح الخبيثة ، فيقولون : فلان ، بأقبح أسمائه التي كان يدعىٰ بها في الدنيا ، حتىٰ ينتهوا**[٣] **بها إلىٰ السماء ، فيستفتحون بابها له ، فلا يفتح له** » . ثم قرأ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **لا تفتح لهم أبواب السماء [ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط]**[٤] ﴾ .

هكذا رواه ، وهو قطعة من حديث طويل رواه أبو داود والنسائي وابن ماجة من طرق : عن المنهال بن عمرو ، به . وقد رواه الإمام أحمد بطوله فقال(٧٢) :

حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن المنهال[٥] بن عمرو ، عن زاذان ، عن البراء بن عازب قال : خرجنا مع رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، في جنازة رجل من الأنصار ، فانتهينا إلىٰ القبر ولما يُلحد ، فجلس رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وجلسنا حوله كأن علىٰ رءوسنا الطير ، وفي يده عود ينكت[٦] به في الأرض ، فرفع رأسه فقال : « **استعيذوا بالله من عذاب**

(٦٩) - أخرجه من طرقه الثلاثة ابن جرير (١٤٦٠٦/١٢ ، ١٤٦٠٧ ، ١٤٦٠٨) وابن أبي حاتم (٥/ ٨٤٦٠، ٨٤٦١ ، ٨٤٦٢) والرواية الأولى فيها عطية العوفي وهو ضعيف ، والثانية فيها إرسال بين ابن عباس وعلي بن أبي طلحة ، والثالثة فيها ليث وهو ابن أبي سليم ضعيف لاختلاطه ، وعطاء في هذه الطريق هو ابن أبي رباح .

(٧٠) - أخرجه ابن جرير (١٤٦٠٣/١٢) وابن أبي حاتم (٨٤٥٩/٥) وعبد بن حميد وأبو الشيخ - كما في « الدر المنثور » (١٥٥/٣) - والضحاك لم يلق ابن عباس كما في « جامع التحصيل » للعلائي (ص ٢٠٠) لكنه أفاد أن بينهما سعيد بن جبير .

(٧١) - **صحيح** تفسير ابن جرير (١٤٦١٤/١٢) وانظر ما بعده .

(٧٢) - **صحيح** وهو في « المسند » (٢٨٧/٤ ، ٢٨٨) وعنه ابنه عبد الله في « السنة » (٢/رقم ١٤٣٨) وأخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » كتاب : الجنائز ، باب : في نفس المؤمن كيف تخرج ونفس الكافر=

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في خ ، ز : « تمر » .
[٣] - في ز « ينتهى » .
[٤] - في ت : « الآية » .
[٥] - في ز « منهال » .
[٦] - في ز « يكنث » .

القبر » - مرتين أو ثلاثًا ، ثم قال : « **إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال إلى[١] الآخرة ، نزل إليه ملائكة من السماء ، بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس ، معهم كفن من أكفان الجنة ، وحنوط من حنوط الجنة ، حتىٰ يجلسوا منه مد البصر ، ثم يجيء ملك الموت حتىٰ يجلس عند رأسه ، فيقول : أيتها النفس المطمئنة ، اخرجي إلىٰ مغفرة من الله ورضوان** » .

قال : « **فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيِّ السقاء ، فيأخذها ، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين ، حتىٰ يأخذوها[٢] فيجعلوها في ذلك الكفن ، وفي ذلك الحنوط ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت علىٰ وجه الأرض ، فيصعدون بها ، فلا يمرون - يعني بها - علىٰ ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذه[٣] الروح الطيبة[٤] ؟ فيقولون : فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا ، حتىٰ ينتهوا به إلىٰ السماء الدنيا ، فيستفتحون له**

(٢٥٦/٣ ، ٢٥٧) - ومن طريقه الآجري في « الشريعة » (٢/رقم ٩١٩) - وهنّاد في « الزهد » (١/رقم ٣٣٩) ومن طريقه أبو داود ، كتاب : السنة ، باب : في المسألة في القبر ، وعذاب القبر (٤٧٥٣) والآجري (٩٢٠) والبيهقي في « عذاب القبر » (٢١) - والمروزي في « زوائد الزهد » (١٢١٩) ومن طريقه الآجري أيضًا (٩٢١) - والحاكم (٣٧/١ ، ٣٨) والبيهقي في « الشعب » (٣٩٥/١) كلهم من طريق أبي معاوية به ، وقال الحاكم : « ورواه سفيان بن سعيد - كما عند أحمد (٢٩٧/٤) - وشعبة بن الحجاج وزائدة بن قدامة - كما عند أحمد أيضًا (٢٨٨/٤) - وهم الأئمة الحفاظ عن الأعمش - » ثم أخرج بإسناده هذه الطرق وقال : « حديث صحيح على شرط الشيخين ، فقد احتجا جميعًا بالمنهال بن عمرو وزاذان أبي عمر الكندي، وفي هذا الحديث فوائد كثيرة لأهل السنة وقمع للمبتدعة ولم يخرجاه بطوله » وأقره الذهبي ، قلت : ورواه أيضًا عن الأعمش ، عبد الله بن نمير عند أحمد في « المسند » (٢٨٨/٤) - وعنه ابنه عبد الله في « السنة » (٢/رقم ١٤٣٩) - وأبي داود (٤٧٥٤) وابن أبي حاتم في تفسير (٨٤٦٥/٥) - وجرير بن عبد الحميد عند أبي داود (٤٧٥٣) - ومن طريقه البيهقي في « إثبات عذاب القبر » (٢١) ومحمد بن فضيل عند الحاكم (٣٨/١) ، وأبو عوانة عند الطيالسي (٧٥٣) والروياني في مسنده (١/رقم ٣٩٢) وابن جرير في « التفسير » (٢١٧/١٣) وقال البيهقي : « هذا حديث كبير صحيح الإسناد رواه جماعة من الأئمة الثقات عن الأعمش » وبنحوه قال في « الشعب » وأعله أبو حاتم بن حبان في صحيحه (٣٨٧/٧) فقال: « خبر الأعمش عن المنهال بن عمرو، عن زاذان ، عن البراء ؛ سمعه الأعمش عن الحسن بن عمارة، عن المنهال بن عمرو ، وزاذان لم يسمعه من البراء، فلذلك لم أخرّجه » وكذا أعله ابن حزم فقال: « ولم يرو أحدٌ في عذاب القبر أن الروح ترد إلى الجسد إلا المنهال بن عمرو ، وليس بالقوي .....» نقله ابن القيم في « تهذيب السنن » (١٣٩/٧ ، ١٤٠) ثم قال : « ولم أعلم أحدًا طعن في هذا الحديث إلا أبا حاتم البستي وابن حزم ، ومجموع ما ذكراه ثلاث علل : إحداها : ضعف المنهال ، والثانية : أن الأعمش لم يسمعه من المنهال ، والثالثة : أن زاذان لم يسمعه من البراء ، وهذه علل واهية جدًا ...» ثم شرع في تفصيل الرد على هذه العلل ، فأجاد فيه أيما إجادة - فارجع إليه إن شئت .

[١] - في ت : « من » .
[٢] - في ز « أخذوها » .
[٣] - في ز « هذا » .
[٤] - في ز « الطيب » .

فيفتح له ، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلىٰ السماء التي تليها ، حتىٰ يُنتهىٰ بها إلىٰ السماء السابعة ، فيقول اللَّه عز وجل : اكتبوا كتاب عبدي في عليين ، وأعيدوه إلىٰ الأرض ، فإني منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة أخرىٰ ».

قال : « فتعاد روحه ، فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربي اللَّه . فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : ديني الإسلام . فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فيقولان له : وما علمك ؟ فيقول : قرأت كتاب اللَّه فآمنت به وصدقت . فينادي مناد من السماء : أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له بابًا إلىٰ الجنة . فيأتيه من روحها وطِيبها ، ويفسح له في قبره مد البصر[١] .

قال : « ويأتيه رجل حسن الوجه ، حسن الثياب ، طيب الريح ، فيقول : أبشر بالذي يسرك ، هذا يومك الذي كنت توعد . فيقول له : من أنت فوجهك الوجه[٢] يجيء بالخير ؟ فيقول : أنا عملك الصالح . فيقول : رب أقم الساعة ، رب أقم الساعة حتىٰ أرجع إلىٰ أهلي ومالي .

قال : « وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا ، وإقبال من الآخرة ، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح ، فيجلسون منه مد البصر ، ثم يجيء ملك الموت حتىٰ يجلس عند رأسه ، فيقول : أيتها[٣] النفس الخبيثة ، اخرجي إلىٰ سخط من اللَّه وغضب . قال : فتفرق[٤] في جسده ، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول ، فيأخذها ، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين ، حتىٰ يجعلوها في تلك المسوح ، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت علىٰ وجه الأرض ، فيصعدون بها فلا يمرون بها علىٰ ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذه[٥] الروح الخبيثة[٦] ؟ فيقولون : فلان بن فلان . بأقبح أسمائه التي كان يسمىٰ بها في الدنيا، [حتىٰ ينتهىٰ به إلىٰ السماء الدنيا][٧]، فيستفتح له ، فلا يفتح [ ][٨]، ثم قرأ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتىٰ يلج الجمل في سم الخياط ﴾ فيقول اللَّه عز وجل : اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلىٰ . فتطرح روحه طرحًا . ثم قرأ : ﴿ ومن يشرك باللَّه فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ﴾ ، فتعاد روحه في جسده ، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري . فيقولان : ما دينك ؟ فيقول :

---

[١] - في ز « بصره » .
[٢] - في ز « اليوم » .
[٣] - في ز « أيها » .
[٤] - في ز « فيفرق » .
[٥] - في ز « هذا » .
[٦] - في ز « الخبيث » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٨] - في ز : له .

هاه هاه لا أدرى . فيقولان : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري . فينادي مناد من السماء : أن كذب عبدي[١] ، فافرشوه من النار ، وافتحوا له بابًا إلىٰ[٢] النار ، فيأتيه من حرها وسمومها ، ويضيق عليه قبره حتىٰ تختلف فيه أضلاعه ، ويأتيه رجل ، قبيح الوجه قبيح الثياب ، منتن الريح ، فيقول : أبشر بالذي يسوؤك ، هذا يومك الذي كنت توعد . فيقول : من أنت ؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر ، فيقول : أنا عملك الخبيث . فيقول : رب لا تقم الساعة » .

وقال الإمام[٣] أحمد أيضًا(٧٣) : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن يونس بن خباب ، عن المنهال بن عمرو ، عن زاذان ، عن البراء بن عازب قال : خرجنا مع رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، إلىٰ جنازة ... فذكر نحوه .

وفيه : « **حتىٰ إذا خرج روحه صلىٰ عليه كل ملك بين السماء والأرض ، وكل ملك في السماء ، وفتحت له أبواب السماء ، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون اللّٰه عز وجل : أن يعرج بروحه من قبلهم** » .

وفي آخره : « **ثم يقيض له أعمىٰ أصم أبكم ، في يده مرزبة ، لو ضرب بها جبل كان ترابًا ، فيضربه ضربة فيصير ترابًا ، ثم يعيده اللّٰه عز وجل كما كان ، فيضربه ضربة أخرىٰ ،**

(٧٣) - « المسند » (٤/٢٩٥ ، ٢٩٦) وعنه ابنه عبد اللّٰه في « السنة » (٢/١٤٤٢) ومن طريقه الحاكم (١/٣٩) - وهو في « المصنف » لعبد الرزاق (٣/رقم ٦٧٣٧) وأخرجه عبد اللّٰه بن أحمد في « زوائد المسند » (٤/٢٩٦) وفي « السنة » (٢/١٤٤١) وابن ماجه في « السنن » ، كتاب : الجنائز ، باب : ما جاء في الجلوس في المقابر (١٥٤٨) من طريق حماد بن زيد - وسماه ابن القيم في « تهذيب السنن » (٧/١٤٠) حماد بن سلمة فأخشى أن يكون وهمًا واللّٰه أعلم - عن يونس بن خباب بهذا الإسناد ويونس بن خباب « صدوق يخطئ » كما في « التقريب » وقد رواه الحاكم (١/٣٩) من طريق شعيب بن صفوان ثنا يونس بن خباب به غير أنه زاد بين زاذان والبراء : « أبا البختري الطائي » قال الحاكم : « ذِكْر أبي البختري في هذا الحديث وهم من شعيب بن صفوان لإجماع الأئمة الثقات على روايته عن يونس بن خباب عن المنهال بن عمرو ، عن زاذان أنه سمع البراء ... ثم قال: هذا هو الصحيح المحفوظ من حديث يونس بن خباب، وهكذا رواه أبو خالد الدالاني ، وعمرو بن قيس الملائي ، والحسن بن عبيد اللّٰه النخعي ، عن المنهال بن عمرو » ثم شرع في إخراج هذه الطرق وطريق عمرو بن قيس أخرجها النسائي (٤/٧٨) وابن ماجة (١٥٤٩) وتابعهم أيضًا محمد بن سلمة عن المنهال به أخرجه عبد اللّٰه بن أحمد في « السنة » (٢/١٤٤٤) لكن في إسناده ضعف وقد صح من طريق الأعمش وللّٰه الحمد ، ورواه عدي بن ثابت عن البراء به أخرجه البيهقي في « الشعب » (١/٣٩٦) وابن منده - كما قال ابن القيم في « تهذيب السنن » (٧/١٤١) .

[١] - سقط من : ز . [٢] - في ز « من » .
[٣] - سقط من : ز .

فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلين» . قال البراء : ثم يفتح له باب من النار ، ويمهد له من فرش النار .

وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد والنسائي وابن ماجة وابن جرير - واللفظ له(٧٤) - : من حديث محمد بن عمرو بن عطاء ، عن سعيد بن يسار ، عن أبي هريرة أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **الميت تحضره الملائكة ، فإذا كان الرجل الصالح ، قالوا : اخرجي أيتها النفس الطيبة[١] ، كانت في الجسد الطيب ، اخرجي حميدة ، وأبشري بروح وريحان ، ورب غير غضبان[٢] . فيقولون ذلك حتىٰ يعرج بها إلىٰ السماء ، فيستفتح لها ، فيقال : من هذا ؟ فيقولون : فلان . فيقال : مرحبًا بالنفس الطيبة التي كانت في الجسد الطيب ، ادخلي حميدة ، وأبشري بروح وريحان ، ورب غير غضبان . فيقال[٣] لها ذلك حتىٰ يُنتهىٰ بها إلىٰ السماء التي فيها الله عز وجل ، وإذا كان الرجل السوء قالوا : اخرجي أيتها النفس الخبيثة ، كانت في الجسد الخبيث ، اخرجي ذميمة ، وأبشري بحميم وغساق ، وآخر من شكله أزواج ، فيقولون ذلك حتى تخرج ، ثم يعرج بها إلى السماء ، فيستفتح لها ، فيقال : من هذا ، فيقولون : فلان . فيقولون : لا مرحبًا بالنفس الخبيثة ، التي[٤] كانت في الجسد الخبيث ، ارجعي ذميمة ، فإنه لم تفتح[٥] لك أبواب السماء ، فترسل بين السماء والأرض ، فتصير إلىٰ القبر** ».

وقد قال ابن جريج في قوله : ﴿ **لا تفتح لهم أبواب السماء** ﴾ قال[٦] : لا تفتح لأعمالهم ولا لأرواحهم.

وهذا فيه جمع بين القولين ، والله أعلم .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ولا يدخلون الجنة حتىٰ يلج الجمل في سم الخياط** ﴾ هكذا قرأه[٧] الجمهور ، وفسروه : بأنه البعير .

قال ابن مسعود(٧٥) : هو الجمل ابن الناقة . وفي رواية : زوج الناقة .

---

(٧٤) - **صحيح** تفسير ابن جرير (١٤٦١٥/١٢) وقد تقدم تخريجه [سورة الأنعام/ آية٦٢].

(٧٥) - أخرجه سعيد بن منصور - كما في « الدر المنثور » (١٥٧/٣) - ومن طريقه الطبراني في «الكبير» (٨٦٩١/٩) - وعبد الرزاق في تفسيره (٢٢٩/٢) وابن جرير (٤٢٨/١٢) من طريق =

---

[١] - في خ ، ز : « المطمئنة » والمثبت من تفسير ابن جرير .
[٢] - بعده في خ ، ز : «قال : فيقال : من هذا» .
[٣] - في ز « فيقول » . [٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز « يفتح » . [٦] - زيادة من : ز .
[٧] - في خ ، ز : « فسره» .

وقال الحسن البصري : حتىٰ يدخل البعير في خرق[١] الإبرة .

وكذا قال أبو العالية والضحاك ، وكذا روىٰ علي بن أبي طلحة والعوفي : عن ابن عباس .

وقال مجاهد وعكرمة ، عن ابن عباس : إنه كان يقرؤها : (يلج الجُمّل في سم الخياط) بضم الجيم وتشديد الميم ، يعني : الحبل الغليظ في خرم الإبرة .

وهذا اختيار سعيد بن جبير ، و[٢]في رواية : أنه قرأ (حتىٰ يلج الجُمّلُ) يعني قلوس السفن ، وهي الحبال الغلاظ .

وقوله : ﴿ **لهم من جهنم مهاد** ﴾ [قال محمد بن كعب القرظي : ﴿ **لهم من جهنم مهاد** ﴾][٣] قال : الفرش ﴿ **ومن فوقهم غواش** ﴾ قال : اللحف .

وكذا قال الضحاك بن مزاحم والسدي ، ﴿ **وكذلك نجزي الظالمين** ﴾.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٤٢) وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣)

لما ذكر تعالىٰ حال[٤] الأشقياء عطف بذكر حال السعداء ، فقال : ﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ أي : آمنت قلوبهم ، وعملوا الصالحات بجوارحهم ، ضد أولئك الذين كفروا

= إبراهيم النخعي عن عبد الله بن مسعود به ، وأخرجه سعيد بن منصور ومن طريقه الطبراني أيضًا (٩/ ٨٦٩٢) عن عمرو بن ثابت عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن مسعود به ، وعمرو بن ثابت ضعيف رُمي بالرفض - كما في « التقريب » - والأثر ذكره الهيثمي في « المجمع » (٧/٢٦) وقال : « رواه الطبراني من طريقين ورجال أحدهما رجال الصحيح إلا أن إبراهيم النخعي لم يدرك ابن مسعود ، والأخرى ضعيفة » ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

[١] - وفي تفسير ابن جرير (١٢/٤٢٩) : « خُرت الإبرة » وقال محققه : « خرت الإبرة » (بضم الخاء أو فتحها أو سكون الراء) : هو ثقبها وأشار إلى تصويب لفظة « خرق » التي هنا .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٤] - في ز « مآل » .

بآيات الله واستكبروا عنها .

وينبه تعالىٰ علىٰ أن الإِيمان والعمل به سهل ؛ لأنه تعالىٰ قال[١] : ﴿ **لا نكلف[٢] نفسًا إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون * ونزعنا ما في صدورهم من غل** ﴾ أي : من حسد وبغض[٣] ؛ كما جاء في صحيح البخاري(٧٦) : من حديث قتادة ، عن أبي المتوكل الناجي ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : [« **إذا خلص المؤمنون من النار**][٤] ، **حبسوا علىٰ قنطرة بين الجنة والنار ، فاقتصَّ لهم مظالم كانت بينهم في الدنيا ، حتىٰ إذا هُذِّبوا ونُقُّوا ، أُذِنَ لهم في دخول الجنة ، فوالذي نفسي بيده ، إن أحدهم بمنزله في الجنة أدل منه بمسكنه كان في الدنيا** » .

وقال السدي في قوله : ﴿ **ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار** ﴾ الآية : إن أهل الجنة إذا سيقوا إلىٰ الجنة فبلغوا[٥] ، وجدوا عند بابها شجرة في أصل ساقها عينان ، فشربوا من إحداهما ، فينزع ما في صدورهم من غل ، فهو الشراب الطهور ، واغتسلوا من الأخرىٰ ، فجرت عليهم نضرة النعيم ، فلم يشعثوا ، ولم يشحبوا بعدها أبدًا . وقد روىٰ أبو إسحاق(٧٧) : [عن عاصم][٦] ، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب نحوًا من هذا ؛ كما سيأتي في قوله تعالىٰ : ﴿ **وسيق الذين اتقوا ربهم إلىٰ الجنة زمرًا** ﴾ إن شاء الله ، وبه الثقة وعليه التكلان .

وقال قتادة : قال علي رضي الله عنه : إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالىٰ فيهم : ﴿ **ونزعنا ما في صدورهم من غل** ﴾ . رواه ابن جرير(٧٨) .

وقال عبد الرزاق(٧٩) : أخبرنا ابن عيينة ، عن إسرائيل ، قال : سمعت الحسن يقول : قال علي : فينا والله أهل بدر نزلت : ﴿ **ونزعنا ما في صدورهم من غل** ﴾ .

---

(٧٦) - صحيح البخاري كتاب : المظالم ، باب : قصاص المظالم (٢٤٤٠) وأخرجه أحمد (١٣/٣) ووقع فيه « عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد به » وجاء على الصواب في (١٢/٣ ، ٥٧ ، ٦٣ ، ٧٤) .

(٧٧) - يأتي تخريجه [سورة الزمر / آية ٧٤] .

(٧٨) - تفسير ابن جرير (١٤٦٦٢/١٢) من طريق محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ، به وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٢٩/٢) - ومن طريقه ابن أبي حاتم (٨٤٦٧/٥) - عن معمر عن قتادة به ، وفيه انقطاع بين قتادة وعلي بن أبي طالب .

(٧٩) - **إسناده منقطع بين الحسن - وهو البصري - وعلي بن أبي طالب** =

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز « يكلف » .
[٣] - في ز « وبغضاء » .
[٤] - سقط من : خ ، ز .
[٥] - سقط من: خ ، ز .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

وروىٰ النسائي وابن مردويه - واللفظ له(٨٠) - : من حديث أبي بكر بن عياش ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **كل أهل الجنة يرىٰ مقعده من النار ، فيقول : لولا أن اللَّه هداني ، فيكون له شكرًا ، وكل أهل النار يرىٰ مقعده من الجنة ، فيقول : لو أن اللَّه هداني ، فيكون له حسرة** » .

ولهذا لما أورثوا مقاعد أهل النار من الجنة نودوا : ﴿ **أن تلكم الجنة**[١] **أورثتموها بما كنتم تعملون**﴾ ، أي : بسبب أعمالكم [نالتكم الرحمة ، فدخلتم الجنة ، وتبوّأتم منازلكم بحسب أعمالكم][٢] . وإنما وجب الحمل علىٰ هذا ؛ لما ثبت في الصحيحين(٨١) عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم [أنه قال][٣] : « **واعلموا أن أحدكم لن يدخله عمله الجنة** » . قالوا : ولا أنت يا رسول اللَّه . قال : « **ولا أنا ، إلا أن يتغمدني اللَّه برحمة منه وفضل** » .

وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ

= « التفسير » لعبد الرزاق (٢/٢٢٩) ومن طريقه ابن جرير (١٤٦٦١/١٢) وابن أبي حاتم (٨٤٦٦/٥) ، وأخرجه ابن جرير (١٤٦٦٠/١٢) من طريق ابن المبارك عن ابن عيينة به ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١٥٨/٣) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ وفي (١٨٨/٤) إلى سعيد بن منصور وابن مردويه .

(٨٠) - **صحيح** أخرجه النسائي في « التفسير » من « الكبرى » (١١٤٥٤/٦) وأحمد في « المسند » (٢/ ٥١٢) وابن أبي الدنيا في « صفة النار » (٢٥٨) وابن أبي حاتم - ذكره المصنف من طريقه عند [آية رقم ٧٢ / من سورة الزخرف] - ، والحاكم في « المستدرك » (٢٣٥/٢ ، ٢٣٦) وعنه البيهقي في « البعث والنشور » (٢٤٣) كلهم من حديث أبي بكر بن عياش به ، وصححه الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٤٠٢/١٠) وعزاه إلى أحمد وقال : « رجاله رجال الصحيح » ورواه ابن جرير في تفسيره (١٤٦٦٥/١٢) والخطيب في « تاريخ بغداد » (٢٤/٥) من طريق محمد بن يزيد أبي هاشم الرفاعي ثنا أبو بكر بن عياش به غير أنه جعل صحابيَّهُ أبا سعيد الخدري وهو وهم من أبي هاشم الرفاعي حيث خالف الثقات فيه مع ضعفه ، وقد قال فيه أبو حاتم ابن حبان : « يخطئ ويخالف » وفي « التقريب » : « ليس بالقوي ...» والحديث عزاه السيوطي في « الدر المنثور » (١٥٨/٣) إلى ابن مردويه ورواه البخاري في صحيحه (٦٥٦٩) من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعًا بلفظ « **لا يدخل أحد الجنة إلا أُرِىَ مقْعَدَه من النار لو أساء ، ليزدادَ شكرًا ، ولا يدخل النار أحدٌ إلا أُري مقعده من الجنة لو أحسن ، ليكون عليه حسرة** » .

(٨١) - أخرجه البخاري ، كتاب : الرقاق ، باب : القصد والمداومة على العمل (٦٤٦٣) ، ومسلم ، كتاب : صفات المنافقين وأحكامهم ، باب : لن يدخل أحدٌ الجنة بعمله ، بل برحمة اللَّه تعالى (٢٨١٦) من حديث أبي هريرة وفي الباب عن عائشة عند البخاري (٦٤٦٤) ومسلم (٧٨) (٢٨١٨) أيضًا .

---

[١] - زيادة من : ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

﴿رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (٤٤) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ (٤٥)﴾

يخبر تعالىٰ بما يخاطب به[١] أهل الجنة أهل النار وذلك[٢] علىٰ وجه التقريع والتوبيخ إذا استقروا في منازلهم ﴿ **أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا** ﴾ ﴿ **أن** ﴾ هاهنا مفسرة للقول المحذوف ، و ﴿ **قد** ﴾ للتحقيق ، أي : قالوا لهم : قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا ، فهل وجدتم ما وعدكم[٣] ربكم حقًّا ؟ قالوا : نعم . كما أخبر تعالىٰ في سورة الصافات عن الذي كان له قرين من الكفار : ﴿ **فاطلع فرآه في سواء الجحيم * قال تاللّٰه إن كدت لتردين * ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين * أفما نحن بميتين * إلا موتتنا الأولىٰ وما نحن بمعذبين** ﴾ أي : ينكر عليه مقالته التي يقولها في الدنيا ، ويقرعه بما صار إليه من العذاب والنكال ، وكذلك[٤] تقرعهم[٥] الملائكة يقولون لهم : ﴿ **هذه النار التي كنتم بها تكذبون * أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون * اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون** ﴾ ، وكذلك قرع رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وآله وسلم ، قتلىٰ القليب يوم بدر ؛ فنادىٰ : « **يا أبا جهل بن هشام ، ويا عتبة بن ربيعة ، ويا شيبة بن ربيعة** - وسمىٰ رءوسهم - : هل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا ؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقًّا » . وقال عمر : يا رسول اللّٰه ، تخاطب قومًا قد جيفوا ! فقال : « **والذي نفسي بيده ، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكن لا يستطيعون أن يجيبوا** »(٨٢) .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **فأذن مؤذن بينهم** ﴾ أي : أعلم معلم ، ونادىٰ مناد : ﴿ **أن لعنة اللّٰه علىٰ الظالمين** ﴾ أي : مستقرة عليهم .

ثم وصفهم بقوله : ﴿ **الذين يصدون عن سبيل اللّٰه ويبغونها عوجًا** ﴾ أي : يصدّون الناس عن اتباع سبيل اللّٰه وشرعه ، وما جاءت به الأنبياء ، ويبغون أن تكون السبيل[٦] معوجة غير مستقيمة ؛ حتىٰ لا يتبعها أحد ، ﴿ **وهم بالآخرة كافرون** ﴾ أي : وهم بلقاء اللّٰه في الدار

(٨٢) - أخرجه أحمد في « المسند » (٣/١٠٤ ، ١٨٢ ، ومواضع أخر) ومسلم ، كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه (٧٧) (٢٨٧٤) من حديث أنس بن مالك وبنحوه أخرجه أحمد (٢٩/٤) والبخاري ، كتاب : المغازي (حديث رقم ٣٩٧٦) وكذا مسلم (٧٨) (٢٨٧٥) من حديث أبي طلحة .

[١] - سقط من : ز . [٢] - سقط من: ت .
[٣] - في ز « وعد » . [٤] - في ز « كذا » .
[٥] - سقط من : خ ، وفي ز « يقرعهم » . [٦] - في ز « السبل » .

الآخرة كافرون ، أي : جاحدون مكذبون بذلك ، لا يصدقونه ولا يؤمنون به ، فلهذا لا يبالون بما[١] يأتون من منكر من القول والعمل ؛ لأنهم لا يخافون حسابًا عليه ولا عقابًا ، فهم شر الناس أقوالًا وأعمالًا .

﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَـٰهُمْ وَنَادَوْا۟ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (٤٦) ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَـٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ (٤٧) ﴾

لما ذكر تعالىٰ مخاطبة أهل الجنة مع أهل النار ، نبه أن بين الجنة والنار حجابًا[٢] ، وهو الحاجز المانع من وصول أهل النار إلىٰ الجنة .

قال ابن جرير[٣] : وهو السور الذي قال الله تعالىٰ : ﴿ **فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب** ﴾ وهو الأعراف ، الذي قال الله تعالىٰ : ﴿ **وعلىٰ الأعراف رجال** ﴾ ثم روىٰ بإسناده عن السدي أنه قال في قوله تعالىٰ : ﴿ **وبينهما حجاب** ﴾ : وهو السور ، وهو[٤] الأعراف .

وقال مجاهد : الأعراف حجاب بين الجنة والنار ، سور له باب .

قال ابن جرير(٨٣) : والأعراف جمع عُرْف ، وكل مرتفع من الأرض عند العرب يسمىٰ عُرْفًا ، وإنما قيل لعرف الديك عرفًا لارتفاعه .

وحدثنا سفيان بن وكيع ، حدثنا ابن عيينة ، عن عبيد[٥] الله بن أبي يزيد ، سمع ابن عباس يقول : [الأعراف هو الشيء المشرف .

---

(٨٣) - تفسير ابن جرير (١٤٦٧٣/١٢) ورجاله ثقات رجال الشيخين غير سفيان بن وكيع ضعيف، لكنه توبع فأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٢٩/٢ ، ٢٣٠) وعنه ابن جرير أيضًا (١٤٦٧٤/١٢) - عن ابن عيينة به ، وأخرجه ابن المبارك في « الزهد » (١٣٦٩) وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٤٩٣/٥) والبيهقي في « البعث والنشور » (٩٩) من طرق عن سفيان به ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١٦٠/٣) إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي الشيخ .

---

[١] - في ز « ما » .
[٢] - في ز « حجاب » .
[٣] - في تفسيره (٤٤٩/١٢) .
[٤] - بعده في خ ، ز : « علي » .
[٥] - في ز « عبد » .

وقال الثوري(٨٤) ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال][١] : الأعراف سور كعرف الديك .

وفي رواية(٨٥) عن ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنه ، الأعراف : تَلٌّ بين الجنة والنار ، حُبس عليه ناس من أهل الذنوب بين الجنة والنار . وفي رواية عنه(٨٦) : هو سور بين الجنة والنار :

وكذا قال الضحاك وغير واحد من علماء التفسير .

وقال السدي : إنما سمي الأعراف أعرافًا ؛ لأن أصحابه يعرفون الناس .

واختلفت عبارات المفسرين في أصحاب الأعراف من هم ؟ وكلها قريبة ترجع إلىٰ معنىٰ واحد ؛ وهو أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم . نص عليه حذيفة وابن عباس وابن مسعود وغير واحد من السلف والخلف رحمهم الله ، وقد جاء في حديث مرفوع رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه(٨٧) :

حدثنا عبد الله بن إسماعيل ، حدثنا عبيد بن الحسين ، حدثنا سليمان بن داود ، حدثنا[٢] النعمان بن عبد السلام ، حدثنا شيخ لنا يقال له : أبو عباد ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر بن عبد الله قال : سئل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عمن استوت حسناته وسيئاته ؟ فقال : « **أولئك أصحاب الأعراف لم يدخلوها وهم يطمعون** » .

وهذا حديث غريب من هذا الوجه .

ورواه من وجه آخر(٨٨) عن سعيد بن سلمة بن أبي الحسام ، عن محمد بن المنكدر ، عن رجل

(٨٤) - أخرجه هَنَّاد في « الزهد » (١/رقم ٢٠٤) وابن جرير (١٤٦٧٥/١٢ ، ١٤٦٧٦) من طريقين عن سفيان الثوري به وأخرجه ابن جرير أيضًا (١٤٦٨٢/١٢) وابن أبي حاتم (٨٤٩١/٥) من طريق إسرائيل عن جابر به، وجابر هو ابن يزيد الجعفي «ضعيف» والأثر زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١٦٠/٣) إلى الفريابي وعبد بن حميد وأبي الشيخ .

(٨٥) - أخرجه ابن جرير (١٤٦٧٧/١٢) من طريق عبيد الله بن أبي يزيد أنه سمع ابن عباس يقول : ... فذكره .

(٨٦) - يأتي تخريجها برقم (٩٤) .

(٨٧) - **إسناده ضعيف جدًا** وعزاه لابن مردويه السيوطي في « الدر المنثور » (١٦٢/٣) وزاد عزوه إلى أبي الشيخ وابن عساكر - وفي إسناده جهالة شيخ النعمان بن عبد السلام ، وسليمان بن داود هو الشاذكوني متهم بالكذب .

(٨٨) - وعزاه لابن مردويه من هذا الوجه السيوطي في « الدر المنثور » (١٦٤/٣) وزاد عزوه إلى أبي الشيخ =

[١] - سقط من : خ ، ز .   [٢] - في ز « بن » .

من مزينة قال : سئل رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم عن [أصحاب الأعراف][١] ؟ فقال : « **إنهم قوم خرجوا عصاة بغير إذن آبائهم ، فقتلوا في سبيل اللَّه** » .

وقال سعيد بن منصور(٨٩) : حدثنا أبو معشر ، حدثنا يحيىٰ بن شبل ، عن يحيىٰ بن عبد الرحمن المزني ، عن أبيه قال : سئل رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، عن أصحاب الأعراف ؟ فقال : « **هم ناس قتلوا في سبيل اللَّه بمعصية آبائهم ، فمنعهم من دخول الجنة معصية آبائهم ، ومنعهم من النار قتلهم في سبيل اللَّه** » .

وهكذا رواه ابن مردويه وابن جرير وابن أبي حاتم من طرق عن أبي معشر ، به ، وكذا[٢] رواه

= وسعيد بن سلمة بن أبي الحسام ، « صدوق صحيح الكتاب يخطئ من حفظه » - كما في « التقريب » وهو هكذا يحتمل التحسين ، لكن لم نقف على من دون سعيد بن سلمة ، ومن المحتمل أن يكون فيهم ضعيف أو متكلم فيه ، ومما يؤيد ذلك قول المصنف في آخر هذه الأحاديث : « ... واللَّه أعلم بصحة هذه الأخبار المرفوعة ، وقصاراها أن تكون موقوفة » ثم إن الغالب على تفردات ابن مردويه الضعف .

(٨٩) - **إسناده ضعيف لضعف أبي معشر** وعزاه لسعيد بن منصور السيوطي في «الدر المنثور» (١٦٣/٣) - ومن طريق سعيد بن منصور أخرجه البيهقي في « البعث والنشور » (١٠٦) غير أنه قال : « عن عمرو بن عبد الرحمن المزني عن أبيه » - وضعف إسناده - وأخرجه البيهقي أيضًا (١٠٥) من طريق آدم ، أبنا أبو معشر به ، وأخرجه الحارث بن أبي أسامة (٧١١) والبيهقي (١٠٧) من طريق هوذة، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٤٩٨/٥) وابن الأثير في « أسد الغابة » (٤٧٠/٣) من طريق يزيد بن هارون ، وابن أبي عاصم في « الآحاد والمثاني » (٢/رقم ١١٢٣) من طريق المغيرة بن عبد الرحمن ، والخرائطي في « مساوئ الأخلاق » (رقم ٢٥٢) من طريق يَسَرَة بن صفوان أربعتهم (هوذة ، يزيد بن هارون ، المغيرة بن عبد الرحمن ، يَسَرَة بن صفوان) عن أبي معشر به ، ومنهم من قال : « عن عمر بن عبد الرحمن عن أبيه » ومنهم من قال : « عمرو بن عبد الرحمن » واختلف فيه على « يزيد بن هارون » فرواه بعضهم عنه وقال فيه عن « عمر » وقال بعضهم « عن عمرو » - كما في الطريق السابق - ورواه ابن جرير في تفسيره (١٢/ ١٤٧٠٥) من طريق إسحاق عن يزيد بن هارون به غير أنه قال فيه « عن محمد بن عبد الرحمن عن أبيه » وتابع يزيد بن هارون على هذه التسمية هشام بن عبد الملك عن أبي معشر به أخرجه البيهقي (١٠٤) وأفاد ابن عبد البر - كما في « الإصابة » (٣٣٠/٦) أن تسميته بـ « محمد بن عبد الرحمن » هو الصواب ، قال ابن حجر - وذكر طرقه - « ... والاضطراب فيه عن أبي معشر ، وهو نجيح بن عبد الرحمن ، فإنه ضعيف - وبه أعله الهيثمي في « المجمع » (٢٧/٧) وعزاه للطبراني - وقد رواه سعيد بن أبي هلال، عن يحيى بن شبل ، فخالف أبا معشر في سندة : أخرجه ابن جرير - (١٤٧٠٤/١٢) - وابن شاهين من طريق الليث ، عن خالد بن يزيد ، عن سعيد عن يحيى بن شبل ، أن رجلًا من بنى نضر أخبره عن رجل من بني هلال عن أبيه ، أنه سأل النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - فذكر نحوه ، وأخرجه ابن مردويه ، من طريق ابن لهيعة ، عن خالد بن يزيد به ، لكن لم يقل عن أبيه ، ورواية الليث أوصل » ، لكن في إسناده جهالة وزاد نسبته السيوطي إلى عبد بن حميد وابن منيع وابن الأنباري في « كتاب الأضداد » وأبي الشيخ وابن مردويه .

[١] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « من استوت حسناته الأعراف » .

[٢] - في ز « وكذلك » .

ابن ماجة(٩٠) مرفوعًا من حديث أبي سعيد الخدري وابن عباس ، والله أعلم بصحة هذه الأخبار المرفوعة ، وقصاراها أن تكون موقوفة ، وفيه دلالة على ما ذكر .

وقال ابن جرير(٩١) : حدثني يعقوب ، حدثنا هشيم ، أخبرنا حصين ، عن الشعبي ، عن حذيفة : أنه سُئل عن أصحاب الأعراف ؟ قال : فقال : هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فقصرت[١] بهم سيئاتهم عن الجنة ، وخلّفت بهم حسناتهم عن النار . قال : فوقفوا هنالك على السور حتى يقضي الله فيهم .

وقد رواه من وجه آخر أبسط من هذا ، فقال(٩٢) :

حدثنا ابن حميد ، حدثنا يحيى بن واضح ، حدثنا يونس بن أبي إسحاق ، قال : قال الشعبي : أرسل إلي عبد الحميد بن عبد الرحمن ، وعنده أبو الزناد عبد الله بن ذكوان مولى قريش ، وإذا هما قد ذكرا من أصحاب الأعراف ذكرًا ، ليس كما ذكرا ، فقلت لهما : إن شئتما أنبأتكما بما ذكر حذيفة ؛ فقالا : هات . فقلت : إن حذيفة ذكر أصحاب الأعراف ، فقال : هم قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار ، وقصرت[٢] بهم سيئاتهم عن الجنة ، فإذا صرفت أبصارهم

---

(٩٠) - غير موجودين في « السنن » ولعلهما في تفسيره - وذكرهما السيوطي في « الدر المنثور » (٣/١٦٣ ، ١٦٤) وعزاهما إلى ابن مردويه وزاد عزو الأول إلى الطبراني وهو في « الأوسط » (٥/٤٦٤٤) و« الصغير » (١/٢٣٨) من طريق محمد بن مخلد الرُّعَيني ثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد فذكر الحديث وقال الهيثمي في « المجمع » (٧/٢٦) : « فيه محمد مخلد الرعيني وهو ضعيف » قلت : وشيخه عبد الرحمن بن زيد مثله و إن كان التلميذ أسوأ حالًا من شيخه ، انظر ترجمة محمد بن مخلد هذا في « اللسان » لابن حجر .

(٩١) - تفسير ابن جرير (١٢/١٤٦٨٦) وأخرجه أيضًا (١٢/١٤٦٨٧) والمروزي في « زوائد الزهد » (١٣٧٠) وهناد في « الزهد » (١/رقم ٢٠١) من طرق عن حصين به ، وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الشيخين ، غير أنهم لم يذكروا حذيفة فيمن روى عنهم عامر وأفاد البيهقي في « البعث والنشور » (ص ١٠٥) أن روايته عنه مرسلة ، وأخرجه ابن جرير أيضًا (١٢/١٤٦٨٨ ، ١٤٦٨٩) وهناد (٢٠٢) وابن أبي حاتم (٥/٨٤٩٩) من طريقين عن عامر الشعبي به وانظر ما بعده .

(٩٢) - تفسير ابن جرير (١٢/١٤٦٨٥) وأخرجه البيهقي في « البعث والنشور » (١٠٢) من طريق شيبان ثنا يونس به ، وقال : « هذا مرسل موقوف » ووصله الحاكم في « المستدرك » (٢/٣٢٠) - وعنه البيهقي (١٠١) من طريق عبيد الله بن موسى أنبا يونس بن أبي إسحاق عن الشعبي ، عن صلة بن زفر عن حذيفة به ، وقال الحاكم : « حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي وقال البيهقي : « هذا موصول موقوف .. وروي مرسلًا مرفوعًا فيما يتوهم راويه » ثم أخرجه (١٠٣) من طريق مطرف عن الشعبي عن حذيفة به مرفوعًا ، وأخرجه المروزي في « زوائد الزهد » (١٣٦٧) من طريق إسماعيل بن أبي خالد يحدث عمن سمع الشعبي عامرًا يقول : ... فذكره موقوفًا .

---

[١] - في خ ، ز : « فقعدت » . [٢] - في خ ، ز : « وقعدت » .

تلقاء أصحاب النار : ﴿ **قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين** ﴾ فبينما[١] هم كذلك ، اطلع عليهم ربك فقال لهم : اذهبوا فادخلوا الجنة ، فإني قد غفرت لكم .

وقال عبد اللَّه بن المبارك ، عن أبي بكر الهذلي ، قال : قال سعيد بن جبير وهو يحدث ذلك عن ابن مسعود ، قال : يحاسب الناس يوم القيامة ؛ فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار ، ثم قرأ قول اللَّه : ﴿ **فمن ثقلت موازينه [فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون]**[٢] ﴾ . ثم قال : إن الميزان يخف بمثقال حبة ويرجح . قال : ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف ، فوقفوا على الصراط ، ثم عرفوا أهل الجنة وأهل النار ، فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا سلام عليكم ، وإذا صرفوا أبصارهم إلى يسارهم نظروا أصحاب النار : ﴿ **قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين** ﴾ فتعوذوا[٣] باللَّه من منازلهم . قال : فأما أصحاب الحسنات فإنهم يعطون نورًا ، فيمشون به بين أيديهم وبأيمانهم ، ويعطى كل عبد يومئذ نورًا ، وكل أمة نورًا ، فإذا أتوا على الصراط سلب اللَّه نور كل منافق ومنافقة ، فلما رأى أهل الجنة ما لقي المنافقون ، قالوا : ﴿ **ربنا أتمم لنا نورنا** ﴾ ، وأما أصحاب الأعراف فإن النور كان بأيديهم[٤] ، فلم ينزع ، فهنالك[٥] يقول اللَّه تعالى : ﴿ **لم يدخلوها وهم يطمعون** ﴾ فكان الطمع دخولًا . قال : وقال ابن مسعود : على[٦] أن العبد إذا عمل حسنة كتب[٧] له بها عشر[٨] ، وإذا عمل سيئة لم تكتب إلا واحدة . ثم يقول : هلك من [غلب وُحْدَانُه][٩] أعشاره .

رواه ابن جرير(٩٣) . وقال أيضًا(٩٤) :

حدثني ابن وكيع ، وابن حميد قالا : حدثنا جرير ، عن منصور ، عن حبيب بن أبي ثابت ،

---

(٩٣) - تفسير ابن جرير (١٤٦٩٠/١٢) وأخرجه ابن أبي حاتم (٨٥٠١/٥) من طريق ابن المبارك به مختصرًا وأبو بكر الهذلي « أخباري متروك الحديث » .

(٩٤) - تفسير ابن جرير (١٤٦٩٣/١٢) وأخرجه هناد في « الزهد » (١/رقم ٢٠٠) ثنا عبيدة عن منصور به غير أنه أدخل بين حبيب وعبد اللَّه بن الحارث « مجاهدًا » ، وأخرجه ابن أبي حاتم (٨٥٠٢/٥) من طريق يحيى بن المغيرة أنبا جرير به بإسناد ابن جرير ، وزاد نسبته السيوطي (١٦٣/٣) إلى عبد بن حميد وأبي الشيخ وانظر ما بعده .

---

[١] - في ز « فبينا » .
[٢] - في ت : « الآيتين » .
[٣] - في : ت « تعوذوا » .
[٤] - في ز « في أيديهم » .
[٥] - في خ « فهناك » .
[٦] - زيادة من : ز .
[٧] - في ز « كتبت » .
[٨] - في ز « عشرًا » .
[٩] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « غلبت واحدته » .

عن عبد الله بن الحارث ، عن ابن عباس قال : الأعراف السور الذي بين الجنة والنار ، وأصحاب الأعراف بذلك المكان ، حتىٰ إذا بدا لله أن يعافيهم ؛ انطلق بهم إلىٰ نهر يقال له : نهر[١] الحياة ، حافتاه قصب الذهب ، مكلل باللؤلؤ ، ترابه المسك ، فألقوا فيه[٢] حتىٰ تصلح ألوانهم ، وتبدو في نحورهم شامة بيضاء . يعرفون بها ، حتىٰ إذا صلحت ألوانهم ؛ أتىٰ بهم الرحمن تبارك وتعالىٰ فقال : « **تمنوا ما شئتم** » . فيتمنون ، حتىٰ إذا انقطعت أمنيتهم ، قال لهم : « **لكم الذي تمنيتم ومثله سبعون ضعفًا** » . فيدخلون الجنة وفي نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها ، يسمون : مساكين أهل الجنة .

وكذا رواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن يحيىٰ بن المغيرة ، عن جرير به . وقد رواه سفيان الثوري(٩٥) ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن الحارث من قوله . وهذا أصح والله أعلم . وكذا[٣] روي عن مجاهد والضحاك وغير واحد .

وقال سنيد بن داود(٩٦) : حدثني جرير ، عن عمارة بن القعقاع ، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير ، قال : سئل رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، عن أصحاب الأعراف ؟ قال : « **هم آخر من يفصل بينهم من العباد ؛ فإذا فرغ رب العالمين من الفصل[٤] بين العباد ، قال : أنتم قوم أخرجتكم حسناتكم من النار ، ولم تدخلوا الجنة ، فأنتم عتقائي ، فارعوا من الجنة حيث شئتم** » وهذا مرسل حسن .

وقيل : هم أولاد الزنا . حكاه القرطبي[٥] .

وروىٰ الحافظ ابن عساكر في ترجمة الوليد بن موسىٰ(٩٧) ، عن [منبه بن عثمان][٦] ، عن

(٩٥) - أخرجه هناد في « الزهد » (١٩٨ ، ١٩٩) وابن جرير (١٤٦٩٤/١٢ ، ١٤٦٩٥) من طرق عن سفيان الثوري به ، وزاد نسبته السيوطي (١٦٣/٣) إلى ابن أبي شيبة والفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٩٦) - **مرسل** ومن سنيد بن داود ابن جرير في تفسيره (١٤٧١٥/١٢) حدثني القاسم عنه به ، ومع كونه مرسلًا فإن سنيدًا هذا ضعف مع إمامته ، لكن تابعه محمد بن عيسى ثنا جرير به : أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ٨٥٠٠) وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١٦٢/٣) إلى ابن المنذر .

(٩٧) - **إسناده ضعيف جدًا** من كتابه « تاريخ دمشق » (٩١٠/١٧/ مخطوط) من طريق البيهقي - وهو في « البعث والنشور » له (رقم ١٠٨) والوليد بن موسى قواه أبو حاتم ، وقال غيره : متروك =

[١] - سقط من : ز . [٢] - زيادة من : خ ، ز .
[٣] - في ز « هكذا » . [٤] - في ز « فصل » .
[٥] - في « الجامع لأحكام القرآن » (٢١٢/٧) عن ابن عباس .
[٦] - في جميع النسخ : « شيبة بن عثمان» والتصويب من تاريخ دمشق و« البعث » للبيهقي وهو مترجم في « الجرح والتعديل » (٤١٩/٨) و«الثقات» لابن حبان (١٩٨/٩).

عروة بن رويم ، عن الحسن ، عن أنس بن مالك ، عن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **أن مؤمني الجن لهم ثواب وعليهم عقاب** » . فسألناه عن ثوابهم [وعن مؤمنيهم][١] ؟ فقال : « **علىٰ الأعراف ، وليسوا في الجنة مع أمة محمد صلىٰ اللّٰه عليه وسلم** » . فسألناه وما الأعراف ؟ فقال : « **حائط الجنة تجري فيه الأنهار ، وتنبت فيه الأشجار والثمار** » .

رواه البيهقي : عن ابن بشران ، عن علي بن محمد المصري ، عن يوسف بن يزيد ، عن الوليد ابن موسىٰ به . وقال سفيان الثوري ، عن خصيف ، عن مجاهد قال : أصحاب الأعراف قوم صالحون فقهاء علماء .

وقال ابن جرير(٩٨) : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن علية ، عن سليمان التيمي ، عن أبي مجلز في قوله تعالىٰ : ﴿ **وبينهما حجاب وعلىٰ الأعراف رجال يعرفون كلًّا بسيماهم** ﴾ قال : هم رجال من الملائكة يعرفون أهل الجنة وأهل النار . قال : ﴿ **ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون * وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين * ونادىٰ أصحاب الأعراف رجالًا** ﴾ [في النار][٢] ﴿ **يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنىٰ عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون * أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم اللّٰه برحمة** ﴾ قال : فهذا[٣] حين يدخل[٤] أهل الجنة الجنة : ﴿ **ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون** ﴾ .

وهذا صحيح إلىٰ أبي مجلز ؛ لاحق بن حميد أحد التابعين . وهو غريب من قوله ، وخلاف الظاهر من السياق . وقول الجمهور مقدم علىٰ قوله ، لدلالة[٥] الآية علىٰ ما ذهبوا إليه(٩٩) - .

= وقال الدارقطني : منكر الحديث ، ووهّاه العقيلي وابن حبان ، وقال الحاكم : « أحاديثه موضوعة » انظر ترجمته في « ميزان الاعتدال » للذهبي و « لسان الميزان » لابن حجر .

(٩٨) - تفسير ابن جرير (١٤٧٠٧/١٢) - وقد سقط منه « عن سليمان التيمي » ولم ينتبه له محققه مع أن ابن جرير أخرجه بعده من طريق (جرير ، ومحمد بن أبي عدي وسفيان وخالد) عن التيمي عن أبي مجلز به مختصرًا ثم وجدته أخرجه من هذه الطريق على الصواب (١٤٧٤١/١٢) ورواه المروزي في « زوائد الزهد » (١٣٦٦) من طريق معتمر بن سليمان وإسماعيل بن علية قالا : ثنا سليمان التيمي به ، ورواه سعيد ابن منصور - كما في « الدر المنثور » (١٦٤/٣) - ومن طريقه البيهقي في « البعث والنشور » (١١٢) عن معتمر بن سليمان وابن أبي حاتم (٨٥٠٧/٥) من طريق زهير بن معاوية كلاهما عن سليمان التيمي به ، وزاد نسبته السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن الأنباري في « الأضداد » وأبي الشيخ .

(٩٩) - وكذا رد ابن جرير قول أبي مجلز فقال في تفسيره (٤٦٠/١٢ ، ٤٦١) : « والصواب من القول في أصحاب الأعراف أن يقال كما قال اللّٰه جل ثناؤه فيهم : هم رجال يعرفون كُلًّا من أهل الجنة =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت . [٢] - زيادة من ز .
[٣] - في ز : فهلا . [٤] - في ز « دخل » .
[٥] - في خ « بدلالة » .

وكذا قول مجاهد : إنهم قوم صالحون علماء فقهاء ، فيه غرابة أيضًا ، والله أعلم .

وقد حكىٰ القرطبي وغيره فيهم اثني عشر قولًا ؛ منها : [أنهم شهدوا][١] أنهم صلحاء تفرعوا من فرع الآخرة ، ودخلوا[٢] يطلعون علىٰ أخبار الناس .

وقيل : هم أنبياء ، وقيل : هم[٣] ملائكة .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **يعرفون كلًّا بسيماهم** ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة(١٠٠) ، عن ابن عباس قال : يعرفون أهل الجنة ببياض الوجوه ، وأهل النار بسواد الوجوه . وكذا روىٰ الضحاك عنه .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : أنزلهم الله تلك[٤] المنزلة ؛ ليعرفوا من في الجنة والنار ، وليعرفوا أهل النار بسواد الوجوه[٥]، ويتعوذوا بالله أن يجعلهم مع القوم الظالمين ، وهم في ذلك يحيون أهل الجنة بالسلام، لم يدخلوها وهم يطمعون أن يدخلوها، وهم داخلوها إن شاء الله .

وكذا قال مجاهد والضحاك والسدي والحسن وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم[٦] .

وقال معمر ، عن الحسن أنه تلا هذه الآية : ﴿ **لم يدخلوها وهم يطمعون** ﴾ قال : والله ما جعل ذلك الطمع في قلوبهم إلا لكرامة يريدها بهم .

وقال قتادة : أنبأكم الله بمكانهم من الطمع .

وقوله : ﴿ **وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين** ﴾ وقال الضحاك ، عن ابن عباس : إن أصحاب الأعراف إذا نظروا إلىٰ أهل النار ، و[٧]عرفوهم ، قالوا : ﴿ **ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين** ﴾ .

= وأهل النار بسيماهم، ولا خبر عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم - يصح سنده ، ولا أنه متفق على تأويلها ، ولا إجماع من الأمة على أنهم ملائكة . فإذ كان ذلك كذلك ، وكان ذلك لا يدرك قياسًا ، وكان المتعارف بين أهل لسان العرب أن « الرجال » اسم يجمع ذكور بنى آدم دون إناثهم ودون سائر الخلق غيرهم ، كان بيّنًا أن ما قاله أبو مجلز من أنهم ملائكة، قولٌ لا معنى له، وأن الصحيح من القول في ذلك ما قاله سائر أهل التأويل غيره . هذا مع من قال بخلافه من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ومع ما روى عن رسول الله - صلى الله عله وسلم - في ذلك من الأخبار ، وإن كان في أسانيدها ما فيها ».

(١٠٠) - أخرجه ابن جرير في تفسيره - مع ما بعده من آثار عن ابن عباس (٤٦٢/١٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٦) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز .
[٢] - في ز « حلوا » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز « بتلك » .
[٥] - في ز « وجوه » .
[٦] - سقط من: خ ، ز .
[٧] - سقط من : ز .

وقال السدي : وإذا مروا بهم يعني ـ بأصحاب الأعراف بزمرة يذهب بها إلىٰ النار ، قالوا : ﴿ **ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين** ﴾ .

وقال عكرمة : تحرد[١] وجوههم للنار[٢] ، فإذا رأوا أصحاب الجنة ذهب ذلك عنهم .

وعن[٣] عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله : ﴿ **وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار** ﴾ فرأوا وجوههم مسودة ، وأعينهم مزرقة ﴿ **قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين** ﴾.

وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾

يقول اللَّه تعالىٰ مخبرًا عن تقريع أهل الأعراف لرجال من صناديد المشركين وقادتهم ، يعرفونهم في النار بسيماهم : ﴿ **ما أغنىٰ عنكم جمعكم** ﴾ أي : كثرتكم ، ﴿ **وما كنتم تستكبرون** ﴾ أي : لا ينفعكم كثرتكم ولا جموعكم من عذاب اللَّه ، بل صرتم إلىٰ ما صرتم فيه من العذاب والنكال .

﴿ **أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم اللَّه برحمة** ﴾ قال علي بن أبي طلحة(١٠١) ، عن ابن عباس : يعني أصحاب الأعراف ﴿ **ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون** ﴾ .

وقال ابن جرير(١٠٢) : حدثني محمد بن سعد، [قال: حدثني أبي][٤] حدثني عمي[٥] ، حدثني أبي[٦] ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ﴿ **قالوا ما أغنىٰ عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون** ﴾ ، قال : فلما قالوا[٧] لهم الذي قضىٰ اللَّه أن يقولوا ـ يعني : أصحاب الأعراف

---

(١٠١) - أخرجه ابن جرير (١٢/١٤٧٤٣) وأخرجه أيضًا (١٢/١٤٧٤٥) وابن أبي حاتم (٥/٨٥٢٨) من طريق العوفي عنه به .

(١٠٢) - ابن جرير في تفسيره (١٢/١٤٧٤٥) وهذا إسناد مسلسل بالضعفاء أولهم الراوي عن ابن عباس وهو عطية العوفي .

---

[١] - في خ ، ز : « تحدد » ، والمثبت من تفسير ابن جرير (١٢/١٤٧٣٦) وابن أبي حاتم (٥/ ٨٥١٨) .

[٢] - في ز « في النار » . [٣] - في ز « وقال » .

[٤] - زيادة من تفسير ابن جرير .

[٥] - في خ : «أبي» ، وفي ز : « أبي ، حدثني يحيى » .

[٦] - في خ : «يحيى» . [٧] - في ز « قال » .

لأهل الجنة وأهل النار ـ قال الله لأهل التكبر والأموال : ﴿ **أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون** ﴾ .

وقال[١] حذيفة(١٠٣) : إن أصحاب الأعراف قوم تكافأت أعمالهم ، فقصَّرت بهم حسناتهم عن الجنة ، وقصَّرت بهم سيئاتهم عن النار ، فجعلوا علىٰ الأعراف ، يعرفون الناس بسيماهم ، فلما قضىٰ الله بين العباد ، أذن لهم في طلب الشفاعة ، فأتوا آدم ، فقالوا : يا آدم أنت أبونا فاشفع لنا عند ربك . فقال : هل تعلمون أن أحدًا خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وسبقت رحمته إليه غضبه ، وسجدت له الملائكة ، غيري ؟ فيقولون : لا . فيقول : ما عملت كنهه ، ما أستطيع أن أشفع لكم ، ولكن ائتوا ابني إبراهيم ، فيأتون إبراهيم صلىٰ الله عليه وسلم ، فيسألونه[٢] أن يشفع لهم عند ربهم ، فيقول : تعلمون من أحد اتخذه الله خليلًا ، هل تعلمون أن أحدًا أحرقه[٣] قومه في النار في الله ، غيري ؟ فيقولون : لا . فيقول : ما عملت كنهه ، ما أستطيع أن أشفع لكم ، ولكن ائتوا ابني موسىٰ ، فيأتون موسىٰ عليه السلام ، فيقول : هل تعلمون من أحد كلمه الله تكليمًا وقربه نجيًّا ، غيري ؟ فيقولون : لا ، فيقول : ما عملت كنهه ، ما أستطيع أن أشفع لكم ، ولكن ائتوا عيسىٰ ، فيأتونه عليه السلام ، فيقولون له : اشفع لنا عند ربك . فيقول : هل تعلمون أحدًا خلقه الله من غير أب غيري[٤] ؟ فيقولون : لا . فيقول : هل تعلمون من أحد كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتىٰ بإذن الله غيري ؟ قال : فيقولون : لا . فيقول: أنا حجيج نفسي، ما عملت كنهه، ما أستطيع أن أشفع لكم، ولكن ائتوا محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم . فيأتونني ، فأضرب بيدي علىٰ صدري ، ثم أقول : أنا لها . ثم أمشي حتىٰ أقف بين يدي العرش ، [فأثني علىٰ][٥] ربي عز وجل ، فيفتح لي من الثناء ما لم يسمع السامعون بمثله قط ، ثم أسجد ، فيقال لي : يا محمد ، ارفع رأسك ، وسل تعطه ، واشفع تشفع . فأرفع رأسي ، فأقول : ربي أمتي . فيقول : هم لك . فلا يبقىٰ نبي مرسل ولا ملك مقرب ، إلا غبطني بذلك المقام ، وهو المقام المحمود ، فآتي بهم الجنة ، فأستفتح فيفتح لي ولهم فيذهب بهم إلىٰ نهر يقال له : نهر الحيوان ، حافتاه قصب مكلل باللؤلؤ ، ترابه المسك ، وحصباؤه الياقوت ، فيغتسلون منه فتعود إليهم ألوان أهل الجنة ، وريح [أهل الجنة][٦] ، فيصيرون كأنهم الكواكب الدرية ، ويبقىٰ في صدورهم شامات بيض يعرفون بها ، يقال لهم[٧] : مساكين أهل الجنة .

(١٠٣) - أخرجه ابن جرير في تفسيره ١٤٧٤٦/١٢) وفي إسناده انقطاع ، وللفظه شواهد كثيرة تأتي في سورة [الإسراء / آية ٧٩] .

[١] - في ز « فقال » . [٢] - في ز « فيسألون » .
[٣] - في ز « حرقه » . [٤] - سقط من: خ ، ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « فآتي » والمثبت من تفسير ابن جرير .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٧] - سقط من: خ ، ز .

وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾

يخبر تعالىٰ عن ذلة أهل النار ، وسؤالهم أهل الجنة من شرابهم وطعامهم ، وأنهم لا يجابون إلىٰ ذلك .

قال السدي: ﴿ونادىٰ أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله﴾ يعني : الطعام . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يستطعمونهم ويستسقونهم .

وقال الثوري(١٠٤) ، عن عثمان الثقفي ، عن سعيد بن جبير في هذه الآية ، قال : ينادي الرجل أباه أو أخاه ، فيقول له[١] : قد احترقت ، فأفض[٢] عليَّ من الماء . فيقال لهم : أجيبوهم . فيقولون : ﴿ إن الله حرمهما علىٰ الكافرين ﴾ .

وروىٰ من وجه آخر عن سعيد ، عن ابن عباس مثله سواء[٣] .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ﴿ إن الله حرمهما علىٰ الكافرين ﴾ يعني : طعام الجنة وشرابها .

وقال ابن أبي حاتم(١٠٥) : حدثنا أبي ، حدثنا نصر بن علي ، أخبرنا موسىٰ بن المغيرة ، حدثنا

---

(١٠٤) - أخرجه ابن جرير (١٤٧٥٢/١٢) حدثني المثنى ، وابن أبي حاتم (٨٥٣٢/٥) ثنا أبي قالا (المثنى وأبو حاتم) : حدثنا ابن دكين - وهو الفضل أبو نعيم ثقة ثبت - ثنا الثوري به وخالفه وكيع فرواه عن الثوري به نمى به ، إلى ابن عباس ، لكن راويه عن وكيع هو ابنه سفيان وهو ضعيف أخرجه ابن جرير (١٢/ ١٤٧٥١) ورواه زيد بن الحباب - أخرجه ابن أبي حاتم (٨٥٣٨/٥) - عن الثوري به إلى ابن عباس ، لكن زيد بن الحباب ، « صدوق يخطئ في حديث الثوري » كما في « التقريب » ومن حديث ابن عباس زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١٦٦/٣) إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

(١٠٥) - **إسناده فيه جهالة** ، « التفسير » لابن أبي حاتم (٨٥٣٣/٥) وأخرجه أبو يعلى في « المسند » (٥/ ٢٦٧٣) ثنا نصر بن علي به ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٣٣٨٠/٣) والذهبي في « ميزان الاعتدال » (٣٤٩/٥/ت ٨٩٢٩) من طريق محمد بن أبي بكر المقدمي ثنا موسى بن المغيرة - =

---

[١] - سقط من: خ ، ز .

[٢] - في ز « أفض » .

[٣] - سقط من: خ ، ز .

أبو موسىٰ الصفار في دار عمرو[١] بن مسلم ، قال : سألت ابن عباس أو سئل : أي الصدقة أفضل ؟ فقال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أفضل الصدقة الماء ، ألم تسمع إلىٰ أهل النار** [**لما استغاثوا بأهل الجنة**][٢] ، **قالوا**[٣] : ﴿ **أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم اللَّه** ﴾ .

وقال أيضًا(١٠٦) : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، قال : لما مرض أبو طالب ، قالوا له : لو أرسلت إلىٰ ابن أخيك هذا ، فيرسل إليك بعنقود من الجنة ؛ لعله أن يشفيك به . فجاءه الرسول ، وأبو بكر عند النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال أبو بكر : ﴿ **إن اللَّه حرمهما على الكافرين** ﴾ .

ثم وصف تعالىٰ الكافرين بما كانوا يعتمدونه[٤] في الدنيا ، من اتخاذهم الدين لهوًا ولعبًا ، واغترارهم بالدنيا وزينتها وزخرفها ، عما أمروا به من العمل للدار الآخرة .

قوله : ﴿ **فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا** ﴾ أي : نعاملهم معاملة من نسيهم ؛ لأنه تعالىٰ لا يشذ عن علمه شيء ، ولا ينساه ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **في كتاب لايضل ربي ولا ينسىٰ** ﴾ .

وإنما قال تعالىٰ هذا من باب المقابلة ؛ كقوله : ﴿ **نسوا اللَّه فنسيهم** ﴾ . وقال : ﴿ **كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسىٰ** ﴾. وقال تعالىٰ : ﴿ **وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا** ﴾.

= تصحف في « الشعب » إلى موسى بن عبد العزيز - به ، وضعفه الذهبي فقال « موسى بن المغيرة ، عن أبي موسى الصفار ، مجهول ، وشيخه لا يعرف » وذكره الهيثمي في « المجمع » (٣/١٣٤ ، ١٣٥) وقال : « رواه أبو يعلى والطبراني في « الأوسط » - ولم أجده في المطبوع منه واللَّه أعلم - وفيه موسى بن المغيرة وهو مجهول » وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٣/١٦٦) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والبيهقي في « شعب الإيمان » ؛ وله شاهد من حديث سعد بن عبادة عند أبي داود (١٦٧٩ ، ١٦٨٠) والنسائي (٦/٢٥٤) وابن ماجه (٣٦٨٤) وأحمد (٥/٢٨٥) ،(٦/٧) وصححه ابن حبان (٨/٣٣٤٨) والحاكم (١/٤١٤) على شرط الشيخين ، لكن في إسناده انقطاع ، ولذلك تعقب الذهبي الحاكم فيه فقال : « غير متصل » وانظر - إن شئت - « تلخيص الحبير » لابن حجر (٢/٣١٠) .

(١٠٦) - « التفسير » لابن أبي حاتم (٥/٨٥٣٦) وهذا مرسل ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣/١٦٦) إلى ابن أبي شيبة .

[١] - في ت : « عمر » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ز « قال » .
[٤] - في خ « يتتمدونه » .

وقال العوفي(١٠٧) ، عن ابن عباس [في قوله][١] : ﴿ **فاليوم [ننساهم كما نسوا لقاء يومهم][٢] هذا** ﴾ قال : نسيهم الله من الخير ، ولم ينسهم من الشر .

وقال علي بن أبي طلحة(١٠٨) ، عن ابن عباس قال : نتركهم كما تركوا لقاء يومهم هذا.

[وقال مجاهد : نتركهم في النار . وقال السدي : نتركهم من الرحمة ، كما تركوا أن يعملوا للقاء يومهم هذا][٣] .

وفي الصحيح(١٠٩) أن الله تعالىٰ يقول للعبد يوم القيامة : « **ألم أزوجك ؟ ألم أكرمك ؟ ألم أسَخِّرْ لك الخيل والإبل وأذَرْكَ تَرْأسُ وتَرْبَعُ ؟** » فيقول : بلىٰ . فيقول : « **أظننت أنك مُلاقِيَّ ؟** » فيقول : لا . فيقول الله تعالىٰ : « **فاليوم أنساك كما نسيتني** » .

وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن إعذاره إلىٰ المشركين ، بإرسال الرسول إليهم بالكتاب الذي جاء به الرسول ، وأنه كتاب مفصل مبين ، كقوله : ﴿ **كتاب أحكمت آياته ثم فصلت [من لدن حكيم خبير][٤]** ﴾.

وقوله : ﴿ **فصلناه علىٰ علم** ﴾ أي : علىٰ علم منا بما فصلناه به ، كقوله : ﴿ **أنزله بعلمه** ﴾.

(١٠٧) - أخرجه ابن جرير (١٢/١٤٧٥٩) وابن أبي حاتم (٥/٨٥٤٦) .

(١٠٨) - أخرجه ابن جرير (١٢/١٤٧٥٨) وابن أبي حاتم (٥/٨٥٤٣) والبيهقي في « الأسماء والصفات » وابن المنذر - كما في « الدر المنثور » (٣/١٦٧) .

(١٠٩) - تقدم تخريجه [سورة البقرة/ آية ٤٦] .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز « ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٤] - في ت : « الآية » .

قال ابن جرير[١] : وهذه الآية مردودة علىٰ قوله : ﴿ **كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه [لتنذر به وذكرى للمؤمنين]**[٢] ﴾ ، ﴿ **ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم** ﴾ .

وهذا الذي قاله فيه نظر ؛ فإنه قد طال الفصل ، ولا دليل علىٰ ذلك ، وإنما لما أخبر بما صاروا إليه من الخسارة[٣] في الدار[٤] الآخرة ، ذكر أنه قد[٥] أزاح عللهم في الدار الدنيا ؛ بإرسال الرسل وإنزال الكتب ؛ كقوله : ﴿ **وما كنا معذبين حتىٰ نبعث رسولاً** ﴾. ولهذا قال : ﴿ **هل ينظرون إلا تأويله** ﴾ أي : ما [وعدوا به][٦] من العذاب والنكال والجنة والنار ، قاله مجاهد وغير واحد .

[وقال مالك][٧] : ثوابه .

وقال الربيع : لا يزال يجيء من تأويله أمر ، حتىٰ يتم يوم الحساب ، حتىٰ يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، فيتم تأويله يومئذ .

وقوله[٨] : ﴿ **يوم يأتي تأويله** ﴾ أي : يوم القيامة . قاله ابن عباس . ﴿ **يقول الذين نسوه من قبل** ﴾ أي : تركوا العمل به ، وتناسوه[٩] في الدار الدنيا : ﴿ **قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا** ﴾ أي : في خلاصنا مما نحن فيه ، ﴿ **أو نرد** ﴾ إلىٰ الدار[١٠] الدنيا : ﴿ **فنعمل غير الذي كنا نعمل** ﴾ ، كقوله : ﴿ **ولو ترىٰ إذ وقفوا علىٰ النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين * بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون** ﴾ ، كما قال هاهنا : ﴿ **قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون** ﴾ [أي : خسروا أنفسهم بدخولهم النار وخلودهم فيها ﴿ **وضل عنهم ما كانوا يفترون** ﴾][١١] أي : ذهب عنهم ما كانوا يعبدونهم من دون الله ؛ [فلا يشفعون لهم ولا ينصرونهم][١٢] ولا ينقذونهم مما هم فيه .

إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ

---

[١] - في تفسيره (٤٧٧/١٢) .
[٢] - في ت : « الآية » .
[٣] - في ز « الخسار » .
[٤] - سقط من : ت .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٧] - لم أر ذكرًا لمالك عند هذه الآية وأخرج هذا التفسير ابن جرير (١٤٧٦١/١٢) وابن أبي حاتم (٨٥٥٧/٥) من قول قتادة والله أعلم .
[٨] - سقط من : ز .
[٩] - في ز « تلبسوه » .
[١٠] - زيادة من : ز .
[١١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[١٢] - ما بين المعكوفتين في ز « ينصرونهم ولا يشفعون فيهم » .

بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾

يخبر تعالىٰ بأنه خالق[١] العالم سماواته وأرضيه ، وما بين ذلك في ستة أيام ، كما أخبر بذلك في غير ما آية من القرآن ، والستة أيام[٢] هي : الأحد والإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة ، وفيه اجتمع الخلق كله ، فيه خلق آدم عليه السلام ، واختلفوا في هذه الأيام : هل كل يوم منها كهذه الأيام ، كما هو المتبادر إلىٰ الأذهان ، أو كل يوم كألف سنة ، كما نص علىٰ ذلك مجاهد والإمام أحمد بن حنبل ؟ ويروىٰ ذلك من[٣] رواية الضحاك عن ابن عباس ، فأما يوم السبت فلم يقع فيه خلق ؛ لأنه اليوم السابع ، ومنه سمي السبت ، وهو القطع .

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده حيث قال(١١٠) : حدثنا حجاج ، حدثنا ابن جريج ، أخبرني إسماعيل بن أمية ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد اللَّه بن رافع مولىٰ أم سلمة ، عن أبي هريرة قال : أخذ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بيدي فقال : « **خلق اللَّه التربة يوم السبت ، وخلق الجبال فيها يوم الأحد ، وخلق الشجر فيها يوم الإثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة ، آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة ، فيما بين العصر إلىٰ الليل** » .

فقد رواه مسلم بن الحجاج في صحيحه ، والنسائي من غير وجه ، عن حجاج وهو ابن محمد الأعور ، عن ابن جريج به . وفيه استيعاب الأيام السبعة ، واللَّه تعالىٰ قد قال : ﴿ **في ستة أيام** ﴾ ولهذا تكلم البخاري وغير واحد من الحفاظ في هذا الحديث ، وجعلوه من رواية أبي هريرة عن كعب الأحبار ليس مرفوعًا ، واللَّه أعلم.

وأما قوله تعالىٰ : ﴿ **ثم استوىٰ علىٰ العرش** ﴾ فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدًّا ليس هذا موضع بسطها ؛ وإنما يسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح : مالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديمًا وحديثًا ، وهو : إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل . والظاهر المتبادر إلىٰ أذهان المشبهين منفي عن اللَّه ؛ فإن اللَّه لا يشبهه شيء من خلقه ، ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ . بل الأمر كما قال الأئمة : منهم نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري قال[٤] : من شبَّه اللَّه بخلقه فقد كفر ، ومن جحد ما وصف اللَّه به نفسه فقد كفر ، وليس فيما وصف اللَّه به نفسه ولا رسوله تشبيه[٥] ؛ فمن أثبت للَّه تعالىٰ ما وردت به الآيات الصريحة

(١١٠) - « المسند » (٢/٣٢٧) وتقدم تخريجه [البقرة / آية ٢٩] .

[١] - في ز « خلق هذا » .
[٢] - في ز « الأيام » .
[٣] - في ز « عن » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز « تشبيها » .

والأخبار الصحيحة ، على الوجه الذي يليق بجلال اللَّه تعالى ، ونفى عن اللَّه تعالى النقائص ، فقد سلك سبيل الهدى .

وقوله تعالى : ﴿ **يغشي الليل النهار يطلبه حثيثًا** ﴾ أي : يذهب ظلام هذا بضياء هذا ، وضياء هذا بظلام هذا ، وكل منهما يطلب الآخر طلبًا حثيثًا أي : سريعًا لا يتأخر عنه ، بل إذا ذهب هذا جاء هذا وإذا جاء هذا ذهب هذا ، كقوله : ﴿ **وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون * والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم * والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم * لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون** ﴾. فقوله : ﴿ **ولا الليل سابق النهار** ﴾ أي : لا يفوته بوقت يتأخر عنه ، بل هو في أثره لا واسطة بينهما ، ولهذا قال : ﴿ **يطلبه حثيثًا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره** ﴾ منهم من نصب، ومنهم من رفع ، وكلاهما[١] قريب المعنى . أي : الجميع تحت قهره وتسخيره ومشيئته ، ولهذا قال منبهًا : ﴿ **ألا له الخلق والأمر** ﴾ أي : له الملك والتصرف . ﴿ **تبارك اللَّه رب العالمين** ﴾ ، كقوله : ﴿ **تبارك الذي جعل في السماء بروجًا [وجعل فيها سراجًا وقمرًا منيرًا][٢]** ﴾ .

وقال ابن جرير(١١١) : حدثني المثنى ، حدثنا إسحاق ، حدثنا هشام أبو عبد الرحمن ، حدثنا بقية بن الوليد ، حدثنا [عبد الغفار بن عبد العزيز الأنصاري][٣] ، عن عبد العزيز الشامي ، عن أبيه وكانت له صحبة قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **من لم يحمد اللَّه على ما عمل من عمل صالح ، وحمد نفسه فقد كفر ، وحبط عمله ، ومن زعم أن اللَّه جعل للعباد من الأمر شيئًا فقد كفر بما أنزل اللَّه على أنبيائه ، لقوله**[٤] : ﴿ **ألا له الخلق والأمر تبارك اللَّه رب**

(١١١) - **إسناده هالك** ، تفسير ابن جرير (١٤٧٧٦/١٢) وأخرجه ابن أبي عاصم (٥/رقم ٢٧٥٧) ومن طريقه ابن الأثير في « أسد الغابة » (٢٠٢/٦) عن كثير بن عبيد عن بقية به مختصرًا وهذا إسنادٌ هالك عبد الغفور بن عبد العزيز هذا هو أبو الصبَّاح الواسطي ، قال يحيى بن معين : ليس حديثه بشيء، وقال ابن حبان : كان ممن يضع الحديث ، وقال البخاري : تركوه ، وذكر له ابن عدي عدة أحاديث يرويها بهذا الإسناد ثم قال : « وبهذا الإسناد اثنان وعشرون حديثًا ... وعبد الغفور هذا الضَّعْفُ على حديثه ورواياته بَيِّنٌ ، وهو منكر الحديث » .

[١] - في ز « وكلا » . [٢] - في ت : « الآية » .
[٣] - كذا جاءت تسميته هكذا في جميع النسخ المخطوطة وكذا هو في « التفسير » لابن جرير ونقله عن ابن جرير الحافظ ابن حجر في « الإصابة » (١٢٩/٤) وسماه أيضًا « عبد الغفار بن عبد العزيز » ولكن كل هذا مخالف لما أطبقت عليه كتب التراجم والكتب الأخرى التى خرجته حيث جاء تسميته « عبد الغفور بن عبد العزيز » وكنوه « أبا الصباح الواسطي » انظر « لسان الميزان » (٤٧/٢) وابن عدي « الكامل » (١٩٦٦/٥) وانظر « هامش تفسير ابن جرير » (٤٨٤/١٢) .
[٤] - في ز « كقوله » .

العالمين ﴾ » .

وفي الدعاء المأثور ، عن أبي الدرداء ، وروي مرفوعًا(١١٢) : « **اللَّهم لك الملك كله ، ولك الحمد كله ، وإليك يرجع الأمر كله ؛ أسألك من الخير كله ، وأعوذ بك من الشر كله** » .

ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾

أرشد تبارك وتعالىٰ عباده إلىٰ دعائه ، الذي هو صلاحهم في دنياهم وأخراهم ، فقال : **﴿ ادعوا ربكم تضرعًا وخفية ﴾** معناه : تذللًا واستكانة ، **﴿ وخفية ﴾** كما قال : **﴿ واذكر ربك في نفسك ﴾** الآية . وفي الصحيحين(١١٣) عن أبي موسىٰ الأشعري ، قال : رفع الناس أصواتهم بالدعاء ، فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أيها الناس اربَعُوا علىٰ أنفسكم ؛ فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا ، إن الذي تدعونه [سميع قريب]**[١] » . الحديث .

وقال ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس في قوله : **﴿ تضرعًا وخفية ﴾** قال : السر .

وقال ابن جرير[٢] : **﴿ تضرعًا ﴾** تذللًا واستكانة لطاعته ، **﴿ وخفية ﴾** يقول : بخشوع قلوبكم ، وصحة اليقين بوحدانيته وربوبيته فيما بينكم وبينه ، لا جهارًا و[٣]مراءاة .

---

(١١٢) - **ضعيف** المرفوع روي من حديث أبي سعيد الخدري أخرجه البيهقي في « الشعب » (٤/رقم ٤٤٠٠) والديلمي في « مسند الفردوس » (٦٨١٧) من طريق خالد بن يزيد عن بن أبي ذئب عن زيد ابن أسلم عن عطاء ابن يسار عن أبي سعيد رفعه ، وقال البيهقي: « قال أبو عبد اللَّه - يعني شيخه الحاكم - تفرد به خالد بن يزيد العمري عن ابن أبي ذئب » قلت : خالد بن يزيد هذا كذبه أبو حاتم ويحيى وقال ابن حبان : « يروي الموضوعات عن الأثبات » ، واستنكر له ابن عدي في « الكامل » (٣/٨٩٠) عدة أحاديث ثم قال : « ولخالد العمري ، عن الثوري وابن أبي ذئب وغيرهم غير ما ذكرت أحاديث ، وعامتها مناكير » وفي الباب عن حذيفة عند أحمد (٥/٣٩٦) وفي إسناده جهالة ، وعن سعد بن أبي وقاص عند البيهقي في « الشعب » أيضًا (٤/٤٣٩٩) وفي إسناده أبو بلج يحيى بن سليم وثقه جماعة وضعفه آخرون وقال البخاري « فيه نظر » .

(١١٣) - تقدم تخريجه [سورة البقرة / آية ١٨٦] .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز «سميعًا قريبًا». [٢] - في تفسيره (١١٢/٤٨٥) .
[٣] - سقط من : ز .

وقال عبد اللّه بن المبارك ، عن المبارك بن فضالة ، عن الحسن قال : إن[١] كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره الناس ، وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس ، وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته ، وعنده الزَّوْر[٢] ، وما يشعرون به . ولقد أدركنا أقوامًا ما كان على الأرض من عمل يقدرون أن يعملوه في السر فيكون علانية أبدًا ، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء ، وما يسمع لهم صوت ، إن كان إلا همسًا بينهم وبين ربهم ، وذلك أن اللّه تعالىٰ يقول : ﴿ **ادعوا ربكم تضرعًا وخفية** ﴾ وذلك أن اللّه ذكر عبدًا صالحًا رضي فعله ، فقال : ﴿ **إذ نادىٰ ربه نداء خفيًا** ﴾.

وقال ابن جريج : يكره رفع الصوت والنداء والصياح في الدعاء ، ويؤمر بالتضرع والاستكانة . ثم روى عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **إنه لا يحب المعتدين** ﴾ في الدعاء ، ولا في غيره .

وقال أبو مجلز : ﴿ **إنه لا يحب المعتدين** ﴾ لا يسأل منازل الأنبياء.

وقال الإمام أحمد بن حنبل(١١٤) رحمه اللّه : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا شعبة ، عن زياد بن مخراق ، سمعت أبا عيلة[٣] ، عن مولىٰ لسعد : أن سعدًا سمع ابنًا له يدعو وهو[٤] يقول : اللّهم ؛ إني أسألك الجنة ونعيمها وإستبرقها ، ونحوًا من هذا ، وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها ، فقال : لقد سألت اللّه خيرًا كثيرًا[٥] ، وتعوذت به[٦] من شر كثير ، وإني سمعت رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، يقول : « **إنه سيكون قوم يعتدون في الدعاء** » . وقرأ هذه

(١١٤) - « المسند » (١/١٧٢) (١٤٨٣) وأخرجه أحمد أيضًا (١/١٨٣) (١٥٨٤) من طريق أبي النضر ومحمد بن جعفر ، وأبو يعلى في مسنده (٢/رقم ٧١٥) من طريق شبابة بن سَوَّار ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/٨٥٩٥) من طريق آدم بن أبي إياس أربعتهم (أبو النضر ، ومحمد بن جعفر ، وشبابة ، وآدم) ثنا شعبة به ، وانظر ما بعده .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في خ ، ت « الزوار » ، والمثبت من ز ، و« الزور » (بفتح فسكون) جمع « زائر » ، مثل « صاحب » و « صحب » .
[٣] - كذا في خ ، ز : « عيلة » ، والصواب أبا نعامة كما في « التهذيب » لكن الذي في « المسند » في هذا الموضع هو « أبا عَبَاية » ولذا ذكره الحافظ في « تعجيل المنفعة » (رقم ١٣١٩) وقال : « أبو عباية عن مولى لسعد بن أبي وقاص ، وهو قيس بن عباية وهو من رجال « التهذيب » وأيد ذلك الشيخ أحمد شاكر ثم قال : « ولكن كنية قيس « أبو نعامة » فلعل بعض الرواة وهم أو قال : « ابن عباية » ثم صحف خطأ ، وقيس بن عباية : تابعي ، بصري ثقة عند جميعهم » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - سقط من : ز . [٦] - في ز « باللّه » .

الآية : ﴿ **ادعوا ربكم تضرعًا وخفية إنه لا يحب المعتدين** ﴾ . وإن بحسبك أن تقول : اللَّهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل .

ورواه أبو داود(١١٥) من حديث شعبة ، عن زياد بن مخراق ، عن أبي نعامة ، عن ابن لسعد ، عن سعد . فذكره ، واللَّه أعلم .

وقال الإمام أحمد(١١٦) : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا الجريري ، عن أبي نعامة : أن عبد اللَّه بن مغفل سمع ابنه يقول : اللَّهم ، إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة ، إذا دخلتها ، فقال : يا بني ، سل اللَّه الجنة وعُذْ به من النار ، فإني سمعت رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يقول : « **يكون قوم يعتدون في الدعاء والطهور** » .

وهكذا رواه ابن ماجه ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن عفان ، به .

وأخرجه أبو داود(١١٧) ، عن موسىٰ بن إسماعيل ، عن حماد بن سلمة ، عن سعيد بن إياس الجريري ، عن أبي نعامة - واسمه قيس بن عباية الحنفي البصري - ، وهو إسناد حسن لا بأس

(١١٥) - « السنن » لأبي داود ، كتاب : الصلاة ، باب : الدعاء (١٤٨٠) والطبراني في « الدعاء » (١/ رقم ٥٦) من طريق مسدد ثنا يحيى - ابن سعيد - عن شعبة به ، وأخرجه الطيالسي في « مسنده » (رقم ٢٠٠) ثنا شعبة أخبرني زياد بن مخراق قال : سمعت أبا عباية - شك أبو داود - أن سعدًا سمع ابنًا له يقول .... ، فذكره وأخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٦٥/٧) ثنا عبيد بن سعد عن شعبة به مختصرًا ليس فيه ذكر لابن سعد، وأخرجه الطبراني في « الدعاء » (١/رقم ٥٥) من طريق عاصم بن علي ثنا شعبة ، أخبرني زياد بن مخراق ، قال : سمعت قيس بن عباية مولى لسعد أن ابنا لسعد كان يدعو ... فذكره هكذا ، وعاصم بن علي، « صدوق ربما وهم » - كما في « التقريب » - وقد خالفه عبد الرحمن بن مهدي وغيره في هذا الإسناد - كما تقدم في السابق - والحديث أعله أحمد بأن زياد بن مخراق لم يُقم إسناده حيث رواه غيره عن أبي نعامة أن عبد اللَّه بن مغفل سمع ابنه ... الحديث - ويأتي بعد هذا - انظر « تهذيب الكمال » (٥١٠/٩) ، وقال المنذري في « مختصر سنن أبي داود » (١٤٢/٢) : « سعد هذا - هو ابن أبي وقاص - وابنه هذا لم يسم ، فإن كان عمر ، فلا يحتج به » لكن يشهد له ما بعده .

(١١٦) - **صحيح** « المسند » (٥٥/٥) مقرونًا بـ « عفان » ، « عبد الصمد » ومن طريق عفان - وهو ابن مسلم - أخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٦٥/٧) وعنه ابن ماجه ، كتاب : الدعاء ، باب : كراهية الاعتداء في الدعاء (٣٨٦٤) وانظر ما بعده .

(١١٧) - « السنن » لأبي داود كتاب : الطهارة ، باب : الإسراف في الماء (٩٦) ومن طريق موسى بن إسماعيل ، أخرجه الحاكم (١٦٢/١ ، ٥٤٠) وعنه البيهقي في « السنن الكبرى » (١٩٦/١ ، ١٩٧) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي في الموضع الثاني ، بينما قال في الأول : « فيه إرسال » !! وأخرجه أحمد (٨٧/٤) وابن حبان (٦٧٦٤/١٥) والطبراني في « الدعاء » (٥٩) من طرق عن حماد بن سلمة به ، وأخرجه أحمد أيضًا (٨٦/٤) وعبد بن حميد في « المنتخب » (٥٠٠) ، والطبراني (٥٨) =

به ، والله أعلم.

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها** ﴾ ينهى تعالىٰ عن الإفساد في الأرض ، وما[١] أضره بعد الإصلاح ! فإنه إذا كانت الأمور ماشية علىٰ السداد ، ثم وقع الإفساد بعد ذلك ، كان أضر ما يكون علىٰ العباد ؛ فنهىٰ تعالىٰ عن ذلك ، وأمر بعبادته ودعائه والتضرع إليه والتذلل لديه ، فقال : ﴿ **وادعوه خوفًا وطمعًا** ﴾ أي : خوفًا مما عنده من وبيل العقاب ، وطمعًا فيما عنده من جزيل الثواب .

ثم قال : ﴿ **إن رحمت الله قريب من المحسنين** ﴾ أي : إن رحمته مرصدة للمحسنين الذين يتبعون أوامره ، ويتركون زواجره ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون [ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي][٢]** ﴾ .

وقال: ﴿**قريب**﴾ ولم يقل قريبة؛ لأنه ضمّن الرحمة معنىٰ الثواب، أو لأنها مضافة إلىٰ الله ، فلهذا قال : ﴿ **قريب من المحسنين** ﴾ .

وقال مطر الوراق : تنجزوا موعود الله بطاعته ؛ فإنه قضىٰ أن رحمته قريب من المحسنين . رواه ابن أبي حاتم (١١٨).

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٥٧ وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَشۡكُرُونَ ٥٨ ﴾

لما ذكر تعالىٰ أنه خالق السموات والأرض ، وأنه المتصرف الحاكم المدبر المسخر ، وأرشد إلىٰ دعائه ، لأنه علىٰ ما يشاء قادر ، نبه تعالىٰ على أنه الرزاق ، وأنه يعيد الموتىٰ يوم القيامة ، فقال :

= من طرق عن حماد بن سلمة عن يزيد الرقاشي عن أبي نعامة ، ويزيد ضعيف لكنه متابع وصححه ابن حبان أيضًا (٦٧٦٣) من طريق أبي الوليد الطيالسي عن حماد بن سلمة عن الجُريري عن أبي العلاء قال : سمع عبد الله بن المُغَفَّل ابنًا له - فذكر الحديث ، قال أبو حاتم بن حبان (١٥/ص ١٦٧/ الإحسان) : « سمع هذا الخبر الجريري عن يزيد بن عبد الله الشِّخّير وأبي نَعَامَة ، فالطريقان جميعًا محفوظان » .

(١١٨) - « التفسير » لابن أبي حاتم (٥/٨٦٠٤) وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣/١٧٢) إلى أبي الشيخ .

[١] - سقط من : ز . [٢] - من : ز ، وفي ت : « الآية » .

﴿ وهو الذي يرسل الرياح نشرًا[١] ﴾ أي : ناشرة بين يدي السحاب الحامل للمطر ، ومنهم من قرأ : (بشرًا) كقوله : ﴿ ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات ﴾ .

وقوله : ﴿ بين يدي رحمته ﴾ أي : بين يدي المطر ، كما قال : ﴿ وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد ﴾ ، وقال : ﴿ فانظر إلىٰ آثار رحمة اللّٰه كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتىٰ وهو علىٰ كل شيء قدير ﴾.

وقوله : ﴿ حتىٰ إذا أقلت سحابًا ثقالًا ﴾ أي: حملت الرياح سحابًا ثقالًا ، أي : من كثرة ما فيها من الماء ، تكون ثقيلة قريبة من الأرض مدلهمة ، كما قال زيد بن عمرو بن نفيل رحمه اللّٰه :

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ لَهُ المُزْنُ تَحْمِلُ عَذْبًا زُلالًا
وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ لَهُ الأرضُ تَحْمِلُ صَخْرًا ثقالًا

وقوله : ﴿ سقناه لبلد ميت ﴾ أي : إلىٰ أرض ميتة مجدبة[٢] لا نبات فيها ، كقوله : ﴿ وآية لهم الأرض الميتة أحييناها [وأخرجنا منها حبًّا فمنه يأكلون][٣] ﴾ ، ولهذا قال : ﴿ فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتىٰ ﴾ أي : كما أحيينا هذه الأرض بعد موتها ؛ كذلك نحيي الأجساد بعد صيرورتها رميمًا يوم القيامة ، ينزل اللّٰه سبحانه وتعالىٰ ماءً من السماء ، فتمطر الأرض أربعين يومًا ، فتنبت منه الأجساد في قبورها ، كما ينبت الحب في الأرض ، وهذا المعنىٰ كثير في القرآن ، يضرب اللّٰه مثلًا [ليوم القيامة][٤] بإحياء الأرض بعد موتها ، ولهذا قال : ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ .

وقوله : ﴿ والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه ﴾ أي : والأرض الطيبة يخرج نباتها سريعًا حسنًا ، كقوله : ﴿ فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتًا حسنًا ﴾ .

﴿ والذي خبث لا يخرج إلا نكدًا ﴾ قال مجاهد وغيره : كالسباخ ونحوها .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في هذه الآية : هذا مثل ضربه اللّٰه للمؤمن والكافر .

وقال البخاري(١١٩): حدثنا محمد بن العلاء ، حدثنا حماد بن أسامة ، عن بُرَيد[٥] بن عبد اللّٰه ، عن أبي بردة ، عن أبي موسىٰ ، رضى اللّٰه عنه ، قال : قال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه

(١١٩) - صحيح البخاري ، كتاب : العلم ، باب : فَضْلِ مَنْ عَلِمَ وعَلَّم (٧٩) ، وأخرجه أحمد (٣٩٩/٤) ، ومسلم ، كتاب : الفضائل ، باب : بيان مثل ما بعث النبي - صلى اللّٰه عليه وسلم - من الهدى والعلم (١٥) (٢٢٨٢) ، والنسائي في « الكبرى » (٥٨٤٣/٣) من طرق عن أبي أسامة حماد ابن أسامة ، به .

[١] - في ت : « بشرًا » .
[٢] - في ز « أي : مجذبة » .
[٣] - في ت : « الآية » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في خ،ز: « للقيامة » .
[٥] - في ز « يزيد » .

وسلم : « **مثل ما بعثني اللَّه به من الهدى والعلم ، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا[١] ، فكان[٢] منها نقية[٣] قبلت الماء ، فأنبتت[٤] الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب ، أمسكت الماء ، فنفع اللَّه بها الناس: فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصاب منها طائفة أخرىٰ إنما هي قيعان[٥] : لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل[٦] من فقُه في دين اللَّه ونفعه ما[٧] بعثني اللَّه به ، فعلِمَ وعَلَّم[٨] ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ، ولم يقبل هدىٰ اللَّه الذي أرسلت به** » .

رواه مسلم والنسائي : من طرق ، عن أبي أسامة حماد بن أسامة ، به

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾

لما ذكر تعالىٰ قصة آدم في أول السورة ، وما يتعلق بذلك ، وما[٩] يتصل به ، وفرغ منه شرع تعالىٰ في ذكر[١٠] قصص الأنبياء عليهم السلام ؛ الأول فالأول ، فابتدأ بذكر نوح عليه السلام ؛ فإنه أول رسول [بعثه اللَّه][١١] إلىٰ أهل الأرض ، بعد آدم - عليه السلام - وهو نوح بن لامك[١٢] ابن متوشلح[١٣] بن خنوخ - وهو إدريس النبي - عليه السلام - فيما يزعمون ، وهو أول من خط بالقلم - ابن برد بن مهليل بن قنين بن يانش بن شيث بن آدم عليه السلام .

هكذا نسبه ابن إسحاق وغير واحد من أئمة النسب . قال محمد بن إسحاق : ولم يلق نبي

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في خ ، ز : « فكانت » .
[٣] - في ز « بقية » .
[٤] - في ز « وأنبتت » .
[٥] - سقط من : خ ، ز .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في ز « بما » .
[٨] - سقط من : خ ، ز .
[٩] - سقط من : ز .
[١٠] - سقط من : خ ، ز .
[١١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[١٢] - في ز « لمك » .
[١٣] - في ز « متوشلخ » .

من قومه من الأذىٰ مثل نوح إلا نبي قتل .

وقال يزيد الرقاشي : إنما سمي نوحًا[١] ؛ لكثرة ما ناح علىٰ نفسه .

وقد كان بين آدم إلىٰ زمان نوح - عليهما السلام - عشرة قرون ، كلهم علىٰ الإِسلام .

قال عبد اللَّه بن عباس وغير واحد من علماء التفسير : وكان أول ما عبدت الأصنام ؛ أن قومًا صالحين ماتوا ، فبنىٰ قومهم عليهم مساجد ، [وصوروا صور][٢] أولئك فيها ؛ ليتذكروا حالهم وعبادتهم فيتشبهوا بهم ، فلما طال الزمان جعلوا تلك الصور أجسادًا علىٰ تلك الصور ، فلما تمادىٰ الزمان عبدوا تلك الأصنام ، وسموها بأسماء أولئك[٣] الصالحين : [ودًّا وسواعًا][٤] ويغوث ويعوق ونسرًا ، فلما تفاقم الأمر بعث اللَّه سبحانه وتعالىٰ - وله الحمد والمنة - رسوله نوحًا ، يأمرهم بعبادة اللَّه وحده لا شريك له ، فقال : ﴿ **يا قوم اعبدوا اللَّه مالكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم** ﴾ أي : من عذاب يوم القيامة ، إذا لقيتم اللَّه وأنتم مشركون به . ﴿ **قال الملأ من قومه** ﴾ أي : الجمهور والسادة والقادة والكبراء منهم : ﴿ **إنا لنراك في ضلال مبين** ﴾ أي : في دعوتك إيانا إلىٰ ترك عبادة هذه الأصنام ، التي وجدنا آباءنا عليها ، وهكذا حال الفجار ، إنما يرون الأبرار في ضلالة ، كقوله : ﴿ **وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون** ﴾ ، ﴿ **وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرًا ما سبقونا إليه وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم** ﴾ إلىٰ غير ذلك من الآيات .

﴿ **قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين** ﴾ أي : ما أنا ضال[٥] ، ولكن أنا رسول من [رب العالمين][٦] ، رب كل شيء ومليكه ، ﴿ **أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من اللَّه ما لا تعلمون** ﴾ وهذا شأن الرسول أن يكون بليغًا فصيحًا ناصحًا عالمًا[٧] باللَّه ، لا يدركهم أحد من خلق اللَّه في هذه الصفات ، كما جاء في صحيح مسلم(١٢٠) : أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال لأصحابه يوم عرفة وهم أوفر ما كانوا وأكثر جمعًا : « **أيها الناس ، إنكم مسئولون عني ، فما أنتم قائلون ؟** » قالوا : نشهد أنك قد[٨] بلغت وأديت ونصحت[٩] ، فجعل يرفع أصبعه إلىٰ السماء ، وينكتها عليهم ، ويقول : « **اللَّهم اشهد ! اللَّهم اشهد!** ».

(١٢٠) - صحيح مسلم كتاب : الحج ، باب : حجة النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - (١٤٧) (١٢١٨) من حديث جابر بن عبد اللَّه ، وتقدم ذكره في [سورة المائدة / آية ٦٧] .

[١] - في ز « نوح » .
[٢] - في ز « صوروا صورة » .
[٣] - في ز « تلك » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٥] - في ز « ضالًا » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٧] - سقط من : خ ، ز .
[٨] - سقط من: ز .
[٩] - سقط من : خ ، ز .

﴿أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾

يقول تعالىٰ إخبارًا عن نوح أنه قال لقومه : ﴿ **أو عجبتم** [**أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون**][١]﴾ ، أي : لا تعجبوا من هذا ؛ فإن هذا ليس بعجب ، أن يوحي اللّٰه إلىٰ رجل منكم رحمة بكم ، ولطفًا وإحسانًا إليكم ؛ لينذركم[٢] ولتتقوا نقمة اللّٰه ، ولا تشركوا به ، ﴿ **ولعلكم ترحمون** ﴾ .

قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **فكذبوه** ﴾ أي : فتمادوا علىٰ تكذيبه ومخالفته ، وما آمن معه منهم إلا قليل ، كما نص عليه تعالىٰ في موضع آخر : ﴿ **فأنجيناه والذين معه في الفلك** ﴾ وهي السفينة ، كما قال : ﴿ **فأنجيناه وأصحاب السفينة وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا** ﴾ ، كما قال : ﴿ **مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارًا فلم يجدوا لهم من دون اللّٰه أنصارًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إنهم كانوا قومًا عمين** ﴾ أي : عن الحق ، لا يبصرونه ولا يهتدون له .

فبين تعالىٰ في هذه القصة أنه انتقم لأوليائه من أعدائه ، وأنجىٰ رسوله والمؤمنين ، وأهلك أعداءهم من الكافرين ، كقوله : ﴿ **إنا لننصر رسلنا** ﴾ الآية إلىٰ قوله : ﴿ **ولهم سوء الدار** ﴾ .

وهذه سنة اللّٰه في عباده في الدنيا والآخرة ، أن العاقبة فيها[٣] للمتقين ، والظفر والغلب لهم ، كما أهلك قوم نوح بالغرق ، ونجىٰ[٤] نوحًا وأصحابه المؤمنين .

و[٥]قال مالك ، عن زيد بن أسلم : كان قوم نوح قد ضاق بهم السهل والجبل .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ما عذب اللّٰه قوم نوح إلا والأرض ملأىٰ بهم ، وليس بقعة من الأرض إلا ولها مالك وحائز .

وقال ابن وهب : بلغني عن ابن عباس : أنه نجا مع نوح في السفينة ثمانون رجلًا ، أحدهم

---

[١] - في ت : « الآية » .
[٢] - في ز « لإنذاركم » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز « نجا » .
[٥] - سقط من : ز .

جرهم ، وكان لسانه عربيًا . رواهن ابن أبي حاتم(١٢١) ، وقد روي هذا الأثر الأخير من وجه آخر متصلًا[١] عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما .

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

يقول تعالىٰ : وكما أرسلنا إلىٰ قوم نوح نوحًا ، كذلك أرسلنا إلىٰ عاد أخاهم هودًا .

قال محمد بن إسحاق : هم ولد عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح .

(قلت) : وهؤلاء هم عاد الأولىٰ ، الذين ذكرهم اللَّه ، وهم أولاد عاد بن إرم الذين كانوا يأوون إلىٰ[٢] العمد في البر ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد * التي لم يخلق مثلها في البلاد** ﴾ وذلك لشدة بأسهم وقوتهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أو لم يروا أن اللَّه الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون** ﴾ .

وقد كانت مساكنهم باليمن بالأحقاف وهي جبال الرمل .

قال محمد بن إسحاق ، عن محمد بن عبد اللَّه بن أبي سعيد الخزاعي ، عن أبي الطفيل عامر

(١٢١) - « التفسير » لابن أبي حاتم (٥/١٥٠٦ ، ١٥٠٧) والأثر الأخير رواه موصولًا (٥/رقم ٨٦٣٥/ص ١٥٠٦) من طريق الحسين بن واقد عن أبي نَهيك عن ابن عباس به ، وأبو نهيك اسمه « عثمان بن نهيك » وثقه أبو أحمد الحاكم وابن حبان ، وقال ابن عبد البر : « مجهول » واضطربت فيه عبارة الحافظ في « التقريب » فوثقه في الكنى وقال في الأسماء : « عثمان بن نهيك ... مقبول » .

[١] - في ز « متصل » .
[٢] - سقط من : ز .

ابن واثلة ، سمعت علي بن أبي طالب يقول لرجل من حضرموت : هل رأيت كثيبًا أحمر[١] تخالطه مدرة حمراء ، ذا أراك وسدر كثير ، بناحية كذا وكذا من أرض حضرموت ، هل رأيته ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، والله إنك لتنعته نعت رجل قد رآه . قال : لا ، ولكني قد حدثت عنه . فقال الحضرمي : وما شأنه يا أمير المؤمنين ؟ قال : فيه قبر هود عليه السلام .

رواه ابن جرير(١٢٢) . وهذا فيه فائدة : أن مساكنهم كانت باليمن ؛ وأن هودًا عليه السلام دفن هناك ، وقد كان من أشرف قومه نسبًا ؛ لأن الرسل إنما يبعثهم الله من أفضل القبائل وأشرفهم ، ولكن كان قومه كما شدد خلقهم شدد علىٰ قلوبهم ، وكانوا من أشد الأمم تكذيبًا للحق ، ولهذا دعاهم هود عليه السلام إلىٰ عبادة الله وحده لا شريك له ، وإلىٰ طاعته وتقواه .

﴿ **قال الملأ الذين كفروا من قومه** ﴾ والملأ : هم الجمهور والسادة والقادة منهم : ﴿ **إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين** ﴾ أي : في ضلالة حيث دعوتنا إلىٰ ترك عبادة الأصنام ، والإقبال علىٰ[٢] عبادة الله وحده ، كما تعجب الملأ من قريش من الدعوة إلىٰ إله واحد ، فقالوا[٣] : ﴿ **أجعل الآلهة إلهًا واحدًا [إن هذا لشيء عجاب][٤]** ﴾ .

﴿ **قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين** ﴾ أي : لست كما تزعمون ، بل جئتكم بالحق من الله الذي خلق كل شيء ، فهو رب كل شيء ومليكه ﴿ **أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين** ﴾ وهذه الصفات التي يتصف بها الرسل : البلاغة والنصح والأمانة .

﴿ **أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم علىٰ رجل منكم لينذركم** ﴾ أي : لا تعجبوا أن بعث الله إليكم رسولًا من أنفسكم ؛ لينذركم أيام الله ولقاءه ، بل احمدوا الله علىٰ ذاكم ﴿ **واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح** ﴾ أي : واذكروا نعمة الله عليكم إذ جعلكم من ذرية نوح ، الذي أهلك الله أهل الأرض بدعوته ، لما خالفوه وكذبوه ﴿ **وزادكم في الخلق بسطة** ﴾ أي : زاد طولكم علىٰ الناس ﴿ **بسطة** ﴾ أي : جعلكم أطول من أبناء جنسكم ؛ كقوله في قصة طالوت : ﴿ **وزاده بسطة في العلم والجسم** ﴾ ، ﴿ **فاذكروا آلاء الله** ﴾ أي : نعمته[٥] ومنته عليكم ﴿ **لعلكم تفلحون** ﴾ .

(١٢٢) – تفسير ابن جرير (١٤٨٠٣/١٢) وأخرجه البخاري في « التاريخ الكبير » (١٣٥/١/١) ترجمة محمد ابن عبد الله بن أبي سعيد) وصرح عنده ابن إسحاق بالتحديث ، لكن محمد بن عبد الله هذا لم يوثقه غير ابن حبان « الثقات » (٣٧٦/٥) .

[١] – في ز « أحمرا » .
[٢] – في ز « إلى » .
[٣] – سقط من : ز .
[٤] – في ت : « الآية » .
[٥] – في ز « نعمه » .

قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَـٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن تمردهم وطغيانهم ، وعنادهم وإنكارهم علىٰ هود عليه السلام : ﴿ **قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده [ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين]**[١]﴾ ، كما قال الكفار من قريش : ﴿ **وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم** ﴾.

وقد ذكر محمد بن إسحاق وغيره : أنهم كانوا يعبدون أصنامًا ؛ فصنم يقال له : صُداء ، وآخر يقال له : صمود[٢] ، وآخر يقال له : الهباء .

ولهذا قال هود[٣] عليه السلام : ﴿ **قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب** ﴾ أي : قد وجب عليكم بمقالتكم هذه من ربكم ﴿ **رجس** ﴾ قيل : هو مقلوب من رجز ، وعن ابن عباس : معناه [سخط وغضب][٤] .

﴿ **أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم** ﴾ أي : أتحاجوني في هذه الأصنام التي سميتموها أنتم وآباؤكم آلهة ، وهي لا تضر ولا تنفع ، ولا جعل الله لكم علىٰ عبادتها حجة ولا دليلًا ؛ ولهذا قال : ﴿ **ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا إني معكم من المنتظرين** ﴾ .

وهذا تهديد ووعيد من الرسول لقومه ؛ ولهذا عقب بقوله : ﴿ **فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين** ﴾ .

وقد ذكر الله سبحانه صفة إهلاكهم في أماكن أخر من القرآن ، بأنه أرسل عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم ، كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **وأما عاد فأهلكوا**

---

[١] - في ت : « الآية » .
[٢] - في ز « صمرد » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز « السخط والغضب » .

بريح صرصر عاتية * سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسومًا * فترىٰ القوم فيها صرعىٰ كأنهم أعجاز نخل خاوية * فهل ترىٰ لهم من باقية ﴾ ، لما تمردوا وعتوا أهلكهم اللَّه بريح عاتية ، فكانت تحمل الرجل منهم فترفعه في الهواء ثم تنكسه علىٰ أم رأسه فتثلغ رأسه حتىٰ تبينه من بين[١] جثته ؛ ولهذا قال : ﴿ **كأنهم أعجاز نخل خاوية** ﴾ .

وقال محمد بن إسحاق : كانوا يسكنون باليمن بين[٢] عمان وحضرموت ، وكانوا مع ذلك قد فشوا في الأرض ، وقهروا أهلها بفضل قوّتهم التي آتاهم اللَّه ، وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون اللَّه ، فبعث اللَّه إليهم هودًا - عليه السلام - وهو من أوسطهم نسبًا وأفضلهم موضعًا ، فأمرهم أن يوحدوا اللَّه ولا يجعلوا معه إلهًا غيره ، وأن يكفوا عن ظلم الناس ، فأبوا عليه وكذبوه ، وقالوا : من أشد منا قوة ؟! واتبعه منهم ناس وهم يسير مكتتمون بإيمانهم، فلما عتت عاد علىٰ اللَّه وكذبوا نبيه ، وأكثروا في الأرض الفساد ، وتجبروا وبنوا بكل ريع آية عبثًا بغير نفع ، كلمهم هود ، فقال : ﴿ **آتبنون بكل ريع آية تعبثون * وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون * وإذا بطشتم بطشتم جبارين * فاتقوا اللَّه وأطيعون** ﴾ ، ﴿ **قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين * إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء** ﴾ أي : بجنون ﴿ **قال إني أشهد اللَّه واشهدوا أني بريء مما تشركون * من دونه فكيدوني جميعًا ثم لا تنظرون * إني توكلت علىٰ اللَّه ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي علىٰ صراط مستقيم** ﴾ .

قال محمد بن إسحاق : فلما أبوا إلا الكفر به ، أمسك اللَّه عنهم القطر ثلاث سنين ، فيما يزعمون ، حتىٰ جهدهم ذلك . قال : وكان الناس إذا جهدهم أمر في ذلك الزمان ، فطلبوا من اللَّه الفرج فيه ، إنما يطلبونه بحَرَمِه[٣] ومكان[٤] بيته ، وكان معروفًا عندالمِلَل، وبه العماليق مقيمون ، وهم من سلالة عمليق بن لاوذ[٥] بن سام بن نوح ، وكان سيدهم إذ ذاك رجلًا[٦] يقال له : معاوية بن بكر ، وكانت له أم من قوم عاد واسمها : كلهدة[٧] بنة الخيبري . قال : فبعثت عاد وفدًا قريبًا من سبعين رجلًا إلىٰ الحرم ؛ ليستسقوا لهم عند الحرم ، فمروا بمعاوية بن بكر بظاهر مكة ، فنزلوا عليه فأقاموا عنده شهرًا ، يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان - قينتان لمعاوية - وكانوا قد وصلوا إليه في شهر ، فلما طال مقامهم عنده ، وأخذته شفقة علىٰ قومه ، واستحيا منهم أن يأمرهم بالانصراف ، عمل شعرًا يعرض لهم بالانصراف ، وأمر القينتين أن تغنياهم[٨]

---

[١] - سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ز « من » .
[٣] - في ت « بحرمة » .
[٤] - في ت « مكانة » .
[٥] - في ز « لاوم » .
[٦] - في ز ، خ « رجل » .
[٧] - في ز « جلهدة » .
[٨] - في ز « تغنيهم » .

به ، فقال :

ألا يا قَيْلِ ويحَك قم فَهَيْنِم لعلَّ اللَّه يُصْبِحنَا غمامًا
فيسقي أرضَ عادٍ إنَّ عادًا قد امسوا لا يُبِينُون الكلاما
من العطش الشديد فليس نرجو[١] به الشيخَ الكبيرَ ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهم بخير فقد أمستْ نساؤهم عَيَاما
وإن الوحش تأتيهم جهارا ولا تخشىٰ لعاديٍّ سهاما
وأنتم هاهنا فيما اشتهيتم نهاركم وليلكم التماما
فقُبِّح وَفْدُكم من وفد قومٍ ولا لُقُّوا التحيَّةَ والسَّلاما

قال : فعند ذلك تنبه القوم لما جاءوا له ، فنهضوا إلىٰ الحرم ، ودعوا لقومهم ، فدعا داعيهم ، وهو : قيل بن عنز ، فأنشأ اللَّه سحابات ثلاثًا ؛ بيضاء وسوداء وحمراء ، ثم ناداه مناد [من السماء : اختر لنفسك أو لقومك من هذا السحاب . فقال : اخترت هذه السحابة السوداء ، فإنها أكثر السحاب ماء . فناداه مناد][٢] :

اخترت رمادًا رمدًا ، لا تبقي[٣] من عاد أحدًا ، لا[٤] والدًا تترك ولا ولدًا ، إلا جعلته همدًا

إلا بني اللوذية المهندًا .

قال : وبنو اللوذية بطن من عاد مقيمون[٥] بمكة ، فلم يصبهم ما أصاب قومهم . قال : وهم من بقي من أنسالهم وذراريهم عاد الآخرة . قال : وساق اللَّه السحابة السوداء فيما يذكرون ، التي اختارها قيل بن عنز ، بما فيها من النقمة إلىٰ عاد ، حتىٰ تخرج عليهم من واد يقال له : المغيث ، فلما رأوها استبشروا ، وقالوا : ﴿ **هذا عارض ممطرنا** ﴾ . يقول : ﴿ **بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم * تدمر كل شيء بأمر ربها** ﴾ [أي : تهلك كل شيء مرت به][٦] ، فكان أول من أبصر ما[٧] فيها ، وعرف أنها ريح ، فيما يذكرون ، امرأة من عاد يقال لها : مهدد[٨] ؟ فلما تبينت ما فيها صاحت ، ثم صعقت ، فلما أفاقت قالوا : ما رأيت يا مهدد[٩] ؟ قالت : ريحًا فيها شهب النار ، أمامها رجال يقودونها . فسخرها اللَّه عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسومًا ، كما قال اللَّه تعالىٰ ، والحسوم : الدائمة ، فلم تدع من عاد أحدًا إلا

---

[١] - في ز « يرجو » .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ز : « يبقي » .
[٤] - في ز : « ولا » .
[٥] - في ز : « مقمين » .
[٦] - سقط من : خ ، ز .
[٧] - سقط من : ت .
[٨] - في خ ، ز : « مميد » .
[٩] - في خ ، ز : « مميد » .

هلك ، واعتزل هود عليه السلام فيما ذكر لي ومن معه من المؤمنين في حظيرة ، ما يصيبه ومن معه إلا ما[١] تلين عليه الجلود ، وتلتذ[٢] الأنفس ، وإنها لتمر على عاد بالطعن ما بين السماء والأرض ، وتدمغهم بالحجارة.

وذكر تمام القصة بطولها ، وهو سياق غريب ، فيه فوائد كثيرة ، وقد قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **ولما جاء أمرنا نجينا هودًا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ** ﴾ .

وقد ورد في الحديث الذي رواه الإمام أحمد [في مسنده قريب مما أورده محمد بن إسحاق بن يسار رحمه اللَّه . قال الإمام أحمد][٣](١٢٣) : حدثنا زيد بن الحباب ، حدثني أبو المنذر سلام ابن سليمان النحوي ، حدثنا عاصم بن أبي النجود ، عن أبي وائل ، عن الحارث البكري ، قال : خرجت أشكو العلاء بن الحضرمي إلىٰ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فمررت بالربذة ، فإذا عجوز من بني تميم منقطع بها ، فقالت لي[٤] : يا عبد اللَّه ، إن لي إلىٰ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، بحاجة ، فهل أنت مبلغي إليه ؟ قال : فحملتها فأتيت المدينة ، فإذا المسجد غاص بأهله ، وإذا راية سوداء تخفق ، وإذا بلال متقلد بسيف بين يدي رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقلت : ما شأن الناس ؟ قالوا[٥] : يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجهًا . قال : فجلست . قال[٦] : فدخل منزله - أو قال : رحله - فاستأذنت عليه ، فأذن لي ، فدخلت

(١٢٣) - « المسند » (٤٨٢/٣) وأخرجه الترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الذاريات (٣٢٧٠) ثنا عبد بن حميد ، وابن جرير في تفسيره (١٤٨٠٦/١٢) ثنا أبو كريب ، كلاهما (عبد بن حميد ، وأبو كريب) ثنا زيد بن الحباب ، به . وأخرجه أحمد (٤٨١/٣، ٤٨٢) - ومن طريقه ابن الأثير في « أسد الغابة » (٣٨٧/٢) - وابن أبي شيبة في مسنده (٢/رقم ٦٥٩) وابن سعد في « الطبقات » (٦/ ١٠٩) والنسائي في « الكبرى » (٥/رقم ٨٦٠٧) ، والطبراني في « الكبير » (٣٣٢٥/٣) من طريق عفان ابن مسلم - مقرونًا به محمد بن مخلد الحضرمي عند الطبراني - وأخرجه ابن أبي عاصم في « الآحاد والمثاني » (٣/رقم ١٦٦٧) والترمذي (٣٢٦٩) والطبراني (٣٣٢٦/٣) والأزدي في « كتاب المخزون في علم الحديث » (ت ٥٢) من طريق سفيان بن عيينة ثلاثتهم (عفان ومحمد وسفيان) عن سلام أبي المنذر به وفي رواية سفيان عند الترمذي (عن أبي وائل عن رجل من ربيعة) - وأخرجه أحمد (٤٨١/٣) ، ومن طريقه - وطريق إبراهيم بن الحسن والعلاء بن عمرو وإسحاق بن راهويه - : أخرجه الطبراني (٣٣٢٧/٣ : ٣٣٢٩) - وابن أبي شيبة (٦٥٨/٢) وعنه البخاري في « التاريخ الكبير » (٢٦١/٢) وابن أبي عاصم (٣/ ١٦٦٦) وابن ماجة، كتاب: الجهاد، باب : الرايات والألوية (٢٨١٦) - وابن جرير (١٤٨٠٥/١٢) عن أبي كريب، ورواه سعيد الأموي ، ويحيى الحماني وعبد الحميد ابن صالح - كما في « أسد الغابة » كلهم (أحمد بن حنبل، وإبراهيم بن الحسن والعلاء بن عمرو وإسحاق ابن راهوية وأبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب ، وسعيد الأموي ويحيى الحماني وعبد الحميد بن صالح) عن أبي بكر بن عياش عن عاصم =

[١] - سقط من : ز . [٢] - في خ : « وتتلذ » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز. [٤] - سقط من: خ ، ز .
[٥] - في ز : « فقالوا » . [٦] - سقط من : ز .

فسلمت ، فقال : هل بينكم وبين تميم شيء ؟ قلت : نعم ، وكانت لنا الدَّبَرة عليهم ، ومررت بعجوز من بني تميم منقطع بها ، فسألتني أن أحملها إليك ، وها هي بالباب . فأذن لها فدخلت ، فقلت : يا رسول الله ، إن رأيت أن تجعل بيننا وبين تميم حاجزًا فاجعل الدهناء . فحميت العجوز واستوفزت[١] ، فقالت : يا رسول الله ، فإلي أين يضطر مضرك ؟. قال : قلت : إن مثلي ما قال الأول : « معْزَىٰ حملت حتفها »، حملت هذه ولا أشعر أنها كانت لي خصمًا ، أعوذ بالله وبرسوله أن أكون كوافد عاد . قال : « **هيه ، وما وافد عاد ؟** » . وهو أعلم بالحديث منه ، ولكن يستطعمه[٢] . قلت : إن عادًا قحطوا ، فبعثوا وافدًا لهم يقال له : قيل ، فمر بمعاوية بن بكر ، فأقام عنده شهرًا يسقيه الخمر ، وتغنيه[٣] جاريتان يقال لهما : الجرادتان ، فلما مضىٰ الشهر خرج إلىٰ [جبال مهرة][٤] ، فقال : اللّهم إنك تعلم أني لم أجئ إلىٰ مريض فأداويه ، ولا إلىٰ أسير فأفاديه ، اللّهم اسق عادًا ما كنت تسقيه . فمرت به سحابات سود ، فنودي منها : اختر ، فأومأ إلىٰ سحابة منها سوداء ، فنودي منها : خذها رمادًا رِمْدِدًا ، لا تبقي من عاد أحدًا . قال : فما بلغني أنه بُعث عليهم من الريح ، إلا قَدْر ما يجري في خاتمي هذا حتىٰ هلكوا - قال أبو وائل : وصدق - قال : وكانت المرأة والرجل إذا بعثوا وافدًا لهم قالوا : لا تكن كوافد عاد .

هكذا رواه الإمام أحمد في المسند ، ورواه الترمذي : عن عبد بن حميد ، عن زيد بن الحباب به نحوه ، ورواه النسائي : من حديث سلام أبي المنذر ، عن عاصم - وهو ابن بهدلة - . ومن طريقه رواه ابن ماجة أيضًا[٥]: عن أبي وائل ، عن الحارث بن حسان البكري ، به .

= عن الحارث بن حسان به مختصرًا ومطولًا ، وليس فيه « أبو وائل » وقال الأزدي : « روى هذا الحديث سلام القاري ، عن عاصم عن أبي وائل ، عن الحارث بن حسان وهو الصحيح ، وسلام قد حمل الناس عنه ورواه أبو بكر بن عياش وهو من الثقات عن عاصم عن الحارث بن حسان ولم يذكر أبا وائل ، وقول سلام في هذا عن أبي وائل أثبت وأصح وإن كان أبو بكر بن عياش ثقة إلا أنه بشر يقع عليه السهو » وصحح ابن عبد البر في « الاستيعاب » والمزي في « تهذيب الكمال » وابن حجر في « التهذيب » - [كلهم في ترجمة الحارث ابن حسان] - صححوا رواية من رواه بإثبات « أبي وائل » في الإسناد ويؤيده قول حماد بن سلمة : « سلام أبو المنذر أحفظ لحديث عاصم من حماد بن زيد » لكن سلام متكلم فيه ، وقال ابن عدي في « الكامل » (١١٥٩/٣) : « عامة ما يرويه حسان إلا أنه لا يتابع عليه » ولذلك قال المصنف وذكر الحديث عند [سورة الأحقاف / آية ٢١] : « هو غريب جدًّا من غرائب الحديث وأفراده » .

[١] - « حميت » : غضبت ، وأخذتها الحمية والأنفة والغيظ ، و« استوفز الرجل في قعدته » إذا قعد قعودًا منتصبًا غير مطمئن ، ولم يستو قائمًا كالمتهيئ للوثوب ، وذلك عند الشر والخصام والجدال والمماحكة . [هامش تفسير ابن جرير (٥١٧/١٢)] .

[٢] - في خ ، ز : « يستعظمه » . [٣] - في ز : « وتغبيه » .

[٤] - في ز : « حبال مهره » .

[٥] - رواية ابن ماجة ليس فيها « أبو وائل » وانظر « تحفة الأشراف » (٣/رقم ٣٢٧٧) .

ورواه ابن جرير : عن أبي كريب ، عن زيد بن حباب، به . ووقع عنده : [عن الحارث بن يزيد البكري][١] فذكره . ورواه أيضًا : عن أبي كريب ، عن أبي بكر بن عياش ، عن عاصم ، عن الحارث بن حسان البكري فذكره . ولم أر في النسخة أبا وائل ، والله أعلم .

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٧٤) قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ (٧٥) قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ (٧٦) فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (٧٧) فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ (٧٨)﴾

قال علماء التفسير والنسب : ثمود بن عاثر بن إرم بن سام بن نوح ، وهو أخو جديس بن عاثر ، وكذلك قبيلة طسم ، كل هؤلاء كانوا أحياء من العرب العاربة قبل إبراهيم الخليل عليه السلام ، وكانت ثمود بعد عاد ، ومساكنهم مشهورة فيما بين الحجاز والشام إلىٰ وادي القرىٰ وما حوله ، وقد مر رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، علىٰ قراهم ومساكنهم ، وهو ذاهب إلىٰ تبوك في[٢] سنة تسع .

---

[١] - اختلف في اسمه فقيل « الحارث بن حسان البكرى » وقيل : « الحارث بن يزيد البكرى » وقيل اسمه « حريث » وصحح ابن عبد البر في « الاستيعاب » أن اسمه « الحارث بن حسان » فقال : « والأكثرون يقولون : الحارث بن حسان البكري وهو الصحيح إن شاء الله » .

[٢] - سقط من : ز .

قال الإمام أحمد(١٢٤) : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا صخر بن جُوَيْرِيَة ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : لما نزل رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، بالناس عام[١] تبوك ، نزل بهم الحجر عند بيوت ثمود ، فاستقىٰ[٢] الناس من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود ، فعجنوا منها ونصبوا منها القدور ، فأمرهم النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فأهراقوا[٣] القدور ، وعلفوا العجين الإبل ، ثم ارتحل بهم ، حتىٰ نزل بهم علىٰ البئر التي كانت تشرب منها الناقة ، ونهاهم أن يدخلوا علىٰ القوم الذين عذبوا ، وقال[٤] : « **إني أخشىٰ أن يصيبكم مثل ما أصابهم فلا تدخلوا عليهم** » .

وقال أحمد أيضًا(١٢٥) : حدثنا عفان ، حدثنا عبد العزيز بن مسلم ، حدثنا عبد اللّٰه بن دينار ، عن عبد اللّٰه بن عمر قال : قال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وهو بالحجر : « **لا تدخلوا علىٰ هؤلاء المعذبين ، إلا أن تكونوا باكين ، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم ؛ أن يصيبكم مثل ما أصابهم** ».

وأصل هذا الحديث مخرج في الصحيحين من غير وجه .

وقال الإمام أحمد أيضًا(١٢٦) : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا[٥] المسعودي ، عن إسماعيل ابن

---

(١٢٤) - « المسند » (١١٧/٢) (٥٩٨٤) - وذكره المصنف في « البداية والنهاية » (١٤/٥ ، ١٥) من طريق أحمد هذه وصححه على شرط الشيخين ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٦٢٠٣/١٤) من طريق أبي الوليد - هشام بن عبد الملك ، قال : حدثنا صخر بن جويرية به ، والبخاري، كتاب : الأنبياء ، باب : قول اللّٰه تعالى : ﴿ **وإلى ثمود أخاهم صالحًا** ﴾ (٣٣٧٩) ، ومسلم ، كتاب : الزهد والرقائق ، باب : لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين (٤٠) (٢٩٨١) من طريق عبيد اللّٰه بن عمر عن نافع به مختصرًا .

(١٢٥) - « المسند » (٧٤/٢) (٥٤٤١) وأخرجه أيضًا (٩/٢ ، ٥٨ ، ٧٢ ، ٩١ ، ١١٣ ، ١٣٧) والبخاري : كتاب ، الصلاة ، باب: الصلاة في مواضع الخسف والعذاب (٤٣٣) ، كتاب : المغازي ، باب : نزول النبي - صلى اللّٰه عليه وسلم - الحِجْرَ (٤٤٢٠) ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **ولقد كذّب أصحاب الحجر المرسلين** ﴾ (٤٧٠٢) ومسلم ، كتاب : الزهد والرقائق ، باب : لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم ، إلا أن تكونوا باكين (٣٨) (٢٩٨٠) ، والنسائي في « التفسير » من «الكبرى» (٦/ ١١٢٧٤) من طرق عن عبد اللّٰه بن دينار به ، وأخرجه أحمد (٦٦/٢ ، ٩٦) والبخاري ، كتاب : الأنبياء باب : قول اللّٰه تعالى ﴿ **وإلى ثمود أخاهم صالحًا** ﴾ (٣٣٨٠، ٣٣٨١) وك: المغازي ، باب : نزول النبي - صلى اللّٰه عليه وسلم - الحجر (٤٤١٩) ومسلم (٣٩) (٢٩٨٠) والنسائي (١١٢٧٠/٦) من طريق الزهري عن سالم بن عبد اللّٰه بن عمر عن أبيه ، به .

(١٢٦) - **إسناده حسن** « المسند » (٢٣١/٤) وذكره المصنف في « البداية والنهاية » (١٥٩/١) (١٥/٥)=

---

[١] - في خ ، ز : « على » .
[٢] - في ت : « فاستسقى » .
[٣] - في خ ، ز : « فأهرقوا » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - سقط من : ز ، خ .

أوسط ، عن محمد بن أبي كبشة الأنماري ، عن أبيه قال : لما كان في غزوة تبوك ، تسارع الناس إلىٰ أهل الحجر يدخلون عليهم ، فبلغ ذلك رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فنادىٰ في الناس: « **الصلاةَ جامعةً** » . قال : فأتيت رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وهو ممسك بعيره[١] ، وهو يقول: « **ما تدخلون علىٰ قوم غضب اللَّه عليهم** ». فناداه رجل منهم: نعجب منهم يا رسول اللَّه. قال : « **أفلا أنبئكم بأعجب من ذلك : رجل من أنفسكم ينبئكم بما كان قبلكم ، وبما هو كائن بعدكم ، فاستقيموا وسددوا ، فإن اللَّه لا يعبأ بعذابكم شيئًا ، وسيأتي قوم لا يدفعون عن أنفسهم شيئًا** ».

لم يخرجه أحد من أصحاب السنن[٢] ، وأبو كبشة : اسمه عمرو[٣] بن سعد ، ويقال : عامر ابن سعد، واللَّه أعلم .

وقال الإمام أحمد(١٢٧) : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن عبد اللَّه بن عثمان بن خثيم ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : لما مر رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، بالحجر ، قال : « **لا تسألوا الآيات ، فقد سألها قوم صالح فكانت** - يعني الناقة - **ترد من هذا الفج** ،

= من هذه الطريق وقال : « إسناده حسن ، ولم يخرجوه » وأخرجه أحمد أيضًا والبيهقي في « الدلائل » (٥/ ٢٣٥) من طريق هاشم بن القاسم وابن أبي شيبة في « المصنف » (٥٦٣،٥٦٢/٨) - ومن طريقه الطبراني (٨٥٢/٢٢) - عن جعفر بن عون والطبراني أيضًا (٢٢/رقم ٨٥١، ٨٥٢) من طريق عبد اللَّه بن رجاء وعمرو بن مرزوق وإسماعيل بن عياش خمستهم عن المسعودي به ، وذكره الهيثمي في موضعين من « المجمع » (١٩٧/٦) (٢٩٣/١٠ ، ٢٩٤) وقال في الأول : « رواه أحمد وفيه عبد الرحمن بن عبد اللَّه المسعودي وقد اختلط » - قلت : وقد روىٰ عنه بعد الاختلاط يزيد بن هارون وهاشم بن القاسم أبو النضر ، لكن روىٰ عنه جعفر بن عون ، وعبد اللَّه بن رجاء وعمرو بن مرزوق بعد الاختلاط ؛ انظر « الكواكب النيرات » لابن الكيال (ص ٢٨٢) - ولذلك قال الهيثمي في الموضع الثاني : « رواه الطبراني وأحمد بأسانيد وأحدها حسن » والحديث عزاه السيوطي في « الدر المنثور » (١٨٣/٣) إلىٰ أحمد وابن المنذر .

(١٢٧) - **إسناد علىٰ شرط مسلم** « المسند » (٢٩٦/٣) وذكره المصنف في « البداية والنهاية » (١٥٧/١) كما هنا . والحديث عند عبد الرزاق في تفسيره (٢٣١/٢ ، ٢٣٢) ومن طريقه أيضًا أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤٨١٧/١٢) والحاكم في « المستدرك » (٣٢٠/٢) ، وأخرجه البزار (٢/رقم ١٨٤٤/كشف) وابن حبان في صحيحه (٦١٩٧/١٤) والحاكم (٣٤٠/٢ ، ٣٤١) من طريق مسلم بن خالد عن ابن خثيم به ، وابن أبي حاتم (٨٦٨٦/٥) من طريق ابن عياش عن ابن خثيم به ، والطبراني في « الأوسط » (٩/ ٩٠٦٩) من طريق ابن لهيعة عن أبي الزبير ، به وصحح إسناده الحاكم ووافقه الذهبي ، وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في « الفتح » (٢٧٠/٦) وأبو الزبير - وهو محمد بن مسلم - مدلس وقد عنعن ، لكنه صرح بالسماع في رواية عند الحاكم (٥٦٧/٢) مختصرة وصرح بالتحديث أيضًا في رواية مطولة عند ابن أبي الدنيا في « العقوبات » (رقم ١٤٨) لكن في إسناده يحيى بن سليم ، وهو « صدوق سيئ الحفظ » والحديث ذكره الهيثمي في « المجمع » (١٩٧/٦) وقال : « رواه البزار والطبراني في « الأوسط » =

---

[١] - في خ : « بعنزة » . [٢] - في خ ، ز : « السنة » .
[٣] - في خ ، ز : « عمر » .

وتصدر من هذا الفج ، فعتوا عن أمر ربهم فعقروها ، وكانت تشرب ماءهم يومًا ، ويشربون لبنها يومًا ، فعقروها ، فأخذتهم صيحة أهمد اللَّه من تحت أديم السماء منهم ، إلا رجلًا واحدًا كان في حرم اللَّه » . فقالوا : من هو يا رسول اللَّه ؟ قال : « **أبو رِغَال ، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه** ».

وهذا الحديث ليس في شيء من الكتب الستة ، وهو علىٰ شرط مسلم .

فقوله تعالىٰ : ﴿ **وإلىٰ ثمود أخاهم صالحًا** ﴾ أي : ولقد أرسلنا إلىٰ قبيلة ثمود أخاهم صالحًا ﴿ **قال يا قوم اعبدوا اللَّه ما لكم من إله غيره** ﴾ فجميع[١] الرسل يدعون[٢] إلىٰ عبادة اللَّه وحده لا شريك له ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي[٣] إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾، وقال : ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولًا أن اعبدوا اللَّه واجتنبوا الطاغوت** ﴾.

وقوله : ﴿ **قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة اللَّه لكم آية** ﴾ أي : قد جاءتكم حجة من اللَّه علىٰ صدق ما جئتكم به ، وكانوا هم الذين سألوا صالحًا أن يأتيهم بآية ، واقترحوا عليه بأن[٤] تخرج لهم من صخرة صماء عينوها بأنفسهم ، وهي صخرة منفردة في ناحية الحجر ، يقال لها : الكاتبة ، فطلبوا منه أن يُخرج لهم منها ناقة عشراء تمخض ، فأخذ عليهم صالح العهود والمواثيق : لئن أجابهم اللَّه إلىٰ سؤالهم ، وأجابهم إلىٰ طلبتهم ، ليؤمنن به وليتبعنه ، فلما أعطوه علىٰ ذلك عهودهم ومواثيقهم ، قام صالح عليه السلام إلىٰ صلاته ، ودعا اللَّه - عز وجل - فتحركت تلك الصخرة ، ثم انصدعت عن ناقة جوفاء وبراء ، يتحرك جنينها بين جنبيها كما سألوا ، فعند ذلك آمن رئيس القوم وهو : جندع بن عمرو ، ومن كان معه علىٰ أمره ، وأراد بقية أشراف ثمود أن يؤمنوا ، فصدهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحب أوثانهم ، ورباب[٥] بن صمعر[٦] ابن جلهس[٧] ، وكان لجندع بن عمرو ابن عم يقال[٨] له : شهاب بن خليفة بن مخلاة[٩] ابن لبيد بن جواس ، وكان من أشراف ثمود وأفاضلها ، فأراد أن يسلم أيضًا ، فنهاه أولئك الرهط ، فأطاعهم، فقال في ذلك رجل من مؤمني ثمود ، يقال له : مِهْوس[١٠] ابن عِنمة بن الدميل[١١] ، رحمه اللَّه :

= وأحمد بنحوه ورجال أحمد رجال الصحيح ، وبنحوه قاله في موضع آخر من « المجمع » (٧/٤٠ ، ٤١) والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣/١٨٣) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه .

---

[١] - في ز : « جميع » .
[٢] - في ز : « تدعوا » .
[٣] - في ز : « يوحى » .
[٤] - في ز : « أن » .
[٥] - في ز ، خ : « وزبان » .
[٦] - في خ : « صحر » .
[٧] - في خ ، ز : « جلمس » .
[٨] - سقط من : ز .
[٩] - في ز : « محلاة » .
[١٠] - في ز : « مهوش » .
[١١] - في ز : « الزميل » .

وكانت عصبة من آل عمرو إلىٰ دين النبي دعوا شهابا
عزيز ثمود كلهم جميعًا فَهَمَّ بأن يجيب فلو أجابا
لأصبح صالح فينا عزيزًا وما عدلوا[١] بصاحبهم ذؤابا
ولكن الغواة من آل حجر تولوا بعد رشدهم ذئابًا[٢]

فأقامت الناقة وفصيلها بعدما وضعته بين أظهرهم مدة ، تشرب ماء بئرها يومًا ، وتدعه لهم يومًا ، وكانوا يشربون لبنها يوم شربها ، يحتلبونها فيملئون ما شاءوا من أوعيتهم وأوانيهم ، كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر** ﴾، وقال تعالىٰ : ﴿ **هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم** ﴾، وكانت تسرح في بعض تلك الأودية ، ترد من فج وتصدر من غيره ليسعها ؛ لأنها كانت تتضلع[٣] من الماء ، وكانت - علىٰ ما ذكر - خلقًا هائلًا ومنظرًا رائعًا ، إذا مرت بأنعامهم نفرت منها ، فلما طال عليهم ذلك ، واشتد تكذيبهم لصالح النبي - عليه السلام - عزموا علىٰ قتلها ؛ ليستأثروا بالماء كل يوم ؛ فيقال : إنهم اتفقوا كلهم علىٰ قتلها .

قال قتادة : بلغني أن الذي قتل الناقة ، طاف عليهم كلهم أنهم راضون بقتلها ، حتىٰ علىٰ النساء في خدورهن ، وعلىٰ الصبيان .

قلت : وهذا هو الظاهر ؛ لأن اللَّه يقول : ﴿ **فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها** ﴾ ، وقال : ﴿ **وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها** ﴾ ، وقال : ﴿ **فعقروا الناقة** ﴾ فأسند ذلك إلىٰ مجموع القبيلة ، فدل علىٰ رضىٰ جميعهم بذلك ، واللَّه أعلم .

وذكر الإمام أبو جعفر بن جرير وغيره من علماء التفسير في سبب قتل الناقة : أن امرأة منهم ، يقال لها : عنيزة بنة غنم بن مجلز[٤] وتكنىٰ أم غنم[٥] كانت عجوزًا كافرة ، وكانت من أشد الناس عداوة لصالح عليه السلام ، وكانت لها بنات حسان ومال جزيل ، وكان زوجها ذؤاب بن عمرو أحد رؤساء ثمود ، وامرأة أخرىٰ يقال لها :صدوف بنة المحيا بن [دهر بن المحيا][٦] ، ذات حسب ومال[٧] وجمال ، وكانت تحت رجل مسلم من ثمود ففارقته ، فكانتا تجعلان لمن التزم لهما بقتل الناقة ، فدعت صدوف رجلًا يقال له : الحباب ، فعرضت[٨] عليه نفسها إن هو عقر الناقة فأبىٰ عليها ، فدعت ابن عم لها يقال له : مصدع بن مهرج بن المحيا فأجابها إلىٰ ذلك ،

---

[١] - في ز : « عذلوا » .
[٢] - في الطبري : ذبابًا
[٣] - في ز : « تضلع » .
[٤] - في ز : « مجلزم » .
[٥] - في خ ، ز : « عثمان » .
[٦] - في خ ، ز : «زهير بن المختار» .
[٧] - سقط من : خ ، ز .
[٨] - سقط من : ز .

ودعت عنيزةُ بنت غنم قدارَ بن سالف بن جُنْدع[١]، وكان رجلًا أحمر أزرق قصيرًا ، يزعمون أنه كان[٢] ولد زَنْية ، وأنه لم يكن من أبيه الذي ينسب إليه - وهو[٣] سالف - وإنما هو من رجل يقال له : صهياد[٤]، ولكن ولد علىٰ فراش سالف ، وقالت له : أعطيك أي بناتي شئت علىٰ أن تعقر الناقة ، فعند ذلك انطلق قدار بن سالف ومصدع ابن مهرج ، فاستنفرا[٥] غواة من ثمود ، فاتبعهما سبعة نفر فصاروا تسعة رهط ، وهم الذين قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون** ﴾، وكانوا رؤساء في قومهم ، فاستمالوا القبيلة الكافرة بكمالها ، فطاوعتهم علىٰ ذلك ، فانطلقوا ، فرصدوا الناقة حين صدرت عن[٦] الماء ، وقد كمن لها قدار [بن سالف][٧] في أصل صخرة علىٰ طريقها ، وكمن لها مصدع في أصل أخرىٰ ، فمرت علىٰ مصدع ، فرماها بسهم ، فانتظم به عضلة ساقها ، وخرجت أم غنم عنيزة ، وأمرت ابنتها - وكانت من أحسن الناس وجهًا - فسفرت عن وجهها لقدار[٨] وذمَّرته، فشد علىٰ الناقة بالسيف فكشف[٩] عن عرقوبها ، فخرت ساقطة إلىٰ الأرض ، ورغت رغاة واحدة تحذر سَقْبَها[١٠]، ثم طعن في لبتها فنحرها ، وانطلق سقبها[١١] - وهو فصيلها - حتىٰ أتىٰ جبلًا منيعًا ، فصعد أعلىٰ صخرة فيه ورغا . فروىٰ عبد الرزاق : عن معمر ، عمن سمع الحسن البصري أنه قال : يارب ، أين أمي . ويقال : إنه رغا ثلاث مرات ، وإنه دخل في صخرة فغاب فيها . ويقال : إنهم[١٢] اتبعوه فعقروه مع أمه ، فاللّٰه أعلم .

فلما فعلوا ذلك وفرغوا من عقر الناقة ، بلغ الخبر صالحاً عليه السلام ، فجاءهم وهم مجتمعون ، فلما رأىٰ الناقة بكىٰ ، وقال : ﴿ **تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب** ﴾ ، وكان قتلهم الناقة يوم الأربعاء ، فلما أمسىٰ أولئك التسعة الرهط ، عزموا علىٰ قتل صالح ، وقالوا : إن كان صادقًا عجلناه قبلنا ، وإن كان كاذبًا ألحقناه بناقته : ﴿ **قالوا تقاسموا باللّٰه لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون * ومكروا مكرًا ومكرنا مكرًا وهم لا يشعرون * فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا** ﴾ .

فلما عزموا علىٰ ذلك وتواطئوا عليه ، وجاءوا من الليل ؛ ليفتكوا بنبي اللّٰه صالح ، أرسل اللّٰه

---

[١] - في ز : « جذع » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في خ ، ز : « صبيان » .
[٥] - في خ ، ز : « فاستغوا » ، والمثبت من الطبري .
[٦] - في خ : « على » وفي ت : « من » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٨] - في ز : « لقذار » .
[٩] - في خ : « فكسف » .
[١٠] - في ز : « سقيها » .
[١١] - في ز : « سقيها» .
[١٢] - في ز : « بل » .

سبحانه وتعالىٰ - وله العزة ولرسوله - عليهم حجارة ، فرضختهم سلفًا وتعجيلًا قبل قومهم[١] ، وأصبح ثمود يوم الخميس ، وهو اليوم الأول من أيام النظرة ووجوههم مصفرة كما وعدهم صالح عليه السلام ، وأصبحوا في اليوم الثاني من أيام التأجيل وهو يوم الجمعة ، ووجوههم محمرة ، وأصبحوا في اليوم الثالث من أيام المتاع وهو يوم السبت ، ووجوههم مسودة ، فلما أصبحوا من يوم الأحد وقد تحنطوا ، وقعدوا ينتظرون نقمة اللّٰه وعذابه - عياذًا باللّٰه من ذلك - ، لا يدرون ماذا يفعل بهم ، ولا كيف يأتيهم العذاب ، وأشرقت الشمس ، جاءتهم صيحة من السماء ، ورجفة شديدة من أسفل منهم ، ففاضت الأرواح ، وزهقت النفوس في ساعة واحدة ﴿ **فأصبحوا في دارهم**[٢] **جاثمين** ﴾ أي : صرعىٰ لا أرواح فيهم ، ولم يفلت منهم أحد : لا صغير ولا كبير ، ولا[٣] ذكر ولا أنثىٰ ، قالوا : إلا جارية كانت مقعدة ، اسمها : كلبة[٤] بنة السلق ، ويقال لها : الذريقة ، وكانت كافرة شديدة العداوة لصالح عليه السلام ، فلما رأت ما رأت من العذاب أطلقت رجلاها ، فقامت تسعىٰ كأسرع شيء ، فأتت حيًّا من الأحياء ، فأخبرتهم بما رأت وما حل بقومها[٥] ، ثم استسقتهم من الماء ، فلما شربت ماتت .

قال علماء التفسير : ولم يبق من ذرية ثمود أحد سوىٰ صالح - عليه السلام - ومن اتبعه - رضي اللّٰه عنهم - إلا أن رجلًا [ ][٦] يقال له : أبو رغال ، كان لما وقعت النقمة بقومه مقيمًا في الحرم ، فلم يصبه شيء ، فلما خرج في بعض الأيام إلىٰ الحل ، جاءه حجر من السماء فقتله .

وقد تقدم في أول القصة حديث جابر بن عبد اللّٰه في ذلك ، وذكروا أن أبا رغال هذا هو والد ثقيف ، الذين كانوا يسكنون الطائف .

قال عبد الرزاق(١٢٨) : قال معمر ، أخبرني إسماعيل بن أمية : أن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم مر بقبر أبي رِغال ، فقال : « **أتدرون من هذا ؟** » . قالوا[٧] : اللّٰه ورسوله أعلم . قال : « **هذا قبر أبي رِغال ؛ رجل من ثمود ، كان في حرم اللّٰه فمنعه حرمُ اللّٰه عذابَ اللّٰه ؛ فلما خرج أصابه ما أصاب قومه ، فدفن هاهنا ، ودفن معه غصن من ذهب ، فنزل القوم فابتدروه بأسيافهم ، فبحثوا**[٨] **عنه فاستخرجوا الغصن** ».

---

(١٢٨) - **إسناده معضل** « التفسير » لعبد الرزاق (٢/٢٣٢) وفي « المصنف » (١١/٢٠٩٨٩) ومن طريقه ابن جرير (١٢/١٤٨١٨ ، ١٤٨١٩) وأخرجه ابن جرير أيضًا (١٢/١٤٨٢٣) من طريق محمد بن ثور عن معمر به هكذا معضلًا وانظر ما بعده .

---

[١] - في ز : « يومهم » .
[٢] - في ز : « ديارهم » .
[٣] - في ت : « لا » .
[٤] - في ز : « كلب » .
[٥] - في ت : « بقومهم » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « كان » .
[٧] - في ز : « فقالوا » .
[٨] - في ز : « فحثوا » .

و[١]قال عبد الرزاق : قال معمر : قال الزهري : أبو رغال أبو ثقيف .

هذا مرسل من هذا الوجه ، وقد روي متصلًا من وجه آخر ، كما قال محمد بن إسحاق : عن إسماعيل بن أمية ، عن بجير بن أبي بجير قال : سمعت عبد الله بن عمرو يقول : سمعت رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يقول ، حين خرجنا معه إلىٰ الطائف فمررنا بقبر فقال : « **هذا قبر أبي رغال ، وهو أبو ثقيف ، وكان من ثمود ، وكان بهذا الحرم ، فدفع عنه ، فلما خرج أصابته النقمة التي أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه ، وآية ذلك أنه دفن معه غصن من ذهب إن أنتم نبشتم عنه أصبتموه** » فابتدره الناس ، فاستخرجوا منه الغصن .

وهكذا رواه أبو داود(١٢٩) : عن يحيىٰ بن معين ، عن وهب بن جرير بن حازم ، عن أبيه ، عن ابن[٢] إسحاق به[٣] . قال شيخنا أبو الحجاج المزي : وهو حديث حسن عزيز.

(قلت) : تفرد بوصله بجير بن أبي بجير هذا ، وهو شيخ لا يعرف إلا بهذا الحديث ، قال يحيىٰ بن معين : ولم أسمع أحدًا روىٰ عنه غير إسماعيل بن أمية.

(قلت) : وعلىٰ هذا فيخشىٰ أن يكون وهم في رفع هذا الحديث ، وإنما يكون من كلام عبد الله بن عمرو ، مما أخذه من الزاملتين .

---

(١٢٩) - **إسناده فيه جهالة وأُعِلَّ بالوقف** . بُجَيْر بن أبي بُجَيْر ، قال يحيى بن معين : لم أسمع أحدًا يُحدِّث عنه غير إسماعيل وكذا قال النسائي ، وأما ابن المديني ، فقال : بجير بن سالم أبو عُبَيْد ، روى عنه إسماعيل ابن أمية ، وروح بن القاسم حديث أبي رغال وهو من أهل الطائف ، مجهول لم يرو عنه غيرهما ، قال أبو داود : حدَّث رَوْح بن القاسم عن إسماعيل عن بجير ، فتبين أنه ليس له راوٍ غير إسماعيل ... وذكره ابن حبان في « الثقات » (٨٢/٤) - وجهله ابن القطان » انظر « التهذيب » . « السنن » لأبي داود كتاب : الخراج والإمارة والفيء ، باب : نبش القبور العاديَّة يكون فيها المال (٣٠٨٨) ، وأخرجه البيهقي في « الدلائل » (٢٩٧/٦) والمزي في « تهذيب الكمال » (١١/٤) والذهبي في « السير » (٤٤٤/٩ ، ٤٤٥) وفي « ميزان الاعتدال » (١/ت ١١٢٤) من طريق يحيى ابن معين به ، وتابعه أبو الأزهر ثنا وهب بن جرير به أخرجه البيهقي في « السنن الكبرى » (١٥٦/٤) ، قال الذهبي في « الميزان » : « انفرد ابن إسحاق به » كذا قال : وتابعه روح بن القاسم عن إسماعيل بن أمية به أخرجه ابن حبان (٦١٩٨/١٤) والطبراني في «الأوسط » (٢٧٨٨/٣) ، (٨٥٣٣/٨) والبيهقي في مصدريه السابقين وقال المزي : « حديث حسن عزيز » وراجعه في ذلك المصنف فرجع !! قال في « البداية والنهاية » (١٥٨/١) : « تفرد به بجير بن أبي بجير هذا ولا يعرف إلا بهذا الحديث ولم يرو عنه سوى إسماعيل بن أمية ، قال شيخنا - المزي - فيحتمل أنه وهم في رفعه ، وإنما يكون من كلام عبد الله بن عمرو من زاملتيه والله أعلم، قلت - المصنف - لكن في المرسل - السابق (١٢٧) - وفي حديث جابر - (١٢٦) - أيضًا شاهدٌ له » .

---

[١] - سقط من : ز . [٢] - في خ ، ز : «أبي».
[٣] - سقط من : ز .

قال شيخنا أبو الحجاج بعد أن عرضت عليه ذلك : وهذا محتمل ، والله أعلم .

فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾

هذا تقريع من صالح عليه السلام لقومه ، لما أهلكهم الله بمخالفتهم إياه ، وتمردهم على الله ، وإبائهم عن قبول الحق ، وإعراضهم عن الهدىٰ إلىٰ العمىٰ ، قال لهم صالح ذلك بعد هلاكهم تقريعًا وتوبيخًا ، وهم يسمعون ذلك ، كما ثبت في الصحيحين(١٣٠) : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لما ظهر علىٰ أهل بدر ، أقام هناك ثلاثًا ، ثم أمر براحلته فشدت بعد ثلاث من آخر الليل فركبها ، ثم سار حتىٰ وقف علىٰ القليب قليب بدر ، فجعل يقول : « **يا أبا جهل بن هشام ، يا عتبة بن ربيعة ، يا شيبة بن ربيعة ، ويا فلان بن فلان ، هل وجدتم ما وعد ربكم حقًا ؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقًا** » . فقال له عمر : يا رسول الله ، ما تكلم من أقوام قد جيفوا . فقال : « **والذي نفسي بيده ، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكن لايجيبون** ».

وفي السيرة(١٣١) : أنه عليه السلام قال لهم : « **بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم اكذبتموني وصدقني الناس ، وأخرجتموني وآواني الناس ، وقاتلتموني ونصرني الناس ، فبئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم** ».

وهكذا[١] صالح عليه السلام قال لقومه : ﴿ **لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم** ﴾ أي : فلم تنتفعوا بذلك ؛ لأنكم لا تحبون الحق ولا تتبعون ناصحًا ؛ ولهذا قال : ﴿ **ولكن لا تحبون الناصحين** ﴾ .

وقد ذكر بعض المفسرين : أن كل نبي هلكت أمته ، كان يذهب فيقيم في الحرم : حرم مكة ، والله أعلم .

---

(١٣٠) - تقدم تخريجه هنا برقم (٨٢) .

(١٣١) - **إسناده معضل** « السيرة » لابن هشام (٤٦٧/٢) قال ابن إسحاق - وذكره عنه الحافظ في «الفتح» (٣٠٢/٧) - وحدثني بعض أهل العلم : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال هذه المقالة بأصل القليب - فذكره هكذا معضلًا ، وأخرج أحمد (١٧٠/٦) من طريق إبراهيم النخعي عن عائشة مرفوعًا « **جزاكم الله شرًا من قوم نبي ، ما كان أسوأ الطرد وأشد التكذيب** » ورجاله ثقات إلا أن إبراهيم النخعي لم يسمع من عائشة قاله غير واحد ، انظر « جامع التحصيل » للعلائي (ص ١٤١ ، ١٤٢) .

---

[١] - في ز : « هذا » .

وقد قال الإمام أحمد(١٣٢) : حدثنا وكيع ، حدثنا زَمْعَة بن صالح ، عن سلمة بن وهرام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما مر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بوادي عُسْفَانَ حين حج ، قال : « **يا أبا بكر ، أيُّ وادٍ هذا ؟** » . قال : هذا وادي عسفان . قال : « **لقد مَرّ به هودٌ وصالح عليهما السلام ، علىٰ بَكَراتٍ حُمْرٍ**[١] **خُطُمها اللّيفُ ، أُزُرُهم العباء ، وأرديتهم النّمار ، يُلبُّون يَحُجُّون البيت العتيق** » .

هذا حديث غريب من هذا الوجه ، لم يخرجه أحد منهم .

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ و ﴾ لقد أرسلنا ﴿ **لوطًا** ﴾ أو[٢] تقديره : ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ **لوطًا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين** ﴾ ولوط : هو ابن هاران بن آزر ، وهو ابن أخي إبراهيم الخليل عليهما السلام ، وكان قد آمن مع إبراهيم عليه السلام ، وهاجر معه إلىٰ أرض الشام ، فبعثه الله إلىٰ أهل سدوم وما حولها من القرىٰ ؛ يدعوهم إلىٰ الله عز وجل ، ويأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عما كانوا يرتكبونه من المآثم والمحارم والفواحش التي اخترعوها ، لم يسبقهم بها أحد من بني آدم ولا غيرهم ، وهو إتيان الذكور [دون الإناث][٣] ، وهذا شيء لم

(١٣٢) - **إسناده ضعيف** « المسند » (٢٣٢/١) (٢٠٦٧) وأخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٣/ ٤٠٠٣) من طريق أبي كريب نا وكيع به، وذكره المصنف في «البداية والنهاية» (١٥٨/١) كما هنا - وقال : « إسناد حسن ، وقد تقدم (١٣٥/١) في قصة نوح عليه السلام من رواية الطبراني وفيه نوح وهود وإبراهيم » والذي تقدم عنده في الموضع المذكور إنما هو من رواية الحافظ أبي يعلى ثنا سفيان بن وكيع ثنا أبي به ، دون ذكر نبي الله صالح - عليه السلام - وقال عقبه : « فيه غرابة » قلت : وهذا أشبه وتحسين إسناده بعيد ، فإن سلمة بن وهرام وإن وثقه ابن معين ، فقد قال فيه أحمد « روى عنه زمعة بن صالح ، أحاديث مناكير أخشى أن يكون حديثه ضعيفًا » وقال العقيلي في « الضعفاء » (١٤٧/٢) : « له عن عكرمة أحاديث لا يتابع منها على شيء » وزمعة بن صالح ضعفه أحمد وابن معين وأبو حاتم وغيرهم ، والحديث ذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٢٣/٣) وقال : « رواه أحمد وفيه زمعة بن صالح وفيه كلام وقد وثق » وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (١٧٦/٣) إلى البيهقي في « شعب الإيمان » وابن عساكر ، وغفل عن عزوه لأحمد !!

[١] - سقط من : خ ، ز . [٢] - في ز : « و » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

يكن بنو آدم تعهده ولا تألفه ولا يخطر ببالهم ، حتىٰ صنع ذلك أهل سدوم عليهم لعائن اللّٰه !

قال عمرو بن دينار في[١] قوله : ﴿ **ما سبقكم بها من أحد من العالمين** ﴾ قال : ما نزا ذكر علىٰ ذكر حتىٰ كان قوم لوط .

وقال الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي باني جامع دمشق : لولا أن اللّٰه عز وجل قص علينا خبر قوم لوط ، ما ظننت أن ذكرًا يعلو ذكرًا .

ولهذا قال لهم لوط عليه السلام : ﴿ **أتأتون[٢] الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين * إنكم[٣] لتأتون الرجال شهوة من دون النساء** ﴾ أي : عدلتم عن النساء ، وما خلق لكم ربكم منهن إلىٰ الرجال ، وهو[٤] إسراف منكم وجهل ؛ لأنه وضع الشيء في غير محله ؛ ولهذا قال لهم في الآية الأخرىٰ : ﴿ **هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين** ﴾ ، فأرشدهم إلىٰ نسائهم ، فاعتذروا إليه بأنهم لا يشتهونهن ﴿ **قالوا لقد علمت مالنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد** ﴾ أي : لقد علمت أنه لا أرب لنا في النساء ولا إرادة ، وإنك لتعلم مرادنا من أضيافك .

وذكر المفسرون : أن الرجال كانوا قد استغنىٰ[٥] بعضهم ببعض ، وكذلك نساؤهم كن[٦] قد استغنين[٧] بعضهن ببعض[٨] أيضًا .

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾

أي : ما أجابوا لوطًا إلا أن[٩] هموا بإخراجه ونفيه ومن معه من بين أظهرهم ، فأخرجه اللّٰه تعالىٰ سالمًا ، وأهلكهم في أرضهم صاغرين مهانين .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **إنهم أناس يتطهرون** ﴾ قال قتادة : عابوهم بغير عيب .

وقال مجاهد : ﴿ **إنهم أناس يتطهرون** ﴾ من أدبار الرجال وأدبار النساء . وروي مثله عن ابن عباس أيضًا .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « أئنكم لتأتون » .
[٣] - في ز : « أئنكم » .
[٤] - في ز : « هذا » .
[٥] - في ز : « اغتنى » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في ز : « استغنى » .
[٨] - في ز : « بعضًا » .
[٩] - في ز : « بأن » .

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾

يقول تعالىٰ : فأنجينا لوطًا وأهله ، ولم يؤمن به أحد منهم سوىٰ أهل بيته فقط ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين * فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين** ﴾ ، إلا امرأته فإنها لم تؤمن به ، بل كانت علىٰ دين قومها تمالئهم عليه ، وتعلمهم بمن يَقْدم عليه من ضيفانه بإشارات بينها وبينهم ، ولهذا لما أمر لوط - عليه السلام - أن يسري بأهله أمر أن لا يعلم امرأته ولا يخرجها من البلد ، ومنهم من يقول : بل اتبعتهم ، فلما جاء العذاب التفتت هي فأصابها ما أصابهم . والأظهر : أنها لم تخرج من البلد ، ولا أعلمها لوط ، بل بقيت معهم ؛ ولهذا قال هاهنا : ﴿ **إلا امرأته كانت من الغابرين** ﴾ أي : الباقين ، ومنهم من فسر ذلك (من الغابرين) : الهالكين ، وهو تفسير باللازم .

وقوله : ﴿ **وأمطرنا عليهم مطرًا** ﴾ مفسر[١] بقوله : ﴿ **وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود * مسوّمة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد** ﴾ ؛ ولهذا قال : ﴿ **فانظر كيف كان عاقبة المجرمين** ﴾ أي : انظر يا محمد ، كيف كانت[٢] عاقبة من تجهرم علىٰ معاصي اللَّه - عز وجل - وكذب رسله .

وقد ذهب الإمام أبو حنيفة رحمه اللَّه إلىٰ أن اللائط يلقىٰ من شاهق ، ويتبع بالحجارة ، كما فعل بقوم لوط ، وذهب آخرون من العلماء إلىٰ أنه يرجم ، سواء كان محصنًا أو غير محصن ، وهو أحد قولي الشافعي رحمه اللَّه ، والحجة ما رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة من حديث الدراوردي ، عن عمرو بن أبي عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط ، فاقتلوا الفاعل والمفعول به**(١٣٣) ».

وقال آخرون : هو كالزاني ؛ فإن كان محصنًا رجم ، وإن لم يكن محصنًا جلد مائة جلدة .

---

(١٣٣) - صحيح أخرجه أحمد (١/ ٣٠٠) وأبو داود ، كتاب : الحدود ، باب : فيمن عمل عمل قوم لوط (٤٤٦٢) ، والترمذي ، كتاب : الحدود ، باب : ما جاء في حد اللوطي (١٤٥٦) ، وابن ماجه ، كتاب : الحدود ، باب : من عمل عمل قوم لوط (٢٥٦١)، وانتقاه ابن الجارود «المنتقى» (٨٢٠) وغيرهم من طريق عبد العزيز بن محمد الدَّراوردي وصححه الحاكم (٤/ ٣٥٥) - من طريق سليمان ابن بلال عن عمرو ابن أبي عمرو به - ووافقه الذهبي ، وكذا صححه الألباني ، فانظر - غير مأمور - « الإرواء » (٨/ ٢٣٥٠).

---

[١] - في ز : « مفسرًا » . [٢] - في ز : « كان » .

وهو القول الآخر للشافعي ، وأما إتيان النساء في الأدبار فهو اللوطية الصغرىٰ ، وهو حرام بإجماع العلماء ، إلا قولًا شاذًا لبعض السلف، وقد ورد في النهي عنه أحاديث كثيرة عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وقد تقدم الكلام عليها في سورة البقرة .

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾

قال محمد بن إسحاق : هم من سلالة مدين بن مديان بن إبراهيم ، وشعيب هو ابن ميكيل ابن يشجر[١] . قال : واسمه بالسريانية « **يثرون**[٢] » .

(قلت) : « **مدين** » تطلق[٣] علىٰ القبيلة وعلىٰ المدينة ، وهي التي بقرب « **مَعَان** » من طريق الحجاز . قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمّة من الناس يسقون** ﴾ وهم أصحاب الأيكة ، كما سنذكره إن شاء اللَّه وبه الثقة .

﴿ **قال يا قوم اعبدوا اللَّه ما لكم من إله غيره** ﴾ هذه دعوة الرسل كلهم ﴿ **قد جاءتكم بينة من ربكم** ﴾ أي : قد أقام اللَّه الحجج والبينات علىٰ صدق ما جئتكم به ، ثم وعظهم في معاملتهم الناس ، بأن يوفوا المكيال والميزان ، ولا يبخسوا الناس أشياءهم ، أي : لا يخونوا[٤] الناس في أموالهم ، ويأخذوها[٥] علىٰ وجه البخس وهو نقص المكيال والميزان خفية وتدليسًا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ويل للمطففين** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **لرب العالمين** ﴾ وهذا تهديد شديد ، ووعيد أكيد ، نسأل اللَّه العافية منه .

ثم قال تعالىٰ إخبارًا عن شعيب ، الذي يقال له : خطيب الأنبياء ؛ لفصاحة عبارته ، وجزالة موعظته .

وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ

---

[١] - في خ ، ز : « يشجن » .
[٢] - في ز : « بثرون » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « تخونوا » .
[٥] - في ز : « تأخذوها » .

بِهِۦ وَتَبۡغُونَهَا عِوَجٗاۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٞ مِّنكُمۡ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٞ لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ فَٱصۡبِرُواْ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ بَيۡنَنَاۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾

ينهاهم شعيب - عليه السلام - عن قطع الطريق الحسي والمعنوي ، بقوله : ﴿ **ولا تقعدوا بكل صراط توعدون** ﴾ أي : تتوعدون الناس بالقتل إن لم يعطوكم أموالهم .

قال السدي وغيره : كانوا عشارين . وعن ابن عباس ، ومجاهد ، وغير واحد : ﴿ **و[١]لا تقعدوا بكل صراط توعدون** ﴾ أي : تتوعدون المؤمنين الآتين إلىٰ شعيب ليتبعوه .

والأوّل أظهر ؛ لأنه قال : ﴿ **بكل صراط** ﴾ وهي الطرق ، وهذا الثاني هو قوله : ﴿ **وتصدّون عن سبيل اللّه من آمن به وتبغونها عوجًا** ﴾ أي : وتودّون أن تكون[٢] سبيل اللّه عوجًا مائلة ﴿ **واذكروا إذ كنتم قليلًا فكثركم** ﴾ أي : كنتم مستضعفين لقلتكم ، فصرتم أعزة لكثرة عددكم[٣] ، فاذكروا نعمة اللّه عليكم في ذلك ﴿ **وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين** ﴾ أي : من الأمم الخالية والقرون الماضية ، وما حل بهم من العذاب والنكال باجترائهم علىٰ معاصي اللّه وتكذيب رسله .

وقوله : ﴿ **وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا** ﴾ أي : قد[٤] اختلفتم عليَّ ﴿ **فاصبروا** ﴾ أي : انتظروا ﴿ **حتىٰ يحكم اللّه بيننا** ﴾ وبينكم ، أي : يفصل ﴿ **وهو خير الحاكمين** ﴾ فإنه سيجعل العاقبة للمتقين ، والدمار علىٰ الكافرين .

۞ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « يكون » .
[٣] - في ز : « عدوكم » .
[٤] - سقط من : ز .

﴿وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾

هذا إخبار من الله تعالىٰ عما واجهت به الكفار نبيه[١] شعيبًا ومن معه من المؤمنين ، في توعدهم إياه ومن معه بالنفي من[٢] القرية أو[٣] الإكراه علىٰ الرجوع في ملتهم والدخول معهم فيما هم فيه ، وهذا خطاب مع الرسول ، والمراد : أتباعه الذين كانوا معه علىٰ الملة .

وقوله : ﴿ **أو لو كنا كارهين** ﴾ يقول : أو أنتم فاعلو ذلك ولو[٤] كنا كارهين ما تدعونا إليه ، فإنا إن رجعنا إلىٰ ملتكم ، ودخلنا معكم فيما أنتم فيه ، فقد أعظمنا الفرية علىٰ الله في جعل الشركاء معه أندادًا ، وهذا تنفير[٥] منه عن اتباعه ﴿ **وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا** ﴾ وهذا رد إلىٰ المشيئة ، فإنه يعلم كل شيء ، وقد أحاط بكل شيء علمًا ﴿ **علىٰ الله توكلنا** ﴾ أي : في أمورنا ما نأتي منها وما نذر ﴿ **ربنا افتح**[٦] **بيننا وبين قومنا بالحق** ﴾ أي : افصل بيننا وبين قومنا وانصرنا عليهم ﴿ **وأنت خير الفاتحين** ﴾ أي : خير الحاكمين ، فإنك العادل الذي لا يجور[٧] أبدًا .

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩١﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۚ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾

يخبر تعالىٰ عن شدة كفر قوم شعيب ، وتمردهم وعتوهم ، وما هم فيه من الضلال ، وما جبلت عليه قلوبهم من المخالفة للحق ؛ ولهذا أقسموا وقالوا : ﴿ **لئن اتبعتم شعيبًا إنكم إذًا لخاسرون** ﴾ ؛ فلهذا عقب ذلك بقوله : ﴿ **فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين** ﴾ أخبر تعالىٰ هاهنا أنهم أخذتهم الرجفة ؛ [وذلك كما][٨] أرجفوا شعيبًا وأصحابه وتوعدوهم بالجلاء ، كما أخبر عنهم في سورة هود ، فقال : ﴿ **ولما جاء أمرنا نجينا شعيبًا والذين آمنوا**[٩] **معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين** ﴾ والمناسبةفي ذلك - والله أعلم - أنهم لما تهكموا [بنبي الله شعيب][١٠] في قولهم : ﴿ **أصلاتك تأمرك أن**

---

[١] - في ز : « نبي الله » .
[٢] - في ت : « عن » .
[٣] - في ز : « و » .
[٤] - في ز : « وإن » .
[٥] - في خ ، ز : « تعبير » .
[٦] - في ز : « احكم » .
[٧] - في ز : « تجوز » .
[٨] - في ز : « لما » ، وفي خ : « كما » .
[٩] - سقط من : ز .
[١٠] - ما بين المعكوفتين في ت : « به » .

نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء ، إنك لأنت الحليم الرشيد ﴾ ، فجاءت الصيحة فأسكتتهم[١] .

وقال تعالىٰ إخبارًا عنهم في سورة الشعراء : ﴿ **فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم** ﴾ وما ذاك إلا لأنهم قالوا له في سياق القصة : ﴿ **فأسقط علينا كسفًا من السماء إن كنت من الصادقين** ﴾ ، فأخبر أنه أصابهم عذاب يوم الظلة ، وقد اجتمع عليهم ذلك كله أصابهم ، ﴿ **عذاب يوم الظلة** ﴾ وهي سحابة أظلتهم فيها شرر من نار ، ولهب[٢] ووهج عظيم ، ثم جاءتهم صيحة من السماء ، ورجفة من الأرض شديدة من أسفل منهم ، فزهقت الأرواح ، وفاضت النفوس ، وخمدت الأجسام[٣] ﴿ **فأصبحوا في دارهم جاثمين** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **كأن لم يغنوا فيها** ﴾ أي : كأنهم لما أصابتهم النقمة ، لم يقيموا بديارهم التي أرادوا إجلاء الرسول وصحبه منها .

ثم قال تعالىٰ مقابلًا لقيلهم : ﴿ **الذين كذبوا شعيبًا كانوا هم الخاسرين** ﴾ .

فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾

أي : فتولىٰ عنهم شعيب - عليه السلام - بعد ما أصابهم ما أصابهم من العذاب والنقمة والنكال ، وقال مقرعًا لهم وموبخًا : ﴿ **يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم** ﴾ أي : قد أديت إليكم ما أرسلت به ، فلا أسفة عليكم وقد كفرتم بما جئتكم به ؛ ولهذا قال : ﴿ **فكيف آسىٰ علىٰ قوم كافرين** ﴾ .

وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عما اختبر به الأمم الماضية ، الذين أرسل إليهم الأنبياء ﴿ **بالبأساء والضراء** ﴾ ، يعني بالبأساء : ما يصيبهم في أبدانهم من أمراض وأسقام ، والضراء : ما يصيبهم

---

[١] - في ز : « أسكتتهم » . [٢] - في ز : « لهيب » .
[٣] - في ز : « الأجساد » .

من فقر وحاجة ونحو ذلك ؛ ﴿ **لعلهم يضَّرعون** ﴾ أي : يدعون ويخشعون ، ويبتهلون إلىٰ اللّٰه تعالىٰ في كشف ما نزل بهم .

وتقدير الكلام : أنه ابتلاهم بالشدة ليتضرعوا ، فما فعلوا شيئًا من الذي أراد اللّٰه[١] منهم ، فقلب عليهم[٢] الحال إلىٰ الرخاء ليختبرهم فيه ؛ ولهذا قال : ﴿ **ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة** ﴾ أي : حولنا الحال من شدة إلىٰ رخاء ، ومن مرض وسقم إلىٰ صحة وعافية ، ومن فقر إلىٰ غنىٰ ؛ ليشكروا علىٰ ذلك فما فعلوا .

وقوله : ﴿ **حتىٰ عفوا** ﴾ أي : كثروا وكثرت أموالهم وأولادهم . يقال : عفا الشيء إذا كثر . ﴿ **وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون** ﴾ يقول تعالىٰ : ابتليناهم[٣] بهذا وهذا ؛ ليتضرعوا وينيبوا إلىٰ اللّٰه ، فما نجع فيهم لا هذا ولا هذا ، ولا انتهوا[٤] بهذا ولا بهذا ، بل قالوا : قد مسنا من البأساء والضراء ثم بعده من الرخاء ، مثل ما أصاب آباءنا في قديم الدهر ، وإنما هو الدهر تارات وتارات ، ولم يتفطنوا لأمر اللّٰه فيهم ولا استشعروا ابتلاء اللّٰه لهم في الحالين ، وهذا بخلاف حال المؤمنين ، الذين يشكرون اللّٰه علىٰ السراء ، ويصبرون علىٰ الضراء ، كما ثبت في الصحيحين(١٣٤) : « **عجبًا للمؤمن؛ لا يقضي اللّٰه له قضاء إلا كان خيرًا له ؛ إن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيرا له** » . فالمؤمن من[٥] يتفطن لما ابتلاه اللّٰه به من الضراء والسراء ؛ ولهذا جاء في الحديث(١٣٥) : « **لا يزال البلاء بالمؤمن حتىٰ يخرج نقيًا من ذنوبه ، والمنافق مثله كمثل الحمار ، لا يدري فيم ربطه**

(١٣٤) - كذا عزاه للصحيحين وهو وهم ، تنبه له المصنف نفسه عند [آية رقم ٥/ من سورة إبرهيم] وعزاه للصحيح فقط ، وهو في صحيح مسلم ، كتاب : الزهد والرقائق ، ب : المؤمن أمره كله خير (٦٤) (٢٩٩٩) من حديث صهيب وكذا عزاه الحافظ ابن حجر في « الفتح » (١٠٩/١٠) إلى مسلم فحسب ، وانظر [سورة يونس آية /١٢] .

(١٣٥) - لم أهتد إليه بهذا اللفظ ، وأخرجه أحمد (٢٨٧/٢ ، ٤٥٠) والبخاري في « الأدب المفرد » (٤٩٤) والترمذي ، كتاب : الزهد ، باب : ما جاء في الصبر على البلاء (٢٤٠١) وغيرهم من حديث أبي هريرة مرفوعًا بلفظ « **ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى اللّٰه وما عليه خطيئة** » وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح » وصححه الحاكم (٣٤٦/١) (٣١٤/٤) على شرط مسلم ووافقه الذهبي ، وإسناده حسن فقط - انظر « الصحيحة » للألباني (٢٢٨٠/٥) - والجزء الأخير وقفت عليه موقوفًا من كلام سلمان الفارسي بإسناد صحيح أخرجه البخاري في « الأدب المفرد » (٤٩٣) وهناد السري في « الزهد » (١/رقم ٤١٤) ومن طريقه أبو نعيم في « الحلية » (٢٠٦/١) - ومن طريق أبي نعيم المزي في « تهذيب الكمال » (٩٨/١١) - والبيهقي في « شعب الإيمان » (٩٩١٤/٧، ٩٩١٥) .

[١] - زيادة من : ز .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « ابتلاهم » .
[٤] - في ز : « ينتهوا » .
[٥] - سقط من : ز .

أهله ، ولا فيم أرسلوه » . أو[١] كما قال .

ولهذا عقب هذه الصفة بقوله : ﴿ **فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون** ﴾ أي : أخذناهم بالعقوبة بغتة ، أي : علىٰ بغتة وعدم شعور منهم ، أي : أخذناهم فجأة ؛ كما في الحديث (١٣٦): « **موت الفجأة رحمة للمؤمن ، وأخذة أسف للكافر** ».

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾

[يخبر تعالىٰ][٢] عن قلة إيمان أهل القرىٰ الذين أرسل فيهم الرسل ؛ كقوله تعالىٰ : ﴿ **فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلىٰ حين** ﴾ أي : ما آمنت قرية بتمامها إلا قوم يونس فإنهم آمنوا ، وذلك بعد ما عاينوا العذاب ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وأرسلناه إلىٰ مائة ألف أو يزيدون * فآمنوا فمتعناهم إلىٰ حين** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون** ﴾ .

وقوله[٣] تعالىٰ : ﴿ **ولو أن أهل القرىٰ آمنوا واتقوا** ﴾ أي : آمنت قلوبهم بما جاءتهم به

---

(١٣٦) - **صحيح** ورد من حديث عائشة وعبيد بن خالد السلمي وأنس بن مالك وعبد الله بن مسعود . أما حديث عائشة ، فأخرجه أحمد (١٣٧/٦) من طريق وكيع ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (٣٧٩/٣) وفي « شعب الإيمان » (١٠٢١٨/٧) من طريق أبي إسحاق ، كلاهما (وكيع وأبو إسحاق) عن عبيد الله بن الوليد عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن عائشة مرفوعًا به ، وصحح إسناده العراقي في « تخريج أحاديث الإحياء » (٣٩٣٦/٦/ المستخرج) وكذا السخاوي في « المقاصد الحسنة » (ص ٤٣٦) والعجلوني في « كشف الخفا » (٢٩٠/٢) وأعله البيهقي فقال : « رواه الثوري عن عبيد الله موقوفًا عن عائشة - رضي الله عنها - » قلت : وعبيد الله بن الوليد هذا ضعفه ابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم ، وتركه عمرو بن علي ، والنسائي ، وقال ابن عدي : « هو ضعيف جدًّا ، يتبين ضعفه على حديثه » والحديث ذكره الهيثمي في « المجمع » (٣٢١/٢) وقال : « رواه أحمد والطبراني في « الأوسط » وفيه قصة وفيه =

---

[١] - في ز : « و » . [٢] - في ز : « يقول تعالى مخبرًا » .
[٣] - في ز : « وكذا قال » .

الرسل ، وصدقت به واتبعوه[١] ، واتقوا بفعل الطاعات وترك المحرمات ﴿ **لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض** ﴾ أي : قطر السماء ونبات الأرض . قال تعالىٰ : ﴿ **ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون** ﴾ أي : ولكن كذبوا رسلهم فعاقبناهم بالهلاك علىٰ ما كسبوا من المآثم

= عبيد اللَّه بن الوليد الوصَّافي وهو متروك » قلت : وطريق « الأوسط » ليس فيه الوَصَّافي ، فقد أخرجه (٣/ ٣١٢٩) وابن الجوزي في « العلل المتناهية » (٢/رقم ١٤٩٣) من طريق سعيد بن منصور ، قال : نا صالح بن موسى الطلحي عن عبد الملك بن عمير عن موسى بن طلحة عنها به ، وقال الطبراني : « لم يروهذا الحديث عن عبد الملك إلا صالح » قال ابن عساكر في « الإجابة » (ص ٩٧) : « وهو ضعيف عندهم » - يعني صالح بن موسى - وبه أعله ابن الجوزي أيضًا وكذا ابن حجر قال : « حديث غريب فيه صالح بن موسى وهو ضعيف لكن له شواهد » [« فيض القدير » للمناوي (٢٤٦/٦)] وأخرجه عبد الرزاق في « المصنف » (٦٧٨١/٣) وإسحاق بن راهوية في « المسند » (٣/رقم ١١٩٧) من طريقين عنها ، وفي الأول يحيى بن العلاء أبو عمرو الرازي ، رمي بالوضع ، وفي الثاني ليث بن أبي سليم ترك حديثه لاختلاطه وعدم تميز صحيح حديثه من سقيمه واللَّه أعلم .

وأما حديث عبيد بن خالد فأخرجه أحمد (٤٢٤/٣) (٢١٩/٤) - وعنه المزي في « تهذيب الكمال » (١٩/ ٢٠١) - وأبو داود ، كتاب : الجنائز ، ب: موت الفجأة (٣١١٠) - ومن طريقه وطريق آخر البيهقي في « السنن الكبرى » (٣٧٨/٣) - من طريق يحيى بن سعيد ، وأخرجه البيهقي وابن عدي في « الكامل » (٦٤٩/٢) من طريق روح ومحمد بن جعفر ، وأخرجه أحمد أيضًا وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣/ ٢٤٧) من طريق محمد بن جعفر ثلاثتهم (يحيى وروح ومحمد) عن شعبة حدثني منصور عن تميم بن سلمة أو سعد بن عبيدة - وبعضهم لم يذكر سعد بن عبيدة - عن عبيد بن خالد السلمي وكان من أصحاب النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - قال : « موت الفجأة أخذة أسف » وحدث به مرة عن النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - قال المنذري في « مختصر سنن أبي داود » (٢٨٢/٤) : « رجال إسناده ثقات ، والوقف فيه لا يؤثر ، فإن مثله لا يؤخذ بالرأي ، فكيف ؟ وقد أسنده الراوي مرة واللَّه أعلم » . وصحح إسناده النووي في « الخلاصة » - كما في « تخريج الكشاف » للزيلعي (٣٥٤/٢) وقال ابن حجر في « تخريج المختصر » - نقله عنه المناوي في « فيض القدير » - : « إسناده صحيح وليس في الباب حديث صحيح غيره » .

وأما حديث أنس فأخرجه ابن الجوزي في « العلل المتناهية » (١٤٨٩/٢ ، ١٤٩٠ ، ١٤٩١) من طرق ثلاثة عنه ثم قال : وفي الطريق الأول : « يزيد الرقاشي وهو غاية في الضعف عندهم ، وفيه درست : قال يحيى : لا شيء ، وقال ابن حبان : لا يحل الاحتجاج به ، وفي الطريق الثاني : سمعان وهو مجهول منكر الحديث ، وفي الطريق الثالث الحسن بن عمارة قال شعبة : كان الحسن يحدث بأحاديث وقد وضعها » .

وحديث عبد اللَّه بن مسعود علقه البيهقي في « الكبرى » (٣٧٩/٣) من طريق الحجاج عن زبيد عن مرة عنه مرفوعًا و والحجاج هو ابن أرطأة ضعيف ، وخالفه الأعمش واختلف عليه فيه ، فرواه أبو بكر بن عياش عنه عن زبيد عن مرة عن عبد اللَّه من قوله - أخرجه البيهقي في « الكبرى » (٣٧٩/٣) - ورواه أبو شهاب الحناط - صدوق يهم - عنه عن زبيد عن أبي الأحوص عن عبد اللَّه وعائشة موقوفًا أخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٤٧/٣) والبيهقي في « الكبرى » .

---

[١] - في ز : « واتبعته » .

والمحارم .

ثم قال تعالىٰ مخوفًا ومحذرًا من مخالفة أوامره ، والتجرؤ علىٰ زواجره : ﴿ **أفأمن أهل القرىٰ** ﴾ أي : الكافرة ﴿ **أن يأتيهم بأسنا** ﴾ أي : عذابنا ونكالنا ﴿ **بياتًا** ﴾ أي : ليلًا ﴿ **وهم نائمون * أو أمن أهل القرىٰ أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون** ﴾ أي : في حال شغلهم وغفلتهم ﴿ **أفأمنوا مكر اللّٰه** ﴾ أي : بأسه ونقمته وقدرته عليهم ، وأخذه إياهم في حال سهوهم وغفلتهم ﴿ **فلا يأمن مكر اللّٰه إلا القوم الخاسرون** ﴾ ؛ ولهذا قال الحسن البصري رحمه اللّٰه : المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف ، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن .

أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾

قال ابن عباس - رضي اللّٰه عنهما - في قوله : ﴿ **أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها** ﴾ : أو لم نبين لهم أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم .

وقال أبو جعفر بن جرير[١] في تفسيرها : يقول تعالىٰ أو لم يَبِن[٢] للذين يستخلفون في الأرض من بعد إهلاك[٣] آخرين قبلهم كانوا أهلها ، فساروا سيرتهم وعملوا أعمالهم ، وعتوا علىٰ ربهم . ﴿ **أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم** ﴾ يقول : أن لو نشاء فعلنا بهم كما فعلنا بمن قبلهم ﴿ **ونطبع علىٰ قلوبهم** ﴾ يقول ونختم علىٰ قلوبهم ﴿ **فهم لا يسمعون** ﴾ موعظة ولا تذكيرًا.

(قلت) : وهكذا قال تعالىٰ : ﴿ **أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات لأولي النهى** ﴾، وقال تعالىٰ : ﴿ **أو لم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون** ﴾ ، وقال : ﴿ **أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال * وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **وكم أهلكنا [ ][٤] قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزًا** ﴾ أي : هل ترىٰ لهم شخصًا ، أو تسمع لهم صوتًا ، وقال تعالىٰ : ﴿ **[أو لم][٥] يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارًا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم**

---

[١] - ابن جرير في تفسيره (٥٧٩/١٢) .
[٢] - في ز : نبين ، والمثبت من تفسير ابن جرير .
[٣] - في ز : « هلاك » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « من » . [٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « ألم » .

وأنشأنا من بعدهم قرنًا آخرين ﴾ ، وقال تعالىٰ بعد ذكره إهلاك عاد : ﴿ فأصبحوا لا يرىٰ[١] إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين * ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعًا وأبصارًا وأفئدة فما أغنىٰ عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات اللَّه وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون * ولقد أهلكنا ما حولكم من القرىٰ وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير ﴾، وقال تعالىٰ : ﴿ فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية علىٰ عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد * أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمىٰ الأبصار ولكن تعمىٰ القلوب التي في الصدور ﴾، وقال تعالىٰ : ﴿ ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون ﴾ إلىٰ غير ذلك من الآيات الدالة علىٰ حلول نقمه بأعدائه ، وحصول نعمه لأوليائه ؛ ولهذا عقب ذلك بقوله وهو أصدق القائلين ورب العالمين .

تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾

لما قص تعالىٰ علىٰ نبيه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، خبر قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب ، وما كان من إهلاكه الكافرين وإنجائه المؤمنين ، وأنه تعالىٰ أعذر إليهم بأن بين لهم الحق[٢] بالحجج[٣] علىٰ ألسنة الرسل ، صلوات اللَّه عليهم أجمعين ، قال تعالىٰ : ﴿ تلك القرىٰ نقص عليك ﴾ أي : يا محمد ﴿ من أنبائها ﴾ أي : من أخبارها ﴿ ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات ﴾ أي : بالحجج علىٰ صدقهم فيما أخبروهم به ، كما قال تعالىٰ : ﴿ وما كنا معذبين حتىٰ نبعث رسولًا ﴾، وقال تعالىٰ : ﴿ ذلك من أنباء القرىٰ نقصه عليك منها قائم وحصيد * وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم ﴾.

وقوله تعالىٰ : ﴿ فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل ﴾ الباء سببية ، أيَ : فما كانوا ليؤمنوا بما جاءتهم به الرسل بسبب تكذيبهم بالحق أول ما ورد عليهم . حكاه ابن عطية رحمه اللَّه ، وهو متجه حسن ، كقوله : ﴿ وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون * ونقلب أفئدتهم وأبصارهم

---

[١] - في ز : « ترى » . [٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ز : « الحجج » .

كما لم يؤمنوا به أول مرة [ونذرهم في طغيانهم يعمهون][١] ﴾ .

ولهذا قال هنا : ﴿ **كذلك يطبع اللَّه علىٰ قلوب الكافرين * وما وجدنا لأكثرهم** ﴾ أي : لأكثر الأمم الماضية ﴿ **من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين** ﴾ أي : ولقد وجدنا أكثرهم فاسقين ، خارجين عن الطاعة والامتثال ، والعهد الذي أخذه هو ما[٢] جبلهم عليه وفطرهم عليه ، وأخذ عليهم في[٣] الأصلاب : أنه ربهم ومليكهم ، وأنه لا إله إلا هو ، فأقروا بذلك ، وشهدوا علىٰ أنفسهم به ، فخالفوه وتركوه وراء ظهورهم ، وعبدوا مع اللَّه غيره بلا دليل ولا حجة ، لا من عقل ولا شرع ، وفي الفطر السليمة خلاف ذلك ، وجاءت الرسل الكرام من أولهم إلىٰ آخرهم بالنهي عن ذلك ، كما جاء في صحيح مسلم(١٣٧) : يقول اللَّه تعالىٰ : « **إني خلقت عبادي حنفاء ، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم** » . وفي الصحيحين(١٣٨) : « **كل مولود يولد علىٰ الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه** » الحديث . وقال تعالىٰ في كتابه العزيز : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي[٤] إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾، وقوله تعالىٰ : ﴿ **واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون** ﴾، وقال تعالىٰ : ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا اللَّه واجتنبوا الطاغوت** ﴾ إلىٰ غير ذلك من الآيات .

وقد قيل في تفسير قوله تعالىٰ : ﴿ **فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل** ﴾ [ما روىٰ][٥] أبو جعفر الرازي(١٣٩) : عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب في قوله : ﴿ **فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل** ﴾ قال : كان في علمه تعالىٰ يوم أقروا له بالميثاق. أي : فما كانوا ليؤمنوا لعلم اللَّه منهم ذلك . وكذا قال الربيع بن أنس : واختاره ابن جرير[٦] .

وقال السدي : ﴿ **فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل** ﴾ قال : ذلك يوم أخذ منهم الميثاق ، فآمنوا كرهًا.

وقال مجاهد في قوله : ﴿ **فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل** ﴾ : هذا كقوله : ﴿ **ولو**

---

(١٣٧) - تقدم تخريجه [سورة الأنعام / آية ٧٩] .

(١٣٨) - تقدم تخريجه [سورة الأنعام / آية ٧٩] .

(١٣٩) - ومن طريق أبي جعفر الرازي أخرجه ابن جرير (١٤٩٠٢/١٣) وابن أبي حاتم (٨٧٧٨/٥) وأبو جعفر الرازي « صدوق سيىء الحفظ » والأثر زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١٩٤/٣) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ .

---

[١] - من ز : وفي ت : « الآية » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « من » .
[٤] - في ز : « يوحى » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في خ ،ز: « فقال » .
[٦] - ابن جرير في تفسيره (٩/١٣) .

ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون ﴾ .

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **ثم بعثنا من بعدهم** ﴾ أي : الرسل المتقدم ذكرهم ؛ كنوح وهود وصالح ولوط وشعيب ، صلوات اللَّه وسلامه عليهم وعلىٰ سائر أنبياء اللَّه أجمعين ﴿ **موسىٰ بآياتنا** ﴾ أي : بحججنا ودلائلنا البينة إلىٰ فرعون ، وهو ملك مصر في زمان موسىٰ ﴿ **وملئه** ﴾ أي : قومه ﴿ **فظلموا بها** ﴾ أي : جحدوا وكفروا بها ظلمًا منهم وعنادًا ؛ كقوله تعالىٰ : ﴿ **وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلمًا وعلوًّا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين** ﴾ أي : الذين صدوا عن سبيل اللَّه وكذبوا رسله ، أي : انظر يا محمد ، كيف فعلنا بهم ، وأغرقناهم عن آخرهم بمرأىٰ من موسىٰ وقومه ، وهذا أبلغ في النكال بفرعون وقومه ، وأشفىٰ لقلوب أولياء اللَّه : موسىٰ وقومه من المؤمنين به .

وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾

يخبر تعالىٰ عن مناظرة موسىٰ لفرعون ، وإلجامه إياه بالحجة ، وإظهاره الآيات البينات بحضرة فرعون وقومه من قبط مصر ، فقال تعالىٰ : ﴿ **وقال موسىٰ يا فرعون إني رسول من رب العالمين** ﴾ أي : أرسلني الذي هو خالق كل شيء وربه ومليكه .

﴿ **حقيق علىٰ أن لا أقول علىٰ اللَّه إلا الحق** ﴾ فقال بعضهم : معناه حقيق بأن لا أقول علىٰ اللَّه إلا الحق ، أي : جدير بذلك وحري به .

قالوا : « والباء » « وعلىٰ » يتعاقبان ، فيقال : رميت بالقوس وعلىٰ القوس ، وجاء علىٰ حال حسنة وبحال حسنة .

وقال بعض المفسرين : معناه : حريص علىٰ أن لا أقول علىٰ اللَّه إلا الحق .

وقرأ[١] آخرون من أهل المدينة : (حقيق عليَّ) بمعنىٰ واجب وحق عليَّ ذلك : أن لا أخبر عنه إلا بما هو حق وصدق لما أعلم من جلاله وعظيم سلطانه[٢] .

﴿ **قد جئتكم ببينة من ربكم** ﴾ أي : بحجة قاطعة من اللَّه أعطانيها دليلًا علىٰ صدقي فيما جئتكم به ﴿ **فأرسل معي بني إسرائيل** ﴾ أي : أطلقهم من أسرك وقهرك ، ودعهم وعبادة ربك وربهم ، فإنهم من سلالة نبي كريم إسرائيل ، وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن .

﴿ **قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين** ﴾ أي : قال فرعون : لست بمصدقك فيما قلت ، ولا بمطيعك[٣] فيما طلبت ، فإن كانت معك حجة فأظهرها لنراها ، إن كنت صادقًا فيما ادعيت .

فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾

قال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس في قوله : ﴿ **ثعبان مبين** ﴾ الحية الذكر . وكذا قال السدي والضحاك .

وفي حديث الفتون(١٤٠) من رواية يزيد بن هارون أخبرنا[٤] الأصبغ بن زيد ، عن القاسم بن أبي أيوب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : ﴿ **فألقىٰ[٥] عصاه** ﴾ فتحولت حية عظيمة فاغرة فاها مسرعة إلىٰ فرعون ، فلما رأى[٦] فرعون أنها قاصدة إليه اقتحم عن سريره ، واستغاث بموسىٰ أن يكفها عنه ، ففعل .

وقال قتادة : تحولت حية عظيمة مثل المدينة .

وقال السدي في قوله : ﴿ **فإذا هي ثعبان مبين** ﴾ والثعبان : الذكر من الحيات ، فاتحة فاها واضعة لحيها الأسفل في الأرض ، والآخر علىٰ سور القصر ، ثم توجهت نحو فرعون لتأخذه ، فلما رآها ذعر منها ووثب وأحدث ، ولم يكن يحدث قبل ذلك ، وصاح : يا موسىٰ ، خذها وأنا أومن بك ، وأرسل معك بني إسرائيل . فأخذها موسىٰ عليه السلام ، فعادت عصًا.

وروي عن عكرمة ، عن ابن عباس نحو هذا .

(١٤٠) - يأتي تخريجه [سورة طه / آية ٤٠] .

[١] - في ز : « وقرأه » .
[٢] - في ت : « شأنه » .
[٣] - في ت : « بمعطيك » .
[٤] - في خ ، ز : « أبا » . وفي ت : « بن » .
[٥] - في ز : « ألقى » .
[٦] - في ت : « رآها » .

وقال وهب بن منبه : لما دخل موسىٰ علىٰ فرعون قال له فرعون : أعرفك . قال : نعم . قال : ﴿ ألم نربك فينا وليدًا ﴾ . قال : فردّ إليه موسىٰ الذي ردّ . فقال فرعون : خذوه . فبادره موسىٰ : ﴿ فألقىٰ عصاه فإذا هي ثعبان مبين ﴾ فحملت علىٰ الناس فانهزموا منها ، فمات منهم خمسة وعشرون ألفًا قتل بعضهم بعضًا ، وقام فرعون منهزمًا حتىٰ دخل البيت .

رواه ابن جرير والإمام أحمد في كتابه « الزهد » ، وابن أبي حاتم(١٤١) ، وفيه غرابة في سياقه ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين ﴾ أي : أخرج[١] يده [ ][٢] من درعه بعد ما أدخلها فيه ، فخرجت بيضاء تتلألأ من غير برص ولا مرض ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء ﴾ .

[وقال ابن عباس في حديث الفتون(١٤٢) : ﴿ من غير سوء ﴾][٣] يعني : من غير برص ، ثم أعادها إلىٰ كمه فعادت إلىٰ لونها الأول. وكذا قال مجاهد وغير واحد .

قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾

أي : قال الملأ وهم الجمهور والسادة من قوم فرعون ، موافقين لقول فرعون فيه ، بعد ما رجع إليه روعه[٤] ، واستقر علىٰ سرير مملكته ، بعد ذلك قال للملأ حوله : ﴿ إن هذا لساحر عليم ﴾ فوافقوه وقالوا كمقالته ، وتشاوروا في أمره ، وماذا[٥] يصنعون في أمره ، وكيف تكون حيلتهم في إطفاء نوره وإخماد كلمته ، وظهور كذبهم وافترائهم ، وتخوفوا [ ][٦] أن يستميل الناس [إليه][٧] بسحره فيما يعتقدون ؛ فيكون ذلك سببًا لظهوره عليهم ، وإخراجه إياهم من أرضهم ، والذي خافوا منه وقعوا فيه؛ كما قال تعالىٰ: ﴿ ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا

---

(١٤١) - أخرجه ابن جرير (١٤٩١٥/١٣) وابن أبي حاتم (٨٧٩٢/٥) مختصرًا ، وأحمد في « الزهد » (ص ٧٩ : ٨٤) مطولًا ، من طريق إسماعيل بن عبد الكريم ، عن عبد الصمد بن معقل ، قال : سمعت وهب بن منبه فذكره وإسناده حسن إلى وهب ، لكن « فيه غرابة في سياقه » كما قال المصنف .
(١٤٢) - يأتي تخريجه [سورة طه / آية ٤٠] .

---

[١] - في ز : « نزع » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « أخرجها» .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٤] - في خ : « روعهم » .
[٥] - في ت : « كيف » .
[٦] - في ز : « من معرته» .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .

يحذرون ﴾، فلما تشاوروا في شأنه ، وائتمروا فيه ، اتفق رأيهم علىٰ ما حكاه اللَّه[١] تعالىٰ عنهم في قوله تعالىٰ :

﴿ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ١١١ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ١١٢ ﴾

قال ابن عباس : ﴿ **أرجه** ﴾ : أَخِرْه . وقال قتادة : احبسه . ﴿ **وأرسل** ﴾ أي : ابعث ﴿ **في المدائن** ﴾ أي : في الأقاليم ومعاملة ملكك ﴿ **حاشرين** ﴾ أي : من يحشر لك السحرة من سائر البلاد ويجمعهم .

وقد كان السحر في زمانهم غالبًا كثيرًا ظاهرًا ، واعتقد من اعتقد منهم ، وأوهم من أوهم منهم ، أن ما جاء به موسىٰ - عليه السلام - من قبيل ما تشعبذه سحرتهم ؛ فلهذا جمعوا له السحرة ؛ ليعارضوه بنظير ما أراهم من البينات ، كما أخبر تعالىٰ عن فرعون حيث قال : ﴿ **أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسىٰ * فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدًا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانًا سوى * قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحىٰ * فتولىٰ فرعون فجمع كيده ثم أتىٰ** ﴾ ، وقال تعالىٰ هاهنا :

﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ١١٣

قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ١١٤ ﴾

يخبر تعالىٰ عما تشارط عليه فرعون والسحرة ، الذين استدعاهم لمعارضة موسىٰ عليه السلام ؛ إن غلبوا موسىٰ ليثيبنهم وليعطينهم عطاءً جزيلًا ، فوعدهم ومناهم أن يعطيهم ما أرادوا ، وليجعلنهم من جلسائه والمقربين عنده ، فلما توثقوا من فرعون لعنه اللَّه .

﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ ١١٥ قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ ١١٦ ﴾

هذه مبارزة من السحرة لموسىٰ - عليه السلام - في قولهم : ﴿ **إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين** ﴾ أي : قبلك ؛ كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **وإما أن نكون أول من ألقىٰ** ﴾ . فقال لهم موسى عليه السلام : ﴿ **ألقوا** ﴾ ، أي : أنتم أولًا قبلي[٢] والحكمة في هذا واللَّه أعلم ؛

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ت : « قيل » .

ليرىٰ الناس صنيعهم ويتأملوه ، فإذا فُرِغَ من بهرجهم ومحالهم جاءهم الحق الواضح الجلي بعد التطلب له والانتظار منهم لمجيئه ، فيكون أوقع في النفوس ، وكذا كان ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم** ﴾ أي : خيلوا إلىٰ الأبصار أن ما فعلوه له حقيقة في الخارج ، ولم يكن إلا مجرد صنعة[١] وخيال ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعىٰ * فأوجس في نفسه خيفة موسىٰ * قلنا لا تخف إنك أنت الأعلىٰ * وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إن ما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتىٰ** ﴾ .

قال سفيان بن عيينة (١٤٣): حدثنا أبو سعد[٢] ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ألقوا حبالًا غلاظًا وخشبًا طوالًا . قال : فأقبلت يخيل[٣] إليه من سحرهم أنها تسعىٰ.

وقال محمد بن إسحاق : صف خمسة عشر ألف ساحر مع كل ساحر ، حباله وعصيه ، وخرج موسىٰ عليه السلام ، معه أخوه[٤] يتكئ علىٰ عصاه ، حتىٰ أتىٰ الجمع وفرعون في مجلسه مع أشراف أهل مملكته ، ثم قالت[٥] السحرة : ﴿ **يا موسىٰ إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقىٰ * قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم** ﴾ فكان أول ما اختطفوا بسحرهم بصر موسىٰ وبصر فرعون ، ثم أبصار الناس بعد ، ثم ألقىٰ كل رجل منهم ما في يده من الحبال والعصي ، فإذا حيات كأمثال الجبال ، قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضًا.

وقال السدي : كانوا بضعة وثلاثين[٦] ألف رجل ، ليس رجل منهم إلا ومعه حبل وعصا ﴿ **فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم** ﴾ يقول : فرقوهم ، أي : من الفرق .

وقال ابن جرير(١٤٤) : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن علية ، عن هشام الدستوائي ، حدثنا القاسم بن أبي بزَّة ، قال : جمع فرعون سبعين ألف ساحر فألقوا سبعين ألف حبل ، وسبعين ألف عصا ، حتىٰ جعل يخيل إليه من سحرهم أنها تسعىٰ .

ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وجاءوا بسحر عظيم** ﴾ .

۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ

(١٤٣) - أخرجه ابن جرير (١٤٩٣٩/١٣) وأبو سعد هو البقَّال ، سعيد بن المرزبان ، « ضعيف مُدلِّس » .
(١٤٤) - تفسير ابن جرير (١٤٩٤١/١٣) وإسناده صحيح إلى القاسم بن أبي بزَّة .

[١] - في ز : « صيغة » .
[٢] - في ز : « سعيد » .
[٣] - في ز : « تخيل » .
[٤] - في ز : « أخاه » .
[٥] - في خ ، ز : « قال » ، والمثبت من تفسير ابن جرير (١٤٩٤٠/١٢) .
[٦] - في ز : « ثلاثون » .

ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾

يخبر تعالىٰ أنه أوحىٰ إلىٰ عبده ورسوله موسىٰ - عليه السلام - في ذلك الموقف العظيم ، الذي فرق اللَّه تعالىٰ فيه بين الحق والباطل ، يأمره بأن يلقي ما في يمينه ، وهي عصاه ﴿ **فإذا هي تلقف** ﴾ أي : تأكل ﴿ **ما يأفكون** ﴾ أي : ما يلقونه ، ويوهمون أنه حق وهو باطل .

قال ابن عباس : فجعلت لا تمر بشيء من حبالهم ولا من خشبهم إلا التقمته ، فعرفت السحرة أن هذا أمر من السماء و[١]ليس هذا بسحر ، فخروا سجدًا ، وقالوا : ﴿ **آمنا برب العالمين * رب موسىٰ وهارون** ﴾ .

وقال محمد بن إسحاق : جعلت تبتلع[٢] تلك الحبال والعصي واحدة واحدة ، حتىٰ ما يرىٰ[٣] بالوادي قليل ولا كثير مما ألقوا ، ثم أخذها موسىٰ ، فإذا هي عصا في يده كما كانت ، ووقع السحرة سجدًا ﴿ **قالوا آمنا برب العالمين * رب موسىٰ وهارون** ﴾ ، لو كان هذا ساحرًا[٤] ما غلبنا .

وقال القاسم بن أبي بزّة : أوحىٰ اللَّه إليه أن ألق عصاك ، [فألقىٰ عصاه][٥] ، فإذا هي ثعبان [ ][٦]، فاغر فاه يبتلع حبالهم وعصيهم ، فألقي السحرة عند ذلك سجدًا ، فما رفعوا رءوسهم حتىٰ رأوا الجنة والنار وثواب أهلهما[٧] .

قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾

يخبر تعالىٰ عما توعد به فرعون - لعنه اللَّه - السحرةَ لما آمنوا بموسىٰ عليه السلام ، وما أظهره

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في خ، ز : « تتبع » .
[٣] - في ز : « ترى » .
[٤] - في ز : « ساحر » .
[٥] - سقط من : خ ، ز .
[٦] - في ت : « مبين » .
[٧] - في خ، ز : «أهلها» .

للناس من كيده ومكره في قوله : ﴿ **إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها** ﴾ أي : إن غَلَبَه لكم في يومكم هذا ، إنما كان عن تشاور منكم ورضا منكم لذلك ؛ كقوله في الآية الأخرىٰ : ﴿ **إنه لكبيركم الذي علمكم السحر** ﴾ وهو يعلم وكل من له لب أن هذا الذي قاله من أبطل الباطل ، فإن موسىٰ - عليه السلام - بمجرد ما جاء من مدين دعا فرعون إلىٰ اللَّه ، وأظهر المعجزات الباهرة والحجج القاطعة علىٰ صدق ما جاء به ، فعند ذلك أرسل فرعون في مدائن ملكه ومعاملة سلطنته ، فجمع سحرة متفرقين من سائر الأقاليم ببلاد مصر ، ممن اختار هو من قومه وأحضرهم عنده ، ووعدهم بالعطاء الجزيل ؛ و[١]قد كانوا من[٢] أحرص الناس علىٰ ذلك ، وعلىٰ الظهور في مقامهم ذلك ، والتقدم عند فرعون . وموسىٰ - عليه السلام - لا يعرف أحدًا منهم ، ولا رآه ولا اجتمع به ، وفرعون يعلم ذلك ، وإنما قال هذا[٣] تسترًا وتدليسًا علىٰ رعاع دولته وجهلتهم ؛ كما قال تعالى : ﴿ **فاستخف قومه فأطاعوه** ﴾ ، فإن قومًا صدقوه في قوله : ﴿ **أنا ربكم الأعلى** ﴾ من أجهل خلق اللَّه وأضلهم .

وقال السدي في تفسيره بإسناده المشهور(١٤٥) : عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما من الصحابة في قوله تعالىٰ : ﴿ **إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة** ﴾ قال[٤] : التقىٰ موسىٰ - عليه السلام - وأمير السحرة ، فقال له موسىٰ : أرأيتك إن غلبتك أتؤمن بي ، وتشهد أن ما جئت به حق ؟ قال الساحر : لآتين غدًا بسحر لا يغلبه سحر ، واللَّه لئن غلبتني لأومنن بك ولأشهدن أنك حق . وفرعون ينظر إليهما . قالوا : فلهذا قال ما قال .

وقوله : ﴿ **لتخرجوا منها أهلها** ﴾ أي : تجتمعوا أنتم وهو ، و[تكون لكم][٥] دولة وصولة ، وتخرجوا منها الأكابر والرؤساء ، وتكون الدولة والتصرف لكم ﴿ **فسوف تعلمون** ﴾ أي : ما أصنع بكم .

ثم فسر هذا الوعيد بقوله : ﴿ **لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف** ﴾ يعني : يقطع يد الرجل اليمنىٰ ورجله اليسرىٰ ، أو[٦] بالعكس ﴿ **ولأصلبنكم أجمعين** ﴾ وقال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **في جذوع النخل** ﴾ أي : علىٰ الجذوع .

قال ابن عباس : وكان أول من صلب ، وأول من قطع الأيدي والأرجل من خلاف فرعون .

---

(١٤٥) - ومن طريق السُّدي أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤٩٥٥/١٢) عن أبي مالك وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - فذكره .

---

[١] - في ت : « ولهذا » .
[٢] - زيادة من : خ ، ز .
[٣] - في ز : « ذلك » .
[٤] - في ز : « قالوا » .
[٥] - في ز : « يكون لهم » .
[٦] - في ز : « و » .

وقول السحرة : ﴿ **إنا إلىٰ ربنا منقلبون** ﴾ أي : قد تحققنا أنا إليه راجعون ، وعذابه أشد من عذابك ، ونكاله علىٰ ما تدعونا إليه وما أكرهتنا عليه من السحر أعظم من نكالك ، فلنصبرن[١] اليوم علىٰ عذابك ؛ لنتخلص من عذاب الله ؛ ولهذا قالوا[٢] : ﴿ **ربنا أفرغ علينا صبرًا** ﴾ أي : عمنا بالصبر علىٰ دينك والثبات عليه ﴿ **وتوفنا مسلمين** ﴾ أي : متابعين لنبيك موسىٰ عليه السلام ، وقالوا لفرعون : ﴿ **فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا * إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقىٰ * إنه من يأت ربه مجرمًا فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيىٰ * ومن يأته مؤمنًا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلىٰ** ﴾ فكانوا في أول النهار سحرة ، فصاروا في آخره[٣] شهداء بررة .

قال ابن عباس وعبيد بن عمير وقتادة [وابن جريج][٤] : كانوا في أول النهار سحرة ، وفي آخره شهداء .

وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾

يخبر تعالىٰ عما تمالأ عليه فرعون وملؤه ، وما أظهروه لموسىٰ - عليه السلام - وقومه من الأذىٰ والبغضة : ﴿ **وقال الملأ من قوم فرعون** ﴾ أي : لفرعون ﴿ **أتذر موسىٰ وقومه** ﴾ أي : أتدعهم ليفسدوا في الأرض ، أي : يفسدوا[٥] أهل رعيتك ويدعوهم إلىٰ عبادة ربهم دونك. ياللّه للعجب[٦] ! صار هؤلاء يشفقون[٧] من إفساد موسىٰ وقومه ! ألا إن فرعون وقومه هم المفسدون

---

[١] - في ز : « فلنصبر » .
[٢] - في ز : « قال » . [٣] - في ز : « آخر النهار » .
[٤] - إنما رواه ابن جريج عن مجاهد قوله - كما في « التفسير » لابن جرير (١٣/١٤٩٦٠) ولم أجد من عزاه لابن جريج ، والله أعلم .
[٥] - في ز : « يفسدون » .
[٦] - في ز : « العجب » . [٧] - في ز : « لا يشفقون » .

ولكن لا يشعرون ؛ ولهذا قالوا : ﴿ **ويذرك وآلهتك** ﴾ قال بعضهم : الواو هاهنا[١] حالية ، أي : أتذره وقومه يفسدون في الأرض وقد ترك عبادتك ؟ وقرأ ذلك أبي بن كعب : (وقد تركوك أن يَعْبُدُوك[٢] وَآلِهَتَكَ) . حكاه ابن جرير[٣] .

وقال آخرون : هي عاطفة ، أي : لا تدع موسىٰ يصنع هو وقومه من الفساد ما قد أقررتهم عليه وعلىٰ ترك آلهتك.

وقرأ بعضهم : (إلاهتك) . أي : عبادتك ، وروي ذلك عن ابن عباس ومجاهد .

وعلىٰ القراءة الأولىٰ قال بعضهم : كان لفرعون إله يعبده . قال الحسن البصري : كان لفرعون إله يعبده في السر.

وقال في رواية أخرىٰ : [كان له جمانة][٤] في عنقه معلقة يسجد لها .

وقال السدي في قوله تعالىٰ : ﴿ **ويذرك وآلهتك** ﴾ : وآلهته ، فيما زعم ابن عباس [كانت البقر][٥] كانوا إذا رأوا بقرة حسناء أمرهم فرعون أن يعبدوها ؛ فلذلك أخرج لهم عجلا جسدًا .

فأجابهم فرعون فيما سألوا بقوله : ﴿ **سنقتل أبناءهم ونستحي نساءهم** ﴾ ، وهذا أمر ثان بهذا الصنيع ، وقد كان نكل بهم قبل ولادة موسىٰ - عليه السلام - حذرًا من وجوده ، فكان[٦] خلاف ما رامه وضد ما قصده فرعون ، وهكذا عومل في صنيعه [هذا][٧] أيضًا إنما أراد قهر بني إسرائيل وإذلالهم ، فجاء الأمر علىٰ خلاف ما أراد ؛ نصرهم اللّٰه عليه وأذله ، وأرغم أنفه ، وأغرقه وجنوده .

ولما صمم فرعون علىٰ ما ذكره من المساءة لبني إسرائيل ﴿ **قال موسىٰ لقومه استعينوا باللّٰه واصبروا** ﴾ ووعدهم بالعاقبة ، وأن الدار ستصير لهم في قوله : ﴿ **إن الأرض للّٰه يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين * قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا** ﴾ أي : قد جرىٰ علينا مثل ما رأيت من الهوان والإذلال من قبل ما جئت يا موسىٰ ومن بعد ذلك ، فقال منبهًا لهم علىٰ حالهم الحاضرة ، وما يصيرون إليه في ثاني الحال : ﴿ **عسىٰ ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون** ﴾ ، وهذا تحضيض لهم علىٰ العزم علىٰ الشكر عند حلول النعم وزوال النقم .

---

[١] - في ز : « هنا » .
[٢] - في خ : « يعبدوا » .
[٣] - ابن جرير في تفسيره (١٣/٣٧) .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « جنانة » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٦] - في ز : « وكان » .
[٧] - سقط من خ .

وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **ولقد أخذنا آل فرعون** ﴾ أي : اختبرناهم وامتحناهم وابتليناهم ﴿ **بالسنين** ﴾ وهي سني الجوع بسبب قلة الزروع ﴿ **ونقص من الثمرات** ﴾ قال مجاهد : وهو دون ذلك .

وقال أبو إسحاق : عن رجاء بن حيوة : كانت النخلة لا تحمل إلا ثمرة واحدة .

﴿ **لعلهم يذكرون * فإذا جاءتهم الحسنة** ﴾ أي : من الخصب والرزق ﴿ **قالوا لنا هذه** ﴾ أي : هذا لنا بما نستحقه ﴿ **وإن تصبهم سيئة** ﴾ أي : جدب[١] وقحط ﴿ **يطيروا بموسىٰ ومن معه** ﴾ أي : هذا بسببهم وما جاءوا به .

﴿ **ألا إنما طائرهم عند الله** ﴾ [قال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس ﴿ **ألا إنما طائرهم عند الله** ﴾ يقول :][٢] مصائبهم عند الله قال الله[٣]: ﴿ **ولكن أكثرهم لا يعلمون** ﴾ .

وقال ابن جريج : عن ابن عباس قال : ﴿ **ألا إنما طائرهم عند الله** ﴾ أي[٤] : الأمر[٥] من قِبَل الله .

وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ

---

[١] - في ز : « جذب » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز . [٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « قال » .
[٥] - في خ ، ز « ألا » ، والمثبت من تفسير ابن جرير (١٣/١٤٩٨٧) .

يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾

هذا إخبار من اللَّه - عز وجل - عن تمرّد قوم فرعون وعتوّهم وعنادهم للحق ، وإصرارهم علىٰ الباطل في[١] قولهم : ﴿ **مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين** ﴾ يقولون : أي آية جئتنا بها ، ودلالة وحجة أقمتها رددناها ، فلا نقبلها منك ، ولا نؤمن بك ، ولا بما جئت به . قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **فأرسلنا عليهم الطوفان** ﴾ .

اختلفوا في معناه ؛ فعن ابن عباس في رواية : كثرة الأمطار المغرقة المتلفة للزروع والثمار . وبه قال الضحاك بن مزاحم .

وقال ابن عباس في رواية أخرىٰ : هو كثرة الموت . وكذا قال عطاء .

وقال مجاهد : الطوفان : الماء والطاعون علىٰ كل حال .

وقال ابن جرير(١٤٦) : حدثنا أبو هشام الرفاعي ، حدثنا يحيىٰ بن يمان[٢] ، حدثنا المنهال بن خليفة ، عن الحجاج ، عن الحكم بن ميناء ، عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **الطوفان : الموت** » .

وكذا رواه ابن مردويه : من حديث يحيىٰ بن يمان[٣] به ، وهو حديث غريب .

وقال ابن عباس في رواية أخرىٰ : هو أمر من اللَّه طاف بهم ، ثم قرأ : ﴿ **فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون** ﴾ .

وأما الجراد فمعروف مشهور ، وهو مأكول ؛ لما ثبت في الصحيحين(١٤٧) عن أبي يعفور قال :

(١٤٦) - **إسناده ضعيف** تفسير ابن جرير (١٤٩٩٦/١٣) وأخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٥٥/٥) من طريق الحماني ، ثنا يحيى بن يمان به ، وذكره المصنف في « البداية والنهاية » (٣٠٧/١) وعزاه إلى ابن جرير وابن مردويه وقال : « وهو غريب » قلت : علته المنهال بن خليفة هذا : ضعفه ابن معين والنسائي ، وقال البخاري : « فيه نظر » وقال في موضع آخر : « حديثه منكر » وهو مترجم في « التهذيب » . والحجاج هو ابن أرطاة : صدوق كثير الخطأ والتدليس وقد عنعنه ، واضطرب فيه المنهال بن خليفة فرواه عن عطاء عن عائشة به كما عند ابن أبي حاتم (٨٨٥٦/٥) ورواه عن حجاج عن رجل عنها به كما عند ابن جرير (١٣/ ١٥٠٠٠) ، وذكره الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٣٠٠/٨) وعزاه إلى «ابن مردويه بإسنادين ضعيفين» وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٢٠٣/٣) إلى أبي الشيخ .

(١٤٧) - أخرجه البخاري ، كتاب : الذبائح والصيد ، باب : أكل الجراد (٥٤٩٥) ، ومسلم ، =

[١] - في ز : « و » .
[٢] - في ز : « ثمان » .
[٣] - في ز : « ثمان » .

سألت عبد الله بن أبي أوفىٰ عن الجراد ، فقال : غزونا مع رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، سبع غزوات نأكل الجراد .

وروىٰ الشافعي وأحمد بن حنبل وابن ماجة(١٤٨) : من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **أحلت لنا ميتتان ودمان ؛ الحوت والجراد ، والكبد والطحال** » .

ورواه أبو القاسم البغوي(١٤٩) : عن داود بن رشيد ، عن سويد بن عبد العزيز ، [عن أبي هشام][١] الأبلي[٢] ، عن زيد بن أسلم ، عن ابن عمر مرفوعًا مثله .

وروىٰ أبو داود(١٥٠) : عن محمد بن الفرج ، عن محمد بن الزبرقان الأهوازي ، عن سليمان

= كتاب : الصيد والذبائح ، باب : إباحة الجراد (٥٢) (١٩٥٢) وكذا أخرجه أحمد (٣٥٣/٤ ، ٣٥٧، ٣٨٠) وأبو داود ، كتاب : الأطعمة ، باب : في أكل الجراد (٣٨١٢) والترمذي ، كتاب : الأطعمة ، باب : ما جاء في أكل الجراد (١٨٢٢ ، ١٨٢٣) ، والنسائي ، كتاب : الصيد والذبائح ، باب : الجراد (٧/ ٢١٠) من طرق عن أبي يعفور به ، وبعض الرواة عن أبي يعفور قال : « ست غزوات » وبعضهم رواه بالوجهين وانظر « الفتح » (٦٢١/٩) .

(١٤٨) - **صحيح موقوفًا** تقدم تخريجه [سورة المائدة / آية ٣] وانظر ما بعده .

(١٤٩) - وأخرجه ابن مردويه في تفسيره [تفسير سورة الأنعام] - كما في « نصب الراية » للزيلعي (٤/ ٢٠٢) و« تلخيص الحبير » لابن حجر (٢٨/١) - ثنا عبد الباقي بن قانع ، ثنا محمد بن بشر بن مطر ثنا داود بن راشد - كذا وصوابه « رُشَيْد » كما هنا وانظر ترجمته في «التهذيب» - عن سويد بن عبد العزيز به ، وأبو هشام الأَبُلِّي وهو كثير بن عبد الله ، قال البخاري : « منكر الحديث » ، وقال النسائي : « متروك » وقال الدارقطني : ضعيف ، وذهب ابن حبان إلى أن هذا وكثير بن سليم واحد ، وليس هذا بشيء ، وقال أبو حاتم : « كثير بن عبد الله منكر الحديث ، وشبه المتروك » «ميزان الاعتدال » (٤/ت ٦٩٤٢) واستنكر له ابن عدي في « الكامل » (٢٠٨٦/٦) عدة أحاديث ثم قال : « وفي بعض رواياته ما ليس بمحفوظ » وبه أعل هذه الطريق ابن حجر في « التلخيص » .

(١٥٠) - **ضعيف** « السنن » لأبي داود كتاب : الأطعمة ، باب : في أكل الجراد (٣٨١٣) - ومن طريقه وطريق آخر البيهقي في « السنن الكبرى » (٢٥٧/٩) - وأخرجه الطبراني في « الكبير » (٦/رقم ٦١٢٩) والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٧٢/١٤) وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٨٩/٧/ مخطوط) من طرق ثلاثة عن محمد بن الفرج به ، وأخرجه البزار في مسنده (٦/رقم ٢٥٠٩ ، ٢٥١٠) وأبو الشيخ في « العظمة » (١٢٩٤/٥) من طريقين عن محمد بن الزِّبرقان به ، وقال الدارقطني في « الأفراد » - كما في « أطراف الغرائب » (١٤٠/٢ مخطوط) : « تفرد به أبو همام محمد بن الزبرقان =

[١] - في خ ، ز ، وفي جميع النسخ « عن أبي تمام » وهو مصحف ، وصوابه ما أثبتناه كما في « نصب الراية » (٢٠٢/٤) و« تلخيص الحبير » (٢٨/١) ، وانظر « ميزان الاعتدال » (٤/ت٦٩٤٢) .

[٢] - في خ ، ز « الأيلي » .

التيمي ، عن أبي عثمان ، عن سلمان قال : سئل رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، عن الجراد فقال : « **أكثر[١] جنود اللّٰه ، لا آكله ولا أحرمه** » .

وإنما تركه - عليه السلام - لأنه كان يعافه ، كما عافت نفسه الشريفة أكل الضب وأذن فيه(١٥١) .

وقد روىٰ الحافظ ابن عساكر في جزء جمعه في الجراد(١٥٢) : من حديث أبي سعيد الحسن بن

= عن سليمان التيمي عنه » قلت : وأبو همام وإن وثقه ابن المديني والدارقطني وقال النسائي : ليس به بأس وقال أبو حاتم وأبو زرعة « صالح » - : إلا أن ابن معين قال : « لم يكن صاحب حديث ولكن لا بأس به » ، وذكره ابن حبان في « الثقات » (٤٤١/٧) وقال : « ربما أخطأ » وفي « التقريب » صدوق يهم ، وقد عُدَّ وصل هذا الحديث من أخطائه أو أوهامه حيث قال أبو داود : « رواه المعتمر عن أبيه - أخرجه عبد الرزاق في « المصنف » (٤/رقم ٨٧٥٧) - عن أبي عثمان ، عن النبي - صلى اللّٰه عليه وسلم - لم يذكر سلمان » قلت : وتابعه الأنصاري محمد بن عبد اللّٰه فأخرجه في « جزء من حديثه » (رقم ٧) ثنا سليمان التيمي به ، لم يذكر سلمان وتابعهما يزيد بن هارون عند ابن أبي شيبة في « المصنف » (٨٧٣/٥) ، ومعتمر والأنصاري ويزيد ثقات فضلًا عن أن المعتمر « أعلم الناس بحديث أبيه ولم يكن أحد من الناس يقوم في سليمان مقامه » قاله يحيى ابن معين - وتابع سليمان التيمي فيه : (أبو العوام ، فائد بن كيسان الباهلي وعثمان بن غياث) فأما طريق أبي العوام فقد اختلف عليه فيه فرواه زكريا بن يحيى بن عُمارة الذَّراع - « صدوق يخطئ » - عنه عن أبي عثمان النهدي به موصولًا ، أخرجه أبو داود (٣٨١٤) - ومن طريقه البيهقي - وابن ماجه ، كتاب : الصيد ،ب : صيد الحيتان والجراد (٣٢١٩) والطبراني في « الكبير » (٦/ ٦١٤٩) ومن طريقه المزي في « تهذيب الكمال » (١٤١/٢٣/ ت ٤٧٠٥) - وأبو الشيخ (١٢٩٥) ورواه حماد بن سلمة عن أبي العوام عن أبي عثمان عن النبي - صلى اللّٰه عليه وسلم - لم يذكر سلمان علقه أبو داود ومن طريقه البيهقي في «السنن» ، وقال ابن أبي حاتم في « العلل » (٢/رقم ١٤٩٥) : « سألت أبي عن حديث رواه فائد أبو العوام عن أبي عثمان عن سلمان عن النبي - صلى اللّٰه عليه وسلم - في الجراد فذكره - قال أبي : هذا خطأ ، والصحيح مرسل وليس فيه سلمان » . وتابع التيمي فيه أيضًا عثمان بن غياث - ثقة رمي بالإرجاء - حدثني أبو عثمان النهدي، أن رسول اللّٰه - صلى اللّٰه عليه وسلم - قال فذكره ليس فيه سلمان ، أخرجه الأنصاري في « جزء حديثه » (٩٠) ، ورواه الطيالسي في مسنده (رقم ٦٥٣) ثنا شعبة عمن سمع أبا عثمان قال: ذكر الجراد عند النبي - صلى اللّٰه عليه وسلم - فذكر الحديث وقال : روى هذا الحديث أبو العوام عن أبي عثمان . وصوَّب المرسل ابن حجر في « الفتح » (٦٢٢/٩) والألباني - ولذا أودعه في « الضعيفة » (٤/رقم ١٥٣٣) - ومال إلى ذلك البيهقي ، واللّٰه الموفق .

(١٥١) - أخرج ذلك البخاري، ك: الأطعمة، باب : ما كان النبي - صلى اللّٰه عليه وسلم - لا يأكل حتى يُسمَّى له فيعلم ما هو (٥٣٩١) ، ومسلم ، كتاب : الصيد والذبائح ، باب : إباحة الضب (٤٤) (١٩٤٦) وغيرهما من حديث خالد بن الوليد .

(١٥٢) - لم أقف على هذا « الجزء » ولم أهتد للحديث في غير هذا الموضع .

[١] - في ز : « كثر » .

علي العدوي حدثنا نصر بن يحيىٰ بن سعيد ، حدثنا يحيىٰ بن خالد ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : كان رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، لا يأكل الجراد ولا الكلوتين ولا الضب من غير أن يحرمها ، أما الجراد فرجز وعذاب ، وأما الكلوتان فلقربهما من البول ، وأما الضب فقال : « **أتخوف أن يكون مسخًا** » . ثم قال : غريب لم أكتبه إلا من هذا الوجه .

وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه يشتهيه ويحبه ، فروىٰ عبد اللَّه بن دينار[١] ، عن ابن عمر : أن عمر سئل عن الجراد ، فقال : ليت أن عندنا منه قفعة أو قفعتين[٢] نأكله .

وروىٰ ابن ماجة(١٥٣) : حدثنا أحمد بن منيع ، عن سفيان بن عيينة ، عن أبي سعد سعيد بن المرزبان البقال ، سمع أنس بن مالك يقول : كان[٣] أزواج النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم يتهادين الجراد علىٰ الأطباق .

وقال أبو القاسم البغوي(١٥٤) : حدثنا داود بن رشيد ، حدثنا بقية بن الوليد ، عن نمير[٤] بن

(١٥٣) - **ضعيف** أخرجه ابن ماجه ، كتاب : الصيد ، باب : صيد الحيتان والجراد (٣٢٢٠) ، وأخرجه ابن عدي في « الكامل » (١٢٢٠/٣) والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٢٥٨/٩) والخطيب البغدادي في « موضح أوهام الجمع والتفريق » (١٢٩/٢ ، ١٣٠) من طرق عن أبي سعيد البقال به قال البوصيري في « الزوائد » (٦٤/٣) : « في إسناده أبو سعد البقال ، واسمه سعيد بن المرزبان العبسي الكوفي وهو ضعيف » ضعفه النسائي والعجلي ، وقال البخاري : « منكر الحديث » وقال أبو حاتم : « لا يحتج بحديثه وتركه الدارقطني والفلاس » قلت : وأخرجه عبد الرزاق في « المصنف » (٨٧٦٣/٤) عن ابن عيينة عن أبي يعفور - كذا - عن أنس به وهذا الإسناد لاشك أنه محرف ، فإن الحديث لا يعرف إلا بأبي سعد البقال واللَّه تعالى أعلم .

(١٥٤) - **ضعيف** أخرجه ابن قتيبة في « غريب الحديث » (١٨٢/١) والحربي في « غريب الحديث » (٢/ ٥٨١) والطبراني في « الكبير » (٨/رقم ٧٦٣١) والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٢٥٨/٩) ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٣١/١٩/ مخطوط) - والذهبي في « الميزان » (٥/ت ٩٠٧١) من طرق عن بقية به ، وفي أكثرها تصريح بقية بالتحديث ، لكن شيخه نُمير بن يزيد القيني ، قال أبو الفتح الأزدي : ليس بشيء ، وفي « التقريب » : « مجهول » وأبوه لا يعرف أيضًا ، قال الذهبي : « هذا الإسناد على ركاكة متنه أنظف من الأول - يعني حديث أبي هريرة الآتي - ويريني فيه هذا الدعاء ، فإنها ما=

[١] - أخرجه البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٥٨/٩) من طريق مالك عن عبد اللَّه بن دينار به وعبد الرزاق في « المصنف » (٨٧٥١/٤) من طريق سالم وابن أبي شيبة في « المصنف » (٥٧١/٥) من طريق نافع كلاهما (سالم ونافع) عن ابن عمر به .

[٢] - قال أبو عبيد : القفعة شيء يشبه بالزنبيل ليس بالكبير يعمل من خوص وليست له عرى . « السنن الكبرى » للبيهقي (٢٥٨/٩) .

[٣] - في ز : « كن » . [٤] - في خ ، ز : « يحيى » .

يزيد القَيْني[١] ، حدثني أبي ، عن صدي بن عجلان ، وهو[٢] أبو[٣] أمامة قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن مريم بنت عمران عليها السلام سألت ربها - عز وجل - أن يطعمها لحمًا لا دم له ، فأطعمها الجراد ، فقالت : اللَّهم أعشه بغير رضاع ، وتابع بينه بغير شياع** » . وقال نمير : الشياع : الصوت[٤] .

وقال أبو بكر بن أبي داود(١٥٥) : حدثنا [أبو تقي][٥] هشام بن عبد الملك اليَزَني[٦] ، حدثنا

= كانت لتدعو بأمر واقع ، ومازال الجراد بلا رضاع ولا شياع » قال الحافظ في « اللسان » : « وهذا الإشكال غير مشكل لجواز أن يكون الجراد ما كان موجودًا قبل » والحديث ذكره الهيثمي في « المجمع » (٤٢/٤) وقال : « رواه الطبراني في « الكبير » وفيه بقية وهو ثقة ولكنه مدلس ويزيد القيني - في الأصل « العيني » وهو تحريف - لم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات » ، تقدم أن بقية صرح بالتحديث ، فأمنا تدليسه ، وبقى إعلال الحديث بالجهالة ، وفي الباب عن أبي هريرة عند العقيلي في « الضعفاء » (٢٨٧/٤) وتمام في « الفوائد » (٣/رقم ٩٥٣/ الروض البسام) وأبي الشيخ في « العظمة » (١٣٠٣/٥) وابن عساكر والذهبي وفي إسناده النضر بن عاصم أبو عباد ، قال العقيلي : « لا يتابع عليه ، ولا يعرف إلا به » والنضر هذا تركه الأزدي - كما في « الميزان » وبه أعل الحديث الألباني ، فكان من نصيب « الضعيفة » (٤/رقم ١٩٩٢) .

(١٥٥) - وأخرجه أبو الشيخ في « العظمة » (١٢٩٣/٥) من طريق أبي التقي هشام بن عبد الملك به ، وأخرجه ابن أبي عاصم في « الآحاد والمثاني » (٣/رقم ١٤٤٠) والبيهقي في « الشعب » (٧/رقم ١٠١٢٧) - وفي إسناده سقط يستدرك من هنا - من طريق عبد الوهاب بن نجدة الحوطي وأبو الشيخ أيضًا من طريق العباس بن الهيثم الأنطاكي ، والطبراني في « الكبير » (٢٢/رقم ٧٥٧) من طريق محمد بن إسماعيل بن عياش ، وسليمان بن عبد الرحمن الدمشقي ، وفي « الأوسط » (٩/رقم ٩٢٧٧) من طريق أبي صالح عبد الغفار بن داود ، (وأبو محمد المخلدي في « الفوائد » (ق ٢/٢٨٩) وأبو عبد اللَّه بن منده في « معرفة الصحابة » (١/٢٠١/٣٧) عن سعيد بن عمرو الحضرمي ، وابن منده أيضًا (١/٢٤٣/٢) عن عبد الوهاب بن الضحاك / نقلًا عن الألباني من « الصحيحة » (٢٤٢٨/٥)) ثمانيتهم (بقية ، عبد الوهاب بن نجدة ، العباس ، محمد ، سليمان ، عبد الغفار ، سعيد ، عبد الوهاب بن الضحاك) عن إسماعيل بن عياش به ، وقال الطبراني : « لا يُرْوىٰ هذا الحديث عن أبي زهير إلا بهذا الإسناد ، تفرد به إسماعيل بن عياش » قلت : وهو ثقة في روايته عن الشاميين وهذه منها ، وضمضم بن زرعة وإن ضعفه أبو حاتم فقد وثقه ابن معين وابن نمير ، وفي « التقريب » : صدوق يهم ولذا جوَّد إسناده الألباني ، لكن توقف فيه البيهقي فقال : « وهذا إن صح فإنما أراد به - واللَّه أعلم - إذا لم يتعرض لإفساد المزارع ، فإذا تعرض له جاز دفعه بما يقع به الدفع من القتال والقتل ، أو أراد به تعذر مقاومته بالقتال والقتل » وأما إعلال الهيثمي الحديث بمحمد بن إسماعيل - حيث قال في « المجمع » (٤٢/٤) : « رواه الطبراني في « الكبير » و « الأوسط » وفيه محمد ابن إسماعيل بن عياش وهو ضعيف » - فمردود بمتابعة سَبْعَةٍ لمحمد بن إسماعيل بن عياش فتنبه !!

[١] - في ز : « القبتي » . [٢] - سقط من : ز .
[٣] - في خ ، ز : « أبي » . [٤] - في خ ، ز : « الصوب » .
[٥] - في خ ، ز : « أبو بقي » وهو خطأ والصواب ما أثبتناه من كتب الرجال .
[٦] - في خ ، ز : « المزني » .

بقية بن الوليد ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن ضمضم بن زرعة ، عن شريح بن عبيد ، عن أبي زهير النميري قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **لا تقاتلوا[١] الجراد ، فإنه جند اللّٰه الأعظم** » . غريب جدًّا .

وقال ابن أبي نجيح : عن مجاهد في قوله تعالىٰ : ﴿ **فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد** ﴾ قال : كانت تأكل مسامير أبوابهم وتدع الخشب .

وروىٰ ابن عساكر(١٥٦) : من حديث علي بن زيد الخرائطي[٢] ، عن محمد بن كثير ، سمعت الأوزاعي يقول : خرجت إلىٰ الصحراء ، فإذا أنا برِجْل من جراد في السماء ، وإذا[٣] برجل راكب علىٰ جرادة منها وهو شاك في الحديد ، وكلما قال بيده هكذا مال الجراد مع يده وهو يقول : الدنيا باطل ، باطل ما فيها ، الدنيا باطل ، باطل ما فيها ، الدنيا باطل ، باطل ما فيها .

وروىٰ الحافظ أبو الفرج المعافىٰ بن زكريا الجريري[٤] : حدثنا محمد بن الحسن بن زياد ، حدثنا أحمد بن عبد الرحيم ، أخبرنا وكيع ، عن الأعمش ، أنبأنا عامر قال : سئل شريح القاضي عن الجراد ، فقال : قبح اللّٰه الجرادة ، فيها خلقة سبعة جبابرة ، رأسها رأس فرس ، وعنقها عنق ثور ، وصدرها صدر أسد ، وجناحها جناح نسر ، ورجلاها رجلا جمل . وذنبها ذنب حية ، وبطنها بطن عقرب .

وقدمنا عند قوله تعالىٰ : ﴿ **أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعًا لكم وللسيارة** ﴾(١٥٧) حديث حماد بن سلمة ، [عن أبي المهزم ، عن أبي هريرة][٥] قال : خرجنا مع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في حج أو عمرة ، فاستقبلنا رِجْل جراد ، فجعلنا نضربه بالعصي ونحن محرمون ، فسألنا رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فقال : « **لا بأس بصيد البحر** » .

وروىٰ ابن ماجة(١٥٨) : عن هارون الحمال[٦] ، عن هاشم[٧] بن القاسم ، عن زياد بن عبد اللّٰه بن

---

(١٥٦) - والقصة ذكرها أبو الشيخ في « العظمة » (١٣٠٢/٥) عن الأوزاعي بنحو ماهنا .

(١٥٧) - تقدم تخريجه [سورة المائدة/ آية ٩٦] .

(١٥٨) - **ضعيف** رواه ابن ماجه كتاب : الصيد ، باب : صيد الحيتان والجراد (٣٢٢١) ، وأخرجه =

---

[١] - في ز : « تقابلوا » .
[٢] - في ز : « الفرايطني » .
[٣] - في ت : « فإذا » .
[٤] - في خ ، ز : « الحريري » وهو خطأ وصوابه المثبت وهو مترجم في « سير أعلام النبلاء » (١٦/ ٥٤٤) وهو « الجريري » نسبة إلى رأي ابن جرير الطبري .
[٥] - سقط من : خ ، ز .
[٦] - في ز : الحماني ، وهو تحريف .
[٧] - في ز : « هشام » .

علاثة [ ] [١]عن موسىٰ بن [ ] [٢] محمد بن إبراهيم التيمي ، عن أبيه ، عن أنس وجابر عن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أنه كان إذا دعا علىٰ الجراد قال : « **اللهم أهلك كباره واقتل صغاره ، وافسد بيضه واقطع دابره ، وخذ بأفواهه عن معايشنا وأرزاقنا ، إنك سميع الدعاء** » . فقال له جابر: يا رسول الله أتدعو علىٰ جند من أجناد الله بقطع دابره ؟ فقال : « **إنما هو نثرة[٣] حوت في البحر** » . قال هاشم : أخبرني زياد : أنه أخبره من رآه ينثره[٤] الحوت ، قال من حقق ذلك : إن السمك إذا باض في ساحل البحر فنضب الماء[٥] عنه وبدا للشمس ، أنه يفقس كله جرادًا طيارًا .

وقدمنا عند قوله : ﴿ **إلا أمم أمثالكم** ﴾(١٥٩) حديث عمر - رضي الله عنه - : « **أن الله خلق ألف أمة ؛ ستمائة في البحر وأربعمائة في البر ، وإن أولها هلاكًا الجراد** » .

وقال أبو بكر بن أبي داود(١٦٠) : حدثنا يزيد بن المبارك ، حدثنا عبد الرحمن بن قيس ،

= الخطيب في « تاريخ بغداد » (٤٧٨/٨ ، ٤٧٩) - ومن طريقه ابن الجوزي في « الموضوعات » (١٤/٣) وكذا ذكره من طريقه السيوطي في « اللآلئ المصنوعة » - من طريق هارون بن عبد الله به ، وذكره المصنف عند [آية رقم ٩٦/ سورة المائدة] كما هنا وقال : « تفرد به ابن ماجه » كذا قال ، وأخرجه الترمذي ، كتاب : الأطعمة ، باب : ما جاء في الدعاء على الجراد (١٨٢٤ ط دعاس) - وقد عزاه للترمذي المزي في « التحفة » (١/رقم ١٤٥١) - وقال الترمذي : « حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وموسى بن محمد بن إبراهيم التيمي قد تكلم فيه ، وهو كثير الغرائب والمناكير ، وأبوه محمد بن إبراهيم ثقة ، وهو مدني » وقال ابن الجوزي : « هذا لا يصح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال يحيى : موسى بن محمد ليس بشيء ، ولا يكتب حديثه ، وقال النسائي : منكر الحديث ، وقال : الدارقطني ، متروك » واستنكره له الذهبي في « الميزان » (٥/ت ٨٩١٤) وضعف إسناده ابن حجر في « الفتح » (٦٢١/١) وعزاه إلى ابن ماجه فحسب . وانظر - غير مأمور - « تنزيه الشريعة » لأبي الحسن الكناني (٢٥٢/٢) و« تذكرة الموضوعات » للفتني (ص١٥٤ ، ١٥٥) و« الفوائد المجموعة » للشوكاني (١٧٤) و« الضعيفة » للألباني (١/رقم ١١٢) وفي الباب عن ابن عمر عند الحاكم في « تاريخ نيسابور » - كما في « تنزيه الشريعة » وزاد نسبته إلى الطبراني - وعن الحاكم أخرجه البيهقي في « الشعب » (١٠١٣٠/٧) وفي إسناده محمد بن عثمان القيسي ، جهله البيهقي ، واستنكر الحديث وبه أعل الحديث السيوطي في « الدر المنثور » (٢٠٥/٣).

(١٥٩) - [آية رقم ٣٨/ سورة الأنعام] .

(١٦٠) - **إسناده ضعيف بمرّة** ، وآفته سلم بن سالم هذا وهو البلخي الزاهد ضعفه ابن معين ، وقال مرة : ليس بشيء ، وقال أحمد : ليس بذاك ، وقال أبو زرعة : لا يكتب حديثه ... وقال النسائي : ضعيف =

---

[١] - في ز : « عن أبي المهزم ، عن أبي هريرة » . وكأن الناسخ انتقل نظره ، فنقلها من الإسناد الذي أعلاه إلى هنا ، والله أعلم .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « أبي » . [٣] - في ز : « بثرة » .

[٤] - في ز : « يستره » . [٥] - في ز : « الباء » .

[حدثنا سلم][١] بن سالم ، حدثنا أبو المغيرة الجوزجاني محمد بن مالك ، عن البراء بن عازب قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **لا وَبَاء[٢] مع السيف ، ولا نَجَاءَ[٣] مع الجراد** » . حديث غريب.

وأما القمل ؛ فعن ابن عباس : هو السوس الذي يخرج من الحنطة . وعنه : أنه الدبى[٤] . وهو الجراد الصغار الذي لا أجنحة له ، وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة.

وعن الحسن وسعيد بن جبير : القمل دواب سود صغار .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : القمل البراغيث .

وقال ابن جرير : القمل جمع واحدتها قُمَّلة ، وهي دابة تشبه القمل تأكلها الإبل فيما بلغني ، وهي التي عناها الأعشىٰ[٥] بقوله :

[قَوْمٌ تُعَالِجُ[٦] قُمَّلًا أَبْنَاؤُهُمْ[٧] وَسَلاسِلًا أُجُدًا وَبَابًا مُؤْصَدَا][٨]

قال : وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يزعم أن القمل عند العرب : الحَمنان[٩] ، واحدتها حمنانة[١٠] ، وهي صغار القِرْدان فوق القَمْقَامة[١١] .

= وقال ابن المبارك - فيما رواه أبو زرعة عن بعض الخراسانيين عنه - : اتق حيات سلم لا تلسعك ... وقال الخليلي : أجمعوا على ضعفه انظر « لسان الميزان » (٣/ت ٣٨٥٢) والحديث عزاه الهندي في « الكنز » (٣٠٨٧١) والسيوطي في « الجامع الصغير » (٦/٤٣٩ - فيض القدير) إلى ابن صَصْرى في « أماليه » ورمز له بالضعف ، وأقره المناوي ، وكذا الألباني فأودعه في « ضعيف الجامع الصغير » (٦/٦٣٣٠) .

قال المناوي : « الوباء مرض عام ، وقد جرت العادة الإلاهية أنه لا يجتمع مع القتال بالسيف في قطر واحد ، فإن وقع الوباء في قطر لا يقع السيف معه وعكسه ، والجراد إذا وقع بأرض لا نبات للزرع معه لأنه يجرد الأرض بأكله ما فيها فتصير جردًا لا نبات فيها ولذلك سمي جرادًا » .

---

[١] - في خ ، ز : « سالم » .
[٢] - في خ : « دباء » ، وفي ز : « دبا » .
[٣] - في ز : « لجا » .
[٤] - في خ ، ز : « الدبا » .
[٥] - في ز : «الأعمش » .
[٦] - في ز : « تقابح » .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - البيت في خ : هكذا « قوم تقابح قملا وسلاسلا أبعدا وبابا موصدا » .
[٩] - في خ : « الحمان » .
[١٠] - في خ : « الحمانة » .
[١١] - القمقامة : صغار القردان (جمع قراد) وهو أول ما يكون صغيرًا ، لايكاد يرى من صغره ، وهو أيضًا ضرب من القمل شديد التشبث بأصول الشعر [نقلًا عن « هامش تفسير ابن جرير » (١٣/٥٦)].

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير(١٦١) : حدثنا ابن حميد الرازي ، حدثنا يعقوب القمي ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير قال : لما أتىٰ موسىٰ - عليه السلام - فرعون قال له : أرسل معي بني إسرائيل [فأبى عليه][١]، فأرسل الله عليهم الطوفان وهو المطر ، فصب عليهم منه شيئًا ، خافوا أن يكون عذابًا ، فقالوا لموسىٰ : ادع لنا ربك يكشف عنا المطر ، فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل ، فدعا ربه ، فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني إسرائيل ، فأنبت لهم في تلك السنة شيئًا لم ينبته قبل ذلك من الزروع والثمار[٢] والكلأ ، فقالوا : هذا ما كنا نتمنىٰ ، فأرسل الله عليهم الجراد فسلطه علىٰ الكلأ ، فلما رأوا أثره في[٣] الكلأ عرفوا أنه لا يبقي الزرع ، فقالوا : يا موسىٰ ادع لنا ربك يكشف عنا الجراد فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل ، فدعا ربه فكشف عنهم الجراد ، فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني إسرائيل ، فداسوا وأحرزوا في البيوت ، فقالوا : قد أحرزنا ، فأرسل الله عليهم القمل وهو السوس الذي يخرج منه ، فكان الرجل يخرج عشرة أجربة إلىٰ الرحىٰ ، فلا يرد منها ثلاثة أقفزة ، فقالوا لموسىٰ ادع لنا ربك يكشف عنا القمل ، فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل ، فدعا ربه فكشف عنهم ، فأبوا أن يرسلوا معه بني إسرائيل ، فبينما هو جالس عند فرعون إذ سمع نقيق ضفدع ، فقال لفرعون : ما تلقىٰ أنت وقومك من هذا ؟ فقال[٤] : وما عسىٰ أن يكون كيد هذا ؟ فما أمسوا حتىٰ كان الرجل يجلس إلىٰ ذقنه في الضفادع ، ويهم أن يتكلم فيثب الضفدع في فيه ، فقالوا لموسىٰ : ادع لنا ربك يكشف عنا هذه الضفادع ، فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل ، [فدعا ربه ، فكشف عنهم فلم يؤمنوا][٥] وأرسل الله عليهم الدم ، فكان[٦] ما استقوا من الأنهار والآبار وما كان في أوعيتهم وجدوه دمًا عبيطًا[٧]، فشكوا إلىٰ فرعون فقالوا : إنا قد ابتلينا بالدم وليس لنا شراب ، فقال : إنه قد سحركم ، فقالوا : من أين سحرنا ؟ ونحن لا نجد في أوعيتنا شيئًا من الماء إلا وجدناه دمًا عبيطًا[٨] ، فأتوه وقالوا : يا موسىٰ ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم ، فنؤمن لك[٩] ونرسل معك بني إسرائيل ، فدعا ربه فكشف عنهم ، فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني إسرائيل .

وقد روي نحو هذا عن ابن عباس والسدي وقتادة وغير واحد من علماء السلف .

---

(١٦١) - تفسير ابن جرير (١٥٠١٤/١٣) وأخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٦٤/٥، ٨٨٧١ ، ٨٨٧٦، ٨٨٨٠) من طريقين عن يعقوب القمي به مفرقًا ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٢٠٤/٣) إلى ابن المنذر .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز ، ت ، وأثبتناه من تفسير ابن جرير (١٥٠١٤/١٣) .
[٢] - في ز : « الثمر » .
[٣] - في ز : « على » .
[٤] - في ز : « قال » .
[٥] - سقط من : خ ، ز .
[٦] - في ز : « فكانوا » .
[٧] - في ز : « غبيطًا » .
[٨] - في ز : « غبيطًا » .
[٩] - في ز : « بك » .

وقال محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله(١٦٢) : فرجع عدو الله فرعون حين آمنت السحرة مغلوبًا مغلولًا ، ثم أبىٰ إلا الإقامة علىٰ الكفر والتمادي في الشر ، فتابع الله عليه [الآيات وأخذه][١] بالسنين ، فأرسل عليه الطوفان ، ثم الجراد ، ثم القمل ، ثم الضفادع ، ثم الدم ، آيات مفصلات. فأرسل[٢] الطوفان - وهو الماء - ففاض علىٰ وجه الأرض ثم ركد لا يقدرون علىٰ أن يحرثوا ولا يعملوا شيئًا حتىٰ جُهِدوا جوعًا ، فلما بلغهم ذلك ﴿ **قالوا يا موسىٰ ادع لنا ربك [بما عهد عندك][٣] لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل** ﴾ ، فدعا موسىٰ ربه فكشف عنهم ، فلم يفوا له بشيء [مما قالوا][٤] ، فأرسل الله عليهم الجراد فأكل الشجر فيما بلغني ، حتىٰ إن كان ليأكل مسامير الأبواب من الحديد حتىٰ تقع دورهم ومساكنهم ، فقالوا مثل ما قالوا ، فدعا ربه فكشف عنهم، فلم يفوا له بشيء مما قالوا ، فأرسل الله عليهم القمل ، فذُكر لي أن موسىٰ - عليه السلام - أمر أن يمشي إلىٰ كثيب حتىٰ يضربه بعصاه ، فمشىٰ إلىٰ كثيب أهيل عظيم ، فضربه بها فانثال[٥] عليهم قملًا حتىٰ غلب علىٰ البيوت والأطعمة ومنعهم النوم والقرار ، فلما جهدهم ، قالوا له مثل ما قالوا له ، فدعا ربه فكشف[٦] عنهم ، فلم يفوا له بشيء مما قالوا ، فأرسل الله عليهم الضفادع ، فملأت البيوت والأطعمة والآنية ، فلا يكشف أحد ثوبًا ولا طعامًا إلا وجد فيه الضفادع قد غلبت[٧] عليه ، فلما جهدهم ذلك قالوا له مثل ما قالوا ، فسأل ربه فكشف عنهم ، فلم يفوا له بشيء مما قالوا ، فأرسل الله عليهم الدم ، فصارت مياه آل فرعون دمًا ، لا يستقون من بئر ولا نهر ، ولا يغترفون من إناء إلا عاد دمًا عبيطًا[٨].

وقال ابن أبي حاتم(١٦٣) : حدثنا أحمد بن منصور المروزي ، أنا النضر ، أنا[٩] إسرائيل ، أنا جابر بن يزيد[١٠] ، عن عكرمة ، عن[١١] عبد[١٢] الله بن عمرو قال[١٣] : لا تقتلوا الضفادع ، فإنها لما أرسلت علىٰ [قوم فرعون][١٤] انطلق ضفدع منها فوقع في تنور فيه نار

(١٦٢) - ورواه من طريق محمد بن إسحاق ابن جرير في تفسيره (١٣/١٥٠٢٣) .
(١٦٣) - « التفسير » لابن أبي حاتم (٥/٨٨٧٩) وجابر بن يزيد هو الجعفي ضعيف .

[١] - في ز : « بالآيات فواخذه » .
[٢] - في ز : « فأصل » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٥] - في ز : « فأسال » .
[٦] - في ز : « فكسفه » .
[٧] - في ز : « غلب » .
[٨] - في ز : « غبيطًا » .
[٩] - في ز : « أبا » .
[١٠] - في ز : « زيد » .
[١١] - في ز : « قال » .
[١٢] - في ت : « عبيد » .
[١٣] - سقط من : ز .
[١٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « بني إسرائيل » وكذا في المطبوع من ابن أبي حاتم (٥/٨٨٧٩) وهو خطأ.

يطلب[١] بذلك مرضاة اللّه ، فأبدلهن اللّه [من هذا][٢] أبرد شيء يعلمه من الماء ، وجعل نقيقهن التسبيح . وروي من طريق عكرمة ، عن ابن عباس نحوه .

وقال زيد بن أسلم : يعني بالدم الرعاف . رواه ابن أبي حاتم(١٦٤) .

﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾

يخبر تعالىٰ أنهم لما عتوا وتمردوا مع ابتلائه إياهم بالآيات المتواترة واحدة بعد واحدة [أنه][٣]، انتقم منهم بإغراقه إياهم في اليم ، وهو البحر الذي فَرَقه لموسىٰ فجاوزه وبنو إسرائيل معه ، ثم وَرَدَهُ فرعون وجنوده علىٰ أثرهم ، فلما استكملوا فيه ارتطم عليهم ، فغرقوا عن آخرهم ، وذلك بسبب تكذيبهم بآيات اللّه وتغافلهم عنها .

وأخبر تعالىٰ أنه أورث القوم الذين[٤] كانوا يستضعفون - وهم بنو إسرائيل - [﴿ **مشارق الأرض ومغاربها** ﴾[٥]، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ونريد أن نمن علىٰ الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين * ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **كم تركوا من جنات وعيون * وزروع ومقام كريم * ونعمة كانوا فيها فاكهين * كذلك وأورثناها قومًا آخرين** ﴾.

وعن الحسن البصري وقتادة في قوله : ﴿ **مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها** ﴾ يعني : الشام .

وقوله : ﴿ **وتمت كلمة ربك الحسنىٰ علىٰ بني إسرائيل بما صبروا** ﴾ قال مجاهد وابن جرير[٦] : وهي قوله تعالىٰ : ﴿ **ونريد أن نمن علىٰ الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين * ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم[٧] ما كانوا**

(١٦٤) - « التفسير » لابن أبي حاتم (٨٨٨٣/٥) وكذا رواه ابن جرير في تفسيره (١٥٠٢٨/١٣) .

---

[١] - في ز : « طلب » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .
[٤] - في خ : « الذي » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٦] - ابن جرير في تفسيره (٧٧/١٣) .
[٧] - سقط من : ز .

يحذرون ﴾ .

وقوله : ﴿ **ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه** ﴾ [أي : وخربنا ما كان فرعون وقومه يصنعونه من العمارات والمزارع][١] ﴿ **وما كانوا يعرشون** ﴾ قال ابن عباس ومجاهد : ﴿ **يعرشون** ﴾ : يبنون .

وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾

يخبر تعالىٰ عما قاله جَهَلَةُ بني إسرائيل لموسىٰ - عليه السلام - حين جاوزوا البحر ، وقد رأوا من آيات الله وعظيم سلطانه ما رأوا ﴿ **فأتوا** ﴾ أي : فمروا ﴿ **علىٰ قوم يعكفون علىٰ أصنام لهم** ﴾ قال بعض المفسرين : كانوا من الكنعانيين . وقيل : كانوا من لخم.

قال ابن جريج[٢] : وكانوا يعبدون أصنامًا علىٰ صور البقر ، فلهذا أثار[٣] ذلك شبهة لهم في عبادتهم العجل بعد ذلك فقالوا : ﴿ **يا موسىٰ اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون** ﴾ .

أي : تجهلون عظمة الله وجلاله ، وما يجب أن ينزه عنه من الشريك والمثيل .

﴿ **إن هؤلاء متبر ما هم فيه** ﴾ **أي : هالك** ﴿ **وباطل ما كانوا يعملون** ﴾ .

وروىٰ الإمام أبو جعفر بن جرير في تفسير هذه الآية(١٦٥) : من حديث محمد بن إسحاق وعقيل ومعمر ، كلهم عن الزهري ، عن سنان بن أبي سنان ، عن أبي واقد[٤] الليثي : أنهم خرجوا من مكة مع رسول الله ، صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، إلىٰ حنين ، قال : وكان للكفار سدرة يعكفون عندها ويعلقون بها أسلحتهم ، يقال لها : ذات أنواط ، قال : فمررنا بسدرة

---

(١٦٥) - **صحيح** تفسير ابن جرير (١٣/ ١٥٠٥٧ ، ١٥٠٥٨ ، ١٥٠٥٦) ومن طريق ابن إسحاق أخرجه ابن هشام في « السيرة » (٨٩٣/٤) والطبراني في « الكبير » (٣٢٩٣/٣) والبيهقي في « الدلائل » (٥/ ١٢٤ ، ١٢٥) ومن طريق عقيل - وهو ابن خالد ، أخرجه أحمد في « المسند » (٢١٨/٥) والبخاري في « التاريخ الكبير » (١٦٣/٤) وطريق معمر هو الآتي .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٢] - في ت : « جرير» .
[٣] - في ز : « أثر » . [٤] - في ز : « وافد » .

خضراء عظيمة ، قال : فقلنا : يا رسول الله ! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال : « **قلتم - والذي نفسي بيده - كما قال قوم موسىٰ لموسىٰ : ﴿ اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون * إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون ﴾** » .

وقال الإمام أحمد(١٦٦) : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن سنان بن أبي سنان الديلي[١] ، عن أبي واقد الليثي قال : خرجنا مع رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قبل حنين فمررنا بسدرة فقلت : يا نبي الله ! اجعل لنا هذه[٢] ذات أنواط ، كما للكفار ذات أنواط ، وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدرة، ويعكفون حولها ، فقال النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **الله أكبر ، هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسىٰ : ﴿ اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة ﴾ إنكم تركبون سنن من قبلكم** ».

ورواه ابن أبي حاتم(١٦٧) : من حديث كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني ، عن أبيه ، عن جده مرفوعًا .

قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ (١٤٠) وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ

(١٦٦) - « المسند » (٢١٨/٥) - والحديث عند عبد الرزاق في « التفسير » (٢٣٥/٢) وفي « المصنف » (٢٠٧٦٣/١١) - ومن طريق عبد الرزاق أخرجه النسائي في « التفسير من الكبرى » (١١١٨٥/٦) والطبراني في « الكبير » (٣٢٩٠/٣) وأخرجه الطيالسي (١٣٤٦) - وفيه سقط يستدرك من هنا - والحميدي (٨٤٨) - ومن طريقه الطبراني (٣٢٩٢/٣) - وأحمد (٢١٨/٥) والترمذي ، كتاب : الفتن ، باب : ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم (٢١٨١) وابن أبي عاصم في « السنة » (١/رقم ٧٦) وأبو يعلى في « المسند » (١٤٤١/٣) ، وابن أبي حاتم في « التفسير » (٨٩٠٦/٥) وابن حبان (٦٧٠٢/١٥) والطبراني (٣٢٩١/٣ ، ٣٢٩٤) والبيهقي في « الدلائل » (١٢٥/٥) من طرق عن الزهري بهذا الإسناد. وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح » ، وسنده صحيح على شرط مسلم ، رجاله كلهم ثقات ، وأبو واقد الليثي صحابي جليل مشهور بكنيته واختلف في اسمه ، فقيل اسمه الحارث بن مالك وقيل ابن عوف وقيل : اسمه عوف بن الحارث .

(١٦٧) - **إسناده ضعيف** « التفسير » لابن أبي حاتم (٨٩١٠/٥) وكذا أخرجه الطبراني في « الكبير » (١٧/ رقم ٢٧) وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٢١٣/٣) إلى ابن مردويه ، وكثير بن عبد الله ضعفه ابن معين ويعقوب بن سفيان ، وابن البرقي ، وقال أحمد : « منكر الحديث ليس بشيء » وقال أبو حاتم : ليس بالمتين ، وقال أبو زرعة : واهي الحديث ، ليس بقوي ، وتركه النسائي والدارقطني ، وقال ابن عدي : « عامة ما يرويه لا يتابع عليه » « تهذيب الكمال » (٢٤/ت ٤٩٤٨) والحديث ذكره الهيثمي في « المجمع » (٧/ ٢٧) وقال : « رواه الطبراني وفيه كثير بن عبد الله وقد ضعفه الجمهور وحسن الترمذي حديثه » .

[١] - سقط من : خ ، ز . [٢] - سقط من : ت .

﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ١٤١﴾

يذكرهم موسىٰ - عليه السلام - بنعمة اللَّه عليهم ، من إنقاذهم من أسر فرعون وقهره ، وما كانوا فيه من الهوان والذلة . وما صاروا إليه من العزة والاشتفاء من عدوهم والنظر إليه في حال هوانه وهلاكه وغرقه ودماره[١] ، وقد تقدم تفسيرها في البقرة .

﴿۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةًۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ١٤٢﴾

يقول تعالىٰ ممتنًا علىٰ بني إسرائيل بما حصل لهم من الهداية بتكليمه موسىٰ عليه السلام ، وإعطائه التوراة وفيها أحكامهم وتفاصيل شرعهم ، فذكر تعالىٰ أنه واعد موسىٰ ثلاثين ليلة .

قال المفسرون: فصامها موسىٰ - عليه السلام - فلما تم الميقات استاك بلحاء شجرة ، فأمره اللَّه تعالىٰ أن يكمل بعشرة أربعين .

وقد اختلف المفسرون في هذه العشر : ما هي ؟ فالأكثرون علىٰ أن الثلاثين هي ذو القعدة ، والعشر عشر ذي الحجة . قاله مجاهد ومسروق وابن جريج ، وروي عن ابن عباس وغيره[٢] . فعلىٰ هذا يكون قد كمل الميقات[٣] يوم النحر ، وحصل فيه التكليم لموسىٰ عليه السلام ، وفيه أكمل اللَّه الدين لمحمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم كما قال تعالىٰ : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا** ﴾ .

فلما تم الميقات وعزم موسىٰ علىٰ الذهاب إلىٰ الطور ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن** ﴾ الآية ، فحينئذ استخلف موسىٰ علىٰ بني إسرائيل أخاه هارون ، وأوصاه بالإصلاح وعدم الإفساد ، وهذا تنبيه وتذكير ، وإلا فهارون - عليه السلام - نبي شريف كريم علىٰ اللَّه ، وله وجاهة وجلالة ، صلوات اللَّه وسلامه عليه وعلىٰ سائر الأنبياء[٤] .

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾

---

[١] - في ز : « وذماره » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « الميثاق » .
[٤] - في ز : « أنبياء اللَّه » .

وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

يخبر تعالىٰ عن موسىٰ - عليه السلام - أنه لما جاء لميقات اللّٰه تعالىٰ وحصل له التكليم من اللّٰه سأل اللّٰه تعالىٰ أن ينظر إليه فقال : ﴿ **رب أرني أنظر إليك قال لن تراني** ﴾ .

وقد أشكل حرف (لن) هاهنا علىٰ كثير من العلماء ؛ لأنها موضوعة لنفي التأبيد ، فاستدل به المعتزلة علىٰ نفي الرؤية في الدنيا والآخرة ، وهذا أضعف الأقوال ؛ لأنه قد تواترت الأحاديث عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بأن المؤمنين يرون اللّٰه في الدار الآخرة ؛ كما سنوردها عند قوله تعالىٰ : ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة * إلىٰ ربها ناظرة** ﴾[١].

وقوله تعالىٰ إخبارًا عن الكفار : ﴿ **كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون** ﴾ .

وقيل : إنها لنفي التأبيد في الدنيا ، جمعًا بين هذه الآية وبين الدليل القاطع علىٰ صحة الرؤية[٢] في الدار الآخرة .

و[٣]قيل : إن هذا الكلام في هذا المقام كالكلام في قوله تعالىٰ : ﴿ **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير** ﴾ . وقد تقدم ذلك في الأنعام.

وفي الكتب المتقدمة : أن اللّٰه تعالىٰ قال لموسىٰ عليه السلام : « **يا موسىٰ ! إنه لا يراني حي إلا مات ، ولا يابس إلا تدهْده** » ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **فلما تجلىٰ ربه للجبل جعله دكًا وخر موسىٰ صعقًا** ﴾ .

قال أبو جعفر بن جرير الطبري في تفسير هذه الآية(١٦٨) : حدثنا أحمد بن سهيل الواسطي ،

---

(١٦٨) - **إسناده فيه جهالة وهو حديث صحيح** رواه ابن جرير (١٥٠٨٦/١٣) وأخرجه ابن مردويه في تفسيره - كما في « اللآلئ المصنوعة » (٣٠/١) - من طريق شعيب بن عبد الحميد الطحان عن قرة بن عيسى به ، وفوق جهالة الراوي عن أنس ، فإن شيخ ابن جرير وشيخ شيخه لم يوجد لهما ترجمة - أفاده محقق تفسير ابن جرير - قلت : أما شيخ شيخ ابن جرير فمُسلّم ، لكن شيخه تُرجم له في « اللسان » =

---

[١] - وانظر أيضًا تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ...** ﴾ [آية رقم ٢٦/من سورة يونس] .

[٢] - في ز : « الرواية » . [٣] - سقط من : ز .

حدثنا قُرَّة بن عيسىٰ ، حدثنا الأعمش ، عن رجل ، عن أنس عن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « **لما تجلىٰ ربه للجبل أشار بأصبعه ، فجعله دكا** » . وأرانا أبو إسماعيل بأصبعه السبابة .

هذا الإِسناد فيه رجل مبهم لم يسم ، ثم قال(١٦٩) :

حدثني المثنىٰ ، حدثنا الحجاج[١] بن منهال ، حدثنا حماد ، [عن ليث][٢] ، عن أنس : أن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قرأ هذه الآية ﴿ **فلما تجلىٰ ربه للجبل جعله دكًا** ﴾ قال[٣] هكذا بأصبعه - ووضع النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، أصبعه الإِبهام علىٰ المفصل الأعلىٰ من الخنصر ، فساخ الجبل .

هكذا وقع في هذه الرواية : حماد بن سلمة [ ][٤] ، عن ليث ، عن أنس . والمشهور : حماد ابن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس ، كما قال ابن جرير(١٧٠) :

حدثني المثنىٰ ، حدثنا هدبة بن خالد ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس قال : قرأ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **فلما تجلىٰ ربه للجبل جعله دكًا** ﴾ قال : « **وضع**

= (١/رقم ٥٩٤) وقال فيه أبو أحمد الحاكم : في حديثه بعض مناكير ، لكن ذكره ابن حبان في « الثقات » (٥١/٨) وقال : « يروى عن صلة بن سليمان ، ثنا عنه حبيش بن عبد اللَّه النيلى بواسط » . وأخرجه ابن عدي في « الكامل » (٣٤٢/١) ومن طريقه ابن الجوزي في « الموضوعات » (١٢١/١) من طريق أيوب بن خوط عن قتادة عن أنس مرفوعًا بلفظ « **لما تجلى ربه للجبل أشار بإصبعه فمن نورها جعله دكا** » وقال ابن الجوزي : « وهذا ليس بصحيح ، قال يحيى بن معين : لا يكتب حديث ايوب ، ليس بشيء ، وقال الفلاس وأبو حاتم الرازي ، والنسائي والسعدي والدارقطني : متروك ، وقال ابن حبان : منكر الحديث جدًا ، روى المناكير عن المشاهير فكان مما عملت يداه » لكنه متابع يأتي برقم (١٧٥) .

(١٦٩) - تفسير ابن جرير أيضًا (١٥٠٨٧/١٣) .

(١٧٠) - تفسير ابن جرير أيضًا (١٥٠٨٨/١٣) ومن طريق هدبة بن خالد أخرجه أبو القاسم البغوي - ذكره المصنف هنا يأتي برقم (١٧٣) ونقل عن أبي القاسم البغوي قال: « إسناده صحيح لاعلة فيه » - وابن أبي عاصم في « السنة » (١/رقم ٤٨٠) ، وابن عدي في « الكامل » (٦٧٧/٢) ومن طريقه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١٢٢/١) ، والحاكم في «المستدرك» (٢٥/١) (٥٧٧/٢) - وصححه =

---

[١] - في ز : « حجاج » .

[٢] - كذا نقله عن ابن جرير والذي في تفسير ابن جرير (١٥٠٨٧/١٣/شاكر) : « ... ثنا حماد عن ثابت عن أنس » ونقل محقق تفسير ابن جرير هذا الإسناد كما هنا عن هذا الموضع ثم قال : « وليس ذلك كما نقل ، فإن الثابت في المخطوطة والمطبوعة ، « حماد ، عن ثابت ، عن أنس » ليس فيها « ليث » فلا أدرى كيف وقع هذا للحافظ ابن كثير ولا من أين ؟؟ وأخرجه ابن خزيمة في « التوحيد » (١/ ٢٦٣) من طريق الحجاج بن منهال به على الجادة .

[٣] - قال هنا بمعنى أشار . انظر النهاية (١٢٤/٤) .

[٤] - ما بين المعكوفتين في : ت ، ز : عن ثابت .

الإبهام قريبًا من طرف خنصره ، قال : فساخ الجبل » ، قال حميد لثابت : تقول[١] هذا ؟ فرفع ثابت يده فضرب صدر حميد وقال : يقوله رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ويقوله أنس ، وأنا أكتمه ؟.

وهكذا رواه الإمام أحمد في مسنده(١٧١) : حدثنا أبو المثنىٰ معاذ بن معاذ العنبري ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا ثابت البناني ، عن أنس بن مالك ، عن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، في قوله : ﴿ **فلما تجلىٰ ربه للجبل** ﴾ قال : قال : « هكذا » ، يعني : أنه أخرج طرف الخنصر . قال أحمد : أرانا معاذ ، فقال له حميد الطويل : ما تريد إلىٰ هذا يا محمد ؟ قال : فضرب صدره ضربة شديدة ، وقال : من أنت يا أبا[٢] حميد؟ ! وما أنت يا أبا حميد ؟ ! يحدثني به أنس ابن مالك عن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، [فتقول أنت][٣]: ما تريد إليه ؟ .

وهكذا رواه الترمذي في تفسير هذه الآية : عن عبد الوهاب بن الحكم الوراق ، عن معاذ بن معاذ به . وعن عبد اللَّه بن عبد الرحمن الدارمي ، عن سليمان بن حرب ، عن حماد به ، ثم قال : هذا حديث حسن صحيح غريب ، لا نعرفه إلا من حديث حماد .

وهكذا رواه الحاكم في مستدركه(١٧٢) من طرق ، عن حماد بن سلمة ، به ، وقال : « هذا

= على شرط مسلم ووافقه الذهبي ، وقال ابن الجوزي : « هذا حديث لا يثبت ، قال ابن عدي الحافظ : « كان ابن أبي العرجاء ربيب حماد بن سلمة فكان يدس في كتبه هذه الأحاديث » كذا قال ، وتعقبه السيوطي في « اللآلئ المصنوعة » (٣٠/١) فقال : « هذا الحديث صحيح رواه خلق عن حماد ، وأخرجه الأئمة من طرق عنه وصححوه ... وقال ابن طاهر في «تذكرة الحفاظ» - (٢/رقم ١٥٢٣) - أورد ابن عدي هذا الحديث في ترجمة حماد بن سلمة ، ولعله أشار إلى تفرده به وحماد إمام ثقة » وفي تلخيص موضوعات الجوزقاني للذهبي : « هذا حديث غريب ، ولا يحل أن يذكر في الموضوعات » « تنزيه الشريعة » (١٤٥/١) .

(١٧١) - « المسند » (١٢٥/٣) وعنه ابنه عبد اللَّه في « السنة » (١/رقم ٥٠٠) وأخرجه الترمذي ، كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة الأعراف (٣٠٧٦) وابن أبي عاصم في « السنة » (١/رقم ٤٨١) وابن خزيمة في «التوحيد» (١/رقم ١٦٢) وابن أبي حاتم في «التفسير» (٨٩٣٦/٥) من طريق معاذ بن معاذ به ، وأخرجه الترمذي أيضًا وعبد اللَّه بن أحمد في (٥٠٣/١) وابن خزيمة (١/ص ٢٦٣) والحاكم (٣٢٠/٢ ، ٣٢١) من طريق سليمان بن حرب - مقرونا به محمد بن كثير عند عبد اللَّه بن أحمد - عن حماد بن سلمة به، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة » .

(١٧٢) - « المستدرك » (٢٥/١) (٣٢٠/٢ ، ٣٢١ ، ٥٧٧) وأخرجه أحمد (٢٠٩/٣) وابنه عبد اللَّه في « السنة » (١/رقم ٥٠٢) ، وابن خزيمة (١/ص ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢) وابن أبي حاتم (٨٩٤٠/٥)=

[١] - في ز : « يقول » .

[٢] - زيادة من : ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « يقول » .

حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه ».

ورواه أبو محمد الحسن بن محمد الخلال(١٧٣) ، عن محمد بن علي بن سويد ، عن أبي القاسم البغوي ، عن هدبة[١] بن خالد ، عن حماد بن سلمة ، فذكره وقال : هذا إسناد صحيح لا علة فيه .

وقد رواه داود بن المحبر[٢](١٧٤) ، عن شعبة ، عن ثابت ، عن أنس مرفوعًا بنحوه[٣]، وأسنده ابن مردويه(١٧٥) من طريقين ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أنس مرفوعًا بنحوه .

[وأسنده ابن مردويه(١٧٦) ، من طريق ابن البيلماني ، عن أبيه ، عن ابن عمر مرفوعًا][٤] ، ولا يصح أيضًا .

وقال السدي : عن عكرمة ، عن ابن عباس في قول الله تعالى : ﴿ **فلما تجلىٰ ربه للجبل** ﴾ قال : ما تجلىٰ منه إلا قدر الخنصر ﴿ **جعله دكا** ﴾ قال : ترابا ﴿ **وخر موسىٰ صعقًا** ﴾ قال :

= وابن الأعرابي في « معجمه » (٣/رقم ٤٠٥) وابن منده في « الرد على الجهمية » (رقم ٧٠) وابن مردويه والبيهقي في « كتاب الرؤية » والضياء المقدسي في « المختارة » وصححه - كما في « اللآلئ المصنوعة » (٣٠/١) - من طرق عن حماد بن سلمة ، به .

(١٧٣) - انظر رقم (١٧٠) .

(١٧٤) - وداود بن المحبر متروك - كما في « التقريب » لكن وتابعه سعيد بن عامر عن شعبة به أخرجه ابن منده في « الرد على الجهمية » (رقم ٥٩) أخبرنا أحمد بن محمد بن زياد ثنا أحمد بن محمد الصيدلاني البغدادي ثنا سعيد بن عامر به ، ورجاله ثقات سوى أحمد بن محمد الصيدلاني ترجم له الخطيب (٥/ ١٣٧) ولم يذكر فيه شيئًا ، وقال ابن منده : « وهو من حديث شعبة غريب مرفوع » .

(١٧٥) - ومن طريق سعيد بن أبي عروبة أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/رقم ٤٨٢ ، ٤٨٣) - وصحح إسناده الألباني - وعبد الله بن أحمد في « السنة » (١/رقم ٥٠١) ومن طريقه ابن منده في « الرد على الجهمية » معلقًا (٦٠) ووصله عند رقم (٧١) والطبراني في « السنة » - كما في « اللآليء المصنوعة » (٢٩/١) - كلهم من طريق سعيد بن أبي عروبة به وعزاه السيوطي في «اللآليء المصنوعة » إلى أبي الشيخ في « التفسير » من طريق أحمد بن محمد الصيدلاني ثنا إسحاق بن داود بن المحبر ثنا همام عن قتادة به وقال ابن منده : « هذا حديث مشهور ، وقد روي من طرق عن أنس بن مالك » .

(١٧٦) - وعزاه لابن مردويه السيوطي في « اللآليء المصنوعة » (٣٠/١) - من طريق المسيب بن شريك عن ابن البيلماني به ، وهذا إسناد مسلسل بالضعفاء ، ابن البيلماني هو محمد بن عبد الرحمن ، ضعيف هو وأبوه والابن أشد ضعفًا - مترجم لهما في « التهذيب » - والمسيب بن شريك ، قال أحمد : ترك الناس حديثه ، وقال البخاري : سكتوا عنه ، وقال مسلم وجماعة : « متروك » وهو مترجم له في « اللسان » .

---

[١] - في ز : « هدبة » .
[٢] - في ز : « المحير » .
[٣] - زيادة من : ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

مغشيًّا عليه .

رواه ابن جرير(١٧٧) .

وقال قتادة : ﴿ **وخر موسىٰ صعقًا** ﴾ قال : ميتًا .

وقال سفيان الثوري : ساخ الجبل في الأرض حتىٰ وقع في البحر ، فهو يذهب معه .

وقال سنيد : عن حجاج بن محمد الأعور ، عن أبي بكر الهذلي ﴿ **فلما تجلىٰ ربه للجبل جعله دكًا** ﴾ : انقعر فدخل تحت الأرض ، فلا يظهر إلىٰ يوم القيامة .

وجاء في بعض الأخبار : أنه ساخ في الأرض ، فهو يهوي فيها إلىٰ يوم القيامة . رواه ابن مردويه .

وقال ابن أبي حاتم(١٧٨) : حدثنا عمر بن شبة ، حدثنا محمد بن يحيىٰ أبو غسان الكناني ، حدثنا عبد العزيز بن عمران ، عن معاوية بن عبد اللَّه ، عن الجلد بن أيوب ، [عن معاوية][١] بن قرة، عن أنس بن مالك : أن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « **لما تجلىٰ اللَّه للجبال طارت لعظمته ستة أجبل ، فوقعت ثلاثة بالمدينة وثلاثة بمكة ؛ بالمدينة : أحد وَوَرِقان[٢] ورضوىٰ . ووقع بمكة : حراء[٣] وثَبِير وثور** » .

(١٧٧) - تفسير ابن جرير (١٥٠٧٨/١٣) وكذا أخرجه ابن أبي عاصم في « السنة » (١/رقم ٤٨٤) وعبد اللَّه بن أحمد في « السنة » (١/رقم ٥٠٤) وابن أبي حاتم في « التفسير » (٨٩٣٧/٥) من طريق عمرو بن محمد العنقزي - تحرف عند ابن جرير إلى محمد بن عمرو - ثنا أسباط عن السدي ، به .

(١٧٨) - موضوع « التفسير » لابن أبي حاتم (٨٩٣٩/٥) وأخرجه ابن حبان في « المجروحين » (٢١١/١) والمحاملي في « الأمالي » (١/١٧٢/١) - نقلًا عن « الضعيفة » للألباني (١/رقم ١٦٢) - ومن طريقه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٤٤٠/١٠ ، ٤٤١) ، ومن طريق البغدادي ابن الجوزي في « الموضوعات » (١٢٠/١) - وابن الأعرابي في «معجمه» - كما في « الضعيفة » أيضًا - وأبو الشيخ وابن مردويه - كما في « اللآلئ المصنوعة » (٢٨/١) - كلهم من طريق عبد العزيز بن عمران به ، قال ابن حبان: « موضوع لا أصل له » وقال البغدادي : « هذا الحديث غريب جدًّا » ونقل ابن الجوزي كلام ابن حبان وأبان علة الحكم عليه بالوضع فقال: «عبد العزيز بن عمران يروي المناكير عن المشاهير ، وقال يحيى بن معين : ليس بثقة ، وقال البخاري : منكر الحديث لا يكتب حديثه ، وقال النسائي : متروك الحديث » وأورده الذهبي في ترجمته في « الميزان » (٣/ت ٥١١٩) وتعقب السيوطي ابن الجوزي في الحكم عليه بالوضع - بمالا يقوى ، وانظر « تنزيه الشريعة » لابن عراق (١٤٣/١ ، ١٤٤) ، « والفوائد المجموعة » للشوكاني (ص ٤٤٥) و« الضعيفة » للألباني .

[١] - سقط من : خ ، ز .
[٢] - في خ : « ورقاء » ، وفي ز : «ورقا» .
[٣] - في ز : « حرى » .

وهذا حديث غريب ، بل منكر .

وقال ابن أبي حاتم(١٧٩) : ذُكر عن محمد بن عبد اللَّه بن أبي الثلج ، حدثنا الهيثم بن خارجة ، حدثنا عثمان بن حصين بن علاق ، عن عروة بن رُوَيم قال : كانت الجبال قبل أن يتجلىٰ اللَّه لموسىٰ علىٰ الطور صُمًّا مُلْسًا ، فلما تجلىٰ اللَّه لموسىٰ علىٰ الطور دُكَّ ، وتفطرت الجبال ، فصارت الشقوق والكهوف .

وقال الربيع بن أنس : ﴿ **فلما تجلىٰ ربه للجبل جعله دكًّا وخر موسىٰ صعقًا** ﴾ ، وذلك أن الجبل حين كشف الغطاء ، ورأىٰ النور صار مثل دك من الدكَّات[١]. وقال بعضهم : ﴿ **جعله دكًا** ﴾ أي : فتَّته .

وقال مجاهد في قوله : ﴿ **ولكن انظر إلىٰ الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني** ﴾ ، فإنه أكبر منك وأشد خلقًا ، ﴿ **فلما تجلىٰ ربه للجبل** ﴾ فنظر إلىٰ الجبل لا يتمالك ، وأقبل الجبل فَدُكَّ علىٰ أوله ، ورأىٰ موسىٰ ما يصنع الجبل ، فخر صعقًا .

وقال عكرمة ﴿ **جعله دكَّاء** ﴾ قال : نظر اللَّه إلىٰ الجبل فصار صحراء[٢] ترابًا.

وقد قرأ بهذه القراءة بعض القراء[٣] ، واختارها ابن جرير ، وقد ورد فيها حديث مرفوع رواه ابن مردويه(١٨٠) .

والمعروف أن الصعق هو الغَشْي هاهنا ، كما فسره ابن عباس وغيره ، لا كما فسره قتادة بالموت ، وإن كان ذلك صحيحًا في اللغة ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء اللَّه ثم نفخ فيه أخرىٰ فإذا هم قيام ينظرون** ﴾ ، فإن هنا قرينة تدل علىٰ الموت كما أن هناك قرينة تدل علىٰ الغشي ، وهي قوله : ﴿ **فلما أفاق** ﴾ والإِفاقة إنما تكون من[٤] غشي .

(١٧٩) - « التفسير » لابن أبي حاتم (٨٩٤٣/٥) .

(١٨٠) - وعزاه لابن مردويه السيوطي في « الدر المنثور » (٢٢٢/٣) - ولم أقف على إسناده وما ينفرد به ابن مردويه الغالب عليه الضعف ، وقد أخرج ما يخالفه أيضًا - عزاه له السيوطي - وصححه الحاكم على شرط مسلم (٢٣٩/٢) ووافقه الذهبي، من حديث أنس أيضًا، أن النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - قرأ ﴿ **دكًا** ﴾ منونة ولم يمدد .

[١] - في خ ، ز : « الدكاك » والمثبت من تفسير ابن جرير (١٥٠٨٩/١٢) .

[٢] - في ز : « صخرا » .

[٣] - هي قراءة حمزة ، والكسائي ، كما في السبعة لابن مجاهد ص ٢٩٣ .

[٤] - ساقطة من : ت .

﴿ **قال سبحانك** ﴾ تنزيهًا وتعظيمًا وإجلالًا أن يراه أحد في الدنيا إلا مات .

وقوله : ﴿ **تبت إليك** ﴾ قال مجاهد : أن أسألك الرؤية .

﴿ **وأنا أوّل المؤمنين** ﴾ قال ابن عباس ومجاهد : من بني إسرائيل. واختاره ابن جرير ، وفي رواية أخرىٰ عن ابن عباس : ﴿ **وأنا أوّل المؤمنين** ﴾ أنه لا يراك أحد، وكذا قال أبو العالية : قد كان قبله مؤمنون ، ولكن يقول : أنا أوّل من آمن بك أنه لا يراك أحد من خلقك إلىٰ يوم القيامة .

وهذا قول حسن له اتجاه ، وقد ذكر محمد بن جرير في تفسيره هاهنا[١] أثرًا طويلًا فيه غرائب وعجائب عن محمد بن إسحاق بن يسار ، وكأنه تلقاه من الإسرائيليات والله أعلم .

[ ][٢] وقوله : ﴿ **وخر موسىٰ صعقًا** ﴾ فيه أبو سعيد وأبو هريرة عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ؛ فأما حديث أبي سعيد فأسنده [البخاري في صحيحه][٣] هاهنا(١٨١) فقال :

حدثنا[٤] محمد بن يوسف ، حدثنا سفيان ، عن عمرو[٥] بن يحيىٰ المازني ، عن أبيه ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : جاء رجل من اليهود إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم قد لُطم وجهُه ، فقال : يا محمد إن رجلًا من أصحابك من الأنصار [لطم وجهي][٦] . قال[٧] : « **ادعُوه** ». فدعَوه ، قال[٨]: « **لم لطمت وجهه ؟** » . قال[٩] : يا رسول الله ! إني مررت باليهود[١٠] فسمعته يقول: والذي اصطفىٰ موسىٰ علىٰ البشر . قال: [قلت: و][١١] علىٰ محمد ؟ . فأخذتني غضبة ، فلطمته . قال : « **لا تخيروني من بين الأنبياء ، فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق ، فإذا أنا بموسىٰ آخذ بقائمة من قوائم العرش ، فلا أدري أفاق قبلي أم جُوزي بصعقة الطور** » .

---

(١٨١) – صحيح البخاري كتاب : « التفسير » باب ﴿ **ولما جاء موسى لميقاتنا ....** ﴾ (٤٦٣٨) – وانظره بأطرافه عند فاتحة كتاب ، الخصومات (٢٤١٢) – وأخرجه أحمد (٣/٣١ ، ٣٣ ، ٤٠) ومسلم ، كتاب : الفضائل ، باب : من فضائل موسى عليه السلام (١٦٢ ، ١٦٣) (٢٣٧٤) ، وأبو داود ، كتاب : السنة ، باب : في التخيير بين الأنبياء عليهم السلام (٤٦٦٨) من طرق عن عمرو ابن يحيى ، به .

---

[١] – ابن جرير في تفسيره (١٣/١٥٠٧٧).
[٢] – في خ ، ز « وقال البخاري في صحيحه » .
[٣] – سقط من : ز .
[٤] – سقط من: خ ، ز .
[٥] – في ز : « عمر » .
[٦] – في ز : « لطف وجهه » .
[٧] – في ز : « فقال » .
[٨] – في ز : « فقال » .
[٩] – في ز : « فقال » .
[١٠] – في ت : « باليهودي » .
[١١] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

وقد رواه البخاري في أماكن كثيرة من صحيحه ، ومسلم في أحاديث الأنبياء من صحيحه ، وأبو داود في كتاب السنة من سننه من طرق عن عمرو بن يحيىٰ بن عمارة بن أبي الحسن المازني الأنصاري المدني ، عن أبيه ، عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري به .

وأما حديث أبي هريرة ، فقال الإمام أحمد في مسنده(١٨٢) :

حدثنا[١] أبو كامل ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، حدثنا ابن شهاب ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وعبد الرحمن الأعرج ، عن أبي هريرة - رضي اللّٰه عنه - قال[٢] : استب رجلان : رجل من المسلمين ورجل من اليهود ، فقال المسلم : والذي اصطفىٰ محمدًا علىٰ العالمين ، وقال اليهودي : والذي اصطفىٰ موسىٰ علىٰ العالمين، فغضب المسلم علىٰ اليهودي فلطمه، فأتىٰ اليهودي رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فأخبره، فدعاه رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فسأله فاعترف بذلك ، فقال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **لا تخيروني علىٰ موسىٰ ، فإن الناس يُصعَقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق . فأجد[٣] موسىٰ ممسكًا بجانب العرش ، فلا أدري أكان ممن صعق فأفاق قبلي ، أم كان ممن استثناه اللّٰه عز وجل** » .

أخرجاه في الصحيحين من حديث الزهري به.

وقد روىٰ الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا(١٨٣) - رحمه اللّٰه - : أن الذي لطم اليهودي في هذه القضية هو أبو بكر الصديق رضي اللّٰه عنه ، ولكن تقدم(١٨٤) في الصحيحين : أنه رجل من

---

(١٨٢) - « المسند » (٢٦٤/٢) (رقم ٧٥٧٦/شاكر) وأخرجه البخاري ، فاتحة كتاب الخصومات (٢٤١١) ، وكتاب : الرقاق ، باب : نفخ الصور (٦٥١٧) ، وكتاب : التوحيد ، باب : في المشيئة والإرادة (٧٤٧٢) ومسلم ، كتاب : الفضائل ، باب : من فضائل موسى - صلى اللّٰه عليه وسلم - (١٦٠) (٢٣٧٣) وأبو داود، كتاب : السنة باب : في التخيير بين الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام (٤٦٧١) ، والنسائي في « الكبرى » كتاب : النعوت (٧٧٥٨/٤) . من طرق عن إبراهيم بن سعد بهذا الإسناد ، وانظر ما تقدم [سورة البقرة / آية ٢٥٣] .

(١٨٣) - في « كتاب البعث » - كما في « فتح الباري » للحافظ ابن حجر (٤٤٣/٦) - من طريق سفيان ابن عيينة - وهو في « جامعه » - عن عمرو بن دينار عن عطاء وابن جدعان عن سعيد بن المسيب قال : كان بين رجل من أصحاب النبي - صلى اللّٰه عليه وسلم - وبين رجل من اليهود كلام في شيء - فقال عمرو بن دينار : هو أبو بكر الصديق « فقال اليهودي : والذي اصطفى موسى على البشر . فلطمه المسلم ... الحديث ، وهذا مرسل قوي .

(١٨٤) - تقدم هنا برقم (١٨١)

---

[١] - سقط من : ر
[٢] - سقط من : ر
[٣] - في ر « فأجد »

الأنصار ، وهذا هو أصح وأصرح ، واللَّه أعلم .

والكلام في قوله عليه السلام : « **لا تخيروني علىٰ موسىٰ** » كالكلام علىٰ قوله : « **لا تفضلوني علىٰ الأنبياء ، ولا علىٰ يونس بن متىٰ** »(١٨٥) ، قيل : من باب التواضع ، وقيل : قبل أن يعلم بذلك ، وقيل : نهىٰ أن يفضل بينهم علىٰ وجه الغضبية والتعصب ، وقيل : علىٰ وجه القول بمجرد الرأي والتشهي ، واللَّه أعلم .

وقوله : « **فإن الناس يصعقون يوم القيامة** » ، الظاهر : أن هذا الصعق يكون في عَرَصَات القيامة ، يحصل أمر يصعقون منه ، واللَّه أعلم به ، وقد يكون ذلك إذا جاء الرب تبارك وتعالىٰ لفصل القضاء ، وتجلىٰ للخلائق الملك الديان ، كما صُعق موسىٰ من تجلي الرب تبارك وتعالىٰ ؛ ولهذا قال عليه السلام : « **فلا أدري : أفاق قبلي أم جُوزي بصعقة الطور** » .

وقد روىٰ القاضي عياض في أوائل كتابه (الشفاء) بسنده(١٨٦) : عن محمد بن محمد بن مرزوق ، [حدثنا قتادة][١] ، حدثنا الحسن ، عن قتادة ، عن يحيىٰ بن وَثَّاب ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **لما تجلىٰ اللَّه لموسىٰ - عليه السلام - كان يبصر النملة علىٰ الصفا في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ** » . ثم قال : ولا يبعد علىٰ هذا أن يختص

(١٨٥) - أخرجه البخاري ، كتاب : الأنبياء ، باب : قول اللَّه تعالى ﴿ **وإن يونس لمن المرسلين** ﴾ (٣٤١٤) ، ومسلم ، كتاب : الفضائل ، باب : من فضائل موسى - صلى اللَّه عليه وسلم - (١٥٩) (٢٣٧٣) والنسائي في « التفسير » من « الكبرى » (١١٤٦١/٦) من طريق عبد اللَّه بن الفضل عن الأعرج عن أبي هريرة به مطولًا .

(١٨٦) - **إسناده ضعيف** كتاب « الشفاء » للقاضي عياض (ص ٦٨ ، ٦٩) بسنده عن « محمد بن مرزوق ثنا همام - كذا وهو محرف ، وكذا تحرف عند المصنف هنا ويأتي ذكر الصواب - ثنا الحسن به بهذا الإسناد » وقال العلامة الشمني في ذيله على كتاب « الشفا » : « قوله (حدثنا همام) كذا في كثير من النسخ وصوابه هانئ وهو هانئ بن يحيى السلمي ، أخذ عن الحسن بن أبي جعفر الجعفري أحد الضعفاء ، قال الطبراني - لم أهتد إليه في معاجمه الثلاثة - : لم يروه عن قتادة إلا الحسن بن أبي جعفر تفرد به هانئ ابن يحيى » وهو « يخطئ » - قاله ابن حبان في « الثقات » (٢٤٧/٩) - وشيخه « ضعيف الحديث مع عبادته وفضله » وهو مترجم له في « التهذيب » والراوى عن هانئ ، صدوق له أوهام وهو من رجال « التهذيب » أيضًا ، ومن هذا تعلم أن قول ابن كثير « لا يخلو رجال إسناده من مجاهيل لا يعرفون » غير مضبوط إذ رجاله مترجم لهم ومعروفون ولكن تحرف الإسناد عند ابن كثير ولهذا لم يعرف بعضهم وباللَّه التوفيق .

والحديث اكتفى السيوطي في « الدر المنثور » (٢٢٢/٣) بعزوه إلى أبي الشيخ .

[١] - كذا في جميع النسخ والذي في « كتاب الشفاء » [ثنا همام] وهو خطأ أيضًا وصوابه هانئ » انظر تخريج الحديث .

نبينا بما ذكرناه من هذا الباب بعد الإسراء والحُظْوة بما رأىٰ من آيات ربه الكبرىٰ .

انتهىٰ ما قاله ، وكأنه صحح هذا الحديث ، وفي صحته نظر ، ولا يخلو رجال إسناده من مجاهيل لا يعرفون ، ومثل هذا إنما يقبل من رواية[١] العدل الضابط عن مثله حتىٰ ينتهي إلىٰ منتهاه ، واللَّه أعلم .

قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾

يذكر تعالىٰ أنه خاطب موسىٰ بأنه اصطفاه علىٰ عالمي زمانه برسالاته وكلامه[٢] ، ولا شك أن محمدًا صلىٰ اللَّه عليه وسلم سيد ولد آدم من الأولين والآخرين ؛ ولهذا اختصه[٣] اللَّه بأن جعله خاتم الأنبياء والمرسلين ، التي تستمر شريعته إلىٰ قيام الساعة ، وأتباعه أكثر من أتباع سائر[٤] الأنبياء والمرسلين كلهم ، وبعده في الشرف والفضل إبراهيم الخليل عليه السلام ، ثم موسىٰ [بن عمران][٥] كليم الرحمن عليه السلام ؛ ولهذا قال اللَّه تعالىٰ له : ﴿ **فخذ ما آتيتك** ﴾ أي : من الكلام والمناجاة ﴿ **وكن من الشاكرين** ﴾ أي : علىٰ ذلك ، ولا تطلب ما لا طاقة لك به .

ثم أخبر تعالىٰ أنه كتب ﴿ **له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلًا لكل شيء** ﴾ قيل : كانت الألواح من جوهر ، وإن اللَّه تعالىٰ كتب له فيها مواعظ وأحكامًا مفصلة مبينة للحلال و[٦]الحرام ، وكانت هذه الألواح مشتملة علىٰ التوراة التي قال اللَّه تعالىٰ فيها : ﴿ **ولقد آتينا موسىٰ الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولىٰ بصائر للناس** ﴾ .

وقيل : الألواح أعطيها موسىٰ قبل التوراة . فاللَّه أعلم . وعلىٰ كل تقدير كانت كالتعويض له عما سأل من الرؤية ومُنع منه[٧] ، واللَّه أعلم .

وقوله : ﴿ **فخذها بقوة** ﴾ أي : بعزم علىٰ الطاعة ﴿ **وأمر قومك يأخذوا بأحسنها** ﴾ قال

---

[١] - في ز : « رواته » .
[٢] - في ت : « بكلامه » .
[٣] - في ز : « اختصر » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٦] - في ز : « من » .
[٧] - في ت : « منها » .

سفيان بن عيينة(١٨٧) : ثنا أبو سعد[١] ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : أمر موسىٰ عليه السلام أن يأخذ بأشد ما أُمِر قومه .

وقوله : ﴿ سأوريكم دار الفاسقين ﴾ أي : سترون[٢] عاقبة من خالف أمري وخرج عن طاعتي كيف يصير إلىٰ الهلاك والدمار والتباب ؟

قال ابن جرير[٣] : وإنما قال : ﴿ سأوريكم دار الفاسقين ﴾ كما يقول القائل لمن يخاطبه : (سأوريك[٤] غدًا إلام يصير إليه حال من خالف أمري) ، علىٰ وجه التهديد[٥] والوعيد لمن عصاه وخالف أمره .

ثم نقل معنىٰ ذلك عن مجاهد والحسن البصري .

وقيل : معناه ﴿ سأوريكم دار الفاسقين ﴾ أي : من أهل الشام ، وأعطيكم إياها . وقيل : منازل قوم فرعون ، والأول أولىٰ ، والله أعلم ؛ لأن هذا كان بعد انفصال موسىٰ وقومه عن بلاد مصر ، وهو خطاب لبني إسرائيل قبل دخولهم التيه ، والله أعلم .

---

(١٨٧) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥١١٢/١٣) وأبو سعد هو البقَّال ، شعيد بن المرزوبان : ضعيف .

---

[١] - في خ ، ز : « سعيد » .
[٢] - في ز : « ستروا » .
[٣] - ابن جرير في تفسيره (١١٠/١٣) .
[٤] - في ز : « سأريك » .
[٥] - في تفسير ابن جرير (١١٠/١٣) : « التهدُّد » .

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ (١٤٦) وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (١٤٧) ﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق** ﴾ أي : سأمنع فهمَ الحُجج والأدلة الدالة علىٰ عظمتي وشريعتي وأحكامي قلوبَ المتكبرين عن طاعتي ، ويتكبرون علىٰ الناس بغير حق ، أي : كما استكبروا بغير حق أذلهم اللَّه بالجهل ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **فلما زاغوا أزاغ اللَّه قلوبهم** ﴾ .

وقال بعض السلف(١٨٧) : لاينال العلم حَيِيٌّ ولامستكبر .

وقال آخر : من لم يصبر علىٰ ذل التعلم[١] ساعة بقي في ذل الجهل أبدًا .

وقال سفيان بن عيينة في قوله : ﴿ **سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق** ﴾ قال : أنزع عنهم فهم القرآن ، وأصرفهم عن آياتي .

قال ابن جرير[٢] : وهذا يدل علىٰ أن هذا خطاب لهذه الأمة .

قلت :ليس هذا بلازم ؛ لأن ابن عيينة إنما أراد أن هذا مطرد في حق كل أمة ، ولا فرق بين أحد وأحد في هذا ، واللَّه أعلم .

---

(١٨٧) - علقه البخاري في صحيحه ، كتاب : العلم ، باب : الحياء في العلم من كلام مجاهد بلفظ : « لا يتعلَّمُ العلم ، مُستحيي ولا مُستكبرٌ » وقال الحافظ في « الفتح » (٢٢٩/١) : « وصله أبو نعيم في « الحلية » (٢٨٧/٣) من طريق علي بن المديني ، عن ابن عيينة ، عن منصور » كذا وفي « الحلية » مسعر ، عن مجاهد ، ورواه من طريق إسماعيل بن سعيد الكسائي ، ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد به ، وقد رواه منصور عن مجاهد أيضًا في غير « الحلية » انظر « تغليق التعليق » لابن حجر (٩٣/٢) .

---

[١] - في ز : « التعليم » .
[٢] - ابن جرير في تفسيره (١١٣/١٣) .

وقوله : ﴿ **وإن يروا كل آية لايؤمنوا بها** ﴾ كما قال تعالىٰ : ﴿ **إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لايؤمنون * ولو جاءتهم كل آية حتىٰ يروا العذاب الأليم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا** ﴾ أي : وإن ظهر لهم ﴿ **سبيل الرشد** ﴾ أي : طريق النجاة لايسلكوها ، وإن ظهر لهم طريق الهلاك والضلال ﴿ **يتخذوه سبيلا** ﴾ .

ثم علل مصيرهم إلىٰ هذه الحال[١] بقوله : ﴿ **ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا** ﴾ أي : كذبت بها قلوبهم ﴿ **و كانوا عنها غافلين** ﴾ أي : لا يعلمون شيئًا مما فيها .

وقوله : ﴿ **والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم** ﴾ أي : من فعل منهم ذلك واستمر عليه إلىٰ الممات حبط عمله .

وقوله : ﴿ **هل يجزون إلا ماكانو يعملون** ﴾ أي : إنما نجازيهم بحسب أعمالهم التي أسلفوها ؛ إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر ، وكما تَدين تُدان .

وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

يخبر تعالىٰ عن ضلال من ضل من بني إسرائيل في عبادتهم العجل ، الذي اتخذه لهم السامري من حُليّ القبط ، الذي كانوا استعاروه منهم ، فشكل لهم منه عجلا ، ثم ألقىٰ فيه القبضة من التراب التي أخذها من أثر فرس جبريل عليه السلام ، فصار عجلا جسدًا له خُوار ، والخوار : صوت البقر ، وكان هذا منهم بعد ذهاب موسىٰ لميقات ربه تعالىٰ ، وأعلمه الله تعالى بذلك وهو علىٰ الطور ، حيث يقول تعالىٰ إخبارًا عن نفسه الكريمة : ﴿ **قال فإنا قد فتنَّا قومك من بعدك وأضلهم السامري** ﴾ .

وقد اختلف المفسرون في هذا العجل : هل صار لحمًا ودمًا له خوار ؟ أو استمر علىٰ كونه من ذَهَبٍ إلا أنه يدخل فيه الهواء[٢] فيصوِّت كالبقر ؟ علىٰ قولين ، والله أعلم .

---

[١] - سقط من: خ ، ز . [٢] - في ز : « الهوى » .

ويقال : إنهم لما صَوّت لهم العجل رقصوا حوله وافتتنوا به قالوا[١] ﴿ **هذا إلهكم وإله موسىٰ فنسي** ﴾ ، فقال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولًا ولا يملك لهم ضرًّا ولا نفعًا** ﴾ .

وقال في هذه الآية الكريمة : ﴿ **ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلًا** ﴾ ينكر تعالىٰ عليهم في ضلالهم بالعجل ، وذُهُولهم عن خالق السماوات والأرض ورب كل شيء ومليكه ، أن عبدوا معه عجلا جسدًا له خوار لايكلمهم ولايرشدهم إلىٰ خير ، ولكن غَطَّىٰ علىٰ أعين بصائرهم عمىٰ الجهل والضلال ، كما تقدم من رواية الإمام أحمد وأبي داود ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **حبك الشيء[٢] يُعْمي وَيُصِمّ** »(١٨٨) .

وقوله : ﴿ **ولما سُقط في أيديهم** ﴾ أي : ندموا علىٰ ما فعلوا ﴿ **ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا** ﴾ وقرأ بعضهم[٣] : (**لئن لم ترحمنا[٤]**) بالتاء المثناة من فوق[٥] ، ﴿ **ربنا** ﴾ منادىٰ ﴿ **وتغفر[٦] لنا** ﴾ ، ﴿ **لنكونن من الخاسرين** ﴾ أي : من الهالكين ، وهذا اعتراف منهم بذنبهم ، والتجاء إلىٰ اللَّه -عز وجل- .

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾

يخبر تعالىٰ أن موسىٰ - عليه السلام - رجع إلىٰ قومه من مناجاة ربه تعالىٰ وهو غضبان أسف . قال أبو الدرداء : والأَسَف : أشد الغضب .

﴿ **قال بئسما خلفتموني من بعدي** ﴾ يقول : بئس ما صنعتم في عبادتكم العجل بعد أن ذهبت وتركتكم !

[١] - في ز : « وقال » . [٢] - في ز : « للشيء » .
[٣] - وهي قراءة حمزة ، والكسائي ، السبعة لابن مجاهد (ص ٢٩٤) .
[٤] - في ز : « تغفر لنا » .
[٥] - في ز : « فوقها » . [٦] - في ت : « ويغفر » .

[وقوله : ﴿ **أعجلتم أمر ربكم** ﴾ يقول : استعجلتم مجيئي إليكم ، وهو مقدَّر من الله تعالىٰ][١] .

وقوله : ﴿ **وألقىٰ الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه** ﴾ قيل : كانت الألواح من زُمُرُّد ، وقيل : من ياقوت ، وقيل : من برد . وفي هذا دلالة علىٰ ما جاء في الحديث(١٨٩) : « **ليس الخبر كالمعاينة** » .

ثم ظاهر السياق : أنه إنما ألقىٰ الألواح غضبًاعلىٰ قومه ، وهذا قول جمهور العلماء سلفًا وخلفًا ، وروىٰ ابن جرير(١٩٠) عن قتادة في هذا قولا غريبًا ، لا يصح إسناده إلىٰ حكاية قتادة ، وقد رده ابن عطية وغير واحد من العلماء ، وهو جدير بالرد ، وكأنه تلقاه قتادة عن بعض أهل الكتاب ، وفيهم كذابون ووضاعون وأفاكون وزنادقة .

وقوله : ﴿ **وأخذ برأس أخيه يجره إليه** ﴾ خوفًا أن يكون قد قصر في نهيهم ، كما قال في الآية الأخرىٰ ﴿ **قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألَّا تتبعن**[٢] **أفعصيت أمري قال يا ابن أم لاتأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي** ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ [**قال**][٣] **ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولاتجعلني مع القوم الظالمين** ﴾ أي : لاتسُقني[٤] مَسَاقهم ، ولا تخلطنى[٥] معهم ، وإنما قال : ﴿ **ابن أم** ﴾ لتكون أرأف وأنجع عنده ، وإلا فهو شقيقه لأبيه وأمه ، فلما تحقق موسىٰ عليه السلام براءة ساحة هارون عليه السلام ؛ [ ][٦] كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري** ﴾ . فعند ذلك قال موسىٰ : ﴿ **رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين** ﴾ .

---

(١٨٨) - **ضعيف** تقدم تخريجه [سورة البقرة /آية ٩٣] .

(١٨٩) - يأتي تخريجه برقم (١٩١)

(١٩٠) - « التفسير » لابن جرير (١٥١٣٢/١٣) وسيذكره المصنف هنا عند قوله ﴿ **ولما سكت عن موسى الغضب ...** ﴾ (رقم ١٩٣) وقال ابن جرير : « والذي هو أولى بالصواب من القول في ذلك ، أن يكون سبب إلقاء موسى الألواح ، كان من أجل غضبه على قومه لعبادتهم العجل ، لأن الله - جل ثناؤه - بذلك أخبر في كتابه فقال ﴿ **ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفًا قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه** ﴾ .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ز : « تتبعنى » .

[٣] - سقط من خ .

[٤] - في ز : « لا تسوقنى » .

[٥] - في ز : « تخلطنى » .

[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « قال : » .

قال ابن أبي حاتم(١٩١) : حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، ثنا عفان ، ثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **يرحم الله موسىٰ ! ليس المعاين كالمخبر ، أخبره ربه - عز وجل - أن قومه فتنوا بعده فلم يلق الألواح ، فلما رآهم وعاينهم ألقىٰ الألواح** » .

إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾

أما الغضب الذي نال بني إسرائيل في عبادة العجل ، فهو أن الله تعالىٰ لم يقبل لهم توبة حتىٰ قتل بعضهم بعضًا ؛ كما تقدم في سورة البقرة : ﴿ **فتوبوا إلىٰ بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم** ﴾ .

وأما الذلة فأعقبهم ذلك ذلًا[١] وصغارًا في الحياة الدنيا .

وقوله : ﴿ **و كذلك نجزي المفترين** ﴾ نائلة لكل من افترىٰ بدعة ، فإن ذل البدعة ومخالفة الرسالة متصلة من قلبه علىٰ كتفيه ؛ كما قال الحسن البصري : إن ذل البدعة علىٰ أكتافهم وإن

---

(١٩١) - **إسناده صحيح** ، « التفسير » لابن أبي حاتم (٨٩٩٨/٥) وأخرجه البزار (١/رقم ٢٠٠ كشف الأستار) وابن حبان (٦٢١٤/١٤ - إحسان) والطبراني في « الكبير » (١٢٤٥١/١٢) وابن عدي في « الكامل » (٢٥٩٦/٧) والحاكم في « المستدرك » (٣٨٠/٢) والخطيب البغدادي في « موضح أوهام الجمع والتفريق » (٥٣٠/١) من طرق عن أبي عوانة به مطولًا ومختصرًا ، وصححه الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبي . وأخرجه أحمد (٢١٥/١ ، ٢٧١) وابن حبان (٦٢١٣/١٤) والطبراني في « الأوسط » (١/رقم ٢٥) ، وابن عدي والقضاعي في « مسند الشهاب » (١١٨٢/٢ ، ١١٨٣) وأبو الشيخ في « الأمثال » (رقم ٥) والحاكم (٣٢١/٢) ، والخطيب في « تاريخ بغداد » (٥٦/٦) من طرق عن هشيم عن أبي بشر به ، وصححه الحاكم أيضًا على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ، واختاره الضياء - « المختارة » - (١٠/رقم ٧٣ : ٧٦) لكن قيل : « إن هشيمًا لم يسمعه من أبي بشر ، وإنما سمعه من أبي عوانة عنه ، فدلسه » قال السخاوي في « المقاصد الحسنة » (ص ٣٥٢) : « وقول ابن عدي - نسبه السخاوي لابن عدي و إنما ذكره ابن عدي عن غيره وبصيغة التمريض - إن هشيمًا لم يسمعه من أبي بشر ، وإنما سمعه من أبي عوانة عنه فدلسه ، لا يمنع صحته ...» .

---

[١] - في ز : « ذلة » .

هَمْلَجَت[١] بهم البغلات ، وَطْقَطَقَتْ بهم البراذين[٢] .

وهكذا روىٰ أيوب السختياني : عن أبي قلابة الجرمي أنه قرأ هذهالآية : ﴿ **وكذلك نجزي المفترين** ﴾ فقال[٣] : هي والله لكل مفتر إلىٰ يوم القيامة .

وقال سفيان بن عيينة : كلُّ صاحب بدعة ذليل .

ثم نبه تعالىٰ عباده وأرشدهم إلىٰ أنه يقبل توبة عباده من أي ذنب كان ، حتىٰ ولو كان من كفر أو شرك أو نفاق أو شقاق ؛ ولهذا عقب هذه القصة بقوله : ﴿ **والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك** ﴾ أي : يا محمد يارسول الرحمة ونبي النور ﴿ **من بعدها** ﴾ أي : من بعد تلك الفعلة ﴿ **لغفور رحيم** ﴾.

وقال ابن أبي حاتم(١٩٢) : حدثنا أبي ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، ثنا أبان ، ثنا قتادة ، عن عزرة[٤] ، عن الحسن العرني ، عن علقمة ، عن عبد الله بن مسعود : أنه سئل عن ذلك - يعني - عن الرجل يزني بالمرأة ثم يتزوجها . فتلا هذه الآية : ﴿ **والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم** ﴾ فتلاها عبد الله عشر مرات ، فلم يأمرهم بها ولم ينههم عنها .

﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ (١٥٤)

يقول تعالىٰ : ﴿ **ولما سكت** ﴾ أي : سكن ﴿ **عن موسي الغضب** ﴾ أي : غضبه علىٰ قومه ﴿ **أخذ الألواح** ﴾ أي : التي كان ألقاها من شدة الغضب علىٰ عبادتهم العجل غيرةً لله وغضبًا له ﴿ **وفي نسختها هدى ورحمة** ﴾ .

---

(١٩٢) - « التفسير » لابن أبي حاتم (٩٠١٠/٥) وإسناده صحيح ، أبان هو ابن يزيد العطار وعزرة هو ابن عبد الرحمن معروف بـ « صاحب قتادة » وثقه ابن معين وابن المديني . والحسن العُرني هو ابن عبد الله العرني وثقه أبو زرعة وابن سعد والعجلي ، وقال ابن معين : « صدوق ليس به بأس » وعلقمة هو ابن قيس النخعي .

---

[١] - هملجت الدابة : سارت سيراً حسناً في سرعة .
[٢] - جمع برذون : ويطلق على غير العربي من الخيل والبغال .
[٣] - في ز : « قال » .
[٤] - في ز : « عررة » .

يقول كثير من المفسرين : إنها لما ألقاها تكسرتْ ثم جمعها بعد ذلك ؛ ولهذا قال بعض السلف : فوجد فيها هدى ورحمة ، وأما التفصيل فذهب ، وزعموا أن رُضاضها[١] لم يزل موجودًا في خزائن الملوك لبني إسرائيل إلي الدولة الإسلامية ، واللَّه أعلم بصحة هذا . وأما الدليل القاطع علىٰ أنها تكسرت حين ألقاها ، وهي من جوهر [من][٢] الجنة ، فقد[٣] أخبر تعالىٰ أنه لما أخذها بعدما ألقاها وجد فيها ﴿ **هدى ورحمة** ﴾ .

﴿ **للذين هم لربهم يرهبون** ﴾ ضمَّن الرهبة معني الخضوع ؛ ولهذا عداها باللام .

وقال قتادة(١٩٣) في قوله تعالىٰ : ﴿ **أخذ الألواح** ﴾ قال : « ربِّ ، إني[٤] أجد في الألواح أمة ، خير أمةً أخرجت للناس ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، فاجعلهم[٥] أمتي ، قال : تلك أمة أحمد[٦] ، قال : رب ، إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون - أي : آخرون في الخلق - السابقون[٧] في دخول الجنة ، رب اجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة أحمد ، قال : رب إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم يقرءونها [ ][٨] وكان من قبلهم يقرءون كتابهم نظرًا ، حتى إذا رفعوها لم يحفظوا شيئًا ولم يعرفوه » [قال قتادة][٩] : وإن الله أعطاكم [أيتها الأمة][١٠] من الحفظ شيئًا لم يعطه أحدًا من الأمم قال : « رب اجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة أحمد ، قال : رب إني أجد في الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر ويقاتلون فضول[١١] الضلالة[١٢] حتى يقاتلوا الأعور الكذاب ، فاجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة أحمد ، قال : رب ، إني أجد في الألواح أمة صدقاتهم يأكلونها في بطونهم ويؤجرون عليها - وكان من قبلهم [من الأمم][١٣] إذا تصدق بصدقة فقبلت منه بعث اللَّه عليها[١٤] نارًا فأكلتها[١٥] وإن ردت عليه تركت ، فتأكلها السباع والطير وإن اللَّه أخذ صدقاتكم من غنيكم لفقيركم - قال : رب ! اجعلهم أمتي ، قال :

---

(١٩٣) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥١٣٢/١٣ ، ١٥١٣٣) من طريقين عن قتادة مطولًا ومختصرًا واستغرب المصنف هذا الأثر لقتادة وقال : « لا يصح إسناده إلى حكاية قتادة ... » وانظر رقم (١٩٠) .

---

[١] - الرُّضاض : الفتات .
[٢] - ما بين المعكوفتين زيادة من ز .
[٣] - في ز : « وقد » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « اجعلهم » .
[٦] - في خ : « محمد » .
[٧] - في ز : « سابقون » .
[٨] - في خ : ، ز « كتابهم » .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .
[١١] - في خ ، ز : « فصول » .
[١٢] - في ز : « الصلاة » .
[١٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ ، ز .
[١٤] - سقط من: ت .
[١٥] - في ز : « فأكلته » .

تلك أمة أحمد .

[قال : رب إني أجد في الألواح أمة إذا همَّ أحدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ، رب اجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة أحمد ، قال : رب إني أجد في الألواح أمة إذا همّ أحدهم بسيئة لم تكتب حتى يعملها ، فإذا عملها كتبت له سيئة واحدة ، فاجعلهم أمتي . قال : تلك أمة أحمد . قال : ربِّ ! إني أجد في الألواح أمة هم المستجيبون والمستجاب لهم ، فاجعلهم أمتي . قال : تلك أمة أحمد . قال : رب ! إني أجد في الألواح أمة هم المشفَّعون والمشفوع لهم ، فاجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة أحمد »][١] . قال قتادة : فذكر لنا أن نبي اللَّه موسى نبذ الألواح ، وقال : « اللهم اجعلني[٢] من أمة أحمد » .

وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾

قال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس في تفسير هذه الآية : كان اللَّه أمره أن يختار من قومه سبعين رجلا ، فاختار سبعين رجلًا ، فبرز بهم[٣] ليدعوا ربهم ، فكان فيما دَعَوُا اللَّه قالوا : اللهم أعطنا ما لم تعط أحدًا قبلنا ولا تعطيه[٤] أحدًا بعدنا . فكره اللَّه ذلك من دعائهم فأخذتهم الرجفة قال موسىٰ : ﴿ **رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي** ﴾ الآية .

وقال السدي : إن اللَّه أمر موسىٰ أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل ، يعتذرون إليه من عبادة العجل ، ووعدهم موعدًا واختار موسى [من][٥] قومه سبعين رجلًا علىٰ عينه ، ثم ذهب بهم ليعتذروا ، فلما أتوا ذلك المكان قالوا : لن نؤمن لك يا موسىٰ حتىٰ نرى اللَّه جهرة فإنك قد كلمته، فأرناه. فأخذتهم الصاعقة فماتوا ، فقام موسى يبكي[٦]، ويدعو اللَّه ، ويقول : رب ! ماذا أقول لبني إسرائيل إذا لقيتهم وقد أهلكت خيارهم ؟ رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي .

---

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] – في ز : « اجعله » .
[٣] – في ز : « فبررهم » .
[٤] – في خ : « تعطه » .
[٥] – ما بين المعكوفتين زيادة من ز .
[٦] – سقط من : خ ، ز .

وقال محمد بن إسحاق : اختار موسى من بني إسرائيل سبعين رجلًا الخيِّر فالخير ، وقال : انطلقوا إلىٰ اللَّه فتوبوا إليه مما صنعتم ، وسلوه[١] التوبة علىٰ من تركتم وراءكم من قومكم ، صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم ، فخرج بهم إلىٰ طور سيناء لميقات وقَّته له ربه ، وكان لايأتيه إلا بإذن منه وعلم . فقال له السبعون - فيما ذكر لي ، حين صنعوا ما أمرهم به وخرجوا معه للقاء ربه - لموسىٰ : اطلب لنا نسمع كلام ربنا ، فقال : أفعل ، فلما دنا موسىٰ من الجبل وقع عليه عمود الغمام ، حتىٰ تغشىٰ الجبل كله ، ودنا موسىٰ فدخل فيه ، وقال للقوم : ادنوا ، وكان موسىٰ إذا كلمه اللَّه وقع علىٰ جبهة موسىٰ نور ساطع ، لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه ، فضرب دونه بالحجاب ، ودنا القوم ، حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجودًا ، فسمعوه وهو يكلم موسىٰ ، يأمره وينهاه : افعل ، ولا تفعل . فلما فرغ إليه من أمره [ ][٢]انكشف عن موسىٰ الغمام ، فأقبل إليهم ، فقالوا لموسىٰ : لن نؤمن لك حتىٰ نرى اللَّه جهرة فأخذتهم الرجفة وهي : الصاعقة ، فافْتُلِتَتْ[٣] أرواحهم ، فماتوا جميعًا ، فقام موسىٰ يناشد ربه ويدعوه ويرغب إليه ويقول : رب ، لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي ، قد سفهوا ، أفتهلك[٤] من ورائي من بني إسرائيل .

وقال سفيان الثوري(١٩٤) : حدثني أبو إسحاق ، عن عمارة بن عبد[٥] السَّلولي ، عن علي ابن أبي طالب رضي اللَّه عنه قال : انطلق موسىٰ وهارون وشبر وشبير ، فانطلقوا إلىٰ سفح جبل ، فنام[٦] هارون علىٰ سرير فتوفاه اللَّه عز وجل ، فلما رجع موسىٰ إلىٰ بني إسرائيل قالوا له : أين

(١٩٤) - أخرجه ابن جرير (١٥١٥٧/١٣) وابن أبي حاتم (٩٠١٨/٥) ، وأخرجه ابن جرير (١٣/ ١٥١٥٨) من طريق شعبة عن أبي إسحاق ، عن رجل من بني سلول لم يسمه - والثوري إمام وقد سماه فلا يعله ذلك - أنه سمع عليًا ،رضي اللَّه عنه ، يقول : ... فذكره ، ورجاله ثقات ، رجال الصحيح غير عمارة بن عبد السلولي الكوفي قال إبراهيم بن يعقوب الجُوزجانيُّ عن أحمد بن حنبل : « مستقيم الحديث ، لا يروي عنه غير أبي إسحاق » وقال أبو حاتم - في « الجرح والتعديل » (٢٠٢٣/٦) - « شيخ مجهول ، لا يحتج بحديثه » - وذكره ابن حبان في « الثقات » (٢٤٤/٥) - وروى له النسائي حديثًا واحدًا في « مسند علي » - انظر « تهذيب الكمال » (٢١/ت ٤١٩٠) وأفاد ابن سعد في « الطبقات » (٢٤٨/٦) أنه روى عن حذيفة أيضًا ، وقال العجلي في « الثقات » (ت ١٢١٤) : « كوفى ، تابعي ، ثقة ...» . وقال ابن حجر في « التقريب » ، مقبول . والأثر زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٢٣٧/٣) إلى عبد ابن حميد وابن أبي الدنيا في كتاب « من عاش بعد الموت » وأبي الشيخ .

[١] - في ز : « واسلوه » .
[٢] - زيادة من : ز .
[٣] - في ز : « فالتقت » .
[٤] - في ز : « أتهلك » .
[٥] - في خ ، ت : « عيد » .
[٦] - في ز : « فقام » .

هارون ؟ قال : توفاه اللَّه عز وجل[١] ، قالوا : أنت قتلته ، حسدتنا علىٰ خلقه ولينه - أو كلمة نحوها - قال : فاختاروا من شئتم . قال : فاختاروا سبعين رجلا ، قال : فذلك قوله تعالىٰ : ﴿ **واختار موسىٰ قومه سبعين رجلا** ﴾ ، فلما انتهوا إليه قالوا : يا هارون ! من قتلك ؟ قال : ما قتلني أحد[٢] ، ولكن توفاني[٣] اللَّه ، قالوا : يا موسىٰ ، لن تعصىٰ بعد اليوم ، قال : فأخذتهم الرجفة . قال : فجعل[٤] موسىٰ - عليه السلام - يرجع يمينًا وشمالا وقال : يا ﴿ **رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء** ﴾ قال : فأحياهم اللَّه وجعلهم أنبياء كلهم .

هذا أثر غريب جدًّا ، وعمارة بن عبد هذا لا أعرفه[٥] ، وقد رواه شعبة : عن أبي إسحاق ، عن رجل من بني سلول ، [عن علي][٦] ، فذكره .

وقال ابن عباس وقتادة ومجاهد وابن جريج : إنما أخذتهم الرجفة ؛ لأنهم لم يزايلوا قومهم في عبادتهم العجل ، ولا نهوهم .

ويتوجه هذا القول بقول موسىٰ : ﴿ **أتهلكنا بما فعل السفهاء منا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إن هي إلا فتنتك** ﴾ أي : ابتلاؤك واختبارك وامتحانك . قاله ابن عباس وسعيد بن جبير وأبو العالية والربيع[٧] بن أنس وغير واحد من علماء السلف والخلف ، ولا معنىٰ له غير ذلك ، يقول : إنِ الأمرُ إلا أمرُك ، وإن الحكم إلا لك ، فما شئت كان ، تضل من تشاء ، وتهدي من تشاء ، ولا هادي لمن أضللت ، ولا مضل لمن هديت ، ولا معطي لما منعت ، ولا مانع لما أعطيت ، فالملك كله لك ، والحكم كله لك ، لك الخَلْق والأمر .

وقوله : ﴿ **أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين** ﴾ الغفر : هو الستر وترك المؤاخذة بالذنب ، والرحمة إذا قرنت مع الغَفْر يراد بها أن لا يوقعه[٨] في مثله في المستقبل ﴿ **وأنت خير الغافرين** ﴾ أي : لا يغفر الذنوب إلا أنت ﴿ **واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة** ﴾ هناك الفصل الأول من الدعاء في دفع المحذور ، وهذا لتحصيل المقصود . ﴿ **واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة** ﴾ أي : أوجب لنا وأثبت لنا فيهما[٩] حسنة ، وقد تقدم

---

[١] - بعده في خ : « فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل » .
[٢] - سقط من : ز . [٣] - في ز : « توافاني » .
[٤] - في خ ، ز : « فرجع » .
[٥] - هو معروف ، ومترجم في « التهذيب » انظر (ح رقم ١٩٤) .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز . [٧] - في خ : « وربيع » .
[٨] - في ز : « يرفعه » . [٩] - في ز : « فيها » .

ذلك في سورة البقرة .

﴿ **إنا هدنا إليك** ﴾ أي : تبنا ورجعنا وأنبنا إليك ، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وأبو العالية والضحاك وإبراهيم التيمي والسدي وقتادة وغير واحد ، وهو كذلك لغة .

وقال ابن جرير(١٩٥) : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا أبي ، عن شريك ، عن جابر ، عن عبد الله ابن نُجَيّ ، عن علي قال : إنما سميت اليهود ؛ لأنهم قالوا : ﴿ **إنا هدنا إليك** ﴾ .

جابر هو ابن يزيد الجُعْفي ، ضعيف .

۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾

يقول تعالىٰ مجيبًا لموسىٰ في قوله : ﴿ **إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء** ﴾ ، قال : ﴿ **عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء** ﴾ أي : أفعل ما أشاء ، وأحكم ما أريد ، ولي الحكمة والعدل في كل ذلك ، سبحانه لا إله إلا هو .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ورحمتي وسعت كل شيء** ﴾ آية عظيمة الشمول والعموم ؛ كقوله تعالىٰ إخبارًا عن حَمَلة العرش ومن حوله أنهم يقولون : ﴿ **ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلمًا** ﴾ .

وقال الإمام أحمد(١٩٦) : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا أبي ، حدثنا الجُرَيري ، عن أبي عبد الله الجُشَمي ، حدثنا جندب - هو ابن عبد الله البجلي - رضي الله عنه - قال : جاء أعرابي فأناخ راحلته ثم عَقَلها ثم صلىٰ خلف رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فلما صلىٰ رسول الله صلىٰ

---

(١٩٥) - تفسير ابن جرير (١٥١٩٩/١٣) وتصحف فيه « عبد الله بن نُجَيّ » إلى « عبد الله بن يحيى » ، «وعبد الله بن نُجَيّ » هذا وثقه النسائي ، لكن قال البخاري وأبو أحمد بن عدي : « فيه نظر » ، وقال ابن معين : لم يسمع من علي ، بينه وبينه أبوه ، وأثبت سماعه من علي البزار وابن حبان ، وقال الدارقطني : « ليس بقوي في الحديث » وجهله الشافعي - انظر « التهذيب » - وشريك في الإسناد هو ابن عبد الله القاضي النخعي وجابر هو ابن يزيد الجعفي ضعيف .

(١٩٦) - **إسناده فيه جهالة** « المسند » (٣١٢/٤) وأخرجه أبو داود ، كتاب : الأدب ، باب : من ليست له غيبة (٤٨٨٥) ، والروياني في « مسنده » (٢/رقم ٩٥٧)، والطبراني في « المعجم الكبير » (١٦٦٧/٢) - ومن طريقه المزي في « تهذيب الكمال » (٣٤/ت ٧٤٧٢ أبو عبد الله الجُشميّ) كلهم عن عبد الصمد بن عبد الوارث به ، وأخرجه الحاكم في « المستدرك » =

اللَّه عليه وسلم أتىٰ راحلته فأطلق عقالها ثم ركبها ثم نادىٰ : اللهم ارحمني ومحمدًا ، ولا تشرك في رحمتنا أحدًا . فقال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أتقولون[١] هذا أضل أم بعيره ؟ ألم تسمعوا ما قال ؟** » . قالوا : بلىٰ . قال : « **لقد حَظَرْتَ رحمة واسعة ، إن اللَّه - عز وجل - خلق مائة رحمة ؛ فأنزل رحمة واحدة[٢] يتعاطف بها الخلق جنها وإنسها وبهائمها ، وأخَّر عنده تسعًا وتسعين[٣] رحمة ، أتقولون[٤] هو أضل أم بعيره ؟** » .

ورواه أحمد[٥] وأبو داود : عن علي بن نصر ، عن عبد الصمد بن عبد الوارث ، به .

وقال أحمد أيضًا(١٩٧) : حدثنا يحيىٰ بن سعيد ، عن سليمان ، عن أبي عثمان ، عن سلمان ، عن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « **إن للَّه - عز وجل - مائة رحمة ؛ فمنها رحمة يتراحم بها الخلق ، وبها تعطف الوحوش علىٰ أولادها ، وأخَّر تسعة وتسعين إلىٰ يوم القيامة** » .

تفرد[٦] بإخراجه مسلم فرواه من حديث سليمان - هو ابن طرخان - وداود بن أبي هند، كلاهما عن أبي عثمان - واسمه عبد الرحمن بن مِلّ - عن سلمان - هو الفارسي [عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم به][٧] .

وقال الإمام أحمد(١٩٨) : حدثنا عفان ، حدثنا[٨] حماد ، عن عاصم بن بهدلة ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، أن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « **إن[٩] للَّه مائة رحمة ؛ عنده**

= (٢٤٨/٤) من طريق يزيد بن هارون أنبأ سعيد بن إياس الجريري به - غير أنه تصحف عنده « أبي عبد اللَّه الجشمي » إلى « أبي عبد اللَّه الحيري » - وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي كذا قالا ، وأبو عبد اللَّه الجشمي هذا لم يرو عنه غير الجريري ، وجهله الحافظان : الذهبي ، وابن حجر ، والحديث ذكره الهيثمي في « المجمع » (٢١٦/١٠ ، ٢١٧) وقال : « رواه أبو داود باختصار - رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح غير أبي عبد اللَّه الجشمي ، ولم يضعفه أحدٌ » ، وأصل الحديث عند البخاري (٦٠١٠) وغيره من حديث أبي هريرة مختصرًا .

(١٩٧) - « المسند » (٤٣٩/٥) وأخرجه مسلم ، كتاب : التوبة ، باب : في سعة رحمة اللَّه تعالى ، وأنها سبقت غضبه (٢٠ ، ٢١) (٢٧٥٣) ، وانظر [سورة الأنعام / آية ٥٤] .

(١٩٨) - **حديث صحيح** « المسند » (٥٥/٣) وأخرجه أيضًا (٥٢٦/٢) ثنا مؤمل ، ثنا حماد به =

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « تسعون » .
[٤] - في ز : « تقولون » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « انفرد » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٨] - في ز : « بن » .
[٩] - سقط من : ز .

تسعة وتسعون ، وجعل عندكم واحدة تتراحمون بها بين الجن والإنس وبين الخلق ، فإذا كان يوم القيامة ضمها إليه » . تفرد به أحمد من هذا الوجه .

وقال أحمد(١٩٩) : حدثنا عفان[١] ، حدثنا عبد الواحد ، حدثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **لله مائة رحمة ؛ فقسم منها جزءًا واحدًا بين الخلق ، فبه يتراحم الناس والوحش والطير** » .

ورواه ابن ماجة من حديث أبي معاوية ، عن الأعمش ، به .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني(٢٠٠)[٢] : حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا

= وأخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٣٢٤/٨) من طريق الأعمش عن أبي صالح به ، وأخرجه البخاري (٦٠٠٠) ومسلم (٢٧٥٢) من طريق سعيد بن المسيب ، والبخاري (٦٤٦٩) من طريق سعيد بن أبي سعيد المقبري ، وأحمد (٤٣٤/٢) ومسلم (١٩) (٢٧٥٢) وابن ماجه (٤٢٩٣) من طريق عطاء ابن أبي رباح ، وأحمد (٥١٤/٢) من طريق محمد بن سيرين وخلاس ابن عمرو - وتقدم [سورة الأنعام/ آية ١٦٥] - من طريق عبد الرحمن بن يعقوب ، سبعتهم (أبو صالح ، سعيد بن المسيب ، سعيد بن أبي سعيد ، عطاء ، محمد ، خلاس ، عبد الرحمن) عن أبي هريرة به مطولًا ومختصرًا . وانظر [سورة الأنعام / آية ١٢] .

(١٩٩) **صحيح** « المسند » (٥٥/٣) وأخرجه أبو يعلى (٢/رقم ١٠٩٨) ثنا العباس بن الوليد ، ثنا عبد الواحد بن زياد به ، وعبد الواحد بن زياد ثقة ، روى له الجماعة ، لكن حديثه عن الأعمش فيه مقال ، ولم ينفرد ؛ فقد تابعه أبو معاوية محمد بن خازم الضرير وهو من أحفظ الناس لحديث الأعمش ، أخرجه من هذه الطريق ابن ماجه ، كتاب : الزهد ، باب : ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة (٤٢٩٤) . وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣١٨/٣) : « حديث أبي سعيد صحيح ، رجاله ثقات » .

(٢٠٠) - **إسناده ضعيف** وقال المصنف : « حديث غريب جدًّا ، وسعد هذا لا أعرفه » قلت : سعد هذا عرفه غير واحد - كما يأتي - والحديث في « المعجم الكبير » (٣٠٢١/٣) وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢١٩/١٠) وقال : « رواه الطبراني في « الكبير » و« الأوسط » وزاد ... وفي إسناد « الكبير » سعد بن طالب أبو غيلان وثقه أبو زرعة وابن حبان وفيه ضعف ، وبقية رجال « الكبير » ثقات » قلت : الذي نقله ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٤/ت ٣٨٠) عن أبي زرعة أنه قال فيه : « لا بأس به » وقد نقل فيه عن أبيه قال: « شيخ صالح ، في حديثه صنعة » كذا وقع في نسخة « الجرح والتعديل » المطبوعة ، وقد نقل تضعيفه عن أبي حاتم ابن الجوزي في « الضعفاء والمتروكين » (١/ت ١٣٥٥) والذهبي في « الميزان » وعنه ابن حجر في « اللسان » فأخشى أن يكون قوله : « في حديثه صنعة » تصحف عندهم إلى « في حديثه ضعف » =

[١] - في ز : « عثمان » . [٢] - في ز : « الطبري » .

أحمد ابن يونس ، حدثنا سعد أبو غيلان الشيباني ، عن حماد بن أبي سليمان ، عن إبراهيم ، عن صِلة ابن زُفر ، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **والذي نفسي بيده ليدخلن الجنة[١] الفاجرُ في دينه الأحمق في معيشته ، والذي نفسي بيده ليدخلن الجنة الذي قد مَحَشته النار بذنبه[٢] ، والذي نفسي بيده ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة يتطاول لها إبليس رجاء أن تصيبه** » .

هذا حديث غريب جدًّا ، وسعد هذا لا أعرفه .

وقوله : ﴿ **فسأكتبها للذين يتقون** ﴾ [إلى آخرها][٣] ، يعني : فسأوجب حصول رحمتي منة مني ، وإحسانًا إليهم ؛ كما قال تعالى : ﴿ **كتب ربكم على نفسه الرحمة** ﴾ .

وقوله : ﴿ **للذين يتقون** ﴾ أي: سأجعلها للمتصفين بهذه الصفات، وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ **الذين يتقون** ﴾ أي : الشرك والعظائم من الذنوب .

قوله[٤] : ﴿ **ويؤتون الزكاة** ﴾ قيل : زكاة النفوس ، وقيل : الأموال ، ويحتمل[٥] أن تكون عامة لهما ، فإن الآية مكية .

﴿ **والذين هم بآياتنا يؤمنون** ﴾ أي : يصدقون .

ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ

= لاسيما وأن صدر كلامه يؤيد أن أبا حاتم قوّاه لا ضعفه فالله أعلم بالصواب . وأخرجه الطبراني في « الأوسط » (٥/٥٢٢٧) وابن عدي في « الكامل » (٥/١٩٥٤) من طريق عبد الأعلى ابن أبي المساور عن حماد به ، وقال الطبراني : « لم يرو هذا الحديث عن حماد إلا عبد الأعلى بن أبي المساور ، وسعد أبو غيلان » قلت : وعبد الأعلى هذا ضعفه غير واحد وتركه النسائي وابن نمير ، وقال البخاري والساجي « منكر الحديث » وهو مترجم له في « التهذيب » .

[١] - سقط من: ز .
[٢] - في خ ، ز : « بدينه » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ت : « الآية » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « وتحتمل » .

أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾

﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل ﴾ وهذه صفة محمد ، صلىٰ الله عليه وسلم ، في كتب الأنبياء بشروا[١] أممهم ببعثه ، وأمروهم بمتابعته ، ولم تزل صفاته موجودة في كتبهم ، يعرفها علماؤهم وأحبارهم ؛ كما قال الإمام أحمد(٢٠١) : حدثنا إسماعيل ، عن الجُرَيري ، عن أبي صخر العقيلي ، حدثني رجل من الأعراب ، قال : جلبت جَلُوبة[٢] إلىٰ المدينة في حياة رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فلما فرغت من بيعتي قلت : لألقين هذا الرجل فلأسمعن منه ، قال : فتلقاني بين أبي بكر وعمر يمشون ، فتبعتهم [في أقفائهم][٣] . حتىٰ أتوا علىٰ رجل من اليهود ناشرًا[٤] التوراة يقرؤها يعزي بها نفسه عن ابن له في الموت كأحسن الفتيان وأجمله ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أنشدك بالذي أنزل التوراة ، هل تجد[٥] في كتابك ذا صفتي ومخرجي ؟** » . فقال برأسه :

(٢٠١) - « المسند » (٤١١/٥) وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٣٧/٨) وقال : « رواه أحمد وأبو صخر لم أعرفه ! وبقية رجاله رجال الصحيح » قال الحافظ ابن حجر في « التعجيل » (ت ١٣١٤) : « أبو صخر العقيلي ... اسمه عبد الله بن قدامة ، وهو مختلف في صحبته ، وجزم البخاري ومسلم وابن حبان وغيرهم أن له صحبة ، واختلف على الجريري في إسناده ، فقال ابن علية - إسماعيل - عنه هكذا عند أحمد ... ورواه عبد الوهاب بن عطاء عن الجريري عن عبد الله بن قدامة عن رجل أعرابي ، ورواه سالم بن نوح عن الجريري عن عبد الله بن شقيق عن أبي صخر - رجل من بني عقيل وربما قال : عبد الله بن قدامة - عزاه في « الإصابة (١٠٧/٤) من هذه الطريق إلى ابن خزيمة في « صحيحه » وهو غير موجود في المطبوع - والحسن بن سفيان في مسنده وكذا هو في « الكنى » لأبي أحمد الحاكم (٢٥٩/١/أ) - قال : قدمت المدينة على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - بجارية أبيعها ، الحديث ......» ورواه ابن سعد في « الطبقات » (١/ ١٤٥) أخبرنا علي بن محمد عن الصلت بن دينار عن عبد الله بن شقيق عن أبي صخر قال : خرجت إلى المدينة ... الحديث ، وحسنه ابن الأثير في « أسد الغابة » (١٧١/٦) وذكره المصنف في « البداية والنهاية » (٣٩٥/٢) كما هنا وقال : « إسناد جيد ، وله شواهد في « الصحيح » عن أنس بن مالك - رضي الله عنه » .

والشاهد المشار إليه عند البخاري : كتاب ، الجنائز ، باب : إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه (١٣٥٦) .

[١] - في ز : « يبشروا » . [٢] - في ز : « حلوه » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٤] - في ز : « ناشر» .
[٥] - في خ ، ز : « تجدني » .

هكذا ، أي : لا . فقال ابنه : إي والذي أنزل التوراة إنا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك ، وإني أشهد[١] أن لا إله إلا اللّٰه ، وأشهد أنك رسول اللّٰه . فقال : « **أقيموا اليهودي عن أخيكم** » . ثم وَلِي كفنه[٢] والصلاة عليه .

هذا حديث جيد قوي ، له شاهد في الصحيح ، عن أنس .

وقال الحاكم صاحب المستدرك(٢٠٢) : أخبرنا [أبو محمد بن عبد اللّٰه][٣] بن إسحاق البغوي ، حدثنا إبراهيم ابن الهيثم البلدي ، حدثنا عبد العزيز بن مسلم بن إدريس ، [حدثنا عبد اللّٰه بن إدريس][٤] ، عن شرحبيل بن مسلم[٥] ، عن أبي أمامة الباهلي ، عن هشام بن العاص الأموي قال : بعثت أنا ورجل آخر إلىٰ هرقل صاحب الروم ندعوه إلىٰ الإسلام ، فخرجنا حتىٰ قدمنا الغَوطة - يعني : غوطة دمشق - فنزلنا علىٰ جبلة بن الأيهم الغساني ، فدخلنا عليه ، فإذا هو علىٰ سرير له ، فأرسل إلينا برسول نكلمه ، فقلنا : واللّٰه لا نكلم رسولًا ، و[٦]إنما بعثنا إلىٰ الملك ، فإن أذن لنا كلمناه ، وإلا لم نكلم الرسول ، فرجع إليه الرسول فأخبره بذلك ، قال : فأذن لنا ، فقال : تكلموا ، فكلمه هشام بن العاص ، ودعاه إلىٰ الإسلام ، فإذا عليه ثياب سواد[٧] ، فقال له هشام : وما هذه التي عليك ؟ فقال : لبستها وحلفت أن لا أنزعها حتىٰ أخرجكم من الشام ، قلنا : ومجلسك هذا ، واللّٰه[٨] لنأخذنَّه منك ، ولنأخذنّ مُلك المَلك الأعظم إن شاء اللّٰه ، أخبرنا بذلك نبينا محمد[٩] ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال : لستم بهم ؛ بل

(٢٠٢) - ومن طريق الحاكم إجازة أخرجه البيهقي في « الدلائل » (٣٨٥/١ : ٣٩٠) وذكر القصة الحافظ ابن حجر - مختصرة في « الإصابة » (٦٠٤/٣ ، ٦٠٥) وقال : « وتقدم في ترجمة عدي ابن كعب نحو هذه القصة، لكن فيها أنه هشام بن العاص السهمي واللّٰه أعلم» وقال في ترجمة عدي بن كعب - « الإصابة » (٤٧١/٢) : « روى المعافى في « الجليس » من طريق محمد بن أبي بكر الأنصاري عن عبادة بن الصامت قال : بعثني أبو بكر إلى ملك الروم ومعي عمرو بن العاص وأخوه هشام وعدي بن كعب ونعيم بن عبد اللّٰه ، فخرجنا حتى قدمنا على جبلة بن الأيهم بدمشق ... فذكر قصة طويلة في ورقتين وإسناده ضعيف ، وقد أخرجها البيهقي في « الدلائل » من وجه آخر ...» قلت : وسند البيهقي رجاله ثقات غير عبد العزيز بن مسلم بن إدريس هذا فلم أجد له ترجمة ، وأخشى أن يكون مصحفًا ، واللّٰه تعالى أعلم .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - بعده في خ ، ز : « وحسه » .
[٣] - في خ ، ز : « محمد بن عبد اللّٰه » والمثبت من « دلائل النبوة » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - في ت : « مسلمة » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في خ : « سود » .
[٨] - في ز : « فواللّٰه » .
[٩] - سقط من : ز .

هم قوم يصومون بالنهار ويقومون بالليل ، فكيف صومكم ؟ ، فأخبرناه فملئ وجهه سوادًا ، فقال : قوموا ، وبعث معنا رسولاً إلىٰ الملك ، فخرجنا حتىٰ إذا كنا قريبًا من المدينة قال لنا الذي معنا : إن دوابكم هذه لا تدخل مدينة الملك ، فإن شئتم حملناكم علىٰ براذين وبغال ، قلنا : والله لا ندخل إلا عليها . فأرسلوا إلىٰ الملك أنهم يأبون ذلك ، فدخلنا على رواحلنا متقلدين سيوفنا حتىٰ انتهينا إلىٰ غرفة ، فأنخنا في أصلها وهو ينظر إلينا ، فقلنا : لا إله إلا الله والله أكبر ، فالله يعلم لقد تَنَفَّضَت[١] الغرفة حتىٰ صارت كأنها عذق تصفّقه الرياح ، فأرسل إلينا : ليس لكم أن تجهروا علينا بدينكم ، وأرسل إلينا : أن ادخلوا ، فدخلنا عليه ، وهو علىٰ فراش له ، وعنده بطارقته من الروم ، وكل شيء في مجلسه أحمر ، وما حوله حمرة ، وعليه ثياب من الحمرة ، فدنونا منه ، فضحك فقال : ما [كان][٢] عليكم لو حييتموني بتحيتكم فيما بينكم ؟ وإذا عنده رجل فصيح بالعربية كثير الكلام ، فقلنا : إن تحيتنا فيما بيننا لا تحل لك ، وتحيتك التي تحيا بها لا يحل[٣] لنا أن نحييك بها ، قال : كيف[٤] تحيتكم فيما بينكم ؟ قلنا : السلام عليك ، قال : وكيف تحيون ملككم ؟ قلنا : بها ، قال : فكيف[٥] يرد عليكم ؟ قلنا : بها ، قال : فما أعظمُ كلامكم ؟ قلنا : لا إله إلا الله والله أكبر ، فلما تكلمنا بها ، والله يعلم ، لقد تنفضت الغرفة حتىٰ رفع رأسه إليها ، [قال : فهذه][٦] الكلمة التي قلتموها حيث تنفضت الغرفة ، كلما قلتموها في بيوتكم تنفضت عليكم غرفكم[٧] ؟ قلنا : لا ، ما رأيناها فعلت هذا قطُّ إلا عندك ، قال : لوددت أنكم كلما قلتم تنفض كل شيء عليكم ، وأني قد[٨] خرجت من نصف ملكي ، قلنا : لم ؟ قال : لأنه كان أيسر لشأنها ، وأجدر أن لا تكون من أمر النبوة ، وأنها تكون من حيل الناس ، ثم سألنا عما أراد فأخبرناه ، ثم قال : كيف صلاتكم وصومكم ؟ فأخبرناه ، فقال : قوموا . فقمنا[٩] : فأمر لنا بمنزل حسن ونُزُل كثير[١٠] ، فأقمنا ثلاثًا .

فأرسل إلينا ليلا فدخلنا عليه ، فاستعاد قولنا ، فأعدناه ، ثم دعا بشيء كهيئة الرَّبْعَة العظيمة[١١] مُذَهبة ، فيها بيوت صغار عليها أبواب ، ففتح بيتًا وقفلًا ، فاستخرج حريرة سوداء ، فنشرها ، فإذا فيها صورة حمراء ، وإذا فيها رجل ضخم العينين عظيم الأليتين ، لم أر مثل طول عنقه ، وإذا ليست له لحية ، وإذا له ضفيرتان[١٢] أحسن ما خلق الله ، قال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا آدم عليه السلام ، وإذا هو أكثر الناس شعرًا .

---

[١] - في ز : « تَنَقَّضَت » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ز : « تحل » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « وكيف » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : «فقال : هذه» .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - سقط من : ز .
[٩] - سقط من : ز .
[١٠] - سقط من : ز .
[١١] - في ز : « القطيمة » .
[١٢] - في ز : « طفيرتان » .

ثم فتح بابًا آخر ، فاستخرج منه حريرة سوداء ، وإذا فيها صورة بيضاء ، وإذا له شعر كشعر[١] القطط ، أحمر العينين ، ضخم الهامة ، حسن اللحية ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا نوح عليه السلام .

ثم فتح بابًا آخر ، فاستخرج حريرة سوداء ، وإذا فيها رجل شديد البياض ، حسن العينين ، صَلْت الجبين ، طويل الخد ، أبيض اللحية كأنه يتبسم[٢] ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا إبراهيم عليه السلام .

ثم فتح بابًا آخر ، فإذا فيه[٣] صورة بيضاء ، وإذا والله رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : نعم ، محمد رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : وبكينا ، قال - والله يعلم أنه قام قائمًا ثم جلس ، وقال - : والله إنه لهو ، قلنا : نعم إنه لهو ؟ كأنك تنظر إليه ، فأمسك ساعة ينظر إليها ، ثم قال : أما إنه كان آخر البيوت ، ولكني عَجَّلته لكم لأنظر ما عندكم .

ثم فتح بابًا آخر ، فاستخرج منه حريرة سوداء ، فإذا[٤] فيها صورة آدماء سحماء ، وإذا رجل جعد قَطَط ، غائر العينين ، حديد النظر ، عابس [متراكب الأسنان][٥] مقلص الشفة كأنه غضبان ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا موسىٰ عليه السلام ، وإلىٰ جانبه صورة تشبهه إلا أنه مُدْهَان الرأس ، عريض الجبين ، في عينيه قَبَل ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا هارون بن عمران - عليه السلام - .

ثم فتح بابًا آخر ، فاستخرج منه حريرة بيضاء ، فإذا فيها صورة رجل آدم سَبْط ربعة ، كأنه غضبان ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا لوط عليه السلام .

ثم فتح بابًا آخر ، فاستخرج منه حريرة بيضاء ، فإذا فيها صورة رجل أبيض مُشْرب حمرة ، أَقْنىٰ ، خفيف العارضين ، حسن الوجه ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا إسحاق - عليه السلام -.

ثم فتح بابًا آخر ، فاستخرج حريرة بيضاء ، فإذا فيها صورة تشبه إسحاق ، إلا أنه علىٰ شفته[٦] خَال ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا يعقوب - عليه السلام - .

ثم فتح بابًا آخر ، فاستخرج منه حريرة سوداء ، فيها صورة رجل أبيض ، حسن الوجه ، أقنى

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « يتبسم » .
[٣] - في ز : « فيها » .
[٤] - في ز : « وإذا » .
[٥] - في ز : « متاكب » .
[٦] - في « دلائل النبوة » : «شفته السفلى» .

الأنف ، حسن القامة ، يعلو وجهه نور ، يعرف في وجهه الخشوع ، يضرب إلىٰ الحمرة ، قال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا إسماعيل جد نبيكم - عليهما السلام - .

ثم فتح بابًا آخر ، فاستخرج حريرة بيضاء ، فيها صورة كأنها صورة[١] آدم عليه السلام ، كأن وجهه الشمس ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا يوسف - عليه السلام - .

ثم فتح بابًا آخر ، فاستخرج حريرة بيضاء ، فإذا فيها صورة رجل أحمر حَمْش الساقين ، أخفش العينين ، ضخم البطن ربعة متقلد سيفًا ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا داود - عليه السلام - .

ثم فتح بابًا آخر ، فاستخرج حريرة بيضاء ، فيها صورة رجل ضخم الأليتين ، طويل الرجلين ، راكب فرسًا ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا سليمان بن داود - عليهما السلام - .

ثم فتح بابًا آخر ، فاستخرج منه حريرة سوداء ، فيها صورة بيضاء ، وإذا شابٌ[٢] شديد سواد اللحية ، كثير الشعر ، حسن العينين ، حسن الوجه ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا عيسىٰ ابن مريم - عليه السلام - .

قلنا من أين لك هذه الصور ؟ لأنا نعلم أنها علىٰ ما صُوّرت عليه الأنبياء - عليهم السلام - لأنا رأينا صورة نبينا - عليه السلام - مثله ، فقال : إن آدم - عليه السلام - سأل ربه أن يريه الأنبياء من ولده ، فأنزل عليه صورهم ، فكان في خزانة آدم - عليه السلام - عند مغرب الشمس ، فاستخرجها ذو القرنين من مغرب الشمس ، فدفعها إلىٰ دانيال ، ثم قال : أما والله إن نفسي طابت بالخروج من مُلكي ، وإني كنت عبدًا لأشركم[٣] ملكة حتىٰ أموت ، ثم أجازنا فأحسن جائزتنا وسرحنا ، فلما أتينا أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - ، [فحدثناه بما أرانا وبما قال لنا وما أجازنا قال : فبكىٰ أبو بكر][٤] ، وقال : مسكين ! لو أراد الله به خيرًا لفعل ، ثم قال : أخبرنا رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أنهم واليهود يجدون نعت محمد ، صلىٰ الله عليه وسلم ، عندهم .

هكذا أورده الحافظ الكبير أبو بكر البيهقي - رحمه الله - في كتاب « **دلائل النبوّة** » عن

---

[١] - سقط من: ت .
[٢] - في « دلائل النبوة » : « رجل شابٌ».
[٣] - في خ : «لأشر»، وفي « الدلائل » : « لا يترك » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

الحاكم إجازة ، فذكره ، وإسناده لا بأس به .

وقال ابن جرير(٢٠٣) : [حدثنا ابن المثنى][١] ، حدثنا عثمان بن عمر ، حدثنا فليح ، عن هلال ابن علي ، عن عطاء بن يسار قال : لقيت عبد اللَّه بن عمرو فقلت : أخبرني عن صفة رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، في التوراة . قال : أجل واللَّه ، إنه لموصوف في التوراة كصفته في القرآن : ﴿ **يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا** ﴾ وحرزًا للأميين ، أنت عبدي ورسولي ، أسميتك[٢] المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ [ولا صخاب في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح][٣]، ولن يقبضه اللَّه حتىٰ يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا اللَّه، ويفتح به قلوبًا غلفًا ، وآذانًا صمًّا ، وأعينًا عميًا . قال عطاء : ثم لقيت كعبًا فسألته عن ذلك ، فما اختلف حرفًا ، إلا أن كعبًا قال بلغته ، قال : قلوبًا غُلُوفيا ، وآذانًا صُمُوميا ، وأعينًا عموميًا .

وقد رواه البخاري في صحيحه : عن محمد بن سنان ، عن فليح ، عن هلال بن علي ، فذكر بإسناده نحوه ، وزاد بعد قوله : ليس بفظ ولا غليظ : ولا صخاب في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح .

ويقع في كلام كثير من السلف إطلاق « **التوراة** » على كتب أهل الكتاب ، وقد ورد في بعض الأحاديث ما يشبه هذا ، واللَّه أعلم .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني(٢٠٤) : حدثنا موسىٰ بن هارون ، حدثنا محمد بن إدريس - ورّاق[٤] الحميدي - حدثنا محمد بن عمر بن إبراهيم من ولد جبير بن مطعم قال : حدثتني أم

---

(٢٠٣) - تفسير ابن جرير (١٥٢٢٥/١٣) وأخرجه البخاري ، كتاب : البيوع ، باب : كراهية السَّخَب في الأسواق ، (٢١٢٥) ثنا محمد بن سنان ثنا فليح به ، وأخرجه أحمد في « المسند » (١٧٤/٢) من طريق فليح به ، وأخرجه البخاري ، كتاب : التفسير ، سورة الفتح ، باب : (٣) ﴿ **إنا أرسلناك شاهدًا ومَبشِّرًا ونذيرًا** ﴾ (٤٨٣٨) ثنا عبد اللَّه بن مسلمة ثنا عبد العزيز بن أبي سلمة عن هلال بن أبي هلال به مختصرًا ، ويقال له هلال بن علي ، انظر « الفتح » (٣٤٣/٤) .

(٢٠٤) - **إسناده يه جهالة** في « المعجم الكبير » (٢/رقم ١٥٣٧) وفي « الأوسط » (٨٢٣١/٨) وقال في « الأوسط » : « لا يروى هذا الحديث عن جبير بن مطعم إلا بهذا الإسناد ، تفرد به : محمد بن إدريس وراق الحميدي » وهو « صدوق » - كما قال ابن أبي حاتم « الجرح والتعديل » (٢٠٤/٧) لكن أم عثمان بنة سعيد لم أجد من ترجم لها ، وإنما ذكرها ابن أبي حاتم عرضًا =

---

[١] - في خ ، ز : « حدثنا المثنى » وهو خطأ وصوابه المثبت من تفسير ابن جرير

[٢] - في خ ، ز : « اسمك » والمثبت من تفسير ابن جرير

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز

[٤] - سقط من: خ ، وفي ر : « بن »

عثمان بنت سعيد وهي جدتي ، عن أبيها سعيد بن محمد بن جبير ، عن أبيه محمد بن جبير ، عن أبيه جبير بن مطعم قال : خرجت تاجرًا إلىٰ الشام ، فلما كنت بأدنىٰ الشام لقيني رجل من أهل الكتاب فقال : هل عندكم رجل تنبأ[١] ؟ قلت : نعم . قال : هل تعرف صورته إذا رأيتها ؟ قلت : نعم ، فأدخلني بيتًا فيه صور ، فلم أر صورة النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فبينما أنا كذلك إذ دخل رجل منهم علينا فقال : فيم أنتم ؟ فأخبرناه ، فذهب بنا إلىٰ منزله ، فساعة ما دخلتُ نظرتُ إلىٰ صورة النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وإذا رجل آخذ بِعَقِبِ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قلت : من هذا الرجل القابض علىٰ عقبه ؟ قال : إنه لم يكن [نبي إلا كان][٢] بعده نبي ، إلا[٣] هذا النبي[٤] فإنه لا نبي بعده ، وهذا الخليفة بعده ، وإذا صفة أبي بكر ، رضي اللّٰه عنه .

وقال أبو داود(٢٠٥) : حدثنا [حفص بن عمر][٥] أبو عمر[٦] الضرير ، حدثنا حماد بن سلمة : أن سعيد بن إياس الجريري أخبرهم ، عن عبد اللّٰه بن شقيق العقيلي ، عن الأقرع مؤذن عمر بن الخطاب قال : بعثني عمر إلىٰ الأسقف ، فدعوته ، فقال له عمر : هل تجدني في الكتاب ؟ قال : نعم ، قال : كيف تجدني ؟ قال : أجدك قرنًا ، قال[٧] : فرفع عمر الدرّة وقال : [قرن مه ؟ قال][٨] : قرن حديد ، أمير[٩] شديد ، قال : فكيف تجد الذي بعدي ؟ قال : أجد خليفة صالحًا ، غير أنه يؤثر قرابته ، قال عمر : يرحم اللّٰه عثمان ، ثلاثًا ، قال : كيف

= في ترجمة محمد بن عمر - ولم يذكر في محمد هذا جرحًا ولا تعديلًا ، والحديث ذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٣٦/٨، ٢٣٧) وقال : « رواه الطبراني في « الكبير » و« الأوسط » وفيه من لم أعرفهم » .

(٢٠٥) - **كسابقه** « السنن » لأبي داود ، كتاب : السنة ، باب : في الخلفاء (٤٦٥٦) ، وأخرجه اللالكائي في « شرح أصول الاعتقاد » (٢٦٥٨) من طريق حجاج بن المنهال وداود بن شبيب عن حماد بن سلمة به ، ورجاله ثقات رجال الصحيح غير الأقرع مؤذن عمر وثقه العجلي وابن حبان ، لكن قال الذهبي في « الميزان » : « لا يعرف ، تفرد عنه شيخ » يريد عبد اللّٰه بن بن شقيق وهو ثقة لكن كان فيه نصب ، نسأل اللّٰه السلامة .

---

[١] - في ز ، خ : نبيًا ، وأثبتنا ما في « المعجم الكبير والأوسط » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز . [٤] - سقط من : ز .
[٥] - في خ ، ز : « عمر بن حفص » وهو خطأ صوابه المثبت من « سنن أبي داود » و« كتب الرجال » .
[٦] - في ز : « عمرو » . [٧] - سقط من : ت .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ [٩] - في سنن أبي داود : « أمين » .

تجد الذي بعده ؟ قال : أجده[١] صَدَأً حديد ، قال : فوضع عمر يده على رأسه ، وقال : يا دَفْراه ، يا دَفْرَاه ! قال : يا أمير المؤمنين ، إنه خليفة صالح ، ولكنه يُستخلَف حين يُستخلَف والسيف مسلول ، والدم مُهْرَاق .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر** ﴾ هذه صفة الرسول ، صلىٰ اللَّه تعالىٰ عليه وسلم ، في الكتب المتقدمة ، وهكذا كانت[٢] حاله عليه الصلاة والسلام ، لا يأمر إلا بخير ، ولا ينهىٰ إلا عن شر ؛ كما قال عبد اللَّه بن مسعود(٢٠٦) : إذا سمعت اللَّه يقول : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ فَأرْعِها سمعك ، فإنه خير يأمر به أو شر ينهىٰ عنه . ومن أهم ذلك وأعظمه ما بعثه اللَّه به من الأمر بعبادته وحده لا شريك له ، والنهي عن عبادة من سواه ، كما أرسل به جميع الرسل قبله ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمّة رسولاً أن اعبدوا اللَّه واجتنبوا الطاغوت** ﴾ .

وقال الإمام أحمد(٢٠٧): حدثنا أبو عامر – هو العَقَدي عبد الملك بن عمرو – حدثنا سليمان – هو ابن بلال – عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن، عن عبد الملك بن سعيد ، عن أبي حميد وأبي أسيد – رضي اللَّه عنهما – أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم ، وتلين له أشعاركم وأبشاركم ، وترون أنه منكم قريب ، فأنا أولاكم به . وإذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم ، وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم ، وترون أنه منكم بعيد فأنا أبعدكم منه** » .

هذا حديث[٣] جيد الإسناد ، لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب .

---

(٢٠٦) – تقدم في [سورة البقرة/ آية ١٠٥] .

(٢٠٧) – **صحيح** « المسند » (٤٩٧/٣) ، (٤٢٥/٥) وأخرجه البزار (٣٧١٨/٩/ البحر الزخار) وابن حبان (٦٣/١ إحسان) من طريقين عن أبي عامر العقدي ، به ، وأخرجه ابن سعد في « الطبقات » (٢٩٥/١) أخبرنا عبد اللَّه بن مسلمة بن قعنب ، قال : أخبرنا سليمان بن بلال به ، وقال البزار : « لا نعلمه يروى عن رسول اللَّه – صلى اللَّه عليه وسلم – من وجه أحسن من هذا الوجه » وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٥٤/١ ، ١٥٥) وقال : « رواه أحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح » وسيذكره المصنف [سورة هود/ آية ٨٨] كما هنا وقال : « إسناد صحيح ، وقد أخرج مسلم بهذا السند حديث : إذا دخل أحدكم المسجد فليقل : اللَّهم : افتح لي أبواب رحمتك ....» وللحديث شاهد مرسل قوي ، انظره – غير مأمور – في « الصحيحة » للألباني (٧٣٢/٢) .

---

[١] – في ز : « أجد » .

[٢] – في ز : « كان » .

[٣] – زيادة من ز .

وقال الإمام أحمد(٢٠٨) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البختري ، عن علي - رضي الله عنه - قال : إذا سمعتم[١] عن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم، حديثا فظنوا به الذي هو أهدىٰ ، والذي هو أهنىٰ ، والذي هو أتقىٰ .

ثم رواه عن يحيىٰ بن سعيد ، عن مسعر ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البختري[٢] ، عن أبي عبد الرحمن ، عن علي رضي الله عنه قال : إذا حدثتم عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حديثًا ، فظنوا به الذي هو أهداه ، وأهناه ، وأتقاه .

وقوله : ﴿ **ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث** ﴾ أي : يحل لهم ما كانوا حرموه علىٰ أنفسهم من البحائر والسوائب والوصائل والحام ونحو ذلك ، مما كانوا ضيقوا به علىٰ أنفسهم.

﴿ **ويحرم عليهم الخبائث** ﴾ . قال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس : كلحم الخنزير ، والربا ، وما كانوا يستحلونه من المحرمات من المآكل التي حرمها الله تعالىٰ .

وقال بعض العلماء : كل ما أحل الله تعالىٰ فهو طيب نافع في البدن والدين ، وكل ما حرمه فهو خبيث ضار في البدن والدين .

وقد تمسك بهذه الآية الكريمة من يرىٰ التحسين والتقبيح العقليين ، وأجيب عن ذلك بما لا يتسع هذا الموضع له .

وكذا احتج بها من ذهب من العلماء إلىٰ أن المرجع في حِلِّ المآكل التي لم ينص علىٰ تحليلها ولا تحريمها إلىٰ ما استطابته العرب في حال رفاهيتها ، وكذا في جانب التحريم إلىٰ ما استخبثته ، وفيه كلام طويل أيضًا .

وقوله : ﴿ **ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم** ﴾ أي : أنه جاء بالتيسير والسماحة ؛ كما ورد الحديث من طرق عن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أنه قال(٢٠٩) :

---

(٢٠٨) - «المسند» (١٢٢/١) (رقم ٩٨٥) ورجاله ثقات إلا أن أبا البختري - واسمه سعيد بن فيروز - لم يسمع من علي بن أبي طالب ، قاله ابن معين وغيره ، ورواه أحمد أيضًا موصولًا : ثنا يحيى ابن سعيد عن مسعر ح ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة - وابن ماجة في « المقدمة » (٢٠) ثنا محمد ابن بشار ثنا يحيى بن سعيد عن شعبة ، قالا (مسعر وشعبة) ثنا عمرو بن مرة عن أبي البختري عن أبي عبد الرحمن السُّلمي عن علي قال .... فذكره وهذا إسناد صحيح .

(٢٠٩) - أخرجه بهذا اللفظ الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٢٠٩/٧) من حديث جابر =

---

[١] - في ز : « حدثتم » . [٢] - في ز : « البحتري » .

« **بعثتُ بالحَنيفية السمحة** » .

وقال صلىٰ اللَّه عليه وسلم لأميريه معاذ وأبي موسىٰ الأشعري لما بعثهما إلىٰ اليمن : « **بشرا ولا تنفرا ، ويسرا ولا تعسرا ، وتطاوعا ولا تختلفا** »(٢١٠) . وقال صاحبه أبو برزة الأسلمي : إني صحبت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم وشهدت تيسيره(٢١١) .

وقد كانت الأمم الذين قبلنا في شرائعهم ضيق عليهم ، فوسع اللَّه علىٰ هذه الأمة أمورها وسهلها لهم ؛ ولهذا قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن اللَّه تجاوز لأمتي ما حدَّثتْ به أنفسها ما لم تقل أو تعمل** »(٢١٢) . وقال : « **رُفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه** »(٢١٣) . ولهذا [ ][١] أرشد اللَّه هذه الأمة أن يقولوا : ﴿ **ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرًا كما حملته علىٰ الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا علىٰ القوم الكافرين** ﴾. وثبت في صحيح مسلم(٢١٤): أن اللَّه تعالىٰ قال بعد كل سؤال من هذه « **قد فعلتُ قد فعلتُ** » .

وقوله : ﴿ **فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه** ﴾ أي : عظموه ووقروه ﴿ **واتبعوا النور الذي أنزل معه** ﴾ [أي : القرآن والوحي الذي جاء به مبلغًا إلىٰ الناس][٢] ، ﴿ **أولئك هم المفلحون** ﴾ أي : في الدنيا والآخرة .

قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ

= ابن عبد اللَّه وإسناده ضعيف ورواه أحمد في « المسند » (٥/٢٦٦) - ومن طريقه الخطيب في « الفقيه والمتفقه » (١٢١٨/٢) - والطبراني في « الكبير » (٨/رقم ٧٨٦٨) من حديث أبي أمامة وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف ، وقد صح من طرق أخرى بنحو هذا اللفظ انظر ما تقدم [سورة الأنعام /آية ١٦٥] .

(٢١٠) - تقدم تخريجه [سورة البقرة / آية ١٨٥] .

(٢١١) - أخرجه أحمد (٤/٤٢٠ ، ٤٢٣) والبخاري ، كتاب : العمل في الصلاة ، باب : إذا انفلتت الدَّابة في الصلاة (١٢١١) .

(٢١٢) - تقدم تخريجه [سورة البقرة / آية ٢٨٤] .

(٢١٣) - تقدم تخريجه [سورة الأنعام / آية ٦٨] .

(٢١٤) - صحيح مسلم كتاب : الإيمان ، باب : بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق (٢٠٠) (١٢٦) وانظر ما تقدم [سورة البقرة / آية ٢٨٤] .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « قال » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

ﭐلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾

يقول تعالىٰ لنبيه ورسوله محمد ، صلىٰ الله عليه وسلم: ﴿ **قل** ﴾ يا محمد : ﴿ **يا أيها الناس** ﴾ وهذا خطاب للأحمر والأسود والعربي والعجمي ﴿ **إني رسول الله إليكم جميعًا** ﴾ أي : جميعكم ، وهذا من شرفه وعظمته ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أنه خاتم النبيين ، وأنه مبعوث إلىٰ الناس كافة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ** ﴾ والآيات في هذا كثيرة ، كما أن الأحاديث في هذا أكثر من أن تحصر ، وهو معلوم من دين الإسلام ضرورة أنه - صلوات الله وسلامه عليه - رسول الله إلىٰ الناس كلهم .

قال البخاري رحمه الله في تفسير هذه الآية(٢١٥) : حدثنا عبد الله ، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن وموسىٰ بن هارون قالا : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا عبد الله بن العلاء بن زَبْر ، حدثني بُسر[١] بن عبيد الله ، حدثني أبو إدريس الخولاني قال : سمعت أبا الدرداء رضي الله عنه يقول : كانت بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما محاورة ، فأغضب أبو بكر عمر ، فانصرف عمر عنه مغضبًا ، فاتبعه أبو بكر يسأله[٢] أن يستغفر له ، فلم يفعل حتىٰ أغلق بابه في وجهه ، فأقبل أبو بكر إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال أبو الدرداء : ونحن عنده فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أما صاحبكم هذا فقد غَامَرَ** » . [أي : غاضب وحاقد][٣]، قال: وندم

(٢١٥) - صحيح البخاري كتاب : التفسير، سورة الأعراف، باب : (٣) قوله تعالى ﴿ **قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا ....** ﴾ (٤٦٤٠) ، وأخرجه ، كتاب : فضائل الصحابة ، باب : قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : « لو كنت متخذًا خليلًا » (٣٦٦١) ثنا هشام بن عمار ثنا صدقة ابن خالد ثنا زيد بن واقد عن بسر بن عبيد الله ، به .

[١] - في ز : « بشر » . [٢] - في ز : « فسأله » .

[٣] - هذا من تفسير الحافظ ابن كثير ، وقد فسر البخاري هذه اللفظة بخلاف ذلك فقال: « غامر : أي سبق بالخير » ، وقال ابن حجر في « الفتح » (٢٥/٧) : قوله (فقد غامر) بالغين المعجمة : أي خاصم ، والمعنى دخل في غمرة الخصومة ، والغامر الذي يرمى بنفسه في الأمر العظيم كالحرب وغيره ، وقيل هو من الغمر بكسر المعجمة وهو الحقد ، أي : صنع أمرًا اقتضى له أن يحقد على من صنعه معه ، ويحقد الآخر عليه ، ووقع في تفسير الأعراف في رواية أبي ذر وحده :« قال أبو عبد الله - وهو المصنف - غامر أي سبق بالخير ... » وهو تفسير مستغرب والأول أظهر ، وقد عزاه المحب الطبري لأبي عبيدة بن المثنى أيضًا ، فهو سلف البخاري فيه » اهـ .

عمر علىٰ ما كان منه ، فأقبل حتىٰ سلم وجلس إلىٰ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وقص على رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم [الخبر . قال أبو الدرداء : وغضب رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم][١] وجعل أبو بكر يقول : واللّٰه يا رسول اللّٰه لأنا كنت أظلم . فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **هل أنتم تاركوا لي صاحبي ؟ إني قلت : يا أيها الناس إني رسول اللّٰه إليكم جميعًا . فقلتم : كذبت . وقال أبو بكر : صدقت** » . انفرد به البخاري .

وقال الإمام أحمد(٢١٦) : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا عبد العزيز بن مسلم ، حدثنا يزيد بن أبي زياد ، عن مقسم ، عن ابن عباس أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **أعطيت خمسًا لم يعطهن نبي قبلي ، ولا أقوله[٢] فخرًا : بعثتُ إلىٰ الناس كافة : الأحمر والأسود ، ونُصرتُ بالرعب مسيرة شهر ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وجعلتْ لي الأرض مسجدا وطهورا ، وأعطيتُ الشفاعة فأخرتها لأمتي [يوم القيامة][٣] ، فهي لمن لا يشرك بالله شيئًا** » . إسناد جيد ، ولم يخرجوه .

وقال الإمام أحمد أيضًا(٢١٧) : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا بكر بن مُضَر ، عن ابن[٤]

(٢١٦) - « المسند » (٣٠١/١) (٢٧٤٢) وأخرجه أيضًا (٢٥٠/١) (٢٢٥٦) من طريق علي بن عاصم وابن أبي شيبة في « المصنف » (٤١٠/٧) - وعنه عبد بن حميد في « المنتخب » (٦٤٣) ومن طريق محمد بن فضيل ، كلاهما (علي ومحمد) عن يزيد بن أبي زياد به ، مقرونًا بـ « مقسم » « مجاهد » ، ويزيد بن أبي زياد « ضعيف كبر فتغير وصار يتلقن وكان شيعيًا » كما في « التقريب » ، ورواه الطبراني في « الكبير » (١١٠٤٧/١١) من طريق ابن أبي ليلى عن الحكم عن مجاهد به ، وابن أبي ليلى هو محمد بن عبد الرحمن « سيئ الحفظ جدًا » ، ورواه الطبراني أيضًا (١١٠٨٥/١١) من طريق سلمة بن إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى بن سلمة بن كهيل حدثني أبي عن أبيه عن جده عن سلمة بن كهيل عن مجاهد به ، وإبرهيم بن إسماعيل ضعيف وأبوه وجده : « متروكان » ، وقد اضطربوا فيه ، فرواه البزار (١/ رقم ١٩٤/ زوائد ابن حجر) وكذا الطبراني (١٣٥٢٢/١٢) من طريق إبراهيم بن إسماعيل بهذا الإسناد غير أنهم جعلوه من مسند « عبد اللّٰه بن عمر » وقال البزار : « لا نعلمه يروى عن ابن عمر إلا بهذا الإسناد ، وقد رواه يزيد ابن أبي زياد عن مجاهد ومقسم عن ابن عباس » وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٦١/٨) وقال : « رواه أحمد والبزار والطبراني بنحوه ... ورجال أحمد رجال الصحيح غير يزيد بن أبي زياد وهو حسن الحديث » . وانظر ما يأتي بعده .

(٢١٧) - **إسناده حسن** « المسند » (٢٢٢/٢) (٧٠٦٨) وذكره الهيثمي في « المجمع » (٣٧٠/١٠) مختصرًا من وسطه وقال : « رواه أحمد ورجاله ثقات » وصحح إسناده المنذري في =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز . [٢] - في المسند : « أقولهن » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٤] - في ز : « أبي » .

الهاد ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم عام غزوة تبوك ، قام من الليل يصلي[١] ، فاجتمع وراءه رجال من أصحابه يحرسونه ، حتىٰ إذا صلىٰ انصرف إليهم فقال لهم : **« لقد أعطيت الليلة خمسًا ما أعطيهن أحد قبلي : أما أنا فأرسلت إلىٰ الناس كلهم عامة ، وكان من قبلي إنما يُرسَل إلىٰ قومه ، ونصرت علىٰ العدو بالرعب ، ولو كان بيني وبينهم مسيرة شهر لَمُلِئَ مني رعبًا ، وأحلت لي الغنائم آكلها ، وكان مَن قبلي يعظمون أكلها ، كانوا يحرقونها ، وجعلت لي الأرض مساجد وطهورًا ، أينما أدركتني الصلاة تمسَّحتُ وصليت ، وكان من قبلي يعظمون ذلك ، إنما كانوا يصلون في بِيَعهم وكنائسهم ، والخامسة هي ما هي ، قيل لي : سل ؛ فإن كل نبي قد سأل ، فأخرت مسألتي إلىٰ يوم القيامة ، فهي لكم ولمن شهد أن لا إله إلا اللَّه »** . إسناد جيد قوي أيضًا ، ولم يخرجوه .

وقال[٢] أيضًا(٢١٨) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن أبي موسىٰ الأشعري - رضي اللَّه عنه - ، عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : **« من سمع بي من أمتي أو يهودي أو نصراني فلم يؤمن بي لم يدخل الجنة »** .

وهذا الحديث في صحيح مسلم(٢١٩) من وجه آخر عن أبي موسىٰ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : **« والذي نفسي بيده لا يسمع بي رجل من هذه الأمة : يهودي ولا نصراني ، ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار »** .

وقال الإمام أحمد(٢٢٠) : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا أبو يونس ، وهو سليم بن

= « الترغيب والترهيب » (٤٣٢/٤) وإسناده حسن للخلاف المشهور في رواية « عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده » .

(٢١٨) - « المسند » (٣٩٦/٤) وأخرجه أيضًا (٣٩٨/٤) ثنا عفان ، ثنا شعبة بهذا الإسناد ، ويأتي تخريجه بأطول من هذا عند [سورة هود / آية ١٧] وانظر ما بعده .

(٢١٩) - كذا قال الحافظ ابن كثير - رحمه اللَّه تعالى - وكرر مثل هذا عند [آية رقم ١٧/ سورة هود] وبينًا عند هذا الموضع أن عزو الحديث لمسلم - من حديث أبي موسى - خطأ ، فانظر بيان ذلك ثمة .

(٢٢٠) - « المسند » (٣٥٠/٢) وقول المصنف « تفرد به أحمد » إن كان يعني بهذا الإسناد بتمامه وإلا فقد أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب : الإيمان، باب : وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد - صلى اللَّه عليه وسلم - إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته (٢٤٠) (١٥٣) حدثني يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا ابن وهب ، قال : وأخبرني عمرو ؛ أن أبا يونس حدَّثه عن أبي هريرة ... فذكر الحديث .

---

[١] - في ز : « فصلى » . [٢] - بياض في ز .

جبير ، عن أبي هريرة ، عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم [أنه قال][١] : « **والذي نفسي بيده ، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني ، ثم يموت ولا يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار** » . تفرد به أحمد .

وقال الإمام أحمد(٢٢١) : حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، [عن أبي بردة ، عن أبي موسىٰ – رضي اللَّه عنه – قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أعطيت خمسًا : بعثت إلىٰ الأحمر والأسود ، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا وأحلت لي الغنائم ولم تحل لمن كان قبلي ، ونصرت بالرعب شهرًا ، وأعطيت الشفاعة ، وليس من نبي إلا و[٢]قد سأل الشفاعة ، وإني قد اختبأت شفاعتي ، ثم جعلتها لمن مات من أمتي لم يشرك بالله شيئًا** » .

وهذا أيضًا إسناد صحيح ، ولم أرهم خرجوه ، واللَّه أعلم ، وهذا الحديث ثابت في الصحيحين أيضًا من حديث[٣] جابر بن عبد اللَّه قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا ، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلىٰ قومه وبعثت إلىٰ الناس عامة** »(٢٢٢) .

وقوله : ﴿ **الذي له ملك السمٰوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت** ﴾ صفة اللَّه تعالىٰ في قوله : ﴿ **رسول اللَّه** ﴾ : أي : إن[٤] الذي أرسلني هو خالق كل شيء وربه ومليكه ، الذي بيده الملك والإحياء والإماتة ، وله الحكم .

---

(٢٢١) – « المسند » (٤١٦/٤) وأخرجه الروياني في « مسنده » (١/رقم ٤٨٥) نا محمد بن معمر ، نا عبيد اللَّه بن موسى ، نا إسرائيل به ، ورواه أحمد أيضًا ثنا أبو أحمد الزبيري ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي بردة ، قال : قال رسول اللَّه – صلى اللَّه عليه وسلم – فذكر معناه ولم يسنده ، وحسين بن محمد وعبيد بن موسى وأبو أحمد الزبيري – واسمه محمد بن عبد اللَّه – ثقات ، وعبيد اللَّه ابن موسى أوثقهم في إسرائيل . والحديث ذكره الهيثمي في « المجمع » (٨/ ٢٦١) وقال : « رواه أحمد متصلًا ومرسلًا والطبراني ورجاله رجال الصحيح » .

(٢٢٢) – أخرجه البخاري ، فاتحة كتاب التيمم (رقم ٣٣٥) ومسلم ، فاتحة كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٣) (٥٢١) وكذا أخرجه أحمد (٣٠٤/٣) والنسائي (٢٠٩/١ ، ٢١٠ ، ٢١١) و(٢/ ٥٦) .

---

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٢] – سقط من : ز .
[٣] – في ز : « رواية » . [٤] – سقط من : ز .

وقوله : ﴿ **فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي** ﴾ أخبرهم أنه رسول اللَّه إليهم ، ثم أمرهم باتباعه والإيمان به ﴿ **النبي الأمي** ﴾ أي : الذي وُعِدتم به وبشرتم به في الكتب المتقدمة ، فإنه منعوت بذلك في كتبهم ؛ ولهذا قال : ﴿ **الذي يؤمن بالله وكلماته** ﴾ أي : يصدق قوله عمله ، وهو يؤمن بما أنزل إليه من ربه ﴿ **واتبعوه** ﴾ أي : اسلكوا طريقه واقتفوا أثره ﴿ **لعلكم تهتدون** ﴾ أي : إلى الصراط المستقيم .

وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن بني إسرائيل إن منهم طائفة يتبعون الحق ويعدلون به ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات اللَّه آناء الليل وهم يسجدون** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين للَّه لا يشترون بآيات اللَّه ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن اللَّه سريع الحساب** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلىٰ عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا** ﴾ الآية ، وقال تعالىٰ : ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به** ﴾ الآية ، وقال تعالىٰ : ﴿ **إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلىٰ عليهم يخرون للأذقان سجدًا * ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا]**[١] **ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعًا** ﴾ .

وقد ذكر ابن جرير في تفسيرها خبرًا عجيبًا فقال(٢٢٣) : حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قوله : ﴿ **ومن قوم موسىٰ أمة يهدون بالحق وبه يعدلون** ﴾ قال : بلغني أن بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطًا ، تبرأ سبط منهم مما صنعوا ، واعتذروا ، وسألوا اللَّه - عز وجل - أن يفرق بينهم وبينهم ، ففتح اللَّه لهم نفقًا في الأرض ، فساروا فيه حتىٰ خرجوا من وراء الصين ، فهم هنالك حنفاء مسلمون[٢] يستقبلون قبلتنا . قال ابن جريج : قال ابن عباس : فذلك قوله : ﴿ **وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفًا** ﴾ و ﴿ **وعد الآخرة** ﴾ عيسىٰ بن مريم - قال ابن جريج : قال ابن عباس : ساروا في السرب سنة ونصفًا .

---

(٢٢٣) - « التفسير » لابن جرير (١٥٢٥١/١٣) وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٢٥٠/٣) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - في خ ، ز : « مسلمين » والمثبت من تفسير ابن جرير .

وقال ابن عيينة : عن صدقة أبي الهذيل ، عن السدي : ﴿ **ومن قوم موسىٰ أمة يهدون بالحق وبه يعدلون** ﴾ قال : قوم بينكم وبينهم نهر من شهْد[١] .

﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١٦٠) وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ (١٦١) فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ (١٦٢) ﴾

تقدم تفسير هذا كله في سورة البقرة ، وهي مدنية ، وهذا السياق مكي ، ونبهنا علىٰ الفرق بين هذا السياق وذاك بما أغنىٰ عن إعادته ، ولله الحمد والمنة .

﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ (١٦٣) ﴾

هذا السياق هو بسط لقوله تعالىٰ : ﴿ **ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين** ﴾ . يقول تعالىٰ لنبيه صلوات الله وسلامه عليه : ﴿ **واسألهم**[٢] ﴾ أي: واسأل[٣] هؤلاء اليهود الذين[٤] بحضرتك عن قصة أصحابهم الذين خالفوا أمر الله ،

---

[١] - في ز ، ت : « شُهْ » .
[٢] - في ز : « وسلهم » .
[٣] - في ز : « سل » .
[٤] - سقط من : ز .

ففاجأتهم[١] نقمته علىٰ صنيعهم واعتدائهم واحتيالهم في المخالفة ، وحذر هؤلاء من كتمان صفتك التي يجدونها في كتبهم ؛ لئلا يحلَّ بهم ما حل بإخوانهم وسَلَفهم ، وهذه القرية هي « أيلة » ، وهي علىٰ شاطئ بحر القلزم .

قال محمد بن إسحاق(٢٢٤) : عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله تعالىٰ : ﴿ **واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر** ﴾ قال : هي قرية يقال لها : « **أيلة** » بين مدين والطور .

وكذا قال عكرمة ومجاهد وقتادة والسدّي . وقال عبد اللَّه بن كثير القارئ : سمعنا أنها أيلة .

وقيل : هي مدين ، وهو رواية عن ابن عباس . وقال ابن زيد : هي قرية يقال لها : « **مقنا** »[٢] بين مدين وعينونا[٣] .

وقوله : ﴿ **إذ يعدون في السبت** ﴾ أي : يعتدون فيه ويخالفون أمر اللَّه فيه لهم بالوصاة به إذ ذاك .

﴿ **إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرّعًا** ﴾ قال الضحاك : عن ابن عباس ؛ أي : ظاهرة علىٰ الماء .

وقال العوفي : عن ابن عباس : ﴿ **شرعًا** ﴾ : من كل مكان .

قال ابن جرير[٤] : وقوله : ﴿ **ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم** ﴾ أي : نختبرهم بإظهار السمك لهم علىٰ ظهر الماء في اليوم المحرم عليهم صيده ، وإخفائه[٥] عنهم في اليوم المحلل لهم صيده ﴿ **كذلك نبلوهم** ﴾ نختبرهم ﴿ **بما كانوا يفسقون** ﴾ يقول : بفسقهم عن طاعة اللَّه وخروجهم عنها .

وهؤلاء قوم احتالوا على انتهاك محارم اللَّه ، بما تعاطوا من الأسباب الظاهرة التي معناها في الباطن تعاطي الحرام .

---

(٢٢٤) - أخرجه ابن جرير (١٥٢٥٢/١٣) وابن أبي حاتم (٨٤٤١/٥) .

---

[١] - في ز : « ففجأتهم » .
[٢] - في خ ، ز : « متنا » .
[٣] - في ت : « وعيدوني »، و« عينونا » وتكب أيضًا و« عينون » كلمة عبرانية وهي علم على قرية من قرى بيت المقدس وقيل : قرية من وراء البثنية من دون القلزم في طرف الشام « معجم البلدان» (٢٠٣/٤ ، ٢٠٤) .
[٤] - ابن جرير في تفسيره (١٨٣/١٣ - ١٨٤) .
[٥] - في ز : « إخفائها » .

وقد قال الفقيه الإمام أبو عبد الله بن بطة رحمه الله(٢٢٥) : حدثنا أحمد بن محمد بن مسلم ، حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني ، حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة : أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : [« **لا ترتكبوا ما ارتكبت**][١] **اليهود ، فتستحلوا محارم الله بأدنىٰ الحيَل** » .

وهذا إسناد جيد ، فإن أحمد بن محمد بن مسلم هذا ذكره الخطيب في تاريخه ووثقه ، وباقي رجاله مشهورون ثقات ، ويصحح الترمذي بمثل هذا الإسناد كثيرًا .

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾

يخبر تعالىٰ عن أهل هذه القرية أنهم صاروا إلىٰ ثلاث فرق : فرقة ارتكبت المحذور ، واحتالوا علىٰ اصطياد السمك يوم السبت ، كما تقدم بيانه في سورة البقرة ، وفرقة نهت عن ذلك واعتزلتهم ، وفرقة سكتت فلم تفعل ولم تنه ولكنها قالت للمنكرة : ﴿ **لم تعظون قومًا الله مهلكهم أو معذبهم عذابًا شديدًا** ﴾ أي : لمَ تنهون[٢] هؤلاء وقد علمتم أنهم هلكوا واستحقوا العقوبة من الله ؟ فلا فائدة في نهيكم إياهم ، قالت لهم المنكرة : ﴿ **معذرة إلىٰ ربكم** ﴾ قرأ بعضهم بالرفع[٣] ، كأنه علىٰ تقدير : هذه معذرة ، وقرأ آخرون بالنصب [٤]أي : نفعل ذلك

(٢٢٥) - « جزء في الخلع وإبطال الحيل » (ص ٢٤) لأبي عبد الله بن بطة - كما في « إرواء الغليل » (٥/رقم ١٥٣٥) وقال الألباني : « وإسناده رجاله ثقات معروفون من رجال « التهذيب » غير أبي الحسن أحمد بن محمد بن مسلم وهو المخرمي كما جاء منسوبًا في أكثر من موضع في كتابه الآخر « الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ...» ثم نقل الألباني كلام ابن كثير الذي عقب به هذا الحديث وقال -: « ولكني لم أجد ترجمة ابن مسلم هذا في « تاريخ بغداد » والله أعلم » .
قلت : هو مترجم في « تاريخ بغداد » (٥/٩٨ ، ٩٩) ولكن لم يذكر فيه الخطيب جرحًا أو تعديلًا ، ومع هذا فقد جوَّد المصنف إسناده وحسن إسناده السخاوري كما في « الفتاوي الحديثية » (ص ٢٣٦) .

[١] - في خ : « لا تركبوا ما ارتكب » . [٢] - في ز : « تنهوا » .
[٣] - وهم ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي .
[٤] - وهي قراءة عاصم . انظر السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص ٢٩٦) .

﴿ **معذرة إلىٰ ربكم** ﴾ أي : فيما أخذ علينا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ﴿ **ولعلهم يتقون** ﴾ يقولون : ولعل بهذا الإنكار يتقون ما هم فيه ويتركونه ، ويرجعون إلىٰ اللّٰه تائبين ، فإذا تابوا تاب اللّٰه عليهم ورحمهم .

قال تعالىٰ : ﴿ **فلما نسوا ما ذكروا به** ﴾ أي : فلما أبىٰ الفاعلون المنكرَ قبول النصيحة ﴿ **أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا** ﴾ أي : ارتكبوا المعصية ﴿ **بعذاب بئيس** ﴾ فنص علىٰ نجاة الناهين وهلاك الظالمين ، وسكت عن الساكتين ؛ لأن الجزاء من جنس العمل ، فهم لا يستحقون مدحًا فيمدحوا ، ولا ارتكبوا عظيمًا فيذموا ، ومع هذا فقد اختلف الأئمة فيهم هل كانوا من الهالكين أو من الناجين ؟ علىٰ قولين :

قال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس ﴿ **وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قومًا اللّٰه مهلكهم أو معذبهم عذابًا شديدًا** ﴾ : هي قرية علىٰ شاطئ البحر بين مكة[١] والمدينة يقال لها : « **أيلة** » فحرم اللّٰه عليهم الحيتان يوم سبتهم ، وكانت الحيتان تأتيهم يوم سبتهم شرعًا في ساحل البحر ، فإذا مضىٰ يوم السبت لم يقدروا عليها ، فمضىٰ علىٰ ذلك ما شاء اللّٰه ، ثم إن طائفة منهم أخذوا الحيتان يوم سبتهم فنهتهم طائفة وقالوا : تأخذونها وقد حرمها اللّٰه عليكم يوم سبتكم ، فلم يزدادوا إلا غيًا، وعتوًا ، وجعلت طائفة أخرىٰ تنهاهم ، فلما طال ذلك عليهم قالت طائفة من النهاة : تعلموا[٢] أن هؤلاء قوم قد[٣] حق عليهم العذاب ﴿ **لم تعظون قومًا اللّٰه مهلكهم** ﴾ وكانوا أشد غضبًا للّٰه من الطائفة الأخرىٰ فقالوا : ﴿ **معذرة إلىٰ ربكم ولعلهم يتقون** ﴾ وكل قد كانوا ينهون، فلما[٤] وقع عليهم غضب اللّٰه نجت الطائفتان اللتان قالوا: ﴿ **لم تعظون قومًا اللّٰه مهلكهم** ﴾ والذين قالوا : ﴿ **معذرة إلىٰ ربكم** ﴾ وأهلك[٥] اللّٰه أهل معصيته الذين أخذوا الحيتان فجعلهم قردة .

وروىٰ العوفي عن ابن عباس قريبًا من هذا .

وقال حماد بن زيد : عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ **وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قومًا اللّٰه مهلكهم أو معذبهم عذابًا شديدًا** ﴾ قال : ما أدري أنجا الذين قالوا : ﴿ **لم تعظون قومًا اللّٰه مهلكهم** ﴾ أم لا ؟ قال : فلم أزل به حتىٰ عرَّفته أنهم قد نجوا ، فكساني حُلة .

---

[١] - في ح ، ز : « مصر » والمثبت من تفسير ابن جرير (١٥٢٦٦/١٣) .
[٢] - في ج ، ز : « تعلمون » وهو تحريف ، لأنه فعل أمر بمعنى اعلموا .
[٣] - سقط من : ز . [٤] - في ز : « لما » .
[٥] - في ز : « أهلكهم » .

وقال عبد الرزاق(٢٢٦) : أخبرنا ابن جريج ، حدثني رجل ، عن عكرمة قال : جئت ابن عباس يومًا وهو يبكي ، وإذا المصحف في حجره ، فأعظمت أن أدنو ، ثم لم أزل على ذلك حتى تقدمت ، فجلست ، فقلت : ما يبكيك يا أبا عباس ، جعلني الله فداك ؟ قال : فقال : هؤلاء الورقات . قال : وإذا هو[١] في سورة الأعراف قال : تعرف أيلة ؟ قلت : نعم . قال : فإنه كان بها حي من اليهود[٢] ، سيقت الحيتان إليهم يوم السبت ، ثم غاصت[٣] لا يقدرون عليها[٤] حتى يغوصوا[٥] بعد كد ومؤنة شديدة ، كانت تأتيهم يوم السبت شرعًا بيضًا سمانا كأنها الماخض تتبطّح[٦] ظهورها لبطونها بأفنيتهم ، فكانوا كذلك برهة من الدهر ، ثم إن الشيطان أوحى إليهم فقال : إنما نهيتم[٧] عن أكلها يوم السبت، فخذوها فيه وكلوها في غيره من الأيام ، فقالت ذلك طائفة منهم ، وقالت طائفة : بل نهيتم عن أكلها وأخذها وصيدها يوم السبت . فكانوا كذلك حتى جاءت الجمعة المقبلة، فغدت طائفة بأنفسها وأبنائها ونسائها، واعتزلت طائفة ذات اليمين، و[تنحت واعتزلت][٨] طائفة ذات اليسار وسكتت، وقال الأيمنون: [ويلكم . الله][٩] اللهَ ، [ننهاكم أن][١٠] تتعرضوا لعقوبة الله . وقال الأيسرون : ﴿ **لم تعظون قومًا الله مهلكهم أو معذبهم عذابًا شديدًا** ﴾ . قال الأيمنون : ﴿ **معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون** ﴾ ، إن ينتهوا فهو أحب إلينا أن لا يصابوا ولا يهلكوا ، وإن لم ينتهوا فمعذرة إلى ربكم . فمضوا على الخطيئة ، وقال الأيمنون : فقد فعلتم يا أعداء الله ، والله لا نُبايِتُكم الليلة في مدينتكم ، والله ما نراكم تصبحون حتى يصبحكم الله بخسف أو قذف أو بعض ما عنده من العذاب ، فلما أصبحوا ضربوا عليهم الباب ، ونادوا ، فلم يجابوا ، فوضعوا سلمًا ، فأعلوا[١١] بسور المدينة رجلًا ، فالتفت إليهم فقال : أي عباد الله ، قردةٌ والله تَعَاوَى[١٢] ، لها أذناب . قال : ففتحوا ، فدخلوا عليهم ، فعرفت القرود أنسابها من الإنس ، ولا تعرف الإنس أنسابها من القردة ، فجعلت القرود يأتيها نسيبها من الإنس فتشم ثيابه وتبكي ، فيقول[١٣] : ألم ننهكم عن كذا ؟ فتقول برأسها : أي نعم . ثم قرأ ابن عباس : ﴿ **فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس** ﴾ قال : فأرى[١٤] الذين نهوا قد نجوا ، ولا أرى الآخرين ذكروا ، ونحن نرى

(٢٢٦) - « التفسير » لعبد الرزاق (٢/٢٤٠ ، ٢٤٢) ومن طريقه ابن جرير (١٣/١٥٢٧٢) .

[١] - سقط من: خ ، ز .
[٢] - في ز : « يهود » .
[٣] - في ز : « عاصت » .
[٤] - في ت : « عليه » .
[٥] - في ز : « يعصوا » .
[٦] - في ز : « تنتطح » .
[٧] - في ز : « نهيتكم » .
[٨] - في تفسير عبد الرزاق « نهت واعترضت »
[٩] - سقط من: خ، ز .
[١٠] - في ز : « ينهاكم عن لا » .
[١١] - في ت : « أعلوا » .
[١٢] - في ز : « تعادى » .
[١٣] - في ز : « فتقول لهم » .
[١٤] - في ز : « قاري » .

أشياء ننكرها ولا نقول فيها ، قال : قلت : أي[١] جعلني الله فداك ، ألا ترىٰ أنهم قد كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا : ﴿ لم تعظون قومًا الله مهلكهم ﴾ ؟ قال : فأمر لي[٢] ، فَكَسِيتُ ثوبين غليظين .

وكذا روىٰ مجاهد عنه .

وقال ابن جرير(٢٢٧) : حدثني يونس ، أخبرنا أشهب بن عبد العزيز ، عن مالك قال : زعم ابن رُومان أن قوله تعالىٰ : ﴿ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعًا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم ﴾ قال : كانت تأتيهم يوم السبت ، فإذا كان المساء ذهبت ، فلا يُرىٰ منها شيء إلىٰ يوم السبت الآخر ، فاتخذ لذلك رجل خيطًا ووتدًا ، فربط حوتًا منها في الماء يوم السبت ، حتىٰ إذا أمسوا[٣] ليلة الأحد أخذه فاشتواه ، فوجد الناس ريحه ، فأتوه فسألوه عن ذلك ، فَجَحَدهم ، فلم يزالوا به حتىٰ قال لهم : فإنه جلد حوت وجدناه . فلما كان السبت الآخر فعل مثل ذلك ولا أدري لعله قال : ربط حوتين فلما أمسىٰ من ليلة الأحد أخذه فاشتواه ، فوجدوا رائحة ، فجاءوا فسألوه ، فقال لهم : لو شئتم صنعتم كما أصنع . فقالوا له : وما صنعت ؟ فأخبرهم ، ففعلوا مثل ما فعل حتىٰ كثر ذلك ، وكانت لهم مدينة لها ربض يغلقونها عليهم ، فأصابهم من المسخ ما أصابهم ، فغدوا عليهم جيرانهم ممن كانوا[٤] حولهم ، يطلبون منهم ما يطلب الناس ، فوجدوا المدينة مغلقة عليهم ، فنادوا فلم يجيبوهم ، فتسوروا عليهم ، فإذا هم قردة ، فجعل القرد يدنو يتمسح بمن كان يعرف قبل ذلك ، ويدنو منه ويتمسح به .

وقد قدمنا في سورة « **البقرة** » من الآثار في خبر هذه القرية ما فيه مَقْنَعٌ وكفاية ، ولله الحمد والمنة .

(القول الثاني) : أن الساكتين كانوا من الهالكين :

قال محمد بن إسحاق(٢٢٨) : عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال : ابتدعوا السبت فابتلوا فيه ، فحرمت عليهم فيه الحيتان ، فكانوا إذا كان يوم السبت شرعت لهم

---

(٢٢٧) - تفسير ابن جرير (١٥٢٧٧/١٣) .

(٢٢٨) - تفسير ابن جرير (١٥٢٧٨/١٣) وجود إسناده المصنف مع أن داود بن الحصين متكلم فيه لا سيما في عكرمة ، ومحمد بن إسحاق مدلس وقد عنعن ، لكن وجدت تصريح ابن إسحاق به ، عند ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٤٥٤/٥) فانتفت شبهة تدليسه : وبقيت علة ضعف داود بن الحصين في عكرمة ، والله أعلم .

---

[١] - زيادة من : ز .

[٢] - في ز : « بي » .

[٣] - في خ : « أتوا » .

[٤] - في ز : « كان يكون » .

الحيتان ينظرون إليها في البحر ، فإذا انقضىٰ السبت ذهبت ، فلم تُر حتىٰ السبت المقبل ، فإذا جاء السبت جاءت شُرعًا ، فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا كذلك ، ثم إن رجلًا منهم أخذ حوتًا فخزمه بأنفه ثم ضرب له وتدًا في الساحل ، وربطه وتركه في الماء ، فلما كان الغد أخذه فشواه فأكله ، ففعل ذلك وهم ينظرون ولا ينكرون ، ولا ينهاه منهم أحد ، إلا عصبة منهم نهوه ، حتىٰ ظهر ذلك في الأسواق ، فَفُعِلَ علانية ، قال : فقالت طائفة للذين ينهونهم : ﴿ **لم تعظون قومًا الله مهلكهم أو معذبهم عذابًا شديدًا قالوا معذرة إلىٰ ربكم** ﴾ فقالوا : نسخط أعمالهم ﴿ **ولعلهم يتقون فلما نسوا ما ذكروا به** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **قردة خاسئين** ﴾ قال ابن عباس : كانوا أثلاثًا : ثلث نهوا ، وثلث قالوا : ﴿ **لم تعظون قومًا الله مهلكهم** ﴾ ، وثلث أصحاب الخطيئة ، فما نجا إلا الذين نهوا وهلك سائرهم .

وهذا إسناد جيد عن ابن عباس ، ولكن رجوعه إلىٰ قول عكرمة في نجاة الساكتين أولىٰ من القول بهذا ؛ لأنه تبين حالهم بعد ذلك ، والله أعلم .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس** ﴾ فيه دلالة بالمفهوم علىٰ أن الذين بقوا نجوا .

و﴿ **بئيس** ﴾ فيه قراءات كثيرة[١] ، ومعناه في قول مجاهد : الشديد ، وفي رواية : أليم ، وقال قتادة : موجع ، والكل متقارب ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **خاسئين** ﴾ أي : ذليلين حقيرين مُهانين .

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾

﴿ **تأذن** ﴾ تفعَّل من الأذان أي : أعلم . قاله[٢] مجاهد ، [ ][٣] وقال غيره : أمر .

وفي قوة الكلام ما يفيد معنىٰ القسم من هذه اللفظة ؛ ولهذا تُلُقِّيَت باللام في قوله : ﴿ **ليبعثن عليهم** ﴾ أي : علىٰ اليهود ﴿ **إلىٰ يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب** ﴾ أي : بسبب عصيانهم ومخالفتهم أوامر الله وشرعه ، واحتيالهم علىٰ المحارم .

ويقال : إن موسىٰ - عليه السلام - ضرب عليهم الخراج سبع سنين ، وقيل : ثلاث عشرة

---

[١] - انظر هذه القراءات في كتاب السبعة في القراءات لأبي بكر بن مجاهد (ص٢٩٦ ، ٢٩٧) .
[٢] - في ز : « وقال » . [٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « قال » .

سنة ، وكان أول من ضرب الخراج ، ثم كانوا في قهر الملوك من اليونانيين والكُشْدانيين والكُلدانيين ، ثم صاروا إلىٰ[١] قهر النصارىٰ وإذلالهم إياهم ، وأخذهم منهم الجزىٰ والخراج ، ثم جاء الإسلام ومحمد صلىٰ الله عليه وسلم ، فكانوا تحت صَغَاره[٢] وذمته يؤدون الخراج والجزىٰ .

قال العوفي : عن ابن عباس في تفسير هذه الآية قال : هي المسكنة وأخذ الجزية منهم .

وقال علي بن أبي طلحة : عنه : هي الجزية ، والذين[٣] يسومونهم سوء العذاب : محمد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، وأمته ، إلىٰ يوم القيامة .

وكذا قال سعيد بن جبير وابن جريج[٤] والسدي وقتادة .

وقال عبد الرزاق : عن معمر ، عن عبد الكريم الجزري ، عن سعيد بن المسيب قال : يستحب أن تبعث الأنباط في الجزية .

قلت : ثم آخر أمرهم أنهم يخرجون أنصار[٥] الدجال ، فيقتلهم المسلمون مع عيسىٰ ابن مريم عليه السلام ، وذلك آخر الزمان .

وقوله : ﴿ **إن ربك لسريع العقاب** ﴾ أي : لمن عصاه وخالف شرعه ﴿ **وإنه لغفور رحيم** ﴾ أي : لمن تاب[٦] إليه وأناب .

وهذا من باب قرن الرحمة مع العقوبة ؛ لئلا يحصل اليأس ، فيقرن تعالىٰ بين الترغيب والترهيب كثيرًا ؛ لتبقىٰ النفوس بين الرجاء والخوف.

وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ

---

[١] - في ز : « في » .
[٢] - في ز : « صفاره » .
[٣] - في خ : « الذي » .
[٤] - في ز : « جرير » .
[٥] - في خ : « أنصارًا » .
[٦] - في ز : « ثاب » .

بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

يذكر تعالىٰ أنه فرقهم في الأرض أممًا ، أي : طوائف وفِرَقًا ، كما قال : ﴿ **وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفًا** ﴾ .

﴿ **منهم الصالحون ومنهم دون ذلك** ﴾ أي : فيهم الصالح وغير ذلك ، كما قالت الجن : ﴿ **وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددًا** ﴾ ، ﴿ **وبلوناهم** ﴾ أي : اختبرناهم ﴿ **بالحسنات والسيئات** ﴾ أي : بالرخاء والشدة ، والرغبة والرهبة ، والعافية والبلاء ، ﴿ **لعلهم يرجعون** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنىٰ ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه** ﴾ ، يقول تعالىٰ ﴿ **فخلف** ﴾ من بعد ذلك الجيل الذي[١] فيهم الصالح والطالح ﴿ **خلف** ﴾ آخر لا خير فيهم ، وقد ﴿ **ورثوا** ﴾ دراسة ﴿ **الكتاب** ﴾ وهو التوراة - وقال مجاهد : هم النصارىٰ . وقد يكون أعم من ذلك ﴿ **يأخذون عرض هذا الأدنىٰ** ﴾ أي : يعتاضون عن بذل الحق ونشره بعرض الحياة الدنيا ، ويسوِّفون أنفسهم وَيعِدُونها بالتوبة ، وكلما لاح لهم مثل الأول وقعوا فيه ؛ ولهذا قال : ﴿ **وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه** ﴾ ، كما قال سعيد بن جبير : يعملون بالذنب[٢] ثم يستغفرون اللَّه منه ، فإن عرض ذلك الذنب أخذوه .

وقال مجاهد في قوله تعالىٰ : ﴿ **يأخذون عرض هذا الأدنىٰ** ﴾ قال : لا يشرف لهم شيء من الدنيا إلا أخذوه ؛ حلالًا كان أو حرامًا ، ويتمنون المغفرة ﴿ **ويقولون سيغفر لنا وإن** [**يأتهم عرض مثله يأخذوه**][٣] ﴾ .

وقال قتادة في قوله : ﴿ **فخلف من بعدهم خلف** ﴾ : إي واللَّه ، لخلف سوء ﴿ **ورثوا الكتاب** ﴾ بعد أنبيائهم ورسلهم ، ورثهم اللَّه وعَهِد إليهم ، وقال اللَّه تعالىٰ في آية[٤] أخرىٰ : ﴿ **فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات** ﴾ . قال : ﴿ **يأخذون عرض هذا الأدنىٰ ويقولون سيغفر لنا** ﴾ تمنوا علىٰ اللَّه أماني وغرة يغترون بها ﴿ **وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه** ﴾ ، لا[٥] يشغلهم شيء عن شيء ، ولا ينهاهم شيء عن ذلك ، كلما هف لهم شيء من الدنيا أكلوه ، ولا يبالون[٦] حلالًا كان أو حرامًا .

---

[١] - في خ : « الذين » . [٢] - في ت : « الذنب » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « يجدوا عرضًا مثله يأخذونه » .
[٤] - سقط من : ز . [٥] - سقط من : ز .
[٦] - في خ : « ولا يسألون » .

وقال السدي : قوله : ﴿ فخلف من بعدهم خلف ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ ودرسوا ما فيه ﴾ قال : كانت بنو إسرائيل لا يستقضون قاضيًا إلا ارتشى في الحكم ، وإن خيارهم اجتمعوا[١] ، فأخذ بعضهم علىٰ بعض العهود أن لا يفعلوا ولا يرتشوا[٢] . فجعل الرجل منهم إذا استُقضي ارتشىٰ ، فيقال له : ما شأنك ترتشي في الحكم ؟ فيقول : سيغفر[٣] لي ، فيطعن عليه البقية الآخرون من بني إسرائيل فيما صنع ، فإذا مات أو نزع وجعل مكانه رجل ممن كان يطعن عليه فيرتشي ، يقول : وإن يأت الآخرين عرض الدنيا يأخذوه .

قال اللّه تعالىٰ : ﴿ ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا علىٰ اللّه إلا الحق ودرسوا ما فيه ﴾ ، يقول تعالىٰ منكرًا عليهم في صنيعهم هذا ، مع ما أخذ عليهم من الميثاق ليبينن الحق للناس ولا يكتمونه ، كقوله[٤] : ﴿ وإذ أخذ اللّه ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنًا قليلا فبئس ما يشترون ﴾ .

وقال ابن جريج : قال ابن عباس ﴿ ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا علىٰ اللّه إلا الحق ﴾ قال : فيما يوجبون علىٰ اللّه من غفران ذنوبهم التي لا يزالون يعودون فيها ولا يتوبون منها .

وقوله تعالىٰ : ﴿ والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون[٥] ﴾ ، يرغبهم تعالى في جزيل ثوابه ، ويحذرهم من وبيل عقابه ، أي : وثوابي و[ ][٦] ما عندي خير لمن اتقىٰ المحارم ، وترك هوىٰ نفسه ، وأقبل علىٰ طاعة ربه .

﴿ أفلا تعقلون[٧] ﴾ يقول أفليس لهؤلاء الذين اعتاضوا بِعَرَض الدنيا عما عندي ، عقل يردعهم عما هم[٨] فيه من السفه والتبذير ، ثم أثنىٰ تعالىٰ علىٰ من تمسك بكتابه الذي يقوده إلىٰ اتباع رسوله محمد صلىٰ اللّه عليه وسلم ، كما هو مكتوب فيه ، فقال تعالىٰ : ﴿ والذين يمسكون بالكتاب ﴾ أي : اعتصموا به ، واقتدوا بأوامره ، وتركوا زواجره ﴿ وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين ﴾.

﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾

[١] - في ز : « أجمعوا » .
[٢] - في ز : « يرتشي » .
[٣] - في ز : « فيغفر » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « يعقلون » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : خير .
[٧] - في ز : « يعقلون »
[٨] - زيادة من : ز .

قال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس قوله : ﴿ **وإذ نتقنا الجبل فوقهم** ﴾ يقول : رفعناه ، وهو قوله : ﴿ **ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم** ﴾ .

[وقال سفيان الثوري : عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس][١] : رفعته الملائكة فوق رءوسهم .

وقال القاسم بن أبي أيوب : عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : ثم سار بهم موسىٰ – عليه السلام – متوجهًا نحو الأرض المقدسة ، وأخذ الألواح بعد ما سكت عنه الغضب ، فأمرهم بالذي أمره[٢] اللَّه أن يبلغهم من الوظائف ، فثقلت عليهم ، وأبوا أن يقربوها حتىٰ نتق اللَّه الجبل فوقهم ﴿ **كأنه ظلة** ﴾ قال : رفعته الملائكة فوق رءوسهم . رواه النسائي بطوله(٢٢٩) .

وقال سنيد بن داود في تفسيره(٢٣٠) : عن حجاج بن محمد ، عن أبي بكر بن عبد اللَّه قال : هذا كتاب ، أتقبلونه بما فيه ؟ فإن فيه بيان ما أحل لكم وما حرم عليكم ، وما أمركم وما نهاكم . قالوا : انشر علينا ما فيها ، فإن كانت فرائضها يسيرة[٣] ، وحدودها خفيفة قبلناها . قال : اقبلوها بما فيها . قالوا : لا ، حتىٰ نعلم ما فيها ، كيف حدودها وفرائضها . فراجعوا موسىٰ مرارًا ، فأوحىٰ اللَّه إلىٰ الجبل فانقلع فارتفع في السماء ، حتىٰ إذا كان بين رءوسهم وبين السماء قال لهم موسىٰ : ألا ترون ما يقول ربي عز وجل ، لئن لم تقبلوا التوراة بما فيها لأرمينكم بهذا الجبل[٤] . قال : فحدثني الحسن البصري قال : لما نظروا إلىٰ الجبل خر كل رجل ساجدًا علىٰ حاجبه الأيسر ، ونظر بعينه اليمنىٰ إلىٰ الجبل ، فَرَقًا من أن يسقط عليهم[٥] ، فلذلك[٦] ليس اليوم في الأرض يهودي يسجد إلا علىٰ حاجبه الأيسر ، يقولون : هذه السجدة التي رفعت بها العقوبة . قال أبو بكر : فلما نشر الألواح فيها كتاب اللَّه كتبه بيده ، لم يبق علىٰ وجه الأرض جبل ولا شجر ولا حجر إلا اهتز ، فليس اليوم يهودي علىٰ وجه الأرض صغير ولا كبير تقرأ عليه التوراة إلا اهتز ونغض[٧] لها رأسه [أي : حوّل ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فسينغضون إليك**

---

(٢٢٩) – هو جزء من حديث الفتون يأتي تخريجه [سورة طه / آية ٤٠] .

(٢٣٠) – ومن طريق سُنَيْد أخرجه ابن جرير (١٣/١٥٣٣٧) .

---

[١] – أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/٨٥١٦) ثم أخرجه (٥/٨٥٢٤) من طريق « سفيان عن الأعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فذكره هكذا بزيادة « مسلم البطين والأعمش سمع من سعيد ومسلم » .

[٢] – في خ : « أمر » . [٣] – سقط من : ز .

[٤] – في خ ، ز : « الحيط » . [٥] – ساقطة من : ت .

[٦] – في خ ، ز : « فكذلك » والمثبت من تفسير ابن جرير .

[٧] – في ز : « نفض » .

رءوسهم ﴾ والله أعلم][١] .

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾

يخبر تعالىٰ أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم ، شاهدين علىٰ أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم ، وأنه لا إله إلا هو ، كما أنه تعالىٰ فطرهم علىٰ ذلك وجبلهم عليه ، قال تعالىٰ : ﴿ **فأقم وجهك للدين حنيفًا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله** ﴾ ، وفي الصحيحين(٢٣١) عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **كل مولود يولد علىٰ الفطرة** » - وفي رواية(٢٣٢) : « **علىٰ هذه الملة - فأبواه يهوّدانه وينصرانه ويمجسانه ، كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء**[٢] ؟ » وفي صحيح مسلم(٢٣٣) ، عن عياض بن حمار قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **يقول الله إني خلقت عبادي حنفاء ، فجاءتهم**[٣] **الشياطين ، فاجتالتهم**[٤] **عن دينهم ، وحرّمت عليهم ما أحللت لهم** » .

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله(٢٣٤) : حدثنا يونس بن عبد الأعلىٰ ، حدثنا ابن

(٢٣١) - تقدم تخريجه [سورة الأنعام / آية ٧٩] .

(٢٣٢) - وهي عند مسلم ، كتاب : القدر ، باب : معنى كل مولود يولد على الفطرة ... (٢٣) (٢٦٥٨) وانظر ما يأتي [سورة هود / آية ١٧] .

(٢٣٣) - تقدم تخريجه [سورة الأنعام / آية ٧٩] .

(٢٣٤) - تفسير ابن جرير (١٥٣٥٣/١٣) وأخرجه أحمد (٢٤/٤) من طريق محمد بن جعفر، والبخاري في « التاريخ الكبير » (٤٤٥/١) وفي « الصغير » (١١٤/١ ، ١١٥) من طريق مسلم ابن إبراهيم الفراهيدي ، كلاهما (محمد ومسلم) عن السري بن يحيى به ، وفيه تصريح الحسن ابن أبي الحسن بسماعه من الأسود بن سريع ، وأخرجه ابن سعد في « الطبقات » (٣٠/٧) والطحاوي في « مشكل الآثار » (رقم ١٣٩٤ ، ١٣٩٥) وابن حبان في صحيحه (١/رقم ١٣٢)=

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز . [٢] - في ز : « جذعاء » .

[٣] - في ز : « فجتالتهم » . [٤] - في ز : « فاختالتهم » .

وهب ، أخبرني السري بن يحيىٰ : أن الحسن بن أبي الحسن حدثهم ، عن الأسود بن سريع من بني سعد قال : غزوت مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أربع غزوات قال : فتناول القوم الذرية بعد ما قتلوا المقاتلة ، فبلغ ذلك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فاشتد عليه ثم قال : « **ما بال أقوام يتناولون الذرية** » ؟ فقال رجل : يا رسول الله أليسوا أبناء المشركين ؟ فقال : « **إن خياركم أبناء المشركين ، ألا إنها ليست نسمة تُولَد إلا وُلدت علىٰ الفطرة ، فما تزال عليها حتىٰ يبين عنها لسانها[١] ، فأبواها يهوّدانها أو ينصرانها** » . قال الحسن : والله لقد قال الله في كتابه : ﴿ **وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم[٢]** ﴾ الآية .

وقد رواه الإمام أحمد(٢٣٥) : عن إسماعيل بن علية ، عن يونس بن عبيد ، عن الحسن البصري به ، وأخرجه النسائي في سننه(٢٣٦) : من حديث هشيم ، عن[٣] يونس بن عبيد ، عن

= والطبراني في « الكبير » (١/رقم ٨٢٧) والإسماعيلي في « كتاب المعجم » (٢/رقم ٣٧٦) والضياء في « المختارة » (١٤٤٦/٤) من طريق السرى بن يحيى ، وليس فيه تصريح الحسن بالسماع من الأسود وانظر ما بعده .

(٢٣٥) - « المسند » (٤٣٥/٣) وأخرجه الدارمي (٢٤٦٦) وأبو نعيم في « الحلية » (٢٦٣/٨) من طريق أبي إسحاق الفزاري ، وابن أبي عاصم في « الآحاد والمثاني » (١١٦٠/٢) والطبراني في « الكبير » (١/رقم ٨٢٩) من طريق يزيد بن زريع ، والطبراني أيضًا (٨٣٢/١) من طريق سعيد بن أبي عروبة ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (٧٧/٩) من طريق عبد الوهاب بن عطاء الخفاف ، أربعتهم (أبو إسحاق ، ويزيد ، وسعيد ، وعبد الوهاب) عن يونس بن عبيد به ، وليس فيه ذكر السماع بين الحسن والأسود ، وقد سقط « الحسن » من « الحلية » فليستدرك ، وقال أبو نعيم : « حديث الأسود مشهور ثابت » وانظر ما بعده .

(٢٣٦) - « الكبرى » ، كتاب : السير ، باب : النهي عن قتل ذراري المشركين (٨٦١٦/٥) - ومن طريقه الطحاوي في « مشكل الآثار » (١٦٣/٢) ، ومن طريق هشيم أخرجه المحاملي في « أماليه » (الجزء الأول ١١ب - ١٢ أ رواية عبد الواحد الفارسي) - ومن طريق المحاملي الخطيب في « تاريخ بغداد » (٤٨٠/٨) والضياء في « المختارة » (١٤٤٤/٤) والحاكم في « المستدرك » (٢/ ١٢٣) - ومن طريقه البيهقي في « السنن الكبرى » (٧٧/٩) وعند جميعهم تصريح الحسن بالسماع من الأسود بن سريع ، وصححه الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

وله طرق أخرى عن الحسن انظر « الآحاد والمثاني » (١١٦١/٢ ، ١١٦٢) و« المعجم الكبير » (١/ص ٢٨٣ : ٢٨٥) وقد أعله جماعة بالانقطاع بين الحسن والأسود بن سريع ، فنفى سماع الحسن من الأسود ، كل من : ابن معين في « تاريخه » (رقم ٤٠٩٤ ، ٤٥٩٩) وأبو داود « سؤالات الآجري » (رقم ٣٨٠) والبزار « نصب الراية » (٩٠/١) وغيرهم - وسئل علي بن المديني =

---

[١] - في ز : « نساها » . [٢] - في ز : « ذرياتهم » .
[٣] - في ز : « بن » .

الحسن قال : حدثني الأسود بن سريع ، فذكره ، ولم يذكر قول الحسن البصري واستحضاره الآية عند ذلك .

وقد وردت أحاديث في أخذ الذرّية من صلب آدم عليه السلام ، وتمييزهم إلىٰ أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ، وفي بعضها : الاستشهاد عليهم بأن اللَّه ربهم .

قال الإِمام أحمد(٢٣٧) : حدثنا حجاج ، حدثنا شعبة ، عن أبي عمران الجوني ، عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة : أرأيت لو كان لك ما علىٰ الأرض**[١] **من شيء أكنت مفتديًا به ؟ قال : فيقول : نعم . فيقول : قد أردت منك أهون من ذلك ، قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئًا ، فأبيت إلا أن تشرك بي** » .

أخرجاه في الصحيحين ، من حديث شعبة ، به .

(حديث آخر) وقال الإِمام أحمد(٢٣٨) : حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا جرير - يعني ابن

= عن هذا الحديث فقال : « إسناده منقطع ، رواية الحسن عن الأسود بن سريع والحسن عندنا لم يسمع من الأسود ؛ لأن الأسود خرج من البصرة أيام علي وكان الحسن بالمدينة » « العلل » لعلي بن المديني (رقم ١٣) ، لكن صحح حديث الحسن عن الأسود ابن حبان والحاكم وأبو نعيم والضياء واللَّه أعلم . وانظر ما يأتي [سورة هود / آية ١٧] .

(٢٣٧) - « المسند » (١٢٧/٣) وأخرجه أيضًا (١٢٩/٣) والبخاري ، كتاب : الأنبياء ، باب : خلق آدم وذريته (٣٣٣٤) ، ومسلم ، كتاب : صفات المنافقين وأحكامهم ، باب : طلب الكافر الفداء بِملِء الأرض ذهبًا (٥١ (٢٨٠٥) من طرق عن شعبة به نحوه .

(٢٣٨) - « المسند » (٢٧٢/١) (رقم ٢٤٥٥) وذكره المصنف في « البداية والنهاية » (١٠٠/١) كما هنا وقال : « إسناده قوي على شرط مسلم ، رواه النسائي وابن جرير والحاكم في مستدركه من حديث حسين محمد المروزي به، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، إلا أنه اختلف فيه على كلثوم بن جبر ؛ فروي عنه مرفوعًا وموقوفًا .....» إلى آخره بنحو كلامه هنا - ومن طريق الضياء أحمد أخرجه في « المختارة » (١٠/رقم ٣٦٦) - وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ رقم ٢٠٢) ثنا سليمان بن عبد الجبار ، والنسائي في « التفسير » من « الكبرى » (١١١٩١/٦) أنا محمد بن عبد الرحيم ، وابن جرير في تفسيره (١٥٣٣٨/١٣) حدثني أحمد بن محمد الطوسي ، وابن منده في « الرد على الجهمية » (٢٩) من طريق محمد بن إبراهيم ، والحاكم في « المستدرك » (٥٤٤/٢) - وعنه البيهقي في « الأسماء والصفات » (٢/رقم ٧١٤) - والضياء (٣٦٧/١٠) من طريق جعفر بن محمد الصائغ ، وكذا الضياء (٣٦٨/١٠ ، ٣٦٩) من طريق إسحاق الحربي وسليمان بن عبد الجبار ؛ كلهم (أحمد بن حنبل ، وسليمان =

---

[١] - سقط من : ز .

حازم - عن كلثوم بن جبر[١] ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس عن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « **إن اللَّه أخذ الميثاق من ظهر آدم - عليه السلام - بنَعْمَان ، يعني[٢] عرفة ، فأخرج من صلبه كل ذرّية ذرأها ، فنثرها بين يديه ، ثم كلمهم قِبَلًا[٣] قال : ﴿ ألست بربكم قالوا بلىٰ شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا ﴾ إلىٰ قوله ﴿ المبطلون ﴾** .

وقد روىٰ هذا الحديث النسائي في كتاب التفسير من سننه : عن محمد بن عبد الرحيم صاعقة ، عن حسين بن محمد المروزي ، به .

ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم ، من حديث حسين بن محمد به ، إلا أن ابن أبي حاتم جعله موقوفًا . وأخرجه الحاكم في مستدركه ، من حديث حسين بن محمد وغيره ، عن جرير بن حازم ، عن كلثوم بن جبر[٤] به ، وقال : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، وقد احتج مسلم بكلثوم بن جبر[٥] . هكذا قال ، وقد رواه عبد الوارث(٢٣٩) ، عن كلثوم بن جبر[٦] ، عن سعيد

= ومحمد بن عبد الرحيم - صاعقة - وأحمد بن محمد ، ومحمد بن إبراهيم وجعفر بن محمد وإسحاق) ثنا الحسين بن محمد به ، وأخرجه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (٨٥٢٩/٥) ثنا أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم البغوي ، ثنا حسين بن محمد به موقوفًا ، وأعله النسائي بضعف كلثوم بن جبر فقال عقبه « كلثوم هذا ليس بالقوي ، وحديثه ليس بالمحفوظ » ، وأجيب بأن كلثوم هذا وثقه أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين وابن حبان وقال ابن سعد : « كان معروفًا وله أحاديث » ، وفي « التقريب » : « صدوق يخطئ » ولا يبعد أن يكون قد أخطأ في رفع هذا الحديث وقد أعله بالوقف المصنف وكذا ابن مندة فقال : « هذا حديث تفرد به حسين المروزي » - كذا قال - وهو متابع كما يأتي عن جرير بن حازم وهو أحد الثقات ، ورواه حماد بن زيد وعبد الوراث وابن علية وربيعة بن كلثوم كلهم عن كلثوم بن جبر ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفًا ، وكذلك رواه حبيب بن أبي ثابت وعلي بن بذيمة ، وعطاء بن السائب كلهم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله ، وزاد عطاء في حديثه قال « أهبط اللَّه عز وجل آدم بدخنا ومسح اللَّه ظهره » وقد تابع حسينًا المروزيَّ وهبُ ابن جرير عن أبيه جرير بن حازم به مرفوعًا أخرجه الحاكم (٢٧/١) ومن طريقه وطريق آخر البيهقي (٤٤١/١) (٧١٤/٢) وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، وقد احتج مسلم بكلثوم بن جبر » ووافقه الذهبي على هذا وصحح رفعه أيضًا الألباني في « الصحيحة » (١٦٢٣/٤) وانظر ما بعده .

(٢٣٩) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥٣٣٩/١٣) وفي « التاريخ » (٦٧/١) ثنا عمران =

[١] - في ز : « جبير » . [٢] - في خ ، ز : « يوم » .
[٣] - في ز : « فتلا » . [٤] - في ز : « جبير » .
[٥] - في ز : « جبير » . [٦] - في ز : « جبير » .

ابن جبير ، عن ابن عباس ، فوقفه ، وكذا رواه إسماعيل بن علية ووكيع ، عن ربيعة بن كلثوم ، عن جبير ، عن[١] أبيه به . وكذا رواه عطاء بن السائب وحبيب بن أبي ثابت وعلي بن بذيمة : عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قوله[٢]. وكذا رواه العوفي وعلي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس . فهذا أكثر وأثبت ، والله أعلم .

وقال ابن جرير(٢٤٠) : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا أبي ، عن أبي هلال ، عن أبي جمرة[٣] الضبعي، عن ابن عباس قال: أخرج الله ذرّية آدم من ظهره كهيئة الذر وهو في آذيّ من الماء[٤] .

وقال أيضًا(٢٤١) : حدثنا علي بن سهل ، حدثنا ضمرة بن ربيعة ، حدثنا أبو مسعود ، عن

= ابن موسى ثنا عبد الوارث به ، ورواه إسماعيل بن علية عن كلثوم بن جبر به موقوفًا ؛ أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (٢٥/١) وابن جرير (١٥٣٤٠/١٣) وكذا رواه ابن علية ووكيع عن ربيعة بن كلثوم عن أبيه به أخرجه ابن سعد (٢٦/١) وابن جرير (١٥٣٥١/١٣) ورواه حماد بن زيد عن كلثوم بن جبر به موقوفًا أيضًا أخرجه ابن سعد ، وقد رواه عطاء بن السائب ، وحبيب بن أبي ثابت وعلي بن بذيمة عن سعيد بن جبير به موقوفًا .

وحديث عطاء عند ابن سعد وابن جرير (١٥٣٤٢/١٣ ، ١٥٣٤٣ ، ١٥٣٤٦ ، ١٥٣٤٧) .

وحديث حبيب عند ابن جرير (١٣/ ١٥٣٤٤ ، ١٥٣٤٥) وابن أبي حاتم (٨٥٣١/٥) وابن بطة في « الإبانة » (١/رقم ١٣٣٤ ، ١٣٣٨) والآجري في « الشريعة » (١/رقم ٤٨١) وابن مندة في « الرد على الجهمية » (رقم ٣٤) وحديث علي بن بذيمة عند ابن جرير (١٥٣٤٨/١٣ ، ١٥٣٤٩) وابن بطة في « الإبانة » (١/رقم ١٣٣٦ ، ١٣٤١) ورواه ابن جريج عن الزبير بن موسى عن سعيد ابن جبير به موقوفًا أخرجه ابن بطة (١٣٤٠/١) والآجرى (٤٨٢/١) وابن جرير (١٥٣٦٢/١٣) وابن مندة (٣٥) وطريق العوفي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس أخرجهما ابن جرير (١٣/ ١٥٣٦٠ ، ١٥٣٦١) .

(٢٤٠) - تفسير ابن جرير (١٥٣٥١/١٣) وأخرجه ابن أبي حاتم (٨٥٣٤/٥) من طريق موسى بن إسماعيل ، وابن منده في « الرد على الجهمية » (رقم ٣١) من طريق شيبان ، كلاهما (موسى وشيبان) عن أبي هلال به وقد تحرف عند ابن منده « أبي جمرة » إلى « أبي حمزة » فليصحح ، والأثر ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٢٥٩/٣) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وأبي الشيخ .

(٢٤١) - تفسير ابن جرير (١٥٣٥٢/١٣) .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - زيادة من : ز . [٣] - في ز : « حمزة » .

[٤] - قوله : « آذي من الماء » الآذيّ - بالمد والتشديد : الموج الشديد، ويجمع على أواذي « النهاية » (٣٤/١) .

جويبر قال[١] : مات ابن للضحاك[٢] بن مزاحم ، ابن ستة أيام ، قال :

فقال : ياجابر ، إذا أنت وضعت ابني في لحده فأبرز وجهه وحُلَّ عنه عقده ، فإن ابني مُجْلَسٌ ومسئول ، ففعلت به الذي أمر[٣] ، فلما فرغت قلت : يرحمك اللَّه ، عم يُسال] ابنك ؟ من يسأله إياه ؟ قال : يُسأل عن الميثاق الذي أقر به في صلب آدم . قلت : يا أبا القاسم ، وما[٤] هذا الميثاق الذي أقر به[٥] في صلب آدم ؟ قال : حدثني ابن عباس : إن اللَّه مسح صلب آدم ، فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها إلىٰ يوم القيامة ، فأخذ منهم الميثاق : أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا ، وتكفل لهم بالأرزاق ، ثم أعادهم في صلبه ، فلن تقوم الساعة حتىٰ يولد من أعطى الميثاق يومئذ ، فمن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفىٰ به نفعه الميثاق الأول ، ومن أدرك الميثاق الآخر ، فلم يف[٦] به لم ينفعه الميثاق الأول ، ومن مات صغيرًا قبل أن يدرك الميثاق الآخر مات علىٰ الميثاق الأول علىٰ الفطرة .

فهذه الطرق كلها مما تقوي وقف هذا علىٰ ابن عباس ، واللَّه أعلم .

(حديث آخر) : وقال ابن جرير(٢٤٢) : حدثنا عبد الرحمن بن الوليد ، حدثنا أحمد بن أبي طيبة ، عن سفيان بن سعيد ، عن الأجلح ، عن الضحاك عن منصور ، عن مجاهد ، عن عبد اللَّه

(٢٤٢) - « التفسير » لابن جرير (١٥٣٥٤/١٣) وذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٢٦١/٣) وعزاه إلى ابن جرير وابن مندة في « كتاب الرد على الجهمية » - وهو عند ابن منده (ص ٦٣ ، ٦٤) معلقًا عن مجاهد عن ابن عمر - كذا وهو مصحف - به موقوفًا ، وأخرجه ابن جرير أيضًا (١٥٣٥٥/١٣) من طريق يحيى بن سعيد ، وابن أبي حاتم (٨٥٣٢/٥) من طريق يحيى بن يمان ، كلاهما (يحيى بن سعيد ويحيى بن يمان) عن سفيان - مقرونًا به شريك عند ابن أبي حاتم عن منصور به موقوفًا ، ورواية عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان المشار إليها هنا ، لم أهتد إليها واللَّه أعلم .

ورواه ابن جرير أيضًا (١٥٣٥٦/١٣) ثنا ابن وكيع وابن حميد قالا : ثنا جرير عن منصور به موقوفًا .
وقد أعل ابن جرير رواية أحمد بن أبي طيبة المرفوعة ، بهذه الروايات الموقوفة فقال : « لا أعلمه صحيحًا ، لأن الثقات الذين يعتمد على حفظهم وإتقانهم ، حدَّثوا بهذا الحديث عن الثوري ، فوقفوه على عبد اللَّه بن عمرو ، ولم يرفعوه ، ولم يذكروا في الحديث هذا الحرف الذي ذكره أحمد بن أبي طيبة عنه - يعني من قوله : « فقال لهم ﴿ **ألست بربكم** ... ﴾ إلى آخر الحديث ، وإن لم يكن ذلك عنه صحيحًا فالظاهر يدلُّ على أنه خبر من اللَّه عن قِيل بنى آدم بعضهم لبعض ، لأنه جل ثناؤه قال : ﴿ **وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا** ﴾ فكأنه =

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « الضحاك » .
[٣] - في تفسير ابن جرير « أمرني » .
[٤] - في ت : « ومال » .
[٥] - زيادة من : ز .
[٦] - في خ ، . : « يقر » .

ابن عمرو قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « ﴿ **وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرّيتهم**[١] ﴾ قال : أخذوا[٢] من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس ، فقال لهم : ﴿ **ألست بربكم قالوا بلىٰ** ﴾ قالت الملائكة : ﴿ **شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين** ﴾ .

أحمد بن أبي طيبة هذا هو أبو محمد الجرجاني قاضي قومس[٣] ، كان أحد الزهاد ، أخرج له النسائي في سننه ، وقال أبو حاتم الرازي : يكتب حديثه ، وقال ابن عدي : حدّث بأحاديث أكثرها[٤] غرائب .

وقد روىٰ هذا الحديث عبد الرحمن [ ][٥] بن مهدي ، عن سفيان الثوري ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن عبد اللَّه بن عمرو قوله ، وكذا [رواه جرير ، عن منصور][٦] به ، وهذا أصح ، واللَّه أعلم .

(حديث آخر) : قال الإمام أحمد(٢٤٣) : حدثنا روح - هو ابن عبادة - حدثنا مالك .

وحدثنا إسحاق ، حدثنا[٧] مالك ، عن زيد بن أُبي أنيسة : أن عبد الحميد بن عبد الرحمن ابن زيد بن الخطاب أخبره ، عن مسلم بن يسار الجُهَني : أن عمر بن الخطاب سُئل عن هذه الآية : ﴿ **وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم**[٨] **وأشهدهم علىٰ أنفسهم ألست**

= قيل : « فقال الذي شهدوا على المقرّين حين أقروا فقالوا « بلى » شهدنا عليكم بما أقررتم به على أنفسكم كيلا تقولوا يوم القيامة : إنا كنا عن هذا غافلين » .

(٢٤٣) - « المسند » (٤٤/١) (٣١١) وفيه قال أبو عبد الرحمن عبد اللَّه بن أحمد : وحدثنا مُصْعَبٌ الزبيري حدثني مالك به ، والحديث عند مالك في « الموطأ » ، كتاب : القدر ، باب : النهي عن القول بالقدر (ح رقم ٢) ، وأخرجه ابن جرير (١٥٣٥٧/١٣) والحاكم في المستدرك (٢٧/١) من طريق روح ابن عبادة مقرونًا به - عند ابن جرير : سعد بن عبد الحميد بن جعفر - عن مالك به ، وأخرجه أبو داود ، كتاب : السنة ، باب : في القدر (٤٧٠٣) ، والحاكم (٢٧/١) ، (٣٢٤/٢ ، ٥٤٤) وعنه البيهقي في « الأسماء والصفات » (٧١٠/٢) من طريق القعنبي ، والترمذي كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة الأعراف (٣٠٧٧) والفريابي في « كتاب القدر » (٢٨) من طريق معن ، والنسائي في « التفسير » من « الكبرى » (١١١٩٠/٦) والفريابي (رقم ٢٧) وعنه الآجري في « الشريعة » (١/رقم ٣٦٢) من طريق قتيبة بن سعيد وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦١٢/٥) =

---

[١] - في ز : « ذرياتهم » .
[٢] - في خ ، ز : « أخذ » .
[٣] - في ز : « قرمس » .
[٤] - في ز : « كثيرة » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « حمزة » .
[٦] - في خ ، ز : « رواه ابن جرير عن منصور » وهو خطأ صوابه المثبت .
[٧] - في ز « بن » .
[٨] - في ز : « ذرياتهم » .

بربكم قالوا بلىٰ ﴾ الآية ، فقال عمر بن الخطاب : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم سئل عنها فقال : « **إن الله خلق آدم - عليه السلام - ثم مسح ظهره بيمينه ، فاستخرج منه ذرية ، [قال : خلقت هؤلاء للجنة ، وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره ، فاستخرج منه ذرية]**[١]، **قال : خلقت هؤلاء للنار ، وبعمل أهل النار يعملون** » . فقال رجل[٢] : يا رسول الله ، ففيم العمل ؟ قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إذا خلق الله العبد**[٣] **للجنة استعمله بأعمال أهل الجنة حتىٰ يموت علىٰ عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة ، وإذا**

= من طريق ابن وهب وابن حبان في صحيحه (٦١٦٦/١٤) والبغوي في « شرح السنة » (٧٧/١) والضياء في « المختارة » (١/رقم ٢٨٩) من طريق أحمد بن أبي بكر أبي مصعب الزهري ، وابن أبي عاصم في « السنة » (١/رقم ١٩٦) من طريق عبد الأعلى بن حماد النرسي ، وابن منده في « الرد على الجهمية » (٢٨) من طريق سعيد بن عفير ويحيى بن بكير ، والحاكم (٥٤٤/٢) من طريق يحيى بن بكير ، وأيضًا (٣٢٤/٢) وعنه البيهقي (٧٠١/٢) من طريق إسحاق بن سليمان واللالكائي في « شرح أصول الاعتقاد » (٩٩٠/٣) من طريق عبد الرحمن بن القاسم ؛ كلهم (روح وإسحاق بن عيسى ، ومصعب الزبيري ، وسعد ، والقعنبي ، ومعن ، وقتيبة ، وابن وهب ، وأبو مصعب الزهري ، وعبد الأعلى ، وسعيد بن عفير ، ويحيى بن بكير ، وإسحاق بن سليمان ، وعبد الرحمن بن القاسم) كلهم عن مالك به ، وصححه الحاكم على شرط الشيخين ، فتعقبه الذهبي - في الموضع الأول - قائلًا « فيه إرسال » ووجهه الانقطاع بين مسلم بن يسار وعمر كما قال الترمذي وأبو حاتم وأبو زرعة ، وغيرهم ثم إن مسلمًا هذا لم يوثقه غير ابن حبان والعجلي وهما مشهوران بالتساهل في ذلك !! وقد روي موصولًا أخرجه أبو داود (٤٧٠٤) - ومن طريقه الضياء في « المختارة » (٢٩٠/١) وابن جرير (١٥٣٥٨/١٣) من طريق عمر بن جُعثم القرشي ، والبخاري في « التاريخ الكبير » (٩٧/٨) وابن أبي عاصم في « السنة » (٢٠١/١) ومحمد بن نصر في كتاب « الرد على محمد بن الحنفية » - كما في « النكت الظراف » (١١٣/٨) - من طريق يزيد ابن سنان ، وابن عبد البر في « التمهيد » (٦/٤ ، ٥) من طريق أبي عبد الرحيم الحراني ثلاثتهم (عمر بن جعثم ، ويزيد بن سنان ، وأبو عبد الرحيم) عن زيد بن أبي أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن عن مسلم بن يسار عن نعيم بن ربيعة قال : كنت عند عمر بن الخطاب ... فذكر الحديث ، وقال الدارقطني في « العلل » (٢١٢/٢) « هذا أولى بالصواب » ومع هذا فإن إسناده لا تقوم به الحجة لجهالة نعيم بن ربيعة هذا قال ابن عبد البر في « التمهيد » (٦/٦) : « وجملة القول في هذا الحديث ، أنه حديث ليس إسناده بالقائم ، لأن مسلم بن يسار ونعيم بن ربيعة جميعًا غير معروفين بحمل العلم ، ولكن معنى هذا الحديث قد صح عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، من وجوه كثيرة ثابتة يطول ذكرها ...» ثم ذكر بعض الأحاديث - فانظرها إن شئت - مع كتاب « شفاء العليل » لابن قيم الجوزية (ص ١٩: ٢٦) وبالله التوفيق .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز . [٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .

خلق العبد للنار استعمله بأعمال[١] أهل النار ، حتىٰ يموت علىٰ عمل من أعمال أهل النار ، فيدخله به النار » .

وهكذا رواه أبو داود عن القعنبي ، والنسائي عن قتيبة ، والترمذي عن إسحاق بن موسىٰ عن معن ، وابن أبي حاتم ، عن يونس بن عبد الأعلىٰ ، عن ابن وهب ، وابن جرير [من حديث][٢] روح بن عبادة وسعد[٣] بن عبد الحميد بن جعفر ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه من رواية [أبي مصعب الزهري][٤] ، كلهم ، عن الإمام مالك بن أنس به .

قال الترمذي : « وهذا حديث حسن ، ومسلم بن يسار لم يسمع عمر[٥] ». و[٦]كذا قاله أبو حاتم وأبو زرعة ، زاد أبو حاتم : وبينهما نعيم بن ربيعة .

وهذا الذي قاله أبو حاتم رواه أبو داود في سننه عن محمد بن مصفى ، عن بقية ، [عن عمر ابن جُعْثُم[٧] القرشي ، عن زيد بن أبي أنيسة][٨] ، عن[٩] عبد الحميد بن عبد الرحمن ابن زيد ابن الخطاب ، عن مسلم بن يسار الجهني ، عن نعيم بن ربيعة قال : كنت عند عمر بن الخطاب ، وقد سئل عن هذه الآية : ﴿ **وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم[١٠]** ﴾ فذكره .

وقال الحافظ الدارقطني[١١] : وقد تابع عمرَ بن [جعثم يزيدُ][١٢] بن سنان أبو فروة الرهاوي ، وقولهما أولىٰ بالصواب من قول مالك ، والله أعلم .

قلت : الظاهر أن الإمام مالكًا إنما أسقط ذكر نعيم بن ربيعة عمدًا لما جهل حاله ولم يعرفه ، فإنه غير معروف إلا في هذا الحديث ، وكذلك[١٣] يسقط ذكر جماعة ممن لا يرتضيهم ؛ ولهذا

---

[١] - في ز : « بعمل » . [٢] - سقط من : ت .
[٣] - في خ ، ز : « سعيد » وصوابه المثبت كما في تفسير ابن جرير وكتب الرجال .
[٤] - في خ ، ز : « أبي مصعب الزبيري » وهو خطأ صوابه المثبت كما في صحيح ابن حبان وكتب الرجال .
[٥] - في ز : « عمرو » . [٦] - سقط من : ز .
[٧] - في ز : « جعثم » .
[٨] - هكذا هنا وفي « السنن » « حدثني عمر بن جعثم القرشي قال : حدثني زيد بن أبي أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن ، به » .
[٩] - سقط من : ز . [١٠] - في ز : « ذرياتهم » .
[١١] - في كتابه القيم « العلل » (٢/٢٢٢ ، ٢٢٣) الذي لم ير مثله في بابه .
[١٢] - ما بين المعكوفين في ز : « جعثم بن زيد » .
[١٣] - في خ : « لذلك » .

يرسل كثيرًا من المرفوعات ، ويقطع كثيرًا من الموصولات[١] ، والله أعلم .

(حديث آخر) قال الترمذي(٢٤٤) عند تفسير هذه الآية : حدثنا عبد بن حميد ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لما خلق الله آدم مسح ظهره ، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلىٰ يوم القيمة ، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصًا من نور ، ثم عرضهم علىٰ آدم فقال : أي رب ، من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذريتك ، فرأىٰ رجلًا منهم فأعجبه وبيص[٢] ما بين عينيه فقال : أيْ رب ، من هذا ؟ قال : هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك ، يقال له : داود ، قال : رب ، وكم جعلت عمره ؟ قال : ستين سنة . قال : أي رب ، [قد وهبت له][٣] من عمري أربعين سنة ، فلما انقضىٰ عمر آدم ، جاءه ملك الموت ، قال : أو[٤] لم يبق من عمري أربعون سنة ، قال : أو لم تعطها ابنك داود ؟ قال[٥] : فجحد آدم[٦] فجحدت ذريته ، ونسي آدم فنسيت ذريته ، وخطىء آدم فخطئت ذريته** » .

ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن[٧] صحيح . وقد رُوي من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم .

(٢٤٤) - « الجامع » للترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الأعراف (٣٠٧٨) وأخرجه الحاكم (٣٢٥/٢) من طريق أبي نعيم به ، وابن سعد في « الطبقات » (٢٤/١ ، ٢٥) أخبرنا خلاد بن يحيى ، وإسحاق بن راهوية - كما في « شفاء العليل » لابن القيم (ص ٢٢) - من طريق جعفر بن عون ، وأبو يعلى (٦٦٥٤/١٢) من طريق القاسم بن الحكم العُرني ، أربعتهم (أبو نعيم وخلاد وجعفر والقاسم) عن هشام بن سعد به ، وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح ، وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم » وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي . وانظر ما بعده .

[١] - لكن قال ابن عبد البر في « التمهيد» (٦/٥،٦) : « زيادة من زاد في هذا الحديث نعيم بن ربيعة ليست حجة لأن الذي لم يذكره أحفظ - يعني مالكًا - وإنما تقبل الزيادة من الحافظ المتقن » كذا قال مع أن الدارقطني صوب زيادة « نعيم بن ربيعة » في الإسناد وكذا الحافظ ابن كثير هنا وأشار إلى ذلك الترمذي وهو أشبه بالصواب ، فإن عمر بن جعثم ويزيد بن سنان وإن كان غير ثقتين لكن تابعهما أبو عبد الرحيم الحراني وهو ثقة روى له مسلم وغيره . وعلى كلا الحالين فلا يصح إسناده كما بينا في تخريجه وبالله التوفيق .

[٢] - في ز : « ومص » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز: « زده » .

[٤] - في ز : « و » .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - سقط من : ز .

[٧] - زيادة من : ز . وكذا في « سنن الترمذي » .

ورواه الحاكم في مستدركه : من حديث أبي نعيم الفضل بن دكين به ، وقال : صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه .

ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره(٢٤٥) ، من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه أنه حدث[١] ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحو ما تقدم ، إلى أن قال : « **ثم عرضهم على آدم فقال : يا آدم ، هؤلاء ذريتك وإذا فيهم الأجذم والأبرص والأعمى وأنواع الأسقام**[٢] ، **فقال آدم : يارب ، لم فعلت هذا بذريتي ؟ قال : كي تشكر نعمتي ، وقال آدم : يارب ، من هؤلاء الذين أراهم أَظْهَرَ الناس نورًا . قال : هؤلاء الأنبياء يا آدم من ذريتك** » . ثم ذكر قصة داود ، كنحو ما تقدم .

(حديث آخر)(٢٤٦) : قال عبد الرحمن بن قتادة النصري[٣]، عن أبيه ، عن هشام بن حكيم - رضي الله عنه - : إن رجلًا سأل النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ، أتبدأ الأعمال ، أم قد قُضي القضاء ؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إن الله قد أخذ ذرية آدم من ظهورهم ، ثم أشهدهم على أنفسهم ، ثم أفاض بهم في كفيه ، ثم قال : هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار ، فأهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة ، وأهل النار ميسرون**[٤] **لعمل**

(٢٤٥) - « التفسير » لابن أبي حاتم (٥/٨٥٣٥) أخبرنا العباس بن الوليد ثنا محمد بن شعيب أخبرني عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه به ، وأخرجه أبو الشيخ في « العظمة » (٥/رقم ١٠١٥) من طريق دحيم ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢/٦٢٤/مخطوط) من طريق العباس بن الوليد أيضًا ، كلاهما (العباس ودحيم) ثنا محمد بن شعيب ، قال : حدثني عبد الرحمن بن زيد به ، ورواية دحيم مختصرة، وعبد الرحمن بن زيد هذا أجمعوا على ضعفه، ورواه ابن وهب حدثني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة به ، أخرجه أبو يعلى في مسنده (١١/٦٣٧٧) ثنا أبو همام ثنا ابن وهب به ، قال ابن أبي حاتم في « العلل » (٢/رقم ١٧٥٧) « سئل أبو زرعة عن حديث رواه ابن وهب عن هشام بن سعد فذكره » - ورواه أبو نعيم عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي صالح .... - الطريق السابق - قلت لأبي زرعة : « أيهما أصح ؟ قال : حديث أبي نعيم أصح ، وهم ابن وهب في حديث » - وقد توبع أبو نعيم أيضًا كما تقدم -.

(٢٤٦) - هذا الحديث رواه راشد بن سعد عن عبد الرحمن بن قتادة واختلف فيه على راشد بن سعد :

١ - فقيل : عن راشد بن سعد عن عبد الرحمن بن قتادة عن أبيه عن هشام بن حكيم .

[١] - في ز : « حدثه » .
[٢] - في ز : « الأقسام » .
[٣] - في خ ، ز : « البصرى » .
[٤] - في ز : « ميسورون » .

أهل النار » .

رواه ابن جرير وابن مردويه من طرق عنه .

أخرجه إسحاق بن راهويه - كما في « شفاء العليل » لابن القيم (ص ٢١) ، و« المطالب العالية المسندة » (٣٢٥٣/٧/ط : قرطبة) - ومن طريقه البيهقي في « الأسماء والصفات » (٧١١/٢) - والبخاري في « التاريخ الكبير » (١٩١/٨ ، ١٩٢) من طريق خطاب بن عثمان ، وابن جرير في تفسيره (١٥٣٧٧/١٣) ثنا أحمد بن الفرج الحمصي و(١٥٣٧٨/١٣) حدثني محمد بن عوف قال : حدثنا حيوة ويزيد ، والطبراني في « الكبير » (٢٢/رقم ٤٣٥) من طريق محمد بن المبارك الصوري ، ستتهم (إسحاق وخطاب وأحمد ومحمد وحيوة بن شريح ويزيد بن هارون) ثنا بقية ابن الوليد ، حدثني الزبيدي عن راشد بن سعد به ، غير أن إسحاق بن راهويه سمى « عبد الرحمن بن قتادة » « عبد الرحمن بن أبي قتادة » وتابع بقية عبدُ الله بن سالم عن الزبيدي به غير أنه قال : « عبد الرحمن بن أبي قتادة » أخرج هذه المتابعة البخاري في « التاريخ الكبير » (٣٤١/٥) وابن أبي عاصم في « السنة » (١/رقم ١٦٩) وابن جرير (١٥٣٧٩/١٣) ، وعبد الرحمن بن قتادة هذا هو السلمي ، رجح الحافظ في « الإصابة » أنه صحابي ، ووالده « قتادة » ترجم له البخاري في « التاريخ الكبير » (١٨٥/٧) وابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (١٣٥/٧) باسم « قتادة النصري الشامي » وذكرا أنه روى عن هشام بن حكيم ، وروى عنه ابنه عبد الرحمن ، ولم يذكرا أنه صحابي ولم يترجم له ابن حجر في « الإصابة » وهذا غريب جدًّا ، وهشام بن حكيم - وهو ابن حزام - صحابي معروف [وانظر « حاشية » الأديب محمود شاكر على هذا الحديث في تفسير ابن جرير] ، وقد قال الحافظ ابن حجر في « المطالب » عقب هذا الإسناد : « هذا حديث غريب » وقال البوصيري : « هذا إسناد ضعيف غريب » قلت : ووجهه ما فيه من الاضطراب - كما يأتي .

٢ - وقيل عن راشد بن سعد عن عبد الرحمن بن قتادة عن هشام بن حكيم .

أخرجه الفريابي في كتاب « القدر » (رقم ٢٢) ثنا عمرو بن عثمان وأبو أنس مالك بن سليمان - وعنه من الطريق الأولى الآجري في « الشريعة » (٣٦٨/١) - وابن أبي عاصم في « السنة » (١/رقم ١٦٨) وفي « الآحاد والمثاني » (٢/رقم ٥٩٩) من طريق عبد الوهاب بن نجدة الحوطي وعمرو بن عثمان وابن مصفى ، أربعتهم (عمرو ، ومالك ، وعبد الوهاب وابن مصفى) ثنا بقية ثنا الزبيدي عن راشد ، به .

٣ - وقد رواه معاوية بن صالح عن راشد بن سعد ، واختلف فيه على معاوية بن صالح .

فرواه عبد الله بن صالح كاتب الليث عنه عن راشد بن سعد عن عبد الرحمن بن قتادة عن هشام بن حكيم به أخرجه الفريابي (٢٤) وابن جرير (١٥٣٨٠/١٣) والطبراني (٤٣٤/٢٢) ، وعبد الله بن صالح ضُعِّفَ وخالفه الثقات ، فرواه الليث بن سعد عند أحمد (١٨٦/٤) وابن وهب عند ابن حبان (٢/رقم ٣٣٨) والحاكم (٣١/١) وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٧٤/٦/مخطوط)

(حديث آخر) : روىٰ جعفر بن الزبير - وهو ضعيف - عن القاسم ، عن أبي أمامة قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لما خلق اللَّه الخلق ، وقضىٰ القضية ، أخذ أهل اليمين بيمينه وأهل الشمال بشماله ، فقال : ياأصحاب اليمين ، فقالوا : لبيك وسعديك ، قال : ألست بربكم ؟ قالوا : بلىٰ . قال : ياأصحاب الشمال ، قالوا : لبيك وسعديك ، قال : ألست بربكم ؟ قالوا : بلىٰ . ثم خلط بينهم ، فقال قائل : يارب ، لم خلطت بينهم ؟ قال : لهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون ، أن يقولوا يوم القيمة إنا كنا عن هذا غافلين ، ثم ردهم في صلب آدم** » . رواه ابن مردويه(٢٤٧) .

(أثر آخر) : قال أبو جعفر الرازي : عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب في قوله تعالىٰ : ﴿ **وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم**[١] ﴾ الآية والتي بعدها ، قال : فجمعهم له يومئذ جميعًا ، ما هو كائن منه إلىٰ يوم القيامة ، فجعلهم ثم[٢] صورهم ، ثم استنطقهم فتكلموا ، وأخذ عليهم العهد والميثاق ، وأشهدهم علىٰ أنفسهم : ﴿ **ألست بربكم قالوا بلىٰ** ﴾ الآية ، قال : فإني أشهد عليكم السماوات السبع ، والأرضين السبع ، وأشهد

ومعن بن عيسى عند الفريابي (٢٥) وابن سعد في « الطبقات » (٢٩٢/٧) وابن شاهين كما في « الإصابة » (٣١٦/٦) - وحماد بن خالد الخياط عند ابن سعد (٢٧/١) أربعتهم (الليث وابن وهب ومعن وحماد) عن معاوية بن صالح عن راشد بن سعد قال: حدثني عبد الرحمن بن قتادة السلمي، وكان من أصحاب النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - قال: سمعت رسول اللَّه -صلى اللَّه عليه وسلم- يقول ... فذكر الحديث . وقد رواه عبد اللَّه بن صالح أيضًا على الجادة كرواية الليث وغيره أخرجه الفريابي (٢٦) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ، لكن أعل البخاري هذه الرواية فقال في « التاريخ » (٣٤١/٥) : « وقال معاوية مرة : عبد الرحمن بن قتادة سمعت النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - وهو خطأ » وكذا أعله بالاضطراب ابن السكن - كما في « الإصابة » (٣١٦/٦) - لكن رد ذلك ابن حجر وأثبت الصحبة لعبد الرحمن بن قتادة ثم قال : « لا يضر بعد ذلك إن كان سمع الحديث من النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - أو بينهما واسطة » واللَّه أعلم .

(٢٤٧) - عزاه لابن مردويه السيوطي في « الدر المنثور » (٢٦٢/٣) - وأخرجه الطيالسي في « مسنده » (رقم ١١٣٠) مختصرًا ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٨/رقم ٧٩٤٣) وابن عدي في « الكامل » (٢٧٢٣/٧) من طريق جعفر بن الزبير به ، وجعفر هذا تركه غير واحدٍ ، بل نقل ابن الجوزي الإجماع على أنه « متروك » انظر « التهذيب » . وقال ابن عدي : « لجعفر أحاديث عن القاسم وعامتها لا يتابع عليه والضعف على حديثه بين » . وبه أعل هذه الطريق الهيثمي في « المجمع » (١٩٢/٧) - لكنه قصر في تضعيف جعفر هذا - فقال : « فيه جعفر بن الزبير وهو ضعيف » وتابعه من هو مثله فأخرجه الدارمي في « الرد على الجهمية » (ص١١) والعقيلي =

---

[١] - في ز : « ذرياتهم » . [٢] - سقط من : ت .

عليكم أباكم آدم ، أن تقولوا يوم القيامة : لم نعلم بهذا ، اعلموا أنه لا إله غيري ، ولا رب غيري ، فلا[١] تشركوا بي شيئًا ، وإني سأرسل إليكم رسلًا يذكرونكم[٢] عهدي وميثاقي ، وأنزل عليكم كتبي ، قالوا : نشهد أنك ربنا وإلهنا ، لا رب لنا غيرك [ولا إله لنا غيرك][٣] . فأقروا له يومئذ بالطاعة ، ورفع أباهم آدم فنظر إليهم ، فرأىٰ فيهم الغني والفقير ، وحسن الصورة ودون ذلك ، فقال : يارب ، لو سويت بين عبادك ؟ قال : إني أحببت أن أشكر . ورأى فيهم الأنبياء مثل السُّرُج عليهم النور ، وخصوا بميثاق آخر من الرسالة والنبوة ، فهو الذي يقول تعالىٰ : ﴿ **وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم [ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقًا غليظا]**[٤] ﴾ ، وهو الذي يقول : ﴿ **فأقم وجهك للدين حنيفًا فطرت الله [التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله]**[٥] ﴾ ، ومن ذلك قال : ﴿ **هذا نذير من النذر الأولىٰ** ﴾ ، ومن ذلك قال : ﴿ **وما وجدنا لأكثرهم من عهد [وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين]**[٦] ﴾ .

رواه عبد اللّٰه بن الإمام أحمد في مسند أبيه(٢٤٨) ، ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير وابن مردويه

= في « الضعفاء » (١٣٩/١ ، ١٤٠) وأبو الشيخ في « العظمة » (٢٢٨/٢) وابن أبي شيبة في مسنده - كما في « المطالب العالية المسندة » (٣٢٥٧/٧) من طريق بشر بن نمير عن القاسم عن أبي أمامة به وبشر بن نمير هذا أجمعوا على ضعفه ، وقال ابن عدي : « عامة ما يرويه عن القاسم وعن غيره لا يتابع عليه » - مترجم له في « التهذيب » .

وله طريق آخر عن أبي أمامة أخرجه الطبراني أيضًا في « الأوسط » (٧٦٣٢/٧) من طريق سلم بن سالم عن عبد الرحمن عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن أبي أمامة به مرفوعًا وقال الطبراني : « لم يرو هذا الحديث عن سليمان التيمي إلا عبد الرحمن أظنُّه : ابن عمر المكي - تفرَّد به سلم بن سالم » قلت : هو البلخي الزاهد ضعفه ابن معين وغيره - ترجمته في « اللسان » وبه أعل هذه الطريق الهيثمي فقال : « فيه سلم بن سالم وهو ضعيف » .

والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » إلى عبد بن حميد والحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » وباللّٰه التوفيق .

(٢٤٨) - « المسند » (١٣٥/٥) - ومن طريقه الضياء في « المختارة » (١١٨٥/٣) - نا محمد بن يعقوب الربالي ، نا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت أبي يُحدِّثُ عن الربيع بن أنس به ، وأخرجه الدولابي في « الكنى » (٢٠/٢) من طريق يحيى بن حبيب ، وابن منده في « الرد على الجهمية » (٣٠) من طريق روح بن أسلم كلاهما (يحيى وروح) عن معتمر بن سليمان به وإسناده صحيح ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٧/٧ ، ٢٨) وقال : « رواه عبد اللّٰه بن أحمد عن شيخه =

---

[١] - في ز : « ولا » .
[٢] - في ز : « ينذرونكم » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - في ت : « الآية » .
[٥] - في ت : « الآية » .
[٦] - في ت : « الآية » .

في تفاسيرهم ، من رواية أبي جعفر الرازي به ، ورُوي عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والسدي وغير واحد من علماء السلف سياقات توافق هذه الأحاديث ، اكتفينا بإيرادها عن التطويل بتلك الآثار كلها ، وبالله المستعان .

فهذه الأحاديث دالة علىٰ أن الله - عز وجل - استخرج ذرية آدم من صلبه ، وميز بين أهل الجنة وأهل النار ، وأما الإشهاد عليهم هناك بأنه ربهم فما هو إلا في حديث كلثوم بن جبر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس[١] . وفي حديث عبد الله بن عمرو[٢] . وقد بينا أنهما موقوفان لا مرفوعان ، كما تقدم ، ومن ثم قال قائلون من السلف والخلف : إن المراد بهذا الإشهاد إنما هو فَطْرهم علىٰ التوحيد ، كما تقدم في حديث أبي هريرة[٣] ، وعياض بن حمار المجاشعي[٤] ، ومن رواية الحسن البصري عن الأسود بن سريع[٥] ، وقد فسر الحسن البصري الآية بذلك ، قالوا : ولهذا قال : ﴿ **وإذ أخذ ربك من بني آدم** ﴾ ولم يقل : من آدم ، ﴿ **من ظهورهم** ﴾ ولم يقل : من ظهره ﴿ **ذريتهم**[٦] ﴾ أي : جعل نسلهم جيلا بعد جيل ، وقرنًا بعد قرن ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وهو الذي جعلكم خلائف الأرض** ﴾ ، وقال : ﴿ **ويجعلكم خلفاء الأرض** ﴾ ، وقال : ﴿ **كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **وأشهدهم علىٰ أنفسهم ألست بربكم قالوا بلىٰ** ﴾ أي : أوجدهم شاهدين بذلك ، قائلين له حالًا وقالًا ، والشهادة تارة تكون بالقول ، كقوله[٧] : ﴿ **قالوا شهدنا علىٰ أنفسنا** ﴾ الآية ، وتارة تكون حالا ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين علىٰ أنفسهم بالكفر** ﴾ أي : حالهم شاهد عليهم بذلك ، لا أنهم قائلون ذلك ، وكذلك قوله تعالىٰ : ﴿ **وإنه علىٰ ذلك لشهيد** ﴾ ، كما أن السؤال تارة يكون بالقال[٨] ، وتارة يكون بالحال ؛ كقوله : ﴿ **وآتاكم من كل ما سألتموه** ﴾ قالوا : ومما يدل علىٰ أن المراد بهذا

= محمد ابن يعقوب الربالي - وهو مستور - وقد توبع كما ترى - وبقية رجاله رجال الصحيح » وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥٣٦٣/١٣) وابن أبي حاتم (٨٥٣٧/٥) وابن مردويه - كما في « الدر المنثور » (٢٦٠/٣) - ومن طريقه الضياء (١١٥٩/٣) - واللالكائي في « شرح أصول الاعتقاد » (٣/رقم ٩٩١) من طريق أبي جعفر الرازي - عيسى بن عبد الله بن ماهان - عن الربيع ابن أنس به ، وصححه الحاكم (٣٢٣/٢ ، ٣٢٤) ووافقه الذهبي ، وزاد نسبته السيوطي إلى عبد بن حميد وأبي الشيخ والبيهقي في « الأسماء والصفات » وابن عساكر في تاريخه .

---

[١] - تقدم برقم (٢٣٨ ، ٢٣٩) .
[٢] - تقدم برقم (٢٤٢) .
[٣] - تقدم برقم (٢٣١) .
[٤] - تقدم برقم (٢٣٢) .
[٥] - تقدم برقم (٢٣٤) .
[٦] - في ز : « ذرياتهم » .
[٧] - في ز : « كما قال » .
[٨] - في ت : « بالمقال » .

هذا ، أن جعل هذا الإشهاد حجة عليهم في الإشراك ، فلو كان قد وقع هذا كما قاله من قال[١] لكان كل أحد يذكره ، ليكون حجة عليه ، فإن قيل : إخبار الرسول صلىٰ الله عليه وسلم به كاف في وجوده ، فالجواب : أن المكذبين من المشركين يكذبون بجميع ما جاءتهم به الرسل من هذا وغيره ، وهذا جعل حجة مستقلة عليهم ، فدل علىٰ أنه على الفطرة التي فطروا عليها من الإقرار بالتوحيد ؛ ولهذا قال : ﴿ **أن تقولوا**[٢] ﴾ أي : لئلا تقولوا[٣] يوم القيامة : ﴿ **إنا كنا عن هذا** ﴾ أي : التوحيد ﴿ **غافلين أو تقولوا**[٤] **إنما أشرك آباؤنا** ﴾ الآية.

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦) سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ (١٧٧)

قال عبد الرزاق(٢٤٩) : عن سفيان الثوري ، عن الأعمش ومنصور ، عن أبي الضحىٰ ، عن مسروق ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالىٰ : ﴿ **واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها** ﴾ الآية ، قال : هو رجل من بني إسرائيل يقال له : بلعم بن آبَرَ . وكذا رواه شعبة وغير واحد ، عن منصور ، به .

وقال سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن ابن عباس : هو صيفي بن الراهب .

---

(٢٤٩) - « التفسير » لعبد الرزاق (٢٤٣/٢) ومن طريقه وطرق أخرى ابن جرير (١٥٣٨٩/١٣ ، ١٥٣٨٣ ، ١٥٣٨٨) وابن أبي حاتم (٨٥٤١/٥) والطبراني في « الكبير » (٩٠٦٤/٩) من طرق عن سفيان به ، وأخرجه النسائي في « التفسير » من « الكبرى » (١١١٩٣/٦) وابن جرير (١٣/ ١٥٣٨١، ١٥٣٨٥) من طرق عن شعبة وابن جرير أيضًا (١٣/ ١٥٣٨٢ ، ١٥٣٨٤ ، ١٥٣٨٦) من طريق جرير وعمرو ، أربعتهم (سفيان وشعبة وجرير وعمرو) عن منصور - مقرونًا به في بعض الروايات الأعمش - به ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٨/٧) وقال : « رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح » وزاد نسبته السيوطي (٢٦٥/٣) إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه .

---

[١] - في خ : « قال » .
[٢] - في ز : « يقولوا » .
[٣] - في ز : « يقولوا » .
[٤] - في ز : « يقولوا » .

قال قتادة : وقال كعب[١] : كان رجلًا من أهل البلقاء ، وكان يعلم الاسم الأكبر ، وكان مقيمًا ببيت المقدس مع الجبارين .

وقال العوفي ، عن ابن عباس - رضي اللَّه عنه - : هو رجل من أهل اليمن ، يقال له : بلعم ، آتاه اللَّه آياته فتركها .

وقال مالك بن دينار : كان من علماء بني إسرائيل ، وكان مجاب الدعوة ، يقدمونه في الشدائد ، بعثه نبي اللَّه موسىٰ - عليه السلام - إلىٰ ملك مَدْين يدعوه إلىٰ اللَّه ، فأقطعه وأعطاه ، فتبع دينه وترك دين موسىٰ - عليه السلام - .

[وقال سفيان بن عيينة][٢] ، عن حصين ، عن عمران[٣] بن الحارث ، عن ابن عباس : هو بلعم بن باعر . وكذا قال مجاهد وعكرمة .

وقال ابن جرير(٢٥٠) : حدثني الحارث ، حدثنا عبد العزيز ، حدثنا إسرائيل ، عن مغيرة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : هو بلعام . وقالت ثقيف : هو أمية بن أبي الصلت .

وقال شعبة(٢٥١) ، عن يعلىٰ بن عطاء ، عن نافع بن عاصم ، عن عبد اللَّه بن عمرو في قوله :

---

(٢٥٠) - تفسير ابن جرير (١٥٣٩٩/١٣) وفي حاشيته : هذه الجملة « وقالت ثقيف ...» حذفت من المطبوعة وهي ثابتة في المخطوطة ولا أدرى أهي من كلام أبي جعفر ، أم كلام ابن عباس ، أو من كلام بعض رواة خبر ابن عباس ، والأرجح أنها من قول بعض رواة الخبر .

(٢٥١) - أخرجه النسائي في « التفسير » من « الكبرى » (١١١٩٢/٦) وابن جرير (١٥٤٠٣/١٣ ، ١٥٤٠٤ ، ١٥٤٠٦) وابن أبي حاتم (٨٥٤٢/٥) من طرق عن شعبة به ، ورجاله ثقات غير نافع ابن عاصم وهو ابن عروة بن مسعود الثقفي روى عنه اثنان ووثقه العجلي ، وذكره ابن حبان في « الثقات » (٤٦٩/٥) وقال عنه الحافظ في « التقريب » : « صدوق » وله طرق أخرى صحيحة انظر « تفسير ابن جرير » (٢٥٥/١٣ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧) وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٨/٧) وقال : « رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح » وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣/ ٢٦٦) إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه .

---

[١] - في تفسير ابن أبي حاتم (٨٥٤٦/٥) « هو بلعم بن باعورة وكان رجلًا من أهل البلقاء ...» .

[٢] - كذا في المطبوعة والمخطوط ، والذي في تفسير ابن جرير (١٥٣٨٧/١٣) ثنا ابن وكيع قال : ثنا عمران بن عيينة عن حصين به ، وعمران هذا - وهو أخو سفيان بن عيينة - ضعفه أبو زرعة وقال أبو حاتم : لا يحتج بحديثه لأنه يأتي بالمناكير وضعفه ابن معين في رواية ابن محرز ، وفي رواية الدوري قال : « صالح الحديث » وذكره ابن حبان في « الثقات » (٢٤٠/٧) وقال عنه ابن حجر في « التقريب » : صدوق له أوهام .

[٣] - في خ ، ز : « عثمان » .

﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا ﴾ الآية . قال : هو صاحبكم أمية بن أبي الصلت .

وقد روي من غير وجه عنه ، وهو صحيح إليه ، وكأنه إنما أراد أن أمية بن أبي الصلت يشبهه ، فإنه كان قد اتصل إليه علم كثير من علم الشرائع المتقدمة ، ولكنه لم ينتفع بعلمه ، فإنه أدرك زمان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وبلغته أعلامه وآياته ومعجزاته ، وظهرت لكل من له بصيرة ، ومع هذا اجتمع به ولم يتبعه ، وصار إلىٰ موالاة المشركين ومناصرتهم وامتداحهم ، ورثىٰ أهل بدر من المشركين بمرثاة بليغة ، قبحه الله . وقد جاء في بعض الأحاديث : « **أنه ممن آمن لسانه ولم يؤمن قلبه** »(٢٥٢) ، فإن له أشعارًا ربانية وحكمًا وفصاحة ، ولكن لم يشرح الله صدره للإسلام .

وقال ابن أبي حاتم(٢٥٣) : حدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي عمر[١] ، حدثنا سفيان ، [عن أبي سعد][٢] الأعور ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : **﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها ﴾** قال : هو رجل أعطي ثلاث دعوات يستجاب له فيهن ، وكانت[٣] له امرأة له منها ولد ، فقالت : اجعل لي منها واحدة . قال : فلك واحدة ، فما الذي تريدين ؟ قالت : ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني إسرائيل ، فدعا الله ، فجعلها أجمل امرأة في بني إسرائيل ، فلما علمت أن ليس فيهم مثلها رغبت عنه ، وأرادت شيئًا آخر ، فدعا الله أن يجعلها كلبة ، فصارت كلبة ، فذهبت دعوتان ، فجاء بنوها فقالوا : ليس بنا علىٰ هذا قرار ، قد صارت أمنا كلبة يعيرنا الناس بها ، فادع الله أن يردها إلىٰ الحال التي كانت عليها ، فدعا الله ، فعادت كما كانت ، فذهبت الدعوات الثلاث ، وسُمِّيت البسوس . غريب

وأما المشهور في سبب نزول هذه الآية الكريمة فإنما هو رجل من المتقدمين في زمن[٤] بني إسرائيل ؛ كما قال ابن مسعود وغيره من السلف .

---

(٢٥٢) - **ضعيف** يأتي تخريجه [سورة الرعد / آية ٢] .

(٢٥٣) - « التفسير » لابن أبي حاتم (١٦١٧/٥) (٨٥٤٩) وأخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٢٧/٣ ، ٤٢٨/ مخطوط) من طريق الحميدي ثنا سفيان بن عيينة به ، وأبو سعد الأعور هو سعيد بن المرزبان ضعيف ، ولذلك استغربه المصنف ، والأثر زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٢٦٦/٣) إلى أبي الشيخ .

---

[١] - في ز : « نمر » .

[٢] - في خ ، ز : « عن أبي سعيد » والمثبت من ابن أبي حاتم وكتب الرجال وأبو سعد هذا اسمه سعيد بن المرزبان ، مترجم له في « التهذيب » .

[٣] - في ز : « فكانت » .

[٤] - في ز : « زمان » .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : هو رجل من مدينة الجبارين يقال له : بلعام[١] ، وكان يعلم اسم اللَّه الأكبر .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيره من علماء السلف: كان مجاب الدعوة، ولا يسأل اللَّه[٢] شيئًا إلا أعطاه إياه .

وأغرب ، بل أبعد ، بل أخطأ من قال : كان قد أوتي النبوة فانسلخ منها . حكاه ابن جرير[٣] ، عن بعضهم ، ولا يصح .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : لما نزل موسىٰ بهم - يعني بالجبارين ومن معه - أتاه يعني بلعام[٤] أتاه بنو عمه وقومه ، فقالوا : إن موسىٰ رجل حديد ، ومعه جنود كثيرة[٥] ، وإنه إن يظهر علينا يهلكنا، فادع اللَّه أن يرد عنا موسىٰ ومن معه، قال : إني إن دعوت اللَّه أن[٦] يرد موسىٰ ومن معه ذهبت دنياي وآخرتي، فلم يزالوا به حتىٰ دعا عليهم، فسلخه اللَّه[٧] ما كان عليه ، فذلك قوله تعالىٰ : ﴿ **فانسلخ منها فأتبعه الشيطان [فكان من الغاوين]**[٨] ﴾ .

وقال السدي : إن اللَّه لما انقضت الأربعون سنة[٩] التي قال اللَّه : ﴿ **فإنها محرمة عليهم أربعين سنة** ﴾ بعث يوشع بن نون نبيًا ، فدعا بني إسرائيل ، فأخبرهم أنه نبي ، وأن اللَّه أمره أن يقاتل الجبارين ، فبايعوه وصدقوه ، وانطلق رجل من بني إسرائيل يقال له : بلعم، وكان عالما ، يعلم الاسم الأعظم المكتوم[١٠] ، فكفر لعنه اللَّه وأتىٰ الجبارين وقال لهم : لا ترهبوا بني إسرائيل، فإني إذا خرجتم تقاتلونهم أدعو عليهم دعوة فيهلكون ، وكان عندهم فيما شاء من الدنيا ، غير أنه كان لا يستطيع أن يأتي النساء [من عظمهن][١١] ، فكان[١٢] ينكح أتانًا له ، وهو الذي قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **فانسلخ منها** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **فأتبعه الشيطان** ﴾ أي : استحوذ عليه وغلبه علىٰ أمره ، فمهما أمره امتثل وأطاعه ؛ ولهذا قال : ﴿ **فكان من الغاوين** ﴾ أي : من الهالكين الحائرين البائرين .

---

[١] - في ز : « بعلم » .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - ابن جرير في تفسيره (٢٥٩/١٣) .
[٤] - في تفسير ابن جرير : بلعم .
[٥] - في ز : « كثير » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - في ت : « الآية » .
[٩] - في ز : « السنة » .
[١٠] - سقط من : خ ، ز .
[١١] - في خ ، ز : « يعظمهن » والمثبت من تفسير ابن جرير (١٥٤١١/١٢) .
[١٢] - في ز : « وكان » .

وقد ورد في معنىٰ هذه الآية حديث رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده حيث قال(٢٥٤) : حدثنا محمد بن مرزوق ، حدثنا محمد بن بكر ، عن الصلت بن بهرام ، حدثنا الحسن ، حدثنا جندب البجلي في هذا المسجد : أن حذيفة - يعني : ابن اليمان - رضي اللَّه عنه - حدثه قال: قال[١] رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن مما أتخوف عليكم رجل قرأ القرآن، حتىٰ إذا رؤيت[٢] بهجته عليه وكان رِدْءِ[٣] الإسلام اعتراه[٤] إلىٰ ما شاء اللَّه : انسلخ منه ونبذه وراء ظهره ، وسعىٰ علىٰ جاره بالسيف ورماه بالشرك** » . قال : قلت : يانبي اللَّه أيهما أولى بالشرك : المرمي أو الرامي ؟ قال : « **بل الرامي** » .

هذا إسناد جيد ، والصلت بن بهرام كان من ثقات الكوفيين ، ولم يرم بشيء سوىٰ الإرجاء ، وقد وثقه الإمام أحمد بن حنبل ويحيىٰ بن معين وغيرهما.

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلىٰ الأرض واتبع هواه** ﴾ يقول تعالىٰ : ﴿ **ولو شئنا لرفعناه بها** ﴾ أي : لرفعناه من التدنس عن قاذورات الدنيا بالآيات التي آتيناه إياها ﴿ **ولكنه أخلد إلىٰ الأرض** ﴾ أي : مال إلىٰ زينة الحياة[٥] الدنيا وزهرتها ، وأقبل علىٰ لذاتها ونعيمها ، وغرته كما غرت غيره من غير أولي البصائر والنهىٰ .

وقال أبو الزاهرية[٦] في قوله تعالىٰ : ﴿ **ولكنه أخلد إلىٰ الأرض** ﴾ قال : تراءىٰ[٧] له الشيطان علىٰ غلوة[٨] من قنطرة بانياس فسجدت الحمارة لله ، وسجد بلعام للشيطان . وكذا قال عبد الرحمن بن جبير بن نفير وغير واحد .

(٢٥٤) - ومن طريق أبي يعلى أخرجه ابن حبان في صحيحه (١/رقم ٨١/ إحسان) ، وأخرجه البزار في مسنده (٢٧٩٣/٧/ البحر الزخار) ثنا محمد بن مرزوق والحسين بن أبي كبيشة - كذا والصواب : كبشة - قالا أخبرنا محمد بن بكر به ، والبخاري في « التاريخ الكبير » (٣٠١/٤) قال لنا علي - هو ابن المديني - ثنا محمد بن بكر به مختصرًا وقال البزار : « هذا الحديث بهذا اللفظ لا نعلمه يروى إلا عن حذيفة بهذا الإسناد ، وإسناده حسن ، والصلت هذا رجل مشهور من أهل البصرة وما بعده فقد استغنينا عن تعريفهم لشهرتهم » وذكره الهيثمي في « المجمع » (١/ ١٩٢، ١٩٣) وقال : « رواه البزار وإسناده حسن ، وأورده ابن حجر في « مختصر زوائد البزار » (١/رقم ١٣١) وذكر كلام البزار السابق ثم قال : « هو ابن عمران - يعني الصلت كذا تحرف في « الزوائد » ابن بهرام إلى ابن عمران - ذكره ابن حبان في « الثقات » (٤٧١/٦) » قلت : وترجم له الحافظ نفسه في « التهذيب » و« اللسان » معًا فتنبه !!

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « ربت » . [٣] - في ز : « رد » .
[٤] - عند ابن حبان من طريق أبي يعلى : « غَيَّرهُ » .
[٥] - سقط من : ز . [٦] - في ز : « الراهويه » .
[٧] - في ز : « تزايا » . [٨] - في ز : « علوة » .

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير(٢٥٥) رحمه الله : وكان من قصة هذا الرجل : ما حدثنا محمد ابن عبد الأعلىٰ ، حدثنا المعتمر ، عن أبيه : أنه سئل عن هذه الآية : ﴿ **واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا** ﴾ فحدث عن سيار : أنه كان رجلا يقال له : بلعام [وكان قد أوتي النبوة][١] ، وكان مجاب الدعوة ، قال : وإن موسىٰ أقبل في بني إسرائيل يريد الأرض التي فيها بلعام - أو قال : الشام - قال : فَرعب الناس منه رعبًا شديدًا ، قال : فأتوا بلعام ، فقالوا : ادع الله علىٰ هذا الرجل وجيشه ، قال : حتىٰ أوامر ربي - أو حتىٰ أؤامر - قال : فَوَامر في الدعاء عليهم ، فقيل له : لا تدع عليهم فإنهم عبادي ، وفيهم نبيهم ، قال : فقال لقومه : إني قد وامرت ربي في الدعاء عليهم ، وإني قد نهيت ، فأهدوا له هدية فقبلها ، ثم راجعوه فقالوا : ادع عليهم ، فقال : حتىٰ أوامر ، فوامر[٢] [فلم يَحُر إليه][٣] شيء[٤] ، فقال : قد وامرت فلم [يحر إليّ شيء][٥] ، [قال][٦] فقالوا : لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما نهاك المرة الأولىٰ ، قال : فأخذ يدعو عليهم ، فإذا دعا عليهم جرىٰ علىٰ لسانه الدعاء علىٰ قومه ، وإذا أراد [أن يدعو][٧] أن يُفتح لقومه ، دعا أن يفتح لموسىٰ وجيشه أو نحوًا[٨] من ذلك[٩] إن شاء الله - قال : فقالوا : ما نراك تدعو إلا علينا ، قال : ما يجرى علىٰ لساني إلا هكذا ، ولو دعوت عليه أيضًا ما استجيب لي ، ولكن سأدلكم علىٰ أمر عسىٰ أن يكون فيه هلاكهم ، إن الله يبغض الزنا ، وإنهم إن وقعوا [في الزنا][١٠] هلكوا ، ورجوت أن يهلكهم الله ، فأخرجوا النساء يَسْتقبلنَهم[١١] ، فإنهم قوم مسافرون ، فعسىٰ أن[١٢] يزنوا فيهلكوا ، قال : ففعلوا ، فأخرجوا النساء يَسْتقبلنَهم[١٣] ، قال : وكان للملك ابنة ، فذكر من عظمها ما الله أعلم به ، قال : فقال أبوها أو بلعام : لا تمكني نفسك إلا من موسىٰ ، قال : ووقعوا[١٤] في الزنا ، قال : وأتاها رأس سبط من أسباط بني إسرائيل ، فأرادها علىٰ نفسه[١٥] ، فقالت : ما أنا بممكنة نفسي إلا من موسىٰ ، قال : فقال : إن

---

(٢٥٥) - تفسير ابن جرير (١٣/١٥٤٢٠) وذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٣/٢٦٨) مختصرًا وزاد نسبته إلى أبي الشيخ .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - في خ : « فآمر » .
[٣] - قوله « فلم يحر إليه شيء » أي : لم يرجع إليه شيء . « حار إليه يحور حورًا » رجع إليه ، ومنه « حاوره محاورة حوارًا » في الكلام [مستفاد من هامش تفسير ابن جرير (١٣/٢٦٢)] .
[٤] - في خ : « بشيء » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ت : « يأمرني » .
[٦] - ما بين المعكوفتين زيادة من ز .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٨] - في ز : « نحو » .
[٩] - في ز : « ذا » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين في ز : « بالزنا » .
[١١] - في ز : « تستقبلهم » .
[١٢] - سقط من : ز .
[١٣] - في ز : « تستقبلهم » .
[١٤] - في ز : « وأوقعوا » .
[١٥] - في خ ، ز : « نفسها » .

منزلتي كذا وكذا ، وإن من حالي كذا وكذا ، [ ][١] فأرسلت إلي أبيها تستأمره ، قال : فقال لها : فأمكنيه ، قال : ويأتيهما رجل من بني هارون ومعه الرمح فيطعنهما ، قال : وأيده الله بقوة ، فانتظمهما جميعًا ، ورفعهما علىٰ رمحه ، فرآهما الناس أو كما حدث قال : وسلط الله عليهم الطاعون ، فمات منهم سبعون ألفًا .

قال أبو[٢] المعتمر : فحدثني سيار : أن بلعاما ركب حمارة له حتىٰ أتىٰ علولي[٣] . أو قال : طريقًا من علولي[٤] . جعل يضربها ولا تُقدم ، وقامت عليه فقالت : علام تضربني ؟ أما ترىٰ هذا الذي بين يديك ؟ فإذا الشيطان بين يديه ، قال : فنزل وسجد له ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **لعلهم يتفكرون** ﴾ .

قال : فحدثني بهذا سيار ، ولا أدري لعله قد دخل فيه شيء من حديث غيره .

(قلت) : هو بلعام . ويقال : بلعم بن باعوراء ويقال : ابن أبر ، ويقال : ابن باعور بن شهوم ابن قوشتم بن ماب بن لوط بن هاران . ويقال : ابن حران بن آزر ، وكان يسكن قرية من قرىٰ البلقاء .

قال ابن عساكر[٥] : وهو الذي كان يعرف اسم الله الأعظم ، فانسلخ من دينه ، له ذكر في القرآن . ثم أورد من قصته نحوًا مما ذكرنا هاهنا ، أورده عن وهب وغيره ، والله أعلم .

وقال محمد بن إسحاق بن يسار(٢٥٦) ، عن سالم أبي النضر : أنه حدث : أن موسىٰ - عليه السلام - لما نزل في أرض بني كنعان من أرض الشام ، أتىٰ قوم بلعام إليه ، فقالوا له : هذا موسىٰ ابن عمران في بني إسرائيل ، قد جاء[٦] يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بني إسرائيل ، وإنا قومك ، وليس لنا منزل ، وأنت رجل مجاب الدعوة ، فاخرج فادع الله عليهم ، قال : ويلكم ، نبي الله معه الملائكة والمؤمنون[٧] ، كيف أذهب أدعو عليهم ، وأنا أعلم من الله ما أعلم ؟ ! قالوا له : ما لنا من منزل ، فلم يزالوا به يرفقونه[٨] ويتضرعون إليه ، حتىٰ فتنوه فافتُتِنَ ، فركب حمارة[٩] له متوجهًا[١٠] إلىٰ الجبل الذي يطلعه علىٰ عسكر بني إسرائيل ، وهو جبل حُسْبان ،

---

(٢٥٦) - أخرجه ابن جرير في « التفسير » (١٥٤٢٢/١٣) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « قال » .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - في خ : « العولى » ، وفي ز : « العلولى » .
[٤] - في خ ، ز : « العلولى » .
[٥] - في « تاريخ دمشق » لابن عساكر (٤٢٦/٣/مخطوط) .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - في ز : « والمنون » .
[٨] - في ز : « يرفقونه » .
[٩] - في ز : « حمارًا » .
[١٠] - في ز : « موجهًا » .

فلما سار عليها غير كثير ، ربضت به ، فنزل عنها فضربها ، حتىٰ إذا أذلقها قامت فركبها ، فلم تسر به كثيرًا حتىٰ ربضت به فضربها ، حتىٰ إذا أذلقها أذن اللَّه لها فكلمته حجة عليه ، فقالت : ويحك يا بلعم ، أين تذهب ؟ أما ترىٰ الملائكة أمامي تردني عن وجهي هذا ؟ أتذهب[١] إلىٰ نبي اللَّه والمؤمنين لتدعو عليهم ؟ فلم ينزع عنها يضربها[٢] ، فخلىٰ اللَّه سبيلها حين فعل بها ذلك ، فانطلقت به حتىٰ إذا أشرفت به علىٰ رأس حسبان ، علىٰ عسكر موسىٰ وبني إسرائيل ، جعل يدعو عليهم ، ولا يدعو عليهم بشر إلا صرف به[٣] لسانه إلىٰ قومه ، ولا يدعو لقومه بخير إلا صرف لسانه إلىٰ بني إسرائيل ، فقال له قومه : أتدري يا بلعم ما تصنع ؟ إنما تدعو لهم وتدعو علينا ، قال : فهذا مالا أملك ، هذا شيء قد غلب اللَّه عليه ، قال : واندلع لسانه فوقع علىٰ صدره ، فقال لهم : قد ذهبت مني الآن الدنيا والآخرة ، ولم يبق إلا المكر والحيلة ، فسأمكر لكم وأحتال . جمّلوا النساء وأعطوهن السلع ، ثم أرسلوهن إلىٰ العسكر يبعنها فيه ، ومُرُوهن فلا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها ، فإنهم إن زنىٰ رجل منهم واحد كُفِيتُموهم ، ففعلوا ، فلما دخل النساء العسكر ، مرت امرأة من الكنعانيين اسمها كسبى[٤] ابنة صور رأس أمته[٥] برجل من عظماء بني إسرائيل ، وهو « **زمري[٦] بن شلوم** » ، رأس سبط [ ][٧] شمعون[٨] بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم - عليهم السلام - [فقام إليها ، فأخذ بيدها حين أعجبه جمالها ، ثم أقبل بها حتى وقف بها على موسىٰ عليه السلام][٩] ، فقال : إني أظنك ستقول هذا حرام عليك ؟ قال : أجل ، هي حرام عليك ، لا تقربها قال : فواللَّه لا نطيعك في هذا ، ثم دخل بها قبته فوقع عليها ، وأرسل اللَّه - عز وجل - الطاعون في بني إسرائيل ، وكان فنحاص بن العيزار بن هارون ، صاحب أمر موسىٰ ، وكان غائبًا حين صنع زمري بن شلوم ما صنع ، فجاء و[١٠]الطاعون يجوس في بني إسرائيل ، فأخبر الخبر ، فأخذ حربته وكانت من حديد كلها ، ثم دخل القبة وهما متضاجعان ، فانتظمهما بحربته ، ثم خرج بهما رافعهما إلىٰ السماء ، والحربة قد أخذها بذراعه ، واعتمد بمرفقه علىٰ خاصرته ، وأسند الحربة إلىٰ لَحْيَيْه[١١] - وكان بكر العيزار - وجعل يقول : اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك ، ورفع الطاعون ، فحُسِب من هلك من بني إسرائيل في الطاعون فيما بين أن أصاب زمري المرأة إلىٰ أن قتله فنحاص ، فوجدوه قد هلك منهم سبعون ألفًا . والمقلل لهم يقول : عشرون ألفًا في ساعة من النهار ، فمن هنالك تعطي بنو إسرائيل

---

[١] - في ز : « تذهب » . [٢] - في ز : « فضرها » .
[٣] - في ز : « بها » . [٤] - في ز : « كسبتى » .
[٥] - في ز : « أمنه » . [٦] - في ز : « ربري » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز : « بني » .
[٨] - في خ ، ز : « سمعان » والمثبت من تفسير ابن جرير (٢٦٦/١٣) .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [١٠] - سقط من : ز .
[١١] - في ز : « لحيته » .

ولد فنحاص من كل ذبيحة ذبحوها القَبَة والذراع واللحْي . [لاعتماده بالحربة على خاصرته ، وأخذه إياها بذراعه ، وإسناده إياها إلى لحييه][١] والبكر من كل أموالهم وأنفسهم ؛ لأنه كان بكر أبيه العيزار ، ففي بلعام بن باعوراء أنزل اللَّه : ﴿ **واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **لعلهم يتفكرون** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث** ﴾ اختلف المفسرون في معناه[٢] ؛ فأما علىٰ سياق ابن إسحاق ، عن سالم أبي النضر : أن بلعامًا اندلع لسانه علىٰ صدره ، فتشبيهه[٣] بالكلب في لَهْثه[٤] في كلتا حالتيه إن زجر وإن ترك . وقيل : معناه : فصار مثله في ضلاله ، واستمراره فيه ، وعدم انتفاعه بالدعاء إلىٰ الإيمان ، وعدم الدعاء كالكلب في لَهْثه[٥] في حالتيه ، إن حملت عليه وإن تركته ، هو يلهث في الحالين ، فكذلك هذا لا ينتفع بالموعظة والدعوة إلىٰ الإيمان ولا عدمه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون** ﴾ . ﴿ **استغفر لهم أو لا تستغفر لهم [إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن][٦] يغفر اللَّه لهم** ﴾ ونحو ذلك .

وقيل : معناه أن قلب الكافر والمنافق والضال ضعيف فارغ من الهدىٰ ، فهو كثير الوجيب ، فعبر عن هذا بهذا . نقل نحوه عن الحسن البصري وغيره .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **فاقصص القصص لعلهم يتفكرون** ﴾ ، يقول تعالىٰ لنبيه محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **فاقصص القصص لعلهم** ﴾ أي : لعل بني إسرائيل العالمين بحال بلعام ، وما جرىٰ له في إضلال اللَّه إياه وإبعاده من رحمته ؛ بسبب أنه استعمل نعمة اللَّه عليه[٧] في تعليمه الاسم الأعظم ، الذي إذا سئل به أعطىٰ ، وإذا دُعِيَ به أجاب - في غير طاعة ربه ، بل دعا به علىٰ حزب الرحمن ؛ وشَعْب الإيمان ، أتباع عبده ورسوله في ذلك الزمان ، كليم اللَّه موسىٰ بن عمران عليه السلام ، ولهذا قال : ﴿ **لعلهم يتفكرون** ﴾ أي : فيحذروا أن يكونوا مثله ، فإن اللَّه قد أعطاهم علمًا ، وميزهم علىٰ من عداهم من الأعراب ، وجعل بأيديهم صفة محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم يعرفونها كما يعرفون أبناءهم ، فهم أحق الناس وأولاهم باتباعه ومناصرته ومؤازرته كما أخبرتهم أنبياؤهم بذلك وأمرتهم به ؛ ولهذا من خالف منهم ما في كتابه وكتمه فلم يعلم به العباد أحل اللَّه به ذلًّا في الدنيا موصولًا بذل الآخرة .

وقوله : ﴿ **ساء مثلًا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون** ﴾ يقول تعالىٰ :

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ز : « معنى هذا » .
[٣] - في ز : « فتشبيه » .
[٤] - في ز : « لهيثه » .
[٥] - في ز : « لهيثه » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « لن » .
[٧] - في ت : « عليهم » .

ساء[١] مثلًا مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ، أي : ساء مثلهم أن شُبِّهوا بالكلاب التي[٢] لا همة لها[٣] إلا في تحصيل أكلة أو شهوة ، فمن خرج عن حيز العلم والهدىٰ ، وأقبل علىٰ شهوة نفسه، واتبع هواه، صار شبيهًا بالكلب ، وبئس المثل مثله ؛ ولهذا ثبت في الصحيح(٢٥٧) أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **ليس لنا مثل السوء ، العائد [في هبته]**[٤] **كالكلب يعود في قيئه** » .

وقوله : ﴿ **وأنفسهم كانوا يظلمون** ﴾ أي : ما ظلمهم الله ، ولكن هم ظلموا أنفسهم بإعراضهم عن اتباع الهدىٰ ، وطاعة المولىٰ ، إلىٰ الركون إلىٰ دار البلىٰ ، والإِقبال علىٰ تحصيل اللذات وموافقة الهوىٰ .

مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِىۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

يقول تعالىٰ : من هداه الله فإنه لا مضل له ، ومن أضله فقد خاب وخسر وضل لا محالة ، فإنه تعالىٰ ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ؛ ولهذا جاء في حديث ابن مسعود : « **إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله** » .

الحديث بتمامه رواه الإِمام أحمد وأهل السنن وغيرهم(٢٥٨) .

---

(٢٥٧) - أخرجه البخاري ، كتاب : الهبة ، باب : لا يَحلُّ لأحد أن يرجع في هبته وصدقته (٢٦٢٢) ، وكذا أخرجه أحمد (٢١٧/١) والترمذي ، كتاب : البيوع ، باب : ما جاء في الرجوع في الهبة (١٢٩٨) والنسائي كتاب : الهبة ، باب : ذكر الاختلاف لخبر عبد الله بن عباس فيه (٦/ ٢٦٦ ، ٢٦٧) .

(٢٥٨) - أخرجه الترمذي ، كتاب : النكاح ، باب : ما جاء في خطبة النكاح (١١٠٥) والنسائي ، كتاب : النكاح ، باب : ما يستحب من الكلام عند النكاح (٨٩/٦) من طريق عبثر عن الأعمش ، وابن ماجه ، كتاب : النكاح ، باب : خطبة النكاح (١٨٩٢) من طريق عيسى بن يونس ثنا أبي كلاهما (الأعمش ، ويونس بن أبي إسحاق) عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله قال : علمنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - التشهد في الصلاة والتشهد في الحاجة ...» فذكر الحديث . وقال الترمذي : « حديث عبد الله حديث حسن رواه الأعمش عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ورواه شعبة عن أبي إسحاق ، =

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ز : « الذين » .

[٣] - في ز : « لهم » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **ولقد ذرأنا** ﴾ أي : خلقنا وجعلنا ﴿ **لجهنم كثيرًا من الجن والإنس** ﴾ أي : هيأناهم لها ، وبعمل أهلها يعملون ، فإنه تعالىٰ لما أراد أن يخلق الخلق علم ما هم عاملون قبل كونهم ، فكتب ذلك عنده في كتاب قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة كما ورد في صحيح مسلم[٢٥٩] ، عن عبد اللّٰه بن عمرو : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **إن اللّٰه قدّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه علىٰ الماء** » .

وفي صحيح مسلم أيضًا[٢٦٠] ، من حديث عائشة بنت طلحة ، عن خالتها عائشة أم المؤمنين رضي اللّٰه عنها أنها قالت : دُعِيَ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم إلىٰ جنازة صبي من الأنصار ، فقلت : يا رسول اللّٰه طوبىٰ له ، عصفور من عصافير الجنة ، لم يعمل السوء ولم يدركه . فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **أَوَ غير ذلك ، يا عائشة ؟ إن اللّٰه خلق الجنة وخلق لها أهلًا ، وهم في أصلاب آبائهم ، وخلق النار وخلق لها أهلًا وهم في أصلاب آبائهم** » .

= عن أبي عبيدة عن عبد اللّٰه ، عن النبي صلي اللّٰه عليه وسلم وكلا الحديثين صحيح ، لأن إسرائيل جمعهما فقال : عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص ، وأبي عبيدة عن عبد اللّٰه بن مسعود عن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم » وطريق شعبة أخرجها أحمد (٣٩٢/١ ، ٣٩٣) والنسائي (١٠٤/٣) وطريق إسرائيل أخرجها أحمد أيضًا (٤٣٢/١) وأبو داود (٢١١٨) ولم ينفرد إسرائيل بجمع الإسنادين معًا عن أبي إسحاق ، فقد جمعهما شعبة عن أبي إسحاق أيضًا في رواية عند أحمد (٣٩٣/١) وكل هذه الروايات ليست فيها لفظة : « ونستهديه » وللحديث طرق أخرى أعرضنا عنها اختصارًا ، ومن أراد زيادة تفصيل فليراجع رسالة الألباني « خطبة الحاجة » وباللّٰه التوفيق .

(٢٥٩) – أخرجه مسلم ، كتاب : القدر ، باب : حجاج آدم وموسى عليهما السلام (١٦) (٢٦٥٣) بلفظ « كتب اللّٰه مقادير الخلائق ....» وأخرجه الترمذي ، كتاب : القدر ، باب : (رقم ١٨) (ح ٢١٥٧) وأحمد (١٦٩/٢) بلفظ « **قدر اللّٰه المقادير** ...» دون قوله : « وكان عرشه على الماء » وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح » .

(٢٦٠) – أخرجه مسلم ، كتاب : القدر ، باب : معنى كل مولود يولد على الفطرة (٣٠ ، ٣١) (٢٦٦٢) ، وسوف يعيده المصنف [سورة الإسراء / آية ١٥] ويخرج هناك بأوسع مما هنا .

وفي الصحيحين(٢٦١) من حديث ابن مسعود : « **ثم يبعث الله**[١] **إليه الملك ، فيؤمر بأربع كلمات ، فيكتب : رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي أم سعيد** » .

وتقدم أن الله لما استخرج ذرية آدم من صلبه ، وجعلهم فريقين : أصحاب اليمين وأصحاب الشمال قال : « **هؤلاء للجنة ولا أبالي ، وهؤلاء للنار ولا أبالي** »(٢٦٢) .

والأحاديث في هذا كثيرة ، ومسألة القَدَر كبيرة ليس هذا موضع بسطها .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها** ﴾ يعني : ليس ينتفعون بشيء من هذه الجوارح التي جعلها الله سببًا للهداية ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وجعلنا لهم سمعًا وأبصارًا وأفئدة فما أغنىٰ عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله** ﴾ . الآية . وقال تعالىٰ : ﴿ **صم بكم عمي فهم لا يرجعون** ﴾ ، هذا في حق المنافقين ، وقال في حق الكافرين : ﴿ **صم بكم عمي فهم لا يعقلون** ﴾ ، ولم يكونوا صمًا و[٢]بكمًا و[٣]عميًا إلا عن الهدىٰ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولو علم الله فيهم خيرًا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون** ﴾ ، وقال : ﴿ **فإنها لا تعمىٰ الأبصار ولكن تعمىٰ القلوب التي في الصدور** ﴾ ، وقال : ﴿ **ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانًا فهو له قرين وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **أولئك كالأنعام** ﴾ أي : هؤلاء الذين لا يسمعون الحق ولا يَعُونه ولا يبصرون الهدىٰ كالأنعام[٤] السارحة التي لا تنتفع[٥] بهذه الحواس منها إلا في الذي يعيشها في ظاهر الحياة الدنيا ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء** ﴾ ، أي : ومثلهم في حال دعائهم إلىٰ الإيمان ، كمثل الأنعام إذا دعاها راعيها ، لا تسمع إلا صوته ، ولا تفقه ما يقول ؛ ولهذا قال في هؤلاء : ﴿ **بل هم أضل** ﴾ أي : من الدواب ؛ لأن الدواب قد تستجيب مع ذلك لراعيها إذا أبَسَّ[٦] (٢٦٣) بها ، وإن لم تفقه كلامه ، بخلاف هؤلاء ؛ ولأن الدواب تفقه ما خلقت له إما بطبعها وإما بتسخيرها ، بخلاف الكافر فإنه إنما خلق

(٢٦١) - أخرجه البخاري ، كتاب : بدء الخلق ، باب : ذكر الملائكة (٣٢٠٨) ومسلم ، فاتحة كتاب القدر (٢٦٤٣) و يأتي تخريجه بأوسع مما هنا [سورة الرعد / آية ٨] .

(٢٦٢) - تقدم برقم (٢٤٦) .

(٢٦٣) - أَبَس الراعي الإبل ، وأبس بها : زجرها بقوله : بِسْ ، بِسْ .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - سقط من : ت .
[٤] - في ز : « والأنعام » .
[٥] - في ز : « ينتفع » .
[٦] - في ز : « أيس » .

ليعبد اللَّه ويوحده ، فكفر بالله وأشرك به ؛ ولهذا من أطاع اللَّه من البشر كان أشرف من مثله من الملائكة في معاده ، ومن كفر به من البشر ، كانت الدواب أتم منه ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون** ﴾.

وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١٨٠)

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم « **إن للَّه تسعةً وتسعين اسمًا [مائة إلا واحدًا][١] ، من أحصاها دخل الجنة ، وهو وتر يحب الوتر** » .

أخرجاه في الصحيحين(٢٦٤) ، من حديث سفيان بن عيينة ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عنه . ورواه البخاري(٢٦٥) ، عن أبي اليمان ، عن شعيب بن أبي حمزة ، عن أبي الزناد به . وأخرجه الترمذي [في جامعه][٢] (٢٦٦)، عن الجوزجاني ، عن صفوان بن صالح ، عن الوليد بن مسلم ، عن شعيب ، فذكر بسنده مثله ، وزاد بعد قوله : « **يحب الوتر : هو اللَّه الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارئ ، المصور ، الغفار ، القهار ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح ، العليم ، القابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، السميع ، البصير ، الحكم ، العدل ، اللطيف ، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العلي ، الكبير ، الحفيظ ، المقيت ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ، الرقيب ، المجيب ، الواسع ، الحكيم ، الودود ، المجيد ، الباعث ، الشهيد ، الحق ، الوكيل ، القوي ، المتين ، الولي ، الحميد ، المحصي ، المبدئ ، المعيد ، المحيي ، المميت ، الحي ، القيوم ، الواجد ، الماجد ، الواحد ، الأحد ، الفرد ، الصمد ، القادر ، المقتدر ، المقدم ، المؤخر ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الوالي ،**

---

(٢٦٤) - أخرجه البخاري ، كتاب : الدعوات ، باب : للَّه مائة اسم غير واحدة (٦٤١٠) ، ومسلم ، كتاب : الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب : في أسماء اللَّه تعالى ، وفضل من أحصاها (٥) (٢٦٧٧) ، وكذا أخرجه الترمذي ، كتاب : الدعوات ، باب (رقم ٨٣) (ح ٣٥٠٨) من طرق عن سفيان بن عيينة ، به .

(٢٦٥) - البخاري ، كتاب: الشروط، باب: المكاتب ، وما لا يَحلُّ من الشروط التي تخالف كتاب اللَّه ... (٢٧٣٦) ، وك : التوحيد ، باب : إن للَّه مائة اسم إلا واحدة (٧٣٩٢) .

(٢٦٦) - جامع الترمذي ، كتاب : الدعوات ، باب : (رقم ٨٣) (ح ٣٥٠٧) وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه كما في « تلخيص الحبير » (١٩٠/٤) - ومن طريقه البغوي في « شرح السنة » =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

المتعالي ، البر ، التواب ، المنتقم ، العفو ، الرءوف ، مالك الملك ، ذو الجلال والإكرام ، المقسط ، الجامع ، الغني ، المغني ، المانع ، الضار ، النافع ، النور ، الهادي ، البديع ، الباقي ، الوارث ، الرشيد ، الصبور » .

ثم قال الترمذي : هذا حديث غريب ، وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة ، ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث .

ورواه ابن حبان في صحيحه ، من طريق صفوان به . وقد رواه ابن ماجة في سننه من طريق آخر ، عن موسىٰ بن عقبة ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة مرفوعًا ، فسرد الأسماء كنحو ما تقدم بزيادة ونقصان .

والذي عوّل عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث مُدرج فيه ، وإنما ذلك

= (٥/رقم ١٢٥٧) نا إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني ، به ، وأخرجه ابن حبان (٣/رقم ٨٠٨) أخبرنا الحسن بن سفيان ومحمد بن الحسن بن قتيبة ومحمد بن أحمد بن عبيد بن فياض بدمشق ، والطبراني في « الدعاء » (١/رقم ١١١) ثنا أحمد بن المعلّى الدمشقي ، وورد بن أحمد بن لبيد البيروتي ، والحاكم (١/١٦) من طريق موسى بن أيوب ومحمد بن أحمد بن الوليد الكرابيسي ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (١٠/٢٧) من طريق جعفر بن محمد ، وفي « شعب الإيمان » (١/رقم ١٠٢) من طريق الحسن بن سفيان، وفي «الأسماء والصفات» (١/رقم ٦) من طريق الحسن بن سفيان وجعفر محمد بن المستفاض ، كلهم (الجوزجاني والحسن والمحمدان وأحمد وورد وموسى والكرابيسى وجعفر) عن صفوان بن صالح به ، وقال الترمذي : « هذا حديث غريب ، حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح ، ولا نعرفه إلا من حديث صفوان بن صالح ، وهو ثقة عند أهل الحديث ، وقد روي هذا الحديث من غير وجهٍ عن أبي هريرة عن النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - ولا نَعْلَمُ في كثير شيء من الروايات له إسناد صحيح ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث ، وقد روى آدم بن أبي إياس هذا الحديث بإسنادٍ غير هذا عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وذكر فيه الأسماء وليس له إسناد صحيح » .

وقال الحاكم : « هذا حديث قد خرجاه في الصحيحين بأسانيد صحيحة دون ذكر الأسامي فيه ، والعلة فيه عندهما أن الوليد بن مسلم تفرد بسياقته بطوله ، وذكر الأسامي فيه ولم يذكرها غيره ، وليس هذا بعلة - يأتي تعقيب الحافظ على هذا الكلام - فإني لا أعلم اختلافًا بين أئمة الحديث أن الوليد بن مسلم أوثق وأحفظ وأعلم وأجل من أبي اليمان ، وبشر بن شعيب ، وعلي بن عياش وأقرانهم من أصحاب شعيب ، وللحافظ ابن حجر كلام نفيس على هذا الحديث في « الفتح » (١١/٢١٤ : ٢٢٧) وفي « تلخيص الحبير » (٤/١٩٠ : ١٩٢) ننقل بعضه للإفادة ، قال في « الفتح » : « هذا الحديث رواه عن الأعرج أيضًا موسى بن عقبة عند ابن ماجه - (٣٨٦١) - من رواية زهير بن محمد عنه ... وسرد الأسماء ، ورواه عن أبي الزناد أيضًا شعيب بن أبي حمزة -

تقدمت هذه الراوية هنا برقم (٢٦٤) - وأخرجه الترمذي من رواية الوليد بن مسلم عن شعيب ... وسرد الأسماء ، ومحمد بن عجلان عند أبي عوانة ، ومالك عند ابن خزيمة والنسائي - « السنن الكبرى » (٧٦٥٩/٤) - والدارقطني في « غرائب مالك » وقال : صحيح عن مالك وليس في « الموطأ » قدر ما عند أبي نعيم في طرق الأسماء الحسنى ، وعبد الرحمن بن أبي الزناد عند الدارقطني وأبو عوانة ومحمد بن إسحاق عند أحمد وابن ماجه - لم أهتد إلا لطريق محمد بن إسحاق عند أحمد (٢٥٨/٢) - وموسى بن عقبة عند أبي نعيم من رواية حفص بن ميسرة عنه ، ورواه عن أبي هريرة أيضًا همام بن منبه عند مسلم (٦) (٢٦٧٧) - وأحمد (٢٦٧/٢ ، ٢٧٧ ، ٣١٤) - ومحمد بن سيرين عند مسلم - (٦) (٢٦٧٧) - والترمذي - (٣٥٠٦) - والطبراني في « الدعاء » - (٨٢٦/٢ ، ٨٢٧) - وجعفر الفريابي في « الذكر » وأبو رافع عند الترمذي - (٣٥٠٦) - وأبو سلمة بن عبد الرحمن عند أحمد (٥٠٣/٢) - وابن ماجه (٣٨٦٠) - وعطاء ابن يسار وسعيد المقبري وسعيد بن المسيب وعبد اللَّه بن شقيق ومحمد بن جبير بن مطعم والحسن البصري أخرجها أبو نعيم بأسانيد عنهم كلها ضعيفة ، وعراك بن مالك عند البزار لكن شك فيه ، ورويناها في « جزء المعالى » وفي « أمالي الجرفي » من طريقه بغير شك ، ورواه عن النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - مع أبي هريرة سلمان الفارسي ، وابن عباس وابن عمر وعلي وكلها عند أبي نعيم أيضًا بأسانيد ضعيفة ، وحديث علي في « طبقات الصوفية » لأبي عبد الرحمن السلمي ، وحديث ابن عباس وابن عمر معًا في الجزء الثالث عشر من « أمالي القاسم بن بشران » وفي « فوائد أبي عمر بن حيويه » انتقاء الدارقطني ، هذا جميع ما وقفت عليه من طرقه ، وقد أطلق ابن عطية في تفسيره أنه تواتر عن أبي هريرة فقال : « في سرد الأسماء نظر ، فإن بعضها ليس في القرآن ، ولا في الحديث الصحيح ، ولم يتواتر الحديث من أصله وإن خرج في « الصحيح » ، ولكنه تواتر عن أبي هريرة » كذا قال، ولم يتواتر عن أبي هريرة أيضًا ، بل غاية أمره أن يكون مشهورًا ، ولم يقع في شيء من طرقه سرد الأسماء إلا في رواية الوليد بن مسلم عند الترمذي ، وفي رواية زهير بن محمد عن موسى بن عقبة عند ابن ماجة ، وهذان الطريقان يرجعان إلى رواية الأعرج ، وفيهما اختلاف شديد في سرد الأسماء والزيادة والنقص على ما سأشير إليه ، ووقع سرد الأسماء أيضًا في طريق ثالثة أخرجها الحاكم في « المستدرك » -(١٧/١)- وجعفر الفريابي في « الذكر » من طريق عبد العزيز بن الحصين عن أيوب - مقرونًا به هشام بن حسان - عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة - قال في « تلخيص الحبير » (١٩٠/٤) : « المحفوظ عن أيوب وهشام بدون ذكر الأسامي ، قال الحاكم : وعبد العزيز ثقة ، قلت : - الحافظ ابن حجر - : بل متفق على تضعيفه وهاه البخاري ومسلم وابن معين وقال البيهقي : ضعيف عند أهل النقل ، قال البيهقي : ويحتمل أن يكون التفسير وقع من بعض الرواة . ولهذا الاحتمال ترك الشيخان إخراج حديث الوليد في الصحيح .....» واختلف العلماء في سرد الأسماء هل هو مرفوع أو مدرج في الخبر من بعض الرواة ، فمشى كثير منهم على الأول ، واستدلوا به على جواز تسمية اللَّه تعالى بما لم يرد في القرآن بصيغة الاسم ، لأن كثيرًا من هذه الأسماء كذلك ، وذهب آخرون إلى أن التعيين مدرج لخلو أكثر الروايات عنه - ونقله عبد العزيز النخشبي عن كثير من العلماء - ثم ذكر كلام الحاكم المذكور آنفًا وقال : يشير - أي الحاكم

كما رواه الوليد بن مسلم وعبد الملك بن محمد الصنعاني[١] ، عن زهير بن محمد : أنه بلغه عن غير واحد من أهل العلم أنهم قالوا ذلك ، أي : أنهم جمعوها من القرآن ، كما ورد عن جعفر ابن محمد وسفيان بن عيينة وأبي[٢] زيد اللغوي[٣] ، والله أعلم .

ثم ليعلم أن الأسماء الحسنىٰ ليست منحصرة في التسعة والتسعين ، بدليل ما رواه الإمام أحمد في مسنده(٢٦٧) ، عن يزيد بن هارون ، عن فضيل بن مرزوق ، عن أبي سلمة[٤] الجهني ، عن

- إلى أن بشرًا وعليًّا وأبا اليمان رووه عن شعيب بدون سياق الأسماء فرواية أبي اليمان عند المصنف - يعني « البخاري » - تقدمت برقم (٢٦٤) - ورواية علي عند النسائي - « الكبرى » (٧٦٥٩/٤) - ورواية بشر عند البيهقي - « السنن الكبرى » (٢٧/١٠) - وليست العلة عند الشيخين تفرد الوليد فقط بل الاختلاف فيه والاضطراب وتدليسه واحتمال الإدراج ... - ثم نقل كلام الحافظ الترمذي السابق وقال : « ولم ينفرد به صفوان فقد أخرجه البيهقي - « الأسماء والصفات » ١/رقم ٦) - من طريق موسى بن أيوب النصيبي - وهو ثقة - عن الوليد أيضًا ، وقد اختلف في سنده على الوليد .... ورواية الوليد تشعر بأن التعيين مدرج - ثم ذكر الخلاف بين الروايات في سرد الأسماء - ثم نقل قول الحاكم : « إنما أخرجت رواية عبد العزيز بن الحصين شاهدًا لرواية الوليد عن شعبة لأن الأسماء التى زادها على الوليد كلها في القرآن » ، وتعقبه ابن حجر بقوله كذا قال : وليس كذلك ، وإنما تؤخذ من القرآن بضرب من التكلف لا أن جميعها ورد فيه بصورة الأسماء ... ثم نقل تضعيف إسناد الأحاديث الواردة في سرد الأسماء ، وقال : وقد استضعف الحديث أيضًا جماعة فقال الداودي لم يثبت أن النبي - صلى الله عليه وسلم - عين الأسماء المذكورة ، وقال ابن العربي : يحتمل أن تكون الأسماء تكملة الحديث المرفوع ، ويحتمل أن تكون من جمع بعض الرواة وهو الأظهر عندي - وذكر الحافظ عن الفخر الرازي أنه نقل عن أبي زيد البلخي تضعيف هذا الحديث - ثم قال الحافظ : وإذا تقرر رجحان أن سرد الأسماء ليس مرفوعًا فقد اعتنى جماعة بتتبعها من القرآن من غير تقييد بعدد ....» ا.هـ .

(٢٦٧) - « المسند » (٣٩١/١ ، ٤٥٢) (٣٧١٢ ، ٤٣١٨) وأخرجه ابن أبي شيبة في =

[١] - رواية عبد الملك بن محمد الصنعاني عن زهير بن محمد أخرجها ابن ماجه (٣٨٦١) وابن أبي عاصم والحاكم - كما في « فتح الباري » لابن حجر (٢١٥/١١) .

[٢] - في ت : « أبو » .

[٣] - قال الحافظ في « الفتح » (٢١٥/١١) : « أخرج أبو نعيم عن الطبراني عن أحمد بن عمرو الخلال عن ابن أبي عمرو « حدثنا محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين سألت أبا جعفر بن محمد الصادق عن الأسماء الحسنى فقال : هي في القرآن وروينا في « فوائد تمام » (٤/رقم ١٥٦٧- الروض البسام) - من طريق أبي الطاهر بن السرح عن حبان بن نافع عن سفيان بن عيينة الحديث ، يعني حديث « إن لله تسعة وتسعين اسمًا » قال : فوعدنا سفيان أن يخرجها لنا من القرآن فأبطأ فأتينا أبا زيد فأخرجها لنا فعرضناها على سفيان فنظر فيها أربع مرات وقال : « نعم هي هذه » .

[٤] - في خ ، ز : « مسلم » .

القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن عبد اللَّه بن مسعود - رضي اللَّه عنه - عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه قال : « **ما أصاب أحدًا قطُّ همٌّ ولا حَزَنٌ فقال : اللهم ! إني عبدك ، ابن عبدك ، ابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماضٍ فيَّ حكمك ، عَدْلٌ في قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سَمَّيْتَ به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحدًا من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم**[١] **ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهاب همي ، إلا أذهب اللَّه همه وحزنه وأبدله**[٢] **مكانه فرحًا** » . فقيل : يا رسول اللَّه ، أفلا نتعلمها ؟ فقال : « **بلىٰ ، ينبغي [لكل من]**[٣] **سمعها أن يتعلمها** » .

وقد أخرجه الإمام أبو حاتم بن حبان البستي في صحيحه بمثله .

وذكر الفقيه الإمام أبو بكر بن العربي أحد أئمة المالكية في كتابه « عارضة الأحوذي في شرح الترمذي » أن بعضهم جمع من[٤] الكتاب والسنة من أسماء اللَّه ألف اسم ، فالله أعلم .

وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالىٰ : ﴿ **وذروا الذين يلحدون في أسمائه** ﴾ قال :

= « المصنف » (٤٧/٧) والحارث بن أبي أسامة (١٠٦٣/ زوائد الهيثمي) والشاشي في مسنده (١/رقم ٢٨٢) وأبو يعلي في مسنده (٥٢٩٧/٩) - وعنه ابن حبان في صحيحه (٩٧٢/٣) - من طريق يزيد بن هارون ، والطبراني في « الكبير » (١٠٣٥٢/١٠) وفي « كتاب الدعاء » (١٠٣٥/٢) من طريق عاصم بن علي ، والحاكم في « المستدرك » (٥٠٩/١) وعنه البيهقي في « الأسماء والصفات » (١/رقم ٧) من طريق سعيد بن سليمان الواسطي ، ثلاثتهم (يزيد وعاصم وسعيد) ثنا فضيل بن مرزوق ، به وقال الحاكم : « حديث صحيح على شرط مسلم إن سلم من إرسال عبد الرحمن بن عبد اللَّه عن أبيه فإنه مختلف في سماعه عن أبيه » قلت : أثبت سماعه من أبيه سفيان الثوري وابن المديني وابن معين في رواية والبخاري وأبو حاتم ، وروى البخاري في « التاريخ الصغير » بإسناد لا بأس به - كما قال ابن حجر في « التهذيب » - عن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد اللَّه ابن مسعود عن أبيه قال : لما حضر عبد اللَّه الوفاة قال له ابنه عبد الرحمن : يا أبت أوصني ، قال : « ابك على خطيئتك » لكن أعل الذهبي الحديث بعلة أخرى فقال : « أبو سلمة لا يدرى من هو ولا رواية له في الكتب الستة » كذا قال : واستقرب الشيخ شاكر في « تحقيق المسند » - وجزم به الألباني في « الصحيحة » (١/رقم ١٩٩) بأنه موسى بن عبد اللَّه أو ابن عبد الرحمن الجهني ، ويكنى أبا سلمة وهو ثقة من رجال مسلم ، ثم إن أبا سلمة هذا متابع ، تابعه عبد الرحمن بن إسحاق عند البزار (١٩٩٤/٥/ البحر الزخار) وابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٣٤٢) والبيهقي (١/ ٨) لكن عبد الرحمن هذا - وهو أبو شيبة الواسطي - متفق على تضعيفه ، وله شاهد من حديث أبي موسى الأشعري ، انظره في « الصحيحة » وانظر « العلل » للدارقطني (٥/س ٨١٩) .

---

[١] - سقط من : ز . [٢] - في خ : « أبدل » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « لمن » . [٤] - في ز : « في » .

[إلحاد الملحدين : أن دعوا اللات في أسمائه][١] .

[وقال ابن جريج ، عن مجاهد : ﴿ **وذروا الذين يلحدون في أسمائه**][٢] ﴾ قال : اشتقوا « **اللات** » من الله ، [واشتقوا][٣] « [ ][٤]**العزىٰ** » من العزيز .

وقال قتادة : ﴿ **يلحدون** ﴾ : يشركون . وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : الإلحاد : التكذيب .

وأصل الإلحاد في كلام العرب : العدول[٥] عن القصد ؛ والميل والجور والانحراف ، ومنه اللحد في القبر ، لانحرافه إلىٰ جهة القبلة عن سمت الحفر .

وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **وممن خلقنا** ﴾ أي : ومن الأمم ﴿ **أمة** ﴾ قائمة بالحق ، قولًا وعملًا ﴿ **يهدون بالحق** ﴾ يقولونه ويدعون إليه ، ﴿ **وبه يعدلون** ﴾ يعملون ويقضون .

وقد جاء في الآثار أن المراد بهذه الأمة المذكورة في الآية هي هذه الأمة المحمدية .

قال سعيد(٢٦٨) ، عن قتادة في تفسير هذه الآية : بلغنا أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم كان يقول إذا قرأ هذه الآية : « **هذه لكم ، وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها ﴿ ومن قوم موسىٰ أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ﴾** » .

وقال أبو جعفر الرازي(٢٦٩) ، عن الربيع بن أنس في قوله تعالىٰ : ﴿ **وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون** ﴾ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن من أمتي قومًا علىٰ الحق ، حتىٰ ينزل عيسىٰ ابن مريم متىٰ ما نزل** » .

---

(٢٦٨) – أخرجه ابن جرير (١٥٤٦٠/١٣) ثنا بشر ، ثنا يزيد ، ثنا سعيد به ، ورجاله ثقات غير أنه مرسل ، وذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٢٧٢/٣) وعزاه إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر .

(٢٦٩) – أخرجه ابن أبي حاتم (٨٥٨٩/٥) ثنا علي بن الحسين ، ثنا محمد بن أبي حماد ، ثنا مهران عن أبي جعفر به ، وأبو جعفر الرازي « صدوق سيئ الحفظ » والحديث معضل الإسناد ، وذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٢٧٢/٣) ولم يعزه لغير ابن أبي حاتم .

---

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٢] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٣] – ما بين المعكوفتين سقط من خ .
[٤] – ما بين المعكوفتين في خ : و . [٥] – في ز : « العدل » .

وفي الصحيحين(٢٧٠)، عن معاوية بن أبي سفيان قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ، حتىٰ تقوم الساعة** » . وفي رواية : « **حتىٰ يأتي أمر الله وهم علىٰ ذلك** » . وفي رواية : « **وهم بالشام** » .

﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٢) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (١٨٣) ﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون** ﴾ ومعناه : أنه يفتح لهم أبواب الرزق ووجوه المعاش في الدنيا ، حتىٰ يغتروا بما هم فيه ويعتقدوا أنهم علىٰ شيء ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتىٰ إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين** ﴾ ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وأملي لهم** ﴾ أي : وسأملي لهم ، أي : أطول لهم ما هم فيه ﴿ **إن كيدي متين** ﴾ أي : قوي شديد .

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (١٨٤) ﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **أولم يتفكروا** ﴾ هؤلاء المكذبون بآياتنا ﴿ **ما بصاحبهم** ﴾ يعني : محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم ﴿ **من جنة** ﴾ أي : ليس به جنون ، بل هو رسول الله حقًا ، ودعا إلىٰ حق ﴿ **إن هو إلا نذير مبين** ﴾ أي : ظاهر لمن كان له لب وقلب يعقل به ويعي به ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **وما صاحبكم بمجنون** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنىٰ وفرادىٰ ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد** ﴾ ، يقول : إنما أطلب منكم أن تقوموا لله قيامًا خالصًا [ ][١] ، ليس فيه تعصب ولا عناد ، ﴿ **مثنىٰ وفرادىٰ** ﴾ أي : مجتمعين ومتفرقين ، ﴿ **ثم تتفكروا** ﴾ في هذا الذي جاءكم بالرسالة من الله : أبه[٢] جنون أم لا ؟ فإنكم إذا فعلتم ذلك بان لكم وظهر أنه رسول الله حقًا وصدقًا .

---

(٢٧٠) - أخرجه البخاري ، كتاب : المناقب ، باب : (رقم ٢٨) (ح ٣٦٤١) ، ومسلم ، كتاب : الإمارة، باب : قوله - صلى الله عليه وسلم - : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين ...» (١٧٤ ، ١٧٥) (١٠٣٧) مغايرًا في بعض الأحرف لسياق المصنف وقوله « وهم بالشام » عند البخاري فقط ، من كلام معاذ بن جبل ، وانظر « الصحيحة » للألباني (١/٢٧٠) (٤/١٩٥٥ ، ١٠٦٢) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « لله » . [٢] - في ز : « أنه » .

وقال قتادة بن دعامة(٢٧١) : ذكر لنا أن نبي اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، كان علىٰ الصفا ، فدعا قريشًا فجعل يُفخِّذهم فخذًا فخذًا[١] : يا بني فلان يا بني فلان، فحذرهم بأس اللَّه ووقائع اللَّه ، فقال قائلهم : إن صاحبكم هذا لمجنون ، بات يصوت إلىٰ الصباح أو حتىٰ أصبح ، فأنزل اللَّه تعالىٰ : ﴿ **أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين** ﴾ .

أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (١٨٥)

يقول تعالىٰ ﴿ **أو لم ينظروا** ﴾ هؤلاء المكذبون[٢] بآياتنا ، في ملك اللَّه وسلطانه في السموات والأرض ، وفيما خلق من شيء فيهما ، فيتدبروا ذلك ويعتبروا به ، ويعلموا أن ذلك لمن لا نظير له ولا شبيه ، ومن فِعْل من لا ينبغي أن تكون العبادة والدين الخالص إلا له ، فيؤمنوا به ، ويصدقوا رسوله ، وينيبوا إلىٰ طاعته ، ويخلعوا الأنداد والأوثان ، ويحذروا أن تكون آجالهم قد اقتربت ، فيهلكوا علىٰ كفرهم ، ويصيروا إلىٰ عذاب اللَّه وأليم عقابه .

وقوله : ﴿ **فبأي حديث بعده يؤمنون** ﴾ يقول : فبأي تخويف وتحذير وترهيب - بعد تحذير محمد ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وترهيبه ، الذي أتاهم به من عند اللَّه في آي كتابه - يصدقون ؟ إن لم يصدقوا بهذا الحديث الذي جاءهم به محمد من عند اللَّه عز وجل .

وقد روىٰ الإمام أحمد(٢٧٢) ، عن حسن بن موسىٰ وعفان[٣] بن مسلم وعبد الصمد بن

---

(٢٧١) - أخرجه ابن جرير (١٥٤٦١/١٣) وابن أبي حاتم (٨٥٩٢/٥) من طريقين عن يزيد بن زريع ثنا سعيد عن قتادة به ، هكذا مرسلًا ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٢٧٣/٣) إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٢٧٢) - « المسند » (٣٥٣/٣ ، ٣٦٣) - ومن طريقه المزي في «تهذيب الكمال» (٣٣/ت ٧٤٤٤) وأخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٤٤٦/٨) - وعنه مختصرًا ابن ماجه ، كتاب : التجارات ، باب : التغليظ في الربا (٢٢٧٣) - ثنا الحسن بن موسى به ، وأخرجه ابن أبي حاتم - سوف يذكره المصنف في [سورة الإسراء / آية ١ /ح ٨١] - ثنا أبي ثنا حجاج بن منهال ، ثنا حماد بن سلمة به ، قال البوصيري في « مصباح الزجاجة » (١٩٧/٢) : « إسناده ضعيف ، لضعف علي بن زيد » وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٢٠/٤) وقال : رواه الإمام أحمد ... ورواه =

---

[١] - أي : يناديهم فخذًا فخذًا . وهم أقرب العشيرة إليه ، وأول العشيرة : « الشعب » ثم « القبيلة » ، ثم « الفصيلة » ، ثم « العمارة » ، ثم « البطن » ، ثم « الفخذ » كذا قال الجوهري ، النهاية (٤١٨/٣) .

[٢] - في ز : « المكذبين » . [٣] - في ز : « عثمان » .

عبد الوارث ، كلهم[١] عن حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد بن جدعان[٢] ، عن أبي الصلت ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **رأيت ليلة أسري بي ، لما[٣] انتهينا إلىٰ السماء السابعة ، فنظرت فوقي ، فإذا أنا برعد وبرق وصواعق ، قال : وأتيت علىٰ قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترىٰ من خارج بطونهم ، قلت : من هؤلاء[٤] يا جبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة الربا ، فلما نزلت إلى السماء الدنيا فنظرت إلى أسفل مني ، فإذا أنا برهج ودخان وأصوات فقلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هؤلاء[٥] الشياطين يحومون[٦] علىٰ أعين بني آدم أن لا يتفكروا في ملكوت السموات والأرض ، ولولا ذلك لرأوا العجائب** » .

علي بن زيد بن جدعان[٧] له منكرات . ثم قال تعالىٰ :

مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾

يقول تعالىٰ : من كتب عليه الضلالة فإنه لا يهديه أحد ، ولو نظر لنفسه فيما نظر ، فإنه لا يجزي عنه شيئًا ﴿ **ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئًا** ﴾ ، وكما[٨] قال تعالىٰ : ﴿ **قل انظروا ماذا في السمٰوات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون** ﴾ .

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **يسألونك عن الساعة** ﴾ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يسألك الناس عن الساعة** ﴾ .

= ابن ماجه باختصار، وفيه علي بن زيد ، وفيه كلام والغالب عليه الضعف وكذا أعله المصنف بـ « علي بن زيد » وهو مُعَلّ قبله بشيخه أبي الصلت هذا فلم يرو عنه إلا علي بن زيد ، وقد جهله الحافظان : الذهبي في « الميزان » وابن حجر في « التقريب » ، والحديث ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٣/٢٧٣) ، (٤/٢٨١) وزاد نسبته في الموضع الثاني إلى ابن مردويه .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « جذعان » .
[٣] - في ز : « فلما » .
[٤] - في خ : « هذه » .
[٥] - في ز : « هذه » .
[٦] - في خ، ز : « يحرقون » .
[٧] - في ز : « جذعان » .
[٨] - سقط من : ز .

قيل : نزلت في قريش . وقيل : في نفر من اليهود ، والأول أشبه ؛ لأن الآية مكية ، وكانوا يسألون عن وقت الساعة ، استبعادًا لوقوعها ، وتكذيبًا بوجودها ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ويقولون متىٰ هذا الوعد إن كنتم صادقين** ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ **يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد** ﴾ .

وقوله : ﴿ **أيان مرساها** ﴾ قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : منتهاها ، أي : متىٰ محطها ، وأيان آخر مدة الدنيا الذي [هو أقل وقت الساعة][١] ﴿ **قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو** ﴾ أمر تعالىٰ رسوله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، إذا سئل عن وقت الساعة ، أن يرد علمها إلىٰ الله تعالىٰ ؛ فإنه هو الذي يجليها لوقتها ، أي : يعلم جلية[٢] أمرها ، ومتىٰ يكون علىٰ التحديد ، لا يعلم ذلك إلا هو تعالىٰ ؛ ولهذا قال : ﴿ **ثقلت في السموات والأرض** ﴾ .

قال عبد الرزاق(٢٧٣) ، عن معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ **ثقلت في السموات والأرض** ﴾ قال : ثقل علمها علىٰ أهل السموات والأرض ، إنهم لا يعلمون .

قال معمر : قال الحسن : إذا جاءت ثقلت علىٰ أهل السموات والأرض ، يقول : كَبُرت عليهم .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **ثقلت في السموات والأرض** ﴾ قال : ليس شيء من الخلق إلا يصيبه من ضرر يوم القيامة .

وقال ابن جريج : ﴿ **ثقلت في السموات والأرض** ﴾ قال : إذا جاءت انشقت السماء ، وانتثرت النجوم ، وكورت الشمس ، وسيرت الجبال ، وكان ما قال الله عز وجل ، فذلك ثقلها .

واختار ابن جرير رحمه الله[٣] : أن المراد ثَقُلَ علم وقتها علىٰ أهل السموات والأرض ، كما قال قتادة .

---

(٢٧٣) - « التفسير » لعبد الرزاق (٢/٢٤٤ ، ٢٤٥) ومن طريقه ابن جرير (١٣/١٥٤٧٣ ، ١٥٤٧٤) وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/٨٦١١) وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣/٢٧٤) إلى ابن المنذر .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت . [٢] - في ز : « جليته » .
[٣] - ابن جرير في تفسيره (١٣/٢٩٦ ، ٢٩٧) .

وهو كما قالاه ؛ كقوله تعالىٰ : ﴿ **لا تأتيكم إلا بغتة** ﴾ ، ولا ينفي ذلك ثقل مجيئها علىٰ أهل السموات والأرض ، والله أعلم .

وقال السدي : ﴿ **ثقلت في السمٰوات والأرض** ﴾ ، يقول : خفيت في السموات والأرض ، فلا[١] يعلم قيامها ـ حين تقوم مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ولا نبي مرسل .

﴿ **لا تأتيكم إلا بغتة** ﴾ يبغتهم قيامها ، تأتيهم علىٰ غفلة .

وقال قتادة(٢٧٤) في قوله تعالىٰ : ﴿ **لا تأتيكم إلا بغتة** ﴾ : قضىٰ الله أنها ﴿ **لا تأتيكم إلا بغتة** ﴾ – قال : وذكر لنا أن نبي الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **إن الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه ، والرجل يسقي ماشيته ، والرجل يقيم سلعته في السوق ، ويخفض ميزانه ويرفعه** » .

وقال البخاري(٢٧٥) : حدثنا أبو اليمان ، أنبأنا شعيب ، أنبأنا[٢] أبو الزناد ، عن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **لا تقوم الساعة حتىٰ تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون ، فذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا ، ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه ، ولتقومن الساعة والرجل قد رفع أُكْلَته إلىٰ فيه فلا يطعمها** » .

وقال مسلم في صحيحه(٢٧٦) : حدثني زهير بن حرب ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة يبلغ به النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « **تقوم الساعة**

---

(٢٧٤) – أخرجه ابن جرير (١٥٤٧٩/١٣) ثنا بشر قال : حدثنا يزيد قال : حدثنا سعيد عن قتادة به ، هكذا مرسلًا ، وذكره السيوطي « الدر المنثور » (٢٧٤/٣) وعزاه إلى عبد بن حميد وابن جرير وزاد نسبته في [(٤٩٨/٤/ سورة يس / آية ٤٩)] إلى ابن أبي حاتم وانظر الحديثين اللذين بعد هذا .

(٢٧٥) – البخاري في صحيحه ، كتاب : الرقاق ، باب (رقم ٤٠) ، (ح ٦٥٠٦) وانظر ما تقدم [سورة الأنعام /آية ١٥٨] .

(٢٧٦) – صحيح مسلم ، كتاب : الفتن وأشراط الساعة ، باب : قرب الساعة (١٤٠) (٢٩٥٤) وانظر ما قبله .

---

[١] – في ز : « فلم » . [٢] – في : « ثنا » .

والرجل يحلب لقحته[١] ، فما يصل الإناء إلىٰ فيه حتىٰ تقوم الساعة ، والرجلان يتبايعان الثوب ، فما يتبايعانه حتىٰ تقوم الساعة[٢] ، والرجل يلوط حوضه ، فما يصدر حتىٰ تقوم ».

وقوله : ﴿ **يسألونك كأنك حفي عنها** ﴾ ، اختلف المفسرون في معناه ؛ فقيل : معناه كما [ ][٣] قال العوفي ، عن ابن عباس : ﴿ **يسألونك كأنك حفي عنها** ﴾ يقول : كأن بينك وبينهم مودّة ، كأنك صديق لهم . قال ابن عباس : لما سأل الناس محمدًا ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، عن الساعة ، سألوه سؤال قوم كأنهم يرون أن محمدًا حفي بهم ، فأوحىٰ اللَّه إليه : إنما علمها عنده ، استأثر بعلمها فلم يطلع اللَّه عليها ملكًا مقربًا ولا رسولًا .

وقال قتادة : قالت قريش لمحمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم : إن بيننا وبينك قرابة ، فأسر إلينا متىٰ الساعة ؟ فقال اللَّه عز وجل : ﴿ **يسألونك كأنك حفي عنها** ﴾ .

وكذا روي عن مجاهد وعكرمة وأبي مالك والسدي ، وهذا قول . والصحيح عن مجاهد - من رواية ابن أبي نجيح وغيره -: ﴿ **يسألونك كأنك حفي عنها** ﴾ قال : استحفيت[٤](٢٧٧) عنها السؤال ، حتىٰ علمت وقتها .

وكذا قال الضحاك ، عن ابن عباس : ﴿ **يسألونك كأنك حفي عنها** ﴾ يقول : كأنك عالم بها ، لست تعلمها ، ﴿ **قل إنما علمها عند اللَّه** ﴾ .

وقال معمر[٥] ، عن بعضهم : ﴿ **كأنك حفي عنها** ﴾ : كأنك عالم بها .

[وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ﴿ **كأنك حفي عنها** ﴾ كأنك عالم بها][٦] ، وقد أخفىٰ اللَّه علمها علىٰ خلقه ، وقرأ : ﴿ **إن اللَّه عنده علم الساعة** ﴾ الآية .

وهذا القول أرجح في المعنىٰ من الأول ، واللَّه أعلم .

ولهذا قال : ﴿ **قل إنما علمها عند اللَّه ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ .

ولهذا لما جاء جبريل - عليه السلام - في صورة أعرابي ، ليعلم الناس أمر دينهم ، فجلس من رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، مجلس السائل المسترشد ، وسأله ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، عن الإسلام ، ثم عن الإيمان ، ثم عن الإحسان ، ثم قال : فمتىٰ الساعة ؟ قال له رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه

---

(٢٧٧) - استحفى عن الشيء : بالغ في الاستخبار عنه .

---

[١] - في ز : « اللقحة » .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ز : « كأنك حفي وقال : » .
[٤] - في ز : « استخفيت » .
[٥] - في ز : « يعمر » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

عليه وسلم : « **ما المسئول عنها بأعلم من السائل** » . أي : لست أعلم بها منك ، ولا أحد أعلم بها من أحد ، ثم قرأ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : ﴿ **إن اللّٰه عنده علم الساعة** ﴾ الآية .

وفي رواية : « **فسأله عن أشراط الساعة ، فبين له أشراط الساعة ، ثم قال : « في خمس لا يعلمهن إلا اللّٰه** » ، وقرأ هذه الآية . وفي هذا كله يقول له بعد كل جواب : صدقت ؛ ولهذا عجب الصحابة من هذا السائل يسأله ويصدقه ، ثم لما انصرف قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم** »(٢٧٨) .

وفي رواية قال(٢٧٩) : « **وما أتاني في صورة إلا عرفته فيها ، إلا صورته هذه** » .

وقد ذكرت هذا الحديث بطرقه وألفاظه من الصحاح والحسان والمسانيد في أول شرح صحيح[١] البخاري ، ولله الحمد والمنة .

ولما سأله ذلك الأعرابي وناداه بصوت جَهْوَرِيّ ، فقال : يا محمد . قال[٢] له رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **هَاؤم**[٣] » - علىٰ نحو من صوته - قال : يا محمد ! متىٰ الساعة ؟ قال له رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ويحك ، إن الساعة آتية ، فما أعددت لها** » ؟ قال : ما[٤] أعددت لها كبير صلاة ولا صيام ، ولكني أحب اللّٰه ورسوله . فقال له رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **المرء مع من أحب** »(٢٨٠) . فما فرح المسلمون بشيء فرحهم بهذا الحديث .

---

(٢٧٨) - أخرجه البخاري ، كتاب : الإيمان ، باب : سؤال جبريل النبي - صلى اللّٰه عليه وسلم - عن الإيمان ... (رقم ٥٠) ومسلم ، كتاب : الإيمان، ب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان ... (٥) (٩) من حديث أبي هريرة .

(٢٧٩) - أخرج هذه الرواية أحمد في مسنده (٥٢/١ ، ٥٣) من حديث ابن عمر وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر (رقم ٣٧٤) وكذا أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٣٥٨١/١٢) وذكره الهيثمي في « المجمع » (٤٥/١ ، ٤٦) وقال : « رواه الطبراني في « الكبير » - وغفل عن عزوه لأحمد - ورجاله موثقون » وانظر « فتح الباري » (١٢٤/١) .

(٢٨٠) - أخرجه البخاري ، كتاب : فضائل الصحابة ، باب : مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العَدويّ - رضي اللّٰه عنه - (٣٦٨٨) ومسلم ، كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : المرء مع من أحب (١٦١ : ١٦٤) (٢٦٣٩) من طرق عن أنس بن مالك وهو مغاير في بعض =

---

[١] - زيادة من : ز. [٢] - في ز : « فقال » .

[٣] - في ت : « هاء » ، وقال أبو حاتم بن حبان « الصحيح » (٣٢٢/٢/إحسان) رحمه اللّٰه تعالى : قوله - صلى اللّٰه عليه وسلم - : « هاؤم » أراد به رفع الصوت فوق صوت الأعرابي ، لئلا يأثم الأعرابي برفع صوته على رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم » .

[٤] - سقط من : ز .

وهذا له طرق متعددة(٢٨١) في الصحيحين وغيرهما عن جماعة من الصحابة ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « **المرء مع من أحب** » . وهي متواترة عند كثير من الحفاظ المتقنين .

ففيه أنه – عليه السلام – أنه[١] كان إذا سئل عن هذا الذي لا يحتاجون إلىٰ علمه ، أرشدهم إلىٰ ما هو الأهم في حقهم ، وهو الاستعداد لوقوع ذلك ، والتهيؤ له قبل نزوله ، وإن لم يعرفوا تعيين وقته .

ولهذا قال مسلم في صحيحه(٢٨٢) : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب قالا : حدثنا أبو أسامة ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : كانت الأعراب إذا قدموا علىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، سألوه عن الساعة : متىٰ الساعة ؟ فينظر إلىٰ أحدث إنسان[٢] منهم فيقول[٣] : « **إن يعش هذا لم يدركه الهَرَم حتىٰ قامت ساعتكم** » .

يعني بذلك : موتهم الذي يفضي بهم إلىٰ الحصول في برزخ الدار الآخرة .

ثم قال مسلم(٢٨٣) : وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا يونس بن محمد ، عن حماد بن

= الأحرف لسياق المصنف ، وأقرب لفظ لسياق المصنف ، هو ما أخرجه ابن حبان في صحيحه (١/ رقم ١٠٥) من طريق المعتمر بن سليمان ثنا حميد الطويل عن أنس – فذكر الحديث ، وكذا حديث صفوان بن عسال المرادي عند الترمذي (٣٥٣٥) وقال : « حديث حسن صحيح » وكذا صححه ابن حبان (٢/٥٦٢) .

(٢٨١) – منها حديث أبي موسى الأشعري عند البخاري (٦١٧٠) ومسلم (٢٦٤١) وحديث عبد الله ابن مسعود عندهما أيضًا ؛ البخاري (٦١٦٨) ، ومسلم (١٦٥) (٢٦٤٠) ، وحديث أبي ذر عند أبي داود (٥١٢٦) والبخاري في « الأدب المفرد » (٣٥١) وأحمد (٥/١٥٦ ، ١٦٦) وصححه ابن حبان (٢/٥٥٦) وهذا الحديث في عداد المتواتر كما قال المصنف وغيره ، وقال الحافظ ابن حجر في « الفتح » (١٠/٥٦٠) : قوله « **المرء مع من أحب** » قد جمع أبو نعيم طرق هذا الحديث في جزء سماه « كتاب المحبين مع المحبوبين » وبلغ الصحابة فيه نحو العشرين » .

(٢٨٢) – صحيح مسلم ، كتاب : الفتن وأشراط الساعة ، باب : قرب الساعة (١٣٦) (٢٩٥٢) وكذا أخرجه البخاري ، كتاب : الرقاق ، باب : سكرات الموت (٦٥١١) حدثني صدقة أخبرنا عبدة عن هشام ، به .

(٢٨٣) – صحيح مسلم ، كتاب : الفتن وأشراط الساعة ، باب : قرب الساعة (١٣٧) (٢٩٥٣) وكذا أخرجه أحمد في « المسند » (٣/٢٢٨ ، ٢٦٩) من طريق يونس وحسن بن موسى =

---

[١] – زيادة من : ز .
[٢] – في خ ، ز : « أسنان » . [٣] – في ز : « فقال » .

سلمة ، عن ثابت ، عن أنس : أن رجلًا سأل رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، عن الساعة ، [وعنده غلام من الأنصار يقال له : محمد][١] ، فقال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن يعش هذا الغلام فعسىٰ أن لا يدركه الهرم حتىٰ تقوم الساعة** » . انفرد به مسلم .

وحدثني حجاج بن الشاعر(٢٨٤) ، حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد ، [حدثنا معبد بن هلال العَنَزي][٢] ، عن أنس بن مالك - رضي اللَّه عنه - : أن رجلًا سأل النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : متىٰ الساعة ؟ فسكت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم هُنَيْهة ، ثم نظر إلىٰ غلام بين يديه من أزد شنوءة فقال : « **إن عُمِّرَ هذا لم يدركه الهرم حتىٰ تقوم الساعة** » . قال أنس : ذلك الغلام من أترابي .

وقال : حدثنا هارون بن عبد اللَّه ، حدثنا عفان بن مسلم ، حدثنا همام ، حدثنا قتادة ، عن أنس قال : مر غلام للمغيرة بن شعبة - وكان [من أقراني][٣] - فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن يؤخر هذا لم يدركه الهرم حتىٰ تقوم الساعة** » [ ][٤] .

ورواه البخاري في كتاب الأدب من صحيحه ، عن عمرو بن عاصم ، عن همام بن يحيىٰ ، عن قتادة ، عن أنس : أن رجلًا من أهل البادية قال : يا رسول اللَّه ؛ متىٰ الساعة ؟ فذكر الحديث ، وفي آخره : فمر غلام للمغيرة بن شعبة ، وذكره .

وهذا الإِطلاق في هذه الروايات محمول علىٰ التقييد بـ « **ساعتكم** » في حديث عائشة - رضي اللَّه عنها - .

وقال ابن جريج : أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد اللَّه يقول : سمعت رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يقول قبل أن يموت بشهر [ ][٥] : « **تسألوني عن الساعة ، وإنما علمها عند اللَّه ، وأقسم باللَّه ما علىٰ ظهر الأرض اليوم من نفس منفوسة تأتي[٦] عليها مائة سنة** » . رواه

= وعفان عن حماد ابن سلمة ، به .

(٢٨٤) - هذا الحديث والذي بعده رواهما مسلم في صحيحه ، كتاب : الفتن وأشراط الساعة ، باب : قرب الساعة (١٣٧ : ١٣٩) (٢٩٥٣) والثاني أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : الأدب ، باب : ما جاء في قول الرجل : ويلك ! (٦١٦٧) حدثنا عمرو بن عاصم حدثنا همام به مطولًا ، وانظر ما تقدم برقم (٢٧٨) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - في خ ، ز : « سعيد بن أبي هلال المصري » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « ابن أبي » .
[٤] - في ز ، خ : قال أنس : ذلك الغلام لي .
[٥] - في ز : قال .
[٦] - في ز : « يأتي » .

مسلم(٢٨٥) .

وفي الصحيحين(٢٨٦) عن ابن عمر مثله . قال ابن عمر[١] : وإنما أراد رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم انخرام ذلك القرن .

وقال الإمام أحمد(٢٨٧) : حدثنا هشيم ، أنبأنا العوام ، عن جبلة بن سحيم ، عن مؤثر بن عفازة[٢] ، عن ابن مسعود - رضي اللّٰه عنه - عن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال : « **لقيت ليلة أسري بي إبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ، قال : فتذاكروا أمر الساعة ، قال : فردوا أمرهم إلىٰ إبراهيم - عليه السلام - فقال : لا علم لي بها ، فردوا أمرهم[٣] إلىٰ موسىٰ ، فقال : لا علم لي بها ، فردوا أمرهم إلىٰ عيسىٰ ، فقال عيسىٰ : أما وجبتها فلا يعلم بها أحد إلا اللّٰه عز**

(٢٨٥) - صحيح مسلم ، كتاب : فضائل الصحابة ، باب : قوله - صلى اللّٰه عليه وسلم - « **لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم** » (٢١٨) (٢٥٣٨) .

(٢٨٦) - البخاري ، كتاب : العلم ، باب : السمر في العلم (١١٦) ، ومسلم ، كتاب : فضائل الصحابة ، باب : قوله - صلى اللّٰه عليه وسلم - « **لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم** » (٢١٧) (٢٥٣٧) .

(٢٨٧) - « المسند » (٣٧٥/١) (٣٥٥٦) وأخرجه ابن جرير في تفسيره [(٩١/١٧)/ سورة الأنبياء / آية ٩٦] حدثني أحمد بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم بن بشير به ، وكذا رواه من طريق أصبغ بن زيد عن العوام بن حوشب به ، وأخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٦٦٠/٨) وابن ماجه ، كتاب : الفتن ، باب : فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج (٤٠٨١) ، وأبو يعلى في مسنده (٥٢٩٤/٩) والحاكم في «المستدرك» (٣٨٤/٢) (٤٨٨/٤ ، ٥٤٥ - ٥٤٦) من طريق يزيد بن هارون ثنا العوام بن حوشب به موقوفًا على عبد اللّٰه بن مسعود وقال الحاكم : « حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، فأما مؤثر فليس بمجهول ، قد روى عن عبد اللّٰه بن مسعود والبراء بن عازب ، وروى عنه جماعة من التابعين » وقال البوصيري في « مصباح الزجاجة » (٣/ ٢٦١ ، ٢٦٢) : « هذا إسناد صحيح رجاله ثقات ، مؤثر بن عفازة ذكره ابن حبان في « الثقات » - (٤٦٣/٥) - وباقي رجال الإسناد ثقات .... ورواه الحاكم وقال : حديث صحيح الإسناد » .

قلت : ومُؤثر وثقه العجلي أيضًا في ثقاته (رقم ١٦٤٩) وقال ابن حجر في « التقريب » : « مقبول » وصحح إسناده الشيخ شاكر في حاشية « المسند » ومثله حديثه يحتمل التحسين ، ووقف يزيد بن هارون له لا يضره لأن لفظه لا يقال من قبل الرأي والاجتهاد واللّٰه أعلم ، والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٢٨٠/٤) إلى سعيد بن منصور وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في « البعث والنشور » .

[١] - في ز : « عمرو » .

[٢] - في خ ، ز : « عفان » .

[٣] - سقط من : ز .

وجل ، وفيما عهد إليَّ ربي – عز وجل – أن الدجال خارج ، قال : ومعي قضيبان ، فإذا رآني ذاب كما يذوب الرصاص ، قال : فيهلكه اللّٰه – عز وجل – إذا رآني ، حتىٰ إن الحجر والشجر يقول : يا مسلم ، إن تحتي كافرًا فتعال[١] فاقتله ، قال : فيهلكهم اللّٰه عز وجل ، ثم يرجع الناس إلىٰ بلادهم وأوطانهم ، قال : فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج ، وهم من كل حدب ينسلون فيطئون بلادهم ، لا يأتون علىٰ شيء إلا أهلكوه ، ولا يمرون علىٰ ماء إلا شربوه ، قال : ثم يرجع الناس إليّ فيشكونهم ، فأدعو اللّٰه – عز وجل – عليهم ، فيهلكهم ويميتهم ، حتىٰ تَجْوَىٰ الأرض من نتن ريحهم – أي : تنتن – قال : فينزل اللّٰه – عز وجل – المطر ، فيجترف[٢] أجسادهم حتىٰ يقذفهم[٣] في البحر » .

قال الإمام أحمد : قال يزيد بن هارون : « **ثم تنسف الجبال ، وتُمَدُّ الأرض مد الأديم** – ثم رجع إلىٰ حديث هشيم قال : « **ففيما عهد إلي ربي – عز وجل – أن ذلك إذا كان كذلك ، فإن الساعة كالحامل المُتِم ، لا يدري أهلها متىٰ تَفْجَؤُهم بولادها ليلًا أو نهارًا** » .

ورواه ابن ماجة ، عن بندار ، عن يزيد بن هارون ، عن العوام بن حوشب بسنده ، نحوه .

فهؤلاء أكابر أولي العزم من المرسلين ليس عندهم علم بوقت الساعة علىٰ التعيين ، وإنما ردوا الأمر إلىٰ عيسىٰ – عليه السلام – فتكلم علىٰ أشراطها ؛ لأنه ينزل في آخر هذه الأمة منفذًا لأحكام رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، ويقتل المسيح الدجال ، ويجعل اللّٰه هلاك يأجوج ومأجوج ببركة دعائه ، فأخبر بما أعلمه اللّٰه تعالىٰ به .

وقال الإمام أحمد(٢٨٨) : حدثنا يحيىٰ بن أبي بكير ، حدثنا [عبيد اللّٰه بن إياد][٤] بن لقيط قال : سمعت أبي يذكر ، عن حذيفة قال : سُئِل رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، عن الساعة ، فقال : « **علمها عند ربي ، لا يجليها لوقتها إلا هو ، ولكن سأخبركم[٥] بمشاريطها**

(٢٨٨) – « المسند » (٣٨٩/٥) وذكره الهيثمي في « المجمع » (٣١٢/٧) وقال : « رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح » وهو كما قال غير أنهم لم يذكروا إياد بن لقيط في الرواة عن حذيفة ، وقد روى إياد عن بعض الصحابة المتأخرين موتًا مثل البراء بن عازب – توفى سنة اثنتين وسبعين – وغيره ، وحذيفة متقدم موتًا ، فقد توفي في أول خلافة عليٍّ سنة ست وثلاثين واللّٰه أعلم .
والحديث ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٢٧٤/٣) ولم يعزه لغير أحمد .

[١] – في ز : « تعال » . [٢] – في المسند : « فَتَجْرُف » .
[٣] – في ز : « يقذفها » .
[٤] – في ز ، خ : [عبد الله بن زياد] وهو تحريف .
[٥] – في ز : « أخبركم » .

وما يكون بين يديها ، إن بين يديها فتنة وهرجًا » . قالوا : يا رسول الله ، الفتنة قد عرفناها ، فالهَرج[١] ما هو ؟ قال : « **بلسان الحبشة القتل** » . قال : « **ويُلقىٰ بين الناس التناكر ، فلا يكاد[٢] أحد يعرف أحدًا** » . لم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة[٣] من هذا الوجه .

وقال وكيع(٢٨٩): حدثنا ابن أبي خالد ، عن طارق بن شهاب قال : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لا يزال يذكر من شأن الساعة حتىٰ نزلت ﴿ **يسألونك عن الساعة أيان مرساها** ﴾ الآية .

ورواه النسائي ، من حديث عيسىٰ بن يونس ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، به . وهذا إسناد جيد قوي .

فهذا النبي الأمي سيد الرسل وخاتمهم - صلوات الله عليه وسلامه - نبي الرحمة ، ونبي التوبة ، ونبي الملحمة ، والعاقب ، والمُقَفِّي ، والحاشر الذي تحشر الناس علىٰ قدميه ، مع قوله فيما ثبت عنه في الصحيح(٢٩٠) من حديث أنس وسهل بن سعد رضي الله عنهما : « **بعثت أنا**

---

(٢٨٩) - أخرجه ابن جرير في تفسيره [(٤٩/٣٠) سورة النازعات / آية ٤٣] ثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع به ، ورواه النسائي في « التفسير » من الكبرى (١١٦٤٥/٦) من طريق عيسى بن يونس عن إسماعيل بن أبي خالد به ، وقال المصنف على هذا الإسناد « جيد قوي » ، ورواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٨٢١٠/٨) ثنا إسحاق بن داود الصواف التستري ، وابن عدي في « الكامل » (١٨٤٨/٥) ثنا علي بن أحمد بن علي بن عمران ، كلاهما (إسحاق وعلي) ثنا محمد بن موسى الحَرَشي - صحف في الموضعين إلى الجرشي - ثنا مروان بن معاوية عن « علي بن أبي الوليد » - تصحف عند الطبراني إلى « علي بن الوليد » - عن إسماعيل بن أبي خالد به ، وذكره الهيثمي في « المجمع (١٣٦/٧) وقال : « رواه الطبراني ، وفيه من لم أعرفه » قلت : وهو يعني بذلك شيخ الطبراني ، فإني لم أجد له ترجمة ،. وباقي رجال إسناد الطبراني كلهم من رجال « التهذيب » ، وللطبراني شيخ يسمى « الحسين بن إسحاق بن إبراهيم التُّسْتَري » ترجم له الذهبي في « السير » (٥٧/١٤) وقال : « أكثر عنه أبو القاسم الطبراني » فالله أعلم ، وقد زاد نسبة الحديث السيوطي في « الدر المنثور » (٥١٥/٦) إلى عبد بن حميد وابن مردويه ولم يعزه لابن عدي !! وللحديث شاهد من حديث عائشة عند البزار (رقم ٢٢٧٩/ كشف الأستار) وابن جرير (٤٩/٣٠) وصححه الحاكم (٥١٣/٢) على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ، لكن صحح أبو زرعة إرساله - كما في « العلل » لابن أبي حاتم (١٦٩٣/٢) .

(٢٩٠) - أخرجهما البخاري في صحيحه (٦٥٠٤ ، ٤٩٣٦) ومسلم (١٣٣ : ١٣٥) (٢٩٥١) ، (١٣٢) (٢٩٥٠) على الترتيب .

---

[١] - في ز : « الهَرَج » .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - سقط من : خ ، ز .

والساعة كهاتين » ، وقرن بين أصبعيه السبابة والتي تليها ، ومع هذا كله قد أمره اللَّه تعالى أن يرد علم وقت الساعة إليه إذا سئل عنها فقال : ﴿ **قل إنما علمها عند اللَّه ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾.

قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٨٨﴾

أمره اللَّه تعالىٰ أن يفوّض الأمور إليه ، وأن يخبر عن نفسه أنه لا يعلم الغيب ، ولا اطلاع له علىٰ شيء من ذلك إلا بما أطلعه اللَّه عليه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **عالم الغيب فلا يظهر علىٰ غيبه أحدًا [إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدًا]**[١] ﴾ .

وقوله : ﴿ **ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير** ﴾ ، قال عبد الرزاق(٢٩١) ، عن الثوري ، عن منصور ، عن مجاهد ﴿ **ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير** ﴾ قال : لو كنت أعلم متىٰ أموت لعملت عملًا صالحًا .

وكذا[٢] روىٰ ابن أبي نجيح عن مجاهد ، وقال مثله ابن جريج .

وفيه نظر ؛ لأن عمل رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم كان ديمة ، وفي رواية : كان إذا عمل عملًا أثبته(٢٩٢) ، فجميع عمله كان علىٰ منوال واحد ، كأنه ينظر إلىٰ اللَّه - عز وجل - في جميع أحواله ، اللهم إلا أن يكون المراد أن يرشد غيره إلىٰ الاستعداد لذلك ، واللَّه أعلم .

والأحسن في هذا ما رواه الضحاك ، عن ابن عباس ﴿ **ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير** ﴾ أي : من المال ، وفي رواية : لعلمت إذا اشتريت شيئًا ما أربح فيه ، فلا أبيع شيئًا إلا ربحت فيه ، [وما مسني السوء ، قال][٣] : ولا يصيبني الفقر .

---

(٢٩١) - غير موجود في تفسيره المطبوع ومن طريقه أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/٨٦٢٥) .

(٢٩٢) - أخرج الرواية الأولى البخاري ، كتاب : الصوم ، باب : هل يَخُصُّ شيئًا من الأيام (١٩٨٧) ومسلم ، كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ، باب : فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره ... (٢١٧) (٧٨٣) من حديث عائشة ، والرواية الثانية أخرجها أبو داود (١٣٦٨) وأحمد (٦/٤٠) بإسناد صحيح ، وهي عند مسلم (٢١٥) (٧٨٢) بلفظ آخر .

---

[١] - من : ز ، وفي ت : « الآية » . [٢] - في ز : « كذلك » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

وقال ابن جرير[١] : وقال آخرون : معنىٰ ذلك : لو كنت أعلم الغيب لأعددت للسنة المجدبة[٢] من المخصبة ، ولعرفتُ[٣] الغلاء من الرخص ، فاستعددت له من الرخص .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ﴿ **وما مسني السوء** ﴾ قال : لاجتنبت ما يكون من الشر قبل أن يكون واتقيته[٤] .

ثم أخبر أنه إنما هو ﴿ **نذير وبشير** ﴾ أي : نذيرا من العذاب ، وبشيرا للمؤمنين بالجنات كما قال تعالىٰ : ﴿ **فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قومًا لدًا** ﴾.

۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾

ينبه تعالىٰ علىٰ أنه خلق جميع الناس من آدم - عليه السلام - وأنه خلق منه زوجه حواء ، ثم انتشر الناس[٥] منهما ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثىٰ وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها** ﴾ الآية .

وقال في هذه الآية الكريمة : ﴿ **وجعل منها زوجها ليسكن إليها** ﴾ أي : ليألفها ويسكن بها ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودّة ورحمة** ﴾ ، فلا ألفة بين روحين[٦] أعظم مما بين الزوجين ؛ ولهذا ذكر تعالىٰ أن الساحر ربما توصل بكيده إلىٰ التفرقة بين المرء وزوجه .

﴿ **فلما تغشاها** ﴾ أي : وطئها ﴿ **حملت حملًا خفيفًا** ﴾ وذلك أول الحمل لا تجد المرأة له ألمًا ، إنما هي النطفة ثم العَلَقة ، ثم المضغة .

وقوله : ﴿ **فمرت به** ﴾ قال مجاهد : استمرت بحمله . وروي عن الحسن وإبراهيم النخعي والسدي نحوه .

وقال ميمون بن مهران ، عن أبيه : استخفته .

---

[١] - ابن جرير في تفسيره (١٣/٣٠٢) .
[٢] - في ز : « المجذبة » .
[٣] - في ز : « لوقت » .
[٤] - في خ : « وأتقيه » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « زوجين » .

وقال أيوب : سألت الحسن عن قوله : ﴿ **فمرت به** ﴾ قال : لو كنت رجلًا عربيًّا لعرفت ما هي ؟ ، إنما هي فاستمرت به .

وقال قتادة : ﴿ **فمرت به** ﴾ و[١]استبان حملها .

وقال ابن جرير[٢] : استمرت بالماء : قامت به وقعدت .

وقال العوفي عن ابن عباس : استمرت به ، فشكّت ؛ أحملت أم لا ؟

﴿ **فلما أثقلت** ﴾ أي : صارت ذات ثقل بحملها .

وقال السدي : كبر الولد في بطنها .

﴿ **دعوا اللَّه ربهما لئن آتيتنا صالحاً** ﴾ أي[٣] : بَشَرًا سويًّا ، كما قال الضحاك ، عن ابن عباس : أشفقا أن يكون بهيمة .

وكذلك قال أبو البختري وأبو مالك : أشفقا أن لا يكون إنسانًا .

وقال الحسن البصري : لئن آتيتنا غلامًا .

﴿ **لنكونن من الشاكرين * فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالىٰ اللَّه عما يشركون** ﴾ ذكر المفسرون هاهنا آثارًا وأحاديث[٤] سأوردها وأبين ما فيها ، ثم نتبع ذلك ببيان الصحيح في ذلك إن شاء اللَّه ، وبه الثقة .

قال الإمام أحمد في مسنده(٢٩٣) : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا عمر بن إبراهيم ، حدثنا قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **لما ولدت حواء طاف بها إبليس - وكان لا يعيش لها ولد - فقال : سميه عبد الحارث ؛ فإنه يعيش ، فسمته عبد الحارث فعاش ، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره** » .

(٢٩٣) - « المسند » (١١/٥) وأخرجه الترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الأعراف (٣٠٧٧) ، والبزار في مسنده (الكتانية/٢٥٤) ، والروياني في مسنده (٨١٦/٢) وابن جرير في « التاريخ » (١٤٨/١) وفي تفسيره (١٥٥١٣/١٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٦٣٧/٥ ، ٨٦٤١) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٦٨٩٥/٧) ، وابن عدي في « الكامل » (٥/ ١٧٠٠) ، والحاكم في « المستدرك » (٥٤٥/٢) ، وأبو القاسم عبد الملك بن محمد بن بشران =

[١] - سقط من : ز .
[٢] - ابن جرير في تفسيره (٣٠٤/١٣) .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « حديثًا » .

وهكذا رواه ابن جرير ، عن محمد بن بشار ، [ ][١] بندار ، عن عبد الصمد بن عبد الوارث به .

ورواه الترمذي في تفسير هذه الآية عن محمد بن المثنى ، عن عبد الصمد به . وقال : هذا حديث حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم [عن قتادة][٢] ، ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه .

ورواه الحاكم في مستدركه ، من حديث عبد الصمد مرفوعًا ، ثم قال : هذا حديث صحيح الإِسناد ، ولم يخرجاه .

ورواه الإِمام أبو محمد بن أبي حاتم في تفسيره ، عن أبي زرعة الرازي ، عن هلال بن فياض ، عن عمر بن إبراهيم به مرفوعًا .

وكذا رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره ، من حديث شاذ بن فياض ، عن عمر بن إبراهيم به مرفوعًا .

قلت : و« **شاذ** » هو : هلال ، وشاذ لقبه ، والغرض أن هذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه :

(أحدها) أن عمر بن إبراهيم هذا هو البصري[٣] ، وقد وثقه ابن معين ، ولكن قال أبو حاتم

= في « أماليه » (٢/١٥٨) - كما في « الضعيفة » للألباني (١/رقم ٣٤٢) - وابن مردويه - كما قال المصنف هنا ، وعزاه له السيوطي أيضًا في « الدر المنثور » (٣/٢٧٧) - كلهم من طريق عمر بن إبراهيم عن قتادة ، به وقال الترمذي عقبه : « حديث حسن غريب لا نعرفه مرفوعًا إلا من حديث عُمر بن إبراهيم عن قتادة . ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه ، وعمر بن إبراهيم شيخ بصري » قال البزار : « ولا نعلم هذا الحديث رواه أحد إلا سمرة ، ولا نعلم رواه عن قتادة غير عمر ابن إبراهيم » وقال ابن عدي : « وهذا لا أعلم يرويه عن قتادة غير عمر بن إبراهيم ... وحديثه عن قتادة خاصة مضطرب » وقال ابن حبان في « المجروحين » (٢/٨٩) : « كان ممن ينفرد عن قتادة بما لا يشبه حديثه فلا يعجبني الاحتجاج به إذا انفرد ، فأما فيما وافق الثقات فإن اعتبر به معتبر لم أر بذلك بأسًا » . ومع هذا فقد حسنه الترمذي وصحح إسناده الحاكم ، ووافقه الذهبي في « تلخيصه » مع أنه قال في « الميزان » (٤/ت ٦٠٤٢) عقب هذا الحديث ، « هو حديث منكرٌ كما ترى » !! وللحديث علل أخرى انظر كلام المصنف أعلاه .

(٢٩٤) - ابن جرير في تفسيره (١٣/١٥٥١٤ ، ١٥٥١٥) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في : خ، ز « عن ».
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ز : « المصري » .

الرازي : لا يحتج به . ولكن رواه ابن مردويه[١] من حديث المعتمر ، عن أبيه ، عن الحسن ، عن سمرة مرفوعًا . فالله أعلم .

(الثاني) أنه قد روي من قول سمرة نفسه ، ليس مرفوعًا ، كما قال ابن جرير(٢٩٤) : حدثنا ابن عبد الأعلىٰ ، حدثنا المعتمر ، عن أبيه ، و[٢]حدثنا [ابن علية][٣] ، عن سليمان التيمي ، عن أبي العلاء بن الشخير ، عن سمرة بن جندب قال : سمىٰ آدم ابنه عبد[٤] الحارث .

(الثالث) أن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا ، فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعًا ، لما عدل عنه .

قال ابن جرير(٢٩٥) : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا سهل بن يوسف ، عن عمرو ، عن الحسن : ﴿ **جعلا له شركاء فيما آتاهما** ﴾ قال : كان هذا في بعض أهل الملل ، ولم يكن بآدم .

وحدثنا محمد بن عبد الأعلىٰ ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال الحسن : عني بها ذرية آدم ، ومن أشرك منهم بعده ، يعني : ﴿ **جعلا له شركاء فيما آتاهما** ﴾

وحدثنا بشر ، حدثنا يزيد ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كان الحسن يقول : هم اليهود والنصارىٰ ، رزقهم الله أولادًا فهوّدوا ونصروا .

وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن رضي الله عنه ، أنه فسر الآية بذلك ، وهو من أحسن التفاسير ، وأولىٰ ما حملت عليه الآية ، ولو كان هذا الحديث عنده محفوظًا عن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، لما عدل عنه[٥] هو ولا غيره ، لا سيما مع تقواه لله وورعه . فهذا يدلك علىٰ أنه موقوف علىٰ الصحابي ، ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب من آمن منهم ؛ مثل كعب أو وهب بن منبه وغيرهما ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله ، إلا أننا[٦] برئنا من عهدة المرفوع ، والله أعلم .

---

(٢٩٥) - ابن جرير في تفسيره (١٣/١٥٥٢٦ ، ١٥٥٢٧ ، ١٥٥٢٨) .

---

[١] - فيه عنعنة الحسن البصري ، وفي سماعه من سمرة لغير حديث العقيقة خلاف مشهور ، بالإضافة إلى أننا لا نعرف حال من دون المعتمر ، وما أظنه إلا من لا تقوم به حجة ولا اعتبار ، لا سيما والحديث محفوظ بإسنادٍ آخر عن المعتمر موقوفاً ، ويأتي قريباً .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « بكر بن عبد الله » ، والذي يقول هنا [وحدثنا ابن علية] هو محمد بن عبد الأعلى شيخ ابن جرير ، فابن علية متابع للمعتمر بن سليمان على أبيه .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - في ز : « أنما » .

فأما الآثار فقال محمد بن إسحاق بن يسار ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كانت حواء تلد لآدم - عليه السلام - أولادًا فيعبّدهم لله ، ويسميهم[١] : عبد اللَّه ، وعبيد اللَّه ، ونحو ذلك ، فيصيبهم الموت ، [فأتاها إبليس وآدمَ][٢] فقال : إنكما لو تُسميانه بغير الذي تسميانه به لعاش[٣]، قال: فولدت له رجلًا فسماه عبد الحارث ، ففيه أنزل اللَّه يقول : ﴿ **هو الذي خلقكم من نفس واحدة** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **جعلا له شركاء فيما آتاهما** ﴾ إلىٰ آخر الآية .

وقال العوفي عن ابن عباس : قوله في آدم : ﴿ **هو الذي خلقكم من نفس واحدة** ﴾ إلىٰ قوله ﴿ **فمرت به** ﴾ شكّت : حملت[٤] أم لا ؟ ﴿ **فلما أثقلت دعوا اللَّه ربهما لئن آتيتنا صالحًا لنكونن من الشاكرين** ﴾ فأتاهما الشيطان ، فقال : هل تدريان ما يولد لكما ؟ أم هل تدريان ما يكون ؟ أبهيمة يكون ة[٥] أم لا ؟ وزين لهما الباطل ، إنه غوي مبين ، وقد كانت قبل ذلك ولدت ولدين فماتا ، فقال لهما الشيطان : إنكما إن لم تسمياه بي لم يخرج سويًّا ، ومات كما مات الأولان[٦] فسميا ولدهما عبد الحارث ؛ فذلك قول اللَّه تعالىٰ : ﴿ **فلما آتاهما صالحًا جعلا له شركاء فيما آتاهما** ﴾ الآية .

وقال عبد اللَّه بن المبارك ، عن شريك ، عن خصيف ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **فلما آتاهما صالحًا جعلا له شركاء فيما آتاهما** ﴾ قال : قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها** ﴾ آدم ، ﴿ **حملت** ﴾ آتاهما إبليس لعنه اللَّه ، فقال : إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة ؛ لتطيعانّي[٧] أو لأجعلن له قرني أيل[٨] ، فيخرج من بطنك فيشقه ، ولأفعلن ولأفعلن ، يخوفهما ، فسمياه عبد الحارث ، فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتًا ، ثم حملت ، [يعني الثانية ، فأتاهما أيضًا فقال : أنا صاحبكما الذي فعلت ما فعلت ، لتفعلن أو لأفعلن - يخوفهما . فأبيا أن يطيعاه ، فخرج ميتًا ، ثم][٩] حملت الثالثة ، فأتاهما أيضًا فذكر لهما ، فأدركهما حب الولد ، فسمياه عبد الحارث ؛ فذلك قوله تعالىٰ : ﴿ **جعلا له شركاء فيما آتاهما** ﴾ . رواه ابن أبي حاتم(٢٩٦) .

---

(٢٩٦) - ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٦٥٤/٥) وشريك وخصيف ضعيفان .

---

[١] - في ز : « يسميه » .
[٢] - في ت : « فأتاها إبليس » .
[٣] - في ز : « فعاش » .
[٤] - في ز : « أحبلت » .
[٥] - زيادة من الطبري .
[٦] - في ز : « الأول » .
[٧] - في ز : « لتطيعني » .
[٨] - في خ ، ز : « أيل » والمثبت من تفسير ابن أبي حاتم (٨٦٥٤/٥) .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ ، ز .

وقد تلقىٰ هذا الأثر عن ابن عباس جماعة من أصحابه ؛ كمجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة . ومن الطبقة الثانية قتادة والسدي وغير واحد من السلف ، وجماعة من الخلف ، ومن المفسرين من المتأخرين جماعات لا يحصون كثرة ، وكأنه - واللَّه أعلم - أصله مأخوذ من أهل الكتاب ؛ فإن ابن عباس رواه عن أبي بن كعب ، كما رواه ابن أبي حاتم(٢٩٧) :

حدّثنا أبي ، حدثنا أبو الجماهر ، حدثنا سعيد ، يعني ابن بشير ، عن عقبة ، عن قتادة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب قال : لما حملت حواء أتاها الشيطان ؛ [فقال لها][١] : أتطيعيني ويسلم لك ولدك ؟ سميه عبد الحارث ، فلم تفعل ، فولدت فمات ، ثم حملت ، فقال لها مثل ذلك ، فلم تفعل ، ثم حملت الثالثة ، فجاءها ، فقال : إن تطيعيني يسلم ؛ وإلا فإنه يكون بهيمة ، فهيبهما ؛ فأطاعا .

وهذه الآثار يظهر عليها - واللَّه أعلم - أنها من آثار أهل الكتاب ، وقد صح الحديث عن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، أنه قال : « **إذا حدّثكم أهل الكتاب ؛ فلا تصدّقوهم ولا تكذبوهم** »(٢٩٨) .

ثم أخبارهم علىٰ ثلاثة أقسام : فمنها ما علمنا صحته بما دل عليه الدليل من كتاب اللَّه أو سنة رسوله ، ومنها ما علمنا كذبه بما دل علىٰ خلافه من الكتاب والسنة أيضًا ، ومنها ما هو مسكوت عنه ، فهو المأذون في روايته ، بقوله - عليه السلام - : « **حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج** »(٢٩٩) . وهو الذي لا يصدق ولا يكذب ، لقوله : « **فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم** » .

(٢٩٧) - ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/٨٦٥٣) .

(٢٩٨) - أخرجه أحمد (٤/١٣٦) وأبو داود ، كتاب : العلم ، باب : رواية حديث أهل الكتاب (٣٦٤٤) وغيرهما من حديث أبي نملة الأنصاري وصححه ابن حبان (١/رقم ١١٠/ موارد) وإسناده جيد ، وفي الباب عن أبي هريرة عند البخاري في صحيحه ، كتاب : التفسير ، سورة البقرة ، باب : ﴿ **قولوا آمنا باللَّه وما أنزل إلينا** ﴾ (٤٤٨٥) مرفوعًا إلى النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - قال : « **لا تُصدِّقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا** ﴿ **آمنا باللَّه وما أنزل** ... ﴾ الآية . وقد تقدم بإسناده عند المصنف [آية ١٣٦/ سورة البقرة] .

(٢٩٩) - أخرجه البخاري ، كتاب : الأنبياء ، باب : ما ذكر عن بني إسرائيل (٣٤٦١) ، والترمذي ، كتاب : العلم ، باب : ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل (٢٦٦٩) من حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص ، وأخرجه أحمد في « المسند » (٣/٤٦) من حديث أبي سعيد الخدري مطولًا وحديث أبي سعيد عند مسلم (٧٢) (٣٠٠٤) والنسائي في « الكبرى » (٥/ ٨٠٠٨) مختصرًا وليس فيه اللفظ المقصود هنا .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ ، ز .

وهذا الأثر هو من القسم الثاني أو الثالث ؛ فيه نظر ، فأما من حدث به من صحابي أو تابعي ؛ فإنه يراه من القسم الثالث ، وأما نحن فعلىٰ مذهب الحسن البصري رحمه الله في هذا ، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته، ولهذا قال الله: ﴿ فتعالىٰ الله عما يشركون ﴾ ثم قال : [فذكر آدم وحواء أولًا كالتوطئة لما بعدهم من الوالدين ، وهو كالاستطراد من ذكر الشخص إلىٰ الجنس ، كقوله : ﴿ ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح ﴾ الآية . ومعلوم أن المصابيح وهي النجوم التي زينت بها السماء ليست هي التي يرمىٰ بها ، وإنما هذا استطراد من شخص المصابيح إلىٰ جنسها ، ولهذا نظائر في القرآن ، والله أعلم][١] .

فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ
﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ
أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ
أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ
أَمْثَالُكُمْۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ
يَمْشُونَ بِهَآۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآۖ أَمْ لَهُمْ
ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ
ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا
يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا
يَسْمَعُوا۟ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾

هذا إنكار من الله علىٰ المشركين الذين عبدوا مع الله غيره من الأنداد والأصنام والأوثان ، وهي مخلوقة لله مربوبة مصنوعة ، لا تملك شيئًا من الأمر ولا تضر ولا تنفع ، [][٢] ولا تنتصر لعابديها ، بل هي جماد لا تتحرك ولا تسمع ولا تبصر ، و[٣]عابدوها أكمل منها بسمعهم

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين في خ : ولا تبصر . [٣] - سقط من : ز .

وبصرهم وبطشهم ؛ ولهذا قال : ﴿ **أيشركون ما لا يخلق شيئًا وهم يخلقون** ﴾ أي : أتشركون به من المعبودات ما لا يخلق شيئًا ، ولا يستطيع ذلك ؛ كقوله تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون**[١] **من دون اللَّه لن يخلقوا ذبابًا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئًا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب * ما قدروا اللَّه حق قدره إن اللَّه لقوي عزيز** ﴾ أخبر تعالىٰ [أن آلهتهم لو اجتمعوا كلهم][٢] ما استطاعوا خلق ذبابة ، بل لو سلبتهم[٣] الذبابة شيئًا من حقير المطاعم وطارت لما استطاعوا [استنقاذ ذلك][٤] منها ، فمن هذه صفته وحاله كيف يعبد ليرزق ويستنصر ؟ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **لا يخلقون شيئًا وهم يخلقون** ﴾ أي : بل هم مخلوقون مصنوعون كما قال الخليل : ﴿ **أتعبدون ما تنحتون [والله خلقكم وما تعملون]**[٥] ﴾ .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ولا يستطيعون لهم نصرًا** ﴾ أي : لعابديهم ، ﴿ **ولا أنفسهم ينصرون** ﴾ يعني : ولا لأنفسهم ينصرون ممن أرادهم بسوء ، كما كان الخليل عليه الصلاة والسلام يكسر أصنام قومه ، ويهينها غاية الإهانة ، كما أخبر تعالىٰ عنه في قوله : ﴿ **فراغ عليهم ضربًا باليمين** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **فجعلهم جذاذًا إلا كبيرًا لهم لعلهم إليه يرجعون** ﴾ وكما كان معاذ ابن عمرو بن الجموح ومعاذ بن جبل - رضي اللَّه عنهما - وكانا شابين قد أسلما ، لما قدم رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، المدينة فكانا يعدوان في الليل علىٰ أصنام المشركين ، يكسرانها ويتلفانها ويتخذانها حطبًا للأرامل ؛ ليعتبر قومهما بذلك ، ويرتئوا لأنفسهم . فكان لعمرو بن الجموح - وكان سيدًا في قومه - [كان له][٦] صنم يعبده ويطيبه ، فكانا يجيئان في الليل ، فينكسانه علىٰ رأسه ، ويلطخانه بالعذرة ، فيجيء عمرو بن الجموح فيرىٰ ما صنع به فيغسله ويطيبه ويضع عنده سيفًا ويقول له : انتصر . ثم يعودان لمثل ذلك ، ويعود إلىٰ صنيعه أيضًا ، حتىٰ أخذاه مرة ، [فقرنا معه جرو][٧] كلب ميت ، ودلياه في حبل في بئر هناك ، فلما جاء عمرو بن الجموح ورأىٰ ذلك ، نظر فعلم أن ما كان عليه من الدين باطل ، وقال :

تالله لو كنت إلها مستدن لم تَكُ والكلبُ جميعًا في قرن(٣٠٠)[٨]

---

(٣٠٠) - أخرج هذه القصة ابن إسحاق في « المغازي » - كما في سيرة ابن هشام =

---

[١] - في ز : « تعبدون » .
[٢] - في ز : « أنه لو اجتمعت آلهتهم كلها » .[٣] - في ز : « استلبتهم » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ت : « إنقاذه » . [٥] - في ت : « الآية » .
[٦] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز . [٧] - ما بين المعكوفتين في ت : « فقرناه مع » .
[٨] - هذا البيت في جميع مصادر التخريج رسمه هكذا :
واللَّه لَوْ كُنْتَ إلـهًا لم تَكُنْ أنت وكَلْبٌ وسْطَ بئرٍ في قَرَنْ

وبعده

ثم أسلم فحسن إسلامه ، وقتل يوم أحد شهيدًا رضي اللَّه عنه وأرضاه ، وجعل جنة الفردوس مأواه .

وقوله : ﴿ **وإن تدعوهم إلىٰ الهدىٰ لا يتبعوكم [سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون]**[١] ﴾ . يعني : أن هذه الأصنام لا تسمع دعاء من دعاها ، وسواء لديها من دعاها ومن دحاها . كما قال إبراهيم : ﴿ **يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئًا** ﴾ ثم ذكر تعالىٰ أنها عبيد مثل عابديها ، أي مخلوقات مثلهم ، بل الأناسي[٢] أكمل منها ؛ لأنها تسمع وتبصر وتبطش ، وتلك لا تفعل شيئًا من ذلك .

وقوله : ﴿ **قل ادعوا شركاءكم ثم كيدوني فلا تنظرون** ﴾ . أي : استنصروا بها علي ، فلا تؤخروني طرفة عين ، واجهدوا جهدكم ، ﴿ **إن وليي اللَّه الذي نزل الكتاب وهو يتولّىٰ الصالحين** ﴾ أي : اللَّه حسبي وكافيَّ[٣] ، وهو نصيري ، وعليه متكلي ، وإليه ألجأ ، وهو وليي في الدنيا والآخرة ، وهو ولي كل صالح بعدي ، وهذا كما قال هود - عليه السلام - لما[٤] قال له قومه : ﴿ **إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد اللَّه واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعًا ثم لا تنظرون * إني توكلت علىٰ اللَّه ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي علىٰ صراط مستقيم** ﴾ . وكقول الخليل : ﴿ **أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون * فإنهم عدو لي إلا ربَّ العالمين * الذي خلقني فهو يهدين** ﴾ الآيات . وكقوله لأبيه وقومه : ﴿ **إنني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني فإنه سيهدين * وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **والذين تدعون[٥] من دونه** ﴾ إلىٰ آخر الآية ، مؤكد[٦] لما تقدم ، إلا أنه بصيغة الخطاب ، وذاك[٧] بصيغة الغيبة ، ولهذا قال : ﴿ **لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون** ﴾ .

= (٢/٤٧٤،٤٧٥) و« الإصابة » لابن حجر (٧/٩٤ ، ٩٥) - ومن طريق ابن إسحاق أخرجه ابن الأثير في « أسد الغابة » (٤/٢٠٧ ، ٢٠٨) - قال ابن إسحاق : وكان عمرو بن الجموح سيدًا من سادة بني سلمة .... فذكر القصة هكذا معضلًا .

أُفٍّ لِمَلْقَاكَ إِلَهًا مُسْتَدَنْ   الآنَ فتَّشْنَاكَ عن سَوْءِ الغَبَنْ

[١] - في ت : « الآية » .
[٢] - في ت : « الإناس » .
[٣] - في ز : « كافي » .
[٤] - في ز : « كما » .
[٥] - في ز : « يدعون » .
[٦] - في ز : « مؤكدًا » .
[٧] - في ز : « ذلك » .

وقوله : ﴿ **وإن تدعوهم إلىٰ الهدىٰ لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون** ﴾ كقوله تعالىٰ : ﴿ **إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم [ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير]**[١] ﴾ .

وقوله : ﴿ **وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون** ﴾ . إنما قال : ﴿ **ينظرون إليك** ﴾ أي : يقابلونك بعيون مصورة كأنها ناظرة وهي جماد ، ولهذا عاملهم معاملة من يعقل ؛ لأنها علىٰ صور مصورة كالإنسان ، وتراهم ينظرون إليك فعبر عنها بضمير من يعقل .

وقال السدي : المراد بهذا : المشركون ، وروي عن مجاهد نحوه . والأول أولىٰ . وهو اختيار ابن جرير ، وقاله قتادة .

خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : قوله : ﴿ **خذ العفو** ﴾ يعني : خذ ما عفي[٢] لك من أموالهم ، وما أتوك به من شيء فخذه . وكان هذا قبل أن تنزل براءة بفرائض الصدقات وتفصيلها ، وما انتهت إليه الصدقات . قاله السدي .

وقال الضحاك : عن ابن عباس : ﴿ **خذ العفو** ﴾ أنفق الفضل .

وقال سعيد بن جبير : عن ابن عباس : ﴿ **خذ العفو** ﴾ قال : الفضل .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله : ﴿ **خذ العفو** ﴾ أمره اللَّه بالعفو والصفح عن المشركين عشر سنين ، ثم أمره بالغلظة[٣] عليهم واختار هذا القول ابن جرير .

وقال غير واحد . عن مجاهد في قوله تعالىٰ : ﴿ **خذ العفو** ﴾ قال : من أخلاق الناس وأعمالهم [من غير تجسس][٤] .

وقال هشام بن عروة ، عن أبيه : أمر اللَّه رسوله ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، أن يأخذ العفو من أخلاق الناس . وفي رواية قال : خذ ما عفي[٥] لك من أخلاقهم .

---

[١] - ما بين المعكوفتين من : ز ، وفي ت : « الآية » .
[٢] - في ز : « عفا » . [٣] - في ز : « بالغلظ » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « بغير تجسيس » .
[٥] - في ز : « عفا » .

وفي صحيح البخاري(٣٠١) ، عن هشام ، عن أبيه عروة ، عن أخيه عبد اللّٰه بن الزبير ، قال : إنما أنزل ﴿ **خذ العفو** ﴾ من أخلاق الناس ، وفي رواية(٣٠٢) لغيره : عن هشام ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، وفي رواية(٣٠٣) : عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة أنهما قالا مثل ذلك . واللّٰه أعلم .

---

(٣٠١) - صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، سورة الأعراف ، باب : ﴿ **خُذِ العفو وأمربالعرف وأعرض عن الجاهلين** ﴾ (٤٦٤٣) حدثني يحيى حدثنا وكيع عن هشام به ولفظه ﴿ **خذ العفو وأمر بالعرف** ﴾ « ما أنزل اللّٰهُ إلا في أخلاق الناس » ، وأخرجه أيضًا (٤٦٤٤) وقال عبد اللّٰه بن بَرّاد : حدثنا أبو أسامة قال هشام به ، ولفظه : « أمر اللّٰه نبيه - صلى اللّٰه عليه وسلم - أن يأخذ العفو من أخلاق الناس » ، وأخرجه أبو داود ، كتاب : الأدب ، باب : في التجاوز في الأمر (٤٧٨٧) - ومن طريقه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣١٠/١) - حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، ثنا محمد بن عبد الرحمن الطفاوي عن هشام بن عروة به ، بنحو اللفظ الثاني ، والنسائي في « التفسير » من « الكبرى » (١١١٩٥/٦) - وعنه أبو جعفر النحاس في « الناسخ والمنسوخ » (ص ٤٤٨) - أنا هارون بن إسحاق ، نا عَبْدةُ عن هشام به ولفظه « إنما أنزل اللّٰه تبارك وتعالى ﴿ **خذ العفو** ﴾ من أخلاق الناس » وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥٥٤١/١٣) من طريق سفيان بن وكيع ثنا عبدة بن سليمان به - كذا ، وعزاه الحافظ في « الفتح » (٣٠٥/٨) إلى ابن جرير من طريق ابن وكيع عن أبيه - ثنا عبدة بن سليمان ، به .

وأخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » ، كتاب : الزهد ، باب : كلام ابن الزبير - رضي اللّٰه عنه - (٢٠٥/٨) ثنا عبد اللّٰه بن نمير قال : أخبرنا هشام بن عروة به - وقد عزاه له الحافظ في « الفتح » من طريق وكيع عن هشام ولم أجده في مظانه من « المصنف » من هذه الطريق واللّٰه أعلم . وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٢٨٠/٣) إلى سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم - والذي فيه بإسناد آخر يأتي بعد هذا - والطبراني وأبي الشيخ ، وابن مردويه . وانظر ما بعده .

(٣٠٢) - أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٦٧٥/٥) ، والحاكم في « المستدرك » (١٢٤/١) من طريق عمرو بن محمد الناقد ، والطبراني في « الأوسط » (١٢١٦/٢) من طريق عثمان بن حفص التُّومَني كلاهما (عمرو وعثمان) عن محمد بن عبد الرحمن الطُّفاوي عن هشام بن عروة به وقال الطبراني : « لم يرو هذا الحديث عن هشام ، عن أبيه ، عن ابن عمر إلا الطُّفاوي » كذا قال وتابعه عبيد اللّٰه بن عمر عن هشام به - ذكره الحافظ في « الفتح » (٣٠٥/٨) وعزاه إلى البزار والطبراني ثم قال : « وهي شاذة ، وكذا رواية حماد بن سلمة عن هشام عن أبيه عن عائشة عند ابن مردويه » ومع هذا فقد صححه الحاكم على شرط البخاري ووافقه الذهبي ، وأجاد الهيثمي حينما قال في « المجمع » (٢٨/٧) : « ...رجاله ثقات » إذ إن هذا لا يعني تصحيحه لاسيما وقد حكم عليه الحافظ ابن حجر بالشذوذ وإن كان في كلام الهيثمي السابق بعض التجوز ، إذ إن محمد بن عبد الرحمن الطفاوي متكلم فيه ، ثم إنه قد رواه الطفاوي على الجادة كما تقدم في الحديث السابق ، وزاد السيوطي نسبة حديث ابن عمر إلى أبي الشيخ وابن مردويه ، وباللّٰه التوفيق .

(٣٠٣) - عزاه الحافظ ابن حجر في « الفتح » (٣٠٥/٨) وكذا السيوطي في « الدر المنثور » =

وفي رواية سعيد بن منصور(٣٠٤) ، عن أبي معاوية ، عن هشام ، عن وهب بن كيسان ، عن ابن[١] الزبير ﴿ خذ العفو ﴾ قال : من أخلاق الناس ؛ والله لآخذنه منهم ما صحبتهم .

وهذا أشهر الأقوال[٢] ، ويشهد له ما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم جميعًا(٣٠٥) : حدثنا يونس، حدثنا سفيان - هو ابن عيينة - عن أميّ قال: لما أنزل الله - عز وجل - على نبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين** ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ما هذا يا جبريل ؟ قال : إن الله أمرك أن تعفو عمن ظلمك ، وتعطي من حرمك ، وتصل من قطعك** » .

وقد رواه ابن أبي حاتم أيضًا (٣٠٦)، عن أبي يزيد القراطيسي كتابةً ، عن أصبغ بن الفرج ، عن سفيان ، عن[٣] أميّ ، عن الشعبي نحوه ، وهذا مرسل على كل حال . وقد روي له شواهد[٤]

= (٢٨١/٣) إلى ابن مردويه وأخرجه تمام في فوائده (١٣٤١/٤) من طريق الزهري قال : سمعت عروة ابن الزبير يقول : سمعت عائشة تقول .... الحديث ، وفي إسناده إلى الزهري يحيى بن كثير البصري وهو ضعيف ، وفي الإسناد جهالة أيضًا ، وقد حكم الحافظ على هذه الرواية بالشذوذ ، فانظر السابق .

(٣٠٤) - وعزاه إلى سعيد بن منصور الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٣٠٥/٨) والسيوطي في «الدر المنثو » (٢٨٠/٣)، وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥٥٤٠/١٣) ثنا سفيان بن وكيع ثنا أبو معاوية به، قال الحافظ ابن حجر «وأما رواية أبي معاوية فشاذة أيضًا مع احتمال أن يكون لهشام فيه شيخان ...».

(٣٠٥) - أخرجه ابن جرير (١٥٥٤٨/١٣) وابن أبي حاتم (٨٦٨٢/٥) وهذا إسناد معضل ، وأُمَيّ هو ابن ربيعة المُرادي الصَّيْرفي وثقه ابن عيينة وابن معين وابن سعد وأبو داود وغيرهم .

وأخرجه ابن جرير (١٥٥٤٧/١٣) من طريق حسين الجعفي عن سفيان بن عيينة عن رجلٍ قد سماه قال ..... فذكره بنحو هذا ، وانظر ما بعده .

(٣٠٦) - « التفسير » لابن أبي حاتم (٨٦٨٣/٥) وهذا مرسلٌ ، وقد ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٢٨٠/٣) وزاد نسبته إلى ابن أبي الدنيا في « مكارم الأخلاق » وابن جرير وابن المنذر وأبي الشيخ - والذي في تفسير ابن جرير الطريق السابق دون هذا .

[١] - في خ ، ز : « أبي الزبير » وهو خطأ والمثبت من مصادر التخريج .

[٢] - وقال النحاس في « الناسخ والمنسوخ » (ص ٤٤٨) : « وهذا أولى ما قيل في الآية لصحة إسناده ، وأنه عن صحابي يُخبرُ بنزول الآية ، وإذا جاء الشيء هذا المجيء لم يسع أحدًا مخالفته ، والمعنى عليه ﴿ **خذ العفو** ﴾ أي السهل من أخلاق الناس ، ولاتغلظ عليهم ، ولا تعنف بهم ، وكذا كانت أخلاقه صلى الله عليه وسلم » .

[٣] - في ز : « بن » . [٤] - في خ ، ز : « شاهد » .

من وجوه أخر ، وقد روي مرفوعًا عن جابر وقيس بن سعد بن عبادة ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم . أسندهما ابن مردويه(٣٠٧) .

وقال الإمام أحمد(٣٠٨) : حدثنا أبو المغيرة ، [ ][١] ، حدثنا معان[٢] بن رفاعة ، حدثني علي ابن يزيد ، عن القاسم عن أبي أمامة الباهلي ، عن عقبة بن عامر - رضي اللَّه عنه - قال : لقيت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فابتدأته فأخذت بيده ، فقلت : يا رسول اللَّه أخبرني بفواضل الأعمال فقال : « **يا عقبة ، صل من قطعك ، وأعط من حرمك ، وأعرض عمن ظلمك** » . ورویٰ الترمذي نحوه ، من طريق عبيد اللَّه [ ][٣] بن زَحْر ،عن علي بن يزيد به . وقال : حسن .

قلت : ولكن علي بن يزيد ، وشيخه القاسم أبو عبد الرحمن فيهما ضعف .

---

(٣٠٧) - وذكرهما السيوطي في « الدر المنثور » (٣/٢٨٠ ، ٢٨١) وعزاهما إلى ابن مردويه فحسب .

(٣٠٨) - « المسند » (٤/١٤٨) مطولًا وسيذكره المصنف بطوله عند [تفسيره سورة الإخلاص] وأخرجه الطبراني في « الكبير » (١٧/رقم ٧٣٩) وفي « مكارم الأخلاق » له (رقم ٥٦) من طريق أبي المغيرة به ، ومُعان بن رفاعة وعلي بن يزيد والقاسم بن عبد الرحمن فيهم ضَعْفٌ ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٨/١٩١) وقال : « رواه أحمد والطبراني وأحد إسنادى أحمد رجاله ثقات » والإسناد الثاني الذي أشار إليه الهيثمي أخرجه أحمد (٤/١٥٨) من طريق حسين بن محمد ، وهناد في « الزهد » (٤٦٠، ١٠١٤ ، ١١٢٦) والبيهقي في « الشعب » (٦/٨٠٧٩) من طريق عبد الوهاب - وهو الحوطي - وثلاثتهم (حسين وهناد وعبد الوهاب) ثنا إسماعيل بن عياش نا أسيد بن عبد الرحمن الخثعمي عن فروة بن مجالد اللخمي عن عقبة بن عامر به مطولًا ولفظ هناد مختصر ، قال الألباني في « الصحيحة » (٢/رقم ٨٩١/ص ٥٨٣) : « وهذا إسناد صحيح ، رجاله كلهم ثقات معروفون ، غير فروة بن مجاهد - كذا وهو ابن مجالد - وقد ذكره ابن حبان في « الثقات » (٧/٣٢١) - وروى عنه جماعة ، وقال البخاري - « التاريخ الكبير » (٧/١٢٧) كانوا لا يشكون أنه من الأبدال » .

ورواية الترمذي التي أشار إليها المصنف ، أخرجها في « الجامع » كتاب : الزهد ، باب : ما جاء في حفظ اللسان (٢٤٠٦) بإسناده عن عقبة بن عامر قال : قلت : يا رسول اللَّه ، ما النجاة ؟ قال : « **أمسك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك** » وهذا اللفظ جزء من الحديث المطول الذي يذكره المصنف عند تفسير سورة الإخلاص .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : [حدثنا شعبة] .
[٢] - في خ ، ز ، والمسند « معاذ » والمثبت من مصادر التخريج - وراجع ترجمته في « التهذيب » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ت : « عن علي بن زحر » .

وقال البخاري(٣٠٩) : قوله : ﴿ **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين** ﴾ العرف المعروف ؛ حدثنا أبو اليمان ، حدثنا شعيب ، عن الزهري ، أخبرني عبيد الله بن عبد الله [بن عتبة][١] ، أن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قدم عيينة بن حصن بن حذيفة ، فنزل[٢] علىٰ ابن أخيه الحر بن قيس ، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر ، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولًا كانوا أو[٣] شبانًا ؛ فقال عيينة لابن أخيه : يا ابن أخي ، لك وجه عند هذا الأمير ، فاستأذن لي عليه ، قال : سأستأذن لك عليه ؛ قال ابن عباس : فاستأذن الحر لعيينة ، فأذن له عمر ، [فلما دخل][٤] عليه ، قال : هِيْ يا ابن الخطاب ، فوالله ما تعطينا الجزل ، ولا تحكم بيننا بالعدل . فغضب عمر حتىٰ هم أن يوقع به ؛ فقال له الحر : يا أمير المؤمنين ،[إن الله تعالىٰ قال][٥] لنبيه صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين** ﴾ ، وإن هذا من الجاهلين . والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه ، وكان وقافًا عند كتاب الله - عز وجل - . انفرد بإخراجه البخاري .

وقال ابن أبي حاتم(٣١٠) : حدثنا يونس بن عبد الأعلىٰ قراءةً ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني مالك بن أنس ، عن عبد الله بن نافع ، أن سالم بن عبد الله بن عمر مر علىٰ عير لأهل الشام ، وفيها جرس ، فقال : إن[٦] هذا منهي[٧] عنه ؛ فقالوا نحن أعلم بهذا منك ، إنما يكره الجلجل الكبير ، فأما مثل هذا فلا بأس به . فسكت سالم وقال : ﴿ **وأعرض عن الجاهلين** ﴾ .

وقول البخاري العرف المعروف نص عليه عروة بن الزبير والسدي وقتادة وابن جرير وغير واحد ، وحكىٰ ابن جرير أنه يقال: أوليته [معروفًا][٨] وعارفًا وعارفة، كل ذلك بمعنىٰ المعروف . قال : وقد أمر الله نبيه ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أن يأمر عباده بالمعروف ، ويدخل في ذلك جميع الطاعات ، وبالإِعراض عن الجاهلين وذلك وإن كان أمرًا لنبيه ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فإنه تأديب

---

(٣٠٩) - صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **خُذِ العفو وأْمُر بالعُرف وأعرض عن الجاهلين** ﴾ (٤٦٤٢)، كتاب : الاعتصام ، باب : الاقتداء بسنن رسول الله - صلى الله عليه وسلم ... (٧٢٨٦).

(٣١٠) - « التفسير » لابن أبي حاتم (٨٦٨٨/٥) ولم يعزه السيوطي في « الدر المنثور » (٢٨١/٣) لغير ابن أبي حاتم .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٢] - في ز : « ونزل » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ت : « فدخل » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « قال الله » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في ز : « منها » .
[٨] - في تفسير ابن جرير (٣٣١/١٣) [عُرْفًا] .

لخلقه باحتمال من ظلمهم واعتدىٰ عليهم، لا بالإعراض عمن جهل الحق الواجب من حق الله ، ولا بالصفح عمن كفر بالله وجهل وحدانيته ، وهو للمسلمين حرب .

وقال سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة في قوله : ﴿ **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين** ﴾ قال : هذه أخلاق أمر الله بها نبيه ، صلىٰ الله عليه وسلم ، ودله عليها وقد أخذ بعض الحكماء هذا المعنىٰ فسبكه في بيتين فيهما[١] جناس فقال :

خُذِ العفوَ وَأْمُرْ بعُرْفٍ[٢] كما ... أُمِرْتَ وَأَعْرِض عن الجاهلينْ
وَلِنْ في الكلام لكل الأنام ... فمستحسنٌ مِن ذَوِي الجاه لين

وقال بعض العلماء : الناس رجلان : فرجل محسن ، فخذ ما عفا لك من إحسانه ، ولا تكلفه فوق طاقته ، ولا ما يحرجه . وإما مسيء ، فمره بالمعروف ، فإن تمادىٰ علىٰ ضلاله واستعصىٰ عليك واستمر في جهله فأعرض عنه ؛ فلعل ذلك أن يرد كيده ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون * وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين * وأعوذ بك رب أن يحضرون** ﴾ ، [وقال تعالىٰ : ﴿ **ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم**][٣] * **وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم** ﴾ أي هذه الوصية . ﴿ **وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم** ﴾ ، [وقال في هذه السورة الكريمة أيضًا : ﴿ **وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم** ﴾][٤] فهذه الآيات الثلاث في الأعراف ، والمؤمنون ، وحم السجدة ، لا رابع لهن ، فإنه تعالىٰ يرشد فيهن إلىٰ معاملة العاصي من الإنس[٥] بالمعروف فالتي[٦] هي أحسن ، فإن ذلك يكفه عما هو فيه من التمرد بإذنه تعالىٰ ، [ولهذا قال : ﴿ **فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم** ﴾ ، ثم يرشد تعالىٰ إلىٰ الاستعاذة به][٧] من شيطان الجان ، فإنه لا [يكفه عنك][٨] الإحسان ، وإنما يريد هلاكك ودمارك بالكلية ؛ فإنه عدو مبين لك ولأبيك من قبلك .

قال ابن جرير في تفسير قوله : ﴿ **وإما ينزغنك من الشيطان نزغ** ﴾ وإما يغضبنك من الشيطان غضب ، يصدك عن الإعراض عن الجاهلين[٩] ، ويحملك علىٰ مجازاتهم ﴿ **فاستعذ**

---

[١] - في ز : « فيها » . [٢] - في ز : « بالعرف » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٥] - في ز : « الأمر » .
[٦] - في ز : « والتي » . [٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٨] - في ز : « يكفيه منك » .
[٩] - في خ ، ز : « الجاهل » والمثبت من تفسير ابن جرير .

بالله ﴾ يقول : فاستجر بالله من نزغه **﴿ إنه سميع عليم ﴾** ، [يقول : إن الله الذي تستعيذ به من نزغ الشيطان][١] سميع لجهل الجاهل عليك ، والاستعاذة به من نزغه ، ولغير[٢] ذلك من [كلام خلقه][٣] ، لا يخفىٰ عليه منه شيء ، عليم بما يذهب عنك نزغ الشيطان ، وغير ذلك من أمور خلقه .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم(٣١١) : لما نزل : **﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾** قال [رسول الله صلى الله عليه وسلم][٤] : « **يا رب كيف بالغضب** »؟ فأنزل الله : **﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم ﴾** .

قلت : وقد تقدم(٣١٢) في أول الاستعاذة حديث الرجلين اللذين تسابا بحضرة النبي صلىٰ الله عليه وسلم فغضب أحدهما حتىٰ جعل أنفه يتمزع[٥] غضبًا ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم** » فقيل له ، فقال : ما بي من جنون .

وأصل « **النزغ** » الفساد ، إما بالغضب أو غيره ، قال الله تعالىٰ : **﴿ وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم ﴾** . و« **العياذ** » الالتجاء والاستناد والاستجارة من الشر . وأما « **الملاذ** » ففي طلب الخير ، كما قال [الحسن بن المتنبي[٦] في شعره][٧]

يا مَنْ ألوذ به فيما أُؤَمِّلُهُ ... ومن أعوذ به مما أحاذره
لا يجبر الناسُ عَظْمًا أنت كاسره ... ولا يَهِيضون عظمًا أنت جابره

وقد قدمنا أحاديث الاستعاذة في أول التفسير ، بما أغنىٰ عن إعادته هاهنا .

إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم

(٣١١) - أخرجه ابن جرير (١٠٥٥٣/١٣) حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد ... فذكره هكذا مرسلًا ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف ، والحديث ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٢٨٣/٣) ولم يعزه لغير ابن جرير .

(٣١٢) - تقدم [سورة الفاتحة / الاستعاذة] .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٢] - في ز : « بغير » .
[٣] - في ز : « الكلام لخلقه » . [٤] - سقط من: ت .
[٥] - في خ : « يتمرغ » .
[٦] - كذا في ز ، خ ، وهو تحريف ، والصواب : أحمد بن الحسين المتنبي ، والبيتان في ديوانه (٢/ ٢٧٢) بشرح البرقوقي .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾

يخبر تعالىٰ عن المتقين من عباده الذين أطاعوه فيما أمر ، وتركوا ما عنه زجر ، أنهم ﴿ **إذا مسهم** ﴾ أي : أصابهم (**طيف**) ، وقرأ الآخرون[١] ﴿ **طائف** ﴾(٣١٣) ، **وقد جاء فيه حديث**(٣١٤) ، **وهما قراءتان مشهورتان ، فقيل : بمعنىٰ واحد ، وقيل : بينهما فرق ، ومنهم من فسر ذلك بالغضب ، ومنهم من فسره بمس الشيطان بالصرع ونحوه ، ومنهم من فسره بالهم بالذنب ، ومنهم من فسره بإصابة الذنب .**

وقوله : ﴿ **تذكروا** ﴾ أي : عقاب اللَّه وجزيل ثوابه ، ووعده ووعيده ، فتابوا وأنابوا ، واستعاذوا[٢] بالله ورجعوا إليه من قريب ، ﴿ **فإذا هم مبصرون** ﴾ أي : قد استقاموا وصحوا مما كانوا فيه .

وقد أورد الحافظ أبو بكر بن مردويه(٣١٥) هاهنا حديث محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : جاءت امرأة إلىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم وبها طيف فقالت : يا رسول اللَّه ، ادع اللَّه أن يشفيني ، فقال : « **إن شئت دعوت اللَّه فشفاك ، وإن شئت**

(٣١٣) - أخرجه ابن مردويه - كما في « الدر المنثور » (٣/٢٨٤) - من حديث جابر بن عبد اللَّه قال : سمعت رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - يقرأ ﴿ **إذا مسهم طائف** ﴾ بالألف ، ولم أهتد لإسناده ، والغالب على انفرادات ابن مردويه الضعف ، فاحفظ هذا .

(٣١٤) - قرأ نافع وعاصم ، وابن عامر ، وحمزة ﴿ **طائف** ﴾ بألفٍ وهمزة ، وقرأ ابن كثير ، وأبو عمرو والكسائي ﴿ **طيف** ﴾ بغير ألف .

(٣١٥) - وأخرجه أحمد (٢/٤٤١) (٩٦٨٧) وابن حبان (٧/٢٩٠٩) والبغوي في « شرح السنة » (٥/١٤٢٤) ، من طريق محمد بن عبيد مقرونًا به عبدة بن سليمان عند ابن حبان ، وأخرجه البزار (١/رقم ٥٣٤/ الزوائد لابن حجر) من طريق عمرو بن خليفة، والحاكم (٤/٢١٨) من طريق عبد العزيز بن مسلم ، وابن عدي في « الكامل » (٦/٢٢٧١) من طريق محمد بن يعلى السلمي ، خمستهم (المحمدان وعبدة وعمرو وعبد العزيز) عن محمد بن عمرو ، به ، واستنكره ابن عدي لمحمد بن يعلى هذا وقال : « يروي عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة أحاديث لا يتابع عليها » قلت : وهو متابع هنا ، وقد صححه الحاكم على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي ، وحسن إسناده الهيثمي في « المجمع » (٢/٣١٠) وعزاه إلى البزار ، وغفل عن عزوه لأحمد وقد ذكره ابن حجر في « الفتح » (١٠/١١٥) وعزاه إلى البزار وابن حبان فحسب .

[١] - في ز : « آخرون » .
[٢] - في ز : « استعانوا » .

فاصبري ولا حساب عليك » . فقالت : بل أصبر ولا حساب عليَّ .

ورواه غير واحد من أهل السنن(٣١٦) وعندهم : قالت : يا رسول اللَّه، إني أُصْرَعُ وأتكشَّف ؛ فادع اللَّه أن يشفيني . فقال : « **إن شئت دعوت اللَّه أن يشفيك ، وإن شئت صبرت ولك الجنة** » فقالت : بل أصبر ولي الجنة ، ولكن ادع اللَّه أن لا أتكشف ، فدعا لها ، فكانت لا تتكشف[١] .

وأخرجه الحاكم في مستدركه ، وقال : صحيح علىٰ شرط مسلم ، ولم يخرجاه .

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة « **عمرو بن جامع** » من تاريخه[٢] : أن شابًّا كان يتعبد في المسجد ، فَهَوِيته امرأة ، فدعته إلىٰ نفسها ، فما[٣] زالت به حتىٰ كاد يدخل معها المنزل ؛ فذكر هذه الآية : ﴿ **إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف**[٤] **من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون** ﴾ فخرّ مغشيًّا عليه ، ثم أفاق فأعادها ، فمات ، فجاء عُمَر فعزَّىٰ فيه أباه ، وكان قد دفن ليلًا ، فذهب فصلىٰ علىٰ قبره بمن معه ، ثم ناداه عمر فقال : يا فتىٰ ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾ ، فأجابه الفتىٰ من داخل القبر : يا عمر ، قد أعطانيهما[٥] ربي - عز وجل - في الجنة مرتين .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وإخوانهم** ﴾ أي : وإخوان الشياطين من الإنس ، كقوله : ﴿ **إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين** ﴾ [من الإنس][٦] وهم أتباعهم ، والمستمعون[٧] لهم ، القابلون[٨] لأوامرهم ، ﴿ **يمدونهم**[٩] **في الغي** ﴾ أي : تساعدهم الشياطين علىٰ المعاصي وتسهلها عليهم وتحسنها لهم .

وقال ابن كثير[١٠] : « **المد** » : الزيادة ، يعني : يزيدونهم في الغي ، يعني : الجهل والسفه .

---

(٣١٦) - كذا عزاه المصنف لغير واحد من أهل السنن ، وإنما أخرجه النسائي في « السنن الكبرى » (٧٤٩٠/٤) فحسب من حديث ابن عباس ، وكذا أخرج حديث ابن عباس هذا ، البخاري ، كتاب : المرضى ، باب : فضل من يصرع من الريح (٥٦٥٢) ، ومسلم ، كتاب : البر =

---

[١] - في ز : « تنكشف » .
[٢] - « تاريخ دمشق » (٤١١/١٣ ، ٤١٢/ مخطوط) .
[٣] - في ز : « وما » .
[٤] - في ز : « طيف » .
[٥] - في ز : « أعطانيها » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٧] - في ز : « المستمعين » .
[٨] - في ز : « القابلين » .
[٩] - في ز : « يهدونهم » .
[١٠] - هو عبد اللَّه بن كثير الدَّاريُّ المكيُّ ، أبو معبد القارئ ثقة مترجم له في « التهذيب » ، والأثر أخرجه ابن جرير (١٥٥٦٧/١٣) .

﴿ **ثم لا يقصرون** ﴾ قيل معناه : إن الشياطين [تمد ، و][١]الإنس لا تقصر[٢] في أعمالهم بذلك ، كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون** ﴾ الآية قال : لا الإنس يقصرون عما يعملون [من السيئات][٣] ، ولا الشياطين تمسك عنهم .

وقيل : معناه كما رواه العوفي ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون** ﴾ قال : هم[٤] الجن يوحون إلىٰ أوليائهم من الإنس ﴿ **ثم لا يقصرون** ﴾ ، يقول : لا يسأمون .

وكذا قال السُّدي وغيره : يعني[٥] إن الشياطين يمدون[٦] أولياءهم من الإنس ، ولا تسأم من إمدادهم من الشر ؛ لأن ذلك طبيعة لهم وسجية لا تفتر[٧] فيه ولا تَبْطُل[٨] عنه ، كما قال تعالى : ﴿ **ألم تر أنا أرسلنا الشياطين علىٰ الكافرين تؤزهم أزًّا** ﴾ ، قال ابن عباس وغيره : تزعجهم إلىٰ المعاصي إزعاجًا .

وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ۚ هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالىٰ : ﴿ **قالوا لولا اجتبيتها** ﴾ ، يقول : لولا تلقيتها . وقال مرة أخرىٰ : لولا أحدَثْتها فأنشأتها .

وقال ابن جرير(٣١٧) ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد في قوله : ﴿ **وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها** ﴾ قال : لولا اقتضبتها[٩] ، قالوا : تخرجها من نفسك . وكذا قال قتادة والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، واختاره ابن جرير .

= والصلة والآداب ، باب : ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض (٥٤) (٢٥٧٦) .

(٣١٧) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥٥٧٢/١٣) حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير ، به .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « يمدوا » . [٢] - في ز : « يقصر » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز . [٤] - سقط من : ز .
[٥] - زيادة من : ز . [٦] - في ز : « يمدوا » .
[٧] - في ز : « تفر » . [٨] - في ز : « يَبْطُل » .
[٩] - اقتضب الكلام : تكلم به على غير إعداد وتهيئة .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : ﴿ **لولا اجتبيتها** ﴾ يقول : تلقيتها من اللَّه تعالىٰ .

وقال الضحاك : ﴿ **لولا اجتبيتها** ﴾ يقول : لولا أخذتها أنت فجئت بها من السماء .

ومعنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ **وإذا لم تأتهم بآية** ﴾ أي : معجزة وخارق ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين** ﴾ ، يقولون للرسول صلىٰ اللَّه عليه وسلم : لا تجهد نفسك في طلب الآيات حتىٰ نراها ونؤمن بها ، قال اللَّه تعالىٰ له : ﴿ **قل إنما أتبع ما يوحىٰ إلي من ربي** ﴾ أي : أنا لا أتقدم إليه تعالىٰ في شيء[١] ، وإنما أتبع ما أمرني به ، فأمتثل ما يوحيه إلي ؛ فإن بعث آية قبلتها ، وإن منعها لم أسأله ابتداءً إياها ، إلا أن يأذن لي في ذلك ، فإنه حكيم عليم .

ثم أرشدهم إلىٰ أن هذا القرآن هو أعظم المعجزات ، وأبين الدلالات ، وأصدق الحجج والبينات ، فقال : ﴿ **هذا بصائر من ربكم وهدًى ورحمة لقوم يؤمنون** ﴾ .

وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾

لما ذكر تعالىٰ أن القرآن بصائر للناس وهدًى ورحمة ، أمر تعالىٰ بالإنصات عند تلاوته إعظامًا له واحترامًا ، لا كما كان يعتمده[٢] كفار قريش المشركون[٣] في قولهم : ﴿ **لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه** ﴾ . ولكن يتأكد ذلك في الصلاة المكتوبة إذا جهر الإمام بالقراءة ، كما ورد الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه(٣١٨) من حديث أبي موسىٰ الأشعري -رضي اللَّه عنه- قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إنما جعل الإمام ليؤتم به ؛ فإذا كبر فكبروا ، وإذا**

---

(٣١٨) - صحيح مسلم ، كتاب : الصلاة ، باب : التشهد في الصلاة (٦٣) (٤٠٤) ، وكذا أخرجه أحمد (٤/٤١٥) وأبو داود ، كتاب : الصلاة ، باب : التشهد (٩٧٣) والنسائي ، كتاب : الافتتاح ، باب : نوع آخر من التشهد (٢/٢٤٢) وابن ماجه ، كتاب : إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : إذا قرأ الإمام فأنصتوا (٨٤٧) وغيرهم من طريق سليمان التيمي عن قتادة عن أبي غلاب يونس بن جبير عن حطان بن عبد اللَّه الرقاشي ، قال : قال أبو موسى ... فذكر حديثًا مطولًا ، ورواه بعضهم مختصرًا ، قال البزار في مسنده (٨/٦٦) : « روى هذا الحديث جماعة عن قتادة بهذا الإسناد ولا نعلم أحدًا قال فيه : « **وإذا قرأ الإمام فأنصتوا** » إلا التيمي إلا حديثا - ثم أسند إلى سالم بن نوح عن عمرو بن عامر - عن قتادة بالإسناد السابق بنحو حديث التيمي ، وفي صحيح مسلم عقب هذا الحديث: «قال أبو إسحاق - صاحب مسلم وراوي الكتاب عنه =

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في خ : « يتعمده » .
[٣] - في ز : « المشركين » .

قرأ فأنصتوا » . وكذا رواه أهل السنن[١] من حديث أبي هريرة(٣١٩) ، وصححه مسلم بن الحجاج

= قال أبو بكر ابن أخت أبي النضر في هذا الحديث . فقال مسلم : تريدُ أحفظ من سليمان ؟ ...» لكن قال أبو داود السجستاني عقبه : قوله : « **فأنصتوا** » ليس بمحفوظ ، لم يجئ به إلا سليمان التيمي في هذا الحديث وقال الدارقطني في « السنن » (٣٣١/٢) : « رواه هشام الدستوائي وسعيد وشعبة وهمام وأبو عوانة وأبان وعدي بن أبي عمارة كلهم عن قتادة ، فلم يقل أحد منهم « **وإذا قرأ فأنصتوا** » وهم أصحاب قتادة والحفاظ » وذكر طرق هذا الحديث في « العلل » (٧/س ١٣٣٣) وقال : « ... سليمان التيمي من الثقات ، وقد زاد عليهم قوله « **وإذا قرأ فأنصتوا** » ، ولعله شبه عليه لكثرة من خالفه من الثقات ....» وقال النووي في « شرح صحيح مسلم » (٤/ ١٦٢) : قوله : « **وإذا قرأ فأنصتوا** » مما اختلف الحفاظ في صحته فروى البيهقي في « السنن الكبير » (١٥٦/٢) عن أبي داود السجستاني أن هذه اللفظة ليست بمحفوظة ، وكذلك رواه عن يحيى بن معين وأبي حاتم الرازي والدارقطني والحافظ أبي علي النيسابوري شيخ الحاكم أبي عبد اللَّه ، قال البيهقي : قال أبو علي الحافظ : هذه اللفظة غير محفوظة قد خالف سليمان التيمي فيها جميع أصحاب قتادة ، واجتماع هؤلاء الحافظ على تضعيفها مقدم على تصحيح مسلم ، لاسيما ولم يروها مسندة في صحيحه واللَّه أعلم » .

وقد مال إلى تصحيح هذه الزيادة ابن التركماني فقال في « الجوهر النقي » (١٥٥/٢) : « التيمي جليل القدر ، قال شعبة : ما رأيت أحدًا أصدق منه ، وفي « علل الخلال » قلت يعني لابن حنبل - : يقولون أخطأ التيمي ؟ قال : « من قال أخطأ التيمي فقد بهت التيمي » ولا نُسَلِّم أنه خالفهم بل زاد عليهم وزيادة الثقة مقبولة ... وقد تابعه على روايته سعيد بن أبي عروبة وعمر بن عامر فروياه عن قتادة ؛ كذلك أخرجه البيهقي (١٥٦/٢) من حديث سالم بن نوح عنهما فبطل قول أبي علي (خالف أصحاب قتادة كلهم) ، وسالم هذا وإن قال الدارقطني : (ليس بالقوي) فقد أخرج له مسلم وكذلك ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي وقال ابن حنبل : ما بحديثه بأس ، وقال : أبو زرعة صدوق ثقة ، فهذا كما تقدم زيادة ثقة وترك من ترك لا يكون علة في زيادة من حفظ ... » اهـ .

(٣١٩) - ذكر أبو الحسن الدارقطني حديث أبي هريرة هذا في « العلل » (٨/س ١٥٠١) وقال : « هو حديث اختلف فيه على محمد بن عجلان ، فرواه أبو خالد الأحمر عن محمد بن عجلان عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة ، وقال إسماعيل بن أبان الغنوي عن ابن عجلان عن زيد بن أسلم ومصعب بن شراحبيل عن أبي صالح عن أبي هريرة ، وقال أبو سعد الصاغاني : عن ابن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة ، وقال محمد بن سعد الأشهلي : عن ابن عجلان عن زيد بن أسلم أيضًا ، وكلهم قال فيه « **وإذا قرأ فأنصتوا** » ، وقال الليث ، عن ابن عجلان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ، ولم يقل فيه : « **وإذا قرأ فأنصتوا** » ورواه يحيى بن العلاء الرازي عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة وقال فيه : « **فإذا قرأ فأنصتوا** » وهذا الكلام =

[١] - هذا فيه بعض التجوز، فإن الحديث بهذه الزيادة ليس عند الترمذي . انظر التخريج .

أيضًا ، ولم يخرجه في كتابه . وقال إبراهيم بن مسلم الهجري[٣٢٠] ، عن أبي عياض ، عن أبي

= ليس بمحفوظ في هذا الحديث » .
* فأما رواية أبي خالد الأحمر فأخرجها ابن أبي شيبة في « المصنف » (٤١٤/١) - ومن طريقه أحمد في « المسند » (٤٢٠/٢) وكذا ابنه عبد الله ، وابن ماجه (٨٤٦) والدارقطني في « السنن » (١/ ٣٢٧) وفي « العلل » (١٨٧/٨ ، ١٨٨) - وأبو داود (٦٠٤) والنسائي (١٤١/٢ ، ١٤٢) والطحاوي في « شرح معاني الآثار » (٢١٧/١) وتمام في « فوائده » (٢٩٦/١/الروض البسام) وقال أبو داود : « وهذه الزيادة « **وإذا قرأ فأنصتوا** » ليست بمحفوظة ، الوهم عندنا من أبي خالد » كذا قال ، وقد تابعه غير واحد عن ابن عجلان ، وزادوا تلك الزيادة - كما يأتي - وقد تعقب أبا داود المنذري في إلصاق هذا الوهم بأبي خالد الأحمر ، فانظر « مختصر سنن أبي داود » (٣١٣/١) .
* وأما رواية إسماعيل بن أبان الغنوي : فأخرجها الدارقطني في « السنن » (٣٢٩/١) والبيهقي في « الكبرى » (١٥٦/٢) ، وقال الدارقطني : « إسماعيل بن أبان ضعيف » .
* وأما رواية أبي سعد الصاغاني فأخرجها أحمد (٣٧٦/٢) والدارقطني في « السنن » (٣٣٠/١) وقال : « أبو سعد الصاغاني - محمد بن مُيَسَّر - ضعيف » .
* وأما رواية محمد بن سعد الأشهلي، فأخرجها النسائي (١٤٢/٢)- ومن طريقه الدارقطني (١/ ٣٢٨)- والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٣٢٠/٥) وقال النسائي أبو عبد الرحمن : « كان المخرمي يقول : هو ثقة يعني محمد بن سعد » .
* وأما رواية الليث فأخرجها أبو العباس السَّراج في مسنده - كما في « النكت الظراف » لابن حجر (٣٤٣/٩ ، ٣٤٤) - وقد أخرجه البخاري (٧٣٤) من طريق شعيب بن أبي حمزة ، ومسلم (٨٦/ ٤١٤) من طريق المغيرة الحزامي ، كلاهما (شعيب والمغيرة) عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة به وليس فيه قوله « **وإذا قرأ فأنصتوا** » .
* ورواية يحيى بن العلاء الرازي ذكرها البيهقي في « السنن الكبرى » (١٥٧/٢) وقال : « ويحيى بن العلاء متروك » .

وجعل البيهقي الوهم في هذا الحديث من ابن عجلان ، وسبقه إلى ذلك أبو حاتم في « العلل » (١/رقم ٤٦٥) - فأسند البيهقي عن العباس بن محمد الدُّوري قال : سمعت يحيى بن معين يقول في حديث ابن عجلان : « **إذا قرأ فأنصتوا** » قال : ليس بشيء ، ثم أسند عن ابن أبي حاتم قال في « العلل » : « قال أبي : ليس هذه الكلمة بالمحفوظ وهو من تخاليط ابن عجلان ، وقد رواه خارجة ابن مصعب أيضًا ، وتابع ابن عجلان ، وخارجة أيضًا ليس بالقوي » .

لكن قد صحح مسلم هذه الزيادة في حديث أبي هريرة ففي صحيحه أن أبا بكر ابن أخت أبي النضر قال له: « فحديث أبي هريرة ؟ فقال: هو صحيحٌ : يعني: « **وإذا قرأ فأنصتوا** » فقال: هو عندي صحيح - فقال : لِمَ لَمْ تضعه ههنا ؟ - يعني في الصحيح - قال : ليس كُلُّ شيءٍ عندي =

هريرة قال : كانوا يتكلمون في الصلاة ، فلما نزلت هذه الآية : ﴿ **وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له** ﴾ ، والآية الأخرىٰ ، أمروا بالإنصات .

وقال ابن جرير(٣٢١) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم ، عن المسيب ابن رافع ، قال ابن مسعود : كنا [يسلم بعضنا علىٰ][١] بعض في الصلاة ، فجاء القرآن ﴿ **وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون** ﴾ .

وقال أيضًا(٣٢٢) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا المحاربي ، عن داود بن أبي هند ، عن [يسير][٢] ابن جابر ، قال: صلىٰ ابن مسعود فسمع ناسًا يقرءون مع الإمام، فلما انصرف قال: أما آن لكم أن تفهموا أما آن لكم أن تعقلوا ﴿ **وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا** ﴾ ، كما أمركم اللَّه .

قال(٣٢٣) : وحدثني أبو السائب ، حدثنا حفص ، عن أشعث ، عن الزهري قال : نزلت هذه

= صحيح وضعته هاهنا إنما وضعت هاهنا ما أجمعوا عليه » . ونقل ابن عبد البر في « التمهيد » عن أحمد بن حنبل أنه صحح الحديثين يعني حديث أبي موسى وحديث أبي هريرة ، وكذا صحح حديث ابن عجلان ابن حزم في « المحلى » (٢٤٠/٣) وصحح الخبر جملة ابن جرير في تفسيره (٣٥٢/١٣) .

(٣٢٠) - أخرجه ابن جرير (١٥٥٨٢/١٣) وابن أبي حاتم (٨٧٢٨/٥) والبيهقي في « السنن الكبرى » (١٥٥/٢) من طرق عن إبراهيم بن مسلم الهجري به ، وإبراهيم بن مسلم هذا ضعيف ، والخبر زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٢٨٦/٣) إلى ابن أبي شيبة في «المصنف» - ولم أجده في مظانه - وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه .

(٣٢١) - تفسير ابن جرير (١٥٥٨١/١٣) وعاصم هو ابن أبي النجود ، والمسيب بن رافع لم يسمع من عبد اللَّه بن مسعود شيئًا قاله أحمد وأبو حاتم ؛ انظر « جامع التحصيل » و« التهذيب » . والأثر لم يعزه السيوطي في « الدر المنثور » (٢٨٦/٣) لغير ابن جرير .

(٣٢٢) - تفسير ابن جرير (١٥٥٨٤/١٣) وهذا إسناد منقطع بين داود بن أبي هند ويسير - ويقال أسير - بن جابر وقد وصله ابن أبي حاتم (٨٧٣٠/٥) ثنا أبو سعيد الأشج ، ثنا ابن فضيل وأبو خالد عن داود بن أبي هند عن أبي نضرة عن أسير بن جابر به نحوه ، وهذا إسناد صحيح متصل ، والخبر زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٢٨٥/٣) إلى عبد بن حميد وأبي الشيخ .

(٣٢٣) - تفسير ابن جرير (١٥٥٨٣/١٣) وحفص هو ابن غياث ، « ثقة فقيه ، تغير حفظه =

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « نسلم على بعضنا » .

[٢] - في خ ، ز : « بشير » وكذا تحرف في تفسير ابن جرير ولذلك فقد أعيا الشيخ الأديب محمود شاكر فلم يعرفه ، والصواب ما أثبتناه هنا وللَّه الحمد ، وانظر ترجمة يسير أو أسير في « التهذيب » وغيره .

الآية في فتىً من الأنصار كان رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم كلما قرأ شيئًا قرأه ؛ فنزلت : ﴿ **وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا** ﴾ .

وقد روىٰ الإمام أحمد وأهل السنن(٣٢٤) ، من حديث الزهري ، عن أبي أكيمة[١] الليثي ، عن أبي هريرة أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، انصرف من صلاة جَهَرَ فيها بالقراءة ، فقال : « **هل قرأ أحد منكم معي آنفًا ؟** » [قال رجل : نعم ، يا رسول اللَّه ، قال : « **إني أقول مالي أنازَع القرآن**][٢] » . قال : فانتهىٰ الناس عن القراءة مع رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، [فيما جهر فيه رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم][٣] بالقراءة من الصلوات، حين سمعوا ذلك من رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم .

وقال الترمذي : هذا حديث حسن . [وصححه أبو حاتم الرازي][٤] .

وقال عبد اللَّه بن المبارك ، عن يونس ، عن الزهري قال : لا يقرأ مَن وراء الإمام فيما يجهر به الإِمام ، تكفيهم قراءة الإِمام ، وإن لم يسمعهم صوته ، ولكنهم يقرءون[٥] فيما لا يجهر به سرًّا

= قليلًا » وأشعث هو ابن سَوَّار : « ضعيف » والخبر أيضًا مرسل ، وقد ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٣/٢٨٦) ولم يعزه لغير ابن جرير .

(٣٢٤) - أخرجه أحمد (٢/٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٣٠١ ، ٤٨٧) وأبو داود ، كتاب : الصلاة ، باب : من كره القراءة بفاتحة الكتاب إذا جهر الإمام (٨٢٦ ، ٨٢٧) ، والترمذي ، كتاب : الصلاة ، باب : ما جاء في ترك القراءة خلف الإمام إذا جهر الإمام بالقراءة (٣١٢) ، والنسائي ، كتاب : الافتتاح ، باب : ترك القراءة خلف الإمام فيما جهر به (٢/١٤٠ ، ١٤١) ، وابن ماجه ، كتاب : إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : إذا قرأ الإمام فأنصتوا (٨٤٨ ، ٨٤٩) وغيرهم من طرق عن الزهري به وحسنه الترمذي ، وصححه أبو حاتم بن حبان (٥/١٨٤٣ ، ١٨٤٩) وأعله الحميدي والبيهقي - كما في « السنن الكبرى » له (٢/١٥٩) - بجهالة ابن أكيمة واسمه عمارة وقيل عمرو بن مسلم وهذا مردود فقد وثقه ابن معين ، وقال أبو حاتم : « صحيح الحديث ، حديثه ، مقبول » وذكره ابن حبان في « الثقات » (٥/٢٤٢) وقال يعقوب بن سفيان ، هو من مشاهير التابعين بالمدينة ، ووثقه ابن حجر في « التقريب » .

[١] - في ز : « أكتمة » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . قال الحافظ ابن حجر في « التلخيص » (١/٢٤٦) : قوله « فانتهى الناس » إلى آخره مدرج في الخبر من كلام الزهري بينه الخطيب ، واتفق عليه البخاري في « التاريخ » وأبو داود ويعقوب بن سفيان والذهلي والخطابي وغيرهم » .

[٤] - قال في : « الجرح والتعديل » [(٦/ت عمارة بن أكيمة رقم (٢٠٠٢)] : « هو صحيح الحديث ، حديثه مقبول .

[٥] - في ز : « يجهرون » .

في أنفسهم ، ولا يصلح لأحد خلفه أن يقرأ معه فيما يجهر به سرًا ولا علانية ؛ فإن اللَّه تعالىٰ قال : ﴿ **وإذا**[١] **قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون** ﴾ .

قلت : هذا مذهب طائفة من العلماء : أن المأموم لا يجب عليه في الصلاة الجهرية قراءة فيما جهر فيه الإمام ، لا الفاتحة ولا غيرها ، وهو أحد قولي الشافعي[٢] ، وهو القديم ، كمذهب مالك ، ورواية عن أحمد بن حنبل ، لما ذكرناه من الأدلة المتقدمة . و[٣]قال في الجديد : يقرأ الفاتحة فقط في سكتات الإمام . وهو قول طائفة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم . وقال أبو حنيفة وأحمد بن حنبل : لا يجب علىٰ المأموم قراءة أصلًا في السرية ولا الجهرية ؛ لما ورد في الحديث « **من كان له إمام فقراءته له قراءة** » . وهذا الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده عن جابر مرفوعًا ، وهو في موطأ مالك عن وهب بن كيسان ، عن جابر موقوفًا ، وهذا أصح(٣٢٥) . وهذه المسألة مبسوطة في غير هذا الموضع ، وقد أفرد لها الإمام أبو عبد اللَّه البخاري[٤] مصنفًا علىٰ حدة ، واختار وجوب القراءة خلف الإمام في السرية والجهرية أيضًا ، واللَّه أعلم .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا** ﴾ ، يعني : في الصلاة المفروضة . وكذا روي عن عبد اللَّه بن المغفل .

وقال ابن جرير(٣٢٦) : حدثنا حميد بن مسعدة ، حدثنا بشر بن المفضل ، حدثنا الجريري ، عن طلحة بن عبيد اللَّه بن كريز قال : رأيت عبيد بن عمير وعطاء بن أبي رباح يتحدثان ، والقاص يقص ، فقلت : ألا تستمعان[٥] [إلىٰ الذكر][٦] وتستوجبان الموعود ؟ قال : فنظرا إليّ ، ثم أقبلا علىٰ حديثهما ، قال : فأعدت ، فنظرا إلي وأقبلا علىٰ حديثهما ، قال : [فأعدت الثالثة][٧] فنظرا إلي فقالا : إنما ذلك في الصلاة : ﴿ **وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا** ﴾ .

وقال سفيان الثوري ، عن أبي هاشم إسماعيل بن كثير ، عن مجاهد في قوله : ﴿ **وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا** ﴾ قال : في الصلاة . وكذا رواه غير واحد عن مجاهد .

وقال عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن ليث ، عن مجاهد قال : لا بأس إذا قرأ الرجل في غير

(٣٢٥) - تقدم تخريجه [في أول سورة الفاتحة] .
(٣٢٦) - تفسير ابن جرير (١٣/١٥٥٨٥) .

[١] - في ز : « فإذا » .
[٢] - في ت : « الشافعية » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - وسماه « القراءة خلف الإمام » وهو مطبوع .
[٥] - في ز : « تسمعان » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

الصلاة أن يتكلم .

وكذا قال سعيد بن جبير والضحاك وإبراهيم النخعي وقتادة والشعبي والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : أن المراد بذلك في الصلاة .

وقال شعبة ، عن منصور ، سمعت [إبراهيم بن أبي حُرَّة][١] يحدِّث ، أنه سمع مجاهدًا يقول في هذه الآية : ﴿ وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا ﴾ قال : في الصلاة والخطبة يوم الجمعة .

وكذا روىٰ ابن جريج عن عطاء مثله .

وقال هشيم ، عن الربيع بن صبيح ، عن الحسن قال : في الصلاة وعند الذكر .

وقال ابن المبارك ، عن بقية ، سمعت ثابت بن عجلان يقول : سمعت سعيد بن جبير يقول في قوله : ﴿ وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا ﴾ قال : الإنصات يوم الأضحى ، ويوم الفطر ، ويوم الجمعة ، وفيما يجهر به الإمام من الصلاة .

وهذا اختيار ابن جرير[٢] ، أن المراد بذلك خلف الإمام وحال الخطبة .

وقال عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن ليث ، عن مجاهد ، أنه كره إذا مر الإمام بآية خوف ، أو بآية رحمة ، أن يقول أحد من خلفه شيئًا ، قال : السكوت .

وقال مبارك بن فضالة ، عن الحسن : إذا جلست إلىٰ القرآن فأنصت له .

وقال الإمام أحمد(٣٢٧) : حدثنا أبو سعيد مولىٰ بني هاشم ، حدثنا عباد بن ميسرة ، عن

---

(٣٢٧) - « المسند » (٢/٣٤١) (٨٤٧٥) وعزاه له العراقي وقال : « فيه ضعف وانقطاع » [المستخرج/ تخريج أحاديث « إحياء علوم الدين » (٢/٨٤٤)] وعلة الضعف هو ما أشار إليها تلميذه الهيثمي حيث قال في « المجمع » (٧/١٦٥) بعد أن عزاه لأحمد - « فيه عباد بن ميسرة ضعفه أحمد وغيره ، وضعفه ابن معين في رواية ووثقه في أخرى ، ووثقه ابن حبان » وعلة الانقطاع هي ما أشار إليه المنذري في « الترغيب والترهيب » (٢/٣٤٥) حيث قال : « والجمهور على أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة » والحديث رمز لضعفه السيوطي في « الجامع الصغير » مع أنه حسن إسناده في « الدر المنثور » (٣/٢٨٧) وزاد عزوه إلى البيهقي في « الشعب » ، وأخرج

---

[١] - تصحف في تفسير ابن جرير (١٣/١٥٦١١) إلى « إبراهيم بن أبي حمزة » ولم ينبه على ذلك محققه وإبراهيم هذا وثقه أحمد وابن معين وأبو حاتم وهو مترجم في « التاريخ الكبير » (٢/٢٨١) « والجرح والتعديل » (٢/٩٦) وفي « الثقات » لابن حبان (٦/٩) .

[٢] - ابن جرير في تفسيره (٣/٣٥٢ ، ٣٥٣) .

الحسن ، عن أبي هريرة رضي اللّه عنه : أن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم قال : « **من استمع إلىٰ آية من كتاب اللّه كتبت له حسنة مضاعفة ، ومن تلاها كانت له نورًا يوم القيامة** » . تفرد به الإمام أحمد رحمه اللّه تعالىٰ .

﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ (٢٠٥) إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ (٢٠٦) ﴾

يأمر تعالىٰ بذكره أول النهار وآخره ، كما أمر بعبادته في هذين الوقتين في قوله : ﴿ **وسبح**[١] **بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب** ﴾ . وقد كان هذا[٢] قبل أن تفرض الصلوات الخمس ليلة الإسراء وهذه الآية مكية .

وقال هاهنا : ﴿ **بالغدو** ﴾ وهو أول[٣] النهار ، ﴿ **والآصال** ﴾ جمع أصيل ، كما أن الأيمان جمع يمين .

وأما قوله : ﴿ **تضرعًا وخيفة**[٤] ﴾ أي : اذكر ربك في نفسك ، [رهبة ورغبة][٥] وبالقول لا جهرًا ؛ ولهذا قال : ﴿ **ودون الجهر من القول** ﴾ ، وهكذا يُستحب أن يكون الذكر ، لا يكون نداء وجهرًا بليغًا ، ولهذا لما سألوا رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم فقالوا(٣٢٨) : أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟ فأنزل اللّه - عز وجل - : ﴿ **وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة [الداع إذا دعان]**[٦] ﴾ .

وفي الصحيحين(٣٢٩) عن أبي موسىٰ الأشعري رضي اللّه عنه قال : رفع الناس أصواتهم

= عبد الرزاق في « المصنف » (٣/٦٠١٢) أخبرنا ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال : « من استمع آيةً من كتاب اللّه كانت له نورًا يوم القيامة » ورجاله ثقات ، رجال الشيخين ، غير أن ابن جريج مدلس وقد عنعنه .

(٣٢٨) - انظر ما تقدم [سورة البقرة / آية ١٨٦] .

(٣٢٩) - تقدم تخريجه [سورة البقرة / آية ١٨٦] .

---

[١] - في ز : « فسبح » . [٢] - زيادة من : ز .

[٣] - في ز : « أوائل » . [٤] - في ت : « خفية » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « الداعي إذا دعاني » .

بالدعاء في بعض الأسفار ؛ فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : « **يا**[١] **أيها الناس ؛ أربعوا على أنفسكم ؛ فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا ، إن الذي تدعونه سميع قريب** » .

وقد يكون المراد من هذه الآية كما في قوله تعالى : ﴿ **ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلًا** ﴾ ، فإن المشركين كانوا إذا سمعوا القرآن سبوه ، وسبوا من أنزله ومن جاء به ، فأمره[٢] الله تعالى أن لا يجهر به ؛ لئلا ينال منه المشركون ، ولا يخافت به[٣] عن أصحابه فلا يسمعهم ، وليتخذ سبيلًا بين الجهر والإسرار ، وكذا قال في هذه الآية الكريمة : ﴿ **ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين** ﴾ .

وقد زعم ابن جرير[٤] ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم قبله : أن المراد بهذه الآية : أمر السامع للقرآن في حال استماعه بالذكر على هذه الصفة ، وهذا بعيد مناف للإنصات المأمور به ، ثم إن[٥] المراد [ ][٦] بذلك في الصلاة كما تقدم ، أو في[٧] الصلاة والخطبة ، ومعلوم أن الإنصات إذ ذاك أفضل من الذكر [باللسان ، سواء كان سرًّا أو جهرًا ، فهذا الذي قالاه لم يتابعا عليه ، بل المراد الحض على كثرة الذكر][٨] من العباد بالغدو والآصال ؛ لئلا يكونوا من الغافلين ، ولهذا مدح الملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لايفترون ؛ فقال : ﴿ **إن الذين عند ربك لايستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون** ﴾ . وإنما ذكرهم بهذا ليُتَشَبَّه بهم في كثرة طاعتهم وعبادتهم ؛ ولهذا شرع[٩] لنا السجود هاهنا لما ذكر سجودهم لله عز وجل ، كما جاء في الحديث(٣٣٠) : « **ألا تَصفّون كما تصف الملائكة**[١٠] **عند ربها ، يُتمون الصفوف الأوَل ، ويتراصون في الصف** » .

---

(٣٣٠) - أخرجه مسلم ، كتاب : الصلاة ، باب : الأمر بالسكون في الصلاة ... (١١٩) (٤٣٠) ، وأبو داود ، كتاب : الصلاة ، باب : تسوية الصفوف (٦٦١) ، والنسائي ، كتاب : الإمامة ، باب : حث الإمام عل رصّ الصفوف والمقاربة بينها (٩٢/٢) وابن ماجه ، كتاب : إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : إقامة الصفوف (٩٩٢) وأحمد في « المسند » (١٠١/٥) من حديث جابر بن سمرة .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « فأمر » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - ابن جرير في تفسيره (٣٥٣/١٣ ، ٣٥٤) .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « بهذه » .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٩] - في ز : « يشرع » .
[١٠] - سقط من : ز .

وهذه أول سجدة في القرآن ، مما يشرع لتاليها ومستمعيها السجود بالإجماع ، وقد ورد في حديث رواه ابن ماجة(٣٣١) عن أبي الدرداء ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه عدها في

(٣٣١) - أخرجه ابن ماجه ، كتاب : إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : عدد سجود القرآن (١٠٥٦) ثنا محمد بن يحيى - وهو الذهلي - ثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي ثنا عثمان بن فائد ، ثنا عاصم بن رجاء بن حيوة ، عن المهدي بن عبد الرحمن بن عيينة بن خاطر ، قال : حدثتني عمتي أمّ الدرداء عن أبي الدرداء قال : سجدت مع النبي - صلى الله عليه وسلم - إحدى عشرة سجدة ، ليس فيها من المفصل شيء : الأعراف والرعد والنحل وبني إسرائيل ومريم والحج وسجدة الفرقان وسليمان سورة النمل - وتحرفت إلى النحل - والسجدة وفي ص وسجدة الحواميم » وقال البوصيري في « الزوائد » (٣٥٣/١) : « هذا إسناد ضعيف لضعف عثمان بن فائد » قلت : هو متابع ، قال المزي في « تهذيب الكمال (٥٩١/٢٨) : « رواه - يعني ابن ماجه - عن محمد بن يحيى الذهلي ثم ساق هذا الإسناد وقال : « تابعه - يعني ابن ماجه - أبو بكر محمد بن يحيى بن سَهَل المُطَرز عن الذهلي ... - وهذه المتابعة عند البيهقي في « السنن الكبرى » (٣١٣/٢) - وقال : « و رواه عثمان بن خُرَّزاذ الأنطاكيُّ ، عن سليمان بن عبد الرحمن ، عن عثمان بن خُلَيْد عن عاصم بن رجاء بن حَيْوَة عن المهدي بن عبد الرحمن بن حاضر - كذا ضبطه وهو مختلف في اسمه - ورواه أبو بكر بن أبي داود ، عن يعقوب بن سفيان عن سليمان بن عبد الرحمن ، عن إسماعيل بن عياش عن عاصم بن رجاء بن حيوة عن المهدي بن عبد الرحمن بن عبيدة ...» ومهدي بن عبد الرحمن هذا مختلف في اسمه وجهله ابن حجر وقال الذهبي في « الميزان » (٤/ ت ٨٨٢٥) : « لا يعرف إلا من رواية عاصم بن رجاء عنه » وترجم له العقيلي في « الضعفاء » (٢٦٣/٤) وسماه مُهَنَّد وقال « مُهَنَّد بن عبد الرحمن عن أمّ الدرداء حديثه غير محفوظ ولا يعرف إلا بهذا الإسناد ، ثم ساق له من حديث عاصم أيضًا عنه عن أم الدرداء عن أبي الدرداء مرفوعًا « **الخال وارث من لا وارث له** » وأخرجه أحمد (١٩٤/٥) ثنا سريج بن النعمان ، وابن ماجه (١٠٥٥) والمزي في « تهذيب الكمال » (٣١٣/٢١) من طريق حرملة بن يحيى ، والترمذي (٥٦٨) ثنا سفيان بن وكيع ثلاثتهم (سريج وحرملة وسفيان) عن عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن عمر الدمشقي عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال : « سجدت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم- إحدى عشرة سجدة ، منها التي في النجم » وأخرجه أحمد (٤٤٢/٦) من طريق رشدين بن سعد ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (٣١٣/٢) من طريق عبد الله بن وهب ، كلاهما (رشدين وابن وهب) عن عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عمّن أخبره عن أبي الدرداء أنه سجد مع النبي - صلى الله عليه وسلم - الحديث بنحو اللفظ السابق ، وقد رواه الترمذي (٥٦٩) بنحو هذا الإسناد من طريق الليث بن سعد عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن عمر - وهو ابن حيّان الدمشقي قال : سمعت مخبرًا يخبر عن أم الدرداء عن أبي الدرداء عن النبي - صلى الله عليه وسلم - نحوه بلفظه .

وقال الترمذي : « وهذا أصح من حديث سفيان بن وكيع عن عبد الله بن وهب .... وحديث =

سجدات القرآن .

آخر سورة الأعراف ، ولله الحمد والمنة

☆ ☆ ☆

انتهى بحمد اللَّه وحسن توفيقه المجلد السادس

ويليه إن شاء اللَّه تعالى المجلد السابع

وأوله سورة الأنفال

= أبي الدرداء حديث غريب ، لا نعرفه إلا من حديث سعيد بن أبي هلال عن عمر الدمشقي » .

وقال البخاري في « التاريخ الكبير » (٦/الترجمة ٢١٨٦) : « عمر الدمشقي عن أم الدرداء ، روى عنه سعيد بن أبي هلال ، منقطع » وقال أبو داود في « السنن » كتاب : الصلاة ، باب : تفريع أبواب السجود وكم سجدة في القرآن (٥٨/١) : « روي عن أبي الدرداء عن النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - إحدى عشرة سجدة وإسناده واهٍ » .

تنبيه : عزا البوصيري في « مصباح الزجاجة » حديث أبي الدرداء من طريق سفيان بن وكيع إلى أبي داود في سننه وما أخاله إلا وهمًا فإن أحدًا لم يعز هذا الحديث لأبي داود ، وانظر « تحفة الأشراف » (١٠٩٩٣/٨ ، ١٠٩٩٧) و« جامع المسانيد » للمصنف (٦٦٥/١٣ ، ٦٦٦) وباللَّه التوفيق .

تفسير

القرآن العظيم

للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء
إسماعيل بن كثير الدمشقي
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

هذه الطبعة أول طبعة مقابلة على النسخة الأزهرية
وكذلك على نسخة كاملة بدار الكتب المصرية

تحقيق

مصطفى السيد محمد — محمد السيد رشاد
محمد فضل العجماوي — علي أحمد عبد الباقي
حسن عباس قطب

المجلد السابع

مكتبة أولاد الشيخ للتراث
٣٦ ش اليابان - عمرانية غربية - جيزة
ت : ٥٦٢٨٣١٨ - ٥٦١١٤٤٢

مؤسسة قرطبة
طباعة . نشر . توزيع
جيزة - ت : ٥٨١٥٠٢٧

رقم الإيداع : ٩٣٤٩ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولى : I.S.B.N
977 - 5234 - 33 - 6

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر هاتف: ٤٣٠٧٥٢٦ - ٢٠٥٥٦٨٨ القاهرة

تفسير
القرآن العظيم

تفسير سورة الأنفال

وهي مدنية

آياتها : سبعون[١] وست آيات ، كلماتها : ألف كلمة ، وستمائة كلمة ، وإحدى وثلاثون كلمة ، حروفها : خمسة آلاف ومئتان ، وأربعة وتسعون حرفًا ، والله أعلم .

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾

قال البخاري(١) : قال ابن عباس : ﴿ الأنفال ﴾ الغنائم . حدثنا محمد بن عبد الرحيم ، حدثنا سعيد بن سليمان ، أخبرنا[٢] هُشيم ، أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ؛ قال : قلت لابن عباس ، رضي الله عنهما : سورة الأنفال ؟ قال : نزلت في بدر . أما ما علَّقه عن ابن عباس ، فكذلك رواه علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس(٢) أنه قال : ﴿ الأنفال ﴾ الغنائم ، كانت لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، خالصة ، ليس لأحد منها شيء . وكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، وعطاء ، والضحاك ، وقتادة ، وعطاء الخراساني ، ومقاتل بن حيان ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد : إنها الغنائم(٣) . وقال الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس(٤) أنه قال : ﴿ الأنفال ﴾ المغانم[٣] ، قال فيها لبيد[٤] :

إنّ تقوىٰ ربنا خيرُ نَفَلْ وبإذن اللّه رَيثي وَعَجَلْ(٥)

وقال ابن جرير(٦) : حدثني يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني مالك بن أنس ، عن ابن

(١) – رواه البخاري ، كتاب التفسير برقم (٤٦٤٥) .

(٢) – تفسير ابن جرير (١٥٦٣٣/٣) .

(٣) – تفسير ابن جرير (١٥٦٢٨/٣ : ١٥٦٣٧) .

(٤) – **إسناده ضعيف جدًا** ؛ من أجل الكلبي . والأثر أخرجه ابن أبي شيبة ، وابن المنذر فيما عزاه إليهما السيوطي في الدر (٢٩٥/٣) .

(٥) – البيت في تفسير ابن جرير (٣٦٦/١٣) ولسان العرب مادة (نفل) .

(٦) – رواه مالك في الموطأ (٣٦٣/٢) ومن طريقه ابن جرير في تفسيره برقم ١٥٦٤٦ – (٣٦٤/١٣) .=

[١] – في خ : « أربعون » .

[٢] – في خ : « ثنا » .

[٣] – في خ : « الغنائم » .

[٤] – في خ : « لبيب » .

شهاب ، عن القاسم بن محمد قال : سمعت رجلًا يسأل ابن عباس عن ﴿ **الأنفال** ﴾ فقال ابن عباس ، رضي اللَّه عنهما : الفرس من النَّفَل ، والسلَب من النفل . ثم عاد لمسألته ، فقال ابن عباس ذلك أيضًا . ثم قال الرجل : ﴿ **الأنفال** ﴾ التي قال اللَّه في كتابه ، ما هي ؟ قال القاسم : فلم يزل يسأله حتي كاد يُحرجه ، فقال ابن عباس : أتدرون ما مثل هذا ؟ مثل صبيغ الذي ضربه عمر بن الخطاب .

وقال عبد الرزاق(٧) : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن القاسم بن محمد قال : قال ابن عباس : كان عمر بن الخطاب ، رضي اللَّه عنه ، إذا سئل عن شيء قال : لا آمرك ولا أنهاك . ثم قال ابن عباس : واللَّه ما بعث اللَّه نبيه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، إلا زاجرًا آمرًا محلًّا محرمًا . قال القاسم : فسُلِّط على ابن عباس رجل ، يسأله[١] عن الأنفال ، فقال ابن عباس : كان الرجل يُنَفَّل فرس الرجل وسلاحه ، فأعاد عليه الرجل ، فقال له مثل ذلك ، ثم أعاد عليه حتى أغضبه ، فقال ابن عباس : أتدرون ما مَثَل هذا ؟ مثل صبيغ الذي ضربه عمر ابن الخطاب ، حتى سالت الدماء على[٢] عقبيه - أو على رجليه - فقال الرجل : أما أنت فقد انتقم اللَّه لعمر منك .

وهذا إسناد صحيح إلىٰ ابن عباس ، أنه فسر النفل بما ينفله الإمام لبعض الأشخاص من سَلَب أو نحوه ، بعد قَسْم أصل المغنم ، وهو المتبادر إلىٰ فهم كثير من الفقهاء من لفظ النفَل ، واللَّه أعلم .

وقال ابن أبي نجيح(٨) : عن مجاهد : إنهم سألوا رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، عن الخُمْس بعد الأربعة الأخماس ، فنزلت : ﴿ **يسألونك عن الأنفال** ﴾ .

وقال ابن مسعود ومسروق : لَا نفَل يوم الزحف ، إنما النفل قبل التقاء الصفوف[٣] . رواه ابن أبي حاتم عنهما .

وقال ابن المبارك وغير واحد ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء بن أبي رباح :

= وعزاه السيوطي في الدر المنثور إلى : ابن أبي شيبة ، وأبي عبيد ، وعبد بن حميد ، والنحاس ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه .

(٧) - تفسير عبد الرزاق (٢٣١/١) وصبيغ هو « ابن عسل » ويقال : « ابن سهل » التميمي . انظر قصته في : الإصابة (١٩٨/٢) .

(٨) - رواه ابن جرير في تفسيره (١٥٦٤٩/١٣) .

---

[١] - في خ : « فسأله » .

[٢] - في خ : « في » .

[٣] - في خ : « الصوف » .

﴿ **يسألونك عن الأنفال** ﴾ قال : يسألونك فيما شذ من المشركين إلىٰ المسلمين في غير قتال ، من دابة ، أو عبد ، أو أمة ، أو متاع ، فهو نفل للنبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يصنع به ما يشاء .

وهذا يقتضي أنه فسر الأنفال بالفيء وهو ما أخذ من الكفار من غير قتال .

قال ابن جرير(٩) : وقال آخرون : هي أنفال السرايا .

حدثني الحارث ، حدثنا عبد العزيز ، حدثنا علي بن صالح بن حيّ قال : بلغني في قوله تعالىٰ : ﴿ **يسألونك عن الأنفال** ﴾ قال : السرايا .

ويعني هذا ما ينفله الإمام لبعض السرايا زيادة علىٰ قَسْمهم مع بقية الجيش ، وقد صرح بذلك الشعبي ، واختار ابن جرير أنها الزيادات علىٰ القسم ، ويشهد لذلك ما ورد في سبب نزول الآية ، وهو ما رواه الإمام أحمد حيث قال(١٠) :

حدثنا أبو معاوية ، حدثنا أبو إسحاق الشيباني ، عن محمد بن عبيد الله الثقفي ، عن سعد بن أبي وقاص قال : لما كان يوم بدر ، وقتل أخي عمير ، وقتلت سعيد بن العاص وأخذت سيفه ، وكان يسمىٰ : « **ذا الكَتِيفَة**(١١) » ، فأتيت به النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال : « **اذهب فاطرحه في القَبَض**(١٢) » ، قال : فرجعت وبي ما لا يعلمه إلا الله ، من قتل أخي وأخذ سلبي ، قال : فما جاوزت إلا يسيرًا ، حتىٰ نزلت سورة الأنفال ، فقال لي رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، « **اذهب فخذ سيفك** » .

وقال الإمام أحمد أيضًا(١٣) : حدثنا أسود بن عامر ، أخبرنا أبو بكر ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن مصعب بن سعد ، عن سعد بن مالك قال : قلت : يا رسول الله ، قد شفاني الله اليوم من المشركين ، فهب لي هذا السيف ، فقال : « **إن هذا السيف لا لك ولا لي ، ضعه** » قال : فوضعته ، ثم رجعت فقلت : عسى أن يعطي هذا السيف اليوم من

---

(٩) – تفسير ابن جرير (١٣/١٥٦٣٨) .

(١٠) – المسند ١٥٥٦ – (١/١٨٠) ، ومحمد بن عبيد الله الثقفي أبو عون : ثقة ، ولكنه لم يدرك سعدًا ، قاله ابن أبي حاتم في المراسيل (٦٧) . ورواه أبو عبيد القاسم بن سلام في الأموال (٣٠٣) ، وعزاه في الدر المنثور لابن أبي شيبة ، وأحمد ، وابن جرير ١٥٦٥٩ – (١٣/٣٧٣) ، وابن مردويه .

(١١) – الكتيف : السيف الصفيح ، أي العريض .

(١٢) – القَبَض : بمعنى المقبوض ، وهو ما جمع من الغنيمة قبل أن تقسم .

(١٣) – المسند ١٥٣٨ – (١/١٧٨) ورواه أبو داود في الجهاد برقم (٢٧٤٠) ، والترمذي في التفسير برقم (٣٠٧٩) ، والنسائي في السنن الكبرى برقم (١١١٩٦) .

لايبلي بلائي ، قال : إذا[١] رجل يدعوني من ورائي ، قال : قلت : قد أنزل اللّه فيَّ شيئًا ؟ قال : كنت سألتني السيف ، وليس هو لي ، وإنه قد وهب لي ، فهو لك . قال : وأنزل اللّه هذه الآية : ﴿ **يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول** ﴾ .

ورواه أبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، من طرق عن أبي بكر بن عياش ، به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وهكذا رواه أبو داود الطيالسي(١٤) : أخبرنا شعبة ، أخبرنا سماك بن حرب ، قال : سمعت مصعب بن سعد ، يحدث عن سعد ، قال : نزلت فيَّ أربع آيات : أصبت سيفًا يوم بدر ، فأتيت النبي ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، فقلت : نَفِّلْنِيهِ ، فقال : « **ضعه من حيث أخذته** » ، مرتين ، ثم عاودته فقال النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **ضعه من حيث أخذته** » ؛ فنزلت هذه الآية : ﴿ **يسألونك عن الأنفال** ﴾ .

وتمام الحديث في نزول : ﴿ **ووصينا الإنسان بوالديه حسنًا** ﴾ ، وقوله تعالىٰ : ﴿ **إنما الخمر والميسر** ﴾ ، وآية الوصية . وقد رواه مسلم في صحيحه من حديث شعبة به(١٥) .

وقال محمد بن إسحاق (١٦) : حدثني عبد اللّه بن أبي بكر ، عن بعض بني ساعدة قال : سمعت أبا أسيد مالك بن ربيعة يقول : أصبت سيف ابن عائذ يوم بدر ، وكان السيف يدعىٰ بالمرزبان ، فلما أمر رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، الناس أن يردوا ما في أيديهم من النفَل ، أقبلت به فألقيته في النفل ، وكان رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، لايمنع شيئًا يُسأله ، فرآه الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي ، فسأله رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، فأعطاه ، إياه .

ورواه ابن جرير من وجه آخر(١٧) .

(١٤) – مسند الطيالسي برقم (٢٠٨) .

(١٥) – رواه مسلم من حديث محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن سماك بن حرب ، عن مصعب بن سعد ، عن أبيه ، نحوه ، برقم ٣٤ – (١٧٤٨) .

(١٦) – رواه ابن جرير في تفسيره ١٥٦٦٠ – (٣٧٤/١٣) من طريق ابن إسحاق ، به .

(١٧) – رواه ابن جرير من حديث يحيى بن جعفر ، قال : حدثنا أحمد بن أبي بكر ، عن يحيى بن عمران ، عن جده عثمان بن الأرقم ، وعن عمه ، عن جده قال : قال رسول الله ، صلىٰ اللّه عليه وسلم يوم بدر : « **ردُّوا ما كان من الأنفال ...** » الحديث برقم ١٥٦٦١ – (٣٧٥/١٣) .

[١] – سقط من : ت .

(سبب آخر في نزول الآية)

وقال الإمام أحمد (١٨) : حدثنا محمد بن سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الرحمن ، عن سليمان بن موسي ، عن مكحول ، عن أبي أمامة قال : سألت عبادة عن الأنفال ، فقال : فينا - أصحاب بدر - نزلت ، حين اختلفنا في النفل ، وساءت فيه أخلاقنا ، فانتزعه الله من أيدينا ، وجعله إلىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فقسمه رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، بين المسلمين عن بواء - يقول : عن سواء .

وقال الإمام أحمد أيضًا(١٩) : حدثنا معاوية بن عمرو ، أخبرنا أبو إسحاق ، عن عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش[١] بن أبي ربيعة ، عن سليمان بن موسي ، عن أبي سلام ، عن أبي أمامة ، عن عبادة بن الصامت قال : خرجنا مع رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فشهدت معه بدرًا ، فالتقىٰ الناس ، فهزم الله تعالىٰ العدو ، فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون ، وأكَبَّت طائفة علىٰ العسكر يحوونه ويجمعونه ، وأحدقت طائفة برسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، لايصيب العدو منه غرة ، حتىٰ إذا كان الليل ، وفاء الناس بعضهم إلىٰ بعض ، قال الذين جمعوا الغنائم : نحن حويناها ، فليس لأحد فيها نصيب ، وقال الذين خرجوا في طلب العدو : لستم بأحق به منا ، نحن منعنا عنها العدو وهزمناهم ، وقال الذين أحدقوا برسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : [لستم أحق بها منا ، نحن أحدقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، و][٢]خفنا أن يصيب العدو منه غرة ، فاشتغلنا به ؛ فنزلت : ﴿ **يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم** ﴾ ، فقسمها رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، بين المسلمين ، وكان رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، إذا أغار في أرض العدو نفل الربع ، فإذا أقبل - [وكلّ الناس][٣] - راجعًا ، نفل الثلث ، وكان يكره الأنفال [ويقول : « **ليرد قويّ المؤمنين على ضعيفهم**][٤] » .

---

(١٨) - المسند ٢٢٨٥٢ - (٣٢٢/٥) ، وأورده الهيثمي (٢٦/٧) وقال : رواه أحمد ورجال الطريقين - يعني هذا ، والحديث التالي - ثقات .

(١٩) - عبد الرحمن بن الحارث بن عياش بن أبي ربيعة : صدوق له أوهام ، روى له البخاري في الأدب المفرد والأربعة . فهو ليس من رجال مسلم . والحديث في المسند ٢٢٨٦٧ - (٣٢٤/٥) ، وأورده الهيثمي والحديث الذي قبله (٢٦/٧) وقال : رجال الطريقين ثقات . ورواه ابن جرير في تفسيره ١٥٦٥٤ ، ١٥٦٥٥ - (٣٦٩/١٣) .

---

[١] - في خ : « عباس » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

ورواه الترمذي(٢٠) وابن ماجة ، من حديث سفيان الثوري ، عن عبد الرحمن بن الحارث ، به نحوه . وقال الترمذي : هذا حديث حسن .

ورواه ابن حبان في صحيحه ، والحاكم في مستدركه ، من حديث عبد الرحمن بن الحارث ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه .

وروىٰ أبو داود ، والنسائي ، وابن جرير ، وابن مردويه(٢١) - واللفظ له - وابن حبان ، والحاكم من طرق ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما كان يوم بدر ، قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا** » فتسارع[١] في ذلك شبان الرجال ، وبقي الشيوخ تحت الرايات ، فلما كانت المغانم جاءوا يطلبون الذي جعل لهم ، فقال الشيوخ : لاتستأثروا علينا ؛ فإنا كنَّا ردءًا لكم ، لو انكشفتم لفئتم إلينا ، فتنازعوا ، فأنزل الله تعالىٰ : ﴿ **يسألونك عن الأنفال** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين** ﴾ .

وقال الثوري(٢٢) ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال : لما كان يوم بدر ، قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **من قتل قتيلًا فله كذا وكذا ، ومن أتى بأسير فله كذا وكذا** » فجاء أبو اليسر بأسيرين ، فقال : يا رسول الله ! وعدتنا ، فقام سعد ابن عبادة فقال : يارسول الله ! إن أعطيت هؤلاء لم يبق لأصحابك شيء ، وإنه لم يمنعنا من هذا زهادة في الأجر ، ولا[٢] جبن عن العدو ، وإنما قمنا هذا المقام محافظةً عليك ، نخاف أن يأتوك من ورائك ، فتشاجروا ، ونزل القرآن : ﴿ **يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول** ﴾ قال : ونزل القرآن : ﴿ **اعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه** ﴾ إلىٰ آخر الآية .

وقال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله(٢٣) في كتاب « الأموال الشرعية وبيان

---

(٢٠) - الحديث رواه الترمذي برقم (١٥٦١) ، وابن ماجة برقم (٢٨٥٢) ، وابن حبان برقم (١٦٩٣) « موارد » ، والحاكم في المستدرك (١٣٦/٢) ، ومن طريقه البيهقي (٢٩٢/٦) مطولاً ، ومختصراً ، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه .

(٢١) - رواه أبو داود في كتاب الجهاد ، باب : النفل برقم (٢٧٣٧) ، والنسائي في الكبرى برقم (١١١٩٧) ، وابن جرير في تفسيره ١٥٦٥٠ ، ١٥٦٥٣ - (٣٦٨/١٣) ، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٢٦) ، والبيهقي في الكبرى (٣١٥/٦) .

(٢٢) - **إسناده ضعيف جدًا** ، رواه عبد الرزاق في المصنف برقم (٩٤٨٣) عن الثوري ، به .

(٢٣) - الأموال (ص ٤٣١) .

---

[١] - في خ : « فتنازع » . [٢] - سقط من : خ ، ز .

جهاتها ومصارفها » : أما الأنفال فهي المغانم ، وكل نيل ناله المسلمون من أموال أهل الحرب ، فكانت الأنفال الأولىٰ [لرسول اللّٰه][١] صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، يقول اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **يسألونك عن الأنفال قل الأنفال للّٰه والرسول** ﴾ ، فقسمها يوم بدر علىٰ ما أراه اللّٰه من غير أن يخمسها علىٰ ما ذكرناه في حديث سعد ، ثم نزلت بعد ذلك آية الخمس ، فنسخت الأولىٰ .

قلت : هكذا روىٰ علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس سواء ، وبه قال مجاهد وعكرمة والسدي .

وقال ابن زيد : ليست منسوخة بل هي محكمة .

قال أبو عبيد : وفي ذلك آثار . .. والأنفال أصلها جماع الغنائم ، إلا أن الخمس منها مخصوص لأهله ، على ما نزل به الكتاب وجرت به السنة ، ومعنىٰ الأنفال في كلام العرب : كل إحسان فعله فاعل تفضلًا من غير أن يجب ذلك عليه ، فذلك النفل الذي أحله اللّٰه للمؤمنين من أموال عدوهم ، وإنما [هو شيء][٢] خصهم اللّٰه[٣] به تطولًا منه عليهم ، بعد أن كانت المغانم محرمة علىٰ الأمم قبلهم ، فنفلها اللّٰه تعالىٰ هذه الأمة . فهذا أصل النفل .

قلت : شاهد هذا في الصحيحين عن جابر - رضي اللّٰه عنه - أن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال : « **أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي** » فذكر الحديث إلىٰ أن قال : « **وأحلت لي الغنائم ، ولم تحل لأحد قبلي** » وذكر تمام الحديث(٢٤) .

ثم قال أبو عبيد : ولهذا سُمي ما جعل الإمام للمقاتلة نفلًا ، وهو تفضيله بعض الجيش علىٰ بعض بشيء سوىٰ سهامهم ، يفعل ذلك بهم علىٰ قدر الغناء عن الإسلام والنكاية في العدو ، وفي النفل الذي ينفله الإمام سنن أربع ، لكل واحدة منهن موضع غير موضع الأخرىٰ :

(فإحداهن) : في النفل لا خمس فيه ، وذلك السلب .

(والثانية) : في[٤] النفل الذي يكون من الغنيمة بعد إخراج الخمس ، وهو أن يوجه الإمام السرايا في أرض الحرب ، فتأتي بالغنائم ، فيكون للسرية مما جاءت به الربع أو الثلث [بعد

(٢٤) - تقدم تخريج هذا الحديث عند تفسير الآية : ٤٣ من سورة النساء .

[١] - في ز ، خ : « إلى النبي » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .

الخمس][١] .

(والثالثة) : في النفل من الخمس نفسه ، وهو أن تحاز الغنيمة كلها ، ثم تخمس ، فإذا صار الخمس في يدي الإمام نفل منه علىٰ قدر ما يرىٰ .

(والرابعة) : في النفل في جملة الغنيمة قبل أن يخمس منها شيء ، وهو أن يعطي الأدلاء ورعاة الماشية والشوَّاق لها ، وفي كل ذلك اختلاف .

قال الربيع : قال الشافعي : الأنفال أن لا يخرج[٢] من رأس الغنيمة قبل الخمس شيء غير السلب .

قال أبو عبيد : والوجه الثاني من النفل : هو شيء زيدوه غير الذي كان لهم ، وذلك من خمس النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فإن له خمس الخمس من كل غنيمة ، فينبغي للإمام أن يجتهد ، فإذا كثر العدو ، واشتدّت شوكتهم ، وقل من بإزائه من المسلمين ، نفل منه اتباعًا لسنة رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وإذا لم يكن ذلك لم ينفل .

(والوجه الثالث) من النفل : إذا بعث الإمام سرية أو جيشًا ، فقال لهم قبل اللقاء : من غنم شيئًا [فهو له][٣] بعد الخمس ، فذلك لهم علىٰ ما شرط الإمام ؛ لأنهم علىٰ ذلك غزوا ، وبه رضوا . انتهىٰ كلامه .

وفيما تقدّم من كلامه ، وهو قوله : إن غنائم بدر لم تخمس - نظر ، ويرد عليه حديث علي بن أبي طالب في شارفيه الذين حصلا له من الخمس يوم بدر ، وقد بينت ذلك في كتاب السيرة بيانًا شافيًا (٢٥) . ولله الحمد والمنة[٤] .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **فاتقوا اللّٰه وأصلحوا ذات بينكم** ﴾ أي : اتقوا اللّٰه في أموركم ، وأصلحوا فيما بينكم، ولا تظالموا ، ولا تخاصموا ، ولا تشاجروا ، فما آتاكم اللّٰه من الهدىٰ والعلم خير مما تختصمون بسببه . ﴿ **وأطيعوا اللّٰه ورسوله** ﴾ أي : في قسمه بينكم علىٰ ما أراده[٥] اللّٰه ، فإنه إنما[٦] قسمه كما أمره اللّٰه من العدل والإنصاف .

وقال ابن عباس(٢٦) : هذا تحريج من اللّٰه [على المؤمنين][٧] أن يتقوا ويصلحوا ذات

(٢٥) - السيرة لابن كثير (٢/٤٦٦) .
(٢٦) - رواه ابن جرير (١٣/١٥٦٨١) .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز : « تخرج » .
[٣] - في ز ، خ : « فله » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : « أراه » .
[٦] - سقط من : ت .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

بينهم . وكذا قال مجاهد .

وقال السدي : ﴿ فاتقوا اللّٰه وأصلحوا ذات بينكم ﴾ أي : لا تستبوا .

ولنذكر هاهنا حديثًا[١] أورده الحافظ أبو يعلىٰ أحمد بن علي بن المثنىٰ الموصلي ، رحمه اللّٰه ، في مسنده فإنه قال(٢٧) : حدثنا مجاهد بن موسى ، حدثنا عبد اللّٰه بن بكر[٢] ، حدثنا عباد بن شيبة الحبطي[٣]، عن سعيد بن أنس ، عن أنس -رضي اللّٰه عنه- قال : بينا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم جالس ، إذ رأيناه ضحك حتىٰ بدت ثناياه ، فقال عمر : ما أضحكك يا رسول اللّٰه ؟ بأبي أنت وأمي ! فقال : « **رجلان جثيا من أمّتي بين يدي رب العزة تبارك وتعالىٰ ، فقال أحدهما : يا رب خذ لي مظلمتي من أخي . قال اللّٰه تعالىٰ : أعط أخاك مظلمته ، قال : يا رب ، لم يبق من حسناتي شيء . قال : رب ، فليحمل عني من أوزاري** » قال : وفاضت عينا رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، بالبكاء ، ثم قال : « **إن ذلك ليوم عظيم ، يوم يحتاج الناس إلىٰ من[٤] يتحمل عنهم من أوزارهم ، فقال اللّٰه تعالىٰ للطالب : ارفع بصرك فانظر في الجنان ، فرفع رأسه فقال : يارب ، أرىٰ مدائن من فضة ، وقصورًا[٥] من ذهب ، مكللة باللؤلؤ ، لأيّ نبي هذا ؟ لأي صديق هذا ؟ لأي شهيد هذا ؟ قال : هذا لمن أعطىٰ الثمن ، قال : يارب ، ومن يملك ذلك ؟ قال : أنت تملكه ، قال : ماذا يارب ؟ قال : تعفو عن أخيك ، قال : يارب ، فإني قد**

(٢٧) - لم نقف عليه في المطبوع من مسند أبي يعلى ، وقد رواه الحاكم في المستدرك (٥٧٦/٤) من طريق عباد بن شيبة الحبطي ، عن سعيد بن أنس ، به . وكذا رواه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله ، رقم (١١٨) ص ١٠٩ .

وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » وتعقبه الذهبي فقال : « عباد بن شيبة الحبطي ، عن سعيد ، والأول ضعيف ، وشيخه لا يعرف » .

وعزاه صاحب كنز العمال للخرائطي في مكارم الأخلاق ، وذكره المنذري في الترغيب (٢١٠/٣) وعزاه أيضاً للبيهقي في البعث والنشور .

وقال البخاري في التاريخ الكبير (٤٥٩/٣) : سعيد بن أنس ، عن أنس ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في المظالم ، لا يتابع عليه ، وأورده ابن أبي حاتم (٣/٤) ولم يذكر فيه جرحاً . وذكره العقيلي (٩٨/٢) وقال : مجهول في النقل ، وأورد قول البخاري .

وعباد بن شيبة ذكره ابن حبان في المجروحين (١٧١/٢) وقال : يروي عن سعيد بن أنس ، روى عنه عبد الله ابن بكر السهمي : منكر الحديث جدًا ، على قلة روايته ، لا يجوز الاحتجاج به ؛ لما انفرد به من المناكير .

[١] - في ز : « حديث » .
[٢] - في ز ، خ : « بكير » .
[٣] - في ز ، خ : « الحنظلي » .
[٤] - في خ : « أن » .
[٥] - في ز : « قصور » .

عفوت عنه ، قال الله تعالىٰ : خذ بيد أخيك فأدخله الجنة » . ثم قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **فاتقوا الله ، وأصلحوا ذات بينكم ، فإن الله تعالىٰ يصلح بين المؤمنين يوم القيامة »** .

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في[١] قوله : ﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم** ﴾ قال : المنافقون ، لا يدخل قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء[٢] فرائضه ، ولا يؤمنون بشيء من آيات الله ، ولا يتوكلون ، ولا يصلون إذا غابوا ، ولا يؤدّون زكاة أموالهم ، فأخبر الله تعالىٰ أنهم ليسوا بمؤمنين ، ثم وصف الله[٣] المؤمنين فقال : ﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم** ﴾ فأدَّوْا فرائضه - ﴿ **وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا** ﴾ يقول : تصديقًا ﴿ **وعلىٰ ربهم يتوكلون** ﴾ يقول : لا يرجون غيره .

وقال مجاهد : ﴿ **وجلت قلوبهم** ﴾ فرقت ، أي : فزعت وخافت . وكذا قال السدي وغير واحد .

وهذه صفة المؤمن حق المؤمن ، الذي إذا ذكر الله وجل قلبه ، أي خاف منه ، ففعل أوامره ، وترك زواجره ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا علىٰ ما فعلوا وهم يعلمون** ﴾ . وكقوله تعالىٰ : ﴿ **وأما من خاف مقام ربه ونهىٰ النفس عن الهوىٰ فإن الجنة هي المأوىٰ** ﴾ . ولهذا قال سفيان الثوري : سمعت السدي يقول في قوله تعالىٰ : ﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم** ﴾ قال : هو الرجل يريد أن يظلم - أو قال : يهم بمعصية - فيقال له : اتق الله فَيَجِلُ قلبه .

وقال الثوري أيضًا ، عن عبد الله بن عثمان بن خُثَيْم ، عن شهر بن حوشب ، عن أم الدرداء في قوله : ﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم** ﴾ قالت : الوجل في

[١] - سقط من : خ .
[٢] - سقط من : خ . [٣] - سقط من : ز ، خ .

القلب كإحراق[١] السعفة، أما تجد لها[٢] قشعريرة ؟ قال : بلىٰ . قالت : إذا وجدت ذلك ، فادع الله عند ذلك ؛ فإن الدعاء يذهب ذلك .

وقوله : ﴿ **وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا** ﴾ ، كقوله : ﴿ **وإذا ما أُنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانًا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانًا وهم يستبشرون** ﴾ .

وقد استدل البخاري وغيره من الأئمة بهذه الآية وأشباهها علىٰ زيادة الإيمان وتفاضله في القلوب ، كما هو مذهب جمهور الأمة[٣] . بل قد حكىٰ الإجماع علىٰ ذلك غير واحد من الأئمة ، كالشافعي وأحمد بن حنبل وأبي عبيد ، كما بينا ذلك مستقصى في أول شرح البخاري ، ولله الحمد والمنة .

﴿ **وعلىٰ ربهم يتوكلون** ﴾ أي : لايرجون سواه ، ولا يقصدون إلا إياه ، ولا يلوذون إلا بجنابه ، ولا يطلبون الحوائج إلا منه ، ولا يرغبون إلا إليه ، ويعلمون أن[٤] ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وأنه المتصرف في الملك ، وحده لا شريك له ، ولا معقب لحكمه ، وهو سريع الحساب ، ولهذا قال سعيد بن جبير : التوكل علىٰ الله جماع الإيمان .

وقوله : ﴿ **الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ ، ينبه تعالىٰ بذلك علىٰ أعمالهم ، بعد ما ذكر اعتقادهم . وهذه الأعمال تشمل أنواع الخير كلها ، وهو إقامة الصلاة ، وهو حق الله تعالىٰ .

وقال قتادة : إقامة الصلاة : المحافظة علي مواقيتها ، ووضوئها ، وركوعها ، وسجودها .

وقال مقاتل بن حيان : إقامتها : المحافظة علىٰ مواقيتها ، وإسباغ الطهور فيها[٥] ، وتمام ركوعها وسجودها ، وتلاوة القرآن فيها ، والتشهد ، والصلاة علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم - هذا إقامتها .

والإنفاق مما رزقهم الله : يشمل إخراج الزكاة وسائر الحقوق للعباد ، من واجب ومستحب ، والخلق كلهم عيال الله فأحبهم إلىٰ الله أنفعهم لخلقه .

قال قتادة في قوله : ﴿ **ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ فأنفقوا مما أعطاكم الله ، فإنما هذه الأموال عَواري وودائع عندك يا بن آدم ، أوشكت أن تفارقها .

---

[١] - في ت : « كاحتراق » .
[٢] - في ت : « له » .
[٣] - في خ : « الأئمة » .
[٤] - في ز : « أنه » .
[٥] - في ز : « منها » .

وقوله : ﴿ **أولئك هم المؤمنون حقًّا** ﴾ أي : المتصفون بهذه الصفات ، هم المؤمنون حق الإيمان .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني(٢٨) : حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي ، حدثنا أبو كريب ، حدثنا زيد بن الحباب ، حدثنا ابن لهيعة ، عن خالد بن يزيد السكسكي ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن محمد بن أبي الجهم ، عن الحارث بن مالك الأنصاري أنه مر برسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال له : « **كيف أصبحت يا حارث ؟** » قال : أصبحت مؤمنًا حقًّا . قال : « **انظر ماذا تقول ؛ فإن لكل شيء حقيقة ، فما حقيقة إيمانك ؟** فقال : **عزفت نفسي عن الدنيا ، فأسهرت ليلي ، وأظمأت نهاري ، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزًا ، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاغون**[١] **فيها** . فقال : « **يا حارث ، عرفت فالزم** » ثلاثًا .

---

(٢٨) - المعجم الكبير (٢٦٦/٣) ، وقال الهيثمي في المجمع (٥٧/١) : « رواه الطبراني وفيه ابن لهيعة وفيه من يحتاج إلى الكشف عنه » .

وروى هذا الحديث ابن المبارك في الزهد ، عن معمر ، عن صالح بن مسمار أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **يا حارث** ... » فذكره . وكذا أخرجه عبد الرزاق ، عن معمر ، عن صالح بن مسمار وجعفر بن برقان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للحارث .... فذكره ، وأخرجه في التفسير - يعني عبد الرزاق - عن الثوري .

ورواه البزار كما في مختصر زوائد البزار (٢٣) فقال البزار : حدثنا أحمد بن محمد الليثي ، ثنا يوسف بن عطية ، عن ثابت ، عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم ... فذكره إلا أنه سماه حارثة وقال البزار : تفرد به يوسف ، وهو لين الحديث .

قال الحافظ في الإصابة : وجاء موصولاً من طريق أخرى ، وأخرجه الطبراني ٣٣٦٧ - (٣٠٢/٣) من طريق سعيد بن أبي هلال ، عن محمد بن أبي الجهم . وابن منده من طريق سليمان بن سعيد ، عن الربيع بن لوط - كلاهما - عن الحارث بن مالك أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ... فذكره .

قال ابن منده : ورواه زيد بن أبي أنيسة ، عن عبد الكريم بن الحارث ، عن الحارث بن مالك .

ورواه جرير بن عتبة بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فإذا الحارث بن مالك ، فحركه برجله .... فذكر الحديث .

وروى البيهقي في الشعب من طريق يوسف بن عطية الصفار ، وهو ضعيف جدًّا ، عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم لقي الحارث يوماً فقال : « **كيف أصبحت ؟** ... » الحديث بطوله .

قال البيهقي : هذا منكر ، وقد خبط فيه يوسف فقال مرة : الحارث ، وقال مرة : حارثة .

وقال أبو عاصم بن خشيش بن أصرم في كتاب الاستقامة له : حدثنا عبد العزيز بن أبان ، أخبرنا مالك =

---

[١] - في ز : « يتظاغون » . ومعنى يتضاغون : أي : يتصايحون ويبكون ؛ يقال : ضغا يضغوا ضغوًا وضغاءً إذا صاح وضجَّ .

وقال عمرو بن مرة في قوله تعالىٰ : ﴿ أولئك هم المؤمنون حقًّا ﴾ ، إنما أنزل القرآن بلسان العرب ، كقولك : فلان سيد حقًّا ، وفي القوم سادة ، وفلان تاجر حقًّا ، وفي القوم تجار . وفلان شاعر حقًّا [وفي القوم][١] شعراء .

وقوله : ﴿ لهم درجات عند ربهم ﴾ أي : منازل و[٢]مقامات ودرجات في الجنات . كما قال تعالىٰ : ﴿ هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون ﴾ .

﴿ ومغفرة ﴾ أي : يغفر لهم السيئات ، ويشكر لهم الحسنات .

وقال الضحاك في قوله : ﴿ لهم درجات عند ربهم ﴾ : أهل الجنة بعضهم فوق بعض ، فيرىٰ[٣] الذي هو فوق فضله علىٰ الذي هو أسفل منه ، ولا يرىٰ الذي هو أسفل منه أنه فُضِّل عليه أحد .

ولهذا جاء في الصحيحين(٢٩) ، أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **إن أهل عليين ليراهم من أسفل منهم ، كما ترون[٤] الكوكب الغابر[٥] في أفق من آفاق السماء** » . قالوا : يا رسول الله ، تلك منازل الأنبياء ، لا ينالها غيرهم ؟ فقال : « **بلىٰ ، والذي نفسي بيده ، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين** » .

وفي الحديث الآخر الذي رواه الإمام أحمد وأهل السنن(٣٠) من حديث عطية ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن أهل الجنة ليتراءون أهل[٦]**

ابن مغول ، عن فضل بن غزوان قال : أغير على سرح المدينة ، فخرج الحارث بن مالك فقتل منهم ثمانية ، ثم قال : وهو الذي قال له النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **كيف أصبحت يا حارثة ؟** » ورواه ابن أبي شيبة عن ابن نمير ، عن مالك بن مغول بالمرفوع ، ولم يذكر فضيل بن غزوان . قال ابن صاعد بعد أن أخرجه عن الحسين بن الحسن المروزي ، عن ابن المبارك : لا أعلم صالح بن مسمار أسند إلا حديثًا واحدًا ، لا يثبت موصولاً اهـ من الإصابة (٥٩٧/١) .

(٢٩) - صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب : صفة الجنة ... برقم (٣٢٥٦) ، وصحيح مسلم برقم (٢٨٣١) ، من حديث أبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه .

(٣٠) - **إسناده ضعيف لضعف عطية العوفي** ، ورواه أحمد ، ١١٢٢٠ ، ١١٢٢٧ ، ١١٦٠٤ (٢٦/٣ ، ٢٧ ، ٦١) وأخرجه أبو داود - كتاب الحروف والقراءات ، (٣٩٨٧) . والترمذي - كتاب المناقب ، باب : مناقب أبي بكر الصديق - (٣٦٥٩) . وابن ماجه - في المقدمة ، باب : في فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - (٩٦) . والحميدى - (٧٥٥) ، وعبد بن حميد (٨٨٧) ، وأبو يعلى =

[١] - مكررة في ز .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « فترى » .
[٤] - في خ : « يرون » .
[٥] - في ز : « العابر » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .

الدرجات العلىٰ ، كما ترون الكوكب الغابر في أفق السماء ، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما » .

كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾
يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾
وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ
تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾
لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٨﴾

قال الإمام أبو جعفر الطبري : اختلف المفسرون في السبب الجالب لهذه « **الكاف** » في قوله : ﴿ **كما أخرجك ربك** ﴾ فقال بعضهم : شُبّه به في الصلاح للمؤمنين ، اتقاؤهم ربهم ، وإصلاحهم ذات بينهم ، وطاعتهم لله[١] ورسوله .

ثم روي عن عكرمة نحو هذا .

ومعنىٰ هذا أن الله تعالىٰ يقول: كما أنكم لما اختلفتم في المغانم، وتشاححتم فيها ، فانتزعها الله منكم ، وجعلها إلىٰ قَسْمه وقَسْم رسوله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فقسمها علىٰ العدل والتسوية ، فكان هذا هو المصلحة التامة لكم ، وكذلك لما كرهتم الخروج إلىٰ الأعداء من قتال ذات الشوكة – وهم النفير الذين خرجوا لنصر دينهم ، وإحراز عيرهم – فكان عاقبة كراهتكم للقتال – بأن قدّره لكم ، وجمع به بينكم وبين عدوكم علىٰ غير ميعاد – رَشَدًا وهدىٰ ، ونصرًا وفتحًا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسىٰ أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئًا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم**

= (١١٣٠، ١١٧٨، ١٢٧٨) . والطبراني في الأوسط – (٢٩٥١، ٣٤٢٧) ، وأبو نعيم في الحلية – (٧/ ٢٥٠) . والبغوي في شرح السنة (٣٨٩٢، ٣٨٩٣) ، والبيهقي في البعث (٢٥٠) وغيرهم .

وهو عند أحمد أيضاً برقم (١١٤٨٣، ١١٧٠٧، ١١٨٩٨، ١١٩٥٦) (٣/ ٥٠، ٧٢، ٩٣، ٩٨) . من طرق عن عطية العوفى ، به . وأخرجه ابن عدي في الكامل (٦/ ٢٠٩٨) من طريق كوثر بن حكيم عن أبي سعيد به . وكوثر هذا ضعفه أبو زرعة ، وقال أحمد : أحاديثه بواطيل ، ليس بشيء .وقال ابن عدي : عامة ما يرويه غير محفوظ . وقال الدارقطني : متروك الحديث [انظر لسان الميزان لابن حجر ت (٦٧٦٨) (٤/ ٥٧٩)]

---

[١] – في ز ، خ : « الله » .

لاتعلمون ﴾ .

قال ابن جرير : وقال آخرون : معنىٰ ذلك : ﴿ **كما أخرجك ربك من بيتك بالحق** ﴾ علىٰ كره من فريق من المؤمنين ، كذلك هم كارهون للقتال ، فهم يجادلونك فيه بعدما تبين لهم . ثم روى نحوه عن مجاهد ؛ أنه قال : ﴿ **كما أخرجك ربك** ﴾ قال : كذلك يجادلونك في الحق .

وقال السدي : أنزل اللّه فيٰ خروجه إلىٰ بدر ومجادلتهم إياه ، فقال : ﴿ **كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقًا من المؤمنين لكارهون** ﴾ لطلب المشركين ، ﴿ **يجادلونك [فيٰ الحق]**[١] **بعدما تبين** ﴾ .

وقال بعضهم : يسألونك عن الأنفال مجادلة ؛ كما جادلوك يوم بدر فقالوا : أخرجتنا للعير ، ولم تعلمنا قتالًا فنستعدَّ له .

قلت : رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، إنما خرج من المدينة طالبًا لعير أبي سفيان ، التي بلغه خبرها أنها صادرة من الشام ، فيها أموال جزيلة لقريش ، فاستنهض رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، المسلمين من[٢] خَفَّ منهم ، فخرج في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا ، وطلب نحو الساحل من علىٰ طريق بدر ، وعلم أبو سفيان بخروج رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، في طلبه ، فبعث ضمضم بن عمرو نذيرًا إلىٰ مكة ، فنهضوا في قريب من ألف مُقَنَّع ما بين التسعمائة إلىٰ الألف، وتيامن أبو سفيان بالعير إلىٰ سيف البحر فنجا، وجاء النفير فوردوا ماء بدر، وجمع اللّه بين[٣] المسلمين والكافرين علىٰ غير ميعاد ، لما يريد اللّه تعالىٰ من إعلاء كلمة المسلمين ، ونصرهم علىٰ عدوهم ، والتفرقة بين الحق والباطل ، كما سيأتي بيانه .

والغرض أن رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، لما بلغه خروج النفير ، أوحىٰ اللّه إليه يَعِدُه إحدىٰ الطائفتين ؛ إما العير وإما النفير ، ورغب كثير من المسلمين إلىٰ العير ؛ لأنه كسب بلا قتال ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد اللّه أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين** ﴾ .

قال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره(٣١) : حدثنا سليمان بن أحمد الطبراني ،

---

(٣١) - رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٧٤/٤) . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٤/٦) وقال : إسناده حسن ، ورواه البيهقي في دلائل النبوة (٣٢٣/٢) مختصراً . =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - في ز ، خ : « في » .

[٣] - سقط من : ز .

حدثنا بكر بن سهل ، حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أسلم بن[١] أبي عمران حدثه أنه سمع أبا أيوب الأنصاري يقول : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، ونحن[٢] بالمدينة : « **إني أخبرت عن عير أبي سفيان أنها مقبلة ، فهل لكم أن نخرج قبل هذه العير ؛ لعل الله أن[٣] يُغنمناها** ؟ » فقلنا : نعم ، فخرج وخرجنا ، فلما سرنا يومًا أو يومين قال لنا : « **ما ترون في قتال القوم ، فإنهم قد أخبروا بمخرجكم** ؟ » فقلنا : لا والله ، ما لنا طاقة بقتال العدو ، ولكنا أردنا العير . ثم قال : « **ما ترون في قتال القوم** ؟ » فقلنا مثل ذلك ، فقال المقداد بن عمرو : إذًا لا نقول ، لك يا رسول الله ؛ كما قال قوم موسىٰ لموسىٰ : ﴿ **اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون** ﴾ . قال : فتمنينا - معشر الأنصار - أن لو قلنا كما قال المقداد ، أحب إلينا من[٤] أن يكون لنا مال عظيم . قال : فأنزل الله علىٰ رسوله صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقًا من المؤمنين لكارهون** ﴾ . وذكر تمام الحديث .

ورواه ابن أبي حاتم ، من حديث ابن لهيعة بنحوه .

وروىٰ ابن مردويه أيضًا من حديث محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي ، عن أبيه ، عن جده ؛ قال : خرج رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، إلىٰ بدر ، حتىٰ إذا كان بالروحاء ، خطب الناس فقال : « **كيف ترون** ؟ » فقال أبو بكر رضي الله تعالىٰ عنه : يا رسول الله ، بلغنا أنهم [بمكان كذا][٥] وكذا . قال : ثم خطب الناس فقال : « **كيف ترون** ؟ » ؟ فقال عمر مثل قول أبي بكر ، ثم خطب الناس فقال : « **كيف ترون** » فقال سعد بن معاذ : يارسول الله ؛ إيانا تريد ؟ فوالذي أكرمك وأنزل عليك الكتاب ، ما سلكتها قط ، ولا لي بها علم ، ولئن سرت حتىٰ تأتي(برك الغماد) من ذي يمن لنسيرن معك ، ولا نكون كالذين قالوا لموسىٰ : ﴿ **اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون** ﴾ ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم متبعون ، ولعلك أن تكون خرجت لأمر ، وأحدث الله[٦] إليك غيره ، فانظر الذي أحدث الله إليك ، فامض له ، فَصِلْ حبال من شئت ، واقطع حبال من شئت ، وَعَادِ من شئت ، وسالم من شئت ، وخذ من أموالنا ما شئت ، فنزل القرآن

= وبكر بن سهل : قال في اللسان : حمل الناس عنه ، وهو مقارب الحال . وقال النسائي : ضعيف ، وقال مسلمة بن قاسم : تكلم الناس فيه ، ووضعوه من أجل الحديث الذي حدث به عن سعيد بن كثير ، عن يحيى بن أيوب ، عن مجمع بن كعب ، عن مسلمة بن مخلد رفعه « **اعروا النساء يلزمن الحجاب** » . قال الحافظ : حديث مسلمة أخرجه الطبراني عنه .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : « بكذا » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .

علىٰ قول سعد : ﴿ **كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقًا من المؤمنين لكارهون** ﴾ الآيات .

وقال العوفي(٣٢) ، عن ابن عباس : لما شاور النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، في لقاء العدو ، وقال له سعد بن عبادة ما قال ، وذلك يوم بدر ، أمر الناس فعبئوا[١] للقتال ، وأمرهم بالشوكة ، فكره ذلك أهل الإيمان ، فأنزل اللّٰه ﴿ **كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقًا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلىٰ الموت وهم ينظرون** ﴾ .

[وقال مجاهد : ﴿ **يجادلونك في الحق** ﴾ ، في القتال . وقال محمد بن إسحاق : ﴿ **يجادلونك في الحق** ﴾][٢] أي : كراهية للقاء المشركين ، وإنكارًا لمسير قريش حين ذكروا لهم .

وقال السدي : ﴿ **يجادلونك في الحق بعد ما تبين** ﴾ أي : بعد ما تبين لهم [أنك لا][٣] تفعل إلا ما أمرك اللّٰه به .

قال ابن جرير : وقال آخرون : عنى بذلك المشركين .

حدثنا يونس ، أنبأنا ابن وهب ؛ قال : قال ابن زيد في قوله تعالىٰ : ﴿ **يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلىٰ الموت وهم ينظرون** ﴾ ، قال : هؤلاء المشركون جادلوه في الحق ، ﴿ **كأنما يساقون إلىٰ الموت** ﴾ حين يدعون إلىٰ الإسلام ﴿ **وهم ينظرون** ﴾ قال : وليس هذا من صفة الآخرين . هذه صفة مبتدأة لأهل الكفر .

ثم قال ابن جرير : ولا معنىٰ لما قاله ؛ لأن الذي قبل قوله : ﴿ **يجادلونك في الحق** ﴾ خبر عن أهل الإيمان ، والذي يتلوه خبر عنهم ، والصواب قول ابن عباس وابن إسحاق : إنه خبر عن المؤمنين .

وهذا الذي نصره ابن جرير هو الحق ، وهو الذي يدل عليه سياق الكلام . واللّٰه أعلم .

وقال الإمام أحمد رحمه اللّٰه(٣٣) : حدثنا يحيىٰ بن أبي بكير وعبد الرزاق ؛ قالا : حدثنا

(٣٢) - **إسناده ضعيف جدًّا** ، وهو عند الطبري برقم (١٥٧١٢/١٣) .
(٣٣) - **إسناده صحيح** ، وهو المسند ٢٠٢٢ - (٢٢٩/١) من رواية يحيى بن أبي بكير و٢٨٧٥ - (٣١٤/١) من رواية عبد الرزاق . ورواه الترمذي ٣٠٨٠ - (٢٦٩/٥) وقال : حديث حسن . ورواه الحاكم=

[١] - في ز : « فتعبوا » ، خ : « فتعبئوا » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « لما » .

إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ قال : قيل لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حين فرغ من بدر ، عليك بالعير ليس دونها شيء ، فناداه العباس بن عبد المطلب - قال عبد الرزاق : وهو أسير في وثاقه - ثم اتفقا : أنه لا يصلح لك . قال : « **ولم ؟** » قال : لأن الله - عز وجل - إنما وعدك إحدىٰ الطائفتين ، وقد أعطاك ما وعدك .

إسناد جيد ، ولم يخرجوه[١] .

ومعنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ **وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم** ﴾ أي : يحبون أن الطائفة التي لا حَدَّ لها ولا منعة ولا قتال تكون لهم ، وهي العير ، ﴿ **ويريد الله أن يحق الحق بكلماته** ﴾ أي : هو يريد أن يجمع بينكم وبين الطائفة التي لها الشوكة والقتال ؛ ليظفركم بهم وينصركم عليهم ، ويظهر دينه ، ويرفع كلمة الإسلام ، ويجعله غالبًا علىٰ الأديان ، وهو أعلم بعواقب الأمور ، وهو الذي يدبركم بحسن تدبيره ، وإن كان العباد يحبون خلاف ذلك فيما يظهر لهم ، كما قال : ﴿ **كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسىٰ أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم وعسىٰ أن تحبوا شيئًا وهو شر لكم** ﴾ .

وقال محمد بن إسحاق رحمه الله(٣٤) : حدثني محمد بن مسلم الزهري ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر ، ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا ، عن عبد الله بن عباس - كل قد حدثني بعض هذا الحديث ، فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث بدر - قالوا : لما سمع رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، بأبي سفيان مقبلًا من الشام ندب المسلمين إليهم . وقال : « **هذه عِيرُ قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها[٢] ؛ لعل الله أن ينفلكموها** » ، فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم ، يلقىٰ حربًا ، وكان أبو سفيان قد استنفر حين دنا من الحجاز يتجسس الأخبار ، ويسأل من لقي من الركبان ، تخوفًا علىٰ أمر الناس ، حتىٰ أصاب خبرًا من بعض الركبان : أن محمدًا قد استنفر أصحابه لك ولعيرك ؛ فَحَذِرَ عند ذلك فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري ، فبعثه إلىٰ أهل[٣] مكة ، وأمره أن يأتي قريشًا ، فيستنفرهم إلىٰ أموالهم ، ويخبرهم أن محمدًا قد عرض لها في أصحابه ، فخرج

= (٣٥٧/٢ العلمية) . ونسبه السيوطي في الدر المنثور (١٦٩/٣) للفريابي ، وابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وأبي يعلى ٢٣٧٣ - (٢٦١/٤) ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والطبراني ١١٧٣٣ - (١١/ ٢٧٩) ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه .

(٣٤) - رواه ابن جرير في تفسيره (١٥٧٢٠/١٣) . وهو في السيرة لابن هشام (٢٥٧/٢ ، ٢٥٨ ثم ٢/ ٢٦٦ ، ٢٦٧) وتاريخ الطبري (٢٧٠/٢ ، ٢٧٣) .

[١] - في ت : « يخرجه » .

[٢] - في ز ، خ : « إليه » .

[٣] - سقط من : ز .

ضمضم بن عمرو سريعًا إلىٰ مكة ، وخرج رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في أصحابه ، حتىٰ بلغ واديًا يقال له « **ذَفِران** » ، فخرج منه ، حتىٰ إذا كان ببعضه نزل ، وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم ، فاستشار رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، الناس ، وأخبرهم عن قريش ، فقام أبو بكر - رضي اللّٰه عنه - فقال فأحسن ، ثم قام عمر رضي اللّٰه عنه فقال فأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول اللّٰه ، امض لما أمرك اللّٰه به ؛ فنحن معك ، واللّٰه لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسىٰ : ﴿ **اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون** ﴾ ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا معكما[١] مقاتلون ، فو الذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلىٰ « **برك الغماد** » - يعني مدينة الحبشة - لجالدنا معك من دونه ، حتىٰ تبلغه . فقال له رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه تعالىٰ عليه وآله وسلم ، خيرًا ، ودعا له بخير . ثم قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **أشيروا علي أيها الناس** » ، وإنما يريد الأنصار ، وذلك أنهم كانوا عدد الناس ، وذلك أنهم [ ][٢] حين بايعوه بالعقبة قالوا : يا رسول الله ، إنا برآء من ذمامك حتىٰ تصل إلىٰ دارنا ، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا . فكان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يتخوف أن لا تكون الأنصار ترىٰ عليها نصرته إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلىٰ عدو من بلادهم ، فلما قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ذلك ، قال له سعد بن معاذ : واللّٰه لكأنك تريدنا يا رسول اللّٰه ؟ قال : « **أجل** » . فقال : قد[٣] آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك علىٰ ذلك عهودنا ومواثيقنا علىٰ السمع والطاعة ، فامض يا رسول اللّٰه لما أردتَ ، فوالذي بعثك بالحق ، إن استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما يتخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقىٰ بنا عدونا غدًا ، إنا لصُبُرٌ عند الحرب ، صُدق عند اللقاء ، ولعل اللّٰه يريك منا ما تقر به عينك ، فَسِر بنا علىٰ بركة اللّٰه ، فَسُرَّ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بقول سعد ، ونشَّطه ذلك ، ثم قال : « **سيروا علىٰ بركة اللّٰه ، وأبشروا ؛ فإن اللّٰه قد[٤] وعدني إحدىٰ الطائفتين ، واللّٰه لكأني الآن أنظر إلىٰ مصارع القوم** » .

وروىٰ العوفي عن ابن عباس نحو هذا ، وكذلك قال السدي وقتادة وعبد الرحمن بن زيد ابن أسلم وغير واحد من علماء السلف والخلف ، اختصرنا أقوالهم اكتفاء بسياق محمد بن إسحاق .

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ

---

[١] - في ز ، خ : « معكم » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « كانوا » .
[٣] - في خ : « فقد » .
[٤] - سقط من : ت .

مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

قال الإمام أحمد(٣٥) : حدثنا أبو نوح قراد ، حدثنا عكرمة بن عمار ، حدثنا سماك الحنفي أبو زُمَيل ، حدثني ابن عباس ، حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؛ قال : لما كان يوم بدر نظر النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، إلىٰ أصحابه ، وهم ثلاثمائة ونيف ، ونظر إلىٰ المشركين فإذا هم ألف وزيادة ، فاستقبل النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، القبلة [ثم مَدَّ يديه][١] وعليه رداؤه وإزاره ثم قال : « [**اللهم ، أين ما وعدتني**][٢] . **اللهم** ، [**أنجز لي ما وعدتني**][٣] . **اللهم ؛ إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد في الأرض أبدًا** » . قال : فما زال يستغيث ربه ويدعوه حتىٰ سقط رداؤه ، فأتاه أبو بكر ، فأخذ [رداءه فردَّاه][٤] - ألبسه[٥] - ثم التزمه من ورائه ، ثم قال : يا نبي الله ؛ كفاك[٦] مناشدتك ربك ؛ فإنه سينجز لك ما وعدك . فأنزل الله عز وجل : ﴿ **إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين** ﴾ . فلما كان يومئذ التقوا ، فهزم الله المشركين ، فقُتل منهم سبعون رجلًا ، وأسر منهم سبعون رجلًا ، واستشار رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أبا بكر وعمر وعليًا ، فقال أبو بكر :

يا رسول الله ؛ هؤلاء بنو العم [ ][٧] والعشيرة والإخوان ، وإني أرىٰ أن تأخذ منهم الفدية ؛ فيكون ما أخذناه منهم قوة لنا علىٰ الكفار ، وعسىٰ أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضدًا . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما ترىٰ يا بن الخطاب** » قال : قلت : والله[٨] ما أرىٰ ما رأىٰ أبو بكر ، ولكني أرىٰ أن تمكنني من فلان - قريب لعمر - فأضربَ عنقه ، وتمكن عليًا من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من فلان - أخيه - فيضرب عنقه ، حتىٰ يعلم الله أن ليس في قلوبنا هوادة للمشركين ، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم. فَهَوِي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ، ولم يهو ما قلت ، وأخذ منهم الفداء . فلما كان من الغد - قال عمر : - فغدوت[٩] إلىٰ النبي ، صلىٰ الله عليه

(٣٥) - رواه أحمد في المسند (١/٣٠) و مسلم برقم (١٧٦٣) وأبو داود برقم (٢٦٩٠) والترمذي برقم (٣٠٨١) ، وابن جرير (١٣/١٥٧٣٤) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - مكررة في : ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز : « كذلك » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز : « والعم » .
[٨] - سقط من : ز ، خ .
[٩] - في خ : « فغدوا » .

وسلم ، وأبي[١] بكر وهما يبكيان ، فقلت : يا رسول اللّٰه ، ما[٢] يبكيك أنت وصاحبك ؟ فإن وجدت بكاء بكيتُ ، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما. قال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **الذي[٣] عرض علي أصحابك[٤] من أخذهم الفداء ، قد عرض عليّ عذابكم أدنىٰ من هذه الشجرة** » لشجرة قريبة ، وأنزل اللّٰه عز وجل : ﴿ **ما كان لنبي أن يكون له أسرىٰ حتىٰ يثخن في الأرض** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **لولا كتاب من اللّٰه سبق لمسكم فيما أخذتم** ﴾ من الفداء ، ثم أحلَّ لهم الغنائم . فلما كان يوم أحد من العام المقبل ، عوقبوا بما صنعوا يوم بدر ، من أخذهم الفداء ؛ فقتل منهم سبعون ، وفر أصحاب النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وكسرت رباعيته ، وهُشمت البيضة علىٰ رأسه ، وسال الدم علىٰ وجهه ، فأنزل اللّٰه : ﴿ **أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنىٰ هذا قل هو من عند أنفسكم إن اللّٰه علىٰ كل شيء قدير** ﴾ ، بأخذكم الفداء .

ورواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن جرير وابن مردويه من طرق ، عن عكرمة بن عمار به . وصححه علي بن المديني والترمذي ، وقالا : لا يعرف إلا من حديث عكرمة بن عمار اليمامي[٥] » .

وهكذا روىٰ علي بن أبي طلحة والعوفي ، عن ابن عباس ؛ أن هذه الآية الكريمة ، قوله : ﴿ **إذ تستغيثون ربكم** ﴾ أنها في دعاء النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وكذا قال يزيد بن تبيع والسدي وابن جريج .

وقال أبو بكر بن عياش(٣٦) ، عن أبي حصين ، عن أبي صالح ؛ قال : لما كان يوم بدر جعل النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، يناشد ربه أشد النِّشدَة ، يدعو ، فأتاه عمر بن الخطاب رضي اللّٰه عنه ، فقال : يا رسول اللّٰه ؛ بعض نِشْدَتك ، فواللّٰه ليفين اللّٰه لك بما وعدك .

وقال البخاري(٣٧) في « كتاب المغازي » باب قول اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **فإن اللّٰه شديد العقاب** ﴾ حدثنا أبو نعيم ، حدثنا إسرائيل ، عن مخارق ، عن طارق [بن شهاب][٦] ؛ قال : سمعت ابن مسعود يقول : شهدت من المقداد بن الأسود مشهدًا ، لأن أكون صاحبه أحب إليّ مما عُدل به ؛ أتىٰ النبي

(٣٦) - رواه ابن جرير في تفسيره (١٥٧٤١/١٣) .

(٣٧) - صحيح البخاري برقم (٣٩٥٢) .

[١] - في ز ، خ : « وأبو » .
[٢] - في ز : « ماذا » .
[٣] - في ز ، خ : « للذي » . والمثبت من المسند.
[٤] - في خ : « أصاحبك » .
[٥] - في ت : « اليماني » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وهو يدعو علىٰ المشركين فقال : لا نقول كما قال قوم موسىٰ لموسىٰ[١] : ﴿ **اذهب أنت وربك فقاتلا** ﴾ ، ولكن نقاتل عن يمينك ، وعن شمالك ، وبين يديك وخلفك ، فرأيت النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أشرق وجهه وسره ، [يعني : قوله][٢] .

وحدثنا محمد بن عبد اللّٰه بن حَوشب(٣٨) ، حدثنا عبد الوهاب ، حدثنا خالد الحذاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ قال : قال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يوم بدر : « **اللهم ، أنشدك عهدك ووعدك . اللهم ، إن شئت لم[٣] تُعْبَد** » . فأخذ أبو بكر بيده ، فقال : حسبك . فخرج وهو يقول : ﴿ **سيُهزم الجمع ويولون الدُّبُر** ﴾ .

ورواه النسائي ، عن بندار ، عن عبد الوهاب بن[٤] عبد المجيد الثقفي .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **بألف من الملائكة مردفين** ﴾ أي : يردف بعضهم بعضًا ، كما قال هارون بن عنترة[٥] ، عن ابن عباس : ﴿ **مردفين** ﴾ متتابعين .

ويحتمل أن المراد ﴿ **مردفين** ﴾ لكم ، أي : نجدة لكم ، كما قال العوفي عن ابن عباس : ﴿ **مردفين** ﴾ ، يقول : المدد ، كما تقول ايت[٦] الرجل فزده كذا وكذا .

وهكذا قال مجاهد وابن كثير القارئ وابن زيد : ﴿ **مردفين** ﴾ : مُمِدّين .

وقال أبو كُدَينة ، عن قابس[٧] ، عن أبيه ، عن ابن عباس ﴿ **ممدكم[٨] بألف من الملائكة مردفين** ﴾ ، قال : وراء كل مَلَكٍ ملك .

وفي رواية بهذا الإِسناد : ﴿ **مردفين** ﴾ ، قال : بعضهم علىٰ أثر بعض . وكذا قال أبو ظبيان والضحاك وقتادة .

وقال ابن جرير(٣٩) : حدثني المثنىٰ ، حدثنا إسحاق ، حدثنا يعقوب بن محمد الزهري ،

---

(٣٨) - صحيح البخاري برقم (٣٩٥٣) وسنن النسائي الكبرى برقم (١١٥٥٧) .

(٣٩) - رواه ابن جرير (١٥٧٥٦/١٣) ، وعبد العزيز بن عمران قال البخاري : منكر الحديث ، لا يكتب حديثه ، وقال ابن أبي حاتم : منكر الحديث جدًّا . والزمعي : هو موسى بن يعقوب الزمعي : ثقة تكلم فيه . وأبو معاوية : هو عبد الرحمن بن معاوية بن الحويرث : ثقة ، متكلم فيه حتى قالوا : لا يحتج به .

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : « أن » .

[٤] - في ز : « عن » .

[٥] - في ز ، خ : « هبيرة » .

[٦] - في ز : « أنت » .

[٧] - في ز ، خ : « قابوس » .

[٨] - بعده في خ : « ربكم » .

حدثني عبد العزيز بن عمران[١]، عن الزمعي، عن أبي الحويرث، عن محمد بن جبير ، عن علي رضي الله عنه قال : نزل جبريل [في ألف][٢] من الملائكة عن ميمنة النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، [وفيها أبو بكر ، ونزل ميكائيل في ألف من الملائكة عن ميسرة النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم][٣] ، وأنا في الميسرة .

وهذا يقتضي - لو صح إسناده - أن الألف مردفة بمثلها ؛ ولهذا قرأ بعضهم : ﴿ مردَفين ﴾ بفتح الدال ، فالله أعلم .

والمشهور ما رواه علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ؛ قال : وأمد الله نبيه ، صلىٰ الله عليه وسلم ، والمؤمنين بألف من الملائكة ، فكان جبريل في خمسمائة من الملائكة مُجَنِّبة ، وميكائيل في خمسمائة مجنبة .

ورویٰ الإمام أبو جعفر بن جرير ومسلم(٤٠) ، من حديث عكرمة بن عمار ، عن أبي زُمَيل سماك بن وليد الحنفي ، عن ابن عباس ، عن عمر الحديث المتقدم . ثم قال أبو زميل : حدثني ابن عباس قال : بينا رجل من المسلمين يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه ، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس[٤] [يقول : « أقدم حيزوم » . إذ نظر إلىٰ المشرك أمامه ، فخر مستلقيًا ، قال][٥] : فنظر إليه ، فإذا هو قد خطم أنفه[٦] ، وشق وجهه كضربة السوط ، فاخضر[٧] ذلك أجمع ، فجاء الأنصاري ، فحدث ذلك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال : « **صدقت ، ذلك من مدد السماء الثالثة** » ، فَقَتَلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين .

وقال البخاري(٤١) : « باب شهود الملائكة بدرًا »: حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا جرير ، عن يحيىٰ بن سعيد ، عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقي ، عن أبيه - وكان أبوه من أهل بدر - قال : جاء جبريل إلىٰ النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال : ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ قال : « **من أفضل المسلمين** » أو كلمة نحوها ، قال : وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة .

---

(٤٠) - ابن جرير (١٥٧٣٤/١٢) وهو عند مسلم في الجهاد والسير برقم (١٧٦٣) .

(٤١) - صحيح البخاري ، كتاب المغازي برقم (٣٩٩٢) .

---

[١] - في ز : « عهران » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « بألف » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٦] - سقط من : خ .

[٧] - في ز : « فاحضر » .

انفرد بإخراجه البخاري ، وقد رواه الطبراني(٤٢) في المعجم الكبير من حديث رافع بن خديج وهو خطأ ، والصواب رواية البخاري ، والله أعلم .

وفي الصحيحين(٤٣) أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال لعمر ، لما شاوره في قتل حاطب بن أبي بلتعة : « **إنه قد شهد بدرًا ، وما يدريك لعل الله قد[١] اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم** » .

قوله تعالى : ﴿ **وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله** ﴾ . أي : وما جعل الله بعث الملائكة وإعلامه إياكم بهم إلا بشرى ، ﴿ **ولتطمئن به قلوبكم** ﴾ ، وإلا فهو تعالى قادر على نصركم على أعدائكم ، بدون ذلك ؛ ولهذا قال ﴿ **وما النصر إلا من عند الله** ﴾ ، كما قال تعالى : ﴿ **فإذا[٢] لقيتم الذين كفروا فضربَ الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما مَنًّا بعدُ وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم * سيهديهم ويصلح بالهم * ويدخلهم الجنة عرفها لهم** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب[٣] [ ][٤] الظالمين * وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين** ﴾ .

فهذه حكمٌ شَرَع الله جهاد الكفار بأيدي المؤمنين لأجلها ، وقد كان تعالى إنما يعاقب الأمم السالفة المكذبة للأنبياء بالقوارع التي تعم تلك الأمة المكذبة ، كما أهلك قوم نوح بالطوفان ، وعادًا الأولى بالدَّبُور ، وثمود بالصيحة ، وقوم لوط بالخسف والقلب وحجارة السجيل[٥] ، وقوم شعيب بيوم الظلة ، فلما بعث الله تعالى موسى ، وأهلك عدوه فرعون وقومه بالغرق في اليم ، ثم أنزل على موسى التوراة ، شرع فيها قتال الكفار ، واستمر الحكم في بقية الشرائع بعده على ذلك ، كما قال تعالى : ﴿ **ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر** ﴾ ، وقتل المؤمنين للكافرين أشد إهانة[٦] للكافرين ، وأشفى لصدور المؤمنين ، كما قال تعالى للمؤمنين من هذه الأمة : ﴿ **قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين** ﴾ .

(٤٢) - المعجم الكبير رقم ٤٤١٢ - (٤/٢٧٧) .

(٤٣) - البخاري في الجهاد والسير ، باب : الجاسوس ، برقم (٣٠٠٧) ، ومسلم في فضائل الصحابة ، برقم (٢٤٩٤) .

[١] - سقط من : ت .

[٢] - في ز : « وإذا » .

[٣] - في ز : « يهدي » .

[٤] - في ز ، خ : « القوم » .

[٥] - في ز : « السجين » .

[٦] - في ز : « أهنة » .

ولهذا كان قتل صناديد قريش بأيدي أعدائهم الذين ينظرون إليهم بأعين ازدرائهم أنكىٰ لهم وأشفىٰ لصدور حزب الإيمان ، فَقَتْلُ[١] أبي جهل في معركة القتال وحومة الوغىٰ أشد إهانة[٢] له من أن يموت علىٰ فراشه بقارعة أو صاعقة أو نحو ذلك، كما مات أبو لهب - لعنه الله - بالعَدَسة(٤٤) ، بحيث لم يقربه أحد من أقاربه ، وإنما غسلوه بالماء قذفًا من بعيد ، ورجموه حتىٰ دفنوه ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **إن الله عزيز حكيم** ﴾ أي : له العزة ولرسوله وللمؤمنين بهما في الدنيا والآخرة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد** ﴾ . ﴿ **حكيم** ﴾ فيما شرعه من قتال الكفار ، مع القدرة علىٰ دمارهم وإهلاكهم بحوله وقوته ، سبحانه وتعالىٰ .

إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾

يذكرهم الله تعالىٰ بما أنعم به عليهم من إلقائه النعاس عليهم ، أمانًا من خوفهم الذي حصل لهم من كثرة عدوهم وقلة عددهم ، وكذلك فعل تعالىٰ بهم يوم أحد ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسًا يغشىٰ طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم** ﴾ . قال أبو طلحة : كنت ممن أصابه النعاس يوم أحد ، ولقد سقط السيف من يدي مرارًا يسقط وآخذه ، ويسقط وآخذه ، ولقد نظرت إليهم يميدون وهم تحت الحجف .

وقال الحافظ أبو يعلىٰ(٤٥) : حدثنا زهير ، حدثنا ابن مهدي ، عن شعبة ، عن أبي

---

(٤٤) - قال ابن الأثير في النهاية (٣/١٩٠) في حديث أبي رافع : « أن أبا لهب رماه الله بالعدسة » وهي بثرة تشبه العدسة تخرج في مواضع من الجسد ، من جنس الطاعون ، تقتل صاحبها غالبًا » .

(٤٥) - **إسناده صحيح** ، وهو في مسند أبي يعلى ٢٨٠ - (١/٢٤٢) ورواه أحمد في مسنده (١/١٢٥) من طريق عبد الرحمن بن مهدي ، بهذا الإسناد ، ورواه ابن حبان في صحيحه من طريق ابن خزيمة برقم (١٦٩٠ موارد) .

---

[١] - في خ : « كقتل » . [٢] - في ز : « أهنة » .

إسحاق ، عن حارثة بن[١] مضرب ، عن علي رضي الله عنه ؛ قال : ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد ، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم إلا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يصلي تحت شجرة ، ويبكي حتىٰ أصبح .

وقال سفيان الثوري ، عن عاصم ، عن أبي رزين ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : النعاس في القتال أمنة من الله ، وفي الصلاة من الشيطان .

وقال قتادة : النعاس في الرأس ، والنوم في القلب .

قلت : أما النعاس فقد أصابهم يوم أحد ، وأمر ذلك مشهور جدًّا ، وأما يوم بدر فهذه الآية الشريفة إنما هي في سياق قصة بدر ، وهي دالة علىٰ وقوع ذلك أيضًا ، وكأن ذلك كان سجية للمؤمنين عند شدة البأس ؛ لتكون[٢] قلوبهم آمنة مطمئنة بنصر الله ، وهذا من فضل الله ورحمته بهم ونِعَمِه عليهم ، وكما قال تعالىٰ : ﴿ **فإن مع العسر يسرًا * إن مع العسر يسرًا** ﴾ ، ولهذا جاء[٣] في الصحيح أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، لما كان يوم بدر في العريش مع الصديق رضي الله عنه ، وهما يدعوان ، أخذت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم سِنَة من النوم ، ثم استيقظ متبسمًا ، فقال : « **أبشر يا أبا بكر ، هذا جبريل علىٰ ثناياه النَّقْعُ** » . ثم خرج من باب العريش وهو يتلو قوله تعالىٰ : ﴿ **سيُهزم الجَمْعُ ويولون الدبر** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وينزل عليكم من السماء ماء** ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ؛ قال : نزل النبي صلىٰ الله عليه وسلم - يعني : حين[٤] سار إلىٰ بدر - والمسلمون[٥] بينهم وبين الماء رملة دعْصَة ، فأصاب المسلمين ضعف شديد ، وألقىٰ الشيطان في قلوبهم الغيظ ، يوسوس بينهم : تزعمون أنكم أولياء الله تعالىٰ وفيكم رسوله ، وقد غلبكم المشركون علىٰ الماء ، وأنتم تصلون مُجْنبين ؛ فأمطر الله عليهم مطرًا شديدًا ، فشرب المسلمون وتطهروا ، وأذهب الله عنهم رجز الشيطان ، وأنشف الرمل حين أصابه المطر ومشىٰ الناس عليه والدواب ، فساروا إلىٰ القوم ، وأمد الله نبيه صلىٰ الله عليه وسلم والمؤمنين بألف من الملائكة ؛ فكان جبريل في خمسمائة مجنبة ، وميكائيل في خمسمائة مجنبة .

وكذا قال العوفي عن ابن عباس : إن المشركين من قريش لما خرجوا لينصروا العير وليقاتلوا عنها ، نزلوا علىٰ الماء يوم بدر فغلبوا المؤمنين عليه ؛ فأصاب المؤمنين الظمأ ، فجعلوا يصلون

---

[١] - في ز : « عن » .
[٢] - في ز : « تكون » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز ، خ : « والمشركون » .

مجنبين محدثين ، حتىٰ تعاطوا ذلك في صدورهم ، فأنزل الله من السماء ماء ، حتىٰ سال الوادي، فشرب المؤمنون ، وملئوا الأسقية ، وسقوا الركاب ، واغتسلوا من الجنابة ، فجعل الله في ذلك طهورًا ، وثبت الأقدام ، وذلك أنه كانت بينهم وبين القوم رملة ، فبعث الله المطر عليها فضربها حتىٰ اشتدت ، وثبتت[١] عليها الأقدام .

ونحو ذلك رُوي عن قتادة والضحاك والسدي .

وقد رُوي عن سعيد بن المسيب والشعبي والزهري وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنه طَش أصابهم يوم بدر .

والمعروف أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، لما سار إلىٰ بدر ، نزل على أدنىٰ ماء هناك ، أي : أول ماء وجده فتقدم إليه الحباب بن المنذر ، فقال : يارسول الله ، هذا المنزل الذي نزلته منزل أنزلكه الله ؛ فليس لنا أن نجاوزه ، أو منزل نزلته للحرب والمكيدة ؟ فقال : « **بل منزل نزلته للحرب والمكيدة** » . فقال : يا رسول الله ، إن هذا ليس بمنزل ، ولكن سِرْ بنا حتىٰ ننزل علىٰ أدنىٰ ماء يلي القوم ، ونُغَوِّر ما وراءه[٢] من القُلُب ، ونستقي الحياض ، فيكون لنا ماء وليس لهم ماء ، فسار رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ففعل كذلك .

وفي مغازي « **الأموي** » (٤٦) أن الحباب لما قال ذلك ، نزل ملك من السماء ، وجبريل جالس عند رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال ذلك الملك : يا محمد ؛ إن ربك يقرئك[٣] السلام ، ويقول لك : إن الرأي ما أشار به « **الحباب بن المنذر** » ، فالتفت رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، إلىٰ جبريل عليه السلام فقال : « **هل تعرف هذا ؟** » فنظر إليه فقال : ما كل الملائكة أعرفهم ، وإنه مَلَكٌ وليس بشيطان .

وأحسن ما في هذا ما رواه الإمام محمد بن إسحاق بن يسار صاحب « **المغازي** » - رحمه الله(٤٧) - حدثني يزيد بن رُومان ، عن عروة بن الزبير ؛ قال : بعث الله السماء ، وكان الوادي دَهْسًا ، فأصاب رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وأصحابه ما لبَّد لهم الأرض ، ولم يمنعهم من المسير ، وأصاب قريشًا ما لم يقدروا علىٰ أن يرتحلوا معه .

---

(٤٦) - ورواه الواقدي في المغازي (٥٤/١) إلى هذا الموضع . فقال : « حدثني ابن أبي حبيبة ، عن رواد بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : نزل جبريل .. فذكره » .

(٤٧) - السيرة النبوية لابن هشام (٦٢٠/١) .

---

[١] - في ز : « وثبت » .

[٢] - في ز : « وراءنا » .

[٣] - في ز ، خ : « يقرأ عليك » .

وقال مجاهد : أنزل الله عليهم المطر قبل النعاس ؛ فأطفأ بالمطر الغبار ، وتلبدت به الأرض ، وطابت نفوسهم وثبتت به أقدامهم .

وقال ابن جرير(٤٨) : حدثنا هارون بن إسحاق ، حدثنا مصعب بن المقدام ، حدثنا إسرائيل ، حدثنا أبو إسحاق ، عن حارثة[١] ، عن علي رضي الله عنه قال : أصابنا من الليل طَشٌّ من المطر - يعني الليلة التي كانت في صبيحتها وقعة بدر - فانطلقنا تحت الشجر والحجف ، نستظل تحتها من المطر ، وبات رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، [يدعو ربه : « **اللهم ، إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد في الأرض** » . فلما أن طلع الفجر نادىٰ : « **الصلاة ، عباد الله !** » فجاء الناس من تحت الشجر والحجف ، فصلىٰ بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم][٢] ، وحرض علىٰ القتال .

وقوله : ﴿ **ليطهركم به** ﴾ أي : من حدث أصغر أو أكبر ، وهو تطهير الظاهر[٣] ، ﴿ **ويذهب عنكم رجز الشيطان** ﴾ أي : من وسوسة أو خاطر سيئ وهو تطهير الباطن ، كما قال تعالىٰ في حق أهل الجنة : ﴿ **عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة** ﴾ فهذا زينة الظاهر[٤] ، ﴿ **وسقاهم ربهم شرابًا طهورًا** ﴾ أي : مطهرًا لما كان من غل أو حسد أو تباغض ، وهو زينة الباطن وطهارته .

﴿ **وليربط على قلوبكم** ﴾ أي : بالصبر والإقدام علىٰ مجالدة الأعداء ، وهو شجاعة الباطن . ﴿ **ويثبت به الأقدام** ﴾ وهو شجاعة الظاهر ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **إذ يوحي ربك إلىٰ الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا** ﴾ وهذه نعمة خفية أظهرها الله تعالىٰ لهم ليشكروه عليها ، وهو أنه - تعالىٰ وتقدّس وتبارك وتمجد - أوحىٰ[٥] إلىٰ الملائكة الذين أنزلهم لنصر نبيه ودينه وحزبه المؤمنين ، يوحي إليهم فيما بينه وبينهم أن يثبتوا الذين آمنوا .

قال ابن إسحاق : وازرُوهم . وقال غيره : قاتلوا معهم . وقيل : كثّروا سَوَادهم . وقيل : كان ذلك بأن المَلَك كان يأتي الرجل من أصحاب النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، يقول : سمعت هؤلاء القوم يعني المشركين يقولون : والله لئن حملوا علينا لننكشفن ، فيحدِّث المسلمون بعضهم بعضًا بذلك ؛ فتقوىٰ أنفسهم . حكاه ابن جرير ، وهذا لفظه بحروفه .

---

(٤٨) - رواه ابن جرير (١٣/١٥٧٦٤) .

---

[١] - في ز ، خ : « جارية » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « الطاهر » .
[٤] - في ز : « الطاهر » .
[٥] - سقط من : ز .

وقوله : ﴿ **سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب** ﴾ أي : ثبتوا أنتم المؤمنين[١] ، وقووا أنفسهم علىٰ أعدائهم ، عن أمري لكم بذلك ، سألقي الرعب والمذلة والصغار علىٰ من خالف أمري ، وكذب رسولي ؛ ﴿ **فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان** ﴾ أي : اضربوا الهام ففلقوها ، واحتزوا الرقاب فقطعوها ، وقطعوا الأطراف منهم ، وهي أيديهم وأرجلهم .

وقد اختلف المفسرون في معنىٰ : ﴿ **فوق الأعناق** ﴾ فقيل : معناه اضربوا الرءوس . قاله عكرمة .

وقيل : معناه ﴿ **فوق الأعناق** ﴾ أي علىٰ الأعناق ، وهي الرقاب . قاله الضحاك وعطية العوفي .

ويشهد لهذا المعنىٰ أن اللّٰه تعالىٰ أرشد المؤمنين إلىٰ هذا في قوله تعالىٰ : ﴿ **فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتىٰ إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق** ﴾ .

وقال وكيع(٤٩) ، عن المسعودي ، عن القاسم ، قال : قال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إني لم أبعث لأعذب بعذاب اللّٰه ؛ إنما بعثت بضرب الرقاب ، [وشد الوثاق]**[٢] » .

واختار ابن جرير أنها [ ][٣] تدل علىٰ ضرب الرقاب وفلق الهام .

قلت : وفي مغازي الأموي أن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، جعل يمر بين القتلىٰ يوم بدر ، فيقول : « **نُفَلِّقُ[٤] هامًا ...** » .

فيقول أبو بكر :

... مــن رجــال أعــزة علينا وهم كانوا أعق وأظلما(٥٠)

فيبتدئ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بأول البيت ، ويستطعم أبا بكر - رضي اللّٰه عنه - إنشاد آخره ؛ لأنه كان لا يحسن إنشاد الشعر ، كما قال الله تعالىٰ : ﴿ **وما علمناه الشعر وما ينبغي له** ﴾ .

---

(٤٩) - **إسناده ضعيف لإرساله** ، ورواه ابن جرير في تفسيره (١٥٧٨٤/١٣) وابن أبي شيبة في المصنف (٣٩٠/١٢) من طريق وكيع بهذا الإسناد .

(٥٠) - البيت للحصين بن الهمام المري ، وهو في « الشعر والشعراء » لابن قتيبة (٦٤٨/٢) .

---

[١] - في ز ، خ : « المسلمين » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « قد » .

[٤] - في ز : « يفلق » .

وقال الربيع بن أنس : كان الناس يوم بدر يعرفون قتلىٰ الملائكة ممن قتلوهم[١] ، بضرب فوق الأعناق وعلىٰ البنان ، مثل سمة النار قد أحرق به .

وقوله : ﴿ **واضربوا منهم كل بنان** ﴾ قال ابن جرير : معناه : واضربوا من عدوكم أيها المؤمنون كل طرف ومَفصل ، من أطراف أيديهم وأرجلهم ، والبنان : جمع بنانة ، كما قال الشاعر(٥١) :

ألا ليتني قطَّعْتُ مني بنانة ولاقيته[٢] في البيت يقظان حاذرًا[٣]

وقال علي بن أبي طلحة(٥٢) ، عن ابن عباس : ﴿ **واضربوا منهم كل بنان** ﴾ يعني بالبنان الأطراف . وكذا قال الضحاك وابن جريج .

وقال السدي : البنان الأطراف ، ويقال : كل مفْصَل .

وقال عكرمة وعطية العوفي والضحاك في رواية أخرىٰ : كل مفصل .

وقال الأوزاعي في قوله تعالىٰ : ﴿ **واضربوا منهم كل بنان** ﴾ قال : اضرب منه الوجه والعين ، وارمه بشهاب من نار ، فإذا أخذته حرم ذلك كله عليك .

وقال العوفي ، عن ابن عباس ، فذكر قصة بدر إلىٰ أن قال : فقال أبو جهل : لا تقتلوهم قتلًا ، ولكن خذوهم أخذًا ، حتىٰ تعرفوهم الذي صنعوا من طعنهم[٤] في دينكم ، ورغبتهم عن اللات والعزىٰ. فأوحىٰ الله إلىٰ الملائكة : ﴿ **أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان**﴾، فقتل أبو جهل (لعنه الله) في تسعة وستين رجلًا ، وأسر عقبة بن أبي معيط فقتل صبرًا ، فوفىٰ ذلك سبعين ، يعني : قتيلًا .

ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله** ﴾ أي : خالفوهما فساروا في شق ، وتركوا الشرع والإيمان به واتباعه في شق ، وهو مأخوذ أيضًا من شق العصا ، وهو جعلها فرقتين ، ﴿ **ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب** ﴾ أي : هو الطالب الغالب لمن خالفه وناوأه ، لا يفوته شيء ، ولا يقوم لغضبه شيء ، تبارك وتعالىٰ لا إله

(٥١) - هو العباس بن مرداس السلمي ، والبيت في تفسير ابن جرير (٤٣١/١٣) ، ولسان العرب مادة (بنن) .

(٥٢) - رواه ابن جرير (١٥٧٩٢/١٣) .

[١] - في ز : « قتلواهم » .
[٢] - في ز : « لافيته » .
[٣] - في ز : « جادرًا » .
[٤] - في ز : « طغيهم » .

[غيره ، ولا رب][١] سواه .

﴿ ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار ﴾ هذا خطاب للكفار ، أي : ذوقوا هذا العذاب والنكال في الدنيا ، واعلموا أيضًا أن للكافرين عذاب النار في الآخرة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾

يقول تعالىٰ متوعدًا علىٰ الفرار من الزحف بالنار لمن فعل ذلك : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفًا** ﴾ أي : تقاربتم منهم ودنوتم منهم[٢] . ﴿ **فلا تولوهم الأدبار** ﴾ أي : تفروا وتتركوا أصحابكم . ﴿ **ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفًا لقتال** ﴾ أي : يفر بين يدي قرنه مكيدة ؛ ليريه أنه قد[٣] خاف منه فيتبعه ، ثم يكر عليه فيقتله ، فلا بأس عليه في ذلك ، نص عليه سعيد بن جبير والسدي .

وقال الضحاك : أن يتقدم عن أصحابه ليرىٰ غرة من العدّو فيصيبها .

﴿ **أو متحيزًا إلىٰ فئة** ﴾ أي : فر من هاهنا إلىٰ فئة أخرىٰ من المسلمين ؛ يعاونهم ويعاونوه ، فيجوز له ذلك حتىٰ لو[٤] كان في سرية ، ففر إلىٰ أميره أو إلىٰ الإمام الأعظم ، دخل في هذه الرخصة .

قال الإمام أحمد(٥٣) : حدثنا حسن ، حدثنا زهير ، حدثنا يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلي ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال : كنت في سرية من سرايا رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فحاص الناس حيصة ، وكنت فيمن حاص[٥] ، فقلنا كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب[٦] ؟ ثم قلنا : لو دخلنا المدينة فبتنا ، ثم قلنا : لو عرضنا أنفسنا علىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فإن كانت لنا توبة وإلا ذهبنا ، فأتيناه قبل صلاة الغداة ، فخرج فقال : « **من القوم ؟** » فقلنا : نحن

(٥٣) - **إسناده ضعيف** ، يزيد بن أبي زياد تكلم فيه غير واحد من الأئمة ، وهو في المسند ٥٣٨٤ - (٢/ ٧٠) وسنن أبي داود برقم (٢٦٤٧) وسنن الترمذي برقم (١٧١٦) وسنن ابن ماجه برقم (٣٧٠٤) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في م : « إليهم » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز : « ولو » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز ، خ : « بغضب » .

الفرارون . فقال : « **لا ، بل أنتم العكارون**(*) ، **أنا فئتكم ، وأنا فئة المسلمين** » . قال : فأتيناه حتىٰ قبلنا يده ، وهكذا رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة من طرق : عن يزيد بن أبي زياد ، وقال الترمذي : حسن لا نعرفه إلا من [حديث ابن أبي زياد][١] .

ورواه ابن أبي حاتم من حديث يزيد بن أبي زياد به ، وزاد في آخره : وقرأ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، هذه الآية : ﴿ **أو متحيزًا إلىٰ فئة** ﴾ .

قال أهل العلم : معنىٰ قوله: « **العكارون** » أي : العطافون ، وكذلك قال عمر بن الخطاب : - رضي اللَّه عنه - [في أبي عبيدة][٢] ، لما قتل على الجسر[٣] بأرض فارس ، لكثرة الجيش من ناحية المجوس ، فقال عمر : لو انحاز إليّ كنت له فئة . هكذا رواه محمد ابن سيرين ، عن عمر(٥٤) .

وفي رواية أبي عثمان النهدي ، عن عمر قال : لما قتل أبو عبيدة[٤] ؛ قال عمر : أيها الناس ، أنا فئتكم(٥٥) .

وقال مجاهد : قال عمر : أنا فئة كل مسلم .

وقال عبد الملك بن عمير ، عن عمر : أيها الناس ، لا تغرنكم هذه الآية ، فإنما كانت يوم بدر ، وأنا[٥] فئة كل[٦] مسلم .

وقال ابن أبي حاتم(٥٦) : حدثنا أبي ، حدثنا حسان بن عبد اللَّه المصري ، حدثنا خلاد ابن سليمان الحضرمي ، حدثنا نافع أنه سأل ابن عمر ، قلت : إنا قوم لا نثبت عند قتال عدونا ، ولا ندري من الفئة : إمامنا أو عسكرنا ؟ فقال : إن الفئة رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه

(*) العكارون : أي الكرارون إلى الحرب ، والعطافون نحوها ، يقال للرجل يولي عن الحرب ثم يكر راجعاً إليها : عكر ، واعتكر ، وعكرت عليه إذا حملت ،النهاية ٢٨٣/٣)

وحاص المسلمون حيصة : أي جالوا جولة يطلبون الفرار ، والمحيص : المهرب ، والمحيد ، ويروى بالجيم ، والضاد المعجمة (النهاية ٤٦٨/١) .

(٥٤) - رواه ابن جرير في تفسيره (١٥٨١٢/١٣) .

(٥٥) - رواه ابن جرير (١٥٨١٤/١٣) .

(٥٦) - رواه ابن أبي حاتم (٨٨٩٧/٥)

---

[١] - في ز ، خ : « حديثه » .

[٢] - في ز ، خ : « عن أبي عبيد » .

[٣] - في ز : « الحر » .

[٤] - في خ : « عبيد » .

[٥] - في ز ، خ : « أنه » .

[٦] - في ز : « لكل » .

وسلم . فقلت : إن اللّه يقول : ﴿ **إذا لقيتم الذين كفروا زحفًا فلا تولوهم الأدبار** ﴾ . فقال : إنما نزلت هذه الآية في يوم بدر ، لا قبلها ولا بعدها .

وقال الضحاك في قوله : ﴿ **أو متحيزًا إلى فئة** ﴾ المتحيز الفار إلىٰ النبي وأصحابه ، وكذلك من فر اليوم إلىٰ أميره أو أصحابه .

فأما إن كان الفرار لا عن سبب من هذه الأسباب ؛ فإنه حرام وكبيرة من الكبائر ، لما رواه البخاري ومسلم في الصحيحين عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال(٥٧) : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **اجتنبوا السبع الموبقات** » قيل : يا رسول اللّه ، وما هن ؟ قال : «**الشرك باللّه ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم اللّه إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات** » .

[ولهذا الحديث][١] شواهد من وجوه أخر ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **فقد باء** ﴾ أي : رجع ﴿ **بغضب من اللّه ومأواه** ﴾ أي : مصيره ومنقلبه يوم ميعاده [ ][٢] ﴿ **جهنم وبئس المصير** ﴾ .

وقال الإمام أحمد(٥٨) : حدثنا زكريا بن عدي ، حدثنا عبيد اللّه بن عمرو الرقي ، عن زيد بن أبي أنيسة ، حدثنا جبلة بن سحيم ، عن أبي المثنىٰ العبدي ، سمعت السدوسي - يعني ابن الخصاصية[٣] - وهو بشير بن معبد - قال : أتيت ، النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم ، لأبايعه ؛ فاشترط عليّ شهادة أن لا إله إلا اللّه ، وأن محمدًا عبده ورسوله ، وأن أقيم الصلاة ، وأن أؤدي الزكاة ، وأن أحج حجة الإسلام ، وأن أصوم شهر رمضان ، وأن أجاهد في سبيل اللّه . فقلت : يا رسول اللّه ، أما اثنتان[٤] فواللّه لا أطيقهما ؛ الجهاد : فإنهم زعموا أنه[٥] من ولىٰ الدبر ، فقد باء بغضب من اللّه ؛ فأخاف إن حضرت ذلك خشعت نفسي وكرهت الموت . والصدقة: فواللّه مالي إلا غنيمة وعشر ذَوْد هن رَسَل أهلي

(٥٧) - صحيح البخاري في الوصايا برقم (٢٧٦٦) ، وصحيح مسلم في الإيمان برقم (٨٩) .

(٥٨) - المسند برقم ٢٢٠٤٧ - (٢٢٤/٥) . ورواه الطبراني في الكبير (٤٤/٢ ، ٤٥ رقم ١٢٣٣ ، ١٢٣٤) ، وفي الأوسط كما في مجمع البحرين (٨٤/١ رقم ٤٠) من طرقٍ عن عبيد الله بن عمرو به . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٢/١) وقال : رواه أحمد ، والطبراني في الكبير ، والأوسط ، واللفظ للطبراني ، ورجال أحمد موثقون .

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « وله » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في خ، ز : «مأواه».

[٣] - في ز : « الحضاضية » .

[٤] - في خ : « اثنتين » .

[٥] - في ت : « أن » .

وحمولتهم. فقبض رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يده ، ثم حرك يده ، ثم قال : « **فلا**[١] **جهاد ولا صدقة ، فبم تدخل الجنة إذًا ؟** » فقلت[٢] : يا رسول اللَّه ، أنا[٣] أبايعك . فبايعته عليهن كلهن .

هذا حديث غريب من هذا الوجه ، ولم يخرجوه في الكتب الستة .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني(٥٩) : حدثنا أحمد بن محمد بن يحيىٰ بن حمزة ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم أبو النضر ، حدثنا يزيد بن ربيعة ، حدثنا أبو الأشعث ، عن ثوبان ، عن النبي، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « **ثلاثة لا ينفع معهن عمل : الشرك بالله ، وعقوق الوالدين ، والفرار من الزحف** » .

وهذا أيضًا حديث غريب جدًّا .

وقال الطبراني أيضًا (٦٠) : حدثنا العباس بن الفضل[٤] الأسفاطي ، حدثنا موسىٰ بن إسماعيل ، حدثنا حفص بن عمر الشني[٥] ، حدثني عمرو بن مرة ، قال : سمعت بلال بن يسار بن زيد مولىٰ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : سمعت أبي يحدث عن جدي ، قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **من قال : أستغفر اللَّه الذي لا إله إلا هو وأتوب إليه ، غفر له وإن كان قد فر من الزحف** » .

وهكذا رواه أبو داود عن موسىٰ بن إسماعيل به . [وأخرجه الترمذي عن البخاري ، عن موسىٰ بن إسماعيل به][٦] . وقال : غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

---

(٥٩) - **إسناده ضعيف** ، وهو في المعجم الكبير (٢/٩٥) ، وقال الهيثمي في المجمع (١/١٠٤) : « فيه يزيد ابن ربيعة ضعيف » . وأحمد بن محمد بن يحيى : ضعفه ابن حبان .

(٦٠) - المعجم الكبير ٤٦٧٠ - (٥/٨٩) ، وهو في سنن أبي داود ، في الصلاة ، باب : الاستغفار ، برقم (١٥١٧) ، وسنن الترمذي في الدعوات برقم (٣٥٧٧) . وقال المنذري : وإسناده جيد متصل ، فقد ذكر البخاري في تاريخه الكبير أن بلالاً سمع من أبيه يسار ، وأن يسار سمع من أبيه زيد مولى رسول الله ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وقد اختلف في يسار والد بلال هل هو بالباء الموحدة أو بالياء المثناة تحت .

ورواه الحاكم من حديث ابن مسعود وقال : صحيح على شرطهما ؛ إلا أنه قالها ثلاثاً . ورواه الطبراني في الصغير (٢/٩١) من حديث علي بن حميد ، عن عمرو بن فرقد ، عن عبد الله بن المختار ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب ، وقال : لم يروه عن أبي إسحاق إلا عبد الله بن المختار البصري ، ولا عن عبد الله إلا عمرو بن فرقد ، تفرد به علي بن حميد ، ورواه في الكبير من حديث ابن مسعود .

---

[١] - في ت : « لا » .

[٢] - في ت : « قلت » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز : « المفضل » .

[٥] - في ز ، خ : « السني » .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

قلت : ولا يعرف لزيد مولى النبي صلى الله عليه وسلم عنه سواه .

وقد ذهب ذاهبون إلى أن الفرار إنما كان حرامًا على الصحابة ؛ لأنه [يعني الجهاد][١] كان فرض عين عليهم ، وقيل : على الأنصار خاصة ؛ لأنهم بايعوا على السمع والطاعة في المنشط والمكره . وقيل : المراد بهذه الآية أهل بدر خاصة ، يروى هذا عن عمر ، وابن عمر ، وابن عباس ، وأبي هريرة ، وأبي سعيد ، وأبي نضرة ، ونافع مولى ابن عمر ، وسعيد ابن جبير ، والحسن البصري ، وعكرمة ، وقتادة ، والضحاك وغيرهم .

وحجتهم في هذا : أنه لم تكن عصابة لها شوكة يفيئون إليها سوى[٢] عصابتهم تلك ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد في الأرض**(٦١) . **ولهذا قال عبد الله بن المبارك**(٦٢) ، **عن مبارك بن فضالة ، عن الحسن في قوله** : ﴿ **ومن يولهم يومئذ دبره** ﴾ قال : ذلك يوم بدر ، فأما اليوم فإن انحاز إلى فئة أو مصر - أحسبه قال : فلا بأس عليه .

وقال ابن المبارك أيضًا(٦٣) ، عن ابن لهيعة ، حدثني يزيد بن أبي حبيب قال : أوجب الله تعالى لمن فر يوم بدر النار ، قال : ﴿ **ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفًا لقتال أو متحيزًا إلى فئة فقد باء بغضب من الله** ﴾ ، فلما كان يوم أحد بعد ذلك ، قال : ﴿ **إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا** ﴾ إلى قوله : ﴿ **ولقد عفا الله عنهم** ﴾ ، ثم كان يوم حنين بعد ذلك بسبع سنين ، قال : ﴿ **ثم وليتم مدبرين * ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء** ﴾ .

وفي سنن أبي داود ، والنسائي ، ومستدرك الحاكم ، وتفسير ابن جرير ، وابن مردويه من حديث داود بن أبي هند ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد(٦٤) أنه قال في هذه الآية : ﴿ **ومن يولهم يومئذ دبره** ﴾ إنما أنزلت في أهل بدر .

وهذا كله لا ينفي أن يكون الفرار من الزحف حرامًا على غير أهل بدر ؛ وإن كان[٣]

---

(٦١) - رواه مسلم في الجهاد والسير ، برقم (١٧٦٣) ، والترمذي في التفسير ، سورة الأنفال برقم (٣٠٨١) ، وأحمد برقم (٢٢١) من حديث عمر .

(٦٢) - رواه الطبري (١٣/١٥٨٠٩) .

(٦٣) - رواه ابن جرير برقم (١٣/١٥٨١١) .

(٦٤) - رواه أبو داود في الجهاد ، باب : التولي يوم الزحف ، برقم (٢٦٤٨) ، والنسائي في الكبرى برقم (١١٢٠٣) ، والحاكم في المستدرك (٢/٣٢٧) ، وابن جرير (١٣/١٥٨٠٠) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - في ت : « إلا » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

سبب [نزول الآية][١] فيهم ، كما دل عليه حديث أبي هريرة المتقدم ، من أن الفرار من الزحف من الموبقات ، كما هو مذهب الجماهير ، والله أعلم .

﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٧) ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ (١٨) ﴾

يبين تعالىٰ أنه خالق أفعال العباد ، وأنه المحمود علىٰ جميع ما صدر عنهم من خير ؛ لأنه هو الذي وفقهم لذلك ، وأعانهم عليه[٢] ، ولهذا قال : ﴿ **فلم تقتلوهم ولكن اللَّه قتلهم** ﴾ أي : ليس بحولكم وقوتكم قتلتم أعداءكم ، مع كثرة عددهم وقلة عددكم ، أي[٣] : بل هو الذي أظفركم عليهم ، كما قال : ﴿ **ولقد نصركم اللَّه ببدر وأنتم أذلة فاتقوا اللَّه لعلكم تشكرون** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **لقد نصركم اللَّه في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئًا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين** ﴾ ، يعلم تبارك وتعالىٰ أن النصر ليس عن[٤] كثرة العدد ، ولا بلبس اللأمة والعدد ، وإنما النصر من [عند اللَّه][٥] تعالىٰ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن اللَّه واللَّه مع الصابرين** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ لنبيه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أيضًا : في شأن القبضة من التراب ، التي حصب بها وجوه المشركين[٦] يوم بدر ، حين خرج من العريش ، بعد دعائه وتضرعه واستكانته ، فرماهم بها ، وقال : « **شاهت الوجوه** » ، ثم أمر أصحابه أن يصدقوا الحملة إثرها ففعلوا ، فأوصل اللَّه تلك الحصباء إلىٰ أعين المشركين ؛ فلم يبق أحد منهم إلا ناله منها ما شغله عن حاله ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وما رميت إذ رميت ولكن اللَّه رمىٰ** ﴾ أي : هو الذي بلغ ذلك إليهم وكبتهم بها لا أنت .

قال علي بن أبي طلحة(٦٥) ، عن ابن عباس : رفع رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يديه - يعني يوم بدر - فقال : « **يارب ، إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض أبدًا** » . فقال له جبريل : خذ قبضة من التراب ، فارم بها في وجوههم ، [فأخذ قبضة من

(٦٥) - رواه ابن جرير برقم (١٥٨٢٧/١٣) .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « النزول » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في خ : « على » .
[٥] - في خ : « عنده » .
[٦] - في ت : « الكافرين » .

التراب ، فرمىٰ بها في وجوههم][١] ، فما من المشركين أحد إلا أصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة فولوا مدبرين .

وقال السدي : قال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، لعليّ رضي اللّٰه عنه يوم بدر : « **أعطني حصبًا من الأرض** ». فناوله[٢] حصبًا عليه تراب ، فرمىٰ به في وجوه القوم ، فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه من ذلك التراب شيء ، ثم[٣] ردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ، وأنزل اللّٰه : ﴿ **فلم تقتلوهم ولكن اللّٰه قتلهم ، وما رميت إذ رميت ولكن اللّٰه رمىٰ** ﴾ .

وقال أبو معشر المدني(٦٦) ، عن محمد بن قيس ومحمد بن كعب القرظي قالا : لما دنا القوم بعضهم من بعض ، أخذ رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قبضة من تراب فرمىٰ بها في وجوه القوم ، وقال : « **شاهت الوجوه** » . فدخلت في أعينهم كلهم ، وأقبل أصحاب رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، يقتلونهم ويأسرونهم ، وكانت هزيمتهم في رمية رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فأنزل اللّٰه : ﴿ **وما رميت إذ رميت ولكن اللّٰه رمىٰ** ﴾ .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ﴿ **وما رميت إذ رميت ولكن اللّٰه رمىٰ** ﴾ قال : هذا يوم بدر ، أخذ رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، ثلاث حصيات[٤] ، فرمىٰ بحصاة[٥] ميمنة القوم ، وحصاة[٦] في ميسرة القوم ، وحصاة[٧] بين أظهرهم ، وقال : « **شاهت الوجوه** » . فانهزموا .

وقد روي في هذه القصة(٦٧) ، عن عروة [ابن الزبير و][٨] مجاهد ، وعكرمة ، وقتادة وغير واحد من الأئمة : أنها نزلت في رمية النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يوم بدر ، وإن كان[٩] قد فعل ذلك يوم حنين أيضًا .

---

(٦٦) - رواه ابن جرير برقم (١٥٨٢٣/١٣)

(٦٧) - انظر : تفسير ابن جرير (٤٤٣/١٣-٤٤٥) .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز ، خ : « فناولته » .
[٣] - في ز : « و » ، سقط من : خ .
[٤] - في ز : « حصبات » .
[٥] - في ز : « بحصبات » ، خ : « بحصيات » .
[٦] - في ز : « حصبات » ، خ : « وحصيات » .
[٧] - في ز : « حصبات » ، خ : « وحصيات » والمثبت من تفسير الطبري .
[٨] - في خ : « عن » .
[٩] - سقط من : ز .

وقال أبو جعفر بن جرير(٦٨) : حدثنا أحمد بن منصور ، حدثنا يعقوب بن محمد ، حدثنا عبد العزيز بن عمران ، حدثنا موسىٰ بن يعقوب بن عبد الله بن زمعة[١] ، عن يزيد ابن عبد الله ، عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة[٢] ، عن حكيم بن حزام قال : لما كان يوم بدر سمعنا صوتًا وقع من السماء ، كأنه صوت حصاة وقعت في طست ، ورمىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، تلك الرمية فانهزمنا .

غريب من هذا الوجه ، وهٰهنا قولان آخران غريبان جدًّا :

(أحدهما) :

قال ابن جرير(٦٩) : حدثنا محمد بن عوف الطائي ، حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا صفوان بن عمرو[٣] ، حدثنا عبد الرحمن بن جبير : أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم - يوم ابن أبي الحقيق بخيبر - دعا بقوس فأتي بقوس طويلة ، وقال : « **جيئوني بقوس غيرها** » فجاءوه بقوس كبداء(٧٠) ، فرمىٰ النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، الحصن ، فأقبل السهم يهوي ، حتىٰ قتل ابن أبي الحقيق وهو في فراشه ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **وما رميت إذ رميت ولكن الله رمىٰ** ﴾ .

وهذا غريب ، وإسناده جيد إلىٰ عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، ولعله اشتبه عليه ، أو أنه أراد أن الآية تعم هذا كله ، وإلا فسياق الآية في سورة الأنفال في قصة بدر لا محالة ، وهذا مما لا يخفىٰ علىٰ أئمة العلم ، والله أعلم .

(والثاني) : روىٰ ابن جرير أيضًا ، والحاكم في مستدركه(٧١) ، بإسناد صحيح إلىٰ سعيد بن المسيب والزهري أنهما قالا : أنزلت في رمية النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يوم أحد أبي بن خلف بالحربة ، وهو في لأمته فخدشه في ترقوته ، فجعل يتدأدأ(٧٢) عن فرسه

(٦٨) - تفسير ابن جرير (١٥٨٢٢/١٣) وهو ضعيف لضعف عبد العزيز بن عمران . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٤/٦) وقال : رواه الطبراني في الكبير ، والأوسط ، وإسناده حسن .

(٦٩) - رواه ابن أبي حاتم (٨٩١١/٥) ، ورواه الواحدي في أسباب النزول (١٧٤) وقد سقط هذا الأثر والذي يليه من نص ابن جرير وأثبته المحقق في الهامش (٤٤٦/١٣) .

(٧٠) - أي : معتدلة جيدة .

(٧١) - المستدرك (٣٢٧/٢) .

(٧٢) - أي : تدحرج وسقط .

[١] - في ز : « ربيعة » .

[٢] - في ز : « حتمة » .

[٣] - في خ : « عمر » .

مرارًا ، حتىٰ كانت وفاته بعد أيام ، قاسىٰ فيها العذاب الأليم ، موصولًا بعذاب البرزخ المتصل بعذاب الآخرة .

وهذا القول عن هذين الإمامين غريب أيضًا جدًّا ، ولعلهما أرادا : أن الآية تتناوله بعمومها ، لا أنها نزلت فيه خاصة ، كما تقدم ، واللَّه أعلم .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير في قوله : ﴿ وليبلي المؤمنين منه بلاءً حسنًا ﴾ أي : ليعرّف المؤمنين [من][١] نعمته عليهم ؛ من إظهارهم علىٰ عدوهم ، مع كثرة عدوهم وقلة عددهم ؛ ليعرفوا بذلك حقه ، ويشكروا بذلك نعمته (٧٣) .

وهكذا فسر ذلك[٢] ابن جرير أيضًا ، وفي الحديث : « وكل بلاء حسن أبلانا » .

وقوله : ﴿ إن اللَّه سميع عليم ﴾ أي : سميع الدعاء ، عليم بمن يستحق النصر والغلب .

وقوله : ﴿ ذلكم[٣] وأن اللَّه موهن كيد الكافرين ﴾ هذه بشارة أخرىٰ مع ما حصل من النصر ، أنه أعلمهم تعالىٰ بأنه مضعف كيد الكافرين فيما يستقبل ، مصغر أمرهم ، وأنهم كل ما لهم في تبار ودمار ، ولله الحمد والمنة .

إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾

يقول تعالىٰ للكفار : ﴿ إن تستفتحوا ﴾ أي : تستنصروا وتستقضوا اللَّه ، وتستحكموه أن يفصل بينكم وبين أعدائكم المؤمنين ، فقد جاءكم ما سألتم ، كما قال محمد بن إسحاق وغيره ، عن الزهري ، عن عبد اللَّه بن ثعلبة بن صُعير[٤] ؛ أن أبا جهل قال يوم بدر :اللهم أقطعنا للرحم ، وآتانا بما لا نعرف ، فأحنْه الغداة . وكان ذلك[٥] استفتاحًا منه ، فنزلت : ﴿ إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ﴾ إلىٰ آخر الآية .

(٧٣) - تفسير ابن جرير (١٣/١٥٨٣٠) .

[١] - سقط من خ .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز : « صغير » .
[٥] - سقط من : ت .

وقال الإمام أحمد(٧٤) : حدثنا يزيد - يعني : ابن هارون - أخبرنا محمد بن إسحاق ، حدثني الزهري ، عن عبد الله بن ثعلبة ، أن أبا جهل قال حين التقىٰ القوم : اللهم ، أقطعنا للرحم ، وآتانا بما لا نعرف ، فأحنه الغداة . فكان المستفتح .

وأخرجه النسائي في التفسير من حديث صالح بن كيسان ، عن الزهري ، به . وكذا رواه الحاكم في مستدركه ، من طريق الزهري به ، وقال : صحيح علىٰ شرط الشيخين ، ولم يخرجاه . وروي نحو[١] هذا عن ابن عباس ومجاهد ، والضحاك وقتادة ، ويزيد بن رومان وغير واحد .

وقال السدي : كان المشركون حين خرجوا من مكة إلىٰ بدر ، أخذوا بأستار الكعبة ، فاستنصروا الله، وقالوا : اللهم، انصر أعلىٰ الجندين ، وأكرم الفئتين ، وخير القبيلتين . فقال الله : ﴿ **إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح** ﴾ يقول : قد نصرت ما قلتم ، وهو محمد ﷺ .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هو قوله تعالىٰ إخبارًا عنهم : ﴿ **وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحقَّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وإن تنتهوا** ﴾ أي : عما أنتم فيه من الكفر بالله والتكذيب لرسوله ، ﴿ **فهو خير لكم** ﴾ أي : في الدنيا والآخرة .

[وقوله تعالىٰ][٢] : ﴿ **وإن تعودوا نعد** ﴾ ، [ ][٣] كقوله : ﴿ **وإن عدتم عدنا** ﴾ معناه : وإن عدتم إلىٰ ما كنتم فيه من الكفر والضلالة ، نعد لكم بمثل هذه الوقعة[٤] .

وقال السدي : ﴿ **وإن تعودوا** ﴾ أي : إلىٰ الاستفتاح ﴿ **نعد** ﴾ أي[٥] : إلىٰ الفتح لمحمد صلىٰ الله عليه وسلم ، والنصر له ، وتظفيره علىٰ أعدائه ، والأول أقوىٰ .

﴿ **ولن تغني عنكم فئتكم شيئًا ولو كثرت** ﴾ أي : ولو جمعتم من الجموع ما عسىٰ أن تجمعوا ، فإن من كان الله معه ، فلا غالب له ، فإن الله مع المؤمنين ، وهم الحزب النبوي والجناب المصطفوي .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « أي » .
[٤] - في ت : « الواقعة » .
[٥] - سقط من : ز .

ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾

يأمر تعالىٰ عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله ، ويزجرهم عن مخالفته ، والتشبه بالكافرين به المعاندين له ، ولهذا قال : ﴿ **ولا تولوا عنه** ﴾ أي : تتركوا طاعته وامتثال أوامره ، وترك زواجره ﴿ **وأنتم تسمعون** ﴾ أي : بعد ما علمتم ما دعاكم إليه .

﴿ **ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون** ﴾ قيل : المراد المشركون . و[١]اختاره ابن جرير .

وقال ابن إسحاق : هم المنافقون ؛ فإنهم يظهرون أنهم قد سمعوا واستجابوا، وليسوا كذلك .

ثم أخبر تعالىٰ أن هذا الضرب من بني آدم شر الخلق والخليقة، فقال: ﴿ **إن شر الدواب عند الله الصم** ﴾ أي : عن سماع الحق ، ﴿ **البكم** ﴾ عن فهمه ؛ ولهذا قال : ﴿ **الذين لا يعقلون** ﴾ فهؤلاء شر البرية ؛ لأن كل دابة مما سواهم مطيعة للّٰه فيما خلقها له ، وهؤلاء خلقوا للعبادة فكفروا ؛ ولهذا شبههم بالأنعام في قوله : ﴿ **ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون** ﴾ ، وقال في الآية الأخرى : ﴿ **أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون** ﴾ .

وقيل : المراد بهؤلاء المذكورين نفر من بني عبد الدار من قريش . روي عن ابن عباس ومجاهد ، واختاره ابن جرير .

وقال محمد بن إسحاق : هم المنافقون .

قلت : ولا منافاة بين المشركين والمنافقين في هذا ؛ لأن كلًّا منهم مسلوب الفهم الصحيح ، والقصد إلىٰ العمل الصالح .

ثم أخبر تعالىٰ بأنهم لا فهم لهم صحيح ، ولا قصد لهم صحيح ، لو فرض أن لهم فهمًا ، فقال : ﴿ **ولو علم اللّٰه فيهم خيرًا لأسمعهم** ﴾ أي : لأفهمهم ، وتقدير الكلام ولكن لا خير فيهم ، فلم يفهمهم ؛ لأنه يعلم أنه ﴿ **لو أسمعهم** ﴾ أي : أفهمهم ﴿ **لتولوا** ﴾ عن ذلك قصدًا وعنادًا بعد فهمهم ذلك . ﴿ **وهم معرضون** ﴾ عنه .

---

[١] - سقط من : ز .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

قال البخاري(٧٥) : ﴿ **استجيبوا** ﴾ أجيبوا ﴿ **لما يحييكم** ﴾ لما يصلحكم . حدثنا[١] إسحاق ، حدثنا روح ، حدثنا شعبة ، عن خبيب بن عبد الرحمن ؛ قال : سمعت حفص ابن عاصم يحدث ، عن أبي سعيد بن المعلى - رضي اللَّه عنه - قال : كنت أصلي ، فمر [بي النبي][٢] صلى اللَّه عليه وسلم فدعاني ، فلم آته حتى صليت ، ثم أتيته ، فقال : « **ما منعك أن تأتيني ؟ ألم يقل اللَّه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا للَّه وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾** ». ثم قال : « **لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج** ». فذهب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ليخرج ، فذكرت له - وقال معاذ : حدثنا شعبة ، عن خبيب بن عبد الرحمن ، سمع حفص بن عاصم ، سمع أبا سعيد رجلًا من أصحاب النبي ، صلى اللَّه عليه وسلم ، بهذا - وقال : هي[٣] ﴿ **الحمد للَّه رب العالمين** ﴾ السبع المثاني .

هذا لفظه بحروفه ، وقد تقدم الكلام على هذا الحديث بذكر طرقه في أول تفسير الفاتحة .

وقال مجاهد في قوله : ﴿ **لما يحييكم** ﴾ قال : الحق[٤] .

وقال قتادة : ﴿ **لما يحييكم** ﴾ قال : هو هذا القرآن ، فيه النجاة والتقاة والحياة .

وقال السدي : ﴿ **لما يحييكم** ﴾ ففي الإسلام إحياؤهم بعد موتهم بالكفر .

وقال محمد بن إسحاق(٧٦) ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا استجيبوا للَّه وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم** ﴾ أي : للحرب التي أعزكم اللَّه تعالى بها بعد الذل ، وقواكم بها بعد الضعف ، ومنعكم من عدوكم بعد القهر منهم لكم .

---

(٧٤) - المسند ٢٣٧٧٢ - (٤٣١/٥) وسنن النسائي الكبرى برقم (١١٢٠١) والمستدرك (٣٢٨/٢) .

(٧٥) - البخاري في تفسير القرآن ، باب : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم ...** ﴾ برقم (٤٦٤٧) .

---

[١] - في : « حدثني » .

[٢] - في ز : « رسول الله » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ت : « للحق » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **واعلموا أن اللّٰه يحول بين المرء وقلبه** ﴾ قال ابن عباس : يحول بين المؤمن وبين الكفر ، وبين الكافر وبين الإيمان(٧٧) .

رواه الحاكم في مستدركه موقوفًا(٧٨) ، وقال : صحيح ولم يخرجاه . ورواه ابن مردويه من وجه آخر مرفوعًا (٧٩) ، ولا يصح ؛ لضعف إسناده ، والموقوف أصح . وكذا قال مجاهد وسعيد وعكرمة والضحاك وأبو صالح وعطية ومقاتل بن حيان والسدي في رواية عن مجاهد في قوله : ﴿ **يحول بين المرء وقلبه** ﴾ حتىٰ تركه لا يعقل .

وقال السدي : يحول بين الإنسان وقلبه ؛ فلا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر إلا بإذنه .

وقال قتادة : هو كقوله : ﴿ **ونحن أقرب إليه من حبل الوريد** ﴾ .

وقد وردت الأحاديث عن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، بما يناسب هذه الآية .

وقال الإمام أحمد(٨٠) : حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن أنس بن مالك –رضي اللّٰه عنه– قال : كان النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، يكثر أن يقول : « **يا مقلب القلوب ، ثبت قلبي علىٰ دينك** » . [قال][١] فقلنا : يا رسول اللّٰه ، آمنا بك ، وبما جئت به ، فهل تخاف علينا ؟ . قال : « **نعم ، إن القلوب بين أصبعين من أصابع اللّٰه تعالىٰ يقلبها** » .

وهكذا رواه الترمذي في كتاب القدر من جامعه ، عن هناد بن السري ، عن أبي معاوية محمد بن حازم الضرير ، عن الأعمش – واسمه سليمان بن مهران – عن أبي سفيان – واسمه طلحة بن نافع – عن أنس ، ثم قال : حسن .

وهكذا روي عن غير واحد ، عن الأعمش ، ورواه بعضهم عنه ، عن أبي سفيان ، عن جابر ، عن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وحديث أبي سفيان عن أنس أصح(٨١) .

---

(٧٦) – رواه ابن جرير موقوفاً على ابن إسحاق – قوله – رقم ١٢م٠١٥٨٧٣) .

(٧٧) – رواه ابن جرير (١٥٨٨٩/١٣) .

(٧٨) – المستدرك (٣٢٨/٢) ولفظه : « يحول بين الكافر ، وبين الإيمان ، ويحول بين المؤمن وبين المعاصي » .

(٧٩) – ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٥/٤) .

(٨٠) – رواه أحمد في المسند ١٢١٢٧ – (١١٢/٣) ، ١٢٧٢٢ – (٢٥٧/٣) عن عفان عن عبد الواحد عن الأعمش به ، والترمذي برقم (٢١٤٠) . ورواه الحاكم مختصراً (٥٢٦/١) ، ورواه أبو يعلى ٣٦٨٧ – (٣٥٩/٦) ، و٣٦٨٨ – (٣٦٠/٦) وروى الطبراني من حديث ثابت عن أنس : أن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كان يدعو : يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك .

---

[١] – سقط من خ ..

(حديث آخر) [قال الإمام أحمد][١] ، وقال عبد بن حميد في مسنده(٨٢) : حدثنا عبد الملك بن عمرو ، حدثنا شعبة عن الحكم ، عن ابن أبي ليلى ، عن بلال - رضي اللَّه عنه - أن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم كان يدعو : « **يا مقلب القلوب ، ثبت قلبي علىٰ دينك** » هذا حديث جيد الإِسناد إلا أن فيه انقطاعًا ، وهو مع ذلك علىٰ شرط أهل السنن ، ولم يخرجوه .

(حديث آخر) قال[٢] الإِمام أحمد(٨٣) : حدثنا الوليد بن مسلم قال : سمعت ابن جابر يقول : حدثني بسر[٣] بن عبد اللَّه الحضرمي ، أنه سمع أبا إدريس الخولاني يقول : سمعت النواس بن سمعان الكلابي - رضي اللَّه عنه - يقول : سمعت النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يقول : « **ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن رب العالمين ، إذا شاء أن يقيمه أقامه ، وإذا شاء أن يزيغه أزاغه** » . وكان يقول : « **يا مقلب القلوب ، ثبت قلوبنا علىٰ دينك** » . قال : « **والميزان بيد الرحمن ، يخفضه ويرفعه** » .

وهكذا رواه النسائي وابن ماجة ، من حديث عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، فذكر مثله .

(حديث آخر) قال الإِمام أحمد(٨٤) : حدثنا يونس ، حدثنا حماد بن زيد ، عن المعلىٰ ابن زياد ، عن الحسن ؛ أن عائشة قالت : دعوات كان رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يدعو بها : « **يا مقلب القلوب ، ثبت قلبي علىٰ دينك** » . قالت : فقلت : يا رسول اللَّه ، إنك تكثر أن تدعو بهذا الدعاء . فقال : « **إن قلب الآدمي بين أصبعين من أصابع اللَّه ؛ فإذا شاء أزاغه ؛ وإذا شاء أقامه** » .

(حديث آخر) قال الإِمام أحمد(٨٥) : حدثنا هاشم ، حدثنا عبد الحميد ، حدثني[٤]

(٨١) - رواه الحاكم في المستدرك (٢٨٨/٢) من طريق الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر ، رضي الله عنه ، وقال : وقد أخرج مسلمٌ حديث عبد الله بن عمرو في قلوب بني آدم . ورواه أبو يعلى ٢٣١٨ - (٢٠٧/٤) .

(٨٢) - رواه أحمد ، وعبد بن حميد كما في المنتخب برقم (٣٥٩) .

(٨٣) - المسند ١٧٦٦٧ - (١٨٢/٤) وسنن النسائي الكبرى برقم (٧٧٣٨) وسنن ابن ماجة برقم (١٩٩) .

(٨٤) - المسند (٩١/٦) . وروى الطبراني معناه في الأوسط (٣١٩/٢) رقم ١٥٥٣ ، من حديث مبارك بن فضالة ، عن علي بن زيد ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة ، وقال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن مبارك إلا معلى ، تفرد به إبراهيم .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٢] - في ز : « وقال » .
[٣] - في خ : « بشر » .
[٤] - في خ : « حدثنا » .

شهر ، سمعت أم سلمة تحدث ؛ أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، كان يكثر في دعائه ، يقول: « **اللهم يا مقلب القلوب، ثبت قلبي علىٰ دينك** » . قالت : فقلت[١] : يا رسول اللَّه ، أو إن القلوب لتقلب ؟ قال : « **نعم ، ما خلق اللَّه من بشر من بني آدم ، إلا أن قلبه بين أصبعين من أصابع اللَّه عز وجل ؛ فإن شاء أقامه ، وإن شاء أزاغه ، فنسأل اللَّه ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ، ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة ، إنه هو الوهاب** » . قالت : فقلت[٢] : يا رسول اللَّه ؛ ألا تعلمني دعوة أدعو بها لنفسي ؟ قال : « **بلىٰ ، قولي : اللهم رب النبي محمد ، اغفر لي ذنبي ، وأذهب غيظ قلبي ، وأجرني من مضلات الفتن ما أحييتني** » .

(حديث آخر) : قال الإمام أحمد(٨٦) : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا حيوة ، أخبرني أبو هانئ ، أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي ، أنه سمع عبد اللَّه بن عمرو ، أنه سمع رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يقول : « **إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن ، كقلب واحد ، يصرف كيف شاء** » . ثم قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **اللهم مصرف القلوب ، صرف قلوبنا إلىٰ طاعتك** » .

انفرد[٣] بإخراجه مسلم عن البخاري ، فرواه مع النسائي من حديث حيوة بن شريح المصري به .

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٥) ﴾

يحذر تعالىٰ عباده المؤمنين ﴿ **فتنة** ﴾ ، أي : اختبارًا ومحنة يعم بها المسيئ وغيره ، لا يخص بها أهل المعاصي ، ولا من باشر الذنب ، بل يعمها[٤] حيث لم تدفع وترفع ، كما قال الإمام أحمد(٨٧) : حدثنا أبو سعيد مولىٰ بني هاشم ، حدثنا شداد بن سعيد ، حدثنا

---

(٨٥) – المسند (٣٠١/٦) ، ورواه الترمذي في السنن برقم (٣٥٢٢) من طريق شهر بن حوشب ، به . قال الترمذي : « هذا حديث حسن » . ورواه الطبراني (٣٣٨/٢٣) رقم ٧٨٥ ، ورواه الطبراني أيضاً من حديث الحسن ، عن أمه ، عن أم سلمة (٣٦٦/٢٣) رقم ٨٦٥ .

(٨٦) – المسند ٦٥٦٩ – (١٦٨/٢) ، وصحيح مسلم برقم (٢٦٤٥) ، وسنن النسائي الكبرى برقم (٧٨٦١) .

(٨٧) – المسند (١٦٥/١ ، ١٦٧) .

---

[١] – في ز : « قلت » .

[٢] – في ز : « قلت » .

[٣] – في خ : « تفرد » .

[٤] – في خ : « يعمهما » .

غيلان بن جرير ، عن مطرف ؛ قال : قلنا للزبير : يا أبا عبد اللّٰه ؛ ما جاء بكم ؟ ضيعتم الخليفة الذي قتل ، ثم جئتم تطلبون بدمه ؟ فقال الزبير -رضي اللّٰه عنه- : إنا قرأنا علىٰ عهد رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وأبي بكر وعمر وعثمان رضي اللّٰه عنهم : ﴿ **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة** ﴾ لم نكن نحسب أنا أهلها ، حتىٰ وقعت منا حيث وقعت .

وقد رواه البزار(٨٨) ، من حديث مطرف ، عن الزبير . وقال : لا نعرف مطرّفًا روىٰ عن الزبير غير هذا الحديث .

وقد روىٰ النسائي(٨٩) ، من حديث جرير[١] بن حازم ، عن الحسن ، عن الزبير نحو هذا .

و[٢]روىٰ ابن جرير(٩٠) ، حدثني الحارث ، حدثنا عبد العزيز ، حدثنا مبارك بن فضالة ، عن الحسن قال : قال الزبير : لقد خوفنا بها[٣] ، يعني قوله تعالىٰ : ﴿ **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة** ﴾ ، ونحن مع رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وما ظننا أنا خصصنا بها خاصة .

وكذا رواه حميد ، عن الحسن ، عن الزبير ، رضي اللّٰه عنه(٩١) .

وقال داود بن أبي هند ، عن الحسن في هذه الآية ، قال : نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير رضي اللّٰه عنهم(٩٢) .

وقال سفيان الثوري ، عن الصلت بن دينار ، عن عقبة بن صهبان[٤] ، سمعت الزبير يقول : لقد قرأت هذه الآية زمانًا ، وما أرانا من أهلها ، فإذا نحن المعنيون بها : ﴿ **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن اللّٰه شديد العقاب** ﴾(٩٣) .

---

(٨٨) - مسند البزار برقم (٩٧٦) ، وفي إسناده الحجاج بن نصير ، وهو ضعيف .
(٨٩) - وسنن النسائي الكبرىٰ برقم (١١٢٠٦) .
(٩٠) - تفسير ابن جرير (١٥٩١٣/١٣) .
(٩١) - رواه ابن جرير (١٥٩٠٥/١٣) ، وفي إسناده زيد بن عوف : ضعيف .
(٩٢) - رواه ابن جرير (١٥٩٠٣/١٣) .
(٩٣) - رواه ابن جرير (١٥٩٠٦/١٢) .

---

[١] - في ز : « جابر » .
[٢] - في م : « وقد » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « ضبيان » .

وقد روي من غير وجه ، عن الزبير بن العوّام .

وقال السدي : نزلت في أهل بدر خاصة ، فأصابتهم يوم الجمل فاقتتلوا .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله تعالىٰ : ﴿ **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة** ﴾ يعني أصحاب النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، خاصة .

وقال في رواية له[١] ، عن ابن عباس في تفسير هذه الآية : أمر اللّٰه المؤمنين أن لا يقروا المنكر بين ظهرانيهم ، فيعمهم اللّٰه بالعذاب .

وهذا تفسير حسن جدًّا ، ولهذا قال مجاهد في قوله تعالىٰ : ﴿ **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة** ﴾ : هي أيضًا لكم . وكذا قال الضحاك ويزيد بن أبي حبيب وغير واحد .

وقال ابن مسعود : ما منكم من أحد إلا وهو مشتمل علىٰ فتنة ، إن اللّٰه تعالىٰ يقول : ﴿ **إنما أموالكم وأولادكم فتنة** ﴾ ، فأيكم استعاذ فليستعذ بالله من مضلات الفتن . رواه ابن جرير .

والقول بأن هذا التحذير يعم الصحابة وغيرهم ، وإن كان الخطاب معهم - هو الصحيح ؛ ويدل [على ذلك][٢] الأحاديث الواردة في التحذير من الفتن ؛ ولذلك كتاب مستقل يوضح فيه إن شاء اللّٰه تعالىٰ ، كما فعله الأئمة وأفردوه بالتصنيف ؛ ومن أخص ما يذكر هٰهنا ، ما رواه الإمام أحمد حيث قال(٩٤) : حدثنا أحمد بن الحجاج ، أخبرنا عبد اللّٰه - يعني : ابن المبارك - أنبأنا سيف بن أبي سليمان ، سمعت عدي بن عدي الكندي يقول ؛ حدثني مولىٰ لنا أنه سمع جدي - يعني : عدي بن عميرة - يقول : سمعت رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، يقول : « **إن اللّٰه - عز وجل - لا يعذب العامّة بعمل الخاصة ؛ حتىٰ يروا المنكر بين ظهرانيهم ، وهم قادرون علىٰ أن ينكروه ، فلا ينكروه ، فإذا فعلوا ذلك عذب اللّٰه الخاصة والعامّة** » .

---

(٩٤) - **إسناده ضعيف** ، لجهالة الراوي عن عدي بن عميرة ، وهو في المسند ١٧٧٧٠- (١٩٢/٤) ، ورواه أحمد ١٧٧٧٣ - (١٩٢/٤) ، والحديث أخرجه الطبراني في الكبير (١٣٨/١٧ - ١٣٩) حديث (٣٤٣ ، ٣٤٤) ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٧١/٧) وقال : رواه أحمد من طريقين - إحداهما هذه ، والأخرى : حدثني عدي بن عدي ، حدثني مولى لنا ... وهو الصواب - وكذا رواه الطبراني ، وفيه رجل لم يسم ، وبقية رجال أحد الأسانيد ثقات .

---

[١] - في ز ، خ : « عنه » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ت : « عليه » .

فيه رجل مبهم[١] ، ولم يخرجوه في الكتب الستة ، ولا واحد منهم ، والله أعلم .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(٩٥) : حدثنا سليمان الهاشمي ، حدثنا إسماعيل - يعني : ابن جعفر - أخبرني عمرو بن أبي عمرو[٢] ، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأشهل ، عن حذيفة بن اليمان ؛ أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **والذي نفسي بيده ، لتأمرن بالمعروف ، ولتنهونّ عن المنكر ، أو[٣] ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا من عنده ، ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم** » .

ورواه عن أبي سعيد(٩٦) ، عن إسماعيل بن جعفر ، وقال : « **أو ليبعثن الله عليكم قومًا ، ثم تدعونه فلا يستجيب لكم** » .

وقال الإمام[٤] أحمد(٩٧) : حدثنا عبد الله بن نمير ، حدثنا رزين[٥] بن حبيب الجهني ، حدثني أبو الرقاد ، قال : خرجت مع مولاي ، فدفعت إلىٰ حذيفة ، وهو يقول : إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة ، علىٰ عهد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فيصير منافقًا ، وإني لأسمعها من أحدكم في المقعد الواحد أربع مرات ؛ لتأمرن بالمعروف ، و[٦]لتنهون عن المنكر ، ولتحاضن علىٰ الخير ، أو ليسحتنكم الله جميعًا بعذاب ، أو ليؤمرن عليكم شراركم ؛ ثم يدعو[٧] خياركم فلا يستجاب لهم .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد أيضًا(٩٨) : حدثني[٨] يحيىٰ بن سعيد ، عن زكريا ، حدثنا عامر رضي الله عنه ؛ قال : سمعت النعمان بن بشير رضي الله عنه يخطب يقول - وأومأ بأصبعيه إلىٰ أذنيه[٩] - يقول : مثل القائم علىٰ حدود الله ، والواقع فيها ، والمدهن

(٩٥) - المسند ٢٣٤٠٨ - (٣٨٨/٥) ، ورواه الترمذي في كتاب الفتن ، باب : ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٤٦٨/٤/رقم : ٢١٦٩) .

(٩٦) - المسند ٢٣٤٣٤ - (٣٩١/٥) .

(٩٧) - المسند ٢٣٤١٩ - (٣٩٠/٥) . والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٧/١٠) وعزاه لأحمد وقال : « وفيه أبو الرقاد الجهني ، ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات » .

(٩٨) - المسند ١٨٤٢٢ - (٢٦٩/٤) ، وصحيح البخاري برقم (٢٤٩٣) ، (٢٦٨٦) وسنن الترمذي برقم (٢١٧٣) .

[١] - في ز : « منهم » .
[٢] - في ز ، خ : « عمر » .
[٣] - في ز : « و » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز ، خ : « زر » .
[٦] - في ز : « أو » .
[٧] - في ز : « يدعوا » .
[٨] - في خ : « حدثنا » .
[٩] - في خ : « أذنه » .

فيها ؛ كمثل قوم ركبوا سفينة ، فأصاب بعضهم أسفلها وأوعرها وشرها ، وأصاب بعضهم أعلاها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا الماء ، مروا على من فوقهم فآذوهم ؛ فقالوا : لو خرقنا في نصيبنا خرقًا فاستقينا منه ، ولم نؤذ من فوقنا . فإن تركوهم وأمرهم هلكوا جميعًا ؛ وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعًا .

انفرد بإخراجه البخاري دون مسلم ، فرواه في الشركة والشهادات ، والترمذي في الفتن ، من غير وجه ، عن سليمان بن مهران الأعمش ، عن عامر بن شراحيل الشعبي ، به .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(٩٩) : حدثنا حسين ، حدثنا خلف بن خليفة ، عن ليث ، عن علقمة بن مرثد ، عن المعرور بن سويد ، عن أم سلمة زوج النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قالت : سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : « **إذا ظهرت المعاصي في أمّتي عمهم الله بعذاب من عنده** » . فقلت : يا رسول الله ، أما فيهم أناس صالحون ؟ قال : « **بلى** » قالت: فكيف يصنع أولئك ؟ قال : « **يصيبهم ما أصاب الناس ، ثم يصيرون إلى مغفرة من الله ورضوان** » .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(١٠٠) : حدثنا حجاج بن محمد ، حدثنا[١] شريك ، عن أبي إسحاق ، عن المنذر بن جرير ، عن أبيه قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **ما من قوم يعملون بالمعاصي**[٢] ، **وفيهم رجل أعز منهم وأمنع لا يغيرون - إلا عمهم الله بعقاب ، أو أصابهم العقاب** » .

ورواه أبو داود : عن مسدد ، عن أبي الأحوص ، عن أبي إسحاق ، به .

وقال الإمام أحمد أيضًا(١٠١) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، سمعت أبا إسحاق يحدث، عن عبيد الله بن جرير ، عن أبيه ؛ أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال :

---

(٩٩) - المسند ٢٦٧٠٥ - (٣٠٤/٦) ، ورواه بإسناد آخر ٢٦٦٣٧ - (٢٩٤/٦) ، ورواه الطبراني في المعجم الكبير برقم ٧٤٧ - (٣٢٥/٢٣) ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٦٨/٧) وقال : رواه أحمد بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح .

(١٠٠) - المسند ١٩٢٤٨ - (٣٦١/٤) ، ورواه أبو داود برقم (٤٣٣٩) ، وأبو يعلى في مسنده ٧٥٠٨ - (٤٩٧/١٣) ، والطبراني في الكبير ٢٣٧٩ - (١٣٣١/٢) ، وعبد الرزاق في مصنفه ٢٠٧٢٣ - (١١/ ٣٤٨) ، وابن حبان ٣٠٠ - (٥٣٦/١) ، والبيهقي (٩١/١٠) .

(١٠١) - المسند ١٩٢٨٥ - (٣٦٤/٤) ، و١٩٣٠٩ - (٣٦٦/٣) ، وانظر الحديث السابق .

---

[١] - في ز : أخبرنا .

[٢] - في ز : « المعاصي » .

« ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم أعز وأكثر ممن يعمله[١] ، ثم[٢] لم يغيروه ، إلا عمهم الله بعقاب » .

ثم رواه أيضًا ، عن وكيع ، عن إسرائيل . وعن عبد الرزاق ، عن معمر ، وعن أسود ، عن شريك ويونس كلهم ، عن أبي إسحاق السبيعي ، به .

وأخرجه ابن ماجة عن علي بن محمد ، عن وكيع ، به(١٠٢) .

وقال الإمام أحمد(١٠٣) : حدثنا سفيان ، حدثنا جامع بن أبي راشد ، عن منذر ، عن الحسن بن محمد ، عن امرأته ، عن عائشة تبلغ به النبي صلىٰ الله عليه وسلم : **« إذا ظهر السوء في الأرض ؛ أنزل الله بأهل الأرض بأسه »** . فقالت[٣] : وفيهم أهل طاعة الله ؟ قال : **« نعم ، ثم يصيرون إلىٰ رحمة الله »** .

وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٢٦)

ينبه تعالىٰ عباده المؤمنين علىٰ نعمه عليهم ، وإحسانه إليهم ، حيث كانوا قليلين فكثرهم ، ومستضعفين خائفين فقواهم ونصرهم ، وفقراء عالة فرزقهم من الطيبات ، واستشكرهم فأطاعوه ، وامتثلوا جميع ما أمرهم . وهذا كان حال المؤمنين حال مقامهم بمكة ، قليلين مستخفين مضطرين ، يخافون أن يتخطفهم[٤] الناس من سائر بلاد الله ، من مشرك ومجوسي ورومي ، كلهم أعداء لهم ؛ لقلتهم وعدم قوتهم ، فلم يزل ذلك دأبهم ، حتىٰ أذن الله لهم في الهجرة إلىٰ المدينة ، فآواهم إليها ، وقيض لهم أهلها ؛ آووا ونصروا يوم بدر وغيره ، وآسوا بأموالهم ، وبذلوا مهجهم في طاعة الله وطاعة رسوله صلىٰ الله عليه وسلم .

قال قتادة بن دعامة السدوسي رحمه الله(١٠٤) في قوله تعالى : **﴿ واذكروا إذ أنتم قليل**

---

(١٠٢) - سنن ابن ماجه ، كتاب الفتن ، باب : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر برقم (٤٠٠٩) .

(١٠٣) - المسند ٤٢٢٤٢ - (٤١/٦) ، ورواه الحاكم في المستدرك (٥٢٣/٤) من طريق الحسن بن محمد عن مولاة لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قالت : دخل النبي صلىٰ الله عليه وسلم على عائشة أو على بعض أزواج النبي صلىٰ الله عليه وسلم وأنا عنده فقال ... فذكر الحديث ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٦٨) وقال : « رواه أحمد وفيه امرأة لم تسم » .

(١٠٤) - رواه ابن جرير في تفسيره (٤٧٨/١٣) .

---

[١] - في ز : « يعملوه » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « قالت » .
[٤] - في ز : « تخطفهم » .

مستضعفون في الأرض﴾ قال : كان هذا الحي من العرب أذل الناس ذلًّا ، وأشقاه عيشًا ، وأجوعه بطونًا ، وأعراه جلودًا ، وأبينه ضلالًا ، [مكعومين على رأس حجر بين الأسدين : فارس والروم ، ولا و اللَّه ما في بلادهم يومئذ من شيء يحسدون عليه][١] ، من عاش منهم عاش شقيًّا ، ومن مات منهم ردي في النار ، يؤكلون ولا يأكلون ، واللَّه ما نعلم قبيلًا من حاضر أهل الأرض يومئذ كانوا أشر منزلًا منهم ، حتىٰ جاء اللَّه بالإسلام ، فمكن به في البلاد ، ووسع به في الرزق ، وجعلهم به ملوكًا علىٰ رقاب الناس ، وبالإسلام أعطىٰ اللَّه ما رأيتم ، فاشكروا [لله نعمه][٢] ؛ فإن ربكم منعم يحب الشكر ، وأهل الشكر في مزيد من اللَّه .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

قال [عبد اللَّه][٣] بن أبي قتادة والزهري (١٠٥) : أنزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر ، حين بعثه رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، إلىٰ بني قريظة ؛ لينزلوا علىٰ حكم رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فاستشاروه في ذلك ، فأشار عليهم بذلك ، وأشار بيده إلىٰ حلقه ، أي : إنه الذبح ، ثم فطن أبو لبابة ، ورأىٰ أنه قد خان اللَّه ورسوله ؛ فحلف لا يذوق ذواقًا [حتىٰ يموت][٤] ، أو يتوب اللَّه عليه . وانطلق إلىٰ مسجد المدينة ، فربط نفسه في سارية منه[٥] ، فمكث كذلك تسعة أيام ، حتىٰ كان يخر[٦] مغشيًّا عليه من الجهد ، حتىٰ أنزل اللَّه توبته علىٰ رسوله ؛ فجاء الناس يبشرونه بتوبة اللَّه عليه ، وأرادوا [أن يحلوه][٧] من السارية ، فحلف لا يحله منها إلا رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، بيده ، فحله ، فقال[٨] : يا رسول اللَّه ؛ إني كنت نذرت أن أنخلع من مالي صدقة . فقال : « **يجزيك الثلث أن تصدق به** » .

---

(١٠٥) - رواه ابن جرير في تفسيره (١٣/١٥٩٢٣) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في م : « الله علىٰ نعمه » .
[٣] - في ز ، خ : « عبد الرزاق » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز ، خ : « ليحلوه » .
[٨] - في ز : « وقال » .

وقال ابن جرير(١٠٦) : حدثني الحارث ، حدثنا عبد العزيز ، حدثنا يونس بن الحارث الطائفي ، حدثنا محمد بن عبيد الله أبو[١] عون الثقفي ، عن المغيرة بن شعبة ، قال : نزلت هذه الآية في قتل عثمان -رضي الله عنه- : **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول ﴾** الآية .

وقال ابن جرير أيضًا(١٠٧) : حدثنا القاسم بن بشر بن معروف ، حدثنا شبابة بن سوار ، حدثنا محمد بن المحرم ، قال لقيت عطاء بن أبي رباح فحدثني ، قال : حدثني جابر بن عبد الله ؛ أن أبا سفيان خرج من مكة ، فأتىٰ جبريل رسولَ الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال : إن أبا سفيان [كذا وكذا . فقال النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم، لأصحابه : « **إن أبا سفيان**][٢] **في موضع كذا وكذا ؛ فاخرجوا إليه واكتموا** » . فكتب رجل من المنافقين إليه : إن محمدًا يريدكم ، فخذوا حذركم . فأنزل الله عز وجل : **﴿ لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم ﴾** الآية .

هذا حديث غريب جدًا ، وفي سنده وسياقه نظر .

وفي الصحيحين قصة حاطب بن أبي بلتعة (١٠٨)، أنه كتب إلىٰ قريش يعلمهم بقصد رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم ، إياهم عام الفتح ، فأطلع الله رسولَه علىٰ ذلك ، فبعث في إثر الكتاب فاسترجعه ، واستحضر حاطبًا فأقر بما صنع ، فقام عمر بن الخطاب فقال : يا رسول الله ، ألا أضرب عنقه ؛ فإنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين ؟ فقال : « **دعه ، فإنه قد شهد بدرًا ، وما**[٣] **يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم ؛ فقد غفرت لكم** » .

قلت : والصحيح أن الآية عامة ، وإن صح أنها وردت علىٰ سبب خاص ، فالأخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب عند الجماهير من العلماء ، والخيانة تعم الذنوب الصغار والكبار ، اللازمة والمتعدية .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : **﴿ وتخونوا أماناتكم ﴾** الأمانة : الأعمال التي ائتمن الله عليها العباد ، يعني : الفريضة ، يقول : لا تخونوا : لا تنقضوها .

(١٠٦) - تفسير ابن جرير (١٥٩٢٥/١٣)

(١٠٧) - تفسير ابن جرير (١٥٩٢٢/١٣) .

(١٠٨) - تقدم تخريجه عند تفسير الآية : ٩ من هذه السورة .

[١] - في تفسير الطبري : ابن .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - في خ : « ما » .

وقال في رواية : ﴿ لا تخونوا اللّٰه والرسول ﴾ يقول : بترك[١] سنته ، وارتكاب معصيته .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير في هذه الآية ، أي : لا تظهروا له من الحق ما يرضىٰ به منكم ، ثم تخالفوه في السر إلىٰ غيره ؛ فإن ذلك هلاك لأماناتكم ، وخيانة لأنفسكم .

وقال السدي : إذا خانوا اللّٰه والرسول فقد خانوا أماناتهم .

وقال أيضًا : كانوا يسمعون من النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، الحديث ، فيفشونه حتىٰ يبلغ المشركين .

وقال عبد الرحمن بن زيد : نهاكم أن تخونوا اللّٰه والرسول كما صنع المنافقون .

وقوله تعالى : ﴿ واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ أي : اختبار وامتحان منه لكم إذ أعطاكموها ؛ ليعلم أتشكرونه[٢] عليها ، وتطيعونه[٣] فيها أو تشتغلون بها عنه ، وتعتاضون بها منه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة واللّٰه عنده أجر عظيم ﴾ ، وقال : ﴿ ونبلوكم [بالشر والخير] فتنة ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر اللّٰه ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوًّا لكم فاحذروهم ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ وأن اللّٰه عنده أجر عظيم ﴾ أي : ثوابه وعطاؤه وجناته ، خير لكم من الأموال والأولاد ؛ فإنه قد يوجد منهم عدو ، وأكثرهم لا يغني عنك شيئًا ، واللّٰه سبحانه هو المتصرف المالك للدنيا والآخرة ، ولديه الثواب الجزيل يوم القيامة .

وفي الأثر يقول اللّٰه[٤] تعالىٰ : « يا بن آدم ، اطلبني تجدني ، فإن وجدتني وجدت كل شيء ، وإن فتك فاتك كل شيء ، وأنا أحب إليك من كل شيء » .

وفي الصحيح(١٠٩) عن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، [أنه قال][٥] : « ثلاثٌ من

(١٠٩) - رواه البخاري في كتاب الإيمان ، باب : حلاوة الإيمان ، حديث ١٦ . ومسلم في كتاب الإيمان من صحيحه برقم ٦٧ - (٤٣) من حديث أنس بن مالك ، رضي الله عنه .

[١] - في ز : « ترك » .
[٢] - في ز : « أتشكروه » .
[٣] - في ز : « وتطيعوه » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : خ .

كن فيه وجد بهن[١] حلاوة الإيمان : من كان اللَّه ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله ، ومن كان [ ][٢] أن يلقىٰ في النار أحب إليه من[٣] أن يرجع إلىٰ الكفر بعد إذ أنقذه اللَّه منه » .

بل حب رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، مقدم علىٰ الأولاد والأموال والنفوس ، كما ثبت في الصحيح(١١٠) أنه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « **والذي نفسي بيده ، لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحب إليه من نفسه وأهله وماله والناس أجمعين** » .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

قال ابن عباس والسدي ، ومجاهد ، وعكرمة ، والضحاك ، وقتادة ، ومقاتل بن حيان : ﴿ **فرقانًا** ﴾ : مخرجًا[٤] . زاد مجاهد : في الدنيا والآخرة .

وفي رواية عن ابن عباس : ﴿ **فرقانًا** ﴾ : نجاة . وفي رواية عنه : نصرًا .

وقال محمد بن إسحاق : ﴿ **فرقانًا** ﴾ أي : فصلًا بين الحق والباطل .

وهذا التفسير من ابن إسحاق أعم مما تقدم ، وهو[٥] يستلزم ذلك كله ؛ فإن من اتقىٰ اللَّه بفعل أوامره ، وترك زواجره ، وفق لمعرفة الحق من الباطل ، فكان ذلك سبب نصره ونجاته ومخرجه من أمور الدنيا ، وسعادته يوم القيامة ، وتكفير ذنوبه وهو ومحوها ، وغفرها و[٦]سترها عن الناس - سببًا لنيل ثواب اللَّه الجزيل ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللَّه وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورًا تمشون به ويغفر لكم واللَّه غفور رحيم** ﴾ .

وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾

---

(١١٠) - صحيح البخاري برقم (١٤) .

---

[١] - سقط من : ت .
[٢] - في ز ، خ : يحب .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في خ : « نجاة » .
[٥] - في ز : « وقد » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : ﴿ **ليثبتوك** ﴾ ليقيدوك[١] . وقال عطاء وابن زيد : ليحبسوك . وقال السدي : الإِثبات هو الحبس والوثاق .

وهذا يشمل ما قاله هؤلاء وهؤلاء ، وهو مجمع الأقوال ، وهو الغالب من صنيع من أراد غيره بسوء .

وقال سُنَيْد(١١١) ، عن حجاج ، عن ابن جريج ، قال عطاء : سمعت عُبيد بن عُمير يقول : لما ائتمروا بالنبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه ؛ قال له عمه أبو طالب : هل تدري ما ائتمروا بك ؟ قال : « **يريدون أن يسحروني**[٢] **أو يقتلوني أو يخرجوني** » . فقال من أخبرك[٣] بهذا ؟ قال : « **ربي** » . قال : نِعْم الرب ربك ، استوص به خيرًا . قال[٤] : « **أنا أستوصي به ! بل هو يستوصي بي** » .

وقال أبو جعفر بن جرير (١١٢): حدثني محمد بن إسماعيل البصري[٥] المعروف بالوساوسي ، أخبرنا عبد الحميد بن أبي روّاد[٦] ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن عبيد بن عمير ، عن المطلب بن أبي وداعة ؛ أن أبا طالب قال لرسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : ما يأتمر بك قومك ؟ قال : « **يريدون أن يسحروني**[٧] **أو يقتلوني أو يخرجوني** » . فقال : من أخبرك[٨] بهذا ؟ قال : « **ربي** » . قال : نعم الرب ربك ؛ فاستوص به خيرًا . قال : « **أنا أستوصي به ؟ ! بل هو يستوصي بي** » . قال : فنزلت : ﴿ **وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك** ﴾ الآية .

وذِكْرُ أبي طالب في هذا غريب جدًّا ؛ بل منكر ؛ لأن هذه الآية مدنية ؛ ثم إن هذه القصة ، واجتماع قريش علىٰ هذا الائتمار والمشاورة علىٰ الإِثبات أو النفي أو القتل ، إنما كان ليلة الهجرة سواء ، وكان ذلك بعد موت أبي طالب بنحو من ثلاث سنين ، لما تمكنوا منه واجترءوا عليه بعد[٩] موت عمه أبي طالب ، الذي كان يحوطه وينصره ويقوم بأعبائه ، والدليل علىٰ صحة ماقلنا - ما رواه الإِمام محمد بن إسحاق بن يسار صاحب المغازي ، عن عبد اللّٰه بن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ؛ قال : وحدثني الكلبي ، عن باذان

(١١١) - رواه ابن جرير في تفسيره (١٣/١٥٩٦٤) .
(١١٢) - تفسير ابن جرير (١٣/١٥٩٦٣) .

[١] - في ز : « ليعتدوك » .
[٢] - في خ : « يسجنوني » .
[٣] - في ز : « خبرك » .
[٤] - في ز : « فقال » .
[٥] - في ز : « المصري » .
[٦] - في ز : « داود » .
[٧] - في خ : « يسجنوني » .
[٨] - في ز : « خبرك » .
[٩] - في ت : « بسبب » .

مولىٰ أم هانئ عن ابن عباس ؛ أن نفرًا من قريش من أشراف كل قبيلة ، اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة ، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل ، فلما رأوه قالوا له : من أنت ؟ قال : شيخ من أهل[١] نجد ، سمعت أنكم اجتمعتم ، فأردت أن أحضركم ، ولن يعدمكم رأيي ونصحي . قالوا : أجل ، ادخل . فدخل معهم ، فقال : انظروا في شأن هذا الرجل ، والله ليوشكن أن يواثبكم في أمركم بأمره . قال : فقال قائل منهم : احبسوه في وثاق ، ثم تربصوا به ريب[٢] المنون حتىٰ يهلك ، كما هلك من كان قبله من الشعراء : زهير والنابغة ، إنما هو كأحدهم . قال : فصرخ عدو الله الشيخ النجدي فقال : والله ما هذا لكم برأي ، والله ليخرجنه ربه من محبسه إلىٰ أصحابه ، فليوشكن أن يثبوا عليه حتىٰ يأخذوه من أيديكم ، فيمنعوه منكم ، فما آمن عليكم أن يخرجوكم من بلادكم . قال : فانظروا في غير[٣] هذا .

قال : [فقال][٤] قائل منهم : أخرجوه من بين أظهركم فتستريحوا[٥] منه ؛ فإنه إذا خرج لن يضركم ما صنع وأين وقع ، إذا غاب عنكم أذاه واسترحتم ، وكان أمره في غيركم . فقال[٦] الشيخ النجدي : والله ما هذا لكم برأي ، ألم تروا حلاوة قوله[٧] ، وطلاوة[٨] لسانه ، وأخذ[٩] القلوب ما تسمع[١٠] من حديثه ؟ والله لئن فعلتم [ثم استعرض العرب][١١] ليجتمعن عليكم ، ثم[١٢] ليأتين إليكم[١٣] حتىٰ يخرجكم من بلادكم ، ويقتل أشرافكم . قالوا : صدق والله . فانظروا بابًا[١٤] غير هذا .

قال : فقال أبو جهل لعنه الله : والله لأشيرن عليكم برأي ما أراكم تصرمونه بعد ، [لا أرىٰ][١٥] غيره . قالوا : وما هو ؟ قال : نأخذ من كل قبيلة غلامًا شابًا وسيطًا نهدًا ، ثم يعطىٰ كل غلام منهم سيفًا صارمًا ، ثم يضربونه ضربة رجل واحد فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل ، فما أظن هذا الحي من بني هاشم يقوون علىٰ حرب قريش كلها ، فإنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل واسترحنا ، وقطعنا عنا أذاه .

قال : فقال الشيخ النجدي : هذا والله الرأي ، القول ما قال الفتىٰ لا رأي غيره . قال :

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .
[٥] - في ز : « تستريحوا » ، وفي خ : « لتستريحوا ».
[٦] - في ز : « وقال » .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - في خ : « وطلاقاة » .
[٩] - في ز : « وأجد » .
[١٠] - في ز : « تشبع » .
[١١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[١٢] - سقط من : ز .
[١٣] - سقط من : ز ، خ .
[١٤] - في ت : « رأيًا » .
[١٥] - في ز : « ما رأى » .

فتفرقوا علىٰ ذلك ، وهم مجمعون له ، فأتىٰ جبريل النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه ، وأخبره بمكر القوم ؛ فلم يبت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في بيته تلك الليلة ، وأذن الله له عند ذلك بالخروج ، وأنزل الله عليه بعد قدومه المدينة الأنفال ، يذكر نعمه عليه ، وبلاءه عنده : ﴿ **وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين** ﴾ . وأنزل في قولهم : تربصوا به [ريب المنون][١] حتىٰ يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء : ﴿ **أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون** ﴾ ، وكان ذلك اليوم يسمىٰ يوم الزحمة ؛ للذي[٢] اجتمعوا عليه من الرأي(١١٣) .

وعن السدي نحو هذا السياق ، وأنزل الله في إرادتهم إخراجه قوله تعالىٰ : ﴿ **وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذًا لا يلبثون خلافك إلا قليلًا** ﴾ .

وكذا روىٰ العوفي ، عن ابن عباس . وروي عن مجاهد وعروة بن الزبير وموسىٰ بن عقبة وقتادة ومقسم وغير واحد نحو ذلك .

وقال يونس بن بكير، عن ابن إسحاق: فأقام رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، ينتظر أمر الله ، حتىٰ إذا اجتمعت قريش فمكرت به ، وأرادوا به ما أرادوا ، أتاه جبريل - عليه السلام - فأمره أن لا يبيت في مكانه [الذي كان يبيت فيه][٣] ، فدعا[٤] رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم علي بن أبي طالب ، فأمره أن يبيت علىٰ فراشه ، وأن يتسجىٰ ببرد له أخضر ، ففعل ، ثم خرج رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ القوم ، وهم علىٰ بابه ، وخرج معه بحفنة من تراب ؛ فجعل يذرها علىٰ رءوسهم ، وأخذ الله أبصارهم عن نبيه محمد ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وهو يقرأ : ﴿ **يس والقرآن الحكيم** ﴾ [إلىٰ قوله][٥] : ﴿ **فأغشيناهم فهم لا يبصرون** ﴾ .

و[٦]قال الحافظ أبو بكر البيهقي(١١٤) : وروي عن[٧] عكرمة ما يؤكد هذا .

---

(١١٣) - رواه ابن جرير في تفسيره (١٥٩٦٥/١٣) من طريق ابن إسحاق به .

(١١٤) - دلائل النبوة للبيهقي (٤٦٩/٢، ٤٧٠) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز : « الذي » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٤] - في ز : « دعا » .

[٥] - سقط من : خ .

[٦] - سقط من : ز .

[٧] - سقط من : خ .

وقد روىٰ ابن حبان في صحيحه(١١٥) ، والحاكم في مستدركه ، من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ؛ قال : دخلت فاطمة علىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وهي تبكي ، فقال : « **ما يبكيك يا بنية ؟** » قالت : يا أبت ؛ ومالي لا أبكي ، وهؤلاء الملأ من قريش في الحجر ، يتعاقدون[١] باللات والعزىٰ ومناة الثالثة الأخرىٰ ، لو قد رأوك لقاموا إليك فيقتلونك ، وليس منهم إلا من قد عرف نصيبه من دمك . فقال : « **يا بنية ، ائتني بوضوء** » ، فتوضأ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، ثم خرج إلىٰ المسجد ، فلما رأوه قالوا[٢] : إنما هو ذا . فطأطأوا رءوسهم ، وسقطت أذقانهم بين أيديهم ، فلم يرفعوا أبصارهم ، فتناول رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قبضة من تراب فحصبهم بها ، وقال : « **شاهت الوجوه** » . فما أصاب رجلًا منهم حصاة من حصياته ، إلا قتل يوم بدر كافرًا .

ثم قال الحاكم : صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه ، ولا أعرف له علة .

وقال الإمام أحمد(١١٦) : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، أخبرني عثمان الجزري[٣] ، عن مقسم مولىٰ ابن عباس ، أخبره عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك** ﴾ قال : تشاورت قريش ليلة[٤] بمكة ، فقال بعضهم : إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق . يريدون النبي صلىٰ الله عليه وسلم . وقال بعضهم : بل اقتلوه . وقال بعضهم : بل أخرجوه . فأطلع الله نبيه، صلىٰ الله عليه وسلم ، علىٰ ذلك، فبات علي رضي الله عنه علىٰ فراش رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم ، وخرج النبي صلىٰ الله عليه وسلم حتىٰ لحق بالغار ، وبات المشركون يحرسون عليًا يحسبونه النبي، صلىٰ الله عليه وسلم، فلما أصبحوا ثاروا إليه ؛ فلما رأوا عليًا ردّ الله تعالىٰ مكرهم ، فقالوا : أين صاحبك هذا ؟ قال : لا

---

(١١٥) - صحيح ابن حبان برقم (١٦٩١موارد) والمستدرك (١٥٧/٣) . والحديث في إسناده مسلم بن خالد الزنجي ؛ إلا أنه توبع ، ورواه أبو نعيم في دلائل النبوة (١٣٩) ، وأخرجه سعيد بن منصور (٣٧٨٩/٢ رقم (٢٩١٣) من طريق إسماعيل بن عياش ، وأحمد (٣٠٣/١) من طريق إسحاق بن عيسى ، حدثنا يحيى ابن سليم ، و(٣٦٨/١) من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، والبيهقي في الدلائل (٢٤٠/٦) من طريق أبي نعيم ، عن بكر بن عياش - جميعهم - عن عبد الله بن عثمان بن خثيم بهذا الإسناد . وأخرجه أيضاً الحاكم (١٥٧/٣) من طريق أبي بكر بن عياش ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن فاطمة مختصراً وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(١١٦) - المسند (٣٤٨/١) وأورده الهيثمي في المجمع (٢٧/٧) وقال : « فيه عثمان بن عمرو الجزري وثقه ابن حبان وضعفه غيره ، وبقية رجاله رجال الصحيح » .

---

[١] - في م : « يتعاهدون » .
[٢] - في ز : « فقالوا » .
[٣] - في ز ، خ : « الجريري » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .

أدري . فاقتصوا أثره ، فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم ، فصعدوا في الجبل ، فمرّوا بالغار ، فرأوا علىٰ بابه نسج العنكبوت ، فقالوا : لو دخل هٰهنا لم يكن نسج العنكبوت علىٰ بابه . فمكث فيه ثلاث ليال .

وقال محمد بن إسحاق (١١٧) ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير في قوله : ﴿ **ويمكرون ويمكر اللّٰه واللّٰه خير الماكرين** ﴾ أي : فمكرت بهم[١] بكيدي المتين حتىٰ خلصتك منهم .

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾

يخبر تعالىٰ عن كفر قريش وعتوهم وتمردهم وعنادهم ودعواهم الباطل عند سماع آياته ، حين[٢] تتلىٰ عليهم ؛ أنهم يقولون : ﴿ **قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا** ﴾ . وهذا منهم قول بلا فعل ، وإلا فقد تحدّوا غير ما مرة أن يأتوا بسورة من مثله ، فلا يجدون إلىٰ ذلك سبيلًا ، وإنما هذا القول منهم يغرون به أنفسهم ومن تبعهم[٣] علىٰ باطلهم .

وقد قيل : إن القائل لذلك هو النضر بن الحارث ، لعنه اللّٰه ، كما قد نص علىٰ ذلك سعيد بن جبير والسدي وابن جريج وغيرهم ، فإنه لعنه اللّٰه كان قد ذهب إلىٰ بلاد فارس ، وتعلم من أخبار ملوكهم رستم واسفنديار[٤] ، ولما قدم وجد رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قد بعثه اللّٰه ، وهو يتلو علىٰ الناس القرآن ، فكان إذا قام ، صلى الله عليه وسلم ، من مجلس جلس فيه النضر فيحدثهم[٥] من أخبار أولئك ، ثم يقول : بالله أينا[٦] أحسن

(١١٧) - رواه ابن جرير موقوفاً على ابن إسحاق (١٣/١٥٩٧٥) .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : « إذا » .
[٣] - في ز : « اتبعهم » .
[٤] - في ز : « اسفنذياد » ، خ : « اسفنذيار » .
[٥] - في ت : « فحدثهم » .
[٦] - في ز ، خ : « أيهما » .

قصصًا : أنا أو محمد ؟ ولهذا لما أمكن اللّه تعالىٰ منه يوم بدر ، ووقع في الأسارى ؛ أمر رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم أن تضرب رقبته صبرًا بين يديه ، ففعل ذلك ولله الحمد ، وكان الذي أسره المقداد بن الأسود - رضي اللّه عنه - كما قال ابن جرير :

حدثنا محمد بن بشار(١١٨) ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير؛ قال : قتل النبيُّ صلىٰ اللّه عليه وسلم يوم بدر صبرًا عقبة بن أبي معيط ، وطعيمة بن عدي، والنضر بن الحارث ، وكان المقداد أسر النضر ، فلما أمر بقتله قال المقداد : يا رسول اللّه ، أسيري . فقال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **إنه كان يقول في كتاب اللّه - عز وجل - ما يقول** » . فأمر رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، بقتله ، فقال المقداد : يارسول الله ؛ أسيري . فقال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم « **اللهم ، أغن المقداد من فضلك** » ، فقال المقداد : هذا الذي أردت . قال : وفيه أنزلت هذه الآية : ﴿ **وإذا تتلىٰ عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين** ﴾ .

وكذا رواه هشيم(١١٩) ، عن أبي بشر جعفر بن أبي وحشية[١] ، عن سعيد بن جبير ، أنه قال : المطعم بن عدي بدل طعيمة وهو غلط ؛ لأن المطعم بن عدي لم يكن حيًّا يوم بدر ؛ ولهذا قال رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، يومئذ : « **لو كان المطعم حيًّا ، ثم سألني في هؤلاء النَّتْنَى لوهبتهم له** »(١٢٠)

يعني [ ][٢] الأسارىٰ ؛ لأنه كان قد أجار رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم يوم رجع من الطائف .

ومعنىٰ ﴿ **أساطير الأولين** ﴾ وهو جمع أسطورة ، أي : كتبهم اقتبسها فهو يتعلم منها ، ويتلوها علىٰ الناس ؛ وهذا هو الكذب البحت كما أخبر اللّه عنهم في الآية الأخرىٰ : ﴿ **وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملىٰ عليه بكرة وأصيلًا قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفورًا رحيمًا** ﴾ أي : لمن تاب إليه وأناب ، فإنه يتقبل منه ويصفح عنه .

---

(١١٨) - تفسير ابن جرير (١٣/١٥٩٧٩) .

(١١٩) - تفسير ابن جرير (١٣/١٥٩٨٠) .

(١٢٠) - رواه البخاري ، في كتاب فرض الخمس ، باب : ما منَّ النبي ﷺ على الأسارى من غير الخمس ، برقم (٣١٣٩) من حديث جبير بن مطعم ، رضي الله عنه .

---

[١] - في ز ، خ : « حية » . [٢] - في ز ، خ : « عن » .

وقوله : ﴿ **وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم** ﴾ هذا من كثرة جهلهم وعتوهم وعنادهم وشدة تكذيبهم وهذا مما عيبوا به ، وكان الأولىٰ لهم أن يقولوا : اللهم ، إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له ووفقنا لاتباعه ، ولكن استفتحوا علىٰ أنفسهم ، واستعجلوا العذاب ، وتقديم العقوبة ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمىٰ لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون** ﴾ . ﴿ **وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب** ﴾ . ﴿ **سأل سائل بعذاب واقع * للكافرين ليس له دافع * من اللَّه ذي المعارج** ﴾ . وكذلك قال الجهلة من الأمم السالفة ، كما قال قوم شعيب له : ﴿ **فأسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين** ﴾ . وقال هؤلاء : ﴿ **اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم** ﴾ .

قال شعبة ، عن عبد الحميد صاحب الزيادي ، عن أنس بن مالك ، قال : هو أبو جهل ابن هشام ؛ قال : ﴿ **اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم** ﴾ ؛ فنزلت : ﴿ **وما كان اللَّه ليعذبهم وأنت فيهم وما كان اللَّه معذبهم وهم يستغفرون** ﴾ الآية .

رواه البخاري(١٢١) عن أحمد ومحمد بن النضر ، كلاهما عن عبيد اللَّه بن معاذ ، عن أبيه ، عن شعبة به .

وأحمد هذا هو أحمد بن النضر بن عبد الوهاب ، قاله الحاكم أبو أحمد، والحاكم أبو عبد اللَّه النيسابوري ، واللَّه أعلم .

وقال الأعمش ، عن رجل ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله : ﴿ [**وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك**][١] **فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم** ﴾ قال : هو النضر بن الحارث بن كَلَدَة قال : فأنزل اللَّه : ﴿ **سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع** ﴾ . وكذا قال مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير والسدي : إنه النضر بن الحارث . زاد عطاء : فقال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **وقالوا**[٢] **ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب** ﴾ وقال[٣] : ﴿ **ولقد جئتمونا فرادىٰ كما خلقناكم أول مرة** ﴾ وقال : ﴿ **سأل**

(١٢١) - صحيح البخاري في كتاب تفسير القرآن ، باب : قوله : ﴿ وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك ﴾ برقم (٤٦٤٨) وطرفه (٤٦٤٩) .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .

سائل بعذاب واقع للكافرين ﴾ قال عطاء : ولقد أنزل اللَّه فيه بضع عشرة آية من كتاب اللَّه عز وجل .

وقال ابن مردويه : حدثنا محمد بن إبراهيم ، حدثنا الحسن بن أحمد بن الليث ، حدثنا أبو غسان[١] ، [حدثنا أبو تميلة][٢] ، حدثنا الحسين ، عن ابن بريدة ، عن أبيه قال : رأيت عمرو بن العاص واقفًا يوم أحد علىٰ فرس ، وهو يقول : اللهم ، إن كان ما يقول محمد[٣] حقًّا ، فاخسف بي وبفرسي .

وقال قتادة في قوله : **﴿ وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك ﴾** الآية . قال : قال ذلك سفهة هذه الأمة وجهلتها ، فعاد اللَّه بعائدته ورحمته علىٰ سفهة هذه الأمة وجهلتها .

وقوله تعالىٰ : **﴿ وما كان اللَّه ليعذبهم وأنت فيهم وما كان اللَّه معذبهم وهم يستغفرون ﴾** .

قال ابن أبي حاتم(١٢٢) : حدثنا أبي ، حدثنا أبو حذيفة موسىٰ بن مسعود ، حدثنا عكرمة ابن[٤] عمار ، عن أبي زميل سماك الحنفي ، عن ابن عباس ؛ قال : كان المشركون يطوفون بالبيت ، ويقولون : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك ، فيقول النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **قد قد** » . ويقولون : [لبيك اللهم لبيك ، لبيك][٥] لا شريك لك ، إلا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك ، ويقولون : غفرانك غفرانك . فأنزل اللَّه : **﴿ وما كان اللَّه ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾** . قال ابن عباس : كان فيهم أمانان : النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، والاستغفار ، فذهب النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وبقي الاستغفار .

وقال ابن جرير(١٢٣) : حدثني الحارث حدثنا عبد العزيز ، حدثنا أبو معشر ، عن يزيد بن رومان ، ومحمد بن قيس ، قالا : قالت قريش بعضها لبعض : محمد أكرمه اللَّه من بيننا : **﴿ اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ﴾** . فلما أمسوا[٦] ندموا علىٰ ما قالوا ، فقالوا : غفرانك اللهم ، فأنزل

(١٢٢) - تفسير ابن أبي حاتم (٥/٩٠١٧) ورواه ابن جرير في تفسيره (١٣/١٦٠٠٠) من طريق أبي حذيفة موسى بن مسعود ، به .

(١٢٣) - تفسير ابن جرير (١٣/١٦٠٠١)

[١] - في ز : « عسان » .
[٢] - في خ : « عبيدة » .
[٣] - في ز : « محمدا » .
[٤] - في ز : « عن » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز : « أمنوا » .

الله : ﴿ **وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **ولكن أكثرهم لا يعلمون** ﴾ .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ﴿ **وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم** ﴾ يقول : ما كان الله ليعذب قومًا ، وأنبياؤهم بين أظهرهم ، حتىٰ يخرجهم . ثم قال : ﴿ **وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون** ﴾ يقول : وفيهم من قد سبق له من الله الدخول في الإيمان ، وهو الاستغفار ﴿ **يستغفرون** ﴾ يعني يصلون ، يعني بهذا أهل مكة .

وروي عن مجاهد وعكرمة وعطية العوفي وسعيد بن جبير والسدي - نحو ذلك .

وقال الضحاك وأبو مالك : ﴿ **وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون** ﴾ يعني المؤمنين الذين كانوا بمكة .

وقال ابن أبي حاتم : حدثني أبي ، حدثنا عبد الغفار بن داود ، حدثنا النضر بن عربي[١] ؛ قال : قال ابن عباس : إن الله جعل في هذه الأمة أمانين لا يزالون معصومين مجارين[٢] من قوارع العذاب ، ما داما بين أظهرهم ، فأمان قبضه الله إليه ، وأمان بقي فيكم . قوله : ﴿ **وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون** ﴾ .

وقال أبو صالح عبد الغفار : حدثني بعض أصحابنا ، أن النضر بن عربي حدثه هذا الحديث ، عن[٣] مجاهد ، عن ابن عباس .

وروىٰ ابن مردويه وابن جرير(١٢٤) عن أبي موسىٰ الأشعري نحوًا[٤] من هذا ، وكذا روي عن قتادة ، وأبي العلاء النحوي المقرئ .

وقال الترمذي (١٢٥) : حدثنا سفيان بن وكيع ، حدثنا ابن نمير ، عن إسماعيل بن إبراهيم ابن مهاجر ، عن عباد بن يوسف ، عن أبي بردة بن أبي موسىٰ ، عن أبيه ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أنزل الله[٥] علي أمانين لأمتي** : ﴿ **وما كان الله**

(١٢٤) - تفسير ابن جرير (١٦٠٠٣/١٣) .

(١٢٥) - سنن الترمذي برقم (٣٠٨٢) ، وقال الترمذي : « هذا حديث غريب ، وإسماعيل بن مهاجر يضعف في الحديث » . وعباد بن يوسف : مجهول .

[١] - في خ : « عدى » .

[٢] - في ز : « محبورين » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - في ز : « نحو » .

[٥] - سقط من : ز .

ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾ ، فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار [إلىٰ يوم القيامة][١] » .

ويشهد لهذا ما رواه الإمام أحمد في مسنده، والحاكم في مستدركه(١٢٦)، من حديث عبد الله بن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، عن دراج ، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد ؛ أن رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **إن الشيطان قال : وعزتك يارب ، لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم . فقال الرب : وعزتي وجلالي ، لا أزال أغفر لهم ما استغفروني** » .

ثم قال الحاكم : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

وقال الإمام أحمد(١٢٧) : حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا رشدين - هو ابن سعد - حدثني معاوية بن سعد التجيبي ، عمن حدثه ، عن فضالة بن عبيد ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أنه قال : « **العبد آمن من عذاب الله ما استغفر الله عز وجل** » .

وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا

---

(١٢٦) - **إسناده ضعيف** ، وهو في المسند ١١٢٥٣- (٢٩/٣) ، والمستدرك (٢٦١/٤) وأخرجه أبو يعلى - (١٣٩٩) حدثنا زهير ، عن الحسن بن موسى ، عن ابن لهيعة به . وأخرجه عبد بن حميد في « المنتخب » (٩٣٢) والبغوي في شرح السنة (١٢٣٩) والبيهقي في « الأسماء والصفات » (ص١٣٣-١٣٤) ورواه أحمد (١١٧٤٦) (٧٦/٣) من طرق ، عن ابن لهيعة به ، وزاد : « وارتفاع مكاني » وهي زيادة منكرة تفرد بها ابن لهيعة ، حيث رواه عن دراج عمرو بن الحارث بدونها . أخرجه الحاكم (٢٦١/٤) من طريق عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن دراج به . وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وليس كما قالا لضعف دراج لاسيما في روايته عن أبي الهيثم . وأخرجه أبو يعلى (١٢٧٣) ، والطبراني في الأوسط (٨٧٨٨) (٣٣٣/٨) .

ورواه أحمد (١١٢٦٠،١١٣٨٣) (٢٩/٣،٤١) من طريق الليث بن سعد عن يزيد بن الهاد عن عمرو بن أبي عمرو عن أبي سعيد به نحوه . قال الشيخ الألباني في الصحيحة - (١٦٤/١) : « هذا إسناد رجاله ثقات رجال الشيخين لكنه منقطع بين عمرو - وهو ابن أبي عمرو مولى المطلب - وبين أبي سعيد الخدري ؛ فإنهم لم يذكروا لعمرو رواية عن أحد من الصحابة غير أنس بن مالك .....

والحديث ذكره الهيثمي في « المجمع » - (٢١٠/١٠) وقال : رواه أحمد وأبو يعلى بنحوه . والطبراني في الأوسط ، وأحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح ، وكذلك أحد إسنادي أبي يعلى .

(١٢٧) - المسند ٢٣٩٩٩ - (٢٠/٦) . وإسناده ضعيف لضعف رشدين بن سعد وجهالة شيخ معاوية بن سعد .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

أَوْلِيَآءَهُۥٓ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾

يخبر تعالىٰ أنهم أهل لأن يعذبهم ، ولكن لم يوقع ذلك بهم ؛ لبركة مقام الرسول ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، بين أظهرهم ؛ ولهذا لما خرج من بين أظهرهم أوقع اللَّه بهم بأسه يوم بدر ، فقتل صناديدهم ، وأسرت سراتهم ، وأرشدهم تعالىٰ إلىٰ الاستغفار من الذنوب ، التي هم متلبسون بها من الشرك والفساد .

قال قتادة والسدي وغيرهما[١] : لم يكن القوم يستغفرون ، ولو كانوا يستغفرون ما عذبوا .

واختاره ابن جرير ؛ فلولا ما كان بين أظهرهم من المستضعفين من المؤمنين المستغفرين ؛ لأوقع[٢] بهم البأس الذي لا يرد ، ولكن دفع عنهم بسبب أولئك ، كما قال تعالىٰ في يوم الحديبية : ﴿ **هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفًا أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل اللَّه في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابًا أليما** ﴾ .

قال ابن جرير(١٢٨) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يعقوب ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن ابن أبزى ، قال : كان النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، بمكة ، فأنزل اللَّه : ﴿ **وما كان اللَّه ليعذبهم وأنت فيهم** ﴾ . قال : فخرج النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، إلىٰ المدينة ، فأنزل اللَّه : ﴿ **وما كان اللَّه معذبهم وهم يستغفرون** ﴾ . قال : وكان أولئك البقية من المسلمين[٣] الذين بقوا فيها ، يستغفرون - يعني : بمكة - فلما خرجوا أنزل اللَّه : ﴿ **وما لهم أن لا يعذبهم اللَّه وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه** ﴾ قال : فأذن اللَّه في فتح مكة ، فهو العذاب الذي وعدهم .

وروي عن ابن عباس وأبي مالك والضحاك وغير واحد - نحو هذا .

وقد قيل : إن هذه الآية ناسخة لقوله تعالىٰ : ﴿ **وما كان اللَّه معذبهم وهم**

(١٢٨) - رواه ابن جرير (١٣/١٥٩٩٠) .

[١] - في ز : « وغيرهم » .
[٢] - في ت : « لوقع » .
[٣] - في ز : « المؤمنين » .

يستغفرون ﴾ على أن يكون المراد صدور الاستغفار منهم أنفسهم .

قال ابن جرير(١٢٩) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يحيى بن واضح ، عن الحسين بن واقد ، عن يزيد النحوي ، عن عكرمة والحسن البصري ، قالا : قال في الأنفال : **﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾** ، فنسختها الآية التي تليها : **﴿ وما لهم ألا يعذبهم الله ﴾** إلى قوله : **﴿ فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾** فقوتلوا[١] بمكة ، فأصابهم فيها الجوع والضر .

وكذا رواه ابن أبي حاتم ، من حديث أبي تميلة[٢] يحيى بن واضح .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج وعثمان بن عطاء ، عن عطاء ، عن ابن عباس : **﴿ وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾** ثم استثنى أهل الشرك فقال : **﴿ وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدّون عن المسجد الحرام ﴾** .

وقوله : **﴿ وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾** . أي : وكيف لا يعذبهم الله ، وهم يصدون عن المسجد الحرام ، أي : الذي بمكة ، يصدون المؤمنين الذين هم أهله عن الصلاة عنده والطواف به ؛ ولهذا قال : **﴿ وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ﴾** أي هم ليسوا أهل المسجد الحرام ، وإنما أهله النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه ، كما قال تعالى : **﴿ ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد[٣] الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾** ، وقال تعالى : **﴿ وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله ﴾** الآية .

وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه الآية(١٣٠) : حدثنا سليمان بن أحمد - هو الطبراني - حدثنا جعفر بن إلياس بن صدقة المصري ، حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا نوح ابن أبي مريم، عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال:

(١٢٩) - رواه ابن جرير (١٦٠١٧/١٢) .

(١٣٠) - رواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٥٠٠٢) « مجمع البحرين » وقال : « لم يروه عن يحيى إلا نوح تفرد به نعيم » . وقال الهيثمي في المجمع (٢٦٩/١٠) : « فيه نوح بن أبي مريم وهو ضعيف » .

[١] - في ز ، خ : « فقاتلوا » . [٢] - في خ : « عمرو » .

[٣] - في ز : « مسجد » .

سئل رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، من آلك ؟ قال : « **كل تقي** » . وتلا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ﴿ **إن أولياؤه إلا المتقون** ﴾ .

وقال الحاكم في مستدركه (١٣١) : حدثنا أبو بكر الشافعي ، حدثنا إسحاق بن الحسن ، حدثنا أبو حذيفة ، حدثنا سفيان ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم[١] ، عن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة ، عن أبيه ، عن جده قال : جمع رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قريشًا[٢] فقال : « **هل فيكم من غيركم ؟** » . فقالوا : فينا ابن أختنا[٣] ، وفينا حليفنا ، وفينا مولانا . فقال : « **حليفنا منا ، وابن أختنا[٤] منا ، ومولانا منا ، إن أوليائي منكم المتقون** » .

ثم قال : هذا صحيح ، ولم يخرجاه .

وقال عروة والسدي ومحمد بن إسحاق في قوله تعالىٰ : ﴿ **إن أولياؤه إلا المتقون** ﴾ قال : هم محمد صلىٰ الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم .

وقال مجاهد : هم المجاهدون من كانوا ، وحيث كانوا .

ثم ذكر تعالىٰ ما كانوا يعتمدونه عند المسجد الحرام ، وما كانوا يعاملونه به ؛ فقال : ﴿ **وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية** ﴾ .

قال عبد الله بن عمر[٥] ، وابن عباس ، ومجاهد وعكرمة ، وسعيد بن جبير وأبو رجاء العطاردي ، ومحمد بن كعب القرظي ، وحجر بن عنبس ، ونبيط بن شريط ، وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هو الصفير . وزاد مجاهد : وكانوا يدخلون أصابعهم في أفواههم .

وقال السدي : المكاء : الصفير ، علىٰ نحو طير أبيض ، يقال له : المكاء[٦] ، ويكون بأرض الحجاز ، والتصدية[٧] : [التصفيق[٨]] .

(١٣١) - المستدرك (٢/٣٢٨) ، ورواه أحمد من حديث وكيع ، عن سفيان ، عن ابن خثيم به نحوه وفيه زيادة .

[١] - في ز : « حسم » .
[٢] - في ز : « غيركم » .
[٣] - في ز : « أخينا » .
[٤] - في ز : « أخينا » .
[٥] - في ز ، خ : « عمرو » .
[٦] - في ز : « المكائلون » .
[٧] - في ز : « وتصدية » .
[٨] - سقط من : خ .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو خلاد سليمان بن خلاد ، حدثنا يونس بن محمد المؤدب ، حدثنا يعقوب - يعني ابن عبد الله الأشعري - حدثنا جعفر بن [أبي[١]] المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصدية** ﴾ قال : كانت قريش تطوف بالكعبة[٢] عراة تصفر وتصفق . والمكاء : الصفير . وإنما شبهوا بصفير الطير وتصدية التصفيق .

وهكذا روىٰ علي بن أبي طلحة والعوفي ، عن ابن عباس . وكذا روي عن ابن عمر ومجاهد ، ومحمد بن كعب ، وأبي سلمة بن عبد الرحمن ، والضحاك وقتادة ، وعطية العوفي ، وحجر بن عَنْبَس[٣] ، وابن أبزى نحو هذا .

وقال ابن جرير(١٣٢) : حدثنا ابن بشار ، حدثنا أبو عامر[٤] ، حدثنا قرة ، عن عطية ، عن ابن عمر في قوله : ﴿ **وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية** ﴾ قال : المكاء : التصفير[٥] ، والتصدية : التصفيق . قال قرة : وحكىٰ لنا عطية فعل ابن عمر ، فصفر ابن عمر ، وأمال خده ، وصفق بيديه .

وعن ابن عمر أيضًا أنه قال : إنهم[٦] كانوا يضعون خدودهم علىٰ الأرض ، ويصفقون ويصفرون . رواه ابن أبي حاتم في تفسيره بسنده عنه .

وقال عكرمة : كانوا يطوفون بالبيت علىٰ الشمال .

قال مجاهد : وإنما كانوا يصنعون ذلك ليخلطوا بذلك علىٰ النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، صلاته .

وقال الزهري : يستهزئون بالمؤمنين .

وعن سعيد بن جبير ، وعبد الرحمن بن زيد ﴿ **وتصدية** ﴾ قال : صدُّهم الناس عن سبيل الله عز وجل .

قوله : ﴿ **فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون** ﴾ قال الضحاك ، وابن جريج ، ومحمد بن إسحاق : هو ما أصابهم يوم بدر من القتل والسبي . واختاره ابن جرير ولم يحك غيره .

---

(١٣٢) - رواه ابن جرير (١٦٠٢٩/١٣) .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : بالبيت .
[٣] - في خ : « عبس » .
[٤] - في ز : « عمر »والمثبت من ابن جرير ، وخ .
[٥] - في ز ، خ : « الصفير » .
[٦] - سقط من : ز .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ؛ قال : عذاب أهل الإقرار بالسيف ، وعذاب أهل التكذيب بالصيحة والزلزلة .

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾

قال محمد بن إسحاق(١٣٣) : حدثني الزهري ومحمد بن يحيىٰ بن حَبَّان[١] ، وعاصم ابن عمر بن قتادة ، والحصين[٢] بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد[٣] بن معاذ ؛ قالوا : لما أصيبت[٤] قريش يوم بدر ، ورجع فَلُّهم إلىٰ مكة ، ورجع أبو سفيان بعيره - مشى عبد الله ابن أبي ربيعة ، وعكرمة بن أبي جهل ، وصفوان بن أمية في رجال من قريش ، أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر ، فكلموا أبا سفيان بن حرب ، ومن كانت له في تلك[٥] العير من قريش تجارة ، فقالوا : يا معشر قريش ، إن محمدًا قد وتركم ، وقتل خياركم ؛ فأعينونا بهذا المال علىٰ حربه ؛ لعلنا أن ندرك منه ثأرًا بمن[٦] أصيب منا! ففعلوا . قال : ففيهم[٧] - كما ذكر عن ابن عباس - أنزل الله عز وجل : ﴿ **إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله** ﴾ إلىٰ قوله[٨] : ﴿ **والذين كفروا إلى جهنم يحشرون** ﴾ .

وهكذا[٩] روي عن مجاهد ، وسعيد بن جبير ، والحكم بن عتيبة ، وقتادة ، والسدي ، وابن أبزى : أنها نزلت في أبي سفيان ونفقته الأموال في أحد لقتال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم .

---

(١٣٣) - ورواه ابن جرير في تفسيره (١٣/١٦٠٦٣) ، وهو في السيرة لابن هشام (٣/٦٤) .

---

[١] - في خ : « حسان » .
[٢] - في ز : « والحصن » .
[٣] - في خ : « سعيد » .
[٤] - في ز : « أصيب » .
[٥] - في ز ، خ : « ذلك » .
[٦] - في ز : « ممن » .
[٧] - في ز : « فيهم » .
[٨] - سقط من : ز ، خ .
[٩] - في خ : « وكذا » .

وقال الضحاك : نزلت في أهل بدر .

وعلىٰ كل تقدير فهي عامة ، وإن كان سبب نزولها خاصًا ، فقد أخبر تعالىٰ أن الكفار ينفقون أموالهم ليصدوا عن اتباع طريق الحق ، فسيفعلون ذلك ، ثم[١] تذهب أموالهم ، ﴿ **ثم تكون عليهم حسرة** ﴾ أي ندامة حيث لم تُجْدِ شيئًا ؛ لأنهم أرادوا إطفاء نور الله ، وظهور كلمتهم علىٰ كلمة الحق ، والله متم نوره ولو كره الكافرون ، وناصر دينه ، ومعلن كلمته ، ومظهر دينه علىٰ كل دين ، فهذا الخزي لهم في الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب النار ؛ فمن عاش منهم رأىٰ بعينه وسمع بأذنه ما يسوءه ، ومن قتل منهم أو مات فإلىٰ الخزي الأبدي والعذاب السرمدي ؛ ولهذا قال : ﴿ **فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلىٰ جهنم يحشرون** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ليميز الله الخبيث من الطيب** ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **ليميز الله الخبيث من الطيب** ﴾ : فيميز أهل السعادة من أهل الشقاء . وقال السدي : يميز المؤمن من الكافر . وهذا يحتمل أن يكون هذا التمييز في الآخرة ، كقوله : ﴿ **ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون** ﴾ ، وقال في الآية الأخرىٰ ﴿ **يومئذ يصدعون** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وامتازوا اليوم أيها المجرمون** ﴾ .

ويحتمل أن يكون هذا التمييز في الدنيا ، بما يظهر من أعمالهم للمؤمنين ، وتكون اللام معللة لما جعل الله للكفار[٢] من مال ، ينفقونه في الصد عن سبيل الله ، أي : إنما أقدرناهم علىٰ ذلك : ﴿ **ليميز الله الخبيث من الطيب** ﴾ أي : من يطيعه بقتال أعدائه الكافرين ؛ أو يعصيه بالنكول عن ذلك ، كقوله : ﴿ **وما أصابكم يوم التقىٰ الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين * وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالًا لاتبعناكم** ﴾ الآية ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وما كان الله ليذر المؤمنين علىٰ ما أنتم عليه حتىٰ يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم علىٰ الغيب** ﴾ الآية ، وقال تعالىٰ : ﴿ **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين** ﴾ . ونظيرتها في براءة أيضًا .

فمعنىٰ الآية علىٰ هذا إنما ابتليناكم بالكفار يقاتلونكم ، وأقدرناهم على إنفاق الأموال وبذلها في ذلك ؛ ليميز الله[٣] الخبيث من الطيب ويجعل[٤] الخبيث بعضه علىٰ بعض

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : « للكافرين » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « فيجعل » .

[﴿ فيركمه﴾ أي : يجمعه كله ، وهو جمع الشيء بعضه على بعض ،][١] كما قال تعالىٰ في السحاب : ﴿ **ثم يجعله ركامًا** ﴾ أي : متراكما متراكبًا ، ﴿ **فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون** ﴾ أي : هؤلاء هم الخاسرون في الدنيا والآخرة .

قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾

يقول تعالىٰ لنبيه محمد صلىٰ اللّه عليه وسلم : ﴿ **قل للذين كفروا إن ينتهوا** ﴾ أي[٢] : عما هم فيه من الكفر والمشاقة والعناد ، ويدخلوا في الإسلام والطاعة والإنابة ؛ يغفر لهم ﴿ما قد سلف﴾ ، أي : من كفرهم وذنوبهم وخطاياهم ، كما جاء في الصحيح(١٣٤) من حديث أبي وائل عن ابن مسعود رضي اللّه عنه ؛ أن رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، قال : « **من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية ، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر** » .

وفي الصحيح أيضًا(١٣٥) أن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم قال : « **الإسلام يَجُبّ ما قبله ، والتوبة تجب ما كان قبلها** » .

وقوله : ﴿ **وإن يعودوا** ﴾ أي : يستمروا علىٰ ما هم فيه ﴿ **فقد مضت سنة الأوّلين** ﴾ أي : فقد مضت سنتنا في الأولين ، أنهم إذا كذبوا ، واستمروا علىٰ عنادهم ، أنا نعاجلهم بالعذاب والعقوبة .

قال مجاهد في قوله : ﴿ **فقد مضت سنة الأوّلين** ﴾ أي : في قريش يوم بدر ، وغيرها من الأمم . وقال السدي ومحمد بن إسحاق : أي : يوم بدر .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وقاتلوهم حتىٰ لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله** ﴾ قال

(١٣٤) - صحيح البخاري ، كتاب استتابة المرتدين برقم (٦٩٢١) ، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان برقم (١٢٠) .

(١٣٥) - رواه أحمد من حديث عمرو بن العاص .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - سقط من : ز .

البخاري(١٣٦) : حدثنا الحسن بن عبد العزيز[١]، حدثنا عبد اللّٰه بن يحيىٰ ، حدثنا حَيْوَة بن شريح ، عن بكر بن عمرو[٢] ، عن بكير ، عن نافع ، عن ابن عمر ؛ أن رجلًا جاءه فقال : يا أبا عبد الرحمن ؛ ألا تسمع[٣] ما ذكر اللّٰه في كتابه : ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا** ﴾ الآية . فما يمنعك أن لا تقاتل ، كما ذكر اللّٰه في كتابه ؟ فقال : يا بن أخي ، أعيَّر بهذه الآية ولا أقاتل أحب إلي من أن أعير بالآية التي يقول اللّٰه ، عز وجل : ﴿ **ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا** ﴾ إلىٰ آخر الآية . قال : فإن اللّٰه تعالىٰ يقول : ﴿ **وقاتلوهم حتىٰ لا تكون فتنة** ﴾ قال ابن عمر : قد فعلنا علىٰ عهد رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، إذ كان الإسلام قليلًا ، وكان الرجل يفتن في دينه ، إما أن يقتلوه ، وإما أن يوثقوه ، حتىٰ كثر الإسلام فلم تكن فتنة . فلما رأىٰ أنه لا يوافقه فيما يريد ، قال : فما قولك في علي وعثمان ؟ قال ابن عمر : أما قولي في علي وعثمان ؟ أما عثمان فكان اللّٰه قد عفا عنه ، وكرهتم أن يعفو اللّٰه[٤] عنه ، وأما علي فابن عم رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وخَتَنُه - وأشار بيده[٥] - وهذه ابنته - أو بنته - حيث ترون .

وحدثنا أحمد بن يونس(١٣٧) ، حدثنا زهير ، حدثنا بيان ، أن وبرة حدثه ، قال : حدثني سعيد بن جبير ؛ قال : خرج علينا أو : إلينا ابن عمر - رضي اللّٰه عنهما - فقال رجل[٦] : كيف ترىٰ في قتال الفتنة ؟ فقال : وهل تدري ما الفتنة ؟ كان محمد ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، يقاتل المشركين ، وكان الدخول عليهم فتنة ، وليس بقتالكم علىٰ الملك .

هذا كله سياق البخاري رحمه اللّٰه تعالىٰ .

وقال عبيد اللّٰه ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أنه أتاه رجلان في فتنة ابن الزبير ، فقالا : إن الناس قد صنعوا ما ترىٰ ، وأنت ابن عمر بن الخطاب ، وأنت صاحب رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فما يمنعك أن تخرج ؟ قال : يمنعني أن اللّٰه حرم علي دم أخي المسلم ؟ قالوا : أو لم يقل اللّٰه : ﴿ **وقاتلوهم حتىٰ لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله** ﴾ قال : قد قاتلنا حتىٰ لم تكن فتنة ، وكان الدين كله لله ، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتىٰ تكون فتنة ، ويكون الدين لغير اللّٰه .

---

(١٣٦) - صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن برقم (٤٦٥٠) .
(١٣٧) - رواه البخاري برقم (٤٦٥١) .

---

[١] - في ز ، خ : « الرحمن » .
[٢] - في ت : « عمر » .
[٣] - في خ : « تصنع » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « بيديه » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .

وكذا رواه حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن أيوب بن عبد اللَّه اللخمي ، قال : كنت عند عبد اللَّه بن عمر ، رضي اللَّه عنهما ، فأتاه رجل ، فقال : إن اللَّه يقول : ﴿ **وقاتلوهم حتىٰ لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله** ﴾ .

فقال ابن عمر : قاتلت أنا وأصحابي حتىٰ كان الدين كله لله ، وذهب الشرك ، ولم تكن فتنة ، ولكنك وأصحابك تقاتلون حتىٰ تكون فتنة ، ويكون الدين لغير اللَّه . رواهما ابن مردويه .

وقال أبو عوانة ، عن الأعمش ، عن إبراهيم التيمي ، عن أبيه ؛ قال : قال ذو البطين - يعني أسامة بن زيد : لا أقاتل رجلًا يقول : لا إله إلا اللَّه أبدًا . قال[١] : [فقال سعد بن مالك : وأنا والله ، لا أقاتل رجلًا يقول : لا إله إلا اللَّه أبدًا][٢] . فقال رجل : ألم يقل اللَّه : ﴿ **وقاتلوهم حتىٰ لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله** ﴾ فقالا : قد قاتلنا حتىٰ لم تكن فتنة ، وكان الدين كله لله . رواه ابن مردويه .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس : ﴿ **وقاتلوهم حتىٰ لا تكون فتنة** ﴾ يعني : لا يكون شرك .

وكذا قال أبو العالية ، ومجاهد ، والحسن ، وقتادة ، والربيع بن أنس ، والسدي ، ومقاتل ابن حيان[٣] ، وزيد بن أسلم .

وقال محمد بن إسحاق : بلغني عن الزهري ، عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا : ﴿ **حتىٰ لا تكون فتنة** ﴾ : حتىٰ لا يفتن مسلم عن دينه .

وقوله : ﴿ **ويكون الدين كله لله** ﴾ قال الضحاك ، عن ابن عباس في هذه الآية ، قال : يخلص التوحيد لله .

وقال الحسن وقتادة وابن جريج : ﴿ **ويكون الدين كله لله** ﴾ : أن يقال : لا إله إلا اللَّه .

وقال محمد بن إسحاق : ويكون التوحيد خالصًا لله ؛ ليس فيه شرك ، ويخلع ما دونه من الأنداد .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ﴿ **ويكون الدين كله لله** ﴾ لا يكون مع دينكم

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في خ : « حبان » .

كفر .

ويشهد لهذا[١] ما ثبت في الصحيحين(١٣٨) عن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، أنه قال : « **أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يقولوا : لا إله إلا اللّٰه ؛ فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم علىٰ اللّٰه عز وجل** » .

وفي الصحيحين(١٣٩) عن أبي موسىٰ الأشعري ؛ قال : سئل رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، عن الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية ، ويقاتل رياء ، أي ذلك في سبيل اللّٰه عز وجل ؟ فقال : « **من قاتل لتكون كلمة اللّٰه هي العليا ، فهو في سبيل اللّٰه عز وجل** » .

وقوله : ﴿ **فإن انتهوا** ﴾ [أي : بقتالكم عما هم فيه من الكفر ، فكفوا عنهم ، وإن لم تعلموا بواطنهم][٢] ؛ ﴿ **فإن اللّٰه بما يعملون بصير** ﴾ ، كقوله : ﴿ **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم** ﴾ . وفي الآية الأخرىٰ : ﴿ **فإخوانكم في الدين** ﴾ . وقال : ﴿ **قاتلوهم حتىٰ لا تكون فتنة ويكون الدين للّٰه فإن انتهوا فلا عدوان إلا علىٰ الظالمين** ﴾ .

وفي الصحيح(١٤٠) أن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال لأسامة لما علا ذلك الرجل بالسيف ، فقال : لا إله إلا اللّٰه . فضربه فقتله ، فذكر ذلك لرسول اللّٰه ، صلى اللّٰه عليه وسلم ، فقال لأسامة : « **أقتلته بعد ما قال : لا إله إلا اللّٰه ؟ وكيف تصنع بلا إله إلا اللّٰه يوم القيامة ؟** » . فقال : يا رسول اللّٰه ؛ إنما قالها تعوذًا . قال : « **هلا شققت عن قلبه ؟** » . وجعل يقول ويكرر عليه : « **من لك بلا إله إلا اللّٰه يوم القيامة ؟** » قال أسامة : حتىٰ تمنيت أني لم أكن أسلمت إلا ذلك اليوم .

وقوله : ﴿ **وإن تولوا فاعلموا أن اللّٰه مولاكم نعم المولىٰ ونعم النصير** ﴾ أي : وإن استمروا علىٰ خلافكم ومحاربتكم ، فاعلموا أن اللّٰه مولاكم و[٣] سيدكم وناصركم علىٰ أعدائكم ، فنعم المولىٰ ونعم النصير .

(١٣٨) - رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان برقم (٢٥) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان برقم (٢٢) من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنهما .

(١٣٩) - صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير برقم (٢٨١٠) ، وصحيح مسلم ، كتاب الإمارة برقم (١٩٠٤) .

(١٤٠) - صحيح البخاري ، كتاب المغازي برقم (٤٢٦٩) ، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان برقم (٩٦) .

[١] - في ز : « له » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٣] - سقط من : ز .

وقال محمد بن جرير(١٤١) : حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد ، حدثنا أبي ، حدثنا أبان العطار ، حدثنا هشام بن عروة ، عن عروة ؛ أن عبد الملك بن مروان كتب إليه يسأله عن أشياء ، فكتب إليه عروة : سلام عليك ؛ فإني أحمد إليك اللّٰه الذي لا إله إلا هو . أما بعد ، فإنك كتبت إلي تسألني عن مخرج رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، من مكة ، وسأخبرك به ، ولا حول ولا قوة إلا بالله : كان من شأن خروج[١] رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم من مكة ، أن اللّٰه أعطاه النبوة ، فنعم النبي ، ونعم السيد ، ونعم العشيرة ، فجزاه اللّٰه خيرًا ، وعرفنا وجهه في الجنة ، وأحيانا علىٰ ملته ، [وأماتنا عليها][٢] ، وبعثنا عليها ، وأنه لما دعا قومه لما بعثه اللّٰه له[٣] من الهدىٰ والنور الذي أنزل عليه ، لم يبعدوا منه أول ما دعاهم إليه[٤] ، وكادوا يسمعون منه ، حتىٰ إذا[٥] ذكر طواغيتهم ، وقدم ناس من الطائف من قريش لهم أموال ، أنكر ذلك عليه ناس ، واشتدوا عليه ، وكرهوا ما قال ، وأغروا به من أطاعهم ، فانصفق عنه عامة الناس فتركوه ، إلا من حفظه اللّٰه منهم ، وهم قليل ، فمكث بذلك ما قدر اللّٰه أن يمكث ، ثم ائتمرت رءوسهم بأن يفتنوا من اتبعه عن دين اللّٰه ، من أبنائهم وإخوانهم وقبائلهم ، فكانت فتنة شديدة الزلزال ، فافتتن من افتتن ، وعصم اللّٰه من شاء منهم ، فلما فُعِل ذلك بالمسلمين ، أمرهم رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، أن يخرجوا إلىٰ أرض الحبشة ، وكان بالحبشة ملك صالح يقال له : النجاشي ، لا يظلم أحد بأرضه ، وكان يُثْنَىٰ عليه مع ذلك ، وكانت أرض الحبشة متجرًا لقريش يتجرون فيها ، وكانت مَسْكَنًا لتجارهم ، يجدون[٦] فيها رفاغا[٧] من الرزق ، وأمنًا ومتجرًا حسنًا ، فأمرهم[٨] بها النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فذهب إليها عامتهم لما قهروا بمكة ، وخاف عليهم الفتن ، ومكث هو فلم يبرح ، فمكث بذلك سنوات يشتدون علىٰ من أسلم منهم ، ثم إنه فشا الإسلام فيها ، ودخل فيه رجال من أشرافهم ومنعتهم .

فلما رأوا ذلك استرخوا استرخاءة[٩] عن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وعن

---

(١٤١) - تفسير ابن جرير (١٣/٥٣٩ - ٥٤٣) رقم (١٦٠٨٣).

---

[١] - في ز ، خ : « مخرج » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ت : « به » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - سقط من : ت .
[٦] - في ز : « يتخذون » .
[٧] - في ز : « رفاعا » ، خ : « رقاغا » .
[٨] - في ز : « وأمرهم » .
[٩] - سقط من : ز ، خ .

أصحابه ، وكانت الفتنة الأولىٰ هي التي[١] أخرجت من خرج[٢] من أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قِبَل أرض الحبشة مخافتها ، وفرارًا مما كانوا فيه من الفتن والزلزال ، فلما استرخي عنهم ، ودخل في[٣] الإسلام من دخل منهم ، تحدث باسترخائهم عنهم ، فبلغ ذلك من كان بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أنه قد استرخي عمن كان منهم بمكة ، وأنهم لا يفتنون . فرجعوا إلىٰ مكة ، وكادوا يأمنون بها ، وجعلوا يزدادون[٤] ويكثرون ، وأنه أسلم من الأنصار بالمدينة ناس كثير ، وفشا الإسلام بالمدينة ، وطفق أهل المدينة يأتون رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، بمكة ، فلما رأت قريش ذلك تآمرت علىٰ أن يفتنوهم ويشتدوا ، فأخذوهم فحرصوا علىٰ أن يفتنوهم ، فأصابهم جهد شديد ، فكانت الفتنة الأخيرة ؛ فكانت فتنتان ؛ فتنة أخرجت من خرج منهم إلىٰ أرض الحبشة ، حين أمرهم النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، بها ، وأذن لهم في الخروج إليها . وفتنة لما رجعوا ورأوا من يأتيهم من أهل المدينة .

ثم إنه جاء رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، من المدينة سبعون نقيبًا ، رءوس الذين أسلموا فوافوه بالحج ، فبايعوه بالعقبة ، وأعطوه عهودهم و [ ][٥] ، علىٰ أنا منك وأنت منا ، وعلىٰ أن[٦] من جاء من أصحابك أو جئتنا ؛ فإنا نمنعك مما نمنع منه أنفسنا . فاشتدت عليهم قريش عند ذلك ، فأمر رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أصحابه أن يخرجوا إلىٰ المدينة ، وهي الفتنة الآخرة التي أخرج فيها رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أصحابه ، وخرج هو . وهي التي أنزل الله - عز وجل - فيها : ﴿ **وقاتلوهم حتىٰ لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله** ﴾ .

ثم رواه عن يونس بن عبد الأعلىٰ(١٤٢) ، عن ابن وهب ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن عروة بن الزبير أنه كتب إلىٰ الوليد - يعني ابن عبد الملك بن مروان - بهذا ... فذكر مثله . وهذا صحيح إلىٰ عروة ، رحمه الله .

۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ

(١٤٢) - تفسير ابن جرير (٥٤٢/١٣) .رقم (١٦٠٨٤) .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « أخرجت » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « يزادون » .
[٥] - في ت : ومواثيقهم .
[٦] - في ز : « أنه » .

﴿عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾

يبين تعالىٰ تفصيل ما شرعه مخصصًا لهذه الأمة الشريفة ، من بين سائر الأمم المتقدمة [من إحلال المغانم][١] . والغنيمة هي المال المأخوذ من الكفار بإيجاف الخيل . والركاب والفيء ما أخذ منهم بغير ذلك ؛ كالأموال التي يصالحون عليها ، أو يتوفون عنها ولا وارث لهم ، والجزية والخراج ونحو ذلك ، هذا مذهب الإمام الشافعي في طائفة من علماء[٢] [ ][٣] السلف والخلف .

ومن العلماء من يطلق الفيء علىٰ ما تطلق عليه الغنيمة والغنيمة علىٰالفيء أيضًا ؛ ولهذا ذهب قتادة إلىٰ أن هذه الآية ناسخة لآية الحشر : ﴿ **ما أفاء الله علىٰ رسوله من أهل القرىٰ فلله وللرسول ولذي القربىٰ واليتامى والمساكين** ﴾ .

قال : فنسخت آية الأنفال تلك ، وجعلت الغنائم أربعة أخماسها[٤] للمجاهدين[٥] ، وخمسًا منها لهؤلاء المذكورين ، وهذا الذي قاله بعيد ؛ لأن هذه الآية نزلت بعد وقعة بدر ، وتلك نزلت في بني النضير ، ولا خلاف بين علماء السير والمغازي قاطبة أن بني النضير بعد بدر ، وهذا أمر لا يشك فيه ولا يرتاب ، فمن يفرق بين معنىٰ الفيء والغنيمة يقول : تلك نزلت في أموال الفيء ، وهذه في المغانم . ومن يجعل أمر المغانم والفيء راجعًا[٦] إلىٰ رأي الإمام يقول : لا منافاة بين آية الحشر وبين التخميس ، إذا رآه الإمام ، والله أعلم .

فقوله[٧] تعالىٰ : ﴿ **واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه** ﴾ توكيد لتخميس كل قليل وكثير ، حتى الخيط والمخيط ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ **ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفىٰ كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **فأن لله خمسه وللرسول** ﴾ اختلف المفسرون هٰهنا ، فقال بعضهم : لله نصيب من الخمس ، يجعل في الكعبة .

قال أبو جعفر الرازي(١٤٣) ، عن الربيع ، عن أبي العالية الرياحي ، قال : كان رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يؤتى بالغنيمة ، فيقسمها[٨] علىٰ خمسة ، تكون أربعة أخماس

(١٤٣) - رواه ابن جرير في تفسيره (١٣/٥٥٠) رقم (١٦١٠٢) .

[١] - في خ : «بإحلال الغنائم » .

[٢] - في ز : « العلماء » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « من » .

[٤] - في ت : « أخماس » .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - في ز : « راجع » .

[٧] - في ز : « وقوله » .

[٨] - في ت : « فيخمسها » .

لمن شهدها ، ثم يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه ، فيأخذ منه الذي قبض كفه ، فيجعله للكعبة ، وهو سهم اللَّه ، ثم يقسم ما بقي علىٰ خمسة أسهم ؛ فيكون سهم للرسول ، وسهم لذوي القربىٰ ، وسهم لليتامىٰ ، وسهم للمساكين ، وسهم لابن السبيل .

وقال آخرون : ذكر اللَّه هٰهنا استفتاح كلام للتبرك ، وسهم لرسوله عليه السلام .

قال الضحاك ، عن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - : كان رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم، إذا بعث سرية فغنموا ، خمس الغنيمة ؛ فضرب ذلك الخمس في خمسة[١] ، ثم قرأ : ﴿ **واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن للَّه خمسه وللرسول** ﴾ ﴿ **فأن للَّه خمسه** ﴾ مفتاح كلام : ﴿ **للَّه ما في السموات وما في الأرض** ﴾ ، فجعل سهم اللَّه وسهم الرسول ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، واحدًا ، وهكذا قال إبراهيم النخعي ، والحسن بن محمد ابن الحنفية ، والحسن البصري والشعبي ، وعطاء بن أبي رباح ، وعبد اللَّه بن بريدة ، وقتادة ومغيرة وغير واحد : إن سهم اللَّه ورسوله واحد .

ويؤيد هذا ما رواه الإمام الحافظ أبو بكر البيهقي بإسناد صحيح(١٤٤) ، عن عبد[٢] اللَّه بن شقيق ، عن رجل [من بلقين(*)][٣] قال : أتيت النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وهو بوادي القرىٰ ، وهو يعرض فرسًا ، فقلت : يا رسول اللَّه ، ما تقول في الغنيمة ؟ فقال : « **للَّه خمسها ، وأربعة أخماسها للجيش** » . قلت : فما أحد أولىٰ به من أحد ؟ قال : « **لا ، ولا السهم تستخرجه من جيبك ليس أنت أحق به من أخيك المسلم** » .

وقال ابن جرير(١٤٥) : حدّثنا عمران بن موسىٰ ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا أبان ، عن الحسن، قال : أوصى [أبو بكر][٤] بالخمس من ماله، وقال : ألا أرضى من مالي بما رضي اللَّه لنفسه .

ثم اختلف قائلو هذا القول ، فروىٰ علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ؛ قال : كانت الغنيمة تقسم[٥] علىٰ خمسة أخماس ؛ فأربعة منها بين من قاتل عليها ، وخمس واحد يقسم علىٰ أربعة أخماس : فربع للَّه وللرسول [صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، ولذي القربىٰ - يعني قرابة

---

(١٤٤) - السنن الكبرى (٦/٣٢٤) .

(١٤٥) - تفسير ابن جرير (١٣/٥٥٠) رقم (١٦٠٩٩) .

(*) - بلقين : أصله : بنو القين ، حي من بني أسد ، تخفف العرب ذلك كما قالوا : بلحارث وبلهجيم . يعنون بني الحارث وبني الهجيم . تاج العروس .

---

[١] - في ت : « خمس » .

[٢] - في ز : « عبيد » .

[٣] - في الدر : من بلقين عن ابن عم له .

[٤] - في خ : « الحسن » .

[٥] - في ت : « تخمس » .

النبي صلى اللَّه عليه وسلم][١] فما كان للَّه وللرسول فهو لقرابة النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، ولم يأخذ النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، من الخمس شيئًا ، [والربع الثاني لليتامىٰ ، والربع الثالث للمساكين ، والربع الرابع لابن السبيل][٢] .

وقال ابن أبي حاتم : ثنا أبي ، ثنا أبو معمر المنقري ، ثنا عبد الوارث بن سعيد ، عن حسين المعلم ، عن عبد اللَّه بن بريدة في قوله : ﴿ **واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن للَّه خمسه وللرسول** ﴾ قال : الذي للَّه فلنبيه ، والذي للرسول لأزواجه .

وقال عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء بن أبي رباح ؛ قال : خمس اللَّه والرسول واحد ، كان[٣] يحمل منه ويصنع[٤] فيه ما شاء ، يعني النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم (١٤٦) .

وهذا أعم وأشمل ، وهو [أن الرسول][٥] ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يتصرف في الخمس الذي جعله اللَّه له بما شاء ، ويرده في أمته كيف شاء ، ويشهد لهذا ما رواه الإمام أحمد حيث قال(١٤٧) :

حدثنا إسحاق بن عيسىٰ ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن أبي بكر بن عبد اللَّه بن أبي مريم ، عن أبي سلام[٦] الأعرج، عن المقدام بن معد يكرب الكندي، أنه جلس مع عبادة بن الصامت ، وأبي الدرداء ، والحارث بن معاوية الكندي –رضي اللَّه عنهم – فتذاكروا حديث رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقال أبو الدرداء لعبادة : يا عبادة ، كلمات رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، في غزوة كذا وكذا في شأن الأخماس . فقال عبادة : إن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، صلىٰ بهم في غزوة إلىٰ بعير من المغنم ، فلما سلم قام

---

(١٤٦) – تفسير ابن جرير (١٣/٥٥٠) رقم (١٦١٠٠)

(١٤٧) – المسند (٥/٣١٤ ، ٣١٦) رقم (٢٢٧٨٣، ٢٢٨٠٢) وإسناده ضعيف من أجل أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم . والحديث أخرجه الطبراني في الأوسط كما في مجمع البحرين (٥/ ١٣/رقم: ٢٦٢٤) من طريق محمد بن عبد الله الحضرمي ، عن عبد الله بن سالم ، عن عبيدة بن الأسود ، عن القاسم بن الوليد ، عن أبي صادق ، عن ربيعة بن ناجد ، عن عبادة بن الصامت . وأخرجه ابن أبي عاصم في الجهاد حديث (٥) بنفس الإسناد ، وأخرجه من طرق أخرى حديث (٦ و٧) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد مفرقًا بعضه في (٥/ ٢٧٢) وعزاه لأحمد والطبراني في الكبير والأوسط بأطول من هذا ، وقال : « وأحد أسانيد أحمد وغيره ثقات » . وفي (٥/ ٣٣٨) وعزاه لأحمد وقال : « وفيه أبو بكر بن أبي مريم ، وهو ضعيف ».

---

[١] – [٢] – مابين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] – زيادة من ابن جرير .

[٤] – في تفسير ابن جرير : يضع .

[٥] – في خ : « أنه » .

[٦] – في خ : « إسلاح » .

رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فتناول وبرة بين أنملتيه ، فقال : « **إن هذه من غنائمكم ، وإنه ليس لي فيها إلا نصيبي معكم ؛ إلا**[١] **الخمس، والخمس مردود عليكم ؛ فأدوا الخيط والمخيط ، وأكبر من ذلك وأصغر ، ولا تغلّوا ؛ فإن الغلول عار ونار علىٰ أصحابه في الدنيا والآخرة ، وجاهدوا الناس في الله القريب والبعيد ، ولا تبالوا في الله لومة لائم ، وأقيموا حدود الله في السفر والحضر ؛** [ ][٢] **وجاهدوا في** [**سبيل**][٣] **الله ؛ فإن الجهاد باب من أبواب الجنة ، ينجي الله به من الهم والغم** » .

هذا حديث حسن عظيم ، ولم أره في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه ، ولكن روىٰ الإمام أحمد أيضًا ، وأبو داود ، والنسائي من حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده عبد الله بن عمرو(١٤٨) ، عن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، نحوه في قصة الخمس ، والنهي عن الغلول .

وعن عمرو بن عبسة[٤] ، أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، صلىٰ بهم إلىٰ بعير من المغنم فلما سلم ، أخذ وبرة من هذا[٥] البعير ، ثم قال : « **ولا يحل لي من**[٦] **غنائمكم مثل هذه إلا الخمس ، والخمس مردود فيكم** » . رواه أبو داود والنسائي(١٤٩) .

وقد كان للنبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، من المغانم[٧] شيء يصطفيه لنفسه : عبد[٨] أو أمة ، أو فرس[٩] ، أو سيف[١٠] ، أو نحو ذلك . كما نص عليه محمد بن سيرين ، وعامر الشعبي ، وتبعهما علىٰ ذلك أكثر العلماء .

وروىٰ الإمام أحمد ، والترمذي - وحسنه - عن ابن عباس(١٥٠) : أن رسول الله ، صلىٰ

(١٤٨) - المسند (١٨٤/٢) وسنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، باب : فداء الأسير بالمال برقم (٢٦٩٤) . والنسائي في الهبة (٣٦٨٨) ، وفي قسم الفيء (٤١٣٩) .

(١٤٩) - سنن أبي داود ، كتاب الجهاد برقم (٢٧٥٥) من حديث الوليد بن عتبة ، عن الوليد بن مسلم قال : حدثنا عبد الله بن العلاء أنه سمع أبا إسلام الأسود قال : سمعت عمرو بن عبسة فذكره ، والوليد بن مسلم ثقة إلا أنه يدلس ويسوي ، وقد صرح بالتحديث والسماع في كافة الإسناد فانتفت العلتان .

(١٥٠) - المسند (٢٧١/١) ، وسنن الترمذي برقم (١٥٦١) ، وابن ماجه حديث (٢٨٠٨) ، =

[١] - سقط من : ت .

[٢] - في ز : «وجاهدوا في الله » .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - في ز ، خ : « عنبسة » .

[٥] - في خ : « ذلك » .

[٦] - في ز ، خ : « في » .

[٧] - في ز ، خ : « الغنيمة » .

[٨] - في ز ، خ : « عبدًا » .

[٩] - في ز ، خ : « فرسًا » .

[١٠] - في ز ، خ : « سيفًا » .

الله عليه وسلم ، تنفل سيفه ذا[١] الفقار يوم بدر ، وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أحد

وعن عائشة ، رضي الله عنها قالت : كانت صفية من الصفي . رواه أبو داود في سننه(١٥١) .

وروى أيضًا بإسناده(١٥٢) ، والنسائي أيضًا عن يزيد بن عبد الله قال : كنا بالمربد ، إذ دخل رجل معه قطعة أديم ، فقرأناها فإذا فيها : « **من محمد رسول الله إلى بني زهير بن أقيش ، إنكم إن شهدتم أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، وأقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، وأديتم الخمس من المغنم ، وسهم النبي صلى الله عليه وسلم ، وسهم الصفي ؛ أنتم آمنون بأمان الله ورسوله** » ، فقلنا : من كتب لك هذا ؟ فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فهذه أحاديث جيدة تدل على تقرير هذا وثبوته ، ولهذا جعل ذلك كثيرون من الخصائص له صلوات الله وسلامه عليه ، وقال آخرون : إن الخمس يتصرف فيه الإمام بالمصلحة للمسلمين ، كما يتصرف في مال الفيء .

وقال شيخنا الإمام العلامة ابن تيمية -رحمه الله- : وهذا قول مالك وأكثر السلف ، وهو أصح الأقوال .

فإذا ثبت هذا وعلم ، فقد اختلف أيضًا في الذي كان يناله - عليه السلام - من الخمس ، ماذا يصنع به من بعده ؟ فقال قائلون : يكون لمن يلي الأمر من بعده . روي هذا عن أبي بكر ، وعلي ، وقتادة وجماعة . وجاء فيه حديث مرفوع(١٥٣) .

وقال آخرون : يصرف في مصالح المسلمين .

وقال آخرون : بل هو مردود على بقية الأصناف : ذوي القربى ، واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل . اختاره ابن جرير .

= وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، إنما نعرفه من هذا الوجه من حديث ابن أبي الزناد ، وقد اختلف أهل العلم في النفل من الخمس .

(١٥١) - سنن أبي داود ، كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب : ما جاء في سهم الصفي برقم (٢٩٩٤) .

(١٥٢) - سنن أبي داود ، كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب : ما جاء في سهم الصفي حديث (٢٩٩٩) ، والنسائي (١٣٤/٧) .

(١٥٣) - رواه البيهقي في السنن الكبرى (٣٠٣/٦) من طريق الوليد بن جميع عن أبي الطفيل : لما سألت فاطمة أبا بكر عن الخمس فقال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **إذا أطعم الله نبيًا طعمة ثم قبضه كانت للذي يلي بعده** » فلما وليت رأيت أن أرده على المسلمين .

[١] - في خ : « ذو » .

وقال آخرون : بل سهم النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وسهم ذوي القربىٰ مردودان علىٰ اليتامىٰ ، والمساكين ، وابن السبيل . قال ابن جرير : وذلك قول جماعة من أهل العراق .

وقيل : إن الخمس جميعه لذوي القربىٰ ، كما رواه ابن جرير(١٥٤) :

حدثنا الحارث، حدثنا عبد العزيز ، حدثنا عبد الغفار، حدثنا المنهال بن عمرو : سألت عبد اللَّه بن محمد بن علي ، وعلي بن الحسين عن[١] الخمس ، فقالا : هو لنا . فقلت لعلي : فإن اللَّه يقول : ﴿ **واليتامىٰ والمساكين وابن السبيل** ﴾ فقالا : يتامانا ومساكيننا .

وقال سفيان الثوري ، وأبو نعيم ، وأبو أسامة ، عن قيس بن مسلم ، سألت الحسن بن محمد ابن الحنفية[٢] رحمه اللَّه تعالىٰ ، عن قول اللَّه تعالىٰ : ﴿ **واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن للَّه خمسه وللرسول** ﴾ ، فقال : هذا مفتاح كلام اللَّه ، الدنيا والآخرة . ثم اختلف الناس في هذين السهمين بعد وفاة رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقال قائلون : سهم النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم تسليمًا للخليفة من بعده ، وقال قائلون : لقرابة النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم . وقال قائلون[٣] : سهم القرابة لقرابة الخليفة ، [واجتمع رأيهم][٤] أن يجعلوا هذين السهمين في الخيل والعدة في سبيل اللَّه ، فكانا علىٰ ذلك في خلافة أبي بكر وعمر - رضي اللَّه عنهما - .

[قال الأعمش ، عن إبراهيم : كان أبو بكر وعمر][٥] يجعلان سهم النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم في الكراع والسلاح ؛ فقلت لإبراهيم : ما كان علي يقول فيه ؟ قال : كان أشدهم فيه .

وهذا قول طائفة كثيرة من العلماء - رحمهم اللَّه - .

وأما سهم ذوي القربىٰ ، فإنه يصرف إلىٰ بني هاشم وبني المطلب ؛ لأن بني المطلب وازروا بني هاشم في الجاهلية ، [وفي أول الإسلام][٦] ، ودخلوا معهم في الشعب غضبًا لرسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وحماية له : مسلمهم طاعة للَّه ولرسوله ، وكافرهم حمية للعشيرة وأنفة ، وطاعة لأبي طالب عم رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم . وأما بنو عبد شمس وبنو نوفل ، وإن كانوا بني[٧] عمهم ، فلم يوافقوهم على ذلك ، بل حاربوهم

(١٥٤) - التفسير (١٦١٢٨/١٣) .

[١] - في ز : « على » .
[٢] - في ت : « الحنيفة » .
[٣] - في ت : « آخرون » .
[٤] - في ز : « فاجتمع قولهم على » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز : « ابنا » ، خ : « أبناء » .

ونابذوهم ومالئوا[١] بطون قريش على حرب الرسول ، ولهذا كان ذم أبي طالب لهم[٢] في قصيدته اللامية أشد من غيرهم ؛ لشدة قربهم ، ولهذا يقول في أثناء قصيدته :

جزىٰ اللَّه عنا عبد شمس ونوفلا [عقوبة[٣] [شر عاجل][٤] غير آجل][٥]
بميزان قسط لا يخيس شعيرة له شاهد من نفسه غير عائل
لقد سفهت أحلام قوم تبدلوا بني[٦] خَلفَ قيضًا بنا والغياطل
ونحن الصميم من ذؤابة هاشم وآل قصي في الخطوب الأوائل

وقال جبير[٧] بن مطعم بن عدي [بن نوفل][٨] : مشيت أنا وعثمان بن عفان يعني ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس إلىٰ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقلنا : يا رسول اللَّه ، أعطيت بني المطلب من خمس خيبر ، وتركتنا ونحن وهم منك بمنزلة واحدة . فقال : « **إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد** » . رواه مسلم(١٥٥) .

وفي بعض روايات هذا الحديث : « **إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام** »(١٥٦) .

وهذا قول جمهور العلماء ، إنهم بنو هاشم وبنو المطلب .

قال ابن جرير : وقال آخرون : هم بنو هاشم . ثم روى عن خصيف عن مجاهد قال : علم اللَّه أن في بني هاشم فقراء ، فجعل لهم الخمس مكان الصدقة .

وفي رواية عنه ، قال : هم قرابة رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، الذين لا تحل لهم الصدقة .

ثم روى عن علي بن الحسين نحو ذلك .

قال ابن جرير(١٥٧) : وقال آخرون بل هم قريش كلها .

(١٥٥) - رواه البخاري في فرض الخمس ، باب : من الدليل على أن الخمس للإمام حديث (٣١٤٠) ، وأبو داود (٢٩٧٨ ، ٢٩٧٩ ، ٢٩٨٠) والنسائي في قسم الفيء (٤١٣٦ ، ٤١٣٧) ، وابن ماجه في الجهاد (٢٨٨١) وأحمد (١٦٢٩٩ ط: إحياء التراث) ولم نقف عليه عند مسلم .

(١٥٦) - سنن النسائي ، باب : قسم الفيء (٧/١٣٠)رقم (٤١٣٧) .

(١٥٧) - تفسير ابن جرير (١٣/٥٥٥) رقم (١٦١١٧) .

[١] - في ز : « قالوا » .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز : « بشر عاجلًا » .
[٥] - في حاشية (ز) : «عقوبة سوءٍ من غرام مماثل ».
[٦] - في خ : « بنو » .
[٧] - في ز ، خ : « ابن جبير » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[حدثني يونس بن عبد الأعلىٰ ، حدثني عبد اللَّه بن نافع ، عن أبي معشر ، عن سعيد المقبري][١] قال : كتب نجدة إلىٰ عبد اللَّه بن عباس يسأله عن ذوي القربىٰ ؛ فكتب إليه ابن عباس كنا نقول : إنا هم ، فأبىٰ علينا ذلك قومنا ، وقالوا : قريش كلها ذوو قربىٰ .

وهذا الحديث [ ][٢] صحيح، رواه[٣] مسلم(١٥٨) وأبو[٤] داود ، والترمذي ، والنسائي من حديث سعيد المقبري ، [عن يزيد بن هرمز ، أن نجدة كتب إلىٰ ابن عباس يسأله عن ذوي القربىٰ][٥] فذكره ، إلىٰ قوله : فأبىٰ ذلك[٦] علينا قومنا .

والزيادة من أفراد أبي معشر نجيح بن عبد الرحمن المدني ، وفيه ضعف .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا إبراهيم[٧] بن مهدي المصيصي ، حدثنا المعتمر ابن سليمان ، عن أبيه ، عن حنش ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **رغبت لكم عن غسالة الأيدي ؛ لأن لكم من خمس الخمس ما يغنيكم** » **أو** « **يكفيكم** » .

هذا حديث حسن الإسناد ، وإبراهيم بن مهدي هذا وثقه أبو حاتم ، وقال يحيىٰ بن معين : يأتي بمناكير(١٥٩) ، واللَّه أعلم[٨] .

وقوله : ﴿ **واليتامىٰ** ﴾ أي أيتام المسلمين ، واختلف العلماء هل يختص بالأيتام الفقراء ، أو يعم الأغنياء والفقراء ؟ علىٰ قولين .

والمساكين هم المحاويج ، الذين لا يجدون ما يسد خلتهم ومسكنتهم .

﴿ **وابن السبيل** ﴾ هو المسافر أو المريد للسفر إلىٰ مسافة تقصر فيها الصلاة ، وليس له ما ينفقه في سفره ذلك . و[٩] سيأتي تفسير ذلك في آية الصدقات من[١٠] سورة براءة إن شاء اللَّه وبه الثقة وعليه التكلان .

---

(١٥٨) – صحيح مسلم برقم (١٨١٢) وسنن أبي داود برقم (٢٩٨٢) ، وسنن الترمذي برقم (١٥٥٦) وسنن النسائي (١١٢٨/٧) ، وهو عند أبي داود والنسائي من حديث الزهري عن يزيد .

(١٥٩) – انظر : ميزان الاعتدال للذهبي (٦٨/١) .

---

[١] – ما بين المعكوفتين مكرر في : خ .

[٢] – ما بين المعكوفتين في ز : « في » .

[٣] – سقط من : ز .

[٤] – في ز : « وأبي » .

[٥] – سقط من : ز ، خ .

[٦] – سقط من : ز ، خ .

[٧] – سقط من : ت .

[٨] – سقط من : ز .

[٩] – سقط من : خ .

[١٠] – في ز : « في » .

وقوله : ﴿ **إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا علىٰ عبدنا** ﴾ أي : امتثلوا ما شرعنا لكم من الخمس في الغنائم ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وما أنزل علىٰ رسوله ؛ ولهذا جاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن عباس(١٦٠) ، في حديث وفد عبد القيس ، أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال لهم : « **وآمركم بأربع وأنهاكم عن أربع : آمركم بالإيمان بالله** » ثم قال : « **هل تدرون ما الإيمان بالله ؟ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وأن تؤدوا الخمس من المغنم** » الحديث بطوله ، فجعل أداء الخمس من جملة الإيمان ، وقد بوب البخاري علىٰ ذلك في كتاب الإيمان من صحيحه ، فقال : « **باب أداء الخمس من الإيمان** » ثم أورد حديث ابن عباس هذا ، وقد بسطنا الكلام عليه[١] في شرح البخاري ، ولله الحمد والمنة(١٦١) .

وقال مقاتل بن حيان[٢] : ﴿ **وما أنزلنا علىٰ عبدنا [يوم الفرقان** ﴾ أي : في القسمة . وقوله ﴿ **يوم الفرقان]**[٣] **يوم التقىٰ الجمعان والله علىٰ كل شيء قدير** ﴾ ينبه تعالىٰ علىٰ نعمته وإحسانه إلىٰ خلقه ، بما فرق به بين الحق والباطل ببدر ، ويسمىٰ الفرقان ؛ لأن الله تعالى أعلىٰ فيه كلمة الإيمان علىٰ كلمة الباطل ، وأظهر دينه ونصر نبيه وحزبه .

قال علي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس : يوم الفرقان يوم بدر ؛ فرق الله فيه بين الحق والباطل . رواه الحاكم .

وكذا قال مجاهد ، ومقسم ، وعبيد الله بن عبد الله والضحاك وقتادة ومقاتل بن حيان وغير واحد : إنه يوم بدر .

وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عروة بن الزبير في قوله : ﴿ **يوم الفرقان** ﴾ يوم فرق الله بين الحق والباطل ، وهو يوم بدر ، وهو أول مشهد شهده رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وكان رأس المشركين عتبة بن ربيعة ؛ فالتقوا يوم الجمعة لتسع عشرة أو سبع عشرة مضت من رمضان ، وأصحاب رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يومئذ ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا ، والمشركون بين الألف والتسعمائة ، فهزم الله المشركين ، وقتل منهم زيادة علىٰ السبعين ، وأسر منهم مثل ذلك .

---

(١٦٠) – صحيح البخاري كتاب الإيمان ، باب : أداء الخمس من الإيمان برقم (٥٣) وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان برقم (١٧) .

(١٦١) – وانظر كلام الحافظ ابن حجر في : فتح الباري (١/١٢٩–١٣٥) .

---

[١] – سقط من : ت . [٢] – في خ : « حبان » .

[٣] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وقد روىٰ الحاكم في مستدركه(١٦٢) ، من حديث الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن ابن مسعود قال في ليلة القدر : تحروها لإحدىٰ عشرة يبقين ؛ فإن في[١] صبيحتها يوم بدر ؛ وقال : علىٰ شرطهما .

وروي مثله عن عبد الله بن الزبير أيضًا ، من حديث جعفر بن برقان ، عن رجل عنه .

وقال ابن جرير(١٦٣) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يحيىٰ بن واضح ، حدثنا يحيىٰ بن يعقوب أبو طالب ، عن ابن عون ، عن محمد بن عبد الله الثقفي ، عن أبي عبد الرحمن السلمي قال : قال [ ][٢] الحسن بن علي : كانت ليلة الفرقان ، يوم التقىٰ الجمعان ، لسبع عشرة[٣] من رمضان ، إسناد جيد قوي .

ورواه ابن مردويه ، عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب ، عن علي قال : كانت ليلة الفرقان ليلة التقىٰ الجمعان في صبيحتها ليلة الجمعة ، لسبع عشرة مضت من شهر رمضان .

وهو الصحيح عند أهل المغازي والسير .

وقال يزيد بن أبي حبيب[٤] إمام أهل الديار المصرية في زمانه : كان [يوم بدر][٥] يوم الإثنين . ولم يتابع علىٰ هذا ، وقول الجمهور مقدم عليه ، والله أعلم .

إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (٤٢)

يقول تعالىٰ [مخبرًا عن][٦] يوم الفرقان : ﴿ **إذ أنتم بالعدوة الدنيا** ﴾ أي : إذ أنتم

(١٦٢) - المستدرك (٣/٢٠) .

(١٦٣) - تفسير ابن جرير (١٣/٥٦٢) رقم (١٦١٣٥) ويحيى بن يعقوب : منكر الحديث .

[١] - سقط من : ز . [٢] - في ز ، خ : « كان » .

[٣] - في م : « عشر » .

[٤] - في (ز) الكلمة غير واضحة وهى تشتبه بـ « سعيد » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت . [٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

نزول بعدوة الوادي الدنيا القريبة إلىٰ المدينة ، ﴿ **وهم** ﴾ أي : المشركون نزول ﴿ **بالعدوة القصوىٰ** ﴾ أي : البعيدة [من المدينة إلىٰ][١] ناحية مكة ، ﴿ **والركب** ﴾ أي : العير الذي فيه أبو سفيان بما معه من التجارة ، ﴿ **أسفل منكم** ﴾ أي : مما يلي سيف البحر ، ﴿ **ولو تواعدتم** ﴾ [أي : أنتم والمشركون إلىٰ مكان][٢] ، ﴿ **لاختلفتم في الميعاد** ﴾ .

قال محمد بن إسحاق : وحدثني يحيىٰ بن عباد بن عبد اللَّه بن الزبير عن أبيه في هذه الآية ، قال : ولو كان ذلك عن ميعاد منكم ومنهم ، ثم بلغكم كثرة عددهم وقلة عددكم ؛ ما لقيتموهم ، ﴿ **ولكن ليقضي اللَّه أمرًا كان مفعولًا** ﴾ أي : ليقضي اللَّه ما أراد بقدرته ، من إعزاز الإسلام وأهله ، وإذلال الشرك وأهله من[٣] غير ملأ منكم ، ففعل ما أراد من ذلك بلطفه .

وفي حديث كعب بن مالك قال(١٦٤) : إنما خرج رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، والمسلمون يريدون عير قريش حتىٰ جمع اللَّه بينهم وبين عدوهم علىٰ غير ميعاد .

وقال ابن جرير (١٦٥) : حدثني يعقوب ، حدثني ابن علية ، عن ابن عون ، عن عمير بن إسحاق قال : أقبل أبو سفيان في الركب من الشام ، وخرج أبو جهل ليمنعه من رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وأصحابه ، فالتقوا ببدر ، ولا يشعر هؤلاء بهؤلاء ولا هؤلاء بهؤلاء حتىٰ التقت السقاة ، ونهد الناس بعضهم لبعض .

وقال محمد بن إسحاق في السيرة (١٦٦) : ومضىٰ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، علىٰ وجهه ذلك ، حتىٰ إذا كان قريبًا من الصفراء ، بعث بسبس بن عمور[٤] ، وعدي بن أبي الزغباء الجهنيين يلتمسان الخبر عن أبي سفيان ؛ فانطلقا حتىٰ إذا وردا بدرًا فأناخا بعيريهما إلىٰ تل من البطحاء ، فاستقيا في شن لهما من الماء فسمعا جاريتين تختصمان[٥] : تقول إحداهما[٦] لصاحبتها : اقضيني حقي ، وتقول الأخرىٰ : إنما تأتي[٧] العير غدًا أو بعد غد ؛ فأقضيك حقك ، فخلص بينهما مجدي بن عمرو ، وقال : صدقت ، فسمع ذلك[٨] بسبس

(١٦٤) - رواه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب : قصة غزوة بدر برقم (٣٩٥١) .

(١٦٥) - تفسير ابن جرير (٥٦٧/١٣) رقم (١٦١٤٨) .

(١٦٦) - انظر : السيرة النبوية لابن هشام (٦١٧/١) .

[١] - في ز : « التي من » ، وسقط من : خ .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « عن » .
[٤] - في خ : « عمر » .
[٥] - في ز ، خ : « تختصما » .
[٦] - في ز : « إحديهما » .
[٧] - في خ : « تأت » .
[٨] - في خ : « بذلك » .

وعدي ، فجلسا علىٰ بعيريهما حتىٰ أتيا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فأخبراه الخبر .

وأقبل أبو سفيان حين وليا وقد حذر ، فتقدم أمام عيره ، وقال لمجدي بن عمرو : هل أحسست علىٰ هذا الماء من أحد تنكره ؟ فقال : لا والله ، إلا أني قد رأيت راكبين أناخا إلىٰ هذا التل ، فاستقيا في شن لهما ، ثم انطلقا . فجاء أبو سفيان إلىٰ مناخ بعيريهما ، فأخذ من أبعارهما ففته ، فإذا فيه النوىٰ ، فقال : هذه والله علائف يثرب ، ثم رجع سريعًا فضرب وجه عيره ، فانطلق بها ، فساحل حتىٰ إذا رأىٰ أنه قد أحرز عيره [بعث][1] إلىٰ قريش فقال : إن الله قد نجىٰ عيركم وأموالكم ورجالكم فارجعوا .

فقال أبو جهل : والله ، لا نرجع حتىٰ نأتي بدرًا - وكانت بدر سوقًا من أسواق العرب - فنقيم بها ثلاثًا ، فنطعم بها الطعام ، وننحر بها الجزر ، ونسقي بها الخمر ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا ؛ فلا يزالون يهابوننا بعدها أبدًا.

فقال الأخنس بن شريق : يا معشر بني زهرة ، إن الله قد نجىٰ[2] أموالكم ونجىٰ صاحبكم فارجعوا ؛ فأطاعوه[3] فرجعت بنو زهرة ، فلم يشهدوها ولا بنو عدي .

قال محمد بن إسحاق(١٦٧) : وحدثني يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير قال : وبعث رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حين دنا من بدر علي بن أبي طالب ، وسعد بن أبي وقاص ، والزبير بن العوام في نفر من أصحابه ، يتجسسون له الخبر ، فأصابوا سقاة لقريش ؛ غلامًا لبني سعيد بن العاص ، وغلامًا لبني الحجاج ، فأتوا بهما رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فوجدوه يصلي ، فجعل أصحاب رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يسألونهما : لمن أنتما ؟ فيقولان : نحن سقاة لقريش ، بعثونا نسقيهم من الماء ، فكره القوم خبرهما ، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان ؛ فضربوهما فلما أزلقوهما قالا : نحن لأبي سفيان ؛ فتركوهما . وركع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، وسجد سجدتين[4] ، ثم سلم وقال : « **إذا صدقاكم ضربتموهم وإذا كذباكم تركتموهما ، صدقا والله إنهما لقريش ، أخبراني عن قريش** » . قالا : هم وراء هذا الكثيب الذي ترىٰ بالعدوة القصوىٰ ، والكثيب : العقنقل ، فقال لهما رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **كم القوم ؟** » قالا : كثير . قال : « **ما عدتهم ؟** » قالا : ما ندري . قال « **كم ينحرون كل يوم ؟** » قالا : يومًا تسعًا ، ويوما عشرًا . قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **القوم ما بين التسعمائة إلىٰ**

---

(١٦٧) - انظر : السيرة النبوية لابن هشام (٦١٦/١) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - في خ : «أ نجى » .

[٣] - سقط من : م .

[٤] - في ز : « سجدتيه » .

الألف » ، ثم قال لهما : « **فمن فيهم من أشراف قريش ؟** » قالا : عتبة[١] بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو البختري[٢] بن هشام ، وحكيم بن حزام ، ونوفل بن خويلد ، والحارث بن عامر بن نوفل ، وطعيمة بن عدي بن [نوفل والنضر بن الحارث وزمعة بن الأسود وأبو جهل بن هشام وأمية بن][٣] خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو وعمرو بن عبد ودّ ، فأقبل رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، علىٰ الناس فقال : « **هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها** » .

قال محمد بن إسحاق رحمه الله تعالىٰ(١٦٨) : وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم أن سعد بن معاذ قال لرسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، لما التقىٰ الناس يوم بدر : يا رسول الله ، ألا نبني لك عريشًا تكون فيه ، وننيخ إليك ركائبك ، ونلقى عدونا ؛ فإن أظهرنا[٤] الله عليهم وأعزنا فذاك ما نحب ، وإن تكن الأخرىٰ فتجلس علىٰ ركائبك ، وتلحق بمن وراءنا من قومنا ، فقد والله تخلف عنك أقوام ما نحن بأشد لك حبًا منهم ، لو علموا أنك تلقى حربًا ما تخلفوا عنك ، ويوازرونك وينصرونك. فأثنىٰ عليه رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، خيرًا ودعا له به ، فبني له عريش ، فكان فيه رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وأبو بكر ما معهما غيرهما .

قال ابن إسحاق(١٦٩) : وارتحلت قريش حين أصبحت ، فلما أقبلت و[٥]رآها رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، تصوب من العقنقل ، وهو الكثيب الذي جاءوا منه إلىٰ الوادي ، فقال : « **اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها ؛ تحادّك وتكذب رسولك ، اللهم أحنهم الغداة** » .

وقوله : ﴿ **ليهلك من هلك عن بينة ويحيىٰ من حيّ عن بينة** ﴾ قال محمد بن إسحاق : أي ليكفر من كفر بعد الحجة ، لما رأىٰ من الآية والعبرة ، ويؤمن من آمن علىٰ مثل ذلك . وهذا تفسير جيد ، وبسط ذلك أنه تعالىٰ يقول : إنما جمعكم مع عدوّكم في مكان واحد علىٰ غير ميعاد ؛ لينصركم عليهم ، ويرفع كلمة الحق علىٰ الباطل ، ليصير الأمر ظاهرًا ، والحجة قاطعة ، والبراهين ساطعة ، ولا يبقىٰ لأحد حجة ولا شبهة ، فحينئذ يهلك

(١٦٨) - انظر : السيرة النبوية لابن هشام (٢٦٠/١) .
(١٦٩) - انظر : السيرة النبوية لابن هشام (٦٢١/١) .

[١] - في ز : « علبة » ، خ : « علية » .
[٢] - في ز : « البحتري » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - في خ : « أظفرنا » .
[٥] - سقط من : ز .

من هلك أي : يستمر في الكفر من استمر فيه على بصيرة من أمره ، أنه مبطل لقيام الحجة عليه ، ﴿ ويحيىٰ من حي ﴾ أي : يؤمن[١] من آمن ﴿ عن بينة ﴾ أي : حجة وبصيرة . والإيمان هو حياة القلوب ، قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ أو من كان ميتًا فأحييناه وجعلنا له نورًا يمشي به في الناس ﴾ وقالت عائشة في قصة الإفك : فيَّ هلك من هلك ، أي : قال فيها ما قال من [الكذب و][٢] البهتان والإفك .

وقوله : ﴿ وإن اللّٰه لسميع ﴾ أي : لدعائكم وتضرعكم واستغاثتكم به . ﴿ عليم ﴾ أي : بكم ، وأنكم[٣] تستحقون النصر علىٰ أعدائكم الكفرة المعاندين .

إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾

قال مجاهد : أراه[٤] اللّٰه إياهم[٥] في منامه قليلًا ، وأخبر[٦] النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أصحابه بذلك ؛ فكان تثبيتًا لهم . وكذا قال ابن إسحاق وغير واحد . وحكىٰ ابن جرير عن بعضهم ، أنه رآهم بعينه التي ينام بها .

وقد روىٰ ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا يوسف بن موسىٰ المدبر ، حدثنا أبو قتيبة ، عن سهل السراج ، عن الحسن في قوله : ﴿ إذ يريكهم اللّٰه في منامك قليلًا ﴾ قال : بعينك .

وهذا القول غريب ، وقد صرح بالمنام هاهنا ، فلا حاجة إلىٰ التأويل الذي لا دليل عليه .

وقوله : ﴿ ولو أراكهم كثيرًا لفشلتم ﴾ أي : لجبنتم عنهم ، واختلفتم فيما بينكم ، ﴿ ولكن اللّٰه سلم ﴾ أي : من ذلك بأن أراكهم قليلًا ﴿ إنه عليم بذات الصدور ﴾ أي : بما تجنه الضمائر ، وتنطوي عليه الأحشاء ؛ فـ ﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ﴾ .

---

[١] - في خ : « يومئذ » .
[٢] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز .
[٣] - في ز : « فإنكم » .
[٤] - في ز : « أراهم » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « فأخبر » .

وقوله : ﴿ **وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم**[١] **قليلًا** ﴾ وهذا أيضًا من لطفه تعالىٰ بهم ؛ إذ[٢] أراهم إياهم قليلًا في رأي العين ؛ فيجرئهم[٣] عليهم ، ويطمعهم فيهم .

قال أبو إسحاق السبيعي(١٧٠) ، عن أبي عبيدة ، عن عبد اللّٰه بن مسعود رضي اللّٰه عنه ، قال : لقد قللوا في أعيننا يوم بدر ، حتىٰ قلت لرجل إلىٰ جنبي[٤] : تراهم سبعين ؟ قال : لا ، بل هم[٥] مائة حتىٰ أخذنا رجلًا منهم فسألناه فقال[٦] : كنا ألفًا . رواه ابن أبي حاتم وابن جرير .

وقوله : ﴿ **ويقللكم في أعينهم** ﴾ قال ابن أبي حاتم(١٧١) : [حدثنا أبي][٧] ، حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد ، عن الزبير بن الخريت ، عن عكرمة : ﴿ **وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلًا ويقللكم في أعينهم** ﴾ . قال : حضض[٨] بعضهم علىٰ بعض . إسناد صحيح .

وقال محمد بن إسحاق(١٧٢) : حدثني يحيىٰ بن عباد بن عبد اللّٰه بن الزبير ، عن أبيه في قوله تعالىٰ : ﴿ **ليقضي اللّٰه أمرًا كان مفعولًا** ﴾ أي : [ليلقي بينهم الحرب][٩] للنقمة ممن أراد الانتقام منه ، والإنعام علىٰ من أراد تمام النعمة عليه من أهل ولايته .

ومعنىٰ هذا أنه تعالىٰ أغرىٰ كلًّا من الفريقين بالآخر ، وقلله في عينه ليطمع فيه ، وذلك عند المواجهة ، فلما التحم القتال ، وأيد اللّٰه المؤمنين [ ][١٠] بألف من الملائكة مردفين ، بقي حزب الكفار[١١] يرىٰ حزب [الإيمان ضعفيه][١٢] ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل اللّٰه وأخرىٰ كافرة يرونهم مثليهم رأي العين واللّٰه يؤيد**

---

(١٧٠) - تفسير ابن جرير (٥٧٢/١٣) رقم (١٦١٥٦) .

(١٧١) - تفسير ابن أبي حاتم (٩١٢٨/٥) .

(١٧٢) - تفسير ابن جرير (٥٧٣/١٣) رقم (١٦١٦٠) .

---

[١] - في ز : « أعينهم » .

[٢] - في ز : « إن » .

[٣] - في ت : « فيجرؤهم » .

[٤] - في ز : « جانبي » .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - في ز : « قال » .

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٨] - في ز : « حصص » .

[٩] - عند ابن جرير : «ليؤلف بينهم على الحرب» .

[١٠] - في ز : « بالملائكة » .

[١١] - في ز : « الإيمان » .

[١٢] - في ز : « الكفر ضعيف » .

بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار ﴾ وهذا هو الجمع بين هاتين الآيتين ؛ فإن كلًّا منها حق وصدق ولله الحمد والمنة .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾

هذا تعليم من الله [تعالىٰ لعباده][1] المؤمنين ، آداب اللقاء ، وطريق الشجاعة عند مواجهة[2] الأعداء فقال[3] : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا** ﴾ .

ثبت في الصحيحين(١٧٣) ، عن عبد الله بن أبي أوفىٰ ، عن[4] رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أنه[5] انتظر في بعض أيامه التي لقي فيها العدوّ ، حتى إذا مالت الشمس ؛ قام فيهم فقال : « **يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدوّ ، واسألوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا ، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف** » . ثم قام النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وقال : « **اللهم منزل الكتاب ، ومجري السحاب ، وهازم الأحزاب ، اهزمهم وانصرنا عليهم** » .

وقال عبد الرزاق(١٧٤) : عن سفيان الثوري ، عن عبد الرحمن بن زياد ، عن عبد الله بن يزيد ، عن عبد الله بن عمرو ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لا تتمنوا لقاء العدوّ ، واسألوا[6] الله العافية ؛ فإذا لقيتموهم فاثبتوا ، واذكروا الله ، فإن [أجلبوا وضجوا][7] فعليكم بالصمت[8]** » .

---

(١٧٣) - صحيح البخاري رقم (٢٩٣٣ ، ٢٩٦٦ ، ٣٠٢٤ ، ٤١١٥ ، ٦٣٩٢ ، ٧٤٨٩) وصحيح مسلم ، كتاب : الجهاد والسير رقم (١٧٤٢) .

(١٧٤) - مصنف عبد الرزاق برقم (٩٥١٨) ورواه البيهقي في السنن الكبرى (١٥٣/٩) من طريق ابن وهب ، وابن أبي شيبة في المصنف (٤٦٣/١٢) من طريق عبدة بن سليمان ، كلاهما عن عبد الرحمن بن زياد به .

---

[١] - في ز : « عباده » .
[٢] - في ز : « مواجهته » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في خ : « أن » .
[٥] - سقط من : ت .
[٦] - في ز : « وسلوا » .
[٧] - في ز : « جلبوا وصبحوا » .
[٨] - في ز : « الصمت » .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني (١٧٥) : حدثنا إبراهيم بن هاشم البغوي ، حدثنا أمية بن بسطام ، حدثنا معتمر بن سليمان ، حدثنا[١] ثابت بن زيد ، عن رجل ، عن زيد بن أرقم ، عن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، مرفوعًا[٢] قال : « **إن اللَّه يحب الصمت عند ثلاث : عند تلاوة القرآن ، وعند الزحف ، وعند الجنازة** » .

وفي الحديث الآخر المرفوع(١٧٦) يقول اللَّه تعالىٰ : « **إن عبدي كل عبدي الذي يذكرني ، وهو مناجز قرنه** » أي : لا يشغله ذلك الحال عن ذكري ودعائي واستعانتي .

وقال سعيد بن أبي عروبة : عن قتادة في هذه الآية ، قال[٣] : افترض اللَّه ذكره عند أشغل ما يكون ، عند الضرب[٤] بالسيوف .

وقال ابن أبي حاتم(١٧٧) : حدثنا أبي ، حدثنا عبدة بن سليمان ، حدثنا ابن المبارك ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، قال : وجب الإنصات [وذكر اللَّه][٥] عند الزحف ، ثم تلا هذه الآية ، قلت : يجهرون بالذكر ؟ قال : نعم .

وقال أيضًا(١٧٨): [قرئ على][٦] يونس بن عبد الأعلىٰ، أنبأنا ابن وهب ، أخبرني عبد اللَّه بن [ ][٧] [عياش][٨] ، عن يزيد بن قوذر[٩] ، عن كعب الأحبار قال : ما من شيء أحب إلىٰ اللَّه تعالىٰ من قراءة القرآن والذكر ، ولولا[١٠] ذلك ما أمر الناس بالصلاة والقتال ؛ ألا ترون أنه أمر الناس بالذكر عند القتال ، فقال : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا اللَّه كثيرًا لعلكم تفلحون** ﴾ .

قال الشاعر :

---

(١٧٥) - المعجم الكبير (٢١٣/٥) وفيه راوٍ لم يسم .

(١٧٦) - رواه الترمذي في السنن برقم (٣٥٨٠) من طريق عفير بن معدان ، عن أبي دوس اليحصبي ، عن ابن عائذ ، عن عمارة بن زعكرة مرفوعًا ، وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، ليس إسناده بالقوي ، ولا نعرف لعمارة بن زعكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا هذا الحديث الواحد » .

(١٧٧) - تفسير ابن أبي حاتم (٩١٣٣/٥) .

(١٧٨) - تفسير ابن أبي حاتم (٩١٣٢/٥) .

---

[١] - في ز ، خ : « بن » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « وقال » .
[٤] - في ز : « الضراب » .
[٥] - في ز : « والذكر » .
[٦] - في خ : « قرأ عليَّ » .
[٧] - ما بين المعكوفين في ت : « عبد الله » .
[٨] - في ز : « عباس » .
[٩] - في ز : « فوذر » .
[١٠] - في ز : « وأولى » .

ذكـرتـك والخطـيُّ يـخـطـر بـيننـا وقـد نـهـلـت فينا المثقفة السمر

وقال عنترة :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل[١] مني[٢] وبيض[٣] الهند تقطر من دمي

فأمر تعالىٰ بالثبات عند[٤] قتال الأعداء ، والصبر علىٰ مبارزتهم ، فلا يفروا ، ولا ينكلوا ، ولا يجبنوا ، وأن يذكروا اللّٰه في تلك الحال ، ولا ينسوه ، بل يستعينوا به ويتوكلوا[٥] عليه ، ويسألوه[٦] النصر علىٰ أعدائهم ، وأن يطيعوا اللّٰه ورسوله في حالهم ذلك : فما أمرهم اللّٰه تعالىٰ به ائتمروا ، وما نهاهم عنه انزجروا ، ولا يتنازعوا فيما بينهم أيضًا فيختلفوا ؛ فيكون سببًا لتخاذلهم وفشلهم .

﴿ **وتذهب ريحكم** ﴾ أي : قوتكم[٧] وحدتكم ، وما كنتم فيه من الإقبال ، ﴿ **واصبروا إن اللّٰه مع الصابرين** ﴾ .

وقد كان للصحابة[٨] -رضي اللّٰه عنهم- في باب الشجاعة والائتمار [بما أمرهم اللّٰه ورسوله][٩] وامتثال ما أرشدهم إليه ، ما لم يكن لأحد من الأمم والقرون قبلهم ، ولا يكون لأحد ممن بعدهم ؛ فإنهم ببركة الرسول ، صلىٰ اللّٰه عليه وآله وسلم ، وطاعته فيما أمرهم ، فتحوا القلوب والأقاليم شرقًا وغربًا في المدة اليسيرة ، مع قلة عددهم بالنسبة إلىٰ جيوش سائر الأقاليم من الروم والفرس والترك والصقالبة والبربر والحبوش وأصناف السودان والقبط وطوائف بني آدم . قهروا الجميع حتىٰ علت كلمة اللّٰه وظهر دينه علىٰ سائر الأديان ، وامتدت الممالك الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها ، في أقل من ثلاثين سنة ، فرضي اللّٰه عنهم وأرضاهم أجمعين ، وحشرنا في زمرتهم إنه كريم وهاب .

وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ

---

[١] - في ز : « شواجر » .
[٢] - في ز ، خ : « فينا » .
[٣] - في ز : « فبيض » .
[٤] - في ز ، خ : « في » .
[٥] - في ز : « ويتكلوا » .
[٦] - في ز : « يسالونه » .
[٧] - في ز : « قربكم » .
[٨] - في ز ، خ : « الصحابة » .
[٩] - في ز : « بأوامر الله » ، خ : « بما أمر الله » .

ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾

يقول تعالىٰ بعد أمره المؤمنين بالإخلاص في القتال في سبيله ، وكثرة ذكره ، ناهيًا لهم عن التشبه بالمشركين في خروجهم من ديارهم ﴿بطرًا﴾ ، أي : دفعًا للحق ، ﴿ **ورئاء الناس** ﴾ وهو المفاخرة والتكبر عليهم ، كما قال أبو جهل لما قيل له : إن العير قد نجا فارجعوا ، فقال : لا[١] والله ، لا نرجع حتىٰ نرد ماء بدر ، وننحر الجزر ، ونشرب الخمر وتعزف علينا القيان ، وتتحدث العرب بمكاننا [فيها يومنا][٢] أبدًا ؛ فانعكس ذلك عليه أجمع ، لأنهم لما وردوا ماء بدر وردوا به الحِمام ، ورموا[٣] في أطواء[٤] بدر مهانين أذلاء ؛ صغرة أشقياء في عذاب سرمدي أبدي ، ولهذا قال : ﴿ **والله بما يعملون محيط** ﴾ أي : عالم بما جاءوا به وله ، ولهذا جازاهم عليه[٥] شر الجزاء لهم .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، والسدي في قوله تعالىٰ : ﴿ **ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرًا ورئاء الناس** ﴾ قالوا : هم المشركون الذين قاتلوا رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يوم بدر . وقال محمد بن كعب : لما خرجت قريش من مكة إلىٰ بدر خرجوا بالقيان والدفوف ، فأنزل الله : ﴿ **ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرًا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم** ﴾ الآية ، حسن لهم ، لعنه الله ، ما جاءوا له ، وما هموا به ، وأطمعهم أنه لا غالب لهم اليوم من الناس ، ونفىٰ عنهم الخشية من أن يؤتوا في ديارهم من عدوهم بني بكر ، فقال : إني[٦] جار لكم ، وذلك أنه تبدىٰ لهم في صورة سراقة بن مالك بن جعشم

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين كذا في الأصول ، لعل الصواب : « فيهابوننا » ، كما سبق في (ص ٨١) من هذا الجزء .

[٣] - في ت : « وركموا » .

[٤] - في خ : « أطوار » .

[٥] - في ز : « على ذلك » .

[٦] - في ز : « أنا » .

سيد بني مدلج ، كبير تلك الناحية ، وكل ذلك منه كما قال تعالىٰ عنه : ﴿ **يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورًا** ﴾ .

قال ابن جريج[١] : قال ابن عباس في هذه الآية : لما كان يوم بدر سار إبليس[٢] برايته وجنوده مع المشركين ، وألقىٰ في قلوب المشركين أن أحدًا لن يغلبكم ، وإني جار لكم ، فلما التقوا ، ونظر الشيطان إلىٰ إمداد الملائكة ﴿ **نكص علىٰ عقبيه** ﴾ قال : رجع مدبرًا ، وقال : ﴿ **إني أرىٰ ما لاترون** ﴾ الآية .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قال : جاء إبليس يوم بدر ، في جند من الشياطين ، معه رايته في صورة رجل من بني[٣] مدلج ، والشيطان في صورة سراقة بن مالك ابن جعشم، فقال الشيطان للمشركين : لا غالب لكم اليوم من الناس ، وإني جار لكم ، فلما اصطف الناس أخذ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قبضة من التراب ، فرمىٰ بها في وجوه المشركين ، فولوا مدبرين ، وأقبل جبريل - عليه السلام - إلىٰ إبليس ؛ فلما رآه ، وكانت يده في يد رجل من المشركين انتزع يده ، ثم ولىٰ مدبرًا هو[٤] وشيعته ، فقال الرجل : يا سراقة ، أتزعم أنك لنا جار فقال : ﴿ **إني أرىٰ ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب** ﴾ ، وذلك حين رأىٰ الملائكة .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، أن إبليس خرج مع قريش في صورة سراقة بن مالك بن جعشم ، فلما حضر القتال ورأىٰ الملائكة ﴿ **نكص علىٰ عقبيه وقال إني بريء منكم** ﴾ فتشبث به الحارث بن هشام ، فنخر[٥] في وجهه فخر صعقًا ، فقيل له : ويلك يا سراقة ، علىٰ هذه الحال تخذلنا وتبرأ منا ، فقال : ﴿ **إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب** ﴾ .

وقال محمد بن عمر الواقدي (١٧٩) : أخبرني عمر بن عقبة ، عن شعبة مولىٰ ابن عباس ، عن ابن عباس قال : لما تواقف الناس أغمي علىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، ساعة ، ثم كشف عنه ؛ فبشر الناس بجبريل في جند من الملائكة ميمنة الناس ، وميكائيل في جند آخر ميسرة الناس ، وإسرافيل في جند آخر ألف ، وإبليس قد تصور في صورة سراقة ابن مالك بن جعشم المدلجي يدبر المشركين ، ويخبرهم أنه لا غالب لهم اليوم من الناس ،

---

(١٧٩) - المغازي للواقدي (٧٠/١) .

---

[١] - في ت : « جرير » .

[٢] - في ز ، خ : « الجيش » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ز : « فبحر » .

فلما أبصر عدو الله الملائكة ﴿ **نكص علىٰ عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرىٰ ما لا ترون** ﴾ فتشبث به الحارث بن هشام ، وهو يرىٰ أنه سراقة لما سمع من كلامه ، فضرب في صدر الحارث ، فسقط الحارث ، وانطلق إبليس لا يرىٰ حتىٰ سقط في البحر ، ورفع ثوبه ، وقال : يارب موعدك الذي وعدتني .

وفي الطبراني(١٨٠) عن رفاعة بن رافع قريب من هذا[١] السياق ، و[٢]أبسط منه ذكرناه في السيرة .

وقال محمد بن إسحاق(١٨١) : حدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، قال : لما أجمعت[٣] قريش المسير[٤] ذكرت الذي بينها وبين بني بكر من الحرب ؛ فكاد ذلك أن يثنيهم ، فتبدىٰ لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي ، وكان من أشراف بني كنانة ، فقال : أنا جار لكم أن تأتيكم كنانة بشيء تكرهونه ؛ فخرجوا سراعًا .

قال محمد بن إسحاق(١٨٢) : فذكر لي أنهم كانوا يرونه في كل منزل في صورة سراقة ابن مالك ، لا ينكرونه حتىٰ إذا كان يوم بدر ، والتقىٰ الجمعان ، كان الذي رآه حين نكص الحارث بن هشام أو عمير بن وهب ، فقال : أين [أي][٥] سراقة ؟ ومثل[٦] عدو الله فذهب . قال : فأوردهم ثم أسلمهم ، قال : ونظر عدو الله إلىٰ جنود الله قد أيد الله بهم رسوله والمؤمنين ﴿ **فنكص[٧] علىٰ عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرىٰ ما لا ترون** ﴾ وصدق عدو الله ، وقال : ﴿ **إني أخاف الله والله شديد العقاب** ﴾ ، وهكذا روي عن السدي ، والضحاك ، والحسن البصري ، ومحمد بن كعب القرظي وغيرهم رحمهم الله .

وقال قتادة : وذكر لنا أنه رأىٰ جبريل عليه السلام ، تنزل معه الملائكة ؛ فعلم عدو الله أنه لا يدان له بالملائكة ؛ فقال : ﴿ **إني أرىٰ ما لا ترون إني أخاف الله** ﴾ وكذب عدو الله . والله ما به مخافة الله ولكن علم أنه لا قوة له ، ولا منعة ، وتلك عادة عدو الله لمن

---

(١٨٠) - المعجم الكبير (٤٢/٥) من طريق عبد العزيز بن عمران عن رفاعة بن يحيى بن معاذ بن رفاعة عن رفاعة بن رافع ، رضي الله عنه ، وقال الهيثمي في المجمع (٨٢/٦) : « وفيه عبد العزيز بن عمران وهو ضعيف » .

(١٨١) - تفسير الطبري (٨/١٤) رقم (١٦١٨٥) .

(١٨٢) - السيرة النبوية (٦١٣/١) وتفسير ابن جرير (٨/١٤، ٩) رقم (١٦١٨٥ ، ١٦١٨٦) .

---

[١] - في ت : « هذه » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز ، خ : « اجتمعت » .

[٤] - في ز : « للمسير » .

[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « أين » .

[٦] - في ز ، خ : « وميل » .

[٧] - في ز : « انتكص » .

أطاعه واستقاد له ، حتىٰ إذا التقىٰ الحق والباطل أسلمهم شر مسلم ، وتبرأ منهم عند ذلك .

قلت : يعني بعادته لمن أطاعه قوله تعالىٰ : ﴿ **كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف اللّٰه رب العالمين** ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ **وقال الشيطان لما قضي الأمر إن اللّٰه وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم** ﴾ .

وقال يونس بن بكير(١٨٣) ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني عبد اللّٰه بن أبي بكر بن عمرو[١] بن حزم ، عن بعض بني ساعدة قال : سمعت أبا أسيد مالك بن ربيعة بعد ما كف[٢] بصره يقول : لو كنت معكم الآن ببدر[٣] ، ومعي بصري ؛ لأخبرتكم بالشعب الذي خرجت منه الملائكة ، لا أشك ولا أتمارىٰ .

فلما نزلت[٤] الملائكة ، ورآها إبليس ، وأوحىٰ اللّٰه إليهم إني معكم فثبتوا الذين آمنوا ، وتثبيتهم أن الملائكة كانت تأتي الرجل في صورة الرجل يعرفه ، فيقول له : أبشر فإنهم ليسوا بشيء ، واللّٰه معكم ، كروا[٥] عليهم ، فلما رأىٰ إبليس الملائكة ﴿ **نكص علىٰ عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرىٰ ما لا ترون** ﴾ وهو في صورة سراقة ، وأقبل أبو جهل يحضض[٦] أصحابه ويقول : لا يهولنكم خذلان سراقة إياكم ؛ فإنه كان علىٰ موعد من محمد وأصحابه . ثم قال : واللات والعزىٰ لا نرجع حتىٰ نقرن محمدًا وأصحابه في الحبال ؛ فلا تقتلوهم وخذوهم أخذًا . وهذا من أبي جهل - لعنه اللّٰه - كقول فرعون للسحرة لما أسلموا : ﴿ **إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها** ﴾ . وكقوله : ﴿ **إنه لكبيركم الذي علمكم السحر** ﴾ وهو من باب البهت والافتراء ؛ ولهذا كان أبو جهل فرعون هذه الأمة .

وقال مالك بن أنس(١٨٤) ، عن إبراهيم بن أبي عبلة[٧] ، عن طلحة بن عبيد اللّٰه بن كريز : أن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال : « **ما رؤي[٨] إبليس يومًا[٩] هو فيه**

---

(١٨٣) - انظر : السيرة النبوية لابن هشام (٦٣٣/١) .

(١٨٤) - الموطأ كتاب الحج (٤٢٢/١) حديث (٢٤٥) .

---

[١] - في ز ، خ : « عمر » .
[٢] - في ز ، خ : « أصيب » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ت : « أنزلت » .
[٥] - في خ : « فكروا » .
[٦] - في خ : « عضض » .
[٧] - في ز ، خ : « علية » وهو تحريف .
[٨] - في ز : « رأى » .
[٩] - في ز : « في يوم » .

أصغر ، ولا أحقر ، ولا أدحر ، ولا أغيظ [منه في][1] يوم عرفة ، وذلك مما يرىٰ من تنزل[2] الرحمة ، والعفو عن[3] الذنوب ، إلا ما رأىٰ[4] يوم بدر » قالوا : يا رسول الله ، وما رأىٰ يوم بدر ؟ قال : « **أما إنه رأىٰ جبريل - عليه السلام - يزع الملائكة** » .

هذا مرسل من هذا الوجه .

وقوله : ﴿ **إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غرّ هؤلاء دينهم** ﴾ قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في هذه الآية : قال : لما دنا القوم بعضهم من بعض ، قلل الله المسلمين في أعين المشركين ، وقلل المشركين في أعين المسلمين ، فقال المشركون : غرّ هؤلاء دينهم ؛ وإنما قالوا ذلك من قلتهم في أعينهم ؛ فظنوا[5] أنهم سيهزمونهم لا يشكون في ذلك ، فقال الله : ﴿ **ومن يتوكل علىٰ الله فإن الله عزيز حكيم** ﴾ .

وقال قتادة رأوا عصابة من المؤمنين تشدّدت لأمر الله ، وذكر لنا أن أبا جهل عدو الله ، لما أشرف علىٰ محمد ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وأصحابه قال : والله لا يعبدون[6] الله بعد اليوم - قسوة وعتوًّا .

وقال ابن جريج في قوله : ﴿ **إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض** ﴾ : هم قوم كانوا من المنافقين [ ][7] بمكة قالوه يوم بدر .

وقال عامر الشعبي : كان ناس من أهل مكة قد تكلموا بالإسلام ، فخرجوا مع المشركين يوم بدر ؛ فلما رأوا قلة المسلمين قالوا : غرّ هؤلاء دينهم .

وقال مجاهد في قوله -عز وجل- : ﴿ **إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم** ﴾ قال : فئة من قريش ؛ أبو[8] قيس بن الوليد بن المغيرة ، وأبو قيس بن الفاكه ابن المغيرة والحارث بن زمعة بن الأسود بن المطلب ، وعلي بن أمية بن خلف ، والعاص بن منبه بن الحجاج خرجوا مع قريش من مكة ، وهم علىٰ الارتياب فحبسهم ارتيابهم ، فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قالوا : غر هؤلاء دينهم ، حتىٰ قدموا علىٰ ما قدموا عليه مع قلة عددهم وكثرة عدوهم .

---

[1] - في ز ، خ : « من » .
[2] - في خ : « نزول » .
[3] - في ز ، خ : « من » .
[4] - في ز : « رى » .
[5] - في ز : « وظنوا » .
[6] - في ز :« يعبدوا » ، وسقط من : خ .
[7] - ما بين المعكوفتين في ز : « كانوا » .
[8] - سقط من : ز ، خ .

وكذا[١] قال محمد بن إسحاق بن يسار سواء .

وقال ابن جرير(١٨٥) : حدثنا محمد بن عبد الأعلىٰ[٢] ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن في هذه الآية ، قال : هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر فسموا منافقين ، قال معمر : وقال[٣] بعضهم : هم قوم كانوا أقروا بالإسلام وهم [ ][٤] بمكة ، فخرجوا مع المشركين يوم بدر ، فلما رأوا قلة المسلمين ، قالوا : غر هؤلاء دينهم .

وقوله : ﴿ **ومن يتوكل علىٰ الله** ﴾ أي : يعتمد علىٰ جنابه ، ﴿ **فإن الله عزيز** ﴾ أي : لا يضام من التجأ إليه ، فإن الله عزيز منيع الجناب عظيم السلطان ﴿ **حكيم** ﴾ في أفعاله لا يضعها إلا في مواضعها ، فينصر من يستحق النصر ، ويخذل من هو أهل لذلك .

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾

يقول تعالىٰ : ولو عاينت يا محمد ، حال توفي الملائكة أرواح الكفار ؛ لرأيت أمرًا عظيمًا هائلًا فظيعًا منكرًا إذ ﴿ **يضربون وجوههم وأدبارهم** ﴾ [ويقولون لهم][٥] : ﴿ **ذوقوا عذاب الحريق** ﴾ .

قال ابن جريج ، عن مجاهد : ﴿ **وأدبارهم** ﴾ أستاههم ، قال : يوم بدر .

قال ابن جريج : قال ابن عباس : إذا أقبل المشركون بوجوههم إلىٰ المسلمين ؛ ضربوا وجوههم بالسيوف ، وإذا ولوا أدركتهم[٦] الملائكة فضربوا[٧] أدبارهم .

و[٨]قال ابن أبي نجيح عن مجاهد في[٩] قوله : ﴿ **إذ يتوفىٰ الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم** ﴾ يوم بدر .

(١٨٥) - تفسير ابن جرير (١٤/١٣ - ١٤) حديث (١٦١٩٦) .

[١] - في ز : « هكذا » .
[٢] - في ز : « الا » ، خ : « الألي » .
[٣] - في ز : « قال » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « قوم » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في خ : « ضربتهم » .
[٧] - في خ : « يضربون » .
[٨] - سقط من : ز .
[٩] - سقط من : ز ، خ .

وقال وكيع ، عن سفيان الثوري ، عن أبي هاشم إسماعيل بن كثير ، عن مجاهد ، و[١]عن شعبة ، عن يعلىٰ بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ﴿ **يضربون وجوههم وأدبارهم** ﴾ قال : وأستاههم ، ولكن الله يكني .

وكذا قال عمر مولىٰ غفرة[٢] .

وعن الحسن البصري قال : قال رجل : يا رسول الله ، إني رأيت بظهر أبي جهل مثل الشراك[٣] ، قال : [ما ذاك ؟][٤] قال : « **ذاك[٥] ضرب الملائكة** » .

رواه ابن جرير(١٨٦) وهو مرسل .

وهذا السياق وإن كان سببه وقعة بدر ولكنه عام في حق كل كافر ، ولهذا لم يخصصه تعالىٰ بأهل بدر . بل[٦] قال تعالىٰ : ﴿ **ولو ترىٰ إذ يتوفىٰ الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم** ﴾ وفي سورة القتال مثلها ، وتقدم في سورة الأنعام قوله تعالىٰ : ﴿ **ولو ترىٰ إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم** ﴾ أي : باسطو أيديهم بالضرب فيهم يأمرونهم ، إذا[٧] استصعبت أنفسهم ، وامتنعت من الخروج من الأجساد ، أن تخرج قهرًا ، وذلك إذ[٨] بشروهم بالعذاب والغضب من الله ، كما في حديث البراء : أن ملك الموت إذا جاء الكافر عند احتضاره في تلك الصورة[٩] المنكرة يقول : اخرجي أيتها النفس الخبيثة ، إلىٰ سموم وحميم وظل من يحموم ؛ فتفرق في بدنه ، فيستخرجونها من جسده ، كما يخرج السفود من الصوف المبلول ، فتخرج[١٠] معها العروق والعصب . ولهذا أخبر تعالىٰ أن الملائكة تقول لهم : ﴿ **ذوقوا عذاب الحريق** ﴾ .

[وقوله تعالىٰ][١١] : ﴿ **ذلك بما قدمت أيديكم** ﴾ أي : هذا الجزاء بسبب ما عملتم من الأعمال السيئة في حياتكم الدنيا ، جزاكم[١٢] الله بها هذا الجزاء ﴿ **وأن الله ليس بظلام للعبيد** ﴾ أي : لا يظلم أحدًا من خلقه ، بل هو الحكم العدل الذي لايجور تبارك

(١٨٦) - تفسير ابن جرير (١٦/١٤ - ١٧) رقم (١٦٢٠٥) .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « عفرة » .
[٣] - في ز ، خ : « الشوك » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٥] - سقط من : ز
[٦] - سقط من : ت .
[٧] - في خ : « إذ » .
[٨] - في خ : « إذا » .
[٩] - في ز ، خ : « الصور » .
[١٠] - في ز : « فيخرج » .
[١١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[١٢] - في ت : « جازاكم » .

وتعالىٰ وتقدس وتنزه الغني الحميد ؛ ولهذا جاء في الحديث الصحيح عند مسلم(١٨٧) - رحمه الله - من رواية أبي ذر رضي الله عنه ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن الله تعالىٰ يقول : « يا عبادي ، إني حرمت الظلم علىٰ نفسي ، وجعلته بينكم محرمًا ؛ فلا تظالموا ، يا عبادي ، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ؛ فمن وجد خيرًا ؛ فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك ؛ فلا يلومن إلا نفسه** » ولهذا قال تعالىٰ :

﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ﴾

يقول تعالىٰ : فعل هؤلاء [المشركون المكذبون][١] ، بما أرسلت به يا محمد ، كما فعل الأمم المكذبة قبلهم ؛ ففعلنا بهم ما هو دأبنا ، أي : عادتنا وسنتنا في أمثالهم من المكذبين من آل فرعون ومن قبلهم من الأمم المكذبة بالرسل ، الكافرين بآيات الله : ﴿ **فأخذهم[٢] الله بذنوبهم** ﴾ [أي : بسبب ذنوبهم][٣] [أهلكهم، وأخذهم أخذ عزيز مقتدر][٤] ، ﴿ **إن الله قوي شديد العقاب** ﴾ أي[٥] : لا يغلبه غالب ولا يفوته هارب .

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾

يخبر تعالىٰ عن تمام عدله وقسطه في حكمه ، بأنه تعالىٰ لا يغير نعمة أنعمها علىٰ أحد إلا بسبب ذنب ارتكبه ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **إن الله لا يغير ما بقوم حتىٰ يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءًا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال** ﴾ . [وقوله : ﴿ **كدأب آل فرعون** ﴾ أي][٦] : كصنعه بآل فرعون وأمثالهم ، حين كذبوا بآياته أهلكهم بسبب ذنوبهم ، وسلبهم تلك النعم التي أسداها[٧] إليهم ، من جنات وعيون وزروع وكنوز ومقام

(١٨٧) - صحيح مسلم برقم (٢٥٧٧) .

[١] - في ز ، خ : « المشركين المكذبين » .

[٢] - في ز : « أخذهم » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٧] - في خ : « أزداها » .

كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين ، وما ظلمهم اللَّه في ذلك ؛ بل كانوا هم الظالمين .

إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٥٥) ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ (٥٦) فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٥٧)

أخبر تعالىٰ أن شر مادب علىٰ وجه الأرض ، هم الذين كفروا ، فهم لا يؤمنون . الذين كلما عاهدوا عهدًا نقضوه[١] ، وكلما أكدوه بالأيمان نكثوه ، ﴿ **وهم لا يتقون** ﴾ أي : لا يخافون من اللَّه في شيء ارتكبوه من الآثام .

﴿ **فإما تثقفنهم في الحرب** ﴾ أي : تغلبهم وتظفر بهم في حرب : ﴿ **فشرد بهم من خلفهم** ﴾ أي : نكل بهم ، قاله ابن عباس ، والحسن البصري ، والضحاك ، والسدي ، وعطاء الخراساني وابن عيينة ، ومعناه : غلظ عقوبتهم ، وأثخنهم قتلًا ؛ ليخاف من سواهم من الأعداء من العرب وغيرهم ، ويصيروا لهم عبرة : ﴿ **لعلهم يذكرون** ﴾ .

و[٢]قال السدي : يقول : لعلهم يحذرون أن ينكثوا[٣] ؛ فيصنع بهم مثل ذلك .

وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ (٥٨)

يقول تعالىٰ لنبيه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **وإما تخافن من قوم** ﴾ قد عاهدتهم ﴿ **خيانة** ﴾ ، أي : نقضًا لما بينك وبينهم من المواثيق والعهود ، ﴿ **فانبذ إليهم** ﴾ أي : عهدهم ﴿ **علىٰ سواء** ﴾ ، أي : أعلمهم بأنك قد نقضت عهدهم ، حتىٰ يبقىٰ علمك وعلمهم بأنك حرب لهم ، وهم حرب لك ، وأنه لا عهد بينك وبينهم علىٰ السواء ، أي : تستوي أنت وهم في ذلك قال الراجز :

فاضرب وجوه الغدر للأعداء[٤] حتىٰ يجيبوك إلىٰ السواء(١٨٨)

وعن الوليد بن مسلم أنه قال في قوله تعالىٰ : ﴿ **فانبذ إليهم علىٰ سواء** ﴾ أي : علىٰ

---

(١٨٨) - الرجز في تفسير ابن جرير (٢٧/١٤) .

---

[١] - في خ : « نبذوه » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « ينكبوا » .
[٤] - في ز : « الأعداء » .

مهل . ﴿ **إن اللَّه لا يحب الخائنين** ﴾ أي : حتىٰ ولو في حق الكفار[١] لا يحبها أيضًا .

قال الإمام أحمد(١٨٩) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبي الفيض ، عن سليم بن عامر قال : كان معاوية يسير في أرض الروم وكان بينه وبينهم أمد[٢] ، فأراد أن يدنو منهم ، فإذا انقضىٰ الأمد ؛ غزاهم ، فإذا شيخ علىٰ دابة يقول : اللَّه أكبر اللَّه أكبر وفاءً لا غدرًا[٣] ؛ إن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **ومن كان بينه وبين قوم عهد ؛ فلا يحلن عقدة ، ولا يشدها حتىٰ ينقضي أمدها ، أو ينبذ إليهم علىٰ سواء** » قال : فبلغ ذلك معاوية ، فرجع ؛ فإذا[٤] الشيخ[٥] عمرو بن عبسة[٦] - رضي اللَّه عنه - .

وهذا الحديث رواه أبو داود الطيالسي عن شعبة ، وأخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه ، من طرق ، عن شعبة به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد أيضًا(١٩٠) : حدثنا محمد بن عبد اللَّه الزبيري ، حدثنا إسرائيل ، عن عطاء بن السائب، عن أبي البختري[٧] ، عن سلمان - يعني الفارسي رضي اللَّه عنه - أنه انتهىٰ إلىٰ حصن أو مدينة ، فقال لأصحابه : دعوني[٨] أدعوهم[٩] ؛ كما رأيت رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يدعوهم ؛ فقال : إنما كنت رجلًا منكم ، فهداني اللَّه - عز وجل - للإسلام ، فإن أسلمتم فلكم مالنا ، وعليكم ما علينا ، وإن أبيتم فأدوا الجزية وأنتم صاغرون ، وإن[١٠] أبيتم نابذناكم علىٰ سواء : ﴿ **إن اللَّه لا يحب الخائنين** ﴾ يفعل ذلك بهم ثلاثة أيام ، فلما كان اليوم الرابع غدا الناس إليها ففتحوها بعون اللَّه .

---

(١٨٩) - مسند أحمد (١١١/٤) رقم (١٧٠٦٥) ، ومسند الطيالسي برقم (١١٥٥) وسنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، باب : الإمام يكون بينه وبين العدو عهد فيسير إليه برقم (٢٧٥٩) وسنن الترمذي كتاب السير ، باب : ما جاء في الغدر (١٢١/٤) حديث (١٥٨٠) . وقال أبو عيسى : حسن صحيح ، والنسائي في السنن الكبرى برقم (٨٧٣٢) ورواه البيهقي (٢٣١/٩) . وصححه الألباني في صحاح السنن المذكورة .

(١٩٠) - المسند (٤٤٠/٥) رقم (٢٣٨٣٣) ورواه الترمذي في السنن كتاب السير ، باب : ما جاء في الدعوة قبل القتال برقم (١٥٤٨) من طريق أبي عوانة ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي البختري به نحوه ، وقال : « حديث سلمان حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث عطاء بن السائب ، وسمعت محمدًا يقول : أبو البختري لم يدرك سلمان ؛ لأنه لم يدرك عليًا ، وسلمان مات قبل علي » .

---

[١] - في ز : « الكافرين » .
[٢] - في ز : « أمدًا » .
[٣] - في ز : « غدر » .
[٤] - في ز : « وإذا » .
[٥] - في خ : « بالشيخ » .
[٦] - في ز ، خ : « عنبسة » .
[٧] - في ز : « البحتري » .
[٨] - في ز ، خ : « ادعوني » .
[٩] - في خ : « أدعوكم » .
[١٠] - في ز : « فإن » .

وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾

يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿**ولا تحسبن**﴾ - يا محمد - ﴿**الذين كفروا سبقوا**﴾، أي: فاتونا فلا نقدر عليهم، بل هم[١] تحت قَهْر قدرتنا وفي قبضة مشيئتنا فلا يعجزوننا، كما قال تعالى: ﴿**أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون**﴾، أي: يظنون، وقال تعالى: ﴿**لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض ومأواهم النار ولبئس المصير**﴾ وقال تعالى: [ ][٢] ﴿**لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد. متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد**﴾ ثم أمر تعالى بإعداد آلات الحرب لمقاتلتهم حسب الطاقة والإمكان والاستطاعة، فقال: ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم**﴾، أي: مهما أمكنكم، ﴿**من قوة ومن رباط الخيل**﴾.

قال[٣] الإمام أحمد(١٩١): حدثنا هارون بن معروف، حدثنا ابن وهب، أخبرني عمرو ابن الحارث، عن أبي علي ثمامة بن شُفَيّ[٤]، [أنه سمع][٥] عقبة بن عامر يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر: ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة**﴾، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي.

رواه مسلم، عن هارون بن معروف، وأبو داود عن سعيد بن منصور، وابن ماجه عن يونس بن عبد الأعلى، ثلاثتهم عن عبد الله بن وهب، به.

ولهذا الحديث طرق أخر(١٩٢) عن عُقْبَة بن عامر، منها ما رواه الترمذي، من حديث

(١٩١) - المسند (١٥٦/٤) رقم (١٧٤٧٩)، وصحيح مسلم كتاب الإمارة، باب: فضل الرمي والحث عليه برقم (١٩١٧)، وسنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب: في الرمي برقم (٢٥١٤)، وسنن ابن ماجه، كتاب الجهاد، باب: الرمي في سبيل الله (٩٤٠/٢) حديث (٢٨١٣). والدارمي في كتاب الجهاد، باب: في فضل الرمي والأمر به (٢٠٤/٢). وأبو داود الطيالسي في مسنده (١١٨٢).

(١٩٢) - سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب: ومن سورة الأنفال (٢٥٢/٥) حديث (٣٠٨٣). =

[١] - سقط من: خ.

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز: «و». [٣] - سقط من: ز.

[٤] - في ز: «سقى». [٥] - في ز: «ابن»، خ: «أخي».

صالح بن كيسان، عن رجل، عنه.

وروى الإمام أحمد وأهل السنن(١٩٣)، عنه قال: قال رسول اللَّه، صلى اللَّه عليه وسلم: «**ارموا واركبوا، وأن تَرْمُوا خيرٌ[١] من أن تركبوا**».

وقال الإمام مالك(١٩٤)، عن زيد بن أسلم، عن أبي صالح السَّمان، عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه: أن رسول اللَّه، صلى اللَّه عليه وسلم، قال: «**الخيل لثلاثة: لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر؛ فأما الذي له أجر فرجل رَبَطَها في سبيل اللَّه، فأطال لها في مَرْج[٢] أو روضة، فما أصابت في طيلَها ذلك من[٣] المرج أو[٤] الروضة كانت له حسنات، ولو أنها قَطَعت طيلَها فاسْتَنَّتْ شَرَفًا أو شَرَفين، كانت آثارها وأرواثها حسنات له، ولو أنها مرت بنهر فشربت منه، ولم يُرِد أن يَسقى به، كان ذلك حسنات له؛ فهي لذلك الرجل أجر. ورجل ربطها تَغَنيًا[٥] وتعففًا، ولم ينس حق اللَّه في رقابها ولا ظهورها، فهي له ستر. ورجل ربطها فخرًا ورياء ونواء فهي على ذلك وِزْر**».

وسئل رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم عن الحمر فقال: «**ما أنزل اللَّه عليَّ فيها شيئًا إلا هذه الآية الجامعة الفاذة[٦]: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره. ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره﴾**».

رواه البخاري - وهذا لفظه - ومسلم، كلاهما من حديث مالك.

وقال الإمام أحمد(١٩٥): حدثنا حجاج، أخبرنا شريك، عن الركين[٧] بن الربيع، عن القاسم بن حسان؛ عن عبد اللَّه بن مسعود، عن النبي، صلى اللَّه عليه وسلم، قال: «**الخيل ثلاثة: ففرس للرحمن، وفرس للشيطان، وفرس للإنسان، فأما فرس الرحمن**

= وقال: «صالح بن كيسان لم يدرك عقبة بن عامر، وقد أدرك ابن عمر».

(١٩٣) - المسند (٤/١٤٤) رقم (١٧٣٤٨)، ورواه الترمذي حديث (١٦٣٧). وابن ماجه في كتاب الجهاد، باب: الرمي في سبيل الله (٢/٩٤٠) حديث (٢٨١١)، والحاكم في المستدرك في كتاب الزكاة (١/٤١٧ - ٤١٨).

(١٩٤) - الموطأ (٢/٤١٤) ومن طريقه البخاري في صحيحه برقم (٢٣٧١) وأما مسلم فرواه من طريق حفص بن ميسرة، عن زيد بن أسلم عن أبي صالح به برقم (٩٨٧).

(١٩٥) - المسند (١/٣٩٥).

[١] - في ز، خ: «خيرًا».
[٢] - في ز، خ: «مرح».
[٣] - في ز، خ: «في».
[٤] - في ز: «و».
[٥] - في ز، خ: «بغناء».
[٦] - في ز: «الفادة».
[٧] - في ز: «الدكين».

فالذي يربط في سبيل الله، فعلفه وروثه وبوله، وذكر ما شاء الله. وأما فرس الشيطان فالذي يقامر أو يراهن عليه، وأما فرس الإنسان فالفرس يرتبطها الإنسان يلتمس بطنها، فهي ستر من فَقْر».

وقد ذهب أكثر العلماء إلى أن الرمي أفضل من ركوب الخيل، وذهب الإمام مالك رضى الله عنه إلى أن الركوب أفضل من الرمي، وقول الجمهور أقوى للحديث، والله أعلم.

وقال الإمام أحمد(١٩٦): حدثنا حجاج وهشام قالا: حدثنا ليث؛ حدثني يزيد بن أبي حبيب، عن ابن شُماسة؛ أن معاوية بن حُديج[١] مَرّ على أبي ذَرّ، وهو قائم عند فرس له، فسأله ما تعالج من فرسك هذا؟ فقال: إني أظن أن هذا الفرس قد استجيب له دعوته! قال: وما دعاء بهيمة من البهائم؟ قال: والذي نفسي بيده، ما من فرس إلا وهو يدعو كل سحر فيقول: اللهم؛ أنت خَوَّلتني عبدًا من عبادك، وجعلتَ رزقي بيده، فاجعلني أحبَّ إليه من أهله وماله وولده.

قال: وحدثنا يحيى بن سعيد، عن عبد الحميد بن جعفر؛ حدثني يزيد بن أبي حبيب، عن سويد بن قيس، عن معاوية بن حُديج[٢]؛ عن أبي ذر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إنه ليس من فرس عربي إلا يُؤذن له مع كل فجر، يدعو بدعوتين، يقول: اللهم، إنك خوّلتني من خولتني من بني آدم، فاجعلني من أحب أهله وماله إليه- أو: أحب أهله وماله إليه**».

رواه النسائي(١٩٧)، عن عمرو بن عليّ الفَلاس، عن يحيى القطان، به.

وقال أبو القاسم الطبراني(١٩٨): حدثنا الحسين بن إسحاق التُستريّ، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا يحيى بن حمزة، حدثنا المطعم بن المقدام الصنعاني، عن الحسن بن أبى الحسن أنه قال لابن الحنظلية - يعني سهلًا -: حَدِّثنا حديثًا سمعته من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**الخيل معقود في نواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة، وأهلها معانون عليها، ومن ربط فرسًا في سبيل الله كانت النفقة عليه، كالمادّ يده بالصدقة لا يقبضها**».

---

(١٩٦) - المسند (١٦٢/٥) رقم (٢١٥٢٣).

(١٩٧) - المسند (١٧٠/٥) رقم (٢١٥٧٨) وسنن النسائي (٢٢٣/٦).

(١٩٨) - المعجم الكبير (٩٨/٦).

---

[١] - في خ: «خديج». [٢] - في ز، خ: «خديج».

والأحاديث الواردة في فضل ارتباط الخيل كثيرة، وفي صحيح البخاري، عن عُرْوَةَ بن أبي الجعد البارقي؛ أن رسول اللَّه، صلى اللَّه عليه وسلم، قال: «**الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة: الأجرُ والمغنم**»(١٩٩).

وقوله: ﴿**ترهبون**﴾، أي: تخوفون ﴿**به عدو اللَّه وعدوكم**﴾ أي: من الكفار ﴿**وآخرين من دونهم**﴾ - قال مجاهد: يعني «**قريظة**». وقال السدي: «**فارس**»، وقال سفيان الثوري: قال ابن يمان[١]: «**هم الشياطين التي في الدور**». وقد ورد حديث بمثل ذلك، قال ابن أبي حاتم(٢٠٠):

حدثنا أبو عتبة أحمد بن الفرج الحمصي، حدثنا أبو حيْوَة - يعني شُرَيح بن يزيد المقرئُ - حدثنا سَعيد بن سنَان، عن ابن عَرِيب[٢] - يعني يزيد بن عبد اللَّه بن عرَيب[٣] - عن أبيه، عن جده؛ أن رسول اللَّه، صلى اللَّه عليه وسلم، كان يقول في قوله: ﴿**وآخرين من دونهم لا تعلمونهم**﴾، قال: هم الجن.

ورواه الطبراني(٢٠١)، عن إبراهيم بن دُحَيم؛ عن أبيه، عن محمد بن شعيب؛ عن سنان ابن سعيد بن سنان؛ عن يزيد بن عبد اللَّه بن عَرِيب[٤] به[٥]. وزاد: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «**لا يُخْبل بيت فيه عتيق من الخَيل**».

وهذا الحديث منكر، لا يصح إسناده ولا مَتْنه.

وقال مقاتل بن حيان، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هم المنافقون.

وهذا أشبه الأقوال، ويشهد له قوله: ﴿**وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم**﴾.

وقوله: ﴿**وما تنفقوا من شيء في سبيل اللَّه يوف إليكم وأنتم لا تظلمون**﴾، أي:

---

(١٩٩) - صحيح البخاري برقم (٢٨٥٠).

(٢٠٠) - ورواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده برقم (٦٥٠) «بغية الباحث» حدثنا داود بن رشيد عن أبي حيوة، به.

(٢٠١) - المعجم الكبير (١٨٨/١٧) ورواه أبو الشيخ في العظمة برقم (١٠٨٩): حدثنا ابن أبي عاصم عن دحيم به نحوه.

---

[١] - في خ: «غاز».

[٢] - في ز: «غريب».

[٣] - في ز، خ: «غريب».

[٤] - في ز، خ: «غريب».

[٥] - سقط من: ز.

مهما أنفقتم في الجهاد، فإنه يوفى إليكم على التمام والكمال؛ ولهذا جاء في حديثٍ رواه أبو داود[٢٠٢]؛ أن الدرهم يضاعف ثوابه في سبيل الله إلى سبعمائة ضعف، كما تقدم في قوله تعالى: **﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾**.

وقال ابن أبي حاتم[٢٠٣]: حدثنا أحمد بن القاسم بن عطية، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الدَّشْتكي، حدثنا أبي، عن أبيه، حدثنا الأشعث بن إسحاق، عن جعفر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه كان يأمر أن لا يتصدق إلا على أهل الإسلام، حتى نزلت: **﴿وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم﴾**، فأمر بالصدقة بعدها على كل من سألك من كل دين.

وهذا أيضًا غريب.

۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (٦١) وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٣)

يقول تعالى: إذا خفت من قوم خيانة فانبذ إليهم عهدهم على سواء، فإن استمروا على حربك ومنابذتك فقاتلهم، **﴿وإن جنحوا﴾**، أي: مالوا **﴿للسَّلم﴾**، أي: المسالمة والمصالحة والمهادنة، **﴿فاجنح لها﴾**، أي: فمل إليها، واقبل منهم ذلك، ولهذا لما طلب المشركون عام الحديبية الصلح، ووضع الحرب بينهم وبين رسول الله، صلى الله عليه وسلم، تسع سنين؛ أجابهم إلى ذلك مع ما اشترطوا من الشروط الأخر.

وقال عبد الله بن الإمام أحمد[٢٠٤]: حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي، حدثنا فضيل بن سليمان - يعني النميري - حدثنا محمد بن أبي يحيى، عن إياس بن عمرو الأسلمي، عن

---

(٢٠٢) - سنن أبي داود برقم (٢٤٩٨) ولفظه: «إن الصلاة والصيام والذكر تضاعف على النفقة في سبيل الله بسبعمائة ضعف» وقد تقدم نحو هذا اللفظ عند تفسير الآية: ٢٦١ من سورة البقرة من حديث عمران ابن حصين.

(٢٠٣) - تفسير ابن أبي حاتم (٥/٩١١٤).

(٢٠٤) - زوائد المسند (١/٩٠) وقال الهيثمي في المجمع (٧/٢٣٤): «رجاله ثقات».

عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إنه سيكون [بعدي]**[١] **اختلاف - أو: أمر - فإن استطعت أن يكون السّلم، فافعل**».

وقال مجاهد: نزلت في بني قريظة.

وهذا فيه نظر؛ لأن السياق كله في وقعة بدر، وذكرها مكتنف لهذا كله.

وقَوْلُ ابن عباس، ومجاهد، وزيد بن أسلم، وعطاء الخراساني، وعكرمة، والحسن، وقتادة: إن هذه الآية منسوخة بآية السيف في «براءة»: ﴿**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ...**﴾ الآية - فيه نظر أيضًا؛ لأن آية براءة فيها الأمر بقتالهم إذا أمكن ذلك، فأما إذا كان العدو كثيفًا، فإنه تجوز مهادنتهم، كما دلت عليه هذه الآية الكريمة، وكما فعل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية، فلا منافاة ولا نسخ ولا تخصيص، والله أعلم.

وقوله: ﴿**وتوكل على الله**﴾، أي: صالحهم وتوكل على الله، فإن الله كافيك وناصرك، ولو كانوا يريدون بالصلح خديعة ليتقووا ويستعدوا، ﴿**فإن حسبك الله**﴾، أي: كافيك وحده.

ثم ذكر نعمته عليه بما أيده به من المؤمنين المهاجرين والأنصار، فقال: ﴿**هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم**﴾، أي: جمعها على الإيمان بك، وعلى طاعتك ومناصرتك ومُوازرتك. ﴿**لو أنفقت ما في الأرض جميعًا ما ألّفت بين قلوبهم**﴾، أي: لما كان بينهم من العداوة والبغضاء؛ فإن الأنصار كانت بينهم حروب كثيرة في الجاهلية، بين الأوس والخزرج، وأمور يلزم منها التسلسل في الشر، حتى قطع الله ذلك بنور الإيمان، كما قال تعالى: ﴿**واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانًا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون**﴾.

وفي الصحيحين(٢٠٥) أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لما خَطَب الأنصار في شأن غنائم حُنَين قال لهم: «**يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضُلالًا فهداكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي، وكنتم متفرقين فألّفكم الله بي**» - كلما قال شيئًا قالوا: الله ورسوله أمَنّ.

---

(٢٠٥) - صحيح البخاري برقم (٤٣٣٠) وصحيح مسلم برقم (١٠٦١) من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم، رضي الله عنه.

---

[١] - سقط من: خ.

ولهذا قال تعالى: ﴿ولكن الله ألَّف بينهم إنه عزيز حكيم﴾، أي: عزيز الجناب. فلا يَخيب رجاء من توكل عليه، حكيم في أفعاله وأحكامه.

قال الحافظ أبو بكر البيهقي(٢٠٦): أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأنا[١] عليّ بن بشر الصيرفي القزويني في منزلنا، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن الحُسَين[٢] القنْديلي الأستراباذي، حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن النعمان الصفار، حدثنا ميمون بن الحكم، حدثنا بكر بن الشرود، عن محمد بن مسلم الطائفي، عن إبراهيم بن ميسرة، عن طاوس، عن ابن عباس؛ قال: قرابة الرحم تقطع، ومنة النعمة تكفر، ولم يُرَ مثل تقارب القلوب؛ يقول الله تعالى: ﴿لو أنفقت ما في الأرض جميعًا ما ألَّفت بين قلوبهم﴾، وذلك موجود في الشعر:

إذا مَتّ[٣] ذُو القُرْبَى إليك برحْمه فَغَشَّك واستَغْنى فَليس بذي رحْم
ولكن ذا القربى الذي إن دعوته أجاب ومن يرمي[٤] العدو الذي تَرْمي

قال: ومن ذلك قول القائل:

وَلَقد صَحبتُ الناس ثُمَّ سَبَرْتُهم وَبَلوت ما وَصَلوا من الأسْبَاب
فَإذَا القَرَابةُ لا تُقَرِّبُ قَاطعًا وإذا المَوَدَّةُ أقْرَبُ الأسْبَاب

قال البيهقي: لا أدري هذا موصولًا بكلام ابن عباس، أو هو من قول من دونه من الرواة.

وقال أبو إسحاق السَّبِيعي، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، سمعته يقول: ﴿لو أنفقت ما في الأرض جميعًا ما ألفت بين قلوبهم ...﴾ الآية. قال: هم المتحابون في الله - وفي رواية: نزلت في المتحابين في الله.

رواه النسائي والحاكم في مستدركه، [وقال: «صحيح][٥]»(٢٠٧).

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس؛ قال: إن الرحم لتقطع، وإن النعمة لتكفر؛ وإن الله إذا قارب بين القلوب لم يزحزحها شيء، ثم قرأ: ﴿لو أنفقت ما في الأرض جميعًا ما ألفت بين قلوبهم﴾.

(٢٠٦) - شعب الإيمان للبيهقي برقم (٩٠٣٤).
(٢٠٧) - النسائي في السنن الكبرى برقم (١١٢١٠) والمستدرك (٢/٣٢٩).

[١] - سقط من: خ.
[٢] - في خ: «الحسن».
[٣] - في خ: «بت».
[٤] - في خ: «وأن يرمى».
[٥] - سقط من: خ.

رواه الحاكم أيضًا(٢٠٨) .

وقال أبو عمرو الأوزاعي(٢٠٩) : حدثني عبدة بن أبي لبابة، عن مجاهد - ولقيته فأخذ بيدي فقال: إذا تراءى المتحابان في الله، فأخذ أحدهما بيد صاحبه، وضحك إليه، تحاتَّت خطاياهما كما يتَحاتّ[١] ورق الشجر. قال عبدة: فقلت له: إن هذا ليسير!. فقال: لا تقل ذلك؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿**لو أنفقت ما في الأرض جميعًا ما ألفت بين قلوبهم**﴾!. قال عبدة: فعرفت أنه أفقه مني.

وقال ابن جرير(٢١٠) : حدثنا أبو كريب، حدثنا ابن يمان، عن إبراهيم الخوزيّ، عن الوليد بن أبي مغيث، عن مجاهد قال: إذا التقى المسلمان فتصافحا غُفر لهما، قال: قلت لمجاهد: بمصافحةٍ يغفر لهما؟ فقال مجاهد: أما سمعته يقول: ﴿**لو أنفقت ما في الأرض جميعًا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم**﴾؟ فقال الوليد لمجاهد: أنت أعلم مني.

وكذا روى طلحة بن مصرف، عن مجاهد.

وقال ابن عون، عن عمير بن إسحاق قال: كنا نُحدّث: أول ما يرفع من الناس - أو قال: عن الناس - الألفة.

وقال الحافظ أبوالقاسم سليمان بن أحمد الطبراني(٢١١) - رحمه الله - حدثنا الحسين بن إسحاق التستري، حدثنا عبيد[٢] الله بن عمر القواريري، حدثنا سالم بن غيلان، سمعت جعدًا أبا عثمان، حدثني أبو عثمان النهدي، عن سلمان الفارسي أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: «**إن المسلم إذا لقي أخاه المسلم، فأخذ بيده، تَحَاتَّت عنهما ذنوبهما، كما يتَحات الورق عن الشجرة اليابسة في يوم ريح عاصف، وإلا غفر لهما ولو كانت ذنوبهما مثل زَبَد البحار[٣]**».

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ

(٢٠٨) - المستدرك (٢/٣٢٩) .

(٢٠٩) - رواه ابن جرير في تفسيره (١٤/٤٦) رقم (١٦٢٦٠).

(٢١٠) - تفسير ابن جرير (١٤/٤٦) (١٦٢٥٩) .

(٢١١) - المعجم الكبير (٦/٢٥٦) وفيه: «مثل زبد البحر» وقال الهيثمي في المجمع (٨/٣٧) : «رجاله رجال الصحيح غير سالم بن غيلان وهو ثقة».

[١] - في خ : «تحات» .

[٢] - في خ : «عبد» .

[٣] - في خ : «البحر» .

ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾

يحرض تعالى نبيه -صلوات الله وسلامه عليه- والمؤمنين على القتال ومناجزة الأعداء ومبارزة الأقران، ويخبرهم أنه حسبهم، أي: كافيهم وناصرهم ومؤيدهم على عدوهم، وإن كثرت أعدادهم وترادفت أمدادهم، ولو قل عدد المؤمنين.

قال ابن أبي حاتم(٢١٢): حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم، حدثنا عبيد الله بن موسى، أنبأنا سفيان، عن[١] شوذب، عن الشعبي في قوله: ﴿**يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين**﴾، قال: حسبك الله، وحسب من شهد معك.

قال: وروي عن عطاء الخراساني، وعبد الرحمن بن زيد مثله.

ولهذا قال: ﴿**يا أيها النبي حرّض المؤمنين على القتال**﴾، أي: حثهم وذمّر[٢] عليه؛ ولهذا كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يحرّض على القتال عند صفهم ومواجهة العدو، كما قال لأصحابه يوم بدر، حين أقبل المشركون في عَدَدِهم وعُدَدهم: «**قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض**». فقال عمير بن الحمام: عرضها السموات والأرض؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**نعم**». فقال: بَخ بَخ، فقال: ما يحملك على قولك «**بخ بخ؟**» قال: رجاء أن أكون من أهلها! قال: «**فإنك من أهلها**». فتقدم الرجل فكسر جفن سيفه، وأخرج ثمرات فجعل يأكل منهن، ثم ألقى بقيّتهن من يده، وقال: لئن أنا حيِيتُ حتى آكلهنّ إنها لحياة طويلة! ثم تقدم فقاتل حتى قتل، رضي الله عنه(٢١٣).

وقد رُوي عن سعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير؛ أن هذه الآية نزلت حين أسلم عمر

(٢١٢) - تفسير ابن أبي حاتم (٩١٣٤/٥).
(٢١٣) - رواه مسلم في صحيحه برقم (١٩٠١) من حديث أنس، رضي الله عنه.

[١] - بعدها في خ: «ابن». [٢] - سقط من: خ.

ابن الخطاب، وكمل به الأربعون.

وفي هذا نظر؛ لأن هذه الآية مدنية، وإسلام عمر كان بمكة بعد الهجرة إلى أرض الحبشة وقبل الهجرة إلى المدينة، والله أعلم.

ثم قال تعالى مُبَشِّرًا للمؤمنين وآمرًا: ﴿**إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفًا من الذين كفروا**﴾، كل واحد بعشرة[١]. ثم نسخ هذا الأمر وبقيت البشارة.

قال عبد الله بن المبارك، حدثنا جرير بن حازم، حدثني الزبير بن الخِرِّيت[٢]، عن عكرمة، عن ابن عباس؛ قال: لما نزلت: ﴿**إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين**﴾، شق ذلك على المسلمين حين فرض الله عليهم أن لا يفر واحد من عشرة، ثم جاء التخفيف، فقال: ﴿**الآن خفف الله عنكم ...**﴾ إلى قوله: ﴿**يغلبوا مائتين**﴾، قال: خفف الله عنهم من العدة، ونقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم.

وروى البخاري من حديث ابن المبارك نحوه(٢١٤).

وقال سعيد بن منصور: حدثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس في هذه الآية قال: كتب عليهم أن لا يفر عشرون من مائتين، ثم خفف الله عنهم، فقال: ﴿**الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفًا**﴾، فلا ينبغي لمائة أن يفروا من مائتين.

وروى البخاري(٢١٥)، عن علي بن عبد الله، عن سفيان، به نحوه[٣].

وقال محمد بن إسحاق: حدثني ابن أبي نجيح، عن عطاء، عن ابن عباس، قال: لما نزلت هذه الآية ثقلت على المسلمين، وأعظموا أن يقاتل عشرون مائتين، ومائة ألفًا، فخفف الله عنهم، فنسخها بالآية الأخرى فقال: ﴿**الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفًا**... ﴾ الآية، فكانوا إذا كانوا على الشطر من عدو لهم لم ينبغ لهم أن يفروا من عدوهم، وإذا كانوا دون ذلك، لم يجب عليهم قتالهم، وجاز لهم أن يتحوزوا[٤] عنهم.

وروى علي بن أبي طلحة والعوفي، عن ابن عباس نحو ذلك. قال ابن أبي حاتم: وروي عن مجاهد، وعطاء، وعكرمة، والحسن، وزيد بن أسلم، وعطاء الخراساني، والضحاك نحو

(٢١٤) - صحيح البخاري برقم (٤٦٥٣).
(٢١٥) - صحيح البخاري برقم (٤٦٥٢).

---

[١] - في خ: «لعشرة».
[٢] - في خ: «الحارث».
[٣] - في ز: «ونحوه».
[٤] - في خ: «يتجوزوا».

ذلك .

وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه ، من حديث المسيب بن شريك ، عن ابن عون ، عن نافع ، عن ابن عمر -رضي الله عنهما- : ﴿**إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين**﴾ قال : نزلت فينا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .

وروى الحاكم في مستدركه(٢١٦) ، من حديث أبي عمرو بن العلاء ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قرأ : ﴿**الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفًا**﴾ ، رفع . ثم قال : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » .

مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾

قال الإمام أحمد(٢١٧) : حدثنا علي بن عاصم ، عن حميد ، عن أنس -رضي الله عنه- قال : استشار رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الناس في الأسارى يوم بدر ، فقال : إن الله قد أمكنكم منهم . فقام عمر بن الخطاب، فقال : يا رسول الله ؛ اضرب أعناقهم . فأعرض عنه النبي ، صلى الله عليه وسلم، ثم عاد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : « **يا أيها الناس، إن الله قد أمكنكم منهم، وإنما هم إخوانكم بالأمس** » فقام عمر فقال: يا رسول الله ؛ اضرب أعناقهم . فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم، ثم عاد النبي صلى الله عليه وسلم فقال للناس مثل ذلك ، فقام أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- فقال : يا رسول الله ، نرى أن تعفو عنهم ، وأن تقبل منهم الفداء . قال : فذهب عن وجه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ما كان فيه من الغم ، فعفا عنهم ، وقبل منهم الفداء . قال : وأنزل الله -عز وجل- : ﴿**لولا كتاب من الله سبق**﴾ ... الآية .

وقد سبق في أول السورة حديث ابن عباس في صحيح مسلم بنحو ذلك .

وقال الأعمش(٢١٨) ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ؛ قال : لما كان

(٢١٦) - المستدرك (٢٣٩/٢) .

(٢١٧) - المسند (٢٤٣/٣) رقم (١٣٥٨١) .

(٢١٨) - المسند (٣٨٣/١) وسنن الترمذي برقم (٣٠٨٤) ، والمستدرك (٢١/٣) ، وقال الترمذي : « هذا حديث حسن وأبو عبيدة بن عبد الله لم يسمع من أبيه » .

يوم بدر قال رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم : ما تقولون في هؤلاء الأسارى ؟ . قال : فقال أبو بكر : يا رسول اللَّه ، قومك وأهلك ، استبقهم واستتبهم ، لعل اللَّه أن يتوب عليهم . قال : وقال عمر : يا رسول اللَّه ؛ أخرجوك ، وكذبوك ، فقدمهم فاضرب أعناقهم . قال : وقال عبد اللَّه بن رواحة : [يا رسول اللَّه][١] ، أنت في وادٍ كثير الحطب ، فأضرم الوادي عليهم نارًا ، ثم ألقهم فيه . [قال : فقال العباس : قطعت رحمك][٢] قال : فسكت رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، فلم يرد عليهم شيئًا ، ثم قام فدخل فقال ناس : يأخذ بقول أبي بكر . وقال ناس : يأخذ بقول عمر . وقال ناس : يأخذ بقول عبد اللَّه بن رواحة . ثم خرج عليهم رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، فقال : إن اللَّه ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن ، وإن اللَّه ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة ، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم - عليه السلام - قال : ﴿ **فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم** ﴾ ، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل عيسى - عليه السلام - قال : ﴿ **إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ ، وإن مثلك يا عمر مثل موسى - عليه السلام - قال : ﴿ **ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم** ﴾ ، وإن مثلك يا عمر كمثل نوح - عليه السلام - قال : ﴿ **رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارًا** ﴾ ، أنتم عالة فلا ينفلتن[٣] أحد منهم إلا بفداء أو ضربة عنق . قال ابن مسعود : قلت : يا رسول اللَّه ، إلا سهيل بن بيضاء ، فإنه يذكر الإسلام ، فسكت رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع عليّ حجارة من السماء مني في ذلك اليوم ، حتى قال رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم : إلا سهيل[٤] بن بيضاء . فأنزل اللَّه تعالى : ﴿ **ما كان لنبي أن يكون له أسرى** ﴾ ... إلى آخر الآية .

رواه الإمام أحمد والترمذي ، من حديث أبي معاوية ، عن الأعمش ، والحاكم في مستدركه ، وقال : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » .

وروى الحافظ أبوبكر بن مردويه ، عن عبد اللَّه بن عمر ، وأبي هريرة - رضي اللَّه عنهما - عن النبي ، صلى اللَّه عليه وسلم ، نحوه ، وفي الباب عن أبي أيوب الأنصاري .

وروى ابن مردويه أيضًا - واللفظ له - والحاكم في مستدركه (٢١٩) ، من حديث عبيد اللَّه ابن موسى : حدثنا إسرئيل ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد ، عن ابن عمر[٥] ؛ قال : لما

---

(٢١٩) - المستدرك (٢/٣٢٩) وقال الذهبي : « على شرط مسلم » .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في خ : « ينفكن » .
[٤] - في خ : « سهل » .
[٥] - بعده في خ : « عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

أسر الأسارى يوم بدر، أسر العباس فيمن أسر، أسره رجل من الأنصار، قال: وقد أوعدته الأنصار أن يقتلوه. فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إني لم أنم الليلة من أجل عمي العباس، وقد زعمت الأنصار أنهم قاتلوه**» فقال له عمر: أفآتيهم؟ قال: نعم. فأتى عمر الأنصار فقال لهم: أرسلوا العباس. فقالوا: لا، والله لا نرسله. فقال لهم عمر: فإن كان لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، رضا؟ قالوا: فإن كان لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، رضا فخذه. فأخذه عمر فلما صار في يده قال له: يا عباس، أسلم، فوالله لأن تسلم أحب إليَّ من أن يسلم الخطاب، وما ذاك إلا لما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه إسلامك، قال: فاستشار رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أبا بكر، فقال أبو بكر: عشيرتك. فأرسلهم، فاستشار عمر، فقال: اقتلهم. ففاداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله: ﴿**ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض**﴾ الآية.

قال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

وقال سفيان الثوري، عن هشام - هو ابن حسان - عن محمد بن سيرين، عن عبيدة، عن عليٍّ - رضي الله عنه - قال: جاء جبريل إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، يوم بدر فقال: خيِّر أصحابك في الأسارى: إن شاءوا الفداء، وإن شاءوا القتل على أن يقتل منهم مقبلًا مثلهم. قالوا: الفداء ويقتل منا.

رواه الترمذي، والنسائي، وابن حبان في صحيحه من حديث الثوري به(٢٢٠). وهذا حديث غريب جدًا.

وقال ابن عون، عن عبيدة، عن عليٍّ؛ قال(٢٢١): قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في أسارى يوم بدر: «**إن شئتم قتلتموهم، وإن شئتم فاديتموهم واستمتعتم بالفداء، واستشهد منكم بعدتهم**» قال: فكان آخر السبعين ثابت بن قيس، قتل يوم اليمامة، رضي الله عنه.

ومنهم من روى هذا الحديث عن عبيدة مرسلًا، فالله أعلم(٢٢٢).

---

(٢٢٠) - سنن الترمذي برقم (١٥٦٧) والنسائي في السنن الكبرى برقم (٨٦٦٢) وقال الترمذي: «هذا حديث غريب من حديث الثوري لا نعرفه إلا من حديث ابن أبي زائدة».

(٢٢١) - رواه الحاكم في المستدرك (١٤٠/٢) والبيهقي في دلائل النبوة (١٣٩/٣) من طريق إبراهيم بن عرعرة قال: أخبرنا أزهر، عن ابن عون، عن محمد، عن عبيدة، عن علي به، وقال ابن عرعرة: «رددت هذا على أزهر فأبى إلا أن يقول: عبيدة عن علي» وصححه الحاكم وقال: «على شرط الشيخين».

(٢٢٢) - رواه ابن جرير في تفسيره (٦٧/١٤) من طريق ابن علية عن ابن عون عن ابن سيرين عن عبيدة به مرسلًا.

وقال محمد بن إسحاق، عن ابن أبي نجيح، عن عطاء، عن ابن عباس: ﴿**ما كان لنبي أن يكون له أسرى**﴾، فقرأ حتى بلغ: ﴿**عذاب عظيم**﴾، قال: غنائم بدر قبل أن يحلها لهم، يقول: لولا أني لا أعذب من عصاني حتى أتقدم إليه، لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم.

وكذا روى ابن أبي نجيح، عن مجاهد.

وقال الأعمش: سَبَق منه أن لا يعذب أحدًا شهد بدرًا. وروي نحوه عن سعد بن أبي وقاص، وسعيد بن جبير، وعطاء.

وقال شعبة، عن أبي هاشم، عن مجاهد: ﴿**لولا كتاب من الله سبق**﴾، أي: لهم بالمغفرة. ونحوه عن سفيان الثوري -رحمه الله-.

وقال عليُّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿**لولا كتاب من الله سبق**﴾، يعني: في أم الكتاب الأول أن المغانم والأسارى حلال لكم، ﴿**لمسكم فيما أخذتم**﴾ من الأسارى ﴿**عذاب عظيم**﴾، قال الله تعالى: ﴿**فكلوا مما غنمتم ...**﴾ الآية. وكذا روى العوفي، عن ابن عباس. وروي مثله عن أبي هريرة، وابن مسعود، وسعيد بن جبير، وعطاء، والحسن البصري، وقتادة، والأعمش أيضًا؛ أن المراد ﴿**لولا كتاب من الله سبق**﴾ لهذه الأمة بإحلال الغنائم. وهو اختيار ابن جرير رحمه الله.

ويستشهد لهذا القول بما أخرجاه في الصحيحين[٢٢٣]، عن جابر بن عبد الله، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أعطيت خمسًا، لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس عامة**».

وقال الأعمش، عن أبي صالح؛ عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال[٢٢٤]: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لم تحل الغنائم لسود الرءوس غيرنا**».

ولهذا قال الله تعالى: ﴿**فكلوا مما غنمتم حلالًا طيبًا واتقوا الله إن الله غفور رحيم**﴾، فعند ذلك أخذوا من الأسارى الفداء.

---

(٢٢٣) - صحيح البخاري برقم (٣٣٥) وصحيح مسلم برقم (٥٢١).

(٢٢٤) - رواه الترمذي في السنن برقم (٣٠٨٥) من طريق معاوية بن عمرو عن زائدة، عن الأعمش به نحوه، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث الأعمش».

وقد روى الإمام أبو داود في سننه(٢٢٥) ؛ حدثنا عبد الرحمن بن المبارك العيشي[١]، حدثنا سفيان بن حبيب، حدثنا شعبة، عن أبي العنبس، عن أبي الشعثاء، عن ابن عباس؛ أن رسول اللّه، صلى اللّه عليه وسلم، جعل فداء أهل الجاهلية يوم بدر أربعمائة.

وقد استقر الحكم في الأسرى عند جمهور العلماء؛ أن الإمام مخير فيهم، إن شاء قتل - كما فعل ببني قريظة - وإن شاء فادى بمال - كما فعل بأسرى بدر - أو بمن أسر من المسلمين - كما فعل رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم في تلك الجارية وابنتها اللتين كانتا في سبي سلمة بن الأكوع، حيث ردهما وأخذ في مقابلتهما من المسلمين الذين كانوا عند المشركين، وإن شاء استرق من أسر. هذا مذهب الإمام الشافعي وطائفة من العلماء، وفي المسألة خلاف آخر بين الأئمة مقرر في موضعه من كتب الفقه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾

قال محمد بن إسحاق: حدثني العباس بن عبد اللّه بن معبد، عن بعض أهله، عن عبد اللّه ابن عباس - رضي اللّه عنهما - أن رسول اللّه، صلى اللّه عليه وسلم، قال يوم بدر: «**إني قد عرفت أن أناسًا من بني هاشم وغيرهم، قد أخرجوا كرهًا، لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحدًا منهم - أي: من بني هاشم فلا يقتله، ومن لقي أبا البختري بن هشام فلا يقتله، ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله، فإنه إنما أخرج مستكرها**» فقال أبو حذيفة بن عتبة: أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وعشائرنا ونترك العباس؟! واللّه لئن لقيته لألجمنه بالسيف! فبلغت رسول اللّه، صلى اللّه عليه وسلم، فقال لعمر بن الخطاب: «**يا أبا حفص**» - قال عمر: واللّه إنه لأول يوم كناني فيه رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم - «**أيضرب وجه عم رسول اللّه بالسيف؟**» فقال عمر: يا رسول اللّه؛ ائذن لي فأضرب عنقه، فواللّه لقد نافق. فكان أبو حذيفة يقول بعد ذلك: واللّه ما آمن من تلك الكلمة التي قلت، ولا أزال منها خائفًا، إلا أن يكفرها اللّه عني بشهادة. فقتل يوم اليمامة شهيدًا رضي اللّه عنه.

وبه، عن ابن عباس قال: لما أمسى رسول اللّه، صلى اللّه عليه وسلم، يوم بدر،

---

(٢٢٥) - سنن أبي داود برقم (٢٦٩١).

---

[١] - في خ: «العبسي».

والأسارى محبوسون بالوثاق، بات رسولُ اللَّه، صلى اللَّه عليه وسلم، ساهرًا أول الليل، فقال له أصحابه: يا رسول اللَّه، ما لك لا تنام؟ - وقد أسر العباسَ رجلٌ من الأنصار - فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: سمعت أنين عمي العباس في وثاقه فأطلقوه. فسكت فنام رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم.

قال محمد بن إسحاق: وكان أكثر الأسارى يوم بدر فداء العباس بن عبد المطلب، وذلك أنه كان رجلًا موسرًا» فافتدى نفسه بمائة أوقية ذهبًا.

وفي صحيح البخاري (٢٢٦)، من حديث موسى بن عقبة، قال ابن شهاب: حدثني أنس ابن مالك، أن رجالًا من الأنصار استأذنوا رسول اللَّه، صلى اللَّه عليه وسلم، فقالوا: ائذَنْ لنا فَلْنتْرُك لابن أختنا عباس فداءه. قال: « **لا، واللَّه لا تَذَرون منه درهمًا** ».

وقال يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، عن يزيد بن رُومان، عن عروة - وعن الزهري، عن جماعة سماهم قالوا: بعثت قريش إلى رسول اللَّه، صلى اللَّه عليه وسلم، في فداء أسراهم، ففدى كل قوم أسيرهم بما رضوا، وقال العباس: يا رسول اللَّه، قد كنت مسلمًا! فقال رسول اللَّه صلى اللَّه[١] عليه وسلم: « **اللَّه أعلم بإسلامك، فإن يكن كما تقول فإن اللَّه يجزيك، وأما ظاهرك فقد كان علينا، فافتد نفسك وابني أخيك: نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وعَقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب، وحليفك عتبة بن عمرو أخي بني الحارث ابن فهر** » قال: ما ذاك عندي يا رسول اللَّه! قال: فأين المال الذى دفنته أنت وأم الفضل؟ فقلت لها: إن أصبتُ في سفري هذا، فهذا المال الذي دفنته لبَني: الفضل، وعبد اللَّه، وقُثم؟ قال: واللَّه يا رسول اللَّه، إني لأعلم أنك رسول اللَّه، إن هذا لشيء ما علمه أحد غيري وغير أم الفضل، فاحسب لي يا رسول اللَّه؛ ما أصبتم مني: عشرين أوقية من مال كان معي؟ فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: « **لا، ذاك شيء أعطانا اللَّه تعالى منك. ففدى نفسه وابني أخويه وحليفه** »، وأنزل اللَّه - عز وجل - فيه: ﴿**يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم اللَّه في قلوبكم خيرًا يؤتكم خيرًا مما أخذ منكم ويغفر لكم واللَّه غفور رحيم**﴾، قال العباس: فأعطاني اللَّه مكان العشرين الأوقية في الإسلام عشرين عبدًا، كلهم في يده مال يضرب به، مع ما أرجو من مغفرة اللَّه، عز وجل.

وقد روى ابن إسحاق أيضًا، عن ابن أبي نَجيح، عن عطاء، عن ابن عباس في هذه الآية بنحو مما تقدم.

---

(٢٢٦) - صحيح البخاري برقم (٤٠٢٦).

---

[١] - سقط من: خ.

وقال أبو جعفر بن جرير(٢٢٧) : حدثنا ابن وكيع، حدثنا ابن إدريس [عن ابن إسحاق][١] عن ابن أبي نَجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس ؛ قال : قال العباس : فيّ نزلت : ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض﴾، فأخبرت النبي، صلى الله عليه وسلم، بإسلامي، وسألته يحاسبني بالعشرين الأوقية التي أخذ مني، فأبى، فأبدلني الله بها عشرين عبدًا، كلهم تاجر، مالي في يده.

وقال ابن إسحاق أيضًا(٢٢٨) : حدثني الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، عن جابر ابن عبد الله بن رئاب ؛ قال : كان العباس بن عبد المطلب يقول : فيّ نزلت - والله - حين ذكرت لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، إسلامي - ثم ذكرنحو الحديث كالذي قبله.

وقال ابن جُرَيج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس : ﴿يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى﴾ : عباس وأصحابه، قال : قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : آمنا بما جئت به، ونشهد أنك رسول الله، لننصحن لك على قومنا. فأنزل الله : ﴿إن يعلم الله في قلوبكم خيرًا يؤتكم خيرًا مما أخذ منكم﴾، إيمانًا وتصديقًا، يخلف لكم خيرًا مما أخذ منكم ﴿ويغفر لكم﴾ الشرك الذى كنتم عليه. قال : فكان العباس يقول : ما أحب أن هذه الآية لم تنزل فينا، وأن لي الدنيا، لقد قال : ﴿يؤتكم خيرًا مما أخذ منكم﴾، فقد أعطاني خيرًا مما أخذ مني مائة ضعف، وقال : ﴿ويغفر لكم﴾، وأرجو أن يكون غُفر لي.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في الآية : كان العباس أسر يوم بدر، فافتدى نفسه بأربعين أوقية من ذهب، فقال العباس حين قرئت هذه الآية : لقد أعطانا الله عز وجل خَصلتين، ما أحب أن لي بهما الدنيا، إني أسرت يوم بدر فَفَدَيت نفسي بأربعين أوقية، فآتاني أربعين عبدًا، وأنا أرجو المغفرة التي وعدنا الله جل ثناؤه.

وقال قتادة في تفسير هذه الآية : ذُكر لنا أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لما قدم عليه مال البحرين ثمانون ألفًا، وقد توضأ لصلاة الظهر، فما أعطى يومئذ ساكتًا ولا حرم سائلًا، وما صلى يومئذ حتى فرقه، فأمر العباس أن[٢] يأخذ منه ويحتثي فأخذ. قال : فكان العباس يقول : هذا خير مما أخذ منا، وأرجو المغفرة.

وقال يعقوب بن سفيان(٢٢٩) : حدثنا عمرو بن عاصم، حدثنا سليمان بن المغيرة، عن

---

(٢٢٧) - تفسير الطبري (١٤/٧٣) رقم (١٦٣٢١).

(٢٢٨) - تفسير الطبري (١٤/٧٣) رقم (١٦٣٢٢).

(٢٢٩) - ورواه الحاكم في المستدرك (٣/٣٢٩) من طريق هاشم بن القاسم عن سليمان بن المغيرة به نحوه، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ».

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ. [٢] - سقط من : خ.

حميد بن هلال ؛ قال : بعث ابن الحضرمي إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من البحرين ثمانين ألفًا ، ما أتاه مال أكثر منه لا قَبلُ ولا بَعدُ. قال[١] : فنثرت على حصير ونُودي بالصلاة . قال : وجاء رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فمثل قائمًا على المال ، وجاء أهل المسجد فما كان يومئذ عَدَدٌ ولا وَزْنٌ ، ما كان إلا قَبْضًا ، وجاء العباس بن عبد المطلب يحثي في خميصة عليه ، وذهب يقوم فلم يستطع ، قال : فرفع رأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، ارفع[٢] علي . قال : فتبسم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حتى خرج ضاحكه - أو : نابه - وقال له : « **أعدْ من[٣] المال طائفة ، وقم بما تطيق** ». قال : ففعل ، وجعل العباس يقول - وهو منطلق - : أمّا إحدى اللتين وعدنا الله فقد أنجزنا ، وما ندري ما يصنع في الأخرى : ﴿**يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسارى**﴾ ... الآية ، ثم قال : هذا خير مما أخذ منا ، ولا أدري ما يصنع الله في الأخرى ، فما زال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ماثلًا على ذلك المال ، حتى ما بقي منه درهم ، وما بعث إلى أهله بدرهم ، ثم أتى الصلاة فصلَّى .

حديث آخر في ذلك ، قال الحافظ أبو بكر البيهقي(٢٣٠) : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرني أبوالطيب محمد بن محمد بن عبد الله الشعيري[٤] ، حدثنا مَحْمش بن عصام ، حدثنا حفص بن عبدالله ، حدثنا إبراهيم بن طهمان ، عن عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس ابن مالك ؛ قال : أُتي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بمال من البحرين ، فقال : انثروه في المسجد قال : وكان أكثر مال أتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج إلى الصلاة ولم يلتفت إليه ، فلما قضي الصلاة جاء فجلس إليه ، فما كان يرى أحدًا إلا أعطاه ، إذ جاء العباس فقال : يا رسول الله ؛ أعطني فإني[٥] فاديت نفسي ، وفاديت عَقيلًا ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **خذ** ». فحثا في ثوبه، ثم ذهب يُقلّه فلم يستطع ، فقال : مُرْ بعضهم يرفعه إليّ . قال : « **لا** » . قال: فارفعه أنت عليّ . قال : « **لا** » . فنثر منه ثم احتمله على كاهله، ثم انطلق ، فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبعه بصره حتى خَفِيَ عنه ، عَجَبًا من حِرصْه ، فما قام رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وثَمَّ منها درهم .

وقد رواه البخاري في مواضع من صحيحه تعليقًا بصيغة الجزم(٢٣١) ، يقول : « وقال إبراهيم بن طهمان » ويسوقه وفي بعض السياقات أتم من هذا .

---

(٢٣٠) - السنن الكبرى (٦/٣٥٦) .

(٢٣١) - صحيح البخاري برقم (٤٢١،٣٠٤٩،٣١٦٥) .

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في خ : « في » .

[٤] - في خ ، ت : « السعيدي »

[٥] - سقط من : خ .

وقوله: ﴿وإن يريدوا خيانتك﴾، أي: فيما أظهروا لك من الأقوال، ﴿فقد خانوا الله من قبل﴾، أي: من قبل بدر بالكفر به، ﴿فأمكن منهم﴾، أي: بالإسار[١] يوم بدر، ﴿والله عليم حكيم﴾، أي: عليم بما يفعله، حكيم فيه.

قال قتادة: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح الكاتب حين ارتد، ولحق بالمشركين.

وقال ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس: نزلت في عباس وأصحابه، حين قالوا: «لننصحن لك على قومنا».

وفسرها السدي على العموم، وهو أشمل وأظهر، والله أعلم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾﴾

ذكر تعالى أصناف المؤمنين، وقسمهم إلى مهاجرين: خرجوا من ديارهم وأموالهم، وجاءوا لنصر الله ورسوله، وإقامة دينه، وبذلوا أموالهم وأنفسهم في ذلك. وإلى أنصار، وهم: المسلمون من أهل المدينة إذ ذاك، آووا إخوانهم المهاجرين في منازلهم، وواسوهم في أموالهم، ونصروا الله ورسوله بالقتال معهم، فهؤلاء بعضهم [أولياء بعض][٢]، أي: كل منهم أحق بالآخر من كل أحد. ولهذا آخى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بين المهاجرين والأنصار، كل اثنين أخوان، فكانوا يتوارثون بذلك إرثًا مقدمًا على القرابة، حتى نسخ الله تعالى ذلك بالمواريث، ثبت ذلك في صحيح البخاري(٢٣٢)، عن ابن عباس.

ورواه العَوْفي، وعليُّ بن أبي طلحة، عنه(٢٣٣).

وقال به مجاهد، وعكرمة، والحسن، وقتادة وغيرهم.

(٢٣٢) - صحيح البخاري، كتاب الفرائض، باب: ذوات الأرحام برقم (٦٧٤٧).

(٢٣٣) - رواه ابن جرير في تفسيره (١٤/٧٨، ٧٩) رقم (١٦٣٣١، ١٦٣٣٢).

[١] - في خ: «بالأسارى».

[٢] - في خ: «أولى ببعض».

قال الإمام أحمد(٢٣٤) : حدثنا وكيع، عن شريك، عن عاصم، عن أبي وائل، عن جرير - هو ابن عبد الله البجلي رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**المهاجرون والأنصار [أولياء بعضهم لبعض]**[١]**، والطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف بعضهم أولياء بعض إلى يوم القيامة**. تفرد به أحمد.

وقال الحافظ أبو يعلى(٢٣٥) : حدثنا شيبان، حدثنا عكرمة - يعني ابن إبراهيم الأزدي، حدثنا عاصم، عن شقيق، عن ابن مسعود؛ قال: سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: «**المهاجرون والأنصار، والطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف، بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة**». هكذا رواه في مسند عبد الله بن مسعود.

وقد أثنى الله ورسوله على المهاجرين والأنصار في غير ما آية في كتابه، فقال: ﴿**والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار ...**﴾ الآية، وقال: ﴿**لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة ...**﴾ الآية. وقال تعالى: ﴿**للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضوانًا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون * والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ...**﴾ الآية.

وأحسن ما قيل في قوله: ﴿**ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا**﴾، أي: لا يحسدونهم على فضل ما أعطاهم الله على هجرتهم، فإن ظاهر الآيات تقديم المهاجرين على الأنصار، وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء، لا يختلفون في ذلك؛ ولهذا قال الإمام أبو بكر أحمد[٢] بن عمرو بن عبد الخالق البزار في مسنده(٢٣٦)، حدثنا محمد بن معمر، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا[٣] حماد بن سلمة، عن عليٍّ بن زيد، عن سعيد بن المسيب، عن حذيفة قال: «**خيّرني رسولُ الله، صلى الله عليه وسلم، بين الهجرة والنصرة، فاخترت الهجرة**».

ثم قال: لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

---

(٢٣٤) - المسند (٣٦٣/٤) (١٧٢٦٩) والطبراني في الكبير (٢/ ٣١٤، ح ٢٣١١)، (٢/ ٣١٦/ح ٢٣١٤).
(٢٣٥) - مسند أبي يعلى (٤٤٦/٨) وفيه عكرمة بن إبراهيم، ضعيف.
(٢٣٦) - مسند البزار - رقم (٢٧١٨) «كشف الأستار» وفيه علي بن زيد، ضعيف.

---

[١] - في خ: «بعضهم أولياء بعض». [٢] - سقط من: خ.
[٣] - في خ: «ابن».

وقوله: ﴿**والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم**﴾، [قرأ حمزة: ولايتهم بالكسر، والباقون بالفتح، وهما واحد كالدِّلالة والدَّلالة][١] ﴿**من شيء حتى يهاجروا**﴾، هذا هو الصنف الثالث من المؤمنين، وهم الذين آمنوا ولم يهاجروا، بل أقاموا في بَوَاديهم، فهؤلاء ليس لهم في المغانم نَصِيبٌ، ولا في خُمسها إلّا ما حضروا فيه القتال، كما قال الإمام أحمد(٢٣٧) :

حدثنا وكيع، حدثنا سفيان، عن علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بُرَيدة عن أبيه: بُرَيدة ابن الحُصَيب الأسلمي -رضي الله عنه- قال: كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إذا بعث أميرًا على سرية أوجيش، أوصاه في[٢] خاصة نفسه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا، وقال: «**اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى[٣] ثلاث خصال - أو: خلال - فأيتهن ما أجابوك إليها فاقبل منهم، وكف عنهم: ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم. ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأعلمهم إن فعلوا ذلك أن لهم ما للمهاجرين، وأن عليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا واختاروا دارهم فأعلمهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الفيء والغنيمة نصيب، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فادعهم إلى إعطاء الجزية، فإن أجابوا فاقبل منهم وكف عنهم، فإن أبوا فاستعن بالله ثم قاتلهم**».

انفرد به مسلم، وعنده زيادات أخر.

وقوله: ﴿**وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير**﴾ .

يقول تعالى: وإن استنصروكم هؤلاء الأعراب، الذين لم يهاجروا في قتال ديني، على عدوّ لهم فانصروهم، فإنه واجب عليكم نصرهم، لأنهم إخوانكم في الدين، إلا أن يستنصروكم على القوم من الكفار ﴿**بينكم وبينهم ميثاق**﴾، أي: مهادنة إلى مدة، فلا تخفروا[٤] ذمتكم، ولا تنقضوا أيمانكم مع الذين عاهدتم. وهذا مروي عن ابن عباس رضي الله عنه.

---

(٢٣٧) - المسند (٣٥٢/٥) وصحيح مسلم برقم (١٧٣١) .

---

[١] - سقط من: خ .

[٢] - سقط من: خ .

[٣] - في خ: «باسم الله» .

[٤] - في خ: «تحقروا» .

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾

لما ذكر تعالىٰ أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض قطع الموالاة بينهم وبين الكفار ، كما قال الحاكم في مستدركه(٢٣٨) :

حدثنا محمد بن صالح بن هانئ ، حدثنا أبو سعيد يحيى بن منصور الهروي ، حدثنا محمد بن أبان ، حدثنا محمد بن يزيد ، وسفيان بن حسين ، عن الزهري ، عن علي بن الحسين ، عن عمرو بن عثمان ، عن أسامة ، عن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « **لا يتوارث أهل ملتين ، ولا يرث مسلم كافرًا ، ولا كافر مسلمًا ثم قرأ ﴿ والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ﴾** . ثم قال الحاكم : صحيح الإِسناد ولم يخرجاه .

قلت : الحديث في الصحيحين من رواية أسامة بن زيد قال(٢٣٩) : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لا يرث المسلم الكافر ، ولا الكافر المسلم** ».

وفي المسند والسنن من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال (٢٤٠): قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لا يتوارث أهل ملتين شتى** » . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقال أبو جعفر بن جرير(٢٤١) : حدثنا محمد [عن محمد بن ثور][١] عن معمر ، عن الزهري أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أخذ علىٰ رجل دخل في الإِسلام فقال : « **تقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتحج البيت وتصوم رمضان ، وأنك لا ترىٰ نار مشرك إلا وأنت له حرب** » .

وهذا مرسل من هذا الوجه ، وقد روي متصلًا من وجه آخر عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه

(٢٣٨) - المستدرك (٢/٢٤٠) .

(٢٣٩) - صحيح البخاري برقم (٦٧٦٤) ، وصحيح مسلم برقم (١٦١٤) .

(٢٤٠) - المسند (٢/١٩٥) وسنن أبي داود برقم (٢٩١١) ولم أقع عليه في سنن الترمذي ، وإنما أشار إليه عند حديث أسامة بن زيد ، والله أعلم .

(٢٤١) - تفسير ابن جرير (١٤/٨٢) .

[١] - سقط من : خ .

عليه وسلم أنه قال : « **أنا بريء من كل مسلم بين ظهراني المشركين** » . ثم قال : « **لا يتراءىٰ ناراهما** »(٢٤٢).

وقال أبو داود في آخر كتاب الجهاد(٢٤٣) : حدثنا محمد بن داود بن سفيان ، أخبرني يحيى بن حسان[١] ، أنبأنا سليمان بن موسى أبو داود ، حدثنا جعفر بن سعد بن سمرة [ابن جندب ، حدثني خبيب بن سليمان عن أبيه سليمان بن سمرة][٢] عن سمرة بن جندب : أما بعد ، قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله** » .

وذكر الحافظ أبو بكر بن مردويه من حديث حاتم بن إسماعيل ، عن عبد الله بن هرمز ، عن محمد وسعيد ابني عبيد ، عن أبي حاتم المزني ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه ، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**[٣] » . [قالوا : يا رسول الله ؛ وإن كان ...؟ . قال : « **إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه** » . ثلاث مرات .

أخرجه أبو داود والترمذي من حديث حاتم بن إسماعيل به بنحوه(٢٤٤) .

ثم روي من حديث عبد الحميد بن سليمان ، عن ابن عجلان ، عن ابن وثيمة النصري ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال(٢٤٥) : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض** »][٤] .

ومعنىٰ قوله : ﴿ **إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير** ﴾ أي : إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين وإلا وقعت فتنة في الناس وهو التباس الأمر واختلاط المؤمنين

(٢٤٢) – رواه أبو داود في السنن برقم (٢٦٤٥) والترمذي في السنن برقم (١٦٠٤) والنسائي في السنن (٨/ ٣٦) من حديث جرير بن عبد الله ، رضي الله عنه .

(٢٤٣) – سنن أبي داود برقم (٢٧٨٧) .

(٢٤٤) – رواه أبو داود في المراسيل برقم (٢٢٤) والترمذي في السنن برقم (١٠٨٥) .

(٢٤٥) – ورواه الترمذي في السنن برقم (١٠٨٤) من طريق عبد الحميد بن سليمان به ، وقال : « حديث أبي هريرة قد خولف عبد الحميد بن سليمان في هذا الحديث ، ورواه الليث بن سعد عن ابن عجلان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلًا ثم قال : وحديث الليث أشبه ، ولم يعد حديث عبد الحميد محفوظًا » .

[١] – في خ : « حبان » .
[٢] – سقط من : خ .
[٣] – في خ : « كبير » .
[٤] – زيادة من : خ .

بالكافرين فيقع بين الناس فساد منتشر عريض طويل .

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٧٤) وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧٥)﴾

لما ذكر تعالىٰ حكم المؤمنين في الدنيا عطف بذكر ما لهم في الآخرة ، فأخبر عنهم بحقيقة الإيمان كما تقدم في أول السورة ، وأنه سبحانه سيجازيهم بالمغفرة والصفح عن الذنوب إن كانت ، وبالرزق الكريم وهو الحسن الكثير الطيب الشريف دائم مستمر أبدًا لا ينقطع ولا ينقضي ولا يسأم ولا يمل لحسنه وتنوعه .

ثم ذكر أن الأتباع لهم في الدنيا علىٰ ما كانوا عليه من الإيمان والعمل الصالح فهم معهم في الآخرة ، كما قال : ﴿ **والسابقون الأولون ...**﴾ الآية ، وقال : ﴿ **والذين جاءوا من بعدهم** ﴾ الآية . وفي الحديث المتفق عليه بل المتواتر من طرق صحيحة عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « **المرء مع من أحب** » . وفي الحديث الآخر : « **من أحب قومًا فهو منهم** » . وفي رواية][١] : « **حشر معهم** »(٢٤٦) .

وقال الإمام أحمد(٢٤٧) : حدثنا وكيع ، عن شريك ، عن عاصم ، عن أبي وائل ، عن جرير ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **المهاجرون والأنصار أولياء بعضهم لبعض ، والطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف بعضهم أولياء بعض إلىٰ يوم القيامة** » قال شريك : فحدثنا الأعمش ، عن تميم بن سلمة ، عن عبد الرحمن بن هلال ، عن جرير ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم مثله .

---

(٢٤٦) - جاء من حديث أبي قرصافة وجابر ، أما حديث جابر فرواه الطبراني في المعجم الكبير (١٩/٣) من طريق زياد عن عزة بنت عياض عن أبي قرصافة مرفوعًا بلفظ : « من أحب قومًا حشره الله في زمرتهم » ، وفي إسناده من لا يعرف . رواه الخطيب في تاريخه (١٩٦/٥) من طريق إسماعيل بن يحيى عن سفيان عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر مرفوعًا بلفظ : « من أحب قومًا على أعمالهم . حشر يوم القيامة في زمرتهم ، فحوسب بحسابهم وإن لم يعمل أعمالهم » وإسماعيل بن يحيى ، ضعيف .

(٢٤٧) - المسند (٣٤٣/٤) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

تفرد به أحمد من هذين الوجهين .

وأما قوله تعالىٰ : ﴿ **وأولوا الأرحام بعضهم أولىٰ ببعض في كتاب اللّٰه** ﴾ أي : في حكم اللّٰه وليس المراد بقوله ﴿ **وأولوا الأرحام** ﴾ خصوصية ما يطلقه علماء الفرائض علىٰ القرابة الذين لا فرض لهم ولاهم[١] عصبة ، بل يدلون بوارث كالخالة والخال والعمة وأولاد البنات وأولاد الأخوات ونحوهم - كما قد يزعمه بعضهم ويحتج بالآية ، ويعتقد ذلك صريحًا في المسألة ، بل الحق أن الآية عامة تشمل جميع القرابات ، كما نص عليه ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن وقتادة وغير واحد علىٰ أنها ناسخة للإِرث بالحلف والإِخاء اللذين كانوا يتوارثون بهما أولًا ، وعلىٰ هذا فتشمل ذوي الأرحام بالاسم الخاص ، ومن لم يورثهم يحتج بأدلةٍ ، من أقواها حديث : « **إن اللّٰه قد أعطىٰ كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث** » . قالوا : فلو كان له حق لكان ذا فرض في كتاب اللّٰه مسمىٰ ، فلما لم يكن كذلك لم يكن وارثًا ، واللّٰه أعلم .

آخر تفسير سورة الأنفال وللّٰه الحمد والمنة

وعليه التكلان وهو حسبنا ونعم الوكيل .

---

[١] - سقط من : خ .

تفسير سورة التوبة[١] وهي مدنية

﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢ ﴾

هذه السورة الكريمة من أواخر ما نزل على رسول الله ﷺ ، كما قال البخاري : حدثنا أبو[٢] الوليد ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ؛ قال : سمعت البراء يقول : آخر آية نزلت ﴿ **يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة** ﴾ ، وآخر سورة نزلت براءة (١) .

وإنما لا يبسمل في أولها لأن الصحابة لم يكتبوا البسملة في أولها في المصحف الإمام ، [بل اقتدوا][٣] في ذلك بأمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه كما قال الترمذي(٢) : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا يحيى بن سعيد ، ومحمد بن[٤] جعفر ، وابن أبي عدي ، وسهل بن يوسف ؛ قالوا : حدثنا عوف بن أبي جميلة ، أخبرني يزيد الفارسي ، أخبرني ابن عباس ؛ قال : قلت لعثمان بن عفان : ما حملكم أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني ، وإلى براءة وهي من المئين[٥] ، وقرنتم[٦] بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر[٧] بسم

---

(١) - رواه البخاري في التفسير برقم (٤٦٥٤) وطرفه (٤٣٦٤) . ورواه مسلم في الفرائض حديث ١١ ، ١٢ - (١٦١٨) ، وابن أبي شيبة ، والنسائي (٢٣٢ التفسير) ، وابن الضريس (١٩ ، ٢٠) ، وابن المنذر ، والنحاس في ناسخه ص (٤٨٤) ، وأبو الشيخ ، وابن مردويه (الدر المنثور ٣٧٥/٣) .

(٢) - **ضعيف** ، يزيد الفارسي هذا اختلفوا فيه ، أهو يزيد بن هرمز أم غيره ؟ قال البخاري في التاريخ الكبير (٣٦٧/٨) : قال لي علي : قال عبد الرحمن : يزيد الفارسي هو ابن هرمز . قال : فذكرته ليحيى فلم يعرفه . قال : وكان يكون مع الأمراء ، وذكر البخاري ذلك أيضًا في كتابه الضعفاء ص (١٢٢) . وقال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢٩٣/٩) : قال أبو محمد : اختلفوا في يزيد بن هرمز أنه يزيد الفارسي أم لا ؟ فقال عبد الرحمن بن مهدي وأحمد : يزيد الفارسي هو يزيد بن هرمز ، وأنكر يحيى بن سعيد أن يكونا واحدًا ، وسمعت أبي يقول : يزيد بن هرمز هذا ليس بيزيد الفارسي ، هو سواه . وقال الترمذي عقب روايته للحديث : ويزيد الفارسي قد روى عن ابن عباس غير حديث ويقال : هو ابن هرمز ، ويزيد الرقاشي هو يزيد بن أبان الرقاشي ولم يدرك ابن عباس ، إنما يروي عن أنس بن مالك ، وكلاهما من أهل البصرة ، ويزيد الفارسي أقدم من يزيد الرقاشي . وقال أحمد شاكر في تعليقه على المسند : في إسناده نظر كثير ،=

---

[١] - في ز : « براءة » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « والاقتداء » .
[٤] - بعده في ز ، خ : « أبي » .
[٥] - في ز : « المبين » .
[٦] - في ز : « ففرقتم » .

اللَّه الرحمن الرحيم ، ووضعتموها في السبع الطول ، ما حملكم علىٰ ذلك ؟ فقال عثمان : كان رسول اللَّه ﷺ مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول : « **ضعوا هذه الآيات في السورة[١] التي يذكر فيها كذا وكذا** » . فإذا نزلت عليه الآية فيقول : « **ضعوا هذه الآية في السورة[٢] التي يذكر فيها كذا وكذا** » . وكانت الأنفال من أول ما نزل[٣] بالمدينة ، وكانت براءة من آخر [ما نزل من][٤] القرآن ، وكانت قصتها شبيهة بقصتها ، وحسبت أنها منها ، وقبض رسول اللَّه ﷺ ولم يبين لنا أنها منها ، فمن أجل ذلك قرنت[٥] بينهما ولم أكتب بينهما سطر[٦] بسم اللَّه الرحمن الرحيم ، ووضعتها[٧] في السبع الطول .

وكذا رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم في مستدركه ، من طرق أخر عن عوف الأعرابي به . وقال الحاكم : صحيح الإِسناد ولم يخرجاه .

وأول هذه السورة الكريمة نزل علىٰ رسول اللَّه ﷺ لما رجع من غزوة تبوك وهم بالحج ، ثم ذكر أن المشركين يحضرون عامهم هذا الموسم علىٰ عادتهم في ذلك ، وأنهم يطوفون بالبيت عراة ، فكره مخالطتهم ، وبعث أبا بكر الصديق رضي اللَّه عنه أميرًا علىٰ الحج هذه السنة ، ليقيم للناس مناسكهم ، ويعلم المشركين أن لا يحجوا بعد عامهم هذا ، وأن ينادي في الناس ببراءة ، فلما قفل أتبعه بعلي بن أبي طالب ليكون مبلغًا عن رسول اللَّه ﷺ لكونه عصبة له ، كما سيأتي بيانه .

فقوله تعالىٰ : ﴿ **براءة من اللَّه ورسوله** ﴾ أي : هذه براءة أي : تبرؤ من اللَّه ورسوله

= بل هو عندي ضعيف جدًّا ، بل هو حديث لا أصل له . وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (١٦٨) وضعيف الترمذي (٥٩٩) .

والحديث رواه الترمذي في التفسير برقم (٣٠٨٦) ، وقال : حسن ، وفي بعض النسخ : حسن صحيح . وأحمد في المسند حديث ٣٩٩ ، ٤٩٩ - (٥٧/١ ، ٦٩) ، وأبو داود في الصلاة ، باب : الجهر بها - يعني : البسملة - برقم (٧٨٦) ، والنسائي في السنن الكبرى برقم (٨٠٠٧) ، وابن حبان (٤٣) ، والحاكم في المستدرك (٢٢١/٢ ، ٣٣٠) ، والبيهقي في سننه (٤٢/٢) . وزاد السيوطي نسبته إلى ابن أبي شيبة ، وابن أبي داود في المصاحف ، والنحاس في ناسخه ص (٤٧٧ - ٤٧٨) ، وابن مردويه ، والبيهقي في الدلائل ، وابن المنذر .

[١] - في ز : « سطرا » .
[٢] - في خ : « السور » .
[٣] - في خ : « السور » .
[٤] - في ز : « نزلت » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٦] - في ز : « قربت » .
[٧] - في : « سطرا » .
[٨] - في ز : « فوضعتها » .

﴿ إلىٰ الذين عاهدتم من المشركين * فسيحوا في الأرض أربعة أشهر ﴾ .

اختلف المفسرون هاهنا اختلافًا كثيرًا ؛ فقال قائلون : هذه الآية لذوي العهود المطلقة غير المؤقتة ، أو من له عهد دون أربعة أشهر ، فيكمل له أربعة أشهر ، فأما من كان له عهد مؤقت فأجله إلىٰ مدته مهما كان ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿ **فأتموا إليهم عهدهم إلىٰ مدتهم إن اللَّه يحب المتقين** ﴾ ، ولما سيأتي في الحديث ، ومن كان بينه وبين رسول اللَّه ﷺ عهد فعهده إلىٰ مدته ، وهذا أحسن الأقوال وأقواها ، وقد اختاره ابن جرير رحمه اللَّه ، ورُوي عن الكلبي ومحمد بن كعب القرظي وغير واحد .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله : ﴿ **براءة من اللَّه ورسوله إلىٰ الذين عاهدتم من المشركين * فسيحوا في الأرض أربعة أشهر** ﴾ الآية[١] ، قال : حدَّ اللَّه للذين عاهدوا رسوله أربعة أشهر يسيحون في الأرض حيثما[٢] شاءوا ، وأجَّل أجَل من ليس له عهد انسلاخ الأشهر الحرم [ ][٣] [من يوم النحر إلىٰ انسلاخ المحرم][٤] ، فذلك خمسون ليلة(٣) .

[وقال الضحاك][٥] : فأمر الله نبيه إذا انسلخ المحرم أن يضع السيف فيمن لم يكن بينه وبينه عهد يقتلهم حتىٰ يدخلوا في الإسلام ، وأمر بمن كان له عهد إذا انسلخ أربعة أشهر من يوم النحر إلىٰ عشر خلون من ربيع الآخر أن يضع فيهم السيف أيضًا حتىٰ يدخلوا في الإسلام (٤) .

وقال أبو معشر المدني(٥) : حدثنا محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا : بعث رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، أبا بكر أميرًا علىٰ الموسم سنة تسع ، وبعث علي بن أبي طالب بثلاثين آية أو أربعين آية من براءة فقرأها علىٰ الناس ، يؤجل المشركين أربعة أشهر يسيحون في الأرض ، فقرأها عليهم يوم عرفة أجل المشركين عشرين من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشرًا من ربيع الآخر ، وقرأها عليهم في منازلهم وقال : « **لا يحجن بعد عامنا هذا مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان** » .

---

(٣) - عزاه في الدر (٣/٣٨٠) لابن المنذر ، وابن أبي حاتم .
(٤) - تفسير الطبري (١٤/٩٨ - ٩٩) رقم ١٦٣٥٩ .
(٥) - تفسير الطبري (١٤/١٠٠) رقم ١٦٣٦٢ .

---

[١] - سقط من : ز . [٢] - في ت : حيث .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « أمره بأن يضع السيف فيمن لا عهد له ، وكذا رواه العوفي عن ابن عباس وقال بعد قوله » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز . [٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

وقال ابن أبي نجيح(٦) : عن مجاهد ﴿ **براءة من اللّٰه ورسوله** ﴾ إلىٰ أهل العهد خزاعة ومدلج ومن كان له عهد أو غيرهم ، أقبل[١] رسول اللّٰه ﷺ من تبوك حين فرغ ، فأراد رسول اللّٰه ﷺ الحج ثم قال : « **إنما يحضر المشركون فيطوفون عراة فلا أحب أن أحج حتىٰ لا يكون ذلك** » . فأرسل أبا بكر وعليًّا رضي اللّٰه عنهما فطافا بالناس في ذي المجاز وبأمكنتهم التي كانوا يتبايعون بها وبالمواسم كلها فآذنوا أصحاب العهد بأن يؤمَّنوا أربعة أشهر : فهي الأشهر المتواليات عشرون من ذي الحجة إلىٰ عشر يخلون من ربيع الآخر ثم لا عهد لهم وآذن الناس كلهم بالقتال إلا أن يؤمنوا .

وهكذا روي عن السدي وقتادة .

قال[٢] الزهري : كان ابتداء التأجيل من شوال وآخره سلخ المحرم .

وهذا القول غريب ، وكيف يحاسبون بمدة لم يبلغهم حكمها ! وإنما ظهر لهم أمرها يوم النحر حين نادىٰ أصحاب رسول اللّٰه ﷺ بذلك ، ولهذا قال تعالىٰ :

وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾

يقول تعالىٰ : وإعلام ﴿ **من اللّٰه ورسوله** ﴾ وتقدم ، وإنذار إلىٰ الناس ﴿ **يوم الحج الأكبر** ﴾ وهو [يوم النحر][٣] الذي هو أفضل أيام المناسك ، وأطهرها[٤] وأكثرها جمعًا ﴿ **أن اللّٰه بريء من المشركين ورسولهُ** ﴾ أي : بريء منهم أيضًا ، ثم دعاهم إلىٰ التوبة إليه فقال ﴿ **فإن تبتم** ﴾ أي : مما أنتم فيه من الشرك والضلال ﴿ **فهو خير لكم وإن توليتم** ﴾ أي : استمررتم علىٰ ما أنتم عليه ﴿ **فاعلموا أنكم غير معجزي اللّٰه** ﴾ بل هو قادر عليكم وأنتم في قبضته وتحت قهره ومشيئته ﴿ **وبشر الذين كفروا بعذاب أليم** ﴾ أي : في الدنيا بالخزي والنكال ، وفي الآخرة بالمقامع والأغلال .

قال البخاري(٧) - رحمه اللّٰه - : حدثنا عبد اللّٰه بن يوسف[٥] ، حدثنا الليث ، حدثني

---

(٦) - تفسير الطبري (١٤/١٠٠) رقم ١٦٣٦٤ .

(٧) - صحيح البخاري ، تفسير سورة براءة ، برقم (٤٦٥٥) .

[١] - في ز ، خ : « إقبال » .

[٢] - في ز : « وقال » .

[٣] - في ز : « اليوم » .

[٤] - في ز : « أطهرها » .

[٥] - في ز ، خ : « موسى » .

عقيل ، عن ابن شهاب قال : أخبرني حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال : بعثني أبو بكر - رضي اللَّه عنه - في تلك الحجة في المؤذنين الذين[١] بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنىٰ أن لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف[٢] بالبيت عريان . قال حميد : ثم أردف النبي ﷺ بعلي بن أبي طالب فأمره أن يؤذن ببراءة . قال أبو هريرة : فأذن معنا علي في أهل منىٰ يوم النحر ببراءة وأن[٣] لا يحج بعد هذا[٤] العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان .

ورواه البخاري أيضًا(٨) : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، عن الزهري ، أخبرني حميد ابن عبد الرحمن : أن أبا هريرة قال : بعثني أبو بكر فيمن يؤذن يوم النحر بمنىٰ : لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف[٥] بالبيت عريان . ويوم الحج الأكبر : يوم النحر ، وإنما قيل الأكبر من أجل قول الناس : الحج الأصغر ، فنبذ أبو بكر إلىٰ الناس في ذلك العام فلم يحج عام حجة الوداع الذي حج فيه رسول اللَّه ﷺ مشرك .

هذا[٦] لفظ البخاري في كتاب الجهاد .

وقال عبد الرزاق عن معمر(٩) ، عن الزهري ، عن ابن المسيب ، عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه في قوله : ﴿ **براءة من اللَّه ورسوله** ﴾ قال : لما كان النبي ﷺ زمن حنين اعتمر من الجعرانة ثم أمّر أبا بكر علىٰ تلك الحجة قال معمر : قال الزهري : وكان أبو هريرة يحدث أن أبا بكر أمر أبا هريرة أن يؤذن ببراءة في حجة أبي بكر . قال أبو هريرة : ثم أتبعنا النبي ﷺ عليًا وأَمَرَهُ أن يؤذن ببراءة ، وأبو بكر علىٰ الموسم كما هو أو قال : علىٰ[٧] هيئته .

وهذا السياق فيه غرابة من جهة أن أمير الحج كان سنة عمرة الجعرانة إنما هو عتاب بن أسيد ، فأما أبو بكر إنما كان أميرًا سنة تسع .

وقال الإمام[٨] أحمد(١٠) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن مغيرة ، عن

---

(٨) - رواه البخاري في كتاب الجهاد ، باب : كيف ينبذ إلى أهل العهد ، برقم (٣١٧٧) ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن مردويه .
(٩) - رواه عبد الرزاق ، وابن أبي حاتم ، وابن المنذر كما في الدر (٣٧٨/٣) .
(١٠) - المسند (٢٩٩/٢) .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز ، خ : « يطوفن » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : « يطوفن » .
[٦] - في ز : « ولهذا » .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - سقط من : ز .

الشعبي ، عن محرر[١] بن أبي هريرة ، عن أبيه ، قال : كنت مع علي بن أبي طالب حين بعثه رسول اللَّه ﷺ إلىٰ أهل مكة ببراءة . فقال : ما كنتم تنادون ؟ قال[٢] : كنا ننادي أنه[٣] لا يدخل الجنة إلا مؤمن ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين رسول اللَّه ﷺ عهد فإن أجله أو أمده إلىٰ أربعة أشهر ، فإذا مضت الأربعة الأشهر فإن اللَّه بريء من المشركين ورسولُهُ ، ولا يحج هذا البيت بعد العام مشرك ، قال : فكنت أنادي حتىٰ صحل صوتي .

وقال الشعبي : حدثني محرر[٤] بن أبي هريرة ، عن أبيه ، قال : كنت مع علي[٥] بن أبي طالب ، رضي اللَّه عنه حين بعثه رسول اللَّه ﷺ ينادي ، فكان إذا صحل ناديت . فقلت[٦] : بأي شيء كنتم تنادون ؟ قال : بأربع ؛ لا يطوف[٧] بالكعبة عريان ، ومن كان له عهد مع رسول اللَّه ﷺ فعهده إلىٰ مدته ، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، ولا يحج بعد عامنا مشركٌ . رواه ابن جرير من غير ما وجه عن الشعبي(١١) .

ورواه شعبة عن مغيرة عن الشعبي به ، إلا أنه قال : ومن كان بينه وبين رسول اللَّه ﷺ عهد فعهده إلىٰ أربعة أشهر . وذكر تمام الحديث .

قال ابن جرير(١٢) : وأخشىٰ أن يكون وهمًا من بعض نقلته ؛ لأن الأخبار متظاهرة[٨] في الأجل بخلافه .

وقال الإمام أحمد(١٣) : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، عن سماك ، عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه ؛ أن رسول اللَّه ﷺ بعث ببراءة مع أبي بكر ، فلما بلغ ذا الحليفة قال : « **لا يبلغها إلا أنا أو رجل من أهل بيتي** » . فبعث بها مع علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه .

ورواه الترمذي في التفسير ، عن بندار ، عن عفان وعبد الصمد ، كلاهما عن حماد بن

(١١) - تفسير الطبري (١٠٣/١٤-١٠٥) رقم : (١٦٣٦٨ ، ١٦٣٦٩) .
(١٢) - تفسير الطبري (١٠٥/١٤) .
(١٣) - **إسناده حسن** ، وهو في المسند (٢٨٣/٣) حديث (١٤٠٥٧) ، و(٢١٢/٣) حديث (١٣٢٣٨) من حديث عفان وعبد الصمد به . ورواه الترمذي في كتاب التفسير ، باب : من سورة التوبة ، حديث ٣٠٩٠. وأبو يعلى حديث ٣٠٩٥ - (٤١٢/٥) .

[١] - في ز : « محرز » .
[٢] - في ز : « قالوا » .
[٣] - في ز : « أن » .
[٤] - في ز ، خ : « محرز » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « قلت » .
[٧] - في ز : « يطف » .
[٨] - في ز : « متضافرة » ، وفي خ : « قضافرة » . والمثبت موافق لما في التفسير .

سلمة به . ثم قال : حسن غريب من حديث أنس رضي الله عنه .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل (١٤) : حدثنا محمد بن سليمان[١] - لوين - حدثنا محمد بن جابر ، عن سماك ، عن حنش ، عن علي رضي الله عنه ؛ قال : لما نزلت عشر آيات من براءة على النبي ﷺ ، دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبا[٢] بكر ، فبعثه بها ليقرأها على أهل مكة ، ثم دعاني فقال : « **أدرك أبا بكر فحيثما لحقته فخذ الكتاب منه ، فاذهب إلى أهل مكة فاقرأه عليهم** » . فلحقته بالجحفة فأخذت الكتاب منه ، ورجع أبو بكر إلى النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله ؛ نزل فيَّ شيء ؟ فقال : « **لا ، ولكن جبريل جاءني فقال لن يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك** » . هذا إسناد فيه ضعف .

وليس المراد أن أبا بكر - رضي الله عنه - رجع من فوره ، بل[٣] بعد قضائه المناسك التي أمّره عليها رسول الله ﷺ ، كما جاء مبيَّنًا في الرواية الأخرى .

وقال عبد الله أيضًا(١٥) : حدثني أبو بكر ، حدثنا عمرو بن حماد ، عن أسباط بن نصر ، عن سماك ، عن حنش ، عن علي رضي الله عنه ؛ أن رسول الله ﷺ حين بعثه ببراءة ، قال : يا نبي الله ؛ إني لست باللسن ولا بالخطيب . قال : « **ما[٤] بد لي أن أذهب[٥] بها أنا أو تذهب[٦] بها أنت** » . قال : فإن كان ولابد فسأذهب أنا . قال : « **انطلق فإن الله يثبت لسانك ويهدي قلبك** » قال : ثم وضع يده على فيه .

وقال الإمام أحمد(١٦) : حدثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن زيد [بن يثيع][٧] - رجل من همدان - : سألنا عليًا : بأي شيء بعثت ؟ - يعني يوم بعثه النبي ﷺ مع أبي بكر في الحجة - قال : بعثت بأربع : لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان[٨] بينه وبين النبي ﷺ عهدٌ فعهده إلى مدته ، ولا يحج المشركون

(١٤) - زوائد المسند (١٥١/١) حديث (١٢٩٦) . والحديث في مجمع الزوائد (٢٩/٧) وقال : رواه عبد الله بن أحمد ، وفيه محمد بن جابر السحيمي وهو ضعيف وقد وثق .

(١٥) - زوائد المسند (١٥٠/١) حديث (١٢٨٦) وفي إسناده أسباط بن نصر ، سئل عنه أحمد كيف حديثه ؟ قال : ما أدري . وكأنه ضعفه . وضعفه أبو نعيم . وقال البخاري في الأوسط : صدوق . وذكره ابن حبان في الثقات . واختلفت الرواية فيه عن ابن معين بين تضعيف وتوثيق . وحنش بن المعتمر متكلم فيه أيضًا .

[١] - بعده في خ : « ثنا » .
[٢] - في ز : « أبو » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في م : « لا » .
[٥] - في ز : « يذهب » .
[٦] - في ز : « يذهب » .
[٧] - في ز ، خ : « بن أبي ثليع » .
[٨] - في ز : « كانت » .

والمسلمون بعد عامهم هذا .

ورواه الترمذي عن قلابة[١] ، عن سفيان بن عيينة ، به ، وقال : حسن صحيح . كذا قال . ورواه شعبة عن أبي إسحاق ، فقال عن زيد [بن أثيل][٢] ، وهم فيه . ورواه الثوري عن أبي إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن علي ، رضي اللّٰه عنه .

وقال ابن جرير(١٧) : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا أبو[٣] أسامة ، عن زكريا ، عن أبي إسحاق ، عن زيد بن يُثَيع ، عن علي قال : بعثني رسول اللّٰه ﷺ حين أنزلت براءة بأربع : أن لا يطوف بالبيت عريان ، ولا يقرب المسجدَ الحرام مشركٌ بعد عامهم هذا ، ومن كان[٤] بينه وبين رسول اللّٰه ﷺ عهدٌ فهو إلىٰ مدتهِ ، ولا يدخل الجنةَ إلا نفسٌ مؤمنة .

ثم رواه ابن جرير(١٨) - عن محمد بن عبد الأعلىٰ ، عن أبي[٥] ثور ، عن معمر ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن علي ؛ قال : أمرت بأربع ... فذكره .

وقال إسرائيل(١٩) عن أبي إسحاق ، عن زيد بن يُثَيع ؛ قال : نزلت براءة فبعث رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، أبا بكر ثم أرسل عليًا فأخذها منه[٦] ، فلما رجع أبو بكر قال : نزل فيَّ شيءٌ ؟ قال : « **لا ، ولكن أمرت أن أبلغها أنا أو رجل من أهل بيتي** » . فانطلق إلىٰ أهل مكة فقام فيهم بأربع : لا يدخل مكةَ مشركٌ بعد عامه هذا ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ولا يدخل الجنة إلا نفسٌ مسلمة ، ومن كان بينه وبين رسول اللّٰه ﷺ عهدٌ فعهده إلىٰ مدته [ ][٧] .

وقال محمد بن إسحاق(٢٠) ، عن حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف ، عن أبي جعفر

(١٦) - المسند (٧٩/١) حديث (٥٩٤) ، وسنن الترمذي برقم (٣٠٩٢) وزيد بن يثيع : ثقة ، ويقال في اسم أبيه : أثيع .

(١٧) - تفسير الطبري (١٠٦/١٤) رقم ١٦٣٧٣ .

(١٨) - تفسير الطبري (١٠٥/١٤) رقم ١٦٣٧١ . والحارث هو الأعور ضعيف جدًا .

(١٩) - رواه الطبري في تفسيره (١٠٦/١٤) رقم ١٦٣٧٢ من طريق إسرائيل به .

(٢٠) - السيرة لابن هشام (١٩٠/٤، ١٩١) ، وتفسير الطبري (١٠٧/١٤ ، ١٠٨) رقم ١٦٣٧٧ .

[١] - كذا في ز ، خ ، وجميع النسخ المطبوعة ، وهو تحريف ، والصواب : عن ثلاثة ، فإن الترمذي رواه عن علي بن خشرم ونصر بن علي ومحمد بن يحيى بن أبي عمر ، عن سفيان بن عيينة ، ولعل هذا هو مراد الحافظ إن شاء الله تعالى وبه التوفيق .

[٢] - في ز : « عن أسهل » ، في خ : « عن أشهل » وكلاهما خطأ ، والمثبت من سنن الترمذي [٢٧٧/٥] .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز : « كانت » .

[٥] - في ز ، خ : « ابن » .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

[٧] - في ز ، خ « هنا » .

محمد بن علي بن الحسين بن علي ؛ قال : لما نزلت براءة علىٰ رسول اللَّه ﷺ ، وقد كان بعث أبا بكر ليقيم الحج للناس ، فقيل : يا رسول اللَّه ؛ لو بعثت إلىٰ أبي بكر . فقال : « **لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي** » . ثم دعا عليًّا فقال : « **اخرج بهذه القصة من صدر براءة وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنىٰ أنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطف بالبيت عريان ، ومن كان له عهد عند رسول اللَّه ﷺ فهو له إلىٰ مدته** » . فخرج عليّ رضي اللَّه عنه علىٰ ناقة رسول اللَّه ﷺ العضباء ، حتىٰ أدرك أبا بكر في الطريق ، فلما رآه [أبو بكر قال][١] : أمير أو مأمور ؟ فقال[٢] : بل مأمور . ثم مضيا فأقام أبو بكر للناس الحج ، والعرب[٣] إذ ذاك في تلك السنة علىٰ منازلهم من الحج التي كانوا عليها في الجاهلية ، حتىٰ إذا كان يوم النحر قام عليّ بن أبي طالب ، فأذن في الناس بالذي أمره رسول اللَّه ﷺ فقال : يا أيها الناس ؛ إنه لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطف بالبيت عريان ، ومن كان له عهد عند رسول اللَّه ﷺ فهو إلىٰ مدته . فلم يحج بعد ذلك العام مشرك ، ولم يطف بالبيت عريان ، ثم قدما علىٰ رسول اللَّه ﷺ فكان هذا من براءة فيمن كان من أهل الشرك من أهل العهد العام وأهل المدة إلىٰ الأجل المسمى .

وقال ابن جرير (٢١) : حدثنا محمد بن عبد اللَّه بن عبد الحكم ، أخبرنا أبو زرعة وهب اللَّه بن راشد ، أخبرنا حيوة بن شريح ، أخبرنا أبو[٤] صخر ؛ أنه سمع أبا معاوية البجلي ، من أهل الكوفة ؛ يقول : سمعت أبا الصهباء البكري وهو يقول : سألت عليَّ بن أبي طالب عن[٥] يوم الحج الأكبر ؟ فقال[٦] : إن رسول اللَّه ﷺ بعث أبا بكر بن أبي قحافة يقيم للناس الحج ، وبعثني معه بأربعين آية من براءة ، حتىٰ أتىٰ عرفة فخطب الناس يوم عرفة ، فلما قضىٰ خطبته التفت إليَّ فقال : قم يا علي ؛ فأدّ رسالة رسول اللَّه ﷺ ، فقمت فقرأت عليهم أربعين آية من براءة ، ثم صدرنا فأتينا منىٰ فرميت الجمرة ، ونحرت البدنة ، ثم حلقت رأسي ، وعلمت أن أهل الجمع لم يكونوا [حضروا كلهم][٧] خطبة أبي بكر يوم عرفة ، فطفت أتتبع بها الفساطيط أقرأها عليهم ، فمن ثم إخال حسبتم[٨] أنه يوم النحر ألا وهو يوم عرفة .

---

(٢١) - تفسير الطبري (١٤/١١٣) رقم (١٦٣٨٢) .
(٢٢) - تفسير عبد الرزاق (١/٢٤١) وهو عند الطبري (١٤/١١٤)رقم (١٦٣٨٣) .

---

[١] - في ز : « فقال » .
[٢] - في ز : « قال » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز : « ابن » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز : « قال » .
[٧] - في خ : « كلهم حضروا » .
[٨] - في ز ، خ : « حسبتهم » .

وقال عبد الرزاق(٢٢) ، عن معمر ، عن أبي إسحاق : سألت أبا جحيفة عن يوم الحج الأكبر ؟ قال : يوم عرفة . فقلت : أمن عندك أم من أصحاب محمد ﷺ ؟ قال : كلٌّ في ذلك .

وقال عبد الرزاق أيضًا ، عن ابن[١] جريج ، عن عطاء ؛ قال : يوم الحج الأكبر يوم عرفة .

وقال عمر بن الوليد الشَّنِّي : حدثنا شهاب بن عباد العصري ، عن أبيه ؛ قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : هذا يوم عرفة ، هذا يوم الحج الأكبر ، فلا يصومنه أحد . قال : فحججت بعد أبي ، فأتيت المدينة ، فسألت عن أفضل أهلها ، فقالوا : سعيد بن المسيب . فأتيته فقلت : إني سألت عن أفضل أهل المدينة فقالوا : سعيد بن المسيب ، فأخبرني عن صوم يوم عرفة . فقال : أخبرك عمن هو أفضل مني مائة ضعف : عمر - أو[٢] ابن عمر - كان ينهىٰ عن صومه ويقول : هو يوم الحج الأكبر(٢٣) .

رواه ابن جرير وابن أبي حاتم (٢٤) ، وهكذا رُوي عن ابن عباس ، وعبد الله بن الزبير ، ومجاهد ، وعكرمة ، وطاوس ؛ أنهم قالوا : يوم عرفة هو[٣] يوم الحج الأكبر .

وقد ورد في ذلك[٤] حديث مرسل(٢٥) رواه ابن جريج - أُخبرت[٥] عن محمد بن قيس ابن مخرمة ؛ أن رسول الله ﷺ خطب يوم عرفة فقال : « **هذا يوم الحج الأكبر** » .

ورُوي من وجه آخر عن ابن جريج ، عن محمد بن قيس ، عن المسور بن مخرمة ، عن رسول الله ﷺ ، أنه خطبهم بعرفات فحمد الله ، وأثنىٰ عليه ، ثم قال : « **أما بعد ، فإن هذا يوم الحج الأكبر** » .

والقول الثاني : أنه يوم النحر .

قال هشيم عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي ، عن علي - رضي الله عنه - قال : يوم الحج الأكبر يوم النحر . وقال أبو إسحاق السبيعي عن الحارث الأعور : سألت عليًا - رضي الله عنه - عن يوم الحج الأكبر ؟ فقال : هو[٦] يوم النحر .

(٢٣) - تفسير الطبري (١١٣/١٤) رقم (١٦٣٨٦) .
(٢٤) - تفسير الطبري (١١٤/١٤) رقم (١٦٣٨٦) .
(٢٥) - تفسير الطبري (١١٦/١٤) رقم (١٦٣٩٣) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .
[٢] - في ز : « و » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في خ : « فيه » .
[٥] - مكررة في ز .
[٦] - سقط من : ز ، خ .

وقال شعبة ، عن الحكم : سمعت يحيىٰ بن الجزار يحدث عن علي ، رضي الله عنه : أنه خرج يوم النحر علىٰ بغلة بيضاء يريد الجبانة ، فجاء رجل فأخذ بلجام دابته فسأله عن الحج الأكبر فقال : هو يومك هذا خل سبيلها .

وقال عبد الرزاق ، عن سفيان ، وشعبة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عبد الله بن أبي أوفىٰ ؛ أنه قال : يوم الحج الأكبر يوم النحر .

وروىٰ شعبة وغيره عن عبد الملك بن عمير به نحوه ، وهكذا رواه هشيم وغيره ، عن الشيباني ، عن عبد الله بن أبي أوفىٰ .

وقال الأعمش ، عن عبد الله بن سنان ؛ قال : خطبنا المغيرة بن شعبة يوم الأضحىٰ علىٰ بعيرٍ ، فقال : هذا يوم الأضحىٰ ، وهذا يوم النحر ، وهذا يوم الحج الأكبر .

وقال حماد بن سلمة ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ أنه قال : الحج الأكبر يوم النحر .

وكذا رُوي عن أبي جحيفة ، وسعيد بن جبير، وعبد الله بن شداد بن الهاد، ونافع بن جبير بن مطعم، والشعبي، وإبراهيم النخعي، ومجاهد، وعكرمة، وأبي جعفر الباقر، والزهري، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم؛ أنهم قالوا: يوم الحج الأكبر هو يوم النحر . واختاره ابن جرير ، وقد تقدم الحديث عن أبي هريرة في صحيح البخاري ؛ أن أبا بكر بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنىٰ .

وقد ورد في ذلك أحاديث أخر ؛ كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير(٢٦) : حدثني سهل ابن محمد السجستاني[١] ، حدثنا أبو جابر الحرمي[٢] ، حدثنا هشام بن الغاز[٣] الجرشي ، عن نافع ، عن ابن عمر ؛ قال : وقف رسول الله ﷺ يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع ؛ فقال : « **هذا يوم الحج الأكبر** » .

وهكذا رواه ابن أبي حاتم ، وابن مردويه من حديث أبي جابر ، واسمه محمد بن عبد الملك ، به .

ورواه ابن مردويه أيضًا من حديث الوليد بن مسلم ، عن هشام بن الغاز[٤] به . ثم رواه

---

(٢٦) - تفسير الطبري (١٤/١٢٤) رقم (١٦٤٤٧) .

---

[١] - في ز : « الحسباني » ، وفي خ : غير واضحة .

[٢] - في ز : « الحري » . [٣] - في ز : « الغارّ » .

[٤] - في ز : « الغارّ » .

من حديث سعيد بن عبد العزيز عن نافع ، به .

وقال شعبة عن عمرو بن مرة [عن مرة][١] الهمداني ، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال (٢٧) : قام فينا رسول اللَّه ﷺ علىٰ ناقة حمراء مخضرمة ؛ فقال : « **أتدرون أي يوم**[٢] **يومكم هذا ؟** » . قالوا : يوم النحر . قال : « **صدقتم يوم الحج الأكبر** » .

وقال ابن جرير(٢٨) : حدثنا أحمد بن المقدام ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا ابن عون ، عن محمد بن سيرين ، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة ، عن أبيه ؛ قال : لما كان ذلك اليوم قعد رسول اللَّه ﷺ علىٰ بعير له ، وأخذ الناس بخطامه - أو زمامه - فقال : « **أي يوم هذا ؟** » قال : فسكتنا حتىٰ ظننا أنه سيسميه سوىٰ اسمه ، فقال : « **أليس هذا يوم الحج الأكبر ؟** » .

وهذا إسناد صحيح ، وأصله مخرج في الصحيح .

وقال أبو الأحوص[٣] عن شبيب بن[٤] غرقدة ، عن سليمان بن عمرو بن الأحوص[٥] ، عن أبيه ؛ قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ في حجة الوداع فقال : « **أي يوم هذا ؟** » . فقالوا : يوم[٦] الحج الأكبر .

وعن سعيد بن المسيب أنه قال : يوم الحج الأكبر اليوم الثاني من يوم النحر . رواه ابن أبي حاتم .

وقال مجاهد أيضًا : يوم الحج الأكبر أيام الحج كلها .

وكذا قال أبو عبيد ، قال سفيان : يوم الحج ، ويوم الجمل ، ويوم صفين ، أي : أيامه كلها .

وقال سهل السراج : سئل الحسن البصري عن يوم الحج الأكبر ، فقال : ما لكم وللحج

---

(٢٧) - تفسير الطبري (١٤/١٢٥) رقم (١٦٤٤٨) وأصله في صحيح البخاري ، كتاب المغازي برقم (٤٤٠٦) ، وصحيح مسلم ، كتاب القسامة والمحاربين برقم (١٦٧٩) .

(٢٨) - تفسير ابن جرير (١٤/١٢٣) (١٦٤٤٦) رواه الترمذي في السنن ، كتاب الفتن برقم (٢١٥٩) عن هناد ، عن أبي الأحوص به بأطول منه ، وابن ماجه في المناسك (٣٠٥٥) ، وقال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح » .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز : « الأخوص » .

[٤] - في ز ، خ : « عن » .

[٥] - في ز : « الأخوص » .

[٦] - في ز : « اليوم » .

الأكبر ؟ ذاك عام حجَّ فيه أبو بكر الذي استخلفه رسول الله ﷺ فحج بالناس . رواه ابن أبي حاتم .

وقال ابن جرير (٢٩) : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا أبو أسامة ، عن ابن عون : سألت محمدًا يعني ابن سيرين عن يوم الحج الأكبر ؟ فقال[١] : كان يومًا وافق فيه حج رسول الله ﷺ حج[٢] أهل الوبر .

إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾

هذا استثناء من ضرب مدة التأجيل بأربعة أشهر لمن له عهد مطلق ليس بمؤقت ، فأجله أربعة أشهر يسيح في الأرض يذهب فيها لينجوَ بنفسه حيث شاء ، إلا من له عهد مؤقت فأجله إلىٰ مدته المضروبة التي عوهد عليها ، وقد تقدمت الأحاديث ، ومن كان له عهد مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فعهده إلىٰ مدته ، وذلك بشرط أن لا ينقض[٣] المعاهد عهده ، ولم يظاهر علىٰ المسلمين أحدًا - أي : يمالئ عليهم من سواهم فهذا الذي يوفَّىٰ له بذمته وعهده إلىٰ مدته ؛ ولهذا حرض تعالىٰ علىٰ الوفاء بذلك فقال : ﴿ **إن الله يحب المتقين** ﴾ أي : الموفين بعهدهم .

فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾

اختلف المفسرون في المراد بالأشهر الحرم هاهنا ما هي ؛ فذهب ابن جرير إلىٰ أنها المذكورة في قوله تعالىٰ : ﴿ **منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم** ﴾ . الآية .قاله أبو جعفر الباقر ، ولكن قال ابن جرير : آخر الأشهر الحرم في حقهم المحرم .

وهذا الذي ذهب إليه حكاه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وإليه ذهب الضحاك

(٢٩) - تفسير الطبري (١٢١/١٤) رقم (١٦٤٢٨) .

[١] - في ز : « قال » .
[٢] - في ز : « وحج » .
[٣] - في ز : « ينقص » .

أيضًا ، وفيه نظر . والذي يظهر من حيث السياق ما ذهب إليه ابن عباس ، في رواية العوفي عنه ، وبه قال مجاهد ، وعمرو بن شعيب ، ومحمد بن إسحاق ، وقتادة ، والسدي ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ؛ أن المراد بها أشهر التسيير الأربعة المنصوص عليها في قوله[١] : ﴿ **فسيحوا في الأرض أربعة أشهر** ﴾ . ثم قال : ﴿ **فإذا انسلخ الأشهر الحرم** ﴾ . أي : إذا انقضت الأشهر الأربعة [التي حرمنا عليكم فيها قتالهم وأجلناهم فيها فحيثما وجدتموهم فاقتلوهم ؛ لأن عود العهد علىٰ مذكور أولىٰ من مقدر ، ثم إن الأشهر الأربعة][٢] المحرمة سيأتي بيان حكمها في آية أخرىٰ بعدُ [ ][٣] في هذه السورة الكريمة .

وقوله : ﴿ **فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم** ﴾ أي : من الأرض ، وهذا عامٌّ والمشهور تخصيصه بتحريم القتال في الحرم بقوله : ﴿ **ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتىٰ يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وخذوهم** ﴾ أي : وَأْسروهم إن شئتم قتلًا وإن شئتم أسرًا .

وقوله : ﴿ **واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد** ﴾ أي : لا تكتفوا بمجرد وجدانكم لهم ، بل اقصدوهم[٤] بالحصار في معاقلهم وحصونهم ، والرصد في طرقهم ومسالكهم ، حتىٰ تضيقوا عليهم الواسع ، وتضطروهم إلىٰ القتل أو الإسلام ؛ ولهذا قال : ﴿ **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن اللَّه غفور رحيم** ﴾ .

ولهذا اعتمد الصديق -رضي اللَّه عنه- في قتال مانعي الزكاة علىٰ هذه الآية الكريمة وأمثالها ، حيث حرمت[٥] قتالهم بشرط هذه الأفعال ، وهي الدخول في الإسلام ، والقيام بأداء واجباته ، ونبه بأعلاها علىٰ أدناها ، فإن أشرف [أركان الإسلام][٦] بعد الشهادتين[٧] الصلاة التي هي حق اللَّه -عز وجل- وبعدها أداء الزكاة التي هي نفع متعدٍ[٨] إلىٰ الفقراء والمحاويج ، وهي أشرف الأفعال المتعلقة بالمخلوقين ؛ ولهذا كثيرًا ما يقرن اللَّه بين الصلاة والزكاة ، وقد جاء في الصحيحين عن ابن عمر -رضي اللَّه عنهما- عن رسول اللَّه ﷺ ؛ أنه قال : « **أمرت أن[٩] أقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا اللَّه ، وأن محمدًا رسول اللَّه ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ...**» الحديث .

وقال أبو إسحاق عن أبي عبيدة ، عن عبد اللَّه بن مسعود -رضي اللَّه عنه- قال : أمرتم بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، ومن لم يزك فلا صلاة له .

---

[١] - في خ : « بقوله » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « هذا » ، خ : « هنا » .
[٤] - في ز : « تقصدوهم » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز : « الأركان » .
[٧] - في ز : « الشهادة » .
[٨] - في ز : « متعدي » .
[٩] - في م : « أنا » .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : أَبَىٰ اللَّه أن يقبل الصلاةَ إلا بالزكاةِ . وقال : يرحم اللَّه أبا بكر ! ما كان أفقَهَهُ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا علي بن إسحاق ، أنبأنا عبد اللَّه بن المبارك ، أنبأنا حميد الطويل ، عن أنس ؛ أن رسول اللَّه ﷺ قال : « **أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا اللَّه ، وأن محمدًا رسول اللَّه ، فإذا شهدوا أن لا إله إلا اللَّه ، وأن محمدًا رسول اللَّه ، واستقبلوا قبلتنا ، وأكلوا ذبيحتنا ، وصلَّوا صلاتنا ؛ فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقِّها ، لهم ما للمسلمين وعليهم ما[١] عليهم** » .

ورواه البخاري في صحيحه(٣٠) وأهل السنن إلا ابن ماجه من حديث عبد اللَّه بن المبارك به .

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير(٣١) : حدثنا عبد الأعلىٰ بن واصل الأسدي ، حدثنا عبيد اللَّه بن موسىٰ ، أخبرنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس [عن أنس][٢] ؛ قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **من فارق الدنيا علىٰ الإخلاص للَّه وحده ، وعبادته لا يشرك به شيئًا[٣] ، فارقها واللَّه عنه راضٍ** » .

قال : وقال أنس : هو دين اللَّه الذي جاءت به الرسل وبلغوه عن ربهم ، قبل هرج الأحاديث واختلاف الأهواء ، وتصديق ذلك في كتاب اللَّه في آخر ما أنزل ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم** ﴾ قال : توبتهم خلع الأوثان ، وعبادة ربهم ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، ثم قال في آية أخرىٰ : ﴿ **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين** ﴾ . ورواه ابن مردويه .

ورواه محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة له(٣٢) : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ،

---

(٣٠) - المسند (١٩٩/٣) ، وصحيح البخاري ، كتاب الصلاة برقم (٣٩٢) ، وسنن أبي داود ، كتاب : الجهاد برقم (٢٦٤١) ، وسنن الترمذي ، كتاب الإيمان برقم (٢٦٠٨) ، وسنن النسائي (١٠٩/٨) .

(٣١) - تفسير الطبري (١٣٥/١٤) (١٦٤٧٥) ورواه ابن ماجة في السنن ، في المقدمة برقم (٧٠) من طريق عبيد الله بن موسى بنحوه ، وقال البوصيري في الزوائد (٥٦/١) : « هذا إسناد ضعيف ، الربيع بن أنس ضعيف هنا » . ورواه أبو يعلى الموصلي في مسنده . ورواه الحاكم في المستدرك من طريق أبي جعفر الرازي وقال : صحيح الإسناد . وانظر ما بعده .

(٣٢) - تعظيم قدر الصلاة برقم (١) وإسناده ضعيف لضعف أبي جعفر الرازي ، ولضعف الربيع بن أنس وأورده الألباني في ضعيف الجامع (٢٢٣/٥) .

---

[١] - في م : « وما » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : خ .

أنبأنا حكّام بن سَلْم[١] ، حدثنا أبو جعفر الرازي به سواء .

وهذه الآية الكريمة هي آية السيف التي قال فيها الضحاك بن مزاحم : إنها نسخت كل عهد بين النبي ﷺ وبين أحد من المشركين ، وكل عهد ، وكل مدة .

وقال العوفي ، عن ابن عباس في هذه الآية : لم يبق لأحد من المشركين عهد ولا ذمة ، منذ نزلت براءة وانسلاخ الأشهر الحرم ، ومدة من كان له عهد من المشركين قبل أن تنزل [ ][٢] أربعة أشهر ، من يوم أذن ببراءة إلىٰ عشر من أول شهر ربيع الآخر .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في هذه الآية ؛ قال : أمره اللَّه تعالىٰ أن يضع السيف فيمن عاهد إن لم يدخلوا في الإِسلام ؛ ونقض ما كان سمىٰ لهم من العهد والميثاق ؛ وأذهب الشرط الأول .

وقال ابن أبي حاتم(٣٣) : حدثنا أبي ، حدثنا إسحاق بن موسىٰ الأنصاري ؛ قال : قال سفيان [بن عيينة][٣] : قال علي بن أبي طالب : بعث النبي ﷺ بأربعة أسياف : سيف في المشركين من العرب ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم** ﴾ .

هكذا رواه مختصرًا ، وأظن أن السيف الثاني هو قتال أهل الكتاب ؛ [في قوله][٤] تعالىٰ : ﴿ **قاتلوا الذين لا يؤمنون باللَّه ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرّم اللَّه ورسوله ولا يدينون دينَ الحقِ من الذين أوتوا الكتابَ حتىٰ يعطوا الجزيةَ عن يدٍ وهم صاغرون** ﴾ . والسيف الثالث : قتال المنافقين في قوله : ﴿ **يا أيها النبي جاهدِ الكفار والمنافقين** ...﴾ الآية[٥] . والرابع قتال الباغين في قوله : ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما**[٦] **علىٰ الأخرىٰ فقاتلوا التي تبغي حتىٰ تفيء إلىٰ أمر اللَّه** ﴾ . ثم اختلف المفسرون في آية السيف هذه ؛ فقال الضحاك والسدي : هي منسوخة بقوله تعالىٰ : ﴿ **فإما منًّا بعد وإما فداء** ﴾ ، وقال قتادة بالعكس .

وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾

(٣٣) - تفسير ابن أبي حاتم (٥/٩٢٥٤) .

[١] - في ز ، خ : « سلمة » .

[٢] - في ز ، خ : « براءة » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ت : « لقوله » .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - في ز : « أحديهما » .

يقول تعالىٰ لنبيه -صلوات اللّٰه وسلامه عليه- : ﴿ **وإن أحد من المشركين** ﴾ [الذين أمرتك بقتالهم ، وأحللت لك استباحة نفوسهم وأموالهم][١] ﴿ **استجارك** ﴾ أي : استأمنك فأجبه إلىٰ طلبته حتىٰ يسمع كلام اللّٰه . أي [القرآن][٢] : تقرؤه عليه ، وتذكر له شيئًا من الدين تقيم عليه به حجة اللّٰه ﴿ **ثم أبلغه مأمنه** ﴾ أي : وهو آمن مستمر الأمان ، حتىٰ يرجع إلىٰ بلاده وداره ومأمنه ﴿ **ذلك بأنهم قوم لا يعلمون** ﴾ أي : إنما شرعنا أمان مثل هؤلاء؛ ليعلموا دين اللّٰه ، وتنتشر[٣] دعوة اللّٰه في عباده .

وقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في تفسير هذه الآية -قال : إنسان يأتيك يسمع ما تقول وما أنزل عليك فهو آمن حتىٰ يأتيك فيسمع كلام اللّٰه ، وحتىٰ يبلغ مأمنه حيث جاء .

ومن هذا كان رسول اللّٰه ﷺ يعطي الأمان لمن جاءه مسترشدًا أو في رسالة ، كما[٤] جاءه يوم الحديبية جماعةٌ من الرسل من قريش منهم : عروة بن مسعود ، ومكرز بن حفص ، وسهيل بن عمرو وغيرهم ، واحدًا بعد واحد يترددون في قضية[٥] بينه وبين المشركين ، فرأوا من إعظام المسلمين رسول اللّٰه ﷺ ما بهرهم ، و[٦] ما لم يشاهدوه عند ملك ولا قيصر ، فرجعوا إلىٰ قومهم وأخبروهم[٧] بذلك ، وكان ذلك وأمثاله من أكبر أسباب هداية أكثرهم .

ولهذا أيضًا لما قدم رسولُ مسيلمةَ الكذاب علىٰ رسول اللّٰه ﷺ ، قال له : « **أتشهد أن مسيلمة رسول اللّٰه ؟** » قال : نعم . فقال رسول اللّٰه ﷺ : « **لولا أن الرسلَ لا تُقْتَلُ لضربتُ عنقَك** »(٣٤) .

وقد قيض اللّٰه له ضرب العنق في إمارة ابن مسعود علىٰ الكوفة ، وكان يقال له ابن النواحة ، ظهر عنه في زمان ابن مسعود أنه يشهد لمسيلمة بالرسالة ، فأرسل إليه ابن مسعود فقال له : إنك الآن لست في رسالة ، وأمر به فضربت عنقُه لا رحمه اللّٰه ولعنه !

والغرض أن من قدم من دار الحرب إلىٰ دار الإسلام في أداء رسالة ، أو تجارة ، أو طلب صلح أو مهادنة ، أو حمل جزية ، أو نحو ذلك من الأسباب ، وطلب[٨] من الإمام أو نائبه

(٣٤) - رواه أحمد في المسند (٤٨٧/٣) وأبو داود في السنن ، كتاب الجهاد برقم (٢٧٦١) من طريق سلمة ابن الفضل عن محمد بن إسحاق عن سعد بن طارق عن سلمة بن نعيم عن أبيه قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم حين جاءه رسل مسيلمة ، فذكر نحوه .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - في ز : « وينشر » .
[٤] - في ز : « أو » .
[٥] - في ز : « القضية » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في ز : « فأخبروهم » .
[٨] - في ز : « فطلب » .

أمانًا [ ][١] أعطي أمانًا ما دام مترددًا في دار الإسلام ، وحتىٰ يرجع إلىٰ مأمنه ووطنه ، لكن قال العلماء : لا يجوز أن يمكن من الإقامة في دار الإسلام سنة ، ويجوز أن يمكن من إقامة أربعة أشهر . وفيما بين ذلك فيما زاد علىٰ أربعة أشهر ونقص عن سنة قولان عن الإمام الشافعي وغيره من العلماء رحمهم الله .

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾﴾

يبين تعالىٰ حكمته في البراءة من المشركين ونظرته إياهم أربعة أشهر ، ثم بعد ذلك السيف المرهف أين ثقفوا فقال تعالىٰ : ﴿ **كيف يكون للمشركين**[٢] **عهد** ﴾ وأمان ويتركون فيما هم فيه وهم مشركون بالله كافرون[٣] به وبرسوله ﴿ **إلا الذين**[٤] **عاهدتم عند المسجد الحرام** ﴾ يعني يوم الحديبية ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهديَ معكوفًا أن يبلغ محله** ﴾ . الآية .

﴿ **فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم** ﴾ أي : مهما تمسكوا بما عاقدتموهم عليه وعاهدتموهم من ترك الحرب بينكم وبينهم عشر سنين ﴿ **فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين** ﴾ وقد فعل رسول الله ﷺ ذلك والمسلمون . استمر العقد والهدنة مع أهل مكة من ذي القعدة في سنة ست إلىٰ أن نقضت قريش العهد ومالئوا حلفاءهم [وهم بنو][٥] بكر علىٰ خزاعة أحلاف رسول الله ﷺ فقتلوهم معهم في الحرم ، أيضًا ، فعند ذلك غزاهم رسول الله ، ﷺ ، في رمضان سنة ثمان ، ففتح الله عليه البلد الحرام ، ومكنه من نواصيهم ، ولله الحمد والمنة . فأطلق من أسلم منهم بعد القهر والغلبة عليهم فسموا الطلقاء ، وكانوا قريبًا من ألفين ، ومن استمر علىٰ كفره وفرّ من رسول الله ﷺ بعث إليه بالأمان والتسيير في الأرض أربعة أشهر يذهب حيث شاء ، [ ][٦] منهم صفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبي جهل وغيرهما ، ثم هداهم الله بعد ذلك إلىٰ الإسلام التام ، والله المحمود علىٰ جميع ما يقدره ويفعله .

---

[١] - في ز : « أو مهادنة أو حمل جزية أو نحو ذلك من الأسباب فطلب من الإمام أو نائبه أمانًا » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في ز ، خ : « كافرين » .

[٤] - في ز ، خ : « من » .

[٥] - في ز ، خ : « بني » .

[٦] - ما بين المعكوفين في خ : «و» .

﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ (٨) ﴾

يقول تعالىٰ محرضًا للمؤمنين علىٰ معاداة المشركين والتبري منهم، ومبينًا أنهم لا يستحقون أن يكون لهم عهد لشركهم بالله تعالىٰ وكفرهم برسول الله ﷺ، [ولأنهم لو][١] ظهروا علىٰ المسلمين وأديلوا عليهم لم يبقوا[٢] ولم يذروا ولا راقبوا فيهم إلًّا ولا ذمة.

قال علي بن أبي طلحة، وعكرمة، والعوفي عن ابن عباس: الإل: القرابة، والذمة: العهد. وكذا قال الضحاك والسدي كما قال تميم بن مقبل:

أفسد الناسَ خلوفٌ خلفوا قطعوا الإلَّ وأعراق الرحم(٣٥)

وقال حسان بن ثابت - رضي الله عنه -:

وجدناهم كاذبًا [إلُّهُمْ وذو][٣] الإلِّ والعهد لا يكذب(٣٦)

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد: ﴿ لا يرقبون في مؤمن إلًّا ﴾ قال: الله. وفي رواية: لا يرقبون الله ولا غيره.

وقال ابن جرير(٣٧): حدثني يعقوب، حدثنا ابن علية، عن سليمان، عن أبي مجلز في قوله تعالىٰ: ﴿ لا يرقبون في مؤمن إلًّا ولا ذمة ﴾ مثل قوله جبريل ميكائيل إسرافيل، كأنه [يضيف « جبر » و « ميكا » و « إسراف » إلى « إيل »][٤] [يقول: عبد الله ﴿ لا يرقبون في مؤمن إلًّا ﴾ كأنه][٥] يقول: لا يرقبون الله.

---

(٣٥) - البيت في تفسير الطبري (١٤٨/١٤).

(٣٦) - قال المعلق على طبعة الشعب: هكذا نسبه ابن كثير إلى حسان بن ثابت، ولم نجده في ديوانه. والبيت في تفسير الطبري غير منسوب (١٤٨/١٥) وأما بيت حسان الذي استشهد به الطبري فهو:

لعمرك إن إلك من قريش كإل السقب من رأل النعام

وهذا البيت في ديوان حسان (ص٣٣٦)، واللسان، مادة « ألل ».

(٣٧) - التفسير (١٤٦/١٤) رقم (١٦٥٠٠)

---

[١] - في ز: « لو أنهم ».

[٢] - في ز، خ: « يتقوا ».

[٣] - في ز، خ: « لهم وذو ».

[٤] - سقط من: ز، خ.

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز.

والقول الأول أشهر وأظهر وعليه الأكثر .

[وعن مجاهد أيضًا الإلّ العهد][١] . وقال قتادة : الإل الحلف .

﴿ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩) لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ (١٠) فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١١) ﴾

يقول تعالىٰ ذمًّا للمشركين وحثًّا للمؤمنين علىٰ قتالهم ﴿ **اشتروا بآيات اللَّه ثمنًا قليلًا** ﴾ يعني : أنهم اعتاضوا عن اتباع آيات اللَّه بما التهوا به من أمور الدنيا الخسيسة ﴿ **فصدوا عن سبيله** ﴾ أي : منعوا المؤمنين من اتباع الحق ﴿ **إنهم ساء ما كانوا يعملون * لا يرقبون في مؤمن إلًّا ولا ذمة** ﴾ تقدم تفسيره وكذا الآية التي بعدها ﴿ **فإن تابوا وأقاموا الصلاة** ﴾ إلىٰ آخرها تقدمت .

وقال الحافظ أبو بكر البزار(٣٨) : حدثنا محمد بن المثنىٰ ، حدثنا يحيىٰ بن أبي بكر ، حدثنا أبو جعفر الرازي ، حدثنا الربيع بن أنس ، قال : سمعت أنس بن مالك يقول : قال رسول اللَّه ﷺ : « **من فارق الدنيا علىٰ الإخلاص للَّه وعبادته لا [يشرك به]**[٢] **، وأقام الصلاة وآتىٰ الزكاة فارقها واللَّه عنه راض** » . وهو دين اللَّه الذي جاءت به الرسل وبلغوه عن ربهم قبل هرج الأحاديث ، واختلاف الأهواء ، وتصديق ذلك في كتاب اللَّه ﴿ **فإن تابوا** ﴾ يقول : فإن خلعوا الأوثان وعبادتها ﴿ **وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم** ﴾ . وقال في آية أخرىٰ : ﴿ **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين** ﴾ .

ثم قال البزار : آخر الحديث عندي واللَّه أعلم فارقها وهو عنه راض ، وباقيه عندي من كلام الربيع بن أنس .

---

(٣٨) - ورواه الحاكم في المستدرك (٢/٣٣١) من طريق أحمد بن مهران عن عبيد الله بن موسى بنحوه ، ولم يفرق بين المرفوع والموقوف ، وقال الحاكم : « صحيح الإسناد » وتعقبه الذهبي قلت : « صدر الحديث مرفوع وسائره مدرج فيما أرى » .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٢] - في ز ، خ : « شريك له » .

﴿ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **وإن نكثوا**[١] ﴾ هؤلاء المشركون الذين عاهدتموهم علىٰ مدة معينة ﴿ **أيمانهم** ﴾ أي : عهودهم ومواثيقهم ﴿ **وطعنوا في دينكم** ﴾ أي : عابوه وانتقصوه ، ومن هاهنا أخذ قتل من سب الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - أو من طعن في دين الإسلام أو ذكره بتنقص ، ولهذا قال : ﴿ **فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون** ﴾ أي : يرجعون عما هم فيه من الكفر والعناد والضلال .

وقد قال قتادة وغيره : أئمة الكفر كأبي جهل ، وعتبة ، وشيبة ، وأمية بن خلف ، وعدَّد رجالًا .

وعن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال : مرَّ سعد برجل من الخوارج فقال الخارجي : هذا من أئمة الكفر . فقال سعد : كذبت ، بل أنا قاتلت أئمة الكفر . رواه ابن مردويه .

وقال الأعمش : عن زيد بن وهب ، عن حذيفة أنه قال : ما قوتل أهل هذه الآية بعدُ .

ورُوي عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - مثله .

والصحيح أن الآية عامة وإن كان سبب نزولها مشركي قريش فهي عامة لهم ولغيرهم ، والله أعلم .

وقال الوليد بن مسلم(٣٩) : حدثنا صفوان بن عمرو ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير : أنه كان في عهد أبي بكر - رضي الله عنه - إلىٰ الناس حين وجههم إلىٰ الشام قال : إنكم ستجدون قومًا مُحَوَّقَة رءوسهم فاضربوا معاقد الشيطان منهم بالسيوف ، فو الله لأن أقتل رجلًا منهم أحب إليَّ من أن أقتل سبعين من غيرهم ، وذلك بأن الله يقول ﴿ **فقاتلوا أئمة الكفر** ﴾ . رواه ابن أبي حاتم .

﴿ أَلَا تُقَـٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

(٣٩) - تفسير ابن أبي حاتم (١٠٠٢٠/٥) .

[١] - في ر : « نكث » .

﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾

وهذا أيضًا تهييج وتحضيض وإغراء علىٰ قتال المشركين الناكثين لأيمانهم الذين هموا بإخراج الرسول من مكة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين** ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ **يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم** ﴾ الآية . وقال تعالىٰ : ﴿ **وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذًا لا يلبثون خلافك إلا قليلًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وهم بدءوكم أول مرة** ﴾ قيل : المراد بذلك يوم بدر حين خرجوا لنصر عيرهم ، فلما نجت وعلموا بذلك استمروا[١] علىٰ وجوههم[٢] طلبًا للقتال بغيًا وتكبرًا كما تقدم بسط ذلك .

وقيل : المراد نقضهم العهد وقتالهم مع حلفائهم بني بكر لخزاعة أحلاف رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، حتىٰ سار إليهم رسول الله ﷺ عام الفتح وكان ما كان ، ولله الحمد والمنة[٣] .

وقوله : ﴿ **أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين** ﴾ يقول تعالىٰ : لا تخشوهم واخشون فأنا أهل أن يخشىٰ العباد من سطوتي ، وعقوبتي ؛ فبيدي الأمر ، وما شئت كان ، وما لم أشأ لم يكن .

ثم قال تعالىٰ عزيمة علىٰ المؤمنين ، وبيانًا لحكمته فيما شرع لهم من الجهاد مع قدرته علىٰ إهلاك الأعداء بأمر من عنده ﴿ **قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين** ﴾ . وهذا عام في المؤمنين كلهم .

وقال مجاهد ، وعكرمة ، والسدي في هذه الآية ﴿ **ويشف صدور قوم مؤمنين** ﴾ يعني خزاعة ، وأعاد[٤] الضمير في قوله : ﴿ **ويذهب غيظ قلوبهم** ﴾ عليهم أيضًا .

---

[١] - في ز : « واستمروا » .
[٢] - في خ : « وجههم » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز : « أعادوا » .

وقد ذكر ابن عساكر(٤٠) في ترجمة مؤذن لعمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - عن مسلم ابن يسار ، عن عائشة - رضي الله عنها - : أن رسول الله ﷺ كان إذا غضبت أخذ بأنفها وقال : « **يا عويش ، قولي : اللهم رب النبي محمد ، اغفر ذنبي ، وأذهب غيظ قلبي ، وأجرني من مضلات الفتن** » .

ساقه من طريق أبي أحمد الحاكم ، عن الباغندي ، عن هشام بن عمار ، حدثنا عبد الرحمن ابن أبي الجون[١] عنه .

﴿ **ويتوب الله علىٰ من يشاء** ﴾ أي : من عباده ﴿ **والله عليم** ﴾ أي : بما يصلح عباده ﴿ **حكيم** ﴾ في أفعاله ، وأقواله الكونية ، والشرعية ، فيفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، وهو العادل الحاكم الذي لا يجور أبدًا ولا يضيع مثقال ذرة من خير وشر ، بل يجازي عليه في الدنيا والآخرة .

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

يقول تعالىٰ : أم حسبتم أيها المؤمنون ؛ أن نترككم مهملين لا نختبركم بأمور يظهر فيها أهل العزم الصادق من الكاذب ؛ ولهذا قال : ﴿ **ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة** ﴾ أي : بطانة ودخيلة ، بل هم في الظاهر والباطن علىٰ النصح لله ولرسوله ، فاكتفىٰ بأحد القسمين عن الآخر ، كما قال الشاعر :

وما أدري إذا يممت أرضًا أريد الخير أيهما يليني

وقد قال الله تعالىٰ في الآية الأخرىٰ : ﴿ **أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ما كان الله ليذر المؤمنين علىٰ ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم علىٰ الغيب** ﴾ الآية .

(٤٠) - تاريخ دمشق (٣٣٥/١٩ « المخطوط ») ورواه ابن السني في عمل اليوم والليلة من طريق أبي العميس عن القاسم بن محمد بن أبي بكر عن عائشة ومن طريق سلمة بن علي عن هشام بن عروة عن عائشة .

[١] - في خ : « الجوز » .

والحاصل : أنه تعالىٰ لما شرع [لعباده الجهاد][١] بين أن له فيه حكمة وهو اختبار عبيده من يطيعه ممن يعصيه ، وهو تعالىٰ العالم بما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون ، فيعلم الشيء قبل كونه ومع كونه علىٰ ما هو عليه ، لا إله إلا هو ولا رب سواه ، ولا راد[٢] لما قدّره وأمضاه .

﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ (١٧) إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۖ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (١٨) ﴾

يقول تعالىٰ : ما ينبغي للمشركين بالله أن يعمروا مساجد الله التي بنيت علىٰ اسمه وحده لا شريك له ، ومن قرأ « **مسجد الله** » فأراد به المسجد الحرام أشرف المساجد فى الأرض ، الذي بني من أول يوم على عبادة الله وحده لا شريك له ، وأسسه خليل الرحمن ، هذا وهم شاهدون علىٰ أنفسهم بالكفر أي : بحالهم وقالهم كما قال السدي : لو سألت النصراني : ما دينك ؟ لقال نصراني ، [ولو سألت][٣] اليهودي : ما دينك ؟ لقال[٤] : يهودي ، والصابئ[٥] ؟ لقال : صابئ ، والمشرك لقال: مشرك ﴿ **أولئك حبطت أعمالهم** ﴾ أي : بشركهم ﴿ **وفي النار هم خالدون** ﴾ ، و[٦] قال تعالىٰ : ﴿ **وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون** ﴾ ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر** ﴾ فشهد تعالىٰ بالإيمان لعمار المساجد ، كما قال الإمام أحمد : حدثنا سريج[٧] ، حدّثنا ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، أن دراجًا أبا السمح حدثه ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري : أن رسول الله ﷺ قال : « **إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان** » ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر** ﴾ .

ورواه الترمذي وابن مردويه والحاكم في مستدركه من حديث عبد الله بن وهب ،

---

[١] - في ز : « الجهاد لعباده » .
[٢] - في ز : « رادًا » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز : « قال » .
[٥] - في خ : « الصابئي » .
[٦] - في ز : « كما » .
[٧] - في ز ، خ : « شريح » .

به (٤١) .

وقال عبد بن حميد في مسنده(٤٢) : حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا صالح المري ، عن ثابت البناني ، عن ميمون بن سياه وجعفر بن زيد ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **إنما عمار المساجد هم أهل الله** » .

ورواه الحافظ أبو بكر البزار (٤٣) : عن عبد الواحد بن غياث ، عن صالح بن بشير المري ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **إنما عمار المساجد هم أهل الله** » .

ثم قال : لا نعلم رواه عن ثابت غير صالح .

وقد روىٰ الدارقطني في الأفراد من طريق حكامة بنت عثمان بن دينار ، عن أبيها ، عن أخيه مالك بن دينار ، عن أنس مرفوعًا : « **إذا أراد الله بقوم عاهة نظر إلىٰ أهل المساجد فصرف عنهم** » . ثم قال : غريب .

وروىٰ الحافظ البهائي[١] في المستقصىٰ (٤٤) عن أبيه بسنده إلىٰ أبي أمية الطرسوسي ، حدثنا منصور بن صقير ، حدثنا صالح المري ، عن ثابت ، عن أنس مرفوعًا يقول الله : وعزتي وجلالي ، إني لأهم بأهل الأرض عذابًا فإذا نظرت إلىٰ عمار بيوتي ، وإلىٰ المتحابين في ، وإلىٰ المستغفرين بالأسحار صرفت ذلك عنهم . ثم قال ابن عساكر : حديث غريب .

وقال الإمام أحمد (٤٥) : حدثنا روح ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، حدثنا العلاء بن زياد ،

---

(٤١) - المسند (٣/٦٨) وسنن الترمذي برقم (٣٠٩٣) والمستدرك (٢/٣٣٢) ودراج عن أبي الهيثم ضعيف .

(٤٢) - فيه صالح المري وهو ضعيف ، وقد اختلف فيه كما سيأتي في رواية البزار .

(٤٣) - مسند البزار برقم (٤٣٣) « كشف الأستار » ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٣/٦٦) من طريق هاشم بن القاسم عن صالح المري ، به ، وقال الهيثمي في المجمع (٢/٢٣) : « فيه صالح المري وهو ضعيف » .

(٤٤) - وفيه منصور بن صقير ، قال أبو حاتم : ليس بالقوي . وقال العقيلي : في حديثه بعض الوهم ، ورواه ابن عدي في الكامل (٤/٦١) من طريق سعيد بن أشعث عن صالح المري به نحوه ، ورواه البيهقي في شعب الإيمان برقم (٩٠٥١) من طريق عبدان عن معاذ بن خالد بن شقيق عن صالح المري به نحوه ، وصالح المري ضعيف .

(٤٥) - المسند (٥/٢٣٢) وقال الهيثمي في المجمع (٢/٢٣) : « العلاء بن زياد لم يسمع من معاذ » .

---

[١] - في ز : « البهاء » ، خ : « البهاد » .

عن معاذ بن جبل : أن النبي ﷺ قال : « **إن الشيطان ذئب الإنسان ، كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية والناحية ، فإياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد** » .

وقال عبد الرزاق(٤٦) : عن معمر ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون الأودي قال : أدركت أصحاب النبي ﷺ وهم يقولون : إن المساجد بيوت الله في الأرض ، وإنه حق علىٰ الله أن يكرم من زاره فيها .

وقال المسعودي : عن حبيب بن أبي ثابت وعدي بن ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : من سمع النداء بالصلاة ، ثم لم يجب و[١] يأتي المسجد ويصلي فلا صلاة له ، وقد عصىٰ الله ورسوله ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر** ﴾ . الآية . رواه ابن مردويه .

وقد رُوي مرفوعًا من وجه آخر ، وله شواهد من وجوه أخر ، ليس هذا موضع بسطها .

وقوله : ﴿ **وأقام الصلاة** ﴾ أي : التي هي أكبر عبادات البدن ﴿ **وآتىٰ الزكاة** ﴾ أي : التي هي أفضل الأعمال المتعدية إلىٰ بر الخلائق وقوله[٢] : ﴿ **ولم يخش إلا الله** ﴾ أي : ولم يخف إلا من الله تعالىٰ ولم يخش سواه ﴿ **فعسىٰ أولئك أن يكونوا من المهتدين** ﴾ .

قال [علي][٣] بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله : ﴿ **إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر** ﴾ يقول : من وحّد الله وآمن باليوم الآخر ، يقول : من آمن بما أنزل الله ﴿ **وأقام الصلاة** ﴾ يعني : الصلوات الخمس ﴿ **ولم يخش إلا الله** ﴾ يقول : لم يعبد إلا الله . ثم قال : ﴿ **فعسىٰ أولئك** [**أن يكونوا من المهتدين**][٤] ﴾ يقول تعالىٰ : إن أولئك هم المفلحون كقوله لنبيه ﷺ : ﴿ **عسىٰ أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا** ﴾ [يقول : إن ربك سيبعثك مقامًا][٥] محمودًا[٦] وهي الشفاعة ، وكل عسىٰ في القرآن فهي واجبة .

وقال محمد بن إسحاق بن يسار - رحمه الله - : وعسىٰ من الله حق .

﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

(٤٦) - رواه البيهقي في شعب الإيمان برقم (٩٠٥٢) من طريق أحمد بن منصور عن عبد الرزاق عن معمر عن رجل من قريش رفع الحديث ، فذكر نحوه ، وهو معضل .

[١] - في ت : « ولم يأتي » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - سقط من : ز .

﴿ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٩) ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ (٢١) خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ (٢٢) ﴾

قال العوفي في تفسيره عن ابن عباس في تفسير هذه الآية قال : إن المشركين قالوا : عمارة بيت اللّٰه ، وقيام علىٰ السقاية خيرٌ ممن آمن وجاهد . وكانوا يفخرون بالحرم ويستكبرون به من أجل أنهم أهله وعمّاره . فذكر اللّٰه استكبارهم وإعراضهم فقال لأهل الحرم من المشركين : ﴿ **قد كانت آياتي تتلىٰ عليكم فكنتم علىٰ أعقابكم تنكصون * مستكبرين به سامرًا تهجرون** ﴾ يعني : أنهم كانوا يستكبرون بالحرم ، قال : ﴿ **به سامرًا** ﴾ كانوا يسمرون به ويهجرون القرآن والنبيَّ ﷺ ، فخير اللّٰه الإيمان والجهاد مع النبي[١] ﷺ علىٰ عمارة المشركين البيت وقيامهم علىٰ السقاية ، ولم يكن ينفعهم عند اللّٰه مع الشرك به ، وإن كانوا يعمرون بيته ويخدمونه[٢] به . قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **لا يستوون عند اللّٰه واللّٰه لا يهدي القوم الظالمين** ﴾ يعني : الذين زعموا أنهم أهل العمارة فسماهم اللّٰه ظالمين بشركهم فلم تغن عنهم العمارة شيئًا .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية[٣] ، قال : قد[٤] نزلت في العباس بن عبد المطلب حين أسر ببدر[٥] قال : لئن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقي الحاج[٦] ونفك العاني[٧] ، قال اللّٰه عز وجل ﴿ **أجعلتم سقاية الحاج** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **واللّٰه لا يهدي القوم الظالمين** ﴾ يعني : أن ذلك كله[٨] كان في الشرك ولا أقبل ما كان في الشرك .

وقال الضحاك بن مزاحم : أقبل المسلمون علىٰ العباس وأصحابه الذين أسروا يوم بدر يعيرونهم بالشرك ، فقال العباس : أما واللّٰه لقد كنا نعمر المسجد الحرام ، ونفك العاني ،

---

[١] - في ز : « نبي الله » .

[٢] - في ز : « ويحرمون » ، خ : « ومحرمون » .

[٣] - في خ : « إن المشركين قالوا : » .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - في ز ، خ : « بعد بدر » .

[٦] - سقط من : ز .

[٧] - في خ : « الغان » .

[٨] - سقط من : ز ، خ .

ونحجب البيت ، ونسقي الحاج فأنزل الله ﴿ **أجعلتم سقاية الحاج** ﴾ الآية .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا ابن عيينة ، عن إسماعيل ، عن الشعبي ، قال : نزلت في علي والعباس - رضي الله عنهما - تكلما في ذلك .

وقال ابن جرير (٤٧) : حدثني يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أُخبرت[١] عن أبي صخر ، قال : سمعت محمد بن كعب القرظي يقول : افتخر طلحة بن شيبة من بني عبد الدار ، وعباس بن عبد المطلب ، وعلي بن أبي طالب ، فقال [ ][٢] طلحة : أنا صاحب البيت معي مفتاحه ولو أشاء[٣] بت فيه ، وقال العباس : أنا صاحب السقاية والقائم عليها ولو أشاء بت في المسجد ، فقال علي - رضي الله عنه - : ما أدري ما تقولان[٤] ، لقد صليت إلىٰ القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد ، فأنزل الله - عزَّ وجلَّ - ﴿ **أجعلتم سقاية الحاج** ﴾ . الآية كلها .

وهكذا قال السدي إلا أنه قال : افتخر علي ، والعباس ، وعثمان[٥] وشيبة بن عثمان ، وذكر نحوه .

وقال عبد الرزاق (٤٨) : أخبرنا معمر ، عن عمرو ، عن الحسن ، قال : نزلت في علي ، وعباس وعثمان ، وشيبة تكلموا في ذلك ، فقال العباس : ما [أراني إلَّا] تارك سقايتنا ، فقال رسول الله ﷺ : « **أقيموا علىٰ سقايتكم فإن لكم فيها خيرًا** » .

ورواه محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن فذكر[٦] نحوه [ ][٧] .

وقد ورد في تفسير هذه الآية حديث مرفوع فلابد من ذكره ها هنا :

قال عبد الرزاق (٤٩) : أخبرنا معمر ، عن يحيىٰ بن أبي كثير ، عن النعمان بن بشير - رضي الله عنه : أن رجلًا قال : ما أبالي أن أعمل عملًا بعد الإسلام [إلا أن أسقي الحاج .

(٤٧) - تفسير الطبري (١٧١/١٤) رقم (١٦٥٦٣) .
(٤٨) - تفسير عبد الرزاق (٢٤٣/١) وهو عند ابن جرير برقم (١٦٥٦١) .
(٤٩) - تفسير عبد الرزاق (٢٤٣/١) وهو عند ابن جرير برقم (١٦٥٦٠) .

[١] - في ز ، خ : « أخبرني ابن لهيعة ....» .
[٢] - في حاشية ز : « لعله عثمان بن طلحة » .
[٣] - في ز : « أشأ » .
[٤] - في ز : « يقولان » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ت : « فذكره » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز : « إلا أنه قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أقيموا على سقايتكم فإن لكم فيها خيرًا » .

وقال آخر : ما أبالي أن لا[١] أعمل عملًا بعد الإسلام][٢] إلا أن أعمر المسجد الحرام . وقال آخر : الجهاد في سبيل اللَّه أفضل مما قلتم . فزجرهم عمر - رضي اللَّه عنه - وقال : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول اللَّه ﷺ وذلك يوم الجمعة ، ولكن إذا صلينا الجمعة دخلنا علىٰ[٣] [النبي ﷺ فسألناه][٤] . فنزلت : ﴿ **أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **لا يستوون عند اللَّه** ﴾ .

(طريق أخرى) قال الوليد بن مسلم : حدثني معاوية بن سلام ، [عن جده أبي سلام الأسود][٥] ، عن النعمان بن بشير الأنصاري قال : كنت عند منبر رسول اللَّه ﷺ في نفر من أصحابه فقال رجل منهم : ما أبالي أن لا أعمل للَّه عملًا بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج ، وقال آخر : بل عمارة المسجد الحرام . وقال آخر : بل الجهاد في سبيل اللَّه خير مما قلتم فزجرهم عمر بن الخطاب - رضي اللَّه عنه - وقال : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وذلك[٦] يوم الجمعة ، ولكن إذا صليت الجمعة دخلت علىٰ رسول اللَّه ، ﷺ فاستفتيه[٧] فيما اختلفتم فيه . قال : ففعل فأنزل اللَّه عز وجل ﴿ **أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام** ﴾ إلىٰ قوله ﴿ **واللَّه لا يهدي القوم الظالمين** ﴾ .

رواه مسلم في صحيحه(٥٠) ، وأبو داود ، وابن جرير وهذا لفظه وابن مردويه ، وابن أبي حاتم في تفاسيرهم وابن حبان في صحيحه .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى

(٥٠) - صحيح مسلم في الإمارة برقم (١٨٧٩) وتفسير الطبري (١٤/١٦٩) رقم (١٦٥٥٧) ولم أجده في سنن أبي داود ، ولم يعزه المزي له في تحفة الأشراف .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « عليه » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٦] - في ز : « وهو » .
[٧] - في ز : « فاستفتيته » .

ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾

أمر تعالىٰ بمباينة الكفار به وإن كانوا آباء أو أبناء ، ونهىٰ عن موالاتهم إن[١] استحبوا أي : اختاروا الكفر علىٰ الإيمان ، وتوعد على ذلك ، كقوله : ﴿ **لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار** ﴾ الآية .

ورویٰ الحافظ البيهقي(٥١) من حديث عبد الله بن شوذب قال : جعل أبو أبي عبيدة بن الجراح ينعت له الآلهة يوم بدر ، وجعل أبو عبيدة يحيد عنه ، فلما أكثر الجراح قصده ابنه أبو عبيدة فقتله ، فأنزل الله فيه هذه الآية ﴿ **لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله** ﴾ الآية .

ثم أمر تعالىٰ رسوله أن يتوعد من آثر[٢] أهله وقرابته[٣] وعشيرته علىٰ الله و[٤] رسوله وجهاد في سبيله فقال : ﴿ **قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها** ﴾ أي : اكتسبتموها وحصّلتموها ﴿ **وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها[٥]** ﴾ أي : تحبونها لطيبها وحسنها ، أي إن كانت هذه الأشياء ﴿ **أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا** ﴾ أي : فانتظروا ماذا يحل بكم من عقابه ونكاله بكم ، ولهذا قال : ﴿ **حتىٰ يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين** ﴾ .

وقال الإمام أحمد(٥٢) : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا ابن لهيعة ، عن زهرة بن معبد ، عن جده قال : كنا مع رسول الله ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال : والله يا رسول الله ؛ لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي . فقال رسول الله ﷺ : « **لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحب إليه من نفسه** » . فقال عمر : فأنت الآن والله أحب إلي من نفسي . فقال رسول الله : « **الآن يا عمر** » .

---

(٥١) - رواه الحاكم (٢٩٦/٣) من طريق الربيع بن سليمان ، عن أسد بن موسى ، عن ضمرة بن ربيعة ، عن عبد الله بن شوذب ، ومن طريق الحاكم رواه البيهقي في الكبرى (٢٧/٩) وقال البيهقي : « هذا منقطع » .

(٥٢) - المسند (٣٣٦/٤) رقم (١٩٠١٤) .

[١] - في ز : « إذا » .

[٢] - في ز : « أحب » .

[٣] - في ز : « قراباته » .

[٤] - في ز : « وعلى » .

[٥] - في ز : « ترضوها » .

انفرد بإخراجه البخاري(٥٣) فرواه عن يحيىٰ بن سليمان ، عن ابن وهب ، عن حيوة بن شريح ، عن أبي عقيل زهرة بن معبد أنه سمع جده عبد اللّٰه بن هشام ، عن النبي ﷺ بهذا .

وقد ثبت في الصحيح(٥٤) عنه ﷺ أنه قال : « **والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين** » .

وروىٰ الإمام أحمد وأبو داود واللفظ له(٥٥) من حديث أبي عبد الرحمن الخراساني ، عن عطاء الخراساني ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : سمعت رسول اللّٰه ﷺ يقول : « **إذا تبايعتم بالعينة ، وأخذتم بأذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد ، سلط اللّٰه عليكم ذلًا لا ينزعه حتىٰ ترجعوا إلىٰ دينكم** » .

وروىٰ الإمام أحمد أيضًا(٥٦) ، عن يزيد بن هارون ، عن أبي جناب[١] ، عن شهر بن حوشب ؛ أنه سمع عبد اللّٰه بن عمرو ، عن رسول اللّٰه ﷺ بنحو ذلك ، وهذا شاهد للذي قبله ، واللّٰه أعلم .

لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾

(٥٣) - صحيح البخاري ، كتاب الأيمان والنذور ، باب : كيف كان يمين النبي ﷺ برقم (٦٦٣٢) .

(٥٤) - صحيح البخاري ، كتاب الإيمان برقم (١٤) دون قوله : «والناس أجمعين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . ورواه مسلم في الإيمان (٤٤) دون قوله : «والذي نفسي بيده» من حديث أنس .

(٥٥) - المسند (٤٢/٢) ، وسنن أبي داود ، كتاب البيوع ، باب : النهي عن العينة برقم (٣٤٦٢) . وفي إسناده إسحاق بن أسيد أبو عبد الرحمن الخراساني نزيل مصر لا يحتج بحديثه ، وفيه أيضًا عطاء الخراساني وفيه مقال .

(٥٦) - المسند (٨٤/٢) ، وأبو جناب : يحيى بن أبي حية : ضعفوه لكثرة تدليسه ، وشهر بن حوشب : صدوق كثير الإرسال والأوهام .

[١] - في ز ، خ : « حباب » .

قال ابن جريج ، عن مجاهد : هذه أول آية نزلت من براءة ، يذكر تعالىٰ للمؤمنين فضله عليهم ، وإحسانه لديهم ، في نصره إياهم في مواطن كثيرة من غزواتهم مع رسوله ، وأن ذلك من عنده تعالىٰ ، وبتأييده وتقديره لا بعَددهم[١] ، ولا بعُددهم ، ونبههم علىٰ أن النصر من عنده سواء قل الجمع أو كثر ، فإن يوم حنين أعجبتهم كثرتهم ، ومع هذا ما أجدىٰ ذلك عنهم شيئًا ، فولوا مدبرين إلا القليل منهم مع رسول الله ﷺ ، ثم أنزل نصره وتأييده علىٰ رسوله وعلىٰ المؤمنين الذين معه كما سنبينه إن شاء الله تعالىٰ مفصلًا ، ليعلمهم أن النصر من عنده تعالىٰ وحده ، وبإمداده وإن قل الجمع ، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين .

وقد قال الإمام أحمد(٥٧) : حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبي ، سمعت يونس يحدث عن الزهري ، عن عبيد الله ، عن ابن عباس ؛ قال : قال رسول الله ﷺ : « **خير الصحابة أربعة ، وخير السرايا أربعمائة ، وخير الجيوش أربعة آلاف ، ولن تغلب اثنا عشر ألفًا من قلة** » .

وهكذا رواه أبو داود والترمذي ، ثم قال : هذا حديث حسن غريب [لا يسنده كبير][٢] أحد غير جرير بن حازم ، وإنما رُوي عن الزهري عن النبي ﷺ مرسلًا .

وقد رواه ابن ماجة والبيهقي وغيره(٥٨) ، عن أكثم بن الجون ، عن رسول الله ﷺ بنحوه ، والله أعلم .

وقد كانت وقعة حنين بعد فتح مكة في شوال سنة ثمان من الهجرة ، وذلك لما فرغ صلىٰ الله عليه وسلم من فتح مكة ، وتمهدت أمورها ، وأسلم عامة أهلها ، وأطلقهم رسول الله ﷺ ، فبلغه أن هوازن جمعوا له ليقاتلوه ، وأن[٣] أميرهم مالك بن عوف النضري ، ومعه ثقيف بكمالها ، وبنو جشم ، وبنو سعد بن بكر ، وأوزاع من بني هلال ، وهم قليل ، وناس من بني عمرو بن عامر ، وعوف بن عامر ، وقد أقبلوا ومعهم النساء والولدان والشاء والنعم ، وجاءوا [بقضهم وقضيضهم][٤] ، فخرج إليهم رسول الله ﷺ في جيشه الذي

---

(٥٧) - المسند (٢٩٤/١) رقم (٢٦٨٢) ، وسنن أبي داود برقم (٢٦١١) ، وسنن الترمذي برقم (١٥٥٥) . ورواه ابن حزيمة في صحيحه (١٤٠/٤) ، وابن حبان (١٧/١١) ، والحاكم (٦١١/١، ١١٠/٢) ، وأبو يعلى (٤٥٩/٤) .

(٥٨) - سنن ابن ماجة برقم (٢٨٢٧) ، وسنن البيهقي الكبرى (٢٦٣/٩) من طريق أبي سلمة العاملي عن الزهري ، عن أنس : أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال لأكثم بن جون ... فذكر نحو حديث =

---

[١] - في ز : « عَددهم » .

[٢] - في خ : « كبير لا يسنده كبير » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - في ز : « بفضهم وفضيفهم » .

جاء معه للفتح ، وهو عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وقبائل العرب ، ومعه الذين أسلموا من أهل مكة ، وهم الطلقاء في ألفين أيضًا[١] ، فسار بهم إلىٰ العدو ، فالتقوا بواد بين مكة والطائف يقال له حنين ، فكانت فيه الوقعة في أول النهار في غلس الصبح ، انحدروا في الوادي ، وقد كمنت فيه هوازن ، فلما تواجهوا لم يشعر المسلمون إلا بهم قد ثاوروهم[٢] ، ورشقوا بالنبال ، وأصلتوا السيوف ، وحملوا حملةَ رجلٍ واحدٍ ، كما أمرهم ملكهم ، فعند ذلك ولىٰ المسلمون مدبرين ، كما قال اللَّه - عز وجل - وثبت رسول اللَّه ﷺ وهو راكب يومئذ بغلته الشهباء يسوقها إلىٰ نحر العدو ، والعباس عمه آخذ بركابها الأيمن ، وأبو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب آخذ بركابها الأيسر يثقلانها لئلا تسرع السير ، وهو ينوه باسمه - عليه الصلاة والسلام - ويدعو المسلمين إلىٰ الرجعة ، « **أين يا عباد اللَّه ؟ إليَّ أنا رسول اللَّه** » . ويقول في تلك الحال :

« **أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب** » .

وثبت معه من أصحابه قريب من مائة ، ومنهم من قال : ثمانون ، فمنهم : أبو بكر وعمر ، رضي اللَّه عنهما والعباس ، وعلي ، والفضل بن عباس ، وأبو سفيان بن الحارث ، وأيمن بن أم أيمن ، وأسامة بن زيد وغيرهم - رضي اللَّه عنهم - ثم أمر [رسول الله][٣] ﷺ عمه العباس وكان جهير الصوت أن ينادي بأعلىٰ صوته : يا أصحاب الشجرة - يعني شجرة بيعة الرضوان التي بايعه المسلمون من المهاجرين والأنصار تحتها ، علىٰ أن لا يفروا عنه - فجعل ينادي بهم : يا أصحاب السمرة ، ويقول تارة : يا أصحاب سورة البقرة ؛ فجعلوا يقولون : يا لبيك ، يا لبيك ، وانعطف الناس ، فجعلوا يتراجعون إلىٰ رسول اللَّه ﷺ ، حتىٰ إن الرجل منهم إذا لم يطاوعه بعيره علىٰ الرجوع لبس درعه ثم انحدر عنه ، وأرسله ورجع بنفسه إلىٰ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فلما اجتمعت[٤] شرذمة منهم [عند رسول الله ﷺ][٥] أمرهم - عليه السلام - أن يصدقوا الحملة ، وأخذ قبضة من التراب بعد ما دعا ربه واستنصره ، وقال : « **اللهم ، أنجز لي ما وعدتني** » .

ثم رمىٰ القوم بها ، فما بقي إنسان منهم إلا أصابه منها في عينيه وفمه ما شغله عن القتال ، ثم انهزموا فاتبع المسلمون أقفاءهم يقتلون ويأسرون ، وما تراجع بقية الناس إلا

= ابن عباس . وقال البوصيري في الزوائد (٤١٢/٢) : « هذا إسناد ضعيف لضعف أبي سلمة العاملي الأزدي وعبد الملك بن محمد الصنعاني » . وقال الألباني : ضعيف جدًا لكن شطره الثاني صحيح من وجهٍ آخر .

[١] - سقط من : ت . [٢] - في ت : بادروهم .

[٣] - زيادة من ز .

[٤] - في ز : « رجعت » ، وفي خ : « رجعة » . [٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

والأسرىٰ[١] مجدلة[٢] بين يدي رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم .

وقال الإمام أحمد(٥٩) : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا يعلىٰ بن عطاء ، عن عبد[٣] اللَّه بن يسار [ ][٤] أبي[٥] همام ، عن أبي عبد الرحمن الفهري - واسمه يزيد ابن أسيد ، ويقال : يزيد بن أنيس ، ويقال : كرز - قال : كنت مع رسول اللَّه ، ﷺ في غزوة حنين ، فسرنا في يوم قائظ شديد الحر ، فنزلنا تحت ظلال الشجر ، فلما زالت الشمس لبست لأمتي وركبت فرسي ، فانطلقت إلىٰ رسول اللَّه ، ﷺ ، وهو في فسطاطه ، فقلت : السلام عليك يا رسول اللَّه ورحمة اللَّه وبركاته[٦] ، حان الرواح ؟ فقال : « **أجل** » . فقال : « **يا بلال** » . فثار من تحت سمرة كأن ظلها[٧] ظل طائر ، فقال : لبيك وسعديك وأنا فداؤك . فقال : « **أسرج لي فرسي** » . فأخرج سرجًا دفتاه من ليف ليس فيهما أشر ولا بطر .

قال : فأسرج فركب وركبنا فصاففناهم عشيتنا وليلتنا ، فتشامت الخيلان فولىٰ المسلمون مدبرين ، كما قال الله عز وجل : ﴿ [**ثم وليتم مدبرين**][٨]﴾ ، فقال رسول اللَّه ﷺ : « **يا عباد اللَّه ، أنا عبد اللَّه ورسوله** » . ثم قال : « **يا معشر المهاجرين ، أنا عبد اللَّه ورسوله** » . قال : ثم اقتحم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عن فرسه ، فأخذ كفًّا من تراب ، فأخبرني الذي كان أدنىٰ إليه مني أنه ضرب به وجوههم ، وقال : « **شاهت الوجوه !** » . فهزمهم اللَّه تعالى . قال يعلى بن عطاء : فحدثني أبناؤهم عن آبائهم أنهم قالوا : لم يبق منا أحد إلا امتلأت عيناه وفمه ترابًا ، وسمعنا صلصلةً بين السماء والأرض كإمرار الحديد علىٰ الطَّشت[٩] الحديد[١٠] .

وهكذا رواه الحافظ البيهقي في دلائل النبوة من حديث أبي داود الطيالسي عن حماد بن

(٥٩) - المسند (٥/٢٨٦) ودلائل النبوة (٥/١٤١) . وعبد اللَّه بن يسار : مجهول . قاله الحافظ « في التقريب ٣٧٤٢ » . وأخرجه أبو داود في كتاب الأدب في باب : الرجل ينادي الرجل فيقول : لبيك (٤/ ٣٦٠، ٣٦١/ رقم: ٥٢٣٣). من طريق موسى بن إسماعيل ، عن حماد بن سلمة به . وأخرجه أيضًا البزار كما في كشف الأستار (٢/ ٣٥٠، ٣٥١/رقم: ١٨٣٣). والطبراني في الكبير (٢٢/ ٢٨٨، ٢٨٩/رقم: ٧٤٠، ٧٤١) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٨١، ١٨٢) وقال: « روى أبو داود منه إلى قوله : **ليس فيه أشر ولا بطر** . ورواه البزار والطبراني ، ورجالهما ثقات » . والحديث حسنه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود حديث ٤٣٦٠ /٥٢٣٣ .

[١] - في ز : « الأسارى » .
[٢] - في ت : « مجندلة » .
[٣] - في ت : « عبيد » .
[٤] - ما بين المعكوفين في ت : عن . وهو خطأ ؛ لأن عبد الله بن يسار هو أبو همام .
[٥] - في ز : « أي » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز : « ظله » .
[٨] - سقط من : خ .
[٩] - في ز ، خ : « الطشت » .
[١٠] - في خ : « الجديد » .

سلمة ، به .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : فخرج مالك بن عوف بمن معه إلىٰ حنين ، فسبق رسول الله ، صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، إليه فأعدوا وتهيئوا في مضايق الوادي وأحنائه ، وأقبل رسول الله ، صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، وأصحابه حتىٰ انحط بهم الوادي في عماية الصبح ، فلما انحط الناس ثارت في وجوههم الخيل فشدت[١] عليهم وانكفأ الناس منهزمين لا يقبل أحد علىٰ أحد ، وانحاز رسول الله صلىٰ الله [عليه][٢] وآله وسلم ذات اليمين يقول : « **أيها الناس ، هلموا إليَّ أنا رسول الله ، أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله** » . فلا شيء وركبت الإبل بعضها بعضًا ، فلما رأىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم أمر الناس قال : « **يا عباس ، اصرخ : يا معشر الأنصار يا أصحاب السمرة** » . فأجابوا[٣] لبيك ! لبيك ! فجعل الرجل يذهب ليعطف بعيره فلا يقدر علىٰ ذلك فيقذف درعه في عنقه ويأخذ سيفه وقوسه ثم يؤم الصوت ، حتىٰ اجتمع إلىٰ رسول الله ، ﷺ ، منهم مائة ، فاستعرض الناس فاقتتلوا وكانت الدعوة أول ما كانت بالأنصار ، ثم جعلت آخرًا بالخزرج ، وكانوا صُبُرًا عند الحرب ، وأشرف رسول الله ، ﷺ ، في ركائبه[٤] ، فنظر إلىٰ مجتلد القوم فقال : « **الآن حمي الوطيس** » .

قال : فو الله ما راجعه الناس إلا والأسارىٰ عند رسول الله ، ﷺ ، ملقون ، فقتل الله منهم من قتل ، وانهزم منهم من[٥] انهزم ، وأفاء الله علىٰ رسوله أموالهم وأبناءهم .

وفي الصحيحين (٦٠) من حديث شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب - رضي الله عنهما - [أن رجلًا قال له][٦] : يا أبا عمارة ؛ أفررتم عن رسول الله ، ﷺ ، يوم حنين ؟ فقال : **لكن رسول الله** ، ﷺ ، لم يفر ، إن هوازن كانوا قومًا رماة ، فلما لقيناهم وحملنا عليهم انهزموا ، فأقبل الناس علىٰ الغنائم فاستقبلونا بالسهام فانهزم الناس ، فلقد رأيت رسول الله ﷺ - وأبو سفيان بن الحارث آخذ بلجام بغلته[٧] البيضاء - وهو يقول : « **أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب** » .

قلت : وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامة ، أنه في مثل هذا اليوم في حومة

(٦٠) - صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب : من قاد دابة غيره في الحرب برقم (٢٨٦٤) ، وصحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير برقم (١٧٧٦) .

[١] - في ز : « فاشتدت » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - في ز : « فأجابوه » .
[٤] - في ز : « ركابه » .
[٥] - في خ : « ما » .
[٦] - في ز : « أنه قال له رجل » .
[٧] - في ز : « بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

الوغىٰ ، وقد انكشف عنه جيشه ، وهو مع هذا[١] علىٰ بغلة وليست سريعة الجري ، ولا تصلح لفر ولا لكر ولا لهرب ، وهو مع هذا[٢] أيضًا يركضها إلىٰ وجوههم ، وينوّه باسمه ليعرفه من لم يعرفه - صلوات اللّٰه وسلامه عليه - دائمًا إلىٰ يوم الدين ، وما هذا كله إلا ثقة باللّٰه ، وتوكلٌ عليه ، وعلمٌ منه بأنه سينصره ويتم ما أرسله به ، ويظهر دينه علىٰ سائر الأديان ؛ ولهذا قال الله تعالىٰ : ﴿ **ثم أنزل اللّٰه سكينته علىٰ رسوله** ﴾ أي : طمأنينته وثباته علىٰ رسوله ﴿ **وعلىٰ المؤمنين** ﴾ أي : الذين معه ﴿ **وأنزل جنودًا لم تروها** ﴾ وهم الملائكة .

كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير : [حدثنا القاسم قال][٣] : حدثني الحسن بن عرفة ، قال : حدثني المعتمر بن سليمان ، عن عوف - هو ابن أبي جميلة[٤] الأعرابي - قال : سمعت عبد الرحمن مولىٰ ابن بُرثن ، حدثني رجل كان مع[٥] المشركين يوم حنين ، قال : لما [ ][٦] التقينا نحن وأصحاب رسول اللّٰه ﷺ يوم حنين لم يقوموا لنا حَلَبَ شاة ، قال : فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم في آثارهم حتىٰ انتهينا إلىٰ صاحب البغلة البيضاء فإذا هو رسول اللّٰه ﷺ ، قال : فتلقانا عنده رجال بيض حسان الوجوه ، فقالوا لنا : شاهت الوجوه ، ارجعوا ، قال : فانهزمنا وركبوا أكتافنا ، فكانت إياها .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي(٦١) : أنبأنا أبو عبد اللّٰه الحافظ ، حدثني محمد بن أحمد بن بَالُويه ، حدثنا إسحاق بن الحسن الحربي ، حدثنا عفان بن مسلم ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا الحارث بن حصيرة ، حدثنا القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، قال : قال ابن مسعود - رضي اللّٰه عنه - : كنت مع رسول اللّٰه ﷺ يوم حنين ، فولىٰ عنه الناس ، وبقيت معه في ثمانين رجلًا من المهاجرين والأنصار ، قدمنا ولم نولهم الدبر ، وهم الذين أنزل اللّٰه عليهم السكينة ، قال : ورسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم علىٰ بغلته البيضاء[٧] يمضي قُدُمًا ، فحادت بغلته ، فمال عن السرج ، فقلت : ارتفع رفعك اللّٰه . قال : « **ناولني كفًّا من التراب** » . فناولته ، قال : فضرب به وجوههم فامتلأت أعينهم ترابًا ، قال : « **أين المهاجرون والأنصار ؟** » . قلت : هم هناك . قال : « **اهتف بهم** » . فهتفت بهم فجاءوا ، وسيوفهم بأيمانهم كأنها الشهب ، وولىٰ المشركون أدبارهم .

---

(٦١) - دلائل النبوة (٥/١٤٣) والمسند (١/٤٥٤) .

---

[١] - في ز ، خ : « ذلك » .

[٢] - في ز ، خ : « ذلك » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز : « حميلة » .

[٥] - في ز : « من » .

[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « كان » .

[٧] - سقط من : ز .

ورواه الإمام أحمد في مسنده ، عن عفان به نحوه .

وقال الوليد بن مسلم : حدثني عبد الله بن المبارك ، عن أبي بكر الهذلي ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، عن شيبة بن عثمان ، قال : لما رأيت رسول الله ﷺ يوم حنين قد عري ذكرت أبي وعمي وقتل علي وحمزة إياهما ، فقلت : اليوم أدرك ثأري منه .

قال : فذهبت لأجيئه عن يمينه ، فإذا أنا بالعباس بن عبد المطلب قائمًا[١] عليه درع بيضاء كأنها فضة يكشف عنها العجاج ، فقلت : عمه ولن يخذله . قال : فجئته عن يساره ، فإذا أنا بأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، فقلت : ابن عمه ولن يخذله ، فجئته من خلفه فلم يبق إلا أن أسوره سورة بالسيف ، إذ رفع لي شواظ من نار بيني وبينه كأنه برق فخفت أن تمحشني ، فوضعت يدي على بصري ومشيت القهقرى ، فالتفت رسول الله ﷺ ، وقال : « **يا شيب يا شيب ؛ ادن مني . اللهم ؛ أذهب عنه الشيطان** » . قال : فرفعت إليه بصري ولهو أحب إلي من سمعي وبصري ، فقال : « **يا شيب ؛ قاتل الكفار** » .

رواه البيهقي من حديث الوليد فذكره(٦٢) ، ثم روى من حديث أيوب بن جابر ، عن صدقة بن سعيد ، عن مصعب بن شيبة ، عن أبيه ، قال : خرجت مع رسول الله ﷺ يوم حنين ، والله ما أخرجني إسلام ولا معرفة به ، ولكنني[٢] أبيت[٣] أن تظهر هوازن على قريش ، فقلت وأنا واقف معه : يا رسول الله ، إني أرى خيلًا بُلقًا[٤] فقال : « **يا شيبة ، إنه لا يراها إلا كافر** » .

فضرب [يده في][٥] صدري ثم قال « **اللَّهُمَّ ، اهد شيبة** » ، ثم ضربها الثانية ثم قال : « **اللَّهُمَّ ، اهد شيبة** » ، ثم ضربها الثالثة ثم قال : « **اللَّهُمَّ ، اهد شيبة** » . قال : فو الله ما رفع يده عن[٦] صدري في الثالثة حتى ما كان أحد من خلق الله أحبَّ إليَّ منه .

وذكر تمام الحديث ثم[٧] التقاء[٨] الناس ، وانهزام المسلمين ، ونداء العباس ، واستنصار رسول الله ﷺ حتى هزم الله المشركين .

---

(٦٢) - دلائل النبوة للبيهقي (١٤٥/٥) .

---

[١] - في ز : « قائم » .
[٢] - في ز : « ولكني » . [٣] - في ز : « أتيت » .
[٤] - بلق الفرس يبلق بلقًا : كان فيه سواد وبياض ، فهو أبلق .
[٥] - في خ : « بيده على » . [٦] - في ز : « من » .
[٧] - في ت : « في » . [٨] - في خ : « التقى » .

[وقال][١] محمد بن إسحاق : حدثني والدي إسحاق بن يسار ، عمن حدثه ، عن جبير ابن مطعم - رضي اللَّه عنه - قال : إنا لمع رسول اللَّه ﷺ يوم حنين ، والناس يقتتلون ، إذ نظرت إلىٰ مثل البجاد[٢] الأسود يهوي من السماء حتىٰ وقع بيننا وبين القوم ، فإذا نمل منثور قد ملأ الوادي ، فلم يكن إلا هزيمة القوم ، فما كنا نشك أنها الملائكة .

وقال سعيد بن السائب بن يسار ، عن أبيه قال : سمعت يزيد بن عامر السوائي ، وكان شهد حنينًا مع المشركين ثم أسلم بعد ، فكنا نسأله عن الرعب الذي ألقىٰ اللَّه في قلوب المشركين يوم حنين - فكان يأخذ الحصاة فيرمي بها في الطست فيطن[٣] فيقول : كنا نجد في أجوافنا مثل هذا .

وقد تقدم له شاهد من حديث يزيد بن أبي أسيد ، فاللَّه أعلم .

وفي صحيح مسلم(٦٣) عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق ، أنبأنا معمر ، عن همام ؛ قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة [قال : قال][٤] رسول اللَّه ﷺ [ ] :[٥] « **نصرت بالرعب وأوتيت جوامع الكلم** » . ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ثم أنزل[٦] اللَّه سكينته علىٰ رسوله وعلىٰ المؤمنين وأنزل جنودًا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ثم يتوب اللَّه من بعد ذلك علىٰ من يشاء واللَّه غفور رحيم** ﴾ قد تاب اللَّه علىٰ بقية هوازن وأسلموا[٧] وقدموا عليه مسلمين ، ولحقوه وقد قارب مكة عند الجعرانة ، وذلك بعد الوقعة بقريب من عشرين يومًا ، فعند ذلك خيرهم بين سبيهم وبين أموالهم ، فاختاروا سبيهم ، وكانوا ستة آلاف أسير مِن[٨] بين صبي وامرأة ، فرده عليهم وقسم أموالهم[٩] بين الغانمين ، ونفل أناسًا من الطلقاء ؛ ليتألف قلوبهم علىٰ الإسلام ، فأعطاهم مائة مائة من الإبل ، وكان من جملة من أعطى مائة مالك بن عوف النضري واستعمله علىٰ قومه كما كان ، فامتدحه بقصيدته التي يقول فيها :

مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ   فِي النَّاسِ كُلِّهِـمُ بمِثْلِ محـمدِ

(٦٣) - صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة برقم (٥٢٣) .

[١] - في خ : « قال » .
[٢] - البجاد : كساء مخطط ، وجمعه بُجُد . أراد الملائكة الذين أيدهم الله بهم .
[٣] - في ز ، خ : « فتطن »
[٤] - ما بين المعكوفتين في ت : « أن » .
[٥] - في ت : « قال » .
[٦] - في خ : « فأنزل » .
[٧] - في ت : « فأسلموا » .
[٨] - في خ : « ما » .
[٩] - في خ : « الأموال » .

أَوْفَىٰ وَأَعْطَىٰ لِلْجَزِيلِ إِذَا [اجْتَدَى ومتىٰ][١] تشَأْ يُخْبِرْكَ عَمَّا فِي غَدِ
وَإِذَا [الكَتِيبَةُ عَرَّدَتْ][٢] أَنْيَابُهَا بالسَّمْهَرِيِّ وَضَرْبِ كُلِّ مُهَنَّدِ
فَكَأَنَّهُ لَيْثٌ عَلَىٰ أَشْبَالِهِ[٣] وَسْطَ الهَبَاءَةِ[٤] خَادِرٌ فِي مَرْصَدِ[٥]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٨) قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ (٢٩)﴾

أمر تعالىٰ عباده المؤمنين الطاهرين دينًا وذاتًا بنفي المشركين الذين هم نجس دينًا عن المسجد الحرام ، وألّا يقربوه بعد نزول هذه الآية ، وكان نزولها في سنة تسع ؛ ولهذا بعث رسول اللَّه ، ﷺ ، عليًّا صحبة أبي[٦] بكر ، رضي اللَّه عنهما ، عامئذ ، وأمره أن ينادي في المشركين ؛ أن لا يحج بعد العام مشركٌ ، ولا يطوف بالبيت عريانٌ ، فأتم اللَّه ذلك وحكم به شرعًا وقدرًا .

وقال عبد الرزاق(٦٤) : أخبرنا ابن جريج ، أخبرني أبو الزبير ؛ أنه سمع جابر بن عبد اللَّه يقول في قوله تعالىٰ : ﴿ **إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا** ﴾ : إلا أن يكون عبدًا أو أحدًا من أهل الذمة .

وقد روي مرفوعًا من وجه آخر ، فقال الإمام أحمد (٦٥) : حدثنا حسن[٧] ، حدثنا شريك ، عن الأشعث - يعني ابن سوار - عن الحسن ، عن جابر ؛ قال : قال رسول اللَّه -

---

(٦٤) - تفسير عبد الرزاق (٢/٢٧١) وهو عند ابن جرير (١٤/١٦٦١٠) .

(٦٥) - أشعث بن سوار ، روى له مسلم متابعة . ضعفه أحمد ، وابن معين ، والدارقطني . وقد وثقه ابن معين مرة . وقال النسائي (٨/٦٩) : أشعث بن سوار ، ضعيف . قال الذهبي : صدوق ، لينه أبو زرعة . وقال ابن حجر في التقريب : ضعيف . والحسن لم يسمع من جابر . وشريك ضُعف لسوء حفظه =

---

[١] - في ز : « احتدى ما » .

[٢] - في ز : « الكثيبة غردت » .

[٣] - في خ : « أسباطه » .

[٤] - في ز : « المساة » ، خ : « المساءة » .

[٥] - بعده في خ : « قوله تعالى » .

[٦] - في ز : « أبو » .

[٧] - في خ : « حسين » .

ﷺ -: « **لا يدخل مسجدنا هذا**[١] **بعد عامنا هذا مشركٌ إلا أهل العهد وخدمكم**[٢] » .

تفرد به الإمام[٣] أحمد مرفوعًا ، والموقوف أصحُّ إسنادًا .

وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعي : كتب عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - : أن امنعوا اليهود والنصارىٰ من دخول مساجد المسلمين ، وأتبع نهيه قول الله تعالىٰ : ﴿ **إنما المشركون نجس** ﴾ (٦٦) .

وقال عطاء : الحرم كله مسجد ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿ **فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا** ﴾ .

ودلَّت هذه الآية الكريمة علىٰ نجاسة المشرك ، كما دلَّت [علىٰ طهارة المؤمن][٤] ؛ لما[٥] ورد [ ][٦] في الصحيح : « **المؤمن لا ينجس** »(٦٧) . وأما[٧] نجاسة بدنه فالجمهور علىٰ أنه ليس بنجس البدن والذات ؛ لأن الله تعالىٰ أحل طعام أهل الكتاب ، وذهب بعض الظاهرية إلىٰ[٨] نجاسة أبدانهم .

وقال أشعث عن الحسن : من صافحهم فليتوضأ . رواه ابن جرير(٦٨) .

وقوله : ﴿ **وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله** ﴾ . قال محمد[٩] بن إسحاق : وذلك أن الناس قالوا : لتنقطعن عنا الأسواق ، ولتهلكن التجارة ، وليذهبن عنا[١٠] ما كنا نصيب فيها من المرافق ، فنزلت[١١] : ﴿ **وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله** ﴾ من وجه غير ذلك ﴿ **إن شاء** ﴾ إلىٰ قوله[١٢] : ﴿ **وهم صاغرون** ﴾ أي :

= والحديث في المسند (٣/٣٩٢) رقم (١٥٢٦٣) وقال الهيثمي في المجمع (٤/١٠) : « فيه أشعث بن سوار ، وفيه ضعف ، وقد وثق » .

(٦٦) - تفسير ابن جرير (١٤/١٦٥٩٥) .

(٦٧) - صحيح البخاري ، كتاب الغسل ، باب : الجنب يخرج ويمشي في السوق وغيره ، رقم (٢٨٥) ومسلم في الحيض حديث (٣٧١) .

(٦٨) - تفسير ابن جرير (٤/١٦٥٩٦) .

[١] - سقط من : ت .
[٢] - في ت : « خدمهم » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز ، خ : « الحديث » .
[٧] - في ت : « وإنما » .
[٨] - في ز ، خ : « على » .
[٩] - سقط من : ز ، خ .
[١٠] - سقط من : ز ، خ .
[١١] - في ت : « فأنزل الله » .
[١٢] - في ز : « غيره » .

[إن][١] هذا عوض ما تخوفتم من قطع تلك الأسواق ، فعوضهم الله بما قطع [عنهم من][٢] أمر الشرك ما أعطاهم من أعناق[٣] أهل الكتاب من الجزية .

وهكذا روي عن ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وقتادة والضحاك وغيرهم .

﴿ إن اللَّه عليم ﴾ أي : بما يصلحكم ﴿ حكيم ﴾ أي : فيما يأمر به وينهىٰ عنه ؛ لأنه الكامل في أفعاله وأقواله ، العادل في خلقه وأمره تبارك وتعالىٰ ، ولهذا عوضهم عن تلك المكاسب بأموال الجزية التي يأخذونها من أهل الذمة ، فقال[٤] : ﴿ **قاتلوا الذين لا يؤمنون باللَّه ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم اللَّه ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتىٰ يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون** ﴾ فهم في نفس الأمر لما[٥] كفروا بمحمد ، ﷺ ، لم يبق لهم إيمان صحيح بأحد[٦] من الرسل ولا بما جاءوا به ، وإنما يتبعون آراءهم وأهواءهم وآباءهم فيما هم فيه ، لا لأنه شرع اللَّه ودينه ؛ لأنهم لو كانوا مؤمنين بما بأيديهم إيمانًا صحيحًا لقادهم ذلك إلىٰ الإيمان بمحمد ، ﷺ ، لأن جميع الأنبياء بشروا به وأمروا باتباعه ، فلما جاء وكفروا به - وهو أشرف الرسل - عُلِمَ أنهم ليسوا متمسكين بشرع الأنبياء [والأقدمين][٧] ؛ لأنه من عند[٨] اللَّه ، بل لحظوظهم وأهوائهم ؛ فلهذا لا ينفعهم إيمانهم ببقية الأنبياء وقد كفروا بسيدهم وأفضلهم وخاتمهم وأكملهم ؛ ولهذا قال :

﴿ **قاتلوا الذين لا يؤمنون باللَّه ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم اللَّه ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب** ﴾ وهذه الآية الكريمة [نزلت][٩] أول الأمر بقتال أهل الكتاب ، بعد ما تمهدت أمور المشركين ودخل الناس في دين اللَّه أفواجًا فلما[١٠] استقرَّت[١١] جزيرة العرب ، أَمَرَ اللَّه رسوله بقتال أهل الكتابين ؛ اليهودِ والنصارىٰ ، وكان ذلك في سنة تسع ؛ ولهذا تجهز رسول الله ، ﷺ ، لقتال الروم ودعا الناس إلىٰ ذلك وأظهره لهم ، وبعث إلىٰ أحياء العرب حول المدينة فندبهم ، فأوعبوا[١٢] معه ، واجتمع من المقاتلة نحو [من][١٣] ثلاثين ألفًا[١٤] ، وتخلف بعض الناس من أهل المدينة ومن حولها من

---

[١] - سقط من ت .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٣] - في ز : « أعتاق » .
[٤] - في ت : « وقوله تعالىٰ » .
[٥] - في ز ، خ : « كما » .
[٦] - في خ : « يأخذ » .
[٧] - في خ : « الأقدمين » .
[٨] - سقط من خ .
[٩] - سقط من ز ، خ ، وأثبتناها لحاجة السياق إليها .
[١٠] - سقط من : ز ، خ .
[١١] - في ز ، خ : « واستقامت » .
[١٢] - أوعبَ القومُ : خرجوا جميعًا .
[١٣] - سقط من خ .
[١٤] - في خ : « ألف » .

المنافقين وغيرهم ، وكان ذلك في عام جدب ووقت قيظ[١] وحر ، وخرج رسول اللَّه ، ﷺ ، يريد الشام ؛ لقتال الروم ، فبلغ تبوك فنزل بها وأقام على مائها[٢] قريبًا من عشرين يومًا ، ثم استخار اللَّه في الرجوع فرجع عامه ذلك ؛ لضيق الحال وضعف الناس ، كما[٣] سيأتي بيانه بعدُ إن شاء اللَّه تعالى .

وقد استدل بهذه الآية الكريمة من يرىٰ أنه لا تؤخذ الجزية إلا من أهل الكتاب أو من أشبههم كالمجوس ، كما صحَّ فيهم الحديث أن رسول اللَّه ، ﷺ ، أخذها من مجوس[٤] هجر ، وهذا مذهب الشافعي وأحمد في المشهور عنه ، وقال أبو حنيفة ، رحمه اللَّه : بل تؤخذ من جميع الأعاجم سواء كانوا من أهل الكتاب أو من المشركين ولا تؤخذ من العرب إلا من أهل الكتاب .

وقال الإمام مالك : بل يجوز أن تضرب الجزية علىٰ جميع الكفار ، من : كتابي ، ومجوسي ، ووثني وغير ذلك . ولمآخذ هذه المذاهب وذكر أدلتها مكانٌ غير هذا ، واللَّه أعلم .

وقوله : ﴿ **حتىٰ يعطوا الجزية** ﴾ أي : إن لم يسلموا ﴿ **عن يد** ﴾ أي : عن قهر لهم وغلبة ﴿ **وهم صاغرون** ﴾ أي : ذليلون حقيرون مهانون ، فلهذا لا يجوز إعزاز[٥] أهل الذمة ولا رفعهم علىٰ المسلمين ، بل هم أذلاء صغرة أشقياء ، كما جاء في صحيح مسلم(٦٩) : عن أبي هريرة ، رضي اللَّه عنه ، أن النبي ، ﷺ ، قال : « **لا تبدءوا اليهود والنصارىٰ بالسلام ، وإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلىٰ أضيقه** » ؛ ولهذا اشترط عليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضي اللَّه ، عنه - تلك الشروط المعروفة في إذلالهم وتصغيرهم وتحقيرهم ، وذلك مما رواه الأئمة الحفاظ من رواية عبد الرحمن بن غنم الأشعري قال : كتبت لعمر بن الخطاب ، رضي اللَّه ، عنه - حين صالح نصارىٰ من أهل الشام :

« بسم اللَّه الرحمن الرحيم ، هذا كتاب لعبد اللَّه عمر أمير المؤمنين من نصارىٰ مدينة كذا وكذا ، إنكم لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسنا وذرارينا وأموالنا وأهل ملتنا ، وشرطنا لكم علىٰ أنفسنا ألَّا نحدث في مدينتنا ولا فيما حولها ديرًا ، ولا كنيسة ، ولا قلاية(*) ،

---

(٦٩) - صحيح مسلم ، كتاب السلام رقم (٢١٦٧/٣) .

(*) قال في النهاية [١٠٥/٤] : القَلِيّة :كالصومعة ؛ كذا وردت ، واسمها عند النصارى : القلَّاية ، وهو تعريب كلَّادة ، وهي من بيوت عباداتهم .

---

[١] - في ز ، خ : « قنط » .
[٢] - في خ : « بابها » .
[٣] - في ت : « لما » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في خ : « إذلال » .

ولا صومعة راهب ، ولا نجدد ما خرب منها ولا نحيي منها ، ما كان خِططًا(*) للمسلمين ، وألَّا نمنع كنائسنا أن ينزلها أحد من المسلمين في ليل ولا نهار ، وأن نوسع أبوابها للمارة وابن السبيل ، وأن ننزل من مرَّ بنا من المسلمين ثلاثة أيام نطعمهم ، ولا نؤوي في كنائسنا ولا منازلنا جاسوسًا[١] ، ولا نكتم غشًّا للمسلمين ، ولا نعلم أولادنا القرآن ، ولا نظهر شركًا ، ولا ندعو إليه أحدًا ، ولا نمنع أحدًا من ذوي قرابتنا الدخول في الإِسلام إن أرادوه ، وأن نوقر المسلمين ، وأن نقوم لهم من مجالسنا إن أرادوا الجلوس ، ولا نتشبه بهم في شيء من ملابسهم في قلنسوة ، ولا عمامة ، ولا نعلين ، ولا فرق شعر ، ولا نتكلم بكلامهم ، ولا نكتني بكناهم ، ولا نركب السروج ، ولا نتقلد السيوف ، ولا نتخذ شيئًا من السلاح ولا نحمله معنا ، ولا ننقش خواتيمنا بالعربية ، ولا نبيع الخمور ، وأن نجز مقاديم رءوسنا ، وأن نلزم زينا حيثما كنا ، وأن نشد الزنانير علىٰ أوساطنا ، وألَّا نظهر الصليب علىٰ كنائسنا ، وألَّا نظهر صلبنا ولا كتبنا في شيء من طرق المسلمين ولا أسواقهم ، ولا نضرب نواقيسنا في كنائسنا إلا ضربًا خفيًّا ، وألَّا نرفع أصواتنا بالقراءة في كنائسنا في شيء من حضرة المسلمين ، ولا نخرج سعانين(**) ولا باعوثًا(***) ، ولا نرفع أصواتنا مع موتانا ، ولا نظهر النيران معهم في شيء من طرق المسلمين ولا أسواقهم ، ولا نجاورهم[٢] بموتانا ، ولا نتخذ من الرقيق ما جرىٰ عليه سهام المسلمين ، وأن نرشد المسلمين ، ولا نطلع عليهم في منازلهم » .

قال : فلما أتيت عمر بالكتاب زاد فيه : ولا نضرب أحدًا من المسلمين ، شرطنا لكم ذلك علىٰ أنفسنا وأهل ملتنا ، وقبلنا عليه الأمان ، فإن نحن خالفنا في شيء مما شرطناه لكم ، ووظفنا علىٰ أنفسنا فلا ذمّة لنا ، وقد حل لكم منا ما يحل من أهل المعاندة والشقاق .

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا

(*) الخِطط : جمع خطة ، وهي الأرض يختطها الإنسان لنفسه ، بأن يعلم عليها علامة ويخط عليها خطًا ليعلم أنه قد احتازها .

(**) سعانين : عيد للنصارى معروف ، قبل عيدهم الكبير بأسبوع .

(***) الباعوث للنصارى : كالاستسقاء للمسلمين ، وهو اسم سرياني .

[١] - في خ : « داسوسًا » .   [٢] - نجاونهم : كذا في خ .

﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾

وهذا إغراء من الله تعالىٰ للمؤمنين علىٰ قتال المشركين الكفار من اليهود والنصارىٰ ؛ لمقالتهم هذه المقالة الشنيعة والفرية علىٰ الله تعالىٰ ؛ فأما اليهود فقالوا في العزير : إنه ابن الله ، تعالىٰ الله عن ذلك علوًّا كبيرًا . وذكر السدي وغيره : أن الشبهة التي حصلت لهم في ذلك : أن العمالقة لما غلبت علىٰ بني إسرائيل ، فقتلوا علماءهم وسبوا كبارهم ، بقي العزير يبكي علىٰ بني إسرائيل وذهاب العلم منهم ، حتىٰ سقطت جفون عينيه ، فبينا[١] هو ذات يوم إذ مر علىٰ جبانة ، وإذا امرأة تبكي عند قبر وهي تقول : وامطعماه ! واكاسياه ! فقال لها : ويحك ! من كان يطعمك قبل هذا ؟ قالت : الله . قال : فإن الله حي لا يموت . قالت : يا عزير ، فمن كان يعلم العلماء قبل بني إسرائيل ؟ قال : الله . قالت : فلم تبكي عليهم ؟! فعرف أنه شيء قد وعظ به ، ثم قيل له : اذهب إلىٰ نهر كذا فاغتسل منه وصل هناك ركعتين ، فإنك ستلقىٰ هناك شيخًا فما أطعمك فكله ، فذهب ففعل ما أمر به ، فإذا الشيخ[٢] فقال له : افتح فمك ، ففتح فمه فألقىٰ فيه شيئًا كهيئة الجمرة العظيمة ثلاث مرات ، فرجع عزير وهو من أعلم الناس بالتوراة ، [فقال : يا بني إسرائيل ، قد جئتكم بالتوراة][٣] . فقالوا : يا عزيرُ ، ما كنت كذابًا ! فعمد فربط علىٰ أصبع من أصابعه قلمًا ، وكتب التوراة بأصبعه كلّها ، فلما تراجع الناس من عدوهم ، ورجع العلماء أخبروا بشأن عزير ، فاستخرجوا النسخ التي كانوا أودعوها في الجبال وقابلوها[٤] بها ، فوجدوا ما جاء به صحيحًا ، فقال بعض جهلتهم : إنما صنع هذا لأنه ابن الله !!

وأما ضلال النصارىٰ في المسيح فظاهر ، ولهذا كذب الله سبحانه الطائفتين فقال : ﴿ **ذلك قولهم بأفواههم** ﴾ أي : لا مستند لهم فيما ادّعوه سوىٰ افترائهم واختلاقهم[٥] ﴿ **يضاهئون** ﴾ أي : يشابهون ﴿ **قول الذين كفروا من قبل** ﴾ أي : من قبلهم من الأمم ، ضلوا كما ضل هؤلاء [ ][٦] ﴿ **قاتلهم الله** ﴾ قال ابن عباس : لعنهم الله ﴿ **أنىٰ يؤفكون ؟** ﴾ أي : كيف يضلون عن الحق وهو ظاهر ، ويعدلون إلىٰ الباطل ؟

---

[١] - في خ : « فبينما » .

[٢] - في ز : « شيخ » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٤] - في ز : « وقابلوه » .

[٥] - في ز ، خ : « واختلافهم » .

[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « من » .

وقوله[١] : ﴿ **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون اللّٰه والمسيح ابن مريم** ﴾ .

روىٰ الإمام أحمد والترمذي وابن جرير(٧٠) : من طرق ، عن عدي بن حاتم ، رضي اللّٰه عنه : أنه لما بلغته دعوة رسول اللّٰه ، ﷺ ، فرَّ إلىٰ الشام وكان قد تنصر في الجاهلية فأسرت أخته وجماعة من قومه ، ثم منّ رسول اللّٰه ، ﷺ ، علىٰ أخته وأعطاها ، فرجعت إلىٰ أخيها ورغبته[٢] في الإسلام ، وفي القدوم علىٰ رسول اللّٰه ، ﷺ ، فقدم عدي إلىٰ[٣] المدينة ، وكان رئيسًا في قومه طيئ ، وأبوه حاتم الطائي المشهور بالكرم ، فتحدث الناس بقدومه ، فدخل علىٰ رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وآله وسلم - وفي عنق عدي صليب من فضة - فقرأ رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم هذه الآية ﴿ **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون اللّٰه** ﴾ قال : فقلت : إنهم لم يعبدوهم . فقال : « **بلىٰ ، إنهم حرموا عليهم الحلال ، وحللوا[٤] لهم الحرام فاتبعوهم ، فذلك عبادتهم إياهم** » .

وقال رسول اللّٰه ، ﷺ : « **يا عدي ، ما تقول ؟ أيُفِرُّك أن يقال : اللّٰه أكبر ؟ فهل تعلم شيئًا أكبر من اللّٰه ؟ ما يفرك ؟ أيفرك أن يقال : لا إله إلا اللّٰه ؟ فهل تعلم [مِنْ إله إلا][٥] اللّٰه ؟** » . ثم دعاه إلىٰ الإسلام ، فأسلم وشهد شهادة الحق ، قال : فلقد رأيت وجهه استبشر ثم قال[٦] : « **إن اليهود مغضوب عليهم ، والنصارىٰ ضالون** » .

وهكذا قال حذيفة بن اليمان ، وعبد اللّٰه بن عباس وغيرهما في تفسير : ﴿ **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون اللّٰه** ﴾ : إنهم اتبعوهم فيما حللوا وحرموا .

وقال السدي : استنصحوا الرجال وتركوا كتاب اللّٰه وراء ظهورهم .

ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا** ﴾ أي : الذي إذا حرم الشيء فهو الحرام ، وما حلله [فهو الحلال][٧] ، وما شرعه اتبع ، وما حكم به نفذ .

---

(٧٠) - سنن الترمذي برقم (٣٠٩٥) وتفسير الطبري (١٤/٢٠٩-٢١١) (١٤/١٦٦٣١ ، ١٦٦٣٣) من طريق عبد السلام بن حرب ، عن غطيف بن أعين ، عن مصعب بن سعد ، عن عدي بن حاتم ، رضي اللّٰه عنه ، وقال الترمذي : « هذا حديث غريب ، لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب ، وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث » . وضعف - غطيف - الدارقطني .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : « فرغبته » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في خ : « وأحلوا » .
[٥] - في ت : « إلها غير » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز : « حل » ، خ : « خل » .

﴿ **لا إله إلا هو**[١] **سبحانه عما يشركون** ﴾ أي : تعالىٰ وتقدس وتنزه عن الشركاء والنظراء ، والأعوان ، والأضداد ، والأولاد ، لا إله إلا هو ولا ربَّ سواه .

يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾

يقول تعالىٰ : يريد هؤلاء الكفار من المشركين وأهل الكتاب ﴿ [**أن يطفئوا**][٢] **نور الله** ﴾ أي : ما بعث به رسول الله ، ﷺ ، من الهدىٰ ودين الحق ، بمجرد جدالهم وافترائهم ، فمثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفئ شعاع الشمس ، أو نورَ القمر بنفخة ، وهذا لا سبيل إليه ، فكذلك ما أرسل به رسول الله ، ﷺ ، لابد أن يتم ويظهر ؛ ولهذا قال تعالىٰ مقابلًا لهم فيما راموه وأرادوه ﴿ **ويأبىٰ الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون** ﴾ .

والكافر : هو الذي يستر الشيء ويغطيه ، ومنه سمي الليل كافرًا[٣] ؛ لأنه يستر الأشياء ، والزارع كافرًا[٤] ؛ لأنه يغطي الحَبَّ في الأرض ، كما قال ﴿ **يعجب الكفار نباته** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **هو الذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق** ﴾ فالهدىٰ : هو ما جاء به من الإخبارات[٥] الصادقة ، والإيمان الصحيح ، والعلم النافع ، ودين الحق : هو[٦] الأعمال الصالحة[٧] الصحيحة النافعة في الدنيا والآخرة .

﴿ **ليظهره علىٰ الدين كله** ﴾ أي : علىٰ سائر الأديان ، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، أنه قال : « **إن الله زوى**(*) **لي الأرض مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها** »(٧١) .

---

(٧١) - صحيح مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة برقم ١٩- (٢٨٨٩) من حديث ثوبان رضي الله عنه .
(*) أي : جمع . وفعله : زويته أزويه زيًّا .

---

[١] - في ز : « الله » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « ليطفئوا » .
[٣] - في ز : « كافر » .
[٤] - في ز : « كافر » .
[٥] - في خ : « الأخبار » .
[٦] - في ز ، خ : « هي » .
[٧] - سقط من : ز ، خ .

وقال الإمام أحمد(٧٢) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة عن محمد بن أبي يعقوب ، سمعت شقيق بن حيان[١] يحدث ، عن مسعود بن قبيصة - أو قبيصة بن مسعود - يقول : صلىٰ هذا الحي من محارب[٢] الصبح ، فلما صلَّوا قال شاب منهم : سمعت رسول الله ، صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم ، يقول : « **إنه سيفتح[٣] لكم مشارق الأرض ومغاربها ، وإن عمالها في النار إلا من اتقىٰ اللَّه وأدّىٰ الأمانة** » .

وقال الإمام أحمد(٧٣) : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا صفوان ، حدثنا سليم بن عامر ، عن تميم الداري ، رضي اللَّه عنه ، قال : سمعت رسول اللَّه ، ﷺ ، يقول : « **ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك اللَّه بيتَ مدرٍ(*) ولا وبرٍ إلا أدخله هذا الدينَ ، بعزِّ عزيزٍ أو بذلِ ذليلٍ ، عزًّا يُعِزُّ اللَّه به الإسلامَ ، وذلًّا يذل اللَّه به الكفر** » . فكان تميم الداري يقول : قد عرفت ذلك في أهل بيتي ، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز ، ولقد أصاب من كان [منهم كافرًا] الذل والصغار والجزية .

وقال الإمام أحمد(٧٤) : حدثنا يزيد بن عبد ربه ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثني ابن جابر ، سمعت سليم بن عامر ، قال : سمعت المقداد بن الأسود ، يقول : سمعت رسول اللَّه ، ﷺ ، يقول : « **لا يبقىٰ علىٰ وجه الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله اللَّه[٤] كلمة الإسلام ، بعز عزيزٍ [أو ذلّ][٥] ذليلٍ ، إما يعزهم اللَّه فيجعلهم من أهلها ، أو[٦] يذلهم**

(٧٢) - المسند (٣٦٦/٥) رقم (٢٣٢١٥) . وشقيق بن حيان : ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال غيره : مجهول . ومسعود بن قبيصة أو قبيصة بن مسعود : ذكره البخاري بالشك ، ولم يذكر فيه جرحاً ، وقال أبو حاتم : مجهول . وذكره ابن حبان فيمن اسمه قبيصة من ثقات التابعين فقال : يروي عن أبي هريرة ، روى عنه شقيق بن حبان . (التعجيل ت ٨٧٨، التاريخ الكبير ١٦٧/٧، الجرح ١٢٦/٧ ، والثقات ٥/ ٣١٨) . وله شاهد من حديث الحسن مرسلاً رواه أبو نعيم في الحلية (١٩٩/٦) . والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٣٣/٥) وعزاه لأحمد وقال : « وفيه شقيق بن حيان قال أبو حاتم مجهول » .

(٧٣) - المسند (١٠٣/٤) رقم (١٧٠٠٧) ، وأخرجه الحاكم (٤٣٠/٤ - ٤٣١) . والطبراني في الكبير (٢/ ٥٨) حديث (١٢٨٠) . والبيهقي (١٨١/٩) . وقال الهيثمي في المجمع (١٤/٦) : « رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح » . والحديث صححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة حديث (٣) .

(*) - المدر : الطين اللزج المتماسك ، أو القطعة منه . وأهل المدر : سكان البيوت المبنية ، خلاف البدو سكان الخيام .

(٧٤) - المسند (٤/٦) رقم (٢٣٩٢٦) ، والوليد بن مسلم : مدلس ويسوي ؛ إلا أنه قد صرح بالتحديث =

[١] - في خ : « حباب » .
[٢] - في خ : « مجارب » .
[٣] - في خ : « ستفتح » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في خ : « وبذل » .
[٦] - في خ : « وإما » .

فيدينون لها » .

وفي المسند أيضًا(٧٥) : حدثنا محمد بن أبي عدي ، عن ابن عون ، عن ابن سيرين ، عن أبي حذيفة ، عن عدي بن حاتم سمعه يقول : دخلت علىٰ رسول اللَّه ، ﷺ ، فقال : « **يا عدي ، أسلم تسلم** ». فقلت : إني من أهل دين . قال : « **أنا أعلم بدينك منك** » . فقلت : أنت أعلم بديني مني ؟! قال : « **نعم ، ألست من الركوسية ، وأنت تأكل مرباع قومك ؟** ». قلت : بلىٰ ! قال : « **فإن هذا لا يحل لك في دينك** » .

قال : فلم يعدُ أن قالها فتواضعتُ لها . قال « **أما إني أعلم ما الذي يمنعك من الإسلام ، تقول : إنما اتبعه ضَعَفَةُ الناس ومَنْ لا قوّة له ، وقد رمتهم العرب ، أتعرف الحَيرة ؟** ». قلت : لم أرها وقد سمعت بها . قال : « **فو الذي نفسي بيده ليتمَّنّ اللَّه هذا الأمر ، حتىٰ تخرج الظَّعينة من الحيرة حتىٰ تطوف بالبيت من[١] غير جوار أحد ، ولتفتحن كنوز كسرىٰ بن هرمز** » .

قلت : كسرىٰ بن هرمز ؟! قال : « **نعم ، كسرىٰ بن هرمز ، وليبذلن المال حتىٰ لا يقبله أحد** » قال عدي بن حاتم : فهذه الظعينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت من[٢] غير جوار أحد[٣] ، ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرىٰ بن هرمز ، والذي نفسي بيده ، لتكونن الثالثة ؛ لأن رسول اللَّه ، ﷺ ، قد قالها .

وقال مسلم(٧٦) : حدثنا أبو معن زيد بن يزيد الرقاشي ، حدثنا خالد بن الحارث ، حدثنا عبد الحميد بن جعفر ، عن الأسود بن العلاء ، عن أبي سلمة ، عن عائشة ، رضي اللَّه عنها ، قالت : سمعت رسول اللَّه ، ﷺ ، يقول : « **لا يذهب الليل والنهار حتىٰ تعبد اللات والعزى** » . فقلت : يا رسول اللَّه ، إن كنت لأظن - حين أنزل اللَّه عز وجل ﴿ **هو الذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق** ﴾ . إلى قوله : ﴿ **ولو كره المشركون** ﴾[٤] - أن

= وكذلك شيخه فمن فوقه صرحوا بالسماع . وسليم بن عامر : ثقة . روى له البخاري في الأدب والباقون . وابن جابر : هو عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، ثقة ، روى له الجماعة . والحديث أخرجه الطبراني في الكبير (٣٥٤/٢٠/ رقم : ٦٠١) . وابن حبان في الإحسان (٩١/١٥-٩٤/رقم : ٦٦٩٩، ٦٧٠١) . والحاكم في المستدرك (٤٣٠/٤) . والبيهقي في السنن (١٨١/٩) . كلهم من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن جابر به . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤/٦) وقال : « ورجال الطبراني رجال الصحيح » .

(٧٥) - المسند (٣٧٧/٤، ٣٧٨) رقم (١٩٤٣٥) مطولاً .

(٧٦) - صحيح مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، رقم (٢٩٠٧) .

[١] - في ز : « في » .
[٢] - في : « في » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ت : الآية .

ذلك تام .

قال : « **إنه سيكون من ذلك ما شاء الله عز وجل ، ثم يبعث الله ريحًا طيبة ، [فيتوفىٰ كل من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان]**[١] ، **فيبقىٰ من لا خير فيه ، فيرجعون إلىٰ دين آبائهم** » .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ (٣٤) يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ (٣٥) ﴾

قال السدي : الأحبار من اليهود ، والرهبان من النصارىٰ . وهو كما قال ؛ فإن الأحبار هم علماء اليهود ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت** ﴾ والرهبان : عباد النصارىٰ ، والقسيسون : علماؤهم ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانًا وأنهم لا يستكبرون** ﴾ .

والمقصود : التحذير من علماء السوء وعباد الضلالة[٢] ، كما قال سفيان بن عيينة : من فسد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود ، ومن فسد من عبادنا كان فيه شبه من النصارى . وفي الحديث الصحيح(٧٧) : « **لتركبن سَنَنَ من كان قبلكم حَذْوَ القُذَّةِ**(*) **بالقذة** » . قالوا : اليهود والنصارىٰ ؟ قال : « **فمن ؟** » وفي رواية : فارس والروم ؟ قال : « **فمن**[٣] **الناس إلا هؤلاء ؟** » .

والحاصل : التحذير من التشبه بهم في [أحوالهم وأقوالهم] ؛ ولهذا قال تعالىٰ :

---

(٧٧) - رواه بمعناه ونحوه البخاري في صحيحه برقم (٣٤٥٦) ومسلم في صحيحه برقم (٢٦٦٩) .

(*) في النهاية [٢٨/٤] : القُذَذ : ريش السهم ، واحدتها قُذَّة - أي : كما تقدر كل واحدة منهما على قدر صاحبتها وتقطع . يضرب مثلًا للشيئين يستويان ولا يتفاوتان .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - في خ : « الضلال » .

[٣] - في ز : « وفي » .

﴿ ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ﴾ وذلك أنهم يأكلون الدنيا بالدين ومناصبهم ورياستهم في الناس يأكلون أموالهم بذلك ، كما كان لأحبار اليهود علىٰ أهل الجاهلية شرف ، ولهم[١] عندهم خَرْجٌ(*) وهدايا وضرائب تجيء إليهم ، فلما بعث الله رسوله ، ﷺ استمروا علىٰ ضلالهم وكفرهم وعنادهم ؛ طمعًا منهم أن تبقىٰ لهم تلك الرياسات ، فأطفأها الله بنور النبوّة ، وسلبهم إياها ، وعوضهم [الذل والصغار][٢] ، وباءوا بغضبٍ من الله تعالى .

وقوله تعالىٰ : ﴿ ويصدون عن سبيل الله ﴾ أي : وهم - مع أكلهم الحرام - يصدون الناس عن اتباع الحق ، ويلبسون الحق بالباطل ، ويظهرون لمن اتبعهم من الجهلة أنهم يدعون إلىٰ الخير ، وليسوا كما يزعمون ، بل هم دعاة إلىٰ النار ، ويوم القيامة لا ينصرون .

وقوله : ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ﴾ . هؤلاء هم القسم الثالث من رءوس الناس ، فإن الناس عالة[٣] علىٰ العلماء ، وعلىٰ العباد ، وعلىٰ أرباب الأموال ، فإذا فسدت أحوال هؤلاء فسدت أحوال الناس ، كما قال [ابن المبارك][٤] :

وهل أفسد الدِّينَ إلَّا المُلُوكُ وأحبارُ سُوءٍ ورُهْبانُها

وأما الكنز : فقال مالك ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر [أنه قال][٥] : هو المال الذي لا تؤدىٰ منه زكاة[٦] .

وروىٰ الثوري وغيره(٧٨) ، عن عبيد[٧] الله ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : ما أُدي زكاته فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين ، وما كان ظاهرًا لا تؤدى زكاته فهو كنز .

وقد روي هذا عن ابن عباس ، وجابر ، وأبي هريرة موقوفًا ومرفوعًا (٧٩) ، وقال[٨] عمر ابن الخطاب نحوه : أيما مال أديت زكاته فليس بكنز ، وإن كان مدفونًا في الأرض ، وأيما

(*) الخرج : الإتاوة السنوية .

(٧٨) - رواه البيهقي في السنن الكبرى (٤/٨٢) من طريق سفيان عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر مرفوعًا وقال : « ليس هذا بمحفوظ ، وإنما المشهور عن سفيان عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر موقوفًا » .

(٧٩) - أما حديث ابن عباس ، فرواه الطبري في تفسيره (١٤/٢٢٥) رقم (١٦٦٦٩) من طريق علي =

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز : « بالذلة والمسكنة » .

[٣] - في ز ، خ : « عيلة » .

[٤] - في ز ، خ : « بعضهم » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .

[٦] - في ز : « الزكاة » .

[٧] - في ز ، خ : « عبد » .

[٨] - سقط من : ز .

مال لم تؤد زكاته فهو كنز يكوىٰ به صاحبه وإن كان علىٰ وجه الأرض .

وروىٰ البخاري (٨٠) : من حديث الزهري ، عن خالد بن أسلم قال : خرجنا مع عبد الله ابن عمر فقال : هذا قبل أن تنزل الزكاة ، فلما نزلت جعلها الله طُهْرَةً[١] للأموال .

وكذا قال عمر بن عبد العزيز وعراك بن مالك : نسخها [ ][٢] قوله تعالىٰ : ﴿ **خذ من أموالهم صدقة** ﴾. الآية .

وقال سعيد عن محمد بن زياد ، عن أبي أمامة أنه قال : حلية السيوف من الكنز ، ما أحدثكم إلا ما سمعت [من رسول الله ، ﷺ][٣] .

وقال الثوري ، عن أبي حصين ، عن أبي الضحىٰ ، عن جعدة بن هبيرة ، عن علي ، رضي الله عنه ، قال : أربعة آلاف فما دونها نفقة ، فما كان أكثر [من ذلك][٤] فهو كنز .

وهذا غريب ، وقد جاء في مدح التقلل من الذهب والفضة ، وذم التكثر منهما[٥] أحاديث كثيرة ، ولنورد منها هنا طرفًا يدل علىٰ الباقي :

قال[٦] عبد الرزاق (٨١) : أخبرنا الثوري ، أخبرني أبو حصين ، عن أبي الضحىٰ ، عن جعدة بن هبيرة ، عن علي ، رضي الله عنه ، في قوله : ﴿ **والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله** ﴾ . قال النبي ، ﷺ : « **تبًا للذهب تبًا للفضة** » يقولها ثلاثًا ، قال : فشق ذلك علىٰ أصحاب رسول الله ، ﷺ ، وقالوا : فأي مال نتخذ ؟ فقال عمر رضي الله عنه : أنا أعلم لكم ذلك . فقال : يا رسول الله ، إن أصحابك قد شق عليهم ،

ابن أبي طلحة عن ابن عباس موقوفًا ، وأما حديث جابر ، فرواه ابن عدي في الكامل (١٨٩/٧) من طريق يحيى بن أبي أنيسة عن أبي الزبير عن جابر مرفوعًا ، ورواه الخطيب في تاريخ بغداد (١٢/٨) من طريق خصيف عن أبي الزبير عن جابر مرفوعًا . وأما حديث أبي هريرة ، فرواه الترمذي في السنن برقم (٦١٨) قال العراقي : « إسناده جيد » .

(٨٠) - صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب : ما أدي زكاته فليس بكنز ، رقم (١٤٠٤) .

(٨١) - ذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٧١/٢) وعزاه لعبد الرزاق في تفسيره بعد أن ذكره من حديث ثوبان وعمر ، ثم قال : « الحاصل أنه حديث ضعيف لما فيه من الاضطراب » .

---

[١] - في ز : « طهرًا » .

[٢] - ما بين المعكوفين في خ : «في» .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « منه » .

[٥] - في خ : « منها » .

[٦] - في ز : « فقال » .

و[١] قالوا : فأي المال نتخذ ؟ قال : « **لسانًا ذاكرًا ، وقلبًا شاكرًا ، وزوجة تعين أحدكم علىٰ دينه** » .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(٨٢) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، حدثني [سالم بن عبد اللّه][٢] ، أخبرنا عبد اللّه بن أبي الهذيل ، حدثني صاحب لي ، أن رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وآله وسلم ، قال : « **تبًا للذهب والفضة** » . قال : فحدثني[٣] صاحبي أنه انطلق مع عمر بن الخطاب ، فقال : يا رسول اللّه ، قولك : « **تبًا للذهب والفضة** » ماذا ندخر ؟ قال رسول اللّه ، ﷺ : « **لسانًا ذاكرًا ، وقلبًا شاكرًا ، وزوجة تعين علىٰ الآخرة** » .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(٨٣) : حدثنا وكيع ، حدثنا عبد اللّه بن عمرو بن مرة ، عن أبيه ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن ثوبان قال : لما نزل في [الفضة والذهب][٤] ما نزل ، قالوا : فأي المال نتخذ ؟ [قال عمر : أنا أعلم ذلك لكم ، فأوضع(*) على بعير فأدركه - وأنا في أثره - فقال : يا رسول اللّه ، أي المال نتخذ ؟][٥] قال : « **ليتخذ أحدكم قلبًا شاكرًا ، ولسانًا ذاكرًا ، وزوجة تعين أحدكم علىٰ[٦] أمر الآخرة** » .

ورواه الترمذي وابن ماجة : من غير وجه ، عن سالم بن أبي الجعد وقال الترمذي : حسن . وحكى عن البخاري أن سالمًا لم يسمعه من ثوبان .

قلت : ولهذا رواه بعضهم عنه مرسلًا ، واللّه أعلم .

(حديث آخر) قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا حميد بن مالك ، حدثنا يحيىٰ ابن يعلى[٧] المحاربي ، حدثنا أبي ، حدثنا غيلان بن جامع المحاربي ، عن عثمان أبي اليقظان ، عن جعفر بن إياس[٨] ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ **والذين يكنزون الذهب والفضة** ﴾ . الآية ، كَبُرَ ذلك علىٰ المسلمين ، وقالوا : ما

(٨٢) - المسند (٣٦٦/٥) رقم (٢٣٢٠٧) .

(٨٣) - المسند (٢٨٢/٥) رقم (٢٢٥٣٩) والترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة التوبة (٥/ ٢٧٧، ٢٧٨/ رقم: ٣٠٩٤) . وابن ماجة في كتاب النكاح ، باب : أفضل النساء (١/ ٥٩٦/ رقم: ١٨٥٦) .

(*) أوضع الراكبُ الدابة : حملها على السير السريع .

[١] - سقط من : ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٣] - في خ : « وحدثني » .

[٤] - في خ : « الذهب والفضة » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٦] - في خ : « على » .

[٧] - سقط من : خ .

[٨] - في ز ، خ : « أبي إياس » .

يستطيع أحد منا [أن يترك لولده][١] مالًا يبقىٰ بعده . فقال عمر : أنا أفرج عنكم . فانطلق عمر واتبعه ثوبان ، فأتىٰ النبي ، ﷺ ، فقال : يا نبي اللَّه ، إنه قد كبر علىٰ أصحابك هذه الآية . فقال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم : « **إن اللَّه لم يفرض الزكاة إلا ليطيب بها ما بقي من أموالكم ، وإنما فرض المواريث من أموال تبقىٰ بعدكم** » . قال : فكبر عمر ، ثم قال له النبي ، ﷺ : « **ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء ؛ المرأة الصالحة التي إذا نظر إليها سرته ، وإذا أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها حفظته** » .

ورواه أبو داود ، والحاكم في مستدركه ، وابن مردويه من حديث يحيىٰ بن يعلى ، به ، وقال الحاكم : صحيح علىٰ شرطهما ولم يخرجاه(٨٤) .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد (٨٥) : حدثنا روح ، حدثنا الأوزاعي ، عن حسان ابن عطية قال : كان شداد بن أوس ، رضي اللَّه عنه ، في سفر ، فنزل منزلًا فقال لغلامه : ائتنا بالشفرة(*) نعبث[٢] بها ، فأنكرت عليه ، فقال : ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت إلا وأنا أخطمها وأزمها غير كلمتي هذه ، فلا تحفظوها علي واحفظوا ما أقول لكم ، سمعت رسول اللَّه ، ﷺ ، يقول : « **إذا كنز الناس الذهب والفضة فاكنزوا هؤلاء الكلمات : اللهم ؛ إني أسألك الثبات في الأمر ، والعزيمة علىٰ الرشد ، وأسألك شكرَ نعمتِك ، وأسألك حسنَ عبادتك ، وأسألك قلبًا سليمًا ، وأسألك لسانًا صادقًا ، وأسألك من خير ما تعلم ، وأعوذ بك من شرِّ ما تعلم ، وأستغفرك لما تعلم ، إنك أنت علام الغيوب** » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **يوم يحمىٰ عليها في نار جهنم فتكوىٰ بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون** ﴾ أي : يقال لهم هذا الكلام تبكيتًا

(٨٤) - سنن أبي داود برقم (١٦٦٤) والمستدرك (٢/٣٣٣) قال الذهبي : « وعثمان لا أعرفه والخبر عجيب » .

(٨٥) - المسند (٤/١٢٣) (١٧١٦٥) والحديث أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات ، باب : ما جاء فيمن يقرأ القرآن عند المنام . (٥/٤٤٤) حديث (٣٤٠٧) . مقتصراً على المرفوع . والنسائي في الصلاة (٣/٥٤) . وفي عمل اليوم والليلة حديث (٨١٢) . وابن السني في عمل اليوم والليلة . والطبراني الكبير (٧/٣٥١) حديث (٧١٧٥) - (٧١٨٠) . وقال أبو عيسى : هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه .والحلية ومصنف ابن أبي شيبة ، وتاريخ ابن عساكر ، وصحيح ابن حبان ، والترمذي .

(*) كذا في ز ، خ ، والمسند : الشفرة (بالشين) ولكن وردت في تاريخ ابن عساكر وترجمة شداد بن أوس - وصحيح ابن حبان ، والحلية وغيرها : السفرة (بالسين المهملة) . والسفرة : طعام المسافر . ولكن كلا اللفظين غير ملائم للسياق ، فلعل باللفظة تحريفًا . ولكن جاء في النهاية : « كان أنس شفرة القوم في سفرهم » وفسر ابن الأثير الشفرة هنا بمعنى الخادم ، فلعلها ههنا أيضًا بهذا المعنى .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « بولده » . [٢] - في ز : « بعثت » .

وتقريعًا وتهكّمًا ، كما في قوله : ﴿ **ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم * ذق إنك أنت العزيز الكريم** ﴾ أي : هذا بذاك ، وهو الذي كنتم تكنزون لأنفسكم ؛ ولهذا يقال : من أحب شيئًا ، وقدمه علىٰ طاعة اللَّه عذب به ، وهؤلاء لما كان جمع هذه الأموال آثر عندهم من رضا اللَّه عذبوا بها ، كما كان أبو لهب -لعنه اللَّه- جاهدًا في عداوة [الرسول][١] ، ﷺ ، وامرأته تعينه في ذلك ، كانت يوم القيامة عونًا علىٰ عذابه أيضًا ، ﴿ **في جيدها** ﴾ أي : عنقها ﴿ **حبل من مسد** ﴾ أي : تجمع من الحطب في النار ، وتلقي عليه ؛ ليكون ذلك أبلغ في عذابه ممن[٢] هو أشفق عليه [كان][٣] في الدنيا ، كما أن هذه الأموال لما كانت أعز الأشياء[٤] علىٰ أربابها ، كانت أضر الأشياء عليهم في الدار الآخرة ، فيحمىٰ عليها في نار جهنم - وناهيك بحرها - فتكوىٰ بها جباههم وجنوبهم وظهورهم .

قال سفيان(٨٦) ، عن الأعمش ، عن عبد اللَّه بن مرة ، عن مسروق ، عن عبد اللَّه بن مسعود : واللَّه الذي لا إله غيره ، لا يكوىٰ عبد بكنز فيمس دينار دينارًا ولا درهم درهمًا ، ولكن يوسع[٥] جلده فيوضع كل دينار ودرهم علىٰ حدته .

وقد رواه ابن مردويه عن أبي هريرة مرفوعًا ولا يصح رفعه ، واللَّه أعلم .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، قال : بلغني أن الكنز يتحول يوم القيامة شجاعًا يتبع صاحبه ، وهو يفر منه ويقول : أنا كنزك ، لا يدرك منه شيئًا إلا أخذه .

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير(٨٧) : حدثنا بشر ، حدثنا يزيد ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن معدان بن أبي طلحة ، عن ثوبان ، أن رسول اللَّه ، ﷺ ، كان يقول : « **من ترك بعده كنزًا ، مُثِّل له يوم القيامة شجاعًا أقرع ، له زبيبتان يتبعه و[٦] يقول : ويلك ! ما أنت ؟ فيقول : أنا كنزك الذي تركته بعدك . ولا يزال يتبعه حتىٰ يلقمه يده فيقضمها[٧] ، ثم يتبعها سائر جسده** » .

---

(٨٦) - رواه الطبري في تفسيره (٢٣٣/١٤) رقم (١٦٦٨٢) من طريق سفيان ، به .

(٨٧) - تفسير الطبري (٢٣٢/١٤) رقم (١٦٦٨٠) وصحيح ابن حبان برقم (٨٠٣) « موارد » ورواه ابن خزيمة في صحيحه برقم (٢٢٥٥) من طريق بشر بن معاذ ، به .

---

[١] - في خ : « رسول اللَّه » .
[٢] - في ز : « من » .
[٣] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز .
[٤] - في م : « الأموال » .
[٥] - في ز : « يتوسع » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في ز : « فيصفصفها » ، خ : « فيقصقصها » ، والمثبت من تفسير الطبري .

ورواه ابن حبان في صحيحه : من حديث يزيد ، عن سعيد ، به ، وأصل هذا الحديث في الصحيحين(٨٨) : من رواية أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه .

و[١] في صحيح مسلم(٨٩) : من حديث سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة : أن رسول الله ، ﷺ ، قال : « **ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله ، إلا جعل له[٢] يوم القيامة صفائح من نار ، يكوى[٣] بها جنبه وجبهته وظهره ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضى بين الناس[٤] ، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار** » .

وذكر تمام الحديث .

وقال البخاري في تفسير هذه الآية(٩٠) : حدثنا قتيبة [بن سعيد][٥] ، حدثنا جرير ، عن حصين ، عن زيد[٦] بن وهب ، قال : مررت على أبي ذر بالربذة فقلت : ما أنزلك بهذه الأرض ؟ فقال[٧] : كنا بالشام فقرأت ﴿ **والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم** ﴾ فقال معاوية : ما هذا[٨] فينا ، ما هذه إلا في أهل الكتاب . قال : قلت : إنها لفينا وفيهم .

ورواه ابن جرير(٩١) : من حديث عبثر بن القاسم ، عن حصين ، عن زيد بن وهب ، عن أبي ذر ، رضي الله عنه ... فذكره وزاد : فارتفع في ذلك بيني وبينه القول ، فكتب إلى عثمان يشكوني[٩] ، فكتب إليَّ عثمان أن[١٠] أقبل إليه . قال : فأقبلتُ ، فلمّا قدمت المدينة ركبني الناس كأنهم لم يروني قبل يومئذ ، فشكوت[١١] ذلك إلى عثمان فقال لي : تنح قريبًا . قلت : والله لن أدع ما كنت أقول .

(٨٨) - صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، رقم (٤٦٥٩) ولم أعثر عليه في صحيح مسلم من هذا الطريق .

(٨٩) - صحيح مسلم ، كتاب الزكاة رقم (٩٨٧) .

(٩٠) - صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن رقم (٤٦٦٠) .

(٩١) - تفسير الطبري (٢٢٧/١٤) رقم (١٦٦٧١) .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ت : « فيكوى » .
[٤] - في ت : « العباد » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز ، خ : « يزيد » .
[٧] - في ت : « قال » .
[٨] - في خ : « هذه » .
[٩] - في خ : « يسلوني » .
[١٠] - في ز : « أني » .
[١١] - في ت : « فشكون » .

(قلت) : كان من مذهب أبي ذر -رضي الله عنه- تحريم ادخار ما زاد علىٰ نفقة العيال ، وكان يفتي بذلك ، ويحثهم عليه ، ويأمرهم به ، ويغلظ في خلافه ، فنهاه معاوية فلم ينته ، فخشي أن يضر بالناس في هذا ، فكتب يشكوه إلىٰ أمير المؤمنين عثمان ، وأن يأخذ [الذي يأخذه][١] إليه ، فاستقدمه عثمان إلىٰ المدينة ، وأنزله بالربذة وحده ، وبها مات رضي الله عنه في خلافة عثمان .

وقد اختبره معاوية -رضي الله عنه- وهو عنده هل يوافق عمله قوله ؟ فبعث إليه بألف دينار ، ففرقها من يومه . ثم بعث إليه الذي أتاه بها فقال : إن معاوية إنما بعثني إلىٰ غيرك فأخطأت فهات الذهب . فقال : ويحك ! إنها خرجت ، ولكن إذا جاء مالي حاسبناك به .

وهكذا روىٰ علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس أنها عامة .

وقال السدي : هي في أهل القبلة .

وقال الأحنف بن قيس : قدمت المدينة ، فبينا أنا في حلقة فيها ملأ من قريش ، إذ جاء رجل أخشن الثياب ، أخشن الجسد ، أخشن الوجه ، [فقام عليهم][٢] فقال : بشر الكانزين[٣] برضف(*) يحمىٰ عليه في نار جهنم ، فيوضع علىٰ حلمة ثدي أحدهم ، حتىٰ يخرج من نغض كتفه ، [ويوضع علىٰ نغض كتفه][٤] حتىٰ يخرج من حلمة ثديه يتزلزل .

قال : فوضع القوم رءوسهم ، فما رأيت أحدًا منهم رجع إليه شيئًا ، قال : وأدبر فاتبعته حتىٰ جلس إلىٰ سارية ، فقلت : ما رأيت هؤلاء إلا كرهوا ما قلت لهم . فقال : إن هؤلاء لا يعلمون شيئًا .

وفي الصحيح(٩٢) أن رسول الله ، ﷺ ، قال لأبي ذر : « **ما يسرني أن عندي مثل أُحد ذهبًا ، يمر عليه**[٥] [**ثلاثة**][٦] **وعندي منه شيء ، إلا دينار أرصده لدين** » .

فهذا - والله أعلم - هو الذي حدا[٧] بأبي ذر علىٰ القول بهذا .

(*) الرضف : الحجارة المحماة على النار .

(٩٢) - صحيح مسلم ،كتاب الزكاة رقم (٩٩١) من حديث أبي هريرة .

---

[١] - سقط من : ت .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٣] - في خ : « الكنازين » .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - في خ : « علي » .

[٦] - ما بين المعكوفتين في خ : « ثلاث أيام » .

[٧] - في ز : « حذا » .

وقال الإمام أحمد(٩٣) : حدثنا عفان ، حدثنا همام ، حدثنا قتادة ، عن سعيد بن أبي الحسن ، عن عبد اللّه بن الصامت - رضي اللّه عنه - أنه كان مع أبي ذر ، فخرج عطاؤه ، ومعه جارية ، فجعلت تقضي حوائجه ، ففضلت معها سبعة ، فأمرها أن تشتري به فلوسًا(*) .

قال : قلت : لو ادخرته لحاجة تنوبك[١] وللضيف ينزل بك . قال : إن خليلي عهد إليّ أن « **أيما ذهب أو فضة أوكئ عليه ، فهو جمر علىٰ صاحبه حتىٰ يفرغه في سبيل اللّه عز وجل** » .

ورواه(٩٤) عن يزيد عن همام به ، وزاد : إفراغًا .

وقال[٢] الحافظ ابن عساكر (٩٥) بسنده إلىٰ أبي بكر الشبلي ، في ترجمته ، عن محمد ابن مهدي ، حدثنا عمرو بن أبي سلمة ، عن صدقة بن عبد اللّه ، عن طلحة بن زيد ، عن أبي فروة الرهاوي ، عن عطاء ، عن أبي سعيد - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه ، ﷺ : « **الْقَ اللّهَ فقيرًا ولا تلقه غنيًا** » . قال : يا رسول اللّه ، كيف لي بذلك ؟ قال : « **ما سئلت فلا تمنع ، وما رزقت فلا تختبئ** » . قال : يا رسول اللّه ، كيف لي بذلك ؟ قال رسول اللّه ، ﷺ : « **هو ذاك وإلا فالنار** » . إسناده ضعيف .

وقال الإمام أحمد(٩٦) : حدثنا عفان ، حدثنا جعفر بن سليمان ، حدثنا عُتَيْبَة ، عن بُرَيْد ابن الصرم ؛ قال : سمعت عليًا - رضي اللّه عنه - يقول : مات رجل من أهل الصفة ، وترك دينارين أو درهمين ، فقال رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وآله وسلم : « **كيَّتان ! صلوا علىٰ صاحبكم** » .

وقد روي هذا من طرق أخر (٩٧) .

وقال قتادة ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي أمامة صُدَيّ بن عجلان ، قال : مات رجل

---

(٩٣) - المسند (٥/١٥٦) رقم (٢١٤٦٣) .

(*) الفلوس : جمع فَلْس ، وهي عملة يتعامل بها مضروبة من غير الذهب والفضة .

(٩٤) - المسند (٥/١٧٥) وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٢٤٠) : « رجاله رجال الصحيح » .

(٩٥) - انظر : مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٢٨/١٦٨) ورواه الخطيب في تاريخ بغداد (١٤/٣٩٠) في ترجمة الشبلي من طريق محمد بن مهدي المصري ، به .

(٩٦) - المسند (١/١٠١) .

(٩٧) - رواه أحمد في مسنده (١/١٣٧، ١٣٨) من طريق قطن بن نسير ومحمد بن عبيد وحبان بن هلال =

---

[١] - في ز ، خ : « بيوتك » . [٢] - في ت : « قال » .

من أهل الصفة ، فوجد في مئزره دينار ، فقال رسول الله ، ﷺ : « **كية** » . ثم توفي رجل آخر فوجد في مئزره ديناران ، فقال رسول الله ، ﷺ : « **كيتان** » (٩٨) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو النضر إسحاق بن إبراهيم الفراديسي ، حدثنا معاوية بن يحيىٰ الأَطْرَابُلسِي ، حدثني أرطاة ، حدثنا أبو عامر الهوزني ، سمعت ثوبان مولىٰ رسول الله ، ﷺ ، قال : « **ما من رجل يموت وعنده أحمر أو أبيض ، إلا جعل الله بكل قيراط صفحة من نار ، يكوىٰ بها من قدمه إلىٰ ذقنه** » .

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا محمود بن خداش ، حدثنا سيف بن محمد الثوري ، حدثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ، ﷺ : « **لا يوضع الدينار علىٰ الدينار ، ولا الدرهم علىٰ الدرهم ، ولكن يوسع جلده ، فيكوىٰ بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم ، فذوقوا ما كنتم تكنزون** » . سيفٌ هذا كذابٌ متروك .

﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾

قال الإمام أحمد(٩٩) : حدثنا إسماعيل ، أخبرنا أيوب ، أخبرنا محمد بن سيرين ، عن أبي بكرة ؛ أن النبي ، ﷺ ، خطب في حجته ، فقال : « **ألا إن الزمان قد استدار كهيئته**

= كلهم عن جعفر بن سليمان به نحوه ، وجاء من حديث عبد الله بن مسعود رواه أحمد في مسنده (١/ ٤١٢) ، وجاء من حديث سلمة بن الأكوع رواه أحمد في مسنده (٤/٤٧) من حديث طويل ، وجاء من حديث أبي هريرة رواه أحمد في مسنده (٢/٤٢٩) .

(٩٨) - رواه أحمد في مسنده (٥/ ٢٥٢ ، ٢٥٣) والطبراني في الكبير (٨ / ١٤٨ ، ٣١٠ ، ٣١١ / رقم : ٧٥٧٣ ، ٧٥٧٤ ، ٨٠٠٨ ، ٨٠١١) من طرق عن أبي أمامة الباهلي . والطبري في تفسيره (١٤/٢٢٢) من طريق قتادة ، به . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد في موضعين : الأول (٣ / ١٢٥) وعزاه للطبراني وحده وقال : « وبعض طرقه رجاله رجال الصحيح غير شهر بن حوشب ، وهو ثقة ، وفيه كلام » . والثاني في (١٠ / ٢٤٠) وعزاه لأحمد وحده وقال : « رواه كله بأسانيد ، ورجال بعضها رجال الصحيح ؛ غير شهر بن حوشب وقد وثق » .

(٩٩) - المسند (٥/٣٧) (٢٠٤٣٨) . ورواه البخاري في كتاب العلم ، باب : قول النبي صلى الله =

يوم خلق اللّٰه السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهرًا منها أربعة [حرم ثلاثة متواليات][١] : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم . ورجب مضر الذي بين جمادىٰ وشعبان » . ثم قال : « **ألا أي يوم هذا ؟** » قلنا : اللّٰه ورسوله أعلم . فسكت حتىٰ ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : « **أليس يوم النحر ؟** » قلنا : بلىٰ . ثم قال : « **أي شهر هذا ؟** » قلنا : اللّٰه ورسوله أعلم . فسكت حتىٰ ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : « **أليس ذا الحجة ؟** » قلنا : بلىٰ . ثم قال : « **أي بلد هذا ؟** » قلنا : اللّٰه ورسوله أعلم . [قال :][٢] فسكت حتىٰ ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : « **أليس[٣] البلدة ؟** » قلنا : بلىٰ . قال : « **فإن دماءكم وأموالكم - وأحسبه قال وأعراضكم - عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، ألا لا ترجعوا[٤] بعدي ضلالًا يضرب بعضكم رقاب بعض ، ألا هل بلغت ؟ ألا ليبلغ الشاهد منكم[٥] الغائب ؛ فلعل من يبلغه يكون أوعىٰ له من بعض من يسمعه[٦]** » .

رواه البخاري في التفسير وغيره ، ومسلم من حديث أيوب ، عن محمد [وهو][٧] ابن سيرين ، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة ، عن أبيه ، به .

وقد قال ابن جرير(١٠٠) : حدثنا محمد بن معمر ، حدثنا روح ، حدثنا أشعث ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ؛ قال : قال رسول اللّٰه ، ﷺ : « **إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق اللّٰه السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند اللّٰه اثنا**

= عليه وسلم « رب مبلغ أوعى من سامع » . (رقم : ٦٧) وأطرافه في (١٠٥، ١٧٤١، ٣١٩٧، ٤٤٠٦، ٤٦٦٢، ٥٥٥٠، ٧٠٧٨، ٧٤٤٧) . ومسلم في كتاب القسامة ، باب : تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال (رقم : ١٦٧٩) . وأبو داود في كتاب الحج ، باب : الأشهر الحرم (رقم : ١٩٤٧ / ١٩٤٨) . والترمذي في كتاب الأضاحي ، باب : رقم (٢١) (١٥٢٠) . والنسائي في كتاب تحريم الدم ، باب : تحريم القتل . (٧ / ١٢٧ / رقم : ٤١٣٠) . وكتاب الضحايا ، باب : الكبس (٧ / ٢٢٠ / رقم : ٤٣٨٩) . وفي الكبرى في كتاب الحج ، باب : الخطبة يوم النحر (٢ / ٤٤٢، ٤٤٣ / رقم : ٤٠٩١، ٤٠٩٢، ٤٠٩٢) . وباب : الأشهر الحرم (٢ / ٤٦٩، ٤٧٠ / رقم : ٤٢١٥) . وفي كتاب العلم ، باب : ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم : « **رب مبلغ أوعى من سامع** » (٣ / ٤٣٢، ٤٣٣ / رقم : ٥٨٥٠، ٥٨٥١) . وابن ماجة : المقدمة ، باب : من بلغ علمًا (١ / ٨٥ / رقم : ٢٣٣) .

(١٠٠) - تفسير الطبري (١٤/٢٣٥) رقم (١٦٦٨٥) .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « متوالية » .
[٢] - ما بين المعكوفتين زيادة من : خ .
[٣] - في خ : « أليست » .
[٤] - في ز : « ترجعون » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في خ : « سمعه » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

عشر شهرًا في كتاب اللَّه يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حرم ؛ ثلاثة متواليات : [ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، و][١] رجب مضر الذي[٢] بين جمادىٰ وشعبان » .

ورواه البزار عن محمد بن معمر ، به ، ثم قال : [لا يروىٰ][٣] عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه . وقد رواه ابن عون وقرة ، عن ابن سيرين ، عن عبد الرحمن بن[٤] أبي بكرة ، عن أبيه ، به .

وقال ابن جرير أيضًا (١٠١) : حدثني موسىٰ بن عبد الرحمن المسروقي[٥] ، حدثنا زيد بن حباب ، حدثنا موسىٰ بن عبيدة الربذي ، حدثني صدقة بن يسار ، عن ابن عمر ؛ قال : خطب رسول اللَّه ، ﷺ ، في حجة الوداع بمنىٰ ، في أوسط أيام التشريق ، فقال : « **أيها الناس ، إن الزمان قد استدار فهو اليوم كهيئته يوم خلق اللَّه السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند اللَّه اثنا عشر شهرًا ، منها أربعة حرم ؛ أولهن : رجب مضر بين جمادىٰ وشعبان . وذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم** » .

وروىٰ ابن مردويه من حديث موسىٰ بن عبيدة ، عن عبد اللَّه بن دينار ، عن ابن عمر ، مثله أو نحوه .

وقال حماد بن سلمة (١٠٢) : حدثني علي بن زيد ، عن أبي حرة : حدثني[٦] الرقاشي ، عن عمه - وكانت له صحبة - قال : كنت آخذًا بزمام ناقة رسول اللَّه ، ﷺ ، في أوسط أيام التشريق ، أذود الناس عنه ، فقال رسول اللَّه ﷺ : « **ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق اللَّه السموات والأرض[٧] ، وإن عدة الشهور عند اللَّه اثنا عشر شهرًا في كتاب اللَّه يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حرم ، فلا تظلموا فيهن أنفسكم** » .

وقال سعيد بن منصور : حدثنا أبو معاوية ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **منها أربعة حرم** ﴾ قال : محرم ، ورجب ، وذو القعدة ، وذو الحجة .

وقوله ﷺ ، في الحديث : « **إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق اللَّه السموات**

(١٠١) - تفسير الطبري (٢٣٤/١٤) رقم (١٦٦٨٤) وموسى بن عبيدة ضعيف .

(١٠٢) - رواه أحمد في مسنده (٧٣،٧٢/٥) من طريق حماد بن سلمة بأطول منه .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز : « عن » .
[٥] - في ز : « المروقي » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - بعده في خ : « منها أربعة حرم » .

والأرض » . تقريرٌ منه ، صلوات اللَّه وسلامه عليه ، وتثبيت للأمر علىٰ ما جعله اللَّه تعالى في أول الأمر ، من غير تقديم ولا تأخير ، ولا زيادة ولا نقص ، ولا نسيء ولا تبديل ، كما قال في تحريم مكة : « **إن هذا البلد حرمه اللَّه يوم خلق السموات والأرض ، فهو حرام بحرمة اللَّه تعالىٰ إلىٰ يوم القيامة** » . وهكذا قال هاهنا : « **إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق اللَّه السموات والأرض** » .

أي الأمر اليوم شرعًا كما ابتدأ اللَّه ذلك في كتابه يوم خلق السموات والأرض .

وقد قال بعض المفسرين والمتكلمين علىٰ هذا الحديث : إن المراد بقوله : « **قد استدار كهيئته يوم خلق اللَّه السموات والأرض** » أنه اتفق أن حج رسول اللَّه ، ﷺ ، في تلك السنة في ذي الحجة ، وأن العرب قد كانت نسأت النسيء يحجون في كثير من السنين - بل أكثرها - في غير ذي الحجة ، وزعموا أن حجة الصديق في سنة تسع كانت في ذي القعدة ، وفي هذا نظر كما سنبينه إذا تكلمنا علىٰ النسيء .

وأغرب منه ما رواه الطبراني عن بعض السلف في جملة حديث : أنه اتفق حج المسلمين واليهود والنصارىٰ في يوم واحد ، وهو يوم النحر عام حجة الوداع ، واللَّه أعلم .

(فصل) ذكر الشيخ علم الدين السخاوي في جزء جمعه سماه : (المشهور في أسماء الأيام والشهور) أن المحرم سمي بذلك لكونه شهرًا محرمًا - وعندي أنه سمي بذلك تأكيدًا لتحريمه ؛ لأن العرب كانت تتقلب[١] به ، فتحله عامًا وتحرمه عامًا - قال : ويجمع علىٰ محرمات ومحارم ومحاريم .

وصفر سمي بذلك ؛ لخلو بيوتهم منهم حين يخرجون للقتال والأسفار ، يقال : صفر المكان إذا خلا ، ويجمع علىٰ أصفار كجمل وأجمال .

و[٢] شهر ربيع الأول سمي بذلك لارتباعهم فيه ، والارتباع : الإقامة في[٣] عمارة الربع ، ويجمع علىٰ أربعاء ، كنصيب وأنصباء ، وعلىٰ أربعة ، كرغيف وأرغفة . وربيع الآخر كالأول .

وجمادىٰ سمي بذلك لجمود الماء فيه . قال : وكانت الشهور في حسابهم لا تدور ، وفي هذا نظر ؛ إذ كانت شهورهم منوطة بالأهلة ، [ولا بد][٤] من دورانها ، فلعلهم سموه بذلك [أول ما][٥] سمي عند جمود الماء في البرد ، كما قال الشاعر :

---

[١] - في ز : « تتغلب » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « من » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ت : « فلابد » .

[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « أو » .

وَلَيْلَةٍ مِنْ جُمَادَىٰ ذَاتِ أَنْدِيَةٍ لَا يُبْصِرُ العَبْدُ فِي ظَلْمَائِهَا الطُّنُبَا
لَا يَنْبَحُ الكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ حَتَّىٰ يَلِفُّ عَلَىٰ خُرْطُومِهِ الذَّنبَا

وتجمع[١] علىٰ جماديات كحبارىٰ وحباريات ، وقد يذكر ويؤنث ، فيقال : جمادىٰ الأولىٰ والأول[٢] ، وجمادىٰ الآخر[٣] و[٤] الآخرة .

رجب من الترجيب وهو التعظيم ، ويجمع علىٰ أرجاب ورجاب ورجبات .

و[٥] شعبان من تشعب القبائل وتفرقها للغارة ، ويجمع علىٰ شعابين وشعبانات .

و[٦] رمضان من شدة الرمضاء وهو الحر ، يقال : رمضت الفصال إذا عطشت . ويجمع علىٰ رمضانات ورماضين وأرمضة . قال : وقول من قال : إنه اسم من أسماء اللَّه خطأ ، لا يعرج عليه ، ولا يلتفت إليه .

قلت : قد ورد فيه حديث ولكنه ضعيف ، وبينته في أول كتاب الصيام .

شوال من شالت الإبل بأذنابها للطراق ، قال : ويجمع علىٰ شواول وشواويل وشوالات .

القَعدة بفتح القاف - قلت : وكسرها - لقعودهم فيه عن القتال والترحال ، ويجمع علىٰ ذوات القعدة .

الحجة بكسر الحاء - قلت : وفتحها -سمي بذلك لإيقاعهم الحج فيه ، ويجمع على ذوات الحجة .

أسماء الأيام : أولها الأحد : ويجمع علىٰ آحاد وأُحاد ووحود . ثم يوم الإثنين ، ويجمع علىٰ أثانين . الثلاثاء يمد[٧] ويذكر ويؤنث ، ويجمع علىٰ ثلاثاوات وأثالث . ثم الأربعاء : بالمد ، ويجمع علىٰ أربعاوات وأرابيع . والخميس : يجمع علىٰ أخمسة وأخامس . ثم الجمعة بضم الميم وإسكانها وفتحها أيضًا ، ويجمع علىٰ جُمَع وجُمْعَات[٨] .

السبت : مأخوذ من السبت وهو القطع ؛ لانتهاء العدد عنده ، وكانت العرب تسمي الأيام : أول ، ثم أهون ، ثم جبار ، ثم دبار ، ثم مؤنس ، ثم العروبة ، ثم شيار ، قال الشاعر من العرب العرباء العاربة المتقدمين :

---

[١] - في خ : « ويجمع » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في ز : « فيمد » .
[٨] - في ز ، خ : « وجماعات » .

أُرَجِّـيٰ أَنْ أَعِيـشَ وإِنَّ يَـوْمِـي ... بِـأَوَّل أَوْ بِـأَهْـون أَوْ جـبَـار
أَوِ التَّـالِـي دبَـار فَـإِنْ أَفُـتْـهُ[١] ... فَـمُـؤنـس أَوْ عـروبـة أَوْ شـيـار

وقوله تعالىٰ : ﴿ منها أربعة حرم ﴾ فهذا مما كانت العرب أيضًا في الجاهلية تحرمه ، وهو الذي كان عليه جمهورهم إلا طائفة منهم ، يقال لهم : البسل ، كانوا يحرمون من السنة ثمانية أشهر تعمقًا وتشديدًا .

وأما قوله : « **ثلاثة متواليات : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مُضَر الذي بين جمادىٰ وشعبان** » [فإنما أضافه إلىٰ مضر ليبين صحة قولهم في رجب : إنه الشهر الذي بين جمادىٰ وشعبان][٢] ، لا كما كانت تظنه ربيعة من أن رجب المحرم هو الشهر الذي بين شعبان وشوال وهو رمضان اليوم ، فبين ، ﷺ ، أنه رجب مضر لا رجب ربيعة ، وإنما كانت الأشهر المحرمة أربعة ، ثلاثة سرد وواحد فرد ؛ لأجل أداء مناسك الحج والعمرة ، فحرم قبل شهر الحج شهر[٣] وهو ذو القعدة ؛ لأنهم يقعدون فيه عن القتال ، وحرم شهر ذي[٤] الحجة ؛ لأنهم يوقعون فيه الحج ويشتغلون بأداء المناسك ، وحرم بعده شهر آخر وهو المحرم ليرجعوا[٥] فيه إلىٰ نائي[٦] أقصىٰ بلادهم آمنين ، وحرم رجب في وسط الحول ؛ لأجل زيارة البيت والاعتمار به لمن يقدم إليه من أقصىٰ جزيرة العرب ، فيزوره ثم يعود إلىٰ وطنه فيه آمنًا .

وقوله : ﴿ **ذلك الدين القيم** ﴾ أي : هذا هو الشرع المستقيم ، من امتثال أمر الله فيما جعل من الأشهر الحرم ، والحذو بها علىٰ ما سبق في كتاب الله الأول .

وقال[٧] تعالىٰ : ﴿ **فلا تظلموا فيهن أنفسكم** ﴾ أي : في هذه الأشهر المحرمة ؛ لأنها[٨] آكد وأبلغ في الإثم من غيرها ، كما أن المعاصي في البلد الحرام تضاعف ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿ **ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب إليم** ﴾ ، وكذلك الشهر الحرام تغلظ فيه الآثام ؛ ولهذا تغلظ فيه الدية في مذهب الشافعي وطائفة كثيرة من العلماء ، وكذا في حق من قتل في الحرم أو قتل ذا محرم .

وقال حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس في

---

[١] - في ز : « أفنه » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في خ : « شهرًا » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « ليرجعون » .
[٦] - في ز ، خ : « تالي » .
[٧] - في خ : « قال » .
[٨] - في ز : « لأنه » .

قوله : ﴿ **فلا تظلموا فيهن أنفسكم** ﴾ قال : في الشهور كلها .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : قوله : ﴿ **إن عدة الشهور عند اللَّه اثنا عشر شهرًا** ﴾ . الآية . ﴿ **فلا تظلموا فيهن أنفسكم** ﴾ في كلهن ، ثم اختص من ذلك أربعة أشهر ، فجعلهن حرامًا وعظم حرماتهن ، وجعل الذنب فيهن أعظم . والعمل الصالح والأجر أعظم .

وقال قتادة في قوله : ﴿ **فلا تظلموا فيهن أنفسكم** ﴾ إن الظلم في الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزرًا من الظلم [فيما سواها][١] ، وإن كان الظلم علىٰ كل حال عظيمًا ، ولكن اللَّه يعظم من أمره ما يشاء ، وقال : إن اللَّه اصطفىٰ صفايا من خلقه ؛ اصطفىٰ من الملائكة رسلًا ومن الناس رسلًا ، واصطفىٰ من الكلام ذكره ، واصطفىٰ من الأرض المساجد ، واصطفىٰ من الشهور رمضان والأشهر الحرم ، واصطفىٰ من الأيام يوم الجمعة ، واصطفىٰ من الليالي ليلة القدر ، فعظموا ما عظم اللَّه . فإنما يُعَظِّمُ[٢] الأمورَ[٣] ما[٤] عظمها اللَّه به عند أهل الفهم وأهل العقل .

وقال الثوري ، عن قيس بن مسلم ، عن الحسن ، عن[٥] محمد بن الحنفية : بأن لا تحرموهن كحرمتهن .

وقال محمد بن إسحاق : ﴿ **فلا تظلموا فيهن أنفسكم** ﴾ أي : لا تجعلوا حرامها حلالًا ، ولا[٦] حلالها حرامًا ، كما فعل أهل الشرك ، فإنما النسيء الذي كانوا يصنعون من ذلك زيادة في الكفر ﴿ **يضل به الذين كفروا** ﴾ . الآية .

وهذا القول اختيار ابن جرير .

وقوله : ﴿ **وقاتلوا المشركين كافة** ﴾ أي : جميعكم ﴿ **كما يقاتلونكم كافة** ﴾ أي : جميعهم ﴿ **واعلموا أن اللَّه مع المتقين** ﴾ .

وقد اختلف العلماء في تحريم ابتداء القتال في الشهر الحرام هل هو منسوخ أو محكم ؟ علىٰ قولين :

أحدهما - وهو الأشهر - أنه منسوخ ؛ لأنه تعالىٰ قال هاهنا : ﴿ **فلا تظلموا فيهن**

---

[١] - في ز : « مما سواه » .

[٢] - في ت : « تعظم » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ت : « بما » .

[٥] - في ز : « بن » .

[٦] - سقط من : ز .

أنفسكم ﴾ وأمر بقتال المشركين ، وظاهر السياق مشعرٌ بأنه أمر بذلك أمرًا عامًّا ، فلو[١] كان محرمًا في الشهر الحرام لأوشك أن يقيده بانسلاخها ؛ ولأن رسول اللَّه ، ﷺ ، حاصر أهل الطائف في شهر حرام وهو ذو القعدة ، كما ثبت في الصحيحين أنه خرج إلىٰ هوازن ، في شوال ، فلما كسرهم واستفاء أموالهم ورجع فَلُّهم فلجئُوا[٢] إلىٰ الطائف - عمد إلىٰ الطائف فحاصرهم أربعين يومًا وانصرف ولم يفتتحها ، فثبت أنه حاصَرَ في الشهر الحرام .

والقول الآخر أن ابتداء القتال في الشهر الحرام حرام ، وأنه لم ينسخ تحريم الشهر الحرام ؛ لقوله[٣] تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر اللَّه ولا الشهر الحرام** ﴾ . وقال : ﴿ **الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدىٰ عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدىٰ عليكم** ﴾ الآية . وقال : ﴿ **فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين** ﴾ الآية .

وقد تقدم أنها الأربعة المقررة في كل سنة ، لا أشهر التسيير علىٰ أحد القولين . وأما قوله تعالىٰ ﴿ **وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة** ﴾ فيحتمل أنه منقطع عما قبله ، وأنه حكم مستأنف ، ويكون من باب التهييج والتحضيض ، أي : كما يجتمعون لحربكم إذا حاربوكم ، فاجتمعوا أنتم أيضًا لهم إذا حاربتموهم ، وقاتلوهم[٤] بنظير ما يفعلون . ويحتمل أنه أذن للمؤمنين بقتال المشركين في الشهر الحرام إذا كانت البداءة منهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتىٰ يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم** ﴾ الآية . وهكذا الجواب عن حصار رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، أهل الطائف ، واستصحابه الحصار إلىٰ أن دخل الشهر الحرام ، فإنه من تتمة قتال هوازن وأحلافها من ثقيف ، فإنهم هم الذين ابتدءوا القتال ، وجمعوا الرجال ، ودعوا إلىٰ الحرب والنزال ، فعندها قصدهم رسول اللَّه ، ﷺ ، كما تقدم ، فلما تحصنوا بالطائف ذهب إليهم لينزلهم من حصونهم ، فنالوا من المسلمين وقتلوا جماعة ، واستمر الحصار بالمجانيق وغيرها قريبًا من أربعين يومًا ، وكان ابتداؤه في شهر حلال ، ودخل الشهر الحرام فاستمر فيه أيامًا ، ثم قفل عنهم ؛ لأنه يغتفر في الدوام ما لا يغتفر في الابتداء ، وهذا أمر مقرر وله نظائر كثيرة ، واللَّه أعلم . ولنذكر الأحاديث الواردة في ذلك . وقد حررنا ذلك في السيرة ، واللَّه أعلم[٥] .

إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا

---

[١] - في خ : « ولو » .
[٢] - في خ : « لجئوا » .
[٣] - في ت : « لقول » .
[٤] - في خ : « وقاتلتموهم » .
[٥] - بعده في ز ، خ : « بياضٌ يسع ستة أسطر » .

﴿وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٧﴾

هذا مما ذم الله تعالىٰ به المشركين من تصرفهم في شرع الله بآرائهم الفاسدة ، وتغييرهم أحكام الله بأهوائهم الباردة ، وتحليلهم ما حرم الله ، وتحريمهم ما أحل الله .

فإنهم كان فيهم من القوّة الغضبية والشهامة والحميّة ما استطالوا به مدّة الأشهر الثلاثة في التحريم المانع لهم من قضاء أوطارهم من قتال أعدائهم ، فكانوا قد أحدثوا قبل الإسلام بمدة تحليل المحرّم وتأخيره[١] إلىٰ صفر ، فيحلون الشهر الحرام ، ويحرمون الشهر الحلال ؛ ليواطئوا عدة [ ][٢] الأشهر الأربعة ، كما قال شاعرهم وهو عمير بن قيس المعروف بحذل[٣] الطعان :

لَقَدْ عَلِمَتْ مَعَدٌّ أَنَّ[٤] قَوْمِي ... كِرَامُ النَّاسِ إِنَّ لَهُمْ كِرَامَا
أَلَسْنَا النَّاسِئِينَ عَلَىٰ مَعَدٍّ ... شُهُورَ الحِلِّ نَجْعَلُهَا حَرَامَا
فَأَيُّ النَّاسِ لَمْ نُدْرِكْ بِوِتْرٍ؟ ... وَأَيُّ النَّاسِ لَمْ نُعْلِكْ[٥] لِجامًا(١٠٣)؟

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في[٦] قوله : ﴿ **إنما النسيء زيادة في الكفر** ﴾ قال : النسيء : أن جنادة بن عوف بن أمية الكناني كان يوافي[٧] الموسم في كل عام ، وكان يكنىٰ أبا ثمامة ، [ ][٨] فينادي : ألا إن أبا ثمامة لا يحاب ولا يعاب ، ألا وإن صَفَرَ العامِ الأولِ العامَ حلالٌ ، فيحله للناس ، فيحرم صفرًا عامًا ويحرم المحرم عامًا ؛ فذلك قول الله : ﴿ **إنما النسيء زيادة في الكفر** ﴾ [إلىٰ قوله : ﴿ **الكافرين** ﴾ وقوله : ﴿ **إنما النسيء زيادة في الكفر** ﴾][٩] يقول : يتركون المحرم عامًا ، وعامًا يحرمونه .

وروىٰ العوفي عن ابن عباس نحوه .

وقال ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد : كان رجل من بني كنانة يأتي كل عام إلىٰ الموسم علىٰ حمار له ، فيقول : يأيها الناس ؛ إني لا أعاب ولا أحاب[١٠] ، ولا مردَّ لما

(١٠٣) - انظر : السيرة النبوية لابن هشام (١/٤٥) .

[١] - في خ : « فأخروه » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « ما حرم » .
[٣] - في ز : « بجدل » .
[٤] - في خ : « بأن » .
[٥] - في ز : « يعلل » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في ز ، خ : « يوالي » .
[٨] - في ز : « فيوافي الموسم كل عام » .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[١٠] - في ز ، خ : « أجاب » .

أقول ، إنا قد حرّمنا المحرم وأخرنا صفر . ثم يجيء العام المقبل بعده فيقول مثل مقالته ، ويقول : إنا قد حرمنا صفرًا[١] وأخرنا المحرم فهو قوله[٢] : ﴿ **ليواطئوا عدة ما حرم الله** ﴾ قال : يعني الأربعة ، فيحلوا[٣] ما حرم الله بتأخير هذا الشهر الحرام .

وروي عن أبي وائل والضحاك وقتادة نحو هذا .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله : ﴿ **إنما النسيء زيادة في الكفر** ﴾ الآية . قال : هذا رجل من بني كنانة يقال له : القَلَمَّس ، وكان في الجاهلية ، وكانوا في الجاهلية لا يُغِيرُ بعضهم علىٰ بعض في الشهر الحرام ، يَلْقَىٰ الرجل قاتل أبيه ولا يمد إليه يده ، فلما كان هو قال : اخرجوا بنا ، قالوا له : هذا المحرم . قال[٤] : ننسئه العام هما العام صفران ، فإذا كان العام القابل قضينا[٥] جعلناهما محرمين ، قال : ففعل ذلك ، فلما كان عام قابل قال : لا تغزوا في صفر حرّموه مع المحرم هما محرمان .

فهذه صفة غريبة في النسيء ، وفيها نظر ؛ لأنهم[٦] في عام إنما يحرمون علىٰ هذا ثلاثة أشهر فقط ، وفي العام الذي يليه يحرمون خمسة أشهر ، فأين هذا من قوله تعالىٰ : ﴿ **يحلونه عامًا ويحرمونه عامًا ليواطئوا عدّة ما حرم الله** ﴾؟ .

وقد روي عن مجاهد صفة أخرىٰ غريبة أيضًا ، فقال عبد الرزاق : أنا معمر ، عن [ابن][٧] أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله تعالىٰ : ﴿ **إنما النسيء زيادة في الكفر** ﴾ الآية . قال : فرض الله ، عز وجل ، الحج في ذي الحجة ، قال : وكان المشركون يسمون الأشهر[٨] : ذا الحجة ، و[٩] المحرم ، وصفر ، وربيع الأول[١٠] وربيع ، وجمادىٰ ، وجمادىٰ ، ورجب ، وشعبان ، ورمضان ، وشوّالًا[١١] وذا[١٢] القعدة وذا[١٣] الحجة يحجون فيه مرة أخرىٰ ، ثم يسكتون[١٤] عن المحرّم ولا يذكرونه ، ثم يعودون فيسمون صفرًا[١٥] صفرًا[١٦] ، ثم يسمون رجبًا جمادىٰ الآخرة ، ثم يسمون شعبان رمضان ، ثم يسمون شوّالًا رمضان ، ثم يسمون ذا القعدة شوّالًا ، ثم يسمون ذا الحجة ذا القعدة ، ثم

---

[١] - في خ : « صفر » .
[٢] - في ز : « كقوله » .
[٣] - في ز : « فيجعلوا » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في ز : « لأنهما » .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - سقط من : ز .
[٩] - سقط من : ز .
[١٠] - سقط من : ز .
[١١] - في خ : « شوال » .
[١٢] - في ز : « وذو » .
[١٣] - في ز : « وذو » .
[١٤] - في ز : « يسكنون » .
[١٥] - في ت : « صفر صفر » .
[١٦] - سقط من ز

يسمون المحرم ذا الحجة فيحجون فيه واسمه عندهم ذو[١] الحجة ، ثم عادوا بمثل هذه الصفة[٢] فكانوا يحجون في كل شهر عامين ، حتىٰ وافق حجة أبي بكر الآخر من العامين في ذي[٣] القعدة ، ثم حج النبي : ﷺ ، حجته التي حج فوافق ذا الحجة ، فذلك حين يقول النبي ، ﷺ ، في خطبته : « **إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق اللّٰه السموات والأرض** » .

وهذا الذي قاله مجاهد فيه نظر أيضًا ، وكيف تصح حجة أبي بكر وقد وقعت في ذي القعدة وأنىٰ هذا ؟ وقد قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **وأذان من اللّٰه ورسوله إلىٰ الناس يوم الحج الأكبر أن اللّٰه بريء من المشركين ورسوله** ﴾ . الآية . وإنما نودي بذلك[٤] في حجة أبي بكر ، فلو لم تكن في ذي الحجة لما قال تعالىٰ : ﴿ **يوم الحج الأكبر** ﴾ ولا يلزم من فعلهم النسيء هذا الذي ذكره من دوران السنة عليهم ، وحجهم في كل شهر عامين ، فإن النسيء حاصل بدون هذا ، فإنهم لما كانوا يحلون شهر المحرم عامًا يحرمون عوضه صفرًا ، وبعده ربيع وربيع إلىٰ [آخر السنة بحالها علىٰ نظامها وعدّتها وأسماء شهورها ، ثم في السنة الثانية يحرمون المحرّم ويتركونه علىٰ تحريمه ، وبعده صفر وربيع وربيع إلىٰ][٥] آخرها ، فيحلونه عامًا ، ويحرمونه عامًا ؛ ليواطئوا عدّة ما حرم اللّٰه ، فيحلوا ما حرم اللّٰه أي[٦] : في تحريم أربعة أشهر من السنة ، إلا أنهم تارة يقدّمون تحريم الشهر الثالث من الثلاثة المتوالية وهو المحرم ، وتارة ينسئونه إلىٰ صفر أي : يؤخرونه ، وقد قدمنا الكلام علىٰ قوله ، ﷺ : « **إن الزمان قد استدار [كهيئته يوم خلق اللّٰه السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهرًا ، منها أربعة حرم ؛ ثلاث متوالية : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ورجب مضر]** » . [ ][٧] ؛ أي : إن الأمر في عدة الشهور ، وتحريم ما هو محرم منها ، علىٰ ما سبق في كتاب اللّٰه من العدد والتوالي ، لا كما تعتمده جهلة العرب من فصلهم تحريم بعضها بالنسيء عن بعض ، واللّٰه أعلم .

وقال ابن أبي حاتم(١٠٤) : حدثنا صالح بن بشر بن سلمة الطبراني ، حدثنا مكي بن إبراهيم ، حدثنا موسىٰ بن عبيدة ، عن عبد اللّٰه بن دينار ، عن ابن عمر أنه قال : وقف رسول اللّٰه ، ﷺ بالعقبة ، فاجتمع إليه من شاء اللّٰه من المسلمين ، فحمد اللّٰه وأثنىٰ عليه بما هو له أهل ، ثم قال : « **وإنما النسيء من الشيطان زيادة في الكفر ، يضل به الذين كفروا**

(١٠٤) - إسناده ضعيف من أجل موسى بن عبيدة ، تفسير ابن أبي حاتم (١٠٠١٩/٦) وجاء فيه : (صالح ابن بشير) بدل (صالح بن بشر) ورواه أبو الشيخ الأصبهاني كما في الدر المنثور (١٨٨/٥) .

[١] - في ز ، خ : « ذا » .
[٢] - في ز : « القصة » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ت : « به » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في ت : الحديث .

يحلونه عامًا ويحرمونه عامًا » . فكانوا يحرمون المحرم عامًا ويستحلون صفر ، ويستحلون المحرم وهو النسيء .

وقد تكلم الإمام محمد بن إسحاق علىٰ هذا في كتاب السيرة كلامًا جيدًا مفيدًا حسنًا فقال : كان أول من نسأ الشهور علىٰ العرب ، فأحل منها ما حرم الله وحرم منها ما أحل الله عز وجل - القلمس ، وهو حذيفة بن عبد فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث ابن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، ثم قام بعده علىٰ ذلك ابنه عباد ، ثم من بعد عباد ابنه قلع بن عباد ، ثم ابنه أمية بن قلع ، ثم ابنه عوف بن أمية ، ثم ابنه أبو ثمامة جنادة بن عوف وكان آخرهم وعليه قام الإسلام ، فكانت العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إليه ، فقام فيهم خطيبًا فحرم رجبًا وذا القعدة وذا الحجة ، ويحل المحرم عامًا ويجعل مكانه صفر ، ويحرمه عامًا ليواطئ عدة ما حرم الله فيحل ما حرم الله ، يعني : ويحرم ما أحل الله ، [والله أعلم][١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾

هذا شروع في عتاب من تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، حين طابت الثمار والظلال في شدة الحر وحمارّة(*)[٢] القيظ ، فقال تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله** ﴾ أي : إذا دعيتم إلىٰ الجهاد في سبيل الله ﴿ **اثاقلتم إلىٰ الأرض** ﴾ أي : تكاسلتم وملتم إلىٰ المقام في الدعة والخفض(**)[٣] وطيب الثمار ﴿ **أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة** ﴾ [أي : ما لكم فعلتم هكذا ؟ أَرِضًى منكم بالدنيا بدلًا من الآخرة][٤] ؟ .

(*) حمارّة القيظ : شدة الحر .

(**) يقال : هو في خفض من العيش ؛ أي : في دعة وراحة .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « وجمارة » .

[٣] - في ز : « الحفظ » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

ثم زهد تبارك وتعالىٰ في الدنيا، ورغب في الآخرة فقال: ﴿ **فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل** ﴾ كما قال الإمام أحمد(١٠٥) :

حدثنا وكيع ويحيىٰ بن سعيد قالا: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس، عن المستورد أخي بني فهر قال: قال رسول الله، ﷺ: « **ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم أصبعه هذه في اليم، فلينظر بم ترجع؟** » وأشار بالسبابة. انفرد بإخراجه مسلم.

وقال ابن أبي حاتم(١٠٦) : حدثنا بشر بن مسلم بن عبد الحميد الحمصي بحمص، حدثنا الربيع بن روح، حدثنا محمد بن خالد الوهبي، حدثنا زياد - يعني الجصاصَ - عن أبي عثمان قال: قلت: يا أبا هريرة سمعت من[١] إخواني بالبصرة أنك تقول: سمعت نبي الله، صلىٰ الله عليه وسلم، يقول: « **إن الله يجزي بالحسنة ألف ألف حسنة** ». قال أبو هريرة: بل سمعت رسول الله، ﷺ، يقول[٢] : « **إن الله يجزي بالحسنة ألفي ألف حسنة** ». ثم تلا هذه الآية: ﴿ **فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل** ﴾.

[فالدنيا: ما مضىٰ منها، وما بقي منها - عند الله قليل.

وقال الثوري، عن الأعمش في الآية ﴿ **فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل**][٣] ﴾ قال: كزاد الراكب.

وقال عبد العزيز بن أبي حازم، عن أبيه: [قال:][٤] لما حضرت عبد العزيز بن مروان الوفاةُ، قال: ائتوني بكفني الذي أكفن فيه أنظر إليه، فلما وضع بين يديه نظر إليه فقال: أما لي من كبير ما أخلف من الدنيا إلا هذا؟ ثم ولىٰ ظهره فبكىٰ وهو يقول: أفٍ[٥] لك من دار، إن كان كثيرك لقليل، وإن كان قليلك لقصير، وإن كنا منك لفي غرور.

ثم توعد تعالىٰ علىٰ ترك الجهاد فقال: ﴿ **إلا تنفروا يعذبكم عذابًا أليمًا** ﴾ قال ابن عباس: استنفر رسول الله، ﷺ، حيًا من العرب فتثاقلوا عنه، فأمسك الله عنهم القطر فكان عذابهم.

﴿ **ويستبدل قومًا غيركم** ﴾ أي: لنصرة نبيه وإقامة دينه، كما قال تعالىٰ: ﴿ **وإن**

---

(١٠٥) - المسند (٤/٢٢٨) وصحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها برقم (٢٨٥٨).
(١٠٦) - تفسير ابن أبي حاتم (٦/١٠٠٣٠).

---

[١] - سقط من: ز، خ.
[٢] - سقط من: خ.
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.
[٥] - في ز: « أفي ».

تتولوا يستبدل قومًا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ .

﴿ **ولا تضروه شيئًا** ﴾ أي : ولا تضروا الله شيئًا بتوليكم عن الجهاد ، ونُكُولِكُم وتثاقلكم عنه ﴿ **والله علىٰ كل شيء قدير** ﴾ أي : قادر علىٰ الانتصار من الأعداء بدونكم .

وقد قيل : إن هذه الآية وقوله : ﴿ **انفروا خفافًا وثقالًا** ﴾ وقوله : ﴿ **ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله** ﴾ - : إنهن منسوخات بقوله تعالىٰ : ﴿ **وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة** ﴾ روي هذا عن ابن عباس وعكرمة والحسن وزيد بن أسلم ، ورده ابن جرير وقال : إنما هذا فيمن دعاهم رسول الله ، ﷺ ، إلىٰ الجهاد ، فتعين عليهم ذلك ، فلو تركوه لعوقبوا عليه ، وهذا له اتجاه ، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم بالصواب[١] .

إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **إلا تنصروه** ﴾ أي : تنصروا رسوله ، فإن الله ناصره ومؤيده وكافيه وحافظه كما تولىٰ نصره ﴿ **إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين** ﴾ أي : عام الهجرة لما هَمَّ المشركون بقتله أو حبسه أو نفيه ، فخرج منهم هاربًا صحبة صَدِيقِهِ وَصِدِّيقِهِ[٢] وصاحبه أبي بكر بن أبي قحافة ، فلجأ إلىٰ غار ثور ثلاثة أيام ؛ ليرجع الطلب الذين خرجوا في آثارهم ، ثم يسيرا[٣] نحو المدينة ، فجعل أبو بكر ، رضي الله عنه ، يجزع أن يطلع عليهم أحد ، فيخلص إلىٰ الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، منهم أذى ، فجعل النبي ، ﷺ ، يسكنه ويثبته ويقول : « **يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟** » . كما قال الإمام أحمد(١٠٧) :

(١٠٧) - المسند (٤/١) ، وصحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب : مناقب المهاجرين وفضلهم رقم (٣٦٥٣) ، وصحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة رقم (٢٣٨١) .

[١] - سقط من : ز . [٢] - سقط من : ت .

[٣] - في خ : « يسيروا » .

حدثنا عفان ، حدثنا همام ، أنبأنا ثابت ، عن أنس : أن أبا بكر حدثه قال : قلت للنبي ، ﷺ ، ونحن في الغار : لو أن أحدهم نظر إلىٰ قدميه لأبصرنا تحت قدميه . قال : فقال : « **يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين اللَّه ثالثهما ؟** » . أخرجاه في الصحيحين .

ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **فأنزل اللَّه سكينته عليه** ﴾ أي : تأييده ونصره عليه ، أي : علىٰ الرسول ، ﷺ ، في أشهر القولين ، وقيل : علىٰ أبي بكر ، وروي عن ابن عباس وغيره قالوا : لأن الرسول ، ﷺ ، لم تزل معه سكينة . وهذا لا ينافي تجدد سكينة خاصة بتلك الحال ؛ ولهذا قال : ﴿ **وأيده بجنود لم تروها** ﴾ أي : الملائكة ﴿ **وجعل كلمة الذين كفروا السفلىٰ وكلمةُ اللَّه هي العليا** ﴾ .

قال ابن عباس : يعني بكلمة الذين كفروا الشرك ، وكلمة اللَّه هي لا إله إلا اللَّه .

وفي الصحيحين(١٠٨) عن أبي موسىٰ الأشعري ، رضي اللَّه عنه ، قال : سئل رسول اللَّه ، ﷺ ، عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء ، أي ذلك في سبيل اللَّه ؟ فقال : « **من قاتل لتكون كلمة اللَّه هي العليا فهو في سبيل اللَّه** » .

وقوله : ﴿ **واللَّه عزيز** ﴾ أي : في انتقامه وانتصاره ، منيع الجناب لا يضام من لاذ ببابه ، واحتمىٰ بالتمسك بخطابه ﴿ **حكيم** ﴾ في أقواله وأفعاله .

انفِروا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾

قال سفيان الثوري عن أبيه ، عن أبي الضحى مسلم بن صبيح : هذه الآية ﴿ **انفروا خفافًا وثقالًا** ﴾ أول ما نزل من سورة براءة .

وقال معتمر بن سليمان ، عن أبيه قال : زعم حضرمي أنه ذكر له أن ناسًا كانوا عسىٰ أن يكون أحدهم عليلًا أو[١] كبيرًا ، فيقول : إني لا آثم .

فأنزل اللَّه ﴿ **انفروا خفافًا وثقالًا** ﴾ . الآية .

أمر اللَّه تعالىٰ بالنفير العام مع [الرسول] ﷺ ، عام غزوة تبوك ؛ لقتال أعداء اللَّه من الروم الكفرة من أهل الكتاب ، وحتم علىٰ المؤمنين في الخروج معه علىٰ كل حال ؛ في المنشط

(١٠٨) - صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير رقم (٢٨١٠) وصحيح مسلم ، كتاب الإمارة رقم (١٩٠٤) .

[١] - في ز : « و » .

والمكره ، والعسر واليسر ، فقال : ﴿ **انفروا خفافًا وثقالًا** ﴾ .

قال[١] علي بن زيد ، عن أنس ، عن أبي طلحة : كهولًا وشبانًا[٢] ، ما أسمع[٣] الله عذر أحدًا ، ثم خرج إلىٰ الشام فقاتل حتىٰ قتل .

وفي رواية : قرأ أبو طلحة سورة براءة فأتىٰ علىٰ هذه الآية ﴿ **انفروا خفافًا وثقالًا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله** ﴾ فقال : أرىٰ ربنا يستنفرنا[٤] شيوخًا وشبانًا[٥] ، جهزوني يا بني . فقال بنوه : يرحمك الله ؛ قد غزوت مع رسول الله ، ﷺ ، حتىٰ مات ، ومع أبي بكر حتىٰ مات ، ومع عمر حتىٰ مات ، فنحن نغزو عنك . فأبىٰ فركب البحر فمات ، فلم يجدوا له جزيرة يدفنوه بها[٦] إلا بعد تسعة أيام ، فلم يتغير فدفنوه بها .

وهكذا روي عن ابن عباس ، وعكرمة ، وأبي صالح ، والحسن البصري ، وشمر[٧] بن عطية ومقاتل بن حيان ، والشعبي وزيد بن أسلم : أنهم قالوا في تفسير هذه الآية ﴿ **انفروا خفافًا وثقالًا** ﴾ قالوا[٨] : كهولًا وشبانًا ، وكذا قال عكرمة ، والضحاك ، ومقاتل بن حيان وغير واحد .

وقال مجاهد : شبانًا[٩] وشيوخًا وأغنياء ومساكين ، وكذا قال أبو صالح وغيره .

وقال الحكم بن عتيبة[١٠] : مشاغيل وغير مشاغيل .

وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالىٰ : ﴿ **انفروا خفافًا وثقالًا** ﴾ يقول : انفروا نشاطًا وغير نشاط . وكذا قال قتادة .

وقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ **انفروا خفافًا وثقالًا** ﴾ قالوا : فإن فينا الثقيل وذا الحاجة والضيعة[١١] والشغل والمتيسر به أمره ، فأنزل الله - وأبىٰ أن يعذرهم[١٢] [دون أن ينفروا - ﴿ **خفافًا وثقالًا** ﴾ أي][١٣] : علىٰ ما كان منهم .

---

[١] - في خ : «وقال» .
[٢] - في ز : « شابًا » .
[٣] - في ز ، خ : « سمع » .
[٤] - في خ : « استنفرنا » .
[٥] - في ز : « شبابًا » .
[٦] - في : ت . « فيها » .
[٧] - في ز : « وسمير » .
[٨] - سقط من : ت .
[٩] - في ز : « شبابًا » .
[١٠] - في ز : « عيينة » .
[١١] - في ز ، خ : « الصنعة » .
[١٢] - في ز : « يعدبهم » ، خ : « يعذبهم » .
[١٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وقال الحسن بن أبي الحسن البصري أيضًا : في العسر واليسر . وهذا كله من مقتضيات العموم [في الآية][١] ، وهذا اختيار ابن جرير .

وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعي : إذا كان النفير إلىٰ دروب الروم نفر الناس إليها خفافًا وركبانًا ، وإذا كان النفير إلىٰ هذه السواحل نفروا إليها خفافًا وثقالًا و[٢] ركبانًا ومشاة . وهذا تفصيل في المسألة .

وقد روي عن ابن عباس ، ومحمد بن كعب ، وعطاء الخراساني وغيرهم : أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالىٰ : ﴿ **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة** ﴾ وسيأتي الكلام علىٰ ذلك ، إن شاء الله .

وقال السدي : قوله : ﴿ **انفروا خفافًا وثقالًا** ﴾ يقول : غنيًّا وفقيرًا ، وقويًّا وضعيفًا ، فجاءه رجل يومئذ - زعموا[٣] أنه المقداد - وكان عظيمًا سمينًا ، فشكىٰ إليه وسأله أن يأذن له ، فأبىٰ فنزلت يومئذ : ﴿ **انفروا خفافًا وثقالًا** ﴾ فلما نزلت هذه الآية اشتد علىٰ الناس شأنها ، فنسخها الله فقال : ﴿ **ليس علىٰ الضعفاء ولا علىٰ المرضىٰ ولا علىٰ الذين لا يجدون ما ينفقون حرجٌ إذا نصحوا لله ورسوله** ﴾ .

وقال ابن جرير (١٠٩) : حدثني يعقوب ، حدثنا ابن علية ، حدثنا أيوب ، عن محمد قال : شهد أبو أيوب مع رسول الله ، ﷺ ، بدرًا ، ثم لم يتخلف عن غزاة للمسلمين إلا [وهو في آخرين إلا] عامًا واحدًا ، قال : وكان أبو أيوب يقول : قال الله تعالىٰ : ﴿ **انفروا خفافًا وثقالًا** ﴾ فلا أجدني إلا خفيفًا أو ثقيلًا .

وقال ابن جرير(١١٠) : حدثني سعيد بن عمرو السكوني[٤] ، حدثنا بقية ، حدثنا حريز ، حدثني عبد الرحمن بن ميسرة ، حدثني أبو راشد الحبراني[٥] قال : وافيت المقداد بن الأسود فارس رسول الله ، صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، جالسًا علىٰ تابوت من توابيت الصيارفة بحمص - وقد فضل عنها من عِظَمِهِ - يريد الغزو ، فقلت له : قد أعذر الله إليك . فقال : أتت علينا سورة البحوث(*)[٦] ﴿ **انفروا خفافًا وثقالًا** ﴾ .

---

(١٠٩) - تفسير الطبري (٢٦٧/١٤) رقم (١٦٧٥٤) .

(١١٠) - تفسير الطبري (٢٦٨/١٤) رقم (١٦٧٥٦) .

(*) يعني سورة التوبة ؛ سميت بها لما تضمنت من البحث عن أسرار المنافقين ، وهو إثارتها والتفتيش عنها . النهاية [١/ ٩٩] .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « بالآية » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز : « السكوكي » .

[٥] - في ز : « الحراني » .

[٦] - في ز ، خ : « البعوث » .

[وبه][١] قال ابن[٢] جرير(١١١) : حدثني حبان[٣] بن زيد الشرعبي قال : نفرنا مع صفوان بن عمرو ، وكان واليًا علىٰ حمص ، قبل الأفسوس(*)[٤] إلىٰ الجراجمة(**) ، فلقيت[٥] شيخًا كبيرًا هِمًّا(***) قد سقط حاجباه علىٰ عينيه ، من أهل دمشق علىٰ راحلته فيمن أغار ، فأقبلت إليه فقلت : يا عم ، لقد أعذر اللَّه إليك . قال : فرفع حاجبيه[٦] فقال : يا ابن أخي ، استنفرَنا اللَّه خفافًا وثقالًا ، [ ][٧] إنه من يحبه اللَّه يَبْتَلِهِ ، ثم يعيده اللَّه فيبقيه ، وإنما يبتلي اللَّه من عباده من شكر وصبر وذكر ، ولم يعبد إلا اللَّه عز وجل .

ثم رغب تعالىٰ في النفقة في سبيله ، وبذل المُهَجِ في مرضاته ومرضاة رسوله ، فقال : **﴿ وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل اللَّه ذلكمَ خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾** أي : هذا خير لكم في الدنيا والآخرة ؛ لأنكم تغرمون في النفقة قليلًا ، فيغنمكم اللَّه أموال عدوكم في الدنيا ، مع ما يدخر لكم من الكرامة في الآخرة ، كما قال النبي ، ﷺ : **« تكفل[٨] اللَّه للمجاهد في سبيله ؛ إن[٩] توفاه أن يدخله الجنة ، أو يرده إلىٰ منزله نائلًا ما نال من أجر أو غنيمة »**(١١٢) .

ولهذا قال اللَّه تعالىٰ : **﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسىٰ أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم وعسىٰ أن تحبوا شيئًا وهو شر لكم واللَّه يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾** .

ومن هذا القبيل ما رواه الإمام أحمد(١١٣) : حدثنا محمد بن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس : أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم ، قال لرجل : « **أسلمْ** » . قال : أجدني كارهًا . قال : « **أسلم وإن[١٠] كنت كارهًا** » .

(١١١) - رواه الطبري في تفسيره (٢٦٤/١٤) رقم (١٦٧٤٥) .

(*) الأفسوس : بلدة بثغور طرسوس بالشام . ويقال : إنها بلدة أصحاب الكهف .

(**) الجراجمة : قوم من العَجَم بالجزيرة أو نبط الشام .

(***) الشيخ الهِمّ : الفاني .

(١١٢) - رواه البخاري في صحيحه ، كتاب التوحيد ، باب : قول اللَّه تعالى : ﴿ قل لو كان البحر مدادًا .... ﴾ رقم (٧٤٦٣) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة رقم (١٨٧٦) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه .

(١١٣) - صحيح - رجاله كلهم ثقات . المسند (١٠٩/٣ ، ١٨١) رقم (١٢٠٧٩ ، ١٢٨٩١) . =

[١] - في خ : « و » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ت : « حيان » .
[٤] - في ز : « الأفسون » .
[٥] - في خ : « فرأيت » .
[٦] - في ز : « حاجبه » .
[٧] - بين المعكفوين في ت : « ألا » .
[٨] - في ز : « وتكفل » .
[٩] - في ز : « يإن » .
[١٠] - في ت : « ولو » .

لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾

يقول تعالى موبخًا للذين تخلفوا عن النبي ، ﷺ ، في غزوة تبوك ، وقعدوا عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بعد ما استأذنوه في ذلك ، مظهرين أنهم ذوو أعذار ولم يكونوا كذلك فقال : ﴿ **لو كان عرضًا قريبًا** ﴾ قال ابن عباس : غنيمة قريبة ﴿ **وسفرًا قاصدًا** ﴾ أي : قريبًا أيضًا ﴿ **لاتبعوك** ﴾ أي : لكانوا جاءوا معك لذلك[١] ﴿ **ولكن بعدت عليهم الشقة** ﴾ أي : المسافة إلى الشام ﴿ **وسيحلفون بالله** ﴾ أي : لكم إذا رجعتم إليهم ﴿ **لو استطعنا لخرجنا معكم** ﴾ أي : لو لم تكن[٢] لنا أعذار لخرجنا معكم[٣] . قال الله تعالى : ﴿ **يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون** ﴾ .

عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾

قال ابن أبي حاتم (١١٤) : حدّثنا أبي ، حدثنا أبو حصين [ ][٤] بن سليمان الرازي ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن مسعر ، عن عون قال : هل سمعتم بمعاتبة أحسن من هذا ؟ بدأ بالعفو قبل المعاتبة فقال : ﴿ **عفا الله عنك لم أذنت لهم** ﴾ .

= ورواه أبو يعلى حديث ٣٧٦٥ - (٤٠٦/٦) . و٣٨٧٩ - (٤٧١/٦) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٠٥/٥) وقال : رواه أحمد وأبو يعلى ورجالهما رجال الصحيح .

(١١٤) - التفسير (١٠٠٧٥/٦) .

[١] - في ز : « كذلك » .
[٢] - في خ : « يكن » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ت : ابن يحيى .

وكذا قال مورق العجلي وغيره .

وقال قتادة : عاتبه كما تسمعون ، ثم أنزل التي في سورة النور ، فرخص له في أن يأذن لهم إن شاء ، فقال[١] : ﴿ **فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم** ﴾ . الآية[٢] . وكذا روي عن عطاء الخراساني .

وقال مجاهد : نزلت هذه الآية في أناس قالوا : استأذنوا رسول الله ، ﷺ ، فإن أذن لكم فاقعدوا ، وإن لم يأذن لكم فاقعدوا .

ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **حتىٰ يتبين لك الذين صدقوا** ﴾ أي : في إبداء الأعذار ﴿ **وتعلم الكاذبين** ﴾ يقول تعالىٰ : هلا تركتهم لما استأذنوك فلم تأذن لأحد منهم في القعود ؛ لتعلم الصادق منهم في إظهار طاعتك من الكاذب ، فإنهم قد كانوا مصرين علىٰ القعود عن الغزو [وإن لم تأذن لهم فيه .

ولهذا أخبر تعالىٰ أنه لا يستأذنه في القعود عن الغزو][٣] أحد يؤمن بالله ورسوله ، فقال : ﴿ **لا يستأذنك** ﴾ أي : في القعود عن الغزو ﴿ **الذين يؤمنون بالله**[٤] **واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم** ﴾ ؛ [لأن أولئك][٥] يرون الجهاد قربة ، ولما ندبهم إليه بادروا وامتثلوا ﴿ **والله عليم بالمتقين * إنما يستأذنك** ﴾ أي : في القعود ممن لا عذر له ﴿**الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر** ﴾ أي : لا يرجون ثواب الله في الدار الآخرة علىٰ أعمالهم ﴿ **وارتابت قلوبهم** ﴾ أي : شكت في صحة ما جئتهم به ﴿ **فهم في ريبهم يترددون** ﴾ أي : يتحيرون ، يقدمون رِجْلًا ويؤخرون أخرىٰ ، وليست لهم قدم ثابتة في شيء ، فهم قوم حيارىٰ هلكىٰ ، لا إلىٰ هؤلاء ، ولا إلىٰ هؤلاء ، ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلًا .

﴿ وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَـٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - في خ : « بالله ورسوله » .
[٥] - في ت : « لأنهم » .

يقول تعالىٰ : ﴿ **ولو أرادوا الخروج** ﴾ أي : معك إلىٰ الغزو ﴿ **لأعدوا له عدة** ﴾ أي : لكانوا تأهبوا له ﴿ **ولكن كره اللَّه انبعاثهم** ﴾ أي : أبغض أن يخرجوا معك[١] قدرًا ﴿ **فثبطهم** ﴾ أي : أخرهم ﴿ **وقيل اقعدوا مع القاعدين** ﴾ أي : قدرًا .

ثم بين تعالىٰ وجه كراهيته لخروجهم مع المؤمنين فقال : ﴿ **لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالًا** ﴾ أي[٢] : لأنهم جبناء مخذولون[٣] ﴿ **ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة** ﴾ أي : ولأسرعوا السير والمشي بينكم بالنميمة والبغضاء والفتنة ﴿ **وفيكم سماعون لهم** ﴾ أي : مطيعون لهم ، ومستحسنون لحديثهم وكلامهم ، يستنصحونهم[٤] وإن كانوا لا يعلمون حالهم ؛ فيؤدي هذا إلىٰ وقوع شر بين المؤمنين وفساد كبير .

وقال مجاهد ، وزيد بن أسلم ، وابن جرير ﴿ **وفيكم سماعون لهم** ﴾ أي : عيون يسمعون لهم الأخبار و[٥] ينقلونها إليهم ، وهذا لا يبقىٰ له اختصاص بخروجهم[٦] معهم ، بل هذا عام في جميع الأحوال ، والمعنىٰ الأول أظهر في المناسبة بالسياق ، وإليه ذهب قتادة وغيره من المفسرين .

وقال محمد بن إسحاق(١١٥) : كان [الذين استأذنوا] فيما بلغني من ذوي الشرف منهم : عبد اللَّه بن أبي ابن سلول ، والجد بن قيس ، وكانوا أشرافًا في قومهم ، فثبطهم اللَّه ؛ لعلمه بهم ؛ أن يخرجوا معه فيفسدوا عليه جنده ، وكان في جنده قوم أهل محبة لهم ، وطاعة فيما يدعونهم إليه ؛ لشرفهم فيهم ، فقال : ﴿ **وفيكم سماعون لهم** ﴾ .

ثم أخبر تعالىٰ عن تمام علمه فقال : ﴿ **واللَّه عليم بالظالمين** ﴾ فأخبر بأنه يعلم ما كان ، وما يكون ، وما لم يكن ، لو كان كيف كان يكون ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالًا** ﴾ فأخبر عن حالهم كيف يكون لو خرجوا ؛ ومع هذا ما خرجوا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ولو علم اللَّه فيهم خيرًا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرًا لهم وأشد تثبيتًا * وإذًا لآتيناهم من لدنَّا**

(١١٥) - رواه الطبري في تفسيره (٢٨١/١٤) رقم (١٦٧٨١) .

---

[١] - في ت : « معكم » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « مخذولين » .
[٤] - في ز : « تستنصحونهم » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « لخروجهم » .

أجرًا عظيمًا * ولهديناهم صراطًا مستقيمًا ﴾ والآيات في هذا كثيرة .

لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾

يقول تعالىٰ محرضًا لنبيه ، عليه السلام ، علىٰ المنافقين ﴿ **لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور** ﴾ أي : لقد أعملوا فكرهم ، وأجالوا آراءهم في كيدك وكيد أصحابك ، وخذلان دينك وإخماله[١] مدة طويلة ؛ وذلك أول مقدم النبي ، ﷺ ، المدينة رمته العرب عن قوس واحدة[٢] ، وحاربته يهود المدينة ومنافقوها ، فلما نصره اللَّه يوم بدر وأعلىٰ كلمته ، قال عبد اللَّه بن أُبيّ وأصحابه : هذا أمر قد توجه ، فدخلوا في الإسلام ظاهرًا ، ثم كلما أعز اللَّه الإسلام وأهله أغاظهم[٣] ذلك وساءهم ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **حتىٰ جاء الحق وظهر أمر اللَّه وهم كارهون** ﴾ .

وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾

يقول تعالىٰ : ومن المنافقين من يقول لك يا محمد : ﴿ **ائذن لي** ﴾ في القعود ﴿ **ولا تفتني** ﴾ بالخروج معك بسبب الجواري من نساء الروم . قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **ألا في الفتنة سقطوا** ﴾ أي : قد سقطوا في الفتنة بقولهم هذا ، كما قال محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، ويزيد بن رومان ، وعبد اللَّه بن أبي بكر ، وعاصم [بن عمر][٤] بن قتادة ، وغيرهم(١١٦) قالوا : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم ، ذات يوم ، وهو في جهازه للجد بن قيس أخي بني سلمة : « **هل لك يا جدّ العام في جلاد بني الأصفر ؟** » فقال : يا رسول اللَّه ، أو تأذن لي ولا تفتني ، فواللَّه لقد عرف قومي ما رجل أشد عجبًا بالنساء مني ، وإني أخشىٰ إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر عنهن . فأعرض عنه رسول اللَّه ، ﷺ ، وقال : « **قد أذنت لك** » .

ففي الجد بن قيس نزلت هذه : ﴿ **ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني** ﴾ الآية . أي :

---

(١١٦) - رواه عنهم الطبري في تفسيره (١٤/٢٨٧) .

---

[١] - في ت : « وإخماده » .

[٢] - في ز : « واحد » .

[٣] - في خ : « غاظهم » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

إن كان إنما يخشىٰ من نساء بني الأصفر وليس ذلك به ، [فما سقط][١] فيه من الفتنة بتخلفه عن رسول اللّه ﷺ ، والرغبة بنفسه عن نفسه - أعظم .

وهكذا روي عن ابن عباس ، ومجاهد ، وغير واحد أنها نزلت في الجد بن قيس ، وقد كان الجد بن قيس هذا من أشراف بني سلمة . وفي الصحيح : أن رسول اللّه ، ﷺ ، قال لهم : « **من سيدكم [يا بني سلمة]**[٢] ؟ » قالوا : الجد بن قيس علىٰ أنَّا نبخله . فقال رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **وأي داء أدوأ من البخل ؟ ولكن سيدكم الفتىٰ [الأبيض الجعد]**[٣] **: بشر بن البراء بن معرور** » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وإن جهنم لمحيطة بالكافرين** ﴾ أي : لا محيد لهم عنها ، ولا محيص ولا مهرب .

إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾

يعلم تبارك وتعالىٰ نبيه ، ﷺ ، بعداوة هؤلاء له ؛ لأنه مهما أصابه من حسنة أي : فتح ، ونصر ، وظفر علىٰ الأعداء ، مما يَسُرُّه ويَسُرُّ أصحابه ساءهم ذلك ﴿ **وإن تصبك**[٤] **مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل** ﴾ أي : قد احترزنا من متابعته[٥] من قبل هذا ﴿ **ويتولوا وهم فرحون** ﴾ فأرشد اللّه تعالىٰ رسوله ، ﷺ ، إلىٰ جوابهم في عداوتهم هذه التامة فقال : ﴿ **قل** ﴾ أي : لهم ﴿ **لن يصيبنا إلا ما كتب اللّه لنا** ﴾ أي : نحن تحت مشيئة اللّه وقدره ﴿ **هو مولانا** ﴾ أي : سيدنا وملجؤنا ﴿ **وعلىٰ اللّه فليتوكل المؤمنون** ﴾ أي : ونحن متوكلون عليه ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « فأسقط » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - في خ : « الجعد الأبيض » .

[٤] - في ز : « يصبك » .

[٥] - في ز ، خ : « مبايعته » .

فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **قل** ﴾ لهم يا محمد : ﴿ **هل تربصون بنا** ﴾ أي : تنتظرون بنا ﴿ **إلا إحدىٰ الحسنيين** ﴾ شهادة أو ظفر بكم ؛ قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، وغيرهم ﴿ **ونحن نتربص بكم** ﴾ [أي : ننتظر بكم][١] ﴿ **أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا** ﴾ [ ][٢] أي : ننتظر بكم هذا [أو هذا][٣] ، إما أن يصيبكم الله بقارعة[٤] من عنده ، أو بأيدينا بسبي أو بقتل ﴿ **فتربصوا إنا معكم متربصون** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **قل أنفقوا طوعًا أو كرهًا** ﴾ أي : مهما أنفقتم من نفقة طائعين ، أو مكرهين ﴿ **لن يتقبل منكم إنكم كنتم قومًا فاسقين** ﴾ .

ثم أخبر تعالىٰ عن سبب ذلك وهو أنهم لا يتقبل منهم ﴿ **لأنهم كفروا بالله وبرسوله**[٥] ﴾ [أي : والأعمال إنما تصح بالإيمان][٦] ﴿ **ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالىٰ** ﴾ أي : ليس لهم قصد صحيح ، ولا همة في العمل ﴿ **ولا ينفقون** ﴾ نفقة ﴿ **إلا وهم كارهون** ﴾ .

وقد أخبر الصادق المصدوق ، ﷺ ، أن « **الله لا يمل حتىٰ تملوا** ، [**وإنه**][٧] طيب لا يقبل إلا طيبًا » . فلهذا لا يتقبل[٨] الله من هؤلاء نفقة ولا عملًا ؛ لأنه إنما يتقبل من المتقين .

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾

يقول تعالىٰ لرسوله ، ﷺ : ﴿ **فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم** ﴾ كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولا تمدن عينيك إلىٰ ما متعنا به أزواجًا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك**

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : « فتربصوا » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ت : « بعذاب » .
[٥] - في ز : « ورسوله » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٧] - ما بين المعكوفتين في خ : « وإن الله » .
[٨] - في خ : « يقبل » .

خير وأبقىٰ ﴾ . وقال : ﴿ **أيحسبون [أن ما]**[١] **نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا** ﴾ قال الحسن البصري : بزكاتها[٢] والنفقة منها في سبيل الله .

وقال قتادة : هذا من المقدم والمؤخر تقديره : فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم [في الحياة الدنيا][٣] ، إنما يريد الله ليعذبهم بها [في الآخرة][٤] .

واختار ابن جرير قول الحسن ، وهو القول القوي الحسن .

وقوله : ﴿ **وتزهق أنفسهم وهم كافرون** ﴾ أي : ويريد أن يميتهم حين يميتهم علىٰ الكفر ؛ ليكون ذلك أنكىٰ لهم وأشد لعذابهم ، عياذًا بالله ! من ذلك ، وهذا يكون من باب الاستدراج لهم فيما هم فيه .

وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾

يخبر الله[٥] تعالىٰ نبيه ، ﷺ ، عن جزعهم وفزعهم وفَرَقِهم وهَلَعهم أنهم ﴿ **يحلفون بالله إنهم لمنكم** ﴾ يمينًا مؤكدة ﴿ **وما هم منكم** ﴾ أي : في نفس الأمر ﴿ **ولكنهم قوم يفرقون** ﴾ أي : فهو الذي حملهم علىٰ الحلف . ﴿ **لو يجدون ملجأ** ﴾ أي : حصنًا يتحصنون به ، وحرزًا يحترزون[٦] به ﴿ **أو مغارات** ﴾ وهي التي في الجبال ﴿ **أو مدخلاً** ﴾ وهو السرب في الأرض والنفق ، قال ذلك في الثلاثة : ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ﴿ **لولوا إليه وهم يجمحون** ﴾ أي : يسرعون في ذهابهم [عنكم ؛ لأنهم إنما][٧] يخالطونكم[٨] [كرهًا لا محبة ، وودوا أنهم][٩] لا يخالطونكم ، ولكن للضرورة أحكام ؛ ولهذا لا يزالون في هم وحزن وغم ؛ لأن الإسلام وأهله لا يزال في عز ونصر ورفعة ؛ فلهذا كلما سُرَّ المؤمنون[١٠] ساءهم ذلك ، فهم يودون أن لا يخالطوا المؤمنين ، ولهذا قال : ﴿ **لو**

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « أنما » .
[٢] - في ز : « بركابها » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في خ : « يتحرزون » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٨] - سقط من : ز ، خ : « لا يخالطونكم » .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[١٠] - في خ : « المسلمون » .

يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلًا لولوا إليه وهم يجمحون ﴾ .

وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **ومنهم** ﴾ أي : ومن المنافقين ﴿ **من يلمزك** ﴾ أي : يعيب[١] عليك ﴿ **في** ﴾ قسم ﴿ **الصدقات** ﴾ إذا فرقتها ، ويتهمك في ذلك ، وهم المتهمون المأبونون ، وهم مع هذا لا ينكرون للدين ، وإنما ينكرون لحظ أنفسهم ؛ ولهذا إن أعطوا من الزكاة رضوا ﴿ **وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون** ﴾ أي : يغضبون لأنفسهم .

قال ابن جريج : أخبرني داود بن أبي عاصم قال : أتي النبي ، ﷺ ، بصدقة فقسمها هاهنا وهاهنا حتىٰ ذهبت ، قال : ووراءه[٢] رجل من الأنصار ، فقال : ما هذا بالعدل : فنزلت هذه الآية .

وقال قتادة في قوله : ﴿ **ومنهم من يلمزك في الصدقات** ﴾ يقول : ومنهم من يطعن عليك في الصدقات ، وذكر لنا أن رجلًا من أهل[٣] البادية حديث عهد بأعرابية ، أتىٰ النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وهو يقسم ذهبًا وفضة ، فقال : يا محمد ، واللَّه لئن كان اللَّه أمرك أن تعدل ما عدلت . فقال نبي اللَّه ، ﷺ : « **ويلك ! فمن ذا الذي[٤] يعدل عليك بعدي ؟** » ثم قال نبي اللَّه : « **احذروا هذا وأشباهه ، فإن في أمتي أشباه هذا يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، فإذا خرجوا فاقتلوهم ، ثم إذا خرجوا فاقتلوهم ، ثم إذا خرجوا فاقتلوهم** » . وذكر لنا أن نبي اللَّه ، ﷺ ، كان يقول : « **والذي نفسي بيده ، ما أعطيكم شيئًا ولا أمنعكموه[٥] ، إنما أنا خازن** » .

وهذا الذي ذكره قتادة [شبيه بما][٦] رواه الشيخان(١١٧) من حديث الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي سعيد في قصة ذي الخويصرة - واسمه حُرْقُوص - لما اعترض علىٰ النبي ، ﷺ ، حين قسم غنائم حنين ، فقال له : اعدل فإنك لم تعدل . فقال : « **لقد خبتُ**

(١١٧) - صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب : علامات النبوة في الإسلام رقم (٣٦١٠) ، وصحيح مسلم ، كتاب الزكاة رقم (١٠٦٤) .

[١] - في ز ، خ : « يعتب » .
[٢] - في ز : « رآه » ، خ : « وراءه » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ت : « أمنعكم » .
[٦] - في ت : « يشبه ما » .

وخسرتُ إن لم أكن أعدل » . ثم قال رسول اللَّه ، ﷺ ، وقد رآه مُقَفِّيًا(*) : « **إنه يخرج من ضِئْضِئ(**) هذا قوم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمِيَّة ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم ، فإنهم شر قتلىٰ تحت أديم السماء** » . وذكر بقية الحديث .

ثم قال تعالىٰ منبهًا لهم علىٰ ما هو خير [من ذلك لهم][١] ، فقال : ﴿ **ولو أنهم رضوا ما آتاهم اللَّه ورسوله وقالوا حسبنا اللَّه سيؤتينا اللَّه من فضله ورسوله إنا إلىٰ اللَّه راغبون** ﴾ فتضمنت هذه الآية[٢] الكريمة أدبًا[٣] عظيمًا وسرًّا شريفًا ، حيث جعل الرضا بما آتاه اللَّه ورسوله ، والتوكل علىٰ اللَّه وحده وهو قوله : ﴿ **وقالوا حسبنا اللَّه** ﴾ وكذلك الرغبة إلىٰ اللَّه وحده - في التوفيق لطاعة الرسول ، ﷺ ، وامتثال أوامره ، وترك زواجره ، وتصديق أخباره ، والاقتفاء بآثاره .

﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾

لما ذكر تعالىٰ اعتراض المنافقين الجهلة علىٰ النبي ، ﷺ ، ولمزهم إياه في قسم الصدقات ، بَيَّن تعالىٰ أنه هو الذي قسمها ، وبين حكمها ، وتولىٰ أمرها بنفسه ، ولم يَكِلْ قسمها إلىٰ أحد غيره ، فجزَّأها لهؤلاء المذكورين ، كما رواه الإمام أبو داود في سننه من حديث عبد الرحمن بن زياد بن أنعم - وفيه ضعف - عن زياد بن نعيم ، عن زياد بن الحارث الصدائي ، رضي اللَّه عنه ، قال : أتيت النبي ، ﷺ ، فبايعته ، فأتىٰ رجل فقال : أعطني من الصدقة . فقال له : « **إن اللَّه لم يرض بحكم نبي ، ولا غيره في الصدقات ، حتىٰ حكم فيها هو ، فجزأها ثمانية أصناف ، فإن كنت من تلك الأجزاء أعطيتك** »(١١٨) .

وقد اختلف العلماء في هذه الأصناف الثمانية : هل يجب استيعاب الدفع إليها ، أو إلىٰ ما أمكن منها ؟ علىٰ قولين : أحدهما : أنه يجب ذلك ، وهو قول الشافعي وجماعة .

(*) أي : موليًا ؛ كأنه من ولَّى وأعطانا قفاه .

(**) الضئضئ : أصل الشيء .

(١١٨) - سنن أبي داود ، كتاب الزكاة ، باب : من يعطى من الصدقة ، وفضل الغنى برقم (١٦٣٠) .

---

[١] - في خ : « لهم من ذلك » . [٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « إذنًا » .

والثاني : أنه لا يجب استيعابها ، بل يجوز الدفع إلىٰ واحد منها ، ويُعْطَىٰ جميع الصدقة مع وجود الباقين ، وهو قول مالك وجماعة من السلف والخلف ؛ منهم عمر ، وحذيفة ، وابن عباس وأبو العالية ، وسعيد بن جبير ، وميمون بن مهران .

قال ابن جرير : وهو قول عامة أهل العلم ، وعلىٰ هذا فإنما ذكرت الأصناف هاهنا لبيان المصرف لا لوجوب استيعاب الإعطاء .

ولوجوه الحجاج والمآخذ مكان غير هذا ، والله أعلم .

وإنما قدم الفقراء هاهنا [ ][١] ؛ لأنهم أحوج من البقية[٢] علىٰ المشهور ؛ [و][٣] لشدة فاقتهم وحاجتهم . وعند أبي حنيفة أن المسكين أسوأ حالًا من الفقير ، وهو كما قال .

قال ابن جرير(١١٩) : حدثني يعقوب ، حدثنا ابن علية ، أنبأنا ابن عون ، عن محمد قال : قال عمر - رضي الله عنه - : الفقير ليس بالذي لا مال له ، ولكن الفقير الأخلق(*) الكسب . قال ابن علية : الأخلق : المُحارَف(**)[٤] عندنا .

والجمهور علىٰ خلافه .

وروي عن ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن البصري ، وابن زيد(***) - و [اختاره][٥] ابن جرير - وغير واحد : أن الفقير هو المتعفف الذي لا يسأل الناس شيئًا ، والمسكين هو الذي يسأل ويطوف يتبع الناس .

وقال قتادة : الفقير من به زَمَانة ، والمسكين الصحيح الجسم .

---

(١١٩) - تفسير الطبري (١٤/٣٠٨) رقم (١٦٨٣٣).

(*) يقال : حجر أخلق : أي : أملس مُصْمَت لا يؤثر فيه شيء . أراد أن الفقر الأكبر هو فقر الآخرة ، وأن فقر الدنيا أهون الفقرين . ومعنى وصف الكسب بذلك أنه وافر منتظم ، لا يقع فيه وكس ولا شطط ... وهو مثل للرجل الذي لا يصاب في ماله ولا ينكب فيثاب على صبره ، فإذا لم يصب فيه ولم ينكب كان فقيرًا من الثواب .

(**) المُحارف - بفتح الراء - هو المحروم المجدود ، الذي إذا طلب لا يرزق .

(***) انظر هذه الآثار في تفسير الطبري [١٤/ ٣٠٥، ٣٠٦] .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « على البقية » . [٢] - في ت : « غيرهم » .
[٣] - في ت : « و » . [٤] - في ز : « المحارب » .
[٥] - في ز ، خ : واختار .

وقال الثوري ، عن منصور عن إبراهيم : هم فقراء المهاجرين ، قال سفيان الثوري : يعني : ولا يعطىٰ الأعراب منها شيئًا .

وكذا روي عن سعيد بن جبير ، وسعيد بن عبد الرحمن بن أبزى .

وقال عكرمة : و[١] لا تقولوا لفقراء المسلمين مساكين ، إنما المساكين مساكين[٢] أهل الكتاب .

ولنذكر أحاديث تتعلق بكل من الأصناف الثمانية .

فأما الفقراء فعن ابن عمرو[٣] قال : قال رسول اللَّه ، ﷺ : « **لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مِرَّة سوي**(*) » رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي(١٢٠) .

ولأحمد أيضًا والنسائي ، وابن ماجة ، عن أبي هريرة مثله(١٢١) .

وعن عبيد اللَّه بن عدي بن الخيار ؛ أن رجلين أخبراه أنهما أتيا النبي ، ﷺ ، يسألانه من الصدقة ، فقلَّب(**) فيهما البصر ، فرآهما جلدين(***) فقال : « **إن شئتما أعطيتكما ، ولا حظ فيها[٤] لغنيّ ولا لقوي مكتسب** » .

رواه أحمد ، وأبو داود ، والنسائي بإسنادٍ جيد قوي(١٢٢) .

وقال ابن أبي حاتم في كتاب الجرح [والتعديل : أبو بكر العبسي قال : قرأ عمر - رضي اللَّه عنه - : ﴿ **إنما الصدقات للفقراء** ﴾ قال : هم أهل الكتاب][٥] . روىٰ عنه عمر بن

---

(١٢٠) - المسند (١٦٤/٢) وسنن أبي داود ، كتاب الزكاة ، باب : من يعطى من الصدقة وهو غني ، رقم (١٦٣٤) وسنن الترمذي ، كتاب الزكاة رقم (٦٥٢) .

(١٢١) - المسند (٣٧٧/٢) وسنن النسائي (٩٩/٥) وسنن ابن ماجه ، كتاب الزكاة ، باب : من سأل عن ظهر غنى برقم (١٨٣٩) .

(*) المِرَّة : القوة والشدة . والسوي : الصحيح الأعضاء .

(**) أي دقق فيهما النظر .

(***) جلدين : أي قويين .

(١٢٢) - المسند (٢٢٤/٤) رقم (١٨٠٢٧) وسنن أبي داود ، كتاب الزكاة رقم (١٦٣٣) وسنن النسائي (٩٩/٥) .

---

[١] - سقط من : ت .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز : « عمر » .

[٤] - في خ : « بينهما » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

نافع سمعت أبي يقول ذلك .

قلت : وهذا قول غريب جدًّا بتقدير صحة الإسناد ، فإن أبا بكر هذا ، وإن لم ينص أبو حاتم علىٰ جهالته لكنه في حكم المجهول .

وأما المساكين فعن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، أن رسول الله ، ﷺ ، قال : « **ليس المسكين بهذا الطَّوَّاف الذي يطوف علىٰ الناس ، فترده اللقمة واللقمتان ، والتمرة والتمرتان** » . قالوا : فما المسكين يا رسول الله ؟ قال : « **الذي لا يجد غنى يغنيه ، ولا يُفْطَنُ له فيتصدق عليه ، ولا يسأل الناس شيئًا** » . رواه الشيخان : البخاري ومسلم(١٢٣) .

وأما العاملون عليها : فهم الجُبَاة والسعاة يستحقون منها قسطًا علىٰ ذلك ، ولا يجوز أن يكونوا من أقرباء رسول الله ، ﷺ ، الذين تحرم عليهم الصدقة ؛ لما ثبت في صحيح مسلم عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث أنه انطلق هو والفضل بن العباس يسألان رسول الله ، ﷺ ، ليستعملهما علىٰ الصدقة ، فقال : « **إن الصدقة لا تحل لمحمد ، ولا لآل محمد ، إنما هي أوساخ الناس** »(١٢٤) .

وأما المؤلفة قلوبهم فأقسام :

منهم : من يعطىٰ لِيُسْلِم ، كما أعطىٰ النبي ، صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، صفوان بن أمية من غنائم حنين ، وقد كان شهدها مشركًا ، قال : فلم يزل يعطيني حتىٰ صار أحب الناس إليَّ بعد أن كان أبغض الناس إلي ، كما قال الإمام أحمد :

حدثنا زكريا بن عدي ، أنا ابن المبارك ، عن يونس ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن صفوان بن أمية قال : أعطاني رسول الله ، ﷺ ، يوم حنين ، وإنه لأبغض الناس إليَّ ، فما زال يعطيني حتىٰ [صار ، و][١] إنه لأحب الناسِ إلي .

ورواه مسلم والترمذي من حديث يونس عن الزهري ، به(١٢٥) .

ومنهم : من يعطىٰ ليحسن إسلامه ويثبت قلبه ، كما أعطىٰ يوم حنين أيضًا جماعة من

---

(١٢٣) - صحيح البخاري ، كتاب الزكاة رقم (١٤٧٩) وصحيح مسلم ، كتاب الزكاة رقم (١٠٣٩) .
(١٢٤) - صحيح مسلم ، كتاب الزكاة برقم (١٠٧٢) .
(١٢٥) - المسند (٦/٤٦٥) رقم (٢٧٧٤٦) ، وصحيح مسلم ، كتاب الفضائل رقم (٢٣١٣) وسنن الترمذي ، كتاب الزكاة برقم (٦٦٦) .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

صناديد الطلقاء ، وأشرافهم مائة من الإبل ، مائة من الإبل ، وقال : « **إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه ؛ مخافة**[١] **أن يكبّه اللّه علىٰ وجهه في نار جهنم** »(١٢٦) .

وفي الصحيحين(١٢٧) عن أبي سعيد : أن عليًا بعث إلىٰ النبي ، صلىٰ اللّه عليه وآله وسلم ، بِذُهَيْبَةٍ في تربتها من اليمن ، فقسمها بين أربعة نفر : الأقرع بن حابس ، وعيينة بن بدر ، وعلقمة بن علاثة ، وزيد الخير ، وقال : « **أتألفهم** » .

ومنهم : من يعطىٰ لما يرجىٰ من إسلام نظرائه .

ومنهم : من يعطىٰ ليجبي[٢] الصدقات ممن يليه ، أو ليدفع عن حوزة المسلمين الضرر من أطراف البلاد ، ومحل تفصيل هذا في كتب الفروع ، واللّه أعلم .

وهل تعطىٰ المؤلفة علىٰ الإسلام بعد النبي ، ﷺ ؟ فيه خلاف ؛ فروي عن عمر [وعامر الشعبي][٣] وجماعة أنهم لا يعطون بعده ؛ لأن اللّه قد أعز الإسلام وأهله ، ومكن لهم في البلاد ، وأذل لهم رقاب العباد .

وقال آخرون : بل يعطون ؛ لأنه ، عليه الصلاة والسلام ، قد أعطاهم بعد فتح مكة وكَسْر هوازن ، وهذا أمر قد يحتاج إليه فيصرف إليهم .

وأما الرقاب ، فروي عن الحسن البصري ، ومقاتل بن حيان ، وعمر بن عبد العزيز ، وسعيد بن جبير ، والنخعي ، والزهري ، وابن زيد : أنهم المكاتبون ، وروي عن أبي موسىٰ الأشعري نحوه ، وهو قول الشافعي والليث ، رضي اللّه عنهما .

وقال ابن عباس والحسن : لا بأس أن تعتق الرقبة من الزكاة . وهو مذهب [الإمام أحمد ابن حنبل] ، ومالك ، وإسحاق ، أي : أن الرقاب أعم من أن يعطي المكاتب ، أو يشتري رقبة فيعتقها استقلالاً ، وقد ورد في ثواب الإعتاق ، وفك الرقبة أحاديث كثيرة ، وأن اللّه يعتق بكل عضو منها عضوًا من معتقها حتىٰ الفرج بالفرج ، وما ذاك إلا لأن الجزاء من جنس العمل ﴿ **وما تجزون إلا ما كنتم تعملون** ﴾ .

وعن أبي هريرة ، رضي اللّه عنه ، أن النبي ، ﷺ ، قال « **ثلاثة حق علىٰ اللّه عونهم :**

---

(١٢٦) - صحيح البخاري ، كتاب الزكاة برقم (١٤٧٨) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

(١٢٧) - صحيح البخاري ، كتاب المناقب برقم (٣٣٤٤) وصحيح مسلم ، كتاب الزكاة برقم (١٠٦٤) .

---

[١] - في ت : « خشية » .

[٢] - في خ : « لتجى » .

[٣] - في ت : « عامر والشعبي » .

الغازي[١] في سبيل الله ، والمكاتب الذي[٢] يريد الأداء ، والناكح الذي يريد العفاف » .

رواه الإمام أحمد وأهل السنن إلا أبا داود(١٢٨) .

وفي المسند عن البراء بن عازب ؛ قال : جاء رجل فقال : يا رسول الله ، دُلَّني على عمل يقربني من الجنة ويباعدني من النار . فقال : « **أعتق النسمة وفك الرقبة** » . فقال : يا رسول الله ، أو ليسا واحدًا ؟ قال : « **لا ، عتق النسمة أن تفرد بعتقها ، وفك الرقبة أن تعين في ثمنها** »(١٢٩) .

وأما الغارمون فهم أقسام :

فمنهم من تحمل[٣] حمالة(*) أو[٤] ضمن دينًا فلزمه ، فأجحف بماله ، أو غرم في أداء دينه ، أو في معصية ثم تاب ، فهؤلاء يدفع إليهم . والأصل في هذا الباب حديث قبيصة بن مخارق الهلالي ؛ قال : تحملت حمالة فأتيت رسول الله ، ﷺ ، أسأله فيها فقال : « **أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها** » . قال : ثم قال : « **يا قبيصة ، إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة : رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك ، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله ، فحلت له المسألة حتى يصيب قوامًا من عيش - أو قال سدادًا من عيش - ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوي الحجا من [ ][٥] قومه ، فيقولون : لقد أصابت فلانًا فاقة فحلت له المسألة ، حتى يصيب قوامًا من عيش - أو قال[٦] سدادًا من عيش - فما سواهن من المسألة سُحتٌ ، يأكلها صاحبها سحتًا** » . رواه مسلم(١٣٠) .

---

(١٢٨) - المسند (٢/٢٥١) ، وسنن الترمذي برقم (١٦٥٥) ، وسنن النسائي (٦/٦١) ، وسنن ابن ماجه برقم (٢٥١٨) ، وقال الترمذي : « هذا حديث حسن » .

(١٢٩) - المسند (٤/٢٩٩) رقم (١٨٧٠١) ، وأخرجه البخاري في « الأدب المفرد » (٦٩) ، والطيالسي (٧٣٩) ، وابن حبان في « صحيحه » (٣٧٤) (٢/٩٧ -٩٨) ، وفي الموارد (١٢٠٩) (٤/١١٨ -١١٩) . والحاكم في « مستدركه » (٢/٢١٧) ، والبيهقي في الكبرى (١٠/٢٧٢ -٢٧٣) . والبغوي في « شرح السنة » (٢٤١٩) (٩/٣٥٤) . من طريق عيسى بن عبد الرحمن البجلي عن طلحة اليامي به . وقال الحاكم : حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا . وذكره الهيثمي في المجمع (٤/٢٤٣) وقال : رواه أحمد ، ورجاله ثقات .

(*) الحَمَالة : ما يتحمله الإنسان عن غيره من دية أو غرامة ، مثل أن يقع حرب بين فريقين ، تسفك فيها الدماء ، فيدخل بينهم رجل يتحمل ديات القتلى ليصلح ذات البين .

(١٣٠) - صحيح مسلم ، كتاب الزكاة برقم (١٠٤٤) .

---

[١] - في ز ، خ : « المغازي » .
[٢] - في ز ، خ : « والمدين » .
[٣] - في ز ، خ : « يحمل » .
[٤] - في ز : « إن » .
[٥] - ما بين المعكوفين في ت : « قرابة » .
[٦] - سقط من : ز .

وعن أبي سعيد قال : أصيب رجل في عهد رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم ، في ثمار ابتاعها ، فكثر دينه ، [فقال النبي ، صلى الله عليه وسلم : « **تصدقوا عليه** » . فتصدق الناس عليه ، فلم يبلغ ذلك وفاء دينه][١] ، فقال النبي ، ﷺ لغرمائه : « **خذوا ما وجدتم ، وليس لكم إلا ذلك** » . رواه مسلم(١٣١) .

وقال الإمام أحمد(١٣٢) : حدثنا عبد الصمد ، أنبأنا صدقة بن موسىٰ ، عن أبي عمران الجوني ، عن قيس بن زيد ، عن قاضي المصرين ، عن عبد الرحمن بن أبي بكر ؛ قال : قال رسول اللَّه ، ﷺ : « **يدعو اللَّه بصاحب الدَّيْن يوم القيامة ، حتىٰ يوقف بين يديه فيقول : يا ابن آدم ، فيم أخذت هذا الدين ، وفيم ضيعت حقوق الناس**[٢] ؟ **فيقول : يا رب ، [إنك تعلم]**[٣] **أني أخذته ، فلم آكل ولم أشرب ولم أضيع ، ولكن أتىٰ علىٰ يدي إما حرق وإما سرق وإما وضيعة . فيقول اللَّه : صدق عبدي ، أنا أحق من قضىٰ عنك اليوم ، فيدعو اللَّه بشيء فيضعه في كفة ميزانه ، فترجح حسناته علىٰ سيئاته ، فيدخل الجنة بفضل اللَّه ورحمته** » .

وأما ﴿ **في سبيل اللَّه** ﴾ ؛ فمنهم الغزاة الذين لا حق لهم في الديوان ، وعند الإمام أحمد والحسن وإسحاق : والحج من سبيل اللَّه ؛ للحديث .

وكذلك ﴿ **ابن السبيل** ﴾ ، وهو المسافر المجتاز في بلد ، ليس معه شيء يستعين به علىٰ سفره ، فيعطىٰ من الصدقات ما يكفيه إلىٰ بلده ، وإن كان له مال ، وهكذا الحكم فيمن أراد إنشاء سفرٍ من بلده وليس معه شيء ، فيعطىٰ من مال الزكاة كفايته في ذهابه وإيابه . والدليل علىٰ ذلك الآية ، وما رواه الإمام أبو داود وابن ماجه من حديث معمر ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد رضي اللَّه عنه(١٣٣) ، قال : قال رسول اللَّه ، ﷺ : « **لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة : العامل عليها ، أو رجل اشتراها بماله ، أو غارم ، أو غازٍ في سبيل اللَّه ، أو مسكين تُصُدِّقَ عليه منها فأهدىٰ لغني** » .

وقد رواه السفيانان ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء مرسلًا ، ولأبي داود عن عطية

(١٣١) - صحيح مسلم ، كتاب المساقاة برقم (١٥٥٦) .

(١٣٢) - المسند (١/١٩٧، ١٩٨) .

(١٣٣) - سنن أبي داود ، كتاب الزكاة ، باب : من يجوز له أخذ الصدقة وهو غني رقم (١٦٣٥) وسنن ابن ماجه ، كتاب الزكاة برقم (١٨٤١) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في خ : « أنت أعلم » .

العوفي ، عن أبي سعيد الخدري(١٣٤) ؛ قال : قال رسول الله ، ﷺ : « **لا تحل الصدقة لغني إلا في سبيل الله ، وابن السبيل ، أو جار فقير فيهدي[١] لك أو يدعوك** » .

وقوله : ﴿ **فريضة من الله** ﴾ أي : حكمًا [مقدرًا بتقدير][٢] الله وفرضه وقسمته[٣] ﴿ **والله عليم حكيم** ﴾ أي : عليم بظواهر الأمور وبواطنها وبمصالح عباده ﴿ **حكيم** ﴾ فيما [يفعله ويقوله][٤] ويشرعه ويحكم به ، لا إله إلا هو ولا رب سواه .

وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾

يقول تعالىٰ : ومن المنافقين قوم يؤذون رسول الله ، ﷺ ، بالكلام فيه ﴿ **ويقولون هو أذن** ﴾ أي : من قال له شيئًا[٥] صدقه ، و[٦] من حدثه فينا صدقه ، فإذا جئناه[٧] وحلفنا له صدقنا . روي معناه عن ابن عباس ومجاهد وقتادة . قال الله تعالىٰ : ﴿ **قل أذن خير لكم** ﴾ أي : هو أذن خير ، يعرف الصادق من الكاذب ﴿ **يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين** ﴾ أي : ويصدق المؤمنين ﴿ **ورحمة للذين آمنوا منكم** ﴾ أي : وهو حجة علىٰ الكافرين ؛ ولهذا قال : ﴿ **والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم** ﴾ .

يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْخِزْيُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾

قال قتادة في قوله تعالىٰ : ﴿ **يحلفون بالله لكم ليرضوكم** ﴾ الآية - قال : ذكر لنا أن رجلًا من المنافقين قال : والله ، إن هؤلاء لخيارنا وأشرافنا ، وإن كان ما يقول محمد حقًّا[٨]

(١٣٤) - سنن أبي داود ، كتاب الزكاة ، باب : من يجوز له أخذ الصدقة وهو غني رقم (١٦٣٧) وعطية العوفي ضعيف .

[١] - في ز : « فيهوي » .
[٢] - في ز : « مقررًا بتقرير » .
[٣] - في خ : « وقسمه » .
[٤] - في خ : « يقوله ويفعله » .
[٥] - في ز : « شيء » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في ز : « جئنا » .
[٨] - في ز : « لحقًا » .

لهم شرٌ من الحمير . قال : فسمعها رجل من المسلمين فقال : واللَّه ، إن ما يقول محمد لحق ، ولأنت أشر من الحمار . قال : فسعىٰ بها الرجل إلىٰ نبي اللَّه[١] ، ﷺ ، فأخبره ، فأرسل إلىٰ الرجل فدعاه ، فقال : « **ما حملك علىٰ الذي قلت ؟** » فجعل يلتعن ويحلف باللَّه ما قال ذلك ، وجعل الرجل المسلم يقول : اللهم صَدِّق الصادق وكَذِّب الكاذب ، فأنزل اللَّه - عز وجل - : ﴿ **يحلفون باللَّه لكم ليرضوكم واللَّه ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ألم يعلموا أنه من يحادد اللَّه ورسوله فإن له نار جهنم خالدًا فيها** ﴾ . أي : ألم يتحققوا ويعلموا أنه من حاد اللَّه عز وجل ، أي : شاقه وحاربه وخالفه ، وكان في حد واللَّه ورسوله في حد ﴿ **فإن له نار جهنم خالدًا فيها** ﴾ أي : مهانًا معذبًا و[٢] ﴿ **ذلك الخزي العظيم** ﴾ أي : وهذا هو الذل العظيم ، والشقاء الكبير .

يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾

قال مجاهد : يقولون القول بينهم ، ثم يقولون : عسىٰ اللَّه أن لا يفشي علينا سرنا هذا .

وهذه الآية شبيهة بقوله تعالىٰ : ﴿ **وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به اللَّه ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا اللَّه بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير** ﴾ ، وقال في هذه الآية : ﴿ **قل استهزئوا إن اللَّه مخرج ما تحذرون** ﴾ أي : إن اللَّه سينزل علىٰ رسوله ما يفضحكم به ، ويبين له أمركم ، كقوله تعالىٰ : [﴿ **أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج اللَّه أضغانهم** ﴾ إلىٰ قوله][٣] : ﴿ **ولتعرفنهم في لحن القول واللَّه يعلم أعمالكم** ﴾ ولهذا قال قتادة : كانت[٤] تسمى هذه السورة الفاضحة ؛ فاضحة المنافقين .

وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾

قال أبو معشر المديني ، عن محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا : قال رجل من

---

[١] - في خ : « النبي » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز : « وكانت » .

المنافقين : ما أرىٰ قراءنا هؤلاء إلا أرغبنا بطونًا ، وأكذبنا ألسنة ، وأجبننا عند اللقاء . فرفع ذلك إلىٰ رسول اللَّه ، ﷺ ، فجاء إلىٰ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم ، وقد ارتحل وركب ناقته ، فقال : يا رسول اللَّه ، إنما كنا نخوض ونلعب . فقال : ﴿ **أباللَّه وآياته ورسوله كنتم تستهزئون** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **كانوا مجرمين** ﴾ وإن رجليه لتنسفان(*)[١] الحجارة ، وما يلتفت إليه رسول اللَّه ، ﷺ ، وهو متعلق بِنِسْعَة(**)[٢] رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم .

وقال عبد اللَّه بن وهب : أخبرني هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن عبد اللَّه بن عمر ؛ قال : قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يومًا : ما[٣] رأيت مثل قرائنا هؤلاء : أرغب بطونًا ، ولا أكذب ألسنًا ، ولا أجبن عند اللقاء . فقال رجل في المسجد : كذبت ، ولكنك منافق ، لأخبرنَّ رسول اللَّه ، ﷺ . فبلغ ذلك رسول اللَّه ، ﷺ ، ونزل القرآن . قال[٤] عبد اللَّه بن عمر : وأنا رأيته متعلقًا بحَقَب(***) ناقة رسول اللَّه ، ﷺ ، تنكبه[٥] الحجارة ، وهو يقول : يا رسول اللَّه ، إنما كنا نخوض ونلعب . ورسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم ، يقول : ﴿ **أباللَّه وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم** ﴾ . الآية[٦] .

وقد رواه الليث عن هشام بن سعد بنحو من هذا(١٣٥) .

وقال ابن إسحاق(١٣٦) : وقد كان جماعة من المنافقين منهم : وديعة بن ثابت أخو بني أمية بن زيد [بن][٧] عمرو بن عوف ، ورجل من أشجع حليف لبني سلمة يقال له مُخَشِّن[٨] بن حُمَيِّر ، يُشيرُون[٩] إلى رسول اللَّه ، ﷺ ، وهو منطلق إلى تبوك ، فقال بعضهم لبعض : أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضًا ، واللَّه ، لكأنا بكم

(*) نَسَف الشيء : فرقه وأذراه .

(**) النسعة : سَيْر مضفور . يجعل زمامًا للبعير وغيره . وقد تنسج عريضة تجعل على صدر البعير .

(***) الحقَب : الحزام الذي يلي حقو البعير .

(١٣٥) - رواه الطبري في تفسيره (١٤/٣٣٣،٣٣٤) رقم (١٦٩١٢) .

(١٣٦) - السيرة النبوية لابن هشام (٢/٥٢٤) .

---

[١] - في ز : « ليسفعان » .

[٢] - في ز : « بنسفة » .

[٣] - في ت : « ما » ، خ : « ما يومًا » .

[٤] - في خ : « فقال » .

[٥] - في ز : « تركبه » .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

[٧] - ما بين المعكوفتين في ت : « من بني » .

[٨] - في ز : « فحش » .

[٩] - في ز : « يسيرون » .

غدًا مقرنين في الحبال[١] ؛ إرجافا وترهيبًا للمؤمنين ، فقال مُخَشّن[٢] بن حُمَيِّر : والله ، لوددت أني أقاضَىٰ علىٰ أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة ، وإننا ننفلت[٣] أن ينزل فينا قرآن لمقالتكم[٤] هذه . وقال رسول الله ، ﷺ ، فيما بلغني لعمار بن ياسر : « **أدرك القوم ، فإنهم قد احترقوا ، فسلهم**[٥] **عما قالوا ، فإن أنكروا فقل : بلىٰ ، قلتم كذا وكذا** » . فانطلق إليهم عمار ، فقال ذلك لهم[٦] ، فأتوا رسول الله ، ﷺ ، يعتذرون إليه ، فقال وديعة بن ثابت ، ورسول الله ، ﷺ ، واقف علىٰ راحلته ، فجعل يقول وهو آخذ بحقبها : يا رسول الله ، إنما كنا نخوض ونلعب . [فنزلت الآية][٧] [فقال مُخَشّن][٨] بن حُمَيِّر : يا رسول الله ، قعد بي اسمي واسم أبي . فكان الذي عفي[٩] عنه في هذه الآية مخشن[١٠] بن حمير فتسمىٰ عبد الرحمن ، وسأل الله أن يقتله[١١] شهيدًا لا يعلم بمكانه ، فقتل يوم اليمامة ، فلم[١٢] يوجد له أثر .

وقال قتادة ﴿ **ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب** ﴾ قال : فبينما النبي ، صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، في غزوة تبوك ، ورَكْبٌ من المنافقين يسيرون بين يديه ، فقالوا : يظن هذا أن يفتح قصور الروم وحصونها هيهات هيهات ! فأطلع الله نبيه ، صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، علىٰ ما قالوا ، فقال : « **عليَّ بهؤلاء النفر** » . فدعاهم فقال : « **قلتم كذا وكذا** » فحلفوا ما كنا إلا نخوض ونلعب .

وقال عكرمة في تفسير هذه الآية : كان رجل ممن إن شاء الله عفا عنه يقول : اللهم إني أسمع آية أنا أعنىٰ بها ، تقشعر منها الجلود ، و[تجب منها القلوب][١٣] ، اللهم ؛ فاجعل وفاتي قتلًا في سبيلك ، لا يقول[١٤] أحد أنا غسلت ، أنا كفنت ، أنا دفنت . قال : فأصيب يوم اليمامة فما أحد من المسلمين إلا وقد وُجِدَ غَيْرَهُ .

وقوله : ﴿ **لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم** ﴾ أي : بهذا المقال الذي استهزأتم به ﴿ إن

---

[١] - في خ : « الجبال » .
[٢] - في ز : « فحش » .
[٣] - في ز : « نتقلب » .
[٤] - في ز : « لمقاتلتكم » .
[٥] - في خ : « فاسألهم » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٨] - ما بين المعكوفتين في ز : « وقال فحش » .
[٩] - سقط من : ز ، خ .
[١٠] - في ز : « فحش » .
[١١] - في خ : « يقتل » .
[١٢] - في خ : « ولم » .
[١٣] - في ز : « يجب منها القلب » .
[١٤] - في ز : « يقل » .

نعف[١] **عن طائفة منكم نعذب**[٢] **طائفة** ﴾ أي : لا يعفىٰ عن جميعكم ، ولابد من عذاب بعضكم ﴿ **بأنهم كانوا مجرمين** ﴾ [أي مجرمين][٣] بهذه المقالة الفاجرة الخاطئة .

ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾

يقول تعالىٰ منكرًا علىٰ المنافقين الذين هم علىٰ خلاف صفات المؤمنين ، ولما كان المؤمنون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، كان هؤلاء ﴿ **يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم** ﴾ أي : عن الإنفاق في سبيل اللّٰه ﴿ **نسوا اللّٰه** ﴾ أي : نسوا ذكر اللّٰه ﴿ **فنسيهم** ﴾ أي : عاملهم معاملة من نسيهم ، كقوله تعالىٰ : ﴿ [**وقيل اليوم**][٤] **نساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا** ﴾ ﴿ **إن المنافقين هم الفاسقون** ﴾ أي : الخارجون عن طريق الحق ، الداخلون في طريق الضلالة .

وقوله : ﴿ **وعد اللّٰه المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم** ﴾ أي : علىٰ هذا الصنيع الذي ذكر عنهم ﴿ **خالدين فيها** ﴾ أي : ماكثين فيها مخلدين هم والكفار ﴿ **هي حسبهم** ﴾ أي : كفايتهم في العذاب ﴿ **ولعنهم اللّٰه** ﴾ أي : طردهم وأبعدهم ﴿ **ولهم عذاب مقيم** ﴾ .

كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾

---

[١] - في ز : « يعف » .

[٢] - في ز : « تعذب » .

[٣] - في ز : « مجرمين » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « فاليوم » .

يقول تعالىٰ : أصاب هؤلاء من عذاب اللّٰه تعالىٰ في الدنيا والآخرة ، كما أصاب من قبلهم ، وقد كانوا أشد منهم قوة ، وأكثر أموالًا وأولادًا ، وقوله[١] : ﴿ **فاستمتعوا بخلاقهم** ﴾ قال الحسن البصري : بدينهم . وقوله[٢] : ﴿ **كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا** ﴾ أي : في الكذب والباطل ﴿ **أولئك حبطت أعمالهم** ﴾ أي : بطلت مساعيهم ، فلا ثواب لهم عليها ؛ لأنها فاسدة ﴿ **في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون** ﴾ ؛ لأنهم لم يحصل لهم عليها ثواب .

قال ابن جريج ، عن عمر[٣] بن عطاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **كالذين من قبلكم ...** ﴾ الآية ، قال ابن عباس : ما أشبه الليلة بالبارحة ! ﴿ **كالذين من قبلكم** ﴾ هؤلاء بنو إسرائيل شُبِّهْنَا بهم ، لا أعلم إلا أنه قال : « **والذي نفسي بيده ، لتتبعُنَّهم حتىٰ لو دخل الرجل منهم[٤] جحر ضَبٍّ لدخلتموه** »(١٣٧) .

قال ابن جريج (١٣٨) : وأخبرني زياد بن سعد ، عن محمد بن زيد[٥] بن مهاجر ، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، رضي اللّٰه عنه ؛ قال : قال رسول اللّٰه ، ﷺ : « **والذي نفسي بيده ، لتتبعن سنن الذين من قبلكم ، شبرًا بشبر ، وذراعًا بذراع ، وباعًا بباع ، حتىٰ لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه** » . قالوا : ومن هم يا رسول اللّٰه ؟ [ ][٦] أهل الكتاب ؟! قال : « **فمه !** » .

وهكذا رواه أبو معشر(١٣٩) ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، عن النبي ، ﷺ ... فذكره . وزاد : قال أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم القرآن ﴿ **كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالًا وأولادًا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم** ﴾ . قال أبو هريرة : الخلاق : الدين ، ﴿ **وخضتم كالذي خاضوا** ﴾ قالوا : يا رسول اللّٰه ، كما صنعت فارس والروم ؟ قال : « **فهل الناس إلا هم ؟!** » .

---

(١٣٧) - رواه الطبري في تفسيره (٣٤١/١٤) رقم (١٦٩٣١) .

(١٣٨) - رواه الطبري في تفسيره (٣٤٢/١٤) رقم (١٦٩٣٢) .

(١٣٩) - رواه الطبري في تفسيره (٣٤١/١٤) رقم (١٦٩٣٠) وإسناده ضعيف من أجل أبي معشر وهو نجيح بن عبد الرحمن السندي .

---

[١] - [٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « عمرو » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في ز : « زياد » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « قال » .

وهذا الحديث له شاهد في الصحيح(١٤٠) .

﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٧٠) ﴾

يقول تعالىٰ واعظًا لهؤلاء المنافقين المكذبين للرسل ﴿ **ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم** ﴾ أي : ألم تخبروا خبر من كان قبلكم من الأمم المكذبة للرسل ﴿ **قوم نوح** ﴾ وما أصابهم من الغرق العام لجميع أهل الأرض ، إلا من آمن بعبده ورسوله نوح عليه السلام ، ﴿ **وعاد** ﴾ كيف أهلكوا بالريح العقيم ، لما كذبوا هودًا عليه السلام ، ﴿ **وثمود** ﴾ كيف أخذتهم الصيحة ، لما كذبوا صالحًا عليه السلام ، وعقروا الناقة ﴿ **وقوم إبراهيم** ﴾ كيف نصره الله عليهم ، وأيده بالمعجزات[١] الظاهرة عليهم ، وأهلك ملكهم النمرود[٢] بن كنعان بن كوش الكنعاني لعنه الله ، ﴿ **وأصحاب مدين** ﴾ وهم قوم شعيب عليه السلام ، وكيف أصابتهم[٣] الرجفة والصيحة وعذاب يوم[٤] الظلة ﴿ **والمؤتفكات** ﴾ قوم لوط ، وقد كانوا يسكنون في مدائن ، وقال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **والمؤتفكة أهوىٰ** ﴾ أي : الأمة المؤتفكة ، وقيل : أم قراهم : وهي سدوم .

والغرض أن الله تعالىٰ أهلكهم عن آخرهم بتكذيبهم نبي الله لوطًا عليه السلام ، وإتيانهم الفاحشة التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين .

﴿ **أتتهم رسلهم بالبينات** ﴾ أي : بالحجج والدلائل القاطعات ﴿ **فما كان الله ليظلمهم** ﴾ أي : بإهلاكه إياهم ؛ لأنه أقام عليهم الحجة بإرسال الرسل وإزاحة العلل ﴿ **ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** ﴾ أي : بتكذيبهم الرسل ، ومخالفتهم الحق ، فصاروا إلىٰ ما صاروا إليه من العذاب والدمار .

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

(١٤٠) - صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة رقم (٧٣١٩) من طريق محمد بن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه .

[١] - في ز : « بالمعجزة » .
[٢] - في خ : « نمروذ » .
[٣] - في ز : « أصابهم » .
[٤] - في ز ، خ : « تلك » .

ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾

لما ذكر تعالىٰ صفات المنافقين الذميمة ، عطف بذكر صفات المؤمنين المحمودة ، فقال ﴿ [**والمؤمنون والمؤمنات**][١] **بعضهم أولياء بعض** ﴾ أي : يتناصرون ويتعاضدون ، كما جاء في الصحيح(١٤١) : « **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا** » وشبك بين أصابعه ، وفي الصحيح أيضًا(١٤٢) : « **مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائر الجسد بالحمىٰ والسهر** » .

وقوله : ﴿ **يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** ﴾ كقوله تعالىٰ : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلىٰ الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفحلون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة** ﴾ أي : يطيعون اللّٰه ويحسنون إلىٰ خلقه ﴿ **ويطيعون اللّٰه ورسوله** ﴾ أي : فيما أمر ، أو[٢] ترك ما عنه زجر ﴿ **أولئك سيرحمهم اللّٰه** ﴾ أي : سيرحم اللّٰه من اتصف بهذه الصفات ﴿ **إن اللّٰه عزيز حكيم** ﴾ أي : عزيز و[٣] من أطاعه [أعزه][٤] ، فإن العزة للّٰه ولرسوله وللمؤمنين ﴿ **حكيم** ﴾ في قسمته هذه الصفات لهؤلاء ، وتخصيصه المنافقين بصفاتهم المتقدمة ، فإن له الحكمة في جميع ما يفعله تبارك وتعالىٰ .

وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

---

(١٤١) - صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب : تشبيك الأصابع في المسجد وغيره برقم (٤٨١) ، وصحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب رقم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسى الأشعري ، رضي الله عنه .

(١٤٢) - صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، رقم (٦٠١١) ، وصحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب رقم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير ، رضي الله عنه .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في خ : « و » .
[٣] - في خ : « يعز » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

يخبر تعالىٰ بما أعده للمؤمنين به والمؤمنات ، من الخيرات والنعيم المقيم في ﴿ **جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها** ﴾ أي : ماكثين فيها أبدًا ﴿ **ومساكن طيبة** ﴾ أي : حسنة البناء طيبة القرار ، كما جاء في الصحيحين(١٤٣) : من حديث أبي عمران الجوني ، عن أبي بكر بن أبي موسىٰ عبد الله بن قيس الأشعري ، عن أبيه قال : قال رسول الله ، ﷺ : « **جنتان من ذهب ؛ آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من فضة ؛ آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلىٰ ربهم إلا رداء الكبرياء علىٰ وجهه في جنة عدن** » .

وبه [قال :][١] قال رسول الله ، ﷺ : « **إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة ، طولها ستون ميلًا في السماء ، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم لا يرىٰ بعضهم بعضًا** » . أخرجاه(١٤٤) .

وفي الصحيحين أيضًا عن أبي هريرة(١٤٥) قال : قال رسول الله ، ﷺ : « **من آمن بالله ورسوله ، وأقام الصلاة ، وصام رمضان ، فإن حقًا علىٰ الله أن يدخله الجنة ، هاجر في سبيل الله ، أو جلس[٢] في أرضه التي ولد فيها** » . قالوا : يا رسول الله ، أفلا نخبر الناس ؟ قال : « **إن في الجنة مائة درجة ، أعدها الله للمجاهدين في سبيله ، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم[٣] الله فاسألوه[٤] الفردوس ، فإنه أعلىٰ الجنة وأوسط الجنة ، ومنه تفجر أنهار الجنة ، وفوقه عرش الرحمن** » .

وعند الطبراني والترمذي وابن ماجة ، من رواية زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن معاذ بن جبل ، رضي الله عنه : سمعت رسول الله ، ﷺ ، يقول ... فذكر مثله(١٤٦) .

---

(١٤٣) - صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن رقم (٤٨٧٨) وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان رقم (١٨٠) .

(١٤٤) - صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن رقم (٤٨٧٩) وصحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها رقم (٢٨٣٨) .

(١٤٥) - صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير رقم (٢٧٩٠) من طريق فليح عن هلال ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(١٤٦) - المعجم الكبير (١٥٨/٢٠) ، وسنن الترمذي برقم (٢٥٣٠) ، وعند ابن ماجه القطعة الثانية منه برقم (٤٣٣١) ، وقد أشار الحافظ إلى الاختلاف على عطاء بن يسار .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - في ز : « حبس » .

[٣] - في ز : « سألتموا » .

[٤] - في ز : « فسلوه » .

وللترمذي عن عبادة بن الصامت مثله(١٤٧) .

وعن أبي حازم ، عن سهل بن سعد ، قال : قال رسول الله ، ﷺ : « **إن أهل الجنة ليتراءون الغرفة في الجنة كما تراءون[١] الكوكب في السماء** » . أخرجاه في الصحيحين(١٤٨) .

ثم ليعلم أن أعلىٰ منزلة في الجنة مكان يقال له الوسيلة ؛ لقربه من العرش ، وهو مسكن رسول الله ، ﷺ ، من الجنة ، كما قال الإمام أحمد (١٤٩) :

حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا سفيان ، عن ليث ، عن كعب ، عن أبي هريرة : أن رسول الله ، ﷺ ، قال : « **إذا صليتم عليَّ فاسألوا[٢] الله لي الوسيلة** » . قيل : يا رسول الله ؛ وما الوسيلة ؟ قال : « **أعلىٰ درجة في الجنة ، لا ينالها إلا رجل واحد ، وأرجو أن أكون أنا هو** » .

وفي صحيح مسلم(١٥٠) ، من حديث كعب بن علقمة ، عن عبد الرحمن بن جبير ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ؛ أنه سمع النبي ، ﷺ ، يقول : « **إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا عليّ ، فإنه من صلىٰ علي صلاة واحدة[٣] صلىٰ الله عليه بها عشرًا ، ثم سلوا لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة يوم القيامة** » .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني(١٥١) : حدثنا أحمد بن علي الأبار ، حدثنا الوليد بن عبد الملك الحراني ، حدثنا موسىٰ بن أعين ، عن ابن أبي ذئب ، عن محمد بن عمرو بن عطاء ، عن ابن عباس ؛ قال : قال رسول الله ، ﷺ : « **سلوا الله لي الوسيلة ، فإنه لم يسألها لي عبد في الدنيا إلا كنت له شهيدًا أو شفيعًا يوم القيامة** » . [ ][٤] .

وفي مسند الإمام أحمد (١٥٢) ، من حديث سعد أبي مجاهد الطائي ، عن أبي المُدِلَّة ،

(١٤٧) - سنن الترمذي ، كتاب صفة الجنة ، باب : ما جاء في درجات الجنة رقم (٢٥٣١) .

(١٤٨) - صحيح البخاري برقم (٦٥٥٥) وصحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها برقم (٢٨٣٠) .

(١٤٩) - المسند (٢/٢٥٦) .

(١٥٠) - صحيح مسلم ، كتاب الصلاة برقم (٣٨٤) .

(١٥١) - المعجم الأوسط برقم (٦٣٩) « مجمع البحرين » .

(١٥٢) - المسند (٢/٣٠٤ ، ٣٠٥) .

[١] - في خ : « ترون » .

[٢] - في ز : « فسلوا » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ت : رواه الطبراني .

عن أبي هريرة ، رضي اللّٰه عنه ، قال : قلنا : يا رسول اللّٰه ، حدثنا عن الجنة ما بناؤها ؟ قال : « **لبنة ذهب ولبنة فضة ، وملاطها(*) المسك ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران ، من يدخلها ينعم لا ييأس[١] ، ويخلد لا يموت ، لا تبلىٰ ثيابه ، ولا يفنىٰ شبابه** » .

وروي عن ابن عمر مرفوعًا نحوه(١٥٣) .

وعند الترمذي من حديث عبد الرحمن بن إسحاق ، عن النعمان بن سعد ، عن علي ، رضي اللّٰه عنه ، قال : قال رسول اللّٰه ، ﷺ : « **إن في الجنة لغرفًا يرىٰ ظهورها[٢] من بطونها[٣] ، وبطونها[٤] من ظهورها[٥]** » . فقام أعرابي فقال : يا رسول اللّٰه ، لمن هي ؟ فقال : « **لمن طيب الكلام ، وأطعم الطعام ، وأدام الصيام ، وصلىٰ بالليل والناسُ نيامٌ** »(١٥٤) .

ثم قال : حديث غريب .

ورواه الطبراني من حديث عبد اللّٰه بن عمرو ، وأبي مالك الأشعري ، كل[٦] منهما عن النبي ، ﷺ ، بنحوه(١٥٥) ، وكل من الإسنادين جيد حسن ، وعنده أن السائل هو أبو مالك الأشعري[٧] ، فاللّٰه أعلم .

وعن أسامة بن زيد قال : قال رسول اللّٰه ، ﷺ : « **ألا هل مشمر إلىٰ الجنة ؟ فإن الجنة لا خَطَر[٨] لها ، هي -ورب الكعبة- نور يتلألأ ، وريحانة تهتز ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، وثمرة نضيجة ، وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة ، ومقام في أبد في دار**

(*) الملاط : الطين يُطْلى به الحائط ، وطينٌ يُجعل بين كل لبنتين أو آجرتين أو حجرين في البناء .

(١٥٣) - رواه أبو نعيم في صفة الجنة برقم (٩٦) من طريق عمر بن ربيعة عن الحسن البصري عن ابن عمر ، رضي الله عنه ، مرفوعًا نحو حديث أبي هريرة .

(١٥٤) - سنن الترمذي ، كتاب صفة الجنة رقم (٢٥٢٧) .

(١٥٥) - أما حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، فرواه أيضًا الإمام أحمد في مسنده (١٧٣/٢) من طريق حيي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو ، رضي الله عنهما . وأما حديث أبي مالك الأشعري فهو في المعجم الكبير (٣٠١/٣) وسيأتي عند تفسير الآية : ٢٠ من سورة الزمر .

[١] - في خ : « ييأس » .
[٢] - في خ : « ظاهرها » .
[٣] - في خ : « باطنها » .
[٤] - في خ : « باطنها » .
[٥] - في خ : « ظاهرها » .
[٦] - في خ : « كلًا » .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - في ز : « حصر » .

سليمة ، وفاكهة وخضرة وحبرة ، ونعمة في محلة عالية بهية ». قالوا : نعم يا رسول الله ، نحن المشمرون لها . قال : « **قولوا : إن شاء الله** » . فقال القوم : إن شاء الله . رواه[١] ابن ماجه (١٥٦) .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ورضوان من الله أكبر** ﴾ أي : رضا الله عنهم أكبر وأجل وأعظم مما هم فيه من النعيم ، كما قال الإمام مالك رحمه الله عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه ؛ أن رسول الله ، ﷺ ، قال : « **إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة ، فيقولون : لبيك ربنا وسعديك ، والخير في يديك . فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضىٰ يارب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك ؟! . فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون : يا رب ، وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا** » . أخرجاه من حديث مالك(١٥٧) .

وقال أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي : حدثنا الفضل الرخامي ، حدثنا الفريابي ، عن سفيان ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله ؛ قال : قال رسول الله ، ﷺ : « **إذا دخل أهل الجنة الجنة ، قال الله -عز وجل- : هل تشتهون شيئًا فأزيدكم ؟ قالوا : يا ربنا ، ما خير مما[٢] أعطيتنا ؟! قال : رضواني أكبر** » .

ورواه البزار(١٥٨) في مسنده من حديث الثوري ، وقال الحافظ الضياء المقدسي في كتابه « صفة الجنة » : هذا عندي علىٰ شرط الصحيح ، والله أعلم .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ

(١٥٦) - سنن ابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب : صفة الجنة رقم (٤٣٣٢) من طريق الضحاك المعافري ، عن سليمان بن موسى ، عن كريب ، عن أسامة بن زيد ، به .
وقال البوصيري في الزوائد (٣/٣٢٥) : « هذا إسناد فيه مقال » .

(١٥٧) - صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب : صفة الجنة والنار ، رقم (٦٥٤٩) ، وصحيح مسلم ، كتاب صفة الجنة رقم (٢٨٢٩) .

(١٥٨) - ورواه أبو نعيم في صفة الجنة برقم (٢٨٣) ، والحاكم في المستدرك (١/٨٢) من طريق محمد بن يوسف الفريابي به نحوه ، وقال الحاكم : « صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » .

[١] - في ز : « ورواه » . [٢] - في ز : « ما » .

فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾

أمر تعالىٰ رسوله ، ﷺ ، بجهاد الكفار والمنافقين ، والغلظة عليهم ، كما أمره بأن يخفض جناحه لمن اتبعه من المؤمنين ، وأخبره أن مصير الكفار والمنافقين إلىٰ النار في الدار الآخرة .

وقد تقدم عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال : بعث رسول الله ، ﷺ ، بأربعة أسياف : سيفٍ للمشركين ﴿ **فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين** ﴾ وسيفٍ لكفار أهل الكتاب ﴿ **قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتىٰ يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون** ﴾ وسيفٍ للمنافقين ﴿ **جاهد الكفار والمنافقين** ﴾ وسيفٍ للبغاة ﴿ **فقاتلوا التي تبغي حتىٰ تفيء إلىٰ أمر الله** ﴾ .

وهذا يقتضي أنهم يجاهَدون بالسيف إذا أظهروا النفاق ، وهو اختيار ابن جرير .

وقال ابن مسعود في قوله : ﴿ **جاهد الكفار والمنافقين** ﴾ قال : بيده ، [فإن لم يستطع][١] [فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه][٢] ، [فإن لم يستطع][٣] فليكفهر في وجهه .

وقال ابن عباس : أمره الله تعالىٰ بجهاد الكفار بالسيف ، والمنافقين باللسان ، وأذهب الرفق عنهم .

وقال الضحاك : جَاهِد الكفار بالسيف ، واغْلُظْ علىٰ المنافقين بالكلام وهو مجاهدتهم . وعن مقاتل والربيع مثله . وقال الحسن وقتادة : مجاهدتهم إقامة الحدود عليهم .

وقد يقال : إنه لا منافاة بين هذه الأقوال ؛ لأنه تارة يؤاخذهم بهذا ، وتارة بهذا ، بحسب الأحوال ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **يحلفون بالله ما قالوا ولقد[٤] قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم** ﴾ . قال قتادة : نزلت في عبد الله بن أبي ، وذلك أنه اقتتل رجلان جهني وأنصاري ، فعلا

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٤] - في ز : « قد » .

الجهني علىٰ الأنصاري ، فقال عبد اللّٰه للأنصار : ألا تنصرون أخاكم ؟ واللّٰه ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل : سَمِّن كلبك يأكلك . وقال : لئن رجعنا إلىٰ المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . فسعىٰ بها رجل من المسلمين إلىٰ النبي ، ﷺ ، فأرسل إليه فسأله ، فجعل يحلف باللّٰه ما قاله ، فأنزل اللّٰه فيه هذه الآية(١٥٩) .

وروىٰ إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة ، عن عمه[١] موسىٰ بن عقبة ، قال : فحدثني عبد اللّٰه بن الفضل ، أنه سمع أنس بن مالك ، رضي اللّٰه عنه ، يقول : حزنت علىٰ من أصيب بالحرة من قومي ، فكتب إليَّ زيد بن أرقم ، وبلغه شدة حزني ، يذكر أنه سمع رسول اللّٰه ، ﷺ ، يقول : « **اللهم ، اغفر للأنصار ، ولأبناء الأنصار** » . وشك ابن الفضل في « أبناء أبناء الأنصار » قال ابن الفضل : [فسأل أنسًا][٢] بعضُ من كان عنده عن زيد بن أرقم ؟ فقال : هو الذي يقول له رسول اللّٰه ، ﷺ : « **أوفىٰ اللّٰه له بأُذُنِه** » . وذلك[٣] حين سمع رجلًا من المنافقين يقول ورسول اللّٰه ، ﷺ ، يخطب : لئن كان هذا صادقًا فنحن شر من الحمير ، فقال زيد بن أرقم : فهو واللّٰه صادق ، ولأنت شر من الحمار . ثم رفع ذلك إلىٰ رسول اللّٰه ، ﷺ ، فجحده القائل ، فأنزل اللّٰه هذه الآية تصديقًا لزيد . يعني قوله : ﴿ **يحلفون باللّٰه ما قالوا** ﴾ الآية .

رواه البخاري في صحيحه(١٦٠) ، عن إسماعيل بن أبي أويس ، عن إسماعيل بن إبراهيم ابن عقبة ، إلىٰ قوله :هذا الذي أوفىٰ اللّٰه له بأُذُنِه . ولعل ما بعده من قول موسىٰ بن عقبة . وقد رواه محمد بن فليح ، عن موسىٰ بن عقبة بإسناده ، ثم قال : قال ابن شهاب ... فذكر ما بعده ، عن موسىٰ ، عن ابن شهاب .

والمشهور في هذه القصة أنها كانت في غزوة بني المصطلق ، فلعل الراوي وهم في ذكر الآية ، وأراد أن يذكر غيرها فذكرها ، واللّٰه أعلم .

[حاشية][٤]

قال الأموي في مغازيه(١٦١) : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبد الرحمن بن عبد اللّٰه بن كعب بن مالك ، عن أبيه ، عن جده ؛ قال: لما قدم رسول اللّٰه ، ﷺ ،

---

(١٥٩) - رواه الطبري في تفسيره (٣٦٤/١٤) رقم (١٦٩٧٤ ، ١٦٩٧٥) .

(١٦٠) - صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن رقم (٤٩٠٦) .

(١٦١) - انظر : السيرة النبوية لابن هشام (٥١٩/١) .

---

[١] - في ز : « عم » .
[٢] - في ز : « قال أنس » .
[٣] - في ز : « قال : وذاك » .
[٤] - سقط من : خ .

أخذني قومي ، فقالوا : إنك امرؤ شاعر ، فإن شئت أن تعتذر إلىٰ رسول الله ، ﷺ ، ببعض العلة ، ثم يكون ذنبًا تستغفر[١] الله منه ... وذكر الحديث بطوله إلىٰ أن قال : وكان ممن تخلف من المنافقين ، ونزل فيه القرآن منهم ، ممن كان مع النبي ، ﷺ : الجلاس بن سويد ابن الصامت ، وكان علىٰ أم عمير بن سعد ، وكان عمير في حجره ، فلما نزل القرآن ، وذكرهم الله بما ذكر مما أنزل في المنافقين ، قال الجلاس : والله لئن كان هذا الرجل صادقًا فيما يقول لنحن شر من الحمير . فسمعها عمير بن سعد فقال : والله يا جلاس ، إنك لأحب الناس إلي ، وأحسنهم عندي بلاء ، وأعزهم علي أن يصله شيء يكرهه[٢] ، ولقد قلت مقالة لئن[٣] ذكرتُها لتفضحنك[٤] ، ولئن كتمتها لتهلكني ، ولإحداهما أهون عليَّ من الأخرىٰ ، فمشىٰ إلىٰ رسول الله ، ﷺ ، فذكر له ما قال الجلاس ، فلما بلغ ذلك الجلاس خرج حتىٰ أتىٰ[٥] النبي ، ﷺ ، فحلف بالله ما قال ما قال عمير بن سعد ، ولقد كذب عليَّ ، فأنزل الله عز وجل فيه : ﴿ **يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم** ﴾ إلىٰ آخر الآية ، فوقفه رسول الله ، ﷺ ، عليها ، فزعموا أن الجلاس تاب فحسنت توبته ، ونزع فأحسن النزوع . هكذا جاء هذا مدرجًا في الحديث متصلًا به ، وكأنه - والله أعلم - من كلام ابن إسحاق نفسه ، لا من كلام كعب بن مالك .

وقال عروة بن الزبير : نزلت[٦] هذه الآية في الجلاس بن سويد بن الصامت ، أقبل هو وابن امرأته مصعب من قباء ، فقال الجلاس : إن كان ما جاء به محمد حقًّا ، فنحن أشر من حُمُرنا هذه التي نحن عليها . فقال مصعب : أما والله يا عدو الله ، لأخبرن رسول الله ، ﷺ ، بما قلتَ . فأتيت النبي ، ﷺ ، وخفت أن ينزل فيَّ القرآن ، أو تصيبني قارعة ، أو أن أخلط بخطيئة [فقلت][٧] : يا رسول الله ، أقبلت أنا والجلاس من قباء ، فقال كذا وكذا ، ولولا مخافة أن أخلط بخطيئة أو تصيبني قارعة ما أخبرتك . قال : فدعا الجلاس ، فقال[٨] : « **يا جلاس ، أقلت الذي قاله مصعب ؟** » فحلف فأنزل الله : ﴿ **يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم** ﴾ .

وقال محمد بن إسحاق : كان الذي قال تلك المقالة - فيما بلغني - الجلاس بن سويد ابن الصامت ، فرفعها عليه رجل كان في حجره يقال له : عمير بن سعيد ، فأنكرها فحلف بالله ما قالها ، فلما نزل فيه القرآن تاب ونزع وحسنت توبته فيما بلغني .

---

[١] - في ز : « نستغفر » .
[٢] - في ز : « تكرهه » .
[٣] - في خ : « لأن » .
[٤] - في ز : « لتفضحني » .
[٥] - في ز : « يأتي » .
[٦] - في ز : « نزل » .
[٧] - في ز : « قلت » .
[٨] - في خ : « قال » .

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير (١٦٢) : حدثني أيوب بن إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا عبد اللَّه بن رجاء ، حدثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ؛ قال : كان رسول اللَّه ، ﷺ ، جالسًا في ظل شجرة ، فقال : « **إنه سيأتيكم إنسان فينظر**[١] **إليكم بعيني**[٢] **الشيطان ، فإذا جاء فلا تكلموه** » . فلم يلبثوا أن طلع رجل أزرق ، فدعاه رسول اللَّه ، ﷺ فقال : « **علام تشتمني أنت وأصحابك ؟** » . فانطلق الرجل فجاء بأصحابه ، فحلفوا باللَّه ما قالوا حتىٰ تجاوز عنهم ، فأنزل اللَّه -عز وجل- : ﴿ **يحلفون باللَّه ما قالوا** ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ **وهموا بما لم ينالوا** ﴾ قيل : نزلت[٣] في الجلاس [بن سويد][٤] ، وذلك أنه هم بقتل ابن امرأته حين قال : لأخبرنَّ رسول اللَّه ، ﷺ ، وقيل : في عبد اللَّه بن أبي ، هَمَّ بقتل رسول اللَّه ، ﷺ .

وقال السدي : نزلت في أناس أرادوا أن يتوجوا عبد اللَّه بن أبي ، وإن لم يرض رسول اللَّه ، ﷺ .

وقد ورد أن نفرًا من المنافقين هموا بالفتك[٥] بالنبي ، ﷺ ، وهو في غزوة تبوك في بعض تلك الليالي في حال السير ، وكانوا[٦] بضعة عشر رجلًا . قال الضحاك : ففيهم نزلت هذه الآية .

وذلك بيِّنٌ فيما رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب « دلائل النبوة »(١٦٣) من حديث محمد بن إسحاق ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي[٧] البختري[٨] ، عن حذيفة بن اليمان ، رضي اللَّه عنه ، قال : كنت آخذًا[٩] بخطام ناقة رسول اللَّه ، ﷺ ، أقود به ، وعمار يسوق الناقة ، أو أنا أسوقه وعمار يقوده ، حتىٰ إذا كنا بالعقبة ، فإذا أنا باثني عشر راكبًا قد اعترضوه فيها ، قال : فأنبهت رسول اللَّه ، ﷺ ، بهم[١٠] ، فصرخ بهم فولوا مدبرين ، فقال لنا رسول اللَّه ، ﷺ : « **هل عرفتم القوم ؟** » قلنا : لا يا رسول اللَّه ، قد كانوا متلثمين ،

---

(١٦٢) - تفسير الطبري (٣٦٣/١٤) رقم (١٦٩٧٣).
(١٦٣) - دلائل النبوة (٢٦٠/٥) .

---

[١] - في ز : « ينظر » .
[٢] - في ت : « بعين » .
[٣] - في خ : « أنزلت » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : « بالقتل » .
[٦] - في ز ، خ : « في » .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - في ز : « البحتري » .
[٩] - في ز : « آخذ » .
[١٠] - سقط من : ز .

ولكنا قد عرفنا الركاب . قال : « **هؤلاء المنافقون إلىٰ يوم القيامة ، وهل تدرون ما أرادوا ؟** » قلنا : لا . قال : « **أرادوا أن يزحموا[١] رسول الله ، ﷺ ، في العقبة فيلقوه منها** » . قلنا : يا رسول الله ، أو لا[٢] تبعث إلىٰ عشائرهم حتىٰ يبعث إليك كل قوم برأس صاحبهم ؟ قال : « **لا ، أكره أن تتحدث العرب بينها أن محمدًا قاتل بقوم ، حتى إذا[٣] أظهره الله [بهم ، أقبل][٤] عليهم يقتلهم . ثم قال اللهم ارمهم[٥] بالدبيلة** » . قلنا : يا رسول الله ؛ وما الدبيلة ؟ قال : « **شهاب من نار ، يقع علىٰ نياط قلب أحدهم فيهلك** » .

وقال الإمام أحمد(١٦٤) رحمه الله ، حدثنا يزيد ، أخبرنا الوليد بن عبد الله بن جميع ، عن أبي الطفيل قال : لما أقبل رسول الله ، ﷺ ، من غزوة تبوك ، أمر مناديًا فنادىٰ : إن رسول الله ، ﷺ ، أخذ العقبة فلا يأخذها أحد ، فبينما رسول الله ، ﷺ ، يقوده حذيفة ويسوقه عمار ، إذ أقبل رهط متلثمون علىٰ الرواحل ، فغشوا[٦] عمارًا وهو يسوق برسول الله ، ﷺ ، فأقبل[٧] عمار ، رضي الله عنه ، يضرب وجوه الرواحل ، فقال رسول الله ، ﷺ ، لحذيفة : « **قد قد** » حتىٰ هبط رسول الله ، ﷺ ، [فلما هبط][٨] نزل ورجع عمار ، فقال : « **يا عمار ، هل عرفت القوم ؟** » فقال : لقد عرفت عامة الرواحل ، والقوم متلثمون . قال : « **هل تدري ما أرادوا ؟** » قال : الله ورسوله أعلم ، قال : « **أرادوا أن ينفروا برسول الله ، ﷺ ، راحلته[٩] فيطرحوه** » قال : فسأل[١٠] عمار رجلًا من أصحاب رسول الله ، ﷺ ، فقال : نشدتك بالله ، كم تعلم كان[١١] أصحاب العقبة ؟ قال : أربعة عشر رجلًا[١٢] . فقال : إن كنت منهم فقد كانوا خمسة عشر . قال : فعذر رسول الله ، ﷺ ، منهم ثلاثة قالوا : والله ما سمعنا منادي رسول الله ، ﷺ ، وما علمنا ما أراد القوم ، فقال عمار : أشهد أن الاثني عشر الباقين حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد .

وهكذا روىٰ ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير نحو هذا ، وأن رسول الله ، صلىٰ

(١٦٤) - المسند (٤٥٣/٥) رقم (٢٣٨٩٩) ، وقال الهيثمي في المجمع (١٩٥/٦) : « رجاله رجال =

[١] - في خ : « يزاحموا » .
[٢] - في خ : « أفلا » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في ز : « ارميهم » .
[٦] - في ز : « فعينوا » .
[٧] - في ز : « وأقبل » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٩] - سقط من : ز ، خ .
[١٠] - في ز ، خ : « فسارّ » وفي المسند : فساب .
[١١] - في ز ، خ : « كانوا » .
[١٢] - سقط من : ز ، خ .

الله عليه وسلم ، أمر أن يمشي الناس في بطن الوادي ، وصعد هو وحذيفة وعمار العقبة ، فتبعهم هؤلاء النفر الأرذلون وهم متلثمون ، فأرادوا سلوك العقبة ، فأطلع الله على مراده رسول الله ، ﷺ ، فأمر حذيفة فرجع إليهم فضرب وجوه رواحلهم ، ففزعوا ورجعوا مقبوحين[١] ، وأعلم رسول الله ، ﷺ ، حذيفة وعمارًا بأسمائهم ، وما كانوا هموا به من الفتك به - صلوات الله وسلامه عليه - وأمرهما أن يكتما[٢] عليهم(١٦٥) .

وكذا[٣] روى يونس بن بكير عن ابن إسحاق ، إلا أنه سمى جماعة منهم، فالله أعلم(١٦٦) .

وكذا قد حكي في معجم الطبراني . قاله البيهقي .

ويشهد لهذه القصة بالصحة ما رواه مسلم(١٦٧) :

حدثنا زهير بن حرب ، حدثنا أبو أحمد الكوفي ، حدثنا الوليد بن جُمَيْع ، حدثنا أبو الطفيل قال : كان بين[٤] رجل من أهل العقبة [وبين حذيفة بعضُ ما يكون بين الناس ، فقال : أنشدك بالله ، كم كان أصحاب العقبة ؟][٥] قال : فقال[٦] له القوم : أخبره إذ سألك . قال : كنا نخبر أنهم أربعة عشر ، فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر ، وأشهد بالله أن اثني عشر منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ، وعذر ثلاثة قالوا : ما سمعنا منادي رسول الله ، ﷺ ، ولا علمنا بما أراد القوم ، وقد كان في حرة فمشى فقال : « **إن الماء قليل ، فلا يسبقني إليه أحد** » . فوجد قومًا قد سبقوه فلعنهم يومئذ .

وما رواه مسلم أيضًا(١٦٨) : من حديث قتادة ، عن أبي نضرة ، عن قيس بن عباد ، عن عمار بن ياسر قال : أخبرني حذيفة ، عن النبي ، ﷺ ، أنه قال : « **في أصحابي اثنا عشر منافقًا ، لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها حتى يلج الجمل[٧] في سم الخياط ، ثمانية**

= الصحيح » .

(١٦٥) - رواه البيهقي في دلائل النبوة (٥/٢٥٦) .

(١٦٦) - دلائل النبوة للبيهقي (٥/٢٥٧) .

(١٦٧) - صحيح مسلم ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم رقم (٢٧٧٩) .

(١٦٨) - صحيح مسلم ، ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم رقم (٢٧٧٩) .

[١] - في ز : « منوخين » .

[٢] - في ز : « كتما » .

[٣] - في ز : « وكذلك » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٦] - في ز ، خ : « يقال » .

[٧] - سقط من : ز .

منهم تكفيكهم الدُّبَيْلة[١] **: سراج من نار يظهر بين أكتافهم حتىٰ ينجم من صدورهم »** . ولهذا كان حذيفة يقال له : صاحب السر الذي لا يعلمه غيره ، أي : من تعيين جماعة من المنافقين وهم هؤلاء ، قد أطلعه [ ][٢] عليهم رسول اللَّه ، ﷺ ، دون غيره ، واللَّه أعلم .

وقد ترجم الطبراني في مسند حذيفة تسمية أصحاب العقبة ، ثم روىٰ عن عَليّ بن عبد العزيز ، عن الزبير بن بكار ، أنه قال : هم معتِّب بن قشير[٣] ، ووديعة بن ثابت ، وجد بن عبد اللَّه بن نبتل[٤] بن الحارث من بني عمرو بن عوف ، والحارث بن يزيد الطائي ، وأوس بن قيظي ، والحارث بن سويد ، وسعد بن زرارة[٥] ، وقيس بن فهد ، وسويد وداعس من بني الحبلي ، وقيس بن عمرو بن سهل ، وزيد بن اللصيت ، وسلالة بن الحمام وهما من بني قينقاع أظهروا[٦] الإِسلام(١٦٩) .

وقوله تعالىٰ ﴿ **وما نقموا إلا أن أغناهم اللَّه ورسوله من فضله** ﴾ أي : وما للرسول عندهم ذنب إلا أن اللَّه أغناهم ببركته [ويمن سِفارته][٧] ، ولو تمت عليهم السعادة لهداهم اللَّه لما جاء به ، كما قال ، ﷺ ، للأنصار : « **ألم أجدكم ضلالًا فهداكم اللَّه بي ، وكنتم متفرقين فألفكم اللَّه بي ، وعالة فأغناكم اللَّه بي** » . كلما قال شيئًا قالوا : اللَّه ورسوله[٨] أمنّ .

وهذه الصيغة تقال حيث لا ذنب ، كما قال تعالى : ﴿ **وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا باللَّه العزيز الحميد** ﴾ الآية[٩] . وكما قال عليه السلام : « **ما ينقم ابن جميل إلا أن كان فقيرًا فأغناه اللَّه** » .

ثم دعاهم اللَّه تبارك وتعالىٰ إلىٰ التوبة فقال : ﴿ **فإن يتوبوا يك خيرًا لهم وإن يتولوا يعذبهم اللَّه عذابًا أليمًا في الدنيا والآخرة وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير** ﴾ أي : وإن يستمروا علىٰ طريقهم ﴿ **يعذبهم اللَّه عذابًا أليمًا في الدنيا** ﴾ أي : بالقتل والهم والغم ، ﴿ **والآخرة** ﴾ أي : بالعذاب والنكال والهوان والصغار ﴿ **وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير** ﴾ أي : وليس لهم أحد يسعدهم ولا ينجدهم ، ولا يحصل لهم خيرًا ، ولا يدفع عنهم شرًا .

(١٦٩) - المعجم الكبير (٣/١٦٥-١٦٧) .

[١] - في ز : « الذبيلة » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « اللَّه » .
[٣] - في ز ، خ : « فير » . غير معجمة .
[٤] - في ز ، خ : « نبيل » .
[٥] - في ز ، خ : « وراة » .
[٦] - في خ : « أظهر » .
[٧] - في خ « وبمن سعادته » .
[٨] - سقط من : خ .
[٩] - سقط من : خ .

﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾

يقول تعالىٰ : ومن المنافقين من أعطىٰ اللَّه عهده وميثاقه ، لئن أغناه من فضله ليصدقن من ماله ، وليكونن من الصالحين ، فما وفىٰ بما قال ، ولا صدق فيما ادعىٰ ، فأعقبهم هذا الصنيع نفاقًا سكن في قلوبهم ، إلىٰ يوم يلقون اللَّه عز وجل يوم القيامة ، عياذًا باللَّه [من ذلك][١] .

وقد ذكر كثير من المفسرين ، منهم ابن عباس والحسن البصري ، أن سبب نزول هذه الآية الكريمة في ثعلبة بن حاطب الأنصاري .

وقد ورد فيه حديث رواه ابن جرير هاهنا وابن أبي حاتم من حديث معان بن رفاعة ، عن علي بن يزيد ، عن أبي عبد الرحمن القاسم بن عبد الرحمن مولىٰ عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية ، عن أبي أمامة الباهلي ، عن ثعلبة بن حاطب الأنصاري : أنه قال لرسول اللَّه ، ﷺ ، ادع اللَّه أن يرزقني مالًا . قال[٢] : فقال رسول اللَّه ، ﷺ : « **ويحك يا ثعلبة ! قليل تؤدي[٣] شكره ، خير من كثير لا تطيقه** » .

قال : ثم قال مرة أخرىٰ ، فقال : « **أما ترضىٰ أن تكون مثل نبي اللَّه ؟ فو الذي نفسي بيده ، لو شئت أن تسير معي الجبال ذهبًا وفضة لسارت** » . قال : والذي بعثك بالحق ، لئن دعوت اللَّه فرزقني مالًا لأعطين كل ذي حق حقه . فقال رسول اللَّه ، ﷺ : « **اللهم ارزق ثعلبة مالًا** » .

قال : فاتخذ غنمًا فنمت كما ينمو الدود ، فضاقت عليه المدينة ، فتنحىٰ عنها فنزل واديًا من أوديتها ، حتىٰ جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة ويترك ما سواهما ، ثم نمت وكثرت فتنحىٰ حتىٰ ترك الصلوات إلا الجمعة ، وهي تنمو كما ينمو الدود حتىٰ ترك الجمعة ، فطفق يتلقىٰ الركبان[٤] يوم الجمعة يسألهم عن الأخبار ، فقال رسول اللَّه ، ﷺ : « **ما فعل**

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز : « فقال » .
[٣] - في ز : « يؤدى » .
[٤] - في ز : « الركاب » .

ثعلبة ؟ » فقالوا : يا رسول اللّٰه ، اتخذ غنمًا فضاقت عليه المدينة فأخبروه بأمره ، فقال : « **يا ويح ثعلبة ! يا ويح ثعلبة ! يا ويح ثعلبة !** » .

وأنزل اللّٰه جل ثناؤه : ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** ﴾ الآية . قال ونزلت عليه فرائض الصدقة ، فبعث رسول اللّٰه ، ﷺ ، رجلين على الصدقة : رجلًا من جهينة ، ورجلًا من سليم ، وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين ، وقال لهما : « **مُرَّا بثعلبة وبفلان** - رجل من بني سليم - **فخذا صدقاتهما** » .

فخرجا حتىٰ أتيا ثعلبة ، فسألاه الصدقة ، وأقرآه كتاب رسول اللّٰه ، ﷺ ، فقال : ما هذه إلا جزية ، ما هذه إلا أخت الجزية ، ما أدري ما هذا ؟ انطلقا حتىٰ تفرغا ثم عودا إليّ ، فانطلقا . وسمع بهما السلمي ، فنظر إلىٰ خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة ، ثم استقبلهما بها ، فلما رأوها قالوا : ما يجب عليك هذا ، وما نريد أن نأخذ هذا منك . قال[١] : بلىٰ ، فخذوها فإن نفسي بذلك طيبة وإنما هي لي ، فأخذاها[٢] منه . فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة [ ][٣] فقال : أروني كتابكما ، فنظر فيه فقال : ما هذه إلا أخت الجزية ، انطلقا حتىٰ أرىٰ رأيي ، فانطلقا حتىٰ أتيا النبي ، ﷺ ، فلما رآهما قال : « **يا ويح ثعلبة !** » . قبل أن يكلمهما ، ودعا للسلمي بالبركة ، فأخبراه بالذي صنع ثعلبة والذي صنع السلمي ، فأنزل اللّٰه عز وجل ﴿ **ومنهم من عاهد اللّٰه لئن آتانا من فضله لنصدقن** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وبما كانوا يكذبون** ﴾ الآية[٤] . قال : وعند رسول اللّٰه ، ﷺ ، رجل من أقارب ثعلبة ، فسمع ذلك فخرج حتىٰ أتاه فقال : ويحك يا ثعلبة !! قد أنزل اللّٰه فيك كذا وكذا . فخرج ثعلبة حتىٰ أتىٰ النبي ، ﷺ ، فسأله أن يقبل منه صدقته ، فقال : « **إن اللّٰه منعني أن أقبل منك صدقتك** » . فجعل يحثو علىٰ رأسه التراب ، فقال له رسول اللّٰه ، ﷺ : « **هذا[٥] عملك قد أمرتك فلم تطعني** » . فلما أبىٰ [رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وآله وسلم ، أن يقبض][٦] صدقته[٧] رجع إلىٰ منزله ، فقُبض رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وآله وسلم ، ولم يقبل منه شيئًا ، ثم أتىٰ أبا بكر ، رضي اللّٰه عنه ، حين استخلف ، فقال : قد علمت منزلتي من رسول اللّٰه ، وموضعي من الأنصار ، فاقبل صدقتي . فقال أبو بكر : لم يقبلها منك رسول اللّٰه ، ﷺ ، وأبىٰ أن يقبلها ، فقبض أبو بكر ولم يقبلها ، فلما

---

[١] - في خ : « فقال » . [٢] - في ز : « فأخذوها » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ت : «أخذا الصدقات ، ثم رجعا إلى ثعلبة ».
[٤] - سقط من : ز ، خ . [٥] - سقط من : ز .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « أن يقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم » .
[٧] - سقط من : ز ، خ .

ولي عمر، رضي الله عنه، أتاه فقال: يا أمير المؤمنين، اقبل صدقتي. فقال له[١]: لم يقبلها رسول الله، ﷺ، ولا أبو بكر وأنا أقبلها منك ؟! فقبض ولم يقبلها، فلما ولي عثمان، رضي الله عنه، [أتاه فقال: اقبل صدقتي][٢]. فقال: لم يقبلها رسول الله، ﷺ، ولا أبو بكر ولا عمر وأنا أقبلها منك ؟! فلم يقبلها منه، وهلك ثعلبة في خلافة عثمان(١٧٠).

وقوله تعالىٰ ﴿ بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ﴾ [ ][٣]. أي: أعقبهم النفاق في قلوبهم؛ بسبب إخلافهم الوعد وكذبهم، كما جاء في الصحيحين[٤](١٧١) عن رسول الله، ﷺ، أنه قال: « **آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان** ». وله شواهد كثيرة، والله أعلم.

وقوله: ﴿ ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب ﴾. يخبرهم[٥] تعالىٰ أنه يعلم السر وأخفىٰ، وأنه أعلم بضمائرهم، وإن أظهروا أنه إن حصل لهم أموال تصدقوا منها وشكروا عليها، [فإنه][٦] أعلم بهم من أنفسهم؛ لأنه تعالىٰ علام الغيوب، أي: يعلم كل غيب وشهادة، وكل سر ونجوىٰ، ويعلم ما ظهر وما بطن.

ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا

(١٧٠) - تفسير الطبري (١٤/٣٧٠) رقم (١٦٩٨٧) ومعان بن رفاعة: لين الحديث، يكتب حديثه ولا يحتج به. وعلي بن يزيد الألهاني: قال البخاري: منكر الحديث. وقال النسائي: ليس بثقة. وقال أبو زرعة: ليس بقوي. وقال الدارقطني: متروك. والقاسم بن عبد الرحمن أبو عبد الرحمن: قال الإمام أحمد: روى عنه علي بن يزيد أعاجيب، وما أراها إلا من قِبَل القاسم. وقال الأثرم: ذكر لأبي عبد الله حديث عن القاسم الشامي عن أبي أمامة: أن الدباغ طهور؛ فأنكره وحمل على القاسم. وقال ابن حبان: كان القاسم أبو عبد الرحمن يزعم أنه لقي أربعين بدرياً، كان ممن يروي عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المعضلات، ويأتي عن الثقات بالمقلوبات حتى يسبق إلى القلب أنه كان المتعمد لها. قال الذهبي: قد وثقه ابن معين من وجوه عنه. وقال الجوزجاني: كان خياراً فاضلاً، أدرك أربعين من المهاجرين والأنصار. وقال الترمذي: ثقة. وقال يعقوب بن شيبة: منهم من يضعفه. وقد أنكر كثير من العلماء هذه القصة وقالوا ببطلانها.

(١٧١) - صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: علامة المنافق رقم (٣٣)، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان رقم (٥٩) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

[١] - سقط من: خ.

[٢] - في خ: « فسأله أن يقبل منه صدقته ».

[٣] - في ت: الآية.

[٤] - في ز، خ: « الصحيح ».

[٥] - في خ: « يخبر ».

[٦] - ما بين المعكوفتين في خ: « فإن الله ».

﴿ يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٧٩)

وهذه أيضًا من صفات المنافقين لا يسلم أحد من عيبهم ، ولمزهم في جميع الأحوال ، حتىٰ ولا المتصدقون يسلمون منهم ، إن جاء أحد منهم بمال جزيل قالوا : هذا مُرَاءٍ ، وإن جاء بشيء يسيرٍ قالوا : إن اللَّه لغني عن صدقة هذا .

كما قال[١] البخاري (١٧٢) : حدثنا عبيد اللَّه بن سعيد[٢] ، حدثنا أبو النعمان البصري ، حدثنا شعبة ، عن سليمان ، عن أبي وائل ، عن أبي مسعود ، رضي اللَّه عنه ، قال : لما نزلت آية الصدقة ، كنا نحامل[٣] علىٰ ظهورنا ، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير ، فقالوا : مرائي ، وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا : إن اللَّه لغني عن صدقة هذا . فنزلت[٤] : ﴿ **الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم** ﴾ الآية .

وقد[٥] رواه مسلم أيضًا في صحيحه من حديث شعبة ، به .

وقال الإمام أحمد (١٧٣) : حدثنا يزيد ثنا[٦] الجريري[٧] ، عن أبي السليل قال : وقف علينا رجل في مجلسنا بالبقيع فقال : حدثني أبي أو عمي : أنه رأىٰ رسول اللَّه ﷺ ، بالبقيع ، وهو يقول : « **من يتصدق بصدقة أشهد له بها يوم القيامة ؟** » . قال : فحللت من عمامتي لوثًا أو لوثين ، وأنا أريد أن أتصدق بهما ، فأدركني ما يدرك ابنَ آدم فعقدت[٨] عليَّ عمامتي ، فجاء رجل لم أر بالبقيع رجلًا أشد منه سوادًا ، [ولا أصغر][٩] منه ولا أَدَمَّ [بعين منه] ، ببعير ساقه ، لم أر بالبقيع ناقة أحسن منها[١٠] ، فقال : يا رسول اللَّه ،

(١٧٢) - صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب : اتقوا النار رقم (١٤١٥) ، وصحيح مسلم ، كتاب الزكاة رقم (١٠١٨) .

(١٧٣) - المسند (٥/٣٤) رقم (٢٠٤١٢) والجريري : ثقة ، روى له البخاري ومسلم ؛ إلا أنه اختلط ، وسمع منه يزيد بن هارون بعد الاختلاط . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٢١) وعزاه لأحمد وقال : « وفيه رجل لم يسم » .

[١] - في ت : « روى » .

[٢] - في خ : « سعد » .

[٣] - في ز ، خ : « نتحامل » .

[٤] - في ز : « فنزل » .

[٥] - في خ : « قد » .

[٦] - سقط من : ت .

[٧] - في ز : « الحريري » .

[٨] - في ز : « فقعدت » .

[٩] - في ما بين المعكوفتين في ت : « أقصر » ، خ : « لصغر » وفي مسند أحمد (٥/٣٤) : «أصفر» ، وفي إحدى نسخ المسند : «أصعر» .

[١٠] - في ت : « منه » .

أصدقة ؟ فقال[١] : « **نعم** » . قال : دونك هذه الناقة . قال : فلمزه رجل فقال : هذا يتصدق بهذه ، فو اللّٰه ، لهي خير منه . قال : فسمعها رسول اللّٰه ، ﷺ ، فقال : « **كذبت ، بل هو خير منك ومنها** » . ثلاث مرات . ثم قال : « **ويل لأصحاب المئين من الإبل** » ثلاثًا ، قالوا : إلا من يا رسول اللّٰه ؟ قال : « [**إلا من قال**][٢] **بالمال هكذا وهكذا** » . وجمع بين كفيه عن يمينه وعن شماله ، ثم قال : « **قد أفلح المزهد المجهد** » ثلاثًا . المزهد : في العيش ، المجهد : في العبادة .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية قال : جاء عبد الرحمن بن عوف بأربعين أوقية من ذهب إلىٰ رسول اللّٰه ، ﷺ ، وجاءه رجل من الأنصار بصاع من طعام ، فقال بعض المنافقين : واللّٰه ، ما جاء عبد الرحمن بما جاء به إلا رياءً ، وقالوا : إن كان[٣] اللّٰه ورسوله لغنيين عن هذا الصاع(١٧٤) .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : إن رسول اللّٰه خرج إلىٰ الناس يومًا ، فنادىٰ فيهم أن اجمعوا صدقاتكم ، فجمع الناس صدقاتهم ، ثم جاء رجل من آخرهم بصاع من تمر ، فقال : يا رسول اللّٰه ، هذا صاع من تمر ، [بت ليلتي أجر بالجرير الماء حتىٰ نلت صاعين من تمر][٤] ، فأمسكت أحدهما وأتيتك بالآخر . فأمره رسول اللّٰه ، ﷺ ، أن ينثره في الصدقات ، فسخر منه رجال وقالوا : إن اللّٰه ورسوله لغنيان عن هذا ، وما يصنعان[٥] بصاعك من شيء . ثم إن عبد الرحمن بن عوف قال [لرسول اللّٰه ، ﷺ : هل بقي أحد من أهل الصدقات . فقال : له رسول اللّٰه ﷺ : « **لم يبق أحد غيرك** » . فقال له عبد الرحمن بن عوف : فإن][٦] عندي مائة أوقية من ذهب[٧] في الصدقات . فقال له عمر بن الخطاب - رضي اللّٰه عنه - أمجنون أنت ؟! قال : ليس بي جنون . قال : أفعلت[٨] ما فعلت ؟! قال : نعم[٩] ، مالي ثمانية آلاف : أما أربعة آلاف فأقرضها ربي ، وأما أربعة آلاف فلي . فقال له رسول اللّٰه ، ﷺ : « **بارك اللّٰه لك فيما أمسكت وفيما أعطيت**[١٠] » . ولمزه المنافقون فقالوا : واللّٰه ما أعطىٰ عبد الرحمن عطيته إلا رياء ، وهم كاذبون ، إنما كان به متطوعًا ، فأنزل اللّٰه عز وجل عذره[١١] وعذر صاحبه المسكين الذي

---

(١٧٤) - رواه الطبري في تفسيره (٣٨٢/١٤) رقم (١٧٠٠٣) .

---

[١] - في خ : « قال » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : « يصنعون » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ت : « الذهب » .
[٨] - في ز : « فعلت » .
[٩] - سقط من : ز ، خ .
[١٠] - في ز ، خ : « أبقيت » .
[١١] - سقط من : ز ، خ .

جاء بالصاع من التمر ، فقال تعالىٰ في كتابه : ﴿ **الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات ...**﴾ الآية .

وكذا روي عن مجاهد وغير[١] واحد .

وقال ابن إسحاق : كان من[٢] المطوعين من المؤمنين في الصدقات عبد الرحمن بن عوف ، تصدق بأربعة آلاف درهم ، وعاصم بن عدي أخو[٣] بني العجلان : وذلك أن رسول اللّٰه ، ﷺ ، رغب في الصدقة وحض عليها ، فقام عبد الرحمن بن عوف فتصدق بأربعة آلاف ، وقام عاصم [بن عدي][٤] وتصدق[٥] بمائة وسق من تمر ، فلمزوهما وقالوا[٦] : ما هذا إلا رياءٌ ، وكان الذي تصدق بجهده أبو عقيل أخو بني أنيف الأراشي حليف بني عمرو بن عوف ، أتىٰ بصاع من تمر فأفرغه في الصدقة ، فتضاحكوا به وقالوا : إن اللّٰه لغني عن صاع أبي عقيل .

وقال الحافظ أبو بكر البزار(١٧٥) : حدثنا طالوت بن عباد ، حدثنا أبو عوانة ، عن عمر[٧] ابن أبي سلمة ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللّٰه ، ﷺ : « **تصدقوا فإني أريد أن أبعث بعثًا** » . قال : فجاء عبد الرحمن بن عوف فقال : يا رسول اللّٰه ، عندي أربعة آلاف ؛ ألفين أقرضهما ربي ، وألفين لعيالي . فقال رسول اللّٰه ، ﷺ : « **بارك اللّٰه لك فيما أعطيت ، وبارك لك فيما أمسكت** » .

وبات رجل من الأنصار فأصاب صاعين من تمر ، فقال : يا رسول اللّٰه ، أصبت صاعين من تمر ؛ صاعًا أقرضه لربي ، وصاعًا لعيالي . قال : فلمزه المنافقون وقالوا : ما أعطىٰ الذي أعطى ابن عوف إلا رياء . وقالوا : ألم يكن اللّٰه ورسوله غنيين عن صاع هذا ؟ فأنزل اللّٰه : ﴿ **الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جُهْدَهُمْ فيسخرون منهم سخر الله منهم** ﴾ .

ثم رواه(١٧٦) عن أبي كامل ، عن أبي عوانة ، عن عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه مرسلًا ،

(١٧٥) - مسند البزار برقم (٢٢١٦) « كشف الأستار » وقال الهيثمي في المجمع (٣٢/٧) : « وفيه عمر بن أبي سلمة ، وثقه العجلي وأبو خيثمة وابن حبان ، وضعفه شعبة وغيره ، وبقية رجالهما - أي : هذا الطريق والذي بعده - ثقات » .

(١٧٦) - مسند البزار برقم (٢٢١٦) « كشف الأستار » قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٣٣٢/٨) بعد =

[١] - سقط من : خ .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « أخا » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في خ : « قالوا » .
[٧] - في ز ، خ : « عمرو » .

قال : ولم يسنده أحد إلا طالوت .

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير(١٧٧) : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا زيد بن الحباب ، عن موسىٰ بن عبيدة ، حدثني خالد بن يسار ، عن ابن أبي عقيل ، عن أبيه ؛ قال : بت أجر الجرير(*) علىٰ ظهري علىٰ صاعين من تمر ، فانقلبت بأحدهما إلىٰ أهلي يتبلغون به ، وجئت بالآخر أتقرب به[١] إلىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، فأتيته[٢] فأخبرته فقال : « **انثره في الصدقة** » . قال : فسخر القوم وقالوا : لقد كان الله غنيًا عن صدقة هذا المسكين ! فأنزل الله : ﴿ **الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات** ﴾ الآيتين .

وكذا رواه الطبراني(١٧٨) من حديث زيد بن الحباب ، به ، وقال : اسم أبي[٣] عقيل : حباب(*) ، ويقال : عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة .

وقوله : ﴿ **فيسخرون منهم سخر الله منهم** ﴾ هذا[٤] من باب المقابلة علىٰ سوء صنيعهم واستهزائهم بالمؤمنين ؛ لأن الجزاء من جنس العمل ، فعاملهم معاملة من سخر منهم ؛ انتصارًا للمؤمنين في الدنيا ، وأعد للمنافقين في الآخرة عذابًا أليمًا ؛ [لأن الجزاء من جنس العمل][٥] .

= أن ساق هذه الرواية المرسلة : « وكذلك أخرجه عبد بن حميد ، عن يونس بن محمد ، عن أبي عوانة ، وأخرجه ابن أبي حاتم والطبري وابن مردويه من طرق أخرى عن أبي عوانة مرسلًا » .

(١٧٧) - تفسير الطبري (١٤/٣٨٨) رقم (١٧٠١٤) وإسناده ضعيف جدًا من أجل موسى بن عبيدة .

(*) الجرير : الحبل .

(١٧٨) - المعجم الكبير (٤/٤٥) وقد وقع فيه : « عن زيد بن الحباب عن خالد بن يسار » فأسقط موسى بن عبيدة في رواية ، ولذا قال الهيثمي في المجمع (٧/٣٣) : « رجاله ثقات إلا أن خالد بن يسار لم أجد من وثقه ولا جرحه » لكن الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/٨٨) عزاه للطبراني في معجمه من طريق موسى بن عبيدة عن خالد بن يسار ، فلعله سقط من نسخ الطبراني أو توهم فيه الزيلعي .

(**) **تنبيه** : كذا وقع هنا وعند الطبراني : « اسم أبي عقيل حباب » ، قال الحافظ ابن حجر في الإصابة (١/ ٣٨٩) : « كذا وقع عند الطبراني ، والصواب حَبْحَاب » .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز : « فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

[٣] - سقط من : ز ، خ . [٤] - في ز : « وهذا » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾

يخبر تعالىٰ نبيه ، صلىٰ الله عليه وسلم ، بأن هؤلاء المنافقين ليسوا أهلاً[١] للاستغفار ، وأنه لو استغفر لهم ، ولو[٢] سبعين مرة [فإن الله لا يغفر][٣] لهم .

وقد قيل : إن السبعين إنما ذكرت حسمًا لمادة الاستغفار لهم ؛ لأن العرب في أساليب كلامها تذكر السبعين في مبالغة كلامها ، ولا تريد التحديد بها ، ولا أن يكون ما زاد عليها بخلافها .

وقيل : بل لها مفهوم ، كما روىٰ العوفي ، عن ابن عباس ؛ أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال لما نزلت هذه الآية : « **أسمع ربي قد رخص لي فيهم ، فوالله ، لأستغفرن لهم**[٤] **أكثر من سبعين مرة ؛ لعل الله أن يغفر لهم** » . فقال الله من شدة غضبه عليهم : ﴿ **سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم [لن يغفر الله لهم] إن الله لا يهدي القوم الفاسقين** ﴾(١٧٩) .

وقال الشعبي : لما ثقل عبد الله بن أبي ، انطلق ابنه إلىٰ النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال : إن أبي قد احتضر ، فأحب أن تشهده وتصلي عليه . فقال له[٥] النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما اسمك ؟** » . قال : الحباب بن عبد الله . قال : « **بل أنت عبد الله بن عبد الله ؛ إن الحباب اسم شيطان**[٦] » . [قال][٧] فانطلق معه حتىٰ شهده ، وألبسه قميصه وهو عرق ، وصلىٰ عليه ، فقيل له : أتصلي عليه [وهو منافق][٨] ؟ فقال : « **إن الله قال : ﴿ إن تستغفر لهم سبعين مرة ﴾ ولأستغفرن لهم سبعين وسبعين وسبعين** » .

وكذا روي عن عروة بن الزبير ، ومجاهد بن جبر[٩] ، وقتادة بن دعامة ، رواها[١٠] ابن جرير بأسانيده (١٨٠) .

(١٧٩) - تفسير ابن جرير (١٤/٣٨٨ - ٣٨٩) (١٧٠١٤) .
(١٨٠) - تفسير ابن جرير (١٤/٣٩٥ - ٣٩٧) .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ت : « فلن يغفر الله » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ت : « الشيطان » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٨] - سقط من : خ .
[٩] - في ز : « جبير » .
[١٠] - في خ : « ورواه » .

﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾

يقول تعالىٰ ذامًّا للمنافقين المتخلفين عن صحابة رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم [بغزوة][١] تبوك ، وفرحوا بمقعدهم[٢] بعد خروجه ﴿ **وكرهوا أن يجاهدوا** ﴾ معه ﴿ **بأموالهم وأنفسهم في سبيل اللَّه وقالوا** ﴾ أي : [بعضهم لبعض][٣] : ﴿ **لا تنفروا في الحر** ﴾ وذلك أن الخروج في غزوة تبوك كان في شدة الحرّ ، عند طيب الظلال والثمار ؛ فلهذا قالوا : ﴿ **لا تنفروا في الحر** ﴾ قال اللَّه تعالىٰ لرسوله ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **قل** ﴾ لهم : ﴿ **نار جهنم** ﴾ التي تصيرون إليها [بسبب مخالفتكم][٤] ﴿ **أشد حرًّا** ﴾ مما فررتم منه من الحر ، بل أشد حرًّا من النار ، كما قال الإمام مالك عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة : إن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **نار بني آدم التي [يوقدون بها جزءًا من سبعين جزءًا]**[٥] **[من نار جهنم** » . فقالوا : يا رسول اللَّه ، إن كانت لكافية . فقال : « **[إنها] فضلت عليها بتسعة وستين جزءًا** »][٦] . أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك ، به(١٨١) .

وقال الإمام أحمد(١٨٢) : حدثنا سفيان ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « **إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم ، وضربت بالبحر**[٧] **مرتين ، ولولا ذلك ما جعل اللَّه**[٨] **فيها منفعة لأحد** » . وهذا أيضًا إسناد[٩] صحيح .

---

(١٨١) - الموطأ ، كتاب جهنم ، باب : صفة ما جاء في صفة جهنم (٩٩٤/٢) ، وصحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب : صفة النار وأنها مخلوقة رقم (٣٢٦٥) ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب الجنة وصفة نعيمها برقم (٢٨٤٣) من طريق المغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد به .

(١٨٢) - المسند (٢٤٤/٢) رقم (٧٣٢٣) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في خ : « في غزوة » . [٢] - في خ : « بقعودهم » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « لبعضهم بعضًا » . [٤] - في ت : « بمخالفتكم » .

[٥] - ما بين المعكوفتين في ت : « توقدونها جزء من سبعين جزءًا » .

[٦] - سقط من ز ، خ . [٧] - في خ : « في البحر » .

[٨] - سقط من : ز . [٩] - في خ : « إسناده » .

وقد روىٰ الإمام أبو عيسىٰ الترمذي وابن ماجه(١٨٣) عن[١] عباس الدوري عن[٢] يحيىٰ ابن أبي بكير، عن شريك، عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، رضي اللَّه عنه، قال: قال رسول اللَّه، صلىٰ اللَّه عليه وسلم: « **أوقد [ ][٣] علىٰ النار ألف سنة حتىٰ احمرَّت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتىٰ ابيضّت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتىٰ اسودّت، فهي سوداء كالليل المظلم** ». ثم قال الترمذي: لا أعلم أحدًا رفعه غير يحيى.

كذا قال. وقد رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه، عن إبراهيم بن محمد، عن محمد بن الحسين بن مكرم، عن عبيد اللَّه بن سعيد، عن عمه، عن شريك - وهو ابن عبد اللَّه النخعي - به.

وروىٰ أيضًا ابن مردويه، من رواية مبارك بن فضالة، عن ثابت، عن أنس؛ قال: تلا رسول اللَّه، صلىٰ اللَّه عليه وسلم: ﴿ **نارًا وقودها الناس والحجارة** ﴾ قال: « **أوقد عليها ألف عام حتىٰ ابيضّت، وألف عام حتىٰ احمرّت، وألف عام حتىٰ اسودّت، فهي سوداء كالليل المظلم[٤] لا يضيء لهبها** »(١٨٤).

وروىٰ الحافظ أبو القاسم الطبراني(١٨٥) من حديث تمام بن نجيح - وقد اختلف فيه - عن الحسن، عن أنس مرفوعًا[٥]: « **لو أن شرارة[٦] بالمشرق** - أي: من نار جهنم - **لوَجَدَ حرَّها مَنْ[٧] بالمغرب** ».

وروىٰ الحافظ أبو يعلىٰ(١٨٦) عن إسحاق بن أبي إسرائيل، عن أبي عبيدة الحداد، عن هشام بن حسان، عن محمد بن شبيب، عن جعفر بن أبي وحشية، عن سعيد بن جبير،

---

(١٨٣) - سنن الترمذي، أبواب: صفة جهنم، رقم (٢٥٩١) وسنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب: صفة النار رقم (٤٣٢٠) وقال الترمذي: « حديث أبي هريرة في هذا موقوف أصح، ولا أعلم أحدًا رفعه غير يحيى بن أبي بكير عن شريك ».

(١٨٤) - ورواه البيهقي في شعب الإيمان برقم (٧٩٩) من طريق سهل بن حماد عن مبارك بن فضالة به نحوه.

(١٨٥) - المعجم الأوسط برقم (٤٨٤١) « مجمع البحرين » وأشار الحافظ هنا إلى الاختلاف في حال تمام ابن نجيح، قال المنذري في الترغيب والترهيب (٣٦٢/٤): « في إسناده احتمال للتحسين ».

(١٨٦) - مسند أبي يعلى (٢٢/١٢) ورواه أبو نعيم في الحلية (٣٠٧/٤) من طريق إسحاق بن أبي إسرائيل به، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٣٦٣/٤): « إسناده حسن، وفي متنه نكارة ».

---

[١] - بعده في خ: « ابن ».
[٢] - في خ: وعن.
[٣] - ما بين المعكوفين في ت: الله.
[٤] - سقط من: ز، خ.
[٥] - في خ: « رفعه ».
[٦] - في ز: « شررة ».
[٧] - سقط من: ز، خ.

عن أبي هريرة ، قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لو كان في هذا المسجد مائة ألف أو يزيدون ، وفيهم رجل من أهل النار ، فتنفس فأصابهم نفسه لاحترق المسجد ومن فيه** » . غريب .

وقال الأعمش عن أبي إسحاق ، عن النعمان بن بشير ؛ قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن أهون أهل النار عذابًا يوم القيامة لمن له نعلان وشراكان من نار جهنم**[١] ، **يغلي منهما دماغه ، كما يغلي المرجل ، لا يرىٰ أن أحدًا من أهل النار أشدُّ عذابًا منه ، وإنه أهونهم عذابًا** » . أخرجاه في الصحيحين من حديث الأعمش(١٨٧) .

وقال مسلم أيضًا : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا يحيىٰ بن أبي بُكَيْر[٢] ، حدثنا زهير بن محمد ، عن سهيل بن أبي صالح ، عن النعمان بن أبي عياش ، عن أبي سعيد الخدري ، أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « **إن أدنىٰ أهل النار عذابًا يوم القيامة ينتعل بنعلين من نار ، يغلي دماغه من حرارة نعليه** »(١٨٨) .

وقال الإمام أحمد(١٨٩) : حدثنا يحيىٰ ، عن ابن عجلان ، سمعت أبي ، عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « **إن أدنىٰ أهل النار عذابًا رجل يجعل له نعلان يغلي منهما دماغه** » .

وهذا إسناد جيد قوي ، رجاله علىٰ شرط مسلم ، واللَّه أعلم .

والأحاديث والآثار النبوية في هذا كثيرة .

وقال اللَّه تعالىٰ في كتابه العزيز : ﴿ **كلا إنها لَظَىٰ نزاعة للشوى** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **يصب من فوق رءوسهم الحميم * يصهر به ما في بطونهم والجلود * ولهم مقامع من حديد * كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارًا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودًا غيرها ليذوقوا العذاب** ﴾ .

وقال تعالىٰ في هذه الآية الكريمة : ﴿ **قل نار جهنم أشد حرًّا لو كانوا يفقهون** ﴾ أي : لو أنهم يفقهون ويفهمون لنفروا مع الرسول في سبيل اللَّه في الحر ؛ ليتقوا به من حر جهنم

---

(١٨٧) - صحيح مسلم ، كتاب الإيمان برقم (٢١٣) . ولم أقف عليه عند البخاري من حديث الأعمش وقد رواه من طرق أخرى انظر حديث (٦٥٦٢) .

(١٨٨) - صحيح مسلم ، كتاب الإيمان رقم (٢١١) .

(١٨٩) - المسند (٢/٤٣٨) .

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - في ز : « كثير » .

الذي هو أضعاف أضعاف هذا ، ولكنهم كما قال الآخر :

... . كَالمُسْتَجيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ (١٩٠)

وقال الآخر :

عُمْرُكَ بالحمْيةِ أَفْنَيْتَهُ مَخافَةَ [ ][١] البَارِدِ وَالحَارِّ
وَكانَ أَوْلَىٰ بِكَ أَنْ تَتَّقِي مِنَ المَعَاصِي حَذَرَ النَّارِ

[ثم قال تعالى][٢] جلَّ جلاله متوعدًا لهؤلاء[٣] المنافقين على[٤] صنيعهم هذا ﴿ **فليضحكوا قليلًا وليبكوا كثيرًا جزاءً بما كانوا يكسبون** ﴾ .

قال ابن أبي طلحة ، عن ابن عباس : الدنيا قليل فليضحكوا[٥] فيها ما شاءوا ، فإذا انقطعت الدنيا وصاروا إلىٰ اللّٰه عز وجل ، استأنفوا بكاء لا ينقطع أبدًا . وكذا قال أبو رزين والحسن وقتادة والربيع بن خثيم ، وعون العقيلي[٦] ، وزيد بن أسلم .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي (١٩١) : حدثنا عبد اللّٰه بن عبد الصمد بن أبي خداش ، حدثنا محمد بن حميد[٧] ، عن ابن المبارك ، عن عمران بن زيد ، حدثنا يزيد الرقاشي ، عن أنس بن مالك ؛ قال : سمعت رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، يقول : « **يأيُّها الناس ابكوا ، فإن لم تبكوا فتباكوا ، فإن أهل النار يبكون حتىٰ تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول ، حتىٰ تنقطع الدموع فتسيل الدماء[٨] فتقرح[٩] العيون ، فلو أن سُفُنًا أرخيت[١٠] فيها لجرت** » . ورواه ابن ماجة من حديث الأعمش ، عن يزيد الرقاشي ،

---

(١٩٠) - وصدر البيت : والمستجير بعمرو عند كربته . وذكره داود الأنطاكي في مصارع العشاق (ص ٢١٩) .

(١٩١) - مسند أبي يعلى (٧/١٦١،١٦٢) وسنن ابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب : صفة النار رقم (٤٣٢٤) وقال البوصيري في الزوائد (٣/٣٢٣) : « هذا إسناد فيه يزيد بن أبان الرقاشي وهو ضعيف » .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « من » .

[٢] - مطموسة في ز ، وفي خ : « يقول تعالى » .

[٣] - في خ : « هولاء » .

[٤] - في ز ، خ : « في » .

[٥] - بياض في خ .

[٦] - في ز : « العقلي » .

[٧] - في ز ، خ : « جبر » . وهو تحريف . والمثبت من مسند أبي يعلى . وهو محمد بن حميد بن حبان الرازي .

[٨] - سقط من : ز ، خ .

[٩] - في ز : « فيقرح » .

[١٠] - في خ : « أزجيت » .

به .

وقال الحافظ أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا : حدثنا محمد بن العباس ، حدثنا حماد الجزري ، عن زيد بن رفيع - رفعه - قال : « **إن أهل النار إذا دخلوا النار بكوا الدموع زمانًا ، ثم بكوا القيح زمانًا ، قال : فتقول لهم الخزنة : يا معشر الأشقياء ، تركتم البكاء في الدار المرحوم فيها أهلها في الدنيا ، هل تجدون اليوم من تستغيثون به ؟ قال : فيرفعون أصواتهم : يا أهل الجنة ، يا معشر الآباء والأمهات والأولاد ، خرجنا من القبور عطاشًا ، وكنا طول الموقف عطاشًا ، ونحن اليوم عطاش ، فأفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ، فيدعون أربعين سنة لا يجيبهم ثم يجيبهم ﴿ إنكم ماكثون ﴾ فييأسون من كل خير** » .

فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾

يقول تعالىٰ آمرًا لرسوله ، عليه الصلاة والسلام : ﴿ **فإن رجعك الله** ﴾ أي : ردك الله من غزوتك هذه ﴿ **إلىٰ طائفة منهم** ﴾ قال قتادة : ذكر لنا أنهم كانوا اثني عشر رجلًا ﴿ **فاستأذنوك للخروج** ﴾ أي : معك إلىٰ غزوة أخرىٰ ﴿ **فقل لن تخرجوا معي أبدًا ولن تقاتلوا معي عدوًّا** ﴾ أي : تعزيرًا لهم وعقوبة ، ثم علل ذلك بقوله : ﴿ **إنكم رضيتم بالقعود أول مرة** ﴾ وهذا كقوله تعالىٰ : ﴿ **ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة** ﴾ . فإن جزاء السيئة السيئة بعدها ، كما أن [من][١] ثواب الحسنة الحسنة بعدها ، كقوله في عمرة الحديبية : ﴿ **سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلىٰ مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **فاقعدوا مع الخالفين** ﴾ قال ابن عباس : أي : الرجال الذين تخلفوا عن الغزاة . وقال قتادة : ﴿ **فاقعدوا مع الخالفين** ﴾ أي : مع النساء .

قال ابن جرير (١٩٢) : وهذا لا يستقيم ؛ لأن جمع النساء لا يكون بالياء والنون ، ولو

(١٩٢) - تفسير الطبري (٤٠٥/١٤) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .

أريد النساء لقال : فاقعدوا مع الخوالف أو الخالفات ، ورجح قول ابن عباس رضي الله عنهما .

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾

أمر الله تعالىٰ رسوله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أن يبرأ من المنافقين ، وألَّا يصلي[١] علىٰ أحد منهم إذا مات ، وألَّا يقوم علىٰ قبره يستغفر[٢] له أو يدعو له ؛ لأنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا عليه ، وهذا حكم عام في كل من عرف نفاقه ، وإن كان سبب نزول الآية في عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين ، كما قال البخاري :

حدثنا عبيد بن إسماعيل ، عن أبي أسامة ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ؛ قال : لما توفي عبد الله - [ ][٣] ابن أبي - جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه ، ثم سأله أن يصلي عليه ، فقام رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، ليصلي عليه ، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه ؟ فقال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **إنما خيرني الله فقال : ﴿ استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ﴾ وسأزيده علىٰ السبعين** » . قال : إنه منافق . قال : فصلىٰ عليه [رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم][٤] ، فأنزل الله عز وجل آية : **﴿ ولا تصل علىٰ أحد منهم مات أبدًا ولا تقم علىٰ قبره ﴾** .

وكذا رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي أسامة حماد بن أسامة ، به(١٩٣) .

ثم رواه البخاري ، عن إبراهيم بن المنذر ، عن أنس بن عياض ، عن عبيد الله - وهو ابن عمر العمري - به . وقال : فصلىٰ[٥] عليه وصلينا معه ، وأنزل الله : **﴿ ولا تصل علىٰ أحد منهم مات أبدًا ﴾** . الآية .

وهكذا رواه الإمام أحمد ، عن يحيىٰ بن سعيد القطان ، عن عبيد الله ، به(١٩٤) .

---

(١٩٣) - صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن رقم (٤٦٧٠) ، وصحيح مسلم ، كتاب صفات المنافقين رقم (٢٧٧٤) .

(١٩٤) - صحيح البخاري ، كتاب التفسير رقم (٤٦٧٢) ، والمسند (١٨/٢) .

---

[١] - في خ : « يصل » .
[٢] - في خ : « ليستغفر » .
[٣] - في ز ، خ : هو .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٥] - في ز : « فصلينا » .

وقد روي من حديث عمر بن الخطاب نفسه أيضًا بنحو من هذا ، فقال الإمام أحمد :

حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، حدثني الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ؛ قال : سمعت عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، يقول : لما توفي [عبد الله بن أبي][١] ، [دُعِيَ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، للصلاة عليه فقام إليه ، فلما وقف عليه يريد الصلاة ، تحولت حتىٰ قمت في صدره ، فقلت : يا رسول الله][٢] ، [أَعَلَى عدو الله عبد الله بن أبي][٣] القائل يوم كذا : كذا وكذا - يعدد أيامه - ؟ قال : ورسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يتبسم[٤] ، حتىٰ إذا أكثرت عليه قال : « **أخر عني يا عمر ، إني خيرت فاخترت ، قد قيل لي : ﴿ استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ﴾** لو أعلم أني إن[٥] زدت علىٰ السبعين غفر له لزدت » . قال : ثم صلىٰ عليه ومشىٰ معه ، وقام علىٰ قبره حتىٰ فرغ منه ، قال : [فعجبت من][٦] جرأتي علىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، والله ورسوله أعلم . قال : فوالله ما كان إلا يسيرًا حتىٰ نزلت هاتان الآيتان **﴿ ولا تصل علىٰ أحد منهم مات أبدًا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ﴾** . فما صلىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، بعده علىٰ منافق ولا قام علىٰ قبره حتىٰ قبضه الله ، عز وجل .

وهكذا رواه الترمذي في التفسير من حديث محمد بن إسحاق عن الزهري ، به(١٩٥) ، وقال : حسن صحيح .

ورواه البخاري (١٩٦) ، عن يحيىٰ بن بكير ، عن الليث ، عن عقيل ، عن الزهري به ، فذكر مثله وقال : « **أخر عني يا عمر** » . فلما أكثرت عليه قال : « **إني[٧] خيرت فاخترت ، ولو أعلم أني إن زدت علىٰ السبعين غفر[٨] له لزدت عليها** » . قال : فصلىٰ عليه رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، ثم انصرف ، فلم يلبث إلا يسيرًا حتىٰ نزلت الآيتان من براءة : **﴿ ولا تصل علىٰ أحد منهم مات أبدًا ولا تقم علىٰ قبره ﴾** . الآية .

(١٩٥) - المسند (١٦/١) ، وسنن الترمذي ، باب : ومن سورة التوبة برقم (٣٠٩٧) .
(١٩٦) - صحيح البخاري ، تفسير القرآن رقم (٤٦٧١) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٤] - في خ : « يبتسم » .
[٥] - في خ : « لو » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « فعجب إلى » .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - في ز : « لغفر » .

فعجبت بعد من جرأتي علىٰ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، ورسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، أعلم .

وقال الإمام أحمد(١٩٧) : حدثنا محمد بن عبيد ، حدثنا عبد الملك ، عن أبي الزبير ، عن جابر ؛ قال : لما مات عبد اللَّه بن أبي ، أتىٰ ابنه النبيَّ ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقال : يا رسول اللَّه ، إنك إن لم تأته لم نزل نعير بها[١] . فأتاه النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فوجده قد أدخل في حفرته ، فقال : « **أفلا قبل أن تدخلوه ؟** » فأخرج من حفرته ، وتفل عليه [من ريقه][٢] من قرنه إلىٰ قدمه ، وألبسه قميصه .

ورواه النسائي عن أبي داود الحراني ، عن يعلىٰ بن عبيد ، عن عبد الملك - وهو ابن أبي سليمان - به .

وقال البخاري(١٩٨) : حدثنا عبد اللَّه بن عثمان ، أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو ، سمع[٣] جابر بن عبد اللَّه ؛ قال : أتىٰ النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، عبدَ اللَّه بن أبي بعد ما أدخل في[٤] قبره ، فأمر به فأخرج ووضع علىٰ ركبتيه ، ونفث عليه من ريقه وألبسه قميصه . واللَّه أعلم .

وقد رواه أيضًا في غير موضع مع[٥] مسلم والنسائي من غير وجه عن سفيان بن عيينة به(١٩٩) .

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار في مسنده(٢٠٠) : حدثنا عمرو ابن علي ، حدثنا يحيىٰ ، حدثنا مجالد ، حدثنا عامر ، حدثنا جابر (ح) .

وحدثنا يوسف بن موسىٰ ، حدثنا عبد الرحمن بن مغراء الدوسي ، حدثنا مجالد ، عن الشعبي ، عن جابر ؛ قال : لما[٦] مات رأس المنافقين - قال يحيىٰ بن سعيد : بالمدينة -

(١٩٧) - المسند (٣/٣٧١) والنسائي في السنن الكبرى برقم (٩٦٦٥) .

(١٩٨) - صحيح البخاري ، كتاب اللباس ، باب : لبس القميص رقم (٥٧٩٥) .

(١٩٩) - صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، رقم (١٢٧٠،١٣٥٠) وكتاب الجهاد والسير رقم (٣٠٠٨) وصحيح مسلم ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم برقم (٢٧٧٣) وسنن النسائي ، كتاب الجنائز (٤/ ٣٧،٣٨) .

(٢٠٠) - ورواه ابن ماجه في السنن برقم (١٥٢٤) من طريق يحيى بن سعيد عن مجالد به نحوه .

[١] - في ت : « بهذا » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٣] - في ز : « وسمع » .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - سقط من : ت .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

فأوصىٰ أن يصلي عليه النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فجاء ابنه إلىٰ النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقال : إن أبي أوصىٰ أن يكفن [في قميصك][١] - وهذا الكلام في حديث عبد الرحمن بن مغراء ، قال يحيىٰ في حديثه - : فصلىٰ عليه وألبسه قميصه - فأنزل اللَّه تعالىٰ : ﴿ **ولا تصل علىٰ أحد منهم مات أبدًا ولا تقم علىٰ قبره** ﴾ وزاد عبد الرحمن : وخلع النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قميصه فأعطاه إياه ، ومشى فصلىٰ عليه وقام علىٰ قبره ، فأتاه جبريل ، عليه السلام ، لما ولىٰ قال : ﴿ **ولا تصل علىٰ أحد منهم مات أبدًا ولا تقم علىٰ قبره** ﴾ وهذا إسناد[٢] لا بأس به ، وما قبله شاهد له .

وقال الإمام أبو جعفر الطبري(٢٠١) : [حدثنا أحمد بن إسحاق][٣] ، حدثنا أبو أحمد ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس ، أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، أراد أن يصلي علىٰ عبد اللَّه بن أبي ، فأخذ جبريل بثوبه ، وقال : ﴿ **ولا تصل علىٰ أحد منهم مات أبدًا ولا تقم علىٰ قبره** ﴾ .

ورواه الحافظ أبو يعلىٰ في مسنده من حديث يزيد الرقاشي وهو ضعيف(٢٠٢) .

وقال قتادة : أرسل عبد اللَّه بن أبي إلىٰ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وهو مريض ، فلما دخل عليه قال له النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أهلكك حب يهود** » . قال : يا رسول اللَّه ، إنما أرسلت إليك لتستغفر لي ، ولم أرسل إليك لتؤنبني . ثم سأله عبد اللَّه أن يعطيه قميصه [ ][٤] يكفن فيه أباه[٥] ، فأعطاه إياه وصلىٰ عليه وقام علىٰ قبره ، فأنزل اللَّه عز وجل ﴿ **ولا تصل علىٰ أحد منهم مات أبدًا ولا تقم على قبره** ﴾ .

وقد ذكر بعض السلف أنه إنما ألبسه[٦] قميصه ؛ لأن عبد اللَّه بن أبي لما قدم العباس طُلِب له قميصٌ ، فلم يوجد علىٰ تفصيله إلا ثوب عبد اللَّه بن أُبي ؛ لأنه كان ضخمًا طويلًا ، ففعل ذلك به رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، مكافأة له ، فاللَّه أعلم .

ولهذا كان رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، بعد نزول هذه الآية الكريمة عليه لا يصلي علىٰ أحد من المنافقين ، ولا يقوم علىٰ قبره .

(٢٠١) - تفسير الطبري (١٤/٤٠٧) رقم (١٧٠٥٣) .
(٢٠٢) - مسند أبي يعلى (٧/١٤٥) .

[١] - في خ : « بقميصك » .
[٢] - في خ : « وإسناده » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « أن » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في خ : « كساه » .

كما قال الإمام أحمد(٢٠٣) : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن أبيه ، حدثني عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه ؛ قال : كان رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، إذا دعي [لجنازة][١] سأل عنها ، فإن أثني عليها خيرًا[٢] قام فصلىٰ عليها ، وإن [أثني عليها][٣] غير ذلك قال لأهلها : « **شأنكم بها[٤]** » . ولم يصل عليها .

وكان عمر بن الخطاب لا يصلي علىٰ جنازة من جهل حاله ، حتىٰ يصلي عليها حذيفة بن اليمان ؛ لأنه كان يعلم أعيان المنافقين[٥] ، قد أخبره بهم رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، ولهذا كان يقال له : صاحب السر الذي لا يعلمه غيره ، أي : من الصحابة .

وقال أبو عبيد في كتاب الغريب[٦] في حديث عمر : إنه أراد أن يصلي علىٰ جنازة رجل فمرزه حذيفة ، كأنه أراد أن يصده عن الصلاة عليها . ثم حكىٰ عن بعضهم : أن المرز بلغة أهل اليمامة هو القرص بأطراف الأصابع .

ولما نهىٰ الله ،عز وجل، عن الصلاة علىٰ المنافقين ، والقيام علىٰ قبورهم للاستغفار لهم ، كان هذا الصنيع من أكبر القربات في حق المؤمنين فشرع ذلك ، وفي فعله الأجر الجزيل ، كما ثبت في الصحاح(٢٠٤) وغيرها من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **من شهد الجنازة حتىٰ يصلىٰ عليها فله قيراط ، ومن شهدها حتىٰ تدفن فله قيراطان** » . قيل : وما القيراطان ؟ قال : « **أصغرهما مثل أحد** » .

وأما القيام عند قبر المؤمن إذا مات ، فقد قال أبو داود : حدثنا إبراهيم بن موسىٰ الرازي ، أخبرنا هشام ، عن عبد الله بن بحير ، عن هانئ - وهو أبو سعيد البربري ، مولىٰ عثمان بن عفان عن عثمان ،رضي الله عنه، قال : كان رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، إذا فرغ من دفن الرجل[٧] وقف عليه وقال : « **استغفروا لأخيكم ، واسألوا له التثبيت ؛ فإنه الآن يسأل** » .

انفرد بإخراجه أبو داود(٢٠٥) ، رحمه الله .

(٢٠٣) - المسند (٥/٢٩٩) رقم (٢٢٦٥٨) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٣، ٤) وعزاه لأحمد وقال : « ورجاله رجال الصحيح » .

(٢٠٤) - رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الجنائز رقم (١٣٢٥) ومسلم في ، كتاب الجنائز رقم (٩٤٥) .

(٢٠٥) - سنن أبي داود ، كتاب الجنائز ، باب : الاستغفار عند القبر للميت رقم (٣٢٢١) .

[١] - ما بين المعكوفتين في خ : «إلى جنازة » .

[٢] - في ز : « خير » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ت : « كان » .

[٤] - في ت : « به » .

[٥] - في ز : « منافقين » .

[٦] - غريب الحديث لأبي عبيد [٣٦/٢] .

[٧] - في خ : « الميت » .

وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾

[وقد][١] تقدّم [نظير تفسير][٢] هذه الآية الكريمة(٢٠٦) ، ولله الحمد والمنة[٣] .

وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾

يقول تعالىٰ منكرًا وذامًّا للمتخلفين عن الجهاد ، الناكلين عنه مع القدرة عليه ، ووجود السعة والطَّوْل[٤] ، واستأذنوا الرسول في القعود وقالوا : ﴿ **ذرنا نكن مع القاعدين** ﴾ ورضوا لأنفسهم بالعار والقعود في البلد مع النساء ، وهن الخوالف بعد خروج الجيش ، فإذا وقع الحرب كانوا أجبن الناس ، وإذا كان أَمْنٌ كانوا أكثر الناس كلامًا ، كما قال تعالىٰ عنهم في الآية الأخرىٰ : ﴿ **فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشىٰ عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد** ﴾ أي : علت ألسنتهم بالكلام الحدِّ القوي في الأمن ، وفي الحرب أجبن شيء ، وكما قال الشاعر(٢٠٧) :

أَفِي السِّلْمِ أَعْيَارًا جَفَاءً وغِلْظَةً وَفِي الْحَرْبِ أَشْبَاهُ النِّسَاءِ الْعَوارِكِ

وقال تعالىٰ في الآية الأخرىٰ : ﴿ **ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت فأولىٰ لهم طاعة وقول معروف فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرًا لهم** ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ **وطبع علىٰ قلوبهم** ﴾ أي : بسبب نكولهم عن الجهاد ، والخروج مع الرسول في سبيل الله ﴿ **فهم لا يفقهون** ﴾ أي : لا يفهمون ما فيه صلاح لهم فيفعلوه ، ولا ما فيه

(٢٠٦) - انظر تفسير الآية : ٥٥ من هذه السورة .

(٢٠٧) - البيت في السيرة النبوية لابن هشام (٦٥٦/١) منسوبًا إلى هند بنت عتبة ، والأعيار : جميع عير وهو الحمار ، والعوارك : هن الحوائض .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - في خ : « تفسير نظير » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - الطَّوْل : الغنىٰ .

مضرة لهم فيجتنبوه .

لَـٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾

لما ذكر تعالىٰ ذم المنافقين ، بين ثناءه[١] علىٰ[٢] المؤمنين ، وما لهم في آخرتهم ، فقال : ﴿ **لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا** ﴾ إلىٰ آخر الآيتين من بيان حالهم ومآلهم .

وقوله : ﴿ **وأولئك لهم الخيرات** ﴾ أي : في الدار الآخرة في جنات الفردوس والدرجات العلىٰ .

وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾

ثم بين تعالىٰ حال ذوي الأعذار في ترك الجهاد ، الذين جاءوا رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، يعتذرون إليه ، ويبينون له ما هم فيه من الضعف وعدم القدرة علىٰ الخروج ، وهم من أحياء العرب ممن حول المدينة .

قال الضحاك ، عن ابن عباس : إنه كان يقرأ ﴿ **وجاء المعذرون** ﴾ بالتخفيف ويقول : هم أهل العذر . وكذا روي [عن][٣] ابن عيينة ، عن حميد ، عن مجاهد سواء .

قال ابن إسحاق : وبلغني أنهم نفر من بني غفار منهم[٤] : خُفَافُ[٥] بنُ إيماء بن رَحَضَة .

وهذا القول هو الأظهر[٦] في معنىٰ الآية ؛ لأنه قال بعد هذا : ﴿ **وقعد الذين كذبوا اللّٰه ورسوله** ﴾ أي : لم يأتوا فيعتذروا .

وقال ابن جريج ، عن مجاهد ﴿ **وجاء المعذرون من الأعراب** ﴾ قال : نفر من بني غفار

[١] - في ز : « ثناء » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز : « حُفَافُ » .
[٦] - في ز : « أظهر » .

جاءوا فاعتذروا فلم يعذرهم الله . وكذا قال الحسن وقتادة ومحمد بن إسحاق . والقول الأول أظهر - والله أعلم - لما قدمنا من قوله بعده : ﴿ **وقعد الذين كذبوا الله ورسوله** ﴾ أي : وقعد آخرون من الأعراب عن المجيء للاعتذار ، ثم أوعدهم بالعذاب الأليم فقال : ﴿ **سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم** ﴾ .

لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾

ثم بين تعالىٰ الأعذار التي لا حرج علىٰ من قعد معها[١] عن القتال ، فذكر منها : [ما هو لازم][٢] للشخص لا ينفك عنه وهو الضعف في التركيب الذي لايستطيع معه الجلاد في الجهاد ، ومنه العمىٰ والعرج ونحوهما ؛ ولهذا بدأ به ، ومنها[٣] ما هو عارض بسبب مرض عنّ له في بدنه شغله عن الخروج في سبيل الله ، أو بسبب فقره لا يقدر علىٰ التجهز[٤] للحرب ، فليس علىٰ هؤلاء حرج إذا قعدوا ونصحوا في حال قعودهم ، ولم يرجفوا بالناس ، ولم[٥] يثبطوهم ، وهم محسنون في حالهم هذا ؛ ولهذا قال : ﴿ **ما علىٰ المحسنين من سبيل والله غفور رحيم** ﴾ .

وقال سفيان الثوري ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن أبي ثمامة ، رضي الله عنه ، قال : قال الحواريون : يا روح الله ، أخبرنا عن الناصح لله ؟ قال : الذي يؤثر حق الله علىٰ حق الناس ، وإذا حدث له أمران ، أو بدا له أمر الدنيا وأمر الآخرة ، بدأ بالذي للآخرة ، ثم تفرغ[٦] للذي للدنيا .

وقال الأوزاعي : خرج الناس للاستسقاء ، فقام فيهم بلال بن سعد ، فحمد الله وأثنىٰ عليه ، ثم قال : يا معشر من حضر ، ألستم مقرين بالإساءة ؟ قالوا : اللهم ، نعم . فقال :

---

[١] - في خ : « فيها » .
[٢] - في ز : « لازمًا » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في خ : « التجهيز » .
[٥] - في ز : « ولا » .
[٦] - في ت : « يفزع » .

اللهم إنا نسمعك تقول : ﴿ **ما علىٰ المحسنين من سبيل** ﴾ اللهم ، وقد أقررنا بالإِساءة ؛ فاغفر لنا وارحمنا واسقنا . ورفع يديه ورفعوا أيديهم ، فسقوا .

وقال قتادة : نزلت هذه الآية في عائذ بن عمرو المزني .

وقال[١] ابن أبي حاتم(٢٠٨) : حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن عبيد الله الرازي ، حدثنا ابن جابر ، عن أبي فروة ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ ، عن زيد بن ثابت ؛ قال : كنت أكتب لرسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فكنت أكتب براءة ، فإني لواضع القلم علىٰ أذني إذ أمرنا بالقتال ، فجعل رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، ينظر ما ينزل عليه ، إذ جاء أعمىٰ فقال : كيف بي يا رسول الله ، وأنا أعمىٰ ؟! فنزلت[٢] ﴿ **ليس علىٰ الضعفاء ولا على المرضى** ﴾ [إلى آخر][٣] الآية .

وقال العوفي ، عن ابن عباس في هذه الآية : وذلك أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أمر الناس أن ينبعثوا غازين معه ، فجاءته عصابة من أصحابه - فيهم عبد الله بن مُغَفَّل [ ][٤] المزني - فقالوا : يا رسول الله ، احملنا . فقال لهم : « **والله ، لا أجد ما أحملكم عليه** » . فتولوا [ولهم بكاء][٥] ، وعزَّ عليهم أن يجلسوا عن الجهاد ، ولا يجدون نفقة ولا محملاً ، فلما رأىٰ الله حرصهم علىٰ محبته ومحبة رسوله - أنزل عذرهم في كتابه فقال : ﴿ **ليس علىٰ الضعفاء** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **فهم لا يعلمون** ﴾ .

وقال مجاهد في قوله : ﴿ **ولا علىٰ الذين إذا ما أتوك لتحملهم** ﴾ : نزلت في بني مقرن من مزينة .

وقال محمد بن كعب(٢٠٩) : كانوا سبعة نفر ؛ من بني عمرو بن عوف : سالم بن عوف ؛ ومن بني واقف : [هرمي] بن عمرو ؛ ومن بني مازن بن النجار : عبد الرحمن بن كعب ، ويكنىٰ أبا ليلىٰ ؛ ومن بني المعلىٰ : [سلمان بن صخر ؛ ومن بني حارثة : عبد الرحمن بن يزيد أبو عبلة وهو الذي تصدق بعرضه فقبله الله منه][٦] ؛ ومن بني

---

(٢٠٨) - ورواه الدارقطني في الأفراد كما في الأطراف لابن طاهر (ق ١٣٤) وقال : « غريب من حديث أبي فروة - مسلم بن سالم عنه - أي ابن أبي ليلى - عن زيد ، تفرد به محمد بن جابر عنه ، وهو غريب من حديث ابن أبي ليلى لا يعلم حدث به عنه غير أبي فروة » .

(٢٠٩) - تفسير الطبري (٤٢٣/١٤) رقم (١٧٠٨٨)

---

[١] - مكانها بياض في : ز ، وفي خ : « حدثنا » . [٢] - في ز : « فأنزل الله » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من خ . [٤] - في ز ، خ : ابن مقرن وهو خطأ .

[٥] - في خ : « وهم يبكون » .

[٦] - في ز ، خ : « فضل الله » . والمثبت من تفسير الطبري .

سلمة : عمرو بن عَنَمة[١] وعبد الله بن عمرو المزني .

وقال محمد بن إسحاق في سياق غزوة تبوك : ثم إن رجالًا من المسلمين أتوا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وهم البكاءون ، وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم ، من بني عمرو بن عوف : سالم بن عمير ، وعَلْبة[٢] بن زيد أخو بني حارثة ، وأبو ليلىٰ عبد الرحمن بن كعب أخو بني مازن بن النجار ، وعمرو بن الحمام بن الجموح أخو بني سلمة ، وعبد الله بن المغفل المزني ، وبعض الناس يقول : بل هو عبد الله بن عمرو المزني ، وهَرَميّ[٣] بن عبد الله أخو بني واقف ، وعِرْباض[٤] بن سارية الفزاري ، فاستحملوا[٥] رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وكانوا أهل حاجة ، فقال : ﴿ **لا أجد ما أحملكم عليه تولوا[٦] وأعينهم تفيض من الدمع حزنًا ألا يجدوا ما ينفقون** ﴾(٢١٠) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عمر بن الأودي ، حدثنا وكيع ، عن الربيع ، عن الحسن ؛ قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **لقد خلفتم بالمدينة أقوامًا ، ما أنفقتم من نفقة ، ولا قطعتم واديًا ، ولا نلتم من عدو نيلًا ، إلا وقد شركوكم في الأجر** » . ثم قرأ : ﴿ **ولا علىٰ الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه** ﴾ . الآية .

وأصل [هذا][٧] الحديث في الصحيحين(٢١١) من حديث أنس[٨] ؛ أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **إن بالمدينة أقوامًا ما قطعتم واديًا ، ولا سرتم سيرًا إلا وهم معكم** » . قالوا : وهم بالمدينة ؟ ! قال : « **نعم ، حبسهم العذر** » .

وقال الإمام أحمد (٢١٢) : حدثنا وكيع ، حدثنا الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر ؛ قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **لقد خلفتم بالمدينة رجالًا ، ماقطعتم واديًا ، ولا سلكتم طريقًا إلا شركوكم في الأجر ، حبسهم المرض** » .

(٢١٠) - السيرة النبوة لابن هشام (٥١٨/٢) .

(٢١١) - صحيح البخاري رقم (٢٨٣٩) ، ولم يروه مسلم من حديث أنس ، وإنما رواه من حديث جابر ، كتاب الإمارة رقم (١٩١١) .

(٢١٢) - المسند (٣٠٠/٣) رقم (١٤٢٤٩) ، ورواه مسلم في كتاب الجهاد ، باب : ثواب من حبس عن الغزو ، حديث ١٥٩ - (١٩١١) . وابن ماجه في كتاب الجهاد ، باب : من حبسه العذر عن الجهاد ، حديث ٢٧٦٥ .

[١] - في ز : « عتمة » .

[٢] - في ز : « علية » .

[٣] - في ز ، خ : « حرمي » .

[٤] - في خ : « وعياض » .

[٥] - أي : طلبوا منه أن يوفر لهم ما يركبونه .

[٦] - في ز : « فولوا » .

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .

[٨] - بياض في : ز ، خ .

ورواه مسلم وابن ماجه من طرق ، عن الأعمش ، به .

ثم ردّ تعالىٰ الملامة علىٰ الذين يستأذنون في القعود وهم أغنياء ، وأنبهم في رضاهم بأن يكونوا مع النساء الخوالف في الرحال ﴿ **وطبع اللَّه علىٰ قلوبهم فهم لا يعلمون** ﴾ .

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾

أخبر تعالىٰ عن المنافقين بأنهم إذا رجعوا إلىٰ المدينة أنهم يعتذرون إليهم ﴿ **قل [لا تعتذروا]**[١] **لن نؤمن لكم** ﴾ أي : لن نصدقكم ﴿ **قد نبأنا اللَّه من أخباركم** ﴾ أي : قد أعلمنا اللَّه أحوالكم ﴿ **وسيرىٰ اللَّه عملكم ورسوله** ﴾ أي : سيظهر أعمالكم للناس في الدنيا ﴿ **ثم تردّون إلىٰ عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** ﴾ أي : فيخبركم بأعمالكم ؛ خيرِها وشرِّها ، ويجزيكم عليها .

ثم أخبر عنهم أنهم سيحلفون لكم[٢] معتذرين ﴿ **لتعرضوا عنهم** ﴾ فلا تؤنبوهم ﴿ **فأعرضوا عنهم** ﴾ احتقارًا لهم ﴿ **إنهم رجس** ﴾ أي : خبثاءُ ، نجس بواطنهم واعتقاداتهم ، ﴿ **ومأواهم** ﴾ في آخرتهم ﴿ **جهنم جزاء بما كانوا يكسبون** ﴾ أي : من الآثام والخطايا ، وأخبر أنهم وإن[٣] رضوا عنهم بحلفهم[٤] لهم ﴿ **فإن اللَّه لا يرضىٰ عن القوم الفاسقين** ﴾ أي : الخارجين عن طاعة اللَّه وطاعة رسوله ؛ فإن الفسق هو الخروج ، ومنه سميت الفأرة فويسقة ؛ لخروجها من جحرها للإفساد ، ويقال : فسقت الرطبة إذا خرجت من أكمامها .

الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في خ : « إن » .
[٤] - في ز : « بحلفانهم » .

رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩٩﴾

أخبر تعالىٰ أن في الأعراب [كفارًا ومنافقين ومؤمنين][١] ، وأن كفرهم ونفاقهم أعظم من غيرهم وأشد ﴿ **وأجدر** ﴾ . أي : أحرىٰ ﴿ **أن لا يعلموا حدود ما أنزل اللّٰه علىٰ رسوله** ﴾ كما قال الأعمش ، عن إبراهيم ؛ قال : جلس أعرابي إلىٰ زيد بن صوحان وهو يحدث أصحابه ، وكانت يده قد أصيبت يوم « **نهاوند** » ، فقال الأعرابي : واللّٰه إن حديثك ليعجبني ، وإن يدك لتريبني . فقال زيد : ما يريبك من يدي إنها الشمال ؟ فقال الأعرابي : واللّٰه ما أدري اليمين يقطعون أو الشمال . فقال زيد بن صوحان : صدق اللّٰه [ ][٢] ﴿ **الأعراب أشد كفرًا ونفاقًا وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل اللّٰه على رسوله** ﴾ .

وقال الإمام أحمد(٢١٣) : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا سفيان ، عن أبي موسىٰ ، عن وهب بن مُنَبِّه ، عن ابن عباس ، عن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال : « **من سكن البادية جفا ، ومن اتبع الصيد غفل ، ومن أتىٰ السلطان افتتن** » .

ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من طرق عن سفيان الثوري ، به . وقال الترمذي : حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الثوري .

ولما كانت الغلظة والجفاء في أهل البوادي ، لم يبعث اللّٰه منهم رسولًا ، وإنما كانت البعثة من أهل القرىٰ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وما أرسلنا من[٣] قبلك إلا رجالًا نوحي[٤] إليهم من أهل القرى** ﴾ . ولما أهدىٰ ذلك الأعرابي تلك الهدية لرسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ،

---

(٢١٣) - المسند (٢٥٧/١) ، وسنن أبي داود ، كتاب الصيد ، باب : اتباع الصيد رقم (٢٨٥٩) ، وسنن الترمذي ، كتاب الفتن رقم (٢٢٥٦) ، وسنن النسائي كتاب الصيد والذبائح (١٩٥/٧) .

---

[١] - في ز : « كفار ومنافقون ومؤمنون » .
[٢] - ما بين المعكوفين في ت : ورسوله .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « يوحى » .

فرد عليه أضعافها حتىٰ رضي ، قال : « **لقد هممت ألَّا أقبل هدية إلا من قرشي أو ثقفي أو أنصاري أو دَوْسِي** »(٢١٤) ؛ لأن هؤلاء كانوا يسكنون المدن[١] : مكة والطائف والمدينة واليمن ، فهم ألطف أخلاقًا من الأعراب ؛ لما في طباع الأعراب من الجفاء .

(حديث [الأعرابي في تقبيل الولد) قال مسلم : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب ، قالا : ثنا أبو أسامة وابن نمير ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : قدم ناس من الأعراب علىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فقالوا : أتقبلون صبيانكم ؟ قالوا : نعم . قالوا : لكنا والله ما نقبل . فقال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **وأَمْلِكُ إن كان الله نزع منكم الرحمة** » . وقال ابن نمير : « **من قلبك الرحمة** »(٢١٥)][٢] .

وقوله : ﴿ **والله عليم حكيم** ﴾ أي : عليم بمن يستحق أن يعلمه الإيمان والعلم ، حكيم فيما قسم بين عباده من العلم والجهل ، والإيمان والكفر والنفاق ، لا يسأل عما يفعل لعلمه وحكمته .

وأخبر تعالىٰ أن منهم ﴿ **من يتخذ**[٣] **ما ينفق** ﴾ أي : في سبيل الله ﴿ **مغرمًا** ﴾ أي : غرامة وخسارة ﴿ **ويتربص بكم الدوائر** ﴾ أي : ينتظر بكم[٤] الحوادث والآفات ﴿ **عليهم دائرة السوء** ﴾ أي : هي منعكسة عليهم ، والسوء دائر عليهم ﴿ **والله سميع عليم** ﴾ أي : سميع لدعاء عباده ، عليم بمن يستحق النصر ممن يستحق الخذلان .

وقوله : ﴿ **ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول** ﴾ هذا هو القسم الممدوح من الأعراب وهم : الذين يتخذون ما ينفقون في سبيل الله قربة يتقربون بها عند الله ، ويبتغون بذلك دعاء الرسول لهم ﴿ **ألا إنها قربة لهم** ﴾ أي : ألا إن ذلك حاصل لهم ﴿ **سيدخلهم الله في رحمته إن الله غفور رحيم** ﴾ .

وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (١٠٠)

(٢١٤) - رواه الترمذي في المناقب ، باب : في ثقيف وبني حنيفة ، حديث (٣٩٤٥) ، والنسائي في العمرى حديث (٣٧٥٩) ، وأحمد (٧٨٥٨) ، ورواه بمعناه أبو داود في البيوع (٣٥٣٧) .

(٢١٥) - صحيح مسلم ، كتاب الفضائل رقم (٢٣١٧) .

[١] - في ز ، خ : « الملل » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز : « يجد » .

[٤] - في ز : « لهم » .

يخبر تعالىٰ عن رضاه عن السابقين من المهاجرين والأنصار ، والتابعين لهم بإحسان ، ورضاهم عنه بما أعد لهم من جنات النعيم ، والنعيم المقيم . قال الشعبي : السابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار : من أدرك بيعة الرضوان عام الحديبية .

وقال أبو موسىٰ الأشعري ، وسعيد بن المسيب ، ومحمد بن سيرين ، والحسن ، وقتادة : هم الذين صلوا إلىٰ القبلتين مع رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم .

وقال محمد بن كعب القرظي[١] : مر عمر بن الخطاب برجل يقرأ [ ][٢] ﴿ **والسابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار** ﴾ فأخذ عمر بيده فقال : من أقرأك هذا ؟ فقال : أُبيّ بن كعب . فقال : لا تفارقني حتىٰ أذهب بك إليه . فلما جاءه قال عمر : أنت أقرأت هذا هذه الآية هكذا ؟ قال : نعم . قال : وسمعتها من رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ؟ قال : نعم . قال لقد كنت أرىٰ أنَّا رُفِعْنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا . فقال أبيّ : تصديق هذه الآية في أول سورة الجمعة : ﴿ **وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم** ﴾ وفي سورة الحشر : ﴿ **والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان** ﴾ ، وفي الأنفال ﴿ **والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم** ﴾ . [إلى آخر][٣] الآية .

ورواه ابن جرير قال(٢١٦) : وذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرؤها برفع ﴿ **الأنصار** ﴾ عطفًا علىٰ [ ][٤] ﴿ **السابقون الأوّلون** ﴾ .

فقد أخبر اللَّه العظيم أنه قد رضي عن السابقين الأوّلين من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان ، فيا ويلَ من أبغضهم أو سبّهم ، أو أبغض أو سب بعضهم ، ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول وخيرهم وأفضلهم ، أعني الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر ابن أبي قحافة - رضي اللَّه عنه - فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويبغضونهم ويسبونهم ، عياذًا باللَّه من ذلك .

وهذا يدل علىٰ أن عقولهم معكوسة ، وقلوبهم منكوسة ، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن إذ يسبون من رضي اللَّه عنهم ؟ وأما أهل السنة فإنهم يترضون عمن رضي اللَّه عنه ، ويسبون من سبه اللَّه ورسوله ، ويوالون من يوالي اللَّه ، ويعادون من يعادي اللَّه وهم متبعون

(٢١٦) - تفسير الطبري (٤٣٨/١٤) رقم (١٧١١٧) .

[١] - بعده في ز ، خ : « قال » .
[٢] - في ت : « هذه الآية » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين في خ : «و» .

لا مبتدعون ، ويقتدون [ ][١] لا يبتدون ؛ ولهذا هم حزب اللّه المفلحون ، وعباده المؤمنون .

﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ (١٠١)

يخبر تعالىٰ رسوله ، صلوات اللّه وسلامه عليه ، أن في أحياء العرب ممن حول المدينة منافقين ، وفي أهل المدينة أيضًا منافقون ﴿ **مردوا علىٰ النفاق** ﴾ أي : مرنوا واستمروا عليه ، ومنه يقال : شيطان مريد ومارد ، ويقال : تمرد فلان علىٰ اللّه ، أي : عتا وتجبر .

وقوله : ﴿ **لا تعلمهم نحن نعلمهم** ﴾ لا ينافي قوله تعالىٰ : ﴿ **ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول** ﴾ الآية ؛ لأن هذا من باب التوسم فيهم بصفات يعرفون بها ، لا أنه يعرف جميع من عنده من أهل النفاق والريب علىٰ التعيين ، وقد كان يعلم أن في بعض من يخالطه من أهل المدينة نفاقًا ، وإن كان يراه صباحًا ومساء ، وشاهد هذا بالصحة ما رواه الإمام أحمد في مسنده حيث قال :

حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن النعمان بن سالم ، عن رجل ، عن جبير بن مطعم رضي اللّه عنه ؛ قال : قلت : يا رسول اللّه ، إنهم يزعمون أنه ليس لنا أجر بمكة . فقال : « **لتأتينكم أجوركم ولو كنتم في جحر ثعلب** » . وأصغىٰ إليَّ رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، برأسه فقال : « **إن في أصحابي منافقين** »(٢١٧) .

ومعناه : أنه قد يبوح[٢] بعض المنافقين والمرجفين من الكلام بما[٣] لا صحة له ، ومن مثلهم صدر هذا الكلام الذي سمعه جبير بن مطعم ، وتقدم في تفسير قوله : ﴿ **وهموا بما لم ينالوا** ﴾ أنه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، أعلم حذيفة بأعيان أربعة عشر أو خمسة عشر منافقًا ، وهذا تخصيص لا يقتضي أنه أطلع علىٰ أسمائهم وأعيانهم كلهم ، واللّه أعلم .

وروىٰ الحافظ ابن عساكر في ترجمة أبي عمر البيروتي ، من طريق هشام بن عمار ، حدثنا صدقة بن خالد ، حدثنا ابن جابر ، حدثني شيخ ببيروت يكنىٰ أبا عمر أظنه حدثني عن أبي الدرداء ؛ أن رجلًا يقال له حرملة أتىٰ النبيَّ ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، فقال : الإيمان هاهنا وأشار بيده إلىٰ لسانه ، والنفاق هاهنا وأشار بيده إلىٰ قلبه ، ولم يذكر اللّه إلا قليلًا .

---

(٢١٧) - المسند (٤/٨٣) رقم (١٦٨١٤) . وفي إسناده رجل مجهول .

---

[١] - ما بين المعكوفين في خ : و .

[٢] - في ز : « ينوج » .

[٣] - في ز : « ما » .

فقال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **اللهم ؛ اجعل له لسانًا ذاكرًا ، وقلبًا شاكرًا ، وارزقه حبي وحب من يحبني ، وصير أمره إلىٰ خير** » . فقال : يا رسول اللَّه ، إنه كان لي أصحاب من المنافقين ، وكنت رأسًا فيهم أفلا آتيك بهم ؟ قال : « **من أتانا استغفرنا له ، ومن أصر على دينه فاللَّه أولى به ، ولا تخرقن علىٰ أحد سترًا** »(٢١٨) .

قال : وكذا رواه أبو أحمد الحاكم عن أبي بكر الباغندي عن هشام بن عمار ، به .

وقال عبد الرزاق(٢١٩) : أخبرنا معمر ، عن قتادة في هذه الآية أنه قال : ما بال أقوام يتكلفون علم الناس ، فلان في الجنة وفلان في النار ، فإذا سألت أحدهم عن نفسه قال : لا أدري ، لعمري أنت بنفسك[١] أعلم منك بأحوال الناس ! ولقد تكلفت شيئًا ما تكلفه الأنبياء قبلك ، قال نبي اللَّه نوح - عليه السلام - : ﴿ **وما علمي بما كانوا يعملون** ﴾ . وقال نبي اللَّه شعيب - عليه السلام - : ﴿ **بقية اللَّه خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ** ﴾ . وقال اللَّه تعالىٰ لنبيه ، صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم : ﴿ **لا تعلمهم نحن نعلمهم** ﴾ .

وقال السدي (٢٢٠) ، عن أبي مالك ، عن ابن عباس في هذه الآية قال : قام رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم ، خطيبًا يوم الجمعة فقال : « **اخرج يا فلان ؛ فإنك منافق ، واخرج يا فلان ؛ فإنك منافق** » . فأخرج من المسجد ناسًا منهم فضحهم[٢] ، فجاء عمر وهم يخرجون من المسجد ، فاختبأ منهم حياء أنه لم يشهد الجمعة ، وظن أن الناس قد انصرفوا ، واختبئوا هم من عمر ظنوا أنه قد علم بأمرهم ، فجاء عمر فدخل المسجد ، فإذا الناس لم يصلوا ، فقال له رجل من المسلمين : أبشر[٣] [يا عمر][٤] ؛ قد فضح اللَّه المنافقين اليوم . قال ابن عباس : فهذا العذاب الأول حين أخرجهم من المسجد ، والعذاب الثاني عذاب القبر .

وكذا قال الثوري ، عن السدي ، عن أبي مالك نحو هذا .

وقال مجاهد في قوله : ﴿ **سنعذبهم مرتين** ﴾ يعني : القتل والسباء .

---

(٢١٨) - انظر : مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٧٦/٢٩) .

(٢١٩) - تفسير عبد الرزاق (٢٥٣/١) .

(٢٢٠) - رواه الطبري في تفسيره (٤٤١/١٤) رقم (١٧١٢٢) .

---

[١] - في ز : « بنصيبك » .

[٢] - في ز : « فضحتهم » .

[٣] - في ت : « فأبشر » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

وقال في رواية : بالجوع وعذاب القبر ، ثم يردون إلىٰ عذاب عظيم .

وقال ابن جريج : عذاب في[١] الدنيا وعذاب في[٢] القبر ﴿ **ثم يردون إلىٰ عذاب عظيم** ﴾ النار .

وقال الحسن البصري : عذاب في الدنيا وعذاب في القبر .

وقال عبد الرحمن بن زيد : أما عذاب في الدنيا فالأموال والأولاد ، وقرأ [قول الله][٣] : ﴿ **فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد اللّٰه ليعذبهم بها في الحياة الدنيا** ﴾ فهذه المصائب لهم عذاب وهي للمؤمنين أجر ، وعذاب في الآخرة في النار ﴿ **ثم يردون إلىٰ عذاب عظيم** ﴾ قال : النار .

وقال : محمد بن إسحاق ﴿ **سنعذبهم مرتين** ﴾ قال : هو - فيما بلغني - ما هم فيه من أمر الإسلام ، وما يدخل عليهم من غيظ[٤] ذلك علىٰ غير حسبة ، ثم عذابهم في القبور إذا صاروا إليها ، ثم العذاب العظيم الذي يردون إليه عذاب الآخرة والخلد فيه .

وقال سعيد ، عن قتادة في قوله : ﴿ **سنعذبهم مرتين** ﴾ عذاب الدنيا وعذاب القبر ﴿ **ثم يردّون إلىٰ عذاب عظيم** ﴾ و[٥] ذكر لنا أن نبي اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، أسرَّ إلىٰ حذيفة باثني عشر رجلًا من المنافقين ، فقال : « **ستة منهم تكفيكهم الدبيلة[٦](*) : سراج من نار جهنم يأخذ في كتف أحدهم حتىٰ يفضي إلىٰ صدره ، وستة يموتون موتًا** » ، وذكر لنا أن عمر ابن الخطاب ، رضي اللّٰه عنه ، كان إذا مات رجل ممن يرىٰ أنه منهم ، نظر إلىٰ حذيفة ، فإن صلىٰ عليه وإلا[٧] تركه ؛ وذكر لنا أن عمر قال لحذيفة : أنشدك باللّٰه ، أمنهم أنا ؟ قال : لا ، ولا أومِن[٨] منها أحدًا بعدك(٢٢١) .

﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾

(٢٢١) - رواه الطبري في تفسيره (١٤/٤٤٣) رقم (١٧١٣٠) .

(*) - الدبيلة : خراج ودمل كبير يظهر في الجوف فيقتل صاحبه غالبًا .

[١] - سقط من : خ .

[٢] - زيادة من : ت .

[٣] - في خ : « قوله تعالى » .

[٤] - في ز : « غليظ » ، خ : « غليط » .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - في ز : « الذبيلة » .

[٧] - في ز : « ولا » .

[٨] - في ز : « أمن » .

لما بين تعالىٰ حال المنافقين المتخلفين عن الغزاة رغبة عنها وتكذيبًا وشكًا - شرع في بيان حال المذنبين الذين تأخروا عن الجهاد كسلًا وميلًا إلىٰ الراحة ، مع إيمانهم وتصديقهم بالحق فقال : ﴿ **وآخرون اعترفوا بذنوبهم** ﴾ أي : أقروا بها ، واعترفوا فيما بينهم وبين ربهم ، ولهم أعمال أخر صالحة ، خلطوا هذه بتلك ، فهؤلاء تحت عفو اللَّه وغفرانه .

وهذه الآية وإن كانت نزلت في أناس معينين ، إلا أنها عامة في كل المذنبين الخطائين المخلطين المتلوثين .

وقد قال مجاهد : إنها نزلت في أبي لبابة لما قال لبني قريظة : إنه الذبح ، وأشار بيده إلىٰ حلقه .

وقال ابن عباس : ﴿ **وآخرون** ﴾ نزلت في أبي لبابة وجماعة من أصحابه ، تخلفوا عن [رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، في][١] غزوة تبوك . فقال بعضهم : أبو لبابة وخمسة معه ، وقيل : وسبعة معه ، وقيل : وتسعة معه ؛ فلما رجع رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، من غزوته ربطوا أنفسهم بسواري المسجد ، وحلفوا لا يحلهم إلا رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فلما أنزل اللَّه هذه الآية ﴿ **وآخرون اعترفوا بذنوبهم** ﴾ أطلقهم رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وعفا عنهم .

وقال البخاري : حدثنا مؤمل بن هشام ، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا عوف ، حدثنا أبو رجاء ، حدثنا سمرة بن جندب ؛ قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، لنا : « **أتاني الليلة آتيان فابتعثاني فانتهينا إلىٰ مدينة مبنية بلَبِن ذهب ولَبِن فضة ، فتلقانا رجال ، شطرٌ من خلقهم كأحسن ما أنت راءٍ**[٢] ، **وشطر كأقبح ما أنت راءٍ**[٣] ، **قالا لهم : اذهبوا فقعوا في ذلك النهر ، فوقعوا فيه ، ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم ، فصاروا في أحسن صورة ، قالا**[٤] **لي : هذه جنة عدن ، وهذا منزلك . قالا : [ ]**[٥] **أما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح ، فإنهم خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا فتجاوز اللَّه عنهم** » .

هكذا رواه البخاري[٦] مختصرًا في تفسير هذه الآية(٢٢٢) .

---

(٢٢٢) - صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن رقم (٤٦٧٤) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز : « رائى » .

[٣] - في ز : « رائى » .

[٤] - في خ : « قال » .

[٥] - في خ : « و » .

[٦] - سقط من : ز .

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾

أمر الله تعالىٰ رسوله ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، بأن[١] يأخذ من أموالهم صدقة يطهرهم ويزكيهم بها ، وهذا عام وإن أعاد بعضهم الضمير في أموالهم إلىٰ ﴿ **الذين اعترفوا بذنوبهم وخلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً** ﴾ ولهذا اعتقد بعض مانعي الزكاة من أحياء العرب أن دفع الزكاة إلىٰ الإمام لا يكون ، وإنما كان هذا خاصًّا [برسول الله][٢] ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، ولهذا احتجوا بقوله تعالىٰ : ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم** ﴾ ، وقد رد عليهم هذا التأويل والفهم الفاسد [الصديق أبو بكر][٣] وسائر الصحابة ، وقاتلوهم حتىٰ أدوا الزكاة إلىٰ الخليفة كما كانوا يؤدونها إلىٰ رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، حتىٰ قال الصديق : واللّٰه لو منعوني عناقًا - وفي رواية عقالاً - كانوا يؤدونه إلىٰ رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، لأقاتلنهم علىٰ منعه(٢٢٣) .

وقوله : ﴿ **وصل عليهم** ﴾ أي : ادع لهم واستغفر لهم ، كما رواه مسلم في صحيحه : عن عبد اللّٰه بن أبي أوفىٰ ؛ قال : كان النبيّ ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، إذا أتي بصدقة قوم صلّىٰ عليهم ، فأتاه أبي بصدقته فقال : « **اللهم ؛ صلِّ علىٰ آل أبي أوفىٰ** »(٢٢٤) . وفي الحديث الآخر : أن امرأة قالت : يا رسول اللّٰه ؛ صل علي وعلىٰ زوجي . فقال : « **صلّىٰ اللّٰه عليك وعلىٰ زوجك** »(٢٢٥) .

وقوله : ﴿ **إن صلاتك سكن لهم** ﴾ قرأ بعضهم : (**صلواتك**) علىٰ الجمع[٤] ،

(٢٢٣) - رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الزكاة (١٤٠٠ ، ١٤٥٧) وفي استتابة المرتدين (٦٩٢٤) بلفظ (عناقًا) وفي الاعتصام رقم (٧٢٨٤،٧٢٨٥) بلفظ : « عقالاً » قال : « وقال ابن بكير وعبد الله عن الليث : « عناقا وهو أصح » .

(٢٢٤) - صحيح البخاري ، كتاب الزكاة رقم (١٤٩٧) ، ومسلم في الزكاة رقم (١٠٧٨) .

(٢٢٥) - رواه أبو داود في كتاب الصلاة رقم (١٥٣٣) والنسائي في الكبرى برقم (١٠٢٥٦) من حديث جابر بن عبد الله ، رضي الله عنه .

[١] - في ز : « أن » .
[٢] - في خ : « بالرسول » .
[٣] - في خ : « أبو بكر الصديق » .
[٤] - وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ونافع وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر .

وآخرون قرءوا : ﴿ إن صلاتك ﴾[١] علىٰ الإفراد ﴿ سكن لهم ﴾ قال ابن عباس : رحمةٌ لهم . وقال قتادة : وقارٌ .

وقوله : ﴿ والله سميع ﴾ أي : لدعائك ﴿ عليم ﴾ أي : بمن يستحق ذلك منك ومن هو أهل له .

قال الإمام أحمد(٢٢٦) : حدثنا وكيع ، حدثنا أبو العميس ، عن أبي بكر بن عمرو بن[٢] عتبة ، عن ابنِ لحذيفة[٣] ، عن أبيه ؛ أن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، كان إذا دعا لرجل أصابته وأصابت ولده وولد ولده .

ثم رواه عن أبي نعيم ، عن مسعر ، عن أبي بكر بن عمرو بن عتبة ، عن ابن لحذيفة[٤] - قال مسعر : وقد ذكره مرة عن حذيفة - : أن صلاة النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، لتدرك الرجل وولده وولد ولده (٢٢٧) .

وقوله : ﴿ ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات ﴾ هذا تهييج إلىٰ التوبة والصدقة اللتين كل منهما يحط الذنوب ويمحصها ويمحقها .

وأخبر تعالىٰ أنه[٥] كل من تاب إليه تاب عليه ، ومن تصدق بصدقة من كسب حلال فإن الله تعالىٰ يتقبلها بيمينه ، فيربيها لصاحبها حتىٰ تصير التمرة مثل أحد ، كما جاء بذلك الحديث عن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ؛ كما قال الثوري ووكيع ، كلاهما عن عباد ابن منصور ، عن القاسم بن محمد ؛ أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه ، فيربيها لأحدكم كما يربي أحدكم مهره ، حتىٰ إن اللقمة لتصيرُ[٦] مثل أحد** » . وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل : ﴿ ألم يعلموا أن الله هو [ ][٧] يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات ﴾ ، وقوله[٨] : ﴿ يمحق الله الربا ويربي الصدقات ﴾(٢٢٨) .

(٢٢٦) - المسند (٥/٣٨٥) .

(٢٢٧) - المسند (٥/٤٠٠) .

(٢٢٨) - رواه الطبري في تفسيره (١٤/٤٦١) رقم (١٧١٦٩) تنبيه : وقع خطأ في الآية هنا وعند الطبري ، وما أثبتناه هو الصواب .

[١] - وهي قراءة حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص .
[٢] - في ز : « عن » .
[٣] - في ت : « الحذيفة » .
[٤] - في ت : « الحذيفة » .
[٥] - في خ : « أن » .
[٦] - في ت : « لتكون » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز : « الذي » .
[٨] - سقط من : ز .

وقال الثوري والأعمش ، كلاهما عن عبد الله بن السائب ، عن عبد الله بن أبي قتادة ؛ قال : قال عبد الله بن مسعود ، رضي الله عنه : إن الصدقة تقع في يد الله عز وجل قبل أن تقع في يد السائل ، ثم قرأ هذه الآية ﴿ **ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات** ﴾ .

وقد روىٰ ابن عساكر في تاريخه(٢٢٩) في ترجمة عبد الله بن الشاعر السكسكي الدمشقي ، وأصله حمصي ، وكان أحد الفقهاء ، روىٰ عن معاوية وغيره ، وحكىٰ عنه حوشب بن سيف السكسكي الحمصي ؛ قال : غزا الناس في زمان معاوية ، رضي الله عنه ، وعليهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، فَغَلَّ رجل من المسلمين مائة دينار رومية ، فلما قفل الجيش ندم وأتىٰ الأمير فأبىٰ أن يقبلها منه ، وقال : قد تفرق الناس ، ولن أقبلها منك حتىٰ تأتي الله بها يوم القيامة . فجعل الرجل يستقرئ الصحابة فيقولون له مثل ذلك ، فلما قدم دمشق ذهب إلىٰ معاوية ليقبلها منه فأبىٰ عليه ، فخرج من عنده وهو يبكي ويسترجع ، فمر بعبد الله بن الشاعر السكسكي ، فقال له : ما يبكيك ؟ فذكر له أمره ، فقال له[١] : [أمطيعني][٢] أنت ؟ فقال : نعم . فقال : اذهب إلىٰ معاوية فقل له اقبل مني خُمُسَك ، فادفع إليه عشرين دينارًا ، وانظر [ ][٣] الثمانين الباقية فتصدق بها عن ذلك الجيش ، فإن الله يقبل التوبة عن عباده ، وهو أعلم بأسمائهم ومكانهم ، ففعل الرجل ، فقال معاوية رضي الله عنه : لأن أكون أفتيته بها أحب إلي من كل شيء أملكه ، أحسن الرجل !

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١٠٥)

قال مجاهد : هذا وعيد . يعني : من الله تعالىٰ للمخالفين أوامره ، بأن أعمالهم ستعرض عليه تبارك وتعالىٰ ، وعلىٰ الرسول ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وعلىٰ المؤمنين ، وهذا كائن لا محالة يوم القيامة : كما قال : ﴿ **يومئذ تعرضون لا تخفىٰ منكم خافية** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **يوم تبلىٰ السرائر** ﴾ ، وقال : ﴿ **وحُصِّل ما في الصدور** ﴾ ، وقد يظهر الله تعالىٰ ذلك للناس في الدنيا ، كما قال الإمام أحمد :

حدثنا حسن بن موسىٰ ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي

(٢٢٩) - تاريخ دمشق (٤٠١/٩) « المخطوط » .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : « أمطيعوني » .
[٣] - ما بين المعكوفين في ت : إلى .

سعيد [ ][١] ، عن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أنه قال : « **لو أن أحدكم[٢] يعمل في صخرة صماء ، ليس لها باب ولا كُوَّة**(*) ، **لأخرج الله عمله للناس كائنا ما كان** »(٢٣٠) .

وقد ورد أن أعمال الأحياء تعرض علىٰ الأموات من الأقرباء والعشائر في البرزخ ، كما قال أبو داود الطيالسي(٢٣١) : حدثنا الصلت بن دينار ، عن الحسن ، عن جابر بن عبد الله ؛ قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن أعمالكم تعرض علىٰ أقربائكم وعشائركم في قبورهم ، فإن كان خيرًا استبشروا به ، وإن كان غير ذلك قالوا : اللهم ؛ ألهمهم أن يعملوا بطاعتك** » .

وقال الإمام أحمد(٢٣٢) : أخبرنا عبد الرزاق ، عن سفيان ، عمن سمع أنسًا يقول : قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن أعمالكم تعرض علىٰ أقاربكم وعشائركم من الأموات ، فإن كان خيرًا استبشروا به ، وإن كان غير ذلك قالوا : اللهم ؛ لا تمتهم حتىٰ تهديهم كما هديتنا** » .

وقال البخاري (٢٣٣) : قالت عائشة ، رضي الله عنها : إذا أعجبك حسن عمل امرئ مسلم[٣] فقل ﴿ **اعملوا فسيرىٰ الله عملكم ورسوله والمؤمنون** ﴾ .

وقد ورد في الحديث شبيه بهذا ؛ قال الإمام أحمد (٢٣٤) : حدثنا يزيد ، حدثنا حميد ،

---

(٢٣٠) - المسند (٣/٢٨) (١١٢٤٤) وأخرجه أبو يعلى - (١٣٧٨) حدثنا زهير ، حدثنا الحسن بن موسى به .
وابن حبان في صحيحه - (٥٦٧٨) ، وفي الموارد - (١٩٤٢) مطولًا والحاكم - (٤/٣١٤) من طريقين عن عمرو بن الحارث به .
وقال الحاكم : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .
وقال الهيثمي في المجمع - (١٠/٢٢٨) : رواه أحمد وأبو يعلى وإسنادهما حسن .
وليس كما قالوا ؛ فإن دراجًا هذا ضعيف لا سيما في روايته عن أبي الهيثم ، وابن لهيعة مشهور بضعفه .
(*) - الكُوَّة (تُفْتَح وتضم) : الثُّقْبَة في الحائط ، وجمع المفتوح على لفظه : كَوَّات ، وكِواء بالكسر والمدّ . وجمع المضموم : كُوًى (بالضم والقصر) ، مثل : مُدْيَة ومُدًى . المصباح المنير [٢/٥٤٥] ..
(٢٣١) - مسند الطيالسي برقم (١٧٩٤) .
(٢٣٢) - المسند (٣/١٦٤) (١٢٧٠٦) ، وقال الهيثمي في المجمع (٢/٢٢٨) : « وفيه رجل لم يُسم » .
(٢٣٣) - صحيح البخاري ، كتاب التوحيد (١٣/٥٠٣ « فتح ») .
(٢٣٤) - المسند (٣/١٢٠) (١٢٢٣٤) والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٢١١) وقال :=

---

[١] - ما بين المعكوفين في ت : مرفوعًا . [٢] - في ز : « هم » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .

عن أنس ؛ أن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال : « **لا عليكم أن تعجبوا بأحد حتىٰ تنظروا بما يختم له ، فإن العامل يعمل زمانًا من عمره – أو برهة من دهره – بعمل صالح لو مات عليه لدخل**[١] **الجنة ، ثم يتحول فيعمل عملًا سيئًا ، وإن العبد ليعمل البرهة من دهره بعمل سيئ لو مات عليه دخل النار ، ثم يتحول فيعمل عملًا**[٢] **صالحًا ، وإذا أراد اللّٰه بعبده خيرًا استعمله قبل موته** » . قالوا : يا رسول اللّٰه ، وكيف يستعمله ؟ قال : « **يوفقه لعمل صالح ثم يقبضه عليه** » . تفرد [به الإمام][٣] أحمد من هذا الوجه .

﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾

قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك وغير واحد : هم الثلاثة الذين خلفوا . أي : عن التوبة ، وهم : مرارة بن الربيع ، وكعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، قعدوا عن[٤] غزوة تبوك في جملة من قعد كسلًا وميلًا إلىٰ الدعة والحفظ ، وطيب الثمار والظلال ، لا شكًا ونفاقًا ، فكانت منهم طائفة ربطوا أنفسهم بالسواري كما فعل أبو لبابة وأصحابه ، وطائفة لم يفعلوا ذلك ، وهم هؤلاء الثلاثة المذكورون ، فنزلت توبة أولئك قبل هؤلاء ، وأرجئ هؤلاء عن التوبة حتىٰ نزلت الآية الآتية ، وهي قوله : ﴿ **لقد تاب اللّٰه علىٰ النبي والمهاجرين والأنصار** ﴾ الآية ، ﴿ **وعلىٰ الثلاثة الذين خلفوا حتىٰ إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت** ﴾ الآية ، كما سيأتي بيانه في حديث كعب بن مالك .

وقوله : ﴿ **إما يعذبهم وإما يتوب عليهم** ﴾ أي : هم تحت عفو اللّٰه إن شاء فعل بهم هذا ، وإن شاء فعل بهم ذاك ، ولكن رحمته تغلب غضبه ، ﴿ **واللّٰه عليم حكيم** ﴾ أي : عليم بمن يستحق العقوبة ممن يستحق العفو ، حكيم في أفعاله وأقواله ، لا إله إلا هو ولا رب سواه .

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا

= رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح .
وطرفه الثاني رواه ابن المبارك في الزهد ٩٧٠ . ورواه الترمذي في القدر ٢١٤٣. وابن حبان برقم ٣٣٥. والحاكم (٣٤٠/١) وصححه ووافقه الذهبي . ورواه ابن أبي عاصم في السنة (١٧٤/١) حديث ٣٩٣ . وأبو يعلى حديث ٣٧٥٦ ، ٣٨٢٩ ، ٣٨٤٠ – (٤١٠/٦ ، ٤٤٣ ، ٤٥٢).

[١] – في خ : « دخل » .
[٢] – سقط من : ز .
[٣] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٤] – في خ : « في » .

لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾

سبب نزول هذه الآيات الكريمات أنه كان بالمدينة قبل مقدم رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، إليها رجل من الخزرج يقال له : أبو عامر الراهب ، وكان قد تنصر في الجاهلية ، وقرأ علم أهل الكتاب ، وكان فيه عبادة في الجاهلية ، وله شرف في الخزرج كبير ، فلما قدم رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، مهاجرًا إلىٰ المدينة ، واجتمع المسلمون عليه ، وصارت للإسلام كلمة عالية ، وأظهرهم اللّه يوم بدر شَرِق[١] اللعين أبو عامر بريقه ، وبارز بالعدواة وظاهر بها ، وخرج فارًّا إلىٰ كفار مكة من مشركي قريش فألبهم[٢] علىٰ حرب رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، فاجتمعوا بمن وافقهم من أحياء العرب ، وقدموا عام أحد ، فكان من أمر المسلمين ما كان ، وامتحنهم اللّه عز وجل ، وكانت العاقبة للمتقين .

وكان هذا الفاسق قد حفر حفائر فيما بين الصفين ، فوقع في إحداهن رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، وأصيب ذلك اليوم ، فجرح في وجهه ، وكسرت رَباعِيَتُه[٣] اليمنىٰ السفلىٰ ، وشُجَّ رأسه ، صلوات اللّه وسلامه عليه ، وتقدم أبو عامر في أول المبارزة إلىٰ قومه من الأنصار ، فخاطبهم واستمالهم إلىٰ نصره وموافقته ، فلما عرفوا كلامه قالوا : لا أنعم اللّه بك عينًا يا فاسق يا عدو اللّه ، ونالوا منه وسبوه ، فرجع وهو يقول : واللّه لقد أصاب قومي بعدي شر .

وكان رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، قد دعاه إلىٰ اللّه قبل فراره وقرأ عليه من القرآن ، فأبىٰ أن يسلم وتمرد ؛ فدعا عليه رسول اللّه أن يموت بعيدًا طريدًا فنالته هذه الدعوة ؛ وذلك أنه لما فرغ الناس من أحد ، ورأىٰ أمر الرسول صلىٰ اللّه عليه وسلم [ ][٤] في ارتفاع وظهور ، ذهب إلىٰ هرقل ملك الروم يستنصره علىٰ النبي ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، فوعده ومناه وأقام عنده ، وكتب إلىٰ جماعة من قومه من الأنصار من أهل النفاق والريب ، يعدهم ويمنيهم أنه سيقدم بجيش يقاتل به رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، ويغلبه ، ويرده عما هو فيه ، وأمرهم أن يتخذوا له معقلًا يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كتبه ، ويكون مرصدًا له إذا قدم عليهم بعد ذلك .

---

[١] - شَرِقَ بريقه : امتلأ فضاق . [٢] - في ت : « يمالئهم » .

[٣] - السِّن بين الثنية والناب ، وهي أربع : رباعيتان في الفك الأعلى ، ورباعيتان في الفك الأسفل .

[٤] - في ز : « كلما له » .

فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء ، فبنوه وأحكموه وفرغوا منه قبل خروج رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، إلىٰ تبوك ، وجاءوا فسألوا رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، أن يأتي إليهم فيصلي في مسجدهم ؛ ليحتجوا بصلاته [عليه السلام] فيه علىٰ تقريره وإثباته ، وذكروا أنهم إنما بنوه للضعفاء منهم وأهل العلة في الليلة الشاتية ، فعصمه اللّٰه من الصلاة فيه ، وقال[١] : « **إنا علىٰ سفر ، ولكن إذا رجعنا إن شاء اللّٰه** » . فلما قفل عليه السلام راجعًا إلىٰ المدينة من تبوك ، ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعض يوم ، نزل عليه الوحي[٢] بخبر مسجد الضرار ، وما اعتمده بانوه من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم : مسجد قباء الذي أسس من أول يوم علىٰ التقوىٰ ، فبعث رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، إلىٰ ذلك المسجد مَنْ هَدَمَه قبل مقدمه المدينة .

كما قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **والذين اتخذوا مسجدًا ضرارًا وكفرًا** ﴾ : هم أناس من الأنصار ابتنوا[٣] مسجدًا ، فقال لهم أبو عامر : ابنوا مسجدًا واستعدوا بما[٤] استطعتم من قوة ومن سلاح ، فإني ذاهب إلىٰ قيصر ملك الروم ، فآتي بجند من الروم ، وأخرج محمدًا وأصحابه ، فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فقالوا له[٥] : قد فرغنا من بناء مسجدنا فنحب أن تصلي فيه ، وتدعو لنا بالبركة . فأنزل اللّٰه عز وجل : ﴿ **لا تقم فيه أبدًا** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **الظالمين** ﴾ .

وكذا روي عن سعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعروة بن الزبير ، وقتادة وغير واحد من العلماء .

وقال محمد بن إسحاق بن يسار ، عن الزهري ، ويزيد بن رومان ، وعبد اللّٰه بن أبي بكر ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وغيرهم قالوا : أقبل رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - يعني من تبوك - حتىٰ نزل بذي أوان - بلد بينه وبين المدينة - ساعة من نهار ، وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلىٰ تبوك ، فقالوا : يا رسول اللّٰه ، إنا قد بنينا مسجدًا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية ، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه . فقال : « **إني علىٰ جناح سفر وحال شغل** » - أو كما قال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - « **ولو قد قدمنا إن شاء اللّٰه تعالىٰ أتيناكم فصلينا لكم فيه** » . فلما نزل بذي أوان أتاه خبر المسجد ، فدعا رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، مالك بن الدخشم أخا بني سالم بن عوف ، ومعن بن عدي ، أو أخاه عامر بن عدي أخا بلعجلان[٦] ، فقال : « **انطلقا إلىٰ هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرّقاه** » .

---

[١] - في خ : « فقال » .
[٢] - في خ : « جبريل » .
[٣] - في خ : « بنوا » .
[٤] - في ز : « ما » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - أي: بني العجلان ، على لغة بعض العرب.

فخرجا سريعين حتىٰ أتيا بني سالم بن عوف ، وهم رهط مالك بن الدخشم ، فقال مالك لمعن : أنظرني حتىٰ أخرج إليك بنار من أهلي ، فدخل أهله ، فأخذ سعفًا من النخل ، فأشعل فيه نارًا ، ثم خرجا يشتدان حتىٰ دخلا المسجد وفيه أهله ، فحرقاه وهدماه وتفرقوا عنه ، ونزل فيهم من القرآن ما نزل : ﴿ **والذين اتخذوا مسجدًا ضرارًا وكفرًا** ﴾ إلىٰ آخر القصة ، وكان الذين بنوه اثني عشر رجلًا : خِذَام[١] بن خالد ، من بني عبيد[٢] بن زيد أحد بني عمرو بن عوف ، ومن داره أخرج مسجد الشقاق ، وثعلبة بن حاطب من بني عبيد ، وهو إلى بني أمية [بن زيد ، ومعتب بن قشير من بني ضبيعة بن زيد ، وأبو حبيبة ابن الأزعر من بني ضُبَيْعة بن زيد ، وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف من بني عمرو بن عوف ، وجارية بن عامر ، وابناه : مجمع بن جارية ، وزيد بن جارية ونبتل [بن][٣] الحارث وهم من بني ضبيعة ، وبحزج وهو من بني ضبيعة ، وبجاد بن عثمان وهو من بني ضبيعة ، ووديعة بن ثابت وهو إلى بني أمية][٤] رهط أبي لبابة بن عبد المنذر(٢٣٥) .

وقوله : ﴿ **وليحلفن** ﴾ أي : الذين بنوه ﴿ **إن أردنا إلا الحسنى** ﴾ أي : ما أردنا ببنيانه إلا خيرًا ورفقًا بالناس ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **واللَّه يشهد إنهم لكاذبون** ﴾ أي : فيما قصدوا وفيما نووا ، وإنما بنوه ضرارًا لمسجد قباء ، وكفرًا باللَّه ، وتفريقًا بين المؤمنين ، وإرصادًا لمن حارب اللَّه ورسوله [من قبل][٥] ، وهو : أبو عامر الفاسق الذي يقال له الراهب لعنه اللَّه .

وقوله : ﴿ **لا تقم فيه أبدًا** ﴾ نهي [من الله لرسوله][٦] صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، والأمّة تبع له في ذلك ، عن أن يقوم فيه ، أي : يصلي فيه أبدًا .

ثم حثه علىٰ الصلاة بمسجد قباء : الذي أسس من أول يوم بنائه علىٰ التقوىٰ ، وهي طاعة اللَّه وطاعة رسوله ، وجمعًا لكلمة المؤمنين ، ومعقلًا وموئلًا للإسلام وأهله ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **لمسجد أسس علىٰ التقوىٰ من أول يوم أحق أن تقوم فيه** ﴾ والسياق إنما هو في معرض مسجد قباء ؛ ولهذا جاء في الحديث الصحيح ، أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، [قال : « **صلاة في مسجد قباء كعمرة** »(٢٣٦) .

---

(٢٣٥) - السيرة النبوية لابن هشام (٥٣٠/٢) ورواه الطبري في تفسيره (٤٦٨/١٤) .

(٢٣٦) - رواه الترمذي في السنن برقم (٣٢٤) ، وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها رقم (١٤١١) =

---

[١] - في ز : « خدام » .

[٢] - في ز : « عبد » .

[٣] - زيادة من تفسير الطبري [٤٦٩/١٤] .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٦] - ما بين المعكوفتين في ت : « له » .

وفي الصحيح : أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم][١] ، كان يزور مسجد قباء راكبًا وماشيًا(٢٣٧) ، وفي الحديث أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، لما بناه وأسسه أول قدومه ونزوله علىٰ بني عمرو[٢] بن عوف ، كان جبريل هو الذي عين له جهة القبلة(٢٣٨) ، فالله أعلم .

وقال أبو داود : حدثنا محمد بن العلاء ، حدثنا معاوية بن هشام ، عن يونس بن الحارث ، عن إبراهيم بن أبي ميمونة ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ؛ قال : « **نزلت هذه الآية في أهل قباء ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا** » . قال : كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الآية .

ورواه[٣] الترمذي وابن ماجة ، من حديث يونس بن الحارث وهو ضعيف ، وقال الترمذي : غريب من هذا الوجه .

وقال الطبراني(٢٣٩) : حدثنا الحسن بن علي المعمري[٤] ، حدثنا محمد بن حميد

= من طريق أبي أسامة ، عن عبد الحميد بن جعفر ، عن أبي الأبرد مولى بنى الخطمة - عن أسيد بن ظهير الأنصاري رضي الله عنه ، به .

وقال الترمذي - كما في تحفة الأشراف (٢٧٥/١) : « حديث حسن صحيح ، ولا نعرف لأسيد بن ظهير شيئًا يصح غير هذا الحديث ، ولا نعرفه إلا من حديث أبي أسامة » .

قال الذهبي في الميزان في ترجمة زياد أبي الأبرد : روى عن أسيد بن ظهير ، صحح له الترمذي حديثه وهو : « **صلاة في مسجد قباء كعمرة** » وهذا حديث منكر . روى عنه عبد الحميد بن جعفر فقط » اهـ .

قال المبارك فوري : لا أدري ما وجه كونه منكرًا .

وأبو الأبرد ؛ قال الترمذي : اسمه زياد .

قال الحافظ في التهذيب : أبو الأبرد المديني مولى بني خطمة - تبع المصنف في ذلك كلام الترمذي وهو وهم ، وكأنه اشتبه عليه بأبي الأبرد الحارثي ؛ فإن اسمه زياد كما قال ابن معين وأبو أحمد الحاكم وأبو بشر الدولابي وغيرهم ، والمعروف أن أبا الأبرد لا يعرف اسمه ، وقد ذكره في من لا يعرف اسمه أبو أحمد الحاكم في الكنى وابن أبي حاتم وابن حبان ، وأما الحاكم أبو عبد الله فقال في المستدرك : اسمه موسى بن سليم . اهـ .

(٢٣٧) - رواه البخاري في كتاب الجمعة ، باب : اتيان مسجد قباء ماشيًا وراكبًا . ومسلم في الحج رقم (١٣٩٩) .

(٢٣٨) - سنن أبي داود برقم (٤٤) وسنن الترمذي برقم (٣١٠٠) ، وسنن ابن ماجة برقم (٣٥٧) .

(٢٣٩) - المعجم الكبير (٦٧/١١) وفيه محمد بن حميد وهو ضعيف ، وابن إسحاق مدلس وقد عنعن .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز : « عمر » .
[٣] - في خ : « رواه » .
[٤] - في خ : « العمري » .

الرازي ، حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ؛ قال : لما[١] نزلت هذه الآية ﴿ **فيه رجال يحبون أن يتطهروا** ﴾ بعث رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، إلىٰ عويم بن ساعدة ، فقال : « **ما هذا الطهور الذي أثنىٰ اللّٰه عليكم** ؟ » فقال : يا رسول اللّٰه ، ما خرج منا رجل ولا امرأة من الغائط إلا غسل فرجه - أو قال : مقعدته - فقال[٢] النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **هو هذا** » .

وقال الإمام أحمد(٢٤٠) : حدثنا حُسَيْنُ[٣] بن محمد ، حدثنا أبو أويس ، حدثنا شرحبيل ، عن عويم بن ساعدة الأنصاري أنه حدثه ؛ أن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، أتاهم في مسجد قباء فقال : « **إن اللّٰه تعالىٰ قد أحسن [عليكم الثناء]**[٤] **في الطهور في قصة مسجدكم ، فما هذا الطهور الذي تطهرون به** ؟ » قالوا[٥] : واللّٰه يا رسول اللّٰه ، ما نعلم شيئًا إلا أنه كان لنا جيران من اليهود ، فكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط ، فغسلنا كما غسلوا .

ورواه ابن خزيمة في صحيحه .

وقال هشيم ، عن عبد الحميد المدني ، عن إبراهيم بن المعلىٰ الأنصاري ؛ أن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال لعويم بن ساعدة : « **ما هذا الذي أثنىٰ اللّٰه عليكم** ﴿ **فيه رجال يحبون أن يتطهروا واللّٰه يحب المطهرين** ﴾ ؟ » . قالوا[٦] : يا رسول اللّٰه ، إنا نغسل الأدبار بالماء(٢٤١) .

وقال ابن جرير : حدثني محمد بن عمارة الأسدي ، حدثنا محمد بن سعد ، ثنا إبراهيم ابن محمد ، عن شرحبيل بن سعد ؛ قال : سمعت خزيمة بن ثابت يقول : نزلت هذه الآية ﴿ **فيه رجال يحبون أن يتطهروا واللّٰه يحب المطهرين** ﴾ قال : كانوا يغسلون أدبارهم من

---

(٢٤٠) - المسند (٣/٤٢٢) (١٥٥٢٧) ، وابن خزيمة (٨٣*) ، وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/١٥٥) . والطبراني في الكبير (١٧/١٤٠) حديث (٣٤٨) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/٢١٧) وقال : رواه أحمد والطبراني في الثلاثة وقال : وفيه شرحبيل بن سعد ضعفه مالك ، وابن معين ، وأبو زرعة ، ووثقه ابن حبان . اهـ . وذكره الشيخ الألباني كشاهد في الإرواء (١/٨٥) لحديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا : « **لنزلت هذه الآية في أهل قباء** ﴿ **فيه رجال يحبون أن يتطهروا** ﴾ **قال : كان يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الآية** » . وقد صححه .

(٢٤١) - تفسير الطبري (١٤/٤٨٧) .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في خ : « قال » .

[٣] - في ز : « حسن » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٥] - في خ : « فقالوا » .

[٦] - في تفسير الطبري : قال .

الغائط(٢٤٢) .

(حديث آخر)(٢٤٣) قال[١] الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا يحيىٰ بن آدم ، حدثنا مالك - يعني : ابن مغول - سمعت سيارًا أبا الحكم ، عن شهر بن حوشب ، [عن محمد ابن عبد اللَّه بن سلام][٢] قال : لَقَدْ[٣] قدم رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم - يعني قباء - فقال : « **إن اللَّه عز وجل قد أثنىٰ عليكم في الطهور خيرًا ، أفلا تخبروني ؟** » يعني قوله : ﴿ **فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين** ﴾ فقالوا : يا رسول اللَّه ، إنا نجده مكتوبًا علينا في التوراة : الاستنجاء بالماء .

وقد صرح [بأنه مسجد قباء جماعة من السلف][٤] . رواه علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، ورواه عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عروة بن الزبير . وقاله عطية العوفي ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم والشعبي ، والحسن البصري ، ونقله البغوي عن سعيد بن جبير وقتادة .

وقد ورد في الحديث الصحيح أن مسجد رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، الذي [هو][٥] في جوف المدينة هو المسجد الذي أسس علىٰ التقوىٰ ، وهذا صحيح ، ولا منافاة بين الآية وبين هذا ؛ لأنه إذا كان مسجد قباء قد أسس علىٰ التقوىٰ من أول يوم ، فمسجد رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، بطريق الأولىٰ والأحرىٰ ؛ ولهذا قال الإمام أحمد بن حنبل في مسنده :

حدثنا أبو نعيم ، حدثنا عبد اللَّه بن عامر الأسلمي ، عن عمران بن أبي أنس ، عن سهل

---

(٢٤٢) - تفسير الطبري (٤٨٧/١٤) .

(٢٤٣) - المسند (٦/٦) (٢٣٩٤٥). وسيار أبو الحكم : ثقة ، روى له الجماعة . وأبوه يكنى أبا سيار ، واسمه وردان ، وقيل : ورد ، وقيل غير ذلك . وشهر بن حوشب : صدوق كثير الإرسال والأوهام ، تقدم مراراً . ومحمد بن عبد اللَّه بن سلام : ذكره ابن حبان في ثقات التابعين ، وقال : يقال له صحبة . وقال ابن عبد البر : له رؤية ورواية محفوظة . وقال ابن مندة : رأى النبي صلى اللَّه عليه وسلم وسمع منه . والحديث رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٥٣/١) من طريق شهر أيضاً . والبخاري في تاريخه (١٨/١) . وذكر البخاري الاختلاف على شهر فيه ، وقول من قال : عنه ، عن رجل من الأنصار من أهل قباء . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١٣/١) وقال : « رواه أحمد عن محمد بن عبد اللَّه بن سلام ولم يقل : عن أبيه ، كما قال الطبراني ، وفيه شهر أيضًا » .

---

[١] - في ز : « وقال » .

[٢] - تكررت هذه العبارة في : ز ، خ .

[٣] - في ت : « لما » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ت : « جماعة من السلف بأنه مسجد قباء » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .

ابن سعد ، عن أبي بن كعب ؛ أن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال : « **المسجد الذي أسس علىٰ التقوىٰ مسجدي هذا** » . تفرد به أحمد (٢٤٤) .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(٢٤٥) : حدثنا وكيع ، حدثنا ربيعة بن عثمان التيمي ، عن عمران بن أبي أنس[١] ، عن سهل بن سعد الساعدي ؛ قال : اختلف رجلان علىٰ عهد رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، في المسجد الذي أسس علىٰ التقوىٰ ، فقال أحدهما : هو مسجد [الرسول ، صلى اللّٰه عليه وسلم] . وقال الآخر : هو مسجد قباء ، فأتيا النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فسألاه ، فقال : « **هو مسجدي هذا** » . تفرد به أحمد أيضًا .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد (٢٤٦) : حدثنا موسىٰ بن داود ، حدثنا ليث ، عن عمران بن أبي أنس ، عن سعيد بن أبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه ، قال : تمارىٰ رجلان في المسجد الذي أسس علىٰ التقوىٰ [من أول يوم][٢] ، فقال أحدهما : هو مسجد قباء ، وقال الآخر : هو مسجد رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فقال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **هو مسجدي هذا** » . تفرد به أحمد .

(طريق أخرى) قال الإمام أحمد(٢٤٧) : حدثنا إسحاق بن عيسىٰ ، حدثنا ليث ، حدثني عمران بن أبي أنس ، عن ابن أبي سعيد ، عن أبيه أنه قال : تمارىٰ رجلان في المسجد الذي أسس علىٰ التقوىٰ من أول يوم ، فقال أحدهما[٣] : هو مسجد قباء ، وقال الآخر : هو مسجد رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فقال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **هو مسجدي** » .

---

(٢٤٤) - المسند (١١٦/٥)(٢١١٨٤) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ١٠) وقال : « رواه أحمد وفيه عبد الله بن عامر الأسلمي ، وهو ضعيف » .

(٢٤٥) - المسند (٣٣١/٥) (٢٢٩١٣) ، وأخرجه الطبراني في الكبير (٦/ ٢٠٧/ رقم : ٦٠٢٥) . من نفس طريق أحمد . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ١٠) و (٧/ ٣٤) وعزاه لأحمد والطبراني وقال : « ورجالهما رجال الصحيح » .

(٢٤٦) - المسند (٨٩/٣) رقم (١١٨٦٢) .

(٢٤٧) - المسند (٧/٣) رقم (١١٠٦٠) .

إسحاق بن عيسى : ابن نجيح البغدادي أبو يعقوب بن الطباع ، قال البخاري : مشهور الحدبث ، وقال صالح بن محمد : لا بأس به ، صدوق . وقال أبو حاتم : أخوه محمد أحب إليَّ منه وهو صدوق . وذكره ابن حبان في الثقات . (التهذيب : ٢٤٥/١) وفي التقريب : صدوق .

---

[١] - في ز : « أنيس » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في ز ، خ : « الرجل » .

وكذا رواه الترمذي والنسائي ، عن قتيبة ، عن الليث ، وصححه الترمذي ، ورواه مسلم كما سيأتي .

(طريق أخرى) قال الإمام أحمد : حدثنا يحيىٰ ، عن أنيس بن أبي يحيىٰ ، حدثني أبي قال : سمعت أبا سعيد الخدري قال : اختلف رجلان ، رجل من بني خدرة ، ورجل من بني عمرو بن عوف - في المسجد الذي أسس علىٰ التقوىٰ ، فقال الخدري : هو مسجد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، وقال العمري : هو مسجد قباء ، فأتيا رسول الله ، صلىٰ الله تعالىٰ عليه وسلم ، فسألاه عن ذلك ، فقال : « **هو هذا المسجد** » . لمسجد رسول الله ، صلىٰ الله تعالىٰ عليه وسلم ، وقال : « في ذلك [خير كثير »][1] . يعني مسجد قباء(٢٤٨) .

وليث : هو ابن سعد ، أبو الحارث المصري . وعمران بن أبي أنس : ثقة ، روى له مسلم والبخاري في الأدب والأربعة . وابن أبي سعيد : قال ابن حجر في ترجمة سعيد بن أبي سعيد (التعجيل : ٥٨١/١) : وثقه ابن حبان (٢٧٨/٤) : وقال : حديثه في المسجد الذي أسس على التقوى . والحديث أخرجه الترمذي - كتاب تفسير القرآن - باب « ومن سورة التوبة » . (٣٠٩٩) . والنسائي - كتاب المساجد - باب : ذكر المسجد الذي أسس على التقوى - (٣٦/٢) ، وفي الكبرى - كتاب التفسير - باب : قوله تعالى : ﴿ **لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه** ﴾ - (١١٢٢٨) (٣٥٩/٦) . والطبري في تفسيره (٢٨/٧) ، وابن حبان في صحيحه (١٦٠٦) (٤٨٣/٤-٤٨٤) . وأخرجه الترمذي - كتاب الصلاة - باب : ما جاء في المسجد الذي أسس على التقوى - (٣٢٣) وقال : حديث حسن صحيح ، والطبري في تفسيره (٢٨/٧-٢٩) . والبغوي في شرح السنة (٤٥٥) (٣٤٠/٢-٣٤١) . وأبو يعلى في مسنده (٩٨٥) (٢٧٢/٢-٢٧٣) وعنه ابن حبان في صحيحه (١٦٢٦) (٥٠٦/٤) والمزى في تهذيب الكمال (١٣٨/١٢) ويأتي - (١١١٩٢،١١٨٨٠) (٢٣/٣،٩١) . من طرق عن أنيس بن أبي يحيى حدثني أبي قال : سمعت أبا سعيد الخدري يقول : فذكره وأنيس هذا ثقة ، لكن أبوه « أبو يحيى هذا » واسمه سمعان ؛ روى له الأربعة وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال النسائي : ليس به بأس . وذكره ابن خلفون في الثقات [انظر تهذيب الكمال (١٣٨/١٢)] وقال الحافظ في التقريب ت (٢٦٣٣) : لا بأس به . وتابع « أنيس » أخوه محمد بن أبي يحيى عند الحاكم (٣٣٤/٢) ومحمد هذا صدوق كما في التقريب ت (٦٣٩٥) .

وأخرجه مسلم - كتاب الحج ، باب : بيان أن المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة - (٥١٤) (١٣٩٨) ويأتي - (١١٢٠١) (٢٤/٣) .

من طريق يحيى بن سعيد عن حميد الخراط قال : سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن قال : مرَّ بي عبد الرحمن بن أبي سعيد .... فذكره .

وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٧٢/٢) ومن طريقه الحاكم (٣٣٤/٢) عن وكيع عن أسامة بن زيد عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه به .

(٢٤٨) - المسند (٢٣/٣) رقم (١١١٩٢) . أنيس بن أبي يحيى الأسلمي ، ثقة ، واسم أبي يحيى =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

(طريق أخرىٰ) قال أبو جعفر بن جرير : حدثنا ابن بشار ، حدثنا يحيىٰ بن سعيد ، حدثنا حميد الخراط المدني ، سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن أبي سعيد ، فقلت : كيف سمعت أباك يقول في المسجد الذي أسس علىٰ التقوى ؟ فقال : [قال][١] أبي[٢] : أتيت رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فدخلت عليه في بيت لبعض نسائه ، فقلت : يا رسول اللَّه ، أين المسجد الذي أسس علىٰ التقوى ؟ قال : فأخذ كفًا من حصباء فضرب به الأرض ، ثم قال : « **هو مسجدكم هذا** » . ثم قال : [فقلت له : هكذا][٣] سمعت أباك يذكره .

رواه مسلم منفردًا به(٢٤٩) ، عن محمد بن حاتم ، عن يحيىٰ بن سعيد ، به .

ورواه عن أبي بكر بن أبي شيبة وغيره ، عن حاتم بن إسماعيل ، عن حميد الخراط ، به (٢٥٠) .

وقد قال بأنه مسجد النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، جماعةٌ من السلف والخلف ، وهو مرويٌّ عن عمر بن الخطاب وابنه عبد اللَّه ، وزيد بن ثابت وسعيد بن المسيب ، واختاره ابن جرير .

وقوله : ﴿ **لمسجد أسس علىٰ التقوىٰ من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا واللَّه يحب المطهرين** ﴾ دليل علىٰ استحباب الصلاة في المساجد القديمة المؤسسة من أول بنائها علىٰ عبادة اللَّه وحده لا شريك له ، وعلىٰ استحباب الصلاة مع جماعة[٤] الصالحين ، والعباد العاملين ، المحافظين علىٰ إسباغ الوضوء ، والتنزه عن[٥] ملابسة القاذورات .

وقد قال الإمام أحمد(٢٥١) : حدّثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن عبد الملك بن

= سمعان . قال الترمذي : حدثنا أبو بكر ، عن علي بن عبد اللَّه قال : سألت يحيي بن سعيد ، عن محمد بن أبي يحيى الأسلمي ؟ فقال : لم يكن به بأس ، وأخوه أنيس بن أبي يحيى أثبت منه .
وأبوه سمعان أبو يحيى الأسلمي ، المدني ، قال ابن حجر : لابأس به .

(٢٤٩) - تفسير الطبري (٤٧٧/١٤) رقم (١٧٢٠٦) وصحيح مسلم ، كتاب الحج رقم (١٣٩٨) .

(٢٥٠) - صحيح مسلم ، كتاب الحج رقم (١٣٩٨) .

(٢٥١) - المسند (٤٧٢،٤٧١/٣) (١٥٩١٨) ورواه النسائي في كتاب الافتتاح ، باب : القراءة في =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من ز ، خ ، وأثبتناه من صحيح مسلم وتفسير الطبري .

[٢] - في ز ، خ : « إني » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - في خ : « الجماعة » .

[٥] - في ز : « من » .

عمير ، سمعت شبيبًا أبا روح ، يحدث عن رجل من أصحاب رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، صلىٰ بهم الصبح فقرأ بهم الروم فأَوْهَمَ[١][٢] ، فلما انصرف قال : « **إنه يلبس علينا القرآن ، إن أقوامًا منكم يصلون معنا لا يحسنون الوضوء ، فمن شهد الصلاة معنا فليحسن الوضوء** » .

ثم رواه من طريقين آخرين ، عن عبد الملك بن عمير ، عن شبيب أبي روح ، عن[٣] ذي الكلاع ؛ أنه صلىٰ مع النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ... فذكره ، فدل هذا علىٰ أن[٤] إكمال الطهارة يسهل القيام في العبادة ، ويعين علىٰ إتمامها وإكمالها ، والقيام بمشروعاتها .

وقال أبو العالية في قوله : ﴿ **واللَّه يحب المطهرين** ﴾ : إن الطهور بالماء لحسن ، ولكنهم المطهرون من الذنوب .

وقال الأعمش : التوبة من الذنب ، والتطهير[٥] من الشرك .

وقد ورد في الحديث المروي من طرق في السنن وغيرها ، أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال لأهل قباء : « **قد أثنىٰ اللَّه عليكم في الطهور ، فماذا تصنعون ؟** » . فقالوا : نستنجي بالماء .

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا عبد اللَّه بن شبيب ، حدثنا أحمد بن محمد بن عبد العزيز ؛ قال : وجدته في كتاب أبي ، عن الزهري ، عن عبيد اللَّه بن عبد اللَّه ، عن ابن عباس ؛ قال : نزلت هذه الآية في أهل قباء ﴿ **فيه رجال يحبون أن يتطهروا واللَّه يحب المطهرين** ﴾ فسألهم رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقالوا : إنا نتبع الحجارة الماء[٦] .

[رواه البزار][٧] ، ثم قال : تفرد به محمد بن عبد العزيز ، عن الزهري ، ولم يرو عنه سوىٰ ابنه(٢٥٢) .

= الصبح بالروم (١٥٦/٢) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٤٦/١) وقال : رواه أحمد عن أبي روح عن رجل ورجاله رجال الصحيح . اهـ ..

(٢٥٢) - مسند البزار برقم (٢٤٧) وقال الهيثمي في المجمع (٢١٢/١) : « فيه محمد بن عبد العزيز بن عمر الزهري ضعفه البخاري والنسائي وهو الذي أشار بجلد مالك » .

---

[١] - في خ : « فأواهم » .

[٢] - يقال : أوهمتُ الشيء : إذا تركته ، وأوهمت في الكلام والكتاب ، إذا أسقطت منه شيئًا .

[٣] - في ز : « من » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ت : « والتطهر » .

[٦] - في ت : « بالماء » .

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

قلت : وإنما ذكرته بهذا اللفظ ؛ لأنه مشهور بين الفقهاء ، ولم يعرفه كثير من المحدثين المتأخرين أو كلهم ، والله أعلم .

أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾

يقول تعالىٰ : لا يستوي من أسس بنيانه علىٰ تقوىٰ من الله ورضوان ، ومن بنىٰ مسجدًا ضرارًا وكفرًا ، وتفريقًا بين المؤمنين ، وإرصادًا لمن حارب الله ورسوله من قبل . فإنما بنىٰ هؤلاء بنيانهم علىٰ شفا جرف هار أي : طرف حفيرة [مُنْثالة] ﴿ **في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾ أي : لا يصلح عمل المفسدين .

قال جابر بن عبد الله : رأيت المسجد الذي بني ضرارًا يخرج منه الدخان علىٰ عهد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم .

وقال ابن جريج : ذكر لنا أن رجالًا حفروا فوجدوا الدخان يخرج منه . وكذا قال قتادة .

وقال خلف بن ياسين الكوفي : رأيت مسجد المنافقين الذي ذكره الله تعالىٰ في القرآن ، وفيه جحر يخرج منه الدخان ، وهو اليوم مزبلة . رواه [ ][١] ابن جرير رحمه الله(٢٥٣) .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم** ﴾ أي : شكًّا ونفاقًا ؛ بسبب إقدامهم علىٰ هذا الصنيع الشنيع ، أورثهم نفاقًا في قلوبهم ، كما أشرب عابدو العجل حُبَّه .

وقوله : ﴿ **إلا أن تقطع قلوبهم** ﴾ أي : بموتهم . قاله ابن عباس ومجاهد ، وقتادة وزيد ابن أسلم ، والسدي وحبيب بن أبي ثابت ، والضحاك ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وغير واحد من علماء السلف .

﴿ **والله عليم** ﴾ أي : بأعمال خلقه ﴿ **حكيم** ﴾ في مجازاتهم عنها من خير وشر .

---

(٢٥٣) - تفسير الطبري (١٤/٤٩٤) رقم (١٧٢٥٠) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « عن » .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾

يخبر تعالىٰ أنه عاوض [ ][١] عباده المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم إذ بذلوها في سبيله بالجنة ، وهذا من فضله وكرمه وإحسانه ، فإنه قَبِلَ العوض عما[٢] يملكه بما تفضل به علىٰ عباده المطيعين له ؛ ولهذا قال الحسن البصري وقتادة : بايعهم - والله - فأغلىٰ ثمنهم .

وقال شمر بن عطية : ما من مسلم إلا ولله عز وجل في عنقه بيعة ، وَفَّىٰ بها أو مات عليها ، ثم تلا هذه الآية ؛ ولهذا يقال : من حمل في سبيل الله بايع الله ، أي : قبل هذا العقد ووفَّىٰ به .

وقال محمد بن كعب القرظي وغيره : قال عبد الله بن رواحة ، رضي الله عنه ، لرسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يعني ليلة العقبة - : اشترط لربك ولنفسك ما شئت ، فقال : « **أشترط لربي أن تعبدوه[٣] ولا تشركوا به شيئًا ، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم** » . قالوا : فما لنا إذا فعلنا ذلك ؟ قال : « **الجنة** » . قالوا : ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ، فنزلت ﴿ **إن الله اشترىٰ من المؤمنين أنفسهم وأموالهم** ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ **يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون** ﴾ أي : سواء قَتَلُوا [أو قُتِلُوا][٤] ، أو اجتمع لهم هذا وهذا فقد وجبت لهم الجنة ؛ ولهذا جاء في الصحيحين : « **وتكفل الله لمن خرج في سبيله ، لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي وتصديق برسلي[٥] - بأن توفاه أن يدخله الجنة ، أو يرجعه إلىٰ مسكنه[٦] الذي خرج منه ، نائلًا ما نال من أجر أو غنيمة** »(٢٥٤) .

---

(٢٥٤) - صحيح البخاري ،كتاب فرض الخمس رقم (٣١٢٣) ، وصحيح مسلم كتاب الإمارة رقم (١٨٧٦) .

---

[١] - في خ : من .
[٢] - في ز : « كما » .
[٣] - في ز : « تصدقوه » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : « رسولي » .
[٦] - في ت : « منزله » .

وقوله : ﴿ وعدًا عليه حقًّا في التوراة والإنجيل والقرآن ﴾ تأكيد لهذا[١] الوعد ، وإخبار بأنه قد كتبه علىٰ نفسه الكريمة ، وأنزله علىٰ رسله في كتبه الكبار ؛ وهي التوراة المنزلة علىٰ موسىٰ ، والإنجيل المنزل علىٰ عيسىٰ ، والقرآن المنزل علىٰ محمد ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وقوله : ﴿ ومن أوفىٰ بعهده من الله ﴾ فإنه لا يخلف الميعاد ، وهذا[٢] كقوله تعالىٰ : ﴿ ومن أصدق من الله حديثًا ﴾ ﴿ومن أصدق من الله قيلًا ﴾ ؛ ولهذا قال : ﴿ فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾ أي : فليستبشر من قام بمقتضىٰ هذا العقد ، ووَفَّىٰ بهذا العهد ، بالفوز العظيم والنعيم المقيم .

ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾

هذا نعت المؤمنين الذين اشترىٰ الله منهم أنفسهم وأموالهم ، بهذه الصفات الجميلة والخلال الجليلة ﴿ التائبون ﴾ من الذنوب كلها ، التاركون للفواحش ﴿ العابدون ﴾ أي : القائمون بعبادة ربهم محافظين عليها ، وهي الأقوال[٣] والأفعال ، فمن أخص الأقوال : الحمد ، فلهذا قال : ﴿ الحامدون ﴾ ومن أفضل الأعمال : الصيام ، وهو ترك الملاذ من الطعام والشراب والجماع ، وهو المراد بالسياحة هاهنا ؛ ولهذا قال : ﴿ السائحون ﴾ كما وصف أزواج النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، بذلك في قوله تعالىٰ : ﴿ سائحات ﴾ أي : صائمات ، وكذا الركوع والسجود وهما عبارة عن الصلاة ؛ ولهذا قال : ﴿ الراكعون الساجدون ﴾ وهم مع ذلك ينفعون خلق الله ، ويرشدونهم إلىٰ طاعة الله بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، مع العلم بما ينبغي فعله ويجب تركه ، وهو حفظ حدود الله في تحليله وتحريمه ، علمًا وعملًا ، فقاموا بعبادة الحق ونصح الخلق ؛ ولهذا قال : ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ ؛ لأن الإيمان يشمل هذا كله ، والسعادة كل السعادة لمن اتصف به .

(بيان أن المراد بالسياحة الصيام)

قال سفيان الثوري عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله بن مسعود قال : ﴿ السائحون ﴾

---

[١] - في ز ، خ : « هذا » .
[٢] - في ت : « هذا » .
[٣] - في خ : « بالأقوال » .

الصائمون . وكذا رُوِي عن سعيد بن جبير ، والعوفي عن ابن عباس .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : كل ما ذكر الله في القرآن السياحة هم الصائمون . وكذا قال الضحاك رحمه الله .

وقال ابن جرير(٢٥٥) : حدثنا أحمد بن إسحاق ، حدثنا أبو أحمد ، حدثنا إبراهيم بن يزيد ، عن الوليد بن عبد الله ، عن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : سياحة هذه الأمة الصيام .

وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير ، وعطاء ، وأبو[١] عبد الرحمن السلمي ، والضحاك ابن مزاحم ، وسفيان بن عيينة ، وغيرهم : إن المراد بالسائحين الصائمون .

وقال الحسن البصري : ﴿ **السائحون** ﴾ : الصائمون شهر رمضان .

وقال أبو عمرو العبدي : ﴿ **السائحون** ﴾ : الذين يديمون الصيام من المؤمنين .

وقد ورد في حديث مرفوع نحو هذا . فقال[٢] ابن جرير(٢٥٦) : حدثني محمد بن عبد الله ابن بزيع ، حدثنا حكيم بن حزام ، حدثنا سليمان ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **السائحون هم الصائمون** » . وهذا الموقوف أصح .

وقال أيضًا (٢٥٧) : حدثني يونس ، عن ابن وهب ، عن عمر بن الحارث ، عن عمرو بن دينار ، عن عبيد بن عمير قال : سئل النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، عن السائحين فقال : « **هم الصائمون** » .

وهذا مرسل جيّد ، فهذا[٣] أصحّ الأقوال وأشهرها ، وجاء ما يدل علىٰ أن السياحة الجهاد ، وهو ما روىٰ أبو داود في سننه من حديث أبي أمامة ؛ أن رجلًا قال : يا رسول الله ، ائذن لي في السياحة ؛ فقال النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله** »(٢٥٨) .

---

(٢٥٥) - تفسير الطبري (١٤/٥٠٥) رقم (١٧٣١٣) .

(٢٥٦) - تفسير الطبري (١٤/٥٠٣) رقم (١٧٢٨٧) .

(٢٥٧) - تفسير الطبري (١٤/٥٠٢) رقم (١٧٢٨٦) .

(٢٥٨) - سنن أبي داود ، كتاب الجهاد رقم (٢٤٨٦) ، وفي إسناده القاسم بن عبد الرحمن قال المنذري=

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - في خ : « وقال » .

[٣] - في خ : « وهذا » .

وقال ابن المبارك ، عن ابن لهيعة : أخبرني عمارة بن غزية ؛ أن السياحة ذكرت عند رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، فقال رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **أبدلنا اللّه بذلك الجهاد في سبيل اللّه ، والتكبير علىٰ كل شَرَفٍ** »(٢٥٩) .

وعن عكرمة أنه قال : هم طلبة العلم . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هم المهاجرون . رواهما ابن أبي حاتم .

وليس المراد من السياحة ما قد يفهمه بعض من يتعبد بمجرد السياحة في الأرض ، والتفرد في شواهق الجبال والكهوف والبراري ، فإن هذا ليس بمشروع إلا في أيام الفتن والزلازل في الدين ، كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري : أن رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم قال : « **يوشك أن يكون خير مال الرجل غَنَم يتبع بها شعف**[١] **الجبال ، ومواقع القطر ، يفر بدينه من الفتن** »(٢٦٠) .

وقال العوفي ، وعلي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **والحافظون لحدود اللّه** ﴾ قال : القائمون بطاعة اللّه ؛ وكذا قال الحسن البصري ، وعنه رواية ﴿ **الحافظون لحدود اللّه** ﴾ قال : لفرائض اللّه . وفي رواية : القائمون علىٰ أمر اللّه .

مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ﴿١١٤﴾

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن ابن المسيب ، عن أبيه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة ، دخل عليه النبي ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، وعنده أبو جهل وعبد اللّه بن أبي أمية ، فقال : « **أي عم ، قل : لا إله إلا اللّه ، كلمة أحاج لك بها عند اللّه عز وجل** » . فقال أبو جهل ، وعبد اللّه بن أبي أمية : يا أبا طالب ،

= : تكلم فيه غير واحد . والعلاء بن الحارث : صدوق رمي بالقدر وقد اختلط .

(٢٥٩) - هذا منقطع ، فإن عمارة بن غزية لم يدرك أحدًا من الصحابة .

(٢٦٠) - صحيح البخاري ، كتاب الإيمان رقم (١٩) .

[١] - جمع شَعَفَة ، وهي من كل شيء أعلاه .

أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ [قال : فلم يزالا يكلّمانه حتىٰ قال آخر شيء كلمهم به : أنا علىٰ ملة عبد المطلب][١] . فقال النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لأستغفرن لك ما لم أنه عنك** » . فنزلت ﴿ **ما كان للنَّبِيِّ والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربىٰ**[٢] **من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم** ﴾ قال : ونزلت فيه ﴿ **إنك لا تهدي من أحببت ولكن اللَّه يهدي من يشاء** ﴾ . أخرجاه(٢٦١) .

وقال الإِمام أحمد (٢٦٢) : حدثنا يحيىٰ بن آدم ، أخبرنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الخليل ، عن علي ، رضي اللَّه عنه ، قال : سمعت رجلًا يستغفر لأبويه وهما مشركان ، فقلت : أيستغفر الرجل لأبويه وهما مشركان ؟! فقال : أو لم يستغفر إبراهيم لأبيه ؟! . فذكرت ذلك للنبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فنزلت : ﴿ **ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين** ﴾ . [إلى قوله : ﴿ **فلما تبين له أنه عدو لله** ﴾][٣] الآية[٤] . قال : لما مات . فلا أدري قاله سفيان أو قاله إسرائيل ، أو هو في الحديث : « **لما مات** » .

(قلت) : هذا ثابت عن مجاهد أنه قال : لما مات .

وقال الإِمام أحمد(٢٦٣) : حدثنا الحسن بن موسىٰ ، حدثنا زهير ، حدثنا زبيد بن الحارث اليامي ، عن محارب بن دثار ، عن ابن بريدة ، عن أبيه قال : كنا مع النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، [ونحن في سفر][٥] ، فنزل بنا ونحن [معه][٦] قريب من ألف راكب فصلّىٰ ركعتين ، ثم أقبل علينا بوجهه وعيناه تذرفان ، فقام إليه عمر بن الخطاب ، وفداه بالأب والأم وقال : يا رسول اللَّه ؛ ما لَكَ ؟ ! قال : « **إني سألت ربي عز وجل في الاستغفار**[٧] **لأمي فلم يأذن لي ، فدمعت عيناي رحمة لها من النار ، وإني كنت نهيتكم عن ثلاث** :

---

(٢٦١) - المسند (٤٣٣/٥) (٢٣٧٨٠) وأخرجه البخاري في كتاب الجنائز ، باب : إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله (٢٦٣/٣/رقم : ١٣٦٠) . وأطرافه (٣٨٨٤) ، (٦٦٨١،٤٧٧٢،٤٦٧٥) . ومسلم في كتاب الإيمان ، باب : الدليل على صحة إسلام من حضرة الموت ما لم يشرع في النزع وهو الغرغرة (١/ ٥٤/رقم : ٢٤) . والنسائي في كتاب الجنائز ، باب : النهى عن الاستغفار للمشركين (٩١،٩٠/٤/رقم : ٢٠٣٥) .

(٢٦٢) - المسند (٩٩/١) .

(٢٦٣) - المسند (٣٥٥/٥) رقم (٢٣١٠٩) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - ما بين المعكوفين سقط من خ .

[٤] - سقط من ز .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .

[٧] - في ز ، خ : « استغفار » .

نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ؛ لتذكركم زيارتها خيرًا ، ونهيتكم عن لحوم الأضاحي بعد ثلاث فكلوا وأمسكوا ما شئتم ، ونهيتكم عن الأشربة في الأوعية فاشربوا في أي وعاء شئتم ، ولا تشربوا مسكرًا » .

وروىٰ ابن جرير(٢٦٤) من حديث علقمة بن مرثد ، عن سليمان بن بريدة ، عن أبيه : أن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، لما قدم مكة أتىٰ رسم قبر فجلس إليه فجعل يخاطب ، ثم قام مستعبرًا ، فقلنا : يا رسول اللّٰه ، إنا رأينا ما صنعت ! قال : « **إني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي ، واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي** » . فما رُئيَ باكيًا أكثر من يومئذ .

وقال ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٦٥) : حدثنا أبي ، حدثنا خالد بن خداش ، حدثنا عبد اللّٰه بن وهب ، عن ابن جريج ، عن أيوب بن هانئ عن مسروق ، عن عبد اللّٰه بن مسعود قال : خرج رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، يومًا إلىٰ المقابر فاتبعناه ، فجاء حتىٰ جلس إلىٰ قبر منها فناجاه طويلًا ، ثم بكىٰ فبكينا لبكائه[١] ، ثم قام فقام إليه عمر بن الخطاب فدعاه ، ثم دعانا فقال : « **ما أبكاكم ؟** » فقلنا : بكينا لبكائك ؟ قال : « **إن القبر الذي جلست عنده قبر آمنة ، وإني استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي** » .

[ثم أورده من وجه آخر ، ثم ذكر من حديث ابن مسعود قريبًا منه ، وفيه][٢] : « **وإني استأذنت ربي في الدعاء لها فلم يأذن لي وأنزل عليَّ ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى ﴾** الآية . **فأخذني ما يأخذ الولد للوالد[٣] ، وكنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ؛ فإنها تذكر الآخرة** » .

(حديث آخر في معناه) قال الطبراني : حدثنا محمد بن علي المروزي ، حدثنا أبو الدرداء عبد العزيز بن منيب[٤] ، حدثنا إسحاق بن عبد اللّٰه بن كيسان ، عن أبيه ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، لما أقبل من غزوة تبوك واعتمر ، فلما هبط من ثنية عسفان أمر أصحابه : « **أن[٥] استندوا[٦] إلىٰ العقبة حتىٰ أرجع**

(٢٦٤) - تفسير الطبري (٥١٢/١٤) رقم (١٧٣٣٠) ورواه البيهقي في دلائل النبوة (١٨٩/١) من طريق سفيان عن علقمة بن مرثد به نحوه .

(٢٦٥) - ورواه الحاكم في المستدرك من طريق بحر ابن نصر عن ابن وهب به نحوه (٣٣٦/٢) ومن طريقه البيهقي في دلائل النبوة (١٨٩/١) .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في خ : « الوالد » .
[٤] - في ز : « مثبت » ، خ : « ثبت » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز : « استسندوا » .

إليكم » . فذهب فنزل علىٰ قبر أمه ، فناجىٰ ربه طويلًا ، ثم إنه بكىٰ فاشتد بكاؤه ، وبكىٰ هؤلاء لبكائه ، وقالوا : ما بكىٰ نبي اللَّه بهذا المكان إلا وقد أحدث في أمته شيء لا تطيقه ، فلما بكىٰ هؤلاء قام فرجع إليهم ، فقال : « **ما يبكيكم ؟** » قالوا : يا نبي اللَّه ، بكينا لبكائك ؛ قلنا[١] لعله أحدث في أمتك شيء لا تطيقه ، قال : « **لا ، وقد كان بعضه ، ولكن نزلت علىٰ قبر أمي فدعوت[٢] اللَّه أن يأذن لي في شفاعتها[٣] يوم القيامة فأبى اللَّه أن يأذن لي ، فرحمتها وهي أمي فبكيت ، ثم جاءني جبريل فقال : ﴿ وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو للَّه تبرأ منه ﴾ فتبرأ أنت من أمك ، كما تبرأ إبراهيم من أبيه ، فرحمتها وهي أمي ، ودعوت ربي أن يرفع عن أمتي أربعًا ، فرفع عنهم اثنتين ، وأبىٰ أن يرفع عنهم اثنتين : دعوت ربي أن يرفع عنهم الرجم من السماء ، والغرق من الأرض ، وأن لا يلبسهم شيعًا ، وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض ، فرفع اللَّه عنهم الرجم من السماء ، والغرق من الأرض ، وأبىٰ اللَّه أن يرفع عنهم القتل والهرج** » . وإنما عدل إلىٰ قبر أمه ؛ لأنها كانت مدفونة تحت كداء ، وكانت عسفان لهم(٢٦٦) .

وهذا حديث غريب ، وسياق عجيب ، وأغرب منه وأشد نكارة ما رواه الخطيب البغدادي في كتاب « السابق واللاحق » بسند مجهول عن عائشة في حديث فيه قصة : أن اللَّه أحيا أمَّهُ فآمنت ثم عادت . وكذلك ما رواه السهيلي في الروض(٢٦٧) بسند فيه جماعة مجهولون ؛ أن اللَّه أحيا له أباه وأمه فآمنا به .

وقد قال الحافظ ابن دحية : [هذا حديث موضوع يرده القرآن والإجماع قال تعالى : **﴿ ولا الذين يموتون وهم كفار ﴾** .

وقال القرطبي(٢٦٨) : إن مقتضى هذا الحديث ... وردَّ على ابن دحية][٤] في هذا الاستدلال بما حاصله : أن هذه حياة جديدة ، كما رجعت الشمس بعد غيبوبتها فصلىٰ عليٌّ العصر .

(٢٦٦) - المعجم الكبير (١١/٣٧٤) .
(٢٦٧) - الروض الأنف (١/١١٣) .
(٢٦٨) - ساقه القرطبي في « التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (ص ١٦) وقال : خرجه أبو بكر أحمد بن علي الخطيب في كتاب السابق واللاحق ، وأبو حفص عمر بن شاهين في الناسخ والمنسوخ ، =

[١] - في خ : « فقلنا » .
[٢] - في خ : « فسألت » . [٣] - في خ : « شفاعتهما » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

قال الطحاوي : وهو حديث ثابت . يعني : حديث الشمس .

قال القرطبي (٢٦٩) : فليس إحياؤهما يمتنع عقلًا ولا شرعًا . قال : وقد سمعت أن اللَّه أحيا عمه أبا طالب فآمن به .

(قلت) : وهذا كله متوقف علىٰ صحة الحديث ، فإذا صح فلا مانع منه ، واللَّه أعلم .

وقال العوفي عن ابن عباس في قوله : ﴿ **ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين** ﴾ . الآية : إن[١] النبي[٢] ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، أراد أن يستغفر لأمه فنهاه اللَّه عز وجل عن ذلك ، فقال : « **فإن[٣] إبراهيم خليل اللَّه [صلىٰ اللَّه عليه وسلم] قد استغفر لأبيه** » . فأنزل اللَّه : ﴿ **وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن مَوْعِدَةٍ وعدها إياه** ﴾ الآية .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في هذه الآية : كانوا يستغفرون لهم حتىٰ نزلت هذه الآية ، فلما [نزلت أمسكوا عن الاستغفار لأمواتهم ولم ينهوا أن يستغفروا للأحياء حتىٰ يموتوا][٤] ، ثم[٥] أنزل اللَّه : ﴿ **وما كان استغفار إبراهيم لأبيه ...** ﴾ الآية .

وقال قتادة في هذه[٦] الآية : ذكر لنا أن رجالًا من أصحاب النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم ، قالوا : يا نبي اللَّه ، إن من آبائنا من كان يحسن الجوار ، ويصل الأرحام ، ويفك العاني ، ويوفي بالذمم ، أفلا نستغفر لهم ؟ ! قال : فقال النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **بلىٰ ، واللَّه إني لأستغفر لأبي كما استغفر إبراهيم لأبيه** » . فأنزل اللَّه : ﴿ **ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين** ﴾ حتىٰ بلغ قوله[٧] : ﴿ **الجحيم** ﴾ ، ثم عذر اللَّه تعالىٰ إبراهيم عليه السلام فقال : ﴿ **وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه** ﴾ . قال : وذكر لنا أن نبي اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وآله

= ولا يصح الحديث . لمخالفته ما في صحيح مسلم برقم (٩٧٦) من حديث أبي هريرة قال : زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله . فقال : « استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يأذن لي ، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي ، فزوروا القبور فإنها تذكر الموت » ولضعف إسناده .

(٢٦٩) - التذكرة (ص ١٧)

[١] - في ز ، خ : « فإن » .

[٢] - في خ : « رسول الله » .

[٣] - في ت : « إن » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ز : « فلما » ، وسقط من : خ .

[٦] - سقط من : ت .

[٧] - سقط من : ز ، خ .

وسلم ، قال : « [أوحي إليَّ][١] كلمات ، فدخلن في أذني ووقرن في قلبي : **أمرت أن لا أستغفر لمن مات مشركًا ، ومن أعطىٰ فضل ماله فهو خير له ، ومن أمسك فهو شر له ، ولا يلوم اللَّه علىٰ كفاف** » .

وقال الثوري ، عن الشيباني ، عن سعيد بن جبير ، قال : مات رجل يهودي وله ابن مسلم فلم يخرج معه ، فذكر ذلك لابن عباس ؛ فقال[٢] : فكان ينبغي له أن يمشي معه ويدفنه ، ويدعو له بالصلاح ما دام حيًا ، فإذا مات وكله إلىٰ شأنه ، ثم قال : ﴿ **وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلماتبين له أنه عدو لله تبرأ منه** ﴾ : لم يَدْعُ .

وهذا يشهد له بالصحة[٣] ما رواه أبو داود وغيره : عن علي بن أبي طالب ، رضي اللَّه عنه ، قال : لما مات أبو طالب قلت : يا رسول اللَّه ، إن عمك الشيخ الضال [قد مات][٤] . قال : « **اذهب فواره ولا[٥] تحدثن شيئًا[٦] حتىٰ تأتيني** ... » وذكر[٧] تمام الحديث(٢٧٠) .

ويُرْوَىٰ [أن رسول الله] [٨] ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، لما مرت به جنازة عمه أبي طالب قال : « **وصلتك رحم يا عم** »(٢٧١) .

وقال عطاء بن أبي رباح : ما كنت لأدع الصلاة علىٰ أحد من أهل القبلة ، ولو كانت حبشية حُبلىٰ من الزنا ؛ لأني لم أسمع اللَّه حجب الصلاة إلا عن المشركين ، يقول اللَّه عز وجل : ﴿ **ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين** ﴾ الآية .

---

(٢٧٠) - سنن أبي داود ، كتاب الجنائز ، باب : الرجل يموت له قرابة مشرك رقم (٣٢١٤) . ورواه النسائي في الجنائز (٢٠٠٦) .

(٢٧١) - ورواه ابن عدي في الكامل (١/٢٦٠) من طريق الفضل بن موسى ، عن إبراهيم بن عبد الرحمن - وهو ضعيف - عن ابن جريج عن عطاء ، عن ابن عباس مرفوعًا ولفظه : « وصلت رحم وجزيت خيرًا يا عم » . وإبراهيم بن عبد الرحمن قال ابن عدي : « أحاديثه عن كل من روى ليست بمستقيمة » ثم قال : « وعامة أحاديثه غير محفوظة » .

---

[١] - ما بين المعكوفين في خ : قد أوحى الله إلي . [٢] - في ز : « قال » .
[٣] - غير واضحة في ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٦] - في ز : « لا » .
[٧] - سقط من : ت . [٨] - في خ : « فذكر » .
[٩] - في خ : « أنه » .

وروىٰ ابن جرير(٢٧٢) عن ابن وكيع ، عن أبيه ، عن عصمة بن زامل[١] ، عن أبيه قال : سمعت أبا هريرة يقول : رحم اللّٰه رجلًا استغفر لأبي هريرة ولأمه . قلت : ولأبيه . قال : لا . قال : إن أبي مات مشركًا .

وقوله : ﴿ **فلما تبين له أنه عدو للّٰه تبرأ منه** ﴾ قال ابن عباس : ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتىٰ مات ، فلما تبين له أنه عدو للّٰه تبرأ منه . وفي رواية : لما[٢] مات تبين له أنه عدو للّٰه .

وكذا قال مجاهد ، والضحاك ، وقتادة ، وغيرهم رحمهم اللّٰه .

وقال [عبيد بن عمير] ، وسعيد بن جبير : إنه يتبرأ منه [في][٣] يوم القيامة ، حين يلقىٰ أباه وعلىٰ وجه أبيه [الغبرة والقترة][٤] ، فيقول : يا إبراهيم ، إني كنت أعصيك ، وإني اليوم لا أعصيك . فيقول : أي رب ، ألم تعدني أن لا تخزني[٥] يوم يبعثون ؟ فأي خزي أخزىٰ من أبي الأبعد ؟ ! فيقال : انظر إلى ما وراءك ، فإذا هو بذِيخ[٦] [٧] متلطِّخ ، أي : قد مسخ ضبعًا ، ثم[٨] يسحب[٩] بقوائمه ويلقىٰ في النار .

وقوله : ﴿ **إن إبراهيم لأواه حليم** ﴾ قال سفيان الثوري وغير واحد ، عن عاصم بن بهدلة ، عن زر[١٠] بن حبيش ، عن عبد اللّٰه بن مسعود أنه قال : الأواه : الدعَّاء . وكذا رُوِيَ من غير وجه عن ابن مسعود .

وقال ابن جرير (٢٧٣) : حدثني المثنىٰ ، حدثنا الحجاج بن منهال ، حدثني عبد الحميد بن بهرام ، حدثنا شهر بن حوشب ، عن عبد اللّٰه بن شداد بن الهاد ؛ قال : بينما [رسول الله][١١] ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، جالس ، قال رجل : يا رسول اللّٰه ، ما الأوّاه ؟ قال : « **المتضرع** » . قال : ﴿ **إن إبراهيم لأواه حليم** ﴾ .

---

(٢٧٢) - تفسير الطبري (٥١٧/١٤) رقم (١٧٣٣٩) .
(٢٧٣) - تفسير الطبري (٥٣١/١٤) رقم (١٧٤١٦) .

---

[١] - في ز ، خ : « رامل » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين في : « القترة والغبرة » .
[٥] - في ت : « تحزني » .
[٦] - في ز ، خ : « بذبح » .
[٧] - الذِّيخ : ذَكَر الضباع ، والأنثى ذيخة .
[٨] - في ز : « نايم » .
[٩] - في حاشية ز : « يشخب » .
[١٠] - في خ : « زيد » .
[١١] - في خ : « النبي » .

ورواه[١] ابن أبي حاتم من حديث ابن المبارك ، عن عبد الحميد بن بهرام ، به . ولفظه[٢] : قال : « **الأواه**[٣] : **المتضرع الدعاء** » .

وقال الثوري ، عن سلمة بن كهيل ، عن مسلم البطين ، عن [أبي العُبَيْدَيْنِ][٤] أنه سأل ابن مسعود عن الأواه فقال : هو الرحيم .

وبه قال مجاهد ، وأبو[٥] ميسرة عمرو[٦] بن شرحبيل ، والحسن البصري ، وقتادة : إنّه الرحيم ، أي : بعباد اللّٰه .

وقال ابن المبارك ، عن خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : **الأوّاه** : الموقن ، بلسان الحبشة . وكذا قال العوفي عن ابن عباس : إنه الموقن ، وكذا قال مجاهد ، والضحاك ، وقال علي بن أبي طلحة ومجاهد ، عن ابن عباس : **الأوّاه** : المؤمن . زاد علي بن أبي طلحة عنه : [ ][٧] المؤمن التواب . وقال العوفي عنه : هو المؤمن ، بلسان الحبشة . وكذا قال ابن جريج : هو المؤمن ، بلسان الحبشة .

وقال الإمام أحمد(٢٧٤) : حدثنا موسىٰ ، حدثنا ابن لهيعة ، عن الحارث بن يزيد[٨] ، عن علي بن رباح ، عن عقبة بن عامر أن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال لرجل يقال له : ذو البجادين[٩] : « **إنه أوّاه** » وذلك أنه رجل [كثير الذكر لله][١٠] في القرآن ويرفع[١١] صوته في الدعاء[١٢] . ورواه ابن جرير .

وقال سعيد بن جبير والشعبي : **الأوّاه** : المسبح . وقال ابن وهب ، عن معاوية بن

(٢٧٤) - المسند (٤/١٥٩) (١٧٥٠١) وتفسير الطبري (١٤/٥٣٣) رقم (١٧٤١٨) وأخرجه الطبراني في الكبير (١٧/٢٩٥) حديث (٨١٣) . وذكره الهيثمي في المجمع (٩/٣٧٢) وقال : رواه أحمد والطبراني وإسنادهما حسن .

[١] - في ز ، خ : « وروى » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز : « أبي القدير » ، في خ : « أبي الغدير » .
[٥] - في ز : « أبي » .
[٦] - في خ : « عمر » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ت : « هو » .
[٨] - في ز ، خ : « مرثد » .
[٩] - في ز : « النجادين » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين في ز : « كثيرًا لذكر الله » ، ت : « كان إذا ذكر الله » .
[١١] - في ت : « رفع » .
[١٢] - في خ : « بالدعاء » .

صالح ، عن أبي الزاهرية[١] ، [ ][٢] عن جبير بن نفير ، عن أبي الدرداء ، رضي اللّه عنه ، قال : [لا يحافظ] علىٰ سبحة[٣] الضحىٰ [إلّا أوّاه] .

وقال شُفَيُّ[٤] بن ماتع[٥] ، عن أبي أيوب : الأواه الذي إذا ذكر خطاياه استغفر منها .

وعن مجاهد : الأوّاه : الحفيظ الوجل ، يذنب الذنب سرًا ثم يتوب منه سرًا .

ذكر ذلك كله ابن أبي حاتم رحمه اللّه .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا المحاربي ، عن حجاج ، عن الحكم ، عن الحسن بن مسلم بن يَنَّاقٍ[٦] : أن رجلًا كان يكثر ذكر اللّه ويسبح ، فذكر ذلك للنبي ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، فقال : « **إنه أوّاه** » (٢٧٥) .

وقال أيضًا : حدثنا أبو كريب ، حدثنا ابن هانئ(*) ، حدثنا المنهال بن خليفة ، عن حجاج بن أرطاة ، عن عطاء ، عن ابن عباس أن النبي ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، دفن ميتًا فقال : « **رحمك اللّه ، إن كنت لأواهًا** » . يعني : تلاء للقرآن (٢٧٦) .

وقال شعبة عن أبي يونس الباهلي قال : سمعت رجلًا بمكة - وكان أصله روميًا ، وكان قاصًا - يحدث عن أبي ذر قال : كان رجلٌ يطوف بالبيت الحرام ، ويقول في دعائه : أوّه أوّه . فذكر ذلك للنبي ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، فقال : « **إنه أوّاه** » . قال : فخرجت ذات ليلة فإذا رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، يدفن ذلك الرجل ليلًا ومعه المصباح .

هذا حديث غريب(٢٧٧) ، رواه ابن جرير ومشاه[٧] .

وروي عن كعب الأحبار أنه قال : سمعت ﴿ **إن إبراهيم لأوّاه** ﴾ قال : كان إذا ذكر النار قال : أوه من النار .

---

(٢٧٥) - تفسير الطبري (٥٢٩/١٤) رقم (١٧٧٠٧) .

(٢٧٦) - تفسير الطبري (٥٣٠/١٤) رقم (١٧١١٠) .

(٢٧٧) - تفسير الطبري (٥٣٠/١٤) رقم (١٧٤١١) . ورواه الحاكم في المستدرك (٣٦٨/١) من طريق شعبة به ، وقال : « إسناده معضل » .

---

[١] - في ز : « الزاهر » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « به » .

[٣] - في ز : « مسبحة » .

[٤] - في ز : « سقى » .

[٥] - في ز ، خ : « مانع » .

[٦] - في ز ، خ : « بيان » .

(*) عند ابن جرير : ابن يمان .

[٧] - سقط من : ت .

وقال[١] ابن جريج عن ابن عباس ﴿ **إن إبراهيم لأواه** ﴾ قال : فقيه .

قال : الإمام العَلَم أبو جعفر بن جرير (٢٧٨) : وأولى الأقوال قول من قال : إنه الدَّعَّاء ، وهو المناسب للسياق ، وذلك أن اللَّه تعالىٰ لما ذكر أن إبراهيم إنما استغفر لأبيه عن موعدة وعدها إيّاه ، وقد كان إبراهيم كثيرَ الدعاء ، حليمًا عمن ظلمه وأناله مكروهًا ؛ ولهذا استغفر لأبيه مع شدة أذاه له في قوله : ﴿ **أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليًا * قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنَّه كان بي حفيًا** ﴾ فحلم عنه مع أذاه له ، ودعا له واستغفر ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **إن إبراهيم لأواه حليم** ﴾ .

وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن نفسه الكريمة وحكمه[٢] العادل : إنه لا يضل قومًا [إلا] بعد بلاغ الرسالة [إليهم][٣] ، حتىٰ يكونوا قد قامت عليهم الحجة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى** ﴾ الآية .

وقال مجاهد في قوله تعالىٰ : ﴿ **وما كان اللَّه ليضل قومًا بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون** ﴾ . قال : بيان اللَّه عز وجل للمؤمنين[٤] في ترك[٥] الاستغفار للمشركين خاصة ، وفي بيانه [لهم في][٦] [طاعته ومعصيته] عامة ، فافعلوا أو ذروا .

وقال ابن جرير : يقول اللَّه تعالىٰ : وما كان اللَّه ليقضي عليكم في استغفاركم لموتاكم المشركين بالضلال ، بعد إذ رزقكم الهداية ، ووفقكم للإيمان به وبرسوله ، حتىٰ يتقدم إليكم بالنهي عنه فتتركوا ، فأمّا قبل أن يبين لكم كراهته ذلك بالنهي عنه ، [ثم تتعدوا][٧] نهيه إلىٰ ما نهاكم عنه ؛ فإنه لا يحكم عليكم بالضلال ؛ فإن الطاعة والمعصية إنما يكونان من المأمور والمنهي ، فأما[٨] من لم يؤمر ، ولم ينه فغير كائن [ ] مطيعًا [كان][٩] أو عاصيًا

(٢٧٨) - تفسير الطبري (١٤/٥٣٢) .

[١] - في خ : « قال » .
[٢] - في خ : « وحلمه » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ت : « فلم تضيعوا » .
[٨] - في خ : « أما » .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .

فيما[١] لم يؤمر به ولم ينه عنه[٢] .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **إن اللّٰه له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وما لكم من دون اللّٰه من ولي ولا نصير** ﴾ قال ابن جرير : هذا تحريض من اللّٰه تعالىٰ لعباده المؤمنين في قتال المشركين وملوك الكفر ، أن[٣] يثقوا بنصر اللّٰه[٤] مالك السموات والأرض ، ولا يرهبوا من أعدائه ، فإنه لا ولي لهم من دون اللّٰه ، ولا نصير لهم سواه .

وقال ابن أبي حاتم(٢٧٩) : حدثنا علي بن أبي دلامة البغدادي ، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن صفوان بن محرز ، عن حكيم بن حزام قال : بينا رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، بين أصحابه إذ قال لهم : « **هل تسمعون ما أسمع ؟** » قالوا : ما نسمع من شيء . فقال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إني لأسمع أَطِيط[٥] السماء ، وما تلام أن تئط ، وما فيها من موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم** » .

وقال كعب الأحبار : ما من موضع خرمة إبرة من الأرض ، إلا وملك موكل بها ، يرفع علم ذلك إلىٰ اللّٰه ، وإن ملائكة السماء لأكثر من عدد التراب ، وإن حملة العرش ما بين كعب أحدهم إلىٰ مخه مسيرة مائة عام .

لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾

قال مجاهد وغير واحد : نزلت هذه الآية في غزوة تبوك ، وذلك أنهم خرجوا إليها في شدة من الأمر ، في سنة مجدبة وحر شديد ، وعسر من الزاد والماء .

قال قتادة : خرجوا إلىٰ الشام عام تبوك في لهبان الحر ، علىٰ ما يعلم اللّٰه من الجهد ،

(٢٧٩) - ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٣/٢٠١) وأبو نعيم في الحلية (٢/٢١٧) من طريق عبد الوهاب ابن عطاء به نحوه ، وقال أبو نعيم : « هذا حديث غريب من حديث صفوان بن محرز عن حكيم تفرد به عن قتادة سعيد بن أبي عروبة » .

[١] - في ز : « فما » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في خ : « أنهم » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - الأطيط : تصويت الظهر من ثقل الحِمْل ، وأطيط الإبل : أنينها إذا تعبت من ثقل الحمل .

أصابهم فيها جهد شديد ، حتىٰ لقد ذكر لنا : أن الرجلين[١] كانا يشقان التمرة بينهما ، وكان النفر يتداولون التمرة بينهم ، يمصها هذا ، ثم يشرب عليها ، ثم يمصها هذا ، و[٢] يشرب عليها ، فتاب اللَّه عليهم وأقفلهم من غزوتهم .

وقال ابن جرير (٢٨٠) : حدثني يونس بن عبد الأعلىٰ ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن عتبة بن أبي عتبة ، عن نافع بن جبير بن مطعم ، عن عبد اللَّه بن عباس : أنه قيل لعمر بن الخطاب في شأن العسرة ، فقال عمر بن الخطاب : خرجنا مع رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، إلىٰ تبوك في قيظ[٣] شديد ، فنزلنا منزلًا فأصابنا فيه عطش ، حتىٰ ظننا أن رقابنا ستنقطع ، [حتىٰ إن][٤] كان[٥] الرجل[٦] [ليذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتىٰ يظن أن رقبته ستنقطع][٧] ، [وحتىٰ إن الرجل][٨] لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ، ويجعل ما بقي علىٰ كبده ، فقال[٩] أبو بكر الصديق : يا رسول اللَّه ، إن اللَّه -عز وجل- قد عودك في الدعاء خيرًا فادع لنا . فقال[١٠] : « **تحب ذلك ؟** » قال : نعم . فرفع يديه فلم يرجعهما حتى مالت السماء فأهطلت[١١] ، ثم سكبت فملئوا ما معهم ، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر .

وقال ابن جرير في قوله : ﴿ **لقد تاب اللَّه علىٰ النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة** ﴾ أي : من النفقة والظهر والزاد والماء ﴿ **من بعد ما كاد يزيغ[١٢] قلوب فريق منهم** ﴾ أي : عن الحق ، ويشك في دين [رسول اللَّه][١٣] ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، ويرتاب بالذي[١٤] نالهم من المشقة والشدة في [سفره وغزوه][١٥] ﴿ **ثم تاب عليهم** ﴾ يقول : ثم رزقهم الإنابة إلىٰ ربهم ، والرجوع إلىٰ الثبات علىٰ دينه ﴿ **إنه بهم رءوف**

---

(٢٨٠) - تفسير الطبري (٥٤١/١٤) رقم (١٧٤٢٩) ورواه ابن حبان في صحيحه برقم (١٧٠٧) « موارد » والحاكم في المستدرك (١٥٩/١) من طريق حرملة بن يحيى ، ورواه البزار في مسنده كما في « كشف الأستار » (١٨٤١) من طريق أصبغ بن الفرج - كلاهما عن ابن وهب به ، نحوه . وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » . قال المصنف في السيرة (١٦/٤) : « إسناده جيد ، ولم يخرجوه من هذا الوجه » .

---

[١] - في ز : « رجلين » .
[٢] - في ت : ثم .
[٣] - في ز : « قبض » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٩] - في خ : « قال » .
[١٠] - في ز : « قال » .
[١١] - في الطبري : فأظلت .
[١٢] - في ز : « تزيغ » .
[١٣] - في خ : « الرسول » .
[١٤] - في خ : « للذي » .
[١٥] - ما بين المعكوفتين في خ : « سفرهم وغزوهم » .

رحيم ﴾ .

وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾

قال الإمام أحمد(٢٨١) : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن أخي الزهري محمد بن عبد اللَّه ، عن عمه محمد بن مسلم الزهري ، أخبرني عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن كعب ابن مالك ، أن [عبد اللَّه][١] بن كعب بن مالك - وكان قائد كعب من بنيه[٢] حين عَمِيَ - قال : سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، في غزوة[٣] تبوك ، فقال كعب بن مالك : لم أتخلف عن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، في غزاة غزاها قط إلا في غزوة تبوك ، غير أني كنت تخلفت في غزاة بدر ، ولم يعاتب أحد تخلف عنها ، إنما[٤] خرج رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يريد عير(١) قريش ، حتىٰ جمع اللَّه بينهم وبين عدوهم علىٰ غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ، ليلة العقبة حين توافقنا[٥] علىٰ الإسلام ، وما أحب أن لي بها مشهد بدر ، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها وأشهر ، وكان من خبري حين تخلفت عن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، في غزوة تبوك : أني لم أكن قط أقوىٰ ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزاة ، واللَّه ما جمعت قبلها راحلتين قط حتىٰ جمعتهما في تلك الغزاة ، وكان رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قلما يريد غزوة يغزوها

(٢٨١) - المسند (٣/٤٥٦-٤٥٩) (١٥٨٣١) وقصة تخلف كعب بن مالك رواه البخاري حديث ٢٧٥٧ وأطرافه ٢٩٤٧، ٢٩٤٨، ٢٩٤٩، ٢٩٥٠، ٣٠٨٨، ٣٥٥٦، ٣٨٨٩، ٣٩٥١، ٤٤١٨، ٤٦٧٣، ٤٦٧٦، ٤٦٧٧، ٤٦٧٨، ٦٢٥٥، ٦٦٩٠، ٧٢٢٥ مطولاً ومختصرًا . ومسلم (١٧ / ١٣٦ : ١٥٠) . حديث ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ - (٢٧٦٩) بشرح النووي . والطبراني في الكبير (١٩ / ٢٢ : ٥٩) حديث (٩١ : ١٠٣) .

(١) - عِيرَ : العِيرُ : الإبلُ بأحمالها ، فِعْلٌ من عار يعير إذا سار . نهاية [٣/٣٢٩] .

[١] - في ز ، خ : « عبيد الله » .

[٢] - في ز : « بيته » .

[٣] - في ز : « غزاة » .

[٤] - في خ : « وإنما » .

[٥] - في خ : « تواثقنا » .

[٦] - ورَّى عن الشيء : أراده وأظهر غيره .

إلا ورَّىٰ[١] بغيرها ، حتىٰ كانت تلك الغزوة فغزاها رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، في حر شديد ، واستقبل سفرًا بعيدًا ومفازًا(١) ، واستقبل[٢] عدوًّا كثيرًا ، فَجَلَّىٰ[٣] للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة عدوهم ، فأخبرهم وجهه الذي يريد ، والمسلمون مع رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، كثير لا يجمعهم كتاب حافظ - يريد الديوان .

قال[٤] كعب : فقل رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن ذلك سيخفىٰ له ، ما لم ينزل فيه وحي من اللَّه -عز وجل- ، وغزا رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، تلك الغزاة حين طابت الثمار والظل[٥] ، وأنا إليها أصعر[٦] (٢) -أميل[٧] - فتجهز إليها رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، والمؤمنون معه ، وطفقت[٨] أغدو لكي أتجهز معهم ، فأرجع ولم أقض من جهازي شيئًا ، فأقول لنفسي : أنا قادر علىٰ ذلك إذا أردت ، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى شمر[٩](٣) بالناس الجد ، فأصبح رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، غاديًا والمسلمون معه ، ولم أقض من جهازي شيئًا ، وقلت : الجهاز[١٠] بعد يوم أو يومين ثم ألحقه ، فغدوت بعد ما فَصَلوا[١١](٤) لأتجهز ، فرجعت ولم أقض[١٢] [شيئًا][١٣] من جهازي [ ][١٤] ، ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئًا ، فلم يزل ذلك[١٥] يتمادىٰ بي حتىٰ أسرعوا وتفارط[١٦](٥) الغزو ، فهممت أن أرتحل فأدركهم[١٧] - وليت أني فعلت - ثم لم يقدر ذلك لي ، فطفقت إذا خرجت في الناس بعد خروج[١٨] رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه

(١) مفازًا : المَفَاز والمَفَازة : البَرِّيَّة القَفْر . والجمع : المفاوز ، سُمِّيت بذلك لأنها مُهْلِكة ، من فَوَّز إذا مات . وقيل : سُمِّيت تفاؤلاً من الفَوْز : النَّجاة . نهاية [٣/٤٧٨] .

(٢) أَصْعَرُ ؛ أي : أَمْيَلُ . نهاية [٣/٣١] .

(٣) شَمَّر بالناس الجدُّ : أي .

(٤) فصلوا ؛ فَصَل القوم عن البلد : خرجوا ، وقد فَصَل يَفْصُل فُصولاً . المعجم الوسيط بتصرف [٢/ ٧١٧] .

(٥) تفارط الغَزْو أي : فات وقته وتقدم . نهاية [٣/٤٣٥] .

[١] - في ز : « استقبل » .

[٢] - في خ : « فخلَّىٰ » .

[٣] - في ز : « فقال » .

[٤] - في ت : « والظلال » .

[٥] - في ز ، خ : « أصغر » .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

[٧] - في خ : « فطفقت » .

[٨] - في . ، خ : «استمر » .

[٩] - في ت : « أتجهز » .

[١٠] - في ز ، خ : « صلوا » .

[١١] - في خ : « أقضي » .

[١٢] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .

[١٣] - في ت : شيئًا .

[١٤] - سقط من : ، خ .

[١٥] - أي : فات وقته وتقدم .

[١٦] - في ت : « فألحقهم » .

[١٧] - سقط من : ز ، خ .

وسلم ، [فطفت فيهم][١] يحزنني أن[٢] لا أرى إلا رجلًا مغموصًا(١) عليه في النفاق ، أو رجلًا ممن عذره الله عز وجل ، ولم يذكرني رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حتى بلغ تبوك ، فقال وهو جالس في القوم بتبوك : « **ما فعل كعب ابن مالك ؟** » فقال رجل من بني سلمة : حبسه يا رسول الله برداه والنظر في عطفيه(٢) . فقال له معاذ بن جبل : بئسما قلت ! والله يا رسول الله ؛ ما علمنا عليه إلا خيرًا . فسكت رسول الله ﷺ .

قال كعب بن مالك : فلما بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلًا من تبوك حضرني بثي(٣) ، وطفقت أتفكر[٣] الكذب ، وأقول : بماذا أخرج من سخطه غدًا ؟ أستعين على ذلك كل ذي رأي من أهلي ، فلما قيل : إن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قد أظل قادمًا زاح عني الباطل ، وعرفت أني لم أنج منه بشيء أبدًا ، فأجمعت(٤) صدقه ، فأصبح[٤] رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع[٥] ركعتين ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك جاءه المتخلفون ، فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له ، وكانوا[٦] بضعة وثمانين رجلًا ، فقبل[٧] منهم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، علانيتهم ويستغفر لهم ، ويكل سرائرهم إلى الله تعالى ، حتى[٨] جئت . فلما سلمت عليه تبسم تبسم المُغْضَب(٥) ، ثم قال لي : « **تعال** » . فجئت أمشي حتى جلست بين[٩] يديه ، فقال لي : « **ما خلَّفك ، ألم تك[١٠] قد اشتريت ظهرك[١١]** ؟ » . [قال][١٢] فقلت : يا رسول الله ، إني لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن أخرج

---

(١) مغموصًا عليه ؛ أي : مطعون في دينه ، متهم بالنفاق وقيل معناه : مُستَحْقرًا . تقول : غمصت فلانا إذا استحقرته . نهاية [٣٨٦/٣] ، فتح الباري [١١٨/٨] .

(٢) عطفيه ؛ العِطْفُ بكسر العين المهملة وكنى بذلك عن حسنه وبهجته ، والعرب تصف الرداء بصفة الحسن وتسميه عِطْفًا ، لوقوعه على عطفي الرجل . فتح الباري بتصرف [١١٨/٨] .

(٣) بَثّي أي : أشد الحزن الذي لا يصبر عليه صاحبه فيفشيه ويظهره . المعجم الوسيط بتصرف [٣٩/١] .

(٤) أَجْمَعْتُ أي : عزمت عليه ، يقال : أجمع أمره وعلى أمره ، وعزم عليه بمعنًى . شرح النووي على صحيح مسلم [١٤٠/١٧] .

(٥) المُغْضَب هو بفتح الضاد : الغضبان . شرح النووي على صحيح مسلم [١٤٠/١٧] .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ت : « أني » .
[٣] - في خ : « أتذكر » .
[٤] - في ز : « وصبح » .
[٥] - في خ : « فصلى » .
[٦] - في ز : « وكان » .
[٧] - في ت : « فيقبل » .
[٨] - سقط من : ز ، خ .
[٩] - سقط من : خ .
[١٠] - في خ : « تكن » .
[١١] - في خ : « ظهرًا » .
[١٢] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .

من سخطه بعذر ؛ لقد أعطيت جدلاً(١) ، ولكنه[١] والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم بحديث[٢] كذب ترضىٰ به عني - ليوشكن الله أن[٣] يسخطك عليَّ ، ولئن حدثتك بصدق تجد عليَّ فيه ، إني لأرجو أقرب عقبىٰ ذلك[٤] من الله عز وجل ، والله ما كان لي عذر ، والله ما كنت قط أفرغ ولا أيسر مني حين تخلفت عنك . قال : فقال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **أما هذا فقد صدق ، فقم حتىٰ يقضي الله فيك** » . فقمت وبادرني رجال من بني سلمة واتبعوني ، فقالوا لي : والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبًا قبل هذا ، ولقد عجزت ألّا تكون اعتذرت إلىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، بما اعتذر به المتخلفون ، فقد كان كافيك [من ذنبك][٥] استغفارُ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، لك[٦] . قال : فوالله ما زالوا يؤنبوني[٧] حتىٰ أردت أن أرجع فأكذب نفسي . قال : ثم قلت لهم : هل لقي [هذا معي][٨] أحد ؟ قالوا : نعم ، [لقيه معك][٩] رجلان قالا مثل[١٠] ما قلت ، وقيل لهما مثل ما قيل لك ، فقلت[١١] : فمن هما ؟ قالوا : مرارة بن الربيع[١٢] العامري ، وهلال بن أمية الواقفي : فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرًا ، لي فيهما أسوة . قال : فمضيت حين ذكروهما لي .

فقال : ونهىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، المسلمين عن كلامنا أيّها الثلاثة(٢) من بين من تخلف عنه[١٣] ، فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا ، حتىٰ تنكرت لي في نفسي الأرضُ ، فما هي بالأرض التي كنت أعرف ، فلبثنا علىٰ ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان ، وأما أنا فكنت أشد القوم وأجلدهم ، فكنت أشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف بالأسواق فلا يكلمني أحد ، وآتي رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وهو في مجلسه بعد الصلاة فأسلم ، وأقول في نفسي : أَحَرَّكَ[١٤] شفتيه برد السلام

---

(١) جدلاً ، أي : فصاحة وقوة كلام بحيث أخرج عن عهدة ما ينسب إليَّ بما يُقْبَل ولا يُرد . فتح الباري [١١٩/٨] .

(٢) أيها الثلاثة : قال القاضي : هو بالرفع ، وموضعه نصب على الاختصاص . قال سيبويه نقلاً عن العرب : اللهم اغفر لنا أيتها المصيبة . شرح النووي على صحيح مسلم [١٤٢/١٧] .

---

[١] - في خ : « لكني » .
[٢] - في ز : « حديث » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في خ : « قالوا » .
[٧] - في ز : « يؤانبوني » .
[٨] - في خ : « معي هذا » .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[١٠] - سقط من : ز ، خ .
[١١] - في ز : « قلت » .
[١٢] - في ز : « ربيع » .
[١٣] - سقط من : ز .
[١٤] - في ز : « حَرَّكَ » .

عليَّ[١] أم لا ؟ ثم أصلي قريبًا منه وأسارقه النظر ، فإذا أقبلت علىٰ صلاتي نظر إليَّ ، فإذا التفت نحوه أعرض عني ، حتى إذا طال عليَّ ذلك من هجر المسلمين ، مشيت حتىٰ تسورت [ ][٢] حائط أبي قتادة - وهو ابن عمي وأحب الناس إليَّ - فسلمت عليه ، فوالله ما رد عليَّ السلام ، فقلت له : يا أبا قتادة ، أنشدك الله[٣] هل تعلم أني أحب الله ورسوله ؟ قال : فسكت ، قال : فعدت له[٤] فنشدته [فسكت ، فعدت له فنشدته فسكت][٥] ، فقال : الله ورسوله أعلم . قال ففاضت عيناي ، وتوليت حتىٰ تسورت الجدار .

فبينا[٦] أنا أمشي بسوق المدينة ، إذا [أنا بنبطي][٧] من أنباط الشام ممن قدم بطعام يبيعه بالمدينة ، يقول : من يدل علىٰ كعب بن مالك . قال : فطفق الناس يشيرون له إليَّ حتىٰ جاء ، فدفع إليَّ كتابًا من ملك غسان ، وكنت كاتبًا ، فإذا فيه : أما بعد ، فقد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، [ولم يجعلك الله بدار][٨] هوان ولا مضيعة(١) ، فالحق بنا نواسك . قال : فقلت حين قرأتها[٩] : وهذا أيضًا من البلاء . قال : فتيممت بها[١٠] التنور فسجرته بها[١١](٢) .

حتىٰ إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين ، إذا برسول رسول[١٢] الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يأتيني [فقال : إن][١٣] رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يأمرك[١٤] أن تعتزل امرأتك . قال : فقلت : أطلقها أم ماذا أفعل ؟ فقال : بل اعتزلها ولا تقربها . قال : وأرسل إلىٰ صاحبي بمثل ذلك . قال : فقلت لامرأتي : الحقي بأهلك ، فكوني عندهم حتىٰ يقضي الله في هذا الأمر [ما يشاء][١٥] . قال : فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ، صلىٰ

---

(١) مضيعة المضيعة فيها لغتان ؛ إحداهما : كسر الضاد وإسكان الياء . والثانية: بإسكان الضاد وفتح الياء أي : في موضع وحال يضاع فيه حقك . شرح النووي على صحيح مسلم [١٤٤/١٧] .

(٢) فسجرته بها أحرقته . المرجع السابق . شرح مسلم للنووي [١٤٤/١٧] .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ت : علوت .
[٣] - في ز : « بالله » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز : « وبينا » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز : « نبطي » .
[٨] - في ت : « وإن الله لم يجعلك في دار » .
[٩] - في ت : « قرأته » .
[١٠] - في خ : « به » .
[١١] - في خ : « به » .
[١٢] - سقط من : خ .
[١٣] - ما بين المعكوفتين في م : « يقول يأمرك » .
[١٤] - سقط من : ت .
[١٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

اللَّه عليه وسلم ، فقالت له : يا رسول اللَّه ، إن هلالًا شيخ ضائع[١](١) ليس له خادم ، فهل تكره أن أخدمه ؟ قال : « **لا ، ولكن لا يقربنك** » . قالت : وإنه واللَّه ما به [ ][٢] حركة إلىٰ شيء . [ ][٣] واللَّه ما يزال[٤] يبكي [من لدن أن كان من أمرك][٥] ما كان إلىٰ يومه هذا . قال : فقال لي بعض أهلي : لو استأذنت رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، في امرأتك فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه . قال : فقلت : واللَّه لا أستأذن فيها رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وما أدري ما يقول [ ][٦] رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، إذا استأذنته وأنا رجل شاب .

قال : فلبثنا [بعد ذلك][٧] عشر ليال ، فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهىٰ عن كلامنا . قال : ثم صليت صلاة الفجر[٨] صباح خمسين ليلة علىٰ ظهر بيت من بيوتنا ، فبينا أنا جالس علىٰ الحال التي ذكر اللَّه تعالىٰ منا قد ضاقت عليّ نفسي ، وضاقت عليَّ الأرض بما رحبت ، سمعت صارخًا أوفىٰ علىٰ جبل سَلْع يقول بأعلىٰ صوته : [ ][٩] يا كعب بن مالك [أبشر][١٠] . قال : فخررت ساجدًا وعرفت أن قد جاء [الفرج من اللَّه -عز وجل- بالتوبة علينا][١١] ، فآذن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، بتوبة اللَّه علينا حين صلىٰ الفجر ، فذهب الناس يبشروننا ، وذهب قِبَلَ صاحبي مبشرون ، وركض إليَّ رجل فرسًا ، وسعىٰ ساع من أسلم وأوفىٰ علىٰ الجبل ، فكان الصوت أسرع من الفرس ، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني فنزعت[١٢] له[١٣] ثوبي فكسوتهما إياه ببشارته لي ، واللَّه ما أملك [يومئذ غيرهما] ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، وانطلقت أؤم رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، ويلقاني[١٤] الناس فوجًا فوجًا[١٥] يهنئوني [بتوبة اللَّه][١٦] ، يقولون : لِيَهنك[١٧] توبة اللَّه عليك . حتىٰ دخلت المسجد ، فإذا رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه

(١) ضائع أي : ذا ضَيَاعٍ من فَقْر أو عيالٍ أو حالٍ قَصَّر عن القيام بها . نهاية [٣/١٠٧].

[١] - في خ : « ضعيف » .
[٢] - في خ : من .
[٣] - في خ : وإنه .
[٤] - في خ : « زال » .
[٥] - في خ : « منذ كان من أمره » .
[٦] - في خ : فيها .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٨] - في خ : « الصبح » .
[٩] - في خ : أبشر .
[١٠] - سقط من خ .
[١١] - ما بين المعكوفتين في خ : « فرج » .
[١٢] - في ت : « نزعت » .
[١٣] - سقط من : ز ، خ .
[١٤] - في خ : « تلقاني » .
[١٥] - في ز : « بعد فوج » .
[١٦] - في خ : « بالتوبة » .
[١٧] - في ز : « لتهنك » .

عليه وسلم ، جالس في المسجد [حوله الناس][١] ، فقام إليَّ طلحة بن عُبَيْد اللَّه يهرول حتىٰ صافحني وهنأني ، واللَّه ما قام إليَّ رجل من المهاجرين غيره . قال : فكان[٢] كعب لا ينساها لطلحة .

قال كعب : فلما سلمت على رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال وهو يبرق وجهه من السرور : « **أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك** » . قال : قلت : أمن عندك يا رسول اللَّه أم من عند اللَّه ؟ قال : « **لا ، بل من عند اللَّه** » . قال : وكان رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، إذا سر استنار وجهه ، حتىٰ كأنه قطعة قمر ، حتىٰ يعرف ذلك منه ، فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول اللَّه ، [إن من][٣] توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلىٰ اللَّه وإلىٰ رسوله . قال : « **أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك** » . قال : فقلت : فإني أمسك سهمي الذي بخيبر ، وقلت : يا رسول اللَّه ، إنما نجاني اللَّه بالصدق ، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقًا ما بقيت . قال : فواللَّه ما أعلم أحدًا من المسلمين أبلاه اللَّه من الصدق في الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، أحسن مما[٤] أبلاني اللَّه تعالىٰ ، واللَّه ما تعمدت كذبةً منذ قلت ذلك لرسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم إلىٰ يومي هذا ، وإني لأرجو أن يحفظني اللَّه عز وجل فيما بقي .

قال : وأنزل اللَّه تعالىٰ ﴿ **لقد تاب اللَّه علىٰ النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ[٥] قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم * وعلىٰ الثلاثة الذين خلفوا حتىٰ إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من اللَّه إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن اللَّه هو التواب الرحيم * يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللَّه وكونوا مع الصادقين** ﴾ . [ ][٦] قال كعب : فواللَّه ما أنعم اللَّه عليَّ من نعمة قط بعد أن هداني للإِسلام ، أعظم في نفسي من صدقي رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يومئذ ؛ أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوه [حين كذبوه][٧] ، فإن اللَّه تعالىٰ قال للذين كذبوه حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد ، فقال[٨] اللَّه تعالىٰ : ﴿ **سيحلفون باللَّه لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون * يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن اللَّه لا يرضىٰ عن القوم الفاسقين** ﴾ قال : وكنا [خُلِّفْنَاأيها الثلاثة][٩]

---

[١] - في خ : « والناس حوله » .
[٢] - في ز : « وكان » .
[٣] - في ز ، خ : « أمن » .
[٤] - في ز : « ما » .
[٥] - في ز : « تزيغ » .
[٦] - في ت : « إلى آخر الآيات » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٨] - في ز : « قال » .
[٩] - ما بين المعكوفتين في خ : « أيها الثلاثة الذين خُلِّفْنَا » .

عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وآله وسلم ، حين حَلَفُوا فبايعهم واستغفر لهم ، وأرجأ رسول اللّٰه أمرنا حتىٰ قضى اللّٰه فيه ، فبذلك[١] قال اللّٰه عز وجل : ﴿ **وعلىٰ الثلاثة الذين خلفوا** ﴾ وليس تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا الذي ذكر مما خلفنا بتخلفنا عن الغزو ، وإنما هو عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه .

هذا حديث صحيح ثابت متفق علىٰ صحته ، رواه صاحبا الصحيح : البخاري ومسلم من حديث الزهري بنحوه ، فقد تضمن هذا الحديث تفسير هذه الآية الكريمة بأحسن الوجوه وأبسطها ، وكذا روي عن غير واحد من السلف في تفسيرها ، كما رواه الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر بن عبد اللّٰه في قوله تعالىٰ : ﴿ **وعلىٰ الثلاثة الذين خلفوا** ﴾ قال : هم كعب ابن مالك ، وهلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع[٢] ، وكلهم من الأنصار .

وكذا قال مجاهد والضحاك وقتادة والسدي وغير واحد ، وكلهم قال : مرارة بن ربيعة ، وفي رواية عن سعيد بن جبير : ربيع بن مرارة .

وقال الحسن [البصري][٣] : [ربيع بن مرارة بن ربيع][٤] [وكذا في مسلم : ربيعة في بعض نسخه وفي بعضها مرارة بن الربيع][٥] .

وفي رواية عن الضحاك : مرارة بن الربيع ؛ كما وقع في الصحيحين وهو الصواب .

وقوله : فسمَّوا رجلين شهدا بدرًا ، قيل : إنه خطأ من الزهري ، فإنه لا يعرف شهود واحد من هؤلاء الثلاثة بدرًا ، واللّٰه أعلم .

ولما ذكر تعالىٰ ما فرج به عن هؤلاء الثلاثة من الضيق والكرب ، من هجر المسلمين إياهم نحوًا من خمسين ليلة بأيامها ، وضاقت عليهم أنفسهم ، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت - أي : مع سعتها - فسددت عليهم المسالك والمذاهب ، فلا يهتدون ما يصنعون ، فصبروا لأمر اللّٰه واستكانوا لأمر اللّٰه ، وثبتوا حتىٰ فرج اللّٰه عنهم بسبب صدقهم رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، في تخلفهم ، وأنه كان عن غير عذر ، فعوقبوا علىٰ ذلك هذه المدة ثم تاب اللّٰه عليهم ، فكان عاقبة صدقهم خيرًا لهم وتوبة عليهم ؛ ولهذا قال : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللّٰه وكونوا مع الصادقين** ﴾ أي : اصدقوا والزموا الصدق تكونوا مع أهله ، وتنجوا من المهالك ، ويجعل لكم فرجًا من أموركم ومخرجًا .

---

[١] - في خ : « فلذلك » . [٢] - في ز : « ربيعة » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .
[٤] - في ز : « ربيع بن مرار ، أو مرار بن ربيع » . [٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن شقيق ، عن عبد الله - هو ابن مسعود رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **عليكم بالصدق ؛ فإن الصدق يهدي إلىٰ البر ، وإن البر يهدي إلىٰ الجنة ، وما[١] يزال الرجل يصدق ويتحرىٰ الصدق حتىٰ يكتب عند الله صدّيقًا ، وإياكم والكذب ؛ فإن الكذب يهدي إلىٰ الفجور ، وإن الفجور يهدي إلىٰ النار ، وما[٢] يزال الرجل يكذب ويتحرىٰ الكذب حتىٰ يكتب عند الله كذابًا** » . أخرجاه في الصحيحين(٢٨٢) .

وقال شعبة ، عن عمرو بن مرة ، سمع أبا عبيدة يحدّث ، عن عبد الله بن مسعود ، رضي الله عنه ، أنه قال : الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل ، اقرءوا إن شئتم ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا من[٣] الصادقين** ﴾ . هكذا قرأها ، ثم قال : فهل تجدون لأحد فيه رخصة ؟

وعن عبد الله بن عمر [في قوله][٤] : ﴿ **اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** ﴾ قال[٥] : مع محمد ، صلىٰ الله عليه وسلم وأصحابه .

وقال الضحاك : مع أبي بكر وعمر وأصحابهما[٦] .

وقال الحسن البصري : إن أردت أن تكون مع الصادقين فعليك بالزهد في الدنيا ، والكف عن أهل الملة .

مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾

(٢٨٢) - المسند (٣٨٤/١) وصحيح البخاري ، كتاب الأدب ، رقم (٦٠٩٤) وصحيح مسلم ، كتاب البر والصلة رقم (٢٦٠٧) .

[١] - في ت : « ولا » .
[٢] - في ت : « ولا » .
[٣] - في خ : « مع » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في خ : « وأصحابهم » .

يعاتب تبارك وتعالىٰ المتخلفين عن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، في غزوة تبوك ، من أهل المدينة ، ومن حولها من أحياء العرب ، ورغبتهم بأنفسهم عن مواساته فيما حصل له[١] من المشقة ، فإنهم نقصوا أنفسهم من الأجر ؛ لأنهم ﴿ **لا يصيبهم ظمأ** ﴾ وهو العطش ﴿ **ولا نصب** ﴾ وهو التعب ﴿ **ولا مخمصة** ﴾ وهي المجاعة ﴿ **ولا يطئون موطئًا يغيظ الكفار** ﴾ أي : ينزلون منزلًا يرهب عدوهم ﴿ **ولا ينالون** ﴾ منه ظفرًا وغلبة عليه إلا كتب الله لهم بهذه الأعمال التي ليست داخلة تحت قدرهم ، وإنما هي ناشئة عن أفعالهم - أعمالًا صالحة وثوابًا جزيلًا ﴿ **إن اللّٰه لا يضيع أجر المحسنين** ﴾ كقوله : ﴿ **إنا لا نضيع أجر من أحسن عملًا** ﴾ .

وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **ولا ينفقون**[٢] ﴾ هؤلاء الغزاة في سبيل اللّٰه ﴿ **نفقة صغيرة ولا كبيرة** ﴾ أي : قليلًا ولا كثيرًا ﴿ **ولا يقطعون واديًا** ﴾ أي : في السير إلىٰ الأعداء ﴿ **إلا كتب لهم** ﴾ ولم يقل هاهنا به ؛ لأن هذه أفعال صادرة عنهم ، ولهذا قال : ﴿ **ليجزيهم اللّٰه أحسن ما كانوا يعملون** ﴾ .

وقد حصل لأمير المؤمنين عثمان بن عفان من هذه الآية الكريمة حظ وافر ونصيب عظيم ، وذلك أنه أنفق في هذه الغزوة النفقات الجليلة والأموال الجزيلة ، كما قال عبد اللّٰه بن الإمام أحمد(٢٨٣) :

حدثنا أبو موسىٰ العَنَزي[٣] ، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، حدثني سكن[٤] بن المغيرة ، حدثني الوليد بن أبي هشام[٥] ، عن فرقد أبي طلحة ، عن عبد الرحمن بن

(٢٨٣) - زوائد المسند (٤/٧٥) (١٦٧٤٦) وإسناده ضعيف - لجهالة فرقد أبو طلحة . وأبو موسى العنزي : هو محمد ابن المثنى ، ثقة ثبت ، روى له الجماعة . وسكن بن المغيرة : صدوق ، روى له الترمذي . والوليد بن أبي هشام : قال أحمد : ثقة الحديث جداً ، ووثقه أبو داود ، وأبو حاتم . روى له مسلم وغيره . وفرقد أبو طلحة : مجهول . والحديث رواه الترمذي حديث ٣٧٠١ . وقال الترمذي : غريب من هذا الوجه . وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي ٣٩٦٦/٧٦٤ .

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في خ : « ولا ينفق » .

[٣] - في ز ، خ : « الغنوي » .

[٤] - في ز : « سكر » .

[٥] - في ز ، خ : هاشم . وهو تحريف .

خبّاب[١] السلمي ؛ قال : خطب رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فحث علىٰ جيش العسرة ، فقال[٢] عثمان بن عفان - رضي اللَّه عنه - : عليَّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها ، قال : ثم حث ، فقال عثمان : عليّ مائة بعير[٣] أخرىٰ بأحلاسها وأقتابها ، قال : ثم نزل مرقاة من المنبر ثم حث فقال عثمان بن عفان : عليّ مائة أخرىٰ بأحلاسها وأقتابها . قال : فرأيت رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يقول[٤] بيده هكذا يحركها - وأخرج عبد الصمد يده كالمتعجب - : « **ما علىٰ عثمان ما عمل بعد هذا !!!** » .

وقال عبد اللَّه أيضًا(٢٨٤) : حدثنا هارون بن معروف ، حدثنا ضمرة ، حدثنا عبد اللَّه بن شوذب ، عن عبد اللَّه بن القاسم ، عن كثير مولىٰ عبد الرحمن بن سمرة ، عن عبد الرحمن ابن سمرة ؛ قال : جاء عثمان ، رضي اللَّه عنه ، إلىٰ النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، بألف دينار في ثوبه حين[٥] جهز النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم جيش العسرة ، قال : فصبها في حجر النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فجعل[٦] النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم ، يقلبها بيده ويقول : « **ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم !!!** » يرددها مرارًا .

وقال قتادة في قوله تعالىٰ : ﴿ **ولا يقطعون واديًا إلا كتب لهم** ﴾ الآية . ما ازداد قوم [من أهليهم في سبيل اللَّه بعدًا][٧] إلا ازدادوا قربًا من اللَّه .

۞ **وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٢)**

هذا بيان من اللَّه تعالىٰ لما أراد من نفير الأحياء مع الرسول ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، في غزوة تبوك ، فإنه قد ذهبت طائفة من السلف إلىٰ أنه كان يجب النفير علىٰ كل مسلم إذا خرج رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **انفروا خفافًا وثقالاً** ﴾ ، وقال :

(٢٨٤) - زوائد المسند (٥/٦٣)(٢٠٧٨٦) وأخرجه الترمذي في كتاب المناقب ، باب : في مناقب عثمان ابن عفان رضى الله عنه (٥ / ٦٢٦ / رقم : ٣٧٠١) من طريق محمد بن إسماعيل ، عن الحسن بن واقع ، عن ضمرة به . وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .

[١] - في ز : « حباب » .
[٢] - في ز : « وقال » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في خ : « قال » .
[٥] - في ز : « حتى » .
[٦] - في ت : « فرأيت » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في خ : « في سبيل الله بعدًا من أهليهم » .

﴿ ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ﴾ ، قالوا : فنسخ ذلك بهذه الآية .

وقد يقال : [إنها][١] بيان لمراده تعالىٰ من نفير الأحياء كلها ، وشرذمة من كل قبيلة إن لم يخرجوا كلهم ؛ ليتفقه الخارجون مع الرسول بما ينزل من الوحي عليه ، وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم بما كان من أمر العدو ، فيجتمع لهم الأمران في هذا النفير المعين ، وبعده ، صلىٰ الله عليه وسلم ، تكون الطائفة النافرة من الحي إما للتفقه ، وإما للجهاد فإنه فرض كفاية علىٰ الأحياء .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس [في الآية][٢] ﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة ﴾ . يقول : ما كان المؤمنون لينفروا جميعًا ويتركوا النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وحده ﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ﴾ يعني : عصبة ، يعني : السرايا ، ولا يسيروا إلا بإذنه ، فإذا رجعت السرايا وقد نزل[٣] بعدهم قرآن تعلمه القاعدون مع النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وقالوا : إنّ الله قد أنزل علىٰ نبيكم قرآنا وقد تعلمناه ، فتمكث السرايا يتعلمون ما أنزل الله علىٰ نبيهم بعدهم ، ويبعث سرايا أخرىٰ ، فذلك قوله : ﴿ ليتفقهوا في الدين ﴾ يقول : ليتعلموا ما أنزل الله[٤] علىٰ نبيهم ، وليعلموا السرايا إذا رجعت إليهم ﴿ لعلهم يحذرون ﴾ .

وقال مجاهد : نزلت هذه الآية في أناس من أصحاب محمد[٥] ، صلىٰ الله عليه وسلم ، خرجوا في البوادي فأصابوا من الناس معروفًا ، ومن الخصب[٦] ما ينتفعون به ؛ ودعوا من وجدوا من الناس إلىٰ الهدىٰ ، فقال الناس لهم : ما نراكم إلا وقد تركتم أصحابكم وجئتمونا ، فوجدوا في أنفسهم من ذلك [تحرجًا ، وأقبلوا][٧] من البادية كلهم حتى دخلوا علىٰ النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال الله عز وجل : ﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ﴾ يبتغون[٨] الخير ﴿ ليتفقهوا في الدين ﴾ وليسمعوا[٩] ما في الناس ، وما أنزل الله بعدهم[١٠] ﴿ ولينذروا قومهم ﴾ الناس كلهم ﴿ إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في خ : « إن هذا » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٣] - في ت : « أنزل » .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - في خ : « النبي » .

[٦] - في ز : « الخطب » .

[٧] - ما بين المعكوفتين في ز : « تحرجوا ، وأضلوا » .

[٨] - في خ : « يبغون » .

[٩] - في خ : « ليستمعوا » .

[١٠] - في ز : « فعذرهم » .

وقال قتادة في هذه الآية : هذا إذا بعث رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، الجيوش ، أمرهم اللَّه أن لا[١] [يُغزُّوا نبيه][٢] ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وتقيم طائفة مع رسول اللَّه تتفقه في الدين ، وتنطلق طائفة تدعو قومها وتحذرهم وقائع اللَّه فيمن خلا قبلهم .

وقال الضحاك : كان رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، إذا غزا بنفسه لم يحل لأحد من المسلمين أن يتخلف عنه إلا أهل العذر[٣] ، وكان إذا قام فاسترت السرايا لم يحل لهم[٤] أن ينطلقوا إلا بإذنه ، فكان[٥] الرجل إذا استرىٰ فنزل بعده قرآن ، وتلاه[٦] نبي اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، علىٰ أصحابه القاعدين[٧] معه ، فإذا رجعت السرية قال لهم الذين أقاموا مع رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : إن اللَّه أنزل بعدكم على نبيه قرآنًا ، فيقرئونهم ويفقهونهم في الدين ، وهو قوله : ﴿ **وما كان المؤمنون لينفروا كافة** ﴾ يقول : إذا أقام[٨] رسول اللَّه ﴿ **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة** ﴾ يعني بذلك : أنه لا ينبغي للمسلمين أن ينفروا جميعًا ونبي اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قاعد ، ولكن إذا قعد نبي اللَّه فسرت السرايا وقعد معه عُظْم الناس .

وقال علي[٩] بن أبي طلحة أيضًا ، عن ابن عباس قوله : ﴿ **وما كان المؤمنون لينفروا كافة** ﴾ إنها[١٠] ليست في الجهاد ، ولكن لما دعا رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، علىٰ مضر بالسنين أجدبت بلادهم ، وكانت القبيلة منهم تقبل بأسرها حتىٰ يحلوا بالمدينة من الجهد ، ويعتلوا[١١] بالإسلام وهم كاذبون ، فضيقوا علىٰ أصحاب رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وأجهدوهم ، فأنزل اللَّه تعالىٰ يخبر رسوله أنهم ليسوا مؤمنين ، فردهم رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، إلىٰ عشائرهم ، وحذر قومهم[١٢] أن يفعلوا فعلهم ، فذلك قوله : ﴿ **ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون** ﴾ .

وقال العوفي ، عن ابن عباس في هذه الآية : كان ينطلق من كل حي من العرب

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « يغزوا بنبيه » ، وخ : « يغذوا » والمثبت من تفسير الطبري .
[٣] - في ت : « الأعذار » .
[٤] - في ز : « لأحد منهم » ، خ : « لأحد » .
[٥] - في خ : « وكان » .
[٦] - في خ : « تلاه » .
[٧] - في ز ، خ : « القاعدون » .
[٨] - في خ : « قام » .
[٩] - سقط من : ز ، خ .
[١٠] - في ز : « فإنها » .
[١١] - في ز ، خ : « ويقبلوا » .
[١٢] - في ز ، خ : « قومه » .

عصابة ، فيأتون النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، ويسألونه[١] عما يريدون من أمر دينهم ، ويتفقهون في دينهم ، ويقولون [لنبي الله][٢] ، صلىٰ الله عليه وسلم : ما تأمرنا أن نفعله ؟ وأخبرنا [بما نقول لعشائرنا إذا قدمنا عليهم][٣] . قال : فيأمرهم نبي الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، بطاعة الله وطاعة رسوله ، ويبعثهم إلىٰ قومهم بالصلاة والزكاة ، وكانوا إذا أتوا[٤] قومهم نادوا : إن من أسلم فهو منا ، وينذرونهم [ربهم حتىٰ][٥] إن الرجل ليفارق أباه وأمه ، وكان النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يخبرهم وينذرهم قومهم ، فإذا رجعوا إليهم يدعونهم إلىٰ الإسلام ، وينذرونهم النار ويبشرونهم بالجنة .

وقال عكرمة : لما نزلت هذه الآية ﴿ **إلا تنفروا يعذبكم عذابًا أليما** ﴾ ، ﴿ **وما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله** ﴾ . قال المنافقون : هلك أصحاب البدو الذين تخلفوا عن محمد ولم ينفروا معه ، وقد[٦] كان ناس من أصحاب النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، خرجوا إلىٰ البدو إلىٰ قومهم يفقهونهم ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة** ﴾ الآية ، ونزلت : ﴿ **والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد** ﴾ .

وقال الحسن البصري ﴿ **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين** ﴾ قال : ليتفقه الذين خرجوا بما يريهم[٧] الله من الظهور على المشركين والنصرة ، وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾

أمر الله تعالىٰ المؤمنين أن يقاتلوا الكفار أولًا فأولًا[٨] ، الأقرب فالأقرب إلىٰ حوزة الإسلام ، ولهذا بدأ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، بقتال المشركين في جزيرة العرب ، فلما فرغ منهم، وفتح الله عليه مكة والمدينة، والطائف واليمن، واليمامة وهجر، وخيبر وحضرموت ، وغير ذلك من أقاليم جزيرة العرب ، ودخل الناس من سائر أحياء العرب في

---

[١] – في خ : « فيسألونه » .
[٢] – في خ : « للنبي » .
[٣] – ما بين المعكوفتين في ز : « بعشائرنا إذا انطلقنا إليهم » ، خ : « ما نقول لعشائرنا إذا انطلقنا إليهم » .
[٤] – في ز ، خ : « أسر » .
[٥] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] – سقط من : ز .
[٧] – في ز ، خ : « يردهم » .
[٨] – سقط من : ز ، خ .

دين اللّٰه أفواجًا - شرع في قتال أهل الكتاب ، فتجهز لغزو الروم الذين هم أقرب الناس إلىٰ جزيرة العرب ، وأولىٰ الناس بالدعوة إلىٰ الإسلام ؛ لكونهم[١] أهل الكتاب ، فبلغ تبوك ثم رجع ؛ لأجل جهد الناس وجدب البلاد[٢] وضيق الحال ، وكان ذلك سنة تسع من هجرته عليه السلام .

ثم اشتغل في السنة العاشرة [بحجته حجة][٣] الوداع ، ثم عاجلته المنية ، صلوات اللّٰه وسلامه عليه ، بعد حجته[٤] بأحد وثمانين يومًا ، فاختاره اللّٰه لما عنده .

وقام بالأمر بعده وزيره وصديقه وخليفته أبو بكر الصديق[٥] ، رضي اللّٰه عنه ، وقد مال الدين ميلة كاد أن ينجفل[٦] فثبته اللّٰه تعالىٰ به ، فوطد[٧] القواعد وثبت الدعائم ، وردّ شارد الدين وهو راغم ، ورد أهل الردة إلىٰ الإسلام ، وأخذ الزكاة ممن منعها من الطغام[٨] ، وبين الحق لمن جهله ، وأدّىٰ عن الرسول ما حمله ، ثم شرع في تجهيز الجيوش الإسلامية إلىٰ الروم عبدة الصلبان ، وإلىٰ الفرس عبدة النيران ، ففتح اللّٰه ببركة سفارته البلاد ، وأرغم أنف كسرىٰ وقيصر ومن أطاعهما من العباد ، وأنفق كنوزهما في سبيل اللّٰه كما أخبر بذلك رسول الإله[٩] .

وكان تمام الأمر علىٰ يدي وصيه من بعده ، وولي عهده الفاروق الأواب ، شهيد المحراب ، أبي حفص عمر بن الخطاب ، رضي اللّٰه عنه ، فأرغم اللّٰه به أنوف الكفرة الملحدين ، وقمع الطغاة والمنافقين ، واستولىٰ علىٰ الممالك شرقًا وغربًا ، وحملت إليه خزائن الأموال من سائر الأقاليم بعدًا وقربًا ، ففرقها علىٰ الوجه الشرعي ، والسبيل المرضي .

ثم لما مات شهيدًا ، وقد عاش حميدًا ، أجمع الصحابة من المهاجرين والأنصار علىٰ خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، رضي اللّٰه عنه ، شهيد الدار ، فكسا الإسلام رياسة حلة سابغة ، وامتدت [ ][١٠] في سائر الأقاليم علىٰ رقاب العباد - حجة اللّٰه البالغة ، فظهر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها ، وعلَتْ كلمة اللّٰه وظهر دينُه ، وبلغت الأمة[١١] الحنيفية من أعداء اللّٰه غاية مآربها ، فكلما[١٢] علوا أمة انتقلوا إلىٰ من بعدهم ، ثم الذين

---

[١] - في ت : « لأنهم » .
[٢] - في ز ، خ : « الناس » .
[٣] - في ت : « بحجة » .
[٤] - في ز : « الحجة » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - انجفل مطاوع جفله ، بمعنى جرفه ، وأبعده .
[٧] - في خ : « فاطر » .
[٨] - الطغام : أراذل الناس وسفهاؤهم .
[٩] - في ت : « الله » .
[١٠] - في ت : الدعوة .
[١١] - في ت : « الملة » .
[١٢] - في خ : « وكلما » .

يلونهم من العتاة الفجار ، امتثالًا لقوله تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وليجدوا فيكم غِلْظَة** ﴾ [أي : وليجد الكفار منكم غلظة][١] عليهم في قتالكم لهم ، فإن المؤمن الكامل هو الذي يكون رفيقًا لأخيه المؤمن ، غليظًا علىٰ عدوه الكافر ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **فسوف يأتي اللَّه بقوم يحبهم ويحبونه أذلة علىٰ المؤمنين أعزة علىٰ الكافرين** ﴾ ، وقوله تعالىٰ : ﴿ **محمد رسول اللَّه والذين معه أشداءُ علىٰ الكفار رحماء بينهم** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم** ﴾ وفي الحديث أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « **أنا الضحوك القتَّال** » . يعني : أنه ضحوك في وجه وليه ، قتال لهامة عدوه .

وقوله : ﴿ **واعلموا أن اللَّه مع المتقين** ﴾ أي : قاتلوا الكفار ، وتوكلوا علىٰ اللَّه ، واعلموا أن اللَّه معكم إن[٢] اتقيتموه وأطعتموه .

وهكذا الأمر لما كانت القرون الثلاثة الذين هم خير هذه الأمة ، في غاية الاستقامة والقيام بطاعة اللَّه تعالىٰ - لم يزالوا ظاهرين علىٰ عدوهم ، ولم تزل الفتوحات كثيرة ، ولم تزل الأعداء في سفال وخسار ، ثم لما وقعت الفتن والأهواء والاختلافات بين الملوك ، طمع الأعداء في أطراف البلاد ، وتقدموا إليها ، فلم يمانعوا لشغل الملوك بعضهم ببعض ، ثم تقدموا إلىٰ حوزة الإسلام فأخذوا من الأطراف بلدانًا كثيرة ، ثم لم يزالوا حتىٰ استحوذوا علىٰ كثير من بلاد الإسلام ، وللَّه سبحانه الأمر من قبل ومن بعد !! فكلما قام ملك من ملوك الإسلام ، وأطاع أوامر اللَّه وتوكل علىٰ اللَّه - فتح اللَّه عليه من البلاد ، واسترجع من الأعداء بحسبه وبقدر ما فيه من ولاية اللَّه ، واللَّه المسئول المأمول أن يمكن المسلمين من نواصي أعدائه الكافرين ، وأن يعلي كلمتهم في سائر الأقاليم ، إنه جواد كريم .

وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ (١٢٥)

يقول تعالىٰ : ﴿ **وإذا ما أنزلت سورة** ﴾ فمن المنافقين ﴿ **من يقول أيكم زادته هذه**

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ت : « إذا » .

إيمانًا ﴾ أي : يقول بعضهم لبعض : أيكم زادته هذه السورة إيمانًا ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانًا وهم يستبشرون** ﴾ .

وهذه الآية من أكبر الدلائل علىٰ أن الإِيمان يزيد وينقص ، كما هو مذهب أكثر السلف والخلف من أئمة العلماء ، بل قد حكىٰ [الإِجماع علىٰ ذلك - غيرُ واحد][١] ، وقد بسط الكلام على هذه المسألة في أول شرح البخاري رحمه اللَّه .

﴿ **وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسًا إلىٰ رجسهم** ﴾ أي : زادتهم شكًّا إلى شكهم ، وريبًا إلىٰ ريبهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلَّا خسارًا** ﴾ . و[قال تعالى][٢] : ﴿ **قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد** ﴾ وهذا من جملة شقائهم ، أن ما يهدي القلوب يكون سببًا لضلالهم ودمارهم ! كما أن سيئ المزاج لو غذي بما غذي به لا يزيده إلا خبالًا ونقصًا .

أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾

يقول تعالىٰ : أو لا يرىٰ هؤلاء المنافقون[٣] ﴿ **أنهم يفتنون** ﴾ أي : يختبرون ﴿ **في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون** ﴾ أي : لا يتوبون من ذنوبهم السالفة ، ولا هم يذكرون فيما يستقبل من أحوالهم .

قال مجاهد : يختبرون بالسنة والجوع .

وقال قتادة : بالغزو في السنة مرة أو مرتين .

وقال شريك ، عن جابر - هو الجعفي - عن أبي الضحىٰ ، عن حذيفة [في قوله][٤] : ﴿ **أو لا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين** ﴾ قال : كنا نسمع في كل عام كذبة أو كذبتين ، فيضل بها فئام من الناس كثير . رواه ابن جرير .

---

[١] - في ت : « غير واحد الإجماع على ذلك » . [٢] - في خ : « قوله » .
[٣] - في خ : « المنافقين » . [٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وفي الحديث عن أنس(٢٨٥) : « **لا يزداد الأمر إلا شدة ، ولا يزداد الناس إلا شحًا ، وما من عام إلا والذي بعده شر منه** » . سمعته من نبيكم ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم .

وقوله : ﴿ **وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلىٰ بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف اللَّه قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون** ﴾ . هذا أيضًا إخبار عن المنافقين أنهم إذا أنزلت سورة علىٰ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ﴿ **نظر بعضهم إلىٰ بعض** ﴾ أي : تلفتوا ﴿ **هل يراكم من أحد ثم انصرفوا** ﴾ أي : تولوا عن الحق وانصرفوا عنه ، وهذا حالهم في الدنيا[١] : لا يثبتون عند الحق ولا يقبلونه ولا يفهمونه ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **فما لهم عن التذكرة معرضين * كأنهم حمر مستنفرة * فرت من قسورة** ﴾ ، وقوله تعالىٰ : ﴿ **فما للذين كفروا قبلك مهطعين * عن اليمين وعن الشمال عزين** ﴾ أي : ما لهؤلاء القوم يتفللون عنك يمينًا وشمالاً ، هروبًا من الحق وذهابًا إلىٰ الباطل . وقوله : ﴿ **ثم انصرفوا صرف اللَّه قلوبهم** ﴾ ، كقوله : ﴿ **فلما زاغوا أزاغ اللَّه قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون** ﴾ أي : لا يفهمون عن اللَّه خطابه ولا يقصدون لفهمه ولا يريدونه ، بل هم في شغل[٢] عنه ونفور منه ، فلهذا صاروا إلىٰ ما صاروا إليه .

(٢٨٥) - هذا الحديث مركب من حديثين عن أنس :

الأول :

رواه ابن ماجه في السنن ، كتاب الفتن ، باب : شدة الزمان برقم (٤٠٣٩) ، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٤١) من طريق محمد بن خالد الجندي ، عن أبان بن صالح ، عن الحسن ، عن أنس رضي الله عنه : « **لا يزداد الأمر إلا شدة ، ولا الدنيا إلا إدبارًا ، ولا الناس إلا شحًا ، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس ، وما المهدي إلا عيسى ابن مريم** » .

ومحمد بن خالد الجندي ؛ قال الحاكم : مجهول .

قال البوصيري في الزوائد : قال الحاكم في المستدرك بعد أن روى هذا المتن بهذا الإسناد : هذا حديث يُعد من أفراد الشافعي . وليس كذلك فقد حدَّث به غيره . ثم ذكر سند أبي يحيى بن السكن ، عن محمد بن خالد الجندي به .

وقد بسط السيوطي القول فيه وخلاصته ما نُقل عن الحافظ ابن كثير [النهاية (٣٢/١)] : أنه قال : هذا حديث مشهور بمحمد بن خالد الجندي الصغاني المؤذن شيخ الشافعي ، وروى عنه غير واحد أيضًا ، وليس بمجهول كما زعمه الحاكم ، بل رُوي عن ابن معين أنه وثقه . ولكن روى بعضهم عنه عن الحسن مرسلًا وذكر المزي في التهذيب : عن بعضهم أنه رأى الشافعي في المنام وهو يقول : كذب عليَّ يونس بن عبد الأعلى ليس هذا من حديثي . قال ابن كثير : يونس بن عبد الأعلى الصدفي من الثقات لا يطعن فيه بمجرد منام اهـ .

وأما الثاني : فرواه البخاري في صحيحه ، كتاب الفتن برقم (٧٠٦٨) من طريق سفيان ، عن الزبير بن عدي قال : أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما يلقون من الحجاج ، فقال : « اصبروا فإنه لا يأتي =

[١] - في ز : « الدين » . [٢] - في ز ، خ : « شك » .

لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

يقول تعالىٰ ممتنًا علىٰ المؤمنين بما أرسل إليهم رسولًا من أنفسهم ، أي : من جنسهم وعلىٰ لغتهم ، كما قال إبراهيم -عليه السلام- : ﴿ **ربنا وابعث فيهم رسولًا منهم** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **لقد مَنَّ اللَّه علىٰ المؤمنين إذ بعث فيهم رسولًا من أنفسهم** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم** ﴾ أي : منكم وبِلُغَتِكم ، كما قال جعفر بن أبي طالب ،رضي اللَّه عنه، للنجاشي ، والمغيرة بن شعبة لرسول كسرىٰ : إن اللَّه بعث فينا رسولًا منَّا نعرف نسبه وصفته ، ومدخله ومخرجه ، وصدقه وأمانته ... وذكر الحديث .

وقال سفيان بن عيينة ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه في قوله تعالىٰ : ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم** ﴾ قال : لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية . وقال صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح** » .

وقد وصل هذا من وجه آخر ؛ كما قال الحافظ أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي في كتابه الفاصل بين الراوي والواعي : حدثنا أبو أحمد يوسف بن هارون بن زياد ، حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا محمد بن جعفر بن محمد ، قال : أشهد علىٰ أبي لحدثني ، عن أبيه ، عن جده ، عن علي قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح ، من لدن آدم إلىٰ أن ولدني أبي وأمي لم يمسني[١] من سفاح الجاهلية شيء[٢]** »(٢٨٦) .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **عزيز عليه ما عنتم** ﴾ أي : يعز عليه الشيء الذي يُعنت أمتَه ويشق عليها ؛ ولهذا جاء في الحديث المروي من طرق عنه أنه قال : « **بعثت بالحنيفية السمحة** »(٢٨٧) .

= عليكم زمان إلا والذي بعده أشر منه حتى تلقوا ربكم » سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم .

(٢٨٦) - المحدث الفاصل (ص ١٣٦) ورواه الطبراني في الأوسط برقم (٣٤٨٣) « مجمع البحرين » من طريق عبد الرحمن الرازي ، عن محمد بن أبي عمر به ، وفيه محمد بن جعفر بن محمد بن علي متكلم فيه .

(٢٨٧) - رواه أحمد في مسنده (٥/٢٦٦) (٢٢٣٩١) من حديث أبي أمامة ، والطبراني في الكبير =

[١] - في ز : « يقسى » . [٢] - سقط من : خ .

وفي الصحيح (٢٨٨) : « **إن هذا الدين يسر** » . وشريعته كلها سهلة[١] سمحة كاملة ، يسيرة علىٰ من يسرها اللَّه تعالىٰ عليه .

﴿ **حريص عليكم** ﴾ أي : علىٰ هدايتكم ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم .

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن عبد اللَّه الحضرمي ، حدثنا محمد بن عبد اللَّه بن يزيد المقري ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن فطْر ، عن أبي الطفيل ، عن أبي ذر قال : تركنا رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وهو [يذكر لنا][٢] منه علمًا . قال : وقال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **ما بقي شيء يقرِّب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بُيِّنَ لكم** »(٢٨٩) .

وقال الإمام أحمد(٢٩٠) : حدثنا أبو[٣] قطن[٤] ، حدثنا المسعودي ، عن الحسن بن سعد ، عن عبدة النهدي[٥] ، عن عبد اللَّه بن مسعود قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن اللَّه لم يحرم حرمة إلا وقد علم أنه سيطلعها منكم مطلع ، ألا وإني آخذ بحجزكم أن تهافتوا في النار كتهافت الفراش أو[٦] الذباب** » .

وقال الإمام أحمد (٢٩١) : حدثنا حسن بن موسىٰ ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس : أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، أتاه ملكان فيما يرىٰ النائم ، فقعد أحدهما عند[٧] رجليه ، والآخر عند رأسه ، فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه : اضرب مثل هذا ومثل أمته . فقال : إن مثله ومثل أمته كمثل قوم سفر انتهوا إلىٰ رأس مفازة ، ولم[٨] يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المفازة ،

= (٨ / ٢٥٧ / رقم : ٧٨٦٨) . من نفس طريق أحمد . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥ / ٢٧٩) وعزاه لأحمد الطبراني في الكبير وقال : « وفيه على بن يزيد الألهاني ، وهو ضعيف » . ورواه أحمد (٢٣٣/٦) عن عائشة رضي الله عنها .

(٢٨٨) - صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب : الدين يسر رقم (٣٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢٨٩) - المعجم الكبير (١٥٥/٢) وقال الهيثمي في المجمع (٢٦٥/٧) : « رجاله رجال الصحيح غير محمد ابن عبد الله بن يزيد المقري وهو ثقة » .

(٢٩٠) - المسند (٣٩٠/١) (٣٧٠٤) . وصححه العلامة أحمد شاكر - رحمه الله تعالى .

(٢٩١) - المسند (٢٦٧/١) وعلى بن زيد بن جدعان ضعيف .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز ، خ : « يذكرنا » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ت : « قطن » .
[٥] - في ز ، خ : « الهرلي » .
[٦] - في ز : « و » .
[٧] - في ز : « عن » .
[٨] - في ز : « فلم » .

ولا ما يرجعون به ، فبينما هم كذلك إذ أتاهم رجل في حلة حبرة فقال : أرأيتم إن وردت[١] بكم رياضًا معشبة ، وحياضًا رواء تتبعوني ؟ فقالوا : نعم ! . قال : فانطلق بهم فأوردهم رياضًا معشبة وحياضًا رواء ، فأكلوا وشربوا وسمنوا ، فقال لهم : ألم ألفكم علىٰ تلك الحال ، فجعلتم لي إن وردت بكم رياضًا معشبة وحياضًا رواء أن تتبعوني ؟ فقالوا : بلىٰ . فقال[٢] : فإن بين أيديكم رياضًا هي أعشب من هذه ، وحياضًا هي أروى من هذه فاتبعوني . فقالت طائفة : صدق واللّٰه لنتبعنه ، وقالت طائفة : قد رضينا بهذا نقيم عليه .

وقال البزار (٢٩٢) : حدثنا سلمة بن شبيب ، وأحمد بن منصور ، قالا : حدثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان ، حدثنا أبي ، عن عكرمة ، عن أبي هريرة ، رضي اللّٰه عنه ، أن أعرابيًا جاء إلىٰ رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، يستعينه في شيء - قال عكرمة : أراه قال في دم - فأعطاه رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، شيئًا ثم قال : « **أحسنت إليك ؟** » قال الأعرابي : لا ، ولا أجملت . فغضب بعض المسلمين وهمّوا أن يقوموا إليه ، فأشار رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، إليهم أن كفوا ، فلما قام رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وبلغ إلىٰ منزله ، دعا الأعرابي إلىٰ البيت فقال له : « **إنك جئتنا فسألتنا فأعطيناك ، فقلت ما قلت** » . فزاده رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، شيئًا وقال : « **أحسنت إليك ؟** » فقال الأعرابي : نعم ، فجزاك اللّٰه من أهلٍ وعشيرة خيرًا . قال النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إنك جئتنا تسألنا فأعطيناك فقلت ما قلت ، وفي أنفس أصحابي عليك من ذلك شيء ، فإذا جئت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتىٰ يذهب عن صدورهم** » . فقال[٣] : نعم . فلما جاء الأعرابي ، قال [رسول الله ، صلى الله عليه وسلم][٤] : « **إن صاحبكم كان جاءنا فسألنا فأعطيناه فقال ما قال ، وإنا قد دعوناه فأعطيناه فزعم أنه قد رضي ، [كذلك يا أعرابي][٥]** ؟ » فقال[٦] الأعرابي : نعم ، فجزاك اللّٰه من أهل وعشيرة خيرًا . فقال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إن مثلي ومثل هذا الأعرابي ، كمثل رجل كانت له ناقة فشردت عليه ، فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفورًا ، فقال لهم صاحب الناقة : خلوا بيني وبين ناقتي ، فأنا أرفق بها وأنا[٧] أعلم بها ، فتوجه إليها وأخذ[٨] لها من قتام(*) الأرض ،**

(٢٩٢) - « كشف الأستار » رقم (٢٤٧٦) وقال الهيثمي في المجمع (١٥/٩) : « وفيه إبراهيم ابن الحكم ابن أبان ، وهو متروك » .

(*) - القتام : الغبار .

[١] - في ز : « رددت » .
[٢] - في ز : « قال » .
[٣] - في ز : « قال » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٦] - في ز : « قال » .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - في ز : « فأخذ » .

ودعاها حتىٰ جاءت واستجابت وشد عليها رحلها ، وإني[١] **لو أطعتكم حيث قال ما قال لدخل النار »** . [ثم قال][٢] البزار ، [ ][٣] : لا نعلمه يروىٰ إلا من هذا الوجه .

(قلت) : وهو ضعيف بحال إبراهيم بن الحكم بن أبان ، والله أعلم .

وقوله[٤] : ﴿ **بالمؤمنين رءوف رحيم** ﴾ كما قال تعالى : ﴿ **واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين * فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون * وتوكل علىٰ العزيز الرحيم** ﴾ وهكذا أمره تعالىٰ .

وهذه الآية الكريمة ، وهي قوله تعالىٰ : ﴿ **فإن تولوا** ﴾ أي : تولوا عما جئتهم به من الشريعة العظيمة المطهرة الكاملة الشاملة ﴿ **فقل حسبي الله لا إله إلا هو** ﴾ أي : الله كافيّ لا إله إلا هو عليه توكلت - كما قال تعالىٰ : ﴿ **رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً** ﴾ .

﴿ **وهو رب العرش العظيم** ﴾ أي : هو مالك كل شيء وخالقه ؛ لأنه رب العرش العظيم الذي هو سقف المخلوقات ، وجميع الخلائق من السموات والأرضين وما فيهما وما بينهما تحت العرش مقهورين ، بقدرة الله تعالىٰ ، وعلمه محيط بكل شيء ، وقدره نافذ في كل شيء ، وهو علىٰ كل شيء وكيل .

قال [عبد الله ابن] الإمام أحمد(٢٩٣) : حدثنا محمد بن أبي بكر ، حدثنا بشر بن عمر ، حدثنا شعبة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، عن أبي بن كعب قال : آخر آية نزلت من القرآن هذه الآية : ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم** ﴾ إلىٰ آخر السورة .

---

(٢٩٣) - زوائد المسند (١١٧/٥) (٢١١٩٠) وإسناده ضعيف من أجل علي بن زيد بن جدعان ؛ ضُعِفَ لسوء حفظه . ويوسف المكي : هو يوسف بن مهران كما جاء مصرحاً به في رواية الحاكم . ويوسف بن مهران : قال الحافظ المزي : يوسف بن مهران - البصري - هكذا نسبه هنا بصرياً ، وفي ذكر الرواة عن ابن عباس قال : يوسف بن مهران المكي - والصحيح أنه غير يوسف بن ماهك ، قال الميموني عن أحمد : يوسف بن مهران لا يعرف . ولا أعرف أحداً روى عنه إلا علي بن زيد . وقال أبو زرعة : ثقة . وقال أبو حاتم : لا أعلم روى عنه إلا علي بن زيد . قال : وروى بعضهم عن علي بن زيد فقال : يوسف ابن ماهك ، ويوسف بن مهران أصح . يكتب حديثه ويذاكر به . وقال ابن سعد : كان ثقة قليل الحديث . روى له البخاري في الأدب حديثاً ، والترمذي آخر . والحديث أخرجه الطبراني في الكبير (١/ ١٩٩/ رقم : ٥٣٣) . من طريق على بن عبد العزيز ، عن مسلم بن إبراهيم ، عن شعبة به . ورواه الحاكم =

---

[١] - في ز ، خ : « وإنه » .
[٢] - في خ : « رواه » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في خ : ثم قال .
[٤] - سقط من : ز ، خ .

وقال عبد اللّٰه ابن الإمام أحمد(٢٩٤) : حدثنا روح بن عبد المؤمن ، حدثنا عمر بن شقيق ، حدثنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب ، رضي اللّٰه عنه ، أنهم جمعوا القرآن في مصاحف في خلافة أبي بكر ، رضي اللّٰه عنه ، فكان رجال يكتبون ويملي عليهم أبي بن كعب ، فلما انتهوا إلىٰ هذه الآية من سورة براءة ﴿ **ثم انصرفوا صرف اللّٰه قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون** ﴾ . فظنوا أن هذا آخر ما نزل من القرآن ، فقال لهم أبي بن كعب : إن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، أقرأني بعدها آيتين ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وهو رب العرش العظيم** ﴾ . قال : هذا آخر ما نزل من القرآن [ ][١] فختم بما فتح به - باللّٰه الذي لا إله إلا هو - وهو قول اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي[٢] إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾ .

وهذا[٣] غريب أيضًا .

وقال الإمام أحمد (٢٩٥) : حدثنا علي بن بحر ، حدثنا محمد بن سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن يحيىٰ بن عباد ، عن أبيه عباد بن عبد اللّٰه بن الزبير ، رضي اللّٰه عنه ، قال : أتىٰ الحارث بن خزيمة بهاتين الآيتين من آخر براءة ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم** ﴾ إلىٰ عمر بن الخطاب ، فقال : من معك علىٰ هذا ؟ قال : لا أدري ، واللّٰه إني أشهد[٤] لسمعتها من رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وآله وسلم ، ووعيتها وحفظتها . فقال عمر : وأنا أشهد لسمعتها من رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم . ثم قال : لو كانت ثلاث آيات لجعلتها سورة علىٰ حدة ، فانظروا سورة من القرآن فضعوها فيها ، فوضعوها في آخر براءة .

وقد تقدم [ ][٥] أن عمر بن الخطاب هو الذي أشار علىٰ أبي بكر الصديق ، رضي اللّٰه عنهما ، بجمع القرآن ، فأمر زيد بن ثابت فجمعه ، وكان عمر يحضرهم وهم يكتبون

= (٣٣٨/٢) . من حديث شعبة ، عن يونس بن عبيد ، وعلي بن زيد عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس به . وقال الحاكم : حديث شعبة عن يونس بن عبيد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٦) وقال : « رواه عبد الله بن أحمد . والطبراني ، وفيه على بن زيد ابن جدعان ، وهو ثقة سيء الحفظ ، وبقية رجاله ثقات » .

(٢٩٤) - المسند (١٣٤/٥) رقم (٢١٣٠٦) .

(٢٩٥) - المسند (١٩٩/١) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « قال » .

[٢] - في ز : « يوحى » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ت : « لأشهد » ، خ : « أشهر » .

[٥] - ما بين المعكوفتين في ت : « الكلام » .

ذلك . وفي الصحيح أن زيدًا قال : فوجدت آخر سورة براءة مع خزيمة بن ثابت أو أبي خزيمة(٢٩٦) . وقد قدَّمْنا أن جماعة من الصحابة تذكروا[١] ذلك عن[٢] رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، كما قال خزيمة بن ثابت حين ابتدأهم بها ، واللَّه أعلم .

وقد روىٰ أبو داود عن يزيد بن محمد ، عن عبد الرزاق بن عمر - وقال : كان من ثقات المسلمين من المتعبدين - عن مدرك بن سعد - قال يزيد : شيخ ثقة - عن يونس بن ميسرة ، عن أم الدرداء ، عن أبي الدرداء قال : من قال إذا أصبح وإذا أمسىٰ : حسبي اللَّه لا إله إلا هو ، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم - سبع مرات - إلا كفاه اللَّه ما يهمّه[٣](٢٩٧) .

وقد رواه ابن عساكر في ترجمة عبد الرزاق بن[٤] عمر هذا من رواية أبي زرعة الدمشقي عنه ، عن أبي سعد مدرك بن أبي سعد الفزاري ، عن يونس بن ميسرة بن حلبس ، عن أم الدرداء ، سمعت أبا الدرداء يقول : ما من عبد يقول : حسبي اللَّه لا إله إلا هو ، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ، سبع مرات - صادقًا كان بها أو كاذبًا - إلا كفاه اللَّه ما أهمّه[٥](٢٩٨) .

وهذه زيادة غريبة ، ثم رواه في ترجمة عبد الرزاق أبي محمد ، عن أحمد بن عبد اللَّه ابن عبد الرزاق ، عن جده عبد الرزاق بن عمر بسنده ، فرفعه (٢٩٩) فذكر مثله بالزيادة ، وهذا منكر ، واللَّه أعلم .

آخر سورة براءة ، والحمد لله وحده

☆ ☆ ☆

(٢٩٦) - صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن رقم (٤٦٧٩) .
(٢٩٧) - سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب ما يقول إذا أصبح رقم (٥٠٨١) .
(٢٩٨) - تاريخ دمشق (٢٩١/١٠ « المخطوط ») .
(٢٩٩) - تاريخ دمشق (٣١٢/١٠ « المخطوط ») .

[١] - في ز ، خ : « يذكروا » .
[٢] - في خ : « عند » .
[٣] - في خ : « يغمه » .
[٤] - في ز ، خ : « عن » .
[٥] - في ز : « همه » .

[تفسير] سورة يونس عليه السلام

[وهي مكية]

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ (١) أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ (٢)

أما الحروف المقطعة في أوائل السور فقد تقدم الكلام عليها في أوائل سورة البقرة . وقال أبو الضحى(١) عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ الر ﴾ أي : أنا الله أرى . وكذا قال الضحاك وغيره .

﴿ **تلك آيات الكتاب الحكيم** ﴾ أي : هذه آيات القرآن المحكم المبين . وقال مجاهد : ﴿ **الر تلك آيات الكتاب الحكيم** ﴾ [قال الحسن : التوراة والزبور][١]. وقال قتادة ﴿ **تلك آيات الكتاب** ﴾ قال : الكتب التي كانت قبل القرآن . وهذا القول لا أعرف وجهه ولا معناه .

وقوله : ﴿ **أكان للناس عجبًا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا** ﴾ . يقول تعالىٰ منكرًا علىٰ من تعجب من الكفار من إرسال المرسلين من البشر ، كما أخبر تعالىٰ عن القرون الماضية[٢] من[٣] قولهم ﴿ **أبشر يهدوننا** ﴾ ، وقول[٤] هود وصالح لقومهما : ﴿ **أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم علىٰ رجل منكم** ﴾ وقال تعالىٰ مخبرًا عن كفار قريش أنهم قالوا : ﴿ **أجعل الآلهة إلهًا واحدًا إن هذا لشيء عجاب** ﴾ .

وقال الضحاك(٢) ، عن ابن عباس : لما بعث الله تعالىٰ محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم

(١) - **إسناده ضعيف** ، أخرجه ابن جرير (٧٩/١١) ، وابن أبي حاتم (١٠١٨٤/٦) ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » (١/رقم١٦٧) من طريق شريك بن عبد الله ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي الضحى به ، وشريك ضعيف ، وعطاء مختلط ، والأثر زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٥٣٤/٣) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ وابن النجار في تاريخه .

(٢) - **كسابقه** ، أخرجه ابن جرير (٨١/١١) ، وابن أبي حاتم (١٠١٩٣/٦) والضحاك لم يسمع من ابن عباس ، وفي إسناده « بشر بن عمارة » ضعيف ، وزاد نسبته السيوطي في الدر (٥٣٥/٣) إلى أبي الشيخ وابن مردويه .

[١] - بياض في ز ، وسقط من : خ .
[٢] - في خ : « الماضين » .
[٣] - في ز : « في » .
[٤] - في خ : « وقال » .

رسولًا أنكرت العرب ذلك ، أو من أنكر منهم فقالوا : اللَّه أعظم من أن يكون رسوله بشرًا مثل محمد ، قال : فأنزل اللَّه عز وجل ﴿ **أكان للناس عجبًا أن أوحينا إلى رجل منهم** ﴾ .

و[١]قوله: ﴿ **أن لهم قدم صدق عند ربهم** ﴾ اختلفوا فيه ؛ فقال علي بن أبي طلحة(٣) ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وبشّرِ الذين آمنوا أن لهم قدم صدق** ﴾ يقول : سبقت لهم السعادة في الذكر الأول .

وقال العوفي(٤) ، عن ابن عباس : ﴿ **أن لهم قدم صدق عند ربهم** ﴾ يقول أجرًا حسنًا بما قدموا . وكذا قال الضحاك ، والربيع بن أنس ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وهذا كقوله تعالى ﴿ **لينذر بأسًا شديدًا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرًا حسنا ماكثين فيه أبدًا** ﴾ .

وقال مجاهد ﴿ **أن لهم قدم صدق عند ربهم** ﴾ قال : الأعمال الصالحة ؛ صلاتهم وصومهم ، وصدقتهم ، وتسبيحهم . قال : ومحمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم شفيع[٢] لهم . وكذا قال زيد بن أسلم ومقاتل بن حيان .

وقال قتادة : سلف صدق عند ربهم .

واختار ابن جرير قول مجاهد : إنها[٣] الأعمال الصالحة التي قدموها ، [قال][٤] كما يقال : له قدم في الإِسلام ، [كقول حسان][٥]:

لنا القدم العليا(*) إليك وخَلْفُنا لأوَّلِنا في طَاعةِ اللَّه تابِعُ

وقول ذي الرمَّة :

لَكُمْ قدم لا يُنْكِرُ الناسُ أنَّها مَعَ الحَسَب العادِي طَمَّتْ علىٰ البَحْرِ

وقوله تعالىٰ : ﴿ **قال الكافرون إن هذا لسحر مبين** ﴾ أي : مع أنا بعثنا إليهم رسولًا منهم رجلًا من جنسهم بشيرًا ونذيرًا ﴿ **قال الكافرون إن هذا لسحر مبين** ﴾ أي : ظاهر

(٣) - أخرجه ابن جرير (٨٢/١١) وابن أبي حاتم (١٠١٩٦/٦) ، وابن المنذر وأبو الشيخ ، كما في « الدر المنثور » (٥٣٥/٤) .

(٤) - **إسناده ضعيف من أجل العوفي** ، وأخرجه ابن جرير (٨١/١١) .

(*) في ابن جرير : « الأوْلى » .

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ت : « يشفع » .

[٣] - في ت : « إن » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .

[٥] - في ز ، خ : « ومنه قول الحسن رحمه الله » .

وهم الكاذبون في ذلك .

إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾

يخبر تعالىٰ أنه رب العالم جميعه ، وأنه خلق السموات والأرض في ستة أيام ، قيل : كهذه الأيام ، وقيل : كل يوم كألف سنة مما تعدّون ، كما سيأتي بيانه . ﴿ **ثم استوىٰ علىٰ العرش** ﴾ والعرش أعظم المخلوقات وسقفها .

قال ابن أبي حاتم(٥) : حدثنا حجاج بن حمزة ، حدثنا أبو أسامة ، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد ، قال : سمعت سعدًا الطائي يقول : العرش : ياقوتة حمراء .

وقال وهب بن منبه : خلقه اللَّه من نوره ، وهذا غريب .

وقوله[١]: ﴿ **يدبر الأمر** ﴾ أي : يدبر أمر الخلائق ﴿ **لا يعزب عنه مثقال ذرّة في السموات ولا في الأرض** ﴾ ولا يشغله شأن عن شأن ، ولا تغلّطه المسائل ، ولا يتبرم بإلحاح الملحين ، ولا يلهيه تدبير الكبير عن الصغير في الجبال ، والبحار ، والعمران ، والقفار ﴿ **وما من دابة في الأرض إلا علىٰ اللَّه رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين** ﴾ ، ﴿ **وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين** ﴾ .

وقال الدراوردي ، عن سعد بن إسحاق بن كعب ؛ أنه قال لما[٢] نزلت هذه الآية ﴿ **إن ربكم اللَّه الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام** ﴾ . لقيهم[٣] ركب عظيم لا [يرون

---

(٥) - تفسير ابن أبي حاتم (١٠٢١٤/٦) ، وأخرجه أبو الشيخ في « العظمة » (٢١٥/٢) من طريق أبي أسامة به ، ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة في « كتاب العرش » (٤٧) من طريق أبي أسامة أيضًا عن إسماعيل بن أبي خالد قال : أخبرت أن العرش ياقوتة حمراء ، وأورده الذهبي في « العلو » (ص ٥٨) وقال : « هذا ثابت عن هذا التابعي الإمام وروى ذلك عن قتادة أيضًا » أخرجه عبد الرزاق في تفسيره - كما في « الفتح » (٤٠٥/١٣) - عن معمر عن قتادة في قوله تعالى : ﴿ **وكان عرشه على الماء** ﴾ قال : هذا بدء خلقه قبل أن يخلق السماء ، وعرشه من ياقوتة حمراء .

---

[١] - سقط من : ز . [٢] - في ت : «حين » .

[٣] - في ز ، خ : « لقي » .

إلا][١] أنهم من العرب ، فقالوا لهم : من أنتم ؟ قالوا : من الجن ، خرجنا من المدينة ، أخرجتنا هذه الآية . رواه ابن أبي حاتم(٦) .

وقوله[٢]: ﴿ **ما من شفيع إلا من بعد إذنه** ﴾ كقوله تعالىٰ : ﴿ **من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه** ﴾ ، وكقوله تعالىٰ : ﴿ **وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئًا إلا من بعد أن يأذن اللَّه لمن يشاء ويرضىٰ** ﴾ ، وقوله : ﴿ **ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ذلكم اللَّه ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون** ﴾ أي : أفردوه بالعبادة وحده لا شريك له ﴿ **أفلا تذكرون** ﴾ أي : أيها المشركون في أمركم ، تعبدون مع اللَّه إلهًا[٣] غيره وأنتم تعلمون أنه المتفرّد[٤] بالخلق ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ولئن سألتهم [من خلقهم][٥] ليقولن اللَّه** ﴾ ، وقوله[٦]: ﴿ **قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون اللَّه قل أفلا تتقون** ﴾ وكذا الآية التي قبلها والتي بعدها .

إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾

يخبر تعالىٰ أن إليه مرجع الخلائق يوم القيامة ، لا يترك منهم أحدًا حتى يعيده كما بدأه ، ثم ذكر تعالىٰ أنه كما بدأ الخلق كذلك يعيده ﴿ **وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه** ﴾ .

﴿ **ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط** ﴾ أي : بالعدل والجزاء الأوفىٰ ﴿ **والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون** ﴾ أي : بسبب كفرهم يعذبون يوم القيامة بأنواع العقاب[٧]؛ من سموم وحميم ، وظل من يحموم ﴿ **هذا فليذوقوه حميم وغساق * وآخر من شكله أزواج** ﴾ ، ﴿ **هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون * يطوفون بينها وبين حميم آن** ﴾ .

(٦) - « التفسير » لابن أبي حاتم (١٠٢٠٧/٦) .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في خ : « المنفرد » .
[٥] - في خ : « من خلق السموات والأرض » .
[٦] - بياض في : ز .
[٧] - في ت : « العذاب » .

هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾

يخبر تعالىٰ عما خلق من الآيات الدالة علىٰ كمال قدرته وعظيم سلطانه ، وأنه جعل الشعاع الصادر عن جرم الشمس ضياءً ، وجعل[١] شعاع القمر نورًا ، هذا فن وهذا فن آخر ، ففاوت بينهما لئلا يشتبها ، وجعل سلطان الشمس بالنهار ، وسلطان القمر بالليل ، وقدر القمر منازل ، فأول ما يبدو صغيرًا ، ثم يتزايد نوره وجرمه حتىٰ يستوسق ويكمل إبداره ، ثم يشرع في النقص حتىٰ يرجع إلىٰ حاله الأول في تمام شهر ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **والقمر قدَّرْنَاه منازل حتىٰ عاد كالعرجون القديم * لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون** ﴾ ، [وقوله تعالىٰ][٢]: ﴿ **والشمس والقمر حسبانًا ذلك تقدير العزيز العليم** ﴾ .

وقال[٣] في هذه الآية الكريمة : ﴿ **وقدره** ﴾ أي : القمر ﴿ **منازل لتعلموا عدد السنين والحساب** ﴾ فبالشمس تعرف الأيام ، وبسير القمر تعرف الشهور والأعوام .

﴿ **ما خلق اللَّه ذلك إلا بالحق** ﴾ أي : لم يخلقه عبثًا بل له حكمة عظيمة في ذلك ، وحجة بالغة ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلًا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا وأنكم إلينا لا ترجعون * فتعالىٰ اللَّه الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم** ﴾ .

وقوله[٤]: ﴿ **نفصل الآيات** ﴾ أي : نبين[٥] الحجج والأدلة ﴿ **لقوم يعلمون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إن في اختلاف الليل والنهار** ﴾ أي : تعاقبهما إذا جاء هذا ذهب هذا ، وإذا ذهب هذا جاء هذا لا يتأخر عنه شيئًا ، كقوله تعالى : ﴿ **يغشي الليل النهار يطلبه حثيثًا** ﴾ ، وقال : ﴿ **لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **فالق الإِصباح وجاعل الليل سكنًا والشمس والقمر حسبانًا ذلك تقدير**

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ز : « قال » .

[٣] - في ت : « وقوله » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - سقط من : ز .

العزيز العليم ﴾ .

وقوله : ﴿ **وما خلق اللَّه في السموات والأرض** ﴾ أي : من الآيات الدالة على عظمته تعالى ، كما قال : ﴿ **وكأين من آية في السموات والأرض** ...﴾ . [الآية .

وقوله : ﴿ **قل انظروا ماذا في السموات والأرض**][١] **وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون** ﴾ ، وقال : ﴿ **أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض** ﴾ ، وقال : ﴿ **إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب** ﴾ أي : العقول ، وقال هٰهنا : ﴿ **لآيات لقوم يتقون** ﴾ أي : عقاب اللَّه وسخطه وعذابه .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ ﴾

يقول تعالى مخبرًا عن حال الأشقياء ؛ الذين كفروا بلقاء اللَّه يوم القيامة ، ولا يرجون[٢] في [لقاء الله][٣] شيئا ، ورضوا بهذه الحياة الدنيا ، واطمأنت إليها أنفسهم[٤].

قال الحسن : واللَّه ما زينوها ولا رفعوها حتى رضوا بها ، وهم غافلون عن آيات اللَّه الكونية[٥] فلا يتفكرون فيها ، والشرعية[٦] فلا يأتمرون بها ، فإن[٧] مأواهم يوم معادهم النار جزاء على ما كانوا يكسبون في دنياهم من الآثام والخطايا والإجرام ، مع ما هم فيه من الكفر باللَّه ورسله واليوم الآخر .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَـٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾

وهذا إخبار عن حال السعداء الذين آمنوا باللَّه ، وصدقوا المرسلين ، وامتثلوا ما أمروا به فعملوا الصالحات ، بأنه سيهديهم بإيمانهم .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ت : « لقائه » .
[٤] - في ت : « نفوسهم » .
[٥] - في ز ، خ : « الكريمة » .
[٦] - في ز : « الشارعية » .
[٧] - في ز : « بأن » .

يحتمل أن تكون الباء هاهنا سببيةً ، فتقديره : بسبب إيمانهم في الدنيا يهديهم اللّه يوم القيامة علىٰ الصراط المستقيم[١]، حتىٰ يجوزوه ويخلصوا إلىٰ الجنة ، ويحتمل أن تكون للاستعانة ، كما قال مجاهد في قوله : ﴿ **يهديهم ربهم بإيمانهم** ﴾ قال : [يكون لهم نورًا يمشون به][٢] .

[وقال ابن جريج في الآية][٣]: يمثل له عمله في صورة حسنة وريح طيبة ، إذا قام من قبره يعارض[٤] صاحبه ويبشره[٥] بكل خير ، فيقول له : من أنت ؟ فيقول : أنا عملك . فيجعل له نورًا من بين يديه حتى يدخله الجنة ، فذلك قوله تعالىٰ : ﴿ **يهديهم ربهم بإيمانهم** ﴾ والكافر يمثل له عمله في صورة سيئة وريح منتنة ، فيلازم[٦] صاحبه ويُلَازُّه[٧] حتى يقذفه في النار . وروي نحوه عن قتادة مرسلًا ، فاللّه أعلم .

وقوله : ﴿ **دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد للّه رب العالمين** ﴾ أي : هذا حال أهل الجنة .

وقال ابن جريج : أُخبرتُ أن قوله : ﴿ **دعواهم فيها سبحانك اللهم** ﴾ [ ][٨] قال : إذا مر بهم الطير يشتهونه [قالوا : سبحانك اللهم ، وذلك دعواهم ، فيأتيهم الملك بما يشتهونه][٩]، فيسلم عليهم فيردون عليه ، فذلك قوله[١٠]: ﴿ **وتحيتهم فيها سلام** ﴾ . قال[١١]: فإذا أكلوا حمدوا اللّه ربَّهم ، فذلك قوله : ﴿ **وآخر دعواهم أن الحمد للّه ربِّ العالمين** ﴾ .

وقال مقاتل بن حيان : إذا أراد[١٢] أهل الجنة أن يدعو[١٣] بالطعام ؛ قال أحدهم ﴿ **سبحانك اللهم** ﴾ قال : فيقوم علىٰ أحدهم عشرة آلاف خادم ، مع كل خادم صحفة من ذهب فيها طعام ليس في الأخرىٰ ، قال : فيأكل منهن كلهن[١٤].

وقال سفيان الثوري : إذا أراد أحدهم أن يدعو بشيء قال : ﴿ **سبحانك اللهم** ﴾ .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٤] - في ز : « تعارض » .
[٥] - في ز : « فيبشره » .
[٦] - في ت : « فيلزم » .
[٧] - في ز ، خ : « ويُلَاده » . و«ولازة» : أي : لاصقة .
[٨] - ما بين المعكوفتين في ز : « وذلك دعواهم فيها سبحانك اللهم » .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[١٠] - سقط من : ز .
[١١] - سقط من : ز ، خ .
[١٢] - في خ : « أرادوا » .
[١٣] - في ت : يدعو أحدهم .
[١٤] - في ز : « كلهم » .

وهذه الآية فيها شبه من قوله : ﴿ **تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرًا كريمًا** ﴾ . وقوله : ﴿ **لا يسمعون فيها لغوًا ولا تأثيمًا * إلا قيلًا سلامًا سلامًا** ﴾ ، وقوله : ﴿ **سلام قولًا من رب رحيم** ﴾ ، وقوله : ﴿ **والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار** ﴾ .

وقوله[١]: ﴿ **وآخر دعواهم أن الحمد للَّه رب العالمين** ﴾ هذا فيه دلالة على أن الله تعالىٰ هو المحمود أبدًا ، المعبود على طول المدىٰ ؛ ولهذا حمد نفسه عند ابتداء خلقه واستمراره ، وفي ابتداء كتابه ، وعند ابتداء تنزيله ، حيث يقول تعالىٰ : ﴿ **الحمد للَّه الذي أنزل على عبده الكتاب** ﴾ ، [﴿ **الحمد للَّه الذي خلق السموات والأرض** ﴾][٢] إلىٰ غير ذلك من الأحوال التي يطول بسطها ، وأنه المحمود في الأول والآخر ، في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، في جميع الأحوال ؛ ولهذا جاء في الحديث : « **إن أهل الجنة يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس** »(٧) . وإنما يكون ذلك كذلك لما يرون[٣] [من تضاعف][٤] نعم اللَّه[٥] عليهم [فتكرر وتعاد][٦] وتُزاد فليس لها انقضاء ولا أمد ، فلا إله إلا هو ولا ربَّ سواه .

﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ ﴾

يخبر تعالىٰ عن حلمه[٧] ولطفه بعباده أنه لا يستجيب لهم[٨] إذا دعوا على أنفسهم أو أموالهم أو أولادهم في حال ضجرهم وغضبهم ، وأنه يعلم منهم عدم القصد إلىٰ إرادة ذلك ، فلهذا لا يستجيب لهم والحالة هذه لطفًا ورحمة ، كما يستجيب لهم إذا دعوا لأنفسهم أو لأموالهم أو لأولادهم بالخير والبركة والنماء ؛ ولهذا قال : ﴿ **ولو يعجل اللَّه للناس الشرَّ استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم** ﴾ . أي : لو استجاب لهم[٩] كلما دعوه به في ذلك لأهلكهم ، ولكن لا ينبغي الإكثار من ذلك ، كما جاء في الحديث الذي

(٧) - أخرجه مسلم ، كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : في صفات الجنة وأهلها ، وتسبيحهم فيها بكرة وعشيًا (١٨ ، ١٩) (٢٨٣٥) ، وأحمد (١٤٨١٢) (٣/٣٤٩) من حديث جابر بن عبد الله .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ز ، خ : « يريدون » .
[٤] - في خ : « من تزايد » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « وتكرر فتعاد » .
[٧] - في ز : « حكمه » .
[٨] - في ز : « منهم » .
[٩] - في ز ، خ : « منهم » .

رواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده(٨) :

حدثنا محمد بن معمر ، حدثنا يعقوب بن محمد ، حدثنا حاتم بن إسماعيل ، حدثنا يعقوب بن مجاهد أبو حَزْرَةَ ، عن عبادة بن الوليد ، حدثنا جابر قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لا تدعوا علىٰ أنفسكم ، لا تدعوا علىٰ أولادكم ، لا تدعوا علىٰ أموالكم ، لا توافقوا من اللَّه ساعة فيها إجابة فيستجيب لكم** » .

ورواه أبو داود من حديث حاتم بن إسماعيل به .

قال البزار : وتفرد به عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت الأنصاري ، لم يشاركه أحد فيه . وهذا كقوله تعالىٰ : ﴿ **ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولًا** ﴾ الآية .

وقال مجاهد في تفسير هذه الآية : ﴿ **ولو يعجل اللَّه للناس الشر استعجالهم بالخير** ﴾ الآية : هو[١] قول الإنسان لولده أو[٢] ماله إذا غضب عليه : اللهم لا تبارك فيه والعنه . فلو يعجل[٣] لهم الاستجابة في ذلك كما يستجاب لهم في الخير لأهلكهم .

وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾

يخبر تعالىٰ عن الإنسان وضجره وقلقه إذا مسه الشر[٤] ﴿ **وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض** ﴾ أي : كثير وهما في معنىٰ واحد ، وذلك لأنه إذا أصابته شدة قلق لها وجزع منها ، وأكثر الدعاء عند ذلك فدعا الله في كشفها وزوالها[٥] عنه ، في حال[٦] اضطجاعه وقعوده ، وقيامه وفي جميع أحواله ، فإذا فرج اللَّه شدته ، وكشف كربته ، أعرض ونأىٰ بجانبه ، وذهب كأنه ما كان به من ذلك[٧] شيء ﴿ **مر كأن لم يدعنا إلىٰ ضر مسه** ﴾ .

(٨) - **صحيح** وأخرجه أبو داود ، كتاب : الصلاة ، باب : النهى عن أن يدعو الإنسان على أهله وماله (١٥٣٢) وقال : هذا الحديث متصل الإسناد فإن عبادة بن الوليد بن عبادة لقى جابرًا . وأخرجه مسلم أيضًا ، كتاب : الزهد والرقائق ، باب : حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر (٧٤) (٣٠٠٦) .

[١] - في ز : « وهو » .
[٢] - في ز : « و » .
[٣] - في ز : « تعجل » .
[٤] - في خ : « الضر » .
[٥] - في ت : « ودفعها » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز : « ذاك » .

ثم ذم تعالىٰ من هذه صفته وطريقته[١] فقال : ﴿ **كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون** ﴾ فأما من رزقه الله الهداية والسداد ، والتوفيق والرشاد ، فإنه مستثنىٰ من ذلك ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات** ﴾ ، وكقول رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **عجبًا لأمر المؤمن ! لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرًا له ؛ إن أصابته ضراء صبر**[٢] **فكان خيرًا له ، وإن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن**[٣] »(٩).

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

أخبر تعالىٰ عما أحل بالقرون الماضية في تكذيبهم الرسل فيما جاءوهم به من البينات ، والحجج الواضحات ، ثم استخلف الله هؤلاء القوم من بعدهم ، وأرسل إليهم رسولًا لينظر طاعتهم له ، واتباعهم رسوله ، وفي صحيح مسلم(١٠) من حديث أبي نضرة عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها [فناظر]**(*) **ماذا تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في**[٤] **النساء** » .

وقال ابن جرير(١١) : حدثني المثنىٰ ، حدثنا زيد بن عوف ، أبو ربيعة فهد[٥]، أنبأنا حماد ، عن ثابت البناني ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ : **أن عوف بن مالك قال لأبي بكر** : رأيت فيما[٦] يرىٰ النائم : كأن سببًا دلي من السماء ، فانتشط رسول الله صلىٰ الله

(٩) - **صحيح** ، يأتي من حديث صهيب (سورة إبراهيم / آية (٥)) وفي الباب عن أنس عند أحمد (١٢١٨٠) (١١٧/٣) ، وأبي يعلى (٤٢١٧/٧) وصححه ابن حبان (٧٢٨/٢) واختاره الضياء في « المختارة » (٥١٨/١ مخطوط) وعن سعد بن أبي وقاص بإسناد صحيح عند أحمد (١٧٣/١ ، ١٧٧ ، ١٨٢) ، والنسائي في « عمل اليوم والليلة » (١٠٦٧) ، الطيالسي (٢١١) وغيرهم .

(١٠) - تقدم تخريجه [سورة الأنعام / آية ١٦٥] .

(*) في صحيح مسلم (٢٧٤٢) (٩٨) « فَيَنْظُرُ كيف تعملون وفي رواية لِيَنْظُرَ » .

(١١) - **إسناده ضعيف جدًا** ، « التفسير » لابن جرير (٩٤/١١) وزيد بن عوف هذا تركه عمرو بن =

[١] - في ز : « طريقه » .
[٢] - في ز ، خ : « فصبر » .
[٣] - في خ : « للمؤمنين » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في ز : « سهد » ، سقط من : خ .
[٦] - في ز ، خ : « فيم » .

عليه وسلم ، ثم أعيد(*) فانتشط أبو بكر ، ثم ذرع الناس حول المنبر ، ففضل عمر بثلاث أذرع إلى[١] المنبر . فقال عمر : دعنا من رؤياك ، لا أرب لنا فيها . فلما استخلف عمر قال : يا عوف رؤياك ؟ فقال: وهل لك في رؤياي من حاجة أو لم تنتهرني ؟ فقال: ويحك إني كرهت أن تنعىٰ لخليفة رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم نفسه . فقص عليه الرؤيا ، حتىٰ إذا بلغ ذرع الناس إلىٰ المنبر بهذه الثلاث الأذرع ، قال : أما إحداهن فإنه كان[٢] خليفة ، وأما الثانية فإنه لا يخاف في اللّٰه لومة لائم ، وأما الثالثة فإنه شهيد . قال : فقال : يقول اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون** ﴾ فقد استخلفت يا ابن أم عمر ، فانظر كيف تعمل ؟ وأما قوله : فإني لا أخاف في اللّٰه لومة لائم فما شاء اللّٰه ، وأما قوله : شهيد فأنّىٰ لعمر الشهادة والمسلمون مطيفون[٣] به ؟ .

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾

يخبر تعالىٰ عن تعنت الكفار من مشركي قريش الجاحدين الحق المعرضين عنه : أنهم إذا قرأ عليهم الرسول صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كتاب اللّٰه وحججه[٤] الواضحة قالوا له : ﴿ **ائت بقرآن غير هذا** ﴾ أي : رد هذا وجئنا بغيره من نمط آخر ﴿ **أو بدله** ﴾ إلىٰ وضع آخر ، قال اللّٰه تعالىٰ لنبيه صلىٰ اللّٰه عليه وآله وسلم : ﴿ **قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي** ﴾ أي : ليس هذا إلي ، إنما أنا عبد مأمور ورسول مبلغ عن اللّٰه ﴿ **إن أتبع إلا ما يوحىٰ إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم** ﴾ .

= علي الفلاس ، وسئل عنه أبو حاتم ؟ فقال : « تعرف وتنكر » وحرك يده ، وكان علي بن المديني يتكلم فيه ، « الجرح والتعديل » (٣/٥٧٠) ، وقال البخاري « سكتوا عنه » « التاريخ الكبير » (٢/١/٤٠٤) وقد رواه ابن سعد في « الطبقات » (٣/٢٥٢ - ٢٥٣) بغير هذا اللفظ وإسناده حسن .

(*) في ابن جرير : « دُلّي » .

[١] - في ت : « حول » .
[٢] - في ز : « كائن » .
[٣] - في خ : « سيطيعون » .
[٤] - في ز : « حجته » .

ثم قال محتجًا عليهم في صحة ما جاءهم به : ﴿ **قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به** ﴾ أي : هذا إنما جئتكم به عن إذن الله لي في ذلك ومشيئته وإرادته ، والدليل على أني لست أتقوَّله من عندي ولا افتريته : أنكم عاجزون عن معارضته ، وأنكم تعلمون صدقي وأمانتي منذ نشأت بينكم إلى حين بعثني الله عز وجل ، لا تنتقدون علي شيئًا تغمصوني(*) به ، ولهذا قال : ﴿ **فقد لبثت فيكم عمرًا من قبله أفلا تعقلون** ﴾ أي : أفليس لكم عقول تعرفون بها الحق من الباطل ؟ ولهذا لما سأل هرقل ملك الروم أبا[١] سفيان ومن معه فيما سأله من صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، قال [هرقل لأبي سفيان][٢]: هل كنتم تتهمونه[٣] بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال أبو سفيان : فقلت : لا . وقد[٤] كان أبو سفيان إذ ذاك رأسَ الكفرة وزعيمَ المشركين ، ومع هذا اعترف بالحق ، والفضل ما شهدت به الأعداءُ ، فقال له هرقل : فقد أعرف أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله(١٢) .

وقال جعفر بن أبي طالب للنجاشي ملك الحبشة(١٣) : بعث الله فينا رسولًا نعرف صدقه ونسبه وأمانته . وقد كانت مدة مقامه - عليه السلام - بين أظهرنا قبل النبوة أربعين سنة(١٤) ، وعن سعيد بن المسيب : ثلاثًا[٥] وأربعين سنة(١٥) ، والصحيح المشهور الأول .

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ

(*) - غمصه : احتقره وعابه .

(١٢) - تقدم تخريجه [سورة الأنعام / آية ٥٤] .

(١٣) - **إسناده حسن** ، أخرجه ابن هشام في « السيرة » (١/٢٢٢ - ٢٢٥) ، وأحمد في المسند (١/٢٠٢)، (٥/٢٩٠) من طريق محمد بن إسحاق ، حدثني محمد بن مسلم الزهري ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي عن أم سلمة ضمن حديث طويل ، وهذا إسناد حسن ، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث ، وأورده الهيثمي في « المجمع » (٦/٢٧ - ٣٠) وعزاه لأحمد وقال : « ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق ، وقد صرح بالسماع » .

(١٤) - أخرجه البخاري ، كتاب : المناقب ، باب : صفة النبي - صلى الله عليه وسلم - (٣٥٤٧) ، ومسلم ، كتاب : الفضائل ، باب : في صفة النبي ﷺ ومبعثه وسنه (١١٣) (٢٣٤٧) ، والترمذي ، كتاب : المناقب ، باب : ما جاء في مبعث النبي ﷺ وابن كم كان حين بعث (٣٦٢٧) ، والنسائي في «الكبرى» (٤/٩٣١٠) ، وأحمد (١٣٥٤٤) (٣/٢٤٠) من حديث أنس بن مالك .

(١٥) - **شاذ** ، أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٨/٤٣٧) ، والحاكم (٢/٦١٠) شاهدًا من طريقين =

[١] - في ز ، خ : « لأبي » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - في خ : « تفهمونه » .

[٤] - سقط من ت .

[٥] - في خ : « ثلاث » .

﴿ٱلْمُجْرِمُونَ ١٧﴾

يقول تعالىٰ : لا أحد أظلم ولا أعتىٰ ولا أشد إجرامًا ﴿ممن افترىٰ على الله كذبًا﴾ وتقوَّل[١] علىٰ الله ، وزعم أن الله أرسله ولم يكن كذلك ، فليس أحد أكبر جرمًا ولا أعظم ظلمًا من هذا ، ومثل هذا لا يخفىٰ أمره علىٰ الأغبياء ، فكيف يشتبه حال هذا بالأنبياء ؟ فإن من قال هذه المقالة صادقًا أو كاذبًا ، فلابد أن الله ينصب عليه من الأدلة علىٰ بره أو فجوره ما هو أظهر من الشمس ، فإن الفرق بين محمد صلىٰ الله عليه وسلم وبين مسيلمة الكذاب لمن شاهدهما أظهر من الفرق بين وقت الضحىٰ وبين وقت نصف الليل في حندس الظلماء ، فمن سيما كل منهما وأفعاله وكلامه يستدل من له بصيرة علىٰ صدق محمد صلىٰ الله عليه وسلم وكذب مسيلمة الكذاب وسجاح والأسود العنسي .

قال عبد الله بن سلام(١٦) : لما قدم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم المدينة : انجفل(*) الناس فكنت فيمن انجفل ، فلما رأيته عرفت أن وجهه ليس بوجه رجل كذاب . قال[٢] : فكان أول ما سمعته يقول : « **يا[٣] أيها الناس : أفشوا السلام ؛ وأطعموا الطعام ، [وصلوا الأرحام][٤] ، وصلّوا بالليل والناس نيامٌ ، تدخلوا الجنة بسلام** » .

ولما قدم[٥] ضمام بن ثعلبة علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في[٦] قومه بني سعد بن بكر ، قال لرسول الله فيما قال له : من رفع هذه السماء ؟ قال : « **الله** » . قال : ومن نصب هذه الجبال ؟ قال : « **الله** » . قال : ومن سطح هذه الأرض ؟ قال : « **الله** » قال : فبالذي رفع هذه السماء ، ونصب هذه الجبال ، وسطح هذه الأرض ، آلله أرسلك إلىٰ الناس

= عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب به ، وحكم عليه بالشذوذ الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٥٧٠/٦) ، وقال النووي في «شرح صحيح مسلم » (١٤٦/١٥) : «..... وهذا الذي ذكرناه أنه بعث على رأس أربعين سنة هو الصواب المشهور الذي أطبق عليه العلماء ، وحكى القاضي عياض عن ابن عباس وسعيد ابن المسيب رواية شاذة أنه - صلى الله عليه وسلم - بعث على رأس ثلاث وأربعين سنة ، والصواب أربعون .....» .

(١٦) - **صحيح** ، أخرجه الترمذي ، كتاب : صفة القيامة ، باب : « أفشوا السلام ...» (٢٤٨٧) ، وابن ماجة، كتاب : إقامة الصلاة ، باب : ما جاء في قيام الليل (١٣٣٤)، وك : الأطعمة ، باب : إطعام الطعام (٣٢٥١) ، وأحمد (٢٣٨٩٧) (٤٥١/٥) وقال الترمذي : «حديث صحيح » ، وصححه الحاكم (١٣/٣) (١٦٠/٤) ووافقه الذهبي وهو كما قالوا .

(*) - انجفل القوم : انقلعوا فمضوا .

---

[١] - في ز ، خ : « ويقول » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : « قدم وفد » .
[٦] - سقط من : ز .

كلهم ؟ قال : « **اللهم نعم** » . ثم سأله عن الصلاة والزكاة والحج والصيام ، ويحلف عند كل واحدة هذه اليمين ، ويحلف له[١] رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فقال له : صدقت ، والذي بعثك بالحق لا أزيد علىٰ ذلك ولا أنقص(١٧) .

فاكتفىٰ هذا الرجل بمجرد هذا ، وقد أيقن بصدقه - صلوات اللّٰه وسلامه عليه - بما رأىٰ وشاهد من الدلائل الدالة عليه ، كما قال حسان بن ثابت :

لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بديهته تأتيك بالخبر

وأما مسيلمة فَمَنْ شاهده من ذوي البصائر علم أمره لا محالة ، بأقواله الركيكة التي ليست بفصيحة[٢]، وأفعاله غير الحسنة بل القبيحة ، وقرآنه الذي يخلد به في النار يوم الحسرة والفضيحة ، وكم[٣] من فرق بين قوله تعالىٰ : ﴿ **اللّٰه لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم** ﴾ [إلىٰ آخرها] ، وبين عُلاك[٤] مسيلمة - قبحه اللّٰه ولعنه- : يا ضفدع بنت ضفدعين[٥]، نقي كم تنقين ، لا الماء تكدرين ، ولا الشارب تمنعين . وقوله [قبحه اللّٰه][٦]: لقد أنعم اللّٰه علىٰ الحبلىٰ ، إذ أخرج منها نسمة تسعىٰ ، من بين صفاق وحشا . وقوله خَدَّرَهُ اللّٰه في نار جهنم - وقد فعل - : الفيل وما [أدراك ما][٧] الفيل ، له زُلْقُوم[٨] طويل . وقوله أبعده اللّٰه من رحمته : والعاجنات عجنًا ، والخابزات خبزًا ، واللاقمات لقمًا ، إهالة وسمنًا ، إن قريشًا قوم يعتدون . إلىٰ غير ذلك من [الخرافات و][٩] الهذيانات[١٠] والخرافات التي يأنف الصبيان أن يتلفظوا بها إلا علىٰ وجه السخرية والاستهزاء ، ولهذا أرغم اللّٰه أنفه ، وشرب يوم حديقة الموت حتفه ، ومزق شمله ، ولعنه صحبه وأهله ، وقَدِموا علىٰ الصديق تائبين ، وجاءوا في دين اللّٰه راغبين ، فسألهم الصديق خليفة الرسول صلوات اللّٰه وسلامه عليه ورضي عنه أن يقرءوا عليه شيئًا من قرآن مسيلمة

(١٧) - أخرجه البخاري ، كتاب : العلم ، باب : ما جاء في العلم (٦٣) ، وأبو داود ، كتاب : الصلاة ، باب : ما حاء في المشرك يدخل المسجد (٤٨٦) ، والنسائي ، كتاب : الصيام ، باب : وجوب الصيام (٤/ ١٢٣) ، وابن ماجة كتاب : الصلاة ، باب : ما جاء في فرض الصلوات الخمس والمحافظة عليها (١٤٠٢)، وأحمد (١٢٧٤٢) (٣/١٦٨) من طريق شريك بن عبد الله وهو ابن أبي نمر عن أنس بن مالك به ، وأخرجه مسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : السؤال عن أركان الإسلام (١٠) (١٢) ، والبخاري معلقا - عقب =

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في خ : « بصحيحة » .
[٣] - في ز : « وهم » .
[٤] - في ز : « قول » .
[٥] - في ز : « الضفدعين » .
[٦] - في ز ، خ : « قبح وأمن »
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٨] - في ز ، خ : « زلوم » .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[١٠] - في : « الهذايانات » .

لعنه الله ، فسألوه أن يعفيهم من ذلك ، فأبىٰ عليهم إلا[١] أن يقرءوا شيئًا منه ؛ ليسمعه من لم يسمعه من الناس ، فيعرفوا فضل ما هم عليه من الهدىٰ والعلم ، فقرءوا عليه من هذا الذي ذكرناه وأشباهه ، فلما فرغوا قال لهم الصديق رضي الله عنه : ويحكم ! أين كان يذهب بعقولكم ؟ والله إن هذا لم يخرج من إلّ .

وذكروا أن وفد عمرو بن العاص علىٰ مسيلمة ، وكان صديقًا له في الجاهلية ، وكان عمرو لم يسلم بعد ، فقال له مسيلمة : ويحك يا عمرو ! وماذا أنزل علىٰ صاحبكم - يعني رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم - في هذه المدة ؟ فقال : لقد سمعت أصحابه يقرءون سورة عظيمة قصيرة . فقال : وما هي ؟ فقال : ﴿ **والعصر إن الإنسان لفي خسر** ﴾ إلىٰ آخر السورة ، ففكر مسيلمة ساعة ، ثم قال : وأنا[٢] قد أنزل عليَّ مثله . فقال : وما هو ؟ فقال : ياوبر ياوبر ، إنما أنت أذنان وصدر[٣]، وسائرك حَقْرٌ نقر . كيف ترىٰ يا عمرو ؟ فقال له عمرو : والله إنك لتعلم أني أعلم أنك لتكذب[٤](١٨).

فإذا كان هذا من مشرك في حال شركه لم يشتبه عليه[٥] حال محمد ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وصدقه ، وحال مسيلمة لعنه الله وكذبه ، فكيف بأولى البصائر والنُّهىٰ ، وأصحاب العقول السليمة المستقيمة والحجا ، ولهذا قال الله تعالىٰ : ﴿ **ومن[٦] أظلم ممن افترىٰ علىٰ الله كذبًا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله** ﴾ ، وقال في هذه الآية الكريمة : ﴿ **ومن أظلم ممن افترىٰ علىٰ الله كذبًا أو كذب بآياته إنه لايفلح المجرمون** ﴾ ، وكذلك من كذب بالحق الذي جاءت به الرسل ، وقامت عليه الحجج ، لا أحد أظلم منه كما جاء في الحديث : « **أعتىٰ الناس علىٰ الله رجل قتل نبيًا أو قتله نبي** »(١٩) .

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا

= السابق ، والترمذي ، كتاب : الزكاة ، باب : ما جاء إذا أديت الزكاة فقد قضيت ما عليك (٦١٩)، والنسائي (١٢١/٤)، وأحمد (١٢٤٧٩) (١٤٣/٣) من طريق ثابت عن أنس بنحوه .

(١٨) - الأثران أوردهما المصنف في كتاب « البداية والنهاية » (٣٥٩/٦) .

(١٩) - أخرجه أحمد (٤٠٧/١) - ومن طريقه أورده المصنف (البقرة/ آية ٦١) ، والبزار في مسنده (٥/ ١٧٢٨) من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعًا بلفظ « **أشد الناس عذابًا يوم القيامة رجل قتله نبي أو قتل نبيًا ....**» وجوّد إسناده الألباني في «الصحيحة» (٢٨١/١) .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز ، خ : « و » .
[٣] - في ز : « حلر » .
[٤] - في ت : « تكذب » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « فمن » .

﴿عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ (١٨) وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخۡتَلَفُواْۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ فِيمَا فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ (١٩)﴾

ينكر تعالىٰ علىٰ المشركين الذين عبدوا مع الله غيره ، ظانين أن تلك الآلهة تنفعهم شفاعتها عند الله ، فأخبر تعالىٰ أنها لا تضر ولا تنفع ولا تملك شيئًا ، ولا يقع شيء مما يزعمون فيها ولا يكون هذا أبدًا ، ولهذا قال تعالىٰ : **﴿ قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض ﴾** .

وقال ابن جرير : معناه[١] أتخبرون الله بما لا يكون في السموات ولا في الأرض ؟

ثم نزه نفسه [ ][٢] عن شركهم وكفرهم فقال : **﴿ سبحانه وتعالىٰ عما يشركون ﴾** .

ثم أخبر تعالىٰ أن هذا الشرك حادث في الناس ، كائن بعد أن لم يكن ، وأن الناس كلهم كانوا علىٰ دين واحد وهو الإسلام ، قال ابن عباس(٢٠) : كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم علىٰ الإسلام ، ثم وقع الاختلاف بين الناس ، وعبدت الأصنام والأنداد والأوثان ، فبعث الله الرسل بآياته وبيناته ، وحججه البالغة وبراهينه الدامغة **﴿ ليهلك من هلك عن بينة ويحيىٰ من حي عن بينة ﴾** .

وقوله : **﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون ﴾** ، أي : لولا ما تقدم من الله تعالىٰ أنه لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه ، وأنه قد أجل الخلق إلىٰ

(*) في تفسيره (٩٨/١١) .

(٢٠) - ذكره الهيثمي في « المجمع » (٣٢١/٦ - ٣٢٢) بلفظ « كان بين آدم ونوح .... كلهم على شريعة من الحق ...» ، وقال : « رواه البزار وفيه عبد الصمد بن النعمان وثقه ابن معين وقال غيره : ليس بالقوى » ، وأخرجه الحاكم (٤٤٢/٢) من طريق آخر ، وقال : « حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا ، ويذكره المصنف أيضًا برقم (٨٤) ، وباللفظ الذي أورده المصنف ، أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (٤٤/١) بإسناد حسن عن عكرمة من قوله ، وقد صح مرفوعًا من حديث أبي أمامة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - سُئل : كم كان بين آدم ونوح ؟ فقال : « **عشرة قرون** » أخرجه الطبراني في « الكبير » (٧٥٤٥/٨) ، وفي « الأوسط » (٤٠٣/١) ، وصححه ابن حبان (٦١٩٠/١٤) ، والحاكم (٢٦٢/٢) على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي وذكره المصنف في « البداية والنهاية » (٩٤/١) وقال : هذا على شرط مسلم ولم يخرجه .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ت : « الكريمة » .

أجل معدود ، لقضىٰ[١] بينهم فيما اختلفوا فيه فأسعد المؤمنين وأعنت[٢] الكافرين .

﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ۝٢٠ ﴾

أي : ويقول هؤلاء الكفرة الملحدون[٣] المكذبون المعاندون : لولا أنزل[٤] علىٰ محمد آية من ربه ، يعنون كما أعطىٰ اللّٰه ثمود الناقة ، أو أن يحول لهم الصفا ذهبًا ، أو[٥] يزيح عنهم جبال مكة ويجعل مكانها بساتين وأنهارًا ، أو نحو ذلك مما اللّٰه عليه قادر ، ولكنه حكيم في أفعاله وأقواله ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرًا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورًا * بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرًا** ﴾ ، وكقوله[٦]: ﴿ **وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا** ﴾ .

يقول تعالىٰ إن سنتي في خلقى أني إذا آتيتهم ما سألوا ؛ فإن آمنوا وإلا عاجلتهم بالعقوبة ، ولهذا لما خُيِّر رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بين أن يعطى ما سألوا فإن أجابوا[٧] وإلا عوجلوا[٨]، وبين [أن يتركهم وينظرهم][٩] - اختار إنظارهم ، كما حلم عنهم غير مرة رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه تعالىٰ عليه وآله وسلم ، ولهذا قال تعالى إرشادًا لنبيه صلىٰ اللّٰه تعالىٰ عليه وآله وسلم إلىٰ الجواب لهم[١٠] عما سألوا : ﴿ **فقل إنما الغيب لله** ﴾ أي : الأمر كله للّٰه ، وهو يعلم العواقب في الأمور ﴿ **فانتظروا إني معكم من المنتظرين** ﴾ أي : إن كنتم لا تؤمنون حتىٰ تشاهدوا ما سألتم ، فانتظروا حكم اللّٰه في وفيكم .

هذا مع أنهم قد شاهدوا من معجزاته[١١] صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أعظم مما سألوا ، حين أشار بحضرتهم إلىٰ القمر ليلة إبدراه فانشق باثنتين[١٢] فرقة من وراء الجبل وفرقة من

(٢١) - أخرج البخاري ، كتاب : المناقب ، باب : سؤال المشركين أن يُريهم النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - آية ... (٣٦٣٦) ، ومسلم ، كتاب : صفات المنافقين وأحكامهم، باب : انشقاق القمر (٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥) (٢٨٠٠) ، وغيرهما من حديث ابن مسعود قال : « انشق القمر على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم =

[١] - في ز ، خ : « ليقضي » .
[٢] - في ز : « أعتب » .
[٣] - سقط من ت .
[٤] - في ت : « أنزل الله » .
[٥] - في ز : « و » .
[٦] - في ز : « قال تعالى » .
[٧] - في ت : « آمنوا » .
[٨] - في ت : « عذبوا » .
[٩] - ما بين المعكوفتين في ت : «انظارهم » ؟
[١٠] - في ز ، خ : « لهم عما » .
[١١] - في ت : « آياته » .
[١٢] - في ت : « اثنتين » .

دونه(٢١) ، وهذا أعظم من سائر الآيات الأرضية مما سألوا ومالم يسألوا ، ولو علم الله منهم أنهم سألوا ذلك استرشادًا وتثبتًا لأجابهم ، ولكن علم أنهم إنما يسألون عنادًا وتعنتًا فتركهم فيما رابهم ، [وعلم أنهم لا][١] يؤمن منهم أحد[٢]، كقوله تعالىٰ : ﴿ **إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم** ﴾ . وقوله تعالىٰ : ﴿ **ولو أننا نزلنا[٣] إليهم الملائكة وكلمهم الموتىٰ وحشرنا عليهم كل شيء قبلًا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون** ﴾ . ولما[٤] فيهم من المكابرة كقوله تعالىٰ : ﴿ **ولو فتحنا عليهم بابًا من السماء فظلوا فيه يعرجون وقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون** ﴾ . وقوله تعالىٰ : ﴿ **وإن يروا كِسْفًا من السماء ساقطًا يقولوا سحاب مركوم** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **ولو نزلنا عليك كتابًا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إنْ هذا إلا سحر مبين** ﴾ . فمثل هؤلاء أقل من أن يجابوا إلىٰ ما سألوا ؛ لأنه لا فائدة في [جواب هؤلاء][٥]؛ لأنه دائر علىٰ تعنتهم وعنادهم لكثرة فجورهم وفسادهم ؛ ولهذا قال : ﴿ **فانتظروا إني معكم من المنتظرين** ﴾ .

وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾

= شقتين ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « **اشهدوا** » .

[١] - في ز ، خ : « ولكن من لم » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « أنزلنا » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين في م : « جوابهم » .

يخبر تعالىٰ أنه إذا أذاق الناس رحمة من بعد ضراء مستهم ، كالرخاء بعد الشدة ، والخصب بعد الجدب ، والمطر بعد القحط ونحو ذلك ﴿ **إذا لهم مكر في آياتنا** ﴾ .

قال مجاهد : استهزاء وتكذيب . كقوله : ﴿ **وإذا مس الإنسان الضر[١] دعانا لجنبه أو قاعدًا أو قائمًا فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه** ﴾ . وفي الصحيح(٢٢) أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم صلَّىٰ بهم الصبح علىٰ إثر سماء [كانت من الليل أي : مطر][٢]، ثم قال : « **هل تدرون ماذا قال ربكم الليلة ؟** » قالوا[٣]: اللَّه ورسوله أعلم . قال : « **قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال : مطرنا بفضل اللَّه ورحمته فذاك مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذاك كافر بي مؤمن بالكوكب** » .

وقوله : ﴿ **قل اللَّه أسرع مكرًا** ﴾ أي : أشد استدراجًا وإمهالًا ، حتىٰ يظن الظان من المجرمين أنه [ليس بمعذب][٤] وإنما هو في مهلة ، ثم يؤخذ علىٰ غرة منه ، والكاتبون الكرام يكتبون عليه جميع ما يفعله ويحصونه[٥] عليه، ثم يعرضونه علىٰ عالم الغيب والشهادة ، فيجازيه علىٰ الجليل والحقير والنقير والقطمير .

ثم أخبر تعالىٰ أنه ﴿ **هو[٦] الذي يسيركم في البر والبحر** ﴾ أي : يحيطكم[٧] ويكلؤكم بحراسته ﴿ **حتىٰ إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها** ﴾ أي : بسرعة سيرهم رافقين[٨]، فبينما هم كذلك إذ ﴿ **جاءتها** ﴾ أي : تلك السفن ﴿ **ريح عاصف** ﴾ أي : شديدة ﴿ **وجاءهم الموج من كل مكان** ﴾ أي : اغتلم البحر عليهم ﴿ **وظنوا أنهم أحيط بهم** ﴾ أي : هلكوا ﴿ **دعوا اللَّه مخلصين له الدين** ﴾ أي[٩] : لا يدعون معه صنمًا ولا وثنًا ، بل[١٠] يفردونه بالدعاء والابتهال ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **وإذا**

---

(٢٢) - أخرجه البخاري ، كتاب : الأذان ، باب : يستقبلُ الإمام الناسَ إذا سلم (٨٤٦) ، ومسلم ، كتاب : الإيمان باب : بيان كفر من قال : مطرنا بالنوء (١٢٥) (٧١) ، وأبو داود ، كتاب : الطب ، باب : في النجوم (٣٩٠٦) ، والنسائي ، كتاب : الاستسقاء ، باب : كراهية الاستمطار بالكوكب (٣/١٦٤ - ١٦٥) ، وأحمد (٤/١١٥) من حديث زيد بن خالد الجهني .

---

[١] - في ز : « ضر » .
[٢] - في ز : « مطر أصابهم من الليل » .
[٣] - في ز ، خ : « قلنا » .
[٤] - في ز ، خ : « يعذب » .
[٥] - بعده في ت : عليه .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ت : « يحفظكم » .
[٨] - في ز ، خ : « واقفين » .
[٩] - سقط من : ز ، خ .
[١٠] - سقط من : خ .

مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلىٰ البر أعرضتم وكان الإنسان كفورًا ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ **دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه** ﴾ أي : هذه الحال ﴿ **لنكونن من الشاكرين** ﴾ أي : لا نشرك بك أحدًا ، ولنفردنك بالعبادة هناك ، كما أفردناك بالدعاء هاهنا ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **فلما أنجاهم** ﴾ أي : من تلك الورطة ﴿ **إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق** ﴾ أي : كأن لم يكن من ذاك شيء ﴿ **كأن لم يدعنا إلىٰ ضر مسه** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الناس إنما بغيكم علىٰ أنفسكم** ﴾ أي : إنما يذوق وبال هذا البغي أنتم أنفسكم ، ولا تضرون به أحدًا غيركم ، كما جاء في الحديث(٢٣) : « **ما من ذنب أجدر أن يعجل الله عقوبته في الدنيا - مع ما يدخر الله لصاحبه في الآخرة - من البغي وقطيعة الرحم** » .

وقوله : ﴿ **متاع الحياة الدنيا** ﴾ [أي : إنما لكم متاع في الحياة الدنيا الدنيئة][١] الحقيرة ﴿ **ثم إلينا مرجعكم** ﴾ أي : مصيركم ومآلكم[٢] ﴿ **فننبئكم** ﴾ أي : فنخبركم بجميع أعمالكم ونوفيكم إياها ، فمن وجد خيرًا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه .

إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾

ضرب تعالىٰ مثلا لزهرة الحياة الدنيا وزينتها ، وسرعة انقضائها وزوالها ، بالنبات الذي[٣] أخرجه الله من الأرض بما[٤] أنزل من السماء من الماء ، مما يأكل الناس من زروع[٥] وثمار

(٢٣) - **صحيح** ، أخرجه أبو داود ، كتاب : الأدب ، باب : في النهي عن البغي (٤٩٠٢) ، والترمذي ، كتاب : صفة القيامة ، باب : « انظروا إلى من هو أسفل منكم » (٢٥١٣) ، وابن ماجة ، كتاب : الزهد =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز : « ما بكم » .
[٣] - في ز : « التي » .
[٤] - في ت : « بماء » .
[٥] - في ز : « زرع » .

علىٰ اختلاف أنواعها وأصنافها ، وما تأكل الأنعام من أب وقضب وغير ذلك ﴿ **حتىٰ إذا أخذت الأرض زخرفها** ﴾ أي : زينتها الفانية ﴿ **وازينت** ﴾ أي : حسنت بما خرج من[١] رباها من زهور نضرة مختلفة الأشكال والألوان ﴿ **وظن أهلها** ﴾ الذين زرعوها وغرسوها ﴿ **أنهم قادرون عليها** ﴾ أي : علىٰ جذاذها وحصادها ، [فبينما هم][٢] كذلك إذ جاءتها صاعقة[٣] أو ريح شديدة[٤] باردة ، فأيبست أوراقها[٥] وأتلفت ثمارها ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **أتاها أمرنا ليلًا أو نهارًا فجعلناها حصيدًا** ﴾ أي : يبسًا بعد الخضرة والنضارة ﴿ **كأن لم تغن بالأمس** ﴾ أي : كأنها ما كانت حسناء قبل ذلك .

وقال قتادة : ﴿ **كأن لم تغن** ﴾ كأن لم تنعم .

وهكذا الأمور بعد زوالها كأنها لم تكن ؛ ولهذا جاء في الحديث(٢٤)[٦] « **يؤتىٰ بأنعم أهل الدنيا فيغمس في النار غمسة ، فيقال[٧] له : هل رأيت خيرًا قط ؟ [هل مر بك نعيم قط ؟][٨] فيقول : لا . [ويؤتي بأشد الناس عذابًا في الدنيا فيغمس في النعيم غمسة ، ثم يقال له : هل رأيت بؤسًا قط ؟ فيقول : لا][٩]**.

وقال تعالىٰ إخبارًا عن المهلكين : ﴿ **فأصبحوا في دارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **كذلك نفصل الآيات** ﴾ أي : نبين الحجج والأدلة ﴿ **لقوم يتفكرون** ﴾ فيعتبرون بهذا المثل في زوال الدنيا عن[١٠] أهلها سريعًا ، مع اغترارهم[١١] بها وتمكنهم وثقتهم[١٢] بمواعيدها [وتفلتها عنهم][١٣]، فإن من طبعها الهرب ممن طلبها ،

= باب : البغي ، وأحمد (٢٠٤٢٦) (٣٦/٥) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٣٩) وغيرهم من حديث أبي بكرة ، وقال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح»، وصححه ابن حبان (٤٥٥/٢ ، ٤٥٦) ، والحاكم (٣٥٦/٢) ، (١٦٣/٤) ووافقه الذهبي وهو كما قالوا .

(٢٤) - أخرجه مسلم ، كتاب : صفات المنافقين وأحكامهم ، (٥٥) (٢٨٠٧) ، وأحمد (١٣١٣٥ ، ١٣٦٨٦) (٢٠٣/٣ ، ٢٥٣) من حديث ثابت البناني عن أنس فذكر الحديث ، وقد أورده المصنف هنا بمعناه ، وأخرجه أيضًا ابن ماجة ، كتاب : الزهد ، باب : صفة النار (٤٣٢١) من طريق حميد عن =

[١] - في ت : « في » .
[٢] - في خ : « فبينما هم » .
[٣] - في خ : « عاصفة » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز ، خ : « أرزاقها » .
[٦] - في ت : « الحديث » .
[٧] - في ز : « ثم يقال » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[١٠] - في ت : « من » .
[١١] - في ز : « إعزازهم » .
[١٢] - سقط من : ز .
[١٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « نقلتها منهم » .

والطلب لمن هرب منها ، وقد ضرب اللَّه مثل الحياة[١] الدنيا بنبات الأرض في غير ما آية من كتابه العزيز ؛ فقال في سورة الكهف : ﴿ **واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيمًا تذروه الرياح وكان اللَّه علىٰ كل شيء مقتدرًا** ﴾ . وكذا في سورة الزمر والحديد ، يضرب اللَّه[٢] بذلك مثل الحياة الدنيا كماء .

و[٣] قال ابن جرير(٢٥) : حدثني الحارث ، حدثنا[٤] عبد العزيز ، حدثنا ابن عيينة ، عن عمرو[٥] بن دينار ، عن عبد الرحمن بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ؛ قال : سمعت مروان - يعني ابن الحكم - يقرأ[٦] علىٰ المنبر (وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها وما كان اللَّه ليهلكها[٧] إلا بذنوب أهلها) قال : قد قرأتها وليست في المصحف . فقال عباس [بن عبد اللَّه][٨] بن عباس : هكذا يقرؤها ابن عباس . فأرسلوا إلىٰ ابن عباس ، فقال : هكذا أقرأني أبي بن كعب .

وهذه قراءة غريبة ، وكأنها زيادة[٩] للتفسير .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **واللَّه يدعو إلىٰ دار السلام** ﴾ . [الآية . لما ذكر تعالىٰ الدنيا وسرعة زوالها ، رغب في الجنة ودعا إليها وسماها دار السلام][١٠]، أي : من الآفات والنقائص والنكبات ، فقال : ﴿ **واللَّه يدعو إلىٰ دار السلام ويهدي من يشاء إلىٰ صراط مستقيم** ﴾ .

قال أيوب(٢٦) ، عن أبي قلابة ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **قيل لي : لتنم عينك ، وليعقل قلبك ، ولتسمع أذنك ، فنامت عيني ، وعقل[١١] قلبي ، وسمعت**

= أنس ، وفي إسناده محمد بن إسحاق وهو مدلس وقد عنعنه .

(٢٥) - **إسناد ضعيف جدًا** ، وهو في « التفسير » لابن جرير (١٠٢/١١ - ١٠٣) ، وعبد العزيز هذا هو ابن أبان الأموي ، متروك وكذبه ابن معين وغيره ، وعبد الرحمن بن أبي بكر بن عبد الرحمن هذا لم أقف علىٰ ترجمة له فيما بين يدي من الكتب والله أعلم .

(٢٦) - **مرسل** ، أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٠٣/١١) هكذا كما أورده « المصنف » عن أبي قلابة مرسلًا ، وقد وصله الدارمي في سننه (١١) ، والطبراني في « الكبير » (٤٥٩٧/٥) من طريق ريحان بن سعيد عن عباد بن منصور عن أيوب - أقحم هنا عند الدارمي أبو سلامة - عن أبي قلابة عن عطية أنه =

[١] - سقط من : ت .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ت .
[٤] - في ز ، خ : « بن » .
[٥] - في ز ، خ : « عبد » .
[٦] - في ز ، خ : « يقول » .
[٧] - في ز : « ليهلكهم » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٩] - في ت : « زيدت » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[١١] - في خ : « وسمع » .

أذني ، ثم قيل [لي : مثلي ومثل ما جئت كمثل][١] سيد بنىٰ دارًا ، ثم صنع مأدبة وأرسل داعيًا ، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ورضي عنه السيد ، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة ولم يرض عنه السيد وفالله السيد ، والدار الإِسلام ، والمأدبة الجنة ، والداعي محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم » .

وهذا حديث مرسل ، وقد جاء متصلًا من حديث الليث ، عن خالد بن يزيد[٢]، عن سعيد ابن أبي هلال ، عن جابر بن عبد اللَّه - رضي اللَّه عنه - قال : خرج علينا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يومًا ، فقال : « **إني رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي ، وميكائيل عند رجلي ، يقول أحدهما لصاحبه : اضرب له مثلًا . فقال : اسمع سمعت أذنك ، واعقل عقل قلبك ، إنما مثلك ومثل أمتك كمثل ملك اتخذ دارًا ، ثم بنىٰ فيها بيتًا ، ثم جعل فيها مأدبة ، ثم بعث رسولًا يدعو الناس إلىٰ طعامه ، فمنهم من أجاب الرسول ، ومنهم من تركه ، فاللَّه الملك ، والدار الإِسلام ، والبيت الجنة ، وأنت يا محمد الرسول ، فمن أجابك دخل الإِسلام ، ومن دخل الإِسلام دخل الجنة ، ومن دخل الجنة أكل منها** » . رواه ابن جرير(٢٧) .

وقال قتادة : حدثني خليد العصري ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **ما من يوم طلعت فيه شمسه إلا وبجنبتيها[٣] ملكان يناديان[٤]، يسمعهما خلق اللَّه كلهم إلا الثقلين : يا أيها الناس ؛ هلموا إلىٰ ربكم ، إن ما قل وكفىٰ خير مما كثر**

= سمع ربيعة الجرشي فذكره ، وحسن إسناده الهيثمي في « المجمع » (٢٦٣/٨) وجوَّده الحافظ ابن حجر في « الفتح » (٢٥٦/١٣) ، وربيعة الجرشي ، مختلف في صحبته ، وريحان وعباد فيهما كلام ، وانظر ما بعده .

(٢٧) - **إسناده فيه انقطاع** ، ابن جرير في تفسيره (١٠٤/١١) ، وأخرجه الترمذي ، كتاب : الأمثال ، باب : ما جاء في مثل الله لعباده (٢٨٦٤) ، والبخاري في « الصحيح » معلقًا - بالسند دون اللفظ - عقب حديث رقم (٧٢٨١) ، والإسماعيلي وأبو نعيم - كما في « الفتح » (٢٥٦/١٣) من طريق قتيبة ، حدثنا الليث به ، وقال الترمذي « هذا حديث مرسل ، سعيد بن أبي هلال لم يدرك جابر بن عبد الله » ، قلت : وقد وصله الحاكم في « المستدرك » (٣٣٨/٢ - ٣٣٩) وعنه البيهقي في « الدلائل » (٣٧٠/١) من طريق عبد الله بن صالح حدثني الليث حدثني خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال ، قال : سمعت أبا جعفر محمد بن علي بن الحسين وتلا هذه الآية : ﴿ **والله يدعو إلى دار السلام ...** ﴾ فقال : حدثني جابر ابن عبد الله ... فذكر الحديث وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي ، وعبد الله بن صالح ، فيه ضعف من قبل حفظه ، لكن قال الترمذي: « وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - بإسناد أصح من هذا » قلت : وهو ما أخرجه البخاري ، كتاب : الاعتصام بالكتاب والسنة ، ب : الاقتداء بسنن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (٧٢٨١) ثنا محمد بن عبادة نا يزيد =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز ، خ : « سويد » .
[٣] - في ز : « وبجنبيها » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .

وألهىٰ » . قال : وأنزل [ ][١] ذلك في القرآن ، في قوله : « يا أيها الناس هلموا إلىٰ ربكم ﴿ والله يدعو إلىٰ دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ . رواه ابن أبي حاتم وابن جرير(٢٨) .

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٦) ﴾

يخبر تعالىٰ أن لمن أحسن العمل في الدنيا بالإيمان والعمل الصالح [أن له][٢] الحسنىٰ في الدار الآخرة ، كقوله تعالىٰ : ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ .

وقوله : ﴿ وزيادة ﴾ يشمل[٣] تضعيف ثواب الأعمال بالحسنة عشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف وزيادة علىٰ ذلك أيضًا[٤]، ويشمل ما يعطيهم الله في الجنان من القصور والحور والرضا عنهم ، وما أخفاه لهم من قرّة أعين ، وأفضل من[٥] ذلك وأعلاه النظر إلىٰ وجهه[٦] الكريم ، فإنه زيادة أعظم من جميع ما أعطوه ، لا يستحقونها بعملهم بل بفضله ورحمته[٧]، وقد رُوِيَ[٨] تفسير الزيادة بالنظر إلىٰ وجهه[٩] الكريم عن أبي بكر الصديق(٢٩) ، وحذيفة بن

= ثنا سليم بن حيان – وأثنى عليه – ثنا سعيد بن ميناء ثنا أو سمعت جابر بن عبد الله يقول ، فذكر الحديث بلفظ مقارب من هذا .

(٢٨) – **صحيح** ، أخرجه ابن جرير (١٠٤/١١) ومختصرًا (٢٢١/٣٠) وابن أبي حاتم (١٠٣٢٦/٦) ، وكذا عزاه الحافظ في «الفتح» (٣٠٤/٣) إلى ابن أبي حاتم ، وأخرجه البيهقي في « الشعب » (٣٤١٢/٣) من طريق عباد بن راشد عن قتادة به ، وأخرجه مختصرًا الطيالسي (٩٧٩) ، وأحمد (٢١٨١٢) (٥/ ١٩٧) ، والطبراني في « الأوسط » (٢٨٩١/٣) ، وفي « الكبير » – كما في « مجمع الزوائد » (١٠/ ٢٥٨) – وأبو نعيم في « الحلية » (٢٢٦/١) ، (٢٣٢/٢) ، (٦٠/٩) ، والقضاعي في « مسند الشهاب » (٨١٠/٢) ، والبغوي في « شرح السنة » (٤٠٤٥/١٤) وصححه ابن حبان (٦٨٦/٢) ، (٣٣٢٩/٨) ، والحاكم (٤٤٤/٢ – ٤٤٥) ووافقه الذهبي ، وهو كما قالوا . وكذا صححه على شرط مسلم الألباني في « الصحيحة » (٤٤٣/١) .

(٢٩) – **صحيح موقوف** ، أخرجه ابن جرير (١٠٤/١١) ، وهناد في « الزهد » (١٧٠) ، وعبد الله بن أحمد في « السنة » (٤٧١) ، والآجري في « الشريعة » (٦٣٠ ، ٦٣٢) ، وابن منده في « الرد على الجهمية » (٨٤) ، والدارقطني في « الرؤية » (١٩٢ : ٢٠١) وغيرهم ، وصححه الألباني في « ظلال الجنة » (٤٧٤) مستشهدًا له بحديث صهيب الآتي برقم (٣٢) .

---

[١] – في ز : « في ذلك القرآن » .
[٢] – ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٣] – في ز : « يشمل » .
[٤] – سقط من : ز .
[٥] – سقط من : ز .
[٦] – في ز : « وجه الله » .
[٧] – في ز : « برحمته » .
[٨] – في ز ، خ : « رُوِيَ فى » .
[٩] – في ز : « وجه الله » .

اليمان(٣٠) ، وعبد الله بن عباس(٣١) ، وسعيد بن المسيب ، وعبد الرحمن بن أبي ليلىٰ ، وعبد الرحمن بن سابط ، ومجاهد ، وعكرمة ، وعامر بن سعد ، وعطاء ، والضحاك ، والحسن ، وقتادة ، والسدي ، ومحمد بن إسحاق ، وغيرهم من السلف والخلف .

وقد وردت فيه[١] أحاديث كثيرة عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم .

فمن ذلك ما رواه الإمام أحمد(٣٢) : حدثنا عفان ، أخبرنا حماد بن سلمة ، عن ثابت البناني ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ ، عن صهيب - رضي الله عنه - : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم تلا هذه الآية ﴿ للذين أحسنوا الحسنىٰ وزيادة ﴾ وقال : « **إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، نادىٰ مناد : يا أهل الجنة ؛ إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه . فيقولون : وما هو ؟ ألم يثقل موازيننا ؟ ألم[٢] يبيض وجوهنا ، ويدخلنا الجنة ، ويزحزحنا من النار ؟ قال : فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه ، فوالله ما أعطاهم الله شيئًا أحب إليهم من النظر إليه ، ولا أقر لأعينهم** » .

وهكذا رواه مسلم وجماعة من الأئمة من حديث حماد بن سلمة به .

وقال ابن جرير(٣٣) : أخبرنا يونس ، قال[٣]: أخبرنا ابن وهب ، قال[٤]: أخبرني شبيب ، عن أبان عن أبي تميمة الهجيمي ، أنه سمع أبا موسىٰ الأشعري يحدّث ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن الله يبعث يوم القيامة مناديًا ينادي : يا أهل الجنة - بصوت**

(٣٠) - **صحيح موقوف** ، أخرجه ابن جرير (١١/١٠٥) ، وهناد في « الزهد » (١٧٠) ، وعبد الله بن أحمد في « السنة » (٤٧٣) ، والدارقطني في « الرؤية » (٢٠٢ ، ٢٠٦) وغيرهم .

(٣١) - أخرجه ابن جرير (١١/١٠٨) ، وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي - كما في « الدر المنثور » (٣/ ٥٤٨) .

(٣٢) - **صحيح** « المسند » (١٨٩٩٤) (٤/٣٣٣) ، وأخرجه أيضًا (١٨٩٨٨ ، ١٨٩٨٩) (٤/٣٣٢) (٢٤٠٣٠) (٦/١٥) ، ومسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى (٢٩٧ ، ٢٩٨) (١٨١) ، والترمذي ، كتاب : صفة الجنة ، باب : ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى (٢٥٥٥) ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة يونس (٣١٠٤) ، والنسائي في « الكبرى » كتاب : النعوت (٤/٧٧٦٦) ، وفي « التفسير » (٦/١١٢٣٤) ، وابن ماجة في المقدمة ، باب : فيما أنكرت الجهمية (١٨٧) من طرق عن حماد بن سلمة به .

(٣٣) - **إسناده ضعيف جدًا، ابن جرير في تفسيره** (١١/١٠٥) وأبان هو ابن أبي عياش متروك الحديث ، ومن طريقه أخرجه الدارقطني في « الرؤية » (٤٣) ، واللالكائي في « شرح أصول الاعتقاد» (٣/٧٨٢) ، وله طريق آخر عن أبي تميمة الهجيمي عن أبي موسى الأشعري به موقوفًا - وهو الآتي .

[١] - في ز : « في ذلك » .
[٢] - في ز ، خ : « و » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .

يُسْمِعُ أَوَّلَهُمْ وآخِرَهُم – إن اللّٰه وعدكم الحسنىٰ وزيادة ، فالحسنىٰ[١] الجنة ، والزيادة[٢] النظر إلىٰ وجه الرحمن عز وجل » .

رواه أيضًا ابن أبي حاتم(٣٤) من حديث أبي بكر الهذلي ، عن أبي تميمة الهجيمي به .

وقال ابن جرير أيضًا(٣٥) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا إبراهيم بن المختار ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن كعب بن عجرة ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في قوله : **﴿ للذين أحسنوا الحسنىٰ وزيادة ﴾** قال : « **[الزيادة](*) النظر إلىٰ وجه الرحمن عز وجل** » .

وقال أيضًا(٣٦) : حدثنا ابن عبد الرحيم ، حدثنا عمرو بن أبي سلمة ، سمعت زهيرًا ، عمن سمع أبا العالية ، حدثنا أبي بن كعب ؛ أنه سأل رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم عن قول اللّٰه عز وجل : **﴿ للذين أحسنوا الحسنىٰ وزيادة ﴾** قال : « **الحسنىٰ الجنة ، والزيادة النظر إلىٰ وجه اللّٰه عز وجل** » .

ورواه ابن أبي حاتم أيضًا من حديث زهير به .

---

(٣٤) – **كسابقه** ، (١٠٣٤١/٦) والهذلي أخباري تالف تركوا حديثه ، ومن طريقه أخرجه ابن المبارك في « الزهد » (٤١٩ – زوائد نعيم بن حماد) ، ومن طريق ابن المبارك أخرجه ابن جرير (١٠٥/١١) ، والدارقطني في « الرؤية » (٤٦) ، والبيهقي في « البعث والنشور » (٤٤٧) ، ومن طريق أخرى عن الهذلي أخرجه هناد في « الزهد » (١٦٩/١) ، وابن خزيمة في « التوحيد » (ص ١٨٤) ، وابن جرير والدارقطني (٤٤ ، ٤٥) ، واللالكائي في « شرح أصول الاعتقاد » (٧٨٥ ، ٧٨٦) .

(٣٥) – **إسناده ضعيف** ، تفسير ابن جرير (١٠٧/١١) ومن طريق ابن حميد أخرجه عبد الله بن أحمد في « السنة » (٤٨٤) ، واللالكائي في « شرح أصول الاعتقاد » (٧٨١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٠٤) ، وابن حميد – وهو محمد بن حميد الرازي – حافظ ضعيف وكان ابن معين حسن الرأى فيه ، وشيخه إبراهيم بن المختار ، قال ابن معين : ليس بذلك ، وقال البخاري : فيه نظر ، وقال أبو داود لا بأس به وقال ابن حبان في « الثقات » (٦٠/٨) : « يتقى حديثه من رواية ابن حميد عنه » وعطاء وهو الخراساني روايته عن كعب بن عجرة مرسلة ، والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٥٤٧/٣) إلى ابن مردويه ، والبيهقي في « كتاب الرؤية » .

(*) ما بين المعكوفتين زيادة من ابن جرير .

(٣٦) – **إسناده فيه جهالة** ، تفسير ابن جرير (١٠٧/١١) ، وأخرجه اللالكائي في « شرح أصول الاعتقاد » (٧٨٠/٣) من طريق الوليد بن مسلم ثنا زهير بن محمد به ، وإسناده ضعيف لجهالة الراوي عن أبي العالية ، وأخرجه الدارقطني في « الرؤية » (١٨٣) ، واللالكائي (٨٤٩) من طريقين عن قحطبة بن غدانة – تصحف عند الدارقطني إلى عبدانة – ثنا أبو خلدة عن أبي العالية فذكره ، وأبو خَلْدة وهو خالد بن دينار التميمي صدوق ، لكن الإسناد إلى قحطبة – عند كليهما – فيه ضعف أو جهالة .

---

[١] – في ز : « الحسنىٰ » . [٢] – في ز ، خ : « وزيادة » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ ولا يرهق وجوههم قتر ﴾ أي : قتام[١] وسواد في عرصات المحشر ، كما يعتري وجوه الكفرة الفجرة من القترة والغبرة ﴿ ولا ذلة ﴾ أي[٢] : هوان وصغار ، أي : لا يحصل لهم إهانة في الباطن ولا في[٣] الظاهر ، بل هم كما قال تعالىٰ في حقهم : ﴿ فوقاهم اللّه شر ذلك اليوم ولقّاهم نضرة وسرورًا ﴾ أي : نضرة في وجوههم وسرورًا في قلوبهم ، جعلنا اللّه منهم بفضله ورحمته آمين !

وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾

لما أخبر تعالىٰ عن حال السعداء الذين يضاعف لهم الحسنات ، ويزدادون علىٰ ذلك ، عطف بذكر حال الأشقياء ، فذكر تعالىٰ عدله فيهم ، وأنه يجازيهم علىٰ السيئة بمثلها لا يزيدهم علىٰ ذلك ﴿ وترهقهم ﴾ أي : تعتريهم وتعلوهم ذلة من معاصيهم وخوفهم منها ، كما قال : ﴿ وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ ولا تحسبن اللّه غافلًا عما يعمل الظالمون * إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار * مهطعين مقنعي رءوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب ﴾ . وقوله : و ﴿ ما لهم من اللّه من عاصم ﴾ أي : مانعٍ ولا واقٍ يقيهم العذاب ، كقوله تعالىٰ : ﴿ يقول الإنسان يومئذ أين المفر * كلا لا وزر * إلىٰ ربك يومئذ المستقر ﴾ .

وقوله : ﴿ كأنما أغشيت وجوههم قطعًا من الليل مظلمًا ﴾ . إخبار عن سواد وجوههم في الدار الآخرة ، كقوله تعالىٰ : ﴿ يوم تبيض وجوه ، وتسودّ وجوه فأما الذين اسودّت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون * وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة اللّه هم فيها خالدون ﴾ ، وقوله تعالىٰ : ﴿ وجوه يومئذ مسفرة * ضاحكة مستبشرة * ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك الكفرة الفجرة ﴾ .

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن

---

[١] - في ز : « قتار » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز ، خ .

﴿كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **ويوم نحشرهم** ﴾ أي : أهل الأرض كلهم ؛ من إنس وجن ، وبر وفاجر ، كقوله : ﴿ **وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدًا** ﴾ . ﴿ **ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم** ﴾ . أي : الزموا أنتم وهم مكانًا معينًا ، امتازوا فيه عن مقام المؤمنين ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **وامتازوا اليوم أيها المجرمون** ﴾ ، وقوله : ﴿ **ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون** ﴾ ، وفي الآية الأخرىٰ : ﴿ **يومئذ يصدعون** ﴾ أي : يصيرون صدعين ، وهذا يكون إذا جاء الرب تبارك وتعالىٰ لفصل القضاء ؛ ولهذا قيل ذلك [ ][١] يستشفع المؤمنون إلىٰ الله تعالىٰ أن يأتي لفصل القضاء ويريحنا من مقامنا هذا(٣٧) ، وفي الحديث الآخر(٣٨) : « **نحن يوم القيامة علىٰ كوم فوق الناس** » .

وقال الله تعالىٰ في هذه الآية الكريمة ، إخبارًا عما يأمر به المشركين وأوثانهم يوم القيامة ﴿ **مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون** ﴾ . أنهم أنكروا عبادتهم وتبرءوا منهم ، كقوله : ﴿ **كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا** ﴾ ، وقوله : ﴿ **ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلىٰ يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر**

(٣٧) - أخرجه أحمد (١٢١٧٣) (١١٦/٣) ، والبخاري ، كتاب : التفسير ، باب : سورة البقرة (٤٤٧٦) ، ومسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : أدنى أهل الجنة منزلة فيها (٣٢٢) (١٩٣) ، والنسائي في الكبرى في « التفسير » (١٠٩٨٤/٦) ، وابن ماجة ، كتاب : الزهد ، باب : ذكر الشفاعة (٤٣١٢) من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه .

(٣٨) - **صحيح** ، أخرجه أحمد (١٤٧٦٤) (٣٤٥/٣) من طريق ابن لهيعة عن أبي الزبير أنه سأل جابرًا عن الورود قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول ... فذكره ، وابن لهيعة سيئ الحفظ ، وقد خالفه ابن جريج فقال : أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يُسأل عن الورود فقال - هكذا موقوفًا - « نجيء نحن يوم القيامة عن كذا وكذا انظر أي ذلك فوق الناس - وقد أفاد النووي في «شرح صحيح مسلم » (٥٩/٣) نقلا عن القاضي عياض .... أن هذا اللفظ فيه تغيير كثير وتصحيف وصوابه « نجيء يوم القيامة على كوم » وانظر بقية كلامه هناك - واللفظ الذى أورده المصنف له شاهد من حديث أبي هريرة عند ابن خزيمة في « التوحيد » (ص ٢٣٥ - ٢٣٦) ، وصححه الألباني في « الصحيحة » (٢/ ٧٥٦) .

[١] - ما بين المعكوفتين بياض في ز .

الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ .

وقوله[١] في هذه الآية إخبارًا عن قول الشركاء فيما راجعوا فيه عابديهم عند ادعائهم عبادتهم ﴿ **فكفى بالله شهيدًا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين** ﴾ . أي : ما كنا نشعر بها[٢] ولا نعلم بها، وإنما أنتم[٣] كنتم تعبدوننا من حيث لا ندري بكم ، والله شهيد بيننا وبينكم أنا ما دعوناكم إلى عبادتنا ، ولا أمرناكم بها ، ولا رضينا منكم بذلك .

وفي هذا تبكيت عظيم للمشركين[٤] الذين عبدوا مع الله غيره ، ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنهم شيئًا ، ولم يأمرهم بذلك ولا رضي به ولا أراده ، بل تبرأ منهم في وقت أحوج ما يكونون إليه ، وقد تركوا[٥] عبادة الحي القيوم السميع البصير القادر على كل شيء ، العليم بكل شيء ، وقد أرسل رسله وأنزل كتبه ، آمرًا بعبادته وحده لا شريك له ، ناهيًا عن عبادة ما سواه ، كما قال تعالى : ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولًا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾ ، وقال : ﴿ **واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ؟** ﴾ .

والمشركون أنواع وأقسام كثيرون قد ذكرهم الله في كتابه ، وبين أحوالهم وأقوالهم ، ورد عليهم فيما هم فيه[٦] أتم رد .

وقوله تعالى : ﴿ **هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت** ﴾ أي : في موقف الحساب يوم القيامة تختبر كل نفس ، وتعلم ما أسلفت[٧] من خير وشر ؛ كقوله تعالى : ﴿ **يوم تبلى السرائر** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **ونخرج له يوم القيامة كتابًا يلقاه منشورًا * اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا** ﴾ .

وقد قرأ بعضهم : (هنالك تتلوا كل نفس ما أسلفت) وفسرها بعضهم بالقراءة ، وفسرها بعضهم بمعنى تتبع ما قدمته[٨] من خير وشر ، وفسرها بعضهم بحديث(٣٩) :

(٣٩) - أخرجه البخاري ، كتاب : الأذان ، باب : فضل السجود (٨٠٦) ، ومسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : معرفة طريق الرؤية (٢٩٩) (١٨٢) ، وأحمد (٢/٢٧٥) مطولًا من حديث أبي هريرة ومختصرًا =

[١] - في ز : « قال » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : ت .
[٤] - في ز : « بالمشركين » .
[٥] - في ز : « ترك » .
[٦] - بعده في خ : « من » .
[٧] - في ت : « سلف من عملها » .
[٨] - في ت : « قدمت » .

« **تتبع**[١] **كل أمة ما كانت تعبد ، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت** » . الحديث .

وقوله : ﴿ **وردوا إلىٰ الله مولاهم الحق** ﴾ أي : ورجعت الأمور كلها إلىٰ الله الحكم العدل ، ففصلها وأدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار .

﴿ **وضل عنهم** ﴾ أي : ذهب عن المشركين ﴿ **ما كانوا يفترون** ﴾ أي : ما كانوا يعبدون من دون الله افتراء عليه .

قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾

يحتج تعالىٰ على المشركين باعترافهم بوحدانيته وربوبيته على وحدانية الإله ، فقال تعالىٰ : ﴿ **قل من يرزقكم من السماء والأرض** ﴾ أي : من ذا[٢] الذي ينزل من السماء ماء المطر[٣]، فيشق[٤] الأرض شقًا بقدرته ومشيئته ، فيخرج منها ﴿ **حبًا * وعنبًا وقضبًا * وزيتونًا * ونخلًا وحدائق غلبًا * وفاكهة وأبًا** ﴾ ، ﴿ **أإله مع الله** ﴾ ، ﴿ **فسيقولون الله** ﴾ وكذلك قوله : ﴿ **أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه** ﴾ . وقوله[٥]: ﴿ **أمّن**[٦] **يملك السمع والأبصار** ﴾ أي : الذي وهبكم هذه القوة السامعة ، والقوة الباصرة ، ولو شاء لذهب بها ولسلبكم[٧] إياها ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **قل : هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلًا ما تشكرون** ﴾ . وقال : ﴿ **قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به** ﴾ .

= عند النسائي (٢/٢٢٩) ، وابن ماجة (٤٣٢٦) ، وأخرجه البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : « إن الله لا يظلم مثقال ذرة » (٤٥٨١) ، ومسلم (٣٠٢) (١٨٣) ، وأحمد (١١١٤١) (٣/١٦ - ١٧) من حديث أبي سعيد الخدري .

[١] - في ز : « لتتبع » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ز ، خ : « و » .
[٤] - في ز : « يشق » .
[٥] - في ز : « وكذا قل » ، خ : « وكذلك قوله » .
[٦] - في ز : « من » .
[٧] - في ز : « سلبكم » .

وقوله : ﴿ **ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي** ﴾ أي : بقدرته العظيمة ومنته العميمة ؛ وقد تقدم ذكر الخلاف في ذلك ، وأن الآية عامة في ذلك كله .

وقوله[١]: ﴿ **ومن يدبر الأمر** ﴾ أي : من بيده ملكوت كل شيء ، وهو يجير ولا يجار عليه ، وهو المتصرف الحاكم الذي لا معقب لحكمه ، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴿ **يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن** ﴾ فالملك كله ؛ العلوي والسفلي ، وما فيهما من ملائكة وإنس وجان ، فقيرون إليه ، عبيد له ، خاضعون لديه . ﴿ **فسيقولون اللّه** ﴾ أي : هم يعلمون ذلك ويعترفون به ﴿ **فقل أفلا تتقون** ﴾ أي : أفلا تخافون منه أن تعبدوا معه غيره بآرائكم وجهلكم .

وقوله : ﴿ **فذلكم اللّه ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون** ﴾ أي : فهذا الذي اعترفتم بأنه فاعل ذلك كله هو ربكم وإلهكم الحق ، الذي يستحق أن يفرد بالعبادة ﴿ **فماذا بعد الحق إلا الضلال** ﴾ أي : فكل معبود سواه باطل ، لا إله إلا هو واحد لا شريك له . ﴿ **فأنى تصرفون** ﴾ أي : فكيف تصرفون عن عبادته إلىٰ عبادة ما سواه ، وأنتم تعلمون أنه الرب الذي خلق كل شيء ، والمتصرف في كل شيء .

وقوله : ﴿ **كذلك حقت كلمة ربك علىٰ الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون** ﴾ . أي : كما كفر هؤلاء المشركون واستمروا علىٰ شركهم ، وعبادتهم مع اللّه غيره ، مع أنهم يعترفون بأنه الخالق الرازق المتصرف في الملك وحده ، الذي بعث رسله بتوحيده ، فلهذا حقت عليهم كلمة اللّه أنهم أشقياء من ساكني النار ، كقوله[٢]: ﴿ **قالوا بلىٰ ولكن حقت كلمة العذاب علىٰ الكافرين** ﴾ .

قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

وهذا إبطال لدعواهم فيما أشركوا باللّه غيره ، وعبدوا من الأصنام والأنداد ﴿ **قل هل من**

---

[١] - سقط من : خ .　[٢] - سقط من : خ .

شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده ﴾ أي : من بدأ خلق هذه السموات والأرض ، ثم ينشئ ما فيهما من الخلائق ، ويفرق أجرام السموات والأرض ويبدلهما[١] [بفناء ما فيهما][٢] ، ثم يعيد الخلق[٣] خلقًا جديدًا ﴿ **قل اللّٰه** ﴾ هو الذي يفعل هذا ، ويستقل به وحده لا شريك له ﴿ **فأنىٰ تؤفكون** ﴾ أي : فكيف تصرفون عن طريق الرشد إلىٰ الباطل .

﴿ **قل هل من شركائكم من يهدي إلىٰ الحق قل اللّٰه يهدي للحق** ﴾ أي : أنتم تعلمون أن شركاءكم لا تقدر علىٰ هداية ضال ، وإنما يهدي الحيارىٰ والضلال ، ويقلب القلوب من الغي إلىٰ الرشد ، اللّٰه الذي لا إله إلا هو ﴿ **أفمن يهدي إلىٰ الحق أحق أن يتبع أمّن لا يهدّي إلا أن يهدى** ﴾ أي : أفيتبع [العبد الذي يهدي إلىٰ الحق ، ويُبَصِّر بعد العمىٰ ، أم الذي لا يهدي إلىٰ شيء إلا أن][٤] يهدىٰ لعماه وبكمه ، كما قال تعالىٰ إخبارًا عن إبراهيم أنه قال : ﴿ **يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئًا** ﴾ ، وقال لقومه : ﴿ **أتعبدون ما تنحتون واللّٰه خلقكم وما تعملون** ﴾ إلىٰ غير ذلك من الآيات .

وقوله : ﴿ **فما لكم كيف تحكمون** ﴾ أي : فما بالكم[٥] أن[٦] يذهب بعقولكم ؟! كيف سوّيتم بين اللّٰه وبين خلقه ، وعدلتم هذا بهذا ، وعبدتم هذا وهذا ؟ وهلا أفردتم الرب جل جلاله المالك الحاكم الهادي من الضلالة - بالعبادة وحده ، وأخلصتم إليه الدعوة والإنابة ؟

ثم بين تعالىٰ أنهم لا يتبعون في دينهم هذا دليلًا ولا برهانًا ، وإنما هو ظن منهم أي : توهم وتخيل ، وذلك لا يغني عنهم شيئًا ﴿ **إن اللّٰه عليم بما يفعلون** ﴾ تهديد لهم ووعيد شديد ؛ لأنه تعالى أخبر[٧] أنه سيجازيهم علىٰ ذلك أتم الجزاء .

وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ
وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟
بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟
بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَٱنظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا

[١] - في ز : « يبدلها » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « الخلائق » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : « لكم » .
[٦] - في ز : « أي » .
[٧] - في ز ، خ : « يخبر » .

يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤٠﴾

هذا بيان لإِعجاز القرآن ، وأنه لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله ، ولا بعشر سور ولا بسورة[١] من مثله ؛ لأنه بفصاحته وبلاغته ووجازته وحلاوته ، واشتماله على المعاني العزيزة النافعة في الدنيا والآخرة ، لا تكون إلا من عند اللَّه الذي لا يشبهه شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وأقواله ، فكلامه[٢] لا يشبه كلام المخلوقين ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وما كان هذا القرآن أن يفترىٰ من دون اللَّه** ﴾ أي : مثل هذا القرآن لا يكون إلا من عند اللَّه ، ولا يشبه هذا كلام البشر ﴿ **ولكن تصديق الذي بين يديه** ﴾ أي : من الكتب المتقدمة ، ومهيمنًا عليها[٣] ، ومبينًا لما وقع فيها من التحريف والتأويل والتبديل .

وقوله : ﴿ **وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين** ﴾ أي : وبيان الأحكام والحلال والحرام بيانًا شافيًا كافيًا ، حقًّا لا مرية فيه من اللَّه رب العالمين ، كما تقدم في حديث الحارث الأعور عن علي بن أبي طالب(٤٠) : « **فيه خبر ما قبلكم ، ونبأ ما بعدكم ، وفصل ما بينكم** » . أي : خبر عما[٤] سلف وعما سيأتي ، وحكم فيما بين الناس بالشرع الذي يحبه اللَّه ويرضاه .

وقوله : ﴿ **أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون اللَّه إن كنتم صادقين** ﴾ أي : إن ادعيتم وافتريتم وشككتم في أن هذا من عند اللَّه ، وقلتم كذبًا ومَيْنًا إن هذا من عند محمد ، فمحمد بشر مثلكم ، وقد جاء فيما زعمتم بهذا القرآن فأتوا أنتم[٥] بسورة مثله . أي : من جنس هذا القرآن ، واستعينوا علىٰ ذلك بكل من قدرتم عليه : من إنس وجان .

وهذا هو المقام الثالث في التحدي ، فإنه تعالىٰ تحداهم ودعاهم إن كانوا صادقين في دعواهم أنه من عند محمد ، فلتعارضوه بنظير ما جاء به وحده ، واستعينوا[٦] بمن شئتم[٧] ، وأخبر أنهم لا يقدرون علىٰ ذلك ، ولا سبيل لهم إليه ، فقال تعالىٰ : ﴿ **قل لئن اجتمعت الإِنس والجن علىٰ أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا** ﴾ ثم تقاصر معهم إلىٰ عشر سور منه ، فقال في أول سورة هود : ﴿ **أم يقولون افتراه قل فأتوا**

(٤٠) - تقدم في « الفضائل » .

[١] - في ز : « سورة » .
[٢] - في ز : « وكلامه » .
[٣] - في ت : « عليه » .
[٤] - في ز ، خ : « ما » .
[٥] - في ز ، خ : « فأتوا أنتم » .
[٦] - في ت : « وليستعينوا » .
[٧] - في ت : « شاءوا » .

بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون اللَّه إن كنتم صادقين ﴾ . ثم تنازل إلى سورة ، فقال في هذه السورة : ﴿ **أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون اللَّه إن كنتم صادقين** ﴾ . وكذا في سورة البقرة وهي مدنية تحداهم بسورة منه ، وأخبر أنهم لايستطيعون ذلك أبدًا ، فقال : ﴿ **فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار** ﴾ . الآية .

هذا وقد كانت الفصاحة من سجاياهم ، وأشعارهم ومعلقاتهم إليها المنتهىٰ في هذا الباب ، ولكن جاءهم من اللَّه ما لا قبل لأحد به ، ولهذا آمن من آمن منهم بما عرف من بلاغة[١] [هذا الكلام وحلاوته ، وجزالته وطلاوته ، وإفادته وبراعته][٢]، فكانوا أعلم الناس به ، وأفهمهم له ، وأتبعهم له ، وأشدهم له انقيادًا ، كما عرف السحرة لعلمهم بفنون السحر أن هذا الذي فعله موسىٰ - عليه السلام - لا يصدر إلا عن مؤيد مسدد مرسل من اللَّه ، وأن هذا لايستطاع لبشر إلا بإذن اللَّه .

وكذلك عيسىٰ - عليه السلام - بعث في زمان علماء الطب ومعالجة المرضىٰ ، فكان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتىٰ بإذن اللَّه ، ومثل هذا لا مدخل للعلاج والدواء فيه ، فعرف من عرف منهم أنه عبد اللَّه ورسوله ؛ ولهذا جاء في الصحيح(٤١) عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه قال : « **ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن علىٰ مثله البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه اللَّه إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا** » .

وقوله : ﴿ **بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله** ﴾ يقول : بل كذب هؤلاء بالقرآن ولم يفهموه ولا عرفوه ﴿ **ولما يأتهم تأويله** ﴾ أي : ولم يحصّلوا ما فيه من الهدىٰ ودين الحق إلىٰ حين تكذيبهم به جهلًا وسفهًا ﴿ **كذلك كذب الذين من قبلهم** ﴾ أي : من الأمم السالفة ﴿ **فانظر كيف كان عاقبة الظالمين** ﴾ أي : فانظر كيف أهلكناهم بتكذيبهم رسلنا ظلمًا وعلوًّا وكفرًا وعنادًا وجهلًا ، فاحذروا أيها المكذبون أن يصيبكم ما أصابهم .

وقوله : ﴿ **ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين** ﴾ . أي : ومن هؤلاء الذين بعثت إليهم يا محمد من يؤمن بهذا القرآن و[٣]يتبعك ، وينتفع بما أرسلت

(٤١) - أخرجه البخاري ، كتاب : فضائل القرآن ، باب : كيف نزل الوحيُ ، وأول ما نزل (٤٩٨١) ، ومسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته (٢٣٩) (١٥٢) ، والنسائي في التفسير من الكبرى (١١١٢٩/٦) ، وأحمد (٢/ ٣٤١ ، ٤٥١) من حديث أبي هريرة .

[١] - سقط من : ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : ز .

به ، ﴿ **ومنهم من لا يؤمن به** ﴾ بل يموت علىٰ ذلك ويبعث عليه ﴿ **وربك أعلم بالمفسدين** ﴾ أي : و[١]هو أعلم بمن يستحق الهداية فيهديه ، ومن يستحق الضلالة[٢] فيضله ، وهو العادل الذي لا يجور ، بل يعطي كلًّا ما يستحقه تبارك وتعالىٰ وتقدس وتنزه لا إله إلا هو .

وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَـٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾

يقول تعالىٰ لنبيه صلىٰ اللّه عليه وسلم : وإن كذبك هؤلاء المشركون فتبرأ منهم ومن عملهم ﴿ **فقل لي عملي ولكم عملكم** ﴾ ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون** ﴾ إلىٰ آخرها ، وقال إبراهيم الخليل وأتباعه لقومهم المشركين : ﴿ **إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون اللّه كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا حتى تؤمنوا بالله وحده** ﴾ .

وقوله ﴿ **ومنهم من يستمعون إليك** ﴾ [أي : ينظرون][٣] أي : يسمعون كلامك الحسن والقرآن العظيم ، والأحاديث الصحيحة الفصيحة النافعة في القلوب والأديان والأبدان، وفي هذا كفاية عظيمة ، ولكن ليس ذلك إليك ولا إليهم ، فإنك لا تقدر علىٰ إسماع الأصم وهو الأطرش ، فكذلك لا تقدر علىٰ هداية هؤلاء إلا أن يشاء اللّه .

﴿ [**ومنهم من ينظر**][٤] **إليك** ﴾ وإلىٰ ما أعطاك اللّه من التؤدة والسمت الحسن والخلق العظيم ، والدلالة الظاهرة علىٰ نبوّتك لأولي البصائر والنُّهىٰ ، وهؤلاء ينظرون كما ينظر غيرهم ولا يحصل لهم من الهداية شيء كما[٥] يحصل لغيرهم ، بل المؤمنون ينظرون إليك بعين الوقار ، والكافرون[٦] ينظرون إليك[٧] بعين الاحتقار ﴿ **وإذا رأوك إن يتخذونك إلا**

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « الضلال » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - خ : « أين ينظرو » .
[٥] - في خ : « كما » .
[٦] - في ت : « وهؤلاء الكفار » .
[٧] - سقط من : ز ، خ .

هزوًا أهذا الذي بعث الله رسولًا إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلًا ﴾ .

ثم أخبر تعالىٰ أنه لا يظلم أحدًا شيئًا وإن كان قد هدىٰ به من هدىٰ ، وبصر به من العمىٰ ، وفتح به أعينًا عميًا ، وآذانًا صمًّا ، وقلوبًا غلفًا ، وأضلّ به عن الإيمان آخرين ، فهو الحاكم المتصرف في ملكه بما يشاء ، الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، لعلمه وحكمته وعدله ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **إن الله لا يظلم الناس شيئًا ولكن الناس أنفسهم يظلمون** ﴾ وفي الحديث : عن أبي ذر ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل : « **يا عبادي، إني حرمت الظلم علىٰ نفسي ، وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا - إلىٰ أن قال في آخره - يا عبادي ، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيرًا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه** » . رواه مسلم بطوله(٤٢) .

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾

يقول تعالىٰ مذكرًا للناس قيام الساعة ، وحشرهم من أجداثهم إلىٰ عرصات القيامة كأنهم[١] يوم يوافونها لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من النهار ، [كقوله : ﴿ **كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار** ﴾ ،][٢] و[٣]كقوله : ﴿ **كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقًا * يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرًا * نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يومًا** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة** ﴾ الآيتين ، وهذا كله دليل علىٰ استقصار الحياة الدنيا في الدار الآخرة ، كقوله : ﴿ **قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين * قالوا لبثنا يومًا أو بعض يوم فاسأل العادّين * قال إن لبثتم إلا قليلًا لو أنكم كنتم تعلمون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **يتعارفون بينهم** ﴾ أي : يعرف الأبناء الآباء ، والقرابات بعضهم بعضًا[٤] كما كانوا في الدنيا ، ولكن كل مشغول بنفسه ﴿ **فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **ولا يسأل حميم حميمًا** ﴾ . الآيات .

(٤٢) - كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : تحريم الظلم (٥٥) (٢٥٧٧) .

[١] - سقط من خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز
[٤] - في ز ، خ : « لبعض » .

وقوله : ﴿ **قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين** ﴾ كقوله تعالىٰ : ﴿ **ويل يومئذ للمكذبين** ﴾ ؛ لأنهم خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ، ألا ذلك هو الخسران المبين ، فهذه هي الخسارة العظيمة [ولا خسارة أعظم من خسارة][١] من فرق بينه وبين أحبته[٢] يوم الحسرة والندامة .

وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾

يقول تعالىٰ مخاطبًا لرسوله صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **وإما نرينك بعض الذي نعدهم** ﴾ أي: ننتقم منهم[٣] في حياتك ؛ لتقر عينك منهم ﴿ **أو نتوفينك فإلينا مرجعهم** ﴾ أي : مصيرهم ومنقلبهم ، واللَّه شهيد علىٰ أفعالهم بعدك .

وقد قال الطبراني(٤٣) : حدثنا عبد اللَّه بن أحمد ، حدثنا عقبة بن مكرم ، حدثنا أبو بكر الحنفي ، حدثنا داود بن الجارود(*) ، عن [أبي الطفيل](**) ، عن حذيفة بن أسيد ، عن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « **عرضت عليَّ أمتي البارحة لدىٰ هذه الحجرة أولها و[٤] آخرها** » . فقال رجل : يا رسول اللَّه ، [هذا][٥] عرض عليك من خلق فكيف [عرض عليك] من لم يخلق ؟ فقال : « **صوّروا لي في الطين حتىٰ أني لأعْرَف بالإِنسان منهم من أحدكم بصاحبه** » .

ورواه(٤٤) عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، عن عقبة بن مكرم ، عن يونس بن بكير ،

(٤٣) - في « المعجم الكبير » (٣/٣٠٥٥) وانظر ما بعده .

(*) لم أجد ترجمة في كتب الرجال ، وظني والله أعلم - على الرغم من وقوعه في « المعجم الكبير » هكذا - أنه تصحيف أو تحريف قديم ولعله يكون هو نفسه زياد بن المنذر - كما في الإسناد الثاني - وكنيته أبو الجارود ، وقد ذكر الهيثمي هذا الحديث في « المجمع » (١٠/٧٢) وضعفه بزياد بن المنذر هذا دون أن يتعرض للإسناد الأول ، والله أعلم .

(**) في (ز ، خ) أبي السليل وهو تحريف وصوابه ما أثبتناه كما في « المعجم الكبير » (٣/٣٠٥٥) وكتب الرجال .

(٤٤) - الطبراني أيضًا في « الكبير » (٣/٣٠٥٤) ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٠/٧٢) وقال : « رواه الطبراني وفيه زياد بن المنذر وهو كذاب » ، وقد أورده الألباني في « ضعيف الجامع الصغير » =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « أخيه » .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - في ز : « إلى » .

[٥] - سقط من خ .

عن زياد بن المنذر ، عن أبي الطفيل ، عن حذيفة بن أسيد به نحوه .

وقوله : ﴿ **ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم** ﴾ قال مجاهد : يعني يوم القيامة .

﴿ **قُضِيَ بينهم بالقسط وهم لا يظلمون** ﴾. كقوله تعالىٰ : ﴿ **وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجئ بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون** ﴾ . فكل أمة تعرض علىٰ اللَّه بحضرة رسولها ، وكتاب أعمالها من خير وشر موضوع شاهد عليهم ، وحفظتهم من الملائكة شهود أيضًا ، أمة بعد أمة ، وهذه الأمة الشريفة وإن كانت آخر الأمم في الخلق ، إلا أنها أول الأمم يوم القيامة يفصل بينهم ويقضىٰ لهم ، كما جاء في الصحيحين(٤٥) عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه قال : « **نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، المقضىٰ لهم قبل الخلائق** » . فأمته إنما حازت قصب السبق بشرف[١] رسولها - صلوات اللَّه وسلامه عليه - دائمًا[٢] إلىٰ يوم الدين .

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾

= (٣٧٠٣/٢٩/٤) وزاد نسبته إلى الضياء في « المختارة » .

(٤٥) - **صحيح** ، هكذا أورده المصنف ، وعزاه للصحيحين ، وإنما أخرجه مسلم ، كتاب : الجمعة ، ب: هداية هذه الأمة ليوم الجمعة (٢٢) (٨٥٦) ، والنسائي ، كتاب : الجمعة ، باب : إيجاب الجمعة (٨٧/٣) ، وابن ماجة كتاب : إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : في فرض الجمعة (١٠٨٣) من حديث حذيفة وأبي هريرة مرفوعًا بلفظ « ... **نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة - المقضى لهم قبل الخلائق** » وفي رواية : « **المقضى بينهم** » والجملة الأولى من الحديث أخرجها البخاري ، كتاب : الجمعة ، باب : فرض الجمعة (٨٧٦) - وانظر أطرافه عند رقم (٢٣٨) - ، ومسلم (٢١) (٨٥٥) وغيرهما من حديث أبي هريرة .

[١] - في ز : « لشرف » . [٢] - سقط من : ز ، خ .

يقول تعالىٰ مخبرًا عن كفر هؤلاء المشركين[١] في استعجالهم العذاب ، وسؤالهم عن وقته قبل التعيين ، مما لا فائدة [لهم فيه]، كقوله : ﴿ **يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق** ﴾ . أي : كائنة لا محالة ، وواقعة وإن لم يعلموا وقتها عينًا ، ولهذا أرشد تعالىٰ رسوله صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ جوابهم فقال : ﴿ **قل لا أملك لنفسي ضرًا ولا نفعًا إلا ما شاء الله** ﴾ . أي : لا أقول إلا ما علمني ، ولا أقدر علىٰ شيء مما استأثر به إلا أن يطلعني عليه ، فأنا عبده ورسوله إليكم ، وقد أخبرتكم بمجيء الساعة وأنها كائنة ، ولم يطلعني علىٰ وقتها ولكن[٢] ﴿ **لكل أمة أجل** ﴾ أي : لكل قرن مدة من العمر مقدرة[٣]، فإذا انقضىٰ أجلهم ﴿ **فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** ﴾ ، كقوله : ﴿ **ولن يؤخر الله نفسًا إذا جاء أجلها** ﴾ . الآية . ثم أخبرهم أن عذاب الله سيأتيهم بغتة ؛ فقال : ﴿ **قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتًا أو نهارًا** ﴾ [أي : ليلًا أو نهارًا][٤] ﴿ **ماذا يستعجل منه المجرمون * أثم إذا ما وقع آمنتم به** [**آلآن وقد كنتم به تستعجلون** ﴾] يعني : أنهم إذا جاءهم العذاب قالوا : ﴿ **ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحًا إنا موقنون** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين * فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون** ﴾ .

﴿ **ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد** ﴾ أي : يوم القيامة يقال لهم هذا تبكيتًا وتقريعًا ، كقوله : ﴿ **يوم يدعون إلىٰ نار جهنم دعًا هذه النار التي كنتم بها تكذبون * أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون * اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون** ﴾ .

﴿ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾

يقول تعالىٰ : ويستخبرونك أحق هو ؟ أي : المعاد والقيامة من الأجداث بعد صيرورة الأجسام ترابًا ﴿ **قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين** ﴾ أي : ليس صيرورتكم ترابًا بمعجز الله عن إعادتكم كما بدأكم من العدم ، فإنما ﴿ **أمره**[٥] **إذا أراد شيئًا أن يقول له كن**

---

[١] - في ز ، خ : « المشركون » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « مقدر » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - في خ : « قوله » .

فيكون ﴾ .

وهذه الآية ليس لها نظير في القرآن إلا آيتان أخريان يأمر الله تعالىٰ رسوله أن يقسم به علىٰ من أنكر المعاد في[١] سورة سبأ : ﴿ **وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلىٰ وربي لتأتينكم** ﴾ . وفي التغابن : ﴿ **زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلىٰ وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك علىٰ الله يسير** ﴾ .

ثم أخبر تعالىٰ أنه إذا قامت القيامة يود الكافر لو افتدىٰ من عذاب الله بملء الأرض ذهبًا ﴿ **وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضي بينهم بالقسط** ﴾ أي : بالحق ﴿ **وهم لا يظلمون** ﴾ .

أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٥٦﴾

يخبر تعالىٰ أنه مالك السموات والأرض ، وأن وعده حق كائن لا محالة ، وأنه يحيي ويميت[٢] وإليه مرجعهم ، وأنه القادر[٣] علىٰ ذلك ، العليم بما تفرق من الأجسام ، وتمزّق في سائر أقطار الأرض والبحار والقفار .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٥٨﴾

يقول تعالىٰ ممتنًا علىٰ خلقه بما [أنزل إليهم][٤] من القرآن العظيم علىٰ رسوله الكريم ﴿ **يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم** ﴾ أي : زاجر عن الفواحش ﴿ **وشفاء لما في الصدور** ﴾ أي : من الشبه[٥] والشكوك ، وهو إزالة ما فيها من رجس ودنس . ﴿ **وهدىٰ ورحمة** ﴾ أي : فحصل لها الهداية والرحمة من الله تعالىٰ ، وإنما ذلك للمؤمنين به ، والمصدقين والموقنين بما فيه ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارًا** ﴾ ، وقوله : ﴿ **قل هو للذين آمنوا هدىٰ وشفاء**

---

[١] - سقط من: ز ، خ .

[٢] - في ت : « الموتىٰ » .

[٣] - في ز : « قادر » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ت : « أنزله » .

[٥] - في خ : « التشبه » .

والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمي أولئك ينادون من مكان بعيد ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **قل بفضل اللّٰه وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون** ﴾ أي : بهذا الذي جاءهم من اللّٰه من[١] الهدىٰ ودين الحق فليفرحوا ، فإنه أولىٰ ما يفرحون به [﴿ **هو خير مما يجمعون** ﴾][٢] أي : من حطام الدنيا ، وما فيها من الزهرة الفانية الذاهبة لا محالة ، كما قال ابن أبي حاتم(٤٦) في تفسير هذه الآية وذكر بسنده[٣] عن بقية - يعني[٤] ابن الوليد عن صفوان بن عمرو : سمعت أيفع[٥] بن عبد الكلاعي يقول : لما قدم خراج العراق إلىٰ عمر - رضي اللّٰه عنه - خرج عمر ومولىٰ له ، فجعل عمر يعد الإبل ، فإذا هي[٦] أكثر من ذلك ، فجعل عمر يقول : الحمد للّٰه تعالىٰ . ﴿ **قل بفضل الله وبرحمته** ﴾ ويقول مولاه : هذا واللّٰه من فضل اللّٰه ورحمته . فقال عمر : كذبت ، ليس هذا ، هو الذي يقول اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **قل بفضل اللّٰه وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون** ﴾ وهذا مما يجمعون .

وقد أسنده الحافظ أبو القاسم الطبراني(٤٧) فرواه عن أبي زرعة الدمشقي ، عن حيوة بن شريح ، عن بقية فذكره .

قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾

قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : وغيرهم[٧] نزلت إنكارًا علىٰ المشركين فيما كانوا [يحلون ويحرمون] من البحائر والسوائب والوصايل ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **وجعلوا للّٰه مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبًا** ﴾ . الآيات .

(٤٦) - تفسير ابن أبي حاتم (٦/١٠٤٣٥) معلقًا عن بقية به وبقية يدلس ويسوي ولم يصرح هنا بالتحديث .
(٤٧) - لم أهتد إليه .

[١] - سقط من : ت .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ت .
[٥] - في ز : « أنفع » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - سقط من : ز ، خ .

وقال الإمام أحمد(٤٨) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، سمعت أبا الأحوص - وهو عوف [بن مالك][١] بن نضلة - يحدث عن أبيه قال : أتيت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، وأنا قَشِفُ الهيئة(*) ، فقال : « **هل لك مال ؟** » [قال][٢] قلت : نعم . قال : « **من أي المال** » ؟ قال : قلت : من كل المال ؛ من الإبل والرقيق والخيل والغنم[٣]. فقال[٤]: « **إذا آتاك الله مالاً فليُرَ عليك** » .وقال : « **هل تنتج [إبلك][٥] صحاحًا آذانها ، فتعمد إلىٰ موسىٰ فتقطع آذانها ، فتقول : هذه بُحرٌ(**) وتشقها ، أو[٦]تشق جلودها وتقول هذه صُرُم(***) ، وتحرمها عليك وعلىٰ أهلك** » . قال : نعم . قال : « **فإن ما آتاك الله عز وجل لك حل ، و[٧]ساعد الله أشد من ساعدك ، وموسىٰ الله أحد من موساك** » . وذكر تمام الحديث .

ثم رواه(٤٩) عن سفيان بن عيينة ، عن أبي الزعراء عمرو بن عمرو ، عن عمه أبي الأحوص . وعن بهز بن أسد(٥٠) ، عن حماد بن سلمة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن أبي الأحوص به ، وهذا حديث جيّد قوي الإسناد .

---

(٤٨) - **صحيح** « المسند » (١٥٩٣٣) (٤٧٣/٣) ، وأخرجه من طرق عن أبي إسحاق به ، أحمد (٣/ ٤٧٣)، (١٣٧/٤) ، وأبو داود ، كتاب : اللباس ، باب : في غسل الثوب وفي الخلقان ، (٤٠٦٣) ، والترمذي ، كتاب : البر والصلة ، باب : ما جاء في الإحسان والعفو (٢٠٠٧) ، والنسائي (١٨٠/٨ - ١٨١ ، ١٨١، ١٩٦) ، وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح » ، وصححه ابن حبان (٥٤١٦/١٢) ، والحاكم (١٨١/٤) ووافقه الذهبي ، وهو كما قالوا .

(*) - أي تاركًا للتنظيف والغسل . والقشف : يبس العيش . النهاية (٦٦/٤) .

(**) - جمع بحيرة ؛ كانوا إذا ولدت إبلهم سقبا بحروا أذنه : أي شقوها وقالوا : اللهم إن عاش ففتي وإن مات فذكيٌّ ، فإذا مات أكلوه وسموه البحيرة . وقيل في تعريفها غير ذلك . انظر النهاية (١٠٠/١) .

(***) - هي جمع صريم ، وهو الذي صرمت أذنه : أي قطعت . النهاية (٢٦/٣)

(٤٩) - **كسابقه** « **المسند** » (١٧٢٧٧) (١٣٦/٤) . ومن طريق أحمد أخرجه الطبراني في « الكبير » (٦٢٢/١٩) ، وأخرجه البخاري في « خلق أفعال العباد » (٣١٦) ، والنسائي (١١/٧) ، وابن ماجة ، كتاب : الكفارات ، باب : من حلف علي يمين فرأى غيرها خيرًا منها (٢١٠٩) ، والحميدي (٨٨٣) من طرق عن ابن عيينة به مختصرًا .

(٥٠) - **كسابقه** « المسند » (١٥٩٣٧) (٤٧٣/٣ - ٤٧٤) ، وأخرجه الطبراني في « الكبير » =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « قال » .

[٣] - في ز : « النعم » .

[٤] - في ز : « قال » .

[٥] - ما بين المعكوفتين في ت : « إبلك » .

[٦] - في ز : « و » .

[٧] - سقط من : ز .

وقد[١] أنكر [اللَّه] تعالىٰ علىٰ من حرم ما أحل [اللَّه] ، أو أحل ما حرم ، بمجرد الآراء والأهواء التي لا مستند لها ولا دليل عليها ، ثم توعدهم علىٰ ذلك يوم القيامة فقال : ﴿ **وما ظن الذين يفترون علىٰ اللَّه الكذب يوم القيامة** ﴾ أي : ما ظنهم أن[٢] نصنع بهم يوم مرجعهم إلينا يوم القيامة .

وقوله : ﴿ **إن اللَّه لذو فضل علىٰ الناس** ﴾ قال ابن جرير : في تركه معاجلتهم بالعقوبة في الدنيا .

قلت : ويحتمل أن يكون المراد : لذو فضل علىٰ الناس فيما أباح لهم مما خلقه من المنافع في الدنيا ، ولم يحرم عليهم إلا ما هو ضار لهم في دنياهم أو دينهم .

﴿ **ولكن أكثرهم لا يشكرون** ﴾ بل يحرمون ما أنعم اللَّه به[٣] عليهم ، ويضيقون علىٰ أنفسهم ، فيجعلون بعضًا حلالًا وبعضًا حرامًا ، وهذا قد[٤] وقع فيه المشركون فيما شرعوه لأنفسهم ، وأهلُ الكتابِ فيما ابتدعوه في دينهم .

وقال ابن أبي حاتم في تفسير هذه الآية(٥١) : حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن أبي الحواري ، حدثنا رباح ، حدثنا عبد اللَّه بن سليمان ، حدثنا موسىٰ بن[٥] الصباح في قول الله عز وجل : ﴿ **إن اللَّه لذو فضل علىٰ الناس** ﴾ قال : إذا كان يوم القيامة يؤتىٰ بأهل ولاية اللَّه عز وجل ، فيقومون بين يدي اللَّه عز وجل ثلاثة أصناف قال[٦]: فيؤتىٰ برجل من الصنف الأول فيقول : « **عبدي ، لماذا عملت ؟ فيقول : يارب ، خلقت الجنة وأشجارها ، وثمارها وأنهارها ، وحورها ونعيمها ، وما أعددت لأهل طاعتك فيها ، فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري ، شوقًا إليها . قال : فيقول اللَّه تعالىٰ : عبدي ، إنما عملت للجنة ، هذه الجنة فادخلها ، ومن فضلي عليك أن أعتقك[٧] [من النار ، ومن][٨] [فضلي عليك أن أدخلك جنتي][٩] قال : فيدخل[١٠] هو ومن معه الجنة . قال : ثم يؤتىٰ [برجل من**

= (٦٢٣/١٩) من طريق هدبة بن خالد ، ثنا حماد بن سلمة به .

(*) في تفسيره (١٢٨/١١) .

(٥١) - تفسير ابن أبي حاتم (١٠٤٤٥/٦) .

[١] - في ز : « فقد » .

[٢] - في خ : « ما » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - في ز ، خ : « ابن أبي » .

[٦] - سقط من : ت .

[٧] - في خ : « أعتقتك » .

[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[١٠] - سقط من خ .

الصنف][١] **الثاني ، [قال]**[٢] **فيقول : عبدي لماذا**[٣] **عملت ؟ فيقول : يارب ، خلقت نارًا ، وخلقت أغلالها وسعيرها ، وسمومها ويحمومها ، وما أعددت لأعدائك وأهل معصيتك فيها ، فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري خوفًا منها . فيقول : عبدي ، إنما عملت ذلك خوفًا من ناري ، فإني قد أعتقتك من النار ، ومن فضلي عليك أن أدخلك جنتي . فيدخل هو ومن معه الجنة . ثم يؤتىٰ برجل من الصنف الثالث . فيقول : عبدي لماذا عملت ؟ فيقول : رب حبًا لك ، وشوقًا إليك ، وعزتك ، لقد أسهرت ليلي وأظمأت نهاري شوقًا إليك وحبًا لك . فيقول تبارك وتعالى : عبدي إنما عملت حُبًا لي وشوقًا إليَّ ، فيتجلىٰ له الرب جل جلاله ويقول : هأنذا [فانظر]**[٤] **إلي . ثم يقول : من فضلي عليك أن أعتقك من النار ، وأبيحك جنتي ، وأزيرك ملائكتي ، وأسلم عليك بنفسي . فيدخل هو ومن معه الجنة .**

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾

يخبر تعالىٰ نبيّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : أنه يعلم جميع أحواله وأحوال أمته وجميع الخلائق ، في كل ساعة وآن[٥] ولحظة ، وأنه لا يعزب عن علمه وبصره مثقالُ ذرّة في حقارتها وصغرها في السموات [ولا في الأرض][٦]، ولا أصغر منها ولا أكبر إلا في كتاب مبين ، كقوله : **﴿ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾** فأخبر تعالىٰ أنه يعلم حركة الأشجار وغيرها من الجمادات ، وكذلك الدواب السارحة في قوله : **﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون ﴾** . وقال تعالىٰ : **﴿ وما من دابة في الأرض إلا علىٰ اللّه رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين ﴾** .

فإذا[٧] كان هذا علمه بحركات هذه الأشياء ، فكيف بعلمه[٨] بحركات المكلفين المأمورين بالعبادة ، كما قال تعالىٰ : **﴿ وتوكل علىٰ العزيز الرحيم * الذي يراك حين**

---

[١] - في ز : « بالصنف » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .
[٣] - في ز : « لما » .
[٤] - في ز : « انظر » .
[٥] - في ت : « وأوان » .
[٦] - في ت : « والأرض » .
[٧] - في خ : « وإذا » .
[٨] - في خ : « علمه » .

تقوم * وتقلبك في الساجدين ﴾ ، ولهذا قال تعالىٰ : **﴿ وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودًا إذ تفيضون فيه ﴾** أي : إذ تأخذون في ذلك الشيء نحن مشاهدون لكم راءون سامعون ، ولهذا قال صلىٰ اللَّه عليه وسلم لما سأله جبريل عن الإحسان(٥٢) : « **أن تعبد اللَّه كأنك تراه فإن لم تكن تراه ، فإنه يراك** » .

أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾

يخبر تعالىٰ أن أولياءه هم الذين آمنوا وكانوا يتقون كما فسرهم ربهم ، فكل من كان تقيًّا كان للَّه وليًّا ف[١] **﴿ لا خوف عليهم ﴾** أي[٢] : فيما يستقبلونه[٣] من أهوال الآخرة[٤] **﴿ ولا هم يحزنون ﴾** علىٰ ما وراءهم في الدنيا .

وقال عبد اللَّه بن مسعود(٥٣) وابن عباس(٥٤) وغير واحد من السلف : أولياء اللَّه الذين إذا رءوا ذكر اللَّه .

وقد ورد هذا في حديث مرفوع ؛ كما قال البزار(٥٥) :

(٥٢) - **صحيح** ، تقدم تخريجه [سورة الأعراف / آية ١٨٧] .

(٥٣) - **إسناده ضعيف** ، أخرجه ابن جرير (١٣١/١١) عن سفيان بن وكيع ، ثنا زيد بن الحباب عن حبيب ابن أبي ثابت عن أبي وائل عن عبد الله فذكره ، وسفيان بن وكيع ساقط الحديث، وقد رواه القاسم بن محمد ابن أبي شيبة عن زيد بن الحباب به مرفوعًا ، أخرجه الطبراني « المعجم الكبير » (١٠٤٧٦/١٠) والقاسم هذا واهٍ متروك الحديث .

(٥٤) - **إسناده ضعيف** ، أخرجه ابن جرير (١٣١/١١) وفي إسناده محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وهو ضعيف .

(٥٥) - ذكره الهيثمي في « المجمع » (٨١/١٠) قال : « رواه البزار عن شيخه علي بن حرب الرازي ولم أعرفه وبقية رجاله وثقوا » ، وأخرجه ابن المبارك في « الزهد » (٢١٨) من طريق محمد بن سعيد به ، والنسائي في « التفسير » (١١٢٣٥/٦) من طريق عثمان نا يعقوب به ، وأخرجه الطبراني في « الكبير » (١٢٣٢٥/١٢) ومن طريقه أبو نعيم في « أخبار أصبهان » (٢٣٠/١ ، ٢٣١) ، والمقدسي في « المختارة » (١٠/رقم ١٠٤) عن أشعث بن إسحاق عن جعفر بن أبي المغيرة به ، ومن هذا الطريق ذكره الهيثمي =

[١] - في ز : « أنه » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « يستقبلون » .
[٤] - في ز : « القيامة » .

حدثنا علي بن حرب الرازي ، حدثنا محمد بن سعيد بن سابق ، حدثنا يعقوب بن عبد الله الأشعري وهو القمي ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال رجل : يا رسول الله ، من أولياء الله ؟ قال : « **الذين إذا رءوا ذكر الله** » . ثم قال البزار : وقد روي عن سعيد مرسلًا(٥٦) .

وقال ابن جرير(٥٧) : حدثنا أبو هشام الرفاعي ، حدثنا ابن[١] فضيل ، حدثنا أبي ، عن عمارة بن القعقاع ، عن أبي زرعة بن[٢] عمرو بن جرير البجلي ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن من عباد الله عبادًا يغبطهم الأنبياء والشهداء** » . قيل : من هم يا رسول الله ؛ لعلّنا نحبهم ؟ قال : « **هم قوم تحابوا في الله من غير أموال ولا أنساب ، وجوههم نور علىٰ منابرَ من نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس** » . ثم قرأ : ﴿ **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون** ﴾ .

= في « المجمع » وقال : « رواه الطبراني ورجاله ثقات » قلت : جعفر هذا ، صدوق يهم - كما في « التقريب » - وقد اختلف عليه فيه فروي عنه عن سعيد بن جبير موصولًا - كما تقدم - ومرسلًا - وهو الآتي .

(٥٦) - أخرجه ابن جرير (١١/١٣١ ، ١٣٢) ، وتابع جعفر بن أبي المغيرة على إرساله سهل أبو أسد القراري الحنفي - وهو ثقة - أخرجه ابن جرير أيضًا وابن المبارك في « الزهد » (٢١٧) ، وأخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٦/١) (٢٣١/٧) من طريق بكير بن الأخنس عن سعيد مرسلًا ، وبهذا الإرسال أعل الشيخ الألباني الحديث في «الصحيحة» (١٧٣٣/٤) - وقد كان حسنه عند رقم (١٦٤٦/٤) - لكنه ظن أن طريق البزار ليس فيها - جعفر بن أبي المغيرة ، فقال بعد كلام الهيثمي المذكور أولًا - فالظاهر أنه من طريق أخرى غير الأولى فالحديث به يتقوى ، وعلي بن حرب الرازي لعله الطائي الرازي فإنه من هذه الطبقة ، وهو صدوق فاضل ، والله أعلم » ، كذا قال الشيخ ، وقد تبين أن إسناد البزار الموصول فيه جعفر بن أبي المغيرة وهو سبب إعلال الحديث ، والصحيح في الحديث الإرسال والله أعلم .

(٥٧) - « التفسير » لابن جرير (١٣٢/١١) ، وأخرجه النسائي في « التفسير » من الكبرى (١١٢٣٦/٦) ، والبيهقي في «الشعب» (٨٩٩٧/٦) من طريقين عن محمد بن فضيل به ، وقد رواه ابن فضيل عن عمارة بن القعقاع مباشرة دون واسطة أبيه ، أخرجه أبو يعلى (٦١١٠/١٠) ، وعنه ابن حبان (٥٧٣/٢ - الإحسان) و(٢٥٠٨/٨ - موارد) وهذا إسناد حسن إلا أن البيهقي أعله فقال : « كذا قال عن أبي هريرة ، وهو وهم ، والمحفوظ عن أبي زرعة عن عمر بن الخطاب - يأتي بعد هذا الحديث - ، وأبو زرعة عن عمر مرسلًا » .

وله طريق آخر عن أبي هريرة أخرجه البزار (٢٣١٠/٢ - مختصر الزوائد) لكن في إسناده جهالة كما قال ابن حجر ، ومن قبله قال شيخه الهيثمي في « المجمع » (٢٨٠/١٠) : « فيه من لم أعرفهم » . والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٥٥٧/٣) إلى ابن أبي الدنيا وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه .

[١] - في ز : « أبو » . [٢] - في ت : « عن » .

ثم رواه أيضًا(٥٨) أبو[١] داود من حديث جرير ، عن عمارة بن القعقاع ، عن أبي زرعة ابن عمرو بن جرير ، عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم بمثله .

وهذا أيضًا إسناد جيد إلا أنه منقطع بين أبي زرعة وعمر بن الخطاب ، والله أعلم .

وفي حديث الإمام أحمد(٥٩) : عن أبي النضر ، عن عبد الحميد بن بهرام ، عن شهر بن حوشب ، عن عبد الرحمن بن غنم ، عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **يأتي من أفناء الناس ونوازع القبائل قوم لم تتصل بينهم أرحام متقاربة ، تحابوا في الله وتصافوا في الله ، يضع الله لهم يوم[٢] القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها ، يفزع الناس ولا يفزعون ، وهم أولياء الله الذين لاخوف عليهم ولا هم يحزنون** » . والحديث متطول .

---

(٥٨) - « التفسير » لابن جرير (١١/١٣٢) ، وأبو داود ، كتاب : البيوع ، باب : في الرهن (٣٥٢٧) ، وابن أبي حاتم (٦/١٠٤٥٣) ، والبيهقي في « الشعب» (٦/٨٩٩٨) ، وأخرجه البيهقي أيضًا (٨٩٩٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/٥) من طريق قيس بن الربيع ثنا عمارة بن القعقاع به ، وأخرجه هناد في « الزهد » (٢/٤٧٤) من طريق عمرو بن مرة عن طلق عن عمر بن الخطاب فذكره بنحوه ، لكن قال أبو زرعة - كما في « جامع التحصيل » للعلائي (ص٢٠٢) - : « طلق بن حبيب عن عمر - رضي الله عنه - مرسل » ، والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣/٥٥٧) إلى ابن مردويه .

(٥٩) - « المسند » (٢٣٠١٣) (٥/٣٤٣) ، وأخرجه ابن المبارك في « الزهد » (٧١٤) ، وابن جرير (١١/ ١٣٢) وابن أبي حاتم (٦/١٠٤٥٢) من طريق عبد الحميد بن بهرام به ، وأخرجه عبد الرزاق في « المصنف » (١١/٢٠٣٢٤) ومن طريقه الطبراني في « الكبير » (٣/٣٤٣٣) ، والبيهقي في «الشعب» (٦/ ٩٠٠١) عن معمر عن ابن أبي حسين عن شهر بن حوشب عن أبي مالك الأشعري فذكره بنحوه وأخرجه الطبراني (٣٤٣٤) من طريق آخر عن شهر بن حوشب عن أبي مالك وليس فيه عبد الرحمن بن غَنم ، وأخرجه أبو يعلى (١٢/٦٨٤٢) ، والطبراني (٣٤٣٥) من طريق أبي المنهال ثنا شهر بن حوشب قال : كان منا رجل معشر الأشعريين .... يقال له مالك أو ابن مالك ثم ذكر الحديث ، وشهر بن حوشب فيه ضعف يسير ، قال عنه الحافظ في « التقريب » : صدوق كثير الإرسال والأوهام ، وذكره المنذري في « الترغيب والترهيب » (٤/٢١ ، ٢٢) وقال : « رواه أحمد وأبو يعلى بإسناد حسن والحاكم وقال : صحيح الإسناد » وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٠/٢٧٩ ، ٢٨٠) وقال : « رواه كله أحمد والطبراني بنحوه .... ورجاله وثقوا » وقال عن رواية أبي يعلى : « ... رجاله رجال الصحيح غير شهر بن حوشب وقد وثقه غير واحد » والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣/٥٥٨) إلى ابن أبي الدنيا في « كتاب الإخوان » وابن مردويه .

---

[١] - في ز ، خ : « وأبو » .

[٢] - في ز : « في » .

وقال الإمام أحمد(٦٠) : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا سفيان ، عن الأعمش ، عن ذكوان أبي صالح ، عن رجل ، عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم في قوله : ﴿ **لهم البشرىٰ في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾ قال : « **الرؤيا الصالحة ، يراها المسلم أو تُرَىٰ له** » .

وقال ابن جرير(٦١) : حدثني أبو السائب ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن عطاء بن يسار ، عن رجل من أهل مصر ، عن أبي الدرداء في قوله : ﴿ **لهم البشرىٰ في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾ قال : سأل رجل أبا[١] الدرداء عن هذه الآية فقال : لقد سألت عن شيء ما سمعت أحدًا[٢] سأل عنه بعد رجل سأل[٣] عنه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال[٤]: « **هي الرؤيا الصالحة ، يراها الرجل المسلم أو تُرىٰ له ، بشراه في الحياة الدنيا ، وبشراه في الآخرة الجنة**[٥]» . ثم رواه ابن جرير(٦٢) [من حديث][٦] سفيان عن ابن[٧] المنكدر عن عطاء بن يسار ، عن رجل من أهل مصر : أنه سأل أبا الدرداء عن هذه الآية فذكر نحو ما تقدم .

ثم[٨] قال ابن جرير(٦٣) : حدثني المثنىٰ ، حدثنا حجاج بن منهال ، حدثنا حماد بن

(٦٠) - **إسناده فيه جهالة** ، « **المسند** » (٢٧٦١٧) (٦/٤٤٥) ومن طريق عبد الرزاق أخرجه ابن جرير (١٣٥/١١) ، وانظر ما بعده .

(٦١) - **كسابقه** ، تفسير ابن جرير (١٣٤/١١) ، وأخرجه أحمد (٢٧٦٦٣) (٤٥٢/٦) ثنا أبو معاوية به ، وأخرجه أيضًا (٢٧٦٢٧) (٤٤٧/٦) ، وابن جرير (١٣٥/١١) وابن أبي شيبة في « المصنف» كتاب : الإيمان والرؤيا ، باب : ما قالوا في تعبير الرؤيا (٢٣٠/٧) ، والبيهقي في «الشعب» (٤٧٥١/٤) ، وعلقه ابن عبد البر في « التمهيد » (٥٩/٥) من طرق عن الأعمش به ، وتابعه عبد العزيز بن رفيع عن أبي صالح به أخرجه أحمد (٢٧٦٢٨) (٤٤٧/٦) ، والترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة يونس (٣١٠٥) ، وابن جرير (١٣٦/١١) ، والحاكم (٣٩١/٤) شاهدًا ، والحميدي في مسنده (٣٩١ ، ٣٩٢) ومن طريقه البيهقي في « الشعب » (٤٧٥٢) ، وابن عبد البر في « التمهيد » وقال : « هذا حديث حسن في التفسير المرفوع صحيح من نقل أهل المدينة » وفيه جهالة لكن له طريق موصول يأتي (٦٣) .

(٦٢) - **كسابقه** ، **تفسير ابن جرير** (١٣٤/١١)، وأحمد (٢٧٦٢٨) (٤٤٧/٦)، والترمذي ، كتاب : الرؤيا ، باب : قوله : ﴿ **لهم البشرى في الحياة الدنيا** ﴾ (٢٢٧٤) ، (٣١٠٥) وحسنه ، وانظر ما بعده ، وما قبله .

(٦٣) - **إسناده حسن من أجل عاصم بن بهدلة** ، تفسير ابن جرير (١٣٦/١١) ، وأخرجه أيضًا ، وابن =

[١] - في ز : « أبو » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « سألت » .
[٤] - في ز : « قال » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في خ : « عن » .
[٧] - في خ : « أبي » .
[٨] - في ز : « و » .

زيد ، عن عاصم بن بهدلة ، عن أبي صالح قال : سمعت أبا الدرداء سئل عن [هذه الآية][١] ﴿ **الذين آمنوا وكانوا يتقون * لهم البشرىٰ** ﴾ فذكر نحوه سواء .

وقال الإمام أحمد(٦٤) : حدثنا عفان حدثنا أبان ، حدثنا يحيىٰ ، عن أبي سلمة ، عن عبادة بن الصامت : أنه سأل رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقال : يا رسول اللّٰه ، أرأيت قول اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **لهم البشرىٰ في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾ فقال : « **لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد من أمّتي – أو قال**[٢]: « **أحد قبلك** » قال[٣]: « **تلك الرؤيا الصالحة ، يراها الرجل الصالح أو تُرىٰ له** » .

وكذا رواه أبو داود الطيالسي(٦٥) عن عمران القطان ، عن يحيىٰ بن أبي كثير به .

ورواه الأوزاعي(٦٦) : عن يحيىٰ بن أبي كثير فذكره ، ورواه علي بن المبارك(٦٧) ، عن يحيىٰ ، عن أبي سلمة قال : نبئنا عن عبادة بن الصامت : سأل رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم عن هذه الآية فذكره .

وقال ابن جرير(٦٨) : حدثني أبو حميد الحمصي ، حدثنا يحيىٰ بن سعيد ، حدثنا عمر بن

= أبي شيبة في « المصنف » (٧/٢٣١) ثنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم به .

(٦٤) - **إسناده فيه انقطاع بين أبي سلمة وعبادة** ، « **المسند** » (٢٢٧٩١) (٥/٣١٥) ، وأخرجه الدارمي ، كتاب : الرؤيا ، باب : في قوله تعالى : ﴿ **لهم البشرى في الحياة الدنيا** ﴾ (٢١٤٢) ، وابن جرير (١١/ ١٣٤ ، ١٣٦) من طريق أبان به ، وانظر ما بعده .

(٦٥) - **كسابقه** ، لم أقف عليه في « المطبوع » من مسنده ، وأخرجه من طريقه الترمذي ، كتاب : الرؤيا ، باب : قوله : ﴿ **لهم البشرى في الحياة الدنيا** ﴾ (٢٢٧٦) مقرونًا بـ « عمران القطان » حرب بن شداد ، وطريق حرب أخرجه الطيالسي (٥٨٣) ، وأحمد (٢٢٨٤٥)(٥/٣٢١)، والحاكم (٤/٣٩١) ، والبيهقي في « الشعب » (٤٧٥٣/٤)، وقال الترمذي : « حديث حسن » . والحاكم وقال : « حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي ، كذا قالوا ، وقد أفاد المزي في ترجمة « أبي سلمة بن عبد الرحمن » أنه لم يسمع من عبادة بن الصامت والله تعالى أعلم .

(٦٦) - أخرجه ابن جرير (١١/١٣٣ ، ١٣٥) .

(٦٧) - أخرجه أحمد (٢٢٧٩٠) (٥/٣١٥) ، وابن ماجة ، كتاب : تعبير الرؤيا ، باب : الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له (٣٨٩٨) ، وابن جرير (١١/١٣٤ ، ١٣٦) - وفي المطبوع منه تحريفات مزرية نبه عليها العلامة محمود شاكر عند تحقيقه له (١٧٧٢١) - والحاكم (٢/٣٤٠) وقال : « حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي ، وقد تبين لك ما فيه ، فانظر ما تقدم قبله .

(٦٨) - تفسير ابن جرير (١١/١٣٤) ، وأخرجه ابن أبي عاصم في « السنة » (١/٤٨٧) من طريق صفوان=

---

[١] - سقط من : خ . [٢] - سقط من : ز .

[٣] - سقط من : ت .

عمرو بن عبد الأحموسي عن حميد بن عبد الله المزني قال : أتى رجل عبادة بن الصامت فقال : آية فى كتاب الله أسألك عنها : قول الله تعالى : ﴿ **لهم البشرى في الحياة الدنيا** ﴾ ؟ فقال عبادة : ما سألني عنها أحد قبلك ، سألت عنها نبي الله ؟ فقال مثل ذلك : « **ما سألني عنها أحد قبلك ، الرؤيا الصالحة يراها العبد المؤمن في المنام أو تُرىٰ له** » .

ثم رواه(٦٩) من حديث موسىٰ بن عبيدة ، عن أيوب بن خالد بن صفوان ، عن عبادة بن الصامت ؛ أنه قال لرسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم : ﴿ **لهم البشرىٰ في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾ فقد عرفنا بشرىٰ الآخرة الجنة ، فما بشرىٰ الدنيا ؟ قال : « **الرؤيا الصالحة يراها العبد المؤمن**[١] **أو ترىٰ له ، وهي جزء من أربعة وأربعين جزءًا أو سبعين جزءًا من النبوة** » .

وقال الإمام أحمد أيضًا(٧٠) : حدثنا بهز ، حدثنا حماد ، حدثنا أبو عمران ، عن عبد الله ابن الصامت ، عن أبي ذر أنه قال : يا رسول الله ؛ الرجل يعمل العمل ويحمده الناس عليه ، ويثنون عليه به ؟ فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **تلك عاجل بشرىٰ المؤمن** » . رواه مسلم .

وقال أحمد أيضًا(٧١) : حدثنا حسن - يعني الأشيب - حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا دراج ، عن عبد الرحمن بن جبير ، عن عبد الله بن عمرو ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « ﴿ **لهم البشرىٰ في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾ - قال - الرؤيا الصالحة يُبَشَّرُها المؤمن هي جزء[٢] من تسعة وأربعين جزءًا من النبوة ، فمن رأىٰ ذلك[٣] فليخبر بها ، ومن

= ابن عمرو عن حميد بن عبد الرحمن فذكره بزيادة فيه ، كذا وقع « حميد بن عبد الرحمن » وهو ثقة ، إلا أن الشيخ الألباني أفاد أن راوى هذا الحديث إنما هو حميد بن عبد الله ، وأن حميد بن عبد الرحمن خطأ من ناسخ الكتاب ، وقد صححه الشيخ أيضًا في « الصحيحة » (١٧٨٦/٤) .

(٦٩) - **إسناده ضعيف** ، (١٣٥/١١) ، وموسى بن عبيدة ضعيف ، وأيوب بن خالد ، لم أقف على من صرح بأن له رواية عن عبادة بن الصامت ، والله أعلم .

(٧٠) - **صحيح** ، (٢١٤٥٩) (١٥٦/٥) ، وأخرجه أيضًا (٢١٥٥٨) (١٦٨/٥) ، ومسلم ، كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : إذا أثنى على الصالح فهى بشرى ولا تضره (١٦٦) (٢٦٤٢) ، وابن ماجة ، كتاب : الزهد ، باب : الثناء الحسن (٤٢٢٥) من طريق أبي عمران الجوني به .

(٧١) - **إسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة** ، « **المسند** » (٢١٩/٢ - ٢٢٠) وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٧٨/٧) وقال : « رواه أحمد من طريق ابن لهيعة عن دراج وحديثهما حسن ، وفيهما ضعف ، =

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

رأىٰ سوىٰ ذلك فإنما هو من الشيطان ليحزنه ، فلينفث عن يساره ثلاثًا ، وليسكتْ(*) ولا يخبر بها أحدًا » . لم يخرجوه .

وقال ابن جرير(٧٢) : حدثني يونس ، أنبأنا ابن وهب ، حدثني عمرو بن الحارث ، أن دراجًا أبا السمح حدثه ، عن عبد الرحمن بن جبير ، عن عبد اللّٰه بن عمرو ، عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أنه قال : « **﴿لهم البشرىٰ في الحياة الدنيا﴾** الرؤيا الصالحة يشربها(**) المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة » .

وقال أيضًا(٧٣) : حدثني محمد بن حاتم المؤدب ، حدثنا عمار بن محمد ، حدثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم **﴿ لهم البشرىٰ في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾** قال : **« هي في الدنيا الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترىٰ له ، وهي في الآخرة الجنة »** .

ثم رواه(٧٤) عن أبي كريب ، عن أبي بكر بن عياش ، عن أبي حصين ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة أنه قال : الرؤيا الحسنة بشرىٰ من اللّٰه ، وهي من المبشرات .

هكذا رواه من هذه الطريق موقوفًا .

وقال أيضًا(٧٥) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا أبو بكر ، حدثنا هشام ، عن ابن سيرين ، عن

= وبقية رجاله ثقات » وانظر ما بعده .

(*) في (خ ، ز) : « وليكبر » ، والمثبت من المسند وهو أشبه بالصواب » .

(٧٢) - **إسناده حسن من أجل دراج أبي السمح** ، تفسير ابن جرير (١٣٧/١١) ، وأخرجه البيهقي في « الشعب » (٤٧٦٤/٤) من طريق ابن وهب به مطولًا ، وله طريق آخر عند ابن جرير (١٣٥/١١) وفي إسناده رشدين بن سعد وهو ضعيف . وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٥٥٩/٣) إلى أبي الشيخ وابن مردويه .

(**) في (خ ، ز) : « يبشرها » ، والمثبت من ابن جرير .

(٧٣) - تفسير ابن جرير (١٣٥/١١) ، وعمار بن محمد صدوق يخطئ ، كما في « التقريب » ، وأخرجه مسلم ، كتاب : الرؤيا (٨) (٢٢٦٣) ، وأحمد (٤٩٥/٢) من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعًا بلفظ « **رؤيا المسلم يراها أو ترى له ، جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة** » .

(٧٤) - تفسير ابن جرير (١٣٥/١١) ، وأخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » ، كتاب : الرؤيا ، باب : ما قالوا في تعبير الرؤيا (٢٣١/٧) ثنا أبو بكر بن عياش بهذا الإسناد ، وأخرج البخاري ، كتاب : التعبير ، باب : المبشرات (٦٩٩٠) عن أبي هريرة مرفوعًا « **لم يبق من النبوة إلا المبشرات** » . قالوا وما المبشرات ؟ قال : « **الرؤيا الصالحة** » .

(٧٥) - **صحيح** ، تفسير ابن جرير (١٣٤/١١ - ١٣٥) ، وأخرج البخاري (٧٠١٧) ، ومسلم (٦) (٢٢٦٣) وغيرهما من طريق محمد بن سيرين عن أبي هريرة مرفوعًا - ضمن حديث طويل -: «... **فالرؤيا الصالحة بشرى من الله** ....» .

أبي هريرة ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **الرؤيا الحسنة هي البشرى يراها المسلم أو ترى له** » .

وقال ابن جرير(٧٦) : حدثني أحمد بن حماد الدولابي ، حدثنا سفيان ، عن عبيد الله بن أبي يزيد ، عن أبيه ، عن سباع بن ثابت ، عن أم كرز الكعبية ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **ذهبت النبوة وبقيت المبشرات** » .

وهكذا روي عن ابن مسعود(٧٧) وأبي هريرة(٧٨) ، وابن عباس(٧٩) ومجاهد ، وعروة بن الزبير ، ويحيى بن أبي كثير ، وإبراهيم النخعي ، وعطاء بن أبي رباح وغيرهم[١]؛ أنهم فسروا ذلك بالرؤيا الصالحة .

وقيل : المراد بذلك[٢] بشرى الملائكة للمؤمن عند احتضاره بالجنة والمغفرة ، كقوله تعالى : ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون * نزلاً من غفور رحيم** ﴾ .

وفي حديث البراء(٨٠) - رضي الله عنه - أن المؤمن إذا حضره الموت ، جاءه ملائكة بيض الوجوه ، بيض الثياب ، فقالوا : اخرجي أيتها الروح الطيبة ؛ إلى روح وريحان ورب غير غضبان ، فتخرج من فمه كما تسيل القطرة من فم السقاء .

وأما بشراهم في الآخرة فكما قال تعالى : ﴿ **لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى**

---

(٧٦) - **صحيح** ، تفسير ابن جرير (١٣٥/١١) ، وأخرجه الحميدي (٣٤٨)- ومن طريقه ابن عبد البر في «التمهيد» (٥٧/٥) ، وأحمد (٢٧٢٥٣) (٣٨١/٦) ، وابن ماجة ، كتاب : تعبير الرؤيا ، باب : الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له (٣٨٩٦) ، والدارمي (٢١٤٤) من طريق سفيان بن عيينة به وقال البوصيري في « الزوائد » (٢١٢/٣) « هذا إسناد صحيح رجاله ثقات » وصححه ابن حبان (٦٠٤٧/١٣) ، وأبو زيد والد عبيد الله وهو المكي لم يرو عنه غير ابنه ، ووثقه ابن حبان (٦٥٧/٧) والعجلي (ت ٢٠٦٦) وكلاهما معروف بتساهله ، لكن يشهد له حديث أبي هريرة المتقدم تخريجه - تحت رقم (٧٤) .

(٧٧) - **صحيح موقوف** ، أخرجه ابن جرير (١٣٧/١١) .

(٧٨) - تقدم برقم (٧٤) .

(٧٩) - أخرجه ابن جرير (١٣٧/١١) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٣٢/٧) من طريق جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عنه ، وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عنه به .

(٨٠) - **صحيح** ، يأتي (سورة إبراهيم / آية ٢٧) .

---

[١] - سقط من : ز ، خ . [٢] - في ز : « من ذلك » .

نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم ﴾ .

وقوله : ﴿ **لا تبديل لكلمات الله** ﴾ أي : هذا الوعد لا يبدل ولا يخلف ولا يغير ، بل هو مقرر مثبت كائن لا محالة ﴿ **ذلك هو الفوز العظيم** ﴾ .

وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾

يقول تعالىٰ لرسوله صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **ولا يحزنك** ﴾ قول هؤلاء المشركين واستعن بالله عليهم وتوكل عليه ، فـ ﴿ **إن العزة لله جميعًا** ﴾ أي : جميعها له ولرسوله وللمؤمنين ﴿ **هو السميع العليم** ﴾ أي : السميع لأقوال عباده ، [العليم بأحوالهم][١] .

ثم أخبر تعالىٰ أن له ملك السموات والأرض ، وأن المشركين يعبدون الأصنام ، وهي لا تملك شيئًا ، لاضرًا ولا نفعًا ، ولا دليل لهم علىٰ عبادتها ، بل إنما يتبعون في ذلك ظنونهم وتخرصهم وكذبهم وإفكهم .

ثم أخبر أنه الذي جعل لعباده الليل ليسكنوا فيه ، أي : يستريحون فيه من نصبهم وكلالهم وحركاتهم ﴿ **والنهار مبصرًا** ﴾ أي : مضيئًا لمعاشهم وسعيهم وأسفارهم ومصالحهم ﴿ **إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون** ﴾ أي : يسمعون هذه الحجج والأدلة فيعتبرون بها ، ويستدلون علىٰ عظمة خالقها ومقدرها ومسيرها .

قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِىُّ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « عليم بهم » .

ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

يقول تعالىٰ منكرًا علىٰ من ادعىٰ أن له ولدًا ﴿ **سبحانه هو الغني** ﴾ أي : تقدس عن ذلك ، هو الغني عن كل ما سواه ، وكل شيء فقير إليه ﴿ **له ما في السموات وما في الأرض** ﴾ أي : فكيف يكون[١] له ولد مما خلق ، وكل شيء مملوك له عبد له ﴿ **إن عندكم من سلطانٍ بهذا** ﴾ أي : ليس عندكم دليل علىٰ ما تقولونه من الكذب والبهتان ﴿ **أتقولون علىٰ الله ما لا تعلمون** ﴾ إنكار ووعيد أكيد وتهديد شديد ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **وقالوا اتخذ الرحمنُ ولدًا * لقد جئتم شيئًا إدًّا * تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًّا * أن دعوا للرحمن ولدًا * وما ينبغي للرحمٰن أن يتخذ ولدًا * إن كل من في السموات والأرض إلا آت الرحمن عبدًا * لقد أحصاهم وعدهم عدًّا * وكلهم آتيه يوم القيامة فردًا** ﴾ .

ثم توعد تعالىٰ الكاذبين عليه المفترين ، ممن زعم أن له ولدًا ، بأنهم لا يفلحون في الدنيا ولا في الآخرة ، فأما في الدنيا فإنهم إذا استدرجهم وأملىٰ لهم متعهم قليلًا ثم يضطرهم[٢] إلىٰ عذاب غليظ ، كما قال تعالىٰ هاهنا : ﴿ **متاع في الدنيا** ﴾ أي : مدة قريبة ﴿ **ثم إلينا مرجعهم** ﴾ أي : يوم القيامة ﴿ **ثم نذيقهم العذاب الشديد** ﴾ أي : الموجع المؤلم ﴿ **بما كانوا يكفرون** ﴾ أي : بسبب كفرهم وافترائهم وكذبهم علىٰ الله فيما ادعوه من الإفك والزور .

۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

يقول تعالىٰ لنبيه - صلوات اللّٰه وسلامه عليه - : ﴿ **واتل عليهم** ﴾ أي : أخبرهم واقصص ﴿عليهم﴾ ، أي : علىٰ كفار مكة الذين يكذبونك ويخالفونك ﴿ **نبأ نوح** ﴾ أي : خبره مع قومه الذين كذبوه ، كيف أهلكهم اللّٰه ودمرهم بالغرق أجمعين عن آخرهم ، ليحذر هؤلاء أن يصيبهم من الهلاك والدمار ما أصاب أولئك ﴿ **إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم** ﴾ أي : عَظُمَ عليكم ﴿ **مقامي** ﴾ أي : فيكم بين أظهركم ﴿ **وتذكيري** ﴾ إياكم ﴿ **بآيات اللّٰه** ﴾ أي : بحججه وبراهينه ﴿ **فعلىٰ اللّٰه توكلت** ﴾ أي : فإني لا أبالي ولا أكف[١] عنكم ، سواء عظم عليكم أو لا ﴿ **فأجمعوا أمركم وشركاءكم** ﴾ أي : فاجتمعوا أنتم وشركاؤكم الذين تدعون من دون اللّٰه من صنم ووثن ﴿ **ثم لا يكن أمركم عليكم غمة** ﴾ أي : ولا تجعلوا أمركم عليكم[٢] ملتبسًا ، بل افصلوا حالكم معي ، فإن كنتم تزعمون أنكم محقون ﴿ **فاقضوا إلي ولا تنظرون** ﴾ أي : ولا تؤخروني ساعة واحدة ، أي : مهما قدرتم فافعلوا فإني لا أباليكم[٣] ولا أخاف منكم ؛ لأنكم[٤] لستم علىٰ شيء ، كما قال هود لقومه : ﴿ **إني أشهد اللّٰه واشهدوا أني بريء مما تشركون * من دونه فكيدوني جميعًا ثم لا تنظرون * إني توكلت علىٰ اللّٰه ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم** ﴾ .

وقوله[٥]: ﴿ **فإن توليتم** ﴾ أي : كذبتم وأدبرتم عن الطاعة ﴿ **فما سألتكم من أجر** ﴾ أي : لم أطلب منكم علىٰ نصحي إياكم شيئًا ﴿ **إن أجري إلا علىٰ اللّٰه وأمرت أن أكون من المسلمين** ﴾ أي : [وأنا ممتثل][٦] ما أمرت به من الإسلام للّٰه - عز وجل - والإسلام هو دين جميع الأنبياء من أولهم إلىٰ آخرهم ، وإن تنوعت شرائعهم وتعددت مناهجهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا** ﴾ قال ابن عباس(٨١) : سبيلًا وسنة .

فهذا نوح يقول : ﴿ **وأمرت أن أكون من المسلمين** ﴾ ، وقال تعالىٰ عن إبراهيم الخليل : ﴿ **إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين * ووصىٰ بها إبراهيم بنيه ويعقوبُ يا بني إن اللّٰه اصطفىٰ لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾ ، وقال يوسف : ﴿ **رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلمًا وألحقني بالصالحين** ﴾ ، وقال موسىٰ : ﴿ **يا قوم إن كنتم آمنتم باللّٰه فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين** ﴾ ، وقالت السحرة : ﴿ **ربنا أفرغ علينا صبرًا وتوفنا مسلمين** ﴾ ، وقالت بلقيس : ﴿ **رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان للّٰه رب**

---

(٨١) - تقدم (المائدة/ آية ٤٨) .

---

[١] - في ز ، خ : « أفكر » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « أبالكم » .
[٤] - في ز : « أنكم » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « اتل متثل » .

العالمين ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **إنا أنزلنا التوراة فيها هدىً ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وإذ أوحيت إلىٰ الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون** ﴾ ، وقال خاتم الرسل وسيد البشر صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : ﴿ **إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي للّٰه رب العالمين * لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين** ﴾ أي : من هذه الأمة ، ولهذا قال في الحديث الثابت عنه(٨٢) : « **نحن - معاشر الأنبياء - أولاد علات** ، و[١]**ديننا واحد** » . أي : هو عبادة اللّٰه وحده لا شريك له وإن تنوعت شرائعنا ، و ذلك معنىٰ قوله : « **أولاد علّات** » ، وهم الإخوة من أمّهات شتىٰ والأب واحد .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **فكذبوه فنجيناه ومن معه** ﴾ أي : علىٰ دينه ﴿ **في الفلك** ﴾ وهي السفينة ﴿ **وجعلناهم خلائف** ﴾ أي : في الأرض ﴿ **وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين** ﴾ أي : يا محمد ؛ كيف أنجينا المؤمنين وأهلكنا المكذبين .

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ (٧٤)

يقول تعالىٰ : ثم بعثنا من بعد [ ][٢] نوح ﴿ **رسلًا إلىٰ قومهم فجاءوهم بالبينات** ﴾ أي : بالحجج والأدلة والبراهين علىٰ صدق ما جاءوهم به ﴿ **فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل** ﴾ أي : فما كانت الأمم لتؤمن بما جاءتهم به رسلهم ؛ بسبب تكذيبهم إياهم أول ما أرسلوا إليهم ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة** ﴾ .

وقوله : ﴿ **كذلك نطبع علىٰ قلوب المعتدين** ﴾ أي : كما طبع اللّٰه علىٰ قلوب هؤلاء فما آمنوا بسبب تكذيبهم المتقدم ، هكذا يطبع اللّٰه علىٰ قلوب من أشبههم ممن[٣] بعدهم ، ويختم علىٰ قلوبهم فلا يؤمنوا حتىٰ يروا العذاب الأليم .

والمراد أن اللّٰه تعالىٰ أهلك الأمم المكذبة للرسل ، وأنجىٰ من آمن بهم ، وذلك من بعد نوح

(٨٢) - أخرجه البخاري ، كتاب : الأنبياء ، باب : قول الله : ﴿ **واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها** ﴾ (٣٤٤٢) ، ومسلم ، كتاب : الفضائل ، باب : فضائل عيسى عليه السلام (١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥) (٢٣٦٥) ، وأحمد (٣١٩/٢ ، ٤٣٧ ، ٤٦٣ ، ٤٨٢ ، ٥٤١) من حديث أبي هريرة .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « قوم » . [٣] - في ز : « من » .

- عليه السلام - فإن الناس كانوا من قبله من[١] زمان آدم - عليه السلام - [علىٰ الإِسلام][٢]، إلىٰ أن أحدث الناس عبادة الأصنام ، فبعث اللَّه إليهم نوحًا - عليه السلام - ولهذا يقول له المؤمنون يوم القيامة : « **أنت أول رسول بعثه اللَّه إلىٰ أهل الأرض** »(٨٣) .

قال[٣] ابن عباس(٨٤) : كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم علىٰ الإِسلام .

وقال الله تعالىٰ : ﴿ **وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرًا بصيرًا** ﴾ . وفي هذا إنذار عظيم لمشركي العرب الذين كذبوا سيد[٤] الرسل وخاتم الأنبياء والمرسلين ، فإنه إذا كان قد[٥] أصاب من كذب بتلك[٦] الرسل ما ذكره اللَّه تعالىٰ من العقاب والنكال ، فماذا ظن هؤلاء وقد ارتكبوا أكبر من أولئك ؟ .

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **ثم بعثنا** ﴾ من بعد تلك الرسل ﴿ **موسىٰ وهارون إلىٰ فرعون وملئه** ﴾ أي : قومه ﴿ **بآياتنا** ﴾ أي : حججنا وبراهيننا ﴿ **فاستكبروا وكانوا قومًا مجرمين** ﴾ أي : استكبروا عن اتباع الحق والانقياد له ، [وكانوا قومًا مجرمين][٧] ﴿ **فلما جاءهم الحق من**

(٨٣) - أخرجه البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدًا شكورًا** ﴾ (٤٧١٢) ، ومسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : أدنى أهل الجنة منزلة فيها (٣٢٧) (١٩٤) ، والترمذي ، كتاب : صفة القيامة ، باب : ما جاء في الشفاعة (٢٤٣٦) ، والنسائي في التفسير من الكبرى (٦/ ١١٢٨٦) وابن ماجة مختصرًا كتاب : الأطعمة ، باب : أطايب اللحم (٣٣٠٧) ، وأحمد (٢/ ٣٣١ ، ٤٣٥) من حديث أبي هريرة .

(٨٤) - تقدم (سورة البقرة/ آية ٢١٣) ، ومن هذه السورة برقم (٢٠) .

[١] - في ز ، خ : « إلى » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « فقال » .
[٤] - في ز : « بسيد » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « تلك » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين ﴾ كأنهم - قبحهم اللَّه - أقسموا علىٰ ذلك ، وهم يعلمون أن ما قالوه كذب وبهتان ، كما قال تعالىٰ : **﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلمًا وعلوًّا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ﴾** .

﴿ قال ﴾ لهم **﴿ موسىٰ ﴾** منكرًا عليهم **﴿ أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون * قالوا أجئتنا لتلفتنا ﴾** أي : تثنينا **﴿ عما وجدنا عليه آباءنا﴾** أي : الدين الذي كانوا عليه **﴿ وتكون لكما ﴾** أي : لك ولهارون **﴿ الكبرياء ﴾** أي : العظمة والرياسة **﴿ في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين ﴾** .

وكثيرًا ما يذكر اللَّه تعالىٰ قصة موسىٰ - عليه السلام - مع فرعون في كتابه العزيز ؛ لأنها من أعجب القصص ، فإن فرعون حذر من موسىٰ كل الحذر ، فَسَخَّرَهُ القَدَرُ أَنْ رَبَّىٰ هذا الذي يحذر منه علىٰ فراشه ومائدته بمنزلة الولد ، ثم ترعرع وعقد اللَّه له سببًا أخرجه من بين أظهرهم ، ورزقه النبوة والرسالة والتكليم ، وبعثه إليه ليدعوه إلىٰ اللَّه تعالىٰ ليعبده ويرجع إليه ، هذا مع ما كان عليه فرعون من عظمة المملكة والسلطان ، فجاءه برسالة اللَّه تعالىٰ ، وليس له وزير سوىٰ أخيه هارون - عليهما السلام - فتمرد فرعون واستكبر ، وأخذته الحمية ، والنفس الخبيثة الأبية ؛ وقوىٰ رأسه وتولىٰ بركنه ، وادعىٰ ما ليس له ، وتجهرم علىٰ اللَّه وعتىٰ وبغىٰ ، وأهان حِزْبَ الإيمان من بني إسرائيل ، واللَّه تعالىٰ يحفظ رسوله موسىٰ - عليه السلام - وأخاه هارون ، ويحوطهما بعنايته ، ويحرسهما بعينه التي لا تنام ، ولم تزل المحاجة والمجادلة والآيات تقوم علىٰ يد موسىٰ شيئًا بعد شيء ، ومرة[١] بعد مرة ، مما يبهر العقول ، ويدهش الألباب ، مما لا يقوم له شيء ، ولا يأتي به إلا من هو مؤيد من اللَّه **﴿ وما تأتيهم من آية إلا هي أكبر من أختها ﴾** وصمَّم فرعون وملؤه ، قبحهم اللَّه ، علىٰ التكذيب بذلك كله ، والجحد والعناد والمكابرة ، حتىٰ أحل اللَّه بهم بأسه الذي لا يرد ، وأغرقهم في صبيحة واحدة أجمعين **﴿ فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد للَّه رب العالمين ﴾** .

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾

[١] - في ز ، خ : « وكرة » .

ذكر اللّٰه سبحانه قصة السحرة مع موسىٰ - عليه السلام - في سورة الأعراف ، وقد تقدم الكلام عليها هناك ، وفي هذه السورة وفي سورة طه وفي الشعراء وذلك أن فرعون - لعنه اللّٰه - أراد أن يتهرج علىٰ الناس ، ويعارض ما جاء به موسىٰ - عليه السلام - من الحق المبين ، بزخارف السحرة والمشعبذين ، فانعكس عليه النظام ، ولم يحصل له ذلك المرام ، وظهرت البراهين الإلهية في ذلك المحفل العام ﴿ **وألقي السحرة ساجدين * قالوا آمنا برب العالمين * ربِّ موسىٰ وهارون** ﴾ فظن فرعون [أنه ينتصر][1] بالسحار ، علىٰ رسول عالم الأسرار ، فخاب وخسر الجنة واستوجب النار .

﴿ **وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم * فلما جاء السحرةُ قال لهم موسىٰ ألقوا ما أنتم ملقون** ﴾ وإنما قال لهم ذلك ؛ لأنهم لما اصطفوا وقد وعدوا من فرعون بالتقريب والعطاء الجزيل ﴿ **قالوا يا موسىٰ إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقىٰ * قال بل ألقوا** ﴾ . فأراد موسىٰ أن تكون البداءة منهم ليرىٰ الناس ما صنعوا ، ثم يأتي بالحق بعده فيدمغ[2] باطلهم ؛ ولهذا لما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم ﴿ **فأوجس في نفسه خيفة موسىٰ * قلنا لاتخف إنك أنت الأعلىٰ * وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إن ما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتىٰ** ﴾ فعند ذلك قال موسىٰ لما ألقوا : ﴿ **ما جئتم به السحر إن اللّٰه سيبطله إن اللّٰه لا يصلح عمل المفسدين * ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم(٨٥): حدثنا محمد بن عمار بن الحارث ، حدثنا عبد الرحمن - يعني الدشتكي - أخبرنا أبو جعفر الرازي عن ليث - وهو ابن أبي سليم - قال : بلغني أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر بإذن اللّٰه تعالىٰ ، تقرأ في إناء فيه ماء ، ثم يصب علىٰ رأس المسحور ؛ الآية التي من سورة يونس ﴿ **فلما ألقوا قال موسىٰ ما جئتم به السحر إن اللّٰه سيبطله إن اللّٰه لا يصلح عمل المفسدين ويحق اللّٰه الحق بكلماته ولو كره المجرمون** ﴾ . والآية الأخرىٰ : ﴿ **فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون** ﴾ إلىٰ آخر أربع آيات ، وقوله : ﴿ **إن ما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى** ﴾ .

فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾

---

(٨٥) - تفسير ابن أبي حاتم (١٠٥١٤/٦) وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٥٦٤/٣) إلى أبي الشيخ .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ح : « أن يستنصر » . [٢] - في ز : « فيدفع » .

يخبر تعالىٰ أنه لم يؤمن بموسىٰ - عليه السلام - مع ما جاء به من الآيات البينات والحجج القاطعات والبراهين الساطعات ، إلا قليل من قوم فرعون من الذرية وهم الشباب ، علىٰ وجل وخوف منه ومن[١] ملئه أن يردوهم إلىٰ ما كانوا عليه من الكفر ، لأن فرعون [لعنه اللّٰه] كان جبارًا عنيدًا ، مسرفًا في التمرد والعتو ، وكانت له سطوة ومهابة تخاف رعيته منه خوفًا شديدًا .

قال العوفي(٨٦) ، عن ابن عباس : ﴿ **فما آمن لموسىٰ إلا ذرية من قومه علىٰ خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم** ﴾ قال : فإن الذرية التي آمنت لموسىٰ من أناس غير بني إسرائيل من قوم فرعون - يسير ، منهم امرأة فرعون ، ومؤمن آل فرعون ، وخازن فرعون وامرأة خازنه .

وروىٰ علي بن أبي طلحة(٨٧) ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **فما آمن لموسىٰ إلا ذرية من قومه** ﴾ يقول : بني إسرائيل . وعن ابن عباس والضحاك وقتادة : الذرية : القليل .

وقال مجاهد في قوله : ﴿ **إلا ذرية من قومه** ﴾ قال : هم أولاد الذين أرسل إليهم موسىٰ من طول الزمان ومات آباؤهم .

واختار ابن جرير قول مجاهد في الذرية : أنها[٢] من بني إسرائيل لا من قوم فرعون ، لعود الضمير علىٰ أقرب المذكورين ، وفي هذا نظر ؛ لأنه أراد بالذرية الأحداث والشباب وأنهم من بني إسرائيل ، فالمعروف أن بني إسرائيل كلهم آمنوا بموسىٰ - عليه السلام - واستبشروا به ، وقد كانوا يعرفون نعته وصفته والبشارة به من كتبهم المتقدمة ، وأن اللّٰه تعالىٰ سينقذهم به من أسر فرعون ويظهرهم عليه ، ولهذا لما بلغ هذا فرعون حذر كل الحذر فلم يُجْدِ عنه شيئًا ، ولما جاء موسىٰ آذاهم فرعون أشد الأذىٰ و ﴿ **قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسىٰ ربكم أن يُهْلِكَ عدوّكم ويستخلفكم في الأرض فينظرَ كيف تعملون** ﴾ . وإذا تقرر هذا فكيف يكون المراد : إلا ذرية من قوم موسىٰ وهم بنو إسرائيل ؟!

﴿ **علىٰ خوف من فرعون وملئهم** ﴾ أي : وأشراف قومه أن يفتنهم ، ولم يكن في بني إسرائيل من يخاف منه أن يفتن عن الإيمان سوىٰ قارون ، فإنه كان من قوم موسىٰ فبغىٰ

(٨٦) - **إسناده ضعيف** ، أخرجه ابن جرير (١١/١٥٠) ، وعطية العوفي ، ضعيف ، وقد روي عن ابن عباس خلاف ذلك ، وهو الآتي .

(٨٧) - أخرجه ابن جرير (١١/١٥٠) ، وابن أبي حاتم (٦/١٠٥١٦) ، وابن المنذر وأبو الشيخ ، كما في « الدر المنثور » (٣/٥٦٥) .

[١] - سقط من : خ . [٢] - سقط من : ز .

عليهم ، لكنه كان طاويًا إلىٰ فرعون متصلًا به متعلقًا بحباله . ومن قال : إن الضمير في قوله : ﴿ وملئهم ﴾ عائد إلىٰ فرعون وعظم الملك من أجل اتباعه أو بحذف[١] آل فرعون وإقامة المضاف إليه مقامه - فقد أبعد ، وإن كان ابن جرير قد حكاهما عن بعض النحاة . ومما يدل علىٰ أنه لم يكن في بني إسرائيل إلا مؤمن قوله تعالى :

وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ (٨٤) فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةً لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٨٥) وَنَجِّنَا بِرَحۡمَتِكَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ (٨٦)

يقول تعالىٰ مخبرًا عن موسىٰ أنه قال لبني إسرائيل ﴿ **يا قوم إن كنتم آمنتم باللَّه فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين** ﴾ أي : فإن اللَّه كاف من توكل عليه ﴿ **أليس اللَّه بكاف عبده** ﴾ ، ﴿ **ومن يتوكل علىٰ اللَّه فهو حسبه** ﴾ ، وكثيرًا ما يقرن اللَّه تعالىٰ بين العبادة والتوكل ، كقوله[٢] تعالىٰ : ﴿ **فاعبده وتوكل عليه** ﴾ ، ﴿ **قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا** ﴾ ، ﴿ **رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلًا** ﴾ ، وأمر اللَّه تعالىٰ المؤمنين أن يقولوا في كل صلواتهم مرات متعددة : ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ .

وقد امتثل بنو إسرائيل ذلك فقالوا : ﴿ **علىٰ اللَّه توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين** ﴾ أي : [لا تظفرهم][٣] بنا وتسلطهم علينا ، فيظنوا أنهم إنما سلطوا لأنهم علىٰ الحق ونحن علىٰ الباطل فيفتنوا بذلك ، هكذا روي عن أبي مجلز وأبي الضحىٰ .

وقال ابن أبي نجيح وغير واحد ، عن مجاهد : لاتعذبنا بأيدي قوم فرعون ولا بعذاب من عندك ، فيقول قوم فرعون : لو كانوا علىٰ حق ما عذبوا ولا سلطنا عليهم فيفتنوا[٤] بنا .

وقال عبد الرزاق : أنبأنا ابن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ **ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين** ﴾ لا تسلطهم علينا فيفتنونا .

وقوله[٥]: ﴿ **ونجنا [برحمتك** ﴾ أي : خلصنا][٦] برحمة منك وإحسان ﴿ **من القوم الكافرين** ﴾ أي : الذين كفروا الحق وستروه ، ونحن قد آمنا بك وتوكلنا عليك .

---

[١] - في ز : « بخوف » ، خ : « تخوف » .
[٢] - في ز : « كما في قوله » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « بظفرهم » .
[٤] - في ز : « ليفتتنوا » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾﴾

يذكر اللّٰه تعالىٰ سبب إنجائه بني إسرائيل من فرعون وقومه ، وكيفية خلاصهم منهم ، وذلك أن اللّٰه تعالىٰ أمر موسىٰ وأخاه هارون - عليهما السلام - أن يتبوَّءا ، [أي : يتخذا][1] لقومهما بمصر بيوتًا .

واختلف المفسرون في معنىٰ قوله تعالى : ﴿ **واجعلوا بيوتكم قبلة** ﴾ فقال الثوري وغيره(٨٨) ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ﴿ **واجعلوا بيوتكم قبلة** ﴾ قال : أُمِرُوا أن يتخذوها مساجد .

وقال الثوري أيضًا ، عن ابن منصور ، عن إبراهيم ﴿ **واجعلوا بيوتكم قبلة** ﴾ قال : كانوا خائفين ، فأمروا أن يصلوا في بيوتهم .

وكذا قال مجاهد وأبو مالك ، والربيع بن أنس والضحاك ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وأبوه زيد بن أسلم ، وكأن هذا - واللّٰه أعلم - لما اشتد بهم البلاء من قِبَلِ فرعون وقومه وضيقوا عليهم ، أمروا بكثرة الصلاة ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة** ﴾ وفي الحديث(٨٩) : كان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم إذا حزبه أمر صلَّىٰ أخرجه أبو داود ؛ ولهذا قال تعالىٰ في هذه الآية : ﴿ **واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين** ﴾ أي : بالثواب والنصر القريب .

وقال العوفي ، عن ابن عباس في تفسير هذه الآية قال : قالت بنو إسرائيل لموسىٰ - عليه السلام - : لا نستطيع أن نُظهرَ صلاتَنا مع الفراعنة ، فأذن اللّٰه تعالىٰ لهم أن يصلوا في بيوتهم ، وأمروا أن يجعلوا بيوتهم قِبَل القبلة .

وقال مجاهد : ﴿ **واجعلوا بيوتكم قبلة** ﴾ قال[2]: لما خاف بنو إسرائيل من فرعون أن يقتلوا في الكنائس الجامعة ، أمروا أن يجعلوا بيوتهم مساجد مستقبلة الكعبة يصلون فيها سرًّا . وكذا قال قتادة والضحاك ، وقال سعيد بن جبير : ﴿ **واجعلوا بيوتكم قبلة** ﴾ أي :

---

(٨٨) - أخرجه ابن جرير (١٥٣/١١) ، وابن أبي حاتم (١٠٥٢٩/٦) ، والفريابي وابن المنذر ، وأبو الشيخ وابن مردويه ، كما في « الدر المنثور » (٥٦٦/٣) .

(٨٩) - **حسن** ، يأتي (سورة الحجر / آية ٩٩) .

---

[١] - سقط من : خ . [٢] - سقط من : ت .

يقابل[١] بعضها بعضًا .

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾

هذا إخبار من الله تعالىٰ عما دعا به موسىٰ - عليه السلام - علىٰ فرعون وملئه ، لما أبوا قبول الحق واستمروا علىٰ ضلالهم وكفرهم ، معاندين جاحدين ظلمًا وعلوًّا وتكبرًا وعتوًّا قال : ﴿ **ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة** ﴾ أي : من أثاث الدنيا ومتاعها ﴿ **وأموالًا** ﴾ أي : جزيلة كثيرة ﴿ **في** ﴾ هذه ﴿ **الحياة الدنيا ربنا ليَضلوا عن سبيلك** ﴾ بفتح الياء أي : أعطيتهم ذلك ، وأنت تعلم أنهم لا يؤمنون بما أرسلتني به إليهم ، استدراجًا منك لهم ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **لنفتنهم فيه** ﴾ ، وقرأ آخرون ﴿ **ليُضلوا** ﴾ بضم الياء أي : ليفتتن بما أعطيتهم من شئت من خلقك ، ليظن من أغويته أنك إنما أعطيتهم[٢] [ ][٣] هذا لحبك إياهم[٤]، واعتنائك بهم .

﴿ **ربنا اطمس علىٰ أموالهم** ﴾ قال ابن عباس ومجاهد : أي أهلكها . وقال الضحاك وأبو العالية والربيع بن أنس : جعلها الله حجارة منقوشة كهيئة ما كانت .

وقال قتادة : بلغنا أن زروعهم تحولت حجارة .

وقال محمد بن كعب القرظي : جعل سكّرهم حجارة[٥].

وقال ابن أبي حاتم(٩٠) : حدثنا إسماعيل بن أبي الحارث ، حدثنا يحيىٰ بن أبي بكير ، عن أبي معشر ، حدثني محمد بن قيس ؛ أن محمد بن كعب قرأ سورة يونس علىٰ عمر ابن عبد العزيز [حتىٰ بلغ][٦] ﴿ **وقال موسىٰ ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالًا في**

---

(٩٠) - إسناده ضعيف لضعف أبي معشر وهو نجيح بن عبد الرحمن

التفسير (١٠٥٤٣/٦) وأخرجه ابن المنذر وأبو الشيخ ، كما في « الدر المنثور » (٥٦٦/٣) .

---

[١] - في ز : « تقابل » .
[٢] - في خ : « أعطيت » .
[٣] - في ز ، خ : هؤلاء .
[٤] - في ز : « لهم » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

الحياة الدنيا ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **ربنا اطمس علىٰ أموالهم** ﴾ . الآية . [فقال له عمر : يا أبا حمزة ؛ أي : شيءٍ الطمسُ ؟ قال : عادت أموالهم كلها حجارة][١]. فقال [ ][٢] عمر بن عبد العزيز لغلام له : ائتني بكيس ، [فجاءه بكيس][٣] فإذا فيه حمص وبيض قد قُطِّعَ قد حُوِّل حجارة .

وقوله : ﴿ **واشدد علىٰ قلوبهم** ﴾ قال ابن عباس : أي : اطبع عليها . ﴿ **فلا يؤمنوا حتىٰ يروا العذاب الأليم** ﴾ .

وهذه الدعوة كانت من موسىٰ - عليه السلام - غضبًا للّٰه ولدينه علىٰ فرعون وملئه الذين تبين له أنهم لا خير فيهم ولا يجيء منهم شيء ، كما دعا نوح - عليه السلام - فقال : ﴿ **رب لا تذر علىٰ الأرض من الكافرين ديارًا * إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرًا كفارًا** ﴾ ، ولهذا استجاب اللّٰه تعالىٰ لموسىٰ - عليه السلام - فيهم هذه الدعوة ، التي أمَّن عليها أخوه هارون ، فقال تعالىٰ : ﴿ **قد أجيبت دعوتكما** ﴾ .

قال أبو العالية وأبو صالح ، وعكرمة ومحمد بن كعب القرظي ، والربيع بن أنس : دعا موسىٰ وأمَّن هارون . أي : قد أجبناكما فيما سألتما من تدمير[٤] آل فرعون .

وقد يحتج بهذه الآية من يقول : إن تأمين المأموم علىٰ قراءة الفاتحة يتنزل منزلة قراءتها ؛ لأن موسىٰ دعا وهارون أمن .

وقال تعالىٰ : ﴿ **قد أجيبت دعوتكما فاستقيما** ﴾ . [الآية . أي : كما أجيبت دعوتكما فاستقيما][٥] علىٰ أمري .

قال ابن جريج ، عن ابن عباس : ﴿ **فاستقيما** ﴾ فامضيا لأمري وهي الاستقامة . قال ابن جريج يقولون : إن فرعون مكث بعد هذه الدعوة أربعين سنة .

وقال محمد بن علي بن الحسين : أربعين يومًا .

۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « له » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٤] - في ز : « تدمر » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ (٩٢)

يذكر تعالىٰ كيفية إغراقه فرعون وجنودَه ؛ فإن بني إسرائيل لما خرجوا من مصر صحبة موسىٰ - عليه السلام - وهم - فيما قيل - ستمائة ألف مقاتل سوىٰ الذرية ، وقد كانوا استعاروا من القبط حُليًا كثيرًا فخرجوا به معهم ، فاشتد حنق فرعون عليهم ، فأرسل في المدائن حاشرين ، يجمعون له جنوده من أقاليمه ، فركب وراءهم في أبهة عظيمة وجيوش هائلة لما يريده اللَّه تعالىٰ بهم ، ولم يتخلف عنه أحد ممن له دولة وسلطان في سائر مملكته ، فلحقوهم وقت شروق الشمس ﴿ **فلما تراءىٰ الجمعان قال أصحاب موسىٰ إنا لمدركون** ﴾ وذلك أنهم لما انتهوا إلىٰ ساحل البحر ، [وفرعون وراءهم][١]، ولم يبق إلا أن يتقاتل الجمعان ، وألح أصحاب موسىٰ - عليه السلام - في السؤال : كيف المخلص مما نحن فيه ؟ فيقول : إني أمرت أن أسلك هاهنا ﴿ **كلّا إن معي ربي سيهدين** ﴾ فعندما ضاق الأمر اتسع ، فأمره اللَّه تعالىٰ أن يضرب البحر بعصاه ، فضربه فانفلق البحر ﴿ **فكان كل فرق كالطود العظيم** ﴾ أي : كالجبل العظيم ، وصار اثني عشر طريقًا لكل سبط واحد ، وأمر اللَّه الريحَ فنشفت أرضَه ﴿ **فاضرب لهم طريقًا في البحر يبسًا * لا تخاف دركا ولا تخشى** ﴾ . وتخرق الماء بين الطرق كهيئة الشبابيك ؛ ليرىٰ كل قوم الآخرين لئلا يظنوا أنهم هلكوا ، وجاوزت بنو إسرائيل البحر ، فلما خرج آخرهم منه ، انتهىٰ فرعون وجنوده إلىٰ حافته من الناحية الأخرىٰ ، وهو في مائة ألف أدهم سوىٰ بقية الألوان ، فلما رأىٰ ذلك هاله وأحجم وهاب ، وهَمَّ بالرجوع وهيهات ولات حين مناص ، نفذ القدر ، [واستجيبت الدعوة][٢]، وجاء جبريل - عليه السلام - علىٰ فرس وديق(*) حائل ، فمر إلىٰ جانب حصان فرعون فحمحم إليها ، [وتقدم جبريل فاقتحم البحر ودخله ، فاقتحم الحصان][٣] وراءه ، ولم يبق فرعون يملك من نفسه شيئًا ، فتجلد لأمرائه وقال لهم : ليس بنو إسرائيل بأحق بالبحر منّا ، فاقتحموا كلهم عن آخرهم ، وميكائيل في ساقتهم لا يترك [منهم أحدًا] إلا ألحقه[٤] بهم ، فلما استوسقوا فيه وتكاملوا ، وهَمَّ أولهم بالخروج منه ، أمر اللَّه القديرُ البحرَ أن يرتطم عليهم ، فارتطم عليهم فلم ينج منهم أحد ، وجعلت الأمواج ترفعهم وتخفضهم ، وتراكمت الأمواج فوق فرعون وغشيته سكرات الموت ، فقال وهو كذلك :

(*) - الوديق : هي التي تشتهي الفحل ، والحائل : غير الحامل .

[١] - في ز ، خ : « وأدركهم فرعون » . [٢] - في ز : استجيب للدعوة » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ت : « واقتحم جبريل » .

[٤] - في ز : « لحقه » .

﴿ **آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين** ﴾ فآمن حيث لا ينفعه الإيمان ﴿ **فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين * فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا ، سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون** ﴾ .

ولهذا[١] قال الله تعالىٰ في جواب فرعون حين قال ما قال : ﴿ **آلآن وقد عصيت قبل** ﴾ أي : أهذا الوقت تقول ، وقد عصيت الله قبل هذا فيما بينك وبينه ﴿ **وكنت من المفسدين** ﴾ أي : في الأرض ، الذين أضلوا الناس ﴿ **وجعلناهم أئمة يدعون إلىٰ النار ويوم القيامة لا ينصرون** ﴾ .

وهذا الذي حكىٰ الله تعالىٰ عن فرعون من قوله هذا في حاله ذلك - من أسرار الغيب التي أَعْلَمَ الله بها رسوله صلىٰ الله عليه وسلم ؛ ولهذا قال الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله(٩١) - :

حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لما قال فرعون : آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل -قال - قال لي جبريل : [يا محمد](*) لو رأيتني وقد أخذت حالًا[٢] من حال(**) البحر فدسسته في فيه مخافة أن تنالَهُ الرحمةُ** » .

ورواه الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم في تفاسيرهم من حديث حماد بن سلمة به ، وقال الترمذي : حديث حسن .

(٩١) - **إسناده ضعيف لضعف علي بن زيد** ، « المسند » (٣٠٩/١) ، وأخرجه أيضًا (٢٤٥/١) وعبد بن حميد في « المنتخب » (٦٦٤)- وعنه الترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : « ومن سورة يونس » (٣١٠٦) - ، وابن أبي حاتم (١٠٥٦١/٦) ، وتمام في فوائده (١٦٩٣/٥ - الروض البسام) ، والطيالسي (٢٦٩٣) ، والحاكم (٢٥٠/٤) شاهدًا ، وابن جرير (١٦٣/١١) ، والطبراني في « الكبير » (١٢٩٣/٢)- ومن طريقه المزي في « تهذيب الكمال » (٤٦٤/٣٢) وله طريق آخر عنده - والخطيب البغدادي في تاريخه (١٠١/٨ - ١٠٢) ، وفي « موضح أوهام الجمع والتفريق » (٣٤٣/١) من طرق عن حماد بن سلمة به ، ويوسف بن مهران ، قال أحمد : لا يعرف ، ولا أعرف أحدًا روى عنه إلا علي بن زيد لكن قال أبو حاتم : يكتب حديثه ويُذاكر به ، ووثقه ابن سعد وأبو زرعة . إلا أن علي بن زيد وهو ابن جُدْعان ، ضعيف ، وقد ورد بإسناده آخر فانظر ما بعده .

(*) ما بين المعكوفتين زيادة من : المسند .

(**) الحال : الطين الأسود .

[١] - في ز : « وهكذا » . [٢] - سقط من : ز ، خ .

وقال أبو داود الطيالسي(٩٢) : حدثنا شعبة ، عن عدي بن ثابت وعطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **قال لي جبريل – عليه السلام – : لو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر فأدسه في فم فرعون مخافة أن تدركَه الرحمةُ** » . وقد رواه أبو عيسىٰ الترمذي أيضًا وابن جرير أيضًا من غير وجه عن شعبة به [فذكر مثله][١]، وقال الترمذي : حسن غريب صحيح .

ووقع في روايةٍ عند ابن جرير : عن محمد بن المثنىٰ ، عن غندر ، عن شعبة ، عن عطاء وعدي ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، رفعه أحدهما وكأنَّ الآخر لم يرفعه، فاللَّه أعلم .

وقال ابن أبي حاتم(٩٣) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن عمر بن عبد اللَّه بن يعلىٰ الثقفي ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما أغرق[٢] اللَّه فرعون أشار بأصبعه ورفع صوته : ﴿ **آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل** ﴾ قال : فخاف جبريل أن تسبق رحمةُ اللَّهِ فيه غضبَه ، فجعل يأخذ الحال بجناحيه[٣] فيضرب به وجهه فيرمسه .

وكذا رواه ابن جرير(٩٤) : عن سفيان بن وكيع [ثنا أبي](*) ، عن [أبي][٤] خالد به موقوفًا .

---

(٩٢) - **صحيح** ، مسند الطيالسي (٢٦١٨) ومن طريقه ابن أبي حاتم (١٠٥٦٢/٦) ، وأخرجه أحمد (١/ ٢٤٠ ، ٣٤٠) ، والترمذي (٣١٠٧) ، والنسائي في التفسير من الكبرى (١١٢٣٨/٦) ، وابن جرير (١١/ ١٦٣) ، ابن حبان (٦٢١٥/١٤ – الإحسان) ، (١٧٤٥/٥ – موارد) ، والحاكم (٥٧/١) ، و(٣٤٠/٢) و(٢٥٠/٤) ، والبيهقي في « الشعب » (٩٣٩١/٧ ، ٩٣٩٢ ، ٩٣٩٣) ، والخطيب البغدادي في « المتفق والمفترق » (٣/رقم ١٥٨٩) من طرق عن شعبة به ، وقال الترمذي : « هذا حديث حسن غريب صحيح » وقال الحاكم في أحد المواضع . « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه إلا أن أكثر أصحاب شعبة أوقفوه على ابن عباس » وأقره الذهبي وقال : « وعامة أصحاب شعبة أوقفوه » قلت ، وهذا غاية ما فيه ومع ذلك فإن مثله لا يقال من قبل الرأى ، وعليه فإن له حكم الرفع ، والله تعالى أعلم . ثم إن له شاهدًا من حديث أبي هريرة يأتي (٩٥) .

(٩٣) - **إسناده ضعيف لضعف عمر بن عبد الله بن يعلى** ، (١٠٥٦٣/٦) وعمر بن عبد الله هذا ضعيف ، كما في « التقريب » ، والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٥٦٨/٣) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه ، وانظر ما قبله وما بعده .

(٩٤) - **كسابقه** ، تفسير ابن جرير (١٦٤/١١) .

(*) ما بين المعكوفتين سقط من : (ز ، خ) والمثبت من تفسير ابن جرير .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز : « غرق » .
[٣] - في ز : « بجناحه » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « ابن أبي » .

وقد روي من حديث أبي هريرة أيضًا فقال ابن جرير(٩٥) :

حدثنا ابن حميد ، حدثنا حكام ، عن عنبسة - هو ابن[١] سعيد - عن كثير بن زاذان ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **قال لي جبريل : يا محمد ، لو رأيتني وأنا أغطه وأدس من الحال في فيه مخافة أن تدركَه رحمةُ اللَّه فيغفر له** » . يعني : فرعون .

كثير بن زاذان هذا قال ابن معين : لا أعرفه . وقال أبو زرعة وأبو حاتم : مجهول . وباقي رجاله ثقات .

وقد أرسل[٢] هذا الحديث جماعة من السلف ؛ قتادة وإبراهيم التيمي وميمون بن مهران ، ونقل عن الضحاك بن قيس أنه[٣] خطب بهذا للناس ، فاللَّه أعلم .

وقوله : ﴿ **فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية** ﴾ قال ابن عباس وغيره من السلف : إن بعض بني إسرائيل شكُّوا في موت فرعون ، فأمر اللَّه تعالىٰ البحر أن يلقيه بجسده سويًّا[٤] بلا روح ، وعليه درعه المعروفة [علىٰ نجوة][٥] من الأرض وهو المكان المرتفع ، ليتحققوا موته وهلاكه ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **فاليوم ننجيك** ﴾ أي : نرفعك علىٰ نشز من الأرض ﴿ **ببدنك** ﴾ قال مجاهد : بجسدك . وقال الحسن : بجسم لا روح فيه ، وقال عبد اللَّه بن شداد : سويًّا صحيحًا ؛ أي : لم يتمزق ليتحققوه ويعرفوه ، وقال أبو صخر : بدرعك .

وكل هذه الأقوال لا منافاة بينها[٦] كما تقدم ، واللَّه أعلم .

---

(٩٥) - **إسناده فيه جهالة لجهالة كثير بن زاذان** ، والحديث في تفسير ابن جرير (١٦٣/١١) ، وأخرجه ابن عدي في « الكامل » (٧٨٨/٢ - ٧٨٩) ، والسهمي في « تارج جرجان » (ص ٢٠٦) ، والبيهقي في « الشعب » (٩٣٩٠/٧) من طريق حكام بن سَلْم به ، وأخرجه الطبراني في « الأوسط » (٥٨٢٣/٦) من طريق قيس بن الربيع عن سعيد بن مسروق عن أبي حازم به نحوه ، لكن قيس بن الربيع هذا « صدوق تغير لما كبر وأدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به » فأخشى أن يكون هذا الحديث مما أدخله عليه ابنه والله أعلم ، ومن طريق الطبراني ذكره الهيثمي في « المجمع » (٣٩١٧) وقال : « ... فيه قيس بن الربيع وثقه شعبة والثوري وضعفه جماعة » .

---

[١] - في ز ، خ : « ابن أبي » .
[٢] - في ز ، خ : « أرسل على » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « فيه على نجوة » ، خ : « فيه على نحوه » .
[٦] - في ز ، خ : « فيها » .

وقوله : ﴿ **لتكون لمن خلفك آية** ﴾ أي : لتكون لبني إسرائيل دليلًا علىٰ موتك وهلاكك ، وأن الله هو القادر الذي ناصية كل دابة بيده ، وأنه لا يقوم لغضبه شيء ، ولهذا قرأ [بعض السلف][١] (**لتكون لمن خلقك**(*) **آية وإنَّ كثيرًا من الناس عن آياتنا لغافلون**) أي : لايتعظون بها[٢] ولا يعتبرون بها ، وقد كان [إهلاك فرعون][٣] يوم عاشوراء ، كما قال البخاري(٩٦) :

حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا غندر ، حدثنا شعبة عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قدم النبي صلىٰ الله عليه وسلم المدينة واليهود تصوم يوم عاشوراء ، [فقال : « **ما هذا اليوم الذي تصومونه ؟** »][٤] فقالوا : هذا يوم ظهر فيه موسىٰ علىٰ فرعون . فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم لأصحابه : « **أنتم أحق بموسىٰ منهم فصوموه**[٥]» .

وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾

يخبر تعالىٰ عما أنعم به علىٰ بني إسرائيل من النعم الدينية والدنيوية ، [وقوله : مبوأ][٦] صدق قيل : هو بلاد مصر والشام مما يلي بيت المقدس ونواحيه ، فإن الله تعالىٰ لما أهلك فرعون وجنوده استقرت يد الدولة الموسوية علىٰ بلاد مصر بكمالها ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنىٰ علىٰ بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون** ﴾ . وقال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **فأخرجناهم من جنات وعيون * وكنوز**[٧]

(*) ذكر هذه القراءة أبو حيان في البحر المحيط (١٨٩/٥ - ١٩٠)

(٩٦) - صحيح البخاري كتاب : التفسير ، باب : ﴿ وجاوزنا ببني إسرائيل البحر ﴾ (٤٦٨٠) ، ومسلم ، كتاب : الصيام ، باب : صوم يوم عاشوراء (١٢٧) (١١٣٠) ، وأبو داود ، كتاب : الصوم ، باب : في صوم يوم عاشوراء (٢٤٤٤) ، والنسائي في الكبرى ، كتاب : الصيام ، باب : صيام يوم عاشوراء (٢/ ٢٨٣٤) ، وك : التفسير باب : قوله تعالى : ﴿ وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر ﴾ (١١٢٣٧/٦) ، وأحمد (١/ ٣٤٠) ، من طريق أبي بشر به .

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « بعضهم » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في خ : « إهلاكهم » .
[٤] - ما بين المعكوفيتن سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : « فصوموا » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « فالمبوأ » .
[٧] - في ز : « زروع » .

ومقام كريم * كذلك وأورثناها بني إسرائيل ﴾ ، [وقال : ﴿ كم تركوا من جنات وعيون ﴾ الآيات][١]. ولكن استمروا مع موسىٰ - عليه السلام - طالبين إلىٰ بلاد بيت المقدس ، [وهي بلاد الخليل - عليه السلام - فاستمر موسىٰ بمن معه طالبًا بيت المقدس][٢]، وكان فيه قوم من العمالقة ، [فنكل بنو إسرائيل عن قتالهم][٣]، فشردهم اللَّه تعالىٰ في التيه أربعين سنة ، ومات فيه[٤] هارون . ثم موسىٰ - عليهما السلام - وخرجوا بعدهما مع يوشع بن نون ، ففتح اللَّه عليهم بيت المقدس ، واستقرت أيديهم عليها ، إلىٰ أن أخذها منهم بختنصر حينًا من الدهر ، ثم عادت إليهم ، ثم أخذها ملوك اليونان فكانت تحت أحكامهم مدة طويلة ، وبعث اللَّه عيسىٰ بن مريم - عليه السلام - في تلك المدة ، فاستعانت اليهود - قبحهم اللَّه ! علىٰ معاداة عيسىٰ - عليه السلام - بملوك اليونان وكانت تحت أحكامهم ، ووشوا عندهم وأوحوا إليهم أن هذا يفسد عليكم الرعايا ، فبعثوا من يقبض عليه ، فرفعه اللَّه إليه وشبه لهم بعض الحواريين بمشيئة اللَّه وقدره ، فأخذوه فصلبوه واعتقدوا أنه هو ﴿ **وما قتلوه يقينًا * بل رفعه اللَّه إليه وكان اللَّه عزيزًا حكيمًا** ﴾ .

ثم بعد المسيح - عليه السلام - بنحو ثلثمائة سنة ، دخل قسطنطين أحد ملوك اليونان في دين النصرانية ، وكان فيلسوفًا قبل ذلك ، فدخل في دين النصارىٰ ، قيل : تقية ، وقيل : حيلة ليفسده ، فوضعت له الأساقفة منهم قوانين وشريعة وبدعًا أحدثوها ، فبنىٰ لهم الكنائس والبيع الكبار والصغار والصوامع والهياكل والمعابد والقلايات(*) ، وانتشر دين النصرانية في ذلك الزمان ، واشتهر علىٰ ما فيه من تبديل وتغيير وتحريف ، ووضع وكذب ومخالفة لدين المسيح ، ولم يبق علىٰ دين المسيح علىٰ الحقيقة منهم إلا القليل من الرهبان ، فاتخذوا لهم الصوامع في البراري والمهامة(**) والقفار ، واستحوذت يد النصارىٰ علىٰ مملكة الشام والجزيرة وبلاد الروم ، وبنىٰ هذا الملك[٥] المذكور مدينة قسطنطينية والقمامة وبيت لحم ، وكنائس بلاد[٦] بيت المقدس ومدن حوران كبُصرىٰ وغيرها من البلدان - بناءات هائلة محكمة ، وعبدوا الصليب من حينئذ ، وصلوا إلىٰ الشرق ، وصوروا الكنائس ، وأحلوا لحم الخنزير ، وغير ذلك مما أحدثوه من الفروع في دينهم والأصول ، ووضعوا له الأمانة [ ][٧] الحقيرة التي يسمونها الكبيرة ، وصنفوا له القوانين ، وبسط هذا يطول[٨] .

(*) جمع قلية ، وهي كالصومعة ، واسمها عند النصارى قلَّاية وهو تعريب : كلادة وهي من بيوت عادتهم .

(**) جمع مهمة وهو المفازة ، والبرية : القفر .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - في خ : « في أثنائها » .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - سقط من : خ .

[٧] - ما بين المعكوفتين في ز : « الكبيرة » .

[٨] - سقط من : خ .

والغرض أن يدهم لم تزل علىٰ هذه البلاد إلىٰ أن انتزعها منهم الصحابة - رضي الله عنهم - وكان فتح بيت المقدس علىٰ يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ولله الحمد والمنة .

وقوله : ﴿ **ورزقناهم من الطيبات** ﴾ أي : الحلال من الرزق ، الطيب النافع المستطاب طبعًا وشرعًا .

وقوله : ﴿ **فما اختلفوا حتىٰ جاءهم العلم** ﴾ أي : ما اختلفوا في شيء من المسائل إلا من بعد ما جاءهم العلم ، أي : ولم يكن لهم أن يختلفوا ، وقد بين الله لهم وأزال عنهم اللبس ، وقد ورد في الحديث : « **إن اليهود اختلفوا علىٰ إحدىٰ وسبعين فرقة ، وإن النصارىٰ اختلفوا علىٰ ثنتين**[١] **وسبعين فرقة ، وستفترق هذه الأمة علىٰ ثلاث وسبعين فرقة ، منها واحدة في الجنة ، وثنتان وسبعون في النار** » . قيل : من هم يا رسول الله ؟ قال : « **ما أنا عليه وأصحابي** » .

رواه الحاكم في مستدركه بهذا اللفظ(٩٧) ، وهو في السنن والمسانيد ، ولهذا قال الله تعالىٰ : ﴿ **إن ربك يقضي بينهم** ﴾ أي : يفصل بينهم ﴿ **يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون** ﴾ .

فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ

---

(٩٧) - **حسن** ، قلت : لفظ الحاكم في النسخة التي بين أيدينا (١/١٢٨) : «.... **إن بني إسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين ملة ، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار إلا ملة واحدة** » فقيل له ما الوحدة ؟ قال : « **ما أنا عليه اليوم وأصحابي** » ، وأخرجه الترمذي (٢٦٤٣) والآجري في « الشريعة » (١/رقم ٢٣) ، والمروزي في « السنة » (ص ١٨) ، وابن بطة في « الإبانة » (١/٢٦٤ ، ٢٦٥) ، واللالكائي في « شرح أصول الاعتقاد » (١/١٤٧) كلهم من حديث عبد الله بن عمرو ، وفي إسناده عبدالرحمن بن زياد الإفريقي وهو ضعيف وقد حسنه الترمذي والألباني في « صحيح الجامع الصغير » (٥/ ٥٢١٩/٨٠) فلعله بشواهده فإن لأوله شاهدًا من حديث أبي هريرة عند أحمد (٢/٣٣٢) ، أبي داود (٤٥٩٦) ، والترمذي (٢٦٤٢) ، وابن ماجة (٣٩٩١) وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح » ، وصححه ابن حبان (١٤/٦٢٤٧) و(١٥/٦٧٣١) ، والحاكم (١/١٢٨) ووافقه الذهبي ، وإسناده حسن ، وحديث معاوية بن أبي سفيان عند أبي داود (٤٥٩٧) وغيره وإسناده صحيح ، وانظر « الصحيحة » للألباني (٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ١٤٩٢) كما يشهد لقوله : « **ما أنا عليه وأصحابي** » حديث أنس عند الطبراني في « الأوسط » (٥/٤٨٨٦)، (٨/٧٨٤٠) ، والعقيلي في « الضعفاء » (٢/٢٦٢) لكن في إسناده عبد الله ابن سفيان الخزاعي ، قال العقيلي : « لا يتابع على حديثه » .

---

[١] - في ت : « اثنتين » .

لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

قال قتادة بن دعامة(٩٨) : بلغنا أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **لا أشك ولا أسأل** » . وكذا قال ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، والحسن البصري .

وهذا فيه تثبيت[١] للأمة ، وإعلام لهم أن صفة نبيهم صلىٰ اللّٰه عليه وسلم موجودةٌ في الكتب المتقدمة التي بأيدي أهل الكتاب ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل** ﴾ . الآية . ثم مع هذا العلم الذي يعرفونه من كتبهم كما يعرفون أبناءهم ، يلبسون ذلك ويحرفونه ويبدلونه ، ولا يؤمنون به مع قيام الحجة عليهم ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون * ولو جاءتهم كل آية حتىٰ يروا العذاب الأليم** ﴾ أي : لا يؤمنون[٢] إيمانًا ينفعهم ، بل حين لا ينفع نفسًا إيمانُها ، ولهذا لما دعا موسىٰ - عليه السلام - علىٰ فرعون وملئه قال : ﴿ **ربنا اطمس علىٰ أموالهم واشدد علىٰ قلوبهم فلا يؤمنوا حتىٰ يروا العذاب الأليم** ﴾ . كما قال تعالى : ﴿ **ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتىٰ وحشرنا عليهم كل شيء قبلًا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء اللّٰه ولكن أكثرهم يجهلون** ﴾ . ثم قال تعالىٰ :

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾

يقول تعالىٰ : فهلا كانت قرية آمنت بكمالها من الأمم السالفة الذين بعثنا إليهم الرسل ،

(٩٨) - **مرسل** ، أخرجه عبد الرزاق في « المصنف » (١٠٢١١/٦) وابن جرير (١٦٨/١١) عن معمر عنه به ، وأخرجه ابن جرير أيضًا من طريق سعيد عنه به ، وأخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم (١٠٥٨٣/٦) وابن مردويه - كما في « الدر المنثور » (٥٧١/٣) - واختاره الضياء في « المختارة » (٩١/١٠) عن ابن عباس ﴿ **فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك** ﴾ قال: لم يشكَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم يسأل ، وفي الباب عن سعيد بن جبير والحسن - عند ابن جرير - مرسلًا .

[١] - في ز : « تثبت » . [٢] - في خ : « يؤمنوا » .

بل ما أرسلنا من قبلك يا محمد من رسول إلا كذبه قومه أو أكثرهم ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **يا حسرة علىٰ العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون** ﴾ ، ﴿ **كذلك ما أتىٰ الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون** ﴾ ، ﴿ **وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا علىٰ أمة وإنا علىٰ آثارهم مقتدون** ﴾ . وفي الحديث الصحيح(٩٩) : « **عرض علي الأنبياء ، فجعل النبي يمر ومعه الفئام من الناس ، والنبي يمرّ**[١] **معه الرجل ، والنبي معه الرجلان ، والنبي ليس معه أحد** » . ثم ذكر كثرة أتباع موسىٰ - عليه السلام - ثم ذكر كثرة أمّته - صلوات اللّه وسلامه عليه - كثرة سدت الخافقين الشرقي والغربي .

والغرض أنه لم توجد[٢] قرية آمنت بكمالها بنبيهم ممن سلف من القرىٰ إلا قوم يونس وهم أهل نينوىٰ ، وما كان إيمانهم إلا خوفًا من وصول العذاب الذي أنذرهم به رسولهم بعد ما عاينوا أسبابه ، وخرج رسولهم من بين أظهرهم ، فعندها جأروا إلىٰ اللّه واستغاثوا به وتضرعوا له[٣] واستكانوا ، وأحضروا أطفالهم ودوابهم ومواشيهم ، وسألوا اللّه تعالىٰ أن يرفع عنهم العذاب الذي أنذرهم به نبيهم ، فعندها رحمهم اللّه وكشف عنهم العذاب وأُخِّرُوا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلىٰ حين** ﴾ .

واختلف المفسرون هل كشف عنهم العذاب الأخروي مع الدنيوي ، أو إنما كشف عنهم في الدنيا فقط ؟ علىٰ قولين ؛ أحدهما : إنما كان ذلك في الحياة الدنيا كما هو مقيد في هذه الآية ، والقول الثاني : فيهما ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿ **وأرسلناه إلىٰ مائة ألف أو يزيدون * فآمنوا فمتعناهم إلىٰ حين** ﴾ فأطلق عليهم الإيمان ، والإيمانُ منقذ من العذاب الأخروي ، وهذا هو الظاهر ، واللّه أعلم .

---

(٩٩) - لم أقف على اللفظ الذي أورده المصنف ، وبنحوه أخرجه البخاري، كتاب : الطب ، باب : الحلق من الأذى (٥٧٠) - وانظر أطرافه عند رقم (٣٤١٠) - ومسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (٣٧٤) (٢٢٠) ، والترمذي ، كتاب : صفة القيامة ، باب : أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - سواد عظيم يوم القيامة .. (٢٤٤٨) ، والنسائي في الكبرى ، كتاب : الطب (٧٦٠٤/٤) ، وأحمد (٢٧١/١ ، ٣٢١) من حديث ابن عباس ، وفي الباب عن عمران بن حصين عند الطبراني في « الكبير » (٦٠٥/١٨) ، وصححه ابن حبان (٦٠٨٩/١٣) ، وعبد الله ابن مسعود عند أحمد (٤٠١/١ ، ٤٢٠) ، وأبي يعلى (٥٣٣٩/٩) ، وصححه ابن حبان (٧٣٤٦/١٦) .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « يوجد » .
[٣] - في خ : « لديه » .

وقال قتادة في تفسير هذه الآية : لم ينفع قرية كفرت ، ثم آمنت حين حضرها العذاب فتركت ، إلا قوم يونس لما فقدوا نبيهم ، وظنوا أن[١] العذاب قد دنا منهم ، قذف الله في قلوبهم التوبة ، ولبسوا المسوح ، وفرّقوا بين كل بهيمة وولدها ، ثم عجوا إلىٰ الله أربعين ليلة ، فلما عرف الله منهم الصدق من قلوبهم ، والتوبة والندامة علىٰ ما مضىٰ منهم ، كشف الله عنهم العذاب بعد أن تدلىٰ عليهم ، قال قتادة : وذكر أن قوم يونس كانوا[٢] بنينوىٰ أرض الموصل .

وكذا روي عن ابن مسعود ومجاهد ، وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف ، وكان ابن مسعود يقرؤها : (فهلا كانت قرية آمنت) .

وقال أبو عمران ، عن أبي الجلد قال : [لما نزل بهم][٣](*) العذاب جعل يدور علىٰ رءوسهم كقطع الليل المظلم ، فمشوا إلىٰ رجل من علمائهم ، فقالوا : علمنا دعاء ندعو به ، لعل الله يكشف عنا العذاب . فقال : قولوا : يا حي حين لا حي ، يا محيي الموتىٰ ، لا إله إلا أنت ! قال : فكشف عنهم العذاب .

وتمام القصة سيأتي مفصلًا في سورة والصافات إن شاء الله .

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٩٩) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (١٠٠) ﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **ولو شاء ربك** ﴾ يا محمد لأذن لأهل الأرض كلهم في الإيمان بما جئتهم به فآمنوا كلهم ، ولكن له حكمة فيما يفعله تعالىٰ ، كقوله تعالى : ﴿ **ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدىٰ الناس جميعًا** ﴾ ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **أفأنت تكره الناس** ﴾ [أي : تلزمهم وتلجئهم][٤] ﴿ **حتىٰ يكونوا مؤمنين** ﴾ أي : ليس ذلك عليك ولا إليك ،

(*) في ابن جرير (١١/١٧٢) ، « لما غشى قوم يونس » .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ت : « كان » .
[٣] - في ز ، خ : « نزل بقوم يونس » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

بل اللَّه يضل من يشاء ويهدي من يشاء ﴿ **فلا تذهب نفسك عليهم حسرات** ﴾ ، ﴿ **ليس عليك هداهم ولكن اللَّه يهدي من يشاء** ﴾ ، ﴿ **لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين** ﴾ ، ﴿ **إنك لا تهدي من أحببت** ﴾ ، ﴿ **فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب** ﴾ ، ﴿ **فذكر إنما أنت مذكر * لست عليهم بمصيطر** ﴾ إلىٰ غير ذلك من الآيات الدالة علىٰ أن اللَّه تعالىٰ هو الفعال لما يريد ، الهادي من يشاء ، المضل لمن يشاء ، لعلمه وحكمته وعدله ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن اللَّه ويجعل الرجس** ﴾ وهو الخبال والضلال ﴿ **علىٰ الذين لا يعقلون** ﴾ أي : حجج اللَّه وأدلته ، وهو العادل في كل ذلك في هداية من هدىٰ وإضلال من ضل .

قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلۡ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثۡلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ قُلۡ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

يرشد تعالىٰ عباده إلىٰ التفكر في آلائه ، وما خلق اللَّه[١] في السموات والأرض من الآيات الباهرة لذوي الألباب ، مما[٢] في السموات[٣] من كواكب نيرات ، ثوابت وسيارات ؛ والشمس والقمر والليل والنهار واختلافهما ، وإيلاج أحدهما في الآخر حتىٰ يطول هذا ويقصر هذا ، ثم يقصر هذا ويطول هذا ، وارتفاع السماء واتساعها وحسنها وزينتها ، وما أنزل اللَّه منها من مطر فأحيا به الأرض بعد موتها ، وأخرج فيها من أفانين الثمار والزروع والأزاهير وصنوف النبات ، وما ذرأ فيها من دواب مختلفة الأشكال والألوان والمنافع ، وما فيها من جبال وسهول وقفار وعمران وخراب ؛ وما في البحر من العجائب والأمواج ، وهو مع هذا مسخر[٤] مذلل للسالكين ، يحمل سفنهم ويجري بها برفق بتسخير[٥] القدير [له]، لا إله إلا هو ولا رب سواه .

وقوله : ﴿ **وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون** ﴾ أي : وأي شيء تجدي[٦] الآيات السماوية والأرضية والرسل ، بآياتها وحججها وبراهينها [الدالة] علىٰ صدقها - عن

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « بما » .
[٣] - في ز : « السماء » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في خ : « تغني » .

قوم لا يؤمنون ، كقوله : ﴿ **إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم** ﴾ أي : فهل ينتظر هؤلاء المكذبون لك يا محمد ؛ من النقمة والعذاب إلا مثل أيام اللّٰه في الذين خلوا من قبلهم من الأمم الماضية[١] المكذبة لرسلهم ﴿ **قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين * ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا** ﴾ أي : ونهلك المكذبين بالرسل ﴿ **كذلك حقًا علينا ننجي المؤمنين** ﴾ أي : حقًّا أوجبه اللّٰه تعالى علىٰ نفسه الكريمة ، كقوله ﴿ **كتب ربكم علىٰ نفسه الرحمة** ﴾ ، وكما جاء في الصحيحين عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أنه قال(١٠٠) : « **إن اللّٰه كتب[٢] كتابًا فهو عنده فوق العرش : إن رحمتي سبقت غضبي** » .

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾

يقول تعالىٰ لرسوله محمد صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : قل : يا أيها الناس ؛ إن كنتم في شك من صحة ما جئتكم به من الدين الحنيف ، الذي أوحاه اللّٰه إلي ، فها أنا لا أعبد الذين تعبدون من دون اللّٰه ، ولكن أعبد اللّٰه وحده لا شريك له ، وهو الذي يتوفاكم كما أحياكم

(١٠٠) - أخرجه البخاري ، كتاب : بدء الخلق ، باب : ما جاء في قول الله تعالى : ﴿ **وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ...** ﴾ (٣١٩٤) ، ومسلم ، كتاب : التوبة ، باب : في سعة رحمة الله تعالى ، وأنها سبقت غضبه (١٤،١٥،١٦) (٢٧٥١) ، والترمذي ، ك: الدعوات ، باب : رحمة الله غلبت غضبه (٣٥٣٧) ، والنسائي في « النعوت » من الكبرى (٤/٧٧٥٠ ، ٧٧٥١) ، وابن ماجة في المقدمة ، باب : فيما أنكرت الجهمية (١٨٩) ، كتاب : الزهد ، باب : ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة (٤٢٩٥) ، وأحمد (٢/٢٤٢، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، وفي مواضع أخر) من حديث أبي هريرة ، وانظر [سورة الأنعام/ آية ١٢] و[سورة الأعراف / آية ١٥٦] .

[١] - سقط من : ز ، خ . [٢] - سقط من : خ .

ثم إليه مرجعكم ، فإن كانت آلهتكم التي تدعون من دون اللَّه حقًّا فأنا لا أعبدها[١]، فادعوها فلتضرني فإنها لا تضر ولا تنفع ، وإنما الذي بيده الضر والنفع هو اللَّه وحده لا شريك له ، وأمرت أن أكون من المؤمنين .

وقوله : ﴿ **وأن أقم وجهك للدين حنيفًا ولا تكونن من المشركين** ﴾ . أي : أخلص العبادة للَّه وحده ﴿ **حنيفًا** ﴾ أي : منحرفًا عن الشرك ، ولهذا قال : ﴿ **ولا تكونن من المشركين** ﴾ وهو معطوف علىٰ قوله : ﴿ **وأمرت أن أكون من المؤمنين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وإن يمسسك اللَّه بضر** ﴾ . الآية[٢]. فيه[٣] بيان لأن الخير والشر والنفع والضر إنما هو راجع إلىٰ اللَّه تعالىٰ وحده ، لا يشاركه[٤] في ذلك أحد ، فهو الذي يستحق العبادة وحده لاشريك له .

روىٰ الحافظ ابن عساكر في ترجمة صفوان بن سليم(١٠١) ، من طريق عبد اللَّه بن وهب ، أخبرني يحيىٰ بن أيوب ، عن عيسىٰ بن موسىٰ ، عن صفوان بن سليم ، عن أنس ابن مالك ؛ أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **اطلبوا الخير دهركم كله ، وتعرضوا لنفحات رحمة ربكم ، فإن للَّه نفحات من رحمته ، يصيب بها من يشاء من عباده ، واسألوه أن يستر عوراتكم ، ويؤمن روعاتكم** » .

(١٠١) - **إسناده ضعيف وفيه انقطاع** ، « تاريخ دمشق » لابن عساكر (٣٢٨/٨ - مخطوط) ، وأخرجه البغوي في « شرح السنة » (١٣٧٨/٥) ، والبيهقي في « الشعب » (١١٢١/٢) من طريق عبد الله بن وهب به ، وأخرجه الطبراني في « الكبير » (٧٢٠/١) وفي كتاب الدعاء (٢٦) - وعنه أبو نعيم في « الحلية » (١٦٢/٣) - والقضاعي في « مسند الشهاب » (٧٠١/١) ، والبيهقي في « الشعب » (١١٢٢) ، وابن عبد البر في « التمهيد » (٣٣٩/٥) وعلقه ابن عساكر ، كلهم من طريق عمرو بن الربيع بن طارق عن يحيى بن أيوب به ، وأخرجه البيهقي في « الأسماء والصفات » (ص ١٥٠) من طريق سعيد بن أبي مريم أخبرني يحيى بن أيوب به ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٣٤/١٠) وقال : رواه الطبراني وإسناده رجاله رجال الصحيح غير عيسى بن موسى ... وهو ثقة » ، قلت : اعتمد الهيثمي على توثيق ابن حبان له في « الثقات » (٢١٦/٥) (٢٣٤/٧) وابن حبان معروف بتساهله ، وقد ضعفه أبو حاتم - كما في « الجرح والتعديل » (٢٨٥/٦) - ثم إن صفوان بن سليم لم ير أنسًا، ولم تصح روايته عنه ، كما قال أبو حاتم - انظر «تهذيب التهذيب» (٣٧٤/٤) والحديث زاد نسبته السيوطي في « الجامع الصغير »، وفي « الدر المنثور » (٤٦/٤) إلى ابن أبي الدنيا في « كتاب الفرج بعد الشدة » ، والحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » ، وانظر ما بعده .

[١] - في خ : « أعبد » .
[٢] - في ز : « آخرها » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز : « يشركه » .

ثم رواه(١٠٢) من طريق الليث، عن عيسىٰ بن موسىٰ، عن صفوان، عن رجل من أشجع، عن أبي هريرة مرفوعًا بمثله سواء[١].

وقوله: ﴿ وهو الغفور الرحيم ﴾ أي: لمن تاب إليه وتوكل عليه، ولو من أي ذنب كان، حتىٰ من الشرك به فإنه يتوب عليه.

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

يقول تعالىٰ آمرًا لرسوله صلىٰ اللَّه عليه وسلم أن يخبر الناس أن الذي جاءهم به من عند اللَّه هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك، فمن اهتدىٰ به واتبعه فإنما يعود نفع ذلك الإتباع[٢] علىٰ نفسه، [ومن ضل عنه فإنما يرجع وبال ذلك عليه][٣] ﴿ وما أنا عليكم بوكيل ﴾ أي: وما أنا موكل بكم حتىٰ تكونوا مؤمنين به[٤]، و[٥]إنما أنا نذير لكم، والهداية علىٰ اللَّه تعالىٰ.

وقوله: ﴿ واتبع ما يوحىٰ إليك واصبر ﴾ أي: تمسك بما أنزل اللَّه عليك وأوحاه إليك[٦]، واصبر علىٰ مخالفة من خالفك من الناس ﴿ حتىٰ يحكم اللَّه ﴾ أي: يفتح بينك وبينهم ﴿ وهو خير الحاكمين ﴾ أي: خير الفاتحين بعدله وحكمته.

☆ ☆ ☆

(١٠٢) - **إسناده ضعيف وفيه جهالة**، «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٢٨/٨ - مخطوط)، وأخرجه الطبراني في «الدعاء» (٢٧)، والبيهقي في «الشعب» (١١٢٣/٢) من طريق الليث به، وأعل البيهقي الطريق السابق به فقال: «وهذا هو المحفوظ دون الأول».

[١] - في ز: «سواء».
[٢] - سقط من: ز، خ.
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٤] - سقط من: ت.
[٥] - سقط من: ز.
[٦] - سقط من: ز، خ.

تفسير سورة هود

وهي مكية

قال الحافظ أبو يعلى(١) : حدثنا خلف بن هشام البزار ، حدثنا أبو الأحوص ، عن أبي إسحاق ، عن عكرمة ؛ قال : قال أبو بكر : سألت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ما شيبك ؟ قال : « **شيبتني هود ، والواقعة ، وعم يتساءلون ، وإذا الشمس كورت** » .

[وقال أبو عيسىٰ الترمذي(٢) : حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء ، حدثنا معاوية بن هشام ، عن شيبان ، عن أبي إسحاق ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال أبو بكر : يا رسول الله ، قد شبت ! قال : « **شيبتني هود ، والواقعة ، والمرسلات ، وعم يتساءلون ، وإذا الشمس كورت** » . وفي رواية : « **هود وأخواتها** »][١] .

وقال الطبراني(٣) : حدثنا عبدان بن أحمد ، حدثنا حماد[٢] بن الحسن ، حدثنا سعيد بن سلام ، حدثنا عمر بن محمد ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد ؛ قال : قال رسول

---

(١) - **إسناده منقطع بين عكرمة وأبي بكر ، وهو حديث صحيح** ، والحديث في مسند أبي يعلى الموصلي (١/رقم ١٠٧) ، وأخرجه أيضًا برقم (١٠٨) ، وابن سعد في « الطبقات » (١/٣٣٦) ، وأبو بكر المروزي في « مسند أبي بكر » (٣١) من طرق عن أبي الأحوص به ، وهذا إسناد منقطع بين عكرمة وأبي بكر ، ووصله الحاكم في «المستدرك» (٢/٤٧٦) من طريق أبي الأحوص ، عن أبي إسحاق ، عن عكرمة ، عن عبد الله بن عباس قال : قال أبو بكر ... فذكره ، وقال : «صحيح على شرط البخاري» ووافقه الذهبي ، لكن أعله أبو حاتم في «العلل» (٢/١١٠) فقال : « هذا خطأ ، ليس فيه ابن عباس » وانظر ما بعده .

(٢) - **صحيح** ، رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الواقعة (٣٢٩٣) ، وفي الشمائل (٤١) ، وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/٣٣٥) والمروزي في مسند أبي بكر (٣٠) ، والدارقطني في « العلل » (١/٢٠٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٤/٣٥٠) من طريق شيبان به ، وقال الترمذي : « هذا حديث غريب » . وفي رواية : « حسن غريب ...» ، وصححه الحاكم على شرط البخاري (٢/٣٤٤) ووافقه الذهبي ، واختاره الضياء في « المختارة » (٦٦/٧٥/١) ، وكذا صححه الشيخ الألباني في «الصحيحة » (٢/٩٥٥) ، على خلاف في إسناده مُبيّن هناك فانظره ثمة .

(٣) - **إسناده ضعيف جدًا** ، « المعجم الكبير » (٦/٥٨٠٤) ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٧/٤٠) وقال: « رواه الطبراني وفيه سعيد بن سلام العطار وهو كذاب » قلت : وشيخه عمر بن محمد وقيل ابن صُهْبان ، ضعيف ، كما في « التقريب » ، والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣/٥٧٧) إلى ابن مردويه .

---

[١] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز .

[٢] - في (خ ، ز) حجاج بن الحسن ، وهو تحريف أو خطأ من الناسخ ؛ ولم أجد من اسمه حجاج بن الحسن ، والمثبت من « المعجم الكبير » وكتب الرجال .

الله ، صلى الله عليه وسلم : « **شيبتني هود وأخواتها : الواقعة ، والحاقة ، وإذا الشمس كورت** » . وفي رواية : « **هود وأخواتها** » .

وقد روي من حديث ابن مسعود نحوه[١] :

فقال الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني في معجمه الكبير(٤) : حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا أحمد بن طارق الرائشي[٢] ، حدثنا عمرو بن ثابت ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - أن أبا بكر قال : يا رسول الله ، ما شيبك ؟ قال : « **هود والواقعة** » .

عمرو بن ثابت متروك ، وأبو إسحاق لم يدرك ابن مسعود[٣] ، والله أعلم .

الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤﴾

قد تقدم الكلام على حروف الهجاء في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته هاهنا[٤] وبالله التوفيق .

---

(٤) - **إسناده ضعيف جدًا من أجل عمرو بن ثابت** ، والحديث في « المعجم الكبير » (١٠٠٩٢/١٠) ورواه أيضًا الدارقطني في « العلل » (٢١٠/١) من طرق عن محمد بن عثمان به ، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٤٠/٧) وقال : « رواه الطبراني وفيه عمرو بن ثابت وهو متروك » . ومن هذا الطريق زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٥٧٧/٣) إلى ابن مردويه . وفي الباب عن عقبة بن عامر عند الطبراني (٧٩٠/١٧) وإسناده صحيح ، وعن أبي جحيفة عن الترمذي في « الشمائل » (٤٢) ، وأبي يعلى في مسنده (٨٨٠/٢) وفي إسناده ضعف ، وانظر « الدر المنثور » .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في المعجم : « الوابشي » ولم أقف على ترجمة له .

[٣] - هذه علة صحيحة إن كان الإسناد كما أورده الحافظ ابن كثير - دون إثبات أبي الأحوص في الإسناد - لكن تبين لنا - فيما وقفنا عليه من مصادر - أن بين أبي إسحاق وابن مسعود « أبو الأحوص وهو عوف ابن مالك » .

[٤] - في خ : « هنا » .

وأما قوله : ﴿ **أحكمت آياته ثم فصلت** ﴾ أي : هي محكمة في لفظها ، مفصلة في معناها ، فهو كامل صورة ومعنىٰ ؛ هذا معنىٰ ما روي عن مجاهد وقتادة ، واختاره ابن جرير .

وقوله : ﴿ **من لدن حكيم خبير** ﴾ أي : من عند اللّٰه الحكيم في أقواله وأحكامه ، الخبير بعواقب الأمور .

﴿ **ألا تعبدوا إلا اللّٰه** ﴾ أي : نزّل هذا القرآن المحكم المفصل لعبادة اللّٰه وحده لا شريك له ؛ كقوله تعالىٰ : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي**[١] **إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾ ، وقال[٢] : ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا اللّٰه واجتنبوا الطاغوت** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إنني لكم منه نذير وبشير** ﴾ أي : إني لكم نذير من العذاب إن خالفتموه ، وبشير بالثواب إن أطعتموه ، كما جاء في الحديث الصحيح(٥) ؛ أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم صعد الصفا ، فدعا بطون قريش الأقرب ثم الأقرب ، فاجتمعوا فقال : « **يا معشر قريش ؛ أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلًا تصبحكم ألستم مصدقيّ ؟** » فقالوا : ما جربنا عليك كذبًا . قال : « **فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد** » .

وقوله : ﴿ **وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعًا حسنًا إلىٰ أجل مسمىٰ ويؤت كل ذي فضل فضله** ﴾ أي : وآمركم بالاستغفار من الذنوب السالفة ، والتوبة منها إلىٰ اللّٰه عز وجل فيما تستقبلونه ، وأن تستمروا علىٰ ذلك ﴿ **يمتعكم متاعًا حسنًا** ﴾ أي : في الدنيا ﴿ [**إلىٰ أجل مسمىٰ**][٣] **ويؤت كل ذي فضل فضله** ﴾ أي : في الدار الآخرة . قاله قتادة . كقوله : ﴿ **من عمل صالحًا من ذكر أو أنثىٰ وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** ﴾ . وقد جاء في الصحيح(٦) أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال لسعد : « **وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه اللّٰه إلا أجرت**

---

(٥) - أخرجه البخاري : كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ (٤٧٧٠) - وانظر أطرافه عند رقم (١٣٩٤) - ومسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : في قوله تعالى : ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ (٣٥٥ ، ٣٥٦) (٢٠٨) ، والترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة تبّت (٣٣٦٠) ، والنسائي في الكبرى (١٠٨١٩/٦ ، ١١٧١٤) ، وأحمد (٢٨١/١ ، ٣٠٧) . كلهم من حديث عبد الله بن عباس .

(٦) - هو قطعة من حديث طويل ، أخرجه البخاري ، كتاب : الجنائز ، باب : رثاء النبي - صلى الله عليه وسلم - سعد بن خَولَة (١٢٩٥) - وانظر أطرافه عند رقم (٥٦) - ومسلم ، كتاب : الوصية ، =

---

[١] - في ز : « يوحي » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : خ .

بها ، حتىٰ ما تجعل في فيّ امرأتك » .

وقال ابن جرير(٧) : حدثني[١] [٢] المسيب بن شريك ، عن أبي بكر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن مسعود - رضي الله عنه - في قوله : ﴿ **ويؤت كل ذي فضل فضله** ﴾ قال : من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ، ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات ، فإن عوقب بالسيئة التي كان عملها في الدنيا بقيت له عشر حسنات ، وإن لم يعاقب بها في الدنيا أخذ من الحسنات العشر واحدة وبقيت له تسع حسنات ، ثم يقول : هلك من غلب آحاده علىٰ أعشاره .

وقوله : ﴿ **وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير** ﴾ هذا تهديد شديد لمن تولىٰ عن أوامر الله تعالىٰ وكذب رسله ، فإن العذاب يناله يوم معاده[٣] لا محالة ﴿ **إلىٰ الله مرجعكم** ﴾ أي : معادكم ومرجعكم يوم القيامة ﴿ **وهو علىٰ كل شيء قدير** ﴾ أي : وهو القادر علىٰ ما يشاء من إحسانه إلىٰ أوليائه ، وانتقامه من أعدائه ، وإعادته[٤] الخلائق يوم القيامة ، وهذا مقام الترهيب كما أن الأول مقام[٥] ترغيب .

أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾

قال ابن عباس : كانوا يكرهون أن يستقبلوا السماء بفروجهم وحال وقاعهم ، فأنزل الله هذه الآية . رواه البخاري(٨) من حديث ابن جريج ، عن[٦] محمد بن عباد بن جعفر ؛ أن

= باب : الوصية بالثلث (١٦٢٨) ، وأبو داود ، كتاب : الوصايا ، باب : ما جاء في مالا يجوز للموصي في ماله (٢٨٦٤) ، والترمذي ، كتاب : الوصايا ، باب : ما جاء في الوصية بالثلث (٢١١٧) والنسائي كتاب : الوصايا ، باب الوصية بالثلث (٢٤١/٦ : ٢٤٢) وابن ماجة (٢٧٠٨) ، وأحمد (١٦٨/١ ، ١٧٢، ١٧٦ وفي مواضع أخر) بروايات مطولة ومختصرة .

(٧) - **إسناده ضعيف جدًا ، وفيه انقطاع** ، والحديث في تفسير ابن جرير (١٨٢/١١) ، والمسيب بن شريك هذا ، قال أحمد : ترك الناس حديثه ، وقال ابن معين : لا شيء ، وقال أبو حاتم : ضعيف الحديث كأنه متروك [« الجرح والتعديل » (٢٩٤/٨)] ، وقال البخاري : « سكتوا عنه » [« التاريخ الكبير » (٧/ ٤٠٨)] .

(٨) - صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : « ألا إنهم يثنون صدورهم ....» (٤٦٨٢) .

[١] - في تفسير ابن جرير « حُدثت عن المسيب بن شريك » .

[٢] - في ز : « عن ابن » .

[٣] - في خ : « القيامة » .

[٤] - في ت : « إعادة » .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - في « الصحيح » :أخبرني .

ابن عباس قرأ : (**ألا إنهم تَثْنَوْني**[١] **صدورهم**) الآية .

قلت[٢] : يا أبا العباس ، ما تثنوني[٣] صدورهم ؟ قال : [كان الرجل][٤] يجامع امرأته فيستحي أو يتخلىٰ فيستحي ، فنزلت : (**ألا إنهم تَثْنَوْني**[٥] **صدورهم**) . وفي لفظ آخر له(٩) قال ابن عباس : أناس كانوا يستحيون أن يتخلوا فيفضوا إلىٰ السماء ، وأن يجامعوا نساءهم [فيفضوا إلىٰ السماء][٦] ، فنزل ذلك فيهم .

قال البخاري : وقال غيره عن ابن عباس : ﴿ **يستغشون** ﴾ يغطون رءوسهم .

[ثم قال(١٠) : حدثنا الحميدي ، حدثنا سفيان ، حدثنا عمرو قال : قرأ[٧] ابن عباس ﴿ **ألا إنهم يثنوني صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم**][٨] ﴾ .

وقال ابن عباس في رواية أخرىٰ في تفسير هذه الآية(١١) : يعني به الشك في اللَّه ، وعمل السيئات . وكذا روي عن مجاهد والحسن وغيرهم ، أي : أنهم كانوا يثنون صدورهم إذا قالوا شيئًا أو عملوه ، يظنون[٩] أنهم يستخفون من اللَّه بذلك ، فأعلمهم[١٠] اللَّه تعالىٰ أنهم حين يستغشون ثيابهم عند منامهم في ظلمة الليل ﴿ **يعلم ما يسرون** ﴾ من القول ﴿ **وما يعلنون * إنه عليم بذات الصدور** ﴾ أي : يعلم ما تكن صدورهم من النيات والضمائر والسرائر ، وما أحسن ما قال زهير بن أبي سلمىٰ في معلقته المشهورة :

فَلا تَكْتُمُنَّ اللَّه ما في نفوسِكم[١١] [ليخفىٰ فمهما يُكتم][١٢] اللَّه يَعْلمِ
يُؤَخَّرْ فَيُوضَعْ في كتابٍ فَيُدَّخرْ[١٣] ليوم حسابٍ[١٤] أو يُعَجَّلْ فَيُنْقَمِ

(٩) - صحيح البخاري رقم (٤٦٨١) .
(١٠) - صحيح البخاري رقم (٤٦٨٣) .
(١١) - **إسناده فيه انقطاع** ، أخرجه ابن جرير (١١/١٨٥) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/١٠٦٥٧) .

[١] - في خ : « يثنون » .
[٢] - في خ : « فقلت » .
[٣] - في ز ، خ : « يثنون » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « الرجل » والمثبت من الصحيح .
[٥] - في خ : « يثنون » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : مكانها قبل الفقرة التي قبلها .
[٩] - في خ : « فيظنون » .
[١٠] - في ت : « فأخبرهم » .
[١١] - في ت : « قلوبكم » .
[١٢] - في ز : « لتخفىٰ فمهما تكتمْ » .
[١٣] - في ز : « ليدخر » .
[١٤] - في ز : « الحساب » .

فقد اعترف هذا الشاعر الجاهلي بوجود الصانع ، وعلمه بالجزئيات وبالمعاد وبالجزاء ، وبكتابة الأعمال في الصحف ليوم القيامة .

وقال عبد اللَّه بن شداد(١٢) : كان أحدهم إذا مر برسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، ثنىٰ صدره وغطىٰ رأسه ، فأنزل اللَّه ذلك .

وعود الضمير [ ][١] علىٰ اللَّه أولىٰ لقوله : ﴿ **ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون** ﴾ .

وقرأ ابن عباس(١٣)[٢] : (**ألا إنهم تَثْنَوْني صدورُهم**) برفع الصدور علىٰ الفاعلية ، وهو قريب المعنى .

وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾

أخبر تعالىٰ أنه متكفل بأرزاق المخلوقات من سائر دواب الأرض ؛ صغيرها وكبيرها ، بحريها وبريها ، وأنه يعلم مستقرها ومستودعها ، أي : يعلم أين منتهىٰ سيرها في الأرض ، وأين تأوي إليه من وكرها ، وهو مستودعها .

وقال علي بن أبي طلحة وغيره ، عن ابن عباس(١٤) ﴿ **ويعلم مستقرها** ﴾ أي : حيث تأوي ﴿ **ومستودعها** ﴾ حيث تموت .

وعن مجاهد : ﴿ **مستقرها** ﴾ في الرحم ﴿ **ومستودعها** ﴾ في الصلب كالتي في الأنعام . وكذا روي عن ابن عباس والضحاك وجماعة ، وذكر ابن أبي حاتم أقوال المفسرين هاهنا كما ذكره عند تلك الآية ، فاللَّه أعلم . وأن جميع ذلك مكتوب في كتاب عند اللَّه مبين عن جميع ذلك ، كقوله ﴿ **وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلىٰ ربهم يحشرون** ﴾ ، وقوله : ﴿ **وعنده مفاتح**

(١٢) - **مرسل** ، أخرجه ابن جرير (١١/١٨٣) ، وابن أبي حاتم (٦/١٠٦٥٩) وسعيد بن منصور وابن المنذر وأبو الشيخ - كما في « الدر المنثور » (٣/٥٧٩) .

(١٣) - **صحيح** ، تقدم (٨ ، ٩) .

(١٤) - **صحيح** ، أخرجه ابن جرير (١٢/٢) ، وابن أبي حاتم (٦/١٠٦٧٧) ، وعبد الرزاق ، وابن المنذر ، وأبو الشيخ ؛ كما في « الدر المنثور » (٣/٥٨١) .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « أولًا » . [٢] - في ز : « مسعود » .

الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾ .

وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾

يخبر تعالىٰ عن قدرته علىٰ كل شيء ، وأنه خلق السموات والأرض في ستة أيام ، وأن عرشه كان علىٰ الماء قبل[١] ذلك ، كما قال الإمام أحمد(١٥) :

حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن جامع بن شداد ، عن صفوان بن مُحْرِز ، عن عمران بن حصين ؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **اقبلوا البشرىٰ يا بني تميم** » . قالوا : قد بشرتنا فأعطنا . قال : « **اقبلوا البشرىٰ يا أهل اليمن** » . قالوا : قد قبلنا . فأخبرنا عن أول هذا الأمر كيف كان ؟ قال : « **كان اللَّه قبل كل شيء ، وكان عرشه علىٰ الماء ، وكتب في اللوح المحفوظ ذكر كل شيء** » . قال : فأتاني آت فقال : يا عمران ، انحلت ناقتك من عقالها . قال : فخرجت في إثرها فلا أدري ما كان بعدي .

وهذا الحديث مخرج في صحيحي البخاري ومسلم[٢] بألفاظ كثيرة ؛ فمنها : قالوا : جئناك نسألك عن أول هذا الأمر . فقال : « **كان اللَّه ولم يكن شيء قبله** »(١٦) ، وفي

(١٥) - **إسناده صحيح** ، « المسند » (١٩٩٢٩) (٤٣١/٤) ، وأخرجه أيضًا (١٩٨٧٤ ، ١٩٩٣٩ ، ١٩٩٦٤) (٤٢٦/٤ ، ٤٣٣ ، ٤٣٦) ، والبخاري ، كتاب : بدء الخلق ، باب : ما جاء في قول الله تعالى : ﴿ **وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ...**﴾ (٣١٩٠) ، والترمذي ، كتاب : المناقب، باب : في ثقيف وبني حنيفة (٣٩٤٦) ، والنسائي في « التفسير » من الكبرى (١١٢٤٠/٦) من طرق عن جامع بن شداد ، به مطولاً ومختصرًا .

(١٦) - أخرجه البخاري ، كتاب : التوحيد ، باب : ﴿ **وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم** ﴾ (٧٤١٨) .

[١] - سقط من : خ .

[٢] - كذا قال ، ولم يعزه المزيُّ في « التحفة » (١٠٨٢٩/٦) ، والحافظ ابن حجر في « النكت الظراف » إلا إلى البخاري والترمذي والنسائي دون مسلم ، وكذا ذكره المصنف في « البداية والنهاية » (١٧/١) ،

رواية : « **غيره** »[١٧] ، وفي رواية : « **معه** »[١٨] - « **وكان عرشه علىٰ الماء ، وكتب في الذكر كل شيء ، ثم خلق السموات والأرض** » .

وفي صحيح مسلم[١٩] عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص ؛ قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن اللَّه قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه علىٰ الماء** » .

وقال البخاري في تفسير هذه الآية[٢٠] : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، حدثنا أبو الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة -رضي اللَّه عنه- أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « **قال اللَّه عز وجل : أَنفقْ أُنفقْ عليك** » . وقال : « **يد اللَّه ملأىٰ لا يغيضها**(*) **نفقة ، سَحَّاءُ**(**) **الليلَ والنهارَ** » . وقال : « **أفرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض ، فإنه لم يغض ما في يده ، وكان عرشه علىٰ الماء ، وبيده الميزان يخفض ويرفع** » .

وقال الإِمام أحمد[٢١] : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا حماد بن سلمة ، عن يعلىٰ بن

(١٧) - أخرجه البخاري كتاب : بدء الخلق ، باب : ما جاء في قول الله تعالى : ﴿ **وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده** ...﴾ (٣١٩١) ، والنسائي في « التفسير » (٦/١١٢٤٠) .

(١٨) - هذه الرواية ذكرها الحافظ ابن حجر في « الفتح » (٦/٢٨٩) ونسبها إلى غير البخاري ، وكلامه يشعر بأنه لم يقف عليها ، فقد قال : تنبيه : وقع في بعض الكتب في هذا الحديث « **كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما عليه كان** » وهي زيادة ليست في شيء من كتب الحديث ، نبه على ذلك العلامة تقي الدين ابن تيمية ، وهو مسلم في قوله : « وهو الآن » إلى آخره ، وأما لفظ « **ولا شيء معه** » فرواية الباب بلفظ : « **ولا شيء غيره** » بمعناها .

(١٩) - تقدم تخريجه [سورة الأعراف / آية ١٧٩] .

(٢٠) - صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **وكان عرشه على الماء** ﴾ (٤٦٨٤) ، وأخرجه مسلم ، كتاب : الزكاة ، باب : الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف (٣٦ ، ٣٧) (٩٩٣) ، والترمذي كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة المائدة (٣٠٤٨) ، والنسائي في « التفسير » من الكبرى (٦/ ١١٢٣٩) ، وابن ماجه في المقدمة ، باب : فيما أنكرت الجهمية (١٩٧) ، كتاب : الكفارات ، باب : النهي عن النذر (٢١٢٣) ، وأحمد (٢/٢٤٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤) مطولاً ومختصرًا .

(٢١) - **صحيح** ، (٤/١١) ، وأخرجه أيضًا (٤/١٢) وابنه عبد الله في « السنة » (١/٤٥٠)، والترمذي =

(٥/٥٠٨٢) وعزاه إلى البخاري والترمذي ، النسائي ، ولم يذكر مسلمًا .

(*) أي : لا ينقصها .

(**) أي : دائمة الصَّبِّ والهطل بالعطاء .

عطاء ، عن وكيع بن عُدُس[١] ، عن عمه أبي رزين - واسمه لقيط بن عامر بن المنتفق[٢] العَقِيلي - قال : قلت : يا رسول اللّٰه ، أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه ؟ قال : « **كان في عَمَاءٍ - سحاب[٣] - ما تحته هواء وما فوقه هواء ، ثم خلق العرش بعد ذلك** » .

وقد رواه الترمذي في التفسير ، وابن ماجة في السنة[٤] من حديث يزيد بن هارون ، به . وقال الترمذي : هذا حديث حسن .

وقال مجاهد : ﴿ **وكان عرشه علىٰ الماء** ﴾ قبل أن يخلق شيئًا . وكذا قال وهب ابن منبه ، وضمرة بن [حبيب][٥] ، وقاله قتادة وابن جرير وغير واحد .

وقال قتادة في قوله : ﴿ **وكان عرشه علىٰ الماء** ﴾ ينبئكم كيف كان بدء خلقه قبل أن يخلق السموات والأرض .

وقال الربيع بن أنس : ﴿ **وكان عرشه علىٰ الماء** ﴾ فلما خلق السموات والأرض قسم ذلك الماء قسمين ؛ فجعل نصفًا تحت العرش وهو البحر المسجور .

وقال ابن عباس(٢٢) : إنما سمي العرش عرشًا لارتفاعه .

وقال إسماعيل بن أبي خالد : سمعت سعدًا الطائي يقول(٢٣) : العرش ياقوتة حمراء .

= كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة هود (٣١٠٨) ، وابن ماجه، في المقدمة ، باب : فيما أنكرت الجهمية (١٨٢) ، والطيالسي في مسنده (١٠٩٣) ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة في « كتاب العرش » (٧) ، وابن أبي عاصم في السنة (٦١٢) ، وابن جرير في « التفسير » (١٢/٤) ، وأبو الشيخ في « العظمة » (٨٣/١ ، ٨٤) ، وابن أبي زَمَنِين في « أصول السنة » (٣١) ، والطبراني في « الكبير » (٤٦٨/١٩) ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » (٨٠١/٢) من طرق عن حماد بن سلمة به ، ووكيع بن عدس - وقيل : حدس - وثقه ابن حبان « الثقات » (٤٩٦/٥) ، وذكره في « مشاهير علماء الأمصار » (٩٧٣) وقال : « من الأثبات » وباقي رجاله ثقات من رجال « التهذيب » والحديث قال فيه الترمذي : « حديث حسن » ، وصححه ابن حبان (٦١٤١/١٤) ، وصححه أبو عبيد القاسم بن سلام ، ونقل تصحيح أصحاب الحديث له كما في كتاب « النزول » للدارقطني (ص ٦٨) .

(٢٢) - لم أهتد إليه .

(٢٣) - تقدم [(سورة يونس آية ٣)] .

---

[١] - قال الترمذي : هكذا يقول حماد بن سلمة : وكيع بن حدس ، ويقول : شعبة وأبو عوانة وهشيم : وكيع بن عَدَس ، وهو أصح .

[٢] - في ز ، خ :« المنفق » . [٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ت : « السنن » .

[٥] - سقط من ز ، خ . والمثبت من تفسير الطبري .

وقال محمد بن إسحاق في قوله تعالىٰ : ﴿ **وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه علىٰ الماء** ﴾ فكان كما وصف نفسه تعالىٰ ، إذ ليس إلا الماء و[١] عليه العرش ، وعلىٰ العرش ذو الجلال والإكرام ، والعزة والسلطان ، والملك والقدرة ، والحلم والعلم ، والرحمة والنعمة ، الفعالُ لما يريد .

وقال الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ؛ قال : سئل ابن عباس عن قول اللَّه : ﴿ **وكان عرشه علىٰ الماء** ﴾ علىٰ أي شيء كان الماء ؟ قال : علىٰ متن الريح(٢٤) .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ليبلوكم أيكم أحسن عملًا** ﴾ أي : خلق السموات والأرض لنفع عباده الذين خلقهم ليعبدوه وحده [لا شريك له][٢] ، ولم يخلق ذلك عبثًا ، كقوله : ﴿ **وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلًا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار** ﴾ ، وقال تعالىٰ ﴿ **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالىٰ اللَّه الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ليبلوكم** ﴾ أي : ليختبركم ﴿ **أيكم أحسن عملًا** ﴾ ولم يقل : أكثر عملًا ، بل أحسن عملًا ، و[لا يكون][٣] العمل حسنًا حتىٰ يكون خالصًا للَّه -عز وجل- علىٰ شريعة رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فمتىٰ فَقَدَ العمل واحدًا من هذين[٤] الشرطين بطل وحبط .

وقوله : ﴿ **ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين** ﴾ يقول تعالىٰ : ولئن أخبرت يا محمد هؤلاء المشركين أن اللَّه سيبعثهم بعد

(٢٤) - **صحيح موقوف** ، أخرجه ابن أبي عاصم في « السنة » (٥٨٤/١) ، والدارمي في « الرد على المريسي» (ص ٨٧) ، وابن أبي حاتم (١٠٦٩٧/٦) ، وابن جرير (٥/١٢) ، وأبو الشيخ في « العظمة » (٢/ ٢١٠) ، ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة في « كتاب العرش » (رقم ٢) ، والحاكم في « المستدرك » (٢/ ٣٤١) ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » (٨٠٢/٢) من طرق عن سفيان ، به .

وقال الحاكم : « حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي . وقال الألباني في ظلال الجنة : « إسناده جيد موقوف ، وليس له حكم المرفوع ؛ لاحتمال أن يكون ابن عباس تلقاه عن أهل الكتاب ».

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ت : « ولا يشريكوا به شيئًا » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « لم يكن » .
[٤] - في ز ، خ : « هذا » .

مماتهم كما بدأهم ، مع أنهم يعلمون أن اللَّه تعالىٰ هو الذي خلق السموات والأرض ، [كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن اللَّه** ﴾ ، ﴿ **ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض**][١] **وسخر الشمس والقمر ليقولن اللَّه** ﴾ ، وهم مع هذا ينكرون البعث والمعاد يوم القيامة ، الذي هو بالنسبة إلىٰ القدرة أهون[٢] من البداءة ، كما قال تعالىٰ ﴿ **وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة** ﴾ .

وقولهم : ﴿ **إن هذا إلا سحر مبين** ﴾ أي : يقولون كفرًا وعنادًا : ما نصدقك علىٰ وقوع البعث ، وما يذكر[٣] ذلك إلا من سَحَرْتَه فهو يتبعك علىٰ ما تقول .

وقوله : ﴿ **ولئن أخرنا عنهم العذاب إلىٰ أمة معدودة ليقولن ما يحبسه** ﴾ يقول تعالىٰ : ولئن أخرنا العذاب والمؤاخذة عن هؤلاء المشركين إلىٰ أجل معدود ، وأمد محصور ، وأوعدناهم به إلىٰ مدة مضروبة ، ليقولن تكذيبًا واستعجالًا : ﴿ **ما يحبسه** ﴾ أي : يؤخر هذا العذاب عنا ، فإن سجاياهم قد ألفت التكذيب والشك ، فلم يبق لهم محيص عنه ولا محيد .

والأمة تستعمل في القرآن والسنة في معان متعددة ؛ فيراد بها الأمد ، كقوله في هذه الآية : ﴿ **إلىٰ أمة معدودة** ﴾ ، وقوله في يوسف : ﴿ **وقال الذي نجا منهما وادّكر بعد أمة** ﴾ ، وتستعمل في الإمام المقتدىٰ به ، كقوله : ﴿ **إن إبراهيم كان أمة قانتا للَّه حنيفًا ولم يك من المشركين** ﴾ ، وتستعمل في الملة والدين ، كقوله إخبارًا عن المشركين أنهم قالوا : ﴿ **إنا وجدنا آباءنا علىٰ أمة وإنا علىٰ آثارهم مقتدون** ﴾ ، وتستعمل في الجماعة ؛ كقوله : ﴿ **ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون** ﴾ ، وقال تعالى[٤] : ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا اللَّه واجتنبوا الطاغوت** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون** ﴾ والمراد من الأمة هاهنا الذين يبعث فيهم الرسول ؛ مؤمنهم وكافرهم ، كما في صحيح مسلم(٢٥) : « **والذي نفسي بيده ، لا يسمع بي أحد من[٥] هذه الأمة ؛ يهودي ولا نصراني ، ثم لا**

(٢٥) - صحيح مسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته (٢٤٠) (١٥٣) ، لكنه مغاير في بعض الأحرف لسياق المصنف . وأخرجه أحمد أيضًا (٣١٧/٢ ، ٣٥٠) ، كلاهما من حديث أبي هريرة . وانظر [سورة الأعراف آية ١٥٨] .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز : « يذكره من » ، خ : « يذكره » .

[٤] - في ت : « قوله » . [٥] - في خ : « في » .

يؤمن بي إلا دخل النار » .

وأما أمة الأتباع فهم المصدقون للرسل ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس** ﴾ ، وفي الصحيح(٢٦) : « **فأقول : أمتي ! أمتي !** » .

وتستعمل الأمة في الفرقة والطائفة ؛ كقوله تعالىٰ : ﴿ **ومن قوم موسىٰ أمة يهدون بالحق وبه يعدلون** ﴾ ؛ وكقوله : ﴿ **من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناءَ الليل وهم يسجدون** ﴾ .

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾

يخبر تعالىٰ عن الإنسان وما فيه من الصفات الذميمة ، إلا من رحم الله من عباده المؤمنين : أنه[١] إذا أصابته شدة بعد نعمة ، حصل له إياس[٢] وقنوط من الخير بالنسبة إلىٰ المستقبل ، وكفر وجحود لماضي الحال ، كأنه لم ير خيرًا ولم يرج بعد ذلك[٣] فرجًا ، وهكذا إذا[٤] أصابته نعمة بعد نقمة ﴿ **ليقولن ذهب السيئات عني** ﴾ أي : يقول ما بقي ينالني بعد هذا ضيم ولا سوء ﴿ **إنه لفرح فخور** ﴾ أي : فرح بما في يده ، بطر فخور علىٰ غيره ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **إلا الذين صبروا** ﴾ [أي : في[٥] الشدائد والمكاره][٦] ﴿ **وعملوا الصالحات** ﴾ أي : في الرخاء والعافية ﴿ **أولئك لهم مغفرة** ﴾ أي : بما يصيبهم من الضراء ﴿ **وأجر كبير** ﴾ بما أسلفوه في زمن الرخاء ، كما جاء في الحديث(٢٧) :

(٢٦) - أخرجه البخاري ، كتاب : التوحيد ، باب : كلام الرب - عز وجل - يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (٧٥١٠) ، ومسلم : كتاب : الإيمان ، باب : أدنى أهل الجنة منزلة فيها (٣٢٦) (١٩٣) ، والنسائي في « التفسير » من الكبرى (١١١٣١/٦) من حديث أنس بن مالك .

(٢٧) - أخرجه البخاري ، كتاب : المرضى ، باب : ما جاء في كفارة المرض (٥٦٤١ ، ٥٦٤٢) ، ومسلم ، كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض (٥٢) (٢٥٧٣) ، والترمذي ، كتاب : الجنائز ، باب : ما جاء في ثواب المريض (٩٦٦) ، وأحمد (١١٠٢٠ ، ١١١٥٥) =

[١] - في ز : « فإنه » .
[٢] - في ت : « يأس » .
[٣] - في ز : « تلك » .
[٤] - في ت : « إن » .
[٥] - في ت : « على » .
[٦] - سقط من : خ .

« والذي نفسي بيده ، لا يصيب المؤمن هم ولا غم ، ولا نصب ولا وصب ولاحزن [حتىٰ الشوكة يُشاكُها][١] ، إلا كفر اللّٰه عنه بها من خطاياه » . وفي الصحيحين(٢٨) : « والذي نفسي بيده ، لا يقضي اللّٰه للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له : إن أصابته سراء فشكر كان خيرًا له ، وإن أصابته ضراء فصبر كان خيرًا له ، وليس ذلك لأحد غير المؤمن » . ولهذا[٢] قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ إن الإنسان خلق هلوعًا إذا مسه الشر جزوعًا وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين ﴾ .

فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٤﴾

يقول تعالىٰ مسليًا لرسوله ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، عما كان يتعنت به المشركون ، فيما كانوا يقولونه عن الرسول ، كما أخبر تعالىٰ عنهم [في قوله][٣] : ﴿ وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرًا * أو يلقىٰ إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلًا مسحورًا ﴾ ، فأمر اللّٰه تعالىٰ رسوله ، صلوات اللّٰه وسلامه عليه ، وأرشده إلىٰ أن لا يضيق بذلك منهم صدره ، ولا يهيدنه[٤] ذلك ولا يثنيه عن دعائهم إلىٰ اللّٰه عز وجل ، آناء الليل وأطراف النهار ، كما قال تعالىٰ : ﴿ ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين . واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ . وقال هاهنا : ﴿ فلعلك تارك بعض ما يوحىٰ إليك وضائق به صدرك أن يقولوا ﴾ أي : لقولهم ذلك ، فإنما أنت نذير ، ولك

= (٤/٣ ، ١٨ وفي مواضع أخر) من حديث أبي هريرة وأبي سعيد - وعن أحمد في الموضع الأول عن أبي سعيد فقط - بنحو اللفظ الذي أورده المصنف .

(٢٨) - صحيح . انظر ما تقدم [سورة يونس / آية ١٣] وما يأتي [سورة إبراهيم / آية ٥] .

[١] - في ز ، خ : « وقعت بعد قوله : « خطاياه » . [٢] - في ز : « هكذا » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٤] - في خ : « يهدنه » .

أسوة بإخوانك من الرسل قبلك ، فإنهم كذبوا وأوذوا فصبروا حتىٰ أتاهم نصر اللَّه عز وجل .

ثم بين تعالىٰ إعجاز القرآن ، وأنه لا يستطيع [البشر الإتيان][١] بمثله ، ولا بعشر سور مثله ، ولا بسورة من مثله ؛ لأن كلام الرب تعالىٰ لا يشبهه[٢] كلام المخلوقين ، كما أن صفاته لا تشبه صفات المحدثات ، وذاته لا يشبهها شيء ، تعالىٰ وتقدس وتنزه ، لا إله إلا هو ولا رب سواه .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **فإن لم يستجيبوا لكم** ﴾ أي : فإن لم يأتوا بمعارضة ما دعوتموهم[٣] إليه ، فاعلموا أنهم عاجزون عن ذلك ، وأن هذا الكلام منزل من عند اللَّه ، متضمنًا علمه وأمره ونهيه ، ﴿ **وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون** ﴾ .

مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

قال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية(٢٩): إن أهل الرياء يعطون بحسناتهم في الدنيا ، وذلك أنهم لا يظلمون نقيرًا ؛ يقول : من عمل صالحًا التماس الدنيا ؛ صومًا أو صلاة أو تهجدًا بالليل ، لا يعمله إلا لالتماس[٤] الدنيا ، يقول اللَّه تعالى : أُوفِّيه الذي التمس في الدنيا من المثابة ، وحبط عمله الذي كان يعمله لالتماس[٥] الدنيا ، وهو في الآخرة من الخاسرين .

وهكذا روي عن مجاهد والضحاك وغير واحد .

وقال أنس بن مالك(٣٠) ، والحسن : نزلت في اليهود والنصارىٰ .

---

(٢٩) - **إسناده ضعيف ، لضعف العوفي** ، أخرجه ابن جرير (١١/١٢) ، وابن أبي حاتم (١٠٧٣٩/٦) .

(٣٠) - أخرجه ابن جرير (١٢/١٢) ، وابن أبي حاتم (١٠٧٣٦/٦) ، ورجاله ثقات ، إلا أن فيه عنعنة قتادة ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٥٨٤/٣) إلى أبي الشيخ وابن مردويه .

---

[١] - في ت : « أحد أن يأتي » .

[٢] - في خ : « يشبه » .

[٣] - في ز : « دعوتهم » .

[٤] - في خ : « التماس » .

[٥] - في ز : « التماس » .

وقال مجاهد وغيره : نزلت في أهل الرياء .

وقال قتادة : من كانت الدنيا همه وسدمه(٣١) [١] ، جازاه اللّٰه بحسناته في الدنيا ، ثم يفضي إلىٰ الآخرة وليس له حسنة يعطىٰ بها جزاء ، وأما المؤمن فيجازىٰ بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة .

وقد ورد في الحديث المرفوع نحو من هذا(٣٢) .

وقال تعالىٰ : ﴿ **من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذمومًا مدحورًا * ومن أراد الآخرة وسعىٰ لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورًا * كلًّا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا * انظر كيف فضلنا بعضهم علىٰ بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب** ﴾ .

أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾

يخبر تعالىٰ عن حال المؤمنين الذين هم علىٰ فطرة اللّٰه تعالىٰ التي فطر عليها عباده من الاعتراف له بأنه لا إله إلا هو ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فأقم وجهك للدين حنيفًا فطرة اللّٰه التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم** ﴾ . وفي الصحيحين[٢] عن أبي

(٣١) - السَدَم : الولوع بالشيء واللهج به ، والغم بطلبه والندم على فوته .

(٣٢) - في هذا الباب حديث أنس عند الطبراني في « الأوسط » (٥٩٩٠ ، ٨٨٨٢) بإسنادين وكلاهما ضعيف جدًّا ، وهو عند الترمذي (٢٤٦٧) وفيه ضعف أيضًا ، وعن زيد بن ثابت عند ابن ماجه (٤١٠٥) ، وفي الزوائد : « إسناده صحيح ، رجاله ثقات » ، وصححه ابن حبان (٢/٦٨٠) ، وانظر : « مجمع الزوائد » (١٠/٢٥٠) .

[١] - في ز ، خ : « سدته » .

[٢] - في ز : « الصحيح » ، والمثبت من : خ .

هريرة قال(٣٣) : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **كل مولود يولد علىٰ الفطرة ، فأبواه يهودانه و**[١] **ينصرانه و**[٢] **يمجسانه ، كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء ؟** » الحديث[٣] .

وفي صحيح مسلم(٣٤) عن عياض بن حمار ، عن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « **يقول اللَّه تعالىٰ : إني خلقت عبادي حنفاء ، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرّمت عليهم ما أحللت لهم ،** [**وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا**][٤] » .

وفي المسند والسنن(٣٥) (٣٦) : « **كل مولود يولد علىٰ هذه الملة ، حتىٰ يعرب عنه لسانه** » . الحديث . فالمؤمن باق علىٰ هذه الفطرة .

[وقوله : ﴿ **ويتلوه شاهد منه** ﴾ أي][٥] : وجاءه شاهد من اللَّه ، وهو ما أوحاه إلىٰ الأنبياء من الشرائع المطهرة المكملة المعظمة ، المختتمة بشريعة محمد ، صلوات اللَّه وسلامه [عليه و][٦] عليهم أجمعين ؛ ولهذا قال ابن عباس(٣٧) ، ومجاهد وعكرمة ، وأبو العالية ، والضحاك ، وإبراهيم النخعي ، والسدي وغير واحد في قوله تعالىٰ : ﴿ **ويتلوه شاهد منه** ﴾ : إنه جبريل عليه السلام .

---

(٣٣) - تقدم تخريجه [سورة الأنعام/ آية ٧٩] .

(٣٤) - تقدم تخريجه [سورة الأنعام/آية ٧٩] .

(٣٥) - **صحيح** ، أخرجه أحمد (١٥٦٣٠) (٤٣٥/٣ - وفي مواضع أخر) ، وعبد الرزاق في « المصنف » (٢٠٠٩٠/١١) ، وأبو يعلى (٩٤٢/٢) ، والطبراني في « الكبير » (٢٨٣/١ ، ٢٨٥) ، وفي «الأوسط» (١٩٨٤ ، ٤٩٤١) وغيرهم من حديث الأسود بن سريع ، وصححه ابن حبان (١٣٢/١) ، والحاكم (٢/ ١٢٣) على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي ، وأقرهما الألباني في « الصحيحة » (٤٠٢/١) ، وانظر ما تقدم [سورة الأعراف / آية ١٧٤] ، وفي الباب عن جابر بن عبد الله عند أحمد (١٤٨٤٨) (٣٥٣/٣) وفي إسناده ضعف .

(٣٦) - كذا قال ، ولم يعزه صاحب « التحفة » (٧٠/١) إلا إلى النسائي في « السير » (٨٦١٦/٥) من الكبرى بلفظ آخر . حديث الأسود بن سريع وفي الباب عن جابر بن عبد الله عند أحمد فقط . انظر الهامش (٣٥) .

(٣٧) - أخرجه ابن جرير (١٦/١٢) ، وابن أبي حاتم (١٠٧٥٩/٦) ، وابن المنذر ، وأبو الشيخ ، وابن مردويه - كما في « الدر المنثور » (٥٨٧/٣) - .

---

[١] - [٢] - في ت : « أو » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز .

وعن علي(٣٨) رضي اللّه عنه والحسن وقتادة : هو محمد صلىٰ اللّه عليه وسلم .

وكلاهما قريب في المعنىٰ ؛ لأن كلًّا من جبريل ومحمد ، صلوات اللّه عليهما ، بلغ رسالة اللّه تعالىٰ ، فجبريل إلىٰ محمد ومحمد إلىٰ الأمة .

وقيل : هو علي ، وهو ضعيف لا يثبت له قائل ، والأول والثاني هو الحق ، وذلك أن المؤمن عنده من الفطرة ما يشهد للشريعة من حيث الجملة ، والتفاصيل تؤخذ من الشريعة ، والفطرة تصدقها وتؤمن بها ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **أفمن كان علىٰ بينة من ربه ويتلوه شاهد منه** ﴾ وهو القرآن ، بلغه جبريل إلىٰ النبي ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، وبلغه النبي محمد ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، إلىٰ أمته .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ومن قبله كتاب موسى** ﴾ أي : ومن قبل القرآن كتاب موسىٰ وهو التوراة ﴿ **إمامًا ورحمة** ﴾ أي : أنزله اللّه تعالىٰ إلىٰ تلك الأمة إمامًا لهم ، وقدوة يقتدون بها ، ورحمة من اللّه بهم ، فمن آمن بها حق الإيمان قاده ذلك إلىٰ الإيمان بالقرآن ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **أولئك يؤمنون به** ﴾ .

ثم قال تعالى متوعدًا لمن كذب بالقرآن أو بشيء منه : ﴿ **ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده** ﴾ أي : ومن كفر بالقرآن من سائر أهل الأرض ؛ مشركيهم و[١] أهل الكتاب ، وغيرهم من سائر طوائف بني آدم ، علىٰ اختلاف ألوانهم وأشكالهم وأجناسهم ممن بلغه القرآن ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **لأنذركم به ومن بلغ** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **قل يا أيها الناس إني رسول اللّه إليكم جميعًا** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده** ﴾ . وفي صحيح مسلم(٣٩) من حديث شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن أبي موسىٰ الأشعري -رضي اللّه عنه- : أن رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، قال :

(٣٨) - **صحيح** ، أخرجه ابن جرير (١٤/١٢) ، وابن أبي حاتم (١٠٧٥٩/٦) ، وإسناده قوي ، وأخرجه الطبراني في « الأوسط » (٦٨٢٨/٧) لكن في إسناده خُليد بن دَعْلج وهو ضعيف ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٥٨٦/٣) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ .

(٣٩) - **صحيح** ، كذا عزاه المصنف هنا إلى صحيح مسلم ، وقد ذكره في « جامع المسانيد » (٢٨٤/٥ - مخطوط) ، وكذا المزي في « التحفة » (٨٩٩٥/٦) ولم ينسباه إلا إلى النسائي . وقد أخرجه النسائي في « التفسير » من الكبرى (١١٢٤١/٦) أنا محمد بن عبد الأعلى ، نا خالد عن شعبة بهذا الإسناد ، وأخرجه أيضًا أحمد (١٩٥٩٣ ، ١٩٦١٩) (٣٩٦/٤ ، ٣٩٨) ، والطيالسي (٥٠٩) - ومن طريقه أبو نعيم في « الحلية » (٣٠٨/٤) - والبزار في مسنده (٣٠٥٠/٨) ، والروياني في مسنده (٥٢٦/١) ، وابن جرير في تفسيره (٢٠/١٢) من طرق عن شعبة ، به . =

[١] - سقط من : ت .

« والذي نفسي بيده[١] ، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ؛ يهودي أو نصراني ، ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار » .

وقال أيوب[٢] السختياني ، عن سعيد بن جبير قال(٤٠) : كنت لا أسمع بحديث عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، علىٰ وجهه إلا وجدت[٣] مصداقه - أو قال : تصديقه - في القرآن ، فبلغني أن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : **« لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ؛ ولا[٤] يهودي ولا نصراني ، فلا يؤمن بي إلا دخل النار »** ، فجعلت أقول : أين مصداقه في كتاب الله ؟ قال : وقلما سمعت عن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، إلا وجدت له تصديقًا في القرآن ، حتىٰ وجدت هذه الآية : **﴿ ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده ﴾** قال[٥] : من الملل كلها .

وقوله : **﴿ فلا تك في مرية منه إنه الحق من ربك ﴾** . أي : القرآن حق من الله لا مرية [فيه ولا شك] ، كما قال تعالىٰ : **﴿ الم * تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ﴾** ، وقال تعالىٰ : **﴿ الم * ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾** .

وقوله : **﴿ ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴾** ؛ كقوله تعالىٰ : **﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾** ، وقال تعالىٰ : **﴿ وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ﴾** ، وقال تعالىٰ : **﴿ ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقًا من المؤمنين ﴾** .

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ

=وذكره الهيثمي في « المجمع » (٨/٢٦٤) وقال : « رواه الطبراني ... وأحمد بنحوه ... ورجال أحمد رجال الصحيح ...» وهو كذلك إلا أن سعيد بن جبير ، لم يسمع من أبي موسى على الراجح . وقد زاد نسبته السيوطي في «الدر المنثور » (٣/٥٨٧) إلى سعيد بن منصور وابن المنذر وابن مردويه ، وأخرج مسلم في صحيحه (٢٤٠) (١٥٣) من طريق عمرو - وهو ابن الحارث بن يعقوب - أن أبا يونس حدثه عن أبي هريرة عن رسول - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « **والذي نفس محمد بيده ، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به ، إلا كان من أصحاب النار** » .

(٤٠) - **صحيح** ، أخرجه ابن جرير (١٢/١٩) ، وابن أبي حاتم (٦/١٠٧٦٩) ، وقد وصله الحاكم (٢/٣٤٢) من حديث ابن عباس، وقال : « صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في ز ، خ : « أبو » .
[٣] - في ز ، خ : « سمعت » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : ز ، خ .

ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ
﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ
﴿١٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ
يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ
أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾

يبين تعالىٰ حال المفترين عليه ، وفضيحتهم في الدار الآخرة علىٰ رءوس الخلائق ؛ من الملائكة والرسل والأنبياء[١] وسائر البشر والجان ، كما قال الإمام أحمد(٤١) :

حدثنا بهز وعفان ؛ قالا : أخبرنا همام ، حدثنا قتادة ، عن صفوان بن محرز[٢] قال : كنت آخذًا بيد ابن عمر ، إذ[٣] عرض له رجل قال : كيف سمعت رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يقول في النجوىٰ يوم القيامة ؟ قال : [سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم][٤] ، يقول : « **إن اللَّه عز وجل يدني المؤمن ، فيضع عليه كنفه ، ويستره من الناس ، ويقرره بذنوبه ، ويقول له : أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ حتىٰ إذا قرره بذنوبه ، ورأىٰ في نفسه أنه قد هلك ، قال : فإني قد سترتها عليك في الدنيا ، وإني أغفرها لك اليوم . ثم يعطىٰ كتاب حسناته ، وأما الكفار والمنافقون فـ ﴿ يقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا علىٰ ربهم ألا لعنة اللَّه علىٰ الظالمين ﴾** » .

أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين : من حديث قتادة ، به[٥] .

(٤١) - **صحيح** ، « المسند » (٢/٧٤) وأخرجه أيضًا (٢/١٠٥) ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، نا سعيد عن قتادة به ، وأخرجه البخاري ، كتاب : المظالم ، باب : قول الله تعالى : **﴿ ألا لعنة الله على الظالمين ﴾** (٢٤٤١) ، مسلم كتاب : التوبة ، باب : قبول توبة القاتل ، وإن كثر قتله (٥٢) (٢٧٦٨) ، والنسائي في « التفسير » (٦/١١٢٤٢) ، وابن ماجه في المقدمة ، باب : فيما أنكرت الجهمية (١٨٣) من طرق عن قتادة ، به .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في ز : « محزر » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ت : « سمعته » .
[٥] - سقط من : ت .

وقوله : ﴿ **الذين يصدون عن سبيل اللَّه ويبغونها عوجًا** ﴾ [أي : يردون الناس عن اتباع الحق ، وسلوك طريق الهدىٰ الموصلة إلىٰ اللَّه عز وجل ، ويجنبونهم الجنة ﴿ **ويبغونها عوجًا**][١] ﴾ أي : ويريدون أن يكون طريقهم[٢] عوجًا غير معتدلة ﴿ **وهم بالآخرة هم كافرون** ﴾ أي : جاحدون بها مكذبون بوقوعها وكونها .

﴿ **أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض وما كان لهم من دون اللَّه من أولياء** ﴾ أي : بل كانوا تحت قهره وغلبته ، وفي قبضته وسلطانه ، وهو قادر علىٰ الانتقام منهم في الدار الدنيا قبل الآخرة ﴿ **إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار** ﴾ ، وفي الصحيحين(٤٢) : « **إن اللَّه ليملي للظالم حتىٰ إذا أخذه لم يفلته** » ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون** ﴾ . أي : يضاعف عليهم العذاب ، وذلك أن اللَّه تعالىٰ جعل لهم سمعًا وأبصارًا وأفئدة ، فما أغنىٰ عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم ، بل كانوا صمًّا عن سماع الحق ، عميًا عن اتباعه ، كما أخبر تعالىٰ عنهم حين دخولهم النار ، كقوله[٣] : ﴿ **وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **الذين كفروا وصدوا عن سبيل اللَّه زدناهم عذابًا فوق العذاب بما كانوا يفسدون** ﴾ ، ولهذا يعذبون علىٰ كل أمر تركوه ، وعلىٰ كل نهي ارتكبوه ، ولهذا كان أصح الأقوال أنهم مكلفون بفروع الشرائع ؛ أمرها ونهيها ، بالنسبة إلىٰ الدار الآخرة .

وقوله : ﴿ **أولئك الذين خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون** ﴾ أي : خسروا أنفسهم ؛ لأنهم دخلوا[٤] نارًا حامية فهم معذبون فيها ، لا يفتر عنهم من عذابها طرفة عين ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **كلما خبت زدناهم سعيرًا** ﴾ .

﴿ **وضل عنهم** ﴾ أي : ذهب عنهم ﴿ **ما كانوا يفترون** ﴾ من دون اللَّه من الأنداد والأصنام ، فلم تجد عنهم شيئًا ، بل ضرتهم كل الضرر ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **واتخذوا من دون اللَّه آلهة ليكونوا لهم عزًّا * كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدًّا** ﴾ ، وقال

(٤٢) - أخرجه البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ...** ﴾ (٤٦٨٦) ، ومسلم ، كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : تحريم الظلم (٦١) (٢٥٨٣) ، والترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة هود (٣١٠٩) ، والنسائي في « التفسير » (١١٢٤٥/٦) ، وابن ماجه ، كتاب : الفتن ، باب : العقوبات (٤٠١٨) من حديث أبي موسى الأشعري .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في ز ، خ : « طريق » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في خ : « أدخلوا » .

الخليل لقومه : ﴿ إنما اتخذتم من دون اللَّه أوثانًا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضًا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ﴾ ، وقوله : ﴿ إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب ﴾ إلىٰ غير ذلك من الآيات الدالة علىٰ خسرهم ودمارهم ، ولهذا قال :

﴿ لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون ﴾ يخبر تعالىٰ عن حالهم أنهم أخسر الناس صفقة في الدار الآخرة ؛ لأنهم استبدلوا الدركات[١] عن الدرجات ، واعتاضوا عن نعيم الجنان بحميم آن ، وعن شرب الرحيق المختوم بسموم وحميم وظلّ من يحموم ، وعن الحور العين بطعام من غسلين ، وعن القصور العالية بالهاوية ، وعن قرب الرحمن ورؤيته بغضب الديان وعقوبته ، فلا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون .

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾

لما ذكر تعالىٰ حال الأشقياء ثنّىٰ بذكر السعداء ، وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فآمنت قلوبهم ، وعملت جوارحهم الأعمال الصالحة ؛ قولًا وفعلًا ، من الإتيان بالطاعات ، وترك المنكرات ، وبهذا ورثوا الجنات ، المشتملة علىٰ الغرف العاليات ، والسرر المصفوفات ، والقطوف الدانيات ، والفرش المرتفعات ، والحسان الخيرات ، والفواكه المتنوعات ، والمآكل المشتهيات ، والمشارب المستلذات ، والنظر إلىٰ خالق الأرض والسموات ، وهم في ذلك خالدون لا يموتون ، ولا يهرمون ولا يمرضون ، ولا[٢] ينامون ولا يتغوطون ، ولا يبصقون ولا يتمخطون ، إن هو إلا رشح مسك يعرقون .

ثم ضرب تعالىٰ مثل الكافرين والمؤمنين فقال : ﴿ مثل الفريقين ﴾ أي : الذين وصفهم أولًا بالشقاء ، والمؤمنين السعداء ، فأولئك كالأعمىٰ والأصم ، وهؤلاء كالبصير والسميع ، فالكافر : أعمىٰ عن[٣] وجه الحق في الدنيا وفي الآخرة ، لا يهتدي إلىٰ خير ولا يعرفه ، أصم عن سماع الحجج ، فلا يسمع ما ينتفع به ﴿ ولو علم اللَّه فيهم خيرًا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون ﴾ . وأما المؤمن : ففطن ذكي لبيب ، بصير بالحق يميز بينه وبين الباطل ، فيتبع الخير ويترك الشر ، سميع للحجة يفرق بينها وبين الشبهة فلا يروج

[١] - في ز ، خ : « بالدركات » . [٢] - سقط من : ت .
[٣] - في ز ، خ : « من » .

عليه[١] باطل ، فهل يستوي هذا وهذا ؟ ﴿ **أفلا تذكرون** ﴾ أفلا تعتبرون فتفرقون[٢] بين هؤلاء وهؤلاء ، كما قال في الآية الأخرى : ﴿ **لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون** ﴾ ، وقال[٣] ﴿ **وما يستوي الأعمى والبصير * ولا الظلمات ولا النور * ولا الظل ولا الحرور * وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن اللَّه يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور * إن أنت إلا نذير * إنا أرسلناك بالحق بشيرًا ونذيرًا وإن من أمة إلا خلا فيها نذير** ﴾ .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾

يخبر تعالىٰ عن نوح ، عليه السلام - وكان أول رسول بعثه اللَّه إلىٰ أهل الأرض من المشركين عبدة الأصنام - أنه قال لقومه : ﴿ **إني لكم نذير مبين** ﴾ أي : ظاهر النذارة لكم من عذاب اللَّه إن أنتم عبدتم غير اللَّه ، ولهذا قال : ﴿ **أن لا تعبدوا إلا اللَّه** ﴾ [ ][٤] . ﴿ **إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم** ﴾ أي : إن استمررتم علىٰ ما أنتم عليه عذبكم اللَّه عذابا أليمًا موجعًا شاقًا في الدار الآخرة .

﴿ **فقال الملأ الذين كفروا من قومه** ﴾ والملأ : هم السادة والكبراء من الكافرين منهم [﴿ **ما نراك إلا بشرًا مثلنا** ﴾ أي : لست بملك ولكنك بشر ، فكيف أوحي إليك من دوننا ، ثم][٥] ما نراك اتبعك إلا [الذين هم][٦] أراذلنا ؛ كالباعة والحاكة وأشباههم ، ولم يتبعك الأشراف ولا الرؤساء منا[٧] ، ثم هؤلاء الذين اتبعوك لم يكن عن تروٍّ منهم ولا فكر[٨] ولا نظر ، بل بمجرد[٩] ما دعوتهم أجابوك فاتبعوك ، ولهذا قالوا[١٠] : ﴿ **وما[١١]**

---

[١] - في ت : « إليه » .
[٢] - في ز : « وتفرقون » .
[٣] - في خ : « كقوله » .
[٤] - ما بين المعكوفين في ت : وقوله .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - في ز : « فكرة » .
[٩] - في خ : « مجرد » .
[١٠] - في ز : « قال » .
[١١] - في ز : « إنما » .

نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي ﴾ أي : في أول بادئ الرأي ، [ ][١] **﴿ وما نرىٰ لكم علينا من فضل ﴾** يقولون : ما رأينا لكم علينا فضيلة في خَلْقٍ ، ولا خلق ولا رزق ولا حال ، لما دخلتم في دينكم هذا **﴿ بل نظنكم كاذبين ﴾** أي : فيما تدعونه لكم من البر والصلاح والعبادة ، والسعادة في الدار الآخرة إذا صرتم إليها .

هذا اعتراض الكافرين علىٰ نوح - عليه السلام - وأتباعه ، وذلك[٢] دليل علىٰ جهلهم وقلة علمهم وعقلهم ، فإنه ليس بعار علىٰ الحق رذالة من اتبعه ، فإن الحق في نفسه صحيح ، سواء اتبعه الأشراف أو الأراذل ، بل الحق الذي لا شك فيه : أن أتباع الحق هم الأشراف ولو كانوا فقراء ، والذين يأبونه هم الأراذل ولو كانوا أغنياء ، ثم الواقع غالبًا أن ما يتبع الحق ضعفاء الناس ، والغالب علىٰ الأشراف والكبراء مخالفته ، كما قال تعالىٰ : **﴿ وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا علىٰ أمة وإنا علىٰ آثارهم مقتدون ﴾** ، ولما سأل هرقل ملك الروم [أبا سفيان][٣] صخر بن حرب عن صفات النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال له فيما قال : أشراف الناس اتبعوه أو ضعفاؤهم ؟ قال : بل ضعفاؤهم . فقال هرقل : هم أتباع الرسل(٤٣) .

وقولهم : **﴿ بادي الرأي ﴾** ليس[٤] بمذمة ولا عيب ؛ لأن الحق إذا وضح لا يبقى للرأي[٥] ، ولا للفكر مجال ، بل لابد من اتباع الحق - والحالة هذه - لكل ذي زكاء وذكاء ، بل[٦] لا يفكر هاهنا إلا عيي أو غبي ، والرسل ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، إنما جاءوا بأمر جلي واضح . وقد جاء في الحديث أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال(٤٤) : « **ما دعوت أحدًا إلىٰ الإسلام إلا كانت له كبوة ، غير أبي بكر ، فإنه لم يتلعثم** » أي : ما تردد ولا تروىٰ ؛ لأنه رأىٰ أمرًا جليًا عظيمًا واضحًا فبادر إليه وسارع . وقوله[٧] : **﴿ وما نرىٰ لكم علينا من فضل ﴾** هم لا يرون ذلك ؛ لأنهم عُمْي عن الحق لا يسمعون ولا يبصرون ، بل هم في ريبهم يترددون ، في ظلمات الجهل يعمهون ، وهم الأفاكون الكاذبون ، الأقلون الأرذلون ، وفي الآخرة هم الأخسرون .

قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « ثم » .
[٢] - في ت : « وهو » .
[٣] - في ز ، خ : « لأبي سفيان » .
[٤] - في ز : « ليست » .
[٥] - في خ : « للروي » .
[٦] - في ز : « و » .
[٧] - في خ : « قولهم » .

يقول تعالىٰ مخبرًا [عمّا ردّ به][١] نوح [ ][٢] علىٰ قومه في ذلك ﴿ **أرأيتم إن كنت علىٰ بينة من ربي** ﴾ أي : علىٰ يقين وأمر جلي ونبوة صادقة ، وهي الرحمة العظيمة من الله به وبهم ﴿ **فعميت عليكم** ﴾ أي : خفيت عليكم فلم تهتدوا إليها ، ولا عرفتم قدرها ، بل بادرتم إلىٰ تكذيبها وردها ﴿ **أنلزمكموها** ﴾ أي : نغصبكم بقبولها وأنتم لها كارهون .

وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾

يقول لقومه : لا أسألكم علىٰ نصحي لكم مالًا أجرة آخذها منكم ، إنما أبتغي الأجر من[٣] الله عز وجل- ﴿ **وما أنا بطارد الذين آمنوا** ﴾ كأنهم طلبوا منه أن يطرد المؤمنين عنه احتشامًا ونفاسة منهم أن يجلسوا معهم ، كما سأل أمثالهم خاتم[٤] الرسل ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أن يطرد عنهم جماعة من الضعفاء ، ويجلس معهم مجلسًا خاصًا ، فأنزل الله تعالىٰ : ﴿ **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي** ﴾ الآية . [﴿ **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي**][٥] **يريدون** [**وجهه ولا تعد عيناك عنهم** ﴾][٦] وقال تعالىٰ : ﴿ **وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين** ﴾ الآية .

وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾

يخبرهم أنه رسول من الله ، يدعو إلىٰ عبادة الله وحده لا شريك له ، بإذن الله له في ذلك ، ولا يسألهم علىٰ ذلك أجرًا ، بل هو يدعو من لقيه من شريف ووضيع ، فمن استجاب له فقد نجا ، ويخبرهم أنه لا [يقدر][٧] علىٰ التصرف في خزائن الله ، ولا يعلم

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « عن » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « ماردٌ » .
[٣] - في ز ، خ : « علی » .
[٤] - في ز : « لخاتم » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٧] - في ت : « قدرة له » .

من الغيب إلا ما أطلعه اللَّه عليه ، وليس هو بملك من الملائكة ، بل هو بشر مرسل مؤيد بالمعجزات ، ولا أقول عن هؤلاء الذين تحتقرونهم وتزدرونهم [: إنهم][١] ليس لهم عند اللَّه ثواب على أعمالهم ، اللَّه أعلم بما في أنفسهم ، فإن كانوا مؤمنين باطنًا - كما هو الظاهر من حالهم - فلهم جزاء الحسنى ، ولو قطع لهم أحد بشر بعد ما آمنوا لكان ظالمًا قائلًا ما لا علم له به .

قَالُوا۟ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾

يقول تعالى مخبرًا عن استعجال قوم نوح نقمة اللَّه وعذابه وسخطه - والبلاء موكل بالمنطق - ﴿ **قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا** ﴾ أي : حاججتنا فأكثرت من ذلك ، ونحن لا نتبعك ﴿ **فأتنا بما تعدنا** ﴾ أي : من النقمة والعذاب ، ادع علينا بما شئت فليأتنا ما تدعو به ﴿ **إن كنت من الصادقين * قال إنما يأتيكم به اللَّه إن شاء وما أنتم بمعجزين** ﴾ أي : إنما الذي يعاقبكم ويعجلها لكم اللَّه الذي لا يعجزه شيء ﴿ **ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان اللَّه يريد أن يغويكم** ﴾ أي[٢] : أيُّ شيء يجدي عليكم إبلاغي لكم ، وإنذاري إياكم ونصحي ﴿ **إن كان اللَّه يريد أن يغويكم** ﴾ أي[٣] : إغواءكم ودماركم ﴿ **هو ربكم وإليه ترجعون** ﴾ أي : هو مالك أزمة الأمور ، المتصرف الحاكم العادل الذي لا يجور ، له الخلق وله الأمر ، وهو المبدئ المعيد ، مالك الدنيا والآخرة .

أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾

هذا كلام معترض في وسط هذه القصة مؤكد لها و[٤] مقرر شأنها[٥] ؛ يقول تعالى [لنبيه محمد][٦] ، صلى اللَّه عليه وسلم : أم يقول هؤلاء الكافرون الجاحدون : افترى هذا

---

[١] - في ت : « إنه » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من : ت .
[٥] - في ت : « لها » ، خ : « لشأنهما » .
[٦] - في ت : « لمحمد » .

وافتعله من عنده ﴿ **قل إن افتريته فعليَّ إجرامي** ﴾ أي : فإثم ذلك علي ﴿ **وأنا بريء مما تجرمون** ﴾ أي : ليس ذلك مفتعلًا ولا مفترًى ؛ لأني أعلم ما عند اللَّه من العقوبة لمن كذب عليه .

وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾

يخبر تعالىٰ أنه أوحىٰ إلىٰ نوح لما استعجل قومه نقمة اللَّه بهم وعذابه لهم ، فدعا عليهم نوح دعوته التي قال اللَّه تعالىٰ مخبرًا عنه أنه قال : ﴿ **رب لا تذر علىٰ الأرض من الكافرين ديارًا** ﴾ ، ﴿ **فدعا ربه أني مغلوب فانتصر** ﴾ فعند ذلك أوحىٰ اللَّه تعالى إليه : ﴿ **أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن** ﴾ فلا تحزن عليهم ولا يهمنك أمرهم .

﴿ **واصنع الفلك** ﴾ يعني : السفينة ﴿ **بأعيننا** ﴾ أي : بمرأًى منا ﴿ **ووحينا** ﴾ أي : وتعليمنا لك ماذا تصنعه ﴿ **ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون** ﴾ .

فقال بعض السلف : أمره اللَّه تعالىٰ أن يغرز الخشب ويقطعه وييبسه ، فكان ذلك في مائة سنة ، ونجرها في مائة سنة أخرىٰ ، وقيل : في أربعين سنة ، فاللَّه أعلم .

وذكر محمد بن إسحاق عن التوراة ، أن اللَّه أمره أن يصنعها من خشب الساج ، وأن يجعل طولها ثمانين ذراعًا ، وعرضها خمسين ذراعًا ، [وأن يطلي باطنها وظاهرها بالقار ، وأن يجعل لها جؤجؤًا(*) أزورًا يشق الماء .

وقال قتادة : كان طولها ثلثمائة ذراع في عرض خمسين][١] .

وعن الحسن : طولها ستمائة ذراع ، وعرضها ثلثمائة [ذراع][٢] .

(*) جؤجؤ السفينة : صدرها .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز .

وعنه مع ابن عباس : طولها ألف ومائتا ذراع في عرض ستمائة .

وقيل : طولها ألفا ذراع وعرضها مائة ذراع ، فاللّٰه أعلم .

قالوا كلهم : وكان ارتفاعها في السماء ثلاثين ذراعًا[١] ، ثلاث طبقات كل طبقة عشرة أذرع ؛ فالسفلىٰ للدواب والوحوش ، والوسطىٰ للإنس ، والعليا للطيور ، وكان بابها في عرضها ، ولها غطاء من فوقها مطبق عليها .

وقد ذكر الإمام أبو جعفر بن جرير أثرًا غريبًا(٤٥) من حديث علي بن زيد بن جدعان ، عن يوسف بن مهران ، عن عبد اللّٰه بن عباس ؛ أنه قال : قال الحواريون لعيسىٰ ابن مريم : لو بعثت لنا رجلًا شهد السفينة فحدثنا عنها . قال : فانطلق بهم حتىٰ انتهىٰ[٢] بهم إلىٰ كثيب من تراب ، فأخذ كفًّا من ذلك التراب بكفه ، قال[٣] : أتدرون ما هذا ؟ قالوا : اللّٰه ورسوله أعلم . قال هذا كعب حام بن نوح . قال : فضرب[٤] الكثيب بعصاه ، قال : قم بإذن اللّٰه . فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه قد شاب . قال له عيسىٰ - عليه السلام - : هكذا[٥] هلكت ؟ قال : لا ، ولكني مت وأنا شاب ، ولكنني ظننت أنها الساعة فمن ثم شبت . قال : حَدِّثْنَا عن سفينة نوح ؟ قال : كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع ، وعرضها ستمائة ذراع ، وكانت ثلاث طبقات ؛ فطبقة فيها الدواب والوحش[٦] ، وطبقة فيها الإنس ، وطبقة فيها الطير ، فلما كثر أرواث الدواب ، أوحىٰ اللّٰه - عز وجل - إلىٰ نوح - عليه السلام - أن اغمز ذَنَبَ الفيل ، فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة فأقبلا علىٰ الروث ، فلما وقع الفأر بخرز السفينة يقرضه[٧] وحبالها[٨] ، أوحىٰ اللّٰه [إلى نوح][٩] أن اضرب بين

(٤٣) - **صحيح** ، تقدم [سورة الأنعام / آية ٥٤] ، [سورة يونس/ آية ١٦] .

(٤٤) - أخرجه ابن هشام في « السيرة » (٢٦٧/١) ، والبيهقي في « الدلائل » (١٦٤/٢) ، وابن الأثير في « أسد الغابة » (٣١٠/٣) ، وذكره المصنف في « البداية والنهاية » (٣٧/٣) كلهم من طريق ابن إسحاق ؛ قال حدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمي أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال ... فذكره هكذا مرسلًا ، وفي هذا الباب ما أخرجه البخاري في صحيحه (٣٦٦١) من حديث أبي الدرداء مرفوعًا : « **إن الله بعثني إليكم** ، **فقلتم : كذبت** ، **وقال أبو بكر : صدق** ... » .

(٤٥) - **إسناده ضعيف لضعف علي بن زيد** ، تفسير ابن جرير (٣٥/١٢ - ٣٦) وهو في تاريخه (٩١/١، ٩٢) ، وانظر الأثر الآتي برقم (٤٧) .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « أتى » .
[٣] - في خ : « فقال » .
[٤] - في ز : « وضرب » .
[٥] - في خ : « أهكذا » .
[٦] - في خ : « الوحوش » ، والمثبت من ز .
[٧] - في خ : « يقرضها » ، والمثبت من : ز .
[٨] - سقط من : ز ، خ .
[٩] - في خ : « إليه » ، والمثبت من : ز .

عيني الأسد ، فضرب[١] فخرج من منخره سِنَّوْر وسِنَّوْرة فأقبلا على الفأر . فقال له عيسى - عليه السلام - : كيف علم نوح أن البلاد قد غرقت ؟ قال : بعث الغراب يأتيه بالخبر ، فوجد جيفة فوقع عليها ، فدعا عليه بالخوف فلذلك لا يألف البيوت . قال : ثم بعث الحمامة فجاءت بورق زيتون بمنقارها وطين برجليها ، فعلم أن البلاد قد غرقت قال فطوقها الخضرة التي في عنقها ، ودعا لها أن تكون في أنس وأمان ، فمن ثم تألف البيوت . قال : فقلنا : يا رسول الله ، ألا ننطلق به إلى أهلينا فيجلس معنا ويحدّثنا ؟ قال : كيف يتبعكم من لا رزق له ؟ قال : فقال له : عد بإذن الله ، فعاد ترابًا .

وقوله : ﴿ **ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه** ﴾ أي : يطنزون(*) به ، ويكذبون[٢] بما يتوعدهم به من الغرق ﴿ **قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون** ﴾ . وعيد شديد وتهديد أكيد ﴿ **من يأتيه عذاب يخزيه** ﴾ أي : يهينه في الدنيا ﴿ **ويحل عليه عذاب مقيم** ﴾ أي : دائم مستمر أبدًا[٣] .

حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾

هذه مواعدة[٤] من الله تعالى لنوح - عليه السلام - إذا جاء أمر الله من الأمطار المتتابعة والهتّان الذي لا يقلع ولا يفتر ، بل هو كما قال تعالى : ﴿ **ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر * وفجرنا الأرض عيونًا فالتقى الماء على أمر قد قدر * وحملناه على ذات ألواح ودسر * تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر** ﴾ .

وأما قوله : ﴿ **وفار التنور** ﴾ فعن ابن عباس : التنور : وجه الأرض . أي : صارت الأرض عيونًا تفور ، حتى فار الماء من التنانير التي هي مكان النار صارت تفور ماء ، وهذا قول جمهور السلف وعلماء الخلف .

وعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : التنور : فلق الصبح ، وتنوير الفجر وهو ضياؤه وإشراقه . والأول أظهر .

وقال مجاهد والشعبي : كان هذا التنور بالكوفة . وعن ابن عباس : عين بالهند . وعن قتادة : عين بالجزيرة يقال لها عين الوردة . وهذه أقوال غريبة .

(*) طنزبه : سخر واستهزأ .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - مكانه في خ : بياض .

[٣] - في ز : « أبداد » .

[٤] - في خ : « موعدة » .

فحينئذ أمر اللّٰه نوحًا - عليه السلام - أن يحمل معه في السفينة من كلٍّ زوجين اثنين[١] من صنوف المخلوقات ذوات الأرواح ، قيل : وغيرها من النباتات اثنين : ذكرًا وأنثىٰ ، فقيل : كان أول من أدخل من الطيور الدُّرَّة(*) ، وآخر من أدخل من الحيوانات الحمار ، فدخل إبليس متعلقًا بذنبه ، [فدخل بيده][٢] ، وجعل يريد أن ينهض فيثقله إبليس وهو متعلق بذنبه ، فجعل يقول له نوح عليه السلام : مالك ؟ ويحك ! ادخل ، فينهض ولا يقدر ، فقال : ادخل وإن كان إبليس معك ، فدخلا في السفينة .

وذكر [أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود][٣] أنهم لم يستطيعوا أن يحملوا معهم الأسد حتىٰ ألقيت عليه الحمى .

وقال ابن أبي حاتم(٤٦) : حدثنا أبي ، حدثنا عبد اللّٰه بن صالح كاتب الليث ، حدثني الليث ، حدثني هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، [عن أبيه][٤] أن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال : « **لما حمل نوح في السفينة من كل زوجين اثنين قال أصحابه : وكيف [نطمئن أو تطمئن المواشي] ومعنا الأسد ؟ فسلط اللّٰه عليه الحمىٰ فكانت أول حمىٰ نزلت في[٥] الأرض ، ثم شكوا الفأرة فقالوا : الفويسقة تفسد علينا طعامنا ومتاعنا[٦] ، فأوحىٰ اللّٰه إلىٰ الأسد فعطس فخرجت الهرة منه فتخبأت الفأرة منها** .

وقوله : ﴿ **وأهلك إلا من سبق عليه القول** ﴾ أي : واحمل فيها أهلك - وهم أهل بيته وقرابته - إلا من سبق عليه القول منهم ممن[٧] لم يؤمن باللّٰه ، فكان منهم ابنه يام الذي انعزل وحده وامرأة نوح وكانت كافرة باللّٰه ورسوله .

وقوله : ﴿ **ومن آمن** ﴾ أي : من قومك ﴿ **وما آمن معه إلا قليل** ﴾ أي : نزر يسير مع طول المدة والمقام بين أظهرهم ألف سنة إلا خمسين عامًا ، فعن ابن عباس : كانوا ثمانين

---

(٤٦) - **مرسل** ، تفسير ابن أبي حاتم (١٠٨٧١/٦) ، وذكره المصنف في « البداية والنهاية » (١٢٦/١) وقال : « هذا مرسل » .

---

[١] - سقط من : خ .

(*) الدرة : الببغاء الصغيرة .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

[٣] - في ت : « بعض السلف » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - سقط من : ت .

[٧] - في ز ، خ : « فيمن » .

نفسًا منهم نساؤهم ، وعن كعب الأحبار كانوا اثنتين وسبعين نفسًا ، وقيل : كانوا عشرة ، وقيل : إنما كانوا نوح وبنوه الثلاثة : سام ، وحام ، ويافث ، وكنائنه الأربع نساء هؤلاء الثلاثة[١] ، وامرأة يام ، [ ][٢] ، وقيل : بل امرأة نوح كانت معهم في السفينة ، وهذا فيه نظر ، بل الظاهر أنها هلكت ؛ لأنها كانت على دين قومها ، فأصابها ما أصابهم ، كما أصاب امرأة لوط ما أصاب قومها ، والله أعلم وأحكم .

﴿ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾

يقول تعالىٰ إخبارًا عن نوح - عليه السلام - إنه قال للذين أمر بحملهم معه في السفينة : ﴿ **اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها** ﴾ أي : باسم الله يكون جريها علىٰ وجه الماء ، و[٣] باسم الله يكون منتهىٰ سيرها وهو رسوّها ، وقرأ أبو رجاء العطاردي ﴿ **بسم الله مجريها ومرسيها** ﴾ .

وقال الله تعالىٰ : ﴿ **فإذا استويت أنت ومن معك علىٰ الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين * وقل رب أنزلني منزلًا مباركا وأنت خير المنزلين** ﴾ ؛ ولهذا تستحب التسمية في ابتداء الأمور عند الركوب علىٰ السفينة وعلىٰ الدابة ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا علىٰ ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلىٰ ربنا لمنقلبون** ﴾ .

وجاءت السنة بالحث علىٰ ذلك والندب إليه ، كما سيأتي في سورة الزخرف إن شاء الله وبه الثقة .

---

[١] - سقط من : ت .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ت : « وقيل كانوا عشرة » ..

[٣] - سقط من : ز .

وقال أبو القاسم الطبراني(٤٧) : [ ][١] حدثنا إبراهيم بن هاشم البغوي ، حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي .

وحدثنا زكريا بن يحيىٰ الساجي ، حدثنا محمد بن موسىٰ الحرشي قالا : حدثنا عبد الحميد بن الحسن الهلالي ، عن نهشل بن سعيد ، عن الضحاك بن مزاحم ، عن ابن عباس ، عن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ؛ قال : « **أمان أمتي من الغرق إذا ركبوا في السفن أن يقولوا : باسم اللّٰه الملك ﴿ وما قدروا اللّٰه حق قدره والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ . ﴿ بسم اللّٰه مجريها ومرساها إن ربي لغفور رحيم ﴾** .

وقوله : ﴿ **إن ربي لغفور رحيم** ﴾ مناسب عند ذكر الانتقام من الكافرين بإغراقهم أجمعين ، فذكر أنه غفور رحيم ، كقوله : ﴿ **إن ربك لسريع العقاب * وإنه لغفور رحيم** ﴾ وقال : ﴿ **وإن ربك لذو مغفرة للناس علىٰ ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب** ﴾ إلىٰ غير ذلك من الآيات التي يقرن[٢] فيها انتقامه ورحمته . وقوله : ﴿ **وهي تجري بهم في موج كالجبال** ﴾ أي : السفينة سائرة بهم علىٰ وجه الماء الذي قد طبق جميع الأرض حتىٰ طفت علىٰ رءوس الجبال وارتفع عليها بخمسة عشر ذراعًا وقيل بثمانين ميلًا ، وهذه السفينة جارية[٣] علىٰ وجه الماء سائرة بإذن اللّٰه وتحت كنفه وعنايته وحراسته وامتنانه ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **إنا لما طغىٰ الماء حملناكم في الجارية * لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **وحملناه علىٰ ذات ألواح ودسر * تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر * ولقد تركناها آية فهل من مدكر** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ونادىٰ نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين** ﴾ هذا هو الابن الرابع واسمه يام وكان كافرًا ، دعاه أبوه عند ركوب السفينة أن يؤمن ويركب معهم ولا يغرق مثلما يغرق الكافرون ﴿ **قال : سآوي إلىٰ جبل يعصمني من الماء** ﴾ وقيل :

---

(٤٧) - **إسناده ضعيف جدًا** ، « المعجم الكبير » (١٢/١٢٦٦١) وأخرجه أيضًا في « الأوسط » (٦/ ٦١٣٦) وفي « الدعاء » (٢/٨٠٤) من طريق نهشل بن سعيد به وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٠/ ١٣٥) وقال : « وفيه نهشل بن سعيد وهو متروك » وكذبه إسحاق بن راهويه كما في « التقريب » وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣/٦٠٢) إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه .

وفي الباب عن الحسين بن علي عند أبي يعلى (١٢/٦٧٨١) ، والطبراني في « الدعاء » (٨٠٣) ، وابن عدي في « الكامل » (٧/٢٦٥٥) ، وابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٥٠٠) وإسناده ضعيف أيضًا .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « حدثنا إبراهيم » . [٢] - في ز : « يفرق » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

إنه اتخذ له مركبًا من زجاج وهذا من الإسرائيليات ، والله أعلم بصحته .

والذي نص عليه القرآن أنه قال : ﴿ **سآوي إلى جبل يعصمني من الماء** ﴾ اعتقد بجهله أن الطوفان لا يبلغ إلى رءوس الجبال ، وأنه لو تعلق في رأس جبل لنجاه ذلك من الغرق ، فقال له أبوه نوح - عليه السلام - : ﴿ **لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم** ﴾ أي : ليس شيء يعصم اليوم من أمر الله ، وقيل : إن[١] عاصمًا بمعنى معصوم ، كما يقال : طاعم وكاسٍ بمعنى مطعوم ومكسو ﴿ **وحال بينهما الموج فكان من المغرقين** ﴾ .

وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾

يخبر تعالى أنه لما غرق[٢] أهل الأرض كلهم[٣] إلا أصحاب السفينة ، أمر الأرض أن تبلع ماءها الذي نبع منها واجتمع عليها ، وأمر السماء أن تقلع عن المطر ﴿ **وغيض الماء** ﴾ أي : شرع في النقص ﴿ **وقضي الأمر** ﴾ أي : فرغ من أهل الأرض قاطبة ، ممن كفر بالله و[٤] لم يبق منهم ديار ﴿ **واستوت** ﴾ السفينة بمن فيها ﴿ **على الجودي** ﴾ قال مجاهد : وهو جبل بالجزيرة ، تشامخت الجبال يومئذ من الغرق وتطاولت ، وتواضع هو لله عز وجل فلم يغرق ، وأرست عليه سفينة نوح عليه السلام .

وقال قتادة : استوت عليه شهرًا[٥] حتى نزلوا منها . قال قتادة : وقد أبقى الله سفينة نوح - عليه السلام - [على الجودي][٦] [ ][٧] من أرض الجزيرة عبرة وآية ، حتى رآها أوائل هذه الأمة ، وكم من سفينة قد كانت بعدها فهلكت وصارت رمادًا[٨] .

وقال الضحاك : الجودي جبل بالموصل . وقال بعضهم : هو الطور .

وقال ابن أبي حاتم(٤٨) : حدثنا أبي ، حدثنا عمرو بن رافع ، حدثنا محمد بن عبيد ، عن توبة بن سالم [- ويقال أبو سالم -][٩] ، قال : رأيت زر بن حبيش يصلي في الزاوية

(٤٨) - تفسير ابن أبي حاتم (١٠٨٨٩/٦) ورجاله ثقات إلا توبة بن سالم - ويقال أبو سالم - لم يوثقه غير ابن حبان (١٢١/٦) ، وذكره ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٤٤٦/٢) ، والبخاري في =

[١] - في ز ، خ : « أي » .
[٢] - في خ : « أغرق » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - بعده في ز ، خ : « يعني » .
[٦] - في خ : « ما يروى » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز : « بيافدوي » .
[٨] - في ز : « رمددًا » .
[٩] - سقط من : خ .

حين يدخل من أبواب كندة على يمينك ، فسألته : إنك لكثير الصلاة هاهنا يوم الجمعة . قال : بلغني أن سفينة نوح أرست من هاهنا .

وقال علباء[١] بن أحمر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ قال(٤٩) : كان مع نوح في السفينة ثمانون رجلًا معهم أهلوهم ، وإنهم كانوا [في السفينة][٢] مائة وخمسين يومًا ، وإن اللّٰه وجه السفينة إلى مكة ، فدارت[٣] بالبيت أربعين يومًا ، ثم وجهها اللّٰه إلى الجودي فاستقرت عليه ، فبعث نوح الغراب ليأتيه بخبر الأرض ، فذهب فوقع على الجيف فأبطأ عليه ، فبعث الحمامة فأتته بورق الزيتون ولطخت[٤] رجليها بالطين ، فعرف نوح - عليه السلام - أن الماء قد نضب ، فهبط إلى أسفل الجودي ، فابتنى قرية وسماها[٥] ثمانين .

فأصبحوا ذات يوم وقد تبلبلت ألسنتهم على ثمانين لغة ، إحداها اللسان[٦] العربي ، فكان بعضهم لا يفقه كلام بعض ، فكان نوح - عليه السلام - يعبر عنهم .

وقال كعب الأحبار : إن السفينة طافت ما بين المشرق والمغرب قبل أن تستقر على الجودي .

وقال قتادة وغيره : ركبوا في عاشر شهر رجب ، فساروا مائة وخمسين يومًا ، واستقرت بهم على الجودي شهرًا ، وكان خروجهم من السفينة في يوم عاشوراء من المحرم . وقد ورد نحو هذا في حديث مرفوع رواه ابن جرير(٥٠) .

وأنهم صاموا يومهم ذلك[٧] ، واللّٰه أعلم .

= « التاريخ الكبير » (١٥٦/٢) ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلاً .

(٤٩) - **إسناده حسن** ، أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٨٨٢/٦ ، ١٠٩١٩)، وابن عساكر في تاريخه (٦٦٤/١٧ - مخطوط) من طريق علي بن عثمان ثنا داود بن أبي الفرات عن علباء - تحرف عند ابن أبي حاتم إلى علي - ابن أحمر به ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٦٠٢/٣) إلى ابن المنذر .

(٥٠) - تفسير ابن جرير (٤٧/١٢) ، وفي « التاريخ » (٩٦/١) ، وإسناده تالف .

(٥١) - **إسناده ضعيف** ، « المسند » (٨٧٠٢ ط/ شاكر ، وأيضًا : ٨٧٠١) (٣٥٩/٢) ، وحبيب بن عبد الله الأزدي مجهول كما في التقريب ، وابنه عبد الصمد ضعفه أحمد ، وقال ابن معين : لا بأس به ، وقد ذكر المصنف هذا الحديث في « البداية والنهاية » (١٣٢/١) من نفس الطريق ، وقال : وهذا الحديث له شاهد في الصحيح من وجه آخر والمستغرب ذكر نوح أيضًا والله أعلم . وانظر ما تقدم (سورة يونس /آية ٩١] .

---

[١] - في ز : « علي » .
[٢] - في خ : « فيها » ، والمثبت في ز .
[٣] - في ت : « فطافت » .
[٤] - في خ : « فلطخت » ، والمثبت من : ز .
[٥] - في ز : « فسماها » .
[٦] - في ز : « لسان » .
[٧] - في ز : « ذاك » .

وقال الإمام أحمد(٥١) : حدثنا أبو جعفر ، حدثنا عبد الصمد بن حبيب الأزدي ، عن أبيه حبيب بن عبد الله ، عن شُبَيْل ، عن أبي هريرة ؛ قال : مر النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بأناس من اليهود وقد صاموا يوم عاشوراء ، فقال[١] : « **ما هذا من[٢] الصوم ؟** » . قالوا[٣] : هذا اليوم الذي نجى الله موسى وبني إسرائيل من الغرق وغرق فيه فرعون ، وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودي ، فصام[٤] نوح وموسى - عليهما السلام - شكرًا لله عز وجل . فقال النبي ، صلى الله عليه وسلم : « **أنا أحق بموسى وأحق بصوم هذا اليوم** » . فصام وقال لأصحابه : « **من كان أصبح منكم صائمًا فليتم صومه ، ومن كان أصاب من غذاء أهله فليتم بقية يومه** » .

وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، ولبعضه شاهد في الصحيح .

وقوله : ﴿ **وقيل بعدًا للقوم الظالمين** ﴾ أي : [هلاكًا وخسارًا][٥] لهم وبعدًا[٦] من رحمة الله ، فإنهم قد هلكوا عن آخرهم فلم يبق لهم بقية .

وقد روى الإمام أبو جعفر بن جرير ، والحبر أبو محمد بن أبي حاتم في تفسيرهما(٥٢)[٧] ، من حديث [موسى بن يعقوب][٨] الزمعي ، عن فائد مولى عبيد الله بن أبي رافع أن إبراهيم ابن عبد الرحمن بن أبي ربيعة ، أخبره أن عائشة زوج النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، أخبرته أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « **لو رحم الله من قوم نوح أحدًا لرحم أم الصبي** » . قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **كان نوح - عليه السلام - مكث في قومه ألف سنة [إلا خمسين عامًا][٩] ، [يدعوهم إلى الله](*) وغرس مائة**

(٥٢) - **محتمل للتحسين** ، أخرجه ابن جرير (٣٥/١٢) ، وفي تاريخه (٩١/١) ، وابن أبي حاتم (١٠٨٤٨/٦) والحاكم (٣٤٢/٢ ، ٥٤٧) من طريق موسى بن يعقوب ، به .

وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » وتعقبه الذهبي فقال : « إسناده مظلم ، وموسى ليس بذاك » قلت : إبراهيم بن عبد الرحمن وثقه ابن حبان وابن خلفون وروى له البخاري حديثًا واحدًا (٥٤٤٣) ، وفائد مولى عبيد الله وثقه ابن معين وقال أحمد : لا بأس به . وأما موسى بن يعقوب فوثقه يحيى بن معين وابن القطان ، وقال أبو داود : صالح ، وذكره ابن حبان في « الثقات » (٤٥٨/٧) ، وقد ضعفه =

[١] - في ز ، خ : « فقالوا » .

[٢] - سقط من : م .

[٣] - في ز : « قال » .

[٤] - في المسند : « فصامه » .

[٥] - في ز : « هلاك وخسار » .

[٦] - في ز : « وبعد » .

[٧] - في ت : « تفسيريهما » .

[٨] - في خ : « يعقوب بن موسى » .

[٩] - سقط من : خ .

(*) في الأصل : يعني ، والمثبت من تفسير ابن جرير وابن أبي حاتم .

سنة الشجر ، فعظمت وذهبت كل مذهب ، ثم قطعها ، ثم جعلها سفينة ، ويمرون عليه ويسخرون منه[١] ، ويقولون : تعمل سفينة في البر فكيف تجري ؟ قال : سوف تعلمون . فلما فرغ ونبع الماء وصار في السكك ، خشيت أم الصبي عليه ، وكانت تحبه حبًا شديدًا ، فخرجت إلىٰ الجبل حتىٰ بلغت ثلثه ، [فلما بلغها الماء ارتفعت حتىٰ بلغت ثلثيه][٢] ، فلما بلغها الماء خرجت به حتىٰ استوت علىٰ الجبل ، فلما بلغ الماء رقبتها رفعته بيديها فغرقا ، فلو رحم الله منهم أحدًا لرحم أم الصبي » .

وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، وقد روي عن كعب الأحبار ومجاهد بن جبر[٣] قصة هذا الصبي وأمه بنحو من هذا .

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ (٤٥) قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ (٤٦) قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (٤٧) ﴾

هذا سؤال استعلام وكشف من نوح - عليه السلام - عن حال ولده الذي غرق ﴿ **قال : رب إن ابني من أهلي** ﴾ أي : وقد وعدتني بنجاة أهلي ، ووعدك الحق الذي لا يخلف ، فكيف غرق وأنت أحكم الحاكمين ؟ ﴿ **قال يا نوح إنه ليس من أهلك** ﴾ أي : الذين وعدت إنجاءهم ؛ لأني إنما وعدتك بنجاة من آمن من أهلك ، ولهذا قال : ﴿ **وأهلك**

= ابن المديني ، وقال النسائي : ليس بالقوي ، وفي « التقريب » صدوق سيئ الحفظ ، والحديث ذكره الهيثمي في « المجمع » (٨/٢٠٣) وقال : رواه الطبراني في « الأوسط » وفيه موسى بن يعقوب الزمعي وثقه ابن معين وغيره ، وضعفه ابن المديني ، وبقية رجاله ثقات » . وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣/ ٥٩٣) إلى أبي الشيخ وابن مردويه .

وذكره المصنف في « البداية والنهاية » (١/١٢٩) وقال : « وأحرى بهذا الحديث أن يكون موقوفًا متلقى عن مثل كعب الأحبار والله أعلم » ، وله شاهد من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف ، يأتي (سورة نوح/ آية ٢٨] .

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في خ : « جبير » .

إلا من سبق عليه القول منهم ﴾ فكان هذا الولد ممن سبق عليه القول بالغرق ؛ لكفره ومخالفته أباه نبي اللَّه نوحًا عليه السلام .

وقد نصَّ غير واحد من الأئمة علىٰ تخطئة من ذهب في تفسير هذا إلىٰ أنه ليس بابنه وإنما كان ابن زنية ، ويحكىٰ القول بأنه ليس بابنه وإنما كان ابن امرأته عن مجاهد والحسن ، وعبيد بن عمير وأبي جعفر الباقر ، وابن جريج ، واحتج بعضهم بقوله : **﴿ إنه عمل غير صالح ﴾** ، وبقوله : **﴿ فخانتاهما ﴾** فممن قاله الحسن البصري : احتج بهاتين الآيتين ، وبعضهم يقول : ابن امرأته ، وهذا يحتمل أن يكون أراد ما أراد الحسن ، أو أراد أنه نسب إليه مجازًا ؛ لكونه كان ربيبًا عنده ، فاللَّه أعلم .

وقال ابن عباس(٥٣) وغير واحد من السلف : ما زنت امرأة نبي قط . قال : وقوله : **﴿ إنه ليس من أهلك ﴾** أي : الذين وعدتك نجاتهم .

وقول ابن عباس في هذا هو الحق الذي لا محيد عنه ، فإن اللَّه تعالىٰ أغير من أن يمكن من امرأة نبي هذه الفاحشة ، ولهذا غضب اللَّه علىٰ الذين رموا أم المؤمنين عائشة بنت الصديق زوج النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وأنكر علىٰ المؤمنين الذين تكلموا بهذا وأشاعوه ، ولهذا قال تعالىٰ : **﴿ إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولىٰ كبره منهم له عذاب عظيم ﴾** إلىٰ قوله : **﴿ إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينًا وهو عند اللَّه عظيم ﴾** .

وقال عبد الرزاق(٥٤) : أخبرنا معمر ، عن قتادة وغيره ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : هو ابنه غير أنه خالفه في العمل والنية . قال عكرمة في بعض الحروف : إنه عمل عملًا غير صالح . والخيانة تكون علىٰ غير باب .

وقد ورد في الحديث أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم ، قرأ بذلك ، فقال الإمام أحمد(٥٥) : حدثنا يزيد بن هارون ، ثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن شهر بن

(٥٣) - **صحيح** ، أخرجه ابن جرير (٥١/١٢) ، (١٧٠/٢٨) ، وابن أبي حاتم (١٠٩٢٩/٦) ، والحاكم (٥٣٨/٢) من طرق عن ابن عباس ، وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي .
وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣٧٧/٦) إلى عبد الرزاق والفريابي ، وسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا وابن المنذر .

(٥٤) - **كسابقه** ، ومن طريق عبد الرزاق أخرجه ابن جرير (٥١/١٢) ، وابن أبي حاتم (١٠٩٢٧/٦) .

(٥٥) - **صحيح لشواهده** ، « المسند » (٢٧٦٧٧) (٤٥٤/٦) ، وأخرجه أيضًا (٢٧٧٠٣ ، ٢٧٧١٤) (٤٥٩/٦ ، ٤٦٠) ، والطيالسي (١٦٣١) ، وأبو داود ، أول كتاب الحروف والقراءات (٣٩٨٢)، والحاكم (٢٤٩/٢) من طريق حماد بن سلمة ، به - ورواية الحاكم مقتصره على آية الزمر - وقال الحاكم : =

حوشب ، عن أسماء بنت يزيد قالت : سمعت رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وآله وسلم ، يقرأ : (إنه عَمِل غير صالح) وسمعته يقول : (يا عبادي الذين أسرفوا علىٰ أنفسهم لا تقنطوا من رحمة اللّٰه إن اللّٰه يغفر الذنوب جميعًا ولا يبالي إنه هو الغفور الرحيم) .

وقال أحمد أيضًا(٥٦) : ثنا وكيع ، ثنا هارون النحوي ، عن ثابت البناني ، عن شهر بن حوشب ، عن أم سلمة : أن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قرأها : (إنه عَمِل غير صالح) .

أعاده أحمد أيضًا في مسند أم سلمة هي أم المؤمنين ، والظاهر - واللّٰه أعلم - أنها أسماء بنت يزيد ، فإنها تكنىٰ بذلك أيضًا .

وقال عبد الرزاق أيضًا(٥٧) : أنا الثوري وابن عيينة ، عن موسىٰ بن أبي عائشة ، عن سليمان بن قتة قال : سمعت ابن عباس سئل - وهو إلىٰ جنب الكعبة - عن قول اللّٰه : ﴿ **فخانتاهما** ﴾ قال : أما إنه لم يكن بالزنا ، ولكن كانت هذه تخبر الناس أنه مجنون ، وكانت هذه تدل علىٰ الأضياف ، ثم قرأ ﴿ **إنه عمل غير صالح** ﴾ . قال ابن عيينة : وأخبرني عمار الدهني أنه سأل سعيد بن جبير عن ذلك فقال : كان ابن نوح ، إن اللّٰه لا يكذب ، قال تعالىٰ : ﴿ **ونادىٰ نوح ابنه** ﴾ . قال : وقال بعض العلماء : ما فجرت امرأة نبي قط .

وكذا روي عن مجاهد أيضًا ، وعكرمة ، والضحاك ، وميمون بن مهران ، وثابت بن الحجاج ، وهو اختيار أبي جعفر بن جرير ، وهو الصواب الذي لا شك فيه .

= « حديث غريب عال ولم أذكر في كتابي هذا عن شهر غير هذا الحديث الواحد » ووافقه الذهبي . وانظر ما بعده .

(٥٦) - **كسابقه** ، « المسند » (٢٦٦٢٨ ، ٢٦٨٤٢) (٦/٢٩٤ ، ٣٢٢) ، وأخرجه أبو داود (٣٩٨٣) ، والترمذي ، كتاب : القراءات ، باب : ومن سورة هود (٢٩٣٢ ، ٢٩٣٣) ، والطيالسي (١٥٩٤) ، وأبو يعلى (١٢/٧٠٢٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/٣٠١) من طرق عن ثابت ، به ، وقال : وقد روي هذا الحديث أيضًا عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قال : وسمعت عبد بن حميد يقول : أسماء بنت يزيد هي أم سلمة الأنصارية وكلا الحديثين عندي واحد ، وقد روى شهر بن حوشب غير حديث عن أم سلمة الأنصارية ، وهي أسماء بنت يزيد ، وقد روي عن عائشة عن النبي ، صلى الله عليه وسلم .

وحديث عائشة المشار إليه أخرجه البخاري في « التاريخ » (١/٢٨٦ - ٢٨٧) (٢/٢٥٢) ، والطبراني في « الأوسط » (٤/٤٣٠٠) ، والحاكم (٢/٢٤١) وسكت عنه ، وقال الذهبي : إسناد مظلم ، وصححه الشيخ الألباني في « الصحيحة » (٦/٢/٢٨٠٩) مستشهدًا له بحديث أسماء السابق وأثر لابن عباس - عند ابن جرير (١٢/٥٣) وفي إسناده ضعف - وأثر عكرمة المتقدم برقم (٥٣) .

(٥٧) - **إسناده صحيح** ، « التفسير » لعبد الرزاق (٢/٣١٠) ومن طريق عبد الرزاق أخرجه ابن جرير (١٢/ ٥١) .

﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾﴾

يخبر تعالىٰ عما قيل لنوح - عليه السلام - حين أرست السفينة علىٰ الجودي ، من السلام عليه وعلىٰ من معه من المؤمنين ، وعلىٰ كل مؤمن من ذريته إلىٰ يوم القيامة ، كما قال محمد بن كعب : دخل في هذا السلام كل مؤمن ومؤمنة إلىٰ يوم القيامة ، وكذلك في العذاب والمتاع كل كافر وكافرة إلىٰ يوم القيامة .

وقال محمد بن إسحاق(٥٨) : لما أراد اللَّه أن يكف الطوفان أرسل ريحًا علىٰ وجه الأرض ، فسكن الماء وانسدت ينابيع الأرض الغمر الأكبر وأبواب السماء ، يقول اللَّه تعالىٰ : ﴿ **وقيل يا أرض ابلعي ماءك** ﴾ الآية . فجعل الماء ينقص ويغيض ويدبر ، وكان استواء الفلك علىٰ الجودي - فيما يزعم أهل التوراة - في الشهر السابع لسبع عشرة ليلة مضت منه ، وفي أول يوم من الشهر العاشر رأىٰ رءوس الجبال ، فلما مضىٰ بعد ذلك أربعون يومًا فتح نوح كوة الفُلكِ التي ركب فيها ، ثم أرسل الغراب لينظر له ما صنع الماء فلم يرجع إليه ، فأرسل الحمامة فرجعت إليه لم تجد لرجليها موضعًا ، فبسط يده للحمامة فأخذها فأدخلها ، ثم مضىٰ سبعة أيام ثم أرسلها لتنظر له ، فرجعت حين أمست وفي فيها ورق زيتون ، فعلم نوح أن الماء قد قل عن وجه الأرض ، ثم مكث سبعة أيام ثم أرسلها فلم ترجع ، فعلم نوح أن الأرض قد برزت ، فلما كملت السنة فيما بين أن أرسل اللَّه الطوفان إلىٰ أن أرسل نوحٌ الحمامة ، ودخل يوم واحد من الشهر الأول من سنة اثنتين ، برز وجه الأرض وظهر اليبس ، وكشف نوح غطاء الفلك ، وفي الشهر الثاني من سنة اثنتين في سبع وعشرين ليلة منه ﴿ **قيل يا نوح اهبط بسلام منا** ﴾ الآية .

﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾

يقول تعالىٰ لنبيه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : هذه القصة وأشباهها ﴿ **من أنباء الغيب** ﴾ يعني من أخبار الغيوب السالفة نوحيها إليك علىٰ وجهها كأنك شاهدها ﴿ **نوحيها إليك** ﴾ أي : نعلمك بها وحيًا منا إليك ﴿ **ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا** ﴾ أي : لم يكن عندك ولا عند أحد من قومك علم بها ، حتىٰ يقول من يكذبك : إنك تعلمتها منه ، بل أخبرك اللَّه بها مطابقة لما كان عليه الأمر الصحيح ، كما تشهد به كتب الأنبياء قبلك ،

(٥٨) - أورده المصنف في « البداية والنهاية » (١٣٢/١) .

فاصبر علىٰ تكذيب من كذبك من قومك وأذاهم لك ، فإنا سننصرك ونحوطك بعنايتنا ، ونجعل العاقبة لك ولأتباعك في الدنيا والآخرة ، كما فعلنا بالمرسلين حيث نصرناهم علىٰ أعدائهم ﴿ **إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا** ﴾ الآية . وقال تعالىٰ : ﴿ **ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون** ﴾ الآية . وقال تعالىٰ : ﴿ **فاصبر إن العاقبة للمتقين** ﴾ .

وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَـٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَـٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾

يقول تعالىٰ ﴿ و ﴾ لقد أرسلنا ﴿ **إلىٰ عاد أخاهم هودًا** ﴾ آمرًا لهم بعبادة اللّٰه وحده لا شريك له ، ناهيًا لهم عن الأوثان التي افتروها ، واختلقوا لها أسماء الآلهة ، وأخبرهم أنه لا يريد منهم أجرة علىٰ هذا النصح والبلاغ من اللّٰه ، إنما يبغي ثوابه من اللّٰه الذي فطره . ﴿ **أفلا تعقلون** ﴾ من يدعوكم إلىٰ ما يصلحكم في الدنيا والآخرة من غير أجرة .

ثم أمرهم بالاستغفار الذي فيه تكفير الذنوب السالفة ، وبالتوبة عما يستقبلون ، ومن اتصف بهذه الصفة يسر اللّٰه عليه رزقه ، وسهل عليه أمره ، وحفظ شأنه ، ولهذا قال : ﴿ **يرسل السماء عليكم مدرارًا** ﴾ . وفي الحديث(٥٩) : « **من لزم الاستغفار ، جعل اللّٰه له من كل همٍّ فرجًا ، ومن كل ضيقٍ مخرجًا ، ورزقه من حيثُ لا يحتسب** » .

قَالُوا۟ يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ

---

(٥٩) - **إسناده فيه جهالة** ، أخرجه أحمد (٢٤٨/١) ، وأبو داود ، كتاب : الصلاة ، باب : في الاستغفار (١٥١٨)، والنسائي في « عمل اليوم والليلة » من الكبرى (١٠٢٩٠/٦) ، وابن ماجة ، كتاب : الأدب ، باب : الاستغفار (٣٨١٩) ، وغيرهم من حديث ابن عباس ، وصححه الحاكم (٢٦٢/٤) وفي إسناده الحكم بن مصعب ، وهو مجهول كما في «التقريب» ، وبه تعقب الذهبي الحاكم ، فقال : « الحكم بن مصعب فيه جهالة » .

﴿وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ٥٥ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦﴾

يخبر تعالىٰ أنهم قالوا لنبيهم : ﴿ **ما جئتنا ببينة** ﴾ أي : بحجة وبرهان علىٰ ما تدعيه ﴿ **وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك** ﴾ أي : بمجرد قولك اتركوهم نتركهم ﴿ **وما نحن لك بمؤمنين** ﴾ بمصدقين ﴿ **إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء** ﴾ يقولون : ما نظن إلا أن بعض الآلهة أصابك بجنون وخبل في عقلك ؛ بسبب نهيك عن عبادتها وعيبك لها ﴿ **قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون * من دونه** ﴾ يقول : إني بريء من جميع الأنداد والأصنام ﴿ **فكيدوني جميعًا** ﴾ أي : أنتم وآلهتكم إن كانت حقًا ﴿ **ثم لا تنظرون** ﴾ أي : طرفة عين .

وقوله : ﴿ **إني توكلت علىٰ الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها** ﴾ أي : تحت قهره وسلطانه ، وهو الحاكم العادل الذي لا يجور في حكمه ، فإنه علىٰ صراط مستقيم .

قال الوليد بن مسلم ، عن صفوان بن عمرو ، عن أيفع بن عبد الكلاعي(٦٠) : أنه قال في قوله تعالىٰ : ﴿ **ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي علىٰ صراط مستقيم** ﴾ قال : فيأخذ بنواصي عباده [فيلقن المؤمن][١] حتىٰ يكون له ألين من الوالد لولده ، ويقال للكافر ﴿ **ما غرك بربك الكريم** ﴾ .

وقد تضمن هذا المقام حجة بالغة ودلالة قاطعة علىٰ صدق ما جاءهم به ، وبطلان ما هم عليه من عبادة الأصنام ، التي لا تنفع ولا تضر ، بل هي جماد لا تسمع ولا تبصر ، ولا توالي ولا تعادي ، وإنما يستحق إخلاص العبادة الله وحده لا شريك له ، الذي بيده الملك وله التصرف ، وما من شيء إلا تحت ملكه وقهره وسلطانه ، فلا إله إلّا هو ولا رب سواه .

---

(٦٠) - **أثر صحيح** ، أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/١٣١ - ١٣٢) من طريق إسماعيل بن عياش عن صفوان بن عمرو به نحوه ، وأخرجه أيضًا من حديث الوليد بن مسلم ثنا صفوان بن عمرو عن أيفع ... فذكر حديثًا طويلًا ، ليس فيه هذا اللفظ المذكور هنا ، وتابع إسماعيل بن عياش على هذه اللفظة أبو المغيرة ؛ أخرجه عبد الله بن أحمد في « كتاب السنة » (٢/١٢٠٨) حدثني أبي نا أبو المغيرة به نحوه .

---

[١] - لعلها « فيلين للمؤمن » ، وبنحو ذلك جاءت في الحلية (٥/١٣٢) .

فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾

يقول لهم هود : فإن تولوا عما جئتكم به من عبادة الله ربكم وحده لا شريك له ، فقد قامت عليكم الحجة بإبلاغي إياكم رسالة الله التي بعثني بها ﴿ **ويستخلف ربي قومًا غيركم** ﴾ يعبدونه وحده لا يشركون به ، ولا يبالي بكم ؛ فإنكم لا تضرونه بكفركم ، بل يعود وبال ذلك عليكم ﴿ **إن ربي علىٰ كل شيء حفيظ** ﴾ أي : شاهد وحافظ لأقوال عباده وأفعالهم ، ويجزيهم عليها إن خيرًا فخير ، وإن شرًا فشر ﴿ **ولما جاء أمرنا** ﴾ وهو الريح العقيم فأهلكهم الله عن آخرهم ، ونجىٰ هودًا وأتباعه من عذاب غليظ برحمته تعالىٰ ولطفه .

﴿ **وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم** ﴾ كفروا بها ، وعصوا رسل الله ، وذلك أن من كفر بنبي فقد كفر بجميع الأنبياء ؛ لأنه لا فرق بين أحد منهم في وجوب الإيمان به ، فعاد كفروا بهود فنزل كفرهم منزلة من كفر بجميع الرسل ﴿ **واتبعوا أمر كل جبار عنيد** ﴾ تركوا اتباع رسولهم الرشيد ، واتبعو أمر كل جبار عنيد ، فلهذا أتبعوا في هذه الدنيا لعنة من الله ، ومن العباد المؤمنين كلما ذكروا ، وينادىٰ عليهم يوم القيامة علىٰ رءوس الأشهاد ﴿ **ألا إن عادًا كفروا ربهم** ﴾ . الآية .

قال السدي : ما بعث نبي بعد عاد إلا لعنوا علىٰ لسانه .

۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾

يقول تعالىٰ : ولقد أرسلنا إلىٰ ثمود ، وهم الذين كانوا يسكنون مدائن الحجر بين تبوك

والمدينة ، وكانوا بعد عاد ، فبعث الله منهم أخاهم صالحاً ، فأمرهم بعبادة الله وحده ؛ ولهذا قال : ﴿ **هو أنشأكم من الأرض** ﴾ أي : ابتدأ خلقكم منها ، خلق منها أباكم آدم ﴿ **واستعمركم فيها** ﴾ أي : جعلكم عمارًا تعمرونها وتستغلونها ﴿ **فاستغفروه** ﴾ لسالف ذنوبكم ﴿ **ثم توبوا إليه** ﴾ فيما تستقبلونه ﴿ **إن ربي قريب مجيب** ﴾ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان** ﴾ . الآية .

قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾

يذكر تعالىٰ ما كان من الكلام بين صالح - عليه السلام - وبين قومه ، وما كان عليه قومه من الجهل والعناد في قولهم ﴿ **قد كنت فينا مرجوًّا قبل هذا** ﴾ أي : كنا نرجوك في عقلك قبل أن تقول ما قلت ﴿ **أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا** ﴾ وما كان عليه أسلافنا ﴿ **وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب** ﴾ أي : شك كثير .

﴿ **قال يا قوم أرأيتم إن كنت علىٰ بينة من ربي** ﴾ فيم أرسلني به إليكم علىٰ يقين وبرهان ﴿ **وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله إن عصيته** ﴾ وتركت دعوتكم إلىٰ الحق وعبادة الله وحده ، فلو تركته لما نفعتموني ولما زدتموني ﴿ **غير تخسير** ﴾ أي : خسارة .

وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾

تقدم الكلام عليها في سورة الأعراف بما أغنىٰ عن إعادته ، فلله الحمد والمنة .

وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ
بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ
خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ
فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ
وَهَـٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ
رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **ولما جاءت رسلنا** ﴾ وهم الملائكة ﴿ **إبراهيم بالبشرىٰ** ﴾ قيل : تبشره بإسحاق ، وقيل : بهلاك قوم لوط ، ويشهد للأول قوله تعالىٰ : ﴿ **ولما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرىٰ يجادلنا في قوم لوط** ﴾ . ﴿ **قالوا سلامًا قال سلام** ﴾ أي : عليكم .

قال علماء البيان : هذا أحسن مما حيّوه به ؛ لأن الرفع يدل علىٰ الثبوت والدوام .

﴿ **فما لبث أن جاء بعجل حنيذ** ﴾ أي : ذهب سريعًا فأتاهم بالضيافة ، وهو عجل ؛ فتىٰ البقر ، حنيذ : مشوي علىٰ الرضف وهي الحجارة المحماة .

هذا معنىٰ ما روي عن ابن عباس وقتادة وغير واحد ، كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **فراغ إلىٰ أهله فجاء بعجل سمين * فقربه إليهم قال ألا تأكلون** ﴾ .

وقد تضمنت هذه الآية آداب الضيافة من وجوه كثيره .

وقوله : ﴿ **فلما رأىٰ أيديهم لا تصل إليه نكرهم** ﴾ تنكرهم ﴿ **وأوجس منهم خيفة** ﴾ وذلك أن الملائكة لا همة لهم إلى الطعام ، ولا يشتهونه ولا يأكلونه ، فلهذا رأىٰ حالهم معرضين عما جاءهم به ، فارغين عنه بالكلية ، فعند ذلك نكرهم ﴿ **وأوجس منهم خيفة** ﴾ .

قال السدي : لما بعث الله الملائكة لقوم لوط ، أقبلت تمشي في صور رجال شبان ، حتىٰ نزلوا علىٰ إبراهيم فتضيفوه ، فلما رآهم أجلّهم ﴿ **فراغ إلىٰ أهله فجاء بعجل سمين** ﴾ فذبحه ، ثم شواه في الرضف ، وأتاهم به فقعد معهم ، وقامت سارة تخدمهم ، فذلك حين يقول : (وامرأته قائمة وهو جالس) - في قراءة ابن مسعود - ﴿ **فلما قربه إليهم قال ألا تأكلون** ﴾ قالوا : يا إبراهيم إنا لا نأكل طعامًا إلا بثمن . قال : فإن لهذا ثمنًا . قالوا : وما

ثمنه ؟ قال : تذكرون اسم الله علىٰ أوله وتحمدونه علىٰ آخره . فنظر جبريل إلىٰ ميكائيل فقال : حُقَّ لهذا أن يتخذه ربه خليلًا . ﴿ **فلما رأىٰ أيديهم لا تصل إليهم نكرهم** ﴾ يقول : فلما رآهم لا يأكلون فزع منهم وأوجس منهم خيفة ، فلما نظرت إليه سارّة أنه قد أكرمهم ، وقامت هي تخدمهم ضحكت وقالت : عجبًا لأضيافنا هؤلاء نخدمهم بأنفسنا كرامة لهم ، وهم لا يأكلون طعامنا ! .

وقال ابن أبي حاتم(٦١) : حدثنا علي بن الحسين ، ثنا نصر بن علي ، ثنا نوح بن قيس ، عن عثمان بن محصن ، في ضيف إبراهيم قال : كانوا أربعة : جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، ورفائيل . قال نوح بن قيس : فزعم عون[١] بن أبي شداد أنه لما دخلوا علىٰ إبراهيم ، فقرّب إليهم العجل ، مسحه جبريل بجناحيه ، فقام يدرج حتىٰ لحق بأمه ، وأم العجل في الدار .

وقوله تعالىٰ إخبارًا عن الملائكة : ﴿ **قالوا لا تخف** ﴾ أي : قالوا : لا تخف منا ، إنا ملائكة أرسلنا إلىٰ قوم لوط لنهلكهم ، فضحكت سارّة استبشارًا بهلاكهم لكثرة فسادهم وغلظ كفرهم وعنادهم ؛ فلهذا جوزيت بالبشارة بالولد بعد الإياس .

وقال قتادة : ضحكت وعجبت أن قومًا يأتيهم العذاب وهم في غفلة .

وقوله : ﴿ **ومن وراء إسحاق يعقوب** ﴾ قال العوفي ، عن ابن عباس ﴿ **فضحكت** ﴾ أي : حاضت .

وقول محمد بن قيس : إنها إنما ضحكت من أنها ظنت أنهم يريدون أن يعملوا كما يعمل قوم لوط . وقول الكلبي : إنها إنما ضحكت لما رأت من الروع بإبراهيم - ضعيفان جدًا . وإن كان ابن جرير قد رواهما بسنده إليهما ، فلا يلتفت إلىٰ ذلك ، والله أعلم .

وقال وهب بن منبه : إنما ضحكت لما بشرت بإسحاق . وهذا مخالف لهذا السياق ؛ فإن البشارة صريحة مرتبة علىٰ ضحكها .

﴿ **فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب** ﴾ أي : بولد لها يكون له ولد وعقب ونسل ، فإن يعقوب ولد إسحاق ، كما قال في سورة البقرة : ﴿ **أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا : نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسحاق إلهًا واحدًا ونحن له مسلمون** ﴾ .

---

(٦١) - « التفسير » لابن أبي حاتم (١١٠١٢/٦) .

---

[١] - في ز ، خ : « نوح » والمثبت من ابن أبي حاتم (١١٠١٢/٦) وهو الصواب .

ومن هٰهنا استدل من استدل بهذه الآية علىٰ أن الذبيح إنما هو إسماعيل ، وأنه يمتنع أن يكون إسحاق ؛ لأنه وقعت البشارة به وأنه سيولد له يعقوب ، فكيف يؤمر إبراهيم بذبحه وهو طفل صغير ، ولم يولد له بعد يعقوب الموعود بوجوده ، ووعد اللّٰه حق لا خلف فيه ، فيمتنع أن يؤمر بذبح هذا والحالة هذه ، فتعين أن يكون هو إسماعيل ، وهذا من أحسن الاستدلال وأصحه وأبينه ، وللّٰه الحمد .

﴿ **قالت يا ويلتىٰ أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخًا** ﴾ الآية . حكىٰ قولها في هذه الآية كما حكىٰ فعلها في الآية الأخرىٰ ، فإنها ﴿ **قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز** ﴾ ، وفي الذاريات : ﴿ **فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم** ﴾ كما جرت به عادة النساء في أقوالهن وأفعالهن عند التعجب ﴿ **قالوا أتعجبين من أمر اللّٰه** ﴾ أي : قالت الملائكة لها : لا تعجبي من أمر اللّٰه ، فإنه إذا أراد شيئًا أن يقول له : كن ؛ فيكون . فلا تعجبي من هذا وإن كنت عجوزًا عقيمًا وبعلك شيخًا كبيرًا ، فإن اللّٰه علىٰ ما يشاء قدير .

﴿ **رحمة اللّٰه وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد** ﴾ أي : هو الحميد في جميع أفعاله وأقواله ، محمود ممجد في صفاته وذاته ؛ ولهذا ثبت في الصحيحين[٦٢] أنهم قالوا : قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك يا رسول اللّٰه ؟ قال : « **قولوا : اللهم ، صل علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما صليت علىٰ إبراهيم وآل إبراهيم ، وبارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما باركت علىٰ آل إبراهيم إنك حميد مجيد** » .

فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۖ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾

يخبر تعالىٰ عن إبراهيم - عليه السلام - أنه لما ذهب عنه الروع ، وهو ما أوجس من الملائكة خيفة حين لم يأكلوا ، وبشروه بعد ذلك بالولد ، وأخبروه بهلاك قوم لوط ، أخذ يقول كما قال سعيد بن جبير في الآية قال[٦٣] : لما جاءه جبريل ومن معه قالوا له : ﴿ **إنا**

---

(٦٢) - أخرجه البخاري، كتاب : الأنبياء ، باب : (١٠) ، (٣٣٧٠) ، ومسلم ، كتاب : الصلاة، باب : الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد التشهد (٤٠٧) ، وأبو داود (٩٧٦ ، ٩٧٧ ، ٩٧٨) ، والترمذي (٤٨٣)، والنسائي (٤٧/٣) ، وابن ماجة (٩٠٤) ، وأحمد (١٨١٥٧) (٢٤١/٤) من حديث كعب بن عجرة ، وسياق المصنف ، مغاير في بعض الأحرف .

(٦٣) - أخرجه ابن أبي حاتم (١١٠٤٠/٦) .

مهلكو أهل هذه القرية ﴾ قال لهم : أتهلكون قرية فيها ثلثمائة مؤمن ؟ قالوا : لا . قال : أفتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن ؟ قالوا : لا . قال : أفتهلكون قرية فيها أربعون مؤمنًا ؟ قالوا : لا . قال : ثلاثون ؟ قالوا : لا . حتىٰ بلغ خمسة قالوا : لا ؟ قال : أرأيتكم إن كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها ؟ قالوا : لا . فقال إبراهيم - عليه السلام - عند ذلك : ﴿ **إن فيها لوطًا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته** ﴾ الآية . فسكت عنهم واطمأنت نفسه . وقال قتادة وغيره قريبًا من هذا ، زاد ابن إسحاق : أفرأيتم إن كان فيها مؤمن واحد ؟ قالوا : لا . قال : فإن كان فيها لوط يدفع به عنهم العذاب ؟ قالوا : ﴿ **نحن أعلم بمن فيها** ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ **إن إبراهيم لحليم أواه منيب** ﴾ مدح لإبراهيم بهذه الصفات الجميلة ، وقد تقدم تفسيرها .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك** ﴾ أي : إنه قد نفذ فيهم القضاء ، وحقت عليهم الكلمة بالهلاك وحلول البأس الذي لا يرد عن القوم المجرمين .

وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ
﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ
هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ
رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ
﴿٧٩﴾

يخبر تعالىٰ عن قدوم رسله من الملائكة بعد ما أعلموا إبراهيم بهلاكهم ، وفارقوه وأخبروه بإهلاك الله قوم لوط هذه الليلة ، فانطلقوا من عنده فأتوا لوطًا ، عليه السلام ، وهو - علىٰ ما قيل - في أرض له ، وقيل في منزله ، ووردوا عليه وهم في أجمل صورة تكون ؛ علىٰ هيئة شبان حسان الوجوه ، ابتلاء من الله وله الحكمة والحجة البالغة ، فساءه شأنهم وضاقت نفسه بسببهم ، وخشي إن لم يضفهم أن يضيفهم أحد من قومه فينالهم بسوء ﴿ **وقال هذا يوم عصيب** ﴾ .

قال ابن عباس وغير واحد : شديد بلاؤه . وذلك أنه علم أنه سيدافع عنهم ويشق عليه ذلك .

وذكر قتادة : أنهم أتوه وهو في أرض له فتضيفوه ، فاستحيا منهم فانطلق أمامهم ، وقال

لهم في أثناء الطريق كالمعرض لهم بأن ينصرفوا عنه : إنه والله يا هؤلاء ، ما أعلم علىٰ وجه الأرض أهل بلد أخبث من هؤلاء ، ثم مشى قليلًا ثم أعاد ذلك عليهم حتىٰ كرره أربع مرات ، قال قتادة : وقد كانوا أمروا أن لا يهلكوهم حتىٰ يشهد عليهم نبيهم بذلك .

وقال السدي : خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط ، فبلغوا نهر سدوم نصف النهار ، ولقوا بنت لوط تسقي فقالوا : يا جارية ، هل من منزل ؟ فقالت : مكانكم حتىٰ آتيكم ، وفَرَقَتْ عليهم من قومها ، فأتت أباها فقالت : يا أبتاه ؛ أدرك فتيانًا علىٰ باب المدينة ، ما رأيت وجوه قوم أحسن منهم لا يأخذهم قومك فيفضحوهم . وكان قومه نهوه أن يضيف رجلًا ، فقالوا : خل عنا فلنضيف الرجال ، فجاء بهم فلم يعلم بهم أحد إلا أهل بيته ، فخرجت امرأته فأخبرت قومها ، فجاءوا يهرعون إليه .

وقوله : ﴿ **يهرعون إليه** ﴾ أي : يسرعون ويهرولون من فرحهم بذلك .

وقوله : ﴿ **ومن قبل كانوا يعملون السيئات** ﴾ أي : لم يزل هذا من سجيتهم ، حتىٰ أخذوا وهم علىٰ ذلك الحال .

وقوله : ﴿ **قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم** ﴾ يرشدهم إلىٰ نسائهم ، فإن النبي للأمة بمنزلة الوالد ، فأرشدهم إلىٰ ما هو أنفع لهم في الدنيا والآخرة ، كما قال لهم في الآية الأخرىٰ : ﴿ **أتأتون الذكران من العالمين * وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون** ﴾ ، وقوله في الآية الأخرىٰ : ﴿ **قالوا أولم ننهك عن العالمين** ﴾ أي : ألم ننهك عن ضيافة الرجال ﴿ **قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين * لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون** ﴾ ، وقال في هذه الآية الكريمة : ﴿ **هؤلاء بناتي هن أطهر لكم** ﴾ قال مجاهد : لم يكن بناته ، ولكن كن من أمته ، وكل نبي أبو أمته . وكذا روي عن قتادة وغير واحد .

وقال ابن جريج : أمرهم أن يتزوجوا النساء ، ولم يعرض عليهم سفاحًا .

وقال سعيد بن جبير : يعني نساءهم هن بناته هو وهو أب لهم نبيهم . ويقال في بعض القراءات : (النبي أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم ، وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم) .

وكذا روي عن الربيع بن أنس ، وقتادة ، والسدي ، ومحمد بن إسحاق وغيرهم .

وقوله : ﴿ **فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي** ﴾ أي : اقبلوا ما آمركم به من الاقتصار علىٰ نسائكم ﴿ **أليس منكم رجل رشيد** ﴾ أي : فيه خير يقبل ما آمره به ، ويترك ما أنهاه عنه ؟

﴿ **قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق** ﴾ أي : إنك لتعلم أن نساءنا لا أرب لنا فيهن ولا نشتهيهن ﴿ **وإنك لتعلم ما نريد** ﴾ أي : ليس لنا غرض إلا في الذكور وأنت تعلم

ذلك ، فأي حاجة في تكرار القول علينا في ذلك ؟ قال السدي : ﴿ **وإنك لتعلم ما نريد** ﴾ إنما نريد الرجال .

قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن نبيه لوط - عليه السلام - إن لوطًا توعدهم بقوله : ﴿ **لو أن لي بكم قوة** ﴾ . الآية . أي : لكنت نكلت بكم ، وفعلت بكم الأفاعيل بنفسي وعشيرتي ؛ ولهذا ورد في الحديث(٦٤) من طريق محمد بن عمرو بن علقمة ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **رحمة الله على لوط ! لقد كان يأوي إلىٰ ركن شديد** - يعني الله عز وجل - **فما بعث الله بعده من نبي إلا في ثروة**(*) **من قومه** » .

فعند ذلك أخبرته الملائكة أنهم رسل الله إليه ، وأنهم لا وصول لهم إليه ﴿ **قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك** ﴾ وأمروه أن يسري بأهله من آخر الليل ، وأن يتبع أدبارهم ، أي : يكون ساقة لأهله ﴿ **ولا يلتفت منكم أحد** ﴾ أي : إذا سمعت ما نزل بهم ، ولا تهولنكم تلك الأصوات المزعجة ، ولكن استمروا ذاهبين . ﴿ **إلا امرأتك** ﴾ قال الأكثرون ، هو استثناء من المثبت وهو قوله : ﴿ **فأسر بأهلك** ﴾ تقديره : ﴿ **إلا امرأتك** ﴾ وكذلك قرأها ابن مسعود ، ونصب هؤلاء امرأتك ؛ لأنه من مثبت فوجب نصبه عندهم .

وقال آخرون من القراء والنحاة : هو استثناء من قوله ﴿ **ولا يلتفت منكم أحد إلا**

---

(٦٤) - **حسن** ، أخرجه أحمد (٢/٣٣٢ - وفي مواضع أخر) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٦٠٥) ، والترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة يوسف (٣١١٥) ، والنسائي في « التفسير » (٦/ ١١٢٥٤) ، وابن جرير (١٢/٨٧) ، وابن أبي حاتم (٦/١١٠٧٦) ، وتمام في فوائده (٤/١٤٤١ ، ١٤٤٢ - الروض) ، والطحاوي في « مشكل الآثار » (٣٣٠) بروايات مطولة ومختصرة، وقال الترمذي : « حديث حسن »، وصححه ابن حبان (١٤/٦٢٠٦ ، ٦٢٠٧) ، والحاكم (٢/٣٤٧ ، ٥٦١ ، ٥٧١) على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي ، ومحمد بن عمرو لم يخرج له مسلم في أصل الصحيح ، وإنما أخرج له متابعة ، والجزء الأول منه عند البخاري (٣٣٧٢) ، ومسلم (٢٣٨) (١٥١) من حديث أبي هريرة أيضًا . وفي بعض رواياته لفظة منكرة نبهت عليها عند [سورة يوسف / آية ٤٢] .

(*) الثروة : العدد الكثير .

امرأتك ﴾ فجوزوا الرفع والنصب ، وذكر هؤلاء أنها خرجت معهم وأنها لما سمعت الوجبة ، التفتت وقالت : واقوماه ! فجاءها حجر من السماء فقتلها .

ثم قربوا له هلاك قومه تبشيرًا له ؛ لأنه قال لهم أهلكوهم الساعة فقالوا : ﴿ **إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب** ﴾ . هذا وقوم لوط وقوف علىٰ الباب عكوف ، قد جاءوا يهرعون إليه من كل جانب ، ولوط واقف علىٰ الباب يدافعهم ويردعهم وينهاهم عما هم فيه ، وهم لا يقبلون منه ، بل يتوعدونه ويتهددونه ، فعند ذلك خرج عليهم جبريل - عليه السلام - فضرب وجوههم بجناحه ، فطمس أعينهم فرجعوا وهم لا يهتدون الطريق ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر** ﴾ الآية .

وقال معمر(٦٥) ، عن قتادة ، عن حذيفة بن اليمان قال : كان إبراهيم ، عليه السلام ، يأتي قوم لوط فيقول : أنهاكم اللَّه أن تَعَرَّضوا لعقوبته ! فلم يطيعوه ، حتىٰ إذا بلغ الكتاب أجله انتهت الملائكة إلىٰ لوط وهو يعمل في أرض له ، فدعاهم إلىٰ الضيافة فقالوا : إنا ضيوفك الليلة ، وكان اللَّه قد عهد إلىٰ جبريل ألا يعذبهم حتىٰ يشهد عليهم لوط ثلاث شهادات ، فلما توجه بهم لوط إلىٰ الضيافة ذكر ما يعمل قومه من الشر ، فمشى معهم ساعة ثم التفت إليهم ، فقال : أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية ؟ ما أعلم علىٰ وجه الأرض شرًّا منهم ، أين أذهب بكم ؟ إلىٰ قومي وهم من أشر خلق اللَّه ؟ فالتفت جبريل إلىٰ الملائكة ، فقال : احفظوها هذه واحدة ، ثم مشى معهم ساعة ، فلما توسط القرية ، وأشفق عليهم واستحيا منهم ، قال : أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية ؟ ما أعلم علىٰ وجه الأرض أشر منهم ، إن قومي أشر خلق اللَّه ، فالتفت جبريل إلىٰ الملائكة ، فقال : احفظوها هاتان اثنتان ، فلما انتهىٰ إلىٰ باب الدار بكىٰ حياء منهم وشفقة عليهم ، فقال : إن قومي أشر خلق اللَّه ، أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية ؟ ما أعلم علىٰ وجه الأرض أهل قرية شرًّا منهم . فقال جبريل للملائكة : احفظوا هذه ثلاث قد حق العذاب ، فلما دخلوا ذهبت عَجُوزُه عجوز السوء ، فصعدت فلوحت بثوبها ، فأتاها الفساق يهرعون سراعًا قالوا : ما عندك ؟ قالت : ضيف لوطٌ قومًا ما رأيت قط أحسن وجوهًا منهم ، ولا أطيب ريحًا منهم ، فهرعوا يسارعون إلىٰ الباب ، فعالجهم لوط علىٰ الباب فدافعوه طويلًا ، وهو داخل وهم خارج ، يناشدهم اللَّه ويقول : ﴿ **هؤلاء بناتي هن أطهر لكم** ﴾ فقام الملك فلز بالباب - يقول : فسَدَّه - واستأذن جبريل في عقوبتهم فأذن اللَّه له ، فقام في الصورة التي يكون فيها في السماء ، فنشر جناحه - ولجبريل جناحان - وعليه وشاح من در منظوم ،

(٦٥) - **إسناده منقطع** ، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٠٧/٢) ومن طريقه ومن طريق آخر عن معمر ، أخرجه ابن جرير (٩٠/١٢ ، ٩١ ، ٩٢) ، وقتادة لم يسمع من حذيفة ، ومن طريق آخر عن حذيفة أخرجه ابن أبي حاتم (١١٠٨٩/٦) مختصرًا وفيه انقطاع أيضًا. وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٦٢٢/٣) إلى ابن المنذر .

وهو براق الثنايا أجلىٰ الجبين ، ورأسه حبك حبك مثل المرجان ، وهو اللؤلؤ كأنه الثلج ، ورجلاه إلىٰ الخضرة ، فقال : يا لوط ، ﴿ **إنا رسل ربك لن يصلوا إليك** ﴾ امض يا لوط ، عن الباب ودعني وإياهم ، فتنحىٰ لوط عن الباب ، فخرج إليهم فنشر جناحه ، فضرب به وجوههم ضربة شدخ أعينهم ، فصاروا عميًا لا يعرفون الطريق ، ولا يهتدون إلى بيوتهم ثم أمر لوط فاحتمل بأهله في ليلته قال : ﴿ **فأسر بأهلك بقطع من الليل** ﴾ .

وروي عن محمد بن كعب وقتادة والسدي نحو هذا .

فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **فلما جاء أمرنا** ﴾ وكان ذلك عند طلوع الشمس ﴿ **جعلنا عاليها** ﴾ وهي سدوم ﴿ **سافلها** ﴾ ، كقوله : ﴿ **فغشاها ما غشى** ﴾ أي : أمطرنا عليها حجارة من سجيل ، وهي بالفارسية حجارة من طين ، قاله ابن عباس وغيره .

وقال بعضهم : أي : من سنك وهو الحجر ، وكل وهو الطين ، وقد قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **حجارة من طين** ﴾ أي : مستحجرة قوية شديدة ، وقال بعضهم : مشوية ، وقال البخاري(٦٦) : سجيل الشديد الكبير ، سجيل وسجين ، اللام والنون أختان ، وقال تميم ابن مقبل :

وَرَجْلَةَ يَضْرِبُونَ البيضَ ضاحيةً ضربًا تواصى[١] بِهِ الأبطالُ سجينا

وقوله : ﴿ **منضود** ﴾ قال بعضهم : منضودة في السماء ، أي : معدة لذلك .

وقال آخرون : ﴿ **منضود** ﴾ أي : يتبع بعضها بعضًا في نزولها عليهم .

وقوله : ﴿ **مسوّمة** ﴾ أي : معلمة مختومة عليها أسماء أصحابها ، كل حجر مكتوب عليه اسم الذي ينزل عليه ، وقال قتادة وعكرمة : ﴿ **مسومة** ﴾ مطوقة بها نضح من حمرة .

وذكروا أنها نزلت علىٰ أهل البلد وعلىٰ المتفرقين في القرىٰ مما حولها ، فبينا أحدهم يكون عند الناس يتحدث ، إذ جاءه حجر من السماء فسقط عليه من بين الناس فدمره ، فتتبعهم الحجارة من سائر البلاد حتىٰ أهلكتهم عن آخرهم ، فلم يبق منهم أحد .

---

(٦٦) - صحيح البخاري كتاب التفسير ، سورة هود (١١) ، باب : ﴿ **وكان عرشه على الماء** ﴾ .

---

[١] - في ز ، خ : تواصت .

وقال مجاهد : أخذ جبريل قوم لوط من سرحهم ودورهم ، حملهم بمواشيهم وأمتعتهم ورفعهم حتىٰ سمع أهل السماء نُباح كلابهم ثم أكفأهم ، وكان حملهم علىٰ حوافي جناحه الأيمن . قال : ولما قلبها كان أول ما سقط منها شذانها .

وقال قتادة : بلغنا أن جبريل أخذ بعروة القرية الوسطىٰ ، ثم ألوىٰ بها إلىٰ جوّ السماء حتىٰ سمع أهل السماء ضواغي(*) كلابهم ، ثم دمّر بعضها علىٰ بعض ، ثم أتبع شذاذ القوم صخرًا . قال : وذكر لنا أنهم كانوا أربع قرىٰ ، في كل قرية مائة ألف ، وفي رواية : ثلاث قرىٰ ، الكبرىٰ منها سدوم . قال : وبلغنا أن إبراهيم ، عليه السلام ، كان يشرف علىٰ سدوم ويقول : سدوم ، يوم ما لَكِ .

وفي رواية عن قتادة وغيره بلغنا أن جبريل ، عليه السلام ، لما أصبح نشر جناحه ، فانتسف به أرضهم بما فيها من قصورها ودوابها وحجارتها وشجرها وجميع ما فيها ، فضمها في جناحه فحواها وطواها في جوف جناحه ، ثم صعد بها إلىٰ السماء الدنيا ، حتىٰ سمع سكان السماء أصوات الناس والكلاب ، وكانوا أربعة آلاف ألف ، ثم قلبها فأرسلها إلىٰ الأرض منكوسة ، ودمدم بعضها علىٰ بعض ، فجعل عاليها سافلها ، ثم أتبعها حجارة من سجيل .

وقال محمد بن كعب القرظي : كانت قرىٰ قوم لوط خمس قريات : سدوم ، وهي العظمىٰ ، وصعبة ، وصعوة ، وعثرة ، ودوما ، احتملها جبريل بجناحه ، ثم صعد بها حتىٰ أن أهل السماء الدنيا ليسمعون نابحة كلابها وأصوات دجاجها ، ثم كفأها علىٰ وجهها ، ثم أتبعها اللّه بالحجارة ، يقول اللّه تعالىٰ : ﴿ **جعلنا عاليها سافلها ، وأمطرنا عليها حجارة من سجيل** ﴾ فأهلكها اللّه وما حولها من المؤتفكات .

وقال السدّي : لما أصبح قوم لوط نزل جبريل فاقتلع الأرض من سبع أرضين ، فحملها حتىٰ بلغ بها السماء ، حتىٰ سمع أهل السماء الدنيا نباح كلابهم وأصوات ديوكهم ، ثم قلبها فقتلهم ، فذلك قوله : ﴿ **والمؤتفكة أهوى** ﴾ ومن لم يمت حين سقط للأرض ، أمطر اللّه عليه وهو تحت الأرض الحجارة ، ومن كان منهم شاذًا في الأرض يتبعهم في القرىٰ ، فكان الرجل يتحدّث فيأتيه الحجر فيقتله ، فذلك قوله عز وجل : ﴿ **وأمطرنا عليهم** ﴾ أي : في القرىٰ حجارة من سجيل . هكذا قال السدي .

وقوله : ﴿ **وما هي من الظالمين ببعيد** ﴾ أي : وما هذه النقمة ممن تشبه بهم في ظلمهم ببعيد عنه .

(*) جمع ضاغية : وهي الصائحة .

وقد ورد في الحديث المروي في السنن عن ابن عباس مرفوعًا(٦٧) : « **من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به** » .

وذهب الإمام الشافعي في قول عنه ، وجماعة من العلماء : إلىٰ أن اللائط يقتل ، سواء كان محصنًا أو غير محصن ، عملًا بهذا الحديث .

وذهب الإمام أبو حنيفة إلىٰ أنه يلقى من شاهق ويتبع بالحجارة ، كما فعل اللّٰه بقوم لوط ، واللّٰه سبحانه وتعالىٰ أعلم بالصواب .

۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾

يقول تعالىٰ : ولقد أرسلنا إلىٰ مدين ، وهم قبيلة من العرب كانوا يسكنون بين الحجاز والشام قريبًا من بلاد معان في بلدٍ يعرف بهم ، يقال لها مدين ، فأرسل اللّٰه إليهم شعيبًا وكان من أشرفهم نسبًا ؛ ولهذا قال : ﴿ **أخاهم شعيبًا** ﴾ يأمرهم بعبادة اللّٰه تعالىٰ وحده لا شريك له ، وينهاهم عن التطفيف في المكيال والميزان ﴿ **إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط** ﴾ أي : في معيشتكم ورزقكم ، وإني أخاف أن تسلبوا ما أنتم فيه بانتهاككم محارم اللّٰه ﴿ **وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط** ﴾ أي : في الدار الآخرة .

وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾

ينهاهم أولًا عن نقص المكيال والميزان إذا أعطوا الناس ، ثم أمرهم بوفاء الكيل والوزن بالقسط آخذين ومعطين ، ونهاهم عن العيث في الأرض بالفساد وقد كانوا يقطعون الطريق .

وقوله : ﴿ **بقية اللّٰه خير لكم** ﴾ قال ابن عباس(٦٨) : رزق اللّٰه خير لكم .

---

(٦٧) - **صحيح** ، تقدم تخريجه [سورة الأعراف / آية ٨٤] .

(٦٨) - **إسناده فيه جهالة** ، أخرجه ابن جرير (١٢/١٠١) .

وقال الحسن : رزق الله خير لكم من بخسكم الناس .

وقال الربيع بن أنس : وصية الله خير لكم .

وقال مجاهد : طاعة الله ، وقال قتادة حظكم من الله خير لكم ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : الهلاك في العذاب والبقية في الرحمة .

وقال أبو جعفر بن جرير(٦٩) : ﴿ **بقية الله خير لكم** ﴾ أي : ما يفضل لكم من الربح بعد وفاء الكيل والميزان خير لكم من أخذ أموال الناس ، وقال : وقد روي هذا عن ابن عباس .

قلت : ويشبه قوله تعالىٰ : ﴿ **قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث** ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ **وما أنا عليكم بحفيظ** ﴾ أي : برقيب ولا حفيظ ، أي : افعلوا ذلك لله عز وجل ، لا تفعلوه ليراكم الناس ، بل لله عز وجل .

﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾

يقولون له علىٰ سبيل التهكم - قبحهم الله - : ﴿ **أصلاتك** ﴾ قال الأعمش : أي : قرآنك ﴿ **يأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا** ﴾ أي : الأوثان والأصنام ﴿ **أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء** ﴾ فنترك التطفيف عن[١] قولك ، وهي أموالنا نفعل فيها ما نريد .

[قال الحسن في قوله : ﴿ **أصلوٰتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا** ﴾ أي : والله إن صلاته لتأمرهم أن يتركوا ما كان يعبد آباؤهم][٢] .

وقال الثوري في قوله : ﴿ **أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء** ﴾ يعنون الزكاة .

[وقولهم] ﴿ **إنك لأنت الحليم الرشيد** ﴾ قال ابن عباس وميمون بن مهران وابن جريج وابن أسلم وابن جرير : يقولون ذلك أعداء الله علىٰ سبيل الاستهزاء ، قبحهم الله

(٦٩) - تفسير ابن جرير (١٢/١٠٠) وقال : « وهذا قول روي عن ابن عباس بإسناد غير مرتضى عند أهل النقل » ولم يذكر الإسناد .

[١] - في ز : « على » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

ولعنهم عن رحمته وقد فعل .

قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

يقول لهم : ﴿ **أرأيتم** ﴾ يا قوم ﴿ **إن كنت علىٰ بينة من ربي** ﴾ أي : علىٰ بصيرة فيما أدعو إليه ﴿ **ورزقني منه رزقًا حسنًا** ﴾ قيل : أراد النبوة ، وقيل : أراد الرزق الحلال ، ويحتمل الأمرين .

[وقال الثوري][١] : ﴿ **وما أريد أن أخالفكم إلىٰ ما أنهاكم عنه** ﴾ أي : لا أنهاكم عن شيء[٢] وأخالف أنا في السر فأفعله خفية عنكم ، كما قال قتادة في قوله : ﴿ **وما أريد أن أخالفكم إلىٰ ما أنهاكم عنه** ﴾ يقول : لم أكن لأنهاكم[٣] عن أمر وأرتكبه[٤] ﴿ **إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت** ﴾ أي : فيما آمركم وأنهاكم ، إنما مرادي[٥] إصلاحكم جهدي وطاقتي ﴿ **وما توفيقي** ﴾ أي : في إصابة الحق فيما أريده ﴿ **إلا بالله عليه توكلت** ﴾ في جميع أموري ﴿ **وإليه أنيب** ﴾ أي : أرجع ؛ قاله مجاهد وغيره .

قال الإمام أحمد(٧٠) : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا أبو قزعة سويد بن حُجَير الباهلي ، عن حكيم بن معاوية ، عن أبيه أن أخاه مالكًا قال : يا معاوية ، إن محمدًا أخذ جيراني ، فانطلق إليه فإنه قد عرفك وكلمك . فانطلقت معه فقال : دع لي جيراني فقد[٦] كانوا أسلموا . فأعرض عنه ، فقام متمعطًا[٧] فقال : أما والله لئن فعلت ، إن الناس يزعمون أنك تأمر[٨] بالأمر وتخالف إلىٰ غيره . وجعلت أجرّه وهو يتكلم ، فقال رسول الله : « **ما تقول ؟** » فقال : إنك والله لئن فعلت ذلك[٩] إن الناس ليزعمون أنك لتأمر

---

(٧٠) – **حسن** ، « المسند » (٢٠٠٦٨) (٤٤٧/٤) وإسناده رجاله ثقات إلا حكيم بن معاوية فلم يوثقه غير ابن حبان (١٦١/٤) ، لكن للحديث طريق آخر – وهو الآتي .

---

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٢] – في ت : « الشيء » .

[٣] – في ت : « أنهاكم » .

[٤] – في ز : « وأركبه » .

[٥] – في ت : « أريد » .

(*) أي : متسخطًا متغضبًا . النهاية [٤/ ٣٤٣] .

[٦] – في المسند : « فإنهم قد » .

[٧] – غير واضحة في « ز » .

[٨] – في خ : « لتأمرنا » ، والمثبت من : ز .

[٩] – سقط من : ز .

بالأمر وتخالف إلىٰ غيره . قال : فقال : « **أو قد قالوها ؟- أو**[١] **: قائلهم – ولئن فعلت ذاك ما ذاك إلا علي ، وما عليهم من**[٢] **ذلك من شيء ، أرسلوا له جيرانه** » .

وقال أحمد أيضًا(٧١) : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده قال : أخذ النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، ناسًا من قومي في تهمة فحبسهم ، فجاء رجل من قومي إلىٰ رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وهو يخطب ، فقال : يا محمد ، علام تحبس جيرتي[٣] ؟ فصمت رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فقال : إن ناسًا ليقولون إنك تنهى عن الشيء[٤] وتستخلي به . فقال النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ما يقول ؟** » قال : فجعلت أُعَرِّضُ بينهما بالكلام[٥] ، مخافة أن يسمعها فيدعو علىٰ قومي دعوة لا يفلحون بعدها أبدًا ، فلم يزل رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، به[٦] حتىٰ فهمها ، فقال : « [أو][٧] **قد قالوها ؟** » – أو « **قائلها منهم – واللّٰه لو فعلت لكان عليَّ وما كان عليهم ، خلوا له**[٨] **عن جيرانه** » .

ومن هذا القبيل الحديث الذي رواه الإمام أحمد(٧٢) حدثنا أبو عامر ، ثنا سليمان بن بلال ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، عن عبد الملك بن سعيد بن سويد الأنصاري قال : سمعت أبا حميد وأبا أسيد يقولان قال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم ، وتلين له أشعاركم وأبشاركم ، وترون أنه منكم قريب – فأنا أولاكم به ، وإذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم ، وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم**[٩] ،

---

(٧١) – **كسابقه** ، « المسند » (٢/٥) وهو عند عبد الرزاق في « المصنف » (١٨٨٩١/١٠) ومن طريقه أيضًا أخرجه أبو داود ، كتاب : الأقضية ، باب : في الحبس في الدين وغيره (٣٦٣٠) مختصرًا جدًّا ، والطبراني في « الكبير » (٩٩٦/١٩) ، وأخرجه أحمد (٢٠٠٦٧، ٢٠٠٩٠) (٢/٥ ، ٤) ، وأبو داود (٣٦٣١) ، والترمذي ، كتاب : الديات، باب : ما جاء في الحبس في التهمة (١٤١٧) ، والنسائي ، كتاب : قطع السارق ، باب : امتحان السارق بالضرب والحبس (٦٦/٨ ، ٦٧) ، والطبراني (٩٩٨/١٩) من طريق بهز ابن حكيم به مختصرًا ومطولًا ، وقال الترمذي : « حديث حسن » .

(٧٢) – **صحيح** ، « المسند » (١٦١٠٦) (٤٩٧/٣) ، (٢٣٧١٦) (٤٢٥/٥) ، وأخرجه البزار (١٨٧/١ – كشف) ، وابن سعد في « الطبقات » (٢٩٥/١) من طريق سليمان بن بلال ، به ، وصححه ابن حبان (٦٣/١) ، والألباني « الصحيحة » (٧٣٢/٢) . وتقدم عند المصنف (الأعراف/ آية ١٥٧) .

---

[١] – في ت : « أي » .
[٢] – سقط من : ز .
[٣] – في خ : « جيراني » ، والمثبت من ز .
[٤] – في المسند : « الشر » .
[٥] – في خ : « كلامًا » ، والمثبت من ز .
[٦] – سقط من : ز .
[٧] – ما بين المعكوفتين زيادة من : ز .
[٨] – زيادة من : ز .
[٩] – سقط من : ز .

وترون أنه منكم بعيد[١] - فأنا أبعدكم منه » .

[وهذا][٢] إسناده صحيح . و[٣] قد أخرج مسلم(٧٣) بهذا السند حديثَ : « **إذا دخل أحدكم المسجد فليقل : اللهم ، افتح لي أبواب رحمتك ، وإذا خرج فليقل : اللهم إني أسألك من فضلك** » .

ومعناه - والله أعلم - : مهما بلغكم عني من خير فأنا أولاكم به ، ومهما يكن من مكروه فأنا أبعدكم منه ﴿ **وما أريد أن أخالفكم إلىٰ ما أنهاكم عنه** ﴾ .

وقال قتادة(٧٤) ، عن عَزْرَة[٤] ، عن الحسن العرني[٥] ، عن يحيىٰ بن الجزار ، عن مسروق أن[٦] : [امرأة جاءت] إلىٰ[٧] ابن مسعود فقالت : أتنهىٰ عن الواصلة ؟ قال : نعم ، فقالت المرأة : فلعله في بعض نسائك . فقال ما حفظت إذًا وصية العبد الصالح ﴿ **وما أريد أن أخالفكم إلىٰ ما أنهاكم عنه** ﴾ .

وقال عثمان بن أبي شيبة(٧٥) : حدثنا جرير ، عن أبي سليمان الضبي[٨] ، قال : كانت تجيئنا كتب عمر بن عبد العزيز فيها الأمر والنهي ، فيكتب في آخرها : وما كنت من ذلك

(٧٣) - صحيح مسلم ، كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ، باب : ما يقول إذا دخل المسجد (٦٨) (٧١٣) ، وأخرجه أبو داود ، كتاب : الصلاة ، باب : فيما يقوله الرجل عند دخوله المسجد (٤٦٥) ، والنسائي ، كتاب : المساجد ، باب : القول عند دخول المسجد وعند الخروج منه (٢/٥٣) ، وابن ماجة ، كتاب : المساجد والجماعات، باب : الدعاء عند دخول المسجد (٧٧٢) ، وأحمد (٣/٤٩٧) ، (٥/٤٢٥) من حديث أبي حميد أو أبي أسيد ، ورواية ابن ماجه من حديث أبي حميد فحسب .

(٧٤) - **إسناده حسن** ، أخرجه ابن أبي حاتم (٦/١١١٤٥) ثنا يحيى بن أبي طالب ، ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به ، وأخرجه أحمد (١/٤١٥) ، والنسائي (٨/١٤٦) من طريق قتادة بهذا الإسناد مطولاً ، وليس عند النسائي الجزء الذي أورده المصنف هنا ، وأصل الحديث عند البخاري (٤٨٨٦) ، ومسلم (٢١٢٥) وغيرهما .

(٧٥) - علقه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/١١١٤٧) ذكر عن عثمان بن أبي شيبة ، به .

[١] - في ز : « بعيدًا » .
[٢] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز ، خ : « عزوة » ، والمثبت من ابن أبي حاتم .
[٥] - في ز : « البصري » .
[٦] - في خ : « قال » .
[٧] - سقط من : ز .

[٨] - في خ ، ز : « العتبي » . والمثبت من تفسير ابن ابي حاتم . ولم أهتد لترجمة أبي سليمان هذا .

إلا كما قال العبد الصالح : ﴿ وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴾ .

وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾

يقول لهم : ﴿ ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي ﴾ أي : لا[١] تحملنكم عداوتي وبغضي علىٰ الإصرار علىٰ ما أنتم عليه من الكفر والفساد ، فيصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح ، وقوم هود ، وقوم صالح ، وقوم لوط من النقمة والعذاب ، وقال قتادة : ﴿ ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي ﴾ يقول : لا يحملنكم فراقي - وقال السدي : عداوتي - علىٰ أن تتمادوا في الضلال والكفر فيصيبكم من العذاب ما أصابهم .

وقال ابن أبي حاتم(٧٦) : ثنا [محمد][٢] بن عوف الحمصي ، ثنا أبو المغيرة عبد القدوس ابن الحجاج ، ثنا ابن أبي[٣] غنية ، حدثني عبد الملك بن أبي سليمان ، عن أبي ليلىٰ الكندي قال : كنت مع مولاي أمسك دابته وقد أحاط الناس بعثمان بن عفان ، إذ أشرف علينا من داره فقال : ﴿ يا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح ﴾ يا قوم ، لا تقتلوني ، إنكم إن تقتلوني[٤] كنتم هكذا . وشبك بين أصابعه .

وقوله : ﴿ وما قوم لوط منكم ببعيد ﴾ [قيل : المراد في الزمان ، قال قتادة][٥] : يعني إنما هلكوا بين أيديكم بالأمس ، وقيل : في المكان ، ويحتمل الأمران ﴿ واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه ﴾ [أي : استغفروه][٦] من سالف الذنوب ﴿ ثم توبوا إليه ﴾ فيما تستقبلونه من الأعمال السيئة ، وقوله : ﴿ إن ربي رحيم ودود ﴾ أي : لمن تاب وأناب .

قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًاۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ

---

(٧٦) - **إسناده حسن** ، « التفسير » لابن أبي حاتم (١١١٥٤/٦) ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٩٢٦/٣) إلى ابن أبي شيبة .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - في خ : « قتلتموني » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٦] - زيادة من : ز .

لَرَجَمْنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٖ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٩٢﴾

يقولون ﴿ يا شعيب ما نفقه [كثيرًا مما تقول ﴾ أي :] ما نفهم كثيرًا من قولك وفي آذاننا وقر ، ومن بيننا وبينك حجاب . ﴿ وإنا لنراك فينا ضعيفًا ﴾ .

قال سعيد بن جبير والثوري : وكان ضرير البصر . و[١] قال الثوري : كان[٢] يقال له خطيب الأنبياء .

[قال السدي : ﴿ وإنا لنراك فينا ضعيفًا ﴾ قال : أنت واحد .

وقال أبو روق : يعنون ذليلًا ؛ لأن عشيرتك ليسوا على دينك][٣] .

﴿ ولولا رهطك لرجمناك ﴾ أي : قومك وعشيرتك ، لولا عزة قومك[٤] علينا لرجمناك ، قيل : بالحجارة ، وقيل : لسببناك ﴿ وما أنت علينا بعزيز ﴾ أي : ليس لك عندنا معزة .

﴿ قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله ﴾ يقول : أتتركوني لأجل قومي ، ولا تتركوني إعظامًا لجناب [الرب تبارك وتعالى][٥] أن تنالوا نبيه بمساءة ، وقد اتخذتم جانب الله ﴿ وراءكم ظهريًّا ﴾ أي : نبذتموه خلفكم لا تطيعونه ولا تعظمونه[٦] ﴿ إن ربي بما تعملون محيط ﴾ أي : هو يعلم جميع أعمالكم وسيجزيكم بها .

وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٞ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٞ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآۗ أَلَا بُعْدٗا لِّمَدْيَنَ كَمَا

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « وكان » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٤] - في ت : « معزتهم » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « الله » .
[٦] - في ز : « تعطونه » .

بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾

لما يئس نبي اللَّه شعيب من [استجابة قومه][١] له قال : ﴿ **يا قوم اعملوا علىٰ مكانتكم** ﴾ أي : على طريقتكم ، وهذا تهديد ووعيد شديد ﴿ **إني عامل** ﴾ علىٰ طريقتي ومنهجي **ف** ﴿ **سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه** ﴾ أي : في الدار الآخرة ﴿ **ومن هو كاذب** ﴾ أي : مني ومنكم ﴿ **وارتقبوا** ﴾ أي : انتظروا ﴿ **إني معكم رقيب** ﴾ .

قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **ولما جاء أمرنا نجينا شعيبًا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة** ﴾ [وهم قومه][٢] ﴿ **فأصبحوا في ديارهم جاثمين** ﴾ [وقوله : ﴿ **جاثمين** ﴾][٣] أي : هامدين لا حراك بهم ، وذكر هٰهنا أنه أتتهم صيحة ، وفي الأعراف : رجفة ، وفي الشعراء : عذاب يوم الظلة ، وهم أمة واحدة اجتمع عليهم يوم عذابهم هذه النقم كلها ، وإنما ذكر [في][٤] كل سياق ما يناسبه ؛ ففي الأعراف لما قالوا : ﴿ **لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا** ﴾ ناسب أن يذكر هناك[٥] الرجفة ، فرجفت بهم الأرض التي ظلموا بها وأرادوا إخراج نبيهم منها ، وهٰهنا لما أساءوا الأدب في مقالتهم علىٰ نبيهم [ناسب][٦] ذكر الصيحة التي أسكتتهم وأخمدتهم ، وفي الشعراء لما قالوا : ﴿ **فأسقط علينا كسفًا من السماء إن كنت من الصادقين** ﴾ قال : ﴿ **فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم** ﴾ وهذا من الأسرار الغريبة الدقيقة ، ولله الحمد والمنة كثيرًا دائمًا .

وقوله : ﴿ **كأن لم يغنوا فيها** ﴾ أي : يعيشوا في دارهم قبل ذلك ﴿ **ألا بعدًا لمدين كما بعدت ثمود** ﴾ وكانوا جيرانهم قريبًا منهم في الدار ، وشبيهًا بهم في الكفر وقطع الطريق ، وكانوا عربًا شبههم[٧] .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُواْ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ

[١] - في خ : « استجابتهم » .
[٢] - زيادة من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - في ز : « هنا » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٧] - في خ : « مثلهم » .

﴿ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ﴾

يقول تعالىٰ : مخبرًا عن إرساله[١] موسىٰ ، عليه السلام ، بآياته وبيناته وحججه ودلالاته الباهرة القاطعة ، إلىٰ [فرعون ، لعنه اللَّه ، وهو ملك ديار مصر على أمة][٢] القبط وملئه ﴿ **فاتبعوا أمر فرعون** ﴾ أي : مسلكه ومنهجه وطريقته في الغي [والضلال][٣] ﴿ **وما أمر فرعون برشيد** ﴾ أي : ليس فيه رشد ولا هدىً ، وإنما هو جهل وضلال وكفر وعناد ، وكما أنهم اتبعوه في الدنيا وكان مقدمهم ورئيسهم ، كذلك هو يقدمهم يوم القيامة إلىٰ نار جهنم فأوردهم إياها ، وشربوا من حياض رداها ، وله في ذلك الحظ الأوفر من العذاب الأكبر ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فعصىٰ فرعون الرسول فأخذناه أخذًا وبيلًا** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **فكذب وعصىٰ * ثم أدبر يسعىٰ * فحشر فنادى * فقال أنا ربكم الأعلىٰ * فأخذه اللَّه نكال الآخرة والأولىٰ * إن في ذلك لعبرة لمن يخشى** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود** ﴾ وكذلك شأن المتبوعين يكونون موفرين في العذاب يوم الميعاد ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون** ﴾ ، وقال تعالىٰ إخبارًا عن الكفرة أنهم يقولون في النار : ﴿ **ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا * ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنًا كبيرًا** ﴾ ، وقال الإمام أحمد(٧٧) : حدثنا هشيم ، حدثنا [أبو الجهم][٤] ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال[٥] : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **امرؤ القيس حامل لواء شعراء الجاهلية إلىٰ النار** » .

---

(٧٧) - **إسناده ضعيف جدًا** ، (٧١٢٧/شاكر) (٢٢٨/٢) ومن طريقه أخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢٠٠/١) ، وأخرجه ابن عدي في « الكامل » (١٤٠٤/٤) و(٢٥٩٨/٧ ، ٢٧٥٥) ، والبزار (٢/ ٢٠٩١) ، وابن حبان في « المجروحين » (١٥٠/٣) وابن الجوزي في « العلل » من طرق عن هشيم ، به .

وقال ابن عدي : « هذا منكر بهذا الإسناد » ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٢٢/٨) وقال : رواه أحمد والبزار ، وفي إسناده أبو الجهيم شيخ هشيم بن بشير ولم أعرفه ، وبقية رجاله رجال الصحيح » . قلت : قال أبو زرعة في أبي الجهيم هذا : « واهٍ » وقال ابن عدي « شيخ مجهول لا يعرف له اسم » .

وللحديث طريق آخر عند الخطيب في « التاريخ » (٣٧٠/٩) ، وابن الجوزي (٢٠١/١) وفي إسناده أبو هفان الشاعر ، قال ابن الجوزي : « لا يُعَوَّل عليه » والحديث أورده الألباني في « ضعيف الجامع الصغير » وانظر تعليق العلامة أحمد شاكر في «المسند» .

---

[١] - في خ : « إرسال » .
[٢] - في خ : « فرعون ملك » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين في المسند : « أبو الجهيم » ، وكلاهما صواب .
[٥] - سقط من : ز .

وقوله : ﴿ وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود ﴾ ، أي : أتبعناهم زيادة علىٰ [ما جازيناهم من][١] عذاب النار لعنة في الدنيا ﴿ **ويوم القيامة بئس الرفد المرفود** ﴾ .

قال مجاهد : زيدوا لعنة يوم القيامة ؛ فتلك لعنتان .

وقال علي بن أبي طلحة(٧٨) ، عن ابن عباس ﴿ **بئس الرفد المرفود** ﴾ قال : لعنة الدنيا والآخرة . وكذا قال الضحاك وقتادة ، [وهكذا قوله تعالى][٢] : ﴿ **وجعلناهم أئمة يدعون إلىٰ النار ويوم القيامة لا ينصرون * وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **النار يعرضون عليها غدوًا وعشيًا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب** ﴾ .

ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾

لما ذكر تعالىٰ خبر هؤلاء الأنبياء ، وما جرىٰ لهم مع أممهم ، وكيف أهلك الكافرين ونجىٰ المؤمنين ، قال : ﴿ **ذلك من أنباء القرى** ﴾ أي : [من أخبارها][٣] ﴿ **نقصه عليك منها قائم** ﴾ أي : عامر ﴿ **وحصيد** ﴾ أي : هالك داثر ﴿ **وما ظلمناهم** ﴾ أي : إذ أهلكناهم ﴿ **ولكن ظلموا أنفسهم** ﴾ بتكذيبهم رسلنا وكفرهم بهم ﴿ **فما أغنت عنهم آلهتهم** ﴾ [أي أصنامهم و][٤] أوثانهم التي [كانوا][٥] يعبدونها ويدعونها ﴿ **من دون الله من شيء** ﴾ أي : ما نفعوهم ولا أنقذوهم لما جاء أمر الله بإهلاكهم ﴿ **وما زادوهم غير تتبيب** ﴾ . قال مجاهد وقتادة وغيرهما : أي : غير تخسير . وذلك أن سبب هلاكهم ودمارهم إنما كان[٦] باتباعهم تلك الآلهة وعبادتهم إياها ، فبهذا[٧] أصابهم ما أصابهم

(٧٨) - أخرجه ابن جرير (١٢/١١١) ، وابن أبي حاتم (٦/١١١٩٨) ، وابن المنذر كما في « الدر المنثور » (٣/٦٣١) .

[١] - ما بين المعكوفين سقط من : ح .
[٢] - في خ : « وهو كقوله » .
[٣] - في خ : « أخبارهم » .
[٤] - ما بين المعكوفين سقط من : ت .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٦] - في ز : « كانوا » .
[٧] - في خ : « فلهذا » .

وخسروا [بهم][١] في الدنيا والآخرة .

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (١٠٢)

يقول تعالىٰ : وكما أهلكنا أولئك القرون الظالمة المكذبة لرسلنا ، كذلك نفعل بنظائرهم وأشباههم[٢] وأمثالهم ﴿ **إن أخذه أليم شديد** ﴾ ، وفي الصحيحين(٧٩) : عن أبي موسىٰ الأشعري ، رضي اللّٰه عنه ، قال : قال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إن اللّٰه ليملي للظالم حتىٰ إذا أخذه لم يفلته** » . ثم قرأ رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : ﴿ **وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرىٰ وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد** ﴾ .

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ (١٠٣) وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ (١٠٤) يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ (١٠٥)

يقول تعالىٰ : إن في إهلاكنا الكافرين ونصرة الأنبياء وإنجائنا المؤمنين ﴿ **لآية** ﴾ أي : عظة[٣] واعتبارًا علىٰ صدق موعودنا في [الدار][٤] الآخرة ﴿ **إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **فأوحىٰ إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس** ﴾ أي: أولهم وآخرهم فلا يبقىٰ منهم أحد ، كقوله : ﴿ **وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدًا** ﴾ .

﴿ **وذلك يوم مشهود** ﴾ أي : يوم عظيم تحضره الملائكة كلهم ، ويجتمع فيه الرسل جميعهم ، وتحشر فيه الخلائق بأسرهم ؛ من الإنس والجن ، والطير والوحوش والدواب ، ويحكم فيهم العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة ، وإن تك حسنة يضاعفها .

وقوله : ﴿ **وما نؤخره إلا لأجل معدود** ﴾ أي : ما نؤخر إقامة القيامة إلا أنه قد سبقت كلمة اللّٰه وقضاؤه وقدره في وجود أناس معدودين من ذرية آدم ، وضرب مدة معينة إذا

(٧٩) - تقدم برقم (٤٠) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٢] - في خ : « وبأشباههم » .
[٣] - في ز : « عظمة » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

انقضت وتكامل وجود أولئك المقدر خروجهم من ذرية [آدم أقام الله][١] الساعة ، ولهذا قال : ﴿ **وما نؤخره إلا لأجل معدود** ﴾ أي : لمدة مؤقتة لا يزاد عليها ولا ينقص[٢] منها ﴿ **يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه** ﴾ أي[٣] : يوم يأتي [هذا اليوم وهو][٤] يوم القيامة لا يتكلم أحد [يومئذ][٥] إلا بإذن الله ، كقوله : ﴿ **يوم يقوم الروح والملائكة صفًّا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابًا** ﴾ ، وقال : ﴿ **وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسًا** ﴾ . وفي الصحيحين عن رسول الله في[٦] حديث الشفاعة(٨٠) [الطويل][٧] : « **ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ، ودعوى الرسل يومئذ : اللهم سلم سلم !** » .

وقوله : ﴿ **فمنهم شقي وسعيد** ﴾ أي : فمن أهل الجمع شقي ومنهم سعيد ، كما قال : ﴿ **فريق في الجنة وفريق في السعير** ﴾ .

وقال الحافظ أبو يعلىٰ في مسنده(٨١) : ثنا موسىٰ بن حيان ، ثنا عبد الملك بن عمرو ، ثنا سليمان بن سفيان ، ثنا عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، عن عمر قال : لما نزلت ﴿ **فمنهم شقي وسعيد** ﴾ سألت النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فقلت[٨] : يا رسول الله : علام[٩] نعمل ؟ علىٰ شيء قد فرغ منه ، أم علىٰ شيء لم يفرغ منه ؟ فقال[١٠] « **على**

(٨٠) - **صحيح** ، تقدم هنا برقم (٢٦) وانظر ما يأتي [سورة الإسراء / آية ٧٩] .

(٨١) - **إسناده ضعيف ، وهو حديث صحيح** ، لم أقف عليه في المطبوع من مسند أبي يعلى ، وسليمان بن سفيان المدني « ضعيف » كما في « التقريب » ، ومن طريقه أخرجه الترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة هود (٣١١٠) ، وعبد بن حميد في « المنتخب » (٢٠) وابن أبي عاصم في « السنة » (١٧٠/١) ، والبزار في مسنده (١٦٨/١) ، وابن جرير في تفسيره (١١٧/١٢) ، وابن أبي حاتم (٦/ ١١٢٢١)، وابن عدي في « الكامل » (١١٢١/٣) ، وحسنه الترمذي ، وهو كذلك لشواهده - إن لم يكن صحيحًا - فقد أخرجه أحمد (٢٩/١ ، ٥٢/٢، ٧٧) ، وابن أبي عاصم (١٦٣) ، والبزار (١٢١) ، وأبو يعلى (٥٤٦٣/٩ ، ٥٥٧١) ، والطيالسي (ص٤) ، والآجري في « الشريعة » (٣٦٤/١) من طريق عاصم بن عبيد الله عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن عمر به نحوه ، لكن عاصم بن عبيد الله - وهو العدوي المدني - « ضعيف » وللحديث طريق آخر أخرجه ابن أبي عاصم (١٦٥) ، والآجري (١/ ٣٦٣) ، والبزار (٢١٣٧/٣ - كشف) ، وصححه ابن حبان (١٠٨/١) ، وإسناده حسن ، وللحديث شواهد كثيرة انظرها في « السنة » لابن أبي عاصم بتحقيق أبي عبد الرحمن الألباني .

[١] - في خ : « قامت » .
[٢] - في خ : « ينتقص » .
[٣] - في ز : « يقول » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٦] - في خ : « من » .
[٧] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز .
[٨] - في ز : « قلت » .
[٩] - في ز : « ما » .
[١٠] - في ز : « قال » .

شيء قد فرغ منه يا عمر وجرت به الأقلام ، ولكن كل ميسر لما خلق له » .

ثم بين تعالىٰ حال الأشقياء وحال السعداء فقال .

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾

يقول تعالىٰ ﴿ **لهم فيها زفير وشهيق** ﴾ قال ابن عباس : الزفير في الحلق ، والشهيق في الصدر . أي : تنفسهم زفير وأخذهم النفس شهيق ، لما هم[١] فيه من العذاب ، عياذًا بالله من ذلك .

﴿ **خالدين فيها ما دامت السموات والأرض** ﴾ قال الإمام أبو جعفر بن جرير : من عادة العرب إذا أرادت أن تصف الشيء بالدوام أبدًا قالت : هذا دائم دوام السموات والأرض ، وكذلك يقولون : هو باق ما اختلف الليل والنهار ، وما سمر ابنا سمير ، وما لألأت العُفْرُ بأذنابها ، يعنون بذلك كلمة أبدًا ، فخاطبهم جل ثناؤه بما يتعارفونه بينهم فقال : ﴿ **خالدين فيها ما دامت السموات والأرض** ﴾ .

قلت ويحتمل أن المراد بـ « **ما دامت السموات والأرض** » الجنس ؛ لأنه لابد في عالم الآخرة من سمٰوات وأرض ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يوم تبدّل الأرض غير الأرض والسموات** ﴾ ؛ ولهذا قال الحسن البصري في قوله : ﴿ **ما دامت السموات والأرض** ﴾ قال : تبدل سماء غير هذه السماء ، وأرض غير هذه الأرض ، فما دامت تلك السماء وتلك الأرض . وقال ابن أبي حاتم(٨٢) : ذكر عن سفيان بن حسين ، عن الحكم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قوله : ﴿ **ما دامت السموات والأرض** ﴾ قال : لكل جنة سماء وأرض .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ما دامت الأرض أرضًا والسماء سماء .

وقوله : ﴿ **إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد** ﴾ ، كقوله : ﴿ **النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إنَّ ربك حكيم عليم** ﴾ .

وقد اختلف المفسرون في المراد من هذا الاستثناء علىٰ أقوال كثيرة ، حكاها الشيخ أبو الفرج بن الجوزي في كتابه « زاد المسير » ، وغيره من علماء التفسير ، ونقل كثيرًا منها

---

(٨٢) - **إسناده فيه انقطاع** ، تفسير ابن أبي حاتم (١١٢٢٩/٦) .

---

[١] - في ز : « لهم » .

الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله في كتابه ، واختار هو ما نقله عن خالد بن معدان والضحاك وقتادة وأبي سنان ، ورواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس والحسن أيضًا : أن الاستثناء عائد علىٰ العصاة من أهل التوحيد ، ممن يخرجهم الله من النار بشفاعة الشافعين ، من الملائكة والنبيين والمؤمنين ، حين يشفعون في أصحاب الكبائر ، ثم تأتي رحمة أرحم الراحمين ، فتخرج من النار من لم يعمل خيرًا قط ، وقال يومًا من الدهر : لا إله إلا الله ، كما وردت بذلك الأخبار الصحيحة المستفيضة عن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، بمضمون ذلك ؛ من حديث أنس(٨٣) وجابر(٨٤) وأبي سعيد(٨٥) وأبي هريرة(٨٦) وغيرهم من الصحابة ، ولا يبقىٰ بعد ذلك في النار إلا من وجب عليه الخلود فيها ولا محيد له عنها ، وهذا الذي عليه كثير من العلماء قديمًا وحديثًا في تفسير هذه الآية الكريمة .

وقد روي في تفسيرها عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وأبي هريرة ، وعبد الله بن عمرو ، وجابر ، وأبي سعيد من الصحابة ، وعن أبي مجلز والشعبي وغيرهما من التابعين ، وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وإسحاق بن راهويه وغيرهما من الأئمة - أقوال غريبة ، وورد حديث غريب في معجم الطبراني الكبير(٨٧) : عن أبي أمامة صدي بن عجلان الباهلي ، ولكن سنده ضعيف ، والله أعلم .

و[١] قال قتادة : الله أعلم بثنياه . وقال السدي : هي منسوخة بقوله : ﴿ **خالدين فيها أبدًا** ﴾ .

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **وأمّا الذين سعدوا** ﴾ وهم أتباع الرسل ﴿ **ففي الجنة** ﴾ [أي :

(٨٣) - **صحيح** ، يأتي في [الإسراء / آية ٧٩] .
(٨٤) - تقدم تخريجه [سورة يونس / آية ٢٨] .
(٨٥) - **صحيح** ، يأتي تخريجه [سورة القيامة / آية ٢٣] .
(٨٦) - **صحيح** ، يأتي [الإسراء/ آية ٧٩] .
(٨٧) - **إسناده ضعيف جدًا** ، « المعجم الكبير » (٧٩٦٩/٨) ، ولفظه « **ليأتين على جهنم يوم كأنها زرع هاج وأحمر تخفق أبوابها** » وفي إسناده عبد الله بن مسعر وجعفر بن الزبير وكلاهما متروك ، وانظر «الضعيفة» للألباني (٦٠٦/٢ ، ٦٠٧) ، والعقيدة الطحاوية (ص ٤٢٨) .

[١] - سقط من : ز .

فمأواهم الجنة][١] ﴿ **خالدين فيها** ﴾ أي : ماكثين فيها أبدًا ﴿ **ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك** ﴾ معنىٰ[٢] الاستثناء هٰهنا : أن دوامهم فيما هم فيه من النعيم ليس أمرًا واجبًا بذاته ، بل هو موكول إلىٰ مشيئة اللّٰه تعالىٰ ، فله المنة عليهم دائمًا[٣] ، ولهذا « **يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس** »(٨٨) .

وقال الضحاك والحسن البصري : هي في حق عصاة[٤] الموحدين ، الذين كانوا في النار ثم أخرجوا منها ، وعقب ذلك بقوله : ﴿ **عطاء غير مجذوذ** ﴾ أي : غير مقطوع ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وأبو العالية وغير واحد ؛ لئلا يتوهم متوهم بعد ذكره المشيئة أن ثَمَّ انقطاعًا أو [لَبسًا أو شيئًا] ، بل ختم له بالدوام وعدم الانقطاع ، كما بين هناك أن عذاب أهل النار في النار دائمًا مردود إلىٰ مشيئته ، وأنه بعدله وحكمته عذبهم ، ولهذا قال : ﴿ **إن ربك فعال لما يريد** ﴾ ، كما قال : ﴿ **لا يسأل عما يفعل وهم يسألون** ﴾ وهنا طيب القلوب وثبت المقصود بقوله : ﴿ **عطاء غير مجذوذ** ﴾ .

وقد جاء في الصحيحين(٨٩) : « **يؤتىٰ بالموت في صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار ، ثم يقال : يا أهل الجنة خلود بلا[٥] موت ، ويا أهل النار خلود بلا[٦] موت** » .

وفي الصحيح أيضًا(٩٠) : « **فيقال[٧] : يا أهل الجنة ، إن لكم أن تعيشوا فلا تموتوا[٨] أبدًا ، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا ، وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا ، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا** » .

﴿ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ

---

(٨٨) - ورد ذلك في حديث صحيح تقدم [سورة يونس/ آية ١٠] .

(٨٩) - أخرجه البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **وأنذرهم يوم الحسرة** ﴾ (٤٧٣٠) ، ومسلم ، كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (٢٨٤٩) ، والترمذي كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة مريم (٣١٥٥) ، والنسائي في « التفسير » (٦/ ١١٣١٦) ، وأحمد (١١٠٨٠) (٣/٩) من حديث أبي سعيد الخدري .

(٩٠) - **صحيح** ، يأتي تخريجه [سورة الحجر/ آية ٤٨] .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٢] - في ز : « يعني » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - [٦] - في خ : « فلا » .
[٧] - في ز : « فقال » .
[٨] - في ز : « تموتون » .

﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ (١٠٩) وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ (١١٠) وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١١)﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء** ﴾ المشركون ، إنه باطل وجهل وضلال ، فإنهم إنما يعبدون ما يعبد آباؤهم من قبل ، أي : ليس لهم مستند فيما هم فيه إلا اتباع الآباء في الجهالات ، وسيجزيهم الله علىٰ ذلك أتم الجزاء ، فيعذب كافرهم عذابًا لا يعذبه أحدًا من العالمين ، وإن كان لهم حسنات فقد وفاهم الله إياها في الدنيا قبل الآخرة .

قال سفيان الثوري(٩١) ، عن جابر الجعفي ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ﴿ **وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص** ﴾ قال : ما وعدوا فيه من خير أو شر .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : لموفوهم من العذاب نصيبهم[١] غير منقوص .

ثم ذكر تعالىٰ أنه آتىٰ موسىٰ الكتاب فاختلف الناس فيه ، فمن مؤمن به ومن كافر به ، فلك بمن سلف من الأنبياء قبلك يا محمد أسوة ، [فلا يغيظنك][٢] تكذيبهم لك ، ولا يهيدنك ذلك ﴿ **ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم** ﴾ .

قال ابن جرير : لولا ما تقدم من تأجيله العذاب[٣] إلىٰ أجل معلوم لقضى الله بينهم . ويحتمل أن يكون المراد بالكلمة : أنه لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه وإرسال الرسول إليه ، كما قال : ﴿ **وما كنا معذبين حتىٰ نبعث رسولًا** ﴾ ، فإنه قد قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزامًا وأجل مسمىٰ * فاصبر علىٰ ما يقولون** ﴾ ثم أخبر أن الكافرين في شك مما جاءهم به الرسول قويٍّ فقال : ﴿ **وإنهم لفي شك منه مريب** ﴾ .

ثم أخبر تعالىٰ أنه سيجمع الأولين والآخرين من الأمم ، ويجزيهم بأعمالهم إن خيرًا فخير ، وإن شرًّا فشر ، فقال : ﴿ **وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم إنه بما يعملون**

---

(٩١) - **إسناده ضعيف لضعف جابر الجعفي** ، أخرجه عبد الرزاق (٢/٣١٣) ، وابن جرير (١٢/١٢٢) ، وابن أبي حاتم (٦/١١٢٤٨) ، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في « الدر المنثور » (٣/٦٣٧) .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « ولا يغيظنهم » .
[٣] - في ز : « العباد »

خبير ﴾ أي : عليم [بأعمالهم جميعًا ؛ جليلها][١] وحقيرها ، صغيرها وكبيرها ، وفي هذه الآية قراءات كثيرة ، يرجع[٢] معناها إلىٰ هذا الذي ذكرناه ، كما في قوله تعالىٰ ﴿ **وإن كل لما جميع لدينا محضرون** ﴾ .

﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢) وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (١١٣) ﴾

يأمر تعالىٰ رسوله وعباده المؤمنين بالثبات والدوام على الاستقامة ، وذلك من أكبر العون علىٰ النصر علىٰ الأعداء ومخالفة الأضداد ، ونهىٰ عن الطغيان ، وهو البغي ، فإنه مصرعة حتىٰ ولو كان علىٰ مشرك ، وأعلم تعالىٰ أنه بصير بأعمال العباد ، لا يغفل عن شيء ، ولا يخفى عليه شيء .

وقوله : ﴿ **ولا تركنوا إلىٰ الذين ظلموا** ﴾ قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : لا تُدْهِنُوا .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : هو الركون إلى الشرك .

وقال أبو العالية : لا ترضوا بأعمالهم .

وقال ابن جرير ، عن ابن عباس : ولا تميلوا إلىٰ الذين ظلموا .

وهذا القول حسن ، أي : لا تستعينوا بالظلمة فتكونوا كأنكم قد رضيتم بباقي صنيعهم ﴿ **فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون** ﴾ أي : ليس لكم من دونه من ولي [ينقذكم][٣] ولا ناصر يخلصكم من عذابه .

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ (١١٤) وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ (١١٥) ﴾

قال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس ﴿ **وأقم الصلاة طرفي النهار** ﴾ قال : يعني الصبح والمغرب .

---

[١] - في ز : « بأعمالها جليها » .

[٢] - في ز : « ويرجع » .

[٣] - سقط من : ت .

وكذا قال الحسن وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

وقال الحسن في رواية وقتادة والضحاك وغيرهم : هي الصبح والعصر .

وقال مجاهد : هي الصبح في أول النهار ، والظهر والعصر من آخره . وكذا قال محمد بن [كعب][١] القرظي والضحاك في رواية عنه .

[وقوله][٢] ﴿ **وزلفًا من الليل** ﴾ قال ابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم : يعني صلاة العشاء .

وقال الحسن في رواية ابن المبارك عن مبارك بن فضالة عنه : ﴿ **وزلفًا من الليل** ﴾ يعني : المغرب والعشاء ، قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **هما زُلْفَتَا الليل المغرب والعشاء** »(٩٢) . وكذا قال مجاهد ومحمد بن كعب وقتادة والضحاك إنها صلاة المغرب والعشاء .

وقد يحتمل أن تكون هذه الآية نزلت قبل فرض الصلوات الخمس ليلة الإسراء ، فإنه إنما كان يجب من الصلاة صلاتان ؛ صلاة قبل طلوع الشمس ، وصلاة قبل غروبها ، وفي أثناء الليل قيام عليه وعلىٰ الأمة ، ثم نسخ في حق الأمّة وثبت وجوبه عليه ، ثم نسخ عنه أيضًا في قول ، واللَّه أعلم .

وقوله : ﴿ **إن الحسنات يذهبن السيئات** ﴾ يقول : إن فعل الخيرات يكفر الذنوب السالفة ، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأهل السنن(٩٣) : عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال : كنت إذا سمعت من رسول اللَّه حديثًا نفعني اللَّه بما شاء أن ينفعني منه ، وإذا حدّثني عنه أحد استحلفته ، فإذا حلف لي صدقته ، وحدثني أبو بكر -

(٩٢) - **مرسل** ، أخرجه ابن جرير (١٢/ ١٣٠ ، ١٣١) وفي إسناده - فوق الإرسال - مبارك بن فضالة وهو مدلس وقد عنعن .

(٩٣) - **حسن** ، أخرجه أحمد (١/ ٨ - ٩ ، ١٠) ، وأبو داود ، كتاب : الصلاة ، باب : في الاستغفار (١٥٢١) ، والترمذي ، كتاب : الصلاة ، باب : ما جاء في الصلاة عند التوبة (٤٠٦) ، كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة آل عمران (٣٠٠٩) ، والنسائي في « عمل اليوم والليلة » (٦/ ١٠٢٤٧ : ١٠٢٥٠) ، وفي « التفسير » (٦/ ١١٠٧٨) ، وابن ماجة ، كتاب : إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : ما جاء في أن الصلاة كفارة (١٣٩٥) وغيرهم ، وقال الترمذي : « حديث حسن » ، وصححه ابن حبان (٢/ ٦٢٣) وجوَّد إسناده الحافظ ابن حجر في « التهذيب » (١/ ٢٣٥) ، وقال ابن عدي في « الكامل » (١/ ٤٢١) : « هذا الحديث طريقه حسن وأرجو أن يكون صحيحًا » . وتقدم تحسين المصنف له [آل عمران / آية ١٣٥] .

[١] - سقط من : خ . [٢] - سقط من : خ .

وصدق أبو بكر -: أنه سمع رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يقول : « **ما من مسلم يذنب ذنبًا ، فيتوضأ ويصلي ركعتين إلا غفر له** » .

وفي الصحيحين(٩٤) عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان : أنه تؤضأ لهم كوضوء رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، ثم قال : هكذا رأيت رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يتوضأ ، وقال : « **من توضأ نحو وضوئي هذا ، ثم صلىٰ ركعتين لا يحدّث فيهما نفسه ، غفر له ما تقدم من ذنبه** » .

وروىٰ الإمام أحمد وأبو جعفر بن جرير(٩٥) من حديث أبي عقيل زهرة بن معبد ، أنه سمع الحارث مولىٰ عثمان يقول : جلس عثمان يومًا وجلسنا معه ، فجاءه المؤذن فدعا عثمان بماء في إناء - أظنه سيكون فيه قدر مد - فتوضأ ، ثم قال : رأيت رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يتوضأ وضوئي هذا ، ثم قال : « **من توضأ وضوئي هذا ، ثم قام فصلىٰ صلاة الظهر ، غفر له ما كان بينه وبين صلاة الصبح ، ثم صلىٰ العصر غفر له ما بينه وبين صلاة الظهر ، ثم صلىٰ المغرب غفر له ما بينه وبين صلاة العصر ، ثم صلىٰ العشاء غفر له ما بينه وبين صلاة المغرب ، ثم لعله يبيت يتمرغ ليلته ، ثم إن قام فتوضأ وصلىٰ الصبح غفر له ما بينها وبين صلاة العشاء ، وهنّ الحسنات يذهبن السيئات** » .

وفي الصحيح(٩٦) : عن أبي هريرة ، عن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، أنه قال :

---

(٩٤) - أخرجه البخاري ، كتاب : الوضوء ، باب : الوضوء ثلاثًا ثلاثًا (١٥٩) ، ومسلم ، كتاب : الطهارة، باب : صفة الوضوء وكماله (٣، ٤) (٢٢٦) ، وأخرجه أيضًا أحمد (٥٩/١، ٦٠) ، وأبو داود ، كتاب : الطهارة ، باب : صفة وضوء النبي - صلى الله عليه وسلم - (١٠٦) ، والنسائي ، كتاب : الطهارة ، باب : المضمضة والاستنشاق (٦٤/١) .

(٩٥) - **إسناده صحيح** ، أخرجه أحمد (٥١٣/ شاكر) (٧١/١) ، وابن جرير (١٣٢/١٢ - ١٣٣) ، وابن أبي حاتم (١١٢٧٢/٦) ، والبزار في مسنده (٤٠٥/٢) ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٣٠٢/١) وقال : « في الصحيح بعضه ، رواه أحمد وأبو يعلى والبزار ، ورجاله رجال الصحيح غير الحارث بن عبد الله - كذا وقال العلامة/ أحمد شاكر : خطأ من الناسخ ، وصوابه « ابن عبد أو ابن عبيد » دون لفظ الجلالة - مولى عثمان بن عفان وهو ثقة » ومن طريق أبي يعلى وأحمد ، اختاره الضياء في « المختارة » (٣٢٣/١ ، ٣٢٤) ، وصحح إسناده السيوطي في « الدر المنثور » (٦٤٠/٣) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن مردويه ويأتي عند « المصنف » [الكهف / آية ٤٦] .

(٩٦) - أخرجه البخاري ، كتاب : مواقيت الصلاة ، باب : الصلوات الخمس كفارة (٥٢٨) ، ومسلم ، كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، باب : المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات (٢٨٣) (٦٦٧) ، والترمذي ، كتاب : الأمثال ، باب : مثل الصلوات الخمس (٢٨٧٢) ، والنسائي ، كتاب : الصلاة ، باب : فضل الصلوات الخمس (٢٣٠/١ - ٢٣١) ، وأحمد (٣٧٩/٢) .

« أرأيتم لو أن بباب أحدكم [نهرًا غمرًا[١]][٢] يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ، هل يبقىٰ من درنه شيء[٣] ؟ » قالوا : لا ، يا رسول اللَّه . قال : **« كذلك الصلوات الخمس ، يمحو اللَّه بهنّ الذنوب والخطايا »** .

وقال مسلم في صحيحه(٩٧) : حدثنا أبو الطاهر ، وهارون بن سعيد ، قالا : حدثنا ابن وهب ، عن أبي صخر ، أن عمر بن إسحاق مولىٰ زائدة حدثه ، عن أبيه ، عن أبي هريرة : أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، كان يقول : **« الصلوات الخمس ، والجمعة إلىٰ الجمعة ، ورمضان إلىٰ رمضان ، مكفرات ما[٤] بينهنّ إذا اجتنبت الكبائر »** .

وقال الإمام أحمد(٩٨) : حدثنا الحكم بن نافع ، حدثنا إسماعيل بن عَيَّاش ، عن ضمضم ابن زرعة ، عن شريح بن عبيد ، أن أبا رهم السمعي كان يحدث ، أن أبا أيوب الأنصاري حدثه ، أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، كان يقول : **« إن كل صلاة تحط ما بين يديها من خطيئة »** .

وقال أبو جعفر بن جرير(٩٩) : حدثنا محمد بن عوف ، حدثنا محمد بن إسماعيل ،

(٩٧) - صحيح مسلم ، كتاب : الطهارة ، باب : الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر (١٦) (٢٣٣) ، وأخرجه أحمد (٢/٤٠٠) ثنا هارون بن معروف عن ابن وهب ، به .

(٩٨) - **إسناده حسن** ، « المسند » (٢٣٦١٠) (٥/٤١٣) وهذا إسناد حسن ، ضمضم بن زرعة وثقه ابن معين وابن نمير وابن حبان ، وضعفه أبو حاتم . وإسماعيل بن عياش إنما يتقى من حديثه ما رواه عن غير أهل بلده ، لكن شيخه هنا حمصي مثله ، وأخرجه الطبراني في « الكبير » (٤/٣٨٧٩) من طريق آخر عن إسماعيل بن عياش به ، وأخرجه الطبراني أيضًا (٤/٣٨٨٠ ، ٣٨٨١) ، وابن عدي في « الكامل » (٢/ ٨٠٢) ، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/١٩٠) ، وتمام في فوائده (١/٢٣٤ ، ٢٣٥) من طريقين عن مكحول عن أبي رُهم به ، وإسناده إلى مكحول حسن .

والحديث ذكره الهيثمي في « المجمع » (١/٣٠٣) وعزاه لأحمد فقط ، وقال : «إسناده حسن» ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣/٦٤٠) إلى ابن مردويه .

(٩٩) - **إسناده ضعيف لانقطاعه** ، تفسير ابن جرير (١٢/١٣٣) ، وأخرجه الطبراني في « الكبير » (٣/ ٣٤٦٠) ثنا هاشم بن مرثد ، ثنا محمد بن إسماعيل بن عياش به ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (١/٣٠٤) وقال : « رواه الطبراني في « الكبير » وفيه محمد بن إسماعيل بن عياش ، قال أبو حاتم : لم يسمع من أبيه شيئًا ، قلت : وهنا من روايته عن أبيه ، وبقية رجاله موثقون » . وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣/ ٦٤٠) إلى ابن مردويه .

[١] - هذه اللفظة ليست في البخاري وهي عند أحمد (٢/٤٢٦) من حديث أبي هريرة ، وعند مسلم (٢٨٤) (٦٦٨) من حديث جابر بن عبد الله . [٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « نهر غمر » .

[٣] - في ز : « شيئًا » . [٤] - في خ : « لما » .

حدثنا أبي ، عن ضمضم بن زرعة ، عن شريح بن عبيد ، عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **جعلت الصلوات كفارات ما[١] بينهن ، فإن اللّٰه قال ﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾** .

وقال البخاري(١٠٠) : حدثنا قتيبة بن سعيد ، ثنا يزيد بن زريع ، عن سليمان التيمي ، عن أبي عثمان النهدي ، عن ابن مسعود : أن رجلًا أصاب من امرأة قبلة ، فأتىٰ النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فأخبره ، فأنزل اللّٰه : **﴿ وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾** فقال الرجل : [يا رسول اللّٰه ، ألي هذا] ؟ قال : « **لجميع أمتي كلهم** » .

هكذا رواه في كتاب الصلاة ، وأخرجه في التفسير : عن مسدد ، عن يزيد بن زريع بنحوه ، ورواه مسلم وأحمد وأهل السنن إلا أبا داود : من طرق ، عن أبي عثمان النهدي واسمه عبد الرحمن بن مل[٢] ، به .

ورواه[٣] الإمام أحمد ومسلم [وأبو داود][٤] والترمذي والنسائي وابن جرير - وهذا لفظه(١٠١) - : من طرق ، عن سماك بن حرب ، أنه سمع إبراهيم بن يزيد يحدّث ، عن علقمة والأسود ، عن ابن مسعود قال : « جاء رجل إلىٰ رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فقال : يا رسول اللّٰه ، إني وجدت امرأة في بستان ، ففعلت بها كل شيء غير أني لم أجامعها ، قبلتها ولزمتها ولم أفعل غير ذلك ، فافعل بي ما شئت . فلم يقل رسول اللّٰه ،

(١٠٠) - صحيح البخاري ، كتاب : مواقيت الصلاة ، باب : الصلاة كفارة (٥٢٦) ، كتاب : التفسير ، باب : **﴿ وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل ....﴾** (٤٦٨٧) ، وأخرجه مسلم ، كتاب : التوبة ، باب : قوله تعالى : **﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾** (٣٩ ، ٤٠ ، ٤١) (٢٧٦٣) ، وأحمد (٣٨٥/١ ، ٤٣٠) ، والترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : « ومن سورة هود» (٣١١٢) ، والنسائي في « الكبرى » (٣٢٦/١) (٧٣٢٦/٤) (١١٢٤٧/٦) ، وابن ماجة ، كتاب : إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : ما جاء في أن الصلاة كفارة (١٣٩٨) ، كتاب : الزهد ، باب : ذكر التوبة (٤٢٥٤) .

(١٠١) - **صحيح** ، أخرجه ابن جرير (١٣٤/١٢) ، وأخرجه أحمد (٤٤٥/١ ، ٤٤٩) ، ومسلم ، كتاب : التوبة ، باب : قوله تعالى : **﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾** (٤٢) (٢٧٦٣) ، وأبو داود ، كتاب : الحدود ، باب : في الرجل يصيب من المرأة دون الجماع فيتوب قبل أن يأخذه الإمام (٤٤٦٨)، والترمذي كتاب : تفسير القرآن، باب : ومن سورة هود (٣١١١) ، والنسائي في « الكبرى » (٧٣٢٣/٦) ولم يسموا الذي سأل النبي - صلى الله عليه سلم - إلا أحمد فوقع عنده أنه عمر .

[١] - في خ : « لما » .

[٢] - في ز : « علّ » . [٣] - في ز : « وروى » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، شيئًا ، فذهب الرجل ، فقال عمر : لقد ستر اللَّه عليه لوستر علىٰ نفسه . فأتبعه رسول اللَّه بصره ، [ثم قال][١] : « **ردوه علي** » . فردوه عليه ، فقرأ عليه : ﴿ **أقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرىٰ للذاكرين** ﴾ . فقال معاذ - وفي رواية عمر :- يا رسول اللَّه ، أله وحده أم[٢] للناس كافة ؟ فقال : « **بل للناس كافة** » .

وقال الإِمام أحمد(١٠٢) : حدثنا محمد بن عبيد ، ثنا أبان بن إسحاق ، عن الصباح بن محمد ، عن مرة الهمداني ، عن عبد اللَّه بن مسعود قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن اللَّه قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم ، وإن اللَّه يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطي الدين[٣] إلا من أحب ، فمن أعطاه اللَّه الدين فقد أحبه ، والذي نفسي بيده ، لا يسلم عبد حتىٰ يسلم قلبه ولسانه ، ولا يؤمن حتىٰ يأمن جاره بوائقه** » . قال : قلنا : وما بوائقه يا نبي اللَّه ؟ قال « **غُشْمُهُ وظلمه ، ولا يكسب عبد مالاً من حرام فينفق منه فيبارك له فيه ، ولا يتصدق به فيقبل منه ، ولا يترك خلف ظهره إلا كان زاده إلىٰ النار ، [إن اللَّه لا][٤] يمحو السيئ بالسيئ ، ولكن يمحو السيئ بالحسن ، إن الخبيث لا يمحو الخبيث** » .

وقال ابن جرير(١٠٣) : حدثنا أبو السائب ، ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم

---

(١٠٢) - **إسناده ضعيف ، وهو صحيح موقوفًا** ، « المسند » (٣٨٧/١) ومن طريقه أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١٦٦/٤) ، وأخرجه محمد بن يحيى العدني في « كتاب الإيمان » (٦٤) وابن أبي الدنيا في « كتاب إصلاح المال » (٤٢) والبزار في مسنده (٢٠٢٦/٥) ، والحاكم (١٦٥/١ ، ٤٤٧/٢) ، والبيهقي في «الشعب» (٥٥٢٤/٤) ، والبغوي في « شرح السنة » (٢٠٣٠/٨) من طريق أبان بن إسحاق به مطولا ومختصرا ، وقال الحاكم : « صحيح الإسناد » ووافقه الذهبي ، وليس كما قالا ، فإن الصباح بن محمد هذا ضعيف ، وبه أعله الحافظ ابن حجر فقال : - على « هامش المجمع » (٢٩٥/١٠) متعقبًا الهيثمي عندما قال : « رواه البزار وفيه من لم أعرفهم » - « كلهم معروف ، والآفة من الصباح » ، لكن تابعه زبيد عن مرة به مرفوعًا وموقوفًا ، أخرجه الدارقطني في « العلل » (٢٧١/٥) - ومن طريقه ابن الجوزي في « المتناهية » (١٤٠١/٢) - وأبو نعيم (١٦٥/٤ ، ١٦٦) (٣٥/٥) ، والحاكم (٣٣/١ ، ٣٤) - وعنه البيهقي (٦٠٧/١) - وابن المبارك في « الزهد » (١١٣٤) ، وأبو داود في « كتاب الزهد » (١٥٧) ، والطبراني في « الكبير » (٨٩٩٠/٩) ، وقال العقيلي في « الضعفاء » (٢١٣/٢) : « والموقوف أولى » ، وقال الدارقطني : « والصحيح موقوف » .

(١٠٣) - **مرسل** ، (١٣٥/١٢) وذكره الحافظ ابن حجر في « الفتح » (٣٥٦/٨) من هذا الطريق ، وقال : (وأخرجه ابن أبي خيثمة لكن قال : « إن رجلًا من الأنصار يقال له معتب ») .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « فقال » .
[٢] - في ز : « ألم » .
[٣] - في ز : « الآخرة » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « لا يمحو » .

قال : كان[١] فلان بن معتب رجلًا من الأنصار ، فقال : يا رسول اللّٰه ، دخلت علىٰ امرأة فنلت[٢] منها ما ينال الرجل من أهله ، إلا أني لم أواقعها[٣] . فلم يدر رسول اللّٰه ما يجيبه حتىٰ نزلت هذه الآية : ﴿ **وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرىٰ للذاكرين** ﴾ فدعاه رسول اللّٰه فقرأها عليه .

وعن ابن عباس(١٠٤) : أنه عمرو بن غزية الأنصاري التَّمار ، وقال مقاتل : هو أبو[٤] نفيل عامر بن قيس الأنصاري ، وذكر الخطيب البغدادي : أنه أبو اليسر كعب بن عمرو .

وقال الإمام أحمد(١٠٥) : حدثنا يونس وعفان ، قالا : حدثنا حماد - يعني ابن سلمة - عن علي بن زيد - قال عفان : أنبأنا علي بن زيد - عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس : أن رجلا أتىٰ عمر قال[٥] : امرأة جاءت تبايعه فأدخلتها الدَّوْلَجَ(*) ، فأصبت منها ما دون الجماع . فقال : ويحك ! لعلها مغيبة[٦] في سبيل اللّٰه ؟ قال : أجل . قال : فأت أبا بكر فسله[٧] . قال : فأتاه فسأله فقال : لعلها ! مغيبة[٨] في سبيل اللّٰه ؟ فقال مثل قول عمر . ثم أتىٰ النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فقال له مثل ذلك ، قال : « **فلعلها مغيبة في سبيل اللّٰه** ؟ » ونزل القرآن : ﴿ **وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات** ﴾ إلىٰ آخر الآية ، فقال : يا رسول اللّٰه ، أليَ خاصة أم للناس عامة ؟ فضرب - يعني عمر - صدره بيده [وقال : لا][٩] ، ولا نُعْمَة عَيْنٌ ، بل للناس عامة . فقال رسول اللّٰه ، صلى الله عليه وسلم : « **صدق عمر !** » .

(١٠٤) - **إسناده ضعيف جدًا** ، أخرجه الكلبي في تفسيره - كما في « الإصابة » (١٣٣/٧) - ومن طريقه ابن منده كما في « الفتح » ، والكلبي متهم بالكذب .

(١٠٥) - **إسناده ضعيف لضعف علي بن زيد** ، والحديث في « المسند » (٢٤٥/١) ، وأخرجه أيضًا (١/ ٢٦٩) ، والطبراني في « الكبير » (١٢٩٣١/١٢) والحارث بن أبي أسامة في مسنده (٧١٤/ زوائد) من طريق حماد بن سلمة به ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٤١/٧) ، وقال : « رواه أحمد والطبراني في الكبير ... ورواه في الأوسط باختصار كثير وفي إسناد أحمد والكبير علي بن زيد وهو سيئ الحفظ ثقة ، وبقية رجاله ثقات ، وإسناد الأوسط ضعيف » . واستنكر ابن عدي في « الكامل (١٨٤٣/٥) هذا الحديث بعينه لعلي بن زيد ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٦٣٩/٣) إلى ابن جرير وابن مردويه .

[١] - في ابن جرير : « جاء » (١٣٥/١١)

[٢] - في ز : « فقبلت » .

[٣] - في ز : « أجامعها » .

[٤] - في ز : « ابن » .

[٥] - في خ : « فقال » .

(*) الدولج : المخدع . وهو البيت الصغير داخل البيت الكبير . النهاية [٢/ ١٤١] .

[٦] - في المسند : « مُغيبٌ » .

[٧] - في ز : « مُغيبٌ » .

[٨] - في ز : « فسأله » .

[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

وروىٰ الإمام أبو جعفر بن جرير(١٠٦) : من حديث قيس بن الربيع ، عن عثمان بن موهب[١] ، عن موسىٰ بن طلحة ، عن أبي اليسر كعب بن عمرو الأنصاري قال : أتتني امرأة تبتاع مني بدرهم تمرًا ، فقلت : إن في البيت تمرًا أطيب وأجود من هذا ، فدخلت فأهويت إليها فقبلتها ، فأتيت عمر فسألته ، فقال : اتق اللَّه واستر علىٰ نفسك ، ولا تخبرن أحدًا ، فلم أصبر حتىٰ أتيت أبا بكر فسألته ، فقال : اتق اللَّه واستر علىٰ نفسك ، ولا تخبرن أحدًا ، قال : فلم أصبر حتىٰ أتيت النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فأخبرته فقال : « **أخلفت رجلًا غازيًا في سبيل اللَّه في أهله بمثل هذا ؟** » حتىٰ ظننت أني من أهل النار ، حتىٰ تمنيت أني أسلمت ساعتئذ ، فأطرق رسول اللَّه ساعة . فنزل جبريل ، فقال أين[٢] أبو اليسر ؟ فجئت ، فقرأ عليَّ [رسول اللَّه][٣] : ﴿ **وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرىٰ للذاكرين** ﴾ . فقال إنسان : يا رسول اللَّه ، أَلَهُ خاصة أم للناس عامة ؟ قال : « **للناس عامة** » .

وقال الحافظ أبو الحسن الدارقطني(١٠٧) : حدثنا الحسين بن إسماعيل المحاملي ، ثنا يوسف ابن موسىٰ ، ثنا جرير ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ ، عن معاذ ابن جبل : أنه كان قاعدًا عند النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فجاءه[٤] رجل ، فقال : يا رسول اللَّه ، ما تقول في رجل أصاب من امرأة لا تحل له ، فلم يدع شيئًا يصيبه الرجل من امرأته إلا قد أصابه منها ، غير أنه لم يجامعها ؟ فقال له النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **توضأ وضوءًا حسنًا ثم قم فصل[٥]** » . قال :[٦] فأنزل اللَّه عز وجل هذه الآية ، يعني

---

(١٠٦) - **حسن** ، تفسير ابن جرير (١٢/١٣٧) ومن طريق قيس بن الربيع أخرجه الترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة هود (٣١١٤) ، والطبراني في « الكبير » (١٩/٣٧١) ، والهيثم بن كليب في مسنده (١٥٣٠) ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب ، وقيس بن الربيع ضعفه وكيع وغيره ، وروى شريك عن عثمان بن عبد الله هذا الحديث مثل رواية قيس بن الربيع، قلت: طريق شريك - وهو القاضي - أخرجه النسائي في « الكبرى » (٤/٧٣٢٧) ، (٦/١١٢٤٨)، والبزار في مسنده (٦/ ٢٣٠٠) ، وابن بشكوال في « الغوامض والمبهمات » (٢٨٠) وشريك بن عبد الله القاضي ، صدوق يخطئ كثيرًا ، لكن الحديث بطريقيه حسن وأصل القصة صحيح من غير وجه - كما تقدم ويأتي - وقد زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣/٦٣٨) إلى ابن مردويه .

(١٠٧) - **إسناده ضعيف ، لانقطاعه بين عبد الرحمن بن أبي ليلى، ومعاذ بن جبل** ، والحديث في « سنن الدارقطني » كتاب : الطهارة ، باب : صفة ما ينقض الوضوء .. (١/١٣٤) ومن طريقه ابن الجوزي =

---

[١] - في ز : « وهب » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٤] - في خ : « فجاء » .
[٥] - في خ : « فصلي » .
[٦] - سقط من : خ .

قوله : ﴿ **وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل** ﴾ فقال معاذ : أهي له خاصة أم للمسلمين عامة ؟ قال : « **بل للمسلمين عامة** » .

ورواه ابن جرير [من طرق][١] : عن عبد الملك بن عمير ، به .

وقال عبد الرزاق(١٠٨) : أخبرنا محمد بن مسلم ، عن عمرو بن دينار ، عن يحيىٰ بن جعدة : أن رجلًا من أصحاب النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، ذكر امرأة وهو جالس مع رسول اللَّه ، فاستأذنه لحاجة فأذن له ، فذهب يطلبها فلم يجدها ، فأقبل الرجل يريد أن يبشر النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، بالمطر ، فوجد المرأة جالسة علىٰ غدير ، فدفع في صدرها وجلس بين رجليها ، فصار ذكره مثل الهُدْبة ، فقام نادمًا حتىٰ أتىٰ النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فأخبره بما صنع ، فقال له : « **استغفر ربك وصل أربع ركعات** » . قال : وتلا عليه : ﴿ **وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل** ﴾ .

وقال ابن جرير(١٠٩) : حدثني عبد اللَّه بن أحمد بن شبوية[٢] ، ثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثني عمرو بن الحارث ، حدثني عبد اللَّه بن سالم ، عن الزبيدي[٣] ، عن سليم[٤] بن

= في « التحقيق » (٢٥٤/١) وقال الدارقطني عقبه : « صحيح » ، وأخرجه الترمذي (٣١١٣) ، وأحمد (٢٢٢١١) (٢٤٤/٥) ، وابن جرير (١٣٦/١٢) ، والحاكم (١٣٥/١) ، - وعنه البيهقي في « الكبرى » (١٢٥/١) - والطبراني في « الكبير » (٢٧٧/٢٠، ٢٧٨) من طريقين عن عبد الملك بن عمير به ، وصححه الحاكم وسكت عنه الذهبي وقال الترمذي : هذا حديث ليس إسناده بمتصل ، عبد الرحمن بن أبي ليلى لم يسمع من معاذ بن جبل ، ومعاذ بن جبل مات في خلافة عمر ، وقُتل عمر وعبد الرحمن بن أبي ليلى غلام صغير ، ابن ست سنين ، وقد روى عن عمر ورآه ، وروى شعبة هذا الحديث عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - مرسلًا ، قلت : أخرجه ابن جرير (١٥/ ١٨٦٧٩ ، ١٨٦٨٠ - شاكر) مرسلًا ، وأخرجه النسائي في « الكبرى » (٧٣٢٨/٤) عن شعبة به مسندًا ؛ كذا وقع في المطبوع من « السنن الكبرى » ولعله خطأ ؛ فإن المصنف أشار إلى رواية النسائي هذه عند تفسير آية (٤٣) من سورة النساء وأفاد أن رواية النسائي مرسلة ، والله أعلم . والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٦٣٨/٣) إلى أبي الشيخ وابن مردويه .

(١٠٨) - « التفسير » لعبد الرزاق (٣١٥/٢) ومن طريقه ابن جرير (١٣٦/١٢ ، ١٣٧) ، ومحمد بن مسلم هو الطائفي ، « صدوق يخطئ من حفظه » كما في التقريب .

(١٠٩) - **صحيح** ، تفسير ابن جرير (١٣٦/١٢) ، وأخرجه الطبراني في « الكبير » (٧٦٧٥/٨) من طرق ثلاثة عن إسحاق بن إبراهيم به ، وأخرجه مسلم ، كتاب : التوبة ، باب : قوله تعالى : ﴿ **إن الحسنات يذهبن السيئات** ﴾ (٤٥) (٢٧٦٥) ، وأبو داود ، كتاب : الحدود ، باب : في الرجل يعترف بحد ولا يسميه (٤٣٨١) ، والنسائي في الكبرى (٧٣١٣/٤ ، ٧٣١٦) ، وأحمد (٢٢٢٦٣ ، ٢٢٣٦٦ ، ٢٢٣٨٦) (٢٥١/٥ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥) من طريقين عن شداد بن عبد الله عن أبي أمامة فذكره بنحوه .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من :ز .
[٢] - في ز : « سيبويه » .
[٣] - في ز : « الترمذي » .
[٤] - في ز : « سليمان » .

عامر ، أنه سمع أبا أمامة يقول : إن رجلًا أتىٰ النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقال : يا رسول اللَّه ، أقم فيَّ حد اللَّه - مرة أو اثنتين[١] - فأعرض عنه رسول اللَّه ، ثم أقيمت الصلاة ، فلما فرغ النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، من الصلاة قال : « **أين هذا الرجل القائل : أقم فيَّ حد اللَّه ؟** » قال : أنا ذا . قال : « **هل أتممت الوضوء وصليت معنا آنفًا ؟** » . قال : نعم . قال : « **فإنك من خطيئتك كما[٢] ولدتك أمك ، فلا[٣] تعد** » . وأنزل اللَّه علىٰ رسول اللَّه : ﴿ **وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرىٰ للذاكرين** ﴾ .

وقال الإمام أحمد(١١٠) : حدثنا عفان ، ثنا حماد بن سلمة ، أنبأنا علي بن زيد ، عن أبي عثمان قال : كنت مع سلمان الفارسي تحت شجرة ، فأخذ منها غصنًا يابسًا فهزه حتىٰ تحات ورقه ، ثم قال : يا [أبا عثمان][٤] ، ألا تسألني لم أفعل هذا ؟ فقلت[٥] : و[٦] لم تفعله ؟ فقال : هكذا فعل بي رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، وأنا معه تحت شجرة فأخذ منها غصنًا يابسًا فهزه حتى تحاتّ ورقه فقال : « **يا سلمان ، ألا تسألني لم أفعلُ هذا ؟** » قلتُ : ولم تفعله ؟ فقال : « **إن المسلم إذا توضأ فأحسن الوضوء ، ثم صلىٰ الصلوات الخمس تحات[٧] خطاياه كما تحات[٨] هذا الورق** » . وقال : ﴿ **وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرىٰ للذاكرين** ﴾ .

وقال الإمام أحمد(١١١) : حدثنا وكيع ، ثنا سفيان ، عن حبيب بن[٩] أبي ثابت ، عن

(١١٠) - **إسناده ضعيف لضعف علي بن زيد** ، (٢٣٨٢٠) (٤٣٧/٥) ، وأخرجه أحمد أيضًا (٢٣٨٢٩) (٤٣٨/٥) ، والدارمي (٧٢٥) ، والطيالسي (٦٥٢) ، وابن جرير (١٣٣/١٢ ، ١٣٥) ، والطبراني في «الكبير» (٦١٥١/٦) من طريق علي بن زيد به ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٣٠٢/١ - ٣٠٣) وقال : « رواه أحمد والطبراني في الأوسط والكبير ، وفي إسناد أحمد : علي بن زيد وهو مختلف في الاحتجاج به ، وبقية رجاله رجال الصحيح » .

وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٦٤٠/٣) إلى البغوي في معجمه ، وابن مردويه ، كما عزاه المنذري في « الترغيب والترهيب » (٢٣٧/١) إلى النسائي ، وله شاهد من حديث أبي ذر بإسناد حسن عند أحمد (٢١٦٣٩) (١٧٩/٥) وبهذا الشاهد حسن الألباني حديث سلمان في « صحيح الترغيب والترهيب » (٣٥٩) .

(١١١) - **إسناده منقطع بين ميمون بن أبي شبيب ومعاذ** ، « المسند » (٢٢٠٨٤) (٢٢٨/٥) والحديث =

[١] - في ز : « ثنتين » .
[٢] - في خ : « كيوم » .
[٣] - في ز : « ولا » .
[٤] - في خ : « يا سلمان » .
[٥] - في خ : « قلت » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في خ : « تحاتت » .
[٨] - في خ : « تيحات » .
[٩] - في ز : « عن » .

ميمون بن أبي شبيب ، عن معاذ - رضي الله عنه - : أن رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، قال له : « **يا معاذ ، أتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن** » .

وقال الإمام أحمد(١١٢) : حدثنا وكيع ، ثنا سفيان ، عن حبيب ، عن ميمون بن أبي شبيب ، عن أبي ذر : أن رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، قال : « **اتق اللّه حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن** » .

وقال أحمد(١١٣) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن شمر بن عطية ، عن أشياخه ، عن أبي ذر قال : قلت : يا رسول اللّه ، أوصني . قال : « **إذا عملت سيئة فأتبعها [حسنة تمحها]**[١] » . قال : قلت : يا رسول اللّه ، أمن الحسنات لا إله إلا اللّه ؟ قال : « **هي أفضل الحسنات** » .

=في كتاب « الزهد لوكيع ٩٤/١) ومن طريقه أيضًا أخرجه الترمذي ، كتاب : البر والصلة ، باب : ما جاء في معاشرة الناس (١٩٨٨) ثنا سفيان ، وأخرجه أحمد أيضًا (٢٢١٥٨) (٢٣٦/٥) والهيثم بن كليب (٢/ ١٦٦) ، والطبراني في « الكبير » (٢٩٥/٢٠ : ٢٩٨) ، وفي « الصغير » (١٩٢/١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣٧٦/٤) وغيرهم من طرق عن حبيب بن أبي ثابت - مقرونا به الحكم بن عتيبة عند أبي نعيم - به ، وهذا إسناد رجاله ثقات ، إلا أن رواية ميمون بن أبي شبيب عن معاذ بن جبل وأبي ذر - تأتي رواية أبي ذر بعد هذه - مرسلة ؛ كما قال أبو حاتم في « الجرح والتعديل » (٨/ت ١٠٥٤) . وانظر ما بعده .

(١١٢) - **إسناده منقطع بين ميمون بن أبي شبيب وأبي ذر** ، « المسند » (٢١٤٣٤) (١٥٣/٥) وقال أحمد : قال وكيع : وقال سفيان مرة : عن معاذ - فوجدت في كتابي : عن أبي ذر وهو السماع الأول ، وأخرجه أحمد أيضًا (٢١٤٨٣ ، ٢١٦١٩) (١٥٨/٥ ، ١٧٧) ، والترمذي (١٩٨٨) ، والدارمي (٢٧٩٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣٧٨/٤) ، والطبراني في « مكارم الأخلاق » (١٣) والقضاعي في « مسند الشهاب » (٦٥٢/١) وغيرهم من طرق عن سفيان به ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح ، ونقل عن شيخه محمود بن غيلان قال : « الصحيح حديث أبي ذر » ، وصححه الحاكم (٥٤/١) على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي ، وتعقبه ابن رجب في « جامع العلوم والحكم » فقال : « وهو وهم من وجهين أحدهما : أن ميمون بن أبي شبيب - ويقال ابن شبيب - لم يخرج له البخاري في صحيحه شيئًا ولا مسلم إلا في مقدمة كتابه عن المغيرة ، والثاني أن ميمون بن شبيب لم يصح سماعه من أحد من الصحابة ...» وقال الألباني في « الصحيحة » (٣٦٢/٣) وهو على الوجهين منقطع لأن ميمونًا لم يسمع من معاذ وأبي ذر » .

(١١٣) - **حسن** ، « المسند » (٢١٥٦٨) (١٦٩/٥) ، وفي « الزهد » (ص ٣٥) ، وأخرجه الطبراني في « الدعاء » (١٥٠٠/٣) والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٠٢/١) من طريق أبي معاوية به ، وتابعه أبو خالد الأحمر وجرير عن الأعمش ، به ، أخرجه هناد في الزهد (١٠٧١/٢) ، والطبراني (١٤٩٩) ، قال الألباني في «الصحيحة» (٣٦١/٣) : « إسناد حسن رجاله ثقات غير أشياخ شمر فلم يسموا ، لكنهم جمع ينجبر الضعف بعددهم كما قال السخاوي في غير هذا الحديث » ، وأخرجه ابن جرير (٢٧٩/١٢/شاكر) ، والطبراني (١٤٩٨، ١٥٠١) ، وأبو نعيم في «الحلية» (٢١٧/٤) من طريق الفضل بن دكين وسفيان =

[١] - في خ : « بحسنة تمحوها » .

وقال الحافظ أبو يعلىٰ الموصلي(١١٤) : حدثنا هذيل بن إبراهيم الجُمَّاني ، ثنا عثمان بن عبد الرحمن الزهري من ولد سعد بن أبي وقاص ، عن الزهري . عن أنس بن مالك ؛ قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **ما قال عبد : لا إله إلا اللَّه في ساعة من ليل أو نهار ، إلا طمست ما في صحيفته من السيئات حتىٰ يسكن إلىٰ مثلها من الحسنات** » .

عثمان بن عبد الرحمن - يقال له الوقاصي - فيه ضعف .

وقال الحافظ أبو بكر البزار(١١٥) : حدثنا بشر بن آدم وزيد بن أخزم ، قالا : حدثنا الضحاك بن مخلد ، حدثنا مستور بن عباد ، عن ثابت ، عن أنس : أن رجلًا قال : يا رسول اللَّه ، ما تركت من حاجة ولا داجة . فقال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **[أليس](*) تشهد أن لا إله إلا اللَّه وأني رسول اللَّه ؟** » قال : بلى . قال : « **فإن هذا يأتي علىٰ ذلك** » .

تفرد به من هذا الوجه مستور .

﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾

=الثوري عن الأعمش به ، إلا أن الفضل قال عن « شيخ من التيم » وقال الثوري « عن رجل من التيم » ، وأخرجه أبو نعيم (٤/٢١٨) ، والبيهقي (١/٢٠١) من طريق يونس بن بكير عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر به نحوه ، قال الألباني : « وهذا إسناد جيد رجاله كلهم ثقات رجال مسلم » - قلت : أعله الدارقطني في « العلل » (٦/١١٢٦) فقال : «وهم فيه - يعني يونس بن بكير - على الأعمش ، والصواب ما رواه الثوري وغيره .....».

(١١٤) - **إسناده ضعيف جدًا** ، أخرجه أبو يعلى في مسنده (٦/٣٦١١) ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٠/٨٥) وقال : « رواه أبو يعلى وفيه عثمان بن عبد الرحمن الزهري ، وهو متروك » .

(١١٥) - **إسناده صحيح** ، أخرجه البزار (٤/ ٣٠٦٧ - كشف) ، وأخرجه أبو يعلى (٦/٣٤٣٣) ، والطبراني في «الأوسط» (٧/٧٠٧٧) ، وفي « الصغير » (٢/٩٣) من طريق الضحاك بن مخلد به ، وقال البزار ، « لا نعلم روى مستور - تصحف عند أبي يعلى وفي « الصغير » إلى مستورد - عن ثابت إلا هذا » وقال الطبراني : « لم يرو هذا الحديث عن ثابت البناني إلا مستور بن عباد » ، قلت : وهو ثقة =

(*) سقط من : ز ، خ . وهو خطأ . والصواب إثباتها كما عند أبي يعلى والطبراني في الصغير .

يقول تعالىٰ : فهلا وجد من القرون الماضية بقايا من أهل الخير ، ينهون عما كان يقع بينهم من الشرور والمنكرات والفساد في الأرض .

وقوله : ﴿ **إلا قليلًا** ﴾ أي : قد وجد منهم من هذا الضرب قليل لم يكونوا كثيرًا ، وهم الذين أنجاهم اللَّه عند حلول غِيرَه(*) وفجاءة نِقَمِهِ ، ولهذا أمر اللَّه تعالىٰ هذه الأمة الشريفة أن يكون فيها من يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلىٰ الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** ﴾ ، وفي الحديث(١١٦) : « **إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم اللَّه بعقاب** » .

ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلًا ممن أنجينا منهم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه** ﴾ أي : استمروا علىٰ ما هم فيه من المعاصي والمنكرات ، ولم يلتفتوا إلىٰ إنكار أولئك حتىٰ فجأهم العذاب ﴿ **وكانوا مجرمين** ﴾ .

ثم أخبر تعالىٰ أنه لم يهلك قرية إلا وهي ظالمة لنفسها[١] ، ولم يأت قرية مُصْلِحَةً بأسُه وعذابُه قط حتىٰ يكونوا هم الظالمين ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم** ﴾ ، وقال : ﴿ **وما ربك بظلام للعبيد** ﴾ .

وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾

يخبر تعالىٰ أنه قادر علىٰ جعل الناس كلهم أمة واحدة من إيمان أو[٢] كفران ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعًا** ﴾ .

وقوله[٣] : ﴿ **ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك** ﴾ أي : ولا يزال الخلف بين

= كما في « التقريب »، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٨٦/١٠) قال : « رواه أبو يعلى والبزار بنحوه والطبراني في « الصغير » و « الأوسط » ورجالهم ثقات » .

(١١٦) - **صحيح** ، تقدم [المائدة/ آية ١٠٥] .

(*) الغِيَرُ : غِيَر الدهر : أحواله وأحداثه المتغيرة . قيل مفرده : غيرة ، وقيل : هو مفرد .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « و » .
[٣] - سقط من : ز .

الناس في أديانهم ، واعتقادات مللهم[١] ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم .

وقال عكرمة : مختلفين في الهدىٰ . وقال الحسن البصري : مختلفين في الرزق يُسَخِّر[٢] بعضهم بعضًا . والمشهور الصحيح الأول .

وقوله : ﴿ **إلا من رحم ربك** ﴾ أي : إلا المرحومين من أتباع الرسل ، الذين تمسكوا بما أمروا به من الدين ، أخبرتهم به رسل الله إليهم ، ولم يزل ذلك دأبهم حتىٰ كان النبي الأميّ خاتم الرسل والأنبياء ، فاتبعوه وصدقوه ونصروه ووازروه ، ففازوا بسعادة الدنيا والآخرة ؛ لأنهم الفرقة الناجية ، كما جاء في الحديث المروي في المسانيد والسنن من طرق يشد[٣] بعضها بعضًا(١١٧) : « **إن اليهود افترقت علىٰ إحدىٰ وسبعين فرقة ، وإن النصارىٰ افترقوا[٤] علىٰ ثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق [أمتي][٥] علىٰ ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا فرقة واحدة** » . قالوا : ومن هم يا رسول الله ؟ قال : « **ما أنا عليه وأصحابي** » .

رواه الحاكم في مستدركه بهذه الزيادة .

وقال عطاء : ﴿ **ولا يزالون مختلفين** ﴾ يعني اليهود والنصارىٰ والمجوس ﴿ **إلا من رحم ربك** ﴾ يعني الحنيفية .

وقال قتادة : أهل رحمة الله أهل الجماعة وإن تفرقت ديارهم وأبدانهم ، وأهل معصيته أهل فرقة وإن اجتمعت ديارهم وأبدانهم .

وقوله : ﴿ **ولذلك خلقهم** ﴾ قال الحسن البصري في رواية عنه : وللاختلاف خلقهم .

وقال عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس(١١٨) : خلقهم فريقين ، كقوله : ﴿ **فمنهم شقي وسعيد** ﴾ . وقيل : للرحمة خلقهم .

قال ابن وهب(١١٩) : أخبرني مسلم بن خالد ، عن ابن أبي نجيح ، عن طاوس : أن

(١١٧) - **حسن** ، تقدم [يونس / آية ٩٣] .

(١١٨) - أخرجه ابن جرير (١٢/١٤٣) ، وابن أبي حاتم (٦/١١٢٩٢) .

(١١٩) - أخرجه ابن أبي حاتم (٦/١١٢٩٣) ، ومسلم بن خالد هو الزَّنْجي ، فقيه صدوق كثير الأوهام كما في « التقريب » - وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٣/٦٤٦) إلى أبي الشيخ .

[١] - في ز : « ما لهم » .
[٢] - في ز : « ينحر » .
[٣] - في ز : « شد » .
[٤] - في خ : « افترقت » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في خ : « هذه الأمة » .

رجلين اختصما إليه[١] فأكثرا ، فقال طاوس : اختلفتما فأكثرتما[٢] . فقال أحد الرجلين : لذلك خلقنا . فقال طاوس : كذبت ! فقال : أليس اللَّه يقول : ﴿ **ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم** ﴾ . قال : لم يخلقهم ليختلفوا ولكن خلقهم للجماعة والرحمة . كما قال الحكم بن أبان(١٢٠) ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : للرحمة خلقهم ولم يخلقهم للعذاب . وكذا قال مجاهد والضحاك وقتادة ، ويرجع معنىٰ هذا القول إلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ .

وقيل : بل المراد وللرحمة والاختلاف خلقهم ، كما قال الحسن البصري في رواية عنه في قوله : ﴿ **ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم** ﴾ قال : الناس مختلفون[٣] علىٰ أديان شتىٰ ﴿ **إلا من رحم ربك** ﴾ فمن رحم ربك غير مختلف . قيل[٤] له : فلذلك[٥] خلقهم . قال : خلق هؤلاء لجنته وخلق هؤلاء لناره ، وخلق هؤلاء لرحمته ، وخلق هؤلاء لعذابه .

وكذا قال عطاء بن أبي رباح والأعمش .

وقال ابن وهب : سألت مالكًا عن قوله تعالىٰ : ﴿ **ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم** ﴾ قال : فريق في الجنة وفريق في السعير .

وقد اختار هذا القول ابن جرير وأبو عبيدة والفراء .

وعن مالك فيما رويناه[٦] عنه من التفسير ﴿ **ولذلك خلقهم** ﴾ قال : للرحمة . وقال قوم : للاختلاف .

وقوله : ﴿ **وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين** ﴾ يخبر تعالىٰ أنه قد سبق في قضائه وقدره ، لعلمه التام وحكمته النافذة - أن ممن[٧] خلقه من يستحق الجنة ، ومنهم من يستحق النار ، وأنه لابد أن يملأ جهنم من هذين الثقلين ؛ الجن والإنس ، وله الحجة البالغة والحكمة التامة ، وفي الصحيحين(١٢١) عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه ،

---

(١٢٠) - **إسناده ضعيف** ، أخرجه ابن جرير (١٤٤/١٢) حدثني سعد بن عبد الله ، ثنا حفص بن عمر ثنا الحكم بن أبان به ، وحفص بن عمر هو العدني الصنعاني ، ضعيف .

(١٢١) - أخرجه البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **وتقول هل من مزيد** ﴾ (٤٨٤٩) ، ومسلم =

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في خ : « وأكثرتما » .
[٣] - في ز : « يختلفون » .
[٤] - في خ : « فقيل » .
[٥] - في خ : « لذلك » .
[٦] - في خ : « روينا » .
[٧] - في ز : « من » .

صلىٰ الله عليه وسلم : « **اختصمت الجنة والنار ، فقالت الجنة : ما لي لا يدخلني إلا ضَعَفَةُ الناس وسقطهم . وقالت النار : أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين . فقال الله عز وجل للجنة : أنت رحمتي أرحم بك من أشاء ، وقال للنار : أنت عذابي أنتقم بك ممن أشاء ، ولكل واحدة منكما ملؤها . فأما الجنة فلا يزال فيها فضل حتىٰ ينشئ الله لها خلقًا يسكن فضل الجنة ، وأما النار فلا تزال تقول هل من مزيد ؟ حتىٰ يضع عليها رب العزة قدمه فتقول : قط قط وعزتك** » .

وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾

يقول تعالىٰ : و[١] كل أخبار نقصها عليك من أنباء الرسل المتقدمين من قبلك مع أممهم ، وكيف جرىٰ لهم من المحاجات والخصومات ، وما احتمله الأنبياء من التكذيب والأذىٰ ، وكيف نصر الله حزبه المؤمنين وخذل أعداءه الكافرين ، كل هذا مما نثبت به فؤادك يا محمد ، أي : قلبك ، ليكون لك بمن مضىٰ من إخوانك المرسلين أسوة .

وقوله ﴿ **وجاءك في هذه الحق** ﴾ أي : هذه السورة ، قاله ابن عباس ومجاهد وجماعة من السلف ، وعن الحسن - في رواية عنه - وقتادة : في هذه الدنيا .

والصحيح : في هذه السورة المشتملة علىٰ قصص الأنبياء ، وكيف نجَّاهُم الله والمؤمنين بهم وأهلك الكافرين ، جاءك فيها قصص حق ونبأ صدق ، وموعظة يرتدع بها الكافرون ، وذكرىٰ يَتَوَقَّر بها المؤمنون .

وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾

يقول تعالىٰ آمرًا رسوله : أن يقول للذين لا يؤمنون بما جاء به من ربه علىٰ وجه التهديد : ﴿ **اعملوا علىٰ مكانتكم** ﴾ أي : علىٰ طريقتكم ومنهجكم ﴿ **إنا عاملون** ﴾ أي : علىٰ

= كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء (٢٨٤٦) ، والترمذي ، كتاب : صفة الجنة ، باب : ما جاء في احتجاج الجنة والنار (٢٥٦٤) ، والنسائي في الكبرى (١١٥٢٢/٦) ، وأحمد (٢٧٦/٢ ، ٣١٤ ، ٤٥٠) من طرق عن أبي هريرة مطولًا ومختصرًا .

[١] - سقط من : ز .

طريقتنا ومنهجنا ﴿ **وانتظروا إنا منتظرون** ﴾ أي : ﴿ **فستعلمون من تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون** ﴾ .

وقد أنجز الله لرسوله وعده ، ونصره وأيده ، وجعل كلمته هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلىٰ ، والله عزيز حكيم .

وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

يخبر تعالىٰ أنه عالم غيب السموات والأرض ، وأنه إليه المرجع والمآب ، وسيوفّي كل عامل عمله يوم الحساب ، فله الخلق والأمر ، فأمر تعالىٰ بعبادته والتوكل عليه ، فإنه كاف من توكل عليه وأناب إليه .

وقوله : ﴿ **وما ربك بغافل عما تعملون** ﴾ أي : ليس يخفىٰ عليه ما عليه مكذبوك يا محمد ، بل هو عليم بأحوالهم وأقوالهم ، وسيجزيهم علىٰ ذلك أتم الجزاء في الدنيا والآخرة ، وسينصرك وحزبك عليهم في الدارين .

وقال ابن جرير(١٢٢) : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا زيد بن الحباب ، عن جعفر بن سليمان ، عن أبي عمران الجوني ، عن عبد الله بن رباح ، عن كعب قال : خاتمة التوراة خاتمة هود .

[آخر تفسير سورة هود ولله الحمد][١]

☆ ☆ ☆

---

(١٢٢) - **أثر صحيح** تفسير ابن جرير (١٤٤/٧) (١٤٨/١٢) ، وأخرجه ابن الضريس في « فضائل القرآن » (٢٠٢) أخبرنا يحيى بن عبد الحميد الحمّاني ثنا جعفر بن سليمان به ، وأخرجه الدارمي (٣٤٠٥) ، وابن الضُّريس (١٩٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣٧٨/٥) من طريقين عن همام قال : سمعت أبا عمران الجوني يحدث عن عبد الله بن رباح قال : سمعت كعبًا - والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات - فذكره ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٦٤٦/٣) إلى عبد الله بن أحمد في « زوائد الزهد » ، وأبي الشيخ .

---

[١] - بعده في ز : ويتلوه في الرابع تفسير سورة يوسف والحمد لله وحده وصلواته على خير خلقه ، محمد وآله وصحبه وسلم كثيرًا] .

انتهى بحمد الله تعالى وتوفيقه المجلد السابع

ويليه إن شاء الله تعالى المجلد الثامن وأوله تفسير سورة يوسف

☆ ☆ ☆

تفسير القرآن العظيم

للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء
إسماعيل بن كثير الدمشقي
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

هذه الطبعة أول طبعة مقابلة على النسخة الأزهرية
وكذلك على نسخة كاملة بدار الكتب المصرية

تحقيق

مصطفى السيد محمد | محمد السيد رشاد
محمد فضل العجماوي | علي أحمد عبد الباقي
حسن عباس قطب

المجلد الثامن

مؤسسة قرطبة
طباعة . نشر . توزيع
جيزة - ت : ٥٨١٥٠٢٧

مكتبة أولاد الشيخ للتراث
٣٦ ش اليابان - عمرانية غربية - جيزة
ت : ٥٦٢٨٣١٨ - ٥٦١١٤٤٢

رقم الإيداع : ٩٣٤٩ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولى : I.S.B.N
977 - 5234 - 33 - 6

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر هاتف: ٤٣٠٧٥٢٦ - ٢٠٥٥٦٨٨ القاهرة

تفسير القرآن العظيم

تفسير سورة يوسف عليه السلام

[وهي مكية][١]

روىٰ الثعلبي وغيره من طريق سلام بن سلم - ويقال : سليم - المدائني ، وهو متروك ، عن هارون بن كثير - وقد نص علىٰ جهالته أبو حاتم(١) - عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن أبي أمامة ، عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **علموا أرقاءكم سورة يوسف ، فإنه أيما مسلم تلاها أو علّمها أهله أو ما ملكت يمينه ، هون الله عليه سكرات الموت ، وأعطاه من القوة أن لا يحسد مسلمًا** »(٢) .

وهذا من هذا الوجه لا يصح ؛ لضعف إسناده بالكلية ، وقد ساق له الحافظ ابن عساكر متابعًا ، من طريق القاسم بن الحكم ، عن هارون بن كثير به ، ومن طريق شبابة ، عن [مخلد بن عبد الواحد البصري][٢] ، عن علي بن زيد بن[٣] جدعان ، وعن عطاء بن أبي ميمونة ، عن زر بن حبيش ، عن أبي بن كعب ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فذكر نحوه ، وهو منكر من سائر طرقه .

وروىٰ البيهقي في الدلائل(٣) : أن طائفة من اليهود حين سمعوا رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يتلو هذه السورة أسلموا ؛ لموافقتها ما عندهم . وهو من رواية الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس .

---

(١) - « الجرح والتعديل » (٩/٩٤/ت ٣٩١).

(٢) - رواه الواحدي في الوسيط (٢/٥٩٩) من طريق أحمد بن يونس ، عن سلام بن سليم ، به . وقال ابن عدي في الكامل (٧/٢٥٨٨) : « هارون بن كثير شيخ ليس بمعروف ، روى عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن أبي أمامة ، عن أبي بن كعب ، عن النبي ﷺ فضائل القرآن ، سورة سورة ، حدث بذلك عنه سلام الطويل بطوله : أخبرنا إبراهيم بن شريك الآمدي ، عن أحمد بن يونس عنه ، ورواه عن هارون بن كثير القاسم بن الحكم العُرَني بطوله ، سورة سورة ، ورواه عن هارون يوسف بن عطية الكوفي لا البصري بعضه ، وهارون غير معروف ، ولم يحدث به عن زيد بن أسلم غيره ، وهذا الحديث غير محفوظ عن زيد » .

(٣) - **إسناده ضعيف جدًا** والحديث في الدلائل (٦/٢٧٦) ، والكلبي متهم بالكذب ، ورمي بالرفض .

---

[١] - سقط من خ .

[٢] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : محمد بن عبد الواحد النضري . وهو تحريف وتصحيف وما أثبتناه هو الصواب ، كما في الجرح والتعديل [٨/٣٤٨] ، والميزان [٥/٢٠٨] وغيرهما .

[٣] - في ز ، خ : « عن » .

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾

أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم في أوّل سورة البقرة .

وقوله : ﴿ **تلك آيات الكتاب** ﴾ أي : هذه آيات الكتاب : وهو القرآن المبين ، أي : الواضح الجلي ، الذي يفصح عن الأشياء المبهمة ، ويفسرها ويبينها .

﴿ **إنا أنزلناه قرآنًا عربيًّا لعلكم تعقلون** ﴾ وذلك لأن[١] لغة العرب أفصح اللغات وأبينها ، وأوسعها ، وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس ، فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات ، على أشرف الرسل بسفارة أشرف الملائكة ، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض ، وابتدئ إنزاله في أشرف شهور السنة وهو رمضان ، فكمل من كل الوجوه ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ **نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن** ﴾ بسبب إيحائنا إليك هذا القرآن .

وقد ورد في سبب نزول هذه الآيات ما رواه ابن جرير(٤) : حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي ، حدثنا حَكَّام الرازي ، عن أيوب ، عن عمرو - هو ابن قيس الملائي - عن ابن عباس قال : قالوا : يارسول الله ، لو قصصت علينا ؟ فنزلت ﴿ **نحن نقص عليك أحسن القصص** ﴾ . ورواه من وجه آخر عن عمرو بن قيس مرسلًا . وقال أيضًا(٥) : حدثنا محمد ابن [سعيد العطار][٢] ، حدثنا عمرو بن محمد ، [أنبأنا خلَّاد][٣] الصفار ، عن عمرو

(٤) - **إسناده ضعيف جدًّا** ، والحديث في التفسير (١٢/١٥٠) وأيوب هو ابن سَيَّار الزُّهري المدني ، ضعفه غير واحد ، وتركه النسائي ، وقال البخاري : « منكر الحديث » انظر « لسان الميزان » (١/ت١٤٩٥) .

(٥) - **إسناده حسن** ، والحديث في التفسير (١٢/١٥٠-١٥١) وإسناده متصل ، ورجاله ثقات غير خلاد وهو ابن عيسى ، ويقال : ابن مسلم - الصفار ، وثقه ابن معين في رواية ، وفي أخرى قال : ليس به بأس . وذكره ابن حبان في « الثقات ٦/ ٢٦٨» وقال أبو حاتم في « الجرح والتعديل » (٣/٢٦٧) : حديثه متقارب، وقال الذهبي في « المغني ت ١٩٢٦» : « ثقة مشهور ، حسن الحديث » وفي « التقريب » : لا بأس به .

[١] - في خ : « لأنه » .

[٢] - في ز ، خ : « سعد القطان » .

[٣] - في خ : « أبا خالد » .

بن قيس ، عن عمرو بن مرة ، عن مصعب بن سعد ، عن أبيه[١] قال : أنزل على النبي ، صلى الله عليه وسلم ، القرآن ، قال : فتلا[٢] عليهم زمانًا ، فقالوا : يا رسول الله ، لو قصصت علينا ؟ فأنزل الله عز جل : ﴿ **الر * تلك آيات الكتاب المبين** ﴾ إلى قوله : ﴿ **لعلكم تعقلون** ﴾ الآية ، ثم تلاه[٣] عليهم زمانًا ، فقالوا : يا رسول الله ، لو حدثتنا ؟ فأنزل الله عز وجل : ﴿ **الله نزل أحسن الحديث** ﴾ الآية ، وذكر الحديث .

ورواه الحاكم من حديث إسحاق بن راهويه ، عن عمرو بن محمد القرشي العنقزيّ به .

وروى ابن جرير(٦) بسنده عن المسعودي ، عن عون بن عبد الله قال : مل أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ملة ؛ فقالوا : يا رسول الله ، حدثنا . فأنزل الله : ﴿ **الله نزل أحسن الحديث** ﴾ ثم ملوا ملة أخرى ، فقالوا : يا رسول الله ! حدثنا فوق الحديث ودون القرآن - يعنون القصص - فأنزل الله عز وجل : ﴿ **الر * تلك آيات الكتاب المبين * إنا أنزلناه قرآنا عربيًا لعلكم تعقلون * نحن نقص عليك أحسن القصص** ﴾ الآية ، فأرادوا[٤] الحديث ، فدلهم على أحسن الحديث ، وأرادوا[٥] القصص ، فدلهم على أحسن القصص .

ومما يناسب ذكره عند هذه الآية الكريمة المشتملة على مدح القرآن ، وأنه[٦] كافٍ عن كل ما سواه من الكتب - ما رواه[٧] الإمام أحمد(٧) :

= وأخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (كما في المطالب حديث ٤٠١٣ ط /قرطبة) ومن طريقه الواحدي في « أسباب النزول » (ص١٨٢،٢٤٨،٢٧٢) وابن مردويه - كما في هامش « المطالب العالية » (٣/ ٣٦٥٢) - وصححه ابن حبان (٦٢٠٩/١٤ - إحسان) ، (١٧٤٦/٥- موارد) والحاكم (٣٤٥/٢) ووافقه الذهبي ، واختاره الضياء في « المختارة » (١٠٦٩/٣) ، وأخرجه البزار في مسنده (١١٥٣/٣) وأبو يعلى في مسنده (٧٤٠/٢) وفي « المعجم » (١٤٩) وأبو حاتم في « التفسير » (١١٣٢٣/٧) من طرق عن عمرو بن محمد به ، وقال الحافظ في « المطالب » : « حديث حسن » وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٥/٤) : إلى ابن المنذر وأبي الشيخ .

(٦) - **مرسل** والحديث في التفسير (١٥٠/١٢) وأخرجه ابن أبي حاتم في « التفسير » (١١٣٢٥/٧) من طريق المسعودي عن القاسم بن عبد الرحمن بنحوه مرسلًا .

(٧) - **حسن** والحديث في المسند (٣٨٧/٣) ، ونقله « المصنف » - كما هنا - في « البداية والنهاية » (٢/ ١٥٨-١٥٩) وقال : « تفرد به أحمد وإسناده على شرط مسلم » قلت : لكن مجالد بن سعيد =

[١] - في ز ، خ : « سعد » .
[٢] - في الطبري : « فتلاه » .
[٣] - في خ : « تلا » .
[٤] - في ز ، خ : « فأورد » .
[٥] - في ز ، خ : « وأورد » .
[٦] - في ز ، خ : « فإنه » .
[٧] - في ز ، خ : « قال » .

حدثنا سُرَيْج[١] بن النعمان ، نا هشيم ، أنبأنا مجالد ، عن الشعبي ، عن جابر بن عبد الله : أن عمر بن الخطاب أتىٰ النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب ، فقرأه علىٰ النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال[٢] : فغضب ، وقال : « **أمتهوكون[٣] فيها يا ابن الخطاب ؟ والذي نفسي بيده ، لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبونه ، أو بباطل فتصدقونه ، والذي نفسي بيده ، لو أن موسىٰ كان حيًّا لما[٤] وسعه إلا أن يتبعني** » .

وقال الإمام أحمد(٨) : حدثنا عبد الرزاق ، أنا سفيان ، عن جابر ، عن الشعبي ، عن عبد الله بن ثابت قال : جاء عمر إلىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إني مررت بأخ لي من قريظة ، فكتب لي جوامع من التوراة ، ألا أعرضها عليك ؟ قال : فتغير وجه رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال عبد الله بن ثابت : فقلت له : ألا ترىٰ ما بوجه رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ؟ فقال عمر : رضينا بالله ربًّا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمد رسولًا . قال : فسُرِّيَ عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وقال : « **والذي نفس محمد بيده ، لو أصبح فيكم موسىٰ ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم[٥] ، إنكم حظي من الأمم ، وأنا حظكم من النبيين** » .

= ليس بالقوي وقد تغير في آخر عمره . ومن طريقه أخرجه أحمد أيضًا (١٤٦٧٣) (٣/٣٣٨) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٦/٢٢٨) ، والدارمي (٤٤١) ، والبزار (١٢٤ - كشف) ، وأبو يعلى (٤/ ٢١٣٥) ، والبيهقي في « الكبرىٰ » (٢/١٠-١١) وفي « الشعب » (١/١٧٩) ، وابن أبي عاصم في « السنة » (١/٥٠) وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (٢/١٤٩٧) ، والبغوي في « شرح السنة » (١/١٢٦) وذكره الهيثمي في « المجمع » (١/١٧٨-١٧٩) وقال : « ..... فيه مجالد بن سعيد ضعفه أحمد ويحيى ابن سعيد وغيرهما » وببعض ألفاظ الحديث عنون البخاري به بابًا في « الصحيح » داخل كتاب الاعتصام ، فقال : باب : قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : « **لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء** » وقال ابن حجر في « الفتح » (١٣/٣٣٤) : « هذه الترجمة لفظ حديث أخرجه أحمد وابن أبي شيبة والبزار .... ورجاله موثقون إلا أن في مجالد ضعفًا » قلت : لكن للحديث شواهد تقويه ، فانظر ما بعده ، وانظر أيضًا « الإرواء » للألباني (٦/١٥٨٩) .

(٨) - **إسناده ضعيف لضعف جابر الجعفي** ، رواه في المسند (١٥٩٠٨) (٣/٤٧٠) ، (١٨٣٨٨) (٤/ ٢٦٥) ، والحديث في « المصنف » لعبد الرزاق (٦/١٠١٦٤) (١٠/٣١٣) ومن طريقه أخرجه أيضًا ابن عبد البر في « جامع بيان العلم » (١٤٩٥) وأخرجه ابن الضريس في « فضائل القرآن » (٩٠) من=

---

[١] - في خ : « شريح » . [٢] - سقط من : خ .

[٣] - التهوّك : كالتهوّر ؛ وهو الوقوع في الأمر بغير روية . والمتهوك : الذي يقع في كل أمر . وقيل : هو التحيُّر . النهاية [٥/٢٨٢] .

[٤] - في ت : « ما » . [٥] - في ز : «أضللتم » .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي(٩) : حدثنا عبد الغفار بن عبد الله بن الزبير ، حدثنا علي ابن مُسهر ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن خليفة بن قيس ، عن خالد بن عُرفطة قال : كنت جالسًا عند عمر ، إذ أتي برجل من عبد القيس مسكنه بالسوس ، فقال له عمر : أنت فلان بن فلان العبدي ؟ قال : نعم . قال : وأنت النازل بالسوس ؟ قال : نعم . فضربه بقناة معه ، قال : فقال الرجل : مالي يا أمير المؤمنين ؟ فقال له عمر : اجلس ، فجلس . فقرأ عليه ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم * الر تلك آيات الكتاب المبين * إنا أنزلناه قرآنا عربيًّا لعلكم تعقلون * نحن نقص عليك أحسن القصص** ﴾ إلىٰ قوله ﴿ **لمن الغافلين** ﴾ فقرأها عليه ثلاثًا ، وضربه ثلاثًا ، فقال له الرجل : مالي يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أنت الذي نسخت كتاب دانيال ؟ قال : مرني بأمرك أتبعه . قال : انطلق فامحه بالحميم والصوف الأبيض ، ثم لا تَقرأه ، ولا تُقرئه أحدًا من الناس ، فلئن بلغني عنك أنك قرأته ، أو أقرأته أحدًا من الناس لأنهكنك عقوبة . ثم قال له : اجلس . فجلس بين يديه ، فقال : انطلقتُ أنا ، فانتسخت كتابًا من أهل الكتاب ، ثم جئت به في أديم ، فقال لي رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما هذا في يدك يا عمر ؟** » . قال : قلت : يا رسول الله ، كتاب نسخته لنزداد به علمًا إلى علمنا . فغضب رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، حتىٰ احمرت وجنتاه ، ثم نودي بالصلاة جامعة ، فقالت الأنصار : أغضب نبيكم ، صلىٰ الله عليه وسلم ؟ السلاح السلاح . فجاءوا حتىٰ أحدقوا بمنبر رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال : « **يا أيها الناس ، إني قد أوتيت جوامع الكلم وخواتيمه ، واختصر لي اختصارًا ، ولقد أتيتكم بها بيضاء نقية فلا تتهوكوا**[١] ، **ولا يغرنكم المتهوكون** » . قال عمر : فقمت

= طريق سفيان به ، والبزار (١٢٥-كشف) من طريق الجعفي عن عبد الله بن ثابت به مختصرًا ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٧٨/١) وقال : « رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا أن فيه جابرًا الجعفي وهو ضعيف » وبه أيضًا ضعف إسناده الحافظ في « الفتح » (٣٣٤/١٣) .

(٩) - **إسناده ضعيف جدًا** ولم أقف عليه في المطبوع من « المسند » لأبي يعلى ، ومن طريقه اختاره الضياء في « المختارة » (١١٥/١) ، وأخرجه ابن أبي حاتم (١١٣٢٤/٧) والعقيلي في « الضعفاء » (٢١/٢) وعلقه الذهبي في « الميزان » (١٨٩/٢) من طريق علي بن مسهر به مختصرًا . ووهم فيه الضياء : فقال عقبه : « عبد الرحمن بن إسحاق أخرج له مسلم وابن حبان » قلت : وليس كما قال ، فإن الذي هنا هو عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي الكوفي أبو شيبة ضعفه غير واحد من الأئمة ، كما أشار إلى ذلك المصنف . وأما الذي أخرج له مسلم فهو عبد الرحمن بن إسحاق بن عبد الله بن الحارث المدني وهو صدوق . ووثقه غير واحد ، والحديث ذكره الهيثمي في « المجمع » (١٧٨/١، ١٨٧) وقال : رواه أبو يعلى وفيه عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي ضعفه أحمد وجماعة » ثم إن الحديث مُعل أيضًا بخليفة بن قيس ، فقد ذكره البخاري في « التاريخ الكبير » (١٩٢/٣) وقال : « يعد في الكوفيين ، لم يصح حديثه » وزاد في « الضعفاء الصغير » (ص٨٤) : « وفي حديثه نظر » وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٥/٤) إلى ابن المنذر ونصر المقدسي في « الحجة » .

[١] - في خ : « تهتوكوا » .

فقلت : رضيت بالله ربًا ، وبالإسلام دينًا ، وبك رسولًا . ثم نزل رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم .

وقد رواه ابن أبي حاتم في تفسيره مختصرًا : من حديث عبد الرحمن بن إسحاق [به . وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، وعبد الرحمن بن إسحاق][١] هو أبو شيبة الواسطي ، وقد ضعفوه وشيخه ، قال البخاري : [لا يصح][٢] حديثه .

قلت : وقد رُوي له شاهد من وجه آخر ؛ فقال الحافظ أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي(١٠) : أخبرني الحسن بن سفيان ، حدثنا يعقوب بن سفيان ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن العلاء الزبيدي ، حدثني عمرو بن الحارث ، حدثنا[٣] عبد الله بن سالم الأشعري ، عن الزبيدي ، حدثنا سليم بن عامر ، أن جبير بن نفير حدثهم : أن رجلين كانا بحمص في خلافة عمر ، رضي الله عنه ، فأرسل إليهما فيمن أرسل من أهل حمص ، وكانا قد اكتتبا من اليهود تلاصفتين[٤] ، فأخذاها معهما يستفتيان فيها أمير المؤمنين ويقولون : إن رضيها لنا أمير المؤمنين ازددنا فيها رغبة ، وإن نهانا عنها رفضناها ، فلما قدما عليه قالا : إنا بأرض أهل الكتابين ، وإنا نسمع منهم كلامًا تقشعر منه جلودنا أفنأخذ منه أو نترك ؟ فقال : لعلكما كتبتما منه شيئًا . فقالا : لا . قال : سأحدثكما : انطلقت في حياة النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، حتىٰ أتيت خيبر ، فوجدت يهوديًا يقول قولًا أعجبني ، فقلت : هل أنت مكتبي ما[٥] تقول ؟ قال : نعم . فأتيت بأديم ، فأخذ يملي عليَّ حتىٰ كتبت في الأكرع ، فلما رجعت قلت : يا نبي[٦] الله ... وأخبرته ، قال : « **ائتني به** » . فانطلقت أرغب عن المشي رجاء أن أكون أتيت[٧] رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ببعض ما يحب ، فلما أتيت به قال : « **اجلس اقرأ علي** » . فقرأت ساعة ، ثم نظرت إلىٰ وجهه ؛ فإذا هو

(١٠) - **إسناد ضعيف** ، وأخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١٣٥/٥-١٣٦) من طريق إسحاق بن إبراهيم به ورجاله ثقات غير إسحاق هذا ؛ قال فيه ابن معين : لا بأس به ، وقال أبو حاتم : شيخ ، وقال النسائي : إسحاق ليس بثقة إذا روى عن عمرو بن الحارث وهذه الرواية منها ، وقال أبو داود : ليس هو بشيء ، انظر : « تهذيب الكمال » وهامشه (٢/ت٣٣٠) وقال الحافظ في « التقريب » : صدوق يهم كثيرًا ، وأطلق محمد بن عوف أنه يكذب .

[١] - سقط من : خ . [٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - كذا في : ز ، خ . وفي ت : صلاصفتين . وأغلب الظن أنه تحريف . ولعل الصواب : ملء صفنين ، كما هو في الحلية لأبي نعيم . والصفن : الخريطة تكون للراعي ، فيها طعامه وزناده وما يحتاج إليه .
[٥] - في خ : مما
[٦] - في خ : « رسول » . [٧] - في ت : « جئت » .

يتلون ، فتحيرت من الفرق[١] فما استطعت أن[٢] أجيز منه حرفًا ، فلما رأىٰ الذي بي دفعه[٣] ، ثم جعل يتبعه رسمًا رسمًا ، فيمحوه بريقه ، وهو يقول : « **لا تتبعوا هؤلاء ؛ فإنهم قد هوكوا[٤] وتهوكوا** » . حتىٰ محا آخره حرفًا حرفًا ، قال عمر رضي اللَّه عنه : فلو علمت أنكما كتبتما منه شيئًا جعلتكما نكالًا لهذه الأمّة . قالا : واللَّه ما نكتب منه شيئًا أبدًا . فخرجا بصفنيهما[٥] فحفرا لها ، فلم يألوا أن يعمقا ودفناها ، فكان آخر العهد منها .

وكذا روىٰ الثوري عن جابر بن يزيد الجعفي ، عن الشعبي ، عن عبد اللَّه بن ثابت الأنصاري ، عن عمر بن الخطاب بنحوه ، وروىٰ أبو داود في المراسيل(١١) : من حديث أبي قلابة ، عن عمر نحوه واللَّه أعلم .

إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾

يقول تعالىٰ : اذكر لقومك يا محمد في قصصك عليهم من[٦] قصة يوسف ؛ إذ قال لأبيه ، وأبوه هو يعقوب [بن إسحاق بن إبراهيم ، عليهم الصلاة والسلام][٧] ، كما قال الإمام أحمد(١٢) :

ثنا عبد الصمد ، ثنا عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن دينار ، عن أبيه ، عن ابن عمر : أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « **إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم** » .

انفرد بإخراجه البخاري ، فرواه عن عبد اللَّه بن محمد ، عن عبد الصمد ، به(١٣) .

---

(١١) - **إسناده منقطع بين أبي قلابة وعمر** ، والحديث في المراسيل برقم (٤٥٥) ثنا محمد بن عبيد ، ثنا حماد عن أيوب عن أبي قلابة ، به .

(١٢) - **صحيح** ، المسند (٢/٩٦) وأخرجه البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب : ﴿ **أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت** ﴾ (٣٣٨٢) ، وباب : قول الله تعالى : ﴿ **لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين** ﴾ (٣٣٩٠) من طريقين عن عبد الصمد ، به ، وانظر ما بعده .

(١٣) - صحيح البخاري كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب** .... ﴾ (٤٦٨٨) .

---

[١] - الفرق : الخوف .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في خ : « دفعته » .
[٤] - في خ : « هولوا » .
[٥] - في ت : « بصلاصفتيهما » .
[٦] - في خ : « في » .
[٧] - في خ : « عليه السلام » .

وقال البخاري أيضًا(١٤) :

ثنا محمد ، أنا عبدة ، عن عبيد اللَّه ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : سئل رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : أي الناس أكرم ؟ قال : « **أكرمهم عند اللَّه أتقاهم** » . قالوا : ليس عن هذا نسألك . قال : « **فأكرم الناس : يوسف نبي اللَّه ابن نبي اللَّه ابن نبي اللَّه ابن خليل اللَّه** » . قالوا : ليس عن هذا نسألك . قال : « **فعن معادن العرب تسألوني ؟** » قالوا : نعم . قال : « **فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا** » . ثم قال : تابعه أبو[١] أسامة عن عبيد اللَّه .

وقال ابن عباس(١٥) : رؤيا الأنبياء وحي .

وقد تكلم المفسرون علىٰ تعبير هذا المنام : أنّ الأحد عشر كوكبًا عبارة عن إخوته ، وكانوا أحد عشر رجلًا سواه[٢] ، والشمس والقمر عبارة عن [أبيه وأمه] . روي هذا عن ابن عباس(١٦) ، والضحاك ، وقتادة ، وسفيان الثوري ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ،

---

(١٤) – صحيح البخاري كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين** ﴾ (٤٦٨٩) وأخرجه أيضًا : كتاب الأنبياء ، (٣٣٧٤ ، ٣٣٨٣) ، والنسائي في « التفسير » (١١٢٥٠/٦) ، وأخرجه البخاري كتاب : الأنبياء ، باب : قول الله تعالى : ﴿ **واتخذ الله إبراهيم خليلًا** ﴾ (٣٣٥٣) وفي « المناقب » (٣٤٩٠) ومسلم ، كتاب : الفضائل ، باب : من فضائل يوسف عليه السلام (١٦٨) (٢٣٧٨) ، والنسائي (١١٢٤٩/٦) وأحمد (٤٣١/٢) من طريق عبيد الله عن سعيد بن أبي سعيد عن أبيه ، به .

(١٥) – **حسن** ، أخرجه ابن أبي حاتم (١١٣٢٨/٧) ، وابن جرير (١٥١/١٢) ، والطبراني في « الكبير » (١٢٣٠٢/١٢) والحاكم (٤٣١/٢) من طريق سماك بن حرب عن سعيد بن جبير عنه به ، وقال الحاكم : « حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي ، وإسناده حسن على شرط مسلم فحسب فإن سماكًا هذا صدوق ، وإنما روى له البخاري تعليقًا ، وقد صححه الحاكم على شرط مسلم في موضع آخر (٣٩٦/٤) . وأخرجه البخاري ، كتاب : الوضوء ، باب : « التخفيف في الوضوء » (١٣٨) ، كتاب الأذان ، باب : « وضوء الصبيان » (١٥٩) بسنده عن عبيد بن عمير من قوله ، وقال الحافظ في « الفتح » (٢٣٩/١) : « قوله : « رؤيا الأنبياء وحي » رواه مسلم مرفوعًا وسيأتي في التوحيد – (٧٥١٧) – من رواية شريك عن أنس » . ولم أقف عليه في مسلم بهذا اللفظ ، ولعل الحافظ أراد معناه ، والله أعلم – فانظر (١٢٥) (٧٣٨) من صحيح مسلم ، وأثر ابن عباس زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٦/٤) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه ويأتي من طريق آخر عنه مرفوعًا (سورة الصافات / آية/ رقم ١٠٢) ، وعزاه الحافظ في « المطالب العالية » (٢٨٢٤/٣) إلى أحمد بن منيع وقال محققه : قال البوصيري : « رواته ثقات » .

(١٦) – أخرجه ابن المنذر – كما في « الدر المنثور » (٦/٤) .

---

[١] – سقط من : خ . [٢] – سقط من : ز ، خ .

وقد وقع تفسيرها بعد أربعين سنة ، وقيل : ثمانين سنة ، وذلك حين رفع أبويه على العرش وهو سريره ، وإخوته بين يديه ﴿ **وخرّوا له سجدًا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقًا** ﴾ .

وقد جاء في حديث تسمية هذه الأحد عشر كوكبًا ، فقال الإمام أبو جعفر بن جرير(١٧) :

حدثني علي بن سعيد الكندي ، ثنا الحكم بن ظهير ، عن السدي ، عن عبد الرحمن بن سابط ، [عن جابر][١] قال : أتى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، رجل من يهود يقال له : بستانة اليهودي ، فقال له : يامحمد ، أخبرني عن الكواكب التي رآها يوسف أنها ساجدة له ما أسماؤها ؟ قال : فسكت النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ساعة فلم يجبه بشيء ، ونزل عليه جبريل - عليه السلام - فأخبره بأسمائها ، قال : فبعث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إليه فقال : « **هل أنت مؤمن إن أخبرتك بأسمائها ؟** » فقال : نعم . قال : « **جربان**[٢] ، **والطارق ، والذيّال ، وذو الكنفات**[٣] ، **وقابس ، ووثاب ، وعمودان ، والفليق**[٤] ، **والمصبح ، والضروح ، وذو الفرغ ، والضياء ، والنور** » . فقال اليهودي : إي والله إنها لأسماؤها .

ورواه البيهقي في الدلائل من حديث سعيد بن منصور عن الحكم بن ظهير . وقد روى هذا الحديث الحافظان أبو يعلى الموصلي ، وأبو بكر البزار في مسنديهما ، وابن أبي حاتم في

(١٧) - **إسناده ضعيف جدًا** تفسير ابن جرير(١٥١/١٢) وأخرجه سعيد بن منصور - كما في « الدر المنثور » (٦/٤) - ومن طريقه العقيلي في « الضعفاء » (٢٥٩/١) ، والبيهقي في « الدلائل » (٢٧٧/٦) ، وابن الجوزي في « الموضوعات » (١٤٥/١-١٤٦) وأخرجه أبو يعلى - كما في « المطالب العالية » (٨/ ٤٠١٥) طبعة قرطبة - وعنه ابن حبان في « المجروحين » (٢٥٠/١-٢٥١) ، وأخرجه ابن أبي حاتم في « التفسير » (١١٣٣٢/٧) ، والبزار (٢٢٢٠/٣ - كشف) (١٤٧٣/٢ - مختصر الزوائد لابن حجر) كلهم من طريق الحكم بن ظهير به ، وقال العقيلي : « لا يصح » ، وقال ابن حبان : « لا أصل له من حديث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم » ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٤٢/٧) وقال : « رواه البزار وفيه الحكم بن ظهير وهو متروك » قلت : لكن أخرجه الحاكم (٣٩٦/٤) من طريق أسباط بن نصر عن السدي به وقال : حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » وسكت عنه الذهبي ، وفي إسناده جهالة ، وللحديث علة أخرى وهي عدم سماع عبد الرحمن بن سابط من جابر كما قال غير واحد ، ولكن أثبت ابن أبي حاتم له السماع من جابر فالله أعلم ، وأعله أيضًا ابن الجوزي بـ « السدي » ظنًا منه أنه محمد ابن مروان وليس كذلك وإنما هو إسماعيل بن عبدالرحمن وهذا صدوق ، وذاك كذاب والأخير في طبقة نازلة عن الأول (انظر « تهذيب الكمال » (٧/ت١٤٣٠) ، والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٦/٤) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ وأبي نعيم في « الدلائل » .

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز ، خ : « حرثان » .
[٣] - في خ : « الكتفان » .
[٤] - في ت : « الفيلق » .

تفسيره ؛ أمّا أبو يعلىٰ فرواه عن أربعة من شيوخه(١٨) عن الحكم بن ظهير به ، وزاد : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لما رآها يوسف قصها علىٰ أبيه يعقوب ، فقال له أبوه : هذا أمر متشتت يجمعه اللَّه من بعد** » قال : « **والشمس أبوه ، والقمر أمّه** » .

تفرد به الحكم بن ظهير الفزاري ، وقد ضعفه الأئمة ، وتركه الأكثرون ، وقال الجوزجاني ساقط ، وهو صاحب حديث حُسْنِ يوسف .

قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٥﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن قول[١] يعقوب لابنه يوسف حين قص عليه ما رأىٰ من هذه الرؤيا ، التي تعبيرها خضوع إخوته له ، وتعظيمهم إياه تعظيمًا زائدًا ، بحيث يخرّون له ساجدين إجلالًا واحترامًا وإكرامًا ، فخشي يعقوب - عليه السلام - أن يحدّث بهذا المنام أحدًا من إخوته فيحسدوه[٢] علىٰ ذلك ، فيبغوا[٣] له الغوائل حسدًا منهم له ؛ ولهذا قال له : ﴿ **لا تقصص رؤياك علىٰ إخوتك فيكيدوا لك كيدًا** ﴾ أي : يحتالوا لك حيلة يردونك فيها ؛ ولهذا ثبتت السنة عن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، أنه قال(١٩) : « **إذا رأىٰ أحدكم ما يحب فليحدّث به ، وإذا رأىٰ ما يكره فليتحوّل إلىٰ جنبه الآخر ، وليتفل عن يساره ثلاثًا ، وليستعذ باللَّه من شرها ، ولا يحدّث بها أحدًا ، فإنها لن تضره** » . وفي الحديث الآخر الذي رواه الإمام أحمد ، وبعض أهل السنن(٢٠) : من رواية

(١٨) - وهم : زكريا بن يحيى ، وأحمد بن إبراهيم الموصلي ، ومحمد بن حاتم المؤدب ، والمعلى بن مهدي - كما في « المطالب العالية » ، (٤٠١٥/٨ - طبعة قرطبة) .

(١٩) - وهذه الرواية ملفقة من ثلاثة أحاديث ، الأول : حديث أبي سعيد الخدري عند البخاري (٦٩٨٥) ، والترمذي (٣٤٤٩) ، والنسائي في « الكبرى » (٧٦٥٢/٤) ، وأحمد (١١٠٦٨) (٨/٣) ، والثاني : حديث جابر بن عبد الله عند مسلم (٥) (٢٢٦٢) ، وأبي داود (٥٠٢٢) ، والنسائي (٧٦٥٣/٣) ، (٦/ ١٠٧٤٨) وابن ماجة (٣٩٠٨) وأحمد (١٤٨٢٣) (٣٥٠/٣) ، والثالث : حديث أبي قتادة عند البخاري (٣٢٩٢) ومسلم (٢٢٦١) ، وأبي داود (٥٠٢١) ، والترمذي (٢٢٧٨) ، والنسائي (١٠٧٣٢/٦-١٠٧٣٧) ، وابن ماجة (٣٩٠٩) ، وأحمد (٢٢٦٢٧) (٢٩٦/٥) .

(٢٠) - كذا جعله « المصنف » من مسند معاوية بن حيدة ، وأخرجه أحمد (١٣،١٢،١٠/٤) ، وعنه - أبو داود ، كتاب : الأدب ، باب : « ما جاء في الرؤيا » (٥٠٢٠) - والترمذي ، كتاب : الرؤيا ، باب : « ما جاء في تعبير الرؤيا » (٢٢٧٩،٢٢٨٠) وابن ماجه ، كتاب : تعبير الرؤيا ، باب : « الرؤيا إذا =

[١] - في خ : « قيل » .

[٢] - في ز ، خ : « فيحسدونه » . [٣] - في ز ، خ : « فيبغون » .

معاوية بن حَيْدَةَ القشيري أنه قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **الرؤيا علىٰ رجل طائر ما لم تعبر ، فإذا عُبرت وقعت** » . ومن هذا يؤخذ الأمر بكتمان النعمة حتىٰ توجد وتظهر ، كما ورد في حديث(٢١) : « **استعينوا علىٰ قضاء الحوائج بكتمانها ، فإن كل ذي نعمة محسود** » .

وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن قول يعقوب لولده يوسف : إنه كما اختارك ربك ، وأراك هذه الكواكب مع الشمس والقمر ساجدة لك ﴿ **كذلك يجتبيك ربك** ﴾ أي : يختارك ويصطفيك لنبوّته ﴿ **ويعلمك من تأويل الأحاديث** ﴾ قال مجاهد وغير واحد : يعني تعبير الرؤيا .

﴿ **ويتم نعمته عليك** ﴾ أي : بإرسالك والإيحاء إليك . ولهذا قال : ﴿ **كما أتمها علىٰ أبويك من قبل إبراهيم** ﴾ وهو الخليل ﴿ **وإسحاق** ﴾ ولده ، وهو الذبيح في قول ، وليس

= عبرت وقعت ... » (٣٩١٤) والدارمي (٢١٥٤) وغيرهم من حديث أبي رزين العقيلي - وكذا أورده « المصنف » في كتابه « جامع المسانيد » (٣ / ورقة ٧٣) ولم يذكر هذا الحديث في مسند معاوية بن حيدة انظر (٣ / ورقة ١٧٠) - وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح » .

وصححه ابن حبان (٦٠٤٩/١٣، ٦٠٥٠) ، والحاكم (٣٩٠/٤) ووافقه الذهبي ، وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في « الفتح » (٤٣٢/١٢) إذ إن في إسناده وكيع بن حدس - ويقال : عدس - لم يوثقه غير ابن حبان (٤٩٦/٥) وقال عنه في مشاهير علماء الأمصار » (٩٧٣) : « من الأثبات » وصحح له أبو عبيد القاسم بن سلام وغيره الحديث المتقدم في (سورة هود/رقم٢١) وجهله ابن القطان ، وقال الذهبي : لا يعرف ، وفي « التقريب » : مقبول ، والحديث سيذكره المصنف هنا برقم (٧٢) منسوبًا إلى معاوية بن حيدة أيضًا فالله أعلم .

(٢١) - رُوي هذا الحديث من طرق عن سعيد بن سلام العطار ، عن ثور بن يزيد الشامي ، عن خالد بن معدان ، عن معاذ بن جبل به مرفوعًا ، ولا يصح شيء منها ، رواه العقيلي في الضعفاء (١٠٩/٢) ، وابن عدي في الكامل (١٠٤/٣) ، وأبو نعيم في الحلية (٩٦/٦) ، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ١٦٥) ، وقال أبو حاتم في العلل (٢٥٥/٢) بعد إيراده من حديث خالد بن معدان ، عن النبي بمعناه : حديث منكر ، وقال : هذا الحديث لا يعرف له أصل » . ورُوي أيضًا من حديث علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن عباس ، وأبي بردة مرسلًا ، وأسانيدها ضعيفة جدًّا ، لكنه ورد من حديث أبي هريرة بإسناد جوّده الألباني في « الصحيحة » (١٤٥٣/٣) ، فانظر تخريج الحديث ثمة .

بالرجيح ﴿ **إنّ ربك عليم حكيم** ﴾ أي : هو أعلم حيث يجعل رسالته كما قال في الآية الأخرى .

لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ (٧) إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٨) ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ (٩) قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ (١٠)

يقول تعالىٰ : لقد كان في قصة يوسف وخبره مع إخوته آيات ، أي : عبرة ومواعظ للسائلين عن ذلك المستخبرين عنه ، فإنه خبر عجيب يستحق أن يستخبر عنه ﴿ **إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلىٰ أبينا منا** ﴾ أي : حلفوا فيما يظنون : واللَّه ، ليوسف وأخوه - يعنون بنيامين ، وكان شقيقه لأمه - ﴿ **أحب إلىٰ أبينا منا ونحن عصبة** ﴾ أي : جماعة فكيف أَحَبَّ ذينك الاثنين أكثر من الجماعة ﴿ **إنّ أبانا لفي ضلال مبين** ﴾ يعنون في تقديمهما علينا ، ومحبته إياهما أكثر منا .

واعلم أنه لم يقم دليل علىٰ نبوة إخوة يوسف ، وظاهر هذا السياق يدل علىٰ خلاف ذلك ، ومن الناس من يزعم أنهم[١] أوحي إليهم بعد ذلك ، وفي هذا نظر ، ويحتاج مدعي ذلك إلىٰ دليل ، ولم يذكروا سوىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ **قولوا آمنا باللَّه وما أنزل إلينا وما أنزل إلىٰ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط** ﴾ وهذا فيه احتمال ؛ لأن بطون بني إسرائيل يقال لهم : الأسباط ، كما يقال للعرب قبائل ، وللعجم شعوب ، يذكر تعالىٰ أنه أوحىٰ إلىٰ الأنبياء من أسباط بني إسرائيل ، فذكرهم إجمالًا ؛ لأنهم كثيرون ، ولكن كل سبط من نسل رجل من إخوة يوسف ، ولم يقم دليل علىٰ أعيان هؤلاء أنهم أوحي إليهم ، واللَّه أعلم .

﴿ **اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضًا يخل لكم وجه أبيكم** ﴾ يقولون : هذا الذي يزاحمكم في محبة أبيكم لكم اعدموه من وجه أبيكم ؛ ليخلو لكم وحدكم ، إما بأن تقتلوه ، أو تلقوه في أرض من الأراضي تستريحوا منه ، وتختلوا[٢] أنتم بأبيكم وتكونوا من بعد إعدامه قومًا صالحين ، فأضمروا التوبة قبل الذنب ﴿ **قال قائل منهم** ﴾ قال قتادة ،

[١] - في ت : « أنه » .

[٢] - في خ : «تخلوا» .

ومحمد بن إسحاق : وكان أكبرهم واسمه روبيل .

وقال السدي : الذي قال ذلك يهوذا . وقال مجاهد : هو شمعون .

﴿ **لا تقتلوا يوسف** ﴾ أي : لا تصلوا في عداوته وبغضه إلىٰ قتله ، ولم يكن لهم سبيل إلىٰ قتله ؛ لأن اللَّه تعالىٰ كان يريد منه أمرًا لابد من إمضائه وإتمامه : من الإيحاء إليه بالنبوة ، ومن التمكين[١] له ببلاد مصر والحكم بها ، **فصرفهم اللَّه عنه بمقالة روبيل فيه ، وإشارته عليهم بأن يلقوه في غيابة الجب وهو أسفله . قال قتادة :** وهي بئر بيت المقدس .

﴿ **يلتقطه بعض السيارة** ﴾ أي : المارة من المسافرين ، فتستريحوا منه بهذا ، ولا حاجة إلىٰ قتله .

﴿ **إن كنتم فاعلين** ﴾ أي : إن كنتم عازمين علىٰ ما تقولون .

قال محمد بن إسحاق بن يسار : لقد اجتمعوا علىٰ أمر عظيم من قطيعة الرحم ، وعقوق الوالد ، وقلة الرأفة بالصغير الضرع الذي لا ذنب له ، وبالكبير الفاني ذي الحق والحرمة والفضل ، وخطره عند اللَّه ، مع حق الوالد علىٰ ولده ؛ ليفرقوا بينه وبين أبيه وحبيبه ، علىٰ كبر سنه ، ورقة[٢] عظمه ، مع مكانه من اللَّه فيمن أحبه طفلًا صغيرًا ، وبين ابنه[٣] علىٰ ضعف قوته وصغر سنه ، وحاجته إلىٰ لطف والده وسكونه إليه ، يغفر اللَّه لهم وهو أرحم الراحمين ، فقد احتملوا أمرًا عظيمًا .

رواه ابن أبي حاتم(٢٢) من طريق سلمة بن الفضل عنه .

قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾

لما تواطئوا علىٰ أخذه وطرحه في البئر كما أشار به عليهم أخوهم روبيل ، جاءوا أباهم يعقوب ، عليه السلام ، فقالوا : ﴿ **يا أبانا ما لك لا تأمنا علىٰ يوسف وإنا له لناصحون** ﴾ وهذه توطئة وسلف ودعوىٰ وهم يريدون خلاف ذلك ؛ لما له في قلوبهم من الحسد لحب أبيه له ﴿ **أرسله معنا** ﴾ أي : ابعثه معنا ﴿ **غدًا نرتع ونلعب** ﴾[٤] وقرأ بعضهم بالياء

(٢٢) - في « التفسير » (٧/١١٣٦٠) ثنا محمد بن العباس ، ثنا عبد الرحمن بن سلمة ثنا سلمة بن الفضل به ، وسلمة بن الفضل صدوق كثير الخطأ - كما في « التقريب » .

[١] - في ر : التمكن

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في ر ، خ « أبيه »

[٤] - هذه قراءة أبي عمرو وابن عامر

﴿ يرتع ويلعب ﴾[١] .

قال ابن عباس(٢٣) : يسعىٰ وينشط . وكذا قال قتادة ، والضحاك[٢] ، والسدي ، وغيرهم .

﴿ وإنا له لحافظون ﴾ يقولون : ونحن نحفظه ، ونحوطه من أجلك .

قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن نبيه يعقوب أنه قال لبنيه في جواب ما سألوا من إرسال يوسف معهم إلىٰ الرعي في الصحراء : ﴿ إني ليحزنني أن تذهبوا به ﴾ أي : يشق عليَّ مفارقته مدة ذهابكم به إلىٰ أن يرجع ، وذلك لفرط محبته له ، لما يتوسم فيه من الخير العظيم ، وشمائل النبوة ، والكمال في الخَلق والخُلق ، صلوات اللّٰه وسلامه عليه .

وقوله : ﴿ وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون ﴾ يقول : وأخشىٰ أن تشتغلوا عنه برميكم ورعيتكم ، فيأتيه ذئب ، فيأكله وأنتم لا تشعرون ، فأخذوا من فمه هذه الكلمة وجعلوها عذرهم فيما فعلوه ، وقالوا مجيبين له[٣] عنها في الساعة الراهنة ﴿ لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذًا لخاسرون ﴾ يقولون : لئن عدا عليه الذئب فأكله من بيننا ونحن جماعة ، إنا إذًا لهالكون عاجزون .

فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾

يقول تعالىٰ : فلما ذهبت به إخوته من عند أبيه بعد مراجعتهم له في ذلك ﴿ وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب ﴾ هذا فيه تعظيم لما فعلوه ، أنهم اتفقوا كلهم علىٰ إلقائه في

---

(٢٣) - **إسناده ضعيف** ، أخرجه ابن جرير (١٢/١٥٨) من طريق عطية العوفي عنه به ، وعطية ضعيف ، وله إسناد آخر عنده لكنه منقطع ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٤/١٣) إلى ابن أبي حاتم .

---

[١] - وهي قراءة عاصم وحمزة والكسائي . [٢] - سقط من ز .

[٣] - سقط من ز .

أسفل ذلك الجب ، وقد أخذوه من عند أبيه فيما يظهرونه له ، إكرامًا له ، وبسطًا ، وشرحًا لصدره ، وإدخالًا للسرور عليه ، فيقال : إن يعقوب[١] - عليه السلام - لما بعثه معهم ضمه إليه وقبله ودعا له .

[وذكر السدي و][٢] غيره : أنه[٣] لم يكن بين إكرامهم له ، وبين إظهار الأذىٰ له إلا أن غابوا عن عين أبيه وتواروا عنه ، ثم شرعوا يؤذونه بالقول من شتم ونحوه ، والفعل من ضرب ونحوه ، ثم جاءوا به إلىٰ ذلك الجب الذي اتفقوا علىٰ رميه فيه ، فربطوه بحبل ودلوه فيه ، فجعل[٤] إذا لجأ إلىٰ واحد منهم لطمه وشتمه ، وإذا تشبث بحافات البئر ضربوا علىٰ يديه ، ثم قطعوا به الحبل من نصف المسافة ، [فسقط في الماء][٥] فغمره ، فصعد إلىٰ صخرة تكون في وسطه يقال لها : الراغوفة فقام فوقها .

وقوله : ﴿ **وأوحينا إليه لتنبئنّهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون** ﴾ يقول تعالىٰ ذاكرًا لطفه ورحمته وعائدته ، وإنزاله اليسر في حال العسر : إنه أوحىٰ إلىٰ يوسف في ذلك الحال الضيق ؛ تطييبًا لقلبه وتثبيتًا له : إنك لا تحزن مما أنت فيه ، فإن لك من ذلك فرجًا ومخرجًا حسنًا ، وسينصرك اللَّه عليهم ويعليك ويرفع درجتك ، وستخبرهم بما فعلوا معك من هذا الصنيع .

وقوله ﴿ **وهم لا يشعرون** ﴾ قال [مجاهد و][٦] قتادة : ﴿ **وهم لا يشعرون** ﴾ بإيحاء اللَّه إليه .

وقال ابن عباس : ستنبئنهم[٧] بصنيعهم هذا في حقك ، وهم لا يعرفونك ، ولا يستشعرون بك .

كما قال ابن جرير(٢٤) : حدثني الحارث ، ثنا عبد العزيز ، ثنا صدقة بن عبادة الأسدي ، عن أبيه ، قال : سمعت ابن عباس يقول : لما دخل إخوة يوسف [على يوسف][٨] فعرفهم وهم له منكرون ، قال : جيء بالصواع فوضعه علىٰ يده ، ثم نقره فطن ، فقال : إنه

---

(٢٤) - التفسير (١٦٢/١٢) ، وأخرجه ابن أبي حاتم (١١٧٢٩/٧) من طريق يونس بن محمد ، ثنا صدقة به ، وصدقة وأبوه ذكرهما البخاري في « التاريخ الكبير » (٢٩٧/٤) (٩٦/٦) وابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٤٣٣/٤) (٩٦/٦) ، ولم يذكرا فيهما جرحًا ولا تعديلًا .

---

[١] - في ز ، خ : يوسف .
[٢] - في ز ، وخ : قال .
[٣] - في خ : « إنه » .
[٤] - في خ : فكان .
[٥] - سقط من ز ، خ .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - في خ : ستنبئهم .
[٨] - في ت : عليه .

ليخبرني هذا الجام[١] أنه كان لكم أخ من أبيكم يقال له : يوسف ، يدنيه دونكم ، وأنكم انطلقتم به فألقيتموه في غيابة الجب . قال : ثم نقره فطن ، قال : فأتيتم أباكم ، فقلتم : إن الذئب أكله ، وجئتم علىٰ قميصه بدم كذب . قال : فقال بعضهم لبعض إن هذا الجام ليخبره بخبركم .

قال ابن عباس [رضي الله عنهما] فلا[٢] نرىٰ هذه الآية نزلت إلا فيهم ﴿ **لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون** ﴾ .

وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن الذي اعتمده إخوة يوسف بعد ما ألقوه في غيابة الجب : أنهم[٣] رجعوا إلىٰ أبيهم في ظلمة الليل يبكون ، ويظهرون الأسف والجزع علىٰ يوسف ، ويتغممون لأبيهم ، وقالوا معتذرين عما وقع فيما زعموا : ﴿ **إنا ذهبنا نستبق** ﴾ أي : نترامىٰ ﴿ **وتركنا يوسف عند متاعنا** ﴾ أي : ثيابنا وأمتعتنا ﴿ **فأكله الذئب** ﴾ وهو الذي كان قد جزع منه وحذر عليه .

وقولهم : ﴿ **وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين** ﴾ تلطف عظيم في تقرير ما يحاولونه ، يقولون : ونحن نعلم أنك لا تصدقنا والحالة هذه لوكنا عندك صادقين ، فكيف وأنت تتهمنا في ذلك ؛ لأنك خشيت أن يأكله الذئب فأكله الذئب ، فأنت معذور في تكذيبك لنا ؛ لغرابة ما وقع ، وعجيب ما اتفق لنا في أمرنا هذا .

﴿ **وجاءوا علىٰ قميصه بدم كذب** ﴾ أي : مكذوب مفترىٰ ، وهذا من الأفعال التي يؤكدون بها ما تمالئوا عليه من المكيدة ، وهو أنهم عمدوا إلىٰ سَخْلَة[٤] فيما ذكره مجاهد ، والسدي وغير واحد - فذبحوها ، ولطخوا ثوب يوسف بدمها ، موهمين أن هذا قميصه

---

[١] - الجام : إناء للشراب أو الطعام يصنع من الفضة ونحوها .

[٢] - في خ : « لا » .

[٣] - في ز ، خ : « ثم » .

[٤] - السخلة : الذكر والأنثى من ولد الضأن والمعز ساعة يولد .

الذي أكله فيه الذئب ، وقد أصابه من دمه ، ولكنهم نسوا أن يخرقوه ؛ فلهذا لم يرج هذا الصنيع علىٰ نبي اللَّه يعقوب ، بل قال لهم معرضًا عن كلامهم إلىٰ ما وقع في نفسه من تمالئهم عليه ﴿ **بل سوّلت لكم أنفسكم أمرًا فصبر جميل** ﴾ أي : فسأصبر صبرًا جميلًا علىٰ هذا الأمر الذي اتفقتم عليه ، حتىٰ يفرجه اللَّه بعونه ولطفه ﴿ **واللَّه المستعان علىٰ ما تصفون** ﴾ أي : علىٰ ما تذكرون من الكذب والمحال .

وقال الثوري(٢٥) ، عن سماك ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ **وجاءوا علىٰ قميصه بدم كذب** ﴾ قال[١] : لو أكله السبع لخرق القميص . وكذا قال الشعبي ، والحسن ، وقتادة ، وغير واحد .

وقال مجاهد : الصبر الجميل الذي لا جزع فيه .

وروىٰ هشيم(٢٦) ، عن عبد الرحمن بن يحيىٰ(٢٧) ، عن حبان بن أبي جبلة قال : سُئل رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، عن قوله : ﴿ **فصبر جميل** ﴾ فقال : « **صبر لا شكوىٰ فيه** » . وهذا مرسل .

وقال عبد الرزاق(٢٨) : قال الثوري عن بعض أصحابه : أنه قال : ثلاث من الصبر ؛ أن لا تحدّث بوجعك ، ولا بمصيبتك ، ولا تزكي نفسك .

وذكر البخاري(٢٩) هاهنا حديث عائشة ، رضي الله عنها ، في الإفك ، حتىٰ ذكر قولها : واللَّه ، لا أجد لي ولكم مثلًا إلا أبا يوسف ﴿ **فصبر جميل واللَّه المستعان علىٰ ما تصفون** ﴾ .

---

(٢٥) - **إسناده حسن** أخرجه ابن جرير (١٢/١٦٤) ، وابن أبي حاتم (٧/١١٣٩٠) ، والفريابي ، وابن المنذر ، وأبو الشيخ - كما في « الدر المنثور » (٤/١٦) .

(٢٦) - **مرسل** أخرجه ابن جرير (١٢/١٦٦) ، وابن أبي حاتم (٧/١١٣٩٧) ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٤/١٧) إلى ابن أبي الدنيا في « كتاب الصبر » وابن المنذر .

(٢٧) - كذا قال هشيم ، وصوابه يحيى بن عبد الرحمن أبو شيبة المصري ، قال البخاري وغيره : كان هشيم يغلط يقول : عبد الرحمن بن يحيى . (انظر تهذيب الكمال » (٣١/ت٦٨٧١) .

(٢٨) - أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/٣١٩) ، ومن طريقه ابن جرير (١٢/١٦٦) ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٤/١٧) إلى ابن المنذر .

(٢٩) - كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **قال بل سَوَّلت لكم أنفسكم أمرًا فصبر جميل** ﴾ (٤٦٩٠،٤٦٩١) . وانظر (سورة النور آية الإفك) .

---

[١] - في ز ، خ : « فقال » .

وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عما جرىٰ ليوسف - عليه السلام - حين ألقاه إخوته ، وتركوه في ذلك الجب فريدًا وحيدًا ، فمكث في البئر ثلاثة أيام ؛ فيما قاله أبو بكر بن عياش(٣٠) .

وقال محمد بن إسحاق(٣١) : لما ألقاه إخوته جلسوا حول البئر يومهم ذلك ، ينظرون ماذا[١] يصنع وما يصنع به ، فساق اللَّه له سيارة فنزلوا قريبًا من تلك البئر ، وأرسلوا واردهم ، وهو الذي يتطلب لهم الماء ، فلما جاء ذلك البئر وأدلىٰ دلوه فيها ، تشبث يوسف ، عليه السلام ، فيها ، فأخرجه واستبشر به وقال : ﴿ **يا بُشْرَاي[٢] هذا غلام** ﴾ .

وقرأ بعض القراء : ﴿ **يا بشرىٰ[٣]** ﴾ ، فزعم السدي : أنه اسم رجل ناداه ذلك الرجل الذي أدلىٰ دلوه ، مُعْلِمًا له أنه أصاب غلامًا ، وهذا القول من السدي غريب ؛ لأنه لم يُسبق إلىٰ تفسير هذه القراءة بهذا إلا في رواية عن ابن عباس(٣٢) ، واللَّه أعلم . وإنما معنىٰ القراءة علىٰ هذا النحو يرجع إلىٰ القراءة الأخرىٰ ، ويكون قد أضاف البشرىٰ إلىٰ نفسه ، وحذف ياء الإضافة وهو يريدها[٤] ، كما تقول العرب : يا نفس اصبري ، ويا غلام أقبل ، بحذف[٥] حرف الإضافة ، ويجوز الكسر حينئذ والرفع ، وهذا منه ، وتفسرها القراءة الأخرىٰ (يا بشراي) واللَّه أعلم .

وقوله ﴿ **وأسروه بضاعة** ﴾ أي : وأسره الواردون من بقية السيارة ، وقالوا : اشتريناه وتبضعناه من أصحاب الماء ، مخافة أن يشاركوهم فيه إذا علموا خبره ، قاله مجاهد ، والسدي ، وابن جرير ؛ هذا قول .

---

(٣٠) - أخرجه ابن أبي حاتم (١١٣٦٥/٧) وابن مردويه - كما في « الدر المنثور » (١٥/٤) .
(٣١) - أخرجه ابن أبي حاتم (١١٤٠٣/٧) .
(٣٢) - أخرجه ابن جرير عنه (١٦٩/١٢) بإسناد ضعيف .

---

[١] - في خ : « ما » .
[٢] - كذا قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر .
[٣] - وهي قراءة عاصم وحمزة والكسائي .
[٤] - في خ : « يؤيدها » .
[٥] - في خ : « لحذف » .

وقال العوفي عن ابن عباس(٣٣) قوله : ﴿ وأسروه بضاعة ﴾ يعني إخوة يوسف أسروا شأنه ، وكتموا أن يكون أخاهم ، وكتم يوسف شأنه مخافة أن يقتله إخوته ، واختار البيع ، فذكره إخوته لوارد القوم ، فنادىٰ أصحابه ﴿ يا بشرى هذا غلام ﴾ يباع ، فباعه إخوته .

وقوله : ﴿ والله عليم بما يعملون ﴾ أي : عليم[١] بما يفعله إخوة يوسف ومشتروه ، وهو قادر علىٰ تغيير ذلك ودفعه ، ولكن له حكمة وقدر سابق ، فترك ذلك ليمضي ما قدره وقضاه ﴿ ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾ .

وفي هذا تعريض لرسوله محمد ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وإعلام له بأني عالم بأذىٰ قومك لك ، وأنا قادر علىٰ الإنكار عليهم ، ولكني سأملي لهم ، ثم أجعل لك العاقبة والحكم عليهم ، كما جعلت ليوسف الحكم ، والعاقبة علىٰ إخوته .

وقوله ﴿ وشروه بثمن بخس دراهم معدودة ﴾ يقول تعالى : وباعه إخوته بثمن قليل ؛ قاله مجاهد ، وعكرمة .

والبخس : هو النقص ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ فلا يخاف بخسًا ولا رهقًا ﴾ أي : اعتاض عنه إخوته بثمن دُونٍ قليلٍ ، وكانوا مع ذلك فيه من الزاهدين ، أي : ليس لهم رغبة فيه بل لو سألوه بلا شيء لأجابوا[٢] .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك : إن الضمير في قوله ﴿ وشروه ﴾ عائد علىٰ إخوة يوسف . وقال قتادة : بل هو عائد علىٰ السيارة .

[والأول أقوىٰ ؛ لأن قوله ﴿ وكانوا فيه من الزاهدين ﴾ إنما أراد إخوته لا أولئك السيارة ، لأن السيارة][٣] استبشروا به وأسروه بضاعة ، ولو كانوا فيه زاهدين لما اشتروه ، فترجح من هذا أن الضمير في ﴿ شروه ﴾ إنما هو لإخوته .

وقيل : المراد بقوله : ﴿ بخس ﴾ الحرام ، وقيل : الظلم ، وهذا وإن كان كذلك ، لكن ليس هو المراد هنا ؛ لأن هذا معلوم يعرفه كل أحد : أن ثمنه حرام علىٰ كل حال وعلىٰ كل أحد ؛ لأنه نبي ابن نبي ابن نبي ابن خليل الرحمن ، فهو الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ، وإنما المراد هنا بالبخس الناقص ، أو الزيوف ، أو كلاهما ، أي : إنهم إخوته وقد

---

(٣٣) - انظر السابق .

---

[١] - في خ : « يعلم » .
[٢] - في خ : « جابوا » .
[٣] - سقط من : خ .

باعوه ومع هذا بأنقص الأثمان ؛ ولهذا قال : ﴿ **دراهم معدودة** ﴾ فعن ابن مسعود رضي الله عنه[٣٤] : باعوه بعشرين درهمًا .

وكذا قال ابن عباس[٣٥] ، ونوف البكالي ، والسدي ، وقتادة ، وعطية العوفي ، وزاد : اقتسموها درهمين درهمين . وقال مجاهد : اثنان وعشرون درهما . وقال محمد بن إسحاق وعكرمة : أربعون درهما .

وقال الضحاك في قوله : ﴿ **وكانوا فيه من الزاهدين** ﴾ وذلك أنهم لم يعلموا نبوته ومنزلته عند اللّٰه عز وجل .

وقال مجاهد : لما باعوه جعلوا يتبعونهم ، ويقولون لهم : استوثقوا منه لا يأبق ، حتىٰ وقفوه بمصر فقال : من يبتاعني وليبشر ؟ فاشتراه الملك وكان مسلمًا .

وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾

يخبر تعالىٰ بألطافه بيوسف عليه السلام : أنه[١] قيض له الذي اشتراه من مصر ، حتىٰ اعتنىٰ به وأكرمه ، وأوصىٰ أهله به ، وتوسم فيه الخير والفلاح[٢] ، فقال لامرأته : ﴿ **أكرمي مثواه عسىٰ أن ينفعنا أو نتخذه ولدًا** ﴾ وكان الذي اشتراه من مصر عزيزها وهو الوزير بها . [قال][٣]العوفي ، عن ابن عباس[٣٦] : وكان اسمه قطفير .

(٣٤) - **إسناده منقطع** أخرجه ابن جرير (١٧٢/١٢) من طريق أبي عبيدة عنه به ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٤٢/٧) وقال : « رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه » ومع هذا فقد صححه الحاكم (٥٧٢/٢) ووافقه الذهبي ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١٨/٤) إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر .

(٣٥) - أخرجه ابن جرير (١٧٣/١٢) وابن أبي حاتم (١١٤٢٤/٧) من طريقين عنه به ، والأول إسناده منقطع ، والثاني في إسناده مسلم بن كيسان الملائي وهو ضعيف ، وزاد نسبته السيوطي (١٩/٤) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ .

(٣٦) - **إسناده ضعيف لضعف العوفي** ، أخرجه ابن جرير (١٧٤/١٢-١٧٥) وابن أبي حاتم (٧/ ١١٤٣٣) .

[١] - في خ : « أن » .
[٢] - في خ : « الصلاح » .
[٣] - ما بين المعكوفين بياض في ز .

وقال محمد بن إسحاق : اسمه أطفير[١] بن روحيب وهو العزيز ، وكان علىٰ خزائن مصر ، وكان الملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق . قال : واسم امرأته راعيل بنت رعائيل[٢] .

وقال غيره : اسمها زَلِيخا .

وقال محمد بن إسحاق أيضًا(٣٧) ، عن محمد بن السائب ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس : كان الذي باعه بمصر مالك بن ذعر بن بُوَيْب[٣] بن عفقان بن مديان بن إبراهيم . فالله أعلم .

وقال أبو إسحاق : عن أبي عبيدة ، عن عبد الله بن مسعود أنه قال(٣٨) : أفرس الناس ثلاثة ؛ عزيز مصر حين قال لامرأته : ﴿ **أكرمي مثواه** ﴾ ، والمرأة التي قالت لأبيها عن موسى : ﴿ **يا أبت استأجره** ﴾ الآية ، وأبو بكر الصديق حين استخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنهما .

يقول تعالىٰ : وكما أنقذنا يوسف من إخوته ﴿ **كذلك مكنا ليوسف في الأرض** ﴾ يعني : بلاد مصر ﴿ **ولنعلمه من تأويل الأحاديث** ﴾ قال مجاهد والسدي : هو تعبير الرؤيا ﴿ **والله غالب علىٰ أمره** ﴾ أي : إذا أراد شيئًا فلا يرد ، ولا يمانع ، ولا يخالف ، بل هو الغالب[٤] لما سواه .

قال سعيد بن جبير في قوله : ﴿ **والله غالب علىٰ أمره** ﴾ أي : فعال لما يشاء .

---

(٣٧) - أخرجه ابن جرير (١٢/١٧٥) .

(٣٨) - **صحيح بطرقه** ، أخرجه ابن جرير (١٢/١٧٦) وابن أبي حاتم (٧/١١٤٣٨) واللالكائي في « شرح أصول الاعتقاد » (٧/٢٥٢٥) وصححه الحاكم (٣/٩٠) ووافقه الذهبي ، وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه ، لكن أخرجه الطبراني في « الكبير » (٩/٨٨٢٩) من طريق محمد بن كثير ، ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، به ، وتابع محمدَ بنَ كثير ، وكيعٌ عن سفيان ، به ، أخرجه ابن جرير (١٢/١٧٥) وصححه الحاكم (٢/٣٤٥-٣٤٦) من هذا الطريق على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ، وأخرجه سعيد بن منصور ، ومن طريقه الطبراني (٨٨٣٠) ثنا أبو الأحوص عن أبي إسحاق ثنا ناس من أصحاب عبد الله فذكره ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٠/٢٧١) وقال : « رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح إن كان محمد بن كثير هو العبدي ، وإن كان هو الثقفي فقد وثق على ضعف كثير فيه » - وعلى كل فهو متابع كما تقدم - والأثر زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٤/١٩) إلى ابن سعد وابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي الشيخ .

---

[١] - في ز : أظفير .

[٢] - في ز : رعابيل .

[٣] - في خ : « قريب » .

[٤] - في خ : « غالب » .

وقوله : ﴿ **ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ يقول : لا يدرون حكمته في خلقه ، وتلطفه [وفعله][١] لما يريده[٢] .

وقوله : ﴿ **ولما بلغ** ﴾ أي : يوسف - عليه السلام - ﴿ **أشده** ﴾ أي : استكمل عقله[٣] ، وتم خلقه ﴿ **آتيناه حكمًا وعلمًا** ﴾ يعني : النبوة ، أنه حباه بها بين أولئك الأقوام ﴿ **وكذلك نجزي المحسنين** ﴾ أي : إنه كان محسنًا في عمله عاملًا بطاعة اللَّه [٤] تعالىٰ ، وقد اختلف في مقدار المدة التي بلغ فيها أشده ؛ فقال ابن عباس(٣٩) ومجاهد وقتادة : ثلاث وثلاثون سنة[٥] ، وعن ابن عباس(٤٠) : بضع وثلاثون ، وقال الضحاك : عشرون ، وقال الحسن : أربعون سنة ، وقال عكرمة : خمس وعشرون سنة ، وقال السدي : ثلاثون سنة ، وقال سعيد بن جبير : [ثماني عشرة][٦] سنة ، وقال الإمام مالك وربيعة بن زيد بن أسلم والشعبي : الأشُدّ : الحلم ، وقيل غير ذلك واللَّه أعلم .

﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

يخبر تعالىٰ عن امرأة العزيز التي كان يوسف في بيتها بمصر ، وقد أوصاها زوجها به وبإكرامه ، فراودته[٧] عن نفسه ، أي : حاولته علىٰ نفسه ودعته إليها ، وذلك أنها أحبته حبًّا شديدًا ؛ لجماله وحسنه وبهائه ، فحملها ذلك علىٰ أن تجملت له ، وغلقت عليه الأبواب ، ودعته إلىٰ نفسها ﴿ **وقالت هيت لك** ﴾ فامتنع من ذلك أشد الامتناع و﴿ **قال معاذ اللَّه إنه ربي أحسن مثواي** ﴾ وكانوا يطلقون الرب علىٰ السيد والكبير ، أي : إن بعلك ربي

(٣٩) - **إسناده حسن** ، أخرجه ابن أبي حاتم (١١٤٤٣/٧) من طريق عبد اللَّه بن إدريس - وهو ثقة فقيه عابد كما في « التقريب - عن عبد اللَّه بن عثمان - وهو صدوق - عن مجاهد عنه ، به ، وأخرجه الطبراني في « الأوسط » (٦٨٢٩/٧) من طريق صدقة بن يزيد عن عبد اللَّه بن عثمان عن سعيد بن جبير عنه به ، وصدقة بن يزيد ، قال أحمد : حديثه ضعيف « الجرح والتعديل » (٤/ت١٨٩٣) ، وزاد نسبته السيوطي (٢٠/٤) إلى سعيد بن منصور وابن جرير - انظر ما بعده - وابن الأنباري في « كتاب الأضداد » ، وابن مردويه .

(٤٠) - **في سنده انقطاع** ، وأخرجه ابن جرير (١٧٧/١٢) ، وانظر ما قبله .

[١] - سقط من خ .
[٢] - في ت : « يريد » .
[٣] - في ز: خلقه .
[٤] - في خ : « ربه » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في ت : « ثمانية عشر » .
[٧] - سقط من : خ .

أحسن مثواي ، أي : منزلي ، وأحسن إلي ؛ فلا أقابله بالفاحشة في أهله ﴿ **إنه لا يفلح الظالمون** ﴾ قال ذلك مجاهد ، والسدي ، ومحمد بن إسحاق ، وغيرهم .

وقد اختلف القراء في قراءة ﴿ **هيت لك** ﴾ فقرأه كثيرون : بفتح الهاء ، وإسكان الياء ، وفتح التاء[١] ، وقال ابن عباس ، ومجاهد ، وغير واحد : معناه أنها تدعوه إلىٰ نفسها .

وقال علي بن أبي طلحة ، والعوفي ، عن ابن عباس ﴿ **هيت لك** ﴾ تقول : هلم لك .

وكذا قال زر بن حبيش ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة . قال عمرو بن [عبيد][٢] ، عن الحسن : وهي كلمة بالسريانية أي : عليك . وقال السدي ﴿ **هيت لك** ﴾ أي : هلم لك ، وهي بالقبطية . وقال مجاهد : هي لغة غريبة تدعوه بها . وقال البخاري(٤١) : وقال عكرمة : ﴿ **هيت لك** ﴾ أي : هلم لك بالحورانية .

هكذا ذكره معلقًا ، وقد أسنده الإمام أبو جعفر بن جرير(٤٢) : حدثني أحمد بن سهيل[٣] الواسطي ، حدثنا قرة بن عيسى ، حدثنا النضر بن عربي الجزري ، عن عكرمة مولىٰ ابن عباس في قوله ﴿ **هيت لك** ﴾ قال : هلم لك ؛ قال : هي بالحورانية .

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : وكان الكسائي يحكي[٤] هذه القراءة ، يعني ﴿ **هيت لك** ﴾ ويقول : هي لغة لأهل حوران وقعت إلىٰ أهل الحجاز ، ومعناها : تعال . وقال أبو عبيد[٥] : سألت شيخًا عالمًا من أهل حوران فذكر أنها لغتهم يعرفها .

---

(٤١) – كتاب : « التفسير » ، باب : « وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك » وانظر ما بعده .

(٤٢) – **حسن** ، والحديث في التفسير (١٧٩/١٢) وتصحف هناك – « النضر بن عربي » إلى « النضر بن علي » ، وصوبه العلامة محمود شاكر في طبعته (١٨٩٧٢/١٦) وأفاد بأنه لم يجد في الرواة من يسمى بـ « قرة بن عيسى » ولكن الذي يروي عن « النضر بن عربي » هو : « بشر بن عبيس بن مرحوم العطار » وهو مترجم في « التهذيب » . وشيخ ابن جرير ذكره ابن حبان في « الثقات » (٥١/٨) ، وقال أبو أحمد الحاكم : « في حديثه بعض المناكير » « انظر لسان الميزان » (١/ت٥٩٤) وقد أخرجه عبد بن حميد – كما في « تغليق التعليق » لابن حجر (٢٢٩/٤) – ثنا جعفر بن عون عن النضر بن عربي به وهذا إسناد حسن ، النضر بن عربي وثقه يحيى بن معين وأبو زرعة وابن نمير ، وجعفر بن عون ، صدوق – كما في « التقريب » .

---

[١] – وهي قراءة عاصم ، وأبي عمرو ، وحمزة ، والكسائي .

[٢] – في ز ، خ : « عتبة » .

[٣] – في ز ، خ : « سهل » .

[٤] – في ز : يحب .

[٥] – في خ : « عبيدة » .

واستشهد الإمام ابن جرير علىٰ هذه القراءة بقول[١] الشاعر لعلي بن أبي طالب - رضي اللَّه عنه - :

أبْـلـغ أمـيـر المؤمـنـيـن أخـا[٢] الـعـراق إذا أتـيـتـا
أنَّ الـعـراق وأهـلـه عُـنُـقٌ[٣] إلـيـك فـهـيـت هـيـتـا

يقول : فتعال واقترب .

وقرأ ذلك آخرون : (هِئْتُ لك)[٤] بكسر الهاء ، والهمزة ، وضم التاء ، بمعنىٰ : تهيأت لك ، من قول القائل : هئت للأمر أهيء هيئةً ، وممن روي عنه هذه القراءة ؛ ابن عباس ، وأبو عبد الرحمن السلمي ، وأبو وائل ، وعكرمة ، وقتادة ، وكلهم يفسرها بمعنىٰ : تهيأت لك .

قال ابن جرير : وكان أبو عمرو ، والكسائي ينكران هذه القراءة .

وقرأ عبد اللَّه بن إسحاق : (هَيتِ) بفتح الهاء وكسر التاء ، وهي غريبة .

وقرأ آخرون منهم عامة أهل المدينة : (هَيتُ) بفتح الهاء وضم التاء ، وأنشد قول الشاعر :

لـيـس قـومـي بـالأبـعـديـن إذا مـا قـال داعٍ مـن الـعـشـيـرة هَـيْـتُ

قال عبد الرزاق(٤٣) : أنبأنا الثوري ، عن الأعمش ، عن أبي وائل قال : قال ابن مسعود : قد سمعت القَرَأَةَ فسمعتهم متقاربين : فاقرءوا كما عُلِّمتم ، وإياكم والتنطع[٥] والاختلاف ، وإنما هو كقول أحدكم : هلم وتعال . ثم قرأ عبد اللَّه ﴿ **هَيْتَ لك** ﴾ فقلت : يا أبا عبد الرحمن ، إن ناسًا يقرءونها (هَيْتُ) . فقال عبد اللَّه : إنِّي أقرؤها كما عُلِّمت أحبُّ إلي .

---

(٤٣) - **صحيح** ، رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/٣٢٠) ومن طريقه ابن جرير (١٦/١٨٩٩٨-شاكر) وابن أبي حاتم (٧/١١٤٦٥) ، وأخرجه البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **وراودته التي هو في بيتها عن نفسه ...** ﴾ (٤٦٩٢) وأبو داود ، كتاب : الحروف والقراءات ، (٤٠٠٤،٤٠٠٥) ، من طرق عن سليمان الأعمش به مختصرًا .

---

[١] - في ز ، خ : « قول » .
[٢] - في ز ، خ : « إذا » .
[٣] - في ز : عتق .
[٤] - وهي قراءة لابن عامر .
[٥] - في خ : « التمطع والتنطع » .

وقال ابن جرير(٤٤) : حدثنا ابن وكيع ، قال حدثنا ابن عيينة ، عن منصور ، عن أبي وائل قال : قال عبد الله ﴿ هَيْتَ لك ﴾ فقال له مسروق : إن ناسًا يقرءونها (هَيْتُ لَكَ) . فقال : دعوني ، فإني أقرأ كما أقرئت أحبُّ إليّ .

وقال أيضًا(٤٥) : حدثني المثنى ؛ قال : حدثنا آدم بن أبي إياس ، قال : حدثنا شعبة [عن الأعمش][١] ، عن شقيق ، عن ابن مسعود ؛ قال : ﴿ هَيْتَ لك ﴾ بنصب الهاء والتاء وبلا همز .

وقرأ[٢] آخرون : (هِيتُ لك) بكسر الهاء ، وإسكان الياء ، وضم التاء .

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : هيت لا تثنى ، ولا تجمع ، ولا تؤنث ، بل يخاطب الجميع بلفظ واحد ، فيقال : هيت لكَ ، وهيت لكِ ، وهيت لكما ، وهيت لكم ، وهيت لهن .

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ (٢٤) ﴾

اختلفت[٣] أقوال الناس وعباراتهم في هذا المقام ؛ وقد رُوي عن ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وطائفة من السلف في ذلك ما ذكره[٤] ابن جرير ، وغيره والله أعلم .

[وقال بعضهم][٥] : المراد بهمه بها هَمُّ خطرات وحديث النفس ، حكاه البغوي(٤٦)

(٤٤) - **إسناده ضعيف** لضعف سفيان بن وكيع ، وهو حديث صحيح . التفسير (١٦/١٩٠٠٠) ، وانظر ما قبله ، وما بعده .

(٤٥) - **صحيح** ، التفسير (١٦/١٩٠٠١) ، وأخرجه الحاكم (٢/٣٤٦) من طريق إبراهيم بن الحسين ، ثنا آدم بن أبي إياس به ، وقال : « حديث صحيح على شرط الشيخين » ووافقه الذهبي وهو كما قالا ، وانظر ما قبله .

(٤٦) - وأخرجه أيضًا في « شرح السنة » (١٤/٤١٤٨) ، وأحمد (٢/٣١٥) ، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب : « إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب » (٢٠٥) (١٢٩) ، وابن حبان (٢/٣٧٩) وابن مندة في « الإيمان » (٣٧٦) من طريق عبد الرزاق بهذا الإسناد ، وسياقه مغاير في بعض الأحرف للسياق الذي أورده المصنف ، وأقرب منه لسياق المصنف ما أخرجه أحمد (٢/٢٤٢) والبخاري ، كتاب التوحيد ، باب : قول الله تعالى : ﴿ يريدون أن يبدلوا كلام الله ﴾ (٧٥٠١) ، ومسلم (١٢٨) =

[١] - ما بين المعكوفين زيادة من ابن جرير و« المستدرك » وشعبة لا يروي عن شقيق مباشرة .

[٢] - في خ : وقال .

[٣] - في ز ، خ : « اختلف » .

[٤] - في ت : «رواه » .

[٥] - في ت : « وقيل » .

عن بعض أهل التحقيق ، ثم أورد البغوي هاهنا حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة ، رضي اللّه عنه ، قال : قال رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **يقول اللّه تعالى : إذا هم عبدي بحسنة فاكتبوها له حسنة ، فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها ، وإن هم بسيئة فلم يعملها فاكتبوها حسنة ، فإنما تركها من جرائي ، فإن عملها فاكتبوها بمثلها** » .

وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وله ألفاظ كثيرة هذا منها .

وقيل : هم بضربها . وقيل : تمناها زوجة . وقيل : هم بها لولا أن رأى برهان ربه ، أي : فلم يهم بها ، وفي هذا القول نظر من حيث العربية ؛ ذكره[١] ابن جرير وغيره .

وأما البرهان الذي رآه ففيه أقوال أيضًا ؛ فعن ابن عباس(٤٧) ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، ومحمد بن سيرين ، والحسن ، وقتادة ، وأبي صالح ، والضحاك ، ومحمد بن إسحاق ، وغيرهم : رأىٰ صورة أبيه يعقوب [عليه السلام] عاضًا علىٰ أصبعه بفمه . وقيل عنه في رواية : فضرب في صدر يوسف .

وقال العوفي(٤٨) ، عن ابن عباس : رأىٰ[٢] خيال الملك - يعني : سيده ، وكذا قال محمد بن إسحاق فيما حكاه عن بعضهم : إنما هو خيال أطفير[٣] سيده حين دنا من الباب .

وقال ابن جرير(٤٩) : حدثنا أبو كريب ؛ قال : حدثنا وكيع ، عن أبي مودود ، قال : سمعت من محمد بن كعب القرظي قال : رفع يوسف رأسه إلىٰ سقف البيت ، فإذا كتاب

= والترمذي كتاب : تفسير القرآن ، باب : « ومن سورة الأنعام » (٣٠٧٥) ، والنسائي في « التفسير » (٦/ ١١١٨١) لكن من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ، به . وانظر ما تقدم (سورة البقرة/آية ٢٨٤) .

(٤٧) - **صحيح** ، أخرجه عبد الرزاق وابن جرير (١٦/٤١،٤٢/ شاكر) وابن أبي حاتم (٧/ ١١٤٧٧،١١٤٧٨،١١٤٧٩) ، وصححه الحاكم على شرط الشيخين (٢/٣٤٦) ووافقه الذهبي ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٤/٢٢) إلى الفريابي وسعيد بن منصور وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٤٨) - **إسناده ضعيف لضعف العوفي** ، وأخرجه ابن جرير (١٦/١٩٠٨٩) .

(٤٩) - **إسناده صحيح** ، التفسير (١٦/١٩٠٨٤) وأبو مودود اسمه عبد العزيز بن أبي سليمان الهُذَلِيُّ ، وثقه أحمد ، وابن معين ، وأبو داود ، وابن المديني ، وابن نمير مطلقًا ، وقصر به الحافظ ابن حجر عن مرتبته ، فقال في « التقريب » : مقبول . وانظر ما بعده .

---

[١] - في ت : « حكاه » . [٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : « أظفير » .

في حائط البيت : ﴿ لا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة [ ][١]وساء سبيلًا ﴾ . وكذا رواه أبو معشر المدني(٥٠) عن محمد بن كعب .

وقال عبد الله بن وهب(٥١) : أخبرني نافع بن يزيد[٢] ، عن أبي صخر ، قال : سمعت القرظي يقول في البرهان الذي رأه[٣] يوسف : ثلاث آيات من كتاب الله ﴿ إن عليكم لحافظين ﴾ الآية ، وقوله : ﴿ وما تكون في شأن ﴾ الآية ، وقوله : ﴿ أفمن هو قائم علىٰ كل نفس بما كسبت ﴾ .

قال نافع : سمعت أبا هلال يقول مثل قول القرظي ، وزاد آية رابعة : ﴿ ولا تقربوا الزنا ﴾ . وقال الأوزاعي : رأى آية من كتاب الله في الجدار تنهاه عن ذلك .

قال ابن جرير : والصواب أن يقال : إنه رأىٰ من آيات الله ما زجره عما كان هم به ، وجائز أن يكون صورة يعقوب ، وجائز أن يكون صورة الملك ، وجائز أن يكون ما رآه مكتوبًا من الزجر عن ذلك ، ولا حجة قاطعة علىٰ تعيين شيء من ذلك ، فالصواب أن يطلق كما قال الله تعالىٰ .

قال : وقوله : ﴿ كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ﴾ أي : كما أريناه برهانًا صرفه عما كان فيه ، كذلك نقيه السوء والفحشاء في جميع أموره .

﴿ إنه من عبادنا المخلصين ﴾ أي : من المجتبين المطهرين المختارين المصطفين الأخيار ، صلوات الله وسلامه عليه .

وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ

(٥٠) - **إسناده ضعيف : لضعف أبي معشر** ، أخرجه ابن جرير (١٩٠٨٦/١٦) ، وابن أبي حاتم (٧/ ١١٤٨٧) ، وأبو معشر المدني هو نجيح بن عبد الرحمن السِّندي ، ضعيف ، والأثر زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٢٤/٤) إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٥١) - أخرجه ابن جرير (١٩٠٨٧/١٦) ، وابن أبي حاتم (١١٤٨٩/٧) وأبو صخر هو حميد بن يزيد المدني صدوق يهم ، كما في « التقريب » .

[١] - في ز ، خ : ومقتًا . وهو سهو من الناسخ . [٢] - في ز ، خ : « سريد » .

[٣] - في ز ، خ : « رآى » .

﴿فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾﴾

يخبر تعالىٰ عن حالهما حين خرجا يستبقان إلىٰ الباب ، يوسف هارب ، والمرأة تطلبه ليرجع إلىٰ البيت ، فلحقته في أثناء ذلك ، فأمسكت بقميصه [من ورائه][١] ، فقدته قدًّا فظيعًا يقال : إنه سقط عنه ، واستمر يوسف هاربًا ذاهبًا وهي في إثره ، فألفيا سيدها وهو زوجها عند الباب ، فعند ذلك خرجت مما هي فيه بمكرها وكيدها ، وقالت لزوجها متنصلة وقاذفة يوسف بدائها : ﴿ **ما جزاء من أراد بأهلك سوءًا** ﴾ أي : فاحشة ﴿ **إلا أن يسجن** ﴾ أي : يحبس ﴿ **أو عذاب أليم** ﴾ أي : يضرب ضربًا شديدًا موجعًا ، فعند ذلك انتصر يوسف ، عليه السلام ، بالحق ، وتبرأ مما رمته به من الخيانة ، و﴿ **قال** ﴾ بارًّا صادقًا : ﴿ **هي راودتني عن نفسي** ﴾ وذكر أنها اتبعته تجذبه إليها حتىٰ قدت قميصه ﴿ **وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل** ﴾ أي : من قدامه ﴿ **فصدقت** ﴾ أي : في قولها إنه [أرادها][٢] [على][٣] نفسها ؛ لأنه يكون لما دعاها وأبت عليه ، دفعته في صدره فقدت قميصه ، فيصح ما قالت ﴿ **وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين** ﴾ وذلك يكون كما وقع ، لما هرب منها ، وتطلبته أمسكت بقميصه من ورائه لترده إليها ، فقدت قميصه من ورائه .

وقد اختلفوا في هذا الشاهد : هل هو صغير أو كبير ؟ علىٰ قولين لعلماء السلف ؛ فقال عبد الرزاق(٥٢) :

أخبرنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ﴿ **وشهد شاهد من أهلها** ﴾

---

(٥٢) - **إسناده ضعيف** ، تفسير عبد الرزاق (٣٢٢/٢) ومن طريقه ابن جرير (١٩١٢١/١٦) ، وابن أبي حاتم (١١٥٠٤/٧) ، وأخرجه ابن جرير (١٩١١٩/١٦،١٩١٢٢) من طريقين عن إسرائيل ، به ، ورواية سماك عن عكرمة مضطربة ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٢٦/٤) إلى الفريابي وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في خ : « راودها » .

[٣] - في ت : عن .

قال : ذو لحية .

وقال الثوري(٥٣) ، عن جابر ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس : كان من خاصة الملك .

وكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة ، والسدي ، ومحمد بن إسحاق ، وغيرهم : إنه كان رجلًا .

وقال زيد بن أسلم ، والسدي : كان ابن عمها .

وقال ابن عباس(٥٤) : كان من خاصة الملك .

وقد ذكر ابن إسحاق : أن زليخا كانت بنت أخت الملك الريان بن الوليد .

وقال العوفي(٥٥) : عن ابن عباس في قوله ﴿ **وشهد شاهد من أهلها** ﴾ قال : كان صبيًّا في المهد .

وكذا روي عن أبي هريرة(٥٦) ، وهلال بن يساف ، والحسن ، وسعيد بن جبير ، والضحاك بن مزاحم : أنه كان صبيًّا في الدار ، واختاره ابن جرير .

وقد ورد فيه حديث مرفوع ؛ فقال ابن جرير(٥٧) : حدثنا الحسن بن محمد ، حدثنا عفان ، حدثنا حماد - هو ابن سلمة - أخبرني عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ،

---

(٥٣) - **إسناده ضعيف لضعف جابر وهو الجعفي** ، وأخرجه ابن جرير (١٦/١٩١١٢) ، وابن أبي حاتم (٧/١١٥٠٩) من طرق عن الثوري به ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٤/٢٦) إلى الفريابي وأبي الشيخ .

(٥٤) - انظر السابق .

(٥٥) - **إسناده ضعيف** ، أخرجه ابن جرير (١٦/١٩١١٠) ، والعوفي ضعيف ، وأخرجه ابن أبي حاتم (٧/١١٥٠٣) من طريق آخر عن ابن عباس ، وضعفه ابن حجر في « الفتح » (٦/٤٨٠) إذ إن في إسناده أبا سعد البقال واسمه سعيد بن المَرْزُبان ، وهو ضعيف مدلس ، وعزاه السيوطي (٤/٢٥) إلى أبي الشيخ ، وانظر الآتي برقم (٦١ ، ٦٢) .

(٥٦) - **إسناده ضعيف جدًّا** ، أخرجه ابن جرير (٦/١٩١٠٠) عن أبي هريرة موقوفًا ، وفي إسناده أبو بكر الهذلي ، أخباري متروك الحديث ، وله طريق آخر مرفوع عند الحاكم (٢/٥٩٥) وصححه على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي ، لكن لفظه باطل ، كما حققه الألباني في « الضعيفة » (٢/٨٨٠) وانظر ما تقدم (سورة آل عمران/ آية ٤٦) .

(٥٧) - التفسير (١٦/١٩١٠٨) وأخرجه أحمد (١/٣٠٩) - عقب طريق أبي عمر الضرير الآتية في التخريج رقم (٥٨) الموقوفة وقال فذكر نحوه موقوفًا . والبزار (١/رقم٥٤) والحاكم (٢/٤٩٦-٤٩٧) - ومن طريقه البيهقي في « الشعب » (٢/١٦٣٦) - ومن طريق آخر في « دلائل النبوة » (٢/٣٨٩)=

عن ابن عباس ، عن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « **تكلم أربعة وهم صغار** ...» ، فذكر فيهم شاهد يوسف .

ورواه غيره(٥٨) عن حماد بن سلمة ، عن عطاء ، عن سعيد [بن جبير][١]، عن ابن عباس أنه قال : « **تكلم أربعة وهم صغار ؛ ابن ماشطة بنت فرعون ، وشاهد يوسف ، وصاحب جريج ، وعيسىٰ بن مريم** » .

وقال ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد : كان من أمر اللَّه تعالىٰ ولم يكن إنسيًّا . وهذا قول غريب .

وقوله ﴿ **فلما رأىٰ قميصه قدّ من دبر** ﴾ أي : لما تحقق زوجها صدق يوسف ، وكذبها فيما قذفته ورمته به ﴿ **قال إنه من كيدكن** ﴾ أي : إن هذا البهت واللطخ الذي لطخت عرض هذا الشاب به من جملة كيدكن ﴿ **إن كيدكن عظيم** ﴾ .

ثم قال آمرًا ليوسف عليه السلام بكتمان ما وقع : ﴿ **يوسف أعرض عن هذا** ﴾ أي : اضرب عن هذا الأمر صفحًا ، أي : فلا تذكره لأحد ﴿ **واستغفري لذنبك** ﴾ يقول لامرأته وقد كان لين العريكة سهلًا ، أو أنه عذرها ؛ لأنها رأت مالا صبر لها عنه ، فقال لها :

= كلهم من طريق عفان بن مسلم به مرفوعًا وقال الحاكم : « صحيح الإسناد » ووافقه الذهبي ، كذا قالا ، وخالف عفان جمع من الثقات فأوقفوه على ابن عباس ، فانظر ما بعده .

(٥٨) - أخرجه أحمد (٣٠٩/١ - ٣١٠) ومن طريقه الطبراني في « الكبير » (١٢٢٨٠/١١) عن أبي عمر الضرير ، وأخرجه الطبراني أيضًا (١٢٢٧٩) ومن طريقه اختاره الضياء في « المختارة » (٢٨٩/١٠، ٢٩٠) من طريق أبي عمر الضرير ، وآدم بن أبي إياس وأبي نصر التمار ، وأخرجه أحمد (٣٠١/١) ، وأبو يعلى (٢٥١٧/٤) - ومن طريقه الضياء (٢٨٨) وابن حبان (٢٩٠٤/٧) والبيهقي في « الدلائل » (٣٨٩/٢) من طريق هدبة بن خالد ، ونسي هدبة أن يسمي أحد الأربعة وهو « صاحب يوسف » .

وأخرجه أحمد ، وابن حبان (٢٩٠٣) من طريق حسن بن موسى ويزيد بن هارون - ضمن حديث طويل دون قول ابن عباس - كلهم (أبو عمر الضرير ، وآدم ، وأبو نصر ، وهدبة ، وحسن ، ويزيد) عن حماد بن سلمة ، به موقوفًا ، ومثل هذا له حكم الرفع ، وقد ذكره الهيثمي في « المجمع » (٧٠/١) وقال : « رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير والأوسط - لم أقف عليه في المطبوع من الأوسط (*) - وفيه عطاء بن السائب وهو ثقة ولكنه اختلط » قلت : وقد روى عنه حماد بن سلمة قبل الاختلاط ؛ كما قال ابن معين وأبو داود والطحاوي وغيرهم ، انظر « الكواكب النيرات » لابن الكيال (٣٩) و « تهذيب التهذيب » (٣/ ١٠٣) والحديث صححه ابن حبان والحاكم والضياء - كما تقدم - وصححه أيضًا السيوطي كما=

[١] - سقط من ز ، خ .

(*) وعلى هامش (م) من نسخ « المعجم » حسنه الحافظ شمس الدين السخاوي وقال : « الذي في الأوسط الذي قبله .

﴿ استغفري لذنبك ﴾ أي : الذي وقع منك من إرادة السوء بهذا الشاب ، ثم قذفه بما هو بريء منه ، استغفري من[١] هذا الذى وقع منك ﴿ إنك كنت من الخاطئين ﴾ .

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٠) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١) قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ (٣٢) قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ (٣٣) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٤) ﴾

يخبر تعالىٰ أن خبر يوسف وامرأة العزيز شاع في المدينة ، وهي مصر ، حتىٰ تحدث [به الناس][٢] ﴿ وقال نسوة في المدينة ﴾ مثل نساء الكبراء والأمراء ، ينكرن علىٰ امرأة العزيز وهو الوزير ، ويعبن ذلك عليها ﴿ امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه ﴾ أي : تحاول غلامها عن نفسه ، وتدعوه إلىٰ نفسها ﴿ قد شغفها حبًا ﴾ أي : قد وصل حبه إلىٰ شغاف قلبها وهو غلافه .

قال الضحاك(٥٩) ، عن ابن عباس : الشغف الحب القاتل ، والشعف دون ذلك ، والشغاف حجاب القلب .

﴿ إنا لنراها في ضلال مبين ﴾ أي : في صنيعها هذا من حبها فتاها ، ومراودتها إياه عن

= في « الدر المنثور » (٢٧٧/٤) وزاد نسبته إلى : « النسائي وابن مردويه ، وصححه أيضًا العلامة أحمد شاكر في « المسند » وأعاده المصنف - مطولًا - (الإسراء/ آية ١) وقال : « إسناده لا بأس به ، ولم يخرجوه » .

(٥٩) - أخرجه ابن أبي حاتم (١١٥٢٣/٧) وفي إسناده بشر بن عمارة الخثعمي ، ضعيف ، وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٢٧/٤) إلى أبي الشيخ

[١] - سقط من : ت . [٢] - في خ : « الناس به » .

نفسه .

﴿ **فلما سمعت بمكرهن** ﴾ قال بعضهم : بقولهن ، وقال محمد بن إسحاق : بل بلغهن حُسْنُ يوسف فأحببن أن يرينه ، فقلن ذلك ليتوصلن إلىٰ رؤيته ومشاهدته ، فعند ذلك ﴿ **أرسلت إليهن** ﴾ أي[١] : دعتهن إلىٰ منزلها لتضيفهن ﴿ **وأعتدت لهن متكأ** ﴾ . قال ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، والحسن ، والسدي ، وغيرهم : هو المجلس المعد ، فيه مفارش ومخاد وطعام ، فيه ما يقطع بالسكاكين من أترج ونحوه ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وآتت كل واحدة منهن سكينًا** ﴾ وكان هذا مكيدة منها ، ومقابلة لهن في احتيالهن علىٰ رؤيته ﴿ **وقالت اخرج عليهن** ﴾ وذلك أنها كانت قد خبأته في مكان آخر ﴿ **فلما** ﴾ خرج و ﴿ **رأينه أكبرنه** ﴾ أي : أَعْظَمْنَ شأنه ، وأجللن قدره ، وجعلن يقطعن أيديهن دهشًا برؤيته ، وهن يظنن أنهن يقطعن الأترج بالسكاكين ، والمراد : أنهن حززن أيديهن بها ؛ قاله غير واحد .

وعن مجاهد وقتادة : قطعن أيديهن حتىٰ ألقينها ، فالله أعلم .

وقد ذُكر عن زيد بن أسلم أنها قالت لهن بعد ما أكلن وطابت أنفسهن ، ثم وضعت بين أيديهن أترجًا وآتت كل واحدة منهن سكينًا : هل لكن في النظر إلىٰ يوسف ؟ قلن : نعم . فبعثت إليه تأمره أن اخرج إليهن ، فلما رأينه جعلن يقطعن أيديهن ، ثم أمرته أن يرجع ليرينه مقبلًا ومدبرًا ، فرجع وهن يحززن في أيديهن ، فلما أحسسن بالألم جعلن يولولن ، فقالت[٢] : أنتن من نظرة واحدة فعلتن هذا ، فكيف أُلَامُ أنا ؟ ﴿ **فقلن حاش لله ما هذا بشرًا إن هذا إلا ملك كريم** ﴾ ثم قلن لها : وما نرىٰ عليك من لوم بعد هذا الذي رأينا . لأنهن لم يرين في البشر شبهه[٣] ولا قريبًا منه ، فإنه ، عليه السلام ، كان قد أعطي شطر الحسن ، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح في حديث الإسراء(٦٠) : أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، مر بيوسف ، عليه السلام ، في السماء الثالثة قال : « **فإذا هو قد أعطي شطر الحسن** » .

وقال حماد بن سلمة(٦١) ، عن ثابت ، عن أنس قال : قال ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **أعطي يوسف وأمه شطر الحسن** » .

---

(٦٠) - **صحيح** ، وسيأتي في (الإسراء/ آية ١) . وانظر ما بعده .

(٦١) - أخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٧/كتاب الفضائل ، باب (١٣) حديث ٤) ، وابن جرير (١٩٢٢٨/١٦) ، وابن عدي في « الكامل » (٢٠٢١/٥) ، والحاكم (٥٧٠/٢) ، والذهبي في =

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - في خ : « فقال » .

[٣] - في خ : شبيهه .

وقال سفيان الثوري(٦٢) ، [عن أبي إسحاق][١] ، عن أبي الأحوص ، عن عبد اللَّه بن مسعود قال : أعطي يوسف وأمه ثلث الحسن .

وقال أبو إسحاق أيضًا(٦٣) : عن أبي الأحوص ، عن عبد اللَّه قال : كان وجه يوسف مثل البرق ، وكانت المرأة إذا أتته لحاجة غطى وجهه مخافة أن تفتتن به .

ورواه الحسن البصري مرسلًا عن النبي ، صلى اللَّه عليه وسلم ، أنه قال(٦٤) : « **أعطي يوسف وأمه ثلث حسن أهل الدنيا ، وأعطي الناس الثلثين** » . أو قال : « **أعطي يوسف ، وأمه الثلثين ، والناس الثلث** » .

= « الميزان » (ت/عفان ٥٦٧٨) معلقًا ، وابن عساكر في « التاريخ » (١/٢١٨/١٩) من طريق عفان بن مسلم ثنا حماد ابن سلمة به مرفوعًا ، وسمى بعضهم أمه فقال : « يعني سارة » ، وأخرجه أحمد (٢٨٦/٣) ثنا عفان به دون ذكر « أمه » وقال ابن عدي : هذا الحديث ما أعلم رفعه أحد غير عفان وغيره أوقفه عن حماد بن سلمة ، وعفان أشهر وأوثق وأصدق من أن يقال فيه شيء مما ينسب إلى الضعف ، وصححه الحاكم على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي ، والموقوف المشار إليه أخرجه ابن أبي حاتم (١١٥٥٩/٧) وأبو يعلى في بعض نسخه - كما أشار إلى ذلك محققه لكنه أثبت المرفوع - (٣٣٧٣/٦) من طريق سليمان بن المغيرة وشيبان عن حماد به ، وليس فيه ذكر « أمه » ، وبدون هذه الزيادة أخرجه مسلم : كتاب الإيمان ، باب : الإسراء برسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى السماوات .. (٢٥٩) (١٦٢) ، وأحمد (١٢٥٢٦) (١٤٨/٣) من طريقين عن حماد بن سلمة به مرفوعًا - ضمن حديث طويل .

(٦٢) - أخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٧/ك الفضائل ، ب (١٣) ح ٥) ، وابن جرير (١٦/ ١٩٢٢٤،١٩٢٢٧) ، والطبراني في « الكبير » (٨٥٥٦/٩) من طرق عن سفيان الثوري به ، وأخرجه ابن جرير (١٩٢٢٥،١٩٢٢٦) من طريق شعبة عن أبي إسحاق به نحوه وأخرجه الطبراني (٨٥٥٥) من طريق شعبة هذه لكن بلفظ : « أعطي يوسف وأمه ثلثي الحسن » وانظر ما بعده .

(٦٣) - أخرجه ابن أبي حاتم (١١٥٦١/٧) ، والطبراني (٨٥٥٧/٩) من طريق زهير ثنا أبو إسحاق به ، وزاد في أوله « **أعطي يوسف وأمه ثلثي** - عند ابن أبي حاتم **ثلث - الحسن** » - وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٠٦/٨) : وقال : « رواه الطبراني موقوفًا ورجاله رجال الصحيح ، ورواه الطبراني أيضًا - السابق - فقال : « **أعطى يوسف وأمه ثلث الحسن** » والظاهر أنه وهم والله أعلم » . وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣٠/٤) إلى ابن سعد والحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٦٤) - **منكر** ، أخرجه ابن جرير (١٩٢٢٩/١٦) ثنا ابن حميد قال : ثنا حكّام ، عن أبي معاذ عن يونس عنه به ، ومع إرساله ففيه علل أخرى ؛ قال الألباني في « الصحيحة » (١٤٨١/٣) : « هو منكر باطل بهذا اللفظ ، لمخالفته للحديث الصحيح - المتقدم (٦٢) - ولأن إسناده واهٍ جدًا ، فإنه مع إرساله ، فيه أبو معاذ واسمه سليمان بن أرقم وهو متروك ، وابن حميد اسمه محمد الرازي ضعيف » وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٣٠/٤) إلى أبي الشيخ .

---

[١] - سقط من ز ، خ .

وقال سفيان(٦٥) ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ربيعة الجرشي قال : قسم الحسن نصفين ؛ فأعطي يوسف وأمه سارة نصف الحسن ، والنصف الآخر بين سائر الخلق .

وقال الإمام أبو القاسم السهيلي : معناه أن يوسف ، عليه السلام ، كان على النصف من حسن آدم ، عليه السلام ، فإن الله خلق آدم بيده على أكمل صورة وأحسنها ، ولم يكن في ذريته من يوازيه في جماله ، وكان يوسف قد أعطي شطر حسنه .

فلهذا قال هؤلاء النسوة عند رؤيته : ﴿ **حاش لله** ﴾ قال مجاهد وغير واحد : معاذ الله! ﴿ **ما هذا بشرًا** ﴾ ، وقرأ بعضهم (**ما هذا بِشِرًى**) . أي : بمشترى بشراء[١] ﴿ **إن هذا إلا ملك كريم * قالت فذلكن الذي لمتنني فيه** ﴾ تقول هذا معتذرة إليهن بأن هذا حقيق بأن[٢] يحب لجماله وكماله .

﴿ **ولقد راودته عن نفسه فاستعصم** ﴾ أي : فامتنع ، قال بعضهم : لما رأين جماله الظاهر[٣] أخبرتهن بصفاته الحسنة التي تخفى عنهن ، وهي العفة مع هذا الجمال ، ثم قالت تتوعده : ﴿ **ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونًا من الصاغرين** ﴾ فعند ذلك استعاذ يوسف ، عليه السلام ، من شرهن وكيدهن ، وقال : ﴿ **رب السجن أحب إليَّ مما يدعونني إليه** ﴾ أي : من الفاحشة ﴿ **وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن** ﴾ أي : إن وكلتني إلى نفسي فليس لي منها[٤] قدرة ، ولا أملك لها ضرًا ، ولانفعًا ، إلا بحولك ، وقوتك ، أنت المستعان ، وعليك التكلان ، فلا تكلني إلى نفسي .

﴿ **أصب إليهن وأكن من الجاهلين * فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم** ﴾ وذلك أن يوسف ، عليه السلام ، عصمه الله عصمة عظيمة وحماه ، فامتنع منها أشد الامتناع ، واختار السجن على ذلك ، وهذا في غاية مقامات الكمال : أنه مع شبابه وجماله وكماله ، تدعوه سيدته ، وهي امرأة عزيز مصر ، وهي مع هذا في غاية الجمال والمال والرياسة ، ويمتنع من ذلك ، ويختار السجن على ذلك ؛ خوفًا من الله

(٦٥) - **إسناده صحيح موقوف** ، أخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٧/ك الفضائل، ب (١٣) ح ٢) ، وابن أبي حاتم (١١٥٦٠/٧) ، وابن جرير (١٩٢٣٠/١٦) من طريقين عن سفيان به ، وتابعه جرير عن منصور به ، أخرجه ابن جرير أيضًا (١٩٢٣٢/١٦) وربيعة الجرشي مختلف في اسم أبيه ، وفي صحبته ، فقيل هو ابن عمرو ، وقيل : ابن الغاز ، قال ابن عساكر : الأول أصح ، ذكره ابن سعد فيمن نزل الشام من الصحابة ، وقال أبو حاتم : ليس له صحبة ، وقال الدارقطني : في صحبته نظر . انظر « الإصابة » (٣/ ت١٩٠٦) .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : أن .
[٣] - في ز : الطاهر .
[٤] - في خ : « من نفسي » .

ورجاء[١] ثوابه .

ولهذا ثبت في الصحيحين(٦٦) أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « **سبعة يظلهم اللَّه في ظله يوم لا ظل إلا ظله ؛ إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة اللَّه ، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ، ورجلان تحابا في اللَّه اجتمعا عليه وافترقا[٢] عليه ، ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتىٰ لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف اللَّه ، ورجل ذكر اللَّه خاليًا ففاضت عيناه** » .

ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾

يقول تعالى : ثم ظهر لهم من المصلحة فيما رأوه أنهم يسجنونه إلىٰ حين ، أي : إلىٰ مدة ، وذلك بعد ما عرفوا براءته ، وظهرت الآيات وهي الأدلة علىٰ صدقه في عفته ونزاهته ، وكأنهم ، واللَّه أعلم ، إنما سجنوه لما شاع الحديث ؛ إيهامًا أنه راودها عن نفسها ، وأنهم سجنوه علىٰ ذلك ، ولهذا لما طلبه[٣] الملك الكبير في آخر المدة امتنع من الخروج حتىٰ تتبين براءته مما نسب إليه من الخيانة ، فلما تقرّر ذلك خرج وهو نقي العرض ، صلوات اللَّه عليه وسلامه .

وذكر السدي : أنهم إنما سجنوه ؛ لئلا يشيع ما كان منها في حقه ، ويبرئ عرضه فيفضحها .

وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْـَٔاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾

قال قتادة : كان أحدهما ساقي الملك ، والآخر خبازه . قال محمد بن إسحاق : كان اسم الذي علىٰ الشراب : بنوا ، والآخر : مجلث .

(٦٦) - أخرجه البخاري ، كتاب الأذان ، باب : من جلس في المسجد ينتظر الصلاة ، وفضل المساجد (٦٦٠) ، ومسلم ، كتاب : الزكاة ، باب : فضل إخفاء الصدقة (٩١) (١٠٣١) من حديث أبي هريرة ، وسياق المصنف مغاير للفظه عندهما في بعض الأحرف ، وقد تقدم بسياق آخر (البقرة/ آية ٢٧١) .

[١] - في ز ، خ : « رجاء » .
[٢] - في ت : « وتفرقا » .
[٣] - في خ : « طلب » .

قال السدي : وكان سبب حبس الملك إياهما أنه توهم أنهما تمالآ علىٰ سمه في طعامه وشرابه .

وكان يوسف ، عليه السلام ، قد اشتهر في السجن بالجود والأمانة ، وصدق الحديث وحسن السمت ، وكثرة العبادة ، صلوات اللّٰه عليه وسلامه ، ومعرفة التعبير ، والإحسان إلىٰ أهل السجن ، وعيادة مرضاهم ، والقيام بحقوقهم ، ولما دخل هذان الفتيان إلىٰ السجن تآلفا به ، وأحباه حبًا شديدًا ، وقالا له(٦٧) : واللّٰه ، لقد أحببناك حبًا زائدًا . فقال[١] : بارك اللّٰه فيكما ، إنه ما أحبني أحد إلا دخل عليَّ من محبته ضرر ؛ أحبتني عمتي ، فدخل عليَّ الضرر بسببها ؛ وأحبني أبي فأوذيت بسببه ، وأحبتني امرأة العزيز فكذلك ، فقالا : واللّٰه ، ما نستطيع إلا ذلك ، ثم إنهما رأيا منامًا ؛ فرأى الساقي أنه يعصر خمرًا ، يعني : [ ][٢] عنبًا ، وكذلك هي في قراءة عبد اللّٰه بن مسعود : (إني أراني أعصر عنبًا) ورواه ابن أبي حاتم(٦٨) : عن أحمد بن سنان ، عن يزيد بن هارون ، عن شريك ، عن الأعمش ، عن زيد ابن وهب ، عن ابن مسعود : أنه قرأها : (أعصر عنبًا) .

وقال الضحاك في قوله ﴿ **إني أراني أعصر خمرًا** ﴾ يعني : عنبًا ؛ قال : وأهل عمان يسمون العنب خمرًا .

وقال عكرمة : [قال له : إني][٣] رأيت - فيما يرى النائم - أني غرست حبلة من عنب ، فنبتت فخرج فيها عناقيد فعصرتهنّ ، ثم سقيتهن[٤] الملك . فقال : تمكث في السجن ثلاثة أيام ثم تخرج فتسقيه خمرًا .

وقال الآخر وهو الخباز : ﴿ **إني أراني أحمل فوق رأسي خبزًا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله** ﴾ الآية .

---

(٦٧) - أخرجه ابن أبي حاتم (١١٥٩٨/٧) ، وابن جرير (١٩٢٧٢/١٦) بسندهما عن مجاهد موقوفًا .

(٦٨) - التفسير (١١٥٩٩/٧) وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في « الفتح » (٣٨٢/١٢) . وشريك هو ابن عبد الله القاضي « صدوق يخطئ كثيرًا » ، وأخرجه البخاري في « التاريخ الكبير » (٢٧٤/١-٢٧٥) وابن جرير (١٩٢٧٣/١٦) من طريق وكيع عن أبي سلمة الصائغ عن إبراهيم بن بشير الأنصاري عن محمد بن الحنفية قال : في قراءة ابن مسعود « إني أراني أعصر عنبًا » . وأبو سلمة الصائغ ترجم له البخاري في « التاريخ » (٢٩٨/٣) ، وابن أبي حاتم (٤٨٥/٣) ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلًا ، وإبراهيم بن بشير الأنصاري لم يوثقه غير ابن حبان (٩/٦) ، والأثر زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣٤/٤) إلى ابن المنذر ، وابن الأنباري ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه .

---

[١] - في خ : قال .
[٢] - ما بين المعكوفين في ت : خمرًا .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في خ : « سقيت » .

والمشهور عند الأكثرين ما ذكرناه : أنهما رأيا منامًا ، وطلبا تعبيره .

وقال ابن جرير(٦٩) : حدثنا ابن وكيع وابن حميد ؛ قالا : حدثنا جرير ، عن عمارة بن القعقاع ، عن إبراهيم ، عن عبد الله [بن مسعود] ؛ قال : ما رأى صاحبا يوسف شيئًا إنما كانا تحالما ليجربا عليه .

قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ (٣٧) وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨)

يخبرهما يوسف ، عليه السلام ، أنهما مهما رأيا في منامهما من حلم ، فإنه[١] عارف بتفسيره ، ويخبرهما بتأويله قبل وقوعه ؛ ولهذا قال : ﴿ **لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله** ﴾ .

قال مجاهد : يقول ﴿ **لا يأتيكما طعام ترزقانه** ﴾ [في نومكما][٢] ﴿ **إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما** ﴾ وكذا قال السدي ، وقال ابن أبي حاتم رحمه الله (٧٠) : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا محمد بن العلاء ، حدثنا محمد بن يزيد شيخ له ، [عن رشدين][٣] عن الحسن بن ثوبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : ما أدري لعل يوسف

(٦٩) - **صحيح** ، التفسير (١٩٢٩٨/١٦) ورواه أيضًا (١٩٢٩٦) من طريق سفيان عن عمارة به ، وإبراهيم هو ابن يزيد النخعي ، لم يسمع من ابن مسعود ، إلا أن الأعمش قال : قلت لإبراهيم : أسند لي عن ابن مسعود ، فقال إبراهيم : إذا حدثتكم عن رجل عن عبد الله فهو الذي سمعت ، وإذا قلت : قال عبد الله فهو عن غير واحد عن عبد الله « التهذيب » (١٥٥/١) ، وقد وصله محمد بن فضيل عن عمارة عن إبراهيم عن علقمة - وهو ابن قيس النخعي - عن عبد الله به نحوه ، أخرجه ابن جرير (١٩٢٩٧) ، وابن أبي حاتم (١١٦٣٢/٧) ، وله طريق آخر عن ابن مسعود عند ابن أبي حاتم (١١٦٣١) لكنه من رواية أبي عبيدة عنه وهو لم يسمع منه ، وزاد نسبته السيوطي (٣٦/٤) إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٧٠) - **إسناده ضعيف** ، التفسير (١١٦٠٧/٧) ، ومحمد بن يزيد لم أجد له ترجمة ، وشيخه رشدين بن سعد ، ضعيف ، ولذلك استغربه المصنف .

[١] - في خ : « كأنه » . [٢] - سقط من : خ .

[٣] - زيادة من المطبوع وهو من الرواة عن الحسن بن ثوبان انظر « تهذيب الكمال » [١٢٠٨/٦] .

- عليه السلام - كان يعتاف(٧١) وهو كذلك ؛ لأني أجد في كتاب اللَّه حين قال للرجلين : ﴿ **لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله** ﴾ قال : إذا جاء الطعام حلوًا ، أو مرًّا اعتاف عند ذلك . ثم[١] قال ابن عباس : إنما عُلِّمَ فَعَلِمَ . وهذا أثر غريب .

ثم قال : وهذا إنما هو من تعليم اللَّه إياي ؛ لأني اجتنبت ملة الكافرين باللَّه واليوم الآخر ، فلا يرجون ثوابًا ، ولا عقابًا في المعاد ﴿ **واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب** ﴾ الآية ، يقول : هجرت طريق الكفر والشرك ، وسلكت طريق هؤلاء المرسلين[٢] ، صلوات اللَّه وسلامه عليهم أجمعين ، وهكذا[٣] يكون حال من سلك طريق الهدىٰ ، واتبع طريق[٤] المرسلين ، وأعرض عن طريق الظالمين ، [**فإن اللَّه**][٥] يهدي قلبه ، ويعلمه ما لم يكن يعلم ، ويجعله إمامًا يقتدىٰ به في الخير ، وداعيًا إلىٰ سبيل الرشاد .

﴿ **ما كان لنا أن نشرك باللَّه من شيء ذلك من فضل اللَّه علينا وعلىٰ الناس** ﴾ هذا التوحيد : وهو الإقرار بأنه لا إله إلا اللَّه [٦] وحده لا شريك له ﴿ **من فضل اللَّه علينا** ﴾ أي : أوحاه إلينا ، وأمرنا به ﴿ **وعلىٰ الناس** ﴾ إذ جعلنا دعاة لهم إلىٰ ذلك ﴿ **ولكنّ أكثر الناس لا يشكرون** ﴾ أي : لا يعرفون نعمة اللَّه عليهم بإرسال الرسل إليهم ، بل ﴿ **بدّلوا نعمة اللَّه كفرًا وأحلوا قومهم دار البوار** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم(٧٢) : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا حجاج ، عن عطاء ، عن ابن عباس : أنه كان يجعل الجد أبًا ، ويقول : واللَّه ، لمن شاء لاعنّاه عند الحجر ، ما ذكر اللَّه جدًّا ولا جدة ، قال اللَّه تعالىٰ - يعني[٧] إخبارًا عن يوسف - : ﴿ **واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب** ﴾ .

يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا

---

(٧١) - اعتاف : مارس العِيافَة ، والعيافة تطلق على الظَّنّ والحدس ، وليس المراد أن يوسف كان يتعاطى العيافة كما كان يتعاطاها أهل الجاهلية ، وإنما هو كما يقال للذي يصيب بظنه : ما هو إلّا كاهن ، وللبليغ : ما هو إلا ساحر . وانظر النهاية لابن الأثير (٣/٣٣٠) .

(٧٢) - **إسناده ضعيف** ، التفسير (١١٦١٢/٧) وحجاج هو ابن أرطاة وهو صدوق كثير الخطأ والتدليس ، ولم يصرح بالتحديث .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : « المسلمين » .
[٣] - في خ : « وهذا » .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - في خ : « فإنه » .
[٦] - في خ : « هو » .
[٧] - سقط من : ت .

﴿ تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾

ثم إنّ يوسف ، عليه السلام ، أقبل على الفتيين بالمخاطبة ، والدعاء لهما إلىٰ عبادة اللَّه وحده لا شريك له ، وخلع ما سواه من الأوثان التي يعبدها قومهما ، فقال : ﴿ **أأرباب متفرّقون خير أم اللَّه الواحد القهار** ﴾ أي[١] : الذي وَلِيَ كل شيء بعز[٢] جلاله وعظمة سلطانه .

ثم بيّن لهما أن التي يعبدونها ، ويسمونها آلهة إنما هو جهل منهم ، وتسمية من تلقاء أنفسهم تلقاها خلفهم عن سلفهم ، وليس لذلك مستند من عند اللَّه ؛ ولهذا قال : ﴿ **ما أنزل اللَّه بها من سلطان** ﴾ أي : حجة ولا برهان .

ثم أخبرهم أنّ الحكم والتصرف والمشيئة والملك كله للَّه ، وقد أمر عباده قاطبة : أن لا يعبدوا إلا إياه ، ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ذلك الدين القيم** ﴾ أي : هذا الذي أدعوكم إليه من توحيد اللَّه وإخلاص العمل له هو الدين المستقيم ، الذي أمر اللَّه به وأنزل به الحجة والبرهان ، الذي يحبه ويرضاه ﴿ **ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ أي : فلهذا كان أكثرهم مشركين ﴿ **وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين** ﴾ .

وقد قال ابن جرير : إنما عدل بهم يوسف عن تعبير الرؤيا إلىٰ هذا ؛ لأنه عرف أنها ضارة لأحدهما ، فأحب أن يشغلهما بغير ذلك ؛ لئلا يعاودوه فيها ، فعاودوه فأعاد عليهم الموعظة .

وفي هذا الذي قاله نظر ؛ لأنه قد وعدهما أوّلًا بتعبيرها ، ولكن جعل سؤالهما له علىٰ وجه التعظيم والاحترام وصلة ، وسببًا إلىٰ دعائهما إلىٰ التوحيد والإسلام ، لما رأىٰ في سجيتهما من قبول الخير والإقبال عليه[٣] والإنصات إليه ؛ ولهذا لما فرغ من دعوتهما شرع في تعبير رؤياهما من غير تكرار سؤال فقال :

﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْـَٔاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ ﴾

---

[١] - سقط من : ز ، خ . [٢] - في ت : لعز .
[٣] - في ز ، خ : « له » .

يقول لهما : ﴿ **يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرًا** ﴾ وهو الذي رأىٰ أنه يعصر خمرًا ، ولكنه لم يعينه ؛ لئلا يحزن ذاك ، ولهذا أبهمه في قوله ﴿ **وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه** ﴾ وهو في نفس الأمر الذي رأىٰ أنه يحمل فوق رأسه خبزًا .

ثم أعلمهما أن هذا قد فرغ منه وهو واقع لا محالة ؛ لأن الرؤيا علىٰ رجل طائر ما لم تعبر ، فإذا عبرت وقعت ، وقال الثوري(٧٣) ، عن عمارة بن القعقاع عن [إبراهيم عن][١] عبد الله ؛ قال : لما قالا ما قالا وأخبرهما ، قالا : ما رأينا شيئًا . فقال : ﴿ **قضي الأمر الذي فيه تستفتيان** ﴾ .

ورواه محمد بن فضيل(٧٤) ، عن عمارة ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن ابن مسعود ، به .

وكذا فسره مجاهد ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وغيرهم ، وحاصله : أن من تحلم بباطل وفسره فإنه يلزم بتأويله ، والله تعالىٰ أعلم ، وقد ورد في الحديث الشريف[٢] الذي رواه الإمام أحمد : عن معاوية بن حيدة(٧٥) ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **الرؤيا علىٰ رجل طائر ما لم تعبر ، فإذا عبرت وقعت** » .

وفي مسند أبي يعلى(٧٦) : من طريق يزيد الرقاشي ، عن أنس مرفوعًا : « **الرؤيا لأول عابر** » .

﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾

لما ظن يوسف ، عليه السلام ، [نجاة أحدهما ، وهو الساقي][٣] ، قال له يوسف خفية

(٧٣) - أخرجه ابن جرير (١٦/١٩٢٢٥،١٩٢٢٦) وانظر ما تقدم برقم (٧٢) .
وإبراهيم لم يسمع من عبد الله ، وقد ورد موصولًا عند الحاكم (٢/٣٤٦) فأخرجه من طريق سفيان به ، غير أنه أدخل بين إبراهيم وعبد الله الأسود وهو ابن يزيد النخعي ، وقال الحاكم : « حديث صحيح » وسقط من تلخيص الذهبي .

(٧٤) - انظر ما تقدم برقم (٧٢) .

(٧٥) - تقدم تخريجه (٢٠) .

(٧٦) - **إسناده ضعيف ، لضعف يزيد الرقاشي** ، (٤١٣١/٧) وأخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف =

[١] - سقط من ز . [٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - في خ : أن الساقي ناج .

عن الآخر - والله أعلم - لئلا يشعره أنه المصلوب قال له - : ﴿ **اذكرني عند ربك** ﴾ يقول : اذكر قضيتي[١] عند ربك وهو الملك ، فنسي ذلك الموصَىٰ أن يذكر مولاه الملك[٢] بذلك ، وكان من جملة مكايد الشيطان ؛ لئلا يطلع نبي الله من السجن .

هذا هو الصواب أن الضمير في قوله ﴿ **فأنساه الشيطان ذكر ربه** ﴾ عائد علىٰ الناجي ، كما قاله مجاهد ومحمد بن إسحاق وغير واحد ، ويقال : إن الضمير عائد علىٰ يوسف ، عليه السلام ، رواه ابن جرير عن ابن عباس ومجاهد أيضا وعكرمة وغيرهم ، وأسند ابن جرير هاهنا حديثًا فقال(٧٧) :

حدثنا ابن وكيع ، حدثنا عمرو بن محمد ، عن إبراهيم بن يزيد ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ قال : قال النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **لو لم يقل** - يعني يوسف - **الكلمة التي قال ما لبث في السجن طول ما لبث حيث يبتغي الفرج من عند غير الله** » .

= (٧/ك : الإيمان والرؤيا ، ب (١١)ح٣) وابن ماجة ، كتاب : تعبير الرؤيا ، باب : « علام تعبر به الرؤيا » (٣٩١٥) من طريق يزيد الرقاشي به ، وقال البوصيري في « الزوائد » : « في إسناده يزيد بن أبان الرقاشي ، وهو ضعيف » وقال ابن حجر في « الفتح » (٤٣٢/١٢) : « وهو حديث ضعيف ، فيه يزيد الرقاشي » .

(٧٧) - **ضعيف جدًا** ، التفسير (١٩٣١٥/١٦) ، وأخرجه الطبراني في « الكبير » (١١٦٤٠/١١) من طريق إسحاق بن راهويه ، أنا عمرو بن محمد به ، وقال الهيثمي في « المجمع » (٤٣/٧) : « فيه إبراهيم بن يزيد القرشي المكي وهو متروك » ، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٢٣/٢) ومن طريقه ابن جرير (١٦/ ١٩٣١٢) عن ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة به مرسلًا - ويذكره المصنف هنا برقم (٨٨) لكن بلفظ آخر - وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣٧/٤) إلى ابن أبي الدنيا في « كتاب العقوبات » وابن مردويه . ولفظ الحديث ورد أيضًا من حديث أبي هريرة ، فقال ابن حبان (٦٢٠٦/١٤) : أخبرنا الفضل بن الحباب الجُمحيُّ ثنا مسدد بن مسرهد ، حدثنا خالد بن عبد الله ، ثنا محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عنه مرفوعًا : « **رحم الله يوسف ، لولا الكلمة التي قالها - اذكرني عند ربك - ما لبث في السجن ما لبث** ... » لكن قال المصنف في « البداية والنهاية » (٢٣٩/١) : « حديث منكر من هذا الوجه ، ومحمد بن عمرو بن علقمة له أشياء ينفرد بها ، وفيها نكارة ، وهذه اللفظة من أنكرها وأشدها ، والذي في الصحيحين - (انظر ما تقدم ، سورة هود/ آية ٨٠/رقم ٦٢) - يشهد بغلطها والله أعلم » . قال الألباني في « الصحيحة » (٤٨٤/١٨٦٧/٤) : « ويحتمل عندي أن تكون النكارة من شيخ ابن حبان : الفضل بن الحباب ، فإن فيه بعض الكلام ... » قلت : قد تابعه أبو حاتم الرازي - وهو من هو في الحفظ والإتقان - ثنا مسدد به بهذه الزيادة ، رواه عنه ابنه في « التفسير » (١١٦٣٤/٧) وعليه فقد عادت النكارة والانفراد إلى محمد بن عمرو - كما قال المصنف ولم تنسب إلى خالد بن عبد الله الواسطي ، لأنه ثقة ثبت ، والله تعالى أعلم .

---

[١] - في خ : قصتي . [٢] - سقط من ز .

وهذا الحديث ضعيف جدًّا ؛ لأن سفيان بن وكيع ضعيف ، وإبراهيم بن يزيد هو الخُوْزي أضعف منه أيضًا ، وقد روي عن الحسن[٧٨] وقتادة[٧٩] مرسلًا عن كل منهما ، وهذه المرسلات هاهنا لا تقبل لو قبل المرسل من حيث هو في غير هذا الموطن ، واللَّه أعلم .

وأما البضع : فقال مجاهد وقتادة : هو ما بين الثلاث إلىٰ التسع . وقال وهب بن منبه : مكث أيوب في البلاء سبعًا ، ويوسف في السجن سبعًا ، وعذاب بختنصر سبعًا .

وقال الضحاك[٨٠] ، عن ابن عباس -رضي اللَّه عنهما- ﴿ **فلبث في السجن بضع سنين** ﴾ قال : ثنتا عشرة سنة . وقال الضحاك : أربع عشرة سنة .

وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾

هذه الرؤيا من ملك مصر مما قدر اللَّه تعالىٰ أنها كانت سببًا لخروج يوسف ، عليه السلام ، من السجن معززًا مكرمًا ، وذلك أن الملك رأىٰ هذه الرؤيا فهالته ، وتعجب من

(٧٨) - أخرجه أحمد في « الزهد » (ص ١٥٣) ، وابن جرير (١٦/١٩٣١٣،١٩٣١٤) ، وابن أبي حاتم (٧/١١٦٣٥) ، وابن المنذر وأبو الشيخ - كما في « الدر المنثور » (٤/٣٧) .

(٧٩) - أخرجه ابن جرير (١٦/١٩٣١٧) ، وأبو الشيخ - كما في « الدر المنثور » (٤/٣٧) .

(٨٠) - **إسناده ضعيف** ، أخرجه ابن أبي حاتم (٧/١١٦٤٥) وفي إسناده بشر بن عمارة : « ضعيف » .

أمرها وما يكون تفسيرها ، فجمع الكهنة والحزاة[١] وكبار دولته وأمراءه ، وقص[٢] عليهم ما رأىٰ ، وسألهم عن تأويلها فلم يعرفوا ذلك ، واعتذروا إليه [بأن هذا][٣] ﴿ **أضغاث أحلام** ﴾ أي : أخلاط اقتضت[٤] رؤياك هذه ﴿ **وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين** ﴾ أي : ولو[٥] كانت رؤيا صحيحة من أخلاط ، لما كان لنا معرفة بتأويلها وهو تعبيرها ، فعند ذلك تذكر [ذلك][٦] الذي نجا من ذينك الفتيين اللذين كانا في السجن مع يوسف ، وكان الشيطان قد أنساه ما وصاه به يوسف من ذكر أمره للملك ، فعند ذلك تذكر بعد أمة ، أي : مدة ، وقرأ بعضهم : (بعد أَمَهٍ) أي : بعد نسيان ، فقال [لهم أي][٧] : للملك والذين جمعهم لذلك : ﴿ **أنا أنبئكم بتأويله** ﴾ أي : بتأويل هذا المنام ﴿ **فأرسلون** ﴾ أي : فابعثون إلىٰ يوسف الصديق إلىٰ السجن ، ومعنىٰ الكلام : فبعثوه[٨] فجاءه فقال : ﴿ **يوسف أيها الصديق أفتنا** ﴾ وذكر المنام الذي رآه الملك ، فعند ذلك ذكر له يوسف ، عليه السلام ، تعبيرها ، من غير تعنيف [لذلك الفتىٰ][٩] في نسيانه ما وصاه به ، ومن غير اشتراط للخروج قبل ذلك ، بل قال : ﴿ **تزرعون سبع سنين دأبًا** ﴾ أي : يأتيكم الخصب والمطر سبع سنين متواليات ، ففسر البقر بالسنين ، لأنها تثير الأرض التي تستغل منها الثمرات والزروع وهن السنبلات الخضر ، ثم أرشدهم إلىٰ ما يعتمدونه في تلك السنين ، فقال : ﴿ **فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلًا مما تأكلون** ﴾ أي : مهما استغللتم[١٠] في هذه السبع السنين الخصب ، فاخزنوه في سنبله ؛ ليكون أبقىٰ له وأبعد عن إسراع الفساد إليه ، إلا المقدار الذي تأكلونه ، وليكن قليلًا قليلًا لا تسرفوا فيه ؛ لتنتفعوا في السبع الشداد ، وهن السبع السنين المحل التي تعقب هذه السبع المتواليات[١١] ، وهن البقرات العجاف اللاتي يأكلن السمان ، لأن سني[١٢] الجدب يؤكل فيها ما جمعوه في سني[١٣] الخصب وهن السنبلات اليابسات .

وأخبرهم أنهن لا ينبتن شيئًا ، وما بذروه فلا يرجعون منه إلي شيء ، ولهذا قال : ﴿ **يأكلن ما قدمتم لهن إلّا قليلًا مما تحصنون** ﴾ .

---

[١] - جمع حازٍ ، اسم فاعل من حزا يحزو حزوًا : إذا تكهن ، أو قدر .

[٢] - في خ : فقضى .

[٣] - في خ : بأنها .

[٤] - في خ : اقتضته .

[٥] - في خ : لو .

[٦] - سقط من خ .

[٧] - سقط من : ز ، خ .

[٨] - في ز : فبعثوا .

[٩] - في خ : للفتىٰ .

[١٠] - في ز : استغليتم .

[١١] - في ز : متواليات

[١٢] - في ز ، خ : « سنين » .

[١٣] - في خ : « سنين » .

ثم بشرهم بعد الجدب العام المتوالي : بأنه[١] يعقبهم بعد ذلك عام فيه يغاث الناس ، أي : يأتيهم الغيث وهو المطر ، وتغل البلاد ، ويعصر الناس ما كانوا يعصرون علىٰ عادتهم من زيت ونحوه وسكر ونحوه ، حتىٰ قال بعضهم : يدخل فيه حلب اللبن أيضًا .

قال علي بن أبي طلحة(٨١) ، عن ابن عباس : ﴿ وفيه يعصرون ﴾ يحلبون .

وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾

يقول تعالىٰ إخبارًا عن الملك لما رجعوا إليه بتعبير رؤياه التي كان رآها بما أعجبه وأينقه[٢] فعرف فضل يوسف - عليه السلام - وعلمه وحسن أخلاقه علىٰ من ببلده من رعاياه فقال ﴿ ائتوني به ﴾ أي : أخرجوه من السجن وأحضروه ، فلما جاءه الرسول بذلك امتنع من الخروج حتىٰ يتحقق الملك ورعيته براءة ساحته ، ونزاهة عرضه مما نسب إليه من جهة امرأة العزيز ، وأن هذا السجن لم يكن علىٰ أمر يقتضيه بل كان ظلمًا وعدوانًا ، فقال ﴿ ارجع الىٰ ربك ﴾ الآية

وقد وردت السنة بمدحه علىٰ ذلك والتنبيه علىٰ فضله وشرفه وعلو[٣] قدره وصبره ،

(٨١) - أخرجه ابن جرير (١٩٣٩١/١٦) ، وابن أبي حاتم (١١٦٨٢/٧) ، من طريقين عن الفرج بن فضالة عن علي بن أبي طلحة به ، والفرج بن فضالة « ضعيف » ، وأخرجه ابن جرير (١٩٣٩٠) من طريق الحسين ابن داود - الملقب بـ « سنيد » - حدثني فضالة عن علي بن أبي طلحة به ، كذا وقع في نسخة شاكر وفي نسخة الحلبي (٢٣٣/١٢) : فضالة ، ولم أجد في شيوخ سنيد من اسمه فضالة ، لكن من شيوخه « فرج بن فضالة » فلعل فيه سقطًا قديمًا والله تعالى أعلم ، و « سنيد » هذا ضعفه غير واحد من الأئمة .

[١] - في ز : بأنهم .
[٢] - أي : أعجبه .
[٣] - في ز ، خ : « علي »

صلوات اللَّه وسلامه عليه ، ففي المسند والصحيحين(٨٢) من حديث الزهري ، عن سعيد وأبي سلمة ، عن أبي هريرة ، رضي اللَّه عنه ، قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : **« نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال ﴿ رب أرني كيف تحيي الموتى ﴾ الآية ويرحم اللَّه لوطًا لقد كان يأوي إلىٰ ركن شديد ، ولو لبثتُ في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي »**

[وقال الإمام أحمد أيضًا][١](٨٣) حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا محمد ابن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، في قوله : **﴿ فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم ﴾** فقال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : **« لو كنت أنا لأسرعتُ الإجابة وما ابتغيتُ العذر »**

وقال عبد الرزاق(٨٤) أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار [عن عكرمة][٢] ؛ قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : **« لقد عجبتُ من يوسف وصبره وكرمه واللَّه يغفر له - حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ، ولو كنت مكانه ما أجبتهم حتىٰ أشترط أن يخرجوني ، ولقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه - واللَّه يغفر له - حين أتاه الرسول ، ولو كنتُ مكانه لبادرتهم الباب ، ولكنه أراد أن يكون له العذر »** . هذا حديث مرسل .

وقوله تعالىٰ : **﴿ قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه ﴾** إخبارٌ عن الملك حين جمع النسوة اللاتي قطعن أيديهن عند امرأة العزيز فقال مخاطبًا لهن كلهن وهو يريد امرأة وزيره [ ][٣] العزيز : **﴿ ما خطبكن ﴾** أي : شأنكن وخبركن **﴿ إذ راودتن يوسف عن**

(٨٢) - **صحيح** ، أخرجه أحمد (٢/٣٢٦) ، والبخاري ، كتاب : الأنبياء ، باب : قول الله عز وجل **﴿ ونبئهم عن ضيف إبراهيم إذ دخلوا عليه ﴾** (٣٣٧٢) ، ومسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : « زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة (٢٣٨) (١٥١) ، وابن ماجه ، كتاب ، الفتن ، باب : « الصبر على البلاء » (٤٠٢٦) ، وقد تقدم الحديث (البقرة/ آية ٢٦٠) .

(٨٣) - **إسناده حسن** ، أخرجه أحمد (٢/٣٤٦، ٣٨٩) وابن جرير (١٦/١٩٤٠١) من طريق عفان به ، وابن أبي حاتم (٧/١١٦٨٥) ، من طريق موسى بن إسماعيل ثنا حماد به ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٧/٤٣) وقال : « رواه أحمد ، وفيه محمد بن عمرو وهو حسن الحديث » . وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٤/٤٢) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ والحاكم وصححه - والذي في الحاكم (٢/٣٤٦-٣٤٧) ليس بهذا اللفظ .

(٨٤) - **مرسل** ، أخرجه عبد الرزاق (٢/٣٢٣) ومن طريقه ابن جرير (١٦/١٩٤٠٣) ، وأخرجه =

[١] - في ت : وفي لفظ لأحمد .

[٢] - سقط من ز . [٣] - في ت : وهو .

نفسه ﴾ يعني يوم الضيافة ﴿ قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء ﴾ أي : قالت النسوة جوابًا للملك : حاش لله ! أن يكون يوسف متهما ، والله ما علمنا عليه من سوء . فعند ذلك ﴿ قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد : تقول[١] [الآن تبين الحق] وظهر وبرز .

﴿ أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ﴾ أي : في قوله : ﴿ هي راودتني عن نفسي ﴾ ﴿ ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب ﴾ تقول : إنما اعترفت بهذا على نفسي ليعلم [ ][٢] زوجي أني لم أخنه بالغيب[٣] في نفس الأمر ولا وقع المحذور الأكبر ، وإنما راودتُ هذا الشاب مراودة فامتنع ، فلهذا اعترفت ليعلم أني بريئة ﴿ وأن الله لا يهدي كيد الخائنين * وما أبرئ نفسي ﴾ تقول المرأة : ولست أبرئ نفسي ؛ فإن النفس تتحدث وتتمنى ولهذا راودته [لأنها أمارة][٤] بالسوء إلا ما رحم ربي ، أي : إلا من عصمه الله تعالى ﴿ إن ربي غفور رحيم ﴾ .

وهذا القول هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام ، وقد حكاه الماوردي في تفسيره وانتدب لنصره الإمام العلامة[٥] أبو العباس بن تيمية ، رحمه الله ، فأفرده بتصنيف على حدة .

وقد قيل : إن ذلك من كلام يوسف ، عليه السلام ، من قوله : ﴿ ذلك ليعلم أني لم أخنه ﴾ [في زوجته][٦] ﴿ بالغيب ﴾ الآيتين ، أي إنما رددت الرسول ليعلم الملك براءتي وليعلم العزيز ﴿ أني لم أخنه ﴾ في زوجته ﴿ بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين ﴾ الآية ، وهذا القول هو الذي لم يحك ابن جرير ولا ابن أبي حاتم سواه .

قال[٧] ابن جرير(٨٥) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن

= ابن أبي حاتم (١١٦٨٦/٧) ثنا أبي ، ثنا محمد بن أبي عمر العدني ، ثنا سفيان به ، وذكره ابن حجر في « الفتح » (٣٨٢/١٢) وقال : « هذا مرسل » وزاد نسبته السيوطي (٤٠/٤) إلى ابن المنذر ، وصححه موصولًا الشيخ الألباني في الصحيحة (١٩٤٥/٤) من حديث ابن عباس ، وانظر ما تقدم برقم (٨١) .

(٨٥) - **إسناده ضعيف** ، أخرجه ابن جرير (١٩٤٢٨/١٦) ، وأخرجه (١٩٤٢٩) ثنا ابن وكيع ثنا أبي به ، وأخرجه أيضًا (١٩٤٣٠) وابن أبي حاتم (١١٦٩٣/٧) من طريقين عن إسرائيل به ، ورواية سماك عن عكرمة مضطربة ، وأخرجه الحاكم (٣٤٦/٢) والبيهقي في « الشعب » (٧٢٩٠/٥) ، وفي « الزهد » (٣٦١) من طريق إسرائيل عن خصيف عن عكرمة به نحوه ، وخصيف هو ابن عبد الرحمن الجزري =

[١] - في ز : يقول .
[٢] - في ز : ذلك .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ت : « لأن النفس لأمارة » .
[٥] - سقط من : ت .
[٦] - ساقطة من : خ .
[٧] - في ز ، خ : « وقال » .

عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما جمع الملك النسوة ، فسألهن : هل راودتن يوسف عن نفسه ؟ ﴿ **قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق** ﴾ الآية ، قال يوسف : ﴿ **ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب** ﴾ الآية قال[١] : فقال له جبري عليه السلام : ولا يوم هممت بما هممت به ؟ فقال : ﴿ **وما أبرئ نفسي** ﴾ الآية .

وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وابن أبي الهذيل والضحاك والحسن وقتادة والسدي ، والقول الأول أقوى وأظهر ؛ لأن سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك ، ولم يكن يوسف ، عليه السلام ، عندهم ، بل بعد ذلك أحضره الملك .

وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾

يقول تعالى إخبارًا عن الملك حين تحقق براءة يوسف ، عليه السلام ، ونزاهة عرضه مما نسب إليه قال : ﴿ **ائتوني به أستخلصه لنفسي** ﴾ أي : أجعله من أخصائي[٢] وأهل مشورتي ﴿ **فلما كلمه** ﴾ أي : خاطبه الملك وعرفه ، ورأى فضله وبراعته ، وعلم ما هو عليه من خُلق وخَلْق وكمال ، قال له الملك : ﴿ **إنك اليوم لدينا مكين أمين** ﴾ أي : إنك عندنا قد بقيت ذا مكانة وأمانة ، فقال يوسف عليه السلام : ﴿ **اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم** ﴾ مدح نفسه ، ويجوز للرجل ذلك إذا جهل أمره للحاجة ، وذكر أنه ﴿ **حفيظ** ﴾ أي : خازن أمين ﴿ **عليم** ﴾ ذو علم وبصر بما يتولاه .

وقال شيبة بن نعامة : حفيظ لما استودعتني ، عليم بِسني[٣] الجدب . رواه ابن أبي حاتم(٨٦) .

وسأل العمل لعلمه بقدرته عليه ، ولما [في ذلك][٤] من المصالح للناس ، وإنما سأل[٥]

= صدوق سيئ الحفظ . وزاد نسبته السيوطي (٤٢/٤) إلى الفريابي وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٨٦) - التفسير (١١٧١٧/٧) ثنا علي بن الحسين ، ثنا محمد بن أبي حماد ، ثنا إبراهيم بن مختار عنه به ، وأخرجه ابن جرير (١٩٤٥٧/١٦) ثنا ابن حميد ثنا إبراهيم بن المختار به ، وإبراهيم بن المختار ، صدوق ضعيف الحفظ - كما في « التقريب » وصاحب القول شيبة بن نعامة ، ضعفه يحيى بن معين وابن الجارود وقال البزار : كانت عنده أخبار ، وهو لين الحديث ، انظر « لسان الميزان » (٣٧٦٦/٢) .

[١] - سقط من : ت .
[٢] - في ت : « خاصتي » .
[٣] - في ز ، خ : « سنين » .
[٤] - في ت : « فيه » .
[٥] - في خ : سأله .

أن يجعل[١] علىٰ خزائن الأرض : وهي الأهرام التي يجمع فيها الغلات ، لما يستقبلونه[٢] من السنين التي أخبرهم بشأنها ، ليتصرف[٣] لهم علىٰ الوجه الأحوط والأصلح والأرشد ، فأجيب إلىٰ ذلك رغبة فيه وتكرمة له ، ولهذا[٤] قال تعالىٰ :

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **وكذلك مكنا ليوسف في الأرض** ﴾ أي : أرض مصر ﴿ **يتبوأ منها حيث يشاء** ﴾ . قال السدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : يتصرف فيها كيف يشاء .

وقال ابن جرير : يتخذ منها منزلًا حيث شاء[٥] بعد الضيق والحبس والإسار ﴿ **نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين** ﴾ أي : وما أضعنا صبر يوسف علىٰ أذىٰ إخوته وصبره علىٰ الحبس بسبب امرأة العزيز ، فلهذا أعقبه الله عز وجل السلامة والنصر والتأييد ﴿ **ولا نضيع أجر المحسنين * ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون** ﴾ يخبر تعالىٰ : أن ما ادخره الله تعالي لنبيه يوسف ، عليه السلام ، في الدار الآخرة أعظم وأكثر وأجل مما خوله من التصرف والنفوذ في الدنيا ، كقوله[٦] في حق سليمان ، عليه السلام : ﴿ **هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب * وإن له عندنا لزلفىٰ وحسن مآب** ﴾ .

والغرض : أن يوسف ، عليه السلام ، ولَّاه ملك مصر الريان بن الوليد الوزارة في بلاد مصر ، مكان الذي اشتراه من مصر زوج التي راودته ، وأسلم الملك علىٰ يدي يوسف ، عليه السلام ؛ قاله مجاهد .

وقال محمد بن إسحاق(٨٧) : لما قال يوسف للملك : ﴿ **اجعلني علىٰ خزائن الأرض إني حفيظ عليم** ﴾ قال الملك : قد فعلتُ ، فولاه فيما ذكروا عمل أطفير ، وعزل[٧] أطفير عما كان عليه ، يقول الله عز وجل : ﴿ **وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين** ﴾ قال : فذكر لي - والله أعلم - :

(٨٧) - أخرجه ابن جرير (١٩٤٥٩/١٦) وابن أبي حاتم (١١٧٢٣/٧) من كلام ابن إسحاق .

[١] - في خ : يجعله .
[٢] - في خ : « يستقبلوه » .
[٣] - في خ : فيتصرف .
[٤] - في خ : « ولذلك » .
[٥] - في خ : يشاء .
[٦] - في خ : « كما قال تعالى » .
[٧] - في خ : « عمل » .

أن أطفير هلك في تلك الليالي ، وأن الملك الريان بن الوليد زوّج يوسف امرأة أطفير راعيلَ ، وأنها حين دخلت عليه قال لها : أليس هذا خيرًا مما كنت تريدين ؟ قال : فيزعمون أنها قالت : أيها الصديق ، لا تلمني ، فإني كنت امرأة كما ترىٰ حسناء جميلة ، ناعمة في ملك ودنيا ، وكان صاحبي لا يأتي النساء ، وكنتَ كما جعلك اللّٰه في حسنك وهيئتك[١] علىٰ ما رأيت . فيزعمون أنه وجدها عذراء فأصابها ، فولدت له رجلين ؛ أفرائيم ابن يوسف وميشا بن يوسف ، وولد لأفرائيم نون والد يوشع بن نون ، ورحمة امرأة أيوب عليه السلام .

وقال الفضيل بن عياض : وقفت امرأة العزيز علىٰ ظهر الطريق حتىٰ مر يوسف فقالت : الحمد لله الذي جعل العبيد ملوكًا بطاعته ، والملوك عبيدًا بمعصيته .

وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾

ذكر السدي ومحمد بن إسحاق وغيرهما من المفسرين : أن السبب الذي أقدم إخوة يوسف بلاد مصر ، أن يوسف ، عليه السلام ، لما باشر الوزارة بمصر ، ومضت السبع سنين المخصبة ، ثم تلتها [سنينُ الجدب][٢] ، وعم القحط بلاد مصر بكمالها ، ووصل إلىٰ بلاد كنعان ، وهي التي فيها يعقوب ، عليه السلام ، وأولاده ، وحينئذٍ احتاط يوسف ، عليه السلام ، للناس في غلاتهم ، وجمعها أحسن جمع ، فحصل من ذلك مبلغ عظيم ، وأهراء[٣] متعددة هائلة ، وورد عليه الناس من سائر الأقاليم والمعاملات ، يمتارون لأنفسهم وعيالهم ، فكان لا يعطي الرجل أكثر من حمل بعير في السنة ، وكان ، عليه السلام ، لا يشبع نفسه ، ولا يأكل هو والملك وجنودهما إلا أكلة واحدة في وسط النهار ، حتىٰ يتكفىٰ الناس بما في أيديهم مدّة السبع سنين ، وكان رحمة من اللّٰه علىٰ أهل مصر .

---

[١] - في ز : وهيبتك .

[٢] - في ت : « السبع سنين المجدبة » . [٣] - في خ : « وأهدا » .

وما ذكره بعض المفسرين من أنه باعهم في السنة الأولىٰ بالأموال ، وفي الثانية بالمتاع ، وفي الثالثة بكذا ، وفي الرابعة بكذا ، حتىٰ [باعهم بأنفسهم وأولادهم][١] بعد ما تملك عليهم جميع ما يملكون ، ثم أعتقهم وردّ عليهم أموالهم كلها - اللَّه أعلم بصحة ذلك ، وهو من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب .

والغرض : أنه كان في جملة من ورد للميرة إخوة يوسف عن أمر أبيهم لهم في ذلك ، فإنه بلغهم أن عزيز مصر يعطي الناس الطعام بثمنه ، فأخذوا معهم بضاعة يعتاضون بها طعامًا ، وركبوا عشرة نفر ، واحتبس يعقوب ، عليه السلام ، عنده ابنه بنيامين شقيق يوس عليه السلام ، وكان أحب ولده إليه بعد يوسف ، فلما [دخلوا علىٰ يوسف][٢]وهو جالس في أبهته ورياسته وسيادته ، عرفهم حين نظر إليهم ﴿ **وهم له منكرون** ﴾ أي : لا يعرفونه ؛ لأنهم فارقوه وهو صغير حدث ، وباعوه للسيارة ولم يدروا أين يذهبون به ، ولا كانوا يستشعرون في أنفسهم أن يصير إلىٰ ما صار إليه ، فلهذا لم يعرفوه ، وأما هو فعرفهم .

فذكر السدي وغيره : أنه شرع يخاطبهم فقال لهم كالمنكر عليهم : ما أقدمكم بلادي ؟ فقالوا : أيها العزيز ، إنا قدمنا للميرة . قال : فلعلكم عيون ؟ قالوا : معاذ اللَّه ! قال : فمن أين أنتم ؟ قالوا : من بلاد كنعان ، وأبونا يعقوب نبي اللَّه . قال : وله أولاد غيركم ؟ قالوا : نعم ، كنا اثني[٣] عشر ، فذهب أصغرنا هلك في البرية ، وكان أحبنا إلىٰ أبيه ، وبقي شقيقه فاحتبسه أبوه ليتسلىٰ به عنه . فأمر بإنزالهم وإكرامهم .

﴿ **ولما جهزهم بجهازهم** ﴾ أي : وفّاهم كيلهم ، وحمل لهم أحمالهم ، قال : ائتوني بأخيكم هذا الذي ذكرتم ؛ لأعلم صدقكم فيما ذكرتم ﴿ **ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين** ﴾ يرغبهم في الرجوع إليه ، ثم رهبهم فقال : ﴿ **فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي** ﴾ الآية ، أي : إن لم تقدموا به معكم في المرة الثانية فليس لكم عندي ميرة ﴿ **ولا تقربون * قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون** ﴾ أي : سنحرص علىٰ مجيئه إليك بكل ممكن ، ولا نبقي مجهودًا لتعلم صدقنا فيما قلناه .

وذكر السدي أنه أخذ منهم رهائن حتىٰ يقدموا به معهم ، وفي هذا نظر ؛ لأنه أحسن إليهم ورغبهم كثيرًا ، وهذا لحرصه علىٰ رجوعهم .

﴿ **وقال لفتيته**[٤] ﴾ أي : لغلمانه[٥] ﴿ **اجعلوا بضاعتهم** ﴾ أي : التي قدموا بها

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في خ : « فلما دخلوا عليه » .
[٣] - في خ : « اثنا » .
[٤] - كذا في ز ، خ . وهي قراءة نافع وأبي عمرو وعبد الله بن كثير وابن عامر .
[٥] - في ت : « غلمانه » .

ليمتاروا عوضًا عنها ﴿ **في رحالهم** ﴾ أي : في أمتعتهم من حيث لا يشعرون ﴿ **لعلهم يرجعون** ﴾ بها .

قيل : خشي يوسف ، عليه السلام ، أن لا يكون عندهم بضاعة أخرىٰ يرجعون للميرة بها ، وقيل : تذمم أن يأخذ من أبيه وإخوته عوضًا عن الطعام .

وقيل : أراد أن يردهم إذا وجدوها في متاعهم تحرجًا وتورعًا ؛ لأنه يعلم [ذلك منهم] ، والله أعلم .

فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُۖ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾

يخبر تعالىٰ عنهم أنهم لما[١] رجعوا إلىٰ أبيهم ﴿ **قالوا يا أبانا منع منا الكيل** ﴾ يعنون بعد هذه المرة إن لم ترسل معنا أخانا بنيامين ، ﴿ **فأرسله معنا نكتل** ﴾ قرأ بعضهم بالياء[٢] أي : يكتل هو ﴿ **وإنا له لحافظون** ﴾ أي : لا تخف عليه فإنه سيرجع إليك ، وهذا كما قالوا له في يوسف : ﴿ **أرسله معنا غدًا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون** ﴾ ، ولهذا قال لهم : ﴿ **هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم علىٰ أخيه من قبل** ﴾ أي : هل أنتم صانعون به إلا كما صنعتم بأخيه من قبل ، تغيبونه عني وتحولون بيني وبينه ؟ ﴿ **فالله خير حفظًا** ﴾[٣] وقرأ بعضهم : ﴿ **حافظًا** ﴾[٤] ، ﴿ **وهو أرحم الراحمين** ﴾ أي : هو أرحم الراحمين بي ، وسيرحم كبري وضعفي ووجدي بولدي ، وأرجو من الله أن يرده عليَّ ، ويجمع شملي به ، إنه أرحم الراحمين .

وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ذَٰلِكَ

---

[١] - زيادة من ز .

[٢] - وهم حمزة والكسائي .

[٣] - كذا ، وهي قراءة نافع وأبي عمرو وابن كثير وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر .

[٤] - وهي قراءة حفص عن عاصم وحمزة والكسائي .

كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾

يقول تعالىٰ : ولما فتح إخوة يوسف متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم ، وهي التي كان أمر يوسف فتيانه بوضعها في رحالهم ، فلما وجدوها في متاعهم ﴿ **قالوا يا أبانا ما نبغي** ﴾ أي : ماذا نريد ﴿ **هذه بضاعتنا ردت إلينا** ﴾ كما قال قتادة : ما نبغي وراء هذا : إن بضاعتنا ردت إلينا وقد أوفي لنا الكيل .

﴿ **ونمير أهلنا** ﴾ أي : إذا أرسلت أخانا معنا نأتي بالميرة إلىٰ أهلنا ﴿ **ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير** ﴾ وذلك أن يوسف ، عليه السلام ، كان يعطي كل رجل حمل بعير ، وقال مجاهد : حمل حمار ، وقد يسمىٰ في بعض اللغات بعيرًا كذا قال .

﴿ **ذلك كيل يسير** ﴾ هذا من تمام الكلام وتحسينه ، أي : إن هذا يسير في مقابلة أخذ أخيهم ، ما يعدل هذا [هذا][1] ﴿ **قال لن أرسله معكم حتىٰ تؤتوني موثقًا من الله** ﴾ أي : تحلفون بالعهود والمواثيق ﴿ **لتأتنني به إلا أن يحاط بكم** ﴾ إلا أن تغلبوا كلكم ولا تقدرون علىٰ تخليصه[2] ﴿ **فلما آتوه موثقهم** ﴾ أكده عليهم فقال : ﴿ **الله علىٰ ما نقول وكيل** ﴾ .

قال ابن إسحاق : وإنما فعل ذلك لأنه لم يجد بدًّا من بعثهم لأجل الميرة التي لا غنىٰ لهم[3] عنها فبعثه معهم .

وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾

يقول تعالىٰ إخبارًا عن يعقوب ، عليه السلام ، : أنه أمر بنيه لما جهزهم مع أخيهم بنيامين

---

[1] - سقط من خ .

[2] - في ز ، خ : « تحصيله » .

[3] - في ز : بهم .

إلىٰ مصرَ أن لا يدخلوا كلهم من باب واحد ، وليدخلوا من أبواب متفرقة ، فإنه كما قال ابن عباس(٨٨) ومحمد بن كعب ومجاهد والضحاك وقتادة والسدي [وغير واحد][١] : إنه خشي عليهم العين ، وذلك أنهم كانوا ذوي جمال وهيئة حسنة ومنظر وبهاء ، فخشي عليهم أن يصيبهم الناس بعيونهم ، فإن العين حق تستنزل الفارس عن فرسه .

وروىٰ ابن أبي حاتم(٨٩) : عن إبراهيم النخعي في الآية في قوله : ﴿ **وادخلوا من أبواب متفرقة** ﴾ قال : علم أنه سيلقىٰ إخوته في بعض تلك الأبواب .

وقوله : ﴿ **وما أغني عنكم من اللَّه من شيء** ﴾ أي : إن هذا الاحتراز لا يردّ قضاء اللَّه وقدره ، فإن اللَّه إذا أراد شيئًا لا يخالف ولا يمانع ﴿ **إن الحكم إلا للَّه عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون * ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من اللَّه من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها** ﴾ قالوا : هي دفع إصابة العين لهم ﴿ **وإنه لذو علم لما علمناه** ﴾ .

قال قتادة والثوري : لذو [عمل بعلمه][٢] .

وقال ابن جرير : لذو علم لتعليمنا إياه ﴿ **ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ .

وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾

يخبر تعالىٰ عن إخوة يوسف لما قدموا علىٰ يوسف ، ومعهم أخوه شقيقه بنيامين ، فأدخلهم[٣] دار كرامته ، ومنزل ضيافته ، وأفاض عليهم الصلة والألطاف والإحسان ، واختلىٰ بأخيه فأطلعه علىٰ شأنه ، وما جرىٰ له وعرفه أنه أخوه ، وقال له : لا تبتئس أي : لا تأسف علىٰ ما صنعوا بي ، وأمره بكتمان ذلك عنهم ، وأن لا يطلعهم علىٰ ما أطلعه عليه من أنه أخوه ، وتواطأ معه أنه سيحتال علىٰ أن يبقيه عنده معززًا مكرّمًا معظمًا .

فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ

---

(٨٨) - أخرجه ابن جرير (١٩٤٩٠/١٦) من طريق عطية العوفي عنه ، وعطية ضعيف .

(٨٩) - (١١٧٦٩/٧) وفي إسناده يحيى بن عبد الحميد الحماني ، اتهم بسرقة الحديث .

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ت : علم يعلمه .

[٣] - في خ : وأدخلهم .

﴿إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾﴾

لما جهزهم وحمّل لهم أبعرتهم طعامًا ، أمر بعض فتيانه أن يضع السقاية : وهي إناء من فضة في قول الأكثرين ، وقيل : من ذهب - قاله ابن زيد - كان يشرب فيه ، ويكيل للناس به من عزة الطعام إذ ذاك ؛ قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وعبد الرحمن بن زيد .

وقال شعبة(٩٠) ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ﴿ **صواع الملك** ﴾ قال : كان من فضة يشربون فيه وكان مثل المكوك ، وكان للعباس مثله في الجاهلية . فوضعها في متاع بنيامين من حيث لا يشعر أحد ، ثم نادىٰ مناد بينهم : ﴿ **أيتها العير إنكم لسارقون** ﴾ فالتفتوا إلىٰ المنادي ، وقالوا : ﴿ **ماذا تفقدون * قالوا نفقد صواع الملك** ﴾ أي : صاعه الذي يكيل به ﴿ **ولمن جاء به حمل بعير** ﴾ وهذا من باب الجعالة ﴿ **وأنا به زعيم** ﴾ وهذا من باب الضمان والكفالة .

﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَـٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَـٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾

لما اتهمهم[١] أولئك الفتيان بالسرقة ، قال لهم إخوة يوسف : ﴿ **تالله لقد علمتم ما جئنا**

(٩٠) - **إسناده صحيح،** أخرجه أحمد - كما في « الفتح » لابن حجر (٣٥٩/٨) - ومن طريقه اختاره الضياء في « المختارة » (٩٣/١٠) من طريق محمد بن جعفر ثنا شعبة ، به ، وأخرجه ابن جرير (١٦/ ١٩٥٢٥،١٩٥٢٦،١٩٥٣٢) ، وابن أبي حاتم (١١٨٠٠/٧) من طرق عن شعبة به ، وعزاه الحافظ ابن حجر إلى ابن منده في « غرائب شعبة » وابن مردويه وابن أبي شيبة ، وقال : « إسناده صحيح » ، وزاد نسبته السيوطي (٥٠/٤) إلى ابن المنذر وابن الأنباري وأبي الشيخ .

[١] - في ز : اتهم .

لنفسد في الأرض وما كنا سارقين ﴾ أي : لقد تحققتم وعلمتم منذ عرفتمونا ؛ لأنهم شاهدوا منهم سيرة حسنة - أنَّا ما جئنا للفساد[١] في الأرض ﴿ **وما كنا سارقين** ﴾ .

أي : ليست سجايانا تقتضي هذه الصفة ، فقالت[٢] لهم الفتيان : ﴿ **فما جزاؤه** ﴾ أي : السارق إن كان فيكم ﴿ **إن كنتم كاذبين** ﴾ أي : أيُّ شيء يكون عقوبته إن وجدنا [فيكم][٣] من أخذه ؟ ﴿ **قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين** ﴾ .

وهكذا كانت شريعة إبراهيم عليه السلام : أن السارق يدفع إلىٰ المسروق منه ، وهذا هو الذي أراد يوسف ، عليه السلام ، ولهذا بدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ، أي : فتشها قبله تورية ﴿ **ثم استخرجها من وعاء أخيه** ﴾ فأخذه منهم بحكم اعترافهم والتزامهم ، وإلزامًا لهم بما يعتقدونه ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **كذلك كدنا ليوسف** ﴾ وهذا من الكيد المحبوب المراد ، الذي يحبه اللَّه ويرضاه ، لما فيه من الحكمة والمصلحة المطلوبة .

وقوله : ﴿ **ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك** ﴾ أي : لم يكن له أخذه في حكم ملك مصر ، قاله الضحاك وغيره ، وإنما قيض اللَّه له أن التزم له إخوته بما التزموه ، وهو كان يعلم ذلك من شريعتهم ، ولهذا مدحه اللَّه تعالىٰ فقال : ﴿ **نرفع درجات من نشاء** ﴾ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يرفع اللَّه الذين آمنوا منكم** ﴾ الآية .

﴿ **وفوق كل ذي علم عليم** ﴾ قال الحسن البصري : ليس عالم إلا فوقه عالم حتىٰ ينتهي إلىٰ اللَّه عز وجل . وكذا روىٰ عبد الرزاق(٩١) : عن سفيان الثوري ، عن عبد الأعلىٰ الثعلبي ، عن سعيد بن جبير قال : كنا عند ابن عباس فتحدث[٤] بحديث عجيب ، فتعجب رجل فقال : الحمد لله ! فوق كل ذي علم عليم . فقال ابن عباس : بئس ما قلت ! اللَّه العليم وهو فوق كل عالم . وكذا روىٰ سماك(٩٢) ، عن عكرمة ، عن ابن عباس

---

(٩١) - **إسناده ضعيف لضعف عبد الأعلى وهو ابن عامر** ، التفسير (٣/٣٢٦ ، ٣٢٧) ومن طريقه ابن جرير (١٩٥٨٤/١٦) ، وابن أبي حاتم (١١٨٢٩/٧) ، وأخرجه ابن جرير (١٩٥٨٢،١٩٥٨٣) من طريقين عن سفيان به ، وأخرجه سعيد بن منصور - ومن طريقه ابن جرير (١٩٥٨٦) - عن أبي الأحوص عن عبد الأعلى به ، وأخرجه ابن جرير (١٩٥٨٧) والبيهقي في « الأسماء والصفات » (١/٢٣٦) من طريق إسرائيل عن عبد الأعلى به ، وعبد الأعلى هو ابن عامر الثعلبي ، ضعيف ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٤/٥٢) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ ، وانظر ما بعده .

(٩٢) - أخرجه ابن جرير (١٩٥٨٥/١٦ شاكر) (٢٧/١٢ - حلبي) ووقع هناك « إسرائيل عن سالم =

---

[١] - في ت : « لنفسد » .
[٢] - في خ : فقال .
[٣] - في ز ، خ : « فيه » .
[٤] - في خ : فحدث .

﴿ **وفوق كل ذي علم عليم** ﴾ قال : يكون هذا أعلم من هذا ، وهذا أعلم من هذا ، والله فوق كل عالم . وهكذا قال عكرمة .

وقال قتادة : وفوق كل ذي علم عليم حتىٰ ينتهي العلم إلىٰ الله ، منه بُدئ وتعلمت العلماء وإليه يعود ، وفي قراءه عبد الله : (وفوق كل عالم عليم) .

قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾

وقال إخوة يوسف لما رأوا الصواع قد أخرج من متاع بنيامين : ﴿ **إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل** ﴾ يتنصلون إلىٰ العزيز من التشبه به ، ويذكرون أن هذا فعل كما فعل أخ له من قبل ، يعنون به يوسف ، عليه السلام .

قال سعيد بن جبير ، عن قتادة : كان يوسف قد سرق صنمًا لجده أبي أمه فكسره .

وقال محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد قال(٩٣) : كان أول ما دخل علىٰ يوسف من البلاء - فيما بلغني - : أن عمته ابنة إسحاق ، وكانت أكبر ولد إسحاق ، وكانت إليها[١] مِنْطَقَةُ[٢] إسحاق ، وكانوا يتوارثونها بالكبر ، وكان[٣] من اختبأها[٤] ممن وليها كان له سلمًا لا ينازع فيه يصنع فيه ما شاء[٥] ، وكان يعقوب حين ولد له يوسف قد حضنته عمته ، فكان منها[٦] وإليها فلم[٧] يُحب أحد شيئًا من الأشياء حبها إيّاه ، حتىٰ إذا[٨] ترعرع وبلغ سنوات ، [وقعت][٩] نفس يعقوب ، عليه السلام ، فأتاها فقال : يا أخية ، سلمي إليَّ يوسف ؛ فوالله ، ما أقدر علىٰ أن يغيب عنىٰ ساعة .

= عن عكرمة » والظاهر أنه تحريف - والله أعلم - فقد أخرجه ابن أبي حاتم (١١٨٣٠/٧) وعلقه النحاس في « معاني القرآن الكريم » (٤٤٩/٣) والقرطبي في « الجامع لأحكام القرآن » (٢٣٨/٩) من طريق « إسرائيل عن سماك به » ثم إن إسرائيل كثير الرواية عن سماك بن حرب ، وقد روى أيضًا عن سالم بن عجلان الأفطس ، لكن لم نقف على من ذكر أن سالمًا هذا يروى عن عكرمة ، والله أعلم .

(٩٣) - أخرجه ابن جرير (١٩٦٠٥/١٦) وابن أبي حاتم (١١٨٣٧/٧) .

[١] - في خ : « لها » .
[٢] - المنطقة شيء يشد به الوسط .
[٣] - في خ : « فكان » .
[٤] - في ابن جرير وابن أبي حاتم : اختانها ، وهي بمعنى سرقها .
[٥] - في خ : يشاء .
[٦] - في ز ، خ : « معها » .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - سقط من : خ .
[٩] - في خ : تاقت إليه .

قالت : فواللَّه ما أنا بتاركته . ثم قالت : فدعه عندي أيامًا أنظر إليه وأسكن عنه ، لعل ذلك يسليني عنه . أو كما قالت ، فلما خرج من عندها يعقوب ، عمدت إلىٰ منطقة إسحاق فحزمتها علىٰ يوسف من تحت ثيابه ، ثم قالت : فقدت منطقة إسحاق ، عليه السلام ، فانظروا من أخذها ومن أصابها ؟ والتمست[١] ، ثم قالت : كشفوا أهل البيت ، فكشفوهم فوجدوها مع يوسف ، فقالت : واللَّه إنه[٢] لي لسلم أصنع فيه ما شئت ، فأتاها يعقوب فأخبرته الخبر ، فقال لها : أنت وذاك إن كان فعل ذلك فهو سلم لك ، ما أستطيع غير ذلك ، فأمسكته فما قدر عليه يعقوب حتىٰ ماتت . قال : فهو الذي يقول إخوة يوسف حين صنع بأخيه ما صنع حين أخذه ﴿ **إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل** ﴾ .

وقوله : ﴿ **فأسرها يوسف في نفسه** ﴾ يعني الكلمة التي بعدها ، وهي قوله : ﴿ **أنتم شر مكانا واللَّه أعلم بما تصفون** ﴾ أي : تذكرون ، قال هذا في نفسه ولم يبده لهم ، وهذا من باب الإضمار قبل الذكر ، وهو كثير كقول الشاعر :

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر وحسن فعل[٣] كما يُجزىٰ سنمّار[٤]

وله شواهد كثيرة من[٥] القرآن والحديث واللغة ؛ في منثورها وأخبارها وأشعارها ، قال العوفي ، عن ابن عباس ﴿ **فأسرها يوسف في نفسه** ﴾ قال : أسر في نفسه ﴿ **أنتم شر مكانًا واللَّه أعلم بما تصفون** ﴾ .

قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾

لما تعين أخذ بنيامين ، وتقرر تركه عند يوسف بمقتضىٰ اعترافهم - شرعوا يترققون له ويعطفونه عليهم فقالوا : ﴿ **يا أيها العزيز إن له أبا شيخًا كبيرًا** ﴾ يعنون : وهو يحبه حبًّا شديدًا ، ويتسلىٰ به عن ولده الذي فقده ﴿ **فخذ أحدنا مكانه** ﴾ أي : بدله يكون عندك عوضًا عنه ﴿ **إنا نراك من المحسنين** ﴾ أي : من[٦] العادلين المنصفين القابلين للخير ﴿ **قال معاذ اللَّه أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده** ﴾ أي : كما قلتم واعترفتم ﴿ **إنا إذا لظالمون** ﴾ أي : إن أخذنا بريئًا بسقيم .

---

[١] - في ت : « فالتمست » .
[٢] - في خ : « إني » . ، وفي ز : إن .
[٣] - في ز ، خ : « ظن » .
[٤] - في خ : « سمارة » .
[٥] - في ت : « في » .
[٦] - سقط من خ .

فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾

يخبر تعالىٰ عن إخوة يوسف : أنهم لما يئسوا من تخليص أخيهم بنيامين ، الذي قد التزموا لأبيهم برده إليه وعاهدوه علىٰ ذلك ، فامتنع عليهم ذلك ﴿ **خلصوا** ﴾ أي : انفردوا عن الناس ﴿ **نجيًا** ﴾[١] يتناجون فيما بينهم .

﴿ **قال كبيرهم** ﴾ وهو روبيل ، وقيل : يهوذا ، وهو الذي أشار عليهم بإلقائه في البئر عندما هموا بقتله ، قال لهم : ﴿ **ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقًا من الله** ﴾ لتردنه إليه ، فقد رأيتم كيف تعذر عليكم ذلك مع ماتقدم لكم من إضاعة يوسف عنه ﴿ **فلن أبرح الأرض** ﴾ أي : لن أفارق هذه البلدة ﴿ **حتىٰ يأذن لي أبي** ﴾ في الرجوع إليه راضيًا عني ﴿ **أو يحكم الله لي** ﴾ قيل : بالسيف ، وقيل : بأن يمكنني من أخذ أخي ﴿ **وهو خير**[٢] **الحاكمين** ﴾ .

ثم أمرهم أن يخبروا أباهم بصورة ما وقع ، حتىٰ يكون عذرًا لهم[٣] عنده ، ويتنصلوا إليه ويبرءوا مما وقع بقولهم [ ][٤] : ﴿ **وما كنا للغيب حافظين** ﴾ قال قتادة وعكرمة : ما نعلم[٥] أن ابنك يسرق[٦] .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ما علمنا في الغيب أنه يسرق له شيئًا ، إنما سألنا : ما جزاء السارق ؟ ﴿ **واسأل القرية التىٰ كنا فيها** ﴾ قيل : المراد مصر ، قاله قتادة ، وقيل : غيرها ﴿ **والعير التىٰ أقبلنا فيها** ﴾ أي : التىٰ رافقناها[٧] عن صدقنا وأمانتنا وحفظنا وحراستنا

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز ، خ : « أحكم » .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ز : وقوله .
[٥] - في ت : « علمنا » .
[٦] - في ت : « سرق » .
[٧] - في ز ، خ : « وافقناها » .

﴿ وإنا لصادقون ﴾ فيما أخبرناك به من أنه سرق وأخذوه بسرقته .

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

قال لهم كما قال لهم حين جاءوا على قميص يوسف بدم كذب : ﴿ بل سوّلت لكم أنفسكم أمرًا فصبر جميل ﴾ .

قال محمد بن إسحاق : لما جاءوا يعقوب وأخبروه بما جرىٰ اتهمهم ، وظن[١] أنها كفعلتهم بيوسف ، قال : ﴿ بل سولت لكم أنفسكم أمرًا فصبر جميل ﴾ .

[وقال بعض الناس : لما كان صنيعهم هذا مرتبًا على فعلهم الأول ، سحب حكم الأول عليه ، وصح قوله : ﴿ بل سولت لكم أنفسكم أمرًا فصبر جميل ﴾][٢] .

ثم ترجى من الله أن يرد عليه أولاده الثلاثة : يوسف ، وأخاه[٣] بنيامين ، وروبيل الذي أقام بديار مصر ينتظر أمر الله فيه ، إما أن يرضىٰ عنه أبوه فيأمره بالرجوع إليه ، وإما أن يأخذ أخاه خفية ، ولهذا قال : ﴿ عسىٰ الله أن يأتيني بهم جميعًا إنه هو العليم الحكيم[٤] ﴾ أي : العليم بحالي ﴿ الحكيم ﴾ في أفعاله وقضائه وقدره .

﴿ وتولىٰ عنهم وقال يا أسفىٰ علىٰ يوسف ﴾ أي : أعرض عن بنيه ، وقال متذكرًا حزن يوسف القديم الأول[٥] ﴿ يا أسفىٰ علىٰ يوسف ﴾ جدد له حزن الابنين الحزن الدفين .

قال عبد الرزاق(٩٤) : أنا الثوري ، عن سفيان العصفري[٦] ، عن سعيد بن جبير أنه قال :

(٩٤) - **إسناده صحيح** ، التفسير (٣٢٧/٢) ، ومن طريقه ابن جرير (١٩٦٥٨/١٦) وأخرجه وكيع =

[١] - في ت : « فظن » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في خ : « وأخوه » .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - سقط من : ت .
[٦] - في خ : « الصفري » .

لم يعط أحد غير هذه الأمة الاسترجاع ، ألا تسمعون إلىٰ قول يعقوب عليه السلام : ﴿ **يا أسفىٰ علىٰ يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم** ﴾ أي : ساكت لا يشكو أمره إلىٰ مخلوق . قاله قتادة وغيره .

وقال الضحاك : ﴿ **فهو كظيم** ﴾ كميد حزين .

وقال ابن أبي حاتم(٩٥) : حدثنا أبي [ثنا أبو سلمة][١] ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن الحسن ، عن الأحنف بن قيس : أن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **إن داود ، عليه السلام ، قال : يا رب ، إن بني إسرائيل يسألونك بإبراهيم وإسحاق ويعقوب فاجعلني لهم رابعًا ، فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه : أن يا داود ، إن إبراهيم ألقي في النار بسببي فصبر ، وتلك بلية لم تنلك ، وإن إسحاق بذل مهجة دمه بسببي فصبر ، وتلك بلية لم تنلك ، وإن يعقوب أخذت منه حبيبه فابيضت عيناه من الحزن فصبر ، وتلك بلية لم تنلك** » وهذا مرسل[٢] وفيه نكارة ؛ فإن الصحيح أن إسماعيل هو الذبيح ، ولكن علي بن زيد[٣] بن جدعان له مناكير وغرائب كثيرة ، والله أعلم .

وأقرب ما في هذا أن الأحنف بن قيس ، رحمه الله ، حكاه عن بعض بني إسرائيل ككعب ووهب ونحوهما والله أعلم ، فإن [بني إسرائيل][٤] ينقلون أن يعقوب كتب إلىٰ يوسف لما احتبس أخاه بسبب السرقة ، يتلطف له في رد ابنه ، ويذكر له أنهم أهل بيت مصابون بالبلاء ، فإبراهيم ابتلي بالنار ، وإسحاق بالذبح ، ويعقوب بفراق يوسف ، في حديث طويل لا يصح والله أعلم ، فعند ذلك رق له بنوه ، وقالوا له علىٰ سبيل الرفق به والشفقة عليه : ﴿ **تالله تفتأ تذكر يوسف** ﴾ أي : لا تفارق تذكر يوسف ﴿ **حتىٰ تكون حرضًا** ﴾ أي : ضعيف الجسم ضعيف القوّة ﴿ **أو تكون من الهالكين** ﴾ يقولون : إن استمرّ بك هذا الحال خشينا عليك الهلاك والتلف .

﴿ **قال إنما أشكو بثي وحزني إلىٰ الله** ﴾ أي : أجابهم عما قالوا بقوله : ﴿ **إنما أشكو**

= كما في « الدر المنثور » (٢٨٦/١) - ومن طريقه ابن أبي حاتم (١١٨١/٧) عن سفيان الثوري به ، وأخرجه البيهقي في « الشعب » (٩٦٩١/٧) من طريق أبي عامر عن الثوري ، به ، وسفيان العصفري هو ابن زياد - ويقال ابن دينار - أبو الورقاء ، ثقة . والأثر زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٢٨٦/١) ، (٥٧/٤) - إلى ابن المنذر وعبد بن حميد .

(٩٥) - **مرسل وفيه نكارة** والحديث في التفسير (١١٨٨٢/٧) ، وقد روي موصولًا من حديث العباس بن عبد المطلب لكن إسناده ضعيف جدًّا ويأتي تخريجه (الصافات/ آية١١٣) .

[١] - ما بين المعكوفين زيادة من « التفسير » .

[٢] - في خ : « منكر » .

[٣] - في خ : « يزيد » .

[٤] - في خ : « الإسرائيلين » .

بثي وحزني ﴾ أي : همي وما أنا فيه ﴿ **إلىٰ الله** ﴾ وحده ﴿ **وأعلم من اللَّه ما لا تعلمون** ﴾ أي : أرجو منه كل خير .

وعن ابن عباس(٩٦) : ﴿ **وأعلم من اللَّه ما لا تعلمون** ﴾ أعلم أن رؤيا يوسف صادقة ، وأني سوف أسجد له .

وقال ابن أبي حاتم(٩٧) : حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا يحيىٰ بن عبد الملك بن أبي غنية[١] ، عن حفص بن عمر بن أبي الزبير ، عن أنس بن مالك - رضي اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **كان ليعقوب النبي ، عليه السلام ، أخ مؤاخ له ، فقال له ذات يوم : ما الذي أذهب بصرك وقوّس ظهرك ؟ قال : أمّا[٢] الذي أذهب بصري فالبكاء[٣] علىٰ يوسف ، وأما الذي قوّس[٤] ظهري فالحزن علىٰ بنيامين . فأتاه جبريل ، عليه السلام ، فقال : [يا يعقوب][٥] ، إن اللَّه يقرئك السلام ، ويقول لك : أما تستحي أن تشكوني إلىٰ غيري ؟ فقال يعقوب : ﴿ إنما أشكو بثي وحزني إلىٰ اللَّه ﴾ . فقال جبريل ، عليه السلام ، اللَّه أعلم بما تشكو** » .

---

(٩٦) - **إسناده ضعيف** ، أخرجه ابن جرير (١٩٧١٥/١٦) وابن أبي حاتم (١١٩٠٨/٧) من طريق عطية العوفي عنه ، به .

(٩٧) - (١١٩٠١/٧) وأخرجه الحاكم (٣٤٨/٢) وعنه البيهقي في « الشعب » (٣٤٠٣/٣) من طريق أبي بكر بن أبي شيبة ثنا يحيى بن عبد الملك عن حفص بن عمر بن أبي الزبير به ، وقال : هكذا في سماعي بخط يد « حفص بن عمر بن الزبير ، وأظن الزبير وهمًا من الراوي ، فإنه حفص بن عمر بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري ابن أخي أنس بن مالك ، فإن كان كذلك فالحديث صحيح . وأخرجه الطبراني في « الأوسط » (٦١٠٥/٦) ، وفي « الصغير » (٣٣/٢) ثنا محمد بن أحمد الباهلي عن وهب بن بقية نا يحيى بن عبد الملك عن حصين بن عمر ، عن أبي الزبير - كذا وقع - به ، وقد ذكره الهيثمي في « المجمع » (٤٣/٧) وقال : « رواه الطبراني في الصغير والأوسط عن شيخه محمد بن أحمد الباهلي البصري وهو ضعيف جدًّا وذكر الحافظ ابن حجر في « لسان الميزان » (٢٨٩٠/٢) ، حفص بن عمر بن أبي الزبير هذا وقال : « ضعفه الأزدي ، فلعله عن أبي الزبير ، أو كأنه حفص بن عمر بن كيسان بن أبي يزيد ، عن ابن الزبير لا عن أبي الزبير ، ولا يعرف من ذا ... » وأخرجه إسحاق بن راهويه في تفسيره ومن طريقه الحاكم وعن الحاكم البيهقي (٣٤٠٤) من طريق زافر بن سليمان عن يحيى بن عبد الملك عن أنس به هكذا منقطعًا ورواه البيهقي أيضًا (٣٤٠٥) عن يحيى بن عبد الملك عن رجاء - هكذا وهو خطأ ، وصوابه أبو رجاء الهروي انظر « تهذيب الكمال » (٣١/ت٦٨٧٥) - عن أنس به ، وهذا منقطع أيضًا بين أبي رجاء وأنس ، ثم إن الحديث في متنه نكارة كما قال المصنف .

---

[١] - في خ : « بحينة » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : البكاء .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في خ : « ليعقوب » .

وهذا حديث غريب فيه نكارة .

﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن يعقوب عليه السلام : أنه ندب بنيه علىٰ الذهاب في الأرض يستعلمون أخبار يوسف وأخيه بنيامين .

والتحسس يكون في الخير ، والتجسس يستعمل[١] في الشر .

ونهضهم وبشرهم ، وأمرهم أن لا ييأسوا من روح اللَّه ، أي : لا يقطعوا رجاءهم وأملهم من اللَّه فيما يرومونه و[يقصدون له][٢] ، فإنه لا يقطع الرجاء ويقطع الإياس من روح[٣] اللَّه إلا القوم الكافرون .

وقوله ﴿ **فلما دخلوا عليه** ﴾ تقدير الكلام : فذهبوا فدخلوا مصر ودخلوا علىٰ يوسف ﴿ **قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر** ﴾ يعنون من الجدب والقحط وقلة الطعام ﴿ **وجئنا ببضاعة مزجاة** ﴾ أي : ومعنا ثمن الطعام الذي نمتاره وهو ثمن قليل ، قاله مجاهد والحسن وغير واحد .

وقال ابن عباس(٩٨) : الرديء الذي لا ينفق مثل خَلَقِ[٤] الغِرَارة[٥] والحبل والشيء .

وفي رواية عنه : الدراهم الرديئة التي لا تجوز إلا بنقصان . وكذا قال قتادة والسدي.

وقال سعيد بن جبير : هي الدراهم الفسول . وقال أبو صالح : هو الصنوبر وحبة الخضراء . وقال الضحاك : كاسدة لا تنفق . وقال أبو صالح : جاءوا بحب البطم الأخضر

(٩٨) - ورد من طرق عن ابن عباس : انظر تفسير ابن جرير (١٩٧٤١/١٦:١٩٧٤٧) ، وابن أبي حاتم (٧/ ١٩٩١٩،١٩٩٢٢) و « الدر المنثور » (٦٧/٤) .

[١] - في خ : يكون .
[٢] - في خ : يقصدونه .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز: حلق .
[٥] - الخلق البالي . والغِرارة : وعاء من الخيش ونحوه ، يوضع فيه القمح ونحوه .

والصنوبر .

وأصل الإزجاء : الدفع لضعف الشيء ، كما قال حاتم الطائي :

لِيَبْكِ عَلَىٰ مِلْحَانَ ضَيْفٌ مُدَفَّعُ وَأَرْمَلَةٌ تُزْجِي مَعَ اللَّيلِ أَرْمَلَا

وقال أعشىٰ بني ثعلبة :

الواهبُ المِئةِ الهجانِ وعَبْدِها عُوذا تُزَجِّي خَلْفَهَا أطْفَالَها

وقوله إخبارًا عنهم ﴿ فأوف لنا الكيل ﴾ أي : أعطنا بهذا الثمن القليل ما كنت تعطينا قبل ذلك ، وقرأ ابن مسعود(٩٩) : فأوقر[١] ركابنا وتصدق علينا .

وقال[٢] ابن جريج : ﴿ وتصدق علينا ﴾ برد أخينا إلينا .

وقال سعيد بن جبير والسدي : ﴿ وتصدق علينا ﴾ يقولون : تصدق علينا بقبض هذه البضاعة المزجاة وتجوز[٣] فيها .

وسئل سفيان بن عيينة : هل حرّمت الصدقة علىٰ أحد من الأنبياء قبل النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ؟ فقال : ألم تسمع قوله : ﴿ **فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين** ﴾ ؟

رواه ابن جرير(١٠٠) : عن الحارث ، عن القاسم عنه .

وقال ابن جرير(١٠١) حدثني الحارث ، حدثنا القاسم ، حدثنا مروان بن معاوية ، عن عثمان بن الأسود قال : سمعت مجاهدًا وسئل هل يكره أن يقول الرجل في دعائه : اللهم تصدق عليَّ ؟ قال[٤] : نعم ، إنما الصدقة لمن يبتغي الثواب .

قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ

(٩٩) - أخرجه ابن جرير (١٦/١٩٧٥٤، ١٩٧٥٦) .

(١٠٠) - التفسير (١٦/١٩٧٨٦) .

(١٠١) - التفسير (١٦/١٩٧٨٨) وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٤/٦٣) إلى أبي عبيد وابن المنذر .

[١] - في خ : « فأوقد » .
[٢] - في خ : « قال » .
[٣] - في خ : « ويجوز » .
[٤] - في خ : « فقال » .

وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا[١] عن يوسف عليه السلام : أنه لما ذكر له إخوته ما أصابهم من الجهد والضيق ، وقلة الطعام وعموم الجدب ، وتذكر أباه وما هو فيه من الحزن لفقد ولديه ، مع ما هو[٢] فيه من الملك والتصرف والسعة ، فعند ذلك أخذته رقة ورأفة ، ورحمة وشفقة علىٰ أبيه وإخوته ، وبدره البكاء فتعرف إليهم ، فيقال[٣] : إنه رفع التاج عن جبهته وكان فيها شامة ، وقال : ﴿ **هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون** ﴾ يعني : كيف فرّقوا بينه وبين أخيه[٤] ﴿ **إذ أنتم جاهلون** ﴾ أي : إنما حملكم[٥] علىٰ هذا الجهل بمقدار هذا الذي ارتكبتموه ، كما قال بعض السلف(١٠٢) : كل من عصىٰ اللّٰه فهو جاهل ، وقرأ : ﴿ **ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة** ﴾ الآية[٦] .

والظاهر - واللّٰه أعلم - : أنّ يوسف ، عليه السلام ، إنما تعرف إليهم بنفسه بإذن اللّٰه تعالىٰ له في ذلك ، كما أنه إنما أخفىٰ منهم نفسه في المرّتين الأوليين بأمر اللّٰه تعالىٰ له في ذلك واللّٰه أعلم ، ولكن لما ضاق الحال واشتد الأمر ، فرّج اللّٰه تعالىٰ من ذلك الضيق ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فإن مع العسر يسرًا * إنّ مع العسر يسرًا** ﴾ فعند ذلك قالوا : ﴿ **أئنك لأنت يوسف** ﴾ .

وقرأ أبي بن كعب : ﴿ **أو أنت**[٧] **يوسف** ﴾ ، وقرأ ابن محيصن : ﴿ **إنك [لأنت]**[٨] **يوسف** ﴾ والقراءة المشهورة هي الأولىٰ ؛ لأن الاستفهام يدل علىٰ الاستعظام ، أي أنهم تعجبوا من ذلك أنهم يتردّدون إليه من سنتين وأكثر وهم لا يعرفونه ، وهو مع هذا يعرفهم ويكتم نفسه ، فلهذا قالوا علىٰ سبيل الاستفهام : ﴿ **أئنك لأنت يوسف قال أنا يوسف**

(١٠٢) - تقدم ذلك عن مجاهد وغير واحد (سورة النساء/آية١٧) .

[١] - سقط من ز . [٢] - سقط من ز .
[٣] - في خ : « وقال » . [٤] - في ز ، خ : « بنيه » .
[٥] - في خ : « حملهم » .
[٦] - في خ : إلى قوله : ﴿ **إن ربك من بعدها لغفور رحيم** ﴾ .
[٧] - سقط من ز ، خ . [٨] - في خ : « أنت » .

وهذا أخي ﴾ .

وقوله[١] : ﴿ **قد منّ اللَّه علينا** ﴾ أي : بجمعه بيننا بعد التفرقة وبعد المدة ﴿ **إنه من يتق ويصبر فإن اللَّه لا يضيع أجر المحسنين * قالوا تاللَّه لقد آثرك اللَّه علينا** ﴾ الآية[٢] ، يقولون معترفين له بالفضل والأثرة عليهم في الخلق والخُلق ، والسعة والملك والتصرف ، والنبوّة أيضًا علىٰ قول من لم يجعلهم أنبياء ، وأقرّوا له بأنهم أساءوا إليه وأخطئوا في حقه .

﴿ **قال لا تثريب عليكم اليوم** ﴾ يقول : لا تأنيب عليكم ولا عتب عليكم اليوم[٣] ، ولا أعيد عليكم[٤] ذنبكم في حقي بعد اليوم .

ثم زادهم الدعاء لهم بالمغفرة فقال : ﴿ **يغفر اللَّه لكم وهو أرحم الراحمين** ﴾ .

قال السدي : اعتذروا إلىٰ يوسف ، فقال : ﴿ **لا تثريب عليكم اليوم** ﴾ يقول : لا أذكر لكم ذنبكم .

وقال ابن إسحاق والثوري : ﴿ **لا تثريب عليكم** ﴾ أي : لا تأنيب عليكم اليوم عندي فيما صنعتم ﴿ **يغفر اللَّه لكم** ﴾ أي : يستر اللَّه عليكم فيما فعلتم ﴿ **وهو أرحم الراحمين** ﴾ .

ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَـٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾

يقول : اذهبوا بهذا القميص ﴿ **فألقوه علىٰ وجه أبي يأت بصيرًا** ﴾ وكان قد عمي من كثرة البكاء ﴿ **وأتوني بأهلكم أجمعين** ﴾ أي : بجميع بني يعقوب .

﴿ **ولما فصلت العير** ﴾ أي : خرجت من مصر ﴿ **قال أبوهم** ﴾ يعني يعقوب ، عليه السلام ، لمن بقي عنده من بنيه ﴿ **إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون** ﴾ تنسبوني إلىٰ الفند والكبر .

قال عبد الرزاق(١٠٣) : أنبأنا إسرائيل ، عن أبي سنان ، عن عبد اللَّه بن أبي الهذيل قال :

---

(١٠٣) - **إسناده صحيح** ، التفسير (٢/٣٢٩) ومن طريقه ابن جرير (١٦/١٩٨١٢) ، وأخرجه =

[١] - سقط من : خ .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من ز .

سمعت ابن عباس يقول : ﴿ ولما فصلت العير ﴾ قال : لما خرجت العير هاجت ريح ، فجاءت يعقوب بريح قميص يوسف ، فقال : ﴿ إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون ﴾ قال : فوجد ريحه من مسيرة ثمانية أيام .

وكذا رواه سفيان الثوري وشعبة وغيرهما عن أبي سنان به ، وقال الحسن وابن جريج : كان بينهما ثمانون فرسخًا ، وكان بينه وبينه منذ افترقا ثمانون سنة .

وقوله : ﴿ لولا أن تفندون ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة وسعيد بن جبير : تسفهون .

وقال مجاهد أيضا والحسن : تهرّمون .

وقولهم : ﴿ إنك لفي ضلالك القديم ﴾ قال ابن عباس(١٠٤) : لفي خطئك القديم .

وقال قتادة : أي من حب يوسف لا تنساه ولا تسلاه ، قالوا لوالدهم كلمة غليظة ، لم يكن ينبغي لهم أن يقولوها لوالدهم ، ولا لنبي الله صلىٰ الله عليه وسلم . وكذا قال السدي وغيره .

فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾

قال ابن عباس(١٠٥) والضحاك : ﴿ البشير ﴾ البريد .

وقال مجاهد والسدي : كان يهوذا بن يعقوب .

= ابن جرير أيضًا (١٩٨٠٢،١٩٨٠٣) ، وابن أبي حاتم (١١٩٥٩/٧) من طريقين عن إسرائيل به ، وأخرجه ابن جرير (١٩٨٠٤،١٩٨١١) وابن أبي حاتم (١١٩٦١/٧: ١١٩٦٤) من طرق عن أبي سنان به ، وأبو سنان هو ضرار بن مرة الشيباني الأكبر ، ثقة ثبت ، وعبد الله بن أبي الهذيل ثقة ، وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٦٦/٤) إلى الفريابي وأحمد في « الزهد » وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه .

(١٠٤) - أخرجه ابن جرير (١٩٨٤٩) ، وابن أبي حاتم (١١٩٧٠/٧) من طريق علي بن أبي طلحة عنه ، به .

(١٠٥) - أخرجه ابن جرير (١٩٨٥٧/١٦) وابن أبي حاتم (١١٩٧٧/٧) من طريق العوفي عنه ، به .

قال السدي : إنما جاء به لأنه هو الذي جاء بالقميص وهو ملطخ بدم كذب ، فأراد أن يغسل ذاك بهذا ، فجاء بالقميص فألقاه على وجه أبيه فرجع بصيرًا .

وقال لبنيه عند ذلك : ﴿ **ألم أقل لكم إني أعلم من اللَّه ما لا تعلمون** ﴾ أي : أعلم أن اللَّه سيرده إليَّ ، وقلت لكم : ﴿ **إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون** ﴾ فعند ذلك قالوا لأبيهم مترفقين له : ﴿ **يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين * قال سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم** ﴾ أي : من تاب إليه تاب عليه .

قال ابن مسعود وإبراهيم التيمي وعمرو بن قيس وابن جريج وغيرهم : أرجأهم إلى وقت السحر .

وقال ابن جرير(١٠٦) : حدثني أبو السائب ، حدثنا ابن إدريس ، سمعت عبد الرحمن بن إسحاق يذكر ، عن محارب بن دثار قال : كان [عمٌّ لي] يأتي المسجد فسمع إنسانا يقول : اللهم دعوتني فأجبت ، وأمرتني فأطعت ، وهذا سَحَرٌ فاغفر لي . قال : فاستمع الصوت فإذا هو من دار عبد اللَّه بن مسعود ، فسأل عبد اللَّه عن ذلك فقال : إن يعقوب أخر بنيه إلى السحر بقوله : ﴿ **سوف أستغفر لكم ربي** ﴾ .

وقد ورد في حديث[١] أن ذلك كان ليلة جمعة[٢] ، كما قال ابن جرير أيضًا(١٠٧) : حدثني المثنى ، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن أبو أيوب الدمشقي ، حدثنا الوليد بن مسلم ، أنبأنا ابن جريج ، عن عطاء وعكرمة ، عن ابن عباس ، عن رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم : ﴿ **سوف أستغفر لكم ربي** ﴾ يقول : « **حتى تأتي ليلة الجمعة وهو قول أخي**

---

(١٠٦) - **إسناده ضعيف لضعف عبد الرحمن بن إسحاق** ، والحديث في التفسير (١٦/١٩٨٧٠) وأخرجه أيضًا (١٩٨٧١) وابن أبي حاتم (١١٩٨٣/٧) وسنيد - كما في تفسير القرطبي (٢٦٣/٩) من طرق عن عبد الرحمن بن إسحاق به ، وعبد الرحمن بن إسحاق هو ابن سعد أبو شيبة الواسطي ، « ضعيف » ، وعزاه السيوطي (٦٨/٤) إلى أبي عبيد وسعيد بن منصور وابن المنذر والطبراني .

(١٠٧) - **منكر** ، والحديث في التفسير (١٦/١٩٨٧٥) وأخرجه أيضًا (١٩٨٧٦) ، والترمذي ، كتاب : الدعوات ، باب : في دعاء الحفظ (٤٥٦٥) ، والحاكم (٣١٦/١-٣١٧) من طريق سليمان بن عبد الرحمن به مطولًا ، وقال الترمذي : « هذا حديث حسن غريب » وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » . فتعقبه الذهبي قائلًا : هذا حديث منكر شاذ ، أخاف أن يكون موضوعًا ، وقد حيرني والله جودة سنده ... » وقد زالت هذه الحيرة من عنده فقال في « السير » (٩/ ت٦٠/ص٢١٨) : « هذا عندي موضوع والسَّلام ، ولعل الآفة دخلت على سليمان ابن بنت شُرَحبيل فيه ، فإنه منكر الحديث ، وإن كان حافظًا ، فلو كان قال فيه : عن ابن جريج ، لراج ، ولكن صرح بالتحديث ، فقويت الريبة ... » وأخرجه الطبراني في « الكبير » (١٢٠٣٦/١١) ومن طريقه ابن الجوزي =

---

[١] - في ت : « الحديث » . [٢] - في خ : الجمعة .

يعقوب لبنيه » .

وهذا غريب من هذا الوجه ، وفي رفعه[١] نظر ، والله أعلم .

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (٩٩) وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (١٠٠) ﴾

يخبر تعالىٰ عن ورود يعقوب ، عليه السلام ، علىٰ يوسف ، عليه السلام ، وقدومه ببلاد[٢] مصر لما كان يوسف قد تقدم [إلى إخوته][٣] أن يأتوه بأهلهم أجمعين ، فتحملوا عن آخرهم وترحلوا من بلاد كنعان قاصدين ديار[٤] مصر ، فلما أخبر يوسف ، عليه السلام ، باقترابهم خرج لتلقيهم[٥] ، وأمر الملك[٦] أمراءه وأكابر الناس بالخروج [مع يوسف][٧] لتلقي نبي الله يعقوب ، عليه السلام ، ويقال : إن الملك خرج أيضًا لتلقيه وهو الأشبه .

وقد أشكل قوله : ﴿ **آوىٰ إليه أبويه وقال ادخلوا مصر** ﴾ علىٰ كثير من المفسرين ؛

= في « الموضوعات » (١٣٨/٢) عن هشام بن عمار ، ثنا محمد بن إبراهيم القرشي ، ثنا أبو صالح ، عن عكرمة ، عن ابن عباس به ، وقال ابن الجوزي : هذا حديث لا يصح ، ومحمد بن إبراهيم مجروح ، وأبو صالح لا نعلمه إلا إسحاق بن نجيح وهو متروك » ، وقد أخرجه الدارقطني في « الأفراد » ومن طريقه ابن الجوزي (١٣٨/٣-١٣٩) - ثنا محمد بن الحسن بن محمد المقري النقاش ثنا الفضل بن محمد العطار ثنا هشام بن عمار ثنا الوليد بن مسلم عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس فذكر الحديث ؛ قال ابن الجوزي عقب هذا الإسناد : « أنا لا أتهم به إلا النقاش ، شيخ الدارقطني ، قال طلحة بن محمد بن جعفر : كان النقاش يكذب ، وقال البرقاني : كل حديثه منكر ، وقال الخطيب : أحاديثه مناكير بأسانيد مشهورة . وانظر « تنزيه الشريعة » للكناني (رقم ٩١) .

---

[١] - في ز : وجهه .
[٢] - في خ : بلاد
[٣] - في خ : لإخوته .
[٤] - في خ : بلاد .
[٥] - في خ : « ليلقهم » .
[٦] - في ز : بها .
[٧] - سقط من ز .

فقال بعضهم : هذا[١] من المقدم والمؤخر ، ومعنى الكلام : وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين وآوىٰ إليه أبويه ورفعهما علىٰ العرش .

وقد رد[٢] ابن جرير هذا وأجاد في ذلك ، ثم اختار ماحكاه عن السدي : أن يوسف آوىٰ إليه أبويه لما تلقاهما ، ثم لما وصلوا باب البلد قال : ﴿ **ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين** ﴾ .

وفي هذا نظر أيضًا ؛ لأن الإيواء إنما يكون في المنزل ، كقوله : ﴿ **آوىٰ إليه أخاه** ﴾ وفي الحديث : « **من آوىٰ محدثا** »(١٠٨) ، وما المانع أن يكون قال لهم بعد ما دخلوا عليه وآواهم إليه : ادخلوا مصر ، وضمنه اسكنوا مصر إن شاء الله آمنين ، أي : مما كنتم فيه من الجهد والقحط ؟ ويقال - والله أعلم - : إن الله تعالىٰ رفع عن أهل مصر بقية السنين المجدبة ببركة قدوم يعقوب عليهم ، كما رفع بقية السنين التي دعا بها رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، علىٰ أهل مكة حين قال(١٠٩) : « **اللهم**[٣] ، **أعني عليهم بسبع كسبع يوسف** » ثم لما تضرعوا إليه واستشفعوا لديه وأرسلوا أبا سفيان في ذلك فدعا لهم ، فرفع عنهم بقية ذلك ببركة دعائه عليه السلام .

وقوله : ﴿ **آوىٰ إليه أبويه** ﴾ قال السدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : إنما كان أباه وخالته ، وكانت أمه قد ماتت قديمًا .

وقال محمد بن إسحاق وابن جرير : كان أبوه وأمه يعيشان .

قال ابن جرير : ولم يقم دليل علىٰ موت أمه ، وظاهر القرآن يدل علىٰ حياتها .

وهذا الذي نصره هو المتصور الذي يدل عليه السياق .

---

(١٠٨) - **صحيح** ، جزء من حديث أخرجه مسلم ، كتاب : الأضاحي ، باب : « تحريم الذبح لغير الله تعالى ، ولعن فاعله (١٩٧٨) ، والنسائي ، كتاب : « الأضاحي ، باب : من ذبح لغير الله عز وجل (٧/ ٢٣٢) ، وأحمد (١/١١٨،١٥٢) من حديث علي بن أبي طالب .

(١٠٩) - أخرجه البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : « سورة الروم » (٤٧٧٤) - وانظر أطرافه عند رقم (١٠٠٧) ومسلم ، كتاب : صفات المنافقين وأحكامهم ، باب : « الدخان » (٣٩) (٢٧٩٨) ، والترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الدخان (٣٢٥١) ، والنسائي في التفسير من الكبرى (٦/١١٢٠٢،١١٤٨١،١١٤٨٣) ، وأحمد (١/٣٨٠،٤٣١،٤٤١) من حديث عبد الله بن مسعود .

---

[١] - سقط من : ز ، خ . [٢] - في خ : وقد روى .

[٣] - سقط من : خ .

وقوله : ﴿ **ورفع**[١] **أبويه علىٰ العرش** ﴾ قال ابن عباس(١١٠) ومجاهد وغير واحد : يعني السرير . أي : أجلسهما معه علىٰ سريره .

﴿ **وخروا له سجدًا** ﴾ أي : سجد له أبواه[٢] وإخوته الباقون وكانوا أحد عشر رجلًا ﴿ **وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل** ﴾ أي : التي كان قصها علىٰ أبيه [من قبل][٣] ﴿ **إني رأيت أحد عشر كوكبًا** ﴾ الآية .

وقد كان هذا سائغًا في شرائعهم : إذا سلموا علىٰ الكبير يسجدون له ، ولم يزل هذا جائزًا من لدن آدم إلىٰ شريعة عيسىٰ ، عليه السلام ، فحرم هذا في هذه الملة ، وجعل السجود مختصًّا بجناب الرب سبحانه وتعالىٰ .

هذا مضمون قول قتادة وغيره .

وفي الحديث(١١١) : أن معاذًا قدم الشام فوجدهم يسجدون لأساقفتهم ، فلما رجع سجد لرسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقال : « **ما هذا يامعاذ ؟** » فقال : إني رأيتهم يسجدون لأساقفتهم ، وأنت أحق أن يسجد لك يا رسول اللَّه . فقال : « **لو كنت آمرًا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة**[٤] **أن تسجد لزوجها ؛ [من عظم]**[٥] **حقه عليها** » .

وفي حديث آخر(١١٢) : أن سلمان لقي النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، في بعض طرق المدينة ، وكان سلمان حديث عهد[٦] بالإسلام . فسجد للنبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقال : « **لا تسجد لي يا سلمان ، واسجد للحي الذي لا يموت** » .

والغرض : أن هذا كان جائزًا في شريعتهم ، ولهذا خروا له سجدًا ، فعندها قال يوسف : ﴿ **يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقًا** ﴾ أي : هذا ما آل إليه الأمر ،

(١١٠) - أخرجه ابن جرير (١٦/١٩٨٩٥) وابن أبي حاتم (٧/١١٩٩٢) من طريقين عنه ، وفي كل منهما ضعف .

(١١١) - **إسناده حسن** ، أخرجه أحمد (١٩٤٦١) (٤/٣٨١) ، وابن ماجة ، كتاب : النكاح ، باب : حق الزوج على المرأة (١٨٥٣) والبيهقي في « الكبرى » (٧/٢٩٢) وصححه ابن حبان (٩/٤١٧١) من حديث عبد الله بن أبي أوفى وإسناده حسن ، وفي الباب عن عدد من الصحابة ، انظر في ذلك « الإرواء » للألباني (٧/١٩٩٨) .

(١١٢) - سيأتي تخريجه - إن شاء الله - في سورة الفرقان .

[١] - في خ : « ورفع على » .
[٢] - في ز ، خ : « أبوه » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ز ، خ : « الزوجة » .
[٥] - في ت : « لعظم » .
[٦] - في خ : « السن » .

فإن التأويل يطلق علىٰ ما يصير إليه الأمر ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله** ﴾ أي : يوم القيامة يأتيهم ماوعدوا به[١] من خير وشر .

وقوله : ﴿ **قد جعلها ربي حقًّا** ﴾ أي : صحيحة صدقًا ، يذكر نعم اللَّه عليه ﴿ **وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو** ﴾ أي : البادية .

قال ابن جريج[٢] وغيره : كانوا من أهل بادية وماشية . وقال : كانوا يسكنون بالعربات من أرض فلسطين من غور الشام . قال : وبعض يقول : كانوا بالأولاج من ناحية شعب أسفل من حِسْمَىٰ ، وكانوا أصحاب بادية وشاء وإبل .

﴿ **من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء** ﴾ أي : إذا أراد أمرًا قيض له أسبابًا وقدره ويسره ﴿ **إنه هو العليم** ﴾ بمصالح[٣] عباده ﴿ **الحكيم** ﴾ في أقواله وأفعاله وقضائه وقدره وما يختاره ويريده .

قال أبو عثمان النهدي(١١٣) ، عن سلمان : كان[٤] بين رؤيا يوسف وتأويلها أربعون سنة .

قال عبد اللَّه بن شداد : [وإليها ينتهي][٥] أقصىٰ الرؤيا . رواه ابن جرير(١١٤) .

وقال أيضًا(١١٥) : حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا عبد الوهاب الثقفي ، حدثنا هشام ، عن الحسن ؛ قال : [كان منذ] فارق يوسف يعقوب إلىٰ أن التقيا ثمانون سنة ، لم يفارق الحزن قلبه ، ودموعه تجري علىٰ خديه ، وما علىٰ وجه الأرض يومئذٍ عبد أحب إلىٰ اللَّه من

---

(١١٣) - **إسناده صحيح** ، أخرجه ابن جرير (١٦/١٩٩٠٧: ١٩٩٠٩، ١٩٩١٧، ١٩٩٢٠) وابن أبي حاتم (١١٩٩٨/٧) والحاكم (٣٩٦/٤) والبيهقي في « الشعب » (٤٧٨٠/٤) من طرق عن سليمان التيمي عن أبي عثمان به ، وسكت عنه الحاكم ، وقال الذهبي : « على شرط البخاري ومسلم » وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٧١/٤) ، إلى الفريابي وابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا في « كتاب العقوبات » وابن المنذر وأبي الشيخ .

(١١٤) - **إسناده صحيح** ، أخرجه ابن جرير (١٩٩١٠، ١٩٩١٦، ١٩٩٢١) ، والبيهقي في « الشعب » (٤/ ٤٧٨١) من طريق سفيان بن عيينة عن أبي سنان عنه به ، وزاد نسبته السيوطي (٧١/٤) إلى ابن أبي شيبة وأبي الشيخ .

(١١٥) - (١٩٩٢٢/١٦) .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ت : « جرير » .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - في ز ، خ : « وإليه تنتهي » .

يعقوب .

وقال هشيم(١١٦) ، عن يونس ، عن الحسن ، ثلاث وثمانون سنة .

وقال مبارك بن فضالة(١١٧) ، عن الحسن : ألقي يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة ، فغاب عن أبيه ثمانين سنة ، وعاش بعد ذلك ثلاثًا وعشرين سنة[١] ، فمات وله عشرون ومائة سنة ، وقال قتادة : كان بينهما خمس وثلاثون سنة .

وقال محمد بن إسحاق : ذُكر - والله أعلم - أن غيبة يوسف عن يعقوب كانت ثماني عشرة سنة .

قال : وأهل الكتاب يزعمون أنها كانت أربعين سنة أو نحوها ، وأن يعقوب ، عليه السلام ، بقي مع يوسف بعد أن قدم عليه مصر سبع عشرة سنة ثم قبضه الله إليه .

وقال أبو إسحاق السبيعي(١١٨) ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله بن مسعود قال : دخل بنو إسرائيل مصر وهم ثلاثة وستون إنسانًا وخرجوا منها وهم ستمائة ألف وسبعون ألفًا .

وقال أبو إسحاق ، عن مسروق : دخلوا وهم ثلاثمائة وتسعون من[٢] بين رجل وامرأة . فالله أعلم .

وقال موسىٰ بن عبيدة(١١٩) ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن عبد الله بن شداد : اجتمع آل يعقوب إلىٰ يوسف بمصر وهم ستة وثمانون إنسانًا صغيرهم وكبيرهم ، وذكرهم وأنثاهم ، وخرجوا منها[٣] وهم ستمائة ألف ونيف .

---

(١١٦) - أخرجه ابن جرير (١٩٩٢٦/١٦) .

(١١٧) - أخرجه ابن جرير (١٩٩٢٨/١٦) حدثني الحارث ، قال : حدثنا عبد العزيز قال : حدثنا مبارك بن فضالة به ، وأخرجه أحمد في « الزهد » (ص١٠٣) وابن أبي حاتم (١٢٠١/٧) من طريق ابن علية عن يونس عن الحسن به ، لكن وقع عند أحمد « ... ثم جمع له شمله فعاش ثلاثًا وخمسين سنة » وأخرجه مختصرًا الحاكم (٥٧١/٢) من طريق حماد بن سلمة عن يونس عن عبيد عنه به ، وعزاه السيوطي (٧٢/٤) إلى ابن أبي شيبة وابن عبد الحكم في « فتوح مصر » وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه .

(١١٨) - أخرجه ابن جرير (١٩٩٣٦/١٦، ١٩٩٣٧) من طريق إسرائيل والمسعودي عن أبي إسحاق به ، وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه عبد الله ، وأخرجه ابن أبي حاتم (١١٩٥٧/٧) من طريق زهير بن واقد ، ثنا أبو إسحاق ، عن عبد الله به هكذا منقطعًا ، وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (الشعراء/ آية ٥٤/ ١٥٧/٥) إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر .

(١١٩) - **إسناده ضعيف لضعف موسى بن عبيدة** ، أخرجه ابن جرير (١٩٩٣٥/١٦) ثنا ابن وكيع =

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - ساقطة من : « ت » .

[٣] - سقط من : خ .

﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾

هذا دعاء من يوسف الصديق ، دعا به ربه عز وجل لما تمت [النعمة][١] عليه ، باجتماعه بأبويه وإخوته ، وما مَنَّ اللَّه [به عليه] ١٠ من النبوة والملك ، سأل ربه عز وجل كما أتم نعمته عليه في الدنيا أن يستمر بها عليه في الآخرة ، وأن يتوفاه مسلمًا حين يتوفاه ، قاله الضحاك ، وأن يلحقه بالصالحين وهم إخوته[٢] من النبيين والمرسلين ، صلوات اللَّه وسلامه عليهم أجمعين .

وهذا الدعاء يحتمل أن يوسف ، عليه السلام ، قاله عند احتضاره ، كما ثبت في الصحيحين(١٢٠) : عن عائشة ، رضي اللَّه عنها : أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، جعل يرفع أصبعه عند الموت ويقول : « **اللهم في الرفيق الأعلى [اللهم في الرفيق الأعلى ! اللهم في الرفيق الأعلى !]**[٣] » .

ويحتمل أنه سأل الوفاة علىٰ الإسلام واللحاق بالصالحين إذا حان أجله وانقضىٰ عمره ، لا أنه سأله ذلك منجزًا ، كما يقول الداعي لغيره : أماتك اللَّه علىٰ الإسلام ! ويقول الداعي : اللهم أحينا[٤] مسلمين وتوفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين !

ويحتمل أنه سأل ذلك منجزًا ، وكان ذلك سائغًا في ملتهم ، كما قال قتادة قوله(١٢١) : ﴿ **توفني مسلمًا وألحقني بالصالحين** ﴾ ، لما جمع اللَّه شمله وأقر عينه ، وهو يومئذٍ مغموس

= قال : ثنا زيد بن الحباب ، وعمرو بن محمد عن موسى بن عبيدة به ، وموسى بن عبيدة هو الرَّبذي ، ضعيف .

(١٢٠) - أخرجه البخاري ، كتاب : المغازي ، باب : مرض النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ووفاته (٤٤٣٧) - وانظر أطرافه (٨٩٠) ، ومسلم ، كتاب : فضائل الصحابة ، باب : في فضل عائشة - رضي الله عنها - (٢٤٤٤) وغيرهما .

(١٢١) - أخرجه ابن جرير (١٩٩٤٢/١٦) ثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد عنه به ، وأخرجه ابن أبي حاتم (١٢٠١١/٧) من طريق أبي الجماهر ثنا سعيد بن بشير به مختصرًا ، وسعيد بن بشير ضعفه الجمهور ، لكن أخرجه ابن جرير (١٩٩٤٣) من طريق آخر صحيح ، دون قول ابن عباس .

[١] - في ت : « نعمة الله » .

[٢] - في ت : « إخوانه » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ت : « ثلاثا » .

[٤] - في ز ، خ : « أمتنا » .

في نبت الدنيا وملكها وغضارتها ، واشتاق إلىٰ الصالحين قبله ، وكان ابن عباس يقول : ما تمنى نبي قط الموت قبل يوسف ، عليه السلام .

وكذا ذكر ابن جرير والسدي عن ابن عباس : أنه أول نبي دعا بذلك ، وهذا يحتمل أنه أول من سأل الوفاة علىٰ الإِسلام ، كما أن نوحًا أول من قال : ﴿ **رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنًا** ﴾ .

ويحتمل أنه أول من سأل إنجاز ذلك ، وهو ظاهر سياق قول قتادة ، ولكن هذا لا يجوز في شريعتنا .

قال الإِمام أحمد بن حنبل رحمه اللَّه(١٢٢) : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لا يتمنى أحدكم الموت لضر نزل به ، فإن كان ولابد متمنيًا الموت فليقل : اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي** » .

[وأخرجاه في الصحيحين ، وعندهما(١٢٣) : « **لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ، إمّا محسنًا فيزداد ، وإمّا مسيئًا فلعله يستعتب ، ولكن ليقل : اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي**][١] » .

وقال الإِمام أحمد(١٢٤) : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا معان بن رفاعة ، حدثني علي بن

(١٢٢) - المسند (١٠١/٣) وأخرجه البخاري ، كتاب : الدعوات ، باب : الدعاء بالموت والحياة (٦٣٥١) ، ومسلم كتاب : الذكر والدعاء ..، باب : كراهة تمني الموت لضر نزل به (١٠) (٢٦٨٠) ، والترمذي ، كتاب : الجنائز باب : ما جاء في النهي عن التمنى للموت (٩٧١) والنسائي ، كتاب الجنائز ، باب : تمني الموت (٣/٤) ، من طرق عن إسماعيل بن إبراهيم به ، وأخرجه أحمد (١٤٠٣٢) (٢٨١/٣) وأبو داود ، كتاب : الجنائز ، باب : في كراهية تمني الموت (٣١٠٨) والنسائي في « الكبرى » (٦/ ١٠٨٩٨) وابن ماجة : كتاب : الزهد ، باب : « ذكر الموت والاستعداد له » (٤٢٦٥) من طريقين عن عبد العزيز ، به .

(١٢٣) - لم أقف عليه بهذا اللفظ من حديث أنس ، وإنما أخرجه البخاري ، كتاب : المرضى ، باب : تمني المريض الموت (٥٦٧٣) ، وكتاب : الفتن ، باب : ما يكره من التمني (٧٢٣٥) ، والنسائي (٢/٤) ، وأحمد (٣٠٩/٢،٥١٤) من حديث أبي هريرة مرفوعًا بلفظ « لا يتمنى - وفي رواية يتمنين - أحدكم الموت ، إما محسنًا فلعله أن يزداد ، وإما مسيئًا فلعله يستعتب » وهو عند مسلم (١٣) (٢٦٨٢) بمعناه ، وانظر الحديث الآتي برقم (١٢٩) وراجع تعليق العلامة أحمد شاكر على هذا الحديث في « المسند » (٧٥٦٨) .

(١٢٤) - **إسناده ضعيف** ، المسند (٢٢٣٩٣) (٢٦٧/٥) وذكره « المصنف » بنفس الإسناد في =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

يزيد ، عن القاسم أبي عبد الرحمن ، عن أبي أمامة قال : جلسنا إلىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فذكرنا ورققنا ، فبكىٰ سعد بن أبي وقاص فأكثر البكاء ، وقال : يا ليتني مِت ! فقال النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **يا سعد ، أعندي تتمنىٰ الموت ؟** » فردد ذلك ثلاث مرات ، ثم قال : « **يا سعد ، إن كنت خلقت للجنة ، [فما طال من]**[١] **عمرك** ، و[٢] **حسن من**[٣] **عملك ، فهو خير لك** » .

وقال الإمام أحمد(١٢٥) : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا أبو يونس - هو سليم ابن جبير - عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أنه قال : « **لا يتمنى أحدكم الموت ، ولا يدعو به من قبل أن يأتيه ، إلا أن يكون قد وثق بعمله ، فإنه إن مات أحدكم انقطع عنه عمله ، وإنه لا يزيد المؤمن عمره**[٤] **إلا خيرًا** » . تفرد[٥] به أحمد .

وهذا فيما إذا كان الضر خاصًا به ، وأما إذا كان فتنة في الدين ، فيجوز سؤال الموت ، كما قال الله تعالىٰ إخبارًا عن السحرة ، لما أرادهم فرعون عن دينهم وتهددهم بالقتل : ﴿ **قالوا ربنا أفرغ علينا صبرًا وتوفنا مسلمين** ﴾ ، وقالت مريم لما جاءها المخاض ، وهو الطلق ، إلىٰ جذع النخلة : ﴿ **يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيًا منسيًا** ﴾ لما تَعْلَمُ من أن الناس يقذفونها بالفاحشة ؛ لأنها لم تكن ذات زوج ، وقد حملت وولدت وقد قالوا : ﴿ **يا مريم لقد جئت شيئًا فريًا * يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمّك بغيًا** ﴾ فجعل الله لها من ذلك الحال فرجًا ومخرجًا ، وأنطق الصبي في المهد بأنه عبد الله ورسوله ، فكان آية عظيمة ومعجزة باهرة صلوات الله وسلامه عليه .

= « البداية والنهاية » (٨٢/٨) وتحرف هناك معان إلى معاذ ومن طريق أحمد أخرجه ابن عساكر في « التاريخ » (١٦١/٧- مخطوط) ، وأخرجه الطبراني في « الكبير » (٧٨٧٠/٨) ثنا أحمد بن عبد الوهاب ثنا أبو المغيرة بهذا الإسناد ، وعلقه الذهبي في « الميزان » (٤/ت٦٨١٧) من طريق هشام بن عمار ثنا عمرو بن واقد عن علي بن يزيد به ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٠٦/١٠) وقال : « رواه أحمد والطبراني وزاد .... وفيه علي بن يزيد الألهاني وهو ضعيف » قلت : ومعان بن رفاعة ، لين الحديث كثير الإرسال - كما في التقريب ، ولين إسناده الحافظ ابن حجر في « الفتح » (١٣٠/١٠) .

(١٢٥) - **حديث صحيح** ، المسند (٨٥٩٢) (٣٥٠/٢) وقول المصنف : « تفرد به أحمد » يعني بهذا الإسناد ، وإلا فقد أخرجه مسلم في صحيحه كتاب : الذكر والدعاء .... ، باب : كراهة تمني الموت لضر نزل به (١٣) (٢٦٨٢) ثنا محمد بن رافع ، ثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر عن همام بن منبه قال : =

[١] - في ز : فأطال .
[٢] - في ز : أو .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ز ، خ : « عمله » .
[٥] - في خ : « انفرد » .

وفي حديث معاذ الذي رواه الإمام أحمد والترمذي في قصة المنام والدعاء الذي فيه(١٢٦) : « **وإذا أردت بقوم فتنة فتوفني إليك غير مفتون** » .

وقال الإمام أحمد(١٢٧) : حدثنا أبو سلمة ، أنا عبد العزيز بن محمد ، عن عمرو ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد : أن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **اثنتان يكرههما ابن آدم ؛ يكره الموت ، والموت خير للمؤمن [من الفتنة]**[١] ، **ويكره قلة المال ، وقلة المال أقل للحساب** » .

فعند حلول الفتن في الدين يجوز سؤال الموت ، ولهذا قال علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، في آخر خلافته ، لما رأىٰ أن[٢] الأمور لا تجتمع له ، ولا يزداد الأمر إلا شدة ، فقال(١٢٨) : اللهم خذني إليك فقد سئمتهم وسئموني .

وقال البخاري رحمه الله لما وقعت له تلك المحن ، وجرىٰ له مع أمير خراسان [ما جرىٰ][٣] ، قال : اللهم توفني إليك .

وفي الحديث(١٢٩) : « **إن الرجل ليمر بالقبر** - أي في زمان الدجال - **فيقول يا ليتني مكانك !** » لما يرىٰ من الفتن والزلازل والبلابل ، والأمور الهائلة التي هي فتنة لكل مفتون .

قال أبو جعفر بن جرير : وذكر أن بني يعقوب الذين فعلوا بيوسف ما فعلوا استغفر لهم[٤]

= هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ... فذكر الحديث ، وانظر الحديث المتقدم . ويأتي عند المصنف (سورة المؤمنون آية ٩٥) .

(١٢٦) - **صحيح** ، أخرجه أحمد (٢٢٠٨) (٢٤٣/٥) والترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة « ص » (٣٢٣٣) وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح » سألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث ، فقال : « هذا الحديث حسن صحيح .... » .

(١٢٧) - **صحيح** ، المسند (٢٣٧٣٥،٢٣٧٣٧) (٤٢٧/٥،٤٢٨) وأخرجه أيضًا (٢٣٧٣٦) (٢٣٧/٥) والبغوي في « شرح السنة » (٤٠٦٦/١٤) من طريقين عن إسماعيل بن جعفر عن عمرو بن أبي عمرو به ، وذكره الهيثمي في « المجمع » في موضعين الأول : (٣٢٤/٢) وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، والثاني : (٢٦٠/١٠) وقال : « رواه أحمد بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح » وجوَّد إسناده الألباني في « الصحيحة » (٨١٣/٢) .

(١٢٨) - أورد المصنف نحو ذلك عنه في كتابه « البداية والنهاية » (١٣/٨) .

(١٢٩) - أخرجه مالك في « الموطأ » كتاب : الجنائز ح ٥٣، ومن طريقه أحمد (٢٣٦/٢) والبخاري كتاب : الفتن ، باب : لا تقوم الساعة حتى يغبط أهل القبور (٧١١٥) ، ومسلم ، كتاب : =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .

أبوهم ، فتاب الله[١] عليهم وعفا عنهم وغفر لهم ذنوبهم .

(ذكر من قال ذلك)

حدثنا القاسم(١٣٠) ، حدثنا الحسين ، حدثني حجاج ، عن صالح المري ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس بن مالك ؛ قال : إن اللّٰه تبارك وتعالىٰ لما جمع ليعقوب شمله [وأقر عينه][٢] ، خلا ولده نجيًّا ، فقال بعضهم لبعض : ألستم قد علمتم ما صنعتم ، وما لقي منكم الشيخ وما لقي منكم يوسف ؟ قالوا : بلىٰ . قال : فيغركم عفوهما عنكم فكيف لكم بربكم ؟ فاستقام أمرهم علىٰ أن أتوا الشيخ ، فجلسوا بين يديه ويوسف إلىٰ جنب أبيه قاعدًا ، قالوا : يا أبانا ، إنا أتيناك [في أمر][٣] لم نأتك في[٤] مثله قط ، ونزل بنا أمر لم ينزل بنا مثله قط ، حتىٰ حركوه ، والأنبياء عليهم السلام أرحم البرية ، فقال : مالكم يا بني ؟ قالوا : ألست قد علمت ما كان منا إليك ، وما كان منا إلىٰ أخينا يوسف ؟ قال : بلىٰ . قالوا : أفلستما قد عفوتما لنا[٥] ؟ قالا : بلىٰ . قالوا : فإن عفوكما لا يغني [عنا][٦] شيئًا إن كان اللّٰه لم يعف عنا . قال : فما تريدون يا بني ؟ قالوا : نريد أن تدعو اللّٰه لنا[٧] ، فإذا جاءك الوحي من اللّٰه بأنه قد عفا عما صنعنا[٨] قرّت أعيننا ، واطمأنت قلوبنا ، وإلا فلا قرة عين في الدنيا لنا أبدًا . قال : فقام الشيخ فاستقبل القبلة ، وقام يوسف خلف أبيه ، وقاموا خلفهما أذلة خاشعين . قال : فدعا وأمّن يوسف ، فلم يجب فيهم عشرين سنة . قال صالح المري : يخيفهم . قال : حتىٰ إذا كان علىٰ رأس العشرين ، نزل جبريل ، عليه السلام ، علىٰ يعقوب فقال : إن اللّٰه تعالىٰ قد بعثني إليك أبشرك بأنه قد أجاب دعوتك في ولدك ، و[أنه][٩] قد عفا عما صنعوا ، وأنه قد اعتقد مواثيقهم من بعدك علىٰ النبوة .

هذا الأثر موقوف عن أنس ، ويزيد الرقاشي وصالح المري ضعيفان جدًّا .

= الفتن وأشراط الساعة (٥٣) (١٥٧) من حديث أبي هريرة مرفوعًا بلفظ : « **لا تقوم الساعة حتى يمرّ الرجل بقبر الرجل فيقول : يا ليتني مكانه** » وبلفظ آخر بنحو السابق أخرجه مسلم (٥٤) (١٥٧) ، وابن ماجه ، كتاب الفتن ، باب : شدة الزمان (٤٠٣٧) .

(١٣٠) - **إسناده ضعيف جدًّا ؛ لضعف يزيد الرقاشي وصالح المري** ، التفسير (١٦/٢٨١/رقم ١٩٩٤٨) .

---

[١] - سقط من : ت .

[٢] - في ز ، خ : « بعينيه » .

[٣] - في ت : « لأمر » .

[٤] - في خ : « أمر » .

[٥] - سقط من : خ ، ز .

[٦] - ما بين المعكوفتين في ت : « عما صنعنا » .

[٧] - سقط من : خ ، ز .

[٨] - سقط من : ت .

[٩] - في ت : « أن الله تعالى » .

وذكر السدي : أن يعقوب ، عليه السلام ، لما حضره الموت أوصىٰ إلىٰ يوسف بأن يدفن عند إبراهيم وإسحاق ، فلما مات صبره وأرسله إلىٰ الشام فدفن عندهما ، عليهم[١] السلام .

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ (١٠٢) وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (١٠٣) وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ (١٠٤) ﴾

يُقَرِّرُ تعالىٰ لمحمد ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، لما قص عليه نبأ إخوة يوسف ، وكيف رفعه اللّٰه عليهم ، وجعل له العاقبة والنصر والملك والحكم ، مع ما أرادوا به من السوء والهلاك والإعدام - : هذا وأمثاله يا محمد من أخبار الغيوب السابقة ﴿ **نوحيه إليك** ﴾ ونعلمك به يا محمد ؛ لما فيه من العبرة لك ، والاتعاظ لمن خالفك ﴿ **وما كنت لديهم** ﴾ حاضرًا عندهم ولا مشاهدًا لهم ﴿ **إذ أجمعوا أمرهم** ﴾ أي : علىٰ إلقائه في الجب ﴿ **وهم يمكرون** ﴾ به ، ولكنا أعلمناك به وحيًا إليك ، وإنزالًا عليك ، [كما قال تعالى][٢]: ﴿ **وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم** ﴾ الآية ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلىٰ موسىٰ الأمر** ﴾ الآية [إلىٰ أن قال][٣] : ﴿ **وما كنت بجانب الطور إذ نادينا** ﴾ الآية ، وقال : ﴿ **وما كنت ثاويًا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا** ﴾ الآية .

وقال : ﴿ **ما كان لي من علم بالملأ الأعلىٰ إذ يختصمون * إن يوحىٰ إليَّ إلا أنما أنا نذير مبين** ﴾ .

[يقرر تعالىٰ أنه][٤] رسوله ، وإنه قد أطلعه علىٰ أنباء ما قد سبق ، مما فيه عبرة للناس ، ونجاة لهم في دينهم ودنياهم ومع هذا ما آمن أكثر الناس ؛ ولهذا قال : ﴿ **وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين** ﴾ ، وقال : ﴿ **وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل اللّٰه** ﴾ ، [كقوله : ﴿ **إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين** ﴾][٥] إلىٰ غير ذلك من الآيات .

وقوله : ﴿ **وما تسألهم عليه من أجر** ﴾ أي : وما تسألهم يا محمد علىٰ هذا النصح والدعاء إلىٰ الخير والرشد من أجر[٦] ، أي من جعالة ولا أجرة [على ذلك ، بل تفعله ابتغاء

[١] - في ت : « عليه » .
[٢] - في ت : « كقوله » .
[٣] - في ت : « إلى قوله » .
[٤] - في ت : « يقول تعالى إنه » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٦] - في خ : « خير » .

وجه الله ونصحًا لخلقه][١] .

﴿ إن هو إلا ذكر للعالمين ﴾ أي : يتذكرون به ويهتدون ، وينجون به في الدنيا والآخرة .

﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (١٠٥) وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ (١٠٦) أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٠٧) ﴾

يخبر تعالىٰ عن غفلة[٢] أكثر الناس عن التفكر في آيات الله ودلائل توحيده ، بما خلقه الله في السموات والأرض من كواكب زاهرات ثوابت ، وسيارات وأفلاك دائرات ، والجميع مسخرات وكم في الأرض من قطع متجاورات ، وحدائق وجنات ، وجبال راسيات ، وبحار زاخرات ، وأمواج متلاطمات ، وقفار شاسعات ، وكم من أحياء وأموات ، وحيوانات ونبات ، وثمرات متشابهة ومختلفات ، في الطعوم والروائح والألوان والصفات ، فسبحان الواحد الأحد ، خالق أنواع المخلوقات ، المتفرد[٣] بالدوام والبقاء والصمدية ، ذي الأسماء والصفات .

وقوله : ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ قال ابن عباس(١٣١) : من إيمانهم أنهم[٤] إذا قيل لهم : من خلق السموات ؟ ومن خلق الأرض ؟ ومن خلق الجبال ؟ قالوا : الله ، وهم يشركون[٥] به .

وكذا قال مجاهد وعطاء وعكرمة والشعبي وقتادة والضحاك وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

وهكذا[٦] في الصحيحين(١٣٢) : أن المشركين كانوا يقولون في تلبيتهم : لبيك لا شريك

---

(١٣١) - أخرجه ابن جرير (١٦/١٩٩٥٤) ثنا ابن وكيع ، ثنا عمران بن عيينة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير عنه به ، وعطاء بن السائب مختلط ، وسفيان بن وكيع ضعيف ، وأخرجه ابن أبي حاتم (٧/١٢٠٣٤) من طريق سماك ، عن عكرمة بنحوه ، ورواية سماك ، عن عكرمة مضطربة .

(١٣٢) - لم أقف عليه في صحيح البخاري وانظر ما بعده .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - في خ : « المنفرد » .

[٤] - سقط من ز ، خ .

[٥] - في ت : « مشركون » .

[٦] - في ت : « و » .

لك إلا شريكًا هو لك ، تملكه وما ملك . وفي [صحيح مسلم](١٣٣)[١] : أنهم كانوا إذا قالوا : لبيك لا شريك لك ، يقول[٢] رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **قد قد** » . أي : حسب ، حسب ، لا تزيدوا علىٰ هذا .

وقال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **إن الشرك لظلم عظيم** ﴾ وهذا هو الشرك الأعظم الذي[٣] يعبد مع اللَّه غيره ، كما في الصحيحين(١٣٤) عن ابن مسعود : قلت : يا رسول اللَّه ، أي الذنب أعظم ؟ قال : « **أن تجعل للَّه ندًا وهو خلقك** » .

وقال الحسن البصري في قوله : ﴿ **وما يؤمن أكثرهم باللَّه إلا وهم مشركون** ﴾ قال : ذلك المنافق يعمل ، إذا عمل ، رياء الناس وهو مشرك بعمله ذلك ، يعني قوله تعالىٰ : ﴿ **إن المنافقين يخادعون اللَّه وهو خادعهم وإذا قاموا إلىٰ الصلاة قاموا كسالىٰ يراءون الناس ولا يذكرون اللَّه إلا قليلًا** ﴾ [وَثَمّ شرك][٤] خفي ، لا يشعر به غالبًا فاعله ، كما روىٰ حماد ابن سلمة(١٣٥) ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن عروة قال : دخل حذيفة[٥] علىٰ مريض ، فرأىٰ في عضده سيرًا فقطعه - أو انتزعه - ثم قال : ﴿ **وما يؤمن أكثرهم باللَّه إلا وهم مشركون** ﴾ .

وفي الحديث : « **من حلف بغير اللَّه فقد كفر أو أشرك** » . رواه الترمذي(١٣٦) وحسنه من رواية ابن عمر .

---

(١٣٣) - صحيح مسلم كتاب : الحج ، باب : « التلبية وصفتها ووقتها » (٢٢) (١١٨٥) .

(١٣٤) - **صحيح** ، تقدم (سورة البقرة/ آية ٢٢) .

(١٣٥) - **صحيح** ، أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٠٤٠/٧) ثنا محمد بن الحسين بن إبراهيم بن إشكاب ، ثنا يونس بن محمد ثنا حماد بن سلمة به ، غير أنه تصحف عنده عروة إلى عزرة ، وإسناده رجاله ثقات ، غير أني لم أجد من صرح بسماع عروة من حذيفة ، وقد سمع عروة من عدد كبير من الصحابة ، وأخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٥/كتاب الطب/ باب (٧) رقم (٨،٧)) بإسناد صحيح من طريقين عن حذيفة بنحوه .

(١٣٦) - **صحيح** ، الجامع للترمذي كتاب : النذور والأيمان ، باب : ما جاء في كراهية الحلف بغير الله (١٥٣٥) ، وأخرجه أبو داود كتاب : الأيمان والنذور ، باب : في كراهية الحلف بالآباء (٣٢٥١) ، وأحمد (١٢٥،٨٦،٦٩،٣٤/٢) وقال الترمذي « هذا حديث حسن » ، وصححه ابن حبان (٤٣٥٨/١٠) والحاكم (٥٢،١٨/١) ، (٢٩٧/٤) ، ووافقه الذهبي ، وصححه أيضًا الألباني في « الإرواء » (٨/ ٢٥٦١) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « الصحيح » .

[٢] - في ت : « قال » .

[٣] - سقط من : ت .

[٤] - ما بين المعكوفتين في خ : « شرك » .

[٥] - في خ : « عروة » .

وفي الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود وغيره : عن ابن مسعود رضي الله عنه قال(١٣٧) : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم : « **إن الرقىٰ والتمائم والتِّوَلَةَ شرك** »[١] .

وفي لفظ لهما(١٣٨) : « **الطيرة**[٢] **شرك** » ، وما منا إلا[٣] ، ولكن الله يذهبه بالتوكل .

ورواه الإمام أحمد بأبسط من هذا فقال(١٣٩) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن يحيىٰ [بن] الجزار ، عن ابن أخي زينب ، [عن زينب][٤] امرأة عبد الله بن مسعود ؛ قالت : كان عبد الله إذا جاء من حاجة فانتهىٰ إلىٰ الباب تنحنح وبزق ؛ كراهية أن يهجم منا علىٰ شيء يكرهه ، قالت : وإنه جاء ذات يوم فتنحنح ، وعندي عجوز

---

(١٣٧) - **صحيح** ، يأتي تخريجه برقم (١٤٣) .

(١٣٨) - **صحيح** ، أخرجه أحمد (٣٨٩/١، ٤٣٨، ٤٤٠) ، وأبو داود ، كتاب الطب ، باب : في الطيرة (٣٩١٠) ، والترمذي كتاب : السير ، باب : ما جاء في الطيرة (١٦١٤) ، وابن ماجه ، كتاب : الطب ، باب : من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة (٣٥٣٨) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٩٠٩) ، وغيرهم من حديث ابن مسعود ، وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح » ، وصححه ابن حبان (١٣/ ٦١٢٢) ، والحاكم (١٧/١-١٨، ١٨) ووافقه الذهبي ، لكن قال الترمذي : سمعت محمد بن إسماعيل يقول : كان سليمان بن حرب يقول في هذا الحديث : « وما منا » قال سليمان : هذا عندي قول عبد الله ابن مسعود وما منا » . وكذا قال الحافظ الهيثمي في « موارد الظمآن » (١٤٢٧/٤) والحافظ ابن حجر في « الفتح » (٢١٣/١٠) لكن رد ذلك ابن القطان بأن كل كلام مسوق في سياق ، لا يقبل دعوى درجه إلا بحجة ، انظر « الصحيحة » للألباني (٤٢٩/١) .

(١٣٩) - **صحيح** ، (٣٦١٥/شاكر) (٣٨١/١) وأخرجه أبو داود ، كتاب : الطب ، باب : في تعليق التمائم (٣٨٨٣) ، ومن طريقه البيهقي في « الكبرى » (٣٥٠/٩) - مختصرًا ، والبغوي في « شرح السنة » (٣٢٤٠/١٢) من طريقين عن أبي معاوية به ، وأخرجه ابن ماجه ، كتاب : الطب ، باب : تعليق التمائم (٣٥٣٠) ، وأبو يعلى (٥٢٠٨/٩) من طريق الأعمش به مطولًا ومختصرًا ، إلا أنهما قالا « عن ابن أخت زينب » وأفاد المنذري في « الترغيب والترهيب » (٣٠٩/٤) : أن في بعض نسخ ابن ماجه « عن ابن أخي زينب » ثم قال : « وهو على كلا التقديرين مجهول » لكن قال عنه الحافظ في « التقريب » : « كأنه صحابي ، ولم أره مسمى » وقد تابعه عبد الله بن عتبة بن مسعود عند الحاكم (٤١٧/٤-٤١٨) =

---

[١] - التمائم جمع تميمة ، وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم يتَّقون بها العين - في زعمهم - فأبطلها الإسلام . وأما التولة : فهي ما يُحَبِّب المرأة إلى زوجها من السحر وغيره . النهاية [١٩٧/١ ، ٢٠٠].

[٢] - الطيرة : هو التشاؤم بالشيء ، وأصله : التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرهما . وجعلها شركًا لأنهم كانوا يعتقدون أن التطير يجلب لهم نفعًا أو يدفع عنهم ضرًا .

[٣] - كذا بدون ذكر المستثنى ، والمعنى : إلا وقد يعتريه التطير وتسبق إلى قلبه الكراهة . فحذف اختصارًا واعتمادًا على فهم السامع . النهاية [١٥٢/٣] .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

ترقيني من الحُمرة[١] . فأدخلتها تحت السرير ، قالت : فدخل فجلس إلىٰ جنبي ، فرأىٰ في عنقي خيطًا ، قال[٢] : ما هذا الخيط ؟ قالت : قلت : خيط[٣] رقيَ لي فيه . قالت[٤] فأخذه فقطعه ، ثم قال : إن آل عبد اللّٰه لأغنياء عن الشرك ، سمعت رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، يقول : « **إن الرقىٰ والتمائم والتولة شرك** » . قالت : فقلت له : لم تقول هذا وقد كانت عيني تقذف ، فكنت أختلف إلىٰ فلان اليهودي يرقيها ، وكان إذا رقاها سكنت ؟ قال : إنما ذلك عمل الشيطان ؛ كان ينخسها بيده ، فإذا رقيتها كف عنها ، إنما كان يكفيك أن تقولي كما قال النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **أذهب الباس ، رب الناس ، اشف أنت الشافي**[٥] **، لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقمًا** » .

وفي حديث آخر رواه الإمام أحمد(١٤٠) عن وكيع ، ثنا ابن أبي ليلىٰ ، عن عيسىٰ بن عبد الرحمن قال : دخلنا[٦] علىٰ عبد اللّٰه بن عكيم وهو مريض نعوده ، فقيل له : لو تعلقت شيئًا ؟ فقال : أتعلق شيئًا وقد قال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **من تعلق**

= وقال : « صحيح الإسناد على شرط الشيخين » ووافقه الذهبي ، وصححه أيضًا (٢١٧/٤) من طريق آخر عن ابن مسعود ، ووافقه الذهبي وأقرهما الألباني في « الصحيحة » (٣٣١/١) ، وأخرجه ابن حبان (١٣/ ٦٠٩٠) والطبراني في « الكبير » (١٠٥٠٣/١٠) من طريق فضيل بن عمرو عن يحيى بن الجزار قال : دخل عبد الله على امرأة ... فذكر الحديث ، هكذا منقطعًا بين يحيى بن الجزار وابن مسعود ، وله طرق أخرى عن عبد الله عند ابن أبي شيبة في « المصنف » (٤٢٧/٥) والطبراني (٨٨٦٣/٩) والحاكم (٤/ ٢١٦-٢١٧) .

(١٤٠) - **حسن** ، المسند (١٨٨٣٥) (٣١٠/٤) ومن طريق وكيع أخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٥/ ك : الطب ، باب : تعليق التمائم والرقى (٧) رقم ٢) والبيهقي في « الكبرى » (٣٥١/٩) ، وأخرجه أحمد (١٨٨٤٠) (٣١١/٤) والترمذي ، كتاب : الطب ، باب : ما جاء في كراهية التعليق (٢٠٧٣) ، وابن أبي عاصم في « الآحاد والمثاني » (٢٥٧٦/٥) والحاكم (٢١٧/٤) من طرق عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى به ، وسكت عنه الحاكم والذهبي ، وقال الترمذي : « عبد الله بن عكيم لم يسمع من النبي ، صلى الله عليه وسلم ... » قلت : ومحمد بن عبد الرحمن ، سيئ الحفظ جدًّا ، ولذا علقه البغوي في « شرح السنة » (١٦٠/١٢) بصيغة التمريض ، فقال : « ويروى عن عبد الله بن عكيم ... » لكن للحديث شاهد مرسل بإسناد صحيح عن الحسن البصري عند ابن وهب في « الجامع » (ص١١٣) ، وبهذا المرسل حسن الألباني الحديث في « غاية المرام » (رقم ٢٩٧) وقد روي هذا المرسل متصلًا - وهو الآتي .

[١] - الحُمْرة : مرض جلدي مُعْدٍ ، يحمرُّ فيه موضع الإصابة ، تصحبه حُمَّىٰ عالية . المعجم الوسيط [١/ ٢٠٣] .

[٢] - في ت : « فقال » .

[٣] - في خ : « هذا » .

[٤] - سقط من ت .

[٥] - في ت : « الشاف » .

[٦] - في ت : « دخلت » .

شيئًا وُكِلَ إليه » . ورواه النسائي(١٤١) عن أبي هريرة .

وفي مسند الإمام أحمد(١٤٢) : [عن][١] عقبة بن عامر قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **من علق تميمة فقد أشرك** » . وفي رواية(١٤٣) : « **من علق تميمة فلا أتم اللَّه له ، ومن تعلق ودعة فلا ودع اللَّه له** » .

وعن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، رضي اللَّه عنه ، قال : سمعت رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يقول : « **قال[٢] اللَّه : أنا أغنىٰ الشركاء عن الشرك ، من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه** » رواه مسلم(١٤٤) .

وعن أبي سعيد بن أبي فضالة قال : سمعت رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يقول : « **إذا جمع اللَّه الأوّلين والآخرين ليوم لا ريب فيه ، ينادي مناد : من كان أشرك في عمل**

---

(١٤١) - **إسناده ضعيف منقطع** ، سنن النسائي الصغرى كتاب : تحريم الدم ، باب : « الحكم في السحرة » (١١٢/٧) ثنا عمرو بن علي ، ثنا أبو داود ، ثنا عباد بن ميسرة المِنْقَرِيُّ ، عن الحسن ، عن أبي هريرة مرفوعًا بلفظ : « **من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ، ومن سحر فقد أشرك ، ومن تعلق شيئًا وكل إليه** » والحسن لم يسمع من أبي هريرة عند الجمهور - كما قال المنذري في « الترغيب والترهيب » (٣٢/٤) ، وعباد بن ميسرة لين الحديث عابد ، وقد استنكر له الحافظ ابن عدي هذا الحديث ، فأورده في « الكامل » (١٦٤٨/٤) ، وانظر ما قبله .

(١٤٢) - **صحيح** ، المسند (١٧٤٦٩) (١٥٦/٤) ، وأخرجه الحارث بن أبي أسامة (٥٣٨ زوائده) والطبراني في « الكبير » (٨٨٥/١٧) من طريق عبد العزيز بن مسلم - تحرف في « الصحيحة » للألباني (٤٩٢/١) إلى عبد العزيز بن منصور - ثنا يزيد بن أبي منصور عن دخين الحجري عن عقبة به وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٠٦/٥) وقال : « رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات » ، وقال الألباني « إسناد صحيح رجاله ثقات .... » وأخرجه الحاكم (٢١٩/٤) من طريق آخر عن عقبة وسكت عنه هو والذهبي ، وانظر ما بعده .

(١٤٣) - أخرجه أحمد (١٧٤٥١) (١٥٤/٤) وأبو يعلى (١٧٥٩/٣) والروياني في مسنده (١/رقم٢١٧) والطحاوي في « شرح معاني الآثار » (٣٢٥/٤) والطبراني في « الكبير » (٨٢٠/١٧) والحاكم (٤/ ٢١٦،٤١٧) من طريق حيوة بن شريح ، عن خالد بن عبيد عن مشرح عن عقبة به ، وقال الحاكم : « صحيح الإسناد » ووافقه الذهبي ، وقال الهيثمي في « المجمع » (١٠٦/٥) : رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات ، وقال المنذري في « الترغيب والترهيب » (٣٠٦/٤) : رواه أحمد وأبو يعلى بإسناد جيد والحاكم وقال : صحيح الإسناد . قلت : خالد بن عبيد لم يوثقه غير ابن حبان (٢٦٢/٦) وأورده ابن أبي حاتم في كتابه (٣٤٢/٣) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا .

(١٤٤) - صحيح مسلم كتاب : الزهد والرقائق ، باب : من أشرك في عمله غير الله (٤٦) (٢٩٨٥) ، وأخرجه أيضًا أحمد (٣٠١/٢،٤٣٥) ، وابن ماجه ، كتاب : الزهد ، باب : الرياء والسمعة (٤٢٠٢) .

---

[١] - في ت : « من حديث » . [٢] - سقط من : ت .

عمله لله ، فليطلب ثوابه من عند غير الله ، فإن الله أغنىٰ الشركاء عن الشرك » . رواه الإمام أحمد(١٤٥) .

وقال الإمام أحمد(١٤٦) : حدثنا يونس ، حدثنا ليث ، عن يزيد - يعني ابن الهاد - عن عمرو ، عن محمود بن لبيد : أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر** » . قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : « **الرياء ، يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة إذا جزىٰ الناس بأعمالهم : اذهبوا إلي الذين كنتم تراءون في الدنيا ، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء ؟** » .

وقد رواه إسماعيل بن جعفر(١٤٧) ، عن عمرو بن أبي عمرو مولىٰ المطلب ، عن عاصم ابن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، به .

---

(١٤٥) - **حسن** ، المسند (١٥٨٨١) (٤٦٦/٣) (١٧٩٤٣) (٢١٥/٤) ، وسيذكره المصنف بإسناد أحمد في (سورة الكهف آية١١٠) ورواه أيضًا الترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الكهف (٣١٥٢) ، وابن ماجة ، كتاب : الزهد ، باب : « الرياء والسمعة » (٤٢٠٣) ، والبخاري في « الكنى » من التاريخ الكبير (٣٦/٨) ، والدولابي في « الكنى » (٣٥/١) ، والطبراني في « الكبير » (٧٧٨/٢٢) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٦٨١٧/٥) ، والمزي في « تهذيب الكمال » (٣٣/ت٧٣٨٣) كلهم من طريق محمد بن بكر نا عبد الحميد بن جعفر ، أخبرني أبي عن زياد بن ميناء عن أبي سعيد - وقيل أبي سعد - ابن أبي فضالة ، به وقال الترمذي : « هذا حديث غريب - وفي بعض النسخ : حسن غريب - لا نعرفه إلا من حديث محمد بن بكر » قلت : تابعه فرات بن خالد عند البخاري ، ونقل ابن حجر في « الإصابة » (٨٦/٤) عن علي بن المديني قال : « سنده صالح » ، وصححه ابن حبان (٤٠٤/٢) (١٦/ ٧٣٤٥) .

(١٤٦) - **إسناده جيد** ، المسند (٢٣٧٤٢) (٤٢٨/٥) وسيعيده المصنف (سورة الكهف/آية١١٠) ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٠٧/١) وقال : « رجاله رجال الصحيح » وجود إسناده المنذري في « الترغيب والترهيب » (٦٨/١) وقال الألباني في « الصحيحة » (٩٥١/٢) ، « إسناده جيد ، رجاله كلهم ثقات ، رجال الشيخين غير محمود بن لبيد ، فإنه من رجال مسلم وحده قال الحافظ : وهو صحابي صغير ، وجل روايته عن « الصحابة » وانظر ما بعده .

(١٤٧) - **كسابقه** ، أخرجه البغوي في « شرح السنة » (٤١٣٥/١٤) من طريق علي بن حجر نا إسماعيل بن جعفر به ، وأخرجه أحمد (٢٣٧٤٨،٢٣٧٤٣) (٤٢٩،٤٢٨/٥) والبيهقي في « الشعب » (٦٨٣١/٥) من طرق عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن عمرو بن أبي عمرو ، به ، وعبد الرحمن بن أبي الزناد صدوق تغير حفظه لما قدم بغداد ، وهو متابع كما ترى ، وأخرجه الطبراني في « الكبير » (٤٣٠١/٤) من رواية محمود بن لبيد عن رافع بن خديج به نحوه ، وقال الهيثمي في « المجمع » (٢٢٥/١٠) : « رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن شبيب بن خالد وهو ثقة » كذا قال : وابن شبيب هذا ضعفه غير واحد وقال ابن حجر في « اللسان » أخباري علامة لكنه واهٍ .

وقال الإمام أحمد(١٤٨) : حدثنا حسن ، أنبأنا ابن لهيعة ، أنبأنا ابن هبيرة ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **من ردّته الطيرة عن[١] حاجةٍ فقد أشرك** » . قالوا : يا رسول الله ما كفارة ذلك ؟ قال : « **أن يقول أحدهم : اللهم لا خير إلا خيرك ، ولا طير إلا طيرك ، ولا إله غيرُك** » .

وقال الإمام أحمد(١٤٩) : حدثنا عبد الله بن نمير ، حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان العرزمي ، عن أبي علي - رجل من بني كاهل - قال[٢] : خطبنا أبو موسىٰ الأشعري فقال : يا[٣] أيها الناس ، اتقوا هذا الشرك فإنه أخفىٰ من دبيب النمل . فقام عبد الله بن حَزْن وقيس بن المضارب فقالا : والله ، لتخرجن مما قلت ، أو لنأتين عمر مأذونًا لنا أو غير مأذون . قال : بل أخرج مما قلت ، خطبنا رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، ذات يوم فقال : « **يا[٤] أيها الناس ، اتقوا هذا الشرك فإنه أخفىٰ من دبيب النمل** » . فقال له من شاء[٥] الله أن يقول : فكيف نتقيه وهو أخفىٰ من دبيب النمل يا رسول الله ؟ قال : قولوا : « **اللهم ، إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئًا نعلمه ، ونستغفرك لما لا نعلمه** » .

وقد روي من وجه آخر ، وفيه أن السائل في ذلك هو الصديق ، كما رواه الحافظ أبو يعلىٰ الموصلي(١٥٠) : من حديث عبد العزيز بن مسلم ، عن ليث بن أبي سليم ، عن أبي

---

(١٤٨) - **صحيح** ، المسند (٧٠٤٥) (٢/٢٢٠) وذكره الهيثمي في « المجمع » (٥/١٠٨) وقال : « رواه أحمد والطبراني في الكبير وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف ، وبقية رجاله ثقات » قلت : لكن رواه عبد الله بن وهب في « الجامع » (ص١١٠) - ومن طريقه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٢٨٧) - عن ابن لهيعة به ، وحديث ابن لهيعة يصحح إذا كان من رواية أحد العبادلة عنه ، ولذلك أورده الألباني في « الصحيحة » (٣/١٠٦٥) .

(١٤٩) - المسند (١٩٦٦١) (٤/٤٠٣) وأخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » كتاب : الدعاء ، باب : في التعوذ من الشرك ، ما يقوله الرجل حين يبرأ منه (٧/٨٨)) ، والبخاري في « الكنى » من « التاريخ الكبير » (٨/٥٨) ، والطبراني في « الأوسط » (٤/٣٤٧٩) من طريق عبد الله بن نمير بهذا الإسناد ، وقال الهيثمي في « المجمع » (٣/٢٢٦-٢٢٧) : « رواه أحمد ..... ورجال أحمد رجال الصحيح غير أبي علي ووثقه ابن حبان « الثقات » (٥/٥٦٢) » وقال المنذري في « الترغيب والترهيب » (١/٧٦) : « رواه أحمد والطبراني ورواته إلى أبي علي محتج بهم في الصحيح ، أبو علي وثقه ابن حبان ، ولم أر أحدًا جرحه » . ويشهد له ما بعده .

(١٥٠) - **إسناده ضعيف** ، « مسند أبي يعلى » (٦٠،٦١) حدثنا موسى بن محمد بن حَيَّان ، حدثنا روح ابن أسلم وفهد ، قالا : حدثنا عبد العزيز بن مسلم به ، وأخرجه أيضًا (٥٨) ، والمروزي في « مسند أبي بكر » (٥٣:٥٥) ، وابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٢٨١) . من طريق ابن جريج في قوله تعالى :=

---

[١] - في خ : « من » .

[٢] - في خ : « قالوا » .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - في خ : « يشأ » .

محمد ، عن معقل بن يسار قال : شهدت النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - أو قال : حدّثني أبو بكر الصديق ، عن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، أنه - قال : « **الشرك أخفى فيكم من دبيب النمل** » . فقال أبو بكر : وهل الشرك إلا من دعا مع اللّٰه إلهًا آخر ؟ فقال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **الشرك فيكم أخفىٰ من دبيب النمل** » . ثم قال : « **ألا أدلك علىٰ ما يذهب عنك صغير ذلك وكبيره ؟ قل : اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم ، وأستغفرك مما لا أعلم** » .

وقد رواه الحافظ أبو القاسم البغوي(١٥١) : عن شيبان بن فروخ[١] ، عن يحيىٰ بن كثير ، عن الثوري ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن أبي بكر الصديق ، قال : رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **الشرك أخفىٰ في أمتي من دبيب النمل علىٰ الصفا** » قال : فقال أبو بكر : يا رسول اللّٰه ، فكيف النجاة والمخرج من ذلك ؟ فقال : « **ألا أخبرك بشيء إذا قلته برئت من قليله وكثيره وصغيره وكبيره ؟** » قال : بلىٰ يا رسول اللّٰه . قال : « **قل : اللهم ، إني أعوذ بك أن أشرك بكَ وأنا أعلم ، وأستغفرك لما لا أعلم** » .

قال الدارقطني : يحيىٰ [بن كثير][٢] هذا يقال له : أبو النضر ، متروك الحديث .

وقد روىٰ الإمام أحمد وأبو داود والترمذى - وصححه - والنسائي(١٥٢) : من حديث يعلىٰ بن عطاء ، سمعت عمرو بن عاصم ، سمعت أبا هريرة قال : قال أبو بكر الصديق :

= ﴿ **أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه** ﴾ أخبرني ليث بن أبي سليم عن أبي محمد عن حذيفة عن أبي بكر به نحوه ، وليث بن أبي سليم ، صدوق اختلط بأخرة ولم يتميز حديثه فترك ، وشيخه أبو محمد ، مجهول ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٢٧/١٠) وقال : « رواه أبو يعلى من رواية ليث بن أبي سليم عن أبي محمد عن حذيفة ، وليث مدلس وأبو محمد إن كان هو الذي روى عن ابن مسعود أو الذي روى عن عثمان بن عفان فقد وثقه ابن حبان « الثقات » (٥٨٦/٥) وإن كان غيرهما فلم أعرفه ، وبقية رجاله رجال الصحيح » وانظر ما بعده .

(١٥١) - **إسناده ضعيف جدًا** ، ومن طريق شيبان بن فروخ به ، أخرجه ابن حبان في « المجروحين » (٣/ ١٣٠) وابن عدي في « الكامل » (٢٦٩٥/٧) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١١٢/٧) قال الدارقطني في « العلل » (١٩٣/١) : « ولا يصح عن إسماعيل ، ولا عن الثوري ، ويحيى بن كثير هذا متروك الحديث » وأخرجه أبو يعلى (٥٩) عن شيخه عمرو بن الحصين من حديث معقل بن يسار ، لكن شيخه هذا متروك ، كما قال الهيثمي في « المجمع » (٢٢٧/١٠) وانظر السابق .

(١٥٢) - **صحيح** ، أخرجه بهذا اللفظ أبو داود ، كتاب : الأدب ، باب : ما يقول إذا أصبح (٥٠٦٧) ، والنسائي في « الكبرى » (٧٦٩٩/٤) ، (١٠٤٠٢/٦) والبخاري في « خلق أفعال العباد » (١٤٠، ١٤١) وفي « الأدب المفرد » (١٢٠٣) ، وأبو يعلى في « المسند » (٧٧) ، وصححه الحاكم (٥١٣/١) =

[١] - في خ : « فرح » .

[٢] - في ت : «ابن أبي كثير» . وهو خطأ .

يا رسول الله ، علمني شيئًا أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت ، وإذا أخذت مضجعي . قال : « **قل : اللهم فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، رب كل شيء ومليكه ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أعوذ بك من شر نفسي ، وشر الشيطان وشركه** » .

وزاد الإمام أحمد في رواية له(١٥٣) : من حديث ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد ، عن أبي بكر الصديق قال : أمرني رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أن أقول ... فذكر هذا[١] الدعاء وزاد في آخره : « **وأن أقترف علىٰ نفسي سوءًا أو أجره إلىٰ مسلم** » .

وقوله : ﴿ **أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله** ﴾ الآية ، أي : أفأمن هؤلاء المشركون بالله[٢] أن يأتيهم أمر يغشاهم من حيث لا يشعرون ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون * أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين * أو يأخذهم علىٰ تخوّف فإن ربكم لرءوف رحيم** ﴾ ، و[قال تعالى][٣] : ﴿ **أفأمن أهل القرىٰ أن يأتيهم بأسنا بياتًا وهم نائمون * أو أمن أهل القرىٰ أن يأتيهم بأسنا ضحىٰ وهم يلعبون * أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون** ﴾ .

قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾

يقول تعالىٰ [لعبده ورسوله][٤] ، صلىٰ الله عليه وسلم ، إلىٰ الثقلين ؛ الجن والإنس ، آمرًا له أن يخبر الناس أن هذه سبيله ، أي طريقه[٥] ومسلكه وسنته ، وهي الدعوة إلىٰ شهادة

= ووافقه الذهبي ، كلهم من طريق هشيم ، أنبأنا يعلى بن عطاء به ، وأخرجه الدارمي (٢٦٩٢) وأحمد (١/ ٩) من طريق سعيد بن عامر وبهز بن أسد ، عن شعبة ، عن يعلى بن عطاء به بهذا اللفظ ، لكن رواه غيرهم عن شعبة بلفظ : « **قل اللهم عالم الغيب والشهادة ، فاطر السماوات والأرض** .... » أخرجه أحمد (١/ ٩ ، ١٠) (٢/٢٩٧) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (١٢٠٢) ، وفي « خلق أفعال العباد » (١٣٨،١٣٩،٥٨٣) والطيالسي (ص٤) - ومن طريقه الترمذي (٣٣٨٩) - والنسائي في « الكبرى » (٧٧١٥/٤) (٩٨٣٩/٦) وقال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح » ، وصححه ابن حبان (٣/ ٩٦٢) .

(١٥٣) - **صحيح** ، المسند (٨١) (١٤/١) ومجاهد لم يسمع من أبي بكر ، وليث بن أبي سليم ضعيف ، لكن يشهد لهذه الزيادة حديث عبد الله بن عمرو عند أحمد (٦٨٥١) (١٩٦/٢) والترمذي =

[١] - سقط من : خ .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ت : « وقوله » .
[٤] - في ت : « لرسوله » .
[٥] - في ت : « طريقته » .

أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يدعو إلىٰ الله بها علىٰ بصيرة من ذلك ويقين وبرهان ، هو وكل من اتبعه يدعو إلىٰ ما دعا إليه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ بصيرة ويقين وبرهان ؛ شرعي وعقلي .

وقوله : ﴿ **وسبحان الله** ﴾ أي : وأنزه الله وأجله وأعظمه وأقدسه عن أن يكون له شريك أو نظير ، أو عديل أو نديد ، أو ولد أو والد ، أو صاحبة [أو وزير][١] أو مشير ، تبارك وتقدس وتنزه ، وتعالىٰ عن ذلك كله علوا كبيرًا[٢] ﴿ **تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهنّ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليمًا غفورًا** ﴾ .

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾

يخبر تعالىٰ أنه إنما أرسل رسله من الرجال لا من النساء ، وهذا قول جمهور العلماء ، كما دل عليه سياق هذه الآية الكريمة : أنّ الله تعالىٰ لم يوح إلىٰ امرأة من بنات بني آدم وحي تشريع .

وزعم بعضهم : أن سارة امرأة الخليل ، وأمّ موسىٰ ، ومريم [بنت عمران][٣] أمّ عيسىٰ نبيات ، واحتجوا بأن الملائكة بشرت سارة بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ، وبقوله : ﴿ **وأوحينا إلىٰ أمّ موسىٰ أن أرضعيه** ﴾ الآية ، وبأن الملك جاء إلىٰ مريم وبشرها بعيسىٰ ، عليه السلام ، وبقوله تعالىٰ : ﴿ **إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك علىٰ نساء العالمين * يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين** ﴾ .

وهذا القدر حاصل لهنّ ، ولكن لا يلزم من هذا أن يكن نبيات بذلك ، فإن أراد القائل بنبوّتهن هذا القدر من التشريف ، فهذا لا شك فيه ، ويبقىٰ الكلام[٤] معه في أن هذا هل

= (٣٥٢٦) وقال : « حديث حسن غريب » وشاهد آخر من حديث أبي مالك الأشعري عند أبي داود (٥٠٨٣) ، والطبراني في « الكبير » (٣/٣٤٥٠) إلا أن فيه انقطاعًا ، وانظر « الصحيحة » للألباني (٦/ ٢٧٦٣) .

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - في خ : « كثيرًا » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من ز ، خ . [٤] - سقط من ز ، خ .

يكفي في الانتظام في سلك النبوّة بمجرّده أم لا ؟ الذي عليه أهل السنة والجماعة ، وهو الذي نقله الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري : عنهم أنه ليس في النساء نبية وإنما فيهنّ صدّيقات ، كما قال تعالىٰ مخبرًا عن أشرفهنّ مريم بنت عمران حيث قال تعالىٰ : ﴿ **ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمّه صدّيقة كانا يأكلان الطعام** ﴾ فوصفها في أشرف مقاماتها بالصدّيقية ، فلو كانت نبية لذكر ذلك في مقام التشريف والإعظام ، فهي صدّيقة بنص القرآن .

وقال الضحاك(١٥٤) ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك إلا رجالًا [نوحي إليهم من أهل القرى]** ﴾ ، أي : ليسوا من أهل السماء كما قلتم . وهذا القول من ابن عباس يعتضد بقوله تعالىٰ : ﴿ **وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق** ﴾ الآية ، وقوله تعالىٰ : ﴿ **وما جعلناهم جسدًا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين * ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين** ﴾ ، وقوله تعالىٰ : ﴿ **قل ما كنت بدعًا من الرسل** ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ **من أهل القرى** ﴾ المراد بالقرىٰ : المدن ، لا أنهم من أهل البوادي ، الذين هم [ ][١] أجفىٰ الناس طباعًا وأخلاقًا وهذا هو المعهود المعروف : أن أهل المدن أرق طباعًا وألطف من أهل سوادهم ، وأهل الريف والسواد أقرب حالًا من الذين يسكنون في البوادي ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **الأعراب أشدّ كفرًا ونفاقًا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله** ﴾ .

وقال قتادة في قوله : ﴿ **من أهل القرى** ﴾ لأنهم أعلم وأحلم من أهل[٢] العمود .

وفي الحديث الآخر(١٥٥) : أن رجلا من الأعراب أهدىٰ لرسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، ناقة ، فلم يزل يعطيه ويزيده حتىٰ رضي ، فقال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **لقد هممت أن لا أتهب هبة إلا من قرشي أو أنصاري أو ثقفي أو دوسي** » .

---

(١٥٤) - **إسناده ضعيف** ، أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٠٥١) (٧/ ٢٢١٠) وفي إسناده بشر بن عمارة وهو ضعيف .

(١٥٥) - **صحيح** ، أخرجه أحمد (١/ ٢٩٥) ، والطبراني في « الكبير » (١١/ ١٠٨٩٨) ، والبزار (٢/ ١٩٣٨- كشف) ، وصححه ابن حبان (١٤/ ٦٣٨٤) ، واختاره الضياء في « المختارة » (٦٢/ ٢٨١/ ٢) من حديث عبد الله بن عباس ، وأخرجه أحمد (٢/ ٢٤٧،٢٩٢) ، وأبو داود (٣٥٣٧) ، والترمذي (٣٩٤٠،٣٩٤١) ، والنسائي (٦/ ٢٧٩-٢٨٠) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٥٩٦) من حديث أبي هريرة وقال الترمذي : « حديث حسن » ، وصححه ابن حبان (١٦ /٦٣٨٣) والحاكم على شرط مسلم - كما في « تلخيص الحبير » لابن حجر (٣/ ٨٤) .

---

[١] - ما بين المعكوفين في ت : من . [٢] - سقط من : خ .

وقال الإمام أحمد(١٥٦) : حدثنا حجاج ، حدثنا شعبة ، عن الأعمش ، عن يحيىٰ بن وثاب ، عن شيخ من أصحاب رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال الأعمش : هو ابن[١] عمر – عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « [ ][٢] **المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر علىٰ أذاهم خير من الذي [لا يخالطهم ولا يصبر علىٰ أذاهم]** » .

وقوله : [﴿ **أفلم يسيروا في الأرض** ﴾ يعني : هؤلاء المكذبين لك يا محمد في الأرض ﴿ **فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم** ﴾ أي : من الأمم المكذبة للرسل ، كيف دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها][٣] ﴿ **أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها** ﴾ الآية ، فإذا استمعوا خبر ذلك رأوا أن الله قد أهلك الكافرين ونجىٰ المؤمنين ، وهذه كانت سنته تعالىٰ في خلقه ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وللدار الآخرة خير للذين اتقوا**[٤] ﴾ أي : وكما أنجينا المؤمنين في الدنيا كذلك كتبنا لهم النجاة في الدار الآخرة أيضًا[٥] وهي خير لهم من الدنيا بكثير ، [كما قال تعالى][٦] : ﴿ **إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد * يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار** ﴾ .

---

(١٥٦) – **صحيح** ، المسند (٥٠٢٢) (٢/٤٤) مقرونًا بـ « حجاج » محمد بن جعفر به معناه ، وهذا إسناد صحيح ، رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين وجهالة الصحابي لا تضر ، وجاء مصرحًا به في بعض الروايات ، وأخرجه الترمذي ، كتاب : صفة القيامة ، باب : مخالطة الناس مع الصبر على أذاهم خير من عدمها (٢٥٠٩) ، والبغوي في « شرح السنة » (٣٥٨٥/١٣) من طريقين عن شعبة بهذا الإسناد ، وأخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » كتاب : الأدب ، باب : في مخالطة الناس ومخالفتهم » (٢٠٠/٦) والبيهقي في « الكبرى » (٨٩/١٠) من طريق محمد بن عبيد ثنا الأعمش ، به – مقرونًا بيحيى بن وثاب أبو صالح عند البيهقي – وأخرجه أحمد (٣٦٥/٥) (٢٣٢٠٤) من طريق سفيان بن سعيد عن الأعمش به ، وقال الترمذي : « قال ابن أبي عدي – أحد الرواة عن شعبة – : كان شعبة يرى أنه ابن عمر » قلت : وقد جاء تصريح ذلك في بعض الروايات عنه ، فأخرجه البخاري في « الأدب المفرد » (٣٨٨) ، والبيهقي في « الشعب » (٨١٠٢/٦) من طريق آدم بن أبي إياس ، وأخرجه البيهقي في « الكبرى » (٨٩/١٠) من طريق عمار بن عبد الجبار كلاهما عن شعبة ، حدثني الأعمش ، عن يحيى ، عن ابن عمر فذكره ، وتابع شعبة على التصريح بذلك داود الطائي عند أبي نعيم في الحلية » (٣٦٥/٧) ، وإسحاق بن يوسف عند ابن ماجة (٤٠٣٢) وحسن إسناده ابن حجر في « الفتح » (٥١٢/١٠) .

---

[١] – سقط من ز ، خ .

[٢] – ما بين المعكوفين في خ : هو .

[٣] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ

[٤] – في خ : « يتقوك » .

[٥] – سقط من : ت .

[٦] – في ت : « كقوله » .

وأضاف الدار إلىٰ الآخرة فقال : ﴿ ولدار الآخرة ﴾ كما تقول[١] : صلاة الأولىٰ ، ومسجد الجامع ، وعام الأول ، وبارحة الأولىٰ ، ويوم الخميس قال الشاعر :

أتمدحُ فَقْعَسًا وتَذُمُّ عَبْسا ألا لله أُمُّكَ مِنْ هَجِينِ
ولو أَقْوَتْ[٢] عَلَيْكَ دِيارُ عَبْسٍ عرفت الذُّلَّ عِرْفَانَ اليَقِينِ

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ (١١٠)

يخبر[٣] تعالىٰ أن نصره ينزل على رسله ، صلوات اللَّه وسلامه عليهم أجمعين ، عند ضيق الحال وانتظار الفرج من اللَّه تعالى[٤] في أحوج الأوقات إلىٰ ذلك ، [كما في قوله][٥] تعالىٰ : ﴿ وزلزلوا حتىٰ يقول الرسول والذين آمنوا معه متىٰ نصر اللَّه ألا إن نصر الله قريب ﴾ ، وفي قوله : ﴿ كذبوا ﴾ قراءتان ؛ إحداهما : بالتشديد ﴿ قد كُذِّبوا ﴾[٦] ، وكذلك كانت عائشة رضي اللَّه عنها تقرؤها قال البخاري(١٥٧) : حدثنا عبد العزيز بن عبد اللَّه ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، عن صالح ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني عروة بن الزبير ، عن عائشة : أنها قالت له وهو يسألها عن قول اللَّه تعالىٰ : ﴿ حتىٰ إذا استيأس الرسل ﴾ قال : قُلْتُ : أَكُذِبُوا أم كُذِّبُوا ؟ فقالت عائشة :﴿ كُذِّبوا ﴾ فقلت : قد[٧] استيقنوا أن قومهم قد كذبوهم[٨] فما هو بالظن ؟ قالت[٩] أجل لعمري لقد استيقنوا بذلك . فقلت : لها ﴿ وظنوا أنهم [قد] كُذِبُوا ﴾ فقالت[١٠] : معاذ اللَّه ! لم تكن الرسل تظن ذلك بربها ، قلت : فما هذه الآية ؟ قالت : هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم ، فطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر ﴿ حتى إذا استيأس الرسل ﴾ ممن كذبهم من قومهم ، وظنت الرسل أن أتباعهم قد كذبوهم ، جاءهم نصر اللَّه عند ذلك .

حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب[١١] ، عن الزهري ، قال : أخبرني عروة : فقلت : لعلها

---

(١٥٧) - صحيح البخاري كتاب التفسير ، باب : ﴿ حتى إذا استيأس الرُسُل ﴾ (٤٦٩٥،٤٦٩٦) .

[١] - في ت : « قال » .
[٢] - في ز ، خ : « أقرت » .
[٣] - في ت : « يذكر » .
[٤] - سقط من : ت .
[٥] - في ت : « كقوله » .
[٦] - وهي قراءة عبد الله بن كثير ، ونافع ، وأبي عمرو ، وابن عامر .
[٧] - في ت : « فقد » .
[٨] - في ز ، خ : « كذبوا » .
[٩] - في خ : « قال » .
[١٠] - في ت : « قالت » .
[١١] - في خ : « شعبة » .

﴿ قد كُذِبوا ﴾ مخففة ؟ قالت : معاذ الله ! انتهىٰ ما ذكره .

وقال ابن جريج(١٥٨) : أخبرني ابن أبي مليكة : أن ابن عباس قرأها : ﴿ وظنوا أنهم قد كُذِبوا ﴾ خفيفة . قال عبد الله - هو ابن أبي مليكة - : ثم قال لي ابن عباس : كانوا بشرًا ! [ثم تلا][١] : ﴿ حتىٰ يقول الرسول والذين آمنوا معه متىٰ نصر الله ألا إن نصر الله قريب ﴾ . قال ابن جريج : وقال لي ابن أبي مليكة : وأخبرني عروة ، عن عائشة : أنها خالفت ذلك وأبته ، وقالت : ما وعد الله محمدًا ، صلىٰ الله عليه وسلم ، من شيء إلا قد علم أنه سيكون حتىٰ مات ، ولكنه لم يزل البلاء بالرسل ، حتىٰ ظنوا أن من معهم من المؤمنين قد كذبوهم . قال ابن أبي مليكة في حديث عروة : كانت عائشة تقرؤها ﴿ وظنوا أنهم قد كُذِّبوا ﴾ مثقلة ، للتكذيب .

وقال ابن أبي حاتم(١٥٩) : أنا يونس بن عبد الأعلىٰ - قراءة - أنا ابن وهب ، أخبرني سليمان بن بلال ، عن يحيىٰ بن سعيد قال : جاء إنسان إلىٰ القاسم بن محمد فقال : إن محمد بن كعب القرظي يقول[٢] هذه الآية : ﴿ حتىٰ إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كُذِبُوا ﴾ فقال القاسم : أخبره عني : أنى سمعت عائشة زوج النبى ، صلى الله عليه وسلم ، تقول : ﴿ حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كُذِّبُوا ﴾ تقول : كذبتهم أتباعهم . إسناد صحيح أيضًا .

والقراءة الثانية : بالتخفيف[٣] واختلفوا في تفسيرها ؛ فقال ابن عباس ما تقدم .

وعن ابن مسعود فيما رواه سفيان الثوري(١٦٠) ، عن الأعمش ، عن أبي الضحىٰ ، عن مسروق ، عن عبد الله : أنه قرأ ﴿ حتىٰ إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كُذِبُوا ﴾ مخففة ، قال عبد الله : هو الذي تكره .

---

(١٥٨) - **صحيح** ، أخرجه ابن جرير (٢٠٠٣٠/١٦) وبنحوه مختصرًا أخرجه أيضًا (٢٠٠٢٩/١٦) والبخاري ، كتاب التفسير ، باب : ﴿ **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء** ﴾ إلى ﴿ **قريب** ﴾ (٤٥٢٤،٤٥٢٥) ، والنسائي في « الكبرى » كتاب : التفسير ، (١١٢٥٥/٦،١١٢٥٦) .

(١٥٩) - **إسناده صحيح** ، تفسير ابن أبي حاتم (١٢٠٦٣/٧) .

(١٦٠) - **كسابقه** ، أخرجه ابن جرير (٢٠٠٢٥/١٦،٢٠٠٢٦) من طريقين عن سفيان الثوري ، به .

---

[١] - في ز ، خ : « وقال ابن عباس » .

[٢] - في ت : « قرأ » .

[٣] - وبها قرأ عاصم وحمزة والكسائي .

وهذا عن ابن مسعود وابن عباس ، رضي الله عنهما ، مخالف لما رواه آخرون عنهما .

أما ابن عباس : فروىٰ الأعمش(١٦١) ، عن مسلم عن ابن عباس في قوله : ﴿ **حتىٰ إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا** ﴾ قال : لما أيست الرسل أن يستجيب لهم قومهم ، وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم جاءهم النصر علىٰ ذلك ﴿ **فنجي من نشاء** ﴾ .

وكذا رُوي عن سعيد بن جبير وعمران بن الحارث السلمي وعبد الرحمن بن معاوية وعلي ابن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس بمثله .

وقال ابن جرير(١٦٢) : حدثني المثنىٰ ، حدثنا عارم أبو النعمان ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا شعيب ، حدثني إبراهيم بن أبي حرة[١] الجزري قال : سأل فتىٰ من قريش سعيد بن جبير فقال[٢] : يا أبا عبد الله ، كيف تقرأ هذا الحرف ، فإني إذا أتيت عليه تمنيت أن لا أقرأ هذه السورة ﴿ **حتىٰ إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا** ﴾ . قال : نعم ، حتىٰ إذا استيأس الرسل من قومهم أن يصدِّقوهم ، وظن المرسَل إليهم أن الرسل قد[٣] كَذَبوا . قال : فقال الضحاك بن مزاحم : ما رأيت كاليوم قط رجلًا يُدعَىٰ إلىٰ علم فيتلكأ ، لو رحلت إلىٰ اليمن في هذه كان قليلًا .

ثم روىٰ ابن جرير(١٦٣) أيضًا من وجه آخر : أن مسلم بن يسار سأل سعيد بن جبير عن ذلك فأجابه بهذا الجواب ، فقام إلىٰ سعيد فاعتنقه وقال : فرج الله عنك كما فرجت عني

وهكذا رُوي من غير وجه عن سعيد بن جبير أنه فسرها كذلك . وكذا فسرها مجاهد بن جبر وغير واحد من السلف ، حتىٰ أن مجاهدًا قرأها ﴿ **وظنوا أنهم قد كذبوا** ﴾ بفتح الذال . رواه ابن جرير(١٦٤) ، إلا أن بعض من فسرها كذلك يعيد الضمير في قوله ﴿ **وظنوا أنهم قد كذبوا** ﴾ إلىٰ أتباع الرسل من المؤمنين ، ومنهم من يعيده إلىٰ الكافرين منهم ، أي : وظن الكفار أن الرسل قد كذِبوا - مخففة - فيما وعدوا به من النصر .

---

(١٦١) - أخرجه ابن جرير (١٦/١٩٩٨٧، ١٩٩٨٨) من طريقين عن أبي معاوية عن الأعمش ، به .

(١٦٢) - **إسناده صحيح** ، التفسير (١٦/٢٠٠٠٨) : و « إبراهيم بن أبي حُرة الجزري » ضعفه الساجي ، لكن وثقه أحمد وابن معين وأبو حاتم وزاد « لا بأس به » انظر « لسان الميزان » (ت/١٠٠) ، وشعيب هو ابن الحباب الأزدي : « ثقة » وانظر ما بعده .

(١٦٣) - التفسير (١٦/٢٠٠٠٩) حدثني المثنى : قال : حدثنا الحجاج ، قال : حدثنا ربيعة بن كلثوم ، قال : حدثني أبي أن مسلم بن يسار ... فذكر الحديث .

(١٦٤) - التفسير (١٦/٢٠٠١١، ٢٠٠١٢) .

---

[١] - في ز ، خ : « حمزة » . [٢] - في ت : « قال » .

[٣] - زيادة من : ت .

وأما ابن مسعود ؛ فقال ابن جرير(١٦٥) : حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثنا محمد ابن فضيل ، عن جحش[١] بن زياد الضبي ، عن تميم بن حذلم[٢] قال : سمعت عبد الله بن مسعود يقول في هذه الآية : ﴿ حتىٰ إذا استيأس الرسل ﴾ من إيمان قومهم أن يؤمنوا لهم[٣] ، وظن قومهم حين أبطأ الأمر أنهم قد[٤] كذبوا [مخففة][٥] .

فهاتان روايتان عن كل من ابن مسعود وابن عباس ، وقد أنكرت ذلك عائشة علىٰ من فسرها بذلك ، وانتصر لها ابن جرير وَوَجَّه المشهور عن الجمهور ، وزيَّف القول[٦] الآخر بالكلية ، ورده وأباه ولم يقبله ولا ارتضاه ، والله أعلم .

لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

يقول تعالىٰ : لقد كان في خبر المرسلين مع قومهم ، وكيف أنجينا[٧] المؤمنين وأهلكنا الكافرين ﴿ عبرة لأولىٰ الألباب ﴾ وهي العقول ﴿ ما كان حديثًا يفترى ﴾ أي : وما كان لهذا القرآن أن يفترىٰ من دون الله ، أي : يكذب ويختلق ﴿ ولكن تصديق الذي بين يديه ﴾ أي : من الكتب المنزلة من السماء ، وهو يصدق ما فيها من الصحيح ، وينفي ما وقع فيها من تحريف وتبديل وتغيير ، ويحكم عليها بالنسخ أو التقرير ﴿ وتفصيل كل شيء ﴾ من تحليل وتحريم ومحبوب ومكروه ، وغير ذلك من الأمر بالطاعات والواجبات والمستحبات ، والنهي عن المحرمات وما شاكلها من المكروهات ، والإخبار عن الأمور الجلية ، وعن الغيوب المستقبلة ؛ المجملة والتفصيلية ، والإخبار عن الرب تبارك وتعالىٰ بالأسماء[٨] والصفات[٩] ، وتنزيهه عن مماثلة المخلوقات ، فلهذا كان ﴿ هدىٰ ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ تهتدي به قلوبهم من الغي إلىٰ الرشاد ، ومن الضلالة[١٠] إلىٰ السداد ، ويبتغون به الرحمة

(١٦٥) – التفسير (١٦/٢٠٠١٨) .

[١] – في ز ، خ : « محش » .
[٢] – في خ : « حزم » .
[٣] – في ت : « بهم » .
[٤] – زيادة من : ت .
[٥] – في ت : بالتخفيف .
[٦] – في خ : « المقول » .
[٧] – في خ : نجينا .
[٨] – ساقطة من : خ .
[٩] – في خ : « بالصفات » .
[١٠] – في ت : « الضلال » .

من رب العباد ، في هذه الحياة الدنيا ويوم[١] المعاد ، فنسأل اللّٰه العظيم أن يجعلنا منهم في الدنيا والآخرة ، يوم يفوز بالربح المبيضةُ وجوهُهم الناضرة ، ويرجع المسوّدة وجوههم بالصفقة الخاسرة .

آخر تفسير سورة يوسف ، ولله الحمد والمنة ، وبه المستعان ، [وعليه التكلان وهو حسبنا ونعم الوكيل][٢] .

❋ ❋ ❋

---

[١] - ساقط من : خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .

تفسير سورة الرعد

وهي مكية

﴿ الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ﴾

أما الكلام على الحروف المقطعة في أوائل السور فقد تقدم في أول سورة البقرة ، وقدمنا أن كل سورة تبتدئ بهذه الحروف ففيها الانتصار للقرآن ، وتبيان [أن نزوله][١] من عند الله حق لا شك فيه ولا مرية ولا ريب ، ولهذا قال : ﴿ **تلك آيات الكتاب** ﴾ أي : هذه آيات الكتاب وهو القرآن ، وقيل : التوراة والإنجيل ، قاله : مجاهد وقتادة ، وفيه نظر ، بل هو بعيد ثم عطف على ذلك عطف صفات ، فقال[٢] : ﴿ **والذي أنزل إليك** ﴾ أي : يا محمد ﴿ **من ربك الحق** ﴾ خبر تقدم مبتدؤه وهو قوله : ﴿ **والذي أنزل إليك من ربك** ﴾ هذا هو الصحيح المطابق لتفسير مجاهد وقتادة ، واختار ابن جرير أن تكون الواو زائدة ، أو عاطفة صفة على صفة ، كما قدمنا ، واستشهد بقول الشاعر :

إلى المَلِكِ القَرْمِ[٣] وابْنِ الهُمَامِ   وَلَيْثَ الكَتِيبَةِ في المُزْدَحَمْ

وقوله[٤] : ﴿ **ولكن أكثر الناس لا يؤمنون** ﴾ ، كقوله : ﴿ **وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين** ﴾ أي : مع هذا البيان والجلاء والوضوح لا يؤمن أكثرهم ؛ لما فيهم من الشقاق والعناد والنفاق .

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾

يخبر الله تعالى عن كمال قدرته وعظيم سلطانه : أنه[٥] الذي بإذنه وأمره رفع السموات بغير عمد ، بل بإذنه وأمره وتسخيره رفعها عن الأرض بعدًا لا تنال [ولا يدرك][٦] مداها ،

---

[١] - في ز : أنه نزل .
[٢] - في ز ، خ : « قوله » .
[٣] - في خ : « بلا نقط » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في ز : ولا تدرك .

فالسماء الدنيا محيطة بجميع الأرض وما حولها ؛ من الماء والهواء ، من جميع نواحيها وجهاتها وأرجائها ، مرتفعة عليها من كل جانب علىٰ السواء ، وبعد ما بينها وبين الأرض من كل ناحية مسيرة خمسمائة عام ، وسمكها [في نفسها مسيرة][١] خمسمائة عام ، ثم السماء الثانية محيطة بالسماء الدنيا وما حوت ، وبينهما من البعد مسيرة خمسمائة عام ، وسمكها خمسمائة عام ، وهكذا الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **اللَّه الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن** ﴾ الآية .

وفي الحديث(١) : « **ما السموات السبع وما فيهنّ وما بينهنّ في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، والكرسي في العرش المجيد**[٢] **كتلك الحلقة في تلك الفلاة** » .

وفي رواية (٢) : « **والعرش لا يقدر قدره إلا اللَّه عز وجل** » .

وجاء عن بعض السلف(٣) : أن بعد ما بين العرش إلىٰ الأرض مسيرة خمسين ألف سنة ، وبعد ما بين قطريه مسيرة خمسين ألف سنة ، وهو من ياقوتة حمراء .

وقوله : ﴿ **بغير عمد ترونها** ﴾ روي عن ابن عباس(٤) ومجاهد والحسن وقتادة [وغير واحد][٣] أنهم قالوا : لها عمد ولكن لا ترىٰ .

وقال إياس بن معاوية : السماء مقبّبة[٤] علىٰ الأرض مثل القبة . يعني : بلا عمد ، وكذا روي عن قتادة ، وهذا هو اللائق بالسياق ، والظاهر من قوله تعالىٰ : ﴿ **ويمسك السماء أن تقع علىٰ الأرض إلا بإذنه** ﴾ فعلىٰ هذا يكون قوله : ﴿ **ترونها** ﴾ تأكيدًا لنفي ذلك ، أي : هي مرفوعة بغير عمد كما ترونها وهذا هو الأكمل في القدرة ، وفي شعر أمية بن أبي الصلت : الذي آمن شعره وكفر قلبه كما ورد في الحديث(٥) ، ويروىٰ لزيد بن عمرو بن

(١) - تقدم تخريجه (سورة البقرة / آية ٢٥٥) ، (سورة النساء / آية ١٦٤) .

(٢) - تقدم تخريجه (سورة البقرة / آية ٢٥٥) .

(٣) - جاء ذلك بإسناد صحيح عن وهب بن منبه من كلامه فيما أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣١٥/٢) - ومن طريقه أبو الشيخ في « العظمة » (٢٨٩/٢) - وابن أبي شيبة في « كتاب العرش » (٦٢) ، وانظر ما تقدم (سورة يونس/ آية ٣) .

(٤) - أخرجه عبد الرزاق (٣٣١/٢) وابن جرير (٣٢٣/١٦،٣٢٤) وابن أبي حاتم (١٢٠٨٩/٧) وابن أبي شيبة وابن المنذر وأبو الشيخ - كما في « الدر المنثور » (٨١/٤) - من طرق عن ابن عباس .

(٥) - أخرجه ابن عبد البر في « التمهيد » (٧/٤) وابن عساكر في « التاريخ » (١١٧/٣ - مخطوط)=

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٢] - سقط من : خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٤] - زيادة من تفسير ابن جرير (٢٠٠٥٩/١٦) .

نفيل(٦) - رضي اللّه عنه - : .

وأنتَ الذي مِنْ فَضْلٍ منٍّ وَرَحْمَةٍ بَعَثْتَ إلىٰ مُوسَىٰ رَسُولًا مُناديا
فقلت له يا اذهَبْ وهارونَ فادعُوَا إلىٰ اللّهِ فرعونَ الذي كانَ طاغيا
وقُولَا لَهُ هَلْ أَنْتَ سَوَّيت هَذه [بلا وتدٍ حتَّىٰ اطْمَأَنَّتْ كَمَا هِيا][١]
[وقولا له آأنت رفَّعت هذه][٢] بلا عمد أرفِقْ[٣] إذا بك بانيا
وقولا له هل أنت سويت وسْطها منيرًا إذا ما جنَّك الليل هاديا
[وقولا له من يُرْسِلُ الشمس غُدْوَةً فيصبح ما مَسَّت من الأرض ضَاحيا][٤]
وقُولا له من يُنْبِتُ الحبَّ في الثَّرىٰ فيُصْبِحَ منه البَقْلُ يَهْتَزُّ رابيا
ويُخْرِجُ منه حبَّه في رُءوسِهِ ففي ذاكَ آياتٌ لِمَنْ كانَ وَاعِيَا

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ثم استوىٰ علىٰ العرش** ﴾ تقدم تفسيره[٥] في سورة الأعراف ، وأنه يمرر كما جاء من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل ، تعالىٰ اللّه علوًّا كبيرا .

وقوله : ﴿ **وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى** ﴾ قيل : المراد أنهما يجريان إلىٰ انقطاعهما بقيام الساعة ، كما في قوله تعالىٰ : ﴿ **والشمس تجري لمستقر لها [ذلك تقدير العزيز العليم]**[٦] ﴾ .

وقيل : المراد إلىٰ مستقرهما ؛ وهو تحت العرش مما يلي بطن[٧] الأرض من الجانب الآخر ، فإنهما وسائر الكواكب إذا وصلوا هنالك يكونون أبعد ما يكون عن العرش ؛ لأنه [علىٰ الصحيح][٨] الذي تقوم عليه الأدلة : قبة مما يلي العالم من هذا الوجه ، وليس بمحيط كسائر الأفلاك ؛ لأن[٩] له قوائم وحملة يحملونه ، ولا يتصور [هذا في

= من حديث ابن عباس ، وفي إسناده أبو بكر الهذلي : أخباري متروك ، وعزاه الحافظ في « الفتح » (٧/ ١٥٣) إلى الفاكهي وابن منده ، ونقل المصنف في « البداية والنهاية » (٢/٢٨٧) عن أبي محمد بن صاعد قال : « ... وأما الذي يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال في أمية : « **آمن شعره وكفر قلبه** » فلا أعرفه » والحديث في « الضعيفة » للألباني (٤/رقم ١٥٤٦) . وأخرج البخاري (٣٨٤١) ومسلم (٣) (٢٢٥٦) من حديث أبي هريرة مرفوعًا « **كاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم** » .

(٦) - هذه الأبيات في « السيرة » لابن هشام (١/١٤٩) .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في خ : « تفسير ذلك » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٧] - سقط من ز .
[٨] - في خ : « الفصيح » .
[٩] - في ز : لأنه .

الفلك][١] المستدير ، وهذا واضح لمن تدبر ما وردت به الآيات والأحاديث الصحيحة ولله الحمد والمنة .

وذكر الشمس والقمر ؛ لأنهما أظهر الكواكب السيارة السبعة ، التي هي أشرف وأعظم من الثوابت ، فإذا كان قد سخر هذه فلأن يدخل في التسخير سائر الكواكب بطريق الأولىٰ والأحرىٰ ، كما نبه بقوله تعالىٰ : ﴿ **لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون** ﴾ مع أنه قد صرح بذلك[٢] بقوله : ﴿ **والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون** ﴾ أي : يوضح الآيات والدلالات الدالة على[٣] أنه لا إله إلا هو ، وأنه يعيد الخلق إذا شاء كما ابتدأ خلقه .

وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَـٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَـٰوِرَٰتٌ وَجَنَّـٰتٌ مِّنْ أَعْنَـٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

لما ذكر تعالىٰ العالم العلوي ، شرع في ذكر قدرته وحكمته وإحكامه للعالم السفلي ، فقال : ﴿ **وهو الذي مد الأرض** ﴾ أي : جعلها متسعة ممتدة في الطول والعرض ، وأرساها بجبال راسيات شامخات ، وأجرىٰ فيها الأنهار والجداول والعيون ؛ ليسقي[٤] ما جعل فيها من الثمرات المختلفة الألوان والأشكال ، والطعوم والروائح ﴿ **من كل زوجين اثنين** ﴾ أي : من كل شكل صنفان .

﴿ **يغشي الليل النهار** ﴾ أي : جعل كلًّا منهما يطلب الآخر طلبًا حثيثًا ، فإذا ذهب هذا غشيه هذا ، وإذا انقضىٰ هذا جاء الآخر ، فيتصرف أيضًا في الزمان كما يتصرف[٥] أيضًا[٦] في المكان والسكان .

---

[١] - هذه العبارة مكررة في : خ .
[٢] - في خ : « ذلك » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز : لسقي .
[٥] - سقط من : خ .في ز : تصرف .
[٦] - زيادة من : خ .

﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ أي : في آلاء اللَّه وحكمته ودلائله .

وقوله : ﴿ وفي[١] الأرض قطع متجاورات ﴾ أي : أراض[٢] يجاور بعضها بعضًا ، مع[٣] أن هذه طيبة[٤] تنبت ما ينتفع به الناس ، وهذه سبخة مالحة لا تنبت شيئًا . هكذا روي عن ابن عباس(٧) ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك [وغيرهم] .

وكذا يدخل[٥] في هذه الآية اختلاف ألوان بقاع الأرض ، فهذه تربة حمراء وهذه بيضاء ، وهذه صفراء وهذه سوداء ، وهذه محجرة وهذه سهلة وهذه مرملة ، وهذه سميكة وهذه رقيقة ، والكل متجاورات ، فهذه بصفتها[٦] وهذه بصفتها[٧] الأخرى ، فهذا كله مما يدل على الفاعل المختار لا إله إلا هو ولا رب سواه .

وقوله : ﴿ وجنات من أعناب وزرع ونخيل ﴾ يحتمل أن تكون[٨] عاطفة على جنات فيكون[٩] ﴿ وزرع ونخيل ﴾ مرفوعين[١٠] ، ويحتمل أن يكون معطوفًا على أعناب فيكون مجرورًا ، ولهذا قرأ بكل منهما طائفة من الأئمة .

وقوله : ﴿ صنوان وغير صنوان ﴾ الصنوان : هي الأصول المجتمعة في منبت واحد ، كالرمان والتين وبعض النخيل ونحو ذلك ، وغير الصنوان : ما كان على أصل واحد كسائر الأشجار ، ومنه سمي عم الرجل صنو أبيه ، كما جاء في الصحيح أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قال لعمر : « **أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه** »(٨) .

وقال سفيان الثوري وشعبة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء رضي اللَّه عنه : الصنوان هي النخلات في أصل واحد ، وغير الصنوان المتفرقات(٩) . وقاله ابن عباس ومجاهد والضحاك

(٧) - أخرجه ابن جرير (٣٣١/١٦) وابن أبي حاتم (١٢١٢/٧) من طرق عنه بأسانيد ضعيفة ، وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٨٣/٤) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ .

(٨) - أخرجه مسلم ، كتاب : الزكاة ، باب : في تقديم الزكاة ومنعها (١١) (٩٨٣) ، وأبو داود ، كتاب : الزكاة ، باب : في تعجيل الزكاة (١٦٢٣) ، والترمذي ، كتاب : المناقب ، باب : مناقب العباس بن عبد المطلب (٣٧٦٤) وأحمد (٣٢٢/٢) من حديث أبي هريرة ، وانظر « الصحيحة » للألباني (٨٠٦/٢) .

(٩) - **إسناده صحيح** ، أخرجه ابن جرير (٣٣٥/١٦، ٣٣٦) وابن أبي حاتم (١٢١٢٤/٧) والأخير من طريق سفيان فقط وله طرق أخرى عن أبي إسحاق عند ابن جرير وزاد نسبته السيوطي في « الدر =

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في خ : « أرض » .
[٣] - في خ : « من » .
[٤] - في خ : « مطيبة » .
[٥] - في خ : « يدل » .
[٦] - في خ : « نصفها » .
[٧] - في خ : « نصفها » .
[٨] - في خ : « يكون » .
[٩] - في خ : « فتكون » .
[١٠] - في خ : « مرفوعتين » .

وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

وقوله ﴿ **تسقىٰ بماء واحد ونفضل بعضها علىٰ بعض في الأكل** ﴾ قال الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ﴿ **ونفضل بعضها علىٰ بعض في الأكل** ﴾ قال : « **الدقل والفارسي والحلو والحامض** »(١٠) . رواه الترمذي وقال : حسن غريب .

أي : هذا الاختلاف في أجناس الثمرات والزروع ؛ في أشكالها وألوانها ، وطعومها وروائحها ، وأوراقها وأزهارها[١] ، فهذا في غاية الحلاوة ، وذا في غاية الحموضة ، وذا في غاية المرارة وذا عفص ، وهذا عذب ، وهذا جمع هذا وهذا ثم يستحيل إلىٰ طعم آخر بإذن الله تعالىٰ ، وهذا أصفر وهذا أحمر وهذا أبيض وهذا أسود وهذا أزرق ، وكذلك الزهورات مع أنها[٢] كلها تستمد من طبيعة واحدة[٣] وهو الماء ، مع هذا الاختلاف الكثير الذي لا ينحصر ولا ينضبط ، ففي ذلك آيات لمن كان واعيًا ، وهذا من أعظم الدلالات علىٰ الفاعل المختار ، الذي بقدرته فاوت بين الأشياء ، وخلقها علىٰ ما يريد ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون** ﴾ .

﴿ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٌ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ

= المنثور » (٨٣/٤) إلى الفريابي وسعيد بن منصور ، وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه .

(١٠) - **ضعيف** ، أخرجه الترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : « ومن سورة الرعد » (٣١١٧) ، وابن جرير (٢٠١٢٦/١٦) وأبو يعلى في « المعجم » (٣٠١) وابن عدي في « الكامل » (١٢٧٠/٣) والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٢٢٦/٩) وابن الجوزي في « العلل المتناهية » (١٠٩٢/٢) والعقيلي في « الضعفاء (١٣١/٢) والمزي في « تهذيب الكمال » (٣٣١/١٢) من طريق محمود بن خداش ثنا سيف بن محمد الثوري عن الأعمش به ، وسيف بن محمد هذا كذبه يحيى بن معين وأبو داود وتركه النسائي والدارقطني ، ولذا قال ابن الجوزي : « هذا حديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - وسيف متفق على كذبه ، قال أحمد بن حنبل : كان يضع الحديث . وقد تابعه زيد بن أبي أنيسة عن الأعمش به أخرجه ابن جرير (٢٠١٢٧/١٦) وابن عدي والعقيلي من طريق سليمان بن عبيد الله الخطاب عن عبيد الله ابن عمرو عن زيد به وقال العقيلي : لم يأت به - يعني بهذا الإسناد - غير سليمان » قلت : وهو ليس بالقوي - كما قال النسائي ، وقال ابن معين : ليس بشيء ، وقد أخطأ في هذا الإسناد فقال أبو حاتم في « العلل » (١٧٣٣/٨٠/٢) : « حدَّث سليمان بهذا الحديث وأنا بالكوفة فلم يقض لي السماع منه ثم رجع عنه ، فقال : حدثنا به سيف بن محمد بن أخت سفيان أخو عمار ، وسيف ضعيف الحديث » ، والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٥٨/٤) إلى البزار وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه .

[١] - في خ : « وزهورها » . [٢] - في خ : « أن » .

[٣] - في خ : « واحد » .

هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾

يقول تعالىٰ لرسوله محمد صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : ﴿ **وإن تعجب** ﴾ من تكذيب هؤلاء المشركين بأمر المعاد ، مع ما يشاهدونه من آيات اللّٰه سبحانه ، ودلالاته في خلقه علىٰ أنه القادر علىٰ ما يشاء ، ومع ما يعترفون به من أنه ابتدأ خلق الأشياء ، فكونها بعد أن لم تكن شيئًا مذكورًا ، ثم هم بعد هذا يكذبون خبره في أنه سيعيد العالمين خلقًا جديدًا ، وقد اعترفوا وشاهدوا ما هو أعجب مما كذبوا به ، فالعجب من قولهم : ﴿ **أئذا كنا ترابًا أئنا لفي خلق جديد** ﴾ وقد علم كل عالم وعاقل : أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ، وأن من بدأ الخلق فالإعادة سهلة عليه ، كما قال تعالىٰ : [﴿ **أو لم يروا أن اللّٰه الذي خلق السموات والأرض ولم يعيَ بخلقهن بقادر علىٰ أن يحيي الموتىٰ بلىٰ إنه علىٰ كل شيء قدير**][١] ﴾ .

ثم نعت المكذبين بهذا فقال : ﴿ **أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم** ﴾ [أي : يسحبون بها في النار][٢] ﴿ **وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ أي : ماكثون فيها أبدًا لا يحولون عنها ولا يزولون .

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾

يقول تعالىٰ ﴿ **ويستعجلونك** ﴾ أي : هؤلاء المكذبون ﴿ **بالسيئة قبل الحسنة** ﴾ أي : بالعقوبة ، كما أخبر عنهم في قوله : ﴿ **وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون * لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين * ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ويستعجلونك بالعذاب** ﴾ الآيتين .

وقال تعالىٰ : ﴿ **سأل سائل بعذاب واقع** ﴾ ، وقال : ﴿ **يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق** ﴾ ، ﴿ **وقالوا ربنا عجل لنا قطنا** ﴾ الآية ، أي : عقابنا وحسابنا ، كما قال مخبرًا عنهم : ﴿ **وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك** ﴾ الآية ، فكانوا [من شدة تكذيبهم وعنادهم وكفرهم] يطلبون [ ][٣] أن

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٣] - في ز : من الرسول .

يأتيهم بعذاب اللَّه .

قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **وقد خلت من قبلهم المثلات** ﴾ أي : قد أوقعنا نقمنا بالأمم الخالية ، وجعلناهم مثلة[١] عبرة وعظة [لمن اتعظ] بهم .

ثم أخبر تعالىٰ : أنه لولا حلمه وعفوه لعاجلهم بالعقوبة ، كما قال تعالى : ﴿ **ولو يؤاخذ اللَّه الناس [بما كسبوا]**[٢] **ما ترك علىٰ ظهرها من دابة** ﴾ .

وقال تعالىٰ في هذه الآية الكريمة : ﴿ **وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم** ﴾ أي : [أنه تعالى] ذو عفو وصفح وستر للناس مع أنهم يظلمون ويخطئون بالليل والنهار ، ثم قرن هذا الحكم بأنه شديد العقاب ؛ ليعتدل الرجاء والخوف ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين** ﴾ ، وقال : ﴿ **إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم** ﴾ ، وقال : ﴿ **نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم * وأن عذابي هو العذاب الأليم** ﴾ إلىٰ أمثال ذلك من الآيات التي تجمع الرجاء والخوف .

وقال ابن أبي حاتم (١١) : حدثنا أبي ، حدثنا موسىٰ بن إسماعيل ، حدثنا حماد ، عن علي بن زيد ، عن سعيد بن المسيب قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ **وإن ربك لذو مغفرة للناس علىٰ ظلمهم** ﴾ الآية ، قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم « **لولا عفو اللَّه وتجاوزه ما هنأ [أحدًا العيش]**[٣] **، ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل أحدٍ** » .

وروىٰ الحافظ ابن عساكر(١٢) في ترجمة الحسن بن عثمان أبي حسان الزيادي[٤] : أنه رأىٰ رب العزة في النوم ، ورسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم واقف بين يديه يشفع في رجل من أمته ، فقال له : ألم يكفك أني أنزلت عليك في سورة الرعد : ﴿ **وإن ربك لذو مغفرة للناس علىٰ ظلمهم** ﴾ قال : ثم انتبهت .

---

(١١) - **مرسل وإسناده ضعيف** تفسير ابن أبي حاتم (١٢١٤٥/٧) ، وعلى بن زيد هو ابن جدْعان ، ضعيف وأخرج البزار (٣٢٥٦/٤- كشف) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا « **لو تعلمون قدر رحمة الله عز وجل ، لاتَّكلتم وما عملتم من عمل ولو علمتم قدر غضبه ما نفعكم شيء** » وحسنه الألباني « الصحيحة » (٢١٦٧/٥) .

(١٢) - « تاريخ دمشق » (٤٧١/٤ - مخطوط) .

---

[١] - سقط من : ت .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « بظلمهم » . [٣] - في خ : « لأحد عيشًا » .

[٤] - في ز ، خ : « الرمادي » .

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾

يقول تعالىٰ إخبارًا عن المشركين : أنهم يقولون كفرًا وعنادًا لولا يأتينا بآية [من ربه][١] كما أرسل الأولون ، كما تعنتوا عليه أن يجعل لهم الصفا ذهبًا ، وأن يزيل عنهم الجبال ويجعل مكانها مروجًا وأنهارًا [قال تعالىٰ : ﴿ **وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون** ﴾ الآية][٢] . قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **إنما أنت منذر** ﴾ أي : إنما عليك أن تبلغ رسالة اللّٰه التي أمرك بها[٣] ، و ﴿ **ليس عليك هداهم ولكن اللّٰه يهدي من يشاء** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ولكل قوم هاد** ﴾ قال علي بن أبي طلحة(١٣) ، عن ابن عباس : أي ولكل قوم داع .

وقال[٤] العوفي(١٤) ، عن ابن عباس في تفسيرها : يقول اللّٰه تعالىٰ : أنت يا محمد منذر وأنا هادي كل قوم .

و[٥] كذا قال مجاهد[٦] وسعيد بن جبير والضحاك [وغير واحد][٧] .

وعن مجاهد : ﴿ **ولكل قوم هاد** ﴾ أي : نبي . كقوله : ﴿ **وإن من أمة إلا خلا فيها نذير** ﴾ وبه قال قتادة وعبد الرحمن بن زيد .

وقال أبو صالح ويحيىٰ بن رافع : ﴿ **ولكل قوم هاد** ﴾ أي : قائد ، وقال أبو العالية : الهادي : القائد ، والقائد : الإمام ، والإمام : العمل .

وعن عكرمة وأبي الضحى : ﴿ **ولكل قوم هاد** ﴾ قالا : هو محمد صلىٰ اللّٰه عليه وسلم .

وقال مالك : ﴿ **ولكل قوم هاد** ﴾ مَنْ يدعوهم إلىٰ اللّٰه عز وجل .

---

(١٣) - أخرجه ابن جرير (٢٠١٦٢/١٦) ، وعلي بن أبي طلحة يرسل عن ابن عباس ، ولم يره لكن أفاد أبو حاتم أن بينهما مجاهد والقاسم بن محمد « جامع التحصيل » للعلائي (صـ٢٤١) .

(١٤) - أخرجه ابن جرير (٢٠١٤٦/١٦) ، وعطية العوفي ، ضعيف .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ت .

[٣] - في خ : « الله » .

[٤] - في ز ، خ : « قال » .

[٥] - سقط من : ت .

[٦] - في خ : « محمد » .

[٧] - زيادة من : ت .

وقال أبو جعفر بن جرير(١٥) : حدثني أحمد بن يحيىٰ الصوفي ، حدثنا الحسن بن الحسين الأنصاري ، حدثنا معاذ بن مسلم ، بياع[١] الهروي ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال : لما نزلت ﴿ **إنما أنت منذر ولكل قوم هاد** ﴾ قال : وضع رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم يده علىٰ صدره ، وقال : « **أنا المنذر ولكل قوم هاد** » وأومأ بيده إلىٰ منكب عليٍّ . فقال : « **أنت الهادي يا علي ، بك يهتدي المهتدون من بعدي** » .

وهذا الحديث فيه نكارة شديدة .

وقال ابن أبي حاتم(١٦) : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا المطلب بن زياد ، عن السدي ، عن عبد خير ، عن علي ﴿ **ولكل قوم هاد** ﴾ قال : الهادي رجل من بني هاشم . قال الجنيد : هو علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه .

قال ابن أبي حاتم : وروي عن ابن عباس في إحدىٰ الروايات ، وعن أبي جعفر محمد بن علي نحو ذلك .

ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ

(١٥) - **منكر** تفسير ابن جرير (٢٠١٦١/١٦) وأخرجه ابن الأعرابي ، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخه (٣٠٦/١٢ مخطوط) من طريق الفضل بن يوسف الجعفي ، ثنا الحسن بن الحسين الأنصاري به ، والحسن هذا ، قال فيه أبو حاتم : لم يكن بصدوق عندهم ، وكان من رؤساء الشيعة ، وقال ابن عدي : لا يشبه حديثه حديث الثقات ، وقال ابن حبان : يأتي عن الأثبات بالملزقات ، ويروى المقلوبات » ؛ ومعاذ بن مسلم ، قال أبو حاتم مجهول ، وقال الذهبي في « الميزان » عقب هذا الخبر : « ومعاذ نكرة ، فلعل الآفة منه » . قلت : بل الآفة من كليهما ، الحسن ومعاذ واستغربه ابن حجر في « الفتح » (٣٧٦/٨) غير أنه حسن إسناده ، مع أنه استنكره للحسن بن الحسين وقال في معاذ بن مسلم : « مجهول وله عن عطاء بن السائب خبر باطل » انظر « لسان الميزان » (٢/ت٢٤٤٥) ، (٦/ت٨٥١٠) وأخرجه الضياء في « المختارة » (١٥٨/١٠) من طريق آخر عن سعيد بن جبير به نحوه ، وفي إسناده من لم أجد لهم ترجمة .

(١٦) - تفسير ابن أبي حاتم (١٢١٥٢/٧) وأخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد « المسند » (١٠٤١) (١/ ١٢٦) والطبراني في « الأوسط » (١٣٦١/٢) وفي « الصغير » (٢٦١/١) والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٣٧٢/١٢) وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠٦/١٢ - مخطوط) من طريق عثمان بن أبي شيبة به ، والحديث ذكره الهيثمي في « المجمع » (٤٤/٧) وقال : « رواه عبد الله بن أحمد والطبراني في الصغير » و « الأوسط » ورجال المسند ثقات » وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر في حاشيته =

[١] - في خ : « حدثنا » .

عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾

يخبر تعالىٰ عن تمام علمه الذي لا يخفي عليه شيء ،وأنه محيط بما تحمله الحوامل من كل إناث الحيوانات ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ويعلم ما في الأرحام** ﴾ أي : ما حملت من ذكر أو[١] أنثىٰ ، أو حسن أو قبيح ، أو شقي أو سعيد ، أو طويل العمر أو قصيره ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة** ﴾ الآية .

وقال تعالىٰ : ﴿ **يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقًا من بعد خلق في ظلمات ثلاث** ﴾ أي : خلقكم طورًا من بعد طور ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظامًا فكسونا العظام لحمًا ثم أنشأناه خلقًا آخر فتبارك اللَّه أحسن الخالقين** ﴾ ، وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال(١٧) : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم : « **إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يومًا ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث إليه ملكٌ[٢] فيؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه وعمره وعمله وشقي أو سعيد** » وفي الحديث الآخر(١٨) : « **فيقول الملك : أي رب ، أذكر أم أنثىٰ ؟ أي رب ، أشقي أم سعيد ؟ فما الرزق ؟ فما الأجل ؟ فيقول اللَّه ويكتب الملك** » .

= على « المسند » مع أنه من طريق السُّدي واسمه إسماعيل بن عبد الرحمن وهو صدوق يهم ، ورمي بالتشيع ، ومثله لا يحتمل مثل هذا المتن كما يعلم من أقوال بعض النقاد فيه انظر « التهذيب » .وأخرجه الحاكم (١٢٩/٣-١٣٠) وابن عساكر من طريق حسين بن حسن الأشقر ثنا منصور بن أبي الأسود عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن عباد بن عبد الله الأسدي عن علي به نحوه وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » فتعقبه الذهبي بقوله : « بل كذب قبح الله واضعه » .

قلت : عباد الأسدي ، ضعفه ابن المديني ، وقال البخاري ، فيه نظر ، وحسين الأشقر ، قال البخاري : فيه نظر وعنده مناكير ، وقال أبو زرعة : منكر الحديث وقال أبو حاتم والنسائي والدارقطني : ليس بالقوى ، فالآفة منهما ، لاسيما وفيهما تشيع غالٍ نسأل الله السلامة .

(١٧) - أخرجه البخاري : كتاب : بدء الخلق ، باب : ذكر الملائكة (٣٢٠٨) ، ومسلم ، كتاب : القدر ، باب : كيفية الخلق الآدمي .. (٢٦٤٣) ولفظ المصنف مغاير له في بعض الأحرف ، وأقرب له لفظ أبي داود ، كتاب : السنة ، باب : القدر (٤٧٠٨) ، والحديث أخرجه أيضًا الترمذي ، كتاب : القدر ، باب : ما جاء في أن الأعمال بالخواتيم (٢١٣٨) والنسائي في « التفسير » (١١٢٤٦/٦) وابن ماجة في « المقدمة » : باب : في القدر (٧٦) وأحمد (٣٨٢/١،٤٣٠) .

(١٨) - يأتي تخريجه (سورة المؤمنون آية ١٦) .

---

[١] - في ت : « و » . [٢] - في خ : « الملك » .

وقوله : ﴿ **وما تغيض الأرحام وما تزداد** ﴾ قال البخاري(١٩) : حدثنا إبراهيم بن المنذر ، حدثنا معن ، حدثنا مالك ، عن عبد اللّٰه بن دينار ، عن ابن عمر ، أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها[١] إلا اللّٰه ؛ لا يعلم ما في غد إلا اللّٰه ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا اللّٰه ، ولا يعلم متىٰ يأتي المطر أحد إلا اللّٰه ، ولا تدري نفس بأي أرض تموت ، ولا يعلم متىٰ تقوم الساعة إلا اللّٰه** » .

وقال العوفي(٢٠) ، عن ابن عباس : ﴿ **وما تغيض الأرحام** ﴾ يعني السِّقْط ﴿ **وما تزداد** ﴾ يقول : ما زادت الرحم في الحمل علىٰ ما غاضت حتىٰ ولدته تمامًا ، وذلك أن من النساء من تحمل عشرة أشهر ومنهن من تحمل تسعة أشهر ، ومنهن من تزيد في الحمل ومنهن من تنقص ، فذلك الغيض والزيادة التي ذكر اللّٰه تعالىٰ ، وكل ذلك بعلمه تعالىٰ .

وقال الضحاك(٢١) : عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وما تغيض الأرحام وما تزداد** ﴾ قال : ما نقصت عن تسعة وما زاد عليها .

وقال الضحاك : وضعتني أمي وقد حملتني في بطنها سنتين ، وولدتني وقد نبتت ثنيتي .

وقال ابن جريج(٢٢) : عن جميلة بنت سعد ، عن عائشة قالت : لا يكون الحمل أكثر من سنتين قدر ما يتحرك[٢] ظل مغزل .

وقال مجاهد : ﴿ **وما تغيض الأرحام وما تزداد** ﴾ قال : ما ترىٰ من الدم في حملها ،

(١٩) - صحيح البخاري كتاب : التفسير ، باب : ﴿ الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام ﴾ (٤٦٩٧) ، وأخرجه أيضًا كتاب الاستسقاء ، باب : لا يدري متى يجيء المطر إلا الله - (١٠٣٩) ، كتاب : التوحيد ، باب : قول الله تعالى : ﴿ **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدًا** ... ﴾ (٧٣٧٩) والنسائي في التفسير من « الكبرى » (١١٢٥٨/٦) وأحمد (٥٨،٥٢،٢٤/٢) من طرق عن عبد الله بن دينار به ، وانظر ما تقدم (سورة الأنعام / آية ٥٩) وما يأتي (سورة لقمان / آية ٣٤) .

(٢٠) - أخرجه ابن جرير (٢٠١٦٤/١٦) وعطية العوفي ، ضعيف .

(٢١) - أخرجه ابن أبي حاتم (١٢١٦٢/٧) والضحاك لم يسمع من ابن عباس ، لكن أفاد غير واحدٍ أن بينهما سعيد بن جبير .

(٢٢) - **إسناده فيه جهالة** أخرجه سعيد بن منصور في « السنن » (٢/رقم ٢٠٧٧) - ومن طريقه البيهقي في « الكبرى » (٤٤٣/٧) - وابن جرير في تفسيره (٢٠١٩١/١٦) والدارقطني في « السنن » ، (٣/ ٣٢٢،٣٢١) من طريق داود بن عبد الرحمن عن ابن جريج به وعلقه ابن حزم في « المحلى » (٣١٦/١٠) من طريق سعيد بن منصور ، وقال : « جميلة بنت سعد مجهولة ، لا يدري من هي » قلت : أفاد =

[١] - في خ : « يعلمهن » .

[٢] - في ابن جرير وغيره : يتحوَّل . وهو الأشبه .

وما تزداد علىٰ تسعة أشهر . وبه قال عطية العوفي والحسن البصري وقتادة والضحاك .

وقال مجاهد أيضًا : إذا رأت المرأة الدم دون التسعة زاد علىٰ التسعة مثل أيام الحيض . وقاله[١] عكرمة وسعيد بن جبير وابن زيد .

وقال مجاهد أيضًا : ﴿ **وما تغيض الأرحام** ﴾ إراقة المرأة حتىٰ يخسَّ[٢] الولد ﴿ **وما تزداد** ﴾ إن لم تهرق المرأة تم الولد وعظم .

وقال مكحول : الجنين في بطن أمه لا يطلب ولا يحزن ولا يغتم ، وإنما يأتيه رزقه في بطن أمه من دم حيضتها ، فمن ثم لا تحيض الحامل ، فإذا وقع إلىٰ الأرض استهل ، واستهلاله استنكار[٣] لمكانه ، فإذا قطعت سرته حول اللّٰه رزقه إلىٰ ثديي أمه ، حتىٰ لا يحزن ولا يطلب ولا يغتم ، ثم يصير طفلًا يتناول الشيء بكفه فيأكله ، فإذا هو بلغ قال : هو الموت أو القتل أنى لي بالرزق ؟ فقال مكحول : يا ويلك ! غذاك وأنت في بطن أمك وأنت طفل صغير ، حتىٰ إذا اشتددت وعقلت قلتَ : هو الموت أو القتل أنى لي بالرزق ؟ ثم قرأ مكحول : ﴿ **اللّٰه[٤] يعلم ما تحمل كل أنثى** ﴾ الآية .

وقال قتادة : ﴿ **وكل شيء عنده بمقدار** ﴾ أي : بأجل ، حفظ أرزاق خلقه وآجالهم ، وجعل لذلك أجلًا معلومًا . وفي الحديث الصحيح (٢٣) : أن إحدىٰ بنات النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بعثت إليه أن ابنًا لها في الموت ، وأنها تحب أن يحضره[٥] ، فبعث إليها يقول : « **إن للّٰه ما أخذ وله[٦] ما أعطىٰ ، وكل شيء عنده بأجل مسمىٰ ، فمروها فلتصبر ولتحتسب** » . الحديث بتمامه .

وقوله : ﴿ **عالم الغيب والشهادة** ﴾ أي : يعلم كل شيء مما يشاهده العباد ومما يغيب

= الدارقطني أنها أخت عبيد بن سعد - وهو أبو امرأة ابن جريج كما في « الجرح والتعديل » (٥/٤٠٧) لكنه لم يتكلم فيها بجرح ولا تعديل فهى مجهولة الحال وفي الإسناد . أيضًا عنعنة ابن جريج .

(٢٣) - أخرجه البخاري ، كتاب : التوحيد ، باب : قول الله تبارك وتعالى ﴿ **قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن** ﴾ (٧٣٧٧) - وانظره بأطرافه عند رقم (١٢٨٤) - ومسلم : كتاب : الجنائز ، باب : البكاء على الميت (١١) (٩٢٣) وأبو داود ، كتاب : الجنائز ، باب : في البكاء على الميت (٣١٢٥) ، النسائي : كتاب : الجنائز : باب الأمر بالاحتساب والصبر عند نزول المصيبة (٤/٢١-٢٢) ، وابن ماجه ، كتاب : الجنائز ، باب : ما جاء في البكاء على الميت (١٥٨٨) وأحمد (٢١٨٦٧) (٥/٢٠٤) وفي مواضع أخر من حديث أسامة بن زيد .

[١] - في خ : « وقال » . [٢] - في ز ، خ : « يحسن » .
[٣] - في ابن أبي حاتم (١٢١٧٠/٧) : استنكارًا . [٤] - سقط من : خ .
[٥] - في خ : « تحضره » . [٦] - في خ : « ولله » .

عنهم ، ولا يخفى عليه منه شيء ﴿ **الكبير** ﴾ الذي هو أكبر من كل شيء ﴿ **المتعال** ﴾ أي : علىٰ كل شيء ﴿ **قد أحاط بكل شيء علمًا** ﴾ وقهر كل شيء فخضعت له الرقاب ، ودان له العباد طوعًا وكرهًا .

سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾

يخبر تعالىٰ عن إحاطة علمه بجميع خلقه ، و[١] سواء منهم من أسر قوله أو جهر به ، فإنه يسمعه لا يخفي عليه شيء ، كقوله : ﴿ **وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى** ﴾ ، وقال : ﴿ **ويعلم ما تخفون وما تعلنون** ﴾ ، وقالت عائشة رضي اللَّه عنها(٢٤) : سبحان الذي وسع سمعه الأصوات ، واللَّه لقد[٢] جاءت المجادلة تشتكي زوجها إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وأنا[٣] في جنب البيت وإنه ليخفى علي بعض كلامها ، فأنزل اللَّه : ﴿ **قد سمع اللَّه قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلىٰ اللَّه واللَّه يسمع تحاوركما إن اللَّه سميع بصير** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ومن هو مستخف بالليل** ﴾ أي : مختف في قعر بيته في ظلام الليل ﴿ **وسارب بالنهار** ﴾ أي : ظاهر ماش في بياض النهار وضيائه ، فإن كليهما[٤] في علم اللَّه علىٰ السواء ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ألا حين يستغشون ثيابهم [يعلم ما يسرون وما يعلنون]**[٥] ﴾ ، وقوله[٦] تعالىٰ : ﴿ **وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودًا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر اللَّه** ﴾ أي : للعبد ملائكة يتعاقبون عليه ، حرس بالليل وحرس بالنهار ، يحفظونه من الأسواء والحادثات ، كما

(٢٤) - صحيح ، ويأتي تخريجه (سورة المجادلة / آية ١) .

[١] - في ت : « وأنه » .
[٢] - في خ : « قد » .
[٣] - زيادة من : ت .
[٤] - في خ : « كلاهما » .
[٥] - ما بين المعكوفتين زيادة من : خ .
[٦] - في ز ، خ : « وقال » .

يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ الأعمال ، من خير أو شر ، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، فاثنان عن اليمين والشمال يكتبان الأعمال ، صاحب اليمين يكتب الحسنات ، وصاحب الشمال يكتب السيئات ، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه ، واحد من ورائه وآخر من قدامه ، فهو بين أربعة أملاك بالنهار ، وأربعة آخرين بالليل بدلًا حافظان وكاتبان كما جاء في الصحيح(٢٥) : « **يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر فيصعد إليه الذين باتوا فيكم ، فيسألهم وهو أعلم بكم**[١] **كيف تركتم عبادي؟ فيقولون : أتيناهم وهم يصلون ، وتركناهم وهم يصلون** » . وفي الحديث الآخر (٢٦) : « **إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء وعند الجماع ، فاستحيوهم**[٢] **وأكرموهم** » .

وقال علي بن أبي طلحة(٢٧) ، عن ابن عباس [في قوله][٣] : ﴿ **له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر اللّٰه** ﴾ والمعقبات [ ][٤] من أمر[٥] اللّٰه وهي الملائكة .

وقال عكرمة(٢٨) ، عن ابن عباس : ﴿ **يحفظونه من أمر اللّٰه** ﴾ قال : ملائكة يحفظونه

(٢٥) - أخرجه مالك في الموطأ ، كتاب : قصر الصلاة في السفر : باب : جامع الصلاة (٨٢) ومن طريقه البخاري ، كتاب : مواقيت الصلاة ، باب : فضل صلاة العصر (٥٥٥) ، ومسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب : فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما (٢١٠) (٦٣٢) والنسائي ، كتاب : الصلاة ، باب : فضل صلاة الجماعة (١/ ٢٤٠-٢٤١) وفي الكبرى (١/ ٤٥٩) و (٤/ ٧٧٦٠) وأحمد (٢/ ٤٨٦) عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعًا به ولفظ المصنف مغاير في بعض الأحرف لنص الحديث عندهم .

(٢٦) - **ضعيف** ، أخرجه الترمذي ، كتاب : الأدب ، باب : ما جاء في الاستتار عند الجماع (٢٨٠١) من طريق ليث - ابن أبي سليم - عن نافع عن ابن عمر مرفوعًا فذكره وقال الترمذي . « حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه » قلت : علته ليث هذا : قال الحافظ في « التقريب » صدوق اختلط جدًّا ، ولم يتميز حديثه فترك » واضطرب فيه فأخرجه البيهقي في « الشعب » (٦/ ٧٧٣٩) من طريقه عن محمد بن عمرو عن أبيه عن زيد بن ثابت مرفوعًا به ، وضعفه البيهقي ، وعلقه البغوي في « شرح السنة » (٩/ ٢٥) بصيغة التمريض مستغربًا إسناده .

(٢٧) - أخرجه ابن جرير (١٦/ ٢٠٢١٥) وابن أبي حاتم (٧/ ١٢١٩٨) .

(٢٨) - أخرجه ابن جرير (١٦/ ٢٠٢١٦،٢٠٢١٧) وابن أبي حاتم (٧/ ١٢١٩٦) وعبد الرزاق (٢/ ٣٣٢) من رواية سماك عن عكرمة به وهذه رواية مضطربة وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٤/ ٩١) إلى الفريابي وابن المنذر .

---

[١] - كذا ، وفي جميع المصادر التي وقفت عليها : « بهم » . وهو الأشبه بالصواب .

[٢] - في خ : « فاستحيوا » . [٣] - سقط من : خ .

[٤] - في تفسير ابن جرير : [هن] . [٥] - سقط من : خ .

من بين يديه ومن خلفه ، فإذا جاء قدر اللَّه خَلَّوا عنه .

وقال مجاهد : ما من عبد إلا له[١] ملك موكل يحفظه في نومه ويقظته من الجنّ والإِنس والهوامّ ، فما منها[٢] شيء يأتيه يريده إلا قال له الملك : وراءك ، إلا شيء[٣] [أذن اللَّه فيه][٤] فيصيبه .

وقال الثوري(٢٩) ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس [في قوله][٥] : ﴿ **له معقبات من بين يديه ومن خلفه** ﴾ قال : ذلك ملك من ملوك الدنيا ، له حرس من دونه حرس .

وقال العوفي(٣٠) ، عن ابن عباس : ﴿ **له معقبات من بين يديه ومن خلفه** ﴾ يعني ولي الشيطان يكون عليه الحرس . وقال عكرمة في تفسيرها : هؤلاء الأمراء المواكب من بين يديه ومن خلفه . وقال الضحاك في الآية : هو السلطان المحترس[٦] من أمر[٧] اللَّه وهم[٨] أهل الشرك . والظاهر واللَّه أعلم أن مراد ابن عباس وعكرمة والضحاك بهذا أن حرس الملائكة للعبيد يشبه حرس هؤلاء لملوكهم وأمرائهم .

وقد رَوىٰ الإمام أبو جعفر بن جرير هٰهنا حديثًا غريبًا جدًّا فقال(٣١) : حدثني المثنى ، حدثنا إبراهيم بن عبد السلام بن صالح القشيري ، حدثنا علي بن جرير ، عن حماد بن سلمة ، عن عبد الحميد بن جعفر ، عن كنانة العدوي قال : دخل عثمان بن عفان علىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال : يا رسول اللَّه ، أخبرني عن العبد كم معه من ملك ؟ فقال : « **ملك عن[٩] يمينك [ ][١٠] علىٰ حسناتك ، وهو آمر[١١] علىٰ الذي علىٰ الشمال ، فإذا[١٢] عملت حسنة كتبت عشرًا ، وإذا[١٣] عملت سيئة قال الذي علىٰ**

(٢٩) - أخرجه ابن جرير (٢٠٢٢٦/١٦) ورجاله ثقات ، رجال الشيخين إلا أن حبيب بن أبي ثابت كثير الإرسال والتدليس .

(٣٠) - أخرجه ابن جرير (٢٠٢٢٧/١٦) وعطية العوفي ، ضعيف .

(٣١) - **إسناده فيه جهالة وانقطاع** تفسير ابن جرير (٢٠٢١١/١٦) وكنانة وهو ابن نعيم العدوي ، لم =

[١] - في خ : « به » .

[٢] - في ابن جرير (٢٠٢٤٥/١٦) : منهم .

[٣] - في ابن جرير شيئًا .

[٤] - في خ : « يأذن الله » .

[٥] - سقط من : ت .

[٦] - في خ : « الحرس » .

[٧] - ساقطة من ابن جرير (٢٠٢٣٠/١٦) .

[٨] - في خ : « وهو » .

[٩] - في ت : « علي » .

[١٠] - في ز ، خ : وملك .

[١١] - في ابن جرير : أمين .

[١٢] - في ز ، خ : « إذا » .

[١٣] - في ز ، خ : « فإذا » .

الشمال للذي علىٰ اليمين : أكتب ؟ قال : لا ؛ لعله يستغفر اللَّه ويتوب ، فيستأذنه ثلاث مرات ، فإذا قال ثلاثًا قال : نعم اكتب[١] أراحنا اللَّه منه فبئس القرين ، ما أقل مراقبته للَّه وأقل استحياءه منا ، يقول اللَّه ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ وملكان من بين يديك ومن خلفك ، يقول اللَّه تعالىٰ ﴿ له معقبات من بين يديه ومن خلفه [يحفظونه من أمر الله][٢] ﴾ ، وملك قابض علىٰ ناصيتك فإذا تواضعت للَّه رفعك ، وإذا تجبرت علىٰ اللَّه قصمك ، وملكان علىٰ شفتيك ليس يحفظان عليك إلا الصلاة علىٰ محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم ؛ وملك قائم علىٰ فيك لا يدع أن تدخل الحية في فيك ، وملكان علىٰ عينيك ، فهؤلاء عشرة أملاك علىٰ [كل آدمي][٣] ، ينزلون[٤] ملائكة الليل علىٰ ملائكة النهار ؛ لأن ملائكة الليل سوىٰ ملائكة النهار ، فهؤلاء عشرون ملكًا علىٰ [كل آدمي][٥] ، وإبليس بالنهار وولده بالليل » .

وقال الإمام أحمد رحمه اللَّه (٣٢) : حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا سفيان ، حدثني[٦] منصور ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن أبيه ، عن عبد اللَّه قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة** » . قالوا : وإياك يا رسول اللَّه ؟ قال : « **وإياي ، ولكن أعانني الله عليه فلا يأمرني إلا بخير** » . انفرد بإخراجه مسلم .

وقوله : ﴿ **يحفظونه من أمر اللَّه** ﴾ [قيل : المراد حفظُهم له من أمر اللَّه][٧] ، رواه علي بن أبي طلحة وغيره عن ابن عباس ، وإليه ذهب مجاهد وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي وغيرهم وقال قتادة : ﴿ **يحفظونه من أمر اللَّه** ﴾ قال : وفي بعض القراءات يحفظونه

= يذكر أنه أدرك عثمان بن عفان أو روى عنه ، وإبراهيم بن عبد السلام لم أجد له ذكرًا في كتب الرجال ، وشيخه على بن جرير لا يدرى من هو أيضًا إلا أن ابن أبي حاتم ترجم في « الجرح والتعديل » (١٧٨/٦) : « على بن جرير البارودي روى عن ... - كذا بياض بالأصل - سئل أبي عن علي بن جرير البارودي ، فقال : صدوق » .

(٣٢) - **صحيح** « **المسند** » ، (٣٩٧/١) إلا أن لفظه مغاير في بعض الأحرف لما هنا ، وأقرب منه ما أخرجه أحمد أيضًا (٤٠١/١) لكن من طريق عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان به وأخرجه أيضًا (٣٨٥/١،٤٦٠) ومسلم ، كتاب : صفات المنافقين وأحكامهم ، باب : تحريش الشيطان ، وبعثه سراياه لفتنة الناس ... (٦٩) (٢٨١٤) من طريق سفيان وغيره عن منصور به .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٣] - في خ : « بني آدم » .
[٤] - في خ : « يبدلون » .
[٥] - في خ : « بني آدم » .
[٦] - في المسند : عن .
[٧] - سقط من : خ .

بأمر اللَّه . وقال كعب الأحبار : لو تجلىٰ لابن آدم كل سهل وحزن لرأىٰ على[١] كل شيء من ذلك شياطين[٢] ، لولا أن اللَّه وكَّل بكم ملائكة يذبُّون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم إذًا لتُخُطِّفتم . وقال أبو أمامة : ما من آدمي إلا ومعه ملك موكَّل[٣] يذود عنه حتىٰ يسلمه للذي قُدِّر له .

وقال أبو مجلز : جاء رجل من مُرادٍ إلىٰ علي ، رضي اللَّه عنه ، وهو يصلي ، فقال : احترس ؛ فإن ناسًا من مراد يريدون قتلك ؛ فقال : إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدَّر ، فإذا جاء القدرُ خلَّيا بينه وبينه ، إن الأجل جُنَّةٌ حصينةٌ .

وقال بعضهم : ﴿ **يحفظونه من أمر اللَّه** ﴾ بأمر اللَّه ، كما جاء في الحديث أنهم قالوا : يا رسول اللَّه ، أرأيت رقى نسترقي بها هل ترد من قدر اللَّه شيئًا ؟ فقال : « **هي من قدر اللَّه** »(٣٣) .

وقال ابن أبي حاتم (٣٤) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا حفص بن غياث ، عن

---

(٣٣) - أخرجه الترمذي (٢١٤٩) وابن ماجه (٣٤٣٧) وأحمد (١٥٥١٣) (٤٢١/٣) من طريق سفيان بن عيينة عن الزهري عن ابن أبي خِزامة عن أبي خزامة فذكره وقال الترمذي : « هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث الزهري ، وقد روىٰ غير واحد هذا عن سفيان عن الزهري عن أبي خزامة عن أبيه - واسمه يعمر السعدي - وهذا أصح .. » ومن هذا الطريق أخرجه الترمذي ، كتاب : الطب ، باب : ما جاء في الرقى والأدوية (٢٠٦٦) وأحمد (١٥٥١٦) (٤٢١/٣) والحاكم في « المستدرك » - كما في « التهذيب » لابن حجر (٩٣/١٢) - وقال أحمد : « وهو الصواب » ، وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح » قلت : وقد رواه غير واحد عن الزهري بهذا الإسناد ، أخرجه أحمد (١٥٥١٤،١٥٥١٥) (٤٢١/٣) وابن أبي عاصم في « الآحاد والمثاني » (٢٦١٠/٥) وانظر تحفة الأشراف » (١١٨٩٨/٩) ، وأخرجه البغوي وابن شاهين - كما في « الإصابة » (٣٨٦/١) - من طريق عثمان بن عمر عن الزهري عن أبي خزامة الحارث بن سعد أنه قال ... فذكر الحديث ، قال ابن معين : أخطأ عثمان بن عمر فيه ، وإنما هو عن الزهري عن أبي خزامة أحد بنى الحارث بن سعد عن أبيه » ، قال ابن حجر : « وهو الصواب واسم والد أبي خزامة يعمر » وقد خفى هذا التحريف على الهيثمي ، فقال في « المجمع » (٨٨/٥) - بعد أن ذكر الحديث من رواية الحارث بن سعد عن أبيه - « رواه الطبراني والحارث لم أعرفه ، وبقية رجاله رجال الصحيح غير أبي خزامة » وقال ابن عبد البر في « الاستيعاب » ، أبو خزامة ذكره بعضهم في الصحابة لحديث أخطأ فيه راويه عن الزهري وهو تابعي وحديثه مضطرب » قلت وابن أبي خزامة وأبو خزامة جهلهما الذهبي وابن حجر . وللحديث شاهد من حديث حكيم بن حزام عند الطبراني في « الكبير » (٣٠٩٠/٣) والحاكم (٤٠٢/٤-٤٠٣) وزاد نسبته الحافظ في « الفتح » (٥٨٠/١١) إلي أبي داود والله أعلم ، وسكت عنه الحاكم والذهبي ، وفي إسناده صالح بن أبي الأخضر وهو ضعيف .

(٣٤) - **إسناده ضعيف** تفسير ابن أبي حاتم (١٢٢٠١/٧) وإبراهيم هو ابن يزيد النخعي ، أبو عمران =

---

[١] - زيادة من ابن جرير (٢٠٢٤٦/١٦) . [٢] - في خ : غير واضحة .

[٣] - زيادة من ابن جرير (٢٠٢٤٨/١٦) .

أشعث ، عن جهم ، عن إبراهيم قال : أوحىٰ اللَّه - عز وجل - إلىٰ نبي من أنبياء بني إسرائيل أن قل لقومك : إنه ليس من أهل قرية ولا أهل بيت ، يكونون علىٰ طاعة اللَّه فيتحولون منها إلىٰ معصية اللَّه ، إلا تَحَوَّلَ اللَّه لهم[١] مما يحبون إلىٰ ما يكرهون . ثم قال : إن مصداق[٢] ذلك في كتاب اللَّه ﴿ **إن اللَّه لا يغير ما بقوم حتىٰ يغيروا ما بأنفسهم** ﴾ .

وقد ورد هذا في حديث مرفوع ؛ فقال الحافظ محمد بن عثمان بن أبي شيبة في كتابه « صفة العرش »(٣٥) : حدثنا الحسن بن علي ، حدثنا الهيثم بن الأشعث السلمي ، حدثنا أبو حنيفة اليمامي الأنصاري ، عن عمير بن [عبد الملك][٣] قال : خطبنا علي بن أبي طالب علىٰ منبر الكوفة قال : كنت إذا سَكَتُّ عن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، ابتدأني ، وإذا سألته عن الخبر أنبأني ، وإنه حدثني عن ربه عز وجل قال : « **قال الرب : وعزتي وجلالي ، وارتفاعي فوق عرشي ما من قرية ولا أهل بيت كانوا علىٰ ما كرهت من معصيتي ، ثم تحولوا عنها إلىٰ ما أحببت من طاعتي إلا تحولت لهم عما يكرهون من عذابي إلىٰ ما يحبون من رحمتي** » [وهذا غريب وفي إسناده من لا أعرفه][٤] .

هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾

يخبر تعالىٰ : أنه هو الذي يسخر البرق : وهو ما يرىٰ من النور اللامع ساطعًا من خلل السحاب .

وروىٰ ابن جرير(٣٦) : أن ابن عباس كتب إلىٰ أبي الجلد يسأله عن البرق فقال : البرق

= الكوفي الفقيه ، « ثقة إلا أنه يرسل ، ويدلس » وجهم هو ابن دينار ويقال هو ابن أبي سبرة ، قال ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٢/٥٢٢/ت ٢١٦٧) عن أبيه : « هو من قدماء أصحاب النخعي ، قلت : هو صدوق ؟ قال : نعم » وأشعث هو ابن سوّار الكندي : ضعيف .

(٣٥) - **إسناده فيه جهالة** كتاب « صفة العرش » (رقم ١٩) والهيثم بن الأشعث السلمي ، قال الذهبي في « المغني » (٢/٧١٧) وابن حجر في « اللسان » (٦/ت٩٠٣١) « مجهول » وأبو حنيفة اليمامي ذكره البخاري في « الكنى » (ت٢٠٣) والحديث نسبه السيوطي في « الدر المنثور » إلى أبي الشيخ وابن مردويه . وذكره أبو أحمد الحاكم في « الكنى » (ت ١٨٥٣) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً .

(٣٦) - تفسير ابن جرير (١/٤٣٤) ، (١٦/٢٠٢٥١) ثني المثنى ، ثنا حجاج ، ثنا حماد أخبرنا موسى =

[١] - ساقطة من المطبوع من ابن أبي حاتم .
[٢] - في ابن أبي حاتم : تصديق .
[٣] - كذا وفي صفة العرش : عبد الله .
[٤] - ما بين المعكوفتين زيادة من : خ .

الماء .

وقوله : ﴿ **خوفًا وطمعًا** ﴾ قال قتادة : خوفًا للمسافر يخاف أذاه ومشقته ، وطمعًا للمقيم يرجو بركته ومنفعته ، ويطمع في رزق اللّه .

﴿ **وينشئ السحاب الثقال** ﴾ أي : ويخلقها منشأة جديدة ، وهي لكثرة مائها ثقيلة قريبة إلىٰ الأرض قال مجاهد : والسحاب الثقال الذي فيه الماء .

قال[١] : ﴿ **ويسبح الرعد بحمده** ﴾ ، كقوله : ﴿ **وإن من شيء إلا يسبح بحمده** ﴾ .

وقال الإمام أحمد (٣٧) : حدثنا يزيد ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، أخبرني أبي ، قال : كنت جالسًا إلىٰ جنب حميد بن عبد الرحمن في المسجد ، فمر [شيخ من بني غفار][٢] ، فأرسل إليه حميد ، فلما أقبل قال : يا ابن أخي ، وسع[٣] له[٤] فيما بيني وبينك ، فإنه قد صحب رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم ، فجاء حتى جلس فيما بيني وبينه ، فقال له[٥] حميد : ما الحديث الذي حدثتني عن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم . فقال له الشيخ : سمعت النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم ، يقول : « **إن اللّه ينشئ السحاب فينطق أحسن النطق ، ويضحك أحسن الضحك** » .

= ابن سالم أبو جهضم مولى ابن عباس قال .... فذكره ، وموسى بن سالم روايته عن ابن عباس مرسلة ، وأخرجه أيضًا (٤٣٧/١، ٤٤٣) من طريق بشر بن إسماعيل عن أبي كثير قال : كنت عند أبي الجلد إذ جاءه رسول ابن عباس بكتاب إليه ، فكتب إليه : « كتبت تسألني عن الرعد - وفي رواية : - البرق فالرعد الريح - وفي رواية أخرى « البرق » الماء » قال الشيخ أحمد شاكر : « هو إسناد مشكل - ما وجدت ترجمة « بشر ابن إسماعيل » وما عرفت من هو ، ثم لم أعرف من « أبو كثير » الراوى عن أبي الجلد » وأخرجه أبو الشيخ في « العظمة » (٧٦٩/٤) من طريق بشير بن سلمان - تصحف إلى سليمان - حدثنا أبو كثير بنحو السابق.

(٣٧) - **صحيح** « **المسند** » ، (٢٣٧٩٨) (٤٣٥/٥) وأخرجه العقيلي في « الضعفاء » (٣٥/١-٣٦) والرامهرمزي في « الأمثال » (ص ١٥٤) والبيهقي في « الأسماء والصفات » (٩٨٨/٢) من طريق إبراهيم ابن سعد به ، وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ، وجهالة الصحابي لا تضر ، وأخرجه أبو الشيخ في « العظمة » (٧١٨/٤) من طريق عبد الواحد بن أبي عون عن سعد بن إبراهيم به مختصرًا ، ومن طريق الأعرج عن حميد بن عبد الرحمن عن الغفاري به ، لكن في إسناده محمد بن إسحاق ، ولم يصرح في الإسناد الثاني بالسماع وأخرجه العقيلي والرامهرمزي وابن مردويه - كما في « الدر المنثور » (٩٥/٤) =

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في المسند : « شيخ جميل من بني غفار وفي أذنيه صمم » .
[٣] - في المسند : أوسع . [٤] - في خ : « الله » .
[٥] - سقط من : خ .

والمراد والله أعلم : أن نطقها الرعد وضحكها البرق .

وقال موسىٰ بن عبيدة [(٣٨)] ، عن سعد بن إبراهيم قال : يبعث الله الغيث فلا أحسن منه مضحكا ، ولا آنس منه منطقا ، فضحكه البرق ومنطقة الرعد .

وقال ابن أبي حاتم [(٣٩)] : حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن عبيد الله الرازي ، عن محمد بن مسلم قال : بلغنا أن البرق ملك له أربعة وجوه : وجه إنسان ، ووجه ثور ، ووجه نسر ، ووجه أسد ، فإذا مصع [(*)] بذنبه فذاك البرق .

وقال الإمام أحمد [(٤٠)] : حدثنا عفان ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا الحجاج ، حدثنا أبو مَطَرٍ ، عن سالم ، عن أبيه قال : كان رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، إذا سمع الرعد والصواعق قال : « **اللهم لا تقتلنا بغضبك ، ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك** » .

ورواه الترمذي ، والبخاري في كتاب الأدب ، والنسائي في اليوم والليلة والحاكم في مستدركه : من حديث الحجاج بن أرطاة ، عن أبي مطر ، ولم يسم[١] به .

= من حديث أبي هريرة وفي إسناده عمرو بن الحصين متروك ، وأمية بن سعيد الأموي مجهول ، والحديث زاد نسبته السيوطي إلى ابن أبي الدنيا في « كتاب المطر » وصرح بأن صاحبه هو أبو ذر الغفاري ، وهو خلاف ما وقفنا عليه من مصادر حيث لم نقف على التصريح بذلك والله أعلم ، والحديث صححه الألباني في « الصحيحة » (١٦٦٥/٤) .

(٣٨) - موسى بن عبيدة الرَّبذي ضعيف ، لكن تابعه سليمان بن داود الهاشمي - وهو ثقة جليل عند أبي الشيخ في « العظمة » (٧١٩/٤) به مختصرًا وقد عزاه السيوطي « الدر المنثور » (٩٥/٤) إلى أحمد وابن أبي الدنيا في « كتاب المطر » وأبي الشيخ في « العظمة » والبيهقي في « الأسماء والصفات » - وسبق تخريجه من مسند أحمد وغيره من المصادر ولم يرد فيها قول : إبراهيم هذا ، وقد وردت هذه الزيادة في حديث أبي هريرة - المشار إليه سابقًا بلفظ « .. منطقه الرعد وضحكه البرق » . لكن إسناده لا تقوم به حجة كما بينا والله أعلم .

(٣٩) - وأورده المصنف أيضًا في « البداية والنهاية » (٤١/١) - كما هنا ومحمد بن مسلم هو ابن عثمان أبو عبد الله بن وَارة الحافظ ثقة مترجم له في « التهذيب » وهشام بن عبيد الله الرازي قال أبو حاتم : صدوق » وقال ابن حبان : «كان يهم ويخطئ على الثقات » مترجم له في « اللسان » .

(*) - مصعت الدابة بذنبها : حركته .

(٤٠) - **إسناده فيه جهالة** ، « مسند » (٥٧٦٣) (١٠٠/٢-١٠١) ومن طريق عفان به أخرجه الحاكم (٤/ ٢٨٦) - وسقط عنده الحجاج والصواب إثباته كما صرح به ابن حجر في « التهذيب » (٢٥٩/١٢) - والبيهقي في « الكبرى » (٣٦٢/٣) - وتصحف عنده أبو مطر إلى أبي مظفر - وأخرجه الترمذي (٣٤٤٦) والبخاري في « الأدب المفرد » (٧٢١) والنسائي في « الكبرى » كتاب : عمل اليوم والليلة :=

[١] - في خ : « يسر » .

وقال أبو جعفر بن جرير(٤١) : حدثنا أحمد بن إسحاق ، حدثنا أبو أحمد ، حدثنا إسرائيل ، عن أبيه ، عن رجل ، عن أبي هريرة رفع الحديث أنه كان إذا سمع الرعد قال : « **سبحان من يسبح الرعد بحمده** » .

وروي عن علي(٤٢) رضي الله عنه أنه كان إذا سمع صوت الرعد قال: سبحان من سَبَّحتَ له . وكذا روي عن ابن عباس(٤٣) وطاوس والأسود بن يزيد : أنهم كانوا يقولون كذلك .

وقال الأوزاعي(٤٤) : كان ابن أبي زكريا يقول : من قال حين يسمع الرعد : سبحان الله وبحمده لم تصبه[١] صاعقة . وعن عبد الله بن الزبير : أنه كان إذا سمع الرعد ترك الحديث ، وقال : سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته . ويقول : إن هذا لوعيد شديد لأهل الأرض . رواه مالك في موطئه[٢] والبخاري في كتاب الأدب(٤٥) .

= (١٠٧٦٤/٦) وأبو يعلى في مسنده (٥٥٠٧/٩) وفي « المعجم » (٣٠٩) ومن طريقه أبو الشيخ في « العظمة » (٧٨١/٤) وابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٢٩٨) .. والدولابي في « الكنى » (٢/ ١١٧) والطبراني في « الكبير » (١٣٢٣٠/١٢) - ومن طريقه المزي في « تهذيب الكمال » (٢٩٨/٣٤) - من طرق عن عبد الواحد بن زياد به ، ورواه النسائي (١٠٧٦٣) من طريق سيار بن حاتم عن عبد الواحد ، ولم يذكر حجاجًا ، وسيار صدوق له أوهام والله تعالى أعلم . وقال الحاكم : « صحيح الإسناد » ووافقه الذهبي ، مع أنه قال في « الميزان » (٢٤٨/٦) « أبو مطر لا يدرى من هو » وكذا جهله الحافظ ابن حجر ، ولذلك قال الترمذي « حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه » والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن مردويه والخرائطي في « مكارم الأخلاق » .

(٤١) - **إسناده فيه جهالة** ، تفسير ابن جرير (٢٠٢٦٠/١٦) وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٤/ ٩٧) إلى ابن مردويه .

(٤٢) - **إسناده ضعيف جدًّا** أخرجه ابن جرير (٢٠٢٦١/١٦) وفي إسناده مَشعَدة بن اليسَع الباهلي ، هالك وكذبه أبو داود وقال أحمد بن حنبل : خرقنا حديثه منذ دهر ، وقال أبو حاتم : هو ذاهب منكر الحديث : لا يشتغل به .. (الجرح والتعديل » (٣٧٠/٨) و« لسان الميزان » (٩ / ٢٨)) .

(٤٣) - **إسناده حسن** ، أخرجه البخاري في « الأدب المفرد » (٧٢٢) وابن جرير في تفسيره (٤٣٦/١) (٢٠٢٦٢/١٦) ، وفي إسناده الحكم بن أبان ، صدوق عابد وله أوهام - كما في « التقريب » - وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٦٦/٤) إلى ابن أبي الدنيا في « كتاب المطر » .

(٤٤) - أخرجه ابن جرير (٢٠٢٦٥/١٦) ، وأخرجه أبو الشيخ في « العظمة » (٧٨٥/٤) من طريق آخر عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن عبد الله بن أبي زكريا قال : بلغني أنه من سمع الرعد فقال : « سبحان الله وبحمده » لم تصبه صاعقة ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٩٨/٤) إلى ابن أبي شيبة .

(٤٥) - **إسناده صحيح** ، أخرجه مالك في « الموطأ » ، كتاب : الكلام ، باب : القول إذا سمعت الرعد (٢٦) عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه - سقط من طبعة عبد الباقي عن أبيه فليستدرك - فذكره =

[١] - في خ : يصبه .	[٢] - في خ : « الموطأ » .

وقال الإمام أحمد (٤٦) : حدثنا سليمان بن داود الطيالسي ، حدثنا صدقة بن موسىٰ ، حدثنا محمد بن واسع ، عن شُتَيْر[١] بن نهار ، عن أبي هريرة ، أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « **قال ربكم عز وجل : لو أن عبيدي أطاعوني لأسقيتهم المطر بالليل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار** ، **ولما أسمعتهم صوت الرعد** » .

وقال الطبراني(٤٧) : حدثنا زكريا بن يحيىٰ الساجي ، حدثنا أبو كامل الجحدري[٢] ، حدثنا يحيىٰ بن كثير أبو النضر ، حدثنا عبد الكريم ، حدثنا عطاء ، عن ابن عباس قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إذا سمعتم الرعد فاذكروا اللَّه ؛ فإنه لا يصيب ذاكرًا** » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء** ﴾ أي : يرسلها نقمة ينتقم بها ممن يشاء ، ولهذا تكثر[٣] في آخر الزمان ، كما قال الإمام أحمد(٤٨) : حدثنا محمد بن

= ومن طريق مالك أخرجه البخاري في « الأدب المفرد » (٧٢٤) وأحمد في « الزهد » (صـ٢٤٩) وأبو الشيخ في « العظمة » (٧٨٣/٤) والبيهقي في « السنن الكبرى » (٣٦٢/٣) ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٩٨/٤) إلى ابن سعد وابن أبي شيبة وابن المنذر والخرائطي .

(٤٦) - **إسناده ضعيف** « المسند » (٨٦٩٣) (٣٥٩/٢) ، والحديث في « مسند الطيالسي » (٢٥٨٦) ومن طريقه أيضًا البزار (١/رقم ٦٦٤- كشف) والحاكم (٢٥٦/٤) ، وأخرجه الحاكم أيضًا (٣٤٩/٢) وعنه البيهقي في « الزهد الكبير » (٧١٩) عن موسى بن إسماعيل ثنا صدقة بن موسى به وقال الحاكم في الموضعين « حديث صحيح الإسناد » وتعقبه الذهبي في الموضعين فقال في الأول « بل صدقة بن موسى واهٍ » وقال في الثاني : « صدقة ضعفوه » وبه أعله الهيثمي أيضًا فقال في « المجمع » (٢١٤/٢) : « رواه أحمد والبزار وزاد ... قلت : ومداره على صدقة بن موسى الدقيقي ضعفه ابن معين وغيره وقال مسلم بن إبراهيم حدثنا صدقة الدقيقي وكان صدوقًا » قلت : وتضعيفه هو الأولى فقد ضعفه أيضًا النسائي والساجي والدولابي وقال الترمذي : ليس عندهم بذاك القوى ، وقال أبو حاتم : لين الحديث ، يكتب حديثه ولا يحتج به (« التهذيب » لابن حجر) وقد روي الحديث من مسند أبي سعيد الخدري ، أخرجه الدارقطني في « العلل » (١١/س ٢٣٠٦) ومن طريقه ابن الجوزي في « المتناهية » (١٣٢١/٢) - والبيهقي في « الزهد » (٧١٨) - وأفاد أن رواية أبي هريرة هى الصحيحة - وقال الدارقطني : « والحديث غير ثابت » .

(٤٧) - **إسناده ضعيف** « المعجم الكبير » (١١٣٧١/١١) وأخرجه أبو الشيخ في « العظمة » (٧٨٢/٤) ثنا زكريا الساجي به وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٣٩/١٠) وقال : « رواه الطبراني وفيه يحيى بن كثير أبو النضر وهو ضعيف » وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٩٨/٤) إلى ابن مردويه .

(٤٨) - **إسناده ضعيف** « المسند » (١١٦٣٧) (٦٤/٣-٦٥) وأخرجه الحاكم (٤٤٤/٤) من طريق محمد ابن مصعب به وقال : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » فتعقبه الذهبي قائلاً « عمارة ثقة لم يخرجوا له » قلت : وهذا ليس إعلالاً له ، والأصل أن يعل بمحمد بن مصعب فإنه صدوق =

[١] - في خ : « معمر » . [٢] - في خ : « الجدري » .
[٣] - في خ : « يكثر » .

مصعب ، حدثنا عمارة عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري رضي اللّٰه عنه ، أن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال : « **تكثر الصواعق عند اقتراب الساعة ، حتىٰ يأتي الرجل القوم فيقول : من صعق تلكم[١] الغداة فيقولون : صعق فلان وفلان** » .

وقد روي في سبب نزولها ما رواه الحافظ أبو يعلىٰ الموصلي(٤٩) :

حدثنا إسحاق - [ابن أبي إسرائيل][٢] - حدثنا علي بن أبي سارة الشيباني ، حدثنا ثابت عن أنس : أن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، بعث رجلًا مرة إلىٰ رجل من فراعنة العرب ، فقال : « **اذهب فادعه لي** » . قال : فذهب إليه فقال : يدعوك رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم . فقال له : مَنْ رسول اللّٰه ؟ وما اللّٰه ؟ أمن ذهب هو ، أم من فضة هو ، أم من نحاس هو ؟ قال فرجع إلىٰ رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فأخبره ، فقال : يا رسول اللّٰه ، قد أخبرتك أنه أعتىٰ من ذلك ، قال لي كذا وكذا . فقال لي : « **ارجع إليه الثانية** » - أراه - فذهب فقال له مثلها ، فرجع إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فقال : يا رسول اللّٰه ، قد أخبرتك أنه أعتىٰ من ذلك . فقال[٣] : « **ارجع إليه فادعه** » . فرجع إليه الثالثة ، قال : فأعاد عليه ذلك الكلام ، فبينما هو يكلمه إذ بعث اللّٰه عز وجل سحابة حيال رأسه ، فرعدت فوقعت منها صاعقة فذهبت بقحف رأسه ، فأنزل اللّٰه عز وجل : ﴿ **ويرسل الصواعق** ﴾ الآية .

ورواه ابن جرير من حديث علي بن أبي سارة به . ورواه الحافظ أبو بكر البزار : عن عبدة بن عبد اللّٰه عن يزيد بن هارون ، عن ديلم بن غزوان ، عن ثابت ، عن أنس فذكر

= كثير الخطأ ، وبه أعله الهيثمي في « المجمع » (١٢/٨) فقال : « رواه أحمد عن محمد بن مصعب وهو ضعيف » ، وقد أعل الذهبي نفسه أحاديث في « المستدرك » بمحمد هذا . فانظر (١٧٦/٣-١٧٧) .

(٤٩) - **حسن** ، مسند أبي يعلى (٣٣٤٢/٦) بالإسناد دون اللفظ ، وأخرجه النسائي في « التفسير » (٦/ ١١٢٥٩) والعقيلي في « الضعفاء » (٢٣٢/٣-٢٣٣) وابن جرير (٢٠٢٧٠/١٦) والطبراني في « الأوسط » (٢٦٠٢/٣) والواحدي في « أسباب النزول » (صـ ٢٠٥) من طريق على بن أبي سارة به وهذا إسناد ضعيف ، وعلته على هذا ، قال البخاري : في حديثه نظر وقال أبو حاتم : شيخ ضعيف الحديث ، ولكن تابعه ديلم بن غزوان - وهو صدوق عن ثابت به أخرجه ابن أبي عاصم في « السنة » (١/ ٦٩٢) والبزار (٢٢٢١/٣) وأبو يعلى (٣٣٤١) والبيهقي في « الدلائل » (٢٨٣/٦) ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٤٥/٧) وقال : « رواه أبو يعلى والبزار بنحوه ... وبنحو هذا رواه الطبراني في الأوسط ... ورجال البزار رجال الصحيح غير ديلم بن غزوان وهو ثقة وفي رجال أبي يعلى والطبراني علي بن أبي سارة وهو ضعيف » وزاد نسبته السيوطي إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه ، وانظر ما بعده .

---

[١] - في خ : « قبلكم » .

[٢] - زيادة من مسند أبي يعلى .

[٣] - في خ : « قال » .

نحوه .

وقال(٥٠) : حدثنا الحسن بن محمد ، حدثنا عفان ، حدثنا أبان بن يزيد ، حدثنا أبو[١] عمران الجوني ، عن عبد الرحمن بن صحار العبدي أنه بلغه : أن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بعث إلىٰ جبار يدعوه ، فقال : أرأيتم[٢] ربكم أذهب هو ؟ أم فضة هو؟ أم لؤلؤ هو ؟ قال فبينما هو يجادلهم إذ بعث اللّٰه سحابة فرعدت ، فأرسل اللّٰه[٣] عليه صاعقة فذهبت بقحف رأسه ، ونزلت هذه الآية .

وقال أبو بكر بن عياش(٥١) ، عن ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد قال : جاء يهودي فقال : يا محمد ، أخبرني عن ربك [من أي شيء هو][٤] ، من نحاس هو ، أم[٥] من لؤلؤ أو ياقوت ؟ قال : فجاءت صاعقة فأخذته ، وأنزل اللّٰه : ﴿ **ويرسل الصواعق** ﴾ الآية .

وقال قتادة(٥٢) : ذكر لنا أن رجلًا أنكر القرآن وكذب النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فأرسل اللّٰه صاعقة فأهلكته ، وأنزل اللّٰه ﴿ **ويرسل الصواعق** ﴾ الآية .

وذكروا(٥٣) في سبب نزولها قصة عامر بن الطفيل وأربد[٦] بن ربيعة لما قدما علىٰ رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، المدينة ، فسألاه أن يجعل لهما نصف الأمر ، فأبىٰ عليهما رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فقال له عامر بن الطفيل لعنه اللّٰه: أما واللّٰه لأملأنها عليك

---

(٥٠) - **مرسل** ، ابن جرير في تفسيره (٢٠٢٦٦/١٦) ، ورجاله ثقات ، رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن صحار العبدي ، فقد ترجم له الحافظ ابن حجر في « تعجيل المنفعة » (٦٢٩) وقال : « روى عن أبيه - وله صحبة - وعنه أبو العلاء الشخير ، قال الحسيني : ليس بالمشهور وكذا قال وقد ذكره ابن حبان في ثقات التابعين (٩٥/٥) . وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٩٩/٤) إلى الخرائطي في « مكارم الأخلاق » وانظر ما قبله .

(٥١) - **إسناده ضعيف** ، أخرجه ابن جرير (٢٠٢٦٧/١٦، ٢٠٢٦٨) من طريقين عن أبي بكر بن عياش به ، وليث بن أبي سليم « صدوق اختلط جدًّا ولم يتميز حديثه فترك » ، وعزاه السيوطي إلى الحكيم الترمذي وابن المنذر وابن أبي حاتم . وانظر ما قبله .

(٥٢) - أخرجه ابن جرير (٢٠٢٧١/١٦) بإسناد حسن إلى قتادة .

(٥٣) - أخرجه ابن جرير (٢٠٢٥٠/١٦) حدثني يونس نا ابن وهب قال : قال ابن زيد في قوله فذكر الحديث وعزاه السيوطي إلى أبي الشيخ ، وانظر ما بعده .

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - في خ : « أرأيتكم » .

[٣] - زيادة من ابن جرير .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٥] - سقط من : خ .

[٦] - في خ : « وزايد » .

خيلًا جردًا ورجالًا مردًا . فقال له رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **يأبىٰ اللَّه عليك ذلك وأبناء**[١] **قيلة** » يعني : الأنصار ، ثم إنهما هما بالفتك برسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فجعل أحدهما يخاطبه والآخر يستل سيفه ليقتله من ورائه ، فحماه اللَّه تعالىٰ[٢] منهما وعصمه ، فخرجا من المدينة فانطلقا في أحياء العرب يجمعان[٣] الناس لحربه عليه الصلاة[٤] والسلام ، فأرسل اللَّه[٥] علىٰ أربد سحابة فيها صاعقة فأحرقته ، وأما عامر بن الطفيل فأرسل اللَّه عليه الطاعون ، فخرجت فيه غدة عظيمة ، فجعل يقول : يا آل عامر ، غدة كغدة البكر وموت في بيت سلولية . حتىٰ ماتا لعنهما اللَّه . وأنزل اللَّه في مثل ذلك : ﴿ **ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في اللَّه** ﴾ . وفي ذلك يقول لبيد بن ربيعة أخو أربد يرثيه :

أَخْشَىٰ عَلَىٰ أَرْبَدَ الحُتُوفَ وَلَا ... أَرْهَبُ نَوْءَ السِّمَاكِ والأَسَدِ
فَجَّعنِي الرَّعدُ[٦] والصّواعِقُ بالـ ... ـفَارِسِ يَوْمَ الكَرِيهَةِ النَّجُدِ

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني(٥٤) : حدثنا مَسْعَدَةُ بن سعد[٧] العطار ، حدثنا إبراهيم ابن المنذر الحزامي ، حدثني عبد العزيز بن عمران ، حدثني عبد الرحمن وعبد اللَّه ابنا زيد ابن أسلم ، عن أبيهما ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن عباس : أن أربد بن قيس بن [جُزَيّ ابن خالد][٨] بن جعفر بن كلاب ، وعامر بن الطفيل بن مالك ، قدما المدينة علىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فانتهيا إليه وهو جالس، فجلسا بين يديه فقال عامر بن الطفيل : يا محمد ، ما تجعل لي إن أسلمت ؟ فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لك**[٩] **ما**

---

(٥٤) - **إسناده ضعيف** « المعجم الكبير » (١٠٧٦٠/١٠) وفي « الأوسط » (٩١٢٧/٩) ومن طريقه أبو نعيم في « الدلائل » (ص١٦٢-١٦٣) وذكره الهيثمي في « المجمع » (٤٤/٧،٤٥) وقال : « رواه الطبراني في الأوسط والكبير بنحوه ... وفي إسناده عبد العزيز بن عمران وهو ضعيف » وقال عنه الحافظ في « التقريب » : « متروك احترقت كتبه فحدث من حفظه فاشتد غلطه » وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٨٩/٤) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه ، وأصل قصة عامر عند البخاري في صحيحه : كتاب : المغازي ، باب : غزوة الرجيع (٤٠٩١) وأحمد (١٣٢١٩) (٢١٠/٣) من حديث أنس بن مالك .

---

[١] - كذا وقع في طبعة الحلبي من ابن جرير (١٢٠/١٢) ، وأفاد العلامة محمود شاكر في طبعته (١٦/ ٢٠٢٥٠) أن الذي في « المخطوطة » « وابنا » على التثنية ، وصوبه ، وقال : « وقيلة » أم الأوس والخزرج .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في خ : « يجمعون » .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - سقط من : خ .

[٦] - في ابن جرير : البرق . (٢٠٢٧٢/١٦) .

[٧] - في ز : سعيد . والمثبت من المعجم الكبير والأوسط ، وكذا أورده المصنف في « البداية والنهاية » (٥/ ٧١) .

[٨] - في ز : « جزء بن جليد » .

[٩] - سقط من : خ .

للمسلمين وعليك ما عليهم » . قال عامر بن الطفيل : **أتجعل لي الأمر إن أسلمت من** بعدك ؟ قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : **« ليس ذلك لك ولا لقومك ، ولكن لك أعنة الخيل »** . قال : أنا الآن في أعنة خيل نجد ، **اجعل لي الوبر ولك المدر** . قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : **« لا »** . فلما قفلا[١] من عنده ، قال عامر : أما والله لأملأنها عليك خيلًا ورجالًا . فقال له رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : **« يمنعك الله »** . فلما خرج أربد وعامر ، [قال عامر : يا أربد][٢] ، **أنا أشغل عنك محمدًا بالحديث فاضربه** بالسيف ، فإن الناس إذا قتلت محمدًا لم يزيدوا علىٰ أن يرضوا بالدية ، ويكرهوا الحرب [فنعطيهم الدية][٣] . قال أربد : **أفعل** . فأقبلا راجعين إليه ، فقال عامر : [يا محمد][٤] قم معي أكلمك . فقام معه رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فجلسا[٥] إلىٰ الجدار ، ووقف معه رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يكلمه ، وسل أربد السيف ، فلما وضع يده علىٰ قائم[٦] السيف يبست يده علىٰ قائم السيف ، فلم يستطع سل السيف ، فأبطأ أربد علىٰ عامر بالضرب ، فالتفت رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فرأىٰ أربد وما يصنع ، فانصرف عنهما ، فلما خرج عامر وأربد من عند رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حتىٰ إذا كانا بالحرة - حرة واقم - نزلا فخرج إليهما سعد بن معاذ وأسيد بن حضير ، فقالا : اشخصا يا عدوي[٧] الله لعنكما الله . فقال عامر : مَنْ هذا يا سعد ؟ قال : هذا أسيد بن حضير الكتائب[٨] . فخرجا حتىٰ إذا كانا بالرقم ، أرسل الله[٩] علىٰ أربد صاعقة فقتلته ، وخرج عامر حتىٰ إذا كان بالخُرَيْم[١٠] أرسل الله قرحة فأخذته ، فأدركه الليل في بيت امرأة من بني سلول ، فجعل يمس قرحته في حلقه ويقول : غدة كغدة الجمل في بيت سلولية . يرغب أن يموت في بيتها ، ثم ركب فرسه فأحضره حتىٰ مات عليه راجعًا ، فأنزل الله فيهما : ﴿ **الله يعلم ما تحمل كل أنثىٰ** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **وما لهم من دونه من وال** ﴾ قال : المعقبات من أمر الله يحفظون محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم ، ثم ذكر أربد وما قتله به ، فقال : ﴿ **ويرسل الصواعق** ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ **وهم يجادلون في الله** ﴾ أي : يشكون في عظمته وأنه لا إله إلا هو ﴿ **وهو شديد المحال** ﴾ .

---

[١] - في خ : « قفا » .
[٢] - في خ : « قال أربد : يا عامر » .
[٣] - زيادة في ت .
[٤] - ما بين المعكوفتين زيادة من : خ .
[٥] - في الطبراني : فخليا .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في خ : « عدو » .
[٨] - في خ : « العاتب » . وفي المعجم الكبير : الكاتب .
[٩] - زيادة من : خ .
[١٠] - في الكبير : بالحر .

قال[١] ابن جرير : شديدة مماحلته في عقوبة من طغىٰ عليه وعتا وتمادىٰ في كفره .

وهذه الآية شبيهة بقوله : ﴿ **ومكروا مكرًا ومكرنا مكرًا وهم لا يشعرون * فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمّرناهم وقومهم أجمعين** ﴾ .

وعن علي(٥٥) -رضي اللَّه عنه- : ﴿ **وهو شديد المحال** ﴾ أي : شديد الأخذ ، وقال مجاهد شديد القوّة .

لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾

قال علي بن أبي طالب -رضي اللَّه عنه- : ﴿ **له دعوة الحق** ﴾ قال : التوحيد . رواه ابن جرير(٥٦) .

وقال ابن عباس(٥٧) وقتادة ومالك عن محمد بن المنكدر : ﴿ **له دعوة الحق** ﴾ : لا إله إلا اللَّه .

﴿ **والذين يدعون من دونه** ﴾ الآية ، أي : ومثل الذين يعبدون آلهة غير اللَّه ﴿ **كباسط كفيه إلىٰ الماء ليبلغ فاه** ﴾ قال علي بن أبي طالب (٥٨) : كمثل الذي يتناول الماء من طرف البئر بيده ، وهو لا يناله أبدًا فكيف يبلغ فاه ؟ .

وقال مجاهد : ﴿ **كباسط كفيه** ﴾ يدعو الماء بلسانه ويشير إليه فلا يأتيه أبدًا .

وقيل : المراد كقابض يده علىٰ الماء ، فإنه لا يحكم منه علىٰ شيء ، كما قال الشاعر :

---

(٥٥) - أخرجه ابن جرير (٢٠٢٧٣/١٦) ، وفي إسناده سيف بن عمر الضبي ، قال ابن حجر في « التقريب » : « ضعيف الحديث عمدة في التاريخ أفحش ابن حبان القول فيه » .

(٥٦) - تفسير ابن جرير (٢٠٢٨٢/١٦) وفيه علة الأثر السابق ، وزاد نسبته السيوطي (١٠١/٤) إلى أبي الشيخ .

(٥٧) - أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٣٤/٢) ، وابن جرير (٢٠٢٨٠/١٦) من رواية سماك عن عكرمة عنه وهي رواية مضطربة ، لكن أخرجه ابن جرير (٢٠٢٨١) والبيهقي في « الأسماء والصفات » (٢٠٦/١) من طرق أخر وفيه انقطاع وزاد نسبته السيوطي (١٠١/٤) إلى الفريابي ، وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في « الأسماء والصفات » .

(٥٨) - أخرجه ابن جرير (٢٠٢٨٦/١٦) وبه علة الأثر المتقدم برقم (٥٤) .

---

[١] - في خ : « وقال » .

فإنِّي وإيَّاكُمْ وَشَوْقًا إِلَيْكُمُ كَقَابِضِ ماءٍ لَمْ تَسِقْهُ أَنَامِلُهْ

وقال الآخر :

فَأَصْبَحْتُ مِمَّا[١] كانَ بَيْني وَبَيْنَها مِنَ الوُدِّ مِثْلَ القَابِضِ المَاءَ باليَدِ

ومعنىٰ الكلام : أن هذا الذي يبسط يده إلىٰ الماء ؛ إمّا قابضًا ، وإما متناولًا له من بعد ، كما أنه لا ينتفع بالماء الذي لم يصل إلىٰ فيه الذي جعله محلًا للشرب ، فكذلك هؤلاء المشركون الذين يعبدون مع اللّه إلهًا غيره لا ينتفعون بهم أبدًا في الدنيا ولا في الآخرة ، ولهذا قال : ﴿ **وما دعاء الكافرين إلا في ضلال** ﴾ .

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۩ (١٥) ﴾

يخبر تعالىٰ عن عظمته وسلطانه الذي قهر كل شيء ، ودان له كل شيء ، ولهذا يسجد له كل شيء طوعًا من المؤمنين ، وكرهًا من الكافرين[٢] ﴿ **وظلالهم بالغدوّ** ﴾ أي : البُكر ﴿ **والآصال** ﴾ وهو جمع أصيل : وهو آخر النهار ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **أو لم يروا إلى ما خلق اللّه من شيء يتفيؤ ظلاله** ﴾ الآية .

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ (١٦) ﴾

يقرّر تعالىٰ أنه لا إله إلا هو ؛ لأنهم معترفون بأنه هو الذي خلق السموات والأرض ، وهو ربها ومدبرها ، وهم مع هذا قد اتخذوا من دونه أولياء يعبدونهم ، وأولئك هم[٣] الآلهة لا تملك لنفسها ولا لعابديها بطريق الأولىٰ نفعًا ولا ضرا ، أي : لا تحصل منفعة ولا تدفع مضرة ، فهل يستوي من عبد هذه الآلهة مع اللّه ، ومن عبد اللّه وحده لا شريك له وهو علىٰ نور من ربه ؟ ولهذا قال : ﴿ **قل هل يستوي الأعمىٰ والبصير أم هل تستوي**

---

[١] - في خ : « ما » . [٢] - في خ : « المشركين » .

[٣] - زيادة من : خ .

الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم ﴾ أي : أجَعل هؤلاء المشركون مع الله آلهة تناظر الرب وتماثله في الخلق ، فخلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم ، فلا يدرون أنها مخلوقة من مخلوق غيره ، أي : ليس الأمر كذلك ، فإنه لا يشابهه شيء ولا يماثله ، ولا ند له ، ولا عدل له ، ولا وزير له ، ولا ولد ولا صاحبة تعالىٰ الله عن ذلك علوًّا كبيرًا ، وإنما عبد هؤلاء المشركون معه آلهة هم معترفون أنها مخلوقة له عبيد له ، كما كانوا يقولون في تلبيتهم : لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك(٥٩) . وكما[١] أخبر تعالىٰ عنهم في قوله : ﴿ ما[٢] **نعبدهم إلا ليقرّبونا إلىٰ الله زلفى ﴾** فأنكر تعالىٰ عليهم ذلك حيث اعتقدوا ذلك ، وهو تعالىٰ لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه : ﴿ **ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾ ﴿ وكم من ملك في السموات ﴾** الآية ، وقال[٣] : ﴿ **إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدًا * لقد أحصاهم وعدّهم عدًا * وكلهم آتيه يوم القيامة فردًا ﴾** فإذا كان الجميع عبيدًا فَلِمَ يعبد بعضهم بعضًا بلا دليل ولا برهان . بل بمجرّد الرأي والاختراع والابتداع ، ثم قد أرسل رسله من أولهم إلىٰ آخرهم تزجرهم عن ذلك ، وتنهاهم عن عبادة من سوىٰ الله ، فكذبوهم وخالفوهم ، فحقت عليهم كلمة العذاب لا محالة ﴿ **ولا يظلم ربك أحدًا ﴾** .

أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴿١٧﴾

اشتملت هذه الآية الكريمة علىٰ مثلين مضروبين للحق في ثباته وبقائه ، والباطل في اضمحلاله وفنائه ، فقال تعالىٰ : ﴿ **أنزل من السماء ماء ﴾** أي : مطرًا[٤] ﴿ **فسالت أودية بقدرها ﴾** أي : أخذ كل واحد بحسبه ، فهذا كبير وسع كثيرًا من الماء ، وهذا صغير فوسع بقدره ، وهو إشارة إلىٰ القلوب وتفاوتها ، فمنها ما يسع علمًا كثيرًا ومنها ما لا يتسع لكثير من العلوم بل يضيق عنها ﴿ **فاحتمل السيل زبدًا رابيًا ﴾** أي : فجاء علىٰ وجه الماء الذي سال في هذه الأودية زبد عال عليه ، هذا مثل ، وقوله : ﴿ **ومما يوقدون عليه في النار**

(٥٩) - تقدم تخريج ذلك (سورة يوسف / آية ١٠٦) .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في خ : « إنما ».
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في خ : « مطرت » .

ابتغاء حلية أو متاع ﴾ الآية ، هذا هو المثل الثاني : وهو ما يسبك في النار من ذهب أو فضة ابتغاء حلية ، [أي : ليجعل][١] حلية نحاسٍ أو حديدٍ فيجعل متاعا ، فإنه يعلوه زبد منه كما يعلو ذلك زبد منه **﴿ كذلك يضرب اللّٰه الحق والباطل ﴾** أي : إذا اجتمعا لا ثبات للباطل ولا دوام له ، كما أن الزبد لا يثبت مع الماء ، ولا مع الذهب ونحوه مما يسبك في النار ، بل يذهب ويضمحل ، ولهذا قال : **﴿ فأما الزبد فيذهب جفاء ﴾** أي : لا ينتفع به ، بل يتفرق ويتمزق ويذهب في جانبي الوادي ، ويعلق بالشجر ، وتنسفه الرياح ، وكذلك خبث الذهب والفضة والحديد والنحاس يذهب لا يرجع منه [ ][٢] شيء ، [ولا يبقىٰ إلا الماء][٣] وذلك[٤] الذهب ونحوه ينتفع به ، ولهذا قال : **﴿ وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب اللّٰه الأمثال ﴾** ، كقوله تعالىٰ : **﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾** .

وقال[٥] بعض السلف (٦٠) : كنت إذا قرأت مثلا من القرآن فلم أفهمه بكيت علىٰ نفسي ؛ لأن اللّٰه تعالىٰ يقول : **﴿ وما يعقلها إلا العالمون ﴾** .

قال علي بن أبي طلحة(٦١) ، عن ابن عباس في قوله تعالىٰ : **﴿ أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها ﴾** الآية : هذا مثل ضربه اللّٰه احتملت منه القلوب علىٰ قدر يقينها وشكها ، فأما الشك فلا ينفع معه العمل ، وأما اليقين فينفع اللّٰه به أهله ، وهو قوله : **﴿ فأما الزبد ﴾** [وهو الشك][٦] **﴿ فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ﴾** وهو اليقين ، وكما يُجعل الحلي في النار ، فيؤخذ خالصُه ويترك خَبثُه في النار ، فكذلك يقبل اللّٰه اليقين ويترك الشك .

وقال العوفي(٦٢) ، عن ابن عباس قوله : **﴿ أنزل من السماء ماء فسألت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدًا رابيًا ﴾** يقول : احتمل السيل ما في الوادي من عود ودمنة[٧] **﴿ ومما يوقدون عليه في النار ﴾** فهو الذهب والفضة والحلية والمتاع والنحاس والحديد ، فللنحاس

---

(٦٠) – ورد نحو ذلك عن عمرو بن مرة انظر (العنكبوت / آية ٤٣) .

(٦١) – أخرجه ابن جرير (٢٠٣١١/١٦) وزاد نسبته السيوطي (١٠٤/٤) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ .

(٦٢) – أخرجه ابن جرير (٢٠٣١٢/١٦) وزاد نسبته السيوطي (١٠٤/٤) إلى ابن أبي حاتم .

---

[١] – ما بين المعكوفتين في خ : « أو » .

[٢] – في خ : إلى .

[٣] – في خ : « ويبقى الماء » .

[٤] – في خ : « كذلك » .

[٥] – في خ : « قال » .

[٦] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٧] – سقط من : خ .

والحديد خبث فجعل اللَّه مثل خبثه كزبد الماء ، فأما ما ينفع الناس فالذهب والفضة ، وأما ما ينفع الأرض فما شربت من الماء فأنبتت ، فجعل ذاك مثل العمل الصالح يبقىٰ لأهله ، والعمل السيئ يضمحل عن أهله كما يذهب هذا الزبد ، وكذلك الهدى والحق جاءا[١] من عند اللَّه فمن عمل بالحق كان له ، وبقي كما يبقىٰ ما ينفع الناس في الأرض ، وكذلك الحديد لا يستطاع أن يعمل[٢] منه سكين ولا سيف حتىٰ يدخل في النار ، فتأكل خبثه ويخرج جيده فينتفع به ، فكذلك[٣] يضمحل الباطل ، فإذا[٤] كان يوم القيامة وأقيم الناس وعرضت الأعمال ، فيزيغ[٥] الباطل ويهلك ، وينتفع أهل الحق بالحق .

وهكذا روي في تفسيرها عن مجاهد والحسن البصري وعطاء وقتادة وغير واحد من السلف والخلف .

وقد ضرب سبحانه وتعالىٰ في أول سورة البقرة للمنافقين مثلين ؛ ناريًّا ومائيًّا وهما قوله : ﴿ **مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله** ﴾ الآية ، ثم قال : ﴿ **أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق** ﴾ الآية ، وهكذا ضرب للكافرين في سورة النور مثلين ؛ أحدهما قوله : ﴿ **والذين كفروا أعمالهم كسراب** [**بقيعة يحسبه الظمآن ماء**][٦] ﴾ الآية ، والسراب إنما يكون في شدة الحر ، ولهذا جاء في الصحيحين(٦٣) : فيقال لليهود يوم القيامة فما تريدون ؟ فيقولون : أي ربنا عطشنا فاسقنا . فيقال : ألا تردون ؟ فيردون النار فإذا هي كسراب[٧] يحطم بعضها بعضًا .

ثم قال تعالىٰ في المثل الآخر : ﴿ **أو كظلمات في بحر لجي** [**يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب**][٨] ﴾ الآية ، وفي الصحيحين(٦٤) عن أبي موسىٰ الأشعري [رضي اللَّه عنه ، أن][٩] رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « **إن مثل ما بعثني اللَّه به من الهدىٰ والعلم كمثل غيث أصاب أرضًا ، فكان**[١٠] **منها طائفة طيبة**[١١] **قبلت الماء ،**

---

(٦٣) - أخرجه البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : « إن الله لا يظلم مثال ذرة » (٤٥٨١) ، ومسلم كتاب : الإيمان ، باب : معرفة طريق الرؤية (٣٠٢) (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري .

(٦٤) - تقدم تخريجه (سورة الأعراف / آية ٥٨) .

---

[١] - في خ : « جاء » .

[٢] - في ابن جرير : تجعل .

[٣] - في خ : « كذلك » .

[٤] - في خ : « إذا » .

[٥] - في خ : « فيرفع » .

[٦] - زيادة من : خ .

[٧] - في خ : « السراب » .

[٨] - ما بين المعكوفتين زيادة من : خ .

[٩] - في خ : « قال : قال » .

[١٠] - في الصحيحين : فكانت .

[١١] - سقط من : ز .

فأنبتت[١] الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجادبُ أمسكت الماء ، فنفع اللَّه بها الناس [فشربوا ورعوا وسقوا وزرعوا][٢] ، وأصابت طائفة منها أخرىٰ إنما هي قيعان : لا تمسك ماء ولا تنبت كلأً ، فذلك مثل من فقه في دين اللَّه ، ونفعه اللَّه بما بعثني ، ونفع به فعَلِم وعَلَّم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى اللَّه الذي أرسلت به » .

فهذا مثل مائي ، وقال في الحديث الآخر الذي رواه الإمام أحمد(٦٥) :

حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن همام بن منبه ، قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة ، عن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، أنه قال : **« مثلي ومثلكم[٣] : كمثل رجل استوقد نارًا ، فلما أضاءت ما حولها[٤] جعل[٥] الفَراشُ وهذه الدوابُ التي يقعن في النار يقعن فيها ، وجعلِ يحجزُهُنَّ وَيغلِبنَه[٦] فيتقحمن[٧] فيها - قال - فذلكم مثلي ومثلكم : أنا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عن النار هَلُمَّ عن النار [هلم عن النار][٨] ، هلم ، فتغلبوني فتقتحمون فيها »** . وأخرجاه في الصحيحين أيضًا ، فهذا مثل ناري .

﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾ ﴾

(٦٥) - **صحيح** « المسند » (٨١٠٢) (٣١٢/٢) ، وأخرجه مسلم ، كتاب : الفضائل ، باب : شفقته - صلى الله عليه وسلم - على أمته ، ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم (١٨) (٢٢٨٣) حدثنا محمد بن رافع حدثنا عبد الرزاق به وأخرجه أحمد (٧٣١٨) (٣٤٤/٢) ، والبخاري ، كتاب : الأنبياء ، باب : قول الله تعالى ﴿ **ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب** ﴾ (٣٤٢٦) ، وفي الرقاق ، باب : الانتهاء عن المعاصي (٦٤٨٣) ، ومسلم (١٧) (٢٢٨٤) ، والترمذي ، كتاب : الأمثال ، باب : ما جاء في مثل ابن آدم وأجله وأمله (٢٨٧٧) من طريق أبي الزناد عن عبد الرحمن الأعرج عن أبي هريرة به نحوه .

[١] - في خ : « وأنبتت » .

[٢] - الذي في صحيح مسلم : « فشربوا منها وسقوا ورعوا » . وفي صحيح البخاري : « فشربوا وسقوا وزرعوا » .

[٣] - سقط من المسند .

[٤] - في ز : حوله .

[٥] - في خ : « جعل الله » .

[٦] - في خ : « ويغلبهن » .

[٧] - في خ : « ويقتحمن » . وفي المسند فتتقحَّمُ .

[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

يخبر تعالىٰ عن مآل السعداء والأشقياء ، فقال : ﴿ **للذين استجابوا لربهم** ﴾ أي : أطاعوا اللَّه ورسوله ، وانقادوا لأوامره ، وصدقوا أخباره الماضية والآتية ، فلهم ﴿ **الحسنى**[١] ﴾ وهو الجزاء الحسن ، كقوله تعالىٰ مخبرًا عن ذي القرنين أنه قال : ﴿ **أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلىٰ ربه فيعذبه عذابا نكرًا * وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنىٰ وسنقول له من أمرنا يسرًا** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **للذين أحسنوا الحسنىٰ وزيادة** ﴾ .

وقوله : ﴿ **والذين لم يستجيبوا له** ﴾ أي : لم يطيعوا اللَّه ﴿ **لو أن لهم ما في الأرض جميعًا** ﴾ أي : في الدار الآخرة لو أن يمكنهم أن يفتدوا من عذاب اللَّه بملء الأرض ذهبًا ومثله معه لافتدوا به ، ولكن لا يتقبل منهم ؛ لأنه تعالىٰ لا يقبل منهم يوم القيامة صرفًا ولا عدلًا ﴿ **أولئك لهم سوء الحساب** ﴾ أي : في الدار الآخرة ، أي : يناقشون علىٰ النقير والقطمير والجليل والحقير ، «**ومن نوقش الحساب عذب**»(٦٦) ، ولهذا قال : ﴿ **ومأواهم جهنم وبئس المهاد** ﴾ .

﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾

يقول تعالىٰ : لا يستوي من يعلم من الناس أن الذي ﴿ **أنزل إليك** ﴾ يا محمد ﴿ **من ربك** ﴾ هو الحق الذي لاشك فيه ولا مرية ، ولا لبس فيه ولا اختلاف فيه ، بل هو كله[٢] حق يصدق بعضه بعضًا ، لا يضاد شيء منه شيئًا آخر ، فأخباره كلها حق ، وأوامره ونواهيه عدل ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وتمت كلمة**[٣] **ربك صدقًا وعدلًا** ﴾ أي : صدقًا في الإِخبار ، وعدلًا في الطلب ، فلا يستوي من تحقق صدق ما جئت به يا محمد ، ومن هو أعمىٰ لا يهتدي إلىٰ خير ولا يفهمه ، ولو فهمه ما انقاد له ولا صدقه ولا اتبعه ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون** ﴾ وقال في هذه[٤] الآية الكريمة : ﴿ **أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى** ﴾ أي : أفهذا كهذا ؟ لا استواء .

---

(٦٦) - **صحيح** ، صح ذلك مرفوعًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم . ويأتي تخريجه (سورة الإنشقاق / آية).

---

[١] - في خ : « الحسن » .
[٢] - في خ : « كلمة » .
[٣] - في خ : « كلمات » .
[٤] - سقط من : خ .

وقوله : ﴿ إنما يتذكر أولو الألباب ﴾ [أي : إنما يتعظ ويعتبر ويعقل][١] أولو العقول السليمة الصحيحة ، جعلنا الله منهم .

﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عمن اتصف بهذه الصفات الحميدة : بأن لهم عقبىٰ الدار ، وهي العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة .

﴿ الذين [يوفون بعهد الله و][٢] لا ينقضون الميثاق ﴾ وليسوا كالمنافقين الذين « إذا عاهد أحدهم غدر ، وإذا خاصم فجر ، وإذا حدث كذب ، وإذا اؤتمن خان »(٦٧) .

﴿ والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ﴾ من صلة الأرحام ، والإحسان إليهم وإلىٰ الفقراء والمحاويج ، وبذل المعروف ﴿ ويخشون ربهم ﴾ أي : فيما يأتون وما يذرون من الأعمال ، يراقبون الله في ذلك ، ويخافون سوء الحساب في الدار الآخرة ، فلهذا أمرهم علىٰ السداد والاستقامة في جميع حركاتهم وسكناتهم ، وجميع أحوالهم القاصرة والمتعدية .

﴿ والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم ﴾ أي : عن المحارم والمآثم ففطموا أنفسهم عنها لله - عز وجل - ابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه ﴿ وأقاموا الصلاة ﴾ بحدودها ومواقيتها وركوعها وسجودها وخشوعها ، علىٰ الوجه الشرعي المرضي ﴿ وأنفقوا مما رزقناهم ﴾ أي : علىٰ الذين يجب عليهم الإنفاق لهم ؛ من زوجات[٣] وقرابات وأجانب ، من فقراء ومحاويج ومساكين ﴿ سرًا وعلانية ﴾ أي : في السر والجهر ، لم يمنعهم من ذلك حال من

(٦٧) - نص حديث يأتي برقم (٧٢،٧٣) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في خ : « زوجاتهم » .

الأحوال ، في[١] آناء الليل وأطراف النهار ﴿ **ويدرءون بالحسنة السيئة** ﴾ أي : يدفعون القبيح بالحسن ، فإذا آذاهم أحد قابلوه بالجميل صبرًا واحتمالا وصفحًا وعفوًا ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم * وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم** ﴾ ولهذا قال مخبرًا عن هؤلاء السعداء المتصفين بهذه الصفات الحسنة : بأن لهم عقبىٰ الدار ، ثم فسر ذلك بقوله ﴿ **جنات عدن** ﴾ والعدن : الإقامة ، أي : جنات إقامة يخلدون فيها .

وعن عبد اللَّه بن عمرو(٦٨) أنه قال : إن في الجنة قصرًا يقال له عدن ، حوله البروج والمروج ، فيه خمسة آلاف باب علىٰ كل باب خمسة آلاف حِبَرة ، لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد . وقال الضحاك في قوله : ﴿ **جنات عدن** ﴾ مدينة الجنة فيها الرسل والأنبياء والشهداء وأئمة الهدي ، [والناس حولهم بعد والجنات][٢] حولها . رواهما ابن جرير .

وقوله : ﴿ **ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم** ﴾ أي : يجمع بينهم وبين أحبابهم فيها ؛ من الآباء والأهلين والأبناء ، ممن هو صالح لدخول الجنة من المؤمنين ؛ لتقرّ أعينهم بهم ، حتىٰ أنه ترفع درجة الأدنىٰ إلىٰ درجة الأعلىٰ [من غير تنقيص للأعلىٰ عن درجته][٣] بل امتنانًا من اللَّه وإحسانًا ، ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم[٤] بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم[٥]** ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ **والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبىٰ الدار** ﴾ أي : وتدخل عليهم الملائكة من هٰهنا ومن هٰهنا للتهنئة بدخول[٦] الجنة ، فعند

(٦٨) - أخرجه ابن جرير (٢٠٣٤٢/١٦) حدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحاق قال ثنا على بن جرير ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن يعلى بن عطاء عن نافع بن عاصم عن عبد الله بن عمرو فذكره ، قال الشيخ محمود شاكر « وهذا إسناد صحيح إلى عبد الله بن عمرو ، لولا ما فيه من جهالة « على بن جرير » - انظر الأثر المتقدم برقم (٣٠) وهو موقوف على عبد الله بن عمرو ، لم أجد من رفعه » .

قلت : أخرجه البزار (١٥٩١/٢- كشف) ، (١٢٤٠/١- مختصر الزوائد) - ومن طريقه أبو نعيم في كتاب « العادلين » ومن طريق أبي نعيم الديلمي في مسنده - كما في « تخريج أحاديث العادلين » للسخاوي (ص٦٩) - من طريق آخر عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا وقال البزار « لا نعلمه يروى عن =

[١] - في خ : « من » .

[٢] - وقع في تفسير ابن جرير : « والناس حولها بعدد الجنات » وما في الدر المنثور (١٠٨/٤) يوافق ما هٰهنا وزاد نسبته إلى أبي الشيخ .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - في خ : « ذرياتهم » .

[٥] - في خ : « ذرياتهم » .

[٦] - في خ : « ودخول » .

دخولهم إياها تفد عليهم الملائكة مسلمين ، مهنئين لهم بما حصل لهم من اللّٰه من التقريب والإنعام ، والإقامة في دار السلام في جوار الصديقين والأنبياء والرسل الكرام .

وقال الإمام أحمد رحمه اللّٰه (٦٩) : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثني سعيد بن أبي أيوب ، حدثنا معروف بن سويد الجذامي ، عن أبي عُشَّانة المَعَافِري ، عن عبد اللّٰه بن عمرو ابن العاص - رضي اللّٰه عنهما - عن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، أنه قال : « **هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق اللّٰه ؟** » قالوا : اللّٰه ورسوله أعلم . قال : « **أول من يدخل الجنة من خلق اللّٰه الفقراء و[١]المهاجرون ، الذين تُسَدّ بهم الثُّغور ، وتتقى بهم المكارِهُ ، ويموت أحدُهم وحاجتُه في صدره لا يستطيع لها قَضَاءً ، فيقول اللّٰه تعالىٰ لمن يشاء من ملائكته : ائتوهم فَحَيُّوهُم . فتقول الملائكة : نحن سُكَّانُ سمائِك وخِيَرَتُك من خلقك ، أفتأمُرُنا أن نأتيَ هؤلاء فَنُسَلِّمَ عليهم ؟ فيقول : إنهم كانوا عبادًا يعبدونني لا يشركون بي شيئًا ، وتُسَدُّ بهم الثُّغور وتتقىٰ[٢] بهم المكاره ، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء - قال - فتأتيهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب ﴿ سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبىٰ الدار ﴾** » .

ورواه أبو القاسم الطبراني (٧٠) : عن أحمد بن رشدين[٣] ، عن أحمد بن صالح ، عن

= عبد الله بن عمرو إلا من هذا الوجه » قال الهيثمي في « المجمع » (١٩٩/٥) : « وفيه عبد الله بن مسلم بن هرمز وهو ضعيف » والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١٠٧/٤) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٦٩) - **صحيح** ، معروف بن سويد ترجم له البخاري في « التارخ الكبير » (٤٤٤/٧) وابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٣٢٣/٨) ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلًا ووثقه ابن حبان (٤٩٩/٧) وقد روى عنه جماعة من « الثقات » ولذلك قال الذهبي في « الكاشف » (١٦٢/٣) : « ثقة » وقد توبع كما يأتي وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي عشانة - وهو ابن يؤمن - روى له أصحاب السنن وهو ثقة .

والحديث في « المسند » (٦٥٧٠) (١٦٨/٢) وأخرجه ابن أبي عاصم في « الأوائل » (٥٧) وعبد بن حميد في « المنتخب » (٣٥٢) والبزار (٤/٣٦٦٥- كشف) وأبو نعيم في « الحلية » (٣٤٧/١) وفي « صفة الجنة » (٨١) والبيهقي في « البعث والنشور » (٤١٤) كلهم من طريق أبي عبد الرحمن المقرئ به وصححه ابن حبان (٧٤٢١/١٦ - إحسان) ، (٢٥٦٥/٨ - موارد) ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٦٢/١٠) وقال : « رواه أحمد والبزار والطبراني ... ورجالهم ثقات » وزاد نسبته السيوطي (١٠٩/٤) إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه وانظر ما بعده .

(٧٠) - **صحيح** ، رجاله ثقات : غير أحمد بن رشدين شيخ الطبراني وهو أحمد بن محمد بن الحجاج ، قال ابن عدي : كذبوه وأنكرت عليه أشياء ، وقال ابن أبي حاتم : سمعت منه بمصر ولم أحدث عنه لما =

[١] - زيادة من المسند .

[٢] - في المسند : فتتقى .

[٣] - في خ : « رشد » .

عبد اللَّه بن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن أبي عشانة ، سمع عبد اللَّه بن عمرو ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **أول ثلة[١] يدخلون الجنة فقراء المهاجرين ، الذين تتقى بهم المكاره ، وإذا أمروا سمعوا وأطاعوا ، وإن كانت لرجل منهم حاجة إلىٰ سلطان لم تقض حتىٰ يموت وهي في صدره ، وإن اللَّه يدعو يوم القيامة الجنة فتأتي بزخرفها وزينتها ، فيقول : أين عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي وجاهدوا في سبيلي ؟ ادخلوا الجنةبغير عذاب ولا حساب وتأتي الملائكة فيسجدون ويقولون : ربنا نحن [نسبح بحمدك][٢] الليل والنهار ، ونقدس لك ، من هؤلاء الذين آثرتهم علينا ؟ فيقول الرب عز وجل : هؤلاء عبادي الذين جاهدوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي . فتدخل عليهم الملائكة من كل باب ﴿ سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبىٰ الدار ﴾** .

وقال عبد اللَّه بن المبارك : عن بقية بن الوليد ، حدثنا أرطاة بن المنذر ، قال : سمعت رجلًا من مشيخة الجند يقال له أبو الحجاج ، يقول : جلست إلىٰ أبي أمامة فقال : إن المؤمن ليكون متكئًا علىٰ أريكته إذا دخل الجنة ، وعنده سِمَاطان من خَدَمٍ ، وعند طرف السماطين بابٌ مبوَّبٌ ، فيقبل الملك فيستأذن ، فيقول أقصىٰ الخدم للذي يليهِ : ملك يستأذن ، ويقول الذي يليه للذي يليه : ملك يستأذن ، حتىٰ يبلغ المؤمن ، فيقول : ائذنوا ، فيقول : أقربهم للمؤمن : ائذنوا له ، ويقول الذي يليه للذي يليه : ائذنوا له ، [فكذلك][٣] حتىٰ يبلغ أقصاهم الذي عند الباب ، فيفتح له فيدخل فيسلم ثم ينصرف . رواه ابن جرير(٧١) .

ورواه ابن أبي حاتم : من حديث إسماعيل بن عياش ، عن أرطاة بن المنذر ، عن أبي الحجاج[٤] يوسف الألهاني ، قال : سمعت أبا أمامة فذكر نحوه .

= تكلموا فيه . وقال ابن يونس : كان من حفاظ الحديث ؛ وقال مسلمة : حدثنا عنه غير واحد وكان ثقة عالمًا بالحديث (انظر « الميزان » (٥٣٨/١) و « اللسان » (٨١٣/١)) قلت : وقد توبع ، فأخرجه ابن جرير (٤/ ٢١٦/سورة آل عمران / آية ١٩٥) والحاكم (٧١/٢-٧٢) والبيهقي في « الشعب » (١٠٣٨٠/٧) من طرق عن عبد الله بن وهب به وقال الحاكم : « صحيح الإسناد » ووافقه الذهبي وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٦٢/١٠) وقال : « رجال الطبراني رجال الصحيح غير أبي عُشانة وهو ثقة » وأخرجه أحمد (٦٥٧١) (١٦٨/٢) ثنا حسن ثنا ابن لهيعة ثنا أبو عُشَّانة به نحوه ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١٩٨/٤/ آل عمران / ١٩٨) إلى أبي الشيخ ، وانظر ما قبله .

(٧١) - تفسير ابن جرير (٢٠٣٤٤/١٦) - والحديث رواه ابن المبارك - كما في « زوائد الزهد » لنعيم بن حماد (٢٣٧) وأبو الحجاج هذا أو أبو الضحاك . لا يعرف حاله .

[١] - في خ : « ثلاثة » .
[٢] - في خ : « نسبحك » .
[٣] - زيادة من ابن جرير .
[٤] - كذا ومثله في تفسير ابن جرير ، وأفاد الشيخ محمود شاكر أنه « أبو الضحاك » لا « أبو الحجاج » استنادًا إلى ما في « الجرح والتعديل » ، « والتاريخ الكبير » للبخاري .

وقد جاء في الحديث(٧٢) أن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم كان يزور قبور الشهداء في رأس كل حول ، فيقول لهم : « **سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبىٰ الدار** » . وكذلك أبو بكر وعمر وعثمان .

﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾

هذا حال الأشقياء وصفاتهم ، وذكر ما لهم في الدار الآخرة ، ومصيرهم إلىٰ خلاف ما صار إليه المؤمنون ، كما أنهم اتصفوا بخلاف صفاتهم في الدنيا ، فأولئك كانوا يوفون بعهد اللّه ويصلون ما أمر اللّه به أن يوصل ، وهؤلاء : ﴿ **ينقضون عهد اللّه من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر اللّه به أن يوصل ويفسدون في الأرض** ﴾ كما ثبت في الحديث(٧٣) : « **آية المنافق ثلاث ؛ إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان** » . [وفي رواية (٧٤) : « و][١] **إذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر** » . ولهذا قال : ﴿ **أولئك لهم اللعنة** ﴾ وهي الإبعاد عن الرحمة ﴿ **ولهم سوء الدار** ﴾ وهي سوء العاقبة والمآل ﴿ **ومأواهم جهنم وبئس المهاد** ﴾ .

وقال أبو العالية في قوله [تعالى :﴿ و][٢] **الذين ينقضون عهد اللّه** ﴾ الآية ، قال : هي ست خصال في[٣] المنافقين ، إذا كان فيهم الظهرة علىٰ الناس أظهروا هذه الخصال ؛ إذا حدثوا كذبوا ، وإذا وعدوا أخلفوا ، وإذا ائتمنوا خانوا ، ونقضوا عهد اللّه من بعد ميثاقه ،

---

(٧٢) - **ضعيف** ، أخرجه ابن جرير (٢٠٣٤٥/١٦) حدثني المثنى قال : حدثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن إبراهيم بن محمد عن سهيل بن أبي صالح عن محمد بن إبراهيم قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي قبور الشهداء ... فذكره هكذا مرسلًا ، وأخرجه عبد الرزاق في « المصنف » (٦٧١٦/٣) عن رجل من أهل المدينة عن سهيل بن أبي صالح به ووصله البيهقي في « الدلائل » (٣٠٦/٣) ومن طريقه ذكره المصنف في « البداية والنهاية » (٥١/٤) من طريق موسى بن يعقوب عن عباد بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة به مرفوعًا ، وعباد بن أبي صالح - ويقال عبد الله بن أبي صالح - لين الحديث ، كما في « التقريب » - وموسى بن يعقوب « صدوق سيئ الحفظ » وعزاه السيوطي (١٠٩/٤) إلى ابن المنذر وابن مردويه من حديث أنس .

(٧٣) - تقدم تخريجه (سورة البقرة / آية ١٧٧) .

(٧٤) - تقدم تخريجه (سورة البقرة / آية ١٧٧) .

---

[١] - في خ : « في رواية » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في خ : « من » .

وقطعوا ما أمر اللَّه به أن يوصل ، وأفسدوا في الأرض ، وإذا كانت الظهرة عليهم أظهروا الثلاث خصال : إذا حدثوا كذبوا ، وإذا وعدوا أخلفوا وإذا اؤتمنوا خانوا .

﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا مَتَـٰعٌ ﴿٢٦﴾ ﴾

يذكر تعالىٰ : أنه هو الذي يوسع الرزق علىٰ من يشاء ، ويُقتِّره علىٰ من يشاء ، لما له في ذلك من الحكمة والعدل ، وفرح هؤلاء الكفار بما أوتوا في الحياة الدنيا استدراجًا لهم وإمهالًا ، كما قال : ﴿ **أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين * نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون** ﴾ .

ثم حقر الحياة الدنيا بالنسبة إلىٰ ما ادخره تعالىٰ لعباده المؤمنين في الدار الآخرة ، فقال : ﴿ **وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع** ﴾ ، كما قال : ﴿ **قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقىٰ ولا تظلمون فتيلًا** ﴾ وقال : ﴿ **بل تؤثرون الحياة الدنيا * والآخرة خير وأبقى** ﴾ وقال الإمام أحمد(٧٥) : حدثنا وكيع ، ويحيىٰ بن سعيد ، قالا : حدثنا اسماعيل ابن أبي خالد ، عن قيس ، عن المستورد[١] أخي بني فهر قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه في اليم ، فلينظر بم ترجع** » . وأشار بالسبابة . رواه مسلم في صحيحه .

وفي الحديث الآخر(٧٦) : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم مر بِجَدْيٍ أَسَكٍّ ميت - والأسك : الصغير الأذنين - فقال : « **واللَّه للدنيا أهون علىٰ اللَّه من هذا علىٰ أهله حين ألقوه** » .

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ

(٧٥) - **صحيح** « المسند » (١٨٠٦٣،١٨٠٦٩) (٢٢٨/٤،٢٢٩) وأخرجه أيضًا (١٨٠٦٤، ١٨٠٦٧) (٢٢٩/٤) ومسلم : كتاب : الجنة وصفة نعيمهما وأهلها ، باب : فناء الدنيا ، وبيان الحشر يوم القيامة ، (٥٥) (٢٨٥٨) والترمذي ، كتاب : الزهد ، باب : قياس الدنيا بالنسبة للآخرة (٢٣٢٤) ، والنسائي في الرقاق من الكبرى - كما في تحفة الأشراف (١١٢٥٥) (٣٧٥/٨) - وابن ماجة كتاب : الزهد ، باب : مثل الدنيا (٤١٠٨) من طرق عن إسماعيل بن أبي خالد به .

(٧٦) - أخرجه مسلم ، فاتحة كتاب الزهد والرقائق (٢) (٢٩٥٧) ، وأبو دواد ، كتاب : الطهارة ، باب : ترك الوضوء من مس الميتة (١٨٦) ، وأحمد (١٤٩٧٣) (٣٦٥/٣) من حديث جابر بن عبد اللَّه .

[١] - في خ : « المسور » .

وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾

يخبر تعالىٰ عن قيل المشركين ﴿ **لولا** ﴾ أي : هلا ﴿ **أنزل عليه آية من ربه** ﴾ كقولهم[١] : ﴿ **فليأتنا بآية كما أرسل الأولون** ﴾ وقد تقدم الكلام علىٰ هذا غير مرة ، وأن الله قادر علىٰ إجابة ما سألوا ، وفي الحديث (٧٧) : إن الله أوحىٰ إلىٰ رسوله لما سألوه أن يحول لهم الصفا ذهبًا ، وأن يجري لهم ينبوعًا ، وأن يزيح الجبال من حول مكة فيصير مكانها مروج وبساتين : إن شئت يا محمد أعطيتهم ذلك ، فإن كفروا فإني أعذبهم عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين ، وإن شئت فتحت عليهم باب التوبة والرحمة ، فقال : « **بل تفتح لهم باب التوبة والرحمة** » . ولهذا قال لرسوله : ﴿ **قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب** ﴾ أي[٢] : هو المضل والهادي ، سواء بعث الرسول بآية علىٰ وفق ما اقترحوا ، أو لم يجبهم إلىٰ سؤالهم ، فإن الهداية والإضلال ليس منوطًا بذلك ولا عدمه ، كما قال : ﴿ **وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون** ﴾ ، وقال : ﴿ **إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون * ولو جاءتهم كل آية حتىٰ يروا العذاب الأليم** ﴾ ، وقال : ﴿ **ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتىٰ وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون** ﴾ ، ولهذا قال : ﴿ **قل[٣] إن الله يضل من يشاء ويهدي من أناب** ﴾ أي : ويهدي إليه من أناب إلىٰ الله ، ورجع إليه[٤] واستعان به وتضرع لديه .

﴿ **الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله** ﴾ أي : تطيب وتركن إلىٰ جانب الله ، وتسكن عند ذكره ، وترضىٰ به مولىٰ ونصيرًا ، ولهذا قال : ﴿ **ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ﴾ أي : هو حقيق بذلك .

وقوله[٥] : ﴿ **الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبىٰ لهم وحسن مآب** ﴾ قال ابن أبي

---

(٧٧) - صحيح ، (تقدم / الإسراء / آية ٥٩) .

---

[١] - في خ : « فقالوا » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - سقط من : خ .

طلحة ، عن ابن عباس : فرحٌ وقُرَّةُ عينٍ(٧٨) . وقال عكرمة : نِعْمَ ما لهم .

وقال الضحاك : غبطةٌ لهم .

وقال إبراهيم النخعي : خيرٌ لهم .

وقال قتادة : هي كلمة عربية يقول الرجل : طوبىٰ لك ، أي : أصبت خيرًا . وقال في رواية : ﴿ **طوبىٰ لهم** ﴾ : حُسْنَىٰ لهم .

﴿ **وحسن مآب** ﴾ أي : مرجع .

وهذه الأقوال شيء واحد لا منافاة بينها .

وقال سعيد بن جبير(٧٩) ، عن ابن عباس ﴿ **طوبىٰ لهم** ﴾ قال : هي أرض [الجنة بالحبشية][١] .

وقال سعيد بن مسجوح[٢] : طوبىٰ اسم الجنة بالهندية . وكذا روىٰ السدي عن عكرمة ﴿ **طوبىٰ لهم** ﴾ أي : الجنة . وبه قال مجاهد .

وقال العوفي(٨٠) ، عن ابن عباس : لما خلق اللّٰه الجنة وفرغ منها ، قال : ﴿ **الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبىٰ لهم وحسن مآب** ﴾ وذلك حين أعجبته .

وقال ابن جرير(٨١) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن شهر بن حوشب قال : (طوبى) ، شجرة في الجنة ، كل شجر الجنة منها ، أغصانها من وراء سور الجنة .

وهكذا رُوى عن أبي هريرة(٨٢) ، وابن عباس ، ومغيث بن سُمَيٍّ ، وأبي إسحاق السبيعي

---

(٧٨) - أخرجه ابن جرير (٢٠٣٦٩/١٦) وزاد نسبته السيوطي (١١٠/٤) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ .

(٧٩) - أخرجه ابن جرير (٢٠٣٧٤/١٦، ٢٠٣٧٥) .

(٨٠) - أخرجه ابن جرير (٢٠٣٨١/١٦) والعوفي ضعيف .

(٨١) - تفسير ابن جرير (٢٠٣٨٥/١٦) وشيخ ابن جرير وهو محمد بن حميد الرازي ، حافظ ضعيف .

(٨٢) - يأتي تخريجه برقم (٩١) .

---

[١] - في خ: « الحبشة » .

[٢] - وقيل : ابن مشجوج ، وقيل : ابن مسجوع ، هكذا جاء مختلفًا في المخطوطة عند ابن جرير أفاده الشيخ شاكر في نسخته . (١٦ /٢٠٣٧٦) . وأثبت ابن مشجوج .

وغير واحد من السلف : أن طوبى شجرة في الجنة ، في كل دار منها غصن منها .

وذكر بعضهم أن الرحمن تبارك وتعالى غَرَسها بيده من حبة لؤلؤة ، وأمرها أن تمتد ، فامتدت إلى حيث يشاء الله تبارك وتعالى ، وخرجت من أصلها ينابيع أنهار الجنة ، من عسل وخمر وماء ولبن . وقد قال عبد الله بن وهب(٨٣) : حدثنا عمرو بن الحارث ، أن دَرَّاجًا أبا السَّمْح حدثه ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدرى -رضي الله عنه- [مرفوعًا : (طوبى) : شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها .

وقال الإمام أحمد(٨٤) : حدثنا حسن بن موسى ، سمعت عبد الله بن لهيعة ، حدثنا دَرَّاج أبو السمح ، أن أبا الهيثم حدثه ، عن أبي سعيد الخدري][١] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن رجلًا قال : [يا رسول الله][٢] ، طوبى لمن رآك وآمن بك . قال : « **طوبى لمن رآني وآمن بي ، ثم طوبى ، ثم طوبى ، ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني**[٣] **. قال له رجل : وما طوبى؟ قال : شجرة في الجنة مسيرة مائة عام ، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها** .

وروى البخاري ومسلم جميعًا(٨٥) ، عن إسحاق بن راهويه ، عن مغيرة المخزومي ، عن وُهَيْب ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **إن في الجنة شجرةً يسير الراكب في ظلها مائةَ عامٍ لا يقطَعُهَا** » قال : فَحَدّثت به النعمان بن أبي عياش الزّرَقَى ، فقال : حدثني أبو سعيد الخُدْري ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم قال : « **إن في الجنة شجرة يسير الراكبُ الجَوَادَ المُضَمَّرَ السريعَ مائةَ عامٍ ما يقطعُها** » .

---

(٨٣) - **إسناده ضعيف وهو صحيح**، أخرجه ابن جرير (٢٠٣٩٥/١٦) وابن أبي داود في « البعث » (٦٨) ، وابن حبان في صحيحه (٧٤١٣/١٦) - وهو في « الموارد » (٢٦٢٥/٨) - والآجري في « الشريعة » (٦٦٦/٢) من طرق عن ابن وهب به ، وهذا إسناد ضعيف ، لضعف دراج لاسيما في روايته عن أبي الهيثم لكن له شواهد يصح بها ، انظر « الصحيحة » للألباني (١٩٨٥/٤) ، وانظر ما بعده .

(٨٤) - **كسابقه** « المسند » (١١٦٩٠) (٣/٧٠-٧١) وأبو يعلى (١٣٧٤/٢) والخطيب في « تاريخ بغداد » (٩١/٤) من طريق ابن لهيعة به ، ولجزئه الأول شواهد ، انظرها في « الصحيحة » للألباني (١٢٤١/٣) ، وانظر ما قبله .

(٨٥) - أخرجه البخاري ، كتاب : الرقاق ، باب : صفة الجنة والنار (٦٥٥٢،٦٥٥٣) ، ومسلم ، كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : إن في الجنة شجرة .... (٢٨٢٧،٢٨٢٨) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ت . [٢] - في خ : « لرسول الله » .

[٣] - في ت : « يراني » .

وفي صحيح البخاري[٨٦] ، من حديث يزيد بن زُرَيع ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس رضى اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم في قول اللَّه : ﴿**وظل ممدود**﴾ قال : « **في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها** » .

وقال الإمام أحمد[٨٧] : حدثنا سريج ، حدثنا فليح ، عن هلال بن عليّ ، عن عبد الرحمن بن أبي عمرة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة**[١] ، **اقرءوا إن شئتم : ﴿وظل ممدود﴾** » . أخرجاه في الصحيحين .

وقال أحمد أيضًا[٨٨] : حدثنا محمد بن جعفر وحجاج قالا : حدثنا شعبة ، سمعت أبا الضحاك يحدث عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلى اللَّه عليه وسلم أنه قال : « **إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين - أو : مائة سنة - هي شجرة الخلد** » .

وقال محمد بن إسحاق ، عن يحيي بن عباد بن عبد اللَّه بن الزبير ، عن أبيه ، عن أسماء بنت أبي بكر رضي اللَّه عنها قالت : سمعت رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، وذكر سِدْرَةَ المُنْتهى ، قال : « **يسيرُ في ظل الفَنَن**[٢] **منها الراكبُ مائة سنة - أو : قال - يستظِلّ**

(٨٦) - أخرجه البخاري ، كتاب : بدء الخلق ، باب : ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (٣٢٥١) ، دون ذكر الآية ، وكذلك أخرجه أحمد (٣/١١٠،١٨٥،٢٠٧،٢٣٤) من طرق عن قتادة به ، دون ذكر الآية أيضًا ، وأخرجه عبد بن حميد في « المنتخب » (١١٨٣) وعنه الترمذي : كتاب : تفسير القرآن ، باب : « ومن سورة الواقعة » (٣٢٨٩) وأحمد (٣/١٦٤) عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة بنحو لفظ « المصنف » وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح » .

(٨٧) - **صحيح** « المسند » (٢/٤٨٢) وأخرجه البخاري ، كتاب : بدء الخلق ، باب : ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (٣٢٥٢) وأخرجه أحمد (٢/٢٥٧،٤١٨) والبخاري ، كتاب : التفسير ، باب : « وظل ممدود » (٤٨٨١) ، ومسلم ، كتاب : الجنة وصفة نعيمها ... باب : إن في الجنة شجرة ... (٧) (٢٨٢٦) وأخرجه أحمد (٢/٤٥٢) ، ومسلم (٦/٢٨٢٦) والترمذي ، كتاب : صفة الجنة ، باب : ما جاء في صفة شجر الجنة (٢٥٢٥) والنسائي في « التفسير » من « الكبرى » (٦/١١٥٦٤) من طريق أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة به نحوه وانظر ما بعده .

(٨٨) - « المسند » (٢/٤٥٥،٤٦٢) وأخرجه الطيالسي (٢٥٤٧) وعبد بن حميد في « المنتخب » (١٤٥٧) والدارمي (٢٨٤٢) وابن ماجة في « التفسير » - كما في تهذيب الكمال « (٣٣/٤٣٣) وابن جرير (٢٧/١٨٣) وأبو نعيم في « صفة الجنة » (٣/رقم ٤٠٣) من طرق عن شعبة به في بعض الروايات « مائة عام » بغير شك ، وشيخ شعبة ، قال فيه أبو حاتم « لا أعلم روى عنه غير شعبة » « الجرح والتعديل » (٩/٣٩٥) وقال الذهبي في « الميزان » (٦/ت١٠٣٢٥) : « حدث عنه شعبة ، لا يعرف ، لكن شيوخ شعبة جياد » ، وانظر ما قبله .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في خ : « الغصن » .

في الفنن منها مائة راكب، فيها فراش الذهب، كأن ثمرها القِلالُ»(٨٩) رواه الترمذي.

وقال إسماعيل بن عياش(٩٠)، عن سعيد بن يوسف، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلام الأسود قال: سمعت أبا أمامة الباهلي قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: **«ما منكم من[١] أحد يدخل الجنة إلا انطلق به إلى طوبى، فتفتح له أكمامها، يأخذ[٢] من أي ذلك شاء، إن شاء أبيض، وإن شاء أحمر، وإن شاء أصفر،وإن شاء أسود، مثل شقائق النعمان وأرق وأحسن».**

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير(٩١): حدثنا محمد بن عبد الأعلى، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن أشعث بن عبد الله، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: طوبى شجرة في الجنة، يقول الله لها: **«تفتَّقي لعبدي عمّا شاء؛ فتفتق له عن الخيل بسروجها ولجمها، وعن الإبل بأزمتها، وعما شاء من الكسوة».**

وقد روى ابن جرير(٩٢) عن وهب بن منبه هٰهنا أثرًا غريبًا عجيبًا، قال وهب رحمه الله: إن في الجنة شجرة يقال لها: «**طوبى**»، يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، زهرها رياط، وورقها بُرود، وقضبانها عنبر، وبطحاؤها ياقوت، وترابها كافور، ووحَلَها مسك،

(٨٩) - **حسن** «الجامع» للترمذي كتاب: صفة الجنة، باب: ما جاء في صفة ثمار أهل الجنة (٢٥٤٤) ثنا أبو كريب ثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق به وأخرجه أبو يعلى - كما في «النهاية» للمصنف (٢/٤٢٠-٤٢١) - والطبراني في «الكبير» (٢٤/٢٣٤)، وابن جرير (٢٧/٥٤) النجم آية ١٤) وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٣/٤٣٥) من طريق يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق به وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح» وصححه الحاكم على شرط مسلم (٢/٤٦٩) ووافقه الذهبي، قلت: ومسلم لم يخرج ليحيى بن عباد شيئًا، وأخرج لمحمد بن إسحاق متابعة ثم إنه مدلس وقد عنعن، إلا أنه صرح بالتحديث عند هناد في «الزهد» (١/رقم١١٥) أضف إلى ذلك أن الزبير بن بكار أفاد في «جمهرة أنساب قريش»، (صـ ٧٦) أنه كان مكثر الحديث عن شيخه يحيى بن عباد.

(٩٠) - **إسناده ضعيف**، أخرجه ابن أبي الدنيا - كما في «حادى الأرواح» لابن القيم (ص ٢٩١ - ٢٩٢) - ثنا محمد بن إدريس الحنظلي، ثنا أبو عتبة ثنا إسماعيل بن عياش به، وذكره المصنف في «النهاية» (٢/٤٤٧) وقال: «غريب حسن» وسعيد بن يوسف - وهو الرَّحبيّ -، قال أحمد ليس بشيء وضعفه ابن معين والنسائي. ويحيى بن أبي كثير مشهور بالتدليس، والحديث عزاه السيوطي (٤/ ١١٢) إلى ابن أبي شيبة في «صفة الجنة» وابن أبي حاتم.

(٩١) - تفسير ابن جرير (١٦/٢٠٣٨٤) وأخرجه أيضًا (٢٠٣٨٦) من طريق آخر وعبد الرزاق في تفسيره (٢/٣٣٦) عن معمر به، وشهر بن حوشب ضعفه جماعة، ووثقه آخرون، والأثر زاد نسبته السيوطي (٤/ ١١١) إلى ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٩٢) - تفسير ابن جرير (١٦/٢٠٣٩٠).

[١] - سقط من خ.

[٢] - في خ: «فيأخذ».

يخرج من أصلها أنهار الخمر واللبن والعسل، وهي مجلس لأهل الجنة؛ فبينا هم في مجلسهم إذ أتتهم ملائكة من ربهم يقودون نُجُبًا مزمومة بسلاسل من ذهب، وجوهها كالمصابيح حسنًا[١]، ووبرها كخز المِرْعِزي من لينه، عليها رحال ألواحها من ياقوت، ودفوفها من ذهب، وثيابها من سندس وإستبرق، [فينيخونها ويقولون][٢] : «**إن ربنا أرسلنا إليكم لتزوروه وتسلموا عليه**». قال: فيركبونها، فهي أسرع من الطائر، وأوطأ من الفراش، نُجبًا من غير مَهَنة، يسير الرجل إلى جنب أخيه وهو يكلمه ويناجيه، لا تصيب أذُنُ راحلة منها أذنَ الأخرى، ولا [بَرْك راحلة][٣] برك الأخرى][٤]، حتى إن الشجرة لتتنحّى عن طريقهم[٥]؛ لئلا تفرق بين الرجل وأخيه، قال: فيأتون إلى الرحمن الرحيم فيسفر لهم عن وجهه الكريم حتى ينظروا إليه، فإذا رأوه قالوا: «**اللهم، أنت السلام ومنك[٦] السلام، وحق لك الجلال والإكرام**». قال: فيقول تبارك تعالى: [عند ذلك][٧] : «**أنا السلام ومني السلام، وعليكم حقت رحمتي ومحبتي، مرحبًا بعبادي الذين خشوني بغيب وأطاعوا أمري**». قال: فيقولون: «**ربنا إنا[٨] لم نعبدك حق عبادتك، ولم نقدرك حق قَدرك، فأذن لنا في السجود قُدامك**». قال: فيقول الله: «**إنها ليست بدار نصب ولا عبادة، ولكنها دار مُلْك ونعيم، وإني قد رفعت عنكم نَصَب العبادة، فسلوني ما شئتم، فإن لكل رجل منكم أمنيته**». فيسألونه، حتى إن أقصرهم أمنية ليقول: «**رب، تنافس أهل الدنيا في دنياهم فتضايقوا فيها، رب فآتني مثل كل شيء كانوا فيه من يوم خلقتها إلى أن انتهت الدنيا**». فيقول الله تعالى: «**لقد قصرت بك أمنيتك، ولقد سألت دون منزلتك، هذا لك مني، [وسأتحفك بمنزلتي][٩] ، لأنه ليس في عطائي نكد ولا تَصْريدٌ**». قال: ثم يقول: «**اعرضوا على عبادي ما لم يبلغ أمانيهم، ولم يخطر لهم على بال**». قال: فيعرضون عليهم حتى [تَقْصر بهم[١٠]][١١] أمانيهم التي في أنفسهم، فيكون فيما يعرضون عليهم براذين[١٢] مُقرَّنة، على كل أربعة منها سرير من ياقوتة واحدة، على كل سرير منها قبة من ذهب مُفرغة، في كل قبة منها فُرش من فُرش الجنة مُتظاهرة، في كل

---

[١] - في ابن جرير: من حسنها.

[٢] - في خ: «فيفتحونها يقولون».

[٣] - في خ: «يزل راحلة».

[٤] - كذا في ابن جرير، ورجح العلامة / محمود شاكر أنه مصحف من [ولا ورك راحلة ورك صاحبتها].

[٥] - في ابن جرير: طرقهم.

[٦] - في خ: «وإليك».

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.

[٨] - زيادة من ابن جرير.

[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

[١٠] - سقط من: خ.

[١١] - في ابن جرير: يقضوهم.

[١٢] - في خ: «برادين».

قبة منها جاريتان من الحور العين ، على كل جارية منهن ثوبان من ثياب الجنة ، وليس في الجنة لون إلا وهو فيهما ، ولا ريح طيبة[١] إلا قد [عبقتا به ، ينفذ ضوء][٢] وجوههما غلظ القبة ، حتى يظن من يراهما أنهما دون القبة ، يرى مخهما من فوق سوقهما ، كالسلك الأبيض في[٣] ياقوتة حمراء ، يريان له من الفضل على صاحبته كفضل الشمس على الحجارة أو أفضل ، ويرى هو لهما مثل ذلك ، ويدخل إليهما فيحييانه ويقبلانه [ويتعلقان به][٤] ، ويقولان له : « **والله ما ظننا أن الله يخلق مثلك** » . ثم يأمر الله تعالى الملائكة فيسيرون بهم صفًّا في الجنة ، حتى ينتهي بكل رجل منهم إلى منزلته التي أعدت له .

وقد روى هذا الأثر ابن أبي حاتم بسنده(٩٣) ، عن وهب بن منبه ، وزاد : فانظروا إلى موهوب ربكم الذي وهب لكم ، فإذا هو بقباب في الرفيق الأعلى ، وغُرف مبنية من الدر والمرجان ، وأبوابها من ذهب ، وسررها من ياقوت ، وفرشها من سندس وإستبرق ، ومنابرها من نور ، يَفُور من أبوابها وعراصها[٥] نور مثل شعاع الشمس ، عنده مثل الكوكب الدري في النهار المضيء ، وإذا بقصور شامخة في أعلى عليين من الياقوت يزهو نورها ، فلولا أنه مسخر إذا لالتمع الأبصارَ ، فما كان من تلك القصور من الياقوت الأبيض[٦] ، فهو مفروش [بالحرير الأبيض ، وما كان فيها من الياقوت الأحمر فهو مفروش بالعبقري الأحمر ، وما كان فيها من الياقوت الأخضر ، فهو مفروش][٧] بالسندس الأخضر ، وما كان فيها[٨] من الياقوت الأصفر ، فهو مفروش بالأرجوان الأصفر[٩] منزه[١٠] بالزمرد الأخضر ، والذهب الأحمر ، والفضة البيضاء ، قوائمها[١١] وأركانها من الجوهر ، وشُرُفها قباب من لؤلؤ ، وبروجها غُرَف من المرجان ، فلما انصرفوا إلى ما أعطاهم ربهم قُرّبت لهم براذين من ياقوت أبيض ، منفوخ فيها الروح ، تجنبها الولدان المخلدون ، بيد كل وليد منهم حَكَمة برذون من تلك البراذين ، ولجمها وأعنتها من فضة بيضاء ، منظومة بالدر والياقوت ، سُروجها سرُرٌ موضونة ، مفروشة بالسندس والإستبرق ، فانطلقت بهم تلك البراذين تَزِفُّ بهم ببطن[١٢]

---

(٩٣) - وأورده السيوطي في « الدر المنثور » (٤/١١٣-١١٤) .

---

[١] - في خ : « طلبت » .
[٢] - في خ : « عبقت بتعرض » .
[٣] - في ابن جرير : من .
[٤] - في ابن جرير : يعانقانه .
[٥] - في الدر المنثور (٤/١١٤) : « وأعراصها » .
[٦] - في خ : « الأحمر » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٨] - في خ : « منها » .
[٩] - في خ : « الأحمر » .
[١٠] - في ابن أبي حاتم : مبوبة .
[١١] - في ابن أبي حاتم : « قواعدها » .
[١٢] - في الدر : « وتطأ » .

رياض الجنة. فلما انتهوا إلى منازلهم، وجدوا الملائكة قُعُودًا على منابر من نور، ينتظرونهم ليزوروهم ويصافحوهم ويهنئوهم كرامَةَ ربهم. فلما دخلوا قصورهم وجدوا فيها جميع ما تَطَاولَ به عليهم وما سألوا وتمنوا، وإذا على باب كل قصر من تلك القصور أربعة جنان، جنتان[١] ذواتا أفنان، وجنتان مُدْهامتان، وفيهما عينان نضاختان، وفيهما من كل فاكهة زوجان، وحور مقصورات في الخيام، فلما تَبَيَّنوا[٢] منازلهم واستقروا قرارهم قال لهم ربهم: هل وجدتم ما وعدتكم حقًا؟ قالوا: نَعَم، ورَبنا. قال: هل رضيتم ثواب ربكم؟ قالوا: ربنا، رضينا فارض عنا. قال: برضاي[٣] عنكم حللتم داري، ونظرتم إلى وجهي، وصافحتكم[٤] ملائكتي، فهنيئًا هنيئًا لكم، ﴿عطاء غير مجذوذ﴾، ليس فيه تنغيص ولا تصريد. فعند ذلك قالوا: الحمد للَّه الذي أذهب عنا الحزن، وأدخلنا دار المقامة من فضله، لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب، إن ربنا لغفور شكور.

وهذا سياق غريب، وأثر عجيب ولبعضه شواهد، ففي الصحيحين(٩٤): أن اللَّه تعالى يقول لذلك الرجل الذي يكون آخر أهل الجنة دخولًا الجنة: «**تمنّ**»، فيتمنى، حتى إذا انتهت به الأماني يقول اللَّه تعالى: «**تمنّ من كذا، وتَمَنّ من كذا**» يذكره ثم يقول: «**ذلك لك، وعشرة أمثاله**».

وفي صحيح مسلم(٩٥)، عن أبي ذر عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم، عن اللَّه - عز وجل -: «**يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، قاموا في صعيد واحد، فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك من ملكي شيئًا، إلا كما ينقص المخْيَطُ إذا أدخل في البحر**»... الحديث بطوله.

وقال خالد بن معدان: إن في الجنة شجرة يقال لها: طوبى، لها[٥] ضروع كلها تُرضع صِبيانَ أهل الجنة، وإن سَقَط المرأة يكون في نهر من أنهار الجنة، يتقلب فيه حتى تقوم القيامة، فيبعث ابن أربعين سنة. رواه ابن أبي حاتم(٩٦).

(٩٤) - أخرجه البخاري، كتاب: الأذان، باب: فضل السجود (٨٠٦)، ومسلم: كتاب: الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية (٢٩٩) (١٨٢)، وأحمد (٢/٢٧٥، ٢٩٣، ٥٣٤) ضمن حديث الرؤية الطويل من مسند أبي هريرة وأبي سعيد، وأخرجه مختصرًا النسائي (٢/٢٢٩) وفي الكبرى (٦/ ١١٤٨٨، ١١٦٣٧) وابن ماجة (٤٣٢٦).

(٩٥) - تقدم تخريجه (يونس / آية ٤٤).

(٩٦) - وزا نسبته السيوطي في «الدر المنثور» (٤/١١٢) إلى ابن أبي الدنيا في «العزاء».

[١] - سقط من: خ.

[٢] - في الدر: «تبوأوا».

[٣] - في خ: «رضاى».

[٤] - في الدر: «وصافحتم».

[٥] - سقط من: خ.

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَـٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَـٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾

يقول تعالى: وكما أرسلناك يا محمد في هذه الأمة ﴿لتتلو عليهم الذى أوحينا إليك﴾، أي: تبلغهم رسالة الله إليهم، كذلك أرسلنا في الأمم الماضية الكافرة بالله، وقد كُذّب الرسل من قَبلك، فلك فيهم أسوة، وكما أوقعنا بأسنا ونقمتنا بأولئك، فليحذر هؤلاء من حلول النقم بهم، فإن تكذيبهم لك أشدّ من تكذيب غيرك من المرسلين، قال الله تعالى: ﴿تالله[١] لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم، ولهم عذاب أليم﴾ وقال تعالى: ﴿ولقد كُذّبت رسل من قبلك، فصَبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا، ولا مبدّل لكلمات الله، ولقد جاءك من نبأ المرسلين﴾، أي: كيف نصرناهم، وجعلنا العاقبة لهم ولأتباعهم في الدنياوالآخرة.

وقوله: ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾، أي: هذه الأمة[٢] التي بعثناك فيهم يكفرون بالرحمن، لا يقرون به، لأنهم كانوا يأنفون[٣] من وصف الله بالرحمن الرحيم، ولهذا أنفوا يوم الحديبية أن يكتبوا «بسم الله الرحمن الرحيم» وقالوا: ما ندري ما الرحمن الرحيم؟ قاله[٤] قتادة، والحديث في صحيح البخاري (٩٧)، وقد قال الله تعالى: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيًا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾، وفي صحيح مسلم (٩٨) عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن».

---

(٩٧) - صحيح البخاري كتاب: الشروط، باب: الشروط في الجهاد ... (٢٧٣١، ٢٧٣٢) - وانظر أطرافه عند رقم (١٦٩٤) - وأخرجه أحمد (١٨٩٦٣، ١٨٩٨١) (٣٢٣/٤، ٣٢٨) وأبو داود (٢٧٦٥، ٤٦٥٥)، والنسائي (١٦٩/٥، ١٧٠) من حديث المسور بن مخرمة.

(٩٨) - صحيح مسلم كتاب: الآداب، باب: النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء (٢) (٢١٣٢) وأخرجه أيضًا أحمد (٢٤/٢) وأبو داود، كتاب: الأدب، باب: في تغير الأسماء (٤٩٤٩)، والترمذي كتاب: الأدب، باب: ما جاء ما يستحب من الأسماء (٢٨٣٥، ٢٨٣٦) وابن ماجه كتاب: الأدب، باب: ما يستحب من الأسماء (٣٧٢٨).

---

[١] - سقط من: خ.

[٢] - سقط من: خ.

[٣] - في خ: «يأبون».

[٤] - في خ: «قال».

﴿قل هو ربي لا إله إلا هو﴾ ، [أي : هذا الذي تكفرون به أنا مؤمن به معترف مقر له بالربوبية والإلهية هو ربي لا إله إلا هو][١] ، ﴿عليه توكلت﴾ ، أي[٢] : في جميع أموري ، ﴿وإليه متاب﴾ ، أي : إليه أرجع وأنيب ، فإنه لا يستحق ذلك أحد سواه .

وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾

يقول تعالى مادحًا للقرآن الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم ، ومفضلا له على سائر الكتب المنزلة قبله : ﴿ولو أن قرآنًا سيرت به الجبال﴾ ، [أي : لو كان في الكتب الماضية كتاب تسير به الجبال][٣] عن أماكنها ، أو تقطع به الأرض وتنشق ، أوتكلم به الموتى في قبورها ، لكان هذا القرآن هو المتصف بذلك دون غيره ، أو[٤] بطريق الأولى أن يكون كذلك ، لما فيه من الإعجاز الذي لا يستطيع الإنس[٥] والجن عن آخرهم إذا اجتمعوا أن يأتوا بمثله ، ولا بسورة من مثله ، ومع هذا فهؤلاء المشركون كافرون به جاحدون له ، ﴿[بل لله][٦] الأمر جميعًا﴾ ، أي : مرجع الأمور كلها إلى الله -عز وجل- ، ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، ومن يضلل الله[٧] فلا هادي له ، ومن يهد الله [فلا مضل له][٨] .

وقد يطلق اسم القرآن على كل من الكتب المتقدمة ، لأنه مشتق من الجميع[٩] ، قال الإمام أحمد(٩٩) :

حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة قال :

(٩٩) - صحيح « المسند » (٣١٤/٢) ، وأخرجه البخاري ، كتاب : الأنبياء ، باب : قوله تعالى ﴿ وآتينا داود زبورًا ﴾ (٣٤١٧) حدثنا عبد الله بن محمد ثنا عبد الرزاق به ، ويذكره المصنف (سورة الإسراء / آية ٥٥) من طريق آخر للبخاري .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - في ت : « أبو » .
[٥] - في خ : « الإنسان » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في خ : « فلله » .
[٧] - سقط من : ت .
[٨] - في خ : « فما له من مضل » .
[٩] - في خ : « الجمع » .

قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم: «**خففَت[١] على داود – عليه السلام – القراءة ، فكان[٢] يأمر بدابته [أن تُسرج][٣] ، فكان يقرأ القرآن من[٤] قبل أن تُسرج دابته ، وكان لا يأكل إلا من عمل يديه** » . انفرد بإخراجه البخاري .

والمراد بالقرآن هنا الزبور .

وقوله : ﴿**أفلم ييأس الذين آمنوا**﴾ ، أي : من إيمان جميع الخلق ويعلموا أو يتبينوا ﴿**أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعًا**﴾ ، فإنه ليس ثَمّ حجة ولا معجزة أبلغ ولا أنجع في النفوس والعقول من هذا القرآن ، الذي لو أنزله الله على جبل لرأيته خاشعًا متصدعًا من خشية الله ، وثبت في الصحيح(١٠٠) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **ما من نبي إلا وقد أوتي ما آمن على مثله البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة** » ، معناه أن معجزة كل نبي انقرضت بموته ، وهذا القرآن حجة باقية على الآباد ، لا تنقضي عجائبه ، ولا يَخْلَقُ عن كثرة الردّ ، ولا يشبع منه العلماء ، هو الفصل ليس بالهزل . من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله .

وقال ابن أبي حاتم(١٠١) : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا منجاب بن الحارث ، أنبأنا بشر بن عمارة ، حدثنا عمر بن حسان ، عن عطية العوفي قال : قلت له : ﴿**ولو أن قرآنا سيرت به الجبال**﴾... الآية قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم : لو سيرت لنا جبال مكة حتى تتسع فنحرث فيها ، أو قطعت لنا الأرض كما كان سليمان يقطع لقومه بالريح ،أو أحييت لنا الموتى كما كان عيسى يحيي الموتى لقومه؟ فأنزل الله هذه الآية . قال : قلت : هل ترون هذا الحديث عن أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال : نعم ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وكذا روى عن[٥] ابن عباس(١٠٢) ، والشعبي ، وقتادة ، والثوري ، وغير واحد في سبب

---

(١٠٠) – **صحيح** ، تقدم تخريجه (سورة يونس / آية ٣٨) .

(١٠١) – عطية العوفي ، وبشر بن عمارة ضعيفان ، والحديث زاد نسبته السيوطي (١١٧/٤) إلى أبي الشيخ وابن مردويه .

(١٠٢) – أخرجه ابن جرير (٢٠٣٩٩/١٦) من طريق عطية العوفي أيضًا عنه بنحو السابق ، وعزاه السيوطي إلى ابن مردويه .

---

[١] – سقط من : خ .

[٢] – في المسند : « وكان » .

[٣] – في المسند : « فتسرج » .

[٤] – ساقطة من المسند .

[٥] – سقط من : ت .

نزول هذه الآية ، فالله أعلم .

وقال قتادة : لو فعل هذا بقرآن غير قرآنكم ، فُعل بقرآنكم .

وقوله : ﴿**بل لله الأمر جميعًا**﴾ ، قال ابن عباس (١٠٣) : لا يصنع من ذلك إلا ما يشاء ، ولم يكن ليفعل . رواه ابن إسحاق بسنده عنه ، وقاله ابن جرير أيضًا .

وقال غير واحد من السلف في قوله : ﴿**أفلم ييأس الذين آمنوا**﴾ ، أفلم يعلم الذين آمنوا . وقرأ آخرون ، (**أفلم يتبين الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعًا**) .

[وقال أبو العالية : قد يئس الذين آمنوا أن يهدوا ، ولو يشاء الله لهدى الناس جميعًا][١] .

وقوله : ﴿**ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبًا من دارهم**﴾ ، أي : بسبب تكذيبهم لا تزال القوارع تصيبهم في الدنيا ، أو تصيب من حولهم ليتعظوا ويعتبروا ، كما قال تعالى : ﴿**ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون**﴾ ، وقال : ﴿**أفلا**[٢] **يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون**﴾ .

قال قتادة ، عن الحسن : ﴿**أوتحل قريبًا من دارهم**﴾ ، أي القارعة . وهذا هو الظاهر من السياق .

وقال أبو داود الطيالسي (١٠٤) : حدثنا المسعودي ، عن قتادة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : ﴿**ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة**﴾ ، قال : سرية ، ﴿**أوتحل قريبًا من دارهم**﴾ ، قال : محمد صلى الله عليه وسلم ، ﴿**حتى يأتي وعد الله**﴾ ، قال : فتح مكة .

وهكذا قال عكرمة ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، في رواية .

(١٠٣) - لم أهتد إليه .

(١٠٤) - **حسن** ، أخرجه من طريقه ابن جرير (٢٠٤١٨/١٦) وأخرجه البيهقي في « الدلائل » (١٦٨/٤) من طريق عاصم بن علي عن المسعودي به ، والمسعودي - واسمه عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود - صدوق لكنه اختلط ، وقد سمع منه الطيالسي وعاصم بن علي بعد الاختلاط ، لكن رواه ابن جرير (٢٠٤١٩/١٦، ٢٠٤٢٠) من طريق وكيع وأبو قطن عمرو بن الهيثم عنه به وكلاهما سمع منه قبل الاختلاط (انظر « الكواكب النيرات » (ص ٢٨٢)) ، وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١١٩) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٢] - في خ : « أفلم » .

وقال العوفي(١٠٥)، عن ابن عباس: ﴿تصيبهم بما صنعوا قارعة﴾، قال: عذاب من السماء ينزل عليهم - ﴿أو تحل قريبًا من دارهم﴾، يعنى نزول رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم بهم وقتاله إياهم.

وكذا قال مجاهد، وقتادة، وقال عكرمة في رواية عنه، عن ابن عباس: ﴿قارعة﴾، أي: نكبة.

كلهم قال: ﴿حتى يأتي وعد اللَّه﴾، يعني فتح مكة. وقال الحسن البصري: يوم القيامة.

وقوله: ﴿إن اللَّه لا يخلف الميعاد﴾ أي: لا ينقض[١] وعده لرسله بالنصرة لهم ولأتباعهم في الدنيا والآخرة، ﴿فلا[٢] تحسبن اللَّه مخلف وعده رسله إن اللَّه عزيز ذو انتقام﴾.

وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾

يقول تعالى مسليًا لرسوله صلى اللَّه عليه وسلم في تكذيب من كذبه من قومه: ﴿ولقد استهزئ برسل من قبلك﴾، أي: فلك فيهم أسوة، ﴿فأمليت للذين كفروا﴾، أي: أنظرتهم وأجلتهم، ﴿ثم أخذتهم﴾ أخذةً رابية، فكيف بلغك ما صنعت بهم وعاقبتهم؟، كما قال تعالى: ﴿وكأين[٣] من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإليّ المصير﴾، وفي الصحيحين(١٠٦): «إن اللَّه ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»، ثم قرأ رسول اللَّه، صلى اللَّه عليه وسلم: ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾.

أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ

(١٠٥) - أخرجه ابن جرير (٢٠٤٢٣٢/١٦)، والعوفي ضعيف، وزاد نسبته السيوطي (١٩/٤) إلى ابن مردويه.

(١٠٦) - صحيح، تقدم تخريجه (سورة هود / آية ١٩).

[١] - في خ: «ينقص».
[٢] - في خ: «ولا».
[٣] - في ت: «كأين».

تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَم بِظَٰهِرٖ مِّنَ ٱلۡقَوۡلِۗ بَلۡ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكۡرُهُمۡ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾

يقول تعالى: ﴿**أفمن هو قائم على كل نفس [بما كسبت]**[١] ﴾، أي: حفيظ عليم رقيب على كل نفس منفوسة، يعلم ما يعمل العاملون من خير وشر، ولا يخفى عليه خافية، ﴿**وما تكون في شأن، وما تتلو منه من قرآن، ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودًا إذ تفيضون فيه**﴾، وقال تعالى: ﴿**وما تسقط من ورقة إلا يعلمها**﴾، وقال: ﴿**وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين**﴾، وقال: ﴿**سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار**﴾، وقال: ﴿**يعلم السر وأخفي**﴾، وقال: ﴿**وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير**﴾... أفمن هو هكذا كالأصنام التي يعبدونها، لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل، ولا تملك[٢] نفعًا لأنفسها ولا لعابديها، ولا كشف ضر عنها ولا عن عابديها؟ وحذف هذا الجواب اكتفاء بدلالة السياق عليه، وهو قوله: ﴿**وجعلوا لله شركاء**﴾، أي: عبدوها معه، من أصنام وأنداد وأوثان.

﴿**قل سموهم**﴾، أي: أعلمونا بهم، واكشفوا عنهم حتى يُعرَفوا، فإنهم لا حقيقة لهم، ولهذا قال: ﴿**أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض**﴾، أي: لا وجود له؛ لأنه لو كان له وجود في الأرض لعلمه، لأنه لا تخفى عليه خافية.

﴿**أم بظاهر من القول**﴾ - قال مجاهد: بظن من القول.

وقال الضحاك وقتادة: بباطل من القول.

أي: إنما عبدتم هذه الأصنام بظن منكم أنها تنفع وتضر، وسميتموها آلهة، ﴿**إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى**﴾.

﴿**بل زين للذين كفروا مكرهم**﴾، قال مجاهد: قولهم. أي: ما هم عليه من الضلال والدعوة إليه آناء الليل وأطراف النهار كما قال تعالى: ﴿**وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم، وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس، إنهم كانوا خاسرين**﴾.

---

[١] - سقط من: خ. [٢] - سقط من: خ.

﴿وَصَدّوا عن السبيل﴾، من قرأها بفتح الصاد، معناه أنهم لما زين لهم ما هم[١] فيه وأنه حق دَعوا إليه[٢] وصَدّوا الناس عن اتباع طريق الرسل، ومن قرأها: ﴿وصُدّوا﴾، أي: بما زين لهم من صحة ما هم عليه صُدّوا به عن سبيل الله، ولهذا قال: ﴿ومن يضلل الله فما له من هاد﴾، كما قال: ﴿ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئًا﴾ وقال: ﴿إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدى من يضل، وما لهم من ناصرين﴾.

لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ۞ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾

ذكر تعالى عقاب الكفار وثواب الأبرار: فقال بعد إخباره عن حال المشركين وما هم عليه من الكفر والشرك: ﴿لهم عذاب في الحياة الدنيا﴾، أي: بأيدي المؤمنين قتلًا وأسرًا، ﴿ولعذاب الآخرة﴾، أي: المدّخر مع هذا الخزي في الدنيا ﴿أشق﴾، أي: من هذا بكثير كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتلاعنين(١٠٧): «إن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة». وهو كما قال - صلوات الله وسلامه عليه - فإن عذاب الدنيا له انقضاء، وذاك دائم أبدًا في نار هي بالنسبة إلى هذه سبعون ضعفًا ووثاق لا يتصور كثافته وشدته، كما قال تعالى: ﴿فيومئذ لا يعذب عذابه أحد. ولا يوثق وثاقه أحد﴾، وقال تعالى: ﴿وأعتدنا لمن كذّب بالساعة سعيرًا * إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظًا وزفيرًا * وإذا ألقوا منها مكانًا ضيقًا مقرنين دعوا هنالك ثبورًا * لا تدعوا اليوم ثبورًا واحدًا وادعوا ثبورًا كثيرًا * قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرًا﴾.

ولهذا قرن هذا بهذا، فقال: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾، أي: صفتها ونعتها، ﴿تجرى من تحتها الأنهار﴾، أي: سارحة في أرجائها وجوانبها، وحيث شاء أهلها، يفجرونها تفجيرًا، أي: يصرفونها كيف شاءوا وأين شاءوا كما قال تعالى: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماءً حميمًا فقطع أمعاءهم﴾.

---

(١٠٧) - يأتي تخريجه (سورة النور / آية رقم ١٠).

---

[١] - سقط من: ت.

[٢] - في خ: « الله ».

وقوله: ﴿**أكلها دائم وظلها**﴾، أي: فيها المطاعم[١] والفواكه والمشارب، لا انقطاع ولا فناء.

وفي الصحيحين(١٠٨)، من حديث ابن عباس في صلاة الكسوف، وفيه قالوا[٢]: قالوا: يا رسول الله؛ رأيناك تناولتَ شيئًا في مقامك هذا، ثم رأيناك تَكَعْكَعت[٣] فقال: «**إني رَأيت الجنة - أو: أريت الجنة - فتناولت منها عنقودًا، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا**».

وقال الحافظ أبو يعلى(١٠٩): حدثنا أبو خيثمة، حدثنا عبدالله بن جعفر، حدثنا عبيد الله، حدثنا أبو عقيل، عن جابر قال: بينما نحن في صلاة الظهر، إذ تقدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فتقدمنا، ثم تناول شيئًا ليأخذه ثم تأخر. فلما قضى الصلاة قال له أبيُّ بن كعب: يا رسول الله، صنعت اليوم في الصلاة شيئًا ما رأيناك كنت تصنعه. فقال: إني عرضت عليَّ الجنة وما فيها من الزهرة والنضرة، فتناولت منها قطْفًا من عنب لآتيكم به، فحيل بيني وبينه، ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لا يَنْقُصُونه».

وروى مسلم(١١٠) من حديث أبي الزبير، عن جابر، شاهدًا لبعضه.

(١٠٨) - أخرجه البخاري، كتاب: الكسوف، باب: صلاة الكسوف جماعة (١٠٥٢) - وانظر أطرافه عند رقم (٢٩) - ومسلم، كتاب: الكسوف ،باب: ما عرض على النبي صلى الله عليه وسلم - في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار (١٧) (٩٠٧) - من طريق مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابن عباس به وهو في «الموطأ» كتاب: صلاة الكسوف: باب: العمل في صلاة الكسوف (٢) ومن طريقه أحمد (٢٩٨/١،٣٥٨) وأبو داود (١١٨٩) والنسائي (١٤٦/٣) مطولاً ومختصرًا، وأخرجه مسلم أيضًا من طريق حفص بن ميسرة عن زيد بن أسلم به.

(١٠٩) - لم أقف عليه في المطبوع من مسنده، وسيعيده المصنف - كما هنا - في (سورة الواقعة) وأخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» (١٠٣٦) وأحمد (١٤٨٤٣) (٣٥٢/٣)، (٢١٣٢٩) (١٣٧/٥) - ومن طريقه اختاره الضياء في «المختارة» (١١٩٣/٣) - من طرق ثلاثة عن عبيد الله بن عمرو به، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٩٠/٢-٩١) وقال: «رواه أحمد - ولم يعزه لأبي يعلى - وروى عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بمثله، وفي الإسنادين عبد الله بن محمد بن عقيل وفيه ضعف وقد وثق» قلت: وحديث أبيٍّ الذي أشار إليه الهيثمي، أخرجه أحمد أيضًا (٢١٣٣٠) (١٣٨/٥) - ومن طريقه الضياء (١١٩٤) - والحاكم (٦٠٤/٤-٦٠٥) عن عبيد الله بن عمرو عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن الصفيل بن أبي بن كعب عن أبيه بنحوه وقال الحاكم: «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي، وانظر بعده.

(١١٠) - صحيح مسلم كتاب: الكسوف، باب: ما عرض على النبي صلى الله عليه وسلم في =

[١] - في خ: «الطعام». [٢] - زيادة من: ت.
[٣] - في خ: «تكعلت».

وعن عتبة بن عبدٍ السلمي : أن أعرابيًا سأل النبي صلى اللّٰه عليه وسلم عن الجنة ، فقال : فيها عنب ؟ «**قال : نعم**» ، قال : فما عظَم العنقود ؟ قال : « **مسيرة شهر للغراب الأبقع ولا يفتر** » . رواه أحمد(١١١) .

وقال الطبراني(١١٢) : حدثنا معاذ بن المثنى ، حدثنا علي بن المديني ، حدثنا ريحان بن سعيد ، عن عباد بن منصور ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أبي أسماء ، عن ثوبان قال : قال رسول اللّٰه ، صلى اللّٰه عليه وسلم : «**إن الرجل إذا نزع ثمرة[١] من الجنة عادت مكانها أخرى**» .

وعن جابر بن عبد اللّٰه قال : قال رسول اللّٰه ، صلى اللّٰه عليه وسلم : « **يأكل أهل الجنة ويشربون ولا يتمخطون[٢] ولا يتغوّطون ولا يبولون ، طعامهم جُشَاء كريح المسك ، ويلهمون التسبيح والتقديس كما يلهمون النفس** » ، رواه مسلم(١١٣) .

= صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار ، (٩٠٤/٩) ، وأخرجه أيضًا أحمد (١٥٠٦١) (٣٧٤/٣) وأبو داود (١١٧٩) ، والنسائي (١٣٦/٣) من طريق أبي الزبير عن جابر ببعضه ، وانظر ما قبله .

(١١١) - **صحيح** ، « المسند » (١٧٦٩٣) (١٨٤/٤) مطولًا وأخرجه ابن جرير (٢٠٣٩٣/١٦) ، والطبراني في « الكبير » (١٧/رقم ٣١٢٣١٣) وفي « الأوسط » (٤٠٢/١) - ومن طريقه أبو نعيم في « صفة الجنة » (٣٤٦/٢) ، والفسوي في « المعرفة والتاريخ » (٣٤١/٢-٣٤٢) ، والبيهقي في « البعث » (٢٧٤) وابن عبد البر في « التمهيد » (٣٢٠/٣-٣٢١) مطولًا ومختصرًا ، وصححه ابن حبان (٦٤٥٠/١٤) ، (١٦/ ٧٤١٦،٧٤١٤،٧٢٤٧) ، وفي إسناده عامر بن زيد البكالي قال الهيثمي في « المجمع » (٤١٧/١٠) : « ذكره ابن أبي حاتم - (٦/ت ٧٩٢) - ولم يجرحه ولم يوثقه ، وبقية رجاله ثقات » قلت : وكذا ذكره البخاري في « التاريخ الكبير » (٤٥٢/٦) ، ووثقه ابن حبان « الثقات » (١٩١/٥) وقال ابن كثير في « نهاية البداية » (١٥٧/٢) : « قال الحافظ الضياء لا أعلم لهذا الإسناد - إسناد الطبراني - علة » وأخرج ابن أبي عاصم في « السنة » (٧١٦،٧١٥/٢) جزءًا من الحديث الطويل بنفس الإسناد غير أنه وقع عنده عمرو بن زيد البكالي وأفاد الألباني نقلًا عن ابن حجر أن عمرًا هذا صحابي (وذهب الألباني : إلى أن عامرًا محرف أو خطأ من بعض الرواة ثم قال : « وغاية ما في الأمر أن الرواة اختلفوا في اسمه » .

(١١٢) - **إسناده ضعيف** ، « المعجم الكبير » (١٤٤٩/٢) ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٤١٧/١٠) وقال : « رواه الطبراني والبزار ... ورجال الطبراني وأحد إسنادي البزار ثقات » ويعيده المصنف (سورة الواقعة / آية ٢١) وذكره في « صفة الجنة » كما هنا وقال : « قال الحافظ الضياء : عباد تكلم فيه بعض العلماء » قلت : ضعفه ابن المديني وابن معين والنسائي وقال أبو زرعة : لين وقال ابن سعد : ضعيف له أحايث منكرة ، ومع ضعفه فهو مدلس وقد عنعن ، والراوي عنه : صدوق ربما أخطأ كما في « التقريب » وأروده الألباني في « ضعيف الجامع الصغير » (١٤٤٦/١).

(١١٣) - **صحيح** ، تقدم تخريج (سورة يونس / آية ١٠) .

[١] - ساقطة من المطبوع من المعجم « الكبير ». [٢] - في ت : « يمتخطون » .

وروى الإمام أحمد والنسائي(١١٤) ، من حديث الأعمش، عن ثمامة[١] بن عقبة، سمعت زيد بن أرقم قال: جاء رجل من أهل الكتاب فقال: يا أبا القاسم، تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟ قال: «**نعم، والذي نفس محمد بيده، [إن الرجل منهم][٢] ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة** » . قال: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة، وليس في الجنة أذى؟ قال: « **حاجة أحدهم رشح يفيض من جلودهم، كريح[٣] المسك، فيضمر بطنه** » .

وقال الحسن بن عرفة(١١٥) : حدثنا خلف بن خليفة، عن حميد الأعرج، عن عبد[٤] الله ابن الحارث عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال لي[٥] رسول الله صلى الله

(١١٤) - **إسناده صحيح** ، أخرجه أحمد (١٩٣٢٤،١٩٣٦٩) (٣٦٧/٤،٣٧١) والنسائي في « التفسير » (١١٤٧٨/٦) والمروزي في زيادات « الزهد » لابن المبارك (١٤٥٩) وابن أبي شيبة في « المصنف » (٨/ ٧٣/ رقم ٤١) وهناد في « الزهد » (٦٢/١،٩٠) وعبد بن حميد في « المنتخب » (٢٦٣) والدارمي في « السنن » (٢٨٢٨) والبزار (٣٥٢٢/٣،٣٥٢٣- كشف) وصححه ابن حبان (٧٤٢٤/١٦) ، والطبراني في « الكبير (١٧٧/٥،١٧٨) وفي « الأوسط » (١٧٢٢/٢) (٨٨٧٦/٨) وأبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٣١٦) (١١٦/٨) وفي « صفة الجنة » (٣٢٩/٣) والبيهقي في « البعث » (٣١٧) والمزي في « تهذيب الكمال » ((٤٠٨/٤) ترجمة / ثمامة بن عقبة) كلهم من طرق عن الأعمش به وأخرجه الطبراني في « الكبير » (٥/رقم ٥٠١٠) و « الأوسط » (٧٧٤١/٧) من طريق هارون بن سعد عن ثمامة به نحوه وسمى الرجل الذي سأله « ثَعْلَبة بن الحارث » ، وذكره الهيثمي في (٤١٩/١٠) بالروايتين - وقال: « رواه كله الطبراني في الأوسط وفي الكبير بنحوه وأحمد ... ورواه البزار ورجال أحمد والبزار رجال الصحيح غير ثمامة بن عقبة وهو ثقة » وذكره المصنف في « صفة الجنة » (٨٦) ونقل عن الضياء المقدسي قال: « هذا عندي على شرط مسلم ، لأن ثمامة ثقة ، وقد صرح بسماعه من زيد بن أرقم » .

(١١٥) - **إسناده ضعيف ، لضعف حميد الأعرج** . الحسن بن عرفة في جزئه (صـ ٥٣) (٢٢) ومن طريقه البزار في مسنده (٢٠٣٢/٥) والمروزي في زوائد « الزهد » لابن المبارك (١٤٥٢) والبيهقي في « البعث » (٣١٨) ، وأخرجه ابن أبي الدنيا في « صفة الجنة » (٣٢٩) وأبو يعلى - كما في « المطالب العالية » (١٠/ ٥٢٠٠) - ومن طريقه ابن عدي في « الكامل » ((٦٨٩/٢) ت : حميد الأعرج) - والعقيلي في « الضعفاء » (٢٦٨/١) ، والهيثم بن كليب في مسنده (٨٥٨) وأبو نعيم في « صفة الجنة » (٣٤١/٣) ، والمروزي والبيهقي ، من طرق عن خلف بن خليفة به وذكره الهيثمي في « المجمع » (٤١٧/١٠) وقال : « رواه البزار وفيه حميد بن عطاء الأعرج وهو ضعيف » قلت : ضعفه أحمد ووهاه أبو زرعة وقال الدارقطني والذهبي : « متروك » وقال ابن حبان : « يروى عن ابن الحارث ، عن ابن مسعود ، نسخة موضوعة » . وعبد الله بن الحارث لم يسمع من ابن مسعود شيئًا ، قاله على بن المديني « جامع التحصيل » للعلائي (ص ٢٠٨) . =

[١] - في ز : « تمام » . والمثبت من مصادر التخريج .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - في خ : « كرشح » .

[٤] - في خ : « عبيد » .

[٥] - سقط من : خ .

عليه وسلم: « **إنك لتنظر إلى الطير في الجنة، فيخر بين يديك مشويًّا** ».

وجاء في بعض الأحاديث(١١٦): أنه إذا فُرغ منه عاد طائرًا [كما كان][١] بإذن الله تعالى.

وقد قال تعالى: ﴿**وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة**﴾، وقال: ﴿**ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلًا**﴾.

وكذلك ظلها لا يزول ولا يقلص، كما قال تعالى: ﴿**والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا لهم فيها أزواج مطهرة، وندخلهم ظلًّا ظليلًا**﴾.

وقد تقدم في الصحيحين(١١٧) من غير وجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « **إن في الجنة شجرة يسير الراكب المجد الجواد المضمر السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها** »، ثم قرأ: ﴿**وظل ممدود**﴾.

وكثيرًا ما يقرن الله تعالى[٢] بين صفة الجنة وصفة النار، ليرغب في الجنة ويحذّر من النار، ولهذا لما ذكر صفة الجنة بما ذكر، قال بعده: ﴿**تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار**﴾، كما قال تعالى: ﴿**لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة، أصحاب الجنة هم الفائزون**﴾.

وقال بلال بن سعد خطيب دمشق في بعض خطبه: [عباد الله][٣]، هل جاءكم مخبر يخبركم أن شيئًا من عبادتكم تُقُبلت منكم، أو أن شيئًا من خطاياكم غفرت لكم؟ ﴿**أفحسبتم[٤] أنما خلقناكم عبثًا وأنكم إلينا لا ترجعون**﴾، والله لو عُجّل لكم الثواب في

= والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » ((٦/٢٢٠) سورة الواقعة / آية ٢١) إلى ابن مردويه والحديث يذكره المصنف (سورة ق آية ٣٥، سورة الواقعة آية ٢١).

(١١٦) - ورد ذلك من حديث أبي سعيد الخدري عند هناد في « الزهاد » (١/١١٩) وإسناده ضعيف، وعنده أيضًا (١١٨) عن الحسن مرسلًا، وفي الباب عن ابن مسعود عند ابن مردويه - كما في « الدر المنثور » (٦/٢٢١) - وعن ميمونة عند ابن أبي الدنيا - كما في « الدر المنثور » و «الترغيب والترهيب » للمنذري (٤/٥٢٧) - وعن كعب الأحبار موقوفًا يأتي (سورة الواقعة/آية ٢١) وعن مُغيث بن سمى من قوله عند هناد (١٢٠) وابن المبارك (زيادات نعيم ٢٦٨) وأبو نعيم في « الحلية » (٦/٦٨).

(١١٧) - **صحيح** تقدم برقم (٨٥) وانظر أيضًا رقم (٨٦،٨٧).

[١] - سقط من: خ.
[٢] - سقط من: خ.
[٣] - في خ: « عباد الرحمن ».
[٤] - في خ: « أم حسبتم ».

الدنيا لاستقللتم كلكم ما افترض عليكم، أو ترغبون في طاعة اللَّه لتعجيل دنياكم، ولا تنافسون في جنة ﴿أكلها دائم وظلها، تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار﴾. رواه ابن أبي حاتم(١١٨).

﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾

يقول تعالى: ﴿والذين آتيناهم الكتاب﴾، وهم قائمون بمقتضاه، ﴿يفرحون بما أنزل إليك﴾، أي: من القرآن لما في كتبهم من الشواهد على صدقه والبشارة به، كما قال تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون﴾. وقال تعالى: ﴿قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدًا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولًا﴾، أي: إن كان ما وعدنا اللَّه به في كتبنا من إرسال محمد صلى اللَّه عليه وسلم لحقًّا وصدقًا مفعولًا لا محالة، وكائنًا، فسبحانه ما أصدق وعده، فله الحمد وحده، ﴿ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعًا﴾.

وقوله: ﴿ومن الأحزاب من ينكر بعضه﴾، أي: ومن الطوائف من يكذّب ببعض ما أنزل إليك.

وقال مجاهد: ﴿ومن الأحزاب﴾: اليهود والنصارى، من ينكر بعض ما جاءك من الحق. وكذا قال قتادة، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

وهذا كما قال تعالى: ﴿وَإنّ من أهل الكتاب لمن يؤمن باللَّه وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين للَّه، لا يشترون بآيات اللَّه ثمنًا قليلًا، أولئك لهم أجرهم عند ربهم، إن اللَّه سريع الحساب﴾.

﴿قل إنما أمرت أن أعبد اللَّه ولا أشرك به﴾، أي: إنما بعثت بعبادة اللَّه وحده لا

---

(١١٨) - رواه أيضًا أبو نعيم في «الحلية (٥/٢٣١-٢٣٢) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣/٤٨٢ - مخطوط) بإسناد حسن.

شريك له، كما أرسل الأنبياء من قبلي، ﴿إليه أدعو﴾، أي: إلي سبيله أدعو الناس، ﴿وإليه مآب﴾، أي: مرجعي ومصيري.

وقوله: ﴿وكذلك أنزلناه حكمًا عربيًا﴾، أي: وكما أرسلنا قبلك المرسلين، وأنزلنا عليهم الكتب من السماء، كذلك أنزلنا عليك القرآن محكمًا معربًا، شرّفناك به وفضلناك على من سواك بهذا الكتاب المبين الواضح الجلي الذي ﴿**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد**﴾.

وقوله: ﴿**ولئن اتبعت أهواءهم**﴾، أي: آراءهم، ﴿**بعد ما جاءك من العلم**﴾، أي: من الله تعالى، ﴿**ما لك من الله من وليّ ولا واق**﴾. وهذا وعيد لأهل العلم أن يتبعوا سبل أهل الضلالة بعد ما صاروا إليه من سلوك السنة النبوية والمحجة المحمدية، على من جاء بها أفضل الصلاة والسلام.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾

يقول تعالى: وكما أرسلناك يا محمد رسولًا بشريًا كذلك بعثنا المرسلين قبلك بَشَرًا يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق ويأتون الزوجات، ويولد لهم، وجعلنا لهم أزواجًا وذرية، وقد قال تعالى لأشرف الرسل وخاتمهم: ﴿**قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ**﴾.

وفي الصحيحين(١١٩): أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: «**أمّا أنا فأصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وآكل الدّسم وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**».

وقال الإمام أحمد(١٢٠): حدثنا يزيد، أنبأ الحجاج بن أرطاة، عن مكحول قال: قال أبو أيوب: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أربع من سنن المرسلين: التعطر، والنكاح،**

(١١٩) - أخرجه البخاري: كتاب: النكاح، باب: الترغيب في النكاح (٥٠٦٣)، ومسلم: كتاب النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة ... (٥) (١٤٠١) والنسائي، كتاب: النكاح، باب: النهي عن التبتل (٦/٦٠)، وأحمد (٣/٢٤١، ٢٥٩، ٢٨٥) من حديث أنس بن مالك، وليس فيه «وآكل الدسم ...».

(١٢٠) - **إسناده ضعيف** «المسند» (٢٣٦٨٩) (٥/٤٢١) مقرونًا بـ «يزيد بن هاون» محمد بن يزيد عن حجاج به، وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (كتاب: الطهارة، باب: ما ذكر في السواك (١/١٩٧) وعبد بن حميد في «المنتخب» (٣٢٠) ثنا يزيد بن هارون به وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف»=

والسواك، والحناء[١]».

وقد رواه أبو عيسى الترمذي(١٢١)، عن سفيان بن وكيع، عن حفص بن غياث، عن الحجاج، عن مكحول، عن أبي الشِّمال[٢]، عن أبي أيوب... فذكره، ثم قال: وهذا أصح من الحديث الذي لم يذكر فيه أبو الشِّمال[٣].

وقوله: **﴿وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن اللّه﴾**، أي: لم يكن يأتي قومَه بخارق إلا إذا أذن له فيه، ليس ذاك إليه، بل إلى اللّه -عز وجل- يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

﴿لكل أجل كتاب﴾، أي: لكل مُدة مضروبة كتاب مكتوب بها، وكل شيء عنده بمقدار، **﴿ألم تعلم أن اللّه يعلم ما في السماء والأرض، إن ذلك في كتاب، إن ذلك على اللّه يسير﴾**.

وكان الضحاك بن مزاحم يقول في قوله: **﴿لكل أجل كتاب﴾**، أي: لكل كتاب أجل يعني لكل كتاب أنزله من السماء مدة مضروبة عند اللّه ومقدار معين، فلهذا يمحو ما يشاء منها ويثبت، يعني حتى نسخت كلها بالقرآن الذي أنزله اللّه على رسوله، صلوات اللّه وسلامه عليه.

= (١٠٣٩٠/٦) عن يحيى بن العلاء عن الحجاج به بلفظ «الختان والسواك والتعطر والنكاح من سنتي» وفيه عنعنة الحجاج بن أرطأة، والانقطاع بين مكحول وأبي أيوب، وقد روى موصولاً - وهو الآتي.

(١٢١) - **كسابقه** «الجامع» للترمذي كتاب: النكاح، باب: ما جاء في فضل التزويج والحث عليه (١٠٨٠) وقال «حديث أبي أيوب حسن غريب»، وأخرجه أيضًا عن محمود بن خِداش البغدادي ثنا عباد بن العوام عن الحجاج به نحو حديث حفص ومن طريق حفص وعباد أخرجه الطبراني في «الكبير» (٤٠٨٥/٤) وأخرجه البيهقي في «الشعب» (٧٧١٩/٦) من طريق عباد، وأبو الشمال هذا، قال فيه أبو زرعة: لا يعرف إلا بهذا الحديث، ولهذا جهله الحافظان الذهبي وابن حجر، وقد أشار الدارقطني في «العلل» (٦/س١٠٢٢) أن الاختلاف في إسناد الحديث من حجاج بن أرطأة لأنه كثير الوهم»، وانظر إرواء الغليل» للألباني (١١٩:١١٦/٧٥/١).

---

[١] - وقع في المسند: «الحياء» وعند عبد الرزاق: «الختان»، وعند ابن أبي شيبة وعبد بن حميد: «الحناء»، وقال الألباني في «الإرواء» (١١٧/١): «الحياء» بالمثناة التحتية، وكذلك وقع عند الترمذي وأحمد، ووقع عند المحاملي: «الختان» بالمثناة الفوقية ثم نون، وهو الذي جزم بتصويبه الحافظ والعراقي وغيرهما، كما في فيض القدير، ولعله ترجيح من جهة المعنى، وإلا فهناك حديثان آخران باللفظ الأول: الحياء.

[٢] - [٣] - في خ: «السماك».

وقوله: ﴿**يمحو اللَّه ما يشاء ويثبت**﴾، اختلف المفسرون في ذلك، فقال الثوري(١٢٢)، ووكيع، وهشيم، عن ابن أبي ليلى، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: يدبر أمر السنة، فيمحو ما يشاء، إلا الشقاء والسعادة، والحياة والموت، وفي رواية: ﴿**يمحو اللَّه ما يشاء ويثبت**﴾، [قال: كل شيء][١]، إلا الحياة والموت، والشقاء والسعادة فإنهما قد فرغ منهما.

وقال مجاهد: ﴿**يمحو اللَّه ما يشاء ويثبت**﴾، إلا الحياة والموت، والشقاء والسعادة، فإنهما لا يتغيران.

وقال منصور: سألت مجاهدًا فقلت: أرأيت دعاءَ أحدِنا يقول: «**اللهم إن كان اسمي في السعداء فأثبته فيهم، وإن كان في الأشقياء فامحه عنهم**[٢] **واجعله في السعداء**». فقال: حَسنٌ. ثم لقيته[٣] بعد ذلك بحَوْلٍ أو أكثر، فسألته عن ذلك، فقال: ﴿**إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين * فيها يفرق كل أمر حكيم**﴾، قال يُقْضى في ليلة القدر ما يكون في السَّنة من رزق أو مصيبة، ثم يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء، فأما كتاب الشقاوة والسعادة فهو ثابتٌ لا يُغيَّر.

وقال الأعمش، عن أبي وائل شقيق بن سلمة: إنه كان يكثر أن يدعو بهذا الدعاء: «**اللهم إن كنت كتبتنا أشقياء فامحه**[٤] **واكتبنا سعداء، وإن كنت كتبتنا سعداء فأثبتنا، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب**». رواه ابن جرير(١٢٣).

---

(١٢٢) - أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٣٨/٢) وعبد الله بن أحمد في « السنة » (١١٢٩،٨٩٧/٢) وابن جرير (٢٠٤٦١/١٦ : ٢٠٤٦٦) واللالكائي في « شرح أصول الاعتقاد » (٩٧٤/٣) وأخرجه البيهقي في الشعب من طريق عبيد الله بن موسى أنا ابن أبي ليلى به ، وابن أبي ليلى : هو محمد بن عبد الرحمن ، وهو صدوق سيئ الحفظ جدًّا ، وزاد نسبته السيوطي (١٢٢/٤) إلى الفريابي وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(١٢٣) - تفسير ابن جرير (٢٠٤٧٧/١٦) حدثنا عمرو قال ، حدثنا وكيع قال ، حدثنا الأعمش عن أبي وائل قال : كان مما يكثر أن يدعو بهؤلاء الكلمات ... فذكر الحديث : قال الشيخ محمود شاكر في حاشية تفسير ابن جرير قوله : « كان يكثر أن يدعو » الضمير في ذلك إلى عبد الله بن مسعود وساقه ابن كثير في تفسيره مساقًا يوهم أنه شقيق بن سلمة نفسه الذي كان يكثر أن يدعو ، وقد أساء ، لأنه هو الذي غير لفظ الخبر » قلت : وقد ورد الخبر أيضًا من كلام شقيق نفسه ، فأخرجه ابن جرير (٢٠٤٧٦) وعبد الله في زوائد « الزهد » (ص ٤٢٩) من طريق الأعمش أيضًا قال - سياق عبد الله - سمعت شقيقًا يقول .... فذكره بنحوه وأثر ابن مسعود يأتي برقم (١٢٦،١٢٥) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - في ابن جرير (٢٠٤٧٢/١٦) : منهم .

[٣] - في ابن جرير (٢٠٤٧٢/١٦) : أتيته .

[٤] - في ابن جرير : « فامحنا » .

وقال ابن جرير أيضًا(١٢٤) : حدثنا عمرو بن عليّ ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثني أبي ، عن أبي حكيمة عصْمة ، عن أبي عثمان النَّهدي : أن عمر بن الخطاب - رضي اللَّه عنه - قال وهو يطوف بالبيت وهو يبكي : اللهم ، إن كنت كتبت عليَّ شقوة أو ذنبًا فامحه ، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت ، وعندك أم الكتاب ، فاجعله سعادة ومغفرة .

وقال حماد(١٢٥) : عن خالد الحذاء ، عن أبي قلابة ، عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه : أنه كان يدعو بهذا الدعاء أيضًا .

ورواه شريك(١٢٦) ، عن هلال بن حميد ، عن عبد اللَّه بن عُكَيم ، عن ابن مسعود بمثله .

وقال ابن جرير(١٢٧) : حدثني [المثنى ، حدثنا][١] حجاج ، حدثنا خصاف[٢] ، عن أبي حمزة ، عن إبراهيم ، أن كعبًا قال لعمر بن الخطاب : يا أمير المؤمنين ، لولا آية في كتاب اللَّه لأنبأتك بما هو كائن إلىٰ يوم القيامة . قال : وما هي ؟ قال : قول اللَّه تعالىٰ ﴿ **يمحو اللَّه ما يشاء** ﴾ الآية .

---

(١٢٤) - **إسناده حسن** تفسير ابن جرير (٢٠٤٧٨/١٦) وأخرجه أيضًا (٢٠٤٧٩:٢٠٤٨١) والبخاري في « التاريخ الكبير » (٦٣/٧) والدولابي في « الكنى » (٢١٠/٤/ت ١٨٧٨) وابن بطة في « الإبانة » (٢/ ١٥٦٥) واللالكائي في « شرح أصول الاعتقاد » (١٢٠٦/٤،١٢٠٧) من طرق عن أبي حكيمة به وأبو حكيمة هذا وثقه ابن حبان (٢٩٨/٧) ، وقال أبو حاتم « الجرح والتعديل » (٢٠/٧) : « محله الصدق » والأثر عزاه السيوطي في (١٢٣/٤) إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر ، وأفاد الحافظ ابن حجر في « المطالب العالية » (٣٦٥٩/٣) أن عبد الله بن أحمد رواه في « كتاب الزهد » لكن موقوفًا على « شعيب » .

(١٢٥) - **إسناده فيه انقطاع** ، أخرجه ابن جرير (٢٠٤٨٢/١٦) ، والطبراني في « الكبير » (٨٨٤٧/٩) من طريق الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد - وهو ابن سلمة - به وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٨٨/١٠) وقال : « رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا أن أبا قلابة لم يدرك ابن مسعود » وزاد نسبته السيوطي (١٢٥/٤) إلى ابن المنذر وقد روى بإسناد آخر وهو الآتي :

(١٢٦) - **رجاله ثقات** ، حاشا شريك النخعي ففيه مقال .

والأثر أخرجه ابن جرير (٢٠٤٨٤/١٦) وانظر ما قبله .

(١٢٧) - **إسناده ضعيف جدًا** تفسير ابن جرير (٢٠٤٨٥/١٦) ، وأبو حمزة هو « ميمون » الأعور التمار ، صاحب إبراهيم النخعي ضعيف لاسيما في إبراهيم انظر « تهذيب الكمال » (٢٩/ت ٦٣٤٦) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - كذا وقع ، وفي ابن جرير حماد ، ورجح الشيخ محمود شاكر أن حماد هو الصواب .

ومعنىٰ هذه الأقوال : أن الأقدار ينسخ اللَّه ما يشاء منها ويثبت منها ما يشاء ، وقد يستأنس لهذا القول بما رواه الإمام أحمد(١٢٨) :

حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان - هو الثوري - عن عبد اللَّه بن عيسىٰ ، عن عبد اللَّه بن أبي الجعد ، عن ثوبان قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ، ولا يرد القدر إلا الدعاء ، ولا يزيد في العمر إلا البر** » .

ورواه النسائي وابن ماجه من حديث سفيان الثوري به .

وثبت في الصحيح(١٢٩) أن صلة الرحم تزيد في العمر ، وفي حديث آخر(١٣٠) : « **إن[١] الدعاء والقضاء ليعتلجان بين السماء والأرض** » .

(١٢٨) - « المسند » (٢٨٢،٢٧٧/٥) - ومن طريقه المزي في « تهذيب الكمال» (٣٦٦/١٤) - وأخرجه أحمد أيضًا (٢٨٠/٥) والنسائي في الرقاق من الكبرى - كما في « التحفة » (٢٠٩٣/٢) - وابن ماجة (٤٠٢٢،٩٠) وابن المبارك في « الزهد » (٨٦) وأبو يعلى في « المعجم » (٢٨٢) وغيرهم من طريق سفيان بهذا الإسناد ، وصححه ابن حبان (٨٧٢/٣) والحاكم (٤٩٣/١) ووافقه الذهبي ، وقال البوصيري في « الزوائد » (٦٢/١) : سألت شيخنا أبا الفضل العراقي رحمه الله عن هذا الحديث . فقال : « حديث حسن » وقال المنذري المنذري في « الترغيب » (٤٨١/٢) : « رواه النسائي بإسناد صحيح ... » قلت : عبد الله بن أبي الجعد لم يوثقه غير ابن حبان (٢٠/٥) وجهله ابن القطان ، وقال الذهبي في « الميزان » (٣/ ١١٤) : « إن كان قد وثق ففيه جهالة » . وجاء في بعض الروايات سالم بن أبي الجعد ، فإن كان كذلك فالإسناد ضعيف أيضًا لأن فيه انقطاعًا بين سالم وثوبان وإن كان الآخر ففي الإسناد جهالة . وقد أخرجه ابن عدي في « الكامل » (٤٤٨/٢) من طريق راشد بن سعد عن ثوبان ، لكن في إسناده بشر بن عبيد أبو على الدارسي ، قال ابن عدي : « منكر الحديث عن الأئمة بيِّنُ الضعف » لكن للطرف الثاني والثالث شاهد عن سلمان عند الترمذي (٢١٣٩) وحسنه ، وصححه الألباني بشاهد حديث ثوبان في « الصحيحة » (١/ ١٥٤) .

(١٢٩) - ورد ذلك من حديث أنس بن مالك ، يأتي تخريجه (سورة فاطر / آية ١١) .

(١٣٠) - ورد ذلك من حديث عائشة وأبي هريرة ، أما حديث عائشة فأخرجه الطبراني في « الأوسط » (٣/ ٢٤٩٨) وفي « الدعاء » (٨٠٠/٢) رقم (٣٣) والبزار (١٦١٢/٢-زوائد ابن حجر) وابن عدي في « الكامل » (١٠٦٨/٣) وابن الصَّيْداوي في « معجم الشيوخ » (صـ ١٠٥) . والخطيب في « تاريخ بغداد » (٤٥٣/٨) والحاكم (٤٩٢/١) وقال : « صحيح الإسناد » قلت : في إسناده زكريا بن منظور ضعفه ابن المديني وابن معين والنسائي وأبو حاتم وغيره ، وقال البخاري : منكر الحديث ، ولذا تعقب الذهبي الحاكم فقال : « زكريا مجمع على ضعفه » ، وبه أعله الهيثمي في « المجمع » (٢١٢/٧) ، (١٤٩/١٠) وأورده ابن الجوزي في « العلل المتناهية » (٨٤٣/٢) ، وأما حديث أبي هريرة فأخرجه البزار أيضًا (٢/ ٢١٣٧،١٦١١) ، وفي إسناده إبراهيم بن خثيم بن عراك ، متروك وقد أعله الهيثمي به في « المجمع » .

[١] - سقط من : خ .

وقال ابن جرير(١٣١) : حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، حدثنا عبد الرزاق ، أنا ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : إن لله [عز وجل][١] لوحًا محفوظًا مسيرة خمسمائة عام ، من درة بيضاء ، لها دفتان من ياقوت - والدفتان لوحان - لله - عز وجل - [كل يوم][٢] ثلاثمائة وستون لحظة ، يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب .

وقال الليث بن سعد : عن زيادة[٣] بن محمد ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن فضالة بن عبيد ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « [**إن الله**][٤] **يفتح الذكر في ثلاث ساعات يَبْقَيْنَ من الليل ، في الساعة الأولىٰ منها ينظر في الذكر الذي لا ينظر فيه أحد غيره ، فيمحو ما يشاء ويثبت** » وذكر تمام الحديث ، رواه ابن جرير(١٣٢) .

وقال الكلبي(١٣٣) : ﴿ **يمحو الله ما يشاء ويثبت** ﴾ قال : يمحو من الرزق ويزيد فيه ، ويمحو من الأجل ويزيد فيه ، فقيل له : من حدثك بهذا ؟ فقال : أبو صالح ، عن جابر بن عبد الله بن رئاب ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، ثم سئل بعد ذلك عن هذه الآية

(١٣١) - تفسير ابن جرير (٢٠٥٠٤/١٦) ورجاله رجال الشيخين ، غير شيخ ابن جرير فمن رجال مسلم ، وفي الإسناد عنعنة ابن جريج والأثر ذكره السيوطي (١٢٢/٤) ولم ينسبه لغير ابن جرير .

(١٣٢) - **إسناده ضعيف جدًا** ، تفسير ابن جرير (١٦٩٤٣/١٤) ، (٢٠٥٠٢/١٦) حدثني محمد بن سهل ابن عسكر حدثنا ابن أبي مريم ، ثنا الليث بن سعد به وأخرجه الدارمي في « الرد على الجهمية » (٣٩) ، وابن خزيمة في « التوحيد » (صـ ١٣٥) من طريق سعيد بن أبي مريم به ، وأخرجه العقيلي في « الضعفاء » (٩٣/٢) - ومن طريقه ابن الجوزي في « العلل المتناهية » (٣٨/١-٣٩) - واللالكائي في « شرح أصول الاعتقاد » (٧٥٦/٣) وابن خزيمة من طريق أبي صالح عبد الله بن صالح عن الليث به وأخرجه الدارقطني في « كتاب النزول » (٧٣) وابن خزيمة معلقًا من طريق يحيى بن بكير نا الليث به : قال ابن الجوزي : « هذا الحديث من عمل زيادة بن محمد ، لم يتابعه عليه أحد قال البخاري - « التاريخ الكبير » (٤٤٦/٣) - : هو منكر الحديث ، وقال ابن حبان - « المجروحين » (٣٠٤/١) - : هو منكر الحديث جدًا، يروى المناكير عن المشاهير فاستحق الترك » وبه أعله الذهبي في « الميزان » (٢٨٨/٢) - فذكر الحديث بطوله وقال . « هذه ألفاظ منكرة لم يأت بها غير زيادة » وذكره الهيثمي في « المجمع » (٤١٥/١٠) وقال : « رواه البزار وفيه زيادة بن محمد وهو ضعيف » وعزاه السيوطي (١٢٢/٤) إلى ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والطبراني .

(١٣٣) - **إسناده ضعيف جدًا** ، أخرجه ابن جرير (٢٠٤٨٧/١٦) ، وابن سعد في « الطبقات » (٢/٣/ ١١٤) مختصرًا والحارث بن أبي أسامة في مسنده (٧١٦-زوائد) والكلبي - وهو محمد بن السائب - النسابة المفسر، متهم بالكذب ورمى بالرفض ، وزاد نسبته السيوطي (١٢٣/٤) إلى ابن مردويه .

[١] - سقط من : ت .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ز : « زياد » .
[٤] - سقط من : خ .

فقال : يكتب القول كله ، حتىٰ إذا كان يوم الخميس ، طرح منه كل شيء ليس فيه ثواب ولا عليه[١] عقاب ، مثل قولك : أكلت وشربت ودخلت وخرجت ،ونحو ذلك من الكلام وهو صادق ، ويثبت ما كان فيه الثواب وعليه العقاب .

وقال عكرمة(١٣٤) ، عن ابن عباس : الكتاب كتابان ؛ فكتاب يمحو الله منه ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب .

وقال العوفي(١٣٥) ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب** ﴾ يقول : هو الرجل يعمل الزمان بطاعة الله ، ثم يعود لمعصية الله ، فيموت علىٰ ضلاله فهو الذي يمحو ، والذي يثبت الرجل يعمل بمعصية الله ، وقد كان سبق له خير ، حتىٰ يموت وهو في طاعة الله وهو الذي يثبت .

وروي عن سعيد بن جبير أنها بمعنىٰ ﴿ **يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله علىٰ كل شيء قدير** ﴾ .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس(١٣٦) : ﴿ **يمحو الله ما يشاء ويثبت** ﴾ يقول : يبدل ما يشاء فينسخه ، ويثبت ما يشاء فلا يبدله . ﴿ **وعنده أم الكتاب** ﴾ وجملة ذلك عنده في أم الكتاب ، الناسخ والمنسوخ[٢] ، وما يبدل وما يثبت كل ذلك في كتاب .

وقال قتادة في قوله : ﴿ **يمحو الله ما يشاء ويثبت** ﴾ كقوله : ﴿ **ما ننسخ من آية أو ننسها** ﴾ الآية .

وقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : ﴿ **يمحو الله ما يشاء ويثبت** ﴾ قال : قالت كفار قريش حين أنزلت ﴿ **وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله** ﴾ ما نرىٰ محمدًا يملك [من شيء ولقد][٣] فرغ من الأمر ، فأنزلت هذه الآية تخويفًا ووعيدًا لهم : إنا إن

(١٣٤) - **صحيح** ، أخرجه ابن جرير (٢٠٤٧٣/١٦) والحاكم (٣٤٩/٢) من طريق حماد بن سلمة عن سليمان التيمي عن عكرمة به وقال الحاكم : « احتج مسلم بحماد واحتج البخاري بعكرمة وهو غريب صحيح من حديث سليمان التيمي » ووافقه الذهبي وزاد نسبته السيوطي (١٢٢/٤) إلى محمد بن نصر وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(١٣٥) - أخرجه ابن جرير (٢٠٤٨٣/٢٦) ، والعوفي ضعيف ، وزاد نسبته السيوطي (١٢٢/٤) إلى ابن أبي حاتم .

(١٣٦) - أخرجه ابن جرير (٢٠٤٨٩/١٦) وزاد نسبته السيوطي (١٢٥/٤) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم=

[١] - زيادة من ابن جرير .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في ت : « شيئًا وقد » .

شئنا أحدثنا له من أمرنا ما شئنا ، ونحدث في كل رمضان ، فنمحو ما نشاء ونثبت ما نشاء ، من أرزاق الناس ومصائبهم وما نعطيهم وما نقسم لهم .

وقال الحسن البصري : ﴿ **يمحو اللَّه ما يشاء ويثبت** ﴾ قال : من جاء أجله فذهب ، ويثبت الذي هو حي يجري إلىٰ أجله .

وقد اختار هذا القول أبو جعفر بن جرير رحمه اللَّه .

وقوله ﴿ **وعنده أم الكتاب** ﴾ قال : الحلال والحرام .

وقال[١] قتادة : أي جملة الكتاب وأصله .

وقال الضحاك : ﴿ **وعنده أم الكتاب** ﴾ قال : كتاب عند رب العالمين .

وقال سنيد بن داود (١٣٧) : حدثني معتمر ، عن أبيه ، عن سيّار[٢] ، عن ابن عباس : أنه سأل كعبًا عن أم الكتاب فقال : علم اللَّه ما هو خالق وما خلقه عاملون ، [ثم قال][٣] لعلمه كن كتابًا فكان كتابًا .

[قال] ابن(١٣٨) جريج : قال ابن عباس : ﴿ **وعنده أم الكتاب** ﴾ قال : الذكر .

وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾

= والبيهقي في « المدخل » .

(١٣٧) - أخرجه ابن جرير (٢٠٥١٦/١٦) وسَيَّار هو القرشي الأموي مولى معاوية بن أبي سفيان ويقال : مولى خالد بن يزيد بن معاوية وثقه ابن حبان (٣٣٥/٤) وروى عنه أكثر من واحد ، وفي « التقريب » صدوق لكن سنيد بن داود واسمه حسين وسنيد لقب - ضُعِّف مع إمامته ومعرفته ، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٣٨/٢) وعن معتمر -.هو ابن سليمان التيمي - عن أبيه قال : سئل ابن عباس عن أم الكتاب ، فقال : قال كعب فذكره ، سليمان التيمي لم يسمع من ابن عباس .

(١٣٨) - **منقطع** ، أخرجه ابن جرير (٢٠٥١٣/١٦) حديث القاسم قال حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج - قال أبو جعفر : لا أدري فيه ابن جريج أم لا - قال ، قال ابن عباس فذكره .

---

[١] - في خ : « قال » .
[٢] - في خ : « يسار » .
[٣] - في خ : « فقال » .

يقول تعالىٰ لرسوله : ﴿ **وإما نرينك** ﴾ يا محمد بعض الذي نعد[١] أعداءك من الخزي[٢] والنكال في الدنيا ﴿ **أو نتوفينك** ﴾ أي : قبل ذلك ﴿ **فإنما عليك البلاغ** ﴾ أي : إنما أرسلناك لتبلغهم رسالة اللّٰه وقد بلغت[٣] ما أمرت به ﴿ **وعلينا الحساب** ﴾ أي : حسابهم وجزاؤهم ، [كقوله تعالىٰ][٤] : ﴿ **فذكر إنما أنت مذكر * لست عليهم بمسيطر * إلا من تولىٰ وكفر * فيعذبه اللّٰه العذاب الأكبر * إن إلينا إيابهم * ثم إن علينا حسابهم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها** ﴾ قال ابن عباس (١٣٩) : أو لم يروا أنا نفتح لمحمد صلىٰ اللّٰه عليه وسلم الأرض بعد الأرض .

وقال في رواية (١٤٠) : أو لم يروا إلىٰ القرية تخربُ حتىٰ يكون العُمْرانُ في ناحية .

وقال مجاهد وعكرمة ﴿ **ننقصها من أطرافها** ﴾ قال : خرابها .

وقال الحسن والضحاك : هو ظهور المسلمين علىٰ المشركين .

وقال العوفي (١٤١) ، عن ابن عباس : نقصان أهلها وبركتها .

وقال مجاهد : نقصان الأنفس والثمرات وخراب الأرض .

وقال الشعبي : لو كانت الأرض تُنْقَص لضاق عليك حُشُك ، ولكن تُنْقَصُ الأنفُس والثمرات . وكذا قال عكرمة : لو كانت الأرض تنقص لم تجد مكانًا تقعد فيه ولكن هو الموت .

وقال ابن عباس في رواية (١٤٢) : خرابها بموت علمائها وفقهائها وأهل الخير منها . وكذا

---

(١٣٩) - أخرجه ابن جرير (٢٠٥١٤/١٦) بإسناد صحيح عنه وأخرجه بنحوه أيضًا (٢٠٥١٥) لكن من طريق عطية العوفي عنه ، وعطية ضعيف .

(١٤٠) - أخرجه ابن جرير (٢٠٥١٩/١٦) ، وفي إسناده علي بن عاصم بن صهيب الواسطي ، صدوق يخطئ ويُصِرُ ورمي بالتشيع ، وزاد نسبته السيوطي (١٢٧/٤) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(١٤١) - أخرجه ابن جرير (٢٠٥٢٣/١٦) من طريق على بن أبي طلحة عن ابن عباس به ، وزاد نسبته السيوطي (١٢٧/٤) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم ، فلعله عند أحدهما أو كليهما من هذا الطريق والله تعالى أعلم .

(١٤٢) - **إسناده ضعيف جدًا** ، أخرجه ابن جرير (٢٠٥٣٣/١٦) والحاكم (٣٥٠/٢) وصححه والخطيب البغدادي في « الفقيه والمتفقه » (١٥٤،١٥٥) من طريق طلحة بن عمرو عن عطاء عنه به وطلحة هذا ضعفه جماعة وقال البخاري : « ليس بشيء » وتركه أحمد والنسائي ، ولذا تعقب الذهبي الحاكم فقال : =

---

[١] - في خ : « نعدهم أي بعد » .
[٢] - في خ : « الحزن » .
[٣] - في ت : «فعلت » .
[٤] - في خ : « كما قال تعالى » .

قال مجاهد أيضًا : هو موت العلماء .

وفي هذا المعنىٰ روىٰ الحافظ ابن عساكر في ترجمة أحمد بن عبد العزيز ، أبي القاسم المصري الواعظ ، سكن أصبهان : حدثنا أبو محمد طلحة بن أسد المرئي[١] بدمشق ، أنشدنا أبو بكر الآجري بمكة ، قال أنشدنا أحمد بن غزال لنفسه .

الأرض تحيا إذا ما عاش عالمها   متىٰ يمت عالم منها يمت طرف
كالأرض تحيا إذا ما الغيث حل بها   وإن أبىٰ عاد في أكنافها التلف

والقول الأول أولىٰ وهو ظهور الإسلام علىٰ الشرك قرية بعد قرية ، [كقوله : ﴿ **ولقد أهلكنا ما حولكم من القرىٰ** ﴾ الآية ، وهذا اختيار ابن جرير][٢] .

وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **وقد مكر الذين من قبلهم** ﴾ برسلهم ، وأرادوا إخراجهم من بلادهم ، فمكر الله بهم ، وجعل العاقبة للمتقين ، كقوله[٣] : ﴿ **وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين** ﴾ ، [وقوله تعالىٰ][٤] : ﴿ **ومكروا مكرًا ومكرنا مكرًا وهم لا يشعرون * فانظر كيف كان عاقبة [مكرهم أنا][٥] دمرناهم وقومهم أجمعين * فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا** ﴾ الآيتين[٦] .

وقوله : ﴿ **يعلم ما تكسب كل نفس** ﴾ أي : أنه تعالىٰ عالم بجميع السرائر والضمائر ، وسيجزي كل عامل بعمله (**وسيعلم الكافر**) والقراءة الأخرىٰ ﴿ **الكفار** ﴾ ﴿ **لمن عقبىٰ**

= « طلحة بن عمرو ، قال أحمد : متروك » ، وقد اضطرب فيه ، فرواه عن عطاء لم ينمِّ به إلى ابن عباس ، أخرجه وكيع في « الزهد » (٣٩) ومن طريقه ابن عبد البر في « التمهيد » (١٠٣٠/١) ، لكن أخرجه أبو نعيم في « أخبار أصبهان » (٣٣٢/١) من طريق إسماعيل بن عياش عن سلمة بن كلثوم عن عطاء به وسلمة صدوق ، شامي ورواية إسماعيل عن أهل بلده من الشاميين صحيحة وأثر ابن عباس زاد نسبته السيوطي (٤/ ١٢٦) إلى عبد الرزاق - ولم أجده في تفسيره - وابن أبي شيبة ونعيم بن حماد في « الفتن » ، وابن المنذر وابن أبي حاتم ، وأثر مجاهد أخرجه عبد الرزاق (٣٣٩/٢) ووكيع (٣٨) - ولفظة وكيع « الموت » دون تقييده وابن جرير (٢٠٥٣٤) وإسناده صحيح إلى مجاهد .

[١] - في ز : المدني
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - في خ : « كما قال تعالى » .
[٤] - في خ : « وقال تعالى » .
[٥] - في خ : « الذين من قبلهم » .
[٦] - في ز ، خ : « الآية » .

الدار ﴾ لمن تكون الدائرة والعاقبة ، لهم أو لأتباع الرسل ؟ كلا ، بل هي لأتباع الرسل في الدنيا والآخرة ، ولله الحمد والمنة .

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾

يقول تعالىٰ : يكذبك هؤلاء الكفار ويقولون ﴿ **لست مرسلًا** ﴾ أي : ما أرسلك الله ﴿ **قل كفىٰ بالله شهيدًا بيني وبينكم** ﴾ أي : حسبي الله وهو الشاهد علي وعليكم ، شاهد علي فيما بلغت عنه من الرسالة ، وشاهد عليكم أيها المكذبون فيما تفترونه من البهتان .

وقوله : ﴿ **ومن عنده علم الكتاب** ﴾ قيل : نزلت في عبد الله بن سلام . قاله مجاهد .

وهذا القول غريب ؛ لأن هذه الآية مكية وعبد الله بن سلام إنما أسلم في أول مقدم النبي صلىٰ الله عليه وسلم المدينة ، والأظهر في هذا ما قاله العوفي(١٤٣) ، عن ابن عباس قال : هم من اليهود والنصارىٰ .

وقال قتادة : منهم ابن سلام وسلمان وتميم الداري .

وقال مجاهد في رواية عنه : هو الله تعالىٰ .

وكان سعيد بن جبير ينكر أن يكون المراد بها عبد الله بن سلام ، ويقول : هي مكية ، وكان يقرؤها (**ومن عندِه عُلِمَ الكتاب**) ويقول : من عند الله .

وكذا قرأها مجاهد والحسن البصري . وقد روىٰ ابن جرير(١٤٤) : من حديث هارون الأعور ، عن الزهري ، عن سالم ، عن ابن عمر : أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قرأها ﴿ **ومِنْ عندِه عُلِمَ الكتابُ** ﴾ . ثم قال : لا أصل له من حديث الزهري عند الثقات .

قلت : وقد رواه الحافظ أبو يعلى في مسنده(١٤٥) : من طريق هارون بن موسىٰ[١] هذا ،

---

(١٤٣) - أخرجه ابن جرير (٢٠٥٣٧/١٦) .

(١٤٤) - **إسناده ضعيف منقطع** تفسير ابن جرير (٢٠٥٥٨/١٦) حدثنا القاسم قال حدثنا الحسينُ قال ، حدثني عباد بن العوام عن هارون الأعور به و « هارون الأعور » وهو « هارون بن موسى الأزدي العتكي » ثقة إلا أنه لم يسمع من الزهري والحسين هو ابن داود المعروف بـ « سنيد » ضُعف مع إمامته ومعرفته ، ولذا قال ابن جرير « في إسناده نظر ، وهذا خبر ليس له أصل عند الثقات من أصحاب الزهري » وانظر ما بعده .

(١٤٥) - **إسناده ضعيف جدًّا مسند أبي يعلى** (٥٥٧٤/٩) حدثنا روح بن عبد المؤمن ، حدثنا =

---

[١] - كذا ولعله سهو أو خطأ ؛ فإن أبا يعلى إنما أخرجه من طريق « عبد الرحيم بن موسى » كما في المسند=

عن سليمان بن أرقم وهو ضعيف ، عن الزهري ، عن سالم ، عن أبيه مرفوعًا كذلك ولا يثبت والله أعلم .

والصحيح في هذا أن ﴿ ومن عنده ﴾ اسم جنس يشمل[١] علماء أهل الكتاب ، الذين يجدون صفة محمد صلىٰ الله عليه وسلم ونعته في كتبهم المتقدمة من بشارات الأنبياء به ، كما قال تعالىٰ : **﴿ ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون * الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ﴾** الآية .

وقال تعالىٰ : **﴿ أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل ﴾** الآية . وأمثال ذلك مما فيه من الإخبار عن علماء بني إسرائيل أنهم يعلمون ذلك من كتبهم المنزلة . وقد ورد في حديث الأحبار عن عبد الله بن سلام بأنه أسلم بمكة قبل الهجرة . قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في كتاب « دلائل النبوة »(١٤٦) وهو كتاب جليل :

حدثنا سليمان بن أحمد الطبراني ، حدثنا عبدان بن أحمد ، حدثنا محمد بن مصفىٰ ، حدثنا الوليد بن مسلم عن محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام ، عن أبيه ، عن جده[٢] عبد الله بن سلام : [أنه قال لأحبار][٣] اليهود : إني أردت أن أجدِّدَ[٤] بمسجد أبينا إبراهيم وإسماعيل عيدًا[٥] ، فانطلق إلىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ،

= عبد الرحيم بن موسى به وأخرجه تمام في فوائده ، (١٣٨٣/٤ - الروض البسام) من طريق محمد بن الحسن عن سليمان بن أرقم به ، وأخرجه ابن عدي في « الكامل » (٢٢٧٨/٦) من طريق سليمان بن أرقم عن نافع عن ابن عمر عن عمر فذكره ، وقال الهيثمي في « المجمع » (١٥٨/٧) « رواه أبو يعلى وفيه سليمان بن أرقم وهو متروك » ، وضعف إسناده السيوطي في « الدر المنثور » (١٢٩/٤) وزاد نسبته إلى ابن مردويه .

(١٤٦) - **ضعيف** « دلائل النبوة » لأبي نعيم (ص ٣٠٠) وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٤٩/٧-١٥٠) ، (٢٤٥/٨-٢٤٦) ، (٣٢٩/٩) ، وقال : « رواه الطبراني ورجاله ثقات إلا أن حمزة لم يدرك جده عبد الله ابن سلام » قلت : والوليد بن مسلم مدلس وقد عنعن ، وعزاه السيوطي في « المنثور » (٧٠٥/٤) إلى ابن أبي حاتم والطبراني وأبي نعيم في « الحلية » ، والحمد لله بنعمته تتم الصالحات .

= وقال البوصيري - كما في حاشية « المطالب العالية » (٣/ ٣٦٦٠) : « رواه أبو يعلى بسند ضعيف لضعف عبد الرحيم بن موسى » .

قلت : وعبد الرحيم هذا قال فيه أبو حاتم : « مجهول » . الجرح والتعديل (٣٤١/٥) ، وتبعه الذهبي في «المغني» (٢/ ٣٦٨٠) .

[١] - في خ : « شمل » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في خ : « قال الأحبار » .
[٤] - في ز : أحدث .
[٥] - في دلائل النبوة : عهدًا .

وهو بمكة فوافاهم وقد انصرفوا من الحج ، فوجد رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، بمنىٰ والناس حوله فقام مع الناس ، فلما نظر إليه رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « **أنت عبد اللَّه بن سلام ؟** » قال : قلت : نعم . قال : « **ادن** » قال : فدنوت منه قال : « **أنشدك باللَّه يا عبد اللَّه بن سلام ، أما تجدني في التوراة رسول اللَّه ؟** » فقلت له : انعت ربنا . قال : فجاء جبريل حتىٰ وقف بين يدي رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقال له : ﴿ **قل هو اللَّه أحد اللَّه الصمد** ﴾ إلىٰ آخرها ، فقرأها علينا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقال ابن سلام : أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأنك رسول اللَّه ، ثم انصرف ابن سلام إلىٰ المدينة فكتم إسلامه ، فلما هاجر رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم إلىٰ المدينة ، وأنا فوق نخلة لي أجُدُّها ، فألقيت نفسي ، فقالت أمي : للَّه[١] أنت ، لو كان موسىٰ بن عمران ما كان لك[٢] أن تلقي نفسك من رأس[٣] النخلة . فقلت : واللَّه لأنا أسر بقدوم رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم من موسىٰ بن عمران إذ بعث .

وهذا حديث[٤] غريب جدًّا .

[آخر تفسير سورة الرعد ولله الحمد][٥]

☆ ☆ ☆

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - في دلائل النبوة : تم لك .

[٣] - في خ : نفس .

[٤] - سقط من : ت .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت

[تفسير] سورة إبراهيم عليه السلام

[وهي مكية]

الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٌ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ﴿٣﴾

قد تقدم الكلام علىٰ الحروف المقطعة في أوائل السور .

﴿ **كتاب أنزلناه إليك** ﴾ أي : هذا كتاب أنزلناه إليك يا محمد ، وهو القرآن العظيم ، الذي هو أشرف كتاب أنزله اللّه من السماء ، علىٰ أشرف رسول بعثه اللّه في الأرض ، إلىٰ جميع أهلها عربهم وعجمهم . ﴿ **لتخرج**[١] **الناس من الظلمات إلىٰ النور** ﴾ أي : إنما بعثناك يا محمد بهذا الكتاب ؛ لتخرج الناس مما هم فيه من الضلال والغي إلى الهدىٰ والرشد ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **اللّه ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلىٰ النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلىٰ الظلمات** ﴾ الآية . وقال تعالىٰ : ﴿ **هو الذي ينزل علىٰ عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلىٰ النور** ﴾ الآية . وقوله : ﴿ **بإذن ربهم** ﴾ أي : هو الهادي لمن قدر له الهداية علىٰ يدي رسوله المبعوث عن أمره يهديهم ﴿ **إلىٰ صراط العزيز الحميد** ﴾ أي : العزيز الذي لا يمانع ولا يغالب ، بل هو القاهر لكل ما سواه ﴿ **الحميد** ﴾ أي : المحمود في جميع أفعاله وأقواله وشرعه وأمره ونهيه ، الصادق في خبره . وقوله : ﴿ **اللّه الذي له ما في السموات وما في الأرض** ﴾ قرأه بعضهم مستأنفًا مرفوعًا[٢] ، وقرأه آخرون علىٰ الإتباع صفة للجلالة[٣] ؛ كقوله تعالىٰ : ﴿ **قل يا أيها الناس إني رسول اللّه إليكم جميعًا الذي له ملك السموات والأرض** ﴾ الآية . وقوله : ﴿ **وويل للكافرين من عذاب شديد** ﴾ أي : ويل لهم يوم القيامة إذ خالفوك

---

[١] - في خ : « ليخرج » .

[٢] - وهي قراءة نافع وابن عامر .

[٣] - وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وعاصم وحمزة والكسائي .

يا محمد وكذبوك . ثم وصفهم بأنهم يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ، أي : يقدمونها ويؤثرونها عليها ، ويعملون للدنيا ، ونسوا الآخرة وتركوها وراء ظهورهم ﴿ **ويصدون عن سبيل الله** ﴾ وهي اتباع الرسل ﴿ **ويبغونها عوجًا** ﴾ أي : ويحبون أن يكون[١] سبيل الله عوجًا مائلة عائلة ، وهي مستقيمة في نفسها لا يضرها من خالفها ولا من خذلها ، فهم في ابتغائهم ذلك في جهل ، وضلال بعيد من الحق ، لا يرجىٰ لهم - والحالة هذه - صلاح .

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾

هذا من لطفه تعالىٰ بخلقه أنه يرسل إليهم رسلًا منهم بلغاتهم ؛ ليفهموا عنهم ما يريدون وما أرسلوا به إليهم ، كما قال[٢] الإمام أحمد(١)[٣] : حدثنا وكيع ، عن عمر بن ذر ، قال : قال مجاهد عن أبي ذر قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **لم يبعث الله ، عز وجل ، نبيًا إلا بلغة قومه** » .

وقوله : ﴿ **فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء** ﴾ أي : بعد البيان وإقامة الحجة عليهم ، يضل تعالى[٤] من يشاء عن وجه الهدىٰ ، ويهدي من يشاء إلىٰ الحق ﴿ **وهو العزيز**[٥] ﴾ الذي ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ﴿ **الحكيم** ﴾ في أفعاله ، فيضل من يستحق الإضلال ، ويهدي من هو أهل لذلك . وقد كانت هذه سنته في خلقه ، أنه ما بعث نبيًا في أمة إلا أن يكون بلغتهم ، فاختص كل نبي بإبلاغ رسالته[٦] إلىٰ أمته دون غيرهم ، واختص محمد بن عبد الله رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، بعموم الرسالة إلىٰ سائر الناس ، كما ثبت في الصحيحين(٢) عن جابر ؛ قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وآله وسلم : « **أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي ؛ نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلىٰ قومه خاصة**[٧] **وبعثت إلىٰ الناس عامة** » . وله

---

(١) - **إسناده ضعيف للانقطاع بين مجاهد وأبي ذر ، لكن الآية شاهدة له .** وهو في « المسند » (٢١٤٩٠) (١٥٨/٥) ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٤٦/٧) وقال : « رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح إلا أن مجاهدًا لم يسمع من أبي ذر » .

(٢) - تقدم تخريجه [سورة الأعراف / آية ١٥٨] .

---

[١] - في ت : « تكون » .
[٢] - في ت : « روى » .
[٣] - زيادة من : ت .
[٤] - في ت : « الله » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في خ : « رسالاته » .
[٧] - سقط من : ز ، خ .

شواهد من وجوه كثيرة(٣) ، وقال تعالىٰ : ﴿ **قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا** ﴾ .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٥) ﴾

يقول تعالىٰ : وكما أرسلناك يا محمد وأنزلنا عليك الكتاب ؛ لتخرج الناس كلهم تدعوهم إلىٰ الخروج من الظلمات إلىٰ النور ، كذلك أرسلنا موسىٰ في بني إسرائيل بآياتنا .

قال مجاهد : وهي التسع الآيات .

﴿ **أن أخرج قومك من الظلمات** ﴾ أي : أمرناه قائلين له ﴿ **أخرج قومك من الظلمات إلىٰ النور** ﴾ أي : ادعهم إلىٰ الخير ؛ ليخرجوا من ظلمات ما كانوا فيه من الجهل والضلال ، إلىٰ نور الهدىٰ وبصيرة[١] الإيمان .

﴿ **وذكرهم بأيام الله** ﴾ أي : بأياديه ونعمه عليهم ، في إخراجه إياهم من أسر فرعون وقهره وظلمه وغشمه ، وإنجائه إياهم من عدوهم ، وفلقه لهم البحر ، وتظليله إياهم بالغمام ، وإنزاله عليهم المنّ والسلوىٰ ، إلىٰ غير ذلك من النعم ؛ قال ذلك مجاهد وقتادة وغير واحد .

وقد ورد فيه الحديث المرفوع الذي رواه عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل في [مسند أبيه][٢] حيث قال(٤) : حدثني يحيىٰ بن عبد الله مولىٰ بني هاشم ، حدثنا محمد بن أبان الجعفي ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، [عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، في قوله تعالىٰ : ﴿ **وذكرهم بأيام الله** ﴾ قال : « **بنعم الله تبارك وتعالى** » .

---

(٣) - منها حديث حذيفة وحديث أبي هريرة عند مسلم ٤ ، ٥ - (٥٢٢ ، ٥٢٣) ، وحديث أبي موسى عند أحمد (٤/٤١٦) وقد تقدم تخريجه [سورة الأعراف /آية ١٥٨] .

(٤) - **إسناده ضعيف لضعف محمد بن أبان ، لكنه حديث صحيح** ، وهو في « المسند » (٢١٢٠٨) (٥/ ١٢٢) ، وأخرج مسلم (١٧٢) (٢٣٨٠) من حديث أُبَيّ أيضًا مرفوعًا « ... **أيامُ الله نَعْمَاؤُهُ وبلاؤُهُ** ...» .

---

[١] - في ز : « نصر » .

[٢] - في ز ، خ : « مسنده » .

ورواه ابن جرير(٥) [١] وابن أبي حاتم من حديث محمد بن أبان ، به . ورواه عبد الله ابنه(٦)[٢] أيضًا موقوفًا وهو أشبه .

وقوله : ﴿ إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور ﴾ أي : إن[٣] فيما صنعنا بأوليائنا بني إسرائيل حين أنقذناهم من يد فرعون ، وأنجيناهم مما كانوا فيه من العذاب المهين - لعبرةً لكل صبار ، أي : في الضراء ، ﴿ شكورٍ[٤] ﴾ أي : في السراء ، كما قال قتادة : نعم العبد عبد إذا ابتلي صبر ، وإذا أعطي شكر .

[وكذا جاء ، في الصحيح][٥] (٧) عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « **إن أمر المؤمن كله عجب ، لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرًا له ، إن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له ، وإن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له** » .

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾

يقول تعالى مخبرًا عن موسى حين ذكّر قومه بأيام الله عندهم ، ونعمه عليهم إذ أنجاهم

(٥) - كسابقه ، تفسير ابن جرير (١٣/١٨٤) وابن أبي حاتم (٧/١٢٢١١) ، وكذا أخرجه الطيالسي (٥٣٨) وعبد بن حميد في « المنتخب » (١٦٨) من طريق محمد بن أبان به ، وأخرجه النسائي في « التفسير » - كما في « التحفة » (١/٢٧) من طريق زيد بن أبي أنيسة عن إسحاق ، به .

(٦) - **إسناده ضعيف** ، « المسند » (٢١٢٠٩) (٥/١٢٢) من طريق محمد بن أبان أيضًا لكنه موقوف ، وقد صح مرفوعًا عند مسلم كما تقدم رقم (٣) .

(٧) - أخرجه مسلم كتاب الزهد والرقائق ، باب : المؤمن أمره كله خير (٦٤) (٢٩٩٩) من حديث صهيب . والمصنف أورده بمعناه وليس بلفظه . وانظر ما تقدم [سورة الأعراف / آية ٩٥] و [سورة يونس / آية ١٣] .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز : « ابن » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز : « شكورا » .
[٥] - في ت : كذا جاء وفي الصحيح .

من آل فرعون ، وما كانوا يسومونهم به من العذاب والإذلال ، حين كانوا يذبحون من وجد من أبنائهم ويتركون إناثهم ، فأنقذ الله بني إسرائيل من ذلك ، وهذه نعمة عظيمة ؛ ولهذا قال : ﴿ **وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم** ﴾ أي : نعمة عظيمة منه عليكم في ذلك ، أنتم عاجزون عن القيام بشكرها .

وقيل : وفيما كان يصنعه بكم قوم فرعون من تلك الأفاعيل ﴿ **بلاء** ﴾ أي : اختبار عظيم ، ويحتمل أن يكون المراد هذا ، وهذا - والله أعلم - كقوله تعالىٰ : ﴿ **وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وإذ تأذن ربكم** ﴾ أي : آذنكم وأعلمكم بوعده لكم ، ويحتمل أن يكون المعنىٰ : وإذ أقسم ربكم وآلىٰ بعزته وجلاله وكبريائه ، [كما قال][١] : ﴿ **وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلىٰ يوم القيامة** ﴾ .

وقوله][٢] : ﴿ **لئن شكرتم لأزيدنكم** ﴾ أي : لئن شكرتم [نعم الله][٣] لأزيدنكم منها ﴿ **ولئن كفرتم** ﴾ أي : كفرتم النعم وسترتموها وجحدتموها ﴿ **إن عذابي لشديد** ﴾ وذلك بسلبها عنهم ، وعقابه إياهم علىٰ كفرها .

وقد جاء في الحديث(٨) : « **إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه** » .

وفي المسند أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، مر به سائل ، فأعطاه تمرة فتسخطها ولم يقبلها ، ثم مر به آخر فأعطاه إياها فقبلها ، وقال : تمرة من رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فأمر له بأربعين درهمًا ، أو كما قال[٤] الإمام أحمد(٩) :

حدثنا أسود ، حدثنا عمارة الصيدلاني ، عن ثابت ، عن أنس قال : أتىٰ النبيَّ ، صلىٰ

(٨) - تقدم تخريجه [سورة الرعد / آية ٣٩] .

(٩) - « المسند » (١٥٥/٣ ، ٢٦٠) ، ووقع في الموضع الثاني « ثنا إسرائيل » بين أسود وعمارة ، وذكره الهيثمي في موضعين (١٠٥/٣) (١٨٥/٨) وقال في الأول منهما : « رواه أحمد والبزار باختصار وفيه عمارة ابن زاذان وهو ثقة وفيه كلام لا يضر ، وبقية رجاله رجال الصحيح » . وقال في الموضع الثاني : « رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عمارة بن زاذان وثقه جماعة وضعفه الدارقطني » قلت : وعمارة بن زاذان وإن وثقه غير واحد وكذا أحمد في رواية إلا أنه قال - فيما رواه عنه الأثرم ، كما في « التهذيب » - : « يروي عن ثابت عن أنس أحاديث مناكير » .

[١] - في ت : « كقوله تعالى » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ت : « نعمتي عليكم » .

[٤] - مكرة في : ز .

اللَّه عليه وسلم ، سائل ، فأمر له بتمرة فلم يأخذها أو وَحَّشَ[١] [٢] بها . قال : وأتاه آخر فأمر له بتمرة ، فقال : سبحان اللَّه ! تمرة من رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم . فقال للجارية : « **اذهبي[٣] إلىٰ أم سلمة فأعطيه الأربعين درهمًا التي عندها** » . تفرد به الإمام أحمد .

وعمارة بن زاذان وثقه ابن حبان وأحمد ويعقوب بن سفيان[٤] ، وقال ابن معين : صالح . وقال أبو زرعة : لا بأس به . وقال أبو حاتم : يكتب حديثه ولا يحتج به ، ليس بالمتين . وقال البخاري : ربما يضطرب[٥] في حديثه . وعن أحمد أيضًا أنه قال : روي عنه أحاديث منكرة . وقال أبو داود : ليس بذلك . وضعفه الدارقطني ، وقال ابن عدي : لا بأس به ، ممن يكتب حديثه .

[وقوله تعالىٰ][٦] : ﴿ **وقال موسىٰ إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعًا فإن اللَّه لغني حميد** ﴾ أي : هو غني عن شكر عباده ، وهو الحميد المحمود وإن كفره من كفره ؛ [كما قال تعالى][٧] : ﴿ **إن تكفروا فإن اللَّه غني عنكم ولا يرضىٰ لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم** ﴾ . [وقال تعالى][٨] : ﴿ **فكفروا وتولوا واستغنىٰ اللَّه واللَّه غني حميد** ﴾ .

وفي صحيح مسلم(١٠) : عن أبي ذر ، عن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فيما يَرْوِي عن ربه عز وجل أنه قال : « **يا عبادي ، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم ، كانوا علىٰ أتقىٰ قلب رجل واحدٍ[٩] منكم ، ما زاد ذلك في ملكي شيئًا ، يا عبادي ، لو أن أولكم و آخركم وإنسكم وجنكم ، [كانوا علىٰ أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئًا ، يا عبادي ، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم][١٠] ، قاموا في صعيد واحد فسألوني ، فأعطيت كل إنسان مسألته ، ما نقص ذلك من ملكي شيئًا ، إلا كما ينقص المخِيْطُ إذا أُدخِلَ في[١١] البحر** » . فسبحانه وتعالىٰ الغني الحميد !

(١٠) - صحيح مسلم ، كتاب : البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم (٥٥) (٢٥٧٧) .

[١] - في ز : « رحش » ، وغير واضحة في خ .
[٢] - أي : رماها .
[٣] - في ز ، خ : « اذهبوا » .
[٤] - في خ : « عثمان » .
[٥] - في ز ، خ : « يضرب » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ت : « كقوله » .
[٨] - في ت : « وقوله » .
[٩] - زيادة من : « مسلم » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[١١] - سقط من : ت .

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾﴾

قال ابن جرير(١١) : هذا من تمام قيل موسىٰ لقومه . يعني : وتذكاره إياهم بأيام اللَّه ، بانتقامه من الأمم المكذبة للرسل .

وفيما قال ابن جرير نظر ، والظاهر أنه خبر[١] مستأنف من اللَّه تعالىٰ لهذه الأمة ، فإنه قد قيل : إن قصة عاد وثمود ليست في التوراة ، فلو كان هذا من كلام موسىٰ لقومه وقصِّهِ عليهم ذلك ، فلا شك[٢] أن تكون[٣] هاتان القصتان في التوراة ، واللَّه أعلم . وبالجملة ، فاللَّه تعالىٰ قد قص علينا خبر قوم نوح وعاد وثمود ، وغيرهم من الأمم المكذبة للرسل ، مما لا يحصي عددهم[٤] إلا اللَّه عز وجل ﴿ **جاءتهم[٥] رسلهم بالبينات** ﴾ أي : بالحجج والدلائل الواضحات الباهرات القاطعات .

وقال [أبو إسحاق](١٢)[٦] ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد اللَّه أنه قال في قوله : ﴿ **لا يعلمهم إلا اللَّه** ﴾ : كذب النسابون .

وقال[٧] عروة بن الزبير : ما وجدنا أحدًا يعرف ما بعد معدّ بن عدنان .

(١١) - تفسير ابن جرير (١٨٧/١٢) .

(١٢) - وقد ورد مرفوعًا من حديث ابن عباس ، أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (٤٧/١) ، وابن عساكر في « التاريخ » (٣٩٢/١ مخطوط) من طريق هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه عن ابن عباس به ، وهشام متروك ، وأبوه كذاب .

[١] - في ز : « خبرا » .

[٢] - في ز : « ولاشك » .

[٣] - في خ : « يكون » .

[٤] - في خ : « عدده » .

[٥] - في ز ، خ : « أتتهم » .

[٦] - في (ز ، خ) « ابن إسحاق » ، والمثبت من « الطبقات لابن سعد » (٤٧/١) ، وتفسير ابن جرير (١٨٧/١٢) .

[٧] - في ت : « قال » .

وقوله : ﴿ فردوا أيديهم في أفواههم ﴾ اختلف المفسرون في معناه ؛ فقيل[١] : معناه أنهم أشاروا إلىٰ أفواه الرسل ، يأمرونهم بالسكوت عنهم لما دعوهم إلىٰ الله عز وجل .

وقيل : بل وضعوا أيديهم علىٰ أفواههم تكذيبًا لهم . وقيل : بل هو عبارة عن سكوتهم عن جواب الرسل .

وقال مجاهد ومحمد بن كعب وقتادة : معناه[٢] أنهم كذبوهم وردوا عليهم قولهم بأفواههم .

قال ابن جرير(١٣) : وتوجيهه أن « في » هٰهنا[٣] بمعنىٰ الباء ، قال : وقد سمع من العرب : أدخلك الله بالجنة ، يعنون في الجنة ، وقال الشاعر :

وأَرْغَبُ فيها عن لَقِيطٍ وَرَهْطِهِ ولكِنَّني عن سِنْبِسٍ لستُ أَرْغَبُ

يريد : أرغب بها .

قلت : ويؤيد[٤] قول مجاهد تفسير ذلك بتمام الكلام ﴿ وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب ﴾ فكأن هذا [-والله أعلم-][٥] تفسير لمعنىٰ ﴿ فردوا أيديهم في أفواههم ﴾ .

وقال سفيان الثوري وإسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله في قوله ﴿ فردوا أيديهم في أفواههم ﴾ قال : عضوا عليها غضًّا[٦] .

وقال شعبة ، عن أبي إسحاق عن [هبيرة بن يريم][٧] ، عن عبد الله أنه قال ذلك أيضًا .

وقد اختاره عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، ووجهه ابن جرير مختارًا له بقوله تعالىٰ عن المنافقين : ﴿ وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ ﴾ .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : لما سمعوا كلام الله عجبوا ، ورجعوا بأيديهم إلىٰ أفواههم .

---

(١٣) - تفسير ابن جرير (١٨٩/١٢) .

---

[١] - في ت : « قيل » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ت : « هنا » .
[٤] - في خ : « ويريد » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ت : « غَليظًا » .
[٧] - في ز ، خ : هبيرة بن مريم . وفي ت : أبي هبيرة بن مريم . وكل ذلك تحريف ، والصواب ما أثبتناه . وانظر ترجمته في تهذيب التهذيب [٢٦٣/٤] ط الرسالة

﴿ وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب ﴾ يقولون : لا نصدقكم فيما جئتم به[١] ، فإن عندنا فيه شكا قويًّا .

۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾

يخبر تعالىٰ عما دار بين الكفار وبين رسلهم من المجادلة ، وذلك أن أممهم لما واجهوهم بالشك فيما جاءوهم به من عبادة اللَّه وحده لا شريك له ، قالت[٢] الرسل : ﴿ أفي اللَّه شك ﴾ وهذا يحتمل شيئين ؛ أحدهما : أفي وجوده شك ؟! فإن الفِطَرَ شاهدة بوجوده ، ومجبولة علىٰ الإقرار به ، فإن الاعتراف به ضروري في الفطر[٣] السليمة ، ولكن قد يعرض لبعضها شك واضطراب ، فتحتاج إلىٰ [النظر في الدليل][٤] الموصل إلىٰ وجوده ، ولهذا قالت لهم الرسل ترشدهم إلىٰ طريق معرفته بأنه : ﴿ فاطر السموات والأرض ﴾ الذي خلقهما وابتدعهما علىٰ غير مثال سبق ، فإن شواهد الحدوث[٥] والخلق والتسخير ظاهر عليهما ، فلابد لهما[٦] من صانع وهو اللَّه لا إله إلا هو ، خالق كل شيء وإلهه ومليكه .

والمعنىٰ الثاني : في قولهم : ﴿ أفي اللَّه شك ﴾ أي : أفي إلهيته وتفرده بوجوب العبادة له شك ، وهو الخالق لجميع الموجودات ، ولا يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك له ؛ فإن غالب الأمم كانت مقرة بالصانع ، ولكن تعبد معه غيره من الوسائط التي يظنونها تنفعهم ، أو تقربهم من اللَّه زلفىٰ .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز ، خ : « قال » .
[٣] - في خ : « البطن » .
[٤] - في ز : « الدليل في النظر » .
[٥] - في ز ، خ : « الحدث » .
[٦] - في ز : « لها » .

وقالت لهم رسلهم : [﴿ **يدعوكم ليغفر**][١] **لكم من ذنوبكم** ﴾ أي : في الدار الآخرة ﴿ **ويؤخركم إلىٰ أجل مسمىٰ** ﴾ [أي : في الدنيا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعًا حسنًا إلىٰ أجل مسمىٰ**][٢] **ويؤت كل ذي فضل فضله** ﴾ الآية ، فقالت لهم الأمم محاجين في مقام الرسالة ، بعد تقدير تسليمهم للمقام الأول ، وحاصل ما قالوه : ﴿ **إن أنتم إلا بشر مثلنا** ﴾ أي : كيف نتبعكم بمجرد قولكم ، ولما نر منكم معجزة ﴿ **فأتونا بسلطان مبين** ﴾ أي : خارق نقترحه عليكم .

﴿ **قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم** ﴾ أي : صحيح أنا بشر مثلكم في البشرية ﴿ **ولكن اللَّه يمنّ علىٰ من يشاء من عباده** ﴾ أي : بالرسالة والنبوة ﴿ **وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان** ﴾ علىٰ وفق ما سألتم ﴿ **إلا بإذن اللَّه** ﴾ أي : بعد سؤالنا إياه ، وإذنه لنا في ذلك ﴿ **وعلىٰ اللَّه فليتوكل المؤمنون** ﴾ أي : في جميع أمورهم .

ثم قالت الرسل : ﴿ **وما لنا أن لا نتوكل علىٰ اللَّه** ﴾ أي : وما يمنعنا من التوكل عليه وقد هدانا لأقوم الطرق وأوضحها وأبينها ﴿ **ولنصبرن علىٰ ما آذيتمونا** ﴾ أي : من الكلام السيئ والأفعال السخيفة ﴿ **وعلىٰ اللَّه فليتوكل المتوكلون** ﴾ .

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾

يخبر تعالىٰ عما توعدت به الأمم الكافرة رسلهم من الإخراج من أرضهم ، والنفي من بين أظهرهم ، كما قال قوم شعيب له ولمن آمن به : ﴿ **لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا**[٣] **أو لتعودن في ملتنا** ﴾ ، وكما قال قوم لوط : ﴿ **أخرجوا آل لوط من**

---

[١] - في خ : « الرسل تدعوكم ليغفر » . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : « أرضنا » .

قريتكم إنهم أناس يتطهرون ﴾ . وقال تعالىٰ إخبارًا عن مشركي قريش : ﴿ **وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذًا لا يلبثون خلافك إلا قليلًا** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر اللَّه واللَّه خير الماكرين** ﴾ .

وكان[١] من صنعه تعالىٰ أنه أظهر رسوله ونصره ، وجعل له بسبب خروجه من مكة أنصارًا وأعوانًا ، وجندًا يقاتلون في سبيل اللَّه تعالى ، ولم يزل يرقيه تعالىٰ من شيء إلى شيء حتىٰ فتح له مكة التي أخرجته ، ومكّن له فيها ، وأرغم آناف[٢] أعدائه منهم ومن سائر أهل الأرض ، حتىٰ دخل الناس في دين اللَّه أفواجًا ، وظهرت كلمة اللَّه ودينه علىٰ سائر الأديان ، في مشارق الأرض ومغاربها ، في أيسر زمان ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **فأوحىٰ إليهم ربهم لنهلكن الظالمين * ولنسكننكم الأرض من بعدهم** ﴾ ، وكما قال تعالى : ﴿ **ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * إنهم لهم المنصورن * وإن جندنا لهم الغالبون** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **كتب اللَّه لأغلبن أنا ورسلي إن اللَّه لقوي عزيز** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون** ﴾ . ﴿ **وقال موسىٰ لقومه استعينوا باللَّه واصبروا إن الأرض للَّه يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها [وتمت كلمة ربك الحسنىٰ علىٰ بني إسرائيل بما صبروا]**[٣] **ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد** ﴾ أي : وعدي[٤] هذا[٥] لمن خاف مقامه بين يدي يوم القيامة ، وخشي من وعيدي وهو تخويفي وعذابي ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فأما من طغىٰ * وآثر الحياة الدنيا * فإن الجحيم هي المأوىٰ [وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى]**[٦] ﴾ ، وقال : ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾ .

وقوله : ﴿ **واستفتحوا** ﴾ أي : استنصرت الرسل ربها علىٰ قومها ؛ قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : استفتحت الأمم علىٰ أنفسها ؛ كما قالوا : ﴿ **اللهم**

---

[١] - في خ : « فكان » .
[٢] - في ت : « أنوف » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ت : « وعيدي » .
[٥] - سقط من : ر .
[٦] - سقط من : خ .

إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ﴾ .

ويحتمل أن يكون هذا مرادًا وهذا مرادًا ، كما أنهم استفتحوا علىٰ أنفسهم يوم بدر واستفتح رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وانتصر[١] ، وقال اللَّه تعالىٰ للمشركين : ﴿ **إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم** ﴾ الآية ، واللَّه أعلم .

﴿ **وخاب كل جبار عنيد** ﴾ أي : متجبر في نفسه ، [ ][٢] معاند للحق ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ألقيا في جهنم كل كفار عنيد * مناع للخير معتد مريب * الذي جعل مع اللَّه إلهًا آخر فألقياه في العذاب الشديد** ﴾ .

وفي الحديث(١٤) : « **إنه يؤتىٰ بجهنم يوم القيامة فتنادي الخلائق ، فتقول : إني وكلت بكل جبار عنيد** ...» الحديث . خاب وخسر حين اجتهد الأنبياء في الابتهال إلىٰ ربها العزيز المقتدر .

وقوله : ﴿ **من ورائه جهنم** ﴾ وراء هنا بمعنىٰ أمام ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبًا** ﴾ وكان ابن عباس يقرؤها : (وكان أمامهم ملك) أي : من وراء الجبار العنيد جهنم ، أي : هي[٣] له بالمرصاد ، يسكنها مخلدًا يوم المعاد ، ويعرض عليها غدوًّا وعشيًّا إلىٰ[٤] يوم التناد .

﴿ **ويسقىٰ من ماء صديد** ﴾ أي : في النار ، ليس له شراب إلا من حميم أو[٥] غساق ، فهذا حار في غاية الحرارة ، وهذا بارد في غاية البرد والنتن ، كما قال : ﴿ **هذا فليذوقوه حميم وغساق * وآخر من شكله أزواج** ﴾ .

قال مجاهد وعكرمة : الصديد من القيح والدم .

وقال قتادة : هو ما يسيل من لحمه وجلده . وفي رواية عنه : الصديد ما يخرج من جوف الكافر ، قد خالط القيح والدم .

---

(١٤) - لم أهتد إليه بهذا اللفظ ، وأخرج الترمذي ، كتاب : صفة جهنم ، باب : ما جاء في صفة النار (٢٥٧٤) من حديث أبي هريرة مرفوعًا : « تخرج عنق من النار يوم القيامة لها عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق ، يقول : إني وكلت بثلاثة : بكل جبار عنيد .... » وفي الباب عن أبي سعيد الخدري عند أحمد (٤٠/٣) وفي إسناده عطية العوفي وهو ضعيف .

---

[١] - في ت : « واستنصر » .
[٢] - ما بين المعكوفين في ت : عنيد .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ز : « أي » .
[٥] - في ت : « و » .

وفي حديث شهر بن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد[١] بن السكن ؛ قالت : قلت : يا رسول الله ، ما طينة الخبال ؟ قال : « **صديد أهل النار** »(١٥) . وفي رواية : « **عُصارة أهل النار** »(١٦) .

وقال الإمام أحمد(١٧) : حدثنا علي بن إسحاق ، أنبأنا عبد الله ، أنا صفوان بن عمرو ، عن عبيد الله بن بسر[٢] عن أبي أمامة ، رضي الله عنه ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، في قوله : ﴿ **ويسقىٰ من ماء صديد يتجرعه** ﴾ قال[٣] : « **يقرب إليه فيتكرهه[٤] ، فإذا أدني منه شوىٰ وجهه ، ووقعت فروة رأسه ، فإذا شربه قطع أمعاءه حتىٰ يخرج من دبره** » . يقول الله تعالىٰ : ﴿ **وسقوا ماء حميمًا فقطع أمعاءهم** ﴾ ، ويقول : ﴿ **وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب** ﴾ .

وهكذا رواه ابن جرير(١٨) : من حديث عبد الله بن المبارك ، به . ورواه هو وابن أبي حاتم : من حديث بقية بن الوليد ، عن صفوان بن عمرو ، به .

وقوله : ﴿ **يتجرعه** ﴾ أي : يتغصصه ويتكرهه ، أي : يشربه قهرًا وقسرًا[٥] ، لا يضعه في فيه[٦] حتىٰ يضربه الملك بمطراق من حديد ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولهم مقامع من حديد** ﴾ .

---

(١٥) - **إسناده ضعيف لضعف شهر بن حوشب** ، أخرجه أحمد (٤٦٠/٦) ، والطبراني (٢٤/ رقم ٤٢٨) وانظر ما بعده .

(١٦) - **صحيح** ، أخرجه ابن ماجة (٣٣٧٧) ، وصححه ابن حبان (٥٣٥٧/١٢) من حديث عبد الله بن عمرو ، وأخرجه أحمد (١٧١/٥) ، والبزار (٢٩٢٦/٣) ، والطبراني كما في « المجمع » (٧٢/٥) من حديث أبي ذر ، وفي إسناده ضعف وجهالة ، وحديث عبد الله بن عمرو عند أحمد (١٨٩/٢) ، وصححه الحاكم (١٤٥/٤ - ١٤٦) ووافقه الذهبي لكن لفظه « **صديد أهل النار** » .

(١٧) - **إسناده ضعيف لجهالة عبيد الله بن بسر** ، والحديث في « المسند » (٢٦٥/٥) ، وأخرجه أيضًا الترمذي (٢٥٨٦) ، والنسائي في « الكبرى » (١١٢٦٣/٦) وغيرهم وقال الترمذي : « هذا حديث غريب وهكذا قال محمد بن إسماعيل - البخاري - عن عبيد الله بن بسر ولا نعرف عبيد الله بن بسر إلا في هذا الحديث » . وانظر ما بعده .

(١٨) - **كسابقه** ، تفسير ابن جرير (١٩٥/١٣ ، ١٩٦) والحديث في « الزهد » لابن المبارك (٣١٤/ زوائد نعيم بن حماد) وأخرجه أيضًا الطبراني في « الكبير » (٧٤٦٠/٨) ، والحاكم في « المستدرك » (٣٥١/٢ ، ٣٦٨ - ٣٦٩) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي !! وأخرجه أبو نعيم في « الحلية » =

---

[١] - في ز ، خ : « زيد » .
[٢] - في (ز ، خ) : « بشر » .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - في خ : فيكرهه .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في ت : « فمه » .

﴿ **ولا يكاد يسيغه** ﴾ أي : يردده[١] لسوء لونه وطعمه وريحه ، وحرارته[٢] أو برده الذي لا يستطاع .

﴿ **ويأتيه الموت من كل مكان** ﴾ أي : يألم له جميع بدنه وجوارحه وأعضائه .

قال ميمون بن مهران : من كل عظم وعصب وعرق ، وقال عكرمة : حتى من أطراف شعره .

وقال إبراهيم التيمي : من موضع كل شعرة ، أي : من جسده ، حتىٰ من أطراف شعره .

وقال ابن جرير : ﴿ **ويأتيه الموت من كل مكان** ﴾ أي : من أمامه [وخلفه . وفي رواية : و][٣] عن يمينه وشماله ، ومن فوقهم[٤] ومن تحت أرجلهم[٥] ، ومن سائر أعضاء جسده .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس : ﴿ **ويأتيه الموت من كل مكان** ﴾ قال : أنواع العذاب الذي يعذبه اللَّه بها يوم القيامة في نار جهنم ، وليس منها نوع إلا [يأتيه الموت][٦] منه لو كان يموت ، ولكن لا يموت ؛ لأن اللَّه تعالىٰ قال : ﴿ **لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها** ﴾ .

ومعنىٰ كلام ابن عباس ، رضي اللَّه عنهما[٧] : أنه ما من نوع من هذه الأنواع من العذاب إلا إذا ورد عليه اقتضىٰ أن يموت منه لو كان يموت ، ولكنه لا يموت ليخلد في دوام العذاب والنكال ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميّت** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ومن ورائه عذاب غليظ** ﴾ أي : وله من بعد هذا الحال عذاب آخر غليظ ، أي : مؤلم صعب شديد أغلظ من الذي قبله وأدهىٰ[٨] وأمر ، وهذا كما قال تعالىٰ عن شجرة الزقوم : ﴿ **إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم * طلعها كأنه رءوس الشياطين * فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون * ثم إن لهم لشوبًا من حميم * ثم إن مرجعهم**

= (١٨٢/٨) والبيهقي في « البعث والنشور » (٦٠٢) والبغوي في « شرح السنة » (٤٤٠٥) كلهم من طريق صفوان بن عمرو ، به ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١٣٨/٤) إلى أبي يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه .

[١] - في ت : « يزدريه » .

[٢] - في خ : « لحرارته » .

[٣] - في ز ، خ : « ورائه » .

[٤] - في ت : « فوقه » .

[٥] - في ت : « أرجله » .

[٦] - في خ : « الموت يأتيه » .

[٧] - في خ : « عنه » .

[٨] - في ز : « وأوهى » .

إلىٰ الجحيم ﴾ فأخبر أنهم تارة يكونون في أكل زقوم ، وتارة في شرب حميم ، وتارة يردون إلىٰ جحيم[١] ، عياذًا باللَّه من ذلك ، وهكذا قال تعالىٰ : ﴿ **هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **إن شجرة الزقوم * طعام الأثيم * كالمهل يغلي في البطون * كغلي الحميم * خذوه فاعتلوه إلىٰ سواء الجحيم * ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم * ذق إنك أنت العزيز الكريم * إن هذا ما كنتم به تمترون** ﴾ ، وقال : ﴿ **وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال * في سموم وحميم * وظل من يحموم * لا بارد ولا كريم** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **هذا وإن للطاغين لشر مآب * جهنم يصلونها فبئس المهاد * هذا فليذوقوه حميم وغساق وآخر من شكله أزواج** ﴾ إلىٰ غير ذلك من الآيات الدالة علىٰ تنوع العذاب عليهم ، وتكراره وأنواعه وأشكاله مما لا يحصيه إلا اللَّه عز وجل جزاءً وفاقًا ﴿ **وما ربك بظلام للعبيد** ﴾ .

مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

هذا مثل ضربه اللَّه تعالىٰ لأعمال الكفار : الذين عبدوا [مع الله][٢] غيره ، وكذبوا رسله ، وبنوا أعمالهم علىٰ غير أساس صحيح ، فانهارت وعدموها أحوج ما كانوا إليها ، فقال تعالىٰ : ﴿ **مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم** ﴾ أي : مثل [أعمال الذين كفروا][٣] يوم القيامة إذا طلبوا ثوابها من اللَّه تعالىٰ ، لأنهم كانوا يحسبون أنهم [ ][٤] علىٰ شيء ، فلم يجدوا شيئًا ، ولا ألفوا حاصلًا إلا كما يتحصل من الرماد إذا اشتدت به الريح العاصفة ﴿ **في يوم عاصف** ﴾ أي : ذي ريح شديدة[٥] عاصفة قوية ، [فلا يقدرون][٦] علىٰ [شيء من أعمالهم التي كسبوا في الدنيا ، إلا كما يقدرون علىٰ][٧] جمع هذا الرماد في هذا اليوم ، [كما قال تعالىٰ][٨] : ﴿ **وقدمنا إلىٰ ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورًا** ﴾ ، وقال[٩] تعالىٰ : ﴿ **مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم اللَّه ولكن أنفسهم يظلمون** ﴾ وقوله تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذىٰ كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن باللَّه واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه**

---

[١] – في خ : « الجحيم » .
[٢] – في ت : « معه » .
[٣] – في ما بين المعكوفين في ت : « أعمالهم » .
[٤] – ما بين المعكوفين في ت : كانوا .
[٥] – سقط من : ز .
[٦] – في ت : « فلم يقدروا » .
[٧] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٨] – في ت : « كقوله تعالى » .
[٩] – في ت : « وقوله » .

صلدًا لا يقدرون علىٰ شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ .

وقوله[١] في هذه الآية : ﴿ **ذلك هو الضلال البعيد** ﴾ أي : سعيهم وعملهم علىٰ غير أساس ولا استقامة ، حتىٰ فقدوا ثوابهم أحوج ما كانوا إليه ﴿ **ذلك هو الضلال البعيد** ﴾ .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن قدرته علىٰ معاد الأبدان يوم القيامة بأنه خلق السموات والأرض التي هي أكبر من خلق الناس ، أفليس الذي قدر علىٰ خلق هذه السموات في ارتفاعها واتساعها وعظمتها ، وما فيها من الكواكب الثوابت والسيارات ، والحركات المختلفات ، والآيات الباهرات ، وهذه الأرض بما فيها من مهاد ووهاد وأوتاد ، وبراري وصحاري ، وقفار وبحار ، وأشجار ونبات وحيوان ، علىٰ اختلاف أصنافها ومنافعها وأشكالها وألونها ﴿ **أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يَعْيَ بخلقهن بقادر علىٰ أن يحيي الموتىٰ بلىٰ إنه علىٰ كل شيء قدير** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين * وضرب لنا مثلًا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم * قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم * الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارًا فإذا أنتم منه توقدون * أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر علىٰ أن يخلق مثلهم بلىٰ وهو الخلاق العليم * إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون * فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد * وما ذلك علىٰ الله بعزيز** ﴾ أي : بعظيم ولا ممتنع ، بل هو سهل عليه إذا خالفتم أمره ، [أن يذهبكم ويأت بآخرين علىٰ غير صفتكم ؛ كما قال : ﴿ **يا أيها الناس أنتم الفقراء إلىٰ الله والله هو الغني الحميد**][٢] * **إنْ يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد * وما ذلك علىٰ الله بعزيز** ﴾ ، وقال : ﴿ **وإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم ثم لايكونوا أمثالكم** ﴾ ، وقال : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا من يرتدَّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه** ﴾ ، وقال : ﴿ **إن يشأ يذهبكم [أيها الناس][٣] ويأت بآخرين، وكان الله علىٰ ذلك قديرًا** ﴾ .

---

[١] - في خ : « وقال » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾

يقول تعالىٰ[١] : ﴿ **وبرزوا** ﴾ أي : برزت الخلائق كلها ؛ برها وفاجرها للّٰه الواحد القهار ، أي : اجتمعوا له في براز من الأرض ، وهو المكان الذي ليس[٢] فيه شيء يستر أحدًا .

﴿ **فقال الضعفاء** ﴾ وهم الأتباع لقادتهم وسادتهم وكبرائهم ﴿ **للذين استكبروا** ﴾ عن عبادة اللّٰه وحده لا شريك له ، وعن موافقة الرسل فقالوا[٣] لهم : ﴿ **إنا كنا لكم تبعًا** ﴾ أي : مهما أمرتمونا ائتمرنا وفعلنا ﴿ **فهل أنتم مغنون عنا من عذاب اللّٰه من شيء** ﴾ أي : فهل تدفعون عنا شيئًا من عذاب اللّٰه كما كنتم تعدوننا وتمنوننا ؟ فقالت القادة لهم : ﴿ **لو هدانا اللّٰه لهديناكم** ﴾ ولكن حق علينا قول ربنا ، وسبق فينا وفيكم قدر اللّٰه ، وحقت كلمة العذاب علىٰ الكافرين .

﴿ **سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص** ﴾ أي : ليس لنا خلاص مما نحن فيه إن صبرنا عليه أو جزعنا منه .

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : إن أهل النار قال بعضهم لبعض : تعالوا فإنما أدرك أهل الجنة الجنة ببكائهم وتضرعهم إلىٰ اللّٰه عز وجل ، تعالوا نبك ونتضرع إلىٰ اللّٰه ، فبكوا وتضرعوا ، فلما رأوا ذلك لا ينفعهم قالوا : [تعالوا فإنما][٤] أدرك أهل الجنة الجنة بالصبر ، تعالوا حتىٰ نصبر ، فصبروا صبرًا لم ير مثله ، فلم ينفعهم ذلك فعند ذلك قالوا : ﴿ **سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص** ﴾ .

قلت : والظاهر أن هذه المراجعة في النار بعد دخولهم إليها ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعًا فهل أنتم مغنون عنا نصيبًا من النار قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن اللّٰه قد حكم بين العباد** ﴾ ، وقال

---

[١] – سقط من : خ .
[٢] – في خ : « يستر » .
[٣] – في ت: « قالوا » .
[٤] – في ت : « إنما » .

تعالىٰ : ﴿ قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتىٰ إذا اداركوا فيها جميعًا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابًا ضعفًا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون * وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ [يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يٰليتنا أطعنا اللَّه وأطعنا الرسولا * وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا][١] وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنًا كبيرًا[٢] ﴾ .

وأما تخاصمهم في المحشر فقال تعالىٰ : ﴿ ولو ترىٰ إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلىٰ بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين * قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدىٰ بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين * وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر باللَّه ونجعل له أندادًا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون[٣] إلا ما كانوا يعملون ﴾ .

وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢) وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ (٢٣)

يخبر تعالىٰ عما خاطب به إبليس أتباعه بعد ما قضىٰ اللَّه بين عباده ، فأدخل المؤمنين الجنات ، وأسكن الكافرين الدركات ، فقام فيهم إبليس ، لعنه اللَّه ، يومئذ خطيبًا ؛ ليزيدهم حزنا إلىٰ حزنهم ، وغبنا إلىٰ غبنهم ، وحسرة إلىٰ حسرتهم ، فقال : ﴿ إن اللَّه وعدكم وعد الحق ﴾ أي : علىٰ ألسنة رسله ، ووعدكم في اتباعهم النجاة والسلامة ، وكان وعدًا

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٢] - في ز ، خ : « كثيرًا » .

[٣] - في خ : « تجزون » .

حقًّا وخبرًا صدقًا ، وأما أنا فوعدتكم فأخلفتكم ؛ كما قال الله[١] تعالىٰ : ﴿ **يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورًا** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **وما كان لي عليكم من سلطان** ﴾ أي : ما كان لي عليكم فيما دعوتكم إليه من دليل ولا حجة على صدق ما وعدتكم به ﴿ **إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي** ﴾ بمجرد ذلك ، هذا وقد أقامت عليكم الرسل الحجج والأدلة الصحيحة علىٰ صدق ما جاءوكم به ، فخالفتموهم فصرتم إلىٰ ما أنتم فيه ﴿ **فلا تلوموني** ﴾ اليوم ﴿ **ولوموا أنفسكم** ﴾ فإن الذنب لكم لكونكم خالفتم الحجج ، واتبعتموني بمجرد ما دعوتكم إلىٰ الباطل ﴿ **ما أنا بمصرخكم** ﴾ أي : بنافعكم فمنقذكم[٢] ومخلصكم مما أنتم فيه ﴿ **وما أنتم بمصرخي** ﴾ أي : بنافعي بإنقاذي مما أنا فيه من العذاب والنكال ﴿ **إني كفرت بما أشركتمون من قبل** ﴾ .

قال قتادة : أي : بسبب ما أشركتمون من قبل .

وقال ابن جرير : يقول : إني جحدت أن[٣] أكون شريكًا للَّه عز وجل .

وهذا الذي قاله هو الراجح ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ومن أضل ممن يدعو من دون اللَّه من لا يستجيب له إلىٰ يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين** ﴾ ، وقال : ﴿ **كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدًّا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إن الظالمين** ﴾ أي : في إعراضهم عن الحق ، واتباعهم الباطل ﴿ **لهم عذاب أليم** ﴾ .

والظاهر من سياق الآية : أن هذه الخطبة تكون من إبليس بعد دخولهم النار كما قدمنا ، ولكن قد ورد في حديث رواه ابن أبي حاتم - وهذا لفظه - وابن جرير(١٩) : من رواية عبد الرحمن بن زياد ، حدثني دخين[٤] الحجري ، عن عقبة بن عامر ، عن رسول اللَّه ،

---

(١٩) - **إسناده ضعيف لضعف عبد الرحمن بن زياد** ، أخرجه ابن جرير (٢٠١/١٣) ، والبخاري في « خلق أفعال العباد » (٦٠٦) ، والدارمي (٢٨٠٧) ، وابن المبارك في « الزهد » (٣٧٤ - زوائد نعيم بن حماد) ، والطبراني في « الكبير » (٨٨٧/١٧) ، وضعف إسناده السيوطي في « الدر المنثور » (١٤٠/٤) ، وزاد نسبته إلى ابن مردويه وابن عساكر ، وقال الهيثمي في « المجمع » (٣٧٩/١٠) : « رواه الطبراني وفيه عبد الرحمن ابن زياد بن أنعم وهو ضعيف » .

---

[١] - زيادة من : خ .

[٢] - في خ : « ومنقذكم » .

[٣] - سقط من : « ت » .

[٤] - في خ : « دحين » .

صلىٰ الله عليه وسلم ، أنه قال : « **إذا جمع الله الأولين والآخرين ، فقضىٰ بينهم ففرغ من القضاء ، قال المؤمنون : قد قضىٰ بيننا ربنا فمن يشفع لنا ؟ فيقولون : انطلقوا بنا إلىٰ آدم** – وذكر نوحًا ، وإبراهيم ، وموسىٰ ، وعيسىٰ – **فيقول عيسىٰ : أدلكم علىٰ النبي الأمي ، فيأتوني فيأذن الله لي أن أقوم إليه ، فيثور من مجلسي من أطيب ريح شمها أحد قط ، حتىٰ آتي ربي فيشفعني ، ويجعل لي نورًا من شعر رأسي إلىٰ ظفر قدمي ، ثم يقول الكافرون : هذا قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فمن يشفع لنا ؟ ما هو إلا إبليس هو الذي أضلنا ؛ فيأتون إبليس فيقولون : قد وجد المؤمنون من يشفع لهم ، فقم أنت فاشفع لنا ؛ فإنك أنت أضللتنا ، فيقوم فيثور من مجلسه من أنتن ريح شمها أحد قط ، ثم [يعظم نحيبهم] ويقول الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم** » .

وهذا سياق ابن أبي حاتم . ورواه ابن المبارك ، عن رشدين[١] بن سعد ، عن عبد الرحمن ابن زياد بن أنعم ، عن دخين[٢] ، عن عقبة به مرفوعًا .

وقال محمد بن كعب القرظي رحمه الله : لما قال أهل النار : ﴿ **سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص** ﴾ قال لهم إبليس : ﴿ **إن الله وعدكم وعد الحق** ﴾ الآية ، فلما سمعوا مقالته مقتوا أنفسهم فنودوا : ﴿ **لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلىٰ الإيمان فتكفرون** ﴾ .

وقال عامر الشعبي : يقوم خطيبان[٣] يوم القيامة علىٰ رءوس الناس ، يقول الله تعالىٰ لعيسىٰ ابن مريم : ﴿ **أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله** ﴾ ؟ – إلىٰ قوله – ﴿ **قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم** ﴾ قال : ويقوم إبليس ، لعنه الله ، فيقول : ﴿ **ما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي** ﴾ الآية .

ثم لما ذكر تعالىٰ مآل الأشقياء وما صاروا إليه من الخزي والنكال ، وأن خطيبهم إبليس ، عطف بحال[٤] السعداء [وأنهم يدخلون يوم القيامة][٥] جنات تجري من تحتها الأنهار سارحة فيها حيث ساروا وأين ساروا ﴿ **خالدين فيها** ﴾ ماكثين أبدًا لا يحولون ولا يزولون

---

[١] – في ز : « رشد » .
[٢] – في خ : « دحين » .
[٣] – في ز : « خطبتان » .
[٤] – في ت : « بمآل » .
[٥] – في ت : « وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات » .

﴿ بإذن ربهم تحيتهم فيها سلام ﴾ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ حتىٰ إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ ويلقون فيها تحية وسلاما ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد للّه رب العالمين ﴾ .

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ مثلًا كلمة طيبة ﴾ شهادة أن لا إله إلا اللّه ﴿ كشجرة طيبة ﴾ وهو المؤمن ﴿ أصلها ثابت ﴾ يقول : لا إله إلا اللّه في قلب المؤمن ﴿ وفروعها في السماء ﴾ يقول : يرفع بها عمل المؤمن إلىٰ السماء .

وهكذا[١] قال الضحاك وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة وغير واحد : إن ذلك عبارة عن المؤمن وقوله الطيب وعمله الصالح ، وإن المؤمن كشجرة من النخل لا يزال يرفع له عمل صالح في كل حين ووقت ، وصباح ومساء .

وهكذا رواه السدي ، عن مرة ، عن ابن مسعود قال : هي النخلة .

وشعبة ، عن معاوية بن قرة ، عن أنس : هي النخلة .

وحماد بن سلمة ، عن شعيب بن الحَبْحَاب ، عن أنس : أن رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، أُتي بقناع[٢] بُسْر فقرأ ﴿ مثلًا[٣] كلمة طيبة كشجرة طيبة ﴾ قال : « هي النخلة »(٢٠) .

---

(٢٠) - **رجاله ثقات** ، أخرجه النسائي في « التفسير » (١١٢٦٢/٦) بهذا اللفظ ، وبنحوه أخرجه الترمذي كتاب «التفسير» باب : ومن سورة إبراهيم عليه السلام (٣١١٨) ، وأبو يعلى (٤١٦٥/٧) - وعنه ابن حبان (٤٧٥/٢) - ، وابن جرير (٢٠٥/١٣) ، وابن أبي حاتم - ويأتي برقم (٢٤)- ، وصححه الحاكم على شرط مسلم (٣٥٢/٢) ووافقه الذهبي ، وقد أُعل بالوقف فانظر ما بعده .

---

[١] - في خ : « هكذا » .

[٢] - القناع : الطبق يعمل من عُسُبِ النخل . [٣] - في ز ، خ : « ومثل » .

وروي من هذا الوجه ومن غيره عن أنس موقوفًا(٢١) ؛ وكذا نص عليه مسروق ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وقتادة وغيرهم .

وقال البخاري(٢٢) : حدثنا عبيد بن إسماعيل ، عن أبي أسامة ، عن عبيد اللَّه ، عن نافع عن ابن عمر ؛ قال : كنا عند رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقال : « **أخبروني بشجرة تشبه – أو – كالرجل المسلم ، لا يتحاتُّ ورقها [لا صيفًا ولا شتاء ، و][١] تؤتي أكلها كل [حين بإذن ربها][٢]** » . قال ابن عمر : فوقع في نفسي أنها النخلة ، ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان ، فكرهت أن أتكلم ، فلما لم يقولوا شيئًا قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **هي النخلة** » . فلما قمنا قلت لعمر[٣] : يا أبتاه ، واللَّه لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة . قال : ما منعك أن تكلم[٤] ؟ [قلت : لم][٥] أركم تتكلمون[٦] ، فكرهت أن أتكلم ، أو أقول شيئًا ، قال عمر : لأن تكون قلتها أحب إلي من كذا وكذا .

وقال أحمد(٢٣) : حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : صحبت ابن عمر إلىٰ المدينة ، فلم أسمعه يحدث عن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، إلا حديثًا واحدًا ، قال : كنا عند رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فأتي بجُمَّار فقال : « **إن من الشجر شجرة مَثَلُها كمثل الرجل المسلم** » . فأردتُ أن أقول : هي النخلة ، فنظرت فإذا أنا أصغر القوم فسكت[٧] ، فقال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **هي النخلة** » أخرجاه .

(٢١) – كلام ابن كثير يوحي بأن حماد بن سلمة رواه موقوفًا ، ولم أقف على ذلك – والله أعلم – لكن أوقفه غير واحد عن شعيب أخرج ذلك الترمذي (عقب حديث ٣١١٨) ، وابن جرير (١٣/٢٠٥ ، ٢١١) ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٤/١٤٣) إلى عبد الرزاق ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والرامهرمزي في « الأمثال » ، وقال الترمذي : « وهذا أصح من حديث حماد بن سلمة ، وروى غير واحد مثل هذا موقوفًا ، ولا نعلم أحدًا رفعه غير حماد بن سلمة ، ورواه معمر وحماد بن زيد وغير واحد ولم يرفعوه » .

(٢٢) – صحيح البخاري كتاب : « التفسير » ، سورة إبراهيم (٤٦٩٨) ، والحديث عند مسلم : كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب : مثل المؤمن مثل النخلة (٦٣ ، ٦٤) (٢٨١١) .

(٢٣) – **صحيح** ، « المسند » (٢/١٢) ، وأخرجه البخاري كتاب : العلم ، باب : الفَهْمِ في العلم (٧٢) ، ومسلم (٢٨١١) .

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] – سقط من : خ .
[٤] – في ت : « تتكلم » .
[٥] – في خ : « قال : ألم » .
[٦] – في ت : « تكلمون » .
[٧] – سقط من : ز ، خ .

وقال مالك وعبد العزيز(٢٤) : عن عبد اللّه بن دينار ، عن ابن عمر قال : قال رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، يومًا لأصحابه : « **إن من الشجر شجرة لا يطرح ورقها مثل المؤمن** » . قال : فوقع الناس في شجر البوادي ، ووقع في قلبي أنها النخلة ، [فاستحييت حتىٰ قال رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **هي النخلة** »][١] أخرجاه أيضًا .

وقال ابن أبي حاتم(٢٥) : حدثنا أبي حدثنا موسىٰ بن إسماعيل ، حدثنا أبان - يعني ابن يزيد[٢] العطار - حدثنا قتادة : أن رجلًا قال : يا رسول اللّه ، ذهب أهل الدثور[٣] بالأجور . فقال : « **أرأيت لو عمد إلىٰ متاع الدنيا ، فركب بعضها علىٰ بعض أكان[٤] يبلغ السماء ؟ أفلا أخبرك بعمل أصله في الأرض وفرعه في السماء ؟** » قال : ما هو يا رسول اللّه ؟ قال : « **تقول لا إله إلا اللّه ، واللّه أكبر ، وسبحان اللّه ، والحمد للّه ، عشر مرات في دبر كل صلاة ، فذاك أصله في الأرض وفرعه في السماء** » .

وعن ابن عباس ﴿ **كشجرة طيبة** ﴾ قال : هي شجرة في الجنة وقوله : ﴿ **تؤتي أكلها كل حين** ﴾ قيل[٥] : غدوة وعشيًا[٦] ، وقيل : كل شهر ، وقيل : [كل سنة شهرين][٧] ، وقيل : كل ستة أشهر ، وقيل : كل سبعة أشهر ، وقيل : كل سنة .

والظاهر من السياق : أن المؤمن مثله كمثل شجرة لا يزال يوجد منها ثمر في كل وقت ؛ من صيف أو شتاء ، أو ليل أو نهار ، كذلك المؤمن لا يزال يرفع له عمل صالح آناء الليل وأطراف النهار ، في كل وقت وحين .

﴿ **بإذن ربها** ﴾ أي : كاملًا حسنًا كثيرًا طيبًا ﴿ **ويضرب اللّه الأمثال للناس لعلهم**

---

(٢٤) - **صحيح** ، طريق مالك عند أحمد (٢/٦١) ، والبخاري كتاب : العلم ، باب : الحياء في العلم (١٣١) ، والترمذي كتاب : الأمثال ، باب : ما جاء في مثل المؤمن القارئ للقرآن وغير القارئ (٢٨٧١) .
وطريق عبد العزيز عند أحمد (٢/١٢٣) ، ولم يخرج مسلم أيًا من الطريقين ، فعزو ابن كثير الحديث له سهو . والله تعالى أعلم .

(٢٥) - رجاله ثقات رجال الشيخين غير أنه مرسل ، ولبعض ألفاظه شاهد عند البخاري (٨٤٣) ومسلم (١٤٢) (٥٩٥) وغيرهما من حديث أبي هريرة مرفوعًا .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في خ : « زيد » .

[٣] - الدثور : جمع دثْر ، وهو المال الكثير .

[٤] - في ز : « لكان » ، خ : « فكان » .

[٥] - في خ : « قال » .

[٦] - في خ : « وعشية » .

[٧] - في ت : « كل شهرين » .

يتذكرون ﴾ .

وقوله تعالى[١] : **﴿ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة ﴾** هذا مثل كفر الكافر[٢] ، لا أصل له ولا ثبات وشبه بشجرة الحنظل ، ويقال لها : الشريان[٣] ، [رواه شعبة ، عن معاوية ابن قرة ، عن أنس بن مالك « **أنها شجرة الحنظل**][٤] » .

وقال أبو بكر البزار الحافظ(٢٦) : حدثنا يحيىٰ بن محمد بن[٥] السكن ، حدثنا أبو زيد سعيد بن الربيع ، حدثنا شعبة ، عن معاوية بن قرة ، عن أنس - أحسبه رفعه - قال : **﴿ مثلًا كلمة طيبة كشجرة طيبة ﴾** قال : « **هي النخلة** » **﴿ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة ﴾** قال : « **هي الشُّزيان**[٦] » .

ثم رواه عن محمد بن المثنى ، عن غندر عن شعبة ، عن معاوية عن أنس موقوفًا .

وقال ابن أبي حاتم(٢٧) : حدثنا أبي ، حدثنا موسىٰ بن إسماعيل ، حدثنا حماد - هو ابن سلمة - عن شعيب بن الحبحاب ، عن أنس بن مالك أن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال : « **﴿ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة ﴾ هي : الحنظلة** » . فأخبرت بذلك أبا العالية فقال : هكذا كنا نسمع .

ورواه ابن جرير(٢٨) : من حديث حماد بن سلمة ، به . ورواه أبو يعلىٰ في مسنده بأبسط من هذا فقال(٢٩) :

حدَّثنا غسان ، عن حماد ، عن شعيب ، عن أنس : أن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، أتي بقناع عليه بُسْر فقال : **﴿ ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ﴾** فقال : « **هي النخلة** » **﴿ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ﴾** قال : « **هي الحنظل**[٧] » قال

(٢٦) - رجاله ثقات مترجم لهم في « التهذيب » لكن الحديث أعل بالوقف ، فانظر ما تقدم برقم (١٧ ، ١٨) .

(٢٧) - **رجاله ثقات** ، انظر ما تقدم برقم (١٧ ، ١٨) .

(٢٨) - **كسابقه** ، تفسير ابن جرير (١٣/٢٠٥) ، وانظر السابق .

(٢٩) - **كسابقه** ، مسند أبي يعلى (٧/٤١٦٥) ، وانظر السابق .

[١] - سقط من : خ .

[٢] - في خ : « المكلف » .

[٣] - في خ : « الشربان » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٥] - سقط من : خ .

[٦] - في ز : « الشربان » .

[٧] - في ت : « الحنظلة » .

شعيب : فأخبرت بذلك أبا العالية فقال : كذلك كنا نسمع .

وقوله : ﴿ **اجتثت** ﴾ أي : استؤصلت ﴿ **من فوق الأرض ما لها من قرار** ﴾ أي : لا أصل لها ولا ثبات ، كذلك الكفر لا أصل له ولا فرع ، ولا يصعد للكافر عمل ، ولا يتقبل منه شيء .

يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾

قال البخاري(٣٠) : حدثنا أبو الوليد ، حدثنا شعبة ، أخبرني علقمة بن مرثد ، قال : سمعت سعد بن عبيدة ، عن البراء بن عازب رضي اللّٰه عنه ، أن رسول اللّٰه ، صلى اللّٰه عليه وسلم ، قال : « **المسلم إذا سئل في القبر شهد أن لا إله إلا اللّٰه وأن محمدًا رسول اللّٰه ، فذلك قوله : ﴿ يثبت اللّٰه الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾** » .

ورواه مسلم أيضًا وبقية الجماعة كلهم : من حديث شعبة ، به(٣١) .

وقال الإمام أحمد(٣٢) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن زاذان ، عن البراء بن عازب ؛ قال : خرجنا مع رسول اللّٰه ، صلى اللّٰه عليه وسلم ، في جنازة رجل من الأنصار ، فانتهينا إلى القبر ولمّا يُلْحَد ، فجلس رسول اللّٰه ، صلى اللّٰه عليه وسلم ، وجلسنا حوله وكأنّ على رءوسنا الطير ، وفي يده عود ينكت[١] به في الأرض ، فرفع رأسه فقال : « **استعيذوا باللّٰه من عذاب القبر !** » . مرتين أو ثلاثًا ، ثم قال : « **إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة ، نزل إليه ملائكة من السماء**

(٣٠) - صحيح البخاري كتاب : « التفسير » ، باب : ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت** ﴾ (٤٦٩٩) .

(٣١) - أخرجه مسلم ، كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر ، والتعوذ منه (٧٣) (٢٨٧١) . وأبو داود ، كتاب : السنة ، باب : في المسألة في القبر وعذاب القبر (٤٧٥٠) . والترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة إبراهيم عليه السلام (٣١١٩). والنسائي ، كتاب : الجنائز ، باب : عذاب القبر (٤/١٠١ - ١٠٢) . وابن ماجة ، كتاب : الزهد ، باب : ذكر القبر والبلى (٤٢٦٩) .

(٣٢) - تقدم تخريجه [سورة الأعراف / آية ٤٠] .

[١] - في خ : « ينكث » .

بيض الوجوه ، كأن وجوههم الشمس ، معهم كفن من أكفان الجنة ، وحنوط من حنوط الجنة ، حتىٰ يجلسوا منه مدّ البصر ، ثم يجيء ملك الموت ، عليه السلام ، حتىٰ يجلس عند رأسه ، فيقول : أيتها النفس الطيبة ، اخرجي إلىٰ مغفرة من[١] اللّٰه ورضوان قال : فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء ، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين ، حتىٰ يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت علىٰ وجه الأرض ، قال : فيصعدون بها فلا يمرون بها يعني علىٰ ملإ[٢] من الملائكة إلا قالوا : ما هذا[٣] الروح الطيب[٤] ؟ فيقولون : فلان بن فلان ، بأحسن أسمائه التي كانوا[٥] يسمونه بها في الدنيا ، حتىٰ ينتهوا به إلىٰ السماء الدنيا ، فيستفتحون له فيفتح له ، فيشيعه[٦] من كل سماء مقربوها إلىٰ السماء التي تليها ، حتىٰ يُنتهىٰ بها إلىٰ السماء السابعة ، فيقول اللّٰه : اكتبوا كتاب عبدي في عليين ، وأعيدوه إلىٰ الأرض ، فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرىٰ .

قال : فتعاد روحه [في جسده][٧] ، فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربي اللّٰه . فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : ديني الإسلام . فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول اللّٰه فيقولان له : وما علمك ؟ فيقول : قرأت كتاب اللّٰه فآمنت به وصدقت . فينادي مناد من السماء : أن صدق عبدي فافرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له بابًا إلىٰ الجنة . قال : فيأتيه من روحها[٨] وطيبها ، ويفسح له في قبره مد بصره ، قال ويأتيه رجل حسن الوجه ، حسن الثياب ، طيب الريح ، فيقول[٩] : أبشر بالذي يسرك ، هذا يومك الذي كنت توعد ، فيقول له : من أنت ؟ فوجهك الوجه يجيء[١٠] بالخير . فيقول : أنا عملك الصالح . فيقول : [رب ؛ أقم الساعة ، رب ؛ أقم الساعة ، حتىٰ أرجع إلىٰ أهلي ومالي][١١] .

قال : وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة ، نزل إليه [من السماء ملائكة] سود الوجوه ، معهم المُسوح ، فيجلسون منه مدّ البصر ، ثم يجيء ملك الموت [حتى يجلس][١٢] عند رأسه ، فيقول : أيتها النفس الخبيثة ، اخرجي إلىٰ

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في ز ، خ : « ملك » .
[٣] - في خ : « هذه » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٨] - في خ : « ريحها » .
[٩] - في خ : « ويقول » .
[١٠] - في ت : « الذي يأتي » .
[١١] - ما بين المعكوفتين غير مكررة في المسند .
[١٢] - في خ : « فيجلس » .

سخط من الله وغضب . قال : فتفرق[١] في جسده ، فينتزعها كما ينتزع السّفّود من الصوف المبلول ، فيأخذها ، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين ، حتىٰ يجعلوها في تلك المسوح ، وتخرج[٢] منها كأنتن ريح جيفة وجدت علىٰ وجه الأرض ، فيصعدون بها فلا يمرون بها علىٰ ملإ من الملائكة إلا قالوا : [ما هذا الروح الخبيث][٣] ؟ فيقولون : فلان بن فلان ، بأقبح أسمائه التي [كانوا يسمونه][٤] بها في الدنيا ، [حتىٰ ينتهىٰ بها إلىٰ السماء الدنيا][٥] ، فيستفتح له فلا يفتح له . ثم قرأ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ لا[٦] تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتىٰ يلج الجمل في سم الخياط ﴾ فيقول الله : اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلىٰ ، فتطرح روحه طرحًا . ثم قرأ : ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ﴾ .

فتعاد روحه في جسده ، ويأتيه ملكان فيجلسانه ويقولان له : من ربك ؟ فيقول هاه هاه ، لا أدري . فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري . فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هاه هاه ، لا أدري . فينادي مناد من السماء : أن كذب عبدي[٧] فافرشوه من النار ، وافتحوا له بابًا إلىٰ النار ، فيأتيه من حرها وسمومها ، ويضيق عليه قبره حتىٰ تختلف فيه أضلاعه ، ويأتيه رجل قبيح الوجه ، قبيح الثياب ، منتن الريح ، فيقول : أبشر بالذي يسوءك ، هذا يومك الذي كنت توعد . فيقول : ومن أنت فوجهك الوجه[٨] يجيء بالشر ؟ فيقول : أنا عملك الخبيث . فيقول : رب ؛ لا تقم الساعة » .

ورواه أبو داود : من حديث الأعمش ، والنسائي وابن ماجه : من حديث المنهال بن عمرو ، به .

وقال[٩] الإمام أحمد(٣٣) : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن يونس بن خباب[١٠] ،

(٣٣) - **إسناده ضعيف وهو حديث صحيح** ، « المسند » (٢٩٥/٤ - ٢٩٦) ، ويونس بن خباب ، قال البخاري : « منكر الحديث » ، وقال ابن معين : لا شيء ، وقال أبو حاتم : مضطرب الحديث ، ليس بالقوي ، وقال النسائي : ليس بثقة ، لكن تابعه الأعمش كما في الحديث السابق . وقد تقدم تخريج =

[١] - في ز : « فيفرق » .
[٢] - في خ : « ويخرج » .
[٣] - في ت : « ما هذه الروح الخبيثة » .
[٤] - في ت : « كان يُسمىٰ » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - في خ : « فلا » .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - سقط من : خ .
[٩] - مكانها بياض في : « ز » ، في خ : « قال » .
[١٠] - في ز ، خ : « حبيب » .

عن المنهال بن عمرو، عن زاذان، عن البراء بن عازب، رضي اللَّه عنه، قال: خرجنا مع رسول اللَّه، صلىٰ اللَّه عليه وسلم، إلىٰ جنازة ... فذكر نحوه، وفيه: «**حتى إذا خرج**[١] **روحه صلىٰ عليه**[٢] **كل ملك بين السماء والأرض، [وكل ملك في السماء]**[٣]، **وفتحت أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم [يدعون إلى اللَّه]**[٤] **عز وجل أن يعرج بروحه من قِبَلِهم**».

وفي آخره: «**ثم يقيض له أعمىٰ أصم أبكم، وفي يده مرزبة لو ضُرب بها جبل**[٥] **كان**[٦] **ترابًا، فيضربه ضربة فيصير ترابًا، ثم يعيده اللَّه عز وجل كما كان، فيضربه ضربة أخرىٰ، فيصيح صيحة يسمعها**[٧] **كل شيء إلا الثقلين**». قال البراء: ثم يفتح له باب إلىٰ النار، ويمهد له[٨] [من فرش][٩] النار.

وقال سفيان الثوري(٣٤): عن أبيه، عن خيثمة، عن البراء في قوله تعالىٰ: ﴿ **يثبت اللَّه الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾ قال: عذاب القبر.

وقال المسعودي(٣٥)، عن عبد اللَّه بن مخارق، عن أبيه، عن عبد اللَّه قال: إن المؤمن إذا مات أجلس في قبره، فيقال له: من[١٠] ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ فيثبته اللَّه، فيقول: ربي اللَّه، وديني الإسلام، ونبيي محمد، صلىٰ اللَّه عليه وسلم. وقرأ عبد اللَّه: ﴿ **يثبت اللَّه الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾.

وقال الإمام عبد بن حميد رحمه اللَّه في مسنده(٣٦): حدثنا يونس بن محمد، حدثنا شيبان بن عبد الرحمن، عن[١١] قتادة، حدثنا أنس بن مالك؛ قال: قال رسول اللَّه،

=طريق يونس والأعمش وطرق أخرى في [سورة الأعراف / ٤٠].

(٣٤) - أخرجه مسلم (٧٤) (٢٨٧١)، والنسائي (١٠١/٤ - ١٠٢).

(٣٥) - أخرجه الطبرى في تفسيره (١٤٤/١٣)، والطبراني في «الكبير» (٩١٤٥/٩)، والبيهقي في «عذاب القبر» (٩)، والمسعودي ثقة، لكنه اختلط، ويشهد له السابق.

(٣٦) - **صحيح**، «المنتخب» لعبد بن حميد (١١٨٠)، وانظر ما بعده.

[١] - في ت: «خرجت».
[٢] - في خ: «الله».
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٤] - في ت: «يدعون الله».
[٥] - في ز: «جبلا».
[٦] - في ت: «لكان».
[٧] - في خ: «فيسمعه».
[٨] - سقط من: ز.
[٩] - في خ: «فراش».
[١٠] - في خ: «ما».
[١١] - في ز: «بن».

صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن العبد إذا وضع في قبره ، وتولىٰ عنه أصحابه ، وإنه ليسمع قرع نعالهم**[١] ، **قال : فيأتيه ملكان فيقعدانه ، فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ قال : فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد اللَّه ورسوله . قال : فيقال له : انظر إلىٰ مقعدك من النار ، قد أبدلك اللَّه به مقعدًا من الجنة** » . قال [نبي الله][٢] ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **فيراهما**[٣] **جميعًا** » . قال قتادة : وذكر لنا أنه يفسح له في قبره سبعون ذراعًا ، ويملأ عليه خضرًا إلىٰ يوم القيامة .

رواه مسلم عن عبد بن حميد ، به . وأخرجه النسائي : من حديث يونس بن محمد المؤدب ، به(٣٧) .

وقال الإمام أحمد(٣٨) : حدثنا يحيىٰ بن سعيد ، عن ابن جريج ، أخبرني أبو الزبير : أنه سأل جابر بن عبد اللَّه عن فتاني القبر ؟ فقال : سمعت [رسول اللَّه][٤] ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يقول : « **إن هذه الأمة تبتلى في قبورها ، فإذا أدخل المؤمن قبره ، وتولىٰ عنه أصحابه ، جاءه ملك شديد الانتهار ، فيقول له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ [فيقول المؤمن : أقول]**[٥] : **إنه رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وعبده . فيقول له الملك : انظر إلىٰ مقعدك الذي كان لك في النار ، قد أنجاك اللَّه منه ، وأبدلك بمقعدك الذي ترىٰ من النار مقعدك الذي ترىٰ من**[٦] **الجنة . فيراهما كليهما ، فيقول المؤمن : دعوني أبشر أهلي . فيقال له : اسكن . وأما المنافق فيقعد إذا تولىٰ عنه أهله ، فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدري ، أقول كما**[٧] **يقول الناس . فيقال**

---

(٣٧) – أخرجه مسلم ، كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : عرض مقعد الميت من الجنة أو النار ... (٧٠) (٢٨٧٠) ، والنسائي ، كتاب : الجنائز ، باب : المسألة في القبر (٤/٩٧) .

وأخرجه البخاري : كتاب الجنائز ، باب : الميت يسمع خفق النّعال (١٣٣٨) ، ومسلم (٧١) (٢٨٧٠) ، وأبو داود ، كتاب : الجنائز ، باب : المشي في النعل بين القبور (٣٢٣١) ، والنسائي (٤/٩٦ – ٩٧) . من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به نحوه .

(٣٨) – هكذا أورد الحافظ ابن كثير – رحمه الله تعالى – هذا الحديث بهذا الإسناد ، لكن ورد هذا الحديث في « المسند » (٣/٣٤٦) وأطرافه لابن حجر (٢/١٨٠٥) وفي كتاب السنة لعبد الله ابن الإمام أحمد ، ومن طريق أبيه – ورد الإسناد هكذا : حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لهيعة عن أبي الزبير أنه سأل جابر بن عبد الله ... فذكره ، وهذا إسناد ضعيف من أجل ابن لهيعة ، ثم وقفت على هذا الحديث من طريق =

---

[١] – في خ : « أنعالهم » .

[٢] – ما بين المعكوفتين في ت : « النبي » .

[٣] – في ز ، خ : « فرآهما » .

[٤] – في خ : « النبي » .

[٥] – في ت : « فأما المؤمن فيقول » .

[٦] – في خ : « في » .

[٧] – في المسند ما .

له : لا دريت ، هذا مقعدك الذي كان لك من الجنة ، قد أبدلت مكانه مقعدك من النار » .

قال جابر : فسمعت النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يقول : « **يبعث كل عبد في القبر علىٰ ما مات ، المؤمن علىٰ إيمانه ، والمنافق علىٰ نفاقه** » .

إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه .

وقال الإمام أحمد(٣٩) حدثنا أبو عامر ، حدثنا عباد بن راشد ، عن داود بن أبي هند ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري قال : شهدنا مع رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، جنازة ، فقال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **يا أيها الناس ، إن هذه الأمة تبتلىٰ في قبورها ، فإذا الإنسان دفن ، وتفرق عنه أصحابه ، جاءه ملك في يده مطراق ، فأقعده قال[١] : ما تقولَ في هذا الرجل ؟ فإن كان مؤمنًا قال : أشهد أن لا إله إلا اللَّه ، وأشهد أن محمدًا [عبده ورسوله][٢] . فيقول له : صدقت . ثم يفتح له بابًا إلىٰ النار ، فيقول : كان هذا منزلك لو كفرت بربك ، فأما إذ آمنت فهذا منزلك . فيفتح له بابًا إلىٰ الجنة ، فيريد أن ينهض إليه ، فيقول له : اسكن . ويفسح له في قبره . وإن كان كافرًا أو منافقًا فيقول له : ما تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدري ، سمعت الناس يقولون شيئًا ، فيقول : لا دريت ولا تليت ولا اهتديت . ثم يفتح له بابًا إلىٰ الجنة ، فيقول له[٣] : هذا منزلك لو آمنت بربك ، فأما إذ كفرت به فإن اللَّه عز وجل أبدلك به هذا . فيفتح له بابًا إلىٰ النار ، ثم يقمعه قمعة بالمطراق ، [فيصيح صيحة][٤] يسمعها خلق اللَّه عز وجل كلهم غير الثقلين** » فقال بعض القوم : يا رسول اللَّه ، ما أحد يقوم عليه

= ابن لهيعة أيضًا عند الطبراني في « الأوسط » (٩٠٧٦/٩) وابن أبي زمنين في « أصول السنة » رقم (٨١) ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٥١/٣) وقال : « رواه أحمد والطبراني في الأوسط وفيه ابن لهيعة ، وفيه كلام ، وبقية رجاله ثقات » . ولعل هذا يؤكد سهو الحافظ ابن كثير في هذا الإسناد ، والله تعالى أعلم وأخرج مسلم في صحيحه (٨٣) (٢٨٧٨) من طريق الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال : « سمعت النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول : « **يبعث كل عبد على ما مات عليه** » وانظر ما تقدم [سورة الأعراف / آية ٣٠] .

(٣٩) – **إسناده حسن** ، « المسند » (١١٠١٣) (٣/٣ – ٤) ، وأخرجه أيضًا ابن أبي عاصم في « السنة » (٨٦٥) ، وابن جرير في تفسيره (٢١٤/١٣) ، وقال الهيثمي في « المجمع » (٣/٥٠ – ٥١) : « رواه أحمد والبزار ... ورجاله رجال الصحيح » .

وقوله : « **إن هذه الأمة تبتلى في قبورها** » في صحيح مسلم (٦٧) (٢٨٦٧) من حديث أبي سعيد الخدري عن زيد بن ثابت .

---

[١] – في ت : « فقال » .

[٢] – في خ : « رسول الله » .

[٣] – سقط من ت .

[٤] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

ملك في يده مطراق إلا هَبِلَ[١] عند ذلك . فقال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت** ﴾ » .

وهذا أيضًا إسناد لا بأس به ، فإن عباد بن راشد التميمي روىٰ له البخاري مقرونًا ، ولكن ضعفه بعضهم .

وقال الإمام أحمد(٤٠) : حدثنا حسين بن محمد ، عن ابن أبي ذئب ، عن محمد بن عمرو بن عطاء ، عن سعيد بن يسار ، عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال[٢] : « **إن الميت تحضره الملائكة ، فإذا كان الرجل الصالح ، قالوا[٣] : اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ، اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان . قال : فلا يزال يقال لها ذلك حتىٰ تخرج ، ثم يعرج بها إلىٰ السماء فيستفتح لها ، فيقال : من هذا ؟ فيقال : فلان . فيقولون : مرحبًا بالروح الطيبة كانت في الجسد الطيب ، ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان . قال : فلا يزال يقال لها ذلك حتىٰ ينتهىٰ بها إلىٰ السماء التي فيها الله عز وجل . وإذا كان الرجل السوء قالوا : اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ، اخرجي ذميمة وأبشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج ، فلا يزال يقال لها ذلك حتىٰ تخرج ، ثم يعرج بها إلىٰ السماء فيستفتح لها ، فيقال : من هذا ؟ فيقال : فلان . فيقال : لا مرحبًا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ، ارجعي ذميمة فإنه [لا يفتح] لك أبواب السماء ، فيرسل من السماء ، ثم يصير إلىٰ القبر ، فيجلس الرجل الصالح** » فيقال له مثل ما قيل في الحديث الأول - ويجلس الرجل السوء فيقال له مثل ما قيل له في الحديث الأول .

ورواه النسائي وابن ماجه : من طريق ابن أبي ذئب بنحوه .

وفي صحيح مسلم(٤١) : عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : إذا[٤] خرجت روح العبد المؤمن ، تلقاها ملكان يصعدان بها . قال حماد : فذكر من طيب ريحها وذكر المسك . قال : ويقول أهل السماء : روح طيبة جاءت[٥] من قبل الأرض ، صلىٰ الله عليك

(٤٠) - **إسناده صحيح** ، « المسند » (٣٦٤/٢) ، والحديث تقدم تخريجه [سورة الأنعام / آية ٦٢] .
(٤١) - صحيح مسلم كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : عرض مقعد الميت من الجنة أو النار .. (٧٥) (٢٨٧٢) .

[١] - في ز ، « بدون إعجام » ، خ : « هدله » واستعار الهبل ههنا لفقد الميز والعقل مما يراه .
[٢] - زيادة من : ت .
[٣] - في خ : « قال » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز ، خ : « جاء » .

وعلىٰ جسد كنت تعمرينه ، فينطلق به إلىٰ ربه عز وجل ، فيقال[١] : انطلقوا به إلىٰ آخر الأجل . وإن الكافر إذا خرجت روحه . قال حماد : وذكر من نتنها وذكر لَعْنًا ، ويقول أهل السماء : روح خبيثة جاءت من قبل الأرض ، قال[٢] : فيقال : انطلقوا به إلىٰ آخر الأجل . قال أبو هريرة : فردَّ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، رَيْطَةً[٣] كانت عليه علىٰ أنفه هكذا .

وقال ابن حبان في صحيحه(٤٢) : حدثنا عمر بن محمد الهمداني ، حدثنا زيد بن أخزم[٤] ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثني أبي ، عن قتادة ، عن قسامة[٥] بن زهير ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **إن المؤمن إذا قُبِضَ أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء ، فيقولون : اخرجي إلىٰ روح الله ، فتخرج كأطيب ريح مسك ، حتىٰ إنهم لَيَتَناوَلُهُ بعضُهُم بعضًا يشمونه[٦] ، حتىٰ يأتون به باب السماء ، فيقولون : ما هذه[٧] الريح الطيبة التي جاءت من قبل الأرض ؟ ! ولا يأتون سماء إلا قالوا مثل ذلك ، حتىٰ يأتون به أرواح المؤمنين ، فلهم أشد فرحًا به من أهل الغائب بغائبهم ، فيقولون : ما فعل فلان ، فيقولون : دعوه حتىٰ يستريح فإنه كان في غم ، فيقول : قد مات ، أما أتاكم ؟ فيقولون : ذُهِبَ به إلىٰ أمه الهاوية ، وأما الكافر فيأتيه ملائكة العذاب بمسح ، فيقولون : اخرجي إلىٰ غضب الله ، فتخرج كأنتن ريح جيفة ، فيذهب به إلىٰ باب الأرض** » .

وقد روى أيضًا(٤٣) : من طريق همام بن يحيىٰ عن قتادة عن أبي الجوزاء ، عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، بنحوه قال : « **فيسأل : ما فعل فلان ؟ ما فعل فلان ؟ ما فعلت فلانة ؟ قال : وأما الكافر فإذا قبضت نفسه وذهب بها إلىٰ باب الأرض ، تقول[٨] خزنة الأرض : ما وجدنا ريحًا أنتن من هذه ، فتبلُغ بها إلى الأرض**

(٤٢) - **إسناده صحيح** ، صحيح ابن حبان كتاب : الجنائز ، باب : ذكر الأخبار بأن الأرواح يعرف بعضها بعضًا بعد موت أجسامها (٣٠١٤/٧) ، وأخرجه أيضًا النسائي ، كتاب : الجنائز ، باب : ما يلقى به المؤمن من الكرامة عند خروج نفسه (٤/ ٨ - ٩) ، وصححه الحاكم (٣٥٣/١) ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا .

(٤٣) - **كسابقه** ، ابن حبان في صحيحه ، كتاب : الجنائز ، باب : ذكر الإخبار عما يُعْمَلُ بروح المؤمن والكافر إذا قُبِضَا (٣٠١٣/٧) ، وصححه الحاكم (٣٥٣/١) ، ووافقه الذهبي وهو كما قالا ، وانظر ما قبله .

[١] - في خ : « فيقول » .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - الريطة : كل ثوب لينٌ رقيق .
[٤] - في ز ، خ : « أخرم » .
[٥] - في ز : « قسام » .
[٦] - في خ : « يسمونه » .
[٧] - في ز : « هذا » .
[٨] - في خ : « يقول » .

السفلىٰ » .

قال قتادة : وحدثني رجل ، عن سعيد بن المسيب ، عن عبد اللَّه بن عمرو ؛ قال : أرواح المؤمنين تجمع بالجابيتين[١] ، وأرواح الكفار تجمع بِبَرَهُوتَ سبخةٌ بحضرموت [ ][٢] .

وقال الحافظ أبو عيسىٰ الترمذي ، رحمه اللَّه(٤٤) : حدثنا يحيىٰ بن خلف ، حدثنا بشر ابن المفضل ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إذا قبر الميت – أو قال : أحدكم – أتاه ملكان أسودان أزرقان ، يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير ، فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول ما كان يقول : هو عبد اللَّه ورسوله ، أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول هذا . ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعًا في سبعين ، ثم ينوَّر له فيه ، ثم يقال له[٣] : نم . فيقول : أرجع إلىٰ أهلي فأخبرهم . فيقولان : نم كنومة العروس الذي[٤] لا يوقظه إلا أحب أهله إليه ، حتىٰ يبعثه اللَّه من مضجعه ذلك ، وإن كان منافقًا قال : سمعت الناس يقولون فقلت مثله ، لا أدري . فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول ذلك . ويقال[٥] للأرض : التئمي عليه ، فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه ، فلا يزال فيها[٦] معذبًا حتىٰ يبعثه اللَّه من مضجعه ذلك** » . ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب .

وقال حماد بن سلمة(٤٥) : عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **يثبت اللَّه الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾ قال : « **ذاك إذا قيل له في القبر : من ربك ؟ وما دينك ؟ [ومن نبيك]**[٧] ؟ **فيقول : ربي اللَّه ، وديني الإسلام ، ونبيي محمد ، جاءنا بالبينات**

(٤٤) – **إسناده قوي** ، « الجامع » للترمذي ، كتاب : الجنائز ، باب : ما جاء في عذاب القبر (١٠٧١) ، وأخرجه أيضًا ابن أبي عاصم في « السنة » (٨٦٤/٢) ، وقال الترمذي : « حديث حسن غريب » وصححه ابن حبان (٣١١٧/٧) وجَوَّد إسناده الألباني في « الصحيحة » (١٣٩١/٣) إذ إن عبد الرحمن بن إسحاق – وهو العامري – تكلم فيه بعضهم .

(٤٥) – **إسناده حسن** ، أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢١٥/١٣) ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١٥٠/٤) إلى ابن مردويه ، وبنحوه أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٤٦٢/٥) وفي إسناده ابن لهيعة .

[١] – في ت : « بالجابية » .

[٢] – في خ : « ثم يضيف عليه قبره » وضبب عليها في ز .

[٣] – سقط من : ز .

[٤] – سقط من : ز .

[٥] – في ت: « فيقال » .

[٦] – سقط من : خ .

[٧] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

من عند اللَّه فآمنت به وصدقت . فيقال له : صدقت ، علىٰ هذا عشت ، وعليه مت ، وعليه تُبعث » .

وقال ابن جرير(٤٦) : حدثنا مجاهد بن موسىٰ والحسن بن محمد ، قالا : حدثنا يزيد ، أنا محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة [رضي اللَّه عنه ، عن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « **والذي نفسي بيده]**[١] ، **إن الميت ليسمع خفق نعالهم**[٢] **حين يولون عنه مدبرين ، فإذا**[٣] **كان مؤمنًا كانت الصلاة عند رأسه ، والزكاة عن يمينه ، والصيام عن يساره ، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلىٰ الناس عند رجليه ، فيؤتى من عند**[٤] **رأسه فتقول الصلاة : ما قبلي مدخَل ، فيؤتى [من]**[٥] **عن يمينه فتقول الزكاة : ما قبلي مدخل ، فيؤتىٰ عن يساره فيقول الصيام : ما قبلي مدخل ، فيؤتي من**[٦] **عند رجليه فيقول**[٧] **فعل الخيرات : ما قبلي مدخل ، فيقال : اجلس ، فيجلس قد مثلت**[٨] **له الشمس قد دنت للغروب ، فيقال له : أخبرنا عما نسألك ، فيقول : [دعني ، دعني]**[٩] **حتى أصلي ، فيقال له : إنك ستفعل ، فأخبرنا عما نسألك ، فيقول : عم**[١٠] **تسألوني ؟ فيقال : أرأيت هذا الرجل الذي كان فيكم ماذا تقول فيه ؟ وماذا تشهد به عليه ؟ فيقول : أمحمد ؟ فيقال له : نعم ، فيقول : أشهد أنه رسول اللَّه ، وأنه جاءنا بالبينات من عند اللَّه فصدقناه ، فيقال له : علىٰ ذلك حييت ، وعلىٰ ذلك مت ، [وعلى ذلك]**[١١] **تبعث إن شاء اللَّه ، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعًا وينوّر له فيه ، ويفتح له باب إلىٰ الجنة ، فيقال له : انظر إلىٰ ما أعد اللَّه لك فيها ، فيزداد غبطة وسرورًا**[١٢] **، ثم تجعل نسمته في النسم الطيب : [وهي طير**

(٤٦) - **إسناده حسن** ، ابن جرير في تفسيره (١٣/٢١٥ - ٢١٦) ، وأخرجه أيضًا عبد الرزاق في « المصنف » (٣/٦٧٠٣) ، وابن أبي شيبة (٣/٢٥٨ - ٢٥٩) عن أبي هريرة موقوفًا ، وهو مرفوع عند الطبراني في « الأوسط » (٣/٢٦٣٠) ، وهناد في « الزهد » (١/٣٣٨) ، والبيهقي في « عذاب القبر » (٥٨) وحسن إسناده الهيثمي في « المجمع » (٣/٥٥) ، وصححه ابن حبان (٧/٣١١٣) ، والحاكم (١/ ٣٧٩ - ٣٨٠) ووافقه الذهبي ، وهو حسن فحسب ، للكلام المعروف في محمد بن عمرو ، وهو ابن علقمة بن وقاص الليثي .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « قال » .
[٢] - في خ : « نعالي » .
[٣] - في خ : « فإن » .
[٤] - في ت : « قبل » .
[٥] - سقط من خ .
[٦] - سقط من : ت .
[٧] - في ز : « فتقول » .
[٨] - في خ : « تمثلت » ، والمثبت من : ز .
[٩] - في ابن جرير : « دعوني » .
[١٠] - في خ : « وعم » .
[١١] - ما بين المعكوفتين في ت : « وعليه » .
[١٢] - سقط من : ز ، خ .

خُضْرٍ تُعلق][١] بشجر الجنة ، ويعاد الجسد إلىٰ ما بدئ منه[٢] من التراب » . وذلك قول الله [عز وجل][٣] : ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾ .

رواه ابن حبان : من طريق المعتمر بن سليمان ، عن محمد بن عمرو ، وذكر جواب الكافر وعذابه .

وقال البزار(٤٧) : حدثنا سعيد بن بحر القراطيسي ، حدثنا الوليد بن القاسم ، حدثنا يزيد ابن كيسان ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة - أحسبه رفعه - قال : « **إن المؤمن ينزل به الموت ، ويعاين ما يعاين ، فيود لو خرجت - يعني نفسه - والله يحب لقاءه ، وإن المؤمن يُصْعَدُ بِرُوحِهِ إلىٰ السماء ، فتأتيه أرواح المؤمنين فتستخبره عن معارفهم من أهل الأرض ، فإذا قال : تركت فلانًا في الأرض أعجبهم ذلك ، وإذا قال إن فلانًا قد مات ، قالوا : ما جيء به إلينا ، وإن المؤمن يجلس في قبره فيسأل من ربك[٤] ؟ فيقول : ربي الله ، فيقول[٥] من نبيك ؟ فيقول : محمد نبيي ، فيقول[٦] : ما دينك ؟ قال : ديني الإسلام ، فيفتح له باب في قبره ، فيقول أو يقال : انظر إلىٰ مجلسك ، ثم يرىٰ القبر فكأنما كانت رَقدةً ، وإذا كان عدو الله نزل به الموت ، وعاين ما عاين ، فإنه لا يحب أن تخرج روحه أبدًا ، والله يبغض لقاءه . فإذا جلس في قبره - أو أجلس - يقال[٧] له : من ربك ؟ فيقول : لا أدري ، فيقال : لا دريت ، فيفتح له باب من[٨] جهنم ، ثم يضرب ضربة يسمع[٩] كل دابة إلا الثقلين ، ثم يقال له : نم كما ينام المنهوش** » قلت لأبي هريرة : ما المنهوش ؟ قال : الذي تنهشه الدَّوَابُّ والحيات ثم يضيق عليه قبره .

ثم قال : لا نعلم رواه إلا الوليد بن القاسم[١٠] .

---

(٤٧) - الحديث ذكره الهيثمي في « المجمع » (٣/٥٥ - ٥٦) وقال : « في الصحيح طرف منه ، رواه البزار ورجاله ثقات خلا سعيد بن بحر القراطيسي ؛ فإني لم أعرفه » ، وتعقبه ابن حجر في « مختصر الزوائد » (١/ ٥٩٦) فقال : « هو مُوثق ، ولم يتفرد به » فانظر ما قبله .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « في طير خضر يعلق » .

[٢] - سقط من خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٤] - في ز : « ربه » .

[٥] - في ت : « يقال » .

[٦] - في ت : « يقال » .

[٧] - في ز ، خ : « فقال » .

[٨] - في خ : « إلى » ، والمثبت من : ز .

[٩] - في ت : « تسمعها » .

[١٠] - في ز ، خ : « مسلم » .

وقال الإمام أحمد رحمه الله(٤٨) : حدثنا حجين بن المثنى ، حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون ، عن محمد بن المنكدر قال : كانت أسماء - يعني بنت الصديق رضي الله عنها - تحدث عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قالت : قال : « **إذا دخل الإنسان [قبره ، فإن كان][١] مؤمنًا أحَفَّ به عمله ؛ الصلاةُ والصيامُ ، قال : فيأتيه الملكَ من نحو الصلاة فَتَرُدُّهُ ، ومن نحو الصيام فيرده ، قال : فيناديه : اجلس ، قال : فيجلس ، فيقول له : ماذا تقول في هذا الرجل ، يعني النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ؟ قال : من ؟ قال : محمد ، قال : أنا أشهد أنه رسول الله ، قال : [يقول][٢] وما يدريك ؟ أدركته ؟ قال : أشهد أنه رسول الله ، قال : يقول : علىٰ ذلك عشت ، وعليه مت ، وعليه تبعث ، وإن كان فاجرًا أو كافرًا جاءه الملك ليس بينه وبينه شيء يرده ، فأجلسه [فيقول له][٣] : ماذا تقول في هذا الرجل ؟ قال : أي رجل ؟ قال : محمد ، قال : يقول : والله ما أدري ، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته ، قال : فيقول له الملك : علىٰ ذلك عشت ، وعليه مت ، وعليه تبعث ، قال : وتسلط[٤] عليه دابة في قبره معها[٥] سوط ، ثمرته[٦] جمرة مثل عرق[٧] البعير ، تضربه ما شاء الله صماء[٨] لا تسمع صوته فترحمه** » .

وقال العوفي عن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، في هذه الآية قال : إن المؤمن إذا حضره الموت شهدته الملائكة ، فسلموا عليه وبشروه بالجنة ، فإذا مات مشوا مع جنازته ، ثم صلوا عليه مع الناس ، فإذا دفن أجلس في قبره فيقال له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله . [فيقال له : من رسولك ؟ فيقول : محمد ، صلىٰ الله عليه وسلم][٩] . فيقال له : ما شهادتك ؟ فيقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله . فيوسع له في قبره مد

(٤٨) - **إسناده صحيح** ، « المسند » (٢٧٠٨٨) (٦/٣٥٢) ، وأخرجه أيضًا الطبراني (٢٤/٢٨١) من طريق حجين بن المثنى به مختصرًا ، ومن طريق آخر عن أسماء (٢٤/٢٣٠) ، وقال الهيثمي في « المجمع » (٣/ ٥٤) : « .... رجال أحمد رجال الصحيح » .

وأخرجه أيضًا الطبراني في « الأوسط » (١٣٤٧/٢) حدثنا أحمد بن محمد بن صدقة ، قال : نا أحمد بن عثمان به .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - سقط من خ .

[٣] - في خ : يقول اجلس .

[٤] - في ز ، خ : « ويسلط » .

[٥] - في خ : « معه » .

[٦] - في خ : « تمرته » .

[٧] - كذا في ز ، خ ، وبعض مخطوطات المسند . ورسمت في جامع المسانيد لابن كثير : عرب . ولعل الصواب : غارب البعير . وهو ما بين سنامه إلى عنقه . والله أعلم .

[٨] - في خ : « مما » .

[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

بصره ، وأما الكافر فتنزل عليه الملائكة فيبسطون أيديهم ، والبسط : هو الضرب . ﴿ يضربون وجوههم وأدبارهم ﴾ عند الموت ، فإذا أدخل قبره أقعد ، فقيل له : من ربك ؟ فلم يرجع إليهم شيئًا ، وأنساه الله ذكر ذلك ، وإذا قيل : من الرسول الذي بعث إليك ؟ [لم يهتد][١] ولم يرجع إليهم[٢] شيئًا ﴿ كذلك يضل الله الظالمين ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي[٣] ، حدثنا شريح بن مسلمة ، حدثنا إبراهيم بن يوسف ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق ، عن عامر بن سعد البجلي ، عن أبي قتادة الأنصاري في قوله تعالىٰ : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ الآية ، قال : إن المؤمن إذا مات أجلس في قبره ، فيقال له : من ربك ؟ فيقول : الله ، فيقال له : من نبيك ؟ فيقول : محمد بن عبد الله ، فيقال له ذلك مرات ، ثم يفتح له باب إلىٰ النار ، فيقال له : انظر إلىٰ منزلك في[٤] النار لو زغت ، ثم يفتح له باب إلىٰ الجنة ، فيقال له : انظر إلىٰ منزلك [من الجنة إذ][٥] ثبت ، [وإذا مات الكافر أجلس في قبره ، فيقال له : من ربك ؟ من نبيك ؟ فيقول : لا أدري ، كنت أسمع الناس يقولون ، فيقال له : لا دريت][٦] ، [ثم يفتح له باب][٧] [إلىٰ الجنة ، فيقال له : انظر إلىٰ منزلك لو ثبت][٨] ، [ثم يفتح له باب][٩] إلىٰ النار ، فيقال له : انظر إلىٰ منزلك إذ زغت ، فذلك قوله تعالىٰ : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ .

وقال عبد الرزاق : عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ قال لا إله إلا الله ﴿ وفي الآخرة ﴾ المسألة في القبر .

وقال قتادة : أما الحياة الدنيا فيثبتهم بالخير والعمل الصالح ﴿ وفي الآخرة ﴾ في القبر ، وكذا روي عن غير واحد من السلف .

وقال أبو عبد الله الحكيم الترمذي في كتابه « نوادر الأصول »(٤٩) : حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن نافع ، عن ابن أبي فديك ، عن عبد الرحمن بن عبد الله ، عن سعيد بن

(٤٩) - في الأصل المائتان والخمسون في برالوالدين (٢/٢٢٣) في النسخة الغير مسندة .

[١] - في ز ، خ : « لم يهش » .
[٢] - في ز : « إليه » .
[٣] - في ز ، خ : « الأزدي » .
[٤] - في ت : « من » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « لو » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

المسيب ، عن عبد الرحمن بن سمرة ، قال : خرج علينا رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، ذات يوم ونحن في مسجد المدينة ، فقال : « **إني رأيت البارحة عجبًا ؛ رأيت رجلًا من أمتي [جاءه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فرد عنه ، ورأيت أنَّ رجلًا من أمتي][١] قد بسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوءه فاستنقذه من ذلك ، ورأيت رجلًا من أمتي قد[٢] احتوشته الشياطين فجاءه ذكر اللّٰه فخلصه من بينهم ، ورأيت رجلًا من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم ، ورأيت رجلًا من أمتي يلهث عطشًا كلما ورد حوضًا منع منه فجاءه صيامه فسقاه وأرواه ، ورأيت رجلًا من أمتي والنبيون قعود حلقًا حلقًا كلما دنا لحلقة طردوه فجاءه اغتساله من الجنابة فأخذ بيده فأقعده إلىٰ جنبي ، ورأيت رجلًا من[٣] أمتي من بين يديه ظلمة ، ومن خلفه ظلمة ، وعن يمينه ظلمة ، وعن شماله ظلمة ، ومن فوقه ظلمة ، ومن تحته ظلمة ، وهو[٤] متحير فيها فجاءته حجته وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه النور ، ورأيت رجلًا من أمتي يكلم المؤمنين فلا يكلمونه فجاءته[٥] صلة الرحم فقالت : يا معشر المؤمنين كلموه ، فكلموه ، ورأيت رجلًا من أمتي يتقي وهج النار وشررها بيده عن وجهه فجاءته صدقته فصارت سترًا علىٰ وجهه وظلًا علىٰ رأسه ، ورأيت رجلًا من أمتي قد أخذته الزبانية من كل مكان فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذاه من أيديهم وأدخلاه مع ملائكة الرحمة ، ورأيت رجلًا من أمتي جاثيًا علىٰ ركبتيه بينه وبين اللّٰه حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده فأدخله علىٰ اللّٰه عز وجل ، ورأيت رجلًا من أمتي قد هوت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من اللّٰه فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه[٦] ، [ورأيت رجلًا من أمتي][٧] [قد خف ميزانه فجاءته أفراطه[٨] فثقلوا ميزانه][٩] ، [ورأيت رجلًا من أمتي][١٠] قائمًا علىٰ شفير جهنم فجاءه وجله من اللّٰه فاستنقذه من ذلك ومضىٰ ، ورأيت رجلًا من أمتي هوىٰ في النار فجاءته دموعه التي بكىٰ من خشية اللّٰه في الدنيا فاستخرجته من النار ، ورأيت رجلًا من أمتي قائمًا[١١] علىٰ الصراط [يُرْعَدُ كما ترعد السعفة فجاء حسن ظنه باللّٰه فسكن رعدته ومضىٰ ، ورأيت رجلًا من أمتي علىٰ**

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] – سقط من : ز ، خ .
[٣] – سقط من: ز ، خ .
[٤] – في ز : « فهو » .
[٥] – في ز ، خ : « فجاءه » .
[٦] – في خ : « عينه » .
[٧] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٨] – جمع فَرَط ، وهو ما قدم من ولد . أي مات له أولاد صغار .
[٩] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[١٠] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[١١] – سقط من : خ .

الصراط][١] يزحف أحيانًا ويحبو أحيانًا فجاءته صلاته عليَّ فأخذت بيده فأقامته ومضىٰ علىٰ الصراط ، ورأيت رجلًا من أمتي انتهىٰ إلىٰ أبواب[٢] الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا إله إلا اللّٰه ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة » .

قال القرطبي بعد إيراده هذا الحديث من هذا الوجه : هذا حديث عظيم ، ذكر فيه أعمالًا خاصة تنجي من أهوال خاصة . أورده هكذا في كتابه التذكرة .

وقد روىٰ الحافظ أبو يعلىٰ الموصلي في هذا حديثًا غريبًا مطولًا فقال(٥٠) : حدثنا أبو عبداللّٰه[٣] أحمد بن إبراهيم النكرى ، حدثنا محمد بن بكر البرساني أبو عثمان ، حدثنا أبو عاصم الحبطي - وكان من خيار أهل البصرة ، وكان من أصحاب حزم وسلام بن أبي مطيع - حدثنا بكر بن خُنَيْس[٤] ، عن ضرار بن عمرو ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس بن مالك ، عن تميم الداري ، عن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال : « **يقول اللّٰه عز وجل لملك الموت : انطلق إلىٰ وليي فأتني به ، فإني قد ضربته بالسراء والضراء فوجدته حيث أحِبُّ ، ائتني به فلأريحنه[٥] .**

فينطلق إليه ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة ، معهم أكفان وحنوط من الجنة ، ومعهم ضبائر[٦] الريحان ، أصل الريحانة واحد ، وفي رأسها عشرون لونًا ، لكل لون منها ريح سوىٰ ريح صاحبه ، ومعهم الحرير الأبيض فيه المسك الأذفر[٧] ، [فيجلس ملك الموت عند رأسه ، وتحف به الملائكة ، ويضع كل ملك منهم يده علىٰ عضو من أعضائه ، ويبسط ذلك الحرير الأبيض والمسك الأذفر][٨] من تحت ذقنه ، ويفتح له باب إلىٰ الجنة ، فإن نفسه لتعلَّل[٩] عند ذلك بطرف[١٠] الجنة ، مرة[١١] بأزواجها[١٢] ، ومرة[١٣]

---

(٥٠) - **إسناده ضعيف لضعف يزيد الرقاشي** وبه أعله المصنف والحديث غير موجود في المطبوع من مسند أبي يعلى فلعله في مسنده « الكبير » ، والله أعلم ، وأخرجه من طريق أبي يعلى ابن عساكر في « التاريخ » (٥٢٨/٣ - ٥٣٠ مخطوط) ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٢٣٦/٦ ، ٢٣٨) إلى ابن أبي الدنيا في « ذكر الموت » .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في خ : « باب » .

[٣] - في ز ، خ : « عبد الرحمن » .

[٤] - في ز ، خ : « حبيش » .

[٥] - في ز : « فلأريحه » .

[٦] - الضبائر : جمع ضبارة وهي الحزمة .

[٧] - الأذفر : الشديد الرائحة .

[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٩] - تعلل بالشيء : اشتغل به .

[١٠] - في خ : « طرق » ، والمثبت من : ز .

[١١] - في خ : « تارة » .

[١٢] - في ز : « وبأزواجها » .

[١٣] - في خ : « تارة » .

بكسواتها ، ومرة بثمارها ، كما يعلل الصبي أهله إذا بكىٰ . قال : وإن أزواجه [ليبتهشن[١] عند ذلك][٢] ابتهاشًا[٣] .

قال : وتنزو[٤] الروح - قال البرساني : تريد أن تخرج من العَجل إلىٰ ما تحب[٥] - قال : ويقول ملك الموت : اخرجي يا أيتها الروح الطيبة ، إلىٰ سدر مخضود ، وطلح منضود ، وظل ممدود ، وماء مسكوب . قال : وَلَـمَلَكُ الموت أشد به لطفًا من الوالدة بولدها ، يعرف أن ذلك الروح حبيب لربه ، فهو يلتمس بلطفه تحببًا لديه رضاء للرب عنه ، فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين . قال : وقال اللَّه عز وجل : ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة طيبين ﴾ ، وقال : ﴿ فأما إن كان من المقرّبين * فروح وريحان وجنة نعيم ﴾ قال : روح من جهة الموت ، [ ][٦] وريحان يتلقىٰ به ، [ ][٧] وجنة نعيم تقابله[٨] .

قال : فإذا قبض ملك الموت روحه ، قالت[٩] الروح للجسد : جزاك اللَّه عني خيرًا ، فقد كنت سريعًا بي[١٠] إلىٰ طاعة اللَّه ، بطيئًا بي عن معصية اللَّه ، فقد نجيت وأنجيت . قال ويقول الجسد للروح مثل ذلك .

قال : وتبكي عليه بقاع الأرض التي كان يطيع اللَّه فيها ، وكل باب من السماء يصعد منه عمله ، وينزل منه رزقه أربعين ليلة .

قال : فإذا قبض ملك الموت روحه ، أقامت الخمسمائة من الملائكة عند جسده ، فلا يقلبه[١١] بنو آدم لشق إلا قلبته الملائكة قبلهم ، وغسلته وكفنته بأكفان قبل أكفان بني آدم ، وحنوط قبل حنوط بني آدم ، ويقوم من بين[١٢] باب بيته إلىٰ باب قبره صفان من الملائكة ، يستقبلونه بالاستغفار ، فيصيح عند ذلك إبليس صيحة تتصدع منها عظام جسده - قال : ويقول لجنوده : الويل لكم ! كيف خَلَصَ هذا العبد منكم ؟ ! فيقولون : إن هذا كان عبدًا معصومًا .

قال : فإذا صعد ملك الموت بروحه ، يستقبله جبريل في سبعين ألفًا من الملائكة ، كلّ

---

[١] - ابتهش : فرح وابتهج .
[٢] - في خ : « ليشهين عند ذلك » .
[٣] - في ز ، خ : « ابتهاش » .
[٤] - في خ : « وتبدو » وفي المطالب : وتبرز .
[٥] - في ز ، خ : « يحب » .
[٦] - في ز ، خ : « قال » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز : « قال » .
[٨] - في ز ، خ : « مقابله » .
[٩] - في ز : « قال » .
[١٠] - سقط من : خ .
[١١] - في خ : « يغلبه » .
[١٢] - سقط من : خ .

يأتيه ببشارة من ربه سوى بشارة صاحبه- قال: فإذا انتهى ملك الموت بروحه إلى العرش، خَر الروح ساجدًا- قال : يقول اللّه -عز وجل- لملك الموت : انطلق بروح عبدي فضعه في سدر مخضود، وطلح منضود، وظل ممدود، وماء مسكوب.

قال: فإذا وضع في قبره، جاءته الصلاة فكانت عن يمينه، وجاءه الصيام فكان عن يساره، وجاءه القرآن فكان عند رأسه، وجاءه مشيه إلى الصلاة فكان عند رجليه، وجاءه الصبر فكان ناحية القبر؛ قال: فيبعث اللّه، عز وجل، عنُقاً من العذاب، قال: فيأتيه[١] عن يمينه، قال : فتقول الصلاة : وراءك واللّه ما زال دائبًا[٢] عمره كله، وإنما استراح الآن حين وضع في قبره، قال: فيأتيه[٣] عن يساره، فيقول الصيام مثل ذلك- قال: ثم يأتيه من عند رأسه، فيقول القرآن والذكر مثل ذلك، قال: ثم يأتيه من عند رجليه، فيقول مشيه إلى الصلاة مثل ذلك. فلا يأتيه العذاب من ناحية يلتمس هل يجد إليه مساغًا، إلا وجدَ ولي اللّه قد أخذ جنة[٤] - قال: فينقمع العذاب عند ذلك فيخرج، قال: ويقول الصبر لسائر الأعمال: أما إنه لم يمنعني أن أباشر أنا بنفسي إلا أني نظرت ما عندكم، فإن عجزتم كنت أنا صاحبه، فأما إذ أجزأتم عنه فأنا له ذخر عند الصراط والميزان.

قال: ويبعث اللّه[٥] ملكين أبصارهما[٦] كالبرق الخاطف، وأصواتهما كالرعد القاصف[٧]، وأنيابهما كالصياصي، وأنفاسهما كاللهب، يطآن[٨] في أشعارهما، بين منكب كل واحد مسيرة كذا وكذا، قد نزعت منهما الرأفة والرحمة، يقال لهما: «منكر ونكير»، في يد كل واحد منهما مطرقة، لو اجتمع عليها ربيعة ومضر لم يُقلوها[٩] - قال: فيقولان له: اجلس. قال: فيجلس فيستوي جالسًا. قال: وتقع[١٠] أكفانه في حقَويه[١١]، قال: فيقولان له: من ربك وما دينك؟ ومن نبيك؟.

قال: قالوا: يا رسول اللّه؛ ومن يطيق الكلام عند ذلك، وأنت تصف من الملكين ما تصف؟. قال: فقال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم: ﴿ **يثبت اللّه الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل اللّه ما يشاء** ﴾.

قال: فيقول: ربي اللّه وحده لا شريك له، وديني الإسلام الذي دانت به الملائكة،

---

[١] - في ز: «فتأتيه».

[٢] - في خ: «دانيا».

[٣] - في ز: «فتأتيه».

[٤] - في ز: «جنته»، خ: «حبته». والجُنة: كل ما وقىٰ من سلاح وغيره.

[٥] - سقط من: ز.

[٦] - في ز، خ: «أيضا هما».

[٧] - في ز: «العاصف».

[٨] - في ز: «يطنان».

[٩] - يقلوها: يرفعوها.

[١٠] - في خ: «ويقع».

[١١] - الحقْو: الخصر.

ونبيي محمد خاتم النبيين . قال : فيقولان له[١] : صدقت . قال : فيدفعان القبر فيوسعان من بين يديه أربعين ذراعًا ، وعن يمينه أربعين ذراعًا ، وعن شماله أربعين ذراعًا ، ومن خلفه أربعين ذراعًا ، ومن[٢] عند رأسه أربعين ذراعًا ، ومن عند رجليه أربعين ذراعًا ، قال : فيوسعان له مائتي ذراع -

قال البرساني : وأحسبه قال أربعون ذراعا تحاط[٣] به .

قال : ثم يقولان له : انظر فوقك ، فإذا باب مفتوح إلىٰ الجنة . قال : فيقولان له : وليّ اللّٰه هذا منزلك إذ أطعت اللّٰه - فقال رسول اللّٰه : **- والذي نفس محمد بيده ، إنه يصل إلىٰ قلبه عند ذلك فرحة ولا ترتد أبدًا ، ثم يقال له : انظر إلىٰ[٤] تحتك . قال : فينظر تحته فإذا باب مفتوح إلىٰ النار . قال : فيقولان : « وليّ اللّٰه [هذا منزلك لو عصيت][٥] نجوت آخر ما عليك »** قال : فقال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : **« إنه ليصل[٦] إلىٰ قلبه عند ذلك فرحة لا ترتد[٧] أبدًا »** قال : فقالت عائشة : يفتح له سبعة وسبعون بابًا إلىٰ الجنة يأتيه ريحها وبردها حتىٰ يبعثه اللّٰه عز وجل .

وبالإسناد المتقدم إلىٰ النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال : **« ويقول اللّٰه تعالىٰ لملك الموت : انطلق إلىٰ عدوي فأتني به ، فإني قد بسطت له رزقي ، ويسرت له نعمتي ، فأبىٰ إلا معصيتي ، فأتني به لأنتقم منه .**

قال : فينطلق إليه ملك الموت في أكره صورة رآها أحد من الناس قط ، له [اثنتا عشرة][٨] عينًا ، ومعه سفود من النار كثير الشوك ، ومعه خمسمائة من الملائكة معهم نحاس وجمر من جمر جهنم ، ومعهم سياط من نار ، لينها لين السياط وهي نار تأجج . قال : فيضربه ملك الموت بذلك السفود ضربة يغيب أصل كل شوكة من ذلك السفود في أصل كل شعرة وعرق وظفر ، قال : ثم يلويه ليًا شديدًا . قال : فينزع روحه من أظفار قدميه . قال : فيلقيها في[٩] عقبيه[١٠] . فيسكر[١١] [عدو اللّٰه عند ذلك][١٢]

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من خ .
[٣] - في ز : « يحاط » .
[٤] - سقط من : ت .
[٥] - سقط من ز ، خ . ت ، وأثبتناه من المطالب العالية .
[٦] - في ز ، خ : « لا يصل » .
[٧] - في ز : « يرتد » .
[٨] - في ز : « اثني عشر » ، خ : « اثنا عشر » .
[٩] - سقط من : خ .
[١٠] - في ز : « ركبتيه » ، وسقط من : خ .
[١١] - في ز : « ثم يسكر » ، وسقط من : خ .
[١٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « عند ذلك عدو الله » ، وسقط من : خ .

[سكرة فيرفه ملك الموت عنه . قال : وتضرب الملائكة وجهه ودبره بتلك السياط][١] . [قال : ثم][٢] : ينثره [ملك الموت][٣] نثرة[٤] [فينزع روحه من عقبيه فيلقيها][٥] في ركبتيه [قال : فيسكر][٦] عدو الله عند ذلك سكرة فيرفه ملك الموت عنه . قال : وتضرب[٧] الملائكة وجهه ودبره [بتلك السياط][٨] . قال : [فيشده ملك الموت شدّة][٩] فينزع روحه من ركبتيه فيلقيها في حقويه [فيسكر عدو الله عند ذلك سكرة فيرفه ملك الموت عنه قال][١٠] : فتضرب[١١] [الملائكة وجهه ودبره بتلك السياط قال][١٢] كذلك إلىٰ صدره ، ثم كذلك إلىٰ حلقه . قال : ثم تبسط الملائكة ذلك النحاس وجمر جهنم تحت ذقنه . قال : ويقول ملك الموت : اخرجي أيتها الروح اللعينة الملعونة إلىٰ سموم وحميم ، وظل من يحموم ، لا بارد ولا كريم .

قال : فإذا قبض ملك الموت روحه ، قال الروح للجسد : جزاك الله عني شرًا ، فقد كنت سريعًا بي إلىٰ معصية الله ، بطيئًا بي عن طاعة الله ، فقد هلكت وأهلكت .قال : ويقول الجسد للروح مثل ذلك ، وتلعنه بقاع الأرض التي كان يعصي الله عليها ، وتنطلق[١٣] جنود إبليس إليه فيبشرونه بأنهم قد أوردوا عبدًا من ولد آدم النار .

قال : فإذا وضع في قبره ضيق عليه قبره حتىٰ تختلف أضلاعه ، حتىٰ تدخل اليمنىٰ في اليسرىٰ ، واليسرىٰ في اليمنىٰ . قال : ويبعث الله إليه أفاعي دهمًا كأعناق الإبل ، يأخذون[١٤] بأرنبته[١٥] وإبهامي قدميه فتقرضه حتىٰ يلتقين في وسطه .

قال : ويبعث الله ملكين أبصارهما كالبرق الخاطف ، وأصواتهما كالرعد القاصف ،

---

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] – في ت : « ثم قال » ، وسقط من : خ .

[٣] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٤] – سقط من : خ .

[٥] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٦] – ما بين المعكوفتين في خ : « ثم يسكر » .

[٧] – في ت : « فتضرب » .

[٨] – في خ : « بالسياط » .

[٩] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، وفي خ : « ثم ينتره ملك الموت نترة » .

[١٠] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[١١] – سقط من : ز ، في خ : « وتضرب » .

[١٢] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[١٣] – في ز : « تنطق » .

[١٤] – في ت : « يأخذن » .

[١٥] – في خ : « بأذنيه » .

وأنيابهما كالصياصي ، وأنفاسهما كاللهب ، يطآن في أشعارهما ، بين منكبي كل واحد منهما مسيرة كذا وكذا ، قد نزعت منهما الرأفة والرحمة ، يقال لهما : منكر ونكير ، في يد كل واحد منهما مطرقة ، لو اجتمع عليها ربيعة ومضر لم يقلوها ؛ قال : فيقولان له : اجلس ، [قال][١] : فيستوي جالسًا ، قال : وتقع أكفانه في حقويه ، قال[٢] فيقولان له : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ فيقول : لا أدري . فيقولان له[٣] : لا دريت ولا تليت ، [قال][٤] فيضربانه ضربة يتطاير شررها[٥] في قبره ثم يعودان . قال : فيقولان : انظر فوقك ، فينظر فإذا باب مفتوح [من الجنة][٦] ، فيقولان : [عدو الله هذا][٧] منزلك لو أطعت الله » .

قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **والذي نفسي بيده ، إنه ليصل إلىٰ قلبه عند ذلك حسرة لا ترتد أبدًا** » قال : « **ويقولان له : انظر تحتك ، فينظر تحته فإذا باب مفتوح إلىٰ النار ، فيقولان : عدو الله ، هذا منزلك إذ عصيت الله** » .

فقال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **والذي نفسي بيده ، إنه ليصل إلىٰ قلبه عند ذلك حسرة لا ترتد أبدًا** » .

قال : وقالت عائشة : ويفتح له سبعة وسبعون بابًا إلىٰ النار ، يأتيه حرها وسمومها حتىٰ يبعثه الله إليها .

هذا حديث غريب جدًّا ، وسياق عجيب ، ويزيد الرقاشي راويه عن أنس له غرائب ومنكرات ، وهو ضعيف الرواية عند الأئمة ، والله أعلم .

ولهذا قال أبو داود(٥١) : حدثنا إبراهيم بن موسىٰ الرازي ، حدثنا هشام - هو ابن يوسف - عن عبد الله بن بحير ، عن هانئ مولىٰ عثمان ، عن عثمان ، رضي الله عنه ،

---

(٥١) - **إسناده حسن** ، سنن أبي داود كتاب : الجنائز ، باب : الاستغفار عند القبر للميت في وقت الانصراف (٣٢٢١) .

وأخرجه أيضًا البزار في مسنده (٢/٤٤٥) ، والبيهقي في « الكبرى » (٤/٥٦) ، وصححه الحاكم (١/ ٣٧١) ، ووافقه الذهبي ، وهانئ مولى عثمان ، صدوق كما في « التقريب » .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - في ز : « شراره » ، خ : « شروه » .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - ما بين المعكوفتين في خ : « والله » .

قال : كان النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، إذا فرغ من دفن الرجل[١] وقف عليه فقال[٢] : « **استغفروا لأخيكم وسَلُوا له التثبيت[٣] فإنه الآن يسأل** » . انفرد به أبو داود .

وقد أورد الحافظ أبو بكر بن مردويه عند قوله تعالىٰ : ﴿ **ولو ترىٰ إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم** ﴾ الآية حديثًا[٤] مطولًا جدًّا : من [طريق غريب][٥] ، عن الضحاك ، عن ابن عباس مرفوعًا وفيه غرائب أيضًا .

۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾

قال البخاري(٥٢) : قوله : ﴿ **ألم تر إلىٰ الذين بدلوا نعمة اللّٰه كفرًا** ﴾ ألم تعلم[٦] ، كقوله : ﴿ **ألم تر كيف** ﴾ ،﴿ **ألم تر إلىٰ الذين خرجوا** ﴾ . البوار : الهلاك ، بار يبور بورًا ، و﴿ **قومًا بورًا** ﴾ : هالكين .

حدثنا علي بن عبد اللّٰه ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن عطاء ، سمع ابن عباس : ﴿ **ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة اللّٰه كفرًا** ﴾ قال : وهم كفار أهل مكة .

وقال العوفي ، عن ابن عباس في هذه الآية : هو جبلة بن الأيهم ، والذين اتبعوه من العرب فلحقوا بالروم .

والمشهور الصحيح عن ابن عباس هو القول الأول ، وإن كان المعنىٰ يعم جميع الكفار ، فإن اللّٰه تعالىٰ بعث محمدًا ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، رحمة للعالمين ، ونعمة للناس ، فمن قبلها وقام بشكرها دخل الجنة ، ومن ردها وكفرها دخل النار .

وقد روي عن علي نحو قول ابن عباس الأول . وقال ابن أبي حاتم(٥٣) :

(٥٢) - صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **ألم تر إلى الذي بدلوا نعمة الله كفرًا** ﴾ (٤٧٠٠) .
(٥٣) - **صحيح** ، وأخرجه النسائي « التفسير » (١١٢٦٧/٦) ، وابن جرير (١٣/ ٢٢٠ ، ٢٢١) من =

[١] - في سنن أبي داود : الميت .
[٢] - في خ : « وقال » ، والمثبت من : ز . [٣] - في ز : « بالتثبيت » .
[٤] - في خ : « حديث » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في خ : « طرق غريبة » . [٦] - في خ : « يعلم » .

حدثنا أبي ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا شعبة ، عن القاسم بن أبي بزة[١] ، عن أبي الطفيل : أن ابن الكواء سأل عليًّا عن ﴿ **الذين بدلوا نعمة اللّه كفرًا وأحلوا قومهم دار البوار** ﴾ قال : هم[٢] كفار قريش يوم بدر .

حدثنا المنذر بن شاذان ، حدثنا يعلى بن عبيد ، حدثنا بسام - هو الصيرفي - عن أبي الطفيل قال : جاء رجل إلىٰ علي فقال : يا أمير المؤمنين ، مَن ﴿ **الذين بدلوا نعمة اللّه كفرًا وأحلوا قومهم دار البوار** ﴾ قال : منافقو قريش .

وقال ابن أبي حاتم(٥٤) : حدثنا أبي ، حدثنا ابن نفيل ، قال : قرأت علىٰ معقل ، عن ابن أبي حسين ، قال : قام علي بن أبي طالب ، رضي اللّه عنه ، فقال[٣] : ألا أحد يسألني عن القرآن ، فواللّه لو أعلم اليوم أحدًا أعلم به مني - وإن[٤] كان من وراء البحار - لأتيته . فقام عبد اللّه بن الكواء فقال : مَنِ[٥] ﴿ **الذين بدلوا نعمة اللّه كفرًا وأحلوا قومهم دار البوار** ﴾ فقال[٦] : مشركو قريش ، أتتهم نعمة اللّه ، الإيمان فبدلوا نعمة اللّه كفرًا وأحلوا قومهم دار البوار .

وقال السدي في قوله : ﴿ **ألم تر إلىٰ الذين بدلوا نعمة اللّه كفرًا** ﴾ الآية : ذكر مسلم المستوفي[٧] عن علي أنه قال : هم الأفجران من قريش ؛ بنو أمية و[٨] بنو المغيرة ، فأما بنو المغيرة فأحلوا قومهم دار البوار يوم بدر ، وأما بنو أمية فأحلوا قومهم دار البوار يوم أحد ، وكان أبو جهل يوم بدر ، وأبو سفيان يوم أحد ، وأما دار البوار فهي جهنم .

= طريق شعبة به ، وأخرجه ابن جرير (٢٢١/١٣) ، والحاكم (٣٥٢/٢) من طريق بسام الصيرفي به ، وقال الحاكم : « حديث صحيح عال ، وبسام بن عبد الرحمن الصيرفي من ثقات الكوفيين ممن يجمع حديثهم ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي ، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٤٢/٢) من طريق وهب بن عبد الله عن أبي الطفيل به ، وأخرجه البيهقي في « الدلائل » (٩٥/٣) من طريق يحيى بن عبد الله بن الأدرع عن أبي الطفيل أنه سمع علي بن أبي طالب يقول ... فذكره . وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١٥٧/٤) إلى : الفريابي وابن الأنباري في « المصاحف » وابن مردويه .

(٥٤) - **إسناده منقطع بين علي وابن أبي حسين ، وهو عبد الله بن عبد الرحمن** ، ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (١٥٧/٤) .

---

[١] - في خ : « بره » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في خ : « ولو » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في خ : « قال » .
[٧] - في خ : « المستوف » .
[٨] - سقط من : ز .

وقال ابن أبي حاتم رحمه الله(٥٥) : حدثنا محمد بن يحيىٰ ، حدثنا الحارث بن[١] منصور ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو ذي مُرٍّ قال : سمعت عليًّا قرأ هذه الآية ﴿ وأحلوا قومهم دار البوار ﴾ قال : هم الأفجران من قريش ؛ بنو أمية وبنو المغيرة ؛ فأما بنو المغيرة فأهلكوا يوم بدر ، وأما بنو أمية فمتعوا إلىٰ حين .

ورواه أبو إسحاق : عن عمرو [ذي مُرٍّ][٢] ، عن علي نحوه ، وروي من غير وجه عنه .

وقال سفيان الثوري(٥٦) : عن علي بن زيد ، عن يوسف بن سعد ، عن عمر بن الخطاب في قوله ﴿ ألم تر إلىٰ الذين بدلوا نعمة الله كفرًا ﴾ قال : هم[٣] الأفجران من قريش ؛ بنو المغيرة وبنو أمية ؛ فأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر ، وأما بنو أمية[٤] فمتعوا إلىٰ حين .

وكذا رواه حمزة[٥] الزيات(٥٧) ، عن عمرو بن مرة قال : قال ابن عباس لعمر بن الخطاب : يا أمير المؤمنين ، هذه الآية ﴿ [ألم تر إلىٰ][٦] الذين بدلوا نعمة الله كفرًا وأحلوا قومهم دار البوار ﴾ قال : هم[٧] الأفجران من قريش أخوالي وأعمامك ، فأما أخوالي فاستأصلهم الله[٨] يوم بدر ، وأما أعمامك فأملىٰ الله لهم إلىٰ حين .

وقال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وقتادة وابن زيد : هم كفار قريش الذين قتلوا يوم بدر ، وكذا رواه مالك في تفسيره : عن نافع ، عن ابن عمر .

وقوله : ﴿ وجعلوا لله أندادًا ليضلوا عن سبيله ﴾ أي : جعلوا له شركاء عبدوهم معه ،

---

(٥٥) - **إسناده فيه جهالة** ، وأخرجه ابن جرير (٢٢١/١٣) ، والطبراني في « الأوسط » (٧٧٦/١) ، وابن المنذر وابن مردويه - كما في « الدر المنثور » (١٥٧/٤) - وصححه الحاكم (٣٥٢/٢) ووافقه الذهبي ، وفي إسناده عمرو ذو مر ، قال الهيثمي في « المجمع » (٤٧/٧) : « لم يرو عنه غير أبي إسحاق السبيعي ... » ، وقال البخاري في « التاريخ » (٣٣٠/٦) : لا يعرف ، وذكره ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٦/ ٢٣٢) ولم يذكر فيه شيئًا .

(٥٦) - **إسناده ضعيف لضعف علي بن زيد وهو ابن جدعان** ، أخرجه ابن جرير (٢١٩/١٣) ، والبخاري في تاريخه وابن المنذر وابن مردويه - كما في « الدر المنثور » (١٥٦/٤) .

(٥٧) - أخرجه ابن جرير (٢١٩/١٣) حدثنا المثنى ، ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ؛ قال : أخبرنا حمزة الزيات ، به .

---

[١] - في ز : « أبو » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « بن مرة » .
[٣] - في ت : « هما » .
[٤] - في خ : « أمته » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - في خ : « هما » .
[٨] - سقط من : خ .

ودعوا الناس إلىٰ ذلك .

ثم قال تعالىٰ متهددًا لهم ، ومتوعدهم علىٰ لسان نبيه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **قل تمتعوا فإن مصيركم إلىٰ النار** ﴾ أي : مهما قدرتم عليه في الدنيا فافعلوا ، فمهما يكن من شيء ﴿ **فإن مصيركم إلىٰ النار** ﴾ أي : مرجعكم وموئلكم إليها ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلىٰ عذاب غليظ** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون** ﴾ .

قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾

يقول تعالىٰ آمرًا لعباده[١] بطاعته ، والقيام بحقه ، والإحسان إلىٰ خلقه ، بأن يقيموا الصلاة وهي عبادة اللَّه وحده لا شريك له ، وأن ينفقوا مما رزقهم اللَّه ؛ بأداء الزكوات ، والنفقة علىٰ القرابات ، والإحسان إلىٰ الأجانب .

والمراد بإقامتها هو المحافظة علىٰ وقتها وحدودها وركوعها وخشوعها وسجودها .

وأمر تعالىٰ بالإنفاق مما رزق في السر ، أي : في الخفية ، والعلانية : وهي الجهر ، وليبادروا إلىٰ ذلك لخلاص[٢] أنفسهم ﴿ **من قبل أن يأتي يوم** ﴾ وهو يوم القيامة [وهو يوم][٣] ﴿ **لا بيع فيه ولا خلال** ﴾ أي : لا[٤] يقبل من أحد فدية بأن تباع نفسه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ولا خلال** ﴾ قال ابن جرير : يقول ليس هناك مخالَّة خليل ، فيصفح عمن استوجب العقوبة عن العقاب لمخالَّته[٥] ، بل هناك[٦] العدل والقسط ، والخلال[٧] : مصدر من قول القائل : خاللت فلانًا فأنا أخاله مخالة وخلالًا ؛ ومنه قول امرئ القيس :

صرفتُ الهوىٰ عَنْهُنَّ من خَشْيَةِ الرَّدَىٰ وَلَسْتُ بِمَقْلِيِّ الخِلالِ ولا قالي[٨]

وقال قتادة : إن اللَّه قد علم أن في الدنيا بيوعًا وخلالًا يتخالون بها في الدنيا ، فينظر

---

[١] - في ت : « عباده » .
[٢] - في خ : « بخلاص » .
[٣] - سقط من : ت .
[٤] - في ت : « ولا » .
[٥] - في ز : « لمخاللته » .
[٦] - في خ : « هنالك » .
[٧] - في خ : « والخلال » .
[٨] - في ز ، خ : « قال » .

الرجل[١] من يخالل وعلام يصاحب ، فإن كان لله فليداوم ، وإن كان لغير الله [فإنها ستنقطع][٢] .

قلت : والمراد من هذا أنه يخبر تعالىٰ أنه لا ينفع أحدًا بيع ولا فدية ، ولو افتدىٰ بملء الأرض ذهبًا لو وجده ؛ ولا ينفعه[٣] صداقة أحد ولا شفاعة أحد إذا لقي الله كافرًا ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **واتقوا يومًا لا تجزي نفس عن نفس شيئًا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون** ﴾ .

ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾

يعدد تعالىٰ نعمه علىٰ خلقه : بأن خلق لهم السموات سقفًا محفوظًا ، والأرض فراشًا ﴿ **وأنزل من السماء ماء فأخرجنا[٤] به أزواجًا من نبات شتىٰ** ﴾ ما بين ثمار وزروع مختلفة الألوان والأشكال والطعوم والروائح والمنافع ، وسخر الفلك بأن[٥] جعلها طافية علىٰ تيار ماء البحر تجري عليه بأمر الله تعالىٰ ، وسخر البحر بحملها ؛ ليقطع المسافرون بها من إقليم إلىٰ إقليم آخر ؛ لجلب ما هنا[٦] إلىٰ هناك ، وما هناك إلىٰ هاهنا ، وسخر الأنهار تشق الأرض من قطر إلىٰ قطر رزقًا للعباد من شربٍ وسقيٍ ، وغير ذلك من أنواع المنافع .

﴿ **وسخر لكم الشمس والقمر دائبين** ﴾ أي : يسيران لا يقرّان ليلًا ولا نهارًا ﴿ **لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون** ﴾ ﴿ **يغشي الليل النهار يطلبه حثيثًا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين** ﴾ فالشمس والقمر يتعاقبان ، والليل والنهار يتعارضان ، فتارة

---

[١] - في ز ، خ : « رجل » .
[٢] - في ت : « تنفعه » .
[٣] - في ت : فسيقطع عنه .
[٤] - في ز ، خ : « فأخرج » .
[٥] - في خ : « و » .
[٦] - في ت : « هاهنا » .

يأخذ هذا من هذا فيطول ، ثم يأخذ الآخر من هذا فيقصر ﴿ [**يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل**][١] **وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمىً ألا هو العزيز الغفار**﴾ .

وقوله : ﴿ **وآتاكم من كل ما سألتموه** ﴾ يقول هيأ لكم كل ما تحتاجون إليه في جميع أحوالكم مما[٢] تسألونه بحالكم وقالكم .

وقال بعض السلف : من كل ما سألتموه وما لم تسألوه .

وقرأ بعضُهم : (وآتاكم من كلٍّ ما سألتموه) .

وقوله ﴿ **وإن تعدوا**[٣] **نعمة اللّه لا تحصوها** ﴾ يخبر تعالىٰ عن عجز العباد عن تعداد النعم ، فضلًا عن القيام بشكرها ، كما قال طلق بن حبيب رحمه اللّه : إن حق اللّه أثقل من أن يقوم به العباد ، وإن نعم اللّه أكثر من أن يحصيها العباد ، ولكن أصبحوا توابين وأمسوا توابين .

وفي صحيح البخاري(٥٨) أن رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، كان يقول : « **اللهم ، لك الحمد غير مكفيٍ ولا مُودع ولا مستغنى**[٤] **عنه ربنا** » .

وقال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده(٥٩) : حدثنا إسماعيل بن أبي الحارث ، حدثنا داود ابن المحبر ، حدثنا صالح المري ، عن جعفر بن زيد العبدي ، عن أنس ، عن النبي ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، أنه قال : « **يخرج لابن آدم يوم القيامة ثلاثة دواوين : ديوان فيه العمل الصالح ، وديوان فيه ذنوبه ، وديوان فيه النعم من اللّه تعالىٰ عليه ، فيقول اللّه تعالىٰ لأصغر نعمه – أحسبه قال : في ديوان النعم – : خذي ثمنك من عمله الصالح ، فتستوعب عمله الصالح كله**[٥] ، **ثم تنحى وتقول : وعزتك ما استوفيت ، وتبقىٰ الذنوب**

(٥٨) – صحيح البخاري ، كتاب : الأطعمة ، باب : ما يقول إذا فرغ من طعامه (٥٤٥٨) ، وأخرجه أيضًا أبو داود (٣٨٤٩) ، والترمذي (٣٤٥٢) ، والنسائي في « عمل اليوم والليلة » (٢٨٣) ، وابن ماجة (٣٢٨٤) من حديث أبي أمامة .

(٥٩) – **إسناده ضعيف جدًا** ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٠/٣٦٠) وقال : « رواه البزار وفيه صالح المري وهو ضعيف » قلت : والراوي عنه داود بن المحبِّر ، متروك .

[١] – ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل » .

[٢] – في ز : « ما » .

[٣] – في خ : « يعدوا » .

[٤] – في خ : « ولا مستغن » .

[٥] – سقط من : خ .

والنعم والعمل الصالح ، [فتستوعب][١] عمله الصالح كله ، فإذا أراد اللَّه أن يرحمه[٢] ، قال : يا عبدي قد ضاعفت لك حسناتك ، وتجاوزت [ ][٣] عن سيئاتك - أحسبه قال - : ووهبت لك نعمي » . غريب وسنده[٤] ضعيف .

وقد روي في الأثر(٦٠) : أن داود عليه السلام قال : يا رب ، كيف أشكرك وشكري لك نعمة منك عليَّ ؟ فقال اللَّه تعالىٰ : الآن شكرتني يا داود . أي :حين اعترفت بالتقصير عن أداء شكر النعم .

وقال الإمام[٥] الشافعي رحمه اللَّه : [الحمد للَّه][٦] الذي لا تؤدىٰ شكر نعمة من نعمه إلا بنعمة حادثة توجب علىٰ مؤدي ماضي نعمه بأدائها نعمة حادثة توجب عليه شكره بها .

وقال القائل في ذلك :

لو كل[٧] جارحة مني لها لغة ... تثني عليك بما أوليت من حَسَن
لكان ما زاد شكري إذ شكرت به ... إليك أبلغ في الإحسان والمنن[٨]

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾

يذكر تعالىٰ في هذا المقام محتجًا علىٰ مشركي العرب بأن البلد الحرام مكة إنما وضعت أول ما وضعت علىٰ عبادة اللَّه وحده لا شريك له ، وأن إبراهيم الذي كانت [ ][٩] بسببه آهلة عامرة تبرَّأ ممن عبد غير اللَّه ، وأنه دعا لمكة بالأمن فقال : **﴿ رب اجعل هذا البلد آمنًا ﴾** وقد استجاب اللَّه له ، فقال تعالىٰ : **﴿ أو لم يروا أنا جعلنا حرمًا آمنًا ويتخطف الناس من حولهم ﴾** ، وقال تعالىٰ : **﴿ إن أوّل بيت وضع للناس للذي ببكة مباركًا**

(٦٠) - أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٤/٤٤١٤) .

[١] - في خ : ويستوعب .

[٢] - في ز ، خ : « يرحم » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ت : لك .

[٤] - في خ : « ومسنده » .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٧] - في ز ، خ : « كان » .

[٨] - في ت : « والمن » .

[٩] - ما بين المعكوفتين في ت : « عامرة » .

وهدىٰ للعالمين * فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنًا ﴾ ، وقال في هذه القصة : ﴿ **رب اجعل هذا البلد آمنًا** ﴾ فعرفه كأنه[١] دعا به بعد بنائها ، ولهذا قال : ﴿ **الحمد لله الذي وهب لي علىٰ الكبر إسماعيل وإسحاق** ﴾ ومعلوم أن إسماعيل أكبر من إسحاق بثلاث عشرة سنة ، فأما حين ذهب بإسماعيل وأمه وهو رضيع إلىٰ مكان مكة ، فإنه دعا أيضًا فقال : ﴿ **رب اجعل هذا بلدًا آمنًا** ﴾ . كما ذكرناه هنالك في سورة البقرة مستقصى مطوّلًا .

وقال[٢] : ﴿ **واجنبني وبني أن نعبد الأصنام** ﴾ ينبغي لكل داعٍ أن يدعو لنفسه ولوالديه ولذريته .

ثم ذكر أنه افتتن بالأصنام خلائق من الناس ، وأنه بريء[٣] ممن عبدها ، وردّ أمرهم إلىٰ اللَّه ؛ إن شاء عذبهم ، وإن شاء غفر لهم ، كقول[٤] عيسىٰ عليه السلام : ﴿ **إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ وليس [في هذا][٥] أكثر من الردّ إلىٰ مشيئة اللَّه تعالىٰ ، لا تجويز وقوع ذلك .

قال عبد اللَّه بن وهب(٦١) : حدثنا عمرو بن الحارث ، أن بكر بن سوادة حدثه ، عن عبد الرحمن بن جُبَيْر ، عن عبد اللَّه بن عمرو ؛ أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، تلا قول إبراهيم عليه السلام ﴿ **رب إنهنّ أضللن كثيرًا من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم** ﴾ ، وقول[٦] عيسىٰ عليه السلام : ﴿ **إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ ، [فرفع يديه وقال][٧] : « **اللهم أمتي ، اللهم أمتي ، اللهم أمتي** » . وبكىٰ ، فقال اللَّه : [يا جبريل ، اذهب] إلىٰ محمد - وربك أعلم - واسأله ما يبكيه ؟ فأتاه جبريل ، عليه السلام ، فسأله ، فأخبره رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، ما قال ، فقال اللَّه : يا جبريل ، اذهب إلىٰ محمد فقل له[٨] : **إنا سنرضيك في أمّتك ولا نسوؤك** .

---

(٦١) - **صحيح** ، ولفظ المصنف هو الذي أورده ابن جرير في تفسيره (١٣/٢٢٩) ، والحديث أخرجه مسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - لأمته وبكائه شفقة عليهم (٣٤٦) (٢٠٢) ، والنسائي في « التفسير » من الكبرى (٦/١١٢٦٩) .

---

[١] - في ت : « لأنه » .
[٢] - في ت : « وقوله » .
[٣] - في خ : « تبرأ » .
[٤] - في خ : « كما قال » .
[٥] - في ت : « فيه » .
[٦] - في ز ، خ : « وقال » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في خ : « وقال » .
[٨] - سقط من : ز .

رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾

وهذا يدل علىٰ أن هذا دعاء ثان بعد الدعاء الأول ، الذي دعا به عندما[١] ولىٰ عن هاجر وولدها ، وذلك قبل بناء البيت ، وهذا كان بعد بنائه تأكيدًا ورغبة إلىٰ اللّٰه عز وجل ؛ ولهذا قال : ﴿ **عند بيتك المحرم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ربنا ليقيموا الصلاة** ﴾ قال ابن جرير : هو متعلق بقوله : ﴿ **المحرم** ﴾ أي : إنما جعلته محرمًا ليتمكن أهله من إقامة الصلاة عنده .

﴿ **فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم** ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير : لو قال : أفئدة الناس لازدحم عليه فارس والروم واليهود والنصارىٰ والناس كلهم ، ولكن قال : ﴿ **من الناس** ﴾ فاختص به المسلمون .

وقوله : ﴿ **وارزقهم من الثمرات** ﴾ أي : ليكون ذلك عونًا لهم علىٰ طاعتك ، وكما أنه واد غير ذي زرع فاجعل لهم ثمارًا يأكلونها ، وقد استجاب اللّٰه ذلك كما قال : ﴿ **أولم نمكن لهم حرمًا آمنًا يجبىٰ إليه ثمرات كل شيء رزقًا من لدنَّا** ﴾ وهذا من لطفه تعالىٰ وكرمه ورحمته وبركته : أنه ليس في البلد الحرام مكة شجرة مثمرة ، وهي تجبىٰ إليها ثمرات ما حولها ، استجابة [لخليله إبراهيم][٢] ، عليه الصلاة السلام .

رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴿٤١﴾

---

[١] - في خ : « بعدما » .

[٢] - في ت : « لدعاء الخليل » .

قال ابن جرير(٦٢) : يقول تعالىٰ مخبرًا عن إبراهيم خليله أنه قال : ﴿ **ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن** ﴾ أي : أنت تعلم قصدي في دعائي ، وما أردت بدعائي لأهل هذا البلد ، وإنما هو القصد إلىٰ رضاك والإخلاص لك ، فإنك تعلم الأشياء كلها ظاهرها وباطنها ، ولايخفىٰ عليك منها شيء في الأرض ولا في السماء .

ثم حمد ربه عز وجل علىٰ ما رزقه من الولد بعد الكبر ، فقال : ﴿ **الحمد لله الذي وهب لي علىٰ الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء** ﴾ أي : إنه ليستجيب[١] لمن دعاه ، وقد استجاب لي فيما سألته من الولد .

ثم قال : ﴿ **رب اجعلني مقيم الصلاة** ﴾ أي : محافظًا عليها مقيمًا لحدودها ﴿ **ومن ذريتي** ﴾ أي : واجعلهم كذلك مقيمين الصلاة ﴿ **ربنا وتقبل دعاء** ﴾ أي : فيما سألتك فيه كله .

﴿ **ربنا اغفر لي ولوالدي** ﴾ قرأ بعضهم : (ولوالدي) [على الإفراد][٢] ، وكان هذا قبل أن يتبرأ من أبيه لما تبين له عداوته لله عز وجل ﴿ **وللمؤمنين** ﴾ أي : كلهم ﴿ **يوم يقوم الحساب** ﴾ أي : يوم تحاسب عبادك فتجزيهم بأعمالهم ، إن خيرًا فخير ، وان شرًّا فشر .

وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾

يقول تعالىٰ :﴿ **ولا تحسبن الله** ﴾ يا محمد ﴿ **غافلًا عما يعمل الظالمون** ﴾ أي : لا[٣] تحسبه[٤] إذا أنظرهم وأجلهم أنه غافل عنهم ، مهمل لهم ، لا يعاقبهم علىٰ صنعهم ، بل هو يحصي ذلك عليهم ، ويعده عدًّا ، [ ][٥] : ﴿ **إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار** ﴾ أي : من شدة الأهوال يوم القيامة .

ثم ذكر تعالىٰ كيفية قيامهم من قبورهم ، ومجيئهم إلىٰ قيام المحشر فقال : ﴿ **مهطعين** ﴾ أي : مسرعين ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **مهطعين الىٰ الداع ...** ﴾ الآية ، [وقال تعالى :

(٦٢) - في التفسير (١٣ / ٢٣٣) .

[١] - في ت : « يستجيب » .
[٢] - في ت : « بالإفراد » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ت : « تحسبنه » .
[٥] - في ز ، خ : أي .

﴿يومئذ يتبعون الداعي]‏[١] لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسًا ﴾ ، [إلىٰ قوله]‏[٢] ﴿ وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلمًا ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ يوم يخرجون من الأجداث سراعًا كأنهم إلى نصب يوفضون ﴾ .

وقوله : ﴿ مقنعي رءوسهم ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد : رافعي رءوسهم .

﴿ لا يرتد إليهم طرفهم ﴾ أي : [بل]‏[٣] أبصارهم طائرة شاخصة ، يديمون[٤] النظر لايطرفون لحظة ؛ لكثرة ما هم فيه من الهول والفكرة والمخافة لما يحل بهم ، عياذًا بالله العظيم من ذلك ، ولهذا قال : ﴿ وأفئدتهم هواء ﴾ أي : وقلوبهم خاوية خالية [ليس فيها شيء لكثرة الوجل والخوف ، ولهذا قال قتادة وجماعة ، إن أمكنة أفئدتهم خالية]‏[٥] ؛ لأن القلوب لدىٰ الحناجر قد خرجت من أماكنها من شدة الخوف ، وقال بعضهم : « هواء » خراب لا تعي شيئًا .

و[٦] لشدة ما [أخبر الله تعالىٰ به]‏[٧] عنهم ، [ ]‏[٨] قال تعالىٰ [لرسوله ، صلىٰ الله عليه وسلم]‏[٩] : [﴿ وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب ﴾]‏[١٠] .

وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط : من ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - في خ : « مديمون » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في ت : « أخبر به تعالى » .
[٨] - في ت : ثم .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

يقول تعالىٰ مخبرًا عن قيل الذين ظلموا أنفسهم عند معاينة العذاب **﴿ ربنا أخرنا إلىٰ أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل ﴾** [كما قال تعالى][١] : **﴿ حتىٰ إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحًا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾** ، وقال تعالىٰ : **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون ﴾** ، وقال تعالىٰ مخبرًا عنهم في حال[٢] محشرهم ، **﴿ ولو ترىٰ إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحًا إنا موقنون ﴾** ، وقال : **﴿ ولو ترىٰ إذ وقفوا علىٰ النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون ﴾** ، وقال تعالىٰ : **﴿ وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحًا غير الذي كنا نعمل أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ﴾** .

وقال[٣] تعالىٰ رادًّا عليهم في قولهم هذا : **﴿ أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال ﴾** أي : أولم تكونوا تحلفون من قبل هذه[٤] الحال[٥] : أنه لا زوال لكم عما أنتم فيه ، وأنه لا معاد ولا جزاء ، فذوقوا هذا بذاك[٦] .

قال مجاهد وغيره : **﴿ ما لكم من زوال ﴾** أي : ما لكم من انتقال من الدنيا إلىٰ الآخرة . [كما أخبر عنهم تعالى][٧] : **﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لايبعث الله من يموت بلى وعدًا عليه حقًّا ﴾** .

﴿ وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال ﴾ أي : قد رأيتم وبلغكم ما أحللنا بالأمم المكذبة قبلكم ، ومع هذا لم يكن لكم فيهم معتبر ، ولم يكن فيما أوقعنا بهم لكم مزدجر **﴿ حكمة بالغة فما تغن[٨] النذر ﴾** .

وقد روىٰ شعبة(٦٣) ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن ؛ أن عليًا ، رضي الله عنه ، قال في هذه الآية : **﴿ وإن كان مكرهم لتزول منه[٩] الجبال ﴾**قال : أخذ ذاك الذىٰ حاج

(٦٣) - **إسناده فيه جهالة** ، أخرجه ابن جرير (١٣/٢٤٤) ، وعبد الرحمن هذا هو ابن دانيال وقيل ابن أذنان وكلاهما ذكرهما ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » ولم يذكر فيهما جرحًا ولا تعديلًا .

[١] - في ت : « كقوله » .
[٢] - في خ : « حالة » .
[٣] - في خ : « قال » .
[٤] - في خ : « هذا » .
[٥] - في ت : « الحالة » .
[٦] - في ت : « بذلك » .
[٧] - في ت : « كقوله » ، خ : « كما أخبر » .
[٨] - في خ : « تغنى » .
[٩] - في خ : « منها » .

إبراهيم في ربه نسرين صغيرين فرباهما حتىٰ استغلظا [واستعلجا[١] وشبا][٢] ، قال : فأوثق رِجْل كل واحد[٣] منهما بوتد إلىٰ تابوت وجوعهما ، وقعد هو وَرَجُلٌ آخر في التابوت ، قال : ورفع في التابوت عصا علىٰ رأسه اللحم ، قال : فطارا وجعل يقول لصاحبه : انظر ماذا ترىٰ . قال : أرىٰ[٤] كذا وكذا ، حتىٰ قال : أرىٰ الدنيا كلها كأنها ذباب . قال : [فقال : صوب][٥] العصا فصوبها فهبطا . قال فهو قول الله[٦] عز وجل ﴿ **وإن كاد[٧] مكرهم لتزول منه الجبال** ﴾ . قال أبو إسحاق : وكذلك هي في قراءة عبد الله ﴿ **وإن كاد مكرهم** ﴾ .

قلت : وكذا[٨] روي عن أبي بن كعب وعمر بن الخطاب ، رضى الله عنهما ، أنهما قرآ ﴿ **وإن كاد** ﴾ كما قرأ علي ، وكذا رواه سفيان الثورىٰ وإسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن بن أذنان[٩] ، عن علي ... فذكر نحوه ، وكذا روي عن عكرمة : أن سياق[١٠] هذه القصة لنمروذ[١١] ملك كنعان : أنه رام أسباب السماء بهذه الحيلة والمكر ، كما رام ذلك بعده فرعون ملك القبط في بناء الصرح ، فعجزا وضعفا وهما أقل وأحقر وأصغر وأدحر .

وذكر مجاهد هذه القصة عن بُخْتَنَصَّر ، وأنه لما انقطع بصره عن الأرض وأهلها نودي : أيها الطاغية أين تريد ؟ فَفَرِقَ ، ثم سمع الصوت فوقه [فصوب الرماح][١٢] ، فصوبت النسور ففزعت الجبال من هدتها ، وكادت الجبال أن تزول من حس ذلك ، فذلك قوله : ﴿ **وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال** ﴾ .

ونقل ابن جريج ، عن مجاهد أنه قرأها : (**لَتزولُ منه الجبال**) بفتح اللام الأولىٰ وضم الثانية .

ورِوىٰ العوفي ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال** ﴾ يقول : ما كان مكرهم لتزول منه الجبال . وكذا قال الحسن البصرى ، ووجهه ابن جرير :

---

[١] - استعلج فلان : غلُظ واشتد وضخم بدنه .
[٢] - في ز ، خ : « واستعجلا فشبا » .
[٣] - في خ : « واحة » .
[٤] - في خ : « أنظر » .
[٥] - في خ : « فصوب » .
[٦] - في ت : « قوله » .
[٧] - في خ : « كان » .
[٨] - في ت : « كذلك » .
[٩] - في ز ، خ : « رباب » .
[١٠] - في ز : « شأن » ، خ : « شاة » .
[١١] - في ز ، خ : « النمرود » .
[١٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « فصوبت الرياح » .

بأن هذا الذى فعلوه بأنفسهم [من كفرهم بالله . وشركهم به][١] ، ما ضر ذلك شيئًا من الجبال ولا غيرها ، وإنما عاد وبال ذلك عليهم .

قلت : ويشبه هذا إذا[٢] [قوله][٣] تعالىٰ : ﴿ **ولا تمش في الأرض مرحًا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولًا** ﴾ .

والقول الثاني في تفسيرها ما رواه علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ **وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال** ﴾ يقول : شركهم ؛ كقوله : ﴿ **تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًّا أن دعوا للرحمن ولدًا** ﴾ ، وهكذا قال الضحاك وقتادة .

فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾

يقول تعالىٰ مقررًا لوعده ومؤكدًا : ﴿ **فلا تحسبن اللَّه مخلف وعده رسله** ﴾ أي : من نصرتهم في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد .

ثم أخبر تعالىٰ[٤] أنه ذو عزة لا يمتنع عليه شيء أراده ولا يغالب[٥] ، وذو انتقام ممن كفر به وجحده ﴿ **فويل يومئذ للمكذبين** ﴾ ، ولهذا قال : ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات** ﴾ أي : وعده هذا حاصل يوم تبدل الأرض [غير الأرض][٦] ، وهي هذه علىٰ غير الصفة المألوفة المعروفة ، كما جاء في الصحيحين(٦٤) من حديث أبي حازم ، عن سهل بن سعد ؛ قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **يحشر الناسُ يوم القيامة علىٰ أرض بيضاءَ عفراءَ كَقُرْصَةِ النقيِّ ، ليس فيها معلم لأحدٍ** » .

وقال الإمام أحمد(٦٥) : حدثنا محمد بن أبي عدي ، عن داود ، عن الشعبي ، عن

---

(٦٤) - أخرجه البخاري ، كتاب : الرقاق ، باب : يقبض الله الأرض يوم القيامة (٦٥٢١) ، ومسلم ، كتاب : صفات المنافقين وأحكامهم ، باب : في البعث والنشور ، وصفة الأرض يوم القيامة (٢٨) (٢٧٩٠).

(٦٥) - **صحيح** ، الحديث في « المسند » (٢٤١٧٨) (٣٥/٦) ، وأخرجه مسلم ، كتاب : صفات=

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « من شركهم بالله وكفرهم به » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في خ : « أن قوله » .

[٤] - زيادة في : ت .

[٥] - في خ : « يغالبه » .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

مسروق ، عن عائشة ؛ أنها قالت : أنا أول الناس سأل النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، عن هذه الآية : ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموٰت وبرزوا لله الواحد القهار** ﴾ قالت : قلت : أين الناس يومئذ يا رسول اللَّه ؟ قال : « **علىٰ الصراط** » . رواه مسلم - منفردًا به دون البخاري - والترمذي وابن ماجة من حديث داود بن أبي هندٍ ، به ، وقال الترمذيٰ : حسن صحيح [ ][١] .

ورواه أحمد أيضًا(٦٦) : عن عفان ، عن وهيب ، عن [داود ، عن الشعبي][٢] ، عنها ولم يذكر مسروقًا ، وقال قتادة(٦٧) : عن حسان بن بلال المزني ، عن عائشة ، رضى اللَّه عنها : أنها سألت رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، عن [قول الله][٣] : ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات** ﴾ قال : قالت : يا رسول اللَّه ، فأين الناس يومئذ ؟ قال : « **لقد سألتني[٤] عن شيء ما سألني عنه أحد من أمتي ، ذاك إذ الناس علىٰ [جسر جهنم][٥]** » .

وروىٰ الإمام أحمد(٦٨) من حديث حبيب بن أبي عمرة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، حدثتني عائشة أنها سألت رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، عن قوله تعالىٰ : ﴿ **والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه** ﴾ فأين الناس يومئذ يا رسول اللَّه ؟ قال : « **هم علىٰ متن جهنم** » .

= المنافقين وأحكامهم ، باب : في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة (٢٩) (٢٧٩١) ، والترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة إبراهيم (٣١٢٠) ، وباب : ومن سورة الزمر (٣٢٤٣) ، وابن ماجة ، كتاب : الزهد ، باب : ذكر البعث (٤٢٧٩) .

(٦٦) - **صحيح** ، « المسند » (٢٥١٣٥) (١٣٤/٦) ، وأخرجه أحمد أيضًا (٢٥٩٣٧) (٢١٨/٦) ثنا إسماعيل قال : أنا داود ، به ، ليس فيه مسروق ، وانظر السابق .

(٦٧) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٥٣/١٣) ، وفي إسناده الوليد بن مسلم وهو كثير التدليس والتسوية ولم يصرح بالتحديث .

(٦٨) - **صحيح** ، الحديث في « المسند » (٢٤٩٦٨) (١١٧/٦) ، وأخرجه أيضًا النسائي في « التفسير » من الكبرى (١١٤٥٣/٦) ، والترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الزمر (٣٢٤٢) وقال : « حديث حسن صحيح غريب » ، وصححه الحاكم أيضًا (٤٣٦/٢) ووافقه الذهبي .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « ورواه أحمد أيضًا عن عفان عن وهيب عن داود بن أبي هند به ، وقال الترمذي : حسن صحيح » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في ت : « قوله » .

[٤] - في ز : « سألتيني » .

[٥] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « خيرهم » .

وقال ابن جرير(٦٩) : حدثنا الحسن ، حدثنا علي بن الجعد ، أخبرنا القاسم ، قال : سمعت الحسن ؛ قال : قالت عائشة : يا رسول اللَّه ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض** ﴾ فأين الناس يومئذ ؟ قال : « **إن هذا الشَّيْءَ ما سألني عنه أحد** » قال : « **علىٰ الصراط يا عائشة** » .

ورواه أحمد(٧٠) : عن عفان ، عن القاسم بن الفضل ، عن الحسن ، به .

وقال الإمام مسلم بن الحجاج في صحيحه(٧١) : حدثني الحسن بن علي الحُلْوَانِيُّ ، حدثني أبوتَوْبَة[١] الربيع بن نافع ، حدثنا معاوية بن سلام ، عن زيد - يعني أخاه - أنه سمع أبا سلام ، حدثني أبو أسماء الرَّحَبِيُّ ، أن ثوبان مولىٰ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، حدثه قال : كنت قائمًا عند رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فجاء حبر من أحبار اليهود ، فقال : السلام عليك يا محمد ؛ فدفعته دفعة كاد يصرع منها ، فقال : لم تدفعني ؟ فقلت : ألا تقولُ : يا رسول اللَّه ؟ فقال اليهودي : إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهلُهُ . فقال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي** » فقال اليهودي : جئت أسألك . فقال له رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أينفعك شي إن حدثتك** » قال : أسمع بأذني . فَنَكَتَ رسول اللَّه ، صلىٰ الله عليه وسلم ، بعود معه ، فقال : « **سَلْ** » . فقال اليهودي : أين يكون[٢] الناس حين[٣] تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ؟ فقال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **هم في الظلمة دون الجسر** » . قال : فمن أول الناس إِجَازَةً ؟ قال : « **فقراءِ المهاجرين** » . فقال اليهودي : فما تحفتهم حين يدخُلون الجنة ؟ قال : « **زيادةُ كَبِد الحُوتِ[٤]** » . قال : فما غِذَاؤُهُمْ في إِثْرِهَا ؟ قال : « **يُنْحَر لهم ثَوْرُ الجنة الذي كان يأْكُلُ من أطرافها** » . قال : فما شرابهم عليه ؟ قال : « **من عين فيها[٥] تسمىٰ سلسبيلًا** » . قال : صدقت .

قال : وجئت أسألك عن شيء لايعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان .

---

(٦٩) - **إسناده منقطع** ، تفسير ابن جرير (٢٥٣/١٣) ، والحسن لم يسمع من عائشة ، وانظر ما بعده .

(٧٠) - **كسابقه** ، « المسند » (٢٤٨٠٩) (١٠١/٦) وأخرجه أيضًا ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (رقم ٦٧) ثنا علي بن الجعد نا القاسم بن الفضل ، به .

(٧١) - صحيح مسلم ، كتاب : الحيض ، باب : بيان صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما (٣٤) (٣١٥) .

---

[١] - في خ : « ثوبة » .

[٢] - في ز : « تكون » .

[٣] - في خ : « يوم » .

[٤] - في خ : « النون » .

[٥] - زيادة من : ت .

قال : « **أينفعك**[١] **إن حدثتك** ؟ » قال : أسمع بأذني . قال : جئت أسألك عن الولد . قال : « **ماء الرجلِ أبيضُ ، وماء المرأة أصفر ، فإذا اجتمعا فَعَلاَ منيُّ الرجلِ منيَّ المرأة أذْكَرا**[٢] **بإذن اللَّه تعالىٰ ، وإذا علا منيُّ المرأة منيَّ الرجل آنثا بإذن اللَّه** » . قال اليهودى : لقد صدقت ، وإنك لنبي . ثم انصرف فذهب ، فقال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه وما لي عِلْمٌ بشيء منه ، حتىٰ أتاني اللَّه به** » .

قال[٣] أبوجعفر بن جرير الطبري(٧٢) ، حدثنا ابن عوف ، حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا ابن أبي مريم ، حدثنا سعيد بن ثوبان الكلاعي ، عن أبي أيوب الأنصاري : أتى النبيَّ ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم حبْرٌ من اليهود ، فقال : أرأيت إذ يقول اللَّه تعالىٰ في كتابه : ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات** ﴾ فأين الخلق عند ذلك ؟ فقال : « **أضياف اللَّه فلن يعجزهم ما لديه** » .

ورواه ابن أبي حاتم : من حديث أبي بكر بن عبد اللَّه بن أبي مريم به .

وقال شعبة(٧٣) : أخبرنا أبو إسحاق ، سمعت عمرو بن ميمون - وربما قال : قال[٤] عبد اللَّه ، وربما لم يقل - فقلت له : عن عبد اللَّه ؟ فقال : سمعت عمرو بن ميمون يقول : ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض** ﴾ قال : أرض كالفضة البيضاء نقية ، لم يسفك فيها دم ، ولم يعمل عليها خطيئة ، ينفذهم البصر ، ويسمعهم الداعي ، حفاة عراة كما خلقوا . قال : أراه قال : قيامًا حتىٰ يلجمهم العرق .

وروي من وجه آخر(٧٤) : عن شعبة ، عن[٥] إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن

(٧٢) - **إسناده ضعيف** ، تفسير ابن جرير (١٣/٢٥٣ - ٢٥٤) وابن أبي مريم - وهو أبو بكر بن عبد الله - ضعيف ، وشيخه مجهول .

(٧٣) - **صحيح موقوفًا** ، أخرجه ابن جرير (١٣/٢٤٩) ، وأحمد في « العلل » (٢/١٧٦) ، وأخرجه ابن جرير ، والحاكم (٤/٥٧٠) ، وعلقه أحمد في « العلل » من طريق شعبة ، قال : سمعت أبا إسحاق يقول : سمعت هبيرة بن يريم يقول : سمعت عبد الله بن مسعود ... فذكره . وانظر ما بعده .

(٧٤) - **كسابقه** ، أخرجه ابن جرير (١٣/٢٤٩ - ٢٥٠) وتابع شعبة ، عبيد الله بن موسى عن إسرائيل به ؛ عند الحاكم (٤/٥٧٠) ، وأبي الشيخ في « العظمة » (٣/٥٩٨) ، وقال الحاكم عن هذا الإسناد والذي قبله : « حديث صحيح الإسنادين جميعًا على شرط الشيخين ولم يخرجاه » .

[١] - في ز : « ينفعك » . [٢] - في خ : « أذكر » .

[٣] - مكانها بياض في : « ز » وفي خ : « حدثنا » .

[٤] - سقط من : ت . [٥] - في خ : « وعن » .

ميمون ، عن ابن مسعود ، بنحوه .

وكذا رواه عاصم(٧٥) ، عن زر ، عن ابن مسعود ، به . وقال سفيان الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون لم يخبر به(٧٦) . أورد ذلك كله ابن جرير .

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار(٧٧) : حدثنا محمد بن عبد اللّه بن عبيد بن عقيل ، حدثنا سهل بن حماد أبو عتاب[١] ، حدثنا جرير بن أيوب ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد اللّه ، عن النبي ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، في قول اللّه عز وجل : ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض** ﴾ قال : « **أرض بيضاء لم يسفك[٢] عليها دم ، أو[٣] لم يعمل عليها خطيئة** » . ثم قال : لا نعلم رفعه إلا جرير بن أيوب ، وليس[٤] بالقوي .

ثم قال ابن جرير(٧٨) : حدثنا أبوكريب ، ثنا معاوية بن هشام ، عن سنان ، عن جابر الجعفي ، عن أبي جبيرة ، عن زيد قال : أرسل رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، إلى اليهود فقال : « **هل تدرون لم أرْسَلْتُ إليهم ؟** » قالوا : اللّه ورسوله أعلم . قال : « **فإني أرسلتُ إليهم أسألهم عن قول اللّه : ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض ﴾ إنها تكون يومئذ بيضاء مثل الفضة** » . فلما جاءوا سألهم ، فقالوا : تكون بيضاء مثل النقي .

وهكذا روي عن علي وابن عباس وأنس بن مالك ومجاهد بن جبير : أنها[٥] تبدل يوم القيامة بأرض من فضة .

وعن علي رضي اللّه عنه أنه قال : تصير الأرض فضة ، والسماوات ذهبًا .

---

(٧٥) - **كسابقه** ، أخرجه ابن جرير (٢٥٠/١٣) ، والطبراني في « الكبير » (٩٠٠١/٩) وجوَّد إسناده الهيثمي في « المجمع » (٤٨/٧) .

(٧٦) - أخرجه ابن جرير (٢٥٠/١٣) .

(٧٧) - **إسناده ضعيف جدًا** ، والحديث في مسنده (٢٤٦/٥)(١٨٥٩) ، وأخرجه أيضًا الطبراني في «الكبير » (١٠٣٢٣/١٠) ، وفي « الأوسط » (٧١٦٧/٧) ، وقال الهيثمي في « المجمع » (٤٨/٧) : « وفيه جرير بن أيوب البجلي وهو متروك » ، وقال أيضًا (٣٤٨/١٠) : « رواه البزار وفيه جرير بن أيوب وهو مجمع على ضعفه » .

(٧٨) - **إسناده ضعيف لضعف جابر الجعفي** ، ابن جرير في تفسيره (٢٥٠/١٣) ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١٦٨/٤) إلى ابن مردويه .

---

[١] - في ز ، خ : « غياث » .

[٢] - في ز ، خ : « يسقط » .

[٣] - في خ : « و » .

[٤] - في ت : « ليس » .

[٥] - في خ : « حدثنا » .

وقال الربيع ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب ؛ قال : تصير السماوات جنانًا .

وقال أبومعشر ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن محمد بن قيس في قوله : ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض** ﴾ قال : خبزة يأكل منها المؤمنون من تحت أقدامهم .

وكذا روىٰ وكيع ، عن [عمر][١] بن بشير الهمداني ، عن سعيد بن جبير في قوله : ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض** ﴾ قال : تبدل الأرض[٢] خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه .

وقال الأعمش ، عن خيثمة ؛ قال : قال عبد الله - هو[٣] ابن مسعود - : الأرض كلها يوم القيامة نار ، والجنة من ورائها ترىٰ كواعبها وأكوابها ، ويلجم الناس العرق ، أو[٤] يبلغ منهم العرق ، ولم يبلغوا الحساب .

وقال الأعمش أيضًا ، عن المنهال بن عمرو[٥] ، عن قيس بن السكن ، قال : قال عبدالله : الأرض كلها نار يوم القيامة ، والجنة من ورائها ترىٰ أكوابها وكواعبها ، والذي نفس عبد الله بيده ، إن الرجل ليفيض عرقًا حتىٰ ترسخ في الأرض قدمه ، ثم يرتفع حتىٰ يبلغ[٦] أنفه وما مسه الحساب . [فقالوا : مم ذاك][٧] يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : مما يرىٰ[٨] الناس ويلقون .

وقال أبوجعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن كعب في قوله : ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات** ﴾ قال : تصير السماوات جنانًا ، ويصير مكان البحر نارًا ، وتبدل الأرض غيرها .

وفي[٩] الحديث الذي رواه أبوداود(٧٩) : « **لايركب البحر إلا غاز أو حاج أو معتمر ، فإن تحت البحر نارًا ، أو تحت النار بحرًا** » .

---

(٧٩) - **إسناده ضعيف جدًا** ، « السنن » لأبي داود (٢٤٨٩) لكن بلفظ « **لا يركب البحر إلا حاجٌ أو معتمر أو غاز في سبيل الله ..... ** » .
وانظر « السلسلة الضعيفة » للألباني (١/ رقم ٤٧٨ ، ٤٧٩) .

---

[١] - في ز ، خ : « معمر » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : ت .
[٤] - في ز : « و » .
[٥] - في ز : « عمر » .
[٦] - في خ : « تبلغ » .
[٧] - في ت : « قالوا : مما ذلك » .
[٨] - في خ : « ترى » .
[٩] - سقط من : ز ، خ .

وفي حديث الصور المشهور المروي عن أبي هريرة(٨٠) ، [عن النبي ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، أنه قال][١] : « [يبدل اللّه الأرض][٢] **غير الأرض والسماوات فيبسطها ، ويمدها مد الأديم العُكَاظِيّ ، لا ترىٰ فيها عوجًا ولا أمتًا ، ثم يَزْجُرُ اللهُ الخَلْقَ زَجْرةً فإذا هم في هذه المُبَدلَةِ** » .

وقوله : ﴿ **وبرزوا للّه** ﴾ أي : خرجت الخلائق جميعها من قبورهم للّه ﴿ **الواحد القهار** ﴾ أي : الذي قهر كل شيء وغلبه ، ودانت له الرقاب ، وخضعت له الألباب .

وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات** ﴾ وتبرز الخلائق لديَّانها ، ترىٰ يا محمد يومئذ المجرمين : وهم الذين أجرموا بفسادهم وكفرهم ﴿ **مقرنين** ﴾ أي : بعضهم إلىٰ بعض ، قد جُمِع بين النظراء[٣] أو الأشكال منهم ، كل صنف إلىٰ صنف ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **احشروا الذين ظلموا وأزواجهم** ﴾ ، وقال : ﴿ **وإذا النفوس زوجت** ﴾ ، وقال : ﴿ **وإذا ألقوا منها مكانًا ضيقًا مقرنين دعوا هنالك ثبورًا** ﴾ ، وقال : ﴿ **والشياطين كل بناء وغواص * وآخرين مقرنين فىٰ الأصفاد** ﴾ .

والأصفاد : هي القيود ، قاله ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، والأعمش ، وعبد الرحمن ابن زيد ، وهو مشهور فى اللغة ؛ قال عمرو بن كلثوم :

فـآبـوا بـالـنـهـاب وبـالـسـبـايـا وأبـنـا بـالـمـلـوك مـصـفـديـنـا

وقوله : ﴿ **سرابيلهم من قطرانٍ** ﴾ أي : ثيابهم التي يلبسونها عليهم[٤] من قطران ؛ وهو الذي تهنأ به الإبل ، أي : تطلىٰ ، قال[٥] قتادة : وهو ألصق شيء بالنار .

ويقال فيه : قطران بفتح القاف وكسر الطاء وتسكينها[٦] ، وبكسر القاف وتسكين

(٨٠) - **إسناده ضعيف مضطرب** ، تقدم تخريجه [سورة الأنعام/ آية ٧٣] .

[١] - ما بين المعكوفتين مكررة في : خ .
[٢] - في ز ، خ : « تبدل الأرض » .
[٣] - في خ : « النظر » .
[٤] - سقط من : ت .
[٥] - في خ : « قاله » .
[٦] - في خ : « وبفتح القاف وتسكين الطاء » .

الطاء ، ومنه قول أبي النجم :

كأن قطرانا إذا تلاها ترمي[١] به الريح إلي مجراها

وكان ابن عباس يقول : القطران هو النحاس المذاب ، وربما قرأها : ﴿ **سرابيلهم من قطران** ﴾ أي : من نحاس حار قد انتهى حرّه ، وكذا روي عن مجاهد وعكرمة ، وسعيد ابن جبير ، والحسن ، وقتادة .

وقوله : ﴿ **وتغشىٰ وجوههم النار** ﴾ كقوله : ﴿ **تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون** ﴾ .

وقال الإمام أحمد رحمه الله(٨١) : حدثنا يحيى بن إسحاق ، أنبأنا أبان بن يزيد ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن زيد ، عن أبي سلام ، عن أبي مالك الأشعري ؛ قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : [« **أربع في أمتي**][٢] **من أمر الجاهلية لا يتركوهن**[٣] **؛ الفخر بالأحساب ، والطعن في الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة [علىٰ الميت]**[٤] ، و[ ][٥] **النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ، ودرع من جرب** » . انفرد بإخراجه مسلم .

وفي حديث القاسم ، عن أبي أمامة ، رضي الله عنه ؛ قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، [ ][٦] : « **النائحة إذا لم تتب توقف في طريق بين الجنة والنار ، سرابيلها**[٧] **من قطران ، وتغشىٰ وجهها**[٨] **النار** »(٨٢) .

وقوله : ﴿ **ليجزي الله [كل نفس ما كسبت]**[٩] ﴾ أي : [ ][١٠] يوم القيامة ﴿ **ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى** ﴾ .

(٨١) - **صحيح** ، الحديث في « المسند » (٣٤٢/٥ - ٣٤٣) ووقع بين يحيى بن إسحاق ، وأبان بن يزيد « ثنا موسى » ولعلها مقحمة ، وأخرجه أحمد أيضًا (٣٤٤/٥) ، ومسلم ، كتاب : الجنائز ، باب : التشديد في النياحة (٢٩) (٩٣٤) من طريقين عن أبان به ، وأخرجه أحمد (٢٣٠١١) (٣٤٣/٥) ثنا أبو عامر ثنا علي ابن المبارك عن يحيى بن أبي كثير ، به .

(٨٢) - **إسناده ضعيف** ، أخرجه الطبراني في « الكبير » (٧٨١٨/٨) ، وفي إسناده علي بن يزيد الألهاني وعبيد الله بن زَحْر وكلاهما ضعيف ، وإن كان الأخير أحسن حالًا من الذي قبله ، وقد أعل الهيثمي =

[١] - في خ : « يرمي » .
[٢] - في ز ، خ : « أربعة » .
[٣] - في ز ، خ : « يتركهن » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين في خ : والنياحة .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ت : رفعه .
[٧] - في ت : « وسرابيلها » .
[٨] - في خ : « وجوههم » .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[١٠] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : يقسم .

﴿ **إن اللَّه سريع الحساب** ﴾ يحتمل[١] أن يكون كقوله تعالىٰ : ﴿ **اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون** ﴾ ويحتمل أنه في حال محاسبته لعبده سريع النجاز ؛ لأنه يعلم كل شيء ولايخفىٰ عليه خافية ، وإن جميع الخلق بالنسبة إلىٰ قدرته كالواحد منهم ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة** ﴾ وهذا معنىٰ قول مجاهد : ﴿ **سريع الحساب** ﴾ إحصاء[٢] .

ويحتمل أن يكون المعنيان[٣] مرادين ، والله أعلم .

هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾

يقول تعالىٰ : هذا القرآن بلاغ للناس ، كقوله : ﴿ **لأنذركم به ومن بلغ** ﴾ أي : هو بلاغ لجميع الخلق ؛ من إنس وجان[٤] ، كما قال في أول السورة : ﴿ **الر[٥] كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم** ﴾ .

﴿ **ولينذروا به** ﴾ أي : يتعظوا[٦] به ﴿ **وليعلموا أنما هو إله واحد** ﴾ أي : يستدلوا بما فيه من الحجج والدلالات علىٰ أنه لا إله إلا هو ﴿ **وليذكر أولوا الألباب** ﴾ أي : ذوو العقول .

آخر تفسير سورة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، [والحمد لله][٧] رب العالمين

☆ ☆ ☆

= في « المجمع » (١٧/٣) الحديث بهذا الأخير ، فقال : « رواه الطبراني في الكبير وفيه عبيد الله بن زحر وهو ضعيف » لكن يشهد لمعناه الحديث السابق والحمد لله أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا .

[١] - في ز ، خ : « ويحتمل » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « المعنيين » .
[٤] - في ت : « وجن » .
[٥] - في ز ، خ : « الم » .
[٦] - في خ : « ليتعظوا » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في خ : « ولله الحمد » .

سورة الحجر

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أوائل السور .

وقوله تعالىٰ: ﴿ **ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين** ﴾ ، إخبار عنهم أنهم سيندمون علىٰ ما كانوا فيه من الكفر ، ويتمنون لو كانوا في الدار الدنيا مع المسلمين .

ونقل السدي في تفسيره بسنده المشهور عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من الصحابة : أن [الكفار][١] لما عرضوا علىٰ النار تمنوا أن لو كانوا مسلمين .

وقيل : إن[٢] المراد أن كل كافر يود عند احتضاره[٣] أن لو كان مؤمنًا .

وقيل : هذا إخبار عن يوم القيامة ، كقوله[٤] تعالىٰ : ﴿ **ولوترىٰ إذ وقفوا علىٰ النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين** ﴾ .

وقال سفيان الثوري(١) : عن سلمة بن[٥] كهيل ، عن[٦] أبي الزعراء ، عن عبد الله في قوله : ﴿ **رُبَمَا يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين** ﴾ قال : هذا في الجهنميين إذا[٧] رأوهم يخرجون من النار.

وقال[٨] ابن جرير(٢) : حدثني المثنىٰ ، أخبرنا مسلم بن إبراهيم [، حدثنا القاسم][٩]

(١) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (٣/١٤) ورجاله ثقات ، رجال الشيخين غير أبي الزعراء وهو الكبير واسمه عبد الله بن هانئ الكندي الكوفي ، وثقه ابن سعد والعجلي وابن حبان ، وقال البخاري : « لا يتابع في حديثه » ، وقال علي بن المديني : « عامة رواية أبي الزَّعْراء عن عبد الله بن مسعود ، ولا أعلم أحدًا روى عنه إلا سلمة بن كهيل » .

(٢) - ابن جرير في تفسيره (٣/١٤) ، وأخرجه ابن المبارك في « الزهد » (١٦٠٢) (ص ٥٥٨) من =

[١] - في ت : « كفار قريش » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « احضاره » .
[٤] - في خ : « كما في قوله » .
[٥] - في ز ، خ : عن .
[٦] - في ز : « ابن » .
[٧] - سقط من : ت .
[٨] - مكانها بياض في ز .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

حدثنا ابن أبي فروة العبدي : أن ابن عباس وأنس بن مالك كانا يتأولان هذه الآية ﴿ **رُبَمَا يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين** ﴾ يتأولانها : يوم يحبس اللّٰه أهل الخطايا من المسلمين مع المشركين في النار . قال : فيقول لهم المشركون : ما أغنىٰ عنكم ما كنتم تعبدون في الدنيا . قال : فيغضب اللّٰه لهم بفضل رحمته فيخرجهم ، فذلك حين يقول : ﴿ **ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين** ﴾ .

وقال عبدالرزاق (٣) : أخبرنا[١] الثوري عن حماد ، عن إبراهيم ، وعن خصيف ، عن[٢] مجاهد ؛ قالا : يقول أهل النار للموحدين : ما أغنىٰ [عنكم إيمانكم][٣]؟ فإذا قالوا ذلك ، قال اللّٰه : أخرجوا من كان في قلبه مثقال ذرة [من إيمان][٤] قال : فعند ذلك قوله : ﴿ **ربما[٥] يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين** ﴾ .

وهكذا روي عن الضحاك وقتادة وأبي العالية وغيرهم . وقد ورد في ذلك أحاديث مرفوعة ؛ فقال الحافظ أبوالقاسم الطبراني(٤) :

حدثنا محمد بن العباس - هو الأخرم[٦]- حدثنا محمد بن منصور الطوسي ، حدثنا صالح بن إسحاق الجِهْبِذ[٧] - [دلني عليه يحيى بن معين][٨] - حدثنا مُعَرِّف[٩] بن واصل ، عن يعقوب [بن نباتة](*) ، عن عبدالرحمن الأغر ، عن أنس بن مالك - رضي اللّٰه عنه - قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « إن ناسًا من أهل لا إله إلا اللّٰه

= طريق القاسم بن الفضل عن عبيد الله بن أبي جروة العبدي ، كذا وقع في الزهد ، ولعله هو الصواب ، فإني لم أقف على من اسمه ابن أبي فروة العبدي في كتب الرجال ، ثم إن ابن أبي جروة ذكره البخاري في « التاريخ الكبير » (٣٧٦/٥) ، ووثقه ابن حبان -« الثقات »- (٦٧/٥) ، والأثر أخرجه أيضًا البيهقي في « البعث » (٧٦) من طريق القاسم بن الفضل ثنا عبد الله بن أبي جرول - كذا وقع - ولعله محرف من السابق ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١٧٢/٤) إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر .

(٣) - « التفسر » لعبد الرزاق (٣٤٥/٢) وحماد هو ابن أبي سليمان ، وإبراهيم هو ابن يزيد النخعي ، وخصيف هو بن عبد الرحمن .

(٤) - الحديث في « المعجم الأوسط » (٧٢٩٣/٧) وقال : « لم يرو هذا الحديث عن معروف - كذا - ابن واصل إلا صالح بن إسحاق الجِهْبذ » ورواه عن الطبراني أبو نعيم في « الحلية » (٢١٧/١٠ - ٢١٨) ، =

[١] - في خ : « أنبأنا » . [٢] - في خ : « وعن » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في خ : « عنكم جمعكم إيمانكم » .

[٤] - سقط من : ز ، خ . [٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - في خ : « الأحزم » . [٧] - في خ : « الجهدراي » .

[٨] - في ز : « رأى علية بن موسى » ، وفي خ : وعلية بن موسى . والمثبت من الأوسط .

[٩] - في ز ، خ : « معروف » .

يدخلون النار بذنوبهم ، فيقول لهم أهل اللات والعزىٰ : ما أغنىٰ عنكم قولكم : لا إله إلا اللَّه ، وأنتم معنا في النار ؟ فيغضب اللَّه لهم [فيخرجُهم ، فيلقيهم][١] في نهر الحياة ، فيبرءون[٢] من حرقهم كما يبرأ القمر من خسوفه[٣]، فيدخلون[٤] الجنة ويسمون فيها الجهنميين[٥]» . فقال رجل : يا أنس ، أنت سمعت هذا من رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ؟ فقال أنس : سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « **من كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار** » . نعم ، أنا سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم يقول هذا .

ثم قال الطبراني : تفرد به الجهبذ .

(الحديث الثاني) وقال الطبراني أيضا(٥) : حدثنا عبداللَّه بن أحمد بن حنبل ، حدثنا أبوالشعثاء علي بن حسن الواسطي ، حدثنا خالد بن نافع الأشعري ، عن سعيد بن أبي بردة ، عن أبيه ، عن أبي موسىٰ رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إذا اجتمع أهل النار في النار ، ومعهم من شاء اللَّه من أهل القبلة ، قال الكفار للمسلمين : ألم تكونوا مسلمين ؟ قالوا : بلىٰ . قالوا : فما أغنىٰ عنكم الإسلامُ ، فقد صرتم معنا في النار ؟ قالوا : كانت لنا ذنوب فأخذنا بها . فسمع اللَّه ما قالوا ، فأمر بمن**

= ومن طريق أبي نعيم الخطيب البغدادي في تاريخه (٣١١/٩ - ٣١٢) ، وقال الهيثمي في « المجمع » (٩٠/ ٣٨٣) : « وفيه من لم أعرفهم » . قلت : لم أقف على ترجمة ليعقوب بن أبي نباتة وكذا صالح بن إسحاق .

وقد رواه أحمد مطولًا بنحوه (١٤٤/٣) وإسناد صحيح والجزء الأخير منه عند البخاري (رقم ١٠٨) ومسلم (٢) . كلهم من حديث أنس .

(*) ما بين المعكوفتين في المطبوع من الأوسط : « بن أبي نباتة » .

(٥) - أخرجه في « المعجم الكبير » كما في « المجمع » (٤٨/٧) ، وأخرجه ابن أبي عاصم في « السنة » (٢/ ٨٤٣) ، والحاكم (٢٤٢/٢) ، وعنه البيهقي في « البعث » (٧٩) من طريق أبي الشعثاء به ، وأخرجه ابن جرير (٢/١٤) حدثنا علي بن سعيد بن مسروق ثنا خالد بن نافع به .

وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي ، وقال في « المجمع » : « فيه خالد بن نافع الأشعري قال أبو داود : متروك . قال الذهبي هذا تجاوز في الحد فلا يستحق الترك ؛ فقد حدث عنه أحمد ابن حنبل وغيره . وبقية رجاله ثقات » قلت : وقد ضعف خالدًا هذا أيضًا أبو زرعة والنسائي وقال أبو حاتم : ليس بالقوي ، يكتب حديثه [انظر « لسان الميزان »] . ويشهد له ما قبله وما يأتي .

---

[١] - في خ : « فيخرجهم في الناس فيلقهم » . [٢] - في ت : « فيبرؤن » .

[٣] - في ز ، خ : « كسوفة » . [٤] - في ت : « ويدخلون » .

[٥] - في خ : « الجهنميّون » .

كان في النار من أهل القبلة فأخرجوا ، فلما رأىٰ ذلك من بقي من الكفار قالوا : ياليتنا كنا مسلمين فنخرجَ كما خرجوا!! » . قال : ثم قرأ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : أعوذ باللَّه من الشيطان الرجيم : ﴿ **الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين * ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين** ﴾ .

ورواه ابن أبي حاتم : من حديث خالد بن نافع به ، وزاد فيه : بسم اللَّه الرحمن الرحيم ، عوض الاستعاذة .

(الحديث الثالث) قال[١] الطبراني أيضًا(٦) : حدثنا موسىٰ بن هارون ، حدثنا إسحاق ابن راهويه ؛ قال : قلت لأبي أسامة : أحدّثكم أبو روق[٢] واسمه[٣] عطية بن الحارث : حدثني صالح بن أبي طريف ؛ قال : سألت أبا سعيد الخدري فقلت له : هل سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول في هذه الآية : ﴿ **ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين** ﴾ ؟ قال : نعم ، سمعته يقول : « **يخرج اللَّه ناسًا من المؤمنين من النار بعدما يأخذ نقمته منهم** » . وقال : « **لما أدخلهم اللَّه النار مع المشركين ، قال لهم المشركون : تزعمون أنكم أولياء اللَّه في الدنيا فما بالكم معنا في النار ؟ فإذا سمع اللَّه ذلك منهم أذن في الشفاعة لهم ، فتشفع لهم[٤] الملائكة والنبيون ، ويشفع المؤمنون حتىٰ يخرجوا بإذن اللَّه ، فإذا رأىٰ المشركون ذلك ، قالوا : ياليتنا كنا مثلهم فتدركنا الشفاعة فنخرج معهم !!**» قال : « **فذلك قول اللَّه** : ﴿ **ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين** ﴾ **فيسمون في الجنة الجهنميين من أجل سواد في وجوههم ، فيقولون : يارب ، أذهب عنا هذا الاسم ، فيأمرهم فيغتسلون في نهر الجنة فيذهب ذلك الاسم عنهم** » ؟ فأقر به أبو أسامة ، وقال : نعم .

(الحديث الرابع) وقال ابن أبي حاتم(٧) : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا العباس ابن[٥] الوليد النرسي[٦] ، حدثنا مسكين أبو فاطمة ، حدثني اليمان بن يزيد ، عن محمد ابن

---

(٦) - وعزاه إلى الطبراني السيوطي في « الدر المنثور » (١٧٢/٤) وكذا إلى إسحاق بن راهوية وابن مردويه وصححه ابن حبان (٧٤٣٢/١٦/إحسان) و (٢٥٩٩/٨/ موارد) من طريق عبدالله بن عمر بن أبان بن صالح : قال : ثنا أبو أسامة ، عن أبي روق به .

(٧) - وأخرجه ابن الجوزي في « العلل المتناهية » (١٠٦٨/٢) مطولًا ، وأخرجه مختصرًا أيضًا (١٠٦٧) ، والدارقطني في « المؤتلف والمختلف » (٦٦٧/٢) ، والخطيب البغدادي في تاريخه (١٥٦/٦) من طريق العباس بن الوليد النرسي به ، وقال الدارقطني : «اليمان بن يزيد مجهول ومسكين أبو فاطمة ضعيف =

---

[١] - في ز ، خ : « وقال » .
[٢] - في خ : « رق » .
[٣] - في خ : « وحدَّثه » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز ، خ : « عن » .
[٦] - في ز : « البرسني » ، خ : « البرسي » .

حِمْيَر(*) ، عن محمد بن[١] علي ، عن أبيه ، عن جده ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « منهم من تأخذه النار إلىٰ ركبتيه ، ومنهم من تأخذه إلىٰ حجزته ، ومنهم من تأخذه النار إلىٰ عنقه ، علىٰ قدر ذنوبهم وأعمالهم ، [ومنهم من يمكث فيها شهرًا ثم يخرج منها][٢]، ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج منها ، وأطولهم فيها مكثًا بقدر الدنيا منذ يوم خلقت إلىٰ أن تفنىٰ ، فإذا أراد الله أن يخرجوا[٣] منها ، قالت اليهود والنصارىٰ ومن في النار من أهل الأديان والأوثان ، لمن في النار من أهل التوحيد : آمنتم بالله وكتبه ورسله فنحن وأنتم اليوم في النار سواء ؟ فيغضب الله لهم غضبًا لم يغضبه لشيء فيما مضىٰ ، فيخرجهم إلىٰ عين في الجنة وهو قوله : ﴿ **ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ذرهم يأكلوا ويتمتعوا** ﴾ تهديد شديد لهم ووعيد أكيد ، كقوله تعالىٰ: ﴿ **قل تمتعوا فإن مصيركم الي النار** ﴾ ، وقوله : ﴿ **كلوا وتمتعوا قليلًا إنكم مجرمون** ﴾ ، ولهذا قال : ﴿ **ويلههم الأمل** ﴾ أي : عن التوبة والإنابة ﴿ **فسوف يعلمون** ﴾ أي : عاقبة أمرهم .

وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٤﴾ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ﴿٥﴾

يقول[٤] تعالىٰ : إنه ما أهلك قرية إلا بعد قيام الحجة عليها وانتهاء أجلها ، وإنه لا يؤخر أمة حان هلاكهم[٥] عن ميقاتها ، ولا يتقدمون عن مدتهم ، وهذا تنبيه لأهل مكة ، وإرشاد لهم إلى الإقلاع عما هم فيه[٦] من الشرك والعناد والإلحاد الذي يستحقون به الهلاك .

وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ﴿٦﴾ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ

= الحديث ومحمد بن حمير هذا لا أعرفه إلا في هذا الحديث وهو حديث منكر » ، وقال ابن الجوزي : هذا حديث لا يصح وفيه جماعة مجاهيل » . وقال الذهبي في « الميزان » (٦/ترجمة اليمان بن يزيد) : « عن محمد بن حمير الحمصي بخبر طويل في عذاب الفساق أظنه موضوعًا » والحديث زاد نسبته السيوطي في «الدر المنثور» (١٧٣/٤) إلى ابن شاهين في « السنة » .

(*) في (ز ، خ) : « جبر » ، والمثبت من كتب الرجال .

[١] - في ز ، خ : « أبو » ، وهو خطأ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - في ت : « يخرجهم » .
[٤] - في ت : « يخبر » .
[٥] - في خ : « هلاكها » .
[٦] - في ت : « عليه » .

إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾

يخبر تعالىٰ عن كفرهم وعتوِّهم[١] وعنادهم في قولهم ﴿ **يا أيها الذي نزل عليه الذكر** ﴾ أي : الذي يدعي[٢] ذلك ﴿ **إنك لمجنون** ﴾ أي : في دعائك إيانا إلىٰ اتباعك ، وترك ما وجدنا عليه آباءنا ﴿ **لو ما** ﴾ أي : هلَّا ﴿ **تأتينا بالملائكة** ﴾ أي : يشهدون لك بصحة ما جئت به [إن كنت من الصادقين][٣]، كما قال فرعون : ﴿ **فلولا**[٤] **ألقي عليه أسورة**[٥] **من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين** ﴾ ، ﴿ **وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرىٰ ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوًّا كبيرا * يوم يرون الملائكة لابشرىٰ يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورًا** ﴾ ، وكذا قال في هذه الآية : ﴿ **ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذًا منظرين** ﴾ .

وقال مجاهد في قوله : ﴿ **ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذًا منظرين** ﴾ بالرسالة والعذاب .

ثم قرر تعالىٰ أنه هو الذي أنزل عليه[٦] الذكر وهو القرآن ، وهو الحافظ له من التغيير والتبديل .

ومنهم من أعاد الضمير في قوله تعالىٰ : ﴿ **له لحافظون** ﴾ علىٰ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، كقوله : ﴿ **واللّٰه يعصمك من الناس** ﴾ والمعنىٰ الأول أولىٰ وهو ظاهر السياق .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾

يقول تعالىٰ مسلِّيًا لرسوله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في تكذيب من كذبه من كفار قريش : إنه أرسل من قبله في[٧] الأمم الماضية ، وإنه ما أتىٰ أمة من[٨] رسول[٩] إلا كذبوه واستهزءوا

---

[١] - سقط من : ت .
[٢] - في ت : « تدعي » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٤] - في خ : « لولا » .
[٥] - في ز ، خ : « أساورة » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز ، خ : « من » .
[٨] - سقط من : ز ، خ .
[٩] - في خ : « رسولا » .

به .

ثم أخبر أنه سلك التكذيب في قلوب المجرمين ، الذين عاندوا واستكبروا عن اتباع الهدىٰ .

قال أنس والحسن البصري : ﴿ **كذلك نسلكه في قلوب المجرمين** ﴾ يعني : الشرك .

وقوله : ﴿ **وقد خلت سنة الأولين** ﴾ أي : قد علم ما فعل تعالىٰ بمن كذب رسله من الهلاك والدمار ، وكيف أنجىٰ اللّٰه الأنبياء وأتباعهم في الدنيا والآخرة .

وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

يخبر تعالىٰ عن قوة كفرهم وعنادهم ومكابرتهم للحق : أنه لو فُتح لهم بابٌ من السماء فجعلوا يصعدون فيه لما صدقوا بذلك ، بل قالوا : ﴿ **سكرت أبصارنا** ﴾ . قال مجاهد وابن كثير والضحاك : سدت أبصارنا . وقال قتادة ، عن ابن عباس : أخذت أبصارنا .

و[١] قال العوفي ، عن ابن عباس : شبه علينا وإنما سحرنا .

وقال الكلبي : عميت أبصارنا .

وقال ابن زيد : ﴿ **سكرت أبصارنا** ﴾ السكران الذي لايعقل .

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾

يذكر تعالىٰ خلقه السماء في ارتفاعها ، وما زينها به من الكواكب الثواقب ، لمن تأملها وكرر [نظره فيما يرىٰ فيها][٢] من العجائب والآيات الباهرات ، ما يحار نظره فيه ، ولهذا

[١] - سقط من : ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ت : « النظر فيما يرى » .

قال مجاهد وقتادة : البروج هٰهنا هي الكواكب (قلت) : وهذا كقوله تبارك وتعالىٰ : ﴿ **تبارك الذىٰ جعل في السماء بروجًا وجعل فيها سراجًا وقمرًا منيرًا** ﴾ . ومنهم من قال : البروج هي منازل الشمس والقمر .

وقال عطية العوفي : البروج هاهنا هي قصور الحرس .

وجعل الشهب حرسًا لها من مردة الشياطين ؛ لئلا يَسَّمَّعوا[١] إلىٰ الملأ الأعلىٰ . فمن تمرد وتقدم[٢] منهم لاستراق[٣] السمع جاءه [شهاب مبين][٤] فأتلفه ، فربما يكون قد ألقىٰ الكلمة التي سمعها قبل أن يدركه الشهاب إلىٰ الذي هو دونه ، فيأخذها الآخر ويأتي بها إلىٰ وليه ، كما جاء مصرحًا به في الصحيح كما قال البخاري في تفسير هذه الآية(٨) :

حدثنا علي بن عبد اللّٰه ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن عكرمة ، عن أبي هريرة ، يبلغ به النبيٰ صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « إذا قضىٰ اللّٰه الأمر في السماء ، [ ][٥] ضَرَبَت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله كالسلسلة علىٰ صفوان » . قال عليٌّ . وقال غيره[٦]: «صفوانٍ ينفذُهُم ذلك . فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربُّكم ؟ قالوا للذي قال : الحقَّ وهو العلي الكبير . فيسمعها مسترقو السمع ، ومسترقو السمع هكذا واحدٌ فوق الآخر[٧]- ووصف سفيان[٨] بيده وفرّج بين أصابع يده اليمنى ، نَصَبَها بعضَها فوق بعض - فربما أدرك الشهابُ المستمعَ قبل أن يَرمِيَ[٩] بها إلىٰ صاحبه فيُحْرِقَه ، وربما لم يدركه حتىٰ يرمي بها إلىٰ الذي يليه ، [إلىٰ الذي][١٠] هو أسفل منه ، حتىٰ يلقوها إلىٰ الأرض - وربما قال سفيان : حتىٰ تنتهي إلىٰ الأرض - فتلقىٰ[١١] علىٰ فم الساحر أو الكاهن ، فيكذب معها مائة كذبة ، فَيَصْدُقُ ، فيقولون : ألم يخبرنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا فوجدناه حقًّا ؟ للكلمة التي سمعت من السماء » .

ثم ذكر تعالىٰ خلقه الأرض ومده إياها ، وتوسيعها[١٢] وبسطها ، وما جعل فيها من الجبال الرواسي ، والأودية والأراضي والرمال ، وما أنبت فيها من الزروع والثمار المتناسبة .

---

[١] - في خ : « يسمَّعون » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في خ : « واسترق » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « إلا » .
[٦] - في ز : « غير » .
[٧] - في ز : « آخر » .
[٨] - في ز : « صفوان » .
[٩] - في ز : « يأتي » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[١١] - في ز : « فيلقى » .
[١٢] - في ز : « سعتها » .

و[١] قال ابن عباس : ﴿ من كل شيْء موزون ﴾ أي : معلوم . وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة وأبومالك ومجاهد والحكم بن عُتيبة[٢] والحسن بن محمد وأبو صالح وقتادة .

ومنهم من يقول : مقدر بقدر .

وقال ابن زيد : من كل شيء يوزن ويقدر بقدر . وقال ابن زيد : ما [يزنه أهل][٣] الأسواق .

وقوله : ﴿ وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين ﴾ يذكر تعالىٰ أنه صرفهم في الأرض في صنوف الأسباب[٤] والمعايش ؛ وهي جمع معيشة .

وقوله : ﴿ ومن لستم له برازقين ﴾ قال مجاهد : و[٥]هي الدواب والأنعام ، وقال ابن جرير : هم العبيد والإماء والدواب والأنعام .

والقصد : أنه تعالىٰ يمتن عليهم بما يسر لهم من أسباب المكاسب ، ووجوه الأسباب ، وصنوف المعايش ، وبما سخر لهم من الدواب التي يركبونها ، والأنعام التي يأكلونها ، والعبيد والإماء التي يستخدمونها ، ورزقهم علىٰ خالقهم لا عليهم ، فلهم هم المنفعة ، والرزق علىٰ اللَّه تعالىٰ .

وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾

يخبر تعالىٰ أنه مالك كل شيء ، وأن كل شيء سهل عليه يسير لديه ، وأن عنده خزائن الأشياء من جميع الصنوف ﴿ وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾ كما يشاء وكما يريد ، ولما له في ذلك من الحكمة البالغة والرحمة بعباده[٦]، لا علىٰ جهة[٧] الوجوب ، بل هو كتب على

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « قتيبة » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « تزنه » .
[٤] - في ز : « الأصناف » .
[٥] - سقط من خ .
[٦] - في خ : « لعباده » .
[٧] - سقط من : ز ، خ .

نفسه الرحمة .

قال يزيد بن أبي زياد ، عن أبي جحيفة ، عن عبد اللَّه : ما من عام بأمطر من عام ، ولكن اللَّه يقسمه [ ][١] حيث شاء ، عامًا هاهنا وعامًا هاهنا . ثم قرأ : ﴿ **وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم** ﴾ . رواه ابن جرير(٩) .

وقال أيضا(١٠) : حدثنا القاسم قال : ثنا الحسين[٢]، حدثنا هشيم ، أخبرنا[٣] إسماعيل بن سالم ، عن الحكم بن عُتيبة[٤]. في قوله : ﴿ **وما ننزله إلا بقدر معلوم** ﴾ قال : ما عام بأكثر مطرًا من عام ولا أقل ، ولكنه يُمْطر قوم ويحرم آخرون ، وربما كان في البحر . قال[٥]: وبلغنا أنه ينزل مع المطر من[٦] الملائكة أكثر من عدد ولد إبليس وولد آدم ، يحصون كل قطرة حيث تقع وما تُنبت .

وقال البزار(١١) : حدثنا داود - هو ابن[٧] بكر التستري - حدثنا حبان[٨] بن أغلب ابن تميم ، حدثني أبي ، عن هشام ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « [خزائن الله الكلام ، فإذا أراد شيئًا قال له : كن . فكان »][٩] . ثم قال : لا يرويه إلا أغلب [ولم يكن][١٠] بالقوي ، وقد حدث عنه غير واحد من المتقدمين ، ولم يروه عنه إلا ابنه .

(٨) - صحيح البخاري كتاب : التفسير ، باب : « إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين » (٤٧٠١) ، وأخرجه أبو داود ، كتاب : الحروف والقراءات (٣٩٨٩) ، والترمذي ، كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة سبأ (٣٢٢١) ، وابن ماجة في المقدمة (١٩٤) مختصرًا ومطولًا .

(٩) - **إسناده ضعيف لضعف يزيد بن أبي زياد** ، ابن جرير في تفسيره (١٩/١٤) .

(١٠) - ابن جرير في تفسيره (١٩/١٤) ، وأخرجه أبو الشيخ في « العظمة » (٤٩٣/٣) من طريق هشيم به وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١٧٨/٤) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(١١) - الحديث في « المسند » (١/٢٧٩ ، النسخة الأزهرية) .

وأخرجه أبو الشيخ في « العظمة » (١٥٥/٢) من طريق حبان به ، وحبان هذا ضعفه أبو حاتم وغيره ، وأبوه أغلب بن تميم ، قال فيه البخاري : منكر الحديث .

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « بينهم » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في خ : « أنبأنا » .

[٤] - في ز ، خ : « عيينة » .

[٥] - سقط من : خ .

[٦] - سقط من : خ .

[٧] - في ز « بن موا بن » .

[٨] - في ت : « حيان » .

[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

[١٠] - في ت : « ليس » .

وقوله تعالىٰ: ﴿ **وأرسلنا الرياح لواقح** ﴾ أي : تلقح السحاب فتدر ماء ، وتلقح الشجر [فتفتح عن][١] أوراقها وأكمامها ؛ و[٢]هذه الرياح ذكرها[٣] بصيغة الجمع ليكون منها الإنتاج بخلاف الريح العقيم فإنه أفردها ، ووصفها بالعقيم وهو عدم الإنتاج ؛ لأنه لايكون إلاَّ من[٤] شيئين فصاعدًا .

و[٥]قال الأعمش(١٢) : عن المنهال بن عمرو ، عن قيس بن السكن[٦]، عن عبداللَّه بن مسعود في قوله : ﴿ **وأرسلنا الرياح لواقح** ﴾ قال : لواقح[٧] ترسل[٨] الريح فتحمل[٩] الماء من السماء ، [ثم تمري][١٠] السحاب حتىٰ تذر كما تدر اللقحة .

وكذا قال ابن عباس وإبراهيم النخعي وقتادة .

وقال الضحاك : يبعثها اللَّه علىٰ السحاب فتلقحه[١١] فيمتلئ ماء .

وقال عبيد بن عمير الليثي(١٣) : يبعث اللَّه المبشرة فتقم الأرض قمًّا[١٢]، ثم يبعث اللَّه المثيرة فتثير [ ][١٣] السحاب ، ثم يبعث اللَّه المؤلِّفة فتؤلف السحاب ، ثم يبعث اللَّه اللواقح فتلقّح الشجر . ثم تلا : ﴿ **وأرسلنا الرياح لواقح** ﴾ .

وقد روىٰ ابن جرير(١٤) : من حديث عبيس بن ميمون ، عن أبي المهزم ، عن أبي

(١٢) - **إسناده صحيح** ، أخرجه الطبراني في « الكبير » (٩٠٨٠/٩) ، وابن جرير في تفسيره (٢٠/١٤) ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١٧٩/٤) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم والخرائطي في « مكارم الأخلاق » .

(١٣) - أخرجه ابن جرير (٢١/١٤) ، وأبو الشيخ في « العظمة » (٧١٥/٤ ، ٨٢٦) ، وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في « الدر المنثور » (١٧٩/٤) .

(١٤) - ابن جرير في تفسيره (٢٢/١٤) ، وأخرجه أيضًا أبو الشيخ في « العظمة » (٨٠٠/٤ ، ٨٠١) ، وابن أبي الدنيا في « كتاب السحاب » ، وابن مردويه - كما في « الدر المنثور » (١٧٩/٤) - وذكره الديلمي في « مسند الفردوس » (٣٢٦٢) ، وأبو المهزم هذا متروك كما في « التقريب » .

[١] - ما بين المعكوفتين في خ : « فتنفتح » .
[٢] - سقط من « ت » .
[٣] - في ت : «و ذكرها » .
[٤] - في ت : « بين » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز ، خ : « المسكين » .
[٧] - سقط من : ت .
[٨] - في ز ، خ : « يرسل » .
[٩] - في خ : « فيحمل » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين في خ : « تمرُّ مرَّ » .
[١١] - في خ : « قد لقحه » .
[١٢] - سقط من : خ .
[١٣] - في ز ، خ : الأرض .

هريرة ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « الريح الجنوب من الجنة ، [وهي الريح اللواقح][١] وهي التي[٢] ذكر اللَّه في كتابه ، وفيها منافع للناس » وهذا[٣] إسناد ضعيف .

وقال الإمام أبو بكر عبد اللَّه بن الزبير الحميدي في مسنده(١٥) : حدثنا سفيان ، حدثنا عمرو بن دينار ، أخبرني يزيد بن جُعدبة[٤] الليثي ، أنه سمع عبد الرحمن بن مخراق يحدث عن أبي ذر قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « إن اللَّه خلق في الجنة ريحًا بعد الريح بسبع[٥] سنين ، وإن من دونها بابًا مغلقًا ، وإنما يأتيكم الريح من خلل ذلك الباب ، ولو فتح لأذرت[٦] ما بين السماء والأرض من شيء ، وهي عند اللَّه الأذيب[٧]، وهي فيكم الجنوب » .

وقوله : ﴿ **فأسقيناكموه** ﴾ أي : أنزلناه لكم عذبًا يمكنكم أن تشربوا منه ، و[٨] لو نشاء لجعلناه[٩] أجاجًا ، كما ينبه اللَّه علىٰ ذلك في الآية الأخرىٰ في سورة الواقعة ؛ وهو[١٠] قوله تعالىٰ : ﴿ **أفرأيتم الماء الذي تشربون * أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ؟ * لو نشاء جعلناه أجاجًا فلولا تشكرون** ﴾ وفي قوله : ﴿ **هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وما أنتم له بخازنين** ﴾ قال سفيان الثوري : بمانعين .

ويحتمل أن المراد : وما أنتم له بحافظين ، بل نحن ننزله ونحفظه عليكم ، ونجعله معينًا وينابيع في الأرض ، ولو شاء تعالىٰ لأغاره وذهب به ، ولكن من رحمته أنزله وجعله عذبًا ، وحفظه في العيون والآبار والأنهار وغير ذلك ؛ ليبقىٰ لهم في طول السنة يشربون ويسقون

(١٥) - مسند الحميدي رقم (١٢٩) ، وأخرجه أيضًا البخاري في « التاريخ الكبير » (٣٤٧/٥) مختصرًا ، وابن عدي في « الكامل » (٢٧١٨/٧) ، والبزار (١٨٣٦/٢ - مختصر الزوائد) ، وأبو الشيخ في «العظمة» (٨٤٥/٤) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (٣٦٤/٣) من طرق عن سفيان به ، ورواه أيضًا ابن أبي شيبة وإسحاق بن راهويه في مسنديهما - كما في « الدر المنثور » (٣٠١/١) وعزاه أيضًا في « الجامع الصغير » إلى الروياني والضياء في « المختارة » ، ويزيد بن جعدبة هذا كذبه البزار والهيثمي في « المجمع » (١٣٨/٨) . والحديث أورده الألباني في « ضعيف الجامع الصغير » (١٦٠٧/٢) وحكم عليه بالوضع .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في خ : « وفي هذا » .
[٤] - في خ : « جعدية » .
[٥] - في ت : « سبع » .
[٦] - في ز ، خ : « لا درب » وهو تحريف .
[٧] - في ز « الأديب » .
[٨] - سقط من : ت .
[٩] - في خ : « جعلناه » .
[١٠] - في ز ، خ : « وهي » .

أنعامهم وزروعهم وثمارهم .

وقوله : ﴿ **وإنا لنحن نحيي ونميت** ﴾ إخبار عن قدرته تعالىٰ علىٰ بدء الخلق وإعادته ، وأنه هو الذي أحيا الخلق من العدم ، ثم يميتهم ، ثم يبعثهم كلهم ليوم الجمع .

وأخبر أنه تعالىٰ يرث الأرض ومن عليها ، وإليه يرجعون[١].

ثم قال تعالىٰ مخبرًا عن تمام علمه بهم أولهم وآخرهم [ ] : ﴿ **ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين** ﴾ ، قال[٢] ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - : المستقدمون : كل من هلك من لدن آدم عليه السلام . والمستأخرون : من هو حي ومن سيأتي إلىٰ يوم القيامة .

وروي نحوه عن عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة ومحمد بن كعب والشعبي وغيرهم ، وهو اختيار ابن جرير رحمه اللَّه .

وقال ابن جرير(١٦) : حدثنا محمد بن عبد الأعلىٰ ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، [عن رجل][٣]، عن مروان بن الحكم أنه قال : كان أناس يستأخرون في الصفوف من أجل النساء ، فأنزل اللَّه : ﴿ **ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين** ﴾ .

وقد ورد [في هذا][٤] حديث غريب جدًّا ؛ فقال[٥] ابن جرير(١٧) :

حدثني[٦] محمد بن موسىٰ الحرشي(*) ، حدثنا نوح بن قيس [ ][٧]، حدثنا عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال : كانت تصلي خلف النبي

(١٦) - **مرسل ، وفي إسناده جهالة** ، ابن جرير في تفسيره (٢٦/١٤) .

(١٧) - ابن جرير في تفسيره (٢٦/١٤) ، والحديث أخرجه أحمد (٣٠٥/١) ، والترمذي (٣١٢١) - وأعله بقوله : « وروى جعفر بن سليمان - انظر ما بعده - هذا الحديث عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء نحوه ، ولم يذكر فيه عن ابن عباس ، وهذا أشبه أن يكون أصح من حديث نوح » - والنسائي (١١٨/٢) ، وفي « التفسير » من الكبرى (١١٢٣٧/٦) ، وابن ماجة (١٠٤٦) ، وصححه ابن خزيمة (١٦٩٦ ، ١٦٩٧) ، وابن حبان (٤٠١/٢) ، والحاكم (٣٥٣/٢) ، ووافقه الذهبي ، وصححه أيضًا الشيخ الألباني في « الصحيحة » (٢٤٧٢/٥) فانظره ثمة مع جوابه عن إعلال كل من الترمذي وابن كثير للحديث .

(*) وقع في « المطبوع من تفسير ابن جرير « الحرسى » وهو تصحيف وصوبه العلامة أحمد شاكر في نسخته عند الحديث رقم (٤٣٨٨) .

[١] - في خ : « ترجعون » .
[٢] - في ت : فقال .
[٣] - مكانها بياض في ز ، خ : « وقال » .
[٤] - في ز : « أنا » ، خ : « أنبأنا » .
[٥] - في ت : « فيه » .
[٦] - في خ : « وقال » .
[٧] - في ز ، خ : « حدثنا عمرو بن قيس » .

صلىٰ اللَّه عليه وسلم امرأة [ ][١]. قال ابن عباس : لا واللَّه إن[٢] رأيت مثلها قط ، وكان بعض المسلمين إذا صلوا استقدموا ، يعني : لئلا يروها[٣]، وبعض يستأخرون ، فإذا سجدوا نظروا إليها من تحت أيديهم ، فأنزل اللَّه : ﴿ **ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين** ﴾ .

وكذا[٤] رواه أحمد وابن أبي حاتم في تفسيره ، ورواه[٥] الترمذي والنسائي في كتاب التفسير من سننيهما وابن ماجه : من طرق ، عن نوح بن قيس الحدَّاني ، وقد وثقه أحمد وأبو داود وغيرهما ، وحكي عن ابن معين تضعيفه ، وأخرج[٦] له مسلم وأهل السنن .

وهذا الحديث فيه نكارة شديدة ، وقد رواه عبد الرزاق(١٨) ، عن جعفر بن سليمان ، عن عمرو بن مالك - وهو النكري[٧] - أنه سمع أبا الجوزاء يقول في قوله : ﴿ **ولقد علمنا المستقدمين منكم** ﴾ : في الصفوف في الصلاة ﴿ **والمستأخرين** ﴾ . فالظاهر[٨] أنه من كلام أبي الجوزاء فقط ، ليس فيه لابن عباس ذكر . وقد قال الترمذي : هذا أشبه من رواية نوح ابن قيس . واللَّه أعلم .

وهكذا رویٰ ابن جرير(١٩) عن محمد بن أبي معشر ، عن أبيه ، أنه سمع [عون ابن][٩] عبد اللَّه يذاكر [ ][١٠] محمد بن كعب في قوله : ﴿ **ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين** ﴾ أنها[١١] في صفوف الصلاة . فقال محمد بن كعب : ليس هكذا ﴿ **ولقد علمنا المستقدمين منكم** ﴾ الميت والمقتول ﴿ **والمستأخرين** ﴾ من يخلق بعد ﴿ **وإن ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم** ﴾ فقال عون بن عبد اللَّه : وفقك اللَّه وجزاك خيرًا .

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن

(١٨) - في تفسيره (٣٤٨/٢) وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١٨٠/٤) إلى ابن المنذر .

(١٩) - **إسناده ضعيف** ؛ لضعف أبي معشر وهو نجيح بن عبد الرحمن ابن جرير في تفسيره (٢٣/١٤) ، وابن أبي حاتم - كما في « الدر المنثور » (١٨١/٤) .

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « حسناء » .
[٢] - في ت : « ما » .
[٣] - في ز ، خ : « يراها » .
[٤] - في ز : « وهكذا » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ت : « أخرجه » .
[٧] - في ز ، خ : « السكرى » .
[٨] - في ز : « والظاهر » .
[٩] - في خ : « ابن » .
[١٠] - في ز ، خ : عن .
[١١] - في ز ، خ : « وأنها » .

نَارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : المراد بالصلصال هاهنا التراب اليابس .

والظاهر أنه كقوله تعالىٰ : ﴿ **خلق الإنسان من صلصال كالفخار * وخلق الجان من مارج من نار** ﴾ .

وعن مجاهد أيضًا : ﴿ **الصلصال** ﴾ المنتن .

وتفسير الآية بالآية أولىٰ .

وقوله : ﴿ **من حمأ مسنون** ﴾ أي : الصلصال من حمأ وهو الطين . والمسنون : الأملس ، كما قال الشاعر :

ثم خاصرتها[١] إلىٰ القبة الخضـ ... راء تمشي في مرمر مسنون

أي : أملس صقيل .

ولهذا روي عن ابن عباس أنه قال : هو التراب الرطب . وعن ابن عباس ومجاهد والضحاك أيضًا : أن الحمأ المسنون هو المنتن . وقيل : المراد بالمسنون هاهنا المصبوب .

وقوله : ﴿ **والجان خلقناه من قبل** ﴾ أي : من قبل الإنسان ﴿ **من نار السموم** ﴾ قال ابن عباس : هي السموم التي تقتل.

وقال بعضهم : السموم بالليل والنهار . ومنهم من يقول : السموم بالليل ، والحرور بالنهار .

وقال أبو داود الطيالسي(٢٠) : حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق قال : دخلت علىٰ عمرو[٢] الأصم أعوده ، فقال : ألا أحدثك حديثًا سمعته من عبد اللّٰه بن مسعود ، يقول : هذه السموم جزء من سبعين جزءًا من السموم التي خلق منها الجان ثم قرأ : ﴿ **والجان خلقناه من**

(٢٠) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤/ ٣٠) حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا أبو داود به . وأخرجه الطبراني في « الكبير » (٩/ ٩٠٥٧) من طريق أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود به ، وفي إسناده عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم وهو ضعيف ، وأخرجه عبد الرزاق في « المصنف » (١١/ ٢٠٣٥٧) عن معمر عن أبي إسحاق عن عمرو بن عاصم عن ابن مسعود به .

[١] - في ز ، خ : « حاصرتها » .

[٢] - في ت : « عمر » .

قبل من نار السموم ﴾ .

وعن ابن عباس : إن الجان خلق من لهب النار . وفي رواية : من أحسن النار .

وعن عمرو بن دينار : من نار الشمس . وقد ورد في الصحيح(٢١) : « خلقت الملائكة من نور ، وخلقت الجان من مارج من نار ، وخلق بنو آدم مما وصف لكم » . [ومقصود][١] الآية : التنبيه علىٰ شرف آدم عليه السلام ، وطيب عنصره ، وطهارة محتده[٢].

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾

يذكر تعالىٰ تنويهه بذكر آدم في ملائكته قبل خلقه له[٣]، وتشريفه إياه بأمره[٤] الملائكة بالسجود له ، ويذكر تخلف[٥] إبليس عدوه عن السجود له من بين سائر الملائكة ، حسدًا وكفرًا وعنادًا واستكبارًا وافتخارًا بالباطل ؛ ولهذا قال : **﴿ لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون ﴾** ، [كقوله : **﴿ أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾** ، وقوله][٦]: **﴿ أرأيتك هذا الذي كرّمت علي لئن أخرتني إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلًا ﴾** الآية .

وقد روىٰ ابن جرير هاهنا أثرًا غريبًا عجيبًا(٢٢) : من حديث شبيب بن بشر ، عن

(٢١) - أخرجه مسلم ، كتاب : الزهد والرقائق ، باب : في أحاديث متفرقة (٦٠) (٢٩٩٦) ، وأخرجه أحمد (٢٥٣٠٣) (١٥٣/٦) .

(٢٢) - تفسير ابن جرير (٣١/١٤) .

[١] - في ت : « المقصود من » .
[٢] - « والمحْتِدُ : الأصلُ ، والطَّبْعُ » . القاموس . [٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ت : « بأمر » . [٥] - في خ : « لخلفا » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « كما قال في الآية الأخرىٰ » .

عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما خلق الله الملائكة ، قال : إني خالق بشرًا من طين ، فإذا أنا خلقته [فاسجدوا له . قالوا : لا نفعل ! فأرسل عليهم نارًا فأحرقتهم ، ثم خلق ملائكةً أخرى فقال لهم مثل ذلك فقالوا :][١] [لا نفعل ! فأرسل عليهم نارًا فأحرقتهم][٢] ، [ثم خلق][٣] ملائكة[٤] أخرى[٥] فقال [ ][٦] : [إني خالق بشرًا من طين فإذا أنا خلقته فاسجدوا له ؛ قالوا : لا نفعل ! فأرسل عليهم نارًا فأحرقتهم ، ثم خلق ملائكة أخرىٰ ، فقال لهم][٧] [مثل ذلك][٨]، فقالوا[٩]: سمعنا وأطعنا ! إلا إبليس كان من الكافرين الأوّلين .

وفي ثبوت هذا عنه بعد ، والظاهر أنه إسرائيلي ، والله أعلم .

﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾ ﴾

[يقول آمرًا][١٠] لإبليس[١١] أمرًا كونيًا لا يخالف ولا يمانع بالخروج من المنزلة التي كان فيها من الملأ الأعلىٰ وأنه رجيم ، أي : مرجوم ، وأنه قد أتبعه[١٢] لعنة لا تزال متصلة به لاحقة له متواترة عليه إلىٰ يوم القيامة .

وعن سعيد بن جبير أنه قال : لما لعن الله إبليس تغيرت صورته عن صورة الملائكة ، ورن رنة فكل رنة في الدنيا إلىٰ يوم القيامة منها . رواه ابن أبي حاتم(٢٣) .

وأنه لما تحقق الغضب الذي لا مرد له ، سأل من تمام حسده لآدم وذريته النَّظِرة إلىٰ يوم القيامة ؛ وهو يوم البعث ، وأنه أجيب إلىٰ ذلك استدراجًا له وإمهالًا ، فلما تحقق النظرة قبحه

---

(٢٣) - وأخرجه أيضًا أبو الشيخ في « العظمة » (١١٢٢/٥) ، وابن أبي الدنيا في « مكايد الشيطان » كما في « الدر المنثور » (١٨٥/٤) .

---

[١] - في خ : « ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين قالوا » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز ، كُرّرت في : خ .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في خ : لهم .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٩] - في ز : « قالوا » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين في ت : « يذكر تعالى أنه أمر » .
[١١] - في خ : « إبليس » .
[١٢] - في ح : « اتبعته » .

الله .

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ (٤٠) قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ (٤٢) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ (٤٤) ﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن إبليس وتمرده وعتوّه : إنه قال للرب : ﴿ **بما أغويتني** ﴾ قال بعضهم : أقسم بإغواء الله له .

(قلت) : ويحتمل أنه : بسبب ما أغويتني وأضللتني ﴿ **لأزينن لهم** ﴾ أي : لذرية آدم عليه السلام ﴿ **في الأرض** ﴾ أي : أحبب إليهم[١] المعاصي ، وأرغبهم فيها ، وأؤزهم إليها ، وأزعجهم إزعاجًا ﴿ **ولأغوينهم أجمعين** ﴾ أي[٢] : كما أغويتني وقدرت عليَّ ذلك ﴿ **أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين** ﴾ كقوله[٣]: ﴿ **أرأيتك هذا الذي كرّمت عليَّ لئن أخرتني إلىٰ يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا** ﴾ .

قال الله تعالىٰ له متهددًا ومتوعدًا ﴿ **هذا صراط علي مستقيم** ﴾ أي : مرجعكم كلكم إليَّ فأجازيكم بأعمالكم ؛ إن خيرًا فخيرٌ ، وإن شرًّا فشرٌّ ، كقوله[٤] تعالىٰ : ﴿ **إن ربك لبالمرصاد** ﴾ .

وقيل : طريق الحق مرجعها إلىٰ الله تعالىٰ وإليه تنتهي . قاله مجاهد والحسن وقتادة ، كقوله[٥]: ﴿ **وعلىٰ الله قصد السبيل** ﴾ .

وقرأ قيس بن عُبَاد[٦] ومحمد بن سيرين وقتادة (هذا[٧] صراط عليٌّ مستقيم) كقوله : ﴿ **وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم** ﴾ أي : رفيع ، والمشهور القراءة الأولىٰ .

وقوله : ﴿ **إن عبادي ليس لك عليهم سلطان** ﴾ أي : الذين[٨] قدرت لهم الهداية ،

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في خ : « لهم » .
[٣] - [٤] - [٥] - في خ : « كما قال » .
[٦] - في ز ، خ : « عبادة » .
[٧] - في ز ، خ : « وهذا » .
[٨] - في خ : « الذي » .

فلا سبيل لك عليهم ، ولا وصول لك إليهم ﴿ **إلا من اتبعك من الغاوين** ﴾ استثناء منقطع .

وقد أورد ابن جرير هٰهنا(٢٤) : من حديث عبد اللّٰه بن المبارك ، عن عبد اللّٰه بن مَوْهَب ، حدثنا يزيد بن قسيط ؛ قال : كانت الأنبياء يكون لهم مساجد خارجة من قراهم ، فإذا أراد النبي أن يستنبئ ربه عن شيء خرج إلىٰ مسجده[١]، فصلىٰ ما كتب اللّٰه له[٢]، ثم سأل[٣] ما بدا له ، فبينا نبي في مسجده ، إذ جاء عدوّ اللّٰه - يعني : إبليس - حتىٰ جلس بينه وبين القبلة ، فقال النبي : أعوذ باللّٰه من الشيطان الرجيم ! [فقال عدوّ الله : أرأيت الذي تعوذ منه فهو هو . فقال النبي : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . قال : فرده][٤] [قال فردد][٥] ذلك ثلاث مرات ، فقال عدوّ اللّٰه : أخبرني بأي شيء تنجو مني ؟ فقال النبي : بل أخبرني [بأي شيء][٦] تَغْلِبُ ابنَ آدم مرتين ؟ فأخذ كل واحد[٧] منهما[٨] علىٰ صاحبه ، فقال النبي : إن اللّٰه تعالىٰ يقول : ﴿ **إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين** ﴾ . قال عدوّ اللّٰه : قد سمعت هذا قبل أن تولد . قال النبي : ويقول اللّٰه[٩]: ﴿ **وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ باللّٰه إنه سميع عليم** ﴾ وإني واللّٰه ما أحسست بك قط إلا استعذت باللّٰه منك . قال عدوّ اللّٰه : صدقت ! بهذا تنجو مني . فقال النبي : فأخبرني[١٠] بأي شيء تغلب ابن آدم ؟ قال : آخذه عند الغضب و عندالهوى .

وقوله : ﴿ **وإن جهنم لموعدهم أجمعين** ﴾ أي : جهنم موعد جميع من اتبع إبليس ، كما قال عن القرآن : ﴿ **ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده** ﴾ .

ثم أخبر أن لجهنم سبعة أبواب ﴿ **لكل باب منهم جزء مقسوم** ﴾ أي : قد كتب لكل باب منها جزء من أتباع إبليس ، يدخلونه لا محيد لهم عنه ، أجارنا اللّٰه منها ! وكل يدخل من باب بحسب عمله ، ويستقر في درك بقدر فعله[١١].

قال إسماعيل بن علية وشعبة ، كلاهما(٢٥) عن أبي هارون الغنوي ، عن حطان بن عبد اللّٰه

(٢٤) - **مرسل** ، ابن جرير في تفسيره (١٤/٣٤) .
(٢٥) - **إسناده صحيح** ، أخرجه ابن جرير (١٤/٣٥) ، وأخرجه أحمد في « الزهد » (ص ١٦٣) ، =

[١] - في ز : « مسجد » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ت : « سأله » .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ت : « » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - سقط من : خ .
[٩] - سقط من : ز .
[١٠] - في خ : « أخبرني » .
[١١] - في خ : « عمله » .

أنه قال : سمعت علي بن أبي طالب وهو يخطب قال : إن أبواب جهنم هكذا - قال أبو هارون - أطباقًا بعضها فوق بعض .

وقال إسرائيل(٢٦) ، عن أبي إسحاق عن هبيرة بن أبي يَريم[١]، عن علي -رضي الله عنه- قال : أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض ، فيمتلئ الأول ثم الثاني ثم الثالث ، حتىٰ تملأ كلها .

وقال عكرمة : ﴿ **سبعة أبواب** ﴾ : سبعة أطباق .

وقال ابن جريج[٢]: ﴿ **سبعة أبواب** ﴾ أولها جهنم ، ثم لظى ، ثم الحطمة ، ثم سعير، ثم سقر ، ثم الجحيم ، ثم الهاوية .

ورواية[٣] الضحاك ، عن ابن عباس نحوه ، وكذا روي[٤] عن الأعمش بنحوه أيضًا .

وقال قتادة : ﴿ **لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم** ﴾ : هي والله منازل بأعمالهم . رواهنّ ابن جرير .

وقال جويبر عن الضحاك : ﴿ **لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم** ﴾ قال : باب [لليهود ، وباب للنصارىٰ][٥]، وباب للصابئين ، وباب للمجوس ، وباب للذين أشركوا : وهم كفار العرب ، وباب للمنافقين ، وباب لأهل التوحيد ، [فأهل التوحيد][٦] يرجى لهم ، ولا يرجى لأولئك أبدًا .

وقال الترمذي(٢٧) : حدثنا عبد بن حميد ، حدثنا عثمان بن عمر ، عن مالك بن مغول ، عن جنيد[٧]، عن ابن عمر ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ؛ قال : « لجهنم سبعة أبواب ؛

= وعلقه البيهقي في « البعث » (٤٦٠) من طريق بشر بن المفضل عن أبي هارون الغنوي به . وأخرجه ابن المبارك (٢٩٤ - زوائد نعيم بن حماد) عن أبي هارون الغنوي بنحوه .

(٢٦) - **إسناده حسن** ، أخرجه ابن جرير (٣٥/١٤) ، وأخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٩٢/٨) ، والبيهقي في « البعث » (٤٦٠) من طريقين عن أبي إسحاق بنحوه ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١٨٥/٤) إلى هناد وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في « صفة النار » وابن أبي حاتم . وانظر ما قبله .

(٢٧) - « الجامع » للترمذي كتاب : التفسير ، باب : « ومن سورة الحجر » (٣١٢٢) ، وأخرجه =

[١] - في ز ، خ : « مريم » .
[٢] - في ز ، خ : « جرير » .
[٣] - في ت : « روى » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٦] - ما بين المعكوفتين في خ : « لليهود والنصارى ، وباب للنصارى » ،وظاهره التكرير .
[٧] - في ز ، خ : « حميد » .

باب منها لمن سل السيف على أمتي ، أو قال[١] : على أمة محمد » .

ثم قال : لا نعرفه إلا من حديث [مالك بن مغول][٢].

وقال ابن أبي حاتم(٢٨) : حدثنا أبي ، حدثنا عباس بن الوليد الخلال ، حدثنا زيد - يعني ابن يحيى - حدثنا سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن أبي نضرة ، عن سمرة بن جندب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ **لكل باب منهم جزء مقسوم** ﴾ قال : « إن من[٣] أهل النار من تأخذه النار إلى كعبيه ، وإن منهم من تأخذه النار إلى حُجْزَتِهِ ، ومنهم من تأخذه النار إلى تراقيه ، منازل بأعمالهم ؛ فذلك قوله : ﴿ **لكل باب منهم جزء مقسوم** ﴾ » .

إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ (٤٥) ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ (٤٦) وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ (٤٧) لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ (٤٨) ۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ (٥٠)

لما ذكر تعالى حال أهل النار ، عطف على[٤] ذكر أهل الجنة ، وأنهم في جنات وعيون .

وقوله: ﴿ **ادخلوها بسلام** ﴾ أي : سالمين من الآفات مسلم عليكم ﴿ **آمنين** ﴾ [من كل][٥] خوف وفزع ، ولا تخشوا[٦] من إخراج ولا انقطاع ولا[٧] فناء .

= البخاري في تاريخه (٢/٢٣٥) مختصرًا ، وأحمد (٢/٩٤) ، ورجاله ثقات غير جنيد هذا فلم يوثقه غير ابن حبان (٤/١١٥) ، ثم إنه لم يسمع من ابن عمر كما قال ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٢/٥٢٧) ، وكذا قال ابن حجر في « التقريب » ، والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٤/١٨٥) إلى ابن مردويه .

(٢٨) - **إسناده ضعيف لضعف سعيد بن بشير ، وهو حديث صحيح** ، فأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : في شدة حر نار جهنم ، وبعد قعرها ، وما تأخذ من المعذبين (٣٢ ، ٣٣) (٢٨٤٥) ، وأحمد (٢٠١٥١) (٥/١٠) من طريقين عن قتادة بنحوه .

[١] - سقط من : خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « مغول بن مالك » . [٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ت : « عليه » .

[٥] - في ت : أي من . [٦] - في ز : « يخشوا » .

[٧] - سقط من : ز ، خ .

وقوله : ﴿ **ونزعنا ما في صدورهم من غلّ إخوانًا علىٰ سرر متقابلين** ﴾ روىٰ القاسم ، عن أبي أمامة قال(٢٩) : يدخل أهل الجنة الجنة علىٰ ما في صدورهم في الدنيا من الشحناء والضغائن ، حتىٰ إذا توافوا[١] وتقابلوا نزع اللّٰه ما في صدورهم في الدنيا من غل ، ثم قرأ : ﴿ **ونزعنا ما في صدورهم من غل** ﴾ .

هكذا في هذه الرواية ، والقاسم بن عبد الرحمن في روايته عن أبي أمامة ضعيف .

وقد روىٰ سُنيد في تفسيره(٣٠) : حدثنا ابن فضالة ، عن لقمان ، عن أبي أمامة قال : لا يدخل الجنة مؤمن حتىٰ ينزع اللّٰه ما في صدورهم من غل ، حتىٰ ينزع منه مثل السبع الضاري .

وهذا موافق لما في الصحيح من رواية قتادة(٣١) : حدثنا أبو المتوكل الناجي ، أن أبا سعيد الخدري حدثهم ، أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « يخلص المؤمنون من النار ، فيحبسون علىٰ قنطرة بين الجنة والنار ، فيُقْتَصُّ لبعضهم من بعض مظالمُ كانت بينهم في الدنيا ، حتىٰ إذا هُذِّبوا ونُقُّوا أُذن لهم في دخول الجنة » .

وقال ابن جرير(٣٢) : حدثنا الحسن ، حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا هشام ، عن محمد - هو ابن سيرين - قال : استأذن الأشتر علىٰ عليّ رضي اللّٰه عنه وعنده ابن لطلحة ، فحبسه ثم أذن له ، فلما دخل قال : إني لأراك إنما احتبستني لهذا ؟ قال : أجل . قال : إني لأراه لو كان عندك ابن لعثمان لحبستني . قال : أجل ، إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **ونزعنا ما في صدورهم من غل [إخوانًا][٢] علىٰ سرر متقابلين** ﴾ .

[وقال ابن جرير أيضًا(٣٣)][٣]: حدثنا[٤] [الحسن ، حدثنا أبو معاوية الضرير ، حدثنا

(٢٩) - أخرجه ابن جرير (٣٦/١٤) ، وابن أبي حاتم وابن مردويه : كما في « الدر المنثور » (١٨٨/٤) .

(٣٠) - **إسناده ضعيف لضعف فرج بن فضالة** ، أخرجه ابن جرير (٣٦/١٤) : وسعيد بن منصور وابن المنذر - كما في « الدر المنثور » (١٨٨/٤) .

(٣١) - تقدم تخريجه [سورة الأعراف/ آية ٤٢] .

(٣٢) - **إسناده منقطع بين محمد بن سيرين وعليّ وهو صحيح** ومن طريق سنيد أخرجه ابن جرير في تفسيره (٣٧/١٤) ، وانظر ما بعده .

(٣٣) - ابن جرير في تفسيره (٣٧/١٤) ، وأخرجه أيضًا ابن سعد في « الطبقات » (١٦٨/٣) وعلقه الذهبي في « السير » (٣٨/١) من طريق أبي معاوية به ، ورجاله ثقات معروفون غير أبي حبيبة هذا فلم أقف على =

[١] - في خ : تكافوا .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « ويجعلنا » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز .

أبو مالك الأشجعي ، عن أبي حبيبة - مولىٰ لطلحة - قال : دخل عمران بن طلحة علىٰ علي رضي الله عنه ، بعد ما فرغ من أصحاب الجمل ، فرحب به وقال : إني لأرجو أن يجعلني الله][1] وأباك[2] [من الذين قال الله : ﴿ **ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانًا علىٰ سرر متقابلين** ﴾][3] . قال ورجلان جالسان علىٰ[4] ناحية البساط ، فقالا : الله أعدل من ذلك ، تقتلهم بالأمس وتكونون إخوانًا ! فقال علي - رضي الله عنه - : قوما أبعدَ أرض وأسحقها فمن هم[5] إذن إن لم أكن أنا وطلحة ؟ وذكر أبو معاوية الحديث بطوله .

وروىٰ وكيع(٣٤) ، عن أبان بن عبد الله البجلي ، عن نعيم بن أبي هند ، عن ربعي بن حِرَاش ، عن علي نحوه ، وقال فيه : فقام رجل من همدان فقال : الله أعدل من ذلك[6] يا أمير المؤمنين . قال : فصاح به عليٌّ صيحة ، فظننت أن القصر قد[7] تدهده لها ، ثم قال : إذا لم نكن[8] نحن فمن هم[9]؟ .

وقال سعيد بن مسروق ، عن أبي[10] طلحة فذكره[11]، وفيه : فقال الحارث الأعور ذلك ، فقام إليه علي رضي الله عنه فضربه بشيء كان في يده في رأسه ، وقال : فمن هم يا أعور إذا لم نكن نحن ؟ .

وقال سفيان الثوري(٣٥) : عن منصور ، عن إبراهيم قال : جاء[12] ابن جرموز قاتل الزبير يستأذن علىٰ علي رضي الله عنه ، فحجبه طويلًا ثم أذن له[13]، فقال له : أما أهل البلاء فتجفوهم ! فقال علي : بفيك التراب ! إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير ممن قال الله :

= من وثقه ، إلا أن البخاري ذكره في « الكنى » من تاريخه (ص٢٤) وقال : « سمع عليًا روى عنه سعد بن طارق وطلحة بن يحيى » ، ويشهد له ما قبله وما يأتي .

(٣٤) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤/٣٧) حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي به ، وابن وكيع ، وهو سفيان ضعيف ، ولكنه متابع عند الحاكم (٢/٣٥٣ - ٣٥٤)، وابن سعد في « الطبقات » (٣/١٦٩) .

(٣٥) - **إسناده ضعيف لضعف سفيان بن وكيع** ؛ أخرجه ابن جرير (١٤/٣٧) حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان به .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ز ، في خ : « وإياك » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٤] - في ز : « إلى » .
[٥] - في ز ، خ : « هو » .
[٦] - في ز : « ذاك » .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - في خ : « تكن » .
[٩] - في ز ، خ : « وهو » .
[١٠] - في ز : « ابن » .
[١١] - في خ : « وذكره » .
[١٢] - سقط من : ز ، خ .
[١٣] - سقط من : خ .

﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانًا علىٰ سرر متقابلين ﴾ .

وكذا روىٰ الثوري(٣٦) ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه عن علي بنحوه .

وقال سفيان بن عيينة(٣٧) عن إسرائيل ، أبي موسىٰ ، سمع الحسن البصري يقول : قال علي : فينا واللَّه أهل بدر نزلت هذه الآية : **﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا علىٰ سرر متقابلين ﴾** .

وقال كثير النوَّاء(٣٨)[١]: دخلت علىٰ أبي جعفر محمد بن علي فقلت : وليي وليكم ، وسلمي سلمكم ، وعدوي عدوكم ، وحربي حربكم ، إني[٢] أسألك باللَّه ، أتبرأ من أبي بكر وعمر ؟ فقال : **﴿ قد ضللت إذًا وما أنا من المهتدين ﴾** تولّهما يا كثير ، فما أدركك فهو في رقبتي هذه . ثم تلا هذه الآية **﴿ إخوانًا علىٰ سرر متقابلين ﴾** قال : أبو بكر وعمر وعلي - رضي اللَّه عنهم - أجمعين .

وقال الثوري(٣٩) ، عن رجل[٣]، عن أبي صالح في قوله : **﴿ إخوانا علىٰ سرر متقابلين ﴾** قال : هم عشرة ؛ أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد ، وعبد اللَّه بن مسعود - رضي اللَّه عنهم - أجمعين .

وقوله : **﴿ متقابلين ﴾** قال مجاهد : لا ينظر بعضهم في قفا بعض .

وفيه[٤] حديث مرفوع ؛ قال ابن أبي حاتم(٤٠) :

حدثنا يحيىٰ بن عبدك القزويني ، حدثنا حسان بن حسان ، حدثنا إبراهيم بن بشر ،

---

(٣٦) - **كسابقه** ، أخرجه ابن جرير من طريق ابن وكيع أيضًا .

(٣٧) - **إسناده منقطع بين الحسن البصري وعلي** ، تقدم تخريجه [سورة الأعراف/ آية ٤٣] .

(٣٨) - **إسناده ضعيف لضعف كثير النواء** ، وأخرجه ابن جرير (٣٨/١٤) ، وابن أبي حاتم وابن عساكر - كما في « الدر المنثور » (١٨٨/٤) .

(٣٩) - **إسناده فيه جهالة** ، وأخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم - كما في « الدر المنثور » (١٨٩/٤) .

(٤٠) - أخرجه البخاري في « التاريخ الصغير » (٢٥٠/١) ، وفي « الكبير » (٣٨٦/٣) بهذا الإسناد ، وقال البخاري في « الصغير » : هذا إسناد مجهول ، لا يتابع عليه ، ولا يُعرف سماع بعضهم من بعض ، رواه بعضهم ، عن إسماعيل بن خالد عن عبد الله بن أبي أوفى عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا اصل =

---

[١] - في ز ، خ : « الفراء » .

[٢] - في ت : « أنا » .

[٣] - في خ : « زحر » .

[٤] - في ز : « في » .

حدثنا يحيىٰ بن معين[١]، عن إبراهيم القرشي[٢]، عن سعيد بن شرحبيل، عن زيد بن أبي أوفى قال: خرج علينا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فتلا هذه الآية: ﴿ **إخوانا علىٰ سرر متقابلين** ﴾ «في الله ينظر بعضهم إلىٰ بعض».

وقوله: ﴿ **لا يمسهم فيها نصب** ﴾ يعني: المشقة والأذىٰ، كما جاء في الصحيحين(٤١): «إن الله أمرني أن أبشر خديجة ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب».

وقوله: ﴿ **وما هم منها بمخرجين** ﴾ كما جاء في الحديث(٤٢): «يقال: يا أهل الجنة؛ إن لكم أن تصحُّوا فلا تمرضوا أبدًا، وإن لكم أن تعيشوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تقيموا فلا تظعنوا[٣] أبدًا». وقال الله تعالىٰ: ﴿ **خالدين فيها لا يبغون عنها حولًا** ﴾.

وقوله: ﴿ **نبىء عبادي أني أنا الغفور الرحيم * وأن عذابي هو العذاب الأليم** ﴾ أي: أخبر يا محمد عبادي أني ذو رحمة وذو عقاب[٤] أليم.

وقد تقدم ذكر نظير هذه الآية الكريمة، وهي دالة علىٰ مقاميْ الرجاء والخوف، وذكر في

= له، وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٥/٥١٤٦)، وابن الأثير في «أسد الغابة» (٢/٢٧٨) من طريق عبد الله بن شرحبيل عن رجل من قريش عن زيد بن أبي أوفى مطولًا، وقال ابن السكن - كما في الإصابة (٤/٤٠) -: «روي حديثه من ثلاث طرق، ليس فيها ما يصح»، ورواه أيضًا أبو القاسم البغوي وابن مردويه وابن عساكر - كما في «الدر المنثور» (٤/١٨٩).

(٤١) - **صحيح بمعناه**، وليس بهذا اللفظ، أخرجه البخاري، كتاب: العمرة، باب: متى يحل المعتمر؟ .. (١٧٩٢)، كتاب المناقب، باب: تزويج النبي - صلى الله عليه وسلم - خديجة وفضلها - رضي الله عنها - (٣٨١٩)، ومسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل خديجة أم المؤمنين - رضي الله تعالى عنها - (٧٢) (٢٤٣٣) من حديث عبد الله بن أبي أوفى، وفي الباب عن أبي هريرة وعائشة عندهما أيضًا، وعن عبد الله بن جعفر - بنحو اللفظ الذي أورده ابن كثير - عند أحمد (١/٢٠٥) وصححه ابن حبان (١٥/٧٠٠٥)، والحاكم (٣/١٨٥) ووافقه الذهبي، وإسناده جيد.

(٤٢) - أخرجه أحمد (١١٣٤٨) (٣/٣٨)، ومسلم، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: في دوام نعيم أهل الجنة (٢٢) (٢٨٣٧)، والترمذي، كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة الزمر (٣٢٤١)، والنسائي في «التفسير» من الكبرى، باب: سورة الأعراف (٦/١١١٨٤) من حديث أبي هريرة وأبي سعيد بنحوه، دون قوله «وإن لكم أن تقيموا فلا تظعنوا أبدًا».

[١] - في ز: معن.
[٢] - في ز، خ: «القومسى».
[٣] - في ز: «تضعنوا».
[٤] - في ت: «عذاب».

سبب نزولها : ما رواه موسىٰ بن عبيدة ، عن [مصعب بن ثابت][١] قال : مر رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم علىٰ ناس من أصحابه . يضحكون ، فقال : « اذكروا الجنة واذكروا النار » . فنزلت : ﴿ **نبىء عبادي أني أنا الغفور الرحيم * وأن عذابي هو العذاب الأليم** ﴾ . رواه ابن أبي حاتم(٤٣) وهو مرسل .

وقال ابن جرير(٤٤) : حدثني المثنى ، حدثنا إسحاق ، أخبرنا ابن المكي ، أخبرنا ابن المبارك ، أخبرنا[٢] مصعب بن ثابت ، حدثنا عاصم بن عبيد اللَّه ، عن ابن أبي رباح ، عن رجل من أصحاب النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : طلع علينا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم من[٣] الباب الذي يدخل منه بنو شيبة ، فقال : « ألا أراكم تضحكون ». ثم أدبر حتىٰ إذا كان عند الحجر ، رجع إلينا القهقرى فقال : « إني لما خرجت جاء جبريل عليه السلام فقال : يا محمد ، إن اللَّه يقول لِمَ[٤] تقنط عبادي ﴿ **نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم * وأن عذابي هو العذاب الأليم** ﴾ » .

وقال سعيد(٤٥)[٥]، عن قتادة في قوله تعالى: ﴿ **نبىء عبادي أني أنا الغفور الرحيم** ﴾ قال : بلغنا أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « لو يعلم العبد قدر عفو اللَّه لَمَا تورع من حرام ، ولو يعلم [ ][٦] قدر [عقابه][٧] لبخع نفسه » .

وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ

(٤٣) - **مرسل ، وإسناده ضعيف** ، وموسى بن عبيدة ضعيف ، ومصعب بن ثابت وهو ابن عبد الله بن الزبير لين الحديث ، وأخرجه أيضًا ابن المنذر كما في « الدر المنثور » (١٨٩/٤) .

(٤٤) - **إسناده ضعيف مضطرب** ، ابن جرير في تفسيره (٣٩/١٤) وهو في « الزهد » لابن المبارك (٨٩٢) ، ومصعب بن ثابت لين كما تقدم ، ثم إنه اضطرب فيه فرواه مرسلًا - كما في السابق - وأسنده مرة أخرى إلى جده عبد الله بن الزبير ، أخرجه البزار في مسنده (٢٢١٦/٦) ، والطبراني - كما في « المجمع » (٤٨/٧ - ٤٩) ، وقال : « فيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف » ، وقال البزار ، وهذا الحديث لا نعلم أحدًا يرويه بهذا اللفظ عن النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا ابن الزبير ، ولا نعلم له طريقًا إلا هذا الطريق ولا نعلم أن مصعب بن ثابت سمع من ابن الزبير .

(٤٥) - **مرسل** ، أخرجه ابن جرير في تفسيره (٣٩/١٤) ، وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في « الدر المنثور » (١٩٠/٤) .

[١] - في ز ، خ : « ثابت بن مصعب » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في ز ، خ : « في » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ت : « شعبة » .

[٦] - في ت : العبد .

[٧] - في خ : « عذاب الله » .

(٥٢) قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ (٥٣) قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ (٥٤) قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ (٥٥) قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ (٥٦)

يقول تعالىٰ : وخبرهم[١] يا محمد عن قصة ضيف إبراهيم - والضيف يطلق علىٰ الواحد والجمع كالزور والسفر ، وكيف دخلوا عليه ﴿ **فقالوا سلامًا قال إنا منكم وجلون** ﴾ أي : خائفون .

وقد ذكر سبب خوفه منهم لما رأىٰ أيديهم لا تصل إلىٰ ما قربه لهم من ضيافة[٢] : وهو العجل السمين الحنيذ .

﴿ **قالوا لا توجل** ﴾ أي : لا تخف ﴿ **وبشروه بغلام عليم** ﴾ وهو[٣] إسحاق عليه السلام ،كما تقدم في سورة هود .

[فـ﴿ قال ﴾][٤] متعجبًا من كبره وكبر زوجته ، ومتحققًا للوعد ﴿ **أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون** ﴾ فأجابوه مؤكدين لما بشروه به تحقيقًا ، وبشارة بعد بشارة ﴿ **قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين** ﴾ وقرأ بعضهم (القَنِطين) ، فأجابهم بأنه ليس يقنط ، ولكن يرجو من الله الولد ، وإن كان قد كبر وأسنت امرأته ، فإنه يعلم من قدرة الله ورحمته ما هو أبلغ من ذلك .

قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ (٥٧) قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٥٨) إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٩) إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ (٦٠)

يقول تعالىٰ إخبارًا عن إبراهيم عليه السلام لما ذهب عنه الروع وجاءته البشرىٰ : إنه شرع يسألهم عما جاءوا له ، فقالوا : ﴿ **إنا أرسلنا إلىٰ قوم مجرمين** ﴾ يعنون قوم لوط ، وأخبروه أنهم سينجون آل لوط من بينهم إلا امرأته فإنها من المُهلكين ، ولهذا قالوا : ﴿ **إلا امرأته**

---

[١] - في خ : « وأخبرهم » .
[٢] - في خ : « الضيافة » . [٣] - في خ : «أي » .
[٤] - في ت : «ثم قال ﴾ » ، خ : « قال » .

قدرنا إنها لمن الغابرين ﴾ أي : الباقين المهلكين .

فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾

يخبر تعالىٰ عن لوط لما جاءته الملائكة في صورة شباب حسان الوجوه ، فدخلوا عليه داره ، قال : ﴿ **إنكم قوم منكرون * قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون** ﴾ يعنون بعذابهم وهلاكهم ودمارهم ، الذي كانوا يشكون في وقوعه بهم ، وحلوله بساحتهم ﴿ **وأتيناك بالحق** ﴾ كقوله[١] تعالىٰ : ﴿ **ما ننزل الملائكة إلا بالحق** ﴾ .

وقوله[٢]: ﴿ **وإنا لصادقون** ﴾ تأكيد لخبرهم إياه بما أخبروه به من نجاته وإهلاك قومه .

فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾

يذكر تعالىٰ عن الملائكة : أنهم أمروه أن يسري بأهله بعد مضي جانب من الليل ، وأن يكون لوط عليه السلام يمشي وراءهم ليكون أحفظ لهم .

وهكذا كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يمشي في الغزاة ، بما [ ][٣] يكون ساقة يزجي[٤] الضعيف ، ويحمل المنقطع .

وقوله : ﴿ **ولا يلتفت منكم أحد** ﴾ أي : إذا سمعتم الصيحة بالقوم فلا تلتفتوا إليهم ، وذروهم فيما حل بهم من العذاب والنكال ﴿ **وامضوا حيث تؤمرون** ﴾ كأنه كان معهم من يهديهم[٥] السبيل .

﴿ **وقضينا إليه ذلك الأمر** ﴾ أي : تقدمنا إليه في هذا ﴿ **أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين** ﴾ أي : وقت الصباح ، كقوله[٦] في الآية الأخرىٰ : ﴿ **إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب** ﴾ .

---

[١] - في خ : « كما قال » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ز : كان .
[٤] - في ز : « يرجي » .
[٥] - في ز : « تهديهم » .
[٦] - في خ : « كما قال » .

وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾

يخبر تعالىٰ عن مجيء قوم لوط لما علموا بأضيافه وصباحة وجوههم ، وأنهم جاءوا مستبشرين بهم فرحين ﴿ **قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون * واتقوا الله ولا تخزون** ﴾ .

وهذا إنما قاله لهم قبل أن يعلم بأنهم رسل الله ، كما [ ][١] في سياق[٢] سورة هود ، وأما ههنا فتقدم ذكر أنهم رسل الله ، وعطف بذكر مجيء قومه ومحاجته لهم ، ولكن الواو لا تقتضي الترتيب ، ولا سيما إذا دَلَّ دليل علىٰ خلافه ، فقالوا له مجيبين : ﴿ **أو لم ننهك عن العالمين** ﴾ أي : أو ما نهيناك أن تضيف أحدًا ؟ فأرشدهم إلىٰ نسائهم وما خلق لهم ربهم منهن من الفروج المباحة . وقد تقدم إيضاح[٣] القول في ذلك بما أغنىٰ عن إعادته .

هذا كله ، وهم غافلون عما يراد بهم ، وما قد أحاط بهم من البلاء ، وماذا يصبحهم من العذاب المستقر . ولهذا قال تعالىٰ لنبيه[٤] صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون** ﴾ أقسم تعالىٰ بحياة نبيه صلوات الله وسلامه عليه ، وفي هذا تشريف عظيم ، ومقام رفيع ، وجاه عريض .

قال عمرو بن مالك النكري[٥] ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس أنه قال : ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسًا أكرم عليه من محمد صلىٰ الله عليه وسلم ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون** ﴾ [ ][٦]. رواه ابن جرير(٤٦) .

(٤٦) - **إسناده حسن** ، ابن جرير في تفسيره (١٤/٤٤) حدثني المثنى ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم : ثنا سعيد بن زيد ، قال : ثنا عمرو بن مالك به . ومن طريق سعيد بن زيد أخرجه البيهقي في « الدلائل » (٥/٤٨٧ - ٤٨٨) ، والحارث بن أبي أسامة (٩٣٨ - الزوائد) ، ومن طريقه أبي نعيم في « الدلائل » (ص ٢٦ - ٢٧) ، وأخرجه ابن جرير وأبو يعلى (٢٧٥٤/٥) ، وأبو نعيم من طرق ثلاثة عن عمرو بن مالك به ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١٩٢/٤) إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه .

[١] - في خ : قال .
[٢] - سقط من خ .
[٣] - في ز ، خ : « أيضًا » .
[٤] - في ت : « لمحمد » .
[٥] - في ز : « البكري » .
[٦] - في ت : [يقول : وحياتك وعمرك وبقائك في الدنيا ﴿ **إنهم لفي سكرتهم يعمهون** ﴾] .

وقال قتادة : ﴿ **في سكرتهم** ﴾ أي : في ضلالتهم ﴿ **يعمهون** ﴾ أي : يلعبون .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ **لعمرك** ﴾[١] لعيشك ﴿ **إنهم لفي سكرتهم يعمهون** ﴾ قال : يتمادون[٢].

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (٧٣) فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ (٧٤) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٥) وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ (٧٦) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ (٧٧) ﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **فأخذتهم الصيحة** ﴾ وهي ما جاءهم [ ][٣] من الصوت القاصف عند شروق الشمس وهو طلوعها ، وذلك مع رفع بلادهم إلىٰ عنان السماء ، ثم قلبها وجعل عاليها سافلها ، وإرسال حجارة السجيل عليهم ، وقد تقدم الكلام علىٰ السجيل في هود بما فيه كفاية .

وقوله[٤]: ﴿ **إن في ذلك لآيات للمتوسمين** ﴾ أي أن آثار هذه النقم الظاهرة علىٰ تلك البلاد لمن تأمل ذلك وتوسمه بعين بصره وبصيرته ، كما قال مجاهد في قوله : ﴿ **للمتوسمين** ﴾ قال : المتفرسين .

وعن ابن عباس والضحاك : للناظرين . وقال قتادة : للمعتبرين . وقال مالك عن بعض أهل المدينة : ﴿ **للمتوسمين** ﴾ للمتأملين .

وقال ابن أبي حاتم(٤٧) : حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا محمد بن كثير العبدي ، عن عمرو بن قيس ، عن عطية ، عن أبي سعيد قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « اتقوا فراسة المؤمن ؛ فإنه ينظر بنور اللَّه » . ثم قرأ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **إن في ذلك لآيات للمتوسمين** ﴾ .

رواه الترمذي وابن جرير من حديث عمرو بن قيس الملائي ، وقال الترمذي : لا نعرفه إلا

---

(٤٧) - **إسناده ضعيف ، لضعف عطية العوفي** ، وأخرجه الترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الحجر (٣١٢٥) وابن جرير (٤٦/١٤) وغيرهم - انظر « الضعيفة » للألباني (١٨٢١/٤) - من طريق عمرو بن قيس به .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ز : « يتميرون » وفي خ : يتجبرون .

[٣] - في خ : به .

[٤] - مكانها بياض في ز ، سقط من : خ .

من هذا الوجه .

وقال ابن جرير أيضًا(٤٨) : حدثني أحمد بن محمد الطوسي ، حدثنا الحسن بن محمد ، حدثنا الفرات بن السائب ، حدثنا ميمون بن مهران ، عن ابن[١] عمر قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **اتقوا فراسة المؤمن ؛ فإن المؤمن ينظر بنور اللَّه** » .

وقال ابن جرير(٤٩) : حدثني أبو شرحبيل الحمصي ، حدثنا سليمان بن سلمة ، حدثنا المؤمل بن سعيد بن يوسف الرحبي ، حدثنا أبو المعلىٰ أسد بن وداعة الطائي ، حدثنا وهب ابن منبه ، عن طاوس بن كيسان ، عن ثوبان قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **احذروا فراسة المؤمن ؛ فإنه ينظر بنور اللَّه وينطق[٢] بتوفيق اللَّه** » .

وقال أيضًا(٥٠) : حدثنا عبد الأعلىٰ بن واصل ، حدثنا سعيد بن محمد الجَرْمي ، حدثنا عبد الواحد بن واصل ، حدثنا أبو بشر المزَلِق ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك قال : قال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن لله عبادًا يعرفون الناس بالتوسم** » .

ورواه الحافظ أبو بكر البزار(٥١) : حدثنا سهل بن بحر ، حدثنا سعيد بن محمد الجرمي ، حدثنا أبو بشر - يقال له : ابن المزلقي[٣] ، قال : وكان ثقة - عن ثابت ، عن أنس قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن لله عبادًا يعرفون الناس بالتوسم** » .

وقوله : ﴿ **وإنها لبسبيل مقيم** ﴾ أي : وإن قرية سدوم التي[٤] أصابها [ما أصابها][٥] من القلب الصوري والمعنوي ، والقذف بالحجارة حتىٰ صارت بحيرة[٦] منتنة خبيثة - لطريق مَهْيَع مسالكه مستمرة إلىٰ اليوم ، كقوله : ﴿ **وإنكم لتمرون عليهم مصبحين * وبالليل أفلا**

---

(٤٨) - **إسناده ضعيف جدًّا من أجل الفرات بن السائب** ، ابن جرير في تفسيره (٤٦/١٤) ، وأخرجه أيضًا أبو نعيم في « الحلية » (٩٤/٤) من طريق فرات بن السائب به ، وقال : « غريب من حديث ميمون لم نكتبه إلا من هذا الوجه » . والفرات بن السائب ، قال فيه البخاري « التاريخ الكبير » (١٣٠/٧) : « تركوه ، منكر الحديث » .

(٤٩) - **إسناده واهٍ جدًّا** ، ابن جرير في تفسيره (٤٦/١٤ - ٤٧) ، وفيه ثلاث علل - انظرها في «الضعيفة» للألباني (١٨٢١/٣٠١/٤) .

(٥٠) - **إسناده حسن** ، في تفسيره (٤٦/١٤) ، وحسنه الألباني في « الصحيحة » (١٦٩٣/٤) .

(٥١) - **كسابقه** ، (٢٣٠٢/٢ - مختصر الزوائد) .

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في خ : « المزلق » .

[٤] - في ز ، خ : « الذي » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٦] - في ز ، خ : « بحره » .

تعقلون وإن يونس لمن المرسلين ﴾ .

وقال مجاهد والضحاك : ﴿ **وإنها لبسبيل مقيم** ﴾ قال : معلم . وقال قتادة : بطريق واضح . وقال قتادة أيضًا : بصقع من الأرض واحد .

وقال السدي : بكتاب مبين . يعني كقوله : ﴿ **وكل شيء أحصيناه في إمام مبين** ﴾ ، ولكن ليس المعنىٰ علىٰ ما قال ههنا ، واللّه أعلم .

وقوله : ﴿ **إن في ذلك لآية للمؤمنين** ﴾ أي : إن الذي صنعنا بقوم لوط من الهلاك والدمار ، وإنجائنا لوطًا وأهله ، لدلالة واضحة جلية للمؤمنين باللّه ورسله .

وَإِن كَانَ أَصْحَـٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَـٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾

أصحاب الأيكة : هم قوم شعيب . قال الضحاك وقتادة وغيرهما : الأيكة الشجر الملتف .

وكان ظلمهم : بشركهم باللّه ، وقطعهم الطريق ، ونقصهم المكيال والميزان ، فانتقم اللّه منهم بالصيحة والرجفة وعذاب يوم الظلة ، وقد كانوا قريبًا من قوم لوط ، بعدهم في الزمان ، ومسامتين لهم في المكان ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وإنهما لبإمام مبين** ﴾ أي : طريق مبين .

قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وغيره[١]: طريق ظاهر . ولهذا لما أنذر شعيب قومه قال في نذارته إياهم : ﴿ **وما قوم لوط منكم ببعيد** ﴾ .

وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَـٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَـٰهُمْ ءَايَـٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾

أصحاب الحجر : هم ثمود الذين كذبوا صالحًا نبيهم عليه السلام ، ومن كذب برسول فقد كذب بجميع المرسلين[٢]، ولهذا أطلق عليهم تكذيب المرسلين .

وذكر تعالىٰ أنه آتاهم من الآيات ما يدلهم علىٰ صدق ما جاءهم به صالح ؛ كالناقة التي

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في خ : « الرسل » .

أخرجها الله لهم بدعاء صالح من صخرة صماء ، فكانت[١] تسرح في بلادهم ، لها شرب ولهم شرب يوم معلوم ، فلما عتوا وعقروها قال لهم : ﴿ تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمىٰ علىٰ الهدىٰ ﴾ ، وذكر تعالىٰ أنهم : ﴿ كانوا ينحتون من الجبال بيوتًا آمنين ﴾ أي : من غير خوف ولا احتياج إليها ، بل أشرًا وبطرًا وعبثًا ، كما هو المشاهد من صنيعهم في بيوتهم بوادي الحجر الذي مر به رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وهو ذاهب إلىٰ تبوك ، فقنع رأسه وأسرع دابته ، وقال لأصحابه : « لا تدخلوا بيوت القوم المعذبين إلا أن تكونوا باكين ، فإن لم تبكوا فتباكوا ، خشية أن يصيبكم ما أصابهم »(٥٢) .

وقوله : ﴿ فأخذتهم الصيحة مصبحين ﴾ أي : وقت الصباح من اليوم الرابع ﴿ فما أغنىٰ عنهم ما كانوا يكسبون ﴾ أي : ما كانوا يستغلونه[٢] من زروعهم وثمارهم ، التي ضنوا بمائها عن الناقة حتىٰ عقروها ؛ لئلا تضيق[٣] عليهم في المياه ، فما دفعت عنهم تلك الأموال ، ولا نفعتهم[٤] لما جاء أمر ربك .

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية ﴾ أي : بالعدل ﴿ ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزئ الذين أحسنوا بالحسنى ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا وأنكم إلينا لا ترجعون * فتعالىٰ الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم ﴾ ثم أخبر نبيه بقيام الساعة ، وأنها كائنة لا محالة ، ثم أمره[٥] بالصفح الجميل عن المشركين في أذاهم له ، وتكذيبهم ما جاءهم به ، كقوله[٦]: ﴿ فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون ﴾ قال[٧] مجاهد وقتادة وغيرهما : كان هذا قبل القتال . وهو كما قالا ، فإن هذه مكية والقتال إنما شرع بعد الهجرة .

(٥٢) - تقدم تخريجه [سورة الأعراف/ آية ٧٣] .

[١] - في خ : « وكانت » .
[٢] - في ز : « يشتغلونه » .
[٣] - في ز : « يضيق » .
[٤] - في ز : « تنفعهم » .
[٥] - في ز ، خ : « أمر » .
[٦] - في خ : « كما قال تعالى » .
[٧] - في خ : وقال .

وقوله : ﴿ إن ربك هو الخلاق العليم ﴾ تقرير للمعاد ، وأنه تعالىٰ قادر على إقامة الساعة ، فإنه الخلاق الذي لا يعجزه خلق [ما يشاء][١]، وهو العليم بما تمزق من الأجساد ، وتفرق في سائر أقطار الأرض ، كقوله[٢]: ﴿ **أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر علىٰ أن يخلق مثلهم بلىٰ وهو الخلاق العليم * إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون * فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون** ﴾ .

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ (٨٧) لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (٨٨)

يقول تعالىٰ لنبيه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : كما آتيناك القرآن العظيم ، فلا تنظرنَّ إلىٰ الدنيا وزينتها ، وما متعنا به أهلها من الزهرة الفانية لنفتنهم فيه ، [فلا تغبطهم بما هم فيه][٣]، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات ، حزنًا عليهم في تكذيبهم لك ، ومخالفتهم دينك ﴿ **واخفض جناحك [لمن اتبعك] من المؤمنين** ﴾ أي : ألن لهم جانبك ، كقوله[٤]: ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم** ﴾ .

وقد اختلف في السبع المثاني ما هي ؛ فقال ابن مسعود وابن عمر وابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك و[غير واحد][٥]: هي السبع الطول[٦] . يعنون : البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس ، نص عليه ابن عباس وسعيد بن جبير .

وقال سعيد[٧]: بين فيهنّ الفرائض والحدود والقصص والأحكام .

وقال ابن عباس : بين الأمثال والخبر والعبر .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي عمر قال : قال سفيان : المثاني المثنى[٨]، البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ، والأنفال وبراءة سورة واحدة .

قال ابن عباس(٥٣) : ولم يعطهن أحد إلا النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وأعطي موسىٰ

(٥٣) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (٥٢/١٤) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٢٣٥٧/٢) من =

[١] - في ت : «شيء » .
[٢] - في خ : « كما قال تعالى » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - في خ : « كما قال تعالى » .
[٥] - في ت : « وغيرهم » .
[٦] - في ت : « الطوال » .
[٧] - في ز ، خ : « شعبة » .
[٨] - في خ : « المبين » .

منهن ثنتين . رواه هشيم[١]، عن الحجاج ، عن الوليد بن العيزار[٢]، عن سعيد بن جبير عنه .

[وقال الأعمش(٥٤) ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس][٣] قال : أوتي النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم سبعًا من المثاني : الطُّول[٤]، وأوتي موسىٰ عليه السلام ستًّا ، فلما ألقىٰ الألواح ارتفع اثنتان وبقيت[٥] أربع .

وقال مجاهد(٥٥) هي السبع الطُّول[٦]. ويقال : هي القرآن العظيم .

وقال خصيف(٥٦) ، عن زياد بن أبي مريم في قوله تعالىٰ : ﴿ **سبعًا من المثاني** ﴾ قال : أعطيتك سبعة[٧] أجزاء ؛ آمر وأنهى وأبشر وأنذر وأضرب الأمثال وأعدد النعم وأنبئك بنبأ القرآن . رواه ابن جرير وابن أبي حاتم .

(والقول الثاني) : أنها الفاتحة وهي سبع آيات ، روي ذلك عن عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس ، وقال[٨] [ابن عباس][٩]: والبسملة هي الآية السابعة ، وقد خصكم اللّٰه بها(٥٧) . وبه قال إبراهيم النخعي وعبد اللّٰه بن عبيد بن عمير وابن أبي مليكة وشهر بن حوشب والحسن البصري ومجاهد .

= طريق عمرو ابن عون عن هشيم به . والحجاج هو ابن أرطأة وهو ضعيف ، لكن له إسنادٌ آخر بلفظ آخر هو الآتي .

(٥٤) - **صحيح** ، أخرجه أبو داود ، كتاب : الصلاة ، باب : من قال هي من الطول (فاتحة الكتاب) (١٤٥٩) ، والنسائي ، كتاب : الافتتاح ، باب : تأويل قول الله عز وجل : ﴿ **ولقد آتيناك سبعًا من المثاني والقرآن العظيم** ﴾ (١٣٩/٢ - ١٤٠) ، وفي « الكبرى » (٩٧٨) مختصرًا وابن جرير (٥٢/١٤) والحاكم (٣٥٤/٢ ، ٣٥٥) والبيهقي في « الشعب » (٢٤١٦/٢) من طرق عن جرير عن الأعمش به ، وقال الحاكم : « صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي وهو كما قالا .

(٥٥) - أخرجه ابن جرير (٥٣/١٤) ، والبيهقي في « الشعب » (٢٤١٩/٢) ، وابن أبي شيبة وابن المنذر - كما في « الدر المنثور » (١٩٧/٤) .

(٥٦) - أخرجه ابن جرير (٥٧/١٤) ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١٩٧/٤) إلى سعيد بن منصور - ومن طريقه أخرجه البيهقي في « الشعب » (٢٤٢١/٢) - وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٥٧) - أخرجه ابن جرير (٥٥/١٤) ، والبيهقي في « الكبرى » (٤٧/٢ - ٤٨) ، وصححه الحاكم (٢/ ٢٥٧) ، ووافقه الذهبي ، وفي إسناده عبد العزيز بن جريج وهو « ليِّن » كما في « التقريب » .

[١] - في خ : « ابن هشيم » .
[٢] - في خ : « القيثرار » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - في ت : « الطوال » .
[٥] - في ت : «بقي » .
[٦] - في ت : « الطوال » .
[٧] - في ز : « سبع » .
[٨] - مكانها بياض في ز ، سقط من : خ .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

وقال[١] قتادة : ذكر لنا أنهن فاتحة الكتاب ، وأنهن يثنين[٢] في كل [٣] قراءة [وفي رواية : في كل][٤] ركعة مكتوبة أو تطوّع .

واختاره ابن جرير ، واحتج بالأحاديث الواردة في ذلك ، وقد قدمناها في فضائل سورة الفاتحة في أول التفسير وَ الحمد .

وقد أورد البخاري رحمه اللّٰه تعالىٰ هٰهنا حديثين : (أحدهما) قال(٥٨) :

حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا غندر ، حدثنا شعبة ، عن خُبيب بن عبد الرحمن ، عن حفص بن عاصم ، عن أبي سعيد بن المعلىٰ قال : مر بي النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وأنا أصلي فدعاني ، فلم آته حتىٰ صليت [ثم أتيت][٥]، فقال : « ما منعك أن تأتي ؟ » فقلت : كنت أصلي . فقال : « ألم يقل اللّٰه : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم** ﴾ ؟ » ثم قال : « ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج من المسجد » . فذهب النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ليخرج فذكرته[٦] فقال : « ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته » .

(الثاني) قال(٥٩) : حدثنا آدم ، حدثنا ابن أبي ذئب ، حدثنا المقبري ، عن أبي هريرة - رضي اللّٰه عنه - قال : قال رسول الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم » .

فهذا نص في أن الفاتحة السبع المثاني والقرآن العظيم ، ولكن لا ينافي وصف[٧] غيرها من السبع الطول[٨] بذلك ؛ لما فيها من هذه[٩] الصفة ، كما لا ينافي وصف القرآن بكماله

(٥٨) - صحيح البخاري كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **ولقد آتيناك سبعًا من المثاني والقرآن العظيم** ﴾ (٤٧٠٣) ، وانظره بأطرافه عند رقم (٤٤٧٤) ، وأخرجه أيضًا أبو داود (١٤٥٨) ، والنسائي (١٣٩/٢) ، وابن ماجة (٣٧٨٥) ، وأحمد (٤٥٠/٣) ، (٢١١/٤) من طرق عن شعبة به نحوه .

(٥٩) - كتاب : التفسير ، ب : ﴿ **ولقد آتيناك سبعًا من المثاني والقرآن العظيم** ﴾ (٤٧٠٤) ، وأخرجه أبو داود (١٤٥٧) ، والترمذي (٣١٢٣) ، وأحمد (٤٤٨/٢) من طرق ابن أبي ذئب به .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز : « ثنتين » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، « ثم أتيته » ، خ : « فأتيته » .
[٦] - في ز : « فذكرت » .
[٧] - في خ : « نص » .
[٨] - في ت : « الطوال » .
[٩] - سقط من : ز ، خ .

بذلك أيضًا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **اللَّه نزل أحسن الحديث كتابًا متشابهًا مثاني** ﴾ فهو مثاني من وجه ومتشابه من وجه ، وهو القرآن العظيم أيضًا كما أنه عليه الصلاة والسلام لما سئل عن المسجد الذي أسس علىٰ التقوىٰ فأشار إلىٰ مسجده(٦٠) ، والآية نزلت في مسجد قباء فلا تنافي ، فإن ذكر الشيء لا ينفي ذكر ما عداه إذا اشتركا في تلك الصفة ، واللَّه أعلم .

وقوله : ﴿ **لا تمدنّ عينيك إلىٰ ما متعنا به أزواجًا منهم** ﴾ أي : استغن بما آتاك اللَّه من القرآن العظيم عما هم فيه من المتاع والزهرة الفانية .

ومن هاهنا ذهب ابن عيينة إلىٰ تفسير الحديث الصحيح(٦١) : « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » إلىٰ أنه يستغنىٰ به عما عداه ، وهو تفسير صحيح ، ولكن ليس هو المقصود من الحديث كما تقدم في أول التفسير .

وقال ابن أبي حاتم(٦٢) : ذكر عن وكيع بن الجراح ، حدثنا موسىٰ بن عبيدة ، عن يزيد بن [عبد اللَّه][١] بن قسيط ، عن أبي رافع صاحب النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : ضاف[٢] النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ضيف ، ولم يكن عند النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم شيء[٣] يصلحه ، فأرسل إلىٰ رجل من اليهود : « يقول لك محمد رسول اللَّه : أسلفني دقيقًا إلىٰ هلال رجب » . قال : لا ، إلا برهن . فأتيت النبي صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم فأخبرته[٤] فقال : « أما واللَّه إني لأمين من في السماء ، وأمين من في الأرض ، ولئن أسلفني

---

(٦٠) - صحيح البخاري أخرجه مسلم ، كتاب : الحج ، باب : بيان أن المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجد النبي - صلى الله عليه وسلم - بالمدينة (٥١٤) (١٣٩٨) ، والترمذي ، كتاب : الصلاة ، باب : ما جاء في المسجد الذي أسس على التقوى (٣٢٣) ، وكتاب : تفسير القرآن ، باب : « ومن سورة التوبة » (٣٠٩٩) ، والنسائي ، كتاب : المساجد ، ب : ذكر المسجد الذي أسس على التقوى (٣٦/٢) ، وأحمد (١١٠٦٠) (٨/٣) من حديث أبي سعيد الخدري .

(٦١) - أخرجه البخاري ، كتاب : التوحيد ، باب : قول الله تعالى : ﴿ **وأسروا قولكم أو اجهروا به ...** ﴾ (٧٥٢٧) من حديث أبي هريرة ، وأخرجه أبو داود (١٤٦٩ ، ١٤٧٠) ، وأحمد (١٧٥/١ ، ١٧٩) ، وصححه ابن حبان (١٢٠/١) ، والحاكم (٥٦٩/١) ، ووافقه الذهبي ، من حديث سعد بن أبي وقاص . وقول سفيان هذا علقه البخاري في صحيحه عقب الحديث رقم (٥٠٢٤) .

(٦٢) - **ضعيف** ، وأخرجه ابن جرير (٢٣٥/١٦) ثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي به ، والطبراني في « الكبير » (٩٨٩/١) من طريق موسى بن عبيدة به ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٢٩/٤) وقال : « رواه =

---

[١] - في ز : « عبيد الله » ، خ : « أبي عبد الله » .

[٢] - في ز ، خ : « أضاف » .

[٣] - في ز ، خ : « أمرا » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

أو باعني لأؤدين[١] إليه » . فلما خرجت من عنده نزلت هذه الآية : ﴿ **لا تمدنّ عينيك إلىٰ ما متعنا به أزواجًا منهم زهرة الحياة الدنيا** ﴾ إلىٰ آخر الآية ، كأنه يعزيه عن الدنيا .

و[٢] قال العوفي ، عن ابن عباس : ﴿ **لا تمدنّ عينيك** ﴾ قال : نهىٰ الرجل أن يتمنىٰ مال صاحبه .

وقال مجاهد : ﴿ **إلىٰ ما متعنا به أزواجًا منهم** ﴾ هم الأغنياء .

وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ (٨٩) كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ (٩٠) ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ (٩١) فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٩٣)

يأمر تعالىٰ نبيه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بأن[٣] يقول للناس : [أنه][٤] النذير المبين البين النذارة ، نذير للناس من عذاب أليم أن يحل بهم علىٰ تكذيبه ، كما حل بمن تقدمهم من الأمم المكذبة لرسلها ، وما أنزل اللَّه عليهم من العذاب والانتقام .

وقوله : ﴿ **المقتسمين** ﴾ أي : المتحالفين ، أي : تحالفوا علىٰ مخالفة الأنبياء وتكذيبهم وأذاهم ، كقوله تعالىٰ إخبارًا عن قوم صالح أنهم : ﴿ **قالوا تقاسموا باللَّه لنبيتنه وأهله** ﴾ الآية ، أي : نقتلهم ليلًا ، قال مجاهد : تقاسموا : تحالفوا . ﴿ **وأقسموا باللَّه جهد أيمانهم لا يبعث اللَّه من يموت** ﴾ ، ﴿ **أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال** ﴾ . ﴿ **أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم اللَّه برحمة** ﴾ فكأنهم كانوا لا يكذبون بشيء [من الدنيا][٥] إلا أقسموا عليه فسموا مقتسمين .

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : المقتسمون[٦] أصحاب صالح الذين تقاسموا باللَّه لنبيتنه وأهله .

= الطبراني في « الكبير » والبزار وفيه موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف » ، وتابعه محمد بن كثير - وهو المصيصي - عن عبد اللَّه بن واقد عن يعقوب بن يزيد عن أبي رافع به . ويعقوب بن يزيد هذا لم أقف له على ترجمة ولعله محرف من « يعقوب بن زيد » فإن كان هذا الأخير فإن الإسناد منقطع . واللَّه تعالى أعلم .

---

[١] - في ز : « لأدّين » .
[٢] - سقط من خ .
[٣] - في خ : « أن » .
[٤] - في ت : « إني أنا » .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - في ت : « المقتسمين » .

وفي الصحيحين(٦٣) : عن أبي موسىٰ ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « إنما مثلي ومثل ما بعثني اللَّه به ؛ كمثل رجل أتىٰ قومًا ، فقال : يا قوم إني رأيت الجيش بعيني ، وإني أنا[١] النذير العريان ، فالنجاء النجاء[٢]، فأطاعه طائفة من قومه ، فأدلجوا وانطلقوا على مهلهم فنجَوا ، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم ، فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم ، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق » .

وقوله : ﴿ الذين جعلوا القرآن عضين ﴾ أي : جزءوا كتبهم المنزلة عليهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض .

قال البخاري(٦٤) : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا هشيم ، أنبأنا أبو بشر ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ جعلوا القرآن عضين ﴾ قال : هم أهل الكتاب جَزَّءوه أجزاء ، فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه .

حدثنا عبيد اللَّه بن موسىٰ ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ﴿ جعلوا القرآن عضين ﴾ قال : هم أهل[٣] الكتاب جزَّءوه أجزاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه(٦٥) .

حدثنا عبيد اللَّه بن موسىٰ ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس [ ][٤]: ﴿ كما أنزلنا علىٰ المقتسمين ﴾ قال[٥]: آمنوا ببعض وكفروا ببعض اليهود والنصارىٰ(٦٦) .

قال ابن أبي حاتم : وروي عن مجاهد وعكرمة والحسن والضحاك وسعيد بن جبير وغيرهم مثل[٦] ذلك .

وقال الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ جعلوا القرآن عضين ﴾ قال : السحر .

---

(٦٣) - أخرجه البخاري ، كتاب : الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب : الاقتداء بسنن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (٧٢٨٣) ، وكتاب : الرقاق ، باب : الانتهاء عن المعاصي (٦٤٨٢) ، ومسلم ، كتاب : الفضائل ، باب : شفقته - صلى الله عليه وسلم - على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم (١٦) (٢٢٨٣) .

(٦٤) - صحيح البخاري كتاب التفسير ، باب قوله : ﴿ الذين جعلوا القرآن عضين ﴾ (٤٧٠٥) .

(٦٥) - لم أقف عليه في « الصحيح » هكذا كما أورده ، وانظر ما بعده .

(٦٦) - أخرجه البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : قوله : ﴿ الذين جعلوا القرآن عضين ﴾ (٤٧٠٦) .

---

[١] - مكرر في ز .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ت : « قالوا » .
[٦] - في ت : « نحو » .

وقال عكرمة : العضة السحر بلسان قريش ، يقول للساحرة : إنها العاضهة[١].

وقال مجاهد : عضوه أعضاء ، قالوا : سحر[٢] ! و[٣]قالوا : كهانة ! وقالوا : أساطير الأولين !

وقال عطاء : قال بعضهم : ساحر ! وقالوا : مجنون ! وقالوا : كاهن ! فذلك العضين . وكذا روي عن الضحاك وغيره .

وقال محمد بن إسحاق(٦٧) ، عن محمد بن أبي محمد ، عن [عكرمة أو سعيد بن جبير][٤]، عن ابن عباس : أن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش ، وكان ذا شرف فيهم ، وقد حضر الموسم ، فقال لهم : يا معشر قريش ، إنه قد حضر هذا الموسم ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأيًا واحدًا ، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضًا ، ويرد قولكم بعضه بعضًا . فقالوا : وأنت يا أبا عبد شمس فقل ، وأقم لنا رأيًا نقول به . قال : بل أنتم قولوا لأسمع . قالوا : نقول كاهن ؟ قال[٥]: ما هو بكاهن . قالوا : فنقول مجنون ؟ قال : ما هو بمجنون . قالوا : فنقول شاعر ؟ قال : ما هو بشاعر . قالوا : فنقول ساحر ؟ قال : ما هو بساحر . [قالوا : فماذا نقول][٦]؟ قال : واللَّه إن لقوله لحلاوة[٧]، فما أنتم بقائلين من هذا شيئًا إلا عرف أنه باطل ، وإن[٨] أقرب القول أن تقولوا : هو ساحر . فتفرقوا عنه بذلك ، وأنزل اللَّه فيهم : ﴿ **الذين جعلوا القرآن عضين** ﴾ أصنافًا ﴿ **فوربك لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون** ﴾ أولئك[٩] النفر الذين قالوا ذلك لرسول اللَّه .

وقال عطية العوفي ، عن ابن عمر في قوله : ﴿ **لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون** ﴾ قال : عن لا إله إلا اللَّه .

---

(٦٧) - **إسناده فيه جهالة وهو صحيح** ، أورده ابن هشام في « السيرة » (١٧٤/١ - ١٧٥) ومن طريق ابن إسحاق أخرجه البيهقي في « الدلائل » (١٩٩/٢ : ٢٠١) ، ومحمد بن أبي محمد هذا مجهول ، لكن تابعه أيوب السختياني بنحوه ، أخرجه البيهقي (١٩٨/٢) ، وصححه الحاكم على شرط البخاري (٥٠٦/٢ - ٥٠٧) ووافقه الذهبي وهو كما قالا ، ، وانظر « الدر المنثور » (٤٥٤/٦) .

---

[١] - في ز ، خ : « الكاهنة » .
[٢] - في ز ، خ : « اسحروه » .
[٣] - في ت : قال .
[٤] - في خ : « سعيد أو عكرمة » .
[٥] - في خ : « قالوا » .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - في ز : « حلاوة » .
[٨] - في ز : « إنه » .
[٩] - في ز ، خ : « دوينك » .

وقال عبد الرزاق : أنبأنا الثوري ، عن ليث - هو ابن أبي سليم - عن مجاهد في قوله تعالىٰ : ﴿ **لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون** ﴾ قال : عن لا إله إلا اللَّه .

وقد روىٰ الترمذي وأبو يعلىٰ الموصلي وابن جرير وابن أبي حاتم(٦٨) : من حديث شريك القاضي ، عن ليث بن أبي سليم ، عن بشير بن أبي نهيك(*) ، عن أنس ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **فوربك لنسألنهم أجمعين** ﴾ قال[١]: « عن لا إله إلا اللَّه » .

ورواه ابن إدريس(٦٩) : عن ليث ، عن بشير ، عن أنس موقوفًا .

وقال ابن جرير(٧٠) : حدثنا أحمد ، حدثنا أبو أحمد ، حدثنا شريك ، عن هلال ، عن عبد اللَّه بن عكيم[٢]. قال : قال[٣] عبد اللَّه - هو ابن مسعود - : والذي لا إله غيره ، ما منكم من أحد إلا سيخلو اللَّه به يوم القيامة ، كما يخلو أحدكم[٤] بالقمر ليلة البدر ، فيقول : ابن آدم ماذا غرك مني بي ؟ ابن آدم ماذا عملت [فيما علمت][٥]؟ ابن آدم ماذا

(٦٨) - **إسناده ضعيف لضعف ليث بن أبي سليم وشريك القاضي** ، أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤/ ٦٧) ثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد قال : ثنا شريك به ، ثم إني لم أره عند الترمذي وأبي يعلى من هذا الطريق ، إنما أخرجه الترمذي ، كتاب : التفسير ، باب : « ومن سورة الحجر » (٣١٢٦) ، وأبو يعلى (٤٠٥٨/٧) من طريق المعتمر بن سليمان وجرير عن ليث بن أبي سليم عن بشر عن أنس بن مالك به ، وأخرجه البخاري في « التاريخ الكبير » (٨٦/٢) من طريق حفص عن ليث به ، وأخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٩٥/٣) من طريق ليث بن أبي سليم عن داود بن أبي هند عن أنس به . وقال : « غريب من حديث داود وليث » .

(*) هكذا وقع هنا وهو أيضًا في تفسير ابن جرير « بشير بن أبي نهيك » وهو تابعي معروف غير أنه لا يعرف له رواية عن أنس ، ولا يعرف لليث بن أبي سليم رواية عنه ، ووقع عند الترمذي وغيره « بشر » غير منسوب ، وكذا ذكره المزي في « تهذيب الكمال » (٤/ت٧١٤) ونسبه البخاري في « التاريخ الكبير » (٨٦/٢) وابن حبان في « الثقات » (٦٩/٤) فقالا « بشر بن دينار » ووقع عند البخاري في « التاريخ » (١٣٣/٨-١٣٤) : « نسر - بالسين المهملة - عن أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ **فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون** ﴾ قال « عن لا إله إلا الله » . وانظر التاريخ الكبير (٢/ ٨٦، ١٣٣/٨) .

(٦٩) - **إسناده ضعيف** ، أخرجه ابن جرير (٦٧/١٤) حدثنا أبو كريب وأبو السائب ، قالا : ثنا ابن إدريس به . وعلقه البخاري في « التاريخ الكبير » (٨٦/٢) ، والترمذي في « السنن » (عقب حديث رقم ٣١٢٦) غير أنه وقع عند الأخير « بشر » وقد نبهنا على هذا الاختلاف .

(٧٠) - ابن جرير في تفسيره (٦٧/١٤) ، وأخرجه أسد بن موسى في « الزهد » (٩٦) - وتحرف فيه =

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « حكيم » .

[٣] - في ت : « وقال » .

[٤] - في ز : « أحدهم » .

[٥] - في ز : « فبما عملت » .

أجبت المرسلين ؟ .

وقال أبو جعفر : عن الربيع ، عن أبي العالية [في قوله][١]: ﴿ **فوربك لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون** ﴾ قال : يسأل العباد كلهم عن خلتين يوم القيامة ؛ عما كانوا يعبدون ، وماذا أجابوا المرسلين ؟.

وقال ابن عيينة : عن عملك ، وعن مالك .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن أبي الحواري ، حدثنا يونس الحذاء ، عن أبي حمزة الشيباني[٢] ، عن معاذ بن جبل قال : قال لي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « يا معاذ ، إن المرء[٣] يسأل يوم القيامة عن جميع سعيه ، حتىٰ كحل عينيه ، وعن فتات الطينة بأصبعه ، فلا ألفينك يوم القيامة وأحد أسعد بما آتى الله منك » .

وقال علي بن أبي طلحة(٧١) ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **فوربك لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون** ﴾ ثم قال : ﴿ **فيومئذ لا يُسأل عن ذنبه إنس ولا جان** ﴾ قال : لا يسألهم : هل عملتم كذا ؟ لأنه أعلم بذلك منهم ، ولكن يقول : لم عملتم كذا وكذا ؟ .

فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ

= ابن مسعود إلى أبا مسعود ، ولم ينتبه له محققه - وابن المبارك في « الزهد » (٣٨) ومن طريقه النسائي في الكبرى - كما في « التحفة » (٩٣٤٥/٧) - وابن خزيمة في « التوحيد » ص١٥٠ - ١٥١، ١٧١، وعبد الله بن أحمد في السنة (٤٧٥) كلهم من طريق شريك بن عبد الله بهذا الإسناد ، وشريك فيه مقال ، لكن تابعه أبو عوانة وهو ثقة حافظ وعند أحمد في الزهد (ص٢٠٤) ، والطبراني في الكبير (٨٨٩٩/٩) وأبي نعيم في « الحلية » (١٣١/١) ، وأخرجه الطبراني في « الأوسط » (٤٤٩/١) من طريق إسحاق بن عبد الله أبي يعقوب التميمي قال : نا شريك بهذا الإسناد ، لكنه رفعه ، وقال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن هلال الوَزَّان إلا شريك ، تفرَّدَ به إسحاق بن عبد الله ، أي مرفوعًا . وقال الهيثمي في « المجمع » : ورجال الأوسط فيهم شريك أيضًا ، وإسحاق بن عبد الله التميمي وثقه ابن حبان (١٢٠/٨) ، وبقية رجاله رجال الصحيح . والأثر زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٢٥٧/٥) إلى عبد بن حميد وابن مردويه .

(٧١) - أخرجه ابن جرير (٦٧/١٤) ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في البعث - كما في « الدر المنثور » (٤/ ١٩٩) .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « البيساني » .
[٣] - في خ : « المؤمن » .

يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

يقول تعالىٰ آمرًا رسوله صلىٰ اللَّه عليه وسلم بإبلاغ ما بعثه به ، وبإنفاذه[١] والصدع به ، وهو مواجهة المشركين به ، كما قال ابن عباس : ﴿ **فاصدع بما تؤمر** ﴾ أي : أمضه . وفىٰ رواية : افعل ما تؤمر .

وقال مجاهد : هو الجهر بالقرآن في الصلاة .

وقال أبو عبيدة ، عن عبد اللَّه بن مسعود . ما زال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم مستخفيًا حتىٰ نزلت : ﴿ **فاصدع بما تؤمر** ﴾ فخرج هو وأصحابه .

وقوله : ﴿ **وأعرض عن المشركين * إنا كفيناك المستهزئين** ﴾ أي : بلغ ما أنزل إليك من ربك ، ولا تلتفت إلىٰ المشركين الذين[٢] يريدون أن يصدوك[٣] عن آيات اللَّه ﴿ **ودوا لو تدهن فيدهنون** ﴾ ولا تخفهم ؛ فإن اللَّه كافيك إياهم وحافظك منهم ، كقوله[٤] تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته واللَّه يعصمك من الناس** ﴾ .

وقال الحافظ أبو بكر البزار(٧٢) : حدثنا يحيىٰ بن محمد بن السَّكن ، حدثنا إسحاق بن إدريس ، حدثنا عون بن كهمس ، عن يزيد بن درهم ، عن أنس قال : سمعت أنسًا يقول في هذه الآية : ﴿ **إنا كفيناك المستهزئين * الذين يجعلون مع اللَّه إلهًا آخر** ﴾ قال : مر رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فغمزه بعضهم فجاء جبريل . قال[٥]: أحسبه قال : فغمزهم فوقع في أجسادهم كهيئة الطعنة حتى ماتوا.

وقال محمد بن إسحاق(٧٣) : كان عظماء المستهزئين - كما حدثنى يزيد بن رومان ،

---

(٧٢) - (٢/١٤٧٥ - مختصر الزوائد) ، وقال البزار : « تفرد به يزيد بن درهم عن أنس وماله عن أنس غيره ، وقد ضعفه ابن معين » وأخرجه الطبراني في « الأوسط » (٧/٧١٢٧) من طريق محمد ابن عثمان القرشي ثنا يزيد بن درهم به نحوه وقال : لم يرو هذا الحديث عن أنس إلا يزيد بن درهم تفرد به محمد بن عثمان القرشي - وهو متابع كما ترى - وذكره الهيثمي في « المجمع » (٧/٤٩) عن ابن عباس وليس عن أنس وقال : « رواه الطبراني في الأوسط والبزار بنحوه وفيه يزيد بن درهم ضعفه ابن معين ووثقه الفلاس » قلت : وذكره ابن حبان في « الثقات » (٥/٥٣٨) وقال : « يخطئ كثيرًا » .

(٧٣) - **مرسل حسن** ، أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤/٦٩ - ٧٠) ، وأبو نعيم في « الدلائل » =

---

[١] - في ز : « إنفاده » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « يصدون » .
[٤] - في خ: « كما قال » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .

عن عروة بن الزبير - خمسة نفر من قومه ، و[١]كانوا ذوي أسنان وشرف في قومهم ؛ من بني أسد بن عبد العزىٰ بن قصي : الأسود بن المطلب أبو زمعة ، كان رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فيما بلغني قد دعا عليه ؛ لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه ، فقال : « اللهم أعم بصره وأثكله ولده » . ومن بني زهرة : الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة ، ومن بني مخزوم : الوليد بن المغيرة بن عبد اللَّه بن عمر بن مخزوم ، ومن بني سهم بن عمرو(*) ابن [ ][٢] هُصَيص بن كعب بن لؤي : العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سعد [بن سهم](**) ، ومن خزاعة : الحارث بن الطلاطلة بن عمرو بن الحارث بن [ ][٣] عمرو بن مَلْكان . فلما تمادوا في الشر ، وأكثروا برسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم الاستهزاء ، أنزل اللَّه تعالىٰ : ﴿ **فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين * إنا كفيناك المستهزئين** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **فسوف يعلمون** ﴾ . قال ابن إسحاق : فحدّثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير أو غيره من العلماء : أن جبريل أتىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم وهم يطوفون بالبيت فقام ، وقام رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم إلىٰ جنبه ، فمرّ به [الأسود بن المطلب فرمى في وجهه بورقة خضراء فعمى ، ومر به][٤] الأسود بن عبد يغوث ، فأشار إلىٰ بطنه فاستسقىٰ[٥] بطنه فمات منه حَبَنًا[٦]، ومر به الوليد بن المغيرة فأشار إلىٰ أثر جرح[٧] بأسفل كعب رجله ، وكان أصابه قبل ذلك بسنتين وهو يجرّ إزاره ، وذلك أنه مرّ برجل من خزاعة يريش نبلًا له ، فتعلق سهم من نبله بإزاره ، فخدش رجله ذلك الخدش ، وليس بشيء فانتقض به فقتله ، ومرّ به العاص بن وائل

= (ص ٢٢٢ - ٢٢٣) من طريقين عن ابن إسحاق به ، وهذا مرسل حسن ، وأخرجه الطبراني في « الأوسط » (٤٩٨٦/٥) ، والبيهقي في « الدلائل » (٣١٦/٢ ، ٣١٨) ، والضياء في « المختارة » (١٠/رقم ٩٤) من حديث ابن عباس قال : المستهزئون : الوليد بن المغيرة والأسود بن عبد يغوث ... فذكر الحديث بنحو حديث عروة ، وحسن إسناده السيوطي في « الدر المنثور » (٢٠٠/٤) وزاد نسبته إلى ابن مردويه وأبي نعيم في « الدلائل » والذي في « دلائل أبي نعيم » من طريق الكلبى عن أبي صالح عن ابن عباس ، والكلبي متهم بالكذب والله أعلم .

(*) في ز : « عمر » ، خ : « عبد عمر » ، والمثبت من ابن جرير .

(**) ما بين المعكوفتين زيادة من ابن جرير (٧٠/١٤) .

[١] - سقط من : ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « مخزوم ، ومن بني سهم عمر بن » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « عبد » . [٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ت : « فاستقى » .

[٦] - في ز ، خ : « جنبًا » . والحبن : هو ما يعرف اليوم بالاستسقاء . المعجم الوسيط .

[٧] - في ت : « جراح » .

فأشار إلىٰ أخمص رجله ، فخرج علىٰ حمار له يريد الطائف ، فوُقص علىٰ شِبرْقة(*) فدخلت في أخمص رجله[١] منها[٢] شوكة[٣] فقتلته ، ومرّ به الحارث بن الطلاطلة فأشار إلىٰ رأسه فامتخط قيحًا فقتله .

قال محمد بن إسحاق(٧٤) : حدثني محمد بن أبي محمد ، عن رجل ، عن ابن عباس قال : كان رأسهم الوليد بن المغيرة وهو الذي جمعهم .

وهكذا روي عن سعيد بن جبير وعكرمة نحو سياق محمد بن إسحاق [ ][٤] عن يزيد عن عروة بطوله ، إلا أن سعيدًا يقول : الحارث بن عيطلة ، وعكرمة يقول : الحارث بن قيس .

قال الزهري : وصدقا ، هو الحارث بن قيس وأمه عيطلة[٥].

وكذا روي عن مجاهد ومقسم وقتادة وغير واحد أنهم كانوا خمسة .

وقال الشعبي : كانوا سبعة .

والمشهور الأول .

وقوله : ﴿ **الذين يجعلون مع اللَّه إلهًا آخر فسوف يعلمون** ﴾ تهديد شديد ووعيد أكيد لمن جعل مع اللَّه معبودًا[٦] آخر .

وقوله : ﴿ **ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين** ﴾ أي : وإنا لنعلم يا محمد أنك يحصل لك من أذاهم لك انقباض صدر وضيق ، فلا يهيدنك[٧] ذلك ، ولا يثنينك عن إبلاغك رسالة اللَّه ، وتوكل عليه فإنه كافيك وناصرك عليهم ، فاشتغل بذكر اللَّه وتحميده وتسبيحه وعبادته التي هي الصلاة ، ولهذا قال : ﴿ **فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين** ﴾ ، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد(٧٥) :

(*) - الشبرقة : واحدة الشبرق ، وهو نبات له شوك . النهاية .

(٧٤) - **إسناده فيه جهالة** ، وهو عند ابن جرير في تفسيره (٧٠/١٤) .

(٧٥) - **صحيح** ، « المسند » (٢٢٥٧١) (٢٨٦/٥) ، وأخرجه أيضًا (٢٢٥٧٦) (٢٨٧/٥) ، والنسائي في « الكبرى » كتاب : الصلاة ، باب : الحث على الصلاة أول النهار (٤٦٨/١) من طريقين عن معاوية بن =

[١] - في خ : « قدمه » ،
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ز : « شبرقة » .
[٤] - في ت : به .
[٥] - في خ : « غيطلة » .
[٦] - في خ : « إلهًا » .
[٧] - في خ : « يهذنك » .

حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا معاوية بن صالح ، عن أبي الزاهرية ، عن كثير بن مرة ، عن نعيم بن همار[١]، أنه سمع رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « قال اللَّه تعالىٰ : يا ابن آدم ، لا تعجز عن أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره » .

و[٢]رواه أبو داود والنسائي(٧٦)[٣]: من حديث مكحول ، عن كثير بن مرة بنحوه[٤].

ولهذا كان رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى(٧٧) .

وقوله : ﴿ **واعبد ربك حتىٰ يأتيك اليقين** ﴾ قال البخاري(٧٨) : قال سالم : الموت .

وسالم هذا هو سالم بن عبد اللَّه بن عمر ، كما قال ابن جرير(٧٩) :

حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا يحيىٰ بن سعيد ، عن سفيان ، حدثنا طارق بن عبدالرحمن ، عن سالم بن عبد اللَّه ﴿ **واعبد ربك حتىٰ يأتيك اليقين** ﴾ قال : الموت .

= صالح به ، وله طرق أخرى عند أحمد فانظرها ثمة ، وانظر ما بعده .

(٧٦) - **كسابقه** ، سنن أبي داود كتاب : الصلاة ، باب : صلاة الضحى (١٢٨٩) ، والنسائي في « الكبرى » ، كتاب : الصلاة ، باب : الحثُّ على الصلاة أوَّلَ النَّهَار (٤٦٧/١) ووقع عنده بين كثير بن مرة ونعيم بن هَمَّار ، قيس الجُذَامي . ومن طريق قيس الجذامي ، أخرجه أحمد (٢٢٥٧٣) (٢٨٦/٥) والدارمي (١٤٥٩) ، وصححه ابن حبان (٢٥٣٣/٦) ، وصححه أيضًا (٢٥٣٤) من طريق آخر عن نعيم بن همار ، وأخرجه أحمد (١٧٤٣٩، ١٧٨٤٦) (١٥٣/٤ ، ٢٠١) ، وأبو يعلى (١٧٥٧/٣) من طريق نعيم عن عقبة بن عامر فجعلاه من مسند عقبة ، لا من مسند نعيم ، وكلاهما له صحبة ، فلا يضر ذلك . والله تعالى أعلم .

(٧٧) - أخرجه أبو داود ، كتاب : الصلاة ، باب : وقت قيام النبي - صلى الله عليه وسلم - من الليل (١٣١٩) وأحمد (٢٣٤٠٦) (٣٨٨/٥) ، وابن نصر في « تعظيم قدر الصلاة » (٢١٢/١) من حديث حذيفة ابن اليمان ، وحسنه الألباني في « صحيح أبي داود » (١١٧١/١) .

(٧٨) - صحيح البخاري كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** ﴾ (٣٨٣/٨ - فتح) .

(٧٩) - **إسناده صحيح** ، تفسير ابن جرير (٧٤/١٤) ووكيع بن الجراح في « كتاب الزهد » (٤٢/١) وعنه ابن أبي شيبة في « المصنف » كتاب الزهد ، باب : كلام الحسن البصري (٢٦٥/٨) ومن طريق وكيع أخرجه ابن جرير أيضًا و ابن أبي الدنيا في « كتاب اليقين » (١٩) منسوبًا إلى سالم بن عبد الله ، بينما أخرجه ابن حجر في « تغليق التغليق » (٢٣٤/٤) من طريق وكيع ونسبه إلى سالم بن أبي الجعد ، وقال الحافظ في « الفتح » (٣٨٣/٨) : وصله الفريابي وعبد بن حميد وغيرهما من طريق طارق بن =

[١] - في ز : « عمار » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز ، خ : « أي سحره » .

وهكذا قال مجاهد والحسن وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيره .

والدليل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ إخبارًا عن أهل النار أنهم قالوا : ﴿ **لم نك من المصلين * ولم نك نطعم المسكين * وكنا نخوض مع الخائضين * وكنا نكذب بيوم الدين * حتىٰ أتانا اليقين** ﴾ .

وفي الصحيح(٨٠) : من حديث الزهري ، عن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أمّ العلاء امرأة من الأنصار : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم لما دخل علىٰ عثمان بن مظعون وقد مات ، [قلت][١]: رحمة اللَّه عليك أبا السائب ! فشهادتي عليك لقد أكرمك اللَّه . فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « وما يدريك أن اللَّه أكرمه ؟ » فقلت : بأبي وأمي يا رسول اللَّه فمن ؟ فقال : « أما هو فقد جاءه اليقين ، و[٢]إني لأرجو له الخير » .

ويستدل من هذه[٣] الآية الكريمة وهي قوله : ﴿ **واعبد ربك حتىٰ يأتيك اليقين** ﴾ علىٰ أن العبادة كالصلاة ونحوها واجبة علىٰ الإنسان ما دام عقله ثابتًا ، فيصلي بحسب حاله ، كما ثبت في صحيح البخاري(٨١) عن عمران بن حصين رضي اللَّه عنهما : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « صل قائمًا ، فإن لم تستطع فقاعدًا ، فإن لم تستطع فعلىٰ جنب » .

ويستدل بها علىٰ تخطئة من ذهب من الملاحدة إلىٰ أن المراد باليقين : المعرفة ، فمتىٰ وصل أحدهم إلىٰ المعرفة سقط عنه التكليف عندهم ، وهذا كفر وضلال وجهل ، فإن الأنبياء عليهم السلام كانوا هم وأصحابهم أعلم الناس باللَّه ، وأعرفهم بحقوقه وصفاته ، وما يستحق من التعظيم ، وكانوا مع هذا أعبد الناس[٤] وأكثر الناس عبادة ، ومواظبة علىٰ فعل الخيرات إلىٰ حين الوفاة ، وإنما المراد باليقين هاهنا الموت كما قدمناه ، ولله الحمد والمنة ، والحمد لله علىٰ الهداية ، وعليه الاستعانة والتوكل ، وهو المسئول أن يتوفانا علىٰ أكمل الأحوال وأحسنها ، فإنه جواد كريم .

= عبد الرحمن عن سالم بن أبي الجعد ، والله أعلم بالصواب .

(٨٠) - أخرجه البخاري ، كتاب : الجنائز ، باب : الدُّخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه (١٢٤٣) ، والنسائي في « التعبير » من « الكبرى » (٧٦٣٤/٤) ، وأحمد (٤٣٦/٦) .

(٨١) - صحيح البخاري كتاب : تقصير الصلاة ، باب : إذا لم يُطق قاعدًا صلى على جنب (١١١٧) ، وانظره أطرافه عند رقم (١١١٥) ، وأخرجه أبو داود (٩٥١ ، ٩٥٢) ، والترمذي (٣٧١ ، ٣٧٢) ، وابن ماجة (١٢٢٣) ، وأحمد (٤٢٦/٤) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « قالت أم العلاء » . [٢] - سقط من : ز .

[٣] - في خ : « بهذه » . [٤] - سقط من ز .

آخر تفسير سورة الحجر ، والحمد لله رب العالمين

☆ ☆ ☆

تفسير سورة النحل وهي مكية

﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١ ﴾

يخبر تعالىٰ عن اقتراب الساعة ودنوها ، معبرًا بصيغة الماضي الدال علىٰ التحقيق والوقوع لا محالة ، كقوله[١] : ﴿ **اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون** ﴾ وقال : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر** ﴾ . وقوله : ﴿ **فلا تستعجلوه** ﴾ أي : قرب ما تباعد ﴿ **فلا تستعجلوه** ﴾ .

يحتمل أن يعود الضمير علىٰ الله ، ويحتمل أن يعود علىٰ العذاب ، وكلاهما متلازم كما قال تعالىٰ : ﴿ **ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون** ﴾ ﴿ **يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين** ﴾ .

وقد ذهب الضحاك في تفسير هذه الآية إلىٰ قول عجيب ، فقال في قوله : ﴿ **أتىٰ أمر الله** ﴾ أي : فرائضه وحدوده . وقد رده ابن جرير فقال : لا نعلم أحدًا استعجل الفرائض[٢] والشرائع قبل وجودها ، بخلاف العذاب فإنهم استعجلوه قبل كونه استبعادًا وتكذيبًا .

قلت : كما قال تعالىٰ : ﴿ **يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم : ذكر عن يحيىٰ بن آدم ، عن أبي بكر بن عياش ، عن محمد بن عبد الله مولىٰ المغيرة بن شعبة ، عن كعب بن علقمة ، عن عبد الرحمن بن حجيرة ، عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **تطلع عليكم عند الساعة سحابة سوداء من المغرب مثل الترس ، فما تزال ترتفع في السماء ثم ينادي مناد فيها : [يا][٣] أيها الناس ، فيقبل الناس بعضهم علىٰ بعض ، هل سمعتم ؟ فمنهم من يقول : نعم ، ومنهم من يشك ، ثم ينادي الثانية : يا أيها الناس ، فيقول الناس بعضهم لبعض : هل سمعتم ؟ فيقولون : نعم . ثم ينادي الثالثة : [يا][٤] أيها الناس ، أتىٰ أمر الله فلا تستعجلوه** » . قال رسول الله [صلىٰ الله عليه وسلم] : « **فوالذي نفسي بيده ، إن الرجلين لينشران الثوب فما يطويانه أبدًا ، وإن الرجل ليمدَّن حوضه فما يسقي فيه شيئًا**

---

[١] - في خ : « كما قال تعالى » . [٢] - في ز ، خ : « بالفرائض » .
[٣] - [٤] - سقط من خ .

أبدًا ، وإن الرجل ليحلب ناقته فما يشربه أبدًا - قال : ويشتغل الناس[١] »(١) .

ثم إنه تعالىٰ نزه نفسه عن شركهم[٢] به غيره ، وعبادتهم معه ما سواه من الأوثان والأنداد ، تعالى وتقدس علوًّا كبيرًا ، وهؤلاء هم المكذبون بالساعة ، فقال[٣] : ﴿ **سبحانه وتعالىٰ عما يشركون** ﴾ .

﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **ينزل الملائكة بالروح** ﴾ أي : الوحي ، كقوله[٤] : ﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورًا نهدي به من نشاء من عبادنا** ﴾ . وقوله : ﴿ **علىٰ من يشاء من عباده** ﴾ وهم الأنبياء ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **اللَّه أعلم حيث يجعل رسالته[٥]** ﴾ ، وقال : ﴿ **اللَّه يصطفي من الملائكة رسلًا ومن الناس** ﴾ ، وقال : ﴿ **يلقي الروح من أمره علىٰ من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق * يوم هم بارزون لا يخفىٰ علىٰ اللَّه منهم شيء لمن الملك اليوم للَّه الواحد القهار** ﴾ .

وقوله : ﴿ **أن أنذروا** ﴾ أي : لينذروا ﴿ **أنه لا إله إلا أنا فاتقون[٦]** ﴾ [ ][٧] أي : فاتقوا عقوبتي لمن خالف أمري وعبد غيري .

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ ﴾

---

(١) - أخرجه الطبراني (٣٢٥/١٧) حديث (٨٩٩) ، والحاكم (٥٣٩/٤) . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٠٥/٤) ، وزاد نسبته إلى ابن مردويه . قال الحاكم : حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .
قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٣٤/١) : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عبد اللَّه مولى المغيرة وهو ثقة .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز : « شركتهم » .
[٣] - في ز ، خ : « قال » .
[٤] - في خ : « كما قال تعالى » .
[٥] - في ز ، خ : « رسالاته » .
[٦] - في ز ، خ : « فاعبدوني » .
[٧] - في ز ، خ : « وقال في هذه : فاتقون » .

يخبر تعالىٰ عن خلقه العالم العلوي : وهو السموات ، والعالم السفلي : وهو الأرض بما حوت ، وأن ذلك مخلوق بالحق لا للعبث ، بل ﴿ **ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنىٰ** ﴾ .

ثم نزه نفسه عن شرك من عبد معه غيره ، وهو المستقل بالخلق وحده لا شريك له ، فلهذا يستحق أن يعبد وحده لا شريك له .

ثم نبه علىٰ خلق جنس الإنسان من نطفة ، أي : مهينة ضعيفة ، فلما استقل ودرج إذا هو يخاصم ربه تعالىٰ ويكذبه ويحارب رسله ، وهو إنما خلق ليكون عبدًا لا ضدًّا ، [كقوله تعالىٰ][١] : ﴿ **وهو الذي خلق من الماء بشرًا فجعله نسبًا وصهرًا وكان ربك قديرًا * ويعبدون من دون اللَّه ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر علىٰ ربه ظهيرًا** ﴾ ، وقوله[٢] : ﴿ **أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين * وضرب لنا مثلًا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم * قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم** ﴾ ، وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد(٢) وابن ماجه ، عن [بُسر ابن][٣] جحاش قال : بصق رسول اللَّه [صلىٰ اللَّه عليه وسلم] في كفه ، ثم قال : « **يقول اللَّه تعالىٰ : ابن آدم ، أنّىٰ تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه ، حتىٰ إذا سويتك فعدلتك ، مشيت بين برديك وللأرض منك وئيد ، فجمعت ومنعت حتىٰ إذا بلغت الحلقوم ، قلت : أتصدق وأنّىٰ أوان الصدقة ؟** » .

﴿ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٥ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ٦ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٧ ﴾

يمتن تعالىٰ علىٰ عباده بما خلق [ ][٤] لهم من الأنعام ؛ وهي الإبل والبقر والغنم ، كما

(٢) - أخرجه أحمد (٤/٢١٠) رقم (١٧٨٩٦) . وابن ماجة في كتاب الوصايا ، باب : النهي عن الإمساك في الحياة والتبذير عند الموت (٢٧٠٧) (٢/٩٠٣) . قال البوصيري في الزوائد : إسناده صحيح . ورواه الطبراني في الكبير (٢/٣٢) حديث (١١٩٣) ، (١١٩٤) . وحسنه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٩٩) وصحيح ابن ماجه (٢/١١١) حديث (٢١٨٨) .

[١] - في خ : « كما قال تعالى » .
[٢] - في ز ، خ : « وقال » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في خ : « بشر أن » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « الله » .

فصلها في سورة الأنعام إلىٰ[١] ثمانية أزواج ، وبما جعل لهم فيها[٢] من المصالح والمنافع ؛ من أصوافها وأوبارها وأشعارها يلبسون ويفترشون ، ومن ألبانها يشربون ، ويأكلون من أولادها ، وما لهم فيها من الجمال : وهو الزينة ، ولهذا قال : ﴿ [**ولكم فيها جمال**][٣] **حين تريحون** ﴾ وهو وقت[٤] رجوعها عشيًّا من المرعى[٥] ، فإنها تكون أمده خواصر ، وأعظمه ضروعًا وأعلاه أسنمة ﴿ **وحين تسرحون** ﴾ أي : غدوة حين تبعثونها إلىٰ المرعىٰ .

﴿ **وتحمل أثقالكم** ﴾ وهي الأحمال المثقلة التي تعجزون عن نقلها وحملها ﴿ **إلىٰ بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس** ﴾ وذلك في الحج والعمرة والغزو والتجارة وما جرىٰ مجرىٰ ذلك ، تستعملونها في[٦] أنواع الاستعمال من ركوب وتحميل ، كقوله[٧] : ﴿ **وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون * [وعليها وعلىٰ الفلك تحملون** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **اللَّه**[٨] **الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون**][٩] * **ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلىٰ الفلك تحملون * ويريكم آياته فأي آيات اللَّه تنكرون** ﴾ ولهذا قال هاهنا بعد تعداد هذه النعم : ﴿ **إن ربكم لرءوف رحيم** ﴾ أي : ربكم الذي قيض لكم هذه الأنعام وسخرها لكم ، كقوله[١٠] : ﴿ **أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعامًا فهم لها مالكون * وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون** ﴾ ، وقال : ﴿ **وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون * لتستووا علىٰ ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وإنا إلىٰ ربنا لمنقلبون**[١١] ﴾ .

قال ابن عباس : ﴿ **لكم فيها دفء** ﴾ أي : ثياب ، والمنافع : ما ينتفعون[١٢] به من الأطعمة والأشربة .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا[١٣] إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿**دفء ومنافع**﴾ نسل كل دابة . وقال مجاهد ﴿ **لكم فيها دفء** ﴾ أي[١٤] : لباس

---

[١] - في ز : « أي » .
[٢] - في ز : « فيه » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز : « الرعي » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في خ : « كما قال تعالى » .
[٨] - سقط من : ز .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[١٠] - في خ : « كما قال تعالى » .
[١١] - في خ : « منقلبون » .
[١٢] - في خ : « تنتفعون » .
[١٣] - في خ : « أنبأنا » .
[١٤] - في ز ، خ : « قال » .

ينسج ﴿ **ومنافع** ﴾ تركب ولحم ولبن .

وقال قتادة : ﴿ **دفء ومنافع** ﴾ يقول : لكم فيها لباس ومنفعة وبلغة . وكذا قال غير واحد من المفسرين بألفاظ متقاربة .

وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

هذا صنف آخر مما خلق تبارك وتعالىٰ لعباده يمتن به عليهم ؛ وهو الخيل والبغال والحمير ، التي جعلها للركوب والزينة بها ، وذلك أكبر المقاصد منها ، ولما فضلها[١] على[٢] الأنعام وأفردها بالذكر ، استدل[٣] من استدل [ممن ذهب من العلماء] إلىٰ تحريم لحوم الخيل بذلك علىٰ ما ذهب إليه فيها ، كالإمام أبي حنيفة رحمه الله ومن وافقه من الفقهاء بأنه[٤] تعالىٰ قرنها بالبغال والحمير وهي حرام ، كما ثبتت به السنة النبوية وذهب إليه[٥] أكثر العلماء .

وقد روىٰ الإمام أبو جعفر بن جرير(٣) حدثني يعقوب ، حدثنا ابن علية[٦] ، أنبأنا هشام الدستوائي ، حدثنا يحيىٰ بن أبي كثير ، عن مولىٰ نافع بن علقمة ، عن[٧] ابن عباس : أنه[٨] كان يكره لحوم الخيل والبغال والحمير ، وكان يقول : قال الله تعالىٰ : ﴿ **والأنعام**

---

(٣) - أخرجه الطبرى (٨٢/١٤) .

(٤) - أخرجه أحمد (٨٩/٤) رقم (١٦٨٦٨) . وأبو داود في كتاب الأطعمة ، باب في أكل لحوم الخيل ، حديث (٣٧٩٠) (٣٥٢/٣) . والنسائي (٢٠٢/٧) كتاب الصيد والذبائح ، باب : تحريم أكل لحوم الخيل . وابن ماجة في كتاب الذبائح ، باب : لحوم البغال ، حديث (٣١٩٨) (١٠٦٦/٢) .

وصالح بن يحيى بن المقدام : قال في الميزان : عن أبيه عن جده ؛ قال البخاري : فيه نظر ، وقال موسى بن هارون : لا يعرف . قلت : روى عنه ثور ، ويحيى بن جابر ، وسليمان . وقد وثق . ا.هـ وهذا الحديث ضعيف ضعفه الأئمة وعلة هذا الحديث أن خالد بن الوليد لم يصح أنه شهد مع النبي ﷺ أي مشهد قبل الفتح .

ثم إن الحديث يعارض حديث جابر : **أن النبي** ﷺ أذن في لحوم الخيل . وهو حديث متفق عليه .

وقال أبو داود والنسائي : إن هذا الحديث منسوخ . وضعفه الدارقطني والخطابي . وترجمه البيهقي فقال : باب : بيان ضعف الحديث الذي روي في النهي عن لحوم الخيل . وقال الشوكاني في نيل الأوطار أيضًا : إن خالد بن الوليد لم يسلم إلا بعد خيبر على الصحيح . قال السندي : قيل : اتفق العلماء على أنه حديث ضعيف ، ذكره النووي . وذكر بعضهم أنه منسوخ . وقال بعضهم : لو ثبت ؛ لا يعارض حديث جرير . سنن ابن ماجه (١٠٦٦/) . والحديث ضعفه الألباني في ضعاف السنن المذكورة .

---

[١] - في ز : « فضلها » .
[٢] - في ت : « من » .
[٣] - في ز ، خ : « دل » .
[٤] - في ز : « لأنه » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز ، خ : « عيينة » .
[٧] - في ز ، خ : « أن » .
[٨] - سقط من : ز ، خ .

خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ﴾ فهذه للأكل ﴿ **والخيل والبغال والحمير لتركبوها** ﴾ فهذه للركوب .

وكذا روي من طريق سعيد بن جبير وغيره عن ابن عباس بمثله ، وقال مثل ذلك الحكم[١] بن عتيبة[٢] [أيضًا رضي اللّٰه عنه] ، واستأنسوا بحديث رواه الإمام أحمد في مسنده(٤) .

حدثنا يزيد بن عبد ربه ، حدثنا بقية بن الوليد ، حدثنا ثور بن يزيد ، عن صالح بن يحيىٰ بن المقدام بن معد يكرب ، عن أبيه ، عن جده ، عن خالد بن الوليد رضي اللّٰه عنه قال : نهىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم عن أكل لحوم الخيل والبغال والحمير .

وأخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه : من حديث صالح بن يحيىٰ بن المقدام وفيه كلام به .

ورواه أحمد(٥) أيضًا من وجه آخر بأبسط من هذا وأدل منه ؛ فقال :

حدثنا أحمد بن عبد الملك ، حدثنا محمد بن حرب ، حدثنا سليمان بن سليم ، عن صالح بن يحيىٰ بن المقدام ، عن جده المقدام بن معد يكرب قال : غزونا مع خالد بن الوليد الصائفة ، فقرم[٣] أصحابنا إلىٰ اللحم ، فسألوني رمكة[٤] فدفعتها إليهم فحبلوها ، فقلت : مكانكم حتىٰ آتي خالدًا فأسأله . فأتيته فسألته ، فقال : غزونا مع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم غزوة خيبر ، فأسرع الناس في حظائر يهود ، فأمرني أن أنادي : الصلاة جامعة ولا يدخل الجنة[٥] إلا مسلم . ثم قال : « **أيها الناس : إنكم قد أسرعتم في حظائر يهود ، ألا لا يحل أموال المعاهدين إلا بحقها ، وحرام عليكم لحوم الأُتُن الأهلية وخيلها وبغالها ، وكل ذي ناب من السباع ، وكل ذي مخلب من الطير** » .

والرمكة : هي الحجرة ، وقوله : حبلوها أي : أوثقوها في الحبل ليذبحوها ، والحظائر : البساتين القريبة من العمران .

وكأن هذا الصنيع وقع بعد إعطائهم العهد ، ومعاملتهم علىٰ الشطر ، واللّٰه أعلم .

فلو صح هذا الحديث لكان نصًا في تحريم لحوم[٦] الخيل ، ولكن لا يقاوم ما ثبت في

(٥) - أخرجه أحمد (٤/٨٩ - ٩٠) رقم (١٦٨٦٧) .

[١] - في ز : « الحاكم » .
[٢] - في ز ، خ : « عيينة » .
[٣] - في ز : « فقدم » .
[٤] - في ز : « دمكة » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - سقط من : ز .

الصحيحين(٦) : عن جابر بن عبد الله قال : نهىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن لحوم الحمر الأهلية وأذن في لحوم الخيل .

ورواه الإمام[١] أحمد(٧) وأبو داود : بإسنادين كل منهما علىٰ شرط مسلم ، عن جابر قال : ذبحنا يوم خيبر الخيل والبغال والحمير ، فنهانا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن البغال والحمير ، ولم ينهنا[٢] عن الخيل .

وفي صحيح مسلم(٨) : عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : نحرنا علىٰ[٣] عهد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فرسًا فأكلناه ونحن بالمدينة .

فهذه أدل وأقوىٰ وأثبت ، وإلىٰ ذلك صار جمهور العلماء : مالك والشافعي وأحمد وأصحابهم وأكثر السلف والخلف ، والله أعلم .

وقال عبد الرزاق : أنبأنا ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس قال : كانت الخيل وحشية فذللها الله لإسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام - .

وذكر وهب بن منبه في إسرائيلياته : أن الله خلق الخيل من ريح الجنوب والله أعلم .

فقد دل النص علىٰ جواز[٤] ركوب هذه الدواب ومنها البغال ، وقد أهديت إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بغلة فكان يركبها ، مع أنه قد نهىٰ عن إنزاء الحُمر علىٰ الخيل ؛ لئلا ينقطع النسل .

---

(٦) - صحيح البخاري في كتاب المغازي ، باب : غزوة خيبر ، حديث (٤٢١٩) (٤٨١/٧) ، وطرفاه في (٥٥٢٠ - ٥٥٢٤) . ومسلم في كتاب الصيد والذبائح ، باب : في أكل لحوم الخيل ، حديث (٣٦ ، ٣٧/ ١٩٤١) (١٤٠/١٣،١٤١) .

(٧) - المسند (٣٥٦/٣) (١٤٨٨٤) ، ورواه أبو داود في الأطعمة ، باب : أكل لحوم الخيل ، حديث ٣٧٨٩ من حديث حماد عن أبي الزبير عن جابر به .

ورواه مسلم في الصيد والذبائح ، باب : أكل لحوم الخيل ، حديث ٣٧ - (١٩٤١) . من حديث ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابرًا فذكره .

والنسائي في الصيد والذبائح ، باب : إباحة أكل لحوم حمر الوحش (٢٠٥/٧) . وفي الصيد والذبائح ، باب : إباحة أكل لحوم حمر الوحش من الكبرى (١٦١/٣ - ١٦٢) . وابن ماجة في الذبائح ، باب : لحوم الخيل ، حديث ٣١٩١ . جميعهم من حديث ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر .

(٨) - صحيح مسلم في كتاب الصيد والذبائح ، حديث (١٩٤٢/٣٨) (١٤٢/١٣) .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في خ : « ينهانا » . وهوخطأ .

[٣] - في ز ، خ : « في » .

[٤] - سقط من : خ .

قال الإمام أحمد(٩) : حدثني محمد بن عبيد ، حدثنا عمر من آل حذيفة ، عن الشعبي ، عن دحية الكلبي قال : قلت : يا رسول اللَّه ، ألا أحمل لك حمارًا علىٰ فرس فتنتج لك بغلًا فتركبها ؟ قال : « **إنما يفعل ذلك الذين لا يعلمون** » .

وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾

لما ذكر تعالىٰ من الحيوانات ما يسار عليه في السبل الحسية نبه علىٰ الطرق المعنوية الدينية ، وكثيرًا ما يقع في القرآن العبور من الأمور الحسية إلىٰ الأمور المعنوية النافعة الدينية ، كقوله[١] تعالىٰ : ﴿ **وتزودوا فإن خير الزاد التقوىٰ** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسًا يواري سوآتكم وريشًا ولباس التقوىٰ ذلك خير** ﴾ .

ولما ذكر تعالىٰ في هذه السورة الحيوانات من الأنعام وغيرها ، التي يركبونها ويبلغون عليها حاجة في صدورهم ، وتحمل أثقالهم إلىٰ البلاد والأماكن البعيدة والأسفار الشاقة ، شرع في ذكر الطرق التي يسلكها الناس إليه ، فبين أن الحق منها [ما هي][٢] موصلة إليه ، فقال : ﴿ **وعلىٰ اللَّه قصد السبيل** ﴾ ، كقوله[٣] : ﴿ **وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** ﴾ ، وقال : ﴿ **قال[٤] هذا صراط عليّ مستقيم** ﴾ .

قال مجاهد [في قوله][٥] : ﴿ **وعلىٰ اللَّه قصد السبيل** ﴾ قال : [طريق الحق علىٰ اللَّه .

وقال السدي : ﴿ **وعلىٰ اللَّه قصد السبيل** ﴾][٦] قال : الإسلام .

(٩) – المسند (٣١١/٤) رقم (١٨٨٤٧) ، وهو منقطع ؛ ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٦٥/٥) وقال : رجال أحمد رجال الصحيح خلا عمر بن حسيل من آل أبي حذيفة وثقه ابن حبان (١٧١/٧) .
وعمر بن حسيل : قال ابن أبي حاتم : روى عن الشعبي حديثًا مرسلًا : أن دحية قال : يا رسول الله ألا ننزي الحمار على الفرس ... الحديث (١٠٣/٦) .
وقال البخاري في التاريخ (١٤٧/٦) : قال إسحاق : أنا عيسى بن يونس ، ثنا عمر بن حسيل ، عن سعد بن حذيفة ، عن الشعبي ... مرسل . والحديث رواه أبو داود في سننه في كتاب الجهاد ، باب : في كراهية الحمر تنزى على الخيل (٣/ ٢٧/ح ٢٥٦٥) . من حديث علي بن أبي طالب . والنسائي في سننه في كتاب الخيل ، باب : التشديد في حمل الحمير على الخيل (٦/ ٢٢٤). والطحاوي في شرح معانى الآثار (٣/ ٢٧١). والبيهقي (١٠/ ٢٢-٢٣) من حديث على رضى اللَّه تعالى عنه .
وفي الباب عن ابن عباس عند البيهقي (١٠/ ٢٣).

[١] – في خ : « كما قال » .
[٢] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] – في خ : « كما قال » .
[٤] – سقط من : ز ، خ .
[٥] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٦] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

وقال العوفي ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ وعلى الله قصد السبيل ﴾ يقول : و[١] على الله البيان . أي : تبيين[٢] الهدى والضلال[٣] .

وكذا روى علي بن أبي طلحة عنه ، وكذا قال قتادة والضحاك ، وقول مجاهد هٰهنا أقوى من حيث السياق ؛ لأنه تعالى أخبر أن ثمّ طرقًا تسلك[٤] إليه ، فليس يصل إليه منها إلا طريق الحق ؛ وهي الطريق التي شرعها ورضيها ، وما عداها مسدودة والأعمال فيها مردودة ، ولهذا قال تعالى : ﴿ ومنها جائر ﴾ أي : حائر مائل زائغ عن الحق .

قال ابن عباس وغيره : هي الطرق المختلفة ، والآراء والأهواء[٥] المتفرقة ، كاليهودية والنصرانية والمجوسية . وقرأ ابن مسعود : (ومنكم جائر) .

ثم أخبر تعالى[٦] أن ذلك كله كائن عن قدرته ومشيئته ، فقال : ﴿ ولو شاء لهداكم أجمعين ﴾ ، كما قال تعالى : ﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا ﴾ ، وقال : ﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ .

هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾

لما ذكر تعالى[٧] ما أنعم به عليهم من الأنعام والدواب شرع في ذكر نعمته عليهم في إنزال المطر من السماء : وهو العلو ، مما لهم فيه بلغة ومتاع لهم ولأنعامهم ، فقال : ﴿ لكم منه شراب ﴾ أي : جعله عذبًا زلالًا يسوغ لكم شرابه ، ولم يجعله ملحًا أجاجًا .

﴿ ومنه شجر فيه تسيمون ﴾ أي : وأخرج لكم به[٨] شجرًا ترعون فيه أنعامكم . كما قال ابن عباس وعكرمة والضحاك وقتادة وابن زيد في قوله : ﴿ فيه تسيمون ﴾ أي : ترعون .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : « يبين » .
[٣] - في ز : « الضلالة » .
[٤] - في خ : « سلك » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - في خ : « سبحانه » .
[٨] - في خ : « منه » .

ومنه الإبل السائمة ، والسوم : الرعي .

وروىٰ ابن ماجه(١٠) : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم نهىٰ عن السوم قبل طلوع الشمس .

وقوله : ﴿ **ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات** ﴾ أي : يخرجها من الأرض بهذا الماء الواحد ، علىٰ اختلاف صنوفها وطعومها وألوانها وروائحها وأشكالها ، ولهذا قال : ﴿ **إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون** ﴾ أي : دلالة وحجة علىٰ أنه لا إله إلا اللّٰه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **أمّن خلق السموات والأرض وأنزل لكم**[١] **من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع اللّٰه ؟ بل هم قوم يعدلون** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ :

وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾

ينبه تعالىٰ عباده علىٰ آياته العظام ، ومننه الجسام ، في تسخيره الليل والنهار يتعاقبان ، والشمس والقمر يدوران ، والنجوم الثوابت والسيارات ، في أرجاء السموات نورًا وضياء للمهتدين[٢] بها في الظلمات ، وكل منها يسير في فلكه الذي جعله اللّٰه تعالىٰ فيه ، يسير بحركة مقدرة لا يزيد عليها ولا ينقص منها ، والجميع تحت قهره وسلطانه وتسخيره وتقديره وتسييره ، كقوله[٣] : ﴿ **إن ربكم اللّٰه الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوىٰ علىٰ العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثًا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك اللّٰه رب العالمين** ﴾ ، ولهذا قال : ﴿ **إن في ذلك لآيات**

(١٠) - أخرجه ابن ماجة في كتاب التجارات ، باب : السوم ، حديث (٢٢٠٦) (٧٤٤/٢) من حديث علي - رضي اللّٰه عنه - قال البوصيرى في الزوائد : « رواه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده ، عن عبيد اللّٰه ابن موسى ، عن الربيع ، وسياقه أتم . ورواه أبو يعلى حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا عبيد اللّٰه بن موسى كرواية ابن ماجه سواء . وهذا إسناد ضعيف لضعف نوفل بن عبد الملك والربيع بن حبيب » .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ت : « ليهتدي » .
[٣] - في خ : « كما قال » .

لقوم يعقلون ﴾ أي : لدلالات على قدرته تعالى الباهرة وسلطانه العظيم لقوم يعقلون عن الله ويفهمون حججه .

وقوله : ﴿ **وما ذرأ لكم في الأرض مختلفًا ألوانه** ﴾ لما نبه تعالى[١] على معالم السموات نبه على ما خلق في الأرض من الأمور العجيبة ، والأشياء المختلفة من الحيوانات والمعادن والنباتات والجمادات[٢] ، على اختلاف ألوانها وأشكالها ، وما فيها من المنافع والخواص ﴿ **إن في ذلك لآية لقوم يذكرون** ﴾ أي آلاء الله ونعمه فيشكرونها .

وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾

يخبر تعالى عن تسخيره البحر المتلاطم الأمواج ، ويمتن على عباده بتذليله لهم ، وتيسيرهم[٣] للركوب فيه ، وجعله السمك والحيتان فيه ، وإحلاله لعباده لحمها ؛ حيها وميتها ، في الحل والإحرام ، وما يخلقه فيه من اللآلئ والجواهر النفيسة ، وتسهيله للعباد استخراجها من قرارها حلية يلبسونها ، وتسخيره البحر لحمل[٤] السفن التي تمخره ، أي : تشقه . وقيل : تمخر الرياح ، وكلاهما صحيح ، [وقيل : تمخره بجؤجئها][٥] : وهو صدرها المسنم ، الذي أرشد العباد إلى صنعتها ، وهداهم إلى ذلك إرثًا عن أبيهم نوح عليه السلام ، فإنه أول من ركب السفن ، وله كان تعليم صنعتها ، ثم أخذها الناس عنه قرنًا بعد قرن ، وجيلًا بعد جيل ، يسيرون من قطر إلى قطر ، ومن[٦] بلد إلى بلد ، ومن[٧] إقليم إلى إقليم ، [لجلب ما هناك إلى هنا ، وما هنا إلى هناك][٨] ، ولهذا قال تعالى : ﴿ **ولتبتغوا**

[١] - في خ : « سبحانه » . [٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « وتيسرهم » . [٤] - في ز : « يحمل » .
[٥] - في ز : « بجؤجرها » ، خ : « بموخرها » . [٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - في ز ، خ : « تجلب ما هنا إلى هنالك ، وما هنالك إلى هنا » .

من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ أي : نعمه وإحسانه .

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده(١١) : وجدت في كتابي عن محمد بن معاوية البغدادي ، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن [عمر ، عن سهيل][١] بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة [ ][٢] قال : «كلم الله [هذا][٣] البحر الغربي ، وكلم البحر الشرقي ، فقال للبحر الغربي : إني حامل فيك عبادًا من عبادي فكيف أنت صانع فيهم ؟ قال : أغرقهم . فقال : بأسك في نواحيك ، وأحملهم علىٰ يدي ، وحرمه الحلية والصيد . وكلم [هذا][٤] البحر الشرقي فقال : إني حامل فيك عبادًا من عبادي فما أنت صانع بهم ؟ فقال : أحملهم علىٰ يدي ، وأكون لهم كالوالدة لولدها . فأثابه الحلية والصيد » . ثم قال البزار : لا نعلم من[٥] رواه عن سهيل[٦] غير عبد الرحمن بن عبد الله ابن عمر[٧] ، وهو منكر الحديث .

وقد رواه سهيل[٨] ، عن النعمان بن أبي عياش ، عن عبد الله بن [ ][٩] عمرو موقوفًا .

ثم ذكر تعالىٰ الأرض وما جعل[١٠] فيها من الرواسي الشامخات ، والجبال الراسيات ؛ لتقر الأرض ولا تميد - أي : تضطرب - بما عليها من الحيوانات[١١] ، فلا يهنأ لهم عيش بسبب ذلك ، ولهذا قال : **﴿ والجبال أرساها ﴾** وقال عبد الرزاق : أنبأنا معمر ، عن قتادة ، سمعت الحسن يقول : لما خلقت الأرض كانت تميد ، فقالوا[١٢] : ما هذه بمقرة علىٰ ظهرها أحدًا . فأصبحوا وقد خلقت الجبال ، فلم[١٣] تدر الملائكة مم خلقت الجبال .

وقال سعيد : عن قتادة ، عن الحسن ، عن قيس بن عباد[١٤] : أن الله لما خلق الأرض جعلت تمور ، فقالت الملائكة : ما هذه بمقرة علىٰ ظهرها أحدًا . فأصبحت صبحًا وفيها

---

(١١) - أخرجه البزار كما في كشف الأستار ، كتاب الجهاد ، حديث (١٦٦٩) (٢/٢٦٥) .
قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/٢٨٥) : رواه البزار وِجادةً وفيه عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر العمري وهو متروك .

---

[١] - في ز ، خ : « سهل ، حدثنا » .
[٢] - في كشف الأستار : رفعه .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - سقط من ت .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز ، خ : سهل .
[٧] - في ز ، خ : « عمرو » .
[٨] - في ز ، خ : « سهل » .
[٩] - في ز ، خ : «ابن أبي عمرو » .
[١٠] - في ت : « ألقي » .
[١١] - في ت : « الحيوانات » .
[١٢] - في ز : « فقال » .
[١٣] - في ز ، خ : « لم » .
[١٤] - في ز ، خ : « عبادة » .

رواسيها .

وقال ابن جرير(١٢) : حدثني المثنى ، حدثني حجاج بن منهال ، حدثنا حماد ، عن عطاء ابن السائب ، عن عبد الله بن حبيب ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : لما خلق الله الأرض قمصت[١] ، وقالت : أي رب ، تجعل عليَّ بني آدم يعملون [على][٢] الخطايا ويجعلون[٣] عليَّ الخبث ؟ قال[٤] : فأرسىٰ الله فيها من الجبال ما ترون ومالا ترون ، فكان إقرارها كاللحم يترجرج .

وقوله : ﴿ وأنهارًا وسبلًا ﴾ أي : وجعل فيها أنهارًا تجري من [ ][٥] مكان إلىٰ مكان آخر رزقًا للعباد ، ينبع في موضع وهو رزق لأهل موضع آخر ، فيقطع البقاع والبراري والقفار ، ويخترق الجبال والآكام فيصل إلىٰ البلد الذي سخر لأهله ، وهي سائرة في الأرض يمنة ويسرة ، وجنوبًا وشمالًا ، وشرقًا وغربًا ، ما[٦] بين صغار وكبار ، وأودية تجري حينًا وتنقطع في وقت ، وما بين نبع وجمع ، وقوي السير وبطيئه ، بحسب ما أراد وقدر وسخر ويسر ، فلا إله إلا هو ولا رب سواه .

وكذلك جعل[٧] في الأرض سبلًا ، أي : طرقًا يسلك فيها من بلاد إلىٰ بلاد ، حتىٰ إنه تعالىٰ ليقطع الجبل حتىٰ يكون ما بينهما ممرًا[٨] ومسلكًا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وجعلنا فيها فجاجًا سبلًا** ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ **وعلامات** ﴾ أي : دلائل من جبال كبار وآكام صغار ونحو ذلك ، يستدل بها المسافرون برًا وبحرًا إذا ضلوا الطرق .

وقوله : ﴿ **وبالنجم هم يهتدون** ﴾ أي : في ظلام الليل ، قاله ابن عباس .

وعن مالك في قوله : ﴿ **وعلامات [وبالنجم هم يهتدون]** ﴾ يقول[٩] : النجوم وهي الجبال .

ثم [قال تعالىٰ منبهًا][١٠] علىٰ عظمته ، و[١١]أنه لا تنبغي[١٢] العبادة إلا له دون ما سواه

(١٢) - أخرجه الطبرى (١٤/٩٠) .

[١] - في ز : « فمضت » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .
[٣] - في خ : « ويعملون » .
[٤] - في ز : « قالت » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « كل » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - في ز : « مرًا » .
[٩] - في ز : « يقولون » .
[١٠] - في خ : « نبه تعالى » .
[١١] - سقط من : ز .
[١٢] - في ز : « ينبغي » .

من الأوثان ، التي لا تخلق شيئًا بل هم يخلقون ، ولهذا قال : ﴿ **أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون** ﴾ .

ثم نبههم علىٰ كثرة نعمه عليهم وإحسانه إليهم ، فقال : ﴿ **وإن تعدوا نعمة اللَّه لا تحصوها إن اللَّه لغفور رحيم** ﴾ أي : يتجاوز عنكم ، ولو طالبكم بشكر جميع نعمه لعجزتم عن القيام بذلك ، ولو أمركم به لضعفتم وتركتم ، ولو عذبكم لعذبكم وهو غير ظالم لكم ، ولكنه غفور رحيم ، يغفر الكثير ، ويجازي علىٰ اليسير .

وقال ابن جرير : يقول إن اللَّه لغفور لما كان منكم من تقصير في شكر بعض ذلك ، إذا تبتم وأنبتم إلىٰ طاعته واتباع مرضاته ، رحيم بكم أن يعذبكم بعد الإنابة والتوبة .

وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٢١﴾

يخبر تعالىٰ أنه يعلم الضمائر والسرائر كما يعلم الظواهر ، وسيجزي كل عامل بعمله يوم القيامة ؛ إن خيرًا فخير ، وإن شرًّا فشر .

ثم أخبر أن الأصنام التي يدعونها من دون اللَّه لا يخلقون [شيئًا وهم يخلقون][١] ، كما قال الخليل : ﴿ **أتعبدون ما تنحتون * واللَّه خلقكم وما تعملون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **أموات غير أحياء** ﴾ أي : هي جمادات لا أرواح فيها ، فلا تسمع ولا تبصر ولا تعقل .

﴿ **وما يشعرون أيان يبعثون** ﴾ أي : لا يدرون متىٰ تكون الساعة ، فكيف[٢] يرتجىٰ عند هذه نفع أو ثواب[٣] أو جزاء ؟ إنما يرتجىٰ ذلك من الذي يعلم كل شيء وهو خالق كل شيء .

إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ ﴿٢٣﴾

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - في ز ، خ : « وكيف » .

[٣] - في ز ، خ : « صواب » .

يخبر تعالىٰ أنه لا إله إلا هو الواحد الأحد الفرد الصمد ، وأخبر أن الكافرين تنكر قلوبهم ذلك ، كما أخبر عنهم متعجبين من ذلك ﴿ **أجعل الآلهة إلهًا واحدًا إن هذا لشيء عجاب** ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ **وإذا ذكر اللَّه وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وهم مستكبرون** ﴾ أي : عن عبادة اللَّه ، مع[١] إنكار قلوبهم لتوحيده ، كما قال : ﴿ **إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين** ﴾ ، ولهذا قال هٰهنا : ﴿ **لا جرم** ﴾ أي : حقًّا ﴿ **أن اللَّه يعلم ما يسرون وما يعلنون** ﴾ أي : وسيجزيهم علىٰ ذلك أتم الجزاء ﴿ **إنه لا يحب المستكبرين** ﴾ .

وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾

يقول تعالىٰ : وإذا قيل لهؤلاء المكذبين ﴿ **ماذا أنزل ربكم قالوا** ﴾ معرضين عن الجواب ﴿ **أساطير الأوّلين** ﴾ أي : لم ينزل شيئًا ، إنما هذا الذي يتلىٰ علينا أساطير الأوّلين ، أي : مأخوذ من كتب المتقدمين ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وقالوا أساطير الأوّلين اكتتبها فهي تملىٰ عليه بكرة وأصيلًا** ﴾ أي : يفترون علىٰ الرسول ، ويقولون أقوالًا متضادة مختلفة كلها باطلة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلًا** ﴾ وذلك أن كل من خرج عن الحق فمهما قال أخطأ ، وكانوا يقولون ساحر وشاعر وكاهن ومجنون ، ثم استقر أمرهم إلىٰ ما اختلقه لهم شيخهم الوحيد [المسمىٰ بالوليد][٢] بن المغيرة المخزومي ، لما ﴿ **فكر وقدّر * فقتل كيف قدّر * ثم قتل كيف قدّر * ثم نظر * ثم عبس وبسر * ثم أدبر واستكبر * فقال إن هذا إلا سحر يؤثر** ﴾ أي : ينقل ويحكىٰ ، فتفرقوا عن قوله ورأيه قبحهم اللَّه .

قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم** ﴾ أي : إنما قدرنا عليهم أن يقولوا ذلك ؛ ليتحملوا[٣] أوزارهم ومن أوزار الذين يتبعونهم ويوافقونهم ، أي : يصير عليهم خطيئة ضلالهم في أنفسهم ، وخطيئة إغوائهم

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز ، خ : « ابن الوليد » .
[٣] - في ز : « فيتحملوا » .

لغيرهم واقتداء أولئك بهم ، كما جاء في الحديث : « **من دعا إلىٰ هدىً كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا ، ومن دعا إلىٰ ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا** »(١٣) .

وقال تعالىٰ : ﴿ **وليحملنّ أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون** ﴾ .

وهكذا روىٰ العوفي ، عن ابن عباس في قوله[١] : ﴿ **ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم** ﴾ أنها كقوله : ﴿ **وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم** ﴾ .

وقال مجاهد : يحملون أثقالهم ؛ ذنوبهم[٢] وذنوب من أطاعهم ، ولا يخفف عمن أطاعهم من العذاب شيئًا .

قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰٓقُّونَ فِيهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾

قال العوفي : عن ابن عباس في قوله : ﴿ **قد مكر الذين من قبلهم** ﴾ قال : هو النمروذ الذي بنىٰ الصرح .

قال ابن أبي حاتم : وروي عن مجاهد نحوه .

وقال عبد الرزاق : عن معمر ، عن زيد بن أسلم : أول جبار كان في الأرض النمروذ ، فبعث الله عليه بعوضة ، فدخلت[٣] في منخره ، فمكث أربعمائة سنة يضرب رأسه بالمطارق ، وأرحم الناس به من جمع يديه فضرب بهما[٤] رأسه ، وكان جبارًا أربعمائة

(١٣) - أخرجه مسلم في كتاب العلم ، باب : من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعاء إلى هدى أو ضلالة ، حديث (٢٦٧٤) (١٦/٣٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

[١] - في ت : « الآية » .
[٢] - في ز ، خ : « وذنوبهم » .
[٣] - في ز : « دخلت » .
[٤] - في ز : « بها » .

سنة ، فعذبه اللَّه أربعمائة سنة كملكه ، ثم أماته الله[١] وهو الذي كان بنىٰ صرحًا[٢] إلىٰ السماء ، الذي قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **فأتىٰ اللَّه بنيانهم من القواعد** ﴾(١٤) .

وقال آخرون : بل هو بختنصر . وذكروا من المكر الذي حكى[٣] اللَّه هٰهنا كما قال في سورة إبراهيم ﴿ **وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال** ﴾ .

وقال آخرون : هذا من باب المثل لإبطال ما صنعه[٤] هؤلاء[٥] الذين كفروا باللَّه ، وأشركوا في عبادته غيره ، كما قال نوح عليه السلام ﴿ **ومكروا مكرًا كبارًا** ﴾ أي : احتالوا في إضلال الناس بكل حيلة ، وأمالوهم إلىٰ شركهم بكل وسيلة ، كما يقول لهم[٦] أتباعهم يوم القيامة : ﴿ **بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر باللَّه ونجعل له أندادًا** ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ **فأتىٰ اللَّه بنيانهم من القواعد** ﴾ أي : اجتثه من أصله وأبطل عملهم ، وأصلها كقوله[٧] تعالىٰ : ﴿ **كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها اللَّه** ﴾ .

وقوله : ﴿ **فأتاهم اللَّه من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار** ﴾ .

وقال اللَّه هٰهنا : ﴿ **فأتىٰ اللَّه بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون * ثم يوم القيامة يخزيهم** ﴾ أي : يظهر فضائحهم ، وما كانت تجنه ضمائرهم ، فيجعله علانية ، كقوله[٨] تعالىٰ : ﴿ **يوم تبلىٰ السرائر** ﴾ أي : تظهر وتشتهر ، كما في الصحيحين(١٥) : عن ابن عمر قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة عند استه بقدر غدرته**[٩] ، **فيقال : هذه غدرة فلان بن فلان** » .

---

(١٤) - أخرجه ابن جرير (٩٧/١٤) .

(١٥) - أخرجه البخاري في كتاب الجزية والموادعة ، باب : إثم الغادر للبر والفاجر ، حديث (٣١٨٨) (٦/ ٢٨٣) وأطرافه في (٦١٧٧ - ٦١٧٨ - ٦٩٦٦ - ٧١١١) . ومسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب : تحريم الغدر ، حديث (١٧٣٧) .

---

[١] - سقط من : ت .

[٢] - في خ : «الصرح» .

[٣] - في خ : « حكاه » .

[٤] - في ز : « صنفه » .

[٥] - سقط من : خ .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

[٧] - في خ : « كما قال » .

[٨] - في خ : « كما قال » .

[٩] - في ز : « عورته » .

وهكذا هؤلاء يظهر للناس ما كانوا يسرونه من المكر ، ويخزيهم اللّٰه علىٰ رءوس الخلائق ، ويقول لهم الرب تبارك وتعالىٰ مقرعًا لهم وموبخًا : ﴿ **أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم** ﴾ تحاربون وتعادون في سبيلهم ، [ ][١] أين هم عن نصركم وخلاصكم هٰهنا ؟ ﴿ **هل ينصرونكم أو ينتصرون** ﴾ ، ﴿ **فما له من قوة ولا ناصر** ﴾ فإذا توجهت عليهم الحجة ، وقامت عليهم الدلالة ، وحقت عليهم الكلمة ، وأسكتوا عن الاعتذار حين لا فرار ﴿ **قال الذين أوتوا العلم** ﴾ وهم السادة في الدنيا والآخرة ، والمخبرون عن الحق في الدنيا والآخرة ، فيقولون حينئذ : ﴿ **إن الخزي اليوم والسوء علىٰ الكافرين** ﴾ أي : الفضيحة والعذاب محيط[٢] اليوم بمن كفر باللّٰه ، وأشرك به ما لا يضره وما لا ينفعه .

ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾

يخبر تعالىٰ عن حال المشركين الظالمي أنفسهم عند احتضارهم ، ومجيء الملائكة إليهم لقبض أرواحهم الخبيثة[٣] ﴿ **فألقوا السلم** ﴾ أي : أظهروا السمع والطاعة والانقياد قائلين : ﴿ **ما كنا نعمل من سوء** ﴾ كما يقولون يوم المعاد : ﴿ **واللّٰه ربنا ما كنا مشركين** ﴾ ، ﴿ **يوم يبعثهم الله جميعًا فيحلفون له كما يحلفون لكم** ﴾ .

قال اللّٰه مكذبًا لهم في قيلهم ذلك : ﴿ **بلىٰ إن اللّٰه عليم بما كنتم تعملون * فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوىٰ المتكبرين** ﴾ أي : بئس المقيل والمقام والمكان من دار هوان ، لمن[٤] كان متكبرًا عن آيات اللّٰه واتباع رسله .

وهم يدخلون جهنم من يوم مماتهم بأرواحهم ، ويأتي[٥] أجسادهم في قبورها من حرها وسمومها ، فإذا كان يوم القيامة سلكت أرواحهم في أجسادهم ، وخلدت في نار جهنم ﴿ **لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها** ﴾ كما قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **النار يعرضون عليها غدوًّا وعشيًّا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب** ﴾ .

۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « أي » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز : « كمن » .
[٥] - في ت : « وينال » .

ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾

هذا خبر عن السعداء بخلاف [ما أخبر][١] به عن الأشقياء ، فإن أولئك قيل لهم ﴿ **ماذا أنزل ربكم** ﴾ فقالوا[٢] معرضين عن الجواب : لم ينزل شيئًا إنما هذا أساطير الأولين ، وهؤلاء ﴿ **قالوا خيرًا** ﴾ أي : أنزل خيرًا ، أي : رحمة وبركة وحسنًا لمن اتبعه وآمن به .

ثم أخبروا عما وعد اللَّه عباده فيما أنزله علىٰ رسله ، فقال[٣] : ﴿ **للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير** ﴾ الآية ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **من عمل صالحًا من ذكر أو أنثىٰ وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** ﴾ أي : مَن أحسن عمله في الدنيا أحسن اللَّه إليه في [الدنيا والآخرة] .

ثم أخبروا بأن دار الآخرة خير ، أي : من الحياة الدنيا والجزاء فيها أتم من الجزاء في الدنيا ، كقوله[٤] : ﴿ **وقال[٥] الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب اللَّه خير** ﴾ الآية ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وما عند اللَّه خير للأبرار** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **والآخرة خير وأبقىٰ** ﴾ ، وقال لرسوله صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **وللآخرة خير لك من الأولىٰ** ﴾ .

ثم وصف[٦] الدار الآخرة فقال[٧] : ﴿ **ولنعم دار المتقين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **جنات عدن** ﴾ بدل من قوله[٨]: ﴿ **دار المتقين** ﴾ ، أي : لهم في الآخرة جنات عدن ، أي : مقامة[٩] يدخلونها ﴿ **تجري من تحتها الأنهار** ﴾ أي : بين أشجارها

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٢] - في خ : « قالوا » .
[٣] - في ز ، خ : « فقالوا » .
[٤] - في خ : « كما قال » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في خ : « وصفوا » .
[٧] - في ز ، خ : « فقالوا » .
[٨] - سقط من : ت .
[٩] - في ت : « مقام » .

وقصورها ﴿ **لهم فيها ما يشاءون** ﴾ ، كقوله[١] تعالىٰ : ﴿ **وفيها ما تشتهيه[٢] الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون** ﴾ وفي الحديث : « **إن السحابة لتمر بالملأ من أهل الجنة ، وهم جلوس علىٰ شرابهم ، فلا يشتهي أحد منهم شيئًا إلا أمطرته عليهم ، حتىٰ أن منهم لمن يقول أمطرينا كواعب أترابًا فيكون ذلك** » . ﴿ **كذلك يجزي الله المتقين** ﴾ أي : كذلك يجزي الله كل من آمن به واتقاه وأحسن عمله .

ثم أخبر تعالىٰ عن حالهم[٣] عند الاحتضار أنهم[٤] طيبون[٥] ، أي : مخلصون من الشرك والدنس وكل سوء ، وأن[٦] الملائكة تسلم عليهم وتبشرهم[٧] بالجنة ، كقوله[٨] تعالىٰ : ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون * نزلًا من غفور رحيم** ﴾ .

وقد قدمنا الأحاديث الواردة في قبض روح المؤمن وروح الكافر عند قوله تعالىٰ : ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء** ﴾ .

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾

يقول تعالىٰ متهددًا للمشركين علىٰ تماديهم في الباطل واغترارهم بالدنيا : هل ينتظر هؤلاء إلا الملائكة أن تأتيهم لقبض أرواحهم ، قاله قتادة .

﴿ **أو يأتي أمر ربك** ﴾ أي : يوم القيامة وما يعاينونه[٩] من الأهوال .

وقوله : ﴿ **كذلك فعل الذين من قبلهم** ﴾ أي : هكذا تمادىٰ في شركهم أسلافهم ونظراؤهم وأشباههم من المشركين حتىٰ ذاقوا بأس الله ، وحلوا فيما هم فيه من العذاب

[١] - في خ : « كما قال » .
[٢] - في ز : « تشتهي » .
[٣] - في ز : « مآلهم » .
[٤] - في ز : « وهم » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز : « بأن » .
[٧] - في ز ، خ : « ويبشرونهم » .
[٨] - في خ : « كما قال » .
[٩] - في ز : « يعاينوه » .

والنكال ﴿ وما ظلمهم اللّه ﴾ لأنه تعالىٰ أعذر إليهم ، وأقام حججه عليهم ؛ بإرسال رسله ، وإنزال كتبه ﴿ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ أي : بمخالفة الرسل والتكذيب بما جاءوا به ، فلهذا أصابتهم عقوبة اللّه علىٰ ذلك ﴿ وحاق بهم ﴾ أي : أحاط بهم من العذاب الأليم ﴿ ما كانوا به يستهزئون ﴾ أي : يسخرون من الرسل إذا توعدوهم بعقاب اللّه ، فلهذا يقال لهم يوم القيامة : ﴿ هذه النار التي كنتم بها تكذبون ﴾ .

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾

يخبر تعالىٰ عن اغترار[١] المشركين بما هم فيه من الشرك[٢] ، واعتذارهم محتجين بالقدر [في قولهم][٣] : ﴿ لو شاء اللّه ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء ﴾ أي : من البحائر والسوائب والوصائل ، وغير ذلك مما[٤] كانوا ابتدعوه واخترعوه من تلقاء أنفسهم ، مما[٥] لم ينزل اللّه[٦] به سلطانًا .

ومضمون كلامهم : أنه لو كان تعالىٰ كارهًا لما فعلنا لأنكره علينا بالعقوبة ، ولما مكّنّا منه ، قال اللّه تعالىٰ رادًّا عليهم شبهتهم[٧] : ﴿ فهل علىٰ الرسل إلا البلاغ المبين ﴾ أي : ليس الأمر كما تزعمون : أنه لم يعيره[٨] عليكم [ولم ينكره عليكم][٩] ، بل قد أنكره عليكم أشد الإنكار ، ونهاكم عنه آكد النهي ، وبعث في كل أمة رسولًا - أي : في كل قرن [وطائفة من الناس] - رسولًا ، وكلهم يدعو إلىٰ عبادة اللّه ، وينهى عن عبادة ما

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : « الإشراك » .
[٣] - في خ : « بقولهم » .
[٤] - في ز : « بما » .
[٥] - في خ : « ما » .
[٦] - زيادة من : خ .
[٧] - في ز : « شبههم » .
[٨] - في ز : « يغير » .
[٩] - ما بين المعكوفتين في ز : « ولا يكره » .

سواه ﴿ **أن اعبدوا اللَّه واجتنبوا الطاغوت** ﴾ فلم يزل تعالىٰ يرسل إلىٰ الناس الرسل بذلك ، منذ حدث الشرك في بني آدم ، في قوم نوح ، الذين أرسل إليهم نوح ، وكان أول رسول بعثه اللَّه إلىٰ أهل الأرض ، إلىٰ أن ختمهم بمحمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، الذي طبقت دعوته الإنس والجن في المشارق والمغارب ، وكلهم كما قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي**[١] **إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾ ، وقوله تعالىٰ : ﴿ **واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون** ﴾ ، وقال تعالىٰ في هذه الآية الكريمة : ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولًا أن اعبدوا اللَّه واجتنبوا الطاغوت** ﴾ فكيف يسوغ لأحد من المشركين بعد هذا أن يقول : ﴿ **لو شاء اللَّه ما عبدنا من دونه من شيء** ﴾ فمشيئته تعالىٰ الشرعية عنهم منتفية[٢] ؛ لأنه نهاهم عن ذلك علىٰ ألسنة رسله ، وأما مشيئته الكونية : وهي تمكينهم من ذلك قدرًا فلا حجة لهم فيها[٣] ؛ لأنه تعالىٰ خلق النار وأهلها من الشياطين والكفرة ، وهو لا يرضىٰ لعباده الكفر ، وله في ذلك حجة بالغة وحكمة قاطعة .

ثم إنه تعالى قد أخبر أنه عيّر عليهم وأنكر عليهم بالعقوبة في الدنيا بعد إنذار الرسل ، فلهذا قال : ﴿ **فمنهم من هدىٰ اللَّه ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين** ﴾ أي : اسألوا عما كان من أمر من خالف الرسل وكذب الحق : كيف دمر اللَّه عليهم وللكافرين أمثالها ، فقال[٤] : ﴿ **ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير** ﴾ .

ثم أخبر اللَّه[٥] تعالىٰ رسوله [صلىٰ اللَّه عليه وسلم] : أن حرصه علىٰ هدايتهم لا ينفعهم إذا كان اللَّه قد أراد إضلالهم[٦] ، [كقوله تعالىٰ][٧] : ﴿ **ومن يرد اللَّه فتنته فلن تملك له من اللَّه** [ ][٨] **شيئًا** ﴾ ، وقال نوح لقومه : ﴿ **ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان اللَّه يريد أن يغويكم** ﴾ ، وقال في هذه الآية الكريمة : ﴿ **إن تحرص علىٰ هداهم فإن اللَّه لا يهدي من يضل** ﴾ ، كما قال اللَّه تعالى : ﴿ **من يضلل اللَّه فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون * ولو جاءتهم كل آية حتىٰ يروا العذاب الأليم** ﴾ .

وقوله[٩] : ﴿ **فإن اللَّه** ﴾ أي : شأنه وأمره أنه ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ،

---

[١] - في ز ، خ : « يوحى » .
[٢] - في ز ، خ : « منفية » .
[٣] - في ز ، خ : « فيه » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز : « ضلالهم » .
[٧] - في خ : « كما قال الله » .
[٨] - في خ : « من » .
[٩] - في ز ، خ : « فقوله » .

فلهذا قال : ﴿ **لا يهدي من يضل** ﴾ أي : من أضله ، فمن الذي يهديه من بعد اللَّه ؟ أي : لا أحد ﴿ **وما لهم من ناصرين** ﴾ أي : ينقذونهم[١] من عذابه ووثاقه ﴿ **ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين** ﴾ .

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٨) لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ (٣٩) إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٤٠)

يقول تعالىٰ مخبرًا عن المشركين : أنهم حلفوا فأقسموا باللَّه جهد أيمانهم ، أي : اجتهدوا في الحلف وغلظوا الأيمان : علىٰ أنه لا يبعث اللَّه من يموت ، أي : استبعدوا ذلك ، فكذبوا الرسل في إخبارهم لهم بذلك ، وحلفوا بذلك[٢] علىٰ نقيضه ، فقال تعالىٰ مكذبًا لهم ورادًّا عليهم : ﴿ **بلىٰ** ﴾ أي : بلىٰ سيكون ذلك ﴿ **وعدًا عليه حقًّا** ﴾ أي : لابد منه ﴿ **ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ أي : فلجهلهم يخالفون الرسل ويقعون في الكفر .

ثم ذكر تعالىٰ حكمته في المعاد ، وقيام الأجساد يوم التناد ، فقال : ﴿ **ليبين لهم** ﴾ أي : للناس [ ][٣] ﴿ **الذي**[٤] **يختلفون فيه** ﴾ أي : من كل شيء ﴿ **وليجزي**[٥] **الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنىٰ** ﴾ ، ﴿ **وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين** ﴾ أي : في أيمانهم وأقسامهم : لا يبعث اللَّه من يموت ، ولهذا يدعون يوم القيامة إلىٰ نار جهنم دعًّا ، وتقول[٦] لهم الزبانية : ﴿ **هذه النار التي كنتم بها تكذبون * أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون * اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون** ﴾ .

ثم أخبر تعالىٰ عن قدرته علىٰ ما يشاء ، وأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، وإنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون ، [والمعاد من ذلك ، إذا أراد كونه فإنما يأمر به مرة واحدة ، فيكون][٧] كما يشاء ، كقوله[٨] : ﴿ **وما أمرنا إلا واحدة كلمح**

---

[١] - في ز ، خ : « ينقذهم » .
[٢] - زيادة من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « أي » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في خ : « ويجزي » .
[٦] - في خ : « ويقول » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٨] - في خ : « كما قال » .

بالبصر ﴾ ، وقال : ﴿ **ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة** ﴾ ، وقال في هذه الآية الكريمة : ﴿ **إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون** ﴾ أي : أن نأمر[١] به مرة[٢] واحدة فإذا هو كائن ، كما قال الشاعر :

إذا ما أراد اللّه أمرًا فإنما ... يقول له كن قولة فيكون

أي : أنه تعالىٰ لا يحتاج إلىٰ تأكيد فيما يأمر به ، فإنه تعالىٰ لا يمانع ولا يخالف ؛ لأنه الواحد القهار العظيم ، الذي قهر سلطانه وجبروته وعزته كل شيء ، فلا إله إلا هو ولا رب سواه .

و[٣]قال ابن أبي حاتم : [ذكر الحسن][٤] بن محمد بن الصباح ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، أخبرني عطاء ، أنه سمع أبا هريرة يقول : قال اللّه تعالىٰ : سبني[٥] ابن آدم ولم يكن ينبغي له أن يسبني ، وكذبني [ابن آدم][٦] ولم يكن ينبغي له ذلك[٧] ؛ فأما تكذيبه إياي فقال : ﴿ **وأقسموا باللّه جهد أيمانهم لا يبعث اللّه من يموت** ﴾ قال : و[٨] قلت ﴿ **بلىٰ وعدًا عليه حقًا ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ ، وأما سبه إياي فقال : ﴿ **إن اللّه ثالث ثلاثة** ﴾ وقلت : ﴿ **قل هو اللّه أحد * اللّه الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوًا أحد** ﴾(١٦) .

هكذا ذكره موقوفًا ، وهو في الصحيحين(١٧) مرفوعًا بلفظ آخر .

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٤٢)

(١٦) - أخرجه الطبرى (١٤/١٠٥) ، وعزاه السيوطى أيضًا في الدر المنثور (٤/٢٢) إلى ابن المنذر .

(١٧) - أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق ، باب : ما جاء في قول اللّه تعالى : ﴿ **وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه** ﴾ حديث (٣١٩٣) (٦/٢٨٧) وطرفاه في (٤٩٧٤ - ٤٩٧٥) . من حديث أبي هريرة قال : قال رسول اللّه - صلى اللّه عليه وسلم - : قال اللّه تعالى : « يشتمنى ابن آدم ، وما ينبغى له أن يشتمنى ، ويكذبنى وما ينبغى له ، أما شتمه فقوله : إن لي ولدًا ، وأما تكذيبه فقوله : ليس يعيدني كما بدأني » .

[١] - في ز : « يأمر » .
[٢] - في ز ، خ : « دفعة » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز ، خ : « ذكره الحسين » .
[٥] - في ز : « شتمني » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٧] - في ز ، خ : « أن يكذبني » .
[٨] - سقط من : ز .

يخبر تعالىٰ عن جزائه للمهاجرين في سبيله ابتغاء مرضاته ، الذين فارقوا الدار والإخوان والخلان رجاء ثواب اللّٰه وجزائه .

ويحتمل أن يكون سبب [نزول هذه الآية الكريمة][١] في مهاجرة الحبشة ، الذين اشتد أذىٰ قومهم لهم بمكة ، حتىٰ خرجوا من بين أظهرهم إلىٰ بلاد الحبشة ؛ ليتمكنوا من عبادة ربهم ، ومن أشرافهم : عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية بنت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وجعفر ابن أبي طالب ابن عم الرسول ، وأبو سلمة بن عبد الأسد ، في جماعة قريب من ثمانين ما بين رجل وامرأة صدّيق وصدّيقة رضي اللّٰه عنهم وأرضاهم ، وقد فعل فوعدهم تعالىٰ بالمجازاة الحسنة في الدنيا والآخرة ، فقال : ﴿ **لنبوّئنهم في الدنيا حسنة** ﴾ قال ابن عباس والشعبي وقتادة : المدينة . وقيل : الرزق الطيب . قاله مجاهد .

ولا منافاة بين القولين ؛ فإنهم تركوا مساكنهم وأموالهم فعوضهم اللّٰه خيرًا منها[٢] في الدنيا ، فإن من ترك شيئًا للّٰه عوضه اللّٰه بما هو خير له منه ، و[٣]كذلك وقع ، فإنهم مكن اللّٰه لهم في البلاد ، وحكمهم علىٰ رقاب العباد ، فصاروا أمراء حكامًا ، وكل منهم للمتقين إمامًا ، وأخبر أن ثوابه للمهاجرين في الدار الآخرة أعظم مما أعطاهم في الدنيا ، فقال : ﴿ **ولأجر الآخرة أكبر** ﴾ أي : مما أعطيناهم في الدنيا ﴿ **لو كانوا يعلمون** ﴾ أي لو كان المتخلفون عن الهجرة معهم يعلمون ما ادخر[٤] اللّٰه لمن أطاعه واتبع رسوله ، ولهذا قال هشيم : عن العوام ، عمن حدثه : أن عمر بن الخطاب رضي اللّٰه عنه كان إذا أعطىٰ الرجل من المهاجرين عطاءه يقول خذ بارك اللّٰه لك فيه ، هذا ما وعدك اللّٰه في الدنيا ، وما ادخر[٥] لك في الآخرة أفضل ، ثم قرأ[٦] هذه الآية : ﴿ **لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون** ﴾ .

ثم وصفهم تعالىٰ فقال : ﴿ **الذين صبروا وعلىٰ ربهم يتوكلون** ﴾ أي : صبروا علىٰ أقل من آذاهم من قومهم ، متوكلين علىٰ اللّٰه الذي أحسن لهم العاقبة في الدنيا والآخرة .

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾

[١] - في ت : « نزولها » .
[٢] - في ز : « منه » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « دَخر » .
[٥] - في ز : « دَخر » .
[٦] - في ز : « يقرأ » .

قال الضحاك : عن ابن عباس : لما بعث الله محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم رسولًا أنكرت[١] العرب ذلك - أو من أنكر منهم - وقالوا : الله أعظم من أن يكون رسوله بشرًا ، فأنزل الله ﴿ **أكان للناس عجبًا أن أوحينا إلىٰ رجل منهم أن أنذر الناس** ﴾ الآية[٢] ، وقال : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك إلا رجالًا نوحي[٣] إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾ يعني أهل الكتب الماضية : أبشرًا كانت الرسل إليهم أم ملائكة ؟ فإن كانوا ملائكة أنكرتم ، وإن كانوا بشرًا فلا تنكروا أن يكون محمد[٤] صلىٰ الله عليه وسلم رسولًا . قال تعالىٰ : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك إلا رجالًا نوحي[٥] إليهم من أهل القرىٰ** ﴾ ليسوا من أهل السماء كما قلتم .

وكذا[٦] روي عن مجاهد عن ابن عباس : أن المراد بأهل الذكر أهل الكتاب ، وقاله مجاهد والأعمش .

وقول عبد الرحمن بن زيد : الذكر القرآن ، واستشهد[٧] بقوله : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ - صحيح ، لكن ليس هو المراد هاهنا ؛ لأن المخالف لا يرجع في إثباته بعد إنكاره إليه .

وكذا قول أبي جعفر الباقر : نحن أهل الذكر ، ومراده أن هذه الأمة أهل الذكر - صحيح ، فإن هذه الأمة أعلم من جميع الأمم السالفة ، وعلماء أهل بيت [رسول الله][٨] عليهم السلام والرحمة من خير العلماء إذا كانوا علىٰ السنة المستقيمة ؛ كعلي ، وابن عباس ، وابني علي : الحسن والحسين ، ومحمد بن الحنفية ، وعلي بن الحسين زين العابدين ، وعلي ابن عبد الله بن عباس ، وأبي جعفر الباقر : وهو محمد بن علي بن الحسين ، وجعفر ابنه ، وأمثالهم وأضرابهم وأشكالهم ، ممن هو متمسك بحبل الله المتين ، وصراطه المستقيم ، وعرف لكل ذي حق حقه ، ونزَّل كلًّا المنزل الذي أعطاه الله ورسوله ، [واجتمعت عليه][٩] قلوب عباده المؤمنين ، والغرض : أن هذه الآية الكريمة أخبرت بأن[١٠] الرسل الماضين قبل[١١] محمد صلىٰ الله عليه وسلم كانوا بشرًا كما هو بشر ، كما قال تعالىٰ : ﴿ [**قل سبحان**

---

[١] - في ت : « أنكر » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « يوحى » .
[٤] - في ز : « محمدًا » .
[٥] - في ز ، خ : « يوحى » .
[٦] - في ز : « هكذا » .
[٧] - في ز ، خ : « واستشهدوا » .
[٨] - ما بين المعكوفتين في ز : « الرسول » .
[٩] - ما بين المعكوفتين في ز : « واجتمع إليه » .
[١٠] - في ز : « أن » .
[١١] - في ز ، خ : « قبيل » .

ربي هل كنت إلا بشرًا رسولًا][١] * **وما منع الناس أن يؤمنوا [إذ جاءهم الهدىٰ]**[٢] **إلا أن قالوا أبعث الله بشرًا رسولًا** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **وما جعلناهم جسدًا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين** ﴾ وقال : ﴿ **قل ما كنت بدعًا من الرسل** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **قل إنما أنا بشر مثلكم يوحىٰ إلي** ﴾ .

ثم أرشد الله تعالىٰ من شك في كون الرسل كانوا بشرًا : [إلىٰ سؤال][٣] أصحاب الكتب المتقدمة ، عن الأنبياء الذين سلفوا هل كان أنبياؤهم بشرًا أو ملائكة ؟ .

ثم ذكر تعالىٰ أنه أرسلهم ﴿ **بالبينات** [ ][٤] ﴾ أي : [بالحجج والدلائل] ﴿ **والزبر** ﴾ وهي الكتب ، قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وغيرهم ،والزبر : جمع زبور ، تقول العرب : زبرت الكتاب إذا كتبته ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وكل شيء فعلوه في الزبر** ﴾ ، وقال : ﴿ **ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر** ﴾ يعني : القرآن ﴿ **لتبين للناس ما نزل إليهم** ﴾ أي[٥] : من ربهم ؛ لعلمك [ ][٦] بمعنىٰ ما أنزل الله[٧] عليك ، وحرصك عليه ، واتباعك له ، لعلمنا بأنك أفضل الخلائق وسيد ولد آدم ، فتفصل لهم ما أجمل ، وتبين لهم ما أشكل ﴿ **ولعلهم يتفكرون** ﴾ أي : ينظرون لأنفسهم فيهتدون ، فيفوزون[٨] بالنجاة في الدارين .

أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾

يخبر تعالىٰ عن حلمه[٩] وإنظاره العصاة : الذين يعملون السيئات ، ويدعون إليها ، ويمكرون بالناس[١٠] في دعائهم إياهم ، وحملهم عليها ، مع قدرته علىٰ أن يخسف بهم

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « أن سألوا » .
[٤] - في ز ، خ : « والزبر » .
[٥] - سقط من : ز ، خ ومكانها فيهما بعد كلمة « من ربهم » .
[٦] - في ز : « عما » .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - في ز ، خ : « فيفوزوا » .
[٩] - في ز ، خ : « حكمه » .
[١٠] - في ز ، خ : « الناس » .

الأرض ﴿ **أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون** ﴾ أي : من حيث لا يعلمون مجيئه إليهم كقوله[١] تعالىٰ : ﴿ **أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور * أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبًا فستعلمون كيف نذير** ﴾ . وقوله : ﴿ **أو يأخذهم في تقلبهم** ﴾ أي : في تقلبهم في المعايش ، واشتغالهم بها من أسفار ونحوها من الأشغال الملهية .

قال قتادة والسدي : ﴿ **تقلبهم** ﴾ أي : أسفارهم .

وقال مجاهد والضحاك وقتادة[٢] : ﴿ **في تقلبهم** ﴾ في الليل والنهار . كقوله[٣] : ﴿ **أفأمن أهل القرىٰ أن يأتيهم بأسنا بياتًا وهم نائمون * أو أمن أهل القرىٰ أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **فما هم بمعجزين** ﴾ أي : لا يعجزون اللَّه علىٰ أي حال كانوا عليه .

وقوله : ﴿ **أو يأخذهم علىٰ تخوّف** ﴾ أي : أو يأخذهم اللَّه في حال خوفهم من أخذه لهم ، فإنه يكون أبلغ وأشد [ ][٤] ، فإن حصول ما يتوقع مع الخوف شديد ، ولهذا قال العوفي ، عن ابن عباس : ﴿ **أو يأخذهم علىٰ تخوف** ﴾ يقول : إن [شئت أخذته علىٰ أثر موت صاحبه وتخوفه بذلك . وكذا روي عن][٥] مجاهد والضحاك وقتادة وغيرهم .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **فإن ربكم لرءوف رحيم** ﴾ أي : حيث لم يعاجلكم بالعقوبة ، كما ثبت في الصحيحين(١٨) . وفيهما[٦] : « **إن اللَّه ليملي للظالم حتىٰ إذا أخذه لم يفلته** » . ثم قرأ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرىٰ وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد** ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ **وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإليَّ المصير** ﴾ .

أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ

(١٨) - أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ **وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد** ﴾ حديث (٤٦٨٦) (٨/٣٥٨) . ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب : تحريم الظلم ، حديث (٦١/٢٥٨٣) (١٦/ ٢٠٥ - ٢٠٦) .

[١] - في خ : « كما قال » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في خ : « كما قال تعالى » .
[٤] - في ز ، خ : [حالة الأخذ] .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - سقط من : ز .

وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾

يخبر تعالىٰ عن عظمته وجلاله وكبريائه ، الذي خضع له كل شيء ، ودانت له الأشياء والمخلوقات بأسرها ؛ جماداتها[١] وحيواناتها ومكلفوها ؛ من الإنس والجن والملائكة ، فأخبر أن كل ما له ظل يتفيأ ذات اليمين وذات الشمال ، أي : بكرة وعشيًّا فإنه ساجد بظله للَّه تعالىٰ .

قال مجاهد : إذا زالت الشمس سجد كل شيء للَّه [عز وجل][٢] . وكذا قال قتادة والضحاك وغيرهم .

وقوله : ﴿ **وهم داخرون** ﴾ أي : صاغرون .

قال مجاهد أيضًا : سجود كل شيء فيه . وذكر الجبال قال : سجودها فيها .

وقال أبو غالب الشيباني : فى[٣] أمواج البحر صلاته .

ونزلهم منزلة من يعقل إذ أسند السجود إليهم .

فقال[٤] : ﴿ **وللَّه يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة** ﴾ كما قال : ﴿ **وللَّه يسجد من في السمٰوات والأرض**[٥] **طوعًا وكرهًا وظلالهم بالغدوّ والآصال** ﴾ .
وقوله : ﴿ **والملائكة [وهم لا يستكبرون]**[٦] ﴾ أي : تسجد للَّه ، أي : غير مستكبرين عن عبادته ﴿ **يخافون ربهم من فوقهم** ﴾ أي : يسجدون خائفين وجلين من الرب جل جلاله ﴿ **ويفعلون ما يؤمرون** ﴾ أي : مثابرين علىٰ طاعته تعالىٰ ، وامتثال أوامره ، وترك زواجره .

۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن

[١] - في ز ، خ : « جمادها » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « تعالى » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في خ : « ثم قال » .
[٥] - في ز ، خ : « ومن في الأرض » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾

يقرر تعالىٰ أنه لا إله إلا هو ، وأنه لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له ، فإنه مالك كل شيء وخالقه وربه ﴿ **وله الدين واصبًا** ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وميمون بن مهران والسدي وقتادة وغير واحد : أي : دائمًا .

وعن ابن عباس أيضًا : واجبًا . وقال مجاهد : خالصًا . أي : له العبادة وحده ممن في السموات والأرض ، كقوله : ﴿ **أفغير دين اللَّه يغون * وله أسلم من في السموات والأرض طوعًا وكرهًا وإليه يرجعون**[١] ﴾ هذا علىٰ قول ابن عباس وعكرمة فيكون من باب الخبر ، وأما علىٰ[٢] قول مجاهد فإنه يكون من باب الطلب[٣] ، أي : ارهبوا[٤] أن تشركوا به شيئًا ، وأخلصوا له الطلب ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ألا للَّه الدين الخالص** ﴾ .

ثم أخبر أنه مالك النفع والضر ، وأن ما بالعباد[٥] من [رزق ونعمة] وعافية ونصر فمن فضله عليهم[٦] ، وإحسانه إليهم[٧] ﴿ **ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون** ﴾ أي : لعلمكم أنه لا يقدر علىٰ إزالته إلا هو فإنكم عند الضرورات تلجئون إليه وتسألونه ، وتلحون في الرغبة [ ][٨] مستغيثين به ، كقوله[٩] تعالىٰ : ﴿ **وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلىٰ البر أعرضتم وكان الإنسان كفورًا** ﴾ وقال هاهنا : ﴿ **ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون * ليكفروا بما آتيناهم** ﴾ .

قيل : اللام هٰهنا لام العاقبة وقيل : لام التعليل ، بمعنىٰ [قيضنا لهم][١٠] ذلك ليكفروا ، أي : يستروا ويجحدوا نعم اللَّه عليهم ، وأنه المسدي إليهم النعم ، الكاشف عنهم النقم .

---

[١] - في خ : « ترجعون » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « ارهبون » .
[٥] - في ز : « بالعبد » .
[٦] - في ز : « عليه » .
[٧] - في ز : « إليه » .
[٨] - في ت : إليه .
[٩] - في خ : « كما قال » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين في ز : « قيضناهم » .

ثم توعدهم قائلًا : ﴿ **فتمتعوا** ﴾ أي : اعملوا ما شئتم ، وتمتعوا بما أنتم فيه قليلًا ﴿ **فسوف تعلمون** ﴾ أي : عاقبة ذلك .

وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾
وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ
ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ
أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾

يخبر تعالىٰ عن قبائح المشركين : الذين عبدوا مع اللَّه غيره من الأصنام والأوثان والأنداد ، وجعلوا لها[١] نصيبًا مما[٢] رزقهم اللَّه ، فقالوا : ﴿ **هذا للَّه بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلىٰ اللَّه وما كان للَّه فهو يصل إلىٰ شركائهم [ساء ما يحكمون]** ﴾ أي : جعلوا لآلهتهم نصيبًا مع اللَّه ، وفضلوهم[٣] أيضًا علىٰ جانبه ، فأقسم اللَّه تعالىٰ بنفسه الكريمة ، ليسألنهم عن ذلك الذي افتروه وائتفكوه ، وليقابلنهم عليه ، وليجازينهم[٤] أوفر الجزاء في نار جهنم ، فقال : ﴿ **تاللَّه لتسئلن عما كنتم تفترون** ﴾ .

ثم أخبر تعالىٰ عنهم : أنهم جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا ، وجعلوها بنات اللَّه وعبدوها معه ، فأخطأوا خطأً كبيرًا في كل مقام من هذه المقامات الثلاث ، فنسبوا إليه تعالىٰ أن له ولدًا ولا ولد له ، ثم أعطوه أخس القسمين من الأولاد : وهو البنات ، وهم لا يرضونها لأنفسهم ، كما قال : ﴿ **ألكم الذكر وله الأنثىٰ تلك إذًا قسمة ضيزىٰ** ﴾ .

وقوله هٰهنا : ﴿ **ويجعلون للَّه البنات سبحانه** ﴾ أي : فمن قولهم وإفكهم : ﴿ **ألا إنهم من إفكهم ليقولون * ولد اللَّه وإنهم لكاذبون * أصطفىٰ البنات علىٰ البنين * ما لكم كيف تحكمون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ولهم ما يشتهون** ﴾ أي : يختارون لأنفسهم الذكور ، ويأنفون لأنفسهم من البنات التي نسبوها إلىٰ اللَّه ، تعالىٰ اللَّه عن قولهم علوًّا كبيرًا . فإنه ﴿ **إذا بشر أحدهم**

---

[١] - في ت : « للأوثان » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « يصلوهم » .
[٤] - في ز : « يجازينهم » .

بالأنثىٰ ظل وجهه مسودًا ﴾ أي : كئيبًا من الهم ﴿ **وهو كظيم** ﴾ ساكت من شدة ما هو فيه من الحزن ﴿ **يتوارىٰ من القوم** ﴾ أي : يكره أن يراه الناس ﴿ **من سوء ما بشر به أيمسكه علىٰ هون أم يدسه في التراب** ﴾ أي : إن أبقاها أبقاها مهانة لا يورثها ولا يعتني بها ، ويفضل أولاده الذكور عليها ﴿ **أم**[١] **يدسه في التراب** ﴾ أي : يئدها ، وهو أن يدفنها فيه[٢] حية ، كما كانوا يصنعون في الجاهلية ، أفمن يكرهونه هذه الكراهة ويأنفون لأنفسهم عنه يجعلونه لله ؟ ﴿ **ألا ساء ما يحكمون** ﴾ أي : بئس ما قالوا ، وبئس ما قسموا ، وبئس ما نسبوا إليه ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلًا ظل وجهه مسودًا وهو كظيم** ﴾ ، وقال هٰهنا : ﴿ **للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء** ﴾ أي : النقص إنما ينسب إليهم ﴿ **ولله المثل الأعلىٰ** ﴾ أي : الكمال المطلق من كل وجه ، وهو منسوب إليه ﴿ **وهو العزيز الحكيم** ﴾ .

وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾

يخبر تعالىٰ عن حلمه بخلقه مع ظلمهم ، وأنه لو يؤاخذهم بما كسبوا ما ترك علىٰ ظهر الأرض من دابة ، أي : لأهلك جميع دواب الأرض تبعًا لإهلاك بني آدم ، ولكن الرب جل جلاله يحلم ويستر ، وينظر .

﴿ **إلىٰ أجل مسمىٰ** ﴾ أي : لا يعاجلهم بالعقوبة ، إذ لو فعل ذلك بهم لما أبقىٰ أحدًا .

قال سفيان الثوري ، عن أبي[٣] إسحاق ، عن أبي الأحوص أنه قال : كاد الجعل أن يعذب بذنب بني آدم ، وقرأ الآية : ﴿ **ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها**[٤] **من دابة** ﴾ . وكذا روىٰ الأعمش ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة قال : قال عبد الله : كاد الجعل أن يهلك في جحره بخطيئة بني آدم .

---

[١] - في ز : « أو » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من خ .
[٤] - في ز، خ : « على ظهرها » .

وقال ابن جرير(١٩) : حدثني محمد بن المثنى ، حدثنا إسماعيل بن حكيم الخزاعي ، حدثنا [محمد بن][١] جابر الحنفي ، عن يحيىٰ بن أبي كثير ، عن أبي سلمة قال : سمع أبو هريرة رجلًا وهو يقول : إن الظالم لا يضر إلا نفسه ، قال : فالتفت إليه فقال : بلىٰ واللَّه حتىٰ إن الحبارىٰ لتموت في وكرها هزالًا[٢] بظلم[٣] الظالم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، أنبأنا الوليد بن عبد الملك بن[٤] عبيد اللَّه ابن مُسرِّح[٥] ، حدثنا سليمان بن عطاء ، عن مسلمة[٦] بن عبد اللَّه ، عن عمه أبي مشجعة بن ربعي ، عن أبي الدرداء رضي اللَّه عنه قال : ذكرنا عند رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال : « **إن اللَّه لا يؤخر شيئًا إذا جاء[٧] أجله ، وإنما زيادة العمر بالذرية الصالحة يرزقها اللَّه العبد ، فيدعون له من بعده فيلحقه دعاؤهم في قبره ، فذلك زيادة العمر** »(٢٠) .

وقوله : ﴿ **ويجعلون للَّه ما يكرهون** ﴾ أي : من البنات ، ومن الشركاء الذين هم عبيده ، وهم يأنفون أن يكون عند أحدهم شريك[٨] له في ماله .

وقوله : ﴿ **وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنىٰ**[٩] ﴾ إنكار عليهم في دعواهم مع ذلك : أن لهم الحسنىٰ في الدنيا ، وإن كان ثم معاد ففيه أيضًا لهم الحسنىٰ ، و[١٠]إخبار عن قيل من قال منهم كقوله[١١] : ﴿ **ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور * ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولنّ [ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور** ﴾ ، وقوله : ﴿ **ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولنّ**][١٢] **هذا لي**

(١٩) - أخرجه الطبرى (١٢٦/١٤) .

(٢٠) - أخرجه العقيلى في الضعفاء الكبير (١٣٤/٢) . وابن عدى في الكامل (١١٣٤/٣) كلاهما من طريق سليمان بن عطاء عن مسلمة بن عبد اللَّه الجهنى عن عمه أبي مشجعة بن ربعى عن أبي الدرداء فذكر نحوه . قال العقيلى : سليمان بن عطاء لا يتابع عليه بهذا اللفظ . وقال : حدثنى آدم بن موسى ، قال : سمعت البخاري ، قال : سليمان بن عطاء سمع مسلمة بن عبد اللَّه ، في حديثه بعض المناكير .

والحديث ذكره الهيثمى في مجمع الزوائد (١٩٨/٧ - ١٩٩) بنحوه ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط وفيه سليمان بن عطاء وهو ضعيف .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في خ : « لظلم » .
[٤] - في ز ، خ : « حدثنا » .
[٥] - في ز : « مشرح » ، خ : « شرح » .
[٦] - في ز ، خ : « سلمة » .
[٧] - في ز : « أجل » .
[٨] - في ز : « شريكًا » .
[٩] - سقط من : ز ، خ .
[١٠] - سقط من : ز .
[١١] - سقط من : ز ، خ .
[١٢] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .

وما أظنّ الساعة قائمة ولئن رجعت إلىٰ ربي إن لي عنده للحسنىٰ فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ ﴾ ، وقوله : ﴿ **أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالًا وولدًا** ﴾ ، وقال إخبارًا عن أحد الرجلين إنه ﴿ **دخل جنته وهو ظالم لنفسه فقال ما أظن أن تبيد هذه أبدًا * وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلىٰ ربي لأجدن خيرًا منها منقلبًا** ﴾ فجمع هؤلاء بين عمل السوء وتمني الباطل بأن يجازوا علىٰ ذلك حسنًا ، وهذا مستحيل ، كما ذكر ابن إسحاق : أنه وجد حجر في أساس الكعبة حين نقضوها ليجددوها مكتوب عليه حكم ومواعظ ؛ فمن ذلك : تعملون[١] السيئات وتجزون الحسنات ؟ أجل كما يجتنى من الشوك العنب .

وقال مجاهد وقتادة : ﴿ **وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنىٰ** ﴾ أي : الغلمان .

وقال ابن جرير : ﴿ **أن لهم الحسنىٰ** ﴾ أي : يوم القيامة . كما قدمنا بيانه [وهو الصواب ولله الحمد].

ولهذا قال تعالىٰ رادًّا عليهم في تمنيهم ذلك[٢] : ﴿ **لا جرم** ﴾ أي : حقًّا لابد منه ﴿ **أن لهم النار** ﴾ أي : يوم القيامة ﴿ **وأنهم مفرطون** ﴾ .

قال مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغيرهم : منسيون فيها مضيعون .

وهذا كقوله تعالىٰ : [﴿ **فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا** ﴾][٣] .

وعن قتادة أيضًا : مفرطون ؛ أي : معجلون إلىٰ النار ، من الفرط وهو السابق إلىٰ الورد ، ولا منافاة ؛ لأنهم يعجل بهم يوم القيامة إلىٰ النار وينسون فيها ، أي : يخلدون .

تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾

---

[١] - في خ : « يعملون » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في خ : « فاليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا » .

يذكر تعالىٰ : أنه أرسل إلىٰ الأمم الخالية رسلًا فكذبت الرسل ، فلك يا محمد في إخوانك من المرسلين أسوة ، فلا يهيدنك تكذيب قومك لك ، وأما المشركون الذين كذبوا الرسل ، فإنما حملهم علىٰ ذلك تزيين الشيطان لهم ما فعلوه ﴿ **فهو وليهم اليوم** ﴾ أي : هم تحت العقوبة والنكال ، والشيطان وليهم ولا يملك لهم خلاصًا ، ولا صريخ لهم ولهم عذاب أليم .

ثم قال تعالىٰ لرسوله : إنه إنما أنزل عليك[١] الكتاب ؛ ليبين للناس الذي يختلفون فيه ، فالقرآن فاصل بين الناس في كل ما يتنازعون فيه ﴿ **وهدىٰ** ﴾ أي : للقلوب[٢] ﴿ **ورحمة** ﴾ أي[٣] : لمن تمسك به ﴿ **لقوم يؤمنون** ﴾ .

وكما جعل سبحانه[٤] القرآن حياة للقلوب الميتة بكفرها ، كذلك يحيي الأرض بعد موتها بما ينزله عليها من السماء من ماء ﴿ **إن في ذلك لآية لقوم يسمعون** ﴾ أي : يفهمون الكلام ومعناه .

وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **وإن لكم** ﴾ أيها الناس ﴿ **في الأنعام** ﴾ وهي الإبل والبقر والغنم ﴿ **لعبرة** ﴾ أي : لآية ودلالة علىٰ [حكمة خالقها وقدرته ورحمته ولطفه] ﴿ **نسقيكم مما في بطونه** ﴾ وأفرد هٰهنا عودًا علىٰ معنىٰ النعم ، أو الضمير عائد علىٰ الحيوان ، فإن الأنعام حيوانات ، أي : نسقيكم مما في بطن هذا الحيوان .

وفي الآية الأخرىٰ ﴿ **مما في بطونها** ﴾ ويجوز هذا وهذا ، كما في قوله تعالىٰ : ﴿ **كلا إنها تذكرة * فمن شاء ذكره** ﴾ ، وفي قوله تعالىٰ : ﴿ **وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون * فلما جاء سليمان** ﴾ أي : المال .

وقوله : ﴿ **من بين فرث ودم لبنًا خالصًا** ﴾ أي : يتخلص الدم بياضه وطعمه وحلاوته من بين فرث ودم في باطن الحيوان ، فيسري كل إلىٰ موطنه إذا نضج الغذاء في معدته ،

---

[١] - في ز : « عليه » . [٢] - في خ : « القلوب » .
[٣] - سقط من : ز . [٤] - في خ : « تعالى » .

تصرف منه دم إلىٰ العروق ، [ولبن إلىٰ الضرع][١] ، وبول إلىٰ المثانة ، وروث إلىٰ المخرج ، وكل منها لا يشوب الآخر ، ولا يمازجه بعد انفصاله عنه ولا يتغير به .

وقوله[٢] : ﴿ **لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين** ﴾ أي : لا يغص [به أحد] .

ولما ذكر اللبن ، وأنه تعالىٰ جعله شرابًا للناس سائغًا ، ثنىٰ بذكر ما يتخذه[٣] الناس من الأشربة من ثمرات النخيل والأعناب ، وما كانوا يصنعونه من النبيذ المسكر قبل تحريمه ، ولهذا امتن به عليهم فقال : ﴿ **ومن ثمرات النخيل والأعناب [تتخذون منه][٤] سكرًا** ﴾ دل علىٰ إباحته شرعًا قبل تحريمه ، ودل علىٰ التسوية بين المسكر[٥] المتخذ من [النخل والمتخذ من العنب] ، كما هو مذهب مالك والشافعي وأحمد وجمهور العلماء ، وكذا حكم سائر الأشربة المتخذة من الحنطة والشعير والذرة والعسل ، كما جاءت السنة بتفصيل ذلك ، وليس هذا موضع بسط ذلك ، كما قال ابن عباس في قوله : ﴿ **سكرًا ورزقًا حسنًا** ﴾ قال : السكر ما حرم من ثمرتيهما ، والرزق الحسن ما أحل من ثمرتيهما . وفي رواية : السكر حرامه ، والرزق الحسن حلاله . يعني : ما يبس منهما من تمر وزبيب ، وما عمل منهما من طلاء - وهو الدبس - وخل[٦] ونبيذ حلال يشرب قبل أن يشتد ، كما وردت السنة بذلك .

﴿ **إن في ذلك لآية لقوم يعقلون** ﴾ ناسب ذكر العقل هٰهنا ؛ فإنه أشرف ما في الإنسان ، ولهذا حرم الله علىٰ هذه الأمة الأشربة المسكرة صيانةً لعقولها ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون * ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون * سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون** ﴾ .

وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾

المراد بالوحي هٰهنا[٧] : الإلهام والهداية والإرشاد إلى النحل أن تتخذ من الجبال بيوتًا تأوي

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز ، خ : « يتخذ » .
[٤] - في ز ، خ : « تتخذونه » .
[٥] - في ز : « السكر » .
[٦] - في ز : « الخل » .
[٧] - في خ : هنا .

إليها ، ومن الشجر ومما يعرشون ، ثم هي محكمة في غاية الإتقان في تسديسها ورصها ، بحيث لا يكون بينها خلل .

ثم أذن لها تعالىٰ إذنًا قدريًا تسخيريًا أن[١] تأكل من كل الثمرات ، وأن تسلك الطرق التي جعلها اللَّه تعالىٰ مذللة لها ، أي : سهلة عليها حيث شاءت في هذا الجو العظيم ، والبراري الشاسعة ، والأودية والجبال الشاهقة ، ثم تعود كل واحدة منها[٢] إلىٰ [موضعها و][٣] بيتها ، لا تحيد عنه يمنة ولا يسرة ، بل إلىٰ بيتها وما لها فيه من فراخ وعسل ، فتبني الشمع من أجنحتها ، وتقيء العسل من فيها ، وتبيض الفراخ من دبرها ، ثم تصبح إلىٰ مراعيها .

وقال قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ﴿ **فاسلكي سبل ربك ذللًا** ﴾ أي : مطيعة . فجعلاه حالًا[٤] من السالكة ، قال ابن زيد : وهو كقول اللَّه تعالىٰ : ﴿ **وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون** ﴾ قال : ألا ترىٰ أنهم[٥] ينقلون النحل ببيوته[٦] من بلد إلىٰ بلد وهو يصحبهم ؟ .

والقول الأول [هو الأظهر][٧] ، وهو أنه حال من الطريق ، أي : فاسلكيها مذللة لك ، نص عليه مجاهد ، وقال ابن جرير : كلا القولين صحيح .

وقد قال أبو يعلى الموصلي(٢١) : حدثنا شيبان بن فروخ ، حدثنا سُكين[٨] بن عبد العزيز ، عن أبيه ، عن أنس قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **عمر الذباب أربعون يومًا ، والذباب كله في النار إلا النحل** » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس** ﴾ أي[٩] ما بين أبيض وأصفر وأحمر ، وغير ذلك من الألوان الحسنة ، علىٰ اختلاف مراعيها ومأكلها منها .

وقوله : ﴿ **فيه شفاء للناس** ﴾ أي : في العسل شفاء للناس ، من أدواء تعرض لهم .

---

(٢١) - أخرجه أبو يعلى (٧/٢٣٠ ، ٢٧١) حديث (٤٢٣١ ، ٤٢٩٠) . قال الهيثمي في المجمع (٤٤/٤) : رواه أبو يعلى ورجاله ثقات .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ت .
[٤] - في ز : « خالها » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « من بيوته » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز : « أظهر » .
[٨] - في خ : « مسكين » .
[٩] - زيادة من : ز .

قال بعض من تكلم علىٰ الطب النبوي : لو قال : فيه الشفاء للناس ، لكان دواء لكل داء ، ولكن قال : ﴿ **فيه شفاء للناس** ﴾ أي يصلح لكل أحد من أدواء باردة فإنه حار ، والشيء يداوى بضده .

وقال مجاهد بن جبر في قوله : ﴿ **فيه شفاء للناس** ﴾ يعني : القرآن .

وهذا قول صحيح في نفسه ، ولكن ليس هو الظاهر هٰهنا من سياق الآية ؛ فإن الآية إنما ذكر فيها العسل ، ولم يتابع مجاهد علىٰ قوله هٰهنا ، وإنما الذي قاله ذكروه في قوله تعالىٰ : ﴿ **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين** ﴾ الآية ، وقوله تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدىً ورحمة للمؤمنين** ﴾ ، والدليل علىٰ أن المراد بقوله تعالىٰ : ﴿ **فيه شفاء للناس** ﴾ هو العسل ؛ الحديث الذي رواه البخاري ومسلم(٢٢) في صحيحيهما من رواية قتادة ، عن أبي المتوكل علي بن داود الناجي ، عن أبي سعيد الخدري - رضي اللّٰه عنه - : جاء رجلٌ إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقال : إن أخي استطلق بطنه . فقال : « **اسقه عسلًا** » فذهب[١] فسقاه عسلًا ثم جاء ، فقال : يا رسول اللّٰه ، سقيته عسلًا فما زاده إلا استطلاقًا . قال : « **اذهب فاسقه عسلًا** » فذهب فسقاه[٢] عسلًا[٣] ثم جاء ، فقال : يا رسول اللّٰه ، ما زاده إلا استطلاقًا . فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **صدق اللّٰه وكذب بطن أخيك ، اذهب فاسقه عسلًا** » . فذهب فسقاه عسلًا[٤] فبرأ .

قال بعض العلماء بالطب : كان هذا الرجل عنده فضلات ، فلما سقاه عسلًا وهو حار تحللت ، فأسرعت في الاندفاع [فزاده إسهالًا][٥] ، فاعتقد الأعرابي أن هذا يضره وهو مصلحة لأخيه ثم سقاه فازداد التحليل والدفع ، ثم سقاه فكذلك ، فلما اندفعت الفضلات الفاسدة المضرة بالبدن استمسك بطنه ، وصلح مزاجه ، واندفعت الأسقام والآلام ، ببركة إشارته عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام .

وفي الصحيحين(٢٣) : من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي اللّٰه

---

(٢٢) - أخرجه البخاري في كتاب الطب ، باب : الدواء بالعسل ، وقول اللّٰه عز وجل : ﴿ **فيه شفاء للناس** ﴾ ، حديث (٥٦٨٤) (١٣٩/٩) وطرفه في (٥٧١٦) . ومسلم في كتاب السلام ، باب : التداوى بسقى العسل ، حديث (٢٢١٧/٩١) (٢٩٢/١٤ - ١٩٣) .

(٢٣) - أخرجه البخاري في كتاب الأشربة ، باب : شراب الحلواء والعسل ، حديث (٥٦١٤) =

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « فسقى » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين في خ : « إسهاله » .

عنها : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كان يعجبه الحلواء والعسل .هذا لفظ البخاري .

وفي صحيح البخاري(٢٤) : من حديث سالم الأفطس ، عن سعيد[١] [بن جبير][٢] ، عن ابن عباس قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : الشفاء في ثلاثة : في شرطة محجم ، أو شربة عسل ، أو كية بنار ، وأنهى أمتي عن الكي » .

وقال البخاري(٢٥) : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا عبد الرحمن بن الغسيل ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، سمعت جابر بن عبد اللّٰه قال : سمعت[٣] رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « **إن كان في شيء من أدويتكم أو يكون في شيء من أدويتكم خير : ففي شرطة محجم ، أو شربة عسل ، أو لذعة بنار توافق الداء ، وما أحب أن أكتوي** » .

ورواه مسلم(٢٦) : من حديث عاصم بن عمر بن قتادة ، عن جابر به[٤] .

وقال الإمام أحمد(٢٧) : حدثنا علي بن إسحاق ، أنبأنا عبد اللّٰه ، أنبأنا سعيد بن أبي أيوب ، حدثنا عبد [اللّٰه بن][٥] الوليد ، عن أبي الخير ، عن عقبة بن عامر الجهني قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ثلاث إن كان في شيء شفاء : فشرطة محجم ، أو شربة عسل ، أو كية تصيب ألمًا ، وأنا أكره الكي ولا أحبه** » .

ورواه الطبراني: عن هارون بن ملول[٦] المصري ، عن أبي عبد الرحمن المقرئ ، عن

= (١٠/٧٨) وأطرافه في (٥٢٦٨ ، ٥٤٣١ ، ٥٥٩٩ ، ٥٦٨٢ ، ٦٩٧٢) . ومسلم في كتاب الطلاق ، باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق ، حديث (١٤٧٤/٢١) (١٠/١٠٩ - ١١٠) .

(٢٤) - أخرجه البخاري في كتاب الطب ، باب : الشفاء في ثلاث ، حديث (٥٦٨٠) (١٠/١٣٦) ، طرفه في (٥٦٨١) .

(٢٥) - أخرجه البخاري في كتاب الطب ، باب الدواء بالعسل وقول اللّٰه تعالى : ﴿ **فيه شفاء للناس** ﴾ ، حديث (٥٦٨٣) (١٠/١٣٩) ، وطرفه في (٥٦٩٧ ، ٥٧٠٢ ، ٥٧٠٤) .

(٢٦) - أخرجه مسلم في كتاب السلام ، باب : لكل داء دواء واستحباب التداوى ، حديث (٢٢٠٥/٧١) (١٤/٢٧٧) .

(٢٧) - أخرجه أحمد (٤/١٤٦) (١٧٣٦٣) . والطبراني (١٧/٢٨٨ - ٢٨٩) حديث (٧٩٦) . وعبد اللّٰه بن الوليد بن قيس : لين الحديث ، ضعفه الدارقطني فقال : لا يعتبر به . وذكره ابن حبان في الثقات . « التهذيب ٦/٦٩» . والحديث أخرجه أيضًا أبو يعلى في مسنده (٣/٣٠٠) حديث (١٧٦٥) . وقال =

---

[١] - في ز ، خ : « مجاهد » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « بن جبر » .

[٣] - في خ : « قال » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٦] - في ز ، خ : « سلول » .

عبد اللَّه بن الوليد به ، ولفظه : « **إن كان في شيء شفاء : فشرطة محجم** » وذكره وهذا إسناد صحيح ولم يخرجوه .

وقال الإِمام أبو عبد اللَّه محمد بن يزيد بن ماجة القزويني في سننه(٢٨) : حدثنا علي بن سلمة هو اللبقي[١] - حدثنا زيد بن الحباب ، حدّثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد اللَّه - هو ابن مسعود - قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **عليكم بالشفاءين ؛ [العسل والقرآن]** » .

و[٢]هذا إسناد جيد ، تفرد بإخراجه ابن ماجة مرفوعًا ، وقد رواه ابن جرير(٢٩) عن سفيان ابن وكيع ، عن أبيه ، عن سفيان - هو الثوري - به موقوفًا ولهو أشبه .

وروينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه أنه قال : إذا أراد أحدكم الشفاء فليكتب آية من كتاب اللَّه في صحفة ، وليغسلها بماء السماء وليأخذ من امرأته درهمًا عن[٣] طيب نفس منها فليشتر به عسلًا ، فليشربه بذلك فإنه شفاء أي : من وجوه ؛ قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين** ﴾ ، و[٤]قال : ﴿ **ونزلنا من السماء ماء مباركًا** ﴾ ، وقال : ﴿ **فإن طبن لكم عن شيء منه نفسًا فكلوه هنيئًا مريئًا** ﴾ ، وقال في العسل : ﴿ **فيه شفاء للناس** ﴾ . وقال ابن ماجة(٣٠) أيضًا : حدثنا محمود بن خداش ، حدثنا سعيد بن زكريا القرشي[٥] ، حدثنا الزبير بن سعيد الهاشمي ، عن عبد الحميد بن سالم ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **من لعق العسل ثلاث غدوات في[٦] كل شهر لم يصبه عظيم من البلاء** » . الزبير بن سعيد[٧] متروك[٨] .

= الهيثمي في المجمع (٥/٩٤) : رواه أحمد ، وأبو يعلى ، والطبراني في الكبير والأوسط ، ورجاله رجال الصحيح ، خلا عبد الله ابن الوليد بن قيس وهو ثقة .

(٢٨) - أخرجه ابن ماجة في كتاب الطب ، باب : العسل ، حديث (٣٤٥٢) (٢/١١٤٢) . قال البوصيري في الزوائد : إسناده صحيح ، رجاله ثقات . قال الألباني في ضعيف ابن ماجة برقم (٧٥٦) : ضعيف والصحيح موقوف . وانظر السلسلة الضعيفة له - حفظه اللَّه (٤/٢٣) برقم (١٥١٤) .

(٢٩) - أخرجه الطبرى (١٤/١٤١) .

(٣٠) - أخرجه ابن ماجه في كتاب الطب ، باب : العسل ، حديث (٣٤٥٠) (٢/١١٤٢) . قال البوصيري في الزوائد : إسناده لين ومع ذلك فهو منقطع ، قال البخاري : لا نعلم لعبد الحميد سماعًا من أبي هريرة .

[١] - في ز : « الملقي » ، خ : « المقلي » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « من » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز ، خ : « المقري » .
[٦] - في خ : « من » .
[٧] - في ز ، خ : « سعد » .
[٨] - في خ : « متروكًا » .

وقال ابن ماجة أيضًا(٣١) : حدثنا إبراهيم بن محمد بن يوسف بن سرح الفريابي[١] ، حدثنا عمرو بن بكر السكسكي ، حدثنا إبراهيم بن أبي عبلة[٢] ؛ سمعت أبا أبيّ بن أم حرام - وكان قد صلىٰ القبلتين - يقول : سمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « **عليكم بالسنا والسنوت ؛ فإن فيهما شفاء من كل داء إلا السام** » . قيل : يا رسول اللّٰه وما السام ؟ قال : « **الموت** » .

قال عمرو ، قال ابن أبي عبلة[٣] : السنوت الشبت . وقال آخرون : بل هو العسل الذي يكون[٤] في زقاق السمن وهو قول الشاعر :

هُمُ السمن بالسنُّوت لا ألس[٥] فيهمُ وهـمْ يمنعون الجار أن يتقردا[٦]

كذا رواه ابن ماجة ، وقوله : لا ألس[٧] فيهم ، أي : لا خلط ، وقوله : يمنعون الجار أن يتقردا أي : يضطهد ويظلم .

وقوله : ﴿ **إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون** ﴾ أي : إن في إلهام اللّٰه لهذه الدواب الضعيفة الخلقة ، إلىٰ السلوك في هذه المهامة[٨] ، والاجتناء[٩] من سائر الثمار ، ثم جمعها للشمع والعسل وهو من أطيب الأشياء - لآية لقوم يتفكرون في عظمة خالقها ومقدرها ومسخرها وميسرها ، فيستدلون بذلك علىٰ أنه القادر الحكيم ، العليم الكريم الرحيم .

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾

يخبر تعالىٰ عن تصرفه في عباده ، وأنه هو الذي[١٠] أنشأهم من العدم ، ثم بعد ذلك يتوفاهم ، ومنهم من يتركه حتىٰ يدركه الهرم : وهو الضعف في الخلقة ، كما قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **اللّٰه الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة**

(٣١) - أخرجه ابن ماجة في كتاب الطب ، باب : السنا والسنوت ، حديث (٣٤٥٧) (١١٤٢/٢) .
قال البوصيري في الزوائد : في إسناده عمرو بن بكر السكسكي ، قال فيه ابن حبان : روىٰ عن إبرهيم بن أبي عبلة الأوابد والطامات لا يحل الاحتجاج به لكن قال الحاكم : إنه إسناد صحيح .

[١] - في خ : « الفرياني » .
[٢] - في ز ، خ : « عميلة » .
[٣] - في ز ، خ : « علية » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « ألسن » .
[٦] - في ز : « يتفرد » .
[٧] - في ز : « ألسن » .
[٨] - في خ : « المهانة » .
[٩] - في ز : « الاجتذاء » .
[١٠] - سقط من : ز ، خ .

ضعفًا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير ﴾ .

وقد روي عن علي رضي اللّٰه عنه **﴿ في أرذل العمر ﴾** قال[١] : خمس وسبعون سنة . وفي هذا السن يحصل له ضعف القوىٰ ، والخرف ، وسوء الحفظ ، وقلة العلم ؛ ولهذا قال : **﴿ لكيلا يعلم بعد علم شيئًا ﴾** أي : بعد ما كان عالمًا أصبح لا يدري شيئًا من الفند[٢] والخرف[٣] ؛ ولهذا روىٰ البخاري(٣٢) عند تفسير هذه الآية :

حدثنا موسىٰ بن إسماعيل ، حدثنا [هارون بن موسىٰ][٤] أبو عبد اللّٰه الأعور ، عن شعيب ، عن أنس بن مالك ، أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كان يدعو : « **أعوذ بك من البخل والكسل والهرم ، وأرذل العمر ، وعذاب القبر ، وفتنة الدجال ، وفتنة المحيا والممات** » ورواه[٥] [ ][٦] وقال زهير بن أبي سلمىٰ في معلقته المشهورة :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين عامًا لا أبا لك يسأمِ
رأيت المنايا[٧] خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطئ يعمَّر فيهرمِ

وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾

يبين تعالىٰ للمشركين جهلهم وكفرهم فيما زعموه للّٰه من الشركاء ، وهم يعترفون[٨] أنها عبيد له ، كما كانوا يقولون في تلبيتهم[٩] في حجهم : لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك . فقال تعالىٰ منكرًا عليهم : إنكم[١٠] لا ترضون أن تساووا عبيدكم فيما رزقناكم ، فكيف يرضىٰ هو تعالىٰ بمساواة عبيده[١١] له في الإلهية والتعظيم ، كما قال في الآية الأخرىٰ : **﴿ ضرب لكم مثلًا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم ﴾** الآية .

---

(٣٢) – أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : **﴿ ومنكم من يرد إلى أرذل العمر ﴾** ، حديث (٤٧٠٧) (٣٨٧/٨ – ٣٨٨) .

---

[١] – زيادة من : ز .
[٢] – في خ : « العبد » .
[٣] – في ز : « الخرفه » .
[٤] – في خ: « موسى بن هارون بن موسى » .
[٥] – سقط من : ت .
[٦] – ما بين المعكوفتين بياض في ز .
[٧] – في ز : « المنى » .
[٨] – في ز : « يعرفون » .
[٩] – في ز : « تلبياتهم » .
[١٠] – في ت : « أنتم » .
[١١] – في ت : « عبيد » .

قال العوفي ، عن ابن عباس في هذه الآية : يقول لم يكونوا ليشركوا عبيدهم في أموالهم ونسائهم ، فكيف يشركون عبيدي معي في سلطاني ، فذلك قوله : ﴿ **أفبنعمة الله يجحدون** ﴾ .

وقال في الرواية الأخرىٰ عنه : فكيف ترضون لي[١] ما لا ترضون لأنفسكم .

وقال مجاهد في هذه الآية : هذا مثل للآلهة[٢] الباطلة[٣] .

وقال قتادة : هذا مثل ضربه الله : فهل منكم من أحد شاركه[٤] مملوكه في زوجته وفي فراشه ، فتعدلون[٥] بالله خلقه وعباده ؟ فإن لم ترض لنفسك هذا فالله أحق أن ينزه منك .

وقوله : ﴿ **أفبنعمة الله يجحدون** ﴾ أي : أنهم جعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبًا ، فجحدوا نعمته وأشركوا معه غيره .

وعن الحسن البصري قال : كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذه الرسالة إلىٰ أبي موسىٰ الأشعري : واقنع برزقك من الدنيا ، فإن الرحمن فضل بعض عباده علىٰ بعض في الرزق ، بل يبتلي به كلًّا فيبتلي من بسط له كيف شكرُهُ لله ، وأداؤه الحق الذي افترض عليه فيما رزقه وخوله . رواه[٦] ابن أبي حاتم .

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾

يذكر تعالىٰ نعمه علىٰ عبيده ، بأن جعل لهم من أنفسهم أزواجًا من جنسهم وشكلهم ، ولو جعل الأزواج من نوع آخر لما حصل [ائتلاف ومودّة ورحمة] ، ولكن من رحمته خلق من بني آدم ذكورًا وإناثًا ، وجعل الإناث أزواجًا للذكور[٧] .

ثم ذكر تعالىٰ أنه جعل من الأزواج البنين والحفدة وهم أولاد البنين . قاله ابن عباس وعكرمة والحسن والضحاك وابن زيد .

قال شعبة عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ **بنين وحفدة** ﴾ هم[٨]

---

[١] - في خ : « في » .
[٢] - في خ : « الآلهة » .
[٣] - في ز ، خ : « الباطل » .
[٤] - في ز : « يشارك » .
[٥] - في خ : « فيعدلون » .
[٦] - في ز ، خ : « ورواه » .
[٧] - في خ : « للذكر » .
[٨] - في خ : وهم .

الولد وولد الولد .

وقال سنيد : حدثنا حجاج ، عن أبي بكر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال بنوك حين يحفدونك ويرفدونك ويعينونك ويخدمونك . قال جميل :

حفد الولائد حولهن وأسلمت بأكفهن أزمة الأجمال

وقال مجاهد : ﴿ **بنين وحفدة** ﴾ : ابنه وخادمه . وقال في رواية : الحفدة : الأنصار والأعوان والخدام . وقال طاوس : الحفدة الخدم . وكذا قال قتادة وأبو مالك والحسن البصري .

وقال[١] عبد الرزاق : أنبأنا معمر ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة أنه قال : الحفدة مَنْ خدمك مِنْ ولدك وولد ولدك .

وقال الضحاك : إنما كانت العرب يخدمها بنوها .

وقال العوفي : عن ابن عباس قوله : ﴿ **وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة** ﴾ يقول : بنو امرأة الرجل ليسوا منه . ويقال : الحفدة الرجل يعمل بين يدي الرجل . يقال : فلان [يحفد لنا][٢] أي[٣] : [يعمل لنا][٤] . قال : وزعم[٥] رجال أن الحفدة أختان الرجل .

وهذا الأخير الذي ذكره ابن عباس قاله ابن مسعود ومسروق وأبو الضحىٰ وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبير ومجاهد والقرظي[٦] ، ورواه عكرمة عن ابن عباس .

وقال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس : هم الأصهار .

قال ابن جرير : وهذه الأقوال كلها داخلة في معنى الحفد . وهو الخدمة ، الذي منه قوله في القنوت : وإليك نسعىٰ ونحفد . ولما كانت الخدمة قد تكون من الأولاد [والخدام والأصهار] ، فالنعمة حاصلة بهذا كله ، ولهذا قال : ﴿ **وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة** ﴾ قلت : فمن جعل ﴿ **وحفدة** ﴾ متعلقًا بأزواجكم فلابد أن يكون المراد : الأولاد وأولاد الأولاد ، أو[٧] الأصهار ؛ لأنهم أزواج البنات أو[٨] أولاد الزوجة . و[٩]كما قال الشعبي والضحاك ، فإنهم [يكونون غالبًا] تحت كنف الرجل وفي حجره وفي خدمته ،

---

[١] - مكانها بياض في ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٥] - في ز : « يزعم » .
[٦] - في ز ، خ : « القرطبي » .
[٧] - في ز ، خ : « و » .
[٨] - في ز ، خ : « و » .
[٩] - سقط من : ز .

وقد يكون هذا هو المراد من قوله عليه الصلاة[١] والسلام في حديث بصرة[٢] بن أكثم : « **والولد عبد لك** » رواه أبو داود(٣٣) .

وأما من جعل الحفدة هو[٣] الخدم فعنده أنه معطوف على قوله : ﴿ **والله جعل لكم من أنفسكم أزواجًا** ﴾ أي : وجعل لكم الأزواج والأولاد .

[وقوله : ﴿ **ورزقكم من الطيبات** ﴾ أي][٤] : من المطاعم والمشارب .

ثم قال تعالى منكرًا على من أشرك في[٥] عبادة المنعم غيره : ﴿ **أفبالباطل يؤمنون** ﴾ وهم [الأنداد والأصنام] ﴿ **وبنعمة الله هم يكفرون** ﴾ أي[٦] يسترون نعم الله عليهم، ويضيفونها إلى غيره .

وفي الحديث الصحيح(٣٤) : « **أن الله يقول للعبد يوم القيامة ممتنًا عليه : ألم أزوجك ؟ ألم أكرمك ؟ ألم أسخر لك الخيل والإبل**[٧] **، وأذرك ترأس وتربع ؟** » .

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾

يقول تعالى إخبارًا عن المشركين الذين عبدوا معه غيره ، مع أنه هو المنعم المتفضل الخالق الرازق وحده لا شريك له ، ومع هذا يعبدون من دونه من الأصنام والأنداد والأوثان ﴿ **ما لا يملك لهم رزقًا من السموات والأرض شيئًا** ﴾ أي : لا يقدر على إنزال مطر ، ولا إنبات زرع ولا شجر ، ولا يملكون ذلك لأنفسهم[٨] ، أي : ليس لهم ذلك ، ولا يقدرون عليه لو أرادوه ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ **فلا تضربوا لله الأمثال** ﴾ أي : [لا تجعلوا][٩] له أندادًا

(٣٣) - السنن ، كتاب النكاح ، باب : في الرجل يتزوج المرأة فيجدها حبلى ، حديث (٢١٣١) (٢/٢٤١ - ٢٤٢) . والحديث ضعفه الألباني في ضعيف أبي داود برقم (٤٦٥) .

(٣٤) - أخرجه مسلم في حديث طويل ، في كتاب الزهد والرقائق ، حديث (١٦/٢٩٦٨) (١٨/١٣٦ - ١٣٨) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في ز : « نصرة » .
[٣] - سقط من : ت .
[٤] - في ز ، خ : « ورزقكم من طيبات الرزق » .
[٥] - في خ : « من » .
[٦] - سقط من : ت .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - سقط من : ز ، خ .
[٩] - في ز ، خ : « تجعلون » .

وأشباهًا وأمثالًا ﴿ **إن اللّٰه يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾ أي : أنه يعلم ويشهد أنه لا إله إلا هو ، وأنتم بجهلكم[١] تشركون به غيره .

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾

قال العوفي ، عن ابن عباس : هذا مثل ضربه اللّٰه للكافر والمؤمن . وكذا قال قتادة ، واختاره ابن جرير ، فالعبد[٢] المملوك الذي لا يقدر علىٰ شيء مثل الكافر ، والمرزوق الرزق الحسن فهو ينفق منه سرًّا وجهرًا هو المؤمن . وقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : هو مثل مضروب للوثن وللحق[٣] تعالىٰ ، فهل يستوي هذا وهذا .

ولما كان الفرق ما[٤] بينهما [ظاهرًا واضحًا بينًا] ، لا يجهله[٥] إلا كل غبي ، قال اللّٰه[٦] تعالىٰ : ﴿ **الحمد للّٰه بل أكثرهم لا يعلمون** ﴾

وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾

قال مجاهد : وهذا أيضًا المراد به الوثن والحق تعالىٰ . يعني : أن الوثن أبكم لا يتكلم ولا ينطق بخير ولا بشيء ، ولا يقدر علىٰ شيء بالكلية ، فلا مقال ولا فعال ، وهو مع هذا كَلٌّ ، أي عيال وكلفة علىٰ مولاه ﴿ **أينما يوجهه** ﴾ أي[٧] : يبعثه ﴿ **لا يأت بخير** ﴾ ولا ينجح مسعاه ﴿ **هل يستوي** ﴾ من هذه صفاته ﴿ **ومن يأمر بالعدل** ﴾ أي : بالقسط ، فمقاله حق وفعاله مستقيمة ﴿ **وهو علىٰ صراط مستقيم** ﴾ [وقيل : الأبكم مولىٰ لعثمان][٨] . وبهذا قال السدي وقتادة وعطاء الخراساني ، واختار هذا القول ابن جرير .

---

[١] - في ز ، خ : « لجهلكم » .
[٢] - في ز ، خ : « والعبد » .
[٣] - في ز ، خ : « والحق » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في خ : « تجهله » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ت .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : هو مثل للكافر والمؤمن أيضًا كما تقدم .

وقال[١] ابن جرير(٣٥) : حدثنا الحسن بن الصباح البزار[٢] ، حدثنا يحيىٰ بن إسحاق السيلحيني ، حدثنا حماد ، حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن إبراهيم ، عن عكرمة ، عن يعلى بن أمية ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **ضرب الله مثلًا عبدًا مملوكًا لا يقدر علىٰ شيء** ﴾ قال[٣] : نزلت في رجل من قريش وعبده . [يعني قوله : ﴿ **عبدًا مملوكًا** ﴾ الآية][٤] . وفي قوله : [﴿ **وضرب الله**][٥] **مثلًا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء**][٦] ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **وهو علىٰ صراط مستقيم** ﴾ قال : هو عثمان بن عفان . قال : والأبكم الذي أينما يوجهه لا يأت بخير - قال - هو مولىٰ لعثمان بن عفان ، كان عثمان ينفق عليه ويكفله ويكفيه المؤنة ، وكان الآخر يكره الإسلام ويأباه ، وينهاه عن الصدقة والمعروف ، فنزلت فيهما .

وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾

يخبر تعالىٰ عن كمال[٧] علمه[٨] وقدرته علىٰ الأشياء ، في علمه غيب السموات والأرض واختصاصه [بعلم الغيب][٩] ، فلا اطلاع لأحد علىٰ ذلك إلا أن يطلعه تعالىٰ علىٰ ما يشاء ، وفي قدرته التامة التي لا تخالف ولا تمانع ، وأنه إذا أراد شيئًا فإنما يقول له : كن فيكون ، كما قال : ﴿ **وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر** ﴾ أي : فيكون ما يريد كطرف

(٣٥) - أخرجه الطبرى (١٥١/١٤) .

[١] - بياض في ز .
[٢] - في ز : « البزاز » .
[٣] - زيادة من : ت .
[٤] - ما بين المعكوفتين زيادة في : ت .
[٥] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ت .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٧] - في خ : « كماله » .
[٨] - زيادة في : ت .
[٩] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « بذلك » .

العين ، وهكذا قال هاهنا : ﴿ **وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن اللَّه علىٰ كل شيء قدير** ﴾ ، كما قال : ﴿ **ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة** ﴾ . ثم ذكر تعالىٰ منته علىٰ عباده : في إخراجه إياهم من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئًا ؛ ثم بعد هذا يرزقهم تعالى السمع الذي به يدركون الأصوات ، والأبصار [التي بها يحسنون][1] المرئيات ، والأفئدة : وهي العقول التي مركزها القلب علىٰ الصحيح ، وقيل : الدماغ ، والعقل به يميز بين الأشياء ضارّها ونافعها ، وهذه القوىٰ والحواس تحصل للإنسان علىٰ التدريج قليلًا قليلًا ، كلما كبر زيد في سمعه وبصره وعقله[2] ، حتىٰ يبلغ أشده . وإنما جعل تعالىٰ هذه في الإنسان ليتمكن بها من عبادة ربه تعالىٰ ، فيستعين بكل جارحة وعضو وقوّة علىٰ طاعة مولاه ، كما جاء في صحيح البخاري(٣٦) عن أبي هريرة ، عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه قال : « **يقول اللَّه**[3] **تعالىٰ : من عادىٰ لي وليًا فقد بارزني بالحرب ، وما تقرب إليَّ عبدي [بشيء أفضل من]**[4] **أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتىٰ أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه**[5] **، ولئن دعاني لأجيبنه**[6] **ولئن استعاذ بي لأعيذنه ، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن ، يكره الموت وأكره مساءته ، ولابد له منه** » .

فمعنىٰ الحديث : أن العبد إذا أخلص الطاعة صارت أفعاله كلها للَّه عز وجل ، فلا يسمع إلا للَّه ، ولا يبصر إلا للَّه ، أي : ما شرعه اللَّه له ، ولا يبطش ولا يمشي إلا في طاعة اللَّه عز وجل ، مستعينًا باللَّه في ذلك كله ؛ ولهذا جاء في رواية بعض الحديث في غير الصحيح بعد قوله : « **ورجله التي يمشي بها فبي يسمع ، وبي يبصر ، وبي يبطش ، وبي يمشي** » ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون** ﴾ [كقوله تعالىٰ] في الآية الأخرىٰ : ﴿ **قل**[7] هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلًا ما تشكرون * قل : هو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون ﴾ .

ثم نبه تعالىٰ عباده إلىٰ النظر إلىٰ الطير المسخر بين السماء والأرض ، كيف جعله يطير بجناحين[8] بين السماء والأرض في جو السماء ، ما يمسكه هناك إلا اللَّه بقدرته تعالىٰ ،

(٣٦) - أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب التواضع ، حديث (٦٥٠٢) (١١/٣٤٠ - ٣٤١) .

[1] - في ز : « اللاتي بها يحسنون » .
[2] - في ز ، خ : « وقوى عقله » .
[3] - سقط من : ت .
[4] - في ز ، خ : « بمثل » .
[5] - في خ : « لأعطيته » .
[6] - في ز ، خ : « لأجبته » .
[7] - سقط من : ز ، خ .
[8] - في ز : « بجناحيه » .

الذي جعل فيها قوىٰ تفعل[١] ذلك ، وسخر الهواء يحملها ، [وسير الطير كذلك][٢] ، كما قال تعالىٰ في سورة الملك : ﴿ **أو لم يروا إلىٰ الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شيء بصير** ﴾ وقال هٰهنا : ﴿ **إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون** ﴾ .

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾

يذكر تبارك وتعالىٰ تمام نعمه علىٰ عبيده ، بما جعل لهم من البيوت التي هي سكن لهم يأوون إليها ، ويستترون بها ، وينتفعون بها سائر وجوه الانتفاع ، وجعل لهم أيضًا من جلود الأنعام بيوتًا أي : من الأدم يستخفون حملها في أسفارهم ليضربوها لهم في إقامتهم في السفر والحضر[٣] ؛ ولهذا قال : ﴿ **تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها** ﴾ أي : الغنم ﴿ **وأوبارها** ﴾ أي : الإبل ﴿ **وأشعارها** ﴾ أي : المعز ، والضمير عائد علىٰ الأنعام ﴿ **أثاثًا** ﴾ أي : تتخذون منه أثاثًا : وهو المال ، وقيل : المتاع ، وقيل : الثياب ، والصحيح أعم من هذا كله ، فإنه يتخذ من[٤] الأثاث البسط والثياب وغير ذلك ، ويتخذ مالًا وتجارة .

وقال[٥] ابن عباس : الأثاث : المتاع . وكذا قال مجاهد وعكرمة ، وسعيد بن جبير والحسن ، وعطية العوفي وعطاء الخراساني ، والضحاك وقتادة .

---

[١] - في خ : « شغل » ، والمثبت هو الصواب .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « يسر الطير لذلك » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز : « منه » .

[٥] - في خ : « قال » .

وقوله : ﴿ **إلىٰ حين** ﴾ أي : إلىٰ أجل مسمىٰ ووقت[١] معلوم .

وقوله : ﴿ **والله جعل لكم مما خلق ظلالاً** ﴾ قال قتادة : يعني الشجر .

﴿ **وجعل لكم من الجبال أكنانًا** ﴾ [أي : حصونًا][٢] ومعاقل ، كما ﴿ **جعل لكم سرابيل تقيكم الحر** ﴾ وهي : الثياب من القطن والكتان والصوف ﴿ **وسرابيل تقيكم بأسكم** ﴾ كالدروع من الحديد المصفح والزرد وغير ذلك ﴿ **كذلك يتم نعمته عليكم** ﴾ أي: هكذا يجعل لكم ما تستعينون به علىٰ أمركم وما تحتاجون إليه ؛ ليكون عونًا لكم علىٰ طاعته وعبادته ﴿ **لعلكم تسلمون** ﴾ .

هكذا فسره الجمهور وقرءوه بكسر اللام من ﴿ **تسلمون** ﴾ أي[٣] : من الإسلام .

و[٤]قال قتادة [في قوله : ﴿ **كذلك**][٥]**يتم نعمته عليكم [لعلكم تسلمون]**[٦] ﴾ هذه السورة تسمىٰ سورة النعم .

وقال عبد الله بن المبارك وعباد بن[٧] العوام بن حنظلة السدوسي ، عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس : أنه كان [يقرؤها ﴿ **تسلمون** ﴾][٨] [بفتح اللام . يعني : من الجراح] . رواه أبو عبيد القاسم بن سلام ، عن عباد ، وأخرجه ابن جرير من الوجهين[٩] وردّ[١٠] هذه القراءة .

وقال عطاء الخراساني : إنما نزل القرآن علىٰ قدر معرفة العرب ، ألا ترىٰ إلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ **والله**[١١] **جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكنانًا** ﴾ وما جعل من السهل أعظم[١٢] وأكثر ، ولكنهم كانوا أصحاب جبال ؟ ألا ترىٰ إلىٰ قوله : ﴿ **ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثًا ومتاعًا إلىٰ حين** ﴾ وما جعل لهم[١٣] من غير ذلك أعظم منه[١٤] وأكثر ، ولكنهم كانوا أصحاب وبر وشعر ؟ ألا ترىٰ إلىٰ قوله : ﴿ **وينزل من**

---

[١] - في ز ، خ : « إلى وقت » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ت .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٧] - في ز ، خ : « عن » .
[٨] - ما بين المعكوفتين في ز : « تسلمون » ، خ : « يسلمون » .
[٩] - في خ : « وجهين » .
[١٠] - في ز ، خ : « بورود » .
[١١] - سقط من : خ .
[١٢] - في ز : « الأعظم » .
[١٣] - في ز : « لكم » .
[١٤] - زيادة من : ز .

السماء من جبال فيها من برد ﴾ لعجبهم من ذلك ، وما أنزل من الثلج أعظم وأكثر ، ولكنهم كانوا لا يعرفونه ؟ ألا ترىٰ إلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ **سرابيل تقيكم الحر** ﴾ وما تقي[١] من البرد أعظم وأكثر ، ولكنهم كانوا أصحاب حر .

وقوله : ﴿ **فإن تولوا** ﴾ أي : بعد هذا البيان وهذا الامتنان فلا عليك منهم ﴿ **فإنما عليك البلاغ المبين** ﴾ وقد أدّيته إليهم .

﴿ **يعرفون نعمة اللَّه ثم ينكرونها** ﴾ أي : يعرفون أن اللَّه تعالىٰ هو المسدي إليهم ذلك ، وهو المتفضل به عليهم ، ومع هذا ينكرون ذلك ، ويعبدون معه غيره ، ويسندون النصر والرزق إلىٰ غيره ﴿ **وأكثرهم الكافرون** ﴾ كما قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا صفوان ، حدثنا الوليد ، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، عن مجاهد : أن أعرابيًّا أتىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فسأله[٢] ، فقرأ عليه رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **واللَّه[٣] جعل لكم من بيوتكم سكنًا** ﴾ فقال[٤] الأعرابي : نعم . قال[٥] : ﴿ **وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتًا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم** ﴾ . قال الأعرابي : نعم . ثم قرأ عليه ، كل ذلك يقول الأعرابي نعم ، حتىٰ بلغ : ﴿ **كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون** ﴾ فولىٰ الأعرابي ، فأنزل اللَّه : ﴿ **يعرفون نعمة اللَّه ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون** ﴾ .

وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟

---

[١] - في ز : « يقي » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز : « قال » .
[٥] - سقط من : ز .

يفسدون ﴿٨٨﴾

يخبر تعالىٰ عن شأن المشركين يوم معادهم في الدار الآخرة ، وأنه يبعث من كل أمّة شهيدًا ، وهو نبيها يشهد عليها[١] بما أجابته فيما بلغها عن اللّه تعالىٰ ﴿ **ثم لا يؤذن للذين كفروا** ﴾ أي : في الاعتذار ؛ لأنهم يعلمون بطلانه وكذبه ، كقوله[٢] : [﴿ **هذا يوم لا ينطقون * ولا يؤذن لهم فيعتذرون** ﴾][٣] فلهذا[٤] قال[٥] : ﴿ **ولا هم يستعتبون * وإذا رأىٰ الذين ظلموا** ﴾ أي : الذين[٦] أشركوا ﴿ **العذاب فلا يخفف عنهم** ﴾ أي : لا يفتر عنهم ساعة واحدة ﴿ **ولا هم ينظرون** ﴾ أي : لا[٧] يؤخر عنهم ، بل يأخذهم سريعًا من الموقف بلا حساب ، فإنه إذا جيء بجهنم تقاد بسبعين ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك ، فيشرف[٨] عنق منها علىٰ الخلائق ، وتزفر[٩] زفرة لا يبقىٰ أحد إلا جثا لركبتيه ، فتقول : إني وكلت بكل جبار عنيد الذي جعل مع اللّه إلهًا آخر ، [وبكذا وبكذا][١٠](٣٧) ، وتذكر أصنافًا من الناس كما جاء في الحديث ، ثم تنطوي عليهم وتتلقطهم من الموقف ، كما يلتقط الطائر الحب ، قال اللّه تعالىٰ : ﴿ **إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظًا وزفيرًا * وإذا ألقوا منها مكانًا ضيقًا مقرّنين دعوا هنالك ثبورًا * لا تدعوا اليوم ثبورًا واحدًا وادعوا ثبورًا كثيرًا** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ورأىٰ المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفًا** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون * بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون** ﴾ .

ثم أخبر تعالىٰ عن تبرؤ آلهتهم منهم أحوج ما يكونون إليها ، فقال : ﴿ **وإذا رأىٰ الذين أشركوا شركاءهم** ﴾ أي : الذين كانوا يعبدونهم في الدنيا ﴿ **قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا**

---

(٣٧) - أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : في شدة حر نار جنهم ، وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين ، حديث (٢٨٤٢/٢٩) (٢٦١/١٧) عن ابن مسعود - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه - صلى اللّه عليه وسلم - : « يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها » .

---

[١] - في ز : « عليهم » .
[٢] - في خ : « كما قال » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - في ز : « ولهذا » ، سقط من : خ .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز : « ولا » .
[٨] - في خ : « فيتشرف » .
[٩] - في ز : « ويزفر » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين في ز : « وبكذا وكذا » ، خ : « وكذا وكذا » .

الذين كنا ندعوا من دونك فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون ﴾ أي : قالت لهم الآلهة : كذبتم ، ما نحن [ ][١] أمرناكم بعبادتنا ، كما قال تعالىٰ : **﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون اللّٰه من لا يستجيب له إلىٰ يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾** ، وقال تعالىٰ : **﴿ واتخذوا من دون اللّٰه آلهة ليكونوا لهم عزًّا * كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدًّا ﴾** ، وقال الخليل عليه الصلاة والسلام : **﴿ ثم[٢] يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضًا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ﴾** . وقال تعالىٰ : **﴿ وقيل ادعوا شركاءكم ﴾** الآية . والآيات في هذا كثيرة .

وقوله : **﴿ وألقوا إلىٰ اللّٰه يومئذ السلم ﴾** قال قتادة وعكرمة : ذلوا واستسلموا يومئذ . أي : استسلموا للّٰه جميعهم ، فلا أحد إلا سامع مطيع ، وكقوله[٣] تعالىٰ : **﴿ أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا ﴾** أي : ما أسمعهم وما أبصرهم يومئذ ، وقال تعالى : **﴿ ولو ترىٰ إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحًا إنا موقنون ﴾** . وقال : **﴿ وعنت الوجوه للحي القيوم ﴾** أي : خضعت وذلت واستكانت وأنابت واستسلمت .

وقوله[٤] : **﴿ وألقوا إلىٰ اللّٰه يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾** أي : ذهب واضمحل ما كانوا يعبدونه افتراء علىٰ اللّٰه ، فلا ناصر لهم ولا معين ولا مجير .

ثم قال تعالىٰ : **﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل اللّٰه زدناهم عذابًا فوق العذاب بما كانوا يفسدون ﴾** . أي : عذابًا علىٰ كفرهم ، وعذابًا علىٰ صدهم الناس عن اتباع الحق ، كقوله[٥] تعالىٰ : **﴿ وهم ينهون عنه وينأون عنه ﴾** أي : ينهون الناس[٦] عن اتباعه ، ويبتعدون هم منه أيضًا **﴿ وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾** .

وهذا دليل علىٰ تفاوت الكفار في عذابهم ، كما يتفاوت المؤمنون في منازلهم في الجنة ودرجاتهم ، كما قال تعالىٰ : [**﴿ قال لكل**][٧] **ضعف ولكن لا تعلمون ﴾** .

وقد قال الحافظ أبو يعلى(٣٨) : حدثنا سريج بن يونس ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا

(٣٨) - أخرجه أبو يعلى (٥/٦٦) حديث (٣٣٢ - ٣٣٣) .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « ما » .
[٢] - في ز : « و » . وهي سقط من : خ .
[٣] - في خ : « كما قال » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في خ : « كما قال » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، عن عبد الله في قول الله : ﴿ **زدناهم عذابًا فوق العذاب** ﴾ قال : زيدوا عقارب أنيابها كالنخل الطوال .

و[١] حدثنا سريج بن يونس ، حدثنا إبراهيم بن سليمان ، حدثنا الأعمش ، عن الحسن ، عن ابن عباس [في الآية][٢] أنه قال : ﴿ **زدناهم عذابًا فوق العذاب** ﴾ قال : هي خمسة أنهار تحت[٣] العرش ، يعذبون ببعضها بالليل ، وببعضها بالنهار .

وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾

يقول تعالىٰ مخاطبًا عبده ورسوله محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **ويوم نبعث في كل أمة شهيدًا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدًا علىٰ هؤلاء** ﴾ يعني : أمته . أي : اذكر ذلك اليوم وهوله ، وما منحك الله فيه من الشرف العظيم والمقام الرفيع ، وهذه الآية شبيهة بالآية التي انتهىٰ إليها عبد الله بن مسعود ، حين قرأ علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم صدر سورة[٤] النساء ، فلما وصل إلىٰ قوله : ﴿ **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك علىٰ هؤلاء شهيدًا** ﴾ فقال له رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **حسبك** » . فقال[٥] ابن مسعود رضي الله عنه : فالتفتُ فإذا عيناه تذرفان(٣٩) .

وقوله : ﴿ **ونزلنا عليك الكتاب تبيانًا لكل شيء** ﴾ قال ابن مسعود : قد بين لنا في هذا القرآن كل علم وكل شيء . وقال مجاهد : كل حلال وكل[٦] حرام .

وقول ابن مسعود أعم وأشمل ، فإن القرآن اشتمل علىٰ كل علم نافع ؛ من خبر ما سبق ، وعلم ما سيأتي ، وحكم[٧] كل حلال وحرام ، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم ، ومعاشهم ومعادهم .

﴿ **وهدى** ﴾ أي : للقلوب[٨] ﴿ **ورحمة وبشرىٰ للمسلمين** ﴾ .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « فوق » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز : « قال » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - في ز ، خ : « القلوب » .

وقال الأوزاعي : ﴿ **ونزلنا عليك الكتاب تبيانًا لكل شيء** ﴾ أي : بالسنة .

ووجه اقتران قوله : ﴿ **ونزلنا عليك الكتاب** ﴾ مع قوله ﴿ **وجئنا بك شهيدًا على هؤلاء** ﴾ أن[١] المراد - والله أعلم - إن الذي فرض عليك تبليغ الكتاب الذي أنزله عليك ، سائلك عن ذلك يوم القيامة ﴿ **فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين** ﴾ ، ﴿ **فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون** ﴾ ، ﴿ **يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **إن الذي فرض عليك القرآن لرادّك إلىٰ معاد** ﴾ أي : إن[٢] الذي أوجب عليك[٣] تبليغ القرآن لرادّك إليه ، ومعيدك يوم القيامة ، وسائلك عن أداء ما فرض عليك . هذا أحد الأقوال ، وهو متجه حسن .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾

يخبر تعالىٰ أنه يأمر عباده بالعدل : وهو القسط والموازنة ، ويندب إلىٰ الإحسان ، كقوله[٤] تعالىٰ : ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين** ﴾ ، وقوله[٥] : ﴿ **وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله** ﴾ ، وقال : ﴿ **والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له** ﴾ ، إلىٰ غير ذلك من الآيات الدالة علىٰ شرعية العدل والندب إلىٰ الفضل .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل** ﴾ قال : شهادة أن لا إله إلا الله .

وقال سفيان بن عيينة : العدل في هذا الموضع هو[٦] استواء السريرة والعلانية من كل عامل لله عملًا ، والإحسان أن تكون سريرته أحسن من علانيته ، والفحشاء والمنكر أن تكون علانيته أحسن من سريرته .

وقوله : ﴿ **وإيتاء ذي القربىٰ** ﴾ أي : يأمر بصلة الأرحام ، كما قال : ﴿ **وآتِ ذا القربىٰ حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرًا** ﴾ .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في خ : « كما قال » .
[٥] - في ز ، خ : « وقال » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .

وقوله : ﴿ **وينهىٰ عن الفحشاء والمنكر** ﴾ فالفواحش : المحرمات ، والمنكرات : ما ظهر منها [من فاعلها ، ولهذا قال في الموضع الآخر : ﴿ **قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها**][١] **وما بطن** ﴾ وأما البغي : فهو العدوان علىٰ الناس ، وقد جاء في الحديث : « **ما من ذنب أجدر أن يعجل الله عقوبته في الدنيا ، مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة ؛ من البغي وقطيعة الرحم** »(٤٠) .

وقوله : ﴿ **يعظكم** ﴾ أي : يأمركم بما يأمركم به من الخير ، وينهاكم [عما ينهاكم][٢] عنه من الشر ﴿ **لعلكم تذكرون** ﴾ . و[٣] قال الشعبي : عن [شتير بن شكل][٤] ، سمعت ابن مسعود يقول : إن أجمع آية في القرآن في سورة النحل : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان** ﴾ الآية . رواه بن جرير .

وقال سعيد : عن قتادة قوله : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان** ﴾ الآية . ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنونه إلا أمر الله به ، وليس من خلق سيئ كانوا يتعايرونه بينهم إلا نهىٰ الله عنه وقدم فيه ، وإنما نهىٰ عن سفاسف[٥] الأخلاق ومذامها[٦] .

قلت : ولهذا جاء في الحديث : « **إن الله يحب معالي الأخلاق ويكره**

(٣٩) - حديث قراءة عبد الله بن مسعود على النبي - صلى الله عليه وسلم - من سورة النساء ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا** ﴾ ، حديث (٤٥٨٢) (٨/ ٢٥٠) وأطرافه في (٥٠٤٩ ، ٥٠٥٠ ، ٥٠٥٥ ، ٥٠٥٦) . ومسلم في صلاة المسافرين ، حديث (٢٤٧ ، ٢٤٨ / ٨٠٠) (٦/ ١٢٤ - ١٢٦) .

(٤٠) - أخرجه أبو داود في كتاب الأدب ، باب : في النهى عن البغى ، حديث (٢٩٠٢) (٤/ ٢٧٦) . والترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ، باب : (٥٧) ، حديث (٢٥١١) (٤/ ٥٧٣) . وابن ماجه في كتاب الزهد ، باب : البغى ، حديث (٤٢١١) (٢/ ١٤٠٨) . والبخاري في الأدب المفرد برقم (٢٩) كما في صحيح الأدب المفرد للألباني برقم (٢٣) . والحاكم (٢/ ٣٥٦) وصححه ووافقه الذهبى ، (٤/ ١٦٢، ١٦٣) وقال عقب الثاني : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . كلهم من حديث أبي بكرة - رضي الله عنه - فذكره قال الترمذي : حسن صحيح . وانظر السلسلة الصحيحة برقم (٩١٨) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، « عن الذي ينهى ذي » ، خ : « عن الذي ينهاني » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « بشير سكُل » ، خ : « بشير سكنك » .
[٥] - في ز ، خ : « سفاسفة » . [٦] - في ز : « مذاقها » .

سفسافها[١] »(٤١) .

و[٢]قال الحافظ أبو نعيم في كتابه : « كتاب معرفة الصحابة » : حدثنا أبو بكر محمد بن الفتح الحنبلي ، حدثنا يحيىٰ بن محمد مولى بني هاشم ، حدثنا الحسن بن داود المنكدري ، حدثنا عمر بن علي المقدمي ، عن علي بن عبد اللَّه[٣] بن عمير ، عن أبيه قال : بلغ أكثم ابن صيفي مخرج النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فأراد أن يأتيه ، فأبىٰ قومه أن يَدَعُوه ، وقالوا : أنت[٤] كبيرنا لم تكن لتخف إليه . قال : فليأته من يبلغه عني ويبلغني عنه . فانتدب رجلان فأتيا النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقالا : نحن رسل أكثم بن صيفي ، وهو يسألك من أنت وما أنت[٥] ؟ فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أما من أنا : فأنا محمد ابن عبد اللَّه ، وأما ما أنا : فأنا عبد اللَّه ورسوله** » . قال : ثم تلا عليهم هذه الآية : ﴿ **إن اللَّه يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون** ﴾ . قالوا : اردد علينا هذا القول . فردده عليهم حتىٰ حفظوه ، فأتيا أكثم ، فقالا : أبىٰ أن يرفع نسبه ، فسألنا عن نسبه فوجدناه زاكي النسب ، وَاسطًا . في مضر وقد رمىٰ إلينا بكلمات قد سمعناها ، فلما سمعهن أكثم قال : إني [ ][٦] أراه يأمر بمكارم الأخلاق ، وينهىٰ عن ملائمها ، فكونوا في هذا الأمر رءوسًا ولا تكونوا فيه أذنابًا .

وقد ورد في نزول هذه الآية الكريمة[٧] حديث حسن رواه الإمام أحمد(٤٢) :

حدثنا أبو النضر ، حدثنا عبد الحميد ، حدثنا شهر ، حدثني عبد اللَّه بن عباس قال : بينما رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بفناء بيته جالس ، إذ مرّ به عثمان بن مظعون ، فكشر إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقال له رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **ألا**

(٤١) - أخرجه الحاكم (٤٨/١) وصححه ، والطبراني في الأوسط (٢١٠/٣) حديث (٢٩٤٠) ، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ١٣٣) . والبيهقي (١٩١/١٠) كتاب الشهادات ، باب : بيان مكارم الأخلاق ومعاليها ....، كلهم من حديث سهل بن سعد فذكره بنحوه . والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٩١/٨) . وقال رواه الطبراني في الكبير والأوسط بنحوه إلا أنه قال : يحب معالي الأخلاق ، ورجال الكبير ثقات . والحديث صححه الحافظ العراقى أيضًا في تخريج أحاديث الإحياء برقم (٢٠٧٨) . وصححه الألبانى في السلسلة الصحيحة برقم (١٣٧٨) .

(٤٢) - أخرجه أحمد (٣١٨/١) .

[١] - في خ : « سفاسفها » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز ، خ : « الملك » .

[٤] - في ز : « ائت » .

[٥] - في ز، خ : « جئت به » .

[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « قد » .

[٧] - زيادة من : ز .

تجلس ؟ » فقال : بلىٰ . قال : فجلس رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم مستقبله ، فبينما هو يحدثه إذ شخص رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ببصره إلىٰ السماء ، فنظر ساعة [إلىٰ السماء][١] ، فأخذ يضع بصره حتىٰ وضعه علىٰ يمنته في الأرض ، فتحرف رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم عن جليسه عثمان إلىٰ حيث وضع بصره ، فأخذ ينغض رأسه كأنه يستفقه ما يقال له ، وابن مظعون ينظر ، فلما قضىٰ حاجته ، واستفقه ما يقال له ، شخص [ ][٢] بصر رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم إلىٰ السماء كما شخص أول مرة ، فأتبعه بصره حتىٰ توارىٰ في السماء ، فأقبل إلىٰ عثمان بجلسته الأولىٰ ، فقال : يا محمد؛ فيما كنت أجالسك ، ما رأيتك تفعل كفعلك الغداة . فقال[٣] : « **وما رأيتني فعلت ؟** » قال : رأيتك شخص بصرك إلىٰ السماء ، ثم وضعته حيث وضعته علىٰ يمينك ، فتحرفت إليه وتركتني ، فأخذت تنغض رأسك كأنك تستفقه شيئًا يقال لك . قال : « **وفطنت لذلك ؟** » فقال عثمان : نعم . قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أتاني رسول اللَّه آنفًا وأنت جالس** » . قال : رسول اللَّه ؟ قال : « **نعم** » . قال : فما قال لك ؟ قال : ﴿ **إن اللَّه يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون** ﴾ . قال عثمان : فذلك حين استقر الإيمان في قلبي ، وأحببت محمدًا صلىٰ اللَّه عليه وسلم .

إسناد جيد متصل حسن ، قد بين فيه السماع المتصل ، ورواه ابن أبي حاتم من حديث عبد الحميد بن بهرام مختصرًا .

حديث آخر عن عثمان بن أبي العاص الثقفي في ذلك ؛ قال الإمام أحمد(٤٣) :

حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا هريم ، عن ليث ، عن شهر بن حوشب ، عن عثمان بن أبي العاص[٤] قال : كنت عند رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم جالسًا إذ شخص بصره ، فقال : « **أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة : ﴿ إن اللَّه يأمر بالعدل والإحسان ﴾** الآية » . وهذا إسناد لا بأس به ، ولعله عند شهر بن حوشب من الوجهين ، واللَّه أعلم .

﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ

---

(٤٣) - أخرجه أحمد (٢١٨/٤) رقم (١٧٩٧٢) . وقال الهيثمي في المجمع (٤٨/٧): رواه أحمد والطبراني ، وشهر وثقه أحمد وجماعة وفيه ضعف لا يضر ، وبقية رجاله ثقات . اهـ .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « إليّ » . [٢] - في خ : بصره .

[٣] - في ز : « قال » . [٤] - في خ : « العاصي » .

جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾

وهذا مما[١] يأمر الله[٢] تعالىٰ به[٣] : وهو الوفاء بالعهود والمواثيق ، والمحافظة علىٰ الأيمان المؤكدة ، ولهذا قال : ﴿ **ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها** ﴾ .

ولا تعارض بين هذا[٤] وبين قوله : ﴿ **ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا** ﴾ . وبين قوله تعالىٰ : ﴿ **ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم** ﴾ أي : لا تتركوها بلا كفارة[٥] ، وبين قوله عليه السلام فيما ثبت عنه في الصحيحين(٤٤) [أنه عليه الصلاة والسلام قال][٦] : « **إني والله إن شاء الله لا أحلف علىٰ يمين فأرىٰ غيرها خيرًا منها إلا أتيت الذي هو خير وتحللتها** - وفي رواية - **وكفرت عن يميني** » . لا تعارض بين هذا كله ، ولا بين الآية المذكورة هاهنا وهي[٧] قوله : ﴿ **ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها** ﴾ ؛ لأن هذه الأيمان المراد بها : الداخلة[٨] في العهود والمواثيق ، لا الأيمان التي هي واردة علىٰ حث أو منع ، ولهذا قال مجاهد في قوله : ﴿ **ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها** ﴾ يعني : الحلف . أي : حلف الجاهلية ، ويؤيده ما رواه الإمام أحمد(٤٥) :

(٤٤) - صحيح البخاري ، كتاب الأيمان والنذور ، باب : قول الله تعالى : ﴿ **لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ....** ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ **لعلكم تشكرون** ﴾ ، حديث (٦٦٢٣) (٥١٧/١١) وطرفه في (٦٧١٨) .

ومسلم ، كتاب الأيمان ، باب : ندب من حلف يمينًا ، فرأى غيرها خيرًا منها ، أن يأتى الذى هو خير ويكفر عن يمينه ، حديث (١٦٤٩/٧) (١٥٦/١١) .

كلاهما من حديث أبي موسى الأشعرى - رضي الله عنه - وفيه قصة .

(٤٥) - المسند (٨٣/٤) رقم (١٦٨١١) .

[١] - في ز ، خ : « إنما » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - زيادة في « خ » .
[٤] - في ز ، خ : « هذه » .
[٥] - في ز ، خ: « تكفير » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز ، خ : « وفي » .
[٨] - في ز : « المداخلة » .

حدثنا عبد اللّه بن محمد - هو ابن أبي شيبة - حدثنا ابن نمير وأبو أسامة ، عن زكريا - هو ابن أبي زائدة - عن سعد بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن جبير بن مطعم قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **لا حلف في الإسلام ، وأيما حلف كان في الجاهلية** [**فإنه لا يزيده**][١] **الإسلام إلا شدّة** » .

وكذا رواه مسلم(٤٦) عن ابن أبي شيبة به . ومعناه : أن الإسلام لا يحتاج معه إلىٰ الحلف الذي كان أهل الجاهلية يفعلونه ، فإن في التمسك بالإسلام كفاية عما كانوا فيه .

وأما ما ورد في الصحيحين(٤٧) عن عاصم الأحول ، عن أنس رضي اللّه عنه أنه قال : حالف رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار في دارنا . فمعناه : أنه آخىٰ بينهم فكانوا يتوارثون به ، حتىٰ نسخ اللّه ذلك ، واللّه أعلم .

وقال ابن جرير(٤٨) : حدثني محمد بن عمارة الأسدي ، حدثنا عبد اللّه بن موسىٰ ، [أخبرنا ابن أبي][٢] ليلىٰ ، عن مزيدة في قوله : ﴿ **وأوفوا بعهد اللّه إذا عاهدتم** ﴾ [ ][٣] قال : نزلت في بيعة[٤] النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم ، كان من أسلم بايع النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم علىٰ الإسلام فقال[٥] : ﴿ **وأوفوا بعهد اللّه إذا عاهدتم** ﴾ هذه البيعة التي بايعتم علىٰ الإسلام ﴿ **ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها** ﴾ : البيعة ، لا يحملنكم قلة محمد وأصحابه[٦] وكثرة المشركين أن تنقضوا البيعة التي بايعتم علىٰ الإسلام .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، حدثنا صخر بن جويرية ، عن نافع قال : لما خلع الناس يزيد بن معاوية ، جمع ابن عمر بنيه وأهله ، ثم تشهد ، ثم قال : أما بعد ، فإنا قد بايعنا هذا الرجل علىٰ بيعة[٧] اللّه ورسوله ، وإني سمعت رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم

(٤٦) - صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب : مؤاخاة النبي - صلى اللّه عليه وسلم - بين أصحابه ، حديث (٢٠٦/٢٥٣٠) (١٢٣/١٦) .

(٤٧) - أخرجه البخاري في كتاب الكفالة ، باب : قول اللّه عز وجل : ﴿ **والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم** ﴾ ، حديث (٢٢٩٤) (٤٧٢/٤) وطرفاه في (٦٠٨٣ - ٧٣٤٠) . ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب : مؤاخاة النبي - صلى اللّه عليه وسلم - بين أصحابه - رضي اللّه تعالى عنهم - حديث (٢٠٤/٢٥٢٩) (١٢٢/١٦) .

(٤٨) - تفسير الطبرى (١٦٤/٤) .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « لم يزده » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « أنبأنا أبو ليلى » . [٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « ثم » .

[٤] - في خ : « بيع » . [٥] - في ز : « فقالوا » .

[٦] - سقط من : ز ، خ . [٧] - في ز ، خ : « بيع » .

يقول : « **إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة ، فيقال : هذه غدرة فلان وإن من أعظم الغدر - إلا أن يكون الإشراك بالله - أن يبايع رجل رجلًا علىٰ بيعة**[١] **الله ورسوله ثم ينكث بيعته** » فلا يخلعنّ[٢] أحد منكم يزيد ، ولا يسرفن أحد منكم في هذا الأمر ، فيكون [صيلم](*) بيني وبينه (٤٩) .

المرفوع منه في الصحيحين(٥٠) .

وقال الإمام أحمد(٥١) : حدثنا يزيد ، حدثنا حجاج ، عن عبد الرحمن بن عابس ، عن أبيه ، عن حذيفة قال : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **من شرط لأخيه شرطًا لا يريد أن يفي له به ، فهو كالمدلي جاره إلىٰ غير منعة** » .

وقوله : ﴿ **إن الله يعلم ما تفعلون** ﴾ تهديد ووعيد لمن نقض الأيمان بعد توكيدها .

وقوله : ﴿ **ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثًا** ﴾ قال عبد الله بن كثير والسدي : هذه امرأة خرقاء كانت بمكة ، كلما غزلت شيئًا نقضته بعد إبرامه .

وقال مجاهد وقتادة وابن زيد : هذا مثل لمن نقض عهده بعد توكيده .

وهذا القول أرجح وأظهر ، وسواء كان بمكة امرأة تنقض غزلها أم لا .

وقوله ﴿ **أنكاثًا** ﴾ يحتمل أن يكون اسم مصدر ﴿ **نقضت غزلها** [**من بعد قوّة**][٣] **أنكاثًا** ﴾ أي : أنقاضًا ، ويحتمل أن يكون بدلًا عن خبر كان ، أي : لا تكونوا أنكاثًا ، جمع نكث من ناكث ، ولهذا قال بعده : ﴿ **تتخذون أيمانكم دخلًا بينكم** ﴾ أي : خديعة ومكرًا ﴿ **أن تكون أمّة هي أربىٰ من أمّة** ﴾ أي : تحلفون للناس إذا كانوا أكثر منكم ليطمئنوا إليكم ، فإذا أمكنكم الغدر بهم غدرتم ، فنهىٰ الله عن ذلك ؛ لينبه بالأدنىٰ علىٰ الأعلىٰ ، إذا كان قد نهىٰ عن الغدر والحالة هذه ، فلأن ينهىٰ عنه مع التمكن والقدرة بطريق

(*) - الصيلم القطيعة .

(٤٩) - المسند (٤٨/٢) (٥٠٨٨) .

(٥٠) - أخرجه البخاري في كتاب الجزية والموادعة ، باب : إثم الغادر للبر والفاجر ، حديث (٣١٨٨) (٦/ ٢٨٣) ، وأطرافه في (٦١٧٧ ، ٦١٧٨ ، ٦٩٦٦ ، ٧١١١) . ومسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب : تحريم الغدر ، حديث (٩ ، ١٠ ، ١٧٣٥/١١) (٦٢/١٢ - ٦٤).

(٥١) - أخرجه أحمد (٤٠٤/٥) رقم (٢٣٥٤٥) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٠٥/٤) وعزاه لأحمد وقال : « وفيه الحجاج بن أرطاة ، وهو ثقة مدلس ، وبقية رجاله رجال الصحيح » .

[١] - في ز ، خ : « بيع » . [٢] - في ز : « يجعلن » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

الأولىٰ .

وقد قدمنا ولله الحمد في سورة الأنفال قصة معاوية لما كان بينه وبين ملك الروم أمد ، فسار معاوية إليهم في آخر الأجل ، حتىٰ إذا انقضىٰ وهو قريب من بلادهم أغار عليهم ، وهم غارون[١] و[٢] لا يشعرون ، فقال له عمرو بن عبسة[٣] : الله أكبر يا معاوية ، وفاء لا غدرًا ، سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **من كان بينه وبين قوم أجل فلا يحلن عقدة حتىٰ ينقضي أمدها** » . فرجع معاوية [بالجيش رضي الله عنه وأرضاه][٤] .

قال ابن عباس : ﴿ **أن تكون أمّة هي أربىٰ من أمّة** ﴾ أي : أكثر .

وقال مجاهد : كانوا يحالفون الحلفاء ، فيجدون أكثر منهم وأعز ، فينقضون حلف هؤلاء ويحالفون أولئك الذين هم أكثر وأعز ، فنهوا عن ذلك .

وقال الضحاك وقتادة وابن زيد نحوه .

وقوله ﴿ **إنما يبلوكم الله به** ﴾ قال سعيد بن جبير : يعني بالكثرة . رواه ابن أبي حاتم .

وقال ابن جرير : أي : بأمره إياكم بالوفاء بالعهد .

﴿ **وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون** ﴾ فيجازي كل عامل بعمله من خير وشر .

وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾

---

[١] - في ز ، خ : « عادون » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في خ : « عتبة » .
[٤] - في ت : « رضي الله عنه بالجيش » .

يقول الله[١] تعالىٰ : ﴿ **ولو شاء الله لجعلكم** ﴾ أيها الناس أمّة واحدة ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعًا** ﴾ أي : لوفق بينكم ، ولما جعل اختلافًا ولا تباغضًا ولا شحناء ﴿ **ولو شاء ربك لجعل الناس أمّة واحدة ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم** ﴾ وهكذا قال هاهنا : ﴿ **ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء** ﴾ ثم يسألكم يوم القيامة عن جميع أعمالكم ، فيجازيكم عليها ؛ علىٰ الفتيل والنقير والقطمير ، ثم حذر تعالىٰ عباده من[٢] اتخاذ الأيمان دخلًا أي : خديعة ومكرًا ؛ لئلا تزل قدم بعد ثبوتها ، مثل لمن كان علىٰ الاستقامة[٣] فحاد عنها ، وزل عن طريق الهدىٰ بسبب الأيمان الحانثة المشتملة علىٰ الصد عن سبيل الله ، لأن الكافر إذا رأىٰ أن المؤمن قد عاهده ثم غدر به ، لم يبق له وثوق بالدين فانصد بسببه عن الدخول في الإسلام ، ولهذا قال : ﴿ **وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم** ﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿ **ولا تشتروا بعهد الله ثمنًا قليلًا** ﴾ أي : لا تعتاضوا عن الأيمان بالله عرض الحياة الدنيا وزينتها فإنها قليلة ، ولو حيزت لابن آدم الدنيا بحذافيرها لكان ما عند الله هو خير له ، أي : جزاء الله وثوابه خير لمن رجاه وآمن به ، وطلبه وحفظ عهده[٤] رجاء موعوده ، ولهذا قال : ﴿ **إن كنتم تعلمون * ما عندكم ينفد** ﴾ أي : يفرغ وينقضي ، فإنه إلىٰ أجل معدود محصور مقدر متناه ﴿ **وما عند الله باق** ﴾ أي : وثوابه لكم في الجنة باق لا انقطاع [ولا نفاد له] ، فإنه دائم لا يحول ولا يزول ﴿ **ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** ﴾ قسم من الرب تعالىٰ[٥] مؤكد[٦] باللام : أنه يجازي الصابرين بأحسن أعمالهم ، أي : ويتجاوز عن سيئها .

مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٩٧)

هذا وعد من الله تعالىٰ لمن عمل صالحاً - وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالىٰ وسنة نبيه [صلىٰ الله عليه وسلم] من ذكر أو أنثىٰ من بني آدم ، وقلبه مؤمن بالله ورسوله ، وأن هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله - بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا ، وأن يجزيه[٧]

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في خ : « عن » ، والمثبت من : ز .
[٣] - في ز : « استقامة » .
[٤] - في ز ، خ : « عهد الله » .
[٥] - في خ : « عز وجل » .
[٦] - في ز : « متلقى » .
[٧] - في ز : « يجزى » .

بأحسن [ما عمله][١] في الدار الآخرة .

والحياة الطيبة تشتمل[٢] وجوه الراحة من أي جهة كانت ، وقد روي عن ابن عباس وجماعة أنهم فسروها : بالرزق الحلال الطيب .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه فسرها : بالقناعة ، وكذا قال ابن عباس وعكرمة ووهب بن منبه .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : إنها هي[٣] السعادة .

وقال الحسن ومجاهد وقتادة : لا يطيب لأحد حياة[٤] إلا في الجنة .

وقال الضحاك : هي الرزق الحلال والعبادة في الدنيا ، وقال الضحاك أيضًا : هي[٥] العمل بالطاعة والانشراح بها .

والصحيح أن الحياة الطيبة تشمل هذا كله ، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد(٥٢) :

حدثنا عبد الله بن يزيد ، حدثنا سعيد بن أبي أيوب ، حدثني شرحبيل بن شريك ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي ، عن عبد الله بن عمرو ، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **قد أفلح من أسلم ، ورزق كفافًا ، وقنعه الله بما آتاه** » .

ورواه مسلم(٥٣) من حديث عبد الله بن يزيد المقري به .

وروىٰ الترمذي(٥٤) والنسائي(٥٥) من حديث أبي هانيء ، عن أبي علي الجنبي[٦] ، عن فضالة بن عبيد ، أنه سمع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **قد أفلح من هدي**

(٥٢) - المسند (٢/١٦٨) .
(٥٣) - صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، حديث (١٠٥٤) (٧/٢٠٤ - ٢٠٥) .
(٥٤) - سنن الترمذي ، كتاب الزهد ، باب : ما جاء في الكفاف والصبر عليه ، حديث (٢٣٤٩) (٤/٤٩٧ - ٤٩٨) ، وقال : هذا حديث حسن صحيح .
(٥٥) - سنن النسائي الكبرى ، كتاب الرقائق ، حديث (١١٠٣٣) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : « تشمل » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « الحياة » .
[٥] - في ز : « هو » .
[٦] - في ز : « الجهني » .

للإسلام[١] ، **وكان عيشه كفافًا ، وقنع به** » . وقال الترمذي : هذا[٢] حديث صحيح .

وقال الإمام أحمد(٥٦) : حدثنا يزيد ، حدثنا همام ، عن يحيىٰ ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن اللَّه لايظلم المؤمن حسنة ، [يعطىٰ بها في الدنيا]**[٣] ، **[ويثاب عليها في الآخرة ، وأما الكافر فيعطيه حسناته في الدنيا]**[٤] ، **حتىٰ إذا أفضىٰ إلىٰ الآخرة لم تكن له حسنة يعطىٰ بها خيرًا** » . انفرد بإخراجه مسلم(٥٧) .

فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾

هذا أمر من اللَّه تعالىٰ لعباده[٥] ، علىٰ لسان نبيه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، إذا أرادوا قراءة القرآن : أن يستعيذوا باللَّه من الشيطان الرجيم ، وهو أمر ندب ليس بواجب ، حكىٰ [الإجماع علىٰ ذلك][٦] أبو جعفر بن جرير وغيره من الأئمة ، وقد قدمنا الأحاديث الواردة في الاستعاذة مبسوطة في أول التفسير ، وللَّه الحمد والمنة .

والمعنىٰ في الاستعاذة عند ابتداء القراءة لئلا يلبس علىٰ القارئ قراءته ، ويخلط عليه ، ويمنعه من التدبر والتفكر . ولهذا ذهب الجمهور إلىٰ أن الاستعاذة إنما تكون قبل[٧] التلاوة ، وحكي عن حمزة وأبي حاتم السجستاني أنها تكون بعد التلاوة ، واحتجا بهذه الآية ، ونقل النووي[٨] في شرح المهذب مثل ذلك عن أبي هريرة أيضًا ومحمد بن سيرين وإبراهيم النخعي ، والصحيح الأول لما تقدم من الأحاديث الدالة علىٰ تقدمها علىٰ التلاوة ، واللَّه

(٥٦) - أخرجه أحمد (١٢٣/٣) .

(٥٧) - أخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب : جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة ، وتعجيل حسنات الكافر في الدينا ، حديث (٥٦ ، ٢٨٠٨/٥٧) (٢١٩/١٧) .

[١] - في ز : « إلى الإسلام » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز : « عباده » .
[٦] - في ز ، خ : « على ذلك الإجماع الإمام » .
[٧] - في ز ، خ : « قبيل » .
[٨] - في ز : « النواوي » .

أعلم .

وقوله : ﴿ إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلىٰ ربهم يتوكلون ﴾ قال الثوري : ليس له عليهم سلطان أن يوقعهم في ذنب [ ][١] لا يتوبون منه .

وقال آخرون : معناه لا حجة له عليهم . [وقال آخرون : كقوله : ﴿ إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ .

﴿ إنما سلطانه على الذين يتولونه ﴾ قال مجاهد : يطيعونه][٢] .

وقال آخرون : اتخذوه وليًا من دون الله .

﴿ والذين هم به مشركون ﴾ أي : أشركوه في عبادة الله ، ويحتمل أن تكون الباء سببية ، أي : صاروا بسبب طاعتهم للشيطان مشركين بالله تعالىٰ .

وقال آخرون : معناه أنه شركهم في الأموال والأولاد .

وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢)

يخبر تعالىٰ عن ضعف عقول المشركين ، وقلة ثباتهم وإيقانهم ، وأنه لا يتصور منهم الإيمان ، وقد كتب عليهم الشقاوة ، وذلك أنهم إذا رأوا تغيير الأحكام ناسخها بمنسوخها قالوا لرسول[٣] [الله صلىٰ الله عليه وسلم][٤] : ﴿ إنما أنت مفتر ﴾ أي : كذاب ، وإنما هو الرب تعالىٰ يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .

و[٥]قال مجاهد : ﴿ بدلنا آية مكان آية ﴾ أي : رفعناها وأثبتنا غيرها .

وقال قتادة : هو كقوله تعالىٰ : ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها ﴾ الآية .

قال[٦] تعالىٰ مجيبًا لهم : ﴿ قل نزله روح القدس [ ][٧] ﴾ أي : جبريل ﴿ من ربك

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « أن » .
[٢] - ما بين المعكوفتين زيادة في : ت .
[٣] - في خ : « للرسول » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « فقال » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « من ربك » .

بالحق ﴾ أي : بالصدق والعدل ﴿ **ليثبت الذين آمنوا** ﴾ فيصدقوا بما أنزل[١] أولًا وثانيًا ، وتخبت له قلوبهم ﴿ **وهدى وبشرى للمسلمين** ﴾ أي : وجعله هاديًا وبشارة للمسلمين الذين آمنوا بالله ورسله[٢] .

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن المشركين ما كانوا يقولونه من الكذب والافتراء والبهت : أن محمدًا إنما يعلمه هذا الذي يتلوه علينا من القرآن بشر ، ويشيرون إلىٰ رجل أعجمي كان بين أظهرهم غلام لبعض بطون قريش ، وكان بياعًا يبيع عند الصفا ، وربما[٣] كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يجلس إليه ويكلمه بعض الشيء ، وذاك كان أعجمي اللسان لا يعرف العربية[٤] ، أو أنه كان يعرف الشيء اليسير بقدر ما يرد جواب الخطاب فيما لابد منه ، فلهذا قال الله تعالىٰ رادًا عليهم في افترائهم ذلك : ﴿ **لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين** ﴾ يعني[٥] : القرآن[٦] أي : فكيف يتعلم من جاء بهذا القرآن في فصاحته وبلاغته ، ومعانيه التامّة الشاملة ، التي هي أكمل من معاني كل كتاب نزل على [نبيّ أُرْسِلَ][٧] ، كيف يتعلم من رجل أعجمي ؟ لا يقول هذا من له أدنىٰ مسكة من العقل .

قال محمد بن إسحاق بن يسار في السيرة : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فيما بلغني كثيرًا ما يجلس عند المروة إلىٰ مبيعة[٨] غلام نصراني يقال له جبر ، عبد لبعض[٩] بني الحضرمي [فكانوا يقولون : والله ما يعلم محمدًا كثيرًا مما يأتي به إلا جبرٌ النصراني غلام بني الحضرميّ][١٠] ، فأنزل الله : ﴿ **ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين** ﴾ .

وكذا قال عبد الله بن كثير ، و[١١]عن عكرمة وقتادة : كان اسمه يعيش .

---

[١] - في ز : « نزل » .
[٢] - في ز ، خ : « ورسوله » .
[٣] - في ز : « فربما » .
[٤] - في ز : « بالعربية » .
[٥] - في خ : « أي » ، والمثبت من : ز .
[٦] - في خ : « بالقرآن » .
[٧] - في خ : « بنى إسرائيل » .
[٨] - في ز : « سبيعة » .
[٩] - سقط من : خ .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[١١] - سقط من : ز .

وقال ابن جرير(٥٨) : حدثني أحمد بن محمد الطوسي ، حدثنا أبو عامر ، حدثنا إبراهيم ابن طهمان ، عن مسلم بن عبد الله الملائي ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يعلم[١] قينا بمكة ، وكان اسمه بلعام ، وكان أعجمي اللسان ، وكان المشركون يرون رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يدخل عليه ويخرج من عنده ، فقالوا : إنما يعلمه بلعام ، فأنزل الله هذه الآية : ﴿ **ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين** ﴾ .

وقال الضحاك بن مزاحم : هو سلمان[٢] الفارسي . وهذا القول ضعيف ؛ لأن هذه الآية مكية ، وسلمان إنما أسلم بالمدينة ، وقال عبيد الله بن مسلم : كان لنا غلامان[٣] روميان يقرآن كتابًا[٤] لهما بلسانهما ، فكان النبي صلىٰ الله عليه وسلم يمر بهما فيقوم فيسمع منهما ، فقال المشركون : يتعلم منهما ، فأنزل الله هذه الآية .

وقال الزهري ، عن سعيد بن المسيب : الذي قال ذلك من المشركين رجل كان يكتب الوحي لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فارتد بعد ذلك عن الإسلام ، وافترىٰ هذه المقالة قبحه الله .

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾

يخبر تعالىٰ : أنه لا يهدي من أعرض عن ذكره ، وتغافل عما أنزله علىٰ رسوله [صلىٰ الله عليه وسلم] ، ولم يكن له قصد إلىٰ الإيمان بما جاء من عند الله ، فهذا الجنس من الناس لا يهديهم الله إلىٰ الإيمان بآياته وما أرسل به رسله في الدنيا ، ولهم عذاب أليم موجع في الآخرة .

ثم أخبر تعالىٰ أن رسوله صلىٰ الله عليه وسلم ليس بمفتر ولا كذاب ؛ لأنه إنما يفتري الكذب علىٰ الله وعلىٰ رسوله [صلىٰ الله عليه وسلم] شرار الخلق ﴿ **الذين لا يؤمنون بآيات**

(٥٨) - أخرجه الطبرى (١٤/١٧٧) .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز : « لسلمان » .

[٣] - في ز : « عاملان » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

الله ﷻ من الكفرة و[١]الملحدين المعروفين[٢] بالكذب عند الناس ، والرسول محمد صلىٰ الله عليه وسلم كان أصدق الناس وأبرهم ، وأكملهم علمًا وعملًا وإيمانًا وإيقانًا ، معروفًا بالصدق في قومه ، لا يشك في ذلك أحد منهم ، بحيث لا يدعى بينهم إلا بالأمين محمد ، ولهذا لما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان عن تلك المسائل التي سألها من صفة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، كان فيما قال له : هل[٣] كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال : لا . فقال هرقل : فما كان ليدع الكذب علىٰ الناس ويذهب فيكذب علىٰ الله - عز وجل -(٥٩) .

﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾﴾

أخبر تعالىٰ عمن كفر به بعد الإيمان والتبصر ، وشرح صدره بالكفر واطمأن به - أنه قد غضب عليه ؛ لعلمهم بالإيمان ثم عدولهم عنه ، وأن لهم عذابًا عظيمًا في الدار الآخرة ؛ لأنهم استحبوا الحياة الدنيا علىٰ الآخرة ، فأقدموا علىٰ ما أقدموا عليه من الردة لأجل الدنيا ، ولم يهد الله قلوبهم ، ويثبتهم علىٰ الدين الحق ، فطبع علىٰ قلوبهم [فهم لا][٤] يعقلون بها شيئًا ينفعهم ، وختم علىٰ سمعهم وأبصارهم فلا ينتفعون بها ، ولا أغنت عنهم شيئًا

(٥٩) - أخرج القصة بطولها وفيها كتاب النبي ﷺ إلى هرقل ، البخاري في كتاب بدء الوحى ، باب (٧) ، حديث (٦) (١/٣١ - ٣٣) وأطرافه في (٥١ ، ٢٦٨١ ، ٢٨٠٤ ، ٢٩٤١ ، ٢٩٧٨ ، ٣١٧٤ ، ٤٥٥٣، ٥٩٨٠ ، ٦٢٦٠ ، ٧١٩٦ ، ٧٥٤١) . ومسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب : كتاب النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ، حديث (١٧٧٣/٧٤) (١٤٧/١٢ - ١٥٣) .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « المعروفون » .
[٣] - في ز : « أو » .
[٤] - في ز : « فلا » .

فهم[١] غافلون عما يراد بهم .

﴿ **لا جرم** ﴾ أي : لابد ولا عجب أن من هذه صفته ﴿ **أنهم في الآخرة هم الخاسرون** ﴾ أي : الذين خسروا أنفسهم وأهليهم[٢] يوم القيامة .

وأما قوله : ﴿ **إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان** ﴾ فهو استثناء ممن[٣] كفر بلسانه ، ووافق المشركين بلفظه ، مكرهًا لما ناله من ضرب وأذىٰ ، وقلبه يأبىٰ[٤] ما يقول ، وهو مطمئن بالإيمان بالله ورسوله .

وقد روىٰ العوفي ، عن ابن عباس : أن هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر ، حين عذبه المشركون حتىٰ يكفر بمحمد صلىٰ الله عليه وسلم ، فوافقهم علىٰ ذلك مكرهًا ، وجاء معتذرًا إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، فأنزل الله هذه الآية . وهكذا قال الشعبي [وقتادة وأبو مالك] .

وقال ابن جرير(٦٠) : حدثنا ابن عبد الأعلىٰ ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن عبد الكريم الجزري[٥] ، عن أبي عبيدة بن[٦] محمد بن عمار بن ياسر ، قال : أخذ المشركون عمار بن ياسر ، فعذبوه حتىٰ قاربهم في بعض ما أرادوا ، فشكا ذلك إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **كيف تجد قلبك ؟** » قال : مطمئنًا بالإيمان . قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن عادوا فعد** » .

ورواه البيهقي(٦١) بأبسط من ذلك ، وفيه أنه سب النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، وذكر آلهتهم بخير ، [فشكا ذلك إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال][٧] : يا رسول الله ، ما تُرِكْتُ حتىٰ سببتك ، وذكرت آلهتهم بخير . قال : « **كيف تجد قلبك ؟** » قال : مطمئنًا بالإيمان . فقال[٨] : « **إن عادوا فعد** » . وفي ذلك أنزل الله : ﴿ **إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان** ﴾ .

ولهذا اتفق العلماء : علىٰ [أن المكره علىٰ الكفر يجوز له أن يوالي][٩] إبقاء لمهجته ،

(٦٠) - أخرجه الطبرى (١٨٢/١٤) .
(٦١) - أخرجه البيهقي (٢٠٨/٨ - ٢٠٩) كتاب المرتد ، باب : المكره على الردة .

[١] - في خ : « ولاهم » .
[٢] - في ز ، خ : « أهاليهم » .
[٣] - في ز : « فيمن » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في خ : « الحوزى » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « وأنه قال » .
[٨] - في ز : « وقال » .
[٩] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « أنه يجوز أن يوالى المكره على الكفر » .

ويجوز له أن يستقتل ، كما كان بلال رضي اللَّه عنه يأبىٰ عليهم ذلك ، وهم يفعلون به الأفاعيل ، حتىٰ أنهم ليضعوا الصخرة العظيمة علىٰ صدره في شدة الحر ، ويأمرونه بالشرك[١] باللَّه فيأبىٰ عليهم ، وهو يقول : أحد أحد . ويقول : واللَّه لو أعلم كلمة هي[٢] أغيظ لكم منها لقلتها . رضي اللَّه عنه وأرضاه . وكذلك حبيب بن زيد الأنصاري لما قال له مسيلمة الكذاب : أتشهد أن محمدًا رسول اللَّه ؟ فيقول : نعم . فيقول : أتشهد[٣] أني رسول اللَّه ؟ فيقول لا أسمع . فلم يزل يقطعه إربًا إربًا وهو ثابت علىٰ ذلك .

وقال الإمام أحمد(٦٢) : حدثنا إسماعيل ، حدثنا أيوب ، عن عكرمة : أن عليًا رضي اللَّه عنه حرق ناسًا ارتدّوا عن الإسلام ، فبلغ ذلك ابن عباس فقال : لم أكن لأحرقهم بالنار ، إن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال[٤] : « **لا تعذبوا بعذاب اللَّه** » . وكنت أقاتلهم[٥] بقول رسول اللَّه [ ][٦] صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **من بدل دينه فاقتلوه** » . فبلغ ذلك عليًا فقال : ويح [أم ابن][٧] عباس . رواه البخاري(٦٣) .

وقال الإمام أحمد(٦٤) أيضًا : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر ، عن أيوب ، عن حميد ابن هلال العدوي ، عن أبي بردة قال : قدم على أبي موسىٰ معاذ بن جبل باليمن ، فإذا رجل عنده ، قال : ما هذا ؟ قال : رجل كان يهوديًا فأسلم ، ثم تهود ، ونحن نريده علىٰ الإسلام منذ - قال أحسبه - شهرين . فقال : واللَّه لا أقعد حتىٰ تضربوا عنقه . [فضربت عنقه][٨] ، فقال : قضىٰ اللَّه ورسوله أن من رجع عن دينه فاقتلوه أو قال : « **من بدل دينه فاقتلوه** » .

وهذه القصة في الصحيحين بلفظ آخر(٦٥) .

(٦٢) - أخرجه أحمد (٢١٧/١) .

(٦٣) - أخرجه البخاري في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم ، باب : حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم ، حديث (٦٩٢٢) (٢٦٧/١٢) .

(٦٤) - أخرجه أحمد (٢٣١/٥) .

(٦٥) - أخرجه البخاري في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم باب : حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم ، حديث (٦٩٢٣) (٢٦٨/١٢) . ومسلم في كتاب الإمارة ، حديث (١٧٣٣/١٥) (٢٨٧/١٢ - ٢٨٨) .

[١] - في ز ، خ : « أن يشرك » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « أشهد » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في ز : « قاتلهم » .
[٦] - في ز : « قال رسول الله » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « ابن أم » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

والأفضل والأولىٰ أن يثبت المسلم علىٰ دينه ولو أفضىٰ إلىٰ[١] قتله ، كما ذكر[٢] الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد اللّٰه بن حذافة السهمي أحد الصحابة : أنه أسرته الروم ، فجاءوا به إلىٰ ملكهم ، فقال له : تنصر وأنا أشركك في ملكي وأزوجك ابنتي . فقال له : لو أعطيتني جميع ما تملك ، وجميع ما تملكه العرب ، علىٰ أن أرجع عن دين محمد [صلىٰ اللّٰه عليه وسلم] طرفة عين ما فعلت . فقال : إذًا أقتلك . فقال[٣] : أنت وذاك . قال[٤] : فأمر به فصلب ، وأمر الرماة فرموه قريبًا من يديه ورجليه ، وهو يعرض عليه دين النصرانية فيأبىٰ ، ثم أمر به فأنزل ، ثم أمر بقدر - وفي رواية : ببقرة من نحاس - فأحميت ، وجاء بأسير من المسلمين فألقاه وهو ينظر ، فإذا هو عظام يلوح ، وعرض عليه فأبىٰ ، فأمر به أن يلقىٰ فيها ، فرفع في البكرة ليلقىٰ فيها فبكىٰ ، فطمع فيه ودعاه ، فقال له[٥] : إني إنما بكيت لأن نفسي إنما هي نفس واحدة تلقىٰ في هذه القدر الساعة [في اللّٰه][٦] ، فأحببت أن يكون لي بعدد كل شعرة في جسدي نفس تعذب هذا العذاب في اللّٰه . وفي بعض الروايات : أنه سجنه ومنع عنه الطعام والشراب أيامًا ، ثم أرسل إليه بخمر ولحم خنزير فلم يقربه ، ثم استدعاه فقال : ما منعك أن تأكل ؟ فقال : أما إنه قد حل لي ولكن لم أكن لأشمتك في . فقال له الملك : فقبل رأسي وأنا أطلقك فقال[٧] : [وتطلق معي جميع أسارى المسلمين ؟ قال :][٨] نعم[٩] . فقبل رأسه ، فأطلقه وأطلق معه[١٠] جميع أسارى المسلمين عنده ، فلما رجع قال عمر بن الخطاب - رضي اللّٰه عنه - : حق علىٰ كل مسلم أن يقبل رأس عبد اللّٰه بن حذافة وأنا أبدأ . فقام فقبل رأسه [- رضي اللّٰه عنهما] - .

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ ۞ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾

هؤلاء صنف آخر كانوا مستضعفين بمكة مهانين في قومهم ، قد واتوهم علىٰ الفتنة ، ثم إنهم أمكنهم الخلاص بالهجرة ، فتركوا بلادهم وأهليهم وأموالهم ابتغاء رضوان اللّٰه وغفرانه ،

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز ، خ : « قال » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - في ز : « قال » .
[٥] - زيادة من : ز .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - في خ : « وأطلق جميع أسارى المسلمين قال » .
[٩] - سقط من : ز ، خ .
[١٠] - سقط من : خ .

وانتظموا في سلك المؤمنين ، وجاهدوا معهم الكافرين وصبروا ، فأخبر الله[١] تعالىٰ أنه ﴿ **من بعدها** ﴾ أي : تلك الفعلة وهي الإجابة إلىٰ الفتنة ﴿ **لغفور** ﴾ لهم ﴿ **رحيم** ﴾ بهم يوم معادهم ﴿ **يوم تأتي كل نفس تجادل** ﴾ أي : تحاج ﴿ **عن نفسها** ﴾ ليس أحد يحاج عنها ؛ لا أب ولا ابن ، ولا أخ ولا زوج[٢] ﴿ **وتوفىٰ كل نفس ما عملت** ﴾ أي : من خير وشر ﴿ **وهم لا يظلمون** ﴾ أي لا[٣] ينقص من ثواب الخير ، ولا يزاد علىٰ ثواب الشر، ولا يظلمون نقيرًا .

وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾

هذا مثل أريد به أهل مكة ؛ فإنها كانت آمنة مطمئنة مستقرة ، يتخطف الناس من حولها ، ومن دخلها [كان آمنًا][٤] لا يخاف ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وقالوا إن نتبع الهدىٰ معك نتخطف من أرضنا أو لم نمكن لهم حرمًا آمنًا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقًا من لدنا** ﴾ وهكذا قال هاهنا : ﴿ **يأتيها رزقها رغدًا** ﴾ أي : هنيئًا سهلًا ﴿ **من كل مكان فكفرت بأنعم الله** ﴾ أي : جحدت آلاء الله عليها ، وأعظمها[٥] بعثة محمد صلىٰ الله عليه وسلم إليهم ، كما قال تعالىٰ ﴿ **ألم تر إلىٰ الذين بدلوا نعمة الله كفرًا وأحلوا قومهم دار البوار * جهنم يصلونها وبئس[٦] القرار** ﴾ ولهذا بدلهم الله بحاليهم الأولين خلافهما ، فقال : ﴿ **فأذاقها الله لباس الجوع والخوف** ﴾ أي : ألبسها وأذاقها الجوع بعد أن كان يجبى إليهم ثمرات كل شيء ، ويأتيها رزقها رغدًا من كل مكان ، وذلك لما استعصوا علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، وأبوا إلا خلافه ، فدعا عليهم بسبع كسبع يوسف ، فأصابتهم سنة أذهبت كل شيء لهم ، فأكلوا العلهز[٧] : وهو وبر البعير يخلط[٨] بدمه إذا نحروه .

---

[١] - سقط من : ت .
[٢] - في ز : « زوجة » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « أمن » .
[٥] - في ز : « أعظم ذلك » .
[٦] - في ز ، خ : « فبئس » .
[٧] - في ز : « العهر » ، خ : « العهن » .
[٨] - في خ : « يحبل » .

وقوله : ﴿ **والخوف** ﴾ وذلك أنهم بدلوا بأمنهم خوفًا من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وأصحابه حين هاجروا إلىٰ المدينة ، من سطوة[١] سراياه وجيوشه ، وجعل[٢] كل مالهم في [دمار وسفال] ، حتىٰ فتحها الله عليهم ، وذلك بسبب صنيعهم وبغيهم ، وتكذيبهم الرسول صلىٰ الله عليه وسلم الذي بعثه الله فيهم[٣] ، وامتن به عليهم في قوله : ﴿ **لقد منّ الله علىٰ المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم** ﴾ الآية . وقوله[٤] تعالىٰ : ﴿ **فاتقوا الله يا أولي الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكرًا * رسولاً ...** ﴾ الآية . وقوله[٥] : ﴿ **كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **ولا تكفرون** ﴾ .

وكما أنه انعكس علىٰ الكافرين حالهم ؛ فخافوا بعد الأمن ، وجاعوا بعد الرغد ، فبدل الله المؤمنين من بعد خوفهم أمنًا ، ورزقهم بعد العيلة ، وجعلهم أمراء الناس وحكامهم وسادتهم وقادتهم وأئمتهم .

وهذا[٦] الذي قلناه من أن هذا المثل مضروب[٧] لمكة[٨] قاله العوفي عن ابن عباس ، وإليه ذهب مجاهد وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وحكاه مالك عن الزهري رحمهم الله .

وقال ابن جرير(٦٦) : حدثني ابن عبد الرحيم البرقي ، حدثنا ابن أبي مريم ، حدثنا نافع ابن يزيد ، حدثنا عبد الرحمن بن شريح : أن عبد الكريم بن الحارث الحضرمي حدثه : أنه سمع [مشرح بن هاعان][٩] يقول : سمعت سليم بن عَتْر[١٠] يقول : صدرنا من الحج مع حفصة زوج النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، وعثمان رضي الله عنه محصور بالمدينة ، فكانت تسأل عنه ما فعل ؟ حتىٰ رأت راكبين : فأرسلت إليهما تسألهما[١١] ، فقالا : قتل . فقالت حفصة : والذي نفسي بيده إنها القرية - التي قال الله تعالىٰ : ﴿ **وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان فكفرت بأنعم الله** ﴾ . قال[١٢]

(٦٦) - أخرجه الطبرى (١٨٦/١٤) .

[١] - في خ : « سطوته و » ، المثبت من : ز .
[٢] - في خ : « جعلوا » .
[٣] - في ز ، خ : « منهم » .
[٤] - في خ : « قال » .
[٥] - في خ : « قال » .
[٦] - في ز ، خ : « هكذا » .
[٧] - في خ : « ضربوه » .
[٨] - في ت : لأهل مكة .
[٩] - ما بين المعكوفتين في خ : « شرح بن عاهان » .
[١٠] - في خ : « عنبر » .
[١١] - في ز ، خ : « فسألتهما » .
[١٢] - في خ : « وقال » .

ابن[١] شريح : وأخبرني عبيد الله بن المغيرة ، عمن حدثه ، أنه كان يقول : إنها المدينة .

﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١١٤) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١١٥) وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (١١٦) مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١٧) ﴾

يقول تعالىٰ آمرًا عباده المؤمنين بأكل رزقه الحلال الطيب ، وبشكره علىٰ ذلك ، فإنه المنعم المتفضل به ابتداء ، الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له .

ثم ذكر تعالىٰ ما حرمه عليهم ، مما[٢] فيه مضرة لهم في دينهم ودنياهم ؛ من الميتة والدم ولحم الخنزير .

﴿ **وما أهل [ ][٣] لغير الله به[٤]** ﴾ أي : ذبح علىٰ غير اسم الله ، ومع هذا فمن اضطر إليه ، أي : احتاج من[٥] غير بغي ولا عدوان فإن الله غفور رحيم .

وقد تقدم الكلام علىٰ مثل هذه الآية في سورة البقرة ، بما فيه كفاية عن إعادته ولله الحمد .

ثم نهىٰ تعالىٰ عن [سلوك سبيل][٦] المشركين : الذين حللوا وحرموا بمجرد ما وضعوه ، واصطلحوا عليه من الأسماء بآرائهم ؛ من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، وغير ذلك مما كان شرعًا لهم ابتدعوه في جاهليتهم ، فقال : ﴿ **ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا علىٰ الله الكذب** ﴾ ويدخل في هذا كل من ابتدع بدعة ليس له فيها مستند شرعي ، أو حلل شيئًا مما[٧] حرم الله ، [أو حرم شيئًا مما أباح الله][٨] ،

---

[١] - في ز : « أبو » .
[٢] - في خ : « بما » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « به » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز ، خ : « في » .
[٦] - في خ : « سبل سلوك » .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

بمجرد رأيه وتشهيه .

«وما» في قوله : ﴿ لما تصف[١]﴾ مصدرية ، أي : ولا تقولوا الكذب لوصف ألسنتكم .

ثم توعد علىٰ ذلك فقال : ﴿ إن الذين يفترون علىٰ اللّه الكذب لا يفلحون ﴾ أي : في الدنيا ولا في الآخرة ، أما في الدنيا فمتاع قليل ، وأما في الآخرة فلهم عذاب أليم ، كما قال : ﴿ نمتعهم قليلًا ثم نضطرهم إلىٰ عذاب غليظ ﴾ ، وقال : ﴿ إن الذين يفترون علىٰ اللّه الكذب لا يفلحون * متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون ﴾ .

وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾

لما ذكر تعالىٰ : أنه حرم علينا الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير اللّه به ، وإنه أرخص فيه عند الضرورة - وفي ذلك توسعة لهذه الأمة التي يريد اللّه بها اليسر ولا يريد بها العسر - ذكر سبحانه وتعالىٰ ما كان حرمه علىٰ اليهود في شريعتهم قبل أن ينسخها ، وما كانوا فيه من الآصار والتضييق[٢] والأغلال والحرج ، فقال : ﴿ وعلىٰ الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل ﴾ أي[٣] : في سورة الأنعام ؛ في قوله : ﴿ وعلىٰ الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ لصادقون ﴾ ولهذا قال هاهنا : ﴿ وما ظلمناهم ﴾ أي : فيما ضيقنا عليهم ﴿ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ أي : فاستحقوا ذلك كقوله[٤] : ﴿ فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدّهم عن سبيل اللّه كثيرًا ﴾ ثم أخبر تعالىٰ تكرمًا وامتنانًا في حق العصاة المؤمنين : أن من تاب منهم إليه تاب عليه ، فقال : ﴿ ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ﴾ قال بعض السلف : كل من عصىٰ اللّه فهو جاهل .

﴿ ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ﴾ أي : أقلعوا عما كانوا فيه من المعاصي ، وأقبلوا علىٰ فعل الطاعات ﴿ إن ربك من بعدها ﴾ أي : تلك الفعلة والزلة ﴿ لغفور رحيم ﴾ .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في خ : مكانها بعد كلمة « والحرج » .

[٣] - في خ : « يعني » .

[٤] - في خ : « كما قال » .

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لأنعمه ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٢١) وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (١٢٢) ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (١٢٣)﴾

يمدح تعالىٰ عبده ورسوله وخليله إبراهيم إمام الحنفاء ، ووالد الأنبياء ، ويبرئه[١] من المشركين ، ومن اليهودية والنصرانية ، فقال : ﴿ **إن إبراهيم كان أمة قانتًا للَّه حنيفًا** ﴾ فأما الأمة : فهو الإمام الذي يقتدى به ، والقانت : هو الخاشع المطيع ، و[٢] الحنيف : المنحرف قصدًا عن الشرك إلىٰ التوحيد ، ولهذا قال : ﴿ **ولم يك من المشركين** ﴾ .

قال سفيان الثوري ، عن سلمة بن كهيل ، عن مسلم البطين ، عن أبي العبيدين[٣] : أنه سأل عبد اللَّه بن مسعود عن الأمة القانت ؟ فقال : الأمة : معلم الخير ، والقانت : المطيع للَّه ورسوله . وعن مالك قال : قال ابن عمر : الأمة الذي يعلم الناس دينهم .

وقال الأعمش [عن الحكم][٤] عن يحيىٰ بن الجزار ، عن أبي العبيدين : أنه جاء إلىٰ عبد اللَّه فقال : من نسأل إذا لم نسألك ؟ فكأن ابن مسعود رق له ، فقال : أخبرني عن الأمة ؟ فقال : الذي يعلم الناس الخير .

وقال الشعبي : حدثني فروة بن نوفل الأشجعي قال : قال ابن مسعود : إن معاذًا كان أمة قانتًا للَّه حنيفًا . فقلت في نفسي : غلط أبو عبد الرحمن ، وقلت[٥] : إنما قال اللَّه : ﴿ **إن إبراهيم كان أمة** ﴾ فقال : أتدري[٦] ما الأمة وما القانت ؟ قلت : اللَّه أعلم . فقال[٧] الأمة الذي يعلم الخير ، والقانت : المطيع للَّه ورسوله .

وكذلك كان معاذ [معلم الخير وكان مطيعًا لله ورسوله][٨] . وقد روي من غير وجه عن ابن مسعود . أخرجه[٩] ابن جرير(٦٧) .

(٦٧) - أخرجه الطبرى (١٤/١٩١) .

[١] - في ز : « تبريه » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ز ، خ : « العبديين » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : ز ، خ : « فقال » .
[٦] - في ز : « تدري » .
[٧] - في ز : « قال » .
[٨] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز .
[٩] - في ز : « حرره » .

وقال مجاهد : أمة أي : أمة وحده ، والقانت : المطيع . وقال مجاهد أيضًا : كان إبراهيم أمة : أي : مؤمنًا وحده ، والناس كلهم إذ ذاك كفار .

وقال قتادة : كان إمام هدى ، والقانت : المطيع لله .

وقوله : ﴿ **شاكرًا لأنعمه** ﴾ أي : قائمًا بشكر نعم الله عليه كقوله تعالىٰ : ﴿ **وإبراهيم الذي وفىٰ** ﴾ أي : قام بجميع ما أمره الله تعالىٰ به .

وقوله : ﴿ **اجتباه** ﴾ أي : اختاره واصطفاه ، كقوله[١] : ﴿ **ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين** ﴾ ثم قال : ﴿ **وهداه إلىٰ صراط مستقيم** ﴾ وهو عبادة الله وحده لا شريك له علىٰ شرع مرضي .

وقوله : ﴿ **وآتيناه في الدنيا حسنة** ﴾ أي : جمعنا له خير الدنيا من جميع ما يحتاج المؤمن إليه في إكمال حياته الطيبة ﴿ **وإنه في الآخرة لمن الصالحين** ﴾ .

وقال مجاهد في قوله : ﴿ **وآتيناه في الدنيا حسنة** ﴾ أي : لسان صدق .

و[٢] قوله : ﴿ **ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفًا** ﴾ أي : ومن كماله وعظمته وصحة توحيده وطريقه أنَّا أوحينا إليك يا خاتم الرسل وسيد الأنبياء ﴿ **أن اتبع ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين** ﴾ كقوله[٣] في الأنعام : ﴿ **قل إنني هداني ربي إلىٰ صراط مستقيم * دينًا قيمًا ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين** ﴾ ثم قال تعالىٰ منكرًا علىٰ اليهود .

إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾

لا شك أن الله تعالىٰ[٤] شرع في كل ملة يومًا من الأسبوع يجتمع الناس فيه للعبادة ، فشرع تعالىٰ لهذه الأمة يوم الجمعة ؛ لأنه اليوم[٥] السادس الذي أكمل الله فيه الخليقة ، واجتمعت فيه وتمت النعمة علىٰ عباده ، ويقال : [إن الله][٦] تعالىٰ شرع ذلك لبني إسرائيل علىٰ لسان موسىٰ ، فعدلوا عنه واختاروا السبت ؛ لأنه اليوم الذي لم يخلق فيه الرب شيئًا من المخلوقات الذي كمل خلقها يوم الجمعة ، فألزمهم تعالىٰ به في شريعة التوراة ،

---

[١] - في خ : « كما قال » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في خ : « كما قال » .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « إنه » .

ووصاهم أن يتمسكوا به ، وأن يحافظوا عليه ، مع أمره إياهم بمتابعة محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم إذا بعثه ، وأخذ[١] مواثيقهم وعهودهم علىٰ ذلك ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **إنما جعل السبت علىٰ الذين اختلفوا فيه** ﴾ .

قال مجاهد : اتبعوه وتركوا الجمعة .

ثم إنهم لم يزالوا متمسكين به حتىٰ بعث اللَّه عيسىٰ بن مريم ، فيقال : إنه[٢] حولهم إلىٰ يوم الأحد ، ويقال : [إنه لم يترك شريعة التوراة إلا ما نسخ من بعض أحكامها ، و][٣] إنه لم يزل محافظًا علىٰ السبت حتىٰ رفع ، وإن النصارىٰ بعده في زمن[٤] قسطنطين هم الذين تحولوا إلىٰ يوم الأحد مخالفة لليهود ، وتحولوا إلىٰ الصلاة شرقًا عن الصخرة ، واللَّه أعلم .

وقد ثبت في الصحيحين(٦٨) : من حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام ، [عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - [أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال][٥] : « **نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، ثم هذا يومهم الذي فرض اللَّه عليهم ، فاختلفوا فيه فهدانا اللَّه له ، فالناس لنا فيه تبع ، اليهود غدًا ، والنصارىٰ بعد غد** » لفظ البخاري .

وعن أبي هريرة وحذيفة رضي اللَّه عنهما قالا : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أضل اللَّه عن الجمعة من كان قبلنا ، فكان لليهود يوم السبت ، وكان للنصارىٰ يوم الأحد ، فجاء اللَّه بنا فهدانا اللَّه ليوم الجمعة ، فجعل الجمعة والسبت والأحد ، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة ، نحن الآخرون من أهل الدنيا ، والأولون يوم القيامة ، والمقضي بينهم قبل الخلائق** » رواه مسلم(٦٩) .

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾

(٦٨) - أخرجه مسلم في كتاب الجمعة ، باب : هداية هذه الأمة ليوم الجمعة ، حديث (٨٥٥) (٦/٢٠٥) .
ولم أجده في البخاري من هذا الطريق ، بيد أنه أخرجه في كتاب الجمعة ، بهذا اللفظ من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة فذكره .

(٦٩) - أخرجه مسلم في كتاب الجمعة ، باب : هداية هذه الأمة ليوم الجمعة ، حديث (٨٥٦) (٦/٢٠٦) .

[١] - في ز : « وأخذه » .
[٢] - في خ : « لأنه » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز : « زمان » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول » .

يقول تعالىٰ : آمرًا رسوله محمدًا صلىٰ اللَّه عليه وسلم أن يدعو الخلق إلىٰ اللَّه بالحكمة ،

قال ابن جرير : وهو ما أنزله عليه من الكتاب والسنة والموعظة الحسنة . أي : بما فيه من الزواجر والوقائع بالناس ، ذكرهم بها ليحذروا بأس اللَّه تعالىٰ .

وقوله : ﴿ **وجادلهم بالتي هي أحسن** ﴾ [أي : من احتاج منهم إلىٰ مناظرة وجدال ، فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن**][١] **إلا الذين ظلموا منهم** ﴾ الآية[٢] ، فأمره تعالىٰ بلين الجانب ، كما أمر به[٣] موسىٰ وهارون عليهما السلام ، حين بعثهما إلىٰ فرعون في قوله : ﴿ **فقولا له قولًا لينًا لعله يتذكر أو يخشىٰ** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين** ﴾ ، أي : قد علم الشقي منهم والسعيد ، وكتب ذلك عنده وفرغ منه ، فادعهم إلىٰ اللَّه ، ولا تذهب نفسك علىٰ من ضل منهم حسرات ، فإنه ليس عليك هداهم ، إنما أنت نذير ، عليك البلاغ و[٤] علينا الحساب ﴿ **إنك لا تهدي من أحببت** ﴾ ، و ﴿ **ليس عليك هداهم ولكن اللَّه يهدي من يشاء** ﴾ .

وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

يأمر تعالىٰ بالعدل في القصاص[٥] ، والمماثلة في استيفاء الحق ، كما قال عبد الرزاق : عن الثوري ، عن خالد ، عن ابن سيرين أنه قال في قوله تعالىٰ : ﴿ **فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به** ﴾ إن أخذ منك رجل شيئًا فخذ منه[٦] مثله . وكذا قال مجاهد وإبراهيم والحسن البصري وغيرهم واختاره ابن جرير .

وقال ابن زيد : كانوا قد أمروا بالصفح عن المشركين ، فأسلم رجال ذوو[٧] منعة ،

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في ز ، خ : « الاقتصاص » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في خ : « ذو » ، والمثبت من : ز .

فقالوا : يا رسول اللَّه ، لو أذن اللَّه لنا لانتصرنا من هؤلاء الكلاب . فنزلت هذه الآية ، ثم نسخ ذلك بالجهاد .

وقال محمد بن إسحاق عن بعض أصحابه ، عن عطاء بن يسار قال : نزلت سورة النحل كلها بمكة ، وهي مكية إلا ثلاث آيات من آخرها نزلت بالمدينة ، بعد أحد حين[١] قتل حمزة رضي اللَّه عنه ومثل به ، فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لئن ظهرنا اللَّه[٢] عليهم لنمثلن بثلاثين رجلاً منهم** » . فلما سمع المسلمون ذلك ، قالوا : واللَّه لئن ظهرنا عليهم لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط . فأنزل اللَّه : ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به** ﴾ إلىٰ آخر السورة(٧٠) .

وهذا مرسل ، وفيه رجل[٣] مبهم لم يسم ، وقد روي هذا من وجه آخر متصل ؛ فقال الحافظ أبو بكر البزار(٧١) :

حدثنا الحسن بن يحيىٰ ، حدثنا عمرو بن عاصم ، حدثنا صالح المري[٤] ، عن سليمان التيمي عن أبي عثمان ، عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم وقف علىٰ حمزة بن عبد المطلب - رضي اللَّه عنه - حين[٥] استشهد ، فنظر إلىٰ منظر لم ينظر أوجع للقلب منه - أو قال : لقلبه - فنظر إليه وقد مثل به ، فقال : « **رحمة اللَّه عليك . إن كنت لما علمتُ لوصولاً للرحم ، فعولاً للخيرات ، واللَّه لولا حزن من بعدك عليك ، لسرني أن أتركك حتىٰ يحشرك اللَّه من بطون السباع** - أو كلمة نحوها - **أما واللَّه علىٰ ذلك لأمثلن بسبعين كمثلتك** » . فنزل جبريل عليه السلام علىٰ محمد [صلىٰ اللَّه عليه وسلم][٦] بهذه السورة ، وقرأ : ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به** ﴾ إلى آخر الآية ، فكفَّر رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يعني عن يمينه وأمسك عن ذلك .

وهذا إسناد فيه ضعف ؛ لأن صالحاً هو[٧] ابن[٨] بشير المري[٩] ضعيف عند الأئمة ، وقال البخاري : هو منكر الحديث .

(٧٠) - أخرجه الطبرى (١٤/١٩٥ - ١٩٦) .
(٧١) - أخرجه البزار في كتاب الهجرة والمغازي ، باب : غزوة أحد ، حديث (١٧٩٥) (٢/٣٢٧) .

[١] - في خ : « حيث » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز : « المزي » .
[٥] - في خ : « حيث » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٧] - في ز : « وهو » .
[٨] - سقط من : ز ، خ .
[٩] - في ز : « المزي » .

وقال الشعبي وابن جريج : نزلت في قول المسلمين يوم أحد فيمن مثل بهم : [لنربينَّ عليهم][١] . فأنزل اللّٰه فيهم ذلك .

وقال عبد اللّٰه بن الإمام أحمد في مسند أبيه(٧٢) : حدثنا هدية بن عبد الوهاب[٢] المروزي ، حدثنا الفضل بن موسىٰ ، حدثنا عيسىٰ بن عبيد ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب قال : لما كان يوم أحد قتل من الأنصار ستون رجلًا ، ومن المهاجرين ستة ، فقال أصحاب رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : لئن كان لنا يوم مثل هذا من المشركين [لنربين عليهم][٣] . فلما كان يوم الفتح ، قال رجل : لا نعرف قريش بعد اليوم . [فنادىٰ مناد][٤] : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قد[٥] أمن الأسود والأبيض ، إلا فلانًا وفلانًا - ناسًا سماهم - فأنزل اللّٰه تبارك وتعالىٰ : ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به** ﴾ [إلىٰ آخر السورة][٦] . فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **نصبر ولا نعاقب** » .

وهذه الآية الكريمة لها أمثال في القرآن ، فإنها مشتملة علىٰ مشروعية العدل ، والندب إلىٰ الفضل ، كما في قوله : ﴿ **وجزاء سيئة سيئة مثلها** ﴾ ثم قال : ﴿ **فمن عفا وأصلح فأجره علىٰ اللّٰه** ﴾ الآية[٧] ، وقال : ﴿ **والجروح قصاص** ﴾ ثم قال ﴿ **فمن تصدق به فهو كفارة له** ﴾ ، وقال في هذه الآية الكريمة : ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به** ﴾ ثم قال : ﴿ **ولئن صبرتم لهو خير للصابرين** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **واصبر وما صبرك إلا بالله** ﴾ تأكيد للأمر بالصبر ، وإخبار بأن ذلك لا[٨] ينال إلا[٩] بمشيئة اللّٰه وإعانته ، وحوله وقوته .

---

(٧٢) - أخرجه أحمد (١٣٥/٥) (٢١٣٠٩) . وأخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة النحل (٥/ ٢٩٩، ٣٠٠/رقم: ٣١٢٩) . وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب من حديث أبي ابن كعب . ورواه النسائي في الكبرى في كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به** ﴾ (٦/ ٣٧٦/رقم: ١١٢٧٩) . - كلاهما من طريق أبي عمار الحسين بن حريث عن الفضل ابن موسى به . ورواه الحاكم (٣٥٨/٢ - ٤٤٦) . واختاره الضياء في مختارته حديث ١١٤٤ (٣٥١/٣ - ٣٥٢) وقال : ورواه أبو حاتم البستي - يعني ابن حبان - مثل حديث الحسين بن حريث ، عن عبد الله بن محمد ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن الفضل بن موسى . الإحسان حديث ٤٨٧ (٣٥٤/١) .

---

[١] - في ز ، خ : « لنمثلن بهم » .

[٢] - في خ : « الوالب »

[٣] - في ت : « لنمثلن بهم » .

[٤] - في خ : « فناد » .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « الآية » .

[٧] - سقط من : ز ، خ .

[٨] - في ز : « إنما » .

[٩] - سقط من : خ .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ولا تحزن عليهم** ﴾ أي : علىٰ من خالفك لا تحزن عليهم ؛ فإن اللَّه قدر ذلك ﴿ **ولا تك في ضيق** ﴾ أي : غم ﴿ **مما يمكرون** ﴾ أي : مما يجهدون أنفسهم في عداوتك وإيصال الشر إليك ، فإن اللَّه كافيك وناصرك ومؤيدك ومظهرك ومظفرك بهم .

وقوله : ﴿ **إن اللَّه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** ﴾ أي : معهم[١] بتأييده ونصره ومعونته [وهديه وسعيه][٢] ، [وهذه معية][٣] خاصة ، كقوله : ﴿ **إذ يوحي ربك إلىٰ الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا** ﴾ ،وقوله لموسىٰ وهارون : ﴿ **لا تخافا إنني معكما أسمع وأرىٰ** ﴾ ، وقول النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم للصدّيق وهما في الغار : « **لا تحزن إن اللَّه معنا** »(٧٣) ، وأما المعية العامة[٤] فبالسمع والبصر والعلم ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **وهو معكم أينما كنتم واللَّه بما تعملون بصير** ﴾ ، وكقوله تعالىٰ : ﴿ **ألم تر أن اللَّه يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوىٰ ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنىٰ من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا** ﴾ ، وكما قال تعالىٰ : ﴿ **وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودًا** ﴾ الآية .

ومعنىٰ : ﴿ **الذين اتقوا** ﴾ أي : تركوا المحرمات ﴿ **والذين هم محسنون** ﴾ أي : فعلوا الطاعات ، فهؤلاء [اللَّه يحفظهم] ويكلؤهم ، وينصرهم ويؤيدهم ، ويظفرهم علىٰ أعدائهم ومخالفيهم .

وقال ابن أبي حاتم : ثنا أبي ، ثنا محمد بن بشار ، ثنا أبو أحمد الزبيري ، ثنا مسعر ، عن ابن عون ، عن محمد بن حاطب قال : كان عثمان رضي اللَّه عنه من الذين آمنوا والذين اتقوا والذين هم محسنون .

آخر تفسير[٥] سورة النحل ولله الحمد أجمعه والمنة

وبه المستعان [وهو حسبنا ونعم الوكيل][٦] .

☆ ☆ ☆

(٧٣) - أخرجه البخاري في كتاب المناقب ، باب : علامات النبوة ، حديث (٣٦١٥) (٦٢٢/٦) ، وطرفه في (٣٦٥٢) . ومسلم في كتاب الزهد والرقائق ، حديث (٢٠٠٩) (١٩٩/١٨) . كلاهما من حديث البراء عن أبي بكر - رضي اللَّه عنهما - في حديث الهجرة الطويل .

[١] - في خ : « مع » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[تفسير سورة سبحان وهي مكية][١]

قال الإمام البخاري(١) : حدثنا آدم بن أبي إياس ، حدّثنا شعبة عن أبي إسحاق قال : سمعت عبد الرحمن بن يزيد ، سمعت ابن مسعود رضي الله عنه [ ][٢] قال في بني إسرائيل والكهف ومريم : إنهن من العِتَاق الأول ، وهُن من تِلادي (*) .

وقال الإمام أحمد(٢) : حدّثنا عبد الرحمن ، حدثنا حماد بن زيد ، عن مَرْوان أبي لبابة ، سمعت عائشة تقول : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يصوم حتىٰ نقول : ما يريد أن يُفْطِر ، ويفطرُ حتىٰ نقول : ما يريد أن يصوم ، وكان يقرأ كل ليلة بني إسرائيل والزمر

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١ ﴾

يمجد تعالىٰ نفسه ، ويعظم شأنه ، لقدرته علىٰ مالا يقدر عليه أحد سواه ، فلا إله غيره [ولا رب سواه][٣] ، ﴿ **الذي أسرىٰ بعبده** ﴾ يعني محمدًا صلوات الله وسلامه عليه ﴿ **ليلا** ﴾ ، أي : في جنح الليل ، ﴿ **من المسجد الحرام** ﴾ ، وهو مسجد مكة ، ﴿ **إلىٰ المسجد الأقصىٰ** ﴾ ، وهوبيت المقدس الذي [بإيلياء][٤] ، معدن الأنبياء من لدن إبراهيم الخليل عليه السلام ؛ ولهذا جُمعوا له هنالك كلهم ، فأمَّهم في محلتهم ودارهم ، فدل علىٰ

(١) - صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : سورة بني إسرائيل حديث رقم (٤٧٠٨) .

(*) - أي من أول ما أخذته وتعلمته بمكة . والتالد : المال القديم الذي ولد عنك . وهو نقيض الطارف . (النهاية ١/١٩٤) .

(٢) - « المسند » (١٨٩/٦) وأخرجه أيضًا (٦٨/٦،١٢٢) ، والترمذي ، كتاب : ثواب القرآن ، باب : فضل سورة الإسراء والزمر والمسبحات (٢٩٢١) ، وكتاب : الدعوات (٣٤٠٢) ، والنسائي في « عمل اليوم والليلة » (٧١٢) . وابن خزيمة في صحيحه (١١٦٣/٢) والمروزي في « قيام الليل » (ص ١٥٣ - المختصر) ، والحاكم في « المستدرك » (٤٣٤/٢-٤٣٥) والمزي في « تهذيب الكمال » (٤١٣/٢٧) من طرق عن حماد بن زيد به ، وسكت عنه الحاكم والذهبي ، وترجم للحديث ابن خزيمة فقال : « باب استحباب قراءة بني إسرائيل .... إن كان أبو لبابة هذا يجوز الاحتجاج بخبره فإني لا أعرفه بعدالة ولا جرح » .

قلت : أبو لبابة اسمه مروان الورّاق وقد وثقه ابن معين كما في التهذيب ، وابن حبان في « الثقات » (٥/ ٤٢٤،٤٢٥) ، والذهبي في « الكاشف » (٣/ت٥٤٦٥) ، وابن حجر في « التقريب » ، وقال الترمذي عقب الحديث : « حديث حسن غريب : وأبو لبابة شيخ بصري قد روى عنه حماد بن زيد غير =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز، خ : « يقول » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من خ ، ز .
[٤] - في ت : « هو إيلياء » .

أنه هو الإمام الأعظم ، والرئيس المقدَّم ، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **الذي باركنا حوله** ﴾ أي : في الزروع والثمار ، ﴿ **لنريه** ﴾ ، أي : محمدًا ، ﴿ **من آياتنا** ﴾ ، أي : العظام ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **لقد رأىٰ من آيات ربه الكبرىٰ** ﴾ وسنذكر من ذلك ما وردت به السنة من[١] الأحاديث عنه ، صلوات الله عليه وسلامه .

وقوله : ﴿ **إنه هو السميع البصير** ﴾ ، أي : السميع لأقوال[٢] عباده ؛ مؤمنهم وكافرهم ، مصدقهم ومكذبهم ، البصير بهم ، فيعطي كلًّا[٣] ما يستحقه في الدنيا والآخرة .

[ذكر الأحاديث الواردة في الإسراء . رواية أنس بن مالك]

[قال الإمام أبو عبد الله البخاري(٣) : حدثني عبد العزيز بن عبد الله ، حدثنا سليمان - هو ابن بلال - عن شريك بن عبد الله ؛ قال : سمعت أنس بن مالك][٤] يقول ليلة أسري برسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من مسجد الكعبة : إنه جاءه ثلاثةُ نفرٍ قبل أن يوحىٰ إليه ، وهو نائم في المسجد الحرام ، فقال أولهم : أيُّهم هو ؟ فقال أوسطُهم : هو خيرُهم ، وقال آخرهم : خذوا خيرهم[٥] فكانت تلك الليلة ، فلم يَرَهُم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عيناه . ولا ينام قلبه - وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم - فلم يكلموه حتىٰ احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم ، فتولَّاه منهم جبريلُ ، فشق جبريل ما بين نحره إلىٰ لَبَّتِهِ[٦] حتىٰ فرغ من صدره وجوفه ، فغسله من ماء زمزمَ بيده ، حتىٰ أنقىٰ جوفه ، ثم أُتِيَ بِطَسْتٍ من ذهب فيه تَورٌ[٧] من ذهب محشُوّ إيمانًا وحكمةً ، فحشا به صدَره ولغادِيَده - يعني عروق حلقه - ثم أطبقه ثم عرج به إلىٰ السماء الدنيا ، فضرب بابًا من أبوابها ، فناداه أهل السماء : من هذا ؟ فقال : جبريل . قالوا : ومن معك ؟ قال : معي محمد صلى الله عليه وسلم . قالوا : وقد بُعث إليه ؟ قال : نعم . قالوا : مرحبًا به وأهلًا[٨] ، يستبشر به أهل

= حديث ويقال اسمه مروان .. » وجَوَّد إسناده الألباني في « الصحيحة » (٦٤١/٢) .

(٣) - صحيح البخاري ، كتاب : التوحيد ، باب : ما جاء في قوله عز وجل : ﴿ **وكلم الله موسى تكليمًا** ﴾ (٧٥١٧) وقد وقع لشريك بن عبد الله بن أبي نمر فيه أوهام خالف فيها غيره في زيادة على عشرة مواضع قد نبه عليها غير واحد من الحفاظ كما في « فتح الباري » (٣٨٠/١٣، ٤٨٥) و« زاد المعاد » (٤٢/٣) .

[١] - في ز ، خ : « في » .
[٢] - في ز : « لاقول » .
[٣] - في ت : كلًّا منهم .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من ز ، خ .
[٥] - في خ : « أخيرهم » .
[٦] - اللَّبة : الهزمة التي فوق الصدر .
[٧] - التور : الإناء
[٨] - سقط من : خ .

السماء ، لايعلم أهل السماء بما يريد اللّه به في الأرض حتىٰ يُعلمَهم .

ووجد في السماء الدنيا آدم ، فقال له جبريل : هذا أبوك آدم ، فسلِّمْ عليه . فسلَّمَ عليه ، وردّ عليه آدم فقال : مرحبًا وأهلًا بابني[١] ، نعم الابن أنت ! فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطّردان ، فقال : « **ما هذان النهران يا جبريل ؟** » قال : هذان[٢] النيل والفرات عُنصرُهما ، ثم مضىٰ به في السماء ، فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد ، فضرب بيده فإذا هو مسك أذفر[٣] فقال : « **ما هذا يا جبريل ؟** » قال : هذا الكوثر الذي خَبَأَ لك ربُّكَ ، ثم عَرَجَ إلىٰ السماء الثانية ، فقالت الملائكة له[٤] مثل ما قالت له الأولىٰ[٥] : من هذا ؟ قال : جبريل . قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد صلى الله عليه وسلم . قالوا : وقد بعث إليه ؟ قال : نعم . قالوا : مرحبًا وأهلًا وسهلًا ، ثم عَرَجَ به إلىٰ السماء الثالثة ، فقالوا له مثل ما قالت الأولىٰ والثانية . ثم عرج به إلىٰ السماء الرابعة فقالوا له مثل ذلك ، ثم عرج به إلىٰ السماء الخامسة ، فقالوا له مثل ذلك ، ثم عرج به إلىٰ السماء السادسة ، فقالوا له مثل ذلك ، ثم عرج به إلىٰ السماء[٦] السابعة ، فقالوا له مثل ذلك ، كلُّ سماءٍ فيها أنبياء قد سَمَّاهم ، قد وعيت منهم إدريس في الثانية ، وهارون في الرابعة ، وآخر في الخامسة لم أحفظ اسمَه ، وإبراهيم في السادسة ، وموسىٰ في السابعة بفضل[٧] كلام اللّه - فقال موسىٰ : ربِّ ؛ لم أظنّ أن ترفع[٨] عليّ أحدًا ، ثم علا به[٩] فوق ذلك ، بما لايعلمه إلا اللّه - عز وجل - حتىٰ جاء سدرة المنتهىٰ ، ودنا الجبار ربُّ العزة فتدلىٰ ، حتىٰ كان منه قاب قوسين أو أدنىٰ ، فأوحىٰ اللّه إليه فيما يوحى خمسين صلاة علىٰ أمتك كل يوم وليلة ، ثم هبط به حتىٰ بلغ موسىٰ ، فاحتبسه موسىٰ فقال : يا محمد ؛ ماذا عهد إليك ربك ؟ قال : « **عهد إليّ خمسين صلاة كل يوم وليلة** » . قال : إن أمتك لا تستطيع ذلك ، فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم ، فالتفت النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم إلىٰ جبريل ، كأنه يستشيره في ذلك ، فأشار إليه جبريل : أن نعم ، إن شئت . فَعَلا به إلىٰ الجبار تعالىٰ ، فقال[١٠] وهو في مكانه : « **يارَبِّ ؛ خفِّف عنا ؛ فإن أمتي لا تستطيع هذا** » . فوضع عنه عشر صلوات ، ثم رجع إلىٰ موسىٰ فاحتبسه ، فلم يزل يردده موسىٰ [إلىٰ ربه][١١] حتىٰ صارت إلىٰ[١٢] خمس صلوات ، ثم احتبسه موسىٰ عند الخمس فقال : يا محمد ؛ واللّه لقد راودت

[١] - في خ : « يا بني » .
[٢] - في (ز ، خ) : « هذا » .
[٣] - في ز : « أدفر » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في خ : « الملائكة الأولى » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في (ز ، خ) : « بتفضيل » .
[٨] - في ز : « يرفع » .
[٩] - سقط من : ز ، خ .
[١٠] - سقط من : ز .
[١١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[١٢] - سقط من : خ .

بني إسرائيل قومي على أدنى من هذا ، فضعُفوا[١] فتركوه[٢] ، فأمتك أضعفُ أجسادًا وقلوبًا وأبدانًا وأبصارًا وأسماعًا ، فارجع فليخفف عنك ربك ، كل ذلك يلتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى جبريل ليشير عليه ، ولا يكره ذلك جبريل ، فرفعه عند الخامسة فقال : « **ياربِّ ؛ إن أمتي ضعفاء أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبدانهم ، فخفف عنا** » . فقال الجبار : يا محمد ؛ قال : « **لبيك وسعديك** » . قال : إنه لا يبدل القول لديّ ؛ كما فرضت عليك في أمّ الكتاب ، كل حسنة بعشر أمثالها ، فهي[٣] خمسون في أمّ الكتاب ، وهي خمس عليك ، فرجع إلى موسى فقال : كيف فعلت ؟ فقال : « **خفَّف عنا ، أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها** » . فقال موسى : قد والله راودت بني إسرائيل على[٤] أدنى من ذلك فتركوه ، فارجع إلى ربك فليخفف عنك أيضًا . قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **يا موسى ؛ قد - والله - استحييت من ربي مما أختلف إليه** » . قال : فاهبط باسم الله ، قال[٥] : فاستيقظ وهو في المسجد الحرام . هكذا ساقه البخاري في كتاب التوحيد ، ورواه في صفة النبي(٤) صلى الله عليه وسلم ، عن إسماعيل بن أبي أويس ، عن أخيه أبي بكر عبد الحميد ، عن سليمان [بن بلال .

ورواه مسلم(٥) عن هارون بن سعيد عن ابن وهب عن سليمان][٦] قال ، فزاد ونقص ، وقدم وأخر ، وهو كما قاله مسلم - رحمه الله - فإن شريك بن عبد الله بن أبي نَمِر اضطرب في هذا الحديث ، وساء حفظه ولم يضبطه ، كما سيأتي بيانه في الأحاديث الأخر .

ومنهم من يجعل هذا منامًا توطئة لما وقع بعد ذلك ، والله أعلم .

[وقد قال الحافظ أبو بكر][٧] البيهقي(٦) : في حديث شريك زيادة تفرد بها ، على

---

(٤) - صحيح البخاري كتاب : المناقب ، باب كان النبي - صلى الله عليه وسلم - تنام عينه ولا ينام قلبه (٣٧٥٠) .

(٥) - صحيح مسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : الإسراء برسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى السماوات ، وفرض الصلوات (٢٦١) (١٦٢) .

(٦) - في « دلائل النبوة » (٢/٣٨٥) .

---

[١] - في ز ، خ : « وضعفوا » .

[٢] - في خ : « وتركوه » .

[٣] - في ز ، خ : « وهي » .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - سقط من : ت .

[٦] - ما بين المعكوفتين في خ : « به » .

[٧] - بياض في ز ، وفي خ : « وقال » .

مذهب من زعم أنه صلىٰ اللَّه عليه وسلم رأىٰ ربه[١] يعني قوله : ثم دنا الجبار رب العزة فتدلىٰ ، فكان قاب قوسين أو أدنىٰ - قال : وقول عائشة وابن مسعود وأبي هريرة - في حملهم هذه الآيات علىٰ رؤيته جبريل - عليه السلام - أصح .

وهذا الذي قاله البيهقي في هذه المسألة هو الحق ؛ فإن أبا ذر قال : يارسول اللَّه ؛ هل[٢] رأيت ربك ؟ قال : « نور أنَّىٰ أراه » . وفي رواية : « رأيت نورًا » . أخرجه مسلم(٧) ، رحمه اللَّه .

وقوله : ﴿ **ثم دنا فتدلىٰ** ﴾ إنما هو جبريل - عليه السلام - كما ثبت ذلك في الصحيحين ، عن عائشة أمّ المؤمنين(٨) ، وعن ابن مسعود(٩) ، وكذلك هو في صحيح مسلم(١٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، ولا يعرف لهم مخالف من الصحابة في تفسير هذه الآية بهذا .

وقال[٣] الإمام أحمد(١١) : حدثنا حسن بن موسىٰ ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا ثابت البُنَاني ، عن أنس بن مالك - رضى اللَّه عنه - أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « أتيتُ بالبراق ، وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل ، يضع حافره عند منتهىٰ طرفه ، فركبته ، فسار بي حتىٰ أتيت بيت المقدس ، فربطت الدابة بالحلقة التي يربط فيها الأنبياء ، ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت . فأتاني جبريل بإناء من خمر ، وإناء من لبن ، فاخترت اللبن قال جبريل : أصبت الفطرة . قال : ثم عَرَجَ بي إلىٰ السماء الدنيا ، فاستفتح جبريل فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل . فقيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل[٤] : وقد

---

(٧) - صحيح مسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : في قوله عليه السلام : « **نور أنى أراه** » وفي قوله : « **رأيت نورًا** » (٢٩١،٢٩٢) (١٧٨) ، وأخرجه أيضًا أحمد (١٤٧/٥،١٥٧،١٧٠،١٧٥) والترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب ومن سورة النجم (٣٢٧٨) ، وسيذكره المصنف هنا بأسانيده (رقم ٢٥،٢٦) .

(٨) - تقدم تخريجه [المائدة / آية ٦٧] .

(٩) - يأتي تخريجه [النجم / آية ٩] .

(١٠) - صحيح مسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : معنى قول الله عز وجل ولقد رآه نزلة أخرى ... (٢٨٣) (١٧٥) .

(١١) - « المسند » (١٤٨/٣-١٤٩) و(١٥٣/٣) مختصرًا ، وأخرجه أيضًا (٢٨٦/٣) ومسلم ، كتاب : الإيمان باب : الإسراء برسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى السماوات ... (٢٥٩) (١٦٢) والنسائي في « التفسير » من الكبرى (١١٥٣٠/٦) من طرق عن حماد بن سلمة به مختصرًا ومطولًا .
وتقدم [سورة يوسف / آية ٣٤/ رقم ٥٩] مقتصرًا على حسن يوسف عليه السلام .

---

[١] - في ت : الله .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - مكانها بياض في : ز .
[٤] - في ت : « فقيل » .

أرسل إليه ؟ [قال : قد أرسل إليه][١] ، ففتح لنا ؛ فإذا أنا بآدم ، فرحب ، ودعا[٢] لي بالخير[٣] ، ثم عرج بنا إلىٰ السماء الثانية ، فاستفتح جبريل فقيل له[٤] : من أنت ؟ قال : جبريل . فقيل : ومن معك ؟ قال : محمد . فقيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : قد أرسل إليه . ففتح لنا ، فإذا أنا بابنَي الخالة : يحيىٰ ، وعيسىٰ ، فرحبا بي ودعَوَا لي بخير .

ثم عَرَجَ بنا[٥] إلىٰ السماء الثالثة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل . فقيل : ومن معك ؟ فقال : محمد صلى الله عليه وسلم . فقيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : قد أرسل إليه . ففتح لنا ، فإذا أنا بيوسف - عليه السلام - ، وإذا هو قد أُعطي شطر الحسن ، فرحب ، ودعا لي بخير .

ثم عرج بنا إلىٰ السماء الرابعة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟ فقال : جبريل . فقيل : ومن معك ؟ قال : محمد . فقيل : قد أرسل إليه ؟ قال : [قد أرسل إليه][٦] . ففتح الباب ؛ فإذا أنا بإدريس ، فرحب ، ودعا لي بخير . ثم قال[٧] : يقول الله : ﴿ ورفعناه مكانًا عليًا ﴾ .

ثم عرج بنا إلىٰ السماء الخامسة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟ فقال : جبريل . فقيل : ومن معك ؟ قال : محمد . فقيل : [قد بعث إليه][٨] ؟ قال : قد بعث إليه . ففتح لنا ؛ فإذا أنا بهارون فرحب ، ودعا لي بخير .

ثم عرج بنا إلىٰ السماء السادسة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ فقال[٩] : محمد . فقيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه . ففتح لنا فإذا أنا بموسىٰ - عليه السلام - فرحب ودعا لي بخير .

ثم عرج بنا إلىٰ السماء السابعة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . فقيل[١٠] : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه . ففتح

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٢] - في ز ، خ : « فدعا » .

[٣] - في خ : « بخير » .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - في خ : « بي » .

[٦] - ما بين المعكوفتين في (ز ، خ) : « قد بعث إليه » ، والمثبت من المسند .

[٧] - سقط من : ز ، خ .

[٨] - ما بين المعكوفتين في (ز ، خ) : « قد أرسل إليه » ، والمثبت من : المسند .

[٩] - في خ : « قال » .

[١٠] - في خ : « قيل » .

لنا ، فإذا أنا بإبراهيم ، وإذا هو مستند إلىٰ البيت المعمور ، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، ثم لايعودون إليه .

ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهىٰ ، فإذا ورقها كآذان الفيلة ، وإذا ثمرها كالقلال . فلما غشيها من أمر اللَّه ماغشيها تغيرت ، فما أحد من خلق اللَّه تعالىٰ يستطيع أن يصفها من حسنها ، قال : فأوحىٰ اللَّه إليّ ما أوحىٰ ، و[١] فرض عليَّ في كل يوم وليلة خمسين صلاة ، فنزلتُ حتىٰ انتهيت إلىٰ موسىٰ قال : ما فرض ربك علىٰ أُمّتك ؟ قال : قلت[٢] : خمسين صلاة في كل يوم وليلة . قال : ارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف ؛ فإن أُمّتك لاتطيق ذلك ، وإني قد بلوت بني إسرائيل وخَبَرتهم . قال : فرجعت إلىٰ ربي ؛ فقلت : أيْ ربِّ ! خَفِّفْ عن أُمّتي . فحطّ عني خمسًا ، فرجعت إلىٰ موسىٰ ؛ فقال : ما فعلت ؟ قلت : قد حطّ عني خمسًا . قال : إن أمّتك لا تطيق ذلك ، فارجع[٣] إلىٰ ربك ؛ فاسأله التخفيف لأمّتك . قال : فلم أزل أرجع بين ربي ، وبين موسىٰ ، ويحطّ عني خمسًا خمسًا حتىٰ[٤] قال : يا محمد ؛ هي[٥] خمس صلوات في كل يوم وليلة ، بكل صلاة عشر ، فتلك خمسون صلاة ؛ ومن همّ بحسنة فلم يعملها كُتبت حسنة ، فإن عملها كتبت عشرًا . ومن همّ بسيئة ، ولم[٦] يعملها لم تكتب ، فإن عملها كُتبت سيئة واحدة . فنزلتُ حتىٰ انتهيت إلىٰ موسىٰ فأخبرته ، فقال : ارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف لأُمّتك ؛ فإنّ أمّتك لاتطيق ذلك ؛ فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « لقد رجعت إلىٰ ربي حتىٰ استحييت » . ورواه مسلم عن شيبان بن فروخ ، عن حماد بن سلمة بهذا السياق ، وهو أصحُّ من سياق شريك .

قال البيهقي(١٢) : « وفي هذا السياق دليل على أن المعراج كان ليلة أسري به - عليه الصلاة والسلام - من مكة إلى بيت المقدس » . وهذا الذي قاله هو الحق الذي لا شك فيه ، ولا مرية .

وقال الإمام أحمد(١٣) : حدثنا[٧] عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن قتادة ، عن أنس - رضي اللَّه عنه - : أن النبيّ صلىٰ اللَّه عليه وسلم أُتي بالبراق ليلة أُسري به مسرجًا ملجمًا ليركبه ،

(١٢) - « دلائل النبوة » للبيهقي (٢/٣٨٥) .

(١٣) - « المسند » (٣/١٦٤) والحديث عند عبد الرزاق في تفسيره (٢/٣٧٢) ومن طريق عبد الرزاق =

[١] - زيادة من : خ .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في خ : «وقد » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في ت : « هنّ » .
[٦] - في خ : « فلم » .
[٧] - في خ : « حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا صفوان » .

فاستصعب عليه ، فقال له جبريل : ما يحملك على هذا ؟! فوالله ما ركبك قط أكرم على الله منه . قال : فَارْفَضَّ عَرَقًا .

ورواه الترمذي ، عن إسحاق بن منصور ، عن عبد الرزاق ، وقال : [غريب لانعرفه إلا من حديثه](*) .

وقال أحمد أيضًا(١٤) : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا صفوان ، حدثني راشد بن سعد[١] ، وعبد الرحمن بن جبير ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما عرج بي إلى[٢] ربي - عز وجل - مررت بقوم لهم أظفار من نُحاس ، يخمشون وجوههم وصدورهم ، فقلت : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ، ويقعون في أعراضهم » .

وأخرجه أبو داود من حديث صفوان بن عمرو به . ومن وجه آخر ليس فيه أنس ، فالله أعلم .

وقال أيضًا(١٥) : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن سليمان التيمي ، عن أنس قال : قال

= أخرجه أيضًا الترمذي كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة بنى إسرائيل . (٣١٣٠) وعبد بن حميد في « المنتخب » (١١٨٥) وأبو يعلى في مسنده (٣١٨٤/٥) ، والآجري في « الشريعة » (١٠٨٧/٢) وابن جرير (١٥/١٥) والبيهقي في « الدلائل » (٣٦٢/٢-٣٦٣) وأبو نعيم في « الدلائل » وابن مردويه كما في « الدر المنثور » (٢٧٦/٤) ، وصححه ابن حبان (١/رقم ٤٧) من طريق أحمد ، وقال الترمذي : « حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرزاق » وأشار إليه الحافظ في « الفتح » (٢٠٦/٧-٢٠٧) وقال « أخرجه الترمذي وقال حسن غريب . وصححه ابن حبان » ، وصحح إسناده الألباني في « صحيح الترمذي » (٢٥٠٣/٣) رجاله ثقات وإسناده على شرط الشيخين لكن قتادة مدلس ولم أجده صرح بالسماع عند الجميع والله أعلم . وروى من طريق آخر عن أنس وهو الآتي برقم (٢٠) .

(١٤) - « المسند » (٢٢٤/٣) وأخرجه أبو داود ، كتاب : الأدب ، باب : في الغيبة (٤٨٧٨،٤٨٧٩) وابن أبي الدنيا في « كتاب الصمت » (رقم ٥٧٧) من طريق أبي المغيرة به . وأخرجه ابن أبي الدنيا أيضًا (رقم ١٦٥) من طريق أبي المغيرة به ليس فيه راشد بن سعد . وأخرجه أبو داود من طريق يحيى بن عثمان عن بقية عن صفوان به ليس فيه أنس . ومثل هذا لا يعله لأن أبا المغيرة واسمه عبد القدوس بن الحجاج ثقة من رجال الجماعة . ثم إن الناس رووه عن بقية موصولًا - انظر « الصحيحة » للألباني (٢/رقم ٥٣٣) - « وقال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء » (١٧٣٤/٤ - المستخرج) . « رواه أبو داود مسندًا ومرسلًا ، والمسند أصح » .

(١٥) - « المسند » (١٢٠/٣) ، وأخرجه مسلم ، كتاب : الفضائل ، باب : من فضائل موسى - صلى الله عليه وسلم - (١٦٥) (٢٣٧٥) من طريق عبدة بن سليمان عن سفيان عن سليمان التيمي ، سمعت =

(*) ما بين المعكوفتين في النسخة المطبوعة « وتحفة الأشراف » (١/رقم١٣٤١) : « حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرزاق .

[١] - في خ : « سعيد » . [٢] - سقط من ز .

رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « مررت ليلة أسري بي علىٰ موسىٰ - عليه السلام - قائما يصلي في قبره »

ورواه مسلم من حديث حماد بن سلمة ، عن سليمان بن طرخان التيمي وثابت البناني ، كلاهما عن أنس .

[قال النسائي : وهذا أصح من رواية من قال : سليمان ، عن ثابت ، عن أنس][1] . وقال أبو يعلىٰ الموصلي في مسنده(١٦) : حدثنا وهب بن بقية ، حدثنا خالد ، عن التيمي ، عن أنس قال : أخبرني بعض أصحاب النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ليلة أسري به مرّ علىٰ موسىٰ ، وهو يصلي في قبره .

وقال أبو يعلىٰ(١٧) : حدثنا إبراهيم بن محمد بن عَرْعَرة ، حدثنا معتمر ، عن أبيه قال : سمعت أنسًا : أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ليلةَ أُسْرِي به مَرَّ بموسىٰ ، وهو يصلي في قبره - قال أنس : ذكر أنه حمل علىٰ البراق ، فَأَوْثَقَ الدَّابةَ ، أو قال : الفرس ، قال أبو بكر : صفها لي ! فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : [« هي كذه وذه »][2] . فقال : أشهد أنك رسول الله ، وكان أبو بكر - رضي الله عنه - قد رآها .

= أنسًا يقول ... فذكره وأخرجه مسلم (١٦٥) والنسائي (٢١٦/٣) من طرق عن سليمان التيمي به ، وأخرجه أحمد (٢٤٨،١٤٨/٣) ومسلم (١٦٥،١٦٤) (٢٣٧٥) والنسائي (٢١٦،٢١٥/٣) من طريق حماد بن سلمة عن ثابت البناني وسليمان التيمي عن أنس به وقال النسائي (٢١٥/٣-٢١٦) : « هذا أولى بالصواب عندنا من حديث معاذ بن خالد » - حيث قال : أنبأنا حماد بن سلمة عن سليمان التيمي عن ثابت عن أنس الحديث .

(١٦) - مسند أبي يعلى (٤٠٦٧/٧) ، وخالد هو ابن عبد الله الواسطي ، ثقة ثبت . والتيمي هو سليمان بن طرخان ، وانظر ما قبله وما بعده .

(١٧) - كسابقه ، مسند أبي يعلى (٤٠٨٤/٧) وشيخ أبي يعلى ثقة حافظ لكن تكلم أحمد في بعض سماعه ، ومعتمر هو ابن سليمان التيمي ، ثقة وانظر ما قبله ، وأخرجه أبو يعلى أيضًا (٣٣٢٥/٦) وعنه أبو حاتم بن حبان في « صحيحه » (١/رقم ٥٠) حدثنا هدبة وشيبان قالا : حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس ... فذكره بنحو اللفظ المتقدم برقم (١٥) .

وقال أبو حاتم عقبه : « الله جَلَّ وعلا قادرٌ على ما يشاءُ ، ربما يَعِدُ الشيءَ لوقتٍ معلوم ، ثُمَّ يقضي كونَ بعضِ ذلك الشيءِ قبلَ مجيءِ ذلكَ الوقتِ ، كوعدِه إحياءَ الموتى يومَ القيامة وجعله محدودًا ، ثم قضى كونَ مثله في بعضِ الأحوالِ ، مثل مَنْ ذكرهُ اللهُ وجعله اللهُ جلَّ وعلا في كتابِهِ حيثُ يقولُ : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ ﴾ إلى آخر الآية [البقرة : ٢٥٩] =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « ذكر كلمة » ، وسقط من مسند أبي يعلى .

وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو البزار في مسنده(١٨) : حدثنا سلمة بن شبيب ، حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا الحارث بن عبيد ، عن أبي عمران الجوني ، عن أنس بن مالك - رضي اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « [بينا أنا نائم][١] إذ جاء جبريل عليه السلام فوكز بين كتفي ، فقمت إلىٰ شجرة فيها كوَكْرَي الطير ، فقعد في أحدهما ، وقعدت في الآخر ، فَسَمَتْ وارتفعت حتىٰ سدّت الخافقين ، وأنا أقلب طرفي ،

= وكإحياء اللَّهِ جلَّ وعلا لعيسى ابنِ مريم صلواتُ اللَّهِ عليه بعضَ الأموات .

فلما صحَّ وجودُ كونِ هذه الحالةِ في البشر ، إذا أراده اللَّهُ جلَّ وعلا قبل يومِ القيامة ، لم يُنْكَرْ أَنَّ اللَّه جلَّ وعلا أحيا موسى في قبره حتى مرَّ عليه المصطفى صلى اللَّه عليه وسلم ليلةَ أُسري به ، وذاك أَنَّ قبرَ موسى بمدين بين المدينة وبين بيتِ المقدس ، فَرَآه صلى اللَّهُ عليه وسلم يَدْعُو في قَبْرِهِ - إذ الصَّلاَةُ دُعَاءٌ - فَلَمَّا دَخَلَ صلى اللَّهُ عليه وسلم بَيْتَ المَقْدِسِ وأسري به ، أسري بموسى حتى رآه في السماء السادسة ، وجرى بينه وبينه من الكلام ما تقدَّم ذكرنا له ، وكذلك رؤيتُه سائرَ الأنبياء الذين في خبر مالك بن صَعْصَة .

(١٨) - أخرجه البزار (١/رقم ٥٨- كشف الأستار) ، وأخرجه ابن خزيمة في « التوحيد » (٢/٥٢٠) والطبراني في « الأوسط » (٦/٦٢١٤) وأبو نعيم في « الحلية » (٢/٣١٦) ، والبيهقي في « الدلائل » (٢/ ٣٦٨-٣٦٩) وفي « شعب الإيمان » (١/رقم ١٥٥) من طريق سعيد بن منصور به ، وأخرجه ابن سعد « في « الطبقات » (١/١٣٥) أخبرنا مسلم بن إبراهيم ، أخبرنا الحارث بن عبيد به ، وزاد نسبته السيوطي في « الخصائص الكبرى » (١/١٥٧) إلى ابن مردويه وابن عساكر وقال البزار : « وهذا لا نعلم رواه إلا أنس ولا رواه عن أبي عمران إلا الحارث بن عبيد ، وكان بصريًّا مشهورًا » ، وقال الطبراني : « لم يرو هذا الحديث عن أبي عمران الجوني إلا الحارث » وقال أبو نعيم : « غريب لم نكتبه إلا من حديث أبي عمران عن أنس تفرد به عنه الحارث بن عبيد أبو قدامة » .

وذكره الهيثمي في « المجمع » (١/٨٠) وقال : « رواه البزار والطبراني في « الأوسط » ورجاله رجال الصحيح » وقال ابن حجر في « الفتح » (٨/٦٠٩) : « أخرجه البزار وقال : تفرد به الحارث بن عمير وكان بصريا مشهورًا . قلت : وهو من رجال البخاري » .

قلت : البخاري إنما أخرج له متابعة في موضعين - كما في « التهذيب » (١/٣٣٤) - ، والحارث هذا ضعفه ابن معين ، وقال أحمد : مضطرب الحديث . وقال أبو حاتم والنسائي : ليس بالقوي . وقال ابن حبان في « المجروحين » : كان شيخًا صالحًا ممن كثر وهمه ، حتى خرج عن جملة من يحتج بهم إذا انفردوا » ، وقال الساجي : « صدوق عنده مناكير » .

وقد رواه حماد بن سلمة عن أبي عمران الجوني عن محمد بن عمير بن عطارد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - كان في ملأ من أصحابه ، فذكر الحديث بنحوه أخرجه البيهقي في « الشعب » (١/رقم١٥٦) - وعلقه في « الدلائل » (٢/٣٦٩) - والبغوي في « شرح السنة » (١٣/٣٦٨٢) وقال : « هذا حديث مرسل » .

قلت : ومحمد بن عمير ذكره ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٨/٤٠) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ ، وفي كشف الأستار و « المجمع » وغيرهما : « بينا أنا قاعد » .

ولو شئت أن أمس السماء لمسست ، فالتفت إلى جبريل عليه السلام كأنه حِلْسٌ لاطٍ(*) ، فعرفت فضل علمه بالله عليّ ، وفُتح لي بابٌ من أبواب السماء ، فرأيت النور الأعظم ، وإذا دون الحجاب رفرف الدر و الياقوت ، وأوحي إليّ ماشاء الله أن يوحىٰ » . ثم قال : [ولا نعلم روىٰ هذا الحديث] إلا أنس ، ولا نعلم رواه عن أبي عمران الجوني إلا الحارث بن عبيد ، وكان رجلًا مشهورًا من أهل البصرة .

ورواه الحافظ البيهقي في الدلائل ، عن أبي بكر القاضي ، عن أبي جعفر محمد بن علي ابن دحيم ، عن محمد بن الحسين بن أبي الحسين[١] ، عن سعيد بن منصور .. فذكر بسنده مثله . ثم قال : وقال غيره في هذا الحديث في آخره : « ولُطَّ دوني ، أو قال : دون الحجاب ، رفرف الدر والياقوت » . ثم قال : هكذا رواه الحارث بن عبيد ، ورواه حماد بن سلمة ، عن أبي عمران الجوني ، عن محمد بن عمير بن عطارد : أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم كان في مَلأ من أصحابه ، فجاءه جبريل ، فنكت في ظهره ، فذهب به إلىٰ الشجرة ، وفيها مثل وَكْرَي الطير ، فقعد في أحدهما ، وقعد جبريل في الآخر فتسامت[٢] بنا حتىٰ بلغت الأفق ، فلو بسطت يدي إلىٰ السماء لنلتها ، فدُلِّيَ بسبب ، وهبط [ ][٣] النور ، فوقع جبريل مغشيًا عليه كأنه حِلْسٌ ، فعرفت فضل خشيته علىٰ خشيتي ، فأوحىٰ إليّ نبيًا ملكًا ، أو نبيًا عبدًا ، وإلىٰ الجنة ما أنت ؟ فأومأ إليَّ جبريل ، وهو مضطجع ؛ أن تواضع - قال : قلت : لا ، بل نبيًا عبدًا .

قلت : وهذا إن صح يقتضي أنها واقعة غير ليلة الإسراء ؛ فإنه لم يذكر فيها بيت المقدس ، ولا الصعود إلىٰ السماء ، فهي كائنة غير ما نحن فيه ، والله أعلم .

وقال البزار أيضًا : حدثنا عمرو بن عيسىٰ ، حدثنا أبو بحر ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن أنس - رضي الله عنه - أن محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم رأىٰ ربه - عز وجل - و[٤]هذا غريب .

وقال أبو جعفر بن جرير(١٩) : حدثنا يونس ، حدثنا عبد الله بن وهب ، حدثنا

(*) أي لاصق بالأرض .

(١٩) - تفسير ابن جرير (٦/١٥) ، وأخرجه البيهقي في « الدلائل » (٣٦٢/٢) من طريق عبد الله بن وهب به ، ورجاله ثقات غير عبد الرحمن بن هاشم هذا فإني لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من الكتب ، والعلم عند الله تعالى ، والحديث فيه غرابة ونكارة كما قال « المصنف » : ولعلها من عبد الرحمن هذا ؛ لأن من دونه ثقات ، والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٢٦٢/٤) إلى ابن مردويه .

[١] - في خ : « الحنين » .
[٢] - في خ : « إلى » .
[٣] - في ز ، خ « فنشأت » .
[٤] - سقط من : خ .

يعقوب بن عبد الرحمن الزهري ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، عن أنس بن مالك قال : لما جاء جبريل إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بالبراق فكأنها أمرّت ذنبها ، فقال لها جبريل :مه يا براق . فوالله إنْ رَكِبَكَ مثله[١] . وسار رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم، فإذا هو بعجوز علىٰ جانب الطريق ، فقال : « **ما هذه يا جبريل ؟** » قال : سر يا محمد ؛ قال : فسار ماشاء اللَّه أن يسير ، [فإذا شيء يدعوه متنحيًا عن الطريق يقول[٢] : هلمَّ يامحمد ؛ فقال له جبريل : سر يامحمد . فسار ما شاء اللَّه أن يسير][٣] ، قال : فلقيه خلق من الخلق فقالوا : السلام عليك يا أول ، السلام عليك يا آخر ، السلام عليك يا حاشر ، فقال له جبريل : اردد السلام يامحمد ، فرد السلام ، ثم لقيه الثانية[٤] فقال له مثل مقالته الأولىٰ[٥] ، ثم الثالثة كذلك ، حتىٰ انتهىٰ إلىٰ بيت المقدس . فعرض عليه الماء والخمر واللبن ، فتناول رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم اللبن ، فقال له جبريل : أصبت الفطرة ، ولو شربتَ الماء لغرقْتَ وغرقَتْ أمتك ، ولو شربت الخمر لغوَيت ولَغَوَتْ أمتك ، ثم بُعِثَ له آدم فمن دونه من الأنبياء عليهم السلام ، فأمَّهم رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم تلك الليلة . ثم قال له جبريل : أما العجوز التي[٦] رأيت علىٰ جانب الطريق فلم يبق من الدنيا إلا ما بقي من عمر تلك العجوز ، وأما الذي أراد أن تميل إليه ، فذاك عدو اللَّه إبليس ، أراد أن تميل إليه . وأما الذين سلّموا عليك ؛ فإبراهيم ، وموسىٰ ، وعيسىٰ عليهم الصلاة والسلام .

وهكذا رواه الحافظ البيهقي في « دلائل النبوة » من حديث ابن وهب ، وفي بعض ألفاظه نكارة وغرابة .

(طريق أخرىٰ) عن أنس بن مالك ، وفيها غرابة ونكارة جدًّا ، وهي في سنن النسائي المجتبىٰ ، ولم أرها في الكبير ، قال(٢٠) : أخبرنا عمرو[٧] بن هشام ، حدثنا مخلد - هو ابن الحسين - عن سعيد بن عبد العزيز، حدثنا يزيد بن أبي مالك ، حدثنا أنس بن مالك : أن رسول اللَّه صلي اللَّه عليه وسلم قال : « أتيت بدابة فوق الحمار ، ودون البغل ، خَطْوُها عند

(٢٠) - « السنن الصغرى » للنسائي (٢٢١/١:٢٢٣) ورجاله ثقات غير يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك وسمه الحافظ في « التقريب » بأنه « صدوق وربما وهم » ، وقد أفاد المصنف بأن الحديث فيه غرابة ونكارة جدًّا . وزاد نسبته السيوطي « في الدر المنثور » (٢٦٠/٤) إلى ابن مردويه .

[١] - في ت : « مثاله » .
[٢] - في خ : « قال » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - في تفسيره : « الثاني » .
[٥] - في تفسيره : « الأولين » .
[٦] - في ز : « الذي » .
[٧] - في ز : « عمر » .

منتهىٰ طرفها ، فركبت ومعي جبريل - عليه السلام - فسرتُ فقال : انزل فَصَلِّ فصليت[١] ، فقال أتدري أين صليت ؟ صليت[٢] [بِطَيْبَة وإليها المُهَاجَر ثمّ قال : انزل فصلِّ ، فصليت فقال : أتدري أين صليت ؟][٣] صليت بطور سيناء حيث كلّم اللَّه موسىٰ . ثم قال : انزل فصل ، فنزلت[٤] فصليت فقال : أتدري أين صليت ؟ صليت ببيت لحم حيث ولد عيسىٰ - عليه السلام - ، ثم دخلت[٥] بيت المقدس ، فجمع لي الأنبياء - عليهم السلام - فقدمني جبريل - عليه السلام - حتىٰ أممتهم ، ثم صُعد بي إلىٰ السماء [الدنيا ، فإذا فيها آدم - عليه السلام - ثم صعد بي إلىٰ السماء][٦] الثانية[٧] ، فإذا فيها ابنا الخالة عيسىٰ ويحيىٰ - عليهما السلام - ثم صعد بي إلىٰ السماء الثالثة ، فإذا فيها يوسف - عليه السلام - ثم صعد بي إلىٰ السماء الرابعة ، فإذا فيها هارون ، عليه السلام ، ثم صعد بي إلىٰ السماء الخامسة ، فإذا فيها إدريس - عليه السلام - ثم صعد بي إلىٰ السماء السادسة ، فإذا فيها موسىٰ - عليه السلام - ثم صعد بي إلىٰ السماء السابعة ، فإذا فيها إبراهيم - عليه السلام - ثم صعد بي فوق سبع سماوات ، وأتيت سدرة المنتهىٰ ، فغشيتني ضبابة ، فخررت[٨] ساجدًا ، فقيل لي : إني يوم خلقتُ السماوات والأرض ، فرضتُ عليك ، وعلىٰ أمتك خمسين صلاة ، فقم بها[٩] أنت وأمتك ؛ [فرجعت إلى إبراهيم فلم يسألني عن شيء ، ثم أتيت موسىٰ فقال : كم فرض اللَّه عليك وعلىٰ أمتك ؟][١٠] [قلت : خمسين صلاة][١١] قال : فإنك[١٢] لاتستطيع [ ][١٣] أن تقوم بها ، لا أنت ولا أمتك ، فارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف . فرجعت إلىٰ ربي ، فخفف عني عشرًا ، ثم أتيت موسىٰ فأمرني بالرجوع ، فرجعت فخفف عني عشرًا ، ثم رُدَّتْ[١٤] إلىٰ خمس صلوات ، قال : فارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف ، فإنه فرض علىٰ بني إسرائيل صلاتين ، فما قاموا بهما[١٥] . فرجعت إلىٰ ربي - عز وجل - فسألته التخفيف ، فقال : إني يوم خلقت السموات والأرض فرضت عليك ، وعلى أمتك خمسين[١٦] صلاة[١٧] ،

---

[١] - في المجتبى : « ففعلت » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - زيادة من المجتبى .
[٥] - في ز ، خ : « أدخل » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - في ز : « خررت » .
[٩] - في ز ، خ : « فيها » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[١١] - مكرر في ز .
[١٢] - مكانها بياض في خ .
[١٣] - ما بين المعكوفتين في خ : « بها » .
[١٤] - في ز : « ردبت » .
[١٥] - في خ : « بها » .
[١٦] - في ز ، خ : « خمس » .
[١٧] - في ز ، خ : « صلوات » .

فخمس بخمسين ، فقم بها أنت وأمتك ، قال[١] : فعرفت أنها من اللَّه - عز وجل - صِرَّى فرجعت إلىٰ موسىٰ - عليه السلام - فقال : ارجع . فعرفت أنها من اللَّه - عز وجل - صِرَّى ، يقول : أي : حتم - فلم أرجع » .

(طريق أخرىٰ) وقال ابن أبي حاتم(٢١) : حدثني أبي ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك ، عن أبيه ، عن أنس بن مالك - رضي اللَّه عنه - قال : لما كان ليلة أسري برسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم إلىٰ بيت المقدس ، أتاه جبريل بدابة فوق الحمار ودون البغل ، حمله جبريل عليها ، ينتهي خفها حيث ينتهي طرفها ، فلما بلغ بيت المقدس ، وبلغ[٢] المكان الذي يقال له : « باب محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم » أتىٰ إلىٰ الحجر الذي ثَمَّة ، فغمزه جبريل بأصبعه فثقبه ، ثم ربطها ، ثم صعد ، فلما استويا في صرحة المسجد ، قال جبريل : يا محمد ؛ هل سألت ربك أن يريك الحور العين ؟ فقال : « نعم » فقال : فانطلق إلىٰ أولئك النسوة ، فسلِّم عليهن ، وهن جلوس عن يسار الصخرة ، قال : « فأتيتهن فسلمت عليهن ، فرددن عليّ السلام ، فقلت : من أنتن ؟ » فقلن : نحن خَيْرات حسان ، نساء قوم أبرار ، نَقُوا فلم يَدْرَنوا . وأقاموا فلم يظعنوا ، وخلدوا فلم يموتوا . قال : ثم انصرفت ، فلم ألبث إلا يسيرًا حتىٰ اجتمع ناس كثير ، ثم أذن مؤذن وأقيمت الصلاة - قال : فقمنا صفوفًا ننتظر من يؤُمُّنا . فأخذ بيدي جبريل - عليه السلام - فقدمني ، فصليت بهم . فلما انصرفت قال جبريل : يا محمد ؛ أتدري من صلىٰ خلفك ؟ قال : قلت : « لا » . قال : صلىٰ خلفك كل نبي بعثه اللَّه ، عز وجل .

قال : ثم أخذ بيدي جبريل ، فصعد بي إلىٰ السماء ، فلما انتهينا إلىٰ الباب استفتح ، فقالوا : من أنت ؟ قال : أنا جبريل . قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد . قالوا : وقد بُعث ؟ قال : نعم . قال : ففتحوا له ، وقالوا : مرحبًا بك وبمن معك . قال : فلما استوىٰ علىٰ ظهرها إذا فيها آدم ، فقال لي جبريل : يا محمد ؛ ألا تسلِّم علىٰ أبيك آدم ؟ قال : قلت : بلىٰ ، فأتيته فسلمت عليه ، [فرد عليّ][٣] وقال : مرحبًا بابني ، والنبي الصالح - قال : ثم عرج بي إلىٰ السماء الثانية فاستفتح ، قالوا : من أنت ؟ قال : جبريل . قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد . قالوا : وقد بعث إليه[٤] ؟ قال : نعم . ففتحوا له وقالوا : مرحبًا بك ، وبمن معك . فإذا فيها عيسىٰ ، وابن خالته يحيىٰ عليهما السلام . قال : ثم

(٢١) - غير موجود في تفسيره المطبوع و وقد عزاه إليه أيضًا السيوطي في « الدر المنثور » (٤/٢٦١-٢٦٢) ، وانظر ما قبله .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز ، خ : « فبلغ » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - سقط من ز .

عرج بي إلىٰ السماء الثالثة ، فاستفتح ، قالوا : من أنت ؟ قال : جبريل . قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد . قالوا : وقد بعث إليه[١] ؟ قال : نعم . ففتحوا له[٢] وقالوا : مرحبًا بك وبمن معك . فإذا فيها يوسف عليه السلام ، ثم عرج بي إلىٰ السماء الرابعة ؛ فاستفتح ، قالوا : من أنت ؟ قال : جبريل ، قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد . قالوا : وقد بعث إليه[٣] ؟ قال : نعم [ ][٤] ، ففتحوا له ، وقالوا : مرحبًا بك وبمن معك . فإذا فيها إدريس – عليه السلام – قال : [فعرج بي][٥] إلىٰ السماء الخامسة فاستفتح قالوا : من أنت ؟ قال : جبريل . قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا : وقد بعث إليه[٦] ؟ قال : نعم ، ففتحوا له[٧] ، وقالوا : مرحبًا بك وبمن معك . فإذا فيها هارون – عليه السلام – قال[٨] : ثم عرج بي إلىٰ السماء السادسة فاستفتح قالوا : من أنت ؟ قال : جبريل . قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد . قالوا : وقد بعث ؟ قال : نعم . ففتحوا له[٩] وقالوا : مرحبًا بك وبمن معك ، [وإذا فيها موسىٰ – عليه السلام – ثم عرج بي إلىٰ السماء السابعة فاستفتح جبريل ، فقالوا : من أنت ؟ قال : جبريل . قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد . قالوا : وقد بعث إليه ؟ قال : نعم . ففتحوا له وقالوا : مرحبًا بك وبمن معك][١٠] ، وإذا[١١] فيها إبراهيم[١٢] – عليه السلام – فقال جبريل : يا محمد ؛ ألا تسلِّم علىٰ أبيك إبراهيم ؟ قال : قلت[١٣] : بلىٰ . فأتيته فسلمت عليه ، فرد عليّ السلام وقال : مرحبًا بك يا بني ، والنبي الصالح .

ثم انطلق بي علىٰ ظهر السماء السابعة ، حتىٰ انتهىٰ بي إلىٰ نهر عليه خيام الياقوت واللؤلؤ والزبرجد ، وعليه طير خضر ، أنعم طير رأيت . فقلت : ياجبريل ؛ إن هذا الطير لناعم ؟ قال : [يامحمد ،][١٤] آكله أنعم منه . ثم قال : يا محمد ، أتدري أيّ نهر هذا ؟ قال[١٥] : قلت : لا قال : هذا الكوثر الذي أعطاك اللّٰه إياه . فإذا فيه آنية الذهب والفضة ، يجري علىٰ رَضْرَاض[١٦] من الياقوت والزمرد ، ماؤه أشد بياضًا من اللبن . قال : فأخذت منه آنية من الذهب ، فاغترفت من ذلك الماء فشربت ، فإذا هو أحلىٰ من العسل ،

---

[١] – سقط من ز .
[٢] – سقط من ز .
[٣] – سقط من ز .
[٤] – ما بين المعكوفتين في خ : « معًا » .
[٥] – ما بين المعكوفتين في خ : « ثم عرج به » .
[٦] – سقط من ز .
[٧] – سقط من : ز .
[٨] – سقط من : ت .
[٩] – سقط من ز .
[١٠] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[١١] – في ز ، خ : « فإذا » .
[١٢] – « لعله موسى » على هامش المخطوط .
[١٣] – سقط من : ز ، خ .
[١٤] – سقط من : خ .
[١٥] – سقط من : ز ، خ .
[١٦] – الرضراض : الحصى الصغار .

وأشد[١] رائحة من المسك ، ثم انطلق بي حتىٰ انتهيت إلىٰ الشجرة ، فغشيتني سحابة فيها من كل لون ، فرفضني جبريل ، وخررت ساجدًا للَّه - عز وجل - فقال اللَّه لي : يامحمد ؛ إني يوم خلقت السموات والأرض ، فرضت عليك وعلىٰ أمتك خمسين صلاة ، فقم بها أنت وأمتك . قال : ثم انجلت عني السحابة ، وأخذ بيدي جبريل ، فانصرفت سريعًا . فأتيت علىٰ إبراهيم فلم يقل لي شيئًا ، ثم أتيت علىٰ موسىٰ ، فقال ما صنعت يا محمد ؟ فقلت[٢] : فرض ربي عليّ وعلىٰ أمتي خمسين صلاة . قال : فلن تستطيعها أنت ولا أمتك ، فارجع إلىٰ ربك فاسأله أن يخفف عنك فرجعت سريعًا حتىٰ انتهيت إلىٰ الشجرة ، فغشيتني السحابة ، ورفضني جبريل ، وخررت ساجدًا ، وقلت : ربِّ ، إنك فرضت عليّ وعلىٰ أمتي خمسين صلاة ، ولن أستطيعها أنا ولا أمتي ، فخفف عنا . قال : قد وضعت عنكم عشرًا . قال[٣] : ثم انجلت عني السحابة ، وأخذ بيدي جبريل ، فانصرفت[٤] سريعًا ، حتىٰ أتيت علىٰ إبراهيم فلم يقل لي شيئًا ، ثم أتيت علىٰ موسىٰ فقال لي : ما صنعت يا محمد ؟ فقلت : وضع ربي عني عشرًا . قال أربعون صلاة ! لن تستطيعها أنت ولا أمتك ، فارجع إلىٰ ربك فاسأله أن يخفف عنكم » . فذكر الحديث كذلك إلىٰ خمس صلوات ، وخمس بخمسين ، ثم أمره موسىٰ أن يرجع فيسأله التخفيف فقلت : « إني قد استحييت منه تعالىٰ » .

قال : ثم انحدر فقال[٥] رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم لجبريل : « مالي لم آت على سماء إلا رحبوا بي ، وضحكوا إليّ غير رجل واحد ، فسلمت عليه فردّ عليّ السلام ، ورحب[٦] بي ، ولم يضحك إليّ ؟ قال : يا محمد ؛ ذاك مالك خازن جهنم ، لم يضحك منذ خلق ، ولو ضحك إلىٰ أحد لضحك إليك » .

قال : ثم ركب منصرفًا ، فبينا[٧] هو في بعض طريقه مر بعير لقريش تحمل طعامًا ، منها جمل عليه غرارتان : وغرارة[٨] سوداء ، وغرارة بيضاء ، فلما حاذىٰ بالعير نفرت منه واستدارت ، وصرع ذلك البعير وانكسر .

ثم إنه مضىٰ فأصبح ، فأخبر عما كان ، فلما سمع المشركون قوله أتوا أبا بكر فقالوا : يا أبا بكر ؛ هل لك في صاحبك ؟ يخبر[٩] أنه أتىٰ في ليلته هذه مسيرة شهر ثم رجع في

---

[١] - في ز ، خ : « وألذ » .

[٢] - في خ : « فقال » .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - في ز ، خ : « وانصرفت » .

[٥] - فيخ : « قال » .

[٦] - في ز ، خ : « فرحب » .

[٧] - في ز : « فبينما » ، خ : « فينما » .

[٨] - في خ : «وغرارة» .

[٩] - في ز : « غير » .

ليلته ، فقال أبو بكر - رضي اللَّه عنه - : إن كان قاله فقد صدق ، وإنا لنصدقه[١] فيما هو أبعد من هذا ، نصدقه على خبر السماء .

فقال المشركون لرسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ما علامة ما تقول ؟ قال : « مررت بعير لقريش ، وهي في مكان كذا وكذا ، فنفرت العير منا واستدارت ، وفيها [بعير عليه][٢] غرارتان : غرارة سوداء وغرارة بيضاء ، فصرع ؛ فانكسر » . فلما قدمت العير سألوهم ؛ فأخبروهم الخبر علىٰ مثل[٣] ما حدثهم النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، [ومن ذلك][٤] سُمي أبو بكر الصديقَ .

وسألوه فقالوا[٥] : هل كان معك فيمن حضر موسىٰ وعيسىٰ ؟ قال : « نعم » . قالوا : فصفهم ؟ قال : « نعم . أما موسىٰ : فرجل آدم ، كأنه من رجال أزدعمان[٦] ، وأما عيسىٰ فرجل ربعة ، سبط ، تعلوه[٧] حمرة[٨] ، كأنما يتحادر من شعره الجُمَان » . هذا[٩] سياق فيه غرائب عجيبة .

(رواية أنس - رضي اللَّه عنه - عن مالك بن صعصعة) قال الإمام أحمد(٢٢) :

حدثنا عفان ، حدثنا همام قال : سمعت قتادة يحدث ، عن أنس بن مالك : أن مالك ابن صَعْصَعَة حدثه : أن [نبي اللَّه][١٠] صلىٰ اللَّه عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسري به ، قال : « بينما أنا في الحَطِيم - وربما قال قتادة : في الحِجْر - مضطجعًا ، إذ أتاني آت فجعل يقول لصاحبه : الأوسط بين الثلاثة ، قال : فأتاني فقدّ[١١] - وسمعت قتادة يقول : فشق - ما بين هذه إلىٰ هذه » . وقال قتادة : فقلت للجارود ، وهو إلىٰ جنبي : ما يعني ؟ قال : من ثُغرة نحره إلىٰ شعرته ، وقد سمعته يقول[١٢] له[١٣] : من قصته إلىٰ شعرته - قال :

---

(٢٢) - « المسند » (٢٠٨/٤) وأخرجه أيضًا (٢٠٧/٤، ٢٠٨، ٢١٠) ، والبخاري ، كتاب : بدء الخلق ، باب : ذكر الملائكة (٣٢٠٧) ومسلم : كتاب : الإيمان ، باب : الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم - إلى السماوات - (٢٦٤) (١٦٤) ، والترمذي : كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة ألم نشرح (٣٣٤٣) ، والنسائي ، كتاب : الصلاة ، باب : فرض الصلاة ... (٢١٧/١) من طرق عن قتادة به مطولًا مختصرًا .

---

[١] - في ز ، خ : « لنصدقنه » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - في خ : « وقالوا » .
[٦] - في ز : « أرعمان » ، خ : « أروعمان » .
[٧] - في ز : « يعلوه » .
[٨] - في ت : « حمزة » .
[٩] - في ت : « هذه » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين في خ : « النبي » .
[١١] - في خ : « وقد » .
[١٢] - مكررة في خ .
[١٣] - زيادة من : خ .

« فاستخرج قلبي - قال : فأتيت بطست من ذهب مملوء إيمانًا وحكمة ، فغسل قلبي ، ثم حشي ، ثم أعيد ؛ ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض - قال : فقال الجارود : وهو البراق يا أبا حمزة ؟ قال : نعم ، يقع خطوه عند أقصىٰ طرفه - قال : « فحملت عليه ، فانطلق بي جبريل عليه السلام ، حتىٰ أتىٰ بي إلىٰ السماء الدنيا ، فاستفتح ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أو[١] قد أرسل [ ][٢] إليه ؟ قال : نعم . فقيل[٣] : مرحبًا به ، ولنعم المجيء جاء ! قال : ففتح ، فلما خلصت ؛ فإذا فيها آدم - عليه السلام - فقال : هذا أبوك آدم فسلم عليه ، فسلمت عليه [فرد السلام][٤] ثم قال : مرحبًا بالابن الصالح ، والنبي الصالح .

ثم صعد حتىٰ أتىٰ السماء الثانية ، فاستفتح ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أو[٥] قد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبًا به ، ولنعم المجيء جاء قال : ففتح ، فلما خلصت ، فإذا عيسىٰ ويحيىٰ وهما ابنا الخالة قال : هذان[٦] يحيىٰ وعيسىٰ ؛ فسلم عليهما قال : فسلمت فردا السلام ، [ثم قالا][٧] : مرحبًا بالأخ الصالح ، والنبي الصالح .

ثم صعد حتىٰ أتىٰ السماء الثالثة ، فاستفتح ؛ فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أو[٨] قد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبًا به ، ولنعم المجيء جاء ! قال : ففتح لنا[٩] ، فلما خلصت ؛ فإذا يوسف[١٠] - عليه السلام - قال : هذا يوسف[١١] . قال : فسلمت عليه فرد السلام ثم قال : مرحبًا بالأخ الصالح ، والنبي الصالح .

ثم صعد حتىٰ أتىٰ السماء الرابعة فاستفتح جبريل[١٢] فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أو[١٣] قد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبًا به ، ولنعم المجيء جاء قال : ففتح لهما[١٤] ، فلما خلصت ؛ فإذا إدريس قال : هذا إدريس

---

[١] - في خ : « و » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « عليه » .
[٣] - في خ : « قال » .
[٤] - في خ : « ثم رد » .
[٥] - في خ : « و » .
[٦] - في خ : هذا .
[٧] - في خ : « قالا ثم » .
[٨] - في خ : « و » .
[٩] - سقط من : ز .
[١٠] - [١١] - في ز ، خ : « إدريس » وعلى هامش المخطوط « لعله يوسف » .
[١٢] - سقط من ز .
[١٣] - في خ : « و » .
[١٤] - سقط من ز .

[فسلم عليه][١] . قال : فسلمت عليه . فردّ السلام ، ثم[٢] قال : مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح .

قال : ثم صعد حتىٰ أتىٰ السماء الخامسة ؛ فاستفتح ؛ فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أوَ[٣] قد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبًا به ، ولنعم المجيء جاء ، قال : ففتح لنا ، فلما خلصت ؛ فإذا هارون - عليه السلام - قال : هذا هارون فسلِّم عليه . قال[٤] : فسلمت عليه . فرد السلام ، ثم قال : مرحبًا بالأخ الصالح ، والنبي الصالح .

قال : ثم صعد حتىٰ أتىٰ السماء السادسة فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أوقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبًا به ، ولنعم المجيء جاء ؛ ففتح لهما[٥] ، فلما خلصت ؛ فإذا أنا بموسىٰ قال : هذا موسىٰ - عليه السلام - [فسلم عليه][٦] . فسلمت عليه ، فرد السلام ، ثم قال : مرحبًا بالأخ الصالح ، والنبي الصالح . قال[٧] : فلما تجاوزته[٨] بكىٰ ، قيل له : ما يبكيك ؟ قال : أبكي ، لأن غلامًا بُعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي .

قال : ثم صعد حتىٰ أتىٰ السماء السابعة ؛ فاستفتح قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبًا به ، ولنعم المجيء جاء قال : ففتح لنا[٩] ، فلما خلصت فإذا إبراهيم - عليه السلام - فقال : هذا إبراهيم عليه السلام فسلم عليه . قال : فسلمت عليه ؛ فرد السلام ، ثم قال : مرحبًا بالابن الصالح ، والنبي الصالح .

قال : ثم رفعت إلى سدرة المنتهىٰ ، فإذا نبقها مثل قلال هجر ، وإذا ورقها مثل آذان الفِيَلَة ، فقال[١٠] : هذه سدرة المنتهىٰ ، قال : وإذا أربعة أنهار : نهران باطنان ، ونهران ظاهران ، فقلت : ما هذا ياجبريل ؟ قال : أما الباطنان : فنهران في الجنة ، وأما الظاهران : فالنيل والفرات .

قال : ثم رفع إلى البيت المعمور-

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في خ : « و » .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - في ز ، خ : « تجاوزت » .
[٩] - سقط من : ز ، في خ : « لهما » .
[١٠] - في خ : « قال » .

قال قتادة : وحدثني الحسن ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أنه رأىٰ البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، ثم لا يعودون فيه ، ثم رجع إلىٰ حديث أنس - [قال : ثم][١] أتيت بإناء من خمر ، وإناء من لبن ، وإناء من عسل - قال : فأخذت اللبن ، قال : هذه الفطرة ، وأنت عليها وأمّتك .

قال : ثم فرضت الصلاة خمسين صلاة كل يوم قال - : فنزلت حتىٰ انتهيت إلى موسىٰ قال : ما فرض ربك علىٰ أمتك ؟ قال : فقلت[٢] : خمسين صلاة كل يوم . قال : إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة ، وإني قد خَبَرت الناس قبلك ، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف عن أمتك . قال : فرجعت فوضع عني عشرًا ، قال : فرجعت إلىٰ موسىٰ ؛ فقال : بم أمرت ؟ قلت[٣] : بأربعين صلاة كل يوم . قال[٤] : إن أمتك لا تستطيع أربعين صلاة كل يوم ، و[٥]إني قد خبرت الناس قبلك ، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف لأمتك . قال : فرجعت فوضع عني عشرًا أُخَر ، فرجعت إلىٰ موسىٰ فقال : بم أمرت ؟ فقلت : أمرت بثلاثين صلاة . قال : إن أمتك لاتستطيع ثلاثين صلاة كل يوم ، وإني قد خبرت الناس قبلك[٦] وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف لأمتك . قال : فرجعت فوضع عني عشرًا أخر ، فرجعت إلىٰ موسىٰ فقال : بم أمرت ؟ قلت[٧] : بعشرين صلاة كل يوم . فقال : إن أمتك لاتستطيع عشرين[٨] صلاة كل يوم ، وإني قد خبرت الناس قبلك ، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف لأمتك[٩] . قال : فرجعت فوضع عني عشرًا أخر ، فرجعت إلىٰ موسىٰ فقال : بم أمرت ؟ فقلت : أمرت بعشر صلوات في كل يوم . فقال : إن أمتك لا تستطيع عشر[١٠] صلوات كل يوم ، وإني قد خبرت الناس قبلك ، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف لأمتك . قال : فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم ، [فرجعت إلىٰ موسىٰ فقال : بم أمرت ؟ فقلت : أمرت بخمس صلوات كل يوم][١١] . فقال[١٢] : إن أمتك لاتستطيع خمس[١٣] صلوات كل يوم ، وإني قد خبرت الناس قبلك ، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلىٰ

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « قال » .
[٤] - مكرر في خ .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - في ز : « قال » .
[٨] - في ز ، خ : « لعشرين » .
[٩] - سقط من : ز .
[١٠] - في ز ، خ : « لعشر » .
[١١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[١٢] - في خ : « قال » .
[١٣] - في ز : « لخمس » .

ربك فاسأله التخفيف لأمتك . قال : قلت : قد[١] سألت ربي حتىٰ استحييت منه ، ولكني أرضىٰ وأسلم ، فنفذت فناد‌ىٰ مناد : قد أمضيت فريضتي ، وخففت عن عبادي » . وأخرجاه في الصحيحين من حديث قتادة بنحوه .

رواية أنس عن أبي ذر .

قال البخاري(٢٣) : حدثنا يحيىٰ بن بكير ، حدثنا الليث ، عن يونس ، عن ابن شهاب عن أنس بن مالك قال : كان أبو ذر - رضي الله عنه - يحدث : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال[٢] : « فرج سقف بيتي ، وأنا بمكة ، فنزل جبريل ، ففرج[٣] صدري [ثم غسله بماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانًا ، فأفرغه في صدرى][٤] ، ثم أطبقه ، ثم أخذ بيدى فعرج بي إلى السماء ، فلما جئت إلىٰ السماء قال جبريل لخازن السماء : افتح . قال : من هذا ؟ قال : جبريل . قال : هل معك أحد ؟ قال : نعم ، معي محمد . فقال : أرسل إليه ؟ قال : نعم[٥] . فلما فتح علونا السماء الدنيا ، وإذا رجل قاعد علىٰ يمينه أسودة(*) ، وعلىٰ يساره أسودة ، فإذا نظر قِبَلَ يمينه ضحك ، وإذا نظر قبل شماله بكىٰ ، فقال : مرحبًا بالنبي الصالح والابن الصالح . قلت لجبريل : من هذا ؟ قال : هذا[٦] آدم ، وهذه الأسودة عن يمينه ، وعن شماله نَسَمُ[٧] بنيه ، فأهل اليمين منهم أهل الجنة ، والأسودة التي عن شماله أهل النار ، فإذا نظر عن يمينه ضحك ، وإذا نظر عن شماله بكىٰ .

ثم عرج بي إلىٰ السماء الثانية ؛ فقال لخازنها : افتح [ ][٨] فقال [له خازنها][٩] مثل ماقال له[١٠] الأول ففتح ، قال أنس : فذكر أنه وجد في السماوات آدم ، وإدريس ، وموسىٰ ، وعيسىٰ ، وإبراهيم ، ولم يثبت كيف منازلهم غير أنه [ذكر أنه][١١] وجد آدم

(٢٣) - أخرجه البخاري ، كتاب : الصلاة ، باب : كيف فرضت الصَّلواتُ في الإسراء (٣٤٩) ، وأخرجه أيضًا ، كتاب : الجمع ، باب : ما جاء في زمزم ، (١٦٣٦) وكتاب : الأنبياء ، باب : ذكر إدريس عليه السلام ... (٣٣٤٢) ، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب : الإسراء برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ... (٢٦٣) (١٦٣) والنسائي في « الكبرى » (١/رقم ٣١٤) من طرق عن يونس به .

[١] - في ز : « لقد » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - بعده في ز ، خ : في .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٥] - بعده في خ : قال .

[٦] - سقط من : ز .

[٧] - في ز ، خ : « نطف » .

[٨] - ما بين المعكوفتين في خ : « قال : من هذا . قال : جبريل . قال : هل معك أحد قال نعم. معي محمد » .

[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[١٠] - سقط من : خ .

[١١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

في السماء الدنيا ، وإبراهيم في السماء السادسة ، قال أنس : فلما مر جبريل بالنبيّ صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بإدريس قال : مرحبًا بالنبي الصالح ، والأخ الصالح ! فقلت : من هذا ؟ قال : هذا[١] إدريس ، [ثم مررت بموسىٰ فقال : مرحبًا بالنبي الصالح والأخ الصالح ، قلت : من هذا ؟ قال : موسىٰ][٢] ، ثم مررت بعيسىٰ ؛ فقال : مرحبًا بالنبي الصالح والأخ الصالح ، قلت : من هذا ؟ قال : عيسى ابن مريم ، ثم مررت بإبراهيم فقال : مرحبًا بالنبي الصالح ، والابن الصالح ، قلت : من هذا ؟ قال : هذا إبراهيم .

قال الزهري : فأخبرني ابن حزم أن ابن عباس ، وأبا حبة الأنصاري كانا يقولان : قال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « ثم عرج بي حتىٰ ظهرت[٣] لمستوىٰ أسمع فيه صريف الأقلام » . قال ابن حزم ، وأنس بن مالك : قال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « ففرض اللّٰه علىٰ أمتي خمسين صلاة ، فرجعت بذلك حتىٰ مررت علىٰ موسىٰ ؛ فقال : مافرض اللّٰه علىٰ أمتك ؟ قلت : فرض[٤] خمسين صلاة . قال : فارجع إلىٰ ربك ؛ فإن أمتك لاتطيق ذلك ، فرجعت [فوضع شطرها ، فرجعت إلىٰ موسىٰ قلت : وضع شطرها فقال : ارجع إلىٰ ربك ؛ فإن أمتك لاتطيق ، فرجعت فوضع شطرها فرجعت إليه فقال : ارجع إلىٰ ربك ؛ فإن أمتك لاتطيق ذلك فراجعته][٥] فقال : هي خمس وهي خمسون ، لا يُبدَّلُ القولُ لديّ ، فرجعت إلىٰ موسىٰ فقال : ارجع إلىٰ ربك . قلت : قد استحييت من ربي ، ثم انطلق بي حتىٰ انتهىٰ إلىٰ سدرة المنتهىٰ ، فغشيها ألوان لا أدري ما هي ، ثم أدخلت الجنة ؛ فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك » .

هذا لفظ البخاري في « كتاب الصلاة » ، ورواه في ذكر بني إسرائيل(*) ، وفي الحج ، وفي أحاديث الأنبياء من طرق أخرىٰ عن يونس به ، ورواه مسلم في صحيحه في « كتاب الإِيمان» منه عن حرملة ، عن ابن وهب ، عن يونس به نحوه .

وقال الإِمام أحمد(٢٤) : حدثنا عفان ، حدثنا همام ، عن قتادة ، عن عبد اللّٰه بن شقيق قال : قلت لأبي ذر : لو رأيت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم لسألته ، قال : وماكنت تسأله ؟ ، قال : كنت أسأله : هل رأىٰ ربه ؟ فقال : إني قد سألته ؛ فقال : « **إني قد رأيته**

(*) الحديث في صحيح البخاري في ثلاثة مواضع فقط ، [الصلاة ، الحج ، الأنبياء] وداخل كتاب : الأنبياء ، باب : ما ذكر عن بني إسرائيل وليس فيه الحديث ، والله أعلم .

(٢٤) - « المسند » ، (١٤٨/٥) وقد تقدم تخريجه (رقم ٧) .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - في ز : « طهرت » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

نورًا أنّىٰ أراه » . **هكذا[١] وقع في رواية الإمام أحمد** .

وأخرجه مسلم في صحيحه(٢٥) ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن وكيع ، عن يزيد بن إبراهيم ، عن قتادة ، عن عبد اللَّه بن شقيق [عن أبي ذر قال : سألت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : هل رأيت ربك ؟ قال : « **نور أنّىٰ أراه** » .

وعن محمد بن بشار عن معاذ بن هشام ، حدثنا أبى عن قتادة عن عبد الله بن شقيق][٢] قال : قلت لأبي ذر : لو رأيت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم لسألته ، فقال : عن أي شيء كنت تسأله ؟ قال : كنت أسأله : هل رأيت ربك ؟ قال أبو ذر : قد سألت ؛ فقال : « **رأيت نورًا** » .

رواية أنس عن أبي بن كعب الأنصاري – رضي اللَّه عنه –

قال عبد اللَّه ابن الإمام أحمد(٢٦) : حدثنا محمد بن إسحاق بن محمد المسيبي ، حدثنا أنس بن عياض ، عن يونس ابن يزيد قال : قال ابن شهاب قال : قال أنس بن مالك : كان أبي بن كعب يُحَدِّثُ : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « فرج سقف بيتي ، وأنا بمكة ، فنزل جبريل ففرج صدري ، ثم غسله من ماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانًا ، فأفرغها في صدري ، ثم أطبقه ، ثم أخذ بيدي ، فعرج بي إلىٰ السماء ، فلما جاء السماء الدنيا [فافتتح فقال : من هذا ؟ قال : جبريل . قال : هل معك أحد ؟ قال : نعم ، معي محمد . قال : أرسل إليه ؟ قال : نعم ، فافتح . فلما علونا السماء الدنيا][٣] ، إذا رجل عن يمينه أسودة ، وعن يساره أسودة ، فإذا نظر عن يمينه ضحك ، وإذا نظر قبل شماله بكى – قال : مرحبًا بالنبي الصالح . والابن الصالح ، قال : قلت لجبريل : من هذا ؟ قال : هذا[٤] آدم ، وهذه الأسودة التي عن اليمين وعن[٥] شماله نسم بنيه ؛ فأهل يمينه هم أهل الجنة ، والأسودة التي عن شماله هم أهل النار ، فإذا نظر قبل يمينه

---

(٢٥) – صحيح مسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : في قوله عليه السلام : « **نور أنى أراه ...** » (٢٩١،٢٩٢) (١٧٨) ، وأخرجه أيضًا من طريق حجاج بن الشاعر حدثنا عفان بن مسلم حدثنا همام عن قتادة به ، وانظر السابق .

(٢٦) – **صحيح** « المسند » (١٤٣/٥) ومن طريقه اختاره الضياء في « المختارة » (١١٢٦/٣) ، وأخرجه عبد الله بن أحمد أيضًا « المسند » (١٢٢/٥) وأبو يعلي في مسنده (٣٦١٤/٦) ومن طريقهما الضياء (٣/ ١١٢٧،١١٢٨) عن محمد بن عباد المكي حدثنا أبو ضمرة – أنس بن عياض – به مختصرًا . =

---

[١] – بعده في خ : وقد .

[٢] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] – سقط من : خ .

[٥] – سقط من : خ .

ضحك ، وإذا نظر قبل شماله بكىٰ ، قال : ثم عرج بي جبريل حتىٰ أتىٰ السماء الثانية فقال لخازنها : افتح ، فقال له خازنها مثل ما قال خازن السماء الدنيا ؛ ففتح له ، قال أنس : فذكر أنه وجد في السموات آدم ، وإدريس ، وموسىٰ ، وعيسىٰ ، وإبراهيم ، ولم يثبت لي كيف منازلهم ، غير أنه ذكر أنه وجد آدم - عليه السلام - في السماء الدنيا ، وإبراهيم في السماء السادسة ، قال أنس[١] : فلما مر جبريل - عليه السلام - ورسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بإدريس قال : مرحبًا بالنبي الصالح ، والأخ الصالح ، قال : « قلت : من هذا ياجبريل ؟ » قال : هذا إدريس . قال : ثم مررت بموسىٰ فقال : مرحبًا بالنبي الصالح ، والأخ الصالح . فقلت : من هذا ؟ قال : هذا موسىٰ ، ثم مررت بعيسىٰ فقال : مرحبًا بالنبي الصالح ، والأخ الصالح . قلت : من هذا ؟ قال : هذا عيسىٰ بن مريم . قال : ثم مررت بإبراهيم ؛ فقال : مرحبًا بالنبي الصالح ، والابن الصالح . قلت : من هذا ؟ قال : هذا إبراهيم » .

قال ابن شهاب : وأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري كانا يقولان : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « ثم عرج بي حتىٰ ظهرت لمستوىٰ أسمع صريف الأقلام » قال ابن حزم ، وأنس بن مالك : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « فرض اللَّه علىٰ أمتي خمسين صلاة ، قال : فرجعت بذلك حتىٰ أمر علىٰ موسىٰ ؛ فقال موسىٰ : ماذا فرض ربك علىٰ أمتك ؟ قلت : فرض عليهم خمسين صلاة . فقال لي موسىٰ : راجع ربك ؛ فإن أمتك لا تطيق ذلك ، قال : فراجعت ربي فوضع شطرها ، فرجعت إلىٰ موسىٰ ؛ فأخبرته ؛ فقال : ارجع إلىٰ ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك . فرجعت ؛ فقال : هي خمس ، وهي خمسون ، لايبدل القول لديّ ، قال : فرجعت إلىٰ موسىٰ ؛ فقال : راجع ربك . فقلت : قد استحييت من ربي ، قال : ثم انطلق بي حتىٰ أتىٰ سدرة المنتهىٰ قال : فغشيها ألوان ما أدري ما هي ؟ قال : ثم أدخلت الجنة ؛ فإذا فيها جنابذ[٢] اللؤلؤ ؛ وإذا ترابها المسك » .

هكذا رواه عبد اللَّه بن أحمد في مسند أبيه ، وليس هو في شيء من الكتب الستة ، وقد تقدم في الصحيحين من طريق يونس ، عن الزهري ، عن أنس ، عن أبي ذر مثل هذا السياق سواءِ ، فاللَّه أعلم(*) .

= وذكر الهيثمي في « المجمع » (١/٧٠-٧١) الطريق المطولة هذه وقال : « رواه عبد الله من زياداته على أبيه ورجاله رجال الصحيح » .

(*) وقد أعلَّ حديث أُبَيّ بذلك ، فقال ابن أبي حاتم في « العلل » (١/رقم٣١٥) ، (٢/٢٧١٤) : =

[١] - سقط من : خ .

[٢] - الجنابذ : جمع جنبذة ، وهي القبة . النهاية [١/ ٣٠٥] .

رواية بريدة بن الحصيب الأسلمي :

قال الحافظ أبوبكر البزار(٢٧) : حدثنا عبد الرحمن ابن المتوكل ، ويعقوب بن إبراهيم واللفظ له قالا : حدثنا أبو تميلة ، أخبرنا الزبير بن جنادة ، عن عبد اللّٰه بن بريدة ، عن أبيه قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « لما كان ليلة أسري بي[١] - قال : فأتىٰ جبريل الصخرة التي ببيت المقدس قال : فوضع أصبعه فيها ، فخرقها فشد بها البراق » .

ثم قال البزار : لا نعلم رواه عن الزبير بن جنادة إلا أبو تميلة ، ولا نعلم هذا الحديث إلا عن بريدة . وقد رواه الترمذي في التفسير من جامعه عن يعقوب بن إبراهيم الدورقي به ، وقال : غريب .

= « سألت أبي عن حديث رواه يونس عن الزهري عن أنس عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم في المعراج ، ورواه قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فقيل لأبي : أيهما أشبه ؟ قال : أنا لا أعدل بالزهري أحدًا من أهل عصره ، ثم قال : إني أرجو أن يكونا جميعًا صحيحين . وقال مرة : حديث الزهري أصح . قلت لأبي : وقد اختلفوا على الزهري ؟ قال : نعم منهم من يقول عن الزهري عن أنس عن أبي بن كعب والزهري عن أنس عن أبي ذر أصح ، وقال الدارقطني في « العلل » (٦/ س ١٠٩٥) : « يرويه الزهري عن أنس ، حدَّث به عنه عقيل ويونس واختلف عن يونس ، فقال أبو ضمرة : عن يونس عن الزهري عن أنس عن أبي وأحسبه سقط عليه « ذر » فجعله عن أبي بن كعب ، ووهم فيه ، وروى هذا الحديث قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة وأتى به ، بطوله وروى بعضه شعبة عن قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قصة النهرين حدث به إبراهيم بن طهمان عن شعبة ، ويشبه أن يكون الأقاويل كلها صحاحًا لأن رواتهم أثبات » وقال ابن حجر في « أطراف المسند » (١/١٨٣) : « هكذا أورده ، وهو وَهَمٌ نشأ عن تصحيف ، والمحفوظ حديث الزُّهري عن أنس ، عن أبي ذر ، كأنها كانت كذلك فسقطت . (ذَرّ) من السياق فَصُحِّفَت (أُبَيّ) ، قاله أبو حاتم وغيره والله أعلم » .

ولم يوافق الضياء على إعلال حديث أبي بذلك ، فنقل كلام الدارقطني السابق ثم قال : « وحديث أبي ذر يُشْبِهُ حديث أُبيّ بن كعب الذي أثبتناه ، فلذلك قال الدارقطني : (أحسبه سقط عليه ذرّ) غير أن قوله الأخير (ويُشْبِهِ أن تكون الأقاويل كلُها صحاحًا ، لأن رواتهم أثبات) عندى أولى . قلت - الضياء - : وكونُ حديث أُبي مثلَ حديث أبي ذر لا يؤثر فيه ، ثم الرواية فيها عن أبي بن كعب ، فكيف يشتبه ابن كعب بذر ؟ وإذا كانت قد صَحَّتْ الرواية عن أنس ، وروايته عن أبي ذر عنه ، وعن مالك بن صعصعة ، فتصح روايته عن أُبي ابن كعب ، والله أعلم » ! .

(٢٧) - وعزاه له السيوطي في « الدر المنثور » (٤/٢٧٨) وأخرجه الترمذي : كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة بني إسرائيل ، حديث (٣١٣٢) ، والحاكم في « المستدرك » (٢/٣٦٠) والمزي في « تهذيب الكمال » [(٩/٣٠٠ - ٣٠١)/ ترجمة الزبير بن جنادة] من طريق أبي تميلة به ، وقال الترمذي : « حديث حسن غريب » وفي رواية استغربه دون أن يحسنه ، وقال الحاكم : « حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وأبو تميلة والزبير مروزيان ثقتان » ووافقه الذهبي . وهو كما قالا ، وأبو تميلة اسمه يحيى بن واضح وثقه =

---

[١] - في خ : « به » .

رواية جابر بن عبد اللَّه - رضي اللَّه عنه - :

قال الإمام أحمد(٢٨) : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن صالح ، عن ابن شهاب قال : قال أبو سلمة : سمعت جابر بن عبد اللَّه يحدث : أنه سمع رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يقول[١] : « لما كذبتني قريش حين أسري بي إلىٰ بيت المقدس ؛ قمت في الحجر فجلىٰ اللَّه لي بيت المقدس ، فطفقت أخبرهم عن آياته ، وأنا أنظر إليه » أخرجاه في الصحيحين من طرق عن الزهرى به .

وقال البيهقي(٢٩) : أخبرنا أحمد ابن الحسن[٢] القاضي ، حدثنا أبو العباس الأصم ، [حدثنا العباس][٣] بن محمد الدوري ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا أبي ، عن صالح بن كيسان ، عن ابن شهاب قال : سمعت سعيد[٤] بن المسيب يقول : إن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم حين[٥] انتهىٰ إلىٰ بيت المقدس ، لقي فيه إبراهيم ، وموسىٰ ، وعيسىٰ ، وإنه أتي بقدحين ؛ قدح من لبن ، وقدح خمر ، فنظر إليهما[٦] ، ثم أخذ قدح اللبن ؛ فقال جبريل : أصبت ، هديت للفطرة ، لو اخترت الخمر لغوت أمتك ، ثم رجع رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم إلىٰ مكة ؛ فأخبر أنه أسري به فافتتن ناس كثير كانوا قد صلوا معه .

وقال ابن شهاب : قال أبو سلمة بن عبد الرحمن : فتجهز - أو كلمة نحوها - ناس من قريش إلىٰ أبي بكر فقالوا[٧] : هل لك في صاحبك ؟ يزعم أنه جاء إلىٰ بيت المقدس ، ثم رجع إلىٰ مكة في ليلة واحدة ! فقال أبو بكر : أوَ قال ذلك ؟ قالوا : نعم . قال : فأشهد[٨] لئن[٩] كان قال ذلك لقد صدق ، قالوا : فتصدقه بأن[١٠] يأتي الشام في ليلة واحدة ثم

= ابن معين - في رواية - وابن سعد والنسائي وأبو حاتم وغيرهم . والزبير بن جنادة وإن قال فيه أبو حاتم : « شيخ ليس بالمشهور » فقد وثقه ابن معين في رواية ابن الجنيد وكذا ابن حبان في « الثقات » وذكره ابن الجوزي في « الضعفاء » فتعقبه الذهبي في « الميزان » فقال : « وأخطأ من قال : فيه جهالة ، ،لولا أن ابن الجوزي ذكره لما ذكرته » والحديث زاد نسبته السيوطي إلى ابن مردويه وأبي نعيم في « الدلائل » .

(٢٨) - أخرجه أحمد في « المسند » : (٣٧٧/٣) وأخرجه البخاري كتاب التفسير ، سورة بني إسرائيل باب : « أسرى بعبده ليلًا من المسجد الحرام » ، حديث (٤٧١٠) .

ومسلم : كتاب الإيمان ، باب : « الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، حديث (١٧٠/٢٧٦) .

(٢٩) - « دلائل النبوة » للبيهقي (٣٥٩/٢ ، ٣٦٠) .

[١] - في خ : « قال » .
[٢] - في ت : « الحسين » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في خ : « إليها » .
[٧] - في خ : « قالوا » .
[٨] - في ز ، ت : « فأنا أشهد » .
[٩] - في خ : « إن » .
[١٠] - في ز : « أن » .

يرجع إلىٰ مكة قبل أن يصبح ؟ قال : نعم ، إني[١] أصدقه بأبعد من ذلك ؛ أصدقه بخبر السماء . قال أبو سلمة : فبها سُمي أبو بكر الصديق .

قال أبو سلمة : فسمعت جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما يحدث : أنه سمع رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يقول : « لما كذبتني قريش حين أُسري بي إلىٰ بيت المقدس قمت في الحجر ، فجلىٰ اللَّه لي بيت المقدس ؛ فطفقت أخبرهم عن آياته ، وأنا أنظر إليه » .

رواية حذيفة بن اليمان رضي اللَّه عنه :

قال الإمام أحمد(٣٠) ثنا أبو النضر ، ثنا شيبان ، عن عاصم ، عن زر بن حبيش قال : أتيت علىٰ حذيفة بن اليمان رضي اللَّه عنه ، وهو يحدث عن ليلة أُسري بمحمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وهو يقول : فانطلقا[٢] حتىٰ أتيا[٣] علىٰ بيت المقدس فلم يدخلاه . قال : قلت : بل دخله رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ليلتئذ ، وصلىٰ فيه . قال : ما اسمك يا أصلع ؟ فإني أعرف وجهك ، ولا أدري ما اسمك ، قال : قلت : أنا زر بن حبيش . قال : فما علمك بأن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم صلَّىٰ فيه ليلتئذ ؟ قال : قلت : القرآن يخبرني بذلك ، قال : فمن[٤] تكلم بالقرآن فلج ، اقرأ . قال : فقلت : ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليلًا من المسجد الحرام إلىٰ المسجد الأقصىٰ** ﴾ قال : يا أصلع ؛ هل تجد صلى فيه ؟ قلت : لا . قال : واللَّه ما صلى فيه رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ليلتئذ ، ولو صلى فيه ، لكتب عليكم صلاة فيه ؛ كما كتب عليكم صلاة في البيت العتيق ، واللَّه ما زايلا البراق حتىٰ فتحت لهما أبواب السماء ؛ فرأيا الجنة والنار ، ووعد الآخرة أجمع ، ثم عادا عودهما على بدئهما قال : ثم ضحك حتى رأيت نواجذه قال : وتحدثوا[٥] أنه ربطه لا يفر منه ، ، وإنما سخره له عالم الغيب والشهادة . قلت : أبا[٦] عبد اللَّه ، أي : دابة

(٣٠) - أخرجه أحمد في مسنده (٣٨٧/٥) .

وأخرجه أيضًا (٣٩٢/٥،٣٩٤) من طريق حماد بن سلمة عن عاصم به نحوه ، وأخرجه أبو داود الطيالسي في « مسنده » : برقم (٤١١) ص (٥٥) . وأخرجه الترمذي : كتاب التفسير ، باب : سورة بني إسرائيل ، حديث (٣١٤٧) والنسائي في « السنن الكبرى » : كتاب التفسير ، باب : سورة الإسراء ، حديث (١١٢٨٠) (٣٧٦/٦) من طريقين عن عاصم بن أبي النجود به مطولًا ومختصرًا وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح » .

[١] - في ت : « أنا » .
[٢] - في ز ، خ : « فانطلقنا » .
[٣] - في ز ، خ : « أتينا» .
[٤] - في ز ، خ : « من » .
[٥] - في خ : « ويحدثون » .
[٦] - في ز ، خ : « يا » .

البراق ؟ قال : دابة أبيض طويل ، هكذا خطوه مد البصر . ورواه أبو داود الطيالسي ، عن حماد بن سلمة ، عن عاصم به ، ورواه الترمذي والنسائي في التفسير من حديث عاصم ، وهو[١] ابن أبي النجود ، به ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

وهذا الذي قاله حذيفة رضي اللَّه عنه نفي[٢] ، وما أثبته غيره عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم من ربط الدابة بالحلقة ، ومن الصلاة بالبيت المقدَّس مما[٣] سبق ، وما سيأتي مقدَّم على قوله ، والله أعلم بالصواب .

رواية أبي سعيد ؛ سعد بن مالك بن سنان الخدري :

قال الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب « دلائل النبوة(٣١) » : أخبرنا أبو عبد اللَّه محمد بن عبد اللَّه الحافظ ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا أبو بكر يحيىٰ بن أبي طالب ، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء ، أخبرنا أبو محمد راشد الحماني ، عن أبي هارون العبدي ، عن أبي سعيد الخدري - رضي اللَّه عنه - عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه قال له أصحابه : يا رسول اللَّه ؛ أخبرنا عن ليلة أُسري بك فيها قال : « قال اللَّه عز وجل : ﴿ **سبحان الذي أسرىٰ بعبده ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصىٰ الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير** ﴾ . قال : فأخبرهم فقال[٤] : « فبينا أنا نائم عشاء في المسجد الحرام ؛ إذ أتاني آت ؛ فأيقظني ؛ فاستيقظت ، فلم أر شيئًا ، وإذا أنا بكهيئة خيال فأتبعته بصري حتىٰ خرجت من المسجد ، فإذا أنا بدابة أدنىٰ شبهًا[٥] بدوابكم هذه ، بغالكم هذه - مضطرب الأذنين يقال له : البراق ، وكانت الأنبياء تركبه قبلي ؛ يقع حافره عند مد بصره ، فركبته ، فبينما أنا أسير عليه إذ دعاني داع عن يميني : يا محمد ؛ انظرني أسألك ، يامحمد ؛ انظرني أسألك ، [فلم أجبه][٦] ولم أقم عليه [فبينما أنا أسير][٧] عليه[٨] إذا[٩] [دعاني داع عن يساري : يامحمد انظرني أسألك ! فلم أجبه ولم

(٣١) - أخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » : (٢/٣٩٠) ، باب : الدليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم عُرج به إلى السماء فرأى جبريل عليه السلام في صورته عند سدرة المنتهى ، وقبل ذلك كان قد رأى جبريل عليه السلام في صورته وهو بالأفق الأعلى ، وأخرجه ابن جرير في تفسيره - (١٥/١١ - ١٤) .
وأبو هارون العبدي هو عمارة بن جوين ضعفة أئمة هذا الشأن .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - بعده في ت : « سيأتي وما » .
[٤] - في ز : « فقال » .
[٥] - في خ : « شبهة » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٨] - سقط من : ز ، خ .
[٩] - سقط من : خ .

أقم عليه][١] ، [فبينما أنا أسير][٢] إذا[٣] أنا بامرأة حاسرة عن ذراعيها ، وعليها من كل زينة خلقها الله ؛ فقالت : يا محمد انظرني ، أسألك ، فلم ألتفت إليها ، ولم أقم عليها حتىٰ أتيت بيت المقدس ، فأوثقت دابتي بالحلقة التي كانت الأنبياء توثقها بها ، فأتاني[٤] جبريل - عليه السلام - بإناءين ؛ أحدهما خمر ، والآخر لبن ، فشربت اللبن ، وتركت الخمر ، فقال جبريل : أصبت الفطرة ! فقلت : الله أكبر الله أكبر ! فقال جبريل : ما رأيت في وجهك هذا ؟ قال : فقلت : بينما أنا أسير إذ دعاني داع عن يميني : يا محمد ؛ انظرني أسألك فلم أجبه ولم أقم عليه ، قال : ذاك داعي اليهود ، أما إنك لو أجبته أو وقفت عليه لتهودت أمتك . قال : فبينما أنا أسير إذ دعاني داع عن يساري قال : يا محمد ؛ انظرني أسألك ، فلم ألتفت إليه ، ولم أقم عليه ، قال : ذاك داعي النصارىٰ ، أما إنك لو أجبته ، لتنصرت أمتك . قال : فبينما أنا أسير إذا أنا بامرأة حاسرة عن ذراعيها عليها من كل زينة خلقها الله تعالى ، تقول : يا محمد ؛ انظرني أسألك ، فلم أجبها ، ولم أقم عليها ، قال : تلك الدنيا ، أما إنك لو أجبتها ، أو أقمت عليها ؛ لاختارت أمتك الدنيا علىٰ الآخرة .

قال[٥] : ثم دخلت أنا وجبريل بيت المقدس ، فصلى كل واحد منا ركعتين . ثم أتيت بالمعراج الذي تعرج عليه أرواح بني آدم ، فلم ير[٦] الخلائق أحسن من المعراج ، أما رأيتَ الميت حين يشق بصره طامحًا إلىٰ السماء ، فإنما يشق بصره طامحًا إلىٰ السماء عُجْبُهُ بالمعراج ، قال : فصعدت أنا وجبريل ؛ فإذا أنا بملك يقال له : إسماعيل ، وهو صاحب سماء الدنيا ، وبين يديه سبعون ألف ملك ، مع كل ملك جنده مائة ألف ملك ، قال : وقال الله عز وجل : ﴿ **وما يعلم جنود ربك إلا هو** ﴾ فاستفتح جبريل باب السماء قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أو قد بعث إليه ؟ قال : نعم . فإذا أنا بآدم كهيئته يوم خلقه الله عز وجل علىٰ صورته ، تعرض عليه أرواح ذريته المؤمنين فيقول : روح طيبة ، ونفس طيبة ، اجعلوها في عليين ، ثم تعرض عليه أرواح ذريته الفجار فيقول : روح خبيثة ، ونفس خبيثة ، اجعلوها في سجين .

ثم مضيتُ هنية فإذا أنا بأخونة عليها لحم مشرح ليس يقربها أحد ، وإذا أنا بأخونة أخرىٰ عليها لحم قد أروح(*) وأنتن عندها أناس يأكلون منها ، قلت : يا جبريل ؛ من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء من أمتك يتركون الحلال ويأتون الحرام .

(*) - أي : تغيرت رائحته .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٣] - في ت : « إذ » .

[٤] - في ز ، خ : « أتاني » .

[٥] - سقط من : خ .

[٦] - في ز ، خ : « تر » .

قال : ثم مضيت هنية ؛ فإذا أنا بأقوام بطونهم أمثال البيوت ، كلما نهض أحدهم خَرّ يقول : اللهم ؛ لا تُقم الساعة . قال : وهم على سابلة آل فرعون ، قال : فتجيء السابلة فتطؤهم ، قال : فسمعتهم يضجون إلى اللّٰه - عز وجل - قال : قلت : يا جبريل ، من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء من أمتك ﴿ **الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس** ﴾ .

قال : ثم مضيتُ هُنَيَّةً ؛ فإذا أنا بأقوام مشافرهم كمشافر الإبل قال : فتفتح[١] على أفواههم ويلقمون من ذلك الجمر[٢] ، ثم يخرج من أسافلهم ، فسمعتهم يضجون إلىٰ اللّٰه عز وجل . فقلت : [من هؤلاء][٣] يا جبريل ؟ قال : هؤلاء من أمتك : ﴿ **الذين يأكلون أموال اليتامىٰ ظلمًا إنما يأكلون في بطونهم نارًا وسيصلون سعيرًا** ﴾ .

قال : ثم مضيت هنية ؛ فإذا أنا بنساء يعلقن بثُدُيهن ، فسمعتهن يضججن إلىٰ اللّٰه عز وجل ، قلت : يا جبريل من هؤلاء النساء ؟ قال : هؤلاء الزناة من أمتك .

قال : ثم مضيت هنية ؛ فإذا أنا بأقوام يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمونه[٤] ؛ فيقال له : كُلْ ؛ كما كنت تأكل من لحم أخيك ، قلت : ياجبريل ، من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الهمازون من أمتك اللمازون .

قال : ثم صعدنا إلىٰ السماء الثانية ؛ فإذا أنا برجل أحسن ما خلق اللّٰه عز وجل ، قد فَضَل الناس في الحسن ، كالقمر ليلة البدر علىٰ سائر الكواكب ، قلت : ياجبريل ، من هذا ؟ قال : هذا أخوك يوسف ، ومعه نفر من قومه ، فسلمت عليه وسلم عليّ .

ثم صعدت إلىٰ السماء الثالثة ؛ فإذا أنا بيحيىٰ ، وعيسىٰ - عليهما السلام - ومعهما نفر من قومهما ، فسلمت عليهما ، وسلما عليّ .

ثم صعدت إلى السماء الرابعة ؛ فإذا أنا[٥] بإدريس قد رفعه الله مكانًا عليًا ، فسلمت عليه ، وسلم عليّ .

قال : ثم صعدت إلىٰ السماء الخامسة فإذا أنا[٦] بهارون ، ونصف لحيته بيضاء ، ونصفها سوداء ، تكاد لحيته تصيب سرته من طولها قلت : يا جبريل ، من هذا ؟ قال : هذا المحبب في قومه ، هذا هارون بن عمران ، ومعه نفر من قومه ، فسلمت عليه وسلم عليّ .

---

[١] - في خ : « فيفتح » .
[٢] - في ز ، خ : « اللحم » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - في ز : « فيلقمون » .
[٥] - سقط من ز.
[٦] - سقط من ز .

ثم صعدت[١] إلىٰ السماء السادسة ؛ فإذا أنا بموسىٰ بن عمران ؛ رجل آدم ، كثير الشعر ، لو كان عليه قميصان : لنفذ شعره دون القميص ، [وإذا][٢] هو يقول : يزعم الناس أني أكرم علىٰ الله من هذا ؛ بل هذا أكرم علىٰ الله تعالى مني . قال : قلت : ياجبريل ، من هذا ؟ قال : هذا أخوك موسىٰ بن عمران عليه السلام ، ومعه نفر من قومه ، فسلمت عليه ، وسلم عليّ .

ثم صعدت إلىٰ السماء السابعة ؛ فإذا أنا [بأبينا إبراهيم][٣] خليل الرحمن ، ساندًا ظهره إلىٰ البيت المعمور كأحسن الرجال ، قلت : ياجبريل ؛ من هذا ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم[٤] خليل الرحمن عليه السلام ومعه نفر من قومه ، فسلمت عليه ، وسلم[٥] عليّ ، وإذا أنا بأمتي شطرين ؛ شطر عليهم ثياب بيض كأنها القراطيس ، وشطر عليهم ثياب رمد ، قال : فدخلت البيت المعمور ، ودخل معي الذين عليهم الثياب البيض ، وحجب الآخرون الذين عليهم ثياب رمد - وهم علىٰ خير - فصليت أنا ومن معي في البيت المعمور ، ثم خرجت أنا ، ومن معي - قال : والبيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك لايعودون فيه إلىٰ يوم القيامة .

قال : ثم دفعت[٦] لي سدرة المنتهىٰ ؛ فإذا كل ورقة منها تكاد أن تغطي هذه الأمة ؛ وإذا فيها عين تجري يقال لها : سلسبيل ، فينشق منها نهران (أحدهما) : الكوثر (والآخر) يقال له : نهر الرحمة ، فاغتسلت فيه فغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر .

ثم إني دُفعت[٧] إلىٰ الجنة ؛ فاستقبلتني[٨] جارية فقلت : لمن أنت يا جارية ؟ قالت[٩] : لزيد بن حارثة ، وإذا أنا[١٠] بأنهار [من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ؛ وأنهار][١١] من عسل مصفى ، وإذا رمانها كأنه[١٢] الدلاء عظمًا ، وإذا أنا بطيرها كأنها بختيكم(*) هذه » فقال عندها صلىٰ الله عليه وسلم : « إن الله تعالىٰ قد أعد لعباده الصالحين مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر علىٰ قلب

(*) - جمع بختية : وهي جمال طوال الأعناق .

[١] - في ز : « صعد بي » .
[٢] - في ز : « فإذا » .
[٣] - في ز ، خ : « بإبراهيم » .
[٤] - سقط من : ت .
[٥] - في ز : « فسلم » .
[٦] - في ز ، خ : « رفعت » .
[٧] - في ز : « رفعت » .
[٨] - في ز : « واستقبلتني » ، خ : « فاستقبلني » .
[٩] - في ز : « فقالت » .
[١٠] - سقط من : ز .
[١١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[١٢] - في خ : « كأنها » .

بشر » .

قال : ثم عُرِضَتْ عليَّ النارُ ، فإذا فيها غضب الله وزجره ونقمته ، لو[١] طرح فيها الحجارة والحديد لأكلتها ، ثم أغلقت[٢] دوني .

ثم إني دفعت إلى سدرة المنتهى فتغشاني ؛ فكان بيني وبينه قاب قوسين أو أدنى . قال : ونزل على كل ورقة ملك من الملائكة قال : وفرضت عليّ خمسون ، وقال : لك بكل حسنة عشر[٣] ، إذا هممت بالحسنة فلم تعملها كتبت لك حسنة ، فإذا عملتها كتبت لك عشرًا ؛ وإذا هممت بالسيئة فلم تعملها لم يكتب[٤] عليك شيء ، فإن عملتها كتبت عليك سيئة واحدة .

ثم دفعت إلى موسى فقال : بم أمرك ربك ؟ قلت : بخمسين صلاة . قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ؛ فإن أمتك لا يطيقون[٥] ذلك ، ومتى لا تطيقه[٦] تكفر . فرجعت إلى ربي فقلت : يا رب ، خفف عن أمتي ؛ فإنها أضعف الأمم ! فوضع عني عشرًا ، وجعلها أربعين ، فما زلت أختلف بين موسى وربي ، كلما أتيت عليه قال لي مثل مقالته حتى رجعت إليه ؛ فقال لي : بم أمرت ؟ فقلت : أمرت بعشر صلوات قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فرجعت إلى ربي ، فقلت : أيْ ربِّ ؛ خفف عن أمتي فإنها أضعف الأمم ! فوضع عني خمسًا ، وجعلها خمسًا ، فناداني ملك عندها : تمت[٧] فريضتي ، وخففت عن عبادي ، وأعطيتهم بكل حسنة عشر أمثالها .

ثم رجعت إلى موسى فقال : بم أمرت ؟ فقلت : بخمس صلوات . قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ؛ فإنه لايئوده شيء ، فاسأله التخفيف لأمتك . فقلت : رجعت إلى ربي حتى استحييت » .

ثم أصبح بمكة يخبرهم بالأعاجيب : « إني أتيت[٨] البارحة بيت المقدس ، وعرج بي إلى السماء ، ورأيت كذا وكذا ، فقال أبو جهل - يعني : ابن هشام - : ألا تعجبون مما يقول محمد ؟! يزعم[٩] أنه أتى البارحة بيت المقدس ، ثم أصبح فينا ؛ وأحدنا يضرب مطيته مصعدة شهرًا ومقفلة[١٠] شهرًا ، فهذه مسيرة شهرين في ليلة واحدة ، قال : فأخبرهم بِعِيرٍ

---

[١] - في خ : «ولو» .
[٢] - في ز ، خ : « علقت » .
[٣] - في ز ، خ : « عشرا » .
[٤] - في ز ، خ : « تكتب » .
[٥] - في ز : « تطيق » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز : « تممت » .
[٨] - في خ : « رأيت » .
[٩] - في ز : « زعم » .
[١٠] - في خ : « ومقبلة » .

لقريش ؛ لما كانت[١] في مصعدي[٢] رأيتها في مكان كذا وكذا ، وأنها نفرت ، فلما رجعت رأيتها عند العقبة ، وأخبرهم بكل رجل وبعيره كذا وكذا ، ومتاعه كذا وكذا ، فقال أبو جهل : يخبرنا بأشياء ، فقال رجل من المشركين : أنا أعلم الناس ببيت المقدس ، وكيف بناؤه ، و[٣]كيف هيئته ، وكيف قربه من الجبل ، [فإن يك محمد صادقًا فسأخبركم ، وإن يك كاذبًا فسأخبركم ، فجاء ذلك المشرك فقال : يامحمد ، أنا أعلم الناس ببيت المقدس ، فأخبرني كيف بناؤه ؟ وكيف هيئته ؟ وكيف قربه من الجبل ؟][٤] قال : فرُفع لرسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بيت المقدس من مقعده ، فنظر إليه كنظر أحدنا إلىٰ بيته : بناؤه كذا وكذا ، وهيئته كذا وكذا ، وقربه من الجبل كذا وكذا » فقال الآخر : صدقت !! فرجع إلى أصحابه فقال : صدق محمد فيما قال ، أو [نحوه من][٥] هذا الكلام .

وكذا رواه الإمام أبو جعفر بن جرير بطوله عن محمد بن عبد الأعلىٰ ، عن محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أبي هارون العبدي ، وعن الحسن بن يحيىٰ ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن أبي هارون العبدي به ، ورواه أيضًا من حديث محمد بن إسحاق ، حدثني روح ابن القاسم عن أبي هارون به ، نحو سياقه المتقدم .

ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه ، عن أحمد بن عبدة ، عن أبي عبد الصمد ، عبد العزيز بن عبد الصمد عن أبي هارون العبدي ، عن أبي سعيد الخدري ، فذكره بسياق طويل حسن أنيق ، أجود مما ساقه غيره ؛ علىٰ غرابته ، ومافيه من النكارة .

ثم ذكره البيهقي أيضًا : من رواية نوح بن قيس الحداني ، وهشيم ، ومعمر عن أبي هارون العبدي ، واسمه عمارة بن جوين ، وهو مضعف عند الأئمة .

[ ][٦] وإنما سقنا حديثه هاهنا ، لما [في حديثه][٧] من الشواهد لغيره ، ولما رواه البيهقي(٣٢) : أخبرنا الإمام[٨] أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن ، أنبأنا أبو نعيم أحمد ابن محمد بن إبراهيم البزاز[٩] ، حدثنا أبو حامد بن بلال ، حدثنا أبو الأزهر ، حدثنا يزيد ابن أبي حكيم قال : رأيت في النوم رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قلت : يارسول اللَّه ؛

---

(٣٢) - « دلائل النبوة » للبيهقي - (٢/٤٠٥) .

---

[١] - في ت : « كنت » .
[٢] - في خ : « مصعري » .
[٣] - سقط من : ت .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ت : « نحو » .
[٦] - كلمتان غير واضحتين في الأصل .
[٧] - ما بين المعكوفتين في خ : « فيه » .
[٨] - سقط من : ت .
[٩] - في ز : « البزار » .

رجل من أمتك يقال له : سفيان الثوري لابأس به ، فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « لابأس به[١] » ، حدثنا عن أبي هارون العبدي ، عن أبي سعيد الخدري ، عنك ليلة أسري بك قلتَ : « رأيت في السماء » فحدثته بالحديث فقال لي : « نعم » فقلت له : يارسول اللّٰه ؛ إن ناسًا من أمتك يحدثون عنك في المسرىٰ[٢] بعجائب ؟ فقال لي : « ذاك حديث القصاص » .

رواية شداد بن أوس :

قال الإمام أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذي : حدثنا إسحاق ابن إبراهيم بن العلاء بن الضحاك الزبيدي ، حدثنا عمرو بن الحارث عن عبد اللّٰه ابن سالم[٣] الأشعري ، عن محمد بن الوليد بن عامر الزبيدي ، حدثنا أبو[٤] الوليد بن عبد الرحمن ، عن[٥] جبير ابن نفير ، حدثنا شداد بن أوس قال : قلنا : يا رسول اللّٰه ؛ كيف أسري بك ؟ قال : « صليت لأصحابي صلاة العتمة بمكة معتمًا ، فأتاني جبريل - عليه السلام - بدابة أبيض - أو قال : بيضاء - فوق الحمار ودون البغل ، فقال : [ ][٦] اركب ، فاستصعبت[٧] عليّ فرازها بأذنها ، ثم حملني عليها ، فانطلقت تهوي بنا ، يقع حافرها [حيث أدرك][٨] طرفها ، حتىٰ بلغنا أرضًا ذات نخل فأنزلني فقال : صلِّ ، فصليت ثم ركبنا ، فقال : أتدري أين صليت ؟ قلت : اللّٰه أعلم ، قال : صليت بيثرب ، صليت بطيبة ، فانطلقت تهوي بنا ، يقع حافرها حيث أدرك طرفها ، ثم بلغنا أرضًا فقال[٩] : انزل ، فنزلت[١٠] ، ثم قال : صلِّ ، فصليت ، ثم ركبنا ؛ فقال : أتدري أين صليت ؟ قلت : اللّٰه أعلم ، قال : صليت بمدين ، صليت عند شجرة موسىٰ . ثم انطلقت تهوي بنا يقع حافرها حيث أدرك طرفها ، ثم بلغنا أرضًا بدت لنا قصور ؛ فقال : انزل[١١] ، فنزلت فقال : صل ، فصليت ، ثم ركبنا فقال : أتدري أين صليت ؟ قلت : اللّٰه أعلم ، قال : صليت ببيت[١٢] لحم ؛ حيث ولد عيسىٰ المسيح[١٣] ابن مريم ، ثم انطلق بي حتىٰ دخلنا المدينة من بابها اليماني ، فأتىٰ قبلة المسجد ، فربط فيه دابته ، ودخلنا المسجد من باب فيه تميل الشمس والقمر ، فصليت من

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ت : « السرىٰ » .
[٣] - في ز ، خ : « سلام » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في ز ، خ : « بن » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « قال » .
[٧] - في ز ، خ : « فاستصعب » .
[٨] - ما بين المعكوفتين في خ : « عند منتهى » .
[٩] - في خ : « قال » .
[١٠] - سقط من : ز .
[١١] - في ز : « انزلت » .
[١٢] - في خ : « ببطن » .
[١٣] - سقط من : ت .

المسجد حيث شاء الله ، وأخذني من العطش أشد ما أخذني ، فأتيت بإناءين ؛ في أحدهما لبن ، وفي الآخر عسل ، أرسل إلي بهما جميعًا ، فعدلت بينهما ، ثم هداني الله – عز وجل – ، فأخذت اللبن ، فشربت حتى قرعت به جبيني ، وبين يدي شيخ متكئ على مثواة له ؛ فقال : أخذ صاحبك الفطرة إنه ليهدى ، ثم انطلق بي حتىٰ أتينا الوادي الذي فيه المدينة ، فإذا جهنم تنكشف[١] عن مثل الزرابي ، قلت : يا رسول الله ، كيف وجدتها ؟ قال : مثل الحمة السخنة ، ثم انصرف بي ، فمررنا بعير لقريش بمكان كذا وكذا ، قد أضلوا بعيرًا لهم قد جمعه فلان ، فسلمت عليهم ، فقال بعضهم : هذا صوت محمد ، ثم أتيت أصحابي قبل الصبح بمكة ، فأتاني أبو بكر – رضي الله عنه – فقال : يا رسول اللّه ؛ أين كنت الليلة ؟ فقد التمستك في مظانك[٢] ، فقال : علمتَ أني أتيت بيت المقدس الليلة ؟ فقال : يا رسول اللّه ، إنه مسيرة شهر ، فصفه لي ، قال : ففتح لي صراط كأني أنظر إليه ، لا يسألني عن شيء إلا أنبأته عنه ، قال أبو بكر : أشهد أنك رسول اللّه ، فقال المشركون : انظروا إلىٰ ابن أبي كبشة ، يزعم أنه أتىٰ بيت المقدس الليلة ! قال : فقال : إن من آية ما أقول لكم : أني مررت بعير لكم بمكان[٣] كذا وكذا ، قد أضلوا بعيرًا لهم ، فجمعه[٤] فلان ، وإن مسيرهم ينزلون بكذا ثم بكذا ، ويأتونكم[٥] يوم كذا وكذا ، يقدمهم جمل آدم ، عليه مسح أسود وغرارتان سوداوان[٦] » ، فلما كان ذلك اليوم أشرف الناس ينظرون حتى كان قريب[٧] من نصف النهار ، حتىٰ أقبلت العير يقدمهم ذلك الجمل الذي وصفه رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم .

هكذا رواه البيهقي(٣٣) من طريقين عن أبي إسماعيل الترمذي به ، ثم قال بعد تمامه : هذا إسناد صحيح ، وروي ذلك مفرقًا في أحاديث غيره ، ونحن نذكر من ذلك – إن شاء اللّه – ما حضرنا . ثم ساق أحاديث كثيرة في الإسراء كالشاهد لهذا الحديث .

(٣٣) – « دلائل النبوة » للبيهقي (٣٥٥/٢ : ٣٥٧) وأخرجه البزار في مسنده (٣٤٨٤/٨) والطبراني في « المعجم الكبير » (٧١٤٢/٧) من طريق إسحاق بن إبراهيم به ، وقال البزار : « هذا الحديث لا نعلمه يروى عن شداد بن أوس عن النبي – صلى اللّه عليه وسلم – إلا بهذا الإسناد » . قال البيهقي : « وهذا إسناد صحيح ، وروى ذلك مفرقًا في أحاديث غيره ونحن نذكر من ذلك إن شاء الله تعالى ما حضرنا ... ثم ذكر أحاديث » . والحديث ذكره الهيثمي في « المجمع » (٧٨/١ ، ٧٩) وقال : « رواه البزار والطبراني في « الكبير » ... وفيه إسحاق بن إبراهيم بن العلاء وثقه يحيى بن معين وضعفه النسائي » وانظر كلام المصنف أعلاه . والحديث زاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٢٦٣/٤) إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه .

[١] – سقط من : ز ، خ .
[٢] – في خ : « مضانك » .
[٣] – في ت : «في مكان » .
[٤] – في خ : « فجمعه لهم » .
[٥] – في ز : « يأتوكم » .
[٦] – في خ : « سوداوتان » .
[٧] – في خ : « قريبا » .

وقد روىٰ هذا الحديث عن شداد بن أوس بطوله الإمامُ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم في تفسيره عن أبيه عن إسحاق بن إبراهيم بن العلاء الزبيدي به ، ولاشك أن هذا الحديث - أعني الحديث المروي عن شداد بن أوس - مشتمل علىٰ أشياء ؛ منها ما هو صحيح كما ذكره البيهقي ، ومنها ما هو منكر كالصلاة في بيت لحم ، وسؤال الصديق عن نعت بيت المقدس ، وغير ذلك ، والله أعلم .

رواية عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما -»

قال الإمام أحمد(٣٤) : حدثنا عثمان بن محمد ، حدثنا جرير ، عن قابوس ، عن أبيه قال : حدثنا ابن عباس قال : ليلة أسري برسول[١] الله صلىٰ الله عليه وسلم ، دخل الجنة ، فسمع في جانبها وجسًا(*)[٢] فقال : « يا جبريل ؛ ما هذا ؟ قال : هذا بلال المؤذن ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حين جاء إلىٰ الناس : قد أفلح بلال ! قد رأيت له كذا وكذا . قال : فلقيه موسىٰ عليه السلام فرحب به ؛ وقال : مرحبًا بالنبي الأمي ، قال : وهو رجل آدم ، طويل سبط ، شعره مع أذنيه ، أو فوقهما ، فقال : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا موسىٰ [قال : فمضىٰ فلقيه عيسى ، فرحب به وقال : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا عيسىٰ قال][٣] : فمضى ، فلقيه شيخ جليل متهيب ، فرحب به وسلم عليه ، وكلهم يسلم عليه ، قال : « من هذا ياجبريل ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم » قال : ونظر في النار ؛ فإذا قوم يأكلون الجيف ، قال : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحم[٤] الناس ، ورأىٰ رجلًا أحمر أزرق جدًّا ، قال : من هذا يا جبريل ؟ قال هذا عاقر الناقة . قال : فلما أتىٰ رسولُ الله صلىٰ الله عليه وسلم المسجد الأقصىٰ قام يصلي ، [فالتفت ثم التفت][٥] فإذا النبيون أجمعون يصلون معه ، فلما انصرف جيء بقدحين ؛ أحدهما : عن اليمين ، والآخر : عن الشمال ، في أحدهما : لبن ، وفي الآخر : عسل ، فأخذ اللبن فشرب منه ، فقال الذي كان معه القدح : أصبت الفطرة » إسناد صحيح ، ولم يخرجوه .

---

(٣٤) - أخرجه أحمد - (٢٥٧/١) .

وصحح إسناده السيوطي في « الدر المنثور » (٢٧٩/٤) وزاد نسبته إلى ابن مردويه وأبي نعيم في الدلائل والضياء في المختارة .

---

[١] - في خ : « بنبي » .

[٢] - في ز ، خ : « وخشا » . والوجس : الصوت الخفي .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - في خ : « لحوم » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

طريق أخرى : » وقال الإمام أحمد(٣٥) حدثنا حسن ، حدثنا ثابت أبو زيد ، حدثنا هلال ، حدثني عكرمة ، عن ابن عباس قال : أسري بالنبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم إلىٰ بيت المقدس ، ثم جاء من ليلته فحدثهم بمسيره ، وبعلامة بيت المقدس ، وبعيرهم ، فقال ناس : نحن لانصدق محمدًا بما يقول ، فارتدوا كفارًا ؛ فضرب اللَّه رقابهم مع أبي جهل ، وقال أبو جهل : يخوفنا محمد بشجرة الزقوم ، هاتوا تمرًا وزبدًا فتزقموا ؛ ورأىٰ الدجال في صورته رؤيا عين – ليس برؤيا منام – وعيسىٰ ، وموسىٰ ، وإبراهيم ، فسئل النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم عن الدجال ؟ فقال : « رأيته فيلمانيًا[١] ، أقمر ، هجانًا[٢] ، إحدى عينيه قائمة ؛ كأنها كوكب دري ، كأن شعر رأسه أغصان شجرة ، ورأيت عيسىٰ – عليه السلام – أبيض ، جعد الرأس ، حديد البصر ، مبطن الخلق ، ورأيت موسى أسحم[٣] آدم ، كثير الشعر ، شديد الخلق . ونظرت إلىٰ إبراهيم – عليه السلام – فلم[٤] أنظر إلىٰ إرْب[٥] منه إلا نظرت إليه منى ، حتى كأنه صاحبكم ، قال جبريل : [سلم على مالك][٦] فسلمت عليه . [ورواه النسائي من حديث أبى زيد ثابت بن يزيد عن هلال ، وهو ابن خباب به . وهو إسناد صحيح][٧] .

(طريق أخرىٰ) : قال البيهقي(٣٦) : أنبأنا أبو عبد اللَّه الحافظ ، أنبأنا أبو بكر الشافعي ، أنبأنا إسحاق بن الحسن ، حدثنا الحسين بن محمد ، حدثنا شيبان ، عن قتادة عن أبي العالية قال[٨] : حدثنا ابن عم نبيكم صلىٰ اللَّه عليه وسلم ابن عباس – رضي اللَّه عنهما – قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « رأيت ليلة أسري بي موسىٰ بن عمران ؛ رجلًا

(٣٥) – أخرجه أحمد (٣٧٤/١) . وأخرجه أبو يعلى في مسنده – (٢٧٢٠) (١٠٨/٥) حدثنا زهير حدثنا الحسن بن موسى به ، وأخرجه النسائي في الكبرى – كتاب التفسير ، – « سورة الإسراء » – (١١٢٨٣) (٣٧٧/٦) ، « وسورة الدخان » – (١١٤٨٤) – (٤٥٦/٦) .

أخبرنا أبو داود سليمان بن سيف قال : نا أبو النعمان ، نا : ثابت به مختصرًا . وابن جرير في « تهذيب الآثار » (١٧) (٤٠٨/١) من طريق محمد بن إسحاق قال : أخبرنا أبو النعمان ، قال : أخبرنا ثابت به ، وصحح إسناده المصنف . وذكره الهيثمي في المجمع – (٧١/١–٧٢) وقال : « رواه أحمد ورجاله ثقات ، إلا أن هلالا بن خباب قال يحيى القطان : إنه تغير قبل موته ، وقال يحيى بن معين : لم يتغير ، ولم يختلط ، ثقة مأمون ...» وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٢٧٩/٤) إلى ابن مردويه وأبي نعيم .

[١] – الفيلم : العظيم الجثة ، والفيلماني : منسوب إليه بزيادة الألف والنون للمبالغة (النهاية) .

[٢] – في ز : « هجان » . والهجان : الأبيض ، ويقع على الاثنين ، والواحد والجمع .

[٣] – الاسحم : الأسود . [٤] – في ز ، خ : « فلا » .

[٥] – الإرب : العضو .

[٦] – كذا في ز ، خ ، ومسند أحمد ، وعند أبي يعلى : [سلم على أبيك] .

[٧] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٨] – سقط من : خ .

طوالًا جعدًا كأنه من رجال شنوءة ، ورأيت عيسىٰ ابن مريم عليه السلام ؛ مربوع الخلق إلىٰ الحمرة والبياض ، سبط الرأس » وأري[١] مالكا خازن جهنم والدجال في آيات أراهن الله إياه قال : ﴿ **فلا تكن في مرية من لقائه** ﴾ فكان قتادة يفسرها أن نبي الله صلىٰ الله عليه وسلم قد لقي موسىٰ عليه السلام ﴿ **وجعلناه هدىٰ لبني إسرائيل** ﴾ قال : جعل الله موسىٰ هدىٰ لبني إسرائيل .

رواه مسلم(٣٧) في الصحيح عن عبد بن حميد عن يونس بن محمد عن شيبان ، وأخرجاه(٣٨) من حديث شعبة عن قتادة مختصرًا .

طريق أخرى : [قال البيهقي(٣٩) :

أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان ، أنبأنا أحمد بن عبيد الصفار ، ثنا دبيس المعدل ، ثنا عفان][٢] قال[٣] : ثنا[٤] حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « لما أسري بي مرت بي رائحة طيبة فقلت : ما هذه الرائحة ؟ قالوا : ماشطة بنت فرعون وأولادها ، سقط مشطها من يدها فقالت : بسم الله ! فقالت ابنة فرعون : أبي ؟ قالت : ربي وربك ورب أبيك ! قالت : أوَ لك رب غير أبي ؟ قالت : نعم ، ربي وربك ورب أبيك الله ! قال : فدعاها فقال : ألك رب غيري ؟ قالت : نعم ، ربي وربك الله عز وجل . قال : فأمر ببقرة[٥] من نحاس فأحميت ، ثم أمر بها لتلقىٰ فيها قالت : إن لي إليك[٦] حاجة ، قال : ما[٧] هي ؟ قالت : تجمع عظامي وعظام ولدي في موضع ، قال : ذاك لك ؛ لما لك علينا من الحق ، قال : فأمر

---

(٣٦) - أخرجه البيهقي في دلائل النبوة - (٣٨٦/٢) .

(٣٧) - أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الإيمان ، باب : الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات ، وفرض الصلوات - (٢٧٦) - (٢٩٥/٢) .

(٣٨) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الأنبياء ، باب : قول الله تعالى : ﴿ **وهل أتاك حديث موسى** ... ﴾ - (٣٣٩٦) (٤٢٩/٦) . ومسلم في صحيحه - كتاب الإيمان ، باب : الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات وفرض الصلوات - (٢٦٦) - (١٦٥) - (٢٩٣/٢-٢٩٤) .

(٣٩) - أخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » - (٣٨٩/٢) . وتقدم تخريجه موسعًا [سورة يوسف/آية٢٩/ رقم (٥٥،٥٦)] .

---

[١] - في ز : « رأى » ، سقط من : خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في خ : « بنقرة » .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

[٧] - في خ : « وما » .

بهم فألقوا واحدًا واحدًا، حتىٰ بلغ رضيعًا فيهم، فقال: ياأمه قعي ولا تقاعسي؛ فإنك علىٰ الحق. قال: وتكلم أربعة[١] وهم صغار: هذا، وشاهد يوسف، وصاحب جريج، وعيسىٰ ابن مريم عليه السلام. إسناد لا بأس به ولم يخرجوه.

(طريق أخرىٰ): [ ][٢] وقال الإمام أحمد(٤٠): حدثنا محمد بن جعفر وروح المعنىٰ قالا: حدثنا عوف عن زرارة بن أوفى، عن ابن عباس قال: قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم: «لما كان ليلة أسري بي وأصبحت[٣] بمكة فَظِعْتُ(*) بأمرى[٤]، وعرفت أن الناس مكذبى» فقعد معتزلًا حزينًا فمر به عدو اللَّه أبو جهل، فجاء حتىٰ جلس إليه، فقال له كالمستهزئ: [هل كان من شيء][٥]؟ فقال له رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم: «نعم». قال: وما هو؟ قال: «إني أسري بي الليلة». قال: إلىٰ أين[٦]؟ قال: «إلىٰ بيت المقدس». قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: «نعم». قال: فلم يره أنه يكذبه؛ مخافة أن يجحده[٧] الحديث إن[٨] دعا قومه إليه، فقال[٩]: أرأيت إن دعوت قومك أتحدثهم بما حدثتني؟ فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم: «نعم». فقال[١٠]: هيا معشر بني كعب بن لؤي، قال: فانتفضت إليه المجالس، وجاءوا حتىٰ جلسوا إليهما، قال: حدِّث قومك بما حدثتني؟ فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم: «إني أسري بي

(٤٠) - أخرجه أحمد - (٣٠٩/١). وأخرجه النسائي في الكبرى - كتاب التفسير، باب: «سورة الإسراء» - (١١٨٥) (٣٧٧/٦-٣٧٨). والطبراني في «الكبير» - (١٢٧٨٢) - (١٦٧/١٢-١٦٨) وفي «الأوسط» (٢٤٤٧) (٥٢/٣) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣٦٣/٢-٣٦٤). والبزار - (٥٦) - (٤٥/١-٤٦ كشف). من طرق عن عوف الأعرابي به، وقال الطبراني: «لا يروي هذا الحديث عن عبد الله ابن عباس إلا بهذا الإسناد، تفرد به عوف». وقال البزار: «لا نعلم أحدًا حدث به إلا عوف عن زرارة». قلت: وعوف ثقة، وثقه أحمد وابن معين والنسائي وابن سعد وغيرهم، وروى له الجماعة، فلا يضر بعد ذلك تفرده الحديث والعلم عند الله تعالى. وذكره الهيثمي في «المجمع» (٦٩/١، ٧٠) وقال: «رواه أحمد والبزار والطبراني في «الكبير» و«الأوسط» ورجال أحمد رجال الصحيح» وحسن =

[١] - بعده في خ: المهد.
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز: «رواه النسائي من حديث أبي زيد ثابت بن زيد عن هلال، وهو ابن حباب وهو إسناد صحيح، خ: «رواه النسائي من حديث زيد ثابت بن زيد عن هلال وهو ابن حبان وهو إسناد صحيح».
[٣] - غير واضحة في خ.
[٤] - ما بين المعكوفتين مكانه بياض في: ز.
[٥] - في ز قبل قوله: بيت المقدس.
[٦] - في ز: «أن».
[٧] - في خ: «يجحد».
[٨] - سقط من: خ.
[٩] - في خ: «قال».
[١٠] - في خ: «قال».

الليلة » . فقالوا : إلىٰ أين ؟ قال : « إلىٰ بيت المقدس » . قالوا : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال : « نعم » . قال : فمن بين مصفق ، ومن بين واضع يده علىٰ رأسه متعجبًا للكذب - زعم - قالوا : وتستطيع أن تنعت لنا[١] المسجد - وفي القوم من قد سافر إلىٰ ذلك البلد ورأىٰ المسجد -؟ قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « فذهبت أنعت فما زلت أنعت حتىٰ التبس[٢] عليّ بعض النعت ، قال : فجيء بالمسجد - وأنا أنظر إليه - حتىٰ وُضع دون دار عقيل ، [أو عقال][٣] فنعتُّه ، وأنا أنظر إليه ، قال : وكان مع هذا نعت[٤] لم أحفظه ، يقول عوف : قال : فقال القوم[٥] : أما النعت فواللّٰه لقد أصاب » . و[٦]أخرجه النسائي من حديث عوف وهو ابن أبي جميلة الأعرابي [به ، ورواه البيهقي من حديث النضر بن شميل وهوذة عن عوف وهو ابن أبي جميلة الأعرابي][٧] ، أحد الأئمة الثقات به .

رواية عبد اللّٰه بن مسعود - رضي اللّٰه عنه -

قال الحافظ أبو بكر البيهقي(٤١) : أخبرنا أبو عبد اللّٰه الحافظ ، أخبرنا أبو عبد اللّٰه محمد بن يعقوب ، حدثنا السري بن خزيمة ، حدثنا يوسف بن بهلول ، حدثنا عبد اللّٰه بن نمير ، عن مالك بن مغول[٨] ، عن الزبير بن عدي ، عن طلحة بن مصرف ، عن مرة الهمداني ، عن عبد اللّٰه بن مسعود قال : لما أسري برسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فانتهىٰ إلىٰ سدرة المنتهىٰ - وهي في السماء السادسة ، وإليها ينتهي[٩] ما يُصعد به حتىٰ يقبض منها[١٠] ، وإليها ينتهي ما يُهبط به[١١] من فوقها حتىٰ يقبض منها[١٢] ﴿ **إذ يغشىٰ السدرة مايغشىٰ** ﴾ - قال : غشيها فراش من ذهب ، وأعطي رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم تسليمًا[١٣] الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة ، وغفر لمن لايشرك باللّٰه المقحمات ،

= إسناده الحافظ ابن حجر في فتح الباري - (١٩٩/٧) واختاره الضياء « المختارة » (١٠/رقم ٣٤ : ٣٧) . وصحح إسناده السيوطي في « الدر المنثور » - (٢٨٤/٤) وزاد عزوه إلى ابن أبي شيبة وابن مردويه وأبي نعيم في « الدلائل » وابن عساكر .

(٤١) - أخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » - (٣٧٢/٢-٣٧٣) ، وأخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الإيمان ، باب : في ذكر سدرة المنتهى (٢٧٩) (١٧٣) .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « ألبس » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - في ز : « نعتا » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٨] - في ز ، خ : « مغلول » .
[٩] - سقط من : خ .
[١٠] - سقط من : خ .
[١١] - سقط من : خ .
[١٢] - سقط من : ز .
[١٣] - سقط من خ .

يعني : الكبائر .

ورواه مسلم في صحيحه عن محمد بن عبد اللَّه بن نمير وزهير بن حرب ، كلاهما عن عبد اللَّه بن نمير به .

ثم قال البيهقي : وهذا الذي ذكره عبد اللَّه بن مسعود طرف من حديث المعراج ، وقد رواه أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم(٤٢) ، ثم عن أبي ذر عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم(٤٣) . ثم رواه مرة مرسلًا دون ذكرهما(٤٤) ، ثم إن البيهقي ساق الأحاديث الثلاثة كما تقدم .

قلت : وقد روي عن ابن مسعود بأبسط من هذا وفيه غرابة ، وذلك فيما رواه الحسن بن عرفة(٤٥) في جزئه المشهور : حدثنا مروان بن معاوية ، عن قنان بن عبد اللَّه النهمي ، حدثنا أبو ظبيان الجنبي قال : كنا جلوسًا عند أبي عبيدة بن عبد اللَّه - يعني : ابن مسعود - ومحمد بن سعد بن أبي وقاص ، وهما جالسان ، فقال محمد بن سعد لأبي عبيدة : حدِّثنا عن أبيك ليلة أسري بمحمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقال أبو عبيدة : لا ، بل حدثنا أنت عن أبيك ؟ فقال محمد : لو سألتني قبل أن أسألك لفعلت ، قال : فأنشأ أبو عبيدة يحدث - يعني عن أبيه - كما سئل قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « أتاني جبريل - عليه السلام - بدابة فوق الحمار ودون البغل ، فحملني عليه ، ثم انطلق يهوي بنا ، كلما صعد عقبة استوت ، رجلاه كذلك مع يديه ، وإذا هبط استوت يداه مع رجليه ، حتىٰ مررنا برجل طوال سبط آدم كأنه من رجال أزد شنوءة ، وهو يقول ، فيرفع صوته يقول : أكرمته وفضلته . قال : فدفعنا[١] إليه فسلمنا عليه ، فرد السلام فقال : من هذا معك يا جبريل ؟ قال : هذا أحمد ، قال : مرحبًا بالنبي الأمي العربي ، الذي بلغ رسالة ربه ، ونصح لأمته[٢] . قال : ثم اندفعنا فقلت : من هذا ياجبريل ؟ قال : هذا موسىٰ بن عمران قال : قلت : ومن يعاتب ؟ قال : يعاتب ربه فيك ، قلت : فيرفع صوته علىٰ ربه ؟! قال : إن اللَّه قد عرف له حدته . قال : ثم اندفعنا حتىٰ مررنا بشجرة كأن ثمرها السرج[٣] ، تحتها شيخ وعياله ، قال : فقال لي جبريل : اعمد[٤] إلىٰ أبيك إبراهيم ، فدفعنا إليه فسلمنا عليه ، فرد

(٤٢) - تقدم تخريجه .

(٤٣) - تقدم تخريجه .

(٤٤) - تقدم تخريجه .

(٤٥) - وعزاه له السيوطي في « الدر المنثور » - (٢٧٣/٤) وزاد عزوه إلى أبي نعيم في « الدلائل » وابن عساكر في تاريخه .

[١] - في ز ، خ : « فدعنا » .
[٢] - في خ : « أمته » .
[٣] - في خ : « السرح » .
[٤] - في ز : « اعهد » .

السلام، فقال إبراهيم : من هذا معك ياجبريل ؟ قال : هذا ابنك أحمد . قال : فقال : مرحبًا بالنبي الأمي، الذي بلغ رسالة ربه، ونصح لأمته ، يابني إنك لاقٍ ربك الليلة ، وإن أمتك آخر الأمم وأضعفها ، فإن استطعت أن تكون حاجتك أو جُلّها في أمتك فافعل . قال : ثم اندفعنا حتىٰ انتهينا إلىٰ المسجد الأقصىٰ فنزلت فربطت الدابة [في الحلقة][١] التي في باب المسجد التي كانت الأنبياء تربط بها ، ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين من بين راكع وقائم وساجد ، قال : ثم أتيت بكأسين من عسل ولبن ، فأخذت اللبن فشربت ، فضرب جبريل – عليه السلام – منكبي وقال : أصبت الفطرة ورب محمد . قال : ثم أقيمت الصلاة فأممتهم ، ثم انصرفنا فأقبلنا » .

إسناد غريب ولم يخرجوه ، فيه من الغرائب : سؤال الأنبياء عنه – عليه السلام – ابتداء ، ثم سؤاله عنهم بعد انصرافه ، والمشهور في الصحاح – كما تقدم – أن جبريل كان يعلمه بهم أولًا ؛ ليسلِّم عليهم سلام معرفة . وفيه أنه اجتمع بالأنبياء – عليهم السلام – قبل دخوله المسجد ؛ والصحيح أنه إنما اجتمع بهم في السموات ، ثم نزل إلىٰ بيت المقدس ثانيًا ، وهم معه ، وصلىٰ بهم فيه ، ثم إنه ركب البراق وكرّ راجعًا إلىٰ مكة ، واللَّه أعلم .

(طريق أخرىٰ) : قال الإمام أحمد(٤٦) : حدثنا هشيم ، أخبرنا العوام عن جبلة بن سحيم عن مؤثر[٢] بن عفازة[٣] ، عن ابن مسعود ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « لقيت ليلة أسري بي إبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ عليهم السلام فتذاكروا أمر الساعة قال : فردوا أمرهم إلىٰ إبراهيم عليه السلام فقال : لا علم لي بها . فردوا أمرهم إلىٰ موسىٰ فقال : لا علم لي بها . فردوا أمرهم[٤] إلىٰ عيسىٰ فقال : أما وجبتها ، فلا يعلم بها أحد إلا اللَّه عز وجل ، و[٥]فيما عهد إليّ ربي أن الدجال خارج قال : ومعي قضيبان ، فإذا رآني ، ذاب كما يذوب الرصاص قال : فيهلكه[٦] اللَّه[٧] حتىٰ إن الحجر والشجر يقول : يا مسلم إن تحتي[٨] كافرًا فتعال فاقتله . قال : فيهلكهم اللَّه ، ثم يرجع الناس إلىٰ بلادهم وأوطانهم ، قال : فعند ذلك يخرج[٩] يأجوج ومأجوج ، وهم من كل حدب ينسلون ، فيطئون بلادهم ، فلا يأتون علىٰ شيء إلا أهلكوه ، ولا يمرون علىٰ ماء إلا شربوه ، قال : ثم يرجع الناس إليّ فيشكونهم ، فأدعو اللَّه عليهم ؛ فيهلكهم ويميتهم حتىٰ تَجْوَىٰ[١٠] الأرض من

(٤٦) – تقدم تخريجه [سورة الأعراف / آية ١٨٧] .

[١] – ما بين المعكوفتين في ز : « بالحلقة » .
[٢] – في ز ، خ : « مرثد » .
[٣] – في ز ، خ : « عفارة » .
[٤] – في خ : « علمها » .
[٥] – سقط من : ز ، خ .
[٦] – في خ : « فهلكه » .
[٧] – بعده في ز : « إذا رآني » .
[٨] – في ز : « تحت » .
[٩] – في ز : « فيخرج » .
[١٠] – في خ : « تحوي » .

نتن[١] ريحهم - أي : تنتن - قال : فيُنزل اللّه المطر، فيجترف أجسادهم حتىٰ يقذفهم في البحر ، ففيما[٢] عهد إليّ ربي : أن ذلك إذا كان كذلك أن الساعة كالحامل المتم، لايدري أهلها متىٰ[٣] تفجؤهم بولادها ليلًا أو نهارًا .

وأخرجه ابن ماجة عن بندار عن يزيد بن هارون عن العوام[٤] بن حوشب .

(رواية عبد الرحمن بن قرط أخي عبد اللّه[٥] بن قرط الثمالي): قال سعيد بن منصور(٤٧) : حدثنا مسكين بن ميمون مؤذن مسجد الرملة ، حدثني عروة بن رويم ، عن عبد الرحمن بن قرط أن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم ليلة أُسري به من المسجد الحرام إلىٰ المسجد الأقصىٰ - كان[٦] بين زمزم والمقام، جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره، فطارا به حتىٰ بلغ السماوات العلا ، فلما رجع قال : سمعت تسبيحًا في السماوات العلا مع تسبيح كثير ، سبحت السماوات العلا من ذي المهابة مشفقات[٧] من ذي العلو بما علا ، سبحان العلي الأعلىٰ ! سبحانه وتعالىٰ .

ونذكر هذا الحديث عند قوله تعالىٰ من هذه السورة : ﴿ **تسبح له السموات السبع** ﴾... الآية .

(رواية عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه): قال الإمام أحمد(٤٨) : حدثنا أسود[٨] بن

(٤٧) - أخرجه الطبراني في الكبير - وهو في الجزء المفقود - وفي الأوسط - (٣٧٤٢) - (٤/١١١-١١٢) .

وأبو نعيم في « الحلية » - (٢/٧) ، والذهبي في الميزان - (٥/٢٢٦) من طريق سعيد بن منصور به . وقال الطبراني : « لا يروى هذا الحديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا بهذا الإسناد تفرد به سعيد ابن منصور » .

قلت : مسكين بن ميمون قال عنه الذهبي في الميزان : (لا أعرفه ، وخبره منكر) وذكره الهيثمي في « المجمع » (١/٨٣) وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، وفيه مسكين بن ميمون ذكر له الذهبي هذا الحديث ، وقال : إنه منكر » . والحديث عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٢٨٠) إلى ابن مردويه وأبي نعيم في المعرفة ، ويذكره المؤلف مرة أخرى عند قوله : « تسبح له السموات السبع ... » .

(٤٨) - أخرجه أحمد - (١/٣٨) وحسن إسناده الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٢٦) (١/٢٦٨) .

[١] - في خ : « نتنهم و » .
[٢] - في خ : « وفيما » .
[٣] - في ز : « كيف » .
[٤] - في ت : «شهر » .
[٥] - في خ : « عبد الرحمن » .
[٦] - في ز ، خ : « مِنْ » .
[٧] - في خ : « شفقات » .
[٨] - في خ : « أحمد » .

عامر ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن أبي سنان ، عن عبيد بن آدم وأبي مريم وأبي شعيب : أن عمر بن الخطاب - رضي اللّٰه عنه - كان بالجابية ، فذكر فتح بيت المقدس قال : قال أبو سلمة : فحدثني أبو سنان ، عن عبيد بن آدم قال : سمعت عمربن الخطاب يقول لكعب : أين ترىٰ أن أصلي ؟ قال : إن أخذت عني صليت خلف الصخرة ، فكانت القدس كلها بين يديك . فقال عمر بن الخطاب - رضي اللّٰه عنه - : ضاهيت اليهودية ، لا[١] ، ولكن أصلي حيث صلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فتقدم إلىٰ القبلة فصلىٰ ، ثم جاء فبسط رداءه ، وكنس الكناسة في ردائه ، وكنس الناس .

[فلم يعظم][٢] الصخرة تعظيمًا[٣] يصلي وراءها وهي بين يديه ، كما أشار به[٤] كعب الأحبار ، وهو من قوم يعظمونها حتىٰ جعلوها قبلتهم ، ولكن منّ اللّٰه عليه بالإسلام ، فهُدي إلىٰ الحق ؛ ولهذا لما أشار بذلك قال له أمير المؤمنين : ضاهيت اليهودية ، ولا أهانها إهانة النصارىٰ الذين كانوا قد جعلوها مزبلة من أجل أنها قبلة اليهود ، ولكن أماط الأذىٰ وكنس عنها الكناسة بردائه . وهذا شبيه بما جاء في صحيح مسلم(٤٩) عن أبي مرثد الغنوي قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها » .

(رواية أبي هريرة رضي الله عنه وهي مطولة جدًا وفيها غرابة) . قال الإمام أبو جعفر بن جرير(٥٠) في تفسير سورة سبحان : حدثنا علي بن سهل ، ثنا حجاج ، ثنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية الرياحي[٥] ، عن أبي هريرة أو غيره - شك أبو جعفر - في قول اللّٰه عز وجل : ﴿ **سبحان الذي أسرىٰ بعبده ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير** ﴾ ، قال :

(٤٩) - أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الجنائز ، باب : النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه (٩٧) (٩٧٢) . وأبو داود - كتاب الجنائز ، باب : في كراهية القعود علىالقبر - (٣٢٢٩) ، والنسائي - كتاب القبلة - باب : النهي عن الصلاة إلى القبر - (٦٧/٢) . والترمذي - كتاب الجنائز ، باب : ما جاء في كراهية المشي على القبور والجلوس عليها ... (١٠٥٠) .

(٥٠) - أخرجه ابن جرير في تفسيره - (١١:٦/١٥) . وأخرجه البيهقي في الدلائل (٣٩٧/٢-٤٠٣) . والبزار « كشف الأستار » (٥٢) (٥٥) (٣٨/١-٤٥) . من طرق عن أبي جعفر الرازي به . وأبو جعفر الرازي حسن الحديث إذا لم يخالف ، وفيما تفرد به نظر لأنه يهم كثيرًا ويخالف . والحديث ذكره الهيثمي في « المجمع » - (٧٢/١ : ٧٨) وقال : « رواه البزار ورجال موثقون إلا أن الربيع بن أنس قال : عن أبي العالية أو غيره فتابعيه مجهول » . وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٢٦٨/٤) إلى أبي يعلى ومحمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة وابن أبي حاتم وابن عدي وابن مردويه .

[١] - سقط من : خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - سقط من خ .

[٥] - في خ : « الرباحي » .

[جاء جبريل][١] [إلىٰ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ومعه ميكائيل ، فقال][٢] جبريل[٣] لميكائيل[٤] : ائتني بطست من ماء زمزم كيما أطهر قلبه ، وأشرح له صدره . قال : فشق[٥] عنه بطنه فغسله ثلاث مرات ، واختلف إليه ميكائيل بثلاث طساس من ماء زمزم ، فشرح صدره ، ونزع ما كان فيه من غل ، وملأه [ ][٦] وعلمًا وحلمًا[٧] وإيمانًا ويقينًا وإسلامًا ، وختم بين كتفيه بخاتم النبوة .

ثم أتاه بفرس فحُمل عليه ، كل خطوة منه[٨] منتهىٰ بصره أو أقصىٰ بصره ، قال : فسار وسار معه جبريل – عليه[٩] السلام – قال : فأتىٰ علىٰ قوم يزرعون في يوم ، ويحصدون في يوم ، كلما حصدوا عاد كما كان ، فقال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « ياجبريل ؛ ما هذا ؟ » قال : هؤلاء المجاهدون في سبيل اللّٰه ، تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف وما أنفقوا[١٠] من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين .

ثم أتىٰ علىٰ قوم ترضخ رءوسهم بالصخر ، كلما رضخت عادت كما كانت ، ولا يفتر عنهم من ذلك شيء ، فقال : « ماهؤلاء ياجبريل ؟ » قال : هؤلاء الذين تتثاقل رءوسهم عن الصلاة المكتوبة .

ثم أتى على قوم على[١١] أقبالهم رقاع ، وعلى أدبارهم رقاع ، يسرحون كماتسرح الإبل والنعم ، ويأكلون الضريع والزقوم ورضف[١٢] جهنم وحجارتها ، قال : « فما هؤلاء يا جبريل ؟ » قال : هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم ، وما ظلمهم اللّٰه تعالىٰ شيئًا ، وما اللّٰه بظلام للعبيد .

ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج في قدر ، ولحم آخر نيء[١٣] قذر خبيث ، فجعلوا يأكلون من النيء الخبيث ، ويَدَعون النضيج الطيب ، فقال : « ما هؤلاء يا جبريل ؟ » فقال :

---

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] – سقط من : ز .
[٤] – في خ : « لميكال » .
[٥] – في ز : « فنشقق » .
[٦] – ما بين المعكوفتين في خ : « حكمة » .
[٧] – سقط من : خ .
[٨] – سقط من : خ .
[٩] – في ت : « عليهما » .
[١٠] – في ت : « أنفقتم » .
[١١] – سقط من ز ، خ .
[١٢] – في ز : « وصف » . والرضف : الحجارة المحماة على النار . (النهاية ٢٣١/٢) .
[١٣] – سقط من : ز ، خ .
[١٤] – في ز ، خ : في قدر . والمثبت من الطبري.

هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيب، فيأتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتىٰ يصبح، [والمرأة تقوم من عند زوجها حلالًا طيبًا، فتأتي رجلًا خبيثًا فتبيت معه حتى تصبح][١]

قال : ثم أتىٰ علىٰ خشبة علىٰ الطريق، لا يمر بها ثوب إلا شقته، ولا شيء إلا خرقته، قال : [« ما هذا ياجبريل ؟][٢] » قال : هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون علىٰ الطريق يقطعونه، ثم تلا : ﴿ **ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون** ﴾... الآية .

قال : ثم أتىٰ علىٰ رجل قد[٣] جمع[٤] حزمة حطب[٥] عظيمة، لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها، فقال : « ما هذا[٦] يا جبريل ؟ » قال : هذا الرجل من أمتك، يكون عليه أمانات الناس، لا يقدر علىٰ أدائها، وهو يريد أن يحمل عليها

ثم أتىٰ علىٰ قوم تُقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد، كلما قرضت عادت كما كانت، لا يفتر عنهم من ذلك شيء، فقال : « ما هؤلاء ياجبريل ؟ » فقال : هؤلاء خطباء الفتنة . ثم أتى على جحرٍ صغير، يخرج منه ثور عظيم، فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث[٧] خرج فلا يستطيع فقال : « ماهذا يا جبريل ؟ » فقال : هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة، ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردها .

ثم أتىٰ علىٰ واد، فوجد ريحًا طيبة باردة وريحَ مسكٍ، وسمع صوتًا، فقال : « ياجبريل ما هذه[٨] الريح الطيبة الباردة ؟ وما هذا المسك ؟ وما هذا الصوت ؟ » قال : هذا صوت الجنة تقول : يارب، آتني ما[٩] وعدتني، فقد كثرت غرفي وإستبرقي وحريري وسندسي؛ وعبقرين[١٠] ولؤلؤي ومرجاني، وفضتي وذهبي، وأكوابي وصحافي وأباريقي ومراكبي؛ وعسلي ومائي ولبني وخمري، فآتني ما وعدتني، فقال : لكِ كل مسلم ومسلمة، ومؤمن ومؤمنة، ومن آمن بي وبرسلي وعمل صالحًا، ولم يشرك بي، ولم يتخذ من دوني أندادًا، ومن خَشِيَني فهو آمن؛ ومن سألني أعطيته؛ ومن أقرضني جزيته؛ ومن توكل عليّ كفيته، إني أنا اللّٰه لا إله إلا أنا لا أخلف الميعاد؛ وقد أفلح المؤمنون وتبارك اللّٰه أحسن الخالقين،

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ .
[٢] - مكررة في خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ز : « حمل »، خ : « يحمل » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ت : « هؤلاء » .
[٧] - في ز : « موضع » .
[٨] - في ز : « هذا » .
[٩] - في ز : « بما » .
[١٠] - في خ : « وعبقري » .

قالت[١] : قد[٢] رضيت .

قال : ثم أتىٰ علىٰ واد فسمع صوتًا منكرًا ، ووجد ريحًا منتنة ، فقال :« ما هذه الريح يا جبريل ؟ وما هذا الصوت ؟ » فقال : هذا صوت جهنم تقول : يارب ، آتني ما وعدتني فقد كثرت سلاسلي وأغلالي ، وسعيري وحميمي ؛ وضريعي[٣] وغساقي وعذابي ، وقد بَعُدَ قَعْري واشتد حرِّي ، فآتني كل ما وعدتني . قال : لكِ كل مشرك ومشركة ، وكافر وكافرة ، وكل خبيث وخبيثة ، وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب . قالت : قد رضيت .

قال : ثم سار حتىٰ أتىٰ بيت المقدس ، فنزل فربط فرسه إلىٰ صخرة ، ثم دخل فصلىٰ مع الملائكة ، فلما قضيت الصلاة قالوا : يا جبريل ، من هذا معك ؟ قال : محمد صلىٰ الله عليه وسلم . قالوا : أو قد أرسل [إليه][٤] ؟ قال : نعم . قالوا : حيّاه اللّه من أخ ومن خليفة ، فنعم الأخ ، ونعم الخليفة ، ونعم المجيء جاء .

قال : ثم لقي أرواح الأنبياء ، فأثنوا على ربهم ، فقال إبراهيم : الحمد لله الذي اتخذني خليلًا ، وأعطاني ملكا عظيمًا ، وجعلني أمة قانتًا يؤتم بي ، وأنقذني من النار وجعلها عليّ بردًا وسلامًا ! ثم إن موسىٰ -عليه السلام- أثنىٰ على ربه فقال : الحمد للّه الذي كلمني تكليمًا ، وجعل هلاك آل فرعون ونجاة بني إسرائيل علىٰ يدي ، وجعل من أمتي قومًا يهدون بالحق وبه يعدلون ! ثم إن داود -عليه السلام- أثنىٰ علىٰ ربه فقال : الحمد للّه الذي جعل لي ملكًا عظيمًا ، وعلمني الزبور ، وألان لي الحديد ، وسخر لي الجبال يسبحن والطير ، وأعطاني الحكمة وفصل الخطاب ! ثم إن سليمان -عليه السلام- أثنىٰ علىٰ ربه فقال : الحمد للّه الذي سخر لي الرياح ، وسخر لي الشياطين ، يعملون لي[٥] ما شئت من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب[٦] وقدور راسيات ، وعلمني منطق الطير ، وآتاني من كل شيء فضلًا ، وسخر لي جنود الشياطين والإنس والطير ، وفضلني علىٰ كثير من عباده المؤمنين ، وآتاني ملكا عظيمًا لا ينبغي لأحد من بعدي ، وجعل ملكي ملكًا طيبًا ليس فيه حساب ! ثم إن عيسىٰ -عليه السلام- أثنىٰ علىٰ ربه -عز وجل- فقال : الحمد للّه الذي جعلني كلمته ، وجعل مثلي[٧] مثل آدم ، خلقه من تراب ثم قال له « كن » فيكون ، وعلمني الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ، وجعلني أخلق من الطين كهيئة الطير ، [فأنفخ فيه][٨] فيكون طيرًا بإذن اللّه ، وجعلني أبرئ الأكمه والأبرص ، وأحيي الموتىٰ [بإذن اللّه][٩] ،

---

[١] - في خ : « قال » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ز ، خ : « مربعي » .
[٤] - في ز : « محمد » ، خ : « إليه » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : كالجوابي » .
[٧] - في خ : « مثيلى » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٩] - ما بين المعكوفتين في ز : « بإذنه » .

ورفعني وطهرني، وأعاذني وأمي من الشيطان الرجيم، فلم يكن للشيطان علينا سبيل. قال[١] : ثم إن محمدًا صلىٰ اللَّه عليه وسلم أثنىٰ علىٰ ربه -عز وجل- فقال : « وكلكم[٢] أثنىٰ علىٰ ربه، وإني مُثْنٍ علىٰ ربي فقال : الحمد للَّه الذي أرسلني رحمة للعالمين، وكافة للناس بشيرًا ونذيرًا، وأنزل عليّ الفرقان، فيه بيان لكل شيء، وجعل أمتي خير أمة أخرجت للناس، وجعل أمتي أمة وسطًا، وجعل أمتي هم الأولين وهم الآخرين، وشرح لي صدري، ووضع عني وزري، ورفع لي[٣] ذكري، وجعلني فاتحًا وخاتمًا » فقال إبراهيم -عليه السلام- : بهذا فضلكم محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم.

قال أبو جعفر الرازي : خاتم النبوة[٤] فاتح بالشفاعة يوم القيامة.

ثم أُتي بآنية ثلاثة مغطاة أفواهها ؛ فأُتي بإناء منها فيه ماء، فقيل : اشرب، فشرب منه يسيرًا، ثم دفع إليه إناء آخر فيه لبن، فقيل [له : اشرب، فشرب منه][٥] حتىٰ روي، ثم دفع إليه إناء آخر فيه خمر، فقيل له : اشرب فقال : لا أريده قد رويت، فقال له جبريل : أما إنها ستحرم علىٰ أمتك، ولو شربت منها لم يتبعك من أمتك إلا قليل.

قال : ثم صعد به إلىٰ السماء فاستفتح فقيل : من هذا يا جبريل؟ فقال : محمد، قالوا[٦] : أو قد أرسل إليه[٧] ؟ قال : نعم، قالوا : حياه اللَّه من أخ ومن خليفة[٨] ؛ فنعم الأخ، ونعم الخليفة، ونعم المجيء جاء، [ففتح لهما][٩] فدخل، فإذا هو برجل تام الخلق، لم ينقص من خلقه شيء، كما ينقص من خلق الناس، عن يمينه باب يخرج منه ريح طيبة، وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثة، إذا نظر إلىٰ الباب الذي عن يمينه ضحك واستبشر، وإذا نظر إلىٰ[١٠] الباب الذي عن يساره بكىٰ وحزن.

فقلت : يا جبريل، من هذا الشيخ التام الخلق، الذي لم ينقص من خلقه شيء؟ وما هذان البابان؟ فقال : هذا أبوك آدم، وهذا الباب الذي عن يمينه باب الجنة، إذا نظر إلىٰ من يدخله[١١] من ذريته ضحك واستبشر، والباب الذي عن شماله باب جهنم، إذا نظر إلىٰ من يدخله[١٢] من ذريته بكىٰ وحزن.

---

[١] - سقط من : ز، خ.
[٢] - في ز : « فكلكم ».
[٣] - سقط من : ز.
[٤] - في خ : « بالنبوة ».
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ.
[٦] - في خ : « فقالوا ».
[٧] - سقط من : ز.
[٨] - في خ : « ونعم ».
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من ز.
[١٠] - في خ : « على ».
[١١] - في ز : « يدخل ».
[١٢] - في خ : « يدخلها ».

ثم صعد به جبريل إلىٰ السماء الثانية ، فاستفتح ، فقيل : من هذا معك ؟ فقال : محمد رسول الله ، قالوا : أو قد أرسل محمد ؟ قال : نعم . قالوا : حياه الله من أخ ومن خليفة ! فلنعم الأخ ، ونعم الخليفة ! ونعم المجيء جاء ! قال : فدخل فإذا هو بشابين ، فقال : يا جبريل ، من هذان الشابان ؟ قال[١] : هذا عيسىٰ ابن مريم ، ويحيى بن زكريا ابنا الخالة عليهما السلام .

قال : فصعد به إلىٰ السماء الثالثة ، فاستفتح ، فقالوا : من هذا ؟ قال : جبريل ، قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا : أو قد أرسل ؟ قال : نعم ، قالوا : حياه الله من أخ ومن خليفة ! فنعم الأخ ، ونعم الخليفة ! ونعم المجيء جاء ! قال : فدخل فإذا هو برجل قد فضل علىٰ الناس في الحسن [كما فضل القمر ليلة البدر علىٰ سائر الكواكب ، قال : من هذا يا جبريل الذي قد فضل علىٰ الناس في الحسن ؟][٢] قال : هذا أخوك يوسف -عليه السلام- .

قال : ثم صعد به إلىٰ السماء الرابعة ، فاستفتح فقالوا : من هذا ؟ قال : جبريل ، قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا : أو قد أرسل إليه[٣] ؟ قال : نعم ، قالوا : حياه الله من أخ ومن خليفة ! فنعم الأخ ، ونعم الخليفة ! ونعم المجيء جاء ! قال : فدخل فإذا هو برجل ، قال[٤] : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا إدريس عليه السلام رفعه الله مكانًا عليا .

ثم صعد به إلىٰ السماء الخامسة ، فاستفتح ، فقالوا : من هذا ؟ قال : جبريل . قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد . قالوا : أو قد أرسل إليه[٥] ؟ قال : نعم . قالوا : حياه الله من أخ ومن[٦] خليفة ! فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء ! قال[٧] : فدخل فإذا هو برجل جالس ، وحوله قوم يقص عليهم ، قال : من هذا يا جبريل ؟ ومن هؤلاء حوله ؟ قال : هذا[٨] هارون المحبب [في قومه][٩] ، وهؤلاء بنو إسرائيل .

ثم صعد به إلىٰ السماء السادسة ، فاستفتح ، قيل[١٠] : من هذا ؟ قال : جبريل . قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد . قالوا : أو قد أرسل إليه[١١] ؟ قال : نعم . قالوا : حياه الله من

[١] - في خ : « فقال » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من: ت .
[٤] - في ز : « فقال » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - سقط من : ت .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - في ز : « ثم » .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[١٠] - في ز : « قيل له » ، خ : « فقالوا » .
[١١] - سقط من : ت .

أخ ومن خليفة ! فنعم الأخ ، ونعم الخليفة ! ونعم المجيء جاء[١] ! فإذا هو برجل جالس ، فجاوزه فبكىٰ الرجل فقال : يا جبريل ! من هذا ؟ قال : موسىٰ . قال : فما باله يبكي ؟ قال : زعم بنو[٢] إسرائيل أني أكرم بني آدم علىٰ اللَّه -عز وجل- ، وهذا رجل من بني آدم قد خلفني في دنيا وأنا في أخرىٰ ، فلو أنه بنفسه لم أبال ، ولكن مع كل نبي أمته .

قال : [ثم صعد][٣] به إلىٰ السماء السابعة ، فاستفتح ، [فقيل له][٤] : من هذا ؟ قال : جبريل . قالوا[٥] : ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا : أو قد أرسل إليه[٦] ؟ قال : نعم ، قالوا : حياه اللَّه من أخ ومن خليفة ! فنعم الأخ ، ونعم الخليفة ، ونعم المجيء جاء ، قال : فدخل فإذا هو برجل أشمط جالس عند باب الجنة على كرسي ، وعنده قوم جلوس ، بيض الوجوه ، أمثال[٧] القراطيس ، وقوم في ألوانهم شيء ، فقام هؤلاء الذين في ألوانهم شيء ، فدخلوا نهرًا ، فاغتسلوا فيه ، فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شيء ، ثم دخلوا نهرًا آخر ، فاغتسلوا فيه ، فخرجوا وقد خلص من[٨] ألوانهم [شيء ، ثم دخلوا نهرًا آخر ، فاغتسلوا فيه ، فخرجوا][٩] [ ][١٠] وقد[١١] خلصت[١٢] ألوانهم[١٣] فصارت مثل ألوان أصحابهم ، فجاءوا فجلسوا إلىٰ أصحابهم ، فقال : يا جبريل ! من هذا الأشمط ؟ ثم من هؤلاء البيض[١٤] الوجوه ؟ ومن هؤلاء الذين في ألوانهم شيء ؟ [وما هذه الأنهار التي دخلوا فيها فجاءوا وقد صفت ألوانهم ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم أول من شمط علىٰ الأرض ، وأما هؤلاء البيض الوجوه ، فقوم لم يلبسوا إيمانهم بظلم ، وأما هؤلاء الذين في ألوانهم شيء][١٥] ؛ فقوم[١٦] خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا ، فتابوا فتاب اللَّه عليهم ، وأما الأنهار ؛ فأولها : رحمة اللَّه . والثانىٰ : نعمة[١٧] اللَّه . والثالث : سقاهم ربهم شرابًا طهورًا .

قال : ثم انتهىٰ إلىٰ السدرة فقيل له : هذه السدرة ينتهي إليها كل أحد خلا من أمتك

---

[١] - سقط من : ت . وبعده في خ : « قال :فدخل » .
[٢] - في خ : « بنى » والصواب المثبت .
[٣] - في خ :« فصعد » .
[٤] - في خ : « قالوا » .
[٥] - في ز : « قيل » .
[٦] - سقط من : ت .
[٧] - في خ : « مثل » .
[٨] - سقط من : ز .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[١٠] - في خ : منه .
[١١] - سقط من : ز .
[١٢] - سقط من : ز ، في خ : « خلفي » .
[١٣] - سقط من : ز .
[١٤] - في خ : « بيض » .
[١٥] - سقط من ز ، خ .
[١٦] - في خ : « فقومًا » .
[١٧] - في ز ، خ : « نعم » .

علىٰ سنتك ، فإذا هي شجرة يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذّة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ، وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عامًا لا يقطعها ، والورقة منها مغطية للأمة كلها ، قال : فغشيها نور الخلاق -عز وجل- وغشيتها الملائكة أمثال الغربان حين[١] يقعن[٢] علىٰ الشجرة ، [قال : فكلمه اللَّه][٣] عند ذلك ، فقال[٤] له : سل . قال : إنك اتخذت إبراهيم خليلًا ، وأعطيته ملكًا عظيمًا ، وكلمت موسىٰ تكليمًا ، وأعطيت داود ملكًا عظيمًا ، وألنت له الحديد ، [وسخرت له الجبال ، وأعطيت سليمان ملكًا ، وسخرت له الجن والإنس والشياطين][٥] ، وسخرت له الرياح ، وأعطيته ملكًا عظيمًا لا ينبغي لأحد من بعده ، وعلمت عيسى التوراة والإنجيل وجعلته يبرئ الأكمه والأبرص ، ويحيي الموتىٰ بإذنك ، وأعذته وأمه من الشيطان الرجيم ، فلم يكن للشيطان عليهما سبيل . فقال له ربه -عز وجل- : وقد اتخذتك خليلًا .-وهو مكتوب في التوراة : حبيب الرحمن - وأرسلتك إلىٰ الناس كافة بشيرًا ونذيرًا ، وشرحت لك صدرك ، ووضعت عنك وزرك ، ورفعت لك ذكرك ، فلا أُذكر إلا ذكرتَ معي ، وجعلت أمتك خير أمة أخرجت للناس ، وجعلت أمتك أمة وسطًا ، وجعلت أمتك هم الأولين[٦] الآخرين ، وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتىٰ يشهدوا أنك عبدي ورسولي ، وجعلت من أمتك أقوامًا قلوبهم أناجيلهم ، وجعلتك أول النبيين خلقًا ، وآخرهم بعثًا[٧] وأولهم[٨] يقضىٰ له ، وأعطيتك سبعًا من المثاني لم [يعطها نبي][٩] قبلك ، وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم أعطها نبيًا قبلك ، وأعطيتك الكوثر ، وأعطيتك ثمانية أسهم : الإسلام ، والهجرة ، والجهاد ، والصدقة ، والصلاة[١٠] ، وصوم رمضان ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر . وجعلتك فاتحًا وخاتمًا ، فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « فضَّلني ربي بست : أعطاني فواتح الكلام وخواتيمه ، وجوامع الحديث ، وأرسلني إلىٰ الناس كافة بشيرًا ونذيرًا ، وقذف في قلوب عدوي الرعب من مسيرة شهر ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وجعلت لي الأرض كلها طهورًا ومسجدًا » .

قال : وفرض عليه خمسين صلاة ، فلما رجع إلىٰ موسىٰ قال : بم أمرت يا محمد ؟ قال : بخمسين صلاة ، قال : ارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف ؛ فإن أمتك أضعف الأمم ،

---

[١] - في ز ، خ : « حتى » .
[٢] - في ز خ : « تقع » .
[٣] - في خ : « فكلمه تعالى » .
[٤] - في ز : « قال » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - بعده في ت : «وهم » .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - في ز : « وآخرهم » ، سقط من خ .
[٩] - ما بين المعكوفتين في ز : « أعطها نبيًا » .
[١٠] - سقط من : ز .

فقد لقيت من بني إسرائيل شدة ، قال : فرجع النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم إلىٰ ربه - عز وجل - فسأله التخفيف ، فوضع عنه عشرًا ، [ثم رجع][١] إلىٰ موسىٰ فقال : بكم أمرت ؟ قال[٢] : بأربعين ، قال : ارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف ؛ فإن أمتك أضعف الأمم ، قد[٣] لقيت من بني إسرائيل شدة ، قال : فرجع النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم إلىٰ ربه فسأله التخفيف فوضع عنه عشرًا ، فرجع إلىٰ موسىٰ فقال : بكم أمرت ؟ قال : أمرت بثلاثين ، فقال له موسىٰ : ارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف ؛ فإن أمتك أضعف الأمم ، وقد لقيت من بني إسرائيل شدة ؛ قال : فرجع إلىٰ ربه فسأله التخفيف ، فوضع عنه عشرًا ، فرجع إلىٰ موسىٰ عليه السلام فقال : بكم أمرت ؟ قال : أمرت بعشرين ، قال : ارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف ؛ فإن أمتك أضعف الأمم ، وقد لقيت من بني إسرائيل شدة ؛ قال : فرجع إلىٰ ربه عز وجل فسأله التخفيف ، فوضع عنه عشرًا ، فرجع إلىٰ موسىٰ فقال : بكم أمرت ؟ قال[٤] : بعشر ؛ قال : ارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف ؛ فإن أمتك أضعف الأمم ، وقد لقيت من بني إسرائيل شدة ، قال : فرجع [علىٰ حياء][٥] إلىٰ ربه ، فسأله التخفيف ، فوضع عنه خمسًا ، فرجع إلىٰ موسىٰ - عليه السلام - فقال : بكم أمرت ؟ قال[٦] : بخمس ، قال : ارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف ؛ فإن أمتك أضعف الأمم ، وقد لقيت من بني إسرائيل شدة ، قال : قد رجعت إلىٰ ربي حتىٰ استحييت ، فما أنا [راجع][٧] إليه ؛ قيل : [أما إنك كما][٨] صبرت نفسك علىٰ خمس صلوات ؛ فإنهن يجزين عنك خمسين صلاة ؛ فإن كل حسنة بعشر أمثالها ، قال : فرضي محمدصلىٰ اللَّه عليه وسلم كل الرضا ؛ قال : وكان موسىٰ - عليه السلام - من أشدهم عليه حين مر به ، وخيرهم له حين رجع إليه .

ثم رواه ابن جرير ، عن محمد بن عبيد اللَّه ، عن أبي النضر هاشم بن القاسم ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية أو غيره - شك أبو جعفر - عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فذكره بمعناه ، وقد رواه الحافظ أبو بكر البيهقي ، عن أبي سعيد المالِيني ، عن ابن عدي ، عن محمد بن الحسن السكوني البالسي بالرملة ، حدثنا علي بن سهل ، فذكر مثل ماروواه ابن جرير عنه .

وذكر البيهقي أن الحاكم أبا عبد اللَّه رواه عن إسماعيل بن محمد بن الفضل بن محمد

---

[١] - في خ : « فرجع » .
[٢] - في خ : « فقال » .
[٣] - في خ : « لقد » .
[٤] - بعده في خ : أمرت .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - بعده في خ : أمرت .
[٧] - في ت : « براجع » .
[٨] - في ز ، خ : « إنه كما أنك » .

الشعراني ، عن جده ، عن [إبراهيم بن][١] حمزة الزبيري ، عن حاتم بن إسماعيل ، حدثني عيسىٰ بن ماهان - يعني أبا جعفر الرازي - عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي هريرة عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فذكره .

وقال ابن أبي حاتم : ذكر[٢] أبو زرعة : حدثنا محمد بن عبد اللَّه بن نمير ، حدثنا يونس بن بكير ، [حدثنا عيسىٰ بن][٣] عبد اللَّه التميمي - عن[٤] أبا جعفر الرازي - عن الربيع بن أنس البكري[٥] ، عن أبي العالية أو غيره - شك عيسىٰ - عن أبي هريرة ، أن [رسول اللَّه][٦] صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال [في قوله تعالىٰ][٧] : ﴿ **سبحان الذي أسرىٰ بعبده ليلًا من المسجد الحرام** ﴾ ... فذكر الحديث بطوله كنحوٍ مما سقناه .

قلت : أبو جعفر الرازي قال فيه الحافظ أبو زرعة الرازي : يهم في الحديث كثيرًا ، وقد ضعفه غيره أيضًا ووثقه بعضهم ، والأظهر أنه سيئ الحفظ ، ففيما تفرد به نظر . وهذا الحديث في بعض ألفاظه غرابة ونكارة شديدة ، وفيه شيء من حديث المنام من رواية سمرة ابن جندب في المنام الطويل عند البخاري ، ويشبه أن يكون مجموعًا من أحاديث شتىٰ ، أو منام ، أو[٨] قصة أخرىٰ غير الإسراء ، واللَّه أعلم .

وقد روىٰ البخاري ومسلم في الصحيحين(٥١) من حديث عبد الرزاق : أنبأنا معمر ، عن الزهري ، أخبرني سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة قال : قال [رسول اللَّه][٩] صلىٰ اللَّه عليه وسلم حين أسري به : « لقيت موسىٰ - عليه السلام قال[١٠] فنعته فإذا رجل حسبته قال : مضطرب ، رَجْلَ الرأسِ كأنه من رجال شنوءة ، قال : ولقيت عيسىٰ ، فنعته النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس - يعني : حمام - قال : ولقيت[١١] إبراهيم وأنا أشبه ولده به ، قال : وأتيت بإناءين ، في أحدهما لبن وفي الآخر

---

(٥١) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الأنبياء ، باب : قول الله ﴿ **واذكر في الكتاب مريم** ... ﴾ (٣٤٣٧) . ومسلم في صحيحه - كتاب الإيمان ، باب : الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى = السماوات وفرض الصلوات (٢٧٢) (١٦٨) ، وأخرجه البخاري أيضًا (٣٣٩٤) من طريق هشام بن يوسف عن معمر به .

---

[١] - في خ : « أبي » .
[٢] - في ز: « ذكره » ، خ : « فذكره » .
[٣] - في خ : « عن » .
[٤] - في ز : «يعني» .
[٥] - في خ : « اليشكري » .
[٦] - في خ : « النبي » .
[٧] - في خ : « الله » .
[٨] - في خ : « و » .
[٩] - في خ : « النبي » .
[١٠] - سقط من : ز ، خ .
[١١] - في ز ، خ : « ورأيت » .

خمر ، قيل لي : خذ أيهما شئت ؟ فأخذت اللبن فشربت فقيل لي[١] : هديت الفطرة - أو أصبت الفطرة - أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك » . وأخرجاه من وجه آخر عن الزهري به نحوه .

وفي صحيح مسلم(٥٢) عن محمد بن رافع عن حجين بن المثنىٰ ، عن عبد العزيز بن أبي سلمة ، عن عبد اللّٰه بن الفضل الهاشمي ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة - رضي اللّٰه عنه - قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « لقد رأيتني في الحجر ، وقريش تسألني عن مسراي ، فسألوني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها ، فكربت كربًا ما كربت مثله قط ، فرفعه اللّٰه لي أنظر إليه ، ما سألوني عن شيء إلا أنبأتهم به ، وقدرأيتني في جماعة من الأنبياء ، وإذا موسىٰ قائم يصلي ، [وإذا هو رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة ، وإذا عيسىٰ [ابن مريم][٢] قائم يصلي][٣] ، أقرب الناس شبهًا به عروة بن مسعود الثقفي ، وإذا إبراهيم قائم يصلي [أشبه الناس به][٤] صاحبكم - يعني : نفسه - فحانت الصلاة فأممتهم ، فلما فرغت قال قائل : يامحمد ؛ هذا مالك صاحب النار[٥] ، [فسلِّم عليه][٦] فالتفتُّ إليه ، فبدأني بالسلام » .

وقال ابن أبي حاتم(٥٣) : حدثنا أبي ، حدثنا حجاج بن منهال ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن أبي الصلت ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « رأيت ليلة أسري بي لما انتهينا إلىٰ السماء السابعة فنظرت فوق فإذا رعد وبرق وصواعق ، قال : وأتيت علي قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترىٰ من خارج بطونهم ، فقلت : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة الربا ، فلما نزلت إلىٰ السماء[٧] الدنيا نظرت أسفل مني ، قال :[٨] فإذا أنا برهج ودخان وأصوات ، فقلت : [ما هذا][٩] ياجبريل ؟ قال : هذه الشياطين ، يحرفون[١٠] علىٰ أعين بني آدم ، [ألّا يتفكروا][١١] في ملكوت

(٥٢) - أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الإيمان باب : ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال (٢٧٨) (١٧٢) . وقد جعل ابن كثير - رحمه الله تعالى - شيخ مسلم في هذا الحديث « محمد بن رافع » وفي المطبوع « وحدثني زهير بن حرب حدثنا حجين به » .

(٥٣) - تقدم تخريجه [سورة الأعراف آية ١٨٥] .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ت : « أقرب الناس شبهًا به » .
[٥] - في ت : « جهنم » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - سقط من: ت .
[٩] - في ت : « من هؤلاء » ، خ : « هاهذا » .
[١٠] - في ز ، خ : « يحرقون » .
[١١] - ما بين المعكوفتين في ز : « لا يتفكروا » ، خ : « لا يتفكرون » .

السموات والأرض ، ولولا ذلك لرأوا العجائب » .

ورواه الإمام أحمد عن حسن وعفان - كلاهما عن حماد بن سلمة به .

ورواه ابن ماجة من حديث حماد به .

رواية جماعة من الصحابة ممن تقدم وغيرهم ، قال الحافظ البيهقي(٥٤) : حدثنا أبو عبد الله - يعني : الحاكم - حدثنا عبدان بن يزيد بن يعقوب الدقاق بهمذان[١] ، حدثنا إبراهيم ابن الحسين الهمذاني[٢] ، حدثنا أبو محمد - هو إسماعيل بن موسىٰ[٣] الفزاري - حدثنا عمر بن سعد النصري[٤] من بني نصر[٥] بن قعين[٦] ، حدثني عبد العزيز ، وليث بن أبي سليم ، وسليمان الأعمش ، وعطاء بن السائب - بعضهم يزيد في الحديث علىٰ بعض - عن علي بن أبي طالب ، وعن[٧] عبد الله بن عباس - ومحمد بن إسحاق بن يسار ، عمّن حدثه ، عن ابن عباس - وعن سليم بن مسلم العقيلي ، عن عامر الشعبي ، عن عبد الله بن مسعود وجويبر ، عن الضحاك بن مزاحم قالوا : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في بيت أم هانئ راقدًا ، وقد صلىٰ العشاء الآخرة . قال أبو عبد الله الحاكم : قال لنا هذا الشيخ ... وذكر الحديث فكتب[٨] المتن من نسخة مسموعة منه ، فذكر حديثًا طويلًا يذكر فيه عدد الدرج والملائكة وغير ذلك مما لا ينكر شيء[٩] منها في قدرة الله إن صحت الرواية .

قال البيهقي : فيما ذكرنا قبل في[١٠] حديث أبي هارون العبدي في إثبات الإسراء والمعراج كفاية ، وبالله التوفيق .

قلت : وقد أرسل هذا الحديث غير واحد من التابعين ، وأئمة المفسرين ، رحمة الله عليهم أجمعين .

(رواية عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها -) قال البيهقي(٥٥) : أخبرنا أبو عبد الله

---

(٥٤) - « دلائل النبوة » للبيهقي - (٢/٤٠٤-٤٠٥) .

(٥٥) - « دلائل النبوة » للبيهقي - (٢/٣٦٠-٣٦١) .

---

[١] - في ز : خ : « بهمدان » .

[٢] - في ز ، خ : « الهمداني » .

[٣] - في خ : « محمد » .

[٤] - في ز ، خ : « النضري » .

[٥] - في ز ، خ : « نضر » .

[٦] - في ز ، خ : « معين » .

[٧] - سقط من : ت .

[٨] - في خ : « فكتبت » .

[٩] - في خ : « شيئًا » .

[١٠] - في خ : « من » .

الحافظ ، أخبرني مكرم بن أحمد القاضي ، حدثنا إبراهيم بن الهيثم البلدي[١] ، حدثني محمد ابن كثير الصنعاني ، حدثنا معمر[٢] بن راشد ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة [رضي الله عنها][٣] قالت : لما أسري [برسول الله][٤] صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ المسجد الأقصىٰ أصبح يحدث الناس بذلك ، فارتد ناس ممن[٥] كانوا آمنوا به وصدقوه ، وسعوا بذلك إلىٰ أبي بكر فقالوا : هل لك في صاحبك[٦] ؟ يزعم أنه أسري به الليلة إلىٰ بيت المقدس ، فقال : أوَ قال ذلك ؟ قالوا : نعم ، قال : لئن كان قال ذلك لقد صدق ، قالوا : فتصدقه[٧] أنه ذهب الليلة[٨] إلىٰ بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح ؟ قال : نعم ، إني لأصدقه فيما[٩] هو أبعد من ذلك ؛ أصدقه [في خبر][١٠] السماء في غدوة أو روحة ؛ فلذلك سمي أبو بكر : الصديق [رضي الله عنه][١١] .

(رواية أم هانئ بنت أبي طالب [رضي الله عنها][١٢]) قال محمد بن إسحاق(٥٦) : حدثني محمد بن [ ][١٣] السائب الكلبي عن أبي صالح باذان عن أم هانئ بنت أبي طالب في مسرىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، أنها كانت تقول : ما أسري برسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إلا وهو في بيتي نائم عندي تلك الليلة ، فصلىٰ العشاء الآخرة ، ثم نام ونمنا ، فلما كان قبيل الفجر أهبَّنا [رسول الله صلى الله عليه وسلم][١٤] فلما صلى الصبح وصلينا معه قال : « يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي ، ثم

وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/٦٢-٦٣) وقال : « حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي .

مع أن في إسناده محمد بن كثير الصنعاني : قال البخاري : لينٌ جدًّا ، وقال النسائي : ليس بالقوي كثير الخطأ ، وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : ذكره أبي محمد بن كثير ، وضعفه جدًّا ، وضعف حديثه عن معمر جدًّا ، وقال : هو منكر الحديث ، وقال : يروى أشياء منكرة .

وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٤/٢٨٤) إلى ابن مردويه .

(٥٦) - أخرجه ابن هشام في سيرته - (٢/٤٢٧) . وأخرجه ابن جرير في تفسيره - (١٥/٢) حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة عن محمد بن إسحاق به .

---

[١] - في ز ، خ : « البكري » .
[٢] - في ز : « محمد » .
[٣] - سقط من : ت .
[٤] - في خ : « بالنبي » .
[٥] - في ت : « مما » .
[٦] - في ز ، خ : « صاحب » .
[٧] - في ز : « تصدقه » .
[٨] - سقط من : ز ، خ .
[٩] - في ز : « بما » .
[١٠] - في ز ، خ : « بخبر » .
[١١] - سقط من : ت .
[١٢] - سقط من : ت .
[١٣] - في ز ، خ : محمد بن .
[١٤] - سقط من : ت .

جئت بيت المقدس فصليت فيه ، [ثم صليت][١] صلاة الغداة معكم الآن كما ترين » .

الكلبي : متروك بمرة ساقط . لكن رواه أبو يعلىٰ(٥٧) في مسنده عن محمد بن إسماعيل الأنصاري ، عن ضمرة بن ربيعة ، عن يحيىٰ بن أبي عمرو السيباني[٢] ، عن أبي صالح ، عن أم هانئ بأبسط من هذا السياق فليكتب هاهنا .

وروىٰ الحافظ أبو القاسم الطبراني(٥٨) من حديث عبد الأعلي بن أبي المساور ، عن عكرمة ، عن أم هانئ قالت : بات رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ليلة أسري به في بيتي ، ففقدته من الليل ، فامتنع مني النوم مخافة أن يكون عرض له بعض قريش ، فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « إن جبريل -عليه السلام- أتاني ، فأخذ بيدي فأخرجني ، فإذا علىٰ الباب دابة[٣] دون البغل وفوق الحمار ، فحملني عليها ، ثم انطلق حتىٰ انتهىٰ بي إلىٰ بيت المقدس ، فأراني إبراهيم عليه السلام ، يشبه خلقُه خلقي ، ويشبه خلقي خلقَه ، وأراني موسىٰ آدم ، طويلًا ، سبط الشعر ، شبهته برجال أزد شنوءة ، وأراني عيسىٰ ابن مريم ربعة ، أبيض ، يضرب إلىٰ الحمرة ، شبهته بعروة بن مسعود الثقفي ، وأراني الدجال ممسوح العين اليمنىٰ ، شبهته بقطن بن عبد العزىٰ - قال : وأنا أريد أن أخرج إلىٰ قريش فأخبرهم بما رأيت » . فأخذت بثوبه فقلت : إني أذكرك اللَّه إنك تأتي قومك يكذبونك ، وينكرون مقالتك ، فأخاف أن يسطوا بك ، قالت[٤] : فضرب ثوبه من يدي ، ثم خرج إليهم فأتاهم - وهم جلوس - فأخبرهم ما أخبرني ، فقام جبير بن مطعم فقال : يا محمد لو[٥] كنت شابًا كما كنت ؛ ما تكلمت بما تكلمت به وأنت بين ظهرانينا . فقال رجل من القوم : يا محمد ؛ هل مررت بإبل لنا [ ][٦] في مكان كذا وكذا ؟ قال : « نعم ، واللَّه قد[٧] وجدتهم قد أضلوا بعيرًا لهم ، فهم في طلبه » . قال : فهل[٨] مررت بإبل لبني

(٥٧) - ذكره الحافظ ابن حجر في « المطالب العالية » (٤٢٨٧) وعزاه إلى أبي يعلى . وقال الشيخ - حبيب الرحمن الأعظمى - في الحاشية - [سكت عليه البوصيري ، وقال الحافظ في الإصابة : هذا أصح من رواية الكلبي - الرواية السابقة - فإن في روايته من المنكر أنه صلى العشاء والصبح معهم ، وإنما فرضت الصلاة ليلة المعراج .... قلت (الشيخ حبيب) هذا المنكر في هذه الرواية أيضًا] .

والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٢٧٤/٤) إلى ابن عساكر .

(٥٨) - أخرجه الطبراني في الكبير - (١٠٩٥) - (٤٢٢/٢٤: ٤٣٤) . وذكره الهيثمي في « المجمع » - (٨٠/١-٨١) وقال : « رواه الطبراني في الكبير وفيه عبد الأعلى بن أبي المساور متروك الحديث » . وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور - (٢٧٤/٤) إلى ابن مردويه .

[١] - في خ : « فصليت » .
[٢] - في ز ، خ : « الشيباني » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في خ : « قال » .
[٥] - في ز ، خ : « إن لم » .
[٦] - في ز ، خ : قال .
[٧] - زيادة من : خ.
[٨] - في ت : « هل » ، سقط من : خ .

فلان ؟ قال : « نعم ، وجدتهم في مكان كذا وكذا ، وقد انكسرت لهم ناقة حمراء ، وعندهم قصعة من ماء فشربت ما فيها » . قالوا : فأخبرنا عدتها وما فيها من الرعاة . [قال : قد كنت عن عدتها مشغولًا فنام فأُتي بالإبل ، فعدها وعلم ما فيها من الرعاة][١] ، ثم أتىٰ قريشًا فقال لهم : « سألتموني عن إبل بني فلان ، فهي كذا وكذا ، وفيها من الرعاة [فلان وفلان ، وسألتموني عن إبل بنى فلان ، فهي كذا وكذا ، وفيها من الرعاة][٢] ابن أبي قحافة وفلان وفلان ، وهي مصبحتكم بالغداة[٣] علىٰ[٤] الثنية » . قال : فقعدوا[٥] علىٰ الثنية ينظرون أصَدَقَهم ما قال ؟ فاستقبلوا الإبل فسألوهم[٦] : هل ضل لكم بعير ؟ فقالوا[٧] : نعم ، فسألوا الآخر : هل انكسرت لكم ناقة حمراء ؟ قالوا[٨] : نعم . قالوا : فهل كانت[٩] عندكم قصعة ؟ قال أبو بكر : أنا والله وضعتها ، فما شربها أحد ، ولا أهراقوه في الأرض . فصدقه أبو بكر ، وآمن به ، فسُمي يومئذ : الصديق .

فصل

وإذا حصل الوقوف علىٰ مجموع هذه الأحاديث ، صحيحها وحسنها وضعيفها ، يحصل مضمون ما اتفقت عليه من مسرىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من مكة إلىٰ بيت المقدس ، وأنه مرة واحدة ؛ وإن اختلفت عبارات الرواة في أدائه ، أو زاد بعضهم فيه[١٠] أو نقص منه ؛ فإن الخطأ جائز علي من عدا الأنبياء عليهم السلام ، ومن جعل من الناس كل رواية خالفت الأخرىٰ مرةً علىٰ حدة ؛ فأثبت إسراءات متعددة ، فقد أبعد وأغرب ، وهرب إلىٰ غير مهرب ، ولم يتحصل[١١] علىٰ مطلب . وقد صرح بعضهم من المتأخرين بأنه – عليه السلام – أُسري به مرة من مكة إلىٰ بيت المقدس فقط ، ومرة من مكة إلىٰ السماء فقط ، ومرة إلىٰ بيت المقدس ومنه إلىٰ السماء ، وفرح[١٢] بهذا المسلك ، وأنه قد [ظفر بشيء][١٣] يخلص به من الإشكالات ، وهذا بعيد جدًّا ، ولم ينقل هذا عن أحد من السلف ، ولو تعدّد هذا التعدد لأخبر[١٤] النبي صلىٰ الله عليه وسلم به أمته ، ولنقلته[١٥] الناس علىٰ التعدد والتكرر .

---

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] – سقط من : خ .
[٣] – في ز ، خ : « من الغداة » .
[٤] – في خ : « مع » .
[٥] – في خ : « فغدوا » .
[٦] – في خ : « فسألهم » .
[٧] – في خ : « قالوا » .
[٨] – في ز : « قال » .
[٩] – في خ : « كان » .
[١٠] – سقط من : خ .
[١١] – في خ : « يحصل » .
[١٢] – في خ : « فرح » .
[١٣] – في خ : « ظهر لشيء » .
[١٤] – في ز ، خ : « أخبر » .
[١٥] – في ت : « ونقله » .

قال موسى بن عقبة عن الزهري : كان الإسراء قبل الهجرة بسنة ، وكذا قال عروة .

وقال السدي : بستة عشر شهرًا .

والحق : أنه – عليه السلام – أُسري به يقظة لا منامًا ، من مكة إلىٰ بيت المقدس ، راكبًا البراق ، فلما انتهىٰ إلىٰ [بيت المقدس][١] باب المسجد ربط الدابة عند الباب ودخله[٢] ، فصلىٰ في قبلته تحية المسجد ركعتين ، ثم أتى المعراج – وهو كالسلم ذو درج يرقىٰ فيها – فصعد فيه إلىٰ السماء الدنيا ثم إلىٰ بقية السموات السبع ، فتلقاه من كل سماء مقربوها ، وسلم عليه الأنبياء الذين في السموات بحسب منازلهم ودرجاتهم ، حتىٰ مر بموسىٰ الكليم في السادسة ، وإبراهيم الخليل في السابعة ، ثم جاوز منزلتهما صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وعليهما[٣] وعلىٰ سائر الأنبياء حتىٰ انتهىٰ إلىٰ مستوىٰ يسمع فيه صريف الأقلام ، أي : أقلام القدر بما هو كائن ، ورأىٰ سدرة المنتهىٰ ، وغشيها من أمر اللّٰه تعالىٰ عظمة عظيمة من فراش من ذهب وألوان متعددة ، وغشيتها الملائكة ، ورأىٰ هنالك جبريل علىٰ صورته ، له ستمائة جناح ، ورأىٰ رفرفًا أخضر قد سد الأفق ، ورأىٰ البيت المعمور[٤] ، و[٥]إبراهيم الخليل – باني[٦] الكعبة الأرضية – مسندًا[٧] ظهره إليه ؛ لأنه الكعبة السماوية يدخله كل يوم سبعون ألفًا من الملائكة يتعبدون فيه ، ثم لا يعودون إليه إلىٰ يوم القيامة ، ورأىٰ الجنة والنار ، وفرض اللّٰه عليه هنالك الصلوات خمسين ، ثم خففها إلىٰ خمس[٨] ، رحمة منه ولطفًا بعباده ، وفي هذا اعتناء عظيم بشرف الصلاة وعظمتها ، ثم هبط إلىٰ بيت[٩] المقدس ، وهبط معه الأنبياء ، فصلىٰ بهم فيه لما حانت الصلاة ، ويحتمل أنها الصبح من يومئذ ، ومن الناس من يزعم أنه أمهم في السماء ، والذي تظاهرت به الروايات أنه بيت المقدس ، ولكن في بعضها أنه كان أول دخوله إليه ، والظاهر أنه بعد رجوعه إليه ؛ لأنه لما مر بهم في منازلهم جعل يسأل عنهم جبريل واحدًا واحدًا ، وهو يخبره بهم ، وهذا هو اللائق ، لأنه كان أولًا مطلوبًا[١٠] إلىٰ الجناب العلوي ، ليفرض عليه وعلى أمته ما يشاء اللّٰه تعالىٰ ، ثم لما فرغ من الذي أريد به ، اجتمع به[١١] هو وإخوانه من النبيين ، ثم أظهر شرفه وفضله عليهم بتقديمه في الإمامة ، وذلك عن إشارة جبريل – عليه السلام – له في ذلك ، ثم خرج من البيت[١٢]

---

[١] – سقط من : ت .

[٢] – في خ : « ودخل » .

[٣] – زيادة من : ت .

[٤] – في خ : « المعمور الذي » .

[٥] – في ز : « الذي » .

[٦] – في خ : « باذي » .

[٧] – في ز : « مسند » .

[٨] – في خ : « خمسة » .

[٩] – في ز : « البيت » .

[١٠] – في ز ، خ : « مطلوب » .

[١١] – سقط من : ت .

[١٢] – في خ : « بيت » .

المقدس فركب البراق وعاد إلىٰ مكة بغلس ، واللّٰه سبحانه وتعالىٰ أعلم .

وأما عرض الآنية عليه من اللبن والعسل ، أو[١] اللبن والخمر ، أو اللبن والماء ، أو الجميع فقد ورد أنه في البيت المقدس ، وجاء أنه في السماء ، ويحتمل أن يكون هٰهنا وهٰهنا لأنه كالضيافة للقادم ، واللّٰه أعلم .

ثم اختلف الناس : هل كان الإسراء ببدنه - عليه السلام - وروحه[٢] ، أو بروحه فقط ؟ علىٰ قولين : فالأكثرون من العلماء علىٰ أنه أُسري ببدنه وروحه يقظة لا منامًا ، ولا ينكر أن يكون رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم رأىٰ قبل ذلك منامًا ؛ ثم[٣] رآه بعده[٤] يقظة ؛ لأنه [ﷺ كان] لايرىٰ رؤيا إلا جاءت [مثل فلق][٥] الصبح ، والدليل علىٰ هذا قوله تعالىٰ : ﴿ **سبحان الذي أسرىٰ بعبده ليلًا من المسجد الحرام إلىٰ المسجد الأقصىٰ الذي باركنا حوله** ﴾ فالتسبيح إنما يكون عند الأمور العظام ، ولو كان منامًا لم يكن فيه كبير شيء ، ولم يكن مستعظمًا ، ولَمَا بادرت كفار قريش إلىٰ تكذيبه ، ولَمَا ارتد جماعة ممن كان قد أسلم ، وأيضًا فإن العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد وقد قال : ﴿ **أسرىٰ بعبده ليلًا** ﴾ . وقد قال تعالى : ﴿ **وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس** ﴾ قال ابن عباس : هي رؤيا عين أريها رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم . رواه البخاري(٥٩) . وقال تعالى : ﴿ **ما زاغ البصر وما طغى** ﴾ والبصر من آلات الذات لا الروح ، وأيضًا فإنه حمل علىٰ البراق ، وهو دابة بيضاء ، برّاقة لها لمعان ، وإنما يكون هذا للبدن لا للروح ؛ لأنها لاتحتاج في حركتها إلىٰ مركب تركب عليه ، واللّٰه أعلم .

وقال آخرون : بل[٦] أُسري برسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بروحه لا بجسده ، قال محمد بن إسحاق بن يسار في السيرة(٦٠) : حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أن معاوية بن أبي سفيان كان إذا سئل عن مسرىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : كانت رؤيا من اللّٰه صادقة .

---

(٥٩) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير ، باب : « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس » (٤٧١٦) (٣٩٨/٨) حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس فذكره .

(٦٠) - ذكره ابن هشام في سيرته (٤٢٤/٢) . وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦/١٥) حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة عن محمد بن إسحاق به .

---

[١] - في خ : « و » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في خ : « كفلق » .
[٦] - سقط من : خ .

وحدثني بعض آل أبي بكر أن عائشة كانت تقول : ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن أسري بروحه .

قال ابن إسحاق : فلم ينكر ذلك من قولها ؛ لقول الحسن : إن هذه الآية نزلت ﴿ **وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس** ﴾ ولقول اللّٰه في الخبر عن إبراهيم : ﴿ **إني أرىٰ في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترىٰ** ﴾ قال[١] : ثم مضىٰ علىٰ ذلك فعرفت أن الوحي يأتي للأنبياء من اللّٰه أيقاظًا ونيامًا .

فكان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « **تنام عيناي وقلبي يقظان** »(٦١) ، فالله أعلم أيُّ ذلك كان قد جاءه وعاين فيه[٢] من اللّٰه فيه ما عاين علىٰ أي حالاته ، كان نائمًا أو يقظانًا ، كل ذلك حق وصدق . انتهىٰ كلام ابن إسحاق

وقد تعقبه أبو جعفر بن جرير في تفسيره بالرد والإنكار والتشنيع ، بأن هذا خلاف ظاهر سياق القرآن ، وذكر من[٣] الأدلة علىٰ رده بعض ما تقدم ، والله أعلم .

فائدة حسنة جليلة

روىٰ الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في كتاب « دلائل النبوة » من طريق محمد بن عمر الواقدي ، حدثني مالك بن أبي الرجال ، عن عمرو بن عبد اللّٰه ، [عن محمد][٤] بن كعب القرظي قال : بعث رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم دحية بن خليفة إلىٰ قيصر ، فذكر وروده عليه وقدومه إليه . وفي السياق دلالة عظيمة علىٰ وفور عقل هرقل ، ثم استدعىٰ مَن بالشام من التجار ، فجيء بأبي سفيان صخر بن حرب وأصحابه ، فسألهم عن[٥] تلك المسائل المشهورة التي رواها البخاري ومسلم كما سيأتي بيانه(٦٢) ، وجعل أبو[٦] سفيان

(٦١) – أخرجه أحمد (٦/ ٣٦، ٧٣،١٠٤) . والبخاري في صحيحه – كتاب التهجد ، باب : قيام النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان وغيره (١١٤٧) – (٣/٣٣) . ومسلم في صحيحه – كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب : صلاة الليل وعدد ركعات النبي صلى الله عليه وسلم – في الليل – (١٢٥) – (٧٣٨) – (٦/٢٩) . وأبو داود – كتاب الصلاة باب : في صلاة الليل – (١٣٤١) – (٢/٤٠) . والترمذي – كتاب الصلاة ، باب : ما جاء في وصف صلاة النبي صلى الله عليه وسلم – بالليل – (٤٣٩) – (٢/٣٠٢-٣٠٣) كلهم من حديث عائشة مرفوعًا بلفظ « يا عائشة إن عيني تنامان ولا ينام قلبي » وفي الباب عن عدد من الصحابة – انظر الصحيحة للألباني (٦٩٦) .

(٦٢) – تقدم تخريجه [سورة الأنعام / آية ٥٤] .

[١] – في ز : « فكان » .
[٢] – سقط من : ز ، خ .
[٣] – سقط من : خ .
[٤] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٥] – في خ : « عنه » .
[٦] – في خ : « أبا» .

يجهد أن يحقر أمره ، ويصغره عنده ، قال في هذا السياق عن أبي سفيان : والله ما بمنعني[١] أن أقول عليه قولًا أسقطه من عينه ؛ إلا أني أكره أن أكذب عنده كذبة يأخذها عليّ ، ولايصدقني [في شيء][٢] ، قال : حتىٰ ذكرت قوله ليلة أسري به قال : فقلت : أيها الملك ، ألا أخبرك خبرًا تعرف أنه قد كذب ؟ قال : وما هو ؟ قال : قلت : إنه يزعم لنا أنه خرج من أرضنا أرض الحرم في ليلة ، فجاء مسجدكم هذا ، مسجد إيلياء ، ورجع إلينا تلك الليلة قبل الصباح . قال : وبطريق إيلياء عند رأس قيصر؟ فقال[٣] : بطريق إيلياء ، قد علمت تلك الليلة . قال : فنظر إليه[٤] قيصر وقال : وما[٥] علمك بهذا ؟ قال : إني كنت لا أنام ليلة حتىٰ أغلق أبواب المسجد ، فلما كان تلك الليلة أغلقت الأبواب كلها غير باب واحد غلبني ، فاستعنت [عليه بعمالي][٦] ومن يحضرني كلهم ، فعالجته[٧] فغلبني ، فلم نستطع أن نحركه ، كأنما نزاول به جبلًا ، فدعوت إليه النجاجرة ، فنظروا إليه فقالوا[٨] : إن هذا باب سقط عليه النجاف والبنيان ، ولا نستطيع أن نحركه حتىٰ نصبح فننظر من أين أتىٰ ؟ قال : فرجعت ، وتركت البابين مفتوحين ، فلما أصبحت غدوت عليهما فإذا الحجر الذي [في زاوية][٩] المسجد مثقوب ، وإذا فيه أثر مربط الدابة قال : فقلت لأصحابي : ما حُبس هذا الباب الليلة إلا على نبي ، وقد صلىٰ[١٠] الليلة في مسجدنا ... وذكر تمام الحديث .

(فائدة)

قال الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحية في كتابه « التنوير في مولد السراج المنير » وقد ذكر حديث الإسراء من طريق أنس ، وتكلم عليه فأجاد وأفاد ثم قال : وقد تواترت الروايات في حديث الإسراء عن عمر بن الخطاب وعلي وابن مسعود وأبي ذر ؛ و مالك بن صعصعة ؛ وأبي هريرة وأبي سعيد ؛ وابن عباس وشداد بن أوس وأبيّ بن كعب وعبد الرحمن بن قرط ؛ وأبي حبة وأبي ليلىٰ الأنصاريين ؛ وعبد الله بن عمرو وجابر وحذيفة وبريدة ؛ وأبي أيوب وأبي أمامة وسمرة بن جندب ؛ وأبي الحمراء وصهيب الرومي ؛ وأم هانئ ، وعائشة وأسماء ابنتي أبي بكر الصديق - رضي الله عنهم أجمعين - منهم من ساقه بطوله ، ومنهم من اختصره علىٰ ما وقع في المسانيد ، وإن لم تكن رواية بعضهم علىٰ شرط الصحة فحديث

---

[١] - في ت : « منعني » .
[٢] - في خ : « شيء » .
[٣] - في خ : « قال » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في خ : « ما » .
[٦] - في خ : « عمالي » .
[٧] - في ز : « فجالجته » .
[٨] - سقط من : ز ، خ .
[٩] - في ز ، خ : « من وراء » .
[١٠] - في ز ، خ : « وصل » .

الإسراء أجمع عليه المسلمون واعترض فيه الزنادقة الملحدون ﴿ **يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون** ﴾ .

[قوله تعالى][١]

وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾

لما ذكر تعالىٰ أنه أسرىٰ بعبده محمد صلىٰ الله عليه وسلم عطف بذكر موسىٰ عبده ورسوله[٢] وكليمه أيضًا ؛ فإنه تعالىٰ كثيرًا ما يقرن بين ذكر موسىٰ ومحمد - عليهما [من الله الصلاة و][٣]السلام - وبين ذكر التوراة والقرآن ؛ ولهذا قال بعد ذكر الإسراء : ﴿ **وآتينا موسىٰ الكتاب** ﴾ يعني : التوراة ﴿ **وجعلناه** ﴾ أي : الكتاب ﴿ **هدىٰ** ﴾ أي : هاديًا ﴿ **لبني إسرائيل ألّا تتخذوا**[٤] ﴾ أي : لئلا تتخذوا ﴿ **من دونى وكيلا** ﴾ أي : وليًّا ولا نصيرًا ولا معبودًا دوني ؛ لأن الله تعالىٰ أنزل علىٰ كل نبي أرسله أن يعبده وحده لا شريك له .

ثم قال ﴿ **ذرية من حملنا مع نوح** ﴾ تقديره : يا ذرية من حملنا مع نوح ، فيه تهييج وتنبيه علىٰ المنة . أي : يا سلالة من نجينا فحملنا مع نوح في السفينة ، تشبهوا بأبيكم ﴿ **إنه كان عبدًا شكورًا** ﴾ فاذكروا أنتم نعمتي عليكم بإرسالي إليكم محمدًا صلى الله تعالىٰ عليه وآله وسلم ، وقد ورد في الحديث(٦٣) وفي الأثر عن السلف(٦٤) أن نوحًا - عليه السلام -

(٦٣) - أخرجه البيهقي في شعب الإيمان - (٤٤٦٩) (١١٣/٤) . والعقيلي في الضعفاء - (٢١٤/١) . من طريق الحارث بن شبل قال : حدثتنا أم النعمان عن عائشة رضي الله عنها حدثتها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن نوحًا عليه السلام لم يقم عن خلاء قط إلا قال الحمد لله الذي أذاقني لذته وأبقى منفعته في جسدي ، وأخرج عني أذاه » . والحارث بن شبل هذا - قال فيه : أبو حاتم : منكر الحديث ، وقال العقيلي ضعيف . وقال البخاري : ليس بمعروف في الحديث ، وضعفه الدارقطني . [ميزان الاعتدال - (٤٣٤/١) - والكامل لابن عدي (٦١٣/٢)] . والحديث ذكره السيوطي في « الدر المنثور » - (٢٩٤/٤) وعزاه إلى ابن أبي الدنيا . وفي الباب عن أبي فاطمة ومعاذ بن أنس عند ابن مردويه كما في « الدر المنثور » (٢٩٥،٢٩٤/٤) ، وفتح الباري لابن حجر (٣٩٦/٨) . وقال ابن حجر « الفتح » (٣٧٣/٦) ... وروى عبد الرزاق بسند مقطوع أن نوحًا كان إذا ذهب إلى الغائط قال ... فذكره » وأما الآثار فمنها ؟! .

(٦٤) - أثر سلمان الفارسي ، أخرجه الحاكم في مستدركه - (٣٦٠/٢) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي . وعنه البيهقي في شعب « الإيمان » - (٤٤٧١) (١١٣/٤) . وابن جرير في =

[١] - سقط من : ت .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ز ، خ : « يتخذوا » .

كان يحمد اللّٰه علىٰ طعامه وشرابه ولباسه ، وشأنه كله ؛ فلهذا سمي عبدًا شكورًا .

قال الطبراني(٦٥) : حدثنا علي بن عبد العزيز ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا سفيان ، عن أبي حصين ، عن عبد اللّٰه بن سنان ، عن سعد بن مسعود الثقفي قال : إنما سُمي نوح عبدًا شكورًا ؛ لأنه كان إذا أكل أو شرب حمد اللّٰه .

وقد[١] قال الإمام أحمد(٦٦) : حدثنا أبو أسامة ، حدثنا زكريا بن أبي زائدة ، عن سعيد ابن أبي بردة ، عن أنس بن مالك - رضي اللّٰه عنه - قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « إن اللّٰه ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة ، أو يشرب الشربة ، فيحمد اللّٰه عليها » .

وهكذا رواه مسلم ، والترمذي ، والنسائي من طريق أبي أسامة به[٢] وقال مالك عن زيد ابن أسلم : كان يحمد الله على كل حال .

وقد ذكر البخاري(٦٧) هنا[٣] حديث أبي زرعة ، عن أبي هريرة ، عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال[٤] : « أنا سيد الناس يوم القيامة - بطوله ، وفيه : - فيأتون نوحًا فيقولون : يا نوح ، إنك[٥] أنت أول الرسل إلىٰ أهل الأرض ، وقد سماك اللّٰه عبدًا شكورًا ،

= تفسيره - (١٩/١٥) . من طريق سفيان عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن سلمان موقوفًا فذكره وصححه ابن حبان نقله عنه الحافظ في « الفتح » (٣٩٦/٨) . وفي الباب عن عدد من الصحابة موقوفًا - انظر الدر المنثور (٢٩٤/٤،٢٩٥) .

(٦٥) - أخرجه الطبراني في « الكبير » (٥٤٢٠) (٣٢/٦) . وأخرجه ابن جرير في تفسيره - (١٩/١٥) حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى وعبد الرحمن قالا : ثنا سفيان به . وذكره الهيثمي « المجمع » (٣٢/٥) وقال : « رواه الطبراني وتابعه سعد بن سنان - هكذا سماه سعد وفي المعجم « عبد الله » فلا ندري هل هو وهم أم تصحيف - لم أعرفه ، وبقية رجاله رجال الصحيح » وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٢٩٤/٤) إلى ابن أبي حاتم .

(٦٦) - أخرجه أحمد (١١٧/٣) . وأخرجه أيضًا (١٠٠/٣) . ومسلم في صحيحه - كتاب الذكر والدعاء التوبة والاستغفار ، باب : استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب (٨٨) (٢٧٣٤) . والترمذي - كتاب الأطعمة ، باب : ما جاء في الحمد على الطعام إذا فرغ منه (١٨١٦) . والنسائي في الكبرى كتاب الدعاء بعد الأكل ، باب : ثواب الحمد لله - (٦٨٩٩) من طرق عن أبي أسامة به .

(٦٧) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير ، باب : « ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدًا شكورًا » (٤٧١٢) حدثنا محمد بن مقاتل أخبرنا عبد الله أخبرنا أبو حيان التيمي عن أبي زرعة ابن عمرو بن جرير عن أبي هريرة فذكره .

---

[١] - سقط من : ت .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - في خ : « هاهنا » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : ز ، خ .

اشفع لنا إلىٰ ربك » وذكر الحديث بكماله

وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾

يقول تعالىٰ: إنه قضىٰ إلىٰ بني إسرائيل في الكتاب أي : تقدم إليهم ، وأخبرهم في الكتاب الذي أنزله عليهم أنهم سيفسدون في الأرض مرتين ، ويعلون[١] علوًّا كبيرًا أي : يتجبرون[٢] ، ويطغون[٣] ، ويفجرون[٤] علىٰ الناس ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين** ﴾ أي : تقدمنا إليه وأخبرناه بذلك وأعلمناه به .

وقوله : ﴿ **فإذا جاء وعد أولاهما** ﴾ أي : أولىٰ الإفسادتين ﴿ **بعثنا عليكم عبادًا لنا أولي بأس شديد** ﴾ أي : سلطنا عليكم جندًا من خلقنا ، أولي بأس شديد ، أي : قوة وعُدَّة وسلطة شديدة ﴿ **فجاسوا خلال الديار** ﴾ أي : تملكوا بلادكم وسلكوا خلال بيوتكم ، أي : سلكوا[٥] بينها ووسطها ، وتصرفوا[٦] ذاهبين وجائين ، لا يخافون[٧] أحدًا . ﴿ **وكان وعدًا مفعولًا** ﴾

وقد اختلف المفسرون من السلف والخلف في هؤلاء المسلطين عليهم[٨] : من هم ؟ فعن ابن عباس وقتادة : أنه جالوت الجزري ، وجنوده سلط عليهم أولًا ، ثم أديلوا عليه بعد

---

[١] - في ز ، خ : « ويعلن » .

[٢] - في ز : « يتجبروا » ، خ : « يتكبروا » .

[٣] - في ز ، خ : « ويطغوا » .

[٤] - في ز : « ويفجروا » ، خ : « ويغجروا » .

[٥] - سقط من : ت .

[٦] - في ت : « انصرفوا » .

[٧] - في خ : « تخافون » .

[٨] - في خ : « منهم » .

ذلك ، وقتل داود جالوت ؛ ولهذا قال : ﴿ **ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرًا** ﴾

وعن سعيد بن جبير : أنه ملك الموصل سنحاريب[١] وجنوده ، وعنه أيضًا وعن غيره : أنه بُخْتُنَصَّر ملك بابل .

وقد ذكر ابن أبي حاتم له قصة عجيبة ؛ في كيفية ترقيه من حال إلىٰ حال ، إلىٰ أن[٢] ملك البلاد ، وأنه كان فقيرًا مقعدًا ضعيفًا ، يستعطي الناس ويستطعمهم ، ثم آل به الحال إلىٰ ما آل ، وأنه سار إلىٰ بلاد بيت المقدس ، فقتل بها خلقًا كثيرًا من بني إسرائيل .

وقد روى ابن جرير(٦٨) في هذا المكان حديثًا أسنده عن حذيفة مرفوعًا مطولًا ، وهو حديث موضوع لا محالة ، لا يستريب في ذلك من عنده أدنىٰ معرفة بالحديث ، والعجب كل العجب ، كيف راج عليه مع إمامته وجلاله وقدره ؟! وقد صرح شيخنا الحافظ العلامة أبو الحجاج المزي[٣] - رحمه الله - بأنه موضوع مكذوب ، وكتب ذلك علىٰ حاشية الكتاب .

وقد وردت في هذا آثار كثيرة إسرائيلية ، لم أر تطويل الكتاب بذكرها ؛ لأن منها[٤] ما هو موضوع من وضع زنادقتهم ، ومنها ما قد يحتمل أن يكون صحيحًا ، ونحن في غنية عنها ، ولله الحمد . وفيما قص الله تعالىٰ علينا في كتابه غنية عما سواه من بقية الكتب قبله ، ولم يحوجنا الله ولا رسوله إليهم . وقد أخبر الله[٥] تعالىٰ عنهم[٦] أنهم لما طغوا وبغوا

---

(٦٨) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٢/١٥) حدثنا عصام بن رواد بن الجراح ، قال : ثنا : أبي ، قال : ثنا سفيان بن سعيد الثوري قال ثنا منصور بن المعتمر عن ربعي بن حراش قال : سمعت حذيفة يقول فذكره وقد ذكر ابن جرير أيضًا جزءًا منه في تفسيره (٢٢/١٠٨) وقال : حدثنا محمد بن خلف العسقلاني قال : سألت رواد بن الجراح لمن الحديث الذي حدث به عنه عن سفيان الثوري ، عن منصور ، عن ربعي ، عن حذيفة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - عن قصة ذكرها في الفتن ، قال : فقلت له : أخبرني عن هذا الحديث سمعته من سفيان الثوري ؟ قال : لا ، قلت : فقرأته عليه ، قال : لا ، قلت ، فقرئ عليه وأنت حاضر ؟ قال : لا ، قلت : فما قصته ، فما خبره ؟ قال : جاءني قوم فقالوا : معنا حديث عجيب ، أو كلام هذا معناه ، قلت لهم : هاتوه ، فقرءوه علي ، ثم ذهبوا فحدثوا به عني أو كلام هذا معناه ، قال أبو جعفر : وقد حدثني ببعض هذا الحديث محمد بن خلف ، قال : ثنا عبد العزيز بن أبان ، عن سفيان الثوري ، عن منصور ، عن ربعي ، عن حذيفة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - حديث طويل ، قال : رأيته في كتاب الحسين بن علي الصدائي ، عن شيخ ، عن رواد ، عن سفيان بطوله .

---

[١] - في ز : « سنجاريب » .
[٢] - في خ : « أنه » .
[٣] - في خ : « المرى » .
[٤] - في ز ، خ : « فيها » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - سقط من : خ .

سلط اللَّه عليهم عدوهم ، فاستباح بيضتهم ، وسلك خلال بيوتهم ، وأذلهم وقهرهم ، جزاءً وفاقًا ، وما ربك بظلام للعبيد ، فإنهم كانوا قد تمردوا وقتلوا خلقًا من الأنبياء والعلماء .

وقد روىٰ ابن جرير(٦٩) : حدثني يونس بن عبد الأعلىٰ ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني سليمان بن بلال ، عن يحيىٰ بن سعيد قال : سمعت سعيد بن المسيب يقول : ظهر بُخْتُنَصَّرَ علىٰ الشام ، فخرب بيت المقدس وقتلهم ، ثم أتىٰ دمشق فوجد بها دمًا يغلي علىٰ كِبًا[١] ، فسألهم : ماهذا الدم ؟ فقالوا : أدركنا آباءنا علىٰ هذا ، وكلما ظهر ، عليه الكِبَا[٢] ظهر . قال : فقتل علىٰ ذلك الدم سبعين ألفًا من المسلمين وغيرهم فسكن .

وهذا صحيح إلىٰ سعيد بن المسيب ، وهذا هو المشهور ، وأنه قتل أشرافهم وعلماءهم ، حتىٰ إنه لم يبق من[٣] يحفظ[٤] التوراة ، وأخذ معه خلقًا منهم أسرىٰ من أبناء الأنبياء وغيرهم ، وجرت أمور وكوائن يطول ذكرها ، ولو وجدنا ما هو صحيح أو ما يقاربه ، لجاز كتابته وروايته ، واللَّه أعلم .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها** ﴾ أي : فعليها كما قال تعالىٰ : ﴿ **من عمل صالحًا فلنفسه ومن أساء فعليها** ﴾

وقوله[٥] : ﴿ **فإذا جاء وعد الآخرة** ﴾ أي : المرة الآخرة ، أي : إذا أفسدتم المرة الثانية ، وجاء أعداؤكم ﴿ **ليسوءوا وجوهكم** ﴾ أي : يهينوكم ويقهروكم ﴿ **وليدخلوا[٦] المسجد** ﴾ أي : بيت المقدس ﴿ **كما دخلوه أول مرة** ﴾ أي : في التي جاسوا فيها خلال الديار ﴿ **وليتبروا** ﴾ أي : يدمروا ويخربوا ﴿ **ما علوا** ﴾ أي : ما ظهروا عليه ﴿ **تتبيرًا * عسىٰ ربكم أن يرحمكم** ﴾ أي : فيصرفهم عنكم ﴿ **وإن عدتم عدنا** ﴾ أي : متىٰ[٧] عدتم إلىٰ الإفساد ﴿ **عدنا** ﴾ إلىٰ الإدالة[٨] عليكم في الدنيا ، مع ما ندخره لكم في الآخرة من العذاب والنكال ، ولهذا قال : ﴿ **وجعلنا جهنم للكافرين حصيرًا** ﴾ أي : مستقرًا ومحصرًا ، وسجنًا لا محيد لهم عنه .

قال ابن عباس : حصيرًا ، أي : سجنا .

---

(٦٩) - أخرجه ابن جرير في تفسيره - (١٥/٢٩-٣٠) .

---

[١] - في خ : « كنائسهم » والكِبا : الكناسة .

[٢] - في خ : « الكناسة » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز : « تحفظ » .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - في ز ، خ : « ويدخلوا» .

[٧] - في خ : « ما » .

[٨] - في خ : « الإمالة » .

وقال مجاهد : يحصرون فيها وكذا قال غيره[١] .

وقال الحسن : فراشًا ومهادًا .

وقال قتادة : قد عاد[٢] بنو إسرائيل ، فسلط الله عليهم هذا الحي ، محمد صلىٰ الله عليه وسلم وأصحابه ، يأخذون منهم الجزية عن يد وهم صاغرون .

إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾

يمدح تعالىٰ كتابه العزيز، الذي أنزله علىٰ رسوله محمدصلىٰ الله عليه وسلم وهو القرآن ؛ بأنه يهدي لأقوم الطرق ، وأوضح السبل ، ﴿ **ويبشر المؤمنين** ﴾ به ، الذين يعملون الصالحات علىٰ مقتضاه ﴿ **أن لهم أجرًا كبيرًا** ﴾ أي : يوم القيامة ﴿ **وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة** ﴾ أي : ويبشر الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴿ **أن لهم عذابًا أليمًا** ﴾ أي يوم القيامة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فبشرهم بعذاب أليم** ﴾ .

وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾

يخبر تعالىٰ عن عجلة الإنسان ، ودعائه في بعض الأحيان علىٰ نفسه أو ولده أو ماله بالشر ، أي : بالموت ، أو الهلاك والدمار واللعنة ونحو ذلك ، فلو استجاب له ربه لهلك بدعائه ، كما قال تعالى : ﴿ **ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم** ﴾... الآية ، وكذا فسره ابن عباس ومجاهد وقتادة وقد تقدم في هذا الحديث(٧٠) : « **لا تدعوا علىٰ أنفسكم ، ولا علىٰ أموالكم - أن توافقوا من الله ساعة إجابة[٣] يستجيب فيها** » وإنما يحمل ابن آدم على ذلك[٤] عجلته وقلقه ، ولهذا قال تعالى : ﴿ **وكان الإنسان عجولًا** ﴾ .

وقد ذكر سلمان الفارسي وابن عباس(٧١) - رضي الله عنهما - ههنا قصة آدم عليه

---

(٧٠) - تقدم تخريجه [سورة يونس / آية ١١] .

(٧١) - أما أثر سلمان : فأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/٤٨) حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا =

---

[١] - في ت : « غيرهم » .

[٢] - في خ : « عاينوا » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - سقط من : ت .

السلام حين همّ بالنهوض قائمًا قبل أن تصل الروح إلىٰ رجليه ، وذلك أنه جاءته النفخة من قبل رأسه فلما وصلت إلىٰ دماغه عطس ، فقال : الحمد للّه . فقال[١] اللّه : يرحمك ربك يا آدم ، فلما وصلت إلىٰ عينيه فتحهما ، فلما سرت إلىٰ أعضائه وجسده جعل ينظر إليه ويعجبه ، فهمّ بالنهوض قبل أن تصل إلىٰ رجليه فلم[٢] يستطع ؛ وقال : يا رب عَجّلْ قبل الليل

وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾

يمتن تعالىٰ علىٰ خلقه بآياته العظام ؛ فمنها مخالفته بين الليل والنهار ؛ ليسكنوا في الليل ، وينتشروا في النهار للمعايش[٣] والصنائع[٤] والأعمال والأسفار ، وليعلموا عدد الأيام والجمع والشهور والأعوام ، ويعرفوا[٥] مضي الآجال المضروبة للديون والعبادات والمعاملات والإجارات ، وغير ذلك ؛ ولهذا قال : ﴿ **لتبتغوا فضلًا من ربكم** ﴾ أي : في معايشكم[٦] وأسفاركم ونحو ذلك ﴿ **ولتعلموا عدد السنين والحساب** ﴾ فإنه لو كان الزمان كله نسقًا واحدًا وأسلوبًا متساويًا ؛ لما عرف شيء من ذلك ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **قل أرأيتم إن جعل اللّه عليكم الليل سرمدًا إلىٰ يوم القيامة من إله غير اللّه يأتيكم بضياء أفلا تسمعون * قل أرأيتم إن جعل اللّه عليكم النهار سرمدًا إلىٰ يوم القيامة من إله غير اللّه يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون * ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **تبارك الذي جعل في السماء بروجًا وجعل فيها**

= محمد ابن جعفر قال : ثنا شعبة عن الحكم عن إبراهيم أن سلمان الفارسي قال : ... ذكره وإسناده صحيح وعزاه السيوطي في الدر المنثور - (٣٠١/٤) إلى ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم وابن المنذر وابن عساكر .
وأما أثر ابن عباس : فأخرجه ابن جرير في تفسيره - (٤٨/١٥) حدثنا أبو كريب : قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا بشر بن عمارة عن أبي رَوْق عن الضحاك عن ابن عباس ذكره والضحاك لم يسمع من ابن عباس .
وبشر بن عمارة هو الخثعمي المكتب : ضعيف .

[١] - في ز ، خ : « وقال » .
[٢] - في ز : « قبل أن » ، خ : « قبل » .
[٣] - في ز ، خ : « للمعاش » .
[٤] - في ت : « الصناعات » .
[٥] - في خ : « ويعلموا » .
[٦] - في ز ، خ : « معاشكم » .

سراجًا وقمرًا منيرًا * وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا ﴾ وقال تعالى: **﴿وله اختلاف الليل والنهار﴾** وقال: **﴿ يكوّر الليل على النهار ويكوّر النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمىً ألا هو العزيز الغفار ﴾** وقال تعالى: **﴿فالق الإصباح وجعل[١] الليل سكنًا والشمس والقمر حسبانًا ذلك تقدير العزيز العليم ﴾** وقال تعالىٰ: **﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون * والشمس تجري لمستقرّ لها ذلك تقدير العزيز العليم ﴾**

ثم إنه تعالىٰ جعل لليل آية، أي: علامة يعرف بها، وهي الظلام وظهور القمر فيه، [وللنهار علامة، وهي النور وظهور الشمس][٢] النيرة[٣] فيه[٤]، وفاوت بين [نور القمر وضياء الشمس][٥]؛ ليعرف هذا من هذا، كما قال تعالىٰ: **﴿ هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورًا وقدّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق ﴾** إلىٰ قوله: **﴿ لآيات لقوم يتقون ﴾**... الآية. كما قال تعالى: **﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج﴾** الآية.

قال ابن جريج: عن عبد الله بن كثير في قوله: **﴿ فمحونا آية الليل، وجعلنا آية النهار مبصرة ﴾** قال: ظلمة الليل وسدفة[٦] النهار وقال ابن جريج: عن مجاهد: الشمس آية النهار، والقمر آية الليل، [**﴿ فمحونا آية الليل ﴾**][٧] قال: السواد الذي في القمر، و كذلك خلقه الله تعالىٰ.

وقال ابن جريج: قال ابن عباس: كان القمر يضيء كما تضيء الشمس، والقمر آية الليل، والشمس آية النهار، فمحونا آية الليل: السواد الذي في القمر.

وقد روىٰ أبو جعفر بن جرير(٧٢) من طرق متعددة جيدة -أن ابن الكواء سأل [أمير المؤمنين][٨] علي بن أبي طالب فقال: يا أمير المؤمنين ما هذه اللطخة التي في القمر؟ فقال: ويحك! أما تقرأ القرآن؟ **﴿ فمحونا آية الليل ﴾** فهذه محوه.

وقال قتادة في قوله **﴿ فمحونا آية الليل ﴾**: كنا نحدث أن محو آية الليل سواد القمر

(٧٢) - أخرجه ابن جرير في تفسيره - (٤٩/١٥). وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٣٠٣/٤) إلى ابن عساكر.

[١] - في ز، خ: «وجاعل».
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.
[٣] - في ز: «المنيرة».
[٤] - سقط من: خ.
[٥] - في خ: «ضياء القمر وبرهان الشمس».
[٦] - في ز: «سدف»، خ: «صدق».
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.
[٨] - زيادة من: ت.

الذي فيه ، ﴿ وجعلنا آية النهار مبصرة ﴾ أي : منيرة ، وخلق الشمس أنور من القمر وأعظم .

وقال ابن أبي نجيح : عن ابن عباس : ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾ قال : ليلًا ونهارًا ، كذلك خلقهما الله - عز وجل - .

وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾

يقول تعالىٰ بعد ذكر الزمان وذكر[١] ما يقع فيه من أعمال بني آدم : ﴿ **وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه** ﴾ وطائره : هو ما طار عنه من عمله - كما قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد - من خير وشر ، ويلزم[٢] به ، ويجازىٰ عليه ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره** ﴾ وقال تعالى : ﴿**عن اليمين وعن الشمال قعيد ، ما يلفظ من قولٍ إلا لديه رقيب عتيد**﴾ وقال تعالى : ﴿ **وإن عليكم لحافظين * كرامًا كاتبين * يعلمون ما تفعلون * إن الأبرار لفي نعيم * وإن الفجار لفي جحيم** ﴾ وقال : ﴿**إنما تجزون ما كنتم تعملون**﴾ وقال : ﴿ **من يعمل سوءًا يجز به** ﴾ والمقصود أن عمل ابن آدم محفوظ عليه ، قليله وكثيره ، ويكتب عليه ليلًا ونهارًا ، صباحًا ومساء .

وقال الإمام أحمد(٧٣) : حدثنا قتيبة ، حدثنا ابن لهيعة ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « لَطائرُ كل إنسان في عنقه » قال ابن لهيعة : يعني[٣] الطيرة وهذا القول من ابن لهيعة في تفسير هذا الحديث غريب جدًا ، والله أعلم وقوله : ﴿ **ونخرج له يوم القيامة كتابًا يلقاه منشورًا** ﴾ أي : نجمع له عمله كله في كتاب يعطاه يوم القيامة ؛ إما بيمينه إن كان سعيدًا ، أو بشماله[٤] إن كان شقيًا .

---

(٧٣) - **حسن** ، أخرجه أحمد (٣/٣٦٠) . وأخرجه عبد بن حميد في مسنده - يذكره المصنف هنا - وأحمد أيضًا (٣/٣٤٢،٣٤٩) .

من طريقين عن ابن لهيعة به ، وهذا إسناد ضعيف ، لسوء حفظ ابن لهيعة ، وعنعنة أبي الزبير . وقال الهيثمي في المجمع (٧/٥٢) « رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف بقية رجاله رجال الصحيح » وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/٥٠-٥١) حدثني محمد بن بشار ، قال : ثنا معاذ بن هشام قال : ثني أبي ، عن قتادة عن جابر فذكره .

قال الألباني في « الصحيحة » (١٩٠٧) (٤/٥٣٤) « .... رجاله ثقات رجال الشيخين ، لكن قتادة لم يسمع من جابر ، وروايته عنه صحيفة ، قال أحمد : « قرئ عليه صحيفة جابر مرة واحدة فحفظها »=

---

[١] - زيادة من : ت .
[٢] - في خ : « يلزم » .
[٣] - في خ : « حتى » .
[٤] - في خ : « شماله » .

﴿ **منشورًا** ﴾ أي : مفتوحًا يقرؤه هو وغيره ، فيه جميع عمله من أول عمره إلىٰ آخره ﴿ **ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر * بل الإنسان علىٰ نفسه بصيرة * ولو ألقىٰ معاذيره** ﴾ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا** ﴾ أي : إنك تعلم أنك لم تظلم ولم يكتب عليك غير ما عملت ؛ لأنك ذكرت جميع ما كان منك ، ولا ينسىٰ أحد شيئًا مما كان منه ، وكل أحد يقرأ كتابه من كاتب وأمي .

وقوله : ﴿ **ألزمناه طائره في عنقه** ﴾ إنما ذكر العنق لأنه عضو لا نظير له في[١] الجسد ، ومن ألزم بشيء فيه فلا محيد له عنه كما قال الشاعر :

اذهب بها اذهب بها طوقتها طوق الحمام[٢]

قال قتادة : عن جابر بن عبد الله ، عن نبي الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « **لا عدوىٰ ولا طيرة ، وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه** » كذا رواه ابن جرير .

وقد رواه الإمام عبد بن حميد رحمه الله ، في مسنده متصلًا فقال : حدثنا الحسن بن موسىٰ ، حدثنا ابن لهيعة ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : سمعت [رسول الله][٣] صلىٰ الله عليه وسلم يقول[٤] : « طير كل عبد في عنقه » .

وقال الإمام أحمد(٧٤) : حدثنا علي بن إسحاق ، حدثنا عبد الله ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثني يزيد أن أبا الخير حدثه أنه سمع عقبة بن عامر رضي الله عنه يحدث عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « ليس من عَمَلِ يومٍ إلا وهو يختم عليه ، فإذا مرض المؤمن قالت الملائكة[٥] : يا ربنا عبدك فلان قد حبسته فيقول الرب جل جلاله : اختموا له علىٰ مثل

= ولعل أحد الإسنادين يتقوى بالآخر ، والحديث صحيح على كل حال ، فإنه مقتبس من قوله تعالى في سورة الإسراء : « وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ... » وحسن إسناده السيوطي في الدر المنثور - (٤/٣٠٣) .

(٧٤) - أخرجه أحمد - (٤/١٤٦) وكذا أخرجه ابن أبي الدنيا في « المرض والكفارات » (٢/١٥٨) - كما في « الصحيحة » للألباني (٥/٢١٩٣) ثنا أحمد بن جميل ، قال : أنبأ عبد الله بن المبارك به وهذا إسناد صحيح لأن الراوي عن ابن لهيعة أحد العبادلة وأخرجه الطبراني في الكبير - (٧٨٢) - (٢٨٤/١٧) والبغوي في شرح السنة (١٤٢٨) (٥/٢٤٠) . من طريقين عن ابن لهيعة به . والحاكم - (٤/٣٠٨-٣٠٩) من طريق عبد الله بن المبارك ، أخبرني رشدين ، عن عمرو بن الحارث ، أخبرني يزيد بن أبي حبيب به . وقال : « حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه »، وتعقبه الذهبي بقوله « رشدين واه » . وذكره الهيثمي في المجمع - (٢/٣٠٦) - وقال : رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ، وفيه ابن لهيعة وفيه كلام » : وفاته أن الراوي عنه عبد الله بن المبارك .

---

[١] - في ز : « من » .
[٢] - في ز : « الحمامة » .
[٣] - في خ : « النبي » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - سقط من : ز ، خ .

عمله حتىٰ يبرأ أو يموت » .

إسناد جيد قوي ، ولم يخرجوه وقال معمر عن قتادة : ألزمناه طائره في عنقه . قال : عمله ﴿ **ونخرج له يوم القيامة** ﴾ قال : نخرج ذلك العمل ﴿ **كتابًا يلقاه منشورًا** ﴾ قال معمر : وتلا الحسن البصري ﴿ **عن اليمين وعن الشمال قعيد** ﴾ : يا ابن آدم بسطت لك صحيفتك[١] ، ووكل بك ملكان كريمان ، أحدهما : عن يمينك ، والآخر : عن يسارك ، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك ، وأما الذي عن يسارك فيحفظ سيئاتك ، فاعمل[٢] ماشئت أقلل أو أكثر حتىٰ إذا مت طويت صحيفتك فجعلت في عنقك معك في قبرك حتىٰ تخرج[٣] يوم القيامة كتابا تلقاه[٤] منشورًا ﴿ **اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا** ﴾ الآية ، فقد[٥] عدل [- والله -][٦] من جعلك حسيب نفسك . هذا من حسن كلام الحسن رحمه الله .

مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾

يخبر تعالىٰ أن من اهتدىٰ واتبع الحق واقتفىٰ آثار النبوة فإنما يحصل عاقبة ذلك الحميدة لنفسه ﴿ **ومن ضل** ﴾ أي : عن الحق وزاغ عن سبيل الرشاد فإنما يجني علىٰ نفسه ، وإنما يعود وبال ذلك عليه .

ثم قال : ﴿ **ولا تزر وازرة وزر أخرىٰ** ﴾ أي : لا يحمل أحد ذنب أحد ، ولا يجني جان إلا علىٰ نفسه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإن تدع مثقلة إلىٰ حملها لا يحمل منه شيء** ﴾ ولا منافاة بين هذا وبين قوله تعالى : ﴿ **وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم** ﴾ وقوله : ﴿ **ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم** ﴾ فإن الدعاة عليهم إثم ضلالهم[٧] في أنفسهم ، وإثم آخر بسبب ما أضلوا من أضلوا من غير أن ينقص من أوزار أولئك ولا يحملوا عنهم شيئًا ، وهذا من عدل الله ورحمته بعباده .

وكذا قوله : ﴿ **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً** ﴾ إخبار عن عدله تعالىٰ ، وأنه لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه بإرسال الرسول إليه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **كلما ألقي**

---

[١] - في ز ، خ : « صحيفة » .

[٢] - في ز ، خ : « فاملك » .

[٣] - في خ : « تجد » .

[٤] - في خ : « يلقاه » .

[٥] - في ز : « قد » .

[٦] - في ز ، خ : « الله عليك » .

[٧] - في خ : « ضلالتهم » .

فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلىٰ قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا مانزل اللَّه من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير ﴾ وكذا قوله : **﴿ وسيق الذين كفروا إلىٰ جهنم زمرًا حتىٰ إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلىٰ ولكن حقت كلمة العذاب علىٰ الكافرين ﴾** وقال تعالىٰ : **﴿ وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحًا غير الذي كنا نعمل أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ﴾** إلىٰ غير ذلك من الآيات الدالة علىٰ أن اللَّه تعالىٰ لا يدخل أحدًا النار إلا بعد إرسال الرسول إليه ، ومن ثم طعن جماعة من العلماء في اللفظة التي جاءت مقحمة في صحيح البخاري(٧٥) عند قوله تعالىٰ : **﴿ إن رحمة اللَّه قريب من المحسنين ﴾** .

حدثنا [عبيد اللَّه][١] بن سعد ، حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن صالح بن كيسان ، عن الأعرج [بإسناده إلىٰ][٢] أبي هريرة عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **اختصمت الجنة والنار** » فذكر الحديث إلىٰ أن قال : « **وأما الجنة فلا يظلم اللَّه من خلقه أحدًا ، وإنه ينشئ للنار خلقًا فيلقون فيها . فتقول : هل من مزيد ؟ [ويلقون فيها . وتقول : هل من مزيد ؟][٣] ثلاثًا** » وذكر تمام الحديث .

فإن هذا إنما جاء في الجنة لأنها دار فضل ، وأما النار فإنها دار عدل[٤] ، لا يدخلها أحد إلا بعد الإعذار إليه وقيام الحجة عليه ، وقد تكلم جماعة من الحفاظ في هذه اللفظة وقالوا : لعله انقلب علىٰ الراوي بدليل ما أخرجاه في الصحيحين(٧٦) - واللفظ للبخاري - [من حديث عبد الرزاق][٥] ، عن معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة قال : قال النبي صلىٰ اللَّه

(٧٥) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التوحيد ، باب : ما جاء في قول الله تعالى : **﴿ إن رحمة الله قريب من المحسنين ﴾** (٧٤٤٩) . وقال ابن حجر في الفتح - (٤٣٧/١٣) . قال جماعة من الأئمة إن هذا الموضع مقلوب ، وجزم ابن القيم بأنه غلط واحتج بأن الله تعالى أخبر بأن جهنم تمتلئ من إبليس وأتباعه وكذا أنكر الرواية شيخنا البلقيني واحتج بقوله : **﴿ ولا يظلم ربك أحدًا ﴾** ثم قال : وحمله على أحجار تلقى في النار أقرب من حمله على ذي روح يعذب بغير ذنب انتهى ، ويمكن التزام أن يكونوا من ذوي الأرواح ولكن لا يعذبون كما في الخزنة ، ويحتمل أن يراد بالإنشاء ابتداء إدخال الكفار النار ، وعبر عن ابتداء الإدخال بالإنشاء ، فهو إنشاء الإدخال لا الإنشاء بمعنى ابتداء الخلق بدليل قوله فيلقون فيها وتقول هل من مزيد وأعادها ثلاث مرات ثم قال حتى يقع فيها قدمه فحينئذ تمتلئ فالذي يملؤها حتى تقول حسبي هو القدم كما هو صريح الخبر .

(٧٦) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير ، باب : « وتقول هل من مزيد » (٤٨٥٠) =

[١] - في خ : « عبد الله » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « عن » .

[٣] - سقط من : ت .

[٤] - في خ : « العدل » .

[٥] - في خ : « وعبد الرزاق » .

عليه وسلم : « **تحاجت الجنة والنار** » فذكر الحديث إلىٰ أن قال : « **فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع فيها قدمه ، فتقول : قط قط : فهنا لك تمتلئ ويُزوى بعضها إلىٰ بعض ، ولا يظلم اللّٰه من خلقه أحدًا ، وأما الجنة فينشئ الله لها خلقًا** » .

بقي هاهنا مسألة قد اختلف الأئمة - رحمهم اللّٰه تعالىٰ - فيها قديمًا وحديثًا ، وهي : الولدان الذين ماتوا وهم صغار وآباؤهم كفار ماذا حكمهم ؟ وكذا المجنون والأصم والشيخ الخرف ، ومن مات في الفترة و[١]لم تبلغه الدعوة ؟، وقد ورد في شأنهم أحاديث أنا ذاكرها لك بعون اللّٰه وتوفيقه ، ثم نذكر فصلًا ملخصًا من كلام الأئمة في هذا والله[٢] المستعان .

فالحديث الأول : عن الأسود بن سريع : قال الإمام أحمد(٧٧) :

حدثنا عليّ بن عبد اللّٰه ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثنا أبي ، عن قتادة ، عن الأحنف ابن قيس ، عن الأسود بن سريع : أن نبي اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **أربعة يحتجون يوم القيامة : رجل أصم لايسمع شيئًا ، ورجل أحمق ، ورجل هرم ، ورجل مات في فَترة ؛ فأما الأصم فيقول : رب ، قد جاء الإسلام وما أسمع شيئًا . وأما الأحمق فيقول : رب ، لقد جاء الإسلام والصبيان يَحْذفوني[٣] بالبعر . وأما الهرم فيقول : رب ، لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئًا . وأما الذي مات في الفترة فيقول : رب ، ما أتاني لك رسول . فيأخذ مواثيقهم : ليطيعنه . فيرسل إليهم : أن ادخلوا النار ، فوالذي نفس محمد بيده ، لو دخلوها لكانت عليهم بردًا وسلامًا** » وبالإسناد : عن قتادة ، عن الحسن ، [عن أبي رافع][٤] ، عن أبي هريرة(٧٨) : مثل هذا الحديث غير أنه قال في آخره : « **من دخلها**

= حدثنا عبد الله بن محمد . ومسلم في صحيحه كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب النار يدخلها الجبارون ، الجنة يدخلها الضعفاء (٣٦) (٢٨٤٦) حدثنا محمد بن رافع (عبد الله ، محمد) حدثنا عبد الرزاق به .

(٧٧) - أخرجه أحمد - (٢٤/٤) . وأخرجه الطبراني في الكبير - (٨٤١) - (٢٨٧/١) . وابن حبان في صحيحه - (٧٣٥٧) - (٣٥٦/١٦-٣٥٧) وفي الموارد - (١٨٢٧) - (٦٧/٦-٦٨) . أبو نعيم في « معرفة الصحابة » - (٩٠٠) (٢٨١/٢) والبيهقي في الاعتقاد (ص١٦٩) . والبزار في مسنده - (٢١٧٤) . من طريق معاذ بن هشام به وهذا إسناد صحيح

وأخرجه أبو نعيم في « أخبار أصفهان » - (٢٥٥/٢) من طريق معاذ بن هشام حدثنا أبي ، عن قتادة عن الأسود به ، حيث سقط من إسناده الأحنف بن قيس . وذكره الهيثمي في « المجمع » - (٢١٨/٧-٢١٩) وقال : « ..... رجال أحمد في طريق الأسود بن سريع وأبي هريرة (يأتي) رجال الصحيح ، وكذل رجال البزار فيهما » وحديث الأسود عزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٣٠٥/٤) إلى إسحاق بن راهويه وابن مردويه .

(٧٨) - أخرجه أحمد (٢٤/٤) . والبيهقي في « الاعتقاد » (ص١٦٩) . والبزار في مسنده - (٢١٧٥) (٣/

[١] - في ز : « ومن » .
[٢] - في خ : « وبالله » .
[٣] - في ز ، خ : « يقذفوني » .
[٤] - سقط من : خ .

كانت عليه بردًا وسلامًا ، ومن لم يدخلها يسحب إليها » .

وكذا رواه إسحاق بن راهويه عن معاذ بن هشام . ورواه البيهقي في **كتاب الاعتقاد** من حديث حنبل بن إسحاق ، عن عليّ بن عبد اللَّه المديني به ، وقال : هذا إسناد صحيح ، وكذا رواه حماد بن سلمة ، عن عليّ بن زيد ، عن أبي رافع ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أربعة كلهم يدلي علىٰ اللَّه بحجة** » ، فذكر نحوه ، ورواه ابن جرير(٧٩) من حديث معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة ، فذكره موقوفًا ، ثم قال أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم : ﴿ **وما كنا معذبين حتىٰ نبعث رسولاً** ﴾ .

وكذا رواه معمر عن عبد الله بن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة موقوفًا .

الحديث الثاني : عن أنس بن مالك ، قال أبو داود الطيالسي(٨٠) :

حدثنا الربيع ، عن يزيد بن أبان قال : قلنا لأنس : يا أبا حمزة ، ما تقول في أطفال المشركين ؟ فقال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لم يكن لهم سيئات فيعذبوا[١] فيكونوا من أهل النار ، ولم يكن لهم حسنات فيجازوا بها فيكونوا من ملوك[٢] أهل الجنة ، هم من[٣] خدم أهل الجنة** » .

الحديث الثالث : عن أنس أيضًا : قال الحافظ أبو يعلىٰ(٨١) : حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا

٣٣-٣٤) . وأبو نعيم في « أخبار أصفهان » - (٢/٢٥٥) . من طريق معاذ بن هشام حدثني أبي عن قتادة به . « وسقط من المطبوع من المسند في هذا الإسناد - قتادة - فليستدرك - وقال الألباني في حاشية «السنة» لابن أبي عاصم - (٤٠٤) (١/١٧٦) ... وهذا إسناد صحيح . رجاله ثقات كلهم ، والحسن البصري ، وإنما يخشى من تدليسه إذا عنعن عن الصحابة وأما إذا عنعن عن أقرانه من التابعين كما هنا فما علمت أنهم يخشون هذه العنعنة » . وأخرجه ابن أبي عاصم - (٤٠٤) من طريق حماد بن سلمة عن علي ابن زيد عن أبي رافع به . وعلي بن زيد ضعيف ، لكنه توبع تابعه « الحسن » كما تقدم . وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٤/٣٠٦) لابن راهويه وابن مردويه .

(٧٩) - أخرجه ابن جرير في تفسيره - (١٥/٥٤) حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان عن معمر عن همام به . وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٤/٣٠٥) إلى عبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٨٠) - أخرجه الطيالسي في مسنده - (٢١١١) وأبو يعلى في مسنده - (٤٠٩٠) (٧/١٣٠-١٣١) وابن عبد البر في التمهيد - (١٨/١١٨) وأبو نعيم في الحلية (٦/٣٠٨) . ويزيد بن أبان ، ضعيف . وأشار إلى ضعف هذا الحديث الحافظ ابن حجر في الفتح - (٣/٢٤٦) .

(٨١) - أخرجه أبو يعلى - (٤٢٢٤) (٧/٢٢٥) والبزار (٢١٧٧) وابن عبد البر في التمهيد ، =

---

[١] - في ز ، خ : « ليعذبوا » . [٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : خ .

جرير ، عن ليث ، عن عبد الوارث ، عن أنس قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : **« يؤتىٰ بأربعة يوم القيامة : بالمولود ، والمعتوه ومن مات في الفترة ، والشيخ الفاني الهمّ[١] كلهم يتكلم بحجته ، فيقول [الرب تبارك و][٢]تعالى لعنق [من النار][٣] : ابرز . ويقول لهم : إني كنت أبعث إلىٰ عبادي رسلًا من أنفسهم ، وإني رسول نفسي إليكم ، ادخلوا هذه . قال : فيقول من كُتب عليه الشقاء : يارب ، أنىٰ ندخلها ومنها كنا نفر ؟ . قال : ومن كتبت عليه[٤] السعادة [ ][٥] يمضي فيقتحم فيها مسرعًا ، قال : فيقول اللّٰه تعالىٰ[٦] : أنتم لرسلي أشد تكذيبًا ومعصية ، فيدخل هؤلاء الجنة ، وهؤلاء النار » .**

وهكذا رواه الحافظ أبو بكر البزار عن يوسف بن موسى عن جرير بن عبد الحميد بإسناده مثله .

الحديث الرابع : عن البراء بن عازب - رضي اللّٰه عنه - : قال الحافظ أبو يعلىٰ الموصلي في مسنده أيضًا(٨٢) : حدثنا القاسم[٧] بن أبي شيبة ، حدثنا عبد اللّٰه - يعني ابن داود - عن عمر بن ذر ، عن يزيد بن أبي[٨] أمية ، عن البراء قال : سئل[٩] رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم عن أطفال المسلمين ، قال[١٠] : **« هم مع آبائهم »** ، وسئل عن أولاد المشركين فقال : « هم مع آبائهم » ، فقيل : يا رسول اللّٰه ، ما يعملون ؟ قال : **« اللّٰه أعلم بهم[١١] »** .

ورواه عمر بن ذر عن يزيد بن[١٢] أمية عن[١٣] رجل عن البراء عن عائشة فذكره

= (١٢٨/١٨) وعبد الوارث هو مولى أنس ، قال الذهبي في « المغني » « ضعفه الدارقطني » . وقال البخاري « منكر الحديث » والراوي عنه هو ليث بن أبي سليم ضعيف . والحديث ذكره الهيثمي في « المجمع » (٧/ ٢١٩) وقال : « رواه أبو يعلى والبزار بنحوه وفيه ليث بن أبي سليم وهو مدلس ، وبقية رجال أبي يعلى رجال الصحيح » . ويعقب الهيثمي بأن عبد الوارث ليس من رجال الصحيح وجَلَّ من لا يسهو . وزاد نسبة الحديث السيوطي في « الدر المنثور » (٣٠٦/٤) إلى قاسم بن أصبغ .

(٨٢) - لم نقف عليه في المطبوع من مسند أبي يعلى - والعلم عند الله تعالى .

[١] - زيادة من : ت.

[٢] - في خ : « الله » .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - زيادة من : ت .

[٥] - في ز ، خ : له .

[٦] - سقط من : خ .

[٧] - في ز ، خ : « قاسم » .

[٨] - سقط من : ت .

[٩] - زيادة من : ت .

[١٠] - زيادة من : ت .

[١١] - زيادة من : ت .

[١٢] - في خ : « عن » .

[١٣] - سقط من : خ .

الحديث الخامس : عن ثوبان : قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار في مسنده(٨٣) : حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، حدثنا ريحان بن سعيد ، حدثنا عباد بن منصور ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أبي[١] أسماء ، عن ثوبان : أن نبي اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم عظم شأن المسألة ، قال : « **إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوثانهم علىٰ ظهورهم ، فيسألهم ربهم ، فيقولون : ربنا ، لمْ ترسل إلينا رسولًا ولم يأتنا لك أمر ، ولو أرسلت إلينا رسولًا لكنا أطوع عبادك . فيقول لهم ربهم : أرأيتم إن أمرتكم بأمر تطيعوني ؟ فيقولون : نعم . فيأمرهم أن يعمدوا إلىٰ جهنم فيدخلوها ، فينطلقون حتىٰ إذا دنوا منها وجدوا لها تغيظًا وزفيرًا ، فرجعوا إلىٰ ربهم فيقولون : ربنا أخرجنا - أو : أجرنا - منها . فيقول لهم : ألم تزعموا أني إن أمرتكم بأمر تطيعوني ؟ فيأخذ علىٰ ذلك مواثيقهم ، فيقول : اعمدوا إليها فادخلوها . فينطلقون حتىٰ إذا رأوها فَرِقوا ورجعوا ، فقالوا : ربنا فرقنا منها ، ولا نستطيع أن ندخلها . فيقول : ادخلوها داخرين** » . فقال نبي اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **لو دخلوها أول مرة كانت عليهم بردًا وسلامًا** » ثم قال [ ][٢] البزار : ومتن هذا الحديث غير معروف إلا من هذا الوجه ، لم يروه عن أيوب إلا عباد ، ولا عن[٣] عباد إلا [ ][٤] ريحان بن سعيد .

قلت : وقد ذكره ابن حبان في ثقاته[٥] ، وقال يحيىٰ بن معين والنسائي : لابأس به . ولم يرضه أبو داود ، وقال أبو حاتم : شيخ لا بأس به ، يكتب حديثه ولا يحتج به][٦] .

---

(٨٣) - ذكره الهيثمي في « المجمع » - (٣٥٠/١٠) وقال « رواه البزار بإسنادين ضعيفين ». وأخرجه الحاكم في المستدرك - (٤٤٩/٤ - ٤٥٠) .

من طريق أبان بن يزيد ، ثنا يحيى بن أبي كثير ، ثنا أبو قلابة به مطولًا .

وقال : « حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة ، وإنما أخرج مسلم حديث معاذ بن هشام عن قتادة عن أبي قلابة عن أبي أسماء الرحبى عن ثوبان مختصرًا » وانظر ما تقدم [سورة الأنعام/ آية ٦٥] .

وأخرجه ابن المبارك في « الزهد » (١٣٢٣) من طريق أيوب عن أبي قلابة قال : فذكره موقوفًا عليه .

قال الحافظ في الفتح (٢٤٦/٣) - بعد أن ذكر مذاهب أهل العلم في أولاد المشركين - : « ...... سابعها أنهم يمتحنون في الآخرة بأن ترفع لهم نار ، فمن دخلها كانت عليه بردًا وسلامًا ، ومن أبي عذب ، أخرجه البزار من حديث أنس وأبي سعيد (يأتي بعد هذا) وأخرجه الطبراني من حديث معاذ بن جبل (يأتي ٨٧) وقد صحت مسألة الامتحان في حق المجنون ، ومن مات في الفترة من طرق صحيحة ......» .

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « كذا » .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - في ت : عن.

[٥] - في خ : « بيانه » .

[٦] - وقع ما بين المعكوفتين في ز ، خ : بعد هامش (*) بعد كلمة الخدري .

الحديث السادس : عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري(*) : قال الإمام محمد ابن يحيى الذهلي : حدثنا سعيد[١] بن سليمان ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية ، عن أبي سعيد قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **الهالك في الفترة والمعتوه والمولود : يقول الهالك في الفترة : لم يأتني كتاب . ويقول المعتوه : رب ، لم تجعل لي عقلًا أعقل به خيرًا ولا شرًا . ويقول المولود : رب ، لم أدرك العقل . فترفع لهم نار ، فيقال لهم : رِدُوها . قال : فيردُها من كان في علم اللّٰه سعيدًا لو أدرك العمل ، ويمسك عنها من كانَ في علم اللّٰه شَقيًا لو أدرك العمل ، فيقول[٢] : إياي عصيتم ، فكيف لو أن[٣] رسلي أتتكم ؟!** » .

وكذا رواه البزار(٨٤) ، عن محمد بن عمر بن[٤] هياج الكوفي ، عن عبيد[٥] اللّٰه بن موسىٰ ، عن فضيل بن مرزوق به ، ثم قال : لا يعرف من حديث أبي سعيد إلا من طريقه ، عن عطية ، عنه ، وقال في آخره : « **فيقول اللّٰه : إياي عصيتم فكيف برسلي بالغيب ؟!** » .

الحديث السابع : عن معاذ بن جبل(٨٥) - رضي الله عنه - قال هشام بن عمار ، ومحمد بن المبارك الصوري : حدثنا عمرو بن واقد ، عن يونس بن حَلْبَس ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن معاذ بن جبل ، عن نبي اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **يؤتىٰ يوم القيامة بالممسوخ[٦] عقلًا وبالهالك في الفترة ، وبالهالك صغيرًا ، فيقول الممسوخ[٧] : [يا رب لو آتيتني عقلًا ما كان من آتيته][٨] عقلًا بأسعد مني** » . وذكر في الهالك في الفترة

(٨٤) - **إسناده ضعيف** ، أخرجه البزار في مسنده - كما في مختصر الزوائد لابن حجر - (١٦١٦) (٢/ ١٥٩-١٦٠) والبغوي في حديث ابن الجعد - (٢١٢٦) (٢/٧٩٣-٧٩٤) . من طريق فضيل بن مرزوق به . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢١٩/٨) وقال : « رواه البزار وفيه عطية وهو ضعيف » .

(٨٥) - **إسناده ضعيف جدًا** ، أخرجه الطبراني في الكبير - (١٥٨) (٢٠/٨٤٠٣) .

وفي الأوسط (٧٩٥٥) (٥٧/٨) ، وفي مسند الشاميين (٢٢٠٥) . وابن عدي في الكامل - (١٧٧٠/٥) مختصرًا . من طريق عمرو بن واقد به .

وذكره الهيثمي في المجمع - (٢١٩/٧-٢٢٠) وقال : « رواه الطبراني في الأوسط والكبير ، وفيه عمرو بن واقد وهو متروك عند البخاري وغيره ، ورمى بالكذب ، وقال : محمد بن المبارك الصورى كان يتبع السلطان ، وكان صدوقًا ، وبقية رجال الكبير رجال الصحيح » .

وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣٠٦/٤) إلى الحكيم الترمذي في نوادر الأصول وأبي نعيم .

[١] - في ز ، خ : « منصور » .
[٢] - في خ : « فقال » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في خ : « عن » .
[٥] - في خ : « عبد » .
[٦] - في ز ، خ : « بالممسوح » .
[٧] - في ز ، خ : « الممسوح » .
[٨] - سقط من : خ .

والصغير نحو ذلك - « **فيقول الرب عز وجل : إني آمركم بأمر ، فتطيعوني ؟ فيقولون : نعم . فيقول : اذهبوا فادخلوا النار . قال : ولو دخلوها ما ضرّتهم ، فتخرج عليهم قوابض فيظنون أنها قد أهلكت ما خلق الله من شيء ، فيرجعون سراعًا**[١] ، **ثم يأمرهم الثانية فيرجعون كذلك**[٢] ، **فيقول الرب عز وجل : قبل أن أخلقكم علمت ما أنتم عاملون ، وعلىٰ علمي خلقتكم ، وإلىٰ علمي تصيرون ، ضُمّيهم . فتأخذهم النار** » .

الحديث الثامن : عن أبي هريرة(٨٦) ، رضي الله عنه وأرضاه[٣] : قد تقدم روايته مندرجة مع رواية الأسود بن سريع - رضي الله عنه - .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة(٨٧) - رضي الله عنه - أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **كل مولود يولد علىٰ الفطرة ، فأبواه يهوّدانه و**[٤]**ينصّرانه ويمجّسانه ، كما تنتج**[٥] **البهيمة بهيمة جمعاء**[٦] ، **هل تحسون فيها من جدعاء ؟** » وفي رواية(٨٨) قالوا : يارسول الله ، أفرأيت من يموت صغيرًا ؟ قال : « **الله أعلم بما كانوا عاملين** »

وقال الإمام أحمد(٨٩) : حدثنا موسىٰ بن داود ، حدثنا عبد الرحمن بن ثابت ، عن عطاء ابن قرة ، عن عبد الله بن ضمرة ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، عن النبي صلىٰ الله

---

(٨٦) - **صحيح** ، - تقدم - .

(٨٧) - **صحيح** ، تقدم تخريجه [سورة الأنعام / آية ٧٩] .

(٨٨) - أخرجها البخاري في صحيحه - كتاب القدر ، باب الله أعلم بما كانوا عاملين - (٦٦٠٠) . ومسلم في صحيحه - كتاب القدر ، باب : معنى كل مولود يولد على الفطرة - (٢٤) (٢٦٥٨) من طريق عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه ، قال هذا ما حدثنا أبو هريرة ... فذكره .

(٨٩) - أخرجه أحمد (٢/٣٢٦) . وأخرجه ابن حبان في صحيحه - (٧٤٤٦) (١٦/٤٨١) وفي الموارد - (١٨٢٦) (٦/٦٦) والحاكم في مستدركه - (٢/٣٧٠) وصححه ووافقه الذهبي . وابن عساكر في تاريخه - (١١/٦٥٥) ترجمة عطاء بن قرة . وابن أبي داود في « البعث » (١٦) .من طرق عن عبد الرحمن بن ثابت به . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٧/٢٢٢) وقال : « رواه أحمد ، وفيه عبد الرحمن بن ثابت وثقه المديني وجماعة وضعفه ابن معين وغيره ، وبقية رجاله ثقات » . وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٦٠٣) (٢/١٥٦) وأخرجه الحاكم في المستدرك - (١/٣٨٤) . والبيهقي في البعث - (٢١٠) (ص١٥٥) . وأبو نعيم في تاريخ أصبهان - (٢/٢٦٣) . من طريق مؤمل بن إسماعيل ، عن سفيان ، عن عبد الرحمن بن الأصبهاني عن أبي حازم عن أبي هريرة مرفوعًا - بلفظ « **أولاد المؤمنين في جبل في الجنة يكفلهم إبراهيم وسارة حتى يردهم إلى آبائهم يوم القيامة** » .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في خ : « أو » .
[٥] - في ز ، خ : « تولد » .
[٦] - في خ : « حمقا » .

عليه وسلم فيما أعلم - شك موسىٰ - قال : « **ذراري المسلمين في الجنة يكفلهم إبراهيم عليه السلام** » وفي صحيح مسلم(٩٠) عن عياض بن حمار[١] عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، عن اللّٰه - عز وجل - أنه قال : « **إني خلقت عبادي حنفاء** » وفي رواية لغيره(٩١) : « **مسلمين** » .

الحديث التاسع : عن سمرة - رضي اللّٰه عنه - : رواه الحافظ أبو بكر البرقاني في كتابه : « المستخرج علىٰ البخاري » من حديث عوف الأعرابي ، عن أبي رجاء العطاردي ، عن سمرة [- رضي اللّٰه عنه -][٢] عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **كل مولود يولد علىٰ الفطرة** » فناداه الناس : يا رسول اللّٰه ، وأولاد المشركين ؟ قال : « **وأولاد المشركين** » .

و[٣]قال الطبراني(٩٢) : حدثنا عبد اللّٰه بن أحمد ، حدثنا عقبة بن مكرم الضبي ، عن عيسىٰ بن شعيب ، عن عباد بن منصور ، عن أبي رجاء ، عن سمرة قال : سألنا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم عن أطفال المشركين فقال : « **هم خدم أهل الجنة** » .

= وقال الحاكم : « صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

(٩٠) - تقدم تخريجه [سورة الأنعام / آية٧٩] .

(٩١) - لم أقف عليها : « وقال الحافظ في الفتح (٢٤٨/٣) ... وقد رواه غيره (عياض) فزاد فيه « حنفاء مسلمين) والحديث أخرجه أيضًا أحمد (١٦٢/٤،٢٦٦) . وابن حبان في صحيحه - (٦٥٣،٦٥٤) (٢/ ٤٢٢،٤٢٦) .

والطيالسي في مسنده (١٠٧٩) ، والطبراني في الكبير (٩٩٢/١٧،٩٩٣،٩٩٤،٩٩٥) ، وعبد الرزاق في المصنف (٢٠٠٨) .

كلهم من حديث عياض بلفظ مسلم .

(٩٢) - أخرجه الطبراني في «الكبير» (٦٩٩٣) (٢٩٥/٧) . وفي «الأوسط» (٢٠٤٥) (٣٠٢/٢) حدثنا أحمد بن زهير ، قال : نا أبو حفص عمرو بن علي ، قال : أنا عيسى بن شعيب به . وأخرجه البخاري في « التاريخ الكبير » (٤٠٥/٦ ، ٤٠٦) والبزار - مختصر الزوائد لابن حجر - (١٦١٨) (١٦١/٢) من طريق عيسى بن شعيب به وقال الطبراني : « لم يرو هذا الحديث عن أبي رجاء ، إلا عباد بن منصور . وذكره الهيثمي في « المجمع » - (٢٢٢/٧) وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبزار وفيه عباد بن منصور وثقه يحيى القطان ، وفيه ضعف ، وبقية رجاله ثقات » . وضعف إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح - (٣/ ٢٤٦) . قال أبو القاسم الطبراني - رحمه الله تعالى - وقد روى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم في أطفال المشركين ، أنه قال لعائشة : « إن شئت دعوت الله عز وجل أن يسمعك تضاغيهم في النار » وروى عنه - صلى الله عليه وسلم ، أنه سئل - عن أطفال المشركين ، فقال : الله أعلم بما كانوا عاملين » ،=

[١] - في خ : « حماد » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - سقط من : خ .

الحديث العاشر : عن عم حسناء [١] قال الإمام[٢] أحمد(٩٣) : حدثنا [إسحاق - يعني : الأزرق - أخبرنا][٣] روح ، حدثنا عوف ، عن حسناء[٤] بنت معاوية - من بني صريم - قالت : حدثني عمي قال[٥] : قلت : يارسول اللّه ، من في الجنة ؟ قال : « **النبي في الجنة ، والشهيد في الجنة ، والمولود في الجنة ، والوئيد [في الجنة][٦]** » .

فمن العلماء من ذهب إلىٰ التوقف[٧] فيهم لهذا الحديث ، ومنهم من جزم لهم بالجنة ؛ لحديث سمرة بن جندب في صحيح البخاري(٩٤) أنه - عليه الصلاة والسلام - قال في جملة ذلك المنام ، حين مر علىٰ ذلك الشيخ ، تحت الشجرة وحوله ولدان ، فقال له جبريل : « هذا إبراهيم عليه السلام ، وهؤلاء أولاد المسلمين وأولاد المشركين » . قالوا : يارسول اللّه ، وأولاد المشركين ؟ قال : « **نعم ، وأولاد المشركين** » .

ومنهم من جزم لهم بالنار لقوله عليه السلام : « **هم مع[٨] آبائهم** »(٩٥)

= فرجع الأمر إلى قوله - صلى الله عليه وسلم « الله أعلم بما كانوا عاملين » فمن سبق علم الله - عز وجل - فيه أنه لو كبر لم يؤمن ، فهو الذي قال لعائشة « إن شئت دعوت الله أن يسمعك تضاغيهم في النار » ومن سبق علم الله فيه لو كبر آمن ، فهم الذين قال - صلى الله عليه وسلم - « هم خدم أهل الجنة » فقد صحت معاني الأحاديث الثلاثة ، وهو قول أهل السنة .

(٩٣) - أخرجه أحمد - (٥٨/٥) . وأخرجه أيضًا - (٥٨/٥،٤٠٩) . وأبو داود - كتاب الجهاد ، باب : في فضل الشهادة - (٢٥٢١) - (١٥/٣) . والبيهقي في الكبرى - كتاب السير ، باب : فضل الشهادة في سبيل الله - (١٦٣/٩) . وابن سعد في الطبقات - (٥٨/٧) وابن عبد البر في التمهيد - (١١٦/١٨) . وابن أبي شيبة في المصنف - كتاب الجهاد ، باب : ما ذكر في فضل الجهاد والحث عليه - (٥٩١/٤) من طرق عن عوف، حدثتنا حسناء بنت معاوية ... فذكرته .

(٩٤) - أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التعبير ، باب : تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح (٧٠٤٧) ومسلم في صحيحه كتاب الرؤيا ، باب : رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم (٢٣) (٢٢٧٥) . والترمذي كتاب الرؤيا ، باب : ما جاء في رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم - (٢٢٩٤) (٤٧١/٤) ، رواية مسلم والترمذي مختصرة . قال الحافظ في الفتح - (٤٤٥/١٢) .

« .... وظاهره أنه - صلى الله عليه وسلم - ألحقهم بأولاد المسلمين في حكم الآخرة ، ولا يعارض قوله « **هم من آبائهم** » لأن ذلك حكم الدنيا .

(٩٥) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الجهاد ، باب : أهل الدار يبيتون ، فيصاب الولدان والذراري (٣٠١٢) . =

---

[١] - في ز ، خ : « خنساء » .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - في خ : « خنساء » .
[٥] - في خ : « قالت » .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - في ز ، خ : « الوقف » .
[٨] - في ز ، خ : « مِنْ » .

ومنهم من ذهب إلىٰ أنهم يمتحنون يوم القيامة في العَرَصَات ؛ فمن أطاع دخل الجنة ، وانكشف علم الله فيهم بسابق السعادة ، ومن عصىٰ دخل النار داخرًا ، وانكشف علم الله فيه بسابق[١] الشقاوة .

وهذا القول يجمع بين الأدلة كلها ، وقد صرحت به الأحاديث المتقدمة المتعاضدة الشاهد بعضها لبعض . وهذا القول هو الذي حكاه الشيخ أبو الحسن عليّ بن إسماعيل الأشعري - رحمه الله - عن أهل السنة والجماعة ، وهو الذي نصره الحافظ أبو بكر البيهقي - رحمه الله - في كتاب « الاعتقاد » ، وكذلك غيره من محققي العلماء والحفاظ النقاد .

وقد ذكر الشيخ أبو عمر بن عبد البر النمري(٩٦) بعض ما تقدم من أحاديث الامتحان ، ثم قال : وأحاديث هذا الباب ليست قوية ، ولا تقوم بها حجة وأهل العلم ينكرونها ؛ لأن الآخرة دار جزاء و[٢]ليست دار عمل ولا ابتلاء ، وكيف يكلفون دخول النار وليس ذلك في وسع المخلوقين ، والله لا يكلف نفسًا إلا وسعها ؟!

والجواب عما قال : أن أحاديث هذا الباب منها ما هو صحيح - كما قد[٣] نص علىٰ ذلك غير واحد من أئمة العلماء - ومنها ما هو حسن ، ومنها ما هو ضعيف يَقْوَىٰ بالصحيح والحسن ، وإذا كانت أحاديث الباب الواحد متعاضدة علىٰ هذا النمط أفادت الحجة عند الناظر فيها .

وأما قوله : إن الآخرة دار جزاء ، فلا شك أنها دار جزاء ، ولا ينافي التكليف في عرصاتها قبل دخول الجنة أو النار ، كما حكاه الشيخ أبو الحسن الأشعري عن مذهب أهل السنة والجماعة من امتحان الأطفال ، وقد قال الله تعالىٰ : ﴿ **يوم يكشف عن ساق ويدعون إلىٰ السجود فلا يستطيعون** ﴾ ، وقد ثبتت السنة في الصحاح وغيرها أن المؤمنين

= ومسلم في صحيحه - كتاب الجهاد والسير ، باب : جواز قتل النساء والصبيان في البيات من غير تعمد - (٢٦،٢٧،٢٨) (١٧٤٥) . وأبو داود - كتاب الجهاد ، باب : في قتل النساء (٢٦٧٢) . والترمذي - كتاب السير ، باب : ما جاء في النهي عن قتل النساء والصبيان - (١٥٧٠) . والنسائي في الكبرى - كتاب السير ، باب : إصابة أولاد المشركين في البيات بغير قصد - (٨٦٢٣،٨٦٢٤) . وابن ماجه - كتاب الجهاد ، باب : الغارة والبيات وقتل النساء والصبيان - (٢٨٣٩) (٢/٩٤٧) كلهم من حديث الصعب بن جثّامة .. بلفظ « **هم من آبائهم** » .

(٩٦) انظر « التمهيد » - (١٨/١٣٠) .

---

[١] - في ز ، خ : « بتقدم » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

يسجدون للَّه يوم القيامة(٩٧) ، وأما المنافق فلا يستطيع ذلك ويعود ظهره [ ][١] طبقًا واحدًا[٢] كلما أراد السجود[٣] خرَّ لقفاه . وفي الصحيحين(٩٨) في الرجل الذي يكون آخر أهل النار خروجًا منها ؛ أن اللَّه يأخذ عهوده ومواثيقه أن لايسأل غير ما هو فيه ، ويتكرر ذلك مرارًا ، ويقول اللَّه تعالىٰ : يا بن آدم ، ما أغدرك ! ثم يأذن له في دخول الجنة .

وأما قوله : وكيف يكلفهم دخول النار وليس ذلك في وسعهم ؟ فليس هذا بمانع من صحة الحديث ؛ فإن اللَّه يأمر العباد يوم القيامة بالجواز علىٰ الصراط ، وهو جسر علىٰ جهنم ، أحدّ من السيف وأدق من الشعرة ، ويمر المؤمنون عليه بحسب أعمالهم كالبرق ، وكالريح ، وكأجاويد الخيل والركاب ، ومنهم[٤] الساعي ، ومنهم الماشي ، ومنهم من يحبو حبوًا ، ومنهم المكدوش على وجهه في النار وليس ما ورد في أولئك بأعظم من هذا ؛ بل هذا أطم وأعظم ، وأيضًا فقد ثبتت السنة بأن الدجال يكون معه جنة ونار ، وقد أمر الشارع المؤمنين الذين يدركونه أن يشرب أحدهم من الذي يرىٰ أنه نار ؛ فإنه يكون عليه بردًا وسلامًا(٩٩)، فهذا نظير ذلك ، وأيضًا فإن اللَّه تعالىٰ أمر بني إسرائيل أن يقتلوا أنفسهم ، فقتل بعضهم بعضًا حتىٰ قتلوا - فيما قيل - في غداة واحدة سبعين ألفًا ، يقتل الرجل أباه وأخاه وهم في[٥] عماية[٦] غمامة أرسلها اللَّه عليهم ، وذلك عقوبة لهم علىٰ عبادتهم العجل ، وهذا أيضًا شاق علىٰ النفوس جدًّا لايتقاصر عما ورد في الحديث المذكور ، واللَّه أعلم .

---

(٩٧) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير ، باب : « يوم يكشف عن ساق » (٤٩١٩) . ومسلم في صحيحه - كتاب الإيمان ، باب : معرفة طريق الرؤية (٣٠٢) (١٨٣) مطولًا مختصرًا . من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : « يكشف ربنا عن ساقه ، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رئاءً وسمعة ، فيذهب ليسجد ، فيعود ظهره طبقًا واحدًا » .

(٩٨) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الأذان ، باب : فضل السجود - (٨٠٦) . ومسلم في صحيحه - كتاب الإيمان ، باب : معرفة طريق الرؤية - (٢٩٩) - (١٨٢) من حديث أبي هريرة مطولًا .

(٩٩) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الأنبياء ، باب : ما ذكر عن بني إسرائيل (٣٤٥٠) . ومسلم في صحيحه - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب : ذكر الدجال وصفته وما معه (١٠٧) - (٢٩٣٤/ ٢٩٣٥) . من حديث - حذيفة - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول « إن مع الدجال ، إذا خرج ، ماءً ونارًا ، فأما الذي يرى الناس أنها النار ، فماء بارد ، وأما الذي يرى الناس أنه ماء بارد ، فنار تحرق ، فمن أدرك منكم ، فليقع في الذي يرى أنها نار فإنه عذب بارد » .

---

[١] - في خ : « كالصفيحة الواحدة » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « سجودها » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - سقط من : خ .

فصل

فإذا تقرر هذا ، فقد اختلف الناس في ولدان المشركين على أقوال ؛ **أحدها** : **أنهم في الجنة** ، واحتجوا بحديث سمرة : أنه عليه السلام رأىٰ مع إبراهيم [عليه السلام][1] أولاد المسلمين وأولاد[2] المشركين ، وبما تقدم في رواية أحمد عن حسناء[3] عن عمها : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **والمولود في الجنة** » ، وهذا استدلال صحيح ، ولكن أحاديث الامتحان أخص منه ، فمن علم اللَّه منه أنه يطيع جعل روحه في البرزخ مع إبراهيم وأولاد المسلمين الذين ماتوا علىٰ الفطرة ، ومن علم منه أنه لايجيب فأمره إلىٰ اللَّه تعالىٰ ، ويوم القيامة يكون في النار كما دلت عليه أحاديث الامتحان ، ونقله الأشعري عن أهل السنة ، ثم إن[4] هؤلاء القائلين بأنهم في الجنة منهم[5] من يجعلهم مستقلين فيها ، ومنهم من يجعلهم خدمًا لهم ، كما جاء في حديث عليّ بن زيد عن أنس عند أبي داود الطيالسي(١٠٠) . وهو ضعيف ، واللَّه أعلم .

و[6]**القول الثاني** : **أنهم مع آبائهم في النار** ، واستدل عليه [بما رواه][7] الإمام أحمد ابن حنبل(١٠١) ، عن أبي المغيرة ، حدثنا عتبة بن ضمرة بن حبيب ، حدثني عبد اللَّه بن أبي قيس - مولىٰ غطيف - أنه أتىٰ عائشة فسألها عن ذراري الكفار ، فقالت[8] : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **هم تبع لآبائهم** » . فقلت : يا رسول اللَّه ، بلا عمل ؟

(١٠٠) - لم أجده عند الطيالسي من هذه الطريق وإنما أخرجه في مسنده (٢١١١) حدثنا الربيع عن يزيد قال : قلنا لأنس يا أبا حمزة ما تقول في أطفال المشركين فقال : قال رسول الله - صلى اللَّه عليه وسلم - : « لم تكن لهم سيئات فيعاقبوا بها فيكونوا من أهل النار ولم تكن لهم حسنات فيجازوا بها فيكونوا من ملوك أهل الجنة هم خدم أهل الجنة » وأخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٣٠٨/٦) من طريق الربيع بن صبيح به والربيع صدوق سيئ الحفظ كما في التقريب . وقد ضعف الحافظ في « الفتح » حديث أنس وأخرجه أبو يعلى (١٣٠/٧ - ١٣١) وتمام في فوائده (١٧٨٢/٥ الروض البسام) من طريق الأعمش عن يزيد الرقاشي عن أنس مرفوعًا بلفظ « الوالدن والأطفال خدم أهل الجنة » وأخرجه الطبراني في « الأوسط» (٥٣٥٥) - (٢٩٤/٥) . والبزار في مسنده - كما في مختصر الزوائد - (١٦٢٠) (١٦٢/٢) وذكره ابن عبد البر في التمهيد (١١٨/١٨) . من طريق مبارك بن فضالة عن علي بن زيد عن أنس فذكره . والحديث ذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٢٢/٧) وقال : رواه أبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط ... وفي إسناد أبي يعلى يزيد الرقاشي وهو ضعيف ، وقال فيه ابن معين : رجل صدوق ، ووثقه ابن عدي ، وبقية رجاله رجال الصحيح».

(١٠١) - أخرجه أحمد - (٨٤/٦) وانظر ما بعده .

[١] - سقط من : ت .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز ، خ : « خنساء » .
[٤] - في ز ، خ : « مِنْ » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٨] - في ز : « فقال » .

فقال[١] : « **اللَّه أعلم بما كانوا عاملين** » .

وأخرجه أبو داود(١٠٢) من حديث محمد بن حرب ، عن محمد بن زياد الألهاني ، سمعت عبد اللَّه بن أبي قيس ، سمعت عائشة تقول : سألت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وعلىٰ آله وسلم عن ذراري المؤمنين قال : « هم من[٢] آبائهم » . قلت : فذراري المشركين ؟ قال : « **هم من آبائهم** » . قلت : بلا عمل ؟ قال : « **اللَّه أعلم بما كانوا عاملين** » .

ورواه أحمد(١٠٣) أيضًا[٣] ، عن وكيع ، عن أبي عقيل - يحيىٰ بن المتوكل ، وهو متروك - عن مولاته : بهية ، عن عائشة : أنها ذكرت لرسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أطفال المشركين فقال : « **إن شئت أسمعتك تضاغيهم في النار** » .

وقال عبد اللَّه بن الإمام أحمد(١٠٤) : حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، عن محمد بن فضيل ابن غزوان ، عن محمد بن عثمان ، عن زاذان ، عن عليّ - رضي اللَّه عنه - قال : سألتْ خديجةُ رضي الله عنها [رسولَ اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم][٤] عن ولدين لها ماتا في الجاهلية فقال : « **هما في النار** » . قال : فلما رأىٰ الكراهية في وجهها قال : « **لو رأيت**

(١٠٢) - أخرجه أبو داود - كتاب السنة ، باب : في ذراري المشركين - (٤٧١٢) حدثنا عبد الوهاب بن نجدة ، ثنا بقية ، ح وثنا موسى بن مروان الرقي وكثير بن عبيد المذحجي ، قالا : ثنا محمد بن حرب ... فذكره . وذكره ابن عبد البر في « التمهيد » - (١٢١/١٨) من طريق محمد بن زياد الألهاني به . وهو في صحيح أبي داود للألباني - (٣٩٤٣) - (٨٩٣/٣) .

(١٠٣) - أخرجه أحمد - (٢٠٨/٦) والطيالسي في مسنده (١٥٧٦) وابن عبد البر في التمهيد (١٢٢/١٨) وذكره الهيثمي في « المجمع » - (٢٢٠/٧) وقال : « رواه أحمد ، وفيه أبو عقيل يحيى بن المتوكل . ضعفه جمهور الأئمة أحمد وغيره ويحيى بن معين ونقل عنه توثيقه في رواية من ثلاثة » .

وقال ابن عبد البر . « أبو عقيل هذا صاحب بهية ، لا يحتج بمثله عند أهل العلم بالنقل ، وهذا الحديث لو صح أيضًا احتمل من الخصوص ما احتمل غيره في هذا الباب ، ومما يدل على أنه خصوص لقوم من المشركين ، قوله : لو شئت أسمعتك تضاغيهم في النار ، وهذا لا يكون إلا فيمن قد مات ، وصار في النار أو قد عارض هذا الحديث ما هو أقوى منه من الآثار ولله الحمد » .

(١٠٤) - أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند - (١٣٤/١) . وابن أبي عاصم في السنة - (٢١٣) - (٩٤/١) ثنا عثمان بن أبي شيبة . وذكره الهيثمي في المجمع - (٢٢٠/٧) وقال : رواه عبد الله بن أحمد وفيه محمد بن عثمان ولم أعرفه ، وبقية رجاله رجال الصحيح . والحديث ضعفه الشيخ الألباني في « ظلال الجنة » - فانظره هناك ففيه بحث جيد .

[١] - في خ : « قال » .

[٢] - في ت : « مع » ، وفي خ : «مع» مكتوب فوقها « من » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - سقط من : خ .

مكانهما لأبغضتهما » . قالت : فولديّ منك ؟ قال : [قال : « **في الجنة** » . قال : ثم قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم][1] : « **إن المؤمنين وأولادهم في الجنة ، وإن المشركين وأولادهم في النار** » ، ثم قرأ : ﴿ **والذين آمنوا [واتبعتهم ذريتهم][2] بإيمان [ألحقنا بهم ذريتهم][3]** ﴾ . وهذا حديث غريب ؛ فإن محمد بن عثمان هذا مجهول الحال ، وشيخه زاذان[4] لم يدرك عليًا ، واللَّه أعلم .

وروىٰ أبو داود(١٠٥) من حديث ابن أبي زائدة ، عن أبيه ، عن الشعبي قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **الوائدة[5] والموءودة[6] في النار** » ، ثم قال الشعبي : حدثني به[7] علقمة ، عن أبي وائل ، عن[8] ابن مسعود .

وقد رواه جماعة(١٠٦) عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، عن علقمة ، عن سلمة بن قيس الأشجعي قال : أتيت أنا وأخي النبيَّ صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقلنا : إن أمنا ماتت في الجاهلية ، وكانت تقري الضيف وتصل الرحم ، وإنها وأدت أختًا لنا في الجاهلية [لم تبلغ الحنث][9] فقال : « **الوائدة والموءودة في النار إلا أن تدرك[10] الوائدة الإسلام فتسلم** » ، وهذا إسناد حسن .

والقول الثالث : التوقف فيهم ، واعتمدوا علىٰ قوله صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **اللَّه أعلم بما كانوا عاملين** » ، وهو في الصحيحين(١٠٧) من حديث جعفر بن أبي[11] إياس ، عن

---

(١٠٥) - أخرجه أبو داود - كتاب السنة ، باب : في ذراري المشركين - (٤٧١٧) (٤/٢٣٠) وصححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود - (٣٩٤٨) (٣/٨٩٤) .

(١٠٦) - أخرجه أحمد - (٣/٤٧٨) . والبخاري في التاريخ الكبير - (٤/٧٣) . والطبراني في الكبير - (٦٣١٩) (٧/٤٤) . وذكره الهيثمي في « المجمع » - (١/١٢٣-١٢٤) وقال : « رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، والطبراني في الكبير بنحوه » . كلهم من حديث سلمة بن يزيد الجعفي (وليس سلمة بن قيس كما هنا) - وذكره أيضًا ابن الأثير في أسد الغابة - (٢/٤٣٦) - في ترجمة (سلمة بن يزيد) . وسماه ابن سعد في الطبقات - (١/٢٤٥-٢٤٦) قيس بن سلمة وجعله أخو سلمة بن يزيد لأم لكن في إسناد ابن سعد محمد بن السائب الكلبي وهو متروك .

(١٠٧) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الجنائز ، باب : ما قيل في أولاد المشركين . (١٣٨٣) =

---

[1] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[2] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « وأتبعناهم ذرياتهم » .

[3] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[4] - في ز : « زادان » .

[5] - في ز ، خ : « العائدة » .

[6] - في خ : « والمرودة » .

[7] - سقط من : ز ، خ .

[8] - في خ : « ابن » .

[9] - سقط من : خ .

[10] - في ز ، خ : « يدرك » .

[11] - سقط من : خ .

سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : سئل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن أولاد المشركين ، قال[١] : « الله أعلم بما كانوا عاملين » . [وكذلك هو في الصحيحين(١٠٨) من حديث الزهري ، عن عطاء بن يزيد ، وعن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أنه سئل عن أطفال المشركين فقال : « **الله أعلم بما كانوا عاملين** »][٢] . ومنهم من جعلهم من أهل الأعراف ، وهذا القول يرجع إلىٰ قول من ذهب إلىٰ[٣] أنهم من أهل الجنة ؛ لأن الأعراف ليس دار قرار ، ومآل أهلها إلىٰ الجنة ، كما تقدم تقرير ذلك في سورة الأعراف ، والله أعلم .

[فصل]

وليعلم أن هذا الخلاف مخصوص بأطفال المشركين ، فأما ولدان المؤمنين فلا خلاف بين العلماء ، كما حكاه القاضي أبو يعلىٰ بن[٤] الفرّاء الحنبلي ، عن الإمام أحمد أنه قال : لايختلف فيهم أنهم من أهل الجنة. وهذا هو المشهور بين الناس ، وهو الذي نقطع به إن شاء الله - عز وجل - . فأما ما ذكره الشيخ أبو عمر بن عبد البر ، عن بعض العلماء أنهم توقفوا في ذلك ، وأن الولدان كلهم تحت مشيئة الله - عز وجل - ، قال أبو عمر(١٠٩) : ذهب إلىٰ هذا القول جماعة من أهل الفقه والحديث ، منهم : حماد بن زيد ، وحماد بن سلمة ، وابن المبارك ، وإسحاق بن راهويه ، وغيرهم . قالوا[٥] : وهو يشبه ما رسم مالك في موطئه في أبواب القدر ، وما أورده من الأحاديث في ذلك ، وعلىٰ ذلك أكثر أصحابه ، وليس عن مالك فيه شيء منصوص ؛ إلا أن المتأخرين من أصحابه ذهبوا إلىٰ أن أطفال المسلمين في الجنة ، وأطفال الكفار[٦] خاصة في المشيئة . انتهىٰ كلامه ، وهو غريب جدًّا .

= ومسلم في صحيحه - كتاب القدر ، باب : معنى كل مولود يولد على الفطرة .... » (٢٨) (٢٦٦٠) . وأبو داود - كتاب السنة ، باب : في ذراري المشركين - (٤٧١١) . والنسائي - كتاب الجنائز ، باب : أولاد المشركين - (٤/٥٨-٥٩،٥٩-٦٠) .

(١٠٨) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الجنائز ، باب : ما قيل في أولاد المشركين (١٣٨٤) . ومسلم في صحيحه - كتاب القدر ، باب : معنى كل مولود يولد على الفطرة ... (٢٦) - (٢٦٥٩) . والنسائي - كتاب الجنائز ، باب : أولاد المشركين - (٥٨/٤) .

من طريق محمد بن شهاب الزهري عن عطاء بن يزيد الليثي - عن أبي هريرة ... فذكره وطريقه الثاني تقدم تخريجه .

[١] - في ز ، خ : « فقال » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ز : « قال » .

[٦] - في ت : « المشركين » .

وقد ذكر أبو عبد الله القرطبي في كتابه[١] « التذكرة » نحو ذلك أيضًا ، والله أعلم .

وقد ذكروا في ذلك أيضًا[٢] حديث عائشة بنت طلحة ، عن عائشة أم المؤمنين(١١٠) قالت : دُعي النبي[٣] صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ جنازة صبي من الأنصار فقلت : يا رسول الله ، طوبىٰ له ، عصفور من عصافير الجنة ، لم يعمل السوء ولم يدركه ؛ فقال : « **أو غير ذلك يا عائشة ، إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلًا ، وهم في أصلاب آبائهم وخلق النار ، وخلق لها أهلًا ، وهم في أصلاب آبائهم** » . رواه أحمد ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه .

ولما كان الكلام في هذه المسألة يحتاج إلىٰ دلائل صحيحة جيدة ، وقد يتكلم فيها من لا علم عنده عن الشارع - كره جماعة [من العلماء][٤] الكلام فيها - روي ذلك عن ابن عباس ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، ومحمد بن الحنفية ، وغيرهم . وأخرج ابن حبان(١١١) في صحيحه : عن جرير بن حازم ، سمعت أبا رجاء العطاردي ، سمعت ابن عباس وهو علىٰ المنبر يقول : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لايزال أمر هذه الأمة مواتيًا - أو : مقاربًا - ما لم يتكلموا في الولدان والقدر** » .

قال ابن حبان : يعني : أطفال المشركين .

وهكذا رواه أبو بكر البزار ، من طريق جرير بن حازم ، به . ثم قال : وقد رواه جماعة

---

(١٠٩) - **التمهيد لابن عبد البر** - (١٨/١١١-١١٢) .

(١١٠) - أخرجه أحمد - (٦/٤١،٢٠٨) . ، ومسلم في صحيحه - كتاب القدر ، باب : معنى كل مولود يولد على الفطرة ... (٣٠،٣١) - (٢٦٦٢) ، أبو داود - كتاب السنة ، باب : في ذراري المشركين - (٤٧١٣) . والنسائي - كتاب الجنائز ، باب : الصلاة على الصبيان - (٤/٥٧) . وابن ماجه - في المقدمة ، باب ، في القدر (٨٢) .

(١١١) - **صحيح** ، أخرجه ابن حبان في صحيحه - (٦٧٢٤) (١٥/١١٨-١١٩) .
والحاكم في «المستدرك» (١/٣٣) . والطبراني في «الكبير» (١٢٧٦٤) (١٢/١٦٢) . وفي «الأوسط» (٤٠٨٦) (٤/٢٤١) ، والبزار (٢١٨٠) . من طريق جرير بن حازم به . وقال الحاكم : « صحيح على شرط الشيخين ، ولا نعلم له علة ، ولم يخرجاه » . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٧/٢٠٥) وقال : رواه البزار والطبراني في الكبير والأوسط ورجال البزار رجال الصحيح . وصححه الألباني في « الصحيحة » (١٥١٥) (٤/١٩) .

---

[١] - في ز : « كتاب » .
[٢] - زيادة من: خ .
[٣] - في خ : « رسول الله » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

عن أبي رجاء ، عن ابن عباس موقوفًا(١١٢) .

﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾

اختلف القراء في قراءة قوله : ﴿ أمرنا ﴾ ، فالمشهور قراءة التخفيف ، واختلف المفسرون في معناها ، فقيل : معناه : أمرنا مترفيها ففسقوا فيها أمرًا قدريًا ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **أتاها أمرنا ليلًا أو نهارًا** ﴾ ؛ فإن الله لا يأمر بالفحشاء ، قالوا : معناه أنه سخرهم إلىٰ فعل الفواحش فاستحقوا العذاب .

وقيل : معناه أمرناهم بالطاعات ففعلوا الفواحش ؛ فاستحقوا العقوبة . رواه ابن جريج[١] عن ابن عباس ، وقاله سعيد بن جبير أيضًا .

وقال ابن جرير : وقد[٢] يحتمل أن يكون معناه جعلناهم أمراء . قلت[٣] : إنما يجيء على قراءة من قرأ ﴿ **أمّرنا مترفيها** ﴾ قال علي بن أبي[٤] طلحة عن ابن عباس قوله : ﴿ **أمّرنا مترفيها ففسقوا فيها** ﴾ يقول : سلطنا أشرارها فعصوا فيها ، فإذا فعلوا ذلك [أهلكهم الله][٥] بالعذاب ، وهو قوله : ﴿ **وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها** ﴾ ... الآية ، وكذا قال أبو العالية ، ومجاهد والربيع بن أنس .

وقال العوفى عن ابن عباس : ﴿ **وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها** ﴾ يقول : أكثرنا عددهم[٦] ، وكذا قال عكرمة ، والحسن ، والضحاك ، وقتادة . وعن مالك عن الزهرى ﴿ **أمرنا مترفيها** ﴾ أكثرنا ، وقد استشهد بعضهم بالحديث الذى رواه الإمام أحمد(١١٣) ، حيث قال : حدثنا روح بن عبادة ، حدثنا أبو نعامة العدوي عن مسلم بن بديل ، عن إياس بن زهير ، عن سويد بن هبيرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « **خير مال امرئ له مهرة مأمورة ، أو سِكَّة مأبورة**[٧] » قال الإمام أبو عبيد القاسم بن

---

(١١٢) - أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٧٠٣) . واللالكائي في « أصول الاعتقاد » (١١٢٧) (٤/ ٦٣١) . من طريق جرير بن حازم عن أبي رجاء عن ابن عباس موقوفًا عليه .

(١١٣) - أحمد - (٤٦٨/٣) . وأخرجه الطبراني في الكبير - (٦٤٠٧،٦٤٧١) (١٠٧/٧) والبخاري =

---

[١] - في ز ، خ : « جرير » .

[٢] - سقط من : ت .

[٣] - في خ : « فقلت » .

[٤] - سقط من : ت .

[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « أهلكتهم » .

[٦] - في خ : « عدوهم » .

[٧] - في خ : « مأسورة » .

سلام - رحمه الله - في كتابه الغريب : المأمورة : كثيرة النسل ، والسِّكَّة : الطريقة المصطفة من النخل ، والمأبورة : من التأبير ، وقال بعضهم : إنما جاء هذا متناسبًا ، كقوله : « مأزورات غير مأجورات »(١١٤) .

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍۢ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

يقول تعالى منذرًا كفار قريش في تكذيبهم رسول الله محمدًا صلى الله عليه وسلم ، بأنه قد أهلك أممًا من المكذبين للرسل من بعد نوح ، ودل هذا على أن القرون التي كانت بين آدم ونوح على الإسلام ، كما قاله ابن عباس : كان بين آدم ونوح عشرة[١] قرون ، كلهم على الإسلام . ومعناه : أنكم أيها المكذبون لستم أكرم على الله منهم ، وقد كذبتم أشرف الرسل وأكرم الخلائق ؛ فعقوبتكم أولى وأحرى .

وقوله : ﴿ وكفى بربك بذنوب عباده خبيرًا بصيرًا ﴾ أي : هو عالم بجميع أعمالهم ، خيرها وشرها ، لا يخفى عليه منها خافية ، [سبحانه وتعالى] .

مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ

= في التاريخ الكبير (٤٣٨/١، ٤٣٩) . والبيهقي في الكبرى - (٦٤/١٠) . والبغوي في شرح السنة - (٢٦٤٧) (٣٨٧/١٠) . وابن سعد في الطبقات - (٥٥/٧) وذكره ابن الأثير في أسد الغابة (٤٩٤/٢-٤٩٥) من طريق مسلم بن بديل عن إياس بن زهير به . وقال الهيثمي في المجمع - (٢٦١/٥) : رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات . قلت : مسلم بن بديل وإياس بن زهير لم يوثقهما غير ابن حبان ، ناهيك على أن سويد بن هبيرة تابعي وليست له صحبة . وقد ذكر ابن الأثير الحديث - من رواية معاذ بن معاذ ، عن أبي نعامة عن إياس ، عن سويد قال : بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم ... الحديث .

(١١٤) - أخرجه ابن ماجه - كتاب الجنائز ، باب : ما جاء في اتباع النساء الجنائز - (١٥٧٨) (٥٠٢/١-٥٠٣) . والبيهقي في الكبرى - كتاب الجنائز ، باب : ما ورد في نهي النساء عن اتباع الجنائز - (٧٧/٤) من طريق إسماعيل بن سلمان ، عن دينار أبي عمر ، عن ابن الحنفية ، عن علي : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم - فإذا نسوة جلوس . فقال : « ما يجلسكن ؟ » قلن : ننتظر الجنازة . قال : « هل تغسلن » ؟ قلن : لا . قال « هل تحملن ؟ » قلن : لا . قال : « هل تدلين فيمن يُدلي » قلن : لا . قال ... فذكره .

وقال البوصيري في الزوائد : في إسناده دينار بن عمر أبو عمرو وهو ، وإن وثقه وكيع وذكره ابن حبان في « الثقات » ، فقد قال أبو حاتم : ليس بالمشهور وقال الأزدي : متروك ، وقال الخليلي في الإرشاد : كذاب . وإسماعيل بن سلمان : قال فيه أبو حاتم : صالح ، لكن ذكره ابن حبان في الثقات وقال : يخطئ ، وباقي رجاله ثقات .

[١] - في خ : « عشر » .

﴿ فَأُولَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩ ﴾

يخبر تعالى أنه ما كُلُّ من طلب الدنيا وما فيها من النعيم يحصل له[١] ، بل إنما يحصل لمن أراد اللّه ما[٢] يشاء ، وهذه مُقيّدة لإطلاق ما سواها من الآيات ؛ فإنه قال : ﴿ **عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم** ﴾ أي : في الدار[٣] الآخرة ﴿ **يصلاها** ﴾ أي : يدخلها حتى تغمره من جميع جوانبه ﴿ **مذمومًا** ﴾ أي : في حال كونه مذمومًا على سوء تصرفه وصنيعه ، إذ اختار الفاني على الباقي ﴿ **مدحورًا** ﴾ مبعدًا مقصيًّا حقيرًا ذليلًا مهانًا .

روى[٤] الإمام أحمد(١١٥) : حدثنا حسين ، حدثنا ذويد[٥] عن أبي إسحاق ، عن عروة عن عائشة - رضى اللّه عنها - قالت : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : « **الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، ولها[٦] يجمع من لا عقل له** » . وقوله ﴿ و[٧]**من أراد الآخرة** ﴾ أي : أراد الدار الآخرة وما فيها من النعيم والسرور ﴿ **وسعى لها سعيها** ﴾ أي : طلب ذلك من طريقه ، وهو متابعة الرسول صلى اللّه عليه وسلم ﴿ **وهو مؤمن** ﴾ أي : وقلبه مؤمن ، أي : مصدق موقن بالثواب والجزاء ﴿ **فأولئك كان سعيهم مشكورًا** ﴾ .

﴿ كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ٢٠ ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ٢١ ﴾

[يقول تعالى ﴿ **كُلًّا** ﴾ أي : كل واحد من الفريقين ، الذين أرادوا الدنيا والذين أرادوا الآخرة - نمدهم فيما هم فيه ﴿ **من عطاء ربك** ﴾ أي : هو المتصرف ، الحاكم الذى لا

(١١٥) - أخرجه أحمد - (٧١/٦) . والبيهقي في « الشعب » (١٠٦٣٨) (٣٧٥/٧) من طريق أبي سليمان النصيبي عن أبي إسحاق به . وذكره الهيثمي في « المجمع » - (٢٩١/١٠) وقال : « رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح غير ذويد وهو ثقة » وهو كذلك إلا أن أبا إسحاق وهو السبيعي مدلس وقد عنعنه وأعله بذلك الألباني فكان من نصيب « الضعيفة » (١٩٣٣) (٤٠٣/٤) .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في خ : « وما ».
[٣] - زيادة من : خ .
[٤] - في خ : « قال » .
[٥] - في ز، خ : « رويد » .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - سقط من : ز .

يجور ، فيعطي كُلًّا ما يستحقه من السعادة والشقاوة ، فلا راد لحكمه ، ولا مانع لما أعطى ، ولا مغير لما أراده ، لهذا قال ﴿ **وما كان عطاء ربك محظورًا** ﴾ أي : لا يمنعه أحد ولا يرده راد .

قال قتادة : وما كان عطاء ربك محظورًا أي : منقوصًا ، وقال الحسن وغيره : أي : ممنوعًا ، ثم قال ﴿ **انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض** ﴾ أي : في الدنيا ، فمنهم الغني والفقير وبين ذلك ، والحسن والقبيح وبين ذلك ، ومن يموت صغيرًا ، ومن يعمر حتى يبقى شيخًا كبيرًا ، وبين ذلك ﴿ **وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً** ﴾ أي : ولتفاوتهم في الدار الآخرة أكبر من الدنيا ؛ فإن منهم من يكون في الدركات في جهنم وسلاسلها وأغلالها ، ومنهم من يكون في الدرجات العلىٰ ونعيمها وسرورها ، ثم أهل الدركات يتفاوتون فيما هم فيه كما أن أهل الدرجات يتفاوتون ؛ فإن الجنة مائة درجة ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض . وفي الصحيحين(١١٦) « **إن أهل الدرجات العلى ليرون أهل عليين كما ترون الكوكب الغابر في أفق السماء** » ؛ ولهذا قال تعالى ﴿ **وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً** ﴾ وفي الطبراني(١١٧) من رواية زاذان عن سلمان مرفوعًا « **ما من عبد يريد أن يرتفع في الدنيا درجة فارتفع إلا وضعه الله في الآخرة أكبر منها** » ثم قرأ ﴿ **وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً** ﴾][١] .

﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾

يقول تعالىٰ - والمراد المكلفون من الأمة - : لا تجعل أيها المكلف في عبادتك ربَّك له شريكًا ﴿ **فتقعد مذمومًا** ﴾ علىٰ إشراكك ، ﴿ **مخذولاً** ﴾ لأن الرب تعالىٰ لا ينصرك ، بل يَكِلُك إلىٰ الذي عبدت معه ، وهو لا يملك لك ضرًّا ولا نفعًا ؛ لأن مالك الضر والنفع هو الله وحده لا شريك له .

---

(١١٦) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب بدء الخلق باب : ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة - (٣٢٥٦) . ومسلم في صحيحه - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : ترائي أهل الجنة أهل الغرف ، كما يرى الكوكب في السماء (١١) (٢٨٣١) . من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا ولفظه : « إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب ......» .

(١١٧) - أخرجه الطبراني في الكبير - (٦١٠١) (٦/٢٣٩-٢٤٠) ، وأبو نعيم في الحلية - (٤/٢٠٤) . من طرق عبد الغفور بن سعيد الأنصاري عن أبي هاشم الرماني عن زاذان به . وعبد الغفور هذا كان ممن يضع الحديث كما قال ابن حبان ، وقال البخاري : تركوه . والحديث ذكره الهيثمي في « المجمع » (٧/٥٢) « رواه الطبراني وفيه أبو الصباح عبد الغفور وهو متروك » .

---

[١] - سقط من : خ .

وقد قال الإِمام أحمد(١١٨) : حدثنا أبو أحمد الزبيري ، حدثنا بشير بن سلمان عن سيار أبي الحكم

عن طارق بن شهاب ، عن عبد اللَّه - هو ابن مسعود قال - قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **من أصابته فاقة فأنزلها بالناس**[١] ، **لم تسد فاقته ، ومن أنزلها باللَّه أوشك اللَّه له بالغنى ، إما أجل عاجل**[٢] ، **وإما غنى عاجل** » ورواه أبو داود والترمذي من حديث بشير بن سلمان به ، وقال الترمذي : حسن صحيح غريب[٣] [لا تجعل مع الله إلهًا آخر فتقعد مذمومًا مخذولًا][٤] .

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾

يقول تعالى آمرًا بعبادته وحده لا شريك له ؛ فإن القضاء هلهنا بمعنى الأمر.

قال مجاهد : ﴿ وقضىٰ ﴾ يعني[٥] : وصىٰ . وكذا قرأ ذلك أُبيّ بن كعب ، وعبد اللَّه

---

(١١٨) - أخرجه أحمد - (٤٠٧/١) . وأخرجه أبو داود - كتاب الزكاة ، باب : في الاستعفاف (١٦٤٥) . والترمذي - كتاب الزهد ، باب : ما جاء في الهم في الدنيا وحبها - (٢٣٢٦) ، وصححه الحاكم (٤٠٨/١) ووافقه الذهبي .

(١١٩) - أما حديث أنس فأخرجه البزار - مختصر الزوائد - (٢١٧٤) - (٤٤١/٢) حدثنا محمد بن معمر ، ثنا جعفر بن عون عن سلمة بن وردان عن أنس ذكره . وقال الهيثمي في « المجمع - (١٦٩/١٠) : « رواه البزار وفيه سلمة بن وردان وهو ضعيف وقد قال فيه البزار : صالح ، وبقية رجاله رجال الصحيح » . قلت : وباقي كلام البزار ... وله أحاديث يستوحش بها » فلعل هذا الصلاح في نفسه ودينه - والعلم عند الله تعالى . لكن الحديث قد صح عن عدد من الصحابة ولله الحمد - ففي الباب : حديث أبي هريرة : أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٦٤٦) وابن حبان في صحيحه (٩٠٧) . وجابر بن عبد الله - عند البخاري في الأدب (٦٤٤) وصححه الألباني في صحيح الأدب (٥٠٠) . وعمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود وكعب بن عجرة - انظر مجمع الزوائد (١٦٧/١٠-١٧٠) .

---

[١] - في ز : « الناس » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٥] - في ز ، خ : « بمعنى » .

ابن مسعود ، والضحاك بن مزاحم : (ووصىٰ ربك أن لا تعبدوا إلا إياه) ، ولهذا قرن بعبادته بر الوالدين فقال : ﴿ **وبالوالدين إحسانًا** ﴾ ، أي : وأمر بالوالدين إحسانًا كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير** ﴾

وقوله[١] : ﴿ **إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف** ﴾ ، [أي : لا تسمعهما قولًا سيئًا حتى ولا التأفيف الذى هو أدنى مراتب القول السيئ][٢] ، ﴿ **ولا تنهرهما** ﴾ أي: ولا يصدر منك إليهما فعل قبيح ، كما قال عطاء بن أبي رباح في قوله : ﴿ **ولا تنهرهما** ﴾ ، أي : لا تنفُض يدك[٣] على والديك . ولما نهاه عن القول القبيح ، والفعل القبيح أمره بالقول الحسن ، والفعل الحسن ؛ فقال : ﴿ **وقل لهما قولًا كريمًا** ﴾ أى ليِّنًا ، طيِّبًا ، حسنًا بأدب ، وتوقير ، وتعظيم .

﴿ **واخفض لهما جناح الذل من الرحمة** ﴾ ، أي : تواضع لهما بفعلك ، ﴿ **وقل رب ارحمهما** ﴾ ، أي : في كبرهما ، وعند وفاتهما ﴿ **كما ربياني صغيرًا** ﴾ .

قال[٤] ابن عباس : ثم أنزل اللّٰه : ﴿ **ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى** ﴾ .

وقد جاء في بر الوالدين أحاديث كثيرة ؛ منها الحديث المروي من طرق عن أنس(١١٩) وغيره ، أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم لما صعد المنبر قال : « **آمين آمين آمين** » . فقالوا : يا رسول اللّٰه ، علام أمَّنت ؟ قال : « **أتاني جبريل فقال : يا محمد ، رَغِم أنفُ امرئٍ ذُكرتَ عنده فلم يصلِّ عليك ، فقل : آمين . فقلت : آمين . ثم قال : [ ][٥] رَغِم أنفُ امرئٍ دخل عليه شهر رمضان ثم خرج ولم يغفر له ، قل : آمين . فقلت : آمين . ثم قال : رَغِمَ أنفُ امرئٍ أدرك أبويه - أو أحدهما - فلم يدخلاه الجنة ، قل : آمين . فقلت : آمين** » .

حديث آخر : قال الإمام أحمد(١٢٠) : حدثنا هشيم ، حدثنا عليّ بن زيد ، أخبرنا زرارة ابن أوفىٰ عن مالك بن الحارث - رجل منهم - أنه سمع النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم

(١٢٠) - المسند - (٣٤٤/٤) ، (٢٩/٥) . والطبراني في الكبير (٦٧٠) (٣٠٠/١٩) من طريق أبي الربيع الزهراني حدثنا هشيم به . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٤٦/٤) وقال : « رواه أحمد والطبراني وفيه علي بن زيد وحديثه حسن وقد ضعف » . وقال في (١٦٣/٨-١٦٤) « رواه أحمد والطبراني وفيه علي بن زيد وهو حسن الحديث ، وبقية رجاله رجال الصحيح » والراجح في علي بن زيد الضعف والله أعلم .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « يديك » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين في خ : « رغم أنف امرئ أدرك أبويه أو أحدهما » ولا أرى لها مكانًا .

يقول : « **من ضم يتيمًا[١] بين أبوين مسلمين إلىٰ طعامه وشرابه حتىٰ يستغني عنه ؛ وجبت له الجنة ألبتة[٢] ، ومن أعتق امرأ مسلمًا كان فكاكه من النار ، يجزي بكل عضو منه عضوًا منه** » .

ثم قال(١٢١) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، سمعت عليّ بن زيد ، فذكر معناه ، إلا أنه قال : عن رجل من قومه يقال له : مالك ، أو : ابن مالك ، وزاد : « **ومن أدرك والديه أو أحدهما[٣] فدخل النار فأبعده الله** » .

حديث آخر : وقال الإمام أحمد(١٢٢) : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا عليّ ابن زيد ، عن زرارة بن أوفىٰ ، عن مالك بن عمرو القشيري ، سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **من أعتق رقبة مسلمة فهي فداؤه من النار ؛ مكان كل عظم من عظامه محرّره بعظم من عظامه . ومن أدرك أحد والديه ، ثم[٤] لم يغفر له فأبعده الله عز وجل . ومن ضم يتيمًا بين أبوين مسلمين إلىٰ طعامه وشرابه حتىٰ يغنيه الله[٥] وجبت له الجنة** » .

حديث آخر : وقال الإمام أحمد(١٢٣) : حدثنا حجاج ومحمد بن جعفر قالا : حدثنا شعبة ، عن قتادة ، سمعت زرارة بن أوفىٰ يحدث عن [أُبيّ بن][٦] مالك القشيري قال :

(١٢١) - أخرجه أحمد (٢٩/٥) والطيالسي في مسنده (١٣٢٢) حدثنا شعبة به . والطبراني في « الكبير » - (٣٠٠/١٩) (٦٦٨) من طريق أسد بن موسى ثنا شعبة به . وأبو يعلى في مسنده (٩٢٦) (٢٢٧/٢) حدثنا علي بن الجعد : حدثنا شعبة به وذكره الهيثمي (١٦٤/٨) « رواه أبو يعلى .. وأحمد باختصار والطبراني وهو حسن الإسناد » . قلت : فيه علي بن زيد وهو ضعيف - وانظر الحديث السابق .

(١٢٢) - أخرجه أحمد - (٣٤٤/٤) . والطبراني في «الكبير» (٦٦٦،٦٦٧) (٢٩٩/١٩،٣٠٠) من طريقين عن حماد ابن سلمة به . وتابع حماد بن سلمة على تسمية الصحابي « مالك بن عمرو » أو « عمرو بن مالك » سفيان أخرجه الطبراني - (٦٦٩) (٣٠٠/١٩) ، وابن المبارك في الزهد - (٦٥٦) وذكره الهيثمي في « المجمع » - (١٤٢/٨-١٤٣) من حديث مالك بن عمرو - وقال : «إسناد حسن» قلت . وعلته ما زالت قائمة ، فإنه من رواية علي بن زيد وهو ضعيف .

(١٢٣) - **إسناده صحيح** ، أخرجه أحمد (٣٤٤/٤) ، (٢٩/٥) . وأبو داود الطيالسي - (١٣٢١) حدثنا شعبة به دون قوله « وأسحقه » . والبخاري في التاريخ الكبير - (٤٠/٢) حدثنا عمرو حدثنا شعبة به . قال ابن السكن ، قال البخاري : يقال في هذا الحديث مالك بن عمرو ، ويقال ابن الحارث ، ويقال ابن مالك ، والصحيح من ذلك أُبيّ بن مالك . وحكى ابن أبي خيثمة عن ابن معين أنه : ضرب على أُبيّ بن مالك ، وقال : هذا خطأ ليس في الصحابة أبي بن مالك ، وإنما هو عمرو بن مالك . قال الحافظ =

[١] - في ز ، خ : « ما » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ز : « واحدًا » ، خ : « واحد » .
[٤] - في ز ، خ : « و » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

قال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **من أدرك والديه أو أحدهما ثم دخل النار من بعد ذلك فأبعده اللَّه وأسحقه** » .

ورواه أبو داود الطيالسي عن شعبة به ، وفيه زيادات أخر .

حديث آخر : قال الإمام أحمد(١٢٤) : حدثنا عفان ، حدثنا أبو عوانة ، حدثنا سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة [رضي الله عنه] ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **رغم أنف ، ثم رغم أنف ، ثم رغم أنف : رجل أدرك والديه- أحدهما أو كلاهما - عند الكبر و**[١]**لم يدخل الجنة** » صحيح من هذا الوجه ، ولم يخرجه سوىٰ مسلم من حديث أبي عوانة ، وجرير وسليمان بن بلال عن سهيل به .

حديث آخر : وقال الإمام أحمد(١٢٥) : حدثنا ربعيّ بن إبراهيم - قال أحمد : وهو أخو إسماعيل بن علية ، وكان يفضل على أخيه - عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليَّ ، ورغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان فانسلخ قبل أن يغفر له ، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبرَ فلم يدخلاه الجنة** » ، قال ربعي : و[٢]لا أعلمه[٣] إلا قال : « **أو أحدهما** » . ورواه الترمذي عن أحمد بن إبراهيم الدورقي عن ربعي

ابن حجر في الإصابة - (١/٢٧-٢٨) : لعله اعتمد رواية شبابة ، ولكنها شاذة .. ثم نقل روايات علي بن زيد المتقدمة ... وقال .. ومما يقوي رواية شعبة عن قتادة ما ذكر ابن إسحاق في أمر غنائم حنين - (انظر - سيرة بن هشام - (١٣٣٧/٤) قال : فقال أبي بن مالك القشيري : يا رسول الله فذكر قصته ... وفي الأخبار المنثورة لابن دريد قال : فقال أبي بن مالك بن معاوية القشيري ، وهو أخو نَهِيك بن مالك الشاعر المشهور فذكر قصته وفيها أن الضحاك بن سفيان عتب على أبي بن مالك في شيء بعد ذلك فقال :

أتنسى بلائي يا أُبي بن مالك غداةَ الرسول مُعرض عنك أشوَسُ

.... وهذا كله يقوى ما رجحه البخاري والله أعلم . اهـ .

(١٢٤) - أخرجه أحمد - (٣٤٦/٢) . ومسلم في صحيحه - كتاب البر والصلة والآداب ، باب : رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر ، فلم يدخل الجنة حديث (٢٥٥١) - (١٦٣/١٦) .

(١٢٥) - أخرجه أحمد - (٣٥٤/٢) . والترمذي كتاب الدعوات ، باب : قول رسول الله صلى الله عليه وسلم - « رغم أنف رجل » - (٣٥٤٥) حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا ربعي بن إبراهيم به . وقال « حديث حسن غريب من هذا الوجه » . وتابع ربعيَ بن إبراهيم « بشرُ بن المفضل » ، أخرجه ابن حبان في صحيحه - (٩٠٩) (١٨٩/١) . والحاكم في مستدركه - (٥٤٩/١) .

وعبد الرحمن بن إسحاق هو ابن عبد الله بن الحارث ، صدوق .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - سقط من : ت . [٣] - في ز : « أعلم » .

ابن إبراهيم ، ثم قال : غريب من هذا الوجه .

حديث آخر : وقال الإمام أحمد(١٢٦) : حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا عبد الرحمن بن الغسيل ، حدثنا أسيد بن عليّ ، عن أبيه ، عليّ[١] بن عبيد ، عن أبي أسيد[٢] - وهو مالك ابن ربيعة الساعدي[٣] - قال : بينما أنا جالس عند رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم إذ جاءه رجل من الأنصار فقال : يا رسول اللّٰه ، هل بقي عليّ من برّ أبويّ شيء بعد موتهما أبرهما به ؟ قال : « **نعم ، خصال أربع : الصلاة عليهما والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما ، وإكرام صديقهما ، وصلة[٤] الرحم التي لا رحم لك إلا من قِبلهما ، فهو الذي بقي عليك بعد موتهما من برهما** » و[٥]رواه أبو داود ، وابن ماجة من حديث عبد الرحمن بن سليمان - وهو ابن الغسيل - به .

حديث آخر : قال[٦] الإمام أحمد(١٢٧) : حدثنا روح ، حدثنا ابن جريج ، أخبرني محمد ابن طلحة بن عبد اللّٰه بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن معاوية بن جاهمة السلمي : أن جاهمة جاء إلىٰ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقال : يا رسول اللّٰه ، أردت الغزو وجئتك أستشيرك ؟ فقال : « **فهل[٧] لك من أم ؟** » قال[٨] : نعم . فقال : « **الزمها فإن الجنة**

(١٢٦) - أخرجه أحمد - (٣/٤٩٧-٤٩٨) . وأخرجه أبو داود - كتاب الأدب ، باب : في بر الوالدين - (٥١٤٢) - (٤/٣٣٦) . وابن ماجه - كتاب الأدب ، باب : صِلة من كان أبوك يصل - (٣٦٦٤) (٢/ ١٢٠٨) . والبخاري في «الأدب المفرد» - (٣٥) وفي «التاريخ الكبير» - (٦/٢٨٦-٢٨٧) . وابن حبان في صحيحه - (٤١٨) (٢/١٦٢) ، وفي «الموارد» - (٢٠٣٠) (٦/٣٥١-٣٥٢) والطبراني في «الكبير» - (٥٩٢) (١٩/٢٦٧-٢٦٨) . والحاكم (٤/١٥٤-١٥٥) ، والبيهقي في «الكبرى» - (٤/٢٨) . والروياني في مسنده - (١٤٦٠) (٢/٤٣٧) والمزي في «تهذيب الكمال» - (٢١/٥٧) كلهم من طريق عبد الرحمن ابن سليمان الغسيل به . وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . قلت : علي بن عبيد لم يوثقه غير ابن حبان على قاعدته المعروفة في توثيق المجاهيل . وقال الذهبي في « الميزان » : لا يعرف (٣/٥٨٨٧) ، وقال ابن حجر في «التقريب» : مقبول .

(١٢٧) - أخرجه أحمد - (٣/٤٢٩) . وأخرجه النسائي - كتاب الجهاد ، باب : الرخصة في التخلف لمن له والدة - (٦/١١) . وابن ماجه - كتاب الجهاد ، باب : الرجل يغزو وله أبوان - (٢٧٨١) - (٢/٩٢٩-٩٣٠) والحاكم - (٢/١٠٤) ، (٤/١٥١) . من طرق عن ابن جريج به . وقال الحاكم ، صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي . وقال الشيخ الألباني في «الإرواء» - (١١٩٩) (٥/٢١) .... كذا قالا ، وطلحة بن عبد الله لم يوثقه غير ابن حبان ، لكن روى عنه جماعة ، فهو حسن الحديث إن شاء الله ...»اهـ .

[١] - في ز : « عن » .
[٢] - في ز : « أسيل » ، خ : « أسد » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في خ : « والرام » .
[٥] - سقط من : ت .
[٦] - في ز : « وقال » .
[٧] - في ز : « هل » .
[٨] - في ز ، خ : « فقال » .

تحت رجليها[١] » ، ثم الثانية ، ثم الثالثة ، في مقاعد شتى كمثل هذا القول . ورواه النسائي وابن ماجة من حديث ابن جريج به .

حديث آخر : قال الإمام أحمد(١٢٨) : حدثنا خلف بن الوليد ، حدثنا ابن[٢] عياش ، عن[٣] بحير بن سعد ، عن خالد بن معدان ، عن المقدام بن معد يكرب الكندي ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **إن اللّٰه يوصيكم بآبائكم ، إن اللّٰه يوصيكم بأمهاتكم ، إن اللّٰه يوصيكم بأمهاتكم ، إن اللّٰه يوصيكم بأمهاتكم ، إن اللّٰه يوصيكم بالأقرب فالأقرب** » وقد أخرجه ابن ماجه من حديث [ ][٤] ابن عياش[٥] به .

حديث آخر : قال الإمام أحمد(١٢٩) : حدثنا يونس ، حدثنا أبو عوانة ، عن الأشعث بن سليم ، عن أبيه ، عن رجل من بني يربوع قال : أتيت النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فسمعته وهو يكلم الناس يقول : « **يد المعطي العليا[٦] ، أمك وأباك ، وأختك ، وأخاك ، ثم أدناك أدناك** » .

حديث آخر : قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار في مسنده(١٣٠) : حدثنا إبراهيم بن المستمر[٧] العُرُوقي ، حدثنا عمرو بن سفيان ، حدثنا الحسن[٨] بن أبي جعفر ، عن ليث بن أبي سليم ، عن علقمة[٩] بن[١٠] مرثد ، عن سليمان بن بريدة ، عن أبيه : أن رجلًا كان في الطواف حاملًا أمه يطوف بها ، فسأل النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : هل أديتُ حقها ؟ قال : « **لا ، ولا بزفرة واحدة** » ، أو كما قال . ثم قال البزار : لا نعلمه يُروىٰ إلا من هذا الوجه . قلت : والحسن بن أبي جعفر ضعيف ، واللّٰه أعلم .

(١٢٨) - أخرجه أحمد - (١٣١/٤، ١٣٢) . وأخرجه ابن ماجه - كتاب الأدب ، باب : بر الوالدين - (٣٦٦١) (١٢٠٧/٢-١٢٠٨) . والبخاري في الأدب المفرد (٦٠) . والحاكم - (١٥١/٤) ، والبيهقي في الكبرى (١٧٩/٤) . من طريق إسماعيل بن عياش به . وقال الحاكم : « إسماعيل بن عياش أحد أئمة أهل الشام إنما نقم عليه سوء الحفظ فقط » . قلت : والنقمة عليه في روايته عن غير الشاميين ، وأما إذا روى عنهم فروايته صحيحة كما حققه غير واحد من أهل العلم ، وبحير بن سعد شامي فصح الإسناد ولله الحمد .

(١٢٩) - أخرجه أحمد (٦٤/٤-٦٥) ، (٣٧٧/٥) . وذكره الهيثمي في المجمع - (٢٨٦/٦) وقال : « رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح » .

(١٣٠) - أخرجه البزار - مختصر الزوائد - (١٧٧٧) (٢٣٨/٢) . بلفظ « لا ولا بركزة واحدة » . =

[١] - في خ : « رجلها » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « بن » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « إسماعيل » .
[٥] - في خ : « عباس » .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - في خ : « المؤتمر » .
[٨] - في خ : « عمرو » .
[٩] - في خ : « مسلمة » .
[١٠] - في خ : « عن » .

﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾

قال سعيد بن جبير : هو الرجل تكون[١] منه البادرة إلىٰ أبويه وفي نيته وقلبه أنه لا يؤخذ به ، وفي رواية : أنه[٢] لا يريد إلا الخير بذلك ، فقال : ﴿ **ربكم أعلم بما في نفوسكم** ﴾ وقوله : ﴿ **إنه كان للأوابين غفورًا** ﴾ قال قتادة : للمطيعين[٣] أهل الصلاة ، وعن ابن عباس : المسبحين[٤] ، وفي رواية عنه : المطيعين المحسنين .

وقال بعضهم: هم الذين يصلون بين العشاءين. وقال بعضهم: هم الذين يصلون الضحى .

وقال شعبة : عن يحيىٰ بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب في قوله : ﴿ **فإنه كان للأوابين غفورًا** ﴾ ، قال : الذي يصيب الذنب ، ثم يتوب ، ويصيب الذنب ، ثم يتوب ، وكذا رواه عبد الرزاق عن الثوري ومعمر عن[٥] يحيىٰ بن سعيد عن ابن المسيب ، به . وكذا قال عطاء بن يسار .

وقال مجاهد ، وسعيد بن جبير : هم الراجعون إلى الخير

وقال مجاهد عن عبيد بن عمير في قوله[٦] : ﴿ **فإنه كان للأوابين غفورًا** ﴾ ، قال : هو الذي يذكر ذنوبه في الخلاء ، فيستغفر الله منها ، ووافقه على ذلك مجاهد .

وقال عبد الرزاق(١٣١) : أخبرنا محمد بن مسلم ، عن عمرو بن دينار ، عن عبيد بن عمير ، في قوله : ﴿ **فإنه كان للأوابين غفورًا** ﴾ ، قال : كنا نعد الأواب الحفيظ أن يقول : اللهم ؛ اغفر لي ما أصبت في مجلسي هذا .

= وذكره الهيثمي في « المجمع » - (١٤٠/٨) وقال : « رواه البزار وفيه الحسن بن أبي جعفر ، وهو ضعيف من غير كذب وليث بن أبي سليم مدلس » .

(١٣١) - « التفسير » لعبد الرزاق (٣٧٦/٢ ، ٣٧٧) ومن طريقه ابن جرير في تفسيره - (٧١/١٥) . وأخرجه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١٩٢/٢) من طريق سفيان قال : بلغني عن عمرو يعني ابن دينار عن عبيد بن عمير فذكره بنحوه .

---

[١] - في خ : « يكون » .
[٢] - زيادة من : خ .
[٣] - في ز ، خ : « المطيعين » .
[٤] - في ز ، خ : « المستحين » .
[٥] - في ز : « وعن » .
[٦] - في ت : « الآية » .

وقال ابن جرير(١٣٢) : والأولىٰ في ذلك قول من قال : هو التائب من الذنب ، الراجع عن المعصية إلىٰ الطاعة ، مما يكره الله إلىٰ ما يحبه ويرضاه وهذا الذي قاله هو الصواب ؛ لأن الأوّاب مشتق من الأوب ، وهو : الرجوع ، يقال : آب فلان . إذا رجع ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **إن إلينا إيابهم** ﴾ ، وفي الحديث الصحيح(١٣٣) : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان إذا رجع من سفر قال : « **آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون** » .

وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾

لما ذكر تعالىٰ بر الوالدين عطف بذكر الإحسان إلىٰ القرابة وصلة الأرحام ، وكما[١] تقدم في[٢] الحديث(١٣٤) : « **أمك وأباك ، ثم أدناك أدناك** » ، وفي رواية(١٣٥) : « **ثم الأقرب فالأقرب** » .

وفي الحديث(١٣٦) : «**من أحب أن يبسط له رزقه وينسأ[٣] له في أجله فليصل رحمه**» .

(١٣٢) - تفسير ابن جرير - (١٥/٧٢) .

(١٣٣) - **صحيح** ، أخرجه أحمد (٤/٢٨١،٢٨٩،٢٩٨) . والترمذي - كتاب الدعوات ، باب : ما يقول إذا قدم من السفر - (٣٤٤٠) . والنسائي في الكبرى - كتاب عمل اليوم والليلة ، باب : ما يقول إذا أقبل من السفر - (١٠٣٨٤) . والطيالسي في مسنده - (٧١٦) . وأبو يعلى في مسنده - (١٦٦٤) . وابن حبان في صحيحه - (٢٧١١) (٦/٤٢٧) . من طريق شعبة عن أبي إسحاق عن الربيع بن البراء عن أبيه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان إذا رجع من سفرة قال : فذكره . وقال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح » .

(١٣٤) - تقدم .

(١٣٥) - تقدم .

(١٣٦) - **صحيح** ، أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب البيوع ، باب : من أحب البسط في الرزق (٢٠٦٧) . ومسلم في صحيحه - كتاب البر والصلة والآداب ، باب : صلة الرحم ، وتحريم قطيعتها . (٢٠) (٢٥٥٧) . وأبو داود - كتاب الزكاة ، باب : في صلة الرحم - (١٦٩٣) . من طريق يونس عن الزهري عن أنس ... فذكره .

[١] - في ت : كما . [٢] - سقط من : ت .

[٣] - في خ : « ويتسع » .

وقال الحافظ أبو بكر البزار(١٣٧) : حدثنا عباد بن يعقوب ، حدثنا [أبو يحيىٰ التيمي][١] ، حدثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية ، عن أبي سعيد قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ **وآت ذا القربىٰ حقه** ﴾ دعا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فاطمة فأعطاها « فَدَكَ » ، ثم قال : لا نعلم حدث به عن فضيل بن مرزوق إلا أبو يحيىٰ التيمي[٢] ، وحميد بن حماد بن أبي الخُوار[٣] .

وهذا الحديث مشكل لو صح إسناده ؛ لأن الآية مكية ، و « فَدَكُ » إنما فتحت مع خيبر سنة سبع من الهجرة ، فكيف يلتئم هذا مع هذا ؟

[فهو إذًا حديث منكر ، والأشبه أنه من وضع الرافضة ، واللَّه أعلم][٤] . وقد تقدم الكلام علىٰ المساكين وابن[٥] السبيل في سورة براءة بما أغنىٰ عن إعادته هاهنا .

وقوله : ﴿ **ولا تبذر تبذيرًا** ﴾ ، لما[٦] أمر بالإنفاق نهىٰ عن الإسراف فيه ؛ بل يكون وسطًا كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قوامًا** ﴾ ثم قال منفرًا عن التبذير والسرف : ﴿ **إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين** ﴾ أي : أشباههم في ذلك .

وقال ابن مسعود(١٣٨) : التبذير : الإنفاق في غير حق ، وكذا قال ابن عباس(١٣٩) .

---

(١٣٧) - أخرجه البزار « مختصر الزوائد » - (١٤٧٦) (٢/٩٠) . وذكره الهيثمي في المجمع - (٧/٥٢) وقال : « رواه الطبراني وفيه عطية العوفي وهو ضعيف متروك » وغفل الهيثمي عن عزوه إلى البزار . قلت : وأبو يحيى التيمي ، وحميد بن حماد كلاهما ضعيف وله علة أخرى أشار لها المصنف انظر أعلاه .

(١٣٨) - أخرجه البخاري في الأدب المفرد - (٤٤٤) . والطبراني في الكبير - (٩٠٠٦) (٩/٢٣٣) ، وفي الأوسط (١٤٧٢) (٢/١٢٩) . والحاكم في المستدرك - (٢/٣٦١) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي والبيهقي في شعب الإيمان (٦٥٤٦) (٥/٢٥٠) . وابن جرير في تفسيره - (١٥/٧٣) وابن أبي شيبة في المصنف (٦/٢٥٢) من طريق أبي العبيدين ، قال : قلت لابن مسعود فذكره مطولًا ومختصرًا وقال الهيثمي في المجمع - (٧/٥٣٠٥٢) « رواه الطبراني ورجاله ثقات » . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٣٢٠) إلى الفريابي وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(١٣٩) - أخرجه البخاري في الأدب المفرد - (٤٤٥) . والبيهقي في شعب الإيمان - (٦٥٤٧) (٥/٢٥٠-٢٥١) . وابن جرير في تفسيره - (١٥/٧٣) . من طريق حصين عن عكرمة عن ابن عباس فذكره . وحسن إسناده الألباني في صحيح الأدب المفرد - (٣٤٦) .

---

[١] - في ز ، « أبو يحيىٰ التميمي » ، خ : « أبو نجى التميمى » .

[٢] - في خ : « أبو نجى التميمي » . [٣] - في ز : « الحوار » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٥] - في ت : « أبناء » .

[٦] - في خ : « إنما » .

وقال مجاهد(١٤٠) : لو أنفق إنسان ماله كله في الحق لم يكن مبذرًا ، ولو أنفق مدًّا في غير حق[١] كان تبذيرًا .

وقال قتادة(١٤١) : التبذير : النفقة في معصية اللَّه وفي غير الحق وفي الفساد .

وقال الإمام أحمد(١٤٢) : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا الليث[٢] ، عن خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن أنس بن مالك أنه قال : أتىٰ رجل من بني تميم إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال : يا رسول اللَّه ، إني ذو مال كثير ، وذو أهل وولد وحاضرة ، فأخبرني : كيف أنفق؟ وكيف أصنع ؟ فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **تخرج الزكاة من مالك ، فإنها طُهْرَة تطهرك ، وتصل أقرباءك ، وتعرف حق السائل والجار والمسكين** » . فقال : يا رسول اللَّه ؛ أقلل[٣] لي ؟ فقال : « **فآت ذا القربىٰ حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرًا** » فقال : حسبي يا رسول اللَّه إذا أديت الزكاة إلىٰ رسولك ؛ فقد[٤] برئت منها إلىٰ اللَّه وإلىٰ رسوله[٥] ؟ فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **نعم ، إذا أديتها إلىٰ رسولي فقد برئت منها ، فلك أجرها ، وإثمها علىٰ من بدلها** » .

وقوله : ﴿ **إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين** ﴾ أي : في التبذير والسفه ، وترك طاعة اللَّه ، وارتكاب[٦] معصيته ، ولهذا قال : ﴿ **وكان الشيطان لربه كفورًا** ﴾ . أي : جحودًا ؛ لأنه أنكر نعمة اللَّه عليه ، ولم يعمل بطاعته ؛ بل أقبل علىٰ معصيته ومخالفته .

وقوله : ﴿**وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولًا ميسورًا** ﴾ ، أي : وإذا سألك أقاربك ومن أمرناك بإعطائهم ، وليس عندك شيء ، وأعرضت عنهم لفقد

---

(١٤٠) - **إسناده صحيح** ، أخرجه ابن جرير في تفسيره (٧٤/١٥) حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج قال : قال مجاهد : ... فذكره .

(١٤١) - **إسناده صحيح** ، أخرجه ابن جرير في تفسيره - (٧٤/١٥) حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال ثنا سعيد ، عن قتادة ... فذكره .

(١٤٢) - أخرجه أحمد - (١٣٦/٣) . والطبراني في الأوسط (٨٨٠٢) حدثنا مطلب : نا عبد الله : حدثني الليث به . والحاكم في المستدرك (٣٦١/٢) من طريق أبي الوليد الطيالسي حدثنا الليث به . وقال : « صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي . وذكره الهيثمي في المجمع - (٦٦/٣) وقال : « رواه أحمد والطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح » .

---

[١] - في خ : « حقه » .
[٢] - في خ : « لبث » .
[٣] - في خ : « أملك » .
[٤] - في ز : « وقد » .
[٥] - في خ : « رسول الله » .
[٦] - في خ : « وترك » .

النفقة ، ﴿ **فقل لهم قولًا ميسورًا** ﴾ أي : عدهم وعدًا بسهولة ولين: إذا جاء رزق الله فسنصلكم إن شاء الله ، هكذا فسر قوله : ﴿ **فقل لهم قولًا ميسورًا** ﴾ بالوعد - مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، وقتادة ، وغير واحد .

وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾

يقول تعالىٰ آمرًا بالاقتصاد في العيش ذامًّا للبخل ناهيًا عن السرف : ﴿ **ولا تجعل يدك مغلولة إلىٰ عنقك** ﴾ ، أي : لا تكن بخيلًا منوعًا لا تعطي أحدًا شيئًا ، كما قالت اليهود عليهم لعائن الله : ﴿ **يد الله مغلولة** ﴾ ، أي : نسبوه إلىٰ البخل ، تعالىٰ وتقدس الكريم الوهاب .

وقوله : ﴿ **ولا تبسطها كل البسط** ﴾ ، أي ولا تسرف في الإنفاق فتعطي فوق طاقتك وتخرج أكثر من دخلك فتقعد ملومًا محسورًا .

وهذا من باب اللف والنشر ، أي : فتقعد إن بخلت ملومًا يلومك الناس ويذمونك ويستغنون عنك ، كما قال زهير بن أبي سُلمىٰ في المعلقة :

ومن كان ذا مال ويبخل بماله   على قومه يُستغنَ عنه ويُذْمَمِ

ومتىٰ بسطت يدك فوق طاقتك قعدت بلا شيء تنفقه فتكون كالحسير ، وهو الدابة التي قد عجزت عن السير فوقفت ضعفًا وعجزًا ، فإنها تسمىٰ الحسير ، وهو مأخوذ من الكلال ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فارجع البصر هل ترىٰ من فطور * ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئًا وهو حسير** ﴾ ، أي : كليل عن أن يرىٰ عيبًا ، هكذا فسر هذه الآية - بأن المراد منها[١] البخل والسرف - ابن عباس والحسنُ وقتادة وابن جريج وابن زيد وغيرهم .

وقد جاء في الصحيحين(١٤٣) من حديث أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة : أنه سمع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثُدَيِّهما إلىٰ تراقيهما[٢] فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت - أو وفرت -**

(١٤٣) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الزكاة ، باب : مثل المتصدق والبخيل - (١٤٤٣) . ومسلم في صحيحه - كتاب الزكاة ، باب : مثل المنفق والبخيل - (٧٥) - (١٠٢١) .

[١] - في ت : « هنا » .   [٢] - في خ : « تراقهما » .

علىٰ[١] **جلده ، حتىٰ تُخفي بنانه وتَعْفُو أثرهم ، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئًا إلا لزقت كل حلقة [ ]**[٢] **مكانها ، فهو يوسعها [فلا تتسع]**[٣]» هذا لفظ البخاري في « الزكاة » .

وفي الصحيحين(١٤٤) من طريق هشام بن عروة ، عن زوجته فاطمة بنت المنذر عن جدتها أسماء بنت أبي بكر قالت : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أنفقي هكذا وهكذا وهكذا ، ولا توعي فيوعي اللَّه**[٤] **عليك ، ولا توكي فيوكي اللَّه عليك** » ، وفي لفظ : « **ولا تحصي فيحصي اللَّه عليك** » .

وفي صحيح مسلم(١٤٥) من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن اللَّه قال لي : أَنْفِقْ أُنْفِقْ عليك** » وفي الصحيحين(١٤٦) من طريق معاوية بن أبي مُزرّد ، عن سعيد بن يسار ، عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان من السماء يقول أحدهما : اللهم أعط منفقًا خلفًا ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكًا تلفًا** » .

وروىٰ مسلم(١٤٧) ، عن قتيبة ، عن إسماعيل بن جعفر ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة مرفوعًا : « **ما نقص مال من صدقة ، وما زاد اللَّه عبدًا بعفو إلا عزًّا ، ومن تواضع للَّه رفعه اللَّه** » .

---

(١٤٤) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الزكاة ، باب : التحريض على الصدقة والشفاعة فيها - (١٤٣٣) . ومسلم في صحيحه - كتاب الزكاة ، باب : الحث في الإنفاق ، وكراهة الإحصاء - (٨٨) (١٠٢٩) . والنسائي - كتاب الزكاة ، باب : الإحصاء في الصدقة - (٧٣/٥ - ٧٤) .

(١٤٥) - أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الزكاة ، باب : الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف - (٣٧) (٩٩٣) حدثنا محمد بن رافع ، حدثنا عبد الرزاق به .

(١٤٦) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الزكاة ، باب : قول الله تعالى : « فأما من أعطى واتقى .....» - (١٤٤٢) - (٣٠٤/٣) .

ومسلم في صحيحه - كتاب الزكاة ، باب : في المنفق والممسك (٥٧) (١٠١٠) .

(١٤٧) - أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب البر والصلة والآداب : باب : استحباب العفو والتواضع (٦٩) (٢٥٨٨) حدثنا يحيى بن أيوب وقتيبة وابن حجر قالوا : حدثنا إسماعيل به .

---

[١] - في خ : « إلى » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « منها » .

[٣] - في خ : « مِن لا تتسع » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

وفي حديث أبي كثير عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا(١٤٨) : « **إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم ، أمرهم بالبخل فبخلوا ، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا ، وأمرهم بالفجور ففجروا** » .

وروى البيهقي(١٤٩) من طريق سعدان بن نصر عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، [عن أبي بريدة عن أبيه][١] قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما يخرج رجل صدقة حتىٰ يفكَّ لَحْيَي سبعين شيطانًا** » .

وقال الإمام أحمد(١٥٠) : حدثنا أبو عبيدة الحداد[٢] : حدثنا سُكَين[٣] بن عبد العزيز ، حدثنا إبراهيم الهجري ، عن أبي الأحوص[٤] : **عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله** صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما عال من اقتصد** » .

وقوله : ﴿ **إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر** ﴾ إخبار[٥] أنه تعالىٰ هو الرزاق

(١٤٨) - أخرجه أبو داود - كتاب الزكاة ، باب : في الشح - (١٦٩٨) . والنسائي في الكبرى - كتاب التفسير - باب : قوله تعالى : ﴿ **ومن يوق شح نفسه** ﴾ - (١١٥٨٣) (٤٨٦/٦) والدارمي - (٢٥١٩) (١٥٧/٢) . وأحمد في مسنده (١٥٩/٢-١٦٠) . والطيالسي - (٢٢٧٢) . وابن حبان في صحيحه - (٥١٧٦) (٥٧٩/١١) وفي الموارد - (١٥٨٠) (١٥٦/٥-١٥٧) والحاكم (١١/١،٤١٥) والبيهقي في الكبرى - (١٨٧/٤) ، (٢٤٣/١٠) كلهم من طريق شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث عن أبي كثير الزبيدي به مطولًا ومختصرًا . وأبو كثير الزبيدي اسمه زهير بن الأقمر وثقه النسائي وابن حبان والعجلي والذهبي وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأبو كثير الزبيدي من كبار التابعين » . وله شاهد من حديث أبي هريرة . أخرجه أحمد - (٤٣١/٢) والبخاري في الأدب المفرد - (٤٧٠) . وابن حبان في صحيحه - (٥١٧٧) (٥٨٠/١١) والحاكم - (١٢/١) . وشاهد آخر من حديث جابر بنحوه . أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب البر والصلة والآداب - باب : تحريم الظلم - (٥٦) - (٢٥٧٨) (١٦/ ٢٠٢) .

(١٤٩) - أخرجه البيهقي في الكبرى - (١٨٧/٤) - كتاب الزكاة ، باب : كراهية البخل والشح والإقتار . وأخرجه أحمد - (٣٥٠/٥) . وابن خزيمة في صحيحه - (٢٤٥٧) (١٠٥/٤) . والحاكم في المستدرك (٤١٧/١) ، والطبراني في الأوسط - (١٠٣٤) (٣٠٧/١-٣٠٨) ، من طريق أبي معاوية ، عن الأعمش به . وقال الحاكم : « صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي . قلت : والأعمش مدلس وقد عنعن ، وقد تبين أنه لم يسمعه منه : كما قال : أبو معاوية في رواية أحمد . ومع هذا فقد صحح الحديث ، والحديث صححه الألباني في « الصحيحة » (١٢٦٨) (٢٦٤/٣) فالله أعلم .

(١٥٠) - أخرجه أحمد (٤٤٧/١) . وأخرجه الطبراني في الكبير - (١٠١١٨) (١٣٣/١٠) . وفي الأوسط

[١] - في (ز ، خ) : « عن أبيه » ، والمثبت من مصادر التخريج .

[٢] - في ز ، خ : « الجعاد » .

[٣] - في ز ، خ : « مسكين » .

[٤] - في ز : « الأخوص » .

[٥] - في ز ، خ : « إخبارًا » .

القابض الباسط ، المتصرف في خلقه بما يشاء ، فيغني من يشاء ويفقر من يشاء لما[١] له في ذلك من الحكمة ، ولهذا قال : ﴿ **إنه كان بعباده خبيرًا بصيرًا** ﴾ ، أي : خبير بصير بمن يستحق الغنى[٢] ومن يستحق الفقر[٣] ، كما جاء في الحديث(١٥١) : « إن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه ، [وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسدت عليه دينه][٤] » وقد يكون الغنى في حق بعض الناس استدراجًا والفقرُ عقوبةً عياذًا بالله من هذا وهذا .

انتهى بحمد الله المجلد الثامن
ويليه بمشيئة الله تعالى المجلد التاسع
وأوله تفسير الآية (٣١) من سورة الإسراء

(٥٠٩٤) (٢٠٦/٥) . والبيهقي في الشعب - (٦٥٦٩) (٢٥٥/٥) . وابن أبي شيبة في المصنف كتاب الأدب باب : الإسراف في النفقة وابن عدي في الكامل - (١٣٠١/٤) . من طريق سكين بن عبد العزيز حدثنا إبراهيم الهجري به . وقال الهيثمي في المجمع - (٢٥٥/١٠) « رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط وفي أسانيدهم إبراهيم بن مسلم الهجري وهو ضعيف » . قلت : وسكين ضعفه أبو داود والنسائي وقال ابن خزيمة : أنا بريء من عهدته ومن عهدة أبيه ووثقه ابن معين وابن حبان ، وقال أبو حاتم : ليس به بأس . أقول : والحاصل من كلام الأئمة أنه صدوق في نفسه وضعفه إنما في روايته عن الضعفاء وقد روى هنا عن ضعيف !.

(١٥١) - جزء من حديث طويل . أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء - (٣١٨/٨) . وذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول - (٤٢٩/١-٤٣٠) . من طريق الحسن بن يحيى ، قال : حدثنا صدقة بن عبد الله عن هشام الكناني عن أنس ... ذكره ، وهشام الكناني لا يعرف وصدقة والحسن وهو ابن يحيى الخشني ضعيفان وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٧٠٤/٥) إلى ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء . وابن مردويه وابن عساكر في تاريخه .

[١] - في ز : « بما » .
[٢] - في ز : « الفقر » .
[٣] - في ز : « الغنى » .
[٤] - سقط من : خ .

تفسير القرآن العظيم

للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء
إسماعيل بن كثير الدمشقي
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

هذه الطبعة أول طبعة مقابلة على النسخة الأزهرية
وكذلك على نسخة كاملة بدار الكتب المصرية

تحقيق

مصطفى السيد محمد
محمد السيد رشاد
محمد فضل العجماوي
علي أحمد عبد الباقي
حسن عباس قطب

المجلد التاسع

مؤسسة قرطبة
طباعة . نشر . توزيع
جيزة - ت: ٥٨١٥٠٢٧

مكتبة أولاد الشيخ للتراث
٣٦ ش اليابان - عمرانية غربية - جيزة
ت: ٥٦٢٨٣١٨ - ٥٦١١٤٤٢

رقم الإيداع : ٩٣٤٩ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولى : I.S.B.N
977 - 5234 - 33 - 6

الطبعة الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر هاتف : ٤٣٠٧٥٢٦ - ٢٠٥٥٦٨٨ القاهرة

تفسير
القرآن العظيم

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾

هذه الآية الكريمة دالة علىٰ أن اللَّه تعالىٰ أرحم بعباده من الوالد بولده ؛ لأنه تعالى ينهىٰ عن قتل الأولاد كما أوصىٰ بالأولاد في الميراث ، وكان أهل الجاهلية لا يورثون البنات ؛ بل كان أحدهم ربما قتل ابنته لئلا تكثر عيلته ، فنهىٰ اللَّه تعالىٰ عن ذلك ، فقال : ﴿ **ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق** ﴾ ، أي : خوف أن تفتقروا في ثاني الحال ؛ ولهذا قدم الاهتمام برزقهم فقال : ﴿ **نحن نرزقهم وإياكم** ﴾ وقال[١] في [سورة][٢] الأنعام : ﴿ **ولاتقتلوا أولادكم من إملاق** ﴾ أي : من فقر ﴿ **نحن نرزقكم وإياهم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إن قتلهم كان خِطئًا كبيرًا** ﴾ - أي : ذنبًا عظيمًا .

وقرأ بعضهم : (**كان خَطَأً كبيرًا**) وهو بمعناه وفي الصحيحين(١٥٢) عن عبد اللَّه بن مسعود قلت : يا رسول اللَّه ، أي الذنب أعظم ؟ قال : « **أن تجعل للَّه ندًّا وهو خلقك** » قلت : ثم أي ؟ قال : « **أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك** » قلت : ثم أي ؟ قال : « **أن تزاني بحليلة جارك** »

﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾

يقول تعالىٰ ناهيًا عباده عن الزنا ، وعن مقاربته - وهو مخالطة أسبابه ودواعيه - : ﴿ **ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة** ﴾ ، أي : ذنبًا عظيمًا ، ﴿ **وساء سبيلًا** ﴾ أي وبئس طريقًا ومسلكًا .

وقد قال الإمام أحمد(١٥٣) : حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا [حريز] ، حدثنا سليم بن عامر ، عن أبي أمامة قال : إن[٣] فتىً شابًا أتىٰ [ ][٤] النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال :

(١٥٢) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى ﴿ فلا تجعلوا لله أندادًا .... ﴾ (٤٤٧٧) . ومسلم في صحيحه - كتاب الإيمان ، باب : كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده (١٤١) (٨٦) .

(١٥٣) - أخرجه أحمد (٢٥٦/٥-٢٥٧) . والطبراني في الكبير (٧٦٧٩) (١٩٠/٨) من طريقين عن حريز ابن عثمان به . وله طريق آخر عن أبي أمامة أخرجه الطبراني في الكبير - (٧٧٥٩) (٢١٥/٨) وذكره الهيثمي في المجمع (١٣٤/١) وقال : رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح » .

[١] - سقط من : ت .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « إلى » .

يا رسول اللَّه ، ائذن لي بالزنا . فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا : مَهْ مَهْ . فقال : « ادنُهْ » . فدنا منه قريبًا فقال : « **اجلس** » . فجلس ، فقال : « **أتحبه لأمك** » ؟ قال : لا واللَّه ، جعلني اللَّه فداك . قال : « **ولا الناس يحبونه لأمهاتهم** » ، قال : « **أفتحبه لابنتك ؟** » قال : لا واللَّه يا رسول اللَّه ، جعلني اللَّه فداك . قال : « **ولا الناس يحبونه لبناتهم** » ، قال : « **أتحبه لأختك ؟** » قال : لا واللَّه ، جعلني اللَّه فداك . قال : « **ولا الناس يحبونه لأخواتهم** » ، قال : « **أفتحبه لعمتك ؟** » قال : لا واللَّه ، جعلني اللَّه فداك . قال : « **ولا الناس يحبونه لعماتهم** » ، قال : « **أفتحبه لخالتك ؟** » قال : لا واللَّه ، جعلني اللَّه فداك . قال : « **ولا الناس يحبونه لخالاتهم** » ، قال : فوضع يده عليه و[١] قال : « **اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه** » . قال : فلم يكن بعد ذلك الفتىٰ يلتفت إلىٰ شيء .

وقال ابن أبي الدنيا(١٥٤) : حدثنا عمار بن نصر ، حدثنا بقية ، عن أبي بكر بن أبي مريم ، عن الهيثم بن مالك الطائي ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند اللَّه من نطفة وضعها رجل في رحم لا يحل له** » .

وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾

يقول تعالىٰ ناهيًا عن قتل النفس بغير حق شرعي كما ثبت في الصحيحين(١٥٥) أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **لايحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه إلا بإحدىٰ ثلاث : النفس بالنفس ، والزاني المحصن ، والتارك لدينه المفارق للجماعة** » وفي السنن(١٥٦) : « **لزوال الدنيا أهون عند[٢] الله من قتل مسلم** » .

---

(١٥٤) - **إسناده مُرسل ضعيف** ، الهيثم بن مالك تابعي ثقة روى له البخاري في الأدب كما في «التقريب ». وأبو بكر بن أبي مريم مضعف لاختلاطه ، و« بقية » مدلس تدليس التسوية ولم يصرح بالسماع وأخرجه ابن الجوزي في ذم الهوى (ص١٩٠) من طريق ابن أبي الدنيا به . عزاه السيوطي في الدر المنثور - (٣٢٥/٤) إلى أحمد ولم أقف عليه عنده والعلم عند الله تعالى . والحديث ضعفه الألباني في «الضعيفة» (١٥٨٠) (٤/ ٨٢) .

(١٥٥) - تقدم تخريجه [سورة النساء / آية ٩٢] ، [سورة الأنعام / آية ١١] .

(١٥٦) - أخرجه الترمذي - كتاب الديات ، باب : ما جاء في تشديد قتل المؤمن (١٣٩٥) (١٠/٤) . والنسائي - كتاب تحريم الدم ، باب : تعظيم الدم (٨٢/٧) . وفي الكبرى - كتاب المحاربة ، باب : تعظيم الدم - (٣٤٤٨) (٢٨٤/٢) . من طريق ابن أبي عدي عن شعبة عن يعلى بن عطاء عن أبيه عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا ... ذكره وأخرجه الترمذي أيضًا - (١٣٩٥) . والنسائي (٨٢/٧،٨٢-٨٣) وفي الكبرى =

---

[١] - سقط من : ز ، خ . [٢] - في خ : « على » .

وقوله : ﴿ **ومن قتل مظلومًا فقد جعلنا لوليه سلطانًا** ﴾ أي : سلطة علىٰ القاتل ، فإنه بالخيار فيه ؛ إن شاء قتله قودًا ، وإن شاء عفا عنه علىٰ الدية ، وإن شاء عفا عنه[١] مجانًا كما ثبتت السنة بذلك(١٥٧) ، وقد أخذ الإمام الحبر ابن عباس من عموم هذه الآية الكريمة ، ولاية معاوية السلطنة أنه سيملك ؛ لأنه كان ولي عثمان ، وقد قتل عثمان مظلومًا -رضي الله عنه- وكان معاوية يطالب عليًا -رضي الله عنه- أن يسلمه قتلته حتىٰ يقتص منهم لأنه[٢] أموي ، وكان عليّ -رضي الله عنه- يستمهله[٣] في الأمر حتىٰ يتمكن ويفعل ذلك ، ويطلب عليّ من معاوية أن يسلمه الشام فيأبىٰ معاوية ذلك حتىٰ يسلمه القتلة ، وأبى أن يبايع عليًا هو وأهل الشام ، ثم مع المطاولة تمكن معاوية وصار الأمر إليه ، كما تفاءل[٤] ابن عباس واستنبطه[٥] من هذه الآية الكريمة ، وهذا من الأمر العجيب ، وقد روىٰ ذلك الطبراني في معجمه(١٥٨) حيث قال :

حدثنا يحيىٰ بن عبد الباقي ، حدثنا أبو عمير بن النحاس ، حدثنا ضمرة بن ربيعة ، عن ابن شوذب ، عن مطر الوراق ، عن زهدم الجرمي[٦] قال : كنا في سمر ابن عباس فقال : إني محدثكم حديثًا[٧] ليس بسر ولا علانية ، إنه لما كان من أمر[٨] هذا الرجل ما كان - يعني عثمان - قلت لعليّ : اعتزل ، فلو كنت في جحر طُلبتَ حتىٰ تُستخرج فعصاني ، وايم الله ليتأمرن عليكم معاوية ، وذلك أن الله تعالى يقول : ﴿ **ومن قتل مظلومًا فقد جعلنا لوليه**

= (٣٤٥٠) . من طريق محمد بن جعفر عن شعبة به موقوفًا على عبد الله بن عمرو . وقال الترمذي : « هذا أصح من حديث ابن أبي عدي ... » . قلت : وابن عدي لم ينفرد برفعه فقد تابعه أبو أسامة وهو ثقة . أخرجه البيهقي في «الكبرى» (٨/٢٢-٢٣) . وأبو نعيم في الحلية - (٧/٢٧٠) ، لكن قال البيهقي « والموقوف أصح » . وله طريق آخر عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا عند النسائي لكن في إسناده إبراهيم بن مهاجر وليس بالقوي .

(١٥٧) - من ذلك حديث أبي هريرة الطويل . أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الديات ، باب : من قتل له قتيل فهو بخير النَّظَرين (٦٨٨٠) . ومسلم في صحيحه - كتاب الحج ، باب : تحريم مكة وصيدها ... - (٤٤٧) (١٣٥٥) ، وفيه « ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين إما أن يُودى وإما أن يقاد .... » .

(١٥٨) - أخرجه الطبراني في الكبير - (١٠٦١٣) (١٠/٣٢٠) . وذكره الهيثمي في المجمع (٧/٢٣٩) وقال : رواه الطبراني وفيه من لم أعرفهم .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز ، خ : « لا » .
[٣] - في ز: « يستجهله » ، خ : « يستحله » كذا في الأصل .
[٤] - في ز : « يقال » .
[٥] - في ت : « استنبطه » .
[٦] - في ز ، خ : « الحرمي » .
[٧] - في خ : « بحديث » .
[٨] - سقط من : خ .

سلطانًا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورًا ﴾ الآية ، وليحملنكم قريش علىٰ سنة فارس والروم ، وليقيمن[١] عليكم النصارىٰ واليهود والمجوس ، فمن أخذ منكم يومئذ بما يعرف نجا ، ومن ترك - وأنتم تاركون - كنتم كقرن[٢] من القرون هلك فيمن هلك .

وقوله : ﴿ **فلا يسرف في القتل** ﴾ قالوا : معناه : فلا يسرف الولي في قتل القاتل بأن يمثل به أو يقتص من غير القاتل.

وقوله : ﴿ **إنه كان منصورًا** ﴾ أي : إن الولي منصور علىٰ القاتل شرعًا ، وغالبًا قدرًا .

وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن [حتى يبلغ أشده]**[٣] ﴾ ، أي : لا تتصرفوا له إلا بالغبطة ، [﴿ **ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبًا كبيرًا** ﴾][٤] ﴿ **ولا تأكلوها**[٥] **إسرافًا وبدارًا أن يكبروا ومن كان غنيًّا فليستعفف ومن كان فقيرًا فليأكل بالمعروف** ﴾ .

وقد جاء في صحيح مسلم(١٥٩) أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال لأبي ذر : « **يا أبا ذر ؛ إني أراك ضعيفًا ، وإني أحب لك ما أحب لنفسي ، لا تأمَّرن علىٰ اثنين ، ولا تولينَّ مال يتيم** » . وقوله : ﴿ **وأوفوا بالعهد** ﴾ أي : الذي تعاهدون عليه الناس ، والعقود التي تعاملونهم بها ؛ فإن العهد والعقد كل منهما يسأل صاحبه عنه ﴿ **إن العهد كان مسئولًا** ﴾ أي : عنه .

وقوله : ﴿ **وأوفوا الكيل إذا كلتم** ﴾ أي : من غير تطفيف ، ولا تبخسوا الناس أشياءهم ،

---

(١٥٩) -- **صحيح** ، أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الإمارة ، باب : كراهة الإمارة بغير ضرورة (١٧) (١٨٢٦) . وأبو داود - كتاب الوصايا - باب : ما جاء في الدخول في الوصايا - (٢٨٦٨) . والنسائي - كتاب الوصايا - باب : النهي عن الولاية على مال اليتيم (٦/٢٥٥) عن حديث سالم بن أبي سالم الجيشاني عن أبيه عن أبي ذر فذكره .

---

[١] - في ز : « وليتمتن » ، خ : « وليمتنن » .
[٢] - في ز ، خ : « قرن » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في خ : « تأكلوا أموالهم » .

﴿ **وزنوا بالقسطاس المستقيم** ﴾ قرئ بضم القاف وكسرها كالقرطاس، وهو: الميزان. وقال مجاهد: هو: العدل بالرومية.

وقوله: ﴿ **المستقيم** ﴾ أى: الذي[١] لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا اضطراب.

﴿ **ذلك خير** ﴾، أي: لكم في معاشكم ومعادكم؛ ولهذا قال: ﴿ **وأحسن تأويلًا** ﴾ أى: مآلًا ومنقلبًا في آخرتكم قال سعيد عن قتادة: ﴿ **ذلك خير وأحسن تأويلًا** ﴾ أي: خير ثوابًا وعاقبة. [وأخبرنا أن][٢] ابن عباس كان يقول(١٦٠): يا معشر الموالي، إنكم وليتم أمرين بهما هلك الناس قبلكم: هذا المكيال وهذا الميزان، قال: وذكر لنا أن نبي[٣] الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: « **لا يقدر رجل على حرام ثم يدعه ليس به إلا مخافة الله إلا أبدله الله به[٤] في عاجل الدنيا قبل الآخرة ما هو خير له من ذلك** ».

وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾

قال عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، يقول: لا تقل.

وقال العوفي عنه: لا ترم أحدًا بما ليس لك به علم، وقال محمد بن الحنفية: يعني: شهادة الزور

وقال قتادة: لا تقل رأيت. ولم تر، وسمعت. ولم تسمع، وعلمت. ولم تعلم؛ فإن الله تعالى سائلك عن ذلك كله.

ومضمون ما ذكروه أن الله تعالى نهى عن القول بلا علم، بل بالظن الذي هو التوهم والخيال، كما قال تعالى: ﴿ **اجتنبوا كثيرًا من الظن إن بعض الظن إثم** ﴾ وفي الحديث: « **إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث** »(١٦١).

---

(١٦٠) - أخرجه ابن جرير في تفسيره - (٨٥/١٥) حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد ثنا سعيد عن قتادة أخبرنا أن ابن عباس كان يقول: ... وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » - (٣٢٨/٤) إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(١٦١) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الأدب، باب: « ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرًا من الظن ...** ﴾ » (٦٠٦٦). ومسلم في صحيحه - كتاب البر والصلة والآداب، باب: « تحريم الظن والتجسس والتنافس .. » (٢٨) (٢٥٦٣). وأبو داود - كتاب الأدب، باب: في الظن (٤٩١٧) =

---

[١] - سقط من: خ.

[٢] - في ز: « وأخبرنا »، خ: « وأما ».

[٣] - في خ: « رسول ».

[٤] - سقط من: ز.

وفي سنن أبي داود(١٦٢) : « **بئس مطية الرجل : زعموا** » وفي الحديث الآخر(١٦٣) : «**إن أفرى الفرى أن يرى عينيه ما لم تريا** » وفي الصحيح(١٦٤) : « **من تحلم حلمًا كلف يوم القيامة أن يعقد بين شعيرتين وليس بعاقد** .

وقوله: ﴿**كل أولئك**﴾ ، أي : هذه الصفات من السمع والبصر والفؤاد ﴿**كان عنه مسئولًا**﴾ ، أي : سيسأل العبد عنها يوم القيامة وتسأل عنه وعما عمل فيها ، ويصح استعمال : « أولئك » مكان : « تلك » كما قال الشاعر :

ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأيام

= من طريق مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعًا فذكره .

(١٦٢) - أخرجه أبو داود كتاب الأدب ، باب : « قول الرجل زعموا » - (٤٩٧٢) . والبخاري في الأدب المفرد (٧٦٢) وأحمد في المسند (١١٩/٤) ، (٤٠١/٥) . والطحاوي في مشكل الآثار - (٦٨/١) . وابن المبارك في «الزهد» - (٣٧٧) . والقضاعي في مسند الشهاب - (١٣٣٤،١٣٣٥،١٣٣٦) (٢/ ٢٦٨،٢٦٩) والبغوي في شرح السنة - (٨٨٩٢) (٣٦١/١٢) . من طرق عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي قلابة عن أبي مسعود قال : قيل له : ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقول في زعموا ؟ فذكره . وفي رواية أبي داود - عن أبي قلابة ، قال : قال أبو مسعود لأبي عبد الله ، أو قال أبو عبد الله لأبي مسعود ... » وقال أبو داود : أبو عبد الله هذا حذيفة . قال الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٥٤٩/٢) : « هذا إسناد صحيح رجاله ثقات ، وأبو قلابة قد صرح بالتحديث في رواية الوليد بن مسلم قال : نا الأوزاعي نا يحيى بن أبي كثير نا أبو قلابة نا أبو عبد الله مرفوعًا به ... وهذا إسناد صحيح متصل بالتحديث وقال أبو داود : « أبو عبد الله هذا حذيفة » . كذا قال الشيخ الألباني مع أن رواية أبي قلابة عن حذيفة (أبي عبد الله) غير متصلة ذكر ذلك العلائي في جامع التحصيل (ت : ٣٦٢) وابن حجر في التهذيب (١٩٨/٥) . بل إن روايته عن أبي مسعود فيها كلام أيضًا . قال ابن حجر - رحمه الله - في « فتح الباري » (٥٥١/١٠) - عند شرحه باب « ما جاء في زعموا » من كتاب الأدب - ح (٦١٥٨) : « قوله (البخاري) باب : « ما جاء في زعموا » كأنه يشير إلى حديث أبي قلابة قال : « قيل لأبي مسعود ... فذكر الحديث ثم قال : أخرجه أحمد وأبو داود ورجاله ثقات ، إلا أن فيه انقطاعًا . وكأن البخاري أشار إلى ضعف هذا الحديث بإخراجه حديث أم هانئ وفيه قولها : زعم ابن أمي . فإن أم هانئ أطلقت ذلك في حق علي ولم ينكر عليها النبي صلى الله عليه وسلم - والأصل في زعم أنها تقال في الأمر الذي لا يوقف على حقيقته ... » وقد نقل الحافظ المنذري في مختصره عن الحافظ أبي القاسم الدمشقي في الأطراف - عدم سماع أبي قلابة من أبي مسعود ، والعلم عند الله تعالى .

(١٦٣) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التعبير ، باب : من كذب في حلمه (٧٠٤٣) من حديث ابن عمر .

(١٦٤) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التعبير ، باب : من كذب في حلمه (٧٠٤٢) . أبو داود - كتاب الأدب ، باب : ما جاء في الرؤيا - (٥٠٢٤) . والترمذي - كتاب اللباس ، باب : ما جاء في المصورين - (١٧٥١) . والنسائي - كتاب الزينة ، باب : ما يكلف أصحاب الصور يوم القيامة - (٨/ ٢١٥) . وابن ماجه - كتاب تعبير الرؤيا ، باب : من تحلم حلمًا كاذبًا (٣٩١٦) من طريق أيوب عن=

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا (٣٧) كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (٣٨)﴾

يقول[١] تعالى ناهيًا عباده عن التجبر والتبختر في المشية : ﴿ولا تمش في الأرض مرحًا﴾ أي : متبخترًا متمايلًا مشي الجبارين ، ﴿إنك لن تخرق الأرض﴾ أي : لن[٢] تقطع الأرض بمشيتك ، قاله ابن جرير ، واستشهد عليه بقول رؤبة بن العجّاج :

* وقاتم الأعماق خاوى[٣] المخترق *

وقوله : ﴿ولن تبلغ الجبال طولًا﴾ ، أي : بتمايلك وفخرك وإعجابك بنفسك ؛ بل قد يجازىٰ فاعل ذلك بنقيض قصده ، كما ثبت في الصحيح(١٦٥) : « بينا رجل يمشي فيمن كان قبلكم ، وعليه بردان يتبختر فيهما - إذ خسف به الأرض ، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة وكذلك أخبر الله تعالىٰ عن قارون أنه خرج علىٰ قومه في زينته ، وأن الله تعالىٰ خسف به وبداره الأرض ، وفي الحديث(١٦٦) : « من تواضع لله رفعه الله ، فهو في نفسه حقير وعند الناس كبير ، ومن استكبر وضعه الله ، فهو في نفسه كبير وعند الناس حقير[٤] ، حتىٰ لهو أبغض إليهم من الكلب و[٥]الخنزير » .

= عكرمة عن ابن عباس فذكره مرفوعًا .

(١٦٥) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب اللباس ، باب : من جر ثوبه من الخيلاء - (٥٧٨٩) . ومسلم في صحيحه - كتاب اللباس والزينة ، باب : تحريم التبختر في المشي ، مع إعجابه بثيابه (٤٩، ٥٠) (٢٠٨٨) . من طرق عن أبي هريرة مرفوعًا .

(١٦٦) - أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٨٣٠٧) (١٧٢/٨) . وأبو نعيم في الحلية - (١٢٩/٧) . والخطيب البغدادي في تاريخه (١١٠/٢) . من طريق سعيد بن سلام العطار ثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن عابس بن ربيعة قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول ... فذكره . وقالوا جميعًا « غريب من حديث الثوري ، تفرد به سعيد بن سلام » . قلت : « وهو كذاب كما قال ، ابن نمير وأحمد بن حنبل ، وقال البخاري : يذكر بوضع الحديث وقال النسائي وغيره ضعيف [ميزان الاعتدال للذهبي (٣١٩٥) (٢/ ٣٣١) . والحديث عزاه الهيثمي في المجمع - (٨٥/٨) إلى الطبراني في الأوسط وقال : في إسناده سعيد بن سلام العطار وهو كذاب . وحديث عمر له طريق آخر عند أبي يعلى (١٨٧/١) وأحمد (٤٤/١) ، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة » (٢٣٢٨/٥) وفي الباب عن : =

[١] - في ز : « قوله » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ز : « حاوى » .
[٤] - في ز : « صغير » .
[٥] - في ز : « أو » .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب « الخمول والتواضع »(١٦٧) : حدثنا أحمد بن إبراهيم بن كثير ، حدثنا حجاج بن محمد ، عن أبي بكر الهذلي قال : بينما نحن مع الحسن ، إذ مرّ عليه ابن الأهيم - يريد المنصور - وعليه جباب خز ، قد نضد بعضها فوق بعض علىٰ ساقه ، وانفرج عنها قباؤه ، وهو يمشي ويتبختر ، إذ نظر إليه الحسن نظرة فقال : أف أف ، شامخ بأنفه ، ثانٍ عطفه ، مصعر خده ، ينظر في عطفيه ، أيّ حُمَيق [ ][١] ينظر في عطفه في نعم غير مشكورة ، ولا مذكورة ، غير المأخوذ بأمر اللَّه فيها ، ولا المؤدي حق اللَّه منها ! واللَّه إن[٢] يمشي أحدهم طبيعته يتلجلج[٣] تلجلج المجنون ؛ في كل عضو منه نعمة ، وللشيطان به لعنة ، فسمعه ابن الأهيم فرجع يعتذر إليه ، فقال : لا تعتذر[٤] إليّ وتب إلىٰ ربك ، أما سمعت قول اللَّه تعالىٰ : ﴿ **ولا تمش في الأرض مرحًا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولًا** ﴾ .

ورأى البختري[٥] العابد رجلًا من آل علي يمشي وهو يخطر في مشيته ، فقال له : ياهذا ! إن الذي أكرمك به لم تكن هذه مشيته ، قال : فتركها الرجل بعدُ .. ورأى ابن عمر(١٦٨) رجلًا يخطر في مشيته فقال : إن للشياطين إخوانا .

وقال خالد بن معدان : إياكم والخَطْر ، فإن الرجل [ ][٦] يده من سائر جسده رواهما ابن أبي الدنيا(١٦٩) وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا خلف بن هشام البزار ، حدثنا حماد بن

= ١ - عياض بن حمار .

أخرجه مسلم في صحيحه - (٦٤) (٢٨٦٥) وأبو داود - (٤٨٩٥) . وابن ماجه - (٤١٧٩) ولفظه « وإن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ، ولا يبغي أحد على أحد » .

٢ - حديث أبي هريرة

أخرجه مسلم في صحيحه - (٦٩) - (٢٥٨٨) ٢١٣/٠١٦) . من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعًا « ما نقصت صدقة من مال : وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله » .

(١٦٧) - أخرجه ابن أبي الدنيا في « الخمول والتواضع » - (٢٣٧) . وأبو بكر الهذلي قيل اسمه سلمى بن عبد الله وقيل روح أخباري متروك الحديث كما في « التقريب » .

(١٦٨) - ذكره السيوطي في الدر المنثور - (٣٣٠/٤) وعزاه إلى ابن أبي الدنيا .

(١٦٩) - أخرجه البيهقي في دلائل النبوة - (٥٢٥/٦) . من طريق سفيان عن يحيى بن سعيد به .
قلت : وهذا إسناد مرسل صحيح ، ويحنس هو ابن أبي موسى مولى مصعب بن الزبير وثقه =

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « أي » .
[٢] - في ز ، خ : « أى » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ز : « تعذر » .
[٥] - في ز : « البحتري » .
[٦] - في ز ، خ : « بياض بقدر كلمة » .

زيد، عن يحيىٰ، عن سعيد، عن يُحَنس[١] قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «**إذا مشت أمتي المطيطاء[٢] وخدمتهم فارس والروم، سلط بعضهم على بعض**».

وقوله تعالىٰ: ﴿ **كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهًا** ﴾ أما من قرأ: ﴿ **سيئة** ﴾، أي: فاحشة، فمعناه عنده: كل هذا الذي نهينا عنه من قوله: ﴿ **ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق** ﴾ إلىٰ هاهنا، فهو سيئة مؤاخذ عليها، ﴿ **مكروها** ﴾: عند الله لايحبه ولا يرضاه.

وأما من قرأ: ﴿ **سيئه** ﴾ علىٰ الإضافة، فمعناه عنده: كل هذا الذي ذكرناه من قوله: ﴿ **وقضىٰ ربك ألَّا تعبدوا إلا إياه** ﴾ إلىٰ هٰهنا، فسيئه، أي: فقبيحه[٣]، مكروه عند الله، هكذا وجه ذلك ابن جرير رحمه الله.

ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي

= النسائي والذهبي وابن حجر. وأخرجه الطبراني في الأوسط – (١٣٢،٣٥٨). عن يُحَنَّس مولى آل الزبير عن أبي هريرة مرفوعًا ذكره. وذكره الهيثمي في «المجمع» – (١٠/٢٤٠) وقال: «رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن». لكن في إسناده ابن لهيعة وهو سيئ الحفظ. وأخرجه الترمذي – (٢٢٦١) (٤/٤٥٦) – كتاب الفتن، باب (٧٤). وابن المبارك في الزهد رواية نعيم بن حماد – (١٨٧). والبغوي في شرح السنة – (٤٢٠٠) (١٤/٣٩٥). والبيهقي في الدلائل – (٦/٥٢٥) وأبو نعيم في أخبار أصبهان – (١/٣٠٨). والعقيلي في الضعفاء – (٤/١٦٢)، وابن عدي في الكامل – (٦/٢٣٣٥). من طريق موسى بن عبيدة، عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر مرفوعًا وفي آخره «سلط الله شرارها على خيارها». وقال الترمذي: «هذا حديث غريب». قلت: موسى بن عبيدة ضعيف لاسيما في عبد الله بن دينار كما قال الحافظ في التقريب لكن أخرجه الترمذي من طريق محمد بن إسماعيل الواسطي. حدثنا أبو معاوية عن يحيى بن سعيد عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر مرفوعًا فذكره. وقال: «ولا يعرف لحديث أبي معاوية عن يحيى بن سعيد عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أصل إنما المعروف حديث موسى بن عبيدة، وقد روى مالك بن أنس هذا الحديث عن يحيى بن سعيد مرسلًا ...». قال الشيخ الألباني في الصحيحة – (٢/٦٨٠) (٩٥٦). ..... موسى بن عبيدة ضعيف، لكن متابعة يحيى بن سعيد، تشهد لصحة حديثه، وقول الترمذي: إنه لا أصل له عنه، أراه مجازفة ظاهرة لأن السند إليه بذلك صحيح، فإن أبا معاوية ثقة من رجال الشيخين، ومحمد بن إسماعيل الواسطي ثقة، كما قال الحافظ، ومالك كثيرًا ما يرسل ما هو معروف وصله ...». قلت: وعلى هذا فإن الإسناد المتقدم، إسناد صحيح لا غبار عليه ولله الحمد وقد أخرجه ابن حبان في صحيحه – (٦٧١٦) (١٥/١١٢). وفي الموارد – (١٨٦٤) – (٦/١٠٨-١٠٩). من طريق مؤمل بن إسماعيل ثنا حماد بن سلمة، ثنا يحيى بن سعيد الأنصاري عن عبيد سنوطا عن خولة بنت قيس مرفوعًا فذكرته، ومؤمل بن إسماعيل سيئ الحفظ كما في «التقريب».

[١] – في خ: «محسن». [٢] – في ز: «المطيطيا».

[٣] – في ز، خ: «قبيحه».

جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾

يقول تعالىٰ : هذا الذي أمرناك به من الأخلاق الجميلة ، ونهيناك عنه من الصفات الرذيلة مما أوحينا[١] إليك يامحمد لتأمر به الناس .

﴿ **ولا تجعل مع اللّٰه إلهًا آخر فتلقىٰ في جهنم ملومًا** ﴾ ، أي : تلومك نفسك والخلق ، ﴿ **مدحورًا** ﴾ ، [أي : مبعدًا من كل خير][٢] ، قال ابن عباس وقتادة : مطرودًا . والمراد من هذا[٣] الخطاب الأمة بواسطة الرسول صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ؛ فإنه صلوات اللّٰه وسلامه عليه معصوم .

أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾

يقول تعالىٰ رادًا علىٰ المشركين الكاذبين الزاعمين - عليهم لعائن اللّٰه - أن الملائكة بنات اللّٰه ، فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا ، ثم ادعوا أنهم بنات اللّٰه ، ثم عبدوهم فأخطأوا في كل من المقامات[٤] الثلاث [ ][٥] خطأً عظيمًا ، فقال تعالىٰ منكرًا عليهم : ﴿ **أفأصفاكم ربكم بالبنين** ﴾ ، أي : خصصكم بالذكور ، ﴿ **واتخذ من الملائكة إناثًا** ﴾ ، أي : واختار لنفسه - علىٰ زعمكم - البنات ؟ ! ثم شدد الإنكار عليهم فقال : ﴿ **إنكم لتقولون قولًا عظيمًا** ﴾ ، أي : في زعمكم أن للّٰه ولدًا ، ثم جعْلُكم[٦] ولده الإناث التي تأنفون أن يكنّ لكم ، وربما قتلتموهن بالوأد ، فتلك إذا قسمة ضيزىٰ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا * لقد جئتم شيئًا إدًّا * تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًّا * أن دعوا للرحمن ولدًا * وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدًا * إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدًا * لقد أحصاهم وعدّهم عدًّا * وكلهم آتيه يوم القيامة فردًا** ﴾ .

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **ولقد صرفنا للناس[٧] في هذا القرآن ليذكروا[٨]** ﴾ ، أي[٩] :

[١] - في ز : « أوحيناه » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « مقامات » .
[٦] - في ز ، خ : « جعلتم » .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - في ز : « من كل شيء » ، خ : « من كل مثل » .
[٩] - سقط من : ز ، خ .

صرفنا[١] فيه من الوعيد لعلهم يذكرون مافيه من الحجج، والبينات والمواعظ؛ فينزجروا[٢] عما هم فيه من الشرك والظلم والإفك ﴿ **وما يزيدهم** ﴾ ، أي : الظالمين منهم ، ﴿ **إلا نفورًا** ﴾ ، أي : عن الحق وبعدًا منه .

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا (٤٢) سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤٣) ﴾

يقول تعالىٰ : قل يا محمد لهؤلاء المشركين، الزاعمين أن للّٰه شريكًا من خلقه ، العابدين معه غيره ليقربهم إليه زلفىٰ : لو كان الأمر كما تقولون، وأن معه آلهة تعبد لتقرب إليه وتشفع لديه - لكان أولئك المعبودون[٣] يعبدونه، ويتقربون إليه، ويبتغون إليه الوسيلة والقربة ، فاعبدوه أنتم وحده كما يعبده من تدعونه من دونه ، ولا حاجة لكم إلىٰ معبود يكون واسطة بينكم وبينه ؛ فإنه لا يحب ذلك ولا يرضاه ؛ بل يكرهه ويأباه ، وقد نهىٰ عن ذلك علىٰ ألسنة جميع رسله وأنبيائه .

ثم نزه نفسه الكريمة وقدسها فقال : ﴿ **سبحانه وتعالىٰ عما يقولون** ﴾ ، أي : هؤلاء المشركون المعتدون الظالمون في زعمهم أن معه آلهة أخرىٰ ﴿ **علوًا كبيرًا** ﴾ ، أي : تعاليًا كبيرًا ؛ بل هو اللّٰه الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد .

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤) ﴾

يقول تعالىٰ : تقدسه السمٰوات السبع والأرض ومن فيهنّ ، أي : من المخلوقات ، وتنزهه وتعظمه، وتجله وتكبره عما يقول هؤلاء المشركون ، وتشهد له بالوحدانية في ربوبيته وإلٰهيته :

فـفـي كـلّ شـيءٍ لَـهُ آيـة تـدل عـلـىٰ أنـه واحـد

كما قال تعالىٰ : ﴿ **تكاد السمٰوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًا * أن دعوا للرحمن ولدًا** ﴾ .

---

[١] - في ز : « وصرفنا » . [٢] - في ز ، خ : « فينزجرون » .

[٣] - في ز : « المبعودون » .

وقال أبو القاسم الطبراني(١٧٠) : حدثنا عليّ بن عبد العزيز ، حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا مسكين بن ميمون - مؤذن مسجد الرملة - حدثنا عروة بن رُوَيم ، عن عبد الرحمن بن قرط : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ليلة أُسري به إلىٰ المسجد الأقصىٰ كان بين المقام وزمزم ؛ جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره ، فطارا به حتىٰ بلغ السمٰوات السبع ، فلما رجع قال : « سمعت تسبيحًا في السموات العلىٰ مع تسبيح كثير ، سبحت السمٰوات العلىٰ من ذي المهابة ، مشفقات لذي العلو بما علا ، سبحان العليّ الأعلىٰ ، سبحانه وتعالىٰ » .

وقوله : ﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ﴾ ، أي : وما من شيء من المخلوقات إلا يسبح بحمد اللّٰه ، ﴿ ولكن لاتفقهون تسبيحهم ﴾ ، أي : [لا تفقهون][١] تسبيحهم أيها الناس ؛ لأنها بخلاف لغتكم ، وهذا عام في الحيوانات[٢] والنبات والجماد ، وهذا أشهر القولين ، كما ثبت في صحيح البخاري(١٧١) عن ابن مسعود أنه قال : كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل .

وفي حديث أبي ذر(١٧٢) : أن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أخذ في يده حصيات ، فسُمع لهن تسبيحٌ كحنين النحل ، وكذا في يد أبي بكر ، وعمر ، وعثمان -رضي اللّٰه عنهم أجمعين[٣] - وهو حديث مشهور في المسانيد .

وقال الإمام أحمد(١٧٣) : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا[٤] زبان ، عن سهل ابن معاذ بن[٥] أنس ، عن أبيه -رضي اللّٰه عنه- ، عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم :

---

(١٧٠) - **إسناده ضعيف** ، وقد تقدم .

(١٧١) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب المناقب ، باب : علامات النبوة في الإسلام (٣٥٧٩) .

(١٧٢) - أخرجه البيهقي في دلائل النبوة - (٦/٦٤-٦٥) . من طريق صالح بن أبي الأخضر عن الزهري عن رجل يقال له : سويد بن يزيد السلمي قال : سمعت أبا ذر يقول فذكره مطولًا . وقال « ... صالح بن أبي الأخضر لم يكن حافظًا ، والمحفوظ رواية شعيب بن أبي حمزة عن الزهري قال : ذكر الوليد بن سويد أن رجلًا من بني سليم كبير السن كان ممن أدرك أبا ذر بالربذة ذكر له فذكر هذا الحديث عن أبي ذر » . وذكره الهيثمي في المجمع (٨/٣٠٢) وابن حجر في الفتح - (٦/٥٩٢) . وعزياه إلى البزار والطبراني في « الأوسط » . وقال الهيثمي : « رواه البزار بإسنادين ورجال أحدهما ثقات ، وفي بعضهم ضعف » .

(١٧٣) - أخرجه أحمد - (٣/٤٣٩،٤٤٠) . والطبراني في الكبير - (٤٣٢) (٢٠/١٩٣) من طريق =

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « تفهمون » .

[٢] - في خ : « الحيوان » .

[٣] - سقط من : ت .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في خ عن مكتوب فوقها ابن » .

أنه مر على قوم وهم وقوف على دواب لهم ورواحل، فقال لهم: « **اركبوها**[١] **سالمة، ودعوها سالمة، ولا تتخذوها كراسي لأحاديثكم في الطرق والأسواق؛ فرب مركوبة خير من راكبها، وأكثر ذكرًا لله تعالى منه** ».

وفي سنن النسائي(١٧٤)، عن عبد الله بن عمرو قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الضفدع وقال: « **نقيقها تسبيح** ».

وقال قتادة عن عبد الله بن بابي، عن عبد الله بن عمرو(١٧٥): أن الرجل إذا قال لا إله إلا الله، فهي كلمة الإخلاص، التي لا يقبل الله من أحد عملًا حتى يقولها، وإذا قال:

= رشدين عن زبان به. وذكره الهيثمي في « المجمع » - (٨/١١٠) وقال: رواه أحمد والطبراني وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح، غير سهل بن معاذ بن أنس وثقه ابن حبان وفيه ضعف ». قلت: ومتن الحديث بهذا الطول انفرد به زبان عن سهل وهي رواية ضعيفة لاسيما وفي سندها ابن لهيعة، ورشدين ابن سعد وكلاهما ضعيف، ولذلك فإن قول الهيثمي السابق عليه تحفظ فلينتبه، والمعصوم من عصمه الله تعالى - لكن: أخرجه أحمد (٣/٤٤٠)، (٤/٢٣٤) والدارمي (٢٦٧١) (٢/١٩٧). والطبراني في الكبير - (٤٣١) - (٢٠/١٩٣) وابن حبان في صحيحه - (٥٦١٩) (١٢/٤٣٧). والحاكم في « المستدرك » (١/٤٤٤)، (٢/١٠٠). والبيهقي في الكبرى - (٥/٢٥٥). من طريق الليث بن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه به. دون قوله « فرب مركوبة خير ... ». وقال الحاكم: « صحيح الإسناد » ووافقه الذهبي. وهو كما قالا، فإن رجاله كلهم ثقات، وسهل بن معاذ لا بأس به في غير رواية زبان عنه، وهذه ليست منها.

(١٧٤) - لم أقف عليه في المطبوع من سنن النسائي الصغرى والكبرى، والعلم عند الله تعالى لكن: أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط - (٣٧١٦) (٤/١٠٤). والصغير - (١/١٨٩). وأبو الشيخ في العظمة - (١٢٢٦) (٥/١٧٤٤-١٧٤٥). وابن عدي في الكامل - (٦/٢٣٨٤). من طريق المسيب بن واضح، قال: نا حجاج بن محمد، عن شعبة، عن قتادة، عن زرارة بن أوفى عن عبد الله بن عمرو فذكره. والمسيب بن واضح: ضعفه الدارقطني، وقال أبو حاتم: صدوق يخطئ كثيرًا، فإذا قيل له لم يقبل، [انظر ميزان الاعتدال للذهبي (٨٥٤٨) (٥/٢٤١)]. وذكر له ابن عدي عدة أحاديث مستنكرة عليه، منها هذا الحديث. وقال الذهبي وابن عدي في هذا الحديث: صوابه الوقف - وأخرجه موقوفًا عبد الرزاق في المصنف (٨٤١٨). وذكره الهيثمي في المجمع - (٤/ ٤٤ - ٤٥) وقال: « رواه الطبراني في الصغير والأوسط فيه المسيب بن واضح وفيه كلام، وقد وثق، وبقية رجاله رجال الصحيح ». وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٤/٢٣٢) إلى النسائي وابن مردويه. قلت: وقد صح النهي عن قتل الضفدع. فأخرج أبو داود - (٣٨٧١،٥٢٦٩). والنسائي - (٧/٢١٠) وأحمد - (٣/٤٥٣). وصححه الألباني في صحيح الجامع - (٦٨٤٨) (٦/٦٨). من حديث عبد الرحمن بن عثمان التيمي، أن طبيبًا ذكر ضفدعًا في دواء عند رسول الله صلى الله عليه وسلم - فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم - عن قتله.

(١٧٥) - أخرجه ابن جرير في تفسيره - (١٥/٩٣) حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد عن قتادة عن عبد الله بن بابي به. ووقع في المطبوع من تفسيري ابن جرير وابن كثير « عن قتادة عن عبد الله بن=

[١] - في ز: « اركبوا ».

الحمد لله ، فهي كلمة الشكر التي لم يشكر اللَّهَ عبدٌ قط حتىٰ يقولها ، وإذا قال : اللَّه أكبر ، فهي تملأ ما بين السماء والأرض ، وإذا قال : سبحان اللَّه ، فهي صلاة الخلائق التي لم يَدْعُ اللَّهُ أحدًا من خلقه إلا قرره بالصلاة والتسبيح ، وإذا قال : لا حول ولا قوة إلا باللَّه ، قال : أسلم عبدي واستسلم .

وقال الإمام أحمد(١٧٦) : حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبي ، سمعت الصَّقْعَبَ[١] بن زهير يحدث[٢] ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن عبد اللَّه بن عمرو قال : أتىٰ النبيَّ صلىٰ اللَّه عليه وسلم أعرابيٌ[٣] عليه جبة من طيالسة ، مكفوفة بديباج - [أو : مزورة بديباج -][٤] فقال : « إن صاحبكم هذا يريد أن يرفع كل راع ابن راع ، ويضع كل رأس ابن رأس ، فقام إليه النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم مغضبًا ، فأخذ بمجامع جبته فاجتذبه ، فقال : « لا أرىٰ عليك ثياب من لا يعقل » ، ثم رجع رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فجلس فقال : « **إن نوحًا -عليه السلام- لما حضرته الوفاة دعا ابنيه ، فقال : إني قاص عليكما[٥] الوصية : آمركما باثنتين ، وأنهاكما عن اثنتين ؛ أنهاكما عن الشرك باللَّه[٦] والكبر ، وآمركما بلا إله إلا اللَّه ؛ فإن السمٰوات والأرض وما بينهما لو وضعت في كفة الميزان ، ووضعت لا إله إلا اللَّه في الكفة الأخرىٰ كانت أرجح ، ولو أن السموات والأرض كانتا حلقة ، فوضعت لا إله إلا اللَّه عليهما [لفصلتهما][٧] أو : لقصمتهما -**

= أبي » . ولم أجد في الرواة - عن عبد الله بن عمرو من اسمه « عبد الله بن أبي » . ولكن في الرواة عنه « عبد الله بن باباه المكي » فلعله هو إن شاء الله تعالى ، وإن كان هو فالإسناد صحيح إلى « عبد الله بن عمرو » فإن « ابن باباه » ثقة كما في التقريب .

(١٧٦) - أخرجه أحمد - (٢/٢٢٥) . والطحاوي في شرح معاني الآثار - (٤/٢٤٥) حدثنا ابن مرزوق ثنا وهب بن جرير به . وأخرجه أحمد أيضًا - (٢/١٦٩-١٧٠) .والبخاري في الأدب المفرد - (٥٤٨) . من طريق سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن الصقعب بن زهير به . وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» - (٤/٢٢٣) وقال : «رواه كله أحمد ، ورواه الطبراني بنحوه وزاد في رواية ، وأوصيك بالتسبيح فإنها عبادة الخلق وبالتكبير ، رواه البزار من حديث ابن عمر ... ورجال أحمد ثقات » . وذكره ابن كثير في البداية والنهاية - (١/١٣٦) وقال : هذا إسناد صحيح ولم يخرجوه ، ورواه أبو القاسم الطبراني من حديث عبد الرحيم بن سليمان عن محمد بن إسحاق عن عمرو بن دينار عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم قال : « كان وصية نوح لابنه أوصيك بخصلتين وأنهاك عن خصلتين » فذكره نحوه ، وقد رواه أبو بكر البزار عن إبراهيم بن سعيد عن أبي معاوية الضرير عن محمد بن إسحاق عن عمرو بن =

[١] - في خ : « الصعب » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في ز : « عليكم » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في ز ، خ : « لفصمتهما » .

وآمركما بسبحان الله وبحمده ؛ فإنها صلاة كل شيء ، وبها يُرزق كل شيء » ورواه الإمام أحمد أيضًا ، عن سليمان بن حرب ، عن حماد بن زيد ، عن الصَّقْعَبِ بن زهير به ، أطول من هذا تفرّد به .

وقال ابن جرير(١٧٧) : حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي ، حدثنا محمد بن يعلىٰ ، عن موسىٰ بن عبيدة ، عن زيد بن أسلم ، عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ألا أخبركم بشيء أمر به نوح ابنه ؟ إن نوحًا -عليه السلام- قال لابنه : يا بني ، آمرك أن تقول : سبحان الله ؛ فإنها صلاة الخلق، وتسبيح الخلق، وبها يرزق الخلق، قال الله تعالىٰ : ﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ﴾** » . إسناده فيه ضعف فإن الربذى ضعيف[١] عند الأكثرين .

وقال عكرمة في قوله تعالىٰ : ﴿ **وإن من شيء إلا يسبح بحمده** ﴾ ، قال : الأسطوانة تسبح ، والشجرة تسبح . الأسطوانة : السارية .

وقال بعض السلف : إن صرير الباب تسبيحه ، وخرير الماء تسبيحه ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **وإن من شيء إلا يسبح بحمده** ﴾ .

وقال سفيان الثوري عن منصور عن إبراهيم قال : الطعام يسبح

ويشهد لهذا القول آية السجدة في أول الحج .

وقال آخرون : إنما يسبح ما كان فيه روح . يعنون : من حيوان أو نبات .

وقال قتادة في قوله : ﴿ **وإن من شيء إلا يسبح بحمده** ﴾ قال : كل شيء فيه روح[٢] يسبح ؛ من شجر أو شيء فيه .

=دينار عن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن النبي - صلى الله عليه وسلم - بنحوه والظاهر أنه عن عبد الله بن عمرو بن العاص كما رواه أحمد والطبراني والله أعلم » . قلت : وكذا رجح العلامة أحمد شاكر عند تحقيقه هذا الحديث في مسند أحمد - (٦٥٨٣) (٨٧/١٠) والحديث ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٣٢) مختصرًا وعزاه إلى ابن مردويه وتصحف عنده « ابن عمرو » إلى « ابن عمر » فلينتبه .

(١٧٧) - أخرجه ابن جرير في تفسيره - (٩٢/١٥) . وأبو الشيخ في العظمة - (١٢٢٢) - (١٧٤٢/٥- ١٧٤٣) من طريق إسماعيل بن موسى الفزاري ، حدثنا محمد بن يعلى به والحميدي في مسنده - (١١٥١) من طريق موسى بن عبيدة به . ومحمد بن يعلى وهو السلمي وموسى بن عبيدة وهو الرَّبذي ضعيفان . والحديث عزاه السيوطي في الدر المنثور - (٣٣١/٤) إلى ابن أبي حاتم .

---

[١] - في خ : « ض » . [٢] - في ز : « الروح » .

وقال الحسن والضحاك في قوله: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ قالا: كل شيء فيه الروح.

وقال ابن جرير(١٧٨): حدثنا محمد بن حميد، حدثنا يحيىٰ بن واضح وزيد بن حباب قالا: حدثنا جرير[١] - أبو الخطاب - قال: كنا مع يزيد الرقاشي، ومعه الحسن في طعام، فقدموا الخوان، فقال يزيد الرقاشي: يا أبا سعيد، يسبح هذا الخوان؟ فقال: كان يسبح مرة.

قلت: الخوان هو المائدة من الخشب، فكأن الحسن - رحمه الله - ذهب إلىٰ أنه لما كان حيًّا فيه خضرة كان يسبح، فلما قطع وصار خشبة يابسة انقطع تسبيحه، وقد يستأنس لهذا القول بحديث ابن عباس: أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم مر بقبرين فقال: « **إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير؛ أما أحدهما فكان لا يَسْتَتِر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة** »، **ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين، ثم غرز في كل قبر واحدة، ثم قال**: « **لعله يخفف عنهما مالم ييبسا** ». أخرجاه في الصحيحين(١٧٩).

قال بعض من تكلم علىٰ هذا الحديث من العلماء: إنما قال: « **مالم ييبسا** »؛ لأنهما يسبحان مادام فيهما خضرة، فإذا يبسا انقطع تسبيحهما، والله أعلم.

وقوله: ﴿ **إنه كان حليمًا غفورًا** ﴾ أي: إنه لا يعاجل من عصاه بالعقوبة؛ بل يؤجله وينظره، فإن استمر علىٰ كفره وعناده أخذه[٢] أخذ عزيز مقتدر، كما جاء في الصحيحين(١٨٠): « **إن الله ليملي للظالم حتىٰ إذا أخذه لم يفلته** »، **ثم قرأ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم**: ﴿ **وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرىٰ وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد** ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿ **وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإليّ**

---

(١٧٨) - أخرجه ابن جرير في تفسيره - (١٥/٩٢). ويزيد الرقاشي ضعيف. وذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٤/٣٣٤) عن ابن شوذب قال: جلس الحسن مع أصحابه فذكره بنحو هذا - وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(١٧٩) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الوضوء، باب: من الكبائر أن لا يستتر من بوله (٢١٦). ومسلم في صحيحه - كتاب الطهارة، باب: الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه (١١١) (٢٩٢). من طريقين عن ابن عباس به. وذكره الحافظ ابن حجر في شرح الحديث المتقدم - من كتابه فتح الباري (١/٣٢٠) فليراجع هناك.

(١٨٠) - تقدم تخريجه.

---

[١] - في ز: « حدير ».

[٢] - في خ: « أخذ ».

المصير ﴾ ، [وقال : ﴿ وكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة ﴾ الآيتين][١] ، ومن أقلع عما هو فيه من كفر أو عصيان ، ورجع إلىٰ اللَّه ، وتاب إليه تاب عليه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه ثم يستغفر اللَّه يجد الله غفورًا رحيمًا ﴾ .

وقال ها هنا : ﴿ إنه كان حليمًا غفورًا ﴾ ، كما قال في آخر فاطر : ﴿ إن اللَّه يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليمًا غفورًا ﴾ إلىٰ أن قال : ﴿ ولو يؤاخذ اللَّه الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ، ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن اللَّه كان بعباده بصيرًا ﴾

وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾

يقول تعالىٰ لرسوله محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم : وإذا قرأت [ ][٢] يامحمد علىٰ هؤلاء المشركين القرآن ؛ جعلنا بينك وبينهم حجابًا مستورًا .

قال قتادة وابن زيد : هو الأكنة علىٰ قلوبهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ﴾ أي : مانع حائل أن يصل إلينا مما تقول[٣] شيء .

وقوله : ﴿ حجابًا مستورًا ﴾ أي بمعنى : ساتر ، كميمون ومشئوم بمعنى : يامن وشائم[٤] ؛ لأنه من يمنهم وشأمهم .

وقيل : مستورًا عن الأبصار فلا تراه[٥] ، وهو مع ذلك حجاب بينهم وبين الهدىٰ ، ومال إلىٰ ترجيحه ابن جرير - رحمه اللَّه - .

وقال الحافظ أبو يعلىٰ الموصلي(١٨١) : حدثنا أبو موسىٰ الهروي إسحاق بن إبراهيم ،

---

(١٨١) - وأخرجه الحميدي - (٣٢٣) - (١٥٥،١٥٣/١) .والحاكم في المستدرك - (٣٦١/٢) والبيهقي في دلائل النبوة - (١٩٥/٢) . من طريق سفيان به غير أنهم قالوا : « ابن تدرس » دون ذكر اسمه .=

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز، خ : القرآن .
[٣] - في خ : « يقول » .
[٤] - في خ : « شامن » .
[٥] - في ز ، خ : « نراه » .

حدثنا سفيان ، عن الوليد بن كثير ، عن يزيد بن تدرس ، عن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله تعالى عنها - قالت : لما نزلت : ﴿ **تبت يدا أبي لهب** ﴾ جاءت العوراء أم جميل ولها ولولة وفي يدها فهْر وهي تقول : مُذمَّما [أتينا - أو : أبينا][١] ، قال أبو موسىٰ : الشك مني - ودينه قلينا ، وأمره عصينا . ورسول الله [صلىٰ الله عليه وسلم] جالس وأبو بكر إلىٰ جنبه - أو قال : معه - قال[٢] : فقال أبو بكر - رضي الله عنه - : لقد أقبلت هذه وأنا أخاف أن تراك . فقال : « **إنها لن تراني** » ، وقرأ قرآنًا اعتصم به منها[٣] : ﴿ **وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابًا مستورًا** ﴾ . قال : فجاءت حتىٰ قامت علىٰ أبي بكر ، فلم تر النبي صلىٰ الله عليه وسلم فقالت : يا أبا بكر ، بلغني أن صاحبك هجاني . فقال أبو بكر : لا ورب هذا البيت ما هجاك قال : فانصرفت وهي تقول : لقد علمت قريش أني بنت سيدهم[٤] .

وقوله : ﴿ **وجعلنا علىٰ قلوبهم أكنة** ﴾ : جمع كنان ، الذي يغشي القلب ، ﴿ **أن يفقهوه** ﴾ ، أي : لئلا يفهموا القرآن ، ﴿ **وفي آذانهم وقرًا** ﴾ ، وهو الثقل الذي يمنعهم[٥] من سماع القرآن سماعًا ينفعهم ويهتدون به .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده** ﴾ ، أي : إذا وحدت الله في تلاوتك وقلت : لا إله إلا الله ، ﴿ **ولوا** ﴾ ، أي : أدبروا راجعين ﴿ **علىٰ أدبارهم نفورًا** ﴾ ، ونفور : جمع نافر ، كقعود : جمع قاعد ، ويجوز أن يكون مصدرًا من غير الفعل ، والله أعلم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة ، وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون** ﴾

= وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي . وابن تدرس لم أقف له على ترجمة ، والعلم عند الله تعالى . وله شاهد من حديث ابن عباس . أخرجه أبو يعلى في مسنده - (٢٥) (١/٣٣-٣٤) ، (٢٣٥٨) (٤/٢٤٦) . وعنه ابن حبان في صحيحه - (٦٥١١) (١٤/٤٤٠) . وفي الموارد - (٢١٠٣) - (٦/٤٥٦) . وأبو نعيم في دلائل النبوة - (١٤١) . والبزار في مسنده - (٢٢٩٤،٢٢٩٥) . من طريق عبد السلام بن حرب قال : حدثنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عنه به نحوه وقال البزار : وهذا أحسن الإسناد ، ويدخل في مسند أبي بكر . وقال الهيثمي في المجمع - (٧/١٤٧) « رواه أبو يعلى والبزار بنحوه .... وقال البزار إنه حسن الإسناد ، قلت : ولكن فيه عطاء بن السائب وقد اختلط » وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح - (٨/٧٣٨) . وعزاه السيوطي في الدر المنثور - (٤/٣٣٧) إلى ابن أبي شيبة والدارقطني في الأفراد .

---

[١] - في خ : « أبيب أو أبيناه » .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - زيادة في : ت .
[٤] - في ز ، خ : « سيدها » .
[٥] - في خ : « ينهم » .

قال قتادة [في قوله][١] : ﴿ وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورًا ﴾ إن المسلمين لما قالوا : لا إله إلا الله ، أنكر ذلك المشركون ، وكبرت عليهم ، وضاقها إبليس وجنوده ، فأبىٰ الله إلا أن يمضيها[٢] وينصرها ويُفْلجها ، ويظهرها علىٰ من ناوأها ، إنها كلمة من [خاصم بها فلج][٣] ، ومن قاتل بها نصر ، إنما يعرفها أهل هذه الجزيرة من المسلمين ، التي يقطعها الراكب في ليال قلائل ، ويسير الدهر في فئام[٤] من الناس لا يعرفونها ولا يقرون بها .

قول آخر في الآية :

روىٰ[٥] ابن جرير(١٨٢) : حدثني الحسين بن محمد الذارع ، حدثنا روح بن المسيب أبو رجاء الكلبي ، حدثنا عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا علىٰ أدبارهم نفورًا ﴾ : هم الشياطين وهذا غريب جدًّا في تفسيرها ، وإلا فالشياطين إذا قرئ القرآن أو نودي بالأذان ، أو ذكر الله ، انصرفوا .

﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا (٤٧) ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (٤٨) ﴾

يخبر تعالىٰ نبيه محمدًا [صلىٰ الله عليه وسلم][٦] بما تناجىٰ به رؤساء كفار قريش حين جاءوا يستمعون قراءته[٧] صلىٰ الله عليه وسلم سرًّا من قومهم ، بما قالوا من أنه رجل مسحور ، من السِّحْر علي المشهور ، أو : من السَّحْر ، وهو : الرئة ، أي : إن تتبعون - إن اتبعتم محمدًا - [﴿ إلا بشرًا ﴾][٨] يأكل ، كما قال الشاعر :

(١٨٢) - أخرجه ابن جرير في تفسيره - (١٥/٩٥) . والطبراني في الكبير - (١٢٨٠٢) (١٢/١٧٥) من طريق محمد بن سليمان ثنا روح ابن المسيب به . وقال الهيثمي في المجمع - (٧/٥٣) « رواه الطبراني =

[١] - ما بين العكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : « يمضها » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « خاصم بها فلح » .
[٤] - في خ : « قيام » .
[٥] - في خ : « قال » .
[٦] - في خ : « صلاة الله عليه » .
[٧] - في خ : « قراءة رسول الله » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

فإن تسألينا فيما نحن ؟ فإننا
عصافير من هذا الأنام المسحر

وقال الراجز :

* ونسحر[١] بالطعام والشراب *

أي : نُغَذَّىٰ[٢] . وقد صوب[٣] هذا القول ابن جرير . وفيه نظر ؛ لأنهم [ ][٤] أرادوا هاهنا أنه مسحور له رَئِيّ يأتيه بما استمعوه من الكلام الذي يتلوه ، ومنهم من قال : شاعر ، ومنهم من قال : كاهن ، ومنهم من قال : مجنون ، ومنهم من قال : ساحر ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلًا** ﴾ أي : فلا يهتدون إلى الحق ، ولا يجدون إليه مخلصًا قال محمد بن إسحاق في السيرة(١٨٣) : حدثني محمد ابن مسلم بن شهاب الزهري ، أنه حُدِّث : أن أبا سفيان بن حرب ، وأبا جهل بن هشام ، والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي - حليف ابن[٥] زهرة - ، خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم وهو يصلي بالليل في بيته ، فأخذ كل واحد منهم مجلسًا يستمع فيه ، وكل لايعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له[٦] حتىٰ إذا طلع الفجر تفرقوا ، حتىٰ إذا جمعتهم الطريق فتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض : لاتعودوا ، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئًا ، ثم انصرفوا حتىٰ إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلىٰ مجلسه ، فباتوا يستمعون له حتىٰ إذا طلع الفجر تفرقوا [حتى إذا جمعتهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثل ما قال أول مرة ، ثم انصرفوا . حتىٰ إذا كانت الليلة الثالثة ، أخذ كل رجل منهم مجلسه ، فباتوا يستمعون له حتىٰ إذا طلع الفجر تفرقوا][٧] فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض : لا نبرح حتىٰ نتعاهد لانعود ، فتعاهدوا علىٰ ذلك ، ثم تفرقوا .

= وفيه روح بن المسيب قال ابن معين : صويلح وضعفه ، وقال ابن حبان : لا تحل الرواية عنه ، وبقية رجاله ثقات ». وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٣٨/٤) إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه .

(١٨٣) - ذكره ابن هشام في السيرة - (٣٢٨/١) . وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة - (٢٠٦/٢) من طريق ابن إسحاق به .

[١] - في ز ، خ : « يسحر » .
[٢] - في خ : « تغذي » .
[٣] - في خ : « تصوب » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « إنما » .
[٥] - في ز : « بني » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - سقط من : خ .

فلما أصبح الأخنس بن شريق ، أخذ عصاه ، ثم خرج حتىٰ أتىٰ أبا سفيان بن حرب في بيته فقال : أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ؟ قال : يا أبا ثعلبة ، والله لقد سمعت أشياء أعرفها ، وأعرف ما يراد بها ، وسمعت أشياء ماعرفت معناها ولا ما يراد بها . قال الأخنس : وأنا و[١]الذي حلفت به ، قال : ثم خرج من عنده حتىٰ أتىٰ أبا جهل فدخل عليه بيته فقال : يا أبا الحكم ، ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ قال : ماذا[٢] سمعت ؟! قال[٣] : تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ؛ أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتىٰ إذا تجاثينا[٤] علىٰ الركب ، وكنا كفرسَيْ رهان قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتىٰ ندرك هذه ؟! والله لا نؤمن به أبدًا ولا نصدقه . قال : فقام عنه الأخنس وتركه .

﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوۡ خَلۡقًا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ﴿٥١﴾ يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٥٢﴾ ﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن الكفار المستبعدين وقوع المعاد ، القائلين استفهام إنكار منهم لذلك : ﴿ **أإذا كنا عظامًا ورفاتًا** ﴾ ، أي : ترابًا ، قاله مجاهد . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : غبارًا . ﴿ **أءنا لمبعوثون** ﴾ ، أي : يوم القيامة ، ﴿ **خلقًا جديدًا** ﴾ ، أي بعدما بلينا وصرنا عدمًا[٥] لا يذكر ، كما أخبر عنهم في الموضع الآخر : ﴿ **يقولون أءنا لمردودون في الحافرة * أءذا كنا عظامًا نخرة قالوا تلك إذًا كرة خاسرة** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وضرب لنا مثلًا ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم** ﴾ وهكذا أمر رسوله هاهنا أن يجيبهم فقال : ﴿ **قل كونوا حجارة أو حديدًا** ﴾ ، إذ[٦] هما أشد امتناعًا من العظام والرفات ﴿ **أو خلقًا مما يكبر في**

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في خ : « ما » .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في خ : « تجاشينا » .
[٥] - في خ : « عظمًا » .
[٦] - في ز : « و » .

صدوركم ﴾ .

قال ابن إسحاق(١٨٤) : عن ابن أبي نجيح عن مجاهد : سألت ابن عباس عن ذلك ، فقال : هو الموت .

وروىٰ عطية عن ابن عمر(١٨٥) أنه قال في تفسير هذه الآية : لو كنتم موتىٰ لأحييتكم ، وكذا قال سعيد بن جبير ، وأبو صالح ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك .

ومعنى ذلك : أنكم لو فرضتم أنكم لو صرتم موتًا - الذي هو ضد الحياة - لأحياكم الله إذا شاء ؛ فإنه لا يمتنع عليه شيء إذا أراده .

وقد ذكر ابن جرير حديث(١٨٦) : « **يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح ، فيوقف بين الجنة والنار ، ثم يقال : يا أهل الجنة ، أتعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم . ثم يقال : يا أهل النار . أتعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم . فيذبح بين الجنة والنار ، ثم يقال : يا أهل الجنة ، خلود بلا موت ، ويا أهل النار ؛ خلود بلا موت** ». وقال مجاهد : ﴿ **أو خلقًا مما يكبر في صدوركم** ﴾ يعني : السماء ، والأرض والجبال ، وفي رواية : ما شئتم فكونوا ، فسيعيدكم الله بعد موتكم .

وقد وقع في التفسير المروي عن الإمام مالك عن الزهري في قوله : ﴿ **أو خلقًا مما يكبر في صدوركم** ﴾ قال : النبي صلى الله عليه وسلم - ، قال مالك : ويقولون : هو الموت .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **فسيقولون من يعيدنا** ﴾ ، [أي : من يعيدنا إذا كنا حجارة أو حديدًا أو خلقًا آخر شديدًا][١] ﴿ **قل الذي فطركم أول مرة** ﴾ ، أي : الذي خلقكم ولم تكونوا

(١٨٤) - أخرجه الحاكم في المستدرك - (٢/٣٦٢) . من طريق يعلى بن عبيد عن محمد بن إسحاق قال : حدثني عبد الله بن أبي نجيح به . ومحمد بن إسحاق ، صدوق يدلس ، لكنه صرح بالتحديث فيحسن حديثه . وقال الحاكم : « حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبي . وأخرجه ابن جرير في تفسيره - (١٥/٩٨) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس وعطية ضعيف . وعزاه السيوطي في الدر المنثور - (٤/٣٣٩) إلى عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد .

(١٨٥) - أخرجه ابن جرير في تفسيره - (١٥/٩٨) . وعزاه السيوطي في الدر المنثور - (٤/٣٣٩) إلى ابن أبي شيبة وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(١٨٦) - قلت : أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/٩٨-٩٩) من حديث عطية العوفي عن عبد الله بن عمر ، والعوفي : ضعيف ، والحديث في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري فأخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير ، باب : ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة ﴾ - (٤٧٣٠) - (٨/٤٢٨) . ومسلم في صحيحه - كتاب صفة الجنة ونعيمها وأهلها ، باب النار يدخلها الجبارون ، والجنة =

[١] -

شيئًا مذكورًا ، ثم صرتم بشرًا تنتشرون ؛ فإنه قادر على إعادتكم ، ولو صرتم إلى أي حال ، ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فسينغضون إليك رءوسهم ﴾ قال ابن عباس وقتادة : يحرّكونها استهزاء ، وهذا الذي قالاه هو الذي تفهمه العرب من لغاتها ؛ لأن[١] « الإنغاض » هو التحرك من أسفل إلى أعلى ، أو من أعلى إلى أسفل ، ومنه قيل للظليم - وهو ولد النعامة - : « نغضًا » ؛ لأنه إذا مشى عَجَّل في مِشْيَتِهِ وحرك رأسه ، ويقال : « نَغَضَت سِنّه » إذا تحركت وارتفعت من منبتها ؛ قال الراجز :

* ونغضت من هرم أسنانها *

وقوله : ﴿ ويقولون متى هو ﴾ إخبار عنهم بالاستبعاد منهم لوقوع ذلك ، كما قال تعالى : ﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴾ وقال تعالى : ﴿ يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ﴾ . وقوله[٢] : ﴿ قل عسى أن يكون قريبًا ﴾ ، أي : احذروا ذلك فإنه قريب إليكم سيأتيكم لا محالة ؛ فكل ما هو آت آت .

وقوله : ﴿ يوم يدعوكم ﴾ أى : الرب تعالى ، ﴿ إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون ﴾ أي : إذا أمركم بالخروج منها ؛ فإنه لايخالف ولا يمانع ؛ بل كما قال تعالى : ﴿ وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر ﴾ ﴿ إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴾ وقال : ﴿ فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة ﴾ ، أي : إنما هو أمر واحد بانتهار ، فإذا الناس قد خرجوا من باطن الأرض إلى ظاهرها ، كما قال تعالى : ﴿ يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده ﴾ [﴿ إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴾][٣] أي : تقومون[٤] كلكم إجابة لأمره وطاعة لإرادته .

قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس ﴿فتستجيبون بحمده﴾ أى: بأمره، وكذا قال ابن جريج .

وقال قتادة : بمعرفته وطاعته .

وقال بعضهم : ﴿ يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده ﴾ ، أي : وله الحمد في كل حال .

= يدخلها الضعفاء - (٤٠،٤١) (٢٨٤٩) - (٢٦٩/١٧) . والترمذي - كتاب التفسير - باب : « ومن سورة مريم » - (٣١٥٦) (٥/٢٩٥-٢٩٦) . والنسائي في الكبرى - كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة ﴾ - (١١٣١٦) (٣٩٣/٦) من طريق سليمان بن مهران الأعمش عن أبي صالح عنه به مرفوعًا .

---

[١] - في خ : « فإن » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٤] - في ز : « تقولون » ، خ : « يقولون » .

وقد جاء في الحديث(١٨٧) : « **ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ، وكأني بأهل لا إله إلا الله يقومون من قبورهم ينفضون التراب عن رءوسهم يقولون : لا إله إلا الله** » ، وفي رواية يقولون : ﴿ **الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن** ﴾ وسيأتي في سورة فاطر . وقوله تعالى : ﴿ **وتظنون** ﴾ ، أي : يوم تقومون من قبوركم ، ﴿ **إن لبثتم** ﴾ في الدار الدنيا ﴿ **إلا قليلًا** ﴾ و[١]كما قال : ﴿ **كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقًا يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرًا نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يومًا** ﴾ وقال تعالى :﴿ **ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **قال[٢] كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يومًا أو بعض يوم فاسأل العادين قال إن لبثتم إلا قليلًا لو أنكم كنتم تعلمون** ﴾ .

وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾

يأمر [تبارك و][٣]تعالى عبده[٤] ورسوله صلى الله عليه وسلم ، أن يأمر عباد الله المؤمنين أن يقولوا في مخاطبتهم ومحاوراتهم الكلام الأحسن ، والكلمة الطيبة ، فإنه إذا لم يفعلوا ذلك نزغ الشيطان بينهم ، وأخرج الكلام إلى الفعال ، ووقع الشر والمخاصمة والمقاتلة ؛ فإن الشيطان عدو لآدم [وذريته من حين امتنع من السجود لآدم][٥] ، فعداوته ظاهرة بينة ؛ ولهذا نهى أن يشير الرجل إلى أخيه المسلم بحديدة ؛ فإن الشيطان ينزغ في يده ، أي : فربما أصابه بها .

---

(١٨٧) - **ضعيف** ، أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٩٤٤٥) (١٧١/٩) . من طريق مجاشع بن عمرو عن داود بن أبي هند عن نافع عن ابن عمر مرفوعًا « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة عند الموت ، ولا عند القبر » . وأخرجه البيهقي في البعث والنشور - (٨٣) . من طريق بهلول بن عبيد عن سلمة بن كهيل عن نافع به . وأخرجه أيضًا - (٨٢) ، وابن عدي في الكامل - (٤٩٨/٢) . من طريق بهلول سمعت سلمة بن كهيل عن ابن عمر . وقال البيهقي : « هذا مرسل عن سلمة بن كهيل وابن عمر ، وبهلول بن عبيد تفرد به وليس بالقوي » . وأخرجه الطبراني في الأوسط - (٩٤٧٨) (١٨١/٩) . والبيهقي في الشعب - (١٠٠) - (١١٠/١-١١١) والخطيب في تاريخ بغداد - (٢٦٦/١) وابن عدي في الكامل - (١٥٨٢/٤) . من طريق يحيى الحماني عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر مرفوعًا فذكره . =

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - سقط من : خ .

وقال الإمام أحمد(١٨٨) : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لا يشيرن أحدكم إلى أخيه بالسلاح ، فإنه لا يدري أحدكم لعل الشيطان أن ينزع في يده ؛ فيقع في حفرة من نار** » أخرجاه من حديث عبد الرزاق ، وقال الإمام أحمد(١٨٩) : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، أنبأنا عليّ بن زيد ، عن الحسن قال : حدثني رجل من بني سليط قال : أتيت النبي صلىٰ الله عليه وسلم وهو في أَزْفَلَةٍ[١] من الناس ، فسمعته يقول : « **المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ، التقوىٰ هاهنا** - [**قال حماد : وقال بيده إلى صدره- وما توادّ رجلان في الله فتفرق بينهما إلا محدث يحدثه أحدهما**][٢] **والمحدث شر ، والمحدث شر ، والمحدث شر** »

﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ

= وعبد الرحمن ويحيى الحماني كلاهما ضعيف . وذكره الهيثمي في المجمع (١٠/٨٥-٨٦) وقال : « رواه الطبراني في الأوسط من طريقين وفي الأولى يحيى الحماني ، وفي الأخرى مجاشع بن عمرو وكلاهما ضعيف » . وضعفه العراقي في تخريج الإحياء (٨٨٠) وعزاه إلى أبي يعلى والطبراني والبيهقي . والحديث عزاه السيوطي في الدر المنثور - (٤/٣٤٠) إلى الحكيم الترمذي وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي يعلى .

(١٨٨) - أخرجه أحمد - (٢/٣١٧) . وأخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الفتن ، باب : قول النبي صلى الله عليه وسلم - « من حمل علينا السلاح فليس منا » - (٧٠٧٢) . ومسلم في صحيحه - كتاب البر والصلة والآداب ، باب : النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم (١٢٦) (٢٦١٧) .

(١٨٩) - أخرجه أحمد - (٥/٧١) . وأخرجه أيضًا - (٥/٢٥) من طريق هشيم أنا علي بن زيد به . (٤/٦٦) ، (٥/٧١،٣٧٩) من طريق المبارك بن فضالة ثنا الحسن به . (٤/٦٩) ، (٥/٢٤) من طريق عباد بن راشد عن الحسن به . والرواة عن الحسن متكلم فيهم ، . وأخرجه أبو يعلى في مسنده - (٦٢٢٨) (١١/١٠١-١٠٢) من طريق وهب ابن بقية حدثنا خلاد عن يونس عن الحسن عن رجل من سليط فذكره . والحديث ذكره الهيثمي في « المجمع » - (٨/١٨٧) ، (١٠/٢٧٨) وقال : رواه أحمد بأسانيد ، وإسناده حسن ، ورواه أبو يعلى بنحوه » . وللشطر الأول منه شاهد من حديث عبد الله بن عمر . أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب المظالم ، باب : لا يظلم المسلم المسلم - (٢٤٤٢) . ومسلم في صحيحه - كتاب البر والصلة ، باب : تحريم الظلم - (٥٨) - (٢٥٨٠) . والشطر الثاني له شاهد من حديث أنس بن مالك - أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٤٠١) . وحسن إسناده الألباني في « الصحيحة » - (٦٣٧) (٢/٢٣٢) . ولفظه « ما تواد اثنان في الله عز وجل أوفى الإسلام فيفرق بينها إلا ذنب يحدثه أحدهما » .

[١] - في ز : « رفلة » ، خ : « دخلة » . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾

يقول اللَّه تعالىٰ : ﴿ **ربكم أعلم بكم** ﴾ أيها الناس ، من يستحق منكم الهداية ومن لا يستحق ، ﴿ **إن يشأ يرحمكم** ﴾ ، بأن يوفقكم لطاعته والإنابة إليه ، ﴿ **أو إن يشأ يعذبكم وما أرسلناك عليهم وكيلًا** ﴾ أي: إنما أرسلناك نذيرًا ما[١] فمن أطاعك دخل الجنة ومن عصاك دخل النار وقوله : ﴿ **وربك أعلم بمن في السموات والأرض** ﴾ ، أي : بمراتبهم في الطاعة والمعصية ، ﴿ **ولقد فضلنا بعض النبيين علىٰ بعض** ﴾ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **تلك الرسل فضلنا بعضهم علىٰ بعض منهم من كلم اللَّه ورفع بعضهم درجات** ﴾ وهذا لا ينافي ما في الصحيحين(١٩٠) عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه قال : « **لا تفضلوا بين الأنبياء** » ، فإن المراد من ذلك هو التفضيل بمجرد التشهي والعصبية ، لا بمقتضىٰ الدليل ، [فإذا دلّ الدليل][٢] علىٰ شيء وجب اتباعه ، ولا خلاف أن الرسل أفضل من بقية الأنبياء ، وأن أولي العزم منهم أفضلهم ، وهم الخمسة المذكورون نصًّا في آيتين من القرآن في سورة الأحزاب : ﴿ **وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ابن مريم** ﴾ ، وفي الشورىٰ في قوله : ﴿ **شرع لكم من الدين ما وصىٰ به نوحًا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** ﴾ ، ولا خلاف أن محمدًا [صلىٰ اللَّه عليه وسلم][٣] أفضلهم ، ثم بعده إبراهيم ، ثم موسىٰ علىٰ المشهور ، وقد بسطنا هذا بدلائله في غير هذا الموضع ، واللَّه الموفق .

وقوله : ﴿ **وآتينا داود زبورًا** ﴾ تنبيه[٤] على فضله وشرفه .

قال البخاري(١٩١) : حدثنا إسحاق بن نصر ، أخبرنا(*) عبد الرزاق ، أخبرنا(**) معمر ،

---

(١٩٠) - تقدم تخريجه [سورة الأعراف / آية ١٤٣/ ح ١٨٥] .

(١٩١) - صحيح البخاري ، ك : التفسير ، باب : ﴿ وآتينا داود زبورًا ﴾ (٤٧١٣) ، ويذكره المصنف [الرعد/ آية٣١/ رقم ٩٩] من طرق أحمد عن عبد الرزاق به . قال الحافظ ابن حجر في الفتح - (٦/ ٤٥٤-٤٥٥) .

« .... قيل المراد بالقرآن القراءة ، والأصل في هذه اللفظة الجمع ، وكل شيء جمعته فقد قرأته ، وقيل المراد الزبور ، وقيل : التوراة ؛ وقراءة كل نبي تطلق على كتابه الذي أوحى إليه ، وإنما سماه قرآنا للإشارة إلى وقوع المعجزة به كوقوع المعجزة بالقرآن أشار إليه صاحب « المصابيح » والأول أقرب » .

(*) في المطبوع : « حدثنا » .

(**) في المطبوع : « عن » .

---

[١] - في ت : « ما » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - في ت : « تنبيهًا » ، خ : « تبه » .

عن همام ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **خُفّف علي داود القرآن**[١] ، **فكان يأمر بدابته**[٢] **لتُسرج ، فكان يقرأ قبل أن يفرغ** » : يعني : القرآن

﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله ﴿ **ادعوا الذين زعمتم من دونه** ﴾ من الأصنام والأنداد فارغبوا إليهم ، فإنهم ﴿ **لا يملكون كشف الضر عنكم** ﴾ ، أي : بالكلية ، ﴿ **ولا تحويلاً** ﴾ أى : يحولوه[٣] إلى غيركم والمعنىٰ : أن الذي يقدر علىٰ ذلك هو الله وحده لا شريك له الذي له الخلق والأمر .

قال العوفي عن ابن عباسٍ في قوله : ﴿ **قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً** ﴾ ، قال : كان أهل الشرك يقولون : نعبد الملائكة والمسيح وعزيزًا ، وهم الذين يدعون ، يعني : الملائكة والمسيح وعزيزًا وقوله تعالىٰ : ﴿ **أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب** ﴾ : روىٰ البخاري(١٩٢) من حديث سليمان ابن مهران الأعمش ، عن إبراهيم ، عن أبي معمر ، عن عبد الله - في قوله[٤] : ﴿ **أولئك الذين يدعون يبتغون إلىٰ ربهم الوسيلة** ﴾ - قال : ناس من الجن كانوا يُعبَدون فأسلموا وفى رواية(١٩٣) قال[٥] : كان ناس من الإنس يعبدون ناسًا من الجن، فأسلم الجن وتمسك

(١٩٢) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير ، باب : ﴿ **أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة** ﴾ - (٤٧١٥) - (٣٩٨/٨) حدثنا بشر بن خالد أخبرنا محمد بن جعفر ، عن شعبة عن سليمان به . ومسلم في صحيحه - كتاب التفسير - باب في قوله تعالى : ﴿ **أولئك الذين يدعون ....** ﴾ (٣٠٣٠) حدثنا بشر بن خالد .

(١٩٣) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير ، باب : ﴿ **قل ادعوا الذين زعمتم من دونه ....** ﴾ (٤٧١٤) - (٣٩٦/٨) . ومسلم في صحيحه - كتاب التفسير ، باب في قوله تعالى : ﴿ **أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم ...** ﴾ (٢٨، ٢٩) - (٣٠٣٠) - (٢١٧/١٨) . والنسائي في الكبرى - كتاب التفسير ، (١١٢٨٧، ١١٢٨٨، ١١٢٨٩) - (٣٧٩/٦، ٣٨٠) من طرق عن الأعمش عن إبراهيم به .

[١] - في خ : « الفراق » . [٢] - في خ : « دوابته » .
[٣] - في ت : « بأن يحولوه » ، خ : « تحولوه » . [٤] - في خ : « قول » .
[٥] - سقط من : خ .

هؤلاء بدينهم ، وقال قتادة(١٩٤) : عن معبد بن عبد الله الزِّمّاني ، عن عبد الله بن عتبة ابن مسعود ، عن ابن مسعود في قوله : ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلىٰ ربهم الوسيلة ﴾ ، قال : نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرًا من الجن فأسلم[١] الجنيون ، والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم ، فنزلت هذه الآية ، وفي رواية عن ابن مسعود(١٩٥) : كانوا يعبدون صنفًا من الملائكة يقال لهم : الجن فذكره و[٢]قال السدي(١٩٦) : عن أبي صالح ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلىٰ ربهم الوسيلة أيهم أقرب ﴾ ، قال : عيسىٰ ، وأمه ، وعزير .

وقال مغيرة عن إبراهيم كان ابن عباس(١٩٧) يقول في هذه الآية : هم عيسى ، وعزير ، والشمس ، والقمر

وقال مجاهد : عيسىٰ ، والعزير[٣] ، والملائكة .

واختار ابن جرير قول ابن مسعود لقوله[٤] : ﴿ يبتغون إلى ربهم الوسيلة ﴾ وهذا لا يعبر[٥] به عن الماضى ، فلا يدخل فيه عيسى والعزير قال : والوسيلة : هى القربة ، كما قال قتادة ؛ ولهذا قال : ﴿ أيهم أقرب ﴾ .

---

(١٩٤) - أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب التفسير ، باب في قوله تعالى : ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة ... ﴾ - (٣٠) - (٣٠٣٠) - (٢١٨/١٨) . حدثنا حجاج بن الشاعر ، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، حدثني أبي حدثنا حسين عن قتادة به .

(١٩٥) - أخرجه ابن جرير في تفسيره - (١٠٥/١٥) حدثني الحسين بن علي الصدائي ، قال : ثنا يحيى بن السكن ، قال : أخبرنا أبو العوام ، قال : أخبرنا قتادة عن عبد الله بن معبد الزماني عن عبد الله بن مسعود فذكره . وأشار إلى هذه الرواية الحافظ ابن حجر في الفتح - (٣٩٧/٨) وقال : ... إن ثبت فهو محمول على أنها نزلت في الفريقين ، وإلا فالسياق يدل على أنهم قبل الإسلام كانوا راضين بعبادتهم ، وليست هذه من صفات الملائكة .

(١٩٦) - أخرجه ابن جرير في تفسيره - (١٠٥/١٥،١٠٦) . من طريقين عن شعبة عن إسماعيل السدي به .

وضعفه الحافظ ابن حجر في « الفتح » - (٣٩٧/٨) . وعزاه السيوطي في الدر المنثور - (٣٤٣/٤) إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه .

(١٩٧) - أخرجه ابن جرير في تفسيره - (١٠٦/١٥) حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة به وعزاه السيوطي في الدر المنثور - (٣٤٣/٤) إلى سعيد بن منصور وابن المنذر .

---

[١] - في خ : « وأسلم » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في خ : « عزيز » .
[٤] - في خ : « لقومه » .
[٥] - في خ : « يعني » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ويرجون رحمته ويخافون عذابه** ﴾ لا تتم العبادة إلا بالخوف والرجاء ، فبالخوف ينكف عن المناهي ، وبالرجاء ينبعث على الطاعات .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **إن عذاب ربك كان محذورًا** ﴾ ، أي : ينبغي أن يحذر منه ، ويخاف من وقوعه وحصوله ، عياذًا بالله منه .

وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾

هذا إخبار من الله عز وجل بأنه قد حتم وقضىٰ بما قد كتبه عنده في اللوح المحفوظ : أنه ما من قرية إلا سيهلكها بأن يبيد أهلها جميعهم أو يعذبهم ﴿ **عذابًا شديدًا** ﴾ ، إما بقتل أو ابتلاء بما يشاء ، وإنما يكون ذلك بسبب ذنوبهم وخطاياهم ، كما قال تعالىٰ عن الأمم الماضين : ﴿ **وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم** ﴾ وقال تعالىٰ : [﴿ **وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابًا شديدًا وعذبناها عذابًا نكرًا**][1] **فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرًا** ﴾ .

وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ۚ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾

قال سنيد(٢٠٠) : عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال المشركون : يا محمد ؛ إنك تزعم أنه كان قبلك أنبياء ؛ فمنهم من سُخّرت له الريح ، ومنهم من كان يحيي الموتىٰ ، فإن سَرّك أن نؤمن بك ونصدقك فادع ربك أن يكون لنا الصفا ذهباً . فأوحىٰ الله إليه : أن[2] قد سمعت الذي قالوا ؛ فإن شئت أن نفعل الذي قالوا ، فإن لم يؤمنوا نزل العذاب ؛ فإنه ليس بعد نزول الآية مناظرة ، وإن شئت أن نستأني[3] بقومك استأنيت بهم . قال : « **يا رب ، استأن بهم** » . وكذا قال قتادة ، وابن جريج ، وغيرهما .

---

(٢٠٠) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٠٨/١٥) حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين - وهو سنيد - به .

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - في ت : « إني » .

[٣] - في ز : « يستأنى » .

قال الإمام أحمد(٢٠١) : حدثنا عثمان بن محمد ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : سأل أهل مكة النبي صلىٰ الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهبًا ، وأن ينحي الجبال عنهم فيزرعوا ، فقيل له : إن شئت أن نستأني بهم ، وإن شئت أن نؤتيهم الذي سألوا ؛ فإن كفروا أهلكوا كما أهلكتُ من كان[١] قبلهم من الأمم . قال : « **لا ، بل استأن بهم** » . وأنزل الله تعالىٰ : ﴿ **وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة** ﴾ . ورواه النسائي [من حديث][٢] جرير ، به .

وقال الإمام أحمد(٢٠٢) : حدثنا عبد الرحمن، حدثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن عمران بن الحكم ، عن ابن عباس قال : قالت قريش للنبي صلىٰ الله عليه وسلم : ادع لنا ربك أن[٣] يجعل لنا الصفا ذهبًا ونؤمن بك . قال : « **وتفعلون ؟** » قالوا : نعم . قال : فدعا فأتاه جبريل ؛ فقال : إن ربك يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : إن شئت أصبح الصفا لهم ذهبًا ، فمن كفر منهم بعد ذلك عذبته عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين ، وإن شئت فتحت لهم باب[٤] التوبة والرحمة . فقال : « **بل باب التوبة والرحمة** » .

وقال الحافظ أبو يعلى في مسنده(٢٠٣) : حدثنا محمد بن إسماعيل بن عليّ الأنصاري ، حدثنا خلف بن تميم المصيصي ، عن عبد الجبار بن عمر الأيلي ، عن عبد الله بن عطاء بن

---

(٢٠١) - أخرجه أحمد (٢٥٨/١) . والنسائي في الكبرى - كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ **وما منعنا أن نرسل بالآيات ...** ﴾ (١١٢٩٠) (٣٨٠/٦) ، والبيهقي في دلائل النبوة (٢٧١/٢-٢٧٢) . والحاكم في المستدرك (٣٦٢/٢) ، وابن جرير في تفسيره (١٠٨/١٥) من طرق عن جرير به . وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي وهو كما قالا ، وله طريق آخر عن ابن عباس وهو الآتي بعده .

(٢٠٢) - في « المسند » (٢١٦٦) (٢٤٢/١) وأخرجه الحاكم (٥٣/١) (٣١٤/٤) وعنه البيهقي في « الكبرى » (٨/٩) من طريق عبد الرحمن بن مهدي به ، وأخرجه الطبراني في « الكبير » (١٢٧٣٦٩/١٢ والحاكم ، والبيهقي في « الدلائل » (٢٧٢/٢) من طرق عن سفيان الثوري بهذا الإسناد ، وقال الحاكم : « حديث صحيح ، محفوظ من حديث الثوري عن سلمة بن كهيل ... » ووافقه الذهبي ، وجود إسناده المصنف في « البداية والنهاية » (٦٨/٣) وذكر الهيثمي في « المجمع » (٥٣/٧) الرواية السابقة وهذه وقال : « رجال الروايتين رجال الصحيح ؛ إلا أنه وقع في أحد طرقه : عمران بن الحكم ، وهو وهم ، وفي بعضها : عمران أبو الحكم وهو ابن الحارث وهو الصحيح ، ورواه البزار بنحوه » وانظر ما قبله .

(٢٠٣) - أخرجه أبو يعلى في مسنده (٦٧٩) (٤٠/٢-٤١) . وذكره الهيثمي في المجمع (٨٨/٧) وقال :=

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في خ : « ابن » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في خ : « أبواب » .

إبراهيم ، عن جدته أم عطاء مولاة الزبير بن العوام قالت : سمعت الزبير يقول : لما نزلت : ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ صاح رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ أبي قبيس(*) : « **يا آل عبد مناف ؛ إني نذير** » . فجاءته قريش فحذرهم ، وأنذرهم ، فقالوا : تزعم أنك نبي يوحىٰ إليك ، وأن سليمان سخر له الريح والجبال ، وإن موسىٰ سخر له البحر ، وأن عيسىٰ كان يحيي الموتىٰ ، فادع الله أن يسير عنا هذه الجبال ، ويفجر لنا الأرض أنهارًا ؛ فنتخذها محارث فنزرع ونأكل ، وإلا فادع الله أن يحيي لنا موتانا فنكلمهم ويكلمونا ، وإلا فادع الله أن يصير لنا هذه الصخرة التي تحتك ذهبًا فننحت منها ، وتغنينا عن رحلة الشتاء والصيف ؛ فإنك تزعم أنك كهيئتهم . قال : فبينا نحن حوله إذ نزل عليه الوحي ، فلما سُرِّي عنه قال : « **والذي نفسي بيده ، لقد أعطاني ما سألتم ، ولو شئت لكان ، ولكنه خيرني بين أن تدخلوا باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم ، وبين أن يكلكم إلىٰ ما اخترتم لأنفسكم فتضلوا عن باب الرحمة فلا يؤمن منكم أحد ، فاخترت باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم ، وأخبرني أنه إن أعطاكم ذلك ثم كفرتم أنه يعذبكم عذابًا لا يعذبه أحدًا من العالمين** » . ونزلت : ﴿ **وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأوّلون** ﴾ ، [حتىٰ قرأ][١] ثلاث آيات ، ونزلت : ﴿ **ولو أن قرآنًا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتىٰ** ﴾ ...الآية .

ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وما منعنا أن نرسل بالآيات** ﴾ ، أي : نبعث الآيات ونأتي بها علىٰ ما سأل قومك منك ؛ فإنه سهل علينا يسير لدينا ، إلا أنه قد كذب بها الأولون بعد ما سألوها ، وجرت سنتنا فيهم ، وفي أمثالهم أنهم لا يؤخرون إذا[٢] كذبوا بها بعد نزولها ، كما قال الله تعالىٰ في المائدة : ﴿ **قال الله إني منزّلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين** ﴾ ، وقال تعالىٰ عن ثمود حين سألوا آية – ناقة تخرج من صخرة عيّنوها – فدعا صالح عليه السلام ربه فأخرج له منها ناقة علىٰ ما سألوا ، ﴿ **فظلموا بها** ﴾ ، أي : كفروا بمن خلقها وكذبوا رسوله [عقروا الناقة][٣] فقال : ﴿ **تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب** ﴾ ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وآتينا ثمود الناقة مبصرة** ﴾ أي : دالة علىٰ وحدانية من خلقها ، وصدق الرسول الذي أجيب دعاؤه فيها ، ﴿ **فظلموا بها** ﴾ ، أي : كفروا بها ومنعوها[٤] شربها وقتلوها ، فأبادهم الله

= « رواه أبو يعلى من طريق عبد الجبار بن عمر الأيلي عن عبد الله بن عطاء بن إبراهيم ، وكلاهما وثق ، وقد ضعفهما الجمهور » .

(*) اسم جبل بمكة .

[١] – سقط من : خ .

[٢] – في ت : « إن » .

[٣] – في ت : «عقروها » .

[٤] – في خ : « ومنعوا » .

عن آخرهم وانتقم منهم ، وأخذهم أخذ عزيز مقتدر .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وما نرسل بالآيات إلا تخويفًا** ﴾ ، قال قتادة : إن اللَّه تعالىٰ يخوف الناس بما شاء[١] من آياته ، لعلهم يعتبرون ويذكرون ويرجعون ؛ ذكر لنا أن الكوفة رجفت علىٰ عهد ابن مسعود - رضي اللَّه عنه - فقال : يا أيها الناس ، إن ربكم يستعتبكم فأعتبوه » ، وهكذا روي أن المدينة زلزلت علىٰ عهد عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه مرات ؛ فقال عمر : أحدثتم[٢] ! واللَّه لئن عادت لأفعلن ولأفعلن . وكذا قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم في الحديث المتفق عليه(٢٠٤) : « **إن الشمس والقمر آيتان من آيات اللَّه ، وإنهما لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ، ولكن اللَّه عز وجل يرسلهما يخوف بهما عباده ، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلىٰ ذكره ودعائه واستغفاره** » ، ثم قال : « **يا أمة محمد ، واللَّه ما أحد أغير من اللَّه أن يزني عبده أو تزني أمته ، يا أمة محمد ، واللَّه لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا** » .

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ ﴾

يقول تعالىٰ لرسوله صلىٰ اللَّه عليه وسلم محرضًا له علىٰ إبلاغ رسالته ، ومخبرًا له بأنه قد عصمه من الناس ؛ فإنه القادر عليهم وهم في قبضته وتحت قهره وغلبته .

قال مجاهد وعروة بن الزبير والحسن وقتادة وغيرهم ، في قوله : ﴿ **وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس** ﴾ ، أي : عصمتك[٣] منهم .

وقوله : ﴿ **وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس** ﴾ ، قال البخاري(٢٠٥) : حدثنا

(٢٠٤) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الكسوف ، باب : الصدقة في الكسوف (١٠٤٤) (٢/ ٥٢٩) . ومسلم في صحيحه - كتاب الكسوف ، باب : صلاة الكسوف (١) (٩٠١) (٦/٢٨٢-٢٨٦) من طريقين عن مالك بن أنس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة مرفوعًا ، وعندهما : « **فإذا رأيتم ذلك فادعوا اللَّه وكبروا ، وصلوا وتصدقوا** » . وأما الأمر بالذكر والاستغفار كما أورده المصنف هنا فقد ورد من حديث أبي موسى الأشعري أخرجه البخاري - كتاب الكسوف ، باب : الذكر في الكسوف (١٠٥٩) (٢/٥٤٥) . ومسلم - كتاب الكسوف ، باب : ذكر النداء بصلاة الكسوف « الصلاة جامعة » (٢٤) (٩١٢) (٦/٣٠٥) .

[١] - في خ : « يشاء » . [٢] - في خ : « أحدثتكم » .
[٣] - في ت : « عصمك » .

عليّ بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ **وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس** ﴾ ، قال : هي رؤيا عين أريها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ليلة أسري به ، ﴿ **والشجرة الملعونة في القرآن** ﴾ : شجرة الزقوم . وكذا رواه أحمد(٢٠٦) ، وعبد الرزاق(٢٠٧)[١] ، وغيرهما عن سفيان بن عيينة به ، وكذا رواه العوفي عن ابن عباس(٢٠٨) . وهكذا فسر ذلك بليلة الإسراء : مجاهد ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، ومسروق ، وإبراهيم ، وقتادة ، وعبد الرحمن بن زيد ، وغير واحد ، وقد تقدمت أحاديث الإسراء في أول السورة مستقصاة ، ولله الحمد والمنة .

وقد[٢] تقدم أن ناسًا رجعوا عن دينهم بعدما كانوا علىٰ الحق ؛ لأنه[٣] لم تحمل قلوبهم وعقولهم ذلك ؛ فكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ، وجعل الله ذلك ثباتًا[٤] ويقينًا لآخرين ؛ ولهذا قال : ﴿ **إلا فتنة** ﴾ ، أي : اختبارًا وامتحانًا .

وأما الشجرة الملعونة فهي : شجرة الزقوم ، كما أخبرهم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : أنه رأىٰ الجنة والنار ، ورأىٰ شجرة الزقوم ، فكذبوا بذلك حتىٰ قال أبو جهل لعنه الله : [ ][٥] هاتوا لنا تمرًا وزبدًا ، فجعل[٦] يأكل هذا بهذا ، ويقول : تَزَقَّموا ، فلا نعلم

---

(٢٠٥) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير ، باب : « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس » (٤٧١٦) (٣٩٨/٨) . والترمذي - كتاب تفسير القرآن ، باب « ومن سورة بني إسرائيل » (٣١٣٤) (٢٨٢/٥) . والنسائي في الكبرى - كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك ... » (١١٢٩١) (٣٨٠/٦-٣٨١) .

(٢٠٦) - أخرجه أحمد (٢٢١/١) ، وابن حبان في صحيحه (٥٦) (٢٥٣/١) ، وابن أبي عاصم في السنة (٤٦٢) (٢٠١/١-٢٠٢) ، والطبراني في الكبير (١١٦٤١) (٢٥٠/١١) . والبغوي في شرح السنة (٣٧٥٥) (٣٤٨/١٣) وصححه الحاكم (٣٦٢/٢) على شرط البخاري ووافقه الذهبي . والبيهقي في دلائل النبوة (٣٦٥/٢) وابن جرير في تفسيره (١١٠/١٥) من طرق عن سفيان به .

(٢٠٧) - « التفسير » لعبد الرزاق (٣٨٠/٢) ومن طريقه أخرجه ابن جرير في تفسيره (١١٠/١٥) . والحاكم في المستدرك (٣٦٢/٢) .

(٢٠٨) - أخرجه البيهقي في البعث (٥٤٥) . من طريق محمد بن إسحاق عن حكيم بن حكيم بن عباد عن عكرمة عن ابن عباس فذكره . ومحمد بن إسحاق مدلس ، وقد عنعن . وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١١٣/١٥) من طريق العوفي عن ابن عباس بنحوه .والعوفي ضعيف - كما تقدم مرارًا . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٤٦/٤) إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه .

---

[١] - في ز ، خ : « عبد الرحمن » .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - مكررة في : خ .
[٤] - في ز ، خ : « بيانًا » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « يقول » .
[٦] - في خ : « وجعل » .

الزقوم غير هذا . حكىٰ ذلك ابن عباس ، ومسروق ، وأبو مالك ، والحسن البصري ، وغير واحد(*) ، وكل من قال إنها ليلة الإسراء فسره كذلك بشجرة الزقوم .

وقد[١] قيل : المراد بالشجرة الملعونة : بنو أمية ، وهو غريب ضعيف .

قال ابن جرير(٢٠٩) : حُدثت عن محمد بن [الحسن][٢] بن زبالة ، حدثنا عبد المهيمن ابن عباس بن سهل بن سعد[٣] ، حدثني أبي ، عن جدي قال : رأىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بني فلان ينزون علىٰ منبره نزو القرود ، فساءه ذلك ، فما استجمع ضاحكا حتىٰ مات ، قال : وأنزل اللَّه في ذلك : ﴿ **وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس** ﴾ الآية .

وهذا السند ضعيف جدًّا ؛ فإن « محمد بن الحسن بن زبالة » متروك ، وشيخه أيضًا ضعيف بالكلية ، ولهذا اختار ابن جرير أن المراد بذلك ليلة الإسراء ، وأن الشجرة الملعونة هي شجرة[٤] الزقوم ، قال : لإجماع الحجة من[٥] أهل التأويل علىٰ ذلك ، أي : في الرؤيا والشجرة .

وقوله : ﴿ **ونخوفهم** ﴾ ، أي : الكفار ، بالوعيد والعذاب والنكال ، ﴿ **فما يزيدهم إلا طغيانًا كبيرًا** ﴾ ، أي : تماديًا فيما هم فيه من الكفر والضلال ، وذلك من خذلان اللَّه لهم .

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾

يذكر تعالىٰ عداوة إبليس - لعنه اللَّه - لآدم ، عليه السلام ، وذريته ، وأنها عداوة قديمة منذ خلق آدم ، فإنه تعالىٰ أمر الملائكة بالسجود ، فسجدوا كلهم إلا إبليس استكبر وأبى أن يسجد له ، افتخارًا عليه ، واحتقارًا له ، ﴿ **قال أأسجد لمن خلقت طينًا** ﴾ ، كما قال في

(*) انظر هذه الآثار في تفسير ابن جرير (١١٣/١٥) .

(٢٠٩) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١١٢/١٥-١١٣) . وروي ذلك أيضًا عن الحسن بن علي ، ويعلى بن مرة وعائشة مرفوعًا . ولا يصح منها شيء ألبتة ، وانظر « الدر المنثور » (٣٤٦/٤) .

[١] - سقط من : خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « سعيد » .

[٣] - في ز ، خ : « سعيد » .

[٤] - سقط من : ت .

[٥] - في خ : « عن » .

الآية الأخرى : ﴿ **أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين** ﴾ وقال أيضًا : ﴿ **أرأيتك** ﴾، يقول للرب جرأة وكفرًا ، والرب يحلم وينظر ، ﴿ **قال أرأيتك هذا الذي كرمت عليّ لئن أخرتني إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلًا** ﴾ .

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يقول : لأستولين على ذريته إلا قليلًا .

وقال مجاهد : لأحتوين .

وقال ابن زيد : لأضلنهم . وكلها متقاربة[١] ، والمعنى أنه يقول : أرأيتك هذا الذي شرفته وعظمته عليّ ، لئن أنظرتني لأضلن ذريته إلا قليلًا منهم ! .

قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾

لما سأل إبليس النَّظِرة قال الله له : ﴿ **اذهب** ﴾ أي :[٢] فقد أنظرتك ، كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **قال فإنك من المنظرين إلىٰ يوم الوقت المعلوم** ﴾ ، ثم أوعده ، ومن تبعه من ذرية آدم جهنم ، فقال[٣] : ﴿ **فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم** ﴾ ، أي : علىٰ أعمالكم ، ﴿ **جزاء موفورًا** ﴾ .

قال مجاهد : وافرًا ، وقال قتادة : موفرًا عليكم ، لا ينقص لكم منه .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **واستفزز من استطعت منهم بصوتك** ﴾ ، قيل : هو الغناء ، قال مجاهد : باللهو والغناء ، أي : استخفهم بذلك .

وقال ابن عباس في قوله : ﴿ **واستفزز من استطعت منهم بصوتك** ﴾ ، قال : كل داع دعا إلىٰ معصية الله عز وجل . وقاله قتادة ، واختاره ابن جرير .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وأجلب عليهم بخيلك ورجلك** ﴾ ، يقول : واحمل عليهم بجنودك خَيّالتهم ورجلتهم[٤] ، فإن «الرجل» جمع «راجل» ، كما أن «الركب» جمع

---

[١] - في خ : «متساوية» .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في خ : «قال» .
[٤] - في خ : «ورحالتهم» .

« راكب » ، « والصحب » جمع « صاحب » ومعناه : تسلط عليهم بكل ما تقدر عليه . وهذا أمر قدريّ كقوله[١] تعالىٰ : ﴿ **ألم تر أنا أرسلنا الشياطين علىٰ الكافرين تؤزهم أزًّا** ﴾ أي : تزعجهم إلىٰ المعاصي إزعاجًا ، وتسوقهم إليها سوقًا ، وقال ابن عباس ، ومجاهد في قوله : ﴿ **وأجلب عليهم بخيلك ورجلك** ﴾ ، قال : كل راكب وماشٍ في [معصية الله][٢] .

وقال قتادة : إن له خيلًا ورجالًا من الجن والإنس ، وهم الذين يطيعونهم .

وتقول العرب : أجلب فلان علىٰ فلان : إذا صاح عليه ، ومنه : « **نهى في المسابقة عن الجلب ، والجنب** »(٢١٠) ، ومنه اشتقاق « **الجلبة** » وهي ارتفاع الأصوات .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وشاركهم في الأموال والأولاد** ﴾ ، قال ابن عباس ومجاهد : هو ما أمرهم به من إنفاق الأموال في معاصي الله تعالىٰ .

وقال عطاء : هو الربا . وقال الحسن : جمعها من خبيث ، وإنفاقها في حرام . وكذا قال قتادة .

وقال العوفي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - : أما مشاركته إياهم في أموالهم ، فهو ما حرموه من أنعامهم ، يعني : من البحائر والسوائب ونحوها . وكذا قال الضحاك وقتادة .

---

(٢١٠) - أخرجه أحمد (٤٣٩/٤) . وأبو داود - كتاب الجهاد ، باب : في الجلب على الخيل في السباق (٢٩٨١) (٣٠/٣) . والترمذي - كتاب النكاح ، باب : ما جاء في النهي عن نكاح الشغار (١١٢٣) (٣/ ٤٣١) . والنسائي - كتاب النكاح ، باب : الشغار (١١١/٦) . وفي الخيل ، باب : الجلب (٢٢٧/٦- ٢٢٨) . من طرق عن حميد الطويل عن الحسن ، عن عمران بن حصين ، عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال « **لا جلب ولا جنب** ... » . وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح .

و« الجلب » يكون في شيئين : أحدهما في الزكاة ، وهو أن يَقْدَمَ المصدِّق على أهل الزكاة فينزل موضعًا ، ثم يرسل من يجلب إليه الأموال من أماكنها ليأخذ صدقتها ، فنهى عن ذلك ، وأمر أن تأخذ صدقاتهم على مساهم وأماكنهم . الثاني : أن يكون في السباق ، وهو أن يتبع الفارس رجلًا فرسه ليزجره ، ويجلب عليه ويصيح حثًا له على الجري ، فنهى عن ذلك .

وأما « الجنب » بالتحريك - فله وجهان .

الأول : أن يكون في السباق ، وهو أن يجنب فرسًا إلى فرسه الذي يسابق عليه ، فإذا فتر المركوب ، تحول إلى المجنوب . الثاني : هو أن يجنب رب المال بماله ، أي يبعده عن موضعه حتى يحتاج العامل إلى الإبعاد في اتباعه وطلبه . انظر « النهاية » لابن الأثير (٢٨١/١، ٣٠٣) .

---

[١] - في خ : « كما قال » . [٢] - في ز : « معصية » ، خ : « معصيته » .

قال[١] ابن جرير : والأولى أن يقال : إن الآية تعم ذلك كله .

وقوله : ﴿ **والأولاد** ﴾ ، قال العوفي عن ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك : يعني أولاد الزنا .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : هو ما كانوا قتلوه من أولادهم سفهًا بغير علم .

وقال قتادة : عن الحسن البصري : قد واللَّه شاركهم في الأموال والأولاد ، مجّسوا وهودوا ونصروا[٢] وصبغوا غير صبغة الإسلام ، وجزءوا من أموالهم جزءًا للشياطين ، وكذا قال قتادة سواء .

وقال أبو صالح عن ابن عباس : هو تسميتهم أولادهم : « عبد الحارث[٣] » وعبد شمس » ، و « عبد فلان » .

وقال[٤] ابن جرير : وأولىٰ الأقوال بالصواب أن يقال : كل مولود ولدته أنثىٰ عصي اللَّه فيه بتسميته[٥] ما يكرهه اللَّه ، أو بإدخاله في غير الدين الذي ارتضاه اللَّه ، أو بالزنا بأمه ، أو بقتله ووأده ، وغير[٦] ذلك من الأمور التي يعصىٰ اللَّه بفعله به[٧] أو فيه ، فقد دخل في مشاركة إبليس فيه مَن وُلد ذلك الولدُ له أو منه ؛ لأن اللَّه لم يخصص بقوله : ﴿ **وشاركهم في الأموال والأولاد** ﴾ ، معنىٰ الشركة فيه بمعنى دون معنى ؛ فكل ما عُصِي اللَّه فيه أو به وأطيع الشيطان فيه أو به ، فهو مشاركة .

وهذا الذي قاله مُتَّجه ، وكل من السلف رحمهم اللَّه فسر بعض المشاركة ، فقد ثبت في صحيح مسلم(٢١١) عن عياض بن حمار[٨] أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **يقول اللَّه عز وجل : إني خلقت عبادي حنفاء ، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم** » .

وفي الصحيحين(٢١٢) أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال[٩] : « **لو أن أحدهم إذا**

---

(٢١١) - تقدم (٩٢) .

(٢١٢) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الوضوء ، باب : التسمية على كل حال ، وعند الوقاع .=

[١] - في خ : « و » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في خ : « الوارث » .

[٤] - في خ : وقال .

[٥] - في خ : « بتسمية » .

[٦] - سقط من : خ .

[٧] - سقط من : ز ، خ .

[٨] - في خ : « حماد » .

[٩] - سقط من : خ .

أراد أن يأتي أهله قال : بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا . فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضرّه الشيطان أبدًا » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وعِدْهُمْ وما يعدهم الشيطان إلا غرورًا** ﴾ ، كما أخبر تعالىٰ عن[١] إبليس أنه يقول إذا حصحص[٢] الحق يوم يقضىٰ بالحق : ﴿ **إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخيّ** ﴾ ... الآية .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **إن عبادي ليس لك عليهم سلطان** ﴾ : إخبار بتأييده تعالىٰ عباده المؤمنين وحفظه إياهم وحراسته لهم من الشيطان الرجيم ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وكفى بربك وكيلًا** ﴾ أي : حافظًا ومؤيدًا وناصرًا .

قال الإمام أحمد(٢١٣) : حدثنا قتيبة ، حدثنا ابن لهيعة ، عن موسىٰ بن وردان ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **إن المؤمن لينضي شياطينه كما ينضي أحدكم بعيره في السفر** » .

ينضي : أي : يأخذ بناصيته ويقهره .

﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٦٦) ﴾

يخبر تعالىٰ عن لطفه بخلقه في تسخيره لعباده الفلكَ في البحر ، وتسهيله لمصالح عباده ، لابتغائهم من فضله في التجارة من إقليم إلىٰ إقليم ؛ ولهذا قال : ﴿ **إنه كان بكم رحيمًا** ﴾ ، أي : إنما فعل هذا بكم من فضله عليكم ، ورحمته بكم .

﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ

= (١٤١) . ومسلم في صحيحه - كتاب النكاح ، باب : ما يستحب أن يقوله عند الجماع (١١٦) (١٤٣٤). وأبو داود - كتاب النكاح - باب : في جامع النكاح (٢١٦١) . والترمذي - كتاب النكاح ، باب : ما يقول إذا دخل على أهله (١٠٩٢) . والنسائي في الكبرى - كتاب عشرة النساء ، باب : ما يقول إذا أتاهن (٩٠٣٠) (٣٢٧/٥) . وابن ماجه - كتاب النكاح - باب : ما يقول الرجل إذا دخلت عليه أهله (١٩١٩) (٦١٨/١) من طريق منصور ، عن سالم بن أبي الجعد عن كريب عن ابن عباس مرفوعًا .

(٢١٣) - **إسناده ضعيف** ، أخرجه أحمد (٣٨٠/٢) . وذكره الهيثمي في المجمع (١٢١/١) وقال : « رواه أحمد وفيه ابن لهيعة» .

[١] - بعده في ز ، خ : سلف . [٢] - في ز : « حصحص » .

وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾

يخبر تبارك وتعالىٰ [أنه إذا مسَّ الناس][١] ضرٌّ دعوه منيبين إليه مخلصين له الدين ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه** ﴾ ، أي : ذهب عن قلوبكم كل ما تعبدون غير الله تعالىٰ ، كما اتفق لعكرمة بن أبي جهل لما ذهب فارًّا من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حين فتح مكة ، فذهب هاربًا فركب في البحر ليدخل الحبشة فجاءتهم ريح عاصف ، فقال القوم بعضهم لبعض : إنه لا يغني عنكم إلا أن تدعوا الله وحده . فقال عكرمة في نفسه : والله لئن كان لا ينفع في البحر غيره فإنه لا ينفع في البر غيره ، اللهم لك عليّ عهد لئن أخرجتني منه لأذهبن فأضعن يدي في يديه ، فلأجدنه رءوفًا رحيمًا !! فخرجوا من البحر ، فرجع إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فأسلم وحسن إسلامه – رضى الله عنه – وأرضاه »(٢١٤) .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **فلما نجاكم إلىٰ البر أعرضتم** ﴾ ، أي : نسيتم ما عرفتم من توحيده في البحر وأعرضتم عن دعائه وحده لا شريك له .

﴿ **وكان الإنسان كفورًا** ﴾ أى : سجيته هذا ، ينسى النعم ويجحدها[٢] إلا من عصم الله .

أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾

يقول تعالى : أفحسبتم بخروجكم[٣] إلى البر أمنتم من انتقامه وعذابه ؟.

﴿ **أن نخسف[٤] بكم جانب البر أو نرسل[٥] عليكم حاصبًا** ﴾ ، وهو : المطر الذي فيه حجارة . قاله مجاهد وغير واحد ، كما قال تعالىٰ : ﴿ [**إنا أرسلنا عليهم حاصبًا**][٦] **إلا آل لوط نجيناهم بسحر** ﴾ و[٧]قال في الآية الأخرى : ﴿ **وأمطرنا عليهم حجارة من**

(٢١٤) – أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٥/٥٩–٦٠) من طريق أسباط بن نصر الهمداني ، قال : زعم السدي ، عن مصعب بن سعد عن أبيه قال : لما كان يوم فتح مكة .... فذكره وفيه قصة عكرمة .

[١] – في ت : « أن الناس إذا مسهم » .
[٢] – في ز : « يحمدها » .
[٣] – في خ : « أن يخرجكم » .
[٤] – في خ : « يخسف » .
[٥] – في ز ، خ : « يرسل » .
[٦] – سقط من : خ .
[٧] – في ز : « وقد » .

سجيل[١] ﴾ وقال : ﴿ أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور * أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبًا فستعلمون كيف نذير ﴾ .

وقوله : ﴿ ثم لا تجدوا لكم وكيلًا ﴾ ، أي : ناصرًا ، يرد ذلك عنكم ، وينقذكم منه .

﴿ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا (٦٩) ﴾

يقول تبارك وتعالىٰ : ﴿ أم أمنتم ﴾ أيها المعرضون عنا ، بعد ما اعترفوا بتوحيدنا في البحر وخرجوا إلىٰ البر ، ﴿ أن نعيدكم ﴾ في البحر مرة ثانية ، ﴿ فيرسل[٢] عليكم قاصفًا من الريح ﴾ أي : يقصف[٣] الصواري ويغرق[٤] المراكب .

قال ابن عباس وغيره : القاصف : ريح البحار التي تكسر المراكب وتغرقها .

وقوله : ﴿ فيغرقكم بما كفرتم ﴾ ، أي : بسبب كفركم وإعراضكم عن الله تعالىٰ .

وقوله : ﴿ ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعًا ﴾ قال ابن عباس : نصيرًا .

وقال مجاهد : نصيرًا ثائرًا . أي : يأخذ بثأركم[٥] بعدكم .

وقال قتادة : و[٦]لا نخاف أحدًا يتبعنا بشيء من ذلك .

﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (٧٠) ﴾

يخبر تعالىٰ عن تشريفه لبني آدم وتكريمه إياهم في خلقه لهم علىٰ أحسن الهيئات وأكملها ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾ ، أي : يمشي قائمًا منتصبًا علىٰ رجليه ويأكل بيديه - وغيره من الحيوانات يمشي على أربع ويأكل بفمه - وجعل له سمعًا وبصرًا وفؤادًا[٧] ، يفقه بذلك كله وينتفع به ، ويفرق بين الأشياء ويعرف منافعها وخواصها ومضارها في الأمور الدينية والدنيوية .

---

[١] - في : ز ، خ : « طين » .

[٢] - في ز ، خ : « فنرسل » .

[٣] - في خ : « نقصف » .

[٤] - في خ : « نغرق » .

[٥] - سقط من خ .

[٦] - سقط من : ت .

[٧] - سقط من : خ .

﴿ **وحملناهم في البر** ﴾ ، أي : على الدواب من الأنعام والخيل والبغال ، وفي البحر أيضًا على السفن الكبار والصغار .

﴿ **ورزقناهم من الطيبات** ﴾ ، أي : من زروع وثمار ، ولحوم وألبان ، من سائر أنواع الطعوم والألوان المشتهاة اللذيذة ، والمناظر الحسنة ، والملابس الرفيعة[١] من سائر الأنواع ، على اختلاف أصنافها وألوانها وأشكالها ، مما يصنعونه لأنفسهم ، ويجلبه إليهم غيرهم من أقطار الأقاليم والنواحي .

﴿ **وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلًا** ﴾ أي : من سائر الحيوانات وأصناف[٢] المخلوقات .

وقد استُدل بهذه الآية على أفضلية جنس البشر على جنس الملائكة .

قال عبد الرزاق(٢١٥) : أخبرنا معمر ، عن زيد بن أسلم قال : قالت الملائكة : يا ربنا ، إنك أعطيت بني آدم الدنيا ، يأكلون منها ويتنعمون ، ولم تعطنا ذلك ، فأعطناه في الآخرة . فقال الله تعالى : وعزتي وجلالي [لا أجعل][٣] صالح ذرية من خلقت بيدي ، كمن قلت له : كن ، فكان .

وهذا الحديث مرسل من هذا الوجه ، وقد روي من وجه آخر متصلًا .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني(٢١٦) : حدثنا أحمد بن محمد بن صدقة البغدادي ، حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن خالد المصيصي ، حدثنا حجاج بن محمد ، حدثنا[٤] أبو غسان محمد بن مطرف ، عن صفوان بن سليم ، عن عطاء بن يسار ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **إن الملائكة قالت : يا ربنا ، أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون فيها ويشربون ويلبسون ونحن نسبح بحمدك ، ولا نأكل ولا نشرب ولا**

(٢١٥) - « التفسير » لعبد الرزاق (٣٨٢/٢) ومن طريقه أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٢٦/١٥) حدثنا الحسين بن يحيى قال : أخبرنا عبد الرزاق به . وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٣٥٠/٤) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢١٦) - أخرجه الطبراني في « الكبير » - وهو في الجزء المفقود - . وهو أيضًا في الأوسط (٦١٧٣) (٦/ ١٩٦) من طريق طلحة بن زيد ، عن صفوان بن سليم ، به . وذكره الهيثمي في المجمع (٨٧/١) وقال : « رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه إبراهيم بن عبد الله بن خالد المصيصي وهو كذاب متروك » ، وفي مسند « الأوسط » طلحة بن زيد وهو كذاب أيضًا .

[١] - في خ : « فودا » .

[٢] - في ز : « المرتفعة » .

[٣] - في ت : « سائر » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « لأجعلن » .

تلهو ، فكما جعلت لهم الدنيا فاجعل لنا الآخرة . قال : لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي ، كمن قلت له : كن ، فكان » .

وقد روىٰ ابن عساكر(٢١٧) من طريق محمد بن أيوب الرازي ، حدثنا الحسن بن عليّ بن خلف الصيدلاني ، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن ، حدثني عثمان بن حصن بن عبيدة بن علاق ، سمعت عروة بن رُوَيم اللخمي ، حدثني أنس بن مالك ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **إن الملائكة قالوا : ربنا ، خلقتنا وخلقت بني آدم ، فجعلتهم يأكلون الطعام ، ويشربون الشراب ، ويلبسون الثياب ، ويتزوجون النساء ، ويركبون الدواب ، ينامون ويستريحون ، ولم تجعل لنا من ذلك شيئًا ، فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة . فقال الله عز وجل : لا أجعل من خلقته بيدي ، ونفخت فيه من روحي كمن قلت له : كن ، فكان** » .

وقال الطبراني(٢١٨) : حدثنا عبدان بن أحمد ، حدثنا عمر[١] بن سهل ، حدثنا عبيد الله ابن تمام ، عن خالد الحذاء ، عن بشر بن شغاف ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما شيء أكرم علىٰ الله يوم القيامة من ابن آدم** » . قيل : يا رسول الله ، ولا الملائكة ؟ قال : « **ولا الملائكة ، الملائكة مجبورون بمنزلة الشمس والقمر** » . وهذا حديث غريب جدًّا .

﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ

---

(٢١٧) - وأخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (١٤٩) (١/١٧٢) من طريق هشام بن عمار ثنا عبد ربه بن صالح القرشي : ثنا عروة بن رويم عن جابر الأنصاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ... فذكره بنحوه . وقال البيهقي : « وقال فيه غيره : عن هشام بن عمار بإسناده عن جابر بن عبد الله الأنصاري وفي ثبوته نظر » .

(٢١٨) - أخرجه الطبراني في الكبير - وهو في الجزء المفقود - والبيهقي في شعب الإيمان (١٥٣) (١/١٧٤) . والخطيب البغدادي في تاريخه (٤/٤٥) . من طريق عبيد الله بن تمام به . وعزاه الهيثمي في المجمع (١/٨٧) إلى الطبراني في الكبير وقال : « وفيه عبيد الله بن تمام وهو ضعيف » . وقال البيهقي : « تفرد به عبيد الله بن تمام ، قال البخاري : عنده عجائب ، ورواه غيره عن خالد الحذاء موقوفًا على عبد الله بن عمرو وهو الصحيح » . قلت : أخرجه البيهقي في الشعب (١٥٤) (١/١٧٥) من طريق وهب بن بقية عن خالد الحذاء به موقوفًا . ووهب بن بقية هو الواسطي ثقة كما في « التقريب » . وصحح الموقوف السيوطي في الدر المنثور (٤/٣٥٠) .

---

[١] - بعده في ز ، خ : محمد . [٢] - في خ : « معمر » .

أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾

يخبر تبارك وتعالى عن يوم القيامة أنه يحاسب كل أمة بإمامهم .

وقد اختلفوا في ذلك ؛ فقال مجاهد وقتادة : أي : بنبيهم ، وهذا كقوله تعالىٰ : ﴿ **ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون** ﴾ وقال بعض السلف : هذا أكبر شرف لأصحاب الحديث ؛ لأن إمامهم النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم .

وقال ابن زيد : بكتابهم الذى أنزل على نبيهم من التشريع .

واختاره ابن جرير ، وروي عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد أنه قال : بكتبهم . فيحتمل أن يكون أراد هذا ، وأن يكون أراد ما رواه العوفي عن ابن عباس في قوله : ﴿ **يوم ندعو كل أناس بإمامهم** ﴾ أي : بكتاب أعمالهم . وكذا قال أبو العالية والحسن والضحاك ، وهذا القول هو الأرجح ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿ **وكل شيء أحصيناه في إمام مبين** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ووضع الكتاب فترىٰ المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرًا ولا يظلم ربك أحدًا** ﴾ .

[ويحتمل أن المراد بإمامهم : أي : كل قوم بمن يأتمون به ؛ فأهل الإيمان ائتموا بالأنبياء - عليهم السلام - وأهل الكفر ائتموا بأئمتهم ، كما قال : ﴿ **وجعلناهم أئمة يدعون إلىٰ النار** ﴾ ، وفي الصحيحين(٢١٩) : « **لتتبع كل أمة ما كانت تعبد ، فيتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت** ...» الحديث][١] .

وقال تعالىٰ : ﴿ **وترىٰ كل أمة جاثية كل أمة تدعىٰ إلىٰ كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون * هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون** ﴾ وهذا لا ينافي[٢] أن يجاء بالنبي إذا حكم اللَّه بين أمته ؛ فإنه لابد أن يكون شاهدًا [عليها][٣] بأعمالها ، كقوله[٤] تعالىٰ : ﴿ **وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء** ﴾ ، وقوله[٥] تعالىٰ : ﴿ **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك علىٰ**

(٢١٩) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الأذان ، باب : فضل السجود (٨٠٦) ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان ، باب : معرفة طريق الرؤية (٢٩٩) (١٨٢) من حديث أبي هريرة الطويل ، وفي الباب أيضًا حديث أبي سعيد الخدري عند البخاري (٧٤٣٩) ومسلم (٣٠٢) (١٨٣) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز : « ينفى » .
[٣] - في ت : « على أمته » .
[٤] - في خ : « كما قال » .
[٥] - في خ : « وقال » .

هؤلاء شهيدًا ﴾ . ولكن المراد لههنا بالإمام هو : كتاب الأعمال ؛ ولهذا قال تعالىٰ : **﴿ يوم ندعو كل أناس بإمامهم ، فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم ﴾** ، أي : من فرحته وسروره بما فيه من العمل الصالح يقرؤه ويحب قراءته ، كقوله[١] : **﴿ فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه * إني ظننت أني ملاقٍ حسابيه ﴾** إلىٰ قوله[٢] : **﴿ وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوتَ كتابيه * ولم أدر ما حسابيه ﴾** .

وقوله : **﴿ ولا يظلمون فتيلًا ﴾** قد تقدم أن الفتيل هو الخيط المستطيل في شق النواة .

وقد روىٰ الحافظ أبو بكر البزار حديثًا[٣] في هذا فقال(٢٢٠) : حدثنا محمد بن يعمر ، ومحمد بن عثمان بن كرامة ؛ قالا : حدثنا عبيد الله بن موسىٰ ، عن إسرائيل ، عن السدي ، عن أبيه ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم في [قوله تعالىٰ][٤] : **﴿ يوم ندعو كل أناس بإمامهم ﴾** ، قال : « **يدعىٰ أحدهم فيعطىٰ كتابه بيمينه ، ويمدّ له في جسمه ، ويبيّض وجهه ، ويجعل علىٰ رأسه تاج من لؤلؤة تتلألأ ، فينطلق إلىٰ أصحابه ، فيرونه [من بعيد][٥] فيقولون : اللهم ؛ ائتنا[٦] بهذا ، وبارك لنا في هذا ، فيأتيهم فيقول لهم : أبشروا ! فإن لكل رجل منكم مثل هذا . وأما الكافر فيسود وجهه ، ويمدّ له في جسمه ، ويراه أصحابه فيقولون : نعوذ بالله من هذا - أو : من شر هذا - اللهم ؛ لا تأتنا به . فيأتيهم فيقولون : اللهم أخزه . فيقول : أبعدكم الله ! فإن لكل رجل منكم مثل هذا** » ثم قال البزار : لا يروى إلا من هذا الوجه .

وقوله تعالىٰ : **﴿ ومن كان في هذه أعمىٰ فهو في الآخرة أعمىٰ وأضل سبيلًا ﴾** . قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، وابن زيد : **﴿ ومن كان في هذه ﴾** ، أي : في الحياة الدنيا **﴿ أعمىٰ ﴾** ، أي[٧] : عن حجج الله وآياته وبيناته ، **﴿ فهو في الآخرة أعمىٰ ﴾** ،

---

(٢٢٠) - وأخرجه الترمذي - كتاب تفسير القرآن ، باب : « ومن سورة بني إسرائيل » (٣١٣٦) (٥/ ٢٨٢-٢٨٣) . وابن حبان في صحيحه (٧٣٤٩) (٣٤٦/١٦) والحاكم في مستدركه (٢٤٢/٢-٢٤٣) . وأبو نعيم في الحلية (١٥/٩-١٦) . من طريقين عن إسرائيل عن السدي به . وقال الترمذي : حديث حسن غريب . وقال الحاكم : حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي ، وليس كما قالا ، فإن عبد الرحمن بن أبي كريمة والد السدي لم يرو له مسلم في صحيحه شيئًا ثم إنه لم يوثقه سوى ابن حبان على قاعدته المعروفة في توثيق المجاهيل . وقال فيه الحافظ في التقريب : مجهول الحال . والحديث عزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٥١/٤) إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه .

---

[١] - في خ : « كما قال تعالى » .
[٢] - في ز : « أن قال » .
[٣] - في خ : « حدثنا » .
[٤] - في خ : « في قول الله » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٦] - في ز ، خ : « اغترينا » .
[٧] - سقط من : ز .

أي : كذلك يكون ، ﴿ وأضل سبيلًا ﴾ أى : وأضل منهم كما كان في الدنيا ، عياذًا بالله من ذلك .

﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا (٧٣) وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا (٧٤) إِذًا لَّأَذَقْنَـٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (٧٥) ﴾

يخبر تعالىٰ عن تأييد رسوله صلوات الله عليه وسلامه وتثبيته وعصمته وسلامته من شر الأشرار وكيد الفجار ، وأنه تعالىٰ هو المتولي أمره ونصره ، وأنه لا يكله إلىٰ أحد من خلقه ؛ بل هو وليه وحافظه وناصره ومؤيده ومظفره ، ومظهر دينه علىٰ من عاداه وخالفه وناوأه في مشارق الأرض ومغاربها ، صلىٰ الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا إلىٰ يوم الدين .

﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَـٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا (٧٦) سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا (٧٧) ﴾

قيل : نزلت في اليهود ، إذ[١] أشاروا علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بسكنىٰ الشام بلاد الأنبياء ، وترك سكنىٰ المدينة . وهذا القول ضعيف ؛ لأن هذه الآية مكية ، وسكنىٰ المدينة بعد ذلك .

وقيل : إنها نزلت بتبوك ، وفي صحته نظر .

قال البيهقي(٢٢١) عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار العُطاردي ، عن يونس بن بكير ، عن عبد الحميد بن بهرام ، عن شهر بن حوشب ، عن عبد الرحمن بن غنم ؛ أن اليهود أتوا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يومًا فقالوا : يا أبا القاسم ؛ إن كنت

---

(٢٢١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٥/٢٥٤) . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٣٥٣) إلى ابن أبي حاتم وابن عساكر .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

صادقًا أنك نبي فالحق بالشام ؛ فإن الشام أرض المحشر وأرض الأنبياء ، فصدق ما قالوا ، فغزا غزوة تبوك لا يريد إلا الشام ، فلما بلغ تبوك أنزل اللّٰه عليه آيات من سورة بني إسرائيل بعد ما ختمت السورة : ﴿ **وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **تحويلًا** ﴾ فأمره اللّٰه بالرجوع إلى المدينة ، وقال : فيها محياك ومماتك ، ومنها تبعث .

وفي هذا الإسناد نظر ، والأظهر أن هذا ليس بصحيح ؛ فإن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم لم يغز تبوك عن قول اليهود ، إنما غزاها امتثالًا لقوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار** ﴾ ، وقوله تعالىٰ : ﴿ **قاتلوا الذين لا يؤمنون باللّٰه ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم اللّٰه ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتىٰ يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون** ﴾ ، وغزاها ليقتص وينتقم ممن قتل أهل مؤتة من أصحابه ، واللّٰه أعلم .

ولو صح هذا لحمل عليه الحديث الذي رواه الوليد بن مسلم ، عن عُفَير بن مَعْدان ، عن سليم بن عامر ، عن أبي أمامة - رضي اللّٰه عنه - قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **أنزل القرآن في ثلاثة أمكنة : مكة ، والمدينة ، والشام** » . قال الوليد : يعني بيت المقدس ، وتفسير الشام بتبوك أحسن مما قال الوليد : إنه بيت المقدس . واللّٰه أعلم .

وقيل : نزلت في كفار قريش ، هموا بإخراج رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم من بين أظهرهم ، فتوعدهم اللّٰه بهذه الآية ، وأنهم لو أخرجوه لما لبثوا بعده بمكة إلا يسيرًا ، وكذلك وقع ، فإنه لم يكن بعد هجرته من بين أظهرهم - بعد ما اشتد أذاهم له - إلا سنة ونصف ، حتىٰ جمعهم اللّٰه وإياه ببدر علىٰ غير ميعاد ، فأمكنه منهم ، وسلطه عليهم ، وأظفره بهم ، فقتل أشرافهم ، وسبىٰ سراتهم ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا** ﴾ ، أي : هكذا عادتنا في الذين كفروا[١] برسلنا وآذوهم : يخرج[٢] الرسول من بين أظهرهم ، ويأتيهم العذاب . ولولا أنه صلىٰ اللّٰه تعالىٰ عليه وعلىٰ آله وسلم رسول الرحمة لجاءهم من النقم في الدنيا ما لا قبل لأحد به ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وما كان اللّٰه ليعذبهم وأنت فيهم وما كان اللّٰه معذبهم وهم يستغفرون** ﴾ .

أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾

---

[١] - في خ : « كذبوا » .
[٢] - في خ : « بخروج » .

يقول تبارك وتعالىٰ لرسوله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم آمرًا له بإقامة الصلوات المكتوبات في أوقاتها : ﴿ **أقم الصلاة لدلوك الشمس** ﴾ ، قيل : لغروبها . قاله ابن مسعود(٢٢٢) ، ومجاهد ، وابن زيد . وقال[١] هشيم عن مغيرة عن الشعبي عن ابن عباس(٢٢٣) ، دلوكها : زوالها .

ورواه نافع ، عن ابن عمر(٢٢٤) . ورواه مالك في تفسيره ، عن الزهري ، عن ابن عمر(٢٢٥) ، وقاله أبو بَرْزَة الأسلمي(٢٢٦) ، وهو رواية أيضًا عن ابن مسعود ، ومجاهد . وبه قال الحسن ، والضحاك ، وأبو جعفر الباقر ، وقتادة . واختاره ابن جرير ، ومما استشهد عليه ما رواه(٢٢٧) عن ابن حميد ، عن الحكم بن بَشير[٢] ، حدثنا عمرو بن قيس ، عن ابن أبي ليلىٰ ، [عن رجل][٣] ، عن جابر بن عبد اللّٰه ؛ قال : دعوت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه

---

(٢٢٢) - أخرجه الطبراني في الكبير (٩١٣١،٩١٣٢) (١٠/٢٦٣) . والحاكم في المستدرك (٢/٣٦٣) . من طريق الأعمش عن إبراهيم وعمارة عن عبد الرحمن بن يزيد قال : كان عبد الله - رضي الله عنه - يصلي المغرب ونحن نرى أن الشمس طالعة قال : فنظرنا يومًا إلى ذلك فقال : ما تنظرون ؟ قالوا : إلى الشمس . قال عبد الله : هذا والذي لا إله غيره ميقات هذه الصلاة ... وقال الحاكم : « حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة » . وذكره الهيثمي في المجمع (٧/٥٤) وقال : « رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح » . وله طرق أخرى عن ابن مسعود - انظر المعجم الكبير (١٠/ ٢٦٢،٢٦٣) وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٣٥٤) إلى عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن المنذر .

(٢٢٣) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/١٣٥) حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٣٥٤) إلى سعيد بن منصور .

(٢٢٤) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/١٣٥) حدثني موسى بن عبد الرحمن ، قال : ثنا أبو أسامة عن عبد الحميد بن جعفر عن نافع به .

(٢٢٥) - أخرجه البزار في مسنده - كما في مختصر الزوائد (١٤٧٧) (٢/٩٠) . من طريق عمر بن قيس عن الزهري عن سالم عن أبيه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « دلوك الشمس زوالها » . وقال البزار : « إنما يروى عن ابن عمر موقوفًا ، ولم يرفعه إلا عمر بن قيس وهو لين الحديث » . وذكره الهيثمي في المجمع (٧/٥٣-٥٤) وقال : « رواه البزار وفيه عمر بن قيس المعرف بسندل وهو متروك ». وضعف إسناده السيوطي في الدر المنثور (٤/٣٥٤) وعزاه إلى أبي الشيخ ، وابن مردويه والديلمي .

(٢٢٦) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/١٣٥) من طريقين عن الحسين بن واقد ، عن سيار بن سلامة الرياحي عن أبي برزة الأسلمي ... فذكره .

(٢٢٧) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/١٣٧) . وفيه جهالة ، وضعف ابن حميد وابن أبي ليلى لكن ورد بإسناد آخر عن جابر يأتي بعد هذا .

---

[١] - في ز : « قاله » .

[٢] - في خ : « هشيم » . [٣] - سقط من : خ .

وسلم ومن شاء من أصحابه ، فطعموا عندي ، ثم خرجوا حين زالت الشمس ، فخرج النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقال : « **اخرج يا أبا بكر ، فهذا حين دلكت الشمس** » ثم[١] رواه(٢٢٨) عن سهل بن بكار ، عن أبي عوانة ، عن الأسود بن قيس ، عن نبيح العنزي ، عن جابر ، عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، نحوه . فعلى هذا تكون هذه الآية دخل فيها أوقات الصلاة الخمسة ، فمن قوله : ﴿ **لدلوك الشمس إلى غسق الليل** ﴾ - وهو[٢] : ظلامه ، وقيل : غروب الشمس - أخِذ منه الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، وقوله : ﴿ **وقرآن الفجر** ﴾ ، يعني : صلاة الفجر .

وقد ثبتت السنة عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم تواترًا من أفعاله وأقواله ، بتفاصيل هذه الأوقات ، على ما عليه عمل[٣] أهل الإسلام اليوم ، مما[٤] تلقوه خلفًا عن سلف ، وقرنًا بعد قرن ، كما هو مقرر في مواضعه[٥] ، وللَّه الحمد .

﴿ **إن قرآن الفجر كان مشهودًا** ﴾ ، قال الأعمش(٢٢٩) : عن إبراهيم ، عن ابن مسعود - وعن أبي صالح(٢٣٠) ، عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم في هذه الآية : ﴿ **وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودًا** ﴾ ، قال : تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار .

وقال البخاري(٢٣١) : حدثنا عبد اللَّه بن محمد ، حدثنا[٦] عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ،

---

(٢٢٨) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣٧/١٥) حدثني محمد بن عثمان الرازي ، قال : ثنا ابن بكار به .
وهذا إسناد رجاله ثقات ، غير محمد بن عثمان الرازي شيخ ابن جرير ، فلم أعثر على ترجمة له .

(٢٢٩) - أخرجه ابن ماجه - كتاب الصلاة ، باب : وقت صلاة الفجر (٦٧٠) وابن جرير في تفسيره (١٥/ ١٣٩) . من طريق عبيد بن أسباط بن محمد القرشي ثنا أبي عن الأعمش به .
وأحمد في مسنده (٤٧٤/٤) ثنا أسباط عن الأعمش به .

(٢٣٠) - أخرجه الترمذي - كتاب تفسير القرآن ، باب : « ومن سورة بني إسرائيل » (٣١٣٥) . والنسائي في الكبرى - كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : « إن قرآن الفجر كان مشهودًا » (١١٢٩٣ (٦/ ٣٨١) . وابن ماجه - كتاب الصلاة ، باب : وقت صلاة الفجر (٦٧٠) (٢٢٠/١) . وأحمد في المسند (٤٧٤/٢) . من طريق أسباط عن الأعمش به . وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح » . وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه (١٤٧٤) (٣٦٥/٢) . والحاكم في مستدركه (٣٣٠/١) . من طريق علي بن مسهر عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة وأبي سعيد فذكراه .

(٢٣١) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير ، باب : « إن قرآن الفجر كان مشهودًا (٤٧١٧). ومسلم في صحيحه - كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب : فضل صلاة الجماعة ، وبيان التشديد =

---

[١] - في خ : « فهذا » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في خ : « عما » .
[٥] - في ز : « موضعه » .
[٦] - في خ : « بن » .

عن الزهري ، عن أبي سلمة وسعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **فضل صلاة الجميع[١] على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة ، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر** » . ويقول أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم : ﴿ **وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودًا** ﴾ .

وقال الإمام أحمد(٢٣٢) : حدثنا أسباط ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن ابن مسعود ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم - وحدثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم - في قوله : ﴿ **وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودًا** ﴾ ، قال : « **تشهده ملائكة الليل ، وملائكة النهار** » .

ورواه الترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، ثلاثتهم عن عبيد بن أسباط بن محمد ، عن أبيه به . وقال الترمذي : حسن صحيح . وفي لفظ في الصحيحين(٢٣٣) ، من طريق مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ؛ قال : « **يتعاقبون فيكم ملائكة الليل وملائكة النهار ، ويجتمعون في صلاة الصبح وفي صلاة العصر ، فَيَعْرُجُ الذين باتوا فيكم فيسألهم [ربهم](*) - وهو أعلم بكم(*) - : كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : أتيناهم وهم يصلون ، وتركناهم وهم يصلون** » .

وقال عبد اللَّه بن مسعود(٢٣٤) : يجتمع الحرسان في صلاة الفجر ، فيصعد هؤلاء ويقيم هؤلاء . وكذا قال إبراهيم النخعي ، ومجاهد ، وقتادة ، وغير واحد في تفسير هذه الآية .

وأما الحديث الذي رواه ابن جرير(٢٣٥) هٰهنا - من حديث الليث بن سعد ، عن زيادة ،

= في التخلف عنها (٢٤٦) (٦٤٩) من طريق أبي اليمان ، عن شعيب ، عن الزهري ، عن سعيد وأبي سلمة عن أبي هريرة به .

(٢٣٢) - تقدم (٢٢٩ ، ٢٣٠) .

(٢٣٣) - تقدم تخريجه [سورة الرعد/آية ١١] .

(٢٣٤) - أخرجه الطبراني في الكبير (٩١٣٩) (٩/٢٦٥) . من طريق أبي نعيم ثنا المسعودي عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة قال : كان عبد الله يقول ... فذكره . وتابع المسعودي قتادة عن عقبة بن عبد الغافر عن أبي عبيدة به اخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/١٣٩) . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٣٥٥) إلى سعيد ابن منصور وابن المنذر .

(*) في مصادر التخاريج التي وقفت عليها جاءت بلفظ : « بهم » .

(٢٣٥) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/١٣٩) . قلت : « وزيادة » هذا هو ابن محمد الأنصاري . قال البخاري والنسائي وأبو حاتم : منكر الحديث وكذا قال ابن حجر في التقريب . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٣٥٥) إلى الحكيم الترمذي والطبراني وابن مردويه .

---

[١] - في خ : « الجمع » .

عن محمد بن كعب القرظي ، عن فضالة بن عُبَيد ، عن أبي الدرداء ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر حديث النزول ، وأنه تعالى يقول : من يستغفرني أغفرْ له ، من يَسألني أعطه ، من يدعني فأستجب[١] له حتى يطلع[٢] الفجر » . فلذلك يقول : ﴿ **وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودًا** ﴾ ، فيشهده الله ، وملائكة الليل ، وملائكة النهار .

فإنه تفرد به زيادة وله بهذا حديث في سنن أبي داود(٢٣٦) .

وقوله : ﴿ **ومن الليل فتهجد به نافلة لك** ﴾ : أمر له بقيام الليل بعد المكتوبة ، كما ورد في صحيح مسلم(٢٣٧) ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه سئل : أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة ؟ قال : « **صلاة الليل** » . ولهذا أمر تعالى رسوله بعد المكتوبات بقيام الليل ، فإن التهجد ما كان بعد نوم . قاله[٣] علقمة ، والأسود ، وإبراهيم النخعي ، وغير واحد ، وهو المعروف في لغة العرب . وكذلك ثبتت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - أنه كان يتهجد بعد نومه - عن ابن عباس ، وعائشة ، وغير واحد من الصحابة - رضي الله عنهم - كما هو مبسوط في موضعه ، ولله الحمد والمنة .

وقال الحسن البصري : هو ما كان بعد العشاء ويحمل على ما بعد النوم .

واختلف في معنى قوله : ﴿ **نافلة لك** ﴾ ، فقيل : معناه أنك مخصوص بوجوب ذلك وحدك ، فجعلوا قيام الليل واجبًا في حقه دون الأمة . رواه العوفي عن ابن عباس ، وهو أحد قولي العلماء ، وأحد قولي الشافعي - رحمه الله - واختاره ابن جرير .

وقيل : إنما جعل قيام الليل في حقه نافلة على الخصوص ، لأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وغيره من أمته إنما تكفر عنه صلواتُه النوافلُ الذنوبَ التي عليه ، قاله مجاهد ، وهو في المسند(٢٣٨) عن أبي أمامة الباهلي ، رضي الله عنه .

وقوله : ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا** ﴾ ، أي : افعل هذا الذي أمرتك به ،

---

(٢٣٦) - الحديث المشار إليه عند أبي داود كتاب الطب ، باب : كيفية الرقى ؟ (٣٨٩٢) .

(٢٣٧) - أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الصيام ، باب : فضل صوم المحرم (٢٠٣) (١١٦٣) حدثني زهير بن حرب حدثنا جرير عن عبد الملك بن عمير عن محمد بن المنتشر عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة به .

(٢٣٨) - أخرجه أحمد (٥/٢٥٦) ، والطبراني في الكبير (٧٥٦١) (٨/١٤٥) ، وابن جرير في تفسيره (١٥/١٤٣) . من طريق شهر بن حوشب عن أبي أمامة قال : إنما كانت النافلة للنبي صلى الله عليه =

---

[١] - في ز : « فأستجيب » . [٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : « وقال » .

لنقيمك يوم القيامة مقامًا محمودًا[١] ، يحمدك فيه الخلائق كلهم ، وخالقهم تبارك وتعالىٰ .

قال[٢] ابن جرير : قال أكثر أهل التأويل : ذلك هو المقام الذي يقومه محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم يوم القيامة للشفاعة للناس ؛ ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار[٣] ، حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان ، عن[٤] أبي إسحاق ، عن صلة ابن زفر ، عن حذيفة(٢٣٩) ؛ قال : يجمع الناس في صعيد واحد ، يسمعهم الداعي ، وينفذهم البصر ، حفاة عراة كما خلقوا قيامًا[٥] لا تكلم نفس إلا بإذنه ، ينادىٰ : يا محمد ، فيقول : لبيك وسعديك ، والخير في يديك ، والشر ليس إليك ، والمهدي من هديت ، وعبدك بين يديك ، وبك وإليك ، لا منجى ولا ملجأ منك[٦] إلا إليك ، تباركت

= وسلم . وأخرجه أحمد أيضًا (٥/٢٥٥) والطيالسي في مسنده (١١٣٥) . والطبراني في الكبير (٨٠٦٠) (٨/٣٣٠-٣٣١) . وعبد الرزاق في المصنف (٤٨٤٢) (٢/٧٢٠١) . من طرق عن أبي غالب قال : سألت أبا أمامة عن النافلة ؟ قال : كانت للنبي صلى الله عليه وسلم - نافلة ولكم فضيلة . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٧/٥٣) وقال : « رواه أحمد بإسنادين في أحدهما شهر ، وفي الآخر أبو غالب ، وقد وثقا وفيهما ضعف لا يضر » .

(٢٣٩) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/١٤٤،١٤٥) . والنسائي في الكبرى - كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا ﴾ (١١٢٩٤) (٦/٣٨١) ، والطيالسي في مسنده (٤١٤) . والحاكم (٢/٣٦٣-٣٦٤) ، وأبو نعيم في الحلية (١/٢٧٨) ، واللالكائي في «أصول الاعتقاد» (٢٠٩٥) (٦/١١١٣) . والبزار (٤/٣٤٦٢) ، وابن أبي شيبة في المصنف - كتاب الفضائل (٧/٤٣٣) . من طريق « شعبة ، وسفيان الثوري ، ومعمر بن راشد ، وإسرائيل بن يونس » عن أبي إسحاق به موقوفًا . وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي . وقال الهيثمي في « المجمع » (١٠/٣٨٠) : « رواه البزار موقوفًا ورجاله رجال الصحيح » وأخرجه الطبراني في الأوسط (١٠٥٨) (٢/ ٩) . والحاكم في المستدرك (٤/٥٧٣) . من طريق ليث بن أبي سليم عن أبي إسحاق به مرفوعًا دون ذكر للمقام المحمود ، وتابع الليث على رفعه عبد الله بن المختار ، أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٧٨٩) (٢/ ٣٦٧) . واللالكائي في أصول الاعتقاد (٢٠٩٤) . وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٠/٣٨٠) وقال : رواه الطبراني في الأوسط وفيه ليث بن أبي سليم وهو مدلس ، وبقية رجاله ثقات .

ورجح أبو حاتم في العلل (٢/٢١٧) الوقف . وقال الشيخ الألباني في السنة - عقب رواية عبد الله بن=

[١] - بعده في ت : محمودًا .

[٢] - مكانها بياض في : ز .

[٣] - في خ : « يسار » .

[٤] - في خ : « ابن » .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - سقط من : ت .

وتعاليت ، سبحانك رب البيت . فهذا المقام المحمود الذي ذكره اللّٰه عز وجل .

ثم رواه عن بندار عن غندر ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، به . وكذا رواه عبد الرزاق(٢٤٠) عن معمر ، والثوري عن أبي إسحاق به . وقال ابن عباس : هذا المقام المحمود مقام الشفاعة . وكذا قال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد . وقاله الحسن البصري .

وقال قتادة : هو أول من تنشق عنه الأرض [يوم القيامة][١] ، وأول شافع ، وكان أهل العلم يرون أنه المقام المحمود الذي قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **عسىٰ أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا** ﴾ .

قلت : لرسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم تسليمًا ، تشريفاتٌ لا يشركه فيها أحد ، وتشريفات لا يساويه فيها أحد ؛ فهو أول من تنشق عنه الأرض ، ويبعث راكبًا إلىٰ المحشر ، وله اللواء الذي آدم فمن دونه تحت لوائه ، وله الحوض الذي ليس في الموقف أكثر واردًا منه ، وله الشفاعة العظمىٰ عند اللّٰه ليأتي لفصل القضاء بين الخلائق ، وذلك بعد ما يسأل الناس آدم ، ثم نوحًا ، ثم إبراهيم ، ثم موسىٰ ، ثم عيسىٰ ، فكل يقول : لست لها . حتىٰ يأتوا إلىٰ محمد صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فيقول : « **أنا لها أنا لها** » ، كما سنذكر ذلك مفصلًا في هذا الموضع إن شاء اللّٰه تعالىٰ . ومن ذلك أنه يشفع في أقوام قد أمر بهم إلىٰ النار فيردون عنها ، وهو أول الأنبياء يقضي بين أمته ، وأولهم إجازة علىٰ الصراط بأمته ، وهو أول شفيع في الجنة كما ثبت في صحيح مسلم(٢٤١) .

وفي حديث الصور : أن المؤمنين كلهم لا يدخلون الجنة إلا بشفاعته ، وهو أول داخل إليها ، وأمته قبل الأمم كلهم ، ويشفع في رفع درجات أقوام لا تبلغها أعمالهم ، وهو

= المختار - المتقدمة . « إسناد صحيح على شرط الشيخين ، وهو وإن كان موقوفًا ، فإنه في حكم المرفوع ، لأنه لا يقال مثله بالرأي » .

(٢٤٠) - « التفسير » لعبد الرزاق (٣٨٧/٢) وأخرجه الطبراني في الكبير (١٢٤٧٤) (٦١/١٢-٦٢) . من طريق ابن لهيعة عن عطاء بن دينار الهذلي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فذكره ، وقال الهيثمي في المجمع (٥٤/٧) : « رواه الطبراني وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف إذا لم يتابع ، وعطاء بن دينار قيل : لم يسمع من سعيد بن جبير » . وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤٤/١٥) من طريق رشدين بن كريب عن أبيه عن ابن عباس ذكره . ورشدين ضعيف كما في التقريب . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٥٦/٤) إلى ابن مردويه .

(٢٤١) - أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الإيمان ، باب : في قول النبي - صلى الله عليه وسلم - « أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعًا » (٣٣٢) (١٩٦) (٨٩/٢) من حديث أنس بن مالك .

---

[١] - سقط من : خ .

صاحب الوسيلة التي هي أعلىٰ منزلة في الجنة لا تليق إلا له ، وإذا أذن اللَّه تعالىٰ في الشفاعة [في العصاة][١] شفع الملائكة والنبيون والمؤمنون ، فيشفع هو في خلائق لا يعلم عدتهم إلا اللَّه تعالىٰ ، ولا يشفع أحد مثله ، ولا يساويه في ذلك ، وقد بسطت ذلك مستقصى في آخر كتاب السيرة في باب الخصائص ، وللَّه الحمد والمنة .

ولنذكر الآن الأحاديث الواردة في المقام المحمود وباللَّه المستعان . قال البخاري(٢٤٢) :

حدثنا إسماعيل بن أبان ، حدثنا أبو الأحوص[٢] ، عن آدم بن عليّ ، سمعت ابن عمر يقول[٣] : إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثًا ، كل أمة تتبع نبيها ، يقولون : يا فلان ، اشفع ، يا فلان اشفع ، حتىٰ تنتهي الشفاعة إلىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فذلك يوم يبعثه اللَّه مقامًا محمودًا .

ورواه حمزة بن عبد اللَّه عن أبيه عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم(٢٤٣) .

قال ابن جرير(٢٤٤) : حدثني محمد بن عبد اللَّه بن عبد الحكم ، حدثنا شعيب بن الليث ، حدثني الليث ، عن عبيد اللَّه بن أبي جعفر ؛ أنه قال : سمعت حمزة بن عبد اللَّه ابن عمر ، يقول : [سمعت عبد اللَّه بن عمر ؛ يقول][٤] : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن الشمس لتدنو حتىٰ يبلغ[٥] العرق نصف الأذن ، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم فيقول : لست صاحب ذلك ، ثم بموسىٰ فيقول كذلك ، ثم بمحمد [صلىٰ اللَّه عليه وسلم فيشفع][٦] بين الخلق ، فيمشي حتىٰ يأخذ بحلقة باب الجنة ، فيومئذ يبعثه اللَّه مقامًا محمودًا [يحمده أهل الجمع كلهم][٧]** » .

---

(٢٤٢) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : « ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا** ﴾ » (٤٧١٨) . والنسائي في الكبرى - كتاب التفسير (١١٢٩٥) (٣٨١/٦) من طريق سعيد بن منصور نا أبو الأحوص به .

(٢٤٣) - أخرجه البخاري في صحيحه معلقًا - كتاب الزكاة ، باب : من سأل الناس تكثّرًا (١٤٧٥) (٣/ ٣٣٨) . وكتاب التفسير ، باب : « عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا » (٤٧١٩) .

(٢٤٤) - وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤٢/١٥) . وأخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الزكاة ، باب : من سأل الناس تكثرًا (١٤٧٤،١٤٧٥) (٣٣٨/٣) .

---

[١] - في ز : « للعصاة » .
[٢] - في ز : « الأخوط » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في ز : « تبلغ » .
[٦] - في خ : « يشفع » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[وهكذا رواه البخاري في الزكاة عن يحيى بن بكير و[١] عبد الله بن صالح - كلاهما عن الليث بن سعد به . وزاد : فيومئذ يبعثه الله مقامًا محمودًا ، يحمده أهل الجمع كلهم][٢] .

قال البخاري(٢٤٥) : وحدثنا عليّ بن عياش ، حدثنا شعيب بن أبي حمزة ، عن محمد ابن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله ؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة ، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته - حلت له شفاعتي يوم القيامة** » . انفرد به دون مسلم .

(**حديث أبيّ**) : وقال الإمام أحمد(٢٤٦) : حدثنا أبو عامر الأزدي ، حدثنا زهير بن محمد ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن الطفيل بن أبيّ بن كعب ، عن أبيه ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ؛ قال : « **إذا كان يوم القيامة كنت إمام الأنبياء وخطيبهم ، وصاحب شفاعتهم غير فخر** » .

وأخرجه الترمذي من حديث أبي عامر عبد الملك بن عمرو العقدي ، وقال : حسن صحيح . وابن ماجه من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل به ، وقد قدمنا في حديث أبيّ ابن كعب(٢٤٧) في قراءة القرآن علىٰ سبعة أحرف ، قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في آخره : « **فقلت : اللهم ؛ اغفر لأمتي ، اللهم ؛ اغفر لأمتي ، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليّ فيه الخلق ، حتىٰ إبراهيم عليه السلام** » .

---

(٢٤٥) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الأذان ، باب الدعاء عند النداء (٦١٤) . وأبو داود - كتاب الصلاة ، باب ما جاء في الدعاء عند الأذان (٥٢٩) . والترمذي كتاب الصلاة (٢١١) . والنسائي - كتاب الصلاة - باب : الدعاء عند الأذان (٢/٢٦-٢٧) . وابن ماجه - كتاب الأذان والسنة فيها - باب : ما يقال إذا أذن المؤذن (٧٢٢) كلهم من حديث علي بن عياش به .

(٢٤٦) - **إسناده حسن** ، أخرجه أحمد (٥/١٣٧،١٣٨) . والترمذي - كتاب المناقب ، باب : في فضل النبي صلى الله عليه وسلم (٣٦١٣) . وابن ماجه - كتاب الزهد ، باب : ذكر الشفاعة (٤٣١٤) وابن أبي عاصم في السنة (٧٨٧٩) (٢/٣٦٦) من طريق زهير به ، والحاكم في المستدرك (١/٧١) من طريقين عن عبد الله بن محمد به . قال الحاكم : « حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه لتفرد عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب ، ولما نسب إليه من سوء الحفظ ، وهو عند المتقدمين من أئمتنا ثقة مأمون » .

(٢٤٧) - أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب : بيان أن القرآن على سبعة أحرف - وبيان معناه (٢٧٣) (٨٢٠) .

---

[١] - في ز : « وعلقمة بن » . [٢] - سقط من : خ .

(**حديث أنس بن مالك**) قال الإمام أحمد(٢٤٨) : [حدثنا يحيىٰ بن سعيد][١] ، حدثنا سعيد بن أبي عروبة ، حدثنا قتادة ، عن أنس ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ؛ قال : « **يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيلهمون ذلك فيقولون : لو استشفعنا علىٰ ربنا فأراحنا من مكاننا هذا . فيأتون آدم فيقولون : يا آدم ، أنت أبو البشر ، خلقك اللَّه بيده ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء ، فاشفع لنا إلىٰ ربك حتىٰ يريحنا من مكاننا هذا . فيقول لهم آدم : لست هناكم ، ويذكر ذنبه الذي أصاب ، فيستحيي ربَّه - عز وجل - من ذلك ، ويقول: ولكن ائتوا نوحًا ؛ فإنه أول رسول بعثه اللَّه إلىٰ أهل الأرض ، فيأتون نوحًا فيقول : لست هناكم ، ويذكر[٢] [خطيئة سؤاله][٣] [ربه ما ليس له به علم][٤] فيستحيي[٥] [ربَّه من ذلك ، ويقول : ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن . فيأتونه فيقول : لست هناكم][٦] ، ولكن ائتوا موسىٰ : عبدًا كلمه اللَّه وأعطاه التوراة . فيأتون موسىٰ فيقول : لست هناكم ، ويذكر لهم النفس التي قتل بغير نفس فيستحيي ربه من ذلك ، ولكن ائتوا عيسىٰ عبد اللَّه ورسوله وكلمته وروحه . فيأتون عيسىٰ فيقول : لست هناكم ، ولكن ائتوا محمدًا : [عبدًا غفر اللَّه له][٧] ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فيأتوني** » .

قال الحسن هذا الحرف[٨] : « **فأقوم فأمشي بين سماطين من المؤمنين** » ، قال أنس : « **حتىٰ أستأذن علىٰ ربي ، فإذا رأيت ربي وقعت له - أو خررت ساجدًا لربي ، فيدعني ما شاء اللَّه أن يدعني** » ، قال : « **ثم يقال : ارفع محمد ، قل يسمع ، واشفع تشفع ، وسل تعطه ، فأرفع رأسي ، فأحمده بتحميد يعلمنيه ، ثم أشفع ، فيحدّ لي حدًّا فأدخلهم الجنة ، ثم أعود إليه الثانية ، فإذا رأيت ربي وقعت - أو خررت ساجدًا لربي ، فيدعني ما شاء اللَّه أن يدعني ، ثم يقال : ارفع محمد ، قل يسمع ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأرفع رأسي ، فأحمده بتحميد يعلمنيه ، ثم أشفع ، فيحدّ لي حدًّا فأدخلهم الجنة ، ثم أعود في الثالثة ، فإذا رأيت ربي وقعت أو خررت ساجدًا لربي ، فيدعني ما شاء اللَّه أن يدعني ، ثم يقال : ارفع محمد ، قل يسمع ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ،**

---

(٢٤٨) - أخرجه أحمد (١١٦/٣) . والبخاري في صحيحه - كتاب التفسير ، باب قول اللَّه « وعلم آدم الأسماء كلها (٤٤٧٦) . ومسلم في صحيحه - كتاب الإيمان ، باب : أدنى أهل الجنة منزلة فيها (٣٢٣) (٣٢٥) (١٩٣) ، وابن ماجة - كتاب الزهد - باب ذكر الشفاعة (٤٣١٢) من طرق عن سعيد به .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٢] - سقط من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « خطيئته سأله » ، سقط من : خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٥] - في ت : « فيستحي » ، سقط من : خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٧] - في ز : « عبد غفر له » .
[٨] - في خ : « الخوف » .

فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه ، ثم أشفع ، فيحد لي حدًّا فأدخلهم الجنة ، ثم أعود في الرابعة فأقول : يا رب ، ما بقي إلا من حبسه القرآن » ، فحدثنا أنس بن مالك أن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **فيخرج من النار من قال لا إله إلا اللَّه وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا اللَّه وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا اللَّه وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة** » أخرجاه من حديث سعيد به وهكذا رواه الإمام[١] أحمد(٢٤٩) ، عن عفان ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس ، بطوله .

وقال الإمام أحمد(٢٥٠) : حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا حرب بن ميمون أبو الخطاب الأنصاري ، عن النضر بن أنس ، عن أنس قال : حدثني نبي اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **إني لقائم أنتظر أمتي تعبر الصراط ، إذ جاءني عيسىٰ – عليه السلام – فقال : هذه الأنبياء قد جاءتك يا محمد يسألون** » – أو قال : « **يجتمعون إليك** » – « **ويدعون اللَّه أن يفرق بين جميع الأمم إلىٰ حيث يشاء اللَّه ، لغمّ ما هم فيه ؛ فالخلق ملجمون بالعرق – فأما المؤمن فهو عليه كالزكمة[٢] ، وأما الكافر فيغشاه الموت – فقال : اانتظر حتىٰ أرجع إليك ، فذهب نبي اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم، فقام تحت العرش ، فلقي ما لم يلق مَلَك مصطفى ، ولا نبي مرسل ، فأوحى اللَّه – عز وجل – إلىٰ جبريل : أن اذهب إلىٰ محمد ، وقل له : ارفع رأسك ، وسل تعطه ، واشفع تشفع . فشفعت في أمتي : أن أخرج من كل تسعة وتسعين إنسانًا واحدًا . فما زلت أتردد إلىٰ ربي – عز وجل – ، فلا أقوم منه مقامًا إلا شفعت ؛ حتىٰ أعطاني اللَّه – عز وجل – من ذلك أن قال : يا محمد ، أدخل من أمتك مِن خَلْق اللَّه – عز وجل – من شهد أن لا إله إلا اللَّه يومًا واحدًا مخلصًا ومات علىٰ ذلك** » .

(حديث بريدة رضي اللَّه عنه): قال الإمام أحمد بن حنبل(٢٥١) : حدثنا الأسود بن عامر ، أخبرنا أبو إسرائيل ، عن الحارث بن حصيرة ، عن ابن بريدة ، عن أبيه : أنه دخل علىٰ معاوية فإذا رجل يتكلم ، فقال بريدة : يا معاوية ، تأذن لي في الكلام ؟ فقال : نعم –

(٢٤٩) – أخرجه أحمد (٣/٢٤٧–٢٤٨) .

(٢٥٠) – أخرجه أحمد (٣/١٧٨) . وحرب بن ميمون صدوق روى له مسلم في صحيحه ، وباقي رجاله ثقات من رجال الشيخين .

(٢٥١) – أخرجه أحمد (٥/٣٤٧) . وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٠/٣٨١) وقال : رواه أحمد ورجاله وثقوا على ضعف كثير في أبي إسرائيل الملائي . وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع (٢٠٩٤) (٢/ ٢٢٤) .

---

[١] – سقط من : ز .

[٢] –

وهو يرىٰ أنه يتكلم بمثل ما قال الآخر - فقال بريدة : سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « **إني لأرجو أن أشفع يوم القيامة عدد ما علىٰ الأرض من شجرة ومدرة** » . قال : أفترجوها[١] أنت يا معاوية ولا يرجوها عليّ رضي اللَّه عنه ؟ !

(حديث ابن مسعود رضي اللَّه عنه) قال الإمام أحمد(٢٥٢) : حدثنا عارم بن الفضل ، [ ][٢] حدثنا سعيد بن زيد ، حدثنا عليّ بن الحكم البناني ، عن عثمان ، عن إبراهيم ، عن علقمة والأسود ، عن ابن مسعود قال : جاء ابنا مليكة إلىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقالا : إن أمنا كانت تكرم الزوج ، وتعطف على الولد - قال : وذكر الضيف - غير أنها كانت وأدت في الجاهلية ، فقال : « **أمكما في النار** » . قال : فأدبرا والسوء يُرىٰ في وجوههما ، فأمر بهما فردا ، فرجعا والسرور[٣] يرىٰ في وجوههما رجاء أن يكون[٤] قد حدث شيء[٥] ، فقال : « **أمي مع أمكما** » . فقال رجل من المنافقين : وما يغني هذا عن أمه شيئًا ، ونحن نطأ عقبيه . فقال رجل من الأنصار - ولم أر رجلًا قط أكثر سؤالًا منه - يا رسول اللَّه ، هل وعدك ربك فيها أو فيهما ؟ قال : فظن أنه من شيء قد سمعه فقال : « **ما سألته[٦] ربي وما أطمعني فيه ، وإني لأقوم المقام المحمود يوم القيامة** » . فقال الأنصاري : يا رسول اللَّه ، وما ذاك المقام المحمود ؟ قال : « **ذاك إذا جيء بكم حفاة عراة غُزْلًا[٧] فيكون أول من يكسى : إبراهيم عليه السلام فيقول : اكسوا خليلي ، فيؤتى بريطتين[٨] بيضاوين فيلبسهما ، ثم يقعده مستقبل العرش ، ثم أوتىٰ بكسوتي فألبسها ،**

(٢٥٢) - أخرجه أحمد (٣٩٨/١) . والطبراني في الكبير (١٠٠١٧) (٩٨/١٠) وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٣٨) . والبزار (٢٥١/١) . من طريق سعيد بن زيد به . وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣٦٤/٢-٣٦٥) وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٣٩) والطبراني (١٠٠١٨) من طريق الصعق بن حزن ، عن علي بن الحكم عن عثمان بن عمير عن أبي وائل عن ابن مسعود به . وقال البزار : « لا نعلمه يروى بهذا اللفظ من حديث علقمة عن عبد الله إلا من هذا الوجه ، وقد روى الصعق بن حزن عن علي بن الحكم عن عثمان بن عمير عن أبي وائل عن عبد الله ، وأحسب أن الصعق غلط في هذا الإسناد » . وقال الحاكم : « حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وعثمان بن عمير هو ابن اليقظان » وتعقبه الذهبي بقوله « لا والله ، فعثمان ضعفه الدارقطني ، والباقون ثقات » والحديث ذكره الهيثمي في المجمع (٣٦٤/١٠-٣٦٥) وقال : « رواه أحمد والبزار والطبراني ، وفي أسانيدهم كلهم عثمان بن عمير وهو ضعيف » .

(*) تنبيه : تصحف في المطبوع من المسند « سعيد بن زيد » إلى « ثنا أبو سعيد ثنا ابن زيد » فليستدرك هناك .

[١] - في ز : « فترجوها » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « ثنا سعيد بن الفضل » .

[٣] - في ز : « والسوء » .

[٤] - في ز : « يكونان » .

[٥] - في ز : « بشيء » .

[٦] - في ز : « شاء الله » .

[٧] - في خ : غر .

[٨] - في ز : « بربطتين » .

فأقوم عن يمينه مقامًا لا يقومه أحد . فيغبطني فيه الأولون والآخرون ، ويفتح نهر[١] من الكوثر إلىٰ الحوض » فقال المنافقون : إنه ما جرىٰ ماء قط إلا علىٰ حال أو رَضراض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **حاله المسك ورضراضه التوم**(**) » فقال[٢] المنافق : لم أسمع كاليوم ؛ فإنه قلما [جرىٰ ماء علىٰ حال أو رضراض(*) إلا كان له نبته ؟ فقال الأنصاري : يا رسول الله ، هل له نبت ؟ قال : « **نعم ، قضبان الذهب** » . قال المنافق : لم أسمع كاليوم ؛ فإنه قلما][٣] ينبت[٤] قضيب إلا أورق وإلا كان له ثمر قال الأنصاري : يا رسول الله ، هل له ثمرة ؟ قال : « **نعم ، ألوان الجوهر ، وماؤه أشد بياضًا من اللبن ، وأحلى من العسل ، من شرب منه شربًا[٥] لا يظمأ بعده . ومن حرمه لم يروى[٦] بعده** ».

وقال أبو داود الطيالسي(٢٥٣) : حدثنا يحيىٰ بن سَلَمة بن كُهَيل ، عن أبيه ، عن أبي الزّعْراء ، عن عبد الله قال : ثم يأذن الله عز وجل في الشفاعة ، فيقوم روح القدس جبريل ، ثم يقوم إبراهيم خليل الله ، ثم يقوم عيسىٰ أو موسىٰ - قال أبو الزعراء : لا أدري أيهما قال : ثم يقوم نبيكم صلىٰ الله عليه وسلم رابعًا ، فيشفع لا يشفع أحد بعده أكثر مما شفع ، وهو المقام المحمود الذي قال الله -عز وجل- : ﴿ **عسىٰ أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا** ﴾ .

(حديث كعب بن مالك رضي الله عنه) : قال الإمام أحمد(٢٥٤) : حدثنا يزيد بن عبد ربه ، حدثنا محمد بن حرب ، حدثنا الزبيدي ، عن الزهري ، عن عبد الرحمن بن[٧]

(*) الحال : الطين . والرضراض : الحصى الصغير . (**) التُّوم : الدُّرّ .

(٢٥٣) - أخرجه الطيالسي في مسنده (٣٨٩) . وأخرجه الطبراني في الكبير (٩٧٦١) (٤١٦،٤١٣/٩) . والحاكم في المستدرك (٥٦٠،٥٩٨/٤) . وابن جرير في تفسيره (١٤٤/١٥) . من طريق سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل به مطولًا ومختصرًا . وقال الحاكم : « حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وتعقبه الذهبي بقوله : « ما احتجا بأبي الزعراء » . قلت : ولم يوثقه أيضًا إلا العجلي ، وهو معروف بتساهله . وقال فيه البخاري : لا يتابع على حديثه [التاريخ الكبير ٥٠/ترجمة ٧٢٠] . وذكره الهيثمي في المجمع (٣٣٣:٣٣١/١٠) وقال : « رواه الطبراني وهو موقوف مخالف للحديث الصحيح وقول النبي - صلى الله عليه وسلم أنا أول شافع » .

(٢٥٤) - أخرجه أحمد (٤٥٦/٣) . وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٦٤٧٩) (٣٩٩/١٤) . والطبراني في الكبير (١٤٢) (٧٣-٧٢/١٩) . وفي « الأوسط » (٨٧٩٧) (٣٣٦/٨) وفي « معجم الشاميين » (١٧٨٥) . والحاكم في المستدرك (٣٦٣/٢) ، وابن جرير في تفسيره (١٤٧/١٥) . من طريق محمد بن حرب به . وأخرجه الطبراني (١٤٢) وابن جرير (١٤٦/١٥) والطحاوي في مشكل الآثار (٤٤٩/١) =

---

[١] - في ز : « لهم » .
[٢] - في ز : « قال » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٤] - في ز : « يثبت » .
[٥] - في خ: « شربة » .
[٦] - في ت : « يروى » .
[٧] - في ز ، خ : « عن » .

عبد اللَّه بن [كعب بن مالك][١] ، عن كعب بن مالك ؛ قال[٢] : إن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ؛ قال : « **يبعث الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي علىٰ تل ، ويكسوني ربي - عز وجل - حلة خضراء[٣] ، ثم يؤذن لي فأقول ما شاء اللَّه أن أقول ، فذلك المقام المحمود** » .

(حديث أبي الدرداء رضي اللَّه عنه) : قال الإمام أحمد(٢٥٥) : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لَهيعة ، حدثنا يزيد بن أبي حبيب ، عن عبد الرحمن بن جُبير ، عن أبي الدرداء ؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أنا أول من يؤذن له بالسجود يوم القيامة ، وأنا أول من يؤذن له أن يرفع رأسه ، فأنظر إلىٰ ما[٤] بين يدي فأعرف أمتي من بين الأمم ، ومن خلفي مثل ذلك ، وعن يميني مثل ذلك ، وعن شمالي مثل ذلك** » . فقال رجل : يا رسول اللَّه ؛ كيف تعرف أمتك من[٥] بين الأمم فيما بين نوح إلىٰ أمتك ؟ قال : « **هم غرّ محجلون من أثر الوضوء ، ليس أحد كذلك غيرهم ، وأعرفهم أنهم يُؤتَون كتبهم بأيمانهم ، وأعرفهم تسعىٰ من[٦] بين أيديهم ذريتهم** » .

(حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه) : قال الإمام أحمد رحمه اللَّه(٢٥٦) : حدثنا يحيىٰ ابن سعيد ، حدثنا أبو حيان ، حدثنا أبو زرعة بن عمرو بن جرير ، عن أبي هريرة ؛ قال :

= وابن أبي عاصم في السنة (٧٨٥) . من طريقين عن بقية بن الوليد عن الزبيدي به . وقال الحاكم : « صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبي . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٥٤/٧) وقال : « رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح » ، (٣٨٠/١٠) وقال : « رواه الطبراني في الكبير ، والأوسط وأحد إسنادي الكبير رجاله رجال الصحيح » وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٥٧/٤) إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٢٥٥) - أخرجه أحمد (١٩٩/٥) . وذكره الهيثمي في المجمع (٢٣٠/١) وقال : « رواه أحمد والطبراني في الكبير باختصار ، وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف » . وذكره أيضًا (٣٤٧/١٠) وقال : « رواه أحمد والبزار باختصار عنه ... ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن لهيعة ، وهو ضعيف وقد وثق . وأخرجه أحمد أيضًا (١٩٩/٥) حدثنا قتيبة بن سعيد ثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن عبد الرحمن بن جبير أنه سمع من أبي ذر وأبي الدرداء فذكره بنحوه . وتابع ابن لهيعة : الليث بن سعد . أخرجه الحاكم (٤٨٧/٢) من طريق عبد الله بن صالح المصرى حدثني الليث بن سعد به . وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ، وسكت عنه الذهبي في التلخيص . لكن عبد الله بن صالح ، كاتب الليث ، صدوق كثير الغلط كما في التقريب .

(٢٥٦) - أخرجه أحمد (٤٣٥/٢ - ٤٣٦) وأخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الأنبياء ، باب : قول =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - في ز ، خ : « حمراء » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - سقط من : ت .

أُتي رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بلحم ، فَرُفع إليه الذراع - وكانت تعجبه - [فَنَهش منها نَهْشةً][١] ، ثم قال : « **أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون مم ذاك ؟ يجمع اللَّه الأولين والآخرين في صعيد واحد ، يُسْمعهم الداعي وينفُذُهم البصر ، وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الهمّ[٢] والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون ، فيقول بعض[٣] الناس لبعض : [ألا ترون إلىٰ ما أنتم فيه ؟ ألا ترون إلى ما قد بلغكم ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلىٰ ربكم عز وجل ؟ فيقول بعض الناس لبعض][٤] : أبوكم آدم فيأتون آدم[٥] فيقولون : يا آدم ، أنت أبو البشر ، خلقك اللَّه بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، فاشفع لنا إلىٰ ربك ، ألا ترىٰ ما نحن فيه ؟ ألا ترىٰ ماقد بلغنا ؟ فيقول آدم : إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيتُه ، نفسي ! نفسي ! اذهبوا إلىٰ غيري ، اذهبوا إلىٰ نوح .**

فيأتون نوحًا فيقولون : يا نوح ؛ أنت أول الرسل إلىٰ أهل الأرض ، سماك[٦] اللَّه عبدًا شكورًا ، فاشفع[٧] لنا إلىٰ ربك ، ألا ترىٰ ما نحن فيه ؟ ألا ترىٰ ما قد بلغنا ؟ فيقول نوح : إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ؛ ولن يغضب بعده مثله ، وإنه كانت لي دعوة علىٰ قومي ، نفسي ! نفسي ! نفسي ! اذهبوا إلىٰ غيري ، اذهبوا إلىٰ إبراهيم .

فيأتون إبراهيم فيقولون : يا إبراهيم ؛ أنت نبي اللَّه وخليله من أهل الأرض ، [اشفع لنا إلىٰ ربك][٨] ألا ترىٰ ما نحن فيه ؟ ألا ترىٰ ماقد بلغنا ؟ فيقول : إن ربي قد غضب اليوم غضبًالم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، فذكر كذباته . نفسي ! نفسي[٩] ! نفسي ! [اذهبوا إلى غيري][١٠] ، اذهبوا إلى موسى .

= الله عز وجل : ﴿ ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه ﴾ (٣٣٤٠) (٣٧١/٦) . ومسلم في صحيحه - كتاب الإيمان ، باب : أدنى أهل الجنة منزلة فيها (٣٢٧) (١٩٤) (٨٠/٣ : ٨٤) . والترمذي - كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ، باب : ما جاء في الشفاعة (٢٤٣٤) (٥٣٧/٤ : ٥٣٩) . من طرق عن أبي حيان به .

---

[١] - في ت : « فنهس منها نهسة » .
[٢] - في ت : « الغم » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « ائتوا » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في خ : « وسماك » .
[٧] - في خ : « اشفع » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٩] - سقط من : ت .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

فيأتون موسىٰ عليه السلام فيقولون : يا موسىٰ ؛ أنت رسول اللَّه ، اصطفاك اللَّه برسالاته وبكلامه علىٰ الناس ، اشفع لنا إلىٰ ربك ، ألا ترىٰ ما نحن فيه ؟ ألا ترىٰ ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم موسىٰ : إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإني قد[١] قتلت نفسًا لم أومر بقتلها . نفسي ! نفسي ! نفسي ! اذهبوا إلىٰ غيري ، اذهبوا إلىٰ عيسىٰ .

فيأتون عيسىٰ فيقولون : يا عيسىٰ ؛ أنت رسول اللَّه وكلمته ألقاها إلىٰ مريم وروح منه - قال : هكذا هو- **وكلمت الناس في المهد صبيًّا[٢] ، فاشفع لنا إلىٰ[٣] ربك ، ألا ترىٰ ما نحن فيه ؟ ألا ترىٰ ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم عيسىٰ : إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ، ولن[٤] يغضب بعده مثله -ولم يذكر ذنبًا- اذهبوا إلىٰ غيري ، اذهبوا إلىٰ محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم .**

فيأتوني فيقولون : يا محمد ؛ أنت رسول اللَّه وخاتم الأنبياء ، وقد[٥] غفر اللَّه لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فاشفع لنا إلىٰ ربك ، ألا ترىٰ ما نحن فيه ؟ ألا ترىٰ ما قد بلغنا ؟ فأقوم فآتي تحت العرش فأقع ساجدًا لربي - عز وجل - ثم يفتح اللَّه عليّ ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه ما لم يفتحه علىٰ أحد قبلي ، فيقال : يا محمد ؛ ارفع رأسك ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأقول : يارب[٦] ، أمتي أمتي . يارب ، أمتي ! يارب ، أمتي أمتي . فيقال : يا محمد ؛ أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سواه من الأبواب ، ثم قال[٧] : والذي نفس محمد بيده [لما بين المصراعين][٨] من مصاريع الجنة لكما[٩] بين مكة وهجر ، أو كما بين مكة وبُصْرى . أخرجاه في الصحيحين .

وقال مسلم - رحمه اللَّه(٢٥٧) - : حدثنا الحكم بن موسىٰ ، حدثنا هِقْلُ بن زياد ، عن الأوزاعي ، حدثني أبو عمار ، حدثني عبد اللَّه بن فروخ ، حدثني أبو هريرة ؛ قال : قال

(٢٥٧) - أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الفضائل ، باب : تفضيل نبينا - صلى الله عليه وسلم - على جميع الخلائق (٣) (٢٢٧٨) . وأبو داود كتاب السنة ، باب : في التخيير بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (٤٦٧٣) حدثنا عمرو بن عثمان ثنا الوليد عن الأوزاعي به .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ز ، خ : « ولم » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ت : « يارب » .
[٧] - في خ : « يقال » .
[٨] - في خ : « لما بين مصراعيه » .
[٩] - في خ : « كما » .

رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق**[١] **عنه القبر ، وأول شافع ، وأول مشفع** » .

وقال ابن جرير(٢٥٨) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا وكيع ، عن داود بن يزيد الزّعافري[٢] ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **عسىٰ أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا** ﴾ - سئل عنها - فقال : « **هي الشفاعة** » .

رواه الإمام أحمد عن وكيع و[٣]محمد بن عبيد ، عن داود ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم في قوله تعالىٰ : ﴿ **عسىٰ أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا** ﴾ ، قال : « **هو المقام الذي أشفع لأمتي فيه** » .

وقال عبد الرزاق(٢٥٩) : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن عليّ بن الحسين ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إذا كان يوم القيامة مدّ الله الأرض مدّ الأديم حتىٰ لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدمه** » ، قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **فأكون أول من يدعىٰ**[٤] ، **وجبريل عن يمين الرحمن ، والله ما رآه قبلها ، فأقول أي**[٥] : **رب ؛ هذا أخبرني أنك أرسلته إليّ . فيقول الله**[٦] **- تبارك وتعالىٰ - : صدق . ثم أشفع فأقول : يا رب ؛ عبادك عبدوك في أطراف الأرض** » . قال : فهو المقام المحمود . هذا حديث مرسل .

(٢٥٨) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤٥/١٥) . وأخرجه أحمد (٤٤٤/٢ ، ٤٧٨) . والترمذي - كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة بني إسرائيل (٣١٣٧) والبيهقي في « شعب الإيمان » (٢٩٩) (٢٨١/١) وأبو نعيم في الحلية (٣٧٢/٨) ، وابن أبي عاصم في السنة (٧٨٤) (٣٦٤/٢) . كلهم من طريق وكيع بن الجراح به . وأخرجه أحمد (٤٤١/٢ ، ٥٢٨) . والمروزي في زوائد زهد ابن المبارك (١٣١٢) . من طريق محمد بن عبيد قال : حدثنا داود الأودي عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : «عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا » قال : « والمقام الذي أشفع لأمتي فيه » . وقال الترمذي « هذا حديث حسن » . قلت : داود بن يزيد ضعيف ، وأبوه مقبول كما في « التقريب » ، وللحديث شواهد كثيرة منها حديث كعب بن مالك - تقدم (٣٣٩) وشواهد أخرى تأتي . والحديث حسنه الشيخ الألباني في الصحيحة (٢٣٦٩) (٤٨٤/٥) .

(٢٥٩) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤٢/١٥) . والحاكم في المستدرك (٥٧١/٤) . من طريقين عن عبدالرزاق عن معمر به . وتابع معمرًا على إرساله :

١- « يونس بن يزيد » . أخرجه الحاكم (٥٧١/٤) من طريقه عن ابن شهاب عن علي بن الحسين عن =

[١] - في خ : « تنشق » .
[٢] - في خ : « الدعافري » .
[٣] - في ز : « عن » .
[٤] - في خ : « أدعى » .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - في خ : « الرب » .

﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا (٨٠) وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (٨١)﴾

قال الإمام أحمد(٢٦٠) : حدثنا جرير ، عن قابوس بن أبي ظَبْيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس ؛ قال[١] : كان النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم بمكة ثم أمر بالهجرة ، فأنزل اللَّه : ﴿ **وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانًا نصيرًا** ﴾ .

وقال الحسن البصري في تفسير هذه الآية : إن كفار أهل مكة لما ائتمروا برسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ليقتلوه أو يطردوه أو يوثقوه ، وأراد اللَّه قتال أهل مكة ، فأمره أن يخرج إلىٰ المدينة ، فهو الذي قال اللَّه - عز وجل - : ﴿ [**وقل رب**][٢] **أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق** ﴾ .

= رجل من أهل العلم ولم يسمه .

٢ - صالح بن كيسان .

أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٣٠٣) (٢٨٢/١) من طريق إبراهيم بن سعد عنه عن الزهري به .
وقد وصله إبراهيم بن سعد عن الزهري عن علي بن الحسين عن جابر - رضي الله عنه - به . أخرجه الحاكم (٥٧٠/٤ - ٥٧١) . وقال : « حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وقد أرسله يونس ابن يزيد ، ومعمر بن راشد عن الزهري » . قلت : وإبراهيم بن سعد ثقة روى له الجماعة ، لكنه لم يكن ثبتًا في الزهري . كما قال الذهبي في كتابه « من تكلم فيه ، وهو موثق » : « إبراهيم بن سعد ثقة سمع من الزهري والكبار ، ينفرد بأحاديث تحتمل له ، ليس هو في الزهري بذاك الثبت » . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٥٧/٤) إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٢٦٠) - أخرجه أحمد (٢٢٣/١) وأخرجه الترمذي - كتاب تفسير القرآن ، باب : « ومن سورة بني إسرائيل » (٣١٣٩) (٢٨٤/٥) . والحاكم في مستدركه (٣/٣) . والبيهقي في السنن (٩/٩) وفي دلائل النبوة (٥١٦/٢) . وابن جرير في تفسيره (١٤٨/١٥) . من طريق جرير به . وأخرجه الطبراني في الكبير (١٢٦١٨) (١٠٩/١٢) من طريق سفيان عن قابوس به . وأخرجه البيهقي في الدلائل (٥١٦/٢) من طريق سفيان عن قابوس بن أبي ظبيان عن ابن عباس به هكذا دون ذكر لأبيه . وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح » . وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي . قلت : قابوس بن أبي ظبيان . ضعفه النسائي ، وقال أبو حاتم : وليس بالقوى . وضعفه ابن معين في رواية ، ووثقه في أخرى ، وقال ابن سعد: فيه ضعف لا يحتج به . وذكره ابن حبان في المجروحين وقال : كان رديء الحفظ يتفرد عن أبيه بما لا أصل له ربما رفع المراسيل وأسند الموقوف . وقال الدارقطني : « ضعيف ولكن لا يترك » ، ولينه ابن حجر في التقريب .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

و[١]قال قتادة : ﴿ وقل رب أدخلني مدخل صدق ﴾ ، يعني : [المدينة ﴿ وأخرجني مخرج صدق ﴾ يعني][٢] : مكة . وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم . وهذا القول هو أشهر الأقوال .

وقال العوفي عن ابن عباس : ﴿ أدخلني مدخل صدق ﴾ ، [يعني : الموت][٣] ، ﴿ وأخرجني مخرج صدق ﴾ ، يعني : الحياة بعد الموت . وقيل غير ذلك من الأقوال . والأول أصح ، وهو اختيار ابن جرير .

وقوله : ﴿ واجعل لي من لدنك سلطانًا نصيرًا ﴾ ، قال الحسن البصري في تفسيرها : وعده ربه لينزعن ملك فارس وعز فارس وليجعلنه له[٤] ، وملك الروم وعز الروم وليجعلنه له .

وقال قتادة فيها : إن نبي الله صلى الله عليه وسلم علم ألّا طاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان ، فسأل سلطانا نصيرًا لكتاب الله ، ولحدود الله ، ولفرائض الله ، ولإقامة دين الله ؛ فإن السلطان رحمة من الله جعله بين أظهر عباده ، لولا ذلك لأغار بعضهم على بعض فأكل شديدهم ضعيفهم .

و[٥] قال مجاهد : ﴿ سلطانًا نصيرًا ﴾ : حجة بينة .

واختار ابن جرير قول الحسن وقتادة - وهو الأرجح - لأنه لابد مع الحق من قهر لمن عاداه وناوأه ؛ ولهذا قال[٦] تعالى : ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ﴾ وفي الحديث : « إن الله [ليزع][٧] بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » . أي : ليمنع بالسلطان عن ارتكاب الفواحش والآثام ما لا يمتنع كثير من الناس بالقرآن وما فيه من الوعيد الأكيد والتهديد الشديد ، وهذا هو الواقع .

وقوله : ﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا ﴾ : تهديد ووعيد لكفار قريش ؛ بأنه[٨] قد جاءهم من الله الحق الذي لا مرية[٩] فيه ولا قبل لهم به ، وهو ما بعثه

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - سقط من : ت .
[٦] - في خ : « يقول » .
[٧] - في ز : « لا يزع » .
[٨] - في ت : « فإنه » .
[٩] - في خ : « مزية » .

اللَّه به من القرآن والإيمان والعلم النافع ، وَزَهَق باطلُهم ، أي : اضمحل وهلك ، فإن الباطل لا ثبات[١] له مع الحق ولا بقاء ، ﴿ **بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق** ﴾ .

وقال البخاري(٢٦١) : حدثنا الحميدي ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن أبي معمر ، عن عبد اللَّه بن مسعود قال : دخل النبي صلى اللَّه عليه وسلم مكة وحول البيت ستون وثلاثمائة نُصُب[٢] ، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول : ﴿ **جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا** ﴾ ﴿ **جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد** ﴾ .

وكذا رواه البخاري أيضًا في غير هذا الموضع ، ومسلم ، والترمذي ، والنسائي ، كلهم من طرق ، عن سفيان بن عيينة ، به .

وكذا رواه الحافظ أبو يعلى(٢٦٢) : حدثنا زهير ، حدثنا شبابة ، حدثنا المغيرة ، حدثنا أبو الزبير ، عن جابر - رضي اللَّه عنه - قال : دخلنا مع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم مكة ، وحول البيت ثلاثمائة وستون صنمًا يعبدون من دون اللَّه ، فأمر بها رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم فأكبت لوجهها ، وقال : « **جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا** » .

وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾

---

(٢٦١) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير ، باب : وقل جاء الحق وزهق الباطل (٤٧٢٠) وأخرجه البخاري أيضًا - كتاب المظالم ، باب : هل تكسر الدِّنان التي فيها خمر ، أو تخرَّق الزقاق (٢٤٧٨) (١٢١/٥) . وكتاب المغازي ، باب : أين ركز النبي - صلى الله عليه وسلم - الراية يوم الفتح (٤٢٨٧) ومسلم في صحيحه - كتاب الجهاد والسير ، باب : إزالة الأصنام من حول الكعبة (٨٧) (١٧٨١) . والترمذي كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة بنى إسرائيل (٣١٣٨) . والنسائي في الكبرى كتاب تفسير القرآن ، باب : قوله تعالى : ﴿ **جاء الحق وزهق الباطل** ﴾ (١١٢٩٧) .

(٢٦٢) - لم أقف عليه في المطبوع من مسند أبي يعلى . وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف - كتاب المغازي ، باب : فتح مكة (٧) (٥٣٤/٨) حدثنا شبابة بن سوار به . وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٤٣٦٤) (٢٤٨/٤) وعزاه هناك وفي «الفتح» (١٧/٨) إلى ابن أبي شيبة . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٦٠/٤) إلى أبي يعلى وابن المنذر .

---

[١] - في ز ، خ : « ساق » .

[٢] - في خ : « صنم » .

يقول تعالىٰ مخبرًا عن كتابه الذي أنزله علىٰ رسوله محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم - وهو القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد - أنه ﴿ **شفاء ورحمة للمؤمنين** ﴾ ، أي : يذهب ما في القلوب من أمراض ؛ من شك ونفاق ، وشرك وزيغ وميل - القرآن يشفي من ذلك كله - وهو أيضًا رحمة يحصل فيها الإيمان والحكمة وطلب الخير والرغبة فيه ، وليس هذا إلا لمن آمن به وصدقه واتبعه ؛ فإنه يكون شفاء في حقه ورحمة ، وأما الكافر الظالم نفسه بذلك فلا يزيده سماعه القرآن إلا بعدًا[١] وتكذيبًا وكفرًا ، والآفة من الكافر لا من القرآن ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **قل هو للذين آمنوا هدًى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمىً أولئك ينادون من مكان بعيد** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانًا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانًا وهم يستبشرون * وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسًا إلىٰ رجسهم وماتوا وهم كافرون** ﴾ والآيات في ذلك كثيرة .

[قال قتادة في قوله][٢] : ﴿ **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين** ﴾ : إذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه ، ﴿ **ولا يزيد الظالمين إلا خسارًا** ﴾ . إنه لا ينتفع به ولا يحفظه ولا يعيه ؛ فإن اللَّه جعل هذا القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين .

وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾

يخبر تعالىٰ عن نقص الإنسان من حيث هو ؛ إلا من عَصَمَ اللَّه تعالىٰ ، في حالتي سرائه وضرائه ، بأنه إذا أنعم اللَّه عليه بمال وعافية ، وفتح ورزق ونصر ، ونال ما يريد ، أعرض عن طاعة اللَّه وعبادته ونأىٰ بجانبه .

قال مجاهد : بعد عنًّا .

قلت : وهذا كقوله تعالىٰ : ﴿ **فلما كشفنا عنه ضرّه مرّ كأن لم يدعنا إلى ضرّ مسّه** ﴾ ، وقوله : ﴿ **فلما نجاكم إلى البرّ أعرضتم** ﴾ .

وبأنه إذا مسه الشر - وهو المصائب والحوادث والنوائب - ﴿ **كان يئوسًا** ﴾ . أي : قنط أن يعودَ يحصلُ له بعد ذلك خير ، كقوله[٣] تعالىٰ : ﴿ **ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم**

[١] - في ز : « هدًا » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « قال تعالى في قوله تعالى » .

[٣] - في خ : « كما قال » .

نزعناها منه إنه ليئوس كفور * ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور * إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير ﴾ .

وقوله تعالىٰ : **﴿ قل كل يعمل علىٰ شاكلته ﴾** ، قال ابن عباس : علىٰ[١] ناحيته . وقال مجاهد : علىٰ[٢] حدته وطبيعته . وقال قتادة : علىٰ نيته . وقال ابن زيد : دينه .

وكل هذه الأقوال متقاربة في المعنىٰ ، وهذه الآية - والله أعلم - تهديد للمشركين ووعيد لهم ، كقوله تعالىٰ : **﴿ وقل للذين لا يؤمنون اعملوا علىٰ مكانتكم إنا عاملون * وانتظروا إنا منتظرون ﴾** ؛ ولهذا قال : **﴿ قل كلٌ يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدىٰ سبيلًا ﴾** أي : منا ومنكم ، وسيجزي كل عامل بعمله ، فإنه لا تخفىٰ[٣] عليه خافية .

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾

قال الإمام أحمد(٢٦٣) : حدثنا وكيع ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله - هو ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : كنت أمشي مع النبي صلىٰ الله عليه وسلم في حرث في المدينة ، وهو متوكئ[٤] [على عسيب][٥] ، فمر بقوم من اليهود ، فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الروح ، فقال بعضهم : لا تسألوه . قال : فسألوه عن الروح فقالوا : يا محمد ! ما الروح ؟ فما زال متوكئًا علىٰ العسيب ، قال : فظننت أنه يوحىٰ إليه ، فقال : **﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي، وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا ﴾** فقال بعضهم لبعض: قد قلنا لكم: لا تسألوه.

---

(٢٦٣) - أخرجه أحمد (١/٤٤٤ - ٤٤٥) وأخرجه البخاري في صحيحه - كتاب العلم ، باب : قول الله تعالى : **﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا ﴾** (١٢٥) . ومسلم في صحيحه - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم - باب : سؤال اليهود النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الروح (٣٢) (٢٧٩٤) . والترمذي كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة بنى إسرائيل (٣١٤١) . والنسائي في الكبرى - كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : **﴿ ويسألونك عن الروح ﴾** (١١٢٩٩) .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في خ : « يخفى » .
[٤] - في ز : « متكئ » .
[٥] - سقط من : ت .

وهكذا رواه البخاري ومسلم من حديث الأعمش به ، ولفظ البخاري عند تفسير هذه الآية(٢٦٤) : عن عبد الله بن مسعود ؛ قال : بينا أنا أمشي[١] مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث وهو متوكئ[٢] على عسيب إذ مرّ اليهود ، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح فقال[٣] : ما رابكم إليه . وقال بعضهم : لا يستقبلنكم بشيء تكرهونه . فقالوا : سلوه ، فسألوه عن الروح ، فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليه شيئًا ، فعلمت أنه يوحى إليه ، فقمت مقامي ، فلما نزل الوحي قال : ﴿ **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي** ... ﴾ .

وهذا السياق يقتضي فيما يظهر بادي الرأي أن هذه الآية مدنيةٌ ، وأنها إنما أنزلت حين سأله اليهود عن ذلك بالمدينة ، مع أن السورة كلها مكية ! وقد يجاب عن هذا بأنه قد يكون نزلت عليه بالمدينة مرة ثانية كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك ، أو أنه نزل عليه وحي بأنه يجيبهم عما سألوه[٤] بالآية المتقدم إنزالها عليه ، وهي هذه الآية : [﴿ **ويسألونك عن الروح** ﴾ ، ومما يدل على نزول هذه الآية][٥] بمكة ما[٦] قال الإمام أحمد(٢٦٥) :

حدثنا قتيبة ، حدثنا يحيى بن زكريا ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ قال : قالت قريش ليهود : أعطونا شيئًا نسأل عنه هذا الرجل . فقالوا : سلوه عن الروح . فسألوه ، فنزلت : ﴿ **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر**[٧] **ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا** ﴾ . قالوا : أوتينا علمًا كثيرًا ، أوتينا التوراة ، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيرًا كثيرًا . قال : وأنزل الله : ﴿ **قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد**

(٢٦٤) - أخرجه البخاري في التفسير (٤٧٢١) (٨/٤٠١) حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش به .

(٢٦٥) - أخرجه أحمد (١/٢٥٥) . والترمذي - كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة بنى إسرائيل (٣١٤٠) (٥/٢٨٤) . والنسائي في الكبرى - كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ **لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي** ﴾ (١١٣١٤) (٦/٣٩٢ - ٣٩٣) من طريق قتيبة بن سعيد به . وأخرجه أبو يعلى في مسنده (٢٥٠١) (٤/٣٨٠ - ٣٨١) . وعنه ابن حبان في صحيحه (٩٩) (١/٣٠١) . وأبو الشيخ في العظمة (٤٠٣) (٣/٨٦٣) . والحاكم في المستدرك (٢/٥٣١) . من طريقين عن ابن أبي زائدة به . وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه » . وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي وهو كما قالا .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في ز : « متكئ » .
[٣] - في ز ، خ : « قال » .
[٤] - في خ : « سألوا » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز ، خ : « كما » .
[٧] - سقط من : خ .

كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددًا ﴾

وقد روىٰ ابن جرير(٢٦٦) ، عن محمد بن المثنى ، عن عبد الأعلىٰ ، عن داود ، عن عكرمة ؛ قال : سأل أهل الكتاب رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم عن الروح ، فأنزل اللَّه : **﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا ﴾** . [فقالوا : يزعم أنّا لم نؤت من العلم إلا قليلًا][١] ، وقد أوتينا التوراة ، وهي الحكمة ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا . قال : فنزلت : **﴿ ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات اللَّه ﴾** ، قال : ما أوتيتم من علم[٢] فنجاكم اللَّه به من النار فهو كثير طيب ، وهو في علم اللَّه قليل .

وقال محمد بن إسحاق(٢٦٧) ، عن بعض أصحابه ، عن عطاء بن يسار ؛ قال : نزلت بمكة **﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا ﴾** ، [فلما هاجر رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم إلىٰ المدينة أتاه أحبار يهود ، فقالوا[٣] : يا محمد ، ألم يبلغنا عنك أنك تقول : **﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا ﴾**][٤] أَفَعَنَيْتَنَا أم عنيت قومك ؟ فقال : « **كُلًّا قد عنيت** » . قالوا : إنك تتلو أنّا أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شيء ؟ فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **هي في علم اللَّه قليل ، وقد آتاكم ما إن عملتم به استقمتم** » . وأنزل اللَّه : **﴿ ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات اللَّه إن اللَّه عزيز حكيم ﴾** وقد اختلف المفسرون في المراد بالروح هٰهنا على أقوال : أحدها : أن المراد أرواح بني آدم .

قال العوفي(٢٦٨) : عن ابن عباس في قوله : **﴿ ويسألونك عن الروح ﴾** الآية : وذلك أن اليهود قالوا للنبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : أخبرنا عن الروح ، وكيف تعذب الروح التي في الجسد ، وإنما الروح من اللَّه ، ولم يكن نزل عليه فيه شيء ، فلم يُحِرْ إليهم شيئًا ، فأتاه جبريل فقال له : **﴿ قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا ﴾** ، فأخبرهم النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم بذلك ، فقالوا : من جاءك بهذا ؟ فقال : جاءني به جبريل من عند اللَّه . فقالوا له : واللَّه ما قاله لك إلا عدوٌّ لنا . فأنزل اللَّه : **﴿ قل من كان عدوًّا**

(٢٦٦) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/١٥٥) .

(٢٦٧) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/١٥٧) حدثني ابن حميد ، قال: ثنا سلمة قال : ثنا محمد بن إسحاق به .

(٢٦٨) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/١٥٦) . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٣٦١) إلى ابن مردويه .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٢] - في خ : « العلم » .

[٣] - في ت : « وقالوا » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله ﴾ الآية . وقيل : المراد بالروح هٰهنا جبريل . قاله قتادة ، قال : وكان ابن عباس يكتمه .

وقيل : المراد به هٰهنا[١] مَلَك عظيم بقدر المخلوقات كلها . قال[٢] عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس : قوله : ﴿ ويسألونك عن الروح ﴾ يقول : الروح : ملك .

وقال الطبراني(٢٦٩) : حدثنا محمد بن عبد الله بن عرس المصري ، حدثنا وهب بن روق أبو هبيرة ، حدثنا بشر بن بكر[٣] ، حدثنا الأوزاعي ، حدثنا عطاء ، عن عبد الله بن عباس ؛ قال : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **إن لله ملكًا لو قيل له التقم السموات السبع والأرضين بلقمة واحدة لفعل ، تسبيحه : سبحانك حيث كنتَ** » . وهذا حديث غريب ، بل منكر .

وقال أبو جعفر بن جرير(٢٧٠) - رحمه الله - : حدثني عليّ ، حدثني عبد الله ، حدثني أبو هزان(*) يزيد بن سمرة صاحب قيسارية ، عمن حدثه ، عن عليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، أنه قال في قوله : ﴿ ويسألونك عن الروح ﴾ ، قال[٤] : هو ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه ، لكل وجه منها سبعون ألف لسان ، لكل لسان منها سبعون[٥] ألف لغة ، يسبّح الله تعالىٰ بتلك اللغات كلها ، يخلق الله من كل تسبيحة ملكًا[٦] يطير مع الملائكة

(٢٦٩) - أخرجه الطبراني في الكبير (١١٤٧٦) (١١/١٩٥) . وفي الأوسط (٦٤٤٢) (٦/٢٩٠) . وعنه وأبو نعيم في الحلية (٣/٣١٨) . وذكره الهيثمي في المجمع (١/٨٥) وقال : رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وقال : « تفرد به وهب بن روق » ، قلت : ولم أر من ذكر له ترجمة . وقال أبو نعيم : هذا حديث غريب من حديث الأوزاعي عن عطاء لم نكتبه إلا من حديث بشر بن بكر . وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع (١٩٥٤) (٢/١٨٣) .

(٢٧٠) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/١٥٦) . وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (ص ٤٦٢) . وأبو الشيخ في العظمة (٤٠٨) (٣/٨٦٨) . وابن الأنباري في كتاب الأضداد (ص ٤٢٣) . من طريقين عن أبي هزان يزيد بن سمرة به .

(*) تصحف في المطبوع من تفسير ابن جرير : « أبي هزان » إلى « أبي مروان » وكذلك تصحف في ز ، خ ، ت إلى « أبي نمران » .

« وأبو هزان » ذكره البخاري في « التاريخ الكبير » (٣٢٣٠) (٨/٢٣٧) ، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (١١٢٦) (٩/٢٦٨) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا . وذكره ابن حبان في « الثقات » (٩/٢٧٢) ، وقال : « ربما أخطأ » - وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٣٦١) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في خ : « قاله » .
[٣] - في خ : « بكير » .
[٤] - في خ : « قل » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في خ : « ملك » .

إلىٰ يوم القيامة .

وهذا أثر غريب عجيب ، والله أعلم .

وقال السهيلي : روي عن عليّ أنه قال : هو ملك له مائة ألف رأس ، لكل رأس مائة ألف وجه ، في كل وجه مائة ألف فم ، في كل فم مائة ألف لسان ، يسبح الله تعالىٰ بلغات مختلفة .

قال السهيلي : وقيل : المراد بذلك طائفة من الملائكة على صور بني آدم .

[وقيل : طائفة يرون الملائكة ولا تراهم ، فهم للملائكة كالملائكة لبني آدم][١] .

وقوله : ﴿ قل الروح من أمر ربي ﴾ ، أي : من شأنه ، ومما استأثر بعلمه دونكم ؛ ولهذا قال : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا ﴾ أي : وما أطلعكم من علمه إلّا على القليل ، فإنه لا يحيط أحد بشيء من علمه إلّا بما شاء تبارك وتعالىٰ .

[والمعنىٰ : أن علمكم في علم الله قليل ، وهذا الذي تسألون عنه من أمر الروح مما استأثر به تعالىٰ ولم يطلعكم عليه ، كما أنه لم يطلعكم إلا علىٰ القليل من علمه تعالىٰ][٢] وسيأتي إن شاء الله في قصة موسىٰ والخَضْر أن الخضر نظر إلىٰ عصفورٍ وقع علىٰ حافة السفينة ، فنقر في البحر نقرة - أي : شرب منه بمنقاره - فقال : يا موسىٰ ، ما علمي وعلمك وعلم الخلائق في علم الله إلا كما أخذ هذا العصفور من هذا البحر . أو كما قال صلوات الله وسلامه عليه ؛ ولهذا قال تبارك وتعالىٰ : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا ﴾ .

وقال السهيلي : قال بعض الناس : لم يجبهم عما سألوا ؛ لأنهم سألوا على وجه التعنت . وقيل : أجابهم . وعوّل السهيلي علىٰ أن المراد بقوله : ﴿ قل الروح من أمر ربي ﴾ . أي : من شرعه ، أي : فادخلوا فيه ، وقد علمتم ذلك ؛ لأنه لا سبيل إلىٰ معرفة هذا من طبع ولا فلسفة ، وإنما يُنَال من جهة الشرع . وفي هذا المسلك الذي طرقه وسلكه نظر ، والله أعلم .

ثم ذكر السهيلي الخلاف بين العلماء في أن الروح هي النفس أو غيرها ، وقرر أنها ذات لطيفة كالهواء ، سارية في الجسد كسريان الماء في عروق الشجر ، وقرر أن الروح التي ينفخها الملك في الجنين هي النفس ، بشرط اتصالها بالبدن ، واكتسابها بسببه صفات مدح أو ذم ، فهي إما نفس مطمئنة ، أو أمارة بالسوء . قال : كما أن الماء هو حياة الشجر ، ثم يُكسَب بسبب اختلاطه معها اسمًا خاصًا ؛ فإذا اتصل بالعنبة وعصر منها صار إمّا مُضطارًا أو

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

خمرًا ، ولا يقال له ماء حينئذ إلا على سبيل المجاز ، وهكذا لا يقال للنفس روح إلا على هذا النحو ، وكذلك لا يقال للروح نفس[١] إلا باعتبار ما تئول إليه . فحاصل ما يقول أن الروح أصل النفس ومادتها ، والنفس مركبة منها ومن اتصالها بالبدن ، فهي هي من وجه لا من كل وجه . وهذا معنى حسن ، والله أعلم .

قلت : وقد تكلم الناس في ماهية الروح وأحكامها، وصنفوا في ذلك كتبًا ، ومن أحسن من تكلم على ذلك الحافظ ابن منده في كتاب سمعناه في الروح .

وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾

يذكر تعالى نعمته وفضله العظيم على عبده ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم فيما أوحاه إليه من القرآن المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

قال ابن مسعود(٢٧١) - رضي الله عنه - : يطرق الناس ريح[٢] حمراء - يعني : في آخر الزمان - من قبل الشام ، فلا يبقى في مصحف رجل ولا قلبه آية ، ثم قرأ ابن مسعود : ﴿ ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ...﴾ الآية .

---

(٢٧١) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/١٥٨) حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : ثنا إسحاق ابن يحيى عن المسيب بن رافع عن عبد الله بن مسعود ... فذكره . وأخرجه عبد الرزاق في المصنف (٥٩٨٠) (٣/٣٦٢) . ومن طريقه الطبراني في الكبير (٨٦٩٨) (٩/١٥٣) . عن الثوري عن أبيه عن المسيب بن رافع عن شداد بن معقل به مطولًا نحوه . وأخرجه عبد الرزاق أيضًا (٥٩٨٠ ، ٥٩٨١) . والطبراني كذلك (٨٦٩٨ ، ٨٧٠٠) . والحاكم في المستدرك (٤/٥٠٤) . والبيهقي في شعب الإيمان (٢٠٢٧) (٢/٣٥٦) . من طريقين عن عبد العزيز بن رفيع سمع شداد بن معقل سمع عبد الله بن مسعود يقول : إن أول ما تفقدون من دينكم الأمانة وآخر ما يبقى الصلاة ، وإن هذا القرآن الذي بين أظهركم وشك أن يرفع قالوا : كيف وقد أثبته الله في قلوبنا وأثبتناه في المصاحف قال : يسرى عليه ليلًا فيذهب ما =

---

[١] - في ز ، خ : « نفسًا » . [٢] - في خ : « بريح » .

ثم نبه تعالىٰ علىٰ شرف هذا القرآن العظيم ، فأخبر أنه تعالى لو اجتمعت الإنس والجن كلهم، واتفقوا علىٰ أن يأتوا بمثل ما أنزله علىٰ رسوله لما أطاقوا ذلك ولما استطاعوه، ولو تعاونوا وتساعدوا وتظافروا؛ فإن هذا أمر لا يستطاع ، وكيف يشبه كلام المخلوقين كلام الخالق الذي لا نظير له، ولا مثال له، ولا عديل له ؟!

وقد روىٰ محمد بن إسحاق(٢٧٢) ، عن محمد بن أبي محمد ، عن سعيد [بن جبير][١]- أو عكرمة - عن ابن عباس : أن هذه الآية نزلت في نفر من اليهود جاءوا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقالوا له : إنا نأتيك بمثل ما جئتنا به[٢] . فأنزل الله هذه الآية .

وفي هذا نظر؛ لأن هذه السورة مكية، وسياقها كله مع قريش، واليهود إنما اجتمعوا به في المدينة ، فالله أعلم .

وقوله : ﴿ ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ﴾ ، أي : بينا لهم الحجج والبراهين القاطعة، ووضحنا لهم الحق وشرحناه وبسطناه ، ومع هذا ﴿ فأبىٰ أكثر الناس إلا كفورًا ﴾ ، أي : جحودًا للحق[٣] وردًّا للصواب .

وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن

= في قلوبكم ويرفع ما في المصاحف ، ثم قرأ عبد الله هذه الآية . وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي ، وذكره الهيثمي في المجمع (٧/٥٤-٥٥) وقال : « رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير شداد بن معقل وهو ثقة » . وأخرجه الدارمي في سننه (٢٣٤٦) (٢/٣١٥) حدثنا عمرو بن عاصم ، ثنا حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن ابن مسعود قال : ليسرين على ذات ليلة ، ولا يترك آية في مصحف ، ولا في قلب أحد إلا رفعت . وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم . وأخرجه الدارمي أيضًا (٢٣٤٤) نحوه . والبيهقي في شعب الإيمان (٢٠٢٦) (٢/٣٥٥) . من طريقين عن ناجية بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وقال البيهقي: « هذا ناجية بن عبد الله بن عتبة بن مسعود » وليس له غير هذا » .

(٢٧٢) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/١٥٨) حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير قال : ثنا محمد بن إسحاق به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٣٦٥) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - سقط من : ز .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾

قال ابن جرير(٢٧٣) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا يونس بن بُكَير ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثني شيخ من أهل مصر قدم منذ بضع وأربعين سنة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن عتبة وشيبة ابني ربيعة ، وأبا سفيان بن حرب ، ورجلًا من بني عبد الدار ، وأبا البَختَري أخا بني أسد ، والأسود بن المطلب بن أسد ، وزمعة بن الأسود ، والوليد بن المغيرة ، وأبا جهل بن هشام ، وعبد الله بن أبي أمية ، وأمية بن خلف ، والعاصَ بن وائل ، ونُبَيهًا ومُنَبّهًا ابني الحجاج السّهْمِيّيْن اجتمعوا - أو من اجتمع منهم - بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ، فقال بعضهم لبعض : ابعثوا إلىٰ محمد فكلموه وخاصموه حتىٰ تُعذرُوا فيه[١] . فبعثوا إليه : أن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك ، فجاءهم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم سريعًا وهو يظن أنه قد بدا لهم في أمره بَداء ، وكان عليهم حريصًا ، يحب رشدهم ، ويعز عليه عَنَتُهم ، حتىٰ جلس إليهم ، فقالوا : يا محمد ؛ إنا قد بعثنا إليك لنُعْذَر فيك ، وإنا والله ما نعلم رجلًا من العرب أدخل علىٰ قومه ما أدخلت علىٰ قومك ، لقد شتمت الآباء ، وعبت الدين ، وسفهت الأحلام ، وشتمت الآلهة ، وفرقت الجماعة ، فما بقي من أمر قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك ! فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب [ ][٢] مالًا ، جمعنا لك من أموالنا ، حتى تكون أكثرنا مالًا ، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سوّدناك علينا ، وإن كنت تريد ملكًا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك رَئِيًّا تراه قد غلب[٣] عليك - وكانوا يسمون التابع من الجن : الرَّئِيّ - فربما كان ذلك ، بذلنا أموالنا في طلب الطب حتىٰ نبرئك منه ، أو نُعذرَ فيك .

فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما بي ما تقولون ، ما جئتكم بما جئتكم به أطلبُ أموالكم ولا الشرفَ فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن الله[٤] بعثني إليكم رسولًا ، وأنزل عليّ كتابًا ، وأمرني أن أكون لكم بشيرًا ونذيرًا ، فبلغتكم رسالة ربي ، ونصحت لكم ؛ فإن تقبلوا مني ماجئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردّوه عليّ أصبر لأمر[٥] الله ، حتى يحكم الله[٦] بيني وبينكم** . أو كما قال رسول الله صلى الله عليه

(٢٧٣) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/١٦٤ : ١٦٦) . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٣٦٥ : ٣٦٧) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم . وانظر سيرة ابن هشام (١/٣٠٦ : ٣٠٩) .

[١] - في ز ، خ : « إليه » .
[٢] - في ت : به .
[٣] - في خ : « غاب » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : « لحكم » .
[٦] - سقط من : خ .

وسلم تسليمًا .

فقالوا : يا محمد ، فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك ، فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق بلادًا ، ولا أقل مالًا ، ولا أشد عيشًا منا ، فاسأل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضَيّقت علينا ، وليبسط لنا بلادنا ، وليُفَجّر[١] فيها أنهارًا كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا مَن مضىٰ من آبائنا ، وليكن فيمن يُبعث لنا منهم[٢] : قصيّ بن كلاب ؛ فإنه كان شيخًا صدوقًا ، فنسألهم[٣] عما تقول حق هو أم[٤] باطل ، فإن صنعت ما سألناك وصدّقوك صدقناك ، وعرفنا به[٥] منزلتك عند الله ، وأنه بعثك رسولًا كما تقول ! .

فقال لهم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما بهذا بعثت ! إنما جئتكم من عند الله بما بعثني به ، فقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم[٦] ، فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردّوه عليّ أصبر لأمر الله حتىٰ يحكم الله بيني وبينكم** » .

قالوا : فإن لم تفعل لنا هذا فخذ لنفسك ، فاسأل ربك أن يبعث ملكًا يصدقك بما تقول[٧] ، ويراجعنا عنك ، وتسأله فيجعل لك جنانًا وكنوزًا وقصورًا من ذهب وفضة ، ويغنيك بها عما نراك تبتغي ؛ فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه ، حتىٰ نعرف فضل منزلتك من ربك إن كنت رسولًا كما تزعم .

فقال لهم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما أنا بفاعل ، ما أنا بالذي يسأل ربه هذا ، وما بعثت إليكم بهذا ، ولكن الله بعثني بشيرًا ونذيرًا ؛ فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردّوه عليّ أصبر لأمر الله حتىٰ يحكم الله بيني وبينكم** » .

قالوا : فأسقط السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل ذلك[٨] ؛ فإنّا لن نؤمن لك إلّا أن تفعل. فقال لهم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ذلك إلىٰ الله إن شاء فعل بكم ذلك** » .

فقالوا : يا محمد ، أما[٩] علم ربك أنا سنجلس معك ، ونسألك عما سألناك عنه ، ونطلب منك ما نطلب ، فيتقدم إليك ويعلمك [ما تُراجعنا][١٠] به ، ويخبرك ما هو صانع

---

[١] - في ز ، خ : « وليجر » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « لنسألهم » .
[٤] - في خ : « أو » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في خ : « يقول » .
[٨] - سقط من : خ .
[٩] - في ز : « لما » .
[١٠] - في خ : « ما يراجعنا » .

في ذلك بنا إذا لم نقبل منك ماجئتنا به ، فقد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له : الرحمن ، وإنا واللَّه لا نؤمن بالرحمن أبدًا ، فقد أعذرنا إليك يا محمد ، أما واللَّه لا نتركك وما فعلت بنا حتىٰ نهلكك أو تهلكنا . وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة وهي بنات اللَّه . وقال قائلهم : لن نؤمن لك حتىٰ تأتي باللَّه والملائكة قبيلًا .

فلما قالوا ذلك قام رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم، عنهم ، وقام معه عبد اللَّه بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد اللَّه بن عمر بن مخزوم - وهو ابن عمته ، ابن عاتكة ابنة عبدالمطلب - فقال : يا محمد ، عرض عليك[١] قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ، ثم سألوك لأنفسهم أمورًا ليعرفوا بها منزلتك من اللَّه فلم تفعل ذلك ، ثم سألوك أن تعجل ما تخوفهم به من العذاب ، فواللَّه لا أومن بك[٢] أبدًا حتىٰ تتخذ إلىٰ السماء سلمًا ، ثم ترقىٰ فيه وأنا أنظر حتىٰ تأتيها وتأتي معك بنسخة منشورة[٣] ، معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول ، وايم اللَّه لو فعلت ذلك لظننت أني لا أصدقك . ثم انصرف عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وانصرف رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم إلىٰ أهله حزينًا أسفًا لما فاته مما كان طمع فيه من قومه حين دعوه ، ولما رأىٰ من مباعدتهم إياه .

وهكذا رواه زياد بن عبد اللَّه البكائي ، عن ابن إسحاق ، حدثني بعض أهل العلم ، عن سعيد بن جبير وعكرمة ، عن ابن عباس ، فذكر مثله سواء .

وهذا المجلس الذي اجتمع هؤلاء له ، لو[٤] علم اللَّه منهم أنهم يسألون ذلك استرشادًا لأجيبوا إليه ، ولكن علم[٥] أنهم إنما يطلبون ذلك كفرًا وعنادًا ، فقيل للرسول : إن شئت أعطيناهم ما سألوا ، فإن كفروا عذبتهم عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين ، وإن شئت فتحت عليهم باب[٦] التوبة والرحمة . فقال : « **بل تفتح عليهم باب التوبة والرحمة** » . كما تقدم ذلك في حديثي ابن عباس والزبير بن العوام(٢٧٤) أيضًا عند قوله تعالىٰ : ﴿ **وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ، وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفًا** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرًا * أو يلقىٰ إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلًا مسحورًا * انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلًا * تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرًا من ذلك جنات تجري من تحتها**

(٢٧٤) - تقدم (٢٠١،٢٠٢ ، ٢٠٣) .

[١] - في خ : « علينا » .
[٢] - في ز : « لك » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في خ : « علموا » .
[٦] - في خ : « أبواب » .

الأنهار ويجعل لك قصورًا * بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرًا ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **حتىٰ تفجر لنا من الأرض ينبوعًا** ﴾ الينبوع : العين الجارية ، سألوه أن يجري لهم عينًا[١] معينًا في أرض الحجاز هٰهنا وهٰهنا ، وهذا[٢] سهل يسير علىٰ اللّٰه تعالىٰ لو شاء[٣] لفعله ، ولأجابهم إلىٰ جميع ما سألوا وطلبوا ، ولكن علم أنهم لايهتدون ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون * ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتىٰ وحشرنا عليهم كل شيء قبلًا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء اللّٰه ولكن أكثرهم يجهلون** ﴾ .

وقولهم : ﴿ **أو تسقط السماء كما زعمت** ﴾ ، أي : إنك وعدتنا أن يوم القيامة تنشق فيه[٤] السماء وتَهِي ، وتُدْلي أطرافها ، فعجّل ذلك في الدنيا ، وأسقطها كسفًا ، [أي : قطعًا ، كقولهم : ﴿ **اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء ...** ﴾ الآية . وكذلك سأل قوم شعيب منه فقالوا : ﴿ **أسقط علينا كسفًا**][٥] **من السماء إن كنت من الصادقين** ﴾ فعاقبهم الرب بعذاب يوم الظلة ، إنه كان عذاب يوم عظيم ، وأما نبيّ الرحمة ونبيّ التوبة المبعوث رحمة للعالمين فسأل إنظارهم وتأجيلهم لعل اللّٰه أن[٦] يخرج من أصلابهم من يعبده لا يشرك به شيئًا ، وكذلك وقع ؛ فإن من هؤلاء الذين ذكروا من أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه ، حتىٰ عبد اللّٰه بن أبي[٧] أمية الذي تبع النبي صلّىٰ اللّٰه عليه وسلم وقال له ما قال ، أسلم إسلامًا تامًّا ، وأناب إلى اللّٰه عز وجل.

[وقوله تعالىٰ][٨] : ﴿ **أو يكون لك بيت من زخرف** ﴾ ، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : هو الذهب ، وكذلك هو في قراءة ابن مسعود : (**أو يكون لك بيت من ذهب**) ﴿ **أو ترقىٰ في السماء** ﴾ ، أي : تصعد في سلم ونحن ننظر إليك ، ﴿ **ولن نؤمن لرقيك حتىٰ تنزل علينا كتابًا نقرؤه** ﴾ ، قال مجاهد : أي : مكتوب فيه إلىٰ كل واحد واحد صحيفة : هذا كتاب من اللّٰه لفلان بن فلان ، تصبح موضوعة عند رأسه .

وقوله : ﴿ **قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرًا رسولًا** ﴾ أي : سبحانه وتعالىٰ وتقدس أن يتقدم أحد بين يديه في أمر من أمور سلطانه وملكوته ؛ بل هو الفعال لما يشاء ، إن شاء أجابكم إلىٰ ما سألتم ، وإن شاء لم يجبكم ، وما أنا إلا رسول إليكم ، أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم ، وقد فعلت ذلك ، وأمركم فيما سألتم إلىٰ اللّٰه عز وجل.

---

[١] - في خ : « عيونا » .
[٢] - في ت : وذلك .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

قال الإمام أحمد بن حنبل(٢٧٥) : حدثنا عليّ بن إسحاق ، حدثنا ابن المبارك ، حدثنا يحيىٰ بن أيوب ، عن عبيد الله بن زَحْر ، عن عليّ بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **عرض عليّ**[١] **ربي - عز وجل - ليجعل لي بطحاء مكة ذهبًا ، فقلت : لا يا رب ، ولكن أشبع يومًا وأجوع يومًا - أو نحو ذلك - فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك ، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك** » . ورواه الترمذي في «الزهد» عن سويد[٢] بن نصر ، عن ابن المبارك ، به . وقال : هذا حديث حسن ، وعليّ بن يزيد يضعف في الحديث .

وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾

يقول تعالى : ﴿**وما منع الناس**﴾ أي[٣] : أكثرهم ﴿**أن يؤمنوا**﴾ ويتابعوا الرسل إلّا استعجابهم من بعثة البشر رسلًا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **أكان للناس عجبًا أن أوحينا إلىٰ رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنىٰ الله والله غنيّ حميد** ﴾ وقال فرعون وملؤه[٤] : ﴿**أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون**﴾ ، وكذلك قالت[٥] الأمم لرسلهم : ﴿ **إن أنتم إلاّ بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فائتونا بسلطان مبين** ﴾ والآيات في هذا كثيرة .

ثم قال تعالىٰ منبهًا على لطفه ورحمته بعباده : إنه يبعث إليهم الرسول من جنسهم ، ليفقهوا عنه ويفهموا منه ، لتمكنهم من مخاطبته ومكالمته ، ولو بعث إلىٰ البشر [ ][٦] رسولًا

---

(٢٧٥) - أخرجه أحمد (٥/٢٥٤) . وهو عند ابن المبارك في «الزهد» في زوائد نعيم بن حماد (١٩٦) . ومن طريقه الترمذي كتاب الزهد ، باب : ما جاء في الكفاف والصبر عليه (٢٣٤٧) (٥/٤٩٧) .
والبغوي في شرح السنة (٤٠٤٤) (١٤/٢٤٦) . وأبو نعيم في الحلية (٨/١٣٣) . من طريقين عن عبيد الله ابن زحر به . وقال أبو نعيم : هذا الحديث لا أعلمه روى بهذا اللفظ إلا عن علي بن يزيد عن القاسم . قلت: وعلي بن يزيد هو ابن أبي زياد الألهاني : ضعيف ، وعبيد الله بن زحر مثله .

---

[١] - سقط من : ت .
[٢] - في ز ، خ : « يزيد » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في خ : « ملئه » .
[٥] - في خ : « قال » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في خ : « رسولًا » .

من الملائكة، لما استطاعوا مواجهته ولا الأخذ عنه، كما قال تعالى: ﴿ **لقد منَّ اللَّه على المؤمنين إذا بعث فيهم رسولاً من أنفسهم** ﴾ [وقال تعالى: ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم** ﴾][١]، وقال تعالىٰ: ﴿ **كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون * فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون** ﴾؛ ولهذا قال هٰهنا: ﴿ **قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين** ﴾، أي: كما أنتم فيها، ﴿ **لنزلنا عليهم من السماء ملكًا رسولاً** ﴾ أي: من جنسهم، ولما كنتم أنتم بشرًا بعثنا فيكم رسولاً[٢] منكم لطفًا ورحمة.

﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ ﴾

يقول تعالىٰ مرشدًا نبيه صلىٰ اللَّه عليه وسلم إلىٰ الحجة علىٰ قومه في صدق ما جاءهم به: إنه شاهد عليّ وعليكم، عالم بما جئتكم به[٣]؛ فلو كنت كاذبًا لانتقم[٤] مني أشد الانتقام، كما قال تعالىٰ: ﴿ **ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين** ﴾.

وقوله: ﴿ **إنه كان بعباده خبيرًا بصيرًا** ﴾ أي: عليم بهم؛ بمن يستحق الإنعام والإحسان والهداية، ممن يستحق الشقاء والإضلال والإزاغة؛ ولهذا قال:

﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن تصرفه في خلقه ونفوذ حكمه، وأنه لا معقب له بأنه من يهده فلا مضل له ﴿ **ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه** ﴾، أي: يهدونهم، كما قال: ﴿ **من يهد اللَّه فهو المهتد**[٥] **ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا** ﴾

وقوله: ﴿ **ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم** ﴾ قال الإمام أحمد(٢٧٦): حدثنا ابن

(٢٧٦) - والحديث صحيح، أخرجه أحمد (١٦٧/٣). قلت: ونفيع هذا ابن الحارث، أبو داود الأعمي، متروك وكذبه ابن معين كما في التقريب لكن للحديث طريق أخر عن أنس صحيح وهو الأتي.

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ت.

[٢] - في ز: «رسلنا».

[٣] - سقط من: خ.

[٤] - في ز: «انتقم».

[٥] - في ز: «المهتدي».

نمير ، حدثنا إسماعيل ، عن نفيع قال : سمعت أنس بن مالك يقول : قيل : يا رسول الله ؛ كيف يحشر الناس علىٰ وجوههم ؟ قال : « **الذي أمشاهم علىٰ أرجلهم قادر علىٰ[١] أن يمشيهم علىٰ وجوههم** » . وأخرجاه في الصحيحين(٢٧٧) .

وقال الإمام أحمد أيضًا(٢٧٨) : [حدثنا يزيد][٢] ، حدثنا الوليد بن جُمَيع القرشي عن أبيه حدثنا أبو الطفيل عامر بن واثلة عن حذيفة بن أسيد قال : قام أبو ذر فقال : يا بني غفار[٣] ، قولوا ولا تحلفوا ؛ فإن الصادق المصدوق حدثني : أن الناس يحشرون علىٰ ثلاثة أفواج : فوج راكبين طاعمين كاسين ، وفوج يمشون ويسعون ، وفوج تسحبهم الملائكة علىٰ وجوههم وتحشرهم إلىٰ النار » . فقال قائل منهم : هذان قد عرفناهما ، فما بال الذين يمشون ويسعون ؟ قال : « **يلقي الله - عز وجل - الآفة[٤] علىٰ الظهر حتىٰ لا يبقى ظهر ، حتىٰ إن الرجل لتكون له الحديقة المعجبة فيعطيها بالشارف ذات القتب ، فلا يقدر عليها** » .

وقوله : ﴿ **عميًا** ﴾ ، أي : لا يبصرون . ﴿ **وبكمًا** ﴾ ، يعني[٥] : لا ينطقون . ﴿ **وصمًا** ﴾ لا يسمعون . وهذا لا[٦] يكون في حال دون حال جزاء لهم كما كانوا في الدنيا بكمًا وعميًا وصمًا عن الحق ، فجوزوا في محشرهم بذلك[٧] أحوج ما يحتاجون إليه ، ﴿ **مأواهم** ﴾ ، أي : منقلبهم[٨] ومصيرهم ، ﴿ **جهنم كلما خبت** ﴾ ، قال ابن عباس : سكنت . وقال مجاهد : طفئت ، ﴿ **زدناهم سعيرًا** ﴾ ، أي : لهبًا ووهجًا وجمرًا ، كما

---

(٢٧٧) - أخرجه أحمد (٢٢٩/٣) والبخاري في صحيحه - كتاب التفسير ، باب : ﴿ الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانًا وأضل سبيلًا ﴾ (٤٧٦٠) . ومسلم في صحيحه - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب : يحشر الكافر على وجهه (٥٤) (٢٨٠٦) . والنسائي في الكبرى - كتاب التفسير ، باب : سورة الفرقان (١١٣٦٧) (٤٢٠/٦) من طريقين عن شيبان عن قتادة عن أنس فذكره .

(٢٧٨) - أخرجه أحمد (١٦٤/٥ - ١٦٥) . وأخرجه النسائي - كتاب الجنائز ، باب : البعث (١١٦/٤ - ١١٧) . والحاكم في المستدرك (٣٦٧/٢ - ٣٦٨) . والطبراني في الصغير (١١٢/٢ - ١١٣) .

من طريق الوليد بن عبد الله بن جميع ، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة عن حذيفة بن أسيد أبي سريحة الغفاري قال : ... فذكره .

وتعقبه الذهبي بقوله : « على شرط مسلم ، ولكنه منكر ، وقد قال ابن حبان في الوليد : فحش تفرد حتى بطل الاحتجاج به » . لكن وثقه ابن معين والعجلي ، وقال أحمد وأبو زرعة وأبو داود : « ليس به بأس » وقال أبو حاتم : صالح الحديث .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - في خ : « ذر » .

[٤] - في ز : « الأئمة » .

[٥] - في ز : « بمعنى » .

[٦] - سقط من : ت .

[٧] - في خ : « في ذلك » .

[٨] - في ز : « مقيلهم » .

قال : ﴿ فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابًا ﴾

ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۡ وَجَعَلَ لَهُمۡ أَجَلٗا لَّا رَيۡبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورٗا ﴿٩٩﴾

يقول تعالىٰ : هذا الذي جازيناهم به - من البعث علىٰ العمىٰ والبكم والصمم - جزاؤهم الذي يستحقونه ، لأنهم كذبوا ﴿ بآياتنا ﴾ ، أي : بأدلتنا وحُججنا ، واستبعدوا وقوع البعث ، ﴿ وقالوا أإذا كنا عظامًا ورفاتًا ﴾ ، أي[١] : بالية نخرة ، ﴿ أئنا لمبعوثون خلقًا جديدًا ﴾ ، أي : بعد ما صرنا إلىٰ ما صرنا إليه من البلىٰ والهلاك والتفرق والذهاب في الأرض نعاد مرة ثانية ؟! فاحتج تعالىٰ عليهم ونبههم علىٰ قدرته علىٰ ذلك بأنه خلق السموات والأرض ، فقدرته علىٰ إعادتهم أسهل من ذلك ، كما قال : ﴿ لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ﴾ ، وقال : ﴿ أو لم يروا أن اللّٰه الذي خلق السموات والأرض ولم يَعْيَ بخلقهن بقادر علىٰ أن يحيي الموتى بلىٰ إنه علىٰ كل شيء قدير ﴾ ، وقال : ﴿ أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر علىٰ أن يخلق مثلهم بلىٰ وهو الخلاق العليم * إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون ﴾ .

وقال هٰهنا : ﴿ أو لم يروا أن اللّٰه الذي خلق السموات والأرض قادر علىٰ أن يخلق مثلهم ﴾ أي : يوم القيامة يعيد أبدانهم وينشئهم نشأة أخرىٰ ويعيدهم كما بدأهم .

وقوله : ﴿ وجعل لهم أجلًا لا ريب فيه ﴾ أي : جعل لإعادتهم وإقامتهم من قبورهم أجلًا مضروبًا ، ومدة مقدرة لابد من انقضائها ، كما قال تعالىٰ : ﴿ وما نؤخره إلا لأجل معدود ﴾ .

وقوله : ﴿ فأبىٰ الظالمون ﴾ [أي : بعد قيام الحجة عليهم][٢] ﴿ إلا كفورًا ﴾ ، إلا تماديًا في باطلهم وضلالهم .

قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا ﴿١٠٠﴾

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

يقول تعالىٰ لرسوله صلوات الله وسلامه عليه : قل لهم يا محمد : لو أنكم أيها الناس تملكون التصرف في خزائن الله لأمسكتم خشية الإنفاق .

قال ابن عباس وقتادة : أي : الفقر . أي : خشية أن تذهبوها مع أنها لا تفرغ ولا تنفد أبدًا ؛ لأن هذا من طباعكم وسجاياكم ؛ ولهذا قال : ﴿ **وكان الإنسان قتورًا** ﴾ ، قال ابن عباس وقتادة : أي : بخيلًا منوعًا . وقال الله تعالى : ﴿ **أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يأتون الناس نقيرًا** ﴾ ، أي : لو أن لهم نصيبًا من ملك الله لما أعطوا أحدًا شيئًا ولا مقدار نقير ، والله تعالىٰ يصف الإنسان من حيث هو إلا من وفقه الله[١] وهداه ؛ فإن[٢] البخل[٣] والجزع والهلع [صفة له][٤] كما قال تعالىٰ : ﴿ **إن الإنسان خلق هلوعًا * إذا مسه الشر جزوعًا * وإذا مسه الخير منوعًا * إلا المصلين** ﴾ ولهذا نظائر كثيرة في القرآن العزيز ، ويدل هذا علىٰ كرمه وجوده وإحسانه ، وقد جاء في الصحيحين(٢٧٩) : « **يد الله ملأىٰ ، لا يغيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار ، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه** »

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ
فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا
رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن
يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

يخبر تعالىٰ أنه بعث موسىٰ بتسع آيات بينات[٥] ، وهي الدلائل القاطعة علي صحة نبوته وصدقه فيما أخبر به عمن أرسله إلىٰ فرعون ، وهي : العصا ، واليد ، والسنين[٦] ، والبحر ،

(٢٧٩) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير ، باب : وكان عرشه على الماء (٤٦٨٤) . ومسلم في صحيحه - كتاب الزكاة ، باب : الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف (٣٦ ، ٣٧) (٩٣٣) .والترمذي -كتاب التفسير ، باب : ومن سورة المائدة (٣٠٤٥) . وابن ماجة في المقدمة - باب : فيما أنكرت الجهمية (١٩٧) . من طريقين عن أبي هريرة مرفوعًا .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في خ : « بالبخل » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في ز ، خ : « ولسانه » .

والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، آيات مفصلات . قاله ابن عباس وقال محمد بن كعب : هي اليد ، والعصا ، والخمس في الأعراف ، والطمسة والحجر .

وقال ابن عباس أيضًا ومجاهد وعكرمة والشعبي وقتادة : هي يده ، وعصاه ، والسنين ، ونقص الثمرات ، والطوفان ، والجراد ، والقمل[١] ، والضفادع ، والدم .

وهذا القول ظاهر جليّ حسن قوي ، وجعل الحسن البصري السنين ونقص الثمرات واحدة ، وعنده أن التاسعة هي : تلقف العصا ما يأفكون ، ﴿ **فاستكبروا وكانوا قومًا مجرمين** ﴾ ، أي : ومع هذه الآيات ومشاهدتهم لها كفروا بها ، ﴿ **وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلمًا وعلوًّا** ﴾ ، وما نجعت فيهم ، وكذلك لو أجبنا هؤلاء الذين سألوا مثل[٢] ما سألوا وقالوا : ﴿ **لن نؤمن لك حتىٰ تفجر لنا من الأرض ينبوعًا** ﴾ إلىٰ آخرها ؛ لما استجابوا ولا آمنوا إلا أن يشاء الله ، كما قال فرعون لموسىٰ - وقد شاهد منه ما شاهد من هذه الآيات - قال : ﴿ **إني لأظنك ياموسىٰ مسحورًا** ﴾ قيل : بمعنىٰ ساحر . والله تعالىٰ أعلم .

فهذه الآيات التسع التي ذكرها هؤلاء الأئمة هي المرادة هٰهنا ، وهي المعنية في قوله تعالىٰ : [﴿ **وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جانّ ولىٰ مدبرًا ولم يعقب يا موسىٰ لاتخف إني لا يخاف لديّ المرسلون * إلا من ظلم ثم بدل حسنًا بعد سوء فإني غفور رحيم * وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات إلىٰ فرعون وقومه إنهم كانوا قومًا فاسقين** ﴾][٣] فذكر هاتين الآيتين : العصا ، واليد ، وبين الآيات[٤] الباقيات[٥] في « **سورة الأعراف** » وفصّلها .

وقد أوتي موسىٰ - عليه السلام - آيات أخر كثيرة ، منها : ضربه الحجر بالعصا ، وخروج الأنهار[٦] منه ، ومنها تظليلهم الغمام ، وإنزال المنّ والسلوىٰ ، وغير ذلك مما أوتوه بنو إسرائيل بعد مفارقتهم بلاد مصر ، ولكن ذكر هٰهنا[٧] التسع الآيات التي شاهدها فرعون وقومه من أهل مصر ، وكانت حجة عليهم فخالفوها وعاندوها كفرًا وجحودًا . فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد[٨](٢٨٠) :

(٢٨٠) - أخرجه أحمد (٤/٢٣٩) .وأخرجه أيضًا (٤/٣٤٠) . والترمذي - كتاب الاستئذان ، باب : ما جاء في قبلة اليد والرجل (٢٧٣٣) (٥/٧٢ - ٧٣) ، وكتاب التفسير (٣١٤٤) (٥/٢٨٦) . والنسائي =

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في ت : « منك » .
[٣] - كذا ، وهي آية النمل رقم (١٠) قرأ آية القصص رقم (٣١،٣٢) ، وسقط منها « أن » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ت : « الباقية » .
[٦] - في خ : « الماء » .
[٧] - في ز ، خ : « هذا » .
[٨] - سقط من : ت .

حدثنا يزيد ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة قال : سمعت عبد الله بن سلمة يحدث ، عن صفوان بن عسال المرادي -رضي الله عنه- قال : قال يهودي لصاحبه : اذهب بنا إلىٰ هذا النبي حتىٰ نسأله عن هذه الآية : ﴿ **ولقد آتينا موسىٰ تسع آيات بينات** ﴾ ، فقال : لا تقل له نبي ؛ فإنه لو سمعك لصارت له أربع[١] أعين ، فسألاه ، فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **لا تشركوا بالله شيئًا**[٢] ، **ولا تسرقوا ، ولاتزنوا ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا تسحروا ، ولا تأكلوا الربا ، ولا تمشوا ببريء إلىٰ ذي سلطان ليقتله ، ولا تقذفوا محصنة** » ، أو قال : « **لا تفروا من الزحف** » - شعبة الشاك - « **وأنتم يا يهود عليكم خاصة أن لا تعدوا في السبت** » . فقبلا يديه ورجليه وقالا : نشهد أنك نبي و[٣] [قال : « **فما يمنعكما أن تتبعاني ؟** » . قالا : لأن داود - عليه السلام - دعا أن لا يزال من ذريته نبي][٤] إنا نخشىٰ إن أسلمنا أن تقتلنا يهود .

فهذا الحديث رواه هكذا الترمذي ، والنسائي ، وابن ماجة ، وابن جرير في تفسيره من طرق عن شعبة بن الحجاج به[٥] ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

وهو حديث مشكل، «**وعبد الله بن سلمة**» في حفظه شيء، وقد تكلموا فيه، ولعله اشتبه عليه التسع الآيات بالعشر الكلمات ؛ فإنها وصايا في التوراة لا تعلق لها بقيام الحجة علىٰ فرعون ، والله أعلم .

= كتاب تحريم الدم ، باب : السحر (١١١/٧ - ١١٢) . وفي الكبرى - كتاب المحاربة ، باب : السحر (٣٥٤١) (٣٠٦/٢ - ٣٠٧) . وكتاب السير ، باب : تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ **ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات** ﴾ (٨٦٥٦) (١٩٨/٥ - ١٩٩) . وابن ماجه - كتاب الأدب ، باب : الرجل يقبل يد الرجل (٣٧٠٥) (١٢٢١/٢) مختصرًا . والطيالسي في مسنده (١١٦٤) .والطبراني في الكبير (٧٣٩٦) (٨٣/٨ - ٨٤) . والحاكم في المستدرك (٩/١) . والبيهقي في الكبرى (١٦٦/٨) وفي دلائل النبوة (٢٦٨/٦) . وأبو نعيم في الحلية (٩٧/٥ - ٩٨) . وابن جرير في تفسيره (١٧٢/١٥ ، ١٧٣) وابن أبي شيبة في المصنف (٤٣٦/٨ - ٤٣٧) . من طرق عن شعبة به . وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح » . وقال الحاكم: « حديث صحيح ، لا نعرف له علة بوجه من الوجوه ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبي لكن أعله المصنف ومن قبله . النسائي في الكبرى فقال : هذا حديث منكر . قال أبو عبد الرحمن : حكى عن شعبة قال : سألت عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة فقال: تعرف وتنكر قال أبو عبد الرحمن ، وعبد الله بن سلمة الأفطس متروك الحديث ، قال أبو عبد الرحمن ، كان هذا الأفطس يطلب الحديث مع يحيى بن سعيد القطان ، وكان من أسنانه .ا.هـ . والحديث عزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٧٠/٤) إلى سعيد بن منصور وأبي يعلي وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه .

---

[١] - في خ : « أربعة » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ت .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : ز ، خ .

ولهذا قال موسىٰ لفرعون : ﴿ **لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر** ﴾ ، أي : حججًا وأدلة علىٰ صدق ما جئتك به ، ﴿ **وإني لأظنك يا فرعون مثبورًا** ﴾ ، أي : هالكًا . قاله مجاهد وقتادة . وقال ابن عباس : ملعونًا . وقال أيضًا هو والضحاك : ﴿ **مثبورًا** ﴾ ، أي : مغلوبًا . والهالك - كما قال مجاهد - يشمل هذا كله . قال عبد اللّٰه بن الزِّبَعْرَىٰ :

إِذْ أُجارِي الشيطان في سَنَن الغَيِّ 	وَمَـنْ مَـالَ مَـيْـلَـهُ مَـثْـبُـورُ

[يعني : هالك][١] وقرأ بعضهم برفع التاء من قوله : ﴿ **علمت** ﴾ ، وروي ذلك عن عليّ بن أبي طالب ، ولكن قراءة الجمهور بفتح التاء علىٰ الخطاب لفرعون[٢] ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين * وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلمًا وعلوًّا فانظر كيف كان[٣] عاقبة المفسدين** ﴾ .

فهذا كله مما يدل علىٰ أن المراد بالتسع الآيات إنما هي ما تقدم ذكره[٤] من العصا ، واليد ، والسنين ، ونقص من الثمرات ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، التي فيها حجج وبراهين علىٰ فرعون وقومه ، وخوارق ودلائل علىٰ صدق موسىٰ ووجود الفاعل المختار الذي أرسله .

وليس المراد منها كما ورد في هذا الحديث ؛ فإن هذه الوصايا ليس فيها حجج علىٰ فرعون وقومه ، وأي مناسبة بين هذا وبين إقامة البراهين علىٰ فرعون ؟! وما جاء هذا الوهم إلا من قبل عبد اللّٰه بن سلمة ؛ فإن له بعض ما ينكر ، واللّٰه أعلم .

ولعل ذينك[٥] اليهوديين إنما سألا عن[٦] [العشر الكلمات][٧] ، فاشتبه علىٰ الراوي [بالتسع الآيات][٨] ، فحصل وهم في ذلك ، واللّٰه أعلم .

وقوله : ﴿ **فأراد أن يستفزهم من الأرض** ﴾ ، أي : يخليهم[٩] منها[١٠] ويزيلهم عنها ، ﴿ **فأغرقناه ومن معه جميعًا وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض** ﴾ ، وفي هذا بشارة لمحمد صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بفتح مكة مع أن هذه السورة مكية[١١] نزلت قبل

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٢] - في ز : « بفرعون » .
[٣] - سقط من : ت .
[٤] - في ز : « ذكرها » .
[٥] - في خ : « دينك » .
[٦] - في خ : « على » .
[٧] - في خ : « العشر كلمات » .
[٨] - في خ : « بالتسع آيات » .
[٩] - في ز ، خ : « يجليهم » .
[١٠] - سقط من : خ .
[١١] - سقط من : ز ، خ .

الهجرة ، وكذلك وقع ، فإن أهل مكة هموا بإخراج الرسول منها ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذًا لا يلبثون خلافك إلا قليلًا سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلًا** ﴾؛ ولهذا أورث اللَّه رسوله مكة فدخلها عنوَة ، علىٰ أشهر القولين ، وقهر أهلها ، ثم أطلقهم حلمًا وكرمًا ، كما أورث اللَّه القوم الذين كانوا يستضعفون من بني إسرائيل مشارق الأرض ومغاربها ، وأورثهم بلاد فرعون وأموالهم وزروعهم وثمارهم وكنوزهم[١] ، كما قال : ﴿ **كذلك وأورثناها بني إسرائيل** ﴾ ، وقال هٰهنا : ﴿ **وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفًا** ﴾ ، أي : جميعكم أنتم وعدوكم .

قال ابن عباس ومجاهد ، وقتادة والضحّاك : ﴿ **لفيفًا** ﴾ أي : جميعًا .

وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن كتابه العزيز وهو القرآن المجيد : أنه بالحق نزل ، أي : متضمنًا للحق كما قال تعالىٰ : ﴿ **لكن اللَّه يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه** ﴾ أي: متضمنًا[٢] علم اللَّه الذي أراد أن يطلعكم عليه، من أحكامه وأمره ونهيه .

وقوله : ﴿ **وبالحق نزل** ﴾ أي : وصل إليك - يامحمد - محفوظًا محروسًا ، لم يُشَب بغيره ، ولا زيد فيه ولا نقص منه ؛ بل وصل إليك بالحق ؛ فإنه نزل به شديد القوىٰ ، الأمين المكين المطاع في الملأ الأعلىٰ .

وقوله : ﴿ **وما أرسلناك** ﴾ ، أي : يا محمد ، ﴿ **إلا مبشرًا ونذيرًا** ﴾ مبشرًا[٣] لمن أطاعك من المؤمنين ، و[٤]نذيرًا لمن عصاك من الكافرين .

وقوله : ﴿ **وقرآنًا فرقناه** ﴾ ، أما قراءة من قرأ بالتخفيف ، فمعناه : فصلناه[٥] من اللوح المحفوظ إلىٰ بيت العزة - من السماء الدنيا - ، ثم نزل مُفرّقًا منجمًا علىٰ الوقائع إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم في ثلاث وعشرين سنة ، قاله عكرمة عن ابن عباس(٢٨١) أيضًا[٦] .

(٢٨١) - أخرجه النسائي في الكبرى - كتاب التفسير ، باب : سورة الفرقان (١١٣٧٢) (٦/٤٢١) . والحاكم في المستدرك (٢/٣٦٨) . وابن جرير في تفسيره (١٥/١٧٨) . ومن طريقين عن داود بن أبي هند=

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ت : « متضمنة » .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في خ : « فصلنا » .
[٦] - سقط من : ت .

و[١][عن ابن عباس][٢](٢٨٢) أيضًا أنه قرأ ﴿ فرّقناه ﴾ بالتشديد أي : أنزلناه[٣] آية آية ، مبينًا مفسرًا ؛ ولهذا قال : ﴿ لتقرأه على الناس ﴾ ، أي : لتبلغه الناس وتتلوه عليهم ، ﴿ على مكث ﴾ ، أي : مَهَل ، ﴿ ونزلناه تنزيلًا ﴾ أي : شيئًا بعد شيء .

﴿ قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ ﴾

يقول تعالى لنبيه محمد صلى اللّه عليه وسلم : ﴿ قل ﴾ يا محمد لهؤلاء الكافرين بما[٤] جئتهم به من هذا القرآن العظيم : ﴿ آمنوا به أولا تؤمنوا ﴾ ، أي : سواء آمنتم به أم لا ، فهو حق في نفسه ، أنزله اللّه وَنوّه بذكره في سالف الأزمان في كتبه المنزلة على رسله ، ولهذا قال : ﴿ إن الذين أوتوا العلم من قبله ﴾ ، أي : من صالحي[٥] أهل الكتاب الذين يُمسكون بكتابهم ويقيمونه ، ولم يبدلوه ولا حرّفوه ، ﴿ إذا يتلى عليهم ﴾ هذا القرآن ﴿ يخرّون للأذقان ﴾ ، جمع ذقن ، وهو أسفل الوجه ﴿ سجدًا ﴾ ، أي : للّه - عز وجل - ، شكرًا على ما أنعم به عليهم من جعله إياهم أهلًا أن أدركوا هذا الرسول الذي أنزل عليه الكتاب ؛ ولهذا يقولون : ﴿ سبحان ربنا ﴾ ، أي : تعظيمًا وتوقيرًا على قدرته التامة ، وأنه لا يخلف الميعاد الذي وعدهم على ألسنة الأنبياء [المتقدمين عن بعثة محمد صلى اللّه عليه وسلم ؛ ولهذا قالوا : ﴿ سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولًا][٦] ﴾ .

وقوله : ﴿ ويخرّون للأذقان يبكون ﴾ ، أي : خضوعًا للّه - عز وجل - وإيمانًا

= عن عكرمة عن ابن عباس قال : أنزل القرآن جملة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ، ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة ، قال : « ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرًا » وقرأ (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس ...) . وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٧١/٤) إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي.

(٢٨٢) - أخرجه الطبرى في تفسيره (١٧٨/١٥) حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية عن ابن عباس به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٧١/٤) إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٣] - في ز ، خ : « نزلناه » .
[٤] - غير واضحة في خ .
[٥] - في خ : « صالح » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وتصديقًا بكتابه ورسوله، ويزيدهم الله[١] خشوعًا، أي: إيمانًا وتسليمًا، كما قال: ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدًى وآتاهم تقواهم ﴾. وقوله: ﴿ ويخرّون ﴾: عطف صفة على صفة لا عطف سجود على سجود، كما قال الشاعر:

إلى الملك القَرْم وابن الهمام ولَيثِ الكتيبة في المُزْدَحم

قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا (١١٠) وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا (١١١)

يقول تعالى: ﴿ قل ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين المنكرين صفة الرحمة لله -عز وجل- المانعين من تسميته بالرحمن: ﴿ **ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيًّا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى** ﴾، أي: لا فرق بين دعائكم له باسم الله أو باسم[٢] الرحمن؛ فإنه ذو[٣] الأسماء الحسنى، كما قال تعالى: ﴿ **هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم** ﴾ إلى أن قال[٤]: ﴿ **له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم** ﴾.

وقد روى مكحول(٢٨٣) أن رجلًا من المشركين سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول في سجوده: «**يا رحمن يا رحيم**» فقال: إنه يزعم أنه يدعو واحدًا، وهو يدعو اثنين. فأنزل الله هذه الآية، وكذا روي عن ابن عباس(٢٨٤)، رواهما ابن جرير.

وقوله: ﴿ **ولا تجهر بصلاتك ...** ﴾ الآية. قال الإمام أحمد(٢٨٥):

(٢٨٣) - أخرجه الطبرى في تفسيره (١٥/١٨٢) حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى عيسى عن الأوزاعى، عن محكول به.

(٢٨٤) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/١٨٢) حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى محمد بن كثير، عن عبد الله بن واقد عن أبي الجوزاء عن ابن عباس فذكره.

(٢٨٥) - أخرجه أحمد (١/٢٣، ٢١٥). أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير، باب: «﴿ **ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها** ﴾» (٤٧٢٢). ومسلم في صحيحه - كتاب الصلاة، باب: التوسط في القراءة في الصلاة الجهرية بين الجهر والإسرار إذا خاف من الجهر مفسدة (١٤٥) (٤٤٦). والترمذي =

[١] - سقط من: ت.

[٢] - في ز، خ: «اسم».

[٣] - في خ: «ذوى».

[٤] - سقط من: ز، خ.

حدثنا هشيم ، حدثنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية و[رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم][١] متوار بمكة : ﴿ **ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها** ﴾ ، قال : كان إذا صلىٰ بأصحابه رفع صوته بالقرآن ، فلما سمع ذلك المشركون سبوا القرآن ، وسبوا من أنزله ومن جاء به ، قال : فقال الله تعالىٰ [لنبيه صلىٰ الله عليه وسلم] : ﴿ **ولا تجهر بصلاتك [ولا تخافت بها]**[٢] ﴾ ، أي : بقراءتك ، فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ، ﴿ **ولا تخافت بها** ﴾ عن أصحابك ، فلا تسمعهم القرآن حتىٰ يأخذوه عنك ، ﴿ **وابتغ بين ذلك سبيلًا** ﴾ .

أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي بشر جعفر بن إياس ، به . وكذا رواه الضحاك عن ابن عباس وزاد : فلما هاجر إلىٰ المدينة سقط ذلك ، يفعل أيّ ذلك شاء .

وقال محمد بن إسحاق(٢٨٦) : حدثني داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إذا جهر بالقرآن وهو يصلي تفرقوا عنه وأبوا أن يستمعوا منه ، فكان الرجل إذا أراد أن يستمع[٣] من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بعض ما يتلو وهو يصلي استرق السمع دونهم فَرَقًا منهم ، فإن رأىٰ أنهم قد عرفوا أنه يستمع ، ذهب خشية أذاهم فلم يستمع . فإن خفض صوته صلىٰ الله عليه وسلم لم يستمع[٤] الذين يستمعون من قراءته شيئًا ، فأنزل الله : ﴿ **ولا تجهر بصلاتك** ﴾ فيتفرقوا عنك ﴿ **ولا تخافت بها** ﴾ فلا تُسمع من أراد أن يسمعها ممن يسترق ذلك دونهم[٥] لعله يرعوي إلىٰ بعض ما يسمع فينتفع به ، ﴿ **وابتغ بين ذلك سبيلًا** ﴾ . وهكذا قال عكرمة ، والحسن البصري ، وقتادة : نزلت هذه الآية في القراءة في الصلاة .

وقال شعبة عن [أشعث بن][٦] سليم ، عن الأسود بن هلال ، عن عبد الله بن

= كتاب تفسير القرآن ، باب : « ومن سورة بني إسرائيل » (٣١٤٦) . والنسائي - كتاب الافتتاح ، باب : قوله عز وجل ﴿ **ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها** ﴾ (١٧٧/٢ - ١٧٨) .

(٢٨٦) - أخرجه الطبراني في الكبير (١١٥٧٤) (٢٢٨/١١) . وابن جرير في تفسيره (١٨٥/١٥) . من طريقين عن محمد بن إسحاق به . ومع تصريح ابن إسحاق بالسماع إلا أن الإسناد فيه نظر ، من قبل داود ابن الحصين فإنه ضعيف في عكرمة . قال علي بن المديني : ما روى عن عكرمة ، فمنكر الحديث .
وقال أبو داود : أحاديثه عن عكرمة مناكير ، وأحاديثه عن شيوخه مستقيمة . [انظر تهذيب الكمال (٨/ ٣٨٠) ترجمة (١٧٥٣)] . وقال ابن حجر في التقريب : ثقة إلا في عكرمة . وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٣٧٤/٤) إلى ابن مردويه .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « هو » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٣] - في خ : « يسمع » .
[٤] - في ز ، خ : « غير معجمة » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « أبي » .

مسعود(٢٨٧) : لم يُخافتْ بها مَنْ أسمع أذنيه .

قال[١] ابن جرير(٢٨٨) : حدثنا يعقوب، حدثنا ابن عُلَيَّة عن سلمة بن علقمة عن محمد ابن سيرين قال : نبئت أن أبا بكر كان إذا صلىٰ فقرأ خفَّض صوته ، وأن عمر كان يرفع صوته ، فقيل لأبي بكر : لم تصنع هذا ؟ قال : أناجي ربي - عز وجل - وقد علم حاجتي . فقيل : أحسنت . وقيل لعمر : لم تصنع هذا ؟ قال : أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان ، قيل[٢] : أحسنت . فلما نزلت : ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلًا﴾ ، قيل لأبي بكر : ارفع[٣] شيئًا ، وقيل لعمر : اخفض شيئًا .

وقال أشعث بن سوار(٢٨٩) عن عكرمة ، عن ابن عباس : نزلت في الدعاء . وكذا روىٰ الثوري ومالك ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة [- رضي اللّٰه عنها](٢٩٠)[٤] : نزلت في الدعاء. وكذلك[٥] قال مجاهد وسعيد بن جبير، وأبو عياض ومكحول وعروة بن الزبير وقال الثوري : عن ابن[٦] عياش العامري ، عن عبد اللّٰه بن شداد قال(٢٩١) : كان أعراب من بني تميم إذا سلم النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قالوا : اللهم ارزقنا[٧] إبلًا وولدًا.

(٢٨٧) - أخرجه الطبري في تفسيره (١٨٨/١٥) من طرق عن شعبة به .

(٢٨٨) - أخرجه الطبري في تفسيره (١٨٦/١٥) . والبيهقي في شعب الإيمان (٢٦١٢) (٥٢٨/٢) من طريق ابن فضيل عن أشعث عن محمد بن سيرين به .

ومحمد بن سيرين لم يدرك أبا بكر الصديق ولا عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - .

وزاد نسبته السيوطي في الدر (٣٧٤/٤) إلى سعيد بن منصور وابن المنذر .

(٢٨٩) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨٣/١٥) حدثنا الحسن بن عرفة ثنا عباد بن العوام عن أشعث بن سوَّار به . وأشعث بن سوار ضعيف كما في التقريب .

وعزاه السيوطي في الدر (٣٧٥/٤) إلى ابن أبي شيبة وابن منيع وابن المنذر وابن مردويه .

(٢٩٠) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير ، باب : ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾ (٤٧٢٣) (٤٠٥/٨) . ومسلم في صحيحه - كتاب الصلاة ، باب : التوسط في القراءة في الصلاة الجهرية بين الجهر والإسرار إذا خاف من الجهر (١٤٦) (٤٤٧) (٢١٧/٤) . من طريق زائدة بن قدامة ، ويحيى بن زكريا عن هشام بن عروة به . وأخرجه مالك في الموطأ - كتاب القرآن ، باب : العمل في الدعاء (٣٩) (١/ ١٩٠) مرسلًا . وأما طريق الثوري فأشار إليه الحافظ ابن حجر في الفتح (٤٠٥/٨) ولم يعزه لأحد .

(٢٩١) - أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف - كتاب صلاة التطوع والإمامة - باب : قوله تعالى : ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾ (٣٣٠/٢) . وابن جرير في تفسيره (١٨٤/١٥) . من طرق عن سفيان الثوري به . =

[١] - مكانها بياض في : ز ، في خ : « وروى » .

[٢] - في خ : « قال » .

[٣] - في ز : « ارتفع » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٥] - في خ : « كذا » .

[٦] - سقط من : خ .

[٧] - سقط من : خ .

قال : فنزلت هذه الآية : ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾ .

قول آخر : قال ابن جرير(٢٩٢) : حدثنا أبو السائب ، حدثنا أبو[١] حفص بن غياث ، عن هشام ابن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة -رضي الله عنها- : نزلت هذه الآية في التشهد : ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ﴾ .

وبه قال حفص عن أشعث بن سوار[٢] عن محمد بن سيرين مثله(٢٩٣) .

قول آخر : قال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله : ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ﴾ ، قال[٣] : لا تصلّ مراءاة للناس[٤] ولا تدعها مخافة الناس . وقال الثوري عن منصور ، عن الحسن البصري : ﴿ ولاتجهر بصلاتك ولا تخافت بها ﴾ ، قال : لا تحسن[٥] علانيتها وتسيء سريرتها . وكذا رواه عن[٦] عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الحسن ، به . وهشيم عن عوف ، عنه به . وسعيد عن قتادة ، عنه كذلك .

قول آخر: قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: ﴿وابتغ بين ذلك سبيلًا ﴾ . قال : أهل الكتاب يخافتون ، ثم يجهر أحدهم بالحرف فيصيح به ، ويصيحون هم به وراءه ، فنهاه أن يصيح كما يصيح[٧] هؤلاء ، وأن يخافت كما يخافت القوم ، ثم كان السبيل الذي بين ذلك ، الذي سن له جبريل من الصلاة .

وقوله : ﴿ وقل الحمد للَّه الذي لم يتخذ ولدًا ﴾ ، لمَّا أثبت تعالىٰ لنفسه الكريمة الأسماء الحسنىٰ ، نزّه نفسه عن النقائص فقال : ﴿ وقل الحمد للَّه الذي لم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك ﴾ ، بل هو اللَّه الأحد الصمد الذي لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كُفُوًا

= وعبد الله بن شداد لم يدرك النبي - صلى الله عليه وسلم - . قال أحمد بن حنبل : لم يسمع من النبي - صلى الله عليه وسلم - . وقال العجلي والخطيب البغدادي : هو من كبار التابعين وثقاتهم . [انظر جامع التحصيل للعلائي ت (٣٦٩) ، وتهذيب الكمال (٨٤/١٥) ت (٣٣٣٠)] . والحديث عزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٧٥/٤) إلى ابن المنذر .

(٢٩٢) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨٧/١٥) وابن خزيمة في صحيحه (٧٠٧) (٣٥٠/١) . والحاكم في المستدرك (١٣٠/١) من طريق أبي كريب ثنا حفص بن غياث به . وصحح إسناده ووافقه الذهبي . وعزاه الحافظ ابن حجر في الفتح (٤٠٥/٨) إلى العمرى .

(٢٩٣) - أخرجه الطبري في تفسيره (١٨٧/١٥) . وأشعث بن سوار ضعيف .

[١] - سقط من : ت .
[٢] - في ز ، خ : « بندار » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في خ : « الناس » .
[٥] - في ز : « تخش » .
[٦] - سقط من : ت .
[٧] - في ز : « يصيحون » .

أحد .

﴿ ولم يكن له ولي من الذل ﴾ ، أي : ليس بذليل فيحتاج أن يكون له ولي أو وزير أو مشير ؛ بل هو تعالىٰ خالق الأشياء وحده ، لاشريك له ، ومدبرها ومقدرها بمشيئته وحده لا شريك له .

قال مجاهد في قوله : ﴿ ولم يكن له وليٌ من الذل ﴾ : لم يحالف أحدًا ولا يبتغي[١] نصر أحد .

﴿ وكبّره تكبيرًا ﴾ أي : عظّمه وأجلّه عمّا يقول الظالمون المعتدون علوًّا كبيرًا .

قال ابن جرير(٢٩٤) : حدثني يونس ، أنبأنا ابن وهب ، أخبرني أبو صخر ، عن القرظي : أنه كان يقول في هذه الآية : ﴿ وقل[٢] الحمد للّه الذي لم يتخذ ولدًا ﴾ الآية . قال : إن اليهود والنصارىٰ قالوا : اتخذ اللّه ولدًا ، وقال العرب : لبّيك لبيك[٣] لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك ، وقال الصابئون والمجوس : لولا أولياء اللّه لذل ، فأنزل اللّه هذه الآية : ﴿ وقل الحمد للّه الذي لم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرًا ﴾ .

وقال أيضًا(٢٩٥) : حدثنا بشر ، [حدثنا يزيد][٤] حدثنا سعيد ، عن قتادة : ذكر لنا أن النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم كان يعلم أهله هذه الآية[٥] : ﴿ الحمد للّه الذي لم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليّ من الذل وكبره تكبيرًا ﴾ ، الصغير من أهله والكبير .

قلت : وقد جاء في حديث أن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم سماها آية العز(٢٩٦) ،

(٢٩٤) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨٩/١٥) وأبو صخر هو حميد بن زياد المدني صدوق يهم كما في « التقريب » .

(٢٩٥) - وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨٩/١٥) . أخرج ابن أبي شيبة في المصنف - كتاب فضائل القرآن: باب : في الصبيان متى يتعلمون القرآن (٢٠٢/٧) حدثنا ابن عيينة عن عبد الكريم عن عمرو بن شعيب قال : كان الغلام إذا أفصح من بنى عبد المطلب علمه النبي - صلى الله عليه وسلم - هذه الآية سبعًا.

(٢٩٦) - أخرجه أحمد (٤٣٩/٣ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠) ، والطبراني في الكبير (٤٢٩) (١٩٢/٢٠) . من =

[١] - في ت : « لم يبتغ » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٥] - سقط من : ز.

وفي بعض الآثار : أنها ما قرئت في بيت في ليلة فيصيبه سرق أو آفة . والله أعلم .

وقال الحافظ أبو يعلىٰ(٢٩٧) : حدثنا بشر بن سيحان[١] البصري ، حدثنا حرب بن ميمون ، حدثنا موسىٰ بن عبيدة الرَّبَذي ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن أبي هريرة قال : خرجت أنا ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ويدي في يده ، فأتىٰ علىٰ رجل رث الهيئة فقال : « **أي فلان ، مابلغ بك ما أرىٰ ؟** » قال : السقم والضرّ يا رسول الله . قال : « **ألا أعلمك كلمات تذهب عنك السقم والضر ؟** » قال : لا ، قال[٢] : ما يسرني بها أن شهدت معك بدرًا أو[٣] أحدًا . قال : فضحك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وقال : « **وهل يدرك أهل بدر وأهل أحد ما يدرك الفقير القانع ؟** » . قال : فقال أبو هريرة : يا رسول الله ، إياي فعلمني . قال : « **فقل يا أبا هريرة : توكلت علىٰ الحي الذي لا يموت ﴿الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليّ من الذل وكبره تكبيرًا﴾** » . قال : فأتىٰ عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حسنت حالي ، قال : فقال لي : « **مهيم ؟** » . قال : قلت : يا رسول الله؛ لم[٤] أزل أقول الكلمات التي علمتني . إسناده ضعيف وفي متنه نكارة .

آخر تفسير سورة سبحان[٥]

☆ ☆ ☆

= طريق ابن لهيعة ، ورشدين بن سعد عن زبان بن فائد عن سهل بن معاذ عن أبيه معاذ بن أنس قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « آية العز : ﴿ **وقل الحمد لله** ...﴾ .وقال الهيثمي في المجمع (٧/٥٥) « رواه أحمد من طريقين في إحداهما رشدين بن سعد وهو ضعيف ، وفي الأخرى ابن لهيعة وهو أصلح منه وكذلك الطبراني » .

وقلت : وزبان بن فائد ضعيف أيضًا لا سيما في سهل بن معاذ . وتحرف في المطبوع من « مجمع الزوائد » : « معاذ بن أنس » إلى « أنس بن مالك » وهو خطأ فإن الحديث من مسند « معاذ بن أنس » . انظر « أطراف المسند » لابن حجر (٧١٢٤) (٥/٢٨٧) .

(٢٩٧) - أخرجه أبو يعلى في مسنده (٦٦٧١) (١٢/٢٣ - ٢٤) . ومن طريقه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٥٤٦) . وذكره الهيثمي في المجمع (٧/٥٥) وقال : « رواه أبو يعلى وفيه موسى بن عبيدة الربذي ، وهو ضعيف » . وضعفه الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٢٤١١) (٢/٣٣٥ - ٢٣٦) .

[١] - في خ : « سبحان » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « و » .
[٤] - في ز ، خ : « ألم » .
[٥] - في ت : « الإسراء » .

تفسير سورة الكهف وهي مكية

ذكر ما ورد في فضلها والعشر الآيات من أولها وآخرها وأنها عصمة من الدجال.

قال[١] الإمام أحمد(١) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق قال : سمعت البراء يقول : قرأ رجل الكهف وفي الدار دابة فجعلت تنفر ، فنظر فإذا ضبابة ، أو : سحابة ، قد غشيته ، فذكر ذلك للنبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقال : « **اقرأ فلان ، فإنها السكينة تنزلت عند القرآن** » ، أو : « **تنزلت للقرآن** » أخرجاه في الصحيحين من حديث شعبة به . وهذا الرجل الذي كان يتلو هو أسيد بن الحضير كما تقدم في تفسير سورة[٢] البقرة .

وقال الإمام أحمد(٢) : حدثنا يزيد ، أخبرنا همام بن يحيىٰ ، عن قتادة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن معدان بن أبي طلحة ، عن أبي الدرداء ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال** » . رواه مسلم [وأبو داود ، والنسائي ، والترمذي][٣] من حديث قتادة به ، و[٤] لفظ الترمذي : « **من حفظ الثلاث الآيات من أول الكهف** » و[٥] قال : حسن صحيح .

طريق أخرىٰ : قال أحمد : حدثنا حجاج ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ، سمعت سالم بن أبي الجعد يحدث ، عن معدان ، عن أبي الدرداء ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال :

---

(١) أخرجه أحمد (٢٨٤،٢٨١/٤) . وأخرجه البخاري في صحيحه - كتاب المناقب باب : علامات النبوة في الإسلام (٣٦١٤) ، ومسلم في صحيحه - كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب : نزول السكينة لقراءة القرآن (٢٤١) (٧٩٥) .

(٢) رجاله رجال الشيخين غير معدان بن أبي طلحة فمن رجال مسلم .
أخرجه أحمد (٤٤٩/٦) ، وأخرجه مسلم في صحيحه - كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب : فضل سورة الكهف وآية الكرسي (٢٥٧) (٨٠٩) ، وأبو داود -كتاب الملاحم : باب : خروج الدجال . (٤٣٢٣) . والنسائي في الكبرى - كتاب عمل اليوم والليلة ، باب : ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر ثوبان فيما يجير من الدجال (٢٣٦/٦) ، وكتاب فضائل القرآن ، باب : الكهف -(٨٠٢٥) (١٥/٥) بلفظ « من قرأ عشر آيات ....» ، والترمذي -كتاب فضائل القرآن ، باب : ما جاء في فضل سورة الكهف (٢٨٨٦) ، ولفظه « **من قرأ ثلاث آيات من أول الكهف** ....» وقال : « حديث حسن صحيح » .

---

[١] - مكانها بياض في : ز .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - سقط من : ت .
[٥] - سقط من :ت .

« **من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال** »(٣) ورواه مسلم أيضًا ، والنسائي ، من حديث قتادة به ، وفي لفظ للنسائي : « **من قرأ عشر آيات من الكهف** » ، فذكره .

حديث آخر : وقد رواه النسائي(٤) في « **اليوم والليلة** » عن محمد بن عبد الأعلىٰ ، عن خالد ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن ثوبان ، عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أنه قال : « **من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف فإنه عصمة له من الدجال** » ، فيحتمل أن سالمًا سمعه من ثوبان ومن أبي الدرداء .

وقال الإمام أحمد(٥) : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا زبان[١] بن فايد ، عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني ، عن أبيه ، عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أنه قال : « **من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له نورًا من قدمه إلىٰ رأسه ، ومن قرأها كلها كانت له نورًا ما بين الأرض إلى السماء** » . انفرد به أحمد ولم يخرجوه .

وروىٰ الحافظ أبو بكر بن مردويه بإسناد له غريب ، عن خالد بن سعيد بن[٢] أبي مريم ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **من قرأ سورة الكهف في[٣] يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه إلىٰ عنان السماء يضيء[٤] له يوم القيامة وغفر له ما بين الجمعتين** » .

وهذا الحديث في رفعه نظر، وأحسن أحواله الوقف .

---

(٣) أخرجه أحمد (٤٤٦/٦) ، وأخرجه مسلم في - كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب : فضل سورة الكهف وآية الكرسي (٤٤) (٨٠٩) ، والنسائي في الكبرى - كتاب عمل اليوم والليلة ، باب : ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر ثوبان فيما يجير من الدجال - (١٠٧٨٦) ، وأخرجه النسائي أيضًا رقم (١٠٧٨٥) بلفظ « من قرأ عشر آيات من الكهف ... » .

(٤) المصدر السابق حديث رقم (١٠٧٨٤) .

(٥) أخرجه أحمد (٤٣٩/٣) .

وتابع « ابن لهيعة » رشدين بن سعد عند الطبراني (١٩٧/٢٠) (٤٤٣) ورشدين ضعيف . والحديث ذكره الهيثمي في المجمع (٥٥/٧-٥٦) وقال : « رواه أحمد والطبراني وفي إسناد أحمد ابن لهيعة ، وهو ضعيف ، وقد يحسن حديثه » لكن شيخه زبان بن فائد ضعيف .

وكذا عزاه له المنذري في « الترغيب والترهيب » (٥١٣/١) وقال : « إسناده لا بأس به » لكن المصنف رجح فيه الوقف .

---

[١] - في خ : « زيان » .
[٢] - في خ : « عن » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ز : « يعني » .

وهكذا روىٰ الإِمام سعيد بن منصور في سننه : عن هشيم بن بشير ، عن أبي هاشم ، عن أبي مجْلَز ، عن قيس بن عباد ، عن أبي سعيد الخدري رضي اللّٰه عنه أنه قال : من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور مابينه وبين البيت العتيق .

هكذا وقع موقوفًا وكذا رواه الثوري عن أبي هاشم به من حديث أبي سعيد الخدري.

وقد أخرجه الحاكم في مستدركه(٦) عن أبي بكر محمد بن المؤمل : حدثنا الفضيل[١] بن محمد الشعراني ، حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا هشيم ، حدثنا أبو هاشم ، عن أبي مجْلَز ، عن قيس بن عباد ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أنه قال : « **من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور مابينه وبين الجمعتين** » ، ثم[٢] قال : هذا حديث صحيح الإِسناد ولم يخرجاه .

وهكذا رواه الحافظ أبو بكر البيهقي(٧) في سننه عن الحاكم ، ثم قال البيهقي : ورواه يحيىٰ بن كثير ، عن شعبة ، عن أبي هاشم بإسناده : أن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **من قرأ سورة الكهف كما أنزلت كانت[٣] له نورًا يوم القيامة** » .

وفي « **المختارة** »(٨) للحافظ الضياء المقدسي من حديث عبد اللّٰه بن [مصعب بن][٤] منظور بن زيد بن خالد الجهني ، عن عليّ بن الحسين ، عن أبيه ، عن عليّ مرفوعًا : « **من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة فهو معصوم إلىٰ ثمانية أيام من كل فتنة ، وإن خرج الدجال**

---

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣٦٨/٢) (٣٣٩٢) . وقال : « حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ، ورده الذهبي بقوله : « نعيم ذو مناكير » .

والحديث أخرجه الدارمي (٣٢٦/٢) (٣٣١٠) موقوفًا على أبي سعيد بلفظ : « من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النور فيما بينه وبين البيت العتيق » .

قال الألباني في الإرواء (٦٢٦) (٩٤/٣) : «وهذا سند صحيح رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين .... ثم هو وإن كان موقوفًا فله حكم المرفوع ، لأنه مما لا يقال بالرأي كما هو ظاهر .... »

وللحديث طرق وألفاظ أخرى عند الحاكم (٥٦٥،٥٦٤/١) ، (٥١١/٤) .

(٧) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى - كتاب الجمعة - باب ما يؤمر به في ليلة الجمعة ويومها من كثرة الصلاة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقراءة سورة الكهف وغيرها (٢٤٩/٣) .

(٨) « المختارة » (٢/رقم ٤٢٩ ، ٤٣٠) وقال : « عبد الله بن مصعب ، لم يذكره البخاري ، ولا ابن أبي حاتم في كتابيهما » . ولم أهتد لترجمته في مصادر أخر والله أعلم .

---

[١] - في خ : « الفضل » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : « كان » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

عصم منه ».

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا (٤) مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥)

قد تقدم في أول التفسير أنه تعالىٰ يحمد نفسه المقدسة عند فواتح الأمور وخواتيمها ؛ فإنه المحمود علىٰ كل حال ، وله الحمد في الأولىٰ والآخرة ؛ ولهذا حمد نفسه علىٰ إنزاله كتابه العزيز علىٰ رسوله الكريم محمد صلوات الله وسلامه عليه ؛ فإنه أعظم نعمة أنعمها الله علىٰ أهل الأرض إذ أخرجهم به من الظلمات إلىٰ النور ، حيث جعله كتابًا مستقيمًا لا اعوجاج فيه ولا زيغ ، بل يهدي إلىٰ صراط مستقيم ، واضحًا بينًا جليًا ، نذيرًا للكافرين وبشيرًا للمؤمنين ؛ ولهذا قال : ﴿ **ولم يجعل له عوجًا** ﴾ ، أي : لم يجعل فيه اعوجاجًا ولا زيغًا ولا ميلًا ، بل جعله معتدلًا مستقيمًا ؛ ولهذا قال : ﴿ **قيمًا** ﴾ أي : مستقيمًا.

﴿ **لينذر بأسًا شديدًا من لدنه** ﴾ ، أي : لمن خالفه وكذبه[١] ولم يؤمن به ، ينذره ﴿ **بأسًا شديدًا** ﴾ : عقوبة عاجلة في الدنيا وآجلة في الأخرىٰ ، ﴿ **من لدنه** ﴾ ، أي : من عند الله الذي لا يعذب عذابه أحد ، ولا يوثق وثاقه أحد ، ﴿ **ويبشر المؤمنين** ﴾ ، أي : بهذا القرآن ، الذين صدقوا إيمانهم بالعمل الصالح ، ﴿ **أن لهم أجرًا حسنًا** ﴾ ، أي : مثوبة عند الله جميلة ، ﴿ **ماكثين فيه** ﴾ : في ثوابهم عند الله - وهو الجنة - خالدين فيه ، ﴿ **أبدًا** ﴾ دائمًا لا زوال له ولا انقضاء[٢] : ﴿ **وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدًا** ﴾ ، قال ابن إسحاق : وهم مشركو العرب في قولهم : نحن نعبد الملائكة وهم بنات الله .

﴿ **ما لهم به من علم** ﴾ ، أي : بهذا القول الذي افتروه وائتفكوه من علم ﴿ **ولا لآبائهم** ﴾ ، أي : أسلافهم[٣] .

﴿ **كبرت كلمة** ﴾ نصب على التمييز تقديره : كَبُرَتْ كلمتُهم هذه كلمةً .

---

[١] - في خ : « كذب » . [٢] - بعده في ت : وقوله .

[٣] - في ت : « لأسلافهم » .

وقيل : علىٰ التعجب ، تقديره : أعظم بكلمتهم كلمة ، كما تقول : أكرم بزيد رجلًا . قاله[١] بعض البصريين ، وقرأ ذلك بعض قراء مكة (كبرت كلمةٌ) كما يقال : عَظُمَ[٢] قولك وعظم[٣] شأنك . والمعنىٰ علىٰ قراءة الجمهور أظهر ؛ فإن هذا تبشيع لمقالتهم واستعظام لإفكهم ؛ ولهذا قال : ﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم ﴾ ، أي : ليس لها مستند سوىٰ قولهم ، ولا دليل لهم عليها إلا كذبهم وافتراؤهم ؛ ولهذا قال : ﴿ إن يقولون إلا كذبًا ﴾ .

وقد ذكر محمد بن إسحاق(٩) سبب نزول هذه السورة الكريمة فقال : حدثني شيخ من أهل مصر قدم علينا منذ بضع وأربعين سنة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : بعثت قريش النضر بن الحارث ، وعقبة بن أبي مُعَيط ، إلىٰ أحبار يهود[٤] بالمدينة ، فقالوا لهم : سلوهم عن محمد ، وصفوا لهم صفته ، وأخبروهم بقوله[٥] ؛ فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء ، فخرجا حتىٰ قدما المدينة ، فسألوا أحبار يهود عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، ووصفوا لهم أمره وبعض قوله ، وقالا : إنكم أهل التوراة ، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا . قال : فقالت لهم : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن ، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وإن لم يفعل فالرجل مُتَقَوّل ؛ فَرَوْا(*) فيه رأيكم : سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ، ما كان من أمرهم ؟ فإنه[٦] قد كان لهم حديث عجيب . وسلوه عن رجل طوّاف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، ما كان نبؤه ؟ وسلوه عن الروح ، ما هو ؟ فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه ، وإن لم يخبركم فإنه رجل متقوّل ، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم .

فأقبل النضر وعقبة حتىٰ قدما علىٰ قريش ، فقالا : يا معشر قريش ، قد جئناكم بفصل مابينكم وبين محمد ، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور ، فأخبروهم بها - فجاءوا رسول الله صلىٰ الله تعالىٰ عليه وعلىٰ آله وسلم فقالوا : يا محمد ، أخبرنا - فسألوه عما أمروهم به - فقال لهم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « أخبركم غدًا بما سألتم عنه » - ولم يستثن - فانصرفوا عنه ، ومكث رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة لا

---

(٩) أخرجه ابن هشام في « السيرة » (١/٣١١ ، ٣١٢) وابن جرير في تفسيره (١٥/١٩١ - ١٩٢) عن ابن إسحاق مطولًا .

(*) - روا : فعل أمر من رأي

---

[١] - في ز ، خ : « قال » .
[٢] - في ت : « عظيم » .
[٣] - في ت : « كبر » .
[٤] - في خ : « اليهود » .
[٥] - في خ : « بقولهم » .
[٦] - في ت : « فإنهم » .

يحدث الله إليه في ذلك وحيًا ، ولا يأتيه جبريل عليه السلام ، حتىٰ أرجف أهل مكة وقالوا : وعدنا محمد غدًا ، واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء عما سألناه عنه ؟! وحتىٰ أحزنَ رسولَ الله صلىٰ الله عليه وسلم مكثُ الوحي عنه ، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ، ثم جاءه جبريل - عليه السلام - من عند الله - عز وجل - بسورة أصحاب الكهف ؛ فيها[١] معاتبته إياه علىٰ حزنه عليهم ، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف ، وقول الله عز وجل : ﴿ **ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا** ﴾ .

فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾

يقول تعالىٰ مسليًا رسوله[٢] صلوات الله وسلامه عليه في حزنه علىٰ المشركين لتركهم الإيمان وبعدهم عنه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فلا تذهب نفسك عليهم حسرات** ﴾ وقال : ﴿ **ولا تحزن عليهم** ﴾ وقال : ﴿ **لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين** ﴾ باخع: أي : مهلك نفسك بحزنك عليهم ؛ ولهذا قال : ﴿ **فلعلك باخع نفسك علىٰ آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث** ﴾ ، يعني : القرآن . ﴿ **أسفًا** ﴾ ، يقول : لا تهلك نفسك أسفًا .

قال قتادة : قاتل نفسك غضبًا وحزنًا عليهم .

وقال مجاهد : جزعًا .

والمعنىٰ [متقارب ، أي][٣] : لا تأسف عليهم ؛ بل أبلغهم رسالة الله ، فمن اهتدىٰ فلنفسه ، ومن ضل فإنما يضل عليها ، فلا[٤] تذهب نفسك عليهم حسرات .

ثم أخبر تعالىٰ أنه جعل الدنيا دارًا فانية مُزَيَّنة بزينة زائلة ، وإنما جعلها دار اختبار لا دار قرار ، فقال : ﴿ **إنا جعلنا ما علىٰ الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملًا** ﴾ .

قال قتادة(١٠) : عن أبي نَضْرة ، عن أبي سعيد ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه

(١٠) تقدم تخريجه [سورة الأنعام / آية ١٦٥] .

[١] - في ز : « فيه » .
[٢] - في ت : « لرسوله » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ت .

قال : « **إن الدنيا خضرة حلوة ، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر ماذا تعملون ، فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ؛ فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء** » . ثم أخبر تعالىٰ بزوالها وفنائها وفراغها وانقضائها وذهابها وخرابها فقال تعالىٰ : ﴿ **وإنا لجاعلون ما عليها صعيدًا جرزًا** ﴾ ، [أي : وإنا لمصيّروها بعد الزينة إلىٰ الخراب والدمار ، فنجعل كل شيء عليها هالكًا ﴿ **صعيدًا جرزًا** ﴾ ، لا يُنْبِت ولا ينتفع به ، كما قال العوفي عن ابن عباس ، في قوله تعالىٰ : ﴿ **وإنا لجاعلون ما عليها صعيدًا جرزًا**][١] ﴾ ، يقول : يهلك كل شيء عليها ويبيد . وقال مجاهد : صعيدًا جرزًا : بلقعًا .

وقال قتادة : الصعيد : الأرض التي ليس فيها شجر ولا نبات .

وقال ابن زيد : الصعيد : الأرض التي ليس فيها شيء ، ألا ترىٰ إلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ **أو لم يروا أنا نسوق الماء إلىٰ الأرض الجرز فنخرج به زرعًا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون** ﴾ .

وقال محمد بن إسحاق : ﴿ **وإنا لجاعلون ما عليها صعيدًا جرزًا** ﴾ ، يعني : الأرض ، وإن ما عليها لفان وبائد ، وإن المرجع لإلىٰ الله ، فلا تأس ولا يحزنك ما تسمع وترىٰ .

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾

هذا إخبار [من الله تعالىٰ][٢] عن قصة أصحاب الكهف علىٰ سبيل الإجمال والاختصار ، ثم بسطها بعد ذلك ، فقال : ﴿ **أم حسبت** ﴾ ، يعني : يا محمد ، ﴿ **أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبًا** ﴾ ، أي : ليس أمرهم عجيبًا في قدرتنا وسلطاننا ؛ فإن خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، وتسخير الشمس والقمر والكواكب ، وغير ذلك من الآيات العظيمة الدالة علىٰ قدرة الله تعالىٰ ، وأنه علىٰ ما يشاء قادر ، ولا يعجزه شيء أعجب من أخبار أصحاب الكهف ، كما قال ابن جريج ، عن مجاهد : ﴿ **أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبًا** ﴾ ، يقول : قد

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

كان من آياتنا ما هو أعجب من ذلك .

وقال العوفي عن ابن عباس : ﴿ **أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبًا** ﴾ يقول : الذي آتيتك من العلم والسنة والكتاب أفضل من شأن أصحاب الكهف والرقيم .

وقال محمد بن إسحاق : ما أظهرت من حججي على العباد أعجب من شأن أصحاب الكهف والرقيم .

[وأما الكهف : فهو الغار في الجبل ، وهو الذي لجأ إليه هؤلاء الفتية المذكورون . وأما الرقيم][١] : فقال[٢] العوفي : عن ابن عباس : هو واد قريب من أيلة . وكذا [قال عطية العوفي وقتادة ، وقال الضحاك] : أما الكهف فهو غار الوادي ، والرقيم اسم الوادي .

وقال مجاهد : الرقيم : كان بنيانهم . ويقول بعضهم : هو الوادى الذي فيه كهفهم .

وقال عبد الرزاق(١١) : أخبرنا الثوري ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **الرقيم** ﴾ ، قال[٣] : يزعم كعب أنها القرية .

وقال ابن جريج عن ابن عباس : الرقيم : الجبل الذي فيه الكهف .

وقال ابن إسحاق : عن عبد الله بن أبي نجيح ، [عن مجاهد][٤] ، عن ابن عباس قال : اسم ذلك الجبل بنجلوس .

وقال ابن جريج : أخبرني وهب بن سليمان ، عن شعيب الجبّائي : أن[٥] اسم جبل الكهف بنجلوس ، واسم الكهف حيزم ، والكلب حمران .

وقال عبد الرزاق(١٢) : أنبأنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : [كل][٦] القرآن أعلمه ، إلا : حنانًا[٧] ، والأواه ، والرقيم .

---

(١١) أخرجه عبد الرزاق (٣٩٧/٢) ومن طريقه ابن جرير في تفسيره (١٩٨/١٥) ورواية سماك عن عكرمة مضطربة .

(١٢) « التفسير » لعبد الرزاق (٣٩٧/٢) ومن طريقه ابن جرير (١٩٩/١٥) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٢] - في ز : « وقال » .

[٣] - في خ : كان ..

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - زيادة من تفسير ابن جرير .

[٧] - في ز : « حنان » .

وقال ابن جريج : أخبرني عمرو بن دينار ، أنه سمع عكرمة يقول : قال ابن عباس : ما أدري ما الرقيم ، أكتاب أم بنيان ؟

وقال عليّ بن أبي طلحة : عن ابن عباس : الرقيم : الكتاب .

وقال سعيد بن جبير : الرقيم[١] : لوح من[٢] حجارة ، كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف ، ثم وضعوه علىٰ باب الكهف .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : الرقيم : الكتاب ، ثم قرأ : ﴿ **كتاب مرقوم** ﴾ . وهذا هو الظاهر من الآية ، وهو اختيار ابن جرير ، قال : الرقيم : فعيل بمعنىٰ[٣] مرقوم ، كما يقال للمقتول : قتيل ، وللمجروح : جريح . والله أعلم .

وقوله : ﴿ **إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدًا** ﴾ . يخبر تعالىٰ عن أولئك الفتية الذين فروا بدينهم من قومهم لئلا يفتنوهم عنه ، فهربوا منهم فلجئوا إلىٰ غار في جبل ليختفوا عن قومهم ، فقالوا حين دخلوا - سائلين من الله تعالىٰ رحمته ولطفه بهم - : ﴿ **ربنا آتنا من لدنك رحمة** ﴾ ، أي : هب لنا من عندك رحمة ترحمنا بها وتسترنا عن قومنا ، ﴿ **وهيئ لنا من أمرنا رشدًا** ﴾ ، أي : وقدر لنا من أمرنا هذا رشدًا ، أي : اجعل عاقبتنا رشدًا[٤] ، كما جاء في الحديث(١٣) : « **وما قضيت لنا من قضاء فاجعل عاقبته رشدًا** » ، وفي المسند(١٤) من حديث بُشر[٥] بن أبي أرطاة عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه كان يدعو : « **اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها ، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة** » .

---

(١٣) أخرجه أحمد (٢٥٢٤٨) (١٤٧/٦) والبخاري في الأدب المفرد (٦٣٩) ، وابن ماجه - كتاب الدعاء ، باب : الجوامع من الدعاء (٣٨٤٦) نحوه من حديث عائشة .
والحديث صححه الألباني في الصحيحة (١٥٤٢/٤) .

(١٤) أخرجه أحمد (١٨١/٤) ، وابن حبان في صحيحه (٩٤٩) ، والطبراني في الكبير (١١٩٦) (٣٣/٢) ، وفي « الدعاء » (٣/رقم ١٤٣٦) ، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٣/رقم ١٢٠٤) . والبخاري في « التاريخ الكبير » (٣٠/١) ، (١٢٣/٢) ، وابن عدي في « الكامل » (٤٣٨/٢) .
كلهم من طريق محمد بن أيوب بن ميسرة بن حلبس يقول : سمعت أبي يقول : سمعت بسر بن أرطاة يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقول ... فذكره . =

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « من » .
[٤] - في ز : « رشد » .
[٥] - في ز : « بشر » .

وقوله : ﴿ **فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددًا** ﴾ ، أي : ألقينا عليهم النوم حين دخلوا إلى الكهف ، فناموا سنين كثيرة ، ﴿ **ثم بعثناهم** ﴾ ، أي : من رقدتهم تلك ، وخرج أحدهم بدراهم معه ليشتري لهم بها شيئًا يأكلونه ، كما سيأتي بيانه وتفصيله ؛ ولهذا قال : ﴿ **ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين** ﴾ ، أي [١] : المختلفين فيهم ، ﴿ **أحصى لما لبثوا أمدًا** ﴾ ، قيل : عددًا . وقيل : غاية ؛ فإن الأمد الغاية كقوله[٢] :

*** سبق الجواد إذا استولى على الأمد ***

﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (١٤) هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا

= وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/١٨١) وقال : « رواه أحمد والطبراني ... ورجال أحمد وأحد أسانيد الطبراني ثقات » .

قلت : ومحمد بن أيوب بن ميسرة بن حلبس . ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٧/١٩٧) ت (١١١٠) وقال : سألت أبي عنه فقال : هو صالح لا بأس به ليس بمشهور . وقال الحافظ في « تعجيل المنفعة » (ت ٩٢٨) : « أورده النباتي في الضعفاء في ذيل الكامل » قال الذهبي في « الميزان » وما فيه مغمز ولعل مستند النباتي قول أبي حاتم ليس بمشهور . ففهم من ذلك أنه عند أبي حاتم مجهول ، وليس كذلك ، بل مراد أبي حاتم أنه لم يشتهر في العلم اشتهار غيره من أقرانه ...» وذكره ابن حبان في « الثقات » (٧/ ٣٨٥ ، ٣٨٦) .

وأما أبوه أيوب بن ميسرة .

فذكره البخاري في « التاريخ الكبير » (١/٤٢١ - ٤٢٢) وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢/٢٥٧) (٩١٨) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا ، ووثقه ابن حبان في « الثقات » (٤/٢٧ - ٢٨) ، والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/٥٩١) ، والطبرني في المعجم الكبير (٢/٣٣) (١١٩٧) وابن عدي في الكامل (٢/٤٣٨-٤٣٩) من طريق يزيد بن عبيدة بن أبي المهاجر ، حدثني يزيد مولى بسر بن أبي أرطاة عن بسر بن أبي أرطاة عن النبي صلى الله عليه وسلم . وسكت عنه الحاكم والذهبي . وقال ابن عدي في « الكامل » بعد أن ساق هذا الحديث وحديثًا آخر عن بسر بن أبي أرطاة : وبسر بن أبي أرطاة مشكوك في صحبته للنبي صلى الله عليه وسلم ، لا أعرف له إلا هذين الحديثين ، وأسانيده من أسانيد الشام ومصر ، ولا أرى بإسناد هذين بأسًا » .

[١] - ما بين المعكوفتين مكرر في ز . [٢] - سقط من : ز .

﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾ ﴿١٥﴾

من هاهنا شرع في بسط القصة وشرحها ، فذكر تعالىٰ أنهم فتية - وهم الشباب - وهم أقبلُ للحق ، وأهدىٰ للسبيل من الشيوخ الذين قد عَتَوا وعَسَوا في دين الباطل ؛ ولهذا كان أكثر المستجيبين لله تعالىٰ ولرسوله صلىٰ اللَّه عليه وسلم شبابًا ، وأما المشايخ من قريش فعامتهم بقوا علىٰ دينهم ، ولم يسلم منهم إلا القليل . وهكذا أخبر تعالىٰ عن أصحاب الكهف أنهم كانوا فتية شبابًا .

قال مجاهد: بلغني أنه كان في آذان بعضهم القِرَطَة(*) يعني : الحِلَق - فألهمهم اللَّه رشدهم ، وآتاهم تقواهم ، فآمنوا بربهم ، أي : اعترفوا له بالوحدانية ، وشهدوا أنه لا إله إلا هو .

﴿ وزدناهم هدى ﴾ : استدل بهذه الآية وأمثالها غير واحد من الأئمة - كالبخاري(١٥) وغيره ، ممن ذهب إلىٰ زيادة الإيمان وتفاضله ، وأنه يزيد وينقص ، ولهذا قال تعالىٰ : **﴿ وزدناهم هدى ﴾** ، كما قال تعالى : **﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ﴾** وقال : **﴿ فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانًا ﴾** وقال : **﴿ ليزدادوا إيمانًا مع إيمانهم ﴾** إلى غير ذلك من[١] الآيات الدالة على ذلك .

وقد ذُكِر : أنهم كانوا علىٰ دين عيسىٰ ابن مريم عليه السلام ، واللَّه أعلم . والظاهر أنهم كانوا قبل ملة النصرانية بالكلية ؛ فإنهم[٢] لو كانوا علىٰ دين النصرانية ؛ لما اعتنىٰ أحبار اليهود بحفظ خبرهم وأمرهم لمباينتهم لهم ، وقد تقدم(١٦) عن ابن عباس أن قريشًا بعثوا إلىٰ أحبار اليهود بالمدينة يطلبون منهم أشياء يمتحنون بها رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فبعثوا إليهم أن يسألوه عن خبر هؤلاء ، وعن خبر ذي القرنين ، وعن الروح ، فدل هذا علىٰ أن هذا أمر محفوظ في كتب أهل الكتاب ، وأنه متقدم علىٰ دين النصرانية ، واللَّه أعلم .

(*) بكسر ثم فتح : جمع قرط ، وهو الحلق .

(١٥) انظر صحيح البخاري - كتاب الإيمان ، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال (١٥) (٢٢) (١/٧٢- فتح) .

(١٦) تقدم (١١) .

---

[١] - في خ : « في » . [٢] - في خ : « فإنه » .

وقوله : ﴿ وربطنا علىٰ قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض ﴾ ، يقول تعالىٰ : وصبّرناهم[١] علىٰ مخالفة قومهم ومدينتهم ، ومفارقة ما كانوا فيه من العيش الرغيد والسعادة والنعمة ؛ فإنه قد ذكر غير واحد من المفسرين من السلف والخلف أنهم كانوا[٢] من أبناء ملوك الروم وسادتهم ، وأنهم خرجوا يومًا في بعض أعياد قومهم ، وكان لهم مجتمعًا[٣] في السنة يجتمعون فيه في ظاهر البلد ، وكانوا يعبدون الأصنام والطواغيت ويذبحون لها[٤] ، وكان لهم ملك جبار عنيد يقال له : دقيانوس ، وكان يأمر الناس بذلك ويحثهم عليه ويدعوهم إليه .

فلما خرج الناس لمجتمعهم ذلك ، وخرج هؤلاء الفتية مع آبائهم وقومهم ، ونظروا إلىٰ ما يصنع قومهم بعين بصيرتهم ، عرفوا[٥] أن هذا الذي يصنعه قومهم من السجود لأصنامهم والذبح لها لا ينبغي إلا لله الذي خلق السموات والأرض ، فجعل كل واحد منهم يتخلص من قومه وينحاز منهم ويتبرز عنهم ناحية ، وكان[٦] أول من جلس منهم أحدهم ، جلس تحت ظل شجرة ، فجاء الآخر فجلس عنده ، وجاء الآخر فجلس إليهما ، وجاء الآخر فجلس إليهم ، وجاء الآخر ، وجاء الآخر ، [وجاء الآخر][٧] ، ولا يعرف واحد منهم الآخر ، وإنما جمعهم هناك الذي جمع قلوبهم علىٰ الإيمان .

كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري(١٧) تعليقًا من حديث يحيىٰ بن سعيد ، عن عمرة ، عن عائشة -رضي الله عنها- قالت : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **الأرواح جنودٌ مجندة ، فما[٨] تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف** » أخرجه مسلم في صحيحه(١٨) من حديث سهيل[٩] عن [أبيه عن][١٠] أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم .

(١٧) البخاري في صحيحه -كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب : الأرواح جنود مجندة (٢) - (٣٣٢٦) .
وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (٦/ ٣٧٠) : « وقد وصله الإسماعيلي من طريق سعيد بن أبي مريم عن يحيى بن أيوب ، ورويناه موصولًا في مسند أبي يعلى وفيه قصة في أوله ...» قلت : أخرجه أبو يعلى في مسنده (٤٣٨١) (٧/ ٣٤٤) . والبخاري في الأدب المفرد (٩٠٠) - باب الأرواح جنود مجندة .

(١٨) مسلم في كتاب البر والصلة والآداب (٤٥) ، باب : الأرواح جنود مجندة (٤٩) - (١٥٩) (٢٦٣٨) - (١٦/ ٢٨٤) .

[١] - في ز ، خ : « صيرناهم » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في خ : « مجتمع » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في ز ، خ : « فعرفوا » .
[٦] - في ت : « فكان » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٨] - في ز : « ما » .
[٩] - في ت : « سهل » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

والناس يقولون : الجنسية علة الضم .

والغرض أنه جعل كل واحد منهم يكتم ما هو فيه عن أصحابه خوفًا منهم ، ولا يدري أنهم مثله ، حتىٰ قال أحدهم : تعلمون واللَّه يا قوم أنه ما[١] أخرجكم من قومكم وأفردكم عنهم إلا شيء ، فليظهر[٢] كل واحد منكم ما بأمره . فقال آخر : أما أنا فإني واللَّه[٣] رأيت ما قومي عليه ، فعرفت أنه باطل ، وإنما الذي يستحق أن يعبد وحده[٤] ولا يشرك به شيء[٥] هو اللَّه[٦] الذي خلق كل شيء السموات والأرض وما بينهما . فقال الآخر : وأنا واللَّه وقع لي كذلك . وقال الآخر كذلك ، حتىٰ توافقوا كلهم علىٰ كلمة واحدة ، فصاروا يدًا واحدة وإخوان صدق ، فاتخذوا لهم معبدًا يعبدون اللَّه فيه ، فعرف بهم قومهم ، فوشوا بأمرهم إلىٰ ملكهم ، فاستحضرهم بين يديه ، فسألهم عن أمرهم وما هم عليه ، فأجابوه بالحق ودعوه إلىٰ اللَّه عز وجل ؛ ولهذا أخبر تعالىٰ عنهم بقوله : ﴿ **وربطنا علىٰ قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلهًا** ﴾ - ولن لنفي التأبيد - أي[٧] : لا يقع منا هذا أبدًا ؛ لأنا لو فعلنا ذلك لكان باطلًا . ولهذا قال عنهم: ﴿ **لقد قلنا إذًا شططًا** ﴾ أي : باطلًا وكذبًا وبهتانًا .

﴿ **هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين** ﴾ ، أي : هلَّا[٨] أقاموا علىٰ صحة ما ذهبوا إليه دليلًا واضحًا صحيحًا ؟ ! ﴿ **فمن أظلم ممن افترىٰ علىٰ اللَّه كذبًا** ﴾ ، يقولون : بل هم ظالمون كاذبون في قولهم ذلك فيقال : إن ملكهم لما دَعَوه إلىٰ الإيمان باللَّه أبىٰ عليهم وتهددهم وتوعدهم ، وأمر بنزع لباسهم عنهم الذي كان عليهم من زينة قومهم ، وأجّلهم لينظروا في أمرهم لعلهم يراجعون[٩] دينهم الذي كانوا عليه . وكان هذا من لطف اللَّه بهم ؛ فإنهم في تلك النظرة توصلوا إلىٰ الهرب منه والفرار بدينهم من الفتنة .

وهذا هو المشروع عند وقوع الفتن في الناس : أن يفر العبد منهم خوفًا علىٰ دينه ، كما جاء في الحديث(١٩) « **يوشك أن يكون خير مال أحدكم غنمًا يتبع بها شَعَف[١٠] الجبال**

(١٩) أخرجه البخاري - كتاب الإيمان ، باب : من الدين الفرار من الفتن (١٩) ، وكتاب بدء الخلق ، =

[١] - في ز ، خ : « إنما » .
[٢] - في ز ، خ : « فليظهره » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : « شيئًا » .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - في خ : « هذا » .
[٩] - في ز : « يراجعوا » .
[١٠] - في خ : « سعف » . وشعفة كل شيء : أعلاه . يريد رأس جبل من الجبال النهاية (٢/٤٨١) .

ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن » ، ففي هذه الحال تشرع العزلة عن[١] الناس ، ولا تشرع فيما عداها لما يفوت بها من ترك الجماعات والجمع .

فلما وقع عزمهم على الذهاب والهرب من قومهم ، واختار اللَّه تعالىٰ لهم ذلك ، وأخبر عنهم بذلك في قوله : ﴿ **وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا اللَّه** ﴾ ، أي : وإذا[٢] فارقتموهم وخالفتموهم بأديانكم في عبادتهم غير اللَّه ، ففارقوهم أيضًا بأبدانكم ، ﴿ **فأووا إلىٰ الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته** ﴾ ، أي : يبسط عليكم رحمة يستركم بها[٣] من قومكم ، ﴿ **ويهيئ لكم من أمركم** ﴾ الذي أنتم فيه ﴿ **مرفقًا** ﴾ ، أي : أمرًا ترتفقون[٤] به . فعند ذلك خرجوا هُرَّابًا[٥] إلىٰ الكهف فآووا إليه ، ففقدهم قومهم من بين أظهرهم وتطلبهم الملك ، فيقال : إنه لم يظفر بهم ، وعمّىٰ اللَّه عليهم خبرهم ، كما فعل بنبيه محمد[٦] صلىٰ اللَّه عليه وسلم وصاحبه الصديق حين لجأ إلىٰ غار ثور ، وجاء المشركون من قريش في الطّلب فلم يهتدوا إليه مع[٧] أنهم يمرون عليه ، وعندها قال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم حين رأىٰ جزع الصّديق في قوله : يا رسول اللَّه ؛ لو أن أحدهم نظر إلىٰ موضع قدميه لأبصرنا !! فقال : « **يا أبا بكر ؛ ما ظنك باثنين اللَّه ثالثهما** ؟ »(٢٠) ، وقد قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **إلا تنصروه فقد نصره اللَّه إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن اللَّه معنا فأنزل اللَّه سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلىٰ وكلمة اللَّه هي العليا واللَّه عزيز حكيم** ﴾ فقصة هذا الغار أشرف وأجل وأعظم وأعجب من قصة أصحاب الكهف. وقد قيل : إن قومهم ظفروا بهم ، ووقفوا[٨] علىٰ باب الغار الذي دخلوه ، فقالوا : ما كنا نريد منهم من العقوبة أكثر مما فعلوا بأنفسهم . فأمر الملك بردم بابه عليهم ليهلكوا مكانهم ، فَفُعِل ذلك . وفي هذا[٩] نظر ، واللَّه أعلم ؛ فإن اللَّه تعالىٰ قد[١٠] أخبر أن الشمس تدخل عليهم في الكهف بكرة وعشيًا ،

= باب : خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ، (٣٣٠٠) ، وكتاب المناقب ، باب علامات النبوة (٣٦٠٠) ، وكتاب الرقاق ، باب : العزلة راحة من خلاط السوء ، (٦٤٩٥) ، وكتاب الفتن ، باب التعرب في الفتنة (٧٠٨٨) .

(٢٠) أخرجه البخاري - كتاب التفسير ، باب : ﴿ **ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا** ﴾ . (٤٦٦٣) . ومسلم - كتاب فضائل الصحابة ، باب : من فضائل أبي بكر الصديق =

[١] - في خ : « على » .
[٢] - في ت : « إذ » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز ، خ : « يرتفقون » .
[٥] - في خ : « هربًا » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز ، خ : « ثم » .
[٨] - في ز ، خ : « وقفوا » .
[٩] - في ز ، خ : « هذه » .
[١٠] - سقط من : ز ، خ .

كما قال تعالىٰ

﴿ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾

هذا دليل علىٰ أن باب هذا الكهف من نحو الشمال ؛ لأنه تعالىٰ أخبر أن الشمس إذا دخلته عند طلوعها تَزْوَرّ عنه[١] ، ﴿ ذات اليمين ﴾ ، أي : يتقلص[٢] الفيء يمنة ، كما قال ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ﴿ تزاور ﴾ ، أي : تميل . وذلك أنها كلما ارتفعت في الأفق تَقَلّص شعاعها بارتفاعها حتىٰ لا يبقىٰ منه شيء عند الزوال في مثل ذلك المكان ؛ ولهذا[٣] قال : ﴿ وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال ﴾ ، أي : تدخل إلىٰ غارهم من شمال بابه ، وهو من ناحية المشرق ، فدل علىٰ صحة ما قلناه ، وهذا بَيّنٌ لمن تأمله وكان له علم بمعرفة الهيئة وسير الشمس والقمر والكواكب ، وبيانه : أنه لو كان باب الغار من ناحية الشرق لما دخل إليه منها شيء عند الغروب ، ولو كان من ناحية القبلة لما دخله منها شيء عند الطلوع ولا عند الغروب ، ولا تزاور الفيء يمينًا ولا شمالًا ، ولو كان من جهة الغرب لما دخلته وقت الطلوع ، بل بعد الزوال ولم تزل فيه إلىٰ الغروب ، فتعين ما ذكرناه ، ولله الحمد .

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : ﴿ تقرضهم ﴾ : تتركهم .

وقد أخبر الله تعالىٰ بذلك وأراد منا فهمه وتدبره ، ولم يخبرنا بمكان هذا الكهف في أيّ البلاد من الأرض ؛ إذ لا فائدة لنا فيه ولا قصد شرعي ، وقد تكلف بعض المفسرين فذكروا فيه أقوالًا ؛ فتقدم عن ابن عباس أنه قال : هو[٤] قريب من أيلة . و[٥] قال ابن إسحاق : هو عند نِينَوَىٰ . وقيل : ببلاد الروم . وقيل : ببلاد البلقاء ، والله أعلم بأي بلاد الله هو ، ولو

= رضي الله عنه (٢٣٨١) من طريق حبان بن هلال ثنا همام ثنا ثابت ثنا أنس بن مالك ، أن أبا بكر الصديق حدثه ... فذكره . وأخرجه البخاري - كتاب فضائل الصحابة ، باب : مناقب المهاجرين وفضلهم (٣٦٥٣) . وكتاب مناقب الأنصار ، باب : هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة (٣٩٢٢) من طريقين عن همام عن ثابت به .

[١] - في خ : « عند » .
[٢] - في ز : « تنقلص » .
[٣] - في خ : « وهذا » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من ز ، خ .

كان لنا فيه مصلحة دينية لأرشدنا اللّٰه تعالىٰ ورسوله إليه ، فقد قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم(٢١) : « **ما تركت شيئًا يقربكم إلىٰ الجنة ويباعدكم من النار إلا وقد أعلمتكم به** » ، فأعلمنا تعالىٰ بصفته ، ولم يعلمنا بمكانه ، فقال : ﴿ **وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم** ﴾ ، قال مالك ، عن زيد بن أسلم : تميل ، ﴿ **ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه** ﴾ ، أي : في متسع منه داخلًا بحيث لا تمسهم ؛ إذ لو أصابتهم لأحرقت أبدانهم وثيابهم ؛ قاله ابن عباس .

﴿ **ذلك من آيات اللّٰه** ﴾ ، حيث أرشدهم تعالىٰ إلىٰ هذا الغار الذي جعلهم فيه أحياء ، والشمس والريح تدخل عليهم فيه لتبقىٰ أبدانهم ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ذلك من آيات اللّٰه** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **من يهد اللّٰه فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا** ﴾ ، أي : هو الذي أرشد هؤلاء الفتية إلىٰ الهداية من بين قومهم ، فإنه من هداه اللّٰه اهتدىٰ[١] ، ومن

(٢١) **صحيح** . ورد هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من طرق :

١ – حديث المطلب بن عبد الله بن حنطب .

أخرجه الشافعي في المسند (صـ٢٣٣) . وابن خزيمة في صحيحه (ج٣/رقم ١٠٠) والبيهقي في شعب الإيمان (٦٧/٢) (١١٨٥) . والبغوي في شرح السنة (١٤/٣٠٢-٣٠٣) (٤١١٠) .

من طريق عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب عن المطلب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ... فذكره مطولًا .

قال الألباني في « الصحيحة » (٤/٤١٧) (١٨٠٣) : « وهذا إسناد مرسل حسن» .

٢ – حديث عبد الله بن مسعود .

أخرجه البغوي في شرح السنة (١٤/٣٠٣،٣٠٥) (٤١١١،٤١١٣) . وأخرجه الحاكم في مستدركه (٤/٢) (٢١٣٦) . وفي إسناده مجهول .

٣ – حديث أبي ذر .

أخرجه الطبراني في الكبير (٢/١٥٥،١٥٦) (١٦٤٧) .

من طريق ابن عيينة عن فطر عن أبي الطفيل عن أبي ذر مرفوعًا ... وفيه « ما بقي شيء يقرب من الجنة ، ويباعد من النار إلا وقد بين لكم » .

وقال الهيثمي في المجمع (٨/٢٦٦-٢٦٧) : « رجال الطبراني رجال الصحيح غير محمد بن عبد الله بن يزيد المقري وهو ثقة » . وصححه الألباني في الصحيحة (١٨٠٣) .

٤ – وله طريق آخر عند عبد الرزاق في المصنف (٢٠١٠٠) (١١/١٢٥-١٢٦) عن معمر عن عمران صاحب له قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذكره مطولًا .

[١] – في ز ، خ : « أهدي » .

أضله فلا هادي له .

﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ (١٨)

ذكر بعض أهل العلم أنهم لما ضرب الله علىٰ آذانهم بالنوم ، لم تنطبق أعينهم لئلا يسرع إليها البلىٰ ، فإذا بقيت ظاهرة للهواء كان أبقىٰ لها ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وتحسبهم أيقاظا وهم رقود** ﴾ ، وقد ذكر عن الذئب أنه ينام فيطبق عينًا ويفتح عينًا ، ثم يفتح هذه - ويطبق هذه وهو راقد - كما قال الشاعر :

ينامُ بإحدىٰ مُقْلَتَيه ويتقي بأخرىٰ الرزايا فهو يقظانُ نائمُ

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال** ﴾ ، قال بعض السلف : يقلبون في العام مرتين .

قال : ابن عباس : لو لم يقلبوا[١] لأكلتهم الأرض .

وقوله : ﴿ **وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد** ﴾ ، قال ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وقتادة[٢] : الوصيد : الفناء .

وقال ابن عباس : بالباب . وقيل : بالصعيد ، وهو التراب . والصحيح أنه بالفناء - وهو الباب - ومنه قوله تعالىٰ : ﴿ **إنها عليهم مؤصدة** ﴾ أى : مطبقة مغلقة . ويقال : و«صيد» ، و«أصيد»

ربض كلبهم علىٰ الباب كما جرت به عادة الكلاب .

قال ابن جريج : يحرس[٣] عليهم الباب ، وهذا من سجيته وطبيعته ، حيث[٤] يربض ببابهم كأنه يحرسهم ، وكان جلوسه خارج الباب ؛ لأن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه كلب - كما ورد في الصحيح - «ولا صورة»(٢٢)

(٢٢) ورد هذا الحديث في صحيح البخاري من طرق :

[١] - في خ : « يتقلبون » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في خ : « تحرس » .
[٤] - في خ : « وحيث » .

«ولا جُنُب»(٢٣) ، ولا كافر ، كما ورد به[١] في الحديث الحسن .

وشملت كلبَهم بركتُهُم ، فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال[٢] . وهذا فائدة صحبة الأخيار ؛ فإنه صار لهذا الكلب ذكر وخبر وشأن .

وقد قيل: إنه كان كلب صيد لأحدهم وهو الأشبه. وقيل: كان كلب طباخ الملك ، وكان قد وافقهم على الدين فصحبه[٣] كلبه ، فالله أعلم .

وقد روىٰ الحافظ ابن عساكر في ترجمة همام بن الوليد الدمشقي(٢٤) ، حدثنا صدقة بن عمر الغساني ، حدثنا عباد المنقري ، سمعت الحسن البصري رحمه الله يقول : كان اسم

---

١ - حديث أبي طلحة .

أخرجه البخاري : كتاب بدء الخلق باب : « إذا قال أحدكم « آمين » ... (٣٢٢٥) ، وباب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ... ، (٣٣٢٢) . وكتاب المغازي (٤٠٠٢) ، وكتاب اللباس ، باب التصاوير (٥٩٤٩) . وباب من كره القعود على الصور (٥٩٥٨) .

٢ - حديث ابن عمر .

أخرجه البخاري - كتاب اللباس ، باب : لا تدخل الملائكة بيتًا فيه صورة (٥٩٦٠) .

(٢٣) وأما حديث « الجنب » ، فقد ورد من حديث علي بن أبي طالب .

أخرجه أبو داود - كتاب الطهارة ، باب : في الجنب يؤخر الغسل ، (٢٢٧) ، (٥٨/١) وفي اللباس ، باب في الصور ، (٤١٥٢) (٧٢/٤-٧٣) .

والنسائي - كتاب الطهارة ، باب : « الجنب إذا لم يتوضأ » (١٤١/١) .

وكتاب الصيد - باب امتناع الملائكة من دخول بيت فيه كلب - (١٨٥/٧) .

وابن ماجة - كتاب اللباس (٣٢) ، باب الصور في البيت (٤٤) ، (٣٦٥٠) (١٢٠٣/٢) وليس عنده ذكر الجنب .

من طرق عن شعبة عن علي بن مدرك قال : سمعت أبا زرعة بن عمرو يحدث عن عبد الله ابن نُجَي عن أبيه قال : سمعت عليًا ... فذكره .

قلت : عبد الله بن نجي قال الحافظ في « التقريب » : صدوق .

وأبوه نجي الحضرمي الكوفى ، ذكره ابن حبان في الثقات (٤٨٠/٥) ، وقال : لا يعجبني الاحتجاج بخبره إذا انفرد ، وقال العجلي في « الثقات » (صـ ٤٤٨) : « تابعي ثقة » . وفي التقريب : مقبول . وله شاهد من حديث ابن عباس . أخرجه البزار (٢٩٣٠/٣ كشف) .

(٢٤) ترجمة همام ساقطة من النسخة المخطوطة التى بين يدي الآن ، والعلم عند الله تعالى .

---

[١] - بعده في خ : في .

[٢] - في خ : « الحالة » .

[٣] - في ت : « فحبه » .

كبش إبراهيم : « **جرير** » ، واسم هدهد سليمان : « **عنقز** » ، واسم كلب أصحاب الكهف : « **قطمير** » ، واسم عجل بني إسرائيل الذي عبدوه : « **بهموت** » ، وهبط آدم - عليه السلام - بالهند ، وحواء بجدة ، وإبليس بدست بيسان ، والحية بأصبهان .

وقد تقدم عن شعيب [الجبئي][١] أنه سماه حمران .

واختلفوا في[٢] لونه على أقوال لا حاصل لها ولا طائل تحتها ولا دليل عليها ولا حاجة إليها ؛ بل هي مما ينهى عنه ؛ فإن مستندها رجم بالغيب .

وقوله تعالى : ﴿ **لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارًا ولملئت منهم رعبًا** ﴾ ، أي : إنه تعالى ألقى عليهم المهابة ، بحيث لا يقع نظر أحد عليهم إلا هابهم ، لما ألبسوا من المهابة والذعر ، لئلا يدنو منهم أحد ولا[٣] تمسهم يد لامس ، حتى يبلغ الكتاب أجله ، وتنقضي رقدتهم التي شاء تبارك وتعالى فيهم ، لما له في ذلك من الحجة والحكمة البالغة ، والرحمة الواسعة .

وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾

يقول تعالى : وكما أرقدناهم بعثناهم صحيحة أبدانهم وأشعارهم وأبشارهم ، لم يفقدوا من أحوالهم وهيئاتهم شيئًا ، وذلك بعد ثلاثمائة سنة وتسع سنين ؛ ولهذا تساءلوا بينهم : ﴿ **كم لبثتم** ﴾ ، أي : كم رقدتم ؟ ﴿ **قالوا لبثنا يومًا أو بعض يوم** ﴾، كأنه كان دخولهم إلى الكهف في أول نهار ، واستيقاظهم كان في آخر نهار ؛ ولهذا استدركوا فقالوا : ﴿ **أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم** ﴾ ، أي : الله أعلم بأمركم ، وكأنه حصل لهم نوع تردد في كثرة نومهم فالله أعلم .

---

[١] - في ت : « الجبائي » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

ثم عدلوا إلىٰ الأهم في أمرهم إذ ذاك وهو احتياجهم إلىٰ الطعام والشراب ، فقالوا : ﴿ **فابعثوا أحدكم بوَرِقِكم** ﴾ ، أي : فضتكم هذه ، وذلك أنهم كانوا قد استصحبوا معهم دراهم من[١] منازلهم لحاجتهم إليها ، فتصدقوا منها وبقي منها ؛ فلهذا قالوا : ﴿ **فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلىٰ المدينة** ﴾ ، أي : مدينتكم التي خرجتم منها ، والألف واللام للعهد .

﴿ **فلينظر أيها أزكىٰ طعامًا** ﴾ ، أي : أطيب طعامًا ، كقوله : ﴿ **ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكىٰ منكم من أحد أبدًا** ﴾ ، وقوله: ﴿ **قد أفلح من تزكى** ﴾ ومنه الزكاة التي تُطَيّب المال وتطهره . وقيل : أكثر طعامًا ، ومنه : زكا الزرع ، إذا كثر ، قال الشاعر :

قبائلنا سَبْعٌ وأنتم ثلاثةٌ وللسَّبْعُ أزكىٰ من ثلاث وأطيبُ

والصحيح الأول ؛ لأن مقصودهم إنما هو الطيب الحلال ، سواء كان قليلًا أو كثيرًا . وقوله : ﴿ **وليتلطف** ﴾ ، أي : في خروجه وذهابه وشرائه وإيابه ، يقولون : وَلْيَتَخَفّ[٢] : كل ما يقدر عليه ، ﴿ **ولا يشعرن** ﴾ ، أي : يعلمن ﴿ **بكم أحدًا * إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم** ﴾ ، أي : إن علموا بمكانكم ، ﴿ **يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم** ﴾ ، يعنون أصحاب دقيانوس ، يخافون منهم أن يطلعوا علىٰ مكانهم ، فلا يزالون يعذبونهم بأنواع العذاب إلىٰ أن يعيدوهم في ملتهم التي هم عليها أو يموتوا ، وإن واتوهم علىٰ العودة[٣] في الدين فلا فلاح لهم[٤] في الدنيا ولا في الآخرة ؛ ولهذا قال : ﴿ **ولن تفلحوا إذًا أبدًا** ﴾ .

وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **وكذلك أعثرنا عليهم** ﴾ ، أي : أطلعنا عليهم الناس ، ﴿ **ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها** ﴾ .

ذكر غير واحد من السلف أنه كان قد حصل لأهل ذلك الزمان شك في البعث وفي أمر القيامة .

---

[١] - في خ : « في » .

[٢] - في خ : « واليتحف » .

[٣] - في خ : « العود » .

[٤] - في خ : « لكم » .

وقال عكرمة : كان منهم طائفة قد قالوا : تبعث الأرواح ولا تبعث الأجساد . فبعث الله أهل الكهف حجة ودلالة وآية علىٰ ذلك .

وذكروا أنه لما أراد أحدهم الخروج ليذهب إلىٰ المدينة في شراء شيء لهم ليأكلوه تنكر وخرج يمشي في غير الجادة حتىٰ انتهىٰ إلىٰ المدينة ، وذكروا أن اسمها دقسوس ، وهو يظن أنه قريب العهد بها[١] ، وكان الناس قد تبدلوا قرنًا بعد قرن ، وجيلًا بعد جيل ، وأمة بعد أمة ، وتغيرت البلاد ومن عليها كما قال الشاعر :

أما الديار فإنها كديارهم وأرى رجال الحي غير رجاله

فجعل لا يرىٰ شيئًا من معالم البلد التي يعرفها ، ولا يعرف أحدًا من أهلها : لا[٢] خواصها ولا عوامها ، فجعل يتحير في نفسه ويقول : لعل بي جنونًا[٣] أو مسًّا[٤] أو أنا حالم ، ويقول : والله ما بي شيء من ذلك ، وإن عهدي بهذه البلدة عشية أمس علىٰ غير هذه الصفة ، ثم قال : إن تعجيل الخروج من هاهنا لأولىٰ لي . ثم عمد إلىٰ رجل ممن يبيع الطعام فدفع إليه ما معه من النفقة ، وسأله أن يبيعه بها طعامًا ، فلما رآها ذلك الرجل أنكرها وأنكر ضَرْبها ، فدفعها إلىٰ جاره ، وجعلوا يتداولونها بينهم ويقولون : لعل هذا قد وجد كنزًا . فسألوه عن أمره ، ومن أين له هذه النفقة ؟ لعله وجدها من كنز ، ومن أنت ؟ فجعل يقول : أنا من أهل هذه المدينة ، وعهدي بها عشية أمس وفيها دقيانوس . فنسبوه إلىٰ الجنون ، فحملوه إلىٰ وليّ أمرهم ، فسأله عن شأنه وعن أمره ، حتىٰ أخبرهم بأمره - وهو متحير في حاله وما هو فيه - فلما أعلمهم بذلك قاموا معه إلىٰ الكهف - مُتَوَلّي البلد وأهلها - حتىٰ انتهىٰ بهم إلىٰ الكهف فقال : دعوني حتىٰ أتقدمكم في الدخول لأعلم أصحابي ، فيقال : إنهم لا يدرون كيف ذهب فيه ، وأخفىٰ الله عليهم خبره ، ويقال : بل دخلوا عليهم ، ورأوهم وسلم عليهم الملك واعتنقهم ، وكان مسلمًا فيما قيل واسمه تيدوسيس[٥] ، ففرحوا به وآنسوه[٦] الكلام ، ثم ودعوه وسلموا عليه ، وعادوا إلىٰ مضاجعهم ، وتوفاهم الله عز وجل ، فالله أعلم .

قال قتادة : وغزا ابن عباس مع حبيب بن مسلمة ، فمروا بكهف في بلاد الروم فرأوا فيه عظامًا ، فقال قائل : هذه عظام أصحاب[٧] الكهف . فقال ابن عباس : لقد بليت عظامهم

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ز : « ولا » .

[٣] - في ز ، خ : « جنون » .

[٤] - في ز : « مس » ، خ : « شره » .

[٥] - في ز : « تبدوسيس » .

[٦] - في ز : « ووانسوني » .

[٧] - في ت : « أهل » .

من أكثر من ثلاثمائة سنة . رواه ابن جرير(٢٥) .

وقوله : ﴿ **وكذلك أعثرنا عليهم** ﴾ ، أي : كما أرقدناهم وأيقظناهم بهيئاتهم[١] أطلعنا عليهم أهل ذلك الزمان ، ﴿ **ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم** ﴾ ، أي : في أمر القيامة ، فمن مثبت لها ومن منكر ، فجعل الله ظهورهم على أصحاب الكهف حجة لهم وعليهم ، ﴿ **فقالوا ابنوا عليهم بنيانًا ربهم أعلم بهم** ﴾ ، أي : سُدُّوا عليهم باب كهفهم وذَرُوهم[٢] على حالهم ، ﴿ **قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذنّ عليهم مسجدًا** ﴾ .

حكى ابن جرير في القائلين ذلك قولين : أحدهما : أنهم المسلمون منهم .

والثاني : أهل الشرك منهم ، فالله أعلم .

والظاهر أن الذين[٣] قالوا ذلك هم أصحاب الكلمة والنفوذ ، ولكن هل هم محمودون أم لا ؟ فيه نظر ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال(٢٦) : « **لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد** » يحذر ما فعلوا ، وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - أنه لما وجد قبر دانيال في زمانه بالعراق أمر أن يخفى عن الناس ، وأن تدفن تلك الرقعة التي وجدوها عنده فيها شيء من الملاحم وغيرها .

﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾

(٢٥) جزء من أثر طويل رواه ابن جرير (٢١٦/١٥ ، ٢١٧) عن عكرمة .

(٢٦) أخرجه مسلم - كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب : النهي عن بناء المساجد على القبور ، واتخاذ الصور فيها ، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد (٢٣) (٥٣٢) . والنسائي في الكبرى - التفسير (١١٢٣/٦) مختصرًا من حديث جندب مرفوعًا « ..... **وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد** ...» . والحديث في صحيح البخاري دون ذكر « صالحيهم » .

أخرجه البخاري - كتاب الصلاة ، باب (٥٥) (٤٣٥ ، ٤٣٦) . وللفظة « صالحيهم » شاهد أيضًا عند البخاري . من حديث عائشة أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم - كنيسة رأتها بأرض الحبشة ... فيها تصاوير - فقال صلى الله عليه وسلم : « أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدًا ... » .

[١] - في خ : « بهيئتهم » .

[٢] - في خ : « ذرهم » .

[٣] - في ز : « الذي » .

يقول تعالىٰ مخبرًا عن اختلاف الناس في عدة أصحاب الكهف ، فحكىٰ ثلاثة أقوال ، فدل علىٰ أنه لا قائل برابع ، ولما ضعف القولين الأولين بقوله : ﴿ رجمًا بالغيب ﴾ ، أي : قولًا[١] بلا علم ، كمن يرمي إلىٰ مكان لا يعرفه ، فإنه لا يكاد يصيب وإن أصاب فبلا قصد ، ثم[٢] حكىٰ الثالث وسكت عليه أو قرره بقوله : ﴿ وثامنهم كلبهم ﴾ ، دل علىٰ صحته وأنه هو الواقع في نفس الأمر .

وقوله : ﴿ قل ربي أعلم بعدّتهم ﴾ إرشاد إلىٰ أن الأحسن في مثل هذا المقام رد العلم إلىٰ اللَّه تعالىٰ ؛ إذ لا احتياج إلىٰ الخوض في مثل ذلك بلا علم ، لكن إذا أطلعنا علىٰ أمر قلنا به وإلا وقفنا .

وقوله : ﴿ ما يعلمهم إلا قليل ﴾ ، أي : من الناس . قال قتادة : قال ابن عباس : أنا من القليل الذي استثنىٰ اللَّه عز وجل كانوا سبعة . وكذا روىٰ ابن جرير عن عطاء الخراساني عنه أنه كان يقول : أنا ممن استثنىٰ اللَّه عز وجل ويقول : عدتهم سبعة(٢٧) .

[وقال ابن جرير(٢٨) : حدثنا ابن بشار ، حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس][٣] : [﴿ ما يعلمهم إلا قليل ﴾ ، قال : أنا من القليل ، كانوا سبعة][٤] ، فهذه أسانيد صحيحة إلى ابن عباس و[٥] أنهم كانوا سبعة ، وهو موافق لما قدمناه .

وقال محمد بن إسحاق بن يسار عن [عبد اللَّه][٦] بن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : لقد حدثت أنه كان علىٰ بعضهم من حداثة [سنه وَضَح][٧] الورِق .

قال ابن عباس(٢٩) : فكانوا كذلك ليلهم ونهارهم في عبادة اللَّه يبكون[٨] ويستغيثون

---

(٢٧) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٢٦/١٥) وكذا عبد الرزاق (٤٠٠/٢) عن قتادة به ، وانظر ما بعده .

(٢٨) تفسير ابن جرير (٢٢٦/١٥) ورواية سماك عن عكرمة مضطربة ، وقتادة وعطاء الخراساني لم يسمعا من ابن عباس . وأخرجه ابن سعد في « الطبقات » (٢٧٩/٢) من طريق الضحاك عن ابن عباس ، والضحاك لم يسمع من ابن عباس أيضًا ، لكن أفاد غير واحد أن بينهما سعيد بن جبير ، والأثر زاد نسبته السيوطي في «الدر المنثور » (٣٩٣/٤) إلى الفريابي وابن المنذر وابن أبي حاتم ، وانظر ما بعده .

(٢٩) أخرجه الطبراني في الأوسط (١٧٥/٦) (٦١١٣) ، والعقيلي في الضعفاء الكبير (٤٢٢/٤) ت (٢٠٤٩) من طريق يحيى بن أبي روق عن أبيه عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس به . =

---

[١] - في ز : « قول » .

[٢] - في خ : « و » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - ما بين المعكوفتين في خ : « محمد » .

[٧] - ما بين المعكوفتين في ز : « سنة وصح » .

[٨] - في خ : « يبتلون » .

بالله ، وكانوا ثمانية نفر : مكسلمينا[١] وكان أكبرهم وهو الذى كلم الملك عنهم ومجسيميلنينا[٢] ، وتمليخا ، ومرطوس[٣] ، وكشطونس ، وبيرونس[٤] ، وديموس[٥] ، ويطونس[٦] قالوش[٧] هكذا وقع في هذه الرواية ، ويحتمل هذا من كلام ابن إسحاق أو[٨] من بينه وبينه ؛ فإن الصحيح عن ابن عباس أنهم كانوا سبعة ، وهو ظاهر الآية ، وقد تقدم عن شعيب الجبائي أن اسم كلبهم حمران ، وفي تسميتهم بهذه الأسماء واسم كلبهم نظر في صحته والله أعلم ؛ فإن غالب ذلك متلقى من أهل الكتاب ، وقد قال تعالىٰ : ﴿ **فلا تمار فيهم إلا مراءً ظاهرًا** ﴾ ، أي : سهلًا هينًا ؛ فإن الأمر في معرفة ذلك لا يترتب عليه كبير فائدة ﴿ **ولا تستفت فيهم منهم أحدًا** ﴾ ، أي : فإنهم لا علم لهم بذلك إلا ما يقولونه[٩] من تلقاء أنفسهم ﴿**رجمًا بالغيب**﴾ ، أي[١٠] : من غير استناد إلىٰ كلام معصوم ، وقد جاءك الله يا محمد بالحق الذي لا شك فيه ولا مرية ، فهو المقدَّم الحاكم علىٰ كل ما تقدمه من الكتب والأقوال .

وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾

هذا إرشاد من الله لرسوله[١١] - صلوات الله وسلامه عليه - إلىٰ الأدب فيما إذا عزم علىٰ شيء ليفعله في المستقبل أن يرد ذلك إلىٰ مشيئة الله - عز وجل - علام الغيوب الذي يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون ، كما ثبت في الصحيحين(٣٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال :

= وقال العقيلي : أما الكلام الأول وهو قوله : « أنا من أولئك القليل » . فصحيح عن ابن عباس وأسماؤهم هذه فليست بمحفوظة عن ابن عباس . وقال الهيثمي في المجمع (٥٦/٧) : رواه الطبراني في الأوسط وفيه يحيى بن أبي روق وهو ضعيف .

(٣٠) أخرجه البخاري - كتاب الجهاد ، باب : من طلب الولد للجهاد (٢٨١٩) ، وكتاب أحاديث الأنبياء ، باب : قول الله تعالى : ﴿ **ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب** ﴾ ، (٣٤٢٤) وكتاب النكاح ، باب : قول الرجل : لأطوفن الليلة على نسائي (٥٢٤٢) . وكتاب الأيمان والنذور ، باب ، كيف =

[١] - في ز : « مكيليمنينا » ، خ : « مكيليهنينا » .
[٢] - في خ : « مجسيليمنينا » .
[٣] - في ز : « مرطوس » ، خ : « مرطوش » .
[٤] - في خ : « بيزونس » .
[٥] - في ز ، « دنيمونس » ، خ : « دينموس » .
[٦] - في خ : « بطونس » .
[٧] - في خ : « قابوس » .
[٨] - في خ : « و » .
[٩] - في خ : « يلقونه » .
[١٠] - سقط من : ز .
[١١] - في ز ، خ : « إلى رسوله » .

« **قال سليمان بن داود عليهما السلام : لأطوفن الليلة علىٰ سبعين امرأة** » - وفي رواية : « **تسعين امرأة** »، وفي رواية : « **مائة امرأة - تلد كل امرأة منهن غلامًا يقاتل في سبيل الله ، فقيل له** : - وفي رواية : **فقال له[١] الملك** : - **قل : إن شاء الله . فلم يقل ، فطاف بهن فلم تلد منهن إلا امرأة واحدة نصف إنسان** » ، قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **والذي نفسي بيده ! لو قال : إن شاء الله لم يحنث ، وكان دركًا لحاجته** » وفي رواية : « **ولقاتلوا في سبيل الله فرسانًا أجمعين[٢]** »

وقد تقدم(٣١) في أول السورة ذكر سبب نزول هذه الآية في قول النبي صلىٰ الله عليه وسلم لما سئل عن قصة أصحاب الكهف : « **غدًا أجيبكم** » فتأخر الوحي خمسة عشر يومًا ، وقد ذكرناه بطوله في أول السورة فأغنىٰ عن إعادته .

وقوله : ﴿ **واذكر ربك إذا نسيت** ﴾ ، قيل : معناه : وإذا نسيت الاستثناء فاستثن عند ذكرك له ، قاله أبو العالية ، والحسن البصري .

وقال هشيم(٣٢) : عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس في الرجل يحلف قال : له أن يستثني ولو إلىٰ سنة . وكان يقول : ﴿ **واذكر ربك إذا نسيت** ﴾ في ذلك . قيل للأعمش : سمعته من[٣] مجاهد ؟ قال : حدثني به ليث بن أبي سليم ترىٰ[٤] ذهب كسائي هذا . ورواه الطبراني من حديث أبي معاوية عن الأعمش به .

ومعنىٰ قول ابن عباس : أنه يستثني ولو بعد سنة ، أي : إذا نسي [أن يقول في حلفه][٥] أو كلامه : إن شاء الله ، وذكر ولو بعد سنة ، فالسُّنَّة له أن يقول ذلك ليكون آتيًا بسنة الاستثناء حتىٰ لو كان بعد الحنث . قاله ابن جرير رحمه الله ونص علىٰ ذلك ، لا

= كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم (٦٦٣٩) ، وكتاب كفارات الأيمان ، باب الاستثناء في الأيمان (٦٧٢٠) ، وكتاب التوحيد ، باب : في المشيئة والإرادة (٧٤٦٩) . ومسلم - كتاب الأيمان ، باب : الاستثناء (١٦٥٤) من طرق عن أبي هريرة به .

(٣١) تقدم (١١) .

(٣٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٢٩/١٥) ثنا محمد بن هارون الحربي ، قال : ثنا نعيم بن حماد ، قال : ثنا هشيم به .

وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٦٨/١١) (١١٠٦٩) ، وفي « الأوسط» (١١٩/١) من طريق يحيى بن سليمان ، أنبا أبو معاوية ، ثنا الأعمش به . وقال الطبراني : « لم يرو هذا الحديث عن الأعمش إلا أبو معاوية، تفرد به يحيى » كذا قال ، وتابع أبا معاوية هشيم كما هنا . ورواه والحاكم في المستدرك =

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ت : « أجمعون » .
[٣] - في ت : « عن » .
[٤] - في ت : « يرى » .
[٥] - في خ : « في حقه أن يقول » .

أن يكون رافعًا لحنث اليمين ومسقطًا[١] للكفارة ، وهذا الذي قاله ابن جرير رحمه الله هو الصحيح ، وهو الأليق بحمل كلام ابن عباس عليه والله أعلم .

وقال عكرمة : [﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾ أي : [إذا][٢] غضبت . وهذا تفسير باللازم .

وقد قال الطبراني(٣٣) : حدثنا أحمد بن يحيىٰ الحلواني ، حدثنا سعيد بن سليمان ، عن عباد بن العوام ، عن سفيان بن حسين ، عن يعلىٰ بن مسلم ، عن جابر بن زيد ، عن ابن عباس : ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدًا إلا أن يشاء الله]﴾[٣] واذكر ربك إذا نسيت﴾ أن تقول : إن شاء الله .

وقال الطبراني(٣٤) : حدثنا محمد بن الحارث الجبيلي[٤] ، حدثنا صفوان بن صالح ، حدثنا الوليد بن مسلم ، عن عبد العزيز بن حصين ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس في قوله : [﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدًا * إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت﴾ أن تقول : إن شاء الله .

وروىٰ الطبراني أيضًا عن ابن عباس في قوله][٥] : ﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾ الاستثناء ، فاستثن إذا ذكرت ، وقال[٦] : هي خاصة برسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، وليس لأحد منا أن يستثني إلا في صلة من يمينه ، ثم قال : تفرد به الوليد عن عبد العزيز بن الحصين .

= (٣٠٣/٤) (٧٨٣٣) من طريق علي بن مسهر ، عن الأعمش ، به . وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

وقال الهيثمي في المجمع (٥٦/٧) : « رواه الطبراني في الأوسط والكبير ورجاله ثقات » لكن تبين أن الأعمش دلسه ، حيث سمعه من ليث بن أبي سليم وهو مختلط ، ولم يتميز حديثه فترك ، والخبر عزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٩٤/٤) إلى سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٣٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١٧٩/١٢) (١٢٨١٧) . والأوسط (٢٨٥/١) (٩٣٠) .

(٣٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦٨/٧) (٦٨٧٢) ، وفي الصغير (٤١/٢) ، وأخرجه في « الكبير » (١١/ ٩٠) (١١١٤٣) ثنا الحسن بن جرير الصوري ، ثنا صفوان بن صالح ، به .

والحديث ذكره الهيثمي في المجمع (٥٦/٧) وقال : رواه الطبراني في الثلاثة ، وفيه عبد العزيز بن حصين وهو ضعيف .

---

[١] - في ز ، خ : « مسقط » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - في ز ، خ : « الجبلى » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - في خ : « قيل » .

ويحتمل[١] في الآية وجه آخر وهو أن يكون اللَّه تعالىٰ قد أرشد من نسي الشيء في كلامه إلىٰ ذكر اللَّه ؛ [لأن النسيان منشؤه من الشيطان ، كما قال فتىٰ موسىٰ : ﴿ **وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره** ﴾ وذِكْرُ اللَّه تعالىٰ يطرد الشيطان ، فإذا ذهب الشيطان ذهب النسيان ، فَذِكْرُ اللَّه][٢] تعالى سبب للذكر ، ولهذا قال : ﴿ **واذكر ربك إذا نسيت** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وقل عسىٰ أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدًا** ﴾ ، أي إذا سئلت عن شيء لا تعلمه فاسأل اللَّه تعالى فيه، وتوجه إليه فى أن يوفقك للصواب والرشد [فى ذلك][٣] ، وقيل غير ذلك فى تفسيره واللَّه أعلم .

﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٥) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (٢٦) ﴾

هذا خبر من اللَّه تعالىٰ لرسوله صلىٰ اللَّه عليه وسلم بمقدار ما لبث أصحاب الكهف في كهفهم ، منذ أرقدهم اللَّه إلىٰ أن بعثهم ، وأعثر عليهم أهل ذلك الزمان ، وأنه كان مقداره ثلاثمائة وتسع سنين بالهلالية[٤] ، وهي ثلاثمائة سنة بالشمسية ، فإن تفاوت ما بين كل مائة سنة[٥] بالقمرية إلىٰ الشمسية ثلاث سنين ، فلهذا قال بعد الثلاثمائة : ﴿ **وازدادوا تسعًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **قل اللَّه أعلم بما لبثوا** ﴾ أي : إذا[٦] سئلت عن لبثهم ، وليس عندك علم[٧] في ذلك و[٨] توقيف من اللَّه تعالىٰ ، فلا تتقدم فيه بشيء ، بل قل في مثل هذا : ﴿ **اللَّه أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض** ﴾ أي : لا يعلم ذلك إلا هو ، أو من أطلعه اللَّه عليه من خلقه ، وهذا الذي قلناه : عليه غير واحد من علماء التفسير ؛ كمجاهد وغير واحد من السلف والخلف .

وقال قتادة في قوله : ﴿ **ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعًا** ﴾ هذا قول أهل

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - في خ : « الهلالية » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز ، خ : « إنما » .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - سقط من : ز ، خ .

الكتاب ، وقد رده الله تعالىٰ بقوله : ﴿ قل الله أعلم بما لبثوا ﴾ ، قال : وفي قراءة عبد الله : (و قالوا ولبثوا) يعني أنه قاله الناس وهكذا قال - كما قال قتادة - مطرف بن عبد الله ، وفي هذا الذي زعمه قتادة نظر ؛ فإن الذي بأيدي أهل الكتاب : أنهم لبثوا ثلاثمائة سنة من غير تسع ، يعنون بالشمسية ، ولو كان الله قد حكىٰ قولهم لما قال : ﴿ وازدادوا تسعًا ﴾ وظاهر الآية : إنما هو من إخبار الله لا حكاية عنهم ، وهذا اختيار ابن جرير رحمه الله ، ورواية قتادة قراءة ابن مسعود منقطعة ، ثم هي شاذة بالنسبة إلىٰ قراءة الجمهور فلا يحتج بها ، والله أعلم .

وقوله : ﴿أبصر به وأسمع﴾ [أي : إنه لبصير بهم سميع لهم .

قال ابن جرير : وذلك في معنىٰ المبالغة في المدح ، كأنه قيل : ما أبصره وأسمعه][١] ! وتأويل الكلام : ما أبصر الله لكل موجود وأسمعه لكل مسموع ! لا يخفىٰ عليه من ذلك شيء . ثم روى عن قتادة في قوله: ﴿أبصر به وأسمع﴾ : فلا أحد أبصر من الله ولا أسمع. وقال ابن زيد : ﴿ أبصر به وأسمع ﴾ ، يرىٰ أعمالهم ويسمع ذلك منهم سميعًا بصيرًا .

وقوله : ﴿ ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدًا ﴾ أي : إنه تعالىٰ هو الذي له الخلق والأمر ، الذي لا معقب لحكمه ، وليس له وزير ولا نصير[٢] ، ولا شريك ولا مشير ، تعالىٰ وتقدس .

وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾

يقول تعالىٰ آمرًا رسوله صلىٰ الله عليه وسلم بتلاوة كتابه العزيز ، وإبلاغه إلىٰ الناس ﴿ لامبدل لكلماته ﴾ أي : غير[٣] مغير لها ولا محرف ولا مُؤوّل .

وقوله : ﴿ ولن تجد من دونه ملتحدًا ﴾ ، [عن مجاهد : ﴿ ملتحدًا ﴾ ، قال :

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - في ز : « نظير » .

[٣] - في ت : « لا » .

ملجأ . وعن قتادة : وليًا ولا مولىً][١] . قال ابن جرير : يقول[٢] و[٣] إن أنت يامحمد لم تتل ما أوحي إليك من كتاب ربك ، أي[٤] فإنه لاملجأ لك من الله . كما قال تعالىٰ : ﴿ **يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد** ﴾ أي : سائلك عما فرض عليك من إبلاغ الرسالة .

وقوله : ﴿ **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه** ﴾ أي : اجلس[٥] مع الذين يذكرون الله ، ويهللونه ويحمدونه ، ويسبحونه ويكبرونه ، ويسألونه بكرة وعشيًا ، من عباد الله ، سواء كانوا فقراء أو أغنياء ، أو أقوياء أو ضعفاء . يقال : إنها نزلت في أشراف قريش ، حين طلبوا من النبي صلىٰ الله عليه وسلم أن يجلس معهم وحده ، ولا يجالسهم[٦] بضعفاء أصحابه ؛ كبلال وعمار وصهيب وخباب[٧] وابن مسعود ، وليفرد أولئك بمجلس [علىٰ حدة][٨] ، فنهاه الله عن ذلك ، فقال : ﴿ **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه** ﴾ [وأمره أن يصبر نفسه في الجلوس مع هؤلاء فقال : ﴿ **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه** ﴾][٩]

قال مسلم في صحيحه(٣٥) : حدثنا أبو[١٠] بكر بن أبي شيبة ، حدثنا محمد بن عبد الله الأسدي ، عن إسرائيل ، عن المقدام بن شريح ، عن أبيه ، عن سعد - [هو][١١] ابن أبي وقاص - قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ستة نفر ، فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم : اطرد هؤلاء ، لا يجترئون علينا . قال : وكنت أنا وابن مسعود ، ورجل من هذيل ، وبلال ، ورجلان نسيت اسميهما ، فوقع في نفس رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ماشاء الله أن يقع فحدث نفسه ، فأنزل الله -عز وجل- : ﴿ **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه** ﴾ انفرد بإخراجه مسلم دون البخاري .

---

(٣٥) أخرجه مسلم - كتاب فضائل الصحابة ، باب : في فضل سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه (٢٤١٣) (٤٥-٤٦) وانظر ما تقدم [سورة الأنعام / آية ٥٢] .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : ويقول .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - سقط من : م .
[٥] - في ز : « تجلس » ، خ : « يجلس » .
[٦] - في ز : « تجالسهم » .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[١٠] - سقط من : خ .
[١١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

وقال الإمام أحمد(٣٦) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبي التياح ، قال : سمعت أبا الجعد يحدث ، عن أبي أمامة ، قال : خرج رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ قاص يقص فأمسك ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **قص ، فلأن أقْعُد غدوة إلىٰ أن تشرق الشمسُ أحبُّ إليَّ من أن أعتق أربعَ رقابٍ** » .

وقال الإمام أحمد(٣٧) أيضًا : حدثنا هاشم[١] ، ثنا شعبة ، عن عبد الملك بن ميسرة ، قال : سمعت كردوس بن قيس - وكان قاص العامة بالكوفة - يقول : أخبرني رجل من أصحاب بدر ، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « **لأن أقعد في مثل هذا المجلس أحب إليَّ من أن أعتق أربع رقاب** » . قال شعبة : فقلت : أي مجلس ؟ قال : كان قاصًا .

وقال أبو داود الطيالسي في مسنده(٣٨) : حدثنا محمد ، حدثنا يزيد بن أبان ، عن أنس قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لأن[٢] أجالس قومًا يذكرون الله من صلاة الغداة إلىٰ طلوع الشمس أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس ، ولأن أذكر الله من صلاة العصر [إلىٰ غروب الشمس][٣] أحب إليّ من أن أعتق ثمانية من ولد إسماعيل ، دية كل واحد منهم اثنا عشر ألفًا** » . فحسبنا دياتهم ونحن في مجلس أنس ، فبلغت ستة وتسعين ألفًا ، وهاهنا من يقول : أربعة من ولد إسماعيل ، والله ما قال إلا ثمانية ، دية كل واحد منهم اثنا عشر ألفًا .

وقال الحافظ أبو بكر البزار(٣٩) : حدثنا أحمد[٤] بن إسحاق الأهوازي ، حدثنا أبو أحمد الزبيري ، حدثنا عمرو بن ثابت ، عن عليّ بن الأقمر ، عن الأغر أبي مسلم - وهو الكوفي

(٣٦) أخرجه أحمد (٢٦١/٥) مطولًا ، وذكره المصنف هنا مختصرًا . وأخرجه الطبراني في الكبير (٣١٢/٨) (٨٠١٣) من طريق النضر بن شميل ثنا شعبة به . وقال الهيثمي في المجمع (١٩٥/١) : « رجاله موثقون إلا أن فيه أبا الجعد عن أبي أمامة فإن كان هو الغطفاني فهو من رجال الصحيح ، وإن كان غيره فلم أعرفه » .

(٣٧) أخرجه أحمد (٤٧٤/٣) وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٨٨/١٠ ، ٨٩) من طريق أبي النضر - هاشم - به ، وأخرجه أحمد أيضًا ثنا بهز ، ثنا شعبة به ، وذكره الهيثمي في المجمع (١٩٥/١) وقال : « رواه أحمد ، وفيه كردوس بن قيس وثقه ابن حبان وبقية رجاله رجال الصحيح » .

(٣٨) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (صـ٢٨١) (٢١٠٤) . ويزيد بن أبان هو الرقاشي أبو عمرو البصري القاص ضعيف .

(٣٩) قال الهيثمي في المجمع (١٦٧/٧) « رواه البزار متصلًا ومرسلًا ، وفيه عمرو بن ثابت أبو المقدام وهو متروك » .

[١] - في ز ، خ : « هشام » .
[٢] - في ز : « لابن » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - في خ: « محمد » .

- أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم مر برجل يقرأ سورة الكهف ، فلما رأىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم سكت ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **[هذا المجلس][١] الذي أمرت أن أصبر نفسي معهم** » .

هكذا رواه أبو أحمد عن عمرو بن ثابت عن علي بن الأقمر عن الأغر مرسلًا .

وحدثنا[٢] يحيىٰ بن المعلىٰ ، عن منصور ، حدثنا محمد بن الصلت ، حدثنا عمرو بن ثابت ، عن عليّ بن الأقمر ، عن الأغر[٣] عن أبي مسلم ، عن أبي هريرة وأبي سعيد قالا : جاء رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم و[٤] رجل يقرأ سورة الحِجْر أو سورة الكهف فسكت ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **هذا المجلس الذي أمرت أن أصبر نفسي معهم** » .

وقال الإمام أحمد(٤٠) : حدثنا محمد بن بكر ، ثنا ميمون المَرَئي[٥] ، ثنا ميمون بن سياه ، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله ، لا يريدون بذلك إلا وجهه ، إلا ناداهم مناد من السماء : أن قوموا مغفورًا[٦] لكم ، قد بدلت سيئاتكم حسنات** » تفرد به أحمد رحمه الله .

وقال الطبراني(٤١) : ثنا إسماعيل بن الحسن ، ثنا أحمد بن صالح ، ثنا ابن وهب ، عن أسامة بن زيد ، عن أبي حازم ، عن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف ، قال : نزلت علىٰ

---

(٤٠) أخرجه أحمد (١٤٢/٣) ، وأبو يعلى في مسنده (٤١٤١) (١٦٧/٧) ، والطبراني في الأوسط (١٥٥٦) (١٥٤/٢) ، وقال الهيثمي في المجمع (٧٩/١٠) .

« رواه أحمد ، وأبو يعلى ، والبزار ، والطبراني في الأوسط وفيه ميمون المرئى وثقة جماعة وفيه ضعف ،وبقية رجال أحمد رجال الصحيح » .

وللحديث شاهد من حديث أبي هريرة عند مسلم - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٤٨) ، باب : فضل الإجتماع على تلاوة القرآن ، وعلى الذكر (١١) - (٣٨) - (٢٦٩٩) ، (٣٤/١٧-٣٥) .

(٤١) وعزاه إلى الطبراني السيوطي في « الدر المنثور » (٣٩٧/٤) وزاد عزوه إلى ابن جرير وابن مردويه ، وهو عند ابن جرير في تفسيره (٢٣٥/١٥) ثنا الربيع بن سليمان ، قال : ثنا ابن وهب به . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٤/٧) وقال : « رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح . وقد ذكر الطبراني عبد الرحمن في الصحابة » .

---

[١] - ما بين المعكوفتين مكرر في ز .
[٢] - في خ : « وحدثنا » .
[٣] - بعده في ز : عن .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز : « المراى » ، خ : « المرائى» .
[٦] - في ز : « مغفور » .

رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وهو في بعض أبياته : ﴿ **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه** ﴾ ، فخرج يلتمسهم ، فوجد قومًا [يذكرون الله تعالىٰ][١] ؛ منهم ثائر الرأس ، [وجاف الجلد][٢] ، [وذو الثوب الواحد][٣] ، فلما رآهم جلس معهم وقال : « **الحمد لله الذي جعل[٤] في أمتي من أمرني الله أن أصبر نفسي معهم** » .

عبد الرحمن هذا ذكره أبو بكر بن أبي داود في الصحابة ، وأما أبوه[٥] فَمِنْ سادات الصحابة رضي الله عنهم .

وقوله : ﴿ **ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا** ﴾ قال ابن عباس : ولا تجاوزهم[٦] إلى غيرهم يعني : تطلب بدلهم أصحاب الشرف والثروة .﴿ **ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا** ﴾ ، أي : شغل عن الدين وعبادة ربه بالدنيا ﴿ **وكان أمره فرطًا** ﴾ ، أي : أعماله وأفعاله سفه وتفريط وضياع ، ولا تكن[٧] مطيعًا له ، ولا محبًا لطريقته ، ولا تغبطه بما هو فيه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولا تمدَّنَّ عينيك إلىٰ ما متعنا به أزواجًا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقىٰ** ﴾ .

وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾

يقول تعالىٰ لرسوله محمد صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **وقل** ﴾ يا محمد للناس : هذا الذي جئتكم به من ربكم هو الحق الذي لا مرية فيه ولاشك ، ﴿ **فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** ﴾ هذا من باب التهديد والوعيد الشديد ، ولهذا قال : ﴿ **إنا أعتدنا** ﴾ ، أي : أرصدنا ﴿ **للظالمين** ﴾ ، وهم الكافرون بالله ورسوله وكتابه ﴿ **نارًا أحاط بهم سرادقها** ﴾ ، أي : سورها .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في خ: « يذكر الله» .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « وخاف الحدد » ، خ : « وخاف الحدود » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في خ : « والثواب الواخذ » .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - في خ : « أبو داود » .

[٦] - في خ : « تجاوزوهم » .

[٧] - سقط من : ز ، خ .

قال الإمام أحمد(٤٢) : حدثنا حسن بن موسىٰ ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه قال : « **لسرادق النار أربعة جدر ، كثافة كل جدار مثل مسافة أربعين سنة** » وأخرجه الترمذي في صفة النار ، وابن جرير في تفسيره : من حديث دراج أبي السمح به [وقال ابن جريج : قال ابن عباس : ﴿ **أحاط بهم سرادقها** ﴾ ، قال : حائط من نار][١] .

وقال ابن جرير(٤٣) : حدثني الحسين بن نصر ، والعباس بن محمد ، قالا : حدثنا أبو عاصم ، عن عبد اللَّه بن أمية ، [حدثني محمد بن حُيَيّ بن يعلىٰ ، عن صفوان بن يعلىٰ ، عن يعلىٰ بن أمية][٢] قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **البحر هو جهنم** » . قال : فقيل له : [كيف ذلك ؟][٣] فتلا هذه الآية ، أو قرأ هذه الآية : ﴿ **نارًا أحاط بهم سرادقها** ﴾ ، ثم قال : واللَّه لا أدخلها أبدًا - أو : ما دمت حيًّا[٤] - لا[٥] تصيبني[٦] منها قطرة .

(٤٢) « المسند » (٢٩/٣) وأخرجه أبو يعلى في مسنده (١٣٨٩/٢) وابن الجوزي في « العلل المتناهية » (٢/ ٩٣٦) من طريق أبي خيثمة زهير بن حرب ، قال : ثنا الحسن بن موسى به .
وقال ابن الجوزي : « هذا حديث لا يصح ، ابن لهيعة ذاهب الحديث ، قال أحمد : أحاديث دراج مناكير» .
وأخرجه ابن المبارك في مسنده (١٣١) ونعيم بن حماد في « زوائد الزهد » (٣١٦) - ومن طريق ابن المبارك أيضًا الترمذي ، كتاب : صفة جهنم ، باب : ما جاء في صفة شراب أهل النار (٢٥٨٧) وابن جرير في تفسيره (٢٣٩/١٥) والبغوي في « شرح السنة » (٤٠٧) (٢٤٥/١٥) - أخبرنا رشدين بن سعد عن عمرو ابن الحارث عن دراج به وقال الترمذي : « هذا حديث إنما نعرفه من حديث رشدين بن سعد ، وفي رشدين مقالٌ ، وقد تكلم فيه من قبل حفظه » لكن تابعه عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث به أخرجه ابن جرير وصححه الحاكم (٦٠٠/٤ ، ٦٠١) من هذه الطريق ، ووافقه الذهبي .
فالحمل فيه على دراج ، فهو وإن كان صدوقًا إلا أن في حديثه عن أبي الهيثم ضعفا كما قال أبو داود وغيره . والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣٩٩/٤) إلى ابن أبي الدنيا « صفة النار » وابن أبي حاتم وابن حبان وأبي الشيخ وابن مردويه .
(٤٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٣٩/١٥) .
والحديث أخرجه أحمد (٢٢٣/٤) . والبخاري في التاريخ الكبير (٧٠/١) ، (٤١٤/٤) . والحاكم في مستدركه (٥٩٦/٤) (٨٧٦٢) . والبيهقي في الكبرى (٣٣٤/٤) وفي البعث والنشور (٤٥٢) . وأبو نعيم في أخبار أصبهان (١/٢) . كلهم من طريق أبي عاصم قال : ثنا عبد الله بن أمية ، قال : حدثني محمد بن حيى ، قال : حدثني صفوان بن يعلى عن أبيه مرفوعًا به . =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في خ : « لا » .
[٦] - في ز ، خ : « يصيبنى » .

وقوله : ﴿ وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقًا ﴾ ، قال ابن عباس(٤٤) : المهل : ماء غليظ مثل دُرْديّ[١] الزيت[٢] .

وقال مجاهد : هو كالدم والقيح .

وقال عكرمة : هو الشيء الذي انتهىٰ حره .

وقال آخرون : هو كل شيء أذيب .

وقال قتادة(٤٥) : أذاب ابن مسعود شيئًا من الذهب في أخدود ، فلما[٣] انماع وأزبد قال : هذا أشبه شيء بالمهل.

وقال الضحاك : ماء جهنم أسود ، وهي سوداء وأهلها سود .

= وقال الحاكم : حديث صحيح الإسناد ، ومعناه أن البحر صعب كأنه جهنم . ووافقه الذهبي .

وذكره الهيثمي في المجمع (٣٨٩/١٠) وقال : رواه أحمد ورجاله ثقات .

قلت : محمد بن حيى : هذا ذكره البخاري في « التاريخ الكبير » ، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٧/ ٢٣٩) (١٣١٢) ، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا . ووثقه ابن حبان « الثقات » (٣٦٦/٧) وأعله الألباني بمحمد بن حيى هذا فكان من نصيب الضعيفة (١٠٢٣/٣) . والحديث زاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٣٩٩/٤) إلى ابن أبي الدنيا وابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٤٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٤٠/١٥) . وهناد في الزهد (١٨٥/٢) (٢٨٣) .

من طريق عطية بن سعد العوفي عن ابن عباس به ، وعطية ضعيف ، وعلقه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير (٦٥) ، باب : سورة حم الدخان (٤٤) ، (٥٧٠/٨) .

وقال ابن حجر في الفتح : وصله ابن أبي حاتم من طريق مطرف عن عطية ، سئل ابن عباس عن المهل ....» .

وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٤٠٠/٤) إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ولم يعزه للبخاري !

(٤٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٣٩/١٥-٢٤٠) مطولًا وفيه انقطاع ، فإن قتادة لم يسمع من ابن مسعود . وأخرجه الطبراني في الكبير (٢٠٤/٩) (٩٠٨٢) وهناد في الزهد (١٨٤/١-١٨٥) (٢٨٢) .

من طريق وكيع عن سلمة بن نبيط عن الضحاك عن ابن مسعود . أنه أذاب فضة من بيت المال ، ثم أرسل إلى أهل المسجد : من أحب أن ينظر إلى المهل فلينظر إلى هذا .

والضحاك هو ابن مزاحم قيل : إنه لم يثبت له سماع من أحد من الصحابة ، وهو صدوق كثير الإرسال =

[١] - في خ : « ردي » . والدردي : ما رسب أسفل العسل والزيت ونحوهما من كل شيء مائع كالأشربة والدهان . الوسيط (٢٨٨/١) .

[٢] - في ز : « الزبيب » . [٣] - في ت : « فما » .

وهذه الأقوال ليس شيء منها ينفي الآخر ؛ فإن المهل يجمع هذه الأوصاف الرذيلة كلها ، فهو أسود منتن غليظ حار ، ولهذا قال : ﴿ **يشوي الوجوه** ﴾ أي : من حره ، إذا أراد الكافر أن يشربه وقربه من وجهه شواه ، حتىٰ يسقط جلد وجهه فيه ، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد(٤٦) بإسناده المتقدم في سرادق النار عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « **ماء كالمهل – قال – كعكر الزيت ، فإذا قربه إليه سقطت فروة وجهه فيه** » . وهكذا رواه الترمذي في صفة النار من جامعه : من حديث رشدين بن سعد ، عن عمرو بن الحارث ، عن دراج به . ثم قال : لا نعرفه إلا من حديث رشدين ، وقد تكلم فيه من قِبَل حفظه . هكذا قال ، وقد رواه الإمام أحمد كما تقدم : عن حسن الأشيب ، عن ابن لهيعة ، عن دراج ، والله أعلم .

وقال عبد الله بن المبارك ، وبقية بن الوليد(٤٧) : عن صفوان بن عمرو ، عن عبد[١] الله

= وفي طريق الطبراني السابق يحيى الحماني ، ولذلك أعله الهيثمي به كما في المجمع (١٠٨/٧) . فقال : « رواه الطبراني ، وفيه يحيى الحماني وهو ضعيف » . وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣١/٢٥) . والطبراني في الكبير (٢٥٤/٩) (٩٠٨٣) . كلاهما عن أبي معاوية عن عمرو بن ميمون عن أبيه عن عبد الله به .

وعمرو بن ميمون وأبوه ثقتان ، ولكن ميمون وهو ابن مهران كان يرسل ، ولعل هذا من مرسلاته فإني لم أجد من صرح بسماعه من ابن مسعود .

(٤٦) أخرجه أحمد في « المسند » (٧٠/٣ ، ٧١) ثنا حسن بن موسى ، ثنا ابن لهيعة ثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد مرفوعًا به وأخرجه أسد بن موسى في « الزهد » (٢٧) ثنا ابن لهيعة به ، وأبو يعلى في مسنده (١٣٧٥/٢) ثنا زهير حسن بن موسى به ، وأخرجه ابن المبارك في مسنده (١٣٠) ومن طريق عبد بن حميد في « المنتخب » (٩٣٠) والترمذي ، كتاب : صفة جهنم ، باب : ما جاء في صفة شراب أهل النار (٢٥٨٤) والبغوي في « شرح السنة » (٤٤٠٧/١٥) – وهو في (زوائد نعيم بن حماد) (رقم ٣١٦) ومن طريقه الطبراني في « الأوسط » (٣١٣٧/٣) ، وأخرجه الترمذي أيضًا في « التفسير باب : ومن سورة سأل سائل » (٣٣٢٢) من طريق أبي كريب ثلاثتهم (ابن المبارك ونعيم وأبو كريب) عن رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث عن دراج أبي السمح به . وقال الترمذي : هذا حديث إنما نعرفه من حديث رشدين بن سعد ، وفي رشدين مقال ، وقد تكلم فيه من قبل حفظه » . وقال الطبراني : « لم يرو هذا الحديث عن عمرو إلا رشدين » كذا وقد توبع رشدين على هذا الإسناد فأخرجه ابن جرير (٢٣٩/١) وابن حبان (٧٤٧٣/١٦ – إحسان) و(٢٦١٢/٨ – موارد) والحاكم (٥٠١/٢) (٦٠٤/٤) ومن طريقه البيهقي في « البعث » (٥٥٠) من طريق عبد الله بن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث به . وقال الحاكم : « صحيح الإسناد » ووافقه الذهبي .

كذا قالا ورواية دراج عن أبي الهيثم ضعيفة ، كما قال أبو داود وغيره والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٢٢٠/٤ – ٢٢١) إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٤٧) تقدم تخريجه [سورة إبراهيم / آية ١٧] .

---

[١] – في ز : « عبيد » .

ابن بُشر[١] ، عن أبي أمامة - رضي الله عنه - عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم في قوله : ﴿ ويسقىٰ من ماء صديد * يتجرعه ﴾ ، قال : « يقرب إليه فيتكرهه ، فإذا قرب منه شوىٰ وجهه ، ووقعت فروة رأسه ، فإذا شرب[٢] قطع أمعاءه ، يقول الله تعالىٰ : ﴿ وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب ﴾ .

وقال سعيد بن جبير: إذا جاع أهل النار استغاثوا بشجرة الزقوم ، فأكلوا[٣] منها ، فاختلست جلود وجوههم ، فلو أن [مارًا مر][٤] بهم يعرفهم[٥] لعرف[٦] جلود وجوههم فيها ، ثم يصب عليهم العطش فيستغيثون ، فيغاثون بماء كالمهل ، وهو الذي قد انتهىٰ حره ، فإذا أدنوه من أفواههم اشتوىٰ من حره لحوم وجوههم التي قد سقطت عنها الجلود » ولهذا قال تعالىٰ بعد وصفه هذا الشراب بهذه الصفات القبيحة : ﴿ بئس الشراب ﴾ ، أي : بئس هذا شرابًا[٧] ، كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ وسقوا ماءً حميمًا فقطع أمعاءهم ﴾ وقال تعالى: ﴿تسقى من عين آنية﴾ أي : حارة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ وبين حميم آن ﴾ .

﴿وساءت مرتفقًا﴾ [أي: وساءت النار][٨] منزلًا ، ومقيلًا ، ومجتمعًا ، وموضعًا للارتفاق ، كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ إنها ساءت مستقرًا ومقامًا ﴾ .

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾

لما ذكر تعالىٰ حال الأشقياء ثنّىٰ بذكر[٩] السعداء : الذين آمنوا بالله ، وصدقوا المرسلين فيما جاءوا به ، وعملوا بما أمروهم به من الأعمال الصالحة ، فلهم جنات عدن ، والعدن : الإقامة .

﴿تجري من تحتهم الأنهار﴾ أي: من تحت غرفهم ومنازلهم، قال فرعون: ﴿وهذه

[١] - في ز : « بشر » .
[٢] - في ت : « شربه » .
[٣] - في ز ، خ : « فيأكلون » .
[٤] - في ز : « دمارًا » ، خ : « دثارًا » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في خ : « يعرف » .
[٧] - في ت : «الشراب » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٩] - في خ : « بحال » .

الأنهار تجري من تحتي﴾ الآية .

﴿ **يحلون** ﴾ أي : من الحلية ﴿ **فيها من أساور من ذهب** ﴾ ، وقال في المكان الآخر : ﴿ **ولؤلؤًا ولباسهم فيها حرير** ﴾ وفصله هاهنا فقال : ﴿ **ويلبسون ثيابًا خضرًا من سندس وإستبرق** ﴾ ، فالسندس : ثياب[١] رفاع[٢] رقاق كالقمصان وما جرىٰ مجراها . وأما الإستبرق : فغليظ الديباج وفيه بريق .

وقوله : ﴿ **متكئين فيها علىٰ الأرائك** ﴾ : الاتكاء ، قيل : الاضطجاع ، وقيل[٣] : التربع في الجلوس ، وهو أشبه بالمراد[٤] هاهنا ، ومنه الحديث الصحيح(٤٨) : « **أما أنا فلا آكل متكئًا** » فيه القولان .

والأرائك : جمع أريكة : وهي السرير تحت الحَجَلة ، والحَجَلة : كما يعرفه الناس في زماننا هذا بالباشخاناه[٥] ، والله أعلم.

قال عبد الرزاق(٤٩) : أخبرنا معمر ، عن قتادة : ﴿ **علىٰ الأرائك** ﴾ ، قال : هي الحجال . قال معمر : وقال غيره : السرر في الحجال .

وقوله : ﴿**نعم الثواب وحسنت مرتفقًا**﴾ [أي : نعمت الجنة ثوابًا على أعمالهم ، ﴿**وحسنت مرتفقًا**﴾ أي : حسنت منزلًا ومقيلًا ومقامًا ، كما قال في النار : ﴿ **بئس الشراب وساءت مرتفقًا**]﴾[٦] وهكذا[٧] قابل بينهما في سورة الفرقان في قوله : ﴿ **إنها ساءت مستقرًا ومقامًا** ﴾ ثم ذكر صفات المؤمنين فقال : ﴿ **أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلامًا ۞ خالدين فيها حسنت مستقرًا ومقامًا** ﴾ .

---

(٤٨) أخرجه البخاري - كتاب الأطعمة ، باب : الأكل متكئًا ، (٥٣٩٨،٥٣٩٩) . وأبو داود -كتاب الأطعمة ، باب : ما جاء في الأكل متكئًا - (٣٧٦٩) . والترمذي - كتاب الأطعمة ، باب : ما جاء في كراهية الأكل متكئًا (١٨٣٠) . وابن ماجة - كتاب الأطعمة ، باب : الأكل متكئًا (٣٢٦٢) . وأحمد في مسنده (٣٠٨/٤-٣٠٩) من طريق علي بن الأقمر عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ... فذكره .

(٤٩) « التفسير » لعبد الرزاق (٤٠٣/٢) ومن طريقه ابن جرير في تفسيره (٢٤٣/١٥) . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٠٣/٤) وزاد عزوه إلى عبد بن حميد ولم يعزه إلى عبد الرزاق .

---

[١] - في ت : « لباس » .
[٢] - في خ : « رقاع » .
[٣] - في ز : « في » .
[٤] - في ز ، خ : « في المراد » .
[٥] - في ز : « بالبشخاناه » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز ، خ : « هذا » .

۞ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾

يقول تعالى بعد ذكر[١] المشركين المستكبرين عن مجالسة الضعفاء ، والمساكين من المسلمين ، وافتخروا عليهم بأموالهم وأحسابهم[٢] ، فضرب لهم مثلًا برجلين ؛ جعل الله ﴿ **لأحدهما جنتين** ﴾ ، أي : بستانين من أعناب محفوفتين بالنخل ، المحدقة في جنباتهما ، وفي خلالهما الزروع ، وكل[٣] من الأشجار والزروع مثمر مقبل في غاية الجودة ، ولهذا قال : ﴿ **كلتا الجنتين آتت أكلها** ﴾ ، أي : أخرجت ثمرها ﴿ **ولم تظلم منه شيئًا** ﴾ ، [أي : ولم تنقص منه شيئًا][٤] ، ﴿ **وفجرنا خلالهما نهرًا** ﴾ ، أي : والأنهار تخترق فيهما هاهنا وهاهنا .

﴿ **وكان له ثُمُرٌ** ﴾ قيل : المراد به المال .

روي عن ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة . وقيل : الثمار ، وهو أظهر هاهنا ، ويؤيده القراءة الأخرىٰ : (**وكان له ثُمْر**) بضم الثاء وتسكين الميم ، فيكون جمع ثمرة ، كخشبة وخشب .

وقرأ آخرون ﴿ **ثَمَر** ﴾ بفتح الثاء والميم ﴿ **فقال** ﴾ ، أي : صاحب هاتين الجنتين[٥] ﴿ **لصاحبه وهو يحاوره** ﴾ ، أي : يجادله ويخاصمه ، يفتخر عليه ويترأس : ﴿ **أنا أكثر منك مالًا وأعز نفرًا** ﴾ أي : أكثر خدمًا وحشمًا وولدًا .

قال قتادة : تلك والله أمنية الفاجر : كثرة المال وعزة النفر .

---

[١] - في خ : « ذكره » .
[٢] - في خ : « وأجسامهم » .
[٣] - في خ : « وفي كل » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - سقط من : خ .

وقوله : ﴿ **ودخل جنته وهو ظالم لنفسه** ﴾ ، أي : بكفره ، وتمرده ، وتكبره ، وتجبره ، وإنكاره المعاد ﴿ **قال ما أظن أن تبيد هذه أبدًا** ﴾ وذلك اغترار منه ، لما رأىٰ فيها من الزروع والثمار والأشجار ، والأنهار المطردة في جوانبها وأرجائها ، ظن أنها لا تفنىٰ ولا تفرغ ولا تهلك ولا تتلف ، وذلك لقلة عقله ، وضعف يقينه بالله ، وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها ، وكفره بالآخرة ، ولهذا قال : ﴿ **وما أظن الساعة قائمة** ﴾ ، أي : كائنة ، ﴿ **ولئن رددت إلىٰ ربي لأجدن خيرًا منها منقلبًا** ﴾ ، أي : ولئن كان معاد ورجعة ومرد إلىٰ الله ، ليكونن لي هناك أحسن من هذا لأني مُحْظًى[١] عند ربي ، ولولا كرامتي[٢] عليه ما أعطاني هذا ، كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **ولئن رجعت إلىٰ ربي إن لي عنده للحسنىٰ** ﴾ وقال : ﴿ **أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالًا وولدًا** ﴾ أي : في الدار الآخرة ، تألّىٰ علىٰ الله -عز وجل- وكان سبب نزولها في العاص بن وائل(٥٠) ، كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى ، وبه الثقة وعليه التكلان .

قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عما أجابه به صاحبه المؤمن ، واعظًا له ، وزاجرًا عما هو فيه من الكفر بالله والاغترار : ﴿ **أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلًا** ﴾ ، وهذا إنكار وتعظيم لما وقع فيه من جحود ربه الذي خلقه وابتدأ خلق الإنسان من طين ، وهو آدم ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم** ﴾ أي : كيف تجحدون ربكم ودلالته عليكم ظاهرة جلية ، كل أحد يعلمها من نفسه ، فإنه ما من أحد من المخلوقات إلا ويعلم أنه كان معدومًا ثم وجد ، وليس وجوده من نفسه ، ولا مستندًا إلىٰ شيء من المخلوقات ؛ لأنه

(٥٠) يأتي في تفسير [سورة مريم/ آية رقم ٧٧] .

[١] - في خ : « مخضى » . [٢] - في ز : « إكرامي » .

بمثابته ، فعلم إسناد إيجاده إلىٰ خالقه ، وهو اللّٰه لا إله إلا هو خالق كل شيء ، ولهذا قال : ﴿ **لكنا هو اللّٰه ربي** ﴾ أي : لكن[١] أنا لا أقول بمقالتك ، بل أعترف لله بالوحدانية والربوبية ﴿ **ولا أشرك بربي أحدًا** ﴾ ، أي : بل هو اللّٰه المعبود وحده لا شريك له .

ثم قال : ﴿**ولولا إذ دخلت جنتك** [**قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترني أقل منك مالًا وولدًا** ﴾][٢] : [و هذا تحضيض][٣] وحث علىٰ ذلك ، ﴿**ولولا إذ دخلت جنتك** [**قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترني أقل منك مالًا وولدًا** ﴾ أي : هلا إذ أعجبتك حين دخلتها ونظرت إليها ، فحمد[٤] اللّٰه علىٰ ما أنعم به عليك ، وأعطاك من المال والولد ما لم يعط غيرك ، وقلت ﴿ **ما شاء اللّٰه لا قوة إلا باللّٰه** ﴾ ، ولهذا قال بعض السلف : من أعجبه شيء من حاله ، أو ماله ، أو ولده فليقل : ما شاء اللّٰه لا قوة إلا باللّٰه . وهذا مأخوذ من هذه الآية الكريمة .

وقد روي فيه حديث مرفوع أخرجه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده(٥١) .

حدثنا جراح بن مخلد ، حدثنا عمر بن يونس ، حدثنا عيسىٰ بن عون ، حدثنا عبد الملك بن زرارة ، عن أنس -رضي اللّٰه عنه- قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ما أنعم اللّٰه علىٰ عبد نعمة من أهل أو مال أو ولد فيقول : ما شاء اللّٰه لا قوة إلا باللّٰه** » فيرىٰ فيه آفة دون الموت » .وكان يتأول هذه الآية : ﴿ **ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء اللّٰه لا قوة إلا باللّٰه** ﴾ .

قال الحافظ أبو الفتح الأزدي : عيسى بن عون عن عبد الملك بن زرارة عن أنس : لا يصح حديثه .

وقال الإمام أحمد(٥٢) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة وحجاج ؛ حدثني شعبة -

---

(٥١) **إسناده ضعيف** . وذكره المصنف في « البداية والنهاية » (١٤١/٢) كما هنا وقال : « وفي صحته نظر » وكذا عزاه لأبي يعلى الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٣٥٠/٣) (٣٦٧٣) . والحديث أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب «الشكر» (رقم ١) وأبو بكر بن السني في « عمل اليوم والليلة » (٣٥٧) والطبراني في « الأوسط » (٣٠١/٤) (٤٢٦١) ، (١٢٦/٦) (٥٩٩٥) والخطيب في « تاريخ بغداد » (١٩٨/٣ - ١٩٩) والبيهقي في شعب الإيمان (٨٩/٤-٩٠) (٤٣٦٩) ، (١٢٤/٤) (٤٥٢٥) . وفي « الأسماء والصفات » (٣٣٨/١ ، ٣٣٩) من طريق عمر بن يونس عن عيسى بن عون به . وقال الهيثمي في المجمع (١٤٣/١٠) : رواه الطبراني في « الصغير » و« الأوسط » وفيه عبد الملك بن زرارة وهو ضعيف .

(٥٢) **إسناده ضعيف** وصح من طرق أخرى عن أبي هريرة .

---

[١] - سقط من : ز ، خ . [٢] - سقط من : ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « وهلا تخصيص » . [٤] - في ز ، خ : « فحمدت » .

عن عاصم بن عبيد الله ، [عن عبيد][١] مولىٰ أبي رهم ، عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أنه قال : « **ألا أدلك علىٰ كنز من كنوز الجنة ؟ لا قوة إلا بالله** » تفرد به أحمد .

وقد ثبت في الصحيح(٥٣) عن أبي موسىٰ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال له : « **ألا أدلك علىٰ كنز من كنوز الجنة ؟ لا حول ولا قوة إلا بالله** » .

وقال الإمام أحمد :(٥٤) حدثنا بكر بن عيسى ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبي بَلْج[٢] ، عن عمرو بن ميمون ، قال : قال أبو هريرة : قال لي نبي الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **يا أبا هريرة ، [ألا][٣] أدلك علىٰ كنز من كنوز الجنة تحت العرش ؟** » قال : قلت : نعم ، فداك أبي وأمي ! قال : « **أن تقول : لا قوة إلا بالله** » - قال أبو بَلْج[٤] : وأحسب أنه قال : « **فإن الله يقول : أسلم عبدي واستسلم** » . قال : فقلت لعمرو - قال أبو بَلْج[٥] : قال عمرو : قلت لأبي هريرة : لا حول ولا قوة إلا بالله ؟ فقال : لا ، إنها في سورة الكهف : ﴿ **ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله** ﴾ .

وقوله : ﴿ **فعسىٰ ربي أن يؤتين خيرًا من جنتك** ﴾ ، أي : في الدار الآخرة ، ﴿ **ويرسل عليها** ﴾ ، أي : علىٰ جنتك في الدنيا التي ظننت أنها لا تبيد ولا تفنىٰ ﴿ **حسبانًا من**

= أخرجه أحمد (٢/٤٦٩) . قلت : وهذا إسناد ضعيف . وعلته ، عاصم بن عبيد الله وهو ابن عاصم بن عمر بن الخطاب . قال البخاري وأبو حاتم : منكر الحديث . وقال النسائي : لا نعلم مالكًا روى عن إنسان ضعيف مشهور بالضعف إلا عاصم بن عبيد الله . وضعفه يحيى بن معين . [انظر تهذيب الكمال (١٣/ ٥٠٠) (٣٠١٤) . وشيخه عبيد هو ابن أبي عبيد مولى أبي رهم ، قال الحافظ في « التقريب » مقبول ، وقد صح الحديث من طرق أخرى عن أبي هريرة سيذكرها المصنف .

(٥٣) أخرجه البخاري - كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر (٤٢٠٥) . وكتاب الجهاد ، باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير (٢٩٩٢) . وفي الدعوات ، باب الدعاء إذا علا (٦٤٠٩) . وكتاب القدر ، باب لا حول ولا قوة إلا بالله (٦٦١٠) . وكتاب التوحيد ، باب « وكان الله سميعًا بصيرًا » (٧٣٨٦) .

(٥٤) أخرجه أحمد (٢/٣٣٥) ، (٢/٣٦٣) مختصرًا . وأبو بلج هو الفزاري اسمه يحيى بن سليم أو ابن أبي سليم أو ابن أبي الأسود صدوق ربما أخطأ - قاله الحافظ في التقريب . والحديث أخرجه الطيالسي (٢٤٩٤) ، والحاكم (١/٢١) من طريق يحيى بن سليم أبي بلج عن عمرو بن ميمون به .
وقال الحاكم : « صحيح ولا يحفظ له علة » ووافقه الذهبي ، وأقرهما الألباني كما في الصحيحة (٤/٣٥) (١٥٢٨) . وله طرق أخرى عن أبي هريرة انظرها في « الصحيحة » .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز ، خ : « بلخ » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٤] - في ز : « بلخ » .
[٥] - في ز ، خ : « بلخ » .

السماء ﴾ قال ابن عباس ، والضحاك ، وقتادة ، ومالك عن الزهري : أي : عذابًا من السماء .

والظاهر : أنه مطر عظيم مزعج ، يقلع زرعها وأشجارها ، ولهذا قال : ﴿ **فتصبح صعيدًا زلقًا** ﴾ ، أي : بلقعًا ترابًا أملس ، لا يثبت فيه قدم .

وقال ابن عباس : كالجُرُز الذي لا ينبت شيئًا .

وقوله[١] : ﴿ **أو يصبح ماؤها غورًا** ﴾ ، أي : غائرًا في الأرض ، وهو ضد النابع[٢] الذي يطلب وجه الأرض ، فالغائر يطلب أسفلها[٣] ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورًا فمن يأتيكم بماء معين** ﴾ ، أي : جار وسائح ، وقال هاهنا : ﴿ **أو يصبح ماؤها غورًا فلن تستطيع له طلبًا** ﴾ والغور : مصدر بمعنىٰ غائر ، وهو أبلغ منه ، كما قال الشاعر :

تظل جياده نوحًا عليه تقلده أعنتها صفوفا

بمعنىٰ : نائحات عليه .

وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **وأحيط بثمره** ﴾ بأمواله أو بثماره علىٰ القول الآخر ، والمقصود أنه وقع بهذا الكافر ما كان يحذر مما[٤] خوفه به المؤمن ؛ من إرسال الحسبان علىٰ جنته التي اغتر بها وألهته عن الله عز وجل ، ﴿ **فأصبح يقلب كفيه علىٰ ما أنفق فيها** ﴾ ، قال[٥] قتادة : يصفق كفيه متأسفًا متلهفًا علىٰ الأموال التي أذهبها عليها ﴿ **ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدًا * ولم تكن له فئة** ﴾ ، أي : عشيرة أو ولد كما افتخر بهم واستعز ، ﴿ **ينصرونه من دون الله وما كان منتصرًا * هنالك الولاية لله الحق** ﴾ اختلف القراء هاهنا ؛ فمنهم من يقف علىٰ قوله : ﴿ **وما كان منتصرًا هنالك** ﴾ ، أي : في ذلك الموطن الذي حل به عذاب الله ، فلا منقذ له منه ، ويبتدئ بقوله : ﴿ **الولاية لله الحق** ﴾ [ومنهم من يقف

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في خ : « التابع » .
[٣] - في ز : « أسفل » .
[٤] - في خ : « ما » .
[٥] - مكانها بياض في ز . وفي خ : « وقال » .

على: ﴿وما كان منتصرًا﴾ ويبتدئ بقوله: ﴿هنالك الولاية لله الحق﴾][١] .

ثم اختلفوا في قراءة ﴿ الولاية ﴾ ؛ فمنهم من فتح الواو ، فيكون المعنىٰ : هنالك الموالاة[٢] لله ، أي : هنالك كل أحد من مؤمن أو كافر يرجع إلىٰ الله ، وإلىٰ موالاته والخضوع له إذا وقع العذاب ، كقوله : ﴿ فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين ﴾ ، وكقوله إخبارًا عن فرعون : ﴿ حتىٰ إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين * آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ﴾ ومنهم من كسر الواو من ﴿الولاية﴾ أي: هنالك الحكم لله الحق ، ثم منهم من[٣] رفع ﴿ الحق ﴾ علىٰ أنه نعت للولاية ، كقوله تعالىٰ : ﴿ الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يومًا علىٰ الكافرين عسيرًا ﴾ ومنهم من خفض القاف علىٰ أنه نعت لله عز وجل ، كقوله : ﴿ ثم ردوا إلىٰ الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين ﴾ ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ هو خير ثوابًا ﴾ ، أي : جزاء ﴿ وخير عقبًا ﴾ ، أي : الأعمال التي تكون لله - عز وجل - ثوابها خير ، وعاقبتها حميدة رشيدة ، كلها خير .

وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ واضرب ﴾ يا محمد للناس ﴿ مثل الحياة الدنيا ﴾ ، في زوالها وفنائها وانقضائها ﴿ كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض ﴾ ، أي : ما فيها من الحب فشب وحسن ، وعلاه الزهو[٤] والنور والنضرة ، ثم بعد هذا كله ﴿ أصبح هشيمًا ﴾ يابسًا ﴿ تذروه الرياح ﴾ ، أي : تفرقه وتطرحه ذات اليمين وذات الشمال ، ﴿ وكان الله علىٰ كل شيء مقتدرًا ﴾ ، أي : هو قادر علىٰ هذه الحال وهذه الحال ، وكثيرًا ما يضرب الله مثل الحياة الدنيا بهذا المثل ، كما [قال تعالىٰ][٥] في سورة يونس : ﴿ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت ﴾ الآية ، وقال في سورة الزمر : ﴿ ألم تر أن الله أنزل من

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - في ز ، خ : « الولاية » .
[٣] - بعده في ز ، خ : قال .
[٤] - في خ ، ت : «الزهر» .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعًا مختلفًا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرًا ثم يجعله حطامًا إن في ذلك لذكرىٰ لأولي الألباب ﴾ ، وقال في سورة الحديد : ﴿ اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرًا ثم يكون حطامًا وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾ .

وفي[١] الحديث الصحيح(٥٥) : « الدنيا حلوة خضرة » .

وقوله : ﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ﴾ ، كقوله : ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ﴾ وقال تعالى : ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم ﴾ أي : الإقبال عليه والتفرغ لعبادته خير لكم من اشتغالكم بهم[٢] والجمع لهم والشفقة المفرطة عليهم ، ولهذا قال : ﴿ والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابًا وخير أملًا ﴾ قال ابن عباس وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف : ﴿ الباقيات الصالحات ﴾ : الصلوات الخمس .

وقال عطاء بن أبي رباح ، وسعيد بن جبير ، عن ابن عباس : الباقيات الصالحات : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر .

وهكذا سئل أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - عن الباقيات الصالحات : ما هي؟ فقال : هن[٣] لا إله إلا الله ، وسبحان الله ، والحمد لله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله [ ][٤] . رواه الإمام أحمد(٥٦) :

حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ ، حدثنا حيوة ، أنبأنا أبو عقيل ، أنه سمع الحارث مولىٰ عثمان - رضي الله عنه - يقول : جلس عثمان يومًا وجلسنا معه ، فجاءه المؤذن ، فدعا بماء في إناء أظنه أنه سيكون فيه مدّ فتوضأ ، ثم قال : رأيت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يتوضأ وضوئي هذا ، ثم قال : « من توضأ وضوئي هذا ثم قام فصلىٰ[٥] صلاة الظهر ، غفر له ما كان بينها وبين الصبح ، ثم صلىٰ العصر غفر له ما بينها وبين الظهر ، ثم صلىٰ

(٥٥) تقدم هنا [/آية ٨]

(٥٦) تقدم تخريجه [سورة هود / آية ١١٤] .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في خ ، ت : « هي » .

[٤] - بعده في ت : العلي العظيم .

[٥] - في ز : « يصلى » .

المغرب غفر له ما بينها وبين العصر ، ثم صلىٰ العشاء غفر له ما بينها وبين المغرب ، ثم لعله يبيت يتمرغ ليلته ، ثم إن قام فتوضأ وصلىٰ صلاة الصبح غفر له ما بينها وبين صلاة العشاء ، وهي الحسنات يذهبن السيئات » . قالوا : هذه الحسنات ، فما الباقيات الصالحات يا عثمان ؟ قال : هي : لا إله إلا اللَّه ، وسبحان اللَّه ، والحمد لله ، واللَّه أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه . تفرد به .

وروىٰ مالك(٥٧) : عن عمارة بن عبد اللَّه بن صياد ، عن سعيد بن المسيب ، قال : الباقيات الصالحات : سبحان اللَّه ، والحمد لله ، ولا إله إلا اللَّه ، واللَّه أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه .

وقال محمد بن عجلان(٥٨) : عن عمارة ، قال : سألني سعيد بن المسيب عن الباقيات الصالحات ؟ فقلت : الصلاة والصيام . قال : لم تصب . فقلت : الزكاة والحج . فقال : لم تصب ، ولكنهن الكلمات الخمس : لا إله إلا اللَّه ، واللَّه أكبر ، وسبحان اللَّه ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه .

وقال ابن جريج(٥٩) : [عن مجاهد][١] أخبرني عبد اللَّه بن عثمان بن خثيم[٢] ، عن نافع بن سرجس أنه أخبره : أنه سأل ابن عمر عن الباقيات الصالحات ؟ قال : لا إله إلا اللَّه ، واللَّه أكبر [وسبحان اللَّه ، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه . قال ابن جريج : وقال عطاء ابن أبي رباح مثل ذلك][٣] .

---

(٥٧) **إسناده صحيح** .أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٥٤/١٥) (٢٥٥ - ٢٥٦) .
وعمارة بن عبد الله بن صياد ، أبو أيوب المدني ثقة فاضل ، وأبوه هو الذي كان يقال له : الدجال . قاله الحافظ في « التقريب » .

(٥٨) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٥٦/١٥) .

(٥٩) أخرجه ابن جرير (٢٥٥/١٥) ونافع بن سرجس كناه ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٨/ت ٢٠٧١) : أبا سويد » وسأل أباه عنه فقال : « لا أعلم إلا خيرًا » وعبد الله بن عثمان : صدوق روى له مسلم والبخاري تعليقًا . والأثر أخرجه أيضًا البخاري في « التاريخ الكبير » [(٧٧/١)/ ترجمة محمد بن درهم المكي] من طريق خطاب بن عثمان ثنا إسماعيل - وهو ابن عياش - عن محمد بن درهم عن ابن عمر به ، ومحمد بن درهم ، قال الأزدي : ليس بشيء . وقال ابن معين : ليس به بأس . وذكره ابن شاهين في « الثقات » وهو مترجم في « لسان الميزان » .

---

[١] - ما بين المعكوفتين زيادة من : الطبري .

[٢] - في خ : « خيثم » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

وقال عبد الرزاق[٦٠] : أخبرنا معمر ، عن الحسن وقتادة في قوله : ﴿ **والباقيات الصالحات** ﴾ قال : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، والحمد لله ، وسبحان الله ؛ هن الباقيات الصالحات .

قال ابن جرير[٦١] : وجدت في كتابي : عن الحسن بن الصباح البزار ، عن أبي نصر التمار ، عن عبد العزيز بن مسلم ، عن محمد بن عجلان ، عن سعيد المقبري ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم « **سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر : مِنَ الباقيات الصالحات** » .

قال[٦٢] : وحدثني يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرنا عمرو بن الحارث ، أن دراجًا أبا السمح حدثه ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **استكثروا من الباقيات الصالحات** » قيل : وما هي يا رسول الله ؟ قال : « **الملة** » . قيل : وما هي يا رسول الله ؟ قال : « **التكبير ، والتهليل ، والتسبيح ، والحمد لله ، ولا حول ولا**

---

(٦٠) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٥٥/١٥) قال : حدثنا الحسن بن يحيىٰ قال : أخبرنا عبد الرزاق ... فذكره .

(٦١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٥٥/١٥) . والنسائي في الكبرى - كتاب عمل اليوم والليلة ، باب : ثواب من سبح الله مائة وتسبيحة وتحميدة وتكبيرة (٢٠١) - (١٠٦٨٤) (٢١٢/٦) . والحاكم في مستدركه (٥٤١/١) (١٩٨٥) والطبراني في الأوسط (٢١٩/٤-٢٢٠) (٤٠٢٧) . وفي الصغير (١/ ١٤٥) وفي الدعاء (١٦٨٢/٣) والعقيلي في الضعفاء (١٧/٣-١٨) ت (٩٧٣) والبيهقي في الشعب (٢/ ٥٩٨) وألفاظهم متقاربة . كلهم من طريق عبد العزيز بن مسلم القَسْمَلى عن محمد بن عجلان عن سعيد ابن أبي سعيد المقبري به .

وقال الطبراني في « الصغير » : لم يروه عن ابن عجلان إلا عبد العزيز بن مسلم ، تفرد به داود بن بلال ، وحفص بن عمر الحَوْضي .. وقال الحاكم : « حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي . وقال الهيثمي في المجمع (٩٢/١٠) : « رواه الطبراني في الصغير والأوسط ، ورجاله في الصغير رجال الصحيح غير داود بن بلال - وهو الراوى عن عبد العزيز - وهو ثقة » وقال المنذري في « الترغيب والترهيب » (٤٣٢/٢) : « إسناده جيد قوي » .

(٦٢) **إسناده ضعيف** . أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٥٥/١٥) .

وأخرجه أحمد (٧٥/٣) رقم (١١٧٣٠) وأبو يعلى (١٣٨٤/٢) حدثنا زهير ، حدثنا الحسن بن موسى به .

والبغوي في « شرح السنة » (١٢٨٢/٥) من طريق عثمان بن صالح ، نا ابن لهيعة به . وأخرجه النسائي في « عمل اليوم والليلة » كما في التحفة (٤٠٦٦/٣) ولم أقف عليه في المطبوع والله تعالى أعلم - وابن حبان في « صحيحه » (٨٤٠/٣) ، وهو في « الموارد » (٢٣٣٢/٧) ، والحاكم في « المستدرك » (٥١٢/١) ، وابن الكيكلدي في « جزء في تفسير الباقيات الصالحات وفضلها » (ص ٣٨) ، والطبري في تفسيره (١٥/ ٢٥٥) . من طريق ابن وهب أخبرنا عمرو بن الحارث أن درَّاجًا أبا السمح حدثه ...فذكره . =

قوة إلا بالله » وهكذا رواه أحمد من حديث دراج به .

وبه قال ابن وهب(٦٣) : أخبرني أبو صخر : أن عبد الله بن عبد الرحمن مولىٰ سالم بن عبد الله حدثه قال : أرسلني سالم إلىٰ محمد بن كعب القرظي ، فقال : قل له : القني عند زاوية القبر ، فإن لي إليك حاجة . قال : فالتقيا فسلم أحدهما علىٰ الآخر ، ثم قال سالم : ما تعد الباقيات الصالحات ؟ فقال : لا إله إلا الله ، وسبحان الله والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . فقال [له سالم : متىٰ جعلت فيها لا حول ولا قوة إلا بالله ؟ قال][١] : ما زلت أجعلها . قال : فراجعه مرتين ، أو ثلاثًا فلم ينزع ، قال : فأثبت[٢] . قال سالم : أجل فَأَثبتُ[٣] ، فإن أبا أيوب الأنصاري حدثني أنه سمع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وهو يقول : « **عرج بي إلىٰ السماء ، فرأيت إبراهيم عليه السلام ، فقال : يا جبريل ، مَنْ هذا معك ؟ فقال : محمد . فرحب بي وسهل ، ثم قال : مر أمتك فلتكثر من غراس الجنة ، فإن تربتها طيبة ، وأرضها واسعة . فقلت : وما غراس الجنة ؟ قال : لا حول ولا قوة إلا بالله** » .

= وقال الحاكم : « هذا أصح إسناد المصريين فلم يخرجاه » ووافقه الذهبي ، وليس كما قالا .

وذكره الهيثمي في « المجمع » (٩٠/١٠) وقال : « رواه أحمد وأبو يعلى ..... وإسنادهما حسن »

وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٤٠٨/٤) إلى سعيد بن منصور ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه .

ويشهد له : حديث النعمان بن بشير ، الآتي (٢٦٧/٤، ٢٦٨) .

وحديث عثمان بن عفان : المتقدم (٥١٣) (٧١/١) .

وحديث أبي هريرة عند النسائي في « عمل اليوم والليلة » من الكبرى (١٠٦٨٤/٦) . والطبراني في « الأوسط » (٤٠٢٧/٤) ، وفي « الصغير » (١٤٥/١) ، والخطيب البغدادي في « تاريخه » (٣٣٦/٩) ، وصححه الحاكم (٥٤١/١) ووافقه الذهبي .

وانظر « الدر المنثور » (٤٠٨/٤، ٤٠٩) ، و« مجمع الزوائد » (٩٠/١٠-٩٦) .

(٦٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٥٥/١٥) وأخرجه أحمد في مسنده (٤١٨/٥) وابن حبان في صحيحه (١٠٣/٣) (٨٢١) . من طريق أبي صخر أن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، أخبره عن سالم بن عبد الله بن عمر قال : حدثني أبو أيوب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ... الحديث ، ولم يذكرا فيه قصة سالم مع محمد بن كعب القرظي ، وذكره الهيثمي في المجمع (١٠٠/١٠) وقال : « رواه أحمد ، والطبراني ... بنحوه ، ورجال أحمد رجال الصحيح ، غير عبد الله بن عبدالرحمن ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وهو ثقة ، لم يتكلم فيه أحد ، ووثقه ابن حبان » وحسنه المنذري في «الترغيب والترهيب » (٤٤٥/٢) .

وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٢٨١/٤) إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٢] - في خ : « فأبيت » .

[٣] - في خ: « فأبيت » .

وقال الإمام أحمد(٦٤) : حدثنا محمد بن يزيد ، عن العوام ، حدثني رجل من الأنصار من آل النعمان بن بشير ، [عن النعمان بن بشير][١] قال : خرج علينا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ونحن في المسجد بعد صلاة العشاء ، فرفع بصره إلىٰ السماء ، ثم خفض حتىٰ ظننا أنه قد حدث في السماء شيء ، ثم قال : « **أما إنه سيكون بعدي أمراء يكذبون ويظلمون ، فَمنْ صدقهم بكذبهم ومالأهم علىٰ ظلمهم فليس مني ، ولا أنا منه ، ومَنْ لم يصدقهم بكذبهم ، ولم يمالئهم علىٰ ظلمهم فهو مني وأنا منه ، ألا وإن سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر هنّ الباقيات الصالحات** » .

وقال الإمام أحمد(٦٥) : حدثنا عفان ، حدثنا أبان ، حدثنا يحيىٰ بن أبي كثير ، عن زيد ، عن[٢] أبي سلام ، عن[٣] مولى [لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، أن][٤] رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **بخ بخ ! لخمس ما أثقلهن في الميزان : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، وسبحان الله ، والحمد لله ، والولد الصالح يتوفى فيحتسبه والده** » . وقال : « **بخ بخ ! لخمس من لقي الله مستيقنًا بهن دخل الجنة : يؤمن بالله ، واليوم الآخر ، وبالجنة[٥] والنار ، وبالبعث بعد الموت ، وبالحساب** » .

وقال الإمام أحمد(٦٥) : حدثنا روح ، حدثنا الأوزاعي ، حدثنا حسان بن عطية قال : كان شداد بن أوس -رضي الله عنه- [في سفر][٦] فنزل منزلًا ، فقال لغلامه : ائتنا بالسفرة[٧] نعبث بها . فأنكرت عليه ، فقال : ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت إلا وأنا أخطمها[٨] وأزمّها[٩] غير كلمتي هذه ، فلا تحفظوها عليّ واحفظوا ما أقول لكم : سمعت

---

(٦٤) أخرجه أحمد (٤/٢٦٧-٢٦٨) .

وذكره الهيثمي في المجمع (٥/٢٥٠) وقال : « رواه أحمد وفيه راو لم يسم ، وبقية رجاله رجال الصحيح » . والحديث ذكره السيوطي في الدر المنثور مختصرًا (٤/٤٠٨) وزاد عزوه إلى سعيد بن منصور وابن مردويه .

(٦٥) أخرجه أحمد (٣/٤٤٣) ، (٤/٢٣٧) .

وأبو سلام هو ممطور الأسود الحبشي . ذكره العجلي في ثقاته (ت : (١٩٥٩) وقال : شامي تابعي ثقة . وذكره ابن حبان في « الثقات » .

وزيد الراوي عنه هو حفيده . قال أبو الحسن الدارقطني : زيد بن سلام بن أبي سلام عن جده ثقتان . وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٩١) : « رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، والصحابي الذي لم يسم هو =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٥] - في خ : « الجنة » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز : « بالشفرة » .
[٨] - في خ : « أحطمها » .
[٩] - في ز ، خ : « وأرمها » .

رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم يقول : « **إذا كنز الناس الذهب والفضة ، فاكنزوا هؤلاء الكلمات : اللهم إني أسألك الثبات في الأمر ، والعزيمة علىٰ الرشد ، وأسالك شكر نعمتك ، وأسألك حسن عبادتك ، وأسألك قلبًا سليمًا ، وأسألك لسانًا صادقًا ، وأسألك من خير ما تعلم ، وأعوذ بك من شر ما تعلم ، وأستغفرك لما تعلم ، إنك أنت علام الغيوب** » .

= ثوبان » لكن نفى ابن معين وابن المديني وأحمد وغيرهم سماع ممطور أبي سلام من ثوبان .

والحديث أخرجه أيضًا أحمد (٣٦٦/٥) . من طريق هشام بن أبي عبد الله الدستوائي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلام به ، دون ذكر زيد بن سلام ، وهذا إسناد فيه انقطاع فإن يحيى لم يسمع من أبي سلام . قال يحيى بن معين : يحيى بن أبي كثير ، يقول : حدث أبو سلام ، ولم يلقه ولم يسمع منه شيئًا . وقال العجلي : لم يسمع منه يحيى بن أبي كثير .

وقال عبد الصمد بن عبد الوارث عن حرب بن شداد : قال لي يحيى بن أبي كثير : كل شيء عن أبي سلام فإنما هو كتاب .

والحديث أخرجه أيضًا النسائي في الكبرى - كتاب «عمل اليوم والليلة » باب ذكر حديث كعب بن عجرة في المعقبات . (٩٩٩٥) (٥٠/٦) . وابن أبي عاصم في السنة (٣٦٣/٢) ٧٨١) والطبراني في المعجم الكبير (٣٤٨/٢٢) (٨٧٣) وفي كتاب الدعاء أيضًا (١٦٨٠) (١٥٥٩/٣-١٥٦٠) . والحاكم في مستدركه (٥١١/١-٥١٢) . وصححه ووافقه الذهبي ، وابن حبان في صحيحه (٨٣٣) (١١٤/٣-١١٥) وابن سعد في الطبقات (٣٠١/٧-٣٠٢) . من طريق عبد الله بن العلاء بن زبر وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر قالا : حدثنا أبو سلام قال : حدثني أبو سلمى ، راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ... فذكره مقتصرًا على الجزء الأول من الحديث ، وألفاظهم متقاربة .

وأخرجه البزار في مسنده - كما في مختصر الزوائد للحافظ ابن حجر - (٢٠٩٢) (٤٠٠/٢) من طريق العباس بن عبد العظيم الباشاني ثنا زيد بن يحيى الدمشقي ثنا عبد الله بن العلاء بن زبر عن أبي سلام عن ثوبان .

وقال البزار : « لا نعلمه يروى بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه ، وإسناده حسن » . وقال الهيثمي في المجمع (٩١/١٠) : « رواه البزار وحسن إسناده إلا أن شيخه العباس بن عبد العظيم الباساني لم أعرفه » .

كذا وقع في المطبوع من المجمع « الباساني » - والصحيح أنه « الباشاني » بالشين المعجمة كما حققه الألباني في الصحيحة (٢٠٣/٣) .

وقال الألباني : « والوجه الأول عن ابن زبر عن أبي سلام عن أبي سلمى أصح من هذا وأشهر ، ولمتابعة ابن جابر له عليه ، ولذلك رجحت أن المولى الذي لم يسم في الرواية الثانية إنما هو أبو سلمى ، وليس ثوبان ، ولو ثبتت رواية البزار هذه لأمكن القول بأنه ثوبان أبو سلمى والله أعلم . وقد ذكر السيوطي في الجامع الكبير (٢/٣٨٧/١) أن أبا سلمى هذا اسمه حريث . فالله تعالى أعلم».

قلت : ووجدت متابعًا لشيخ البزار هذا . أخرجه الطبراني في كتاب الدعاء (١٦٧٩) (١٥٥٩/٣) حدثنا أبو عبد الملك أحمد بن إبراهيم القرشي الدمشقي ثنا إبراهيم بن عبد الله بن العلاء بن زبر ثنا أبي به .قلت : وهذا إسناد حسن ، ويمكن أن يرتقي إلى « صحيح لغيره » لطريق البزار السابق . وعلى هذا فمن الممكن أن يقال : إن أبا سلام روى الحديث عن « أبي سلمى الراعي » ، وثوبان ، والله أعلم .

ثم رواه أيضًا(٦٥) والنسائي من وجه آخر عن شداد بنحوه.

وقال الطبراني(٦٦): حدثنا عبد اللَّه بن ناجية، حدثنا محمد بن سعد العوفي، حدثني أبي، حدثنا عمّي الحسين، عن يونس بن نفيع الجدلي، عن سعد بن جنادة -رضي اللَّه عنه- قال: كنت في أول من أتىٰ النبيَّ صلىٰ اللَّه عليه وسلم من أهل الطائف، فخرجت من أهلي من السراة غُدوة، فأتيت منًى عند العصر، فتصاعدت في الجبل ثم هبطت، فأتيت النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فأسلمت، وعلمني: ﴿ **قل هو اللَّه أحد** ﴾ و﴿ **إذا زلزلت** ﴾ وعلمني هؤلاء الكلمات: سبحان اللَّه، والحمد لله، ولا إله إلا اللَّه، واللَّه أكبر، وقال: « **هن الباقيات الصالحات** ».

وبهذا الإِسناد(٦٧): « **من قام من الليل فتوضأ ومضمض فاه، ثم قال: سبحان اللَّه مائة مرة، والحمد لله مائة مرة، واللَّه أكبر مائة مرة، ولا إله إلا اللَّه مائة مرة، غفرت ذنوبه إلا الدماء؛ فإنها لا تبطل** ».

---

(٦٥) أخرجه أحمد (١٢٣/٤). وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف - (٥٦/٧) - كتاب الدعاء، باب: « ما ذكر فيمن سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يعلمه ما يدعو به فعلمه ». وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢٦٦) (٦/٧٧-٧٨). من طريق الأوزاعي به، ورجاله ثقات إلا أن حسان بن عطية لم يدرك شدادًا.

وأخرجه ابن حبان في صحيحه - (٩٣٥) - (٣/٢١٥-٢١٦). وفي الموارد - (٢٤١٨) (٨/٦١٠٦٢). والطبراني في الكبير - (٧١٥٧) - (٧/٣٤٥)، وأبو نعيم في الحلية - (١/٢٦٦). من طريق هشام بن عمار؛ قال: حدثنا سويد بن عبد العزيز، قال: حدثنا الأوزاعي، عن حسان بن عطية عن أبي عبيد مسلم ابن مشكم قال: خرجت مع شداد بن أوس .... فذكره بنحوه قلت: وهذا إسناده ضعيف، وعلته سويد هذا فإنه ضعيف كما في التقريب.

وأخرجه أحمد (٤/١٢٥)، والترمذي - كتاب الدعوات، باب: (٢٣) - (٣٤٠٧) (٥/٤٤٣-٤٤٤) والطبراني في الكبير (٧١٧٥،٧١٧٦،٧١٧٧). من طرق عن سعيد بن إياس الجريري عن أبي العلاء يزيد ابن عبد الله الشخير، عن الحنظلي أو عن رجل من بني حنظلة، عن شداد بن أوس ... فذكره.

وأخرجه النسائي - كتاب السهو، باب: نوع آخر من الدعاء - (٣/٥٤). والطبراني في الكبير (٧١٨٠) من طريق الجريري عن أبي العلاء عن شداد وأخرجه الحاكم (١/٥٠٨) من طريق عمر بن يونس بن القاسم اليمامي، عن عكرمة بن عمار قال: سمعت شدادًا أبا عمار يحدث عن شداد بن أوس به. وقال الحاكم: « حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي.

(٦٦) أخرجه الطبراني في الكبير (٥٤٨٣) - (٦/٥١-٥٢). وذكره الهيثمي في « المجمع » (٧/١٦٩) وقال: « رواه الطبراني وفيه الحسين بن الحسن العوفي وهو ضعيف ».

(٦٧) أخرجه الطبراني في الكبير (٥٤٨٤) - (٦/٥٢) وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢/٢٦٦-٢٦٧) وقال: « رواه الطبراني في الكبير وفيه الحسين بن الحسن بن عطية العوفي، وهو ضعيف ».

وقال عليّ بن أبي طلحة : عن ابن عباس ، قوله : ﴿ والباقيات الصالحات ﴾ ، قال : هي ذكر الله ؛ قول : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، وسبحان الله ، والحمد لله ، وتبارك الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وأستغفر الله ، وصلىٰ الله علىٰ رسول الله ، والصيام ، والصلاة ، والحج ، والصدقة ، والعتق ، والجهاد ، والصلة ، وجميع أعمال الحسنات ، وهن الباقيات الصالحات التي تبقىٰ لأهلها في الجنة ما دامت السماوات والأرض .

وقال العوفي عن ابن عباس : هن الكلام الطيب .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هي الأعمال الصالحة كلها(٦٨) . واختاره ابن جرير - رحمه الله - .

﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾

يخبر تعالىٰ عن أهوال يوم القيامة ، وما يكون فيه من الأمور العظام ، كما قال تعالىٰ : ﴿ يوم تمور السماء مورًا * وتسير الجبال سيرًا ﴾ ، أي : تذهب من أماكنها وتزول ، كما قال تعالىٰ : ﴿ وترىٰ الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب ﴾ ، وقال تعالى : ﴿وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾ وقال : ﴿ ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفًا فيذرها قاعًا صفصفًا لا ترىٰ فيها عوجًا ولا أمتًا ﴾ يذكر[١] تعالىٰ أنه تذهب الجبال ،

(٦٨) أخرجه ابن جرير في تفسيره - (٢٥٦/١٥) حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فذكره .

وقال ابن جرير فإن ظن ظان أن ذلك مخصوص بالخبر الذي رويناه عن أبي هريرة - تقدم برقم (١٣٣) - عن النبي صلى الله عليه وسلم - فإن ذلك بخلاف ما تظن - وذلك أن الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - إنما ورد بأن قول : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر هن الباقيات الصالحات ، ولم يقل : هن جميع الباقيات الصالحات : ولا كل الباقيات الصالحات ، وجائز أن تكون هذه باقيات صالحات ، وغيرها من أعمال البر أيضًا باقيات صالحات .

[١] - في خ : « يقول » .

وتتساوى[١] المهاد، وتبقى الأرض ﴿ قاعًا صفصفًا ﴾ أي: سطحًا مستويًا لاعوج فيه ﴿ ولا أمتًا ﴾، أي: لا وادي ولا جبل، ولهذا قال تعالى: [﴿ وترى الأرض بارزة ﴾، أي: بادية ظاهرة، ليس فيها معلم لأحد، ولا مكان يواري أحدًا، بل الخلق كلهم ضاحون لربهم، لا تخفى عليه منهم خافية.

قال مجاهد وقتادة][٢]: ﴿ وترى الأرض بارزة ﴾ لا خَمَرَ(*) فيها ولا غَيابة(**).

و[٣] قال قتادة: لا بناءَ ولا شَجَر.

وقوله: ﴿ وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدًا ﴾، أي: وجمعناهم؛ الأولين منهم والآخرين، فلم نترك منهم أحدًا، لا صغيرًا ولا كبيرًا، كما قال: ﴿ قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم ﴾ وقال: ﴿ ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ﴾.

وقوله[٤]: ﴿ وعرضوا على ربك صفًا ﴾، يحتمل أن يكون المراد: أن جميع الخلائق يقومون بين يدي الله صفًا واحدًا، كما قال تعالى: ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفًا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابًا ﴾ ويحتمل أنهم[٥] يقومون صفوفًا صفوفًا كما قال: ﴿ وجاء ربك والملك صفًا صفًا ﴾.

وقوله: ﴿ لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة ﴾ هذا تقريع للمنكرين للمعاد، وتوبيخ لهم[٦] على رءوس الأشهاد، ولهذا قال مخاطبًا لهم: ﴿ بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدًا ﴾، أي: ما كان ظنكم أن هذا واقع بكم، ولا أن هذا كائن.

وقوله: ﴿ ووضع الكتاب ﴾ أي كتاب الأعمال الذي فيه الجليل والحقير والفتيل والقطمير، والصغير والكبير، ﴿ فترى المجرمين مشفقين مما فيه ﴾، أي: من أعمالهم السيئة وأفعالهم القبيحة، ﴿ ويقولون يا ويلتنا ﴾، أي: يا حسرتنا وويلنا على ما فرطنا في أعمارنا ﴿ ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ﴾، أي: لا يترك ذنبًا صغيرًا ولا كبيرًا، ولا عملًا وإن صغر إلا أحصاها، أي: ضبطها وحفظها.

(*) الخمر - بفتح الخاء والميم: كل ما سترك من شجر أو بناء أو غيره.

(**) الغيابة: الجب، والوادي.

[١] - سقط من: ز.

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

[٣] - في ز: «وقال».

[٤] - سقط من: خ.

[٥] - في ز: «أن».

[٦] - سقط من: ز، خ.

وروىٰ الطبراني(٦٩) بإسناده المتقدم في الآية قبلها إلىٰ سعد بن جنادة قال: لما فرغ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم، من غزوة حنين، نزلنا قفرًا من الأرض ليس فيه شيء، فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم: «**اجمعوا، مَنْ وجد عودًا فليأت به، ومن وجد حطبًا أو شيئًا فليأت به**». فما كان إلا ساعة حتىٰ جعلناه ركامًا، فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم: «**أترون هذا؟ فكذلك تجمع الذنوب علىٰ الرجل منكم كما جمعتم هذا، فليتق اللَّه رجل، ولا يذنب صغيرة ولا كبيرة؛ فإنها محصاة عليه**».

وقوله: ﴿**ووجدوا ما عملوا حاضرًا**﴾، أي: من خير أو[١] شر، كما قال تعالىٰ: ﴿**يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرًا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدًا بعيدًا**﴾، وقال تعالى: ﴿**ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر**﴾ وقال تعالىٰ: ﴿**يوم تبلىٰ السرائر**﴾ أي: تظهر المخبآت والضمائر.

قال الإمام أحمد(٧٠): حدثنا أبو الوليد، حدثنا شعبة، عن ثابت، عن أنس، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال: [«**لكل غادر لواء يوم القيامة**][٢] **يعرف به**» أخرجاه في الصحيحين، وفي لفظ][٣]: [«**يُرفع لكل غادر لواء يوم القيامة**][٤] **عند استِه بقدر غَدْرَته، يقال: هذه غدرة فلان بن فلان**».

وقوله: ﴿**ولا يظلم ربك أحدًا**﴾، أي: فيحكم بين عباده في أعمالهم جميعها، ولا يظلم أحدًا من خلقه، بل يغفر ويصفح، ويرحم، ويعذب من يشاء بقدرته وحكمته وعدله، ويملأ النار من الكفار وأصحاب المعاصي، [ثم ينجي أصحاب المعاصي][٥]، ويخلد فيها الكافرون[٦]، وهو الحاكم الذي لا يجور ولا يظلم، قال تعالىٰ: ﴿**إن اللَّه لا**

---

(٦٩) أخرجه الطبراني في الكبير (٥٤٨٥) (٥٢/٦) حدثني عبد الله بن ناجية ثنا محمد بن سعد العوفي بإسناده المتقدم -

وذكره الهيثمي في «المجمع» (١٠/١٩٣) وقال: «رواه الطبراني وفيه نفيع أبو داود وهو ضعيف» قلت: في إسناده «يونس بن نفيع» وليس نفيع أبا داود كما قال الهيثمي رحمه الله تعالى، والإسناد فيه «الحسين ابن الحسن بن عطية العوفي» وهو ضعيف.

(٧٠) أخرجه أحمد (٣/١٤٢، ١٥٠)، (٣/٢٥٠، ٢٧٠) من طريق عفان حدثنا شعبة به. وأخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الجزية والموادعة، باب: إثم الغادر للبر والفاجر - (٣١٨٧). ومسلم في صحيحه - كتاب الجهاد والسير، باب: «تحريم الغدر» (١٧٣٧). من طريقين عن شعبة به. وفي الباب عن أبي سعيد الخدري - عند مسلم (١٧٣٨). وعبد الله بن مسعود وابن عمر عند البخاري (٣١٨٨، ٣٦٨٦).

---

[١] - في خ: «و».
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز.
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٦] - في خ: «الكافرين».

يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرًا عظيمًا ﴾ ، وقال : **﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفىٰ بنا حاسبين ﴾** . والآيات في هذا كثيرة .

وقال الإمام أحمد(٧١) : حدثنا يزيد ، أخبرنا همام بن يحيىٰ ، عن القاسم بن عبد الواحد المكي ، عن عبد اللّٰه بن محمد بن عقيل ، أنه سمع جابر بن عبد اللّٰه يقول : بلغني حديث عن رجل سمعه من رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فاشتريت بعيرًا ثم شددت عليه رحلي[١] ، فسرت عليه شهرًا حتىٰ قدمت عليه الشام ، فإذا عبد اللّٰه بن أنيس ، فقلت للبواب : قل له : جابر علىٰ الباب . فقال : ابن عبد اللّٰه ؟ فقلت : نعم . فخرج يطأ ثوبه فاعتنقني واعتنقته ، فقلت : حديث بلغني عنك[٢] أنك سمعته من رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في القصاص ، فخشيت أن تموت أو أموت قبل أن أسمعه . فقال : سمعت[٣] رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « **يحشر الله –عز وجل– الناس يوم القيامة– أو قال: العباد– عراة غرلًا بُهمًا** » . قلت[٤] : وما « **بهمًا** ؟» قال : ليس معهم شيء « **ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد ، كما يسمعه من قرب : أنا الملك ، أنا الديان ، لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتىٰ أقصه منه ، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وله عند أحد[٥] من أهل النار حق حتىٰ أقصه منه ، حتىٰ اللطمة** » . قال : قلنا : كيف وإنما نأتي الله –عز وجل– عراة غرلًا بهمًا؟ قال: «**بالحسنات والسيئات**» .

وعن شعبة ، عن العوام بن مزاحم ، عن أبي عثمان ، عن عثمان بن عفان –رضي اللّٰه عنه– أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **إن الجماء لتقتص من القرناء يوم القيامة** » . رواه عبد اللّٰه ابن الإمام أحمد(٧٢) ، وله شواهد من وجوه أخر ، قد ذكرناها عند قوله تعالىٰ : **﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا ﴾** وعند قوله تعالى : **﴿ إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون ﴾** .

---

(٧١) **إسناد حسن** ، أخرجه أحمد (٤٩٥/٣) ، والبخاري في الأدب المفرد - (٩٧٠) ، وفي خلق أفعال العباد (٥٩) من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل به .

وذكره البخاري معلقًا في الصحيح - كتاب العلم ، باب : « الخروج في طلب العلم » - (١٧٣/١) . وله طرق أخرى عن جابر - انظر فتح الباري لابن حجر - (١٧٤/١) .

(٧٢) تقدم تخريجه [سورة الأنعام / آية ٣٩/ رقم ٤٧] .

---

[١] - في ز : « رحل » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في خ : « فسمعته » .
[٤] - في خ : « فقلت » .
[٥] - في ت : « رجل » .

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾

يقول تعالىٰ منبهًا بني آدم علىٰ عداوة إبليس لهم ولأبيهم من قبلهم ، ومقرعًا لمن اتبعه منهم ، وخالف خالقه ومولاه ، الذي أنشأه وابتداه ، بألطاف رزقه غذاه ، ثم بعد هذا كله والىٰ إبليس ، وعادىٰ الله ، فقال تعالىٰ : ﴿ **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا** ﴾ ، أي : لجميع الملائكة كما تقدم تقريره في أول سورة البقرة ﴿ **اسجدوا لآدم** ﴾ أي : سجود تشريف وتكريم وتعظيم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرًا من صلصال من حمأ مسنون * فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **فسجدوا إلا إبليس كان من الجن** ﴾ أي : خانه أصله ، فإنه خلق من مارج من نار ، وأصل خلق الملائكة من نور ، كما ثبت في صحيح مسلم(٧٣) عن عائشة ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « **خلقت الملائكة من نور ، وخلق إبليس من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم** » . فعند الحاجة نضح كل وعاء بما فيه ، وخانه الطبع عند الحاجة ، وذلك أنه كان قد توسم بأفعال الملائكة ، وتشبه بهم وتعبد وتنسك ، فلهذا دخل في خطابهم وعصىٰ بالمخالفة .

ونبه تعالىٰ هاهنا علىٰ أنه من الجن ، أي : علِما[١] أنه خلق من نار ، كما قال : ﴿ **أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين** ﴾ . قال الحسن البصري : ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط ، وإنه لأصل الجن ، كما أن آدم - عليه السلام - أصل البشر . رواه ابن جرير(٧٤) بإسناد صحيح .

وقال الضحاك عن ابن عباس: كان إبليس من حي من أحياء الملائكة، يقال لهم[٢]

---

(٧٣) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الزهد والرقائق ، باب : في أحاديث متفرقة ، (٦٠) - (٢٩٩٦) . وانظر ما تقدم [سورة الأعراف/ آية ١٢/ ح ١٣ ، ١٤] .

(٧٤) **إسناده صحيح** ، أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٢٦/١) (٢٦٠/١٥) ، وأبو الشيخ في العظمة - (١١٤٥،١١٢٩) (١٦٩٠،١٦٨١/٥) . وابن الأنباري في الأضداد (ص٣٣٧) . من طريقين عن عوف الأعرابي عن الحسن البصري به .

---

[١] - سقط من ز. [٢] - في ت : « له » .

الجن، خلقوا من نار السموم من بين الملائكة، قال: وكان اسمه الحارث، وكان خازنًا من خزان الجنة، وخلقت الملائكة من نور غير[١] هذا الحي. قال: وخلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار، وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا التهبت.

وقال الضحاك أيضًا عن ابن عباس: كان إبليس من أشراف[٢] الملائكة وأكرمهم قبيلة، وكان خازنًا على الجنان، وكان له سلطان [السماء][٣] الدنيا وسلطان الأرض، وكان مما سولت له نفسه من قضاء الله: أنه رأى أن له بذلك شرفًا على أهل السماء، فوقع من ذلك في قلبه كبر لا يعلمه إلا الله، فاستخرج الله ذلك الكبر منه حيث أمره بالسجود لآدم ﴿ **فاستكبر وكان من الكافرين** ﴾.

قال ابن عباس: وقوله: ﴿ **كان من الجن** ﴾، أي: من خزان الجنان[٤]، [كما يقال للرجل: مكي، ومدني، وبصري، وكوفي. وقال ابن جريج، عن ابن عباس نحو ذلك.

وقال سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: هو من خزان الجنة][٥]، وكان يدبر أمر السماء الدنيا. رواه ابن جرير من حديث الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد به.

وقال سعيد بن المسيب: كان رئيس ملائكة سماء الدنيا.

وقال ابن إسحاق عن خلاد بن عطاء، عن طاوس، عن ابن عباس قال: كان إبليس قبل أن يركب المعصية من الملائكة اسمه[٦] عزازيل، وكان من سكان الأرض، وكان من أشد الملائكة اجتهادًا وأكثرهم علمًا، فذلك دعاه إلى الكبر، وكان من حي يسمون: جنًّا[٧].

وقال ابن جريج، عن صالح مولى التوأمة، وشريك بن أبي نمر - أحدهما أو كلاهما - عن ابن عباس قال: إن من الملائكة قبيلة من الجن، وكان إبليس منها، وكان يسوس ما بين السماء والأرض، فعصى، فسخط الله عليه، فمسخه شيطانًا رجيمًا، لعنه الله ممسوخًا. قال: وإذا كانت خطيئة الرجل في كبر فلا ترجه، وإذا كانت في معصية فارجه.

وعن سعيد بن جبير أنه قال: كان من الجنانين الذين يعملون في الجنة.

---

[١] - في ز، خ: «من».
[٢] - في خ: «أشرف».
[٣] - سقط من ت.
[٤] - في ز: «الجنة».
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٦] - سقط من: ز.
[٧] - في ز: «جنًّا».

وقد روي في هذا آثار كثيرة عن السلف ، وغالبها من الإسرائيليات التي تنقل لينظر فيها ، والله أعلم بحال كثير منها ، ومنها ما قد يقطع بكذبه ؛ لمخالفته الحق الذي بأيدينا ، وفي القرآن غنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة ؛ لأنها لاتكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان ، وقد وضع فيها أشياء كثيرة ، وليس لهم من الحفاظ المتقنين الذين ينفون[١] عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين ، كما لهذه الأمة من الأئمة العلماء ، والسادة الأتقياء ، والأبرار النجباء ، من الجهابذة النقاد ، والحفاظ الجياد ، الذين دونوا الحديث وحرروه ، وبينوا صحيحه من حسنه ، من ضعيفه من منكره ، وموضوعه ومتروكه ومكذوبه ، وعرفوا الوضاعين والكذابين والمجهولين ، وغير ذلك من أصناف الرجال ، كل ذلك صيانة للجناب النبوي والمقام المحمدي ، خاتم الرسل وسيد البشر صلىٰ الله عليه وسلم أن ينسب إليه كذب ، أو يحدث عنه بما ليس منه[٢] ، فرضي الله عنهم وأرضاهم ، وجعل جنات الفردوس مأواهم ، وقد فعل .

وقوله : ﴿ **ففسق عن أمر ربه** ﴾ ، أي : فخرج عن طاعة الله ؛ فإن الفسق : هو الخروج ، يقال[٣] : فسقت الرطبة ، إذا خرجت من أكمامها ، وفسقت الفأرة من جُحْرِها ، إذا خرجت منه للعيث[٤] والفساد .

ثم قال تعالى مقرعًا وموبخًا لمن اتبعه وأطاعه : ﴿ **أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني** ﴾ أي : بدلًا عني ؛ ولهذا قال : ﴿ **بئس للظالمين بدلًا** ﴾ .

وهذا المقام كقوله بعد ذكر القيامة وأهوالها ، ومصير كل من الفريقين ؛ السعداء والأشقياء في سورة يس : ﴿ **وامتازوا اليوم أيها المجرمون ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جبلًا كثيرًا أفلم تكونوا تعقلون** ﴾ .

﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾

يقول تعالىٰ : هؤلاء الذين اتخذتموهم أولياء من دوني عبيد أمثالكم ، لا يملكون شيئًا ، ولا أشهدتهم [خلقي للسموات][٥] والأرض ، ولا كانوا إذ ذاك موجودين ؛ يقول تعالىٰ :

---

[١] - في ز : « يتقون » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ز : « يقول » .
[٤] - في ز : « للعبث » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في خ : « خلق السموات » .

أنا المستقل بخلق الأشياء كلها ، ومدبرها ومقدرها وحدي ، ليس معي في ذلك شريك ولا وزير ، ولا مشير ولا نظير ، كما قال : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ومالهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ...﴾ . الآية؛ ولهذا قال : ﴿وما كنت متخذ المضلين عضدًا﴾ قال مالك : أعوانًا .

وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عما يخاطب به المشركين يوم القيامة علىٰ رءوس الأشهاد ، تقريعًا لهم وتوبيخًا : ﴿ نادوا شركائي الذين زعمتم ﴾ أي : في دار الدنيا ، ادعوهم اليوم ينقذونكم مما أنتم فيه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ ولقد جئتمونا فرادىٰ كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرىٰ معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون ﴾ .

وقوله : [﴿ فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ﴾ ، كما قال :﴿ فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون ﴾ ، وقال : ﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لايستجيب له إلىٰ يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ واتخذوا من [دون الله][١] آلهة ليكونوا لهم عزًا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدًا ﴾ .

وقوله : ﴿ وجعلنا بينهم موبقًا ﴾ قال ابن عباس وقتادة وغير واحد : مهادًا .

وقال قتادة : ذكر لنا أن عمرًا[٢] البكالي حدث عن عبد الله بن عمرو قال : هو واد عميق ، فرق به يوم القيامة بين أهل الهدىٰ وأهل الضلالة .

وقال قتادة ﴿ مَوْبِقًا ﴾ : واديًا في جهنم .

وقال ابن جرير(٧٥) : حدثني محمد بن سنان القزاز ، حدثنا عبد الصمد ، حدثنا يزيد بن

(٧٥) ابن جرير في تفسيره (٢٦٥/١٥) ، وأخرجه البيهقي في « البعث » (٤٧٢) من طريق علي بن المديني حدثنا عبد الصمد به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤١٤/٤) إلى أحمد في الزهد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « دونه » . [٢] - في ز ، خ : « عمر » .

رهم[١] ، سمعت أنس بن مالك يقول في قول اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **وجعلنا بينهم موبقًا** ﴾ ، قال : واد في جهنم من قيح ودم .

وقال الحسن البصري : ﴿ **موبقًا** ﴾ : عداوة .

والظاهر من السياق هاهنا : أنه المهلك ، ويجوز أن يكون واديًا في جهنم أو غيره ، إلا أن اللّٰه تعالىٰ أخبر أنه لا سبيل لهؤلاء المشركين ، ولا وصول لهم إلىٰ آلهتهم التي كانوا يزعمون في الدنيا ، وأنه يفرق بينهم وبينها في الآخرة ، فلا خلاص لواحد من الفريقين إلىٰ الآخر ، بل بينهما مهلك ، وهول عظيم وأمر كبير .

وأمّا إن جعل الضمير في قوله : ﴿ **بينهما** ﴾ عائدًا إلىٰ المؤمنين والكافرين ، كما قال عبداللّٰه ابن عمرو : إنه يفرق بين أهل الهدىٰ والضلالة به ، فهو كقوله تعالىٰ : ﴿ **ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون** ﴾ وقال : ﴿ **يومئذٍ يصدَّعُون** ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ **وامتازوا اليوم أيها المجرمون** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **ويوم نحشرهم جميعًا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون فكفىٰ باللّٰه شهيدًا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت وردوا إلىٰ اللّٰه مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ورأىٰ المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفًا** ﴾ ، أي : أنهم لما عاينوا جهنم حين جيء بها ، تقاد بسبعين ألف زمام ، مع كل زمام سبعون[٢] ألف ملك ، فإذا رأىٰ المجرمون النار تحققوا لا محالة أنهم مواقعوها ، ليكون ذلك من باب تعجيل الهم والحزن لهم ، فإن توقع العذاب والخوف منه قبل وقوعه عذاب ناجز .

وقوله[٣] : ﴿ **ولم يجدوا عنها مصرفًا** ﴾ ، أي : وليس لهم طريق يعدل بهم عنها ، ولا بد لهم منها .

قال ابن جرير(٧٦) : حدثني يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، عن دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أنه قال : « **إن [الكافر يرىٰ]**[٤] **جهنم ، فيظن أنها مواقعته من مسيرة أربعين سنة** » .

---

(٧٦) **إسناده ضعيف** ، ابن جرير في تفسيره - (١٥/٢٦٥) ورواية دراج أبي السمح عن أبي الهيثم ضعفها أبو داود وغيره ، وانظر ما بعده .

---

[١] - في م : « درهم » .
[٢] - في ز ، خ : « سبعين » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « الكافرين في » .

وقال الإمام أحمد(٧٧) : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ينصب للكافر مقدار خمسين ألف سنة كما لم يعمل في الدنيا ، وإن الكافر ليرىٰ جهنم ويظن أنها مواقعته من مسيرة أربعين سنة** » .

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ ﴾

يقول تعالىٰ : ولقد بينا للناس في هذا القرآن ، ووضحنا لهم الأمور ، وفصلناها كي لا يضلوا عن الحق ، ويخرجوا عن طريق الهدىٰ ، ومع هذا البيان ، وهذا الفرقان ، الإنسان كثير المجادلة والمخاصمة ، والمعارضة للحق بالباطل ، إلا من هدىٰ اللّٰه ، وبصره لطريق النجاة .

قال الإمام أحمد(٧٨) : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، عن الزهري ، أخبرني علي بن الحسين ، أن حسين بن علي أخبره ، أن علي بن أبي طالب أخبره : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم طرقه وفاطمة بنت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ليلة ، فقال : « **ألا تصليان ؟** » فقلت : يا رسول اللّٰه ؛ إنما أنفسنا بيد اللّٰه ، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا . فانصرف حين قلت ذلك ، ولم يرجع إليّ شيئًا ، ثم سمعته وهو مولّ[١] يضرب فخذه يقول[٢] :

(٧٧) - **إسناده ضعيف** ، المسند حديث رقم (١١٧٣١) (٧٥/٣) . وأخرجه أبو يعلى (١٣٨٥/٢) حدثنا زهير ، حدثنا الحسن بن موسى به . وابن حبان (٢٥٨١/٨ - موارد) ، والحاكم في « المستدرك » (٤/ ٥٩٧) . من طرق ثلاثة عن ابن وهب ، قال : أخبرني عمرو بن الحارث عن دراج به .
وقال الحاكم : « صحيح الإسناد » ووافقه الذهبي . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٣٣٩/١٠) وقال : « رواه أحمد وأبو يعلى ، وإسناده حسن على ما فيه من ضعف » . وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٤١٥/٤) إلى ابن مردويه .

فائدة :
وقع هذا الحديث في « صحيح ابن حبان » - المطبوع - (٧٣٥٢/١٦) من طريق ابن وهب قال : أخبرني عمرو بن الحارث أن أبا السمح حدثه عن ابن حُجَيْرة عن أبي هريرة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : فذكر هذا الحديث .

(٧٨) أخرجه أحمد (١١٢/١) و(٩١/١) من طريق آخر عن محمد بن مسلم الزهري به .
وابنه عبد الله في زياداته على المسند (٧٧/١) من طريق الليث بن سعد عن عقيل عن الزهري بهذا الإسناد .
وأخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التهجد ، باب : تحريض النبي صلى الله عليه وسلم على =

[١] - في ز ، خ : « يقول » . [٢] - سقط من : خ .

﴿ وكان الإنسان أكثر شيء جدلًا ﴾ . أخرجاه في الصحيحين .

وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَـٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَـٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾

يخبر تعالىٰ عن تمرد الكفرة في قديم الزمان وحديثه ، وتكذيبهم بالحق البين الظاهر ، مع ما يشاهدون من الآيات والدلالات الواضحات ، وأنه مامنعهم من اتباع ذلك إلا طلبهم أن يشاهدوا العذاب الذي وعدوا به عيانًا ، كما قال أولئك لنبيهم : ﴿ **فأسقط علينا كسفًا من السماء إن كنت من الصادقين** ﴾ وآخرون قالوا : ﴿ **ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين** ﴾ ، وقالت قريش : ﴿ **اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم** ﴾ ، ﴿ **وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين** ﴾ إلى غير ذلك [من الآيات الدالة على ذلك][١] .

ثم[٢] قال : ﴿ **إلا أن تأتيهم سنة الأولين** ﴾ ، من غشيانهم بالعذاب ، وأخذهم عن آخرهم ، ﴿ **أو يأتيهم العذاب قبلًا** ﴾ أي : يرونه عيانًا مواجهة ومقابلة[٣] . ثم قال تعالىٰ : ﴿ **وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين** ﴾ ، أي : قبل العذاب مبشرين من صدقهم وآمن بهم ، ومنذرين من كذبهم وخالفهم .

ثم أخبر عن الكفار بأنهم : يجادلون ﴿ **بالباطل ليدحضوا به** ﴾ ، أي : ليضعفوا به ﴿ **الحق** ﴾ الذي جاءتهم به الرسل ، وليس ذلك بحاصل لهم ﴿ **واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوًا** ﴾ ، أي : اتخذوا الحجج والبراهين ، وخوارق العادات التي بعث بها الرسل ، وما أنذروهم وخوفوهم به من العذاب ﴿ **هزوًا** ﴾ ، أي : سخروا منهم في ذلك ، وهو أشد التكذيب .

= صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب ... (١١٢٧) (٣/١٠) . ومسلم في صحيحه - كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب : ما روى فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح - (٢٠٦) - (٧٧٥) . والنسائي - كتاب قيام الليل ، باب : الترغيب في قيام الليل - (٣/٢٠٥-٢٠٦،٢٠٦) من طرق عن الزهري به .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾

يقول تعالىٰ : وأي عباد الله أظلم ممن ذكر بآيات الله فأعرض عنها ، أي : تناساها وأعرض عنها ، ولم يصغ لها ، ولا ألقىٰ إليها بالًا ﴿ **ونسي ما قدمت يداه** ﴾ ، أي : من الأعمال السيئة والأفعال القبيحة ﴿ **إنا جعلنا علىٰ قلوبهم** ﴾ أي : قلوب هؤلاء ﴿ **أكنة** ﴾ ، أي : أغطية وغشاوة ﴿ **أن يفقهوه** ﴾ ، أي : لئلا يفهموا هذا القرآن والبيان ، ﴿ **وفي آذانهم وقرًا** ﴾ ، أي: صممًا معنويًّا عن الرشاد ﴿ **وإن تدعهم إلىٰ الهدىٰ فلن يهتدوا إذًا أبدًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وربك الغفور ذو الرحمة** ﴾ ، أي : و[١] ربك - يا محمد - غفور ذو رحمة واسعة ، ﴿ **لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب** ﴾ ، كما قال : ﴿ **ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك علىٰ ظهرها من دابة** ﴾ وقال : ﴿**وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب**﴾ والآيات في هذا كثيرة .

ثم أخبر أنه يحلم ويستر ويغفر ، وربما هدىٰ بعضهم من الغي إلىٰ الرشاد ، ومن استمر منهم فله يوم يشيب فيه الوليد ، وتضع كل ذات حمل حملها ؛ ولهذا قال : ﴿ **بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلًا**﴾ أي: ليس لهم عنه محيد ولا محيص ولا معدل .

وقوله : ﴿ **وتلك القرىٰ أهلكناهم لما ظلموا** ﴾ أي : الأمم السالفة والقرون الخالية أهلكناهم بسبب كفرهم وعنادهم ﴿ **وجعلنا لمهلكهم موعدًا** ﴾ أي : جعلناه إلىٰ مدة معلومة ووقت معين ، لا يزيد ولا ينقص ، أي : وكذلك أنتم أيها المشركون ، احذروا أن يصيبكم ما أصابهم ، فقد كذبتم أشرف رسول وأعظم نبي ، ولستم بأعز علينا منهم ، فخافوا عذابي ونذر .

---

[١] - سقط من خ .

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾

سبب قول موسىٰ لفتاه - وهو يوشع بن نون - هذا الكلام أنه ذُكر له أن عبدًا من عباد الله بمجمع البحرين، عنده من العلم ما لم يحط[١] به موسىٰ، فأحب الذهاب إليه، وقال لفتاه ذلك: ﴿لا أبرح﴾، [أي: لا أزال سائرًا][٢] ﴿حتىٰ أبلغ مجمع البحرين﴾ أي: [لا أزال سائرًا حتى أبلغ][٣] هذا المكان الذي فيه مجمع البحرين، قال الفرزدق:

فما برحوا حتى تهادت نساؤهم ببطحاء ذي قار عياب[٤] اللطائم

قال قتادة وغير واحد: وهما بحر فارس مما يلي المشرق، وبحر الروم مما[٥] يلي المغرب.

وقال محمد بن كعب القرظي: مجمع البحرين عند طنجة. يعني في أقصىٰ بلاد المغرب. فالله أعلم.

وقوله: ﴿أو أمضي حقبًا﴾ أي: ولو أني أسير حقبًا من الزمان.

قال ابن جرير(٧٩) - رحمه الله -: ذكر بعض أهل العلم بكلام العرب أن الحقب في لغة قيس: سنة. ثم روي عن عبد الله بن عمرو أنه قال: الحقب ثمانون سنة. وقال مجاهد: سبعون خريفًا. وقال عليّ بن أبي طلحة: عن ابن عباس، قوله: ﴿أو أمضي حقبًا﴾،

---

(٧٩) انظر تفسير ابن جرير - (٢٧١/١٥).

---

[١] - في ز: « يحيط ».
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز.
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من خ.
[٤] - في ز: « عات ».
[٥] - في خ، ت: « ما ».

قال : دهرًا . وقال قتادة ، وابن زيد مثل ذلك .

وقوله : ﴿ **فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما** ﴾ ، وذلك أنه كان قد أمر بحمل حوت مملوح معه ، وقيل له : متىٰ فقدت الحوت فهو ثمة ، فسارا حتىٰ بلغا مجمع البحرين ، وهناك عين يقال لها عين الحياة ، فناما هنالك ، وأصاب الحوت من رشاش ذلك الماء ، فاضطرب ، وكان في مكتل مع يوشع ، وطفر من المكتل إلىٰ البحر ، فاستيقظ يوشع عليه السلام وسقط الحوت في البحر ، وجعل يسير فيه ، والماء له مثل الطاق لا يلتئم بعده ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **فاتخذ سبيله في البحر سربًا** ﴾ أي : مثل السرب في الأرض .

قال ابن جريج : قال ابن عباس : صار أثره كأنه حجر.

وقال العوفي عن ابن عباس : جعل الحوت لا يمس شيئًا من البحر إلا ييس ، حتىٰ يكون[١] صخرة .

وقال محمد بن إسحاق(٨٠) : عن الزهري ، عن عبيد اللّٰه بن عبد اللّٰه ، عن ابن عباس ، عن أبيّ بن كعب قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم حين ذكر حديث ذلك : « **ما انجاب ماء منذ كان الناس غيره ، ثبت مكان الحوت الذي فيه ، فانجاب كالكوة حتىٰ رجع إليه موسىٰ فرأىٰ مسلكه فقال : ﴿ ذلك ماكنا نبغ ﴾** » .

وقال قتادة : سرب[٢] من الجر[٣] حتىٰ أفضىٰ إلىٰ البحر ، ثم سلك ، فجعل لايسلك فيه طريقًا إلا جعل ماء جامدًا .

وقوله : ﴿ **فلما جاوزا** ﴾ ، أي : المكان الذي نسيا الحوت فيه . ونسب النسيان إليهما وإن كان يوشع هو الذي نسيه ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان** ﴾ وإنما يخرج من المالح في أحد القولين.

فلما ذهبا عن المكان الذي نسياه فيه مرحلة ﴿ **قال** ﴾ موسىٰ ﴿ **لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا** ﴾ أي : الذي جاوزا فيه المكان ﴿ **نصبًا** ﴾ ، يعني : تعبًا ﴿ **قال أرأيت إذ أوينا إلىٰ الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره** ﴾ قال قتادة : وقرأ ابن مسعود : [وما أنسانيه][٤] [أن أذكره][٥] [إلا الشيطان][٦] ؛ ولهذا

(٨٠) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٧٣/١٥) حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثني محمد بن إسحاق به . وذكره السيوطي في الدر المنثور - (٤٢٦/٤) وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه .

[١] - في خ : « تكون » .

[٢] - في خ : « سربه » .

[٣] - في خ ، ت : « البر » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ز : « أن أذكركه » .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

قال : ﴿ واتخذ سبيله ﴾ أي : طريقه ﴿ في البحر عجبا * قال ذلك ما كنا نبغ ﴾ أي : هذا هو[١] الذي نطلب ﴿ فارتدا ﴾ ، أي : رجعا ﴿ علىٰ آثارهما قصصًا ﴾ ، أي : طريقهما ﴿ قصصًا ﴾ ، أي : يقصان آثار مشيهما ، ويقفوان أثرهما .

﴿ فوجدا عبدًا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علمًا ﴾ ، وهذا هو الخضر - عليه السلام - كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بذلك .

قال البخاري(٨١) : حدثنا الحميدي ، حدثنا سفيان ، حدثنا عمرو بن دينار ، أخبرني سعيد ابن جبير ، قال : قلت لابن عباس : إن نوفًا البكالي[٢] يزعم أن موسىٰ صاحب الخضر ليس هو موسىٰ صاحب بني إسرائيل ؟!

قال ابن عباس : كذب عدو اللَّه ، حدثنا أبيّ بن كعب - رضي اللَّه عنه - أنه سمع رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « إن موسىٰ قام خطيبًا في بني إسرائيل ، فسئل : أي الناس أعلم ؟ فقال[٣] : أنا . فعتب اللَّه عليه إذ لم يرد العلم إليه ، فأوحىٰ اللَّه إليه : إن لي عبدًا بمجمع البحرين هو أعلم منك . فقال موسىٰ : يارب ؛ وكيف لي به ؟ قال : تأخذ معك حوتًا تجعله بمكتل ، فحيثما فقدت الحوت فهو ثَمَّ . فأخذ حوتًا فجعله بمكتل ، ثم انطلق وانطلق معه بفتاه يوشع بن نون -عليهما[٤] السلام - حتىٰ إذا أتيا الصخرة وضعا رءوسهما فناما ، واضطرب الحوت في المكتل ، فخرج منه فسقط في البحر ﴿ فاتخذ سبيله في البحر سربًا ﴾ وأمسك اللَّه عن الحوت جرية الماء ، فصار عليه مثل الطاق ، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت ، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما ، حتىٰ إذا كان من الغد قال موسىٰ لفتاه : ﴿ آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبًا ﴾ ولم يجد موسىٰ النصب حتىٰ جاوز المكان الذي أمره اللَّه به ، قال له فتاه : ﴿ أرأيت إذ أوينا إلىٰ الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبًا ﴾ قال : فكان للحوت سربًا ، ولموسىٰ وفتاه عجبًا ﴿ فقال ذلك ما كنا نبغي فارتدا

(٨١) أخرجه البخاري - كتاب التفسير ، باب : « وإذ قال موسى لفتاه ... (٤٧٢٥) ، وأخرجه مسلم - كتاب الفضائل ، باب : من فضائل الخضر ، عليه السلام (١٧٠) - (٢٣٨٠) . وأبو داود - كتاب السنة ، باب : في القدر - (٤٧٠٧) مختصرًا ، والترمذي - كتاب تفسير القرآن ، باب : « ومن سورة الكهف » - (٣١٤٩) والنسائي في الكبرى - كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : « أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة ... » (١١٣٠٨) - (٣٨٩/٦) . وأحمد في مسنده (١١٨/٥) . من طرق عن سفيان بن عيينة به .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « البكاي » .
[٣] - في خ ، ت : « قال » .
[٤] - في ت : « عليها » .

علىٰ آثارهما قصصًا ﴾ قال : فرجعا يقصان أثرهما [حتىٰ انتهيا إلىٰ الصخرة][١] ، فإذا رجل مسجًّى بثوب ، فسلم عليه موسىٰ ، فقال الخضر : وأنىٰ بأرضك السلام ؟ قال : أنا موسىٰ . قال : موسىٰ بني إسرائيل ؟ قال : نعم ، أتيتك لتعلمني مما علمت رشدًا . **﴿ قال إنك لن تستطيع معي صبرًا ﴾** ، يا موسىٰ ، إني علىٰ علم من علم اللَّه علمنيه لا تعلمه أنت ، وأنت علىٰ علم من علم اللَّه علمكه اللَّه لا أعلمه . فقال موسىٰ : **﴿ ستجدني إن شاء اللَّه صابرًا ولا أعصي لك أمرًا ﴾** قال له الخضر : **﴿ فإن[٢] اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتىٰ أحدث لك منه ذكرًا ﴾** .

فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ، فمرت سفينة فكلمهم أن يحملوه ، فعَرَفوا الخضر فحملوه[٣] بغير نول ، فلما ركبا في السفينة ، لم يَفْجأ إلا والخضر قد قلع لوحًا من ألواح السفينة بالقدوم ، فقال له موسىٰ : قد حملونا بغير نول ، فعمدت إلىٰ سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها ؟ ! **﴿ لقد جئت شيئًا إمرًا * قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرًا * قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرًا ﴾** » - قال : وقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **كانت[٤] الأولىٰ من موسىٰ نسيانًا** » . قال : « **وجاء عصفور فنزل علىٰ حرف السفينة ، فنقر في البحر نقرة[٥] ، فقال له الخضر : ما علمي وعلمك في علم اللَّه إلا مثل مانقص هذا العصفور من هذا البحر .**

ثم خرجا من السفينة ، فبينما هما يمشيان علىٰ الساحل ، إذا أبصر[٦] الخضر غلامًا يلعب مع الغلمان ، فأخذ الخضر رأسه فاقتلعه بيده فقتله ، فقال له موسىٰ : **﴿ أقتلت نفسًا زكية بغير نفس لقد جئت شيئًا نكرًا ﴾** قال : **﴿ ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرًا ﴾** قال : « **وهذه أشد من الأولىٰ ﴿ قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرًا * فانطلقا حتىٰ إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارًا يريد أن ينقض ﴾** قال : مائل[٧] . فقال الخضر بيده **﴿ فأقامه ﴾** فقال موسىٰ : قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا ، **﴿ لو شئت لاتخذت عليه أجرًا * قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرًا ﴾** » فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **وددنا أن موسىٰ كان صبر ؛ حتىٰ يقص اللَّه علينا من خبرهما** » .

قال سعيد بن جبير : كان ابن عباس يقرأ : (**وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبًا**) ، وكان يقرأ : (**وأما الغلام فكان كافرًا وكان أبواه مؤمنين**) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - في خ : « قال فإن » .

[٣] - في ز : « فحملوهم » .

[٤] - في خ ، ت : « فكانت » .

[٥] - سقط من : خ .

[٦] - في ز : « بصر » .

[٧] - في ز : « مائلًا » .

ثم رواه البخاري(٨٢) عن قتيبة، عن سفيان بن عيينة ... فذكر نحوه وفيه: «**فخرج موسىٰ، ومعه فتاه يوشع بن نون، ومعهما الحوت، حتىٰ انتهيا إلىٰ الصخرة، فنزلا عندها**»، قال: «**فوضع موسىٰ رأسه فنام**»، قال سفيان: وفي حديث غير عمرو قال: «**وفي أصل الصخرة عين يقال لها: الحياة، لا يصيب من مائها شيء إلا حيي، فأصاب الحوت من ماء تلك العين**». قال: «**فتحرك، وانسل من [ ][١] المكتل فدخل البحر، فلما استيقظ قال موسىٰ لفتاه: ﴿آتنا غداءنا﴾**». كذا قال، وساق الحديث: «**ووقع عصفور علىٰ حرف السفينة، فغمس منقاره في البحر، فقال الخضر لموسىٰ: ما علمي، وعلمك وعلم الخلائق في علم الله إلا مقدار ما غمس هذا العصفور منقاره**. وذكر تمامه بنحوه.

وقال البخاري(٨٣) أيضًا: حدثنا إبراهيم بن موسىٰ، حدثنا هشام بن يوسف، أن ابن جريج أخبرهم، قال: أخبرني يعلىٰ بن مسلم، وعمرو بن دينار، عن سعيد بن جبير يزيد أحدهما علىٰ صاحبه، وغيرهما قد سمعته يحدث عن سعيد بن جبير قال: إنا لعند ابن عباس في بيته إذ قال: سلوني. فقلت: أي أبا عباس - جعلني الله فداك - بالكوفة رجل قاص يقال له: نوف، يزعم أنه ليس بموسىٰ بني إسرائيل؟ أما عمرو فقال لي: قال: كذب عدو الله! وأما يعلىٰ فقال لي: قال ابن عباس: حدثني أبيّ بن كعب قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «**موسىٰ رسول الله ذكر الناس يومًا، حتىٰ إذا فاضت العيون، ورقت القلوب، ولّىٰ، فأدركه رجل، فقال: أي رسول الله، هل في الأرض [أحد][٢] أعلم منك؟ قال: لا. فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم [إلىٰ الله][٣]، قيل: بلىٰ. قال: أي[٤] رب، وأين؟ قال: بمجمع البحرين. قال: أي[٥] رب، اجعل لي[٦] علمًا أعلم [ذلك به][٧]**». [قال لي عمرو قال][٨]: **حيث يفارقك الحوت. وقال لي يعلىٰ: خذ حوتًا ميتًا حيث ينفخ فيه الروح فأخذ حوتًا فجعله في مكتل، فقال لفتاه: لا أكلفك إلا أن تخبرني حيث يفارقك الحوت. قال: ما كلفت كبيرًا. فذلك قوله: ﴿وإذ قال موسىٰ لفتاه﴾** يوشع بن نون - ليست عن[٩] سعيد بن

(٨٢) أخرجه البخاري - كتاب التفسير، باب «قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة» (٤٧٢٧) حدثني قتيبة بن سعيد حدثني سفيان بن عيينة به.

(٨٣) أخرجه البخاري - كتاب التفسير، باب: فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما .... » (٤٧٢٦).

[١] - ما بين المعكوفتين في ز، خ: «تلك».
[٢] - سقط من: ز، خ.
[٣] - ما بين المعكوفتين في خ: «إليه».
[٤] - سقط من: ز، خ.
[٥] - سقط من: خ.
[٦] - سقط من: ز.
[٧] - ما بين المعكوفتين في خ: «به ذلك».
[٨] - في خ: «قال لي عمرو».
[٩] - في خ، ت: «عند».

جبير - قال : فبينا هو في ظلِّ صخرة ، في مكان ثريان إذ تضرب الحوت وموسىٰ نائم ، فقال فتاه : لا أوقظه . حتىٰ إذا استيقظ نسي أن يخبره ، وتضرب الحوت حتىٰ [ ][١] دخل[٢] البحر ، فأمسك اللَّه عنه جزيَةَ الماء ، [حتىٰ كأن أثره][٣] في[٤] حجر .

[قال : فقال لي عمرو : هكذا كأن أثره في حجر][٥] ، وحلق بين إبهاميه والتي تليانهما[٦] . قال : ﴿ لقد لقينا من سفرنا هذا نصبًا ﴾ قال[٧] : وقد قطع اللَّه عنك[٨] النصب - ليست هذه عن سعيد - أخبر **فرجعا فوجدا خضرًا** . قال : قال عثمان بن أبي سلمان : « **علىٰ طنفسة خضراء علىٰ كبد البحر** » . قال سعيد بن جبير : « **مسجى بثوب قد جعل طرفه تحت رجليه ، وطرفه تحت رأسه** » . « **فسلم عليه موسىٰ فكشف عن وجهه ، وقال : هل بأرضٍ من سلام ؟ من أنت ؟ قال : أنا موسىٰ . قال : موسىٰ بني إسرائيل ؟ قال : نعم . قال : فما شأنك ؟ قال : جئتك لتعلمني مما علمت رشدًا . قال : يكفيك التوراة بيدك وأن الوحي يأتيك ! يا موسىٰ ، إن لي علمًا لا ينبغي لك أن تعلمه ، وإن لك علمًا لا ينبغي لي أن أعلمه . فأخذ طائر بمنقاره من البحر ، [فقال : واللَّه ما علمي وعلمك في جنب علم اللَّه ، إلا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر][٩] . حتىٰ إذا ركبا في السفينة وجدا [معابر صغارًا][١٠] ، تحمل أهل هذا الساحل إلىٰ هذا الساحل الآخر - عرفوه - فقالوا : عبد اللَّه الصالح** » - قال : فقلنا لسعيد : خضر ؟ قال : نعم - « **لا نحمله بأجر . فخرقها ووتد فيها وتدًا ، قال موسىٰ : ﴿ أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئًا إمرًا ﴾** » قال مجاهد : منكرًا « **﴿ قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرًا ﴾** كانت الأولىٰ نسيانًا ، والوسطى شرطًا ، والثالثة عمدًا **﴿ قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرًا * فانطلقا ﴾** حتىٰ [ ][١١] لقيا غلامًا فقتله » قال يعلى: قال سعيد : وجد غلمانًا يلعبون فأخذ غلامًا كافرًا ظريفًا ، فأضجعه ثم ذبحه بالسكين ، فقال : **﴿ أقتلت نفسًا زكية ﴾** لم تعمل بالحنث ؟ وابن عباس قرأها : (زكيّة زاكيّة مُسْلِمَة) كقولك : غلامًا زكيًا . فانطلقا فوجدا جدارًا يريد أن ينقض فأقامه . قال سعيد[١٢] بيده هكذا ، ورفع يده فاستقام ، **﴿ قال لو شئت لاتخذت عليه أجرًا ﴾** قال يعلىٰ : حسبت أن سعيدًا قال : فمسحه بيده فاستقام **﴿ قال لو شئت لاتخذت عليه أجرًا ﴾** قال

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « إذا » .
[٢] - بعده في خ ، ت : في .
[٣] - في خ : « حتى إذا كان أثره حجر » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز : ، خ « يليهما » . والمثبت من الصحيح . [٧] - سقط من : ز .
[٨] - في ز : « منه » .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[١٠] - في ز : « مغائر صغائرا » ، خ : « مغاير صغاير » .
[١١] - ما بين المعكوفتين في ز : « إذا » .
[١٢] - سقط من : ز .

سعيد : أجرًا نأكله ﴿ **وكان وراءهم ملك** ﴾ وكان أمامهم ، قرأها ابن عباس : (أمامهم ملك) يزعمون عن غير سعيد أنه : هُدَد[١] بن بُدَد ، والغلام المقتول اسمه - يزعمون - حيسو[٢] . ﴿ **ملك يأخذ كل سفينة غصبًا** ﴾ فأردت إذا هي مرت به أن يدعها بعيبها ، فإذا جاوزه أصلحوها فانتفعوا بها ، ومنهم من يقول : سدوها بقارورة ، ومنهم من يقول : بالقار . ﴿ **كان أبواه مؤمنين** ﴾ وكان[٣] هو كافرًا ﴿ **فخشينا أن يرهقهما طغيانًا وكفرًا** ﴾ ، أن يحملهما حبه على أن يتابعاه على دينه ﴿ **فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرًا منه زكاة** ﴾ كقوله : ﴿ **أقتلت نفسًا زكية** ﴾ ، ﴿ **وأقرب رحمًا** ﴾ هما[٤] به أرحم منهما بالأول الذي قتل خضر . وزعم غير سعيد بن جبير : أنهما أبدلا جارية ، وأما داود بن أبي عاصم فقال عن غير واحد : إنها جارية .

وقال عبد الرزاق(٨٤) : أخبرنا معمر ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : خطب موسى - عليه السلام - بني إسرائيل ، فقال : ما أحد أعلم بالله وبأمره مني . فأمر أن يلقى هذا الرجل ، فذكر نحو ما تقدم بزيادة ونقصان والله أعلم .

وقال محمد بن إسحاق(٨٥) : عن الحسن بن عمارة ، عن الحكم بن عتيبة[٥] ، عن سعيد ابن جبير ، قال : جلست عند ابن عباس ، وعنده نفر من أهل الكتاب ، فقال بعضهم : يا أبا العباس ؛ إن نوفًا ابن امرأة كعب يزعم عن كعب : أن موسى النبي الذي طلب العالم إنما هو موسى بن ميشا . قال سعيد : فقال ابن عباس : أَنَوْفٌ يقول هذا [يا سعيد][٦] ؟ قال سعيد : فقلت له : نعم ، أنا سمعت نوفًا يقول ذلك . قال : أنت سمعته يا سعيد ؟ قال : قلت : نعم . قال : كذب نوف . ثم قال ابن عباس : حدثني أُبيّ بن كعب ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن موسى بني إسرائيل سأل ربه فقال : أي رب ؛ إن كان في عبادك أحد هو أعلم مني فدلني عليه . فقال له : نعم ، في عبادي من هو أعلم منك . ثم نعت له مكانه ، وأذن له في لقيه ، فخرج موسى ومعه فتاه ، ومعه حوت مليح ، قد قيل له : إذا حيي هذا الحوت في مكان فصاحبك هنالك ، وقد أدركت حاجتك . فخرج موسى

(٨٤) « التفسير » لعبد الرزاق (٢/٤٠٦) وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/٢٧٧، ٢٧٨) حدثنا الحسن بن يحيى قال : أخبرنا عبد الرزاق به مطولًا ومختصرًا .

(٨٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/٢٧٩) حدثنا ابن حميد قال : ثنا سلمة قال : ثنا ابن إسحاق عن الحسن بن عمارة به . والحسن بن عمارة هو البجلي ، قال الحافظ في التقريب : متروك .

[١] - في ز ، خ : « هود » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ت : وكان هو .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز : « عيينة » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

ومعه فتاه ، ومعه ذلك الحوت يحملانه ، فسار حتىٰ جهده السير ، وانتهىٰ إلىٰ الصخرة ، وإلىٰ ذلك الماء ، وذلك الماء ماء الحياة ، من شرب منه خلد ، ولا يقاربه شيء ميت إلا حيي ، فلما نزلا ومس الحوت الماء حيي ، فاتخذ[١] سبيله في البحر سربًا ، فانطلقا فلما جاوزا مُنْقَلَبه[٢] ، قال موسىٰ لفتاه : ﴿ **آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبًا** ﴾ قال الفتىٰ - وذكر - : ﴿ **أرأيت إذ أوينا إلىٰ الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبًا** ﴾ قال ابن عباس : فظهر موسىٰ علىٰ الصخرة ، حين[٣] انتهيا إليها ، فإذا رجل متلفف في كساء له ، فسلم موسىٰ ، فردّ عليه العالِم ، ثم قال له : ما جاء بك إن كان لك في قومك لشغل ؟ قال له موسىٰ : جئتك لتعلمني مما علمت رشدًا ﴿ **قال إنك لن تستطيع معي صبرًا** ﴾ وكان رجلًا يعلم علم الغيب ، قد عُلِّمَ ذلك ، فقال موسىٰ : بلىٰ . قال : ﴿ **وكيف تصبر علىٰ ما لم تحط به خبرًا** ﴾ ، أي : إنما تعرف [ظاهر ما][٤] ترىٰ من العدل ، ولم تحط من علم الغيب بما أعلم ﴿ **قال ستجدني إن شاء الله صابرًا ولا أعصي لك أمرًا** ﴾ وإن رأيت ما يخالفني . ﴿ **قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء** ﴾ [وإن أنكرته][٥] ﴿ **حتىٰ أحدث لك منه ذكرًا** ﴾ [ ][٦] فانطلقا يمشيان علىٰ ساحل البحر ، يتعرضان الناس ، يلتمسان من يحملهما ، حتىٰ مرّت بهما سفينة جديدة وثيقة ، لم يمرّ بهما [شيء][٧] من السفن أحسن ولا أكمل ولا أوثق منها ، فسأل أهلها أن يحملوهما فحملوهما ، فلما اطمأنا فيها وَلَجَّتْ بهما مع أهلها ، أخرج منقارًا له ومطرقة ، ثم عمد إلىٰ ناحية منها فضرب فيها المنقار[٨] حتىٰ خرقها ، ثم أخذ لوحًا فطبقه عليها ، ثم جلس عليها يرقعها ، فقال له موسىٰ - ورأىٰ[٩] أمرًا فظع به : - ﴿ **أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئًا إمرًا قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرًا قال لا تؤاخذني بما نسيت** ﴾ أي : مما[١٠] تركت من عهدك ﴿ **ولا ترهقني من أمري عسرًا** ﴾ ثم خرجا من السفينة ، فانطلقا حتىٰ أتيا أهل قرية ، فإذا غلمان يلعبون خلفها ، فيهم غلام ليس في الغلمان غلام أظرف منه ، ولا أثرىٰ ولا أوضأ منه ، فأخذه بيده وأخذ حجرًا فضرب به رأسه حتىٰ دمغه فقتله ، قال : فرأىٰ موسىٰ[١١] أمرًا فظيعًا لا صبر عليه : صبي صغير قتله لا ذنب له ﴿ **قال أقتلت نفسًا زكية** ﴾ ، [أي : صغيرة][١٢] ﴿ **بغير نفس لقد جئت شيئًا نكرًا * قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي**

---

[١] - في خ : « فأخذ » .
[٢] - في ز : « بمنقله » .
[٣] - في ز ، خ : حتى . والمثبت من تفسير الطبري .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « ظاهرها » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « أي » .
[٧] - سقط من ت .
[٨] - في ت : « بالمنقار » .
[٩] - في : « أي » .
[١٠] - في ت : « بما » .
[١١] - سقط من : خ .
[١٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

صبرًا * قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرًا ﴾ ، أي : قد أعْذَرتَ[١] في شأني .

﴿ فانطلقا حتىٰ إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارًا يريد أن ينقض ﴾ فهدمه ، ثم قعد يبنيه ، فضجر موسىٰ مما يراه يصنع من التكليف ، وما ليس له عليه صبر ، فقال : ﴿ لو شئت لاتخذت عليه أجرًا ﴾ ، أي : قد استطعمناهم فلم يطعمونا ، وضفناهم فلم يضيفونا ، ثم قعدت تعمل من غير صنيعة ، ولو شئت لأعطيت عليه أجرًا في[٢] عمله .

﴿ قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرًا أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبًا ﴾ و[٣] في قراءة أبيّ بن كعب : (كل سفينة صالحة) وإنما عبتها لأرده عنها ، فسلمت حين رأىٰ العيب الذي صنعت بها ﴿ وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانًا وكفرًا فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرًا منه زكاة وأقرب رحمًا وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحًا فأراد ربك أن يبلغا أشدّهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ﴾ ، أي : مافعلته عن نفسي ﴿ ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرًا ﴾ وكان ابن عباس يقول : ما كان الكنز إلا علمًا .

وقال العوفي(٨٦) : عن ابن عباس قال : لما ظهر موسىٰ وقومه علىٰ مصر ، أنزل قومه مصر[٤] ، فلما استقرت بهم الدار ، أنزل اللّٰه : أن ذكرهم بأيام اللّٰه . فخطب قومه ، فذكر ما آتاهم اللّٰه من الخير والنعمة ، وذكرهم إذ نجاهم اللّٰه من آل فرعون ، وذكرهم هلاك عدوهم ، وما استخلفهم اللّٰه في الأرض ، وقال : كلم اللّٰه نبيكم تكليمًا ، واصطفاني لنفسه ، وأنزل عليّ محبة منه ، وآتاكم اللّٰه[٥] من كل ما سألتموه ، فنبيكم أفضل أهل الأرض ، وأنتم تقرءون التوراة . فلم يترك نعمة أنعمها عليهم إلا[٦] وعرفهم إياها ، فقال له رجل من بني إسرائيل : هم كذلك يا نبي اللّٰه ، قد عرفنا الذي تقول ، فهل علىٰ الأرض أحد أعلم منك يا نبي اللّٰه ؟ [قال : لا][٧] فبعث اللّٰه جبرائيل إلىٰ موسىٰ - عليهما السلام - فقال : إن

---

(٨٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٨١/١٥) حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي قال ثنا عمي ، قال : ثنا أبي عن أبيه (عطية العوفي) عن ابن عباس فذكره .

---

[١] - في ز : « عذرت » .
[٢] - في ز : « من » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - ما بين المكوفتين سقط من : ز ، خ .

الله يقول : وما يدريك أين أضع علمي ؟ بلىٰ ، إن علىٰ شط البحر رجلًا هو أعلم منك[١] . قال ابن عباس : هو الخضر . فسأل موسىٰ ربه أن يريه إياه ، فأوحىٰ إليه أن ائت البحر ، فإنك تجد علىٰ شط البحر حوتًا فخذه ، فادفعه إلىٰ فتاك ، ثم الزم شط البحر فإذا نسيت الحوت وهلك منك ، فَثَمّ تجد العبد الصالح الذي تطلب . فلما طال سفر موسىٰ نبي الله ، ونصب فيه سأل فتاه - عن الحوت ، فقال له فتاه وهو غلامه - : ﴿ **أرأيت إذ أوينا إلىٰ الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره** ﴾ لك ، قال الفتىٰ : لقد رأيت الحوت حين اتخذ سبيله في البحر سربًا فأعجب ذلك موسىٰ[٢] ، فرجع حتىٰ أتىٰ الصخرة فوجد الحوت ، فجعل الحوت يضرب في البحر ، ويتبعه موسىٰ ، وجعل موسىٰ يقدم عصاه يفرج بها عنه الماء يتبع الحوت ، وجعل الحوت لا يمس شيئًا من البحر إلا يبس حتىٰ يكون صخرة[٣] ، فجعل نبي الله يعجب من ذلك ، حتىٰ انتهىٰ به الحوت إلىٰ جزيرة من جزائر البحر ، فلقي الخضر بها فسلم عليه ، فقال الخضر : وعليكِ السلام ، وأنىٰ يكون السلام بهذه الأرض ؟ ومن أنت ؟ قال : أنا موسىٰ . فقال الخضر : أَصَاحِب بني إسرائيل ؟ [قال : نعم][٤] فرحب به ، وقال : ما جاء بك ؟ قال : جئتك ﴿ **علىٰ أن تعلمن مما علمت رشدًا قال إنك لن تستطيع معي صبرًا** ﴾ يقول : لا تطيق ذلك . قال موسىٰ[٥] : ﴿ **ستجدني إن شاء الله صابرًا ولا أعصي لك أمرًا** ﴾ قال : فانطلق به وقال له : لا تسألني عن شيء أصنعه حتىٰ أبين لك شأنه . فذلك قوله : ﴿ **حتىٰ أحدث لك منه ذكرًا** ﴾ .

وقال الزهري(٨٧) : عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن ابن عباس : أنه تَمارىٰ هو والحُرّ بن قيس بن حصن[٦] الفزاري في صاحب موسىٰ ؛ فقال ابن عباس : هو خضر ، فمر بهما أُبيّ بن كعب ، فدعاه ابن عباس ، فقال : إني تماريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسىٰ الذي سأل السبيل إلىٰ لقيه ، فهل سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يذكر شأنه ؟ قال : إني سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : بينا موسىٰ - عليه السلام - في ملإ من بني إسرائيل ، إذ جاءه رجل فقال : تعلم مكان رجل أعلم منك ؟ قال : لا . فأوحىٰ الله إلىٰ موسىٰ : بلىٰ ، عبدنا خضر . فسأل موسىٰ السبيل إلىٰ لقيه ، فجعل الله له الحوت آية ، وقيل له : إذا فقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه . فكان[٧]

(٨٧) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب العلم ، باب : ما ذكر في ذهاب موسى - صلى الله عليه وسلم - في البحر إلى الخضر .... (٧٤) - (١٦٨/١) حدثني محمد بن غُرَيْر الزهري قال : حدثنا =

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - في خ : « قال » .
[٦] - في ز : خ : « خضر » .
[٧] - في خ : « فإن » .

موسىٰ يتبع أثر الحوت في البحر ، فقال فتىٰ موسىٰ لموسىٰ : ﴿ **أرأيت إذ أوينا إلىٰ الصخرة فإني نسيت الحوت** ﴾ قال موسىٰ : ﴿ **ذلك ما كنا نبغ فارتدا علىٰ آثارهما قصصًا** ﴾ فوجدا عبدنا خضرًا ، فكان من شأنهما ما قص الله في كتابه

قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾

يخبر تعالىٰ عن قيل موسىٰ - عليه السلام - لذلك الرجل[١] العالم وهو الخضر ، الذي خصه الله بعلم لم يطلع عليه موسىٰ ، كما أنه أعطىٰ موسىٰ من العلم ما لم يعطه الخضر ﴿ **قال له موسىٰ هل أتبعك** ﴾ سؤال بتلطف لا علىٰ وجه الإلزام والإجبار ، وهكذا ينبغي أن يكون سؤال المتعلم من العالم .

وقوله : ﴿ **أتبعك** ﴾ ، أي : أصحبك وأُرافقك ﴿ **علىٰ أن تعلمن مما علمت رشدًا** ﴾ ، أي : مما علمك الله[٢] شيئًا أسترشد به في أمري ؛ من علم نافع وعمل صالح ، فعندها ﴿ **قال** ﴾ الخضر لموسىٰ : ﴿ **إنك لن تستطيع معي صبرًا** ﴾ ، أي : أنت لا تقدر أن[٣] تصاحبني ؛ لما ترىٰ من الأفعال التي تخالف شريعتك ؛ لأني علىٰ علم من علم الله ما علمكه الله ، وأنت علىٰ علم من علم الله ما علمنيه الله ، فكل منا مكلف بأمور من الله دون صاحبه ، وأنت لا تقدر علىٰ صحبتي ﴿ **وكيف تصبر علىٰ مالم تحط به خبرًا** ﴾ فأنا أعرف أنك ستنكر عليَّ ما أنت معذور فيه ، ولكن ما اطلعت علىٰ حكمته ومصلحته الباطنة التي اطلعت أنا عليها دونك ﴿ **قال** ﴾ له موسىٰ : ﴿ **ستجدني إن شاء الله صابرًا** ﴾ ، أي: علىٰ ما أرىٰ من أمورك ﴿ **ولا أعصي لك أمرًا** ﴾ ، أي : ولا أخالفك في شيء ، فعند ذلك شارطه الخضر - عليه السلام - ﴿ **قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء** ﴾ ، أي : ابتداء ﴿ **حتىٰ أحدث لك منه ذكرًا** ﴾ ، أي : حتىٰ أبدأك أنا به قبل أن تسألني .

قال ابن جرير(٨٨) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يعقوب عن هارون بن عنترة ، عن أبيه ، عن

= يعقوب ابن إبراهيم قال : حدثني أبي عن صالح عن ابن شهاب - الزهري - به .

(٨٨) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/٢٧٧) . وهارون بن عنترة هو ابن عبد الرحمن الشيباني . وثقه=

[١] - سقط من : ز ، خ . [٢] - سقط من : ز .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

ابن عباس ، قال : سأل موسىٰ ربه -عز وجل- فقال : [رب ؛ أي][١] عبادك أحب إليك ؟ قال : الذي يذكرني ولا ينساني . قال : فأي عبادك أقضىٰ ؟ قال : الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوىٰ . قال : أي رب ؛ أي[٢] عبادك أعلم ؟ قال : الذي يبتغي علم الناس إلىٰ علمه ، عسىٰ أن يصيب كلمة تهديه إلىٰ هدًى ، أو ترده عن ردًى . قال : أي رب ؛ فهل في أرضك[٣] أحد أعلم مني ؟ قال : نعم . قال : فمن هو ؟ قال : الخضر . قال : فأين أطلبه ؟ قال : علىٰ الساحل عند الصخرة التي ينفلت عندها الحوت .

قال : فخرج موسىٰ يطلبه ، حتىٰ كان ما ذكر الله ، وانتهىٰ موسىٰ إليه عند الصخرة ، فسلم كل واحد منهما علىٰ صاحبه ، فقال له موسىٰ : إني أريد أن تصحبني . قال : إنك لن تطيق صحبتي . قال : بلىٰ . قال : فإن صحبتني **﴿ فلا تسألني عن شيء حتىٰ أحدث لك منه ذكرًا ﴾** قال : فسار به في البحر ، حتىٰ انتهىٰ إلىٰ مجمع البحور ، وليس في الأرض[٤] مكان أكثر ماء منه ، قال : وبعث الله الخطاف ، فجعل يستقي منه بمنقاره ، فقال لموسىٰ : كم ترىٰ هذا الخطاف رزأ من هذا الماء ؟ قال : ما أقل ما رزأ ! قال : يا موسىٰ ، فإن علمي وعلمك في علم الله كقدر ما استقىٰ هذا الخطاف من هذا الماء . وكان موسىٰ قد حدث نفسه أن ليس أحد أعلم منه ، أو تكلم به ، فمن ثم أمر أن يأتي الخضر . وذكر تمام الحديث في خرق[٥] السفينة ، وقتل الغلام ، وإصلاح الجدار ، وتفسيره له ذلك .

فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا (٧٣)

يقول تعالىٰ مخبرًا عن موسىٰ وصاحبه وهو الخضر : أنهما انطلقا لما توافقا واصطحبا ، واشترط عليه ألّا يسأله عن شيء أنكره ، حتىٰ يكون هو الذي يبتدئه من تلقاء نفسه بشرحه وبيانه ، فركبا في السفينة ، وقد تقدم في الحديث كيف ركبا في السفينة ، وأنهم عرفوا

= أحمد بن حنبل ويحيى بن معين ، وقال أبو زرعة : لا بأس به مستقيم الحديث . وأبوه عنترة بن عبد الرحمن وثقه أبو زرعة وذكره ابن حبان في « الثقات » ، ويعقوب هو ابن عبد الله أبو الحسن القُمّي ، صدوق يهم . وشيخ ابن جرير هو محمد بن حميد الرازي « حافظ ضعيف » .

[١] - ما بين المعكوفتين في خ : « أي رب » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في خ : « الأرض » .
[٤] - في ز ، خ : « البحر » .
[٥] - في ت : « خرقه » .

الخضر فحملوهما بغير نول - يعني بغير أجرة - تكرمة للخضر ، فلما استقلت بهم السفينة في البحر ولججت ، أي : دخلت اللجة ، قام الخضر فخرقها ، واستخرج لوحًا من ألواحها ، ثم رقعها ، فلم يملك موسىٰ - عليه السلام - نفسه أن قال منكرًا عليه : ﴿ **أخرقتها لتغرق أهلها** ﴾ وهذه اللام لام العاقبة ، لا لام التعليل ، كما قال الشاعر :

لدوا للموت وابنوا للخراب

﴿ **لقد جئت شيئًا إمرًا** ﴾ قال مجاهد : منكرًا . وقال قتادة : عجبًا .

فعندها قال له الخضر مذكرًا بما تقدم من الشرط : ﴿ **ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرًا** ﴾ ، يعني : وهذا الصنيع فعلتُه قصدًا ، وهو من الأمور التي اشترطت معك ألَّا تنكر عليّ فيها ؛ لأنك لم تحط بها خبرًا ، ولها داخل هو مصلحة ولم تعلمه أنت ﴿ **قال** ﴾ أي : موسىٰ ﴿ **لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرًا** ﴾ ، أي[١] : لا تضيق عليّ وتشدد ، ولهذا تقدم في الحديث عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أنه قال : « **كانت الأولىٰ من موسىٰ نسيانًا** »(٨٩) .

فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **فانطلقا** ﴾ أي[٢] : بعد ذلك ﴿ **حتىٰ إذا لقيا غلامًا فقتله** ﴾ . وقد تقدم أنه كان يلعب مع الغلمان في قرية من القرىٰ ، وأنه عمد إليه من بينهم ، وكان أحسنهم وأجملهم وأوضأهم فقتله ، فروي أنه احتز[٣] رأسه ، وقيل : رضخه بحجر . [وفي رواية][٤] : اقتطفه بيده فاللّٰه أعلم .

فلما شاهد موسىٰ - عليه السلام - هذا أنكره أشد من الأول ، وبادر فقال : ﴿ **أقتلت نفسًا زكية** ﴾ ، أي : صغيرة لم تعمل الحنث ، ولا حملت إثمًا بعد فقتلته ؟ ! ﴿ **بغير نفس** ﴾ ، أي : بغير مستند لقتله ﴿ **لقد جئت شيئًا نكرًا** ﴾ أي : [ظاهر النكارة][٥]

---

(٨٩) تقدم برقم (٨٥) .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في خ : « اجتز » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في خ : « وقيل » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « ظاهرًا إنكاره » .

﴿ قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرًا ﴾ فأكد أيضًا في التذكار بالشرط الأول[١] ، فلهذا قال له موسىٰ : ﴿ إن سألتك عن شيء بعدها ﴾ ، أي : إن اعترضت عليك بشيء بعد هذه المرة ﴿ فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا ﴾ ، أي : قد أعذرت إليَّ مرة بعد مرة .

قال ابن جرير(٩٠) : حدثنا عبد الله بن أبي زياد ، حدثنا حجاج بن محمد ، عن حمزة الزيات ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن أُبيّ بن كعب ، قال : كان النبي صلىٰ الله عليه وسلم إذا ذكر أحدًا فدعا له بدأ بنفسه ، [فقال ذات يوم][٢] : « رحمة الله علينا وعلىٰ موسىٰ ، لو لبث مع صاحبه لأبصر العجب ، ولكنه قال : ﴿ إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدنّي عذرًا ﴾ » . مثقلة[٣]

﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرًا ٧٧ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ٧٨ ﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عنهما : إنهما انطلقا بعد المرتين الأولين ﴿ حتىٰ إذا أتيا أهل قرية ﴾ و[٤] روىٰ ابن جرير عن ابن سيرين : أنها الأيلة[٥] . وفي الحديث(٩١) : « حتى إذا أتيا أهل قرية لئامًا[٦] أي : بخلاء » ﴿ فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارًا يريد أن ينقض ﴾ إسناد الإرادة هاهنا إلىٰ الجدار علىٰ سبيل الاستعارة ، فإن الإرادة في المحدثات بمعنىٰ الميل ، والانقضاض هو السقوط .

وقوله : ﴿ فأقامه ﴾ ، أي : فردّه[٧] إلىٰ حالة الاستقامة ، وقد تقدم في الحديث أنه ردّه

(٩٠) أخرجه ابن جرير في تفسيره - (٢٨٨/١٥) . وأخرجه مسلم - كتاب الفضائل ، باب : من فضائل الخضر ، عليه السلام (١٧٢) - (٢٣٨٠) - (٢٠٨:٢٠٥/١٥) . من طريق المعتمر بن سليمان التيمي عن أبيه ، عن رَقَبَة عن أبي إسحاق به مطولاً .

(٩١) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الفضائل ، باب من فضائل الخضر عليه السلام (١٧٢) - (٢٣٨٠) .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « ذات يوم فقال » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من خ .
[٥] - في خ : « الأيكة » .
[٦] - في ز : « لئام » .
[٧] - في خ : « رده » .

[بيده ، ودعمه][١] حتىٰ ردّ ميله ، وهذا خارق ، فعند ذلك قال موسىٰ له : ﴿ **لو شئت لاتخذت عليه أجرًا** ﴾ ، أي : لأجل أنهم لم يضيفونا كان ينبغي ألّا تعمل لهم مجانًا ، ﴿ **قال هذا فراق بيني وبينك** ﴾ ، [أي : لأنك شرطت عند قتل الغلام أنك إن سألتني عن شيء بعدها فلا تصاحبني ، فهو فراق بيني وبينك][٢] ﴿ **سأنبئك بتأويل** ﴾ أي بتفسير ﴿ **مالم تستطع عليه صبرًا** ﴾ .

أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾

هذا تفسير ما أشكل أمره علىٰ موسىٰ - عليه السلام - وما كان أنكر ظاهره ، وقد أظهر اللّٰه الخضر - عليه السلام - علىٰ باطنه ، فقال : إن[٣] السفينة إنما خرقتها لأعيبها ؛ [لأنهم كانوا يمرون بها علىٰ ملك من الظلمة ﴿ **يأخذ كل سفينة** ﴾ صالحة ، أي : جيدة ﴿ **غصبًا** فأردت أن أعيبها﴾][٤] **لأرده عنها لعيبها ، فينتفع بها أصحابها من المساكين ، الذين لم يكن لهم شيء ينتفعون به غيرها ، وقد قيل : إنهم أيتام .**

[وقد] روىٰ ابن جريج(٩٢)[٥] عن وهب بن سليمان عن شعيب الجبائي : أن اسم ذلك الملك هُدد بن بدد . وقد تقدم أيضًا في رواية البخاري(٩٣) ، وهو مذكور في التوراة في ذرية العيص [بن إسحاق وهو][٦] من الملوك المنصوص عليهم في التوراة ، واللّٰه أعلم .

وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾

قد تقدم أن هذا الغلام كان اسمه : جَيْسُور . وفي الحديث : عن ابن عباس ، عن أبيّ ابن كعب ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال[٧] : « **الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم**

(٩٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦/٢) حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج عن ابن جريج قال : أخبرني وهب بن سليمان فذكره .

(٩٣) تقدم - (٨٧) .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « بيديه دعمه » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٥] - في خ : « جرير » .

[٦] - ما بين المعكوفتين في خ : « بن زبير » .

[٧] - سقط من : ز .

طبع كافرًا » . رواه ابن جرير(٩٤) : من[١] حديث أبي إسحاق ، عن سعيد ، عن ابن عباس به ، ولهذا قال : ﴿ **فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانًا وكفرًا** ﴾ ، أي : يحملهما حبه على متابعته على الكفر .

قال قتادة : قد فرح به أبواه حين ولد ، وحزنا عليه حين قتل ، ولو بقي كان فيه هلاكهما ، [فليرض امرؤ][٢] بقضاء الله ، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب .

وصحَّ في الحديث(٩٥) : « **لا يقضي الله للمؤمن من قضاء إلّا كان خيرًا له** » . وقال تعالىٰ : ﴿ **وعسىٰ أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم** ﴾

[وقوله تعالىٰ] : ﴿ **فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرًا منه زكاة وأقرب رحمًا** ﴾ ، أي : ولدًا أزكىٰ من هذا ، وهما أرحم به منه . قاله ابن جريج .

وقال قتادة : أبر بوالديه . وقد تقدم أنهما بدلا جارية . وقيل : لما قتله الخضر كانت أمه حاملًا بغلام مسلم . قاله ابن جريج .

وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾

في هذه الآية دليل على إطلاق القرية على المدينة ؛ لأنه قال أولًا ﴿ **حتىٰ إذا أتيا أهل قرية** ﴾ وقال هاهنا : ﴿ **فكان لغلامين يتيمين في المدينة** ﴾ كما قال تعالىٰ : ﴿ **وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك** ﴾ ، ﴿ **وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم** ﴾ يعني : مكة والطائف .

---

(٩٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٣/١٦) حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا أبو قتيبة ، قال : ثنا عبد الجبار ابن عباس الهمداني عن أبي إسحاق به . وأخرجه مسلم في صحيحه – كتاب القدر ، باب : معنى كل مولود يولد على الفطرة (٢٦٦١) . وأبو داود – كتاب السنة ، باب : في القدر – (٤٧٠٥،٤٧٠٦) والترمذي – كتاب تفسير القرآن ، باب : « ومن سورة الكهف » – (٣١٥٠) . من طرق عن أبي إسحاق به .

(٩٥) تقدم تخريجه [سورة الأعراف / آية ٩٥] و [سورة يونس / آية ١٢] و[سورة إبراهيم / آية ٥] .

---

[١] – في ز ، خ : « عن » . [٢] – في ز ، خ : « فرض أمر » .

ومعنىٰ الآية : أن هذا الجدار إنما أصلحه ؛ لأنه كان لغلامين يتيمين في المدينة ، وكان تحته كنز لهما .

قال عكرمة ، وقتادة ، وغير واحد : كان تحته مال مدفون لهما . وهذا ظاهر السياق من الآية ، وهو اختيار ابن جرير رحمه الله .

وقال العوفي عن ابن عباس : كان تحته كنز علم .

وكذا قال سعيد بن جبير . قال مجاهد : صحف فيها علم .

وقد ورد في حديث مرفوع ما يقوي ذلك .

قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار في مسنده المشهور(٩٦) : حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، حدثنا بشر بن المنذر ، حدثنا الحارث بن عبد الله اليحصبي ، عن عياش[١] بن عباس القتباني[٢] ، عن ابن[٣] حجيرة ، عن أبي ذر - رضي الله عنه - [رفعه] قال : **إن الكنز الذي ذكر الله في كتابه : لوح من ذهب مصمت [مكتوب فيه][٤] : عجبت لمن أيقن بالقدر لم نصب ؟! وعجبت لمن ذكر النار لم ضحك ؟! وعجبت لمن ذكر الموت لم غفل ؟! لا إله إلا الله محمد رسول الله .**

بشر بن المنذر هذا ، يقال له : قاضي المصيصة . قال الحافظ أبو جعفر العقيلي : في حديثه وهم .

وقد روي في هذا آثار عن السلف . فقال ابن جرير في تفسيره(٩٧) : حدثني يعقوب ،

---

(٩٦) **ضعيف** ، أخرجه البزار في مسنده كما في مختصر الزوائد لابن حجر - (١٤٧٩) (٢/٩١) وقال : « لا نعلمه يروى عن أبي ذر إلا بهذا الإسناد » .

وذكره الهيثمي في « المجمع » (٧/٥٦-٥٧) وقال : « رواه البزار من طريق بشر بن المنذر عن الحارث بن عبد الله اليحصبي ولم أعرفهما ، وبقية رجاله ثقات » . قلت : بشر بن المنذر هو أبو المنذر الرملي ، قاضي المصيصة ، قال العقيلي في « الضعفاء» (١/١٤١ - ١٤٢) : « في حديثه وهم وقال أبو حاتم « الجرح والتعديل » (١/٣٦٧) : كان صدوقًا ، وذكره ابن حبان في « الثقات » (٨/١٤١) وهو مترجم في « لسان الميزان » وأما الحارث بن عبد الله هذا فلم أعرفه والله أعلم . وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٤/ ٤٢٥) إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٩٧) أخرجه ابن جرير في تفسيره - (١٦/٦) .

---

[١] - في خ : « عباس » .

[٢] - في خ : « الغساني » .

[٣] - في خ : « أبي » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

حدثنا الحسن بن حبيب بن ندبة ، حدثنا سلمة[١] ، عن نعيم العنبري -وكان من جلساء الحسن- قال : سمعت الحسن - يعني البصري - يقول في قوله : ﴿ **وكان تحته كنز لهما** ﴾ قال : لوح [من ذهب][٢] مكتوب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن ؟! وعجبت لمن يوقن بالموت كيف يفرح ؟! وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها ؟! لا إله إلا الله محمد رسول الله .

وحدثني(٩٨) يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني عبد الله بن عياش عن عمر[٣] مولى غفرة قال : إن الكنز الذي قال الله في السورة التي يذكر فيها الكهف : ﴿ **وكان تحته كنز لهما** ﴾ ، قال[٤] : كان لوحًا من ذهب مصمت مكتوبًا[٥] فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، عجب[٦] لمن عرف الموت[٧] ثم ضحك !! عجب[٨] لمن أيقن بالقدر ثم نصب !! عجب[٩] لمن أيقن بالموت ثم أمن !! أشهد ألَّا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

وحدثني(٩٩) أحمد بن حازم الغفاري ، حدثنا هنادة بنت مالك الشيبانية ، قالت : سمعت صاحبي حماد بن الوليد الثقفي ، يقول : سمعت جعفر بن محمد يقول في قول الله تعالىٰ : ﴿ **وكان تحته كنز لهما** ﴾ قال : سطران ونصف لم يتم الثالث : عجبت للموقن بالرزق كيف يتعب ! وعجبت للموقن بالحساب كيف يغفل ! وعجبت للموقن بالموت كيف يفرح ! وقد قال الله : ﴿ **وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين** ﴾ قالت : وذكر أنهما حفظا بصلاح أبيهما ، ولم يذكر منهما صلاح ، وكان بينهما وبين الأب الذي حفظا به سبعة آباء ، وكان نساجًا .

وهذا الذي ذكره هؤلاء الأئمة ، وورد به الحديث المتقدم وإن صح ، لا ينافي قول عكرمة إنه[١٠] كان مالًا ؛ لأنهم ذكروا أنه كان لوحًا من ذهب وفيه مال جزيل ، أكثر ما زادوا أنه كان مودعًا فيه علم[١١] : وهو حكم ومواعظ ، والله أعلم .

---

(٩٨) انظر المصدر السابق -

(٩٩) أخرجه ابن جرير في تفسيره - (١٦/٥) .

---

[١] - في ز : « مسلم » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٣] - في ز « غفير » ، خ : « عفير » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ز : « مكتوب » .

[٦] - في خ : « عجبًا » .

[٧] - في خ : « النار » .

[٨] - في خ : « عجبًا » .

[٩] - في خ : « عجبًا » .

[١٠] - في ز : « إن » .

[١١] - في ز : « علمًا » .

وقوله: ﴿وكان أبوهما صالحًا﴾ فيه[١] دليل على أن الرجل الصالح[٢] يحفظ في ذريته، وتشمل بركة عبادته لهم[٣] في الدنيا، والآخرة بشفاعته فيهم، ورفع درجتهم إلىٰ أعلىٰ درجة في الجنة؛ لتقر عينه بهم، كما جاء في القرآن، ووردت به السنة.

قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: حفظا بصلاح أبيهما، ولم يذكر لهما صلاحًا. وتقدم أنه كان الأب السابع.

وقوله: ﴿ فأراد ربك أن يبلغا أشدّهما ويستخرجا كنزهما ﴾، هاهنا أسند الإرادة إلىٰ الله تعالىٰ؛ لأن بلوغهما الحلم لايقدر عليه إلا الله، وقال في الغلام: ﴿ فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرًا منه زكاة ﴾ وقال في السفينة: ﴿ فأردت أن أعيبها ﴾ فالله أعلم.

وقوله تعالىٰ: ﴿ رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ﴾، أي[٤]: هذا الذي فعلته في هذه الأحوال الثلاثة إنما هو من رحمة الله بمن ذكرنا من أصحاب السفينة، ووالدي الغلام، وولدي الرجل الصالح ﴿ وما فعلته عن أمري ﴾ أي[٥]: لكني أُمرت به، ووُقِّفت عليه، وفيه دلالة لمن قال بنبوة الخضر -عليه السلام- مع ما تقدم من قوله: ﴿ فوجدا عبدًا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علمًا ﴾.

وقال آخرون: كان رسولًا.

وقيل: بل كان ملكًا. نقله الماوردي في تفسيره.

وذهب كثيرون إلىٰ أنه لم يكن نبيًّا، بل كان وليًّا، فالله أعلم.

وذكر ابن قتيبة في المعارف أن اسم الخضر: بَلْيا[٦] بن ملكان بن فالغ بن غابر بن شالخ ابن أرفَخْشَذ بن سام بن نوح عليه السلام.

قالوا: وكان يكنىٰ أبا العباس، ويلقب بالخضر، وكان من أبناء الملوك. ذكره النووي في تهذيب الأسماء، وحكىٰ هو وغيره في كونه باقيًا إلىٰ الآن ثم إلىٰ يوم القيامة- قولين، ومال[٧] هو وابن الصلاح إلىٰ بقائه، وذكروا في ذلك حكايات وآثارًا[٨] عن السلف وغيرهم، وجاء ذكره في بعض الأحاديث، ولا يصح شيء من ذلك، وأشهرها حديث[٩]

---

[١] - سقط من: ز، خ.
[٢] - سقط من: ز.
[٣] - في ز: «أم».
[٤] - سقط من: ز، خ.
[٥] - سقط من: خ.
[٦] - في ز، خ: «بليا».
[٧] - في خ: «وقال».
[٨] - في ز: «آثار».
[٩] - في خ: «أحاديث».

التعزية ، وإسناده ضعيف .

ورجح آخرون من المحدثين وغيرهم خلاف ذلك ، واحتجوا بقوله تعالى : ﴿**وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد**﴾ ، وبقول النبي صلى الله عليه وسلم [يوم بدر][١] : « **اللهم ، إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض** »(١٠٠) . وبأنه لم ينقل أنه[٢] جاء إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، [ولا حضر عنده ، ولا قاتل معه ، ولو كان حيًا لكان من أتباع النبي صلىٰ الله عليه وسلم][٣] وأصحابه ؛ لأنه - عليه السلام - كان مبعوثًا إلىٰ جميع الثقلين ؛ الجنّ[٤] والإنس ، وقد قال(١٠١) : « **لو كان موسىٰ وعيسىٰ حيين ما وسعهما إلا اتباعي** » . وأخبر قبل موته بقليل أنه لايبقىٰ ممن هو علىٰ وجه الأرض ، إلىٰ مائة سنة من ليلته تلك عين تطرف ، إلىٰ غير ذلك من الدلائل .

قال الإمام أحمد(١٠٢) : حدثنا يحيىٰ بن آدم ، حدثنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن همام ابن منبه ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم [في الخضر - قال][٥] : « **إنما سمي خضرًا لأنه جلس علىٰ فروة بيضاء ، فإذا هي تحته تهتز**[٦] **خضراء** » . ورواه أيضًا [عن][٧] عبد الرزاق .

وقد ثبت أيضًا[٨] في صحيح البخاري(١٠٣) عن همام ، عن أبي هريرة أن رسول الله

---

(١٠٠) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب : الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم (١٧٦٣) (١٢/١٢١:١٢٥) وأبو داود - كتاب الجهاد ، باب : في فداء الأسير بالمال (٢٦٩٠) (٣/٦١) مختصرًا والترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب : « ومن سورة الأنفال » - (٣٠٨١) (٥/٢٥١-٢٥٢) . وأحمد (١/٣٠،٣٢) . من طرق عن عكرمة بن عمار قال : حدثنا أبو زميل سماك الحنفي ، قال : سمعت ابن عباس قال : حدثني عمر بن الخطاب قال ... فذكر الحديث مطولاً في قصة يوم بدر .

(١٠١) قال الألباني الألباني في « حاشية العقيدة الطحاوية » : « هو حديث محفوظ دون ذكر عيسى فيه - انظر ما تقدم [سورة يوسف/ آية ٣] فإنه منكر عندي لم أره في شيء من طرقه وهي مخرجة في « الإرواء » (١٥٨٩) .

(١٠٢) أخرجه أحمد (٢/٣١٢) ، وأخرجه أيضًا - (٢/٣١٨) . والترمذي - كتاب التفسير ، باب : « ومن سورة الكهف » (٣١٥١) - (٥/٢٩٣) ، وابن حبان في صحيحه - (٦٢٢٢) (١٤/١٠٨-١٠٩) . من طريق عبد الرزاق عن معمر به . وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح » .

(١٠٣) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الأنبياء ، باب : « حديث الخضر مع موسى عليهما السلام =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز : « بأنه » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - في خ : « بالجن » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - سقط من خ .
[٨] - سقط من : ز .

صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **إنما سمي الخضر ؛ لأنه**[١] **جلس علىٰ فروة فإذا هي تهتز [من خلفه]**[٢] **خضراء** » .

والمراد بالفروة هاهنا : الحشيش اليابس ، وهو : الهشيم من النبات . قاله عبد الرزاق . وقيل : المراد بذلك وجه الأرض .

وقوله : ﴿ **ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرًا** ﴾ ، أي : هذا تفسير ما ضقت به ذرعًا ، ولم تصبر حتىٰ أخبرك به ابتداء ، ولما أن فسره له وبينه ، ووضحه وأزال المشكل ، قال : ﴿ **تسطع** ﴾ وقبل ذلك كان الإشكال قويًا ثقيلًا فقال : ﴿ **سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرًا** ﴾ فقابل الأثقل بالأثقل ، والأخف بالأخف ، كما قال : ﴿ **فما اسطاعوا أن يظهروه** ﴾ وهو الصعود إلىٰ أعلاه ﴿ **وما استطاعوا له نقبًا** ﴾ وهو أشق من ذلك ، فقابل كلًا بما يناسبه لفظًا ومعنىٰ ، والله أعلم .

فإن قيل : فما بال فتىٰ موسىٰ ذكر في أول القصة ثم لم يذكر بعد ذلك ؟ فالجواب : أن المقصود بالسياق إنما هو قصة موسىٰ مع الخضر ، وذكر ما كان بينهما ، وفتىٰ موسىٰ معه تبع ، وقد صرح في الأحاديث المتقدمة في الصحاح وغيرها أنه يوشع بن نون ، وهو الذي كان يلي بني إسرائيل بعد موسىٰ - عليهما السلام - وهذا يدلّ علىٰ ضعف ما أورده ابن جرير في تفسيره حيث قال(١٠٤) :

حدثنا ابن حميد ، حدثنا سلمة ، حدثني ابن إسحاق ، عن الحسن بن عمارة ، عن أبيه ، عن عكرمة ، قال : قيل لابن عباس : لم نسمع لفتىٰ موسىٰ بذكر من حديث وقد كان معه ؟ فقال ابن عباس فيما يذكر من حديث الفتىٰ ، قال : شرب الفتىٰ من الماء فخلد[٣] ، فأخذه[٤] العالم فطابق به سفينة ، ثم أرسله في البحر ، فإنها لتموج[٥] به إلىٰ يوم القيامة ، وذلك أنه لم يكن له أن يشرب منه فشرب . إسناد ضعيف ، الحسن[٦] متروك ، وأبوه غير معروف .

= (٣٤٠٢) - (٤٣٣/٦) حدثنا محمد بن سعيد الأصبهاني أخبرنا ابن المبارك عن معمر عن همام به .

(١٠٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره - (٢٨١/١٥) .

---

[١] - في خ : « أنه » .

[٢] - ما بين المكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - في ز : بلا إعجام « فحا » ، خ : « فحاز » .

[٥] - في ز : « تموج » .

[٦] - في خ : والحسن .

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾﴾

يقول تعالىٰ لنبيه صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **ويسئلونك** ﴾ [يا محمد][١] ﴿ **عن ذي القرنين** ﴾ ، أي : عن خبره . وقد قدمنا أنه بعث كفار مكة إلىٰ أهل الكتاب ، يسألون منهم ما يمتحنون به النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، فقالوا : سلوه عن رجل طواف في الأرض . وعن فتية لا يدرىٰ ما صنعوا ، وعن الروح . فنزلت سورة الكهف .

وقد أورد ابن جرير(١٠٥) هاهنا والأموي في مغازيه حديثًا أسنده - وهو ضعيف - عن عقبة بن عامر أن نفرًا من اليهود جاءوا يسألون النبي صلىٰ الله عليه وسلم عن ذي القرنين ، فأخبرهم بما جاءوا له ابتداءً ، فكان فيما أخبرهم به أنه كان شابًّا من الروم ، وأنه بنىٰ الإِسكندرية ، وأنه علا به ملك[٢] في السماء ، وذهب به إلىٰ السد ، ورأىٰ أقوامًا وجوههم مثل وجوه الكلاب . وفيه طول ونكارة ، ورفعه لا يصح ، وأكثر ما فيه أنه من أخبار بني إسرائيل ، والعجب أن أبا زرعة الرازي -مع جلالة قدره- ساقه بتمامه في كتابه « **دلائل النبوة** » وذلك غريب منه ، وفيه من النكارة[٣] أنه من الروم ، وإنما الذي كان من الروم الإِسكندر الثاني ، ابن فيلييس المقدوني الذي تؤرخ به الروم .

فأما الأول : فقد ذكر الأزرقي وغيره أنه طاف بالبيت مع إبراهيم الخليل - عليه[٤] السلام - أول ما بناه ، وآمن به واتبعه ، وكان معه الخضر عليه السلام .

وأما الثاني : فهو إسكندر بن فيلييس المقدوني اليوناني ، وكان[٥] وزيره أرسطاطاليس الفيلسوف[٦] المشهور ، والله أعلم .

وهو الذي تؤرخ به[٧] من مملكته ملة الروم ، وقد كان قبل المسيح - عليه السلام - بنحو من ثلاثمائة سنة . فأما الأول المذكور في القرآن : فكان في زمن الخليل كما ذكره الأزرقي

(١٠٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٨/١٦) حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا زيد بن حباب عن ابن لهيعة ، قال : ثني عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، عن شيخين من تجيب قال أحدهما لصاحبه : انطلق بنا إلى عقبة ابن عامر ، فذكره .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - في خ : « ملكًا » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في خ : « عليهما » .
[٥] - في ز : « فكان » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في خ : « له » .

وغيره ، وأنه طاف مع الخليل بالبيت العتيق لما بناه إبراهيم - عليه السلام - وقرب إلىٰ اللّه قربانًا ، وقد ذكرنا طرفًا صالحًا[١] من أخباره في كتاب « **البداية والنهاية** » . بما فيه كفاية ، ولله الحمد .

قال وهب بن منبه : كان مَلِكًا ، وإنما سمي ذا القرنين ؛ لأن[٢] صفحتي رأسه كانتا من نحاس . قال : وقال بعض أهل الكتاب : لأنه ملك الروم وفارس . وقال بعضهم : كان في رأسه شبه القرنين . وقال سفيان الثوري(١٠٦) عن حبيب بن أبي ثابت ، عن أبي الطفيل ، قال : سئل علي - رضي اللّه عنه - عن ذي القرنين؟ فقال : كان عبدًا [ناصحًا للّه] - عزَّ وجلَّ - فَنَاصَحَه ، دعا قومه إلىٰ اللّه ، فضربوه[٣] علىٰ قرنه فمات ، فأحياه اللّه ، فدعا قومه إلىٰ اللّه فضربوه علىٰ قرنه فمات ، فسمي ذا القرنين .

وكذا رواه شعبة(١٠٧) عن القاسم بن أبي بَزَّةَ عن أبي الطفيل سمع عليًا يقول ذلك .

ويقال : إنما سمي ذا القرنين ؛ لأنه بلغ المشارق والمغارب ، من حيث يطلع قرن[٤] الشمس ويغرب .

وقوله : ﴿ **إنا مكنا له في الأرض** ﴾ ، أي : أعطيناه ملكًا عظيمًا ، متمكنًا فيه له من جميع ما يؤتىٰ الملوك ؛ من التمكين ، والجنود ، وآلات الحرب والحصارات ؛ ولهذا ملك المشارق والمغارب من الأرض ، ودانت له البلاد ، وخضعت له ملوك العباد ، وخدمته الأمم من العرب والعجم ؛ ولهذا ذكر بعضهم أنه إنما سمي ذا القرنين ؛ لأنه بلغ قرني الشمس : مشرقها ومغربها .

وقوله : ﴿ **وآتيناه من كل شيء سببًا** ﴾ قال ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، والسدي ، وقتادة ، والضحاك ، وغيرهم : يعني علمًا .

وقال قتادة أيضًا في قوله : ﴿ **وآتيناه من كلِّ شيءٍ سببًا** ﴾ قال : منازل الأرض ، وأعلامها .

---

(١٠٦) إسناده صحيح ، أخرجه ابن جرير في تفسيره - (٩/١٦) . حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان به .

(١٠٧) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٩/١٦) حدثنا محمد بن المثنى ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة به .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز : « أن » .
[٣] - في ز ، : « فضرب » .
[٤] - في ز : « قرني » .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله : ﴿ وآتيناه من كل شيء سببًا ﴾ قال : تعليم الألسنة . قال[١] : كان لا يغزو قومًا إلا كلمهم بلسانهم .

وقال ابن لهيعة : حدثني سالم بن غيلان ، عن سعيد بن أبي هلال ، أن معاوية بن أبي سفيان قال لكعب الأحبار : أنت تقول: إن ذا القرنين كان يربط خيله بالثريا ؟!! فقال له كعب : إن كنت قلت ذلك فإن الله تعالىٰ يقول[٢] : ﴿ وآتيناه من كل شيء سببًا ﴾

وهذا الذي أنكره معاوية -رضي الله عنه- علىٰ كعب الأحبار هو الصواب ، والحق مع معاوية في الإنكار ، فإن معاوية كان يقول عن كعب : إن كنا لنبلو عليه الكذب . يعني : فيما ينقله ، لا أنه كان يتعمد نقل ما ليس في صحيفته ، ولكن الشأن في صحيفته أنها[٣] من الإسرائيليات ، التي غالبها مبدل مصحف ، محرف مختلق ، ولا حاجة لنا مع خبر الله تعالىٰ ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ شيء منها بالكلية ، فإنه دخل منها علىٰ الناس شر كثير وفساد عريض . وتأويل كعب قول الله : ﴿ وآتيناه من كل شيء سببًا ﴾ واستشهاده [بذلك][٤] علىٰ ما يجده في صحيفته ، من أنه كان يربط خيله بالثريا غير صحيح ولا مطابق ؛ فإنه لا سبيل للبشر إلىٰ شيء من ذلك ، ولا إلىٰ الترقي في أسباب السموات ، وقد قال الله في حق بُلقَيس : ﴿ وأوتيت من كل شيء ﴾ أي : مما يؤتى مثلها من الملوك ، وهكذا ذو القرنين ، يسر الله له الأسباب ، أي : الطرق[٥] والوسائل إلىٰ فتح الأقاليم والرساتيق والبلاد والأراضي ، وكسر الأعادي وكبت ملوك الأرض ، وإذلال أهل الشرك ، قد أوتي من كل شيء مما يحتاج إليه مثله سببًا ، والله أعلم .

وفي المختارة للحافظ الضياء المقدسي(١٠٨) ، من طريق قتيبة ، عن أبي عوانة ، عن سماك ابن حرب ، عن حبيب بن حمار قال : كنت عند عليّ -رضي الله عنه- وسأله رجل عن ذي القرنين: كيف بلغ المشارق والمغارب ؟ فقال : سبحان الله ، سخر له السحاب ، وقدر له الأسباب ، وبسط له اليد .

﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًاۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا

(١٠٨) « المختارة » (٣٢/٢) (رقم ٤٠٩) .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : «قال» .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في خ ، ت : « في ذلك » .
[٥] - في ز : « الطريق » .

مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾

[قال ابن عباس: ﴿ فأتبع سببًا ﴾ يعني بالسبب: المنزل. و][١] قال مجاهد: ﴿ فأتبع سببًا ﴾: منزلًا وطريقًا ما بين المشرق والمغرب.

وفي رواية عن مجاهد ﴿ سببًا ﴾ قال: طريقًا[٢] في[٣] الأرض.

وقال قتادة: أي أتبع منازل الأرض ومعالمها.

وقال الضحاك: ﴿ فأتبع سببًا ﴾ [أي: المنازل.

وقال سعيد بن جبير في قوله: ﴿ فأتبع سببًا ﴾][٤] قال: علمًا. وهكذا قال عكرمة وعبيد بن يعلىٰ والسدي. وقال مطر: معالم وآثار كانت قبل ذلك.

وقوله: ﴿ حتىٰ إذا بلغ مغرب الشمس ﴾ أي: فسلك طريقًا حتىٰ وصل إلىٰ أقصىٰ ما يسلك فيه من الأرض من ناحية المغرب، وهو مغرب الأرض. وأما الوصول إلىٰ مغرب الشمس من السماء فمتعذر، وما يذكره أصحاب القصص والأخبار من أنه سار في الأرض مدّة، والشمس تغرب من ورائه، فشيء لا حقيقة له، وأكثر ذلك من خرافات أهل الكتاب واختلاق زنادقتهم وكذبهم.

وقوله: ﴿ وجدها تغرب في عين حمئة ﴾ أي: رأىٰ الشمس في منظره تغرب في البحر المحيط، و[٥] هذا شأن كل من انتهىٰ إلىٰ ساحله، يراها كأنها تغرب فيه، وهي[٦] لا تفارق الفلك الرابع الذي[٧] هي مثبتة فيه لا تفارقه.

والحمأة مشتقة على إحدىٰ القراءتين[٨] من الحمأة، وهو: الطين، كما قال تعالىٰ: ﴿ إني خالق بشرًا من صلصال من حمأ مسنون ﴾ أي: طين أملس. وقد تقدم بيانه.

وقال ابن جرير(١٠٩): حدثني يونس، أخبرنا ابن وهب، حدثني نافع بن أبي نعيم،

(١٠٩) أخرجه ابن جرير في تفسيره - (١٦/١١).

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

[٢] - في خ: «طرقي».

[٣] - سقط من: خ.

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.

[٥] - سقط من: ز.

[٦] - سقط من: ز.

[٧] - في ز: «التي».

[٨] - في ز، خ: «الروايتين».

سمعت عبد الرحمن الأعرج ، يقول : كان ابن عباس يقول : ﴿ في عين حمئة ﴾ ثم فسرها : ذات حمأة . قال نافع : وسئل عنها كعب الأحبار ، فقال : أنتم أعلم بالقرآن مني ، ولكني أجدها في الكتاب : تغيب في طينة سوداء. وكذا روىٰ غير واحد عن ابن عباس . وبه قال مجاهد وغير واحد .

وقال أبو داود الطيالسي(١١٠) : حدثنا محمد بن دينار ، عن سعد بن أوس ، عن مصدع ، عن ابن عباس ، عن أبيّ بن كعب ، أن النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم أقرأه : ﴿ حمئة ﴾ .

وقال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس : (**وجدها تغرب في عين حامية**) يعني : حارة . وكذا قال الحسن البصري .

وقال[١] ابن جرير : والصواب أنهما قراءتان مشهورتان ، فأيهما قرأ القارئ فهو مصيب .

قلت : ولا منافاة بين معنييهما ، إذ قد تكون حارة لمجاورتها وهج الشمس عند غروبها ، وملاقاتها الشعاع بلا حائل ، و﴿ حمئة ﴾ : في ماء وطين أسود ، كما قال كعب الأحبار وغيره .

وقال ابن جرير(١١١) : حدثنا محمد بن المثنىٰ ، حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا العوام ، حدثني مولى لعبد اللّه بن عمرو ، عن عبد اللّه ، قال : نظر رسول اللّه صلىٰ اللّه تعالىٰ عليه وسلم إلىٰ الشمس حين غابت فقال : « **في نار اللّه الحامية ، في نار اللّه الحامية ، لولا ما يزعها من أمر الله لأحرقت ما على الأرض** » .

قلت : ورواه الإمام أحمد(١١٢) عن يزيد بن هارون . وفي صحة رفع هذا الحديث نظر ،

(١١٠) صحيح ،أخرجه أبو داود الطيالسي - (٥٣٦) . وأخرجه أبو داود - كتاب الحروف والقراءات ، (٣٩٨٦) (٣٤/٤) ، والترمذي - كتاب القراءات ، باب : « ومن سورة الكهف » - (٢٩٣٤) (٥/ ١٧٣) من طريقين عن محمد بن دينار عن سعد بن أوس به . وقال الترمذي : « هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه والصحيح ما روى عن ابن عباس قراءته . ويروى أن ابن عباس وعمرو بن العاص اختلفا في قراءة هذه الآية وارتفعا إلى كعب الأحبار في ذلك ، فلو كانت عنده رواية عن النبي - صلى اللّه عليه وسلم - لاستغنى بروايته ولم يحتج إلى كعب » .

(١١١) إسناده فيه جهالة ، أخرجه ابن جرير في تفسيره - (١٢/١٦) . وانظر ما بعده .

(١١٢) أخرجه أحمد (٢٠٧/٢) ، وذكره الهيثمي في « المجمع » - (١٣٤/٨) وقال : رواه أحمد وفيه راو لم يسم وبقية رجاله ثقات .

[١] - مكانها بياض في : ز .

ولعله من كلام عبد الله بن عمرو من زاملتيه اللتين وجدهما يوم اليرموك ، والله أعلم .

وقال ابن أبي حاتم(١١٣) : حدثنا حجّاج بن حمزة ، حدثنا محمد - يعني : ابن بشر - حدثنا عمرو بن[١] ميمون ، أنبأنا ابن حاضر أن ابن عباس ذكر له أن معاوية بن أبي سفيان قرأ الآية التي في سورة الكهف : (تغرب في عين حامية) قال ابن عباس : فقلت لمعاوية : ما نقرؤها إلا ﴿ حمئة ﴾ فسأل معاوية عبد الله بن عمرو : كيف تقرؤها ؟ فقال عبد الله : كما قرأتها . قال ابن عباس : فقلت لمعاوية : في بيتي نزل القرآن . فأرسل إلى كعب فقال له : أين تجد الشمس تغرب في التوراة ؟ [فقال له كعب : سل أهل العربية فإنهم أعلم بها ، وأما أنا فإني أجد الشمس تغرب في التوراة][٢] في ماء وطين ، وأشار بيده إلى المغرب .

قال ابن حاضر : لو أني عندكما أفدتك بكلام تزداد فيه بصيرة في ﴿ حمئة ﴾ . قال ابن عباس : وإذًا ما هو ؟ قلت : فيما يؤثر من قول تُبّع ، فيما ذكر به ذا القرنين في تخلقه بالعلم واتباعه إياه :

بلغ المشارق والمغارب يبتغي ... أسباب أمرٍ من حكيم مرشد
[فرأى مغيبَ][٣] الشمسِ عِندَ غُرُوبِها ... في عين ذي خُلُب وَثأْطٍ حَرْمَد

قال ابن عباس : ما الخلب ؟ قلت : الطين بكلامهم . قال : ما الثاط ؟ قلت : الحمأة . قال : فما الحرمد ؟ قلت : الأسود . قال : فدعا ابن عباس رجلًا -أو غلامًا- فقال : اكتب ما يقول هذا الرجل .

وقال سعيد بن جبير : بينا ابن عباس يقرأ سورة الكهف فقرأ : ﴿ وجدها تغرب في عين حمئة ﴾ فقال كعب : والذي نفس كعب بيده ، ما سمعت أحدًا[٤] يقرؤها كما أنزلت في التوراة غير ابن عباس ، فإنا نجدها في التوراة تغرب في مدرة سوداء .

وقال أبو يعلى الموصلي(١١٤) : حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل ، حدثنا هشام بن يوسف ،

= وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٤٧/٤) إلى ابن أبي شيبة وابن منيع وأبي يعلى وابن مردويه .

(١١٣) وأخرجه ابن جرير في تفسيره - (١١/١٦) حدثنا الحسين بن الجنيد ، قال : ثنا سعيد بن مسلم ، قال : ثنا إسماعيل بن علية عن عثمان بن حاضر به مختصرًا .

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٤٥/٤) إلى عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(١١٤) وأخرجه أبو الشيخ في العظمة - (٩٥٢) - (١٤٤٠/٤-١٤٤١) حدثنا أبو يعلى به ، وعزاه =

---

[١] - في خ : « يعني ابن » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « فوجد مغار » .
[٤] - سقط من : ز .

قال : في تفسير ابن جريج ﴿ ووجد عندها قومًا ﴾ قال : مدينة لها اثنا عشر ألف باب ، لولا أصوات أهلها لسمع الناس وجوب الشمس حين تجب . [ ][١] .

وقوله : ﴿ ووجد عندها قومًا ﴾ أي : أمّة من الأمم ، ذكروا أنها كانت أمة عظيمة من بني آدم .

وقوله : ﴿ قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنًا ﴾ معنىٰ هذا أن اللّٰه تعالىٰ مكنه منهم[٢] ، وحكمه فيهم ، وأظفره بهم ، وخيره : إن شاء قتل وسبىٰ ، وإن شاء منّ أو فدىٰ ، فعرف عدله وإيمانه ، فيما أبداه عدله وبيانه في قوله : ﴿ أمّا من ظلم ﴾ ، أي : من[٣] استمر علىٰ كفره وشركه بربه ﴿ فسوف نعذبه ﴾ قال قتادة : بالقتل . وقال السدي : كان يحمي لهم بقر النحاس ، ويضعهم فيها حتىٰ يذوبوا . وقال وهب بن منبه : كان يسلط[٤] الظُلمة ، فتدخل أفواههم وبيوتهم ، وتغشاهم من جميع جهاتهم ، واللّٰه أعلم .

وقوله : ﴿ ثم يرد إلىٰ ربه فيعذبه عذابًا نكرًا ﴾ ، أي : شديدًا بليغًا ، وجيعًا أليمًا ، [وفيه][٥] إثبات المعاد والجزاء .

وقوله : ﴿ وأما من آمن ﴾ ، أي : تابعنا علىٰ ما ندعوه إليه من عبادة اللّٰه وحده لا شريك له ﴿ فله جزاء الحسنىٰ ﴾ أي : في الدار الآخرة عند اللّٰه عزَّ وجلَّ ﴿ وسنقول له من أمرنا يسرًا ﴾ قال مجاهد : معروفًا .

﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٨٩) حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا (٩٠) كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (٩١) ﴾

يقول تعالىٰ : ثم سلك طريقًا فسار من مغرب الشمس إلىٰ مطلعها ، وكان كلما مر بأمة قهرهم وغلبهم ، ودعاهم إلىٰ اللّٰه - عز وجل - فإن أطاعوه وإلا أذلهم ، وأرغم آنافهم[٦] ، واستباح أموالهم وأمتعتهم ، واستخدم من كل أمة ما يستعين به مع جيوشه علىٰ أهل الإقليم

= السيوطي في الدر المنثور - (٤٤٧/٤) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « فحدث الحسن عن سمرة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم - سترًا أي : بناء لم يبين فيها بناء قط كانوا إذا طلعت الشمس دخلوا إلى أسرابهم حتى تزول الشمس » .

[٢] - في ز ، خ : « فيهم » .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - في خ : « سليط » .

[٥] - في ت : « وفي هذا » .

[٦] - في ز : « أنافيهم » .

المتاخم لهم . وذكر في أخبار بني إسرائيل أنه عاش ألفًا وستمائة سنة ، يجوب[١] الأرض طولها والعرض ، حتىٰ بلغ المشارق والمغارب.

ولما انتهىٰ إلىٰ مطلع الشمس من الأرض ، كما قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **وجدها تطلع علىٰ قوم** ﴾ أي : أمة ﴿ **لم نجعل لهم من دونها سترًا** ﴾ ، أي : ليس لهم بناء يكنهم ، ولا[٢] أشجار تظلهم ولا تسترهم من حرّ الشمس.

قال سعيد بن جبير : كانوا حمرًا قصارًا ، مساكنهم الغيران ، أكثر معيشتهم من السمك .

وقال أبو داود الطيالسي(١١٥) : حدثنا سهل بن أبي الصلت ، سمعت الحسن ، وسئل عن قول الله تعالى : ﴿ **لم نجعل لهم من دونها سترًا** ﴾ ؟ قال : إن أرضهم لا تحمل البناء ، فإذا طلعت الشمس تَغَوروا في المياه ، فإذا غربت خرجوا يتراغون كما ترغىٰ البهائم . قال الحسن : هذا حديث سمرة .

وقال قتادة : ذكر لنا أنهم بأرض لا تنبت لهم شيئًا ، فهم إذا طلعت الشمس في أسراب ، حتىٰ إذا زالت الشمس خرجوا إلىٰ حروثهم ومعايشهم .

وعن سلمة بن كهيل أنه قال: ليس لهم أكنان ، إذا طلعت الشمس طلعت عليهم ، فلأحدهم أذنان [يفترش][٣] إحداهما ويلبس الأخرىٰ .

وقال عبد الرزاق(١١٦) : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ **وجدها تطلع علىٰ قوم لم نجعل لهم من دونها سترًا** ﴾ [قال : هم الزنج .

وقال ابن جريج في قوله : ﴿ **وجدها تطلع علىٰ قوم لم نجعل لهم من دونها سترًا** ﴾][٤] ، قال : لم يبنوا فيها بناء قط ، ولم يبن عليهم فيها بناء قط ، كانوا إذا طلعت الشمس دخلوا أسرابًا[٥] لهم[٦] حتىٰ تزول الشمس ، أو دخلوا البحر ، وذلك أن أرضهم

---

(١١٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤/١٦) حدثني إبراهيم بن المستمر قال : ثنا سليمان بن داود أبو داود به . وأخرجه أبو الشيخ في العظمة (٩٧٠) - (١٤٧١/٤-١٤٧٢) من طريق نصر بن على حدثنا مسلم بن قتيبة ، حدثنا سهل السراج به . وليس عنده قول الحسن « هذا حديث سمرة » .

وأورده السيوطي في الدر المنثور - (٤٤٨/٤) وعزاه إلى البزار في أماليه وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(١١٦) « التفسير » لعبد الرزاق (٤١٢/٢) ومن طريقه ابن جرير في تفسيره (١٤/١٦) حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق به .

---

[١] - في خ : « يحول » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في خ : « يفرش » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - في ز : « أسراباتهم » ، خ : « أسرباتهم » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .

ليس فيها جبل . جاءهم جيش مرة ، فقال لهم أهلها : لا تطلعن عليكم الشمس وأنتم بها . قالوا : لا نبرح حتىٰ تطلع الشمس ، ما هذه العظام ؟ قالوا : هذه جيف[١] جيش طلعت عليهم الشمس هاهنا فماتوا . قال : فذهبوا هاربين في الأرض .

وقوله : ﴿ **كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرًا** ﴾ قال مجاهد ، والسدي : عِلمًا . أي : نحن مطلعون علىٰ جميع أحواله وأحوال جيشه ، لا يخفىٰ علينا منها شيء ، وإن تفرقت أممهم ، وتقطعت بهم الأرض ، فإنه تعالىٰ ﴿ **لا يخفىٰ عليه شيء في الأرض ولا في السماء** ﴾

ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن ذي القرنين ﴿ **ثم أتبع سببًا** ﴾ أي : ثم[٢] سلك طريقًا من مشارق الأرض ﴿ **حتىٰ إذا بلغ بين السدين** ﴾ ، وهما جبلان متناوحان ، بينهما ثغرة يخرج منها يأجوج ومأجوج علىٰ بلاد الترك ، فيعيثون فيهم فسادًا ، ويهلكون الحرث والنسل ؛ ويأجوج ومأجوج من سلالة آدم - عليه السلام - كما ثبت في الصحيحين(١١٧) : « **إن الله تعالىٰ يقول : يا آدم . فيقول : لبيك وسعديك . فيقول : ابعث بعث النار . فيقول : وما بعث النار ؟ فيقول : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلىٰ النار ، وواحد إلىٰ الجنة . فحينئذ يشيب الصغير ، وتضع كل ذات حمل حملها** » . فيقال : « **إن فيكم أمّتين ما كانتا في شيء إلا كثرتاه : يأجوج ومأجوج** » .

(١١٧) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الرقاق ، باب : قوله عز وجل ﴿ **إن زلزلة الساعة شيء عظيم** ﴾ (٦٥٣٠) . ومسلم - كتاب الإيمان ، باب قوله « يقول الله لآدم : أخرج بعث النار ... » (٣٧٩) - (٢٢٢) ، من طريقين عن جرير عن الأعمش ، عن أبي صالح عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ... فذكره .

[١] - في ز : « جيفة » .
[٢] - سقط من : خ .

وقد حكىٰ النووي - رحمه اللَّه- في شرح مسلم عن بعض الناس ، أن يأجوج ومأجوج خلقوا من مني خرج من آدم ، فاختلط بالتراب فخلقوا من ذلك ، فعلىٰ هذا يكونون مخلوقين من آدم ، وليسوا من حواء ، وهذا القول[١] غريب جدًّا لا دليل عليه ؛ لا من عقل ، ولا من[٢] نقل ، ولا يجوز الاعتماد هاهنا علىٰ ما يحكيه بعض أهل الكتاب ؛ لما[٣] عندهم من الأحاديث المفتعلة ، واللَّه أعلم .

وفي مسند الإمام أحمد(١١٨) عن سمرة ، أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **ولد نوح ثلاثة : سام أبو العرب ، وحام أبو السودان ، ويافث أبو الترك** » . فقال بعض العلماء : هؤلاء من نسل يافث أبي[٤] الترك . قال : إنما سموا هؤلاء تركًا ؛ لأنهم تركوا من وراء السد من هذه الجهة ، وإلا فهم أقرباء أولئك ، ولكن كان في أولئك بغي وفساد وجراءة .

وقد ذكر ابن جرير(١١٩) هاهنا عن وهب بن منبه أثرًا طويلًا عجيبًا في سير ذي القرنين ، وبنائه السد ، وكيفية ما جرىٰ له ، وفيه طول وغرابة ، ونكارة في أشكالهم وصفاتهم ، [وطولهم][٥] وقصر بعضهم وآذانهم. ورویٰ ابن أبي حاتم أحاديث غريبة في ذلك، لا تصح أسانيدها ، واللَّه أعلم .

وقوله : ﴿ **وجد من دونهما قومًا لا يكادون يفقهون قولًا** ﴾ لاستعجام كلامهم وبعدهم عن الناس .

﴿ **قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجًا** ﴾ قال ابن جريج عن عطاء ، عن ابن عباس : أجرًا عظيمًا . يعني : أنهم[٦] أرادوا أن

---

(١١٨) أخرجه أحمد (٩/٥، ١٠) ، والترمذي - كتاب تفسير القرآن ، باب : « ومن سورة الصافات » . (٣٢٣٠، ٣٢٣١) (٣٤٠/٥، ٣٤١) . وكتاب المناقب ، باب : مناقب في فضل العرب - (٣٩٣١) - (٥/ ٦٨١) ، والطبراني في الكبير - (٢٥٣/٧-٢٥٤، ٢٥٤) . والحاكم (٥٤٦/٢) وصححه ووافقه الذهبي ، وابن عدي في الكامل - (٩١٩/٣) . كلهم من حديث الحسن عن سمرة بألفاظ متقاربة . وذكره الهيثمي في المجمع (١٩٨/١) من حديث عمران بن حصين وسمرة بن جندب وقال : رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون . والحديث أورده الشيخ الألباني في ضعيف الجامع الصغير (٣٢١٤) .

(١١٩) تفسير ابن جرير (٢١:١٧/١٦) .

---

[١] - في ت : « قول » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « مما » .
[٤] - في ز : « أبو » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - سقط من : خ .

يجمعوا[١] له من بينهم مالًا يعطونه إياه ؛ حتىٰ يجعل بينه وبينهم سدًّا ، فقال ذو القرنين بعفة وديانة وصلاح وقصد للخير : ﴿ **ما مكني فيه ربي خير** ﴾ أي : إن الذي أعطاني الله من الملك والتمكين خير لي من الذي تجمعونه ، كما قال سليمان عليه السلام : ﴿ **أتمدونن بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون** ﴾ ، وهكذا قال ذو القرنين : الذي أنا فيه خير من الذي تبذلونه ، ولكن ساعدوني ﴿ **بقوة** ﴾ ، أي : بعملكم وآلات البناء ﴿ **أجعل بينكم وبينهم ردمًا آتوني زبر الحديد** ﴾ والزبر : جمع زبرة ، وهي القطعة منه . قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة : وهي كاللبنة ، يقال : كل لبنة زنة[٢] قنطار بالدمشقي ، أو تزيد عليه .

﴿ **حتىٰ إذا ساوىٰ بين الصدفين** ﴾ أي : وضع بعضها[٣] على بعض من الأساس ، حتىٰ إذا حاذىٰ به رءوس الجبلين طُولًا وعرضًا ، واختلفوا في مساحة[٤] عرضه وطوله علىٰ أقوال ﴿ **قال انفخوا** ﴾ أي : أجج عليه النار حتىٰ صار كله نارًا[٥] ﴿ **قال آتوني أفرغ عليه قطرًا** ﴾ قال ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والضحاك ، وقتادة ، والسدي : هو النحاس . وزاد بعضهم : المذاب . ويستشهد بقوله تعالىٰ : ﴿ **وأسلنا له عين القطر** ﴾ ولهذا يشبه بالبرد[٦] المحبر .

قال ابن جرير(١٢٠) : حدثنا بشر ، حدثنا يزيد ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن رجلًا قال : يا رسول الله ؛ قد رأيتُ سدَّ يأجوج ومأجوج . قال : « **انعته لي** » . قال : كالبرد المحبر ، طريقة سوداء ، وطريقة حمراء . قال : « **قد رأيته** » . هذا حديث مرسل .

وقد بعث الخليفة الواثق في دولته بعض أمرائه ، ووجّه معه جيشًا سرية ؛ لينظروا إلى السدّ ويعاينوه ، وينعتوه له إذا رجعوا ، فتوصلوا من بلاد إلىٰ بلاد ، ومن ملك إلى ملك ، حتىٰ وصلوا إليه ، ورأوا بناءه من الحديد ومن النحاس ، وذكروا أنهم رأوا فيه بابًا عظيمًا ، وعليه أقفال عظيمة ، ورأوا بقية اللبن والعمل في برج هناك ، وأن عنده حرسًا من الملوك المتاخمة له ، وأنه عال منيف شاهق ، لا يستطاع ، ولا ما حوله من الجبال ، ثم رجعوا إلىٰ بلادهم ، وكانت غيبتهم أكثر من سنتين ، وشاهدوا أهوالًا وعجائب[٧]

---

(١٢٠) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٣/١٦) . وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٤٥١/٤) إلى ابن مردويه .

---

[١] - في خ : « بعض » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « بعضه » ، خ : « بعض » .
[٤] - في ز : « مساحته » .
[٥] - في ز : « نانًا » .
[٦] - في ز ، خ : « البرد » .
[٧] - في ز : « عجائبًا » .

[ثم قال تعالى].

﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن يأجوج ومأجوج : إنهم ما قدروا علىٰ أن يصعدوا فوق هذا السد ، ولا قدروا علىٰ نقبه من أسفله ، ولما كان الظهور عليه أسهل من نقبه ، قابل كلًّا بما يناسبه ، فقال : ﴿ **فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبًا** ﴾ وهذا دليل علىٰ أنهم لم يقدروا علىٰ نقبه ، ولا علىٰ شيء منه .

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد(١٢١) :

حدثنا روح ، حدثنا سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، حدثنا أبو رافع ، عن أبي هريرة ، عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم ، حتىٰ إذا كادوا يرون شعاع الشمس ، قال الذي عليهم : ارجعوا فستحفرونه[١] غدًا. فيعودون إليه كأشد ما كان ، حتىٰ إذا بلغت مدتهم ، وأراد اللّٰه أن يبعثهم علىٰ الناس ، [حفروا حتىٰ إذا كادوا يرون شعاع الشمس][٢] قال الذي عليهم : ارجعوا ، فستحفرونه غدًا إن شاء الله . ويستثني ، فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه ، فيحفرونه ويخرجون علىٰ الناس ، فينشفون المياه ، ويتحصن الناس منهم في حصونهم ، فيرمون سهامهم[٣] إلىٰ السماء ، [فترجع وعليها كهيئة الدم ، فيقولون : قهرنا أهل الأرض ، وعلونا أهل السماء][٤] ، فيبعث اللّٰه عليهم نغفًا في أقفائهم فيقتلهم بها** » . قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه

(١٢١) أخرجه أحمد (٢/٥١٠-٥١١،٥١١) ، والترمذي - كتاب تفسير القرآن ، باب : « ومن سورة الكهف » - (٣١٥٣) (٥/٢٩٣-٢٩٤) . وابن ماجه - كتاب الفتن ، باب : فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم وخروج يأجوج ومأجوج - (٤٠٨٠) - (٢/١٣٦٤-١٣٦٥) . وابن حبان في صحيحه - (٦٨٢٩) - (١٥/٢٤٢-٢٤٣) . والحاكم (٤/٤٨٨) وابن جرير في تفسيره (١٦/٢١) . من طرق عن قتادة ثنا أبو رافع به . وقال الترمذي : « حديث حسن غريب » . وصححه الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبي . وقال البوصيري في الزوائد : « إسناده صحيح ، رجاله ثقات » . وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة - (١٧٣٥) - (٤/٣١٣) وأجاب على استنكار المصنف له فراجعه إن شئت .

[١] - في ز : « لنستحفرونه » ، خ : « تستحفرون » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ت : « بسهامهم » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

عليه وسلم : « **والذي نفسي بيده ، إن دواب الأرض لتسمن وتشكر شكرًا من لحومهم ودمائهم** » . ورواه أحمد أيضًا عن حسن - هو ابن موسىٰ الأشيب[١] - عن سفيان ، عن قتادة به . وكذا رواه [الإمام][٢] ابن ماجة عن أزهر بن مروان ، عن عبد الأعلىٰ ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، قال : حدث أبو رافع . وأخرجه الترمذي من حديث أبي عوانة ، عن قتادة ، ثم قال : غريب . لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

وهذا إسناد جيد قوي ، ولكن في رفعه نكارة ؛ لأن ظاهر الآية يقتضي أنهم لم يتمكنوا من ارتقائه ولا من نقبه ؛ لإحكام بنائه وصلابته وشدته ، ولكن هذا قد روي عن كعب الأحبار : أنهم قبل خروجهم يأتونه فيلحسونه ، حتىٰ لايبقىٰ منه إلا القليل[٣] ، فيقولون : غدًا نفتحه ، فيأتون من الغد وقد عاد كما كان ، فيلحسونه حتىٰ لايبقىٰ منه إلا القليل ، فيقولون كذلك ، ويصبحون وهو[٤] كما كان[٥] ، فيلحسونه ويقولون : غدًا نفتحه ، ويلهمون أن يقولوا : إن شاء اللَّه ، فيصبحون وهو كما فارقوه فيفتحونه . وهذا متجه[٦] ، ولعل أبا هريرة تلقاه من كعب ؛ فإنه كثيرًا ما كان يجالسه ويحادثه[٧] ، فحدث [به][٨] أبو هريرة ، فتوهم بعض الرواة عنه أنه مرفوع فرفعه ، واللَّه أعلم .

ويؤكد ما قلناه من أنهم لم يتمكنوا من نقبه ولا نقب شيءٍ منه ، ومن نكارة هذا المرفوع قول الإمام أحمد(١٢٢) :

حدثنا سفيان ، عن الزهري ، عن عروة ، [عن زينب بنت أبي سلمة ، عن حبيبة بنت أم حبيبة بنت أبي سفيان ، عن أمها أم حبيبة][٩] ، عن زينب بنت جحش زوج النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم - قال سفيان : أربع نسوة - قالت : استيقظ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم من نومه وهو محمر وجهه ، وهو يقول : « **لا إله إلا اللَّه ! ويل للعرب من شر قد اقترب !**

---

(١٢٢) **صحيح** ، أخرجه أحمد - (٤٢٨/٦) . ومسلم - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب : اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج (٢٨٨٠) ، والترمذي - كتاب الفتن ، باب : « ما جاء في خروج يأجوج ومأجوج » . (٢١٨٧) . وابن ماجه - كتاب الفتن ، باب : « ما يكون من الفتن » - (٣٩٥٣) من طريق سفيان بن عيينة به .
فائدة : قوله « عن أم حبيبة» سقط من المطبوع من « سنن ابن ماجه » انظر « تحفة الأشراف » - (١٥٨٨٠) - (٣٢٢/١١) . =

---

[١] - في خ : « الأشهب » .
[٢] - سقط من ت .
[٣] - في ز : « القيل » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في خ : « قال » .
[٦] - في ز : « فتحه » .
[٧] - في ت : « يحدثه » .
[٨] - سقط من : ز ، خ .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا » . وحلق - قلت : يا رسول الله ؛ أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : « **نعم ، إذا كثر الخبث** » .

هذا حديث صحيح ، اتفق البخاري ومسلم على إخراجه من حديث الزهري ، ولكن سقط في رواية البخاري ذكر حبيبة وأثبتها مسلم ، وفيه أشياء عزيزة نادرة قليلة الوقوع في صناعة الإسناد ؛ منها رواية الزهري عن عروة وهما تابعيان ، ومنها اجتماع أربع نسوة في سنده كلهن يروي بعضهن عن بعض ، ثم كل منهن صحابية ، ثم ثنتان ربيبتان وثنتان زوجتان رضي الله عنهن .

[وقد روى نحو هذا عن أبي هريرة - رضي الله عنه][١]

فقال البزار : حدثنا محمد بن مرزوق ، حدثنا مؤمل بن إسماعيل ، حدثنا وهيب[٢] ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا** » وعقد التسعين[٣] . وأخرجه البخاري ومسلم(١٢٣) : من حديث وهيب به .

وقوله : ﴿ **قال هذا رحمة من ربي** ﴾ أي : لما بناه ذو القرنين ﴿ **قال هذا رحمة من ربي** ﴾ أي : بالناس ، حيث جعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج حائلًا يمنعهم من العيث في الأرض والفساد ﴿ **فإذا جاء وعد ربي** ﴾ أي : إذا اقترب الوعد الحق ﴿ **جعله دكاء** ﴾ أي : ساواه[٤] بالأرض . تقول العرب : ناقة دكاء ، إذا كان ظهرها مستويًا لا سنام لها ، وقال تعالى : ﴿ **فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًا** ﴾ أي : مساويًا للأرض .

وقال عكرمة في قوله : ﴿ **فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء** ﴾ قال : طريقًا كما كان .

﴿ **وكان وعد ربي حقًا** ﴾ : [أي][٥] كائنًا[٦] لا محالة .

= وأخرجه أحمد (٦/٤٢٨) . وأخرجه البخاري - كتاب الأنبياء ، باب : قصة يأجوج ومأجوج (٣٣٤٦) . ومسلم (١/٢) (٢٨٨٠) من طريق الزهري ، عن عروة بن الزبير عن زينب أم سلمة عن أم حبيبة فذكرته ، ليس فيه « حبيبة بنت أم حبيبة » .

(١٢٣) أخرجه البخاري - كتاب الأنبياء ، باب : قصة يأجوج ومأجوج . (٣٣٤٧) ، ومسلم - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب : « اقتراب الفتن ، وفتح ردم يأجوج ومأجوج (٢٨٨١) من طريقين عن وهيب به .

[١] - سقط من ت .

[٢] - في ز ، خ - في هذا الموضع والموضع الآتي : « وهب » .

[٣] - في ز : « تسعين » .

[٤] - في ز ، خ : « واساه » .

[٥] - سقط من ت .

[٦] - في ز : « كائن » .

وقوله : ﴿ وتركنا بعضهم ﴾ ، أي : الناس ﴿ يومئذ ﴾ ، أي[١] : يوم يدك هذا السد ، ويخرج هؤلاء ، فيموجون في الناس ، ويفسدون على الناس أموالهم ، ويتلفون أشياءهم ، وهكذا قال السدي في قوله : ﴿ وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ﴾ ، قال : ذاك حين يخرجون على الناس . وهذا كله قبل يوم القيامة وبعد الدجال ، كما سيأتي بيانه عند قوله : ﴿ حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق ﴾ ، وهكذا قال هاهنا : ﴿ وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعًا ﴾ قال ابن زيد في قوله : ﴿ تركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ﴾ قال : هذا أول يوم القيامة ﴿ثم نفخ في الصور﴾ على أثر ذلك ﴿فجمعناهم جمعًا﴾ .

وقال آخرون : بل المراد بقوله : ﴿ وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ﴾ [ ][٢] أي : يوم القيامة يختلط الإنس والجن .

روى ابن جرير(١٢٤) عن محمد بن حميد ، عن يعقوب القمي ، عن هارون بن عنترة ، عن شيخ من بني فزارة في قوله : ﴿ وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ﴾ ، قال : إذا ماج الإنس والجن ، قال إبليس : أنا أعلم لكم علم هذا الأمر . فيظعن إلى المشرق[٣] فيجد الملائكة قد قطعوا[٤] الأرض ، ثم يظعن إلى المغرب فيجد الملائكة بطنوا الأرض ، فيقول : ما من محيص . ثم يظعن يمينًا وشمالاً إلى أقصى الأرض ، فيجد الملائكة بطنوا الأرض ، فيقول : ما من محيص . فبينما هو كذلك إذ عرض له طريق كالشراك ، فأخذ عليه هو وذريته ، فبينما هم عليه إذ هجموا على النار ، فأخرج الله خازنًا من خزان النار ، فقال : يا إبليس ؛ ألم تكن لك المنزلة عند ربك ؟ ! ألم تكن في[٥] الجنان ؟ ! فيقول : ليس هذا يوم عتاب ، لو أن الله فرض عليّ فريضة لعبدته فيها عبادة لم يعبده مثلها أحد من خلقه . فيقول : فإن الله قد فرض عليك فريضة . فيقول : ماهي ؟ فيقول : يأمرك أن تدخل النار . فيتلكأ عليه ، فيقول به وبذريته بجناحيه[٦] فيقذفهم في النار ، فتزفر النار زفرة ، لا يبقى ملك مقرب ، ولا نبي مرسل إلا جثى لركبتيه .

(١٢٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره - (١٦/٢٨-٢٩) . وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » - (٤/٤٥٤) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « قال إذا ماج ، ماج الجن الإنس » .

[٣] - في ز : « الشرق » .

[٤] - في خ : « قد بطنوا » .

[٥] - في خ : « لك » .

[٦] - في ز : « بجناحه » .

وهكذا رواه ابن أبي حاتم(١٢٥) من حديث يعقوب القمي به . [ثم][١] رواه من وجه آخر عن يعقوب ، عن هارون بن عنترة ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ﴿ **وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض** ﴾ ، قال : الجن والإنس يموج بعضهم في بعض .

وقال الطبراني(١٢٦) : حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس الأصفهاني ، حدثنا أبو مسعود أحمد بن الفرات ، حدثنا أبو داود الطيالسي ، حدثنا المغيرة بن مسلم عن أبي إسحاق ، عن وهب بن جابر ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **إن يأجوج ومأجوج من ولد آدم ، ولو أرسلوا لأفسدوا علىٰ الناس معايشهم ، ولن يموت رجل منهم إلا ترك من ذريته ألفًا فصاعدًا ، وإن من ورائهم ثلاث أمم : تاويل وتاريس[٢] ومنسك** » .

هذا حديث غريب ، بل منكر ضعيف .

وروىٰ النسائي(١٢٧) : من حديث شعبة ، عن النعمان بن سالم ، عن [ابن][٣] عمرو بن

---

(١٢٥) وعزاه له السيوطي في « الدر المنثور » (٤٥٤/٤) وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر .

(١٢٦) لم أهتد إليه بهذا الإسناد هكذا ، ولعله في الجزء المفقود من « المعجم الكبير » . والحديث عند الطيالسي في مسنده (٢٢٨٢) وأخرجه الطبراني في « الأوسط » (٨٥٩٨) (٢٦٧/٨) حدثنا منتصر بن محمد ثنا الوليد بن شجاع ثنا أبي عن زياد بن خيثمة : حدثني أبو إسحاق به . وذكره المؤلف في « البداية والنهاية » (١٣١/٢) وقال : « حديث غريب جدًا ، وإسناده ضعيف ، وفيه نكارة شديدة » .

وقال الهيثمي في « المجمع » - (٩/٨) : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، ورجاله ثقات » .

قلت : وهب بن جابر - وهو الخيواني - وإن وثقه ابن معين والعجلي وابن حبان فقد جهله ابن المديني والنسائي ، وقال الذهبي : « لا يكاد يعرف ، تفرد عنه أبو إسحاق » .

وأخرجه ابن جرير في تفسيره - (٨٨/١٧) من طريق سفيان الثوري وشعبة عن أبي إسحاق عن وهب بن جابر عن عبد الله بن عمرو ، موقوفًا عليه .

وأخرجه أيضًا - (٨٩/١٧) من طريق معمر عن أبي إسحاق أن عبد الله بن عمرو ... فذكره موقوفًا عليه . ومن طريق شعبة موقوفًا صححه الحاكم (٤٩٠/٤) ووافقه الذهبي . ووهب بن جابر إنما أخرج له أبو داود والنسائي فحسب .

والحديث زاد نسبته السيوطي في الدر المنثور - (٤٥٠/٤) إلى عبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في البعث وابن مردويه وابن عساكر . وله شاهد بإسناد رجاله ثقات من حديث ابن مسعود . أخرجه ابن حبان في صحيحه (٦٨٢٨) - (٢٤٠/١٥-٢٤١) .

(١٢٧) أخرجه النسائي في الكبرى - كتاب التفسير ، باب : سورة الأنبياء - قوله تعالى ﴿ حتى إذا =

---

[١] - سقط من ت . [٢] - في خ : « وتايس » .

[٣] - سقط من ت .

أوس ، عن أبيه ، عن جده أوس بن أبي أوس مرفوعًا : « **إن يأجوج ومأجوج لهم نساء يجامعون ما شاءوا ، وشجر يلقحون[١] ما شاءوا ، ولا يموت رجل منهم إلا ترك من ذريته ألفًا فصاعدًا** » .

وقوله : ﴿ **ونفخ في الصور** ﴾ والصور كما جاء في الحديث : قرن ينفخ فيه ، والذي ينفخ فيه إسرافيل - عليه السلام - كما تقدم في الحديث بطوله(١٢٨) ، والأحاديث فيه كثيرة .

وفي الحديث عن عطية ، عن ابن عباس وأبي سعيد مرفوعًا(١٢٩) : « **كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنىٰ جبهته ، واستمع[٢] متىٰ يؤمر** » . قالوا : كيف نقول[٣] ؟ قال : « **قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، علىٰ الله توكلنا** » .

وقوله : ﴿ **فجمعناهم جمعًا** ﴾ ، أي : أحضرنا الجميع للحساب ، ﴿ **قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلىٰ ميقات يوم معلوم** ﴾ ، ﴿ **وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدًا** ﴾ .

وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُواْ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ

= **فتحت يأجوج ومأجوج** ﴾ (١١٣٣٤) (٤٠٨/٦) حدثنا أبو داود نا سهل بن حماد ، نا شعبة به . وابن عمرو بن أوس لا يعرف ، ولم يذكر فيه جرح ولا تعديل ، ولم يرو عنه غير النعمان بن سالم .

وعزاه ابن حجر في الفتح - (١٠٩/١٣) إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه ، والحديث في « ضعيف الجامع » - (٢٠٢٧) (٢٠٣/١) .

(١٢٨) تقدم في حديث الصور ، وقد تقدم تخريجه [سورة الأنعام / آية ٧٣] .

(١٢٩) حديث ابن عباس تقدم تخريجه [سورة آل عمران / آية ١٧٣] أما حديث أبي سعيد الخدري . فأخرجه أحمد (٧٣،٧/٣) . والترمذي - كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ، باب : ما جاء في شأن الصور (٢٤٣١) (٥٣٦/٤) وفي التفسير - باب : سورة الزمر - (٣٢٤٣) (٣٤٧/٥) وابن ماجه - كتاب الزهد ، باب : ذكر البعث - (٤٢٧٣) (١٤٢٨/٢) بنحوه ، والحميدي - (٧٥٤) - (٣٣٢/٢-٣٣٣) وابن المبارك في الزهد - (١٥٩٧) وأبو نعيم في الحلية (١٠٥/٥) مختصرًا (٣١٢،١٣٠/٧) من طرق عن عطية العوفي عن أبي سعيد ، وقال الترمذي : « حديث حسن » أي لغيره ، فإن عطية ضعيف إلا أنه قد توبع عليه - تابعه أبو صالح .

أخرجه أبو يعلى في مسنده (١٠٨٤) (٣٣٩/٢-٣٤٠) ، وابن حبان في صحيحه (٨٢٣)(١٠٥/٣) =

[١] - في خ : « يلتحون » .
[٢] - في ز : « اسمع » .
[٣] - في ز : « يقولوا » .

﴿أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا (١٠٢)﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عما يفعله بالكفار يوم القيامة : إنه يعرض عليهم جهنم ، أي : يبرزها لهم ويظهرها ؛ ليروا ما فيها من العذاب والنكال قبل دخولها ؛ ليكون ذلك أبلغ في تعجيل الهم والحزن لهم .

وفي صحيح مسلم(١٣٠) عن ابن مسعود قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **يؤتىٰ بجهنم تقاد يوم القيامة بسبعين ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**[١] » .

ثم قال مخبرًا عنهم : ﴿ **الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري** ﴾ . أي : تغافلوا وتعاموا وتصامّوا[٢] عن قبول الهدىٰ ، واتباع الحق ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانًا فهو له قرين** ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ **وكانوا لا يستطيعون سمعًا** ﴾ ، أي : لا يعقلون عن اللَّه أمره ونهيه ، ثم قال : ﴿ **أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء** ﴾ ، أي : اعتقدوا أنهم يصح لهم ذلك وينتفعون بذلك ﴿ **كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدًا** ﴾ ولهذا أخبر اللَّه تعالىٰ أنه قد[٣] أعدّ لهم جهنم يوم القيامة منزلًا .

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠٥) ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا (١٠٦)﴾

= والحاكم (٤/٥٥٩) ، وابن أبي الدنيا في « الأهوال » - (٥٠) . وصححه الألباني في الصحيحة (١٠٧٩) (٣/٦٦) .

(١٣٠) أخرجه مسلم - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها ... (٢٨٤٢) . والترمذي - كتاب صفة جهنم ، باب : ما جاء في صفة النار - (٢٥٧٣) (٤/٦٠٤) من طريق شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود ... فذكره .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « تصاموا » .

[٣] - سقط من : ز .

قال البخاري(١٣١) : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن عمرو ، عن مصعب قال : سألت أبي - يعني سعد بن أبي وقاص - : ﴿ **قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً** ﴾ أهم الحرورية ؟ قال : لا ، هم اليهود والنصارىٰ ، أما اليهود فكذبوا محمدًا صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وأما النصارىٰ كفروا بالجنة ، وقالوا[١] : لا طعام فيها ولا شراب ، والحرورية الذين ينقضون عهد اللَّه من بعد ميثاقه . وكان سعد -رضي اللَّه عنه- يسميهم الفاسقين .

وقال علي بن أبي طالب والضحاك وغير واحد : هم الحرورية .

ومعنىٰ هذا عن عليّ -رضي اللَّه عنه- أن هذه الآية الكريمة تشمل الحرورية ، كما تشمل اليهود والنصارىٰ وغيرهم ، لا أنها نزلت في هؤلاء علىٰ الخصوص ولا هؤلاء ، بل هي[٢] أعم من هذا ، فإن هذه الآية مكية قبل خطاب اليهود والنصارىٰ ، [وقبل وجود الخوارج][٣] بالكلية ، وإنما هي عامة في كل من عبد اللَّه علىٰ غير طريقة مرضية ، يحسب أنه مصيب فيها ، وأن عمله مقبول ، وهو مخطيء ، وعمله مردود . كما قال تعالى : ﴿ **وجوه يومئذٍ خاشعة . عاملة ناصبة . تصلى نارًا حامية** ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ **وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورًا** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتىٰ إذا جاءه لم يجده شيئًا** ﴾ .

وقال في هذه الآية الكريمة : ﴿ **قل هل ننبئكم** ﴾ أي : نخبركم ﴿ **بالأخسرين أعمالاً** ﴾ ثم فسرهم فقال : ﴿ **الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا** ﴾ ، أي : عملوا أعمالاً باطلة علىٰ غير شريعة مشروعة مرضية مقبولة ﴿ **وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا** ﴾ أي : يعتقدون أنهم علىٰ شيء ، وأنهم مقبولون محبوبون .

وقوله : ﴿ **أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه** ﴾ ، أي : جحدوا آيات اللَّه في الدنيا ، وبراهينه التي أقام علىٰ وحدانيته وصدق رسله ، وكذبوا بالدار الآخرة ، ﴿ **فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنًا** ﴾ ، أي : لا نثقل موازينهم ؛ لأنها خالية من[٤] الخير .

قال البخاري(١٣٢) : حدثنا محمد بن عبد اللَّه ، حدثنا سعيد بن أبي مريم ، أخبرنا

(١٣١) أخرجه البخاري - كتاب التفسير ، باب : ﴿ **قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً** ﴾ (٤٧٢٨) .
والنسائي في الكبرى - كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى ﴿ **هل ننبئكم .....** ﴾ (١١٣١٣) .
(١٣٢) أخرجه البخاري - كتاب التفسير ، باب : « أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه =

[١] - سقط من : خ .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « وقيل وجود الجوارح » .
[٤] - في خ : « عن » .

المغيرة ، حدثني أبو الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « **إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة** » . وقال : « **اقرءوا إن شئتم : ﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنًا ﴾** » . وعن يحيىٰ ابن بكير ، عن مغيرة بن عبد الرحمن ، عن أبي الزناد مثله .

هكذا ذكره عن يحيىٰ بن بكير معلقًا ، وقد رواه مسلم عن أبي بكر محمد بن إسحاق ، عن يحيىٰ بن بكير[١] به .

وقال ابن أبي حاتم(١٣٣) : حدثنا أبي ، حدثنا أبو الوليد ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن صالح مولىٰ التوأمة ، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **يؤتىٰ بالرجل الأكول الشروب العظيم فيوزن بحبة فلا يزنها** » . قال : وقرأ : **﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنًا ﴾** .

وكذا رواه ابن جرير(١٣٤) : عن أبي كريب ، عن أبي الصلت ، عن ابن أبي الزناد[٢] ، عن صالح مولىٰ التوأمة ، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- مرفوعًا . فذكره بلفظ البخاري سواء .

وقال أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار(١٣٥) : حدثنا العباس بن محمد ، حدثنا عون ابن عمارة[٣] ، حدثنا هشام بن حسان ، عن واصل ، عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه قال : كنا عند رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فأقبل رجل من قريش يخطر في حلة له ، فلما قام علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **يا بريدة ، هذا ممن لا يقيم الله له يوم القيامة**

= فحبطت أعمالهم » - (٤٧٢٩) . ومسلم - كتاب صفة القيامة والجنة والنار (٢٧٨٥) .

(١٣٣) وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان - (٥٦٧٠) (٣٤/٥) ، وابن عدي في الكامل - (٢٢٣٥/٦) . من طريق سعيد بن منصور ثنا محمد بن عمار المؤذن ، مؤذن مسجد المدينة ، أخبرني صالح مولى التوأمة به . وصالح مولى التوأمة ضعفه أبو زرعة والنسائي ، وقال مالك : « ليس بثقة » وقال ابن معين في رواية : « ليس بقوي في الحديث » ووثقه في رواية أخرى ، وذلك إذا روى عنه القدماء كابن أبي ذئب وابن جريج وغيرهما والرواية التى هنا ليست من هذا الباب ، وبالله التوفيق .

(١٣٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره - (٣٥/١٦) عن أبي كريب عن أبي الصلت عن ابن أبي الزناد به ، وانظر ما قبله .

(١٣٥) أخرجه البزار - كما في مختصر الزوائد لابن حجر - (١١٧٧) (٦٥٠/١) . وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٢٨/٥) وقال : « رواه البزار وفيه عون بن عمارة وهو ضعيف » .

---

[١] - في ز : « طير » . [٢] - في خ : « الدنيا » .

[٣] - في ز ، خ : « عامر » .

وزنًا » . ثم قال : تفرد به واصل مولىٰ أبي عنبسة وعون بن عُمَارة ، وليس بالحافظ ولم يتابع عليه .

وقد قال [ابن] جرير أيضًا(١٣٦) : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان عن الأعمش عن شمر[١] عن أبي يحيىٰ ، عن كعب قال : يؤتىٰ يوم القيامة [برجل عظيم][٢] طويل ، فلا يزن عند الله جناح بعوضة ، اقرءوا : ﴿ **فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا** ﴾ ، أي : إنما جازيناهم بهذا الجزاء جهنم ؛ بسبب كفرهم ، واتخاذهم آيات الله ورسله هزوًا ، استهزءوا بهم وكذبوهم أشد التكذيب .

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾

يخبر تعالىٰ عن عباده السعداء ، وهم الذين آمنوا بالله ورسله ، وصدقوهم فيما[٣] جاءوا به بأن لهم جنات الفردوس .

قال مجاهد : الفردوس هو : البستان بالرومية .

وقال كعب والسدي والضحاك : هو البستان الذي فيه شجر الأعناب . وقال أبو أمامة : الفردوس : سرة الجنة .

وقال قتادة : الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها . وقد روي هذا مرفوعًا من حديث سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **الفردوس : ربوة الجنة و**[٤] **أوسطها وأحسنها** »(١٣٧) .

---

(١٣٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره - (٣٥/١٦) .

(١٣٧) أخرجه ابن جرير في تفسيره - (٣٨/١٦) ، والطبراني في الكبير - (٦٨٨٦) (٢٥٨/٧) ، وأبو نعيم في « صفة الجنة » - (١١) - (٣٨/١) من طريق سعيد بن بشير عن قتادة به . وهذا إسناد ضعيف ، لضعف سعيد وعنعنة الحسن وقتادة ، وتابع قتادة « إسماعيل بن مسلم عن الحسن به . أخرجه ابن جرير في تفسيره - (٣٨/١٦) وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٥٧/٤) إلى ابن أبي حاتم والبزار . وذكره الهيثمي في « المجمع (٤٠١/١٠) وقال : « رواه الطبراني والبزار باختصار وأحد أسانيد الطبراني وثقوا وفي بعضهم ضعف » وصححه الألباني في الصحيحة بشواهده (٢٠٠٣) (٩/٥) . حيث إن له شاهدًا من حديث أنس ابن مالك وهو الآتي .

---

[١] - في ز ، خ : « سمرة » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « بعظيم » .

[٣] - في ز : « بما » .

[٤] - سقط من خ .

وهكذا رواه إسماعيل بن مسلم عن الحسن ، عن سمرة مرفوعًا ؛ وروي عن قتادة ، عن أنس بن مالك مرفوعًا بنحوه(١٣٨) ؛ وقد نقله ابن جرير ، رحمه اللَّه .

وفي الصحيحين(١٣٩) : « **إذا سألتم اللَّه الجنة فاسألوه الفردوس ؛ فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة ، ومنه تفجر أنهار الجنة** » .

وقوله : ﴿ **نزلًا** ﴾ أي : ضيافة ، فإن النزل هو الضيافة .

وقوله : ﴿ **خالدين فيها** ﴾ أي : مقيمين ساكنين فيها[١] ، لا يظعنون عنها أبدًا ﴿ **لا يبغون عنها حولًا** ﴾ أي : لا يختارون غيرها ، ولا يحبون سواها ، وكما قال الشاعر :

فحَلَّتْ[٢] سُوَيدَا القلب لا أنا باغيًا سواها ولا عن حبِّها أتحول

وفي قوله : ﴿ **لا يبغون عنها حولًا** ﴾ تنبيه على رغبتهم فيها ، وحبهم لها ، مع أنه قد يتوهم فيمن هو مقيم في المكان دائمًا أنه يسأمه و[٣] يمله ، فأخبر أنهم مع هذا الدوام والخلود السرمدي ، لا يختارون عن مقامهم ذلك متحولًا ولا [انتقالًا ولا][٤] ظعنًا[٥] ولا رحلة ولا بدلًا[٦] .

﴿ قُلْ لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾

---

(١٣٨) أخرجه الترمذي - كتاب تفسير القرآن ، باب : « ومن سورة المؤمنون » . (٣١٧٤) - (٥/٣٠٦) . وأحمد في مسنده - (٣/٢٦٠) ، وابن جرير في تفسيره - (١٦/٣٨) . من طريق قتادة عن أنس ، فذكر قصة حارثة وفيه « يا أم حارثة .... والفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها » وقال الترمذي : « حسن صحيح » .

لكن قال الألباني في الصحيحة (٤/٤٢٧) ... وهذه الزيادة « والفردوس ربوة .... » التي عند الترمذي شاذة لا تثبت في الحديث عن أنس ، والراجح أنها مدرجة فيه كما بينتها رواية أحمد ، لكن يشهد له حديث سمرة بن جندب .. قلت : وأصل حديث أنس عند البخاري - كتاب الجهاد ، باب : « من أتاه سهم غرب فقتله » - (٢٨٠٩) (٦/٢٥/٢٦٠) دون هذه الزيادة .

(١٣٩) أخرجه البخاري - كتاب الجهاد ، باب : « درجات المجاهدين في سبيل الله ... (٢٧٩٠) - (٦/١١) من حديث أبي هريرة . ولم أقف عليه عند مسلم ، والعلم عند الله تعالى .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في خ : « نحلت » .

[٣] - في خ : « أو » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٥] - في ز ، خ : « ضيقا » .

[٦] - في ز ، خ : « بديلًا » .

يقول تعالىٰ : ﴿ قل ﴾ يا محمد : [ ][١] لو كان ماء[٢] البحر مدادًا للقلم الذي تكتب به كلمات ربي وحكمه وآياته الدالة[٣] عليه ، لنفد البحر قبل أن [يفرغ من][٤] كتابة ذلك ﴿ ولو جئنا بمثله مددًا ﴾ ، أي : بمثل البحر آخر ، ثم آخر ، وهلم جرًّا ، بحور تمده ويكتب بها ، لما نفدت كلمات اللّٰه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات اللّٰه إن اللّٰه عزيز حكيم ﴾ .

قال الربيع بن أنس : إن مثل علم العباد كلهم في علم اللّٰه ، كقطرة من ماء البحور كلها ، وقد أنزل اللّٰه ذلك : ﴿ قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددًا ﴾ .

يقول[٥] : لو كان البحر مدادًا ، والشجر [كله أقلامًا][٦] ، لانكسرت الأقلام وفني ماء البحر ، و[٧] بقيت كلمات اللّٰه قائمة لا يفنيها شيء ؛ لأن أحدًا لا يستطيع[٨] أن يقدر قدره ، ولا يثني عليه كما ينبغي ، حتىٰ يكون هو الذي يثني علىٰ نفسه ، إن ربنا كما يقول وفوق ما نقول[٩] ، إن مثل نعيم الدنيا ؛ أولها وآخرها ، في نعيم الآخرة كحبة من خردل في خلال الأرض كلها[١٠] .

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾

روىٰ الطبراني(١٤٠) من طريق هشام بن عمار ، عن إسماعيل بن عياش ، عن عمرو بن قيس الكوفي ، أنه سمع معاوية بن أبي سفيان ، أنه قال : هذه آخر آية أنزلت .

يقول تعالىٰ لرسوله محمد صلوات اللّٰه وسلامه عليه : ﴿ قل ﴾ لهؤلاء المشركين المكذبين

(١٤٠) أخرجه الطبراني في الكبير - (٩٢١) (٣٩٢/١٩) . وابن جرير في تفسيره - (٤٠/١٦) . وقال الهيثمي في « المجمع » - (١٧/٧) . « رواه الطبراني ورجاله ثقات » . وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » - (٤٦٣/٤) إلى ابن جرير وابن مردويه دون الطبراني .

[١] - ما بين المعكوفتين في خ : « قل » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ز : « والدلالات » .
[٤] - في ز ، خ : « تفرغ » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « كلها أقلام » .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - سقط من : خ .
[٩] - في ز : « يقول » .
[١٠] - سقط من : ز ، خ .

برسالتك إليهم : ﴿ إنما أنا بشر مثلكم ﴾ ، فمن زعم أني كاذب فليأت بمثل ما جئت به ، فإني لا أعلم الغيب فيما[١] أخبرتكم به من الماضي ؛ عما سألتم من قصة أصحاب الكهف ، وخبر ذي القرنين ، مما هو مطابق[٢] في نفس [الأمر ، لولا][٣] ما أطلعني الله عليه ، وأنا أخبركم ﴿ أنما إلهكم ﴾ الذي أدعوكم إلىٰ عبادته ﴿ إله واحد ﴾ لا شريك له ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه ﴾ أي : ثوابه وجزاءه الصالح ﴿ فليعمل عملًا صالحًا ﴾ وهو[٤] : ما كان موافقًا لشرع الله ﴿ ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا ﴾ وهو ، الذي يراد به وجه الله وحده لا شريك له ، وهذان[٥] ركنا العمل المتقبل ؛ لابد أن يكون خالصًا لله ، صوابًا علىٰ شريعة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم .

وقد روىٰ ابن أبي حاتم(١٤١) من حديث معمر ، عن عبد الكريم الجزري ، عن طاوس ، قال : قال رجل : يا رسول الله ، إني أقف المواقف أريد وجه الله ، وأحب أن يرىٰ موطني . فلم يرد عليه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم شيئًا[٦] ، حتىٰ نزلت هذه الآية : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملًا صالحًا ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا ﴾ .

وهكذا أرسل هذا مجاهد وغير واحد .

وقال الأعمش(١٤٢) : حدثنا حمزة أبو[٧] عمارة مولىٰ بني هاشم ، عن شهر بن حوشب قال : جاء رجل إلىٰ عبادة بن الصامت فقال : أنبئني عما أسألك عنه : أرأيت رجلًا يصلي يبتغي وجه الله ، ويحب أن يحمد ، ويصوم يبتغي[٨] وجه الله ، ويحب أن يحمد ، ويتصدق يبتغي وجه الله ، ويحب أن يحمد ، ويحج ويبتغي وجه الله ، ويحب أن يحمد ؟ فقال عبادة : ليس له شيء ؛ إن الله تعالىٰ يقول : أنا خير شريك[٩] ، فمن كان له معي شريك فهو له كله لا حاجة لي فيه .

---

(١٤١) وأخرجه الحاكم - (٤/٣٢٩-٣٣٠) ، وابن جرير في تفسيره - (١٦/٤٠) من طريقين عن معمر به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٥٨) إلى عبد الرزاق وابن أبي الدنيا في الإخلاص والطبراني .

(١٤٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره - (١٦/٤٠) حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن الأعمش به . وشهر بن حوشب ضعيف .

---

[١] - في ز : « بما » .

[٢] - في ز : « المطابق » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٤] - في ت : « أي » .

[٥] - في خ : « هذا » .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

[٧] - في خ : «وأبو » .

[٨] - في ز : « ويبتغي » .

[٩] - في ز : « شرك » .

وقال الإمام أحمد(١٤٣) : حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير ، ثنا كثير بن زيد ، عن ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري ، عن أبيه ، عن جده قال : كنا نتناوب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فنبيت عنده تكون له الحاجة ، أو يطرقه أمر من الليل فيبعثنا ، فكثر المحتسبون وأهل النوب فكنا نتحدث ، فخرج علينا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال : « **ما هذه النجوىٰ ؟ [ألم أنهكم عن النجوىٰ ؟** » قال][١] : فقلنا : تبنا إلىٰ الله ، أي نبي الله ، إنما كنا في ذكر المسيح وفرقنا منه . فقال : « **ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم من المسيح عندي ؟** » قال : قلنا : بلىٰ . قال : « **الشرك الخفي أن يقوم الرجل يصلي لمكان الرجل** ».

وقال الإمام أحمد(١٤٤) : حدثنا أبو النضر ، حدثنا عبد الحميد - يعني ابن بهرام - قال : قال شهر بن حوشب : قال ابن غنم : لما دخلنا مسجد الجابية أنا وأبو الدرداء ، لقينا عبادة بن الصامت ، فأخذ يميني بشماله ، وشمال أبي الدرداء بيمينه ، فخرج يمشي بيننا ونحن ننتجيٰ[٢] ، والله أعلم بما نتناجىٰ[٣] ، فقال عبادة بن الصامت : إن طال بكما عمر أحدكما أو كليكما ، لتوشكان أن تريا الرجل من ثبج المسلمين - يعني من وسط قرأ[٤] القرآن ، علىٰ لسان محمد صلىٰ الله عليه وسلم ، فأعاده وأبداه ، وأحل حلاله ، وحرم حرامه

(١٤٣) المسند (١١٢٦٨) (٣/٣٠) إسناده ضعيف من أجل ربيح بن عبد الرحمن وكثير بن زيد . وكثير بن زيد ؛ قال أبو زرعة : صدوق فيه لين . وقال النسائي : ضعيف . وعن ابن معين : ليس به بأس . وعنه : ثقة . وقال ابن المديني : صالح وليس بقوي . وقال ابن عدي : لم أر بحديثه بأسًا . وفي التقريب: صدوق يخطئ . وربيح بن عبد الرحمن . مقبول . والحديث أخرجه ابن ماجه - كتاب الزهد ، باب : الرياء والسمعة ، (٤٢٠٤) . والحاكم في المستدرك (٤/٣٢٩) مختصرًا ، من طريق كثير بن زيد به .

وقال البوصيري في الزوائد : إسناده حسن ، وكثير بن زيد وربيح بن عبد الرحمن مختلف فيهما . وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي . وذكره الهيثمي في « المجمع » - مقتصرًا على قصة النجوى (١/٣٢٠) وقال : رواه أحمد ورجاله موثقون . و(٩/٢٥) وقال : رواه البزار ورجاله ثقات وفي بعضهم خلاف . وعزاه السيوطي في الدر المنثور - (٤/٤٦٠) إلى الحكيم الترمذي والبيهقي . .

(١٤٤) أخرجه أحمد (٤/١٢٥-١٢٦) ، وأخرجه الطيالسي في مسنده (١١٢٠) ومن طريقه الطبراني في الكبير - (٧١٣) - (٧/٣٣٧-٣٣٨) . والحاكم في مستدركه - (٤/٣٢٩) والبيهقي في الشعب - (٦٨٣٣) (٥/٣٣٧-٣٣٨) ، وابن عدي في الكامل - (٤/١٣٥٧) . من طريق عبد الحميد بن بهرام ، ثنا شهر بن حوشب به مختصرًا .

وذكره الهيثمي في المجمع (١٠/٢٢٣-٢٢٤) مطولًا وقال : «رواه أحمد وفيه شهر بن حوشب وثقه أحمد وضعفه غير واحد ، وبقية رجاله ثقات » .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : « نتناجى » .
[٣] - بعدها في خ : به .
[٤] - في ز : « قراء » .

ونزل[١] عند منازله لا يحور[٢] فيكم[٣] إلا كما يحور[٤] رأس الحمار الميت . قال : فبينما نحن كذلك ، إذ طلع شداد بن أوس -رضي الله عنه- وعوف بن مالك فجلسا إلينا ، فقال شداد : إن أخوف ما أخاف عليكم أيها الناس لَما سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **من الشهوة الخفية والشرك** » . فقال عبادة بن الصامت وأبو الدرداء : اللهم غفرًا ! أولم يكن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قد[٥] حدثنا : « **أن الشيطان قد يئس أن يعبد في جزيرة العرب** » ، وأما الشهوة[٦] الخفية فقد عرفناها ، هي شهوات الدنيا ؛ من نسائها ، وشهواتها ، فما هذا الشرك الذي تخوفنا به يا شداد ؟ فقال شداد أرأيتكم[٧] لو رأيتم رجلًا يصلي لرجل ، أو يصوم لرجل ، [أو يتصدق له أترون أنه قد أشرك ؟ قالوا : نعم ، والله إنه من صلى لرجل][٨] ، أو صام له[٩] ، أو[١٠] تصدق له لقد[١١] أشرك . فقال شداد : فإني سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **من صلىٰ يرائي فقد أشرك ، ومن صام[١٢] يرائي فقد أشرك ، ومن تصدق يرائي فقد أشرك** » .

فقال[١٣] عوف بن مالك عند ذلك : أفلا يعمد الله إلىٰ ما ابتغي به وجهه من ذلك العمل كله ، فيقبل ما خلص له ، ويدع ما أشرك به ؟ فقال شداد عند ذلك : فإني سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **إن الله يقول : أنا خير قسيم لمن أشرك بي ، من أشرك بي شيئًا فإن حَشْده[١٤] عمله قليله وكثيره لشريكه الذي أشرك[١٥] به ، و[١٦] أنا عنه غني** » .

(طريق أخرىٰ[١٧] لبعضه) قال الإمام أحمد(١٤٥) : حدثنا زيد بن الحباب ، حدثني عبد

---

(١٤٥) أخرجه أحمد (٤/١٢٤) . وأخرجه الطبراني في الكبير (٧١٤٤) (٧/٣٤١) ، والحاكم (٤/٣٣٠) . من طريق عبد الواحد بن زيد أخبرنا عبادة بن نسى به . وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ورده الذهبي بقوله : عبد الواحد متروك . والحديث ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٦٠) وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم والبيهقي .

---

[١] - في خ : « ونزله » .
[٢] - في خ : « يجوز » .
[٣] - في ز ، خ : « منكم » .
[٤] - في خ : « تجوز » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في خ : « الشهوات » .
[٧] - في ز : « رأيتكم » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٩] - سقط من : ز .
[١٠] - في ز : « وإن » .
[١١] - في ز : « فقد » .
[١٢] - في خ : « صلى » .
[١٣] - في ت: « قال» .
[١٤] - سقط من : ز ، خ .
[١٥] - في خ : « يشرك » .
[١٦] - سقط من : ز .
[١٧] - سقط من : ز ، خ .

الواحد بن زياد ، أخبرنا عبادة بن نسي ، عن شداد بن أوس -رضي الله عنه- أنه بكىٰ فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : شيء سمعته من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، [يقول : فذكرته][1] فأبكاني ، سمعت رسول الله يقول : « **أتخوف علىٰ أمتي الشرك والشهوة الخفية** » . قلت : يا رسول الله ؛ أتشرك أمتك [من بعدك][2] ؟ قال : « **نعم ، أما إنهم لا يعبدون شمسًا ولا قمرًا ، ولا حجرًا ولا وثنًا ، ولكن يراءون بأعمالهم ، والشهوة الخفية : أن يصبح أحدهم صائمًا ، فتعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه** » . ورواه ابن ماجة(١٤٦) من حديث الحسن بن ذكوان ، عن عبادة بن نسي به . وعبادة فيه ضعف ، وفي سماعه من شداد نظر .

(حديث آخر) قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا الحسين[3] بن عليّ بن جعفر الأحمر ، حدثنا عليّ بن ثابت ، حدثنا قيس بن[4] أبي حصين ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **يقول الله يوم القيامة : أنا خير شريك ، فمن[5] أشرك بي أحدًا فهو له كله** » .

وقال الإمام أحمد(١٤٧) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، سمعت العلاء يحدث ،

---

(١٤٦) أخرجه ابن ماجه - كتاب الزهد ، باب : الرياء والسمعة - (٤٢٠٥) (١٤٠٦/٢) حدثنا محمد بن خلف العسقلاني ثنا روَّاد بن الجراح عن عامر بن عبد الله عن الحسن بن ذكوان به نحوه .

وقال البوصيري في الزوائد : « في إسناده عامر بن عبد الله لم أر من تكلم فيه ، وباقي رجال الإسناد ثقات » .

قلت : عامر هذا استظهر ابن حجر في « التهذيب » أن يكون هو ابن يساف اليمامي ، فإذا كان كذلك فقد وثقه ابن معين في رواية البرقي ، وفي رواية الدُّوريّ قال : « ليس بشيء » وقال أبو داود : « ليس به بأس ، رجل صالح » وقال العجلي : يكتب حديثه ، وفيه ضعف ، وقال ابن عدي : منكر الحديث عن الثقات « ومن ضعفه يكتب حديثه » وشيخه الحسن بن ذكوان ضعفه أحمد وابن معين وأبو حاتم والنسائي وابن المديني ، وبهما يعل الحديث دون عبادة بن نسيٍّ فقد وثقه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين والنسائي .
وقال البخاري : عبادة بن نسى الكندي سيدهم ، وقال أبو حاتم : لا بأس به . وقال أبو عبيد الآجرى : « سألت أبا داود عنه ، فقال : سألت يحيى عنه فقال « لا تسأل عنه من النبل» . [راجع تهذيب الكمال (ت٣١١٠) (١٩٤/١٤)] . وقال ابن حجر في « التقريب » : ثقة فاضل . ولكن مع ثقته ، فإنه كان كثيرًا ما يرسل فقال العلائي في جامع التحصيل - (ت٣٣٤) : « عبادة بن نسي روى عن معاذ وأبي الدرداء وعبادة بن الصامت وجماعة غيرهم وأكثر من ذلك مراسيل .

(١٤٧) **إسناده صحيح** ، أخرجه أحمد (٣٠١/٢) ، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٩٣٨)(٦٨٠٦٧/٢)=

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « الحسن » .
[٤] - سقط من : ز ، خ : « عن » .
[٥] - في خ : « من » .

عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يرويه عن ربه - عز وجل - أنه قال : « **أنا خير الشركاء ، فمن عمل عملًا أشرك فيه غيري فأنا منه بريء ، وهو للذي أشرك** » . تفرد به من هذا الوجه .

(حديث آخر) : قال الإمام أحمد(١٤٨) : حدثنا يونس ، حدثنا ليث ، عن يزيد - يعني ابن الهاد - عن عمرو ، عن محمود بن لبيد ، أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر** » . قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول اللّٰه ؟ قال : « **الرياء ، يقول اللّٰه يوم القيامة إذا جزىٰ الناس بأعمالهم : اذهبوا إلىٰ الذين[١] كنتم تراءون في الدنيا ، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء** » .

(حديث آخر) : قال الإمام أحمد(١٤٩) : حدثنا محمد بن بكر ، أخبرنا عبد الحميد - يعني ابن جعفر - أخبرني أبي ، عن زياد بن ميناء ، عن أبي سعيد[٢] بن أبي فضالة الأنصاري [وكان من الصحابة][٣] قال : سمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « **إذا جمع اللّٰه الأولين والآخرين ليوم القيامة ، ليوم لا ريب فيه ، نادىٰ مناد : من كان أشرك في عملٍ عمله لله أحدًا ، فليطلب ثوابه من عند غير اللّٰه ، فإن اللّٰه أغنىٰ الشركاء عن الشرك** » .

وأخرجه الترمذي وابن ماجة من حديث [محمد بن][٤] بكر - وهو البرساني - به .

(حديث آخر) : قال الإمام أحمد(١٥٠) : حدثنا أحمد بن عبد الملك ، حدثنا بكار ، حدثني أبي - يعني عبد العزيز بن أبي بكرة عن أبي بكرة - رضي اللّٰه عنه - قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **من سَمَّع(*) سَمَّع اللّٰه به ، ومن راءىٰ راءىٰ اللّٰه به** » .

= من طريق محمد بن جعفر به . وأخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الزهد والرقائق ، باب : من أشرك في عمله غير الله (٤٦) - (٢٩٨٥) - (١٨/١٥٦) . وابن ماجه - كتاب الزهد - باب : « الرياء والسمعة » ، (٤٢٠٢) (٢/١٤٠٥) من طريقين عن العلاء بن عبد الرحمن به .

(١٤٨) تقدم [سورة يوسف/آية ١٠٧/ رقم ١٤٤،١٤٥] .

(١٤٩) تقدم تخريجه [سورة يوسف / آية١٠٧/ رقم ١٤٣] .

(١٥٠) أخرجه أحمد (٥/٤٥) . وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٠/٢٢٥-٢٢٦) وقال : « رواه أحمد والبزار والطبراني وأسانيدهم حسنة » .

(*) سَمَّع فلانٌ بعمله : إذا أظهره ليُسْمَع . نهاية [٢/٤٠٢]

[١] - في ز : « الذي » .

[٢] - في خ : « سعد » .

[٣] - في ت : أنه .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

وقال الإمام أحمد(١٥١) : حدثنا معاوية ، حدثنا شيبان ، عن فراس ، عن عطية ، عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [أنه][١] قال : « **من يرائي يرائي الله به ، ومن يسمّع يسمّع الله به** » .

حديث آخر : قال الإمام أحمد(١٥٢) : حدثنا يحيى بن سعيد ، عن شعبة ، حدثني عمرو ابن مرة ، قال : سمعت رجلًا في بيت أبي عبيدة ، أنه سمع عبد الله بن عمرو يحدث ابن عمر ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **من سمّع الناس بعمله سمع الله به ، سامع خَلْقه وصغّره وحقّره** » . [قال] فذرفت عينا عبد الله .

وقال الحافظ أبو بكر البزار(١٥٣) : حدثنا عمرو[٢] بن يحيى الأيلي ، حدثنا الحارث بن غسان ، حدثنا أبو عمران الجوني ، عن أنس - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله

---

(١٥١) **إسناده ضعيف ، ومتنه صحيح** وهو في المسند حديث (١١٣٧٣) (٣/٤٠) .
وأخرجه الترمذي - كتاب الزهد ، باب : ما جاء في الرياء والسمعة (٢٣٨٢) وقال : « حديث حسن صحيح من هذا الوجه » . وأبو يعلى في مسنده (١٠٥٩) (٢/٣٢٣) . من طريق أبي كريب حدثنا معاوية ابن هشام به . وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ، كتاب الزهد ، باب : كلام الحسن البصري (١١٥) (٨/٢٦٧) ، وعنه ابن ماجه في الزهد ، باب : الرياء والسمعة (٤٢٠٦) من طريق بكر بن عبد الرحمن ثنا عيسى بن المختار عن ابن أبي ليلى عن العوفي به . وهذا إسناد أشد ضعفًا من سابقه . وقد صح متن الحديث ، فأخرجه البخاري في الرقاق ، باب : الرياء والسمعة (٦٤٩٩) . ومسلم في الزهد والرقائق ، باب : من أشرك في عمله غير الله (٢٩٨٧) . وابن ماجه في الزهد ، باب : الرياء والسمعة (٤٢٠٧) ويأتي من حديث جندب بن عبد الله البجلي .
(١٥٢) أخرجه أحمد (٢/١٦٢،١٩٥،٢١٢،٢٢٣-٢٣٤) سمى الرجل في إحدى الروايات « أبا يزيد » .
وأخرجه البغوي في شرح السنة (٤١٣٨) (١٤/٣٢٥-٣٢٦) . من طريق عبد الله بن المبارك عن شعبة به .
وأبو نعيم في الحلية (٤/١٢٣-١٢٤) ، (٥/٩٩) والطبراني في الأوسط (٤٩٨٤) (٥/١٧٢-١٧٣) من طريق أبان بن تغلب عن عمرو بن مرة عن خيثمة عن عبد الله بن عمرو فذكره . وقال أبو نعيم : « غريب من حديث أبان بن تغلب عن عمرو عن خيثمة » .
وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٠/٢٢٥) وقال : « رواه الطبراني في الكبي والأوسط بنحوه .... ورواه أحمد باختصار .... وسمى الطبراني الرجل وهو خيثمة بن عبد الرحمن ، فبهذا الاعتبار رجال أحمد وأحد أسانيد الطبراني في الكبير رجال الصحيح » .
وذكره المنذري في « الترغيب والترهيب » (١/٣١) وقال : « رواه الطبراني في « الكبير » بأسانيد أحدها صحيح ، والبيهقي »
(١٥٣) وعزاه له السيوطي في « الدر المنثور » (٤/٤٦٠) وزاد نسبته إلى البيهقي .

---

[١] - سقط من خ . [٢] - في ز : « محمد » .

عليه وسلم : « **تعرض أعمال بني آدم بين يدي الله - عز وجل - يوم القيامة في صحف مختومة [ ][١] ، فيقول الله : ألقوا هذا واقبلوا هذا . فتقول الملائكة : يارب ؛ والله مارأينا منه إلا خيرًا . فيقول : إن عمله كان لغير وجهي ، ولا أقبل اليوم من العمل إلا ما أريد به وجهي** » . ثم قال : الحارث بن غسان روىٰ عنه جماعة ، وهو بصري ليس به بأس .

قال ابن وهب(١٥٤) : حدثني يزيد بن عياض ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن عبد الله ابن قيس الخزاعي ، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **من قام رياء وسمعة لم يزل في مقت الله حتىٰ يجلس** » .

وقال أبو يعلىٰ(١٥٥) : حدثنا محمد بن أبي بكر ، حدثنا محمد بن دينار ، عن إبراهيم الهجري ، عن أبي الأحوص ، عن عوف بن مالك ، عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **من أحسن الصلاة حيث[٢] يراه الناس ، وأساءها حيث يخلو ، فتلك استهانة استهان بها ربه عز وجل** » .

وقال ابن جرير(١٥٦) : حدثنا أبو عامر[٣] إسماعيل بن عمرو السكوني ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا ابن عياش ، حدثنا عمرو بن قيس الكندي ، أنه سمع معاوية بن أبي سفيان تلا هذه الآية : ﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملًا صالحًا ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا** ﴾ وقال : إنها آخر آية نزلت من القرآن .

وهذا أثر مشكل ، فإن هذه الآية [ ][٤] آخر سورة الكهف ، والكهف كلها مكية ، ولعل معاوية أراد : أنه لم ينزل بعدها ما ينسخها ، ولا يغير حكمها ، بل هي مثبتة محكمة ، فاشتبه ذلك علىٰ بعض الرواة ، فروىٰ بالمعنىٰ ما فهمه ، والله أعلم .

---

(١٥٤) ذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٢٦/١٠) وقال : « رواه الطبراني وفيه يزيد بن عياض وهو متروك » . وأورده الألباني في ضعيف الجامع (٥٧٥٥) (٢٣٠/٦) وحكم عليه بالوضع .

(١٥٥) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٥١١٧) (٥٤/٩) . وأخرجه البيهقي في الكبرى - كتاب الصلاة ، باب : الترغيب في تحسين الصلاة (٢٩٠/٢) من طريق زائدة عن إبراهيم الهجري به . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٢٤/١٠) وقال : « رواه أبو يعلى وفيه إبراهيم بن مسلم الهجري وهو ضعيف » . وأورده الحافظ في « المطالب العالية » (٣٢٠٠) (١٨٣/٣) وقال : « حديث حسن » وجاء في الحاشية [قال البوصيري : رواه إسحاق وأبو يعلى بإسناد حسن] وضعفه الألباني في ضعيف الجامع - (٥٣٦١) (١٥٢/٥) .

(١٥٦) تقدم - (١٤٤) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « مختمة » .

[٢] - في خ : « حتى » .

[٣] - في ز : « عمرو » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في خ : « هى » .

وقال الحافظ أبو بكر البزار(١٥٧) : حدثنا محمد بن علي بن الحسن[١] بن شقيق ، حدثنا النضر بن شميل ، حدثنا أبو قرة ، عن سعيد بن المسيب ، عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « من قرأ في ليلة : ﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا** ﴾ كان له من نور من عَدن أبين[٢] إلى مكة[٣] ، حشوة الملائكة». غريب جدًّا .

آخر سورة الكهف ، ولله الحمد

(١٥٧) أخرجه البزار - كما في مختصر الزوائد لابن حجر - (٢١٢٦) (٤١٩/٢) .
وقال : « لا نعلمه مرفوعًا إلا عن عمر بهذا الإسناد وأبو قرة تفرد عنه النضر »
قال ابن حجر : قد وثق ، وصح سماع سعيد من عمر .
وأخرجه الحاكم (٣٧١/٢) من طريق إسحاق أنبأنا النضر بن شميل به نحوه ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي بقوله : « أبو قرة ، فيه جهالة ولم يضعف » .
وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٢٩/١٠) وقال : « رواه البزار وفيه أبو قرة الأسدي لم يرو عنه غير النضر ابن شميل ، وبقية رجاله ثقات » .
وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٤٦٣/٤) إلى ابن راهويه وابن مردويه والشيرازي في « الألقاب » .

[١] - في ز ، خ : « الحسين » .
[١] - أبين - بوزن أحمر - قرية على جانب البحر ، قرب اليمن ، وقيل : هو اسم مدينة «عدن» . النهاية (٢٠/١)
[٢] - سقط من : ز ، خ .

[تفسير] سورة مريم [وهي مكية]

وقد روىٰ محمد بن إسحاق في السيرة من حديث أمّ سلمة(١) وأحمد بن حنبل عن ابن مسعود(٢) في قصة الهجرة إلىٰ أرض الحبشة من مكة أن جعفر بن أبي طالب -رضي الله عنه- قرأ صدر هذه السورة علىٰ النجاشي وأصحابه .

﴿ كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ ﴾

أما [ ][١] الحروف المقطعة فقد تقدم [ ][٢] في أول سورة البقرة .

وقوله : ﴿ **ذكر رحمة ربك** ﴾ أي : هذا ذكر رحمة الله بعبده زكريا .

وقرأ[٣] يحيىٰ بن يعمر: [ذكّرَ رحمةَ ربك عبده زكريا] . [و][٤] ﴿ **زكريا** ﴾ : يمد ويقصر قراءتان مشهورتان . وكان نبيًا عظيمًا من أنبياء بني إسرائيل ، و[٥] في صحيح البخاري(٣) : أنه كان نجارًا ، و[٦] أنه كان يأكل من عمل يديه[٧] في النجارة . وقوله : ﴿ **إذ**

(١) - السيرة النبوية لابن هشام (٣٤٧/١) وما بعدها .

(٢) - المسند (٤٦١/١) . وقال الهيثمي في المجمع (٢٧/٦) : رواه الطبراني وفيه خديج بن معاوية وثقه أبو حاتم ، وقال في بعض حديثه ضعف ، وضعفه ابن معين وغيره ، وبقيه رجاله ثقات .

(٣) - أخرجه مسلم في كتاب الفضائل ، باب : من فضائل زكريا عليه السلام ، حديث (٢٣٧٩/١٦٩) (١٩٦/١٥) . وابن ماجه في كتاب التجارات ، باب : الصناعات ، حديث (٢١٥٠) (٧٢٧/٢) . كلاهما من حديث أبي هريرة دون ذكر : وأنه كان يأكل من عمل يده في نجارة . **ولم نجده في البخاري** .

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : الكلام علىٰ .
[٢] - سقط من ت .
[٣] - في خ : « قراءة » .
[٤] - سقط من ت .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « أي » .
[٧] - في ت : « يده » .

نادىٰ[١] ربه نداءً خفيًّا ﴾ قال بعض المفسرين : إنما أخفى دعاءه ؛ لئلا ينسب في طلب الولد إلىٰ الرعونة لكبره . حكاه الماوردي .

وقال آخرون : إنما أخفاه ؛ لأنه أحب إلىٰ الله . كما قال قتادة(٤) في هذه الآية : ﴿ إذ نادىٰ ربه نداء خفيًّا ﴾ : إن الله يعلم القلب التقي ، ويسمع الصوت الخفي .

وقال بعض السلف : قام من الليل - عليه السلام - وقد نام أصحابه ، فجعل يهتف بربه يقول خُفية : يارب يارب يارب . فقال الله له[٢] : لبيك لبيك لبيك .

﴿ قال رب إني وهن العظم مني ﴾ أي : ضعفت وخارت القوىٰ ﴿ واشتعل الرأس شيبًا ﴾ أي : اضطرم[٣] المشيب في السواد . كما قال ابن دريد في مقصورته

إمّا تَرَىٰ رَأْسِي حاكَىٰ لونُه طُرَّةَ صُبْحٍ تَحْتَ أذيالِ الدُّجَى
واشْتَعَلَ المبْيَضُ في[٤] مُسْوَدّه مثْلَ اشتعَالِ النّارِ في جَمْر الغضا

والمراد من هذا : الإخبار عن الضعف والكبر ، ودلائله الظاهرة والباطنة .

وقوله : ﴿ ولم أكن بدعائك رب شقيًّا ﴾ أي : ولم أعهد منك إلا الإجابة في الدعاء ، ولم تردَّني قط فيما سألتك .

وقوله : ﴿ وإني خفت الموالي من ورائي ﴾ قرأ الأكثرون بنصب الياء من ﴿ الموالي ﴾ علىٰ أنه مفعول ، وعن الكسائي أنه سكن الياء ، كما قال الشاعر :

كأن أيديَهُنَّ في القاع القرق[٥] أيدي جَوَارٍ يتعاطين الورق

[وقال الآخر][٦] :

فتىٰ لويباري الشّمس ألْقَتْ قناعها أو القَمَرَ السّاري لألقىٰ المقالدا

ومنه قول أبي تمام حبيب بن أوس الطائي[٧] :

تغاير الشِّعرُ منه إذْ سهرتُ لهُ حتىٰ ظَننْتُ قوافيه سَتَقْتَتِلُ

---

(٤) - أخرجه الطبري (١٦/٤٥) .

---

[١] - في ز : « ناداه » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « اصطرم » .
[٤] - في ز : « من » .
[٥] - في خ : « القربى » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٧] - سقط من : ز ، خ .

وقال مجاهد وقتادة والسدي(٥) : أراد بالمولى العصبة ، وقال أبو صالح(٦) : الكلالة .

وروي عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان(٧) - رضي الله عنه - أنه كان يقرؤها : ﴿ **وإني خفَّت الموالي من ورائي** ﴾ بتشديد الفاء[١] ، بمعنىٰ : قلَّت عَصَباتي من بعدي .

وعلىٰ القراءة الأولىٰ وجه خوفه : أنه خشي أن يتصرفوا من[٢] بعده في الناس تصرفًا سيئًا ، فسأل الله ولدًا يكون نبيًّا من بعده ؛ ليسوسهم بنبوته وما يوحىٰ إليه[٣] ، فأجيب في ذلك ، لا أنه خشي من وراثتهم له ماله ، فإن النبي أعظم منزلة ، وأجل قدرًا من أن يشفق علىٰ ماله إلىٰ ما هذا حده : أن يأنف من وراثة عصباته له ، ويسأل أن يكون له ولد فيحوز ميراثه دونهم ، هذا وجه .

الثاني : أنه لم يذكر أنه كان ذا مال ، بل كان نجّارًا ، يأكل من كسب يديه[٤] ، ومثل هذا لا يجمع مالًا ، ولاسيما الأنبياء - عليهم السلام - فإنهم كانوا أزهد شيء في الدنيا .

الثالث : أنه قد ثبت في الصحيحين(٨) من غير وجه[٥] ، أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « **لا نورث ، ما تركنا فهو[٦] صدقة** » . وفي رواية عند الترمذي(٩) بإسناد صحيح : « **نحن معشر الأنبياء - لا نورث** » . وعلىٰ هذا فتعين حمل قوله : ﴿ **فهب لي من لدنك وليًّا * يرثني** ﴾ علىٰ ميراث النبوة ؛ ولهذا قال : ﴿ **ويرث من آل يعقوب** ﴾ كقوله : ﴿ **وورث سليمان داود** ﴾ ، أي : في النبوة ، إذ لو كان في المال لما خصه من بين إخوته بذلك ، ولما كان في الإخبار بذلك كبير فائدة ، إذ من المعلوم المستقر في جميع

---

(٥) - أخرجه عنهم الطبري (٤٧/١٦) .

(٦) - أخرجه الطبري (٤٧/١٦) .

(٧) - أخرجه الطبري (٤٧/١٦) .

(٨) - أخرجه البخاري في كتاب فرض الخمس ، باب : فرض الخمس حديث (١٩٦/٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨) حديث (٣٠٩٤) . ومسلم في كتاب : الجهاد والسير في باب : حكم الفيء ، حديث (١٥٧/٤٩) كلاهما من حديث عمر رضي الله عنه . وهو متفق عليه أيضًا من حديث عائشة رواه البخاري (١١٢٨) ومسلم ٧٧ - (٧١٨) . ومن حديث أبي بكر الصديق رواه البخاري (٣٧١١) ومسلم (١٧٥٩) .

(٩) - أخرجه الترمذي في كتاب السير ، باب : ما جاء في تركة النبي - صلى الله عليه وسلم - حديث (١٦١٠) من حديث أبي بكر بلفظ الصحيحين .

---

[١] - في ز ، خ : « الياء » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من ز ، خ .

[٤] - في ت : « يده » .

[٥] - في ت : « وجهه » .

[٦] - سقط من : خ .

الشرائع والملل - أن الولد يرث أباه ، فلولا أنها وراثة خاصة لما أخبر بها ، وكل هذا يقرره ويثبته ما صح في الحديث : « **نحن معاشر الأنبياء - لا نورث ، ما تركنا فهو صدقة** » .

قال مجاهد(١٠) في قوله : ﴿ **يرثني ويرث من آل يعقوب** ﴾ كانت[١] وراثته علمًا ، وكان زكريا من ذريَّة يعقوب .

وقال هشيم : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح(١١) في قوله : ﴿ **يرثني ويرث من آل يعقوب** ﴾ قال : يكون نبيًّا كما كانت آباؤه أنبياء .

وقال عبد الرزاق عن معمر ، عن قتادة ، عن الحسن(١٢) : يرث نبوته وعلمه .

وقال السدي(١٣) : يرث نبوتي ، ونبوة آل يعقوب .

وعن مالك ، عن زيد بن أسلم : ﴿ **ويرث من آل يعقوب** ﴾ قال : [نبوتهم .

وقال جابر بن نوح ويزيد بن هارون كلاهما ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح(١٤) في قوله : ﴿ **يرثني ويرث من آل يعقوب** ﴾ قال][٢] : يرث مالي ، ويرث من آل يعقوب النبوة . وهذا اختيار ابن جرير في تفسيره .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن قتادة(١٥) أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **يرحم الله زكريا وما كان عليه من ورثه ؟! ويرحم الله لوطًا إن كان ليأوي إلىٰ ركن شديد !** » .

وقال ابن جرير(١٦) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا جابر بن نوح ، عن مبارك - هو ابن فضالة - عن الحسن قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **رحم الله أخي زكريا ما كان عليه من ورثه ماله[٣] حين يقول : ﴿ فهب لي من لدنك وليًّا * يرثني ويرث من**

(١٠) - أخرجه الطبري (٤٨/١٦) .
(١١) - أخرجه الطبري (٤٨/١٦) .
(١٢) - أخرجه الطبري (٤٨/١٦) ، وعزاه السيوطي (٤٦٧/٤) إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم .
(١٣) - أخرجه الطبري (٤٨/١٦) ، وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٤٦٧/٤) إلى ابن أبي حاتم .
(١٤) - أخرجه الطبري (٤٨/١٦) .
(١٥) - أخرجه الطبري (٤٨/١٦) .
(١٦) - تفسير الطبري (٤٨/١٦) .

[١] - في ز ، خ : « كان » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - في ز ، خ : «قاله » .

آل يعقوب ﴾ » . وهذه مرسلات لا تعارض الصحاح ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **واجعله رب رضيًا** ﴾ أي : مرضيًا عندك وعند خلقك ، تحبه وتحببه إلىٰ خلقك ، في دينه وخلقه .

﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ (٧)

هذا الكلام يتضمن محذوفًا ، وهو : أنه أجيب إلىٰ ما سأل في دعائه ، فقيل : ﴿ **يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيىٰ** ﴾ كما قال تعالىٰ : ﴿ **هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء * فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيىٰ مصدقًا بكلمة من الله وسيدًا وحصورًا ونبيًّا من الصالحين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **لم نجعل له من قبل سميًا** ﴾ قال قتادة وابن جريج وابن زيد(١٧) : أي لم يسم أحد قبله بهذا الاسم .

واختاره ابن جرير رحمه الله .

وقال مجاهد(١٨) : ﴿ **لم نجعل له من قبل سميًا** ﴾ أي : شبيهًا - [أخذه من معنىٰ قوله : ﴿ **فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميًا** ﴾ أي : شبيهًا][١] .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس(١٩) : أي : لم تلد العواقر قبله مثله . وهذا دليل علىٰ أن زكريا - عليه السلام - كان لا يولد له ، وكذلك امرأته كانت عاقرًا من أول عمرها ، بخلاف إبراهيم وسارة - عليهما السلام - فإنهما إنما تعجبا من البشارة بإسحاق علىٰ كبرهما لا لعقرهما ؛ ولهذا قال : ﴿ **أبشرتموني علىٰ أن مسني الكبر فبم تبشرون** ﴾ مع أنه قد كان ولد له قبله إسماعيل بثلاث عشرة سنة ، وقالت امرأته : ﴿ **يا ويلتىٰ أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخًا إن هذا لشيء عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد** ﴾ .

---

(١٧) - أخرجه عنهم الطبري (١٦/٥٠) .

(١٨) - أخرجه الطبري (١٦/٤٩) ، وزاد السيوطي نسبته إلى أحمد في الزهد ، وابن أبي حاتم ، وعبد بن حميد وابن المنذر (٤/٤٦٨) .

(١٩) - أخرجه الطبري (١٦/٤٩) ، وزاد السيوطي نسبته (٤/٤٦٨) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾

هذا تعجب من زكريا - عليه السلام - حين أجيب إلىٰ ماسأل وبشر بالولد، ففرح فرحًا شديدًا، وسأل عن كيفية ما يولد له، والوجه الذي يأتيه منه الولد، مع[1] أن امرأته عاقر لا تلد من أول عمرها مع كبرها، ومع[2] أنه قد كبر وعتا، أي: عَسَا عظمه ونحُل، ولم يبق فيه لقاح ولا جماع. والعرب تقول للعود إذا يبس: عتا يعتو عتيًّا وعتوًّا، وعسىٰ يعسو عسوًّا وعسيًّا.

وقال مجاهد(٢٠): ﴿عتيًّا﴾ بمعنى نحول العظم. وقال ابن عباس(٢١) وغيره: ﴿عتيًّا﴾ يعني الكبر. والظاهر أنّه أخصّ من الكبر.

وقال ابن جرير(٢٢): حدثنا يعقوب، حدثنا هشيم، أخبرنا حصين، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لقد علمت السنة كلها، غير أني لا أدري أكان رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، يقرأ في الظهر والعصر أم لا، ولا أدري كيف كان يقرأ هذا الحرف: ﴿**وقد بلغت من الكبر عتيًّا**﴾ أو عسيًّا.

ورواه الإمام أحمد(٢٣) عن سريج[3] بن النعمان. وأبو داود عن زياد بن أيوب، كلاهما عن هشيم، به.

﴿**قال**﴾ **أي الملك مجيبًا لزكريا عما استعجب منه** ﴿**كذلك قال ربك هو عليّ**

(٢٠) - أخرجه الطبري (٥١/١٦)، وزاد السيوطي نسبته في الدر (٤٦٨/٤) إلى عبد بن حميد وابن المنذر، وابن أبي حاتم.
(٢١) - أخرجه الطبري (٥١/١٦)، والحاكم (٣٧٢/٢) بنحوه، وسكت عليه، وضعفه الذهبي، وقال: قال أحمد بن حنبل: محمد بن زياد اليشكري الطحان كذاب خبيث يضع الحديث، وابن شجاع من ضعفاء المراوزة.
(٢٢) - أخرجه الطبري (٥١/١٦).
(٢٣) - أخرجه أحمد (١/ ٢٥٧، ٢٥٨)، وأبو داود في كتاب الصلاة، باب: القراءة في الظهر والعصر، حديث (٨٠٩) (٢١٤/١) طرفه الأول.

[1] - سقط من: ز، خ.
[2] - في خ: «مع».
[3] - في خ: «شريح».

هين ﴾ أي : إيجاد الولد منك و[١]من زوجتك هذه لا من غيرها ﴿ هين ﴾ أي : يسير سهل علىٰ الله .

ثم ذكر له ما هو أعجب [ ][٢] مما سأل عنه ، فقال : ﴿ وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئًا ﴾ كما قال تعالىٰ : ﴿ هل أتىٰ علىٰ الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا ﴾ .

قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾

يقول تعالى مخبرًا عن زكريا - عليه السلام - أنه ﴿قال رب اجعل لي آية﴾ أي: علامة ودليلًا علىٰ وجود ما وعدتني ؛ لتستقر نفسي ، ويطمئن قلبي بما وعدتني ، كما قال إبراهيم - عليه السلام - : ﴿ رب أرني كيف تحيي الموتىٰ قال أو لم تؤمن قال بلىٰ ولكن ليطمئن قلبي ﴾ ، ﴿ قال آيتك ﴾ أي : علامتك ﴿ ألَّا تكلم الناس ثلاث ليال سويًّا ﴾ ، أي : أن تحبس لسانك عن الكلام ثلاث ليال ، وأنت صحيح سوي من غير مرض ولا علة .

قال ابن عباس ومجاهد، وعكرمة ووهب، والسدي ، وقتادة(٢٤) ، وغير واحد: اعتقل لسانه من غير مرض.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم(٢٥) : كان يقرأ ويسبح ، ولا يستطيع أن يكلم قومه إلا إشارة .

وقال العوفي عن ابن عباس(٢٦) : ﴿ثلاث ليال سويًّا﴾ أي: متتابعات .

والقول الأول عنه ، وعن الجمهور أصح ، كما قال تعالىٰ في آل عمران: ﴿قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألَّا تكلم الناس ثلاثة أيام إلَّا رمزًا واذكر ربك كثيرًا وسبح[٣]

(٢٤) - أخرجه عنهم الطبري (١٦/٥٢ - ٥٣) .

(٢٥) - أخرجه الطبري (١٦/٥٢) ، وزاد السيوطى نسبته في الدر (٤/٤٦٩) إلى ابن أبي حاتم .

(٢٦) - أخرجه الطبري (١٦/٥٣) .

[١] - سقط من : ز ، خ . [٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « منه » .

[٣] - في خ : « وسبح بحمد ربك » وهي زيادة ليست في المصحف العثماني .

بالعشي والإبكار﴾.

وقال مالك عن زيد بن أسلم(٢٧) : ﴿ **ثلاث ليال سويًا** ﴾ من غير خرس .

وهذا دليل علىٰ أنه لم يكن[١] يكلم الناس في هذه الليالي الثلاث وأيامها ﴿ **إلا رمزًا** ﴾ أي : إشارة ؛ ولهذا قال في هذه الآية الكريمة : ﴿ **فخرج علىٰ قومه من المحراب** ﴾ أي : الذي بشر فيه بالولد ﴿ **فأوحىٰ إليهم** ﴾ أي : أشار إشارة خفية سريعة ﴿ **أن سبحوا بكرة وعشيًا** ﴾ أي : موافقة له [ ][٢] فيما أمر به[٣] في هذه الأيام الثلاثة ، زيادة علىٰ أعماله و[٤] شكرًا للَّه علىٰ ما أولاه .

قال مجاهد : ﴿ **فأوحىٰ إليهم** ﴾ أي : أشار . وبه قال وهب(٢٨) ، وقتادة(٢٩) .

وقال مجاهد(٣٠) في رواية عنه : ﴿ **فأوحىٰ إليهم** ﴾ أي : كتب لهم في الأرض . وكذا قال السدي(٣١) .

يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾

وهذا أيضًا تضمن محذوفًا تقديره : أنه وجد هذا الغلام[٥] المبشر به ، وهو : يحيىٰ عليه السلام ، وأن اللَّه علمه الكتاب ، وهو التوراة التي كانوا يتدارسونها بينهم ، ويحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا ، والربانيون والأحبار ، وقد كان سنه إذ ذاك صغيرًا ، فلهذا نوه بذكره ، وبما أنعم به[٦] عليه وعلىٰ والديه ، فقال : ﴿ **يا يحيىٰ خذ الكتاب بقوة** ﴾ ،

(٢٧) - أخرجه الطبري (١٦/٥٢) .
(٢٨) - أخرجه الطبري (١٦/٥٣) .
(٢٩) - أخرجه الطبري (١٦/٥٣) .
(٣٠) - أخرجه الطبري (١٦/٥٤) .
(٣١) - أخرجه الطبري (١٦/٥٤) .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « أي » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : « الكلام » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .

أي[١] : تعلم الكتاب ﴿ **بقوة** ﴾ ، أي : بجد ، وحرص ، واجتهاد ﴿ **وآتيناه الحكم صبيًا** ﴾ أي : الفهم والعلم ، والجد والعزم ، والإقبال علىٰ الخير ، والإكباب عليه ، والاجتهاد فيه ، وهو صغير حدث .

قال عبد اللَّه بن المبارك : قال معمر(٣٢) : قال الصبيان ليحيىٰ بن زكريا : اذهب بنا نلعب . قال : ما للعب خلقنا[٢] . قال فلهذا أنزل اللَّه : ﴿ **وآتيناه الحكم صبيًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وحنانًا من لدنا** ﴾ قال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس(٣٣) : ﴿ **وحنانًا من لدنا** ﴾ يقول : ورحمة من عندنا . وكذا قال عكرمة وقتادة والضحاك(٣٤) . وزاد : لا يقدر عليها غيرنا . وزاد قتادة(٣٥) : رحم بها زكريا .

و[٣]قال مجاهد(٣٦) : ﴿ **وحنانًا من لدنا** ﴾ : وتعطفًا من ربه عليه .

وقال عكرمة(٣٧) : ﴿ **وحنانًا من لدنا** ﴾ [قال : محبة عليه . وقال ابن زيد(٣٨) : أما الحنان فالمحبة . وقال عطاء بن أبي رباح(٣٩) ﴿ **وحنانًا من لدنا** ﴾][٤] قال : تعظيمًا من لدنا .

وقال ابن جريج(٤٠)[٥] : أخبرني عمرو بن دينار أنه سمع عكرمة عن ابن عباس قال : لا والله ، لا[٦] أدري ما ﴿ **حنانًا** ﴾ .

---

(٣٢) - أخرجه الطبري (٥٥/١٦) ، وزاد السيوطي نسبته (٤٧٠/٤) إلى أحمد في الزهد ، وابن المنذر وابن أبي حاتم والخرائطي وابن عساكر .

(٣٣) - أخرجه الطبري (٥٥/١٦) ، وزاد السيوطي نسبته (٤٧١/٤) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣٤) - أخرجه عنهم الطبري (٥٥/١٦) .

(٣٥) - أخرجه الطبري (٥٥/١٦) .

(٣٦) - أخرجه الطبري (٥٥/١٦) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٧١/٤) إلى عبد بن حميد .

(٣٧) - أخرجه الطبري (٥٦/١٦) .

(٣٨) - أخرجه الطبري (٥٦/١٦) .

(٣٩) - أخرجه الطبري (٥٦/١٦) .

(٤٠) - أخرجه الطبري (٥٦/١٦) .

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - في ت : « خلقت » .

[٣] - سقط من : ت .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ت : « جرير » .

[٦] - في ت : « ما » .

وقال ابن جرير(٤١) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا جرير ، عن منصور ، سألت سعيد بن جبير ، عن قوله : ﴿ وحنانًا من لدنا ﴾ فقال : سألت عنها ابن عباس فلم يُحر(*)[١] فيها شيئًا ، والظاهر من هذا السياق أن : ﴿ وحنانًا ﴾ معطوف علىٰ قوله : ﴿ وآتيناه الحكم صبيًا ﴾ أي[٢] : وآتيناه الحكم وحنانًا ، وزكاة ، أي : وجعلناه ذا حنان وزكاة . فالحنان : هو المحبة في شفقة وميل ، كما تقول العرب : حنت الناقة علىٰ ولدها ، وحنت المرأة علىٰ زوجها ، ومنه سميت المرأة حَنّة من الحنَّة ، وحنَّ الرجلُ إلى وطنِه ، ومنه التعطُّف والرحمة . كما قال الشاعر :

تَحَنَّنْ[٣] عَلَيّ هَدَاكَ المَلِيكُ ... فإن لكُلّ مقام مقالا

وفي المسند للإمام أحمد(٤٢) عن أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **يبقىٰ رجل في النار ينادي ألف سنة : ياحنان يامنان** » .

وقد يثنىٰ ، ومنهم من يجعل ما ورد من ذلك لغة بذاتها . كما قال طرفة .

أبا منذرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبْق بَعْضَنَا ... حَنَانَيْكَ[٤] بَعْض الشَّرِّ أَهْوَنُ من بَعض

وقوله : ﴿وزكاة﴾ معطوف علىٰ ﴿وحنانًا﴾ ، فالزكاة الطهارة من الدنس والآثام والذنوب .

وقال قتادة : الزكاة العمل الصالح .

وقال الضحاك ، وابن جريج : العمل الصالح الزكي .

---

(٤١) - لم أجده عند ابن جرير بهذا اللفظ ، لكن ذكره السيوطي (٤٧١/٤) ، وعزاه إليه .

(٤٢) - المسند (٢٣٠/٣) (١٣٤٣٥) ، قال : ثنا حسن بن موسى ، ثنا سلام - يعني ابن مسكين - عن أبي ظلال ، عن أنس بن مالك ، عن النبي صلّى الله عليه وسلم قال : « **إن عبدًا في جهنم ، لينادي ألف سنة : يا حنان يا منان ، قال : فيقول الله عز وجل لجبريل عليه السلام : اذهب فائتني بعبدي هذا ، فينطلق جبريل ، فيجد أهل النار مكبين يبكون ، فيرجع إلى ربه ، فيخبره ، فيقول : ائتني به ، فإنه في مكان كذا وكذا ، فيجيء به ، فيوقفه على ربه عز وجل ، فيقول له : يا عبدي كيف وجدت مكانك ومقيلك ، فيقول : أي رب شر مكان ، وشر مقيل ، فيقول : ردوا عبدي ، فيقول : يا رب ، ما كنت أرجو إذ أخرجتني منها أن تردني فيها ، فيقول : دعوا عبدي** » . سلام بن مسكين ، قال أحمد : ثقة ، كثير الحديث . وأبو ظلال ، اسمه هلال بن أبي هلال القسملي ، أو ابن أبي مالك ، وهو ابن ميمون ، وقيل غير ذلك في اسم أبيه ، مشهور بكنيته ، قال ابن معين : أبو ظلال ليس بشيء . وقال ابن حبان : كان =

(*) أي : لم يردَّ جوابًا .

[١] - في خ : « يجد » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : « تعطف » .

[٤] - في ز ، خ : « حنانك » .

وقال العوفي عن ابن عباس(٤٣) : ﴿ وزكاة وكان تقيًا ﴾ : طهر فلم يعمل بذنب .

وقوله : ﴿ وبرًا بوالديه ولم يكن جبارًا عصيًا ﴾ لما ذكر تعالىٰ طاعته لربه ، وأنه خلقه ذا رحمة وزكاة وتقى ، عطف بذكر طاعته لوالديه وبره بهما ، ومجانبته عقوقهما قولًا وفعلًا [أمرًا][١] ونهيًا ؛ ولهذا قال : ﴿ ولم يكن جبارًا عصيًا ﴾ ثم قال بعد هذه الأوصاف الجميلة جزاء له علىٰ ذلك : ﴿ وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيًا ﴾ أي : له الأمان في هذه الثلاثة الأحوال .

وقال سفيان بن عيينة : أوحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن : يوم يولد ، فيرىٰ نفسه خارجًا مما كان فيه ، ويوم يموت فيرىٰ قومًا لم يكن عاينهم ، ويوم يبعث فيرىٰ نفسه في محشر عظيم . قال : فأكرم اللَّه فيها يحييٰ بن زكريا ، فخصه بالسلام عليه ، فقال : ﴿ وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيًا ﴾ . رواه ابن جرير(٤٤) عن أحمد بن منصور المروزي[٢] عن صدقة بن الفضل عنه .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن قتادة(٤٥) في قوله : ﴿ جبارًا عصيًا ﴾ قال : كان ابن المسيب يذكر قال : قال النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **ما من أحد يلقىٰ اللَّه يوم القيامة إلا ذا ذنب ، إلا يحيىٰ بن زكريا** » . قال قتادة(٤٦) [عن الحسن قال : قال النبي ، صلى اللَّه عليه وسلم : «](*) **ما أذنب ولا همَّ بامرأة**[٣] . مرسل .

وقال محمد بن إسحاق(٤٧) : عن يحيىٰ بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب : حدثني ابن العاص ، أنه سمع رسول الله ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، [ ][٤] قال : « **كل بني آدم يأتي**

= مغفلاً يروي عن أنس ما ليس من حديثه ، لا يجوز الاحتجاج به بحال . وفي التقريب ضعيف - روى له البخاري تعليقًا ، وأبو داود .

(٤٣) - أخرجه الطبري (١٦/٥٨) .

(٤٤) - أخرجه الطبري (١٦/٥٨ ، ٥٩) .

(٤٥) - أخرجه الطبري (١٦/٥٨) ، وعزاه السيوطي (٤/٤٧١) إلى عبد الرزاق وأحمد في الزهد وعبد بن حميد ، وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤٦) - أخرجه الطبري (١٦/٥٨) .

(٤٧) - أخرجه الطبري (١٦/٥٨) ، والحاكم (٢/٣٧٣) ، وقال على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وزاد الحاكم : ثم دلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يده إلى الأرض فأخذ عودًا صغيرًا =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت . [٢] - في ز : « المروذي » .

(*) ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ . وأثبتناه من تفسير عبد الرزاق .

[٣] - في ز : « بامرٍ » ، خ : « أمر » . [٤] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « أنه » .

يوم القيامة وله ذنب ، إلا ما كان من يحيىٰ بن زكريا » . ابن إسحاق هذا مدلس ، وقد عنعن هذا الحديث ، فالله أعلم .

وقال الإمام أحمد(٤٨) : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، أخبرنا عليّ بن زيد ، عن يوسف ابن مهران ، عن ابن عباس ، أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **ما من أحد من ولد آدم إلا وقد أخطأ ، أو هَمَّ بخطيئة ، ليس يحيىٰ بن زكريا ، وما ينبغي لأحد أن يقول : أنا خير من يونس بن متىٰ** » . وهذا أيضًا ضعيف ؛ لأن علي بن زيد بن جدعان له منكرات كثيرة ، والله أعلم .

وقال سعيد بن أبي عروبة[١] ، عن قتادة : أن الحسن[٢](٤٩) قال : إن يحيىٰ وعيسىٰ عليهما السلام التقيا ، فقال له عيسىٰ : استغفر لي أنت خير مني . فقال له الآخر : استغفر لي فأنت خير مني . فقال له عيسىٰ : أنت خير مني ؛ سلمت علىٰ نفسي وسلم الله عليك . فعُرِفَ والله فضلهما[٣] .

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴾

= ثم قال : « وذلك أنه لم يكن له ما للرجال إلا مثل هذا العود ، ولذلك سماه الله سيدًا وحصورًا ونبيًّا من الصالحين » .

(٤٨) - أخرجه أحمد (٢٥٤/١ - ٢٩١ ، ٢٩٢ - ٢٩٥ - ٣٠١ - ٣٢٠) ولم يُذكر يونس بن متى في المصادر الثلاثة الأخيرة .

(٤٩) - أخرجه الطبري (٥٩/١٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٧٣/٤) ، وعزاه إلى عبد الرزاق وأحمد في الزهد ، وعبد بن حميد وابن أبي حاتم .

[١] - في خ : « عروة به » .

[٢] - في ت : « حسنًا » .

[٣] - في ز ، خ : « فضلها » .

لما ذكر تعالىٰ قصة زكريا - عليه السلام - وأنه أوجد منه في حال كبره وعقم زوجته ولدًا زكيًا طاهرًا مباركًا ، عطف بذكر قصة مريم في إيجاده ولدها عيسىٰ - عليهما السلام - منها من غير أب ، فإن بين القصتين[١] مناسبة ومشابهة ، ولهذا ذكرهما في آل عمران وهاهنا ، وفي سورة الأنبياء يقرن بين القصتين[٢] ؛ لتقارب ما بينهما في المعنىٰ ؛ ليدل عباده علىٰ قدرته وعظمة سلطانه ، وأنه علىٰ ما يشاء قادر ، فقال : ﴿ **واذكر في الكتاب مريم** ﴾ وهي : مريم بنت عمران ، من سلالة داود - عليه السلام - وكانت من بيت طاهر طيب في بني إسرائيل ، وقد ذكر اللَّه تعالىٰ قصة ولادة أمّها لها في سورة[٣] آل عمران ، وأنها نذرتها[٤] محررة ، أي : تخدم مسجد[٥] بيت المقدس ، وكانوا يتقربون بذلك[٦] ﴿ **فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتًا حسنًا** ﴾ ونشأت في بني إسرائيل نشأة عظيمة ، فكانت إحدىٰ العابدات الناسكات ، المشهورات بالعبادة العظيمة ، والتبتل والدءوب ، وكانت في كفالة زوج أختها - وقيل : خالتها - زكريا ، نبي بني إسرائيل إذ ذاك ، وعظيمهم الذي يرجعون إليه في دينهم ، ورأىٰ لها زكريا من الكرامات الهائلة ما بهره ؛ ﴿ **كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقًا قال يا مريم أنّىٰ لك هذا قالت هو من عند اللَّه إن اللَّه يرزق من يشاء بغير حساب** ﴾ فذكر أنه كان يجد عندها ثمر[٧] الشتاء في الصيف ، وثمر[٨] الصيف في الشتاء ، كما تقدم بيانه[٩] في سورة[١٠] آل عمران ، فلمّا أراد الله تعالىٰ - وله الحكمة والحجة البالغة - أن يوجد منها عبده ورسوله عيسىٰ - عليه السلام - أحد الرسل أولي العزم الخمسة العظام ﴿ **انتبذت من أهلها مكانًا شرقيًا** ﴾ أي : اعتزلتهم وتنحت عنهم ، وذهبت إلىٰ شرق[١١] المسجد المقدس .

قال السدي : لحيض أصابها . وقيل : لغير ذلك ، قال أبو كدينة عن قابوس بن أبي ظبيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس(٥٠) قال : إن أهل الكتاب كتب عليهم الصلاة إلىٰ البيت والحج إليه ، وما صرفهم عنه إلا قيل ربك : ﴿ **فانتبذت من أهلها مكانًا شرقيًا** ﴾ قال : خرجت مريم مكانًا شرقيًا ، فصلوا قبل مطلع الشمس . رواه ابن أبي(٥١) حاتم ، وابن

(٥٠) - أخرجه الطبري (٦٠/١٦) .
(٥١) - أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٤٧٧/٤) .

[١] - في ز ، خ : « القضيتين » .
[٢] - في ز ، خ : « القضيتين » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في خ : « ولدتها » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في خ : « ذلك » .
[٧] - في ز ، خ : « ثمرة » .
[٨] - في ز ، خ : « وثمرة » .
[٩] - سقط من : خ .
[١٠] - سقط من : ز ، خ .
[١١] - في خ : « شرقي » .

جرير(٥٢) .

وقال ابن جرير(٥٣) أيضًا : حدثنا إسحاق بن شاهين ، حدثنا خالد بن عبد الله ، عن داود ، عن عامر ، عن ابن عباس قال : إني لأعلم خلق الله لأي شيء اتخذت النصارىٰ المشرق قبلة ؛ لقول الله تعالىٰ : ﴿ **فانتبذت من أهلها مكانًا شرقيًا** ﴾ واتخذوا ميلاد عيسىٰ قبلة .

وقال قتادة(٥٤) : ﴿ **مكانًا شرقيًا** ﴾ شاسعًا متنحيًا .

وقال محمد بن إسحاق : ذهبت بقلتها [تستقي من][١] الماء .

وقال نوف البكالي : اتخذت لها منزلًا تتعبد فيه ، فالله أعلم .

وقوله : ﴿ **فاتخذت من دونهم حجابًا** ﴾ أي : استترت منهم وتوارت ، فأرسل الله تعالىٰ إليها جبريل - عليه السلام - ﴿ **فتمثل لها بشرًا سويًا** ﴾ أي : علىٰ صورة إنسان تام كامل .

قال مجاهد ، والضحاك ، وقتادة(٥٥) ، وابن جريج(٥٦) ، ووهب بن منبه(٥٧) ، والسدي(٥٨) في قوله[٢] : ﴿ **فأرسلنا إليها روحنا** ﴾ يعني : جبريل عليه السلام .

وهذا الذي قالوه هو ظاهر القرآن ؛ فإنه تعالىٰ قد قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **نزل به الروح الأمين علىٰ قلبك لتكون من المنذرين** ﴾ .

وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب(٥٩) قال : إن روح عيسىٰ - عليه السلام - من جملة الأرواح التي أخذ عليها العهد في زمان آدم -

(٥٢) - أخرجه الطبري (١٦/٦٠) .

(٥٣) - أخرجه الطبري (١٦/٥٩) .

(٥٤) - أخرجه الطبري (١٦/٦٠) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٧٦ ، ٤٧٧) وعزاه إلى عبد الرزاق وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وزاد فيه « قبل المشرق » .

(٥٥) - أخرجه الطبري (١٦/٦٠) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٨٠) إلى ابن أبي حاتم .

(٥٦) - أخرجه الطبري (١٦/٦٠) .

(٥٧) - أخرجه الطبري (١٦/٦٠) .

(٥٨) - أخرجه الطبري (١٦/٦٠) بنحوه .

(٥٩) - أخرجه الحاكم (٢/٣٧٣) وصححه ووافقه الذهبي ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٨٠) وعزاه إلى ابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات .

[١] - ما بين المعكوفين في ت : « لتستقي » . [٢] - سقط من : ز ، خ .

عليه السلام - وهو الذي تمثل لها بشرًا سويًّا . أي : روح عيسىٰ ، فحملت الذي خاطبها ، وحَلَّ في[١] فيها . وهذا في غاية الغرابة والنكارة ، وكأنه إسرائيلي .

﴿ **قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيًّا** ﴾ أي : لما تبدى لها الملك في صورة بشر ، وهي[٢] في مكان منفرد ، وبينها وبين قومها حجاب خافته ، وظنت أنه يريدها علىٰ نفسها ، فقالت : ﴿ **إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيًّا** ﴾ أي : إن كنت تخاف اللَّه ، تذكيرًا له باللَّه ، وهذا هو المشروع في الدفع أن يكون بالأسهل فالأسهل ، فخوفته أولًا باللَّه عز وجل .

قال ابن جرير : حدثني أبو كريب ، حدثنا أبو بكر عن عاصم قال : قال أبو وائل(٦٠) - وذكر قصة مريم - فقال : قد علمت أن التقي ذو نهية حين قالت : ﴿ **إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيًّا قال إنّما أنا رسول ربك** ﴾ .

أي : فقال لها الملك مجيبًا لها ومزيلًا ما حصل عندها من الخوف علىٰ نفسها : لست مما تظنين ، ولكني رسول ربك ، أي : بعثني اللَّه إليك ، ويقال : إنها لما ذكرت الرحمن انتفض جبريل فرقًا ، وعاد إلىٰ هيئته ، وقال : (**إنما أنا رسول ربك ليهب لك غلامًا زكيًّا**) .

[هكذا قرأ أبو عمرو بن العلاء أحد مشهوري القراء(*) . وقرأ الآخرون(**) : ﴿ **لأهب لك غلامًا زكيًّا** ﴾][٣] وكلا القراءتين له وجه حسن ومعنىً صحيح ، وكل تستلزم الأخرىٰ .

﴿ **قالت أنّى يكون لي غلام** ﴾ أي[٤] : فتعجبت مريم من هذا ، وقالت : كيف يكون لي غلام ، أي : علىٰ أي صفة يوجد هذا الغلام مني ، ولست بذات زوج ، ولا يتصور مني الفجور ؛ ولهذا قالت[٥] : ﴿ **ولم يمسسني بشر ولم أك بغيًّا** ﴾ والبَغِيُّ : هي الزانية ؛ ولهذا جاء في الحديث نهىٰ[٦] عن مهر البغي ﴿ **قال كذلك قال ربك هو عليّ هين** ﴾ أي : فقال لها الملك مجيبًا لها عما سألت : إن اللَّه قد قال : إنه سيوجد منك غلامًا ، وإن لم يكن لك بعل ، ولا توجد منك فاحشة ، فإنه علىٰ ما يشاء قادر ؛ ولهذا قال : ﴿ **ولنجعله آية**

(٦٠) - أخرجه الطبري (٦١/١٦) .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « هو » .

(*)وهي كذلك قراءة نافع في رواية ورش ، والحلواني عن قالون .

(**) وهم : عبد اللَّه بن كثير ، وعاصم ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٤] - سقط من : خ .

[٥] - في ز ، خ : « قال » . [٦] - في ت : « النهى » .

للناس ﴾ أي : دلالة وعلامة للناس علىٰ قدرة بارئهم وخالقهم ، الذي نوع[١] في خلقهم ، فخلق أباهم آدم من غير ذكر ولا أنثىٰ ، وخلق حواء من ذكر بلا أنثىٰ ، وخلق بقية الذرية من ذكر وأنثىٰ إلا عيسىٰ ، فإنه أوجده من أنثىٰ بلا ذكر ، فتمت القسمة الرباعية ، الدالة علىٰ كمال قدرته وعظيم سلطانه ، فلا إله غيره ولا رب سواه .

وقوله : ﴿ **ورحمة منَّا** ﴾ أي : ونجعل هذا الغلام - رحمة من اللَّه - نبيًّا من الأنبياء ، يدعو إلىٰ عبادة اللَّه تعالىٰ وتوحيده ، كما قال تعالىٰ في الآية الآخرىٰ : ﴿ **إذ قالت الملائكة يا مريم إن اللَّه يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسىٰ ابن مريم وجيهًا في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلًا ومن الصالحين** ﴾ أي : يدعوا إلى عبادة الله ربه في مهده وكهولته .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم - دُحَيْم -[٢] حدثنا مروان ، حدثنا العلاء بن الحارث الكوفي ، عن مجاهد(٦١) قال : قالت مريم - عليها السلام - : كنت إذا خلوت حدثني عيسىٰ ، وكلمني وهو في بطني ، وإذا كنت مع الناس سبح في بطني وكبر .

وقوله : ﴿ **وكان أمرًا مقضيًّا** ﴾ يحتمل أن هذا من [تمام][٣] كلام جبريل لمريم ، يخبرها أن هذا أمر مقدر في علم اللَّه تعالىٰ وقدرته ومشيئته ، ويحتمل أن يكون من خبر اللَّه تعالىٰ لرسوله محمد[٤]، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وأنه كنىٰ بهذا عن النفخ في فرجها ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا** ﴾ وقال : ﴿ **والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا** ﴾ . قال محمد بن إسحاق(٦٢) : ﴿ **وكان أمرًا مقضيًّا** ﴾ أي : إن اللَّه قد عزم علىٰ هذا فليس منه بد . واختار هذا [ ][٥] ابن جرير في تفسيره ، ولم يحك غيره ، واللَّه أعلم .

۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾

(٦١) - أخرجه ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم وأبو نعيم ، كما ذكر ذلك السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٧٩) .
(٦٢) - أخرجه الطبري (١٦/٦٢) .

[١] - في ز ، خ : « تنوع » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ت : أيضًا .

يقول تعالىٰ مخبرًا عن مريم : إنها لما قال لها جبريل عن اللَّه تعالىٰ ما قال ، أنها استسلمت لقضاء اللَّه تعالىٰ ، فذكر غير واحد من علماء السلف أن الملك وهو جبرائيل - عليه السلام - عند ذلك ، نفخ في جيب درعها ، فنزلت النفخة حتىٰ ولجت في الفرج ، فحملت بالولد بإذن اللَّه تعالىٰ ، فلما حملت [به][١] ضاقت ذرعًا ، [به][٢] ولم تدر ماذا تقول للناس ، فإنها تعلم أن الناس لا يصدقونها فيما تخبرهم به ، غير أنها أفشت سرها[٣] ، وذكرت أمرها لأختها امرأة زكريا عليه السلام ، وذلك أن زكريا - عليه السلام - كان قد سأل اللَّه الولد فأجيب إلىٰ ذلك ، فحملت امرأته ، فدخلت عليها مريم ، فقامت إليها فاعتنقتها ، وقالت أشعرت يا مريم أني حبلىٰ ؟ فقالت لها مريم : وهل علمت أيضًا أني حبلىٰ . وذكرت لها شأنها ، وما كان من خبرها ، وكانوا بيت إيمان وتصديق ، ثم كانت امرأة زكريا بعد ذلك إذا واجهت مريم ، تجد الذي في جوفها[٤] يسجد للذي في بطن مريم ، أي : يعظمه ويخضع له ، فإن السجود كان في ملتهم عند السلام مشروعًا ، كما سجد ليوسف أبواه[٥] وإخوته ، وكما أمر اللَّه الملائكة أن تسجد[٦] لآدم - عليه السلام - ولكن حرم في ملتنا هذه ؛ تكميلًا لتعظيم جلال الرب تبارك وتعالى .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين قال : قرئ علىٰ الحارث بن مسكين وأنا أسمع [ ][٧] أخبرنا عبد الرحمن بن القاسم قال : قال مالك رحمه اللَّه : بلغني أن عيسىٰ ابن مريم ويحيىٰ بن[٨] زكريا - عليهما السلام - ابنا خالة ، وكان حملهما جميعًا معًا ، فبلغني أن أم يحيىٰ قالت لمريم : إني أرىٰ أن ما في بطني يسجد لما في بطنك . قال مالك : أرىٰ ذلك لتفضيل عيسىٰ - عليه السلام - لأن اللَّه جعله يُحيي الموتىٰ ويبرئ الأكمه والأبرص .

ثم اختلف المفسرون في مدة حمل عيسىٰ - عليه السلام - فالمشهور عن الجمهور أنها حملت به تسعة أشهر ، و[٩] قال عكرمة : ثمانية أشهر قال : ولهذا لا يعيش ولد لثمانية أشهر .

وقال ابن جريج : أخبرني المغيرة [بن عثمان][١٠] بن عبد اللَّه الثقفي ، سمع ابن

---

[١] - سقط من : ت .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ت : « بطنها » .
[٥] - في ز ، خ : « أباه » .
[٦] - في ت : « يسجدوا » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « قال » .
[٨] - سقط من : خ .
[٩] - في خ : « قال » .
[١٠] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : « عن غنية » .

عباس ، وسئل عن حَبَل[١] مريم ؟ قال : لم يكن إلا أن حملت فوضعت[٢] .

وهذا غريب ، وكأنه[٣] [أخذه][٤] من ظاهر قوله تعالىٰ : ﴿ **فحملته فانتبذت به مكانًا قصيًا فأجاءها المخاض إلىٰ جذع النخلة** ﴾ فالفاء وإن كانت للتعقيب ، لكن تعقيب كل شيء بحسبه ، كقوله[٥] تعالىٰ : ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظامًا** ﴾ فهذه الفاء للتعقيب بحسبها .

وقد ثبت في الصحيحين(٦٣) أن بين كل صفتين أربعين يومًا ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ألم تر أن اللَّه أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة** ﴾ فالمشهور الظاهر - واللَّه علىٰ كل شيء قدير - : أنها حملت به كما تحمل النساء بأولادهن ؛ ولهذا لما ظهرت مخايل الحمل ، عليها[٦] وكان معها في المسجد رجل صالح من قراباتها ، يخدم معها البيت المقدس ، يقال له : يوسف النجار ، فلما رأىٰ ثقل بطنها وكبره ، أنكر ذلك من أمرها ، ثم صرفه ما يعلم من براءتها ونزاهتها ، ودينها وعبادتها ، ثم تأمّل ما هي فيه ، فجعل أمرها يجوس في فكره ، لا يستطيع صرفه عن نفسه ، فحمل نفسه علىٰ أن عَرَّضَ لها في القول ، فقال : يا مريم ، إني سائلك عن أمر فلا تعجلي عليّ . قالت : وما هو ؟ قال : هل يكون قط شجر من غير حب ، وهل يكون زرع من غير بذر ، وهل يكون ولد من غير أب ؟ فقالت : نعم - وفَهِمَتْ ما أشار إليه - أما[٧] قولك : هل يكون شجر من غير حب ، وزرع من غير بذر : فإن اللَّه قد[٨] خلق الشجر والزرع أول ما خلقهما من غير حب ، ولا بذر ، و[هل خلقٌ يكون][٩] من غير أب : فإن اللَّه تعالىٰ قد خلق آدم من غير أب ولا أم . فصدقها وسلم لها حالها .

(٦٣) - أخرجه البخاري في كتاب : « بدء الخلق » ، باب : ذكر الملائكة حديث (٣٢٠٨) (٦/٣٠٣) وأطرافه في (٣٣٣٢ - ٦٥٩٤ - ٧٤٥٤) . ومسلم في كتاب : القدر ، حديث (٢٦٤٣/١) (١٦/٢٩٢) وما بعدها ، من حديث ابن عباس بلفظ « إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا ، ثم يكون علقه مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث اللَّه ملكًا يؤمر بأربع كلمات ويقال له : اكتب عمله ورزقه وشقي أو سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح ، فإن الرجل منكم ، ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع ، فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار ، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة » . واللفظ للبخاري .

[١] - في ت : « حمل » .
[٢] - في ز ، خ : « وضعت » .
[٣] - في خ : « وكأن » .
[٤] - ما بين المعكوفين في ت : مأخوذ .
[٥] - في خ : « كما قال » .
[٦] - في ت : « بها » .
[٧] - في ز ، خ : « إنما » .
[٨] - سقط من : ز ، خ .
[٩] - ما بين المعكوفتين في ت : « هل يكون ولد » .

ولما استشعرت مريم من قومها اتهامها بالريبة ، انتبذت منهم (مكانًا قصيًّا) ، أي : قاصيًا منهم بعيدًا عنهم ؛ لئلا تراهم ولا يروها .

قال محمد بن إسحاق : فلما حملت به ، وملأت قلتها ورجعت ، استمسك عنها الدم ، وأصابها ما يصيب الحامل على الولد ؛ من الوصب(*) والتوحم[١] وتغير اللون ، حتى فطر لسانها ، فما دخل على أهل بيت ما دخل على آل زكريا ، وشاع الحديث في بني إسرائيل ، فقالوا : إنما صاحبها يوسف ، ولم يكن معها[٢] في الكنيسة غيره ، وتوارت من الناس ، واتخذت من دونهم حجابًا ، فلا يراها أحد ولا تراه .

وقوله : ﴿ فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة ﴾ [أي : فاضطرها وألجأها الطلق إلى جذع النخلة][٣] [وهي][٤] نخلة في المكان الذي تَتَحَّتْ إليه .

وقد اختلفوا فيه، فقال السدي[٥](٦٤) : كان شرقيَّ محرابها الذي تصلي فيه من بيت المقدس .

وقال وهب بن منبه(٦٥) : ذهبت هاربة ، فلما كانت بين الشام ، وبلاد مصر ضربها الطلق .

وفي رواية عن وهب(٦٦) كان ذلك على ثمانية أميال من بيت المقدس، في قرية هناك يقال لها « بيت لحم » .

قلت : وقد تقدم في أحاديث الإسراء ؛ من رواية النسائي عن أنس(٦٧) -رضي الله

(٦٤) - أخرجه الطبري (٦٣/١٦) بنحوه .
(٦٥) - أخرجه الطبري (٦٤/١٦) .
(٦٦) - أخرجه الطبري (٦٥/١٦) .
(٦٧) - أخرجه النسائي (٢٢٢/١) كتاب الصلاة ، باب : فرض الصلاة ، وذكر اختلاف الناقلين في إسناد حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - واختلاف ألفاظهم فيه ، وطرفه « أتيت بدابة فوق الحمار ودون البغل ... » الحديث ، وقد تقدم في أول الإسراء .

(*) الوصب : الوجع والتعب .
[١] - في ت : « الترحم » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .
[٥] - في ت : « الأسدي » .

عنه - والبيهقي عن شداد بن أوس[(٦٨)] - رضي الله عنه - أن ذلك ببيت لحم ، فالله أعلم .

وهذا هو المشهور الذي تلقاه الناس بعضهم عن بعض ، ولا تشك فيه النصارىٰ : أنه ببيت لحم ، وقد[١] تلقاه الناس ، وقد ورد به الحديث إن صح .

وقوله تعالىٰ إخبارًا عنها : ﴿ **قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيًا منسيًا** ﴾ - فيه دليل علىٰ جواز تمني الموت عند الفتنة ، فإنها عرفت أنها ستبتلىٰ وتمتحن بهذا المولود ، الذي لا يحمل الناس أمرها فيه علىٰ السداد ، ولا يصدقونها في خبرها ، وبعد ما كانت عندهم عابدة ناسكة ، تصبح عندهم - فيما يظنون - عاهرة زانية ، فقالت : ﴿ **يا ليتني مت قبل هذا** ﴾ أي : قبل هذا الحال ﴿ **وكنت نسيًا منسيًا** ﴾ أي : لم أخلق ولم أك شيئًا . قاله ابن عباس[(٦٩)] .

وقال السدي[(٧٠)] : قالت وهي تطلق من الحبَل استحياء من الناس : ياليتني مت قبل هذا الكرب ، الذي أنا فيه ، والحزن بولادتي المولود من غير بعل . ﴿ **وكنت نسيًا منسيًا** ﴾ نُسي فترك طلبه ، كخرق الحيض [التي][٢] إذا ألقيت وطرحت لم تطلب ولم تذكر[٣] . وكذلك[٤] كل شيء نسي وترك فهو نَسْيٌ . وقال قتادة : ﴿ **وكنت نسيًا منسيًا** ﴾ أي : شيئًا لا يعرف[٥] ولا يذكر ولا يدرىٰ من أنا .

وقال الربيع بن أنس[(٧١)] : ﴿ **وكنت نسيًا منسيًا** ﴾ : وهو السقط .

وقال ابن زيد[(٧٢)] : لم أكن شيئًا قط .

وقد قدمنا الأحاديث الدالة علىٰ النهي عن تمني الموت إلا عند الفتنة ، عند قوله :

---

(٦٨) - أخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » (٢/٣٥٦) . وطرفه : « قلنا : يا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كيف أسرى بك ؟ قال : صليت لأصحابي صلاة العتمة بمكة » الحديث وقد تقدم بتمامه في سورة الإسراء .

(٦٩) - أخرجه الطبري (١٦/٦٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٨١) وعزاه إلى ابن المنذر.

(٧٠) - أخرجه الطبري (١٦/٦٦) .

(٧١) - أخرجه الطبري (١٦/٦٧) ، وعزاه السيوطي (٤/٤٨٢) إلى عبد بن حميد ، وابن أبي حاتم .

(٧٢) - أخرجه الطبري (١٦/٦٧) .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

[٣] - في ز ، خ : « يتذكر » .

[٤] - في ز ، خ : « ولذلك قال » .

[٥] - سقط من : خ .

﴿ توفني مسلمًا وألحقني بالصالحين ﴾

فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾

قرأ بعضهم(*) : (مَنْ تَحتها) بمعنىٰ الذي تحتها . وقرأ آخرون : ﴿ مِن تَحْتِهَا ﴾ على أنه حرف جر .

واختلف المفسرون في المراد بذلك من هو ؟ فقال العوفي وغيره عن ابن عباس(٧٣) : ﴿ فناداها من تحتها ﴾ جبريل ، ولم يتكلم عيسىٰ حتىٰ أتت به قومها . وكذا قال سعيد بن جبير(٧٤) والضحاك(٧٥) ، وعمرو بن ميمون(٧٦) والسدي(٧٧) وقتادة(٧٨) : إنه الملك جبريل عليه الصلاة والسلام ، أي : ناداها من أسفل الوادي .

وقال مجاهد(٧٩) : ﴿ فناداها من تحتها ﴾ قال : عيسىٰ ابن مريم . وكذا قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة(٨٠) قال : قال الحسن(٨١) : هو ابنها . وهو إحدىٰ الروايتين عن سعيد بن

(٧٣) - أخرجه الطبري (٦٨/١٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٨٢/٤) وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٧٤) - أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٤٨٢/٤) .

(٧٥) - أخرجه الطبري (٦٧/١٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٨٢/٤) وعزاه إلى عبد بن حميد .

(٧٦) - أخرجه الطبري (٦٧/١٦ - ٦٨) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٨٢/٤) وعزاه إلى عبد بن حميد .

(٧٧) - أخرجه الطبري (٦٨/١٦) .

(٧٨) - أخرجه الطبري (٦٨/١٦) .

(٧٩) - أخرجه الطبري (٦٨/١٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٨٢/٤) وعزاه إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٨٠) - أخرجه الطبري (٦٨/١٦) .

(٨١) - أخرجه الطبري (٦٨/١٦) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٨٢/٤) وعزاه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(*) هذه قراءة ابن كثير ، وأبي عمرو ، وابن عامر ، وقراءة كسر ميم « مِن تحتها » قراءة نافع ، وحمزة ، والكسائي ، وحفص عن عاصم .

جبير(٨٢) أنه ابنها ، قال : أو لم تسمع اللّه يقول : ﴿ فأشارت إليه ﴾ ؟ واختاره ابن زيد وابن جرير في تفسيره .

وقوله : ﴿أن لا تحزني﴾ أي : ناداها قائلًا : لا تحزني . ﴿ قد جعل ربك تحتك سريًا ﴾ [قال سفيان الثوري وشعبة عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب(٨٣) : ﴿ قد جعل ربك تحتك سريًا ﴾][١] قال : الجدول . وكذا قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس(٨٤) : السريُّ : النهر . وبه قال عمرو بن ميمون(٨٥) : نهر تشرب منه .

وقال مجاهد(٨٦) : هو النهر بالسريانية .

وقال سعيد بن جبير(٨٧) : السري : النهر الصغير بالنبطية .

وقال الضحاك(٨٨) : هو النهر الصغير بالسريانية .

وقال إبراهيم النخعي(٨٩) : هو النهر الصغير .

وقال قتادة(٩٠) : هو الجدول بلغة أهل الحجاز .

وقال [وهب بن منبه][٢](٩١) : السري هو ربيع الماء .

---

(٨٢) - أخرجه الطبري (٦٨/١٦) .

(٨٣) - أخرجه الطبري (٦٩/١٦) والحاكم (٣٧٣/٢) وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وذكره الهيثمي في المجمع (٥٤/٧) ، وقال : رواه الطبراني في الصغير وفيه معاوية بن يحيى الصدفي وهو ضعيف .

(٨٤) - أخرجه الطبري (٦٩/١٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٨٣/٤) وعزاه إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر بنحوه .

(٨٥) - أخرجه الطبري (٧٠/١٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٨٣/٤) وعزاه إلى عبد بن حميد .

(٨٦) - أخرجه الطبري (٧٠/١٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٨٣/٤) وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٨٧) - أخرجه الطبري (٧٠/١٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٨٣/٤) وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(٨٨) - أخرجه الطبري (٧٠/١٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٨٣/٤) بنحوه ، وعزاه إلى عبد بن حميد .

(٨٩) - أخرجه الطبري (٧٠/١٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٨٣/٤) وعزاه إلى عبد بن حميد بنحوه .

(٩٠) - أخرجه الطبري (٧٠/١٦) .

(٩١) - أخرجه الطبري (٧٠/١٦) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « قتادة » .

وقال السدي(٩٢) : هو النهر . واختار هذا القول ابن جرير ، وقد ورد في ذلك حديث مرفوع ؛ فقال الطبراني(٩٣) : حدثنا أبو شعيب الحراني ، حدثنا يحيىٰ بن عبد الله البابلتي[١] ، حدثنا أيوب بن نهيك ، سمعت عكرمة مولىٰ ابن عباس ، [يقول][٢] : [سمعت ابن عمر يقول : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم][٣] يقول : « **إن السري الذي قال الله لمريم : ﴿ قد جعل ربك تحتك سريًا ﴾** نهر أخرجه الله لتشرب[٤] منه » . وهذا حديث غريب جدًا من هذا الوجه ، وأيوب بن نهيك هذا هو الحلبي[٥] ، قال فيه أبو حاتم الرازي : ضعيف . وقال أبو زرعة : منكر الحديث . وقال أبو الفتح الأزدي : متروك الحديث .

وقال آخرون : المراد بالسري عيسىٰ - عليه السلام - وبه قال الحسن والربيع بن أنس ومحمد بن عباد بن جعفر ، وهو إحدىٰ الروايتين عن قتادة(٩٤) ، وقول عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم(٩٥) ، والقول الأول أظهر ؛ ولهذا قال بعده : **﴿ وهزي إليك بجذع النخلة ﴾** أي : وخذي إليك بجذع النخلة ، قيل : كانت يابسة . قاله ابن عباس(٩٦) . وقيل : مثمرة .

قال مجاهد(٩٧) : كانت عجوة . وقال الثوري عن أبي داود[٦] نفيع الأعمىٰ : كانت صرفانة(*)[٧] . والظاهر أنها كانت شجرة ، ولكن لم [تكن في إبان][٨] ثمرها ، قاله وهب

---

(٩٢) - أخرجه الطبري (٧٠/١٦) .

(٩٣) - أخرجه الطبراني (٣٤٦/١٢) حديث (١٣٣٠٣) .
قال الهيثمي في المجمع (٥٨/٧) : رواه الطبراني وفيه يحيى بن عبد الله البابلتي وهو ضعيف .

(٩٤) - أخرجه الطبري (٧٠/١٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور وعزاه إلى ابن عساكر .

(٩٥) - أخرجه الطبري (٧٠/١٦) .

(٩٦) - أخرجه الطبري (٧١/١٦) .

(٩٧) - أخرجه الطبري (٧٢/١٦) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٨٤/٤) وعزاه إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن الأنباري في المصاحف .

---

[١] - في ت : « البابلي » .

[٢] - سقط من : ت .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٤] - في خ : « تشرب » .

[٥] - في ت : « الحبلي » .

[٦] - في ز ، خ : « الأسود » .

[٧] - في ز ، خ : « صوفانه » .

(*) الصَّرَفان : ضَرْبٌ من أجود التمر وأوزنه .

[٨] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : « بيأن » .

ابن منبه ، ولهذا امتن عليها بذلك ، أن[١] جعل عندها طعامًا وشرابًا فقال : ﴿ **تساقط عليك رطبا جنيًا * فكلي واشربي وقري عينًا** ﴾ أي : طيبي نفسًا ؛ ولهذا قال عمرو[٢] بن ميمون(٩٨) : ما من شيء خير للنفساء[٣] من التمر والرطب . و[٤] تلا هذه الآية الكريمة.

و[٥] قال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا شيبان ، حدثنا مسرور بن سعيد التميمي ، حدثنا عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ، عن عروة بن رويم ، عن علي بن أبي طالب(٩٩) قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أكرموا عمتكم النخلة ؛ فإنها خلقت من الطين الذي خلق منه آدم عليه السلام ، وليس من الشجر شيء يلقح غيرها** ».

وقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أطعموا نساءكم الولَدَ : الرُّطَبَ ، فإن لم يكن رطب فتمر ، وليس من الشجر[٦] شجرة أكرم علىٰ اللَّه من شجرة نزلت تحتها مريم بنت عمران** » . هذا حديث منكر جدًا ، ورواه أبو يعلىٰ(١٠٠) عن شيبان ، به .

وقرأ بعضهم(*) [قوله][٧] : ﴿ **تساقط** ﴾ بتشديد السين ، وآخرون بتخفيفها(**) ، وقرأ أبو نهيك : ﴿ **تسقط عليك رطبًا جنيًا** ﴾ وروىٰ أبو إسحاق عن البراء أنه قرأها : ﴿ **يسّاقط**[٨] ﴾ أي : الجذع . والكل متقارب .

---

(٩٨) - أخرجه الطبري (٧٢/١٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٨٤/٤ ، ٤٨٥) وعزاه إلى عبد بن حميد .

(٩٩) - أخرجه أبو يعلى (٣٥٣/١) حديث (٤٥٥) . وأبو نعيم في الحلية (١٢٣/٦) . والعقيلي في الضعفاء الكبير (٢٥٦/٤) . وابن عدي في الكامل (٢٤٢٤/٦) . والباغندي . كلهم من طريق مسروق بن سعيد التيمي عن عبد الرحمن الأوزاعي عن عروة بن رويم عن علي بن أبي طالب ، به .

قال ابن عدي : هذا حديث عن الأوزاعي منكر ، وعروة بن رويم عن علي ليس بالمتصل ، ومسروق بن سعيد غير معروف ، لم أسمع بذكره إلا في هذا الحديث .

وأعله العقيلي بمسروق بن سعيد .

وقال الألباني في الضعيفة (٢٦٣) : موضوع .

(١٠٠) - أخرجه أبو يعلى (٣٥٣/١) حديث (٤٥٥) وانظر السابق .

---

[١] - في ت : « بأن » .

[٢] - في ز ، خ : « عمر » .

[٣] - في ز ، خ : « للنساء » .

[٤] - في ت : « ثم » .

[٥] - في خ : « ولهذا » .

[٦] - في ت : « الشجرة » .

(*) وهم : عبد اللَّه بن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، والكسائي .

[٧] - سقط من : ت .

(**) وهو حمزة . وعن عاصم مثلُ القراءتين .

[٨] - في ز ، خ : « تسّاقط » .

وقوله : ﴿ **فإما ترين من البشر أحدًا** ﴾ أي : مهما رأيت من أحد ﴿ **فقولي إني نذرت للرحمن صومًا فلن أكلم اليوم إنسيًا** ﴾ المراد بهذا القول الإشارة إليه بذلك ؛ لأن المراد به القول اللفظي ؛ لئلا ينافي ﴿ **فلن أكلم اليوم إنسيًا** ﴾ .

قال أنس بن مالك(١٠١) في قوله : ﴿ **إني نذرت للرحمن صومًا** ﴾ أي[١] : صمتًا . وكذا قال ابن عباس(١٠٢) والضحاك(١٠٣) ، وفي رواية عن أنس(١٠٤) : صومًا وصمتًا ، وكذا قال قتادة وغيرهما . والمراد : أنهم كانوا إذا صاموا في شريعتهم يحرم عليهم الطعام والكلام ، نص على ذلك السدي وقتادة وعبد الرحمن بن زيد(١٠٥) .

قال [أبو إسحاق][٢] ، عن حارثة[٣] قال : كنت عند ابن مسعود ، فجاء رجلان فسلم أحدهما ولم يسلم الآخر ، فقال : ما شأنك ؟ قال أصحابه : حلف ألَّا يكلم الناس اليوم . فقال عبد الله بن مسعود : كلم الناس وَسلِّمْ عليهم ، فإنما تلك امرأة علمت أن أحدًا لا يصدقها أنها حملت من غير زوج - يعني بذلك : مريم عليها السلام - ليكون عذرًا لها إذا سئلت . رواه ابن أبي حاتم(١٠٦) وابن جرير(١٠٧) رحمهما الله .

وقال عبد الرحمن بن زيد(١٠٨) : لما قال عيسى لمريم : ﴿ **لا تحزني** ﴾ قالت : وكيف لا أحزن وأنت معي ، لا ذات زوج ولا مملوكة ، أي شيء عذري عند الناس ؟ ﴿ **ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيًا منسيًا** ﴾ قال لها عيسى : أنا أكفيك الكلام ﴿ **فإما ترين من البشر أحدًا فقولي إني نذرت للرحمن صومًا فلن أكلم اليوم إنسيًا** ﴾ قال : هذا كله من كلام عيسى لأمه . وكذا قال وهب(١٠٩) .

(١٠١) - أخرجه الطبري (٧٤/١٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٨٥/٤) وعزاه إلى الفريابي وعبد ابن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف وابن مردويه .

(١٠٢) - أخرجه الطبري (٧٤/١٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٨٥/٤) وعزاه إلى عبد بن حميد وابن الأنباري .

(١٠٣) - أخرجه الطبري (٧٤/١٦) .

(١٠٤) - أخرجه الطبري (٧٤/١٦) .

(١٠٥) - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٨٥/٤) وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(١٠٦) - أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٤٨٥/٤) .

(١٠٧) - أخرجه الطبري (٧٥/١٦) .

(١٠٨) - أخرجه الطبري (٧٥/١٦) .

(١٠٩) - أخرجه الطبري (٧٥/١٦) بنحوه .

[١] - في ت : « قال » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « ابن » .

[٣] - في ز ، خ : « جارية » .

فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًۭٔا فَرِيًّۭا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأُخْتَ
هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍۢ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّۭا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟
كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّۭا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ
وَجَعَلَنِى نَبِيًّۭا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا
دُمْتُ حَيًّۭا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًۭا شَقِيًّۭا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ
وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّۭا ﴿٣٣﴾

يقول تعالى مخبرًا عن مريم حين أمرت أن تصوم يومها ذلك ، وألّا تكلم أحدًا من البشر ، فإنها ستكفى أمرها ، ويقام بحجتها ، فسلمت لأمر الله عز وجل ، واستسلمت لقضائه ، وأخذت[١] ولدها ﴿ **فأتت به قومها تحمله** ﴾ فلما رأوها كذلك أعظموا[٢] أمرها ، واستنكروه جدًّا ، و﴿ **قالوا يامريم لقد جئت شيئًا فريًا** ﴾ أي : أمرًا عظيمًا . قاله مجاهد(١١٠) وقتادة(١١١) والسدي(١١٢) وغير واحد .

وقال ابن أبي حاتم(١١٣) : حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن أبي زياد ، حدثنا سيار ، حدثنا جعفر بن [ ][٣] سليمان ، حدثنا أبو عمران الجوني ، عن نوف البكالي ، قال : وخرج قومها في طلبها . وكانت من أهل بيت نبوة وشرف ، فلم يحسوا منها شيئًا ، فرأوا[٤] راعي بقر ، فقالوا : أرأيت فتاة كذا وكذا نعتها[٥] . قال : لا ، ولكني رأيت الليلة من بقري

(١١٠) - أخرجه الطبري (٧٦/١٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٨٦/٤) وعزاه إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(١١١) - أخرجه الطبري (٧٧/١٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٨٦/٤) وعزاه إلى عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد .

(١١٢) - أخرجه الطبري (٧٧/١٦) .

(١١٣) - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٧٩/٤ ، ٤٨٠) ، وعزاه إلى عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد في حديث طويل بنحوه .

[١] - في ت : « فأخذت » .
[٢] - في خ : « أعلموا » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « أبي » .
[٤] - في ت : فلقوا .
[٥] - في ز ، خ : « بعينها » .

ما لم أره منها قط . قالوا : وما رأيت ؟ قال : رأيتها الليلة[١] سُجَّدًا[٢] نحو هذا الوادي . قال عبد الله بن زياد : وأحفظ عن سيار أنه قال : رأيت نورًا ساطعًا . فتوجهوا حيث قال لهم ، فاستقبلتهم مريم ، فلما رأتهم قعدت وحملت ابنها في حجرها ، فجاءوا حتىٰ قاموا عليها وقالوا: ﴿ **يامريم لقد جئت شيئًا فريًا** ﴾ أمرًا عظيما ﴿ **يا أخت هارون** ﴾ أي : [يا][٣] شبيهة هارون في العبادة ﴿ **ماكان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيًا** ﴾ أي : أنت من بيت طيب طاهر ، معروف بالصلاح والعبادة والزهادة ، فكيف صدر هذا منك ؟ .

قال علي بن أبي طلحة والسدي(١١٤) : قيل لها : ﴿ **يا أخت هارون** ﴾ أي : أخي موسىٰ ، وكانت من قبيلته[٤] ، كما يقال للتميمي : يا أخا تميم ، وللمضري : يا أخا مضر .

وقيل : نسبت إلىٰ رجل صالح كان فيهم اسمه هارون ، فكانت تتأسىٰ[٥] به في الزهادة والعبادة .

وحكى ابن جرير(١١٥) عن بعضهم أنهم شبهوها برجل فاجرٍ كان فيهم ، يقال له هارون . ورواه ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير(١١٦) .

وأغرب من هذا كله ؛ ما رواه ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين الهسنْجاني[٦]، حدثنا ابن أبي مريم ، حدثنا المفضل[٧] بن فضالة ، حدثنا أبو صخر ، عن القرظي في قول الله عز وجل : ﴿ **يا أخت هارون** ﴾ قال : هي أخت هارون لأبيه وأمه ، وهي أخت موسىٰ أخي هارون التي قصت أثر موسى ﴿ **فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون** ﴾ .

وهذا القول خطأ محض ؛ فإن الله تعالىٰ قد ذكر في كتابه أنه قفىٰ بعيسىٰ بعد الرسل ، فدل علىٰ أنه آخر الأنبياء بعثًا ، وليس بعده إلا محمد ، صلوات الله وسلامه عليهما[٨] ، ولهذا ثبت في [الصحيح عند][٩] البخاري عن أبي هريرة(١١٧) -رضي الله عنه - عن

(١١٤) - أخرجه الطبري (٧٨/١٦) .
(١١٥) - ذكره الطبري (٧٨/١٦) .
(١١٦) - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٨٦/٤) وعزاه إلى ابن أبي حاتم .
(١١٧) - أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ، باب : قول الله : ﴿ **واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانًا شرقيًا** ﴾ حديث (٣٤٤٢) (٤٧٧/٦) وطرفه في (٣٤٤٣) .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ت : « تسجد» .
[٣] - سقط من : ت .
[٤] - في ت : « نسله » .
[٥] - في ز ، خ : « تقاس » .
[٦] - في خ : « الهنجناني » .
[٧] - في ز ، خ : « الفضل » .
[٨] - في ز ، خ : « عليه » .
[٩] - في ت : « صحيح » .

رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أنه قال : « **أنا[١] أولىٰ الناس بابن مريم [ ][٢] ؛ إلا[٣] أنه ليس بيني وبينه نبي** » .

ولو كان الأمر كما زعم محمد بن كعب القرظي ، لم يكن متأخرًا عن الرسل سوىٰ محمد ، ولكان قبل سليمان وداود ؛ فإن الله قد ذكر أن داود بعد موسىٰ - عليهما السلام - في قوله تعالىٰ : ﴿ **ألم تر إلىٰ الملإ من بني إسرائيل من بعد موسىٰ إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله** ﴾ فذكر[٤] القصة إلىٰ أن قال : ﴿ **وقتل داود جالوت ...** ﴾ الآية .

والذي جرّأ[٥] القرظي علىٰ هذه المقالة ما في التوراة بعد خروج موسىٰ وبني إسرائيل من البحر ، وإغراق فرعون وقومه ، قال : وكانت مريم بنت عمران أخت موسىٰ وهارون النبيين[٦] - تضرب بالدفّ هي والنساء معها ، يسبحن الله ويشكرنه علىٰ ما أنعم به علىٰ بني إسرائيل ؛ فاعتقد القرظي أن هذه هي أم عيسىٰ ، وهي[٧] هفوة وغلطة شديدة ، بل هي باسم هذه ، وقد كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم وصالحيهم ، كما[٨] قال الإمام أحمد(١١٨) :

حدثنا عبد الله بن إدريس ، سمعت أبي يذكر[٩] ، عن سماك ، عن علقمة بن وائل ، عن المغيرة بن شعبة قال : بعثني رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، إلىٰ نجران ، فقالوا : أرأيت[١٠] ما تقرءون[١١] ﴿ **يا أخت هارون** ﴾ وموسىٰ قبل عيسىٰ بكذا وكذا ؟ قال : فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال : « **ألا أخبرتهم أنهم كانوا يتسمون بالأنبياء والصالحين قبلهم** » . انفرد بإخراجه مسلم(١١٩) والترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن إدريس ، عن أبيه ، عن سماك به . وقال الترمذي : حسن صحيح

---

(١١٨) - أخرجه أحمد (٤/٢٥٢) .

(١١٩) - أخرجه مسلم في كتاب : الآداب ، باب : النهي عن التكني بأبي القاسم ، وبيان ما يستحب من الأسماء حديث (٢١٣٥/٩) (١٤/١٦٥) . والترمذي في كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة مريم ، حديث (٣١٥٥) (٥/٢٩٥) . وأخرجه النسائي في الكبرى في كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ **يا أخت هارون** ﴾ حديث (١١٣١٥) (٦/٣٩٣) .

---

[١] - في ز ، خ : « إن » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « لأنا » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ت : « وذكر » .
[٥] - في ز ، خ : « حد » .
[٦] - في ز ، خ : « النبيه » .
[٧] - في ت : « وهذه » .
[٨] - سقط من : ز ، خ .
[٩] - في ت : « يذكره » .
[١٠] - في ز ، خ : « رأيت » .
[١١] - في ز : « يقولون » ، في خ : « تقولون » .

غريب ، لا نعرفه إلا من حديث ابن إدريس .

وقال ابن جرير(١٢٠) : حدثني يعقوب ، حدثنا ابن علية ، عن سعيد بن أبي صدقة ، عن محمد بن سيرين قال : نبئت أن كعبًا قال : إن قوله : ﴿ **يا أخت هارون** ﴾ ليس بهارون أخي موسىٰ . قال : فقالت له عائشة : كذبت . قال : يا أم المؤمنين ، إن كان النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قاله فهو أعلم وأخبر ، وإلا فإني أجد بينهما ستمائة سنة . قال : فسكتت. وفي هذا التاريخ نظر.

وقال ابن جرير(١٢١) أيضًا : حدثنا بشر ، حدثنا يزيد ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : ﴿ **يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوءٍ وما كانت أمك بغيًا** ﴾ . قال : كانت من أهل بيت يعرفون بالصلاح ، ولا يعرفون بالفساد ، [ومن الناس من يعرفون بالصلاح][١] ويتوالدون به ، [وآخرون يعرفون بالفساد ويتوالدون به][٢] ، وكان هارون مصلحًا محببًا في عشيرته ، وليس بهارون أخي موسىٰ ، ولكنه هارون آخر . قال : وذكر لنا أنه[٣] شيع جنازته يوم مات أربعون ألفًا ، كلهم يسمىٰ[٤] هارون من بني إسرائيل.

وقوله : ﴿ **فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيًا** ﴾ أي : إنهم لما استرابوا في أمرها ، واستنكروا[٥] قضيتها ، وقالوا لها ما قالوا ، معرضين بقذفها ، ورميها بالفرية ، وقد كانت يومها ذلك صائمة صامتة ، فأحالت الكلام عليه ، وأشارت لهم إلىٰ خطابه وكلامه ، فقالوا متهكمين بها ، ظانين أنها تزدري بهم وتلعب بهم : ﴿ **كيف نكلم من كان في المهد صبيًا** ﴾ .

[قال ميمون بن مهران(١٢٢) : ﴿ **فأشارت إليه** ﴾ قالت : كلِّموه . فقالوا : علىٰ ماجاءت به من الداهية تأمرنا أن نكلم من كان في المهد صبيًا !][٦] وقال السدي(١٢٣) : لما أشارت إليه غضبوا ، وقالوا : لسخريتها بنا حين تأمرنا أن نكلم هذا الصبي أشد علينا من زناها .

---

(١٢٠) - تفسير الطبري (٧٧/١٦) .
(١٢١) - أخرجه الطبري (٧٧/١٦) .
(١٢٢) - أخرجه عبد بن حميد كما في الدر المنثور (٤٨٧/٤) .
(١٢٣) - أخرجه الطبري (٧٩/١٦) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « أن »
[٤] - في ز : « يسمون » .
[٥] - في خ : « فاستنكروا » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

﴿قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيًّا﴾ أي : مَنْ هو موجود في مهده ، في حال صباه وصغره ، كيف يتكلم ؟ ﴿ قال إني عبد اللَّه ﴾ أول شيء تكلم به أن نزه جناب ربه تعالىٰ ، وبرأ الله عن الولد ، وأثبت لنفسه العبودية لربه .

وقوله : ﴿ آتاني الكتاب وجعلني نبيًّا ﴾ تبرئة لأمه مما نسبت إليه من الفاحشة ، قال نوف البكالي(١٢٤) : لما قالوا لأمه ما قالوا كان يرتضع ثديه ، فنزع الثدي من فمه ، واتكأ علىٰ جنبه الأيسر ، وقال : [﴿ إني عبد اللَّه آتاني الكتاب وجعلني نبيًّا ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ مادمت حيًّا ﴾ .

وقال حماد بن سلمة ، عن ثابت البناني : رفع أصبعه السبابة فوق منكبه ، وهو يقول][١] : ﴿ إني عبد اللَّه آتاني الكتاب وجعلني نبيًّا ﴾ الآية .

وقال عكرمة(١٢٥) : ﴿آتاني الكتاب﴾ أي : قضى أن[٢] يؤتني الكتاب فيما مضى[٣] .

وقال ابن أبي حاتم(١٢٦) : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن المصفىٰ ، حدثنا يحيىٰ بن سعيد - [هو العطار][٤] - عن عبد العزيز بن زياد ، عن أنس بن مالك - رضي اللَّه عنه - قال : كان عيسىٰ ابن مريم قد درس الإنجيل وأحكمه[٥] وهو[٦] في بطن أمه ، فذلك قوله : ﴿ إني عبد اللَّه آتاني الكتاب وجعلني نبيًّا ﴾ .

يحيى بن سعيد العطار الحمصي ، متروك .

وقوله : ﴿ وجعلني مباركًا أينما كنت ﴾ قال مجاهد(١٢٧) ، وعمرو[٧] بن قيس ،

---

(١٢٤) - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٨٠) وعزاه إلى عبد اللَّه بن أحمد في زوائد الزهد في حديث طويل .

(١٢٥) - أخرجه الطبري (١٦/٨٠) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٨٧) وعزاه إلى عبد الرزاق وابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(١٢٦) - أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٤/٤٨٧) .

(١٢٧) - أخرجه الطبري (١٦/٨١) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٨٧) ، وعزاه إلى عبد اللَّه بن أحمد في زوائد الزهد وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ت : « أنه » .
[٣] - في ت : « قضى » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : « وأحكمها » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز ، خ : « عمر » .

والثوري(١٢٨) : وجعلني معلمًا للخير . وفي رواية عن مجاهد(١٢٩) : نفّاعًا .

وقال ابن جرير(١٣٠) : حدثني سليمان بن عبد الجبار ، حدثنا محمد بن يزيد بن خُنيس[١] المخزومي ، سمعت وهيب بن الوَرْد مولى بني مخزوم قال[٢] : لقي عالم عالمًا هو فوقه في العلم ، فقال له : يرحمك الله ! ما الذي أعلن من عملي ؟ قال : الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ؛ فإنه دين الله الذي بعث به[٣] أنبياءه إلىٰ عباده ، وقد أجمع الفقهاء علىٰ قول الله : ﴿ **وجعلني مباركًا أينما كنت** ﴾ وقيل : ما بركته[٤] ؟ قال : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أينما كان .

وقوله : ﴿ **وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيًا** ﴾ كقوله تعالىٰ لمحمد صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **واعبد ربك حتىٰ يأتيك اليقين** ﴾ وقال عبد الرحمن بن القاسم ، عن مالك بن أنس في قوله : ﴿ **وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيًا** ﴾ قال : أخبره ما[٥] هو كائن من أمره إلىٰ أن يموت . ما أبيّنها لأهل القدر ! .

وقوله : ﴿ **وبرًا بوالدتي** ﴾ أي : و[٦]أمرني ببر والدتي ، ذكره بعد طاعة الله ربه ؛ لأن الله تعالىٰ كثيرًا مايقرن بين الأمر بعبادته وطاعة الوالدين ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وقضىٰ ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانًا** ﴾ وقال : ﴿ **أن اشكر لي ولوالديك إليَّ المصير** ﴾

وقوله : ﴿ **ولم يجعلني جبارًا شقيًا** ﴾ أي : ولم يجعلني جبارًا مستكبرًا عن عبادته وطاعته ، وبر والدتي ، فأشقىٰ بذلك .

قال[٧] سفيان الثوري(١٣١) : الجبار الشقي : [ ][٨] الذي يقبل على الغضب[٩] .

وقال بعض السلف : لا تجد أحدًا عاقًا لوالديه إلا وجدته جبارًا شقيًا ثم قرأ : ﴿ وبرًا

(١٢٨) - أخرجه الطبري (٨١/١٦) .
(١٢٩) - أخرجه الطبري (٨٠/١٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٨٨/٤) وعزاه إلى البيهقي في الشعب ، وابن عساكر .
(١٣٠) - أخرجه الطبري (٨١/١٦) .
(١٣١) - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٨٨/٤) وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

[١] - في ز : « حنيس » ، خ : « حبيس » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « فيه » .
[٤] - في ز ، خ : « تركته » .
[٥] - في ت : « بما » .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - بياض في (ز) ، سقط من : خ .
[٨] - ما بين المعكوفين في ت : « هو » .
[٩] - في ز ، خ : « غضب » .

بوالدتي ولم يجعلني جبارًا شقيًا ﴾ ، قال : ولا تجد سيئ[١] الملكة إلا وجدته مختالًا فخورًا ، [ثم قرأ : ﴿ وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالًا فخورًا ﴾][٢].

وقال قتادة(١٣٢) : ذكر لنا أن امرأة رأت ابن مريم يحيي الموتىٰ ، ويبرئ الأكمه والأبرص ، في آيات سلطه الله عليهن ، وأذن له فيهن ، فقالت : طوبىٰ للبطن الذي حملك[٣] ، [وطوبىٰ للثدي][٤] الذي أرضعت به . فقال نبي الله عيسىٰ - عليه السلام - مجيبها[٥] : طوبىٰ لمن تلا كتاب[٦] الله ، فاتبع ما فيه ولم يكن جبارًا شقيًا .

وقوله : ﴿ والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيًا ﴾ إثبات منه لعبوديته لله عز وجل ، وأنه مخلوق من خلق الله ، يحيىٰ ويموت ، ويبعث كسائر الخلائق ، ولكن له السلامة في هذه الأحوال التي[٧] هي أشق ما يكون علىٰ العباد ، صلوات الله وسلامه عليه .

ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾

يقول تعالىٰ لرسوله محمد -صلوات الله وسلامه عليه- : ذلك الذي قصصنا عليك من خبر عيسىٰ - عليه السلام - ﴿ قول الحق الذي فيه يمترون ﴾ أي : يختلف المبطلون والمحقون ممن آمن به وكفر به : ولهذا قرأ الأكثرون(*) (قولُ الحق) برفع قول ، وقرأ عاصم وعبد الله بن عامر ﴿ قولَ الحق ﴾ .

وعن ابن مسعود أنه قرأ: (ذلك عيسى ابن مريم قال الحقّ) .

والرفع أظهر إعرابًا ، ويشهد له قوله تعالىٰ : ﴿ الحق من ربك فلا تكن من الممترين ﴾

(١٣٢) - أخرجه الطبري (٨٢/١٦) .

[١] - في خ : « شيء » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٣] - في ز ، خ : « حملتك » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في خ : « والثدي » .
[٥] - في ت : « يجيبها » .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
(*) أصحاب قراءة الرفع هم : ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وحمزة ، والكسائي .

ولما ذكر تعالىٰ أنه خلقه عبدًا نبيًّا ، نزّه نفسه المقدسة وقال[١] : ﴿ **ما كان للَّه أن يتخذ من ولد سبحانه** ﴾ أي : عما يقول هؤلاء الجاهلون الظالمون[٢] المعتدون علوًّا كبيرًا ﴿ **إذا قضىٰ أمرًا فإنما يقول له كن فيكون** ﴾ أي : إذا أراد شيئًا فإنما يأمر به فيصير كما يشاء ، كما قال : ﴿ **إن مثل عيسىٰ عند اللَّه كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وإن اللَّه ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم** ﴾ أي : ومما أمر به عيسىٰ قومه وهو[٣] في مهده[٤] ، أن أخبرهم إذ ذاك أن اللَّه ربه وربهم ، وأمرهم بعبادته ، فقال : ﴿ **فاعبدوه هذا صراط مستقيم** ﴾ أي : هذا الذي جئتكم به عن اللَّه صراط مستقيم ، أي: قويم ، من اتبعه رشد وهدي ، ومن خالفه ضل وغوىٰ .

وقوله : ﴿ **فاختلف الأحزاب من بينهم** ﴾ أي : اختلفت[٥] أقوال أهل الكتاب في عيسىٰ ، بعد بيان أمره ووضوح حاله ، وأنه عبده ورسوله ، وكلمته ألقاها إلىٰ مريم وروح منه ، فصممت طائفة [ ][٦] - وهم جمهور اليهود عليهم لعائن اللَّه ! - علىٰ أنه ولد زنية ، وقالوا : كلامه هذا سحر . وقالت طائفة أخرىٰ : إنما تكلم اللَّه . وقال آخرون : هو ابن اللَّه ، وقال آخرون : ثالث ثلاثة . وقال آخرون : بل هو عبد اللَّه ورسوله . وهذا هو[٧] قول الحق ، الذي أرشد اللَّه إليه المؤمنين ، وقد روي [نحو هذا] عن عمرو بن ميمون ، وابن جريج ، وقتادة(١٣٣) ، وغير واحد من السلف والخلف .

قال عبد الرزاق(١٣٤) : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ **ذلك عيسىٰ ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون** ﴾ قال : اجتمع بنو إسرائيل ، فأخرجوا منهم أربعة نفر ، أخرج كل قوم[٨] عالمهم ، فامتروا في عيسىٰ حين رفع ؛ فقال أحدهم : هو اللَّه هبط إلىٰ الأرض فأحيا من أحيا وأمات من أمات ، ثم صعد إلىٰ السماء - وهم اليعقوبيّة - فقال الثلاثة : كذبت . ثم قال اثنان منهم للثالث : قل أنت فيه . قال : هو ابن اللَّه - وهم النسطورية - فقال الاثنان : كذبت . ثم قال أحد الاثنين للآخر : قل فيه . قال : هو ثالث ثلاثة ؛ اللَّه إله ،

(١٣٣) - أخرجه الطبري (٨٦/١٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٨٨/٤) بنحوه ، وعزاه إلى عبد الرزاق وابن أبي حاتم .

(١٣٤) - أخرجه عبد الرزاق كما في الدر المنثور (٤٨٨/٤) .

[١] - في ت : « فقال » .
[٢] - في خ : « الكاملون » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « مهدهم » .
[٥] - في ز : « اختلف » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في خ : « منهم » .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - سقط من : ز ، خ .

وهو إله ، وأمه إله[١] - وهم الإسرائيلية ملوك النصارىٰ عليهم لعائن الله ! - قال الرابع : كذبت ، بل[٢] هو عبد الله ورسوله ، وروحه وكلمته - وهم المسلمون - فكان لكل رجل منهم أتباع علىٰ ما قالوا ، فاقتتلوا فظهر علىٰ المسلمين ، فذلك قول الله تعالىٰ : ﴿ **ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس** ﴾ . وقال قتادة(١٣٥) : وهم الذين قال الله : ﴿ **فاختلف الأحزاب من بينهم** ﴾ قال : اختلفوا فيه فصاروا أحزابًا .

وقد روىٰ ابن أبي حاتم(١٣٦) عن ابن عباس ، وعن عروة بن الزبير ، وعن بعض أهل العلم ، قريبًا من ذلك . وقد ذكر غير واحد من علماء التاريخ من أهل الكتاب وغيرهم ؛ أن قسطنطين جمعهم في محفل كبير من مجامعهم الثلاثة المشهورة عندهم ، فكان جماعة الأساقفة منهم ألفين ومائة وسبعين أسقفًا ، فاختلفوا في عيسىٰ ابن مريم - عليه السلام - اختلافًا متباينًا ، فقالت كل شرذمة فيه قولًا ، فمائة تقول فيه قولًا ، وسبعون تقول فيه قولًا آخر ، وخمسون تقول فيه شيئًا آخر ، ومائة وستون تقول شيئًا ، ولم يجتمع علىٰ مقالة واحدة أكثر من ثلاثمائة وثمانية منهم ، اتفقوا علىٰ قول وصمموا عليه ، ومال إليهم[٣] الملك ، وكان فيلسوفًا ، فقدمهم ونصرهم وطرد من عداهم ، فوضعوا له الأمانة الكبيرة ، بل هي الخيانة العظيمة ، ووضعوا له كتب القوانين ، وشرعوا له أشياء ، وابتدعوا بدعًا كثيرة ، وحرفوا دين المسيح وغيَّروه ، فابتنىٰ حينئذ لهم[٤] الكنائس الكبار في مملكته كلها ؛ بلاد الشام ، والجزيرة ، والروم ، فكان مبلغ الكنائس في أيامه ما يقارب اثنتي عشر ألف كنيسة ، وبنت أمه هيلانة قُمَامة علىٰ المكان الذي صلب فيه المصلوب الذي تزعم اليهود والنصارىٰ أنه المسيح ، وقد كذبوا ، بل رفعه الله إلىٰ السماء .

وقوله : ﴿ **فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم** ﴾ تهديد ووعيد شديد لمن كذب علىٰ الله ، وافترىٰ ، وزعم أن له ولدًا ، ولكن أنظرهم تعالىٰ إلىٰ يوم القيامة ، وأجلهم حلمًا وثقة بقدرته عليهم ؛ [فإنه الذي][٥] لا يعجل علىٰ من عصاه ، بل كما جاء في الصحيحين(١٣٧) : « [**إن الله**][٦] **ليملي للظالم حتىٰ إذا أخذه لم يفلته** » . ثم قرأ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرىٰ وهي ظالمة إن أخذه أليم**

(١٣٥) - أخرجه الطبري (٨٦/١٦) .

(١٣٦) - أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٤٨٨/٤ ، ٤٨٩) بنحوه .

(١٣٧) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد** ﴾ حديث (٤٦٨٦) (٣٥٤/٨) . ومسلم في كتاب : البر والصلة والآداب ، باب =

[١] - في خ : « إليه » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في خ : « فإنه » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في خ : « فإن الله » .
[٦] - في ز : « إنه » ، خ : « فإنه » .

شديد﴾ . وفي الصحيحين[١٣٨] أيضًا عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « **لا أحد أصبر علىٰ أذى سمعه من الله ، إنهم يجعلون له ولدًا وهو يرزقهم ويعافيهم** » .

وقد قال الله تعالى : **﴿وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإليّ المصير﴾** وقال تعالى : **﴿ولا تحسبن الله غافلًا عما يعمل الظالمون، إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار﴾** ولهذا قال هاهنا : **﴿ فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ﴾** أي : يوم القيامة .

وقد جاء في الحديث الصحيح المتفق علىٰ صحته[١٣٩] ، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **من شهد ألّا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدًا عبده ورسوله ، وأن عيسىٰ عبد الله ورسوله**[١] ، **وكلمته ألقاها إلىٰ مريم وروح منه ، وأن الجنة حق ، والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل** » .

أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن الكفار [يوم القيامة][٢] : إنهم يكونون[٣] أسمَع شيء وأبصره ، كما قال تعالىٰ : **﴿ ولو ترىٰ إذ المجرمون ناكسو رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحًا إنا موقنون ﴾** ، أي : يقولون ذلك حين لا ينفعهم ولا يجدي عنهم شيئًا ، ولو كان هذا قبل معاينة العذاب ، لكان نافعًا لهم ومنقذًا من عذاب الله ، ولهذا

=: تحريم الظلم ، حديث (٢٥٨٣/٦١) (٢٠٥/١٦ ، ٢٠٦) .

(١٣٨) - أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب : الصبر على الأذى ، حديث (٦٠٩٩) وطرفه في (٧٣٧٨) . ومسلم في كتاب : صفات المنافقين ، باب : لا أحد أصبر على أذى من الله عز وجل ، حديث (٤٩ ، ٢٨٠٤/٥٠) .

(١٣٩) - أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب : قوله تعالى : **﴿ إذ قالت الملائكة يامريم ﴾** إلى قوله : **﴿ فإنما يقول له كن فيكون ﴾** ، حديث (٣٤٣٥) (٤٧٤/٦) . ومسلم في كتاب : الإيمان ، باب : الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا ، حديث (٢٨/٤٦) (٣١٠/١ ، ٣١١) .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : ز .

قال : ﴿ **أسمع بهم وأبصر** ﴾ أي : ما أسمعهم وأبصرهم ﴿ **يوم يأتوننا** ﴾ يعني : يوم القيامة ﴿ **لكن الظالمون اليوم** ﴾ أي : في الدنيا ﴿ **في ضلال مبين** ﴾ أي : لا يسمعون ولا يبصرون ولا يعقلون ، فحيث يطلب منهم الهدىٰ لا يهتدون ، ويكونون مطيعين حيث لا ينفعهم ذلك .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **وأنذرهم يوم الحسرة** ﴾ أي : أنذر الخلائق يوم الحسرة ﴿ **إذ قضي الأمر** ﴾ أي : فصل بين أهل الجنة وأهل النار ، ودخل كل إلىٰ ما صار إليه مخلدًا فيه ﴿ **وهم** ﴾ أي : اليوم ﴿ **في غفلة** ﴾ عما أنذروا به [يوم الحسرة والندامة][١] ﴿ **وهم لا يؤمنون** ﴾ أي : لا يصدقون به .

قال الإمام أحمد(١٤٠) : حدثنا محمد بن عبيد ، حدثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، يجاء بالموت كأنه كبش أملح ، فيوقف بين الجنة والنار ، فيقال يا أهل الجنة ، هل تعرفون هذا ؟ قال : فيشرئبون فينظرون**[٢] ، **ويقولون : نعم ، هذا الموت . قال : فيقال : يا أهل النار ، هل تعرفون هذا ؟ قال : فيشرئبون فينظرون**[٣] ، **ويقولون : نعم ، هذا الموت . قال : فيؤمر**[٤] **به فيذبح ، قال : ويقال : يا أهل الجنة خلود ولا موت ، ويا أهل النار خلود ولا موت** » . قال : ثم قرأ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة** ﴾ وأشار بيده . قال : « **أهل الدنيا في غفلة الدنيا** » .

هكذا رواه الإمام أحمد ، وقد أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث الأعمش به ، ولفظهما قريب من ذلك . وقد روىٰ هذا الحديث الحسن[٥] بن عرفة ، حدثني أسباط بن محمد ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة(١٤١) مرفوعًا مثله ، وفي

---

(١٤٠) - أخرجه أحمد (٩/٣) . وأخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **وأنذرهم يوم الحسرة** ﴾ حديث (٤٧٣٠) (٤٢٨/٨) . ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء حديث (٤٠ ، ٢٨٤٩/٤١) .

(١٤١) - أخرجه الطبري (٨٨/١٦) من طريق عبيد بن أسباط بن محمد قال : ثنا أبي . مثل طريق ابن كثير وإسناده صحيح . وقد أخرجه البخاري في كتاب : الرقاق ، باب : يدخل الجنة سبعون ألفًا بغير حساب ، حديث (٦٥٤٥) (٤٠٦/١١) مختصرًا من طريق أبي الزناد عن أبي صالح عن أبي هريرة ، به .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - في ز ، خ : « فيؤتى » .

[٥] - في ز : « المسند » .

سنن ابن ماجة وغيره، من حديث محمد بن عمرو عن أبي سلمة، عن أبي هريرة(١٤٢) بنحوه. وهو في الصحيحين(١٤٣) عن ابن عمر. ورواه ابن جريج قال: قال ابن عباس(١٤٤): فذكر من قبله نحوه، ورواه أيضًا عن أبيه أنه سمع عبيد بن عمير(١٤٥) يقول في قصصه: يؤتىٰ بالموت كأنه دابة، فيذبح والناس ينظرون. وقال سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل، حدثنا أبو الزعراء[١]، عن عبد الله - هو ابن مسعود(١٤٦) - في قصة ذكرها. قال: فليس نفس إلا وهي تنظر إلىٰ بيت في الجنة وبيت في النار، وهو يوم الحسرة، [فيرىٰ أهل النار البيت الذي كان قد أعده الله لهم لو آمنوا فيقال لهم: لو آمنتم وعملتم صالحًا كان لكم هذا الذي ترونه في الجنة. فتأخذهم الحسرة][٢]. قال: ويرى أهل الجنه البيت الذى في النار، فيقال: لولا أن من الله عليكم.

وقال السدي عن زياد، عن زر بن حبيش، عن ابن مسعود في قوله: ﴿ **وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر** ﴾ قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، أتي بالموت في صورة كبش أملح، حتىٰ يوقف بين الجنة والنار، ثم ينادي مناد يا أهل الجنة، هذا الموت الذي كان يميت الناس في الدنيا، فلا يبقىٰ أحد في أهل عليين، ولا في أسفل درجة من الجنة إلا نظر إليه، ثم ينادىٰ: يا أهل النار، هذا الموت الذي كان يميت الناس في الدنيا، فلا يبقىٰ أحد في ضحضاح من نار، ولا في أسفل درك من جهنم إلا نظر إليه، ثم يذبح بين الجنة والنار، ثم ينادى [ ][٣]: يا أهل الجنة هو الخلود أبد الآبدين، [ويا أهل النار هو الخلود أبد الآبدين][٤]. فيفرح أهل الجنة فرحة لو كان أحد ميتًا من فرح لماتوا[٥]، ويشهق

(١٤٢) - أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب: صفة النار، حديث (٤٣٢٧) (١٤٤٧/٢). قال البوصيرى في الزوائد: إسناده صحيح، رجاله ثقات، وقد أخرج البخاري بعضه من هذا الوجه وله شاهد وله شاهد في الصحيحين من حديث أبي سعيد. والحديث عند البخاري مختصرًا من حديث أبي هريرة برقم (٦٥٤٥).

(١٤٣) - أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: يدخل الجنة سبعون ألفًا بغير حساب، حديث (٦٥٤٤) (٤٠٦/١١). ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، حديث (٢٨٥٠/٤٢) بلفظ: « يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: يا أهل الجنة لاموت، ويا أهل النار لا موت كل خالد بما هو فيه ».

(١٤٤) - أخرجه الطبري (٨٨/١٦).

(١٤٥) - أخرجه الطبري (٨٨/١٦).

(١٤٦) - أخرجه الطبري (٨٨/١٦).

[١] - في ز: « المرعراء ».

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

[٣] - ما بين المعكوفتين في خ: « منادي ».

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.

[٥] - في ز، خ: « ماتوا ».

أهل النار شهقة لو كان أحد ميتًا من شهقة لماتوا[١] . فذلك قوله : ﴿ **وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر** ﴾ يقول : إذا ذبح الموت رواه ابن أبي حاتم(١٤٧) في تفسيره ، وقال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس(١٤٨) في قوله : ﴿ **وأنذرهم يوم الحسرة** ﴾ من أسماء يوم القيامة ، عظمه الله وحذره عباده .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم(١٤٩) في قوله : ﴿ **وأنذرهم يوم الحسرة** ﴾ قال : يوم القيامة ، وقرأ : ﴿ **أن تقول نفس يا حسرتىٰ علىٰ ما فرطت في جنب الله** ﴾ وقوله : ﴿ **إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون** ﴾ يخبر تعالىٰ أنه الخالق المالك المتصرف ، وأن الخلق كلهم يهلكون ، ويبقىٰ هو تعالىٰ وتقدس ، ولا أحد يدعي ملكًا ولا تصرفًا ، بل هو الوارث لجميع خلقه ، الباقي بعدهم ، الحاكم فيهم ، فلا تظلم نفس شيئًا ، ولا جناح بعوضة ، ولا مثقال ذرة .

قال ابن أبي حاتم(١٥٠) : ذكر هدبة بن خالد القيسي ، حدثنا حزم بن أبي حزم القطعي[٢] ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ عبد الحميد بن عبد الرحمن صاحب الكوفة : أما بعد ؛ فإن الله كتب علىٰ خلقه حين[٣] خلقهم الموت ، فجعل مصيرهم إليه ، وقال فيما أنزل من كتابه الصادق الذي حفظه بعلمه ، وأشهد ملائكته علىٰ خلقه إنه يرث الأرض ومن عليها وإليه يرجعون

وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾

يقول تعالىٰ لنبيه محمد صلىٰ الله عليه وسلم ﴿ **واذكر في الكتاب إبراهيم** ﴾ واتله علىٰ

(١٤٧) - أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر المنثور (٤/٤٩٠) .
(١٤٨) - أخرجه الطبري (١٦/٨٨) .
(١٤٩) - أخرجه الطبري (١٦/٨٨) .
(١٥٠) - أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٤/٤٩٠) .

[١] - في ز : « ماتوا » .
[٢] - في ز ، خ : « البطعي » . [٣] - في خ : « يوم » .

قومك هؤلاء الذين يعبدون الأصنام ، واذكر لهم ما كان من خبر إبراهيم خليل الرحمن - الذين هم من ذريته ، ويدعون أنهم علىٰ ملته ، وقد[١] كان صديقًا نبيًا - مع أبيه ، كيف نهاه عن عبادة الأصنام ، فقال : ﴿ **يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئًا** ﴾ أي : لا ينفعك ولا يدفع عنك ضررًا .

﴿ **يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني** ﴾ يقول : وإن[٢] كنت من صلبك ، وتراني[٣] أصغر منك ؛ لأني ولدك ، فاعلم أني قد اطلعت من العلم من الله علىٰ ما لم تعلمه أنت ، ولا اطلعت عليه ، ولا جاءك بعد ﴿ **فاتبعني أهدك صراطًا سويًا** ﴾ أي: طريقًا مستقيمًا موصلًا إلى نيل المطلوب ، والنجاة من المرهوب .

﴿ **يا أبت لا تعبد الشيطان** ﴾ أي : لا تطعه[٤] في عبادتك هذه الأصنام ، فإنه هو الداعي إلىٰ ذلك ، والراضي به ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين** ﴾ .

وقال : ﴿ **إن يدعون من دونه إلا إناثًا وإن يدعون إلا شيطانًا مريدًا** ﴾

وقوله : ﴿ **إن الشيطان كان للرحمن عصيًا** ﴾ أي : مخالفًا مستكبرًا[٥] عن طاعة ربه ، فطرده وأبعده ، فلا تتبعه تَصِر مثله .

﴿ **يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن** ﴾ أي : علىٰ شركك وعصيانك لما أمرك به ﴿ **فتكون للشيطان وليًا** ﴾ يعني : فلا يكون لك مولى ولا ناصرًا ولا مغيثًا إلا إبليس ، وليس إليه ولا إلىٰ غيره من الأمر شيء ، بل اتباعك له موجب لإحاطة العذاب بك ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **تالله لقد أرسلنا إلىٰ أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم** ﴾ .

يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن جواب أبي إبراهيم [لولده إبراهيم][٦] فيما دعاه إليه أنه قال :

[١] - في ز : « هو » .
[٢] - في ز ، خ : « فإن » .
[٣] - في ز ، خ : « ترى أنى » .
[٤] - في ز : « تطيعه » .
[٥] - في خ : « متكبرًا » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

﴿ أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم ﴾ يعني : [إن كنت لا][١] تريد عبادتها ولا ترضاها ، فانته عن سبها وشتمها وعيبها ، فإنك إن لم تنته عن ذلك اقتصصت منك وشتمتك وسببتك ، وهو قوله : ﴿ لأرجمنك ﴾ قاله ابن عباس ، والسدي ، وابن جريج ، والضحاك(١٥١) وغيرهم وقوله : ﴿ واهجرني مليًا ﴾ قال مجاهد(١٥٢) ، وعكرمة ، وسعيد ابن جبير(١٥٣) ، ومحمد بن إسحاق(١٥٤) : يعني دهرًا[٢] .

وقال الحسن البصري(١٥٥) : زمانًا طويلًا ، وقال السدي(١٥٦) : ﴿واهجرني مليًا﴾ قال : أبدًا .

وقال عليّ بن أبي طلحة والعوفي ، عن ابن عباس(١٥٧) ﴿ واهجرني مليًا ﴾ قال : سويًّا سالمًا ، قبل أن تصيبك[٣] مني عقوبة . وكذا قال الضحاك ، وقتادة ، وعطية الجدلي(١٥٨) ، وأبو[٤] مالك ، وغيرهم واختاره ابن جرير . فعندها قال إبراهيم لأبيه : ﴿ سلام عليك ﴾ كما قال تعالىٰ في صفة المؤمنين [ ][٥] : ﴿ وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين ﴾ ومعنىٰ قول إبراهيم لأبيه : ﴿ سلام عليك ﴾ يعني : أما أنا فلا ينالك مني مكروه ، ولا أذىٰ ، وذلك لحرمة الأبوة ﴿ سأستغفر لك ربي ﴾ ، أي : ولكن سأسأل الله تعالى فيك[٦] أن يهديك ويغفر ذنبك ﴿ إنه كان بي حفيًا ﴾ قال[٧] ابن عباس(١٥٩) وغيره(١٦٠) : لطيفًا . أي : في أن هداني لعبادته والإخلاص له .

(١٥١) - أخرجه عنهم الطبري (٩١/١٦) .
(١٥٢) - أخرجه الطبري (٩١/١٦) .
(١٥٣) - أخرجه الطبري (٩١/١٦) .
(١٥٤) - أخرجه الطبري (٩١/١٦) .
(١٥٥) - أخرجه الطبري (٩١/١٦) .
(١٥٦) - أخرجه الطبري (٩١/١٦) .
(١٥٧) - أخرجه الطبري (٩١/١٦) من طريق علي بن أبي طلحة . وأخرجه (٩٢/١٦) من طريق العوفي .
(١٥٨) - أخرجه عنهم الطبري (٩٢/١٦) .
(١٥٩) - أخرجه الطبري (٩٢/١٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٩١/٤) وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم .
(١٦٠) - أخرجه الطبري (٩٢/١٦) من طريق عبد الرحمن بن زيد نحوه .

[١] - في ز : « أما » ، خ : « إما » .
[٢] - في ز : « زهدًا » .
[٣] - في ز ، خ : « يصيبك » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « وقال » .
[٦] - في ز : « قبل » .
[٧] - في خ : « وقال » .

وقال قتادة ومجاهد(١٦١) وغيرهما ﴿ إنه كان بي حفيًا ﴾ قال : عوَّده[١] الإجابة .

وقال السدي (الحفي) الذي يهتم بأمره .

وقد استغفر إبراهيم صلىٰ اللّٰه عليه وسلم لأبيه مدة طويلة ، وبعد أن هاجر إلىٰ الشام وبنى المسجد الحرام ، وبعد أن ولد له إسماعيل وإسحاق عليهما السلام في قوله : ﴿ ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ﴾ وقد استغفر المسلمون لقراباتهم[٢] وأهلهم من المشركين في ابتداء الإسلام ، وذلك اقتداء بإبراهيم الخليل في ذلك ، حتىٰ أنزل اللّٰه تعالىٰ : ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم: إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون اللّٰه كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا حتى تؤمنوا باللّٰه وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من اللّٰه من شيء ﴾ الآية . يعني : إلا في هذا القول فلا تتأسوا به ، ثم بين تعالىٰ أن إبراهيم أقلع عن ذلك ورجع عنه ، فقال تعالىٰ : ﴿ ماكان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو للّٰه تبرأ منه إن إبراهيم لأوّاه حليم ﴾ وقوله : ﴿ وأعتزلكم وما تدعون من دون اللّٰه وأدعو ربي ﴾ أي : أجتنبكم وأتبرأ منكم ، ومن آلهتكم التي تعبدونها [من دون اللّٰه][٣] ﴿ وأدعو ربي ﴾ أي : وأعبد ربي وحده لا شريك له ﴿ عسىٰ أن لا أكون بدعاء ربي شقيًا ﴾ وعسىٰ هذه موجبة لا محالة ، فإنه عليه السلام سيد الأنبياء بعد محمد صلىٰ اللّٰه عليه وسلم .

وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾

يقول تعالىٰ : [فلما اعتزل][٤] الخليل أباه وقومه في اللّٰه ، أبدله اللّٰه من هو خير منهم ، وهب له إسحاق ويعقوب ، يعني ابنه وابن إسحاق ، كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ ويعقوب نافلة ﴾ وقال: ﴿ومن وراء إسحاق يعقوب﴾ ولا[٥] خلاف أن إسحاق والد

(١٦١) - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٩١/٤) ، وعزاه إلى عبد بن حميد ، وابن أبي حاتم .

[١] - في ز : « وعوَّده » .

[٢] - غير واضحة في (ز) ، خ : « لآبائهم و » . [٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٤] - في ز : « ولما اعتزلهم » . [٥] - في خ : « وقال ولا » .

يعقوب ، وهو نص القرآن في سورة البقرة : ﴿ **أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق** ﴾ ولهذا إنما ذكر هاهنا إسحاق ويعقوب ، أي[١] جعلنا له نسلًا وعقبًا أنبياء ، أقر الله بهم عينه في حياته ، ولهذا قال : ﴿ **وكلًا جعلنا نبيًا** ﴾ فلو لم يكن يعقوب قد[٢] نبئ في حياة إبراهيم ، لما اقتصر عليه ، ولذكر[٣] ولده يوسف ؛ فإنه نبي أيضًا ، كما قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في الحديث المتفق علىٰ صحته(١٦٢) ، حين سئل عن خير الناس ، فقال : « **يوسف نبي الله ، ابن يعقوب نبي الله ، ابن إسحاق نبي الله ، ابن إبراهيم خليل الله** » وفي[٤] اللفظ الآخر : « **إن الكريم ابنَ الكريم ابنِ الكريم ابنِ الكريم : يوسف ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم** »(١٦٣) وقوله : ﴿ **ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليًا** ﴾ قال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس(١٦٤) : يعني الثناء الحسن . وكذا قال السدي ومالك بن أنس .

وقال ابن جرير(١٦٥) : إنما قال : ﴿ **عليًا** ﴾ ؛ لأن جميع الملل والأديان يثنون عليهم ويمدحونهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾

(١٦٢) - أخرجه البخاري في كتاب : « أحاديث الأنبياء » باب : ﴿ **أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت** ﴾ إلى قوله : ﴿ **ونحن له مسلمون** ﴾ ، حديث (٣٣٧٤) ، (٣٣٨٣) (٤١٤/٦ - ٤١٧) .
وفي كتاب التفسير ، باب : ﴿ **لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين** ﴾ ، حديث (٤٦٨٩) (٨/ ٣٦٢) .
ومسلم في كتاب الفضائل ، باب : فضائل يوسف عليه السلام ، حديث (٢٣٧٨/١٦٨) (١٩٤/١٥) بنحوه .

(١٦٣) - أخرجه الترمذي في كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة يوسف ، حديث (٣١١٦) (٥/ ٢٧٣ ، ٢٧٤) ، وقال : حديث حسن .

(١٦٤) - أخرجه الطبري (٩٣/١٦) .

(١٦٥) - ينظر الطبري (٩٣/١٦) .

[١] - في ت : « أن » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ز ، خ : « ذكر » .
[٤] - في خ : « ومن » .

لما ذكر تعالىٰ إبراهيم الخليل وأثنىٰ عليه ، عطف بذكر الكليم ، فقال : ﴿ **واذكر في الكتاب موسىٰ إنه كان مخلصًا** ﴾ قرأ بعضهم(*) : بكسر اللام من الإِخلاص في العبادة .

قال الثوري عن عبد العزيز بن رفيع ، عن أبي لبابة[١] قال : قال الحواريون : يا روح الله ، أخبرنا عن المخلص لله . قال : الذي يعمل لله ، لا يحب أن يحمده الناس .

وقرأ الآخرون بفتحها بمعنى أنه كان مصطفى ، كما قال تعالى : ﴿ **إني اصطفيتك على الناس** ﴾ .

﴿ **وكان رسولًا نبيًا** ﴾ جمع الله[٢] له بين الوصفين ، فإنه كان من المرسلين الكبار أولي العزم الخمسة ، وهم : نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم وعلىٰ سائر الأنبياء[٣] أجمعين .

وقوله : ﴿ **وناديناه من جانب الطور** ﴾ أي : الجبل ﴿ **الأيمن** ﴾ أي : من جانبه الأيمن من موسىٰ ، حين ذهب[٤] يبتغي من تلك[٥] النار جذوة ، رآها تلوح فقصدها ، فوجدها في جانب الطور الأيمن منه ، عند شاطئ الوادي ، فكلمه الله تعالىٰ ، ناداه وقربه وناجاه .

قال ابن جرير(١٦٦) : حدثنا ابن بشار[٦] ، حدثنا يحيىٰ - هو القطان - ، حدثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب[٧] عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : ﴿ **وقربناه نجيًا** ﴾ ، قال[٨] أدنى حتى سمع صريف القلم .

وهكذا قال مجاهد(١٦٧) وأبو العالية(١٦٨)

---

(١٦٦) - أخرجه الطبري (٩٤/١٦) .

(١٦٧) - أخرجه الطبري (٩٥/١٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٩٢/٤) إلى ابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة والبيهقي في الأسماء والصفات بنحوه .

(١٦٨) - أخرجه الطبري (٩٥/١٦) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٩٢/٤) إلى عبد بن حميد .

(*) كسر اللام في (مخلِصًا) قراءة ابن كثير ، ونافع ، وأبي عمرو ، وابن عامر ، والمفضل عن عاصم . وقراءة الفتح لحمزة ، والكسائي .

[١] - في ز : « ثمامة » ، خ : « تمامة » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « أنبياء الله » .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - في ز : « ذلك » .

[٦] - في خ : « يسار » .

[٧] - في ز ، خ : « يسار » .

[٨] - سقط من : ز .

وغيرهم(١٦٩) . يعنون صريف القلم بكتابة التوراة .

وقال السدي(١٧٠) : ﴿ وقربناه نجيًا ﴾ قال : أدخل في السماء فكلم . وعن مجاهد(١٧١) نحوه .

و[١] قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة(١٧٢) : ﴿ وقربناه نجيًا ﴾ [ ][٢] : نجا بصدقه .

وقال ابن أبي حاتم(١٧٣) : حدثنا عبد الجبار بن عاصم ، حدثنا محمد بن سلمة الحراني ، عن أبي الواصل ، عن شهر بن حوشب ، عن عمرو بن [معد يكرب][٣] قال : لما قرَّب الله موسىٰ نجيًّا بطور سيناء ، قال : يا موسىٰ ، إذا خلقت لك قلبًا شاكرًا ، ولسانًا ذاكرًا ، وزوجة تعين علىٰ الخير ، فلم أخزن[٤] عنك من الخير شيئًا ، ومن أخزن[٥] عنه هذا فلم أفتح له من الخير شيئًا .

وقوله : ﴿ **ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيًا** ﴾ أي : وأجبنا سؤاله وشفاعته في[٦] أخيه ، فجعلناه نبيًا ، كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **وأخي هارون هو أفصح مني لسانًا فأرسله معي ردءًا يصدقني إني أخاف أن يكذبون** ﴾ [ ][٧] وقال[٨] : ﴿ **قد أوتيت سؤلك يا موسى** ﴾ وقال : ﴿ **فأرسل إلىٰ هارون * ولهم عليَّ ذنب فأخاف أن يقتلون** ﴾ ؛ ولهذا قال بعض السلف : ما شفع أحد في أحد شفاعة في الدنيا ، أعظم من شفاعة موسىٰ في

(١٦٩) - انظر تفسير الطبري : (٩٥/١٦) .

(١٧٠) - أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٤٩٢/٤) .

(١٧١) - أخرجه الطبري (٩٥/١٦) بلفظ : « بين السماء السابعة والعرش سبعون ألف حجاب ، حجاب نور وحجاب ظلمة ، وحجاب نور وحجاب ظلمة ، وحجاب نور وحجاب ظلمة ، وحجاب نور وحجاب ظلمة ، فما زال موسى يقرب حتى كان بينه وبينه حجاب ، فلما رأى مكانه وسمع صريف القلم قال : رب أرني أنظر إليك » .
والأثر عزاه السيوطي (٤٩٢/٤) إلى ابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ في العظمة ، والبيهقي في الأسماء والصفات.

(١٧٢) - أخرجه الطبري (٩٥/١١) وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٩٢/٤) إلى عبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(١٧٣) - أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٤٩٢/٤) .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « قال » .
[٣] - في خ : « معدى كرب » .
[٤] - في ز : « أحزن » .
[٥] - في ز : « أحزن » .
[٦] - في ز ، خ : « إلى » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في خ : « إلى أن » .
[٨] - سقط من : خ .

هارون أن يكون نبيًّا ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيًّا** ﴾ .

قال ابن جرير(١٧٤) : حدثنا يعقوب ، حدثنا ابن علية ، عن داود ، عن عكرمة قال : قال ابن عباس قوله : ﴿ **ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيًّا** ﴾ قال : كان هارون أكبرَ من موسىٰ ولكن أراد وهب له نبوته .

وقد ذكره ابن أبي حاتم(١٧٥) معلقًا عن يعقوب ، وهو ابن إبراهيم الدورقي به .

وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾

هذا ثناء من اللَّه تعالىٰ علىٰ إسماعيل بن إبراهيم الخليل -عليهما السلام- وهو والد عرب الحجاز كلهم ، بأنه ﴿ **كان صادق الوعد** ﴾ .

قال ابن جريج(١٧٦) : لم يعد ربه عدة إلا أنجزها . يعني : ما التزم عبادة قط بنذر إلا قام بها ووفاها حقها .

وقال ابن جرير(١٧٧) : حدثني يونس ، أنبأنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، أن سهل بن عقيل حدثه أن إسماعيل النبي - عليه السلام - وعد رجلًا مكانًا أن يأتيه ، فجاء ونسي الرجل ، فظل به إسماعيل ، وبات حتىٰ جاء الرجل من الغد ، فقال : ما برحت من هاهنا ؟ قال : لا . قال : إني نسيت . قال : لم أكن لأبرح حتىٰ تأتيني . فلذلك : ﴿ **كان صادق الوعد** ﴾ .

وقال سفيان الثوري : بلغني أنه أقام في ذلك المكان ينتظره حولًا حتىٰ جاءه .

وقال [ابن شوذب] : بلغني أنه اتخذ ذلك الموضع سكنًا .

وقد روىٰ أبو داود(١٧٨) في سننه ، وأبو بكر محمد بن جعفر الخرائطي في كتابه « مكارم

(١٧٤) - أخرجه الطبري (١٦/٩٥) .

(١٧٥) - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٩٢) . وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن ابن عباس .

(١٧٦) - أخرجه الطبري (١٦/٩٥) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٩٢) إلى ابن المنذر .

(١٧٧) - أخرجه الطبري (١٦/٩٥) .

(١٧٨) - أخرجه أبو داود في كتاب الأدب ، باب : في العِدَةِ ، حديث (٤٩٩٦) (٤/٢٩٩) . أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق (٣٢) . وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود برقم (١٠٦٢) .

الأخلاق » من طريق إبراهيم بن طهمان عن [بديل بن ميسرة][1] ، [ ][2] عن عبد الكريم - يعني : ابن عبد الله بن شقيق - عن أبيه ، عن عبد الله بن أبي الحمساء قال : « بايعت رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قبل أن يبعث ، فبقيت له عليَّ بقية ، فوعدته[3] أن آتيه بها في مكانه ذلك ، قال : فنسيت[4] يومي والغد ، فأتيته في اليوم الثالث وهو في مكانه ذلك ، فقال لي : « **يا فتىٰ ، لقد شققت عليَّ ، أنا هاهنا منذ ثلاث أنتظرك** » . لفظ الخرائطي ، وساق آثارًا[5] حسنة في ذلك .

ورواه ابن منده أبو عبد الله في كتاب « **معرفة الصحابة** » بإسناده : عن إبراهيم بن طهمان ، عن بديل بن ميسرة ، عن عبد الكريم به[6] .

وقال بعضهم : إنما قيل له : ﴿ **صادق الوعد** ﴾ لأنه قال لأبيه : ﴿ **ستجدني إن شاء الله من الصابرين** ﴾ فصدق في ذلك .

فصدْقُ الوعدِ من الصفات الحميدة[7] ، كما أن خُلْفَه من الصفات الذميمة ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون * كبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون** ﴾ وقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **آية المنافق ثلاث ؛ إذا حدّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان** »(١٧٩) .

ولما كانت هذه صفات المنافقين ، كان التلبس بضدها من صفات المؤمنين ؛ ولهذا أثنىٰ الله علىٰ عبده ورسوله إسماعيل بصدق الوعد ، وكذلك كان رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، صادق الوعد أيضًا ، لا يعد أحدًا شيئًا إلا وفَّىٰ له به ، وقد أثنىٰ علىٰ أبي[8] العاص ابن الربيع زوج ابنته زينب[9] فقال : « **حدثني فصدقني ، ووعدني فوفىٰ لي** »(١٨٠) ولما

(١٧٩) - أخرجه البخاري في كتاب : الإيمان ، باب : علامة المنافق ، حديث (٣٣) (٨٩/١) ، وأطرافه في (٢٦٨٢ - ٢٧٤٩ - ٦٠٩٥) .
ومسلم في كتاب : الإيمان ، باب : بيان خصال المنافق ، حديث (٥٩/١٠٧) (٦٢/٢) .

(١٨٠) - أخرجه البخاري في كتاب : فرض الخمس ، باب : ما ذكر في درع النبي - صلى الله عليه وسلم - وعصاه وسيفه وقدحه وخاتمه ، وما استعمل الخلفاء بعده من ذلك مما لم يذكر قسمته ، حديث (٣١١٠) (٢١٢/٦ ، ٢١٣) ، وفي كتاب فضائل الصحابة ، باب : ذكر أصهار النبي - صلى الله عليه وسلم =

[1] - في خ : « عبد الله بن مرة » .
[2] - في ز : « عن عبد الله بن مرة » .
[3] - في ز : « فوعدنيه » .
[4] - في ز ، خ : « نسيت » .
[5] - في ز : « إنما رأى » .
[6] - سقط من : ز ، خ .
[7] - في ز : « الجميلة » .
[8] - سقط من : ز .
[9] - في ز ، خ : « في بيت » .

توفي النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال الخليفة أبو بكر الصديق : من كان له عند رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عِدَة أو دَيْن فليأتني أنجز له . فجاءه جابر بن عبد الله فقال : إن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان قال : « **لو جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا** » . يعني[١] : ملء كفيه ، فلما جاء مال البحرين أمر الصديق جابرًا ، فغرف بيديه من المال ، ثم أمره بِعَدِّهِ ، فإذا هو خمسمائة درهم ، فأعطاه مثليها معها(١٨١) .

وقوله : ﴿ **وكان رسولًا نبيًا** ﴾ في هذا دلالة علىٰ شرف إسماعيل علىٰ أخيه إسحاق ؛ لأنه إنما وصف بالنبوّة فقط ، وإسماعيل وصف بالنبوّة والرسالة ، وقد ثبت في صحيح مسلم(١٨٢) أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ...**» وذكر تمام الحديث فدلّ علىٰ صحة ما قلناه .

وقوله : ﴿ **وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيًا** ﴾ هذا أيضًا من الثناء الجميل ، والصفة الحميدة ، والخلة السديدة ، حيث كان مثابرًا علىٰ طاعة ربه - عز وجل - آمرًا بها لأهله ، كما قال تعالىٰ لرسوله : ﴿ **وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقًا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارًا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون** ﴾ أي : مروهم بالمعروف ، وانهوهم عن المنكر ، ولا تدعوهم هملًا ؛ فتأكلهم النار يوم القيامة .

وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **رحم الله رجلًا قام من الليل فصلّىٰ ، وأيقظ امرأته ، فإن أبت نضح في وجهها الماء . رحم الله**

= منهم العاص بن الربيع ، حديث (٣٧٢٩) (٨٥/٧) .

ومسلم في فضائل الصحابة ، باب : فضائل فاطمة بنت النبي - عليه الصلاة والسلام - حديث (٩٥ ، ٢٤٤٩/٩٦) (٥/١٦ ، ٦) .

والحديث فيه قصة خطبة علي ﷺ ابنة أبي جهل على فاطمة .

(١٨١) - أخرجه البخاري في كتاب : الكفالة ، باب : من تكفل عن ميت دينًا فليس له أن يرجع ، حديث (٢٢٩٦) (٤٧٤/٤) ، وأطرافه في (٢٥٩٨ - ٢٦٨٣ - ٣١٣٧ - ٣١٦٤ - ٤٣٨٣) .

ومسلم في كتاب : الفضائل ، باب : ما سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شيئًا قط فقال : لا وكثرة عطائه ، حديث (٦٠ ، ٢٣١٤/٦١) (١٠٦/١٥ ، ١٠٧) .

(١٨٢) - لم أجده في مسلم بهذا اللفظ ، والذي رواه مسلم في كتاب : الفضائل ، باب : فضل نسب النبي - صلى الله عليه وسلم - وتسليم الحجر عليه قبل النبوة ، حديث (٢٢٧٦) (٥٢/١٥) من حديث واثلة =

---

[١] - سقط من : خ .

امرأة قامت من الليل فصلت ، وأيقظت زوجها ، فإن أبىٰ [نضحت في وجهه الماء][١] » . أخرجه أبو داود(١٨٣) وابن ماجة .

وعن أبي سعيد وأبي هريرة - رضي اللَّه عنهما - عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : **« إذا استيقظ الرجل من الليل وأيقظ امرأته ، فصليا ركعتين ، كتبا من الذاكرين اللَّه كثيرًا والذاكرات »** . رواه أبو داود(١٨٤) ، والنسائي(١٨٥) ، وابن ماجة(١٨٦) واللفظ له .

﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ۝٥٦ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧ ﴾

وهذا ذكر إدريس - عليه السلام - بالثناء عليه ، بأنه كان صديقًا نبيًّا ، وأن اللَّه رفعه مكانًا عليًّا ، وقد تقدم في الصحيح(١٨٧) : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم مر به في ليلة الإسراء ، وهو في السماء الرابعة .

وقد روىٰ ابن جرير(١٨٨) هاهنا أثرًا غريبًا عجيبًا ، فقال[٢] : حدثني يونس بن عبد الأعلىٰ ، أنبأنا ابن وهب ، أخبرني جرير بن حازم ، عن سليمان الأعمش ، عن شمر بن عطية ، عن هلال بن يَسَاف ، قال : سأل ابن عباس كعبًا - وأنا حاضر - فقال له : ما

=ابن الأسقع يقول : سمعت رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - يقول : « إن اللَّه اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشًا من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم » .

(١٨٣) - أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب : قيام الليل ، حديث (١٣٠٨) (٣٣/٢) . وفي باب الحث على قيام الليل ، حديث (١٤٥٠) (٧٠/٢) . وأخرجه ابن ماجة في كتاب : إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : ما جاء فيمن أيقظ أهله من الليل ، حديث (١٣٣٦) (٤٢٤/١) . وقال الألباني في صحيح أبي داود (١١٥٨ - ١٢٨٧) ، وصحيح ابن ماجة (١٠٩٩) : حسن صحيح .

(١٨٤) - أخرجه أبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : قيام الليل ، حديث (١٣٠٨) (٣٣/٢) .
وقال الألباني في صحيح أبي داود (١١٥٨) : حسن صحيح .

(١٨٥) - أخرجه النسائي في الكبرى في كتاب : قيام الليل ، باب : ثواب من استيقظ وأيقظ امرأته فصليا ، حديث (١٣١) (٤١٣/١) .

(١٨٦) - أخرجه ابن ماجة في كتاب : إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : ما جاء فيمن أيقظ أهله من الليل ، حديث (١٣٣٥) (٤٢٤/١) .
وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة برقم (١٠٩٨) .

(١٨٧) - تقدم في أول سورة الإسراء .

(١٨٨) - أخرجه الطبري (٩٦/١٦) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين مكررة في : خ . [٢] - في خ : « فقد » .

قول الله - عز وجل - لإدريس : ﴿ ورفعناه مكانًا عليًا ﴾ فقال كعب : أما إدريس فإن الله أوحىٰ إليه : إني أرفع لك كل يوم مثل عمل جميع بني آدم ، فأحب أن يزداد عملًا ، فأتاه خليل له من الملائكة فقال : إن الله أوحى إليّ[١] كذا وكذا ، فكلم لي ملك الموت [فليؤخرني حتى أزداد عملًا][٢] فحمله بين جناحيه ، ثم صعد به إلىٰ السماء ، فلما كان في السماء الرابعة ، تلقاهم ملك الموت منحدرًا ، فكلم ملك الموت في الذي كلمه فيه إدريس ، فقال : وأين إدريس ؟ فقال : هو ذا علىٰ ظهري . قال ملك الموت : فالعجب ! بعثت وقيل لي : اقبض روح إدريس في السماء الرابعة ، فجعلت أقول : كيف أقبض روحه في السماء الرابعة وهو في الأرض ؟ فقبض روحه هناك . فذلك [قول الله][٣] : ﴿ ورفعناه مكانًا عليًا ﴾ .

و[٤]هذا من أخبار كعب الأحبار الإسرائيليات ، وفي بعضه نكارة ، والله أعلم .

وقد رواه ابن أبي حاتم من وجه آخر ؛ عن ابن عباس : أنه سأل كعبًا ، فذكر نحو ما تقدم ، غير أنه قال لذلك[٥] الملك : هل لك أن تسأله - يعني : ملك الموت - كم بقي من أجلي لكي أزداد من العمل - وذكر باقيه[٦] - وفيه : أنه لما سأله عما بقي من أجله ؛ قال : لا أدري حتىٰ أنظر . ثم نظر ، ثم[٧] قال : إنك تسألني عن رجل ما بقي من عمره إلا طرفة عين . فنظر الملك [ ][٨] تحت جناحه إلىٰ إدريس ، فإذا هو قد قبض - عليه السلام - وهو لا يشعر به .

ثم رواه من وجه آخر عن ابن عباس أن إدريس كان خياطًا ، فكان لا يغرز إبرة إلا قال : سبحان الله ، فكان يمسي حين يمسي ، وليس في الأرض أحد أفضل عملًا منه . وذكر بقيته كالذي قبله ، أو نحوه . وقال ابن أبي نجيح : عن مجاهد(١٨٩) في قوله : ﴿ ورفعناه مكانًا عليًا ﴾ [قال : إدريس رفع ولم يمت كما رفع عيسىٰ][٩] .

[وقال سفيان عن منصور ، عن مجاهد(١٩٠)][١٠] [في قوله][١١] : ﴿ ورفعناه مكانًا

(١٨٩) - أخرجه الطبري (٩٦/١٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٩٤/٤) وعزاه إلى ابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر وابن أبي حاتم .
(١٩٠) - أخرجه الطبري (٩٧/١٦) .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : « يزداد عملي » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في خ : « قوله » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في خ : « ذلك » .
[٦] - في ز : « ما فيه » .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - ما بين المعكوفتين في ز : « إلى » .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[١١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

عليًا ﴾ قال : السماء الرابعة .

وقال العوفي عن ابن عباس(١٩١) : ﴿ ورفعناه مكانًا عليًا ﴾ قال : رفع إلىٰ السماء السادسة فمات بها . وهكذا قال الضحاك بن مزاحم .

قال[١] الحسن(١٩٢) وغيره في قوله : ﴿ ورفعناه مكانًا عليًا ﴾ قال : الجنّة .

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا ۩ ﴿٥٨﴾

يقول تعالىٰ : هؤلاء النبيون - وليس المراد المذكورين في هذه السورة فقط ، بل جنس الأنبياء عليهم السلام ، استطرد من ذكر الأشخاص إلىٰ الجنس - ﴿ **الذين أنعم اللَّه عليهم من النبيين من ذرية آدم** ﴾ الآية .

قال السدي(١٩٣) وابن جرير(١٩٤) رحمه اللَّه : [فالذي[٢] عنىٰ به من ذرية [آدم : إدريس ، والذي عنىٰ به من ذرية من حملنا مع نوح : إبراهيم][٣] والذي عنىٰ به من ذرية][٤] إبراهيم : إسحاق ويعقوب وإسماعيل ، والذي عنىٰ به من ذرية إسرائيل : موسىٰ وهارون وزكريا ويحيىٰ وعيسىٰ ابن مريم .

قال ابن جرير(١٩٥) : ولذلك[٥] فرّق أنسابهم ، وإن كان يجمع جميعهم آدم ؛ لأن فيهم مَن ليس منْ ولد من كان مع نوح في السفينة ، وهو إدريس ، فإنه جد نوح .

قلت : هذا هو الأظهر : أن إدريس في عمود نسب نوح عليهما السلام ، وقد قيل : إنه

(١٩١) - أخرجه الطبري (٩٦/١٦) .
(١٩٢) - أخرجه الطبري (٩٧/١٦) .
(١٩٣) - أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٤٩٨/٤) .
(١٩٤) - ينظر تفسير الطبري (٩٧/١٦) .
(١٩٥) - ينظر تفسير الطبري (٩٧/١٦) .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « والذي » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٥] - في ز ، خ : « كذلك » .

من أنبياء بني إسرائيل ، أخذًا من حديث الإسراء ، حيث قال في سلامه على النبي صلىٰ الله عليه وسلم : مرحبًا بالنبي الصالح ، والأخ الصالح . ولم يقل : والولد الصالح ، كما قال آدم وإبراهيم عليهما السلام .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس ، أنبأنا ابن وهب ، أخبرنا[١] ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي[٢] حبيب ، عن عبد الله بن محمد : أن إدريس أقدم من نوح ، بعثه الله إلىٰ قومه ، فأمرهم أن يقولوا : لا إله إلا الله ، ويعملوا ما شاءوا ، فأبوا ، فأهلكهم الله عز وجل .

[ومما يؤيد أن المراد بهذه الآية جنس الأنبياء ، أنها كقوله تعالىٰ في سورة الأنعام : **﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم علىٰ قومه نرفع درجات من نشاء]**[٣] **إن ربك حكيم عليم * ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلًا هدينا ونوحًا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسىٰ وهارون وكذلك نجزي المحسنين * وزكريا ويحيىٰ**[٤] **وعيسىٰ وإلياس كل من الصالحين * وإسماعيل واليسع ويونس ولوطًا وكلًا فضلنا علىٰ العالمين * ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلىٰ صراط مستقيم ﴾** إلىٰ قوله[٥] : **﴿ أولئك الذين هدىٰ الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجرًا إن هو إلا ذكرىٰ للعالمين ﴾** ، وقال تعالى : **﴿منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وكلم الله موسى تكليمًا﴾** وفي صحيح البخاري(١٩٦) ، عن مجاهد : أنه سأل ابن عباس أفي « ص » سجدة ؟ قال : نعم ، ثم تلا هذه الآية : **﴿ أولئك الذين هدىٰ الله فبهداهم اقتده ﴾** فنبيكم ممن أمر أن يقتدي بهم ، قال : وهو منهم . يعني : داود .

وقال الله تعالىٰ في هذه الآية الكريمة : **﴿ إذا تتلىٰ عليهم آيات الرحمن خرّوا سجدًا وبكيًا ﴾** أي : إذا سمعوا كلام الله المتضمن حججه ودلائله وبراهينه ، سجدوا لربهم خضوعًا واستكانة ، وحمدًا وشكرًا علىٰ ما هم فيه من النعم العظيمة .

و« البُكي » : جمع باك فلهذا أجمع العلماء على شرعية[٦] السجود هاهنا اقتداءً بهم واتباعًا لمنوالهم .

---

(١٩٦) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : **﴿ أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده ﴾** حديث (٤٦٣٢) (٨/٨٩٤) .

---

[١] - في خ : « أخبرني » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز ، خ : « أن قال » .
[٦] - في ز : « شرعة » .

قال سفيان الثوري(١٩٧) : عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن أبي معمر قال : قرأ عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - [ ][١] سورة مريم فسجد ، وقال : هذا السجود ، فأين البُكِيّ ؟ يريد : البكاء .

رواه ابن أبي حاتم وابن جرير(١٩٨) ، وسقط من روايته ذكر[٢] « أبي معمر » فيما رأيت ، فالله[٣] أعلم .

﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ٦٠ ﴾

ولما ذكر تعالىٰ حزب السعداء ، وهم الأنبياء عليهم السلام ، ومن اتبعهم من القائمين بحدود الله وأوامره ، المؤدين فرائض الله ، التاركين لزواجره ذكر أنه ﴿ **خلف من بعدهم خلف** ﴾ أي : قرون أخر ﴿ **أضاعوا الصلاة** ﴾ - وإذا أضاعوها فهم لما سواها من الواجبات أضيع ؛ لأنها عماد الدين وقوامه ، وخير أعمال العباد - وأقبلوا علىٰ شهوات الدنيا وملاذها[٤] ، ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ، فهؤلاء سيلقون غيًّا ، أي : خسارًا يوم القيامة .

وقد اختلفوا في المراد بإضاعة الصلاة هاهنا ؛ فقال قائلون : المراد بإضاعتها تركها بالكلية . قاله محمد بن كعب القرظي ، وابن زيد بن أسلم ، والسدي، واختاره ابن جرير ، ولهذا ذهب من ذهب من السلف والخلف والأئمة ، كما هو المشهور عن الإمام أحمد ، وقول عن الشافعي : إلىٰ تكفير تارك الصلاة ؛ للحديث : « **بين العبد وبين الشرك ترك الصلاة** »(١٩٩) والحديث الآخر: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**»(٢٠٠) . وليس هذا محل بسط هذه المسألة .

(١٩٧) - أخرجه الطبري (٩٨/١٦) .
(١٩٨) - أخرجه الطبري (٩٩/١٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٩٩/٤) وعزاه إلى ابن أبي حاتم .
(١٩٩) - أخرجه مسلم في كتاب : الإيمان ، باب : بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة ، حديث (٨٢/١٣٤) (٩٢/٢ ، ٩٣) من حديث جابر رضي الله عنه .
(٢٠٠) - أخرجه الترمذي في كتاب : الإيمان ، باب : ما جاء في ترك الصلاة ، حديث (٢٦٢١) =

[١] - ما بين المعكوفتين في خ : « عند » .
[٢] - في خ : « ذكره » .
[٣] - في خ : « والله » .
[٤] - في خ : « ولذاتها » .

وقال[١] الأوزاعي : عن موسىٰ بن سليمان ، عن القاسم بن مخيمرة(٢٠١) في قوله : ﴿ **فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة** ﴾ قال : إنما أضاعوا المواقيت ، ولو كان تركًا كان كفرًا .

وقال وكيع : عن المسعودي[٢] ، عن القاسم بن عبد الرحمن والحسن بن سعد ، عن ابن مسعود(٢٠٢) : أنه قيل له : إن اللّٰه يكثر ذكر الصلاة في القرآن ﴿ **الذين هم عن صلاتهم ساهون** ﴾ و﴿ **علىٰ صلاتهم دائمون** ﴾ و﴿ **علىٰ صلاتهم يحافظون** ﴾ قال ابن مسعود : علىٰ[٣] مواقيتها . قالوا[٤] : ما كنا نرىٰ ذاك إلا علىٰ الترك ؟ قال : ذلك الكفر .

وقال مسروق[٥](٢٠٣) : لا يحافظ أحد علىٰ الصلوات الخمس فيكتب من الغافلين ، وفي إفراطهن الهلكة ، وإفراطهن إضاعتهن عن وقتهن .

وقال الأوزاعي : عن إبراهيم بن يزيد : أن عمر بن عبد العزيز(٢٠٤) قرأ : ﴿ **فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيًا** ﴾ ثم قال : لم تكن إضاعتهم تركها ، ولكن أضاعوا الوقت .

وقال ابن أبي نجيح : عن مجاهد(٢٠٥) : ﴿ **فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات** ﴾ قال : عند قيام الساعة ، وذهاب صالحي أمة محمد صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، ينزو بعضهم علىٰ بعض في الأزقة[٦] . وكذا روىٰ ابن جريج[٧] عن مجاهد(٢٠٦) مثله[٨] .

= (١٥/٥) والنسائي (٢٣١/١ - ٢٣٢) كتاب الصلاة ، باب : الحكم في تارك الصلاة . وابن ماجة في كتاب : إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : ما جاء فيمن ترك الصلاة ، حديث (١٠٧٩) (٣٤٢/١) . من حديث بريدة . قال الترمذي : حديث حسن صحيح غريب .

(٢٠١) - أخرجه الطبري (٩٨/١٦) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٩٩/٤) وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢٠٢) - أخرجه الطبري (٩٩/١٦) .

(٢٠٣) - أخرجه الطبري (٩٩/١٦) .

(٢٠٤) - أخرجه الطبري (٩٨/١٦ - ٩٩) .

(٢٠٥) - أخرجه الطبري (٩٩/١٦) .

(٢٠٦) - أخرجه الطبري (٩٩/١٦) .

---

[١] - بياض في : ز .

[٢] - في ز : « السعودي » .

[٣] - في ز : « حل » .

[٤] - في ز : « قال » .

[٥] - في خ : « ابن مسعود » .

[٦] - في ز : « الأرقة » .

[٧] - في ز : « جرير » .

[٨] - في ز : « منكم » .

وروى جابر الجعفي(٢٠٧) عن مجاهد، وعكرمة، وعطاء بن أبي رباح: أنهم من هذه الأمة يعنون في آخر الزمان.

وقال ابن جرير(٢٠٨): حدثني الحارث، حدثنا الحسن الأشيب، حدثنا شريك، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد: ﴿ **فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات** ﴾ قال: هم في هذه الأمة، يتراكبون تراكب الأنعام والحمر في الطرق، لا يخافون الله في السماء، ولا يستحيون الناس في الأرض.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا أبو[١] عبد الرحمن المقرئ[٢] حدثنا حيوة[٣]، حدثنا بشير بن أبي عمرو الخولاني، أن الوليد بن قيس حدثه، أنه سمع أبا سعيد الخدري يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول[٤]: « **يكون خلف بعد ستين سنة، أضاعوا الصلاة، واتبعوا الشهوات، فسوف يلقون غيًا، ثم يكون خلف يقرءون القرآن لا يعدو تراقيهم، ويقرأ القرآن ثلاثة: مؤمن، ومنافق، وفاجر** ». قال بشير: قلت للوليد: ما هؤلاء الثلاثة؟ قال: المؤمن مؤمن به، والمنافق كافر به، والفاجر يأكل[٥] به.

وهكذا رواه أحمد عن أبي عبد الرحمن المقرئ به(٢٠٩).

وقال ابن أبي حاتم أيضًا: حدثني أبي، حدثنا إبراهيم بن موسى، أنبأنا عيسى بن يونس، حدثنا عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب، عن مالك، عن[٦] أبي الرجال: أن عائشة كانت ترسل بالشيء صدقة لأهل الصفة، وتقول: لا تعطوا منه بربريًا ولا بربرية، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « **هم الخلف الذين قال الله تعالى**

(٢٠٧) - أخرجه الطبري (١٦/٩٩).

(٢٠٨) - أخرجه الطبري (١٦/٩٩).

(٢٠٩) - أحمد (٣/٣٨) (١١٣٥٦). بشير بن أبي عمرو: هو أبوالفتح المصري الخولاني؛ قال الحافظ في التقريب: ثقة، والوليد بن قيس روى عنه أكثر من واحد. وثقه ابن حبان والعجلي، وقال ابن حجر « مقبول ». والحديث أخرجه البخاري في « خلق أفعال العباد » (٦١٠)، وابن حبان في « صحيحه » (٧٧٥) (٣/٣٢)، وابن حبان في كتاب: الرقائق، باب: قراءة القرآن حديث (٧٥٥) (٣/٣٢). والحاكم في « المستدرك » (٢/٣٧٤)، (٤/٥٤٧) وعنه، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٢٦٢٦) (٢/ ٥٣٣)، وفي « دلائل النبوة » (٦/٤٦٥)، من طريق عبد الله بن يزيد أبي عبد الرحمن المقرئ به. وقال الحاكم: « صحيح الإسناد » ووافقه الذهبي. وله طريق أخرى عن أبي سعيد بمعناه عند أبي نصر المروزي=

[١] - في خ: « ابن مسعود ».
[٢] - في ز، خ: « الهدلي ».
[٣] - في ز: « حبرة ».
[٤] - سقط من: ز.
[٥] - في خ: « يتأكل ».
[٦] - في ز: « بن ».

[فيهم][١] : ﴿ **فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة** ﴾ »(٢١٠) . هذا حديث غريب .

وقال أيضًا : حدثني أبي ، حدثنا عبد الرحمن بن[٢] الضحاك ، حدثنا الوليد ، حدثنا حَرِيز[٣] ، عن شيخ من أهل المدينة : أنه سمع محمد بن كعب القرظي يقول في قوله : ﴿ **فخلف من بعدهم خلف** ﴾ الآية ، قال : هم أهل الغرب[٤] ، يملكون وهم شر من ملك .

وقال كعب الأحبار: والله إني لأجد صفة المنافقين في كتاب الله - عز وجل - شرابين للقهوات تراكين للصلوات ، لعابين بالكعبات ، رقادين عن العتمات ، مفرطين في الغدوات ، تراكين[٥] للجمعات[٦] ، قال : ثم تلا هذه الآية : ﴿ **فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيًا** ﴾ .

وقال الحسن البصري: عطلوا المساجد ولزموا الضيعات[٧] .

وقال أبو الأشهب العطاردي : أوحىٰ اللّه تعالىٰ إلىٰ داود [- عليه السلام -][٨] يا داود ؛ حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات ، فإن القلوب المعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة ، وإن أهون ما أصنع بالعبد من عبيدي إذا آثر شهوة من شهواته عليَّ أن أحرمه طاعتي .

وقال الإمام أحمد(٢١١) : حدثنا زيد بن الحباب ، حدثني[٩] أبو السمح[١٠] التميمي ، عن أبي قبيل ، أنه سمع عقبة[١١] بن عامر قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **إني**

= في « قيام الليل » (ص ١٢٨) ، وأبي عبيد في « فضائل القرآن » (ص ٢٠٥ - ٢٠٦) . والبغوى في شرح السنة (١١٨٢) (٤/٤٣٩) . وحسنه الشيخ الألباني في الصحيحة (٢٥٨) (١/٤٦٢) .

(٢١٠) - أخرجه الحاكم (٢/٢٤٤) وصححه ، لكن تعقبه الذهبي بأن فيه عبيد اللّه وهو مختلف في توثيقه ، وقال مالك : لا أعرفه ، ثم هو منقطع .

(٢١١) - أخرجه أحمد (٤/١٥٥ - ١٥٦) (١٧٤٦٨) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من ز .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز ، خ : « جرير » .

[٤] - في ز : « العرب » .

[٥] - في ز ، خ : « تاركين » .

[٦] - في خ : « للجماعات » .

[٧] - في ز : « الضعات » ، خ : « الصنعات » .

[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٩] - في خ : « حدثنا » .

[١٠] - بياض في : ز ، سقط من : خ .

[١١] - في ز ، خ : « عبد الله » .

أخاف علىٰ أمتي اثنتين : القرآن واللبن[١] ، أما اللبن[٢] فيتبعون الريف ، ويتبعون الشهوات ، ويتركون الصلوات ، وأما القرآن فيتعلمه المنافقون ، فيجادلون به المؤمنين » .

ورواه عن حسن بن موسىٰ(٢١٢) ، عن ابن لهيعة ، حدثنا أبو قبيل ، عن عقبة ، به مرفوعًا بنحوه تفرد به .

وقوله : ﴿ **فسوف يلقون غيًا** ﴾ قال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس(٢١٣) : ﴿ **فسوف يلقون غيًا** ﴾ أي : خسرانًا .

وقال قتادة(٢١٤) : شرًا . وقال سفيان الثوري وشعبة ومحمد بن إسحاق عن أبي إسحاق ، السبيعي ، عن أبي عبيدة ، عن عبد اللَّه بن مسعود(٢١٥) : ﴿ **فسوف يلقون غيًا** ﴾ قال : واد في جهنم ، بعيد القعر ، خبيث الطعم .

وقال الأعمش : عن زياد ، عن أبي عياض(٢١٦) في قوله : ﴿ **فسوف يلقون غيًا** ﴾ قال : واد في جهنم من قيح ودم .

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير(٢١٧) : حدثني عباس بن أبي طالب ، حدثنا محمد بن زياد ابن زيار[٣] ، حدثنا شرقي بن قُطَامِيّ[٤] ، عن لقمان بن عامر الخزاعي قال : جئت أبا أمامة صُدَيّ[٥] بن عجلان الباهلي فقلت : حدثنا حديثًا سمعته[٦] من رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه

---

(٢١٢) - أخرجه أحمد (١٥٥/٤) (١٧٤٦٦) .

(٢١٣) - أخرجه الطبري (١٠٠/١٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٠٠/٤) وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢١٤) - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٠٠/٤) وعزاه إلى ابن أبي حاتم بمعناه .

(٢١٥) - أخرجه الطبري (١٠٠/١٦) . وهناد في الزهد (١٨٣/١) حديث (٢٧٦) مختصرًا . والطبراني (٢٥٩/٩) حديث (٩١١١) ، (٩١٠٦ - ٩١١٣) مثله ونحوه . والحاكم (٣٧٤/٢) وصححه ووافقه الذهبي . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٠٠/٤) وزاد نسبته إلى الفريابي وسعيد بن منصور وعبد ابن حميد ، والبيهقي في البعث والنشور . قال الهيثمي في المجمع (٥٨/٧) : رواه الطبراني بأسانيد ورجال بعضها ثقات إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه .

(٢١٦) - أخرجه هناد في الزهد (١٨٣/١) حديث (٢٧٦) . وأبو نعيم في زيادات الزهد ص (٩٦) رقم (٣٣٣) بنحوه .

(٢١٧) - أخرجه الطبري (١٠٠/١٦) .

---

[١] - في ز ، خ : « الكنى » .

[٢] - في ز ، خ : « الكنى » .

[٣] - في خ : « زيان » .

[٤] - في ز : « قطاني » ، خ : « قطان » .

[٥] - في ز ، خ : « حدثني » .

[٦] - في ز ، خ : « سمعه » .

وسلم . قال : فدعا بطعام ، ثم قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **لو أن صخرة زنة عشر أواق قذف[١] بها من شفير جهنم ، ما بلغت قعرها خمسين خريفًا ، ثم تنتهي[٢] إلىٰ غي وأثام** » . قال : قلت : وما غي وأثام ؟ قال[٣] : بئران[٤] في أسفل جهنم ، يسيل فيهما صديد أهل النار ، وهما اللتان[٥] ذكر اللّٰه في كتابه : ﴿ **أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيًا** ﴾ وقوله في الفرقان : ﴿ **ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثامًا** ﴾ . هذا حديث غريب ورفعه منكر .

وقوله : ﴿ **إلا من تاب وآمن وعمل صالحًا** ﴾ أي : إلا من رجع عن ترك الصلوات[٦] ، واتباع الشهوات ، فإن اللّٰه يقبل[٧] توبته ، ويحسن عاقبته ، ويجعله من ورثة جنة النعيم ؛ ولهذا قال : ﴿ **فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئًا** ﴾ وذلك لأن التوبة تَجُبُّ ما قبلها ، وفي الحديث الآخر : « **التائب من الذنب كمن لا ذنب له** »(٢١٨) ؛ ولهذا لا ينقص هؤلاء التائبون من أعمالهم التي عملوها شيئًا ، ولا قوبلوا بما عملوه قبلها فينقص[٨] لهم مما عملوه بعدها[٩] ؛ لأن ذلك[١٠] ذهب هدرًا ، وترك نسيًا ، وذهب مجانًا ، من كرم الكريم ، وحلم الحليم .

وهذا الاستثناء هاهنا : كقوله في سورة الفرقان : ﴿ **والذين لا يدعون مع اللّٰه إلهًا آخر ولا يقتلون النفس التي حرم اللّٰه إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثامًا * يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانًا * إلا من تاب وءامن وعمل عملًا صالحًا ، فأولئك يبدل اللّٰه سيئاتهم حسنات ، وكان اللّٰه غفورًا رحيمًا** ﴾

جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴿٦٣﴾

---

(٢١٨) - أخرجه ابن ماجة في كتاب الزهد ، باب : ذكر التوبة ، حديث (٤٢٥٠) (١٤٢٠/١) .=

---

[١] - في ز : « يدف » .
[٢] - في خ : « ينتهى » .
[٣] - مكررة في خ .
[٤] - في ز : « نيران » .
[٥] - في ز : « اللذان » .
[٦] - في ز ، خ : « الصلاة » .
[٧] - في ز ، خ : « يتقبل » .
[٨] - في ز ، خ : « فنقص » .
[٩] - في ز ، خ : « قبلها » .
[١٠] - في ز : « ذاك » ، خ : « هذا » .

يقول تعالىٰ : الجنات التي يدخلها[١] التائبون من ذنوبهم هي : ﴿ **جنات عدن** ﴾ أي : إقامة ، ﴿ **التي وعد الرحمن عباده** ﴾ بظهر الغيب ، أي : هي من الغيب الذي يؤمنون به وما رأوه ، وذلك لشدة إيقانهم وقوة إيمانهم .

وقوله : ﴿ **إنه كان وعده مأتيًا** ﴾ تأكيد لحصول ذلك وثبوته واستقراره ، فإن اللَّه لا يخلف الميعاد ولا يبدله ، كقوله : ﴿ **و[٢]كان وعده مفعولاً** ﴾ أي : كائنًا[٣] لا محالة .

وقوله هاهنا : ﴿ **مأتيًا** ﴾ أي : العباد صائرون إليه وسيأتونه .

ومنهم من قال : ﴿ **مأتيًا** ﴾ بمعنىٰ آتيًا ؛ لأن كل ما أتاك فقد أتيته ، كما تقول[٤] العرب : أتت عليَّ خمسون سنة ، وأتيت علىٰ خمسين سنة[٥] ، كلاهما بمعنى وقوله : ﴿ **لا يسمعون فيها لغوًا** ﴾ أي : [ ][٦] هذه [الجنات ليس][٧] فيها كلام ساقط تافه لا معنىٰ له ، كما قد يوجد في الدنيا .

وقوله : ﴿ **إلّا سلامًا** ﴾ استثناء منقطع ، كقوله : ﴿ **لا يسمعون فيها لغوًا ولا تأثيما إلّا قيلًا سلامًا سلامًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيًا** ﴾ أي : في مثل وقت البكرات ووقت العشيّات لا أن هناك [ليلًا أو نهارًا][٨] ، ولكنهم في أوقات تتعاقب ، يعرفون مضيها بأضواء وأنوار ، كما قال الإمام أحمد(٢١٩) :

حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أول زمرة[٩] تلج الجنة صورهم [علىٰ صورة][١٠] القمر ليلة البدر ، لا**

= والبيهقي (١٠/١٥٤) كتاب الشهادات ، باب : شهادة القاذف . وأبو نعيم في الحلية (٤/٢١٠) . والطبراني في الكبير (١٠/١٨٥) حديث (١٠٢٨١) . والقضاعي في مسند الشهاب (١/٩٧) حديث (١٠٨) . كلهم من طريق أبي عبيدة بن عبد اللَّه عن عبد اللَّه بن مسعود وأبو عبيدة هذا ثقة لكن لا يصح سماعه من أبيه كذا في التقريب (٨٢٣١) . قال الهيثمي في المجمع (١٠/٢٠٣) : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه ، وبنحو ذلك قال الألباني في الضعيفة (٦١٥) .

(٢١٩) - أخرجه أحمد (٢/٣١٦) .

---

[١] - في ز ، خ : « يدخل إليها » .
[٢] - في ز ، خ : « إنه » .
[٣] - في ز : « كائن » .
[٤] - في خ : « قالت » .
[٥] - في خ : « صلاة » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « في » .
[٧] - في خ : « الجنان وليس » .
[٨] - في ز ، خ : « ليل أو نهار » .
[٩] - في ز ، خ : « صورة » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

يصقون فيها ولا يتمخطون فيها ،ولا يتغوطون ، آنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة ، ومجامرهم[١] [ ][٢] **الألوّة ، ورشحهم المسك ، ولكل [واحد منهم]**[٣] **زوجتان ، يرىٰ مخ ساقيهما من وراء اللحم ؛ من الحسن ، لا اختلاف بينهم ، ولا تباغض ، قلوبهم علىٰ قلب واحد ، يسبحون اللّٰه بكرة وعشيًّا**[٤] » . أخرجاه في الصحيحين(٢٢٠) ، من حديث معمر به .

وقال الإمام أحمد(٢٢١) : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن [ ][٥] ابن إسحاق ، حدثني الحارث بن فضيل الأنصاري ، عن محمود بن لبيد الأنصاري ، عن ابن عباس قال : قال رسول اللّٰه - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - : « **الشهداء علىٰ بارق نهر**[٦] **بباب الجنة ، في قبة خضراء ، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيًّا** » . تفرد به أحمد من هذا الوجه .

وقال الضحاك عن ابن عباس : ﴿ **ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيًّا** ﴾ قال : مقادير الليل والنهار .

وقال ابن جرير(٢٢٢) : حدثنا عليّ بن سهل ، حدثنا الوليد بن مسلم قال : سألت زهير[٧] ابن محمد عن قول اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيًّا** ﴾ قال : ليس في الجنة ليل ، هم في نور أبدًا ، ولهم مقدار الليل والنهار ، يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب وإغلاق الأبواب ، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وبفتح الأبواب .

وبهذا الإسناد(٢٢٣) عن الوليد بن مسلم ، عن خليد[٨] ، عن الحسن البصري ، وذكر أبواب الجنة فقال : أبواب يرىٰ ظاهرها من باطنها ، فتكلم وتكلم ، فَتُهَمْهِم[٩] : انفتحي ... انغلقي ...، فتفعل .

---

(٢٢٠) - أخرجه البخاري في كتاب : بدء الخلق ، باب : ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ، حديث (٣٢٤٥) (٣١٨/٦) وأطرافه في (٣٢٤٦ - ٣٢٥٤ - ٣٣٢٧) . ومسلم في كتاب : الجنة وصفة نعيمها ، باب : في صفات الجنة وأهلها وتسبيحهم فيها بكرة وعشيًّا ، حديث (٢٨٣٤/١٧) (٢٥٣/١٧) .

(٢٢١) - أخرجه أحمد (٢٦٦/١) .

(٢٢٢) - أخرجه الطبري (١٠٢/١٦) .

(٢٢٣) - أخرجه الطبري (١٠٢/١٦) .

---

[١] - في خ : « محامرهم » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « من » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في خ : « منهما » .

[٤] - في ز : « عشية » .

[٥] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « موسى » .

[٦] - في ز : « شهر » .

[٧] - في ز : « رهين » .

[٨] - في ز : « خليل » ، خ : « الخليل » .

[٩] - في ز : « فيفهمهم » ، خ : « يفهمهم » .

وقال قتادة (٢٢٤) في قوله : ﴿ **ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيًا** ﴾ فيها ساعتان ؛ بكرة وعشي، ليس ثَمّ[١] ليل ولانهار ، وإنما هو ضوء ونور .

وقال مجاهد(٢٢٥) : ليس بكرة ولاعشيًا ، ولكن[٢] يؤتون به على ما كانوا يشتهون في الدنيا .

وقال الحسن(٢٢٦) وقتادة(٢٢٧) وغيرهما(٢٢٨) : كانت العرب ، الأنْعَم فيهم من يتغدىٰ ويتعشىٰ ، ونزل القرآن علىٰ ما في أنفسهم من النعيم[٣] ، فقال تعالىٰ : ﴿ **ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيًا** ﴾ .

وقال ابن مهدي عن حماد بن زيد ، عن هشام ، عن الحسن : ﴿ **ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيًا** ﴾ قال : البكور يرد علىٰ العشي ، والعشي يرد علىٰ البكور ، ليس فيها ليل .

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا سليم[٤] بن منصور بن عمار ، حدثني أبي ، حدثنا محمد بن زياد قاضي أهل شمشاط[٥] عن عبد الله بن حُدير[٦] عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ، عن النبي - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - قال : « **ما من غداة من غدوات الجنة - وكل الجنة غدوات - إلا أنه يزف إلىٰ ولي اللّٰه فيها زوجة من الحور العين ، أدناهن التي خلقت من الزعفران** »(٢٢٩) .

قال أبو محمد: هذا حديث منكر.

وقوله[٧] : ﴿ **تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيًا** ﴾ أي : هذه الجنة التي وصفنا بهذه الصفات العظيمة ، هي التي[٨] نورثها عبادنا المتقين ، وهم المطيعون للّٰه - عز

(٢٢٤) - أخرجه الطبري (١٠٢/١٦) .
(٢٢٥) - أخرجه الطبري (١٠٢/١٦) . وهناد في الزهد (٧٢/١) حديث (٥٩) . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٠١/٤) وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر أيضًا .
(٢٢٦) - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٠١/٤) وعزاه إلى ابن أبي حاتم .
(٢٢٧) - أخرجه الطبري (١٠٢/١٦) .
(٢٢٨) - أخرجه الطبري (١٠٢/١٦) عن يحيى .
(٢٢٩) - أخرجه ابن عدي في الكامل (٢٣٩/٦) ، وقال : لا يعرف هذا إلا لمنصور بهذا الإسناد .

[١] - في ز ، خ : « لهم » .
[٢] - في خ : « وإنما » .
[٣] - في ز : « النعم » .
[٤] - في ز ، خ : « سليمان » .
[٥] - في ز : « سمساط » .
[٦] - في ز ، خ : « جرير » .
[٧] - في خ : « قال » .
[٨] - سقط من : ز ، خ .

وجل - في السراء والضراء ، والكاظمون[١] الغيظ ، والعافون[٢] عن الناس ، وكما[٣] قال[٤] تعالىٰ في أول سورة المؤمنين : ﴿ **قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون** ﴾ إلىٰ أن قال : ﴿ **أولئك هم الوارثون * الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون** ﴾

وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (٦٤) رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا (٦٥)

قال الإمام أحمد(٢٣٠) : حدثنا يعلىٰ ووكيع قالا : حدثنا عمر بن ذر ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول اللَّه - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - لجبريل[٥] : « **ما يمنعك أن تزورنا[٦] أكثر مما تزورنا ؟** » قال : فنزلت : ﴿ **وما نتنزل إلا بأمر ربك** ﴾ إلىٰ آخر الآية .

انفرد بإخراجه البخاري(٢٣١) ، فرواه عند تفسير هذه الآية : عن أبي نعيم ، عن عمر بن ذر ، به . ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير : من[٧] حديث عمر بن ذر ، به . وعندهما زيادة في آخر الحديث . فكان ذلك الجواب لمحمد ، صلى الله عليه وسلم(٢٣٢) .

وقال العوفي عن ابن عباس(٢٣٣) : احتبس جبريل عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فوجد رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم من ذلك وحزن ، فأتاه جبريل فقال[٨] : يا محمد ﴿ **وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيًّا** ﴾.

(٢٣٠) - أخرجه أحمد (٢٣١/١ ، ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٣٥٧) .

(٢٣١) - أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ **وما نتنزل إلا بأمر ربك** ﴾ حديث (٤٧٣١) (٨/ ٤٢٨) .

(٢٣٢) - أخرجه أحمد بهذه الزيادة (٣٥٧/١) . والبخاري في كتاب التوحيد ، باب : ﴿ **ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين** ﴾ ، حديث (٧٤٥٥) (٤٤٠/١٣) .

(٢٣٣) - أخرجه الطبري (١٠٣/١٦) من طريق عطية بن سعد العوفى عن ابن عباس ، وعطية ضعيف =

[١] - في ز ، خ : « الكاظمين » .
[٢] - في ز ، خ : « العافين » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « وقال » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في خ : « تزونا » .
[٧] - في ز ، خ : « في » .
[٨] - في ت : « وقال » .

وقال مجاهد(٢٣٤) : لبث جبريل عن محمد صلىٰ اللّٰه عليه وسلم اثنتي[١] عشرة ليلة ، ويقولون : قُلِيَ[٢] ، فلما جاءه ، قال : « **يا جبريل ، لقد رثت[٣] عليَّ ، حتىٰ ظن المشركون كل ظن** » . فنزلت : ﴿ **وما نتنزل إلا بأمر ربك** [**له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك**][٤] **وما كان ربك نسيًّا** ﴾ ، قال : وهذه الآية كالتي في الضحىٰ .

وكذلك قال الضحاك(٢٣٥) بن مزاحم ، وقتادة(٢٣٦) ، والسدي ، وغير واحد : إنها نزلت في احتباس جبريل .

وقال الحكم بن أبان عن عكرمة قال : أبطأ جبريل النزول علىٰ رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أربعين يومًا ، ثم نزل ، فقال له النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ما نزلت حتىٰ اشتقت إليك** » . فقال له جبريل : بل أنا كنت إليك أشوق ، ولكني مأمور . فأوحي إلىٰ جبريل أن قل له : ﴿ **وما نتنزل إلا بأمر ربك** ﴾ الآية . رواه ابن أبي حاتم - رحمه اللّٰه - وهو غريب .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن مجاهد قال : أبطأت[٥] الرسل علىٰ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، ثم أتاه جبريل فقال له : « **ما حبسك يا جبريل ؟** » فقال له[٦] جبريل : وكيف نأتيكم وأنتم لا تقصون أظفاركم ، ولاتُنقُّون براجمكم ، ولا تأخذون شواربكم ، ولا تستاكون؟ ثم قرأ : ﴿ **وما نتنزل إلّا بأمر ربك** ﴾ إلى آخر الآية .

وقد قال الطبراني(٢٣٧) : حدثنا أبو عامر النحوي ، حدثنا محمد بن إبراهيم الصوري ، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن [الدمشقي] ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، أخبرني ثعلبة بن مسلم ، عن أبي [ ][٧] كعب مولىٰ ابن عباس ، [عن ابن عباس][٨] ، عن النبي صلىٰ

= وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٠٢/٤) وعزاه إلى ابن مردويه .

(٢٣٤) - أخرجه الطبري (١٠٤/١٦) .

(٢٣٥) - أخرجه الطبري (١٠٤/١٦) .

(٢٣٦) - أخرجه الطبري (١٠٣/١٦ ، ١٠٤) .

(٢٣٧) - أخرجه الطبراني (٤٣٢/١١) حديث (١٢٢٢٤) .

[١] - في خ : « اثنتا » .
[٢] - في ز ، خ : « أقل » .
[٣] - في ز : « رتت » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : «إلى قوله» .
[٥] - في ز : « أبطت » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - ما بين المعكوفتين في خ : « بن » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

اللَّه عليه وسلم : أن جبريل أبطأ عليه ، فذكر له ذلك ، فقال : وكيف وأنتم لا تستنون ، ولا تُقَلِّمون أظفاركم ، ولا تقصون شواربكم ، ولا تُنَقُّون رواجبكم(*)[١] .

وهكذا رواه الإمام أحمد(٢٣٨) عن أبي اليمان ، عن إسماعيل بن عياش به ونحوه .

وقال الإمام أحمد(٢٣٩) : حدثنا سيار[٢] ، حدثنا جعفر بن سليمان ، حدثنا المغيرة بن حبيب ختن[٣] مالك بن دينار ، حدثني شيخ من أهل المدينة ، عن أم سلمة قالت : قال لي رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أصلحي لنا المجلس ، فإنه ينزل ملك إلىٰ الأرض لم ينزل إليها قط** » .

وقوله : ﴿ **له ما بين أيدينا وما خلفنا** ﴾ قيل : المراد بـ : ﴿ **ما بين أيدينا** ﴾ : أمر الدنيا ، ﴿ **وما خلفنا** ﴾ : أمر الآخرة ﴿ **وما بين ذلك** ﴾ : ما بين النفختين . هذا قول أبي العالية(٢٤٠) وعكرمة ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير(٢٤١) ، وقتادة في رواية عنهما ، والسدي(٢٤٢) ، والربيع بن أنس(٢٤٣) .

وقيل : ﴿ **ما بين أيدينا** ﴾ ما نستقبل من أمر الآخرة ﴿ **وما خلفنا** ﴾ أي : ما مضىٰ من الدنيا ﴿ **ومابين ذلك** ﴾ أي : ما بين الدنيا والآخرة . يروىٰ نحوه عن ابن عباس(٢٤٤) ، وسعيد بن جبير(٢٤٥) ،

---

(٢٣٨) - أخرجه أحمد (٣٤٣/١) .

(٢٣٩) - أخرجه أحمد (٢٩٦/٦) .

(٢٤٠) - أخرجه الطبري (١٠٤/١٦) . وهناد (١٩٦/١) حديث (٣١٩) في الزهد ، لكن هذا الأخير اقتصر على تفسير ما بين ذلك أنها ما بين النفختين .

(٢٤١) - أخرجه هناد في الزهد (١٩٦/١) حديث (٣١٨) أنه سئل عن هذه الآية فلم يجب قال السدي : فسمعنا أنه ما بين النفختين .

(٢٤٢) - أخرجه هناد (١٩٦/١) حديث (٣١٨) أنه ما بين النفختين .

(٢٤٣) - أخرجه الطبري (١٠٤/١٦) . وهناد في الزهد .

(٢٤٤) - أخرجه الطبري (١٠٤/١٦) دون قوله : وما بين ذلك ... إلخ .

(٢٤٥) - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٠٢/٤) وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(*) الرواجب : هي ما بين عقد الأصابع من داخل ، واحدها راجبة . والبراجم : العقد المتشنجة في ظاهر الأصابع . نهاية [٢/ ١٩٧] .

[١] - في ز : « براجمكم » .

[٢] - في ز : « شيبان » .

[٣] - في ز ، خ : « عن » .

والضحاك(٢٤٦) ، وقتادة(٢٤٧) ، وابن جريج(٢٤٨) ، والثوري ، واختاره ابن جرير أيضًا ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **وما كان ربك نسيًا** ﴾ قال مجاهد(٢٤٩) : معناه ما نسيك ربك .

وقد تقدم عنه أن هذه الآية كقوله : ﴿ **والضحىٰ والليل إذا سجىٰ * ما ودعك ربك وما قلىٰ** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا يزيد[١] بن محمد بن عبد الصمد الدمشقي ، حدثنا محمد ابن عثمان[٢] - يعني : أبا الجماهر - حدثنا إسماعيل بن عياش ، حدثنا عاصم بن رجاء بن حَيْوة ، عن أبيه ، عن أبي الدرداء يرفعه قال : « **ما أحل الله في كتابه فهو حلال ، وما حرم فهو حرام ، وما سكت عنه[٣] فهو عافية ، فاقبلوا من الله عافيته ، فإن الله لم يكن لينسىٰ شيئًا** » . ثم تلا هذه الآية : ﴿ **وما كان ربك نسيًا** ﴾(٢٥٠) .

وقوله : ﴿ **رب السمٰوات والأرض وما بينهما** ﴾ أي : خالق ذلك ومدبره ، والحاكم فيه ، والمتصرف الذي لامعقب لحكمه [٤] ﴿ **فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميًا** ﴾ قال عليّ بن أبي طلحة : عن ابن عباس(٢٥١) : هل تعلم للرب مثلًا أو شبيهًا[٥] .

---

(٢٤٦) - أخرجه الطبري (١٠٥/١٦) مثل رواية ابن عباس .

(٢٤٧) - أخرجه الطبري (١٠٤/١٦) .

(٢٤٨) - أخرجه الطبري (١٠٥/١٦) .

(٢٤٩) - أخرجه الطبري (١٠٥/١٦) .

(٢٥٠) - أخرجه البزار في كتاب العلم ، باب : اتباع القرآن ، حديث (١٢٣) (٧٨/١) . وفي التفسير ، باب : سورة مريم حديث (٢٢٣١) (٥٨/٣) وفي الأطعمة باب : فيما يحل وما يحرم حديث (٢٨٥٥) (٣٢٥/٣) . والدارقطني في كتاب الزكاة ، باب : الحث على إخراج الصدقة وبيان قسمتها ، حديث (١٢) (١٣٧/٢) . والبيهقي (١٢/١٠) كتاب الضحايا ، باب : ما لم يذكر تحريمه ولا كان في معنى ما ذكر تحريمه مما يؤكل أو يشرب . والحاكم (٣٧٥/٢) وصححه ووافقه الذهبي . وذكره الهيثمي في المجمع (١/ ١٧٦) ، وقال : رواه البزار والطبراني في الكبير وإسناده حسن ورجاله موثقون ، وقال (٥٨/٧) : رواه البزار ورجاله ثقات . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٠٢/٤) وزاد نسبته إلى ابن المنذر .

(٢٥١) - أخرجه الطبري (١٠٦/١٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٠٣/٤) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

---

[١] - في ز : « زيد » .

[٢] - في ز ، خ : « عباس » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٥] - في ز ، خ : « شبهًا » .

وكذلك قال مجاهد(٢٥٢)، وسعيد بن جبير، وقتادة(٢٥٣)، وابن جريج(٢٥٤) وغيرهم.

وقال عكرمة عن ابن عباس(٢٥٥): ليس أحد يسمَّىٰ[١] الرحمن غيره تبارك وتعالىٰ، وتقدس اسمه.

وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾

يخبر تعالىٰ عن الإنسان أنه يتعجب، ويستبعد إعادته بعد موته، كما قال تعالىٰ: ﴿ **وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابًا أئنا لفي خلق جديد** ﴾ وقال: ﴿ **أولم ير الإنسان أنَّا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلًا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم** ﴾ وقال هاهنا: ﴿ **ويقول الإنسان أئذا مامت لسوف أخرج حيًّا أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئًا** ﴾ [يستدل تعالىٰ بالبداءة علىٰ الإعادة، يعني أنه تعالىٰ قد[٢] خلق الإنسان ولم يك شيئًا][٣]، أفلا يعيده وقد صار شيئًا، كما قال تعالىٰ: ﴿ **وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه** ﴾.

وفي الصحيح(٢٥٦): « **يقول الله تعالىٰ: كذبني ابن[٤] آدم، ولم يكن له أن يكذبني، وآذاني ابن آدم ولم يكن له أن يؤذيني؛ أما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني**

(٢٥٢) - أخرجه الطبري (١٠٦/١٦).

(٢٥٣) - أخرجه الطبري (١٠٦/١٦).

(٢٥٤) - أخرجه الطبري (١٠٦/١٦).

(٢٥٥) - أخرجه الحاكم (٣٧٥/٢). والبيهقي في شعب الإيمان (١٤٣/١ - ١٤٤) حديث (١٢٢، ١٢٣). قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢٥٦) - أخرجه البخاري في كتاب: التفسير في سورة: ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ باب (١)، (٢)، حديث (٤٩٧٤ - ٤٩٧٥) (٧٣٩/٨) من حديث أبي هريرة وفي تفسير سورة البقرة، باب: (٨) حديث (٤٤٨٢) (١٦٨/٨) من حديث ابن عباس - رضي الله عنه -.

[١] - في ز: « تسمى ».
[٢] - سقط من: ز.
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز.
[٤] - سقط من: خ.

كما بدأني ، وليس أول الخلق بأهون عليّ[١] من آخره ، وأما أذاه إياي فقوله : إن لي ولدًا ، وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد » .

وقوله : ﴿ **فوربك لنحشرنهم والشياطين** ﴾ أقسم الرب تبارك وتعالىٰ بنفسه الكريمة ، أنه لابد أن يحشرهم جميعًا ، وشياطينهم[٢] الذين كانوا يعبدون من دون اللّٰه ﴿ **ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيًا** ﴾ .

قال العوفي عن ابن عباس(٢٥٧) : يعني قعودًا ، كقوله : ﴿**وترىٰ كلَّ أمة جاثية**﴾ .

وقال السدي في قوله : ﴿ **ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيًا** ﴾ يعني : قيامًا ، وروي عن مرة عن ابن مسعود مثله[٣] . وقوله : ﴿ **ثم لننزعن من كل شيعة** ﴾ يعني من كل أمة . قاله مجاهد(٢٥٨) . ﴿ **أيهم أشد علىٰ الرحمن عتيًا** ﴾ .

قال الثوري عن [علي بن الأقمر عن أبي الأحوص][٤] ، عن ابن مسعود(٢٥٩) قال : يحبس الأول علىٰ الآخر ، حتىٰ إذا تكاملت العدة[٥] أتاهم جميعًا ، ثم بدأ بالأكابر فالأكابر جرمًا ، وهو قوله : ﴿ **ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد علىٰ الرحمن عتيًا** ﴾ .

وقال قتادة(٢٦٠) : ﴿ **ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد علىٰ الرحمن عتيًا** ﴾ قال : ثم لننزعن من أهل كل دين قادتهم ورؤساءهم[٦] في الشر . وكذا قال ابن جريج ، وغير واحد من السلف . وهذا كقوله تعالىٰ : ﴿ **حتىٰ إذا ادَّاركوا فيها جميعًا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابًا ضعفًا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون * وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون** ﴾

وقوله : ﴿ **ثم لنحن أعلم بالذين هم أولىٰ بها صليًا** ﴾ « ثم » هاهنا لعطف الخبر علىٰ

(٢٥٧) - أخرجه الطبري (١٠٧/١٦) . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٠٣/٤) إلى ابن أبي حاتم.

(٢٥٨) - أخرجه الطبري (١٠٧/١٦) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٠٤/٤) إلى أبي عبيد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي .

(٢٥٩) - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٠٤/٤) وعزاه إلى ابن أبي حاتم والبيهقي في البعث والنشور .

(٢٦٠) - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٠٤/٤) وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

[١] - في ز : « عليه » .

[٢] - في خ : « شياطينهم » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز : « عن أبي وعن أبي الأحوص » .

[٥] - في ز : « الغرة » .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

الخبر ، والمراد : أنه تعالىٰ أعلم بمن يستحق من العباد أن يصلىٰ بنار جهنم ، ويخلد فيها ، وبمن[١] يستحق تضعيف[٢] العذاب ، كما قال في الآية المتقدمة : ﴿ **قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون** ﴾ .

وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢)

قال الإمام أحمد(٢٦١) : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا غالب بن سليمان ، عن كثير ابن زياد البُرْساني[٣] ، عن أبي سمية قال : اختلفنا في الورود ؛ فقال بعضنا : لا يدخلها مؤمن ، وقال بعضهم : يدخلونها جميعًا ، ثم ينجي الله الذين اتقوا. فلقيت جابر بن عبد الله ، فقلت له : إنا اختلفنا في الورود . فقال : يردونها جميعًا - وقال سليمان بن[٤] مرة : يدخلونها جميعًا - وأهوىٰ بأصبعيه إلىٰ أذنيه ، وقال : صمّتا إن لم أكن سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **لا يبقىٰ بر ولا فاجر إلّا دخلها، فتكون على المؤمن بردًا وسلامًا ، كما كانت على إبراهيم ، حتى إن للنار ضجيجًا من بردهم ، ثم ينجّي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيًا** » . غريب ولم يخرجوه .

وقال الحسن بن عرفة : حدثنا مروان بن معاوية ، عن بكار[٥] بن أبي مروان ، عن خالد ابن معدان(٢٦٢) قال : قال أهل الجنة بعد ما دخلوا الجنة : ألم يعدنا ربنا[٦] الورود علىٰ النار ؟ قال : قد مررتم عليها وهي خامدة .

وقال عبد الرزاق(٢٦٣) : عن ابن عيينة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم قال : كان عبد الله بن رواحة واضعًا رأسه في حجر امرأته ، فبكىٰ ، فبكت امرأته ، فقال : ما يبكيك ؟ فقالت : رأيتك تبكي فبكيت . قال : إني ذكرت قول الله -عز وجل- : ﴿ **وإن منكم إلا واردها** ﴾ فلا أدري أنجو منها أم لا ؟ وفي رواية : وكان مريضًا.

---

(٢٦١) - أخرجه أحمد (٣/٣٢٨ - ٣٢٩) .

(٢٦٢) - أخرجه الطبري (١٦/١٠٩) .

(٢٦٣) - أخرجه الطبري (١٦/١١٠) ، وقال : حدثنا الحسن بن يحيى قال : أخبرنا عبد الرزاق ... إلخ بمثل ما ذكره المصنف .

---

[١] - في ز ، خ : « من » .
[٢] - في خ : « بضعيف » .
[٣] - في ز : « البوساني » ، خ : « البوساتي » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - كأنها « بكان » : في ز ، خ : « مكان » .
[٦] - في ز : « بارئنا » .

وقال ابن جرير(٢٦٤) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا ابن[١] يمان ، عن مالك بن مِغْوَل ، عن أبي إسحاق : كان أبو ميسرة إذا أوىٰ[٢] إلىٰ فراشه قال : يا ليت أمي لم تلدني . ثم يبكي، فقيل : ما يبكيك يا أبا ميسرة ؟ فقال : أخبرنا أنَّا واردوها ، ولم نخبر أنَّا صادرون عنها .

وقال عبد اللَّه بن المبارك عن الحسن البصري(٢٦٥) قال : قال رجل لأخيه : هل[٣] أتاك بأنك[٤] وارد النار ؟ قال : نعم . [قال : هل][٥] أتاك أنك صادر عنها[٦] ؟ قال : لا . قال : ففيم الضحك ؟ [قال : فما رُؤي ضاحكًا حتىٰ لحق باللَّه][٧] .

وقال عبد الرزاق أيضًا : أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو ، أخبرني من سمع ابن عباس يخاصم نافع بن الأزرق ، فقال ابن عباس : الورود : الدخول . فقال نافع : لا . فقرأ ابن عباس : ﴿ **إنكم وما تعبدون من دون اللَّه حصب جهنم أنتم لها واردون** ﴾ وردوا أم لا ، وقال : ﴿**يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار**﴾ أوَرَدَ هو أم لا ؟ أما[٨] أنا وأنت فسندخلها ، فانظر هل نخرج منها أم لا ؟ وما أرىٰ اللَّه مخرجك منها بتكذيبك . فضحك نافع(٢٦٦) .

وروىٰ ابن جريج ، عن عطاء قال : قال أبو راشد الحروري - وهو نافع بن الأزرق(٢٦٧) - : ﴿ **لا يسمعون حسيسها** ﴾ . فقال ابن عباس : ويلك ، أمجنون أنت ؟ أين قوله : ﴿ **يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار** ﴾ ، ﴿ **ونسوق المجرمين إلىٰ جهنم وردًا** ﴾ ، ﴿ **وإن منكم إلا واردها** ﴾ ؟ واللَّه إن كان دعاء من مضى : اللهم أخرجني من النار سالمًا ، وأدخلني الجنة غانمًا .

وقال ابن جرير(٢٦٨) : حدثني محمد بن عبيد المحاربي[٩] ، حدثنا أسباط ، عن عبد الملك ، عن عبيد اللَّه ، عن مجاهد قال : كنت عند ابن عباس ؛ فأتاه رجل يقال له :

(٢٦٤) - أخرجه الطبري (١١٠/١٦) .
(٢٦٥) - أخرجه الطبري (١١٢/١٦) .
(٢٦٦) - أخرجه الطبري (١٠٨/١٦ - ١٠٩) .
(٢٦٧) - أخرجه الطبري (١٠٩/١٦) .
(٢٦٨) - أخرجه الطبري (١٠٨/١٦ - ١٠٩) .

[١] - في ز : « أبو » .
[٢] - في ز : « آوى » .
[٣] - في ت : « فهل » .
[٤] - في ت : « أنك » .
[٥] - في ز ، خ : « فقال فهل » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٨] - سقط من : ز ، خ .
[٩] - في ز : « الحاربي » .

أبو راشد - وهو نافع بن الأزرق - فقال له : يا بن عباس ، أرأيت قول اللّٰه : ﴿ **وإن منكم إلا واردها كان علىٰ ربك حتمًا مقضيًا** ﴾ ؟ . قال : أما أنا وأنت يا أبا راشد فسنردها ، فانظر هل نصدر عنها أم لا ؟ وقال أبو داود الطيالسي(٢٦٩) : قال شعبة : أخبرني عبد اللّٰه بن السائب ، عمن سمع ابن عباس يقرؤها : (**وإن منهم إلا واردها**) يعني : الكفار .

وهكذا رویٰ عمر بن الوليد الشَّنِّي[١] : أنه سمع عكرمة يقرؤها كذلك (**وإن منهم إلا واردها**) قال : وهم : الظلمة ، كذلك كنا نقرؤها . رواه ابن أبي حاتم ، وابن جرير(٢٧٠) .

وقال العوفي عن ابن عباس(٢٧١) قوله : ﴿ **وإن منكم إلا واردها كان علىٰ ربك حتمًا مقضيًا** ﴾ يعني : البر والفاجر ، ألم[٢] تسمع إلىٰ قول اللّٰه لفرعون : ﴿ **يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود** ﴾ . ﴿ **ونسوق المجرمين إلىٰ جهنم وردًا** ﴾ ؟ فسمىٰ الورود علىٰ[٣] النار دخولًا وليس بصادر. و[٤]قال الإمام أحمد(٢٧٢) : حدثنا عبد الرحمن ، عن إسرائيل ، عن السدي ، عن مرة ، عن عبد اللّٰه - هو ابن مسعود - ﴿ **وإن منكم إلا واردها** ﴾ قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **يرد الناس النار[٥] كلهم ، ثم يصدرون عنها بأعمالهم** » .

ورواه الترمذي[٦](٢٧٣) عن عبد[٧] بن حميد ، عن[٨] عبيد اللّٰه ، عن [ ][٩] إسرائيل ، عن السدي به . ورواه من طريق شعبة ، عن السدي ، عن مرة ، عن ابن مسعود موقوفًا .

هكذا وقع [ ][١٠] هذا الحديث هٰهنا مرفوعًا ، وقد رواه أسباط ، عن السدي ، عن مرة ، عن عبد اللّٰه بن مسعود قال : يرد الناس جميعًا الصراط ، وورودهم قيامهم حول النار ، ثم يصدرون عن الصراط بأعمالهم ، فمنهم من يمر مثل البرق ، ومنهم من يمر مثل الريح ،

---

(٢٦٩) - أخرجه الطبري (١١٠/١٦) قال : حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو داود ... إلخ مثل ما ذكره المصنف .

(٢٧٠) - أخرجه الطبري (١١١/١٦) ، قال : يعني الكفار .

(٢٧١) - عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٠٥/٤) إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم .

(٢٧٢) - أخرجه أحمد (٤٣٣/١ - ٤٣٥) نحوه .

(٢٧٣) - أخرجه الترمذي في كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة مريم ، حديث (٣١٦٠) (٢٩٧/٥).

---

[١] - في ز : « البستي » ، خ : « السبتي » .
[٢] - في ت : « ألا » .
[٣] - في ز ، خ : « في » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز ، خ : « الزهري » .
[٧] - في ز ، خ : « محمد » .
[٨] - في ز : « بن » .
[٩] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « ابن » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « في » .

[ومنهم من يمر مثل الطير][١] ، ومنهم من يمر كأجود الخيل ، ومنهم من يمر كأجود الإبل ، ومنهم من يمر كعدو الرجل ، حتىٰ إن آخرهم مَرًّا رجلٌ نوره علىٰ موضعي إبهامي قدميه ، يمر يتكفأ به الصراط ، والصراط دَحْضٌ مزلة ، عليه حسك كحسك القَتَاد(*)[٢] ، حافتاه ملائكة ، معهم كلاليب من نار ، يختطفون بها الناس ... وذكر تمام الحديث . رواه ابن أبي حاتم .

وقال ابن جرير(٢٧٤) : حدثنا خلاد بن أسلم ، حدثنا النضر ، حدثنا إسرائيل ، أخبرنا أبو إسحاق ، [عن أبي] الأحوص[٣] ، عن عبد[٤] الله : قوله : ﴿ **وإن منكم إلا واردها** ﴾ قال : الصراط علىٰ جهنم مثل حد السيف ، فتمر الطبقة الأولىٰ كالبرق ، والثانية كالريح ، والثالثة كأجود الخيل ، والرابعة كأجود البهائم ، ثم يمرون والملائكة يقولون : اللهم سلّم سلّم .

ولهذا شواهد في الصحيحين وغيرهما ؛ من رواية أنس(٢٧٥) ، وأبي سعيد(٢٧٦) ، وأبي هريرة(٢٧٧) ، وجابر(٢٧٨) ، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم .

---

(٢٧٤) - أخرجه الطبري (١٦/ ١١٠) .

(٢٧٥) - أخرجه البخاري في كتاب : الرقاق ، باب : صفة الجنة والنار ، حديث (٦٥٦٥) (١١/ ٤١٧) وفي التوحيد ، باب : قول الله تعالى ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة** ﴾ حديث (٧٤٤٠) (١٣/ ٤٢٢) ، وفي باب : كلام الرب - عز وجل - يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ، حديث (٧٥١٠) (١٣/ ٤٧٣) . ومسلم في كتاب : الإيمان ، باب : أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، حديث (١٩٣/٢٢٢) (٣/ ٦٥) وما بعدها ، في ذكر حديث الشفاعة ولم يذكر فيه طوائف الناس في المرور على الصراط .

(٢٧٦) - أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ، باب : قول الله تعالى : ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة** ﴾ ، حديث (٧٤٣٩) (١٣/ ٤٢١) . ومسلم في كتاب الإيمان ، باب : معرفة طريق الرؤية حديث (١٨٣/٣٠٢) (٣/ ٣٢) ومابعدها ، كلاهما في حديث طويل ذكر فيه رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة .

(٢٧٧) - أخرجه البخاري في كتاب : الأذان ، باب : فضل السجود ، حديث (٨٠٦) (٢/ ٢٩٢ - ٢٩٣) وطرفاه في (٦٥٧٣ ، ٧٤٣٧) . ومسلم في كتاب : الإيمان ، باب : معرفة طريق الرؤية ، حديث (٢٩٩/ ١٨٢) (٣/ ٢٢) وما بعدها . كلاهما بنحو حديث أبي سعيد .

(٢٧٨) - أخرجه مسلم في كتاب : الإيمان ، باب : أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، حديث (١٩١/٣١٦) (٣/ ٥٨) وما بعدها ، في حديث طويل بنحوه .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

(*) القتاد : شجر صلب له شوكة كالإبر . القاموس ص (٣٩٣) .

[٢] - في خ : « الصياد » . [٣] - في ز ، خ : « الأخوص » .

[٤] - في ز : « عبيد » .

وقال ابن جرير(٢٧٩) : حدثني يعقوب ، حدثنا ابن عُلَيَّة ، عن الجُريري ، عن [أبي السليل][١] عن غنيم بن قيس قال : ذكروا ورود النار فقال كعب : تمسك النار للناس كأنها متن[٢] إهالة حتىٰ يستوي[٣] عليها أقدام الخلائق ؛ برهم وفاجرهم ، ثم يناديها مناد : أن أمسكي أصحابك ، ودعي أصحابي . قال : فتخسف[٤] بكل ولي لها ، و[٥]لهي أعلم بهم من الرجل بولده ، ويخرج المؤمنون نَديَّة ثيابهم . قال كعب : ما بين منكبي الخازن من خزنتها مسيرة سنة ، مع كل واحد منهم عمود ذو[٦] شعبتين ، يدفع به الدفع فيصرع به في النار سبعمائة ألف .

و[٧]قال الإمام أحمد(٢٨٠) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر عن أم مُبَشّر ، عن حفصة قالت : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إني لأرجو ألَّا يدخل النار إن شاء اللَّه أحد شهد بدرًا والحديبية** » . قالت : فقلت : أليس اللَّه يقول : ﴿ **وإن منكم إلا واردها** ﴾ قالت : فسمعته يقول : ﴿ **ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيًا** ﴾ .

وقال أحمد أيضًا(٢٨١) : حدثنا ابن إدريس ، حدثنا الأعمش ، عن أبي سفيان[٨] ، عن جابر ، عن أم مبشر - امرأة زيد بن حارثة - قالت : كان رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم في بيت حفصة ، فقال : « **لا يدخل النار أحد شهد[٩] بدرًا والحديبية** » . قالت حفصة : أليس اللَّه يقول : ﴿ **وإن منكم إلا واردها** ﴾ ؟ فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **ثم ننجي الذين اتقوا** ﴾ .

وفي الصحيحين(٢٨٢) من حديث الزهري ، عن سعيد ، عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه -

---

(٢٧٩) - أخرجه الطبري (١٦/١٠٩) .
(٢٨٠) - أخرجه أحمد (٦/٢٨٥) .
(٢٨١) - أخرجه أحمد (٦/٣٦٢) .
(٢٨٢) - أخرجه البخاري في كتاب : الأيمان والنذور ، باب : قول اللَّه تعالى : ﴿ **وأقسموا باللَّه جهد أيمانهم** ﴾ ، حديث (٦٦٥٦) (١١/٥٤١) . ومسلم في كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : =

---

[١] - في ز ، خ : « ابن أبي ليلى » .
[٢] - في خ : « هذا » .
[٣] - في ز ، خ : « يسير » .
[٤] - في ز ، خ : « فيخسف » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز ، خ : « و » .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - في ز ، خ : « شقيق » .
[٩] - في خ : « أشهد » .

قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد تمسه النار ، إلا تَحِلَّة القسم** » .

وقال[١] عبد الرزاق(٢٨٣) : قال معمر : أخبرني الزهري ، عن ابن المسيب ، عن أبي هريرة ، أن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **من مات له ثلاثة لم تمسه النار إلا تَحِلَّة القسم** » . يعني : الورود .

وقال أبو[٢] داود الطيالسي(٢٨٤) : حدثنا زمعة ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة قال : سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « **لايموت لمسلم ثلاثة من الولد تمسه النار إلا تَحِلَّة القسم** » . قال الزهري : كأنه يريد هذه الآية : ﴿ **وإن منكم إلا واردها كان علىٰ ربك حتمًا مقضيًا** ﴾ .

وقال ابن جرير(٢٨٥) : حدثنا عمران بن بكار الكلاعي[٣] ، حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن تميم ، حدثنا إسماعيل بن عبيد اللَّه ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : خرج رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يعود رجلًا من أصحابه وَعِكًا ، وأنا معه ، ثم قال : « **إن اللَّه تعالىٰ يقول : هي ناري أسلطها علىٰ عبدي المؤمن ؛ لتكون[٤] حظه من النار في الآخرة** » . غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه .

وحدثنا أبو كريب ، حدثنا ابن[٥] يمان ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد(٢٨٦) قال : الحمّىٰ حظ كل مؤمن من النار ، ثم قرأ : ﴿ **وإن منكم إلا واردها** ﴾ .

و[٦]قال الإمام أحمد(٢٨٧) : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا زبان[٧] بن فائد ،

= فضل من يموت له ولد فيحتسبه ، حديث (٢٦٣٢/١٥٠) (٢٧٧/١٦) .
(٢٨٣) - أخرجه مسلم في كتاب : البر والصلة والآداب باب : فضل من يموت له ولد فيحتسبه ، حديث (١٥٠ مكرر/٢٦٣٢) (٢٧٧/١٦) . والطبري (١١١/١٦) بنحوه .
(٢٨٤) - أخرجه الطيالسي (ص ٣٠٤) حديث (٢٣٠٤) .
(٢٨٥) - أخرجه الطبري (١١١/١٦) .
(٢٨٦) - أخرجه الطبري (١١١/١٦) .
(٢٨٧) - أخرجه أحمد (٤٣٧/٣)(١٥٦٥٢) والطبراني في الكبير (١٨٤/٢٠) حديث (٣٩٨ - ٣٩٩) . ورواه العقيلي في الضعفاء الكبير (٩٦/٢) ترجمة ٥٥٦ . وذكره الهيثمي في المجمع (١٤٨/٧) وقال بعد

[١] - في خ : « رواه » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ز ، خ : « الحلاعي » .
[٤] - في خ : « ليكون » .
[٥] - في ز ، خ : « أبو » .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - في ز : « ربا » .

عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني ، عن أبيه ، عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **من قرأ : ﴿ قل : هو اللَّه أحد ﴾ حتىٰ يختمها عشر مرات ، بنىٰ اللَّه له قصرًا في الجنة** » . فقال عمر : إذًا نستكثر يارسول اللَّه . فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **اللَّه[١] أكثر وأطيب** » .

وقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **من قرأ ألف آية في سبيل اللَّه ، كتب يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقًا ، إن شاء اللَّه ، ومن حرس من وراء المسلمين في سبيل اللَّه متطوعًا لا بأجرة[٢] سلطان ، لم ير النار بعينيه إلا تحلة القسم ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ ، وإن الذكر في سبيل اللَّه[٣] يضاعف[٤] فوق النفقة بسبعمائة ضعف** » . وفي رواية : « **بسبعمائة ألف ضعف** »(٢٨٨) .

عزوه لأحمد والطبراني : وفي إسنادهما رشدين بن سعد وزبان وكلاهما ضعيف وفيهما توثيق لين . ا هـ . وحسنه الشيخ الألباني كما في السلسلة الصحيحة (حديث ٥٨٩) . قال الألباني : رشدين قد تابعه ابن لهيعة عند أحمد وفي ذلك ما يقويه ويبعد العلة عنه ، وزبان غير متهم فحديثه مما يستشهد به ، وقد وجدت له شاهدًا موصولًا وآخر مرسلًا أما الأول فأخرجه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة مرفوعًا به دون الزيادة ، وزاد : « ومن قرأها عشرين مرة بني له قصران ومن قرأها ثلاثين مرة بني له ثلاث » .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٨/٧) رواه الطبراني وفيه هانئ بن المتوكل وهو ضعيف .

وأما الآخر : فقال الدارمي (٢٣٠/٢) : ثنا عبد الله بن يزيد قال : ثنا حيوة ، قال أخبرني أبو عقيل أنه سمع سعيد بن المسيب يقول : إن النبي صلى الله عليه وسلم ... فذكر مثل حديث معاذ بن أنس بتمامه وفيه الزيادة الثابتة التي في الشاهد الأول .

قال الألباني : وهذا إسناد صحيح رجاله رجال الشيخين غير أبي عقيل واسمه زهرة بن معبد فهو من رجال البخاري وحده فإذا ضم إلى هذا المرسل الصحيح الموصولان - حديث معاذ بن أنس وأبي هريرة تقوى الحديث وبلغ رتبة الحسن على أقل الدرجات .

(٢٨٨) - أخرجه أحمد (٤٣٧/٣) . وأبو يعلى (٦٣/٣) حديث (١٤٨٩) . والطبراني (١٨٤/٢٠ - ١٨٥) حديث (٣٩٩ - ٤٠٠) . والحاكم (٨٧/٢) . كلهم من طريق زبان بن فائد عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه قال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . قال الهيثمي في المجمع (٢٧٢/٢) : رواه أبو يعلى والطبراني في الكبير وفيه ابن لهيعة عن زبان وفيهما كلام . ومداره عندهم على زبان وهو ضعيف ، وسهل ضعيف في زبان . لكن للطبراني رواية من طريق يحيى بن أبي أسيد عن سهل عن أبيه ، به (٢٠/ ١٨٥) حديث (٤٠١) . ويحيى بن أبي أسيد ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (١٢٩/٩) ، والبخاري في التاريخ الكبير (٢٦١/٨) ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلًا . كلهم يروون طرفه الأول .

وأخرجه أحمد (٤٣٧/٣) . وأبو يعلى (٦٣/٣) حديث (١٤٩٠) . والطبراني (١٨٥/٢٠) حديث

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز : « بأجر » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « بضعف » .

وروىٰ أبو داود(٢٨٩) عن أبي الطاهر ، عن ابن وهب ، عن يحيىٰ بن أيوب [وسعيد بن أبي أيوب][١] ، كلاهما عن زبان[٢] ، عن سهل ، عن أبيه ، عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إن الصلاة والصيام[٣] والذكر تضاعف[٤] علىٰ النفقة في سبيل اللّٰه بسبعمائة ضعف** » .

وقال عبد الرزاق عن معمر ، عن قتادة(٢٩٠) قوله : ﴿ **وإن منكم إلا واردها** ﴾ قال : هو الممر[٥] عليها .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم(٢٩١) في قوله : ﴿ **وإن منكم إلا واردها** ﴾ قال : ورود المسلمين المرور[٦] علىٰ الجسر بين ظهريها ، وورود المشركين أن يدخلوها ، وقال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **الزالون والزالات يومئذ كثير ، وقد أحاط بالجسر يومئذ سماطان من الملائكة ، دعاؤهم : يا اللّٰه : سلّم سلّم** » .

وقال السدي عن مرة ، عن ابن مسعود(٢٩٢) في قوله : ﴿ **كان علىٰ ربك حتمًا**

---

(٤٠٢) . وفيه رشدين بن سعد ، وزبان بن فائد وكلاهما ضعيف ، وسهل ضعيف في زبان أيضًا .

قال الهيثمي في المجمع (٢٩٠/٥) : رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ، وفي أحد إسنادي أحمد ابن لهيعة ، وهو أحسن حالًا من رشدين . كلهم يروون وسطه .

وأخرجه أحمد (٤٣٨/٣ ، ٤٤٠) . والطبراني (١٨٥/٢٠) حديث (٤٠٤) . كلاهما يروي طرفه الأخير وهو ضعيف كسابقيه .

وأخرجه أبو داود في كتاب الجهاد ، باب : في تضعيف الذكر في سبيل اللّٰه - تعالى - حديث (٢٤٩٨) (٨/٣) . والحاكم (٧٨/٢) وصححه ووافقه الذهبي . والبيهقي (١٧٢/٩) كتاب : السير ، باب : فضل الذكر في سبيل اللّٰه عز وجل . بلفظ : « إن الصلاة والصيام والذكر تضاعف على النفقة في سبيل اللّٰه عز وجل بسبعمائة ضعف » . كلهم من طريق زبان بن فائد عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه ، وهو إسناد ضعيف كما سبق .

وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود برقم (٥٣٧) .

(٢٨٩) - انظر السابق .

(٢٩٠) - أخرجه الطبري (١١٠/١٦) .

(٢٩١) - أخرجه الطبري (١١١/١٦) .

(٢٩٢) - أخرجه الطبري (١١٤/١٦) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز : « ريان » .

[٣] - في ز : « السلام » .

[٤] - في ز : « يضاعف » .

[٥] - في الطبري : المرّ .

[٦] - سقط من : ز .

مقضيًا ﴾ قال : قسمًا واجبًا . وقال مجاهد(٢٩٣) : حتمًا . قال : قضاء . وكذا قال ابن جريج(٢٩٤) .

وقوله : ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ﴾ أي : إذا مر الخلائق كلهم على النار ، وسقط فيها من سقط [ ][١] من الكفار والعصاة ذوي المعاصي ، بحَسَبهم ، نجى الله تعالى المؤمنين المتقين منها بحسب أعمالهم ، فجَوَازهم على الصراط وسرعتهم بقدر أعمالهم التي كانت في الدنيا ، ثم يشفعون في أصحاب الكبائر من المؤمنين ، فيشفع [ ][٢] الملائكة والنبيون والمؤمنون ، فيخرجون خلقًا كثيرًا قد أكلتهم النار ، إلا دارات وجوههم - وهي مواضع السجود - وإخراجهم إياهم من النار بحسب ما في قلوبهم من الإيمان ، فيخرجون أولًا من كان في قلبه مثقال دينار من إيمان ، ثم الذي يليه ، ثم الذي يليه ، [ثم الذي يليه] ، حتى يخرجون من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان ، ثم يخرج الله من النار من قال يومًا من الدهر : لا إله إلا الله ، وإن لم يعمل خيرًا قط ، ولا يبقى في النار إلا من وجب عليه الخلود ، كما وردت[٣] بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيًا ﴾ .

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾

يخبر تعالى عن الكفار حين تتلى عليهم آيات الله[٤] ، ظاهرة الدلالة ، بينة الحجة ، واضحة البرهان أنهم يصدون ويعرضون عن ذلك ، ويقولون عن الذين آمنوا ، مفتخرين عليهم ، ومحتجين [ ][٥] على صحة ما هم عليه من الدين الباطل ، بأنهم[٦] : ﴿ خير مقامًا وأحسن نديًا ﴾ [أي : أحسن منازل ، وأرفع دورًا ، وأحسن نديًا][٧] ، وهو[٨] : مجمع الرجال للحديث[٩] ، أي : ناديهم[١٠] أعمر وأكثر واردًا وطارقًا ، يعنون : فكيف [نكون ونحن][١١] بهذه المثابة على باطل ، وأولئك [الذين هم][١٢] مختفون مستترون

(٢٩٣) - أخرجه الطبري (١٦/١١٤) .
(٢٩٤) - أخرجه الطبري (١٦/١١٤) .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « فيها » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « الله » .
[٣] - في خ : « ورد » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « بعيون » ، خ : « بعيونه » .
[٦] - في خ : « وأنهم » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٨] - في خ : « وهم » .
[٩] - في ز ، خ : « للبيت » .
[١٠] - في ز ، خ : « مأواهم » .
[١١] - في ز : « يكون عنى » ، خ : « عني » .
[١٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

في دار الأرقم بن أبي الأرقم ونحوها من[١] الدور على الحق ؟ كما قال تعالىٰ مخبرًا عنهم : ﴿ **وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرًا ما سبقونا إليه** ﴾ وقال قوم نوح : ﴿ **أنؤمن لك واتبعك الأرذلون** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين** ﴾ ؛ ولهذا قال تعالىٰ رادًّا عليهم شبهتهم : ﴿ **وكم أهلكنا قبلهم من قرن** ﴾ أي : وكم[٢] من أمة وقرن من المكذبين ، قد أهلكناهم بكفرهم ﴿ **هم أحسن أثاثًا ورئيًا** ﴾ أي : كانوا أحسن من هؤلاء أموالًا وأمتعة ، ومناظر وأشكالًا .

قال الأعمش : عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس(٢٩٥) : ﴿ **خير مقامًا وأحسن نديًّا** ﴾ قال : المقام : المنزل ، والندي : المجلس ، والأثاث : المتاع ، والرئي : المنظر .

وقال العوفي عن ابن عباس(٢٩٦) : المقام : المسكن ، والندي : المجلس والنعمة والبهجة التي كانوا فيها . وهو كما قال الله لقوم فرعون حين أهلكهم وقص[٣] شأنهم في القرآن : ﴿ **كم تركوا من جنات وعيون * وزروع[٤] ومقام كريم** ﴾ فالمقام : المسكن والنعيم ، والندي : المجلس والمجمع الذي كانوا يجتمعون فيه ، وقال تعالىٰ فيما قص علىٰ رسوله من أمر قوم لوط [إذ قال][٥] : ﴿ **وتأتون في ناديكم المنكر** ﴾ والعرب تسمي المجلس : النادي . وقال قتادة(٢٩٧) : لما رأوا أصحاب محمد صلىٰ الله عليه وسلم في عيشهم خشونة ، وفيهم قشافة ، فَعَرَّض أهل الشرك بما تسمعون[٦] : ﴿ **أي الفريقين خير مقامًا وأحسن نديًّا** ﴾ وكذا قال مجاهد(٢٩٨) والضحاك . ومنهم من قال في الأثاث : هو المال . ومنهم من قال : المتاع . ومنهم من قال : الثياب . والرئي : المنظر ، كما قاله[٧] ابن عباس(٢٩٩) ومجاهد(٣٠٠) وغير واحد .

وقال الحسن البصري : يعني الصور . وكذا قال مالك : ﴿ **أثاثًا ورِئيًا** ﴾ : أكثر أموالًا ،

---

(٢٩٥) - أخرجه الطبري (١٦/١١٦) .
(٢٩٦) - أخرجه الطبري (١٦/١١٦) .
(٢٩٧) - أخرجه الطبري (١٦/١١٦) .
(٢٩٨) - أخرجه الطبري (١٦/١١٦) .
(٢٩٩) - أخرجه الطبري (١٦/١١٧) .
(٣٠٠) - أخرجه الطبري (١٦/١١٨) .

---

[١] - في ز : « في » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز ، خ : « قضى » .
[٤] - في ز : « وكنوز » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .
[٦] - في ز ، خ : « يسمعون » .
[٧] - في ز : « قال » .

وأحسن صورًا . والكل متقارب صحيح .

﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ ﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم ، المدعين أنهم علىٰ الحق وأنكم علىٰ الباطل : ﴿ **من كان في الضلالة** ﴾ أي : منا ومنكم ﴿ **فليمدد له الرحمن مدًّا** ﴾ أي : فأمهله الرحمن فيما هو فيه ، حتىٰ يلقىٰ ربه وينقضي أجله ﴿ **إما العذاب**[١] ﴾ يصيبه ﴿ **وإما الساعة** ﴾ بغتة تأتيه ﴿ **فسيعلمون** ﴾ حينئذ ﴿ **من هو شر مكانًا وأضعف جندًا** ﴾ في مقابلة ما احتجوا به من خيرية المقام وحسن النَّدي .

قال مجاهد(٣٠١) في قوله : ﴿ **فليمدد له الرحمن مدًّا** ﴾ فليدعه الله في طغيانه . وهكذا قرر ذلك أبو جعفر بن جرير ، رحمه الله .

وهذه مباهلة للمشركين الذين يزعمون أنهم[٢] علىٰ هدًى فيما[٣] هم فيه ، كما ذكر تعالىٰ مباهلة اليهود في قوله : ﴿ **قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء للَّه من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين** ﴾ أي : ادعوا علىٰ المبطل منا ومنكم بالموت ، إن كنتم تدعون أنكم علىٰ الحق ، فإنه لا يضركم الدعاء ، فنكلوا عن ذلك ، وقد تقدم تقرير ذلك في سورة البقرة مبسوطًا ، ولله الحمد . وكما ذكر تعالىٰ المباهلة مع النصارىٰ في سورة آل عمران حين صمموا علىٰ الكفر ، واستمروا علىٰ الطغيان والغلو في دعواهم أن عيسىٰ ولد اللَّه ، وقد[٤] ذكر[٥] اللَّه حججه وبراهينه علىٰ عبودية عيسىٰ ، وأنه مخلوق كآدم ، قال تعالىٰ [بعد ذلك][٦] : ﴿ **فمن حاجك فيه من[٧] بعد ما جاءك من العلم ، فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة اللَّه علىٰ الكاذبين** ﴾ فنكلوا أيضًا عن ذلك .

﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًىۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ

---

(٣٠١) - أخرجه الطبري (١٦/١١٩) .

---

[١] - في ز : « بعذاب » ، وليست آية .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « مما » .

[٤] - في خ : « وقدر » .

[٥] - بياض في : ز ، سقط من : خ .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٧] - سقط من : ز .

مَرَدًّا ﴿٧٦﴾

لما ذكر تعالىٰ إمداد من هو في الضلالة فيما هو فيه ، وزيادته علىٰ ما هو عليه ، أخبر بزيادة المهتدين هدًى ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانًا فأما الذين ءامنوا فزادتهم إيمانًا وهم يستبشرون * وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسًا إلىٰ رجسهم وماتوا وهم كافرون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **والباقيات الصالحات** ﴾ قد تقدم تفسيرها ، والكلام عليها ، وإيراد الأحاديث المتعلقة بها في سورة الكهف ﴿ **خير عند ربك ثوابًا** ﴾ أي : جزاءً ﴿ **وخير مردًّا** ﴾ أي : عاقبة ومردًّا علىٰ صاحبها .

وقال عبد الرزاق(٣٠٢) : أخبرنا عُمَرُ بن راشد ، عن يحيىٰ[١] بن أبي كثير ، عن أبي[٢] سلمة بن عبد الرحمن قال : جلس رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ذات يوم ، فأخذ عودًا يابسًا فحط[٣] ورقه ، ثم قال : « **إن قول لا إله إلا الله ، والله أكبر ، والحمد لله ، وسبحان الله ، تحط الخطايا كما تحط ورق هذه الشجرة الريح ، خذهن يا أبا الدرداء قبل أن يُحال بينك وبينهن ، هن الباقيات الصالحات ، وهن من كنوز الجنة** » . قال أبو سلمة : فكان[٤] أبو الدرداء إذا ذكر هذا الحديث قال : لأُهَلِّلَنَّ الله ، ولأكبرن الله ، ولأسبحن الله ، حتىٰ إذا رآني الجاهل حسب أني مجنون .وهذا ظاهره أنه مرسل ، ولكن قد يكون من رواية أبي سلمة عن أبي الدرداء ، والله أعلم .

وهكذا وقع في سنن ابن ماجة(٣٠٣) من حديث أبي معاوية ، عن عُمَرَ[٥] بن راشد ، عن يحيىٰ ، عن أبي سلمة ، عن أبي الدرداء فذكر نحوه .

(٣٠٢) - أخرجه الطبري (١٢٠/١٦) من طريق عبد الرزاق .

(٣٠٣) - أخرجه ابن ماجة ، في كتاب : الأدب ، باب : فضل التسبيح ، حديث (٣٨١٣) (١٢٥٣/٢) بنحوه .

قال البوصيري : في إسناده عمر بن راشد ، قال فيه البخاري : حديثه عن ابن أبي كثير مضطرب ، ليس بالقائم . قال ابن حبان : يضع الحديث ، لايحل ذكره إلا على سبيل القدح فيه .

وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود برقم (٨٣٢) .

[١] - في ز : « تميم » .
[٢] - في ز : « بن » .
[٣] - في ز : « فخط » .
[٤] - في ز : « وكان » .
[٥] - في ز ، خ : « عمرو » .

﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا (٧٧) أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا (٧٨) كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا (٧٩) وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا (٨٠) ﴾

قال الإمام أحمد(٣٠٤) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش عن مسلم عن مسروق عن خباب بن الأرت قال : كنت رجلًا قينًا ، وكان لي على العاص بن وائل دين ، فأتيته أتقاضاه ، فقال : لا ، والله لا أقضيك حتىٰ تكفر بمحمد [فقلت : لا ، والله لا أكفر بمحمد صلىٰ الله عليه وسلم][١] حتىٰ تموت ، ثم تبعث . قال : فإني إذا مت ثم بعثت جئتني ولي ثَمَّ مال وولد فأعطيتك[٢] . فأنزل الله : ﴿ **أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالًا ولدًا** ﴾ إلى قوله : ﴿ **ويأتينا فردًا** ﴾ أخرجه[٣] صاحبا الصحيح وغيرهما ، من غير وجه عن الأعمش به . وفي لفظ البخاري(٣٠٥) : كنت قينًا بمكة ، فعملت للعاص بن وائل سيفًا ، فجئت أتقاضاه فذكر الحديث ، وقال : ﴿ **أم اتخذ عند الرحمن عهدًا** ﴾ قال : **مَوْثقًا** .

وقال عبد الرزاق(٣٠٦) : أخبرنا الثوري ، عن الأعمش ، عن أبي الضحىٰ ، عن مسروق قال : قال خباب بن الأرت : كنت قينًا بمكة ، فكنت أعمل للعاص بن وائل ، قال : فاجتمعت لي عليه دراهم ، فجئت لأتقاضاه ، فقال لي : لا أقضيك حتىٰ تكفر بمحمد . فقلت : لا أكفر بمحمد حتىٰ تموت ثم تبعث . قال : فإذا بعثت كان لي مال وولد . قال[٤] : فذكرت ذلك لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فأنزل الله : ﴿ **أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالًا وولدًا** ﴾ إلى قوله : ﴿ **ويأتينا فردًا** ﴾ .

---

(٣٠٤) - أخرجه أحمد (١١١/٥) .

(٣٠٥) - أخرجه البخاري في كتاب : البيوع ، باب : ذكر القين والحدَّاد ، حديث (٢٠٩١) ، وأطرفه في (٢٢٧٥ - ٢٤٢٥ - ٤٧٣٢ - ٤٧٣٣ - ٤٧٣٤ - ٤٧٣٥) .

(٣٠٦) - أخرجه أحمد (١١٠/٥) من طريق عبد الرزاق بهذا الإسناد . وأخرجه مسلم بنحوه من طريق سفيان بهذا الإسناد في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب : سؤال اليهود النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الروح ، وقوله تعالى : ﴿ **يسألونك عن الروح** ﴾ ، حديث (٢٧٩٥/٣٦) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز : « فأعطينك » .

[٣] - في ز ، خ : « أخرجاه » .

[٤] - سقط من : ز .

وقال العوفي عن ابن عباس(٣٠٧) : إن رجالًا من أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كانوا يطلبون العاص بن وائل السهمي بدَيْن ، فأتوه يتقاضونه ، فقال : ألستم تزعمون أن في الجنة ذهبًا وفضة وحريرًا ، ومن كل الثمرات ؟ قالوا : بلىٰ . قال : فإن موعدكم الآخرة ، فوالله لأوتين مالًا وولدًا ، ولأوتين مثل كتابكم الذي جئتم به . فضرب الله مثله في القرآن فقال : ﴿ **أفرأيت الذي كفر بآياتنا** ﴾إلىٰ قوله : ﴿ **ويأتينا فردًا** ﴾ .

و[١] هكذا قال مجاهد(٣٠٨) وقتادة(٣٠٩) وغيرهم : إنها نزلت في العاص بن وائل .

وقوله ﴿ **لأوتين مالًا وولدًا** ﴾ قرأ بعضهم(*) بفتح «**الواو**» من «**ولدًا**»، وقرأ آخرون بضمها وهو بمعناه قال رؤبة :

الحمدُ للّهِ العزيزِ فَرْدَا لم يتخذ مِنْ وُلْد شيء وُلْدَا .

وقال الحارث بن[٢] حلّزة[٣]

وَلَقَد رَأَيْتُ مَعَاشِرًا قَد ثَمَّرُوا مالًا وَوُلْدَا

وقال الشاعر :

فَلَيْتَ[٤] فلانًا كان في بَطْنِ أمه وليت فلانًا كان وُلْد حمار

وقيل : إن الوُلْد بالضم : جمع ، والوَلَد بالفتح : مفرد ، وهي لغة قيس ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **أطلع الغيب** ﴾ إنكار على هذا القائل : ﴿ **لأوتين مالًا وولدًا** ﴾ يعني : يوم القيامة ، أي : أعلم ما له في الآخرة حتىٰ تألّىٰ وحلف علىٰ ذلك ﴿ **أم اتخذ عند الرحمن عهدًا** ﴾ أم له عند الله [عهد سيؤتيه][٥] ذلك ؟ وقد تقدم عند البخاري : أنه الموثق .

وقال الضحاك عن ابن عباس : ﴿ **أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدًا** ﴾ قال : لا إله إلا الله فيرجو بها .

---

(٣٠٧) - أخرجه الطبري (١٦/١٢٠ - ١٢١) .

(٣٠٨) - أخرجه الطبري (١٦/١٢١) .

(٣٠٩) - أخرجه الطبري (١٦/١٢١) . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/٥٠٦) وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

(*) وهي قراءة حمزة والكسائي . السبعة (٤١٢) . [٢] - سقط من : خ .

[٣] - في ز : « حزة » ، سقط من : خ . [٤] - في ز ، خ : « وليت » .

[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « عهدًا سيرته » ، خ : « عهدا في سيرتيه » .

وقال محمد بن كعب القرظي : ﴿ إلا من اتخذ عند الرحمن عهدًا ﴾ قال : شهادة أن لا إله إلا الله ، ثم قرأ : ﴿ إلا من اتخذ عند الرحمن عهدًا ﴾ .

وقوله : ﴿ كلا ﴾ هي حرف رَدْع لما قبلها ، وتأكيد لما بعدها ﴿ سنكتب ما يقول ﴾ أي : من طلبه ذلك ، وحكمه لنفسه بما يتمناه ، وكفره بالله العظيم ﴿ ونمد له من العذاب مدًا ﴾ أي : في الدار الآخرة على قوله ذلك ، وكفره بالله في الدنيا ﴿ ونرثه ما يقول ﴾ أي : من مال وولد نسلبه منه ، عكس ما قال : إنه يؤتى[١] في الدار الآخرة مالًا وولدًا زيادة[٢] على [الذي له][٣] في الدنيا ، بل في الآخرة يسلب[٤] من الذي كان له في الدنيا ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ ويأتينا فردًا ﴾ أي : من المال والولد .

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس(٣١٠) : ﴿ ونرثه ما يقول ﴾ [قال : نرثه][٥] .

وقال مجاهد(٣١١) : ﴿ ونرثه ما يقول ﴾ [ماله وولده . وذلك الذي قال العاص بن وائل .

وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة(٣١٢) : ﴿ ونرثه ما يقول ﴾ :][٦] قال : ما عنده ، و[٧] هو قوله : ﴿ لأوتين مالًا وولدًا ﴾ وفي حرف ابن مسعود : (ونرثه ما عنده) .

وقال قتادة(٣١٣) : ﴿ ويأتينا فردًا ﴾ لا مال له ، ولا ولد .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم(٣١٤) : ﴿ ونرثه ما يقول ﴾ قال : ما جمع من الدنيا وما عمل فيها ، قال : ﴿ ويأتينا فردًا ﴾ قال : فردًا من ذلك ، لا يتبعه قليل ولا كثير .

وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ

(٣١٠) - أخرجه الطبري (١٦/١٢٣) .
(٣١١) - أخرجه الطبري (١٦/١٢٣) .
(٣١٢) - أخرجه الطبري (١٦/١٢٣) .
(٣١٣) - أخرجه الطبري (١٦/١٢٣) .
(٣١٤) - أخرجه الطبري (١٦/١٢٣) .

[١] - في ز : « يرى » .
[٢] - في ز : « وتاره » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « الين كله » .
[٤] - في ز : « بل سلب » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٧] - سقط من : ز ، خ .

﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾﴾

يخبر تعالىٰ عن الكفار المشركين بربهم : أنهم اتخذوا من دونه آلهة ؛ لتكون لهم تلك الآلهة ﴿ **عزًّا** ﴾ يعتزون بهم ويستنصرونهم .

ثم أخبر أنه ليس الأمر كما زعموا ، ولا يكون ما طمعوا ، فقال : ﴿ **كلا سيكفرون بعبادتهم** ﴾ أي : يوم القيامة ﴿ **ويكونون عليهم ضدًّا** ﴾ أي : بخلاف ما ظنوا فيهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ومن أضل ممن يدعو من دون اللَّه من لا يستجيب له إلىٰ يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين** ﴾ وقرأ أبو[١] نهيك : (**كلٌّ سيكفرون بعبادتهم**) . وقال السدي : ﴿ **كلا سيكفرون بعبادتهم** ﴾ أي : بعبادة الأوثان .

وقوله : ﴿ **ويكونون عليهم ضدًّا** ﴾ أي : بخلاف ما رجوا منهم .

وقال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس(٣١٥) : ﴿ **ويكونون عليهم ضدًّا** ﴾ قال : أعوانًا .

قال مجاهد(٣١٦) : عونًا عليهم ، تخاصمهم وتكذبهم .

وقال العوفي عن ابن عباس(٣١٧) : ﴿ **ويكونون عليهم ضدًّا** ﴾ قال[٢] : قرناء .

و[٣] قال السدي : ﴿ **ويكونون عليهم ضدًّا** ﴾ قال : الخصماء الأشداء في[٤] الخصومة .

و[٥] قال قتادة(٣١٨) : قرناء في النار يلعن بعضهم بعضًا ، ويكفر بعضهم ببعض .

---

(٣١٥) - أخرجه الطبري (١٢٤/١٦) . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٠٦/٤) ، وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣١٦) - أخرجه الطبري (١٢٤/١٦) .

(٣١٧) - أخرجه الطبري (١٢٤/١٦) .

(٣١٨) - أخرجه الطبري (١٢٤/١٦) .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - سقط من : ز .

وقال الضحاك(٣١٩) : ﴿ويكونون عليهم ضدًّا﴾ قال : أعداء.

وقال ابن زيد(٣٢٠) : الضد : البلاء.

وقال عكرمة(٣٢١) : الضد : الحسرة .

وقوله : ﴿ ألم تر أنا أرسلنا الشياطين علىٰ الكافرين تؤزهم أزًّا ﴾ قال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس(٣٢٢) : تغويهم إغواء .

وقال العوفي عنه: تحرضهم على محمد وأصحابه. وقال مجاهد(٣٢٣) : تشليهم[١] إشلاء. وقال قتادة(٣٢٤) : تزعجهم إزعاجًا إلى معاصي الله. وقال سفيان الثوري: تغريهم إغراء، وتستعجلهم استعجالاً. وقال السدي(٣٢٥) : تطغيهم طغيانًا .

وقال عبد الرحمن بن زيد : هذا كقوله تعالىٰ : ﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانًا فهو له قرين ﴾ وقوله : ﴿ فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدًّا ﴾ أي : لا تعجل يامحمد علىٰ هؤلاء في وقوع العذاب بهم ﴿ إنما نعدّ لهم عدًّا ﴾ أي : إنما نؤخرهم لأجل معدود مضبوط ، وهم صائرون لا محالة إلىٰ عذاب الله ونكاله ، [ ][٢] : ﴿ ولا تحسبن الله غافلًا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار﴾ ﴿فمهل الكافرين أمهلهم رويدًا﴾ ﴿إنما نملي لهم ليزدادوا إثمًا﴾ ﴿نمتعهم قليلًا ثم نضطرهم إلىٰ عذاب غليظ ﴾ ، ﴿قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار﴾ .

قال السدي : ﴿ إنما نعد لهم عدًّا ﴾ : السنين والشهور والأيام والساعات .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس(٣٢٦) : ﴿إنما نعدُّ لهم عدًّا﴾ قال : نعد أنفاسهم في الدنيا .

---

(٣١٩) - أخرجه الطبري (١٦/١٢٤) .

(٣٢٠) - أخرجه الطبري (١٦/١٢٤) .

(٣٢١) - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/٥٠٦) وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(٣٢٢) - أخرجه الطبري (١٦/١٢٥) .

(٣٢٣) - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/٥٠٧) ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(٣٢٤) - أخرجه الطبري (١٦/١٢٥)

(٣٢٥) - أخرجه الطبري (١٦/١٢٥) .

(٣٢٦) - أخرجه الطبري (١٦/١٢٦) .

---

[١] - في خ : « تشيلهم » . [٢] - في ت : وقال .

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾

يخبر تعالىٰ عن أوليائه المتقين ، الذين خافوه في الدار الدنيا ، واتبعوا رسله ، وصدقوهم فيما أخبروهم ، وأطاعوهم فيما أمروهم به[١] ، وانتهوا عما عنه زجروهم أنه يحشرهم يوم القيامة وفدًا إليه[٢] ، والوفد : هم القادمون ركبانًا ، ومنه الوفود ، وركوبهم علىٰ نجائب من نور ، من مراكب الدار الآخرة ، وهم قادمون علىٰ خير موفود إليه ، إلىٰ دار كرامته ورضوانه .

وأما المجرمون المكذبون للرسل المخالفون لهم ، فإنهم يساقون عنفًا إلىٰ النار ، ﴿ وردًا ﴾ عطاشًا . قاله عطاء[٣] ، وابن عباس(٣٢٧) ، ومجاهد ، والحسن(٣٢٨) ، وقتادة(٣٢٩) ، وغير واحد . وهٰهنا يقال : ﴿ أيّ الفريقين خير مقامًا وأحسن نديًّا ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم(٣٣٠) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا ابن خالد ، عن عمرو بن قيس الملائي ، عن ابن مرزوق : ﴿ يوم نحشر المتقين إلىٰ الرحمن وفدًا ﴾ قال : يستقبل المؤمن عند خروجه من قبره أحسن صورة رآها ، وأطيبها ريحًا ، فيقول : من أنت ؟ فيقول : أما تعرفني ؟ فيقول : لا ، إلا أن الله قد طيب ريحك وحسَّن وجهك . فيقول : أنا عملك الصالح ، وهكذا كنت في الدنيا ، حسنَ العمل طيبه ، فطالما ركبتك في الدنيا ، فهلم اركبني . فيركبه ، فذلك قوله : ﴿ يوم نحشر المتقين إلىٰ الرحمن وفدًا ﴾ .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس(٣٣١) : ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدًا﴾ قال : ركبانًا[٤] .

---

(٣٢٧) - أخرجه الطبري (١٦/١٢٧) .

(٣٢٨) - أخرجه الطبري (١٦/١٢٧) . وهناد في الزهد (١/١٨٥) حديث (٢٨٦ - ٢٨٧) .

(٣٢٩) - أخرجه الطبري (١٦/١٢٧ ، ١٢٨) . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/٥١٠) بنحوه وعزاه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد .

(٣٣٠) - وأخرجه الطبري (١٦/١٢٧) من حديث عمرو بن قيس الملائي به .

(٣٣١) - أخرجه الطبري (١٦/١٢٧) .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ز : « أئمة » .

[٣] - مكانها بياض في : ز .

[٤] - في ز ، خ : « ركابًا » .

وقال ابن جرير(٣٣٢) : [حدثني ابن[١] المثنىٰ][٢] ، حدثنا ابن مهدي ، عن شعبة[٣] ، عن إسماعيل ، عن رجل ، عن أبي هريرة : ﴿ **يوم نحشر المتقين إلىٰ الرحمن وفدًا** ﴾ قال : علىٰ الإبل .

وقال ابن جريج[٤](٣٣٣) : على النجائب .

وقال الثوري(٣٣٤) : على الإبل النوق .

وقال قتادة(٣٣٥) : ﴿ **يوم نحشر المتقين إلىٰ الرحمن وفدًا** ﴾ قال : إلىٰ الجنة .

وقال عبد اللّٰه بن الإمام أحمد في مسند أبيه(٣٣٦) : حدثنا سويد بن سعيد ، أخبرنا عليّ بن مسهر ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، حدثنا النعمان بن سعد قال : كنا جلوسًا عند عليّ رضي اللّٰه عنه ، فقرأ هذه الآية : ﴿ **يوم نحشر المتقين إلىٰ الرحمن وفدًا** ﴾ قال : لا ، واللّٰه ماعلىٰ أرجلهم يحشرون ، ولا يحشر الوفد علىٰ أرجلهم ، ولكن بنوق[٥] لم ير الخلائق مثلها ، عليها رحائل من ذهب ، فيركبون عليها ، حتىٰ يضربوا أبواب الجنة .

وهكذا رواه ابن أبي حاتم(٣٣٧) وابن جرير(٣٣٨) ، من حديث عبد الرحمن بن إسحاق المدني به . وزاد : عليها[٦] رحائل الذهب ، وأزمتها الزبرجد ، والباقي مثله .

وقد روىٰ ابن أبي حاتم لههنا حديثًا غريبًا جدًّا مرفوعًا ، عن علي فقال :

حدثنا أبي ، حدثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل النهدي[٧] ، حدثنا مسلمة بن جعفر

(٣٣٢) - أخرجه الطبري (١٦/١٢٧) .
(٣٣٣) - أخرجه الطبري (١٦/١٢٧) من حديث ابن جريج .
(٣٣٤) - أخرجه الطبري (١٦/١٢٧) .
(٣٣٥) - أخرجه الطبري (١٦/١٢٧) . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٥٠٨) إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد .
(٣٣٦) - أخرجه أحمد (١/١٥٥) .
(٣٣٧) - أخرجه الحاكم (٢/٣٧٨) وقال : على شرط مسلم وتعقبه الذهبي بأن عبد الرحمن لم يرو له مسلم ولا لخاله النعمان وضعفوه .
(٣٣٨) - أخرجه الطبري (١٦/١٢٦) .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - في ز ، خ : « سعيد » .
[٤] - في خ : « جرير » .
[٥] - في ز ، خ : « نوق » .
[٦] - في ز : « عليهما » .
[٧] - في ز ، خ : « المدني » .

البجلي ، سمعت أبا معاذ البصري قال : إن عليًا كان ذات يوم عند رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقرأ عليّ هذه الآية : ﴿ يوم نحشر المتقين إلىٰ الرحمن وفدًا ﴾ فقال : ما أظن الوفد إلا الركب يا رسول الله . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **والذي نفسي بيده ، إنهم إذا خرجوا من قبورهم يستقبلون - أو يؤتون - بنوق[١] بيض لها أجنحة ، وعليها رحال الذهب ، شُرُك نعالهم نور يتلألأ كل خطوة منها مد البصر ، فينتهون إلىٰ شجرة ينبع من أصلها عينان ، فيشربون من إحداهما ، فتغسل ما في بطونهم من دنس ، ويغتسلون من الأخرىٰ ، فلا تشعث [أبشارهم ولا][٢] أشعارهم[٣] بعدها أبدًا ، وتجري عليهم نضرة النعيم ، فينتهون - أو فيأتون - باب الجنة ، فإذا حلقة من ياقوتة حمراء علىٰ[٤] صفائح الذهب ، فيضربون بالحلقة علىٰ الصفيحة ، فيسمع لها طنين يا[٥] علي ، فيبلغ كل حوراء أن زوجها قد أقبل ، فتبعث قيمها فيفتح له ، فإذا رآه خرّ له - قال مسلمة : أراه قال : ساجدًا - فيقول : ارفع رأسك ، إنما أنا قيمك وكلت بأمرك . فيتبعه ويقفو أثره ، فتستخف الحوراء العجلة ، فتخرج من خيام الدر والياقوت حتىٰ تعتنقه ، ثم تقول : أنت حبي ، وأنا حِبك ، وأنا الخالدة التي لا أموت ، وأنا الناعمة التي لا أبأس ، وأنا الراضية التي لا أسخط[٦] ، وأنا المقيمة التي لا أظعن . فيدخل بيتًا من أسّه إلىٰ سقفه مائة ألف ذراع ، بناؤه علىٰ جندل اللؤلؤ طرائق : أصفر وأحمر وأخضر ، ليس منها طريقة تشاكل صاحبتها[٧] ، وفي البيت سبعون سريرًا ، علىٰ كل سرير سبعون حشية ، علىٰ كل حشية سبعون زوجة ، علىٰ كل زوجة سبعون حلة ، يرىٰ مخ ساقها من وراء الحلل ، يقضي جماعها في مقدار ليلة من لياليكم هذه ، الأنهار من تحتهم تطرد ؛ أنهار من ماء غير آسن - قال : صاف لا كَدَرَ فيه - وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، لم يخرج من ضروع الماشية ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، لم يعتصرها الرجال بأقدامهم[٨] ، وأنهار من عسل مصفىٰ ، لم يخرج من بطون النحل ، فيستحلي الثمار ، فإن شاء أكل قائمًا ، وإن شاء قاعدًا ، وإن شاء متكئًا . ثم تلا : ﴿ ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلًا ﴾ فيشتهي الطعام فيأتيه طير أبيض - وربما قال : أخضر[٩] - فترفع أجنحتها ، فيأكل من جنوبها أي الألوان شاء ، ثم تطير فتذهب ، فيدخل الملك فيقول : سلام عليكم ﴿ تلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾ ولو أن شعرة من شعر**

---

[١] - في ز : « ببرق » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - غير واضحة في ز ، سقط من : خ .

[٤] - في خ : « هى » .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - في ز : « تسخط » .

[٧] - في خ : « صاحبه » .

[٨] - في ز ، خ : « بأقدامها » .

[٩] - في ز : « خضر » .

الحوراء وقعت[١] لأهل الأرض ، لأضاءت ، الشمس معها سواد في نور » .

هكذا وقع في هذه الرواية مرفوعًا ، وقد رويناه في المقدمات من كلام عليّ - رضي الله عنه - بنحوه ، وهو أشبه بالصحة ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **ونسوق المجرمين إلىٰ جهنم وردًا** ﴾ أي : عطاشًا ، ﴿ **لا يملكون الشفاعة** ﴾ أي : ليس لهم من يشفع لهم كما يشفع المؤمنون بعضهم لبعض ، كما قال تعالىٰ مخبرًا عنهم : ﴿ **فما لنا من شافعين * ولا صديق حميم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إلا من اتخذ عند الرحمن عهدًا** ﴾ هذا استثناء منقطع ، بمعنىٰ : لكن من اتخذ عند الرحمن عهدًا[٢] ، وهو شهادة ألّا إله إلا اللّٰه ، والقيام بحقها .

قال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس(٣٣٩) : ﴿ **إلا من اتخذ عند الرحمن عهدًا** ﴾ قال : العهد شهادة أن لا إله إلا الله ، ويبرأ إلىٰ الله من الحول والقوة ، ولا يرجو إلا الله عز وجل .

وقال ابن أبي حاتم(٣٤٠) : حدثنا عثمان بن خالد الواسطي ، حدثنا محمد بن الحسن الواسطي ، عن المسعودي ، عن عون بن عبد الله ، عن أبي فاختة ، عن الأسود بن يزيد قال : قرأ عبد الله - يعني ابن مسعود - هذه الآية : ﴿ **إلا من اتخذ عند الرحمن عهدًا** ﴾ ثم قال : اتخذوا عند الله عهدًا ، فإن الله يقول يوم القيامة : من كان له [عند الله][٣] عهد فليقم . قالوا : يا أبا عبد الرحمن ؛ فَعَلِّمْنا . قال : قولوا : اللهم فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، فإني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا أنك إن تكلني إلىٰ عملي يقربني من الشر ويباعدني من الخير ، وإني لا أثق إلا [برحمتك ، فاجعل][٤] لي عندك عهدًا تؤديه إليّ يوم القيامة ، إنك لا تخلف الميعاد .

قال المسعودي : فحدثني زكريا ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، أخبرنا[٥] ابن مسعود : وكان يُلْحِقُ[٦] بهن : خائفًا مستجيرًا مستغفرًا راهبًا راغبًا إليك . ثم رواه من وجه آخر عن المسعودي بنحوه .

---

(٣٣٩) - أخرجه الطبري (١٢٨/١٦) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥١٠/٤) نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات .

(٣٤٠) - أخرجه الطبراني في الكبير (٢٠٩/٩) . والحاكم (٣٧٨/٢) وصححه ووافقه الذهبي .

---

[١] - في ز ، خ : « رفعت » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٤] - في ز : « برجائك فاجعله » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « يلحن » .

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾

لما قرر تعالىٰ في هذه السورة الشريفة عبودية عيسىٰ عليه السلام ، وذكر خلقه من مريم بلا أب ، شرع في مقام الإنكار علىٰ من زعم أن له ولدًا - تعالىٰ وتقدّس وتنزه عن ذلك علوًّا كبيرًا - فقال : ﴿ **وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا * لقد جئتم شيئًا إدًّا** ﴾ أي : في قولكم هذا ﴿ **شيئًا إدًّا** ﴾ قال ابن عباس(٣٤١) ومجاهد(٣٤٢) وقتادة(٣٤٣) ومالك : أي : عظيمًا . ويقال : إدًّا بكسر الهمزة وفتحها ، ومع مدها أيضًا ، ثلاث لغات ، أشهرها الأولىٰ .

وقوله : ﴿ **تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًّا * أن دعوا للرحمن ولدًا** ﴾ أي : يكاد يكون ذلك عند سماعهن[١] هذه المقالة من فجرة بني آدم ، إعظامًا للرب وإجلالًا ؛ لأنهن مخلوقات ومؤسسات علىٰ توحيده ، وأنه لا إله إلا هو ، وأنه لا شريك له ، ولا نظير له ، ولا ولد له ، ولا صاحبة له ، ولا كفء له ، بل هو الأحد الصمد .

وفي كُلِّ شيءٍ له آيةٌ تدل علىٰ أنه واحد[٢]

وقال ابن جرير(٣٤٤) : حدثني عليّ ، حدثنا عبد الله ، حدثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله : ﴿ **تكاد السموات يتفطرن[٣] منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًّا * أن دعوا للرحمن ولدًا** ﴾ قال : إن الشرك فزعت منه السموات والأرض والجبال ، وجميع

(٣٤١) - أخرجه الطبري (١٦/١٢٩) .
(٣٤٢) - أخرجه الطبري (١٦/١٢٩) .
(٣٤٣) - أخرجه الطبري (١٦/١٢٩) .
(٣٤٤) - أخرجه الطبري (١٦/١٣٠) .

[١] - في ز : « سماعهم » .
[٢] - في خ : « الواحد » .
[٣] - في ز : « ينفطرن » .

الخلائق إلا الثقلين ، فكادت أن تزول منه لعظمة الله ، وكما لا ينفع مع الشرك إحسان المشرك ، كذلك نرجو أن يغفر الله ذنوب الموحدين ، وقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لقنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله ، فمن قالها عند موته وجبت له الجنة** » . قالوا : يارسول الله ، فمن قالها في صحته ؟ قال : « **تلك أوجب وأوجب** » . ثم قال : « **والذي نفسي بيده ، لو جيء بالسموات والأرضين وما فيهن ، وما بينهن وما تحتهن ، فوضعن في كفة الميزان ، ووضعت شهادة أن لا إله إلا الله في الكفة الأخرىٰ ، لرجحت بهن** » .

وهكذا رواه ابن جرير ، ويشهد له حديث البطاقة(٣٤٥) ، والله أعلم .

وقال الضحاك : ﴿ **تكاد السموات يتفطرن**[١] **منه** ﴾ أي : يتشققن فَرَقًا[٢] من عظمة الله .

وقال عبد الرحمن[٣] بن زيد بن أسلم : ﴿ **وتنشق الأرض** ﴾ أي : غضبًا لله عزَّ وجلَّ .

﴿ **وتخر الجبال هدًّا** ﴾ قال ابن عباس(٣٤٦) : هدمًا .

وقال سعيد بن جبير : ﴿ **هدًّا** ﴾[٤] ينكسر بعضها على بعض متتابعات .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عبد الله بن سويد المقبري ، حدثنا سفيان بن عيينة ، حدثنا مسعر ، عن عون ، عن[٥] عبد الله ، قال : إن الجبل لينادي الجبل باسمه : يافلان ، هل مر بك اليوم ذاكرًا لله -عز وجل- ؟ فيقول : نعم ويستبشر . قال عون : لهي للخير أسمع ، أفيسمعن الزور والباطل إذا قيل ولايسمعن غيره ، ثم قرأ : ﴿ **تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًّا * أن دعوا للرحمن ولدًا** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم أيضًا : حدثنا المنذر بن شاذان ، حدثنا هَوْذَة ، حدثنا عوف ، عن

(٣٤٥) - حديث البطاقة : أخرجه أحمد (٢١٣/٢) . والترمذي في كتاب : الإيمان ، باب : ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله ، حديث (٢٦٣٩) (٢٥/٥) ، وحسنه . وابن ماجة في كتاب : الزهد ، باب : ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة ، حديث (٤٣٠٠) (١٤٣٧/٢) . والحاكم (٦/١ - ٥٢٩) وصححه ووافقه الذهبي . والحديث صححه الألباني في الصحيحه برقم (١٣٥) .

(٣٤٦) - أخرجه الطبري (١٣٠/١٦) .

[١] - في ز : « ينفطرن » .

[٢] - في ز، خ : « فزعًا » .

[٣] - في ز : « الله » .

[٤] - في خ : « هكذا » ، وليست من الآية .

[٥] - في ز : « بن » .

غالب بن عَجْرَد ، حدثني رجل من أهل الشام في مسجد منًى قال : بلغني أن اللّٰه لما خلق الأرض وخلق مافيها من الشجر ، لم يكن في الأرض شجرة يأتيها بنو آدم إلا أصابوا منها منفعة - [أو قال : كان لهم فيها منفعة][١] - ولم تزل الأرض والشجر بذلك حتىٰ تكلم فجرة بني آدم بتلك الكلمة العظيمة : قولهم ﴿ **اتخذ الرحمن ولدًا** ﴾ فلما تكلموا بها اقشعرت الأرض وشاك الشجر .

وقال كعب الأحبار(٣٤٧) : غضبت الملائكة واستعرت[٢] النار ، حين قالوا ما قالوا .

وقال الإمام أحمد(٣٤٨) : حدثنا أبو[٣] معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، عن أبي موسىٰ -رضي اللّٰه عنه- قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ما أحد أصبر علىٰ أذى يسمعه من اللّٰه : إنه يشرك به ويجعل له ولد وهو يعافيهم ويدفع عنهم ويرزقهم** » .

أخرجاه في الصحيحين . وفي لفظ : « **إنهم يجعلون له ولدًا وهو يرزقهم ويعافيهم** » .

وقوله : ﴿ **وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدًا** ﴾ أي : لايصلح له ولايليق به ؛ لجلاله وعظمته لأنه لا كفء له من خلقه[٤] لأن جميع الخلائق عبيد له ؛ ولهذا قال : ﴿ **إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدًا * لقد أحصاهم وعدهم عدًّا** ﴾ أي :قد علم عددهم منذ خلقهم إلىٰ يوم القيامة ، ذكرهم وأنثاهم ، وصغيرهم وكبيرهم ﴿ **وكلهم آتيه يوم القيامة فردًا** ﴾ أي :لا ناصر له ولا مجير إلا اللّٰه وحده لاشريك له ، فيحكم في خلقه بما يشاء ، وهو العادل الذي لايظلم مثقال ذرة ولا يظلم أحدًا .

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا
يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ
أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾

(٣٤٧) - أخرجه الطبري (١٦/١٣٠) .

(٣٤٨) - أخرجه أحمد (٤/٣٩٥) . والبخاري في كتاب : الأدب ، باب : الصبر في الأدب وقول اللّٰه تعالى : ﴿ **إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾ ، حديث (٦٠٩٩) (١٠/٥١١) وطرفه في (٧٣٧٨) . ومسلم في كتاب : صفات المنافقين وأحكامهم ، باب : لا أحد أصبر على أذًى من اللّٰه عز وجل ، حديث (٤٩ - ٢٨٠٤/٥٠) (١٧/٢١٣ - ٢١٤) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٢] - في خ : « واستوت » .
[٣] - في ز : « ابن » .
[٤] - في ز : « خلق ».

يخبر تعالىٰ أنه يغرس لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات - وهي الأعمال التي ترضي اللَّه- عز وجل - لمتابعتها الشريعة المحمدية -يغرس لهم في قلوب عباده الصالحين مودة، وهذا أمر لابد منه ولا[١] محيد عنه، وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم من غير وجه :

قال الإمام أحمد(٣٤٩) : حدثنا عفان، حدثنا أبو عوانة، حدثنا سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **إن اللَّه إذا أحب عبدًا دعا جبريل فقال : ياجبريل، إني أحب فلانًا فأحبه** ». قال : « **فيحبه جبريل** ». قال : « **ثم ينادي في أهل السماء : إن اللَّه يحب فلانًا [فأحبوه]** ». قال : « **فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض. وإن اللَّه إذا أبغض عبدًا دعا جبريل فقال : ياجبريل؛ إني أبغض فلانًا فأبغضه** ». قال : « **فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء : إن اللَّه يبغض فلانًا فأبغضوه** ». قال : « **فيبغضه أهل السماء، ثم توضع[٢] له البغضاء في الأرض** ». ورواه مسلم(٣٥٠) من حديث سهيل.

ورواه أحمد(٣٥١) والبخاري من حديث ابن جريج، عن موسىٰ بن عقبة[٣]، عن نافع مولى ابن عمر، عن أبي هريرة، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم بنحوه.

وقال الإمام أحمد(٣٥٢) : حدثنا محمد بن بكر، حدثنا ميمون - أبو محمد المرئي[٤] - حدثنا محمد بن عباد المخزومي، عن ثوبان رضي اللَّه عنه، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **إن العبد ليلتمس مرضات اللَّه فلا يزال كذلك، فيقول اللَّه - عز وجل - لجبريل : إن فلانًا عبدي يلتمس أن يرضيني، ألا وإن رحمتي عليه. فيقول جبريل :**

(٣٤٩) - أخرجه أحمد (٤٨٨١) (٣٤١/٢)، (٢٦٧/٢، ٤١٣، ٥٠٩، ٥١٤).

(٣٥٠) - أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب : إذا أحب اللَّه عبده حببه إلى عباده، حديث (٢٦٣٧/١٥٧) (٢٨٢/١٦).

(٣٥١) - أخرجه أحمد (٥١٤/٢) والبخاري في كتاب : بدء الخلق، باب : ذكر الملائكة، حديث (٣٢٠٨) (٢٠٣/٦)، وطرفاه في (٦٠٤٠، ٧٤٨٥).

(٣٥٢) - أخرجه أحمد (٢٧٩/٥). والطبراني في الأوسط (٨/ ٢٠٦، ٢٠٧/ رقم: ٤٩٧٦) مطولًا من طريق أحمد بن محمد بن صدقة، عن يحيى بن محمد بن السكن، عن محبوب بن الحسن، عن ميمون به. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٠٢) وعزاه لأحمد وحده وقال: « ورجاله رجال الصحيح غير ميمون بن عجلان وهو ثقة ». وفي (١٠/ ٢٧٢) عزاه للطبراني في الأوسط وحده وقال: « ورجاله ثقات ».

[١] - في ز، خ : « فلا ».

[٢] - في خ : « يوضع ».

[٣] - في ز، خ : « عتبة ».

[٤] - في ز : « المرائي ».

رحمة اللّٰه علىٰ فلان ، ويقولها[١] حملة العرش ، ويقولها من حولهم ، حتىٰ يقولها أهل السموات السبع ، ثم يهبط إلىٰ الأرض » . غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد(٣٥٣) : حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا شريك ، عن محمد بن سعد الواسطي ، عن أبي ظبية ، عن أبي أمامة قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إن المِقَة من اللّٰه – قال شريك : هي المحبة – والصيت من السماء ، فإذا أحب اللّٰه عبدًا قال لجبريل عليه السلام : إني أحب فلانًا . فينادي جبريل : إن ربكم يمِقُ[٢] – يعني : يحب – فلانًا فأحبوه – وأرىٰ[٣] شريكًا قد قال : « فتنزل له المحبة في الأرض » – « وإذا أبغض عبدًا قال لجبريل : إني أبغض فلانًا فأبغضه . قال : « فينادي جبريل : إن ربكم يبغض فلانًا فأبغضوه ، قال : أرىٰ شريكًا [قد قال][٤] : فيجرى له البغض في الأرض »** . غريب ولم يخرجوه .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو داود الحَفَرِيّ ، حدثنا عبد العزيز – يعني : ابن محمد ، وهو : الدراوردي[٥] – عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة أن النبي صلىٰ اللّٰه عليه سلم قال : « **إذا أحب اللّٰه عبدًا نادىٰ جبريل : إني قد[٦] أحببت فلانًا فأحبه . فينادىٰ في السماء ، ثم ينزل له المحبة في أهل الأرض ، فذلك قول اللّٰه – عز وجل – : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودًّا ﴾** .

ورواه مسلم(٣٥٤) والترمذي[٧] – كلاهما عن قتيبة[٨] ، عن الدراوردي به . وقال الترمذي[٩] : حسن صحيح .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس(٣٥٥) في قوله : **﴿ سيجعل لهم الرحمن ودًّا ﴾**

(٣٥٣) – أخرجه أحمد (٢٥٩/٥ ، ٢٦٣) . وأخرجه الطبراني في الكبير (٨ / ١٤١ / رقم : ٧٥٥١). وفي الأوسط كما في مجمع البحرين (٨ / ٢٠٧ ، ٢٠٨ / رقم : ٤٩٧٧). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٢٧١) وعزاه لأحمد والطبراني في الكبير والأوسط وقال : « ورجاله وثقوا » .

(٣٥٤) – صحيح مسلم ، كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : إذا أحب اللّٰه عبده حببه إلى عباده ، مكرر حديث (٢٦٣٧/١٥٧) (٢٨٣/١٦) ورواه الترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة مريم ، حديث (٣١٦١) (٢٩٧/٥ – ٢٩٨) . وقال الترمذي : حسن صحيح .

(٣٥٥) – أخرجه الطبري (١٣٢/١٦) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥١٢/٤) نسبته إلى عبد بن حميد =

[١] – في ز : « تقولها » .
[٢] – في ز : « يمقه » .
[٣] – في ز : « فأرى » .
[٤] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] – في ز : « المرواوردي » .
[٦] – سقط من : خ .
[٧] – في ز ، خ : « الزهري » .
[٨] – في ز ، خ : « عبد الله » .
[٩] – في ز ، خ : « الزهري » .

قال : حبًا .

وقال مجاهد عنه(٣٥٦) ﴿ سيجعل لهم الرحمن ودًا ﴾ ، قال : محبة في الناس في الدنيا .

وقال سعيد بن جبير(٣٥٧) عنه : يحبهم ويحبّبهم ، يعني : إلى خلقه المؤمنين . كما قال مجاهد(٣٥٨) أيضًا

والضحاك(٣٥٩) وغيرهم .

وقال العوفي عن ابن عباس(٣٦٠) أيضًا : الود من المسلمين في الدنيا ، والرزق الحسن ، واللسان الصادق .

وقال قتادة(٣٦١) : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودًا ﴾ إي والله في قلوب أهل الإيمان ، ذكر لنا أن هرم بن حيان كان يقول : ما أقبل عبد بقلبه إلىٰ الله إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه ، حتىٰ يرزقه مودتهم ورحمتهم .

وقال قتادة(٣٦٢) : وكان عثمان بن عفان -رضي الله عنه- يقول : ما من عبد يعمل خيرًا أو شرًا إلا كساه الله -عز وجل- رداء عمله .

وقال ابن أبي حاتم -رحمه الله- حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن الربيع بن صبيح[١] ، عن الحسن البصري -رحمه الله- قال : قال رجل : والله لأعبدن الله عبادة أذكر بها . فكان لايرىٰ في حين صلاة إلا قائمًا يصلي ، وكان أول داخل إلىٰ المسجد وآخر خارج ، فكان لا يعظم ، فمكث بذلك سبعة أشهر ، وكان لا يمر علىٰ قوم إلا قالوا : انظروا إلىٰ هذا المرائي . فأقبل علىٰ نفسه فقال : لا أراني أذكر إلا بشر ، لأجعلن

= وعبد الرزاق والفريابي بنحوه .

(٣٥٦) - أخرجه الطبري (١٣٢/١٦) .

(٣٥٧) - أخرجه الطبري (١٣٣/١٦) .

(٣٥٨) - أخرجه الطبري (١٣٢/١٦) .

(٣٥٩) - أخرجه هناد في كتاب الزهد (٢٧٤/١) حديث (٤٧٩) بلفظ ، قال : محبة في صدور العالمين .

(٣٦٠) - أخرجه الطبري (١٣٢/١٦) .

(٣٦١) - أخرجه الطبري (١٣٣/١٦) .

(٣٦٢) - أخرجه الطبري (١٣٣/١٦) .

[١] - في ز : « صبح » .

عملي كله لله -عز وجل- فلم يزد على أن قلب نيته ، ولم يزد على العمل الذي كان يعمل ، فكان يمر بعد بالقوم ، فيقولون : رحم الله فلانًا ، الآن [ ][١] . وتلا الحسن : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودًّا** ﴾ .

وقد روى ابن جرير(٣٦٣) أثرًا أن هذه الآية نزلت في هجرة عبد الرحمن بن عوف . وهو خطأ ؛ فإن هذه السورة بتمامها مكية ، لم ينزل منها شيء بعد الهجرة ، ولم يصح سند ذلك ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **فإنما يسرناه** ﴾ يعني : القرآن ﴿ **بلسانك** ﴾ أي : يامحمد ، وهو اللسان العربي المبين الفصيح الكامل ﴿ **لتبشر به المتقين** ﴾ أي : المستجيبين لله المصدقين لرسوله ﴿ **وتنذر به قومًا لدًّا** ﴾ أي : عوجًا عن الحق ، مائلين[٢] إلى الباطل .

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد(٣٦٤) : ﴿ **قومًا لدًّا** ﴾ لا يستقيمون[٣] .

وقال الثوري عن إسماعيل - وهو السدي - عن أبي صالح : ﴿ **وتنذر به قومًا لدًّا** ﴾ عوجًا عن الحق .

وقال الحسن البصري(٣٦٥) : ﴿ **قومًا لدًّا** ﴾ : صمًّا .

وقال غيره : صمّ آذان القلوب . وقال قتادة(٣٦٦) : ﴿ **قومًا لدًّا** ﴾ . يعني : قريشًا .

وقال العوفي عن ابن عباس(٣٦٧) : ﴿ **قومًا لدًّا** ﴾ فجارًا . وكذا روى ليث بن أبي سليم عن مجاهد(٣٦٨) .

وقال ابن زيد(٣٦٩) : الألد : الظلوم ، وقرأ قول الله : ﴿ **وهو ألد الخصام** ﴾ .

---

(٣٦٣) - أخرجه الطبري (١٦/١٣٣) .

(٣٦٤) - أخرجه الطبري (١٦/١٣٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/٥١٤) نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣٦٥) - أخرجه الطبري (١٦/١٣٤) .

(٣٦٦) - أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٤/٥١٣) .

(٣٦٧) - أخرجه الطبري (١٦/١٣٤) من طريق العوفي عن ابن عباس ، قال : لتنذر به قومًا ظلمة .

(٣٦٨) - أخرجه الطبري (١٦/١٣٤) .

(٣٦٩) - أخرجه الطبري (١٦/١٣٤) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « الآن » . [٢] - في ز : « بما يكون » .

[٣] - في ز : « يستقيموا » ، خ : « تستقيموا » .

وقوله : ﴿ **وكم أهلكنا قبلهم من قرن** ﴾ أي : من[١] أمة كفروا بآيات الله، وكذبوا رسله ﴿ **هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزًا** ﴾ .

أي : هل ترىٰ منهم أحدًا ، أو تسمع لهم ركزًا .

قال ابن عباس(٣٧٠) وأبو العالية ، وعكرمة ، والحسن البصري ، وسعيد بن جبير ، والضحاك(٣٧١) ، وابن زيد : يعني صوتًا .

وقال الحسن(٣٧٢) وقتادة(٣٧٣) : هل ترىٰ عينًا ، أو تسمع صوتًا. والركز في أصل اللغة هو : الصوت الخفي ، قال الشاعر :

فتوجست[٢] ركز الأنيس فراعها عن ظهر غيب والإنيس سقامها

آخر تفسير سورة مريم ، ولله الحمد والمنة . ويتلوه إن شاء الله تعالى تفسير سورة طه ، والحمد لله .

☆ ☆ ☆

(٣٧٠) - أخرجه الطبري (١٣٤/١٦) ، وزاد السيوطى في الدر (٥١٤/٤) نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣٧١) - أخرجه الطبري (١٣٥/١٦) .

(٣٧٢) - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥١٣/٤) ، وعزاه إلى عبد بن حميد .

(٣٧٣) - أخرجه الطبري (١٣٥/١٦) ، وزاد السيوطي نسبته في الدر المنثور (٥١٣/٤) إلى عبد الرزاق وعبد ابن حميد .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في خ : « فوكزت » .

تفسير[١] سورة طه
[وهي][٢] مكية

روىٰ إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة في كتاب « التوحيد »(١) عن زياد بن أيوب ، عن إبراهيم بن المنذر الحزامي ، حدثنا إبراهيم بن مهاجر بن مسمار ، عن عمر بن حفص بن ذكوان ، عن مولىٰ الحرقة - يعني : عبد الرحمن بن يعقوب - عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن الله قرأ طه ، ويس قبل أن يخلق آدم بألف عام ، فلما سمعت الملائكة قالوا : طوبىٰ لأمة ينزل عليهم هذا ، وطوبىٰ لأجواف تحمل هذا ، وطوبىٰ لألسن تتكلم[٣] بهذا** » هذا حديث غريب ، وفيه نكارة ، وإبراهيم بن مهاجر وشيخه تكلم فيهما

طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾

(١) - **ضعيف جدًّا** ، أخرجه ابن خزيمة (٢٣٦) ، وابن أبي عاصم في السنة (٢٦٩) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٢/٤٧٦ - ٤٧٧) رقم (٢٤٥٠) ، وفي الأسماء والصفات (٢٣٢) ، والدارمي في كتاب فضائل القرآن ، باب : في فضل سورة طه ويس (٢/٤٥٦) ، واللالكائي (٢/٢٢٦) ، وابن عدي في « الكامل » (١/٢١٨) ، وقال ابن عدي : الحديث يرويه إبراهيم بن مهاجر ، ولا أعلم يرويه غيره ، ولم أجد له أنكر من حديث : « **قرأ طه ويس** » لأنه لم يروه إلا إبراهيم بن مهاجر ، ولا يروى بهذا الإسناد ولا بغير هذا الإسناد هذا المتن إلا إبراهيم بن مهاجر هذا ، وباقي أحاديثه صالحة . ورواه العقيلي (١/٦٦) في ترجمة إبراهيم بن مهاجر : وقال : منكر الحديث . ورواه الطبراني في الأوسط ، وقال : لا يروى عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم إلا بهذا الإسناد ، تفرد به إبراهيم بن المنذر . وعزاه السيوطي (٤/٥١٥) لابن مردويه .
وقال ابن حبان وابن الجوزي : هذا حديث موضوع . =

[١] - سقط من ت . [٢] - سقط من ز .
[٣] - في ز : تكلم .

تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة « البقرة » بما أغنىٰ عن إعادته .

وقال ابن أبي حاتم(٢) : حدثنا الحسين بن محمد بن شنبة[١] الواسطي ، حدثنا أبو أحمد - يعني الزبيري - أنبأنا إسرائيل ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : ﴿ طه ﴾ يا رجل .

وهكذا رُوي عن[٢] مجاهد(٣) ، وعكرمة(٤) ، وسعيد بن جبير(٥) ، ومحمد بن كعب ، وأبي[٣] مالك ، وعطية العوفي ، والحسن(٦) ، وقتادة (٧) ، والضحاك(٨) ، والسدي ، وابن أبزىٰ ، أنهم قالوا : ﴿ طه ﴾ ، بمعنىٰ يا رجل .

وفي رواية عن ابن عباس(٩) ، وسعيد بن جبير ، والثوري: أنها كلمة بالنبطية معناها : يارجل . وقال أبو صالح[٤]: هي معربة .

وأسند القاضي عياض في كتابه « الشفا » من طريق عبد بن حميد في تفسيره : حدثنا هاشم ابن القاسم عن ابن جعفر ، عن الربيع بن أنس قال : كان النبي صلىٰ الله عليه وسلم إذا صلىٰ قام علىٰ رِجْل ورفع الأخرىٰ ، فأنزل الله تعالىٰ : ﴿ طه ﴾ ، يعني : طئ الأرض

= وقد تعقب الحافظ ابن حجر كلًّا من ابن حبان وابن الجوزي فقال : زعم ابن حبان وتبعه ابن الجوزي أن هذا المتن موضوع ، وليس كما قالا . فإن مولى الحرقة هو عبد الرحمن بن يعقوب من رجال مسلم ، والراوي عنه - وإن كان متروكًا عند الأكثر ضعيفًا عند البعض - فلم ينسب إلى الوضع ، والراوي عنه لا بأس به . وانظر اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة (١٠/١) .

(٢) - ورواه الطبراني ، وابن مردويه كما في الدر المنثور (٥١٦/٤) .

(٣) - أخرجه الطبرى في تفسيره (١٣٦/١٦) .

(٤) - أخرجه الطبرى في تفسيره : (١٣٦/١٦) ، وذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٥١٧/٤) وعزاه إلى ابن أبي أبي شيبة .

(٥) - أخرجه الطبرى في تفسيره (١٣٦/١٦) .

(٦) - أخرجه الطبرى في تفسيره (١٣٦/١٦) .

(٧) - أخرجه الطبرى في تفسيره (١٣٦/١٦) ، وذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٥١٨/٤) وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(٨) - أخرجه الطبرى في تفسيره (١٣٦/١٦) ، وذكره السيوطى في « الدر المثور » : (٥١٧/٤) وعزاه إلى ابن أبي شيبة .

(٩) - أخرجه ابن جرير الطبرى في تفسيره : (١٣٥/١٦) .

[١] - في ز : سيبه .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - في ز : ابن .

[٤] - في ز : مالك .

يامحمد . ﴿ **ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى** ﴾ . ثم قال : ولا خفاء بما في هذا من الإكرام وحسن المعاملة .

وقوله : ﴿ **ما أنزلنا عليك القرآن لتشقي** ﴾ قال جويبر : عن الضحاك : لما أنزل اللّٰه القرآن علىٰ رسوله ، قام به هو وأصحابه ، فقال المشركون من قريش : ما أنزل هذا القرآن علىٰ محمد إلا ليشقىٰ ! فأنزل اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى * إلا تذكرة لمن يخشىٰ** ﴾ .

فليس الأمر كما زعمه المبطلون ، بل من آتاه اللّٰه العلم فقد أراد به خيرًا كثيرًا ، كما ثبت في الصحيحين(١٠) عن معاوية ، قال : قال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **من يرد اللّٰه به خيرًا يفقهه في الدين** » .

وما أحسن الحديث الذي رواه الحافظ أبو القاسم الطبراني(١١) في ذلك ، حيث قال :

حدثنا أحمد بن زهير ، حدثنا العلاء بن سالم ، حدثنا إبراهيم الطالقاني ، حدثنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن سماك بن حرب ، عن ثعلبة بن الحكم قال : قال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **يقول اللّٰه تعالىٰ للعلماء يوم القيامة ، إذا قعد علىٰ كرسيه لقضاء عباده : إني لم أجعل علمي وحكمتي فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم علىٰ ما كان منكم ولا أبالي** » !

إسناده جيد ، وثعلبة بن الحكم هذا [هو الليثي][١] ذكره أبو عمر[٢] في استيعابه ، وقال : نزل البصرة ، ثم تحول إلىٰ الكوفة ، وروىٰ عنه سماك بن حرب .

وقال مجاهد(١٢) في قوله : ﴿ **ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى** ﴾ : هي كقوله : ﴿ **فاقرءوا ما تيسر منه** ﴾ ، وكانوا يُعَلِّقون الحبال بصدورهم في الصلاة .

وقال قتادة(١٣) : ﴿ **ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى** ﴾ لا ، واللّٰه ما جعله شقاء ، ولكن

---

(١٠) - أخرجه البخاري في كتاب فرض الخمس ، باب : قول اللّٰه تعالى : ﴿ **فإن لله خمسه وللرسول** ﴾ ، حديث (٣١١٦) ، (٦/٢١٧) ، ومسلم في : كتاب الزكاة ، باب : النهي عن المسألة ، حديث ١٠٠ - (١٠٣٧) ، (٧/١٨١) من حديث معاوية به .

(١١) - أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » برقم (١٣٨١) (٣/٨٤) من حديث ثعلبة بن الحكم به . وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١/١٢٩) وقال : رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون . اهـ

(١٢) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٦/١٣٧) .

(١٣) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٦/١٣٧) .

---

[١] - سقط من ز . [٢] - في ز : عمرو .

جعله رحمة ونورًا ، ودليلًا إلى[١] الجنة .

﴿ إلا تذكرة لمن يخشىٰ ﴾ : إن اللَّه أنزل كتابه وبعث رسله رحمة ، رحم بها العباد ؛ ليتذكر ذاكر ، وينتفع رجل بما سمع من كتاب اللَّه ، وهو ذكر أنزل اللَّه فيه حلاله وحرامه .

و[٢]قوله : ﴿تنزيلًا ممن خلق الأرض والسموات العلىٰ ﴾ أي : هذا القرآن الذي جاءك يامحمد تنزيل من رب كل شيء ومليكه ، القادر علىٰ ما يشاء ، الذي خلق الأرض بانخفاضها وكثافتها ، وخلق السمٰوات العلىٰ في ارتفاعها ولطافتها ، وقد جاء في الحديث الذي صححه الترمذي وغيره : أن سُمْك كل سماء مسيرة خمسمائة عام ، وبعد ما بينها والتي تليها مسيرة[٣] خمسمائة عام .

وقد أورد ابن أبي حاتم هاهنا حديث الأوعال من رواية العباس عم رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، ورضي اللَّه عنه .

وقوله : ﴿ الرحمن على العرش استوىٰ﴾ تقدم الكلام على ذلك في سورة الأعراف بما أغنىٰ عن إعادته أيضًا ، وأن المسلك الأسلم في ذلك طريقة السلف ، إمرار ما جاء في ذلك من الكتاب والسنة ، من غير تكييف ولا تحريف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل .

وقوله : ﴿ له ما في السمٰوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرىٰ ﴾ أي : الجميع ملكه وفي قبضته ، وتحت تصريفه ومشيئته ، وإرادته وحكمه ، وهو خالق ذلك ، ومالكه وإلهه ، لا إله سواه ، ولا رب غيره .

وقوله : ﴿وما تحت الثرى﴾ ، قال محمد بن كعب(١٤) : ما تحت الأرض السابعة .

وقال الأوزاعي(١٥) : إن يحيىٰ بن أبي كثير حدثه : أن كعبًا سئل فقيل له : ما تحت هذه الأرض ؟ قال : الماء . قيل : وما تحت الماء ؟ قال : الأرض . قيل : وما تحت الأرض ؟ قال : الماء . قيل : وما تحت الماء ؟ قال : الأرض . قيل : وما تحت الأرض ؟ ! قال : الماء . قيل : وما تحت الماء ؟ قال : الأرض . قيل : وما تحت الأرض ؟ قال : الماء . قيل : وما تحت الماء ؟ قال : الأرض . قيل : وما تحت الأرض ؟ ! قال : صخرة . قيل : وما تحت

(١٤) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٣٩/١٦) ، وذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٥١٨/٤) ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(١٥) - ذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٥١٨/٤) بنحوه عن جابر بن عبد اللَّه مرفوعًا .

[١] - في ت : على .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - سقط من ز .

الصخرة ؟ قال : ملك . قيل : وما تحت الملك ؟ قال : حوت مُعَلّق طرفاه بالعرش . قيل : وما تحت الحوت ؟ قال : الهواء والظلمة ، وانقطع العلم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو عبيد الله بن أخي ابن وهب ، حدثنا عمي ، حدثني عبد الله ابن عياش[١] ، حدثنا عبد الله بن سليمان ، عن دراج ، عن عيسىٰ بن هلال الصدفي[٢] ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « إن الأرضين بين كل أرض والتي تليها مسيرة خمسمائة عام ، والعليا منها علىٰ ظهر حوت ، قد التقىٰ طرفاه في السماء ، والحوت علىٰ صخرة ، والصخرة بيد الملك ، والثانية سجن الريح ، والثالثة فيها حجارة جهنم ، والرابعة فيها كبريت جهنم ، والخامسة فيها حيات جهنم ، والسادسة فيها عقارب جهنم ، والسابعة فيها سقر ، وفيها إبليس مصفد بالحديد ، يد أمامه ويد خلفه ، فإذا أراد الله أن يطلقه لما يشاء أطلقه » . هذا حديث غريب جدًا ورفعه فيه نظر .

وقال الحافظ أبو يعلىٰ في مسنده (١٦) : حدثنا أبو موسىٰ الهروي ، عن العباس بن الفضل - قلت : ابن الفضل الأنصاري ؟ قال : نعم - [عن القاسم][٣] بن عبد الرحمن ، عن محمد بن عليّ ، عن جابر بن عبد الله قال : كنت مع رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، في غزوة تبوك ، فأقبلنا راجعين في حر شديد ، فنحن متفرقون بين واحد واثنين ، منتشرين ، قال : وكنت في أول العسكر ، إذ عارضنا رجل فسلم ، ثم قال : أيكم محمد ؟ ومضىٰ أصحابي ووقفت معه ، فإذا رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قد أقبل في وسط العسكر علىٰ جمل أحمر ، مُقَنَّع بثوبه علىٰ رأسه من الشمس ، فقلت : أيها السائل ، هذا رسول الله قد أتاك . فقال : أيهم هو ؟ فقلت : صاحب البَكْر الأحمر . فدنا منه ، فأخذ بخطام راحلته ، فكف عليه رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال : أنت محمد ؟ قال : « **نعم** » . قال : إني أريد أن أسألك عن خصال ، لا يعلمهن أحد من أهل الأرض إلا رجل أو رجلان . فقال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **سل عما شئت** » . فقال : يا محمد ، أينام النبي ؟ فقال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **تنام عيناه ولا ينام قلبه** » . قال : صدقت . ثم قال : يا محمد ، مِنْ أين يشبه الولد أباه [وأمه ؟][٤] قال : « **ماء الرجل أبيض غليظ ، وماء المرأة أصفر رقيق ، فأي الماءين غلب علىٰ الآخر نزع[٥] الولد** » . فقال : صدقت . فقال : ما للرجل من الولد ، وما للمرأة منه ؟ فقال : « **للرجل العظام والعروق والعصب ، وللمرأة اللحم والدم والشعر** » . قال : صدقت . ثم قال : يا

(١٦) - لم نجده في مسند أبي يعلى المطبوع ، فلعله في مسنده الكبير .

[١] - في ز : عباس .
[٢] - في ز : الصيرفي .
[٣] - في ز : « قال » .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - سقط من ز .

محمد ، ما تحت هذه ؟ - يعني : الأرض - فقال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **خلق** » . فقال : فما تحتهم ؟ قال : « **أرض** » . قال : فما تحت الأرض ؟ قال : « **الماء** » . قال : فما تحت الماء ؟ قال : « **ظلمة** » . قال : فما تحت الظلمة ؟ قال : « **الهواء** » . قال : فما تحت الهواء ؟ قال : « **الثرىٰ** » . قال : فما تحت الثرىٰ ؟ ففاضت[١] عينا رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، بالبكاء وقال : « **انقطع علم المخلوقين عند علم الخالق ، أيها السائل : ما المسئول عنها بأعلم من السائل** » . قال : فقال : صدقتَ ، أشهد أنك رسول الله . فقال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **أيها الناس ، هل تدرون من هذا ؟** » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « **هذا جبريل ، صلى الله عليه وسلم** » .

هذا حديث غريب جدًّا ، وسياق عجيب ، تفرد به القاسم بن عبد الرحمن هذا ، وقد قال فيه يحيىٰ بن معين : ليس يساوي شيئًا . وضعفه أبو[٢] حاتم الرازي ، وقال ابن عدي : لا يعرف .

قلت : وقد[٣] خلط في هذا الحديث ، ودخل عليه شيء في شيء ، وحديث في حديث ، وقد يحتمل[٤] أنه تعمد ذلك ، أو أدخل عليه فيه ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى** ﴾ أي : أنزل هذا القرآن الذي خلق الأرض والسماوات [العلىٰ ، الذي يعلم السر وأخفى ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض**][٥] **إنه كان غفورًا رحيمًا** ﴾ .

قال عليّ بن أبي طلحة(١٧) : عن[٦] ابن عباس : ﴿ **يعلم السر وأخفى** ﴾ قال : السر ما أسر ابن آدم في نفسه ﴿ **وأخفى** ﴾ ما أُخِفيَ علىٰ ابن آدم مما هو فاعله قبل أن يعلمه ، فالله يعلم ذلك كله ، فعِلْمُه[٧] فيما مضىٰ من ذلك وما بقي علم واحد ، وجميع الخلائق في ذلك عنده كنفس واحدة ، وهو قوله : ﴿ **ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة** ﴾ .

وقال الضحاك(١٨) : ﴿ **يعلم السر وأخفى** ﴾ قال : السر : ما تحدث به نفسك ،

(١٧) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٣٩/١٦) ، وذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٥١٨/٤) ، وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات .

(١٨) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » (١٤٠/١٦) وذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٥١٩/٤) وعزاه=

[١] - في ز : « فما جنت » . بدون إعجام .
[٢] - في ز : « ابن أبي » .
[٣] - في ز : « ممن » .
[٤] - في ز : « يحمل » .
[٥] - ما بين المعكوفين سقط من ز .
[٦] - في ت : « وعن » .
[٧] - في ز : « بعلمه » .

وأخفى : مالم تحدث به نفسك بعد .

وقال سعيد بن جبير(١٩) : أنت تعلم ما تسر اليوم ولا تعلم ما تسر غدًا ، والله يعلم ما تسر اليوم وما تسر غدًا .

وقال مجاهد(٢٠) : ﴿ وأخفى ﴾ يعني : الوسوسة .

وقال أيضًا هو وسعيد بن جبير(٢١) : ﴿وأخفى﴾ أي : ما هو عامله مما لم يحدث به نفسه .

وقوله : ﴿ **اللَّه لا إله إلا هو له الأسماء الحسنىٰ** ﴾ [أي : الذي أنزل عليك القرآن : هو اللَّه الذي لا إله إلا هو ذو الأسماء الحسنىٰ][١] والصفات العلىٰ .

وقد تقدم بيان الأحاديث الواردة في الأسماء الحسنىٰ في أواخر سورة الأعراف ، وللّه الحمد والمنة .

وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾

من هٰهنا شرع تبارك وتعالىٰ في ذكر قصة موسىٰ ، وكيف كان ابتداء الوحي إليه[٢] وتكليمه إياه ، وذلك بعد ما قضىٰ موسىٰ الأجل الذي كان بينه وبين صهره في رعاية الغنم ، وسار بأهله - قيل : قاصدًا بلاد مصر - بعد ما طالت الغيبة عنها أكثر من عشر سنين ، ومعه زوجته ، فأضل الطريق ، وكانت ليلة شاتية ، ونزل منزلًا بين شعاب وجبال ، في برد وشتاء ، وسحاب وظلام وضباب ، وجعل يقدح بزند معه ليوريَ نارًا ، كما جرت له العادة به ، فجعل لا يقدح شيئًا ، ولا يخرج منه شرر ولا شيء ، فبينا هو كذلك ، إذ آنس من

= إلى عبد بن حميد .

(١٩) - ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٥١٩/٤) عن سعيد بن جبير بنحوه ، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢٠) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » (١٣٩/١٦) ، و(١٤٠/١٦) . وذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٥١٩/٤) وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢١) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » (١٤٠/١٦) .

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز .

[٢] - في ز : « عليه » .

جانب الطور نارًا ، أي : ظهرت له نار من جانب الجبل الذي هناك عن يمينه ، فقال لأهله يبشرهم : ﴿ **إني آنست نارًا لعلي آتيكم منها بقبس** ﴾ أي : شهاب من نار ، وفي الآية الأخرىٰ : ﴿ **أو جذوة من النار** ﴾ وهي : الجمر الذي معه لهب ﴿ **لعلكم تصطلون** ﴾ دل على وجود البرد ، وقوله : ﴿ **بقبس** ﴾ دل على وجود الظلام .

وقوله : ﴿ **أو أجد علىٰ النار هدًى** ﴾ أي : من يهديني[١] الطريق ، دلّ علىٰ أنه [كان][٢] قد تاه عن الطريق ، كما قال الثوري عن أبي سعيد الأعور ، عن عكرمة ، عن ابن عباس(٢٢) في قوله : ﴿ **أو أجد علىٰ النار هدًى** ﴾ قال : من يهديني[٣] إلى الطريق ، وكانوا شاتين وضلوا الطريق ، فلما رأىٰ النار قال : إن لم أجد أحدًا يهديني[٤] آتِكم بنار توقدون بها .

فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾

يقول تعالى : ﴿ **فلما أتاها** ﴾ أي : النار واقترب منها ، ﴿ **نودي يا موسى** ﴾ . وفي الآية الأخرى ﴿ **نودي من شاطيء الوادى الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله** ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ **إني أنا ربك** ﴾ أي : الذي يكلمك ويخاطبك ﴿ **فاخلع نعليك** ﴾ قال علي بن أبي طالب(٢٣) وأبو ذر وأبو أيوب ، وغير واحد من السلف : كانتا من جلد حمار غير ذكي[٥] .

(٢٢) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » (١٤٣/١٦) .
(٢٣) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٤٤/١٦) ، وذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٥٢٢/٤) ، وعزاه إلى عبد الرزاق والفريابى وعبد بن حميد وابن أبي حاتم .

[١] - في ز : « يهدني » .
[٢] - سقط من ت .
[٣] - في ز : « يهدني » .
[٤] - في ز : « يهدني » .
[٥] - في ز : « مذكى » .

وقيل : إنما أمره بخلع نعليه تعظيمًا للبقعة .

قال سعيد بن جبير : كما يؤمر الرجل أن يخلع نعليه إذا أراد دخول[١] الكعبة .

وقيل : ليطأ الأرض المقدسة بقدميه حافيًا غير منتعل . وقيل غير ذلك ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ طوًى ﴾ ، قال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس (٢٤) : هو اسم للوادي .

وكذا قال غير واحد . فعلىٰ هذا يكون عطف بيان .

وقيل : عبارة عن الأمر بالوطء بقدميه . وقيل : لأنه قُدِّس مرتين ، وطوى له البركة وكررت . والأول أصح ، لقوله[٢] : ﴿ **إذ ناداه ربه بالواد المقدّس طوى** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وأنا اخترتك** ﴾ كقوله : ﴿ **إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي** ﴾ أي : على جميع الناس من الموجودين في زمانه .

وقيل : إن الله تعالىٰ قال : ياموسىٰ ، أتدري لم خصصتك بالتكليم من بين الناس ؟ [قال : لا . قال][٣] : لأني لم يتواضع لي أحد تواضعك .

وقوله : ﴿ **فاستمع لما يوحىٰ** ﴾ أي : اسمع الآن ما أقول لك وأوحيه إليك : ﴿ **إنني أنا الله لا إله إلا أنا** ﴾ هذا أول واجب علىٰ المكلفين ، أن يعلموا أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وقوله : ﴿ **فاعبدني** ﴾ أي : وحّدني وقم بعبادتي من غير شريك ﴿ **وأقم الصلاة لذكري** ﴾ ، قيل : معناه صل لتذكرني . وقيل : معناه : وأقم الصلاة عند ذكرك لي .

ويشهد لهذا الثاني ما قال الإمام أحمد (٢٥) : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا المثنىٰ بن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **إذا رقد أحدكم عن الصلاة ، أو غفل عنها ، فليصلها إذا ذكرها ، فإن الله تعالىٰ قال : ﴿ أقم[٤]**

(٢٤) - أخرجه الطبري في « تفسيره » : (١٤٦/١٦) ، وذكره السيوطي في « الدر المنثور » : (٥٢٣/٤) ، وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس .

(٢٥) - أخرجه أحمد (١٨٤/٣) ، والبخاري في كتاب مواقيت الصلاة ، باب : من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها ، ولا يعيد إلا تلك الصلاة ، حديث (٥٩٧) ، (٧٠/٢) . ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب : قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها ، حديث (٦٨٤) (٢٦٩/٥) .

[١] - في ت : « أن يدخل » .

[٢] - في ت : « كقوله » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من ز .

[٤] - في ت : « وأقم » .

الصلاة لذكري ﴾ » .

وفي الصحيحين(٢٦) عن أنس قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **من نام عن صلاة أو نسيها ، فكفارتها أن يصليها إذا ذكرها ، ولا كفارة لها إلا ذلك** » .

وقوله : ﴿ **إن الساعة آتية** ﴾ أي : قائمة لا محالة ، وكائنة لابد منها . وقوله : ﴿ **أكاد أخفيها** ﴾ قال الضحاك عن ابن عباس ، أنه كان يقرؤها « أكاد أخفيها من[١] نفسي » . يقول : لأنها لا تخفىٰ من[٢] نفس الله أبدًا .

وقال سعيد بن جبير : عن ابن عباس(٢٧) : من نفسه . وكذا قال مجاهد(٢٨) ، وأبو صالح(٢٩) ، ويحيىٰ بن رافع(٣٠) .

[وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ **أكاد أخفيها** ﴾ يقول : لا أطلع عليها أحدًا غيري][٣]

وقال السدي : ليس أحد من أهل السماوات والأرض إلا قد أخفى الله عنه علم الساعة ، وهي في قراءة ابن مسعود : (**إني أكاد أخفيها من نفسي**) يقول : كتمتها من الخلائق ، حتىٰ لو استطعت أن أكتمها من نفسي لفعلت .

وقال قتادة(٣١) : ﴿ **أكاد أخفيها** ﴾ ، وهي في بعض القراءة : (أخفيها من نفسي)

(٢٦) - أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة ، باب : من نسى صلاة فليصلِّ إذا ذكرها ، ولا يعيد إلا تلك الصلاة ، حديث (٥٩٧) ، (٧٠/٢) ، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب : قضاء الصلاة الفائتة من حديث أنس بلفظ : « **من نسى صلاة فليصلها إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك** » .

(٢٧) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٤٩/١٦) بنحوه عن ابن عباس . وذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٥٢٥/٤) وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن الأنبارى .

(٢٨) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٤٩/١٦) ، وذكره السيوطى في « الدرالمنثور » : (٥٢٥/٤) وعزاه إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢٩) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٤٩/١٦) ، و(١٥٠/١٦) . وذكره السيوطى في « الدر المنثور »: (٥٢٥/٤) وعزاه إلى عبد بن حميد وابن الأنباري .

(٣٠) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (٥٢٥/١٦) ، وذكره السيوطى « الدر المنثور » : (٥٢٥/٤) وعزاه إلى عبد بن حميد عن أبي صالح .

(٣١) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٤٩/١٦) ، وذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٥٢٥/٤) وعزاه إلى عبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم .

[١] - في ز : « في » . [٢] - في ز : « في » .

[٣] - ما بين المعكوفين سقط من ت .

ولعمري لقد أخفاها الله من الملائكة المقربين ، ومن الأنبياء والمرسلين .

قلت : وهذا كقوله : ﴿ **قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيبَ إلّا الله** ﴾ ، وقال : ﴿ **ثقلت في السماوت والأرض لا تأتيكم إلا بغتة** ﴾ أى : ثقل علمها على أهل السماوات والأرض .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا منجاب ، حدثنا أبو تُمَيلة ، حدثني محمد ابن سهل الأسدي ، عن وِقَاء[١] قال : أقرأنيها سعيد بن جبير ﴿ **أكاد أَخفِيها** ﴾ يعني : بنصب[٢] الألف ، وخفض الفاء ، يقول : أظهرها ، ثم قال[٣] : أما سمعت قول الشاعر :

دأب شَهْرَينِ ثم شهرًا دميكًا   بأَريكين[٤] يخفياني غميرا[٥]

وقال الأسدي : الغمير : نبت رطب ينبت في خلال يبس . والأريكين : موضع . والدميك : الشهر التام . وهذا الشعر لكعب بن زهير .

وقوله سبحانه وتعالىٰ : ﴿ **لتجزىٰ كل نفس بما تسعىٰ** ﴾ أي : أقيمها لا محالة ؛ لأجزي كل عامل بعمله ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره** ﴾ و ﴿ **إنما تجزون ما كنتم تعملون** ﴾ . وقوله : ﴿ **فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردىٰ** ﴾ ، المراد بهذا الخطاب آحاد المكلفين ، أي : لا تتبعوا من كذب بالساعة ، وأقبل علىٰ ملاذه في دنياه ، وعصىٰ مولاه ، واتبع هواه ، فمن وافقهم علىٰ ذلك فقد خاب وخسر ﴿ **فتردىٰ** ﴾ أي : [تهلك وتعطب][٦] ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **وما يغني عنه ماله إذا تردّىٰ** ﴾

وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا
عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا
هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾

هذا برهان من الله تعالى لموسىٰ ، عليه السلام ، ومعجزة عظيمة وخرق [للعادة باهر دالٌّ][٧] علىٰ أنه لايقدر علىٰ مثل هذا إلا الله - عزَّ وجلَّ - وأنه لا يأتي به إلا نبي مرسل .

---

[١] - في ز : « ورقاء » .
[٢] - في ز : « نصب » .
[٣] - سقط من ت .
[٤] - في ز : « بأرمكين » .
[٥] - في ز : « عميرا » .
[٦] - في ز : « هلك وعطب » .
[٧] - في ز : « للعادة باهرة دالة » .

فقوله : ﴿ **وما تلك بيمينك ياموسىٰ** ﴾ قال بعض المفسرين : إنما قال له ذلك علىٰ سبيل الإيناس له . وقيل : إنما قال له ذلك علىٰ وجه التقرير ، أي : أما هذه التي في يمينك - عصاك التي تعرفها - فسترىٰ ما نصنع بها الآن ، ﴿ **وما تلك بيمينك يا موسىٰ** ﴾ استفهام تقرير ﴿ **قال هي عصاي أتوكأ عليها** ﴾ أي : أعتمد عليها في حال المشي ﴿ **وأهش بها علىٰ غنمي** ﴾ أي : أهز بها الشجرة ليسقط ورقها ؛ لترعاه غنمي .

قال عبد الرحمن بن القاسم عن الإمام مالك : والهش : أن يضع الرجل المحجن في الغصن ، ثم يحركه حتىٰ يسقط ورقه وثمره ، ولا يكسر العود ، فهذا الهش ، ولا يَخْبط . وكذا قال ميمون بن مهران أيضًا .

وقوله : ﴿ **ولي فيها مآرب أخرىٰ** ﴾ أي : مصالح ومنافع وحاجات أخر غير ذلك .

وقد تكلّف بعضهم لذكر شيء من تلك المآرب التي أبهمت فقيل : كانت تضيء له بالليل ، وتحرس له الغنم إذا نام ، ويغرسها فتصير شجرة تظله ، وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة .

والظاهر : أنها لم تكن كذلك ، ولوكانت كذلك لما استنكر موسىٰ - عليه الصلاة والسلام - صيرورتها ثعبانًا ، فما كان يفر منها هاربًا ، ولكن كل ذلك من الأخبار الإسرائيلية ، وكذا قول بعضهم : إنها كانت لآدم - عليه الصلاة والسلام - . وقول الآخر : إنها هي الدابة التي تخرج قبل يوم القيامة . وروي عن ابن عباس أنه قال : كان اسمها ماشا . والله أعلم بالصواب .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ألقها ياموسىٰ** ﴾ أي : هذه العصا التي في يدك ياموسىٰ ألقها ﴿ **فألقاها فإذا هي حية تسعىٰ** ﴾ أي : صارت في الحال حية عظيمة ، ثعبانًا طويلًا ، يتحرك بحركة سريعة ، فإذا هي تهتز كأنها جان ، وهو أسرع الحيات حركة ، ولكنه صغير ، فهذه في غاية الكبر ، وفي غاية سرعة الحركة . ﴿ **تسعىٰ** ﴾ أي : تمشي وتضطرب .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن عبدة ، حدثنا حفص بن جُمَيع ، حدثنا سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ﴿ **فألقاها فإذا هي حية تسعىٰ** ﴾ ولم تكن قبل ذلك حية ، فمرت بشجرة فأكلتها ، ومرت بصخرة فابتلعتها ، فجعل موسىٰ يسمع وقع الصخرة في جوفها ، فولّىٰ مدبرًا ، فنودي أن : ياموسىٰ ؛ خذها ، فلم يأخذها ، ثم نودي الثانية أن خذها ولا تخف ، فقيل له في الثالثة : إنك من الآمنين ، فأخذها .

وقال وهب بن منبه في قوله : ﴿ **فألقاها فإذا هي حية تسعىٰ** ﴾ قال : فألقاها علىٰ وجه

الأرض ، ثم حانت منه نظرة ، فإذا أعظم ثعبان نظر إليه الناظرون ، فَدَبَّ يلتمس كأنه يبتغي شيئًا يريد أخذه ، يمر بالصخرة مثل الخَلِفَة[١] من الإبل فيلتقمها ، ويطعن بالناب من أنيابه في أصل الشجرة العظيمة فيجتثها ، عيناه توقدان نارًا ، وقد عاد المحجن منها عرفًا[٢] ، قيل : شعره مثل النيازك ، وعاد الشعبتان منها مثل القليب الواسع ، فيه أضراس وأنياب لها صريف[٣] ، فلما عاين ذلك موسىٰ ولىٰ مدبرًا ولم يعقب ، فذهب حتىٰ أمعن ورأىٰ أنه قد أعجز الحية ، ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه ، ثم نودي : ياموسىٰ أن ارجع حيث كنت ، فرجع موسىٰ وهو شديد الخوف . فقال : ﴿ **خذها** ﴾ بيمينك ﴿ **ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولىٰ** ﴾ وعلىٰ موسىٰ حينئذ مَدْرَعة من صوف ، فدخلها بخلال من عيدان ، فلما أمره بأخذها أدلىٰ طرف المدرعة علىٰ يده ، فقال له ملك : أرأيت[٤] يا موسىٰ ؛ لو أذن الله بما تحاذر أكانت المدرعة تغني عنك شيئًا ؟ قال : لا ، ولكني ضعيف ، ومن ضعف خاف[٥] . فكشف عن يده ثم وضعها علىٰ فم الحية ، حتىٰ سمع حس الأضراس والأنياب ، ثم قبض ، فإذا هي عصاه التي عهدها ، وإذا يده في موضعها الذي كان يضعها إذا توكأ بين الشعبتين . ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **سنعيدها سيرتها الأولىٰ** ﴾ أي : إلىٰ حالها التي تعرف قبل ذلك .

وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾

وهذا برهان ثان لموسىٰ - عليه السلام - وهو أن الله أمره أن يدخل يده في جيبه ، كما صرح به في الآية الأخرىٰ ، وهاهنا [عيَّن تلك][٦] بقوله : ﴿ **واضمم يدك إلىٰ جناحك** ﴾ . وقال في مكان آخر : ﴿ **واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان**

---

[١] - الخلفة : الحامل من النوق . النهاية [٢/٦٨] .

[٢] - المحجن : العصا المعوجة .

[٣] - الصريف : صوت ناب البعير . النهاية [٣/٢٥] .

[٤] - في ز : « أورأيت » . [٥] - في ت : « خلقت » .

[٦] - في ت : « عبر عن ذلك » .

من ربك إلىٰ فرعون وملئه ﴾ .

وقال مجاهد(٣٢) : ﴿ **واضمم يدك إلىٰ جناحك** ﴾ كفه تحت عضده ؛ وذلك أن موسىٰ عليه السلام كان إذا أدخل يده في جيبه ثم أخرجها ، تخرج تتلألأ كأنها فلقة قمر .

وقوله : ﴿ **تخرج بيضاء من غير سوء** ﴾ أي : من غير برص ولا أذى ، ومن غير شين ، قاله ابن عباس(٣٣) ومجاهد(٣٤) ، وعكرمة(٣٥) وقتادة(٣٦) ، والضحاك(٣٧) والسدي(٣٨) وغيرهم .

وقال الحسن البصري : أخرجها - واللّٰه - كأنها مصباح ، فعلم موسىٰ أنه قد لقي ربه عز وجل ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **لنريك من آياتنا الكبرىٰ** ﴾ .

وقال وهب : قال له ربه : ادنه . فلم يزل يدنيه حتىٰ شد ظهره بجذع الشجرة ، فاستقر وذهبت عنه الرعدة ، وجمع يده في العصا ، وخضع برأسه وعنقه .

وقوله : ﴿ **اذهب إلىٰ فرعون إنه طغىٰ** ﴾ أي : اذهب إلىٰ فرعون ملك مصر ، الذي خرجت فارًّا منه وهاربًا ، فادعه إلىٰ عبادة اللّٰه وحده لا شريك له ، ومره فليُحْسِن إلىٰ بني إسرائيل ولا يعذبهم ، فإنه قد طغىٰ وبغىٰ ، وآثر الحياة الدنيا ، ونسي الرب الأعلىٰ .

قال وهب بن منبه : قال اللّٰه لموسىٰ : انطلق برسالتي فإنك بعيني وسمعي ، وإني معك - أيدي[١] ونصري - وإني قد ألبستك جُنَّةً من سلطاني ، لتستكمل بها القوة في أمري ، فأنت جند عظيم من جندي ، بعثتك إلىٰ خلق ضعيف من خلقي ، بَطر نعمتي ، وأَمِن مكري ، وغرته الدنيا عني ، حتىٰ جحد حقي ، وأنكر ربوبيتي ، وزعم أنه لا يعرفني ، فإني

(٣٢) - أخرجه الطبري في « تفسيره » : (١٥٧/١٦) ، وذكره السيوطي في « الدر المنثور » : (٥٢٧/٤) ، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣٣) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٥٨/١٦) ، وذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٥٢٧/٤) ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وعبد بن حميد .

(٣٤) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٥٨/١٦) ، وذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٥٢٧/٤) وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣٥) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٥٨/١٦) .

(٣٦) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٥٨/١٦) .

(٣٧) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٥٨/١٦) .

(٣٨) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٥٨/١٦) ، وذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٥٢٧/٤) وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

[١] - الأيد : القوة . النهاية [٨٤/١] .

أقسم بعزتي لولا القدر[١] الذي وضعت بيني وبين خلقي ، لبطشت به بطشة جبار ، يغضب لغضبه السماوات والأرض ، والجبال والبحار ، فإن أمرت السماء حصبته ، وإن أمرت الأرض ابتلعته ، وإن أمرت الجبال دمرته ، وإن أمرت البحار غرقته ، ولكنه هان عليّ وسقط من عيني ، ووسعه حلمي ، واستغنيت بما عندي ، وحقي إني أنا الغنيّ لا غنيّ غيري ، فبلغه رسالتي ، وادعه إلىٰ عبادتي وتوحيدي وإخلاصي ، وذكره أيامي[٢] ، وحذره نقمتي وبأسي ، وأخبره أنه لا يقوم شيء لغضبي ، وقل له فيما بين ذلك قولًا لينًا ؛ لعله يتذكر أو يخشىٰ ، وخبره[٣] أني إلىٰ العفو والمغفرة أسرع مني إلىٰ الغضب والعقوبة ، ولا يَرُوعَنَّكَ[٤] ما ألبسته من لباس الدنيا ، فإن ناصيته بيدي ، ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس إلا بإذني ، وقل له : أجب ربك فإنه واسع المغفرة ، وقد أمهلك أربعمائة سنة ، في كلها أنت مبارزه بالمحاربة تسبه وتتمثل به ، وتصد عباده عن سبيله ، وهو يمطر عليك السماء ، وينبت لك الأرض ، لم تسقم ولم تَهرم ولم تفتقر ، ولو شاء اللَّه أن يعجل لك العقوبة لفعل ، ولكنه ذو أناة وحلم عظيم ، وجاهده بنفسك وأخيك ، وأنتما تحتسبان بجهاده[٥] ، فإني لو شئت أن آتيه بجنود لا قبل له بها لفعلت ، ولكن ليعلم هذا العبد الضعيف الذي قد أعجبته نفسُه وجموعه أن الفئة القليلة - ولا قليل مني - تغلب الفئة الكثيرة بإذني ، ولا تعجبنكما زينته ، ولا ما متع به ، ولا تمدّا إلىٰ ذلك أعينكما ، فإنها زهرة الحياة الدنيا ، وزينة المترفين ، ولو شئت أن أزينكما من الدنيا بزينة - ليعلم فرعون حين ينظر إليها أن مقدرته تعجز عن مثل ما أوتيتما - فعلت ، ولكن أرغب بكما عن ذلك ، وأزويه عنكما وكذلك أفعل بأوليائي ، وقديمًا ما جرَتْ [عادتي][٦] في ذلك فإني[٧] لأذودهم عن نعيمها ورخائها كما يذود الراعي الشفيق إبِلَه عن مبارِك المعرة وماذاك لهوانهم عليّ ، ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالمًا موفرًا[٨] لم تَكلمْه الدنيا . واعلم أنه لم يتزين لي العباد بزينة هي أبلغ مما عندي من الزهد في الدنيا ، فإنها زينة المتقين ، عليهم منها لباس يُعْرفون به من السكينة والخشوع ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود ، أولئك أوليائي حقًّا حقًّا ، فإذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك ، وذلل قلبك ولسانك ، واعلم أنه من أهان لي وليًا أو أخافه فقد بارزني بالمحاربة ، وبادأني وعرض لي نفسه ودعاني إليها ، وأنا أسرع شيء إلىٰ نصرة أوليائي ، أفيظن الذي يحاربني أن يقوم لي ، أم يظن الذي يعاديني أن يعجزني ، أم يظن الذي يبارزني أن يسبقني أو يفوتني ، وكيف وأنا الثائر لهم في الدنيا والآخره لا أكل مضطرهم إلى غيري . رواه ابن أبي حاتم .

﴿ قال رب اشرح لي صدري * ويسر لي أمري ﴾ هذا سؤال من موسىٰ - عليه

---

[١] - في ز : « المقدر » .
[٢] - في ز : « إياي » .
[٣] - في ز : « خبره » .
[٤] - في ز : « يردعنك » .
[٥] - في ز : « مجاهدة » .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - في ز : « بأني » .
[٨] - في ز : « موفرًا » .

السلام - لربه ، عزَّ وجلَّ ، أن يشرح له صدره فيما بعثه به ، فإنه قد أمره بأمر عظيم ، وخطب جسيم : بعثه إلىٰ أعظم ملك علىٰ وجه الأرض إذ ذاك وأجبرهم ، وأشدهم كفرًا ، وأكثرهم جنودًا ، وأعمرهم ملكا ، وأطغاهم وأبلغهم تمردًا ، بلغ من أمره أن ادَّعىٰ أنه لا يعرف الله ، ولا يعلم لرعاياه إلهًا غيره .

هذا وقد مكث موسىٰ في داره مدة وليدًا عندهم ، في حجر فرعون علىٰ فراشه ، ثم قتل منهم نفسًا فخافهم أن يقتلوه ، فهرب منهم هذه المدة بكمالها ، ثم بعد هذا بعثه ربه - عزَّ وجلَّ - إليهم[١] نذيرًا يدعوهم إلىٰ الله - عز وجل - أن يعبدوه وحده لا شريك له ، ولهذا قال : ﴿ **رب اشرح لي صدري * ويسر لي أمري** ﴾ أي : إن لم تكن أنت [عزي ونصري][٢] ، وعضدي وظهيري ، وإلا فلا طاقة لي بذلك .

﴿ **واحلل عقدة من لساني * يفقهوا قولي** ﴾ وذلك لما كان أصابه من اللثغ ، حين عرض عليه التمرة والجمرة ، فأخذ الجمرة فوضعها علىٰ لسانه ، كما سيأتي بيانه ، وماسأل أن يزول ذلك بالكلية ، بل بحيث يزول العي ، ويحصل لهم فهم مايريد منه وهو قدر الحاجة ، ولو سأل الجميع لزال ، ولكن الأنبياء لا يسألون إلا[٣] بحسب الحاجة ، ولهذا بقيت بقية ، قال الله تعالىٰ إخبارًا عن فرعون أنه قال : ﴿ **أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين** ﴾ أي : يفصح بالكلام . وقال الحسن البصري : ﴿ **واحلل عقدة من لساني** ﴾ قال : حل عقدة واحدة ، ولو سأل أكثر من ذلك أعطي .

وقال ابن عباس : شكا موسىٰ إلىٰ ربه مايتخوف من آل فرعون في القتيل ، وعقدة لسانه ، فإنه كان في لسانه عقدة تمنعه من كثير من الكلام ، وسأل ربه أن يعينه بأخيه هارون يكون له ردءًا ، ويتكلم عنه بكثير مما لا يفصح[٤] به لسانه ، فآتاه سؤله ، فحل عقدة من لسانه .

وقال ابن أبي حاتم : ذُكِرَ عن عمرو بن عثمان ، حدثنا بقية ، عن أرطاة بن المنذر ، حدثني بعض أصحاب محمد بن كعب عنه قال : أتاه ذو قرابة له ، فقال له : ما بك بأس ، لولا أنك تلحن في كلامك ، ولست تُعرب في قراءتك . فقال القرظي : يا بن أخي ، ألست أفهمك إذا حدثتك ؟ قال : نعم . قال : فإن موسىٰ - عليه السلام - إنما سأل ربه أن يحل[٥] عقدة من لسانه كي يفقه[٦] بنو إسرائيل كلامه ، ولم يزد عليها . هذا لفظه .

---

[١] - سقط من ت .

[٢] - في ت : « عوني ونصيري » .

[٣] - سقط من ز .

[٤] - في ز : « يفضي » .

[٥] - في ز : « يحلل » .

[٦] - في ز : « يفقهوا » .

وقوله ﴿ واجعل لي وزيرًا من أهلي * هارون أخي ﴾ وهذا أيضًا سؤال من موسىٰ - عليه السلام - في أمر خارجي عنه ، وهو مساعدة أخيه هارون له .

قال الثوري عن أبي سعيد عن عكرمة عن ابن عباس : أنه قال : فنبيء هارون [ساعة إذ نبيء][١] موسى ، عليه السلام .

وقال ابن أبي حاتم : ذكر عن ابن نمير ، حدثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة[٢] ، عن أبيه ، عن عائشة : أنها خرجت فيما كانت تعتمر ، فنزلت ببعض الأعراب ، فسمعت رجلًا يقول : أي أخ كان في الدنيا أنفع لأخيه ؟ قالوا : ما ندري . قال : والله أنا أدري . قالت : فقلت في نفسي : في حَلِفِه لا يستثني ، إنه ليعلم أي أخ في الدنيا كان أنفع لأخيه . قال : موسىٰ حين سأل لأخيه النبوة . فقلت : صدق والله . قلت : وفي هذا قال الله تعالىٰ في الثناء علىٰ موسىٰ - عليه السلام - : ﴿ وكان عند الله وجيهًا ﴾ .

وقوله : ﴿ اشدد به أزري ﴾ قال مجاهد : ظهري . ﴿ وأشركه في أمري ﴾ أي : في مشاورتي ، ﴿ كي نسبحك كثيرًا * ونذكرك كثيرًا ﴾ قال مجاهد : لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرًا حتىٰ يذكر الله قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا .

وقوله : ﴿ إنك كنت بنا بصيرًا ﴾ أي : في اصطفائك لنا ، وإعطائك إيانا النبوة ، وبعثتك لنا إلىٰ عدوك فرعون ، فلك الحمد علىٰ ذلك .

قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ

هذه إجابة من الله لرسوله موسىٰ - عليه السلام - فيما سأل من ربه - عز وجل - وتذكير له بنعمه السالفة عليه ، فيما كان ألهمَ أمه حين كانت ترضعه ، وتحذر عليه من فرعون وملئه أن يقتلوه ؛ لأنه كان قد ولد في السنة التي يقتلون فيها الغلمان ، فاتخذت له تابوتًا ، فكانت ترضعه ثم تضعه فيه ، وترسله في البحر - وهو النيل - وتمسكه إلىٰ منزلها

[١] - في ت : « ساعتئذ » .
[٢] - ف ز : « عون » .

بحبل ، فذهبت مرة لتربطه ، فانفلت منها وذهب به البحر ، فحصل لها من الغم والهم ما ذكره اللَّه عنها في قوله : ﴿ **وأصبح فؤاد أم موسىٰ فارغًا إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا علىٰ قلبها** ﴾ فذهب به البحر إلى دار فرعون ﴿ **فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوًّا وحزنا** ﴾ أي قدرًا مقدورًا من اللَّه ، حيث كانوا هم[١] يقتلون الغلمان من بني إسرائيل ، حذرًا من وجود موسىٰ ، فحكم اللَّه - وله السلطان العظيم والقدرة التامة - أن لا[٢] يربَّىٰ إلا علىٰ فراش فرعون ، ويغذىٰ بطعامه وشرابه ، مع محبته وزوجته له ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **يأخذه عدو لي وعدو له وألقيت عليك محبة مني** ﴾ [أي : عند عدوك ، جعلته يحبك .

قال سلمة بن كهيل(٣٩) : ﴿ **وألقيت عليك محبة مني** ﴾ قال][٣] : حببتك إلى عبادي .

﴿ **ولتصنع علىٰ عيني** ﴾ قال أبو عمران الجوني : تربى بعين اللَّه .

وقال قتادة : تغذىٰ على عيني .

وقال معمر بن المثنىٰ : ﴿ **ولتصنع على عيني** ﴾ حيث[٤] أرى .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : يعني أجعله في بيت الملك ، ينعم ويترف ، غذاؤه عندهم غذاء الملك ، فتلك الصنعة .

وقوله : ﴿ **إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم علىٰ من يكفله فرجعناك إلىٰ أمك كي تقرّ عينها** ﴾ وذلك أنه لما استقر عند آل فرعون ، عرضوا عليه المراضع فأباها ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **وحرّمنا عليه المراضع من قبل** ﴾ فجاءت أخته وقالت : ﴿ **هل أدلكم علىٰ أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون** ﴾ تعني : هل أدلكم علىٰ من ترضعه لكم بالأجرة ؟ فذهبت به وهم معها إلىٰ أمه ، فعرضت عليه ثديها فقبله ، ففرحوا بذلك فرحًا شديدًا ، واستأجروها علىٰ إرضاعه ، فنالها بسببه سعادة ورفعة وراحة في الدنيا ، وفي الآخرة أغنم وأجزل ، ولهذا جاء في الحديث : « **مثل الصانع الذي يحتسب في صنعته الخير[٥] كمثل أم موسىٰ ترضع**

(٣٩) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٦/١٦١ - ١٦٢) ، وذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٤/ ٥٢٩) وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

[١] - سقط من ز .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - ما بين المعكوفين سقط من ز .
[٤] - في ز : « بحيث » .
[٥] - سقط من ز .

ولدها وتأخذ أجرها» . وقال تعالى هاهنا ﴿ **فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن** ﴾ أي : عليك . ﴿ **وقتلت نفسًا** ﴾ يعني : القبطي ﴿ **فنجيناك من الغم** ﴾ وهو ما حصل له بسبب عزم آل فرعون [علىٰ قتله][١] ، ففر منهم هاربًا حتىٰ ورد ماء مدين ، وقال له ذلك الرجل الصالح : ﴿ **لا تخف نجوت من القوم الظالمين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وفتناك فتونًا** ﴾ قال الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي رحمه الله في كتاب التفسير من سننه(٤٠) : قوله : ﴿ **وفتناك فتونًا** ﴾ :

حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا أصبغ بن زيد ، حدثنا القاسم ابن أبي أيوب ، أخبرني سعيد بن جبير قال : سألت عبد الله بن عباس عن قول الله - عز وجل - لموسىٰ - عليه السلام - : ﴿ **وفتناك فتونًا** ﴾ ، فسألته عن الفتون : ما هو ؟ فقال : استأنف النهار يا ابن جبير ، فإن لها حديثًا طويلًا . فلما أصبحت غدوت إلىٰ ابن عباس ؛ لأنتجز منه ما وعدني من حديث الفتون ، فقال : تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعد إبراهيم - عليه السلام - أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكًا . فقال بعضهم : إن بني إسرائيل ينتظرون ذلك ما يشكون فيه ، وكانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب ، فلما هلك قالوا : ليس هكذا كان وعد إبراهيم . فقال فرعون : فكيف ترون ؟ فأمروا وأجمعوا أمرهم علىٰ أن يبعث رجالًا معهم الشفار ، يطوفون في بني إسرائيل ، فلا يجدون مولودًا ذكرًا إلا ذبحوه .

ففعلوا ذلك ، فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بآجالهم ، والصغار يذبحون ، قالوا : يوشك أن تفنوا بني إسرائيل ، فتصيروا أن تباشروا من الأعمال والخدمة التي كانوا يكفونكم ، فاقتلوا عامًا كل مولود ذكر ، فيقل أبناؤهم ، ودعوا عامًا فلا تقتلوا منهم أحدًا ، فيشب الصغار مكان من يموت من الكبار ، فإنهم لن[٢] يكثروا بمن تستحيون منهم فتخافوا مكاثرتهم إياكم ، ولن يفنوا بمن تقتلون وتحتاجون إليهم . فأجمعوا أمرهم علىٰ ذلك .

فحملت أم موسىٰ بهارون في العام الذي لا يذبح فيه الغلمان ، فولدته علانية آمنة ، فلما كان من قابل حملت بموسىٰ - عليه السلام - فوقع في قلبها الهم والحزن - وذلك من الفتون يا بن جبير - ما دخل عليه في بطن أمه مما يراد به ، فأوحىٰ الله إليها : ﴿ **أن لا تخافي ولا تحزني إنا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين** ﴾ فأمرها إذا ولدت أن تجعله في

(٤٠) - رجاله ثقات ، أخرجه النسائي كتاب التفسير من الكبرى ، باب : قوله عز وجل : ﴿**وفتناك فتونا** ﴾، حديث (١٣٢٦) ، (٦/٣٩٦ : ٤٠٦) . وأخرجه أبو يعلى (٥/ح٢٦١٨) . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٦٥ - ٦٦) وقال : رواه أبويعلى ورجاله رجال الصحيح ، غير أصبغ بن زيد والقاسم بن أيوب وهما ثقتان .

[١] - في ز : « بقتله » . [٢] - في ز : « لم » .

تابوت ، ثم تلقيه في اليم ، فلما ولدت فعلت ذلك ، فلما توارىٰ عنها ابنها أتاها الشيطان ، فقالت في نفسها : ما فعلت بابني ؟! لو ذبح عندي فواريته وكفنته ، كان أحب إليَّ من أن ألقيه إلىٰ دواب البحر وحيتانه .

فانتهى الماء به حتى أوفى به عند فرضة[١] مستقىٰ جواري امرأة فرعون ، فلما رأينه أخذنه ، فهممن أن يفتحن التابوت ، فقال بعضهم[٢] : إن في هذا مالًا ، وإنا إن فتحناه لم تصدقنا امرأة الملك بما وجدنا فيه ، فحملْنه كهيئته لم يخرجْن منه شيئًا حتىٰ رفعنه إليها ، فلما فتحته رأت فيه غلامًا ، فألقي عليه منها محبة لم يُلْق[٣] منها علىٰ أحد[٤] قط ، وأصبح فؤاد أم موسىٰ فارغًا من ذكر كل شيء ، إلا من ذكر موسىٰ .

فلما سمع الذباحون بأمره ، أقبلوا بشفارهم إلىٰ امرأة فرعون ليذبحوه - وذلك من الفتون يا بن جبير - فقالت لهم : أقروه ، فإن هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل ، حتىٰ آتي فرعون فأستوهبه منه ، فإن وهبه لي[٥] كنتم قد أحسنتم وأجملتم ، وإن أمر بذبحه لم أَلُمْكم . فأتت فرعون فقالت : ﴿ قرة عين لي ولك ﴾ فقال فرعون : يكون لكِ ، فأما لي فلا حاجة لي فيه[٦] . فقال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **والذي يُحْلَف به ، لو أقر فرعون أن يكون قرة عين له ، كما أقرت امرأته ، لهداه الله كما هداها ، ولكن حرمه ذلك** » .

فأرسلت إلى من حولها ، إلى كل امرأة لها [لبن لتختار][٧] [له ظئرًا][٨] فجعل كلما أخذته امرأة منهن لترضعه لم يُقْبِل علىٰ ثديها ، حتىٰ أشفقت امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت ، فأحزنها ذلك ، فأمرت به فأخرج إلىٰ السوق ومجمع الناس ، ترجو أن تجد له ظئرًا تأخذه منها ، فلم يقبل ، وأصبحت أم موسىٰ وَالِهًا ، فقالت لأخته : قصيه أثره واطلبيه ، هل تسمعين له ذكرًا ، أحيٌّ ابني أم قد أكلته الدواب ؟ ونسيت ما كان الله وعدها فيه ، فبصرت به أخته عن جنب وهم لا يشعرون - والجُنُب : أن يسمو بصر الإنسان إلىٰ شيء بعيد ، وهو إلىٰ جنبه [وهو][٩] لا يشعر به - فقالت من الفرح حين أعياهم الظُّئورات : أنا أدلكم علىٰ أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون . فأخذوها فقالوا : ما يدريك ؟ ما نصحهم له[١٠] ؟ هل يعرفونه ؟ حتىٰ شكوا في ذلك - وذلك من الفتون يا ابن جبير - فقالت : نصحهم له وشفقتهم عليه[١١] رغبتهم في صهر[١٢] الملك ، ورجاء منفعة الملك .

---

[١] - فرضة النهر : مشرعته .
[٢] - في ت : « بعضهن » .
[٣] - في ز : « يكن » .
[٤] - في ز : « لأحد » .
[٥] - في ز : « منى » .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - في ز : « لأن تختار » .
[٨] - في ز : « لها ظئر » .
[٩] - سقط من ز .
[١٠] - سقط من ز .
[١١] - سقط من ز .
[١٢] - في ز : « ظئورة » .

فأرسلوها فانطلقت إلىٰ أمها ، فأخبرتها الخبر ، فجاءت أمه ، فلما وضعته في حجرها نزا إلىٰ ثديها فمصه ، حتىٰ امتلأ جنباه ريًّا ، وانطلق البشراء[١] إلىٰ امرأة فرعون يبشرونها أن قد وجدنا لابنك ظئرًا ، فأرسلت إليها ، فأتت بها وبه ، فلما رأت ما يصنع بها قالت : امكثي ترضعي ابني هذا ، فإني لم أحب شيئًا حبه قط .

قالت أم موسىٰ : لا أستطيع أن أدع بيتي وولدي فيضيع ، فإن طابت نفسك أن تعطينيه فأذهب به إلىٰ بيتي ، فيكون معي لا[٢] آلوه خيرًا فعلت فإني غير تاركة بيتي وولدي . وذكرت أم موسىٰ ما كان الله وعدها فيه ، فتعاسرت علىٰ امرأة فرعون ، وأيقنت أن الله منجز وعده ، فرجعت به إلىٰ بيتها من يومها ، وأنبته الله نباتًا حسنًا ، وحفظه لِما قد قضىٰ فيه .

فلم يزل بنو إسرائيل ، وهم في ناحية القرية ، ممتنعين من السخرة والظلم ما كان فيهم ، فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لأم موسىٰ : أزيريني[٣] ابني ؟ فوعدتها يومًا تريها إياه فيه ، وقالت امرأة فرعون لخزانها [وظُؤُرها وقهارمتها][٤] : لا يبقين أحد منكم إلا استقبل ابني اليوم بهدية وكرامة لأرىٰ ذلك فيه[٥] ، وأنا باعثة أمينًا يحصي كل[٦] ما يصنع كل إنسان منكم ، فلم تزل الهدايا والنّحل والكرامة تستقبله من حين خرج من بيت أمه إلىٰ[٧] أن دخل علىٰ امرأة فرعون ، فلما دخل عليها نحلته وأكرمته ، وفرحت به ، ونحلت أمه لحسن أثرها عليه ، ثم قالت : لآتين به فرعون فَلَيَنْحَلَنَّه وليكرمنه . فلما دخلت به عليه جعله في حِجْره ، فتناول موسىٰ لحية فرعون يمدها إلىٰ الأرض ، فقال الغواة من أعداء الله لفرعون : ألا ترىٰ ما وَعَدَ الله إبراهيم نبيه ، إنه زعم أن يرثك ويعلوك ويصرعك ، فأرسل إلىٰ الذباحين ليذبحوه - وذلك من الفتون يا ابن جبير بعد كل بلاء ابتلي به وأريد به - .

فجاءت امرأة فرعون فقالت : ما بدا لك في هذا الغلام الذي وهبته لي ؟ [فقال : ألا][٨] ترينه يزعم أنه يصرعني ويعلوني فقالت : اجعل بيني وبينك أمرًا يعرف فيه الحق ، ائت بجمرتين ولؤلؤتين ، فقرِّبْهُن إليه ، فإن بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين فاعرف أنه يعقل ، وإن تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين ، علمتَ أن [أحدًا لا يؤثر][٩] الجمرتين علىٰ اللؤلؤتين وهو يعقل . فقرب إليه فتناول الجمرتين ، فانتزعهما منه مخافة أن يحرقا يده ، فقالت المرأة :

---

[١] - في ز : « البشير » .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ز ، خ ، ت : « أتريني » . والمثبت من تفسير النسائي .
[٤] - في ز : « وطروريتها » .
[٥] - سقط من ت .
[٦] - سقط من ت .
[٧] - في ز : « على » .
[٨] - في ز : « لا » .
[٩] - في ز : « أحد لا يريد » .

ألا ترىٰ ؟ فصرفه اللَّه عنه بعدما كان قد همّ به ، وكان اللَّه بالغًا فيه أمره .

فلما بلغ أشده - وكان من الرجال - لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلىٰ أحد من بني إسرائيل معه بظلم ولا سخرة ، حتىٰ امتنعوا كل الامتناع ، فبينما موسىٰ - عليه السلام - يمشي في ناحية المدينة ، إذا هو برجلين يقتتلان ، أحدهما فرعوني والآخر إسرائيلي ، فاستغاثه الإسرائيلي علىٰ الفرعوني ، فغضب موسىٰ غضبًا شديدًا ؛ لأنه [تناوله][١] وهو يعلم منزلته من بني إسرائيل وحفظه لهم ، لا يعلم الناس إلا أنما ذلك من الرضاع ، إلا أم موسىٰ ، إلا أن يكون اللَّه أطلع موسىٰ من ذلك علىٰ مالم يطلع عليه غيره ، فوكز موسىٰ الفرعوني فقتله ، وليس يراهما أحد إلا اللَّه - عزَّ وجلَّ - والإسرائيلي ، فقال موسىٰ حين قتل الرجل : ﴿ **هذا من عمل الشيطان إنه عدوّ مضل مبين** ﴾ ثم قال : ﴿ **رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم** ﴾ فأصبح في المدينة خائفًا يترقب الأخبار ، فأتي فرعون ، فقيل له : إن بني إسرائيل قتلوا رجلًا من آل فرعون فخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم . فقال : ابغوني قاتله ومن يشهد عليه ، فإن الملك وإن كان صغوه[٢] مع قومه لا يستقيم له أن يقيد بغير بينه ولا ثبت ، فاطلبوا لي[٣] علم ذلك آخذ لكم بحقكم ، فبينما هم يطوفون ولا يجدون ثبتًا ، إذا موسىٰ[٤] من الغد قد رأىٰ ذلك الإسرائيلي يقاتل رجلًا من آل فرعون آخر ، فاستغاثه الإسرائيلي علىٰ الفرعوني ، فصادف موسىٰ قد ندم علىٰ ما كان منه ، وكره الذي رأىٰ ، فغضب الإسرائيلي وهو يريد أن يبطش بالفرعوني ، فقال للإسرائيلي لما فعل بالأمس واليوم : ﴿ **إنك لغوي مبين** ﴾ فنظر الإسرائيلي إلىٰ موسىٰ بعد ما قال له ما قال ، فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس الذي قتل فيه الفرعوني ، فخاف أن يكون بعد ما قال له : ﴿ **إنك لغوي مبين** ﴾ أن يكون إياه أراد ، ولم يكن أراده ، إنما أراد الفرعوني ، فخاف الإسرائيلي وقال : ﴿ **يا موسىٰ أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسًا بالأمس** ﴾ وإنما [قال له][٥] مخافة أن يكون إياه أراد موسىٰ ليقتله ، فتتاركا[٦] ، وانطلق الفرعوني فأخبرهم بما سمع من الإسرائيلي من الخبر حين يقول : ﴿ **أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسًا بالأمس** ﴾ فأرسل فرعون الذباحين ليقتلوا موسىٰ ، فأخذ رسل فرعون في الطريق الأعظم يمشون علىٰ هينَتِهم يطلبون موسىٰ ، وهم لا يخافون أن يفوتهم ، فجاء رجل من شيعة موسىٰ من أقصىٰ المدينة ، فاختصر طريقًا حتىٰ سبقهم إلىٰ موسىٰ ، فأخبره ، وذلك من الفتون يا بن جبير .

فخرج موسىٰ متوجهًا نحو مدين ، لم يلق بلاء قبل ذلك ، وليس له بالطريق علم إلا

---

[١] - في ز : « لم يتناوله » .
[٢] - أي : ميله .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ت : « بموسى » .
[٥] - في ت : « قاله » .
[٦] - في ز : « فسار » .

حسن ظنه بربه - عزَّ وجلَّ - فإنه قال : ﴿ **عسىٰ ربي أن يهديني سواء السبيل * ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان** ﴾ يعني بذلك : حابستين غَنَمهما ، فقال لهما : ما خطبكما معتزلتين لا تسقيان مع الناس ؟ قالتا : ليس لنا قوة نزاحم[١] القوم ، وإنما ننتظر فضول حياضهم .

فسقىٰ لهما ، فجعل يغترف في الدلو ماء كثيرًا ، حتىٰ كان أول الرعاء ، فانصرفتا[٢] بغنمهما إلىٰ أبيهما ، وانصرف موسىٰ - عليه السلام - ، فاستظل بشجرة ، وقال : ﴿ **رب إني لما أنزلت إليّ من خير فقير** ﴾ واستنكر أبوهما سرعة صدورهما[٣] بغنمهما حُفَّلًا بطانًا ، فقال : إن لكما اليوم لشأنًا . فأخبرتاه بما صنع موسىٰ ، فأمر إحداهما أن تدعوه[٤] ، فأتت موسىٰ فدعته ، فلما كلمه قال : ﴿ **لا تخف نجوت من القوم الظالمين** ﴾ ليس لفرعون ولا لقومه علينا سلطان ، ولسنا في مملكته .

فقالت إحداهما : ﴿ **يا أبت ، استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين** ﴾ فاحتملته الغيرة[٥] علىٰ أن قال لها : ما يدريك ما قوته وما أمانته ؟ قالت : أما قوته فما رأيت منه في الدلو حين[٦] سقىٰ لنا ، لم أر رجلًا قط أقوىٰ في ذلك السقي منه ، وأما الأمانة فإنه نظر إلي حين أقبلت إليه ، وشخصت له فلما[٧] علم أني امرأة ؛ صوب رأسه ، فلم يرفعه حتىٰ بلغته رسالتك[٨] ، ثم قال لي : امشي خلفي ، وانعتي لي الطريق . فلم يفعل هذا إلا وهو أمين . فسُرِّي عن أبيها وصدقها ، وظن به الذي قالت .

فقال له : هل لك ﴿ **أن أنكحك إحدىٰ ابنتي هاتين علىٰ أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشرًا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين** ﴾ ، ففعل ، فكانت علىٰ نبي الله موسىٰ ثمان سنين واجبة ، وكانت سنتان عدة منه ، فقضىٰ الله عنه عدته فأتمها عشرًا .

قال سعيد - وهو ابن جبير - : فلقيني رجل من أهل النصرانية من علمائهم قال : هل تدري أيَّ الأجلين قضىٰ موسىٰ ؟ قلت : لا . وأنا يومئذ لا أدري ، فلقيت ابن عباس فذكرت ذلك له ، فقال : أما علمت أن ثمانيًا كانت علىٰ نبي الله واجبة ، لم يكن لنبي الله أن ينقص منها شيئًا ، ويعلم أن الله كان قاضيًا عن موسىٰ عدته التي وعده ، فإنه قضىٰ عشر سنين . فلقيت النصراني فأخبرته ذلك ، فقال : الذي سألته فأخبرك أعلم منك بذلك .

---

[١] - في ز : « تزاحم » .
[٢] - في ز : « وانصرفتا » .
[٣] - في ز : « صدرها » .
[٤] - في ز : « يدعوه » .
[٥] - في ز : « العزة » .
[٦] - في ز : « حتى » .
[٧] - في ز : « مهما » .
[٨] - في ز : « وسألتك » .

قلت : أجل ، وأولىٰ .

فلما سار موسىٰ بأهله كان من أمر النار والعصا ويده ما قص الله عليك في القرآن ، فشكا إلىٰ الله تعالىٰ ما يتخوف من آل فرعون في القتيل وعقدة لسانه ، فإنه كان في لسانه عقدة تمنعه من كثير من الكلام ، وسأل ربه أن يعينه بأخيه هارون ، يكون له ردءًا ، ويتكلم عنه بكثير مما لا يفصح به لسانه ، فآتاه الله سؤله ، وحل عقدة من لسانه ، وأوحىٰ الله إلىٰ هارون وأمره أن يلقاه ، فاندفع موسىٰ بعصاه حتىٰ لقي هارون - عليهما السلام - فانطلقا جميعًا إلىٰ فرعون ، فأقاما علىٰ بابه حينًا لا يؤذن لهما ثم أُذِن لهما بعد حجاب شديد ، فقالا : ﴿ **إنا رسولا ربك** ﴾ قال : فمن ربكما ؟ فأخبره بالذي قص الله عليك في القرآن ، قال : فما تريدان ؟ وذكَّره القتيل ، فاعتذر بما قد سمعت .

قال : أريد أن تؤمن بالله وترسل معي بني إسرائيل . فأبىٰ عليه وقال : ائت بآية إن كنت من الصادقين . فألقىٰ عصاه [فإذا هي][١] حية تسعىٰ عظيمة ، فاغرة فاها مسرعة إلىٰ فرعون ، فلما رآها فرعون قاصدة إليه خافها ، فاقتحم عن سريره ، واستغاث بموسىٰ أن يكفها عنه ، ففعل ، ثم أخرج يده من جيبه فرآها ﴿ **بيضاء من غير سوء** ﴾ - يعني : من غير برص - ثم ردها فعادت إلىٰ لونها الأول ، فاستشار الملأ حوله فيما رأىٰ ، فقالوا له : هذان ساحران ﴿ **يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلىٰ** ﴾ يعني : ملكهم الذي هم فيه والعيش ، وأبوا علىٰ موسىٰ أن يعطوه شيئًا مما طلب ، وقالوا له : اجمع لهما السحرة فإنهم بأرضك كثير ؛ حتىٰ تغلب بسحرك سحرهما .

فأرسل إلىٰ المدائن ، فحشر[٢] له كل ساحر متعالم ، فلما أتوا فرعون قالوا : بم يعمل هذا الساحر ؟ قالوا : يعمل بالحيات[٣] . قالوا : فلا والله ما أحد في الأرض يعمل بالسحر بالحيات والحبال والعصي الذي نعمل ، وما أجرنا إن نحن غلبنا ؟ قال لهم : أنتم أقاربي وخاصتي ، وأنا صانع إليكم كل شيء أحببتم . فتواعدوا يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى .

قال سعيد بن جبير : فحدثني ابن عباس أن يوم الزينة الذي أظهر الله فيه موسىٰ علىٰ فرعون والسحرة هو يوم عاشوراء .

فلما اجتمعوا في صعيد قال الناس بعضهم لبعض : انطلقوا فلنحضر هذا الأمر ﴿ **لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين** ﴾ يعنون موسىٰ وهارون استهزاء بهما ؛ فقالوا :

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز : « يحشر » .
[٣] - في ز : « الحيات » .

ياموسىٰ - لقدرتهم[١] بسحرهم - ﴿ **إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين * قال بل ألقوا** ﴾ ﴿**فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون** ﴾ فرأىٰ موسىٰ من سحرهم ما أوجس في نفسه خيفة ، فأوحىٰ الله إليه أن ألق عصاك ، فلما ألقاها صارت ثعبانًا عظيمة فاغرة فاها ، فجعلت العصا[٢] تلتبس بالحبال حتىٰ صارت جرزًا[٣] إلى الثعبان تدخل فيه حتى ما أبقت عصا ولا حبلًا[٤] إلا ابتلعته .

فلما عرفت السحرة ذلك قالوا : لو كان هذا سحرًا لم يبلغ من سحرنا كل هذا ، ولكنه أمر من الله - عزَّ وجلَّ - آمنا بالله وبما جاء به موسىٰ ، ونتوب إلىٰ الله مما كنا عليه . فكسر الله ظهر فرعون في ذلك الموطن وأشياعه ، وظهر الحق ، وبطل ما كانوا يعملون ﴿ **فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين** ﴾ وامرأة فرعون بارزة مُتَبَذِّلة تدعو الله بالنصر لموسىٰ علىٰ فرعون وأشياعه ، فمن رآها من آل فرعون ظن أنها إنما ابتذلت للشفقة علىٰ فرعون وأشياعه وإنما كان حزنها وهمها لموسىٰ .

فلما طال مكث موسىٰ بمواعيد فرعون الكاذبة ، كلما جاء بآية وعده عندها أن يرسل معه بني إسرائيل ، فإذا مضت أخلف موعده ، وقال : هل يستطيع ربك أن يصنع غير[٥] هذا ؟ فأرسل الله علىٰ قومه الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات ، كل ذلك يشكو إلىٰ موسىٰ ويطلب إليه أن يكفها عنه ، ويواثقه علىٰ أن يرسل معه بني إسرائيل ، فإذا كف ذلك عنه أخلف موعده ونكث عهده .

حتى أمر الله موسى بالخروج بقومه ، فخرج بهم ليلًا فلما أصبح فرعون ورأىٰ أنهم قد مضوا أرسل في المدائن حاشرين ، فتبعه بجنود عظيمة كثيرة ، وأوحىٰ الله إلىٰ البحر : إذا ضربك عبدي موسىٰ بعصاه فانفلق اثنتي عشرة فرقة ، حتىٰ يجوز موسىٰ ومن معه ، ثم التقىٰ علىٰ من بقي بعد من فرعون وأشياعه ، فنسي موسىٰ أن يضرب البحر بالعصا ، وانتهىٰ إلىٰ البحر [وله قصيف][٦] ، مخافة أن يضربه موسىٰ بعصاه وهو غافل[٧] فيصير عاصيًا لله .

فلما تراءىٰ الجمعان وتقاربا ﴿ **قال أصحاب موسىٰ إنا لمدركون** ﴾ . افعل ما أمرك به ربك ، فإنه لم يكذب ولم تكذب . قال : وعدني أن إذا أتيت البحر انفرق اثنتي عشرة فرقة

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ت : « العصي » .
[٣] - في ت : « جزرًا » .
[٤] - في ت : « حبالًا » .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - في ز : « يصيف » . والقصيف : صوت هائل يشبه صوت الرعد . النهاية [٤/٧٤] .
[٧] - في ز : « عاقل » .

حتىٰ [أجاوزه][١] ، ثم ذكر بعد ذلك العصىٰ ، فضرب البحر بعصاه حين دنا أوائل جند فرعون من أواخر جند موسىٰ ، فانفرق البحر كما أمره ربه وكما وعد موسىٰ ، فلما أن جاز موسىٰ وأصحابه كلهم البحر ، ودخل فرعون وأصحابه ، التقىٰ عليهم البحر كما أمر ، فلما جاوز موسىٰ البحر قال أصحابه : إنا نخاف أن لا يكون فرعون غرق ولانؤمن بهلاكه . فدعا ربه فأخرجه له ببدنه حتىٰ استيقنوا بهلاكه .

ثم مروا بعد ذلك علىٰ قوم يعكفون علىٰ أصنام لهم ﴿ **قالوا ياموسىٰ اجعل لنا إلَٰهًا كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون * إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطلٌ ما كانوا يعملون** ﴾ . قد رأيتم من العبر وسمعتم ما يكفيكم ومضىٰ ، فأنزلهم موسىٰ منزلاً وقال : أطيعوا هارون فإني قد استخلفته عليكم ، فإني ذاهب إلىٰ ربي . وأجلهم ثلاثين يومًا أن يرجع إليهم فيها .

فلما أتىٰ ربه وأراد أن يكلمه في ثلاثين يومًا وقد صامهن ليلهن ونهارهن ، وكره أن يكلم ربه وريح فيه ريح فم الصائم ، فتناول موسىٰ من نبات الأرض شيئًا فمضغه ، فقال له ربه حين أتاه : لِمَ أفطرت - وهو أعلم بالذي كان - قال : يارب ؛ إني كرهت أن أكلمك إلا وفمي طيب الريح . قال : أو ما علمت يا موسىٰ ، أن ريح فم الصائم أطيب من ريح المسك ؟ ارجع فصم عشرًا ثم ائتني . ففعل موسىٰ - عليه السلام - ما أمر به ، فلما رأىٰ قوم موسىٰ أنه لم يرجع إليهم في الأجل ساءهم ذلك ، وكان هارون قد خطبهم وقال : إنكم قد خرجتم من مصر ، ولقوم فرعون عندكم عواريُّ وودائع ولكم فيهم مثل ذلك ، وأنا أرى [أن تحتسبوا][٢] مالكم عندهم ، ولا أحل لكم وديعة استودعتموها ولا عارية ، ولسنا برادّين إليهم شيئًا من ذلك ، ولا ممسكيه لأنفسنا ، فحفر حفيرًا ، وأمر كل قوم عندهم من ذلك من متاع أوحلية أن يقذفوه في ذلك الحفير ، ثم أوقد عليه النار فأحرقه ، فقال : لا يكون لنا ولا لهم .

وكان السامري من قوم يعبدون البقر جيران لبني ، ولم يكن من بني إسرائيل ، فاحتمل مع موسىٰ وبني إسرائيل حين احتملوا ، فقضي له أن رأىٰ أثرًا فقبض منه قبضة ، فمر بهارون ، فقال له هارون - عليه السلام - : يا سامري ، ألا تلقي[٣] ما في يدك ؟ - وهو قابض عليه ، لا يَرَاه أحد طَوَال ذلك - فقال : هذه قبضة من أثر الرسول الذي جاوز بكم البحر ولا ألقيها لشيء إلا أن تدعو الله إذا ألقيتها أن يكون ما أريد . فألقاها ودعا له هارون ، فقال : أريد أن يكون عجلًا فاجتمع ما كان في الحفيرة من متاع أو حلية أو نحاس أو حديد فصار عجلًا أجوف[٤] ليس فيه روح ، له خوار .

---

[١] - في ز : « إذا جاوزه » .

[٢] - في ت : « أنكم تحتسبون » .

[٣] - في ز : « تلق » .

[٤] - في ز : « أحرف » .

قال ابن عباس : لا والله ما كان له صوت قط ، إنما كانت الريح تدخل في دبره وتخرج من فيه ، فكان ذلك الصوت من ذلك .

فتفرق بنو إسرائيل فِرَقًا ؛ فقالت فرقة : يا سامري ، ما هذا وأنت أعلم به ؟ قال : هذا ربكم ، ولكن موسىٰ أضل الطريق .

وقالت فرقة : لا نكذب بهذا حتىٰ يرجع إلينا موسىٰ ، فإن كان ربنا لم نكن ضيَّعناه ، وعجزنا فيه حين رأيناه ، وإن لم يكن ربنا فإنا نتبع قول موسىٰ . وقالت فرقة : هذا عمل الشيطان وليس بربنا ، ولن[١] نؤمن به ولا نصدق . وأُشْرِبَ فرقة في قلوبهم الصدق بما قال السامري في العجل ، وأعلنوا التكذيب به ، فقال لهم هارون : ﴿ **يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن** ﴾ قالوا : فما بال موسىٰ وعدنا ثلاثين يومًا ثم أخلفنا ، هذه أربعون يومًا قد مضت . وقال سفهاؤهم : أخطأ ربه فهو يطلبه ويتبعه .

فلما كلم الله موسىٰ ، وقال له ما قال ، أخبره بما لقي قومه من بعده ﴿ **فرجع موسىٰ[٢] إلىٰ قومه غضبان أسفا** ﴾ فقال لهم : ما سمعتم في القرآن ، وأخذ برأس أخيه يجرّه إليه ، وألقىٰ الألواح من الغضب ، ثم إنه عذر أخاه بعذره ، واستغفر له ، فانصرف[٣] إلىٰ السامري فقال له : ما حملك علىٰ ماصنعت ؟ قال : ﴿ **قبضت[٤] قبضة من أثر الرسول** ﴾ وفطنتُ لها وعُمِّيت عليكم فقذفتها ﴿ **وكذلك سولت لي نفسي * قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعدًا لن تخلفه وانظر إلىٰ إلهك الذي ظلت عليه عاكفًا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفًا** ﴾ ، ولو كان إلهًا لم يخلص إلىٰ ذلك منه ، فاستيقن بنو إسرائيل بالفتنة[٥] ، واغتبط الذين كان رأيهم فيه مثل رأي هارون ، فقالوا لجماعتهم ، يا موسىٰ ؛ سل لنا ربك[٦] أن يفتح لنا باب توبة نصنعها ، فيكفر عنا ما عملنا . فاختار موسىٰ قومه سبعين رجلًا لذلك ، لا يألو الخيرَ ، خيار بني إسرائيل ، ومن لم [يشرك في العجل][٧] ، فانطلق بهم يسأل لهم التوبة ، فرجفت بهم الأرض ، فاستحيا نبي الله من قومه ومن وفده حين فعل بهم ما فعل ، فقال : ﴿ **رب[٨] لو شئت أهلكتهم[٩] من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا** ﴾ وفيهم من كان اطلع الله منه علىٰ ما أشرب قلبه من حب العجل وإيمان به ، فلذلك رجفت بهم الأرض ، فقال : ﴿ **ورحمتي وسعت كل شيء**

---

[١] - في ت : ولا .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ت : وانصرف .
[٤] - في ت : فقبضت .
[٥] - في ز : « الفتنة » .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - في ز : « بالعجل » .
[٨] - سقط من ت .
[٩] - في ز : « لأهلكتهم » .

فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون * الذين يتبعون الرسول النبيّ الأميّ الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل ﴾ فقال : يا رب سألتك التوبة[١] لقومي ، فقلتَ : إن رحمتي كتبتها لقوم غير قومي ، فليتك أخرتني حتىٰ تخرجني في أمة ذلك الرجل المرحومة[٢].

فقال له[٣] : إن توبتهم أن يَقْتُل كل رجل منهم مَنْ لقي من والد وولد ، فيقتله بالسيف ، لا[٤] يبالي من قتل في ذلك الموطن . وتاب أولئك الذين كان[٥] خفي علىٰ موسىٰ وهارون ، واطلع الله من ذنوبهم فاعترفوا بها ، وفعلوا ما أمروا ، وغفر الله للقاتل والمقتول .

ثم سار بهم موسىٰ - عليه السلام - متوجِّهًا نحو الأرض المقدسة ، وأخذ الألواح بعدما سكت عنه الغضب ، فأمرهم بالذي أمر به أن يبلغهم من الوظائف ، فثقل ذلك عليهم ، وأبوْا أن يقروا بها ، فنتق الله عليهم الجبل كأنه ظلة ، ودنا منهم حتىٰ خافوا أن يقع عليهم ، فأخذوا الكتاب بأيمانهم وهم مصغون ينظرون إلىٰ الجبل ، والكتاب بأيديهم ، وهم من وراء الجبل مخافة أن يقع عليهم ، ثم مضوا حتىٰ أتوا الأرض المقدسة ، فوجدوا مدينة فيها قوم جبارون[٦] ، خَلْقُهُم خلق منكر ، وذكروا من ثمارهم أمرًا عجيبًا من عظمها ، فقالوا : يا موسىٰ إن فيها قومًا جبارين ، لا طاقة لنا بهم ، ولا ندخلها ما داموا فيها ، فإن يخرجوا منها فإنا داخلون .

قال رجلان من الذين يُخَافون - قيل ليزيد : هكذا قرأه ؟ قال : نعم - من الجبارين ، آمنا بموسىٰ وخرجا إليه ، فقالوا : نحن أعلم بقومنا ، إن كنتم إنما تخافون [ما رأيتم][٧] من أجسامهم وعددهم ، فإنهم لا قلوب لهم ولا منَعة عندهم ، فادخلوا عليهم الباب ، فإذا دخلتموه فإنكم غالبون ، ويقول أناس : إنهم من قوم موسىٰ ، فقال ﴿ **الذين يخافون** ﴾ - بنو إسرائيل : ﴿**ياموسىٰ ؛ إنا لن ندخلها أبدًا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون** ﴾ فأغضبوا موسىٰ ، فدعا عليهم وسماهم فاسقين ، ولم يدع عليهم قبل ذلك ؛ لما رأىٰ منهم من المعصية وإساءتهم حتىٰ كان يومئذ . فاستجاب الله له ، وسماهم كما سماهم فاسقين ، فحرمها عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض ، يصبحون كل يوم فيسيرون ، ليس لهم قرار ، ثم ظلل عليهم الغمام في التيه ، وأنزل عليهم المنّ والسلوىٰ ، وجعل لهم ثيابًا لا تبلىٰ ولا تتسخ ، وجعل بين ظهرانيهم حجرًا مربعًا ، وأمر موسىٰ فضربه

---

[١] - في ز : « اليوم » .
[٢] - في ز : « المرحوم » .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ت : ولا .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - في ز : « جبارين » .
[٧] - سقط من ز .

بعصاه ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا في كل ناحية ثلاث[١] أعين ، وأعلم كل سبط عينهم التي يشربون منها ، فلا يرتحلون[٢] من منقلة إلّا وجدوا ذلك الحجر معهم[٣] بالمكان الذي كان فيه بالأمس .

رفع ابنُ عباس هذا الحديث إلىٰ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وصدّق ذلك عندي أن معاوية سمع ابن عباس حدث[٤] هذا الحديث ، فأنكر عليه أن يكون الفرعوني الذي أفشىٰ علىٰ موسىٰ أمر القتيل الذي قتل ، فقال : كيف يفشي عليه ولم يكن علم به ولا ظهر عليه إلا الإسرائيلي الذي حضر ذلك ؟

فغضب ابن عباس ، فأخذ بيد معاوية فانطلق به إلىٰ سعد بن مالك الزهري ، فقال له : يا أبا إسحاق ؛ هل تذكر يوم حدثنا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم عن قتيل موسىٰ الذي قتل من آل فرعون ؟ الإسرائيلي الذي أفشىٰ عليه أم الفرعوني ؟ قال : إنما أفشىٰ عليه الفرعوني بما سمع من الإسرائيلي الذي[٥] شهد علىٰ ذلك وحضره .

هكذا رواه الإمام النسائي في السنن الكبرىٰ[٦] ، وأخرجه أبو جعفر بن جرير (٤١) ، وابن أبي حاتم(٤٢) في تفسيريهما ، كلهم من حديث يزيد بن هارون به . وهو موقوف من كلام ابن عباس ، وليس فيه مرفوع إلا قليل منه ، وكأنه تلقاه ابن عباس - رضي اللّٰه عنه - مما أبيح نقله من الإسرائيليات عن كعب الأحبار أو غيره ، واللّٰه أعلم . وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول ذلك أيضًا .

﴿ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾

يقول تعالىٰ مخاطبًا لموسىٰ - عليه السلام - : إنه لبث مقيمًا في أهل مدين فارًّا من

(٤١) - أخرجه ابن جرير الطبرى في « تفسيره » : (١٦/١٦٤ : ١٦٧) .
(٤٢) - وعزاه السيوطى كذلك إلى ابن أبي عمر العدنى في مسنده ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس .

[١] - في ز : « ثلاثة » .
[٢] - في ز : « يحلون » .
[٣] - في ز : « منهم » .
[٤] - ف ت : يحدث .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - في ز : « الكبير » .

فرعون وملئه ، يرعىٰ علىٰ صهره ، حتىٰ انتهت المدة وانقضىٰ الأجل ، ثم جاء موافقًا لقدر اللَّه وإرادته من غير ميعاد ، والأمر كله للَّه[١] - تبارك وتعالىٰ - وهو المسَيِّر عباده وخلقه فيما يشاء ، ولهذا قال : ﴿ **ثم جئت علىٰ قدر** ﴾ . قال مجاهد(٤٣) : أي : علىٰ[٢] موعد .

وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة(٤٤) في قوله : ﴿ **ثم جئت على قدر يا موسى** ﴾ قال : على قدر الرسالة والنبوّة .

وقوله : ﴿ **واصطنعتك لنفسي** ﴾ أي : اصطفيتك واجتبيتك رسولًا لنفسى ، أي : كما أريد وأشاء .

وقال البخاري عند تفسيرها(٤٥) : حدثنا الصلت بن محمد ، حدثنا مهدي بن ميمون ، حدثنا محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة ، عن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **التقىٰ آدم وموسىٰ ، فقال موسىٰ : أنت الذي أشقيت الناس وأخرجتهم من الجنة ؟ فقال آدم : أنت الذي اصطفاك اللَّه برسالاته واصطفاك لنفسه وأنزل عليك التوراة ؟ قال : نعم . قال[٣] : فوجدته قد كتب عليّ قبل أن يخلقني ؟ قال : نعم . فحج آدم موسىٰ** » . أخرجاه .

﴿ **اذهب أنت وأخوك بآياتي** ﴾ أي : بحججي وبراهيني ومعجزاتي ، ﴿ **ولا تنيا في ذكري** ﴾ قال عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس(٤٦) : لا تبطئا .

وقال مجاهد عن ابن عباس(٤٧) : لا تضعفا

---

(٤٣) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٦٨/١٦) .

(٤٤) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٦٨/١٦) .

(٤٥) - أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ **واصطنعتك لنفسى** ﴾ حديث (٤٧٣٦) ، (٨/ ٤٣٤) بهذا الإسناد . وأخرجه مسلم في كتاب القدر : باب حجاج آدم موسى عليهما السلام ، حديث (٢٦٥٢/١٣) من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو عن طاوس عن أبي هريرة به .

(٤٦) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٦٨/١٦) ، وذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٥٣٦/٤) وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس .

(٤٧) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٦٩/١٦) ، وذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٥٣٦/٤) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس .

---

[١] - في ز : له .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - سقط من ز .

والمراد : أنهما لايفتران في ذكر الله ، بل يذكران الله في حال مواجهة فرعون ؛ ليكون ذكر الله عونًا لهما عليه ، وقوة لهما وسلطانًا كاسرًا له ، كما جاء في الحديث : « **إن عبدي كل عبدي للذي يذكرني وهو مناجز قِرْنه** » .

﴿ **اذهبا إلىٰ فرعون إنه طغىٰ** ﴾ أي : تمرّد وعتا وتجهرم علىٰ الله وعصاه ، ﴿ **فقولا له قولًا لينًا لعله يتذكر أو يخشىٰ** ﴾ هذه الآية فيها عبرة عظيمة ، وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار[١] ، وموسىٰ صفوة الله من[٢] خلقه إذ ذاك ، ومع هذا أُمر أن لا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين ، كما قال يزيد الرقاشي عند قوله : ﴿ **فقولا له قولًا لينًا** ﴾ : يا من يتحبب إلىٰ من يعاديه فكيف بمن يتولاه ويناديه ؟!

وقال وهب بن منبه : قولا له : إني إلى العفو والمغفرة أقرب مني إلىٰ الغضب والعقوبة .

وعن عكرمة في قوله : ﴿ **فقولا له قولًا لينًا** ﴾ قال : لا إله إلا الله .

وقال عمرو بن عبيد ، عن الحسن البصري : ﴿ **فقولا له قولًا لينًا** ﴾ : أعذرا إليه ، قولا له : إن لك ربًّا ولك معادًا وإن بين يديك جنةً ونارًا .

وقال بقية عن عليّ بن هارون عن رجلٍ عن الضحاك بن مزاحم عن النزّال بن سبرة[٣] عن عليّ في قوله : ﴿ **فقولا له قولًا لينًا** ﴾ قال : كَنِّهِ .

وكذا روي عن سفيان الثوري : كَنِّهِ بأبي مرة .

والحاصل من أقوالهم : أن دعوتهما له تكون بكلام رقيق لين قريب سهل ؛ ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ادع إلىٰ سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن** ﴾ .

وقوله[٤] : ﴿ **لعله يتذكر أو يخشىٰ** ﴾ ، أي : لعله يرجع عما هو فيه من الضلال والهلكة ، ﴿ **أو يخشىٰ** ﴾ أي : يُوجد طاعة من خشية ربه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **لمن أراد أن يذكر أو يخشىٰ** ﴾ فالتذكر : الرجوع عن المحذور ، والخشية : تحصيل الطاعة .

وقال الحسن البصري : ﴿ **لعله يتذكر أو يخشىٰ** ﴾ ، يقول : لا تقل أنت ياموسىٰ وأخوك هارون : أَهْلكه ، قبل أن أعذر إليه .

وهاهنا نذكر شعر زيد بن عمرو بن نفيل ، ويروىٰ لأمية بن أبي الصلت فيما ذكره ابن

---

[١] - في ز : الاستنكار .
[٢] - في ز : في .
[٣] - في ز : « ميسرة » .
[٤] - سقط من ز .

إسحاق :

وأنت الذى من فضل مَنٍّ ورحمة بعثت إلى موسى رسولًا مناديًا
فقلت له : فاذهب وهارونَ فادعُوا إلىٰ اللَّه فرعونَ الذي كان باغيا
فقولا له : [هل أنت][١]سويت هذه بلا وتد حتى استقلت كما هيا ؟
وقولا[٢] له : آأنت رفعتَ هذه بلا عَمَدٍ أرْفِق إذًا بك بانيا
وقولا له : آأنت سويت وسْطها منيرًا إذا ما جنه الليل هاديًا ؟
وقولا له : من يخرج الشمس بكرة فيصبح ما مست من الأرض ضاحيا ؟
وقولا له : مَنْ يُنْبِتُ الحب في الثَّرىٰ فيصبح منه البَقْلُ يهتز رابيا
ويُخْرِجُ منه حبَّه في رُءُوسه ففي ذاك آياتٌ لمن كانَ واعيا

وقوله[٣] - عز وجل - :

﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ ﴾

يقول تعالىٰ إخبارًا عن موسىٰ وهارون - عليهما السلام - : إنهما قالا مستجيرين باللَّه تعالىٰ شاكِيَيْن إليه : ﴿ **إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغىٰ** ﴾ يعنيان أن يَبْدُر إليهما بعقوبة ، أو يعتدي عليهما ، فيعاقبهما وهما لا يستحقان منه ذلك .

قال عبد الرحمن بن زيد : ﴿ **أن يفرط** ﴾ : يعْجَل .

وقال مجاهد : يبسط علينا .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس: ﴿ **أو أن يطغىٰ** ﴾ يعتدي .

﴿ **قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرىٰ** ﴾ أي : لا تخافا منه ، فإنني معكما أسمع كلامكما وكلامه ، وأرىٰ مكانكما ومكانه ، ولا[٤] يخفىٰ عليَّ من أمركم شيء ، واعلما أن

---

[١] - في ز : « أنت » .
[٢] - في ت : « فقولا » .
[٣] - في ز : قوله .
[٤] - في ز : لا .

ناصيته بيدي ، فلا يتكلم ولا يتنفس ولا يبطش إلا بإذني وبعد أمري ، وأنا معكما بحفظي ونصري وتأييدي .

وقال ابن أبي حاتم(٤٨) : حدثنا أبي ، حدثنا عليّ بن محمد الطنافسي ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مُرّة ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله قال : لما بعث الله - عزَّ وجلَّ - موسىٰ إلىٰ فرعون قال : رب ، أي شيء أقول ؟ قال : قل : هيا شراهيا[١] . قال الأعمش : فَسْرُ ذلك : الحي قبل كل شيء ، والحي بعد كل شيء . إسناد جيد وشيء غريب .

﴿ فأتياه فقولا إنا رسولا ربك ﴾ قد تقدم في حديث الفتون عن ابن عباس أنه قال : مكثا علىٰ[٢] بابه حينًا لا يؤذن لهما ، ثم[٣] أُذِن لهما بعد حجاب شديد .

وذكر محمد بن إسحاق بن يسار : أن موسىٰ وأخاه هارون خرجا ، فوقفا بباب فرعون يلتمسان الإِذن عليه ، وهما يقولان : إنا رسل رب العالمين فآذنوا بنا هذا الرجل . فمكثا[٤] فيما بلغني سنتين يغدوان ويروحان ، لا يعلم بهما[٥] ولا يجترئ أحد على أن يخبره بشأنهما حتى دخل عليه بطّال له يلاعبه ويضحكه ، فقال له : أيها الملك ، إن علىٰ بابك رجلًا يقول قولًا عجبًا[٦] ، يزعم أن له إلهًا غيرك أرسله إليك .

قال : ببابي ؟ ! قال : نعم . قال : أدخلوه . فدخل ومعه أخوه هارون وفي يده عصاه ، فلما وقف علىٰ فرعون قال : إني رسول رب العالمين ، فعرفه فرعون .

وذكر السدّي أنه لما قدم بلاد مصر ، ضاف أمه وأخاه وهما لا يعرفانه ، وكان طعامهم[٧] ليلتئذٍ الطفشل وهو اللفت ، ثم عرفاه وسلما عليه ، فقال له موسىٰ : يا هارون ، إن ربي قد أمرني أن آتي هذا الرجل - فرعونَ - فأدعوَه إلىٰ الله ، وأمر أن تعاونني . قال : افعل ما أمرك ربك . فذهبا وكان ذلك ليلًا فضرب موسى باب القصر . بعصاه فسمع فرعون ؛ فغضب وقال : من يجترئ علىٰ هذا الصنيع ؟ فأخبره السدنة والبوابون أن[٨] هاهنا رجلًا مجنونًا[٩] يقول : إنه رسول الله ، فقال : عليّ به . فلما وقفا بين يديه قالا وقال لهما

(٤٨) - وزاد السيوطى نسبته إلى ابن أبي شيبة وقال السيوطى : إسناده جيد . اهـ

[١] - في ز : « شرهيا » .
[٢] - في ز : « في » .
[٣] - في ت : « حتى » .
[٤] - في ز : « مكثا » .
[٥] - في ت : « بهم » .
[٦] - في ز : « عجيبا » .
[٧] - في ش : « طعامهما » .
[٨] - في ش : « بأن » .
[٩] - في ز : « مجنون » .

ما ذكر الله في كتابه .

وقوله : ﴿ **قد جئناك بآية من ربك** ﴾ ، أي : بدلالة ومعجزة من ربك ، ﴿ **والسلام علىٰ من اتبع الهدىٰ** ﴾ ، أي : والسلام عليك إن اتبعت الهدىٰ .

ولهذا لما كتب رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، إلىٰ هرقل عظيم الروم [كتابًا كان أوله : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلىٰ هرقل عظيم الروم][١] ، سلام علىٰ من اتبع الهدىٰ ، أما بعد ، [فإني أدعوك بدعاية الإسلام][٢] ، فأسلم تسلم ، وأسلم[٣] يؤتك الله أجرك مرتين »(٤٩) .

وكذلك لما كتب مسيلمة إلىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، كتابًا صورته : من مسيلمة رسول الله إلىٰ محمد رسول الله ، سلام عليك ، أما بعد ، فإني قد أشركت[٤] في الأمر معك ، فلك المدر ولي الوبر ، ولكن قريش قوم يعتدون .

فكتب إليه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « من محمد رسول الله إلىٰ مسيلمة الكذاب ، سلام علىٰ من اتبع الهدىٰ ، أما بعد ، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين » .

ولهذا قال موسىٰ وهارون - عليهما السلام - لفرعون : ﴿ **والسلام علىٰ من اتبع الهدىٰ * إنا قد أوحي إلينا أن العذاب علىٰ من كذب وتولىٰ** ﴾ ، أي : قد أخبرنا الله فيما أوحاه إلينا من الوحي المعصوم ، أن العذاب متمحض لمن كذب بآيات الله وتولىٰ عن طاعته ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فأما من طغىٰ * وآثر الحياة الدنيا * فإن الجحيم هي المأوىٰ** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **فأنذرتكم نارًا تلظىٰ * لا يصلاها إلا الأشقىٰ الذى كذب وتولّىٰ** ﴾

وقال تعالى : ﴿ **فلا صدق ولا صلّى * ولكن كذب وتولى** ﴾ أي : كذب بقلبه وتولىٰ بفعله .

---

(٤٩) - أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحى : باب رقم (٦) ، حديث (٧) ، وأطرافه في (٢٦٨١ ، ٢٨٠٤ ، ٢٩٤١ ، ٢٩٧٨ ، ٣٧٤ ، ٤٥٥٣ ، ٥٩٨٠ ، ٦٢٦٠ ، ٧١٩٦ ، ٧٥٤١) . ومسلم : كتاب الجهاد والسير ، باب : كتاب النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ، حديث ٧٤ - (١٧٧) (١٤٧/١٢) . وأبو داود في سننه كتاب الأدب ، باب : كيف يكتب إلى الذمي ، حديث (٥١٣٦) ، (٣٣٥/٤) من حديث ابن عباس عن أبي سفيان بن حرب .

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز .

[٢] - ما بين المعكوفين سقط من ز .

[٣] - سقط من ش .

[٤] - في ز : « أشركتك » .

قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ (٤٩) قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ (٥٠) قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ (٥١) قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى (٥٢)

يقول تعالىٰ مخبرًا عن فرعون أنه قال لموسىٰ ، منكرًا وجود الصانع الخالق ، إله كل شيء وربه ومليكه ، ﴿ **قال فمن ربكما يا موسىٰ** ﴾ ، أي : الذي بعثك وأرسلك من هو ؟ فإني لا أعرفه ، وما علمت لكم من إله غيري ، ﴿ **قال ربنا الذي أعطىٰ كل شيء خلقه ثم هدىٰ** ﴾ .

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس(٥٠) يقول : خلق لكل شيء زوجة .

وقال الضحاك : عن ابن عباس : جعل الإنسان إنسانًا ، والحمار حمارًا[١] ، والشاة شاة .

وقال ليث بن أبي سليم[٢] عن مجاهد(٥١) : أعطى كلَّ شيء صورته .

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد(٥٢) : سوَّىٰ خلق كل دابة .

وقال سعيد بن جبير في قوله : ﴿ **أعطىٰ كل شيء خلقه ثم هدىٰ** ﴾ - قال : أعطىٰ كل ذي خلق ما يصلحه من خلقه ، ولم يجعل للإنسان من خَلْق الدابة ، ولا للدابة من خلق الكلب ، ولا للكلب من خلق الشاة ، وأعطىٰ كل شيء ما ينبغي له من النكاح ، وهيأ كل شيء علىٰ ذلك ، ليس شيء منها يشبه شيئًا من فعاله[٣] في[٤] الخلق والرزق والنكاح .

وقال بعض المفسرين : ﴿ **أعطىٰ كل شيء خلقه ثم هدىٰ** ﴾ كقوله تعالى : ﴿ **الذى قدر فهدى** ﴾ ، أي : قدر قدرًا ، وهدىٰ الخلائق إليه ، أي : كتب الأعمال والآجال

---

(٥٠) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٦/١٧١ - ١٧٢) . وذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٤/ ٥٣٧ - ٥٣٨) ، وعزاه إلى المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات .

(٥١) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٦/١٧٢) ، وذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٤/٥٣٨) ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(٥٢) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٦/١٧٢) ، وذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٤/٥٣٨) وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

---

[١] - في ز : « حمار » .
[٢] - في ز : « سلمة » .
[٣] - في ش : « أفعاله » .
[٤] - في ز : « و » .

والأرزاق ، ثم الخلائق ماشون على ذلك ، ولا[١] يحيدون عنه ، ولا يقدر أحد على الخروج منه . يقول : ربنا الذي خلق الخلق[٢] ، وقدر القدر ، وجبل الخليقة على ما أراد .

﴿ **قال فما بال القرون الأولى** ﴾ ، أصح الأقوال في معنى ذلك : أن فرعون لما أخبره موسى بأن ربه الذي أرسله ، هو الذي خلق ورزق وقدر فهدى ، شرع يحتج بالقرون الأولى ، أي : الذين لم يعبدوا الله ، أي : فما بالهم إذ كان الأمر كما تقول ، لم يعبدوه[٣] ، بل عبدوا غيره ؟ فقال له موسى في جواب ذلك : هم وإن لم يعبدوه فإن عملهم[٤] عند الله مضبوط عليهم ، وسيجزيهم بعملهم في كتاب الله ، وهو اللوح المحفوظ وكتاب الأعمال ، ﴿ **لا يضل ربي ولا ينسى** ﴾ ، أي : لا يشذ عنه[٥] شيء ، ولا يفوته صغير ولا كبير ، ولا ينسى شيئًا . يصف علمه تعالى بأنه بكل شيء محيط ، وأنه لا ينسى شيئًا ، تبارك وتعالى وتقدس وتنزه[٦] ، فإن علم المخلوق يعتريه نقصانان[٧] : أحدهما : عدم[٨] الإحاطة بالشيء ، والآخر : نسيانه بعد علمه ، فنزه نفسه عن ذلك .

ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾

هذا من تمام كلام موسى فيما وصف به ربه - عزَّ وجلَّ - حين سأله فرعون عنه ، فقال : ﴿ **الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى** ﴾ ، ثم اعترض[٩] الكلام بين ذلك ، ثم قال : ﴿ **الذي جعل لكم الأرض مهادًا** ﴾ ، وفي قراءة بعضهم : (**مهدًا**) أي : قرارًا تستقرون عليها ، [وتقومون وتنامون عليها][١٠] وتسافرون على ظهرها . ﴿ **وسلك لكم فيها سبلًا** ﴾ أي : جعل لكم طرقًا تمشون في مناكبها ، كما قال تعالى : ﴿ **وجعلنا فيها فجاجًا سبلًا لعلهم[١١] يهتدون** ﴾ . ﴿ **وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجًا من نبات**

---

[١] - في ش : « لا » .
[٢] - سقط من ش .
[٣] - في ش : « يعبدوا ربك » .
[٤] - في ز : « علمهم » .
[٥] - في ز : « عليه » .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - في ز : « نقصانين » .
[٨] - سقط من ز .
[٩] - في ز : « أعرض » .
[١٠] - سقط من ز .
[١١] - في ز : « لعلكم » .

شتىٰ ﴾ . أي : ألوان النباتات ، من زروع وثمار ، من حامض وحلو ومُرّ[١] ، وسائر الأنواع .

﴿ **كلوا وارعوا أنعامكم** ﴾ . أي : شيء لطعامكم وفاكهتكم ، وشيء لأنعامكم لأقواتها خضرًا ويابسًا ﴿ **إن في ذلك لآيات** ﴾ . أي : لدلالات وحُجَجًا[٢] وبراهين ﴿ **لأولي النهىٰ** ﴾ . أي : لذوي العقول السليمة المستقيمة ، علىٰ أنه لا إله إلا الله ، ولا رب سواه .

﴿ **منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرىٰ** ﴾ . أي : من الأرض مَبْدَؤكم ، فإن أباكم[٣] آدم مخلوق من تراب من أديم الأرض . ﴿ **وفيها نعيدكم** ﴾ . أي : وإليها تصيرون إذا متم وبليتم ، ﴿ **ومنها نخرجكم تارة أخرىٰ** ﴾ . ﴿ **يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلًا** ﴾ .

وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ **قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون** ﴾ .

وفي الحديث الذي في السنن (٥٣) : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حضر جنازة ، فلما دفن الميت أخذ قبضة من التراب فألقاها في القبر ، ثم قال : ﴿ **منها خلقناكم** ﴾ . ثم أخذ[٤] أخرىٰ وقال : ﴿ **وفيها نعيدكم** ﴾ . ثم أخرىٰ وقال : ﴿ **ومنها نخرجكم تارة أخرىٰ** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبىٰ** ﴾ يعني فرعون ، أنه قامت عليه الحجج والآيات والدلالات ، وعاين ذلك وأبصره ، فكذب بها وأباها كفرًا وعنادًا وبغيًا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلمًا وعلوًّا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين** ﴾ .

---

(٥٣) - أخرجه أحمد في « مسنده » (٥/٢٥٤) قال : ثنا عليّ بن إسحاق ، أنا عبد الله - يعني : ابن المبارك - أنا يحيى بن أيوب ، عن عبيد الله بن زحر ، عن عليّ بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، قال : لما وضعت أم كلثوم ابنة رسول الله صلّى الله عليه وسلم في القبر قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : ﴿ **منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى** ﴾ . قال : ثم لا أدري ، أقال : بسم الله ، وفي سبيل الله ، وعلى ملة رسول الله ، أم لا . فلما بنى عليها لحدها طفق يطرح لهم الجبوب ويقول : « **سدوا خلال اللّبِن** » . ثم قال : « **أما إن هذا ليس بشيء ، ولكنه يطيب بنفس الحي** » . وهذا إسنادٌ ضعيف : من أجل عبيد الله بن زحر ، وعلي بن يزيد ، والقاسم . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣ / ٤٣) وعزاه لأحمد وقال : « وإسناده ضعيف » .

---

[١] - سقط من ش .
[٢] - في ز : « وحجج » .
[٣] - في ز : « أباهم » .
[٤] - سقط من ز .

﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ (٥٧) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى (٥٨) قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى (٥٩)﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن فرعون أنه قال لموسىٰ حين أراه الآية الكبرىٰ ، وهي إلقاء عصاه فصارت ثعبانًا عظيمًا ، ونزع يده من تحت جناحه فخرجت[١] بيضاء من غير سوء ، فقال : هذا سحر ، جئت به لتسحرنا وتستولي به علىٰ الناس ، فيتبعونك وتكاثرنا بهم ، ولا يتم هذا معك ، فإن عندنا سحرًا مثل سحرك ، فلا يغرنك ما أنت فيه ، ﴿ **فاجعل بيننا وبينك موعدًا** ﴾ . أي : يومًا نجتمع نحن وأنت فيه ، فنعارض ما جئت به بما عندنا من السحر ، في مكان معين ووقت معين ، فعند ذلك ﴿ **قال** ﴾ لهم موسىٰ : ﴿ **موعدكم يوم الزينة** ﴾ . وهو يوم عيدهم ونوروزهم ، وتفرغهم من أعمالهم ، واجتماعهم جميعهم ، ليشاهد الناس قدرة الله علىٰ ما يشاء ، ومعجزات الأنبياء ، وبطلان معارضة السحر لخوارق العادات النبوية ، ولهذا قال : ﴿ **وأن يحشر الناس** ﴾ ، أي : جميعهم ﴿ **ضُحًى** ﴾ ، أي : ضحوة من النهار ؛ ليكون أظهر وأجلىٰ وأبين وأوضح . وهكذا شأن الأنبياء ، كل أمرهم واضح بين ليس فيه خفاء ولا ترويج[٢] ، ولهذا لم يقل : « ليلًا » . ولكن نهارًا ضحى .

قال ابن عباس : وكان يوم الزينة يوم عاشوراء .

وقال السديُّ وقتادة وابن زيد : كان يوم عيدهم .

وقال سعيد بن جبير : يوم سوقهم . ولا منافاة .

قلت : وفي مثله أهلك الله فرعون وجنوده ، كما ثبت في الصحيح(٥٤) .

قال وهب بن منبه : قال فرعون : يا موسى ؛ اجعل بيننا وبينك أجلًا ننظر فيه .

قال موسىٰ : لم أومر بهذا ، إنما أمرت بمناجزتك إن أنت لم تخرج دخلت إليك ، فأوحى

(٥٤) - أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ **وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيًا وعدوًا ...** ﴾ ، حديث (٤٦٨٠) (٣٤٨/٨) ، من حديث ابن عباس به .

[١] - في ز : « فتخرج » . [٢] - في ز : « توريج » .

الله إلى موسى : أن اجعل بينك وبينه أجلًا ، وقل له أن يجعل هو . قال فرعون : اجعله[١] إلى أربعين يومًا . ففعل .

وقال مجاهد وقتادة : ﴿ مكانًا سُوىً ﴾ مَنْصَفًا . وقال السُّدِّيُّ : عدلًا . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ﴿ مكانًا سوًى ﴾ مستوٍ[٢] يتبين الناس ما فيه ، لا يكون صُوَب[٣] ، ولا شيء يتغيب بعض ذلك [عن بعض][٤] مستو حتى يُرىٰ .

فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن فرعون أنه لما تواعد هو بموسىٰ - عليه السلام - إلىٰ وقت ومكان معلومين ، تولىٰ ، أي : شرع في جمع السحرة من مدائن مملكته ، كل من ينسب إلىٰ سحر في ذلك الزمان ، وقد كان السحر فيهم كثيرًا نافقا جدًّا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم** ﴾ . ﴿ **ثم أتىٰ** ﴾ ، أي : اجتمع[٥] الناس لميقات يوم معلوم ، وهو يوم الزينة ، وجلس فرعون علىٰ سرير مملكته ، واصطف له أكابر دولته ، ووقفت الرعايا يمنة ويسرة ، وأقبل موسىٰ - عليه الصلاة والسلام - يتوكّأ علىٰ عصاه ، ومعه أخوه هارون ، ووقف السحرة بين يدي فرعون صفوفًا ، وهو يحرضهم ويحثهم ، ويرغبهم في إجادة عملهم في ذلك اليوم ، ويتمنَّوْن عليه ، وهو يعدهم ويمنيهم ، فيقولون : ﴿ **أئن لنا لأجرًا إن كنا نحن الغالبين * قال نعم وإنكم إذًا لمن المقربين** ﴾ . فـ ﴿ **قال لهم موسىٰ ويلكم لا تفتروا علىٰ الله كذبًا** ﴾ . أي : لا تُخيِّلوا للناس بأعمالكم إيجادَ أشياء لا حقائق لها ، وأنها مخلوقة وليست مخلوقة ، فتكونون قد كذبتم علىٰ الله ، ﴿ **فيسحتكم بعذاب** ﴾ . أي : يهلككم بعقوبة هلاكًا لا بقية[٦] به[٧] ، ﴿ **وقد خاب من افترىٰ * فتنازعوا أمرهم**

---

[١] - في ز : « أجله » .
[٢] - سقط من ش .
[٣] - في ز : « صوت » .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - في ز : « جمع » .
[٦] - بياض في ز .
[٧] - في ش : له .

بينهم ﴾ . قيل : معناه أنهم تشاجروا فيما بينهم ، فقائل يقول : ليس هذا بكلام ساحر ، إنما هذا كلام نبي . وقائل يقول : بل هو ساحر . وقيل غير ذلك ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ وأسروا النجوىٰ ﴾ . أي : تناجوا فيما بينهم ، ﴿ قالوا إن هذان لساحران ﴾ هذه لغة لبعض العرب ، جاءت هذه القراءة علىٰ إعرابها . ومنهم من قرأ : ﴿ إن هذين لساحران ﴾ . وهذه اللغةُ المشهورة ، وقد توسع النحاة في الجواب عن القراءة الأولىٰ بما ليس هذا موضعه .

والغرض : أن السحرة قالوا فيما بينهم : تعلمون أن هذا الرجل وأخاه - يعنون : موسىٰ وهارون - ساحران عالمان خبيران بصناعة السحر ، يريدان في هذا اليوم أن يغلباكم وقومَكم ، ويستوليا[١] علىٰ الناس ، وتتبعهما العامة ، ويقاتلا[٢] فرعون وجنوده ، فينتصرا عليه ويخرجاكم من أرضكم .

وقوله : ﴿ ويذهبا بطريقتكم المثلىٰ ﴾ . أي : ويستبدا بهذه الطريقة ، وهي : السحر ، فإنهم كانوا معَظّمِينَ بسببها ، لهم أموال وأرزاق عليها ، يقولون : إذا غلب هذان أهلكاكم وأخرجاكم من الأرض ، وتفردا بذلك ، وتمحضت لهما الرياسة بها دونكم .

وقد تقدم في حديث الفتون أن ابن عباس قال في قوله : ﴿ ويذهبا بطريقتكم المثلىٰ ﴾ ، يعني : ملكهم الذي هم فيه والعيش .

وقال ابن أبي حاتم(٥٥) : حدثنا أبي ، حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا هشيم ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، سمع الشعبي يحدث عن عليّ في قوله : ﴿ ويذهبا بطريقتكم المثلىٰ ﴾ ، قال : يصرفا وجوه الناس إليهما .

وقال مجاهد : ﴿ ويذهبا بطريقتكم المثلىٰ ﴾ [قال : أولو الشرف والعقل والأسنان .

وقال أبو صالح : ﴿ بطريقتكم المثلىٰ ﴾][٣] أشرافكم وسرواتكم . وقال عكرمة : بخيركم . وقال قتادة : وطريقتهم المثلىٰ يومئذ بنو إسرائيل ، كانوا أكثر القوم عددًا وأموالًا فقال عدو الله : يريدان أن يذهبا بها لأنفسهما . وقال عبد الرحمن بن زيد : ﴿بطريقتكم المثلىٰ ﴾ . بالذي أنتم عليه .

وقوله : ﴿ فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفًّا ﴾ . أي : اجتمعوا[٤] كلكم صفًّا واحدًا ،

(٥٥) - وأخرجه ابن جرير الطبرى في « تفسيره » : (١٨٢/١٦) من طريق هشيم به .

[١] - في ز : « يستوليان » .
[٢] - في ز : « يقاتلان » .
[٣] - ما بين المعكوفين سقط من ز .
[٤] - في ز : « اجمعوا » .

وألقوا ما في أيديكم مرة واحدة ؛ لتبهروا الأبصار ، وتغلبوا[١] هذا وأخاه ، ﴿ **وقد أفلح اليوم من استعلىٰ** ﴾ . أي : منا ومنه ، أما نحن فقد وعدنا هذا الملك العطاء الجزيل ، وأما هو فينال الرياسة العظيمة .

قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾

يقول تعالى مخبرًا عن السحرة حين توافقوا هم وموسى - عليه السلام - أنهم قالوا لموسى : ﴿ **إما أن تلقي** ﴾ . أي : أنت أولًا ﴿ **وإما أن نكون أول من ألقىٰ * قال بل ألقوا** ﴾ . أي : أنتم أولًا ؛ ليرىٰ ما[٢] تصنعون من السحر ، وليظهر للناس جلية أمرهم ، ﴿ **فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعىٰ** ﴾ . وفي الآية الأخرىٰ أنهم لما ألقوا ﴿ **قالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم** ﴾ . وقال هاهنا : ﴿ **فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعىٰ** ﴾ .

وذلك أنهم أودعوها من الزئبق ما كانت تتحرك بسببه وتضطرب وتميد ، بحيث يخيل للناظر أنها تسعىٰ باختيارها ، وإنما كانت حيلة ، وكانوا[٣] جمًّا غفيرًا وجمعًا كبيرًا[٤] ، فألقىٰ كل منهم عصًا وحبلًا حتى صار الوادي ملآن حيات يركب بعضها بعضًا . وقوله : ﴿ **فأوجس في نفسه خيفة موسىٰ** ﴾ أي : خاف علىٰ الناس أن يَفْتَتِنُوا بسحرهم ، ويغتروا بهم قبل أن يلقي ما في يمينه ، فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه في الساعة الراهنة : أن ﴿ **ألق ما في يمينك** ﴾ يعني : عصاك ﴿ **فإذا هي تلقف ما صنعوا** ﴾ وذلك أنها صارت تنينًا عظيمًا هائلًا ، ذا عيون وقوائم [وعنق][٥] ورأس وأضراس ، فجعلت تتبع تلك الحبال والعصي ، حتىٰ لم تبق منها شيئًا إلا تلقفته وابتلعته ، والسحرة والناس ينظرون إلىٰ ذلك عيانًا جَهْرَة ، نهارًا ضحوة . فقامت المعجزة ، واتضح البرهان ، وبطل ما كانوا يعملون . ولهذا قال

[١] - في ز : « تقلبوا » .
[٢] - في ش : ماذا .
[٣] - في ز : « جاءوا » .
[٤] - في ش : « كثيرًا » .
[٥] - سقط من ز .

تعالىٰ : ﴿ **إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتىٰ** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن موسىٰ الشيباني ، حدثنا حماد بن خالد ، حدثنا ابن معاذ - أحسبه الصائغ[١] - عن الحسن ، عن جُنْدب بن عبد اللَّه البجلي قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إذا أخذتم[٢]** - يعني الساحر - **فاقتلوه ، ثم قرأ ﴿ ولا يفلح الساحر حيث أتىٰ ﴾** . قال : **لا يؤمن به حيث وجد** » .

وقد روىٰ أصله الترمذي موقوفًا ومرفوعًا(٥٦) .

فلما عاين السحرة ذلك وشاهدوه - ولهم خبرة بفنون السحر وطرقه ووجوهه - علموا علم اليقين أن هذا الذي فعله موسىٰ ليس من قبيل السحر والحيل ، وأنه حق لا مرية فيه ، ولا يقدر علىٰ هذا إلا الذي يقول للشيء كن فيكون ، فعند ذلك وقعوا سجدًا للَّه ، وقالوا : ﴿ **آمنا برب العالمين * رب موسىٰ وهارون** ﴾ .

ولهذا قال ابن عباس وعبيد بن عمير : كانوا أول النهار سحرة ، وفي آخر النهار شهداء بررة .

قال محمد بن كعب: كانوا ثمانين ألفًا .

وقال القاسم بن أبي بزة[٣]: كانوا سبعين ألفًا .

وقال السدي : بضعة وثلاثين ألفًا .

وقال الثوري عن عبد العزيز بن رفيع عن أبي ثمامة : [كان سحرة فرعون تسعة عشر ألفًا .

وقال محمد بن إسحاق : كانوا خمسة عشر ألفًا .

(٥٦) - أخرجه الترمذي في كتاب الحدود ، باب : ما جاء في حد الساحر ، حديث (١٤٦٠) ، (٤/٤٩ - ٥٠) من طريق الحسن ، عن جندب ، عن أبي جنادة ، فذكره .
وقال الترمذي : هذا حديث لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه وإسماعيل بن مسلم المكي يضعف في الحديث ، وإسماعيل بن مسلم العبدى البصرى - قال وكيع : هو ثقة - ويروى عن الحسن أيضًا والصحيح عن جندب موقوف ، والعمل على هذا عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - وغيرهم ، وهو قول مالك بن أنس ، وقال الشافعي : إنما يقتل الساحر إذا كان يعمل في سحره ما يبلغ به الكفر ، فإذا عمل عملاً دون الكفر فلم نر عليه قتلًا . اهـ

[١] - في ز : « الصانع » .
[٢] - في ز : « أحلكم » .
[٣] - في ز : « بريدة » .

وقال] [١]كعب الأحبار : كانوا اثني عشر ألفًا .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عليّ بن الحسين ، حدثنا محمد بن عليّ بن حمزة ، حدثنا عليّ بن الحسين بن واقد ، عن أبيه ، عن يزيد النحوي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كانت السحرة سبعين رجلًا ، أصبحوا سحرة ، وأمسوا شهداء .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا المسيب بن واضح بمكة ، حدثنا ابن المبارك ، قال : قال الأوزاعي ، لما خر السحرة سجدًا رفعت لهم الجنة حتىٰ نظروا إليها .

قال : وذكر عن سعيد بن سلام : حدثنا إسماعيل بن عبد اللّه بن سليمان ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير : قوله : ﴿ **وألقي السحرة سجدًا** ﴾ ، قال : رأوا منازلهم تبنىٰ لهم وهم في سجودهم . وكذا قال عكرمة ، والقاسم بن أبي بَزَّة .

قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن كفر فرعون وعناده وبغيه ، ومكابرته الحقَّ بالباطل ، حين رأىٰ ما رأىٰ من المعجزة الباهرة والآية العظيمة ، ورأىٰ الذين قد استنصر بهم قد آمنوا بحضرة الناس كلهم ، وغلب كل الغلب ، شرع في المكابرة والبهت ، وعدل إلىٰ استعمال جاهه وسلطانه في السحرة ، فتهددهم وأوعدهم ، وقال : ﴿ **آمنتم له** ﴾ ، أي : صدقتموه ﴿ **قبل أن آذن لكم** ﴾ ، أي : وما أمرتكم بذلك . وافتتم علي في ذلك ، وقال قولًا يعلم هو والسحرة والخلق كلهم أنه بهت وكذب : ﴿ **إنه لكبيركم الذي علمكم السحر** ﴾ أي : أنتم إنما أخذتم السحر عن موسىٰ ، واتفقتم أنتم وإياه عليَّ وعلىٰ رعيتي ؛ لتظهروه ، كما قال تعالىٰ في الآية الأخرىٰ : ﴿ **إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون** ﴾ ثم أخذ يتهددهم فقال : ﴿ **لأقطعنّ أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل** ﴾ أي : لأجعلنكم مثلة ولأقتلنكم[٢] ولأشهرنكم .

---

[١] - سقط من ز . [٢] - سقط من ز .

قال ابن عباس: فكان أول من فعل ذلك . رواه ابن أبي حاتم .

وقوله: ﴿ **ولتعلمنّ أينا أشد عذابًا وأبقىٰ** ﴾ . أي: أنتم تقولون: إني وقومي علىٰ ضلالة، وأنتم مع موسىٰ وقومه علىٰ الهدىٰ، فسوف تعلمون من يكون له العذاب ويبقىٰ فيه .

فلما صال عليهم بذلك وتوعدهم، هانت عليهم أنفسهم في الله - عز وجل - و﴿ **قالوا: لن نؤثرك علىٰ ما جاءنا من البينات** ﴾ . أي: لن نختارك[١] علىٰ ما حصل لنا من الهدىٰ واليقين .

﴿ **والذي فطرنا** ﴾ يحتمل أن يكون قسمًا، ويحتمل أن يكون معطوفًا على البينات . يعنون: لا نختارك علىٰ فاطرنا وخالقنا الذي أنشأنا من العدم، المبتدئ خلقنا من الطين، فهو المستحق للعبادة والخضوع لا أنت ﴿ **فاقض ما أنت قاض** ﴾، أي: فافعل ما شئت وما وصلت إليه يدك . ﴿ **إنما تقضي هذه الحياة الدنيا** ﴾ . أي: إنما لك تَسَلُّط في هذه الدار وهي دار الزوال، ونحن قد رغبنا في دار القرار .

﴿ **إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا** ﴾ . أي: ما كان منا من الآثام، خصوصًا ما أكرهتنا عليه من السحر، لنُعارض به آية الله تعالىٰ ومعجزة نبيه .

قال ابن أبي حاتم(٥٧): حدثنا أبي، حدثنا نعيم بن حماد، حدثنا سفيان بن عيينة، عن أبي سعيد، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿ **وما أكرهتنا عليه من السحر** ﴾، قال: أخذ فرعون أربعين غلامًا من بني إسرئيل، فأمر أن يعلموا السحر بالفَرَمَا، وقال: علموهم تعليمًا لا يعلمه أحد في الأرض . قال ابن عباس: فهم الذين آمنوا بموسىٰ، وهم من الذين قالوا: ﴿ **آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر** ﴾ .

وكذ قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

وقوله: ﴿ **والله خير وأبقىٰ** ﴾ . أي: خير لنا منك، ﴿ **وأبقىٰ** ﴾، أي: أدوم ثوابًا مما كنت وعدتنا ومنّيتنا، وهو رواية عن ابن إسحاق رحمه الله !

وقال محمد بن كعب القرظي (٥٨): ﴿ **والله خير** ﴾، أي: لنا منك إن أطيع،

---

(٥٧) - وأخرجه الطبرى في «تفسيره»: (١٦/١٨٩ - ١٩٠) من طريق نعيم بن حماد به .

(٥٨) - أخرجه الطبرى في «تفسيره»: (١٦/١٩٠) .

---

[١] - في ز: «نختار» .

﴿ وأبقىٰ ﴾ . أي : منك عذابًا إن عُصِيَ . وروي نحوه عن ابن إسحاق أيضًا .

والظاهر أن فرعون - لعنه الله - صمّم علىٰ ذلك وفعله بهم رحمهم الله ! ولهذا قال ابن عباس(٥٩) وغيره من السلف : أصبحوا سحرة ، وأمسوا شهداء .

﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ (٧٤) وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ (٧٥) جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ (٧٦) ﴾

الظاهر من السياق أن هذا من تمام ما وَعَظ به السحرةُ لفرعون ، يحذرونه من نقمة الله وعذابه الدائم السرمدي ، ويرغبونه في ثوابه الأبدي المخلد ، فقالوا : ﴿ **إنه من يأت ربه مجرمًا** ﴾ . أي : يلقىٰ الله يوم القيامة وهو مجرم ، ﴿ **فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيىٰ** ﴾ ، كقوله : ﴿ **لا يقضىٰ عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها ، كذلك نجزي كل كفور** ﴾ . وقال : ﴿ **ويتجنبها الأشقىٰ الذي يصلىٰ النار الكبرىٰ ثم لا يموت فيها ولا يحيىٰ** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون** ﴾ .

وقال الإمام أحمد بن حنبل(٦٠) : حدثنا إسماعيل ، أخبرنا سعيد بن يزيد ، عن أبي نَضْرَة عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أما أهل النار الذين هم أهلها ، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن ناس**[١] **تصيبهم النار بذنوبهم ، فتميتهم إماتة ، حتىٰ إذا صاروا فحمًا ، أذن في الشفاعة ، فجيء**[٢] **بهم ضبائر ضبائر**[٣] **، فبثوا علىٰ أنهار الجنة ، فيقال**[٤] **: يا أهل الجنة ، أفيضوا عليهم . فينبتون نبات الحِبَّة**[٥] **تكون في حَمِيل السيل**[٦]» . فقال رجل من القوم : كأن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، كان بالبادية .

(٥٩) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٦/١٨٨) .
(٦٠) - مسند أحمد : (٣/١١) .

[١] - سقط من ز . [٢] - في ز : « جيء » .
[٣] - هم الجماعات في تفرقة ، واحدتها ضبارة . النهاية [٣/٧١] .
[٤] - في ز : « قال » .
[٥] - الحبة - بالكسر - : بذور البقول وحبُّ الرياحين . وقيل : هو نبت صغير ينبت في الحشيش . النهاية [١/٣٢٦] .
[٦] - هو ما يجيء به السيل من طين أو غثاء وغيره ، فإذا اتفقت فيه حبة واستقرت على شط مجرى السيل فإنها تنبت في يوم وليلة . النهاية [١/٤٤٢] .

وهكذا أخرجه مسلم(٦١) في كتابه الصحيح من رواية شعبة وبشر ابن المفضل كلاهما عن أبي مسلمة[١] سعيد بن يزيد به .

وقال ابن أبي حاتم(٦٢) : ذكر عن عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث قال : حدثنا أبي ، حدثنا حيَّان ، سمعت سليمان التيمي ، عن أبي نَضْرَةَ ، عن أبي سعيد : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم خطب فأتىٰ علىٰ هذه الآية : ﴿ **إنه من يأت ربه مجرمًا فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيىٰ** ﴾ قال النبيّ ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أما أهلها الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون ، وأما الذين ليسوا من أهلها ، فإن النار تمسهم ، ثم يقوم الشفعاء فيشفعون ، فتجعل الضبائر ، فيؤتىٰ بهم نهرًا يقال له الحياة - أو الحيوان - فينبتون كما ينبت القثّاء في حميل السيل** » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ومن يأته مؤمنًا قد عمل الصالحات** ﴾ . أي : ومن لقي ربه يوم المعاد مؤمن القلب ، قد صدق ضميره بقوله وعمله ﴿ **فأولئك لهم الدرجات العلىٰ** ﴾ أي : الجنة ذات الدرجات العاليات ، والغرف الآمنات ، والمساكن الطيبات .

قال الإمام أحمد(٦٣) : حدثنا عفان ، أنبأنا همام ، حدثنا زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن عبادة بن الصامت ، عن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **الجنة مائة درجة ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، والفردوس أعلاها درجة ، ومنها تخرج الأنهار الأربعة ، والعرش فوقها ، فإذا سألتم اللَّه فاسألوه الفردوس** » . ورواه الترمذي من حديث يزيد بن هارون عن همام به .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي ، أخبرنا خالد ابن[٢] يزيد بن أبي مالك ، عن أبيه قال : كان يقال : الجنة مائة درجة ، في كل درجة مائة درجة ، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، فيهن الياقوت والحلي[٣] ، في كل درجة أمير[٤] ، يرون له الفضل والسؤدد .

(٦١) - صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب : إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار ، حديث (٣٠٦ - ٣٠٧ - (١٨٥) ، (٣/٤٦ : ٤٨) .

(٦٢) - وأخرجه مسلم في « صحيحه » كتاب الإيمان ، باب : إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار ، حديث ٣٠٦ - (١٨٥) ، (٣/٤٦ - ٤٧) ، وأحمد في مسنده (٣/١١) .

(٦٣) - أخرجه أحمد في « مسنده » : (٥/٣١٦ ، ٣٢١) (٢٢٧٩٨) (٢٢٨٤٣) . والترمذي في كتاب صفة الجنة ، باب : ما جاء في صفة درجات الجنة ، حديث (٢٥٣١) ، (٤/٥٨٣) .

[١] - في ز : « مسلم » .
[٢] - في ز : « أبو » .
[٣] - في ز : « الحيل » .
[٤] - في ز : « أمر » .

وفي الصحيحين (٦٤) : « **إن أهل عليين ليرون من فوقهم كما ترون[١] الكوكب الغابر في أفق السماء ؛ لتفاضل ما بينهم** » . قالوا : يا رسول الله ؛ تلك منازل الأنبياء . قال : «بلىٰ[٢] ، **والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين** » .

وفي السنن(٦٥) : وإن أبا بكر وعُمر لمنهم وأنعما .

وقوله : ﴿ **جنات عدن** ﴾ أي : إقامة ، وهي بدل من الدرجات العلىٰ ﴿ [**تجري من تحتها الأنهار**][٣] **خالدين فيها** ﴾ . أي : ماكثين أبدًا ﴿ **وذلك جزاء من تزكىٰ** ﴾ أي : طهر نفسه من الدنس والخبث والشرك ، وعبد الله وحده لا شريك له ، وصدق المرسلين فيما جاءوا به من خبر[٤] وطلب .

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا أنه أمر موسىٰ - عليه السلام - حين أبىٰ فرعون أن يرسل معه بني إسرائيل ، أن يُسري بهم في الليل ، ويذهب بهم من قبضة فرعون . وقد بسط الله هذا المقام في غير هذه السورة الكريمة ، وذلك أن موسىٰ لما خرج ببني إسرائيل أصبحوا وليس منهم بمصر لا داع ولا مجيب ، فغضب فرعون غضبًا شديدًا ، وأرسَلَ في المدائن حاشرين ، أي : من يجمعون له الجند من بلدانه ورساتيقه . يقول : إن هٰؤلاءِ لشرذمة قليلون ، وإنهم لنا لغائظون . ثم لما جمع جنده واستوثق[٥] له جيشه ، ساق في طلبهم ﴿ **فأتبعوهم مشرقين** ﴾ . أي : عند طلوع الشمس ﴿ **فلما تراءىٰ الجمعان** ﴾ أي : نظر كل من

(٦٤) - أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق ، باب : ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ، حديث (٣٢٥٦) (٦/٣٢٠) وطرفه في (٦٥٥٦) . ومسلم في كتاب الجنة ، حديث (٢٨٣١/١١) ، (٢٤٧/١٧) من حديث أبي سعيد الخدري .

(٦٥) - أخرجه أبو داود في كتاب الحروف والقراءات ، حديث (٣٩٨٧) ، والترمذي في كتاب المناقب : باب : مناقب أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - حديث (٣٦٥٨) ، (٥٦٧/٥) . وابن ماجه في المقدمة ، باب : في فضائل أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حديث (٩٦) (٣٧/١) من حديث أبي سعيد الخدري .

[١] - في ز : « يرون » .
[٢] - في ز : « بل » .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ز : « خير » .
[٥] - في ز : « واستوس » .

الفريقين إلىٰ الآخر ، ﴿ قال أصحاب موسىٰ إنا لمدركون * قال كلا إن معي ربي سيهدين ﴾ ووقف موسىٰ ببني إسرائيل ، البحرُ أمامهم ، وفرعون وراءهم ، فعند ذلك أوحىٰ اللَّه إليه : أن اضرب لهم طريقًا في البحر يبسًا ، فضرب البحر بعصاه ، وقال : انفلق بإذن اللَّه ! ﴿ فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ﴾ أي : الجبل العظيم . وأرسل اللَّه الريح ، علىٰ أرض[١] البحر فلفحته[٢] حتىٰ صار يابسًا كوجه الأرض ، ولهذا قال : ﴿ فاضرب لهم طريقًا في البحر يبسًا * لا تخاف دركًا ﴾ أي : من فرعون ، ﴿ ولا تخشىٰ ﴾ ، يعني : من البحر أن يغرق قومك .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ﴾ ، أي : البحر ﴿ ما غشيهم ﴾ أي : الذي هو معروف ومشهور ، وهذا يقال عند الأمر المعروف المشهور ، كما قال تعالىٰ : ﴿ والمؤتفكة أهوىٰ * فغشاها ما غشىٰ ﴾ وكما قال الشاعر :

أنا أبو النجم وشعري شعري

أي الذي يعرف وهو مشهور ، وكما تقدمهم فرعون فسلك بهم في اليم ، فأضلهم وما هداهم إلىٰ سبيل الرشاد ، كذلك : ﴿ يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود ﴾ .

يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾

يذكر تعالىٰ نعمه علىٰ بني إسرائيل العظام ، ومننه الجسام ، حيث نجاهم من عدوهم فرعون ، وأقر أعينهم منه ، وهم ينظرون إليه وإلىٰ جنده قد غرقوا في صبيحة واحدة ، لم ينج منهم أحد ، كما قال : ﴿ وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون ﴾ .

وقال البخاري (٦٦) : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا روح بن عبادة ، حدثنا شعبة ،

(٦٦) - أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى فاضرب لهم طريقًا في البحر يبسًا .... ﴾ حديث (٤٧٣٧) ، (٤٣٤/٨) .

[١] - في ز : « الأرض » . [٢] - في ز « فلقحته » .

حدثنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما قدم رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، المدينة و[١]اليهود تصوم عاشوراء ، فسألهم فقالوا : هذا اليوم الذي أظهر[٢] الله فيه موسىٰ علىٰ فرعون . فقال : « **نحن أولىٰ بموسىٰ فصوموه** » . ورواه مسلم(٦٧) أيضًا في صحيحه .

ثم إنه تعالىٰ واعد موسىٰ وبني إسرائيل بعد هلاك فرعون إلىٰ جانب الطور الأيمن ، وهو الذي كلمه تعالىٰ عليه ، وسأل فيه الرؤية ، وأعطاه التوراة هناك ، وفي غُضُون[٣] ذلك عبد بنو إسرائيل العجل ، كما يقصه تعالىٰ قريبًا .

وأما المن والسلوىٰ فقد تقدم الكلام على ذلك في سورة البقرة وغيرها . فالمن : حلوىٰ كانت تنزل عليهم من السماء . والسلوىٰ : طائر يسقط عليهم ، فيأخذون من كل قدر الحاجة إلىٰ الغد ، لُطْفًا من الله ، ورحمة بهم ، وإحسانًا إليهم ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي** ﴾ . أي : كلوا من هذا الرزق[٤] الذي رزقتكم ، ولا تطغوا في رزقي ، فتأخذوه من غير حاجة ، و[٥]تخالفوا ما أمرتكم به ، ﴿ **فيحل عليكم غضبي** ﴾ أي : أغضب عليكم ﴿ **ومن يحلل عليه غضبي فقد هوىٰ** ﴾ . قال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس(٦٨) - رضي الله عنهما - : أي : فقد شقي .

وقال شُفَيّ بن ماتع : إن في جهنم قصرًا يرمىٰ[٦] الكافر من أعلاه ، فيهوي في جهنم أربعين خريفًا قبل أن يبلغ الصلصال ، وذلك قوله : ﴿ **ومن يحلل عليه غضبي فقد هوىٰ** ﴾ . رواه ابن أبي حاتم .

وقوله : ﴿ **وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحًا** ﴾ ، أي : كل من تاب إليَّ تبت عليه من أي ذنب كان ، حتىٰ أنه تاب تعالىٰ علىٰ من عبد العجل من بني إسرائيل .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **تاب** ﴾ أي : رجع عما كان فيه من كفر أو شرك . أو معصية أو نفاق .

---

(٦٧) - أخرجه مسلم في كتاب الصيام ، حديث (١٢٧ - ١٢٨/١٣٠) ، (١٣/٨) .

(٦٨) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٩٤/١٦) ، وذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٥٤٤/٤) وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

---

[١] - في ت : « وجد » .
[٢] - في ش : « أظفر » .
[٣] - في ز : « غبون » .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - في ز : « يؤتى » .

وقوله : ﴿ وآمن ﴾ أي : بقلبه[١] ﴿ وعمل صالحًا ﴾ أي : بجوارحه .

وقوله : ﴿ ثم اهتدىٰ ﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : أي ثم لم يشكك .

وقال سعيد بن جبير : ﴿ ثم اهتدىٰ ﴾ ، أي : استقام علىٰ السنة والجماعة . وروي نحوه عن مجاهد والضحاك وغير واحد من السلف .

وقال قتادة : ﴿ ثم اهتدىٰ ﴾ أي: لزم الإسلام حتى يموت .

وقال سفيان الثوري : ﴿ ثم اهتدىٰ ﴾ أي : علم أن لهذا[٢] ثوابًا ، و« ثم » هاهنا لترتيب الخبر على الخبر ، كقوله : ﴿ **ثم كان من الذين آمنوا [وتواصوا بالصبر وتواصو بالمرحمة]**[٣]﴾ .

﴿ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾

لما سار موسىٰ - عليه السلام - ببني إسرائيل بعد هلاك فرعون ﴿ **وأتوا**[٤] **علىٰ قوم يعكفون علىٰ أصنام لهم قالوا ياموسىٰ اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون** ﴾ وواعده ربه ثلاثين ليلة ، ثم أتبعها له عشرًا ، فتمت أربعين ليلة ، أي : يصومها ليلًا ونهارًا . وقد تقدم في حديث الفتون بيان ذلك . فسارع موسىٰ - عليه السلام - مبادرًا إلىٰ الطور ، واستخلف علىٰ بني إسرائيل أخاه

[١] - في ز : « قلبه » .
[٢] - في ز : « هذا » .
[٣] - في ز : « وعملوا الصالحات » .
[٤] - في ز : « وافوا » .

هارون ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وما أعجلك عن قومك يا موسىٰ * قال هم أولاء علىٰ أثري** ﴾ أي : قادمون ينزلون قريبًا من الطور ﴿ **وعَجِلت إليك رب لترضىٰ** ﴾ أي : لتزداد عني رضًا . ﴿ **قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري** ﴾ .

أخبر تعالىٰ نبيه موسىٰ بما كان بعده من الحدث في بني إسرائيل ، وعبادتهم العجل الذي عمله لهم ذلك السامري . وفي الكتب الإسرائيلية : أنه كان اسمه هارون أيضًا ، وكتب الله تعالىٰ له في هذه المدة الألواح المتضمنة التوراة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلًا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين** ﴾ . أي : عاقبة الخارجين عن طاعتي المخالفين لأمري .

وقوله : ﴿ **فرجع موسىٰ إلىٰ قومه غضبان أسفًا** ﴾ ، أي : بعد ما أخبره تعالىٰ بذلك ، في غاية الغضب والحنق عليهم ، هو فيما هو فيه من الاعتناء بأمرهم ، وتسلم[١] التوراة التي فيها شريعتهم ، وفيها شرف لهم ، وهم قوم قد عبدوا غير الله ، ما يَعْلَمُ كل عاقل له لب [وحزم][٢] بطلان ما هم فيه وسخافة عقولهم وأذهانهم ، ولهذا رجع إليهم غضبان أسفًا . والأسف شدّة الغضب . وقال مجاهد : ﴿ **غضبان أسفًا** ﴾ أي : جزعًا .

وقال قتادة والسدي : ﴿ **أسفًا** ﴾ حزينًا علىٰ ما صنع قومه من بعده ﴿ **قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدًا حسنًا** ﴾ ، أي : أما وعدكم علىٰ لساني كل خير في الدنيا والآخرة ، وحسن العاقبة كما قد شاهدتم من نصرته إياكم علىٰ عدوكم ، وإظهاركم عليه ، وغير ذلك من أياديه عندكم ﴿ **أفطال عليكم العهد** ﴾ أي : في انتظار ماوعدكم الله ، ونسيان ما سلف من نعمه ، وما بالعهد من قدم . ﴿ **أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم** ﴾ ، ﴿ **أم** ﴾ : هاهنا بمعنىٰ بل ، وهي للإضراب عن الكلام الأول ، وعدول إلىٰ الثاني ، كأنه يقول : بل أردتم بصنيعكم هذا أن يحل عليكم غضب من ربكم ﴿ **فأخلفتم موعدي * قالوا** ﴾ ، أي : بنو إسرائيل في جواب ما أنبهم موسىٰ وقرعهم : ﴿ **ما أخلفنا موعدك بمَلْكِنا** ﴾ أي : عن قدرتنا واختيارنا .

ثم شرعوا يعتذرون بالعذر البارد ، يخبرونه عن تورعهم عما كان بأيديهم من حلي القبط ، الذي كانوا قد استعاروه منهم ، حين خرجوا من مصر ﴿ **فقذفناها** ﴾ . أي : ألقيناها عنا . وقد تقدم في حديث الفتون أن هارون - عليه السلام - هو الذي كان أمَرَهم بإلقاء الحلي في حفيرة فيها نار .

---

[١] - في ز : « تسليم » .

[٢] - سقط من ز .

وفي رواية السدي ، عن أبي مالك ، عن ابن عباس : إنما أراد هارون أن يجتمع الحلي كله في تلك الحفيرة ، ويجعل حجرًا واحدًا ، حتىٰ إذا رجع موسىٰ - عليه السلام - يرىٰ فيه ما يشاء ، ثم جاء ذلك السامري فألقىٰ عليها تلك القبضة التي أخذها من أثر الرسول ، وسأل هارون أن يدعو الله أن يستجيب له في دعوته ؛ فدعا له هارون وهو لا يعلم ما يريد ، فأجيب له ، فقال السامري عند ذلك : أسأل الله أن يكون عجلًا . فكان عجلًا له خوار . أي : صوت استدراجًا وإمهالًا ومحنة واختبارًا ، ولهذا قال : ﴿ **فكذلك ألقىٰ السامري * فأخرج لهم عجلًا جسدًا له خوار** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عبادة بن البَخْتَري[١] ، حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا حماد ، عن سماك ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أن هارون مر بالسامري وهو ينحت العجل ، فقال له : ما تصنع ؟ فقال : أصنع ما يضر ولا ينفع . فقال هارون : اللهم أعطه ما سأل علىٰ مافي نفسه . ومضىٰ هارون ، فقال السامري : اللهم إني أسألك أن يخور . فخار ، فكان إذا خار سجدوا له ، وإذا خار رفعوا رءوسهم . ثم رواه من وجه آخر عن حماد ، وقال : أعمل[٢] ما ينفع ولا يضر.

وقال السدي[٣]: كان يخور ويمشي ﴿ **فقالوا** ﴾ ، أي : الضلال منهم الذين افتتنوا بالعجل وعبدوه : ﴿ **هذا إلهكم وإله موسىٰ فنسي** ﴾ أي :نسيه هاهنا وذهب يتطلبه ، كذا تقدم في حديث الفتون عن ابن عباس ، وبه قال مجاهد .

وقال سماك عن عكرمة عن ابن عباس : ﴿ **فنسي** ﴾ . أي : نسي أن يذكركم أن هذا إلهكم .

وقال محمد بن إسحاق ، عن حكيم بن جبير[٤] ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﴿ **فقالوا هذا إلهكم وإله موسىٰ** ﴾ قال : فعكفوا عليه وأحبوه حبًا لم يحبوا شيئًا قط - يعني مثله - يقول الله : ﴿ **فنسي** ﴾ ، أي : ترك ما كان عليه من الإسلام - يعني السامري ، قال الله تعالىٰ ردًا عليهم ، وتقريعًا لهم ، وبيانًا لفضيحتهم ، وسخافة عقولهم فيما ذهبوا إليه : ﴿ **أفلا يرون أن لا يرجع إليهم قولًا ولا يملك لهم ضرًا ولا نفعًا** ﴾ أي : العجل ، ﴿ **أفلا يرون** ﴾ أنه لا يجيبهم إذا سألوه ، ولا إذا خاطبوه ، ﴿ **ولا يملك لهم ضرًا ولا نفعًا** ﴾ . أي : في دنياهم ولا أخراهم .

---

[١] - في ز : « النحوي » .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ز : « الذي » .
[٤] - في ز : « جرير » .

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : لا والله ما كان خواره إلا أن يدخل الريح في دبره ، فتخرج من فيه فيسمع له صوت . وقد تقدم في متون الحديث عن الحسن البصري أن هذا العجل اسمه : بهموت .

وحاصل ما اعتذر به هؤلاء الجهلة أنهم تورعوا عن[١] زينة القبط فألقوها عنهم ، وعبدوا العجل ، فتورعوا عن الحقير وفعلوا الأمر الكبير . كما جاء في الحديث الصحيح(٦٩) ؛ عن [عبد الله بن][٢] عمر أنه سأله رجل من أهل العراق عن دم البعوض إذا أصاب الثوب ، يعني : هل يصلي فيه أم لا ؟ فقال ابن عمر - رضي الله عنهما - : انظروا إلىٰ أهل العراق ، قتلوا ابن بنت رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم - يعني الحسين - وهم يسألون عن دم البعوض !

﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ ﴾

يخبر تعالىٰ عما كان من نهي هارون - عليه السلام - لهم عن عبادتهم العجل ، وإخباره إياهم : إنما هذا فتنة لكم ، ﴿ وإن ربكم الرحمن ﴾ الذي خلق كل شيء فقدره تقديرًا ، ذو العرش المجيد ، الفعال لما يريد ، ﴿ فاتبعوني [وأطيعوا أمري][٣] ﴾ أي : فيما آمركم به ، واتركوا ما أنهاكم عنه .

﴿ قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتىٰ يرجع إلينا موسىٰ ﴾ أي : لا نترك عبادته حتىٰ نسمع كلام موسىٰ فيه ، وخالفوا هارون في ذلك وحاربوه ، وكادوا أن يقتلوه .

﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ ﴾

(٦٩) - أخرجه البخاري في كتاب الأدب من صحيحه ، باب : رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ، حديث (٥٩٩٤) ، (٤٢٦/١٠) .

[١] - في ز : « في » .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من ز .

يخبر تعالىٰ عن موسىٰ - عليه السلام - حين رجع إلىٰ قومه ، فرأىٰ ما قد حدث فيهم من الأمر العظيم ، فامتلأ عند ذلك غيظًا ، وألقىٰ ما كان في يده من الألواح الإلهية ، وأخذ برأس أخيه يجرّه إليه ، وقد قدمنا في سورة[١] الأعراف بسط ذلك ، وذكرنا هناك حديث « ليس الخبر كالمعاينة » . وشرع يلوم أخاه هارون فقال : ﴿ **ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن** ﴾ أي : فتخبرني بهذا الأمر أول ما وقع ﴿ **أفعصيت أمري** ﴾ أي : فيما كنت تقدمت إليك ، وهو قوله : ﴿ **اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين** ﴾ قال : ﴿ **يا ابن أم** ﴾ تَرَقَّقَ له بذكر الأم ، مع أنه شقيقه لأبويه ؛ لأن ذكر الأم هاهنا أرق وأبلغ ، أي في الحنو والعطف ، ولهذا قال : ﴿ **يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي** ﴾ . الآية .

هذا اعتذار من هارون عند موسىٰ في سبب تأخره عنه ، حيث لم يلحقه فيخبره بما كان من هذا الخطب الجسيم ، ﴿ **قال إني خشيت** ﴾ أن أتبعك فأخبرك بهذا ، فتقول لي : لم تركتهم وحدهم وفرقت بينهم ﴿ **ولم ترقب قولي** ﴾ أي : وما راعيت ما أمرتك به حيث استخلفتك فيهم .

قال ابن عباس(٧٠) : وكان هارون[٢] هائبًا مطيعًا له .

قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

يقول موسى - عليه السلام - للسامري : ما حملك على ما صنعت ؟ وما الذي عرض لك حتى فعلت ما فعلت ؟

---

(٧٠) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٦/٢٠٣) .

---

[١] - سقط من ز . [٢] - سقط من ز .

قال محمد بن إسحاق ، عن حكيم بن جبير[١] ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان السامري رجلًا من أهل باجرما ، وكان من قوم يعبدون البقر ، وكان حب عبادة البقر في نفسه ، وكان قد أظهر الإِسلام مع بني إسرائيل[٢] ، وكان [اسم السامري] : موسىٰ بن ظِفر .

وفي رواية عن ابن عباس أنه كان من كرمان .

وقال قتادة : كان من قرية اسمها سامرا[٣] .

﴿ **قال بصرت بما لم يبصروا به** ﴾ أي : رأيت جبريل حين جاء لهلاك فرعون ﴿ **فقبضت قبضة من أثر الرسول** ﴾ أي : من أثر فرسه ، وهذا هو المشهور عند كثير من المفسرين أو أكثرهم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عمار[٤] بن الحارث ، أخبرني عبيد اللَّه بن موسىٰ ، أخبرنا إسرائيل ، عن السدي ، عن أبي بن عمارة ، عن علي - رضي اللَّه عنه - قال : إن جبريل - عليه السلام - لما نزل فصعد بموسىٰ - عليه السلام - إلىٰ السماء ، بصر به السامري من بين الناس ، فقبض قبضة من أثر الفرس . قال : وحمل جبريل موسىٰ - عليهما السلام - خلفه ، حتىٰ إذا دنا من باب السماء صعد ، وكتب اللَّه الألواح وهو يسمع صرير الأقلام في الألواح ، فلما أخبره أن قومه قد فُتِنُوا من بعده ، قال : نزل موسىٰ فأخذ العجل فأحرقه . غريب .

وقال مجاهد ﴿ **فقبضت قبضة من أثر الرسول** ﴾ قال : من تحت حافر فرس جبريل . قال : والقبضة ملء الكف ، والقبضة بأطراف الأصابع .

قال مجاهد : نبذ السامري ، أي : ألقىٰ ما كان في يده علىٰ حلية بني إسرائيل ، فانسبك عجلًا جسدًا له خوار ، حفيف الريح فيه فهو خواره .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن يحيىٰ ، أخبرنا علي بن المديني ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا عمارة ، حدثنا عكرمة : أن السامري رأىٰ الرسول ، فألقىٰ في روعه : أنك إن أخذت من أثر هذا الفرس قبضة فألقيتها في شيء ، فقلت له : كن فكان ، فقبض قبضة من أثر الرسول ، فيبست أصابعه علىٰ القبضة ، فلما ذهب موسىٰ للميقات ، وكان بنو إسرائيل قد[٥] استعاروا حلي آل فرعون ، فقال لهم السامري : إنما أصابكم من أجل هذا الحلي ،

---

[١] - في ز : جرير .
[٢] - بعده في ز : « وفي نفسه » .
[٣] - في ز : « سامره » .
[٤] - في ز : « عثمان » .
[٥] - سقط من ز .

فاجمعوه . فجمعوه فأوقدوا عليه ، فذاب ، فرآه السامري ، فألقي في روعه : أنك لو قذفت هذه القبضة في هذه ، فقلت : كن فكان ، فقذف القبضة ، وقال : كن ، فكان عجلًا جسدًا[١] له خوار ، فقال : ﴿ **هذا إلهكم وإله موسىٰ** ﴾ .

ولهذا قال : ﴿ **فنبذتها** ﴾ أي : ألقيتها مع من ألقىٰ ﴿ **وكذلك سولت لي نفسي** ﴾ أي : حسنته وأعجبها إذ ذاك ﴿ **قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس** ﴾ . أي : كما أخذت ومسست ما لم يكن لك أخذه ومسه من أثر الرسول ، فعقوبتك في الدنيا أن تقول : ﴿ **لا مساس** ﴾ ، أي : لا[٢] تماسّ الناس ولا يمسونك .

﴿ **وإن لك موعدًا** ﴾ أي : يوم القيامة . ﴿ **لن تخلفه** ﴾ أي : لا محيد لك عنه .

و[٣]قال قتادة : ﴿ **أن تقول لا مساس** ﴾ . قال : عقوبة لهم ، وبقاياهم اليوم يقولون[٤] : لا مساس .

وقوله : ﴿ **وإن لك موعدًا لن تخلفه** ﴾ . قال الحسن وقتادة وأبو نَهيك : لن تغيب عنه .

وقوله : ﴿ **وانظر إلىٰ إلهك** ﴾ ، أي : معبودك ﴿ **الذي ظلت عليه عاكفًا** ﴾ أي : أقمت علىٰ عبادته ، يعني : العجل ﴿ **لنحرقنه** ﴾ قال الضحاك : عن ابن عباس والسدي : سحله بالمبارد ، وألقاه على النار . وقال قتادة : استحال العجل من الذهب لحمًا ودمًا ، فحرقه بالنار ، ثم ألقاه - أي : رماده - في البحر ، ولهذا قال : ﴿ **ثم لننسفنه في اليم نسفًا** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم(٧١) : حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن رجاء ، أنبأنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عمارة بن عبد الله وأبي عبد الرحمن ، عن عليّ - رضي الله عنه - قال : إن موسىٰ لما تعجل إلىٰ ربه ، عمد السامري فجمع ما قدر عليه من حليّ نساء بني إسرائيل ، ثم صوره عجلًا ، قال : فعمد موسىٰ إلىٰ العجل ، فوضع عليه المبارد ، فبرده بها ، وهو علىٰ شط نهر ، فلم يشرب أحد من ذلك الماء ممن كان يعبد العجل إلا اصفرَّ وجهه مثل الذهب . فقالوا لموسىٰ : ما توبتنا ؟ قال : يقتل بعضكم بعضًا .

---

(٧١) - أخرجه ابن أبي حاتم كما في « الدر المنثور » (٥٤٥/٤) ، وزاد السيوطى نسبته إلى الفريابى وعبد بن حميد والحاكم .

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - سقط من ز .

وهكذا قال السديّ ، وقد تقدم في تفسير سورة البقرة ، ثم في حديث الفتون بسط ذلك .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **إنما إلهكم اللّه الذي لا إله إلا هو** [**وسع كل شيء علمًا** ﴾ يقول لهم موسىٰ - عليه السلام - : ليس هذا إلهكم ، إنما إلهكم اللّه الذي لا إله إلا هو][١] . أي : لا يستحق ذلك علىٰ العباد إلا هو ، ولا تنبغي العبادة إلا له ، فإن كل شيء فقير إليه ، عبد لديه[٢] .

وقوله : ﴿ **وسع كل شيء علمًا** ﴾ نُصِبَ على التمييز ، أي : هو عالم بكلِ شيء ، أحاط بكل شيء علمًا ، وأحصىٰ كل شيء عددًا فلا يعزب عنه مثقال ذرة ﴿ **وما**[٣] **تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين** ﴾ ﴿ **وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ، ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين** ﴾ . والآيات في هذا[٤] ذلك كثيرة جدًّا .

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾

يقول تعالى لنبيه محمد ، صلى الله عليه وسلم : كما قصصنا عليك خبر[٥] موسىٰ ، وما جرىٰ له مع فرعون وجنوده علىٰ الجليّة والأمر[٦] الواقع ، كذلك نقص عليك الأخبار الماضية كما وقعت من غير زيادة ولا نقص ، هذا ﴿ **وقد آتيناك من لدنا** ﴾ . أي : من عندنا ذكرًا ، وهو القرآن العظيم ، الذي ﴿ **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** ﴾ الذي لم يُعطَ نبي من الأنبياء - [منذ بعثوا إلى أن ختموا][٧] بمحمد ، صلىٰ اللّه عليه وسلم - تسليمًا كتابًا مثله ، ولا أكمل منه ، ولا أجمع لخبر ما سبق ، وخبر ما هو كائن ، وحكم الفصل بين الناس منه ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **من أعرض عنه** ﴾ أي : كذب به وأعرض عن اتباعه أمرًا وطلبًا ، وابتغىٰ الهدىٰ في غيره ، فإن اللّه يضله ويهديه إلىٰ سواء الجحيم ، ولهذا قال : ﴿ **من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرًا** ﴾ ، أي :

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز .
[٢] - في ش : « لربه » ، وفي ت : « له » .
[٣] - في ز : « ولا » .
[٤] - في ت : « ذلك » .
[٥] - في ز : « وحي » .
[٦] - في ز : « بالأمر » .
[٧] - بياضا في ز .

إثمًا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده** ﴾ ، وهذا عام في كل من بلغه القرآن ؛ من العرب والعجم ، أهل الكتاب وغيرهم ، كما قال : ﴿ **لأنذركم به ومن بلغ** ﴾ فكل من بلغه القرآن فهو نذير له وداع ، فمن اتبعه هدي ، ومن خالفه وأعرض عنه ضل وشقي في الدنيا ، والنار موعده يوم القيامة ، ولهذا قال : ﴿ **من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرًا * خالدين فيه** ﴾ أي : لا محيد لهم عنه ولا انفكاك ﴿ **وساء لهم يوم القيامة حملًا** ﴾ أي : وبئس الحمل حملهم !

يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾

ثبت في الحديث(٧٢) أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، سئل عن الصور ؟ فقال : « **قرن ينفخ فيه** » ، وقد جاء في حديث الصور من رواية أبي هريرة أنه قرن عظيم ، الدارةُ منه بقدر السمٰوات والأرض ، ينفخ فيه[١] إسرافيل - عليه السلام - وجاء في الحديث(٧٣) : « **كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن ، وحنىٰ جبهته ، وانتظر أن يؤذن له ؟** » . فقالوا : يا رسول الله ؛ كيف نقول ؟ قال : « **قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، علىٰ الله توكلنا** »

وقوله : ﴿ **ونحشر المجرمين يومئذ زرقًا** ﴾ ، قيل : معناه زُرْق العيون من شدة ماهم فيه من الأهوال .

---

(٧٢) - أخرجه أبو داود في كتاب السنة ، باب : في ذكر البعث والصور ، حديث (٤٧٤٢) ، (٢٣٦/٤) . والترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ، باب : ما جاء في شأن الصور ، حديث (٢٤٣٠) ، (٤/ ٥٣٦) . والنسائي في الكبرى : كتاب التفسير : باب قوله الله تعالى : ﴿ **ونفخ في الصور** ﴾ حديث (١١٣١٢) ، (٣٩٢/٦) . والدارمي : كتاب الرقائق ، باب : في نفخ الصور (٣٢٥/٢) ، وأحمد (٢/ ١٦٢،١٩٢) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص . وقال الترمذي : هذا حديث حسن .

(٧٣) - أخرجه الترمذي : كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ، باب : ما جاء في شأن الصور ، حديث (٢٤٣١) ، ٥٣٦/٤) ، والنسائي في « السنن الكبرى » كتاب : التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ **والذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم** ﴾ حديث (١١٠٨٢) ، (٣١٦/٦) من حديث أبي هريرة . وقال الترمذي : هذا حديث حسن . اهـ

---

[١] - سقط من ز .

﴿ يتخافتون بينهم ﴾ قال ابن عباس : يتسارّون بينهم . أي : يقول بعضهم لبعض : ﴿ إن لبثتم إلا عشرًا ﴾ ، أي : في الدار الدنيا ، لقد كان لبثكم فيها قليلًا ، عشرة أيام أو نحوها ؛ قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ نحن أعلم بما يقولون ﴾ ، أي : في حال تناجيهم بينهم ﴿ إذ يقول أمثلهم طريقة ﴾ ، أي : العاقل الكامل فيهم ﴿ إن لبثتم إلا يومًا ﴾ ، أي : لقصر مدة الدنيا في أنفسهم [يوم المعاد ؛ لأن الدنيا كلها وإن تكررت أوقاتها وتعاقبت لياليها وأيامها][١]وساعاتها كأنها يوم واحد ، ولهذا [يستقصر الكافرون][٢]مدة الحياة الدنيا يوم القيامة ، وكان غرضهم في ذلك دَرْء[٣] قيام الحجة عليهم ؛ لقصر المدة ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين * قالوا لبثنا يومًا أو بعض يوم فاسأل العادّين * قال إن لبثتم إلا قليلًا لو أنكم كنتم تعلمون ﴾ أي : إنما[٤] كان لبثكم فيها قليلًا لو كنتم تعلمون لآثرتم الباقي علىٰ الفاني ، ولكن تصرفتم فأسأتم التصرف ، قدمتم الحاضر الفاني علىٰ الدائم الباقي .

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا (١٠٧) يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (١٠٨)

يقول تعالىٰ : ﴿ ويسألونك عن الجبال ﴾ ، أي : هل تبقىٰ يوم القيامة أو تزول ؟ ﴿ فقل ينسفها ربي نسفًا ﴾ ، أي : يذهبها عن أماكنها ويمحقها ويسيرها تسييرًا ﴿ فيذرها ﴾ ، أي : الأرض ﴿ قاعًا صفصفًا ﴾ أي : بساطًا[٥] واحدًا .

والقاع : هو المستوي من الأرض ، والصفصف تأكيد لمعنىٰ ذلك ، وقيل : الذي لا نبات فيه ، والأول أولىٰ ، وإن كان الآخر مرادًا أيضًا باللازم ، ولهذا قال : ﴿ لا ترىٰ فيها عوجًا ولا أمتًا ﴾ ، أي : لا ترىٰ في الأرض يومئذ واديًا ولا رابية ، ولا مكانًا منخفضًا ولا مرتفعًا ، كذلك قال ابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد ، والحسن البصري ، والضحاك، وقتادة ،

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز : « تستقصر » .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ز : « بما » .
[٥] - في ز : « بسطًا » .

وغير واحد من السلف.

﴿ يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له ﴾ ، أي : يوم يرون هذه الأحوال والأهوال ، يستجيبون مسارعين إلىٰ الداعي ، حيثما أمروا بادروا إليه ، ولو إليه كان هذا في الدنيا لكان أنفع لهم ، ولكن حيث لا ينفعهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا ﴾ ، وقال : ﴿ مهطعين إلى الداع [يقول الكافرون هذا يوم عسر] ﴾ . وقال محمد بن كعب القرظي : يحشر الله الناس يوم القيامة في ظلمة ، ويطوي السماء ، وتتناثر النجوم ، وتذهب الشمس والقمر ، وينادي مناد ، فيتبع الناس الصوت يؤمونه ، فذلك قوله : ﴿ يومئذٍ يتبعون الداعي لا عوج له ﴾ [وقال قتادة : ﴿ لا عوج له ﴾ ، أي : لا يميلون عنه][١] .

[وقال أبو صالح : ﴿ عوج له ﴾ : لا عوج عنه][٢] .

وقوله : ﴿ وخشعت الأصوات للرحمن ﴾ قال ابن عباس : سكنت ، وكذا قال السدى : ﴿ فلا تسمع إلا همسًا ﴾ قال سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : يعني وطء الأقدام . وكذا قال عكرمة ، ومجاهد ، والضحاك ، والربيع بن أنس ، وقتادة ، وابن زيد ، وغيرهم .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : ﴿ فلا تسمع إلا همسًا ﴾ : الصوت الخفى ، وهو رواية عن عكرمة والضحاك . وقال سعيد بن جبير : ﴿ فلا تسمع إلا همسًا ﴾ : الحديث ، وسره ، ووطء الأقدام . فقد جمع سعيد كلا القولين ، وهو محتمل ، أما وطء الأقدام : فالمراد سعي الناس إلىٰ المحشر ، وهو مشيهم في سكون وخضوع ، وأما الكلام الخفي : فقد يكون في حال دون حال ، فقد قال تعالىٰ : ﴿ يوم يأت لاتكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد ﴾

يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾

يقول تعالى : ﴿ يومئذٍ ﴾ أي : يوم القيامة ، ﴿ لا تنفع الشفاعة ﴾ أى : عنده ، ﴿ إلا

[١] - سقط من ز . [٢] - سقط من ز .

من أذن له الرحمن ورضى له قولاً ﴾ ، كقوله : **﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾** ، وقوله : **﴿ وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئًا إلا من بعد أن يأذن اللَّه لمن يشاء ويرضىٰ ﴾** ، وقال : **﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾** وقال : **﴿ ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾** وقال : **﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفًّا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابًا ﴾** وفي الصحيحين(٧٤) من غير وجه ، عن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وهو سيد ولد آدم ، وأكرم الخلائق علىٰ اللَّه - عز وجل - أنه قال : **« آتي تحت العرش ، فأخر[١] للَّه ساجدًا ، ويفتح عليَّ بمحامد لا أحصيها الآن ، فيدعني ما شاء اللَّه أن يدعني ، ثم يقول : يا محمد ، ارفع رأسك ، وقل يسمع ، واشفع تشفع » . قال « فيحد لي حدًّا ، فأدخلهم الجنة ، ثم أعود »** . فذكر أربع مرات صلوات اللَّه وسلامه عليه وعلىٰ سائر الأنبياء . وفي الحديث(٧٥) أيضًا[٢] : **« يقول تعالىٰ : أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة[٣] من إيمان . فيخرجون خلقًا كثيرًا ، ثم يقول : أخرجوا من النار من كان في قلبه نصف مثقال من إيمان ، أخرجوا من النار من كان في قلبه ما يزن ذرّة ، من كان في قلبه أدنىٰ أدنىٰ أدنىٰ مثقال ذرّة من إيمان »** . الحديث .

---

(٧٤) - أخرجه البخاري : كتاب الرقاق ، باب : صفة الجنة والنار حديث (٦٥٦٥) وأطرفه في (٧٤١٠ ، ٧٤٤٠ ، ٧٥٠٩ ، ٧٥١٠ ، ٧٥١٦) ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب : أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، حديث (٣٢٢ - ١٩٣/٣٢٦) (٦٥/٣ : ٧٨) من حديث أنس بن مالك .

وأخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : **﴿ ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدًا شكورًا ﴾** ، حديث (٤٧١٢) (٣٩٥/٨) .

ومسلم في كتاب الإيمان ، باب : أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، حديث (٣٢٧ - ١٩٤/٣٢٨) ، (٨٠/٣ : ٣٨٥) من حديث أبي هريرة .

وأخرجه مسلم كتاب الإيمان ، باب : أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، حديث (١٩٤/٣٢٩) ، (٨٥/٣ : ٨٨) من حديث حذيفة .

(٧٥) - أخرجه بمعناه :

البخاري في كتاب الإيمان ، باب : زيادة الإيمان ونقصانه ، حديث (٤٤) وأطرفه في (٤٤٧٦ - ٦٥٦٥ ، ٧٤١٠ ، ٧٤٤٠ ، ٧٥٠٩ ، ٧٥١٠ ، ٧٥١٦) ومسلم في كتاب الإيمان ، باب : أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، حديث (١٩٣/٣٢٥) ، (٧٢/٣ - ٧٣) من حديث أنس بن مالك أن النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - قال : **« يخرج من النار من قال : لا إله إلا اللَّه ، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا اللَّه ، وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا اللَّه وكان في قلبه من الخيرة ما يزن ذرة »** .

---

[١] - في ت : « وأخر » .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من ز .

وقوله : ﴿ **يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم** ﴾ ، أي : يحيط علمًا بالخلائق كلهم ، ﴿ **ولا يحيطون به علمًا** ﴾ كقوله : ﴿ **ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء** ﴾ وقوله : ﴿ **وعنت الوجوه للحي القيوم** ﴾ قال ابن عباس(٧٦) وغير واحد خضعت وذلت واستسلمت الخلائق لجبارها الحيّ الذي لا يموت ، ﴿ **القيوم** ﴾ : الذي لا ينام ، وهو قيم علىٰ كل شيء ، يدبره ويحفظه ، فهو الكامل في نفسه ، الذي كل شيء فقير إليه ، لا قوام له إلا به .

وقوله : ﴿ **وقد خاب من حمل ظلمًا** ﴾ أي : يوم القيامة ، فإن اللّٰه سيؤدي كل حق إلىٰ صاحبه ، حتىٰ يقتص للشاة الجماء[١] من الشاة القرناء .

وفي الحديث : « **يقول الله -عز وجل-: وعزتي وجلالي لا يجاورني[٢] اليوم ظلم ظالم** » .

وفي الصحيح (٧٧) : « **إياكم والظلم ؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة والخيبة كل الخيبة من لقى الله وهو به مشرك ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾** » .

وقوله : ﴿ **ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلمًا ولا هضمًا** ﴾ ، لما ذكر الظالمين ووعيدهم ، ثنىٰ بالمتقين وحكمهم ، وهو أنهم لا يُظلمون ولا يُهضمون ، أي : لا يزاد في سيئاتهم ، ولا ينقص من حسناتهم ، قاله ابن عباس(٧٨) ، ومجاهد ، والضحاك ،

= وأخرجه الترمذي : كتاب صفة جنهم ، باب (١٠) ، حديث (٢٥٩٨) ، (٦١٥/٤) من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي - صلى اللّٰه عليه وسلم - قال : « **يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان** » . **قال أبو سعيد : فمن شك فليقرأ : ﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرة ﴾** .

وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(٧٦) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (٢١٦/١٦) ، وذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٥٥١/٤) وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس .

(٧٧) - أخرجه مسلم في « صحيحه » : كتاب البر والصلة والآداب ، باب : تحريم الظلم ، حديث (٥٦/ ٢٥٧٨) ، (٢٠٢/١٦) من حديث جابر بن عبد اللّٰه : أن رسول اللّٰه - صلى اللّٰه عليه وسلم - قال : « **اتقوا الظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم** » .

(٧٨) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (٢١٨/١٦) ، وذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٥٥٢/٤) وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس .

---

[١] - الجماء : التي لا قرون لها . [٢] - في ز : « يجوزني » .

والحسن ، وقتادة ، وغير واحد ، فالظلم : الزيادة بأن يحمل[١] عليه ذنب[٢] غيره ، والهضم : النقص .

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا (١١٣) فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا (١١٤) ﴾

يقول تعالىٰ : ولما كان يوم المعاد والجزاء بالخير[٣] والشر واقعًا لا محالة ، أنزلنا القرآن بشيرًا ونذيرًا ، بلسان عربيّ مبين فصيح ، لا لبس فيه ولا عيّ ، ﴿ **وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون** ﴾ ، أي : يتركون المآثم والمحارم والفواحش ﴿ **أو يحدث لهم ذكرًا** ﴾ وهو إيجاد الطاعة وفعل القربات ، ﴿ **فتعالىٰ اللَّه الملك الحق** ﴾ أي : تنزه وتقدس الملك الحق ، الذي هو حق ، ووعده حق ، ووعيده حق ، ورسله حق ، والجنة حق ، والنار حق ، وكل شيء منه حق ، وعدله تعالىٰ أن لا[٤] يعذب أحدًا قبل الإنذار ، وبعثة الرسل والإعذار إلىٰ خلقه ؛ لئلا يبقىٰ لأحد حجة ولا شبهة .

وقوله : ﴿ **ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه** ﴾ كقوله تعالىٰ في سورة : « لا أقسم بيوم القيامة » : ﴿ **لا تحرك به لسانك لتعجل به * إن علينا جمعه وقرآنه * فإذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم إن علينا بيانه** ﴾ ، وثبت في الصحيح(٧٩) ، عن ابن عباس : أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، كان يعالج من الوحي شدّة ، فكان[٥] مما يحرك به[٦] لسانه ، فأنزل اللَّه هذه الآية . يعني : أنه - عليه السلام - كان إذا جاءه جبريل بالوحي ، كلما قال جبريل آية قالها معه ، من شدّة حرصه علىٰ حفظ القرآن ، فأرشده اللَّه تعالىٰ إلىٰ ما هو الأسهل والأخف[٧] في حقه ؛ لئلا يشق عليه ، فقال : ﴿ **لا تحرك به لسانك لتعجل به * إن علينا جمعه وقرآنه** ﴾ ، أي : أن[٨] نجمعه في صدرك ، ثم تقرأه علىٰ الناس من غير

(٧٩) - أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : سورة القيامة ، حديث (٤٩٢٧) ، (٨/٦٨٠) من حديث ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - قال : كان النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - إذا نزل عليه الوحي حرّك به لسانه فأنزل اللَّه : ﴿ **لا تحرج به لسانك لتعجل به** ﴾ .

[١] - في ز : « عمل » .
[٢] - في ز : « ظلم » .
[٣] - في ز : « بالجزاء » .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - في ز : « وكان » .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - في ز : « الأحنف » .
[٨] - سقط من ز .

أن تنسىٰ منه شيئًا ، ﴿ **فإذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم إن علينا بيانه** ﴾ ، وقال في هذه الآية : ﴿ **ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضىٰ إليك وحيه** ﴾ ، أي : بل أنصت ، فإذا فرغ الملك من قراءته عليك فاقرأه بعده ، ﴿ **وقل رب زدني علمًا** ﴾ أي : زدني منك علمًا .

قال ابن عيينة رحمه الله : ولم يزل ، صلى الله عليه وسلم ، في زيادة حتى توفاه الله - عز وجل - .

ولهذا جاء في الحديث : « **إن اللّٰه تابع الوحي علىٰ رسوله ، حتىٰ كان الوحي أكثر ما كان يوم تُوُفي رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم** » .

وقال ابن ماجة(٨٠) : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا عبد اللّٰه بن نمير ، عن موسىٰ ابن عبيدة[١] ، عن محمد بن ثابت ، عن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه قال : كان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « **اللهم انفعني بما علمتني ، وعلمني ما ينفعني ، وزدني علمًا ، والحمد للّٰه علىٰ كل حال** » .

وأخرجه الترمذي عن أبي كريب ، عن عبد اللّٰه بن نمير ، به . وقال : غريب من هذا الوجه . ورواه البزار : عن عمرو بن عليّ الفلاس ، عن أبي عاصم ، عن موسىٰ بن عبيدة ، به . وزاد في آخره : « **وأعوذ باللّٰه من حال أهل النار** »

وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ

(٨٠) - إسناده ضعيف من أجل موسى بن عبيدة ؛ فهو ضعيف . ومحمد بن ثابت : لم يرو عنه غير موسى ابن عبيدة ؛ قال الذهبي : لا يعرف . وقال الألباني : صحيح دون قوله : « **والحمد لله ...** » . والحديث أخرجه ابن ماجه في كتاب الدعاء ، باب : دعاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حديث (٣٨٣٣) (١٢٦٠/٢) .

وأخرجه الترمذي في كتاب الدعوات ، باب : في العفو والعافية ، حديث (٣٥٩٩) ، (٥٤٠/٥) ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه . والزيادة التي نسبها المصنف للبزار هي عند الترمذي وابن ماجه أيضًا .

[١] - في ز : « عبيد » .

ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾

قال ابن أبي حاتم(٨١) : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا أسباط بن محمد ، حدثنا الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : إنما سمي الإنسان ؛ لأنه عهد إليه فنسي .

وكذا رواه على بن أبى طلحة عنه .

وقال مجاهد والحسن : ترك .

وقوله : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ يذكر تعالى تشريف آدم وتكريمه وما[١] فضله به على كثير ممن خلق تفضيلًا .

وقد تقدم الكلام على هذه القصة في سورة البقرة وفي الأعراف وفي الحجر والكهف .

وسيأتي في آخر سورة ﴿ ص ﴾ ؛ يذكر تعالىٰ فيها خلق آدم ، وأمره الملائكة بالسجود له تشريفًا وتكريمًا ، ويبين عداوة إبليس لبني آدم ولأبيهم قديمًا ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ فسجدوا إلا إبليس أبىٰ ﴾ ، أي : امتنع واستكبر ، ﴿ فقلنا يا آدم إن هذا عدوّ لك ولزوجك ﴾ ، يعني : حواء - عليهما السلام - ﴿ فلا يخرجنكما من الجنة فتشقىٰ ﴾ ، أي : إياك أن يسعىٰ في إخراجك منها فتتعب وتَعْنَىٰ ، وتشقىٰ في طلب رزقك ، فإنك هاهنا في عيش رغيد هنيء ، لا كلفة ولا مشقة .

﴿ إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى ﴾ إنما قرن بين الجوع والعري ؛ لأن الجوع ذل الباطن والعرى ذل الظاهر .

﴿ وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحىٰ ﴾ وهذان أيضًا متقابلان ، فالظمأ : حر الباطن ، وهو العطش . والضحى : حر الظاهر .

---

(٨١) - أخرجه ابن جرير الطبرى في « تفسيره » (٢٢١/١٦) . وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور إلى عبدالرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر والطبراني في الصغير وابن منده في التوحيد والحاكم وصححه .

---

[١] - في ت : « بما » .

وقوله: ﴿فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملكٍ لا يبلى﴾ ، قد تقدم أنه دلاهما بغرور ﴿وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين﴾ ، وقد تقدم أن اللَّه تعالى عهد[١] إلىٰ آدم وزوجه[٢] أن يأكلا مِنْ كل الثمار ، ولا يقربا هذه الشجرة المعينة في الجنة ، فلم يزل بهما إبليس حتىٰ أكلا منها ، وكانت شجرة الخلد ، يعني : التي من أكل منها خلد ودام مكثه ، وقد جاء في الحديث ذكر شجرة الخلد ؛ فقال أبو داود الطيالسي (٨٢) :

حدثنا شعبة ، عن أبي الضحاك ، سمعت أبا هريرة يحدث ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « إن في الجنة شجرة ، يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها ، وهي شجرة الخلد » ورواه الإمام أحمد(٨٣) .

وقوله : ﴿ فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما ﴾ قال ابن أبي حاتم :

حدثنا عليّ بن الحسين بن إشكاب ، حدثنا عليّ بن عاصم ، عن سعيد [بن أبي][٣] عروبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن أُبيّ بن كعب قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن اللَّه خلق آدم رجلًا طوالًا ، كثير شعر الرأس ، كأنه نخلة سَحُوق ، فلما ذاق الشجرة سقط عنه لباسه ، فأول مابدا منه عورته ، فلما نظر إلىٰ عورته جعل يَشْتَدُّ في الجنة ، فأخذت شعره شجرة ، فنازعها ، فناداه[٤] الرحمن : يا آدم ، مني تفر ؟ فلما سمع كلام الرحمن ، قال : يا رب لا ، ولكن استحياء ، أرأيت [إن تبت][٥]ورجعت أعائدي إلىٰ الجنة ؟ قال : نعم** » . **فذلك قوله : ﴿ فتلقىٰ آدم من ربه كلمات فتاب عليه ﴾** .

وهذا منقطع بين الحسن وأبى بن كعب فلم يسمعه منه وفي رفعه نظر أيضًا .

وقوله : ﴿ وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ﴾ ، قال مجاهد : يرقعان كهيئة الثوب . وكذا قال قتادة والسدي .

---

(٨٢) - أخرجه أبو داود الطيالسي في « مسنده » برقم (٢٥٤٧) (صـ ٣٣٢) .

(٨٣) - أخرجه أحمد في « مسنده » : (٢/٢٥٧ ، ٤٠٤ ، ٤١٨ ، ٤٣٨ ، ٤٥٢ ، ٤٥٥ ، ٤٦٢ ، ٤٦٩،٤٨٢) و (٣/١١٠) . وذكره السيوطي في « الدر المنثور » : (٤/٥٥٥) وزاد عزوه إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم .

---

[١] - في ز : « أوحى » .
[٢] - في ز : « وزوجته » .
[٣] - ما بين المعكوفين في ز : « عن » .
[٤] - في ز : « فنادا » .
[٥] - مكررة في ز .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا جعفر عن[١] عون ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبي ليلىٰ عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ **وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة** ﴾ ، قال : ينزعان ورق التين ، فيجعلانه علىٰ سوآتهما .

وقوله : ﴿ **وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى** ﴾ قال البخاري(٨٤) :

حدثنا قتيبة ، حدثنا أيوب بن النجار ، عن يحيىٰ بن أبي كثير ، عن أبي سلمة عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال : « **حاج موسىٰ آدمَ ، فقال له : أنت الذي أخرجتَ الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم ؟ قال آدم : يا موسىٰ ، أنت الذي اصطفاك اللّٰه برسالاته وبكلامه ، أتلومني علىٰ أمر قد كتبه اللّٰه عليّ قبل أن يخلقني** » - أو : « **قدره اللّٰه عليّ قبل أن يخلقني** » قال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **فحج آدم موسىٰ** » .

وهذا الحديث له طرق في الصحيحين(٨٥) وغيرهما من المسانيد .

---

(٨٤) - أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ **فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى** ﴾ ، حديث (٤٧٣٨) ، (٤٣٤/٨ - ٤٣٥) .

(٨٥) - أخرجه البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء ، باب : وفاة موسى ، حديث (٤٠٩) ، وطرفه في (٧٥١٥) ، ومسلم في كتاب القدر ، حديث (٢٦٥٢/١٥) ، (٣٠٩/١٦) ، وأحمد في « مسنده » (٢/ ٢٦٤) . من طريق ابن شهاب الزهري ، عن حميد بن عبدالرحمن عن أبي هريرة .

وأخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ **واصطنعتك لنفسي** ﴾ حديث (٤٧٣٦) (٤٣٤/٨) ، ومسلم في كتاب القدر ، باب : حجاج آدم وموسى عليهما السلام ، حديث (٢٦٥٢/١٥) ، (٣١٠/١٦)، وأحمد في « مسنده » : (٢٩٢/٢ ، ٤٤٨) . من طريق محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة ، فذكره .

وأخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ **فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى** ﴾ حديث (٤٧٣٨) ، (٤٣٤/٨ - ٤٣٥) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب القدر ، باب : حجاج آدم وموسى عليهما السلام ، حديث (٢٦٥٢/١٥) ، (٣١٠/١٦) ، وأحمد في « مسنده » : (٢٦٨/٢ ، ٢٨٧) .

من طريق أيوب بن النجار اليماني ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة به .

وأخرجه البخاري : كتاب القدر : باب : تحاج آدم وموسى عند اللّٰه حديث (٦٦١٤) (٥٠٥/١١) ، ومسلم في صحيحه : كتاب القدر ، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام ، حديث (٢٦٥٢/١٣) (٢٠٣/١٦ - ٣٠٧) ، والحميدى في « مسنده » برقم (١١١٥) ، (٤٧٥/٢) ، وأحمد في « مسنده » : (٢٤٨/٢) . من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو عن طاوس عن أبي هريرة فذكره .

وأخرجه البخاري : كتاب القدر ، باب : تحاج آدم وموسى عند اللّٰه حديث (٦٦١٤) ، (٥٠٥/١١) ، ومسلم : كتاب القدر ، حديث (٢٦٥٢/١٤) (٣٠٨/١٦) ، والحميدى في « مسنده » برقم (١١١٦) (٢/ ٤٧٥) . من طريق سفيان بن عيينة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة به .

---

[١] - في ت : « بن » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس بن عبد الأعلىٰ ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني أنس بن عياض ، عن الحارث بن أبي ذباب ، عن يزيد بن هرمز قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **احتج**[١] **آدم وموسىٰ عند ربهما ، فحج آدم موسىٰ ، قال موسىٰ : أنت الذي خلقك اللّه بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، وأسكنك في جنته ، ثم أهبطت الناس إلىٰ الأرض بخطيئتك ؟ قال آدم : أنت موسىٰ الذي اصطفاك اللّه برسالته وكلامه ، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء ، وقربك نجيًا ، فبكم وجدت اللّه كتب التوراة [قبل أن أخلق ؟]**[٢]**قال موسىٰ : بأربعين**[٣] **عامًا . قال آدم : فهل وجدت فيها ﴿ وعصىٰ آدم ربه فغوىٰ ﴾ ؟ قال : نعم . قال : أفتلومني علىٰ أن عملت عملًا كتب الله علىّ أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة ؟** » قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم: « **فحج آدم موسي** » قال الحارث : وحدثني عبد الرحمن بن هرمز بذلك ، عن أبي هريرة ، عن رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم .

قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۢ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾

يقول تعالى لآدم وحواء وإبليس ﴿ **اهبطوا منها جميعًا** ﴾ أى: من الجنة كلكم، وقد [قدمنا بسط][٤] ذلك في سورة البقرة

﴿ **بعضكم لبعض عدو** ﴾ ، قال : آدم وذريته ، وإبليس وذريته .

وقوله : ﴿ **فإمّا يأتينكم مني هدى** ﴾ ، قال أبو العالية : الأنبياء والرسل والبيان .

﴿ **فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى** ﴾ قال ابن عباس(٨٦) : لا يضل في الدنيا ولا

(٨٦) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (٢٢٥/١٦) ، وذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٥٥٦/٤) وعزاه إلى الفريابي وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد ومحمد بن نصر وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه ، والبيهقي في شعب الإيمان ، من طرق عن ابن عباس .

[١] - في ز : « حج » .
[٢] - ما بين المعكوفين سقط من ز .
[٣] - في ز : « أربعين » .
[٤] - في ت : « بسطنا » .

يشقى في الآخرة.

﴿ ومن أعرض عن ذكري ﴾ ، أي : خالف أمري ، وما أنزلته على رسولي ، أعرض عنه وتناساه ، وأخذ من غيره هداه ، ﴿ فإن له معيشة ضنكا ﴾ ، أي : ضنكا[١] في الدنيا ، فلا طمأنينة له ، ولا انشراح لصدره ، بل صدره ضيق[٢] حرج لضلاله ، وإن تنعّم ظاهره ، ولبس ما شاء ، وأكل ما شاء ، وسكن حيث شاء ، فإن قلبه مالم يخلص إلى اليقين والهدى ، فهو في قلق وحيرة وشك ، فلا يزال في ريبة يتردد ، فهذا من ضنك المعيشة .

قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (٨٧) ﴿ فإن له معيشة ضنكًا ﴾ قال : الشقاء .

و[٣]قال العوفي عن ابن عباس(٨٨) : ﴿ فإن له معيشة ضنكًا ﴾ ، قال : كل مال[٤] أعطيته عبدًا من عبادى قل أو كثر لا يتقينى فيه ، فلا خير فيه وهو الضنك في المعيشة ، وقال[٥] أيضًا : إن قومًا ضلالًا أعرضوا عن الحق وكانوا في سعة من الدنيا متكبرين فكانت معيشتهم ضنكًا ، ذلك أنهم كانوا يرون أن الله ليس مخلفًا لهم معايشهم ، من سوء ظنهم بالله والتكذيب ، فإذا كان العبد يكذب بالله ، ويسيئ الظن به ، والثقه به ، اشتدت عليه معيشته ، فذلك الضنك .

وقال الضحاك(٨٩) : هو العمل السيئ والرزق الخبيث ، وكذا[٦] قال عكرمة(٩٠) ، ومالك ابن دينار(٩١) .

وقال سفيان بن عيينة ، عن أبي[٧] حازم ، عن أبي سلمة ، عن أبي سعيد(٩٢) في قوله :

---

(٨٧) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (٢٢٦/١٦) ، وذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٥٥٧/٤) وعزاه إلى ابن أبي المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس .

(٨٨) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (٢٢٧/١٦) ، وذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٥٥٨/٤) وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن ابن عباس .

(٨٩) - ذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٥٥٨/١٦) ، وعزه إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن الضحاك .

(٩٠) - ذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٥٥٨/١٦) وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن عكرمة .

(٩١) - ذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٥٥٨/١٦) وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن مالك بن دينار .

(٩٢) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (٢٢٧/١٦) ، وذكره السيوطى في « الدر المنثور » : =

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ز : « ما » .
[٥] - في ز : « ويقال » .
[٦] - في ت : « وكذلك » .
[٧] - في ز : « ابن » .

﴿ **معيشة ضنكًا** ﴾ ، قال : يُضيّق عليه قبره حتىٰ تختلف أضلاعه فيه . وقال أبو حاتم الرازي : [النعمان بن][١] أبي عياش : يكنىٰ[٢] أبا سلمة .

وقال ابن أبي حاتم (٩٣) : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا صفوان ، أنبأنا[٣] الوليد ، أنبأنا[٤] عبد اللَّه ابن لهيعة ، عن دراج ، عن أبي[٥] الهيثم ، عن أبي سعيد قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، في قول اللَّه - عز وجل - : ﴿ **فإن له معيشة ضنكا** ﴾ ، قال : « **ضمة القبر له**[٦] » . و[٧]الموقوف أصح .

وقال ابن أبي حاتم أيضًا[٨] (٩٤) : حدثنا الربيع بن سليمان ، حدثنا أسد بن موسىٰ ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا دراج أبو السمح ، عن ابن حجيرة[٩] - و[١٠]اسمه عبد الرحمن - عن أبي هريرة ، عن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « **المؤمن في قبره في روضة خضراء ، يفسح**[١١] **له في قبره سبعون ذراعًا ، وينوّر له قبره كالقمر ليلة البدر ، أتدرون فيما أنزلت هذه الآية** : ﴿ **فإن له معيشة ضنكا** ﴾ ؟ **أتدرون ما المعيشة الضنك** ؟ » قالوا : اللَّه ورسوله أعلم . قال : « **عذاب الكافر في قبره ، والذي نفسي بيده - إنه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنينًا ، أتدرون**[١٢] **ما التنين ؟ تسعة وتسعون حية ، لكل حية سبعة رءوس ينفخون**[١٣] **في جسمه ويلسعونه ويخدشونه إلى يوم يبعثون** » رفعه منكر جدًّا .

= (٤/٥٥٦ - ٥٥٧) وعزاه إلى عبد الرزاق وسعيد بن منصور ومسدد في مسنده وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم وصححه البيهقي في كتاب عذاب القبر عن أبي سعيد الخدري .

وقال : ولفظ عبد الرزاق : « يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه » .

(٩٣) - أخرجه ابن أبي حاتم كما في « الدر المنثور » (٤/٥٥٦ - ٥٥٧) .

(٩٤) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٦/٢٢٨) ، وزاد السيوطى نسبته في « الدر المنثور » (٤/٥٥٧) ، إلى ابن أبي الدنيا في ذكر الموت ، والحكيم الترمذى ، وأبو يعلى ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن حبان ، وابن مردويه عن أبي هريرة .

---

[١] - ما بين المعكوفين في ز : « اليعمري » .
[٢] - في ز : « يحيى » .
[٣] - في ز : « ثنا » .
[٤] - في ز : « ثنا » .
[٥] - في ز : « ابن » .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - سقط من ز .
[٨] - سقط من ز .
[٩] - في ز : « حجرة » .
[١٠] - سقط من ز .
[١١] - في ز : « ويرحب » .
[١٢] - سقط من ز .
[١٣] - في ز : « يسبحون » .

وقال البزار(٩٥) : حدثنا محمد بن يحيىٰ الأزدي ، حدثنا محمد بن عمر[١] ، حدثنا هشام ابن سعد ، عن سعيد بن أبي هلال ، [عن ابن حُجَيرة][٢] ، عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، في قول اللّٰه - عز وجل - : ﴿ **فإن له معيشة ضنكًا** ﴾ ، قال : «**المعيشة الضنك الذي قال اللّٰه تعالىٰ : أنه يسلط عليه تسعة وتسعون حية ، ينهشون لحمه حتىٰ تقوم الساعة** » .

وقال أيضًا : حدثنا[٣] أبو زرعة ، حدثنا أبو الوليد ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن محمد ابن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : ﴿ **فإن له معيشة ضنكًا** ﴾ قال : « **عذاب القبر** » . إسناد جيد .

وقوله : ﴿ **ونحشره يوم القيامة أعمى** ﴾ ، قال[٤] مجاهد وأبو صالح والسدى: لا حجة له وقال عكرمة : عُمِّي عليه كل شيء إلا جهنم .

ويحتمل أن يكون المراد أنه[٥] يبعث أو يحشر إلىٰ النار أعمىٰ البصر والبصيرة أيضًا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ونحشرهم يوم القيامة علىٰ وجوههم عميًا وبكمًا وصمًّا مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرًا** ﴾ ، ولهذا يقول : ﴿ **رب لم حشرتني أعمىٰ وقد كنت بصيرًا** ﴾ ، أي : في الدنيا ﴿ **قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسىٰ** ﴾ ، أي : لما أعرضت عن آيات اللّٰه ، وعامَلْتَها معاملة من لم يذكرها ، بعد بلاغها إليك تناسيتها ، وأعرضت عنها وأغفلتها ، كذلك اليوم[٦] نعاملك معاملة مَنْ نسيك ، ﴿ **فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا** ﴾ فإن الجزاء من جنس العمل ، فأما نسيان لفظ القرآن مع فهم معناه والقيام بمقتضاه ، فليس داخلًا في هذا الوعيد الخاص ، وإن كان متوعدًا عليه من جهة أخرىٰ ، فإنه قد وَرَدَت السنة بالنهي الأكيد والوعيد[٧] الشديد في ذلك .

قال الإمام أحمد(٩٦) : حدثنا خلف بن الوليد ، حدثنا خالد ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عيسى بن فائد[٨] ، عن رجل ، عن سعد بن عبادة[٩] -رضي اللّٰه عنه- عن النبي ،

(٩٥) - « كشف الأستار» برقم (٢٢٣٣) (٣/٥٩) . ومختصر زوائد البزار (٢/٩٤) وقال البزار : فيه من لم أعرفه . قال الحافظ ابن حجر : كلهم معروفون بالثقة إلا محمد بن عمر فهو الواقدي .

(٩٦) - أخرجه أحمد في « مسنده » (٥/٢٨٥) (٢٢٥٦٥) . ويزيد بن أبي زياد هو القرشي الهاشمي =

[١] - في ز ، خ : عمرو ، والمثبت من مختصر زوائد البزار .
[٢] - ما بين المعكوفين سقط من ز .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ت : « وقال » .
[٥] - في ز : « أن » .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - في ز : « الوعد » .
[٨] - في ز : « قائد » .
[٩] - في ز : « عباد » .

صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **ما من رجل قرأ القرآن فنسيه إلا لقي الله يوم يلقاه وهو أجذم** » .

ثم رواه الإمام أحمد(٩٧) من حديث يزيد بن أبي زياد ، عن عيسىٰ بن فائد[١] ، عن عبادة بن الصامت ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فذكر مثله سواء

﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ ۚ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴿١٢٧﴾ ﴾

يقول تعالىٰ : وهكذا نجازي المسرفين المكذبين بآيات الله في الدنيا والآخرة ، ﴿ **لهم عذاب في الحياة الدنيا ، ولعذاب الآخرة أشق ، ومالهم من الله من واق** ﴾ ، ولهذا قال : ﴿ **ولعذاب الآخرة أشد وأبقىٰ** ﴾ . أي : أشد ألمًا من عذاب الدنيا ، وأدوم عليهم ، فهم مخلدون فيه . ولهذا قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، للمتلاعنين : « **إن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة** »(٩٨) .

﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى ﴿١٢٩﴾ ﴾

= ضعيف ، كبر فتغير وصار يتلقن وكان شيعياً ، روى له مسلم مقرونًا . وعيسى بن فائد : مجهول . قال الذهبي : لا يدرى من هو . وفي إسناده مجهول وهو الراوي عن سعد بن عبادة رضي الله عنه . والحديث أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب : التشديد فيمن حفظ القرآن ثم نسيه (٢/ ٧٦/رقم : ١٤٧٤) . وعبد بن حميد في المنتخب (٣٠٦، ٣٠٧) . كلاهما من يزيد بن أبي زياد به . ورواه أحمد أيضًا (٥/ ٢٨٤) (٢٢٥٥٨) حيث رواه أحمد من طريق محمد بن جعفر عن شعبة عن يزيد ابن أبي زياد به .

(٩٧) - أخرجه أحمد « مسنده » (٥/٣٢٣ ، ٣٢٧ - ٣٢٨) (٢٢٨٦٣)(٢٢٨٨٦) . والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد في موضعين الأول (٥/ ٢٠٥) وقال : « رواه أحمد وابنه » والثاني في (٧/ ١٦٧) وعزاه لعبد الله بن أحمد وقال : « ورجاله ثقات ، وفي بعضهم خلاف » .

(٩٨) - أخرجه البخاري في كتاب الطلاق ، باب : صدق الملاعنة ، حديث (٥٣١١) وأطرافه في (٥٣١٢،٥٣٤٩،٥٣٥٠) بنحوه . ومسلم : كتاب اللعان ، حديث (٤/١٤٩٣) (١٠/١٧٤ - ١٧٥) مطولاً . والترمذي : كتاب تفسير القرآن باب : ومن سورة النور ، حديث (٣١٧٨) (٥/٣٠٨ - ٣٠٩) . كلهم من طريق عبد الملك بن أبي سليمان عن سعيد بن جبير عن ابن عمر به وللحديث شاهد آخر مطولاً بنحوه :

أخرجه البخاري : كتاب الشهادات ، باب : إذا ادعى أو قذف فله أن يلتمس البينة وينطلق لطلب البينة ، حديث (٢٦٧١) (٥/٢٨٣) وأطرافه في (٤٧٤٧ ، ٥٣٠٧) بنحوه . وأبو داود : كتاب الطلاق ، باب : في اللعان ، حديث (٢٢٥٦) (٢/٢٧٦ - ٢٧٧) . والترمذي : كتاب تفسير القرآن : باب : من سورة النور ، حديث (٣١٧٩) ، (٥/٣٠٩ - ٣١٠) ، وابن ماجه كتاب الطلاق ، باب : اللعان حديث=

[١] - في ز : « قائد » .

﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآىِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ (١٣٠)﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **أفلم**[١] **يهد** ﴾ لهؤلاء المكذبين بما جئتهم به : يا محمد ، كم أهلكنا من الأمم المكذبين بالرسل قبلهم ، فبادوا ، فليس لهم باقية ولا عين ولا أثر ، كما يشاهدون ذلك من ديارهم الخالية التي خلفوهم فيها ، يمشون فيها ، ﴿ **إن في ذلك لآيات لأولي النهىٰ** ﴾ ، أي : العقول الصحيحة ، والألباب المستقيمة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ، أو آذان يسمعون بها ، فإنها لا تعمىٰ الأبصار ، ولكن تعمىٰ القلوب التي في الصدور** ﴾ . وقال في سورة الم السجدة : ﴿ **أو لم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون**﴾ . ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزامًا وأجل مسمىٰ** ﴾ ، أي : لولا الكلمة السابقة من الله ، وهو أنه لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه ، والأجل المسمىٰ الذي ضربه الله[٢] تعالىٰ لهؤلاء المكذبين إلىٰ مدة معينة ، لجاءهم العذاب بغتة .

ولهذا قال لنبيه مسليًا له : ﴿ **فاصبر علىٰ ما يقولون** ﴾ ، أي : من تكذيبهم لك ﴿ **وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس** ﴾ ، يعني : صلاة الفجر ، ﴿ **وقبل غروبها** ﴾ يعني : صلاة العصر ، كما جاء في الصحيحين(٩٩) ، عن جرير بن عبد الله البجلي - رضي الله عنه - قال : كنا جلوسًا عند رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فنظر إلىٰ القمر ليلة البدر ، فقال : « إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر ، لا تضامون في رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا علىٰ صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا » ، ثم قرأ هذه الآية .

وقال الإمام أحمد(١٠٠) : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عمارة ابن رُؤَيْبَةَ[٣] قال : سمعت رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يقول : « **لن يلج النار أحد**

= (٢٠٦٧) ، (٦٦٨/١) كلهم من طريق عكرمه عن ابن عباس به مطولاً .

(٩٩) - أخرجه البخاري : كتاب مواقيت الصلاة ، باب : فضل صلاة العصر ، حديث (٥٥٤) (٣٣/٢) وأطرفه في (٥٧٣ ، ٤٨٥١) ، ٧٤٣٤ ، ٧٤٣٥ ، ٧٤٣٦) ، ومسلم في صحيحه : كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب : فضل صلاتى الصبح والعصر والمحافظة عليهما ، حديث (٢١١ - ٦٣٢/٢١٢) (١٨٧/٥ - ١٨٨) .

(١٠٠) - أخرجه أحمد في « مسنده » (١٣٦/٤ ، ٢٦١) . ومسلم في « صحيحه » : كتاب =

[١] - في ز : « أولم » . [٢] - سقط من ز .

[٣] - في ت : « رؤيبة » .

صلىٰ قبل طلوع الشمس وقبل غروبها » . رواه مسلم من حديث عبد الملك بن عمير ، به .

وفي المسند(١٠١) والسنن[١] (١٠٢) ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن[٢] أدنىٰ أهل الجنة منزلة[٣] من ينظر في ملكه مسيرة ألفي سنة ، ينظر إلىٰ أقصاه كما ينظر إلىٰ أدناه ، وإن أعلاهم منزلة لمن ينظر إلىٰ الله تعالى في اليوم مرتين** » .

وقوله : ﴿ **ومن آناء الليل فسبح** ﴾ ، أي : من ساعاته فتهجد به ، وحمله بعضهم علىٰ المغرب والعشاء ، ﴿ **وأطراف النهار** ﴾ ، في مقابلة آناء الليل ، ﴿ **لعلك ترضىٰ** ﴾ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولسوف يعطيك ربك فترضىٰ** ﴾ وفي الصحيح(١٠٣) : « يقول الله تعالى : يا أهل الجنة . فيقولون : لبيك ربنا وسعديك . فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضىٰ ، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك ؟ ! فيقول : إني أعطيكم أفضل من ذلك . فيقولون : وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا » .

وفي الحديث(١٠٤) يقال : « **يا أهل الجنة ؛ إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه . فيقولون : وما هو ؟ ! ألم تبيض وجوهنا ، وتثقل موازيننا ، وتزحزحنا عن النار ، وتدخلنا الجنة ؟ ! فيكشف الحجاب ، فينظرون إليه ، فو الله ما أعطاهم خيرًا من النظر إليه ، وهي الزيادة** » .

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِۚ

= المساجد ومواضع الصلاة ، باب : فضل صلاتي العصر والمحافظة عليهما ، حديث (٢١٣ - ٦٣٤/٢١٤) (١٨٨/٥ - ١٨٩) .

(١٠١) - أخرجه أحمد في « مسنده » (١٣/٢، ٦٤) .

(١٠٢) - أخرجه الترمذي في « سننه » : كتاب صفة الجنة ، باب : (١٧) ، حديث (٢٥٥٣) ، (٥٩٣/٤ ، ٥٩٤) .

(١٠٣) - أخرجه البخاري : كتاب الرقاق : باب صفة الجنة والنار ، حديث (٦٥٤٩) ، (٤١٥/١١) ، وطرفه في (٧٥١٨) ، ومسلم في « صحيحه » كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : إحلال الرضوان على أهل الجنة ، فلا يسخط عليهم أبدًا ، حديث (٢٨٢٩/٩) ، (٢٤٦/١٧) ، والترمذي : كتاب صفة الجنة ، باب : (١٨) ، حديث (٢٥٥٥) ، (٥٩٥/٤) . كلهم من حديث أبي سعيد الخدري .

(١٠٤) - أخرجه أبو عوانة في « مسنده » : (١٥٦/١) من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن =

---

[١] - في ز : « والسند » .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من ز .

وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾

يقول تعالىٰ لنبيه محمد - صلوات الله وسلامه عليه - : لا تنظر إلىٰ هؤلاء المترفين[١] وأشباههم ونظرائهم، وما هم فيه من النعيم[٢]، فإنما هو زهرة زائلة، ونعمة حائلة، لنختبرهم[٣] بذلك، وقليل من عبادي[٤] الشكور.

وقال مجاهد: ﴿ أزواجًا منهم ﴾، يعني: الأغنياء، فقد آتاك خيرًا مما آتاهم. كما قال في الآية الأخرىٰ: ﴿ ولقد آتيناك سبعًا من المثاني والقرآن العظيم * لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجًا منهم ﴾. وكذلك [ما ادَّخره الله] [٥]تعالىٰ لرسوله، صلىٰ الله عليه وسلم، في الدار الآخرة أمر عظيم، لا يحدّ ولا يوصف، كما قال تعالىٰ: ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضىٰ ﴾. ولهذا قال: ﴿ورزق ربك خير وأبقىٰ﴾.

وفي الصحيح (١٠٥) : أن عمر بن الخطاب لما دخل علىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، في تلك المَشْرُبة التي كان قد اعتزل فيها نساءه، حين آلىٰ منهن فرآه متوسدًا مضطجعًا على رمال حصير، وليس في البيت إلا صُبْرة من قَرَظ وأهب[٦] معلقة، فابتدرت عينا عمر بالبكاء، فقال له[٧] رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم: « ما يبكيك ؟ ». فقال: يا رسول الله؛ إن كسرىٰ وقيصر فيما هما فيه، وأنت صفوة الله من خلقه. فقال: « أوَ في شك أنت يا بن الخطاب ؟ أولئك قوم عجلت لهم[٨] طيباتهم في حياتهم الدنيا ».

فكان، صلىٰ الله عليه وسلم، أزهد الناس في الدنيا مع القدرة عليها، إذا حصلت له ينفقها هكذا وهكذا في عباد[٩] الله، ولم يدخر لنفسه شيئًا لغد.

= عبد الرحمن ابن أبي ليلى عن صهيب به.

(١٠٥) - أخرجه البخاري في كتاب المظالم، باب: الغرف العلية المشرفة وغير المشرفة في السطوح وغيرها، حديث (٢٤٦٨) (٥/١١٤: ١١٦)، ومسلم: كتاب الطلاق، باب: في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن وقوله تعالى: ﴿ وإن تظاهر عليه ﴾ ، حديث (١٤٧٩/٣)، (١١٨/١٠ : ١٢١).

[١] - في ز: « المترفون ».
[٢] - في ت: « النعم ».
[٣] - في ز: « ليجزيهم ».
[٤] - في ز: « عباده ».
[٥] - ما بين المعكوفين في ز: « دخره ».
[٦] - في ز: « أهبة ».
[٧] - سقط من ز.
[٨] - سقط من ز.
[٩] - في ز: « عبادة ».

و[١]قال ابن أبي حاتم : أنبأنا يونس ، أخبرني ابن وهب ، أخبرني مالك ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي[٢] سعيد : أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « **إن أخوف ما أخاف عليكم ، ما يفتح اللَّه من زهرة الدنيا** » . قالوا : وما زهرة الدنيا يا رسول اللَّه قال : « **بركات الأرض** » .

وقال قتادة والسدي وغيره[٣] : زهرة الحياة الدنيا يعني : زينة الحياة الدنيا .

وقال قتادة : ﴿ **لنفتنهم فيه** ﴾ لنبتليهم .

وقوله : ﴿ **وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها** ﴾ . أي : استنقذهم[٤] من عذاب اللَّه بإقام الصلاة ، واصطبر[٥] أنت علىٰ فعلها ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارًا** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم(١٠٦) : حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه : أن[٦] عمر بن الخطاب كان يبيت عنده أنَا وَيَرْفأ ، وكان له ساعة من الليل يصلي فيها ، فربما لم يقم[٧]، فنقول : لا يقوم الليلة كما كان يقوم ، وكان إذا استيقظ[٨] أقام - يعني : أهله - وقال : ﴿ **وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها** ﴾ .

وقوله : ﴿ **لا نسألك رزقًا نحن نرزقك** ﴾ . أي[٩] : إذا أقمت الصلاة أتاك الرزق من حيث لا تحتسب ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ومن يتق اللَّه يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن اللَّه هو الرزاق ذو القوة المتين** ﴾ . ولهذا قال : ﴿ **لا نسألك رزقًا نحن نرزقك** ﴾ . قال الثوري : ﴿ **لا نسألك رزقًا** ﴾ . أي : لا نكلفك الطلب .

وقال ابن أبي حاتم(١٠٧) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا حفص بن[١٠] غياث ، عن

---

(١٠٦) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٦/٢٣٧) من طريق هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه فذكره .

(١٠٧) - وأخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٦/٢٣٧) من طريق هشام بن عروة عن أبيه ، فذكره .

---

[١] - في ت : « قال » .
[٢] - في ز : « ابن » .
[٣] - سقط من ت .
[٤] - في ز : « أنقذهم » .
[٥] - في ت : « واصبر » .
[٦] - في ز : « عن » .
[٧] - في ز : « ينم » .
[٨] - في ز : « استقبل » .
[٩] - في ت : « يعني » .
[١٠] - في ز : « عن » .

هشام ، عن أبيه أنه كان إذا دخل علىٰ أهل الدنيا ، فرأى من دنياهم طرفًا ، فإذا رجع إلىٰ أهله فدخل الدار قرأ : ﴿ **ولا تمدن عينيك** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **نحن نرزقك** ﴾ ، ثم يقول : الصلاة الصلاة رحمكم الله ! .

وقال ابن أبي حاتم(١٠٨) : حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن أبي[١] زياد القطواني[٢] ، حدثنا سيار[٣] ، حدثنا جعفر ، عن ثابت قال : كان النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، إذا أصابه خصاصة نادىٰ أهله : « **يا أهلاه ، صلوا صلوا** » . قال ثابت : وكانت الأنبياء إذا نزل [بهم أمر][٤] ، فزعوا إلىٰ الصلاة .

وقد روىٰ الترمذي[٥](١٠٩) وابن ماجة(١١٠) من حديث عمران بن زائدة ، عن أبيه ، عن أبي خالد الوالبي ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **يقول الله تعالىٰ : يا ابن آدم ، تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى ، وأسد فقرك ، وإن لم تفعل ملأتُ صدرك شغلًا ، ولم أسد فقرك** » .

وروىٰ ابن ماجة(١١١) من حديث الضحاك ، عن الأسود ، عن ابن مسعود ، سمعت نبيكم ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يقول : « **من جعل الهموم همًّا واحدًا هم المعاد كفاه الله هم دنياه ، ومن تشعبت به الهموم في[٦] أحوال الدنيا ، لم يبال الله في أي أوديته هلك** » .

وروىٰ أيضًا(١١٢) من حديث شعبة ، عن عمر بن سليمان ، عن عبد الرحمن بن أبان ،

(١٠٨) - أخرجه ابن أبي حاتم كما في « الدر المنثور » (٥٦١/٤) وزاد نسبته إلى أحمد في الزهد ، والبيهقي في « شعب الإيمان » عن ثابت .

(١٠٩) - سنن الترمذي ، كتاب صفة القيامة ، حديث (٢٤٦٦) . وقال الترمذي : حسن غريب . وأبو خالد الوالبي اسمه : هرمز .

(١١٠) - أخرجه ابن ماجة ، كتاب الزهد ، باب : الهم بالدنيا حديث (٤١٠٧) ، (١٣٧٦/٢) .

(١١١) - أخرجه ابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب : الهم بالدنيا حديث (٤١٠٦) ، (١٣٧٥/٢) . وقال البوصيري : هذا إسناد ضعيف ، فيه نهشل بن معبد ، روى عنه معاوية النصري أحاديث مناكير . وقال الحاكم : روى عن الضحاك المعضلات . وقال أبو سعيد النقاش : روى عن الضحاك الموضوعات . وله شاهد من حديث أنس رواه الترمذي في الجامع .

(١١٢) - أخرجه ابن ماجة ، كتاب الزهد ، باب : الهم بالدنيا حديث (٤١٠٥) ، (١٣٧٥/٢) . =

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز : « البطراني » .
[٣] - في ز : « سماس » . كذا .
[٤] - في ز : « بها » .
[٥] - في ز : « الزهري » .
[٦] - سقط من ز .

عن أبيه ، عن زيد بن ثابت : سمعت رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، يقول : « **من كانت الدنيا همَّه ، فرق اللّه عليه أمره ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له ، ومن كانت الآخرة نيَّته ، جمع له أمره ، وجعل غناه في قلبه ، وأتته الدنيا وهي راغمة** » .

وقوله[١]: ﴿ **والعاقبة للتقوىٰ[٢]** ﴾ أي : وحسن العاقبة في الدنيا والآخرة - وهي الجنة - لمن اتقىٰ اللّه .

وفي الصحيح(١١٣) أن رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، قال : « **رأيت الليلة كأنا في دار عقبة بن رافع ، وأنا أتينا برطب [من رطب][٣] ابن طاب ، فأولت ذلك أن العاقبة لنا في الدنيا والرفعة وأن ديننا قد طاب** »

وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَـٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُواْۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَـٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن الكفار في قولهم : ﴿ **لولا** ﴾ ، أي : هلا ﴿ **يأتينا** ﴾ محمد ﴿ **بآية من ربه** ﴾ أي : بعلامة دالة علىٰ صدقه في أنه رسول اللّه ؟ قال اللّه تعالىٰ : ﴿ **أو لم تأتهم بينة ما في الصحف الأولىٰ** ﴾ ، يعني : القرآن العظيم الذي أنزله عليه اللّه وهو أميّ ، لا يحسن الكتابة ، ولم يدارس أهل الكتاب ، وقد جاء فيه أخبار الأولين ، بما كان منهم في سالف الدهور ، بما يوافقه عليه الكتب المتقدمة الصحيحة[٤] منها ، فإن القرآن مهيمن عليها ، يصدق الصحيح ، ويبين خطأ المكذوب فيها وعليها ، وهذه الآية كقوله تعالىٰ

= وقال البوصيري في الزوائد : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات . رواه أبو داود الطيالسي عن شعبة فذكره بنحوه ، ورواه الطبراني بإسنادٍ لا بأس به . ورواه ابن حبان في صحيحه بنحوه . ورواه أبو يعلى الموصلي من طريق أبان ، عن زيد بن ثابت وله شاهد من حديث أبي هريرة رواه الترمذي وابن ماجه .

(١١٣) - أخرجه مسلم : كتاب الرؤيا : باب رؤيا النبي - صلى اللّه عليه وسلم - حديث (٢٢٧٠/١٨) (٤٥/١٥) ، وأبو داود : كتاب الأدب : باب ما جاء في الرؤيا ، حديث (٥٠٢٥) ، (٣٠٦/٤) حديث أنس بن مالك .

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز : « للمتقين » .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ز : « الصحيح » .

في سورة العنكبوت : ﴿ **وقالوا لولا أنزل عليه آيات**[١] **من ربه قل**[٢] **إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين * أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلىٰ عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرىٰ لقوم يؤمنون** ﴾ وفي الصحيحين[٣](١١٤) عن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أنه قال : « **ما من نبي**[٤] **إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن علىٰ مثله البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليَّ ، فأرجوا**[٥] **أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة** » .

وإنما ذكر هاهنا أعظم الآيات التي أعطيها - عليه السلام - وهو القرآن - وله من المعجزات ما لا يحد ولا يحصر ، كما هو مودع في كتبه ، ومقرر في مواضعه .

ثم قال تعالى : ﴿ **ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا** ﴾ أي : لو أنا أهلكنا هؤلاء المكذبين قبل أن نرسل إليهم هذا الرسول الكريم ، وننزل عليهم هذا الكتاب العظيم ، لكانوا قالوا : ﴿ **ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً** ﴾ قبل أن تهلكنا حتى نؤمن به ونتبعه ، كما قال : ﴿ **فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزىٰ** ﴾ ، يبين تعالىٰ أن هؤلاء المكذبين متعنتون معاندون [لا يؤمنون][٦] ﴿ **ولو جاءتهم كل آية حتىٰ يروا العذاب الأليم** ﴾ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون** ﴾ إلى قوله ﴿ **بما كانوا يصدفون** ﴾ ، وقال : ﴿ **وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدىٰ من إحدىٰ الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورًا** ﴾ وقال : ﴿ **وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها** ﴾ الآيتين .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **قل** ﴾ ، أي : يامحمد ، لمن كذبك وخالفك ، واستمر علىٰ كفره وعناده ﴿ **كل متربص** ﴾ ، أي : منا ومنكم ﴿ **فتربصوا** ﴾ ، أي : فانتظروا ﴿ **فستعلمون من أصحاب الصراط السوي** ﴾ ، أي : الطريق المستقيم ﴿ **ومن اهتدىٰ** ﴾ ، إلىٰ الحق وسبيل الرشاد ، وهذا كقوله تعالىٰ : ﴿ **وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلاً** ﴾ وقال[٧] : ﴿ **سيعلمون غدًا من الكذاب الأشر** ﴾ .

آخر تفسير سورة طه ، ولله الحمد والمنة

(١١٤) - أخرجه البخاري : كتاب فضائل القرآن ، باب : كيف نزل الوحي وأول ما نزل ، حديث (٤٩٨١) ، (٩/٣) وطرفه في (٧٢٧٤) ، ومسلم في صحيحه : كتاب الإيمان ، باب : وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته ، حديث (١٣٩/١٥٢) .

[١] - في ز : « آية » .
[٢] - في ز : « فقل » .
[٣] - في ز : « الصحيح » .
[٤] - في ز : « شيء » .
[٥] - في ز : « وإني لأرجو » .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - سقط من ز .

تفسير سورة الأنبياء

وهي مكية

قال البخاري(١) : حدثنا محمد بن بشار ، [ثنا غندر][١] ، ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق : سمعت عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله قال : بنو إسرائيل ، والكهف ، ومريم ، وطه ، والأنبياء : هنّ من [العتاق][٢] الأول ، وهن من تلادي .

﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٤ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٥ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۝٦ ﴾

هذا تنبيه من الله - عز وجل - علىٰ اقتراب الساعة ودنوها ، وأن الناس في غفلة [عنها][٣] ، أي : [لا يعملون لها][٤] ، ولا يستعدون من أجلها .

وقال النسائي(٢) : حدثنا أحمد بن نصر ، حدثنا هشام بن عبد الملك أبو الوليد الطيالسي ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **في غفلة معرضون** ﴾ قال : « في الدنيا » . وقال تعالى : ﴿ **أتى**

(١) - أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، سورة الأنبياء ، حديث (٤٧٣٩) (٨/٤٣٥) .

(٢) - **رجاله ثقات رجال الشيخين ؛ سوى شيخ النسائي ، وهو ثقة** ، والحديث أخرجه النسائي في الكبرى في كتاب التفسير ، سورة الأنبياء ، حديث (١١٣٣٢) (٦/٤٠٧) . ورواه الطبري من حديث الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة (١٧/٢) . وزاد السيوطي (٤/٣١٤) نسبته إلى ابن مردويه ، من حديث أبي هريرة .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « العتاد » .
[٣] - في ز : « منها » .
[٤] - في ز : « يعلمون بها » .

أمر اللَّه فلا تستعجلوه ﴾ .

وقال : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر * وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر** ﴾ الآية .

وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة الحسن بن هانئ أبي نواس الشاعر أنه قال : أشعر الناس ؛ الشيخ الطاهر أبو العتاهية حيث يقول :

النـاسُ في غـفـلاتـهـم ورحـا المنيـة تـطـحـنُ

فقيل له : من أين أخذ هذا ؟ قال : من [قوله] تعالىٰ : ﴿ **اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون** ﴾ .

[وروىٰ في ترجمة عامر بن ربيعة : من طريق موسىٰ بن عبيد الآمدي ، عن عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عامر بن ربيعة : أنه نزل به رجل من العرب ، فأكرم عامر مثواه ، وكلم فيه رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فجاءه الرجل فقال : إني استقطعت من رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم واديًا في العرب ، وقد أردت أن أقطع لك منه قطعة تكون لك ولعقبك من بعدك . فقال عامر : لا حاجة لي في قطيعتك ، نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا : ﴿ **اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون** ﴾][١]

ثم أخبر تعالىٰ أنهم لا يُصغون إلىٰ الوحي الذي أنزله اللَّه علىٰ رسوله - والخطاب مع قريش و من[٢] شابههم - من الكفار ، فقال : ﴿ **ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث** ﴾ ، أي : جديد إنزاله ﴿ **إلا استمعوه وهم يلعبون** ﴾ ، كما قال ابن عباس : مالكم تسألون أهل الكتاب عما بأيديهم وقد حرفوه وبدلوه ، وزادوا فيه ونقصوا [منه][٣] ، وكتابكم أحدث الكتب باللَّه ، [تقرءونه محضًا][٤] لم يشب . ورواه البخاري(٣) بنحوه .

وقوله : ﴿ **وأسروا النجوىٰ الذين ظلموا** ﴾ ، أي : قائلين فيما بينهم خفْيَةً ﴿ **هل هذا إلا بشر مثلكم** ﴾ يعنون رسولَ اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يستبعدون كونه نبيًّا ؛ لأنه بَشَرٌ مثلهم ، فكيف اختص بالوحي دونهم ، ولهذا قال : ﴿ **أفتأتون السحر وأنتم تبصرون** ﴾ ، أي : أفتتبعونه فتكونون كمن [يأتىٰ السحر][٥] وهو يعلم أنه سحر ؟ ! فقال

(٣) - أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب : قول النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - : «لاتسألوا أهل الكتاب عن شيء » حديث (٧٣٦٣) (١٣/٣٣٤) وطرفه في (٧٥٢٢ ، ٧٥٢٣) .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « ما » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « تقرأه محصا » .
[٥] - في ز : « أتي السحرة » .

تعالىٰ مجيبًا لهم عما افتروه واختلقوه من الكذب : ﴿ [قال][١] **ربي يعلم القول في السماء والأرض** ﴾ ، أي : الذي يعلم ذلك لا يخفى عليه خافية ، وهو الذي أنزل هذا القرآن المشتملَ علىٰ خبر الأولين والآخرين ، الذي لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله ، إلا الذي يعلم السر في السماوات والأرض .

وقوله : ﴿ **وهو السميع العليم** ﴾ [أي : السميع][٢] لأقوالكم ، العليم بأحوالكم . وفي هذا تهديد لهم ووعيد .

وقوله : ﴿ **بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه** ﴾ : هذا إخبار [عن][٣] تعنت الكفار وإلحادهم ، واختلافهم فيما يصفون به القرآن ، وحيرتهم فيه ، وضلالهم عنه ، فتارة يجعلونه سحرًا ، وتارة يجعلونه شعرًا ، وتارة يجعلونه أضغاث أحلام ، وتارة يجعلونه مفترى ، كما قال : ﴿ **انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **فليأتنا بآية كما أرسل الأولون** ﴾ ، يعنون [كناقة][٤] صالح ، وآيات موسىٰ وعيسىٰ ، وقد قال اللّٰه : ﴿ **وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها** ﴾ الآية ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون** ﴾ ، أي : ما آتينا قرية من القرىٰ [الذين][٥] بعث فيهم الرسل آية علىٰ يدي نبيها فآمنوا بها ، بل كذبوا فأهلكناهم بذلك ، [أفهؤلاء][٦] يؤمنون بالآيات لو رأوها دون أولئك ؟ كلا ، بل ﴿ **إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون * ولو جاءتهم كل آية حتىٰ يروا العذاب الأليم** ﴾ هذا كله ، وقد شاهدوا من الآيات الباهرات ، والحجج القاطعات ، والدلائل البينات ، علىٰ يدي رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، ما هو أظهر [وأجلىٰ][٧] ، وأبهر وأقطع وأقهر ، مما شُوهِدَ مع غيره من الأنبياء صلوات اللّٰه وسلامه عليهم أجمعين .

قال ابن أبي حاتم رحمه اللّٰه : ذكر عن زيد بن الحُبَاب ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا الحارث بن يزيد الحضرمي ، عن عليّ بن رباح اللخمي ، حدثني من شهد عبادة بن الصامت يقول : كنا في المسجد ، ومعنا أبو بكر الصديق - رضي اللّٰه عنه - يُقْرِئُ بعضنا بعضًا القرآن ، فجاء عبدُ اللّٰه بنُ أُبيٍّ ابنُ سلول ومعه نمرقة(*) وزربية(**) ، فوضع واتكأ ، وكان

(*) النمرقة : وسادة الصغيرة .
(**) الزربية : البساط ذو الخمل .

[١] - في ز : « قل » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « عما » .
[٤] - في ز : « ناقة » .
[٥] - في ز : « الذين » .
[٦] - في ز : « أهؤلاء » .
[٧] - في ز : « أجل » .

صبيحًا فصيحًا جدلًا [فقال : يا أبا بكر ، قل لمحمد يأتينا بآية كما جاء الأولون ؟ جاء موسىٰ بالألواح][١] ، وجاء داود بالزبور ، وجاء صالح بالناقة ، و[جاء][٢] عيسىٰ بالإنجيل وبالمائدة . فبكىٰ أبو بكر - رضي الله عنه - ، فخرج رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال أبو بكر : قوموا بنا إلىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، نستغيث به من هذا المنافق . فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « إنه لا يقام لي ، [إنما][٣] يقام لله عز وجل » . فقلنا : يا رسول الله ، إنا لقينا من هذا المنافق . فقال : « إن جبريل قال لي : اخرج فأخبر بنعم الله التي أنعم بها عليك ، وفضيلته التي فضلت بها ، فبشرني [أنه بعثني][٤] إلىٰ الأحمر والأسود ، وأمرني أن أنذر الجن ، وآتاني كتابه وأنا أميّ ، وغفر ذنبي ما تقدم وما تأخر ، وذكر اسمي في الأذان ، و[أيدني][٥] بالملائكة ، وآتاني النصر ، وجعل الرعب أمامي ، وآتاني الكوثر ، وجعل حوضي من أعظم الحياض يوم القيامة ، ووعدني المقام المحمود ، والناس [مهطعون مقنعو][٦] رءوسهم ، وجعلني في أول زمرة تخرج من الناس ، وأدخل في شفاعتي سبعين ألفًا من أمتي الجنة بغير حساب ، وآتاني السلطان والملك ، وجعلني في أعلىٰ غرفة في الجنة ؛ [في][٧] جنات النعيم ، فليس فوقي أحد إلا الملائكة الذين يحملون العرش ، وأحل لي [ولأمتى][٨] الغنائم ، ولم تحل لأحد كان قبلنا » . [هذا حديث][٩] غريب جدًا .

وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾

يقول تعالى رادًا على من أنكر بعثة الرسل من البشر : ﴿ **وما أرسلنا قبلك إلا رجالًا [نوحى][١٠] إليهم** ﴾ ، أي : جميع الرسل الذين تقدموا كانوا رجالًا من البشر، لم يكن فيهم أحد من الملائكة كما قال في الآية الأخرى: ﴿**وما أرسلنا قبلك إلا رجالًا**

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « إلا بما » .
[٤] - في ت : « أني بعثت » .
[٥] - في ت : « أمدني » .
[٦] - في ز : « مهطعين مقنعي » .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - سقط من : ز .
[٩] - في ت : « وهذا الحديث » .
[١٠] - في ز : « يوحي » . وهي قراءة الجمهور ومنهم ابن عامر الذي يقرأ المصنف بقراءته لههنا وفي الآية التالية .

[نوحى][١] **إليهم من أهل القرى﴾** وقال تعالى: ﴿[قل][٢] **ما كنت بدعًا من الرسل﴾** وقال تعالى حكاية عمن تقدم من الأمم أنهم أنكروا ذلك فقالوا: ﴿**أبشر يهدوننا**﴾؟ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿ **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾، أي: سلوا أهل العلم من الأمم؛ كاليهود والنصارىٰ وسائر الطوائف: هل كان الرسل الذين أتوهم بشرًا أو ملائكة؟ إنما كانوا بشرًا، وذلك من تمام [نعم][٣] الله علىٰ خلقه، إذ بعث فيهم رسلًا منهم يتمكنون من تناول البلاغ منهم والأخذ عنهم.

وقوله: ﴿ **وما جعلناهم جسدًا لا يأكلون الطعام** ﴾، أي: بل قد كانوا أجسادًا يأكلون الطعام، كما قال تعالىٰ:﴿ **وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق** ﴾، [أي: قد كانوا بشرًا من البشر، يأكلون ويشربون مثل الناس، ويدخلون الأسواق][٤] للتكسب والتجارة، وليس ذلك [بضارٍّ][٥] لهم ولا ناقص منهم [شيئًا، كما توهمه][٦] المشركون في قولهم: ﴿ **ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل [إليه][٧] ملك فيكون معه نذيرًا * أو يلقىٰ إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلًا مسحورًا** ﴾ الآية.

وقوله: ﴿ **وما كانوا خالدين** ﴾، أي: في الدنيا، بل كانوا يعيشون ثم يموتون ﴿ **وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد** ﴾، وخاصّتهم أنهم يوحىٰ إليهم من الله - عز وجل - تنزل عليهم الملائكة عن الله بما [يحكم][٨] في خلقه، مما يأمر به وينهىٰ عنه.

وقوله: ﴿ **ثم صدقناهم الوعد** ﴾، أي: الذي وعدهم ربهم: ﴿ **ليهلكن الظالمين** ﴾، صدقهم الله وعده ففعل ذلك، ولهذا قال: ﴿ **فأنجيناهم ومن نشاء** ﴾، أي: أتباعهم من المؤمنين ﴿ **وأهلكنا المسرفين** ﴾، أي: المكذبين بما جاءت به الرسل.

لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَـٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن
قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ
إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَـٰكِنِكُمْ

---

[١] - في ز: «يوحي».
[٢] - سقط من: ز.
[٣] - في ت: «نعمة».
[٤] - هذه العبارة مكررة في ز.
[٥] - في ز: «بصاير».
[٦] - في ز: «كانوا هم».
[٧] - في ز: «عليه».
[٨] - في ت: «يحكمه».

لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾

يقول تعالىٰ منبهًا علىٰ شرف القرآن ، ومحرضًا لهم علىٰ معرفة قدره : ﴿ **لقد أنزلنا إليكم كتابًا فيه ذكركم** ﴾ قال ابن عباس : شرفكم . وقال مجاهد : حديثكم . وقال الحسن : دينكم .

﴿ **أفلا تعقلون** ﴾ ، أي : هذه النعمة و[تتلقَّونها][١] بالقبول ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون** ﴾ وقوله : ﴿ **وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة** ﴾ هذه صيغة تكثير ، كما قال : ﴿ **وكم أهكلنا من القرون من بعد نوح** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **فكأين من قرية** [أهلكناها][٢] **وهي ظالمة فهي خاوية علىٰ عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد** ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ **وأنشأنا بعدها قومًا آخرين** ﴾ ، أي : أمة أخرىٰ بعدهم ﴿ **فلما أحسوا بأسنا** ﴾ ، أي : تيقنوا أن العذاب واقع بهم [لا محالة][٣] ، كما وعدهم نبيهم ﴿ **إذا هم منها يركضون** ﴾ ، أي : يفرون هاربين ﴿ **لا تركضوا وارجعوا إلىٰ ما أترفتم فيه ومساكنكم** ﴾ ، هذا تهكم بهم قدرًا ، أي : قيل لهم قدرًا : لا تركضوا هاربين من نزول العذاب ، وارجعوا إلىٰ ما كنتم فيه من النعمة والسرور [والمعيشة][٤] والمساكن الطيبة .

قال قتادة : استهزاءً بهم

﴿ **لعلكم تسألون** ﴾ أي : عما كنتم فيه من أداء شكر النعم[٥] .

﴿ **قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين** ﴾ ، اعترفوا بذنوبهم حين لا ينفعهم ذلك ، ﴿ **فما زالت تلك دعواهم حتىٰ جعلناهم حصيدًا خامدين** ﴾ ، أي : ما زالت تلك المقالة ، وهي الاعتراف بالظلم ، هِجِّيرَاهم(*) حتى حصدناهم [حصدًا][٦] ، وخمدت حركاتهم وأصواتهم خمودًا .

(*) الهجيري : الدأب والعادة . ولا تكاد تستعمل إلا في العادة الذميمة . الوسيط .

---

[١] - في ز : « تتلوها » .
[٢] - في ز : « أهلكتها » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « والعيشة » .
[٥] - في ز : « النعمة » .
[٦] - في ز : « حصيدًا » .

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾

يخبر تعالىٰ أنه خلق السماوات والأرض بالحق ، أي : بالعدل [والقسط][١] ؛ ﴿ **ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنىٰ** ﴾ وأنه لم يخلق ذلك عبثًا ولا لعبًا كما قال : ﴿ **وما خلقنا [السماء][٢] والأرض وما بينهما باطلًا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **لو أردنا أن نتخذ لهوًا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين** ﴾ ، قال ابن أبي نجيح : عن مجاهد : ﴿ **لو أردنا أن نتخذ لهوًا لاتخذناه من لدنا** ﴾ ، يعني : من عندنا ، يقول : وما خلقنا جنة ولا نارًا ، ولا موتًا ولابعثًا ولا حسابًا .

وقال الحسن وقتادة وغيرهما : ﴿ **لو أردنا أن نتخذ لهوًا** ﴾ ، اللهو : [المرأة][٣] ، بلسان أهل اليمن .

وقال إبراهيم النخعي : ﴿ **لو أردنا أن نتخذ لهوًا لاتخذناه** ﴾ من الحور العين .

وقال عكرمة والسدي : المراد باللهو هٰهنا : الولد .

وهذا والذى قبله متلازمان ، وهو كقوله تعالى : ﴿ **لو أراد اللَّه أن يتخذ ولدًا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه** ﴾ فنزه نفسه عن اتخاذ الولد مطلقًا ، ولا سيما عما يقولون من الإفك والباطل ، من اتخاذ عيسىٰ أو العزير أو الملائكة سبحان اللَّه ﴿ **عما يقولون علوًّا كبيرًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إن كنا فاعلين** ﴾ ، قال قتادة والسدى وإبراهيم النخعى ومغيرة بن مقسم :

---

[١] - في ز : « أي : بالقسط » .
[٢] - في ز : « السماوات » .
[٣] - في ز : « المراء » .

أي ما كنا فاعلين .

وقال مجاهد : كل شيء في القرآن « إن » فهو إنكار .

وقوله : ﴿ **بل نقذف بالحق علىٰ الباطل** ﴾ ، أي : نبين الحق فيدحض الباطل ، ولهذا قال : ﴿ **فيدمغه فإذا هو زاهق** ﴾ أي : ذاهب مضمحلٌّ ، ﴿ **ولكم الويل** ﴾ ، أي : أيها القائلون : للَّه ولد ، ﴿ **مما تصفون** ﴾ ، أي : تقولون وتفترون .

ثم أخبر تعالى عن عبودية الملائكة له ودأبهم في طاعته ليلًا ونهارًا ، فقال : ﴿ **وله من في السموات والأرض ومن عنده** ﴾ ، يعني : الملائكة ، ﴿ **لا يستكبرون عن عبادته** ﴾ ، أي : لا يستنكفون عنها ، كما قال : ﴿ **لن يستنكف المسيح أن يكون عبدًا للَّه ولا الملائكة المقربون ، ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعًا** ﴾

وقوله : ﴿ **ولا يستحسرون** ﴾ ، أي : ولا يتعبون ولا يَمَلُّون ، ﴿ **يسبحون الليل والنهار لا يفترون** ﴾ ، فهم دائبون في العمل ليلًا ونهارًا ، يطيعون قصدًا وعملًا ، قادرون عليه ، كما قال تعالى : ﴿ **لا يعصون اللَّه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عليّ بن أبي دُلامة البغدادي ، أنبأنا عبد الوهاب بن عطاء ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن صفوان بن مُحرز ، عن حكيم بن حزام قال : بينا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بين أصحابه ، إذ قال لهم : « **هل تسمعون ما أسمع ؟** » قالوا : ما نسمع من شيء . فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إني لأسمع أطيط السماء ، وما تلام أن تئطَّ ، وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم** »(٤) . غريب ولم يخرجوه .

ثم رواه ابن أبي حاتم من طريق يزيد بن [زريع][١] عن سعيد ، عن قتادة مرسلًا . وقال محمد بن إسحاق : عن حسان بن مخارق عن عبد اللَّه بن الحارث بن نوفل قال : جلست إلىٰ كعب الأحبار وأنا غلام ، فقلت له : أرأيت قول اللَّه تعالى [للملائكة][٢] : ﴿ **يسبحون الليل والنهار لا يفترون** ﴾ أما يشغلهم عن التسبيح الكلام والرسالة والعمل ؟ فقال : فمن هذا الغلام ؟ فقالوا : من بني عبد المطلب . قال : فقبَّل رأسي ، ثم قال لي : يابني ، إنه

(٤) - أخرجه ابن نصر في الصلاة (١/٢٥٨ - ٢٥٩) حديث (٢٥٠) قال : حدثنا عمرو بن زرارة ، قال : أخبرنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن سعيد بن قتادة ، عن صفوان بن محرز ، عن حكيم بن حزام - رضي اللَّه عنه - فذكره .

قال الألباني في الصحيحة برقم (١٠٦٠) : « هذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات » .

[١] - في ز : « رافع » . [٢] - سقط من : ز .

جعل لهم التسبيح كما جعل لكم النَّفس ، أليس تتكلم وأنت تتنفس ، و[١] تمشي وأنت تتنفس(٥) ؟

﴿ أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

ينكر تعالىٰ علىٰ من اتخذ من دونه آلهة ، فقال : بل ﴿ **اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون** ﴾ ، أي : أهم يحيون الموتىٰ وينشرونهم من الأرض ؟ أي : لا يقدرون علىٰ شيء من ذلك ، فكيف جعلوها للَّه ندًّا وعبدوها معه .

ثم أخبر تعالىٰ أنه لو كان في الوجود آلهة غيره لفسَدت السماوات والأرض ، فقال : ﴿ **لو كان فيهما آلهة** ﴾ ، أي : في السماء والأرض ﴿ **لفسدتا** ﴾ ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ما اتخذ اللَّه من ولد وما كان معه من إله إذًا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان اللَّه عما يصفون** ﴾ ، وقال هٰهنا : ﴿ **فسبحان اللَّه رب العرش عما يصفون** ﴾ ، أي : عما يقولون أن له ولدًا أو شريكًا ، سبحانه وتعالىٰ وتقدس ، وتنزه عن الذي يفترون ويأفكون علوًّا كبيرًا .

وقوله : ﴿ **لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون** ﴾ ، أي : هو الحاكم الذي لا معقب لحكمه ، ولا يعترض عليه أحد ؛ لعظمته وجلاله وكبريائه ، [وعلمه][٢] وحكمته ، وعدله ولطفه ، ﴿ **وهم يسألون** ﴾ ، أي : وهو سائل خلقه عما يعملون ، كقوله : ﴿ **فوربك لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون** ﴾ و[هذه][٣] كقوله تعالى : ﴿ **وهو يجير ولا يجار عليه** ﴾ .

﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن

(٥) - أخرجه الطبرى (١٢/١٧) وأبو الشيخ في العظمة (٢/٧٣٨ - ٧٣٩) حديث (٣٢٠) . والبيهقي في الشعب (١/١٧٨) حديث (١٦٠) .

[١] - بعده في ت : أنت .
[٢] - في ز : « وعلوه » .
[٣] - في ت : « هكذا » .

رَسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾

يقول تعالىٰ : بل ﴿ [أم][١] **اتخذوا من دونه آلهة قل** ﴾ يا محمد : ﴿ **هاتوا برهانكم** ﴾ ، أي : [دليلكم][٢] علىٰ ما تقولون ، ﴿ **هذا ذكر من معي** ﴾ ، يعني : القرآن ﴿ **وذكر من قبلي** ﴾ يعني : الكتب المتقدمة ، علىٰ خلاف ما تقولون وتزعمون ، فكل كتاب أنزل علىٰ كل نبي أرسل ناطق بأنه لا إله إلا اللَّه ، ولكن أنتم أيها المشركون لا تعلمون الحق ، فأنتم معرضون عنه ، ولهذا قال : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا [نُوحي][٣] إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون** ﴾ وقال : ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولًا أن اعبدوا اللَّه واجتنبوا الطاغوت** ﴾ فكل نبي بعثه اللَّه يدعو إلىٰ عبادة اللَّه وحده لا شريك له ، والفطرة شاهدة بذلك أيضًا ، والمشركون لا برهان لهم ، وحجتهم داحضة عند ربهم ، وعليهم غضب ، ولهم عذاب شديد .

وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾

يقول تعالىٰ رادًّا علىٰ من زعم أن له - تعالىٰ وتقدس - ولدًا من الملائكة ، كمن قال ذلك من العرب : إن الملائكة بنات اللَّه ، فقال : ﴿ **سبحانه بل عباد مكرمون** ﴾ ، أي : الملائكة عباد اللَّه مكرمون عنده ، في منازل عالية ومقامات سامية ، وهم له في غاية الطاعة قولًا وفعلًا ﴿ **لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون** ﴾ أي : لا يتقدمون بين يديه بأمر ولا يخالفونه فيما أمر به ، بل [يبادرون][٤] إلىٰ فعله ، وهو تعالىٰ علمه محيط بهم ، فلا يخفى عليه منهم خافية ، ﴿ **يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ولا يشفعون إلا لمن ارتضى** ﴾ كقوله : ﴿ **من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه** ﴾ وقوله : ﴿ **ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له** ﴾ في آيات كثيرة في معنى ذلك

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « دليكم » .
[٣] - في ز : « يوحي » .
[٤] - في ز : « يبادروا » .

﴿ وهم من خشيته ﴾ ، أي : من خوفه ورهبته ﴿ مشفقون * ومن يقل منهم إني إله من دونه ﴾ ، أي : من ادعىٰ منهم أنه إله من دون الله ، أي : مع الله ، ﴿ فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين ﴾ ، أي : كل من قال ذلك ، وهذا [شرط ، و][١] الشرط لا يلزم وقوعه ، كقوله : ﴿ قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ﴾ وقوله : ﴿ لئن أشركت ليحبطن عملك [ولتكونن من الخاسرين][٢] ﴾ .

أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾

يقول تعالىٰ منبهًا علىٰ قدرته التامة ، وسلطانه العظيم في خلقه الأشياء ، وقهره لجميع المخلوقات ، فقال : ﴿ أولم ير الذين كفروا ﴾ [أي : الجاحدون لإلالهيته ، العابدون][٣] معه غيره ، ألم يعلموا أن الله هو المستقل بالخلق ، المستبد بالتدبير ، فكيف يليق أن يعبد غيره ، أو يشرك به ما سواه ؟! ألم يروا ﴿ أن السموات والأرض كانتا رتقًا ﴾ أي : كان الجميع متصلًا بعضه ببعض متلاصق ، متراكم ، بعضه فوق بعض في ابتداء الأمر ، فَفَتَق هذه من هذه ، فجعل السماوات سبعًا والأرض سبعًا ، وفصل بين [سماء][٤] الدنيا والأرض بالهواء ، فأمطرت السماء ، وأنبتت الأرض ، ولهذا قال : ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ﴾ ، أي : وهم يشاهدون المخلوقات تحدث شيئًا فشيئًا عيانًا ، وذلك كله دليل علىٰ وجود الصانع ، الفاعل المختار ، القادر علىٰ ما يشاء .

ففي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

قال سفيان الثوري عن أبيه ، عن عكرمة قال : سئل ابن عباس : الليل كان قبل أو النهار ؟ فقال : أرأيتم السماوات والأرض حين كانتا رتقًا ، هل كان بينهما إلا ظلمة ؟ ذلك لتعلموا أن الليل قبل النهار(٦) .

(٦) - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٦٩/٤) وعزاه إلى عبد الرزاق والفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

[١] - في ز : « مشرط » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « الجاحدين لإلهيته العابدين » .
[٤] - في ت : « السماء » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا إبراهيم بن أبي حمزة ، حدثنا حاتم ، عن حمزة ابن أبي محمد ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر : أن رجلًا أتاه يسأله عن السماوات والأرض ﴿ كانتا رتقًا ففتقناهما ﴾ ؟ قال : اذهب إلىٰ ذلك الشيخ فاسأله ، ثم تعال فأخبرني [بما][١] قال لك . قال : [فذهبت][٢] إلىٰ ابن عباس [فسألته][٣] ، فقال ابن عباس : نعم ، كانت السماوات رتقًا لا تمطر ، وكانت الأرض رتقًا لا تنبت ، فلما خلق للأرض أهلًا فَتَق هذه بالمطر ، وفتق هذه بالنبات . فرجع الرجل إلىٰ ابن عمر فأخبره ، فقال ابن عمر : قد كنت أقول : ما يعجبني جراءة ابن عباس علىٰ تفسير القرآن ، فالآن قد علمت أنه قد أوتي في القرآن علمًا .

وقال عطية العوفي : كانت هذه رتقًا لا تمطر فأمطرت ، وكانت هذه رتقًا لا تنبت فأنبتت(٧) .

وقال إسماعيل بن أبي خالد : سألت أبا صالح الحنفي عن قوله : ﴿ أن السموات والأرض كانتا رتقًا ففتقناهما ﴾ ، قال : كانت السماء واحدة ففتق منها سبع سماوات ، وكانت الأرض واحدة ففتق منها سبع أرضين .

[و][٤] هكذا قال مجاهد ، وزاد : ولم تكن السماء والأرض متماستين .

وقال سعيد بن جبير : بل كانت السماء والأرض ملتزقتين ، فلما رفع السماء وأبرز منها الأرض ، كان ذلك [فتقهما][٥] الذي ذكر الله في كتابه .

وقال الحسن وقتادة : كانتا جميعًا ففصل بينهما بهذا الهواء .

وقوله : ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾ ، أي : أصل كل الأحياء منه .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو الجماهر ، حدثنا سعيد بن [بشير][٦] ، حدثنا قتادة ، عن [أبي][٧] ميمونة ، عن أبي هريرة أنه قال : يا نبي الله ، إذا رأيتك قَرّت عيني وطابت نفسي ، فأخبرني عن « كل شيء » . قال : « كل شيء خلق من ماء »(٨) .

(٧) - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٦٩/٤) ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وأبي نعيم في الحلية .

(٨) - أخرجه أحمد (٢٩٥/٢) . وابن حبان (٢٩٩/٦) (٢٥٥٩) . والحاكم (١٦/٤) وصححه ووافقه الذهبي ، وأبو نعيم في الحلية (٥٩/٩) . قال الهيثمي في المجمع (١٩/٥) رواه أحمد ورجاله رجال =

[١] - في ز : « ما » .
[٢] - في ت : « فذهب » .
[٣] - في ت : « فسأله » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « فتقها » .
[٦] - في ز : « معتر » .
[٧] - في ز : « ابن » .

وقال الإمام أحمد(٩) : حدثنا [يزيد حدثنا][١] همام ، عن قتادة ، [عن أبي ميمونة][٢] ، عن أبي هريرة قال : قلت : يا رسول الله ، إني إذا رأيتك طابت نفسي وقرت عيني ، فأنبئني عن كل شيء ؟ قال : « **كل شيء خلق من ماء** » . قال : قلت : أنبئني عن أمر إذا عملت به دخلت الجنة . قال : « **أفش السلام ، وأطعم الطعام ، وصل الأرحام ، وقم بالليل والناس نيام ، ثم ادخل الجنة بسلام** » .

ورواه أيضًا عن عبد الصمد وعفان ، وبهز ، عن همام . تفرد به أحمد(١٠) ، وهذا إسناد علىٰ شرط الشيخين ، إلا أن أبا ميمونة من رجال السنن - واسمه سليم - [والترمذي][٣] يصحح له ، وقد رواه سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة مرسلًا ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **وجعلنا في الأرض رواسي** ﴾ أي : جبال أرسىٰ الأرض بها وقرّرها وثقلها ؛ لئلا تميد بالناس ، أي : تضطرب وتتحركَ ، فلا يحصل لهم قرار عليها ؛ لأنها غامرة في الماء إلا مقدار الربع ، فإنه [باد للهواء][٤] والشمس ، ليشاهد أهلُها السماء ، وما فيها من الآيات الباهرات ، والحكم والدلالات . ولهذا قال : ﴿ **أن تميد [بهم][٥]** ﴾ ، أي : لئلا تميد [بهم][٦] .

وقوله : ﴿ **وجعلنا فيها فجاجًا سبلًا** ﴾ ، أي : [ثغرًا][٧] في الجبال ، يسلكون فيها طرقًا من قطر إلىٰ قطر ، وإقليم إلىٰ إقليم ، كما هو المشاهد في الأرض ، يكون الجبل حائلًا بين هذه البلاد وهذه البلاد ، فيجعل الله فيه فجوة - ثغرة - ليسلك الناس فيها من هٰهنا إلىٰ هٰهنا ، ولهذا قال : ﴿ **لعلهم يهتدون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وجعلنا السماء سقفًا** ﴾ ، أي : علىٰ الأرض ، وهي كالقبة عليها ، كما قال : ﴿ **والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون** ﴾ وقال : ﴿ **والسماء وما بناها** ﴾ ، ﴿ **أفلم ينظروا إلىٰ السماء [فوقهم][٨] كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج** ﴾ والبناء هو نصب القبة

= الصحيح خلا أبي ميمونة وهو ثقة .

(٩) - ينظر السابق .

(١٠) - أخرجه أحمد (٣٢٣/٢ ، ٤٩٣) .

---

[١] - في ز : « زيد بن » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « والزهري » .

[٤] - في ز : « نادى الهواء » .

[٥] - في ز : « بكم » .

[٦] - في ز : « بكم » .

[٧] - في ز : « تغرًا » .

[٨] - سقط من : ز .

كما قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم : « **بني الإسلام على خمس**»(١١) أي : [خمس][١] دعائم ، وهذا لا يكون إلا في الخيام كما تعهده العرب ﴿ **محفوظًا** ﴾ ، أي : عاليًا محروسًا أن ينال . وقال مجاهد : مرفوعًا .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عليّ بن الحسين ، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الدّشْتَكيّ ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن أشعث - يعني : ابن إسحاق القُمّي - عن جعفر [بن][٢] أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : قال رجل : يا رسول الله ، ما هذه السماء ؟ قال : « **هذا موج مكفوف عنكم** » . [إسناده][٣] غريب .

وقوله : ﴿ **وهم عن آياتها معرضون** ﴾ كقوله : ﴿ **وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون** ﴾ . أي : لا يتفكرون فيما خلق الله فيها من الاتساع العظيم والارتفاع الباهر ، وما زينت به من الكواكب الثوابت والسيارات في ليلها ، و[في النهار][٤] من هذه الشمس التي تقطع الفلك بكماله في يوم وليلة ، فتسير غاية لا يعلم قدرها إلا الله الذي قدرها وسخرها وسيرها .

وقد ذكر ابن أبي الدنيا، رحمه الله، في كتابه « التفكر والاعتبار » : أن بعض عباد بني إسرائيل تعبد ثلاثين سنة ، وكان الرجل منهم إذا تعبد ثلاثين سنة أظلته غمامة ، فلم ير ذلك الرجل شيئًا مما كان [يحصل][٥] لغيره ، فشكىٰ ذلك إلىٰ أمه ، فقالت له : يا بني ، فلعلك أذنبت في مدة عبادتك هذه ؟ فقال : لا ، والله ما أعلم . قالت : فلعلك هممت ؟ قال : لا ، ولا هممت . قالت : فلعلك رفعت بصرك إلىٰ السماء ثم رددته بغير فكر ؟ فقال : نعم ، [كثيرًا][٦] . قالت : فمن هٰهنا أوتيت .

ثم قال منبهًا علىٰ بعض آياته : ﴿ **وهو الذي خلق الليل والنهار** ﴾ ، أي : هذا في ظلامه وسكونه ، وهذا بضيائه وأنسه ، يطول هذا تارة ثم يقصر أخرىٰ ، وعكسه الآخر . ﴿ **والشمس والقمر** ﴾ ، هذه لها نور يخصها ، وفلك بذاته ، وزمان علىٰ حدة ، وحركة وسير خاص ، وهذا بنور خاص آخر ، وفلك آخر ، وسير آخر ، وتقدير آخر ﴿ **وكل في فلك يسبحون** ﴾ ، أي : يدورون .

(١١) - أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب : وعاؤكم إيمانكم ، حديث (٨) (٤٩/١) وطرفه في (٤٥١٥) . ومسلم في كتاب الإيمان ، باب : بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام ، حديث =

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « خمسة » .
[٣] - في ز : « عن » .
[٤] - في ز : « إسناد » .
[٥] - في ت : « نهارها » .
[٦] - في ز : « يرى » .
[٧] - في ز : « كثير » .

قال ابن عباس : يدورون كما يدور المغزل في الفلكة . وكذا قال مجاهد : فلا يدور المغزل إلا بالفلكة ، ولا الفلكة إلا بالمغزل ، كذلك النجوم والشمس والقمر ، لا يدورون إلا به ، ولا يدور إلا بهن ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فالق الإصباح و [جعل][١] الليل سكنًا والشمس والقمر حسبانًا ذلك تقدير العزيز العليم** ﴾

وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **وما جعلنا لبشر من قبلك** ﴾ ، أي : يا محمد ﴿ **الخلد** ﴾ ، أي : في الدنيا ، بل ﴿ **كل من عليها فان * ويبقىٰ وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾ وقد استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب من العلماء إلىٰ أن الخضر - عليه السلام - مات وليس بحيٍّ إلىٰ الآن ؛ لأنه بشر ، سواء كان وليًا أو نبيًا أو رسولًا . وقد قال اللّٰه تعالى : ﴿ **وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد** ﴾ .

وقوله : ﴿ **أفإن مت** ﴾ ، أي : يا محمد ﴿ **فهم الخالدون** ﴾ ، أي : أن يعيشوا بعدك ، لا يكون هذا ، بل كل إلىٰ [فناء][٢] ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **كل نفس ذائقة الموت** ﴾ ، وقد روي عن الشافعي - رحمه اللّٰه - أنه أنشد واستشهد بهذين البيتين -

تَمَنّىٰ رجَالٌ أن أمُوتَ وإنْ أَمُتْ ... فتلْكَ سَبيلٌ لَسْتُ فيها بأوْحَد
فَقُلْ للَّذِي [يَبْغي][٣] خلاف الذي مضىٰ ... تـهيَّأ لأخرىٰ مثلـها فكَأنْ قـدِ

وقوله : ﴿ **ونبلوكم بالشر والخير فتنة** ﴾ ، أي : نختبركم بالمصائب تارة ، وبالنعم أخرىٰ ؛ لننظر من يشكر ومن يكفر ، ومن يصبر ومن يقنط ، كما قال عليّ بن أبي طلحة : عن ابن عباس : ﴿ **ونبلوكم** ﴾ ، يقول : نبتليكم ﴿ **بالشر والخير فتنة** ﴾ بالشدة والرخاء ، والصحة والسقم ، والغنىٰ والفقر ، والحلال والحرام ، والطاعة والمعصية ، والهدىٰ والضلالة .

وقوله : ﴿ **وإلينا ترجعون** ﴾ أى : فنجازيكم بأعمالكم .

وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ

= (١٩ - ١٦/٢٢) (٢٤٧/١ - ٢٥١) .

[١] - في ز : « جاعل » . [٢] - في ت : « الفناء » .
[٣] - في ز : « يبقى » .

ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾

يقول تعالىٰ لنبيه صلوات اللّه وسلامه عليه :﴿ وإذا [رآك][١] [الذين كفروا][٢] ﴾ ، يعني : كفار قريش ، كأبي جهل وأشباهه ﴿ إن يتخذونك إلا هزوًا ﴾ ، أي : يستهزئون بك وينتقصونك ، يقولون : ﴿ أهذا الذي يذكر آلهتكم ﴾ ، يعنون : أهذا الذي يسب آلهتكم ، ويسفه أحلامكم ، قال اللّه تعالىٰ : ﴿ وهم بذكر الرحمن هم كافرون ﴾ ، أي : وهم كافرون باللّه ، ومع هذا يستهزئون برسول اللّه ، كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوًا أهذا الذي بعث اللّه رسولًا إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلًا ﴾ .

وقوله ﴿ خلق الإنسان من عجل ﴾ كما قال في الآية الأخرى ﴿ و[كان][٣] الإنسان عجولًا ﴾ أي : في الأمور .

قال مجاهد : خلق اللّه آدم بعد كل شيء ، من آخر النهار من يوم خلق [الخلائق][٤] ، فلما أحيا الروح عينيه ولسانه ورأسه ، [ولم][٥] يبلغ أسفله قال : يا رب ، استعجل بخلقي قبل غروب الشمس .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أهبط منها ، وفيه تقوم الساعة ، وفيه ساعة لا يوافقها [عبد][٦] مؤمن يصلي - وقبض أصابعه ، يقللها - فسأل اللّه خيرًا إلا أعطاه إياه »(١٢) . قال أبو سلمة : فقال عبد اللّه بن سلام : قد عرفت تلك الساعة ، وهي آخر ساعات النهار من يوم الجمعة ،

---

(١٢) - أخرجه مسلم في كتاب الجمعة ، باب : فضل يوم الجمعة ، حديث (١٧ ، ١٨/ ٨٥٤) (٦/٢٠٢) بنحوه .

---

[١] - في ز : « رأوك » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « خلق » .

[٤] - في ز : « الخلق » .

[٥] - في ز : « لم » .

[٦] - سقط من : ز .

وهي التي خلق اللَّه فيها آدم ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **خلق الإِنسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون** ﴾ .

والحكمة في ذكر عجلة الإِنسان هٰهنا : أنه لما ذكر المستهزئين بالرسول صلوات اللَّه وسلامه عليه ، وقع في النفوس سرعة الانتقام منهم ، واستعجلت [ذلك][١] ، فقال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **خلق الإِنسان من عجل** ﴾ ، لأنه تعالىٰ يملي للظالم حتىٰ إذا أخذه لم يفلته ، يؤجل ثم يعجل ، وينظر ثم لا يؤخر ، ولهذا قال : ﴿ **سأريكم آياتي** ﴾ ، أي : نقمي وحكمي واقتداري علىٰ من عصاني، ﴿ **فلا تستعجلون** ﴾ .

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾

يخبر تعالىٰ عن المشركين أنهم يستعجلون أيضًا بوقوع العذاب بهم ، تكذيبًا وجحودًا وكفرًا وعنادًا واستبعادًا ، فقال : ﴿ **ويقولون متىٰ هذا الوعد إن كنتم صادقين** ﴾ ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم** ﴾ ، أي : [لو][٢] تيقنوا [أنه واقع][٣] بهم لا محالة لما استعجلوا به ، [ولو][٤] يعلمون حين يغشاهم العذاب من [فوقهم][٥] ومن تحت أرجلهم ؛ ﴿ **لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل** ﴾ ﴿ **لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش** ﴾ ، وقال في هذه الآية : ﴿ **حين لايكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم** ﴾ ، وقال : ﴿ **سرابيلهم من قطران وتغشىٰ وجوههم النار** ﴾ ، فالعذاب محيط بهم من جميع جهاتهم ﴿ **ولاهم ينصرون** ﴾ أي : لا ناصر لهم ، كما قال : ﴿ **ومالهم من اللَّه من واق** ﴾ وقوله : ﴿ **بل تأتيهم بغتة فتبهتهم** ﴾ ، أي : تأتيهم النار بغتة ، أي : فجأة ﴿ **فتبهتهم** ﴾ ، أي : تُذعِرُهم [فيستسلمون][٦] لها حائرين ، لا[٧] يدرون ما يصنعون ، ﴿ **فلا يستطيعون ردها** ﴾ ، أي :

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ت : « أنها واقعة » .

[٤] - في ز : « لو » .

[٥] - في ز : « قولهم » .

[٦] - في ز : « ويستسلمون » .

[٧] - في ت : « ولا » .

ليس لهم حيلة في ذلك ﴿ ولا هم ينظرون ﴾ أي : ولا يؤخر عنهم ذلك ساعة واحدة .

وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾

يقول تعالى مسليًا لرسوله عما أذاه به المشركون من الاستهزاء والتكذيب ﴿ **ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون** ﴾ ، يعني : من العذاب الذي كانوا يستبعدون وقوعه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا علىٰ ماكذبوا وأوذوا حتىٰ أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات اللَّه ولقد جاءك من نبأ المرسلين** ﴾

ثم ذكر تعالى نعمته على عبيده في حفظه لهم بالليل والنهار وكلاءته وحراسته لهم بعينه التي لا تنام ، فقال : ﴿ **قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن** ﴾ ، أي : بدل الرحمن ، [يعنى][١] غيره ، كما قال الشاعر :

جَارِيـةٌ لَمْ تَـلْـبَـسِ المُرَقَّـقـا ولَمْ [تَذق][٢] مِنَ البُقول الفُسْتُقا

أي : لم [تذق][٣] بدل البقول [الفستق][٤] .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **بل هم عن ذكر ربهم معرضون** ﴾ ، أي : لا يعترفون [بنعمة اللَّه][٥] عليهم وإحسانه إليهم ، بل يعرضون عن آياته وآلائه ، [ثم][٦] قال : ﴿ **أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا** ﴾ استفهام إنكار وتقريع وتوبيخ ، أي : ألهم آلهة تمنعهم وتكلؤهم غيرنا ؟ ليس الأمر كما توهموا ولا كما [قد][٧] زعموا ، ولهذا قال : ﴿ **لا يستطيعون نصر أنفسهم** ﴾ ، أي : هذه [الآلهة][٨] التي استندوا إليها غير اللَّه لا يستطيعون نصر أنفسهم .

وقوله : ﴿ **ولا هم منا يصحبون** ﴾ قال العوفي : عن ابن عباس : ﴿ **ولا هم منا**

---

[١] - في ز : « بمعنى » .
[٢] - في ز : « تدر » .
[٣] - في ز : « تدر » .
[٤] - في ز : « الفستقا » .
[٥] - في ز : « بنعمه » .
[٦] - في ز : « كما » .
[٧] - سقط من خ .
[٨] - سقط من : ز .

يصحبون ﴾ أي : [يُجارون][١] . وقال قتادة : لا يصحبون [من الله][٢] بخير . وقال غيره : **﴿ ولاهم منا يصحبون ﴾** : يمنعون

بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن المشركين : إنما غرّهم وحملهم علىٰ ما هم فيه من الضلال ، أنهم مُتّعوا في الحياة الدنيا ، ونعموا وطال عليهم العمر فيما هم فيه ، فاعتقدوا أنهم علىٰ شيء .

ثم قال واعظًا لهم : **﴿ أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها ﴾** ، اختلف المفسرون في معناه ، وقد أسلفناه في سورة الرعد ، وأحسن ما فسر بقوله تعالى : **﴿ ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون ﴾** وقال الحسن البصري : يعني بذلك ظهور الإسلام على الكفر والمعنىٰ : أفلا يعتبرون بنصر الله لأوليائه علىٰ أعدائه ، وإهلاكه الأمم المكذبة والقرىٰ الظالمة ، وإنجائه لعباده المؤمنين ، ولهذا قال : **﴿ أفهم الغالبون ﴾** ، يعني : بل هم المغلوبون الأسفلون الأخسرون الأرذلون .

وقوله : **﴿ قل إنما أنذركم بالوحي ﴾** ، أي : إنما أنا مبلغ عن الله ، ما أنذركم به من العذاب والنكال ليس ذلك إلا عما أوحاه الله إليَّ ، ولكن لا يجدي هذا عمن أعمىٰ الله بصيرته ، وختم علىٰ سمعه وقلبه ، ولهذا قال : **﴿ ولا يسمع الصم الدعاء إذا ماينذرون ﴾** .

وقوله : **﴿ ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين ﴾** أي : ولئن مس هؤلاء المكذبين أدنىٰ شيء من عذاب الله ، ليعترفُنّ بذنوبهم ، وأنهم كانوا ظالمين لأنفسهم في الدنيا .

---

[١] - في ز : « يجازون » . [٢] - سقط من : ز .

وقوله : ﴿ **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا** ﴾ ، أي : ونضع الموازين العدل ليوم القيامة ، الأكثر علىٰ أنه إنما هو ميزان واحد ، وإنما جمع باعتبار تعدد الأعمال الموزونة فيه .

[وقوله][١] : ﴿ **فلا تظلم نفس شيئًا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين** ﴾ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولا يظلم ربك أحدًا** ﴾ وقال : ﴿ **إن اللّٰه لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرًا عظيمًا** ﴾ وقال لقمان : ﴿ **يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها اللّٰه إن اللّٰه لطيف خبير** ﴾ .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة(١٣) قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **كلمتان خفيفتان علىٰ اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلىٰ الرحمن ، سبحان اللّٰه وبحمده ، سبحان اللّٰه العظيم** » .

وقال الإمام أحمد(١٤) : حدثنا إبراهيم بن إسحاق الطالقاني ، حدثنا ابن المبارك ، عن ليث بن سعد ، حدثني عامر بن يحيىٰ ، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلّي قال : سمعت عبد اللّٰه ابن [عمرو][٢] بن العاص يقول : قال رسول اللّٰه، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « إن اللّٰه - عز وجل - يستخلص رجلًا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة ، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلًا ، كل سِجِل مد البصر ، ثم يقول : أتنكر من هذا شيئًا ؟ أظلمتك كَتَبَتي الحافظون ؟ قال : لا يارب . قال : أفلك عذر أو حسنة ؟ قال : فَيُبْهَت الرجل . فيقول : لا يارب . فيقول : بلىٰ ، إن لك عندنا حسنة واحدة ، لا ظلم اليوم عليك . فيخرج له[٣] بطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلا اللّٰه ، و[٤] أشهد أن محمدًا [عبده ورسوله][٥] . فيقول : أحضروه . فيقول : يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقول : إنك لا تظلم . قال : فتوضع السجلات في كفة[٦] ، قال : فطاشت السجلات وثقلت البطاقة . قال : ولا يثقل شيء بسم

---

(١٣) - أخرجه البخاري في كتاب الدعوات ، باب : فضل التسبيح ، حديث (٦٤٠٦) (١١/٢٠٦) ، وأطرفه في (٦٦٨٢،٧٥٦٣) . ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب : فضل التهليل والتسبيح والدعاء ، حديث (٣١/٢٦٩٤) (١٧/٣١) .

(١٤) - أخرجه أحمد (٢/٢١٣) .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ز : « عمر » .

[٣] - بعده في ز : فيها .

[٤] - بعده في ت : « أشهد » .

[٥] - في ت : « رسول اللّٰه » .

[٦] - بعده في ت : « والبطاقة في كفة » ومكانها بياض في ز .

اللَّه الرحمن الرحيم » .

ورواه الترمذي(١٥) ، وابن ماجة(١٦) من حديث الليث بن سعد به ، وقال الترمذي : حسن [غريب][١] .

[و][٢]قال الإمام أحمد(١٧) : حدثنا قتيبة ، حدثنا ابن لهيعة ، عن عمرو بن يحيىٰ ، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي ، عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « توضع الموازين يوم القيامة ، فيؤتىٰ بالرجل ، فيوضع في كفة ، [فيوضع][٣] ما أحصي عليه ، فتمايل به الميزان ، قال : فيبعث به إلىٰ النار ، قال : فإذا أدبر به إذا صائح من عند الرحمن - عز وجل - يقول : لا تعجلوا ، فإنه قد بقي له . فيؤتىٰ ببطاقة فيها : لا إله إلا اللَّه ، فتوضع مع الرجل في كفة ، حتىٰ يميل به الميزان » .

وقال الإمام أحمد(١٨) أيضًا : حدثنا أبو نوح - قُرَاد - ، أنبأنا ليث بن سعد ، عن مالك ابن أنس ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة : أن رجلًا من أصحاب رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم جلس بين يديه فقال : يا رسول اللَّه ، [إن][٤] لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني ، وأضربهم وأشتمهم ، فكيف أنا منهم ؟ فقال له رسول اللَّه، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « يُحْسَب ما خانوك وعصوك وكذبوك ، [و][٥] عقابك إياهم [فإن][٦] كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلًا لك [عليهم][٧] ، وإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم ، كان كفافًا لا لك ولا عليك ، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل الذي يبقىٰ قبلك » . فجعل الرجل يبكي بين يدي رسول اللَّه، صلىٰ اللَّه عليه وسلم، ويهتف ، فقال رسول اللَّه، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « ماله ؟! [أما][٨] يقرأ كتاب اللَّه ؟

---

(١٥) - أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان ، باب : ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا اللَّه ، حديث (٢٦٣٩) (٥/٢٥) .

(١٦) - أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد ، باب : ما يرجى من رحمة اللَّه يوم القيامة ، حديث (٤٣٠٠) (١٤٣٧/٢) .

(١٧) - أخرجه أحمد (٢٢١/٢) . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٥/١٠) : رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(١٨) - أخرجه أحمد (٢٨٠/٦) .

---

[١] - في ز : « صحيح » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ت : « ويوضع » .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - في ت : « إن » .

[٧] - سقط من : ز .

[٨] - في ز : « ما » .

﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ » . فقال الرجل : [يا رسول الله][١] ، ما [أجد][٢] شيئًا خيرًا من فراق هؤلاء - يعني عبيده - إني أشهدك أنهم أحرار كلهم

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾

قد تقدم التنبيه علىٰ أن الله تعالىٰ كثيرًا ما يقرن بين ذكر موسىٰ ومحمد - صلوات الله وسلامه عليهما - وبين كتابيهما ، ولهذا قال : **﴿ ولقد آتينا موسىٰ وهارون الفرقان ﴾** .

قال مجاهد : يعني : الكتاب . وقال أبو صالح : التوراة . وقال قتادة : التوراة ؛ حلالها وحرامها ، وما [فرق][٣] الله [بين][٤] الحق والباطل . وقال ابن زيد : يعني النصر .

وجامع القول في ذلك أن الكتب السماوية [تشتمل][٥] علىٰ التفرقة بين الحق والباطل ، والهدىٰ والضلال ، والغيّ والرشاد ، والحلال والحرام ، وعلىٰ ما يحصل [نورًا في][٦] القلوب ، وهداية وخوفًا وإنابة وخشية ، ولهذا قال : **﴿ الفرقان وضياء وذكرًا للمتقين ﴾** ، أي : [تذكيرًا لهم][٧] وعظة .

ثم وصفهم فقال : **﴿ الذين يخشون ربهم بالغيب ﴾** كقوله : **﴿ من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ﴾** وقوله : **﴿ إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير ﴾**

﴿ وهم من الساعة مشفقون ﴾ ، أي : خائفون وجلون .

ثم قال تعالىٰ : **﴿ وهذا ذكر مبارك أنزلناه ﴾** ، يعني : القرآن العظيم ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، **﴿ أفأنتم له منكرون ﴾** ، أي : أفتنكرونه وهو في غاية [الجلاء][٨] والظهور ؟

---

[١] - في ز : « يريد » .
[٢] - في ز : « أخذ » .
[٣] - في ز : « قرن » .
[٤] - في ز : « من » .
[٥] - في ت : « مشتملة » .
[٦] - في ز : « نور إلى » .
[٧] - كذا في ز : « الهم » .
[٨] - بياض في : ز .

۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾

يخبر تعالىٰ عن خليله إبراهيم - عليه السلام - أنه آتاه رشده من قبل ، أي : من صغره ألهمه الحق والحجة علىٰ قومه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم علىٰ قومه** ﴾ وما يذكر من الأخبار عنه في إدخال أبيه له في السرب وهو رضيع ، وأنه خرج به بعد أيام ، فنظر إلىٰ الكواكب والمخلوقات ، فتبصر فيها ، وما قصَّه كثير من المفسرين وغيرهم فعامتها أحاديث بني إسرائيل ، فما وافق منها الحق مما بأيدينا عن المعصوم قبلناه ؛ لموافقته الصحيح ، وما خالف شيئًا من ذلك رددناه ، وماليس فيه موافقة ولا مخالفة لا نصدقه ولا نكذبه ، بل نجعله وقفًا ، وما كان من هذا الضرب منها فقد تَرَخَّص كثير من السلف في روايتها ، وكثير من ذلك مما لا فائدة فيه ، ولا حاصل له مما ينتفع به في الدين ، ولو كانت فيه فائدة تعود علىٰ المكلفين في دينهم لبينته هذه الشريعة الكاملة الشاملة ، والذي [نسلكه][١] في هذا التفسير الإعراض عن كثير من الأحاديث الإسرائيلية ؛ لما فيها من تضييع الزمان ، ولما اشتمل عليه كثير منها من الكذب المروج عليهم ، فإنهم لاتفرقة عندهم بين صحيحها وسقيمها ، كما حرره الأئمة الحفاظ المتقنون من هذه الأمة .

والمقصود هٰهنا أن الله تعالى أخبر أنه قد آتى إبراهيم رشده من قبل أي : من قبل ذلك .

وقوله : ﴿ **وكنا به عالمين** ﴾ ، أي : وكان أهلًا لذلك . ثم قال : ﴿ **إذ قال لأبيه وقومه ماهذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون** ﴾ ، هذا هو الرشد الذي أوتيه من صغره : الإنكار علىٰ قومه في عبادة الأصنام من دون الله - عز وجل - فقال : ﴿ **ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون** ﴾ ؛ أي : معتكفون علىٰ عبادتها .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن محمد الصباح ، حدثنا أبو معاوية الضرير ، حدثنا [سعد][٢] بن طريف ، عن الأصبغ بن نُباتة قال : [مر عليّ - رضي الله عنه -][٣] علىٰ قوم

---

[١] - في ز : « يذكر » .
[٢] - في ز : « سعيد » .
[٣] - سقط من : ز .

يلعبون بالشطرنج ، فقال : ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ؟ لأن يمس صاحبكم جمرًا حتىٰ يطفأ خير له من أن يمسها(١٩) .

﴿ قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ﴾ ، لم يكن لهم حجة سوىٰ صنيع آبائهم الضلال ، ولهذا قال : ﴿ لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين ﴾ ، أي : الكلام مع آبائكم الذين احتججتم بصنيعهم كالكلام معكم ، فأنتم وهم في ضلال ، علىٰ غير الطريق المستقيم .

فلما سفه أحلامهم ، وضلل آباءهم ، واحتقر آلهتهم ﴿ قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين ﴾ يقولون هذا الكلام الصادر عنك تقوله لاعبًا أو محقًّا فيه ، فإنا لم نسمع به قبلك ؟ ﴿ قال بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن ﴾ أي : ربكم الذي لا إله غيره ، هو الذي خلق السموات والأرض وماحوت من المخلوقات ، الذي ابتدأ خلقهن ، وهو الخالق لجميع الأشياء ﴿ وأنا علىٰ ذلكم من الشاهدين ﴾ ، أي : وأنا أشهد أنه لا إله غيره ، ولا رب سواه .

وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾

ثم أقسم الخليل قسمًا أسمعه بعض قومه ليكيدن أصنامهم ، أي :ليحرصن علىٰ أذاهم وتكسيرهم بعد أن يُوَلُّوا مدبرين ، أي : [إلىٰ][١] عيدهم ، وكان لهم عيد [يخرجون][٢] إليه .

قال السدي : لما اقترب وقت ذلك العيد قال أبوه : يا بني ، لو خرجت معنا إلىٰ عيدنا لأعجبك ديننا ! فخرج معهم ، فلما كان ببعض الطريق ألقىٰ نفسه إلىٰ الأرض ، وقال :

---

(١٩) - أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥/٢٤١) (٨/٦٥) . وابن أبي شيبة في كتاب الأدب ، باب : في اللعب بالشطرنج ، حديث (١) (٦/١٩٢) ونحوه .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ز : « يمرحون » .

﴿إني سقيم﴾ . فجعلوا يمرون عليه وهو صريع فيقولون : مه ! فيقول ! إني سقيم ، فلما جاز عامتهم وبقي ضعفاؤهم قال : ﴿ تالله لأكيدنَّ أصنامكم﴾ فسمعه أولئك .

وقال أبو إسحاق : عن أبي الأحوص ، عن عبد الله قال : لما خرج قوم إبراهيم إلىٰ عيدهم ، مروا عليه فقالوا : يا إبراهيم ، ألا تخرج معنا ؟ قال : إني سقيم . وقد كان بالأمس قال : ﴿تالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين ﴾ فسمعه ناس منهم .

وقوله : ﴿ **فجعلهم جذاذًا** ﴾ ، أي : حطامًا ، كسرها كلها ﴿ **إلا كبيرًا لهم** ﴾ ، يعني : إلا الصنم الكبير عندهم ، كما قال : ﴿ **فراغ عليهم ضربًا باليمين** ﴾ وقوله : ﴿ **لعلهم إليه يرجعون** ﴾ : ذكروا أنه وضع القدوم في يد كبيرهم ، لعلهم يعتقدون أنه هو الذي غار لنفسه ، وأنف أن تعبد معه هذه الأصنام الصغار ، فكسرها .

﴿ **قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين** ﴾ ؛ أي : حين رجعوا [و][١] شاهدوا ما فعله الخليل بأصنامهم ، من الإهانة والإذلال الدال علىٰ عدم إلاهيتها ، وعلىٰ سخافة عقول عابديها ﴿ **قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين** ﴾ ، أي : في صنيعه هذا . ﴿ **قالوا سمعنا فتىً يذكرهم يقال له إبراهيم** ﴾ ، أي : قال من سمعه يحلف إنه ليكيدنهم ﴿ **سمعنا فتىً** ﴾ ، أي : شابًا ﴿ **يذكرهم يقال له إبراهيم** ﴾ .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عوف ، حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا جرير بن عبد الحميد ، عن قابوس[٢] ، عن ابن عباس قال : مابعث الله نبيًا إلا شابًا ، ولا أوتي العلم عالم إلا وهو شاب ، وتلا هذه الآية : ﴿ **قالوا سمعنا فتىً يذكرهم يقال له إبراهيم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **قالوا فأتوا به علىٰ أعين الناس** ﴾ ، أي : علىٰ رءوس الأشهاد في الملإ الأكبر بحضرة الناس كلهم ، وكان هذا هو المقصود الأكبر لإبراهيم - عليه السلام - أن يَتَبَيَّنَ في هذا المحفل العظيم كثرةُ جهلهم ، وقلة عقلهم في عبادة هذه الأصنام ، التي لا تدفع عن نفسها ضرًا ، ولا [تستطيع][٣] لها نصرًا ، فكيف يطلب منها شيء من ذلك ؟

﴿ **قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم * قال بل فعله كبيرهم هذا** ﴾ [يعني][٤] : الذي تركه لم يكسره ﴿ **فاسألوهم إن كانوا ينطقون** ﴾ وإنما أراد بهذا أن يبادروا من تلقاء أنفسهم فيعترفوا أنهم لا ينطقون ، فإن هذا لايصدر عن هذا الصنم ؛ لأنه جماد .

---

[١] - في ز : « أو » .
[٢] - بعده في ت : عن أبيه .
[٣] - في ت : « تملك » .
[٤] - سقط من : ز .

وفي الصحيحين(٢٠) من حديث هشام بن حسّان عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة ، أن رسول اللَّه، صلىٰ اللَّه عليه وسلم، قال : « إن إبراهيم - عليه السلام - لم يكذب [غير][١] ثلاث ؛ اثنتين في ذات اللَّه ؛ قوله : ﴿ **بل فعله كبيرهم هذا** ﴾ ، وقوله : ﴿ **إني سقيم** ﴾ ، قال : وبينا هو يسير في أرض جبّار من الجبابرة ومعه سارة ، إذ نزل منزلاً ، فأتىٰ الجبارَ رجلٌ فقال : إنه نزل بأرضك رجل معه امرأة أحسن الناس . فأرسل إليه فجاء ، فقال : ما هذه المرأة منك ؟ قال : هي أختي . قال : فاذهب فأرسل بها إليّ . فانطلق إلىٰ سارة فقال : إن هذا الجبار سألني عنك ، فأخبرته أنك أختي ، فلا تُكذّبيني عنده ، فإنك أختي في كتاب اللَّه ، وإنه ليس في الأرض مسلم غيري وغيرك . فانطلق بها إبراهيم ، ثم قام يصلي ، فلما أن دخلت عليه فرآها أهوىٰ إليها فتناولها ، فأخذ أخذًا شديدًا ، فقال : ادعي اللَّه لي ولا أضرك . فدعت له فأرسل ، فأهوىٰ إليها فتناولها ، فأخذ بمثلها أو أشد ، ففعل ذلك الثالثة فأخذ ، [فذكر][٢] مثل المرتين الأوليين ، فقال : ادعي اللَّه فلا أضرك . فدعت له فأرسل ، ثم [دعا][٣] أدنىٰ حُجّابه فقال : إنك لم تأتني بإنسان ، وإنما أتيتني بشيطان ، أخرجها وأعطها هاجر ، فأخرجت وأعطيت هاجر ، فأقبلت ، فلما أحس إبراهيم بمجيئها انفتل من صلاته قال : مَهْيم ؟ قالت : [كفَّ][٤] اللَّه كيد الكافر الفاجر وأخدمني هاجر » . قال محمد بن سيرين : [وكان][٥] أبو هريرة إذا حدث بهذا الحديث قال : فتلك أمكم يا بني ماء السماء

فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ﴿٦٦﴾ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾

(٢٠) - أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ، باب : قول اللَّه تعالى : ﴿ **واتخذ اللَّه إبراهيم خليلاً** ﴾، حديث (٣٣٥٨) (٦/٣٨٨) . ومسلم في كتاب الفضائل ، باب : من فضائل إبراهيم الخليل - صلى اللَّه عليه وسلم - ، حديث (٢٣٧١/١٥٤) (١٥/١٨٠ - ١٨٢) . كلاهما من طريق أيوب السختياني عن محمد ابن سيرين عن أبي هريرة ... فذكره بنحوه .

[١] - في ز : « عن » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « أبي » .
[٥] - في ت : « فكان » .

يقول تعالىٰ مخبرًا عن قوم إبراهيم حين قال لهم ما قال : ﴿ فرجعوا إلىٰ أنفسهم ﴾ ، أي : بالملامة في عدم احترازهم وحراستهم لآلهتهم ، فقالوا : ﴿ إنكم أنتم الظالمون ﴾ ، أي : في ترككم لها مهملة لاحافظ عندها ﴿ ثم نكسوا علىٰ رءوسهم ﴾ ، أي : [ثم][١] أطرقوا في الأرض ، فقالوا : ﴿ لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ﴾ [قال قتادة : أدركت القوم حيرة سوء فقالوا : ﴿ لقد علمت ماهؤلاء ينطقون ﴾][٢] وقال السديُّ ﴿ ثم نكسوا علىٰ رءوسهم ﴾ أي : في الفتنة . وقال ابن زيد : أي : في الرأي .

وقول قتادة أظهر في المعنىٰ ؛ لأنهم إنما فعلوا ذلك حيرة وعجزًا ، ولهذا قالوا له : ﴿ لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ﴾ فكيف تقول لنا : سلوهم إن كانوا ينطقون ، وأنت تعلم أنها لا تنطق ؟ فعندها قال لهم إبراهيم لما اعترفوا بذلك : ﴿ أفتعبدون من دون اللَّه مالا ينفعكم شيئًا ولا يضركم ﴾ ، أي : إذا كانت لا تنطق وهي لا تنفع ولا تضر ، فلم تعبدونها من دون اللَّه ﴿ أف لكم ولما تعبدون من دون اللَّه أفلا تعقلون ﴾ ، أي : أفلا تتدبرون ما أنتم فيه من الضلال والكفر الغليظ ، الذي لا يروج إلا علىٰ جاهل ظالم فاجر ؟ فأقام عليهم الحجة وألزمهم بها ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم علىٰ قومه ﴾ . الآية .

قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴿٧٠﴾

لما دحضت حجتهم ، وبان عجزهم ، [فظهر][٣] الحق ، واندفع الباطل ، عدلوا إلىٰ استعمال جاه ملكهم ، فقالوا : ﴿ حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين ﴾ فجمعوا حطبًا كثيرًا جدًّا - قال السدي : حتىٰ إن كانت المرأة تمرض ، فتنذر إن عوفيت أن تحمل حطبًا لحريق إبراهيم - ثم جعلوه في جَوْبَة[٤] من الأرض ، وأضرموها نارًا ، فكان لها شرر عظيم ولهب مرتفع ، لم توقد نار قط مثلها ، وجعلوا إبراهيم - عليه السلام - في كفة المنجنيق بإشارة رجل من أعراب فارس من الأكراد - قال شعيب الجبائي : اسمه هيزن - فخسف اللَّه به الأرض ، فهو يتجلجل فيها إلىٰ يوم القيامة - فلما ألقوه قال : « حسبي اللَّه ونعم الوكيل ! » .

---

[١] - في ز : « هم » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ت : « وظهر » .
[٤] - في ز : « جونة » . والجوبة : الحفرة .

كما رواه البخاري(٢١) ، عن ابن عباس أنه قال : [حسبنا][١] اللَّه ونعم الوكيل ، قالها إبراهيم حين ألقي في النار ، وقالها محمد حين قالوا : ﴿ **إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم [فزادهم إيمانًا][٢] وقالوا : حسبنا اللَّه ونعم الوكيل** ﴾ .

وقال الحافظ أبو يعلىٰ(٢٢) : حدثنا [أبو][٣] هشام ، حدثنا إسحاق بن سليمان ، عن أبي جعفر ، عن عاصم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه. صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « لما ألقي إبراهيم - عليه السلام - في النار قال : اللهم إنك في السماء واحد ، و[أنا][٤] في الأرض واحد أعبدك » .

ويروىٰ أنه لما جعلوا [يوثقونه][٥] قال : لا إله إلا أنت سبحانك ، لك الحمد ولك الملك [لا شريك لك][٦] . وقال شعيب الجبائي : كان عمره ستَّ عشرةَ سنة . فاللَّه أعلم .

وذكر بعض السلف أنه عرض له جبريل وهو في الهواء ، فقال : ألك حاجة ؟ [فقال][٧] : أما إليك فلا [وأما من اللَّه فبلىٰ][٨] .

وقال سعيد بن جبير - ويروىٰ عن ابن عباس أيضًا - قال : لما ألقي إبراهيم جعل خازن المطر يقول : متىٰ أومر بالمطر فأرسله ؟ قال : فكان أمر اللَّه أسرع من أمره ، قال اللَّه : ﴿ **يا نار كوني بردًا وسلامًا علىٰ إبراهيم** ﴾ ، قال : لم يبق نار في الأرض إلا طفئت . وقال كعب الأحبار : لم ينتفع [أحد][٩] يومئذ بنار ، ولم تحرق النار من إبراهيم سوىٰ وثاقه.

وقال [الثوري][١٠] : عن الأعمش ، عن شيخ ، عن عليّ بن أبي طالب : ﴿ **قلنا يانار كوني بردًا وسلامًا علىٰ إبراهيم** ﴾ [قال : بَرَدَت عليه حتى كادت تقتله ، حتى قيل : ﴿ **وسلامًا** ﴾ قال][١١] : لا تضربه .

---

(٢١) - أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ **الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم** ﴾، حديث (٤٥٦٣) (٨/٢٢٩) ، وطرفه في (٤٥٦٣) .

(٢٢) - أخرجه البزار في كتاب علامات النبوة ، باب : إبراهيم الخليل ، حديث (٢٣٤٩) (٣/٢٠٢) . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٢٠٥) : رواه البزار وفيه عاصم بن عمر بن حفص بن عمر ، وثقه ابن حبان وقال : يخطئ ويخالف . وضعفه الجمهور .

---

[١] - في ت : « حسبي » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « ابن » .
[٤] - في ز : « إنك » .
[٥] - في ز : « يوقعونه » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في ز : « قال » .
[٨] - سقط من : ز .
[٩] - سقط من : ز .
[١٠] - في ز : «الهروي » .
[١١] - سقط من : ز .

وقال ابن عباس وأبو العالية : لولا أن اللَّه - عز وجل - قال : ﴿ وسلامًا ﴾ لآذىٰ إبراهيم بَرْدُها .

وقال جُوَيبر عن الضحاك : ﴿ كوني بردًا وسلامًا علىٰ إبراهيم ﴾، قال : صنعوا له حظيرة من حَطَب جَزْل ، وأشعلوا فيه النار من كل جانب ، فأصبح ولم يصبه منها شيء ، حتىٰ أخمدها اللَّه . قال : ويذكرون أن جبريل كان معه يمسح وجهه من العرق ، فلم يصبه منها شيء غير ذلك .

وقال السديُّ : كان معه فيها ملك [الظل][١] .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عليّ بن الحسين ، حدثنا يوسف [بن][٢] موسىٰ ، حدثنا مهران ، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن المنهال بن عمرو قال : أخبرت أن إبراهيم ألقي في النار ، فقال : كان فيها إما خمسين وإما أربعين . قال : ما كنت أيامًا ولياليَ [قط][٣] أطيبَ عيشًا إذ كنت فيها ، ووددت أن عيشي وحياتي كلها مثل عيشي إذ كنت فيها .

وقال أبو زرعة بن عمرو بن جرير عن أبي هريرة قال : إن [أحسن شيء][٤] قال أبو إبراهيم - لما رفع عنه الطبق وهو في النار ، وجده يرشح جبينه - قال عند ذلك : نعْمَ الربّ ربك يا إبراهيم(٢٣) !!

وقال قتادة : لم يأت يومئذٍ دابة إلا أطفأت عنه النار إلا الوزغ . وقال الزهري : أمر النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم بقتله وسماه فويسقًا .

وقال [ابن أبي][٥] حاتم : حدثنا أبو عبيد اللَّه ابن أخي ابن وهب ، حدثني عمي ، حدثنا جرير بن حازم ، أن نافعًا حدثه قال : حدثتني مولاة الفاكه بن المغيرة المخزومي قالت : دخلت علىٰ عائشة فرأيت في بيتها رمحًا ، فقلت : يا أم المؤمنين ، ما تصنعين بهذا الرمح ؟ فقالت : نقتل به هذه الأوزاغ ، إن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « إن إبراهيم حين ألقي في النار لم يكن في الأرض دابة إلا تطفي النار ، غير الوزغ فإنه كان ينفخ على إبراهيم » فأمرنا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم بقتله(٢٤) .

(٢٣) - أخرجه الطبرى (٤٤/١٧) .

(٢٤) - أخرجه النسائي (١٨٩/٥) ، وابن ماجه في كتاب الصيد ، باب : قتل الوزغ ، حديث (٣٢٣١) (١٠٧٦/٢) . وأحمد (٨٣/٦ - ١٠٩ - ٢١٧) . وأبو يعلى (٣١٨/٧) حديث (٤٣٥٧) . وابن حبان=

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ز : « أبو » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - في ز : « الحسن » .

[٥] - في ت : «أبو » .

وقوله : ﴿ وأرادوا به كيدًا فجعلناهم الأخسرين ﴾ ، أي : [المغلوبين الأسفلين][١] ؛ لأنهم أرادوا بنبي [الله][٢] كيدًا ، فكادهم الله ونجاه من النار ، فغلبوا هنالك .

وقال عطية العوفي : لما أُلقي إبراهيم في النار ، جاء ملكهم لينظر إليه ، فطارت شرارة فوقعت علىٰ إبهامه فأحرقته مثل الصوفة .

وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَـٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَـٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَـٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَـٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن إبراهيم أنه سلمه من نار قومه ، وأخرجه من بين أظهرهم مهاجرًا إلىٰ بلاد الشام ، إلىٰ الأرض المقدسة منها ، كما قال الربيع بن أنس : عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب في قوله : ﴿ إلىٰ الأرض التي باركنا فيها للعالمين ﴾ ، قال : الشام ، وما من ماء عذب إلا يخرج من تحت الصخرة . وكذا قال أبو العالية أيضًا .

وقال قتادة : كانا بأرض العراق ، فأُنجيا إلىٰ الشام ، [وكان يقال للشام : عماد دار الهجرة ، وما نقص من الأرض زيد في الشام][٣] ، وما نقص من الشام زيد في فلسطين . وكان يقال : هي أرض المحشر والمنشر ، وبها ينزل عيسىٰ ابن مريم - عليه السلام - وبها يهلك المسيح الدجال .

وقال كعب الأحبار في قوله : ﴿ إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين ﴾ إلى حران .

وقال السدي : انطلق إبراهيم ولوط قبل الشام ، فلقي إبراهيم سارة وهي ابنة ملك

= (٤٤٧/١٢) حديث (٥٦٣١) . وفي الموارد برقم (١٠٨٢) . كلهم من حديث سائبة مولاة الفاكه المغيرة عن عائشة ... فذكرته بنحوه . قال البوصيري في الزوائد : إسناد حديث عائشة صحيح ، ورجاله ثقات .

[١] - في ز : « الملعونين الأخرين » . [٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .

حران ، وقد طعنت علىٰ [قومها][١] في دينهم ، فتزوجها علىٰ أن لا يُغيرها رواه ابن جرير وهو غريب ، [والمشهور أنها ابنة عمه ، وأنه خرج بها مهاجرًا من بلادها][٢] .

وقال العوفي : عن ابن عباس : إلىٰ مكة ، ألا تسمع قوله : ﴿ **إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركًا وهدى للعالمين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة** ﴾ قال عطاء ومجاهد : عطية .

وقال ابن عباس ، وقتادة ، والحكم بن عتيبة : النافلة : ولد الولد . يعني أن يعقوب ولد إسحاق ، كما قال : ﴿ **فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب** ﴾ .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : سأل واحدًا فقال : ﴿ **رب هب لي من الصالحين** ﴾ فأعطاه اللَّه إسحاق [وزاده][٣] يعقوب نافلة .

﴿ **وكلًّا جعلنا صالحين** ﴾ ، أي : الجميع أهل خير وصلاح ﴿ **وجعلناهم أئمة** ﴾ ، أي : يقتدى بهم ، ﴿ **يهدون بأمرنا** ﴾ ، أي : يدعون إلىٰ اللَّه بإذنه ، ولهذا قال : ﴿ **وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة** ﴾ من باب عطف الخاص علىٰ العام ﴿ **وكانوا لنا عابدين** ﴾ ، أي : فاعلين لما يأمرون الناس به .

ثم عطف بذكر لوط - وهو لوط بن هاران بن آزر - كان قد آمن بإبراهيم - عليه السلام - واتبعه وهاجر معه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلىٰ ربي** ﴾ فآتاه اللَّه حكمًا وعلمًا وأوحى إليه وجعله نبيًّا وبعثه إلى سَدُومَ وأعمالها ، فخالفوه وكذبوه ، فأهلكهم اللَّه ودمر عليهم ، كما قص خبرهم في غير ما موضع من كتابه العزيز ، ولهذا قال : ﴿ **ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين * وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين** ﴾ .

وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾

يخبر تعالىٰ عن استجابته لعبده ورسوله نوح - عليه السلام - حين دعا علىٰ قومه لما

---

[١] - في ز : « قولها » . [٢] - بياض في : ز .
[٣] - في ز : « وزاد » .

كذبوه ﴿ فدعا ربه أني مغلوب فانتصر ﴾ ، ﴿ وقال نوح رب لاتذر علىٰ الأرض من الكافرين ديارًا * إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرًا كفارًا ﴾ ، ولهذا قال هٰهنا : ﴿ إذ نادىٰ من قبل فاستجبنا له [فنجيناه][١] وأهله ﴾ ، أي : الذين آمنوا به ، كما قال : ﴿ وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل ﴾ وقوله : ﴿ من الكرب العظيم ﴾ ، أي : من الشدة والتكذيب والأذىٰ ، فإنه لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا ، يدعوهم إلىٰ الله - عز وجل - فلم يؤمن به منهم إلا القليل ، وكانوا يقصدون لأذاه ، ويتواصون قرنًا بعد قرن وجيلًا بعد جيل على خلافه .

وقوله : ﴿ ونصرناه من القوم ﴾ ، أي : ونجيناه وخلصناه منتصرًا من القوم ﴿ الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين ﴾ ، أي : أهلكهم الله بعامة ، ولم يُبْقِ علىٰ وجه الأرض منهم أحدًا ، إذ دعا عليهم نبيهم .

وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾

قال أبو إسحاق : عن مرة عن ابن مسعود : كان ذلك الحرث كرمًا قد نبتت عناقيده . وكذا قال شريح .

قال ابن عباس : النَّفْشُ : [الرعي][٢] .

وقال شريح ، والزهري ، وقتادة : النفش : بالليل ، زاد قتادة : والهمل بالنهار .

قال ابن جرير(٢٥) : حدثنا أبو كريب وهارون بن إدريس الأصم قالا : حدثنا المحاربي ،

(٢٥) - أخرجه الطبرى (١٧/٥١) .

[١] - في ز : « ونجيناه » . [٢] - في ز : « المرعى » .

عن أشعث ، عن أبي إسحاق عن مُرّة ، عن ابن مسعود في قوله : ﴿ **وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم** ﴾ ، قال : كرم [قد أنبت][١] عناقيده فأفسدته . قال : فقضىٰ داود بالغنم لصاحب الكرْم ، فقال سليمان : غيرُ هذا يا نبي اللَّه ! قال : وما ذاك ؟ قال : تدفع الكرم إلىٰ صاحب الغنم ، فيقوم عليه حتىٰ يعود كما كان ، وتدفع الغنم إلىٰ صاحب الكرم فيصيب منها ، حتىٰ إذا كان الكرم كما كان دفعت الكرم إلىٰ صاحبه ، ودفعت الغنم إلىٰ صاحبها ، فذلك قوله : ﴿ **ففهمناها سليمان** ﴾ .

وكذا روى العوفي عن ابن عباس .

وقال حماد بن سلمة : عن عليّ بن زيد ، حدثني خليفة ، عن ابن عباس قال : فحكم داود بالغنم لأصحاب الحرث ، فخرج الرعاء معهم الكلاب ، فقال لهم سليمان : كيف قضىٰ بينكم ؟ فأخبروه ، فقال : لو وليت أمركم لقضيت بغير هذا ! فأخبر بذلك داود ، فدعاه فقال : كيف تقضي بينهم ؟ قال : أدفع الغنم إلىٰ أصحاب الحرث ، فيكون لهم أولادها وألبانها وسلاؤها ومنافعها ، و[يبذُر][٢] أصحاب الغنم لأهل الحرث مثل حرثهم ، فإذا بلغ الحرث الذي كان عليه [أخذ][٣] أصحاب الحرث [الحرثَ][٤] وردوا الغنم إلىٰ أصحابها .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا خديج ، عن أبي إسحاق ، عن مرة ، عن مسروق قال : الحرث الذي نفشت فيه الغنم إنما كان كرمًا نفشت فيه الغنم ، فلم تدع فيه ورقة ولا عنقودًا من عنب إلا أكلته ، فأتوا داود فأعطاهم رقابها ، فقال سليمان : لا ، بل تؤخذ الغنم فيعطاها أهل الكرم ، فيكون لهم لبنها ونفعها ، ويعطىٰ أهل الغنم الكرم فيعمروه ويصلحوه ، حتىٰ يعود كالذي كان ليلة نفشت فيه الغنم ، ثم يعطىٰ أهل الغنم غنمهم ، وأهل الكرم كرمهم .

وهكذا قال شريح ، ومرة ، ومجاهد ، وقتادة ، وابن زيد وغير واحد

وقال ابن جرير : حدثنا ابن أبي زياد ، حدثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا إسماعيل ، عن عامر قال : جاء رجلان إلىٰ شريح ، فقال أحدهما : إن شاة هذا قطعت غزلًا لى . فقال شريح : نهارًا أم ليلًا ؟ فإن كان نهارًا فقد برئ صاحب الشاة وإن كان ليلًا ، فقد ضمن ، ثم قرأ : ﴿ **وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه** ﴾ الآية .

وهذا الذي قاله شريح [شبيه بما][٥] رواه الإمام أحمد(٢٦) وأبو داود وابن ماجة : من

(٢٦) - أخرجه أحمد (٥/٤٣٥ - ٤٣٦) . وأبو داود في كتاب البيوع ، باب : المواشي تفسد زرع =

[١] - في ز : « أنبت » .
[٢] - في ز : « تبذر » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « سببه ما » .

حديث الليث بن سعد ، عن الزهري ، عن حرام بن مُحَيِّصَة : أن ناقة البراء بن عازب دخلت حائطًا فأفسدت فيه ، فقضىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ أهل الحوائط حفظها بالنهار ، وما أفسدت المواشي بالليل ضامن علىٰ أهلها .

وقد عُلّل هذا الحديث وقد بسطنا الكلام عليه في كتاب «الأحكام» ، وبالله التوفيق .

وقوله : ﴿ **ففهمناها سليمان وكلًا آتينا حكمًا وعلمًا** ﴾ قال ابن أبي حاتم :

حدثنا أبي ، حدثنا موسىٰ بن إسماعيل ، حدثنا حماد ، عن حميد : أن إياس بن معاوية لما استقضي [أتاه][١] الحسن فبكىٰ ، [فقال][٢] : ما يبكيك ؟ قال : يا أبا سعيد ، بلغني أن القضاة : رجل اجتهد فأخطأ فهو في النار ، ورجل مال به الهوىٰ فهو في النار ، ورجل اجتهد فأصاب فهو في الجنة . فقال الحسن البصري : إن فيما قص الله من نبأ داود وسليمان عليهما السلام والأنبياء ، حُكمًا يرد قول هؤلاء الناس عن قولهم ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين** ﴾ ، فأثنىٰ الله علىٰ سليمان ولم يذم داود . ثم قال - يعني الحسن - : إن الله اتخذ علىٰ الحكماء ثلاثًا : لا يشتروا به ثمنًا قليلًا ، ولا يتبعوا فيه الهوىٰ ، ولا يخشوا فيه أحدًا ، ثم تلا : ﴿ **يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوىٰ** ﴾ ، وقال : ﴿ **فلا تخشوا الناس واخشوني** ﴾ ، وقال : ﴿ **ولا تشتروا بآياتي ثمنًا قليلًا** ﴾ .

قلت : أما الأنبياء عليهم السلام فكلهم معصومون مؤيدون من الله - عز وجل - وهذا [مما][٣] لا خلاف فيه بين العلماء المحققين من السلف والخلف ، وأما من سواهم فقد ثبت في صحيح البخاري ، عن عمرو بن العاص(٢٧) أنه قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر** » . فهذا الحديث يرد - نصًا - ما توهمه « إياس » من أن القاضي إذا اجتهد فأخطأ فهو في النار ، والله أعلم .

= القوم ، حديث (٣٥٦٩ ، ٣٥٧٠) (٢٩٨/٣) . وابن ماجة في كتاب التجارات ، باب : الحكم فيما أفسدت المواشي ، حديث (٢٣٣٢) (٧٨١/٢) .

(٢٧) - أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب : أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ، حديث (٧٣٥٢) (٣١٨/٣) . ومسلم في كتاب الأقضية ، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ، حديث (١٧١٦/١٥) (١٢/٢٠ - ٢١) .

---

[١] - في ز : « أبا » .

[٢] - في ز : « قال » .

[٣] - سقط من : ز .

وفي السنن(٢٨) : «القضاة ثلاثة : قاض في الجنة ، وقاضيان في النار : رجل علم الحق وقضىٰ به فهو في الجنة ، ورجل حكم بين الناس علىٰ جهل فهو في النار ، ورجل علم الحق وقضىٰ بخلافه فهو في النار » .

وقريب من هذه القصة المذكورة في القرآن ، ما رواه الإمام أحمد(٢٩) في مسنده حيث قال :

حدثنا عليّ بن حفص ، أخبرنا ورقاء ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « بينما امرأتان معهما ابنان لهما ، جاء الذئب فأخذ أحد الابنين ، فتحاكمتا إلىٰ داود ، فقضىٰ به للكبرىٰ ، فخرجتا ، فدعاهما سليمان فقال : هاتوا السكين أشقه بينهما ، فقالت الصغرىٰ : [يرحمك][١] اللّٰه هو ابنها ، لا تشقه . فقضىٰ به للصغرىٰ » .

وأخرجه البخاري(٣٠) ومسلم في صحيحيهما ، وبوّب عليه النسائي في كتاب القضاء (باب الحاكم يوهم خلاف الحكم ليستعلم الحق) .

وهكذا القصة التي أوردها الحافظ أبو القاسم بن عساكر في ترجمة « سليمان عليه السلام » من تاريخه ، من طريق الحسن بن سفيان عن صفوان [بن][٢] صالح ، عن الوليد بن مسلم ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس - فذكر قصة مطولة ملخصها - : أن امرأة حسناء في زمان بني إسرائيل ، راودها عن نفسها أربعة من رؤسائهم ، فامتنعت علىٰ كل منهم ، فاتفقوا فيما بينهم عليها ، فشهدوا عليها عند داود - عليه السلام -

(٢٨) - أخرجه أبو داود في كتاب الأقضية ، باب : في القاضي يخطئ ، حديث (٣٥٧٣) (٣/٢٩٩) . والترمذي في كتاب الأحكام ، باب : ما جاء عن رسول اللّٰه - صلى اللّٰه عليه وسلم - في القاضي ، حديث (١٣٢٢) (٣/٦١٣) . والنسائي في الكبرى في كتاب القضاء ، باب : ذكر ما أعد اللّٰه تعالى للحاكم الجاهل ، حديث (٥٩٢٢) (٣/٤٦٢) . وابن ماجة في كتاب الأحكام ، باب : الحاكم يجتهد فيصيب الحق حديث (٢٣١٥) (٢/٧٧٦) . كلهم من حديث بريدة رضي اللّٰه عنه .

(٢٩) - أخرجه أحمد (٢/٣٢٢) .

(٣٠) - أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب : قول اللّٰه تعالى : ﴿ **ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب** ﴾ ، حديث (٣٤٢٧) (٦/٤٥٨) وطرفه في (٦٧٦٩) . ومسلم في كتاب الأقضية ، باب : بيان اختلاف المجتهدين ، حديث (٢/١٧٢٠) (١٢/٢٧ - ٢٨) . والنسائي في كتاب آداب القضاء : باب السعة للحاكم في أن يقول للشيء الذى لا يفعله ليتبين الحق (٨/٢٣٦) وأخرجه فيه ، وفي كتاب القضاء في الكبرى باب : التوسعة للحاكم في أن يقول للشيء الذى لا يفعله أفعل ليستبين الحق .

وأخرجه فيه الحديث برقم (٥٩٥٨) (٣/٤٧٢ - ٤٧٣) .

[١] - في ز : « رحمك » . [٢] -

أنها مكنت من نفسها كلبًا لها، قد عودته ذلك منها، فأمر برجمها، فلما كان عشية ذلك [اليوم][١] جلس سليمان، واجتمع معه ولدان مثله، فانتصب حاكمًا، وتزيا أربعة منهم بزي أولئك، وآخر بزي المرأة، وشهدوا عليها بأنها مكنت من نفسها كلبًا، فقال سليمان: فرقوا بينهم [فسأل أولهم][٢] ما كان لون الكلب؟ فقال: أسود. فعزله واستدعى [بالآخر][٣]، فسأله عن لونه؟ فقال: أحمر. وقال الآخر: [أغبش][٤]. وقال الآخر: أبيض. فأمر بقتلهم. فحكا ذلك لداود عليه السلام، فاستدعى من فوره بأولئك الأربعة، فسألهم متفرقين عن لون ذلك الكلب، فاختلفوا عليه فأمر بقتلهم.

وقوله: ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين﴾. الآية. وذلك لطيب صوته بتلاوة كتابه الزبور، وكان إذا ترنم به [يقف] الطير في الهواء فتجاوبه، وترد عليه الجبال تأويبًا؛ ولهذا لما مر النبي، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم، علىٰ أبي موسىٰ الأشعري، وهو يتلو القرآن من الليل، وكان له صوت طيب [جدًّا][٥]، فوقف واستمع لقراءته وقال: «**لقد أوتي هذا من مزامير آل داود**». قال: يا رسول اللّٰه؛ لو علمت أنك [تستمع][٦] لحبرته لك تحبيرًا.

وقال أبو عثمان [النهدي][٧]: ما سمعت صوت صَنْج ولا [بربط][٨] ولا مزمار مثل صوت أبي موسىٰ - رضي اللّٰه عنه - ومع هذا قال - عليه الصلاة والسلام -: «لقد أوتي مزمارًا من مزامير آل داود».

وقوله: ﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم [لتحصنكم][٩] من بأسكم﴾ يعني: صنعة الدروع.

قال قتادة: إنما كانت الدروع قبله صفائح، وهو أول من سردها حِلَقًا. كما قال تعالى:

= وأخرجه النسائي أيضًا في الصغرى (٨/٢٣٥، ٢٣٦) كتاب آداب القضاء، باب: حكم الحاكم بعلمه، باب: نقض الحاكم ما يحكم به .... .

وفي الكبرى في كتاب القضاء: باب: الحكم بخلاف ما يعترف به المحكوم له إذا تبين للحاكم أن الحق غير ما اعترف به، والباب الذى بعده، حديث ٥٩٥٩، ٥٩٦٠) (٣/٤٧٣).

[١] - سقط من: ز.
[٢] - في ز: «قال لأولهم».
[٣] - في ت: «الآخر».
[٤] - في ت: «أخبش». والغبشة: سواد شديد في ألوان الدواب.
[٥] - سقط من: ز.
[٦] - في ز: «تسمع».
[٧] - في ز: «الهمداني».
[٨] - في ز: «مربط».
[٩] - في ز: «ليحصنكم».

﴿**وألنَّا له الحديد أن أعمل سابغات وقدِّر في السرد**﴾أي: لا توسع الحلقة [فتقلق][١] المسمار، ولا تغلظ المسمار فَتَقُدّ الحلقة، ولهذا قال: ﴿**[لتحصنكم][٢] من بأسكم**﴾يعنى: في القتال ﴿**فهل أنتم شاكرون**﴾أي: نعم اللَّه عليكم، لما ألهم به عبده داود، فعلمه ذلك من أجلكم.

وقوله: ﴿**ولسليمان الريح عاصفة**﴾أي: وسخرنا لسليمان الريح العاصفة ﴿**تجري بأمره إلىٰ الأرض التي باركنا فيها**﴾يعني: أرض الشام ﴿**وكنا بكل شيء عالمين**﴾وذلك أنه كان له بساط من خشب، يوضع عليه كل ما يحتاج إليه من أمور المملكة، والخيل والجمال والخيام والجند، ثم يأمر الريح أن تحمله فتدخل تحته، ثم تحمله فترفعه وتسير به، وتظله الطير من الحر، إلىٰ حيث يشاء من الأرض، [فينزل][٣] وتوضع آلاته وخشبه، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿**فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب**﴾ وقال تعالى: ﴿**غدوها شهر ورواحها شهر**﴾قال ابن أبي حاتم: ذكر عن سفيان بن عيينة عن أبي سنان، عن سعيد بن جبير قال: كان يوضع لسليمان ستمائة ألف كرسي، فيجلس مما يليه مؤمنوا الإنس، ثم يجلس من ورائِهم مؤمنو الجن، ثم يأمر الطير فتظلهم، ثم يأمر الريح فتحملهم صلىٰ اللَّه عليه وسلم.

وقال عبد اللَّه بن عبيد بن عمير كان سليمان يأمر الريح، فتجتمع [كالطود][٤] العظيم - كالجبل - ثم يأمر بفراشه فيوضع علىٰ أعلىٰ مكان منها، ثم يدعو [بفرس][٥] من ذوات الأجنحة، فترتفع حتىٰ تصعد علىٰ فراشه، ثم يأمر الريح فترتفع به كل شرف دون السماء، [وهو][٦] مطأطئ رأسه ما يلتفت يمينًا، ولا شمالاً، تعظيمًا للَّه -عز وجل- وشكرًا لما يعلم من صغر ما هو فيه [في][٧] ملك اللَّه -عز وجل- حتىٰ تضعه الريح حيث شاء أن تضعه.

وقوله: ﴿**ومن الشياطين من يغوصون له**﴾أي: في الماء يستخرجون الجواهر واللآلئ وغير ذلك ﴿**ويعملون عملًا دون ذلك**﴾ أي: غير ذلك، كما قال تعالىٰ: ﴿**والشياطين كل بناء وغواص *][٨] وآخرين مقرنين في الأصفاد**﴾

وقوله: ﴿ **وكنا لهم حافظين**﴾أي: يحرصه اللَّه أن يناله أحد من الشياطين بسوء، بل كل في قبضته وتحت قهره، لا يتجاسر أحد منهم علىٰ الدنو إليه والقرب منه، بل هو محكم فيهم، إن شاء أطلق، وإن شاء حبس منهم من يشاء، ولهذا قال: ﴿**وآخرين مقرنين في**

[١] - في ز: «فتفلق».
[٢] - في ز: «ليحصنكم».
[٣] - في ز: «فتنزل».
[٤] - في ز: «كالصرد».
[٥] - في ز: «نفوس».
[٦] - في ز: «فهو».
[٧] - في ز: «من».
[٨] - سقط من: ز.

الأصفاد ﴾.

۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾

يذكر تعالىٰ عن أيوب عليه السلام[١] ما كان أصابه من البلاء في ماله وولده وجسده وذلك أنه كان له من الدواب والأنعام والحرث شيء كثير، وأولاد كثيرة، ومنازل مرضية، فابتلي في ذلك كله ،وذهب عن آخره، ثم ابتلي في جسده، يقال: بالجذام في سائر بدنه، ولم يبق منه سليم سوىٰ قلبه ولسانه يذكر بهما اللَّه -عز وجل- حتىٰ عافه الجليس، وأفرد في ناحية من البلد، ولم يبق من الناس أحد يحنو عليه سوىٰ زوجته، كانت [تقوم بأمره][٢]. ويقال: إنها احتاجت فصارت تخدم الناس من أجله، وقد قال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم: «**أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل**»(٣١).

وفي الحديث الآخر: «**يبتلى الرجل على قدر دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه**»(٣٢). وقد كان نبي اللَّه أيوب -عليه السلام- غايةً في الصبر، وبه يضرب المثل في ذلك.

وقال يزيد بن ميسرة: لما ابتلىٰ اللَّه أيوب -عليه السلام- [بذهاب][٣] الأهل والمال والولد، ولم يبق له شيء، أحسن الذكر ثم قال: أحمدك رب الأرباب، الذي أحسنت إليَّ، أعطيتني المال والولد، فلم يبق من قلبي شعبة إلا قد دخله ذلك، فأخذت ذلك كله مني،

---

(٣١) - أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب: ما جاء في الصبر على البلاء، حديث (٢٣٩٨) (٤/ ٥٢٠). وقال: حسن صحيح. والنسائي في الكبرى في كتاب الطب، باب: أي الناس أشد بلاءً (٧٤٨١) (٤٥٢/٤). وابن ماجه في كتاب الفتن، باب: الصبر على البلاء، حديث (٤٠٢٣) (٢/ ١٣٣٤). كلهم من حديث مسعد بن سعد عن أبيه سعد بن أبي وقاص، فذكره بنحوه.

والحديث صححه الألباني ينظر الصحيحة برقم (١٤٣).

وفي الباب عن أبي هريرة وأخت حذيفة بن اليمان أن النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - سئل: أي الناس أشد بلاءً؟ قال: «الأنبياء ثم الامثل فالأمثل».

(٣٢) - ينظر السابق.

---

[١] - بعده في ز: أنه.

[٢] - في ز: «تقيم بأوده».

[٣] - في ز: «ومات».

وفرغت قلبي، ليس يحول بيني وبينك شيء، لو يعلم عدوي إبليس بالذي صنعت حسدني! قال: فلقي إبليس من ذلك منكرًا.

قال: وقال أيوب -عليه السلام-: يا رب؛ إنك أعطيتني المال والولد، فلم يقم على بابي أحد [يشكوني][١] لظلم ظلمته، وأنت تعلم ذلك، وإنه كان يوطأ لي الفرش فأتركها، وأقول لنفسي: يا نفس، إنك لم تخلقي لوطء الفرش، ما تركت ذلك إلا ابتغاء وجهك. رواه ابن أبي حاتم.

وقد ذكر عن وهب بن منبه في خبره قصة طويلة، ساقها ابن جرير وابن أبي حاتم بالسند عنه، وذكرها غير واحد من متأخري المفسرين،وفيها غرابة تركناها لحال الطول.

وقد روي أنه مكث في البلاء مدة طويلة، ثم اختلفوافي السبب المهيج له على هذا الدعاء؛ فقال الحسن وقتادة: ابتلي أيوب -عليه السلام- سبع سنين وأشهرًا، ملقى على كناسة بني إسرائيل، تختلف الدواب في جسده، ففرج اللَّه عنه، وأعظم له الأجر، وأحسن عليه الثناء.

وقال وهب بن منبه: مكث في البلاء ثلاث سنين لا يزيد ولا ينقص.

وقال السدي: تساقط لحم أيوب، حتى لم يبق إلا العصب والعظام، فكانت امرأته تقوم عليه، وتأتيه بالزاد يكون فيه، فقالت له امرأته لما طال وجعه: يا أيوب، لو دعوت ربك يفرج عنك؟ فقال: قد عشت سبعين سنة صحيحًا، [فهل][٢] قليل للَّه أن أصبر له سبعين سنة؟ فجزعت من ذلك فخرجت، فكانت تعمل للناس بالأجرة، وتأتيه بما تصيب فتطعمه، وإن إبليس انطلق إلى رجلين من فلسطين كانا صديقين له وأخوين، فآتاهما فقال: أخوكما أيوب أصابه من البلاء كذا وكذا، فأتياه وزوراه واحملا معكما من خمر أرضكما، فإنه إن شرب منه بَرِئَ، فأتياه، فلما نظرا إليه بكيا، فقال: من أنتما؟ فقالا: نحن فلان وفلان، فرحب بهما وقال: مرحبًا بمن لا يجفوني عند البلاء. فقالا: يا أيوب؛ لعلك كنت تسر شيئًا [و][٣] تظهر غيره، فلذلك ابتلاك اللَّه؟ فرفع رأسه إلى السماء ثم قال: هو يعلم، ما أسررت شيئًا أظهرت غيره، ولكن [ربي ابتلاني لينظر][٤] أأصبر أم أجزع؟ فقالا له: يا أيوب؛ اشرب من خمرنا، فإنك إن شربت منه بَرَأت. [فقال][٥]: فغضب وقال: جاءكما الخبيث فأمركما بهذا؟ كلامكما وطعامكما وشرابكما عليَّ حرام. فقاما من عنده، وخرجت

---

[١] - في ز: «يشكرني».
[٢] - في ز: «فهو».
[٣] - سقط من: ز.
[٤] - في ز: «رأى ابتلائي ليظهر».
[٥] - في ز: «قال».

امرأته تعمل للناس، فخبزت لأهل بيت لهم صبي، فجعلت لهم [قرصًا][١]، وكان ابنهم نائمًا، فكرهوا أن يوقظوه، فوهبوه لها، فأتت به إلىٰ أيوب، فأنكره وقال: ما كنت تأتيني بهذا، فما بالك اليوم؟ فأخبرته الخبر، قال: فلعل الصبي قد استيقظ، فطلب القرص فلم يجده، فهو يبكي على أهله، [فانطلقي به إليه. فأقبلت حتىٰ بلغت درجة القوم، فنطحتها شاة لهم، فقالت: تعس أيوب الخطّاء. فلما صعدت وجدت الصبي قد استيقظ وهو يطلب القرص، ويبكي علىٰ أهله][٢]، لا يقبل منهم شيئًا غيره، فقالت: رحم الله أيوب فدفعت إليه القرص ورجعت، ثم إن إبليس أتاها في صورة طبيب، فقال لها: إن زوجك طال سقمه، فإن أراد أن يَبْرأ فليأخذ ذبابًا فليذبحه باسم صنم بني فلان، فإنه يبرأ ويتوب بعد ذلك؟ فقالت ذلك لأيوب، فقال: قد أتاك الخبيث، لله عليَّ إن برئت أن أجلدك مائة جلدة. فخرجت تسعىٰ عليه، [فحظر][٣] عنها الرزق، فجعلت لا تأتي أهل بيت فيريدونها، فلما اشتد عليها [ذلك][٤]، وخافت علىٰ أيوب الجوع، حلقت من شعرها قرنًا، فباعته من صبية من بنات الأشراف، فأعطوها طعامًا طيبًا كثيرًا، فأتت به أيوب، فلما رآه أنكره، وقال: من أين لك هذا؟ قالت: عملت لأناس فأطعموني. فأكل منه، فلما كان الغد خرجت فطلبت أن تعمل، فلم تجد، فحلقت أيضًا قرنًا فباعته من تلك الجارية، فأعطوها أيضًا من ذلك الطعام، فأتت به أيوب، فقال: والله لا أطعمه حتىٰ أعلم من أين هو؟ فوضعت خمارها، فلما رأىٰ رأسها محلوقًا جزع جزعًا شديدًا، فعند ذلك دعا الله -عز وجل-: ﴿**إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين**﴾.

وقال ابن أبي حاتم: ثنا أبي، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد، حدثنا أبو عمران الجوني، عن نوف البكالي: أن الشيطان الذي عرج في أيوب كان يقال له سوط، قال: وكانت امرأة أيوب تقول: ادع الله فيشفيك. فجعل لا [يدعو][٥]، حتىٰ مر به نفر من بني إسرائيل، فقال بعضهم لبعض: ما أصابه [ما أصابه][٦] إلا بذنب عظيم أصابه، فعند ذلك قال: ﴿**إني[٧] مسني الضر وأنت أرحم الراحمين**﴾.

وحدثنا أبي، حدثنا أبو سلمة، حدثنا جرير بن حازم، عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: كان لأيوب -عليه السلام- أخوان، فجاءا يومًا، فلم يستطيعا أن يدنوا منه من ريحه، فقاما من بعيد، فقال أحدهما للآخر: لو كان الله علم من أيوب خيرًا ما ابتلاه

---

[١] - في ز: «قرصة».
[٢] - سقط من: ز.
[٣] - في ت: «فحظر».
[٤] - سقط من ت.
[٥] - في ز: «يذعر».
[٦] - سقط من: ز.
[٧] - في ز: «رب إني».

بهذا؟ فجزع أيوب من قولهما جزعًا لم يجزع من شيء قط، فقال: اللهم إن كنت تعلم أني لم أبت ليلة قط شبعان، وأنا أعلم مكان جائع فصدقني. فصدق من السماء وهما يسمعان، ثم قال: اللهم إن كنت تعلم أني لم يكن لي قميصان قط، وأنا أعلم مكان عار فصدقني. فصدق من السماء وهما يسمعان، ثم قال: اللهم بعزتك ثم خر ساجدًا [ثم قال][١]: اللهم بعزتك لا أرفع رأسي أبدًا حتىٰ تكشف عني. فما رفع رأسه حتىٰ كشف عنه.

وقد رواه ابن أبي حاتم من وجه آخر مرفوعًا بنحو هذا فقال: أخبرنا يونس بن عبد الأعلىٰ، أخبرنا ابن وهب، أخبرني نافع بن يزيد، عن عقيل، عن الزهري، عن أنس بن مالك: أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال: «إن نبي اللَّه أيوب لبس به بلاؤه ثماني عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد، إلا رجلين من إخوانه، كانا من أخص إخوانه، كانا يغدوان إليه ويروحان [ ][٢]، فقال أحدهما لصاحبه: تعلم واللَّه لقد أذنب أيوب ذنبًا ما أذنبه أحد من العالمين. [فقال][٣] له صاحبه: وما ذاك؟ قال: منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه اللَّه فيكشف ما به. فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتىٰ ذكر ذلك له، فقال أيوب -عليه السلام-: [لا][٤] أدري ما تقول، غير أن اللَّه -عز وجل- يعلم أني كنت أمر علىٰ الرجلين يتنازعان فيذكران اللَّه، فأرجع إلىٰ بيتي فأكفر عنهما، كراهة أن يذكر اللَّه إلا في حق. قال: وكان يخرج في حاجته، فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتىٰ يبلغ، فلما كان ذات يوم [أبطأت][٥] عليه، فأوحىٰ [اللَّه][٦] إلىٰ أيوب في مكانه: أن أركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب. رفع هذا الحديث غريب جدًّا(٣٣).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا موسىٰ بن إسماعيل، حدثنا حماد، أخبرنا علي ابن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس قال: وألبسه [اللَّه][٧] حلة من الجنة، فتنحىٰ أيوب فجلس في ناحية، وجاءت امرأته فلم تعرفه، فقالت: يا عبد اللَّه، أين ذهب هذا المبتلىٰ الذي كان هٰهنا؟ لعل الكلاب ذهبت به أو الذئاب؟ فجعلت تكلمه ساعة، فقال: ويحك، أنا أيوب. قالت: أتسخر مني يا عبد اللَّه؟ فقال: ويحك، أنا أيوب، قد ردّ اللَّه عليَّ جسدي.

---

(٣٣) - أخرجه الطبرى (١٦٧/٢٣) و أبو يعلى (٢٩٩/٦) (٣٦١٧)، والبزار في كتاب علامات النبوة، باب: أيوب، حديث (٢٣٥٧) (١٠٧/٣). والحاكم (٥٨١/٢ - ٥٨٢). وابن حبان =

---

[١] - في ت: «فقال».
[٢] - في ت: إليه.
[٣] - سقط من: ز.
[٤] - في ت: «ما».
[٥] - في ز: «أبطن».
[٦] - سقط من: ز.
[٧] - سقط من: ز.

وبه قال ابن عباس: ورد عليه ماله وولده عيانًا ومثلهم معه.

وقال وهب بن منبه: أوحىٰ اللَّه إلىٰ أيوب: قد رددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم، فاغتسل بهذا الماء، فإن فيه شفاءك، وقرب عن [صحابتك][١] قربانًا، واستغفر لهم، فإنهم قد عصوني فيك. رواه ابن أبي حاتم.

[وقال][٢] أيضًا: حدثنا أبو زرعة، حدثنا عمرو بن مرزوق، حدثنا همام، عن قتادة، عن النضر بن أنس، عن بَشِير بن نهيك، عن أبي هريرة، عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم قال:

«لما عافى اللَّه أيوب، أمطر عليه جَرَادًا من ذهب، فجعل يأخذ بيده ويجعله في ثوبه، قال: فقيل له: يا أيوب، أما تشبع؟ قال: يا رب؛ ومن يشبع من رحمتك؟». أصله في الصحيحين(٣٤)، وسيأتي في موضع آخر.

وقوله: ﴿وآتيناه أهله ومثلهم معهم﴾قد تقدم عن ابن عباس أنه قال: ردوا عليه بأعيانهم، وكذا رواه العوفي عن ابن عباس أيضًا، وروى مثله عن ابن مسعود ومجاهد، وبه قال الحسن وقتادة.

وقد زعم بعضهم أن اسم زوجته رحمة، فإن كان أخذ ذلك من سياق الآية فقد أبعد النجعة، وإن كان أخذه من نقل أهل الكتاب، وصح ذلك عنهم، فهو مما لا يصدق ولا يكذب، وقد سماها ابن عساكر في تاريخه «رحمه اللَّه تعالىٰ» قال: ويقال: اسمها ليا [بنت مِنَشَّا][٣] بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، قال: ويقال: ليا بنت يعقوب عليه السلام، زوجة أيوب كانت معه بأرض البثنية.

وقال مجاهد: قيل له: يا أيوب، إن أهلك لك في الجنة، فإن شئت أتيناك بهم، وإن شئت تركناهم لك في الجنة، وعوضناك مثلهم؟ قال: لا، بل اتركهم لي في الجنة. قال: فتركوا له في الجنة، وعوض مثلهم في الدنيا. وقال حماد بن زيد، عن أبي عمران الجوني، عن نوف البكالي [قال:][٤] أوتي أجرهم في الآخرة، وأعطي مثلهم في الدنيا. قال:

= (١٥٧/٧ - ١٥٩) (٢٨٩٨). كلهم من حديث أنس وقال الهيثمي في المجمع (٢١١/٨): رواه أبو يعلى والبزار ورجال البزار رجال الصحيح.

(٣٤) - أخرجه البخاري في كتاب الغسل، باب: من اغتسل عريانًا وحده في الخلوة ومن تستر فالتستر أفضل، حديث (٢٧٩) (٣٨٧/١) وأطرافه في (٣٣٩١، ٧٤٩٣).

---

[١] - في ز: «صاحبتك».
[٢] - بياض في: ز.
[٣] - في ز: «ابنة منسا».
[٤] - سقط من: ز.

فحدثت به مطرفًا فقال: ما عرفت وجهها قبل اليوم وهكذا روي عن قتادة والسدى وغير واحد من السلف، والله أعلم.

وقوله: ﴿رحمة من عندنا﴾أي: فعلنا به ذلك رحمة من الله به ﴿وذكرىٰ للعابدين﴾أي: وجعلناه في ذلك قدوة؛ لئلا يظن أهل البلاء أنما [فعلنا][١] بهم ذلك لهوانهم علينا، وليتأسوا به في الصبر علىٰ مقدورات الله وابتلائه لعباده بما يشاء، وله [الحكمة البالغة][٢] في ذلك.

﴿وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَـٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾

وأما إسماعيل فالمراد به ابن إبراهيم الخليل -عليهما السلام- وقد تقدم ذكره في سورة مريم، وكذلك إدريس -عليه السلام- وأمّا ذو الكفل فالظاهر من السياق أنه [ما][٣] قرن مع الأنبياء إلا وهو نبي، وقال آخرون: إنما كان رجلًا صالحًا، وكان ملكًا عادلًا، وحكمًا مقسطًا، وتوقف ابن جرير في ذلك، فالله اعلم.

قال ابن جريج، عن مجاهد في قوله: ﴿وذا الكفل﴾قال: رجل صالح غير نبي، تكفل لنبي قومه أن يكفيه أمر قومه، ويقيمهم له، ويقضي بينهم بالعدل، ففعل ذلك، فسمي: ذا الكفل. وكذا روىٰ ابن أبي نجيح عن مجاهد أيضًا وقال ابن جرير(٣٥): حدثنا محمد بن المثنىٰ، حدثنا عفان، حدثنا وهيب، حدثنا داود، عن مجاهد قال: لما كبر اليسع قال: لو أني استخلفت رجلًا علىٰ الناس يعمل عليهم في حياتي، حتىٰ أنظر كيف يعمل؟ فجمع الناس فقال: من يتقبل مني بثلاث أستخلفه؛ [يصوم][٤] النهار، ويقوم الليل، ولا يغضب؟ قال: فقام رجل تزدريه [العين][٥]، فقال: أنا. فقال: أنت تصوم النهار، وتقوم الليل، ولا تغضب؟ قال: نعم. قال: فردهم ذلك اليوم، وقال مثلها في اليوم الآخر، فسكت الناس، وقام ذلك الرجل [فقال:][٦] أنا. فاستخلفه قال: فجعل إبليس يقول للشياطين: عليكم بفلان. فأعياهم ذلك، فقال: دعوني وإياه. فأتاه في صورة شيخ كبير فقير، فأتاه حين أخذ

(٣٥) - أخرجه ابن جرير (٧٤/١٧).

[١] - في ز: «فعل».
[٢] - في ز: «الحمد».
[٣] - في ز: «إنما».
[٤] - في ت: «فيصوم».
[٥] - في ت: «الأعين».
[٦] - في ز: «وقال».

مضجعه للقائلة - وكان لا ينام الليل والنهار إلا تلك النومة - فدق الباب فقال: من هذا؟ قال: شيخ كبير مظلوم. قال: فقام ففتح الباب، فجعل يقص عليه، فقال: إن بيني وبين قومي خصومة، وإنهم ظلموني، وفعلوا بي وفعلوا [ ][١]، وجعل يُطَول عليه حتىٰ حضر الرواح وذهبت القائلة، فقال: إذا رحت فأتني آخذ لك بحقك. فانطلق وراح، فكان في مجلسه، فجعل ينظر هل يرىٰ الشيخ فلم يره، فقام يتبعه، فلما كان الغد جعل يقضي بين الناس، وينتظره [فلا][٢] يراه، فلما رجع إلى القائلة فأخذ مضجعه، أتاه فدق الباب فقال: من هذا؟ قال: الشيخ الكبير المظلوم. ففتح له فقال: ألم أقل لك إذا قعدت فأتني؟ قال إنهم أخبث قوم، إذا عرفوا أنك قاعد قالوا: نحن نعطيك حقك، وإذا قمت جحدوني. قال: فانطلق، فإذا رحت فائتني. قال: ففاتته القائلة، فراح فجعل [ينتظره][٣] ولا يراه، وشق عليه النعاس، فقال لبعض أهله: لا تدعن أحدًا يقرب هذا الباب حتىٰ أنام، فإني قد شق عليَّ النوم. فلما كان تلك الساعة أتاه، فقال له الرجل: وراءك وراءك. قال: إني قد أتيته أمس، وذكرت له أمري. فقال: لا، والله لقد أمرنا أن لا ندع أحدًا يقربه. فلما أعياه نظر [فرأىٰ][٤] كوة في البيت، فتسور منها، فإذا هو في البيت، وإذا هو يدق الباب من داخل. قال: فاستيقظ الرجل فقال: يا فلان، [ألم][٥] آمرك؟ قال: [أما][٦] من قِبَلي والله [فلم][٧] تؤتَ، فانظر من أين أتيت؟ [قال:][٨] فقام إلىٰ الباب، فإذا هو مغلق كما أغلقه، وإذا الرجل معه في البيت، فعرفه، فقال: أعدو الله؟ قال: نعم، أعييتني في كل شيء، ففعلت ما ترىٰ لأغضبك. فسماه الله [ذا][٩] الكفل؛ لأنه تكفل بأمر فوفىٰ به.

وهكذا رواه ابن أبي حاتم، من حديث زهير بن إسحاق، عن داود، عن مجاهد بمثله.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن الأعمش، عن مسلم قال: قال ابن عباس: كان قاض في بني إسرائيل، فحضره الموت، فقال: من يقوم مقامي علىٰ أن لا يغضب؟ قال: فقال رجل: أنا. فسمي ذا الكفل. قال: فكان ليله [جميعًا][١٠] يصلي، ثم يصبح صائمًا، فيقضي بين الناس. قال: وله ساعة يقيلها. قال: فكان كذلك، فأتاه الشيطان عند نومته، فقال له أصحابه: ما لك؟ قال: إنسان مسكين، له علىٰ رجل حق وقد غلبني عليه. قالوا: كما أنت حتىٰ يستيقظ - قال: وهو فوق نائم - قال: فجعل يصيح عمدًا حتىٰ يوقظه. قال: فسمع. فقال: ما لك؟ قال:

[١] - في ت: بي.
[٢] - في ز: «ولا».
[٣] - في ز: «ينتظر».
[٤] - سقط من: ز.
[٥] - في ز: «أما».
[٦] - سقط من: ز.
[٧] - في ز: «لم».
[٨] - سقط من: ز.
[٩] - في ز: «ذو».
[١٠] - في ز: «جمعًا».

إنسان مسكين، له علىٰ رجل حق. قال: [اذهب][١] فقل له يعطيك. قال: قد أبىٰ. قال: اذهب أنت إليه. قال: فذهب، ثم جاء من الغد، فقال: ما لك؟ قال: ذهبت إليه فلم يرفع بكلامك رأسًا. قال: اذهب إليه فقل له يعطيك حقك. قال: فذهب ثم جاء من الغد حين قال. قال: فقال له أصحابه: اخرج، فعل اللَّه بك، تجيء كل يوم حين ينام، لا تدعه ينام؟ [ ][٢] فجعل يصيح: من أجل أني إنسان مسكين، لو كنت غنيًا؟ قال: فسمع أيضًا، فقال: ما لك؟ قال: ذهبت إليه فضربني. قال: امش حتىٰ أجيء معك. قال: فهو ممسك بيده فلما رآه ذهب معه نثر يده منه ففر.

وهكذا روي عن عبد اللَّه بن الحارث، ومحمد بن قيس، وابن حجيرة الأكبر وغيرهم من السلف نحو [من][٣] هذه القصة، واللَّه أعلم.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو الجماهر، أخبرنا سعيد بن بشير، حدثنا قتادة، عن [أبي][٤] كنانة [الأخنس][٥] قال: سمعت الأشعري وهو يقول علىٰ هذا المنبر: ما كان ذو الكفل بنبي، ولكن كان - يعني: في بني إسرائيل - رجل صالح يصلي كل يوم مائة صلاة، فتكفل له ذو الكفل من بعده، فكان يصلي [كل يوم][٦] مائة صلاة، فسمي ذا الكفل.

وقد رواه ابن جرير(٣٦) من حديث عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: قال أبو موسى الأشعرى... فذكره منقطعًا، واللَّه أعلم.

وقد روى الإمام أحمد(٣٧) حديثًا غريبًا فقال:

حدثنا أسباط بن محمد، حدثنا الأعمش، عن عبد اللَّه بن عبد اللَّه، [عن سعد][٧] مولىٰ طلحة، عن [ابن][٨] عمر قال: سمعت من رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم حديثًا لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين - حتىٰ عدّ سبع [مرات][٩] - ولكن قد سمعته أكثر من ذلك، قال: «كان الكفل من بني إسرائيل، لا يتورّع من ذنب عمله، فأتته امرأة فأعطاها ستين دينارًا

(٣٦) - أخرجه ابن جرير (١٧/٧٥).
(٣٧) - أخرجه أحمد (٢/٢٣).

[١] - في ت: «فاذهب».
[٢] - في ت: قال.
[٣] - سقط من ت.
[٤] - سقط من: ز.
[٥] - في ز: «الأحنس».
[٦] - سقط من: ز.
[٧] - سقط من: ز.
[٨] - سقط من: ز.
[٩] - في ز: «مرر».

علىٰ أن يطأها، فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته، أرعِدَتْ وبكت، فقال: ما يبكيك، [أكْرَهْتُك][١]؟ قالت: لا، ولكن هذا عمل لم أعمله قط، وإنما حملني عليه الحاجة. قال: فتفعلين هذا ولم تفعليه قط؟ فنزل فقال: اذهبي [فالدنانير][٢] لك. ثم قال: والله لا يعصى الله الكفل أبدًا. فمات من ليلته، فأصبح مكتوبًا علىٰ بابه: قد غفر الله للكفل. هكذا وقع في هذه الرواية «الكفل» من غير إضافة، والله أعلم. وهذا الحديث لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة وإسناده غريب، وعلىٰ كل تقدير فلفظ الحديث إن كان «الكفل» ولم يقل: «ذو الكفل» فلعله رجل آخر، والله أعلم.

وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾

هذه القصة مذكورة هٰهنا وفي سورة «الصافات» وفي سورة «نون»، وذلك أن يونس بن متىٰ -عليه السلام- بعثه الله إلىٰ أهل قرية «نينوىٰ» وهي قرية من أرض الموصل، فدعاهم إلىٰ الله تعالىٰ، فأبوا عليه وتمادوا علىٰ كفرهم، فخرج من بين أظهرهم مغاضبًا لهم، ووعدهم بالعذاب بعد ثلاث، فلما تحققوا منه ذلك، وعلموا أن النبي لا يكذب، خرجوا إلىٰ الصحراء بأطفالهم وأنعامهم ومواشيهم، وفرقوا بين الأمهات وأولادها، ثم تضرعوا إلىٰ الله عز وجل، وجأروا إليه، ورغت الإبل وفُصْلانها، وخارت البقر وأولادها، وثغت الغنم وحُمْلانها، فرفع الله عنهم العذاب، قال الله تعالىٰ: ﴿**فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلىٰ حين**﴾، وأمّا يونس -عليه السلام- فإنه ذهب فركب مع قوم في سفينة فلججت بهم وخافوا أن [يغرقوا][٣] فاقترعوا علىٰ رجل يلقونه من بينهم يتخففون منه، فوقعت القرعة علىٰ يونس، فأبوا أن يلقوه، ثم أعادوا القرعة فوقعت عليه أيضًا، فأبوا، ثم أعادوها فوقعت عليه أيضًا، قال الله تعالىٰ: ﴿**فساهم فكان من المدحضين**﴾أي: وقعت عليه القرعة، فقام يونس -عليه السلام- وتجرد من ثيابه، ثم ألقىٰ نفسه في البحر، وقد أرسل الله سبحانه وتعالى من البحر الأخضر- فيما قال ابن مسعود- حوتًا يشق البحار، حتىٰ جاء فالتقم يونس حين ألقىٰ نفسه من السفينة، وأوحىٰ الله إلى ذلك الحوت ألا تأكل له لحمًا، ولا تهشم له عظمًا، فإن يونس

---

[١] - في ز: «أكرهت». [٢] - في ز: «بالدنانير».
[٣] - في ز: «يغرق بهم».

ليس لك [رزقًا][١]، وإنما بطنك تكون له سجنا.

وقوله: ﴿وذا النون﴾يعني: الحوت، صحت الإضافة إليه بهذه النسبة.

وقوله ﴿إذ ذهب مغاضبًا﴾قال الضحاك: لقومه. **﴿فظن أن لن نقدر عليه﴾**أي: [نضيق عليه في بطن الحوت، يروىٰ نحو هذا عن ابن عباس ومجاهد والضحاك وغيره، واختاره ابن جرير، واستشهد عليه بقوله تعالىٰ: **﴿ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه اللَّه لا يكلف اللَّه نفسًا إلا ما آتاها سيجعل اللَّه بعد عسرٍ يسرًا﴾**

وقال: عطية العوفي: **﴿فظنّ أن لن نقدر عليه﴾** أي:][٢] نقضي عليه. كأنه جعل ذلك بمعنىٰ التقدير، فإن العرب تقول قدر وقدّر بمعنى واحد، قال الشاعر:

فلا عائدٌ ذاك الزّمانُ الذي مضىٰ [تباركت][٣] ما تَقْدرْ يَكُنْ، فَلَكَ الأمر

ومنه قوله تعالى: **﴿فالتقى الماء على أمر قد قدر﴾**أي: قدّر.

وقوله: **﴿فنادىٰ في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾**، قال ابن مسعود: ظلمة بطن الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل. وكذا روي عن ابن عباس، وعمرو بن ميمون، وسعيد بن جبير، ومحمد بن كعب، والضحاك، والحسن، وقتادة.

وقال سالم بن أبي الجعد: ظلمة حوت في بطن حوت في ظلمة البحر.

قال ابن مسعود وابن عباس وغيرهما: وذلك أنه ذهب به الحوت في البحار يشقها، حتىٰ انتهىٰ به إلىٰ قرار البحر، [حتى سمع][٤] يونس تسبيح الحصىٰ في قراره، فعند ذلك وهنالك قال: **﴿لا إله إلا أنت سبحانك﴾**.

وقال عوف: لما صار يونس في بطن الحوت، ظن أنه قد مات، ثم حرك رجليه، فلما تحركت سجد مكانه، ثم نادىٰ: يا رب، اتخذت لك مسجدًا في موضع ما اتخذه أحد.

وقال سعيد بن الحسن البصري: مكث في بطن الحوت أربعين يومًا. [رواهما ابن جرير][٥]. وقال محمد بن إسحاق بن يسار، عمن حدثه، عن عبد اللَّه بن رافع - مولىٰ أم سلمة - سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «لما أراد اللَّه حبس

---

[١] - سقط من: ز.

[٢] - سقط من: ز.

[٣] - في ز: «تبارك».

[٤] - في ت :فسمع.

[٥] - في ز: «رواها ابن جبير».

يونس في بطن الحوت، أوحىٰ اللَّه إلىٰ الحوت أن [خذه][١]، ولا تخدش لحمًا ولا تكسر عظمًا، فلما انتهىٰ به إلىٰ أسفل البحر، سمع يونس حِسًا، فقال في نفسه: ما هذا؟ فأوحىٰ اللَّه إليه وهو في بطن الحوت: إن هذا تسبيح دواب البحر. قال: فسبح وهو في بطن الحوت، [فسمعت][٢] الملائكة تسبيحه فقالوا: يا ربنا، إنا نسمع [صوتًا][٣] ضعيفًا [بأرض غريبة][٤]؟ قال: ذلك عبدي يونس، عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر. قالوا: العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح؟ قال: نعم. قال: فشفعوا له عند ذلك، فأمر الحوت فقذفه في الساحل، كما قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وهو سقيم﴾».

رواه[٥] ابن جرير(٣٨)، ورواه البزار(٣٩) في مسنده، من طريق محمد بن إسحاق، عن عبد اللَّه [بن][٦] رافع، عن أبي هريرة، فذكره بنحوه، ثم قال: لا نعلمه يروىٰ عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد.

[وروى ابن عبد الحق [من][٧] حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد اللَّه بن [سلمة][٨] عن علي مرفوعًا -: **«لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متّىٰ؛ سبح [للَّه][٩] في الظلمات»**

وقد روي هذا الحديث بدون هذه الزيادة، من حديث ابن عباس، وابن مسعود، وعبداللَّه بن جعفر، وسيأتي أسانيدها في سورة «ن».]

[وقال][١٠] ابن أبي حاتم(٤٠): حدثنا أبو [عبيد][١١] اللَّه أحمد بن عبد الرحمن بن أخي

---

(٣٨) - أخرجه الطبرى (٨١/١٧).

(٣٩) - اخرجه البزار في كتاب التفسير، باب: سورة الصافات، حديث (٢٢٥٤) (٦٧/٣). قال الهيثمي في المجمع (١٠١/٧): رواه البزار عن بعض أصحابه ولم يسمه وفيه ابن إسحاق وهو مدلس، وبقيه رجاله رجال الصحيح.

(٤٠) - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٩٩/٤) وعزاه إلى ابن أبي الدنيا في «الفرج» وابن مردويه.

---

[١] - في ز: «خذ».

[٢] - في ز: «فسمع».

[٣] - في ز: «حوتًا».

[٤] - بياض في: ز.

[٥] - في ت: ورواه.

[٦] - في ز: «عن أبي».

[٧] - في ز: «عن».

[٨] - في ز: «مسلم».

[٩] - في ز: «اللَّه».

[١٠] - في ت: «وروى».

[١١] - في ز: «عبد».

ابن وهب، حدثنا عمي، حدثني أبو صخر، أن يزيد الرقاشي حدثه قال: سمعت أنس بن مالك - ولا أعلم إلا أن أنسًا يرفع الحديث إلىٰ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم - «أن يونس النبي - عليه السلام - حين بدا له أن يدعو بهذه الكلمات وهو في بطن الحوت، قال: اللهم لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. فأقبلت [هذه][١] الدعوة تحف بالعرش، فقالت الملائكة: يا رب؛ صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة؟ [فقال:][٢] أما تعرفون ذاك؟ قالوا: [لا][٣]، يا رب؛ ومن هو؟ قال: عبدي يونس. قالوا: عبدك يونس الذي لم يزل يُرفَع له عملًا متقبلًا ودعوة مجابة؟ [قال: نعم][٤] قالوا: يا رب؛ أو لا [ترحم][٥] ما كان [يصنع][٦] في الرخاء فتنجيه من البلاء؟ قال: بلىٰ. فأمر الحوت فطرحه في العراء وقوله: ﴿فاستجبنا له [ونجيناه][٧] من الغم﴾، أي: أخرجناه من بطن الحوت، وتلك الظلمات، ﴿وكذلك ننجي المؤمنين﴾أي: إذا كانوا في الشدائد ودَعَونا منيبين إلينا، ولا سيما إذا دعوا بهذا الدعاء في حال البلاء، فقد جاء الترغيب في الدعاء بها عن سيد الأنبياء؛ قال الإمام أحمد(٤١):

حَدَّثَنا إسماعيل بن عمر، حدثنا يونس بن أبي إسحاق الهمداني، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سعد، حدثني والدي محمد، عن أبيه سعد - وهو ابن أبي وقاص، - رضي اللَّه عنه - قال: مررت بعثمان بن عفان - رضي اللَّه عنه - في المسجد، فسلمت عليه، فملأ عينيه مني فلم يَرْدُدْ عليَّ السلام، فأتيت عمر بن الخطاب [فقلت][٨]: يا أمير المؤمنين؛ هل حدث في الإسلام شيء؟ مرتين، قال: لا، وما ذاك؟ قلت: لا، إلا أني مررت بعثمان آنفًا في المسجد، فسلمت عليه، فملأ عينيه مني ثمّ لم يَرْدُدْ عليَّ السلام. قال: فأرسل عمر إلىٰ عثمان فدعاه، فقال: ما منعك أن لا تكون رددت علىٰ أخيك السلام؟ قال: ما فعلت. قال سعد: قلت: بلىٰ. حتىٰ حَلَفَ وحلفتُ، قال: ثم إن عثمان ذكر فقال: بلىٰ، وأستغفر اللَّه وأتوب إليه، إنك مررت بي آنفًا وأنا أحدث نفسي بكلمة سمعتُها من رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم، لا واللَّه ما ذكرتُها قط إلا [تَغْشَىٰ][٩] بصري وقلبي غشاوة. قال سعد: فأنا أنبئك بها، إن رسول اللَّه صلى اللَّه غليه وسلم ذكر لنا [أول دعوة][١٠]، ثم جاء أعرابي فشغله، حتىٰ قام رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم فاتبعتُه، فلما أشفقت أن يسبقني إلىٰ منزله ضربتُ

(٤١) - أخرجه أحمد (١٧٠/١).

[١] - سقط من: ز.
[٢] - في ز: «قال».
[٣] - سقط من: ز.
[٤] - سقط من: ز.
[٥] - في ز: «يرحم».
[٦] - في ز: «يصنعه».
[٧] - في ز: «فنجيناه».
[٨] - في ز: «فقال».
[٩] - في ز: «يغشى».
[١٠] - سقط من: ز.

بقدمي الأرض، فالتفت إليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «**من هذا؟ أبو إسحاق**» قال: قلت: نعم يا رسول الله. قال: «**فمه؟**». قلت: لا والله، إلا أنك ذكرت لنا أول دعوة، ثم جاء [هذا][١] الأعرابي فشغلك. قال: «**نعم، دعوة ذي النون، إذ هو في بطن الحوت: ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ فإنه لم يدع بها مسلم ربه في شيء قط إلا استجاب له**» ورواه الترمذي(٤٢) والنسائي(٤٣) في «اليوم والليلة» من حديث إبراهيم بن محمد بن [سعد][٢]، عن أبيه، عن سعد، به.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو خالد الأحمر عن كثير بن زيد عن المطلب بن حنطب - قال أبو خالد: أحسبه عن مصعب - يعني ابن سعد - عن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من دعا بدعاء يونس، استجيب له**». قال أبو سعيد: يريد به **﴿وكذلك ننجي المؤمنين﴾**.

وقال: ابن جرير(٤٤): حدثني عمران بن بكار الكلاعي، حدثنا يحيى بن صالح، حدثنا أبو يحيى بن عبد الرحمن، حدثنى بشر بن منصور، عن عليّ بن زيد، عن سعيد بن المسيب قال: سمعت سعد بن مالك - وهو ابن أبي وقاص - يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**اسم الله الذي إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سئل به أعطى: دعوة يونس بن متى**». قال: فقلت: يا رسول الله؛ هي ليونس خاصة، أم لجماعة المسلمين؟ قال: «**هي ليونس بن متى خاصة، وللمؤمنين عامة، إذا دعوا بها، ألم تسمع قول الله - عز وجل -: ﴿فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين * فاستجبنا له [ونجيناه][٣] من الغم وكذلك ننجي المؤمنين﴾ فهو شرط من الله لمن دعاه به**»، وقال ابن أبى حاتم: حدثني أبي، حدثنا أحمد بن أبي [سريج][٤]، حدثنا داود ابن [المحبَّر][٥] بن قَحْذَم [المقدسي][٦]، عن كثير بن معبد قال: سألت الحسن، قلت: يا أبا سعيد؛ اسم الله الأعظم، الذي إذا دعيَ به أجاب، وإذا سئل به أعطى؟ قال: ابنَ أخي؛ أما تقرأ القرآن! قول الله تعالى: **﴿وذا النون إذ ذهب مغاضبًا﴾** إلى قوله: **﴿المؤمنين﴾**،

(٤٢) - أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب: (٨٢)، حديث (٣٥٠٥) (٥/٤٩٥) مختصرًا.
(٤٣) - أخرجه النسائي في الكبرى في كتاب عمل اليوم والليلة، باب: ذكر دعوة ذى النون، حديث (١٠٤٩١، ١٠٤٩٢) (٦/١٦٨).
(٤٤) - أخرجه الطبرى (١٧/٨٢).

[١] - سقط من: ز.
[٢] - في ز: «سعيد».
[٣] - في ز: «فنجيناه».
[٤] - في ز: «شريح».
[٥] - في ز: «المحير».
[٦] - في ز: «القرشي».

ابنَ أخي، هذا هو اسم اللّه الأعظم، الذي إذادعيَ به أجاب وإذا سئل به أعطىٰ.

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾

يخبر تعالىٰ عن عبده زكريا، حين طلب أن يهبه اللّه ولدًا، يكون من بعده نبيًا. وقد تقدمت القصة مبسوطة في أول سورة مريم وفي سورة آل عمران أيضًا، وههنا أخصر منهما؛ ﴿**إذ نادىٰ ربه**﴾ أي: خفية عن قومه ﴿**رب لا تذرني فردًا**﴾، أي: لا ولدَ لي ولا وارثَ يقوم بعدي في الناس، ﴿**وأنت خير الوارثين**﴾دعاء وثناء مناسب للمسألة. قال اللّه تعالى: ﴿**فاستجبنا له ووهبنا له يحيىٰ وأصلحنا له زوجه**﴾أي: امرأته.

قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير: كانت عاقرًا لا تلد، فولدت.

وقال عبد الرحمن بن مهدى: عن طلحة بن عمرو عن عطاء: كان في لسانها طول فأصلحها اللّه. وفي رواية: كان في خلقها شيء فأصلحها اللّه: وهكذا قال محمد بن كعب، والسدي، والأظهر من السياق: الأول

وقوله: ﴿**إنهم كانوا يسارعون في الخيرات**﴾، أي: في عمل القربات وفعل الطاعات ﴿**ويدعوننا رغبًا ورهبًا**﴾قال الثوري: رغبًا فيما عندنا، ورهبًا مما عندنا، ﴿**وكانوا لنا خاشعين**﴾ قال عليّ بن أبي طلحة: عن ابن عباس: أي: مصدقين بما أنزل اللّه وقال مجاهد: [مؤمنين][١] حقًّا. وقال أبو العالية: خائفين. وقال أبو سنان: الخشوع هو الخوف اللازم للقلب لا يفارقه أبدًا. وعن مجاهد أيضًا ﴿**خاشعين**﴾، أى متواضعين. وقال الحسن،وقتادة، والضحاك: ﴿**خاشعين**﴾أي: [متذللين][٢] للّه عز وجل. وكل هذه الأقوال متقاربة.

وقال: ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عليّ بن محمد الطنافسي، حدثنا محمد بن فضيل، حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق [عن] عبد اللّه القرشي عن [عبد][٣] اللّه بن حكيم قال: خطبنا أبو بكر -رضي اللّه عنه- ثم قال: أما بعد، فإني أوصيكم بتقوىٰ اللّه، وتُثْنوا عليه بما هو له أهل وتخلطوا الرغبة بالرهبة، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة، فإن اللّه -عز وجل-

---

[١] - في ز: «من سر». [٢] - في ز: «موللين».

[٣] - في ز: «عبيد».

أثنى على زكريا وأهل بيته، فقال: ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبًا ورهبًا وكانوا لنا خاشعين﴾.

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ (٩١)﴾

هكذا قَرَن الله تعالى قصة مريم وابنها عيسى -عليه السلام-، بقصة زكريا وابنه يحيى -عليهما السلام- فيذكر أولًا قصة زكريا، ثم يتبعها بقصة مريم؛ لأن تلك موطّئة لهذه، فإنها إيجاد ولد من شيخ كبير قد طَعَن في السن، ومن امرأة عجوز عاقر لم تكن تلد في حال شبابها، ثم يذكر قصة مريم وهي أعجب، فإنها إيجاد ولد من أنثى بلا ذكر. هكذا وقع في سورة آل عمران، وفي سورة مريم، وههنا ذكر قصة زكريا، ثم أتبعها بقصة مريم، فقوله: ﴿والتي أحصنت فرجها﴾يعني: مريم -عليها السلام- كما قال في سورة التحريم: ﴿[ومريم][١] ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا﴾وقوله: ﴿وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾، أي: دلالة على أن الله على كل شيء قدير، وأنه يخلق ما يشاء، و ﴿إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون﴾وهذا كقوله: ﴿ولنجعله آية للناس﴾قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عمرو بن عليّ، حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد، عن [شبيب][٢] - يعني ابن [بشر][٣] - عن عكرمة عن ابن عباس في قوله: ﴿للعالمين﴾، قال: العالمين: الجن والإنس.

﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (٩٢) وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ (٩٣) فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ (٩٤)﴾

قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة﴾، يقول: دينكم دين واحد.

وقال الحسن البصري [في][٤] هذه الآية: بين لهم ما يتقون وما يأتون، ثم قال: ﴿إن هذه [أمتكم أمة واحدة﴾، أي:][٥] سنتكم سنة واحدة. فقوله: ﴿إن هذه﴾إن واسمها،

---

[١] - سقط من: ز.
[٢] - في ز: «شعيب».
[٣] - في ز: «بشير».
[٤] - في ز: «من».
[٥] - سقط من: ز.

وأمتكم خبر إن، أي: هذه شريعتكم التي بينت لكم ووضحت لكم، وقوله: ﴿أمة واحدة﴾ [نصب][١] على الحال، ولهذا قال: ﴿وأنا ربكم فاعبدون﴾، كما قال: ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحًا إني بما تعملون عليم * وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نحن - معشر الأنبياء - أولاد علات ديننا واحد»(٤٥). يعني: أن المقصود هو عبادة الله وحده لا شريك له بشرائع متنوعة لرسله، كما قال تعالىٰ: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا﴾وقوله: ﴿وتقطعوا أمرهم بينهم﴾، أي: اختلفت الأمم على رسلها، فمن بين مصدق لهم ومكذب ولهذا قال: ﴿كل إلينا راجعون﴾، أي: يوم القيامة، [فيجازىٰ][٢] كل بحسب عمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، ولهذا قال: ﴿فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن﴾، أي: قلبه مصدق، وعمل عملًا صالحًا، ﴿فلا كفران لسعيه﴾، كقوله: ﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن عملًا﴾، [أي:][٣] لا [يُكْفَر][٤] سعيه - وهو عمله - بل [يشكر][٥] فلا يظلم مثقال ذرة، ولهذا قال: ﴿وإنا له كاتبون﴾، أي: نكتب[٦] جميع عمله، فلا يضيع عليه منه شيء.

وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾

يقول تعالى: ﴿وحرام على قرية﴾قال ابن عباس: وجب. يعني: قدرًا مقدرًا أن أهل كل قرية أهلكوا أنهم لا يرجعون إلى الدنيا قبل يوم القيامة، هكذا صرح به ابن عباس، وأبو جعفر الباقر، وقتادة، وغير واحد.

وفي رواية عن ابن عباس: ﴿أنهم لا يرجعون﴾ أي: [لا] يتوبون. والقول الأول أظهر والله أعلم.

(٤٥) - أصله في الصحيحين من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب مريم إذا انتبذت من أهلها﴾، حديث (٣٤٤٢، ٣٤٤٣) (٦/٤٧٨). ومسلم في كتاب الفضائل، باب: فضائل عيسى عليه السلام، حديث (١٤٣، ١٤٤/ ٢٣٦٥).

[١] - في ز: «نعت»
[٢] - في ز: «فنجازي».
[٣] - في ز: «يعني».
[٤] - في ز: «نكفر».
[٥] - بياض في: ز.
[٦] - في ت: «يكتب».

وقوله: ﴿حتىٰ إذا فتحت يأجوج ومأجوج﴾: قد قدمنا أنهم من سلالة آدم -عليه السلام- بل هم من نسل نوح أيضًا، من أولاد يافث أبي الترك، والترك شرذمة منهم، تُركوا من وراء السد الذي بناه ذو القرنين.

وقال: ﴿هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقًا* وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصّور فجمعناهم جمعًا﴾، وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿حتىٰ إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون﴾، أي: يسرعون في المشي إلىٰ الفساد.

والحدب: هو المرتفع من الأرض، قاله ابن عباس، وعكرمة، وأبو صالح، والثوري، وغيرهم، وهذه صفتهم في حال خروجهم، [كأن][١] السامع مشاهد لذلك، ﴿ولا ينبئك مثل خبير﴾، هذا إخبار عالم ما كان وما يكون، الذي يعلم غيب السموات والأرض، لا إله إلا هو.

وقال ابن جرير(٤٦): حدثنا محمد بن مثنىٰ، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن [عُبَيد][٢] اللَّه بن أبي يزيد قال: رأىٰ ابن عباس صبيانًا ينزو بعضهم علىٰ بعض، يلعبون، فقال ابن عباس: هكذا يخرج يأجوج ومأجوج.

وقد ورد ذكر خروجهم في أحاديث متعددة من السنة النبوية.

فالحديث الأول: قال الإمام أحمد(٤٧):

حَدَّثَنا يعقوب، حدثنا أبي، عن ابن إسحاق، عن عاصم بن عُمَر بن قتادة، عن محمود ابن لَبِيد، عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم يقول: «يُفتح يأجوج ومأجوج، فيخرجون كما قال اللَّه -عز وجل-: ﴿من كل حدب ينسلون﴾فيغشون الناس، وينحاز المسلمون عنهم إلىٰ مدائنهم وحصونهم، ويضمون إليهم مواشيَهم، ويشربون مياه الأرض، حتىٰ إن بعضهم ليمر بالنهر، فيشربون ما فيه حتىٰ يتركوه يَبَسًا، حتىٰ إن من بعدهم ليمر بذلك النهر فيقول: قد كان هٰهنا ماء مرةً، حتىٰ إذا لم يبق من الناس أحدٌ إلا أحد في حصن أو مدينة، قال قائلهم: هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم، بقي أهل السماء. قال ثم يهز أحدهم حربته، ثم يرمي بها إلىٰ السماء، فترجع إليه مُخْتَضَبَةً

(٤٦) - أخرجه الطبرى (١٧/٨٨).
(٤٧) - أخرجه أحمد (٣/٧٧).

[١] - في ز: «كأنك».
[٢] - في ز: «عبد».

دمًا - للبلاء والفتنة - فبينما هم علىٰ ذلك، [إذ][١] بعث اللَّه عز وجل دودًا في أعناقهم كَنَغَف الجراد الذي يخرج في أعناقه، فيصبحون موتى لا يسمع لهم حس، فيقول المسلمون: ألا رجل يشرى لنا نفسه، فينظر ما فعل هذا العدو؟ قال: فيتجرد رجل منهم محتسبًا نفسه، وقد أوطنها علىٰ أنه مقتول، فينزل فيجدهم موتىٰ، بعضهم علىٰ بعض، فينادي: يا معشر المسلمين، ألا أبشروا، إن اللَّه -عز وجل- قد كفاكم عدوكم، فيخرجون من مدائنهم وحصونهم، ويُسَرِّحون مواشيهم، فما يكون لها رعي إلا لحومهم، [فَتَشْكر عنهم][٢] كأحسن ما [شكرت][٣] عن شيء من النبات أصابته قط

ورواه ابن ماجة(٤٨) من حديث يونس بن بكير، عن ابن إسحاق به

(الحديث الثاني): قال [الإمام][٤] أحمد(٤٩) أيضًا: حدثنا الوليد بن مسلم أبو العباس الدمشقي، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، حدثني يحيىٰ بن جابر الطائي قاضي حمص، حدثني عبد الرحمن بن جُبَير بن نفير الحضرمي، عن أبيه، أنه سمع النواس بن سمعان الكلابي قال: ذكر رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم الدجال ذات غداة، فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في [طائفة النخل][٥] [فلما رُحْنَا إليه عرف ذلك في وجوهنا، فسألناه فقلنا: يا رسول اللَّه، ذكرت الدجال الغداة، فخفضت فيه ورفعت حتىٰ ظنناه في طائفة النخل؟][٦] فقال: «غير الدجال [أخوف مني][٧] عليكم، فإن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه، واللَّه خليفتي علىٰ كل مسلم؛ إنه شاب جعد قَطَط، عينه طافية، وإنه يخرج [خَلَّةً][٨] بين الشام والعراق [فعاث][٩] يمينًا وشمالًا، يا عباد اللَّه اثبتوا». قلنا: يا رسول اللَّه، ما لبثه في الأرض؟ قال: «أربعين يومًا، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم». قلنا: يا رسول اللَّه، فذاك اليوم الذي هو كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم وليلة؟ قال: لا، اقدروا له قدره. قلنا: يا رسول اللَّه، فما إسراعه في الأرض؟ قال: «كالغيث استدبرته الريح»، قال: فيمر بالحي فيدعوهم فيستجيبون

---

(٤٨) - أخرجه ابن ماجة في كتاب الفتن، باب: طلوع الشمس من مغربها، حديث (٤٠٧٩) (١٣٦٣/٢ - ١٣٦٤).

(٤٩) - المسند (١٨١/٤ - ١٨٢).

---

[١] - سقط من: ز.

[٢] - في ز: «فتسكر عنه».

[٣] - في ز: «تسكر».

[٤] - سقط من: ز.

[٥] - في ز: «ناحية المسجد».

[٦] - سقط من: ز.

[٧] - في ت: «أخوفني».

[٨] - في ز: «حيله».

[٩] - في ز: «فيعاث».

له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، وتروح عليهم سارحتهم وهي أطول ما كانت [ذُرًا][١]، وأمده خواصر، [وأسبغه][٢] ضروعًا. ويمر بالحي فيدعوهم فيردون عليه قولَه، فتتبعه أموالهم، فيصبحون مُمْحلين، ليس لهم من أموالهم شيء، ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك. فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل(١). قال: ويأمر برجل فيُقتل، فيضربه بالسيف، فيقطعه جَزْلَتَيْن رَمْيَة الغرض(٢)، ثم يدعوه فيقبل إليه [يتهلل وجهه][٣] فبينما هم علىٰ ذلك، إذ بعث اللَّه -عز وجل- المسيح بن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء، شرقي دمشق، بين مَهْرُودَتَين(٣) واضعًا يده علىٰ أجنحة ملكين، فيتبعه فيدركه، فيقتله عند باب لُدّ الشرقي». قال: «فبينما هم كذلك إذ أوحىٰ اللَّه -عز وجل- إلىٰ عيسى ابن مريم -عليه السلام-: أني قد أخرجت عبادًا من عبادي لا [يَدَانِ][٤] لك بقتالهم، فَحَرِّز عبادي إلى الطور، فيبعث اللَّه -عز وجل- يأجوج ومأجوج، وهم كما قال اللَّه تعالىٰ: ﴿مِن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾، فيرغب عيسىٰ وأصحابه إلىٰ اللَّه -عز وجل- فيرسل اللَّه عليهم نَغَفًا(٤) في رقابهم، فيصبحون [فَرْسَىٰ][٥] كموت نفس واحدة. فيهبط عيسىٰ وأصحابه، فلا يجدون في الأرض بيتًا إلا قد ملأه زَهَمُهم(٥) ونَتنهم، فيرغب عيسىٰ وأصحابه إلىٰ اللَّه -عز وجل- فيرسل عليهم طيرًا كأعناق البخت، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء اللَّه».

[قال ابن جابر: فحدثني عطاء بن يزيد السكسكي عن كعب -أو غيره- قال: فتطرحهم [بالمهبل][٦] [فقلت: يا أبا يزيد، وأين المَهْبِل؟][٧] قال: مطلع الشمس. قال: «ويرسل اللَّه مطرًا لا يكُنُّ(٦) منه بيت مَدَر ولا وبر أربعين يومًا، فيغسل الأرض حتىٰ يتركها كالزَّلَفَة(٧)، ويقال للأرض: أنبتي ثمرتك، وردي بركتك. قال: فيومئذ يأكل النفر

(١) يعاسيب النحل: قال النووي: هي ذكور النحل. شرح مسلم (١٨/٦٦).
(٢) جزلتين: أي قطعتين. ورمية الغرض: أي أنه يجعل بين الجزلتين مقدار رميته. شرح مسلم (١٨/٦٧).
(٣) معناه: لابس مهرودتين: أي ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران. شرح مسلم (١٨/٦٧).
(٤) جمع نغفة: وهو دود يكون في أنوف الإبل والغنم. النهاية (٥/٨٧).
(٥) زهمهم: دسمهم. شرح النووي على مسلم (١٨/٦٩).
(٦) يكن: يمنع.
(٧) الزلفة: قيل: هي المرآة شبهها بها لنظافتها واستوائها. وقيل: الروضة. وقيل: غير ذلك. النهاية (٢/٣٠٩).

[١] - في ز: «درًا»؟
[٢] - في ز: «أشبعه».
[٣] - سقط من: ز.
[٤] - في ز: «بدان».
[٥] - في ز: «موتى». وفرسى جمع فريس، وهو القتيل. النهاية (٣/٤٢٨).
[٦] - في ز: «بالمهل».
[٧] - سقط من: ز.

من الرمانة ويستظلون بقحفها(١) ، ويبارك في [الرسْل][١] ، حتىٰ إن اللّقْحَة من الإبل لتكفي الفئام من الناس ، واللقحة من البقر تكفي الفخذ ، والشاة من الغنم تكفي أهل البيت » قال : فبينما هم علىٰ ذلك ، إذ بعث اللَّه -عز وجل- [ريحًا طيبة][٢] تحت آباطهم ، [فتقبض][٣] روح كل مسلم » - أو قال : « مؤمن » - « ويبقىٰ شرار الناس يتهارجون تهارج الحمير(٢) ، وعليهم تقوم الساعة » .

انفرد بإخراجه مسلم(٥٠) دون البخاري ، فرواه مع بقية أهل السنن(٥١) من طرق عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر به ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

(الحديث الثالث) : قال الإمام أحمد(٥٢) : حدثنا محمد بن بشر ، حدثنا محمد بن عمرو [عن][٤] ابن حرملة . عن خالته قالت : خطب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم وهو عاصب أصبعَه من لدغة عقرب ، فقال : « [إنكم][٥] تقولون : لا عدو [لكم][٦] ، وإنكم لا تزالون تقاتلون عدوًّا ، حتىٰ يأتي يأجوج ومأجوج ، عراض الوجوه ، صغار العيون ، صُهْب [الشعاف][٧] من كل حدب ينسلون ، كأن وجوههم المجان المطرقة .

وكذا رواه ابن أبي حاتم : من حديث محمد بن [عمرو][٨] ، عن خالد بن عبد اللَّه بن حرملة المدلجي ، عن خالة له ، عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم ، فذكره مثله .

(الحديث الرابع) : قد تقدم في تفسير آخر سورة الأعراف من رواية الإمام أحمد(٥٣) عن

---

(١) قحفها : قشرها . النهاية (١٧/٤) .

(٢) أي يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير ولا يكترثون لذلك . شرح النووي على مسلم (٧٠/١٨) .

(٥٠) - أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب : ذكر الدجال وصفته وما معه ، حديث (٢١٣٧/١١٠) (٨٥/١٨ - ٩٣) .

(٥١) - سنن أبي داود في الملاحم ، باب : خروج الدجال ببعضه برقم (٤٣٢١) ، وسنن الترمذي في الفتن برقم (٢٢٤٠) ، وسنن النسائي الكبرى برقم (١٠٧٨٣) ، وسنن ابن ماجة برقم (٤٠٧٥) .

(٥٢) المسند (٢١٧/٥) .

(٥٣) المسند (٣٧٥/١) ، وابن ماجه برقم (٤٠٨١) ، وسبق عند تفسير الآية : ١٨٧ من سورة الأعراف .

---

[١] - في ز : « المرسل » . والرسل : اللبن .

[٢] - في ز : « الحاطبيه » .

[٣] - في ز : « فيقبض » .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - سقط من ت .

[٧] - في ز : « العساف » . وصهب الشعاف ، أي : صُهب الشعور . [النهاية ٤٨٢/٢]

[٨] - في ز : « عمر » .

هشيم، عن العوام، عن جبلة بن سحيم، عن مُؤثر بن [عَفَازَةَ][١]، عن ابن مسعود - رضي الله عنه - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لقيت ليلة أسري بي إبراهيم وموسى وعيسىٰ - عليهم السلام - قال: فتذاكروا أمر الساعة، فردوا أمرهم إلىٰ إبراهيم، فقال: لا علم لي [بها][٢]. فردوا أمرهم إلىٰ موسىٰ، فقال: لا علم لي [بها][٣]. فردوا أمرهم إلى عيسىٰ، فقال: أما [وجبتها][٤] فلا يعلم بها أحد إلا الله، [وفيما][٥] عهد إليَّ ربي أن الدجال خارج، [قال:][٦] ومعي قضيبان، فإذا رآني ذاب كما يذوب الرصاص، قال: فيهلكه الله إذا رآني، حتىٰ إن الحجر والشجر يقول: يا مسلم، إن تحتي كافرًا، فتعال فاقتله. قال: فيهلكهم الله، ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم. قال: فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيطئون بلادهم، لا يأتون علىٰ شيء إلا أهلكوه، ولا يمرون علىٰ ماء إلا شربوه. قال: ثم يرجع الناس [إليّ][٧] يشكونهم، فأدعو الله عليهم، فيهلكهم ويميتهم، حتىٰ تجوىٰ الأرض من نَتْن ريحهم، وينزل الله المطر، فيجترف أجسادهم، حتىٰ يقذفهم في البحر، ففيما عهد إليَّ ربي أن ذلك إذا كان كذلك، أن الساعة كالحامل المُتِمّ، لا يدري أهلها متى تَفْجؤهم [بولادها][٨] ليلًا أو نهارًا.

ورواه ابن ماجة: عن محمد بن بشار، عن يزيد بن هارون، عن العوام بن حوشب به، نحوه وزاد: قال العوام: ووجد تصديق ذلك في كتاب الله - عز وجل - **﴿حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون﴾**.

ورواه ابن جرير هٰهنا من حديث جبلة به(٥٤).

والأحاديث في هذا كثيرة جدًّا، والآثار عن السلف كذلك.

وقد روىٰ ابن جرير(٥٥) وابن أبي حاتم: من حديث معمر، عن غير واحد، عن حميد بن هلال، عن أبي [الضَّيف][٩] قال: قال كعب: إذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج، حفروا حتىٰ يسمع الذين يلونهم قرع فئوسهم، فإذا كان الليل قالوا: نجيء غدًا فنخرج.

---

(٥٤) تفسير الطبري (٧٢/١٧).

(٥٥) تفسير الطبري (٧١/١٧).

---

[١] - في ز: «عفان».

[٢] - في ز: «فيها».

[٣] - في ز: «فيها».

[٤] - في ز: «وجهها».

[٥] - في ز: «مما».

[٦] - سقط من: ز.

[٧] - سقط من: ز.

[٨] - في ز: «بولادتها».

[٩] - في ت: «الصيف».

فيعيده الله كما كان، فيجيئون من الغد، فيجدونه قد أعاده الله كما كان، فيحفرون حتى يسمع الذين يلونهم قرع فئوسهم، فإذا كان الليل ألقىٰ الله علىٰ لسان رجل منهم يقول: نجيء غدًا فنخرج إن شاء الله. فيجيئون من الغد فيجدونه كما تركوه، فيحفرون حتىٰ يخرجوا، فتمر الزمرة الأولىٰ بالبحيرة فيشربون ماءها، ثم تمر الزمرة الثانية فيلحسون طينها، ثم تمر الزمرة الثالثة فيقولون: قد كان هٰهنا مرة ماء. ويفر الناس منهم، فلا يقوم لهم شيء، ثم يرمون بسهامهم إلى السماء، فترجع إليه مُخَضَّبَة بالدماء، فيقولون: غلبنا أهل الأرض وأهل السماء. فيدعو عليهم عيسىٰ ابن مريم - عليه السلام - فيقول: اللهم لا طاقة ولا يَدَيْن لنا بهم، [فاكفناهم][١] بما شئت. فيسلط الله عليهم دودًا، يقال له: النغف فيفرس رقابهم، ويبعث الله عليهم طيرًا تأخذهم بمناقيرها فتلقيهم في البحر، ويبعث الله عينًا يقال لها: الحياة، يطهر الله الأرض وينبتها، حتىٰ إن الرمانة ليشبع منها السَّكن - قيل: وما السكن يا كعب؟ قال: أهل البيت - قال: فبينما الناس كذلك، إذ أتاهم الصريخ أن ذا السويقتين يريده، [قال:][٢] فيبعث عيسىٰ ابن مريم طليعة سبعمائة - أو بين السبعمائة والثمانمائة - حتىٰ إذا كانوا ببعض الطريق، بعث الله ريحًا يمانية طيبة، فيقبض فيها روح كل مؤمن، ثم يبقىٰ عجاج من الناس فيتسافدون كما [يتَسَافد][٣] البهائم، فمثل الساعة كمثل رجل يطيف حول فرسه [ينتظرها][٤] متى تضع. قال كعب: فمن [قال بعد][٥] قولي هذا شيئًا أو [بعد علمي][٦] هذا شيئًا فهو المتكلف.

هذا من أحسن سياقات كعب الأحبَار، لما شهد له من صحيح الأخبار، وقد ثبت [في][٧] الحديث: أن عيسىٰ ابن مريم يحج البيت العتيق.

وقال الإمام أحمد(٥٦): حَدَّثَنا سليمان بن داود، حدثنا عمران، عن قتادة، عن عبد الله ابن أبي عتبة، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«ليحجن هذا البيت، وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج» انفرد بإخراجه البخاري**.

وقوله: ﴿**واقترب الوعد الحق**﴾، يعني: يوم القيامة، إذا وجدت هذه الأهوال والزلازل والبلابل، أزفت الساعة واقتربت، فإذا كانت ووقعت قال الكافرون ﴿**هذا يوم عسر**﴾، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿**فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا**﴾، أي: من شدة ما يشاهدونه

(٥٦) المسند (٣/٢٧)، وصحيح البخاري برقم (١٥٩٣).

[١] - في ت: «فاكفيناهم».
[٢] - سقط من: ز.
[٣] - في ت: «تسافد».
[٤] - سقط من: ز.
[٥] - في ز: «يعد».
[٦] - في ت: «بعد عملي».
[٧] - سقط من: ز.

من الأمور العظام ﴿يا ويلنا﴾، أي: يقولون: ﴿يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا﴾، أي: في الدنيا ﴿بل كنا ظالمين﴾يعترفون بظلمهم لأنفسهم، حيث لا ينفعهم ذلك.

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

يقول تعالى مخاطبًا لأهل مكة من مشركي قريش، ومن دان بدينهم من عبدة الأصنام والأوثان: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾قال ابن عباس: أي: وقودها. يعني كقوله: ﴿وقودها الناس والحجارة﴾وقال ابن عباس أيضًا: ﴿حصب جهنم﴾بمعنى: شجر جهنم. وفي رواية قال: ﴿حصب جهنم﴾يعني: حطب جهنم بالزنجية. وقال مجاهد وعكرمة وقتادة: حطبها. وهي كذلك في قراءة عليّ وعائشة -رضي الله عنهما- وقال الضحاك: ﴿حصب جهنم﴾أي ما يرمى به فيها. وكذا قال غيره، والجميع قريب.

وقوله: ﴿أنتم لها واردون﴾، أي: داخلون، ﴿لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها﴾، يعني: لو كانت [يعني][١] هذه الأصنام والأنداد التي اتخذتموها من دون الله -آلهة صحيحة، لما وردوا النار ولما دخلوها ﴿وكل فيها خالدون﴾، أي: العابدون ومعبوداتهم كلهم فيها خالدون ﴿لهم فيها زفير﴾، كما قال تعالىٰ: ﴿لهم فيها زفير وشهيق﴾ والزفير خروج أنفاسهم، والشهيق ولوج أنفاسهم ﴿وهم فيها لا يسمعون﴾.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عليّ بن محمد الطنافسي، حدثنا ابن فُضيل، حدثنا عبد الرحمن -يعني المسعودي- عن أبيه قال: قال ابن مسعود: إذا بقي من يخلد في النار، جعلوا في توابيت من نار، فيها مسامير من نار، فلا يرىٰ أحد منهم أنه يعذب في النار غيره، ثم تلا عبد الله: ﴿لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون﴾.

---

[١] - سقط من ت.

ورواه ابن جرير من حديث حجاج بن محمد عن المسعودي عن يونس بن [خباب][١] عن ابن مسعود فذكره.

وقوله: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنىٰ﴾، قال عكرمة: الرحمة. وقال غيره: السعادة ﴿أولئك عنها مبعدون﴾، لما ذكر تعالىٰ أهل النار وعذابهم بسبب شركهم بالله، عطف بذكر السعداء من المؤمنين بالله ورسله، وهم الذين سبقت لهم من الله السعادة، وأسلفوا الأعمال الصالحة في الدنيا، كما قال تعالىٰ: ﴿[للذين][٢] أحسنوا الحسنىٰ وزيادة﴾وقال: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾، فكما أحسنوا العمل في الدنيا، أحسن الله [مآلهم][٣] وثوابهم، فنجاهم من العذاب، وحَصَّل لهم جزيل الثواب، فقال: ﴿أولئك عنها﴾ [أي : النار][٤] ﴿مبعدون * لا يسمعون حسيسها﴾أي: حريقها في الأجساد.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن عمار، حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، عن أبيه، [عن الجريري][٥]، عن أبي عثمان: ﴿لا يسمعون حسيسها﴾قال: حيات على الصراط تلسعهم، فإذا لسعتهم قال: حس حس.

وقوله: ﴿وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون﴾، فسلمهم من المحذور والمرهوب، وحصل لهم المطلوب والمحبوب.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن أبي سُريج، حدثنا محمد بن الحسن ابن أبي يزيد الهمداني، عن ليث بن أبي سليم، عن ابن عم النعمان بن بشير، [عن النعمان بن بشير][٦] قال: [وسمر][٧] مع عليّ ذات ليلة، فقرأ: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنىٰ أولئك عنها مبعدون﴾، قال: أنا منهم، وعمر منهم، وعثمان منهم، والزبير منهم، وطلحة منهم، وعبد الرحمن منهم - أو قال: سعد [منهم][٨] - قال: وأقيمت الصلاة فقام، وأظنه يجر ثوبه، وهو يقول: ﴿لا يسمعون حسيسها﴾.

وقال شعبة: عن أبي بشر، عن يوسف المكي، عن محمد بن حاطب قال: سمعت عليًا

---

[١] - في ز: «حباب».
[٢] - في ز: «الذين».
[٣] - في ت: «مآبهم».
[٤] - سقط من ت.
[٥] - في ز: «عن أبي عثمان الحديدي».
[٦] - سقط من: ز.
[٧] - في ز: «سمن».
[٨] - سقط من: ز.

يقول في قوله: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنىٰ﴾، قال: عثمان وأصحابه.

ورواه ابن أبي حاتم أيضًا، ورواه ابن جرير من حديث يوسف بن سعد - وليس بابن ماهك - عن محمد بن حاطب، عن عليّ، فذكره، ولفظه: عثمان منهم.

وقال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنىٰ أولئك عنها مبعدون﴾: فأولئك أولياء الله، يمرون على الصراط مرًّا هو أسرع من البرق، ويبقىٰ الكفار فيها جثيًّا.

فهذا مطابق لما ذكرناه. وقال آخرون: بل نزلت استثناء من المعبودين، وخرج منهم عزير والمسيح، كما قال حجاج بن محمد الأعور عن [ابن][١] جريج وعثمان بن عطاء، عن عطاء، عن ابن عباس: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾ثم استثنىٰ فقال: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنىٰ﴾، فيقال: هم الملائكة وعيسىٰ، ونحو ذلك مما يعبد من دون الله عز وجل. وكذا قال عكرمة والحسن وابن جريج.

وقال الضحاك: عن ابن عباس في قوله: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنىٰ﴾، قال: نزلت في عيسى بن مريم وعزير عليهما السلام.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا الحسين بن عيسىٰ بن ميسرة، حدثنا أبو زهير، حدثنا سعد بن طريف، عن الأصبغ، عن عليّ في قوله: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنىٰ﴾، قال: كل شيء يعبد من دون الله في النار إلا الشمس والقمر وعيسىٰ ابن مريم. إسناده ضعيف.

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد: ﴿أولئك عنها مبعدون﴾قال: عيسى وعزير والملائكة.

وقال الضحاك: عيسىٰ ومريم والملائكة والشمس والقمر. وكذا روي عن سعيد بن جبير وأبي صالح وغير واحد. وقد روىٰ ابن أبي حاتم(٥٧) في ذلك حديثًا غريبًا جدًّا فقال: حدثنا الفضل بن يعقوب [الرُّخامي]، حدثنا سعيد بن [مسلمة][٢] بن عبد الملك، حدثنا ليث بن أبي سليم، عن مغيث، عن أبي هريرة، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم في قوله: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى [أولئك عنها مبعدون][٣]﴾، قال: «عيسىٰ وعزير والملائكة». وذكر بعضهم قصة ابن الزبعرىٰ ومناظرة المشركين.

(٥٧) في إسناده سعيد بن مسلمة وشيخه ليث بن أبي سليم وهما ضعيفان.

[١] - سقط من: ز.
[٢] - في ز: «سلمة».
[٣] - سقط من: ز.

قال أبو بكر بن مردويه: حَدَّثَنا محمد بن عليّ [بن][١] سهل، حدثنا محمد بن حسن الأنماطي، حدثنا إبراهيم بن محمد [بن][٢] عَرْعَرَة، حدثنا يزيد بن أبي حكيم، حدثنا الحكم- يعني ابن أبان- عن عكرمة، عن ابن عباس قال: جاء عبد الله بن الزبعرى إلىٰ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: تزعم أن الله أنزل عليك هذه الآية: ﴿**إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون**﴾؟ [فقال][٣] ابن الزبعرىٰ: قد عُبدت الشمس والقمر والملائكة وعزير وعيسىٰ ابن مريم، كل هؤلاء في النار مع آلهتنا؟ فنزلت: ﴿**ولما ضرب ابن مريم مثلًا إذا قومك منه يصدون وقالوا آآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلًا بل هم قوم خصمون**﴾، ثم نزلت: ﴿**إن الذين سبقت لهم منا الحسنىٰ أولئك عنها مبعدون**﴾. رواه الحافظ أبو عبد الله في [كتاب][٤]: «الأحاديث المختارة».

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا قبيصة بن عقبة، حدثنا سفيان- يعني الثوري- عن الأعمش، عن أصحابه، عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿**إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون**﴾. قال المشركون: فالملائكة وعزير وعيسىٰ يُعْبَدون من دون الله؟ فنزلت: ﴿**لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها**﴾. الآلهة التي يعبدون، ﴿**وكل فيها خالدون**﴾.

وروي عن أبي كدينة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مثل ذلك. وقال: فنزلت: ﴿**إن الذين سبقت لهم منا الحسنىٰ أولئك عنها مبعدون**﴾

وقال محمد بن إسحاق بن يسار(٥٨) -رحمه الله- في كتاب «السيرة»: وجلس رسول الله، صلى الله عليه وسلم -فيما بلغني- [يومًا][٥] مع الوليد بن المغيرة في المسجد، فجاء النضر بن الحارث حتىٰ جلس معهم، وفي [المجلس][٦] غير واحد من رجال قريش، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض له النضر بن الحارث، فكلمه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حتىٰ أفحمه، وتلا عليه وعليهم: ﴿**إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون**﴾ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل عبد الله بن الزِّبَعْرَىٰ السهمي حتىٰ جلس، فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله ابن الزبعرىٰ: والله ما قام النضر بن

(٥٨) السيرة النبوية لابن هشام (٣٥٨/١)، ورواه الطبري في تفسيره (٧٦/١٧).

[١] - في ز: «ثنا».
[٢] - في ز: «عن».
[٣] - في ز: «قال».
[٤] - في ت: «كتابه».
[٥] - سقط من: ز.
[٦] - في ت: «المسجد».

الحارث لابن عبد المطلب آنفًا ولا قعد، وقد زعم محمد [أنَّا وما][١] نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم. فقال عبد اللَّه بن الزبعرىٰ: أما واللَّه لو وجدته لخصمته، فسلوا محمدًا: [أكل][٢] ما يُعْبَد من دون اللَّه في جهنم مع من عبده؟ فنحن نعبد الملائكة، واليهود [تعبد][٣] عزيرًا، والنصارىٰ [تعبد][٤] عيسىٰ ابن مريم؟ فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبد اللَّه بن الزبعرىٰ، ورأوا أنه قد احتج وخاصم. فذكر ذلك لرسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم فقال: «**كل من أحب أن يُعْبَد من دون اللَّه فهو مع من عبده، إنهم إنما يعبدون الشياطين ومن [أمرتهم][٥] بعبادته**». **وأنزل اللَّه: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنىٰ أولئك عنها مبعدون* لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون﴾**. أي: عيسىٰ وعزير ومن عبدوا من الأحبار والرهبان، الذين مضوا علىٰ طاعة اللَّه، فاتخذهم من يعبدهم من أهل الضلالة أربابًا من دون اللَّه.

ونزل فيما يذكرون أنهم يعبدون الملائكة وأنهم بنات اللَّه: **﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا سبحانه بل عباد مكرمون* لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾**إلىٰ قوله: **﴿ومن يقل منهم: إني إله من دونه، فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين﴾**. ونزل فيما ذكر من أمر عيسىٰ، وأنه يعبد من دون اللَّه، وعجب الوليد ومن حضره من حجته وخصومته: **﴿ولما ضرب ابن مريم مثلًا إذا قومك منه يصِدُّون، وقالوا آآلهتنا خيرٌ أم هُوَ ما ضربوه لك إلَّا جدلًا بل هم قوم خصمون* إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلًا لبني إسرائيل* ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون* وإنه لعلم للساعة فلا تمترُنَّ بها﴾**. أي: ما وضعت علىٰ يديه من الآيات؛ من إحياء الموتىٰ، وإبراء الأسقام، فكفى به دليلًا على علم الساعة، يقول: **﴿فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم﴾**. وهذا الذي قاله ابن الزبعرىٰ خطأ كبير؛ لأن الآية إنما نزلت خطابًا لأهل مكة في عبادتهم الأصنام التي هي جماد لا تعقل، ليكون ذلك تقريعًا وتوبيخًا لعابديها، ولهذا قال: **﴿إنكم وما تعبدون من دون اللَّه حصب جهنم﴾**. فكيف يورد علىٰ هذا المسيح والعزير ونحوهما، ممن له عمل صالح، ولم يرض بعبادة من عبده؟ وعول ابن جرير في تفسيره في الجواب علىٰ أن «ما» لما لا يعقل [عند][٦] العرب، وقد أسلم عبد اللَّه بن الزبعرىٰ بعد ذلك، وكان من الشعراء المشهورين، كان يهاجي المسلمين أولًا ثم قال معتذرًا:

يا رسول المليك؛ إن لساني ... راتق ما فتقت إذ أنا بور

---

[١] - في ز: «أبان».
[٢] - في ت: «كل».
[٣] - في ز: «يعبدوا».
[٤] - في ز: «يعبدوا».
[٥] - في ز: «أمرهم».
[٦] - في ز: «عن».

إذ أجاري الشيطانَ في سَنَن الغَيّ ومــن مــال مَـيْـلَـه مَـثْـبُـور

وقوله: ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾، قيل: المراد بذلك الموت. رواه عبد الرزاق، عن يحيى بن ربيعة، عن عطاء.

وقيل: المراد بالفزع الأكبر: النفخة في الصور. قاله العوفي عن ابن عباس، وأبو سنان [سعيد][١] بن سنان الشيباني، واختاره ابن جرير في تفسيره.

وقيل: حين يؤمر بالعبد إلى النار. قاله الحسن البصري.

وقيل: حين تطبق النار علىٰ أهلها. قاله سعيد بن جبير وابن جريج.

وقيل: حين يذبح الموت بين الجنة والنار. قاله أبو بكر الهذلي فيما رواه ابن أبي حاتم عنه.

وقوله: ﴿وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾. يعني: تقول لهم الملائكة، تبشرهم يوم معادهم إذا خرجوا من قبورهم: ﴿هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾. أي: قابلوا ما يسركم.

يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾

يقول تعالىٰ: هذا [كائن][٢] يوم القيامة ﴿يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب[٣]﴾. كما قال تعالىٰ: ﴿وما قدروا اللّٰه حق قدره والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالىٰ عما يشركون﴾. وقد قال البخاري: حدثنا مقدم بن محمد، حدثني عمي القاسم بن يحيىٰ، عن عبيد اللّٰه، عن نافع، عن ابن عمر، عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال: «إن اللّٰه يقبض يوم القيامة الأرضين، وتكون السماوات بيمينه».

انفرد به من هذا الوجه البخاري (٥٩) رحمه اللّٰه.

(٥٩) صحيح البخاري برقم (٧٤١٢).

[١] - في ز: «سعد». [٢] - في ز: «كان».

[٣] - في ز في هذا الموضع وما بعده: ﴿للكتاب﴾ وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر. انظر كتاب السبعة لابن مجاهد ص ٤٣١.

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن أحمد بن الحجاج الرقي ، حدثنا محمد بن [مسلمة][١] ، عن أبي [المواصل][٢] ، عن أبي المليح الأزدي ، عن أبي الجوزاء الأزدي ، عن ابن عباس قال : يطوي الله السماوات السبع بما فيها من الخليقة ، والأرضين السبع بما فيها من الخليقة ، يطوي ذلك كله بيمينه ، يكون ذلك كله في يده بمنزلة خردلة .

وقوله : ﴿ **كطيّ السجل للكتب** ﴾ . قيل : المراد [بالسجل: الكتاب . وقيل : المراد][٣] بالسجل ههنا : ملك من الملائكة .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا عليّ بن الحسين ، حدثنا محمد بن العلاء ، حدثنا يحيىٰ بن [يمان][٤] ، حدثنا أبو الوفاء الأشجعي ، عن أبيه ، عن ابن عمر في قوله تعالىٰ : ﴿ **يوم نطوي السماء كطيّ السجل للكتاب** ﴾ ، قال : السجل ملك ، فإذا صعد بالاستغفار قال : اكتبها نورًا .

وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن ابن يمان [به][٥] .

قال ابن أبي حاتم : وروي عن أبي [جعفر][٦] محمد بن عليّ بن الحسين أن السجل ملك .

وقال السدي في هذه الآية : السجل ملك موكل بالصحف ، فإذا مات الإنسان رفع كتابه إلىٰ السجل فطواه ، ورفعه إلىٰ يوم القيامة .

وقيل : المراد [به][٧] اسم رجل صحابي كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم الوحي .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا نصر بن عليّ الجهضمي ، حدثنا نوح بن قيس ، عن عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس : [﴿ **يوم نطوي السماء كطيّ السجل للكتب** ﴾ ، قال : السجل هو الرجل .

قال نوح : وأخبرني يزيد بن كعب - هو العَوْذي - عن عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس][٨] قال : السجل كاتب للنبي صلىٰ الله عليه وسلم .

وهكذا رواه أبو داود والنسائي(٦٠) عن قتيبة بن سعيد ، عن نوح بن قيس ، عن يزيد بن

(٦٠) سنن أبي داود برقم (٢٩٣٥) ، وسنن النسائي الكبرى برقم (١١٣٣٥) .

[١] - في ت : « سلمة » .
[٢] - في ت : « الواصل » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « أبان » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « حفص » .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - سقط من : ز .

كعب ، عن عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : السجل كاتب للنبي صلى الله عليه وسلم .

ورواه ابن جرير عن نصر بن عليّ الجهضمي كما تقدم ، ورواه ابن عدي(٦١) من رواية يحيىٰ بن عمرو بن مالك [النُّكريّ][١] ، عن أبيه ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس قال : كان لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كاتب يسمَّىٰ السجل ، وهو قوله : ﴿ **يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب** ﴾ ، قال : كما يطوي السجل الكتاب ، كذلك نطوي السماء ، ثم قال : وهو غير محفوظ .

وقال الخطيب البغدادي في تاريخه (٦٢) : أنبأنا أبو بكر البَرْقاني ، أنبأنا محمد بن محمد ابن يعقوب الحجاجي ، أنبأنا أحمد بن الحسن الكرخي ، أن حمدان بن سعيد حدثهم ، عن عبد الله بن نمير ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : السجل كاتب للنبي صلى الله عليه وسلم. وهذا منكر جدًّا من حديث نافع عن ابن عمر لا يصح أصلًا ، وكذلك ما تقدم عن ابن عباس من رواية أبي داود وغيره ، لا يصح أيضًا . وقد صرح جماعة من الحفاظ بوضعه - وإن كان في سنن أبي داود - منهم : شيخنا الحافظ الكبير أبو الحجاج المزي فسح الله في عمره ، ونسأ في أجله ، وختم له بصالح عمله ، وقد أفردت لهذا الحديث جزءًا علىٰ حدة ، ولله الحمد .

وقد تصدىٰ الإمام أبو جعفر بن جرير للإنكار علىٰ هذا الحديث ، ورده أتم ردٍّ ، وقال : لا يعرف في الصحابة أحد اسمه السجل ، وكتاب النبي، صلىٰ الله عليه وسلم، [معروفون][٢] ، وليس فيهم أحد اسمه السجل . وصدق - رحمه الله - في ذلك ، وهو من أقوىٰ الأدلة علىٰ [نكارة][٣] هذا الحديث . وأما مَنْ ذكر في أسماء الصحابة هذا ، فإنما اعتمد علىٰ هذا الحديث ، لا علىٰ غيره ، والله أعلم .

والصحيح عن ابن عباس أن السجل هيٰ الصحيفة ، قاله عليّ بن أبي طلحة [والعوفي][٤] عنه . ونص علىٰ ذلك مجاهد وقتادة وغير واحد ، واختاره ابن جرير ؛ لأنه المعروف في اللغة ، فعلىٰ هذا يكون معنىٰ الكلام : ﴿ **يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب** ﴾ أي : علىٰ الكتاب ، بمعنى المكتوب ؛ كقوله : ﴿ **فلما أسلما وتله للجبين** ﴾ أي : على الجبين ، وله نظائر في اللغة ، والله أعلم .

(٦١) الكامل (٢٠٥/٧) .

(٦٢) تاريخ بغداد (١٧٥/٨) .

[١] - في ز : « البكري » .

[٢] - في ز : « معروفين » .

[٣] - في ز : « إنكاره » .

[٤] - سقط من : ز .

وقوله : ﴿ **كما بدأنا أول خلق نعيده وعدًا علينا إنا كنا فاعلين** ﴾ ، يعني : هذا كائن لا محالة ، يوم يعيد اللَّه الخلائق خلقًا جديدًا ، كما بدأهم هو القادر علىٰ إعادتهم ، وذلك واجب الوقوع ؛ لأنه من جملة وعد اللَّه الذي لا يخلف ولا يبدل ، وهو القادر علىٰ ذلك ، ولهذا قال : ﴿ **إنا كنا فاعلين** ﴾ .

قال الإمام أحمد (٦٣) : حدثنا وكيع وابن جعفر [وعفان][١] - المعنىٰ - [قالوا :][٢] حدثنا شعبة ، عن المغيرة بن النعمان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قام فينا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بموعظة فقال : « **إنكم محشورون إلىٰ اللَّه - عز وجل - حفاة [عراة][٣] غُرلًا** ﴿ **كما بدأنا أول خلق نعيده وعدًا علينا إنا كنا فاعلين** ﴾ . وذكر تمام الحديث .

أخرجاه في الصحيحين من حديث شعبة ، ورواه البخاري عند هذه الآية في كتابه . وقد روىٰ ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد ، عن عائشة ، عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، نحو ذلك .

وقال العَوفي عن ابن عباس في قوله : ﴿ **كما بدأنا أول خلق نعيده** ﴾ قال : نهلك كل شيء كما كان أول مرة .

وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّـٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَـٰذَا لَبَلَـٰغًا لِّقَوْمٍ عَـٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عما حتمه وقضاه لعباده الصالحين ، من السعادة في الدنيا والآخرة ، ووراثة الأرض في الدنيا والآخرة ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **إن الأرض للَّه يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين** ﴾ . [وقال][٤] : ﴿ **إنَّا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد** ﴾ وقال : ﴿ **وعد اللَّه الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضىٰ لهم** ﴾ . الآية .

---

(٦٣) المسند (١/٢٣٥) ، وصحيح البخاري برقم (٤٦٢٥) ، (٤٧٤٠) ، وصحيح مسلم برقم (٢٨٦٠) .

---

[١] - سقط من ت .
[٢] - في ت : « قالا » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من : ز .

وأخبر تعالىٰ أن هذا مكتوب مسطور في الكتب الشرعية والقدرية فهو كائن لا محالة ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر** ﴾ .

[قال الأعمش : سألت سعيد بن جبير عن قوله تعالىٰ : ﴿ **ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر** ﴾][١] ؟، فقال : الزبور : التوراة ، والإِنجيل ، والقرآن .

وقال مجاهد : الزبور : الكتاب .

وقال ابن عباس والشعبي والحسن وقتادة وغير واحد : الزبور : الذي أنزل علىٰ داود ، والذكر : التوراة .

وعن ابن عباس : الزبور : القرآن . وقال سعيد بن جبير : الذكر الذي في السماء .

وقال مجاهد : الزبور : الكتب بعد الذكر ، والذكر : أم الكتاب عند اللّٰه .

واختار ذلك ابن جرير - رحمه اللّٰه - وكذا قال زيد بن أسلم : [هو][٢] الكتاب الأول . وقال الثوري : هو اللوح المحفوظ . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : الزبور : الكتب التي نُزّلت علىٰ الأنبياء ، والذكر : أم الكتاب الذي يكتب فيه [الأشياء][٣] قبل ذلك .

وقال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس : أخبر اللّٰه - سبحانه وتعالىٰ - في التوراة والزبور وسابق علمه قبل أن تكون السموات والأرض ، أن يورث أمة محمد صلىٰ اللّٰه عليه وسلم الأرض ، ويدخلهم الجنة ، وهم الصالحون .

وقال مجاهد : عن ابن عباس : ﴿ **أن الأرض يرثها عبادي الصالحون** ﴾ ، قال : أرض الجنة . وكذا قال أبو العالية ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير والشعبي ، وقتادة ، والسدي وأبو صالح ، والربيع بن أنس ، والثوري .

وقال أبو الدرداء : نحن الصالحون .

وقال السديُّ : هم المؤمنون .

وقوله : ﴿ **إن في هذا لبلاغًا لقوم عابدين** ﴾ . أي : إن في هذا القرآن الذي أنزلناه علىٰ عبدنا محمد صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ﴿ **لبلاغًا** ﴾ : لَمَنْفعةً وكفاية ﴿ **لقوم عابدين** ﴾ ،

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ز: « وهو » .

[٣] - في ز: « الأنبياء » .

وهم الذين عبدوا اللّٰه بما شرعه وأحبه ورضيه ، وآثروا طاعة اللّٰه على طاعة الشيطان وشهوات أنفسهم .

وقوله : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ . يخبر تعالىٰ أن اللّٰه جعل محمدًا صلى اللّٰه عليه وسلم رحمة للعالمين ، أي : أرسله رحمة لهم كلهم ، فمن قبل هذه الرحمة ، وشكر هذه النعمة ، سعد في الدنيا والآخرة ، ومن ردها وجحدها خسر في الدنيا والآخرة ، كما قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **ألم تر إلىٰ الذين بدلوا نعمة اللّٰه كفرًا وأحلوا قومهم دار البوار * جهنم يصلونها [وبئس][١] القرار** ﴾ . وقال اللّٰه تعالىٰ في صفة القرآن : ﴿ **قل : هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر ، وهو عليهم عمى ، أولئك ينادون من مكان بعيد** ﴾.

وقال مسلم في صحيحه(٦٤) : حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا مروان الفزاري ، عن يزيد بن كيسان ، عن ابن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال : قيل : يا رسول اللّٰه ، ادع على المشركين . قال : « إني لم أبعث لعانًا ، وإنما بعثت رحمة » . انفرد بإخراجه مسلم .

وفي الحديث الآخر(٦٥) : « إنما أنا رحمة مهداة » . رواه عبد اللّٰه بن أبي عرابة وغيره ، عن وكيع ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة مرفوعًا . قال إبراهيم الحربي : وقد رواه غيره عن وكيع فلم يذكر أبا هريرة ، وكذا قال البخاري ، وقد سئل عن هذا الحديث فقال : كان عند حفص بن [غياث][٢] مرسلًا .

وقال الحافظ ابن عساكر : وقد رواه مالك [ابن سعير بن الخمس][٣] عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة مرفوعًا . ثم ساقه من طريق أبي بكر بن المقري وأبي أحمد الحاكم ، كلاهما عن بكر بن محمد بن إبراهيم [الصوفي][٤] ، حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، عن أبي أسامة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن [قيس][٥] بن أبي حازم ، عن

(٦٤) صحيح مسلم برقم (٢٥٥٩) .

(٦٥) رواه أبو الحسن السكرى في « الفوائد المنتقاة » (٢/١٥٧) . كما في السلسلة الصحيحة (٨٠٣/١) للألباني - حدثنا عبد الله بن محمد بن أسد ، حدثنا حاتم بن منصور الشاشي قال : حدثنا عبد الله بن أبي عرابة الشاشي به .

ورواه غيره متصلًا :

فرواه عبد لله بن نصر الأصم ، عن وكيع ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة مرفوعًا . أخرجه

[١] - في ز : « فبئس » .

[٢] - في ز : «عتاب » .

[٣] - في ز : « بن سعيد بن الحميص » .

[٤] - في ز : « الصرفي » .

[٥] - في ز : « حسن » .

أبي هريرة قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « إنما أنا رحمة مهداة » .

ثم أورده من طريق الصلت بن مسعود ، عن سفيان بن عيينة ، عن مسعر ، عن سعيد بن خالد ، عن رجل ، عن ابن عمر قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « إن اللّه بعثني رحمة مهداة ، بعثت برفع قوم وخفض آخرين » .

قال أبو القاسم الطبراني : حدثنا أحمد بن محمد بن نافع الطحان ، حدثنا أحمد بن صالح قال : وجدت كتابًا بالمدينة عن عبد العزيز الدراوردي وإبراهيم بن محمد بن [عبد العزيز بن][١] عمر ابن عبد الرحمن [بن عبد العزيز بن عمرو][٢] بن عوف ، عن محمد بن صالح التمار ، عن [ابن شهاب][٣] ، عن محمد بن [جبير][٤] بن مطعم ، عن أبيه قال : قال أبو جهل حين قدم [مكة][٥] منصرفه عن حمزة - :

يا معشر قريش ، إن محمدًا نزل يثرب وأرسل طلائعه ، وإنما يريد أن يصيب منكم شيئًا ، فاحذروا أن تمروا طريقه أو [تقاربوه][٦] فإنه كالأسد الضاري ، إنه حنق عليكم ؛ لأنكم نفيتموه نفي القردان عن [المناسم][٧] ، واللّه إن له لَسَحَرَةً ، ما رأيته قط ولا أحدًا من أصحابه إلا رأيت معهم الشيطان ، وإنكم قد عرفتم عداوة ابنيْ قَيلَةَ - يعني الأوس والخزرج - لهو عدو استعان بعدو ، فقال له مطعم بن عدي : يا أبا الحكم ، واللّه ما رأيت أحدًا أصدق لسانًا ولا أصدق موعدًا من أخيكم الذي طردتم ، وإذ فعلتم الذي فعلتم فكونوا أكف الناس عنه . قال [أبو سفيان][٨] بن الحارث : كونوا أشد ما كنتم عليه ، فإنَّ ابني قَيلَة إن ظفروا بكم لم يرقبوا فيكم إلّا ولا ذمة ، وإن أطعتموني ألجأتموهم خير كنانة ، أو تخرجوا محمدًا من بين ظهرانيهم ، فيكون وحيدًا مطرودًا ، وأما [ابنا قيلة فواللّه ماهما][٩] وأهل دهلك في المذلة إلّا سواء ، وسأكفيكم حدهم ، وقال :

سَأَمْنَحُ جانبًا مني غليظًا على ما كان من قُرب وبُعْد

ابن عدي في الكامل (٢٣١/٤) من طريق عمر بن سنان ، عن عبد الله بن نصر .

وقال : « هكذا حدثناه عمر بن سنان ، عن عبد الله بن نصر ، عن وكيع ، عن الأعمش ، وهذا غير محفوظ عن وكيع ، عن الأعمش ، إنما يرويه مالك بن سعيد ، عن الأعمش ، وعبد الله بن نصر هذا له غير ما ذكرت مما أنكرت عليه » .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - زيادة من : ز .

[٣] - بياض في : ز .

[٤] - في ز : « حسين » .

[٥] - في ز : « سلمة » .

[٦] - في ز : « تحاربوه » .

[٧] - في ز : « المياسم » .

[٨] - بياض في : ز .

[٩] - بياض في : ز .

رجالُ الخزْرَجيَّة أهْلُ ذُلٍّ إذا ما كان هَزْلٌ بعد جد

فبلغ ذلك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال : « والذي نفسي بيده ، لأقتلنهم ولأصلبنهم ولأهدينهم وهم كارهون ، إني رحمة بعثني الله ، ولا يتوفاني حتىٰ يظهر الله دينه ، لي خمسة أسماء : أنا محمد ، وأحمد ، وأنا الماحي الذي يمحي الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب » . [وقال][١] أحمد بن صالح : أرجو أن يكون الحديث صحيحًا .

وقال الإمام أحمد(٦٦) : حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا زائدة ، حدثني عمرو بن قيس ، عن عمرو بن أبي قرّة الكندي قال : كان حذيفة بالمدائن ، فكان يذكر أشياء قالها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فجاء حذيفة إلىٰ سلمان ، فقال سلمان : يا حذيفة ، إن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم [كان يغضب فيقول ، ويرضىٰ فيقول ، لقد علمت أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم][٢] خطب فقال : « أيما رجل من أمتي سببته [سبة][٣] في غَضَبي أو لعنته لعنةً ، فإنما أنا رجل من ولد آدم ، أغضب كما يغضبون ، وإنما بعثني رحمة للعالمين ، فاجعلها صلاة عليه يوم القيامة » . ورواه أبو داود عن أحمد بن يونس عن زائدة .

فإن قيل : فأي رحمة حصلت لمن كفر به ؟ فالجواب ما رواه أبو جعفر بن جرير : حدثنا إسحاق بن شاهين ، حدثنا إسحاق الأزرق ، عن المسعودي ، عن رجل يقال له : سعيد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ ، قال : من آمن بالله واليوم الآخر ، كتب له الرحمة في الدنيا والآخرة ، ومن لم يؤمن بالله ورسوله عوفي مما أصاب الأمم من الخسف والقذف .

وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث المسعودي ، عن أبي سعد - وهو سعيد بن المرزُبان البقّال - عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، فذكره بنحوه ، والله أعلم .

وقد رواه أبو القاسم الطبراني(٦٧) : عن عبدان بن أحمد ، عن عيسىٰ بن يونس الرّملي ،

(٦٦) - أخرجه أحمد (٥/٤٣٧) (٢٣٨١٣) والبخاري في الأدب المفرد ، باب : الخروج إلى المبقلة وحمل الشئ وعلى عاتقه إلى أهله بالزبيل حديث رقم (٢٣٤) . وأبو داود في كتاب السنة ، باب : في النهى عن سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤/٢١٤،٢١٥/رقم : ٤٦٥٩) . كلاهما من طريق عمر بن قيس الماصر به .

(٦٧) المعجم الكبير (٢/١٢٣) .

[١] - سقط من : ز .

[٢] - بياض في : ز .

[٣] - سقط من : ز .

عن أيوب بن سويد ، عن المسعودي ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ ، قال : من تبعه كان له رحمة في الدنيا والآخرة ، ومن لم يتبعه عوفي مما كان يبتلىٰ به سائر الأمم من الخسف والمسخ والقذف .

قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

يقول تعالىٰ آمرًا رسوله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أن يقول للمشركين : ﴿ إنما يوحىٰ إليَّ أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون ﴾ . أي : متبعون علىٰ ذلك ، مستسلمون منقادون له ﴿ فإن تولوا ﴾ أي : تركوا ما دعوتَهم إليه ﴿ فقل : آذنتكم علىٰ سواء ﴾ أي : أعلمتكم [أني][١] حَرْب لكم ، كما أنكم حرب لي ، بريء منكم كما أنكم برآء مني ، كقوله : ﴿ [وإن][٢] كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون ﴾ . وقال ﴿ وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء ﴾ . أي : [ليكن][٣] علمك وعلمهم بنبذ العهود علىٰ السواء ، وهكذا هٰهنا ، ﴿ فإن تولوا فقل : آذنتكم علىٰ سواء ﴾ ، أي : [أعلمتكم][٤] ببراءتي منكم ، وبراءتكم مني ، لعلمي بذلك .

وقوله : ﴿ وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون ﴾ ، أي : هو واقع لا محالة ، ولكن لا علم لي بقربه ولا ببعده ، ﴿ إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون ﴾ ، أي : إن اللّٰه يعلم الغيب جميعه ، ويعلم ما يظهره العباد وما يسرون ، يعلم الظواهر والضمائر ، ويعلم السر وأخفىٰ ، ويعلم ما العباد عاملون في أجهارهم وأسرارهم ، وسيجزيهم علىٰ ذلك ، علىٰ القليل والجليل .

وقوله : ﴿ وإن أدري لعله فتنةٌ لكم ومتاعٌ إلى حين ﴾ أي : وما أدري لعل هذا فتنة لكم ومتاع إلى حين .

---

[١] - في ز : « أي » .
[٢] - في ز : « فإن » .
[٣] - في ز : « لكن » .
[٤] - في ز : « أعلمكم » .

قال ابن جرير : لعل تأخير ذلك عنكم فتنة لكم ، ومتاع إلىٰ أجل مسمى . وحكاه عون عن ابن عباس ، واللَّه أعلم . ﴿ [قال][١] **ربي احكم بالحق** ﴾ ، أي : افصل بيننا وبين قومنا المكذبين بالحق .

قال قتادة : كان الأنبياء - عليهم السلام - يقولون : ﴿ **ربنا ؛ افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين** ﴾ . وأُمِرَ رسولُ اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أن يقولَ ذلك .

وعن مالك عن زيد بن أسلم : كان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم إذا شهد قتالاً قال : ربي ؛ احكم بالحق .

وقوله : ﴿ **وربنا الرحمن المستعان علىٰ ما تصفون** ﴾ . أي : علىٰ ما يقولون ويفترون من الكذب ، ويتنوعون في مقامات التكذيب والإفك ، [واللَّه][٢] المستعان عليكم في ذلك .

[آخر تفسير سورة الأنبياء » عليهم السلام : وللَّه الحمد والمنة][٣] .

انتهى بحمد الله تعالى وحسن توفيقه المجلد التاسع

ويليه العاشر وأوله تفسير سورة الحج

---

[١] - في ز : « قل » .

[٢] - في ز : « اللَّه » .

[١] . في ز : « والحمد للَّه » .

تفسير

القرآن العظيم

للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء
إسماعيل بن كثير الدمشقي
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

هذه الطبعة أول طبعة مقابلة على النسخة الأزهرية
وكذلك على نسخة كاملة بدار الكتب المصرية

تحقيق

مصطفى السيد محمد — محمد السيد رشاد
محمد فضل العجماوي — علي أحمد عبد الباقي
حسن عباس قطب

المجلد العاشر

مؤسسة قرطبة
طباعة . نشر . توزيع
جيزة - ت : ٥٨١٥٠٢٧

مكتبة أولاد الشيخ للتراث
٣٦ ش اليابان - عمرانية غربية - جيزة
ت : ٥٦٢٨٣١٨ - ٥٦١١٤٤٢

رقم الإيداع : ٩٣٤٩ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولى : I.S.B.N
977 - 5234 - 33 - 6

الطبعة الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر هاتف: ٢٠٥٥٦٨٨-٤٣٠٧٥٢٦ القاهرة

تفسير

القرآن العظيم

تفسير سورة الحج

وهي مدنية

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢﴾

يقول تعالىٰ آمرًا عباده بتقواه ، ومخبرًا لهم بما يستقبلون من أهوال يوم القيامة وزلازلها وأحوالها . وقد اختلف المفسرون في زلزلة الساعة ، هل هي بعد قيام الناس من قبورهم يوم نشورهم إلىٰ عَرَصات القيامة ؟ أو ذلك عبارة عن زلزلة الأرض قبل قيام الناس من أجداثهم ؟ كما قال تعالىٰ : ﴿ **إذا زلزلت الأرض زلزالها * وأخرجت الأرض أثقالها** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذٍ وقعت الواقعة** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **إذا رجت الأرض رجًّا وبست الجبال بسًّا ، فكانت هباءً منبثًّا** ﴾ فقال قائلون : هذه الزلزلة كائنة في آخر عمر الدنيا ، وأول أحوال الساعة .

وقال ابن جرير (١) : حدثنا ابن بشار ، حدثنا يحيىٰ ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة في قوله : ﴿ **إن زلزلة الساعة شيء عظيم** ﴾ . قال : قبل الساعة . ورواه ابن أبي حاتم من حديث الثوري ، عن منصور والأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، فذكره . قال : ورُوي عن الشعبي ، وإبراهيم ، وعبيد بن عمير ، نحو ذلك .

وقال أبو كدينة عن عطاء ، عن عامر الشعبي : ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم** ﴾ الآية . قال : هذا في الدنيا قبل يوم القيامة .

وقد أورد الإمام أبو جعفر بن جرير (٢) مُسْتَنَدَ مَنْ قال ذلك في حديث الصُّور ، من رواية إسماعيل بن رافع قاضي أهل المدينة ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن رجل من الأنصار ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن رجل ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن الله لما فرغ من خلق السماوات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل ، فهو**

---

(١) - تفسير ابن جرير (١٧/١٠٩) .

(٢) - تفسير ابن جرير (١٧/١٠٩) ، قال : حدثني سليمان بن عبد الجبار ؛ قال : ثنا محمد بن الصلت قال : ثنا أبو كدينة به ، فذكره .

واضعه علىٰ فيه ، شاخص ببصره إلىٰ العرش ، ينتظر متىٰ يؤمر » .

قال أبو هريرة : يا رسول الله ، وما الصور ؟ قال : « **قَرْن** » . قال : فكيف هو ؟ قال : « **قرن عظيم ، ينفخ فيه[١] ثلاث نفخات ؛ الأولىٰ : نفخة الفزع ، والثانية : نفخة الصَّعْق ، والثالثة : نفخة القيام لرب العالمين ، يأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولىٰ ، فيقول : انفخ نفخة الفزع . فيفزع أهل السماوات وأهل الأرض ، إلا من شاء الله ، ويأمره فيمدها ويطولها ولا يَفْتُر ، وهي التي يقول الله تعالىٰ : ﴿ وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة مالها من فواق ﴾** فَيُسَيِّرُ الله الجبال فتكون سرابًا ، وتُرَجُّ الأرض بأهلها رجًّا ، وهي التي يقول الله تعالىٰ : **﴿ يوم ترجف الراجفة * تتبعها الرادفة * قلوب يومئذ واجفة ﴾** فتكون الأرض كالسفينة المُوبَقَة[٢] في البحر تضربها الأمواج تكفؤها[٣] بأهلها ، وكالقنديل المعلق بالعرش ترجحه الأرواح ، فيمتد الناس علىٰ ظهرها ، فتذهل المراضع ، وتضع الحوامل ، ويشيب الولدان ، وتطير الشياطين هاربة ، حتىٰ تأتي الأقطار ، فتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها ، فترجع ، ويولي الناس مدبرين ، ينادي بعضهم بعضًا ، وهو الذي يقول الله تعالىٰ : **﴿ يوم التناد * يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد ﴾** . فبينما هم علىٰ ذلك ، إذ تصدعت[٤] الأرض من قطر إلىٰ قطر ، فرأوا أمرًا عظيمًا ، فأخذهم لذلك من الكرب ما الله أعلم به ، ثم نظروا إلىٰ السماء فإذا هي كالمهل ، ثم خسف شمسها وخُسِفَ قمرها ، وانتثرت نجومها ، ثم كُشِطت عنهم » .

قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **والأموات لا يعلمون بشيء من ذلك** » . قال أبو هريرة : ثم[٥] استثنىٰ الله حين يقول : **﴿ ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ﴾** قال : « **أولئك الشهداء ، وإنما يصل الفزع إلي الأحياء ، أولئك أحياء عند ربهم يرزقون ، وقاهم الله شر ذلك اليوم وآمنهم ، وهو عذاب الله يبعثه علي شرار خلقه ، وهو الذي يقول الله[٦] : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم * يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترىٰ الناس سكارىٰ وما هم بسكارىٰ ولكن عذاب الله شديد ﴾** » .

وهذا الحديث قد رواه الطبراني، وابن جرير(٣) ، وابن أبي حاتم، وغير واحد مطولًا جدًّا ، والغرض منه أنه دل علىٰ أن هذه الزلزلة كائنة قبل يوم الساعة ، وأضيفت إلىٰ الساعة

(٣) - تفسير ابن جرير (١٧/١١٠) .

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ز : الموبنه . غير منقوطة .

[٣] - في ز : تكفها .

[٤] - في خ : انصدعت .

[٥] - في ت : « فمن » .

[٦] - سقط من ز .

لقربها منها ، كما يقال : أشراط الساعة ، ونحو[١] ذلك ، والله أعلم .

وقال آخرون : بل ذلك هول وفزع ، وزلزال وبَلبال ، كائن يوم القيامة في العَرَصات ، بعد القيام من القبور ، واختار ذلك ابن جرير ، واحتجوا بأحاديث :

الأول : قال الإمام أحمد(٤) : حدثنا يحيىٰ ، عن هشام ، حدثنا قتادة ، عن الحسن ، عن عمران بن حصين أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال وهو في بعض أسفاره ، وقد [تفاوت بين أصحابه السير][٢] ، رفع بهاتين الآيتين صوته : ﴿ **يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم * يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترىٰ الناس سكارىٰ وما هم بسكارىٰ ولكن عذاب الله شديد** ﴾ . فلما سمع أصحابه بذلك حَثّوا المطيّ ، وعرفوا أنه عند قول يقوله ، فلما تأشّبوا[٣] حوله قال : « **أتدرون أي يوم ذاك[٤] ؟ ذاك يوم يُنادَىٰ آدم - عليه السلام - فيناديه ربه - عز وجل - فيقول : يا آدم ، ابعث بعثك إلىٰ النار . فيقول : يارب ؛ وما بعث النار ؟ فيقول : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون في النار ، وواحد في الجنة** » . قال : فأبلس أصحابه حتىٰ ما أوضحوا بضاحكة ، فلما رأىٰ ذلك قال : « **أبشروا واعملوا[٥] ، فوالذي نفس محمد بيده إنكم لمع خليقتين ما كانتا مع شيء قط إلّا كثرتاه ؛ يأجوج ومأجوج ، ومن هلك من بني آدم وبني إبليس** ». قال : فسري عنهم ثم قال : « **اعملوا وأبشروا ، فوالذي نفس محمد بيده ما أنتم في الناس إلّا كالشامة في جنب البعير ، أو الرقمة(*) في ذراع الدابة** » . وهكذا رواه الترمذي والنسائي في كتاب التفسير من سننيهما ، عن محمد بن بشار ، عن يحيى - وهو القطان - عن هشام - وهو الدستوائي - عن قتادة ، به بنحوه . وقال الترمذي : حسن صحيح .

---

(٤) - المسند (٤/٤٣٥) (١٩٩٥٥) . وأخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الحج ، حديث : (٣١٦٨،٣١٦٩) ، (٥/٣٠٢-٣٠٣) . والنسائي في « السنن الكبرى » في كتاب التفسير ، باب : سورة الحج ، قوله تعالي : ﴿ **وترى الناس سكارى وما هم بسكارى** ﴾ ، حديث (١١٣٤٠) (٦/ ٤١٠) ، والحميدي في « مسنده » : برقم (٨٣١) ، (٢/٣٦٧-٣٦٨) .

والحاكم في المستدرك (١/٢٨-٢٩) . ورواه أحمد برقم : (١٩٩٥٥-١٩٩٥٦) .

قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح قد رُوى من غير وجه عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بطوله ، والذي عندي أنهما قد =

---

[١] - في ز : وهو .

[٢] - ما بين المعكوفين في ز : « تقارب من أصحابه المسير » .

[٣] - في ت : « تأشهوا » . [٤] - في خ ، ز : « ذلك » .

[٥] - في ز : واعلموا .

(طريق أخرىٰ لهذا الحديث) قال[١] الترمذي(٥) : حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان ابن عيينة ، حدثنا ابن جدعان ، عن الحسن ، عن عمران بن حصين ، أن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال لما نزلت : ﴿ **يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم** ﴾ إلي قوله : ﴿ **ولكن عذاب اللّٰه شديد** ﴾ . قال : أنزلت عليه هذه[٢] الآية وهو في سفر ، فقال : « **أتدرون أي يوم ذلك ؟** » فقالوا : اللّٰه ورسوله أعلم . قال : « **ذلك يوم يقول اللّٰه لآدم : ابعث بعث النار . قال : يارب ، وما بعث النار ؟ قال : تسعمائة وتسعة وتسعون إلىٰ النار ، وواحد إلى[٣] الجنة!** » . فأنشأ المسلمون يبكون ، فقال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **قاربوا وسددوا ، فإنها لم تكن نبوة قط إلا كان بين يديها جاهلية** » . قال : « **فيؤخذ العدد من الجاهلية ، فإن تمت وإلا كملت من المنافقين ، وما مثلكم والأمم إلا**

= تخرجا من ذلك خشية الإرسال ، وقد سمع الحسن عن عمران بن حصين ، وهذه الزيادات التي في هذا المتن أكثرها عند معمر عن قتادة عن أنس ، وهو صحيح على شرطهما جميعًا ولم يخرجاه ولا واحد منهما وللحديث شاهد في الصحيح عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة .

١ - حديث أبي سعيد الخدري :

أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب : قوله عز وجل : ﴿ **إن زلزلة الساعة شيء عظيم** ﴾ ، حديث (٦٥٣٠) ، (٣٨٨/١١) . ومسلم في كتاب الإيمان ، باب : قوله : يقول الله لآدم : « أخرج بعث النار » ، حديث (٣٧٩-٢٢٢/٣٨٠) (١٢٣:١٢١/٣) . والنسائي في « السنن الكبرى » في كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ **وترى الناس سكارى وما هم بسكارى** ﴾ حديث (١١٣٣٩)، (٦/ ٤٠٩) . من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري به .

٢ - حديث أبي هريرة : أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب : الحشر ، حديث (٦٥٢٩) ، (١١/ ٣٧٨) . من طريق سليمان عن ثور عن أبي الغيث عن أبي هريرة .

وله شاهد أيضًا من حديث أنس . أخرجه أبو يعلى في مسنده برقم (٣١٢٢) (٤٣٠/٥-٤٣١) . والحاكم في « مستدركه » : (٢٩/١) . وابن حبان في صحيحه برقم (١٧٥٢) ، (٤٢٧/٥- موارد) كلهم من طريق معمر ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٣٩٧/١٠) وقال : رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن مهدي وهو ثقة . اهـ

ومحمد بن مهدي هذا الذي وثقه الهيثمي ، ترجم له ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (١٠٦/١/١) برقم : (٤٥٦) وقال عنه : محمد بن مهدي الأيلي روى عن أبي داود الطيالسي ، روى عنه أبو زرعة رحمه الله . اهـ .

(*) الرَّقْمَة هنا : الهَنَةُ الناتئة في ذِراع الدَّابَّة من داخل ، وهما رقمتان في ذراعيها . نهاية [٢/ ٢٥٤] .

(٥) - رواه الترمذي كتاب التفسير ، باب ومن سورة الحج ، الحديث (٣١٦٨) .

---

[١] - في ز : وقال . [٢] - بعده في ت : الآية .

[٣] - في خ : في .

كمثل الرقمة في ذراع الدابة ، أو كالشامة في جنب البعير » . ثم قال : « **إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة** » . فكبروا ، ثم قال : « **إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة** » . فكبروا ثم قال : « **إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة** » . فكبروا ، قال : ولا أدري أقال الثلثين أم لا . وكذا رواه الإمام أحمد(٦) عن سفيان بن عيينة به . ثم قال الترمذي أيضًا : هذا حديث حسن[١] صحيح .

وقد روي عن [سعيد بن أبي][٢]عروبة ، عن الحسن ، عن عمران بن الحصين . وقد رواه ابن أبي حاتم من حديث سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن الحسن والعلاء بن زياد العدوي ، عن عمران بن الحصين ، فذكره .

وهكذا روىٰ ابن جرير(٧) عن بندار ، عن غندر ، عن عوف ، عن الحسن ؛ قال : بلغني أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، لما قفل من غزوة العسرة[٣] ومعه أصحابه بعد ما شارف المدينة قرأ : ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم** ﴾ وذكر الحديث ، فذكر[٤] نحو سياق ابن جدعان ، فالله أعلم .

(الحديث الثاني) قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا ابن الطباع حدثنا أبو[٥] سفيان المعمري ، عن معمر ، عن قتادة ، عن أنس ؛ قال : نزلت : ﴿ **إن زلزلة الساعة شيء عظيم** ﴾ ... وذكر ، يعني : نحو سياق الحسن عن عمران ، غير أنه قال : « **ومن هلك من كفرة الجن والإنس** » ورواه ابن جرير(٨) بطوله من حديث معمر به[٦] .

(الحديث الثالث) قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا عباد - يعني ابن العوام - حدثنا هلال بن خبّاب[٧] ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ قال : تلا رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، هذه الآية ... فذكر نحوه ، وقال فيه : « **إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة** » . ثم قال : « **إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة** » ، ثم قال : « **إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة** » . ففرحوا ، وزاد أيضًا : « **وإنما أنتم**

---

(٦) - المسند (٤٣٢/٤) (١٩٩٣٧) .
(٧) - تفسير ابن جرير (١١١/١٧) .
(٨) - تفسير ابن جرير (١١٢/١٧) .

---

[١] - سقط من خ .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز : العسيرة .
[٤] - في خ : وذكر .
[٥] - في ز : ابن .
[٦] - سقط من ت .
[٧] - في ز : حباب .

جزء من ألف جزء » .

(الحديث الرابع) قال البخاري(٩) عند هذه الآية : حدثنا عمر بن حفص ، حدثنا أبي ، حدثنا الأعمش ، حدثنا أبو صالح ، عن أبي سعيد ؛ قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **يقول الله تعالىٰ يوم القيامة : يا آدم ؛ فيقول : لبيك ربنا وسعديك . فينادَى بصوت : إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثًا إلىٰ النار . قال : يارب ؛ وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف** » - أراه قال : « **تسعمائة وتسعة وتسعين** » - « **فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد ، ﴿ وترىٰ الناس سكارىٰ وما هم بسكارىٰ ولكن عذاب الله شديد ﴾** » . فشق ذلك علىٰ الناس حتىٰ تغيرت وجوههم . قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون**[١] **ومنكم واحد ، ثم أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض ، أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود ، وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة** » . فكبرنا ، ثم قال : « **ثلث أهل الجنة** » . فكبرنا ، ثم قال : « **شطر أهل الجنة** » . فكبرنا

وقد رواه البخاري أيضًا في غير هذا الموضع(١٠) ، ومسلم ، والنسائي في تفسيره ، من طرق ، عن الأعمش ، به .

(الحديث الخامس) قال الإمام أحمد(١١) : حدثنا عمار[٢] بن محمد - ابن أخت سفيان الثوري - وعبيدة - المعنىٰ - كلاهما عن إبراهيم بن مسلم ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن الله يبعث يوم القيامة مناديًا ينادي**[٣] **: يا آدم ؛ إن الله يأمرك أن تبعث بعثًا من ذريتك إلىٰ النار . فيقول آدم : يارب ؛ من هم ؟ فيقال له : من كل مائة تسعة وتسعين** » . فقال رجل [من القوم][٤] : من هذا الناجي منا بعد هذا يا رسول الله ؟ ! قال : « **هل تدرون ما أنتم في الناس إلا كالشَّامَة في صدر البعير** » .

---

(٩) - رواه البخاري كتاب التفسير ، باب : ﴿ **وترى الناس سكارى** ﴾ الحديث (٤٧٤١) (٨/ ٤٤١) .

(١٠) - رواه أيضًا في كتاب الرقاق ، باب قوله عز وجل : ﴿ **إن زلزلة الساعة شيء عظيم** ﴾ الحديث (٦٥٣٠) (٣٨٨/١١) . ومسلم كتاب الإيمان ، باب قوله : « يقول الله يا آدم أخرج بعث النار ... » الحديث (٢٢٢/٣٧٩) (١٢١/٣) . والنسائي في التفسير من الكبرى ، باب : ﴿ **وترى الناس سكارى وما هم بسكارى** ﴾ الحديث (١١٣٣٩) (٤٠٩/٦) .

(١١) - المسند (٣٨٨/١) .

---

[١] - في ت : « تسعين » .

[٢] - في ز : عمارة .

[٣] - سقط من ز .

[٤] - في خ : « منهم » .

[انفرد بهذا السند وهذا السياق الإمام أحمد][١] .

(الحديث السادس) قال الإمام أحمد(١٢) : حدثنا يحيىٰ ، عن حاتم بن أبي صَغِيرَةَ ، حدثنا ابن أبي مليكة ؛ أن القاسم بن محمد أخبره ، عن عائشة ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **إنكم تحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلًا** » . قالت عائشة : يا رسول الله ، الرجال والنساء ينظر بعضهم إلىٰ بعض ؟ قال : « **يا عائشة ، إن الأمر أشد من أن يهمهم ذلك** » أخرجاه في الصحيحين .

(الحديث السابع) قال الإمام أحمد(١٣) : حدثنا يحيىٰ بن إسحاق ، حدثنا ابن لهيعة ، عن خالد بن أبي عمران ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة ؛ قالت : قلت : يا رسول الله ، هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة ؟ قال : « **يا عائشة ؛ أما عند ثلاث فلا : أما عند الميزان حتىٰ يثقل أو يخف فلا ، وأما عند تطاير الكتب فإما يعطىٰ بيمينه أو يعطىٰ بشماله فلا ، وحين يخرج عُنُقٌ من النار فينطوي عليهم ، ويتغيظ عليهم ، ويقول ذلك العنق : وُكِلت بثلاثة ، وكِلت بثلاثة ، وكِلت بثلاثة : وكلت بمن ادعىٰ مع الله إلهًا آخر ، ووكلت بمن لا يؤمن بيوم الحساب ، ووكلت بكل جبار عنيد** » . قال : « **فينطوي عليهم ، ويرميهم في غمرات ، ولجهنم جسر أدق من الشعر ، وأحد من السيف ، عليه كلاليب وحسك يأخذن من شاء الله ، والناس عليه كالطَّرْف وكالبرق[٢] وكالريح ، وكأجاويد الخيل والرّكاب ، والملائكة يقولون : رب سلم سلم . فناج مُسلَّم ، ومخدوش مسلَّم ، ومُكوّر في النار علىٰ وجهه** » .

والأحاديث في أهوال يوم القيامة والآثار[٣] كثيرة جدًّا ، لها موضع آخر ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **إن زلزلة الساعة شيء عظيم** ﴾ . أي : أمر كبير ، وخطب جليل ، وطارق مفظع ، وحادث هائل ، وكائن عجيب .

---

(١٢) - رواه أحمد في المسند (٥٣/٦) (٢٤٣٧٦) ، وأخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب : الحشر (٣٨٥/١١/رقم : ٦٥٢٧) . ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب : فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة . (٢١٩٤/٤/رقم : ٢٨٥٩) . والنسائي في كتاب الجنائز ، باب : البعث (٤/ ١١٤، ١١٥/ رقم : ٢٠٨٣، ٢٠٨٤) . وفي الكبرى في كتاب التفسير ، باب : سورة عبس (٥٠٧/٦/رقم : ١١٦٤٨) . وابن ماجة في كتاب الزهد ، باب : ذكر البعث (١٤٢٩/٢/رقم : ٤٢٧٦) . كلهم من حديث عائشة رضي الله عنها .

(١٣) - أخرجه أحمد في المسند (١١٠/٦) (٢٤٩٠٥) وإسناده ضعيف من أجل ابن لهيعة . عزاه =

---

[١] - سقط من ت .

[٢] - في ز : والبرق .

[٣] - في خ : « والأحاديث » .

والزلزال هو: ما يحصل للنفوس من الرعب والفزع ، كما قال تعالى: ﴿ **هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالًا شديدًا** ﴾ ثم قال تعالىٰ : ﴿ **يوم ترونها** ﴾. هذا من باب ضمير الشأن ، ولهذا قال مفسرًا له : ﴿ **تذهل كل مرضعة عما أرضعت** ﴾ . أي : تشتغل لهول ما ترىٰ عن أحب الناس إليها ، والتي هي أشفق الناس عليه ، تدهش عنه في حال إرضاعها له ، ولهذا قال : ﴿ **كل مرضعة** ﴾ ، ولم يقل : مرضع. وقال: ﴿ **عما أرضعت** ﴾ أي: عن رضيعها قبل فطامه .

وقوله : ﴿ **وتضع كل ذات حمل حملها** ﴾ . أي : قبل تمامه لشدة الهول ، ﴿ **وترىٰ الناس سكارىٰ** ﴾ وقرئ ﴿ **سكرىٰ** ﴾(*) ، أي : من شدة الأمر الذي صاروا فيه قد دهشت عقولهم ، وغابت أذهانهم ، فمن رآهم حسب أنهم سكارىٰ ، ﴿ **وما هم بسكارىٰ ولكن عذاب الله شديد** ﴾ .

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ٣ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ٤ ﴾

يقول تعالىٰ ذامًّا لمن كذب بالبعث ، وأنكر قدرة الله علىٰ إحياء الموتىٰ ، معرضًا عما أنزل الله علىٰ أنبيائه ، متبعًا في قوله وإنكاره وكفره كل شيطان مريد ؛ من الإنس والجن ، وهذا حال أهل البدع والضلال ، المعرضين عن الحق ، المتبعين للباطل ، يتركون ما أنزله الله علىٰ رسوله من الحق المبين ، ويتبعون[١] أقوال رءوس الضلالة ، الدعاة إلىٰ البدع بالأهواء والآراء ، ولهذا قال في شأنهم وأشباههم : ﴿ **ومن الناس من يجادل في الله بغير علم** ﴾ . أي : علم صحيح ، ﴿ **ويتبع كل شيطان مريد * كتب عليه** ﴾ قال مجاهد : يعني الشيطان ، يعني : كتب عليه كتابة قدرية ﴿ **أنه من تولاه** ﴾ . أي : اتبعه وقلده ﴿ **فأنه يضله ويهديه إلي عذاب السعير** ﴾ . أي : يضله في الدنيا ، ويقوده في الآخرة إلىٰ عذاب السعير : وهو الحار المؤلم المقلق المزعج .

وقد قال السديّ ، عن أبي مالك : نزلت هذه الآية في النضر بن الحارث ، وكذلك قال ابن جريج .

= الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٥٩/١٠) لأحمد . وقال : « قلت : عند أبي داود طرف منه - رواه أحمد وفيه ابن لهيعة ، وهو ضعيف وقد وثق ، وبقية رجاله رجال الصحيح» .

(*) - وهي قراءة حمزة والكسائي .

[١] - في ز : ويتبعوا .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عمرو بن سلم[١] البصري ، حدثنا عمرو بن [المحرم أبو][٢] قتادة ، حدثنا المعمر ، حدثنا أبو كعب المكيّ ؛ قال : قال خبيث من خبثاء قريش : أخبرنا عن ربكم ، من ذهب هو ، أو من فضة هو ، أو من نحاس هو ؟ فقعقعت السماء قعقعة - والقعقعة في كلام العرب : الرعد - فإذا قحْفُ رأسه ساقط بين يديه .

وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد : جاء يهودي فقال : يا محمد ، أخبرني عن ربك : من أي شيء هو ؟ من دُرٍّ أم من ياقوت ؟ قال : فجاءت صاعقة فأخذته .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ (٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ (٧) ﴾

لما ذكر تعالىٰ المخالف للبعث ، المنكر للمعاد ، ذكر تعالىٰ الدليل علىٰ قدرته تعالىٰ علىٰ المعاد ، بما يشاهد من بدئه للخلق ، فقال : ﴿ **يا أيها الناس إن كنتم في ريب** ﴾ . أي : في شك ﴿ **من البعث** ﴾ ، وهو المعاد وقيام الأرواح والأجساد يوم القيامة ، ﴿ **فإنا خلقناكم من تراب** ﴾ ، أي : أصل بَرْئه[٣] لكم من تراب ، وهو الذي خلق منه آدم - عليه السلام - ﴿ **ثم من نطفة** ﴾ ، أي : ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، ﴿ **ثم من علقة ثم من مضغة** ﴾ . وذلك أنه إذا استقرت النطفة في رحم المرأة ، مكثت أربعين يومًا كذلك ، يضاف إليه ما يجتمع إليها ، ثم تنقلب علقة حمراء بإذن اللّٰه ، فتمكث[٤] كذلك أربعين يومًا ، ثم تستحيل فتصير ﴿**مضغة**﴾ : قطعة من لحم لا شكل فيها ولا تخطيط ، ثم

---

[١] - في ز : مسلم .
[٢] - ما بين المعكوفين في ز : « المخرم بن » .
[٣] - في ز : تربة .
[٤] - في ز : فمكث .

يشرع في التشكل[١] والتخطيط ، فيصور منها رأس ويدان ، وصدر وبطن ، وفخذان ورجلان ، وسائر الأعضاء . فتارة تسقطها المرأة قبل التشكل[٢] والتخطيط ، وتارة تلقيها وقد صارت ذات شكل وتخطيط ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة** ﴾ . أي : كما تشاهدونها ، ﴿ **لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلي أجل مسمى** ﴾ . أي : وتارة تستقر في الرحم لا تلقيها المرأة ولا تسقطها ، كما قال مجاهد في قوله تعالىٰ : ﴿ **مخلقة وغير مخلقة** ﴾ .

قال : هو[٣] السقط[٤] مخلوق وغير مخلوق ، فإذا مضىٰ عليها أربعون يومًا وهي مضغة ، أرسل اللَّه تعالىٰ إليها ملكًا فنفخ فيها الروح ، وسواها كما يشاء اللَّه -عز وجل- من حسن وقبيح[٥] ، وذكر وأنثىٰ ، وكتب رزقها وأجلها ، وشقي أو سعيد ، كما ثبت في الصحيحين(١٤) من حديث الأعمش ، عن زيد بن وهب ، عن ابن مسعود ؛ قال : حدثنا رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وهو الصادق المصدوق : « **إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين ليلة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث اللَّه إليه الملك ، فيؤمر بأربع كلمات ؛ بكتب عمله ، ورزقه ، وأجله ، وشقي أو سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح** » .

وروىٰ ابن أبي حاتم وابن جرير(١٥) من حديث داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، عن علقمة ، عن عبد اللَّه ؛ قال : النطفة إذا استقرت في الرحم أخذها[٦] مَلَك بكفه ، قال : يارب ، مخلّقة أو غير مخلقة ؟ فإن قيل : غير مخلقة . لم تكن نَسَمة ، وقذفتها الأرحام دمًا ، وإن قيل : مخلقة . قال : أي رب ، ذكر أو أنثىٰ ؟ شقي أو سعيد ، ما الأجل ؟ وما الأثر ؟ وبأيّ أرض يموت ؟ قال : فيقال للنطفة : من ربك ؟ فتقول : اللَّه . فيقال : من رازقك ؟ فتقول : اللَّه . فيقال له : اذهب إلىٰ أم[٧] الكتاب ، فإنك ستجد فيه قصة هذه النطفة . قال : فتخلق فتعيش في أجلها ، وتأكل رزقها ، وتطأ[٨] أثرها ، حتى إذا جاء أجلها ماتت فدفنت في ذلك المكان[٩] . ثم تلا عامر الشعبي : ﴿ **يا أيها الناس إن كنتم في ريب**

(١٤) - تقدم في تفسير سورة مريم .

(١٥) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٠/ ١١٧) .

[١] - في خ : التشكيل .
[٢] - في خ : التشكيل .
[٣] - في ز ، خ : « هذا » .
[٤] - في ز : يسقط .
[٥] - في خ : قبح .
[٦] - في ز : جاءها .
[٧] - سقط من ز .
[٨] - في ز : « وتعطى وتعطا » . كذا بهذا الشكل ونفس التكرار .
[٩] - سقط من ز ، خ .

من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة ﴾. فإذا بلغت مضغة نكست في الخلق [الرابع فكانت نسمة ، وإن كانت غير مخلقة قذفتها الأرحام دمًا ، وإن كانت مخلقة نكست في الخلق][١] .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عبد اللّٰه بن يزيد المقرئ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ابن دينار ، عن أبي الطفيل ، عن حذيفة بن أَسِيد يبلغ به [ ][٢] النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال : « **يدخل الملك علىٰ النطفة بعدما تستقر في الرحم بأربعين يومًا[٣] أو خمس وأربعين ، فيقول : أي رب ، أشقي أم سعيد ؟ فيقول اللّٰه ، ويكتبان ، فيقول : أذكر أم أنثىٰ ؟ فيقول اللّٰه ، ويكتبان ، ويكتب عمله وأثره ، ورزقه وأجله ، ثم تطوىٰ الصحف ، فلا يزاد علىٰ ما فيها ولا ينتقص** » . ورواه[٤] مسلم(١٦) من حديث سفيان بن عيينة ومن طرق أُخرَ عن أبي الطفيل بنحو معناه .

وقوله : ﴿ **ثم نخرجكم طفلًا** ﴾ . أي : ضعيفًا في بدنه وسمعه وبصره وحواسه ، وبطشه وعقله . ثم يعطيه اللّٰه القوة شيئًا فشيئًا ، ويلطف به ، ويحنّن عليه والديه في آناء الليل وأطراف النهار . ولهذا قال : ﴿ **ثم لتبلغوا أشدكم** ﴾ ، أي : يتكامل القويّ ويتزايد ، ويصل إلىٰ عنفوان الشباب وحسن المنظر . ﴿ **ومنكم من يتوفىٰ** ﴾ ، أي : في حال شبابه وقواه ، ﴿ **ومنكم من يردّ إلىٰ أرذل العمر** ﴾ ، وهو الشيخوخة والهرم وضعف القوة والعقل والفهم ، وتناقص الأحوال من الخرف[٥] وضعف الفكر ، ولهذا قال : ﴿ **لكي لا يعلم من بعد علم شيئًا** ﴾ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **اللّٰه الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفًا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير** ﴾ .

وقد قال الحافظ [أبو يعلىٰ][٦] أحمد بن عليّ بن المثنىٰ الموصلي في مسنده(١٧) : حدثنا منصور بن أبي مزاحم ، حدثنا خالد الزيات ، حدثني داود أبو سليمان ، عن عبد اللّٰه بن عبد الرحمن بن مَعمَر بن حَزم الأنصاري ، عن أنس بن مالك - رفع الحديث - قال : «**المولود حتىٰ يبلغ الحِنْث ، ما عمل من حسنة كتبت لوالده أو لوالدته ، وما عمل من سيئة لم تكتب عليه ولا علىٰ والديه ، فإذا بلغ الحنث أجرىٰ[٧] اللّٰه عليه القلم[٨]** ، أمر

(١٦) - أخرجه مسلم كتاب القدر ، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه ... الحديث (٢٦٤٤) (١٦/ ٢٩٦ - ٢٩٧) .

(١٧) - مسند أبي يعلى (٦/٣٥١ - ٣٥٢) رقم (٣٦٧٨) .

[١] - سقط من خ .

[٢] - في ز : إلى .

[٣] - سقط من ز .

[٤] - في خ : رواه .

[٥] - في ز ، خ : « الخوف » .

[٦] - في خ : « أبو على » .

[٧] - في ز : جرى .

[٨] - في ز : العلم .

الملكان اللذان معه أن يحفظا ، وأن يشددا ، فإذا بلغ أربعين سنة في الإسلام أمَّنه اللَّه من البلايا الثلاث : الجنون ، والجذام ، والبرص ، فإذا بلغ الخمسين خفف اللَّه حسابه . فإذا بلغ الستين[١] رزقه اللَّه الإنابة إليه بما يحب ، فإذا بلغ السبعين أحبه أهل السماء ، فإذا بلغ الثمانين كتب اللَّه حسناته وتجاوز عن سيئاته ، فإذا بلغ التسعين غفر اللَّه له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر ، وشفعه في أهل بيته ، وكان أسير اللَّه في أرضه ، فإذا بلغ أرذل العمر ﴿ لكي لا يعلم من بعد علم شيئًا ﴾ ، كتب اللَّه له مثل ما كان يعمل في صحته من الخير ، فإذا عمل سيئة لم تكتب عليه » .

هذا حديث غريب جدًّا ، وفيه نكارة شديدة ، ومع هذا فقد[٢] رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده(١٨) موقوفًا ومرفوعًا . فقال[٣] : حدثنا أبو النضر ، حدثنا الفرج ، حدثنا محمد بن عامر ، عن محمد بن عبد اللَّه العامري[٤] ، عن عمرو بن جعفر ، عن أنس قال : إذا بلغ الرجل المسلم أربعين سنة أمنه اللَّه من أنواع البلايا ؛ من الجنون والجذام والبرص ، فإذا بلغ الخمسين لين اللَّه حسابه ، فإذا بلغ الستين رزقه اللَّه إنابة يحبه عليها ، وإذا بلغ السبعين أحبه اللَّه ، وأحبه أهل السماء ، وإذا بلغ الثمانين تقبل اللَّه حسناته ، ومحا عنه سيئاته ، وإذا بلغ التسعين غفر اللَّه له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وسمي أسير اللَّه في الأرض ، وشفع في أهله. ثم قال : حدثنا هاشم[٥] ، حدثنا الفرج[٦] ، حدثني [محمد بن عبد اللَّه][٧] [العامري ، عن محمد بن عبد اللَّه][٨] بن عمرو بن عثمان ، عن عبد اللَّه بن عمر بن الخطاب ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، مثله .

---

(١٨) - أخرجه أحمد في المسند (٢١٧/٣ - ٢١٨) (١٣٣٠٣) ، يوسف بن أبي ذرة : قال ابن أبي خيثمة عن ابن معين : لا شيء . وقال ابن حبان في الضعفاء : منكر الحديث جدا ، يروي المناكير التي لا أصل لها على قلة حديثه ، لا يجوز الاحتجاج به بحال . قال الحافظ : وقد اختلف عليه في سند الحديث المذكور كما بسطته في كتاب الخصال المكفرة .

وجعفر بن عمرو بن أمية : قال ابن حجر في التعجيل في ترجمة عمرو بن جعفر : عمرو ابن جعفر عن أنس قوله ، وعنه محمد بن عبد اللَّه لا يدرى من هما ؛ كذا قال الحسيني ، وقال ابن شيخنا : كذا وقع في المسند وإنما هو جعفر بن عمرو بن أمية الضمري والراوي عنه محمد ابن عبد اللَّه بن عمرو بن عثمان وهما ثقتان . قلت : ومن رجال التهذيب لكن الحديث في المسند من الطريقين : أما طريق جعفر فهي المستقيمة فأخرجها أحمد عن أنس بن عياض حدثني يوسف بن أبي ذرة ، عن محمد بن عبد اللَّه بن عمرو ، عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري ، عن أنس ، وأما طريق عمرو بن جعفر المقلوبة فقال أحمد : حدثنا أبو النضر ، =

---

[١] - في ت ، خ : ستين .
[٢] - في ز : قد .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - في ز ، خ : « العاملي » .
[٥] - في ز ، خ : « هشام » .
[٦] - في ز ، خ : « الروح » .
[٧] - سقط من خ .
[٨] - سقط من ز ، خ .

ورواه الإمام أحمد(١٩) أيضًا : حدثنا أنس بن عياض ، حدثني يوسف بن أبي بردة[١] الأنصاري ، عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري ، عن أنس بن مالك ، أن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم قال : **« ما من معمر يعمر في الإسلام أربعين سنة إلا صرف اللّه عنه ثلاثة أنواع من البلاء : الجنون ، والجذام ، والبرص »** . وذكر تمام الحديث كما تقدم سواء .

ورواه الحافظ أبو بكر البزار : عن عبد اللّه بن شبيب ، عن أبي شيبة ، عن عبد اللّه بن عبدالملك ، عن أبي قتادة العُذْري ، عن ابن أخي الزهري ، عن عمه ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : **« ما من عبد يعمر في الإسلام أربعين سنة إلا صرف اللّه عنه أنواعًا من البلاء : الجنون ، والجذام ، والبرص ، فإذا بلغ خمسين سنة لين اللّه له الحساب ، فإذا بلغ ستين سنة رزقه اللّه الإنابة إليه بما يحب ، فإذا بلغ سبعين سنة غفر اللّه له[٢] ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وسُمِّي أسير اللّه ، وأحبه أهل السماء ، فإذا بلغ الثمانين تقبل اللّه منه حسناته ، وتجاوز عن سيئاته ، فإذا بلغ التسعين غفر اللّه له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وسمي أسير اللّه في أرضه ، وشفع في أهل بيته »** .

وقوله : ﴿ **وترىٰ الأرض هامدة** ﴾ هذا دليل آخر على قدرته تعالىٰ علىٰ إحياء الموتىٰ ، كما يحيي الأرض الميتة الهامدة ، وهي القحلة التي لا نبت فيها ولا شيء .

وقال[٣] قتادة : غبراء متهشمة[٤] . وقال السديُّ : ميتة .

= ثنا الفرج بن فضالة ، عن عمرو بن جعفر ، عن أنس بن مالك فذكر الحديث ، والفرج بن فضالة ضعيف . وقد وهم في قوله : عمرو بن جعفر ، وإنما هو جعفر بن عمرو ، وهو من رجال التهذيب .

وهذا الحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ؛ قال ابن الجوزي : وقد خلط فيه الفرج بن فضالة . وقد رد الحافظ ابن حجر على ابن الجوزي وذب عن هذا الحديث في كتابه القول المسدد فقال :

« ... فإن له طرقاً عن أنس وغيره يتعذر الحكم مع مجموعها على المتن بأنه موضوع » . قال : ولا يلزم من تخليط الفرج في السند أن يكون المتن موضوعاً ، قال : وقد استوعبت طرقه في الجزء الذي سميته « الخصال المكفرة للذنوب المقدمة والمؤخرة » .

ومن أقوى طرقه ما أخرجه البيهقي في الزهد له عن الحاكم عن الأصم عن بكر بن سهل عن عبد اللّه بن محمد بن رمح عن عبد اللّه بن وهب ، عن حفص بن ميسرة ، عن زيد بن أسلم عن أنس .... فذكر هذا الحديث .

ورواته عن ابن وهب فصاعداً من رجال الصحيح ، والبيهقي والحاكم والأصم لا يسأل عنهم ، وابن رمح ثقة ، وبكر بن سهل قواه جماعة وضعفه النسائي . .... إلى آخر كلامه فراجعه إن شئت .

(١٩) - انظر السابق

---

[١] - في ز ، خ : « درة » .

[٢] - سقط من خ .

[٣] - في ر : قال .

[٤] - في خ : « مهشمة » . وغير واضحة في ر .

﴿ **فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج** ﴾ . أي : فإذا أنزل الله عليها المطر ﴿ **اهتزت** ﴾ ، أي : تحركت بالنبات ، فحييت[١] بعد موتها ، ﴿ **وربت** ﴾ ، أي : ارتفعت لما سكن فيها الثرىٰ ، ثم أنبتت ما فيها من الألوان والفنون ، من ثمار وزروع ، وأشتات النباتات في [اختلاف ألوانها][٢] وطعومها وروائحها وأشكالها ومنافعها ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وأنبتت من كل زوج بهيج** ﴾ . أي : [حسن المنظر][٣] طيب الريح .

وقوله : ﴿ **ذلك بأن الله هو الحق** ﴾ . أي : الخالق المدبر الفعال لما يشاء ، ﴿ **وأنه يحيي الموتىٰ** ﴾ . [أي : كما أحيا الأرض الميتة ، وأنبت منها هذه الأنواع ؛ ﴿ **إن الذي أحياها لمحيي الموتى**][٤] ، **إنه على كل شيء قدير** ﴾ فـ ﴿ **إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون** ﴾ ﴿ **وأن الساعة آتية لا ريب فيها** ﴾ ، أي : كائنة[٥] لا شك فيها ولا مرية ، ﴿ **وأن الله يبعث من في القبور** ﴾ . أي : يعيدهم بعد ما صاروا في قبورهم رِممًا[٦] ، ويوجدهم بعد العدم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وضرب لنا مثلًا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم * قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم * الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارًا فإذا أنتم منه توقدون** ﴾ ... [والآيات في هذا كثيرة][٧] .

وقال الإمام أحمد(٢٠) : حدثنا يزيد[٨] ، حدثنا حماد بن سلمة ، قال[٩] : أنبأنا يعلىٰ بن عطاء ، عن وكيع بن عُدُس[١٠] ، عن عمه أبي رزين العقيلي[١١] - واسمه لقيط بن عامر - أنه قال : يا رسول الله ، أكلُّنا يرىٰ ربه - عز وجل - يوم القيامة ؟ وما آية ذلك في خلقه ؟

(٢٠) - أخرجه أحمد في المسند (٤/١١) (١٦٢٣٤) . وأخرجه أبو داود في كتاب السنة ، باب : في الرؤيا (٤/٢٣٤) حديث (٤٧٣١) . من طريق موسى بن إبراهيم ، ثنا حماد ، (ح) وعن عبيد الله بن معاذ ، ثنا أبي ، ثنا شعبة ، عن يعلى بن عطاء به . وابن ماجة في المقدمة ، باب : فيما أنكرت الجهمية . (١/٦٤) حديث (١٨٠) . من طريق أبى بكر بن أبي شيبة ، ثنا يزيد به . وابن حبان كما في الموارد (٣٩) . والطبراني (١٩/٢٠٦) حديث (٤٦٥) ، (٤٦٦) . والحديث حسنه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود حديث ٣٩٥٧ ، وصحيح ابن ماجه حديث ١٨٠.

[١] - في خ : وحييت .
[٢] - في خ : « اختلافها » .
[٣] - في خ : « منظر حسن » .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : « كائن » .
[٦] - في ز ، خ : « رمم » .
[٧] - سقط من خ .
[٨] - في ت : « بهز » .
[٩] - سقط من خ .
[١٠] - في ت : « حُدس » .
[١١] - في ز : المعقلي .

فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أليس كلكم ينظر إلي القمر مُخْليًا به ؟** » . قلنا : بلىٰ . قال : « **فالله أعظم** » . [قال : قلت :][١] يا رسول الله ، كيف يحيي الله الموتىٰ ؟ وما آية ذلك في خلقه ؟ قال : « **أما مررت بوادي أهلك ممحلًا**[٢] ؟ » . قال : بلىٰ . قال[٣] : « **ثم مررت به يهتز خَضِرًا ؟** » . قلت[٤] : بلىٰ . قال : « **فكذلك يحيي الله الموتىٰ ، وذلك آيته في خلقه** » .

ورواه أبو داود وابن ماجه من[٥] حديث حمّاد بن سلمة به .

ثم رواه الإمام أحمد(٢١) أيضًا : حدثنا عليّ بن إسحاق ، أنبأنا ابن المبارك ، أنبأنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، عن سليمان بن موسىٰ ، عن أبي رزين العقيلي قال : أتيت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، كيف يحيي الله الموتىٰ ؟ قال : « **أمررت بأرض من أرضك مجدبة ، ثم مررت بها مخصبة ؟** » . قال : نعم . قال : « **كذلك النشور** » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبيس[٦] بن مرحوم ، حدثنا بكير بن [أبي][٧] السميط ، عن قتادة ، عن أبي الحجاج ، عن معاذ بن جبل قال : من علم أن الله هو الحق المبين ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، دخل الجنة .

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾

لما ذكر تعالى حال الضلّال الجهال المقلدين في قوله : ﴿ **ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد** ﴾ . ذكر في هذه حال الدعاة إلىٰ الضلال من رءوس

---

(٢١) - أخرجه أحمد في المسند (٤/١١) (١٦٢٤٢) مطولًا . وسليمان بن موسى : صدوق فقيه ، في حديثه بعض لين ، خولط قبل موته بقليل . روى له مسلم في المقدمة ، والأربعة . وهذا الطرف : أخرجه الطبراني في الكبير (١٩/٢٠٨) حديث (٤٧٠) . وأبو داود الطيالسى (٢٧٩٥) .

---

[١] - في خ : « قلنا » .
[٢] - في ت : « محلا » .
[٣] - سقط من خ .
[٤] - في ت : « قال » .
[٥] - في خ : في .
[٦] - في خ : « عنبس » .
[٧] - سقط من ز ، خ .

الكفر والبدع ، فقال : ﴿ **ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير** ﴾ . أي : بلا عقل صحيح[١] ، ولا نقل صحيح صريح ، بل لمجرد[٢] الرأي والهوىٰ .

وقوله : ﴿ **ثانيَ عطفه** ﴾ . قال ابن عباس وغيره : مستكبر عن الحق إذا دعي إليه .

وقال مجاهد ، وقتادة ، ومالك عن زيد بن أسلم : ﴿ **ثاني عطفه** ﴾ ، أي : لاويَ عنقه ، وهي رقبته . يعني : يعرض عما يدعىٰ إليه من الحق ، [ويثني][٣] رقبته استكبارًا ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **وفي موسىٰ إذ أرسلناه إلىٰ فرعون بسلطان مبين * فتولىٰ بركنه وقال: ساحر أو مجنون** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **وإذا قيل لهم تعالوا إلىٰ ما أنزل الله وإلىٰ الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودًا** ﴾ . [وقال تعالىٰ : ﴿ **وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون** ﴾][٤] . وقال[٥] لقمان لابنه : ﴿ **ولا تصعر خدّك للناس** ﴾ أي : تميله عنهم استكبارًا عليهم .

وقال تعالىٰ : ﴿ **وإذا تتلىٰ عليه آياتنا ولىٰ مستكبرًا كأن لم يسمعها [كأن في أذنيه وقرًا][٦] فبشره بعذاب أليم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ليضل عن سبيل الله** ﴾ ، قال بعضهم : هذه لام العاقبة ؛ لأنه قد لا يقصد ذلك . ويحتمل أن تكون لام التعليل . ثم إما أن يكون المراد بها المعاندين[٧] ، أو يكون المراد بها أن هذا[٨] الفاعل لهذا إنما جبلناه علىٰ هذا الخلق الذي يجعله ممن يضل عن سبيل الله .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **له في الدنيا خزي** ﴾ ، وهو الإهانة والذل ، كما أنه لما[٩] استكبر عن آيات الله لقّاه الله المذلة في الدنيا ، وعاقبه فيها قبل الآخرة ؛ لأنها أكبر همه ومبلغ علمه ، ﴿ **ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق * ذلك بما قدمت يداك** ﴾ . أي : يقال له هذا تقريعًا وتوبيخًا ، ﴿ **وأن الله ليس بظلام للعبيد** ﴾ . كقوله تعالىٰ : ﴿ **خذوه فاعتلوه إلىٰ سواء الجحيم * ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم * ذق إنك أنت العزيز الكريم * إن هذا ما كنتم به تمترون** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن الصباح ، حدثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا

---

[١] - في خ : صحيح .
[٢] - في خ : بمجرد .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - سقط من خ .
[٥] - في خ : قال .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - في ز : المعاندون .
[٨] - سقط من خ .
[٩] - سقط من ز .

هشام ، عن الحسن ؛ قال : بلغني أن أحدهم يحرق في اليوم سبعين ألف مرة .

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾

قال مجاهد وقتادة وغيرهما : ﴿ **على حرف** ﴾ : على شك[١] .

وقال غيرهم : علىٰ طرف . ومنه حرف[٢] الجبل ، أي : طرفه ، أي : دخل في الدين علىٰ طرف ، فإن وجد ما يحبه استقر ، وإلا انشمر . وقال البخاري(٢٢) : حدثنا إبراهيم ابن الحارث ، حدثنا يحيىٰ بن أبي بكير ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : ﴿ **ومن الناس من يعبد اللّٰه علىٰ حرف** ﴾ ، قال : كان الرجل يقدم المدينة ، فإذ[٣] ولدت امرأته غلامًا ، ونتجت خيله ، قال : هذا دين صالح . وإن لم تلد امرأته ، ولم تنتج خيله ، قال : هذا دين سوء .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عليّ بن الحسين ، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن أشعث بن إسحاق القمّي ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ؛ قال : كان ناس من الأعراب يأتون النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فيسلمون ، فإذا رجعوا إلىٰ بلادهم فإن وجدوا عام غيث ، وعام خصب ، وعام ولاد حسن ، قالوا : إن ديننا هذا لصالح ، فتمَسّكوا به ، وإن وجدوا عام جُدوبة ، وعام ولاد سَوء ، وعام قحط ، قالوا : ما في ديننا هذا خير . فأنزل اللّٰه علىٰ نبيه : ﴿ **ومن الناس من يعبد اللّٰه علىٰ حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه** ﴾ .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : كان أحدهم إذا قدم المدينة [وهي أرض وبيئة][٤] ، فإن صح بها جسمه ، ونتجت فرسه مهرًا حسنًا ، وولدت امرأته غلامًا ، رضي به واطمأن

---

(٢٢) - أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ **ومن الناس من يعبد الله على حرف** ﴾ الحديث (٤٧٤٢) (٨/ ٤٤٢) .

---

[١] - في ز ، خ : « شدة » .

[٢] - في ز ، خ : « طرف » .

[٣] - في ت : « فإن » .

[٤] - في ز ، خ : « وهم أرض دونه » .

إليه[١] ، وقال : ما أصبت منذ كنت علىٰ ديني هذا إلا خيرًا ، وإن أصابته فتنة - والفتنة : البلاء - [أي : و][٢] إن أصابه وجع المدينة ، وولدت امرأته جارية ، وتأخرت عنه الصدقة ، أتاه الشيطان فقال : والله ما أصبت منذ كنت علىٰ دينك هذا إلا شرًا . وذلك الفتنة . وهكذا ذكر قتادة ، والضحاك ، وابن جريج وغير واحد من السلف ، في تفسير هذه الآية .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هو المنافق ، إن صلحت له دنياه أقام علىٰ العبادة ، وإن فسدت عليه دنياه وتغيرت انقلب ، فلا يقيم علىٰ العبادة إلا لما صلح من دنياه ، فإذا[٣] أصابته فتنة أو شدة أو اختبار[٤] أو ضيق ، ترك دينه ورجع إلىٰ الكفر .

وقال مجاهد في قوله : ﴿ انقلب على وجهه ﴾ أي : ارتد كافرًا .

وقوله : ﴿ خسر الدنيا والآخرة ﴾ ، أي : فلا هو حصل من الدنيا علىٰ شيء ، وأما الآخرة فقد كفر بالله العظيم ، فهو فيها في غاية الشقاء والإهانة ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ ذلك هو الخسران المبين ﴾ ، أي : هذه هي الخسارة العظيمة ، والصفقة الخاسرة .

وقوله : ﴿ يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ﴾ ، أي : من الأصنام والأنداد ، يستغيث بها ويستنصرها ويسترزقها ، وهي لا تنفعه ولا تضره ، ﴿ ذلك هو الضلال البعيد * يدعو لمن ضره أقرب من نفعه ﴾ ، أي : ضرره في الدنيا قبل الآخرة أقرب من نفعه فيها ، وأما في الآخرة فضرره محقق متيقن .

وقوله : ﴿ لبئس المولى ولبئس العشير ﴾ قال مجاهد : يعني الوثن ، يعني : بئس هذا الذي دعا به من دون الله مولًى ، يعني وليًا وناصرًا ، ﴿ ولبئس[٥] العشير ﴾ ، وهو المخالط والمعاشر . واختار ابن جرير أن المراد : لبئس ابن العم والصاحب من يعبد الله علىٰ حرف : ﴿ فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب علىٰ وجهه ﴾ .

وقول مجاهد : إن المراد به الوثن - أولى وأقرب إلى سياق الكلام ، والله أعلم .

إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾

---

[١] - في خ : « به » .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في خ : فإن .
[٤] - في ز : إجبار .
[٥] - في ز : « وبئس » .

لما ذكر أهل الضلالة الأشقياء ، عطف بذكر الأبرار السعداء ، من الذين آمنوا بقلوبهم ، وصدقوا إيمانهم بأفعالهم ، فعملوا الصالحات من جميع أنواع القربات ، [وتركوا المنكرات][١] ، فأورثهم ذلك سكنىٰ الدرجات العاليات ، في روضات الجنات .

ولما [ذكر تعالى][٢] أنه أضل أولئك وهدى هؤلاء ، قال : ﴿ **إن اللّه يفعل ما يريد** ﴾ .

مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾

قال ابن عباس : من كان يظن أن لن ينصر[٣] اللّه محمدًا ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، في الدنيا والآخرة ، ﴿ **فليمدد بسبب** ﴾ ، أي : بحبل ﴿ **إلىٰ السماء** ﴾ ، أي : سماء بيته ، ﴿ **ثم ليقطع** ﴾ ، يقول : ثم ليختنق به . وكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، وعطاء ، وأبو[٤] الجوزاء ، وقتادة ، وغيرهم .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ﴿ **فليمدد بسبب إلىٰ السماء** ﴾ ، أي : ليتوصل إلىٰ بلوغ السماء ، فإن النصر إنما يأتي محمدًا من السماء ، ﴿ **ثم ليقطع** ﴾ ذلك عنه ، إن قدر علىٰ ذلك .

وقول ابن عباس وأصحابه أولىٰ وأظهر في المعنىٰ ، وأبلغ في التهكم ؛ فإن المعنىٰ : من كان[٥] يظن[٦] أن اللّه ليس بناصر محمدًا وكتابه ودينه ، فليذهب فليقتل نفسه إن كان ذلك غائظه ، فإن اللّه ناصره لا محالة ، قال اللّه تعالىٰ : ﴿ **إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد * يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار** ﴾ ولهذا قال : ﴿ **فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ** ﴾ .

قال السدي: يعني من شأن محمد[٧] ، صلىٰ اللّه عليه وسلم .

وقال عطاء الخراساني : فلينظر هل يشفي ذلك ما يجد في صدره من غيظ[٨] .

---

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - في ز ، خ : « وقد يقال » .
[٣] - في ز : ينصره .
[٤] - في ز ، خ : « وابن » .
[٥] - سقط من ز ، خ .
[٦] - في ز : ظن .
[٧] - في ز : محمدًا .
[٨] - في خ : « الغيظ » .

وقوله : ﴿ وكذلك أنزلناه ﴾ ، أي : القرآن ﴿ آيات بينات ﴾ ، أي : واضحات في لفظها ومعناها ، حجة من الله على الناس ﴿ وأن الله يهدي من يريد ﴾ ، أي : يضل من يشاء ، ويهدي من يشاء ، وله الحكمة التامة ، وله الحجة القاطعة في ذلك ، و[١] ﴿ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾ أما هو فلحكمته[٢] ورحمته وعدله وعلمه وقهره وعظمته لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾

يخبر تعالى عن أهل هذه الأديان المختلفة من المؤمنين ، ومن سواهم من اليهود و[٣] الصابئين ، وقد قدمنا في سورة البقرة التعريف بهم واختلاف الناس فيهم، والنصارى والمجوس والذين أشركوا ، فعبدوا [غير الله معه][٤] ؛ فإنه تعالى : ﴿ يفصل بينهم يوم القيامة ﴾ ويحكم بينهم بالعدل ، فيدخل من آمن به الجنة ، ومن كفر به إلى[٥] النار ، فإنه تعالى شهيد على أفعالهم ، حفيظ لأقوالهم ، عليم بسرائرهم وما تكن ضمائرهم .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾

يخبر تعالى أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له؛ فإنه يسجد لعظمته كل شيء طوعًا وكرهًا، وسجود [كل شيء مما][٦] يختص به ، كما قال تعالى : ﴿ أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدًا لله وهم داخرون ﴾ وقال هاهنا : ﴿ ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض ﴾ ، أي : من الملائكة في أقطار السماوات ، والحيوانات في جميع الجهات ؛ من الإنس والجن والدواب والطير ، ﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ﴾ .

وقوله : ﴿ والشمس والقمر والنجوم ﴾ ، إنما ذكر هذه على التنصيص ؛ لأنها قد

---

[١] - سقط من خ .
[٢] - في ز : فلحمته . كذا .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ت : « مع الله غيره » .
[٥] - سقط من ت .
[٦] - في ز ، خ : « كما » .

عبدت من دون الله ، فبين أنها تسجد لخالقها ، وأنها مربوبة مسخرة ، ﴿ **لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون** ﴾ .

وفي الصحيحين(٢٣) عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال : قال لي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أتدري أين تذهب هذه الشمس ؟** » قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « **فإنها تذهب فتسجد تحت العرش ، ثم تستأمر فيوشك أن يقال لها : ارجعي من حيث جئت** » .

وفي المسند(٢٤) وسنن أبي داود والنسائي وابن ماجة في حديث الكسوف : « **إن الشمس والقمر خلقان من خلق الله ، وإنهما لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ، ولكن الله - عز وجل - إذا تجلىٰ لشيء من خلقه خشع له** » .

وقال أبو العالية : ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر ، إلا يقع لله ساجدًا حين يغيب ، ثم لا ينصرف حتىٰ يؤذن له ، فيأخذ ذات اليمين حتىٰ يرجع إلىٰ مطلعه .

وأما الجبال والشجر فسجودها[١] بفيء ظلالها[٢] عن اليمين والشمائل .

وعن ابن عباس قال : جاء رجل فقال : يا رسول الله ؛ إني رأيتني[٣] الليلة وأنا نائم كأني أصلي خلف شجرة ، فسجَدتُ فسجدت الشجرة لسجودي ، فسمعتها [وهي][٤] تقول : اللهم اكتب لي بها عندك أجرًا ، وضع عني بها وزرًا ، واجعلها لي عندك ذخرًا ، وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود .

(٢٣) - أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق ، باب : صفة الشمس والقمر الحديث (٣١٩٩) (٦/ ٢٩٧) وأطرافه في [٤٨٠٢ ، ٤٨٠٣ ، ٧٤٢٤ ، ٧٤٣٣] . ومسلم في كتاب الإيمان ، باب : بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان الحديث (٢٥٠ ، ٢٥١ / ١٥٩) .

(٢٤) - أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٢٦٩) (١٤٤١٨) بهذا اللفظ من حديث النعمان بن بشير ، ورواه في (٢٦٧/٤) (١٨٤٠٤) . وأبو داود في كتاب الصلاة ، باب : من قال : يركع ركعتين الحديث (١١٩٣) (٣١٠/٢) بلفظ : « كسفت الشمس على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجعل يصلي ركعتين ركعتين ويسأل عنها حتى انجلت » . والنسائي في كتاب الكسوف ، باب نوع آخر (١٤١/٣) . وابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة ، باب : ما جاء في صلاة الكسوف الحديث (١٢٦٢) (٤٠١/١) . والبيهقي في السنن الكبرى (٣٣٣/٣) . من طرق عن أبي قلابة عن النعمان بن بشير ، فذكره .

وقال البيهقي : هذا مرسل ، أبوقلابة لم يسمعه من النعمان بن بشير إنما رواه عن رجل عن النعمان وليس فيه هذه اللفظة الأخيرة . ا.هـ

[١] - في خ : فسجودهما .
[٢] - في ز : ظلالهما .
[٣] - في ز : « رأيت » .
[٤] - سقط من ز ، خ .

قال ابن عباس : فقرأ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، سجدة ، ثم سجد ، فسمعته [وهو][١] يقول مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجرة .

رواه الترمذي(٢٥) وابن ماجة وابن حبان في صحيحه .

وقوله : ﴿ والدواب ﴾ ، أي : الحيوانات كلها .

وقد جاء في الحديث عند[٢] الإمام أحمد(٢٦) : أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، نهىٰ [عن اتخاذ ظهور الدواب][٣] منابر « فرب مركوبة خير وأكثر ذكرًا لله من راكبها .

---

(٢٥) – الترمذي في كتاب الصلاة ، باب ما يقول في سجود القرآن الحديث (٥٧٩) (٣/ ٤٧٢ – ٤٧٣)، وأخرجه في كتاب الدعوات ، باب ما يقول في سجود القرآن الحديث (٣٤٢٤) (٥/٤٥٥ – ٤٥٦) . وابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة ، باب سجود القرآن الحديث (١٠٥٣) (١/٣٣٤) . وابن حبان في صحيحه (٦/٤٧٣ – ٤٧٤) الحديث (٢٧٦٨) .

(٢٦) – رواه أحمد من حديث معاذ بن أنس عن أبيه (٣/٤٣٩) (١٥٦٧١) . وهو صحيح – إلا قوله : « **فرب مركوبة خير من راكبها ، وأكثر ذكراً لله منه** » – والحديث رواه أحمد حديث ١٥٦٨٩(٣/٤٤٠) وإسناده فيه ابن لهيعة وزبان . ورواه أحمد بلفظ : « **اركبوا هذه الدواب سالمة ، وايتدعوها سالمة ، ولا تتخذوها كراسي** » . ح ١٥٦٨٢ (٣/٤٤٠) من طريق ليث بن سعد ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عنه به . وح ١٥٦٨٤(٣/٤٤٠) من طريق ليث عن يزيد بن أبي حبيب . وح ١٥٦٨٣(٣/٤٤٠) من طريق ليث ، عن زبان . وح١٨٠٨١(٤/٢٣٤) من طريق ليث عن يزيد عنه . والحديث رواه الدارمي من طريق ليث ، عن يزيد في كتاب الإستئذان ، باب : في النهي عن أن يتخذ الدواب كراسي ، حديث ٢٥٦٩ . ورواه ابن خزيمة من طريق ليث عن يزيد حديث ٢٥٤٤ . ورواه البيهقي في سننه الكبرى (٥/٢٢٥) . والحاكم في المستدرك (١/ ٤٤٤) و (٢/١٠٠) . والطبراني في الكبير (٢٠/١٩٣) حديث ٤٣١-٤٣٢ . ورواه أحمد حديث ١٥٦٩٣(٣/٤٤١) بلفظ : « **لا تتخذوا الدواب كراسي ، فرب مركوبة عليها هي أكثر ذكر الله تعالى من راكبها** » . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/١٠٧) وقال : رواه أحمد والطبراني ، وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح ، غير سهل بن معاذ بن أنس ، وثقه ابن حبان ، وفيه ضعف .

وقال الحاكم : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . وقال الألباني : وهو كما قالا فإن رجاله كلهم ثقات ، وسهل بن معاذ لا بأس به في غير رواية زبان عنه ، وهذه ليست منها . وقد أخرجه أحمد من طريق ابن لهيعة ، ثنا زبان ، عن سهل به وزاد : « **فرب مركوبة خير من راكبها ، وأكثر ذكراً لله منه** » . وهذه الزيادة ضعيفة لما عرفت من حال رواية زبان عن سهل ، لا سيما وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف أيضاً ولا تغتر بقول الهيثمي (٨/١٠٧) رواه أحمد والطبراني ، وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح ، غير سهل ابن معاذ بن أنس ، وثقه ابن حبان ، وفيه ضعف . فإن السند الذي ينطبق عليه هذا الكلام إنما هو سند الرواية الأولى التي ليست فيها هذه الزيادة فتنبه . اهـ . من الصحيحة حديث (٢١) .

---

[١] – سقط من ز . [٢] – في ت : « عن » .

[٣] – في خ : « عن ظهور اتخاذ الدواب » .

وقوله : ﴿ **وكثير من الناس** ﴾ أي : يسجد[١] لله طوعًا مختارًا متعبدًا بذلك ، ﴿ **وكثير حق عليه العذاب** ﴾ ، أي : ممن امتنع وأبىٰ واستكبر ، ﴿ **ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم(٢٧) : حدثنا أحمد بن شيبان الرملي ، حدثنا القداح ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن عليّ ؛ قال : قيل لعليّ : إن هاهنا رجلًا[٢] يتكلم في المشيئة . فقال له عليّ : يا عبد الله ، خلقك الله كما يشاء أو كما[٣] شئت ؟ قال : [بل كما شاء . قال][٤] : فيمرضك إذا شاء أو إذا شئت ؟ قال : بل إذا شاء . قال : فيشفيك إذا شاء أو إذا شئت ؟ [قال : بل إذا شاء][٥] . قال : فيدخلك حيث شئت أو حيث يشاء ؟ قال : بل حيث يشاء . قال : والله لو قلت غير ذلك لضربت الذي فيه عيناك بالسيف .

وعن[٦] أبي هريرة قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **إذا قرأ ابن آدم السجدة اعتزل الشيطان يبكي ، يقول : يا ويله ! أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة ، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار** » رواه مسلم(٢٨) .

وقال الإمام أحمد(٢٩) : حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم ، وأبو عبد الرحمن المقرئ ؛ قالا : حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا مشرح بن هاعان أبو مصعب المعافري ، قال : سمعت عقبة ابن عامر ، يقول : قلت : يا رسول الله ، أفضلت سورة الحج علىٰ سائر القرآن بسجدتين ؟ قال : « **نعم ، فمن لم يسجد بهما فلا يقرأهما** » .

---

(٢٧) - أخرجه اللالكائي في السنة رقم (١٣١٠) .

(٢٨) - أخرجه مسلم كتاب الإيمان ، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة الحديث (٨١/١٣٣) (٩٢/٢) .

(٢٩) - أخرجه أحمد (١٥١/٤) (١٧٤١٣) ثنا أبو سعيد مولى بني هاشم ، و(١٥٥/٤) (١٧٤٥٩) من حديث أبي عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المقرئ - كلاهما - عن ابن لهيعة وقد حسنها بعض أهل العلم - أعني رواية العبادلة عنه - والحديث رواه أبو داود في الصلاة ، باب : تفريع أبواب السجود حديث ١٤٠٢ . والترمذي حديث ٥٧٨ . وقال الترمذي : هذا حديث ليس إسناده بالقوي . وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣٩٠/٢) . وقال : هذا حديث لم نكتبه مسندًا إلا من هذه الوجه ؟ وعبد الله بن لهيعة بن عقبة الحضرمي أحد الأئمة إنما نقم عليه اختلاطه في آخر عمره ، وقد صحت الرواية فيه من قول عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن مسعود ، وأبي موسى ، وأبي الدرداء ، وعمار رضي الله عنهم . اهـ . وقال الذهبي في التلخيص : صحت الرواية في هذا من قول عمر وطائفة . والحديث ضعفه شيخنا في ضعيف أبي داود حديث ٢٠٣ ، وضعيف الترمذي حديث ٨٩ .

---

[١] - في ز : سجد .
[٢] - في ز : رجل .
[٣] - في ز : لما .
[٤] - ما بين المعكوفين في ز : « لما يشاء » .
[٥] - سقط من خ .
[٦] - في خ : عن .

ورواه أبو داود(٣٠) والترمذي من حديث عبد الله بن لهيعة به ، وقال الترمذي : ليس بقوى . وفي هذا نظر ؛ فإن ابن لهيعة قد صرح فيه بالسماع ، وأكثر[١] ما نقموا عليه تدليسه .

وقد قال أبو داود في المراسيل(٣١) : حدثنا أحمد بن عمرو بن السرح ، أنبأنا ابن وهب ، أخبرني معاوية بن صالح ، عن عامر بن جشيب[٢] ، عن خالد بن معدان ؛ أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « **فضلت سورة الحج على القرآن بسجدتين** » .

ثم قال أبو داود : وقد أسند هذا - يعنى من غير هذا الوجه - ولا يصح .

وقال الحافظ أبو بكر الإسماعيلى : حدثني ابن أبي داود ، حدثنا يزيد بن عبد الله ، حدثنا الوليد ، حدثنا أبو عمرو ، حدثنا حفص بن عنان[٣] ، حدثني نافع ، حدثني أبو الجهم ؛ أن عمر سجد سجدتين في الحج وهو بالجابية . وقال : إن هذه فضلت بسجدتين .

وروى أبو داود(٣٢) وابن ماجة ؛ من[٤] حديث الحارث بن[٥] سعيد العتقي[٦] ، عن عبدالله بن مُنَين ، عن عمرو بن العاص ؛ أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أقرأه [خمس عشرة][٧] سجدة في القرآن ؛ منها ثلاث في المفصل وفي سورة الحج سجدتان . فهذه شواهد يشد بعضها بعضًا .

۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ

(٣٠) - أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب : تفريع أبواب السجود وكم سجدة في القرآن الحديث (١٤٠٢) (٥٨/٢) . والترمذي في أبواب الصلاة ، باب : ما جاء في السجدة في الحج الحديث (٥٧٨) (٤٧٠/٢-٤٧١) .

(٣١) - أخرجه أبو داود في المراسيل رقم (٧٨) .

(٣٢) - أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب تفريع أبواب السجود وكم سجدة في القرآن الحديث (١٤٠١) (٥٨/٢) . وابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة ، باب عدد سجود القرآن الحديث (١٠٥٧) (٣٣٥/١) .

[١] - في ز : وألبس . بلا نقط .

[٢] - في خ : جشب .

[٣] - في خ : « غياث » .

[٤] - في ز ، خ : « في » .

[٥] - في ز : و .

[٦] - في ز : الصفي .

[٧] - في خ : « خمسة عشر » .

﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾

ثبت في الصحيحين(٣٣) : من حديث أبي مجلز ، عن قيس بن عباد ، عن أبي ذر ؛ أنه كان يقسم قسمًا أن هذه الآية[١] : ﴿ **هذان خصمان اختصموا في ربهم** ﴾ نزلت في حمزة وصاحبيه[٢] ، وعتبة وصاحبيه ، يوم برزوا في بدر .

لفظ البخاري عند تفسيرها .

ثم قال البخاري(٣٤) : حدثنا حجاج بن منهال ، حدثنا[٣] المعتمر بن سليمان ، [سمعت أبي][٤] حدثنا أبو مجلز ، عن قيس بن عُبَاد ، عن عليّ بن أبي طالب أنه قال : أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة . قال قيس : وفيهم نزلت : ﴿ **هذان خصمان اختصموا في ربهم** ﴾ ، قال : هم الذين بارزوا يوم بدر : عليّ وحمزة وعبيدة ، وشيبة بن ربيعة ، وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة . انفرد به البخاري .

وقال سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة(٣٥) في قوله : ﴿ **هذان خصمان اختصموا في ربهم** ﴾ ، قال : اختصم المسلمون وأهل الكتاب ، فقال أهل الكتاب : نبينا قبل نبيكم ، وكتابنا قبل كتابكم ، فنحن أولىٰ بالله منكم . وقال المسلمون : كتابنا يقضي علىٰ الكتب كلها ، ونبينا خاتم الأنبياء ، فنحن أولىٰ بالله منكم . فأفلج الله الإسلام على من ناوأه ، وأنزل : ﴿ **هذان خصمان اختصموا في ربهم** ﴾ . وكذا روىٰ العوفي ، عن ابن عباس(٣٦) . وقال شعبة : عن قتادة في قوله : ﴿ **هذان خصمان اختصموا في ربهم** ﴾ ،

---

(٣٣) - أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي ، باب قتل أبي جهل الحديث (٣٩٦٦) وأطرافه في (٣٩٦٨ ، ٣٩٦٩ ، ٤٧٤٣) . ومسلم في كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : ﴿ **هذان خصمان اختصموا في ربهم** ﴾ الحديث (٣٠٣٣) (١٨ / ٢٢٠ - ٢٢١) .

(٣٤) - أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير ، باب :﴿ **هذان خصمان اختصموا في ربهم** ﴾ الحديث (٤٧٤٤) (٨/ ٤٤٣) .

(٣٥) - عزاه السيوطي في الدر (٦٢٨/٤) إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣٦) - أخرجه الطبري في تفسيره (١٣٢/١٧) ، وزاد السيوطي في الدر (٦٢٨/٤) نسبته إلى ابن مردويه.

---

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « وصاحبه » .

[٣] - بعدها في خ : « ابن » .

[٤] - سقط من ز ، خ .

قال : مصدق ومكذب .

وقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد(٣٧) في هذه الآية : مثل الكافر والمؤمن اختصما في البعث . وقال في رواية هو وعطاء(٣٨) في هذه الآية : هم المؤمنون والكافرون .

وقال عكرمة(٣٩) : ﴿ هذان خصمان اختصموا في ربهم ﴾ قال : هي الجنة والنار ؛ قالت النار : اجعلني للعقوبة . وقالت الجنة : اجعلني للرحمة .

وقول[١] مجاهد وعطاء : إن المراد بهذا الكافرون والمؤمنون يشمل الأقوال كلها ، وينتظم فيه قصة يوم بدر وغيرها ، فإن المؤمنين يريدون نصرة دين الله ، عز وجل ، والكافرون يريدون إطفاء نور الإيمان ، وخذلان الحق ، وظهور الباطل ، وهذا اختيار ابن جرير ، وهو حسن ؛ ولهذا قال : ﴿ فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار ﴾ ، أي : فصلت لهم مقطعات من نار ، قال سعيد بن جبير(٤٠) : من نحاس ، وهو أشد الأشياء حرارة إذا حمي .

﴿ يصب من فوق رءوسهم الحميم * يصهر به ما في بطونهم والجلود ﴾ ، أي : إذا صب علىٰ رءوسهم الحميم ، وهو الماء الحار في غاية الحرارة .

وقال سعيد : هو النحاس المذاب ، أذاب ما في بطونهم من الشحم والأمعاء . قاله ابن عباس(٤١) ومجاهد وسعيد بن جبير(٤٢) وغيرهم . وكذلك تذوب جلودهم ، وقال ابن عباس وسعيد : تساقط .

---

(٣٧) - أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٣٢) ، وزاد السيوطي في الدر (٦٢٨/٤) نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣٨) - أخرجه ابن جرير (١٣٢/١٧) .

(٣٩) - أخرجه ابن جرير (١٣٢/١٧ - ١٣٣) بلفظ : « قالت النار : خلقني الله لعقوبته . وقالت الجنة : خلقني الله لرحمته . فقد قص الله عليك من خبرهما ما تسمع » .

(٤٠) - أخرجه ابن جرير (١٧/ ١٣٣) ، وزاد السيوطي في الدر (٤/ ٦٢٩) نسبته إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم .

(٤١) - عزاه السيوطي في الدر (٦٢٩/٤) إلى ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : ﴿ يصهر به ما في بطونهم والجلود ﴾ قال : يمشون وأمعاؤهم تساقط وجلودهم »

(٤٢) - أخرجه ابن جرير (١٧/ ١٣٥) مطولًا وفيه : « يصهر به ما في بطونهم » يعني أمعاءهم وتساقط جلودهم . ورواه أيضًا أبو نعيم في الحلية (٢٨٥/٤) . وزاد السيوطي في الدر (٦٢٩/٤) نسبته إلى عبد ابن حميد وابن أبي حاتم .

---

[١] - في خ : « وقال » .

وقال[١] ابن جرير(٤٣) : حدثني محمد بن المثنى ، حدثنا إبراهيم أبو إسحاق الطالقاني ، حدثنا ابن المبارك ، عن سعيد بن يزيد[٢] ، عن أبي السمح ، عن ابن[٣] حُجَيرة ، عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **إن الحميم ليصب علىٰ رءوسهم ، فينفُذ الجمجمةَ حتى يخلص إلى جوفه ، فيسلت ما في جوفه حتىٰ يبلغ قدميه ، وهو الصهر**[٤] **ثم يعاد كما كان** » ورواه الترمذي(٤٤) : من حديث ابن المبارك ، وقال : حسن صحيح . وهكذا رواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن أبي نعيم ، عن ابن[٥] المبارك به .

ثم قال ابن أبي حاتم :

حدثنا عليّ بن الحسين ، حدثنا أحمد بن أبي الحَواري ، سمعت عبد الله بن السري ؛ قال : يأتيه الملك يحمل الإناء بِكَلْبَتَيْنِ من حرارته ، فإذا أدناه من وجهه تكرّهه ، قال : فيرفع مقمعة معه فيضرب بها رأسه ، فيفرغ دماغه ، ثم يفرغ الإناء من دماغه ، فيصل إلىٰ جوفه من دماغه ، فذلك قوله : ﴿ **يصهر به ما في بطونهم والجلود** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ولهم مقامع من حديد** ﴾ ، قال الإمام أحمد(٤٥) :

حدثنا حسن بن موسىٰ ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **لو أن مقمعًا من حديد وضع في الأرض ، فاجتمع له**[٦] **الثقلان ما أقلّوه من الأرض** » .

وقال الإمام أحمد(٤٦) : حدثنا موسىٰ بن داود ، حدثنا ابن لهيعة ، عن[٧] دراج ، عن

---

(٤٣) - أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ١٣٣ - ١٣٤) .

(٤٤) - أخرجه الترمذي في كتاب صفة جهنم ، باب : ما جاء في صفة شراب أهل النار الحديث (٢٥٨٢) (٦٠٧/٤) .

(٤٥) - أخرجه أحمد (٢٩/٣) (١١٢٤٩) . وإسناده ضعيف من أجل دراج وابن لهيعة . وأخرجه أبو يعلى - (١٣٨٨) حدثنا زهير حدثنا الحسن بن موسى به . والبيهقي في « البعث والنشور » - (٥٣٧) من طريق يحيى بن يحيى ، أنبأ ابن لهيعة به . وأخرجه الحاكم (٦٠٠/٤) من طريق عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج به وصححه ووافقه الذهبي . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٣٩١/١٠) وقال : رواه أحمد وأبو يعلى ، وفيه ضعفاء وقد وثقوا . وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٦٣٠/٤) إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٤٦) - أخرجه أحمد في المسند (٨٣/٣) (١١٨٠٢) . وإسناده ضعيف كالذي قبله .

---

[١] - في ز : قال .
[٢] - في خ : زيد .
[٣] - في ز : أبي .
[٤] - في ز : الضمير .
[٥] - سقط من خ .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - في ت : « حدثنا » .

أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري ؛ قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **لو ضرب الجبل بمقمع من حديد لتفتت ، ثم عاد كما كان ، ولو أن دلوًا من غسّاق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا** » .

وقال ابن عباس(٤٧) في قوله : ﴿ **ولهم مقامع من حديد** ﴾ ، قال : يضربون بها ، فيقع كل عضو علىٰ حياله ، فيدعون[١] بالثبور .

وقوله : ﴿ **كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها** ﴾ ، قال[٢] الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن سلمان(٤٨) ؛ قال : النار سوداء مظلمة ، لا يضيء لهبها ولا جمرها ، ثم قرأ : ﴿ **كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها** ﴾ .

وقال زيد بن أسلم(٤٩) في هذه الآية : ﴿ **كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها** ﴾ ، قال : بلغني أن أهل النار في النار لا يتنفسون .

وقال الفضيل بن عياض(٥٠) : والله ما طمعوا في الخروج ، إن الأرجل لمقيدة ، وإن الأيدي لموثقة ، ولكن يرفعهم لهبها ، وتردهم مقامعها .

وقوله : ﴿ **وذوقوا عذاب الحريق** ﴾ ، كقوله : ﴿ **وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون** ﴾ ، ومعنىٰ الكلام : أنهم يهانون بالعذاب قولًا وفعلًا .

إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾

لما أخبر تعالىٰ عن حال أهل النار - عياذًا بالله من حالهم - وما هم فيه من العذاب

(٤٧) - جزء من أثر ابن عباس المتقدم رقم (٨٩) .

(٤٨) - أخرجه ابن المبارك في الزهد رقم (٣١٠) ، والطبري في تفسيره (١٧ / ١٣٥) ، والحاكم في المستدرك (٣٨٧/٢) . وزاد السيوطي في الدر (٦٣٠/٤) نسبته إلى سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وهناد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤٩) - عزاه السيوطي في الدر (٦٣٠/٤) إلى ابن أبي حاتم .

(٥٠) - عزاه السيوطي في الدر (٦٣٠/٤) إلى ابن أبي حاتم .

[١] - في ز : فيدعوا .

[٢] - في ز : وقال .

والنكال، والحريق والأغلال، وما أعد لهم من الثياب من النار - ذكر حال أهل الجنة - نسأل الله من فضله وكرمه أن يدخلنا الجنة - فقال: ﴿ **إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار** ﴾، أي: تتخرّق في أكنافها وأرجائها وجوانبها، وتحت أشجارها وقصورها، يصرفونها حيث شاءوا وأين شاءوا ﴿ **يحلون فيها** ﴾ من الحلية ﴿ **من أساور من ذهب ولؤلؤًا** ﴾، أي: في أيديهم، كما قال النبي، صلىٰ الله عليه وسلم، في الحديث المتفق عليه(٥١): « **تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء** ».

وقال كعب الأحبار: إن في الجنة ملكًا لو شئت أن أسميه لسميته، يصوغ لأهل الجنة الحلي منذ خلقه الله إلىٰ يوم القيامة، لو أبرز قُلْب منها - أي: سوار منها - لرد شعاع الشمس، كما ترد[١] الشمس نور القمر.

وقوله: ﴿ **ولباسهم فيها حرير** ﴾، في مقابلة ثياب أهل النار التي فصلت لهم، لباس هؤلاء من الحرير؛ إستبرقه وسندسه، كما قال: ﴿ **عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابًا طهورًا * إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورًا** ﴾ وفي الصحيح(٥٢): « **لا تلبسوا الحرير ولا الديباج في الدنيا، فإنه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة** » قال عبد الله بن الزبير: ومن[٢] لم يلبس الحرير في الآخرة

(٥١) - الحديث لم أقف عليه في صحيح البخاري بهذا اللفظ، وقد رواه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب: تبلغ الحلية حيث يبلغ الوضوء الحديث (٢٥٠/٤٠) من حديث أبي حازم، قال: كنت خلف أبي هريرة وهو يتوضأ للصلاة فكان يمد يده حتى تبلغ إبطه، فقلت له: يا أبا هريرة، ما هذا الوضوء؟ فقال: يا بني فروخ، أنتم ههنا؟ لو علمت أنكم ههنا ما توضأت هذا الوضوء؛ سمعت خليلي - صلى الله عليه وسلم - يقول: « **تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء** » ورواه أيضًا النسائي في كتاب الطهارة، باب: حلية الوضوء (٩٣/١). وأحمد في المسند (٢٣٢/٢، ٣٧١). وأبو عوانة في صحيحه (٢٤٤/١). والبيهقي في كتاب الطهارة، باب: استحباب إمرار الماء على العضد (٥٦/١ - ٥٧). والبغوي في شرح السنة (٤٢٦/١) رقم (٢١٩). والحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب: نقض الصور، الحديث (٥٩٥٣) (٣٨٥/١٠) وطرفه في (٧٥٥٩) من حديث أبي زرعة قال: دخلت مع أبي هريرة دارًا بالمدينة فرأى في أعلاها مصورًا يصور؛ قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: « **ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا حبة وليخلقوا ذرة** » ثم دعا بتور من ماء فغسل يديه حتى بلغ إبطيه فقلت: يا أبا هريرة، أشيء سمعته من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؟ قال: « منتهى الحلية ».

(٥٢) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب: لبس الحرير للرجال وقدر ما يجوز منه، الحديث (٥٨٣٢) (١٠/ ٢٨٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب: تحريم استعمال إناء الذهب والفضة الحديث (٢٠٧٣/٢١) (٧٠/١٤) من حديث عبدالعزيز بن صهيب، عن أنس، ورواه البخاري في كتاب اللباس، باب: لبس الحرير للرجال، الحديث (٥٨٣٤) (٢٨٤/١٠) ومسلم في كتاب اللباس، باب: تحريم استعمال إناء الذهب والفضة، الحديث (٢٠٦٩/١١) (٦٠/١٤).

[١] - في خ: « يردُّ شعاع ». [٢] - في خ: من.

لم يدخل الجنة ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **ولباسهم فيها حرير** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وهدوا إلىٰ الطيب من القول** ﴾ كقوله تعالىٰ : ﴿ **وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها بإذن ربهم تحيتهم فيها سلام** ﴾ وقوله : ﴿ **والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلامٌ عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار** ﴾ ، وقوله : ﴿ **لا يسمعون فيها لغوًا ولا تأثيمًا إلا قيلًا سلامًا سلامًا** ﴾ فهدوا إلىٰ المكان الذي يسمعون فيه الكلام الطيب ، ﴿ **ويلقون فيها تحية وسلامًا** ﴾ ، لا كما يهان أهل النار بالكلام الذي يُرَوّعون به ويقرعون به ، يقال لهم : ﴿ **ذوقوا عذاب الحريق** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وهدوا إلى صراط الحميد** ﴾ ، أي : إلى المكان الذي يحمدون فيه ربهم ، علىٰ ما أحسن إليهم وأنعم به وأسداه إليهم ، كما جاء في الصحيح : « **إنهم يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس** » .

وقد قال بعض المفسرين في قوله : ﴿ **وهدوا إلىٰ الطيب من القول** ﴾ ، أي : القرآن . وقيل : لا إله إلا الله . وقيل : الأذكار المشروعة . ﴿ **وهدوا إلىٰ صراط الحميد** ﴾ ، أي : الطريق المستقيم في الدنيا ، وكل هذا لا ينافي ما ذكرناه ، والله أعلم .

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٢٥﴾

يقول تعالىٰ منكرًا علىٰ الكفار في صدهم المؤمنين عن إتيان المسجد الحرام ، وقضاء مناسكهم فيه ودعواهم أنهم أولياؤه ﴿ [**وما كانوا أولياءه**][١] **إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون** ﴾ وفي هذه الآية دليل أنها مدنية ، كما قال في سورة البقرة : ﴿ **يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه قل قتالٌ فيه كبيرٌ وصدٌ عن سبيل الله وكفرٌ به والمسجدِ الحرام وإخراجُ أهله منه أكبرُ عند الله** ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ **إن الذين كفروا ويصدون**[٢] **عن سبيل الله والمسجد الحرام** ﴾ ، أي[٣] : ومن صفتهم مع كفرهم أنهم يصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام ، أي : ويصدون عن المسجد الحرام من أراده من

[١] - سقط من ز .
[٢] - في خ : « وصدوا » .
[٣] - سقط من ز .

المؤمنين ، الذين هم أحق الناس به في نفس الأمر ، وهذا التركيب في هذه الآية كقوله تعالىٰ : ﴿ **الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر اللَّه ألا بذكر اللَّه تطمئن القلوب** ﴾ أي : ومن صفتهم أنهم تطمئن قلوبهم بذكر اللَّه .

وقوله : ﴿ **الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد** ﴾ ، [أي : يمنعون الناس عن الوصول إلىٰ المسجد الحرام ، وقد جعله اللَّه شرعًا سواء ، لا فرق فيه بين المقيم فيه والنائي عنه البعيد الدار منه ، ﴿ **سواء العاكف فيه والباد** ﴾][١] ومن ذلك استواء الناس في رباع مكة وسكناها ، كما قال عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **سواء العاكف فيه والباد** ﴾ ، [قال : ينزل أهل مكة وغيرهم في المسجد الحرام .

وقال مجاهد(٥٣) : ﴿ **سواء العاكف فيه والباد** ﴾][٢] ، أهل مكة وغيرهم فيه سواء في المنازل . وكذا قال أبو صالح(٥٤) ، وعبد الرحمن بن سابط(٥٥) ، وعبد الرحمن بن زيد(٥٦) .

وقال عبد الرزاق(٥٧) ، عن معمر عن قتادة : سواء فيه أهله وغير أهله .

وهذه المسألة اختلف فيها الشافعي وإسحاق بن راهَويه بمسجد الخيف ، وأحمد بن حنبل حاضر أيضًا ، فذهب الشافعي رحمه اللَّه إلىٰ أن رباع مكة تملك وتورث وتؤجر ، واحتج بحديث الزهري ، عن عليّ بن الحسين ، عن عمرو بن عثمان ، عن أسامة بن زيد ؛ قال : قلت : يا رسول اللَّه ، أتنزل غدًا في دارك بمكة ؟ فقال : « **وهل ترك لنا عقيل من رباع؟** » ثم قال : « **لا يرث الكافر المسلم ، ولا المسلم الكافر** » . وهذا الحديث مخرج في الصحيحين(٥٨) ، وبما ثبت أن عمر بن الخطاب اشترىٰ من صفوان بن أمية دارًا بمكة فجعلها

---

(٥٣) - أخرجه الطبري في تفسيره (١٣٧/١٧) وعزاه السيوطي في الدر (٦٣٢/٤) إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد عن مجاهد بلفظ : « **الناس بمكة سواء ، ليس أحد أحق بالمنازل من أحد** » .

(٥٤) - أخرجه الطبري (١٣٧/١٧) قال : أهله والمنتاب في المنزل سواء .

(٥٥) - أخرجه الطبري (١٣٧/١٧) بلفظ : « ليس أحد أحق بمنزله من أحد إلا أن يكون أحد سبق إلى منزل» وعزاه السيوطي في الدر (٦٣٢/٤) إلى ابن أبي شيبة .

(٥٦) - أخرجه الطبري في تفسيره (١٣٧/١٧) قال : العاكف فيه : المقيم بمكة ، والباد : الذي يأتيه ، هم فيه سواء في البيوت .

(٥٧) - أخرجه الطبري في تفسيره (١٣٧/١٧) من طريق عبدالرزاق .

(٥٨) - أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب : أين ركز النبي الراية يوم الفتح ، الحديث (٤٢٨٢،٤٢٨٣) (١٣/٨-١٤) وأخرجه البخاري في كتاب الفرائض ، باب : لا يرث المسلم الكافر =

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .   [٢] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

سجنًا ، بأربعة آلاف درهم . وبه قال طاووس وعمرو ابن دينار .

وذهب إسحاق بن راهَويه إلىٰ أنها لا تورث ولا تؤجر . وهو مذهب طائفة من السلف ، ونص عليه مجاهد وعطاء ، واحتج إسحاق بن راهَويه بما رواه ابن ماجة(٥٩) ، عن أبي بكر ابن أبي شيبة ، عن عيسىٰ بن يونس ، عن عمر بن سعيد بن أبي حسين ، عن عثمان بن أبي سليمان ، عن علقمة بن نَضْلة قال : توفي[١] رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وأبو بكر وعمر ، وما تدعىٰ رباع مكة إلا [السوائب ، من احتاج سكن ، ومن استغنى أسكن][٢] .

وقال عبد الرزاق(٦٠) : عن ابن مجاهد ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو أنه قال : لا يحل بيع دور مكة ولا كراؤها[٣] .

وقال أيضًا(٦١) ، عن ابن جريج : [كان عطاء ينهىٰ عن الكراء في الحرم . وأخبرني أن عمر بن الخطاب][٤] كان ينهىٰ أن [تبوب دور][٥] مكة ؛ لأن ينزل الحاج في عَرَصاتها ، فكان أول من بوب داره سهيل[٦] بن عمرو ، فأرسل إليه عمر بن الخطاب في ذلك ، فقال : أنظرني يا أمير المؤمنين ، إني كنت امرأ تاجرًا ، فأردت أن أتخذ بابين يحبسان لي ظهري قال : فذلك إذًا .

وقال عبد الرزاق(٦٢) ، عن معمر ، عن منصور ، عن مجاهد ؛ أن عمر بن الخطاب ، قال : يا أهل مكة ، لا تتخذوا لدوركم أبوابًا ، لينزل البادي حيث يشاء .

[قال(٦٣) : وأخبرنا معمر عمن سمع عطاء يقول : ﴿ **سواء العاكف فيه والباد** ﴾ قال :

= ولا الكافر المسلم ، الحديث (٦٧٦٤) (١٢/٥٠) ومسلم في أول كتاب الفرائض ، الحديث (١٦١٤/١) مختصراً .

(٥٩) - أخرجه ابن ماجه في السنن ، كتاب المناسك ، باب : أجر بيوت مكة ، الحديث (٣١٠٧) (٢/ ١٠٣٧) .

(٦٠) - أخرجه في المصنف (١٤٨/٥) رقم (٩٢١٤) .

(٦١) - أخرجه في المصنف (١٤٦/٥) رقم (٢٩١٠) .

(٦٢) - أخرجه في المصنف (١٤٧/٥) رقم (٩٢١١) .

(٦٣) - أخرجه في المصنف (١٤٧/٥) رقم (٩٢١١) .

---

[١] - في خ : « نزل » . وفي ز : ترك .

[٢] - ما بين المعكوفين سقط من خ .

[٣] - في خ : « كراها » .

[٤] - ما بين المعكوفتين مكرر في خ .

[٥] - في خ : « دار بيوت » .

[٦] - في ز : سهل .

ينزلون حيث شاءوا .

وروى الدارقطني(٦٤) من حديث ابن أبي نجيح ، عن عبد الله بن عمرو موقوفًا : من أكل كراء بيوت مكة أكل نارًا][١] .

وتوسط الإمام أحمد فقال : تملك وتورث ولا تؤجر ، جمعًا بين الأدلة ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم** ﴾ ، قال بعض المفسرين من أهل العربية : الباء هاهنا زائدة ، كقوله : ﴿ **تنبتُ بالدهن** ﴾ أى : تنبت الدهن ،وكذا قوله : ﴿ **ومن يرد فيه بإلحاد** ﴾ تقديره : إلحادًا ، وكما قال الأعشى :

ضمنت برزق عيالنا أرماحنا بين المراجل والصريح الأجرد[٢]

وقال الآخر :

بواد يمان ينبت الشّث[٣] صَدْره وأسفله بالمرْخ والشَّبَهان[٤]

والأجود أنه ضمن الفعل هاهنا معنى[٥] : يهم ؛ ولهذا عدَّاه بالباء ، فقال : ﴿ **ومن يرد فيه بإلحاد** ﴾ ، أي : يهم فيه بأمر فظيع من المعاصي الكبار .

وقوله : ﴿ **بظلم** ﴾ أى : عامدًا قاصدًا أنه ظلم ليس بمتأول ، كما قال [ابن جريج][٦] عن ابن عباس(٦٥) : هو التعمد[٧] . وقال على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس(٦٦) : ﴿ **بظلم** ﴾ بشرك . وقال مجاهد(٦٧) : أن يعبد فيه غير الله . وكذا قال قتادة(٦٨) وغير واحد .

---

(٦٤) - أخرجه الدارقطني في السنن (٢/٢٩٩-٣٠٠) .

(٦٥) - أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/١٤١) من طريق ابن جريج قال : قال ابن عباس : الذي يريد استحلاله متعمداً .

(٦٦) - أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/١٤٠) وعزاه السيوطي في الدر (٤/٦٣٣) إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم أيضاً .

(٦٧) - أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/١٤٠) .

(٦٨) - أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/١٤٠) .

---

[١] - سقط من خ . ومكانه بياض في ز .

[٢] - في ز : الأجردا .

[٣] - في ز : الشت .

[٤] - في ز : والشبهات .

[٥] - في ز : بمعنى .

[٦] - سقط من خ . وجريج ، مكانها بياض في ز .

[٧] - سقط من خ . وبياض في ز .

وقال العوفي ، عن ابن عباس(٦٩) : ﴿ بظلم ﴾ : هو أن تستحل من[١] الحرام ما حرم اللَّه عليك من لسان ، أو قتل ، فتظلم من لا يظلمك ، وتقتل من لا يقتلك ، فإذا[٢] فعل ذلك فقد وجب العذاب الأليم .

وقال مجاهد(٧٠) : ﴿ بظلم ﴾ ، يعمل فيه عملًا سيئًا[٣] .

وهذا من خصوصية الحرم : أنه يعاقَب البادي فيه الشر ، إذا كان عازمًا عليه ، وإن لم يوقعه ، كما قال ابن أبي حاتم(٧١) في تفسيره :

حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا شعبة ، عن السدي ، أنه سمع مُرَّةَ[٤] يحدث عن عبد اللَّه - يعني ابن مسعود - في قوله : **﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم ﴾** ، قال : لو أن رجلًا أراد فيه بإلحاد بظلم ، وهو بعدن أبين[٥] أذاقه اللَّه من العذاب الأليم . قال شعبة : هو رفعه لنا ، وأنا لا أرفعه لكم . قال يزيد : هو قد رفعه . ورواه أحمد(٧٢) ، عن يزيد بن هارون ، به .

[قلت : هذا الإسناد][٦] صحيح على شرط البخاري ، ووقفه[٧] أشبه من رفعه ؛ ولهذا صمم شعبة على وقفه[٨] من كلام ابن مسعود . وكذلك رواه أسباط ، وسفيان الثوري ، عن السدي ، عن مرة ، عن ابن مسعود موقوفًا[٩] واللَّه أعلم .

---

(٦٩) - أخرجه الطبري في تفسيره (١٤٠/١٧) .

(٧٠) - أخرجه الطبري (١٤٠/١٧) .

(٧١) - أخرجه أحمد في مسنده (٤٥١،٤٢٨/١) ، والطبري في تفسيره (١٤١/١٧) وأبو يعلى في مسنده (٢٦٣،٢٦٢/٩) رقم (٥٣٨٤) ، ورواه الحاكم (٣٨٨/٢) من طريق يزيد بن هارون ، أنبأ شعبة عن السدى به فذكره مرفوعًا . وقال : « صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي وعزاه السيوطي في الدر (٦٣٣/٤) إلى الفريابي وسعيد بن منصور وابن راهويه وعبد بن حميد والبزار وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه » وقال الهيثمي في المجمع (٧٣/٧) : « رواه أحمد وأبو يعلى والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح » ا.هـ

(٧٢) - أخرجه أحمد في المسند (٤٥١،٤٢٨/١) وانظر السابق .

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - في خ : إذا .

[٣] - سقط من خ .

[٤] - في خ : « من » .

[٥] - في خ : « اثنين » .

[٦] - سقط من ز ، خ .

[٧] - في خ : « ورفعه » .

[٨] - في ز ، خ : « رفعة » .

[٩] - في ز ، خ : « مرفوعًا » .

وقال الثوري[١] عن السدي ، عن مرة ، عن عبد الله قال(٧٣) : ما من رجل يهم بسيئة فتكتب عليه ، ولو أن رجلًا بعدن أبين[٢] همَّ [أن يقتل][٣] رجلًا بهذا البيت لأذاقه [الله من العذاب الأليم][٤] . وكذا قال الضحاك بن مزاحم .

وقال سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد : « إلحاد فيه » لا والله ، وبلى والله ، وروى عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو مثله(٧٤) .

وقال سعيد بن جبير(٧٥) : شتم الخادم ظلم فما[٥] فوقه .

وقال سفيان الثوري ، عن عبد الله بن عطاء ، عن ميمون بن[٦] مهران ، عن ابن عباس(٧٦) في قوله : ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم ﴾ ، [قال][٧] : [تجارة][٨] الأمير فيه .

وعن ابن عمر(٧٧): بيع الطعام إلحاد .

---

(٧٣) – أخرجه الطبري في تفسيره (١٤١/١٧) بلفظه وإسناده ، ورواه الحاكم في المستدرك (٣٨٧/٢) من طريق سفيان ، عن زبيد ، عن مرة ، عن ابن مسعود بلفظ : « لو أن رجلًا هم بخطيئة يعني لم يعملها لم يكتب عليه ، ولو أن رجلًا هم بقتل رجل عند البيت وهو بعد أبين أذاقه الله عذابًا أليمًا » . ورواه الطبراني في الكبير (٢٥٣/٩) رقم (٩٠٧٨) حدثنا محمد بن علي الصائغ ، ثنا سعيد بن منصور ، ثنا الحكم بن ظهير ، عن السدى ، عن مرة ، عن عبد الله بن مسعود في تفسيره الآية قال : « من هم بخطيئة فعملها في سوى البيت لم يكتب عليه حتى يعملها ، ومن هم بخطيئة فعملها في البيت لم يمته الله في الدنيا حتى يذقه من عذاب أليم » وعزاه السيوطي في الدر (٦٣٣/٤) إلى سعيد بن منصور . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٧٣) : « رواه الطبراني وفيه الحكم بن ظهير وهو متروك » ا.هـ

(٧٤) – أخرجه الطبري في تفسيره (١٤٠/١٧) قال : حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو قال : كان له فسطاطان : أحدهما في الحل والآخر في الحرم فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل ، فسئل عن ذلك ؟ فقال : كنا نتحدث أن الإلحاد فيه أن يقول الرجل : كلا والله ، وبلى والله . وعزاه السيوطي في الدر (٦٣٤/٤) إلى سعيد بن منصور ، وابن أبي شيبة وابن منيع وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٧٥) – عزاه السيوطي في الدر (٦٣٤/٤) إلى ابن أبي حاتم .

(٧٦) – عزاه السيوطي في الدر (٦٣٤/٤) إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٧٧) – عزاه السيوطي في الدر (٦٣٤/٤) إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم .

---

[١] – في ز ، خ : « البزار » .
[٢] – في خ : « اثنين » .
[٣] – في ز ، خ : « أرسل » . والمثبت من الطبري .
[٤] – ما بين المعكوفين في ز : « من عذاب أليم» .
[٥] – في ز ، خ : « لما » .
[٦] – في ز : عن .
[٧] – سقط من ز ، خ .
[٨] – سقط من خ .

وقال حبيب[١] بن أبي ثابت(٧٨) : ﴿ **ومن يرد فيه بإلحاد بظلم** ﴾ ، قال : المحتكر بمكة . وكذا قال غير واحد .

وقال ابن أبي حاتم(٧٩) : حدثنا أبي ، حدثنا عبد اللّٰه بن إسحاق الجوهري ، أنبأنا أبو عاصم ، عن جعفر بن يحيىٰ ، عن عمه عمارة بن ثوبان[٢] ، حدثني موسىٰ بن باذان ، عن يعلىٰ بن أمية ، أن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال : « **احتكار الطعام بمكة إلحاد** » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا يحيىٰ[٣] بن عبد اللّٰه بن بكير ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثني عطاء بن دينار ، حدثني سعيد بن جبير ؛ قال : قال ابن عباس في قول اللّٰه : ﴿ **ومن يرد فيه بإلحاد بظلم** ﴾ قال : نزلت في عبد اللّٰه بن أنيس ، أن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، بعثه مع رجلين ، أحدهما مهاجر والآخر من الأنصار ، فافتخروا في الأنساب ، فغضب عبد اللّٰه بن أنيس ، فقتل الأنصاري ثم ارتد عن الإسلام ، ثم[٤] هرب إلىٰ مكة ، فنزلت فيه : ﴿ **ومن يرد فيه بإلحاد بظلم** ﴾ ، يعني : من لجأ إلىٰ الحرم بإلحاد ، يعني : بميل عن الإسلام .

وهذه الآثار وإن دلت علىٰ أن هذه الأشياء من الإلحاد ، ولكن هو أعم من ذلك ، بل فيها تنبيه علىٰ ما هو أغلظ منها ، ولهذا لما همّ أصحاب الفيل علىٰ تخريب البيت ، أرسل اللّٰه عليهم ﴿**طيرًا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصف مأكول**﴾ أى : دمَّرهم وجعلهم عبرة ونكالًا لكل من أراده بسوء ، ولذلك ثبت في الحديث أن رسول الله ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال : « **يغزو هذا البيت جيش ، حتىٰ إذا كانوا ببيداء من الأرض ، خُسف بأولهم وآخرهم** » الحديث .

وقال الإمام أحمد(٨٠) : حدثنا محمد بن كناسة ، حدثنا إسحاق بن سعيد ، عن أبيه قال : أتىٰ عبدُ اللّٰه بن عمر عبدَ اللّٰه بن الزبير ، فقال : يا ابن الزبير ، إياك والإلحاد في حرم

(٧٨) – أخرجه الطبري في تفسيره (١٤١/١٧) .

(٧٩) – أخرجه أبو داود في كتاب المناسك ، باب تحريم حرم مكة الحديث (٢٠٢٠) (٢١٢/٣، ٢١٣) والبخاري في تاريخه (٢٥٥/٧) وعزاه السيوطي في الدر (٦٣٣/٤) إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه ، والحديث ضعفه الشيخ الألباني في ضعيف أبي داود رقم (٤٤٠) وفي ضعيف الجامع رقم (١٨٤) .

(٨٠) – أخرجه أحمد في المسند (١٣٦/٢) .

[١] – في ز : حندب . كذا .
[٢] – في ز : ثروان .
[٣] – في ز : لحي .
[٤] – في ت : « و » .

اللَّه ، فإني سمعت رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يقول : « **إنه سيلحد فيه رجل من قريش ، لو توزن ذنوبه بذنوب الثقلين لرجحت** » . فانظر لا [تكن هو][1] .

وقال أيضًا(٨١) : حدثنا هاشم ، حدثنا إسحاق بن سعيد ، حدثنا سعيد بن عمرو ؛ قال : أتىٰ [عبدُ اللَّه بن عمرو عبدَ اللَّه بن الزبير][2] ، وهو جالس في الحجر فقال : يابن الزبير ، إياك والإلحاد في الحرم ! فإني أشهد[3] لسمعت رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يقول[4] : « **يحلها ويحل به رجل من قريش ، لو وزنت ذنوبه بذنوب الثقلين لوزنتها** » . قال : فانظر لا تكن هو .

لم[5] يخرجه أحد من أصحاب الكتب من هذين الوجهين .

وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾

هذا فيه تقريع وتوبيخ لمن عبد[6] غير اللَّه وأشرك به من قريش ، في البقعة التي أسست من أول يوم علىٰ توحيد اللَّه ، وعبادته وحده لا شريك له ، فذكر تعالىٰ أنه بوأ إبراهيم مكان البيت ، أي : أرشده إليه ، وسلمه له ، وأذن له في بنائه .

واستدل به كثير ممن قال إن إبراهيم عليه السلام هو أول من بنىٰ البيت العتيق ، وأنه لم يبن قبله ، كما ثبت في الصحيح(٨٢) عن أبي ذر ، قلت : يا رسول اللَّه ، أي مسجد وضع أول ؟ قال : « **المسجد الحرام** » . قلت : ثم أي ؟ قال : « **بيت المقدس** » . قلت : كم

---

(٨١) - أخرجه أحمد في المسند (٢/٢١٩) ورواه ايضًا في (٢/١٩٦) قال : حدثنا أبو النضر حدثني إسحاق ابن سعيد به .

(٨٢) - أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ، باب رقم (١٠) الحديث (٣٣٦٦) ، (٤/٤٠٧) وفي باب قول الله تعالى : « ووهبنا لداود سليمان » الحديث (٣٤٢٥) (٤/٤٥٨) . ومسلم في أول كتاب المساجد ومواضع الصلاة الحديث رقم (٥٢٠/٢٢١) (٥/٣) .

---

[1] - في المسند : تكونه .

[2] - ما بين المعكوفين في ز : « عبدُ الله بن عمر ابنَ الزبير » .

[3] - في خ : « لأشهد » .

[4] - سقط من ز .

[5] - في ز : ولم .

[6] - سقط من ز .

بينهما ؟ قال : « أربعون سنة » وقد قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركًا وهدًى للعالمين * فيه آيات بينات مقام إبراهيم ...**﴾ الآية ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وعهدنا إلىٰ إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود** ﴾ .

وقد قدمنا ذكر ما ورد في بناء البيت من الصحاح والآثار ، بما أغنىٰ عن إعادته هاهنا .

وقال تعالىٰ هاهنا : ﴿ **أن لا تشرك بي شيئًا** ﴾ ، أي : ابنه علىٰ اسمي وحدي ، ﴿ **وطهر بيتي** ﴾ ، قال قتادة(٨٣) ومجاهد(٨٤) : من الشرك ، ﴿ **للطائفين والقائمين والركع السجود** ﴾ ، أي : اجعله خالصًا لهؤلاء الذين يعبدون اللَّه وحده لا شريك له ، فالطائف به معروف ، وهو أخص العبادات عند البيت ، فإنه لا يفعل ببقعة من الأرض سواها ، ﴿ **والقائمين** ﴾ ، أي : في الصلاة ؛ ولهذا قال : ﴿ **والركع السجود** ﴾ ، فقرن الطواف بالصلاة ؛ لأنهما[١] لا يشرعان إلا مختصين بالبيت ، فالطواف عنده ، والصلاة إليه في غالب الأحوال ، إلا ما استثني من الصلاة عند اشتباه القبلة ، وفي الحرب ، وفي النافلة في السفر ، واللَّه أعلم .

وقوله : ﴿ **وأذن في الناس بالحج** ﴾ ، أي : ناد في الناس داعيًا لهم إلىٰ الحج إلىٰ هذا البيت الذي أمرناك[٢] ببنائه ، فذكر أنه قال : يارب ، وكيف أبلغ الناس وصوتي لا ينفذهم ؟ فقال[٣] : ناد وعلينا البلاغ . فقام علىٰ مقامه - وقيل : علىٰ الحجر . وقيل : علىٰ الصفا . وقيل : علىٰ أبي قبيس - وقال : يا أيها الناس ، إن ربكم قد[٤] اتخذ بيتًا فحجوه . فيقال : إن الجبال تواضعت حتىٰ بلغ الصوت أرجاء الأرض ، وأسمع من في الأرحام والأصلاب ، وأجابه كل شيء سمعه من حجر ومدر وشجر ، و[من][٥] كتب اللَّه أنه يحج إلىٰ يوم القيامة : لبيك اللهم لبيك .

هذا مضمون ما روي عن ابن عباس(٨٥)

(٨٣) - أخرجه الطبري في تفسيره (١٤٣/١٧) عن قتادة قال : من الشرك وعبادة الأوثان .

(٨٤) - أخرجه الطبري (١٤٣/١٧) .

(٨٥) - أخرجه الطبري في تفسيره (١٤٤/١٧) والحاكم في المستدرك (٣٨٩/٢) ومن طريقه البيهقي في السنن ، كتاب الحج ، باب : دخول مكة بغير إرادة حج وعمرة (١٧٦/٥) . كلهم من طريق جرير عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال : لما فرغ إبراهيم من بناء البيت قيل له : (أذن في الناس بالحج) قال : رب وما يبلغ صوتي ؛ قال : أذِّن وعليَّ البلاغ . فنادى إبراهيم : أيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت =

[١] - في ز : فإنهما .

[٢] - في ز : آمرك .

[٣] - في ت : « فقيل » .

[٤] - سقط من خ .

[٥] - سقط من ز .

ومجاهد(٨٦) وعكرمة وسعيد بن جبير وغير واحد من[١] السلف ، والله أعلم . أوردها ابن جرير وابن أبي حاتم مطولة[٢] .

وقوله : ﴿ يأتوك رجالًا وعلىٰ كل ضامر يأتين من كل فج عميق ﴾ ، قد يستدل بهذه الآية من ذهب من العلماء إلىٰ أن الحج ماشيًا ، لمن قدر عليه أفضل من الحج راكبًا ، لأنه قدمهم في الذكر ، فدل علىٰ الاهتمام بهم وقوة هممهم وشدة عزمهم .

[وقال وكيع ، عن أبي العميس ، عن أبي حلحلة ، عن محمد بن كعب ، عن ابن عباس قال : ما آسى علي شيء ، إلا أني وددت أني كنت حججت ماشيًا ؛ لأن الله يقول : ﴿ يأتوك رجالًا ﴾][٣] .

والذي عليه الأكثرون : أن الحج راكبًا أفضل ؛ اقتداء برسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فإنه حج راكبًا مع كمال قوّته ، عليه السلام .

وقوله : ﴿ يأتين من كل فج ﴾ يعني : طريق[٤]، كما قال : ﴿ وجعلنا فيها فجاجًا سبلًا ﴾ .

وقوله : ﴿ عميق ﴾ أي : بعيد . قاله مجاهد وعطاء والسدي وقتادة ومقاتل بن حيان

= العتيق فحجوا - قال : فسمعه ما بين السماء والأرض أفلا ترى الناس يجيبون من أقصى الارض يلبون » ، وزاد السيوطي نسبته في الدر (٤/٦٣٧) إلى ابن أبي شيبة في المصنف ، وابن منيع وابن المنذر وابن أبي حاتم . قال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي وأخرج ابن جرير أيضًا (١٧/١٤٤) والحاكم في المستدرك (٢/٥٥٢) . كلاهما من طريق عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما بنى إبراهيم البيت أوحى الله إليه أن أذن في الناس بالحج قال : فقال إبراهيم : ألا إن ربكم قد اتخذ بيتًا وأمركم أن تحجوه فاستجاب له ما سمعه من شئ من حجر وشجر وأكمة أو تراب أو شئ : لبيك اللهم لبيك . رواه البيهقي في سننه ، كتاب الحج ، باب : دخول مكة بغير إرادة حج ولا عمرة (٥/١٧٦) من طريق عطاء عن ابن جبير ، عن ابن عباس في قوله « وأذن في الناس بالحج » قال : لما أمر الله عز وجل إبراهيم عليه السلام أن يؤذن في الناس بالحج قال : يا أيها الناس ! إن ربكم اتخذ بيتًا وأمركم أن تحجوه . فاستجاب له ما سمعه من حجر أو شجر أو أكمة أو تراب أو شيء ، فقالوا : لبيك اللهم لبيك . والأثر عزاه السيوطي أيضًا في الدر (٤/٦٣٧) إلى ابن المنذر . كما روى الطبري في تفسيره (١٧/١٤٤) عن ابن عباس في قوله « وأذن في الناس بالحج » قال : قام إبراهيم خليل الله على الحجر فنادى : يا أيها الناس ! كتب عليكم الحج فأسمع من في أصلاب الرجال وأرحام النساء ، فاجابه من آمن ممن سبق في علم الله أن يحج إلى يوم القيامة : لبيك اللهم لبيك .

---

[١] - في خ : عن .
[٢] - في خ : « بطوله » .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - بعدها في خ : « عميق » .

والثوري وغير واحد .

وهذه الآية كقوله تعالىٰ إخبارًا عن إبراهيم حيث قال في دعائه : ﴿ **فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم** ﴾ ، فليس أحد من أهل الإسلام إلا وهو يحنّ إلىٰ رؤية الكعبة والطواف ، فالناس يقصدونها من سائر الجهات والأقطار .

لِيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾

قال ابن عباس : ﴿ **ليشهدوا منافع لهم** ﴾ ، قال : منافع الدنيا والآخرة ؛ أما منافع الآخرة فرضوان اللَّه تعالىٰ ، وأما منافع الدنيا فما[١] يصيبون من منافع البُدْن والربح والتجارات . وكذا قال مجاهد ، وغير واحد : إنها منافع الدنيا والآخرة ، كقوله : ﴿ **ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ويذكروا اسم اللَّه [في أيام معلومات][٢]علىٰ ما رزقهم من بهيمة الأنعام** ﴾ ، قال شعبة [وهشيم عن أبي بشر ، عن سعيد][٣] ، عن ابن عباس(٨٧) ، رضي اللَّه عنهما الأيام المعلومات : أيام العشر . وعلقه البخاري عنه بصيغة [الجزم به][٤] ، ويروىٰ مثله عن أبي موسىٰ الأشعري ومجاهد(٨٨) وقتادة وعطاء وسعيد بن جبير والحسن والضحاك وعطاء الخراساني وإبراهيم النخعي وهو مذهب الشافعي ، والمشهور عن أحمد بن حنبل .

وقال البخاري(٨٩) : حدثنا محمد بن عرعرة ، حدثنا شعبة ، عن سليمان ، عن مسلم

---

(٨٦) - رواه الطبري في تفسيره (١٤٥/١٧)

(٨٧) - تقدم في سورة البقرة الآية (٢٠٣) .

(٨٨) - رواه البيهقي في السنن الكبرى كتاب الحج ، باب الأيام المعلومات والمعدودات (٢٢٨/٥) عن مجاهد قال : الأيام المعلومات العشر ، والأيام المعدودات أيام التشريق . وعزاه السيوطي في الدر (٤٢٠/١) إلى ابن أبي الدنيا والمحاملي في أماليه .

(٨٩) - أخرجه البخاري في كتاب العيدين ، باب : فضل العمل في أيام التشريق الحديث (٩٦٩) (٤٥٧/٢).

---

[١] - في ز ، خ : « ما » .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - في ز ، خ : « عن وهيم » . كذا .

[٤] - في ز ، خ : « الخبرية » .

البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبي ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، قال : « **ما العمل في أيام أفضل منها في هذه** » . قالوا : ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : « **ولا الجهاد في سبيل اللّه ، إلا رجل يخرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء**[١] » .

ورواه الإِمام أحمد(٩٠) ، وأبو داود(٩١) ، والترمذي(٩٢) ، وابن ماجة(٩٣) ، وقال الترمذي : حديث حسن غريب صحيح ، وفي الباب عن ابن عمر وأبي هريرة وعبد اللّه بن عمرو وجابر .

قلت : وقد تقصيت هذه الطرق وأفردت لها جزءًا على حدته . فمن ذلك ما قال الإِمام أحمد(٩٤) :

حدثنا عفان ، أنبأنا أبو عوانة ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ؛ قال : قال رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **ما من أيام أعظم عند اللّه ، ولا أحب إليه العمل فيهن ، [من هذه الأيام]**[٢] **العشر ؛ فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد** » . وروي من وجه آخر ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، بنحوه .

وقال البخاري(٩٥) : وكان ابن عمر ، وأبو هريرة يخرجان إلىٰ السوق[٣] في أيام العشر ، فيكبران ويكبر الناس بتكبيرهما .

وقد روىٰ أحمد(٩٦) عن جابر مرفوعًا ؛ أن هذا هو العشر الذي أقسم اللّه به في قوله : ﴿ **والفجر * وليالٍ عشر** ﴾ .

وقال بعض السلف : إنه المراد بقوله : ﴿ **وأتممناها بعشر** ﴾ وفي سنن أبي داود(٩٧) : أن رسول

---

(٩٠) - المسند (١/٢٢٤،٣٣٨،٣٣٩،٣٤٦) .
(٩١) - أخرجه أبوداود في كتاب الصوم ، باب في صوم العشر الحديث (١٤٣٨) (٢/٣٢٥).
(٩٢) - أخرجه الترمذي في كتاب الصوم ، باب ما جاء في العمل في أيام العشر الحديث (٧٥٧) (٣/١٣٠).
(٩٣) - أخرجه ابن ماجة في السنن كتاب الصيام ، باب صيام العشر الحديث (١٧٢٧) (١/٥٥٠) .
(٩٤) - أخرجه أحمد في المسند (٢/٧٥،١٣١،١٣٢) .
(٩٥) - علقه البخاري في صحيحه كتاب العيدين ، باب فضل العمل في أيام التشريق (٢/٤٥٧) .
(٩٦) - أخرجه أحمد في المسند (٣/٣٢٧) .
(٩٧) - أخرجه أبوداود في كتاب الصوم ، باب في صوم العشر الحديث (٢٤٣٧) (٢/٣٢٥) من =

---

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - في خ : « أحب من » .
[٣] - مكانها بياض في ز .

اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، كان يصوم هذا العشر .

وهذا العشر مشتمل علىٰ يوم عرفة ، الذي ثبت في صحيح مسلم(٩٨) عن أبي قتادة قال : سئل رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، عن صيام يوم عرفة ؟ فقال : **« أحتسب علىٰ اللَّه أن يكفر السنة الماضية والآتية »** . ويشتمل علىٰ يوم النحر الذي هو يوم الحج الأكبر ، وقد ورد في حديث أنه أفضل الأيام عند اللَّه(٩٩) . وبالجملة فهذا العشر قد قيل : إنه أفضل أيام السنة ، كما نطق به الحديث ، وفضله[١] كثير على عشر رمضان الأخير ؛ لأن هذا يشرع فيه ما يشرع في ذاك ، من صلاة وصيام وصدقة وغيره ، ويمتاز هذا باختصاصه بأداء فرض الحج فيه .

وقيل : ذاك[٢] أفضل لاشتماله على ليلة القدر ، التي هي خير من ألف شهر . وتوسط آخرون فقالوا : أيام هذا أفضل ، وليالي ذاك أفضل . وبهذا يجتمع شمل الأدلة ، واللَّه أعلم .

(قول ثان : في الأيام المعلومات) قال الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس : الأيام المعلومات : يوم النحر ، وثلاثة أيام بعده . ويروىٰ هذا عن ابن عمر وإبراهيم النخعي ، وإليه ذهب أحمد بن حنبل في رواية عنه .

(قول ثالث) قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عليّ بن المديني ، حدثنا يحيىٰ بن سعيد ، حدثنا ابن عجلان ، حدثني نافع ، أن ابن عمر كان يقول : الأيام المعلومات والمعدودات هن جميعهن أربعة أيام ، فالأيام المعلومات : يوم النحر ويومان بعده ، والأيام المعدودات : ثلاثة أيام بعد يوم النحر .

= حديث هنيدة بن خالد عن امرأته عن بعض أزواج النبي ﷺ قالت : كان رسول الله ﷺ يصوم تسع ذي الحجة ويوم عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر : أول اثنين من الشهر والخميس . قال الحافظ المنذري في مختصر السنن (٣/٣٢٠) : واختلف على هنيدة بن خالد في إسناده فروى عنه كما أوردناه ، وروى عنه عن حفصة زوج النبي ﷺ وروى عنه عن أمه عن أم سلمة زوج النبي ﷺ مختصرًا ، والحديث صححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود رقم (٢١٢٩) . وحديث حفصة رواه أحمد (٦/٢٨٧) والنسائي كتاب الصيام ، باب كيف يصوم ثلاثة أيام من كل شهر من طريق هنيدة عن حفصة قالت : أربع لم يكن يدعهن النبي ﷺ : صيام عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر وركعتين قبل الغداة .

(٩٨) - أخرجه مسلم في كتاب الصيام ، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عاشوراء والأثنين والخميس الحديث (١٩٦،١١٦٢) (٨/٧١،٧٢) .

(٩٩) - ورد ذلك من حديث عبد الله بن قرط ، رواه ابن حبان في صحيحه (٧/٥١) رقم (٢٨١١) بهذا اللفظ . وأخرجه أبو داود في كتاب المناسك ، باب في الهدي إذا عطب قبل أن يبلغ ، الحديث =

---

[١] - في ز : ففضله . [٢] - في خ : ذلك .

هذا إسناد صحيح إليه ، وقاله السدي . وهو مذهب الإمام مالك بن أنس ، ويعضد هذا القولَ والذي قبله قوله تعالىٰ : ﴿ علىٰ ما رزقهم من بهيمة الأنعام ﴾ ، يعني به ذكر اللّٰه عند ذبحها .

(قول رابع) أنها يوم عرفة ويوم النحر ويوم آخر بعده ، وهو مذهب أبي حنيفة .

وقال ابن وهب : حدثني ابن زيد بن أسلم ، عن أبيه أنه قال : المعلومات : يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق .

وقوله : ﴿ علىٰ ما رزقهم من بهيمة الأنعام ﴾ يعني : الإبل والبقر والغنم ، كما فصلها تعالىٰ في سورة الأنعام ، وأنها[١] : ﴿ ثمانية أزواج ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ﴾ ، استدل بهذه الآية من ذهب إلىٰ وجوب الأكل من الأضاحي ، وهو قول غريب ، والذي عليه الأكثرون أنه من باب الرخصة أو الاستحباب ، كما ثبت أن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، لما نحر هديه أمر من كل بدنة ببضعة فتطبخ ، فأكل من لحمها ، وحسى من مرقها (١٠٠) .

وقال عبد اللّٰه بن وهب : [قال لي مالك : أحب أن يأكل من أضحيته ؛ لأن اللّٰه يقول : ﴿ فكلوا منها ﴾ . قال ابن وهب][٢] : وسألت الليث فقال لي مثل ذلك .

وقال سفيان الثوري : عن منصور ، عن إبراهيم : ﴿ فكلوا منها ﴾ ، قال : كان المشركون لا يأكلون من ذبائحهم ، فرخص للمسلمين ، فمن شاء أكل ، ومن شاء لم يأكل . وروي عن عطاء ومجاهد نحو ذلك .

= (١٧٦٥) (١٤٨/٢) وأحمد في المسند (٣٥٠/٤) والحاكم (٢٢١/٤) من حديث عبد الله بن قرط مرفوعًا بلفظ : « إن أعظم الأيام عند الله تبارك وتعالى يوم النحر ثم يوم القر» وقرب لرسول الله ﷺ بدنات خمس أو ست ينحرهن فطفقن يزدلفن إليه أيتهن يبدأ بها ، فلما وجبت جنوبها قال كلمة خفية لم أفهمها فسألت بعض من يليني ما قال : قالوا : قال : « من شاء اقتطع » . ورواه أيضًا النسائي في الكبرى كتاب الحج ، باب فضل يوم النحر الحديث (٤٠٩٨) (٤٤٤/٢) ، وابن خزيمة في صحيحه (٢٧٣/٤، ٢٧٤) رقم (٢٨٦٦) ، (٢٩١٧) ، (٢٩٦٦) بلفظ : « أعظم الأيام عند الله يوم النحر ثم يوم الضر» كلهم رووه من طريق ثور بن يزيد . والحديث صححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود رقم (١٥٥٢) .

(١٠٠) - رواه مسلم في كتاب الحج حديث (١٢١٨) في حديث جابر رضي الله عنه - الطويل في صفة حجة النبي ﷺ .

---

[١] - سقط من خ .

[٢] - سقط من ز ، خ .

قال هشيم : عن حصين ، عن مجاهد في قوله : ﴿ فكلوا منها ﴾ : هي كقوله : ﴿ فإذا حللتم فاصطادوا ﴾ ، ﴿ فإذا قضيت[١] الصلاة فانتشروا في الأرض ﴾ . وهذا اختيار ابن جرير في تفسيره ، واستدل من نصر القول بأن الأضاحي يتصدق منها بالنصف ، بقوله في هذه الآية : ﴿ فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ﴾ ، فجزأها[٢] نصفين : نصف للمضحي ، ونصف للفقراء .

والقول الآخر أنها تجزأ ثلاثة أجزاء : ثلث له ، وثلث يهديه ، وثلث يتصدق به ، لقوله تعالىٰ في الآية الأخرىٰ : ﴿ فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر ﴾ وسيأتي الكلام عليها عندها إن شاء الله وبه الثقة .

وقوله : ﴿ البائس الفقير ﴾ ، قال عكرمة : هو المضطر الذي عليه البؤس[٣] : الضعيف[٤] .

وقال مجاهد : هو الذي لا يبسط يده . وقال قتادة : هو الزَّمِن .

وقال مقاتل بن حيان : هو الضرير .

وقوله : ﴿ ثم ليقضوا تفثهم ﴾ ، قال عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : هو وضع الإحرام[٥] من حلق الرأس ، ولبس الثياب ، وقص الأظفار ، ونحو ذلك . وهكذا روى عطاء ومجاهد عنه ، وكذا قال عكرمة ومحمد بن كعب القرظي [ ][٦].

وقال عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ ثم ليقضوا تفثهم ﴾ ، قال : التفث : المناسك .

وقوله : ﴿ وليوفوا نذورهم ﴾ قال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : يعنى[٧] : نحر ما نذر من أمر البُدن . وقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ وليوفوا نذورهم ﴾ : نذر الحج والهدي وما نذر الإنسان من شيء يكون في الحج .

وقال إبراهيم بن ميسرة ، عن مجاهد : ﴿ وليوفوا نذورهم ﴾ قال : الذبائح .

وقال ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد : ﴿ وليوفوا نذورهم ﴾ : كل نذر إلىٰ أجل .

---

[١] - في ز : قضيتم .
[٢] - في ز : فجزأ .
[٣] - في ز ، خ : المتعفف ، والمثبت من الدر المنثور .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - في ز : عنه .
[٦] - بعده في ز ، خ : « ما » .
[٧] - سقط من ز ، خ .

وقال عكرمة : ﴿ وليوفوا نذورهم ﴾ ، قال : نذر الحج .

[وكذا روىٰ الإمام أحمد وابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان في قوله : ﴿ وليوفوا نذورهم ﴾ قال : نذور الحج][١] . فكل من دخل الحج[٢] فعليه من العمل فيه : الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ، وعرفة ، والمزدلفة ، ورمي الجمار ، علىٰ ما أمروا به . وروي عن مالك [نحو هذا][٣] .

وقوله : ﴿ وليطوفوا بالبيت العتيق ﴾ قال مجاهد : يعني الطواف الواجب يوم النحر .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا موسىٰ بن إسماعيل ، حدثنا حماد ، عن أبي حمزة ؛ قال : قال لي ابن عباس : أتقرأ سورة الحج ؟ يقول[٤] الله تعالىٰ : ﴿ وليطوفوا[٥] بالبيت العتيق ﴾ ، فإن آخر المناسك الطواف بالبيت العتيق[٦] .

قلت : وهكذا صنع رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فإنه لما رجع إلىٰ منى يوم النحر بدأ برمي الجمرة ، فرماها بسبع حصيات ، ثم نحر هديه وحلق رأسه ، ثم أفاض فطاف بالبيت .

وفي الصحيح(١٠١) عن ابن عباس أنه قال : أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت الطواف إلَّا أنه خفِّف عن المرأة الحائض .

وقوله : ﴿ بالبيت العتيق ﴾ ، فيه مستَدَلٌّ[٧] لمن [ذهب إلىٰ أنه يجب][٨] الطواف من وراء الحجر ؛ لأنه من أصل البيت الذي بناه إبراهيم ، وإن كانت قريش قد أخرجوه من البيت ، حين قصرت بهم النفقة . ولهذا طاف رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، من وراء الحِجْر ، وأخبر أن الحجر من البيت ، ولم يستلم الركنين الشاميين ؛ لأنهما لم يتمما علىٰ قواعد إبراهيم العتيقة ، ولهذا قال ابن أبي حاتم(١٠٢) :

حدثنا أبي ، حدثنا ابن[٩] أبي عمر العدني[١٠] ، حدثنا سفيان ، عن هشام بن حجر ،

---

(١٠١) صحيح البخاري ، كتاب الحيض ، حديث (٣٢٩) ، وصحيح مسلم ، كتاب الحج (١٣٢٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

---

[١] -
[٢] - في ز : بالحج .
[٣] - في خ : « نحوه » .
[٤] - في ز : فيقول .
[٥] - في ز : « فليطوفوا » .
[٦] - سقط من ز ، خ .
[٧] - في خ : « منزل » .
[٨] - في خ : « يوجب » .
[٩] - سقط من ز ، خ .
[١٠] - في ز ، خ : « العنزي » .

عن رجلٍ ، عن ابن عباس ؛ قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ **وليطوفوا بالبيت العتيق** ﴾ ، طاف رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، من ورائه .

وقال قتادة ، عن الحسن البصري في قوله : ﴿ **وليطوفوا بالبيت العتيق** ﴾ ، قال[١] : لأنه أول بيت وضع للناس . وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم . وعن عكرمة أنه قال : إنما سمي البيت العتيق ؛ لأنه أعتق يوم الغرق زمن نوح .

وقال خصيف : إنما سمي البيت العتيق ؛ لأنه لم يظهر عليه جبار قط .

وقال ابن أبي نجيح وليث ، عن مجاهد : أعتق من الجبابرة أن يُسلَّطوا عليه . وكذا قال قتادة .

وقال حماد بن سلمة ، عن حميد ، عن الحسن بن مسلم ، عن مجاهد : لأنه لم يرده أحد بسوء إلا هلك .

وقال عبد الرزاق(١٠٣) ، عن معمر ، عن الزهري[٢] ، عن ابن[٣] الزبير ؛ قال : إنما سمي البيت العتيق ؛ لأن الله أعتقه من الجبابرة .

وقال الترمذي(١٠٤) : حدثنا محمد بن إسماعيل وغير واحد ، حدثنا عبد الله بن صالح ، أخبرني الليث ، عن عبد الرحمن بن خالد ، عن ابن شهاب ، عن محمد بن عروة ، عن عبد الله بن الزبير ؛ قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **إنما سمي البيت العتيق ؛ لأنه لم يظهر عليه جبار** » وكذا رواه ابن جرير ، عن محمد بن سهل النجاري[٤] ، عن عبد الله بن صالح ، به . وقال : إن كان صحيحًا. وقال الترمذي: « **هذا حديث حسن غريب** » ثم رواه من وجه آخر عن الزهري مرسلًا .

ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟

(١٠٢) ورواه ابن مردويه في تفسيره كما في الدر المنثور (٤١/٦) .

(١٠٣) تفسير عبد الرزاق (٣٢/٢) .

(١٠٤) سنن الترمذي ، كتاب تفسير القرآن (٣١٧٠) وأخرجه الحاكم في مستدركه والبيهقي في الشعب . وقال الحاكم : على شرط مسلم .

[١] - سقط من ز .

[٢] - سقط من خ .

[٣] - سقط من ز ، خ .

[٤] - في ز ، خ : « المحاربي » .

قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾

يقول تعالى : هذا الذي[١] أمرنا به من الطاعات في أداء المناسك ، وما لفاعلها من الثواب الجزيل .

﴿ **ومن يعظم حرمات الله** ﴾ . أي : ومن يجتنب معاصيه ومحارمه ، ويكون ارتكابها عظيمًا في نفسه ﴿ **فهو خير له عند ربه** ﴾ . أي : فله علىٰ ذلك خير كثير وثواب جزيل ، فكما علىٰ فعل الطاعات ثواب كثير وأجر جزيل ، كذلك علىٰ ترك المحرمات والمحظورات .

قال ابن جريج : قال مجاهد في قوله : ﴿ **ذلك ومن يعظم حرمات الله** ﴾ قال : الحرمة : مكة والحج والعمرة ، وما نهىٰ الله عنه من معاصيه كلها . وكذا قال ابن زيد .

وقوله : ﴿ **وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلىٰ عليكم** ﴾ . أي : أحللنا لكم جميع الأنعام ، وما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام .

وقوله : ﴿ **إلا ما يتلىٰ عليكم** ﴾ أي : من تحريم ﴿ **الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع ...** ﴾ الآية . قال ذلك ابن جرير ، وحكاه عن قتادة .

وقوله : ﴿ **فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور** ﴾ « من » هاهنا لبيان الجنس ، أي : اجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان ، وقرن الشرك بالله بقول الزور ، كقوله : ﴿ **قل إنما حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا وأن تقولوا علىٰ الله ما لا تعلمون** ﴾ . ومنه شهادة الزور ، وفي الصحيحين(١٠٥) عن أبي بكرة قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟** » . قلنا : بلىٰ ، يا رسول الله ؛ قال : « **الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين** » . وكان متكئًا فجلس فقال : « **ألا وقول الزور ، ألا وشهادة الزور** » . فما[٢] زال يكررها حتىٰ قلنا : ليته سكت .

---

(١٠٥) صحيح البخاري ، كتاب الشهادات حديث (٢٦٥٤) ، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان حديث (٨٧) .

---

[١] - سقط من خ .

[٢] - في ز ، خ : « ما » .

وقال الإمام أحمد(١٠٦) : حدثنا مروان بن معاوية الفزاري ، أنبأنا سفيان بن زياد ، عن فاتك بن فضالة ، عن أيمن بن خُرَيم قال : قام رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، خطيبًا فقال : « **يا أيها الناس ؛ عَدَلت شهادة الزور إشراكًا بالله** » - ثلاثًا - ثم قرأ : ﴿ **فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور** ﴾ . وهكذا رواه الترمذي عن أحمد ابن منيع ، عن مروان[١] بن معاوية ، به ، ثم قال : غريب ، إنما نعرفه من حديث سفيان بن زياد ، وقد اختلف عنه في روايته[٢] هذا الحديث ، [ولا نعرف لأيمن][٣] بن خريم سماعًا من النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم .

وقال الإمام أحمد أيضًا (١٠٧) : حدثنا محمد بن عبيد ، حدثنا سفيان العصفري[٤] ، عن أبيه ، عن حبيب بن النعمان الأسدي ، عن خريم بن فاتك[٥] الأسدي قال : صلىٰ رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، الصبح ، فلما انصرف قام قائمًا فقال : « **عَدَلت شهادة الزور الإشراك**[٦] **باللّٰه عز وجل** ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ **واجتنبوا قول الزور * حنفاء للّٰه غير مشركين به** ﴾ » .

وقال سفيان الثوري : عن عاصم بن أبي النَّجُود[٧] ، عن وائل بن ربيعة ، عن ابن مسعود أنه قال : تعدل شهادة الزور بالشرك باللّٰه ، ثم قرأ هذه الآية .

---

(١٠٦) المسند (١٧٨/٤) (١٧٨٥٤) ، وإسناده ضعيف : فاتك بن فضالة : مجهول الحال . والحديث أخرجه الترمذي في كتاب الشهادات ، باب : ما جاء في شهادة الزور ، عن أيمن بن خريم (٤٧٤/٤ -٤٧٥) حديث (٢٢٩٩) ، (٢٣٠٠) . وأبو داود في كتاب الأقضية ، باب : في شهادة الزور (٣٠٥/٣ -٣٠٦) حديث (٣٥٩٩) . وابن ماجه في كتاب الأحكام ، باب : في شهادة الزور كلاهما عن خريم بن فاتك مرفوعًا (٧٩٤/٢) حديث (٢٣٧٢) . وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع (٦٤٠٢) وعزاه لتخريج الترغيب (١٦٦/٣) .

(١٠٧) المسند (٣٢١/٤) (١٨٩٥١) . زياد ويقال : دينار ، والد سفيان : قال في التقريب: مقبول من الثالثة . وحبيب : مقبول من الثالثة . والحديث رواه أبو داود في كتاب الأقضية ، باب : في شهادة الزور (٣/ ٣٠٥/ح ٣٥٩٩). والترمذي في سننه في كتاب الشهادات، باب : ما جاء في شهادة الزور (٤/ ٤٧٥/ ح ٢٣٠٠). وقال: هذا عندي أصح ، وخريم بن فاتك له صحبة ، وقد روى عن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم أحاديث وهو مشهور. وابن ماجة في سننه في كتاب الأحكام ، باب : شهادة الزور (٢/ ٧٩٤/ح ٢٣٧٢).

---

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - في ت : « رواية » .
[٣] - في ز ، خ : « ولا يعرف إلا عن » .
[٤] - في خ : « العصيفري » .
[٥] - في ز ، خ : « مقاتل » .
[٦] - في ز ، خ : « بالإشراك » .
[٧] - في ز ، خ : « المجرد » .

وقوله : ﴿ **حنفاء لله** ﴾ . أي : مخلصين له الدين ، منحرفين عن الباطل قصدًا إلىٰ الحق ، ولهذا قال : ﴿ **غير مشركين به** ﴾ .

ثم ضرب للمشرك مثلًا في ضلاله وهلاكه وبعده عن الهدىٰ ، فقال : ﴿ **ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء** ﴾ ؛ أي : سقط منها ﴿ **فتخطفه الطير** ﴾ أي : تقطعه الطيور في الهواء ، ﴿ **أو تهوي به الريح في مكان سحيق** ﴾ ؛ أي : بعيد مهلك لمن هوىٰ فيه ، ولهذا جاء في حديث البراء(١٠٨) : « **إن الكافر إذا توفته ملائكة الموت ، وصعدوا بروحه إلىٰ السماء ، فلا تفتح له أبواب السماء ، بل تطرح روحه طرحًا من هناك** » . ثم قرأ هذه الآية ، وقد تقدم الحديث في سورة إبراهيم بحروفه وألفاظه وطرقه . وقد ضرب تعالى للمشرك مثلًا آخر في سورة الأنعام ، وهو قوله : ﴿ **قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد علىٰ أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلىٰ الهدىٰ ائتنا قل إن هدىٰ الله هو الهدىٰ** ﴾ . الآية .

ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾

يقول تعالىٰ : هذا ﴿ **ومن يعظم شعائر الله** ﴾ . أي : أوامره ﴿ **فإنها من تقوىٰ القلوب** ﴾ . ومن ذلك تعظيم الهدايا والبدن ، كما قال الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس : تعظيمها استسمانها واستحسانها .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا حفص بن غياث ، عن ابن أبي ليلىٰ ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : ﴿ **ذلك ومن يعظم شعائر الله** ﴾ قال : الاستسمان والاستحسان والاستعظام .

وقال أبو أمامة بن سهل[١] : كنا نسمن الأضحية بالبرية[٢] ، وكان المسلمون يسمنون . رواه البخاري(١٠٩) .

وعن أبي هريرة : أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال[٣] : « **دم عفراء أحب إلى**

---

(١٠٨) تفسير الطبري (١٧/١١٢) .

(١٠٩) صحيح البخاري (١٠/٩) « فتح » معلقًا .

---

[١] - في ز ، خ : « سميل » .
[٢] - في ت : « بالمدينة » .
[٣] - سقط من خ .

اللّٰه من دم سوداوين » . رواه أحمد وابن ماجة(١١٠) .

قالوا : والعفراء هي : البيضاء بياضًا ليس بناصع ، فالبيضاء أفضل من غيرها ، وغيرها يجزئ أيضًا ؛ لما ثبت في صحيح البخاري(١١١) عن أنس : أن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، ضحّىٰ بكبشين أملحين أقرنين .

وعن أبي سعيد(١١٢) : أن رسول اللّٰه ، صلى اللّٰه عليه وسلم ، ضحّىٰ بكبش أقرن فحيل[١] ، يأكل في سواد ، وينظر في سواد ، ويمشي في سواد . رواه أهل السنن ، [وصححه الترمذي ، أي][٢]: بكبش أسود[٣] في هذه الأماكن .

[وفي][٤] سنن ابن ماجة(١١٣) ، عن أبي رافع : أن رسول الله ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، ضحىٰ بكبشين عظيمين سمينين أقرنين أملحين موجوءين . قيل : هما الخَصِيان . وقيل : هما[٥] اللذان رُضَّ خصياهما ولم يقطعهما . واللّٰه أعلم .

---

(١١٠) المسند (٤١٧/٢) ولم يقع لي في سنن ابن ماجه .

(١١١) صحيح البخاري ، كتاب الأضاحي حديث (٥٥٥٨) .

(١١٢) سنن أبي داود ، كتاب الضحايا حديث (٢٧٩٦) ، وسنن الترمذي ، كتاب الأضاحي حديث (١٤٩٦) ، وسنن النسائي ، كتاب الضحايا (٢٢١/٧) ، وسنن ابن ماجة ، كتاب الأضاحي (٣١٢٨) .

(١١٣) حديث أبي رافع رواه أحمد (٨/٦) : ثنا حسين ، نا شريك عن عبد اللّٰه بن محمد ، عن على بن حسين ، عن أبي رافع ؛ قال : ضحى رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وسلم بكبشين أملحين موجبين خصيين فقال : « أحدهما عمن شهد بالتوحيد وله بالبلاغ ، والآخر عنه وعن أهل بيته » قال : فكان رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وسلم قد كفانا .

وشريك : ضُعِف لسوء حفظه . وعبد اللّٰه بن محمد بن عقيل : حسن له الأئمة . والحديث أخرجه الطبراني في الكبير (١/ ٣١١، ٣١٢، ٣٢١/رقم : ٩٢٠ - ٩٢٣، ٩٥٧) . وفي الأوسط كما في مجمع البحرين (٣/ ٢٩٣، ٢٩/رقم : ١٨٤١) . والبزار كما في كشف الأستار رقم (١٢٠٨) .وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٢١، ٢٢) وقال : « رواه أحمد ، وإسناده حسن ، ثم ذكر لفظًا آخر وقال : رواه البزار ، وأحمد بنحوه ، ورواه الطبراني في الكبير بنحوه » ثم ذكر لفظ حديث أبي رافع في الأوسط قال : « رواه في الكبير بنحوه ، وإسناد أحمد والبزار حسن » .

والحديث لم يقع في سنن ابن ماجه من حديث أبي رافع وإنما هو من حديث عائشة وأبي هريرة حديث (٣١٢٢) .

---

[١] - في خ : « محل »

[٢] - في خ : « وضحى اليزيدي أبي قتيبة » . وفي ز : « الترمذي أبي قتيبة » .

[٣] - في ز ، خ : « سواد » .

[٤] - في ز : أي .

[٥] - سقط من ت ، ز .

وكذا روىٰ أبو داود ، وابن ماجة(١١٤) عن جابر : ضحّىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بكبشين أقرنين أملحين موجوءين .

وعن علي - رضي اللَّه عنه - قال : أمرنا رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، أن نستشرف(*) العين والآذان[١] ، وأن لا نضحي بمقابلة ولا مدابرة [ولا شرقاء ولا خرقاء][٢] . رواه أحمد(١١٥) وأهل السنن ، وصححه الترمذي ، ولهم عنه(١١٦) ، قال : نهىٰ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، أن يضحىٰ بأعضب القرن والأذن .

وقال سعيد بن المسيب : [المعضب : المنصف][٣] فأكثر .

وقال بعض أهل اللغة : إن كسر قرنها الأعلىٰ فهي قصماء ، فأما العضب ؛ فهو كسر الأسفل ، وعضب الأذن قطع بعضها .

وعند الشافعي : أن التضحية[٤] بذلك مجزئة ، لكن تكره .

وقال أحمد : لا تجزئ الأضحية بأعضب القرن والأذن لهذا الحديث .

وقال مالك : إن كان الدم يسيل من القرن لم يجزئ ، وإلا أجزأ . واللَّه أعلم .

وأما المقابلة : فهي التي قطع مقدم أذنها ، والمدابرة : من مؤخر أذنها . والشرقاء : هي التي قطعت أذنها طولًا . قاله الشافعي . والخرقاء : هي التي خرقت[٥] السمة أذنها خرقًا مدوّرًا[٦] ، واللَّه أعلم .

وعن البراء قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أربع لا تجوز في الأضاحي:**

---

(١١٤) - سنن أبي داود ، كتاب الضحايا ، باب : ما يستحب من الضحايا حديث (٢٧٩٥) .

(*) - استشرف الشيء : رفع رأسه ينظر إليه . والمعنى : نبحث عنهما ، ونتأمل في حالهما لئلا يكون فيهما عيب .

(١١٥) المسند (٨٠/١) ، وسنن أبي داود ، كتاب الضحايا (٢٨٠٤) ، وسنن الترمذي ، كتاب الأضاحي (١٤٩٨) ، وسنن النسائي (٢١٧/٧) ، وسنن ابن ماجه برقم (٣١٤٢) .

(١١٦) المسند (٨٣/١) ، وسنن أبي داود برقم (٢٨٠٥) ، وسنن الترمذي برقم (١٥٠٤) ، وسنن النسائي (٢١٧/٧) ، وسنن ابن ماجه ماجه برقم (٣١٤) .

---

[١] - في ت : « والأذن » .

[٢] - في ز ، خ : « ولا برثاء خرثاء » .

[٣] - في خ : « العضب : النصف » .

[٤] - في ز : الضحية .

[٥] - في خ : « قطعت » .

[٦] - في ز ، خ : « مدارا » .

العوراء البيِّنُ عَوَرها ، والمريضة البين مرضها ، والعرجاء البين ظلعها ، والكسيرة[١](*) التي لا تنقي (**) » . رواه أحمد(١١٧) وأهل السنن ، وصححه الترمذي ، وهذه العيوب تنقص اللحم ؛ لضعفها وعجزها عن استكمال الرعي ؛ لأن الشاء يسبقونها إلىٰ المرعىٰ ، فلهذا لا تجزئ التضحية بها عند الشافعي وغيره من الأئمة - كما هو ظاهر الحديث - واختلف قول الشافعي في المريضة مرضًا يسيرًا علىٰ قولين .

وروىٰ أبو داود (١١٨) ، عن عتبة بن عبد السلمي : أن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه

(١١٧) المسند (٢٨٤/٤) (١٨٥٦١) ، ورواه أحمد حديث (١٨٧٢٩) وأخرجه أبو داود في كتاب الأضاحي ، باب : ما يكره من الضحايا حديث (٢٨٠٢) (٩٧/٣) . والترمذي في كتاب الأضاحى (٢٠) ، باب : مالا يجوز من الأضاحي حديث (١٤٩٧) (٧٢/٤ - ٧٣) . والنسائي في كتاب الأضاحي ، باب : العرجاء (٢١٥/٧) . وابن ماجة في كتاب الأضاحي ، باب : ما يكره أن يضحى به حديث (٣١٤٤) (١٠٥٠/٢ - ١٠٥١) . والدارمي في كتاب الأضاحي ، باب : ما لا يجوز من الأضاحي حديث (١٩٥٦) (٤/٢) . والطيالسى (٧٤٩) ، وابن خزيمة (٢٩١٢) . وابن الجارود (٩٠٧) ، والطحاوي في « شرح معاني الآثار » (١٦٨/٤) .

وابن حبان في «صحيحه » حديث (٥٩٢٢) (٢٤٥/١٣) . والحاكم (٤٦٧/١ - ٤٦٨) وعنه البيهقي في « الكبرى » (٢٤٢/٥) ، (٢٧٤/٩) من طرق عن شعبة ، عن سليمان بن عبد الرحمن ، عن عبيد بن فيروز قال : سألت البراء ، فذكر الحديث مطولاً ومختصرًا واللفظ متقارب . وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، لا نعرفه إلا من حديث عبيد بن فيروز عن البراء والعمل على هذا الحديث عند أهل العلم . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح ، ولم يخرجاه لقلة روايات سليمان بن عبد الرحمن وقد أظهر علي بن المديني فضائله وإتقانه ، ولهذا الحديث شواهد متفرقة بأسانيد صحيحة ولم يخرجاها ، ثم ذكر شواهد له فراجعها إن شئت . وأخرجه أيضًا الترمذي حديث (١٤٩٧) (٧٢/٤) من طريق يزيد بن أبي حبيب . وأخرجه النسائي (٢١٥/٧ - ٢١٦) . والطحاوي في « شرح معاني الآثار » (١٦٨/٤) . وابن حبان في « صحيحه » (٥٩١٩ ، ٥٩٢١) والبيهقي في « الكبرى » (٢٧٤/٩) . من طرق عن عمرو بن الحارث والليث بن سعد . كلهم : عمرو بن الحارث ، والليث بن سعد ، ويزيد بن أبي حبيب عن سليمان بن عبد الرحمن به . وقد رواه عثمان بن علي ، عن الليث ، عن سليمان بن عبد الرحمن ، عن القاسم مولى خالد ابن يزيد بن معاوية عن عبيد بن فيروز به . أخرجه البيهقي (٢٧٤/٩) . وقال : الحديث رواه يزيد بن أبي حبيب ، وشعبة بن الحجاج عن سليمان بن عبد الرحمن وذكر شعبة سماع سليمان من عبيد بن فيروز ، وفيما بلغني عن أبي عيسى الترمذي عن محمد بن إسماعيل البخاري أنه كان يميل إلى تصحيح رواية شعبة ، ولا يرضى رواية عثمان ابن عمر والله أعلم .

(*) الكسير : أي : المنكسرة الرِّجْل ، التى لا تقدر على المَشْيِ ، فعيل بمعنى مفعول . نهاية [١٧٢/٤].

(**) لا تُنْقِي : أي : التى لامُخّ لها ، لضَعْفِها وهُزالها . نهاية [١١١/٥] .

(١١٨) سنن أبي داود ، كتاب الضحايا ، باب : ما يكره من الضحايا حديث (٢٨٠٣) . ورواه أحمد .

[١] - في ز ، خ : « الكسير » .

وسلم ، نهىٰ عن المصْفَّرة ، والمستأصلة ، والبخقاء ، والمشيَّعة ، والكسراء[١] . فالمصفرة قيل : الهزيلة . وقيل : المستأصلة الأذن . والمستأصلة : المكسورة القرن . والبخقاء : هي العوراء ، والمشيعة : هي التي لا تزال تشيع خلف الغنم ولا تَتْبَع لضعفها . والكسراء[٢] : العرجاء .

فهذه العيوب كلها مانعة [من الإِجزاء ، فإن طرأ العيب][٣] بعد تعيين الأضحية ، فإنه لا يضر عيبه عند الشافعي خلافًا لأبي حنيفة .

وقد روىٰ الإمام أحمد(١١٩) ، عن أبي سعيد قال : اشتريت كبشًا [أضحي به][٤] ، فعدا الذئب فأخذ الألية ، ، فسألت النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فقال : « ضح به » .

---

(١١٩) المسند (٣٢/٣) (١١٢٩٠) . ثنا وكيع ، ثنا سفيان ، عن جابر ، عن محمد بن قرظة ، عن أبي سعيد الخدري ... فذكره ، وهذا إسناد ضعيف جدًّا من أجل جابر الجعفي ، ومحمد بن قرظة : هو ابن كعب الأنصاري ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال ابن القطان : لا يعرف ، وقال عبد الحق يقال : إنه لم يسمع من أبي سعيد ، وقال الذهبي في الميزان : ما روى عنه غير جابر الجعفي ، روى له ابن ماجة .

وجابر ، هو ابن يزيد الجعفي : قال ابن عبد الحكم : سمعت الشافعي يقول : قال سفيان الثوري لشعبة : لئن تكلمت في جابر الجعفي لأتكلمن فيك . قال أحمد بن حنبل : تركه يحيى وعبدالرحمن . وقال محمد بن بشار عن ابن مهدي : ألا تعجبون من سفيان بن عيينة ، لقد تركت لجابر الجعفي لما حكى عنه أكثر من ألف حديث ثم هو يحدث عنه . وقال النسائي : متروك الحديث ، وقال في موضع آخر : ليس بثقة ، ولا يكتب حديثه . وقال الحاكم أبو أحمد : ذاهب الحديث . وقال ابن عدي : له حديث صالح ، وشعبة أقل رواية عنه من الثوري ، وقد احتمله الناس وعامة ما قذفوه به أنه كان يؤمن بالرجعة ، وهو مع هذا إلى الضعف أقرب منه إلى الصدق . وقال ابن سعد : كان يدلس ، وكان ضعيفًا جدًّا في رأيه وروايته . وقال العقيلي في الضعفاء : كذبه سعيد بن جبير . وقال العجلي : كان ضعيفًا يغلو في التشيع ، وكان يدلس . د ت ق .

وقال عنه الذهبي في الكاشف : من أكبر علماء الشيعة ، وثقه شعبة فشذ ، وتركه الحفاظ . قال أبو داود : ليس في كتابي شيء سوى حديث السهو . وقال أحمد : ترك يحيى جابراً الجعفي ، حدثنا عنه ابن مهدي قديمًا عن شيبان أوسفيان ثم تركه بعد . وقال البخاري : تركه يحيى وابن مهدي . وقال النسائي : متروك . وقال ابن حزم في المحلى : كذاب (٢٠٤/٢) . وقال : ساقط (٢٩٤/٩) .

ومحمد بن قرظة ؛ قال عنه في التقريب : مجهول . وقال ابن القطان : لايعرف . وقال في الميزان : ما روى عنه سوى جابر الجعفي . وقال عبد الحق : لم يسمع من أبي سعيد .

أخرجه ابن ماجه - كتاب الأضاحى ، باب : ما يكره أن يضحى به (٣١٤٦) .

والطيالسى في مسنده (٢٢٣٧) ، والبيهقي في السنن (٢٨٩/٩) ، والمزى في تهذيب الكمال (٣١٦/١٦) ترجمة محمد بن قرظة .

=

ورواه أحمد (١١٧٥٩ ، ١١٨٣٦) (٧٨/٣ ، ٨٦) .

---

[١] - في خ : « الكسيرة » . وفي ز :الكبيرة. [٢] - في ز ، خ : « والكسيرة » .

[٣] - بياض في ز ، خ . وقبله في ز : « أي » . [٤] - في ز ، خ : « أضحية » .

ولهذا جاء في الحديث : أمرنا رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، أن نستشرف العين والأذن . أي : أن تكون الهدية أو[١] الأضحية سمينة حسنة ثمينة ، كما رواه الإمام أحمد(١٢٠) وأبو داود ، عن عبد اللّٰه بن عمر قال : أهدىٰ عمر نجيبًا [فأعطي بها ثلاثمائة دينار][٢] ، فأتىٰ النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فقال : يا رسول اللّٰه ، إني أهديت نجيبًا ، فأعطيت بها ثلاثمائة دينار ، أفأبيعها وأشتري بثمنها بُدْنًا ؟ قال : « لا[٣] ، انحرها إياها » .

وقال الضحّاك ، عن ابن عباس : البدن من شعائر اللّٰه .

[وقال محمد بن أبي[٤] موسىٰ : الوقوف ومزدلفة والجمار والرمي والحلق والبدن : من شعائر الله][٥].

وقال ابن عمر : أعظم الشعائر البيت .

وقوله : ﴿ لكم فيها منافع ﴾ ، أي : لكم في البدن منافع ؛ من لبنها وصوفها وأوبارها وأشعارها وركوبها .

﴿ إلى أجل مسمًّى ﴾ . قال مقسم ، عن ابن عباس [في قوله][٦] : ﴿ لكم فيها منافع إلى أجل مسمًّى ﴾ . قال : ما لم تسمَّ بدنًا .

وقال مجاهد في قوله : ﴿ لكم فيها منافع إلىٰ أجل مسمىٰ ﴾ قال : الركوب واللبن

= من طرق عن جابر بن يزيد به .

وقال البوصيري في الزوائد : في إسناده جابر الجعفي ، وهو ضعيف قد اتهم . قال الدميريّ : هو أثر روى فيه جابر الجعفي وهو كذاب . وقال الحافظ في التلخيص (١٥٨/٤) : ... ومداره على جابر الجعفي ، وشيخه محمد بن قرظة غير معروف ، ويقال إنه لم يسمع من أبي سعيد . وسئل الدارقطني عنه ، فقال : يرويه جابر الجعفى ، واختلف عنه ، فرواه الثوري عن جابر ، عن محمد بن قرظة ، عن أبي سعيد ، وخالفه أبو شيبة فرواه عن جابر عن محمد بن كعب القرظى عن أبي سعيد ، والقول قول الثوري .

وأخرجه عبد بن حميد في « المنتخب » (٨٩٩) ، والبيهقي معلقًا . ويأتي (١١٤٠٤) (٤٣/٣)

من طريق حماد بن سلمة عن الحجاج عن عطية عن أبي سعيد بنحوه .

وهذا إسناد ضعيف أيضًا من أجل الحجاج ، وعطية العوفي .

(١٢٠) المسند (١٤٥/٢) ، وسنن أبي داود ، كتاب المناسك ، باب : تبديل الهدي حديث (١٧٥٦) .

---

[١] - في خ : « و » . [٢] - في خ : « فأعطيت بها ثلاثة » .
[٣] - سقط من ز ، خ . [٤] - سقط من ز .
[٥] - جاءت في خ بعد قوله : « ولكم فيها منافع » . [٦] - سقط من ز ، خ .

والولد ، فإذا سميت[١] بدنة أو هديًا ذهب ذلك [كله . وكذا قال][٢] عطاء ، والضحاك ، وقتادة ، وعطاء[٣] الخراساني ، وغيرهم .

وقال آخرون : بل له أن ينتفع بها وإن كانت هديًا ، إذا احتاج إلىٰ ذلك ، كما ثبت في الصحيحين(١٢١) عن أنس : أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، رأىٰ رجلًا يسوق بَدَنَةً قال : « **اركبها** » . قال : إنها بدنة ! قال : « **اركبها ويحك !** » . في الثانية أو الثالثة .

وفي رواية لمسلم(١٢٢) ، عن جابر ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « **اركبها بالمعروف إذا ألجئت إليها** » .

وقال شعبة ، عن زهير بن أبي ثابت الأعمىٰ ، عن المغيرة بن حَذْف ، عن عليّ : أنه رأىٰ رجلًا يسوق بدنة ومعها ولدها فقال : لا تشرب من لبنها إلّا ما فضل عن[٤] ولدِها ، فإذا كان يوم النحر فاذبحها وولدها .

وقوله : ﴿ **ثم محلها إلىٰ البيت العتيق** ﴾ . أي : مَحِل الهدي وانتهاؤه إلىٰ البيت العتيق - وهو الكعبة - كما قال تعالىٰ : ﴿ **هديًا بالغ الكعبة** ﴾ . [وقال : ﴿ **والهدي معكوفًا أن يبلغ محله** ﴾ وقد تقدم الكلام علىٰ معنىٰ البيت العتيق قريبًا ، والله أعلم][٥] .

وقال ابن جريج ، عن عطاء قال[٦] : كان ابن عباس يقول : كل من طاف بالبيت فقد حلَّ ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **ثم محلها إلىٰ البيت العتيق** ﴾ .

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٥) ﴾

(١٢١) صحيح البخاري ، كتاب الحج ، باب : ركوب البدن ، (١٦٩٠) ، وصحيح مسلم ، كتاب الحج (١٣٢٣) .
(١٢٢) صحيح مسلم ، كتاب الحج حديث (١٣٢٣) .

[١] - في ز : سمنت .
[٢] - في ز ، خ : « قاله » .
[٣] - في ز : مقاتل .
[٤] - في خ : من .
[٥] - سقط من خ .
[٦] - سقط من ز .

يخبر تعالى أنه لم يزل ذبح المناسك وإراقة الدماء على اسم الله مشروعًا في جميع الملل .

قال عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : [﴿ ولكل[١] أمة][٢]جعلنا منسكًا ﴾ . قال : عيدًا . وقال عكرمة : ذبحًا . وقال زيد بن أسلم في قوله : ﴿ لكل أمة جعلنا منسكًا ﴾ : إنها مكة ، لم يجعل الله لأمة قط منسكًا غيرها .

وقوله[٣] : ﴿ ليذكروا اسم الله علىٰ ما رزقهم من بهيمة الأنعام ﴾ . كما ثبت في الصحيحين(١٢٣) عن أنس قال : أتى رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، بكبشين أملحين أقرنين ، فسمىٰ وكبر ، ووضع رجله علىٰ صفاحهما .

وقال الإمام أحمد بن حنبل(١٢٤) : حدثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا سلام بن مسكين ، عن عائذ الله المجاشعي ، عن أبي داود - وهو نفيع[٤] بن الحارث - عن زيد بن أرقم قال : قلت - أو قالوا - : يا رسول الله ؛ ما هذه الأضاحي ؟ قال : « سنة أبيكم إبراهيم » . قالوا[٥] : ما لنا منها ؟ قال : « بكل شعرة حسنة » . قالوا : فالصوف ؟ قال : « بكل شعرة من الصوف حسنة » . وأخرجه الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة في سننه من حديث سلام بن مسكين به .

وقوله : ﴿ فإلهكم إله واحد فله أسلموا ﴾ ، أي : معبودكم واحد ، وإن تنوعت شرائع الأنبياء ، ونسخ بعضها بعضًا ، فالجميع يدعون إلىٰ عبادة الله وحده لا شريك له : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ . ولهذا قال : ﴿ فله أسلموا ﴾ . أي : أخلصوا واستسلموا لحكمه وطاعته .

﴿ وبشر المخبتين ﴾ ، قال مجاهد : المطمئنين . وقال الضحاك وقتادة : المتواضعين . وقال

---

(١٢٣) صحيح البخاري ، كتاب الأضاحي ، باب : من ذبح الأضاحي بيده حديث (٥٥٥٨) ، وصحيح مسلم ، كتاب الأضاحي (١٩٦٦) .

(١٢٤) المسند (٣٦٨/٤) ، وإسناده ضعيف ؛ أبو داود ؛ قال الذهبي : تركوه وكان يترفض . وعائذ الله المجاشعي . قال البخاري : لا يصح حديثه . وقال أبو حاتم : منكر الحديث ولم يروي عنه غير سلام . قاله الذهبي . والحديث رواه ابن ماجة في كتاب الأضاحي ، باب : ثواب الأضحية (١٠٤٥/٢) حديث ٣١٢٧. ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١٩٧/٥) رقم الحديث (٥٠٧٥) . وعبد بن حميد (٢٥٩) . وأخرجه الحاكم (٣٨٩/٢) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

---

[١] - في ز : لكل .

[٢] - ما بين المعكوفين سقط من خ .

[٣] - سقط من ز .

[٤] - في ز ، خ : « منيع » .

[٥] - في خ : « قال » .

السدي : الوجلين[١] . وقال عمرو بن أوس[٢] : [المخبتون][٣]: الذين لا يَظلمون ، وإذا ظلموا لم ينتصروا .

وقال الثوري[٤] : ﴿ وبشر المخبتين ﴾ قال : المطمئنين الراضين بقضاء الله ، المستسلمين له .

وأحسن ما يفسر بما بعده ، وهو قوله : ﴿ الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ ، أي : خافت منه قلوبهم ﴿ والصابرين علىٰ ما أصابهم ﴾ أي : من المصائب .

قال الحسن البصري : والله لتصبرُنَّ أو لتهلكُنَّ .

﴿ والمقيمي الصلاة ﴾ قرأ الجمهور - بالإضافة - السبعةُ(*)، وبقيةُ العشرة أيضًا ، وقرأ ابن[٥] السَّمَيْقَع[٦] : ﴿ والمقيمين الصلاة ﴾ بالنصب . وقال الحسن البصري : (والمقيمي الصلاةَ)(**) ، وإنما حذفت النون هاهنا تخفيفًا ، ولو حذفت للإضافة لوجب خفض الصلاة ، وقيل[٧] علىٰ سبيل التخفيف[٨] فنصبت أي : المؤدين حق الله فيما أوجب عليهم[٩] من أداء فرائضه .

﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ . أي : وينفقون ما آتاهم الله من طيب الرزق علىٰ أهليهم[١٠] وأرقائهم وقراباتهم وفقرائهم ومحاويجهم ، ويحسنون إلىٰ خلق الله مع محافظتهم علىٰ حدود الله ، وهذه بخلاف صفات[١١] المنافقين ، فإنهم بالعكس من هذا كله ، كما تقدم تفسيره في سورة براءة .

وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا

(*) المحتسب (٢/٨٠) .

(**) المحتسب (٢/٨٠) .

[١] - في خ : « الموصلين » .
[٢] - في ز ، خ : « إدريس » .
[٣] - في خ : « المسحنون » .
[٤] - في ز : النووي .
[٥] - سقط من خ .
[٦] - في خ : « السميقيع » .
[٧] - في ت : « ولكن » .
[٨] - بياض في ز ، خ .
[٩] - في ز : عليه .
[١٠] - في خ : « أهلهم » .
[١١] - في خ : « صلاة » .

لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦)

يقول تعالىٰ ممتنًا علىٰ عباده فيما خلق لهم من البدن ، وجعلها من شعائره ، وهو أنه جعلها تهدىٰ إلىٰ بيته الحرام ، بل هي أفضل ما يهدىٰ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد** ﴾ الآية .

قال ابن جريج : قال عطاء في قوله : ﴿ **والبدن جعلناها لكم من شعائر الله** ﴾ ، قال : البقرة والبعير . وكذا رُوي عن ابن عمر وسعيد بن المسيب والحسن البصري .

وقال مجاهد : إنما البدن من الإبل .

قلت : أما إطلاق البدنة علىٰ البعير فمتفق عليه ، واختلفوا في صحة إطلاق البدنة علىٰ البقرة علىٰ قولين ؛ أصحهما : أنه يطلق عليها ذلك شرعًا كما صح في الحديث .

ثم جمهور العلماء على أنه تجزئ البدنة عن سبعة ، والبقرة عن سبعة ، كما ثبت به الحديث عند مسلم (١٢٥) ، من رواية جابر بن عبد الله [وغيره][١] قال : أمرنا[٢] رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أن نشترك في الأضاحي : البدنة عن سبعة ، والبقرة عن سبعة .

[وقال إسحاق بن راهويه وغيره : بل تجزئ البقرة عن سبعة والبعير عن عشرة][٣] . وقد ورد به حديث في مسند الإمام أحمد وسنن النسائي وغيرهما(١٢٦) ، فالله أعلم .

وقوله : ﴿ **لكم فيها خير** ﴾ أى : ثواب في الدار الآخرة .

وعن سليمان بن يزيد الكعبي ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة : أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **ما عمل ابن آدم يوم النحر عملًا أحب إلى الله من إراقة[٤] دم ، وإنه ليأتي يوم القيامة بقرونها وأظلافها وأشعارها ، وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع [من] الأرض ، فطِيبوا بها نفسًا** » . رواه ابن ماجة ، والترمذي

---

(١٢٥) صحيح مسلم ، كتاب الحج حديث (١٢١٨) .

(١٢٦) المسند (٢٧٥/١) ، وسنن النسائي (٢٢٢/٧) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال : « كان مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في سفر فحضر النحر فاشتركنا في البعير عن عشرة والبقرة عن سبعة» .

---

[١] – سقط من ت .
[٢] – في ز ، خ : « أمر » .
[٣] – سقط من ز ، خ .
[٤] – في ز : هراقة .

وحسنه[١٢٧] .

وقال سفيان الثوري : كان أبو حاتم يستدين ويسوق البدن ، فقيل له : تستدين وتسوق البدن ؟ فقال : إني سمعت الله يقول : ﴿ **لكم فيها خير** ﴾ .

وعن ابن عباس[١٢٨] قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **ما أنفقت الورق[١] في شيء أفضل من نحيرة في يوم عيد** » . رواه الدارقطني في سننه .

وقال إبراهيم النخعي : يركبها ويحلبها إذا احتاج إليها .

وقال مجاهد : ﴿ **لكم فيها خير** ﴾ قال : أجر ومنافع .

وقوله : ﴿ **فاذكروا اسم الله عليها صواف** ﴾ ، وعن [المطلب بن عبد الله بن حنطب ، عن][٢] جابر بن عبد الله قال : صليت مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عيد الأضحى ، فلما انصرف أتى بكبش فذبحه ، فقال : « **بسم الله ، والله أكبر ، اللهم هذا[٣] عني وعمن لم يضحّ من أمّتي** » .

رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي[١٢٩] .

---

(١٢٧) سنن الترمذي ، كتاب الأضاحي (١٤٩٣) ، وسنن ابن ماجه ، كتاب الأضاحي (٣١٢٦) .

(١٢٨) سنن الدارقطني (٢٨٢/٤) من طريق إبراهيم بن يزيد ، عن عمرو بن دينار ، عن طاوس ، عن ابن عباس .

(١٢٩) المسند (٣٥٦/٣ ، ٣٦٢) (١٤٨٨١) (١٤٩٣٧) وإسناده ضعيف لانقطاعه : المطلب بن عبد الله بن حنطب : قال العلائي : قال البخاري : لا أعرف للمطلب عن أحدٍ من الصحابة سماعًا ، إلا قوله : حدثني من شهد خطبة النبي صلى الله عليه وسلم . وقال أبو حاتم : المطلب بن حنطب عامة أحاديثه مراسيل ، لم يدرك أحدًا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، إلا سهل بن سعد ، وأنساً ، وسلمة بن الأكوع ، أو من كان قريباً منهم ، ولم يسمع من جابر ، ولا من زيد بن ثابت ، ولا من عمران بن حصين . وقال مرة أخرى : لم يدرك عائشة ، ويشبه أن يكون أدرك جابراً .

فإن صح قول أبي حاتم الأخير - أنه يشبه أن يكون أدرك جابراً - بقيت علة عنعنة المطلب فإنه مدلس ، على ما وصفه به ابن حجر في التقريب ، فإنه قال : صدوق : كثير التدليس والإرسال .

وعمرو بن أبي عمرو مولى المطلب ، قال أحمد : ليس به بأس . وقال ابن معين وأبو داود : ليس بالقوي . وسيأتي قول النسائي فيه : ليس هو بالقوي في الحديث ، وإن كان قد روى عنه مالك في الحديث التالي .

وقال الذهبي : صدوق ، حديثه مخرج في الصحيحين . =

---

[١] - في ز ، خ : « الرزق » .

[٢] - سقط من ز ، خ . [٣] - سقط من خ .

وقال محمد بن إسحاق(١٣٠) ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن ابن عباس ، عن جابر قال : ضحىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، بكبشين في يوم عيد ، فقال حين وجههما : « **وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا مسلمًا وما أنا من المشركين ، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ، اللهم منك ولك ، وعن محمد وأمته** » . ثم سمىٰ الله وكبر وذبح الذبائح[١] .

وعن عليّ بن الحسين ، عن أبي رافع : أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، كان إذا ضحىٰ اشترىٰ كبشين سمينين أقرنين أملحين ، فإذا صلىٰ وخطب الناس أمر[٢] بأحدهما وهو قائم في مصلاه فذبحه بنفسه بالمدية ، ثم يقول : « **اللهم هذا عن أمتي جميعها ، من شهد لك بالتوحيد ، وشهد لي بالبلاغ** » . ثم يؤتىٰ بالآخر فيذبحه بنفسه ، ثم يقول : « **هذا عن محمد وآل محمد** » . فيُطعمهما[٣] جميعًا المساكين[٤] ، ويأكل هو وأهله منهما[٥] .

[رواه أحمد وابن ماجة(١٣١)][٦] .

وقال الأعمش : عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **فاذكروا اسم الله عليها صواف** ﴾ ، قال : قيامًا علىٰ ثلاث قوائم ، معقولة يدها اليسرىٰ ، يقول : باسم الله ، والله أكبر ، اللهمّ منك ولك . وكذلك روى مجاهد وعلي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس نحو هذا .

= والحديث رواه أحمد ، حديث ١٤٨٨١ - (٣٥٦/٣) ، و١٤٩٣٩ - (٣٦٢/٣) .

ورواه أبو داود في كتاب الضحايا ، باب : في الشاة يضحى بها عن الجماعة ، حديث ٢٨١٠ .

والترمذي في كتاب الأضاحي ، باب (٢٢) ، ح١٥٢١ .

وقال الترمذي : هذا حديث غريب من هذا الوجه ، والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وغيرهم : أن يقول الرجل إذا ذبح بسم الله والله أكبر ، وهو قول ابن المبارك .

قال : والمطلب بن عبد الله بن حنطب يقال : إنه لم يسمع من جابر .

وقال الترمذي في موضع آخر من السنن ، كما سيأتي في الحديث التالي : المطلب لا نعرف له سماعاً من جابر ، والله أعلم .

(١٣٠) تقدم تخريج الحديث عند تفسير الآية : ١٦٢ من سورة الأنعام .

(١٣١) المسند (٨/٦) وتقدم الحديث في هذه السورة .

---

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - في ت : « أتى » .

[٣] - في ز ، خ : « فبلغهما » .

[٤] - في ز : للمساكين .

[٥] - في ز ، خ : « منها » .

[٦] - بياض في ز ، خ .

وقال ليث : عن مجاهد : إذا عقلت رجلها اليسرىٰ قامت علىٰ ثلاث . وروىٰ ابن أبي نجيح عنه نحوه .

وقال الضحاك : تعقل رجل واحدة فتكون على ثلاث .

وفي الصحيحين(١٣٢) عن ابن عمر : أنه أتىٰ علىٰ رجل قد أناخ بَدَنَتَه وهو ينحرها ، فقال : ابعثها قيامًا مقيّدة ، سنة أبي القاسم ، صلىٰ الله عليه وسلم .

وعن جابر(١٣٣) : أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وأصحابه كانوا ينحرون البدن معقولة اليسرىٰ ، قائمة علىٰ ما بقي من قوائمها . رواه أبو داود .

وقال ابن لهيعة : حدثني عطاء بن دينار ، أن [سالم بن][١] عبد الله قال لسليمان بن عبد الملك : قف من شقها الأيمن ، وانحرْ من شقها الأيسر .

وفي صحيح مسلم(١٣٤) ، عن جابر في صفة حجة الوداع قال فيه : فنحر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بيده ثلاثًا وستين بدنة ، جعل يطعنها بحربة في يده .

وقال عبد الرزاق(١٣٥) : أخبرنا معمر عن قتادة قال : في حرف ابن مسعود : (صوافن) أي : معقولة[٢] قيامًا .

وقال سفيان الثوري : عن منصور ، عن مجاهد : من قرأها : (صوافن) قال : معقولة . ومن قرأها : ﴿ صواف ﴾ ، قال : تصف بين يديها .

---

(١٣٢) صحيح البخاري ، كتاب الحج ، باب : نحر الإبل مقيدة حديث (١٧١٣) ، وصحيح مسلم كتاب الحج (١٣٢٠) .

(١٣٣) سنن أبي داود ، كتاب المناسك ، باب : كيف تنحر الإبل ، حديث (١٧٦٧) من حديث عثمان بن أبي شيبة ؛ قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن ابن جريج ، عن أبي الزبير ، عن جابر . وأخبرني عبد الرحمن بن سابط أن النبي ﷺ ... فذكره . ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن ابن جريج عن عبد الرحمن بن سابط أن النبي ﷺ ... فذكره مرسلًا .

قال ابن القطان في كتابه – بعد أن ذكره من جهة أبي داود – : القائل : وأخبرني هو ابن جريج ، فيكون ابن جريج رواه عن تابعيين – أحدهما أسنده وهو أبو الزبير ، والآخر أرسله وهو عبد الرحمن بن سابط .

(١٣٤) صحيح مسلم ، كتاب الحج حديث (١٢١٨) .

(١٣٥) تفسير عبد الرزاق (٢/٣٣) . وهي أيضاً قراءة ابن عمر وابن عباس وإبراهيم وأبي جعفر محمد بن علي والأعمش ، واختلف عنهما ، وعطاء بن أبي رباح والضحاك والكلبي . المحتسب (٢/٨١) .

---

[١] – سقط من خ . [٢] – في ز : معقلة .

وقال طاوس ، والحسن ، وغيرهما (**) : (فاذكروا اسم الله عليها صَوَافِيَ) يعني : خالصة لله عز وجل (***) ، وكذا رواه مالك عن الزهري .

وقال عبد الرحمن بن زيد : (صوافِيَ) ليس فيها شرك كشرك الجاهلية لأصنامها[١] .

وقوله : ﴿ فإذا وجبت جنوبها ﴾ قال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : يعني سقطت إلىٰ الأرض . وهو رواية عن ابن عباس ، وكذا قال مقاتل بن حيان .

وقال العوفي عن ابن عباس : ﴿ فإذا وجبت جنوبها ﴾ يعني : نحرت .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ﴿ فإذا وجبت جنوبها ﴾ يعني : ماتت .

وهذا القول هو مراد ابن عباس ومجاهد ، فإنه لا يجوز الأكل من البدنة إذا نحرت حتىٰ تموت وتبرد حركتها ، وقد جاء في حديث مرفوع : « ولا تُعجِلُوا النفوس أن تَزْهَقَ »(١٣٦) . وقد رواه الثوري في جامعه(١٣٧) ، عن أيوب ، عن يحيىٰ بن أبي[٢] كثير ، عن فرافصة الحنفي ، عن عمر بن الخطاب أنه قال ذلك ، ويؤيده حديث شداد بن أوس في صحيح[٣] مسلم(١٣٨) : « إن الله كتب الإحسان علىٰ كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح ، ولِيُحِدَّ أحدكم شفرته ، ولِيُرِحْ ذبيحته » .

وعن أبي واقد الليثي قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « ما قطع من البهيمة وهي حية فهو ميتة » . ورواه[٤] أحمد وأبو داود والترمذي وصححه (١٣٩) .

(*) وكذا قرأ أبو موسى الأشعري وشقيق بن سلمة وزيد بن أسلم ،وسليمان التيمي ، ورويت عن الأعرج . المحتسب (٨٢/٢) .

(**) المحتسب (٨٢/٢) .

(١٣٦) رواه الدارقطني في السنن (٢٨٣/٤) من طريق سعيد بن سلام العطار عن عبد الله بن بديل عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة – رضي الله عنه – مرفوعًا وسعيد بن سلام العطار كذبه أحمد وابن نمير ، وضعف البيهقي هذا الحديث في السنن الكبرى (٢٧٨/٩) .

(١٣٧) ومن طريقه رواه البيهقي في السنن الكبرى (٢٧٨/٩) .

(١٣٨) صحيح مسلم ، كتاب الصيد والذبائح ، حديث (١٩٥٥) .

(١٣٩) المسند (٢١٨/٥) (٢١٩٩٨ ، ٢١٩٩٩) ، وأخرجه أبو داود : كتاب الصيد باب في صيد قطع فيه قطعة (٣/ ١١٠/ رقم : ٢٨٥٨) . والترمذي : كتاب الأطعمة باب ما قطع من الحى فهو ميت (٤/ ٧٤/ رقم : ١٤٨٠) . وقال : وهذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث زيد بن أسلم . كلهم=

---

[١] – في ز ، خ : « وأصنامهم » .
[٢] – سقط من خ .
[٣] – في ز ، خ : « حديث » .
[٤] – في ز : ورواه .

وقوله : ﴿ فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر ﴾ ، قال بعض السلف[١] : قوله : ﴿ فكلوا منها ﴾ أمر إباحة . وقال مالك : يستحب ذلك . وقال غيره : يجب . وهو وجه لبعض الشافعية .

واختلف[٢] في المراد بالقانع والمعتر ؛ فقال العوفي ، عن ابن عباس : ﴿ القانع ﴾ : المستغني بما أعطيته وهو في بيته . ﴿ والمعتر ﴾ : الذي يتعرض لك ، ويلم بك أن تعطيه من اللحم ، ولا يسأل . وكذا قال مجاهد ومحمد بن كعب القرظي .

وقال عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ القانع ﴾ : المتعفف ، ﴿والمعتر ﴾ : السائل . وهذا قول قتادة وإبراهيم النخعي ومجاهد في رواية عنه .

وقال ابن عباس وعكرمة وزيد بن أسلم وابن الكلبي والحسن البصري ومقاتل بن حيان ومالك بن أنس : ﴿ القانع ﴾ : هو الذي يقنع[٣] إليك ويسألك . ﴿ والمعتر ﴾ : الذي يعتريك و[٤]يتضرع ولا يسألك . وهذا لفظ الحسن.

وقال سعيد بن جبير : ﴿ القانع ﴾ : هو السائل . ثم قال : أما سمعت قول الشَّمَّاخ

لمال[٥] المرء يصلحه فيغني مفاقره أعف من القنوع

قال : يغني من السؤال . وبه قال ابن زيد.

[وقال زيد بن][٦] أسلم : ﴿القانع ﴾ : المسكين الذي يطوف . ﴿ والمعتر ﴾ : الصديق والضعيف[٧] الذي يزور . وهو رواية عن عبد اللّه بن زيد أيضًا.

وعن مجاهد أيضًا: ﴿ القانع ﴾ : جارك الغني [الذي يبصر ما يدخل بيتك][٨] ﴿ والمعتر ﴾: الذي يعتريك من الناس. وعنه أن القانع: هو الطامع ، والمعتر: هو الذي يعتر[٩] بالبدن من غني أو فقير. وعن عكرمة نحوه، وعنه: ﴿ القانع ﴾ : أهل مكة.

واختار ابن جرير أن ﴿ القانع ﴾ هو السائل ؛ لأنه من أقنع بيده إذا رفعها للسؤال ،

= من طريق عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي واقد به .

[١] - في ز ، خ : « الناس » .
[٢] - في خ : « واختلفوا » .
[٣] - في ز : يتبع .
[٤] - سقط من خ .
[٥] - في خ : « مال » .
[٦] - سقط من خ .
[٧] - سقط من خ .
[٨] - سقط من ز ، خ .
[٩] - في ز ، خ : « يعين » .

﴿ **والمعتر** ﴾ من الاعترار ، وهو : الذي يتعرض لأكل اللحم .

وقد احتج بهذه الآية الكريمة من ذهب من العلماء إلىٰ أن الأضحية تجزأ ثلاثة أجزاء : فثلث لصاحبها يأكله ، وثلث يهديه لأصحابه ، وثلث يتصدق به علىٰ الفقراء ؛ لأنه تعالىٰ قال : ﴿ **فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر** ﴾ وفي الحديث الصحيح(١٤٠) أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال للناس : « **إني كنت نهيتكم عن ادخار لحوم الأضاحي فوق ثلاث ، فكلوا وادخروا ما بدا لكم** » . وفي رواية(١٤١) : « **فكلوا وادخروا وتصدقوا** » . وفي رواية : « **فكلوا وأطعموا وتصدقوا** » .

والقول الثاني : أن المضحي يأكل النصف ، ويتصدق بالنصف ؛ لقوله في الآية المتقدمة : ﴿ **فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير** ﴾ . ولقوله في الحديث : « **فكلوا وادخروا وتصدقوا** » .

فإن أكل الكل ؛ فقيل : لا يضمن شيئًا ؛ وبه قال ابن سريج من الشافعية .

وقال بعضهم : يضمنها كلها بمثلها أو قيمتها . وقيل : يضمن نصفها . وقيل : ثلثها . وقيل : أدنىٰ جزء منها . وهو المشهور من مذهب الشافعي .

وأما الجلود ففي مسند أحمد(١٤٢) ، عن قتادة بن النعمان في حديث الأضاحي : « **فكلوا[١] وتصدقوا واستمتعوا بجلودها ولا تبيعوها** » . ومن العلماء من رخص في ذلك ، ومنهم من قال : يقاسم الفقراء ثمنها ، والله أعلم .

[مسألة]

عن البراء بن عازب(١٤٣) قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا أن نصلي ، ثم نرجع فننحر ، فمن فعل ذلك[٢] فقد أصاب سنتنا ، ومن ذبح قبل الصلاة فإنما هو لحم عجله[٣] لأهله ، ليس هو من النسك في شيء** » . أخرجاه .

(١٤٠) صحيح مسلم برقم (٩٧٧) من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه .
(١٤١) رواه مالك في الموطأ (٢/٤٨٤) من حديث جابر رضي الله عنه .
(١٤٢) المسند (٤/١٥) (١٦٢٥٩) .
(١٤٣) صحيح البخاري ، كتاب الأضاحي ، باب : سنة الأضحية حديث (٥٥٤٥) ، وصحيح مسلم كتاب الأضاحي حديث (١٩٦١) .

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « يبديه » .

فلهذا قال الشافعي وجماعة من العلماء : إن أول وقت الأضحىٰ إذا طلعت الشمس يوم النحر ، ومضىٰ قدر صلاة العيد والخطبتين ، زاد أحمد : وأن يذبح الإمام بعد ذلك ، لما جاء في صحيح مسلم : « **وأن لا تذبحوا حتىٰ يذبح الإمام** »(١٤٤) .

وقال أبو حنيفة : أما أهل السواد من القرىٰ ونحوهم فلهم أن يذبحوا بعد طلوع الفجر ، إذ لا صلاة عيد عنده لهم ، وأما أهل الأمصار فلا يذبحوا حتىٰ يصلي الإمام ، والله أعلم .

ثم قيل : لا يشرع الذبح إلا يوم النحر وحده . وقيل : يوم النحر لأهل الأمصار ؛ لتيسر الأضاحي عندهم[١] ، وأما أهل القرىٰ فيوم النحر وأيام التشريق بعده ، وبه[٢] قال سعيد بن جبير .

وقيل : يوم النحر ويوم بعده للجميع[٣] .

وقيل : ويومان بعده ، وبه قال الإمام أحمد .

وقيل : يوم النحر وثلاثة أيام التشريق بعده . وبه قال الشافعي ؛ لحديث جبير بن مطعم : أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **وأيام التشريق كلها ذبح** »(١٤٥) . رواه أحمد وابن حبان .

وقيل : إن وقت الذبح يمتد إلىٰ آخر ذي الحجة . وبه قال إبراهيم النخعي ، وأبو سلمة بن [عبد الرحمن][٤] وهو قول غريب .

وقوله : ﴿ **كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون** ﴾ ، يقول تعالىٰ : من أجل هذا ﴿ **سخرناها لكم** ﴾ ، أي : ذللناها لكم ، أي : جعلناها منقادة لكم خاضعة ، إن شئتم ركبتم ، وإن شئتم حلبتم ، وإن شئتم ذبحتم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعامًا فهم لها مالكون * وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ***

---

(١٤٤) لم يقع في مسلم هذا اللفظ .

(١٤٥) المسند (٨٢/٤) (١٦٨٠١) . والحديث أخرجه ابن حبان كما في الموارد (حديث ١٠٠٨) . والطبراني (١٣٨/٢) حديث (١٥٨٣) . قال الهيثمي في المجمع (٢٨/٤) : رواه أحمد وروى الطبراني في الأوسط عنه : « أيام التشريق كلها ذبح » ورجال أحمد وغيره ثقات . اهـ . وقال (٢٥٤/٣) : ورواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير ؛ إلا أنه قال : « **وكل فجاج مكة منحر** » . ورجاله موثقون . اهـ . والبيهقي (٢٣٩/٥) . وابن حزم في المحلى (١٨٨/٧) .

---

[١] - في خ : « عنده » .

[٢] - في خ : « ولهذا » .

[٣] - في ز : الجميع .

[٤] - في ز ، خ : « سمرة » .

ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون ﴾ وقال في هذه الآية الكريمة : ﴿ **كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون** ﴾ .

لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾

يقول تعالىٰ : إنما شرع لكم نحر هذه الهدايا والضحايا ؛ لتذكروه عند ذبحها ، فإنه الخالق الرازق ، [لأنه لا][١] يناله شيء من لحومها ولا دمائها ، فإنه تعالىٰ هو الغني عما سواه .

وقد كانوا في جاهليتهم إذا ذبحوها لآلهتهم وضعوا عليها من لحوم قرابينهم ، ونضحوا عليها من دمائها[٢] ، فقال تعالىٰ : ﴿ **لن ينال الله لحومها ولا دماؤها** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عليّ بن الحسين ، حدثنا محمد بن أبي حماد ، حدثنا إبراهيم ابن المختار ، عن ابن جريج قال : كان أهل الجاهلية ينضحون البيت بلحوم الإبل ودمائها ، فقال أصحاب رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : فنحن أحق أن ننضح ، فأنزل الله : ﴿ **لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوىٰ منكم** ﴾ . أي : يتقبل ذلك ويجزي عليه . كما جاء في الصحيح(١٤٦) : « **إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم[٣] ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم** » وما جاء في الحديث : « **إن الصدقة لتقع في يد الرحمن قبل أن تقع في يد السائل ، وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع علىٰ الأرض** »(١٤٧) . كما تقدم الحديث . رواه ابن ماجة ، والترمذي وحسنه عن عائشة مرفوعًا . فمعناه[٤] أنه سيق لتحقيق القبول من الله لمن أخلص في عمله ، وليس له معنى يتبادر عند العلماء المحققين سوىٰ هذا ، والله أعلم .

وقال وكيع : عن [يحيىٰ][٥] بن مسلم - أبي[٦] الضحاك - : سألت عامرًا الشعبي عن جلود الأضاحي ؟ فقال : ﴿ **لن ينال الله لحومها ولا دماؤها** ﴾ ، إن شئت فبع ، وإن شئت فأمسك ، وإن شئت فتصدق .

---

(١٤٦) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، حديث (٢٥٦٤) .

(١٤٧) - رواه الترمذي في الأضاحي (١٤٩٣) ، وابن ماجه في الأضاحي (٣١٢٦) .

---

[١] - في ت : « لا أنه » .

[٢] - في خ : « دمائهم » .

[٣] - في ز : ألوانكم .

[٤] - في ز : بمعناه .

[٥] - بياض في ز ، خ .

[٦] - في ز ، خ : « بن » .

وقوله : ﴿ كذلك سخرها لكم ﴾ . أي : من أجل ذلك سخر لكم البدن ، ﴿ لتكبروا اللَّه علىٰ ما هداكم ﴾ . أي : لتعظموه كما هداكم لدينه وشرعه ، وما يحبه وما يرضاه ، ونهاكم عن فعل ما يكرهه ويأباه .

وقوله : ﴿ وبشر المحسنين ﴾ . أي : وبشر يا محمد ؛ المحسنين . أي : في عملهم ، القائمين بحدود اللَّه ، المتبعين ما شرع لهم ، المصدقين الرسول فيما أبلغهم وجاءهم به من عند ربه عز وجل .

[مسألة]

وقد ذهب أبو حنيفة ومالك والثوري [إلىٰ القول][١] بوجوب الأضحية علىٰ من ملك نصابًا ، وزاد أبو حنيفة اشتراط الإقامة أيضًا ، واحتج لهم بما رواه أحمد(١٤٨) وابن ماجة بإسناد رجاله كلهم ثقات ، عن أبي هريرة مرفوعًا : « **من وجد سعة فلم يضح فلا يقربن مصلانا** » . على أن فيه غرابة ، واستنكره أحمد بن حنبل .

وقال ابن عمر : أقام رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم ، عشر سنين يضحي . رواه الترمذي(١٤٩) .

وقال الشافعي وأحمد : لا تجب الأضحية ، بل هي مستحبة ؛ لما جاء في الحديث : « **ليس في المال حق سوىٰ الزكاة** »(١٥٠) . وقد تقدم أنه –عليه السلام– ضحىٰ عن أمته فأسقط ذلك وجوبها عنهم .

وقال أبو سريحة : كنت جارًا لأبي بكر وعمر ، فكانا لا يضحيان خشية أن يقتدي الناس بهما .

وقال بعض الناس : الأضحية سنة كفاية ، إذا قام بها واحد من أهل دار أو محلة سقطت عن الباقين ؛ لأن المقصود إظهار الشعار .

(١٤٨) المسند (٢/٣٢١) وسنن ابن ماجة برقم (٣١٢٣) . قال البوصيري في الزوائد (٣/٥٠) : في إسناده عبد الله بن عياش وإن روى له مسلم فإنما روى له في المتابعات والشواهد وقد ضعفه أبو داود والنسائي ، وقال أبو حاتم صدوق . وابن يونس : منكر الحديث وذكره ابن حبان في الثقات » . ثم نقل عن البيهقي أنه بلغه عن الترمذي: أن الصحيح عن أبي هريرة موقوف ا.هـ .

(١٤٩) سنن الترمذي في كتبا الأضاحي (١٥٠٧) وقال الترمذي : حسن .

(١٥٠) رواه ابن ماجه في الزكاة حديث (١٧٨٩) من حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها .

[١] – في ز : بالقول .

وقد روىٰ الإمام أحمد وأهل السنن(١٥١) ، وحسنه الترمذي ، عن مخنف بن سليم أنه سمع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول بعرفات : « **علىٰ كل أهل بيت في كل عام أضحاة وعتيرة ، هل تدرون ما العتيرة؟ هي التي تدعونها الرجَبيَّة**[١] » . وقد تكلم في إسناده .

وقال أبو[٢] أيوب : كان الرجل في عهد رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، يضحي بالشاة الواحدة عنه وعن أهل بيته ، فيأكلون ويُطعمون [حتىٰ تباهى][٣] الناس [فصار كما ترىٰ][٤] . رواه الترمذي(١٥٢) وصححه ، وابن[٥] ماجة .

وكان عبد اللّٰه بن هشام يضحي بالشاة الواحدة عن جميع أهله . رواه البخاري .

فأما مقدار سن الأضحية فقد روىٰ مسلم(١٥٣) عن جابر أن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **لا تذبحوا إلا مسنة إلّا أن يعسر**[٦] **عليكم ؛ فتذبحوا جذعة من الضأن** » .

ومن هاهنا ذهب الزهري إلىٰ أن الجذع ، لا يجزئ وقابله الأوزاعي فذهب إلى أن الجذع يجزئ من كل جنس ، وهما غريبان ، وقال الجمهور : إنما يجزئ الثنيُّ من الإبل والبقر

---

(١٥١) المسند (٢١٥/٤)(١٧٩٤٤) وإسناده ضعيف : فيه أبي رملة : قال في التقريب : عامر أبو رملة – شيخ لابن عون – لا يعرف .

والحديث أخرجه أبو داود (٩٣/٣) (٢٧٨٨) في كتاب الضحايا ، باب : في ما جاء في إيجاب الأضاحي . والترمذي في كتاب الأضاحي ، باب : العتيرة ، حديث ١٥١٨ . والنسائي (١٦٧/٧ – ١٦٨) في كتاب الفرع والعتيرة . وابن ماجه (١٠٤٥/٢) حديث (٣١٢٥) في كتاب الاضاحي ، باب : الأضاحي والدية هي أم لا ؟ والبيهقي في سننه الكبرى (٣١٢/٩) . والطبراني في الكبير (٣١١/٢٢) حديث (٧٣٩) ، (٧٣٨) . وذكره ابن حجر في الإصابة (١٥١/٩) . قال أبو داود : العتيرة منسوخة ، هذا خبر منسوخ . وقال المنذري : وقال اليحصبي : وقال بعض السلف ببقاء حكمها .

وقال الخطابي : العتيرة تفسيرها في الحديث : أنها شاة تذبح في رجب ، وهذا هو الذي يشبه معنى الحديث ويليق بحكم التدين ، فأما العتيرة التي كان يعترها أهل الجاهلية ؛ فهي الذبيحة تذبح للصنم ، فيصب دمها على رأسه ، والعتر بمعنى الذبح ، واختلفوا في وجوب الأضحية ؛ فقال أكثر أهل العلم : أنها ليست بواجبة ، ولكنها مندوب إليها . وقال محمد بن الحسن : هي واجبة على المياسير . قلت : هذا الحديث ضعيف المخرج وأبو رملة مجهول . اهـ كلام الخطابي ، رحمه اللّٰه تعالى .

(١٥٢) سنن الترمذي ، كتاب الأضاحي (١٥٠٥) ، وسنن ابن ماجة ، كتاب الأضاحي (٣١٤٧) .

(١٥٣) صحيح مسلم ، كتاب الأضاحي ، حديث (١٩٦٣) .

---

[١] – في ز ، خ : « المرجبة » .

[٢] – في ز ، خ : « ابن » .

[٣] – سقط من ز ، خ .

[٤] – سقط من ز ، خ .

[٥] – في ز ، خ : « ابن » .

[٦] – في ز : يعر .

والمعز ، والجذع من الضأن ، فأما الثني من الإبل فهو الذي له خمس سنين ودخل في السادسة ، ومن البقر [ماله سنتان ودخل في الثالثة ، وقيل :][١] ما له ثلاث و[٢]دخل في الرابعة . ومن المعز ما له سنتان[٣] . وأما الجذع من الضأن ؛ فقيل[٤] : ما له سنة ، وقيل : عشرة أشهر ، [وقيل : ثمانية أشهر][٥] ، وقيل : ستة أشهر ، وهو أقل ما قيل في سنه ، وما دونه فهو حمل ، والفرق بينهما أن الحمل شعر ظهره قائم ، والجذع شعر ظهره نائم ، قد انعدل صدعين ، والله أعلم .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴾ (٣٨)

يخبر تعالىٰ أنه يَدْفع عن عباده الذين توكلوا عليه وأنابوا إليه شر الأشرار وكيد الفجار ، ويحفظهم ويكلؤهم وينصرهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ أليس الله بكاف عبده ﴾ وقال: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرًا ﴾ .

وقوله : ﴿ إن الله لا يحب كل خوان كفور ﴾ . أي : لا يحب من عباده من اتصف بهذا ، وهو الخيانة في العهود والمواثيق ، لا يفي بما قال . والكفر[٦] : الجحد للنعم ، فلا يعترف بها .

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ (٣٩) ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٤٠)

قال العوفي ، عن ابن عباس : نزلت في محمد وأصحابه حين أخرجوا من مكة .

وقال غير واحد من السلف : هذه أول آية نزلت في الجهاد ، واستدل بهذه الآية بعضهم على أن السورة مدنية ، وقاله مجاهد والضحاك وقتادة وغير واحد .

وقال ابن جرير : حدثني يحيىٰ بن داود الواسطي ، حدثنا إسحاق بن يوسف ، عن

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز : وقد .
[٣] - في ز : سنة .
[٤] - في ز : قيل .
[٥] - سقط من خ .
[٦] - في ز : الكفور .

سفيان ، عن الأعمش ، عن مسلم - هو البطين - عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما أخرج النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، من مكة ، قال أبو بكر : أخرجوا نبيهم ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، ليهلكنَّ . قال ابن عباس : فأنزل الله عز وجل : ﴿ **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله علىٰ نصرهم لقدير** ﴾ ، قال أبو بكر رضي الله تعالىٰ عنه : فعرفت أنه سيكون قتال .

و[١]رواه الإمام أحمد(١٥٤) ، عن إسحاق بن[٢] يوسف الأزرق ، به ، وزاد : قال ابن عباس : وهي أول آية نزلت في القتال .

ورواه الترمذي والنسائي في التفسير من سننيهما(١٥٥) ، وابن أبي حاتم من حديث إسحاق بن يوسف ، زاد الترمذي : ووكيع ، كلاهما عن سفيان الثوري ، به . وقال الترمذي : حديث[٣] حسن . وقد رواه غير واحد عن الثوري ، وليس فيه ابن عباس .

وقوله : ﴿ **وإن الله علىٰ نصرهم لقدير** ﴾ ، أي : هو قادر علىٰ نصر عباده المؤمنين من غير قتال ، ولكن هو يريد من عباده أن يبلوَ جهدهم في طاعته ، كما قال : ﴿ **فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتىٰ إذا أثخنتموهم فشدّوا الوثاق فإما منًّا بعد وإما فداء حتىٰ تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم * سيهديهم ويصلح بالهم * ويدخلهم الجنة عرفها لهم** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين * ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله علىٰ من يشاء والله عليم حكيم** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون** ﴾ ، وقال : ﴿ **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين** ﴾ ، [وقال : ﴿ **ولنبلونكم حتىٰ نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم** ﴾ والآيات في هذا كثيرة ؛ ولهذا قال ابن عباس في قوله : ﴿ **وإن الله على نصرهم لقدير** ﴾ : وقد فعل][٤] .

وإنما شرع تعالىٰ الجهاد في الوقت الأليق به ، لأنهم لما كانوا بمكة كان المشركون أكثر

(١٥٤) تفسير الطبري (١٧/١٢٣) ، والمسند (١/٢١٦) .

(١٥٥) سنن الترمذي ، كتاب تفسير القرآن حديث (٣١٧١) ، وسنن النسائي الكبرى برقم (١١٣٤٥) .

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز : عن .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - سقط من ز ، خ .

عددًا ، فلو أَمَر المسلمين وهم أقل من العشر بقتال الباقين[١] لشق عليهم ، [ولهذا لما بايع أهل][٢] يثرب ليلة العقبة رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وكانوا نيفًا وثمانين ، قالوا : يا رسول الله ، ألا نميل علىٰ أهل الوادي - يعنون أهل منى - ليالي منى فنقتلهم ؟ فقال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **إني لم أومر بهذا** » . فلما بغىٰ المشركون ، وأخرجوا النبي صلىٰ الله عليه وسلم من بين أظهرهم ، وهموا بقتله ، وشردوا أصحابه شَذَر مَذَر ، فذهب منهم طائفة إلىٰ الحبشة ، وآخرون إلىٰ المدينة ، فلما استقروا بالمدينة ، ووافاهم رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، واجتمعوا عليه ، وقاموا بنصره ، وصارت لهم دار إسلام ، ومعقلًا يلجئون إليه ، شرع الله جهاد الأعداء ، فكانت هذه الآية أول ما نزل في ذلك ، فقال تعالىٰ : ﴿ **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله علىٰ نصرهم لقدير * الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله** ﴾ .

قال العوفي ، عن ابن عباس : أخرجوا من مكة إلى المدينة بغير حق ، يعني : محمدًا وأصحابه .

﴿ **إلا أن يقولوا ربنا الله** ﴾ ، أي : ما كان لهم إلىٰ قومهم إساءة ، ولا كان لهم ذنب ، إلا أنهم عبدوا الله وحده لا شريك له ، وهذا استثناء منقطع بالنسبة [إلىٰ ما][٣] في نفس الأمر ، وأما عند المشركين فهو أكبر الذنوب ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم** ﴾ وقال تعالى في قصة أصحاب الأخدود : ﴿ **وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد** ﴾ ولهذا [ ][٤] لما كان المسلمون يرتجزون في بناء الخندق ويقولون :

لاهُمّ لولا أنت ما اهتَدَينا ولا تَصَدّقْنا ولا صَلَّينا
فأنْزِلَنْ سَكينَةً علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنةً أبينا

فيوافقهم رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، ويقول معهم آخر كل قافية ، فإذا قالوا : إذا أرادوا فتنة أبينا ، قال[٥] : « **أبينا** » ، يمد بها صوته .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض** ﴾ ، أي : لولا أنه يدفع عن قوم بقوم ، ويكشف شر أناس عن غيرهم بما يخلقه ويقدره من الأسباب ، لفسدت الأرض ، وأهلك القوي الضعيف .

---

[١] - في ز ، خ : « المنافقين » .
[٢] - في خ : « ولما بايع هذا أهل » .
[٣] - في خ : « لما » .
[٤] - في ز : قال .
[٥] - في ز : فيقول .

﴿ لهدمت صوامع ﴾ ، وهي المعابد الصغار للرهبان ، قاله [ابن عباس][١] ومجاهد وأبو العالية وعكرمة والضحاك وغيرهم .

وقال قتادة : هى معابد الصابئين ، وفي رواية عنه : صوامع المجوس .

وقال مقاتل بن حيان : هي البيوت التي على الطرق .

﴿ وبيع ﴾ وهي أوسع منها ، وأكثر عابدين فيها ، وهي للنصارىٰ أيضًا . قاله أبو العالية وقتادة والضحاك وابن صخر ومقاتل بن حيان وخصيف وغيرهم .

وحكىٰ ابن جرير[٢] عن مجاهد وغيره : أنها كنائس اليهود . وحكىٰ السدي عمن حدثه عن ابن عباس : أنها كنائس اليهود . ومجاهد إنما قال : هي الكنائس . والله أعلم .

وقوله : ﴿وصلوات﴾ قال العوفي ، عن ابن عباس : الصلوات : الكنائس . وكذا قال عكرمة والضحاك وقتادة : إنها كنائس اليهود . وهم يسمونها صَلُوتًا .

وحكى السدي عمن حدثه ، عن ابن عباس : أنها كنائس النصارى . وقال أبو العالية وغيره : الصلوات معابد الصابئين .

وقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : الصلوات : مساجد لأهل الكتاب ولأهل الإسلام بالطرق . وأما المساجد فهى للمسلمين .

وقوله : ﴿ يذكر فيها اسم الله كثيرًا ﴾ فقد قيل : الضمير في قوله : ﴿ يذكر فيها ﴾ عائد إلىٰ المساجد ؛ لأنها[٣] أقرب المذكورات .

و[٤]قال الضحاك : الجميع يذكر فيها اسم الله كثيرًا .

وقال ابن جرير : الصواب : لهدمت صوامع الرهبان ، وبيع النصارىٰ ، وصلوات اليهود وهي كنائسهم ، ومساجد المسلمين التي يذكر فيها اسم الله كثيرًا ؛ لأن هذا هو المستعمل المعروف في كلام العرب . و[٥]قال بعض العلماء : هذا ترقٍّ من الأقل إلىٰ الأكثر ، إلىٰ أن ينتهي إلىٰ المساجد ، وهي أكثر عمارًا وأكثر عبادًا ، وهم ذوو[٦] القصد[٧] الصحيح .

---

[١] - بياض في ز ، خ .
[٢] - في خ : جبير .
[٣] - في ز : لأنه .
[٤] - سقط من خ .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - في ز ، خ : « دور » .
[٧] - في ز : الفضل .

وقوله : ﴿ ولينصرن اللَّه من ينصره ﴾ ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا اللَّه ينصركم ويثبت أقدامكم * والذين كفروا فتعسًا لهم وأضل أعمالهم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إن اللَّه لقوي عزيز** ﴾ وصف نفسه بالقوة والعزة ، فبقوته[١] خلق كل شيء فقدره تقديرًا ، وبعزته لا يقهره قاهر ، ولا يغلبه غالب ، بل كل شيء ذليل لديه فقير إليه ، ومن كان القوي العزيز ناصره فهو المنصور ، وعدوه هو المقهور ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * إنهم لهم المنصورون * وإن جندنا لهم الغالبون** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **كتب اللَّه لأغلبن أنا ورسلى إن اللَّه لقوى عزيز** ﴾ .

ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾

قال ابن أبي حاتم : حدثنا[٢] أبي ، حدثنا أبو الربيع الزهراني[٣] ، حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب وهشام ، عن محمد قال : قال عثمان بن عفان : فينا نزلت : ﴿ **الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر** ﴾ . فأخرجنا من ديارنا بغير حق ، إلا أن قلنا[٤] : ربنا اللَّه ، ثم مُكنَّا في الأرض ، فأقمنا الصلاة ، وآتينا الزكاة ، وأمرنا بالمعروف ، ونهينا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور ، فهي لي ولأصحابي .

وقال أبو العالية : هم أصحاب محمد ، صلى اللَّه عليه وسلم .

وقال الصباح بن سوادة الكندي : سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب وهو يقول : ﴿ **الذين إن مكناهم في الأرض ...** ﴾ الآية ، ثم قال : ألا إنها ليست علىٰ الوالي وحده ، ولكنها علىٰ الوالي والمولى عليه ، ألا أنبئكم بما لكم علىٰ الوالي من ذلكم ، وبما للوالي عليكم منه ؟ إن لكم علىٰ الوالي من ذلكم أن يؤاخذكم[٥] بحقوق اللَّه عليكم ، وأن يأخذ لبعضكم من بعض ، وأن يهديكم للتي هي أقوم ما استطاع ، وإن عليكم من ذلك الطاعة غير المبزوزة ، ولا المستكرهة ، ولا المخالف سرها علانيتها .

وقال عطية العوفي : هذه الآية كقوله : ﴿ **وعد اللَّه الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات**

---

[١] - في ز : بقوته .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ز ، خ : « المرهداني » .
[٤] - في خ : « يقولوا » .
[٥] - في ز : يأخذكم .

ليستخلفنهم في الأرض﴾ .

وقوله : ﴿**ولله عاقبة الأمور**﴾ كقوله تعالى : ﴿**والعاقبة للمتقين**﴾ .

وقال[١] زيد بن أسلم : ﴿**ولله عاقبة الأمور**﴾ : وعند الله ثواب ما صنعوا .

ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ۖ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

يقول تعالىٰ مسليًا نبيه محمدًا[٢] ، صلىٰ الله عليه وسلم ، في تكذيب من خالفه من قومه : ﴿**وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح**﴾ إلىٰ أن قال : ﴿**وكذب موسىٰ**﴾ ، أي : مع ما جاء به من الآيات البينات والدلائل الواضحات .

﴿**فأمليت للكافرين**﴾ ، أي : أنظرتهم وأخرتهم ، ﴿**ثم أخذتهم فكيف كان نكير**﴾ ، أي : فكيف كان إنكاري عليهم ومعاقبتي[٣] لهم .

ذكر بعض السلف أنه كان بين[٤] قول فرعون لقومه : أنا ربكم الأعلى . وبين إهلاك الله له أربعون سنة .

وفي الصحيحين(١٥٦) عن أبي موسىٰ ، عن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أنه

(١٥٦) صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن حديث (٤٦٨٦) ، وصحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب (٢٥٨٣) .

[١] - سقط من خ .
[٢] - في ز : محمد .
[٣] - في ز ، خ : « وعاقبتي » .
[٤] - في ز : من .

قال : « **إن الله ليملي للظالم حتىٰ إذا أخذه لم يفلته** » ، ثم قرأ : ﴿ **وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرىٰ وهي ظالمة [إن أخذه أليم شديد** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **فكأين من قرية أهلكناها** ﴾ ، أي : كم من قرية أهلكتها ﴿ **وهي ظالمة**][١] ﴾ أي : مكذبة لرسولها ﴿ **فهي خاوية علىٰ عروشها** ﴾ قال الضحاك : سقوفها ، أي : قد[٢] خربت منازلها ، وتعطلت حواضرها .

﴿ **وبئر معطلة** ﴾ أى : لا يستقى منها ولا يردها أحد بعد كثرة وارديها والازدحام عليها .

﴿ **وقصر مشيد** ﴾ قال عكرمة : يعني المبيض بالجص .

وروي عن على بن أبى طالب ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير وأبي المليح والضحاك نحو ذلك .

وقال آخرون : هو المنيف المرتفع .

وقال آخرون : هو[٣] الشديد المنيع الحصين .

وكل هذه الأقوال متقاربة ، ولا منافاة بينها ، فإنه لم يحم أهله شدة بنائه ولا ارتفاعه ، ولا إحكامه ولا حصانته ، عن حلول بأس الله بهم ، كما قال تبارك وتعالىٰ : ﴿ **أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة** ﴾ .

وقوله : ﴿ **أفلم يسيروا في الأرض** ﴾ ، أي : بأبدانهم وتفكرهم[٤] أيضًا ، وذلك كافٍ ، كما قال ابن أبي الدنيا في كتاب التفكر والاعتبار :

حدثنا هارون بن عبد الله ، حدثنا سيار ، حدثنا[٥] جعفر ، حدثنا مالك بن دينار قال : أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ موسىٰ عليه السلام : أن يا موسىٰ اتخذ نعلين من حديد وعصا ، و[٦]سح في الأرض ، ثم[٧] اطلب الآثار والعبر ، حتىٰ تتخرق النعلان ، وتكسر العصا .

و[٨]قال ابن أبى الدنيا : قال بعض الحكماء : [أحي قلبك بالمواعظ][٩] ، ونوّره بالفكر ، وموته بالزهد ، وقوّه باليقين ، وذلله [بالموت وقرره بالفناء][١٠] ، وبصره فجائع[١١] الدنيا ،

---

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - سقط من خ .
[٣] - سقط من خ .
[٤] - في خ : بفكرهم .
[٥] - في ز : بن .
[٦] - في ز : ثم .
[٧] - في ز : و .
[٨] - سقط من ز .
[٩] - في ز : « أخي عليك بالواعظ » .
[١٠] - في ز : « بالقرب وتدبره بالثناء » .
[١١] - في ز : بمجامع .

وحذره صولة الدهر وفحش تقلب الأيام ، واعرض عليه أخبار الماضين ، وذكره [ما أصاب][١]من كان قبله ، وسر[٢] في ديارهم وآثارهم وانظر[٣] ما فعلوا ، وأين حلوا وعم انقلبوا [أي : فانظروا][٤] ما حل بالأمم المكذبة من النقم[٥] والنكال ، ﴿ **فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها** ﴾ أي : فيعتبرون بها ، ﴿ **فإنها لا تعمىٰ الأبصار ولكن تعمىٰ القلوب التي في الصدور** ﴾ ، أي : ليس العمىٰ عمىٰ البصر ، وإنما العمىٰ عمىٰ البصيرة ، وإن كانت القوة الباصرة سليمة ، فإنها لا تنفذ إلى العبر ، ولا تدري ما الخبر ، وما أحسن ما قاله بعض الشعراء في هذا المعنىٰ ، وهو أبو محمد عبد الله بن محمد ابن سارة[٦] الأندلسي الشنتريني ، وقد كانت وفاته سنة سبع عشرة وخمسمائة :

يا مَنْ يُصيخُ إلىٰ داعي الشقاء وقد ... نادىٰ به الناعيان : الشيب والكبر
إن كنت لا تسمع الذكرىٰ ففيم تُرىٰ ... في رأسك الواعيان : السمع والبصر ؟
ليس الأصم ولا الأعمىٰ سوىٰ رجل ... لم يهده الهاديان : العين والأثر
لا الدهر يبقىٰ ولا الدنيا ولا الفلك الـ ... أعلىٰ ولا النيران : الشمس والقمر
ليرحلن عن الدنيا وإن كرها ... فراقها الثاويان : البدو والحضر

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾

يقول تعالىٰ لنبيه صلوات الله وسلامه عليه : ﴿ **ويستعجلونك بالعذاب** ﴾ ، أي : هؤلاء الكفار المكذبون الملحدون بالله وكتابه ورسوله واليوم الآخر ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم** ﴾ ﴿ **وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ولن يخلف الله وعده** ﴾ ، أي : الذي قد وعد ، من إقامة الساعة ، والانتقام من أعدائه ، والإكرام لأوليائه .

قال الأصمعي : كنت عند أبي عمرو بن العلاء ، فجاءه عمرو بن عبيد ، فقال : يا أبا

[١] - في ز : بأم كتاب » .
[٢] - في ز : وسعى .
[٣] - في ز : انظروا .
[٤] - في ز : » فتنظروا .
[٥] - في ز : السقم .
[٦] - في ز : جبارة .

عمرو ، هل[١] يخلف الله الميعاد ؟ فقال : لا . فذكر آية وعيد ، فقال له : [أمن العجم أنت ؟ إن العرب تعد الرجوع عن الوعد لؤمًا][٢] وعن الإيعاد كرمًا ، أو ما سمعت قول الشاعر :

لا يرهب ابن العم مني[٣] سطوتي ولا [أختتي من][٤]سطوة المتهدد[٥]
فإني وإن أوْعَدتُهُ أو[٦] وعدتُه لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

وقوله : ﴿ **وإن يومًا عند ربك كألف سنة مما تعدون** ﴾ ، أي : هو تعالىٰ لا يَعجَل ، فإن مقدار ألف سنة عند خلقه كيوم واحد عنده بالنسبة إلىٰ حكمه ، لعلمه بأنه علىٰ الانتقام قادر ، وأنه لا يفوته شيء ، وإن أجل وأنظر وأملىٰ ، ولهذا قال بعد هذا : ﴿ **وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإليّ المصير** ﴾ .

قال ابن أبي حاتم : ثنا الحسن بن عرفة ، حدثني عبدة بن سليمان ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة عن أبي هريرة : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم**[٧] : **خمسمائة عام** » .

ورواه الترمذي والنسائي(١٥٧) من حديث الثوري عن محمد بن عمرو ، به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقد رواه ابن جرير (١٥٨) ، عن أبي هريرة موقوفًا فقال : حدثني يعقوب ، ثنا ابن علية ، ثنا سعيد الجريري ، عن أبي نضرة ، عن سُمَير بن نهار قال : قال أبو هريرة : يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بمقدار[٨] نصف يوم . [قلت : وما نصف يوم ؟][٩]قال : أو ما تقرأ القرآن ؟ قلت : بلىٰ . قال : ﴿ **وإن يومًا عند ربك كألف سنة مما تعدون** ﴾ .

وقال أبو داود(١٥٩) في آخر كتاب الملاحم من سننه : حدثنا عمرو بن عثمان ، حدثنا

(١٥٧) سنن الترمذي ، كتاب الزهد حديث (٢٣٥٤) ، وسنن النسائي الكبرى برقم (١١٣٤٨) . وابن ماجه كتاب الزهد (٤١٢٢) .
(١٥٨) تفسير الطبري (١٧/١٢٩) .
(١٥٩) سنن أبي داود حديث (٤٣٥٠) ورواه أحمد (١٤٦٧ التراث) وقال المناوي : سنده جيد .

[١] - في خ : وهل .
[٢] - ما بين المعكوفين في ز : « من العجمة تبيان العرب بعدم الرجوع عن الوعيد يومًا » .
[٣] - في ز : والجار .
[٤] - في ز : يثني عن .
[٥] - في ز : المهدد .
[٦] - في ز : و .
[٧] - سقط من ز .
[٨] - في ز : مقدار .
[٩] - ما بين المعكوفين سقط من ز .

أبو المغيرة ، حدثنا صفوان ، عن شريح بن عبيد ، عن سعد بن أبي وقاص ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « **إني لأرجو أن لا تَعْجِزَ أمتي عند[١] ربها أن يؤخرهم نصف يوم** » . قيل لسعد : وما نصف يوم ؟ قال : خمسمائة سنة .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان[٢] ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ **وإن يومًا عند ربك كألف سنة مما تعدون** ﴾ ، قال : من الأيام التي خلق الله فيها السماوات والأرض .

ورواه ابن جرير(١٦٠) ، عن ابن بشار[٣] ، عن ابن مهدى . وبه قال مجاهد وعكرمة . ونص عليه أحمد بن حنبل في كتاب « **الرد علىٰ الجهمية** » .

وقال مجاهد : هذه الآية كقوله : ﴿ **يدبر الأمر من السماء إلىٰ الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عارم[٤] - محمد بن الفضل - حدثنا حماد بن زيد ، عن يحيىٰ بن عتيق ، عن محمد بن سيرين ، عن رجل من أهل الكتاب أسلمَ قال : إن الله تعالىٰ خلق السماوات والأرض في ستة أيام ، ﴿ **وإن يومًا عند ربك كألف سنة مما تعدون** ﴾ ، وجعل أجل الدنيا ستة أيام ، وجعل الساعة في اليوم السابع ، ﴿ **وإن يومًا عند ربك كألف سنة مما تعدون** ﴾ ، فقد مضت الستة الأيام ، وأنتم في اليوم السابع ، فمثل[٥] ذلك كمثل الحامل إذا دخلت شهرها ، ففي أية لحظة[٦] ولدت كان تمامًا .

قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾

يقول تعالىٰ لنبيه ، صلىٰ الله عليه وسلم ، حين طلب منه الكفار وقوع العذاب واستعجلوه به : ﴿ **قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين** ﴾ ، أي : إنما أرسلني الله إليكم نذيرًا لكم

---

(١٦٠) تفسير الطبري (١٢٩/١٧) .

---

[١] - في ز : عن .
[٢] - في ز : شيبان .
[٣] - في ز : يسار .
[٤] - بعده في ز ، خ : « بن » .
[٥] - في ز : بمثل .
[٦] - سقط من خ .

بين يدي عذاب شديد ، وليس إليّ من حسابكم من شيء ، أمركم إلىٰ اللَّه ؛ إن شاء عجَّل لكم العذاب ، وإن شاء أخره عنكم ، وإن شاء تاب علىٰ من يتوب إليه ، وإن شاء أضل من كتب عليه الشقاوة ، وهو الفعال لما يشاء ويريد ويختار ، ﴿ **لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب** ﴾ ، و ﴿ **إنما أنا لكم نذير مبين * فالذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ ، أي : آمنت[١] قلوبهم وصدقوا إيمانهم بأعمالهم ، ﴿ **لهم مغفرة ورزق كريم** ﴾ ، أي : مغفرة لما سلف من سيئاتهم ، ومجازاة حسنة علىٰ القليل من حسناتهم .

قال محمد بن كعب القرظي : إذا سمعت اللَّه تعالى يقول : ﴿ **ورزق كريم** ﴾ فهو : الجنة .

وقوله : ﴿ **والذين سعوا في آياتنا معاجزين**[٢] ﴾ قال مجاهد : يثبطون الناس عن متابعة النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم . وكذا قال عبد اللَّه بن الزبير : مثبطين .

وقال ابن عباس : ﴿ **معاجزين** ﴾ : مراغمين .

﴿ **أولئك أصحاب الجحيم** ﴾ ، وهي النار الحارة الموجعة ، الشديد[٣] عذابها ونكالها ، أجارنا اللَّه منها ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **الذين كفروا وصدوا عن سبيل اللَّه زدناهم عذابًا فوق العذاب بما كانوا يفسدون** ﴾ .

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٢﴾ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٤﴾

وقد ذكر كثير من المفسرين هاهنا قصة الغرانيق ، وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلىٰ أرض الحبشة ، ظنًّا منهم أن مشركي قريش قد أسلموا ، ولكنها من طرق كلها مرسلة

---

[١] - في خ : « آمنوا » .

[٢] - في ز : معجزين .

[٣] - في ز ، خ : « الشديدة » .

ولم أرها مسندة من وجه صحيح ، والله أعلم .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس بن حبيب ، حدثنا أبو داود ، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير قال : قرأ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، بمكة « **النجم** » ، فلما بلغ هذا الموضع : ﴿ **أفرأيتم اللات والعزىٰ * ومناة الثالثة الأخرىٰ** ﴾ قال : فألقىٰ الشيطان علىٰ لسانه : « **تلك الغرانيق العلىٰ ، وإن شفاعتهن**[١] **ترتجىٰ** » قالوا : ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم . فسجد وسجدوا ، فأنزل الله عز وجل [هذه الآية][٢] : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنىٰ ألقىٰ الشيطان في أمنيته** ﴾ الآية[٣].

و[٤]رواه ابن جرير(١٦١) ، عن بندار ، عن غندر ، عن شعبة به نحوه . وهو مرسل .

وقد رواه البزار في مسنده(١٦٢) ، عن يوسف بن حماد ، عن أمية بن خالد ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس - فيما أحسب ، الشك في الحديث - أن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قرأ بمكة سورة « **النجم** » حتىٰ انتهىٰ[٥] إلىٰ : ﴿ **أفرأيتم اللات والعزىٰ** ﴾ ، وذكر بقيته . ثم قال البزار : لا يروىٰ متصلًا إلا بهذا الإِسناد . تفرد بوصله أمية بن خالد ، وهو ثقة مشهور . وإنما يروىٰ هذا من طريق الكلبي ، عن أبي صالح ، [عن ابن عباس][٦] .

ثم رواه ابن أبى حاتم ، عن أبى العالية ، وعن السدي مرسلًا . وكذا رواه ابن جرير(١٦٣) ، عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس مرسلًا أيضًا .

وقال قتادة : كان النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، عند المقام إذ نعس ، فألقىٰ الشيطان علىٰ لسانه : « **وإن شفاعتها لترتجىٰ ، وإنها لمع الغرانيق العلىٰ** » . فحفظها المشركون ، وأجرىٰ الشيطان أن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قد قرأها ، فَزَلت[٧] بها ألسنتهم ، فأنزل الله : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول ...** ﴾ الآية ، فدحر الله الشيطان .

ثم قال ابن أبى حاتم : حدثنا موسى بن أبى موسى الكوفى ، حدثنا محمد بن إسحاق

---

(١٦١) تفسير الطبري (١٧/١٣٣) .

(١٦٢) مسند البزار برقم (٢٢٦٣) « كشف الأستار » .

(١٦٣) تفسير الطبري (١٧/١٣١) .

---

[١] - في ز : شفاعتهم .

[٢] - سقط من خ .

[٣] - سقط من خ .

[٤] - سقط من خ .

[٥] - سقط من خ .

[٦] - سقط من ز ، خ .

[٧] - في ز : فدلت .

المسيبي ، حدثنا محمد بن فليح ، عن موسىٰ بن عقبة ، عن ابن شهاب قال : أنزلت « **سورة النجم** » ، وكان المشركون يقولون : لو كان هذا الرجل يذكر آلهتنا بخير أقررناه وأصحابه ، ولكنه لا يذكر من خالف دينه من اليهود والنصارىٰ بمثل[١] الذي يذكر آلهتنا من الشتم والشر ، وكان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قد اشتد عليه ما ناله وأصحابه من أذاهم وتكذيبهم ، وأحزنه ضلالهم ، فكان يتمنىٰ هداهم ، فلما أنزل الله سورة النجم قال : ﴿ **أفرأيتم اللات والعزىٰ * ومناة الثالثة الأخرىٰ * ألكم الذكر وله الأنثىٰ** ﴾ ألقىٰ الشيطان عندها كلمات حين ذكر الله الطواغيت ، فقال : « **وإنهن لهن الغرانيق العلىٰ ، وإن شفاعتهن لهي[٢] التي ترتجىٰ** » . وكان ذلك من سجع الشيطان وفتنته ، فوقعت هاتان الكلمتان في قلب كل مشرك بمكة ، وزلت[٣] بها ألسنتهم ، وتباشروا بها ، وقالوا : إن محمدًا قد رجع إلىٰ دينه الأول ودين قومه . فلما بلغ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، [آخر النجم][٤] ؛ سجد وسجد كل من حضره من مسلم أو مشرك ، غير أن الوليد بن المغيرة كان رجلًا كبيرًا ، فرفع علىٰ كفه ترابًا فسجد عليه ، فعجب الفريقان [ ][٥]كلاهما من جماعتهم في السجود ، لسجود رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فأما المسلمون فعجبوا لسجود المشركين معهم علىٰ غير إيمان ولا يقين - ولم يكن المسلمون سمعوا الآية التي ألقىٰ الشيطان في مسامع المشركين - فاطمأنت أنفسهم لما ألقىٰ الشيطان في أمنية رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، وحدثهم به الشيطان أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قد قرأها في السورة ، فسجدوا لتعظيم آلهتهم ، ففشت تلك الكلمة في الناس ، وأظهرها الشيطان ، حتىٰ بلغت أرض الحبشة ومن بها من المسلمين - عثمان بن مظعون وأصحابه - وتحدثوا أن أهل مكة قد أسلموا كلهم ، وصلوا مع رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وبلغهم سجود الوليد بن المغيرة علىٰ التراب علىٰ كفه ، وحُدِّثوا أن المسلمين قد أمنوا بمكة ، فأقبلوا سراعًا وقد نسخ الله ما ألقىٰ الشيطان ، وأحكم الله آياته ، وحفظه الله من الفرية ، وقال الله : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنىٰ ألقىٰ الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته ، والله عليم حكيم * ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد** ﴾ ، فلما بين الله قضاءه ، وبرّأه من سجع الشيطان ، انقلب المشركون بضلالهم وعداوتهم المسلمين ، واشتدوا عليهم . وهذا أيضًا مرسل .

وفي تفسير ابن جرير(١٦٤) عن الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام نحوه .

---

(١٦٤) - تفسير الطبري (١٣٣/١٧) .

[١] - في ز : من .
[٢] - في ز : لهن .
[٣] - في ز : ودلت .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - في ز : منهما .

وقد رواه الإمام أبو بكر البيهقي في كتابه : « **دلائل النبوة** » فلم يجز به موسىٰ بن عقبة . ساقه في مغازيه بنحوه ، قال : وقد روينا عن ابن إسحاق هذه القصة .

قلت : وقد ذكرها محمد بن إسحاق في السيرة بنحو من هذا ، وكلها مرسلات ومنقطعات ، فاللَّه أعلم . وقد ساقها البغوي في تفسيره مجموعة من كلام ابن عباس ، ومحمد بن كعب القرظي ، وغيرهما بنحو من ذلك ، ثم سأل هاهنا سؤالًا : كيف وقع مثل هذا مع العصمة المضمونة من اللَّه تعالىٰ لرسوله صلوات اللَّه وسلامه عليه ؟ ثم حكىٰ [ ][١] أجوبة عن الناس ، من ألطفها : أن الشيطان أوقع في مسامع المشركين ذلك ، فتوهموا أنه صدر عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم ، وليس كذلك في نفس الأمر ، بل[٢] إنما كان من صنيع الشيطان ، لا من رسول الرحمن صلىٰ اللَّه عليه وعلىٰ آله وسلم ، واللَّه أعلم .

وهكذا تنوّعت أجوبة المتكلمين عن هذا بتقدير صحته ، وقد تعرض القاضي عياض - رحمه اللَّه - في كتاب « **الشفاء** » لهذا وأجاب بما حاصله .

وقوله : ﴿ **إلا إذا تمنىٰ ألقىٰ الشيطان في أمنيته** ﴾ ، هذا فيه تسلية له - صلوات اللَّه وسلامه عليه - أي : لا يهيدنك ذلك[٣] فقد أصاب مثل هذا من قبلك من المرسلين والأنبياء .

قال البخاري : قال ابن عباس : ﴿ **في أمنيته** ﴾ إذا حدث ألقىٰ الشيطان في حديثه ، فيبطل اللَّه ما يلقي الشيطان ، ويحكم اللَّه آياته .

قال عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ **إذا تمنىٰ [ألقىٰ الشيطان في أمنيته** ﴾ ، يقول : إذا حدث ألقىٰ الشيطان في حديثه .

وقال مجاهد : ﴿إذا تمنى ﴾][٤]يعنى : إذا قال .

ويقال : ﴿ **أمنيته** ﴾ قراءته[٥] ، ﴿ **إلا أماني** ﴾ : يقولون ولا يكتبون[٦] .

قال البغوي(١٦٥) : وأكثر المفسرين قالوا : معنىٰ قوله ﴿ **تمنىٰ** ﴾ ، أي : تلا وقرأ كتاب اللَّه ، ﴿ **ألقىٰ الشيطان في أمنيته** ﴾ أي : في تلاوته . قال الشاعر في عثمان [حين

(١٦٥) معالم التنزيل للبغوي (٥/٣٩٤) .

[١] - في ز : لي .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من خ .
[٤] - ما بين المعكوفين سقط من ز .
[٥] - في ز : قرآنه .
[٦] - في ز : يكتنون .

قتل][١] :

تمنى كتاب الله أول ليلة وآخرها لاقى حمام المقادر

وقال الضحاك : ﴿ إذا تمنىٰ ﴾ : إذا تلا . قال ابن جرير : هذا القول أشبه بتأويل الكلام ، وقوله : ﴿ فينسخ اللّهُ ما يلقي الشيطان ﴾ حقيقة النسخ لغة : الإزالة والرفع .

قال عليّ بن أبي طلحة : عن ابن عباس : أي : فيبطل اللَّه سبحانه وتعالىٰ ما ألقىٰ الشيطان .

وقال الضحاك : نسخ جبريل بأمر اللَّه ما ألقىٰ الشيطان ، وأحكم اللَّه آياته

وقوله : [﴿ واللَّه عليم ﴾ أي : بما يكون من الأمور والحوادث ، لا تخفىٰ عليه خافية ﴿ حكيم ﴾][٢]، أي : في تقديره وخلقه وأمره ، له الحكمة التامّة ، والحجة البالغة ، ولهذا قال : ﴿ ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض ﴾ ، أي : شك وشرك ، وكفر ونفاق ، كالمشركين حين فرحوا بذلك ، واعتقدوا أنه صحيح ، وإنما كان من الشيطان .

قال ابن جريج : ﴿ الذين في قلوبهم [مرض ﴾ هم][٣]المنافقون ، ﴿ والقاسية قلوبهم ﴾ هم[٤] المشركون .

وقال مقاتل بن حيان : هم اليهود .

﴿ وإن الظالمين لفي شقاق بعيد ﴾ أى : في ضلال ومخالفة وعناد بعيد ، أي : من الحق والصواب .

﴿ وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به ﴾ ، أي : وليعلم الذين أوتوا العلم النافع ، الذي[٥] يفرقون به[٦] بين الحق والباطل ، المؤمنون[٧] باللَّه ورسوله ، أن ما أوحيناه إليك هو الحق من ربك ، الذي أنزله بعلمه ، وحفظه وحرسه أن يختلط به غيره ، بل هو كتاب حكيم ، ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ .

وقوله : ﴿ فيؤمنوا به ﴾ ، أي : يصدّقوه وينقادوا له ، ﴿ فتخبت[٨] له قلوبهم ﴾ ،

---

[١] - ما بين المعكوفين تقرأ في ز : « جبريل » .
[٢] - ما بين المعكوفين في ز : « عليم حكيم » .
[٣] - ما بين المعكوفين في ز : « من كفرهم » .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - في ز : الذين .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - في خ : والمؤمنون .
[٨] - في ز : وتخبت .

أي: تخضع وتذل [له قلوبهم][١] ، ﴿ وإنّ اللّه لهادي الذين آمنوا إلىٰ صراط مستقيم ﴾ ، أي : في الدنيا والآخرة ، أما في الدنيا فيرشدهم إلىٰ الحق واتباعه ، ويوفقهم لمخالفة الباطل واجتنابه ، وفي الآخرة يهديهم[٢] الصراط المستقيم ، الموصل إلىٰ درجات الجنات ، ويزحزحهم عن العذاب الأليم والدركات .

وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن الكفار أنهم لا يزالون ﴿في مرية﴾ ، أي : في شك وريب من هذا القرآن . قاله ابن جريج ، واختاره ابن جرير .

وقال سعيد بن جبير وابن زيد : ﴿ منه ﴾ أى : مما[٣] ألقىٰ الشيطان .

﴿ حتىٰ تأتيهم الساعة بغتة ﴾ قال مجاهد : فجأة . وقال قتادة : ﴿ بغتة ﴾ بغت القومَ[٤] أمرُ اللّه ، وما أخذ اللّه قومًا قط إلا عند سكرتهم[٥] وغرتهم ونعمتهم ، فلا تغتروا باللّه ، إنه لا يغتر باللّه إلا القوم الفاسقون .

وقوله : ﴿ أو يأتيهم عذاب يوم عقيم ﴾ ، قال مجاهد : قال أبيّ بن كعب : هو يوم بدر . وكذا قال [مجاهد ، و][٦]عكرمة ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، وغير واحد ، واختاره ابن جرير .

وقال عكرمة ومجاهد [في رواية عنهما][٧] : هو يوم القيامة لا ليلة لهم . وكذا قال الضحاك والحسن البصرى .

وهذا القول هو الصحيح ، وإن كان يوم بدر من جملة ما أوعدوا به ، لكن هذا هو

---

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - بعده في خ : « إلى » .
[٣] - في ز ، خ : « بما » .
[٤] - في ز ، خ : « الله » .
[٥] - في ز : سكوتهم .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - سقط من ز ، خ .

المراد ، ولهذا قال : ﴿ **الملك يومئذ لله يحكم بينهم** ﴾ كقوله : ﴿ **مالك يوم الدين** ﴾ ، وقوله : ﴿ **الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يومًا علىٰ الكافرين عسيرًا** ﴾ .

﴿ **فالذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ ، أي : آمنت قلوبهم ، وصدقوا بالله ورسوله ، وعملوا بمقتضىٰ ما علموا[١] ، وتوافق قلوبهم وأقوالهم وأعمالهم .

﴿ **في جنات النعيم** ﴾ أى : لهم النعيم المقيم ، الذى لا يحول ولا يزول ولا يبيد .

﴿ **والذين كفروا وكذبوا بآياتنا** ﴾ أي : كفرت قلوبهم بالحق ، وجحدوا به ، وكذبوا به ، وخالفوا الرسل ، واستكبروا عن اتباعهم ﴿ **فأولئك لهم عذاب مهين** ﴾ ، أي : مقابلة استكبارهم وإعراضهم عن الحق ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين** ﴾ أى : صاغرين[٢] .

وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾

يخبر تعالىٰ عمن خرج مهاجرًا في سبيل الله ابتغاء مرضاته ، وطلبًا لما عنده ، وترك الأوطان والأهلين والخلان ، وفارق بلاده في الله ورسوله ، ونصرة لدين الله ، ﴿ **ثم قتلوا** ﴾ ، أي : في الجهاد ، ﴿ **أو ماتوا** ﴾ ، أي : حتف أنفهم[٣] ، أي : من غير قتال علىٰ فرشهم ، فقد حصلوا علىٰ الأجر الجزيل ، والثناء الجميل ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ومن يخرج من بيته مهاجرًا إلىٰ الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره علىٰ الله** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ليرزقنهم الله رزقًا حسنًا** ﴾ ، أي : ليُجْرِيَنّ عليهم من فضله ورزقه من الجنة ما تقر به أعينهم .

﴿ **وإن الله لهو خير الرازقين * ليدخلنهم مدخلًا يرضونه** ﴾ أى : الجنة .كما قال تعالى : ﴿ **فأمَّا إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم** ﴾ . فأخبر أنه يحصل له الراحة والرزق وجنة النعيم ، كما قال هاهنا : ﴿ **ليرزقنهم الله رزقًا حسنًا** ﴾ ثم قال :

---

[١] - في ز : عملوا . [٢] - سقط من خ .

[٣] - في ز : أنفسهم .

﴿ ليدخلنهم مدخلًا يرضونه وإن الله لعليم ﴾ ، أي : بمن يهاجر ويجاهد في سبيله ، وبمن يستحق ذلك **﴿ حليم ﴾** ، أي : يحلم ويصفح ، ويغفر لهم الذنوب ، ويكفرها عنهم بهجرتهم إليه ، وتوكلهم عليه ، فأما من قتل في سبيل الله من مهاجر أو غير مهاجر ، فإنه حي عند ربه يرزق ، كما قال تعالىٰ : **﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾** والأحاديث في هذا كثيرة كما تقدم . وأما من توفي في سبيل الله من مهاجر أو غير مهاجر فقد تضمنت هذه الآية الكريمة مع الأحاديث الصحيحة إجراء الرزق عليه ، وعظيم إحسان الله إليه .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا المسيب بن واضح ، حدثنا ابن المبارك ، عن عبد الرحمن بن شريح ، عن ابن الحارث - يعني : عبد الكريم - عن ابن عقبة - يعني : أبا عبيدة بن عقبة - قال : حدثنا شرحبيل بن السمط : طال رباطنا وإقامتنا علىٰ حصن بأرض الروم ، فمر بي سلمان - يعني : الفارسي - رضي الله عنه - فقال : إني سمعت رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يقول : « **من مات مرابطًا ، أجرىٰ الله عليه مثل ذلك الأجر ، وأجرىٰ عليه الرزق ، وأمن[١] من[٢] الفتانين** » واقرءوا إن شئتم : **﴿ والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقًا حسنًا وإن الله لهو خير الرازقين * ليدخلنهم مدخلًا يرضونه وإن الله لعليم حليم ﴾** .

وقال أيضًا : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا زيد بن بشر ، أخبرني همام ، أنه سمع أبا قبيل وربيعة بن سيف المعافري يقولان : كنا بـ «رودس» ، ومعنا فضالة بن عبيد الأنصاري صاحب رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فمر بجنازتين ؛ إحداهما قتيل ، والأخرىٰ متوفىٰ ، فمال الناس علىٰ القتيل ، فقال فضالة : ما لي أرىٰ الناس مالوا مع هذا وتركوا هذا ؟ فقالوا : هذا قتيل في سبيل الله تعالىٰ . فقال : والله ما أبالي من أي حفرتيهما بعثت ، اسمعوا كتاب الله : **﴿ والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ﴾** حتىٰ آخر الآية .

وقال أيضًا : حدثنا أبي ، حدثنا عبدة بن سليمان ، أنبأنا ابن[٣] المبارك ، أنبأنا ابن لهيعة ، حدثنا[٤] سلامان[٥] بن عامر الشعباني ، أن عبد الرحمن بن جحدم الخولاني حدثه : أنه حضر فضالة بن عبيد في البحر مع جنازتين ؛ أحدهما : أصيب بمنجنيق ، والآخر توفي ، فجلس فضالة بن عبيد عند قبر المتوفىٰ ، فقيل له : تركت الشهيد فلم تجلس عنده ؟ فقال : ما أبالي من أي حفرتيهما بعثت ، إن الله يقول : **﴿ والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا**

---

[١] - في ز : أومن .
[٢] - سقط من خ .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - في خ : « سليمان » .

أو ماتوا ﴾ إلى قوله : **﴿ يرضونه ﴾** ، فما تبتغي أيها العبد إذا أدخلت مدخلًا ترضاه ، ورزقت رزقًا حسنًا ، والله ما أبالي من أي حفرتيهما بعثت .

ورواه[١] ابن جرير(١٦٦) ، عن يونس بن عبد الأعلىٰ ، عن ابن وهب ، أخبرني عبد الرحمن بن شريح ، عن[٢] سلامان بن عامر قال : كان فضالة بـ «رودس» أميرًا علىٰ الأرباع ، فخرج بجنازتي[٣] رجلين ؛ أحدهما قتيل ، والآخر متوفىٰ ... فذكر نحو ما تقدم .

وقوله : **﴿ ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنّه الله ﴾** ، ذكر مقاتل بن حيان وابن جريج[٤] : أنها نزلت في سرية من الصحابة ، لقوا جمعًا من المشركين في شهر محرم ، فناشدهم[٥] المسلمون لئلا يقاتلوهم في الشهر الحرام ، فأبىٰ[٦] المشركون إلا قتالهم ، وبغوا عليهم ، فقاتلهم المسلمون ، فنصرهم الله عليهم ، **﴿ إن[٧] الله لعفو غفور ﴾** .

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ (٦١) ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ (٦٢) ﴾

يقول تعالىٰ منبهًا علىٰ أنه الخالق المتصرف في خلقه بما يشاء ، كما قال : **﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك علىٰ كل شيء قدير * تولج الليل في النهار ...﴾** الآية . ومعنىٰ إيلاجه الليل في النهار ، والنهار في الليل : إدخاله من هذا في هذا ، و[من][٨] هذا في هذا ، فتارة يطول الليل ويقصر النهار - كما في الشتاء - وتارة يطول النهار ويقصر الليل - كما في الصيف .

وقوله : **﴿ وأن الله سميع بصير ﴾** ، أي : سميع بأقوال عباده ، بصير بهم ، لا يخفىٰ

---

(١٦٦) تفسير الطبري (١٧/١٣٦) .

---

[١] - في ز : رواه .
[٢] - في ز ، خ : « و » .
[٣] - في خ : « بجنازتين » .
[٤] - في ز ، خ : « جرير » .
[٥] - في ز : فناشدوهم .
[٦] - مكررة في ز .
[٧] - في ز : وإن .
[٨] - سقط من خ .

عليه منهم خافية في أحوالهم وحركاتهم وسكناتهم .

ولما بيَّن أنه المتصرف في الوجود ، الحاكم الذي لا معقب لحكمه ، قال : ﴿ **ذلك بأن الله هو الحق** ﴾ ، أي : الإله الحق ، الذي[١] لا تنبغي العبادة إلا له ، لأنه ذو[٢] السلطان العظيم ، الذي ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وكل شيء فقير إليه ، ذليل لديه ، ﴿ **وأن ما يدعون من دونه هو الباطل** ﴾ ، أي : من الأصنام والأنداد والأوثان ، وكل ما عبد من دونه تعالىٰ فهو باطل ، لأنه لا يملك ضرًا ولا نفعًا .

وقوله : ﴿ **وأن الله هو العلى الكبير** ﴾ كما قال : ﴿ **وهو العلى العظيم** ﴾ وقال : ﴿ [ ][٣] **الكبير المتعال** ﴾ ، فكل شيء تحت قهره وسلطانه وعظمته ، لا إله إلا هو ، ولا رب سواه ، لأنه العظيم الذي لا أعظم منه ، العلي الذي لا أعلىٰ منه ، الكبير[٤] الذي لا أكبر منه ، تعالىٰ وتقدس وتنزه وعز وجل عما يقول[٥] الظالمون علوًا كبيرًا .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾

وهذا أيضًا من الدلالة علىٰ قدرته وعظيم سلطانه ، فإنه[٦] يرسل الرياح فتثير سحابًا ، فيمطر علىٰ الأرض الجُرُز التي لا نبات فيها ، وهي هامدة يابسة سوداء قحلة ، ﴿ **فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت** ﴾ .

وقوله : ﴿ **فتصبح الأرض مخضرة** ﴾ ، الفاء هاهنا للتعقيب ، وتعقيب كل شيء بحسبه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **[ثم خلقنا][٧] النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظامًا** ﴾

---

[١] – سقط من ز ، خ .
[٢] – سقط من ز ، خ .
[٣] – في ز ، خ : « وهو » .
[٤] – سقط من ز ، خ .
[٥] – في خ : « يقوله » .
[٦] – في ز : وإنه .
[٧] – في ز ، خ ، ش : « فخلقنا » .

الآية ، وقد ثبت في الصحيحين : أن بين كل شيئين أربعين يومًا ، ومع هذا هو معقب بالفاء ، وهكذا هاهنا قال : ﴿ **فتصبح الأرض مخضرة** ﴾ ، أي : خضراء بعد [يبسها ومحولها][١].

وقد ذكر عن بعض أرض[٢] الحجاز أنها تصبح عقب المطر خضراء[٣] ، فالله أعلم .

وقوله : ﴿ **إن الله لطيف خبير** ﴾ ، أي : عليم بما في أرجاء الأرض وأقطارها وأجزائها من الحب وإن صغر ، لا يخفى عليه خافية ، فيوصل إلى كل منه قسطًا[٤] من الماء فينبته به ، كما قال لقمان [لابنه][٥] : ﴿ **يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير** ﴾ ، وقال : ﴿ **ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء في السماوات والأرض** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين** ﴾ [ ][٦] ، وقال : ﴿ **وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة ...** ﴾ الآية ، ولهذا قال أمية ابن أبي الصلت - أو زيد بن عمرو بن نفيل - في قصيدته :

وقُولا له من يُنْبِتُ الحبَّ في الثرىٰ فيُصبِحُ منه البَقْلُ يهتزُّ رابيا
ويخرجُ منه حبَّه في رءوسه ففي ذاك آياتٌ لمن كان واعيا

وقوله : ﴿ **له ما في السماوات وما في الأرض وإن الله لهو الغني الحميد** ﴾ ، أي : ملكه جميع الأشياء ، وهو غني عما سواه ، وكل شيء فقير إليه ، وعبيد[٧] لديه .

وقوله : ﴿ **ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض** ﴾ ، أي : من حيوان وجماد ، وزروع وثمار ، كما قال : ﴿ **وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعًا منه** ﴾ ، أي : من إحسانه وفضله وامتنانه ، ﴿ **والفلك تجري في البحر بأمره** ﴾ ، أي[٨] : بتسخيره وتسييره[٩] ، أي : في البحر العجاج ، وتلاطم الأمواج ، تجري الفلك بأهلها بريح طيبة ، ورفق وتؤدة ، فيحملون فيها ما شاءوا من تجائر وبضائع ومنافع ، من بلد إلى بلد ، وقطر إلى قطر ، ويأتون بما عند أولئك إلى هؤلاء ، كما ذهبوا بما عند هؤلاء إلى أولئك ، مما يحتاجون إليه ، ويطلبونه ويريدونه .

---

[١] - في ز : « يباسها وطولها » .
[٢] - في خ : أهل .
[٣] - في خ : « خضرة » .
[٤] - في خ : قسطه .
[٥] - سقط من ت ، ز .
[٦] - في خ : الآية .
[٧] - في ت : « عبد » .
[٨] - سقط من خ .
[٩] - سقط من خ .

﴿ ويمسك السماء أن تقع علىٰ الأرض إلا بإذنه ﴾ ، أي : لو شاء لأذن للسماء فسقطت علىٰ الأرض ، فهلك من فيها ، ولكن من لطفه ورحمته وقدرته ، يمسك السماء أن تقع علىٰ الأرض إلا بإذنه ، ولهذا قال : ﴿ إن الله بالناس لرءوف رحيم ﴾ أي : مع ظلمهم ، كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ وإن ربك لذو مغفرة للناس علىٰ ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب ﴾ .

وقوله : ﴿ وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم إن الإنسان لكفور ﴾ كقوله : ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون ﴾ وقوله : ﴿ قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ﴾ ، وقوله : ﴿ قالوا ربنا أمتَّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ﴾ ومعنىٰ الكلام : كيف تجعلون [مع الله][١] أندادًا وتعبدون معه غيره ، وهو المستقل بالخلق والرزق والتصرف ، ﴿ وهو الذي أحياكم ﴾ ، أي : خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئًا يذكر فأوجدكم ، ﴿ ثم يميتكم ثم يحييكم ﴾ ، أي : يوم القيامة ﴿ إن الإنسان لكفور ﴾ ، أي : جحود .

﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

يخبر تعالى أنه جعل لكل قوم منسكًا .

قال ابن جرير : يعني لكل أمة نبي منسكًا . قال : وأصل المنسك في كلام العرب هو الموضع الذي يعتاده الإنسان ويتردد إليه ، إما لخير أو شر . قال : ولهذا سميت مناسك الحج بذلك ؛ لترداد الناس إليها وعكوفهم عليها .

فإن كان كما قال من أن المراد : لكل أمة نبي جعلنا منسكًا ، فيكون المراد بقوله : ﴿ فلا ينازعنك في الأمر ﴾ ، أي : هؤلاء المشركون ، وإن كان المراد : لكل أمة جعلنا منسكًا جعلًا قدريًا ، كما قال : ﴿ ولكل وجهة هو موليها ﴾ ، ولهذا قال هاهنا : ﴿ هم ناسكوه ﴾ ، أي : فاعلوه فالضمير هاهنا عائد علىٰ هؤلاء الذين لهم مناسك وطرائق ، أي : هؤلاء إنما يفعلون هذا عن قدر الله وإرادته ، فلا تتأثر بمنازعتهم لك ، ولا يصرفك ذلك عما

[١] - في ت : « لله » .

أنت عليه من الحق ، ولهذا قال : ﴿ **وادع إلىٰ ربك إنك لعلىٰ هدى مستقيم** ﴾ ، أي : طريق واضح مستقيم موصل إلىٰ المقصود .

وهذه كقوله : ﴿ **ولا يصدنك عن آيات اللّه بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وإن جادلوك فقل اللّه أعلم بما تعملون** ﴾ ، كقوله : ﴿ **وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **اللّه أعلم بما تعملون** ﴾ تهديد شديد ، ووعيد أكيد ، كقوله : ﴿ **هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدًا بيني وبينكم** ﴾ ولهذا قال : [﴿ **اللّه**]‏[١] **يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون** ﴾ . وهذه كقوله تعالىٰ : ﴿ **فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل اللّه من كتاب وأمرت لأعدل بينكم اللّه ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم اللّه يجمع بيننا وإليه المصير** ﴾ .

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾

يخبر تعالىٰ عن كمال علمه بخلقه ، وأنه محيط بما في السماوات وما في الأرض ، فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ، وأنه تعالىٰ علم الكائنات كلها قبل وجودها ، وكتب ذلك في كتابه اللوح المحفوظ ، كما ثبت في صحيح مسلم(١٦٧) ، عن عبد اللّه بن عمرو قال : قال رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **إن اللّه قدر مقادير الخلائق قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء** » .

وفي السنن(١٦٨) من حديث جماعة من الصحابة : أن رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، قال : « **أول ما خلق اللّه القلم قال له : اكتب . قال : وما أكتب ؟ قال : اكتب ما هو كائن . فجرىٰ القلم بما هو كائن إلىٰ يوم القيامة** » .

---

(١٦٧) مسلم ، كتاب القدر ، باب : حجاج آدم موسى (٢٦٥٣) بلفظ : « كتب الله مقادير الخلائق».

(١٦٨) ورد من حديث عبادة بن الصامت : أخرجه أبو داود في كتاب السنة ، باب : القدر (٤٧٠٠) ، والترمذي في تفسير القرآن (٣٣١٩) وفي القدر (٢١٥٥) . وقال الترمذي : « هذا حديث حسن غريب » . ورواه البيهقي في الأسماء والصفات من حديث ابن عباس (ص ٣٧٨) .

---

[١] - ما بين المعكوفين في ز : « الله يحكم بيني وبينكم ولهذا قال » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا ابن بكير ، حدثني ابن لهيعة ، حدثني عطاء بن دينار ، حدثني سعيد بن جبير قال[١] : قال ابن عباس : خلق الله اللوح المحفوظ مسيرة مائة عام ، وقال للقلم قبل أن يخلق الخلق وهو علىٰ العرش تبارك وتعالىٰ : اكتب . فقال القلم : وما أكتب ؟ قال : علمي في خلقي إلىٰ يوم تقوم الساعة . فجرىٰ القلم بما هو كائن في علم الله إلىٰ يوم القيامة ، فذلك قوله للنبي ، صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ [**ألم تعلم**][٢] **أن الله يعلم ما في السماء والأرض** ﴾ .

وهذا من تمام علمه تعالىٰ أنه علم الأشياء قبل كونها ، وقدرها وكتبها أيضًا ، فما العباد عاملون قد علمه تعالىٰ قبل ذلك ، علىٰ الوجه الذي يفعلونه ، فيعلم قبل الخلق أن هذا يطيع باختياره ، وهذا يعصى باختياره ، وكتب ذلك عنده ، وأحاط بكل شيء علمًا ، وهو سهل عليه يسير لديه ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير** ﴾ .

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن المشركين فيما جهلوا وكفروا ، وعبدوا من دون الله ﴿ما لم ينزل به سلطانًا﴾، يعني : حجة وبرهانًا ، كقوله : ﴿ **ومن يدع مع الله إلهًا آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون** ﴾ ، ولهذا قال هاهنا : ﴿ **ما لم ينزل به سلطانًا وما ليس لهم به علم** ﴾ ، أي : ولا علم لهم فيما اختلقوه وائتفكوه ، وإنما هو أمر[٣] تلقوه عن آبائهم وأسلافهم ، بلا دليل ولا حجة ، وأصله مما سوّل لهم الشيطان وزينه لهم ، ولهذا توعدهم تعالىٰ بقوله : ﴿ **وما للظالمين من نصير** ﴾ ، أي : من ناصر ينصرهم من الله ، فيما يحل بهم من العذاب والنكال .

ثم قال : ﴿ **وإذا تتلىٰ عليهم آياتنا بينات** ﴾ ، أي : وإذا ذكرت لهم آيات[٤] القرآن ، والحجج والدلائل الواضحات علىٰ توحيد الله ، وأنه لا إله إلا هو ، وأن رسله الكرام حق

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من خ .
[٤] - في خ : « آي » .

وصدق ﴿ **يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا** ﴾ ، أي : يكادون يبادرون الذين يحتجون عليهم بالدلائل الصحيحة [من القرآن][١] ، ويسطون إليهم أيديهم وألسنتهم بالسوء ﴿ **قل** ﴾ ، أي : يا محمد ، لهؤلاء : ﴿ **أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا** ﴾ ، أي : النار وعذابها ونكالها أشد وأشق وأطم وأعظم مما تُخَوِّفون[٢] به أولياء الله المؤمنين في الدنيا ، وعذاب[٣] الآخرة على صنيعكم هذا أعظم مما تنالون منهم ، إن نلتم بزعمكم وإرادتكم .

وقوله : ﴿ **وبئس المصير** ﴾ أي : وبئس النار منزلًا ومقيلًا ومرجعًا وموئلًا ومقامًا ، ﴿ **إنها ساءت مستقرًا ومقامًا** ﴾ .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ (٧٣) مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ (٧٤) .

يقول تعالى منبهًا على حقارة الأصنام وسخافة عقول عابديها : ﴿ **يا أيها الناس ضرب مثل** ﴾ ، أي : لما يعبده الجاهلون بالله المشركون به ، ﴿ **فاستمعوا له** ﴾ ، أي : أنصتوا وتفهموا . ﴿ **إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابًا ولو اجتمعوا له** ﴾ ، أي : لو اجتمع جميع ما تعبدون من الأصنام والأنداد ، على أن يقدروا على خلق ذباب واحد ، ما قدروا على ذلك . كما قال الإمام أحمد(١٦٩) :

حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا شريك ، عن عمارة بن القعقاع ، عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة - رفع الحديث - قال : « **ومن أظلم ممن خلق خلقًا[٤] كخلقي ! فليخلقوا مثل خلقي ذرة أو ذبابة أو حبة** » .

وأخرجه صاحبا الصحيح(١٧٠) ، من طريق[٥] عمارة ، عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **قال الله عز وجل : ومن أظلم ممن ذهب يخلق**

(١٦٩) المسند (٢/٣٩١) .

(١٧٠) صحيح البخاري ، كتاب اللباس حديث (٥٩٥٣) ، وصحيح مسلم ، كتاب اللباس والزينة(٢١١١).

[١] - في خ : « بالقرآن » .
[٢] - في ز : تحدثون .
[٣] - في ز : عذاب .
[٤] - سقط من خ .
[٥] - في ز : طرق .

كخلقي ، فليخلقوا ذرة ، فليخلقوا[١] **شعيرة** » .

ثم قال تعالىٰ أيضًا : ﴿ **وإن يسلبهم الذباب شيئًا لا يستنقذوه منه** ﴾ ، أي : هم عاجزون عن خلق ذباب واحد ، بل أبلغ من ذلك ، عاجزون عن مقاومته والانتصار منه ، لو سلبها شيئًا[٢] من الذي عليها من الطيب ، ثم أرادت أن تستنقذه منه ، لما قدرت علىٰ ذلك . هذا ، والذباب من أضعف مخلوقات اللَّه وأحقرها ، ولهذا قال : [﴿ **ضعف الطالب والمطلوب** ﴾ .

قال][٣] ابن عباس : الطالب : الصنم ، والمطلوب : الذباب . واختاره ابن جرير ، وهو ظاهر السياق . وقال السدي وغيره : ﴿ **الطالب** ﴾ : العابد ، ﴿ **والمطلوب** ﴾ : الصنم .

ثم قال : ﴿ **ما قدروا اللَّه حق قدره** ﴾ أي : ما عرفوا قدر اللَّه وعظمته حين عبدوا معه غيره ، من هذه التي لا تقاوم الذباب لضعفها وعجزها ، ﴿ **إن اللَّه لقوي عزيز** ﴾ ، أي : هو القوي الذي بقدرته وقوته خلق كل شيء ﴿ **وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه** ﴾ ﴿ **إن بطش ربك لشديد إنه هو يبدئ ويعيد** ﴾ ، ﴿ **إن اللَّه هو الرزاق ذو القوة المتين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **عزيز** ﴾ أي : عز كلَّ شيء فقهره وغلبه ، فلا يُمانَع ولا يُغالَب ؛ لعظمته وسلطانه ، وهو الواحد القهار .

ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ (٧٥) يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ (٧٦)

يخبر تعالىٰ أنه يختار من الملائكة رسلًا فيما يشاء من شرعه وقدره ، ومن الناس لإبلاغ رسالاته ، ﴿ **إن اللَّه سميع بصير** ﴾ ، أي : سميع لأقوال عباده ، بصير بهم ، عليم بمن يستحق ذلك منهم ، كما قال : ﴿ **اللَّه أعلم حيث يجعل رسالته** ﴾ .

وقوله : ﴿ **يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وإلىٰ اللَّه ترجع الأمور** ﴾ ، أي : يعلم ما يفعل برسله فيما أرسلهم به ، فلا يخفىٰ عليه شيء من أمورهم ، كما قال : ﴿ **عالم الغيب فلا يظهر علىٰ غيبه أحدًا * إلا من ارتضىٰ من رسول** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **وأحصىٰ كل شيء عددًا** ﴾ ، فهو سبحانه رقيب عليهم ، شهيد علىٰ ما يقال لهم ، حافظ لهم ، ناصر

---

[١] - سقط من خ .

[٢] - في ز : شيء .

[٣] - سقط من ز ، خ .

لجنابهم ، ﴿ **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس** ﴾ الآية .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ (٧٧) وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَـٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ (٧٨)

اختلف[١] الأئمة - رحمهم الله - في هذه السجدة الثانية من سورة الحج : هل هي مشروع السجود فيها أم لا ؟ علىٰ قولين ، وقد قدمنا عند الأولىٰ حديث عقبة بن عامر ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **فضلت سورة الحج بسجدتين ، فمن لم يسجدهما فلا يقرأهما** » .

وقوله : ﴿ **وجاهدوا في الله حق جهاده** ﴾ ، أي : بأموالكم وألسنتكم وأنفسكم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **اتقوا الله حق تقاته** ﴾ .

وقوله : ﴿ **هو اجتباكم** ﴾ ، أي : يا هذه الأمة ، الله اصطفاكم واختاركم علىٰ سائر الأمم ، وفضلكم وشرفكم وخصكم بأكرم رسول ، وأكمل شرع .

﴿ **وما جعل عليكم في الدين من حرج** ﴾ ، أي : ما كلفكم ما لا تطيقون ، وما ألزمكم[٢] بشيء فشق عليكم إلا جعل لكم فرجًا ومخرجًا ، فالصلاة - التي هي أكبر أركان الإسلام بعد الشهادتين - تجب في الحضر أربعًا ، وفي السفر تقصر إلىٰ ثنتين ، وفي الخوف يصليها بعض الأئمة ركعة ، كما ورد به الحديث ، وتصلىٰ رجالاً وركبانًا ، مستقبلي القبلة وغير مستقبليها . وكذا في النافلة في السفر [إلىٰ القبلة][٣] وغيرها ، والقيام فيها يسقط بعذر المرض ، فيصليها المريض جالسًا ، فإن لم يستطع فعلىٰ جنبه ، إلىٰ غير ذلك من الرخص والتخفيفات ، في سائر الفرائض والواجبات ، ولهذا قال عليه السلام : « **بعثت**

[١] - في خ : اختلفت . [٢] - في خ : « وما أكرمكم » .
[٣] - في خ : « في السلسلة » .

بالحنيفية السمحة »(١٧١) وقال لمعاذ وأبي موسى حين بعثهما أميرين إلى اليمن : « **بشرا ولا تنفرا ، ويسّرا ولا تعسّرا »**(١٧٢) والأحاديث في هذا كثيرة ، ولهذا قال ابن عباس في قوله : ﴿ **وما جعل عليكم في الدين من حرج** ﴾ ، يعني : من[١] ضيق .

وقوله : ﴿ **ملة أبيكم إبراهيم** ﴾ ، قال ابن جرير : نصب علىٰ تقدير : ﴿ **ما جعل عليكم في الدين من حرج** ﴾ ، أي : من ضيق ، بل وسَّعه عليكم كملة أبيكم إبراهيم . [قال : ويحتمل أنه منصوب علىٰ تقدير : الزموا ملة أبيكم إبراهيم][٢] .

قلت : وهذا المعنىٰ في هذه الآية كقوله : ﴿ **قل إنني هداني ربي إلىٰ صراط مستقيم دينًا قيمًا ملة إبراهيم حنيفًا** ﴾ الآية . وقوله : ﴿ **هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا** ﴾ ، قال الإمام عبد الله بن المبارك : عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **هو سماكم المسلمين من قبل** ﴾ قال : الله عز وجل وكذا قال مجاهد وعطاء والضحاك والسدي ومقاتل بن حيان وقتادة .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ﴿ **هو سماكم المسلمين من قبل** ﴾ ، يعني : إبراهيم؛ وذلك لقوله : ﴿ **ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك** ﴾ . قال ابن جرير : وهذا لا وجه له ؛ لأنه من المعلوم أن إبراهيم لم يسم هذه الأمة في القرآن مسلمين ، وقد قال الله تعالىٰ : ﴿ **هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا** ﴾ . قال مجاهد : الله سماكم المسلمين من قبل في الكتب المتقدمة ، وفي الذكر ، ﴿ **وفي هذا** ﴾ يعني : القرآن . وكذا قال غيره .

قلت[٣] : وهذا هو الصواب ؛ لأنه تعالىٰ قال : ﴿ **هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج** ﴾ ثم حثهم وأغراهم علىٰ ما جاء به الرسول ، صلىٰ الله عليه وسلم ، بأنه ملة أبيهم إبراهيم الخليل ، ثم ذكر منته تعالىٰ علىٰ هذه الأمة بما نوّه به من ذكرها ، والثناء عليها في سالف الدهر وقديم الزمان ، في كتب الأنبياء ، يتلىٰ علىٰ الأحبار والرهبان ،

(١٧١) رواه أحمد (٢٢٣٩١) (٢٦٦/٥) ، من حديث عليّ بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة مرفوعًا في حديث طويل ، وأخرجه الطبراني في الكبير (٢٥٧/٨/رقم:٧٨٦٨) من نفس طريق أحمد ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٧٩/٥) وعزاه لأحمد والطبراني في الكبير وقال : « وفيه على بن يزيد الألهاني ، وهو ضعيف » . وأخرجه ابن سعد في الطبقات (١٩٢/١) من حديث حبيب بن أبي ثابت مرفوعًا - وهو مرسل ، وفي إسناده برد الحريري لا يعرف .

(١٧٢) رواه البخاري في صحيحه برقم (٣٠٣٨) ، ومسلم في صحيحه برقم (١٧٣٢) .

[١] - سقط من خ . [٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - سقط من خ . وفي ز : بل .

فقال : ﴿ **هو سماكم المسلمين من قبل** ﴾ ، أي : من قبل هذا القرآن ، ﴿ **وفي هذا** ﴾ ، وقد قال النسائي(١٧٣) عند تفسير[١] هذه الآية :

أنبانا هشام بن عمار ، حدثنا محمد بن شعيب ، أنبأنا معاوية بن سلام ، أن أخاه زيد بن سلام أخبره ، عن أبي سلام أنه أخبره قال : أخبرني الحارث الأشعري ، عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **من دعا بدعوىٰ الجاهلية فإنه من جثيّ[٢] جهنم** » . قال رجل : يا رسول اللّٰه ، وإن صام وصلىٰ ؟ قال : « **نعم ، وإن صام وصلىٰ ، فادعوا بدعوة اللّٰه التي سماكم بها : المسلمين ، المؤمنين ، عباد الله** » .

وقد قدمنا هذا الحديث بطوله عند تفسير قوله : ﴿ **يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾ من سورة البقرة ، ولهذا قال : ﴿ **ليكون الرسول شهيدًا عليكم ، وتكونوا شهداء علىٰ الناس** ﴾ ، أي : إنما جعلناكم هكذا أمة وسطًا ، عدولًا[٣] ، خيارًا ، مشهودًا بعدالتكم عند جميع الأمم ؛ لتكونوا يوم القيامة ﴿ **شهداء علىٰ الناس** ﴾ لأن جميع الأمم معترفة يومئذ [بسيادتها وفضلها][٤] علىٰ كل أمة سواها ، فلهذا تقبل شهادتهم عليهم يوم القيامة ، في أن الرسل بلغتهم رسالة ربهم ، والرسول يشهد علىٰ هذه الأمة أنه بلغها ذلك . وقد تقدم الكلام علىٰ هذا عند قوله : ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء علىٰ الناس ويكون الرسول عليكم شهيدًا** ﴾ . وذكرنا حديث نوح وأمته بما أغنى عن إعادته .

وقوله : ﴿ **فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** ﴾ ، أي : قابلوا هذه النعمة العظيمة بالقيام بشكرها ، وأدوا حق اللّٰه عليكم في أداء ما افترض ، وطاعة ما أوجب ، وترك ما حرم ، ومن أهم ذلك إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة : وهو الإحسان إلىٰ خلق اللّٰه ، بما أوجب للفقير علىٰ الغني ، من إخراج جزء نزر[٥] من ماله في السَّنَة للضعفاء والمحاويج ، كما تقدم بيانه وتفصيله في آية الزكاة من سورة التوبة وقوله : ﴿ **واعتصموا بالله** ﴾ ، أي : اعتضدوا باللّٰه واستعينوا [واتكلوا][٦]عليه وتأيدوا به ﴿ **هو مولاكم** ﴾ ، أي : حافظكم وناصركم ، ومظفركم علىٰ أعدائكم ، ﴿ **فنعم المولىٰ ونعم النصير** ﴾ ، [يعني : نعم[٧] الولي][٨] ، ونعم الناصر من الأعداء .

---

(١٧٣) سنن النسائي الكبرى برقم (١١٣٤٩) .

---

[١] - في خ : تفسيره .
[٢] - في خ : جثى .
[٣] - في ت : « عدولًا » .
[٤] - في خ : « بسيادتهم وفضلهم » .
[٥] - سقط من خ .
[٦] - ما بين المعكوفين في خ : « وتوكلوا » .
[٧] - سقط من ز .
[٨] - ما بين المعكوفين سقط من خ .

قال وهيب بن الورد[١] : يقول اللّٰه تعالىٰ : ابن آدم ، اذكرني إذا غضبتَ أذكرك إذا غضبتُ ، فلا أمحقك فيمن أمحق ، وإذا ظُلمتَ فاصبر ، وارض بنصرتي ، فإن نصرتي لك خير من نصرتك لنفسك . رواه ابن أبي حاتم .

واللّٰه تعالىٰ أعلم ، وله الحمد والمنة ، والثناء الحسن والنعمة ، وأسأله التوفيق والعصمة ، في سائر الأفعال والأقوال .

هذا[٢] آخر تفسير سورة الحج ، وصلى اللّٰه على سيدنا محمد وآله وصحبة وسلم وشرف وكرم ، ورضي اللّٰه تعالىٰ عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين [ ][٣] .

---

[١] - في ز : الزرد . [٢] - سقط من خ .

[٣] - في ز : [وهو آخر الجزء الرابع يتلوه في الخامس إن شاء الله تعالى سورة المؤمنين ، والحمد لله وحسبنا الله ونعم الوكيل] .

سورة المؤمنون

قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾

قال الإمام أحمد(١) : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرني يونس بن سليم قال : أملىٰ عليَّ يونس ابن يزيد الأيلي ، عن ابن شهاب ، عن عروة بن الزبير ، عن عبد الرحمن بن عَبْدٍ القاري قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : كان إذا نزل[١] علىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم الوحي ، يسمع عند وجهه كدوي النحل ، فمكثنا ساعة ، فاستقبل القبلة ورفع يديه ، فقال : « **اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر [علينا ، وارض عنا][٢] وأرضنا** » ثم قال : « **لقد أنزلت عليَّ عشر آيات ، مَنْ أقامهن دخل الجنة** » . ثم قرأ : ﴿ **قد أفلح المؤمنون** ﴾ حتىٰ ختم العشر .

وكذا رواه[٣] الترمذي في تفسيره[٤] ، والنسائي في الصلاة ، من حديث عبد الرزاق به ، وقال الترمذي[٥] : منكر ، لا نعرف أحدًا رواه غير يونس بن سليم ، ويونس لا نعرفه .

(١) - رواه أحمد حديث ٢٢٣ - (١/٣٤) . ورواه الترمذي في كتاب التفسير من السنن حديث (٣٧٢١) من طريق عبد الرزاق ، عن يونس بن سليم ، عن الزهري ، ثم رواه من طريق عبد الرزاق أيضًا ، عن يونس ابن سليم ، عن يونس بن يزيد ، عن الزهري ثم قال : هذا أصح من الحديث الأول ، سمعت إسحاق بن منصور يقول : روى أحمد بن حنبل وعلي بن المديني وإسحاق بن إبراهيم ، عن عبد الرزاق ، عن يونس بن سليم ، عن يونس بن يزيد ، عن الزهري هذا الحديث ، قال أبو عيسى : « ومن سمع من عبد الرزاق =

[١] - في ز : أنزل .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - في خ : روى .

[٤] - أي في كتاب التفسير من السنن .

[٥] - لعل هذا سهو من الحافظ ، وصوابه النسائي كما في السنن الكبرى (١/٤٥٠) ، ولم نقف عليه من قول الترمذي في السنن .

وقال النسائي في تفسيره(٢) : أنبأنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا جعفر ، عن أبي عمران ، عن يزيد بن بابَنُوس قال : قلنا لعائشة : يا أم المؤمنين ! كيف كان خُلُق رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ؟ قالت : كان خلق رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم القرآن ، فقرأت : ﴿ **قد أفلح المؤمنون** ﴾ حتىٰ انتهت إلىٰ ﴿ **والذين هم علىٰ صلواتهم يحافظون** ﴾ قالت : هكذا كان خلق رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم .

= قديمًا فإنهم إنما يذكرون فيه يونس بن يزيد ، وبعضهم لا يذكر فيه " عن يونس بن يزيد " ومن ذكر فيه " عن يونس بن يزيد " فهو أصح ، وكان عبد الرزاق ربما ذكر في هذا الحديث " يونس بن يزيد " ، وربما لم يذكره ، وإذا لم يذكر فيه يونس فهو مرسل » ولم يقل غير هذا .

ورواه النسائي في الكبرى في كتاب الوتر ، باب : رفع اليدين في الدعاء ، حديث ١٤٣٩ - (١/٤٥٠) .

وقال أبو عبد الرحمن النسائي : هذا حديث منكر ، لا نعلم أحدًا رواه غير يونس بن سليم ويونس بن سليم لا نعرفه ، والله أعلم .

ويونس بن سليم ذكره ابن حبان في الثقات (٩/٢٨٨) . وذكره البخاري في التاريخ الكبير (٤/٢/٤١٣) وقال : قال أحمد بن حنبل : سألت عبد الرزاق عنه قال : كان خيرًا من عين بقة . فظننت أنه لا شيء . - و« عين بقة » هذا غلط ، فاتت على مصححي الكتاب ، وصحفها بعضهم إلى « غير ثقة » - وفي التاريخ الصغير (٢١٤) : خير من برق - يعني عمرو بن برق - قال أحمد : فلما ذكر هذا عند ذاك علمت أن ذا ليس بشيء . وقال يحيى بن معين : ما أعرفه يروي عنه عبد الرزاق (الجرح ٩/٢٤٠) . وقال النسائي : لا أعرفه (التهذيب ٣٢/٥٠٨ - ٥١٠) . وقال العقيلي : لا يتابع على حديثه ولا يعرف إلا به .

والحديث رواه الحاكم (١/٥٣٥) بإسنادين أحدهما من طريق المسند وصححه ، ووافقه الذهبي .

ورواه الحافظ المزي بإسناده إلى عبد الرزاق ، وقال : أخرجاه - يعنى الترمذي والنسائي - من حديث عبد الرزاق عنه ، فوقع لنا بدلًا عاليًا ، وذكر قول النسائي فيه .

وأورده السيوطي في الدر المنثور (٥/٣) وزاد نسبته إلى عبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، والعقيلي ، والبيهقي في الدلائل ، والضياء في المختارة .

(٢) - **حسن** ، والحديث رواه النسائي في كتاب التفسير من سننه الكبرى ١١٣٥٠ - (٦/٤١٢) ورواه البخاري في الأدب المفرد حديث ٣٠٨ ، وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ ص ٢٩ ، والحاكم في مستدركه (٢/٣٩٢) وصححه ووافقه الذهبي ، والبيهقي في الدلائل (٢/٣٠٩) . جميعهم من حديث جعفر بن سليمان عن أبي عمران به . وزاد السيوطي في الدر (٥/٣) نسبته إلى ابن المنذر .

وهذا إسناد حسن من أجل يزيد بن بابنوس ، قال البخاري : كان من الذين قاتلوا عليًا . وقال ابن عدي : أحاديثه مشاهير . وقال الدارقطني : لا بأس به . وذكره ابن حبان في الثقات . وقال أبو حاتم : مجهول . وقال أبو داود : كان شيعيًا . وفي التقريب : مقبول .

وشطره الأول صحيح ، رواه مسلم في صحيحه في حديث طويل ، وأبو داود حديث ١٣٤٢ ، والنسائي في الصغرى حديث ١٦٠١ ، وابن ماجه في كتاب الأحكام ، حديث ٢٣٣٣ ، والدارمي في سننه (١/٣٤٥) ، وأحمد (٦/٥٤ ، ٩١ ، ١١١ ، ١٦٣ ، ١٨٨ ، ٢١٦) .

وقد رُوي عن كعب الأحبار، ومجاهد، وأبي العالية، وغيرهم: لما خلق اللَّه جنة عدن، وغرسها بيده، نظر إليها، وقال لها: تكلمي. فقالت: ﴿ **قد أفلح المؤمنون** ﴾. قال كعب الأحبار: لِما أعد لهم من الكرامة فيها. وقال أبو العالية: فأنزل اللَّه ذلك في كتابه.

وقد رُوي ذلك عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا، فقال أبو بكر البزار(٣): حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا [أبو][١] المغيرة بن سلمة، حدثنا وهيب، عن الجريري، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد قال: خلق اللَّه الجنة لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وغرسها، وقال لها تكلمي: فقالت: ﴿ **قد أفلح المؤمنون** ﴾، فدخلتها الملائكة فقالت: طوبىٰ لك، منزلَ الملوك!.

ثم قال(٤): وحدثنا بشر بن آدم، وحدثنا يونس بن عبيد اللَّه العمري[٢]، حدثنا عدي ابن الفضل، حدثنا الجريري، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال: « **خلق اللَّه الجنة لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وملاطها**[٣] **المسك** ». قال أبو بكر البزار[٤]: ورأيت في موضع آخر في هذا الحديث: « **حائط الجنة لبنة ذهب، ولبنة**

---

(٣) - الحديث في مختصر زوائد البزار حديث ٢٢٥٣ - (٢/٤٨٠). وإسناده هكذا: حدثنا محمد بن المثنى، ثنا الحجاج بن المنهال، ثنا حماد بن سلمة، عن الجريري، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد رضي الله عنه فذكره. وأورده في كشف الأستار حديث ٣٥٠٧. وذكره في مجمع الزوائد (١٠/٣٩٧) وقال: رواه البزار مرفوعًا وموقوفًا، والطبراني في الأوسط إلا أنه قال: عن النبي ﷺ قال: « **إن الله خلق جنة عدن بيده لبنة من ذهب، ولبنة من فضة** » والباقي بنحوه. ورجال الموقوف رجال الصحيح، وأبو سعيد لا يقول هذا إلا بتوقف.

(٤) - **إسناده ضعيف** - وهو في مختصر زوائد البزار حديث ٢٢٥٤ - (٢/٤٨٠). وكشف الأستار حديث ٣٥٠٨.

ورواه الطبراني في الأوسط من حديث عثمان بن عمر الضبي، عن أبي عمر الضرير، عن عدي به [حديث ٣٧٠١ - (٤/٩٩)] وهو في مجمع البحرين حديث ٤٨٦٠. وقال: لم يرو هذا الحديث عن الجريري إلا عدي بن الفضل.

وعدي بن الفضل: رُوي عن يحيى بن معين أنه قال: ضعيف، وقال مرة: ليس بشيء. وفي موضع آخر: سئل يحيى بن معين: يكتب حديثه؟ فقال: لا، ولا كرامة. وعنه: ليس بثقة. وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عنه فقال: متروك الحديث، وترك أبو زرعة حديثه. وقال أبو داود: ضعيف. وقال في موضع آخر: لا يكتب حديثه. وقال النسائي: ليس بثقة.

---

[١] - زيادة من ز.

[٢] - في ز، وخ: « العبير ». وفي تهذيب الكمال: العميري.

[٣] - في خ: « بلاطها ». [٤] - سقط من خ.

فضة ، وملاطها المسك ، فقال لها : تكلمي . فقالت : ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ . فقالت الملائكة : طوبىٰ لك ، منزل الملوك » .

ثم قال البزار : لا نعلم أحدًا رفعه إلا عدى بن فضل ، وليس هو بالحافظ ، وهو شيخ متقدم الموت .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني(٥) : حدثنا أحمد بن عليّ ، حدثنا هشام بن خالد ، حدثنا بقية ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : قال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لما خلق اللَّه جنة عدن ، خلق فيها مالا عين رأت ، [ولا أذن سمعت]**[١] ، **ولا خطر علىٰ قلب بشر ، ثم قال لها : تكلمي . فقالت : ﴿ قد أفلح المومنون ﴾** » .

بقية : - عن الحجازيين - ضعيف .

وقال الطبراني(٦) : حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا منجاب بن الحارث ، حدثنا حماد بن عيسىٰ العبسي ، عن إسماعيل السدي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس يرفعه : « **لما خلق اللَّه جنة عدن بيده ، ودلّىٰ فيها ثمارها ، وشق فيها أنهارها ، ثم نظر إليها فقال : ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ قال : وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل** » .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا(٧) : حدثنا محمد بن المثنىٰ البزار ، حدثنا محمد بن زياد الكلبي ، حدثنا يعيش بن حسين ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أنس - رضي اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **خلق اللَّه جنة عدن بيده ، لبنة من دُرّة بيضاء ، ولبنة من ياقوتة حمراء ، ولبنة من زَبَرجَدَة خضراء ، ملاطها المسك ، وحصباؤها اللؤلؤ ، وحشيشها الزعفران ، ثم قال لها : انطقي . قالت : ﴿ قد أفلح**

(٥) - رواه الطبراني في الكبير حديث ١١٤٣٩ - (١١/١٨٤) ، وفي الأوسط حديث ٧٣٨ - (١/٢٢٤) . وقال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن ابن جريج ؛ إلا بقية ، تفرد به هشام بن خالد . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٣٩٧ - ٣٩٨) وقال : رواه الطبراني في الأوسط والكبير ، وأحد إسنادي الطبراني في الأوسط جيد .

(٦) - **إسناده ضعيف** من أجل أبي صالح ، واسمه باذام ، ويقال : باذان ، مولى أم هانئ بنت أبي طالب ، قال النسائي : ليس بثقة . وقال أبو أحمد بن عدي : عامة ما يرويه تفسير ، روى ابن أبي خالد عنه تفسيرًا كبيرًا ، في ذلك التفسير ما لم يتابعه أهل التفسير عليه ، ولم أعلم أحدًا من المتقدمين رضيه . ، والحديث رواه الطبراني في الأوسط ٥٥١٨ - (٥/٣٤٩) . وقال : لم يرو هذا الحديث عن السدي إلا حماد بن عيسى ، تفرد به منجاب .

(٧) - صفة الجنة لابن أبي الدنيا رقم (٢٠) ومحمد بن زياد الكلبي : ويعيش بن حسين .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

المؤمنون ﴾ ، فقال الله : **وعزتي وجلالي ، لا يجاورني فيك بخيل** » . ثم تلا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾ .

فقوله تعالىٰ : ﴿ **قد أفلح المؤمنون** ﴾ ، أي : قد فازوا وسعدوا ، وحصلوا علىٰ الفلاح ، وهم المؤمنون المتصفون بهذه الأوصاف .

﴿ **الذين هم في صلاتهم خاشعون** ﴾ قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ **خاشعون** ﴾ : خائفون ، ساكنون . وكذا رُوي عن مجاهد ، والحسن ، وقتادة ، والزهرى . وعن عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - : الخشوع : خشوع القلب . وكذا قال إبراهيم النخعي . وقال الحسن البصري : كان خشوعهم في قلوبهم ، فغضوا بذلك أبصارهم ، وخفضوا الجناح .

وقال محمد بن سيرين : كان أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم إلىٰ السماء في الصلاة ، فلما نزلت هذه الآية : ﴿ **قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون** ﴾ خفضوا أبصارهم إلىٰ موضع سجودهم .

قال ابن سيرين : وكانوا يقولون : لا يجاوز بصره مصلاه ، فإن كان قد اعتاد النظر فليغمض . رواه ابن جرير وابن أبي حاتم .

ثم روى ابن جرير عنه وعن عطاء بن أبي رباح أيضًا مرسلًا : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان يفعل ذلك ، حتىٰ نزلت هذه الآية .

والخشوع في الصلاة إنما يحصل لمن فرَّغ قلبه لها ، واشتغل بها عما عداها ، وآثرها علىٰ غيرها ، وحينئذ تكون راحة له وقرة عين ، كما قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والنسائي ، عن أنس ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « **حُبب إليَّ الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة** »(٨) .

وقال الإمام أحمد(٩) : حدثنا وكيع ، حدثنا مسعر ، عن عمرو بن مرة ، عن سالم بن أبي الجعد ، [عن رجل من أسلم ، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **يا بلال ، أرحنا بالصلاة**][١] » .

---

(٨) - رواه النسائي (٧/٦١) (٣٩٣٩،٣٩٤٠) . ورواه أحمد (١٢٣١٤) .

(٩) - رواه أحمد حديث ٢٣١٩٤ - (٥/٣٦٤) . ورواه أبو داود في كتاب الأدب ، باب : في صلاة العتمة حديث ٤٩٨٥ - (٤/٢٩٨) من طريق مسدد ، عن عيسى بن يونس ، عن مسعر بن كدام به .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[وقال الإمام أحمد أيضًا(١٠) : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، ثنا إسرائيل ، عن عثمان بن المغيرة ، عن سالم بن أبي الجعد][1] ، أن [عبد الله بن محمد بن الحنفية][2] قال : دخلت مع أبي علىٰ صهر لنا من الأنصار ، فحضرت الصلاة ، فقال : يا جارية ، ائتني بوضوء لعلّي أصلي فأستريح . فرآنا أنكرنا عليه ذلك ، فقال : سمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « **قم يا بلال ، فأرحنا بالصلاة** » .

وقوله : ﴿ **والذين هم عن اللغو معرضون** ﴾ ، أي : عن الباطل ، وهو يشمل الشرك - كما قاله بعضهم - والمعاصي[3] - كما قاله آخرون - ومالا فائدة فيه من الأقوال والأفعال ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإذا مروا باللغو مروا كرامًا** ﴾ قال قتادة : أتاهم واللّٰه من أمر اللّٰه ما وقذهم[4] عن ذلك .

وقوله : ﴿ **والذين هم للزكاة فاعلون** ﴾ الأكثرون علىٰ أن المراد بالزكاة هاهنا زكاة الأموال ، مع أن هذه الآية[5] مكية ، وإنما فرضت الزكاة بالمدينة ، في سنة اثنتين من الهجرة ، والظاهر أن التي فرضت بالمدينة إنما هي ذات النصب والمقادير الخاصة ، وإلا فالظاهر أن أصل الزكاة كان واجبًا بمكة ، كما قال تعالىٰ في سورة الأنعام وهي مكية : ﴿ **وآتوا حقه يوم حصاده** ﴾ .

وقد يحتمل أن يكون المراد بالزكاة هاهنا زكاة النفس من الشرك والدنس ، كقوله : ﴿ **قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها** ﴾ وكقوله : ﴿ **وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة** ﴾ علىٰ أحد القولين في تفسيرها .

وقد يحتمل أن يكون كلا الأمرين مرادًا ، وهو زكاة النفوس وزكاة الأموال ، فإنه من جملة زكاة النفوس ، والمؤمن الكامل هو الذي يتعاطىٰ هذا وهذا ، واللّٰه أعلم .

وقوله : ﴿ **والذين هم لفروجهم حافظون * إلا علىٰ أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين * فمن ابتغىٰ وراء ذلك فأولئك هم العادون** ﴾ ، أي : والذين قد حفظوا فروجهم من الحرام ، فلا يقعون فيما نهاهم اللّٰه عنه من زنا أو لواط ، ولا يقربون سوىٰ أزواجهم

---

(١٠) - الحديث في المسند برقم ٢٣٢٦٠ - (٣٧١/٥) . ورواه أبو داود في كتاب الأدب ، باب : صلاة العتمة ، حديث ٤٩٨٦ - (٢٩٨/٤) . من طريق محمد بن كثير ، عن إسرائيل به .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - في الأصول التي بين أيدينا " محمد بن الحنفية " والمثبت من المسند وسنن أبي داود .
[٣] - في خ : « والعاصي » . [٤] - في خ : « ما فذهم » .
[٥] - سقط من : خ .

التي أحلها اللّٰه لهم ، وما ملكت أيمانهم من السراري ، ومن تعاطىٰ ما أحله اللّٰه له فلا لوم عليه ولا حرج ، ولهذا قال : ﴿ **فإنهم غير ملومين * فمن ابتغىٰ وراء ذلك** ﴾ أي : غير الأزواج والإماء ﴿ **فأولئك هم العادون** ﴾ ، أي : المعتدون .

وقال ابن جرير(١١) : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا عبد الأعلى ، حدثنا سعيد ، عن قتادة - أن امرأة اتخذت مملوكها[١] ، وقالت : تأولت آية من كتاب اللّٰه : ﴿ **أو ما ملكت أيمانهم** ﴾ فأتىٰ بها عمر بن الخطاب - رضي اللّٰه عنه - فقال له ناس من أصحاب النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : تأولتْ آية من كتاب اللّٰه - عز وجل - علىٰ غير وجهها . قال : فغرب العبد وجز رأسه ، وقال : أنتِ بعده حرام على كل مسلم .

هذا أثر غريب منقطع ، ذكره ابن جرير في أول تفسير سورة المائدة ، وهو هاهنا أليق ، وإنما حرمها على الرجال معاملة لها بنقيض قصدها ، واللّٰه أعلم .

وقد استدل الإمام الشافعي رحمه اللّٰه ومن وافقه علىٰ تحريم الاستمناء باليد بهذه الآية الكريمة : ﴿ **والذين هم لفروجهم حافظون * إلا علىٰ أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم** ﴾ ، قال : فهذا الصنيع خارج عن هذين القسمين ، وقد قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **فمن ابتغىٰ وراء ذلك فأولئك هم العادون** ﴾ .

وقد استأنسوا بحديث رواه الإمام الحسن بن عرفة في جزئه المشهور(١٢) حيث قال : حدثني عليّ بن ثابت الجزري ، عن مسلمة بن جعفر ، عن حسان بن حميد ، عن أنس بن مالك ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **سبعة لاينظر اللّٰه إليهم يوم القيامة ، ولا يزكيهم ، ولا يجمعهم مع العاملين**[٢] ، **ويدخلهم النار أول الداخلين** ، [**إلا أن يتوبوا**][٣] ، **فمن تاب ؛ تاب اللّٰه عليه : ناكح يده ، والفاعل والمفعول به ، ومدمن الخمر ، والضارب والديه حتىٰ يستغيثا ، والمؤذي جيرانه حتىٰ يلعنوه ، والناكح حليلة جاره** » . هذا حديث غريب ، وإسناده فيه من لا يعرف لجهالته ، واللّٰه أعلم .

وقوله : ﴿ **والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون** ﴾ ، أي : إذا ائتُمنوا لم يخونوا ، بل يؤدونها إلىٰ أهلها ، وإذا عاهدوا أو عاقدوا أوفوا بذلك ، لا كصفات المنافقين ، الذين قال

---

(١١) - تفسير الطبري حديث ١١٢٧٧ - (٥٨٦/٩) .

(١٢) - إسناده ضعيف ، علته مسلمة هذا ، قال الذهبي : مسلمة بن جعفر ، عن حسان بن حميد ، عن أنس في سب الناكح يده ، يجهل هو وشيخه ، وقال الأزدي : ضعيف .

---

[١] - اتخذت مملوكها : أي أمكنته من نفسها ، وتسرت به كأنه زوج لها .

[٢] - في [خ] : « العالمين » .

[٣] - ما بين المعكوفتين مكرر في [خ] .

فيهم النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان** »(١٣) .

وقوله : ﴿ **والذين هم علىٰ صلواتهم يحافظون** ﴾ ، أي : يواظبون عليها في مواقيتها ، كما قال ابن مسعود : سألت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقلت : يا رسول اللّٰه ! أي العمل أحب إلىٰ الله ؟ قال : « **الصلاة علىٰ وقتها** » . قلت : ثم أي ؟ قال : « **بر الوالدين** » . قلت : ثم أي ؟ قال : « **الجهاد في سبيل الله** » .

أخرجاه في الصحيحين(١٤) . وفى مستدرك الحاكم قال : « الصلاة في أول وقتها »(١٥) .

وقال ابن مسعود ومسروق في قوله : ﴿ **والذين هم على صلواتهم يحافظون** ﴾ يعنى : مواقيت الصلاة ، وكذا قال أبو الضحىٰ ، وعلقمة بن قيس ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة . وقال قتادة : علىٰ مواقيتها وركوعها وسجودها .

وقد افتتح اللّٰه ذكر هذه الصفات الحميدة بالصلاة ، واختتمها بالصلاة ، فدل علىٰ أفضليتها ، كما قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **استقيموا ولن تحصوا ، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ، ولا يحافظ علىٰ الوضوء إلا مؤمن** »(١٦) .

ولما وصفهم تعالىٰ بالقيام بهذه الصفات الحميدة ، والفعال الرشيدة ، قال : ﴿ **أولئك هم الوارثون * الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون** ﴾ .

وثبت في الصحيحين(١٧) أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **إذا سألتم اللّٰه الجنة**

(١٣) - رواه البخاري في الإيمان (٣٣) ، ومسلم في الإيمان (٥٩) .

(١٤) صحيح البخاري كتاب الأدب (٥٩٧٠) ، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان (٨٥) .

(١٥) المستدرك (١٨٨/١) وقال الحاكم : « فقد صحت هذه اللفظة باتفاق الثقتين بندار - محمد بن بشار - والحسن بن مكرم على روايتهما عن عثمان بن عمرو ، وهو صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » .

(١٦) ورد من حديث ثوبان : رواه أحمد (٢٤٢٧٩) (٢٧٦/٥ - ٢٧٧) وابن ماجة في كتاب الطهارة وسننها ، باب : المحافظة على الوضوء (٢٧٧) . من طريق سفيان ، عن منصور ، عن سالم بن أبي الجعد ، عنه به . وقال البوصيري : رجال إسناده ثقات أثبات ؛ إلا أن فيه انقطاعًا بين سالم وثوبان ، فإنه لم يسمع منه بلا خلاف ، ولكن أخرجه الدارمي ، وابن حبان في صحيحه من طريق ثوبان متصلًا .

ومن حديث عبد الله بن عمرو بن العاص : رواه ابن ماجه في كتاب الطهارة حديث (٢٧٨) من طريق المعتمر ، عن ليث ، عن مجاهد عنه ، به ، وإسناده ضعيف لأجل ليث بن أبي سليم .

ومن حديث أبي أمامة : رواه ابن ماجه في كتاب الطهارة وسننها (٢٧٩) من طريق إسحاق بن أسيد عن أبي حفص الدمشقي عنه به ، وضعفه البوصيري في الزوائد .

(١٧) البخاري في كتاب الجهاد والسير (٢٧٩٠) ، وفي التوحيد (٧٤٢٣) عن أبي هريرة ، ولم يعزه صاحب التحفة إلى غير البخاري .

فاسألوه الفردوس ، فإنه أعلىٰ الجنة ، وأوسط الجنة ، ومنه تَفَجَّر أنهار الجنة ، وفوقه عرش الرحمن » .

وقال ابن أبي حاتم(١٨) : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة - رضي اللّٰه عنه - قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : [« **ما منكم**][١] **من أحد إلا وله منزلان : منزل في الجنة ومنزل في النار ، فإن مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله ، فذلك قوله : ﴿ أولئك هم الوارثون ﴾** » .

وقال ابن جريج : عن ليث ، عن مجاهد : **﴿ أولئك هم الوارثون ﴾** قال : ما من عبد إلا وله منزلان : منزل في الجنة ، ومنزل في النار ، فأما المؤمن فيبنىٰ بيته الذي في الجنة ، ويهدم بيته الذي في النار ، وأما الكافر فيهدم بيته الذي في الجنة ، ويبنىٰ بيته الذي في النار . ورُوي عن سعيد بن جبير نحو ذلك .

فالمؤمنون يرثون منازل الكفار ؛ لأنهم خلقوا لعبادة اللّٰه تعالىٰ ، فلما قام هؤلاء المؤمنون بما وجب عليهم من العبادة ، وترك أولئك ما أمروا به مما خلقوا له ، أحرز هؤلاء نصيب أولئك لو كانوا أطاعوا ربهم عز وجل ، بل أبلغ من هذا أيضًا ، وهو ما ثبت في صحيح مسلم(١٩) ، عن أبي بردة بن أبي موسى [عن أبيه][٢] ، عن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم قال : « **يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال ، فيغفرها اللّٰه لهم ، ويضعها علىٰ اليهود والنصارىٰ** » . وفي لفظ له : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إذا كان يوم القيامة دفع اللّٰه لكل مسلم يهوديًّا أو نصرانيًّا ، فيقول**[٣] : **هذا فكاكك من النار** » . فاستحلف عمر بن عبد العزيز أبا بردة باللّٰه الذي لا إله إلا هو - ثلاث مرات - أن أباه حدثه عن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم ، قال : فحلف له .

قلت : هذه الآية كقوله تعالى : **﴿ تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيًّا ﴾** .

وكقوله : **﴿ وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾** وقد قال مجاهد وسعيد بن جبير : الجنة بالرومية : هي[٤] الفردوس . وقال بعض السلف : لا يسمىٰ البستانُ فردوسًا إلا إذا كان فيه عنب ، فاللّٰه أعلم .

---

(١٨) ورواه ابن ماجه في كتاب الزهد ، باب : صفة الجنة (٤٣٤١) عن أبي بكر بن أبي شيبة وأحمد بن سنان ، كلاهما عن أبي معاوية ، به . وقال البوصيري في الزوائد (٣/٣٢٧) : « هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين » .

(١٩) صحيح مسلم في كتاب التوبة حديث (٢٧٦٧) .

---

[١] - سقط من : [خ] .
[٢] - مكررة في خ .
[٣] - في ت : « فيقال » .
[٤] - سقط من : ت .

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن ابتداء خلق الإنسان من سلالة من طين ، وهو آدم عليه السلام ، خلقه الله من صلصال من حمإٍ مسنون .

وقال الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن أبي يحيىٰ ، عن ابن عباس : ﴿ **من سلالة من طين** ﴾ . قال : صفوة الماء . وقال مجاهد : ﴿ **من سلالة** ﴾ أي : من مني آدم . وقال ابن جرير : إنما سمي آدم طينًا لأنه مخلوق منه . وقال قتادة : استل آدم من الطين . وهذا أظهر في المعنىٰ ، وأقرب إلىٰ السياق ، فإن آدم - عليه السلام - خلق من طين لازب ، وهو الصلصال من الحمإ المسنون ، وذلك مخلوق من التراب ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون** ﴾ .

وقال الإمام أحمد[٢٠] : حدثنا يحيىٰ بن سعيد ، حدثنا عوف ، حدثنا قسامة بن زهير ، عن أبي موسىٰ ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم علىٰ قدر الأرض ، جاء منهم الأحمر والأسود والأبيض ، وبين ذلك ، والخبيث والطيب ، وبين ذلك** » . وقد رواه أبو داود والترمذي من طرق عن عوف الأعرابي به نحوه ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

---

(٢٠) المسند (٤٠٠/٤) (١٩٦٣٦) أخرجه أبو داود في كتاب السنة ، باب : في القدر ، حديث (٤٦٩٣) (٢٢٢/٤) . والترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة البقرة ، حديث (٢٩٥٥) (١٨٧/٥-١٨٨) . وعبد بن حميد (٥٤٩) . وابن سعد في الطبقات (٢٣/١) . وابن خزيمة في التوحيد ص (٦٤) . والحاكم (٢٦١/٢-٢٦٢) . والطبرى (٢١٤/١) عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **وعلم آدم الأسماء كلها** ...﴾ من سورة البقرة . وابن حبان في صحيح في كتاب التاريخ ، باب : بدءُ الخلق (٦١٦٠) (٢٩/١٤) . وأبو نعيم في الحلية (١٣٥/٨) . كلهم من طريق عوف ، عن قسامة بن زهير ، عن أبي موسى - رضي الله عنه ... فذكره . قال الترمذي : حديث حسن صحيح . وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . وصححه الألباني في الصحيحة برقم (١٦٣٠) . وزاد نسبته إلى ابن عساكر (٢/٣٠٧/٢) . والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٢٧،٣٨٥) .

﴿ **ثم جعلناه نطفة** ﴾ هذا الضمير عائد علىٰ جنس الإِنسان ، كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **وبدأ خلق الإِنسان من طين * ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين** ﴾ ، أي : ضعيف ، كما قال : ﴿ **ألم نخلقكم من ماء مهين * فجعلناه في قرار مكين** ﴾ يعني : الرحم معد لذلك مهيأ له ، ﴿ **إلىٰ قدر معلوم * فقدرنا فنعم القادرون** ﴾ ، أي : مدة معلومة وأجل معين ، حتىٰ استحكم ، وتنقل من حال إلىٰ حال ، وصفة إلىٰ صفة ، ولهذا قال هاهنا : ﴿ **ثم خلقنا النطفة علقة** ﴾ ، أي : ثم[١] صيرنا النطفة ، وهي الماء الدافق الذي يخرج من صلب الرجل ، وهو ظهره - وترائب المرأة - وهي عظام صدرها ما بين الترقوة إلىٰ الثندوة فصارت علقة حمراء على شكل العلقة ، مستطيلة . قال عكرمة : وهي دم ﴿ **فخلقنا العلقة مضغة** ﴾ ، وهي قطعة كالبَضعة من اللحم ، لا شكل فيها ولا تخطيط ، ﴿ **فخلقنا المضغة عظامًا** ﴾ ، يعني : شكلناها ذات رأس ويدين ورجلين ، بعظامها وعصبها وعروقها .

وقرأ آخرون : ﴿ **فخلقنا المضغة عظمًا** ﴾ قال ابن عباس : وهو عظم الصلب .

وفي الصحيح (٢١) من حديث أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **كل جسد ابن آدم يبلىٰ إلا عَجْبُ الذنب ، منه خلق ، ومنه[٢] يُركب** » . ﴿ **فكسونا العظام لحمًا** ﴾ أي : وجعلنا علىٰ ذلك ما يستره ويشده ويقويه ﴿ **ثم أنشأناه خلقًا آخر** ﴾ ، [أي : ثم نفخنا فيه الروح ، فتحرك وصار خلقًا آخر][٣] ، ذا سمع وبصر وإدراك وحركة واضطراب ﴿ **فتبارك الله أحسن الخالقين** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عليّ بن الحسين ، حدثنا جعفر بن مسافر ، حدثنا يحيىٰ بن حسان ، حدثنا النضر - يعني ابن كثير مولىٰ بني هاشم - حدثنا زيد بن عليّ ، عن أبيه ، عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال : إذا تمت النطفة[٤] أربعة أشهر ، بُعث[٥] إليها ملكٌ[٦] فنفخ فيها الروح في الظلمات الثلاث ، فذلك قوله : ﴿ **ثم أنشأناه خلقًا آخر** ﴾ ، يعني : [نفخنا فيه][٧] الروح. وروي عن أبي سعيد الخدري أنه [نفخ][٨] الروح .

---

(٢١) صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن برقم (٤٨١٤، ٤٩٣٥) ، وصحيح مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة حديث (٢٩٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

---

[١] - سقط من : [خ] .
[٢] - في خ : «وفيه » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - في ت : للنطفة .
[٥] - في ت : بعث الله .
[٦] - في ت : ملكًا .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « به » .
[٨] - سقط من ز .

[قال ابن عباس : ﴿ **ثم أنشأناه خلقًا آخر** ﴾ ، يعني به الروح][١] . وكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، والشعبي ، والحسن ، وأبو العالية ، والضحاك ، والربيع بن أنس ، والسدي ، وابن زيد ، واختاره ابن جرير . وقال العوفي : عن ابن عباس : ﴿ **ثم أنشأناه خلقًا آخر** ﴾ ، يعني : ننقله[٢] من حال إلىٰ حال ، إلىٰ أن خرج طفلًا ، ثم نشأ صغيرًا ثم احتلم ، ثم صار شابًّا ، ثم كهلًا ، ثم شيخًا[٣] هرمًا . وعن قتادة والضحاك نحو ذلك ، ولا منافاة ؛ فإنه من ابتداء نفخ الروح شرع في هذه التنقلات والأحوال ، والله أعلم .

قال الإمام أحمد في مسنده (٢٢) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن زيد بن وهب ، عن عبد الله – هو ابن مسعود قال : حدثنا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق : « **إن أحدكم ليجمع خلقه[٤] في بطن أمه في أربعين يومًا ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك ، فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات : رزقه ، وأجله ، وعمله ، وهل هو شقي أو سعيد . فوالذي لا إله غيره ، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتىٰ ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيختم له بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتىٰ ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيختم له بعمل أهل الجنة فيدخلها** » . أخرجاه من حديث سليمان بن مهران الأعمش .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن خيثمة قال : قال عبد الله – يعني ابن مسعود – : إن النطفة إذا وقعت في الرحم ، طارت في كل شعر وظفر ، فتمكث أربعين يومًا ، ثم تتحدر[٥] في الرحم فتكون علقة .

وقال الإمام أحمد أيضًا (٢٣) : حدثنا حسين بن الحسن ، حدثنا أبو كُدَينة ، عن عطاء ابن السائب ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن عبد الله قال : مر يهودي برسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وهو يحدث أصحابه ، فقالت قريش[٦] : يا يهودي ! إن هذا يزعم أنه نبي . فقال : لأسألنه عن شيء لا يعلمه إلا نبي . قال : فجاءه حتىٰ جلس ، فقال : يا محمد ! مم يخلق الإنسان ؟ فقال : « **يا يهودي ! من كلٍّ يُخْلَقُ ، من نطفة الرجل ومن**

---

(٢٢) تفسير الطبري (٨١/٨) .

(٢٣) المسند (٣٨٢/١) ، وصحيح البخاري ، كتاب القدر حديث (٦٥٩٤) ، وصحيح مسلم ، كتاب القدر (٢٦٤٣) .

---

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] – في ز : ينقله .

[٣] – بعده في ت : « ثم » .

[٤] – سقط من : ز ، خ .

[٥] – في [خ] : « تتحد » .

[٦] – سقط من : ز، خ .

نطفة المرأة ، فأما نطفة الرجل فنطفة غليظة منها العظم والعصب ، وأما نطفة المرأة فنطفة رقيقة منها اللحم والدم » . [فقام اليهودي فقال : هكذا كان يقول من قبلك][١] .

وقال الإمام أحمد(٢٤) : حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن أبي الطفيل ، عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال : سمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « **يدخل الملك علىٰ النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين ليلة ، فيقول : يا رب ! ماذا ؟ أشقي أم سعيد ؟ أذكر أم أنثىٰ ؟ فيقول اللّٰه ، [فيكتبان ، فيقولان : ماذا ؟ أذكر أم أنثىٰ ؟ فيقول اللّٰه عز وجل][٢] ، فيكتبان ، ويكتب عمله وأثره ، ومصيبته ورزقه ، ثم تطوىٰ الصحيفة فلا يزاد علىٰ ما فيها ولا ينقص** » .

وقد رواه مسلم في صحيحه(٢٥) من حديث سفيان بن عيينة ، عن عمرو - وهو ابن دينار - به نحوه ، ومن طرق أخرىٰ ، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة ، عن حذيفة بن أسيد أبي سريحة الغفاري بنحوه ، واللّٰه أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر البزار(٢٦) : حدثنا أحمد بن عَبْدَة ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا عبيد اللّٰه بن أبي بكر ، عن أنس : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **إن اللّٰه وكل بالرحم ملكًا ، فيقول : أي رب ! نطفة . أي رب ! علقة . أي رب ! مضغة . فإذا أراد اللّٰه خلقها قال : يا رب ! ذكر أو أنثىٰ ؟ شقي أو سعيد ؟ فما الرزق والأجل ؟ قال : فذلك يكتب في بطن أمه** » .

أخرجاه في الصحيحين(٢٧) من حديث حمّاد بن زيد به .

وقوله : ﴿ **فتبارك اللّٰه أحسن الخالقين** ﴾ ، يعني : حين ذكر قدرته ولطفه في خلق هذه النطفة من حال إلىٰ حال ، وشكل إلىٰ شكل ، حتىٰ تصورت إلىٰ ما صارت إليه من الإِنسان السَّويّ الكامل الخلق قال : ﴿ **فتبارك اللّٰه أحسن الخالقين** ﴾ .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس بن حبيب ، حدثنا أبو داود ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا علي بن زيد ، عن أنس قال : قال عمر - يعني ابن الخطاب رضي اللّٰه عنه - : وافقت ربي ووافقني في أربع ؛ نزلت هذه الآية : ﴿ **ولقد خلقنا الإِنسان من سلالة من**

(٢٤) المسند (٤٦٥/١) .

(٢٥) المسند (٦/٤) (١٦١٨٩) ، وصحيح مسلم ، كتاب القدر حديث (٢٦٤٤) .

(٢٦) صحيح مسلم ، كتاب القدر حديث (٢٦٤٥) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

طين ﴾ . الآية . قلت أنا : فتبارك الله أحسن الخالقين ، فنزلت : ﴿ **فتبارك الله أحسن الخالقين** ﴾

وقال أيضًا : حدثنا أبي ، حدثنا آدم بن أبي إياس ، حدثنا شيبان ، عن جابر الجعفي ، عن عامر الشعبي ، عن زيد بن ثابت الأنصاري(٢٨) قال : أملىٰ عليَّ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم هذه الآية : ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **خلقًا آخر** ﴾ فقال معاذ : فتبارك الله أحسن الخالقين ! فضحك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال له معاذ : مم تضحك يا رسول الله ؟ قال : « بها ختمت : ﴿ **فتبارك الله أحسن الخالقين** ﴾ » .

جابر بن زيد الجعفي ضعيف جدًّا ، وفي خبره هذا نكارة شديدة ، وذلك أن هذه السورة مكية . وزيد بن ثابت إنما كتب الوحي بالمدينة ، وكذلك إسلام معاذ بن جبل إنما كان بالمدينة أيضًا ، فالله أعلم .

وقوله : ﴿ **ثم إنكم بعد ذلك لميتون** ﴾ يعني : بعد هذه النشأة الأولىٰ من العدم تصيرون إلىٰ الموت ﴿ **ثم إنكم يوم القيامة تبعثون** ﴾ يعني : النشأة الآخرة ﴿ **ثم الله ينشئ النشأة الآخرة** ﴾ يعني : يوم المعاد ، وقيام الأرواح والأجساد ، فيحاسب الخلائق ويوفي كل عامل عمله ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًّا فشر .

وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾

لما ذكر تعالىٰ خلق الإنسان ، عطف بذكر خلق السموات السبع ، وكثيرًا ما يذكر تعالىٰ خلق السموات والأرض مع خلق الإنسان ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **لخلق السمٰوات والأرض أكبر من خلق الناس** ﴾ وهكذا في أول (الم السجدة) التي كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقرأ بها صبيحة يوم الجمعة ، في أولها خلق السموات والأرض ، ثم بيان خلق الإنسان من سلالة من طين ، وفيها أمر المعاد والجزاء ، وغير ذلك من المقاصد .

فقوله : ﴿ **سبع طرائق** ﴾ قال مجاهد : يعني السموات السبع . وهذه كقوله تعالىٰ : ﴿ **تسبح له السمٰوات السبع والأرض ومن فيهن** ﴾ ، ﴿ **ألم تروا كيف خلق الله سبع سمٰوات طباقًا** ﴾ ﴿ **الله الذي خلق سبع سمٰوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن**

---

(٢٧) صحيح البخاري ، كتاب الحيض ، حديث (٣١٨) ، وصحيح مسلم ، كتاب القدر (٢٦٤٦) .

(٢٨) رواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٣٣٦٧) « مجمع البحرين » عن أبي زرعة عن آدم بن إياس به وجابر الجعفي ضعيف .

لتعلموا أن الله علىٰ كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا ﴾ .

وهكذا قال هاهنا : ﴿ **ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين** ﴾ ، أي: ويعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ، وهو معكم أينما كنتم ، والله بما تعملون بصير ، وهو سبحانه لا يَحجبُ عنه سماء سماء ، ولا أرض أرضًا ، ولا جبل إلا يعلم ما في وَعْره ، ولا بحر إلا يعلم ما في قَعْره ، يعلم عدد ما في الجبال والتلال والرمال ، والبحار والقفار والأشجار ، ﴿ **وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين** ﴾.

وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ (١٨) فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (١٩) وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ (٢٠) وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٢١) وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٢٢)

يذكر تعالىٰ نعمه علىٰ عبيده[١] التي لا تعد ولا تحصىٰ ، في إنزاله القطر من السماء ﴿ **بقدر** ﴾ ، أي : بحسب الحاجة ، لا كثيرًا فيفسد الأرض والعمران ، ولا قليلًا فلا يكفي الزروع والثمار ، بل بقدر الحاجة إليه من السقي والشرب والانتفاع به ، حتىٰ إن الأراضي التي تحتاج ماء كثيرًا لزرعها ، ولا تحتمل دمنتها[٢] إنزال المطر عليها يسوق إليها الماء من بلاد أخرىٰ ، كما في أرض مصر، ويقال لها : (الأرض الجرز) يسوق الله إليها ماء النيل ، معه طين أحمر يجترفه من بلاد الحبشة في زمان أمطارها ، فيأتي الماء يحمل طينًا أحمر ، فيسقي أرض مصر ، ويقر الطين علىٰ أرضهم ليزدرعوا فيه ؛ لأن أرضهم سباخ يغلب عليها الرمال ، فسبحان اللطيف الخبير ، الرحيم الغفور .

وقوله : ﴿ **فأسكناه في الأرض** ﴾ ، أي : جعلنا الماء إذا نزل من السحاب يخلد في الأرض ، وجعلنا[٣] في الأرض قابلية له ، تشربه ويتغذىٰ به ما فيها من الحب والنوىٰ .

وقوله : ﴿ **وإنا علىٰ ذهاب به لقادرون** ﴾ ، أي : لو شئنا أن لا تمطر[٤] لفعلنا ، ولو

---

[١] - في ز : عبده .
[٢] - سقط من : [خ] .
[٣] - في ز : وجعل .
[٤] - في ز : نمطر .

شئنا لصرفناه عنكم إلىٰ السباخ والبراري والقفار لفعلنا ، ولو شئنا لجعلناه أجاجًا لا ينتفع به لشرب ولا لسقي لفعلنا ، ولو شئنا لجعلناه لا ينزل في الأرض بل ينجر علىٰ وجهها لفعلنا ، ولو شئنا لجعلناه إذا نزل فيها يغور إلىٰ مدى لا تصلون إليه ولا تنتفعون به لفعلنا ، ولكن بلطفه ورحمته ينزل عليكم الماء من السحاب عذبًا فراتًا زلالًا ، فيسكنه في الأرض ويسلكه ينابيع في الأرض ، فيفتح العيون والأنهار ، فيسقي به الزروع والثمار ، وتشربون منه ودوابكم وأنعامكم ، وتغتسلون منه وتتطهرون وتتنظفون ، فله الحمد والمنة .

وقوله : ﴿ **فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب** ﴾ ، يعني : فأخرجنا لكم بما أنزلنا من السماء ﴿ **جنات** ﴾ أي : بساتين ﴿ **وحدائق ذات بهجة** ﴾ ، أي : ذات منظر حسن .

وقوله : ﴿ **من نخيل وأعناب** ﴾ ، أي : فيها نخيل وأعناب ، وهذا ما كان يألف أهل الحجاز ، ولا فرق بين الشيء وبين نظيره ، وكذلك في حق كل أهل إقليم ، عندهم من الثمار من نعمة اللَّه عليهم ما يعجزون عن القيام بشكره .

وقوله : ﴿ **لكم فيها فواكه كثيرة** ﴾ ، أي : من جميع الثمار ، كما قال : ﴿ **ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات** ﴾ وقوله[١] : ﴿ **ومنها تأكلون** ﴾ كأنه معطوف علىٰ شيء مقدر ، تقديره : تنظرون إلىٰ حسنه ونضجه ، ومنه تأكلون .

وقوله : ﴿ **وشجرةً تخرج من طور سيناء** ﴾ ، يعني : الزيتونة . والطور : هو الجبل ، وقال بعضهم : إنما يسمىٰ طورًا إذا كان فيه شجر ، فإن عري عنها سمي جبلًا لا طورًا ، واللَّه أعلم . وطور سيناء : هو طور سينين ، وهو الجبل الذي كُلِّم عليه موسىٰ بن عمران عليه السلام ، وما حوله من الجبال التي فيها شجر الزيتون .

وقوله : ﴿ **تَنْبُتُ بالدهن** ﴾ قال بعضهم : الباء زائدة ، وتقديره : تنبت الدهن ، كما في قول العرب : ألقىٰ فلان بيده ، أي : يده . وأما علىٰ قول من يضمن الفعل فتقديره : تخرج بالدهن ، أو تأتي بالدهن ؛ ولهذا قال : ﴿ **وصبغ** ﴾ ، أي : أدم ، قاله قتادة ، ﴿ **للآكلين** ﴾ ، أي : فيها ما ينتفع به من الدهن والاصطباغ .

كما قال الإمام أحمد(٢٩) : حدثنا وكيع ، عن عبد اللَّه بن عيسىٰ ، عن عطاء الشامي ، عن أبي أسيد - واسمه مالك بن ربيعة الساعدي الأنصاري - قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **كلوا الزيت وادهنوا به ، فإنه من شجرة مباركة** » .

(٢٩) المسند (٤٩٧/٣) (١٦١٠١) . وهو حديث صحيح - إسناده ضعيف . عطاء الشامي الأنصاري : قال الحافظ في التقريب : مقبول ، من الرابعة .ت س . =

[١] - سقط من ز .

وقال عبد بن حميد في مسنده(٣٠) وتفسيره : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن زيد ابن أسلم ، عن أبيه ، عن عمر : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : «**ائتدموا بالزيت وادهنوا به ، فإنه يخرج من شجرة مباركة** » .

ورواه الترمذي وابن ماجة ، من غير وجه عن عبد الرزاق . قال الترمذي : ولا يعرف إلا من حديثه ، وكان يضطرب فيه ، فربما ذكر فيه عمر ، وربما لم يذكره .

قال أبو القاسم الطبراني(٣١) : حدثنا عبد اللّٰه بن أحمد بن حنبل ، حدثنا أبي ، حدثنا سفيان بن عيينة ، حدثني الصعب بن حكيم بن شريك بن نميلة ، عن أبيه ، عن جده قال[١] : ضفت عمر بن الخطاب - رضي اللّٰه عنه - [ليلة عاشوراء ، فأطعمني][٢] من رأس بعير بارد ، وأطعمنا زيتًا ، وقال : هذا الزيت المبارك الذي قال اللّٰه لنبيه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم .

وقوله : ﴿ **وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون * وعليها وعلى الفلك تحملون** ﴾ يذكر تعالىٰ ما جعل لخلقه في الأنعام من المنافع ، وذلك أنهم يشربون من ألبانها الخارجة من بين فرث ودم ، ويأكلون من حُملانها ، ويلبسون من أصوافها وأوبارها وأشعارها ، ويركبون ظهورها ، ويحملونها الأحمال الثقال إلىٰ

= وقال في التهذيب : قال البخاري : لم يقم حديثه .وذكره العقيلي في الضعفاء .وذكره ابن حبان في الثقات . والحديث أخرجه الترمذي في كتاب الأطعمة ، باب : ما جاء في أكل الزيت (٤/ ٢٥١) حديث (١٨٥٢) . والدارمي في سننه (٢/ ١٠٢) . والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٩٧- ٣٩٨) . والطبراني في الكبير (١٩/ ٢٦٩- ٢٧٠) حديث (٥٩٧) . والخطيب في الموضح (٢/ ١٩٤) . والبغوي في شرح السنة (١١/٣١٠ ، ٣١١) رقم ٢٨٧٠ ، ٢٨٧١ . والعقيلي في الضعفاء (٣/٤٠١ - ٤٠٢) . والبخاري في الكنى من تاريخه ص ٦ رقم ٣١ . وقال الترمذي : حديث غريب من هذا الوجه إنما نعرفه من حديث سفيان الثوري عن عبد الله بن عيسى . وقال الحاكم : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .اهـ .

وضعف الشيخ الألباني هذا الطريق تحت حديثه في السلسلة الصحيحة (٢٧٩) .

وذكر الشيخ له ثلاث طرق غير هذا ، فصحح الحديث بمجموع طرقه عن عمر وأبي هريرة وعبد الله بن عباس .

(٣٠) المنتخب لعبد بن حميد برقم (١٣) ، وسنن الترمذي ، كتاب الأطعمة (١٨٥١) ، سنن ابن ماجه ، كتاب الأطعمة (٣٣١٩) .

(٣١) المعجم الكبير (٧٤/١) والصعب بن حكيم لا يعرف كما قال الذهبي ،وقال الحافظ : مقبول ، وكذلك جده ، وأبو مستور .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ،خ : « ليلة ، فأطعمني عشورًا » .

البلاد النائية عنهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وتحمل أثقالكم إلىٰ بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم** ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ **أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعامًا فهم لها مالكون * وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون * ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون** ﴾

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾

يخبر تعالىٰ عن نوح عليه السلام حين بعثه[١] إلىٰ قومه ؛ لينذرهم عذاب اللَّه وبأسه الشديد ، وانتقامه ممن أشرك به ، وخالف أمره وكذب رسله ﴿ **فقال يا قوم اعبدوا اللَّه ما لكم من إله غيره أفلا تتقون** ﴾ أي : ألا تخافون من اللَّه في إشراككم به ؟ ! ﴿ **فقال الملأ** ﴾ وهم السادة والأكابر منهم ﴿ **ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم** ﴾ يعنون : يترفع عليكم ، ويتعاظم بدعوىٰ النبوة ، وهو بشر مثلكم ، فكيف[٢] أوحي إليه دونكم ؟ ﴿ **ولو شاء اللَّه لأنزل ملائكة** ﴾ ، أي : لو أراد أن يبعث نبيًّا ، لبعث ملكًا من عنده ولم يكن بشرًا ! ﴿ **ما سمعنا بهذا** ﴾ ، أي : ببعثة البشر ﴿ **في آبائنا الأولين** ﴾ يعنون بهذا أسلافهم[٣] وأجدادهم والأمم الماضية .

وقوله : ﴿ **إن هو إلا رجل به جنّة** ﴾ ، أي : مجنون فيما يزعمه ، من أن اللَّه أرسله إليكم ، واختصه من بينكم بالوحي ﴿ **فتربصوا به حتىٰ حين** ﴾ ، أي : انتظروا به ريب المنون ، واصبروا عليه مدّة حتىٰ تستريحوا منه .

قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم

[١] - في ز : بعثه اللَّه . [٢] - سقط من ز .

[٣] - في ز : آباءهم .

مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾

[يقول تعالى مخبرًا][١] عن نوح عليه السلام أنه دعا ربه يستنصره على قومه ، كما قال تعالىٰ مخبرًا عنه[٢] في الآية الأخرىٰ : ﴿ فدعا ربه أني مغلوب فانتصر ﴾ وقال هاهنا : ﴿ رب انصرني بما كذبون ﴾ فعند ذلك أمره اللَّه تعالىٰ بصنعة السفينة وإحكامها وإتقانها ، وأن يحمل فيها من كل زوجين اثنين ، أي : ذكرًا وأنثىٰ من كل صنف من الحيوانات والنباتات والثمار ، وغير ذلك ، وأن يحمل فيها أهله ﴿ إلا من سبق عليه القول منهم ﴾ ، أي : سبق فيه القول من اللَّه بالهلاك ، وهم الذين لم يؤمنوا به من أهله ؛ كابنه وزوجته ، واللَّه أعلم .

وقوله : ﴿ ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون ﴾ أي : عند معاينة إنزال المطر العظيم ، لا تأخذنك رأفة بقومك ، وشفقة عليهم ، وطمع في تأخيرهم[٣] لعلهم يؤمنون ، فإني قد قضيت أنهم مغرقون علىٰ ما هم عليه من الكفر والطغيان ، وقد تقدمت القصة مبسوطة في سورة هود بما يغني عن إعادة ذلك هاهنا .

وقوله : ﴿ فإذا استويت أنت ومن معك علىٰ الفلك فقل الحمد للَّه الذي نجانا من القوم الظالمين ﴾ كما قال : ﴿ وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون * لتستووا علىٰ ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وإنا إلىٰ ربنا لمنقلبون ﴾ وقد امتثل نوح - عليه السلام - هذا . كما قال تعالىٰ : ﴿ وقال اركبوا فيها باسم اللَّه مجراها ومرساها ﴾ فذكر اللَّه تعالى عند ابتداء سيره وعند انتهائه . وقال تعالى : ﴿ وقل ربي أنزلني منزلًا مباركًا وأنت خير المنزلين ﴾ .

وقوله : ﴿ إن في ذلك لآيات ﴾ أي : إن في هذا الصنيع - وهو إنجاء المؤمنين ، وإهلاك الكافرين - ﴿ لآيات ﴾ أي : لحجج ودلالات واضحات علىٰ صدق الأنبياء فيما جاءوا به عن اللَّه تعالىٰ ، وأنه تعالىٰ فاعل لما يشاء ، قادر[٤] علىٰ كل شيء ، عليم بكل شيء .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « يخبر تعالى » . [٢] - سقط من ز .
[٣] - في ز : تأخرهم . [٤] - في ز : وقادر .

وقوله : ﴿ وإن كنا لمبتلين ﴾ أي : لمختبرين للعباد بإرسال المرسلين .

ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا
لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟
بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا
تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا
لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾
۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا
وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ
بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ
نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٤١﴾

يخبر تعالىٰ أنه أنشأ بعد قوم نوح قرنًا آخرين[١] - قيل : المراد بهم عاد ؛ فإنهم كانوا مستخلفين بعدهم ، وقيل : المراد بهؤلاء ثمود ؛ لقوله : ﴿ **فأخذتهم الصيحة بالحق** ﴾ وأنه تعالى أرسل فيهم رسولًا منهم ، فدعاهم إلىٰ عبادة اللَّه وحده لا شريك له ، فكذبوه وخالفوه ، وأبوا عن[٢] اتباعه ؛ لكونه بشرًا مثلهم ، واستنكفوا عن اتباع رسول بشري ، فكذبوا بلقاء اللَّه في القيامة ، وأنكروا المعاد الجثماني ، وقالوا : ﴿ **أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابًا وعظامًا أنكم مخرجون * هيهات هيهات لما توعدون** ﴾ ، أي : بعيد بعيد ذلك ﴿ **إن هو إلا رجل افترىٰ علىٰ اللَّه كذبًا** ﴾ ، أي : فيما جاءكم به من الرسالة والنذارة والإخبار بالمعاد ﴿ **وما نحن له بمؤمنين * قال رب انصرني بما كذبون** ﴾ ، أي : استفتحَ عليهم الرسول ، واستنصرَ ربه عليهم ، فأجاب دعاءه ، ﴿ **قال عما قليل ليصبحن نادمين** ﴾ ، أي : بمخالفتك وعنادك فيما جئتهم به ، ﴿ **فأخذتهم الصيحة بالحق** ﴾ ، أي : وكانوا يستحقون ذلك من اللَّه لكفرهم وطغيانهم .

---

[١] - في ز ، خ : « آخر » . [٢] - في ز : من .

والظاهر أنه اجتمع عليهم صيحة مع الريح الصرصر العاصف القوي البارد[١] ، ﴿ تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرىٰ[٢] إلا مساكنهم ﴾ وقوله : ﴿ فجعلناهم غثاء ﴾ ، أي : صرعىٰ هلكىٰ كغثاء السيل ، وهو : الشيء الحقير التافه الهالك الذي[٣] لا ينتفع بشيء منه ، ﴿ فبعدًا للقوم الظالمين ﴾ ، كقوله : ﴿ وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ﴾ أي : بكفرهم وعنادهم ، ومخالفة رسول الله ، فليحذر السامعون أن يكذبوا رسولهم .

ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ ثم أنشأنا [من بعدهم][٤] قرونًا آخرين ﴾ ، أي : أممًا وخلائق ، ﴿ ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون ﴾ ، يعني : بل [يؤخذون علىٰ][٥] حسب ما قدر لهم تعالىٰ في كتابه المحفوظ وعلمه قبل كونهم ، أمة بعد أمة ، وقرنًا بعد قرن ، وجيلًا بعد جيل ، وخلفًا بعد سلف .

﴿ ثم أرسلنا رسلنا تترىٰ ﴾ قال ابن عباس : يعني : يتبع بعضهم بعضًا ، وهذه كقوله تعالىٰ : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولًا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدىٰ الله ومنهم من حقت عليه الضلالة ﴾ وقوله : ﴿ كلما جاء أمة رسولها كذبوه ﴾ يعني : جمهورهم وأكثرهم ، كقوله تعالىٰ : ﴿ يا حسرة علىٰ العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون ﴾ وقوله : ﴿ فأتبعنا بعضهم بعضًا ﴾ ، أي : أهلكناهم ، كقوله : ﴿ وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح ﴾ وقوله : ﴿ وجعلناهم أحاديث ﴾ أي : أخبارًا وأحاديث للناس ، كقوله : ﴿ فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق إن في ذلك لآيات [لكل صبارٍ شكورٍ][٦] ﴾

ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَـٰرُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا

[١] - في ز : الباردة .
[٢] - في ز: ترى .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من ز . وفوق الآية كتب : «كذا» .
[٥] - في ز : يوجدون .
[٦] - في ز : لقوم يؤمنون .

عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾

يخبر تعالىٰ أنه بعث رسوله موسىٰ - عليه السلام - وأخاه هارون إلىٰ فرعون وملائه ، بالآيات والحجج الدامغات ، والبراهين القاطعات ، وأن فرعون وقومه استكبروا عن اتباعهما ، والانقياد لأمرهما ؛ لكونهما بشرين ، كما أنكرت الأمم الماضية بعثة الرسل من البشر ، تشابهت قلوبهم ، فأهلك الله فرعون وملأه ، وأغرقهم في يوم واحد أجمعين ، وأنزل علىٰ موسىٰ الكتاب ، وهو : التوراة ، فيها أحكامه وأوامره ونواهيه ، وذلك بعدما قصم الله فرعون والقبط ، وأخذهم أخذ عزيز مقتدر ، وبعد أن أنزل الله التوراة لم يهلك أمة بعامة ، بل أمر المؤمنين بقتال الكافرين ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولقد آتينا موسىٰ الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولىٰ بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون** ﴾ [**ثم قال تعالى**][١]

وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن عبده ورسوله عيسىٰ ابن مريم - عليهما السلام - أنه جعلهما آية للناس ، أي : حجة قاطعة علىٰ قدرته علىٰ ما يشاء ، فإنه خلق آدم من غير أبٍ ولا أم ، وخلق حواء من ذكرٍ بلا أنثىٰ ، وخلق عيسىٰ من أنثىٰ بلا ذكر ، وخلق بقية الناس من ذكر وأنثىٰ .

وقوله : ﴿ **وآويناهما إلىٰ ربوة ذات قرار ومعين** ﴾ ، قال الضحاك عن ابن عباس : الربوة : المكان المرتفع من الأرض ، وهو أحسن ما يكون فيه النبات . وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وقتادة .

قال ابن عباس : وقوله : ﴿ **ذات قرار** ﴾ يقول : ذات خصب ﴿ **ومعين** ﴾ يعني ماء طاهرًا .

وقال مجاهد : ربوة مستوية .

[وقال سعيد بن جبير : ﴿ **ذات قرار ومعين** ﴾ استوىٰ الماء فيها][٢] .

وقال مجاهد وقتادة : ﴿ **ومعين** ﴾ : الماء الجاري .

ثم اختلف المفسرون في مكان هذه الربوة في أي أرض هي ؟ فقال عبد الرحمن بن زيد

---

[١] - سقط من ت ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

ابن أسلم : ليس الربىٰ إلا بمصر ، والماء حين يرسل يكون الربىٰ عليها القرىٰ ، ولولا الربىٰ غرقت القرىٰ . ورُوي عن وهب بن منبه نحو هذا ، وهو بعيد جدًّا .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عبد اللّٰه بن يزيد المقرئ ، حدثنا سفيان ، عن يحيىٰ بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب في قوله تعالى : ﴿ **وآويناهما إلىٰ ربوة ذات قرار ومعين** ﴾ قال : هي دمشق .

قال : وروي عن عبد اللّٰه بن سلام ، والحسن[١] ، وزيد بن أسلم ، وخالد بن معدان نحو ذلك .

وقال ابن أبي حاتم[٢] : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ **ذات قرار ومعين** ﴾ قال : أنهار دمشق .

وقال ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد : ﴿ **وآويناهما إلىٰ ربوة** ﴾ قال : عيسىٰ ابن مريم وأمه ، حين أويا إلىٰ غوطة دمشق وما حولها .

وقال عبد الرزاق : عن بشر بن رافع ، عن أبي عبد اللّٰه بن عم أبي هريرة قال : سمعت أبا هريرة يقول في قول اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **إلىٰ ربوة ذات قرار ومعين** ﴾ قال : هي الرملة من فلسطين .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا إبراهيم بن محمد بن يوسف الفريابي ، حدثنا روّاد بن الجراح ، حدثنا عباد[٣] بن عباد الخواص أبو عتبة ، حدثنا السيباني[٤] ، عن ابن وعلة ، عن كريب السحولي ، عن مرة البهزي قال : سمعت النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول لرجل : « **إنك ميت بالربوة** » . فمات بالرملة[٥] . وهذا حديث غريب جدًّا .

وأقرب الأقوال في ذلك : ما رواه العوفي ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وآويناهما إلىٰ ربوة ذات قرار ومعين** ﴾ قال : المعين : الماء الجاري ، وهو النهر الذي قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **قد جعل ربك تحتك سريًّا** ﴾ . وكذا قال الضحاك وقتادة : ﴿ **إلىٰ ربوة ذات قرار ومعين** ﴾ : هو بيت المقدس . فهذا واللّٰه أعلم هو الأظهر ؛ لأنه المذكور في الآية الأخرىٰ ، والقرآن يفسر [بعضه بعضًا ، وهو[٦] أولىٰ ما][٧] يفسر به ، ثم الأحاديث الصحيحة ، ثم الآثار .

---

[١] - في خ : « الحسين » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ز : عبد الله .
[٤] - في ز : الشيباني .
[٥] - في خ : « بالربلة » .
[٦] - في ت : وهذا .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝٥١ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ۝٥٢ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝٥٣ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۝٥٤ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ۝٥٦ ﴾

يأمر تعالىٰ عباده المرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين بالأكل من الحلال ، والقيام بالصالح من الأعمال ، فدل هذا علىٰ أن الحلال عون علىٰ العمل الصالح ، فقام الأنبياء - عليهم السلام - بهذا أتم القيام ، وجمعوا بين كل خير قولًا وعملًا ودلالة ونصحًا ، فجزاهم اللَّه عن العباد خيرًا .

قال الحسن البصري في قوله : ﴿ **يا أيها الرسل كلوا من الطيبات** ﴾ قال : أما واللَّه ما أُمِروا بأصفركم ولا أحمركم ، ولا حلوكم ولا حامضكم ، ولكن قال[1] : انتهوا إلىٰ الحلال منه .

وقال سعيد بن جبير والضحاك : ﴿ **كلوا من الطيبات** ﴾ يعني : الحلال .

وقال أبو إسحاق السبيعي ، عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل : كان عيسىٰ ابن مريم يأكل من غزل أمه .

وفي الصحيح(٣٢) : « **ما من نبي إلا رعىٰ الغنم** » . قالوا : وأنت يا رسول الله ؟ قال : « **نعم ، كنت أرعاها علىٰ قراريط لأهل مكة** » .

وفي الصحيح(٣٣) : « **إن داود عليه السلام كان يأكل من كسب يده** » .

وفي الصحيحين(٣٤) : « **إن أحب الصيام إلىٰ اللَّه صيام داود ، وأحب القيام إلىٰ اللَّه قيام داود ، كان ينام نصف الليل ، ويقوم ثلثه ، وينام سدسه ، وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا ، ولا يفر إذا لاقىٰ** » .

(٣٢) صحيح البخاري ، كتاب الإجارة حديث (٢٢٦٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
(٣٣) صحيح البخاري ، كتاب البيوع حديث (٢٠٧٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه نحوه .
(٣٤) صحيح البخاري ، كتاب الجمعة حديث (١١٣١) ، وصحيح مسلم ، كتاب الصيام (١١٥٩) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

[١] - سقط من : خ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع ، حدثنا أبو بكر بن أبي مريم ، عن ضمرة بن حبيب : أن أم عبد الله أخت[١] شداد بن أوس ، بعثت إلى النبي صلى الله عليه وسلم بقدح لبن عند فطره ، وهو صائم ، وذلك في أول النهار وشدة الحر فرد إليها رسولها : « **أنّىٰ كانت لك الشاة ؟** » . فقالت : اشتريتها من مالي . فشرب منه ، فلما كان من الغد أتته أم عبد الله أخت[٢] شداد فقالت : يا رسول الله ! بعثت إليك بلبن مرثيّة[٣] لك من طول النهار وشدة الحر ، فرددت إليَّ الرسول فيه ؟ فقال لها : « **بذلك أمرت الرسل ، [أن لا تأكل]**[٤] **إلا طيبًا ولا تعمل إلا صالحًا** »(٣٥) .

وقد ثبت في صحيح مسلم(٣٦) وجامع الترمذي ومسند الإمام أحمد - واللفظ له - من حديث فضيل بن مرزوق ، عن عدي بن ثابت ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **يا أيها الناس ! إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال : ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحًا إني بما تعملون عليم ﴾** ، وقال : **﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾** » . ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذي بالحرام ، يمد يديه إلىٰ السماء : يا رب ! يا رب ! فأنىٰ يستجاب لذلك ؟ ! . وقال الترمذي : حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث فضيل ابن مرزوق .

وقوله : **﴿ وإن هذه أمتكم أمة واحدة ﴾** ، أي : دينكم يا معشر الأنبياء دين واحد ، وملة واحدة ، وهو الدعوة إلىٰ عبادة الله وحده لا شريك له ؛ ولهذا قال : **﴿ وأنا ربكم فاتقون ﴾** وقد تقدم الكلام علىٰ ذلك في سورة الأنبياء ، وأن قوله : **﴿ أمة واحدة ﴾** منصوب علىٰ الحال .

وقوله : **﴿ فتقطعوا أمرهم بينهم زبرًا ﴾** ، أي : الأمم الذين بعثت[٥] إليهم الأنبياء

---

(٣٥) ورواه الحاكم في المستدرك (١٢٥/٤) من طريق المعافى بن عمران عن أبي بكر بن أبي مريم به نحوه ، وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » وتعقبه الذهبي : « قلت : وابن أبي مريم واه » .

(٣٦) صحيح مسلم برقم (١٠١٥) ، وسنن الترمذي برقم (٢٩٨٩) ، والمسند (١٥٩/٦) .

---

[١] - في ز : بنت . [٢] - في ز ، خ : « بنت » .

[٣] - سقط من : خ . ومعنى مرثية : توجُّعًا لك وإشفاقًا . من رثى له : إذا رق وتوجع . وهي من أبنية المصادر ، نحو المغفرة والمعذرة . وقيل : الصواب أن يقال : مرثاة لك . من قولهم : رثيت للحي رثيا ومرثاة ورثيت الميت مرثية . النهاية (١٩٦/٢) .

[٤] - في خ : « لا يأكلن » . [٥] - في ز : بعث .

﴿ **كل حزب بما لديهم فرحون** ﴾ أي : يفرحون بما هم فيه من الضلال ؛ لأنهم يحسبون أنهم مهتدون ؛ ولهذا قال متهددًا لهم ومتوعدًا : ﴿ **فذرهم في غمرتهم** ﴾ ، أي : في غيهم وضلالهم ﴿ **حتىٰ حين** ﴾ ، أي : إلىٰ حين حينهم وهلاكهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فمهل الكافرين أمهلهم رويدًا** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين * نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون** ﴾ ، يعني : أيظن هؤلاء المغرورون أن ما نعطيهم من الأموال والأولاد لكرامتهم علينا ومعزتهم عندنا ؟ ! كلا ، ليس الأمر كما يزعمون في قولهم : ﴿ **نحن أكثر أموالًا وأولادًا وما نحن بمعذبين** ﴾ ، لقد أخطأوا في ذلك وخاب رجاؤهم ، بل إنما نفعل بهم ذلك استدراجًا وإنظارًا وإملاء ؛ ولهذا قال : ﴿ **بل لا يشعرون** ﴾ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد اللَّه ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **إنما نملي لهم ليزدادوا إثمًا** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون * وأملي لهم إن كيدي متين** ﴾ وقال : ﴿ **ذرني ومن خلقت وحيدًا ، وجعلت له مالًا ممدودًا * وبنين شهودًا * ومهدت له تمهيدًا * ثم يطمع أن أزيد * كلا إنه كان لآياتنا عنيدًا** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفىٰ إلا من آمن وعمل صالحًا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون** ﴾ . والآيات في هذا كثيرة .

قال قتادة في قوله : ﴿ **أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين * نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون** ﴾ قال : مُكِرَ واللَّه بالقوم في أموالهم وأولادهم ، يا بن آدم ، فلا تعتبر الناس بأموالهم وأولادهم ، ولكن اعتبرهم بالإيمان والعمل الصالح .

وقال الإمام أحمد (٣٧) : حدثنا محمد [بن عبيد ، حدثنا أبان بن إسحاق ، عن الصباح ابن محمد ، عن مرة الهمداني][١] ، حدثنا عبد اللَّه بن مسعود - رضي اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن اللَّه قسم بينكم أخلاقكم ، كما قسم بينكم أرزاقكم ، وإن اللَّه يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطي الدين إلا لمن أحب ، فمن أعطاه اللَّه الدين فقد أحبه ، والذي نفسي بيده ، لا يسلم عبد حتىٰ يسلم قلبه ولسانه ، ولا يؤمن حتىٰ يأمنَ جاره بوائقه** » . قالوا : وما بوائقه يا نبي الله ؟ قال :

---

(٣٧) المسند (١/٣٨٧) .

[١] - ما بين المعكوفتين بياض في ز ، خ .

« **غشمه وظلمه ، ولا يكسب عبد مالًا من حرام فينفق منه فيبارك له فيه ، ولا يتصدّق به فيقبل منه ، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلىٰ النار ، إن اللَّه لا يمحو السيئ بالسيئ ، ولكن يمحو السيئ بالحسن ، إن الخبيث لا يمحو الخبيث** » .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧) وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ (٦٠) أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ (٦١) ﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون** ﴾ ، أي : هم مع[١] إحسانهم وإيمانهم وعملهم الصالح ، مشفقون من اللَّه خائفون منه ، وجلون من مكره بهم ؛ كما قال الحسن البصري : إن المؤمن جمع إحسانًا وشفقة ، وإن المنافق جمع إساءة وأمنًا .

﴿ **والذين هم بآيات ربهم يؤمنون** ﴾ ، أي : يؤمنون بآياته الكونية والشرعية ؛ كقوله تعالىٰ إخبارًا عن مريم عليها السلام : ﴿ **وصدّقت بكلمات ربها وكتبه** ﴾ ، أي : أيقنت أن ما كان فإنما[٢] هو عن قدر اللَّه وقضائه ، وما شرعه اللَّه فهو إن كان أمرًا فمما يحبه ويرضاه ، وإن كان نهيًا فهو مما يكرهه ويأباه ، وإن كان خبرًا فهو حق ، كما قال اللَّه : ﴿ **والذين هم بربهم لا يشركون** ﴾ ، أي : لا يعبدون معه غيره ، بل يوحدونه ويعلمون أنه لا إله إلا اللَّه ، أحدًا صمدًا ، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا ، وأنه لا نظير له ولا كفء له .

وقوله : ﴿ **والذين يؤتون ما ءاتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلىٰ ربهم راجعون** ﴾ . أي : يعطون العطاء[٣] وهم خائفون أن لا يتقبل منهم ، لخوفهم أن يكونوا قد قصروا في القيام بشروط الإعطاء ، وهذا من باب الإشفاق[٤] والاحتياط .

كما قال الإمام أحمد(٣٨) : حدثنا يحيىٰ بن آدم ، حدثنا مالك بن مغول ، حدثنا عبد الرحمن بن سعيد بن وهب ، عن عائشة أنها قالت : يا رسول اللَّه ! ﴿ **الذين يؤتون ما ءاتوا وقلوبهم وجلة** ﴾[٥] هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر ، وهو يخاف اللَّه عز وجل ؟ قال : « **لا يا بنت أبي بكر يا بنت الصديق ؛ ولكنه الذي [يصلي و]**[٦] **يصوم**

(٣٨) المسند (١٥٩/٦) (١٥٣٧٠) والحديث أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن =

[١] - في ز : من .
[٢] - في خ : إنما .
[٣] - بعده في ز : فيه .
[٤] - في ز : الاشتقاق .
[٥] - بعده في خ : « يا رسول الله » .
[٦] - سقط من ز .

ويتصدق وهو يخاف الله عز وجل » .

وهكذا رواه الترمذي وابن أبي حاتم من حديث مالك بن مغول به بنحوه . وقال : « **لا ، يا بنت الصديق ، ولكنهم الذين يصلون ويصومون ويتصدقون وهم يخافون ألا يتقبل**[١] **منهم ﴿ أولئك يسارعون في الخيرات ﴾** » . وقال الترمذي : روي هذا الحديث من حديث عبدالرحمن بن سعيد ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم نحو هذا .

وهكذا قال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي والحسن البصري في تفسير هذه الآية .

وقد قرأ آخرون هذه الآية : (**والذين يأتون ما أتوا وقلوبهم وجلة**) ، أي : يفعلون ما يفعلون وهم خائفون . ورُوي هذا مرفوعًا إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم أنه قرأ كذلك .

قال الإمام أحمد(٣٩) : حدثنا عفان ، حدثنا صخر بن جويرية ، حدثنا إسماعيل المكي ، حدثنا أبو خلف مولىٰ بني جمح ، أنه دخل مع عبيد بن عمير علىٰ عائشة - رضي الله عنها - فقالت : مرحبًا بأبي عاصم ، ما يمنعك أن تزورنا أو تُلِمّ بنا ؟ فقال : أخشىٰ أن أُمِلَّكِ . فقالت : ما كنت لتفعل . قال : جئت لأسألك[٢] عن آية في[٣] كتاب الله عز وجل ، كيف كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقرؤها . قالت : أية آية ؟ فقال : **﴿ الذين يؤتون ما ءاتوا ﴾** أو **﴿ الذين يأتون ما أتوا ﴾** فقالت : أيتهما أحب إليك ؟ فقلت : والذي نفسي بيده ، لإحداهما أحب إليّ من الدنيا جميعًا - أو الدنيا وما فيها - . قالت : وما هي ؟ فقلت : **﴿ الذين يأتون ما أتوا ﴾** فقالت : أشهد أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كذلك[٤] كان يقرؤها ، وكذلك أنزلت ، ولكن الهجاء حُرِّف .

إسماعيل بن مسلم المكي[٥] ضعيف . والمعنىٰ علىٰ القراءة الأولىٰ - وهي قراءة الجمهور : السبعة وغيرهم - أظهر ؛ لأنه قال : **﴿ أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ﴾**

= سورة « المؤمنون » . (٥/ ٣٢٧، ٣٢٨/رقم : ٣١٧٥) . وابن ماجة في كتاب الزهد ، باب : التوقي على العمل (٢/١٤٠٤/رقم : ٤١٩٨) . والحاكم في مستدركه (٢/٣٩٣-٣٩٤) . كلهم من طريق مالك بن مغول به . وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(٣٩) المسند (٦/٩٥) (٢٤٧٥٣) وإسماعيل المكي : **قال الحافظ في التعجيل في ترجمة أبي خلف : إسماعيل المكي هو ابن أمية ، أحد الثقات المشهورين من رجال الصحيح ، وظن شيخنا الهيثمي =**

[١] - في ز : يقبل .
[٢] - في ز : لأسأل .
[٣] - في خ : من .
[٤] - في ز : كذا .
[٥] - في ت : « وهو » .

فجعلهم من السابقين ، ولو كان المعنىٰ علىٰ القراءة الأخرىٰ لأوشك أن لا يكونوا من السابقين ، بل من المقتصدين أو المقصرين ، والله تعالىٰ أعلم .

وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٢) بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ (٦٣) حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ (٦٤) لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ (٦٥) قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ (٦٦) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ (٦٧)

يقول تعالىٰ مخبرًا عن عدله في شرعه علىٰ عباده في الدنيا : أنه لا يكلف نفسًا إلا وسعها ، أي : إلا ما تطيق حمله والقيام به ، وأنه يوم القيامة يحاسبهم بأعمالهم التي كتبها عليهم في كتاب مسطور لا يضيع منه شيء ، ولهذا قال : ﴿ **ولدينا كتاب ينطق بالحق** ﴾ ، يعني : كتاب الأعمال ﴿ **وهم لا يظلمون** ﴾ ، أي : لا يبخسون من الخير شيئًا ، وأما السيئات فيعفو ويصفح عن كثير منها لعباده[١] المؤمنين .

ثم قال منكرًا علىٰ الكفار والمشركين من قريش : ﴿ **بل قلوبهم في غمرة** ﴾ ، أي : في غفلة وضلالة ﴿ **من هذا** ﴾ ، أي : القرآن الذي أنزله علىٰ رسوله صلىٰ الله عليه وسلم .

وقوله : ﴿ **ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون** ﴾ قال الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ **ولهم أعمال** ﴾ ، أي : سيئه ﴿ **من دون ذلك** ﴾ ، يعني :

= في مجمع الزوائد له أنه إسماعيل بن مسلم المكي ، وليس كما ظن . (التعجيل ترجمة ١٢٦٤) .
أبو خلف ؛ قال في التعجيل : لا يعرف ، وذكره أبو أحمد الحاكم في الكنى فيمن لم يقف له على اسم . قال الحافظ : وقد تابع عفان ويزيد ؛ عبد الوهاب بن عطاء عن صخر ، أخرجه أبو العباس السراج في تفسيره ، وقد تابع إسماعيل على روايته عن أبي خلف المذكور طلحة بن عمرو المكي ، أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده عن عبد الله بن نمير ، عن طلحة ، وأخرجه الحاكم أيضًا من طريق وكيع عن طلحة ، فصار أبو خلف بذلك مشهوراً بعد أن كان مجهولاً ، لكن بقي بيان حاله . التعجيل ت ١٢٦٤ .
والحديث عزاه الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٢/٧ ، ٧٣) لأحمد ، وقال : «وفيه إسماعيل بن مسلم المكي وهو ضعيف» .

[١] - في ز : بعباده .

الشرك ﴿ **هم لها عاملون** ﴾ قال : لا بد أن يعملوها . وكذا روي عن مجاهد والحسن وغير واحد .

وقال آخرون : ﴿ **لهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون** ﴾ ، أي : قد كتب عليهم أعمال سيئة لابد أن يعملوها قبل موتهم لا محالة ، لتحق عليهم كلمة العذاب .

ورُوي نحو هذا عن مقاتل بن حيان والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وهو ظاهر قوي حسن . وقد قدمنا في حديث ابن مسعود : « **فوالذي لا إله غيره ، إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتىٰ ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها** » .

وقوله : ﴿ **حتىٰ إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون** ﴾ ، يعني : حتىٰ إذا جاء مترفيهم - وهم : السعداء المنعمون في الدنيا - عذابُ اللَّه وبأسه ونقمته بهم ﴿ **إذا هم يجأرون** ﴾ ، أي : يصرخون ويستغيثون ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلًا إن لدينا أنكالًا وجحيمًا وطعامًا ذا غصة وعذابًا أليمًا** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص** ﴾

وقوله : ﴿ **لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون** ﴾ ، أي : لا نجيركم مما حل بكم ، سواء جأرتم أو سكتم ، لا محيد ولا مناص ولا وَزَرَ لزم الأمر ، ووجب العذاب . ثم ذكر أكبر ذنوبهم فقال : ﴿ **قد كانت آياتي تتلىٰ عليكم فكنتم علىٰ أعقابكم تنكصون** ﴾ ، أي : إذا دُعيتم أبيتم ، وإن طُلبتم امتنعتم ﴿ **ذلكم بأنه إذا دعي اللَّه وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم للَّه العلي الكبير** ﴾ .

وقوله : ﴿ **مستكبرين به سامرًا تهجرون** ﴾ في تفسيره قولان ؛ أحدهما : أن ﴿مستكبرين﴾ حال منهم حين نكوصهم عن الحق وإبائهم إياه ، استكبارًا عليه واحتقارًا له ولأهله ، فعلىٰ هذا الضمير في ﴿ **به** ﴾ فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه الحرم بمكة ، ذمّوا لأنهم كانوا يسمرون[١] به الهجر من الكلام .

والثاني : أنه ضمير القرآن ، كانوا يسمرون ويذكرون القرآن بالهجر من الكلام : إنه سحر ، إنه شعر ، إنه كهانة ، إلىٰ غير ذلك من الأقوال الباطلة .

والثالث : أنه محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، كانوا يذكرونه في سمرهم بالأقوال الفاسدة ، ويضربون له الأمثال الباطلة ، من أنه شاعر ، أو كاهن ، أو ساحر ، أو كذاب ، أو مجنون ،

---

[١] - في خ : « يمرون » .

وكل ذلك باطل ، بل هو عبد الله ورسوله ، الذي أظهره الله عليهم وأخرجهم من الحرم صاغرين أذلاء .

وقيل : المراد بقوله : ﴿ مستكبرين به ﴾ أي : بالبيت ، يفتخرون به ، ويعتقدون أنهم أولياؤه ، [وليسوا بهم][١] . كما قال النسائي في التفسير من سننه :

أخبرنا أحمد بن سليمان ، أخبرنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن عبد الأعلىٰ ، أنه سمع سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس أنه قال : إنما كره السمر حين نزلت هذه الآية : ﴿ مستكبرين به سامرًا تهجرون ﴾ ، فقال : مستكبرين بالبيت ، يقولون : نحن أهله ، ﴿ سامرًا ﴾ ، قال : [كانوا يتكبرون ويسمرون فيه ، ولا يعمرونه ويهجرونه][٢] (٤٠) . وقد أطنب ابن أبي حاتم هاهنا ، بما ذا حاصله .

﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾

يقول تعالىٰ منكرًا علىٰ المشركين في عدم تفهمهم للقرآن العظيم ، وتدبرهم له ، و[٣] إعراضهم عنه ، مع أنهم قد خصوا بهذا الكتاب الذي لم ينزل الله علىٰ رسول أكمل منه ولا أشرف ، لا سيما آباؤهم[٤] الذين ماتوا في الجاهلية ، حيث لم يبلغهم كتاب ولا أتاهم نذير ، فكان اللائق بهؤلاء أن يقابلوا النعمة التي أسداها الله إليهم بقبولها ، والقيام بشكرها

(٤٠) سنن النسائي الكبرى برقم (١١٣٥١) .

[١] - ما بين المعكوفتين في خ : « ولستم به » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « يتكبرون يعمرونه يهجرونه » .

[٣] - في ز : وفي . [٤] - في ز : وآباؤهم .

وتفهمها ، والعمل بمقتضاها آناء الليل وأطراف النهار ، كما فعله النجباء منهم ممن أسلم واتبع الرسول صلىٰ اللَّه عليه وسلم ورضي عنهم .

وقال قتادة : ﴿ **أفلم يدبروا القول** ﴾ : إذًا واللَّه يجدون في القرآن زاجرًا عن معصية اللَّه لو تدبره القوم وعقلوه ، ولكنهم أخذوا بما تشابه به فهلكوا عند ذلك .

ثم قال منكرًا علىٰ الكافرين من قريش : ﴿ **أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون** ﴾ ، أي : أَفَهُم[١] لا يعرفون محمدًا وصدقه وأمانته وصيانته التي نشأ بها فيهم ؟ أي : أفيقدرون علىٰ إنكار ذلك والمباهتة فيه ؟ ولهذا قال جعفر بن أبي طالب - رضي اللَّه عنه - للنجاشي ملك الحبشة : أيها الملك ؛ إن اللَّه بعث إلينا رسولًا نعرف نسبه وصدقه وأمانته .

وهكذا قال المغيرة بن شعبة لنائب كسرىٰ حين بارزهم . وكذلك قال أبو سفيان صخر ابن حرب لملك الروم هرقل ، حين سأله وأصحابه عن صفات النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ونسبه وصدقه وأمانته ، وكانوا بعد كفارًا لم يسلموا ، ومع هذا ما أمكنهم إلا الصدق فاعترفوا بذلك .

وقوله : ﴿ **أم يقولون به جنة** ﴾ يحكي[٢] قولَ المشركين عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه تقوّل القرآن ، أي : افتراه من عنده ، أو أن به جنونًا لا يدري ما يقول ، وأخبر عنهم أن قلوبهم لا تؤمن به ، وهم يعلمون بطلان ما يقولونه في القرآن ، فإنه قد أتاهم من كلام اللَّه ما لا [يطاق ولا][٣] يدافع ، وقد تحداهم وجميع أهل الأرض أن يأتوا بمثله ، فما استطاعوا ولا يستطيعون أبد الآبدين ؛ ولهذا قال : ﴿ **بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون** ﴾ يحتمل أن تكون هذه جملة حالية ، أي : في حالة[٤] كراهة أكثرهم للحق ، ويحتمل أن تكون خبرية مستأنفة ، واللَّه أعلم .

وقال قتادة : ذكر لنا أن نبيَّ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم لقي رجلًا فقال له : « **أسلم** » . فقال الرجل : إنك لتدعوني إلى أمر أنا له كاره . فقال نبي اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **وإن كنت كارهًا** » . وذكر لنا أنه لقي رجلًا فقال له : « **أسلم** » . فتصعَّده ذلك وكَبُرَ عليه ، فقال له نبي اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أرأيت لو كنت في طريق وعْر وعْث ، فلقيت رجلًا تعرف وجهه وتعرف نسبه ، فدعاك إلىٰ طريق واسع سهل[٥] ، أكنت متَّبِعه ؟** » . **قال : نعم . فقال : « فوالذي[٦] نفس محمد بيده ، إنك لفي أوعر من**

---

[١] - في ز : فهم .
[٢] - في ز ، خ : « علي » .
[٣] - بياض في ز .
[٤] - في ز :حال .
[٥] - في ت : أسهل .
[٦] - في ز : والذي.

ذلك الطريق لو قد كنت عليه ، وإني لأدعوك [إلى أسهل][١] من ذلك لو دعيت إليه » . وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم لقي رجلًا فقال له[٢] : « **أسلم** » . فتصعَّده ذلك ، فقال له نبي الله صلى الله عليه وسلم : « **أرأيت فَتَيَيْك ؛ أحدهما إذا حدثك صدقك ، وإذا ائتمنته أدى إليك ، أهو أحب إليك أم فتاك الذي إذا حدثك كذبك ، وإذا ائتمنته خانك ؟** » . قال : بل فتاي الذي إذا حدثني صدقني ، وإذا ائتمنته أدى إليَّ . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « **كذاكم أنتم[٣] عند ربكم** » .

وقوله : ﴿ **ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن** ﴾ قال مجاهد وأبو صالح والسدي : الحق هو الله عز وجل ، والمراد : لو أجابهم الله إلى ما في أنفسهم من الهوى ، وشرع الأمور على وفق ذلك ، ﴿ **لفسدت السموات والأرض ومن فيهن** ﴾ ، أي : لفساد أهوائهم واختلافها .

كما أخبر عنهم في قولهم : ﴿ **لولا نزل[٤] هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم** ﴾ ، ثم قال : ﴿ **أهم يقسمون رحمة ربك** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورًا** ﴾ ، وقال : ﴿ **أم لهم نصيب من الملك فإذًا لا يؤتون الناس نقيرًا** ﴾ ، ففي هذا كله تبيين عجز العباد ، واختلاف آرائهم وأهوائهم ، وأنه تعالى هو الكامل في جميع صفاته ، وأقواله وأفعاله ، وشرعه وقدره ، وتدبيره لخلقه ، تعالى وتقدس ، فلا إله غيره ، ولا رب سواه . ثم قال : ﴿ **بل أتيناهم بذكرهم** ﴾ يعني القرآن . ﴿ **فهم عن ذكرهم معرضون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **أم تسألهم خَرْجًا** ﴾ ، قال الحسن : أجرًا . وقال قتادة : جعلًا ﴿ **فخراج ربك خير** ﴾ أي: أنت لا تسألهم أجرًا[٥] ولا جعلًا ولا شيئًا على دعوتك إياهم إلى الهدى ، بل أنت في ذلك تحتسب عند الله جزيل ثوابه ، كما قال : ﴿ **قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله** ﴾ وقال : ﴿ **قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين** ﴾ وقال : ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربى** ﴾ ، وقال : ﴿ **وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين * اتبعوا من لا يسألكم أجرًا وهم مهتدون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم * وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون** ﴾ . قال الإمام أحمد :

---

[١] - في خ : لأسهل .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز : أنزل
[٥] - في ز : أجرة .

حدثنا حسن بن موسىٰ ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن عليّ بن زيد بن جدعان ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أتاه - فيما يرىٰ النائم - ملكان ، فقعد أحدهما عند رجليه ، والآخر عند رأسه ، فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه : اضرب مثل هذا ومثل أمته . فقال : إن [مثل هذا][١] ومثل أمته كمثل قوم سفر انتهوا إلىٰ رأس مفازة ، فلم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المفازة ولا ما يرجعون به ، فبينا هم كذلك ؛ إذ أتاهم رجل في حلة حبرة ، فقال : أرأيتم إن وردت بكم[٢] رياضًا مُعشبة ، وحياضًا رِوَاء ، تتبعوني ؟ فقالوا : نعم . قال : فانطلق بهم ، فأوردهم رياضًا مُعشبة وحياضًا رواء ، فأكلوا وشربوا وسمنوا ، فقال لهم : ألم ألفكم علىٰ تلك الحال ، فجعلتم لي إن وردت بكم رياضًا مُعشبة وحياضًا رواء أن تتبعوني ؟ قالوا : بلىٰ . قال : فإن بين أيديكم رياضًا أعشب من هذه ، وحياضًا هي أروىٰ من هذه ، فاتبعوني . قال : فقالت طائفة : صدق واللَّه ، لنتبعَنّه . وقالت طائفة : قد رضينا بهذا نقيم عليه (٤١) .

وقال الحافظ أبو يعلىٰ الموصلي : حدثنا زهير ، حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا يعقوب ابن عبد اللَّه الأشعري ، حدثنا حفص بن حميد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن عمر ابن الخطاب - رضي اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إني ممسك بحُجَزكم : هلمّ عن النار ! هلمّ عن النار ! وتغلبونني ، وتقاحمون فيها تقاحم الفَراش والجنادب ، فأوشك أن أرسل حجزكم ، وأنا فرطكم علىٰ الحوض ، فتردون عليّ معًا وأشتاتًا ، أعرفكم بسيماكم وأسمائكم ، كما يعرف الرجلُ الغريبَ من الإِبل في إبله ، فيذهب بكم ذات اليمين وذات الشمال ، فأناشد فيكم رب العالمين : أي رب ، قومي ! أي رب ، أمتي ! فيقال : يا محمد ؛ إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ؛ إنهم كانوا يمشون بعدك القهقرىٰ علىٰ أعقابهم . فلأعرفن[٣] أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل شاة لها ثغاء ينادي : يا محمد ؛ يا محمد ؛ فأقول : لا أملك لك [من اللَّه][٤] شيئًا ، قد بلغت . ولأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل بعيرًا له رغاء ينادي : يا محمد ؛ يا محمد ؛ فأقول : لا أملك لك شيئًا قد بلغت . ولأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل فرسًا له حمحمة ، فينادي : يا محمد ؛ يا محمد ؛ فأقول : لا أملك لك شيئًا ، قد بلغت . ولأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل سقاء[٥] من أدم ينادي : يا محمد ؛ يا محمد ،**

(٤١) المسند (١/٢٦٧) .

[١] - في ز : مثله .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في [خ] : « فلاعن » .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - في ز ، خ : « شيئًا » .

فأقول : لا أملك لك شيئًا ، قد بلغت (٤٢) .

وقال عليّ بن المديني : هذا حديث حسن الإسناد ، إلا أن حفص بن حميد مجهول ، لا أعلم روىٰ عنه غير يعقوب بن عبد الله الأشعري القمي .

قلت : بل قد[١] روىٰ عنه أيضًا أشعث بن إسحاق ، وقال فيه يحيىٰ بن معين : صالح . ووثقه النسائي وابن حبان .

وقوله : ﴿ **وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون** ﴾ ، أي : لعادلون حائرون منحرفون . تقول العرب : نكب فلان عن الطريق : إذا زاغ عنها .

وقوله : ﴿ **ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون** ﴾ يخبر تعالىٰ عن غلظهم في كفرهم ، بأنه لو أزاح عللَهم وأفهمهم القرآن ، لما انقادوا له ، ولاستمروا علىٰ كفرهم وعنادهم وطغيانهم . كما قال تعالىٰ : [﴿ **ولو علم الله فيهم خيرًا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون** ﴾ .

وقال :][٢] ﴿ **ولو ترىٰ إذ وقفوا علىٰ النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين * بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون * وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين** ﴾ فهذا من باب علمه تعالىٰ بما لا يكون لو كان كيف كان[٣] يكون .

قال الضحاك : عن ابن عباس : كل ما فيه « **لو** » فهو مما لا يكون أبدًا .

وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا

---

(٤٢) أورده الحافظ في المطالب العلية (٣٧٥/٥) ، والبوصيري في الإتحاف ، وقال : هذا إسناد فيه مقال ، حفص بن حميد قال فيه ابن المديني : مجهول ، لا اعلم روى عنه غير يعقوب . وقال النسائي : ثقة . وذكره ابن حبان في الثقات ، ويعقوب بن عبد الله ؛ قال الطبراني : ثقة . وقال النسائي : ليس به بأس . وقال الدارقطني : ليس بالقوي ، وذكره ابن حبان في الثقات . وباقي رجال الإسناد ثقات . وله شاهد في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة .

وقال الهيثمي في المجمع (٨٥/٣) : « رواه أبو يعلى في الكبير والبزار إلا أنه قال : حمل قشعًا مكان سقاء . ورجال الجميع ثقات » .

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : [خ] . [٣] - سقط من : م .

عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ
وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا
وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ
إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **ولقد أخذناهم بالعذاب** ﴾ ، أي : ابتليناهم بالمصائب والشدائد ، ﴿ **فما استكانوا لربهم وما يتضرعون** ﴾ ، أي : فما ردهم ذلك عما كانوا فيه من الكفر والمخالفة ، بل استمروا علىٰ غيهم وضلالهم ﴿ **فما استكانوا** ﴾ ، أي : ما[١] خشعوا ، ﴿ **وما يتضرعون** ﴾ ، أي : ما[٢] دعوا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عليّ بن الحسين ، حدثنا محمد بن حمزة المروزي ، حدثنا عليّ بن الحسين ، حدثنا أبي ، عن يزيد - يعني النحوي - ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال : جاء أبو سفيان إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال : يا محمد ؛ أنشدك اللَّه والرحم ، فقد أكلنا العلْهز - يعني : الوبر والدم - ، فأنزل اللَّه : ﴿ **ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون** ﴾ .

وهكذا رواه النسائي(٤٣) عن محمد بن عقيل ، عن عليّ بن الحسين ، عن أبيه ، به . وأصل هذا الحديث في الصحيحين ، أن[٣] رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم دعا علىٰ قريش حين استعصوا فقال : « **اللهم ؛ أعنّي عليهم بسبع كسبع يوسف** (٤٤) » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عليّ بن الحسين ، حدثنا سلمة بن شبيب ، حدثنا عبد اللَّه

(٤٣) سنن النسائي الكبرى برقم (١١٣٥٢) .
(٤٤) صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن (٤٦٩٣) ، وصحيح مسلم ، كتاب صفة القيامة (٢٧٩٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه .

[١] - سقط من ز .
[٢] - سقط من ز . [٣] - في ز : عن .

ابن إبراهيم بن عمر بن كيسان ، حدثني وهب بن عمر بن كيسان قال : حبس وهب بن منبه ، فقال له رجل من الأبناء : ألا أنشدك بيتًا من شعر يا أبا عبد الله ؟ فقال وهب : نحن في طرف من عذاب الله ، والله تعالىٰ يقول : ﴿ **ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون** ﴾ . قال : وصام وهب ثلاثًا متواصلة ، فقيل له : ما هذا الصوم يا أبا عبد الله ؟ قال : أحدث لنا فأحدَثْنا . يعني : أحدث لنا [الحبس فأحدثنا][١] زيادة عبادة .

وقوله : ﴿ **حتىٰ إذا فتحنا عليهم بابًا ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون** ﴾ . أي : حتىٰ إذا جاءهم أمر الله ، وجاءتهم الساعة بغتة ، وأخذهم من عقاب الله ما لم يكونوا يحتسبون ، فعند ذلك أبْلَسُوا[٢] من كل خير ، وأيسوا من كل راحة ، وانقطعت آمالهم ورجاؤهم .

ثم ذكر تعالىٰ نعمته علىٰ عباده في أن جعل لهم السمع والأبصار والأفئدة ، وهي العقول والفهوم ، التي يدركون بها الأشياء ، ويعتبرون بما في الكون من الآيات الدالة علىٰ وحدانية الله تعالىٰ ، وأنه الفاعل المختار لما يشاء .

وقوله : ﴿ **قليلًا ما تشكرون** ﴾ ، أي : وما أقل شكركم لله علىٰ ما أنعم به عليكم ! كقوله : ﴿ **وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين** ﴾ .

ثم أخبر تعالىٰ عن قدرته العظيمة وسلطانه القاهر في بدئه الخليقة ، وذرئه لهم في سائر أقطار الأرض ، علىٰ اختلاف أجناسهم ولغاتهم وصفاتهم ، ثم يوم القيامة يجمع الأولين منهم والآخرين لميقات يوم معلوم ، فلا يترك منهم صغيرًا ولا كبيرًا ، ولا ذكرًا ولا أنثىٰ ، ولا جليلًا ولا حقيرًا ، إلا أعاده كما أبداه ؛ ولهذا قال : ﴿ **وهو الذي يحيي ويميت** ﴾ ، أي: يحيي الرمم ويميت الأمم ، ﴿ **وله اختلاف الليل والنهار** ﴾ ، أي : وعن أمره تسخير الليل والنهار ، كل منهما يطلب الآخر طلبًا حثيثًا ، يتعاقبان لا يفتران ، ولا يفترقان بزمان غيرهما ؛ كقوله تعالىٰ : ﴿ **لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكلٌ في فلك يسبحون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **أفلا تعقلون** ﴾ ، أي : أفليس لكم عقول تدلكم علىٰ العزيز العليم ، الذي قد قهر كل شيء ، وعز كل شيء وخضع له كل شيء ؟

ثم قال مخبرًا عن منكري البعث ، الذين أشبهوا من قبلهم من المكذبين : ﴿ **بل قالوا مثل ما قال الأولون * قالوا أئذا متنا وكنا ترابًا وعظامًا أئنا لمبعوثون** ﴾ ، يعني : يستبعدون وقوع ذلك بعد صيرورتهم إلىٰ البِلَىٰ ، ﴿ **لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا**

---

[١] - بياض في ز .

[٢] - في ز : أيسوا .

أساطير الأولين ﴾ ، يعنون : الإعادة محال ، إنما يخبر بها من تلقاها عن كتب الأولين واختلافهم . وهذا الإنكار والتكذيب منهم كقوله تعالى إخبارًا عنهم : ﴿ **أئذا كنا عظامًا نخرة * قالوا تلك إذًا كرة خاسرة * فإنما هي زجرة واحدة * فإذا هم بالساهرة** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ، وضرب لنا مثلًا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم * قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم** ﴾

قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾

يقرر تعالىٰ وحدانيته واستقلاله بالخلق والتصرف والملك ؛ ليرشد إلىٰ أنه الذي لا إله إلا هو ، ولا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له ، ولهذا قال لرسوله محمد صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أن يقول للمشركين العابدين معه غيره ، المعترفين له بالربوبية ، وأنه لا شريك[١] له فيها ، ومع هذا فقد أشركوا معه في الإلٰهية ، فعبدوا غيره معه ، مع اعترافهم أن الذين عبدوهم لا يخلقون شيئًا ، ولا يملكون شيئًا ، ولا يستبدون بشيء ، بل اعتقدوا أنهم يقربونهم إليه زلفىٰ : ﴿[**ما نعبدهم إلا**][٢] **ليقربونا إلىٰ اللّٰه زلفىٰ** ﴾ فقال : ﴿ **قل لمن الأرض ومن فيها** ﴾ ، أي : مَنْ مالكها الذي خلقها ومن فيها من الحيوانات والنباتات والثمرات ، وسائر صنوف المخلوقات ﴿ **إن كنتم تعلمون * سيقولون لله** ﴾ ، أي : فيعترفون لك بأن ذلك للّٰه وحده لا شريك له ، فإذا كان ذلك ﴿ **قل أفلا تذكرون** ﴾ أنه لا تنبغي العبادة إلا للخالق الرازق لا لغيره .

﴿ **قل من رب السمٰوات السبع ورب العرش العظيم** ﴾ أي : من هو خالق العالم العلوي بما فيه من الكواكب النيرات ، والملائكة الخاضعين له في سائر الأقطار منها والجهات ، ومن هو رب العرش العظيم ، يعني : الذي هو سقف المخلوقات ، كما جاء في الحديث الذي

---

[١] - في ز : شرك . [٢] - في ز : إنما نعبدهم .

رواه أبو داود(٤٥) ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « **شأن الله أعظم من ذلك ، إن عرشه علىٰ سمٰواته هكذا** » – **وأشار بيده مثل القبة** .

وفي الحديث الآخر(٤٦) : « **ما السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهنّ في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، وإن الكرسي بما فيه بالنسبة إلىٰ العرش كتلك الحلقة في تلك الفلاة** » ولهذا قال بعض السلف : إن مسافة ما بين قطري العرش من جانب إلىٰ جانب مسيرة خمسين ألف سنة ، [وارتفاعها عن الأرض السابعة مسيرة خمسين ألف سنة][١] . قال الضحاك عن ابن عباس : إنما سمى عرشًا لارتفاعه . وقال الأعمش : عن كعب الأحبار : إن السماوات والأرض[٢] في العرش ؛ كالقنديل المعلق بين السماء والأرض .

وقال مجاهد : ما السماوات والأرض في العرش إلا كحلقة في أرض فلاة .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا العلاء بن سالم ، حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان الثوري ، عن عمار الدُّهْني ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : العرش لا يقدر أحد قدره . وفي رواية : إلا الله عز وجل .

وقال بعض السلف : العرش من ياقوتة حمراء .

ولهذا قال هاهنا : ﴿ **ورب العرش العظيم** ﴾ ، يعني : الكبير ، وقال في آخر السورة : ﴿ **رب العرش الكريم** ﴾ ، أي : الحسن البهي ، فقد جمع العرش بين العظمة في الاتساع والعلوّ والحسن الباهر ، ولهذا قال من قال : إنه من ياقوتة حمراء .

---

(٤٥) سنن أبي داود حديث (٤٧٢٦) من حديث محمد بن إسحاق ، عن يعقوب بن عتبة ، عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه ، عن جده جبير بن مطعم رضي الله عنه . وقال المنذري : هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ من وجه من الوجوه إلا من هذا الوجه . ولم يقل يه محمد بن إسحاق : حدثني يعقوب بن عتبة ، ومحمد بن إسحاق مدلس ، وإذا قال المدلس : عن فلان ، ولم يقل : حدثنا – أو سمعت ، أو أخبرنا – لا يحتج بحديثه . وقال الحافظ أبو القاسم الدمشقي : وقد تفرد به يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس الثقفي ، عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم القرشي النوفلي ، وليس لهما في الصحيحين رواية . وانفرد به محمد بن إسحاق ، عن يعقوب وابن إسحاق لا يحتج بحديثه . وقال البيهقي في الأسماء والصفات : وهذا حديث يتفرد به محمد بن إسحاق عن يعقوب ، وصاحبا الصحيح لم يحتجا به .

(٤٦) تقدم تخريجه (سورة البقرة / آية ٢٥٥) ، (سورة النساء / آية ١٦٤) .

---

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] – سقط من ز .

وقال ابن مسعود : إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار ، نور العرش من نور وجهه .

وقوله : ﴿ **سيقولون لله**[١] **قل أفلا تتقون** ﴾ ، أي : إذا كنتم تعترفون بأنه رب السماوات ورب العرش العظيم ، أفلا تخافون عقابه وتحذرون عذابه ، في عبادتكم معه غيره وإشراككم به ؟

قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي في كتاب « التفكر والاعتبار » : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، أخبرنا عبد الله بن جعفر ، أخبرني عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر قال : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كثيرًا ما يحدث عن امرأة كانت في الجاهلية علىٰ رأس جبل ، معها ابن لها يرعىٰ غنمًا ، فقال لها ابنها : يا أمّاه ، من خلقك ؟ قالت : الله . قال : فمن خلق أبي ؟ قالت : الله . قال : فمن خلقني ؟ قالت : الله . قال : فمن خلق السماوات ؟ قالت : الله . قال : فمن خلق الأرض ؟ قالت : الله . قال : فمن خلق الجبل ؟ قالت : الله . قال : فمن خلق هذه الغنم ؟ قالت : الله . قال : فإني أسمع لله شأنًا ، ثم ألقىٰ نفسه من الجبل فتقطع . قال ابن عمر : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كثيرًا ما يحدثنا هذا الحديث . قال عبد الله بن دينار : كان ابن عمر كثيرًا ما يحدثنا بهذا الحديث .

قلت : في إسناده عبد الله بن جعفر المدينى والد الإمام على بن المدينى ، وقد تكلموا فيه . فالله أعلم .

﴿ **قل من بيده ملكوت كل شيء** ﴾ ، أي : بيده الملك ﴿ **ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها** ﴾ ، أي : متصرف فيها ، وكان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **لا والذي نفسي بيده** » ، وكان إذا اجتهد في اليمين قال : « **لا ومقلب القلوب** » ، فهو سبحانه الخالق المالك المتصرف ، ﴿ **وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون** ﴾ كانت العرب إذا كان السيد فيهم فأجار أحدًا ، لا يُخْفَر في جواره ، وليس لمن دونه أن يجير عليه ؛ لئلا يفتات عليه ، ولهذا قال الله : ﴿ **وهو يجير ولا يجار عليه** ﴾ ، أي : وهو السيد العظيم الذي لا أعظم منه ، الذي له الخلق والأمر ، ولا معقب لحكمه ، الذي لا يمانع ولا يخالف ، وما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وقال الله : ﴿ **لا يسأل عما يفعل وهم يسألون** ﴾ أي : لا يسأل عما يفعل لعظمته وكبريائه وقهره وغلبته وعزته ، وحكمته وعدله[٢] ، والخلق كلهم يسألون عن أعمالهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فوربك لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون** ﴾ .

---

[١] - في ز : الله .   [٢] - سقط من : ز ، خ .

وقوله : ﴿ **سيقولون لله**[١] ﴾ ، أي : سيعترفون أن السيد العظيم الذي يجير ولا يجار عليه هو الله تعالىٰ وحده لا شريك له ، ﴿ **قل فأنىٰ تسحرون** ﴾ ، أي : فكيف تذهب عقولكم في عبادتكم معه غيره ، مع اعترافكم وعلمكم بذلك ؟

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **بل أتيناهم بالحق** ﴾ وهو الإعلام بأنه لا إله إلا الله ، وأقمنا الأدلة الصحيحة الواضحة القاطعة علىٰ ذلك ﴿ **وإنهم لكاذبون** ﴾ ، أي : في[٢] عبادتهم مع الله غيره ، ولا دليل لهم علىٰ ذلك ، كما قال في آخر السورة ﴿ **ومن يدع مع الله إلهًا آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون** ﴾ فالمشركون لا يفعلون[٣] ذلك [عن دليل قادهم إلىٰ ما هم فيه من الإفك والضلال ، وإنما يفعلون ذلك][٤] اتباعًا لآبائهم وأسلافهم الحيارىٰ الجهال ، كما [قال الله عنهم][٥] : ﴿ **إنا وجدنا آباءنا علىٰ أمة وإنا علىٰ آثارهم مقتدون** ﴾

مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾

ينزه تعالىٰ نفسه عن أن يكون له ولد أو شريك في الملك ، فقال تعالىٰ : ﴿ [**ما اتخذ الله من ولد**][٦] **وما كان معه من إله إذًا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم علىٰ بعض** ﴾ ، أي : لو قدر تعدد الآلهة ، لانفرد كل منهم بما يخلق ، فما كان ينتظم الوجود ، والمشاهد أن الوجود منتظم متسق ، كل من العالم العلوي والسفلي مرتبط بعضه ببعض في غاية الكمال ﴿ **ما ترىٰ في خلق الرحمن من تفاوت** ﴾ . ثم لكان كل منهم يطلب قهر الآخر وخلافه ، فيعلو بعضهم علىٰ بعض ، والمتكلمون ذكروا هذا المعنىٰ وعبروا عنه بدليل التمانع ، وهو أنه لو فرض صانعان فصاعدًا ، فأراد واحد تحريك جسم وأراد الآخر سكونه ، فإن لم يحصل مراد كل واحد[٧] منهما كانا عاجزين ، والواجب لا يكون عاجزًا ، ويمتنع اجتماع مراديهما للتضاد ، وما جاء هذا المحال إلا من فرض التعدد ، فيكون محالًا ، فأما إن حصل مراد أحدهما دون الآخر ، كان الغالب هو الواجب ، والآخر المغلوب ممكنًا ، لأنه[٨] لا يليق بصفة[٩] الواجب أن

---

[١] - في ز : الله .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ز : يعقلون .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز : قالوا .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - سقط من ز .
[٨] - سقط من : ز ، خ .
[٩] - في ز : لصفة .

يكون مقهورًا ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ولعلا بعضهم علىٰ بعض سبحان الله عما يصفون** ﴾ ، أي : عما يقول الظالمون المعتدون في دعواهم الولد أو الشريك علوًّا كبيرًا .

﴿ **عالم الغيب والشهادة** ﴾ ، أي : يعلم [ما يغيب][١] عن المخلوقات وما يشاهدونه ، ﴿ **فتعالىٰ عما يشركون** ﴾ ، أي : تقدس وتنزه وتعالىٰ وعز وجل [عما يقول الظالمون والجاحدون][٢] .

قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾

يقول تعالىٰ آمرًا [نبيه محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم][٣] أن يدعو[٤] بهذا الدعاء عند حلول النقم : ﴿ **رب إما تريني ما يوعدون** ﴾ ، أي : إنْ[٥] عاقبتهم - وإني شاهدٌ ذلك - فلا تجعلني فيهم ، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد(٤٧) والترمذي وصححه : « **وإذا أردت بقوم فتنة فتوفني إليك غير مفتون** » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وإنا علىٰ أن نريك ما نعدهم لقادرون** ﴾ ، أي : لو شئنا لأريناك ما نحل[٦] بهم من النقم والبلاء والمحن .

ثم قال مرشدًا له إلى الترياق النافع في مخالطة الناس ، وهوالإحسان إلى من يسيء ، ليستجلب خاطره ، فتعود عداوته صداقة ، وبغضه محبة ، فقال تعالىٰ : ﴿ **ادفع بالتي هي أحسن السيئة** ﴾ ، وهذا كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليّ حميم * وما يلقّاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم** ﴾ ، أي : ما يلهم هذه الوصية أو هذه[٧] الخصلة أو الصفة ﴿ **إلا الذين صبروا** ﴾ ،

(٤٧) المسند (٥/٢٤٣)(٢٢٢٠٨) ، أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة « ص » (٥/ ٣٦٨، ٣٦٩/ رقم: ٣٢٣٥) . من طريق محمد بن بشار ، عن معاذ بن هانئ ، عن جهضم بن عبد الله اليمامي به وقال: هذا حديث حسن صحيح .

[١] - في ز : بغيب .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ز : يدعى .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز : يحل .
[٧] - سقط من ز .

أي : علىٰ أذىٰ الناس ، فعاملوهم بالجميل مع إسدائهم إليهم القبيح ﴿ **وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم** ﴾ أي : في الدنيا والآخرة .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين** ﴾ أمره اللَّه[١] أن يستعيذ من الشياطين ؛ لأنهم لا تنفع معهم الحيل ، ولا ينقادون بالمعروف .

وقد قدمنا عند الاستعاذة أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم كان يقول : « **أعوذ باللَّه السميع العليم من الشيطان الرجيم ، من همزه ونفخه ونفثه** »(٤٨) .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وأعوذ بك رب أن يحضرون** ﴾ ، أي : في شيء من أمري ، ولهذا أمر بذكر اللَّه في ابتداء الأمور ، وذلك مَطْرَدَة للشياطين ، عند الأكل والجماع والذبح ، وغير ذلك من الأمور ؛ ولهذا روىٰ أبو داود(٤٩) أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم كان يقول : « **اللهم إني أعوذ بك من الهرم ، وأعوذ بك من الهدم ومن الغرق ، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت** » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، أخبرنا محمد بن إسحاق ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال : كان رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يعلمنا كلمات يقولهن عند النوم من الفزع : « **بسم اللَّه ، أعوذ بكلمات اللَّه التامة من غضبه وعقابه ، ومن شر عباده ، ومن همزات الشياطين ، وأن يحضرون** »(٥٠) .

قال : فكان عبد اللَّه بن عمرو يعلمها من بلغ من ولده أن يقولها عند نومه ، ومن كان منهم صغيرًا - لا يعقل أن يحفظها - كتبها له فعلقها في عنقه ، ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث محمد بن إسحاق ، وقال الترمذي : حسن غريب .

حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾

يخبر تعالىٰ عن حال المحتضر عند الموت ، من الكافرين أو المفرطين في أمر اللَّه تعالىٰ ،

---

(٤٨) انظر تفسير الاستعاذة في تفسير سورة الفاتحة .

(٤٩) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة برقم (١٥٥٢) . والنسائي في الاستعاذة (٥٥٣١ ، ٥٥٣٢) .

(٥٠) المسند (٢/١٨١) ، وسنن أبي داود ، كتاب الطب (٣٨٩٣) ، وسنن الترمذي ، كتاب الدعوات (٣٥٢٨) ، والنسائي في السنن الكبرى برقم (١٠٦٠١) .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

وقيلهم عند ذلك ، وسؤالهم الرجعة إلىٰ الدنيا ؛ ليصلح ما كان أفسده في مدة حياته ؛ ولهذا قال : ﴿ **رب ارجعون * لعلي أعمل صالحًا فيما تركت كلا** ﴾ كما قال الله تعالىٰ : ﴿ **وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول ربّ لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين * ولن يؤخر الله نفسًا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أوَلَمْ تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ [**يوم يأتي تأويله**][١] **يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نُرَدُّ فنعمل غير الذي كنا نعمل** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ولو ترىٰ إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحًا إنا موقنون** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ولو ترىٰ إذ وقفوا علىٰ النار فقالوا يا ليتنا نردّ ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين * بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مردٍ من سبيل** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **قالوا**[٢] **ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلىٰ خروج من سبيل * ذٰلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العليّ الكبير** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحًا غير الذي كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير** ﴾ ، فذكر تعالىٰ أنهم يسألون الرجعة فلا يجابون ؛ عند الاحتضار ، ويوم النشور ، ووقت العرض علىٰ الجبار ، وحين يعرضون علىٰ النار ، وهم في غمرات [العذاب في][٣] الجحيم .

وقوله هاهنا : ﴿ **كلا إنها كلمة هو قائلها** ﴾ وكلا : حرف ردع وزجر ، أي : لا نجيبه إلى ما طلب ، ولا نقبل منه .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **إنها كلمة هو قائلها** ﴾ قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : أي : لا بد أن يقولها لا محالة كل محتضر ظالم . ويحتمل أن يكون ذلك [علة لقوله][٤] ﴿ **كلا** ﴾ ، أي : لأنها كلمة ، أي : سؤاله الرجوع ليعمل صالحًا هو كلام منه ، وقول لا عمل[٥] معه ، ولو رد لما عمل صالحًا ، ولكان يكذب في مقالته هذه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون** ﴾ .

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في خ : عذاب .
[٤] - في ز : علمه كقوله .
[٥] - في [خ] : « أعمل » .

وقال محمد بن كعب القرظي : ﴿ **حتىٰ إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون * لعلي أعمل صالحًا فيما تركت** ﴾ قال : فيقول الجبار : ﴿ **كلا إنها كلمة هو قائلها** ﴾ .

وقال عمر بن عبد اللَّه مولى غفرة : إذا سمعت اللَّه تعالى يقول : ﴿ **كلا** ﴾ : فإنما يقول : كذب .

وقال قتادة في قوله تعالىٰ : ﴿ **حتىٰ إذا جاء أحدهم الموت** ﴾ قال : كان العلاء بن زياد يقول : ليُنْزِلْ أحدكم نفسه أنه قد حضره الموت ، فاستقال ربه فأقاله فليعمل بطاعة اللَّه عز وجل وقال قتادة : واللَّه ما تمنىٰ أن يرجع إلى أهل ولا إلى عشيرة ، ولكن تمنىٰ أن يرجع فيعمل بطاعة اللَّه ، فانظروا أمنية الكافر المفرط فاعملوا بها ، ولا قوة إلا باللَّه . وعن محمد بن كعب القرظي نحوه .

وقال أبو محمد بن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن يوسف ، حدثنا فضيل - يعني ابن عياض - عن ليث ، عن طلحة بن مصرف ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال : إذا وضع - يعني : الكافر - في قبره ، فيرىٰ مقعده من النار ، قال : فيقول : رب ، ارجعون أتوب وأعمل صالحًا . قال : فيقال : قد عُمّرت ما كنت مُعَمرًا . قال : فيضيق عليه قبره ، قال : فهو كالمنهوش ينام ويفزع ، تهوي إليه هوام الأرض وحيَّاتها وعقاربها(٥١) .

وقال أيضًا : حدثنا أبي ، حدثنا عمرو[١] بن عليّ ، حدثني سلمة بن تمام ، حدثنا عليّ ابن زيد ، عن سعيد بن المسيب ، عن عائشة - رضي اللَّه عنها - أنها قالت : ويل لأهل المعاصي من أهل القبور ! تدخل عليهم في قبورهم حيات سود - أو : دُهْم - حية عند رأسه ، وحية عند رجليه ، يقرصانه حتىٰ يلتقيا في وسطه ، فذلك العذاب في البرزخ الذي قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **ومن ورائهم برزخ إلىٰ يوم يبعثون** ﴾ .

وقال أبو صالح وغيره في قوله تعالى : ﴿ **ومن ورائهم** ﴾ يعنى : أمامهم .

وقال مجاهد : البرزخ : الحاجز[٢] بين الدنيا والآخرة .

وقال محمد بن كعب : البرزخ ما بين الدنيا والآخرة ، ليسوا مع أهل الدنيا يأكلون ويشربون ، ولا مع أهل الآخرة يجازون بأعمالهم .

---

(٥١) - رواه الترمذي في السنن برقم (١٠٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وقال : « حديث حسن غريب » .

---

[١] - في ز : عمر . [٢] - بعده في خ : ما .

وقال أبو صخر : البرزخ : المقابر ، لاهم في الدنيا ولاهم في الآخرة ، فهم مقيمون إلى يوم يبعثون .

وفي قوله تعالىٰ : ﴿ **ومن ورائهم برزخ** ﴾ تهديد لهؤلاء المحتضرين من الظلمة بعذاب البرزخ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **من ورائهم جهنم** ﴾ وقال : ﴿ **ومن ورائه عذاب غليظ** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **إلىٰ يوم يبعثون** ﴾ ، أي : يستمر به العذاب إلىٰ يوم البعث ، كما جاء في الحديث : « فلا يزال معذبًا فيها » أى : في الأرض

فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

يخبر تعالىٰ أنه إذا نفخ في الصور نفخة النشور ، وقام الناس من القبور ﴿ **فلا أنساب بينهم** ﴾ ، أي : لا تنفع الأنساب يومئذ ولا يرثي والد لولده ولا يلوي عليه ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **ولا يسأل حميم حميما يبصرونهم** ﴾ ، أي :لا يسأل القريب عن قريبه وهو يبصره ، ولو كان عليه من الأوزار ما قد أثقل ظهره وهو أعز الناس عليه - كان - في الدنيا ما التفت إليه ولا حمل عنه وزن جناح بعوضة ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ **يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه * لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه** ﴾ .

وقال ابن مسعود : إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين ثم نادىٰ مناد : ألا من كان له مظلمة فليجئ فليأخذ حقه . قال : فيفرح المرء أن يكون له الحق علىٰ والده أو ولده أو زوجته وإن كان صغيرًا ؛ ومصداق ذلك في كتاب الله : قال الله تعالىٰ : ﴿ **فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون** ﴾ . رواه ابن أبي حاتم .

وقال الإمام أحمد(٥٢) : حدثنا أبو سعيد مولىٰ بني هاشم ، حدثنا عبد الله بن جعفر ، حدثتنا أم بكر بنت المسور بن مَخْرَمة ، عن عبيد[١] الله بن أبي رافع ، عن المسور - هو

(٥٢) المسند (٣٢٣/٤) (١٨٩٦٠) ، ورواه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة ، باب : مناقب فاطمة - عليها السلام - (٣٧٦٧) . ومسلم في صحيحه بشرح النووي في كتاب فضائل =

[١] - في ز : عبد .

ابن مخرمة - رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **فاطمة بضعة مني ، [يقبضني ما يقبضها]**[١] **، وينشطني ما ينشطها ، وإن الأنساب تنقطع يوم القيامة غير**[٢] **نسبي وسببي وصهري** » . وهذا الحديث له أصل في الصحيحين(٥٣) عن المسور ابن مخرمة أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **فاطمة بضعة مني ، يريبني ما رابها ، ويؤذيني ما آذاها** » .

وقال الإمام أحمد(٥٤) : حدثنا أبو عامر ، حدثنا زهير ، عن عبد الله بن محمد ، عن حمزة بن أبي سعيد الخدري ، عن أبيه قال : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم يقول علىٰ هذا المنبر : « **ما بال رجال يقولون : إن رحم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لا تنفع قومه ؟ بلىٰ والله ، إن رحمي موصولة في الدنيا والآخرة ، وإني - أيها الناس - فرط لكم إذا جئتم . قال رجل : يا رسول الله ، أنا فلان بن فلان ، [وقال أخوه : أنا**

= الصحابة ، باب : فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام (١٦/ ٣/ح ٢٤٤٩ (٩٤) . وأبو داود في كتاب النكاح ، باب : ما يكره أن يجمع بينهن من النساء (٢/ ٢٢٤/ح ٢٠٧١) . والنسائي في الكبرى في كتاب المناقب ، باب : مناقب فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم (٥/ ٩٧/ ٨٣٧٠) . والترمذي في كتاب المناقب ، باب : ما جاء في فضل فاطمة رضي الله تعالى عنها (٥/ ٦٥٥/ ح ٣٨٦٧) وقال : حديث حسن صحيح . وابن ماجه في سننه في كتاب النكاح ، باب : الغيرة (١/ ٦٤٣/ ح ١٩٩٨) .

(٥٣) صحيح البخاري ، كتاب المناقب (٣٧١٤) ، وصحيح مسلم ، فضائل الصحابة (٢٤٤٩) .

(٥٤) المسند (١٨/٣) (١١١٥٢) . وحمزة بن أبي سعيد الخدري ، ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢١١/٣) رقم ٩٢٥ ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلاً ، وقال ابن حجر في التعجيل : وثقه ابن حبان ، ولم يذكر فيه ابن أبي حاتم جرحاً ، ولا ذكر له راوياً غير ابن عقيل .

وأخرجه عبد بن حميد في المنتخب - (٩٨٦) . ورواه أحمد (١١١٥٣، ١١٦٠٧) (١٨/٣، ٦٢) . من طريق زكريا بن عدي أنا عبيد الله بن عمرو عن عبد الله بن محمد به .

وتابع حمزة :

١ - عبد الرحمن بن أبي سعيد ؛ أخرجه أبو يعلى في مسنده - (١٢٣٨) (٤٣٣/٢-٤٣٤) حدثنا زهير ، حدثنا أبو عامر عن زهير ، عن عبد الله بن محمد عنه به .

٢ - سعيد بن المسيب : رواه أحمد (١١٣٦١) (٣٩/٣) من طريق شريك عن عبد الله بن محمد عنه به نحوه . لكن شريك بن عبد الله القاضي سيىء الحفظ .

والحديث ذكره الهيثمي في المجمع (٣٦٧/١٠) وقال : رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله ابن محمد بن عقيل وقد وثق .

ويشهد له حديث أبي هريرة عند البخاري في الرقاق ، باب : في الحوض . (٦٥٨٥، ٦٥٨٦) .

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « يغيظني ما يغيظها » [٢] - في ت ، خ : إلا .

فلان بن فلان][١] . **فأقول لهم : أما النسب فقد عرفت ، ولكنكم أحدثتم بعدي وارتددتم القهقرىٰ »** .

وقد ذكرنا في مسند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من طرق متعددة عنه - رضي الله عنه - أنه لما تزوج أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - قال : أما والله ما بي إلا أني سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **كل سبب ونسب فإنه منقطع يوم القيامة ، إلا سببي ونسبي** »(٥٥) .

رواه الطبراني(٥٦) ، والبزار ، والهيثم بن كليب ، والبيهقي ، والحافظ الضياء في « المختارة » وذكر أنه أصدقها أربعين ألفا إعظاما وإكرامًا رضي الله عنه .

فقد رویٰ الحافظ ابن عساكر(٥٧) في ترجمة أبي العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من طريق أبي القاسم[٢] البغوي ، حدثنا سليمان بن عمر[٣] الأقطع ، حدثنا إبراهيم بن عبد السلام ، عن إبراهيم بن يزيد ، عن محمد بن عباد بن جعفر ، سمعت ابن عمر يقول : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم « **كل نسب وصهر ينقطع يوم القيامة إلا نسبي وصهري** » .

ورویٰ فيها(٥٨) من طريق عمار بن سيف ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله ابن عمرو مرفوعًا : « **سألت ربي - عز وجل - أن لا أتزوج إلى أحد من أمتي ، ولا يتزوج إليَّ أحد منهم ؛ إلا كان معي في الجنة ، فأعطاني ذلك** » . **ومن حديث عمار بن سيف ، عن إسماعيل عن عبد الله بن عمرو**[٤] .

---

(٥٥) مسند عمر بن الخطاب لابن كثير (٣٨٩/١) .

(٥٦) المعجم الكبير (٤٥/٣) ، ومسند البزار برقم (٢٤٤٥) «كشف الأستار» ، وسنن البيهقي الكبرى (٦٤/٧) ، والمختارة للمقدسي برقم (٢٨١) .

(٥٧) تاريخ دمشق (١١٩/١٩ « المخطوط ») ورواه علي بن سعيد ، عن سليمان بن عمر الرقي ، عن إبراهيم ابن عبد السلام ، عن إبراهيم بن يزيد ، عن محمد بن عباد بن جعفر ، عن عبد الله بن الزبير مرفوعًا ، وأخرجه الطبراني في الأوسط برقم (٣٩٦٣) .

(٥٨) تاريخ دمشق (١١٩/١٩ « المخطوط ») ورواه الطبراني في الأوسط برقم (٣٩٦١) « مجمع البحرين » من طريق يزيد بن الكميت ، عن عمار بن سيف ، به ، قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٨٥/٧) : « إسناده واهٍ » وفي الباب عن ابن أبي أوفي رضي الله عنه .

---

[١] - سقط من : ز ، خ.

[٢] - بعده في خ : « بن » .

[٣] - بعده في ز : « بن » .

[٤] - بياض في : ز ، خ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون** ﴾ أي :من رجحت حسناته علىٰ سيئاته ولو بواحدة ، قاله ابن عباس .

﴿ **فأولئك هم المفلحون** ﴾ أي :الذين فازوا فنجوا من النار وأدخلوا الجنة . وقال ابن عباس : أولئك الذين فازوا بما طلبوا ، ونجوا من شر ما منه هربوا .

﴿ **ومن خفت موازينه** ﴾ أي :ثقلت سيئاته علىٰ حسناته ﴿ **فأولئك الذين خسروا أنفسهم** ﴾ أي :خابوا وهلكوا ، وباءوا[١] بالصفقة الخاسرة .

وقال الحافظ أبو بكر البزار(٥٩) : حدثنا إسماعيل بن أبي[٢] الحارث ، حدثنا داود بن المُحبَّر ، حدثنا صالح المري ، عن ثابت البناني وجعفر بن زيد ومنصور بن زاذان ، عن أنس ابن مالك يرفعه قال : « [إن للّٰه ملكًا موكلًا][٣] بالميزان ، فيؤتىٰ بابن آدم فيوقف بين يدي[٤] الميزان ، فإن ثقل ميزانه نادىٰ ملك بصوت يسمع الخلائق : سعد فلان سعادة لا يشقىٰ بعدها أبدًا ، وإن خف ميزانه نادىٰ ملك بصوت يسمع الخلائق : شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدًا » .

إسناده ضعيف ، فإن داود بن المحبر ضعيف[٥] متروك .

ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **في جهنم خالدون** ﴾ أي :ماكثون فيها ، دائمون ، مقيمون لا[٦] يظعنون

﴿ **تلفح وجوههم النار** ﴾ كما قال تعالىٰ : ﴿ **وتغشىٰ وجوههم النار** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا فروة بن أبي المغراء ، حدثنا محمد بن سليمان ابن الأصبهاني ، عن أبي سنان ضرار بن مرة ، عن عبد اللّٰه بن أبي الهذيل ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال[٧] : « **إن جهنم لما سيق لها[٨] أهلها يلقاهم لهبها ثم تلفحهم لفحة فلم[٩] يبق لهم لحم إلا سقط علىٰ العرقوب** » .

---

(٥٩) ورواه أبو نعيم في الحلية كما في تخريج الإحياء (٤٠٩٨) ، وقال : « تفرد به داود بن المحبر » .

---

[١] - في ز : وفازوا .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : ملك موكل.
[٤] - في ت : « كفتي » .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - في ت : « فلا » .
[٧] - سقط من : ز ـ خ .
[٨] - سقط من : ز ، خ .
[٩] - في ز : لم .

وقال ابن مردويه : حدثنا أحمد بن محمد بن يحيىٰ القزاز ، حدثنا الخضر بن علي بن يونس القطان ، حدثنا عمر بن أبي الحارث بن الخضر القطان ، حدثنا سعد[١] بن سعيد المقبري ، عن أخيه ، عن أبيه ، عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في قول الله تعالىٰ : ﴿ **تلفح وجوههم النار** ﴾ قال : « **تلفحهم لفحة فتسيل لحومهم علىٰ أعقابهم** » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وهم فيها كالحون** ﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : يعني : عابسون .

وقال الثوري عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله بن مسعود : ﴿ **وهم فيها كالحون** ﴾ قال : ألم تر إلىٰ الرأس المشيط الذي قد بدا أسنانه وقلصت شفتاه .

وقال الإمام أحمد (٦٠) : أخبرنا علي بن إسحاق أخبرنا عبد الله - هو ابن المبارك رحمه الله - أخبرنا سعيد بن يزيد ، عن أبي السمح ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : ﴿ **وهم فيها كالحون** ﴾ ، قال : تشويه النار ، فتقلص شفته العليا حتىٰ تبلغ وسط رأسه ، وتسترخىٰ شفته السفلىٰ حتىٰ تضرب[٢] سرته » .

ورواه الترمذي عن سويد بن نصر ، عن عبد الله بن المبارك به ، وقال : حسن غريب .

أَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ

(٦٠) - المسند (١١٨٥٢) إسناده ضعيف لضعف رواية دراج عن أبي الهيثم . وأخرجه عبد الله بن المبارك - زوائد نعيم بن حماد - (٢٩٢) ومن طريقه عبد الله بن أحمد في « الزهد » (ص ٢٧) . والترمذي ، كتاب صفة جهنم ، باب : ما جاء في صفة طعام أهل النار (٢٥٩٠) . وكتاب التفسير ، باب : « ومن سورة المؤمنين » (٣١٧٥) . وأبو يعلى في « مسنده » (١٣٦٧/٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٨٢/٨) . والحاكم في « المستدرك » (٢٤٦/٢، ٣٥٩) وصححه وسكت عنه الذهبي . والبيهقي في « البعث » (٥٠٧) ، والبغوي في « شرح السنة » (٤٤١٦/١٥) . وقال الترمذي : حديث حسن صحيح غريب .
قلت : وغرابته لتفرد أبي شجاع به عن أبي الهيثم . وأما تصحيح الترمذي والحاكم له فليس بشيء ، لأن رواية دراج عن أبي الهيثم ضعيفة ، كما تقدم بيانه في غير موضع من هذا الكتاب . والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣١/٥) إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في « صفة النار » وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه . وعزاه الهندي أيضًا في « كنز العمال » (٣٩٧٩٠/١٤) إلى ابن عساكر وسعيد بن منصور .

[١] - في ز : سعيد .
[٢] - في ت : « تبلغ » .

﴿قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ۝١٠٨﴾

هذا تقريع من الله ، [تعالى لأهل النار وتوبيخ لهم][١] على ما ارتكبوه[٢] من الكفر والمآثم والمحارم والعظائم التي أوبقتهم في ذلك ، فقال تعالى : ﴿ **ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون** ﴾ أي :قد أرسلت إليكم الرسل ، وأنزلت عليكم[٣] الكتب ، وأزلت شبهكم ، ولم يبق لكم حجة تدلون بها[٤] ؛ كما قال تعالى : ﴿ **لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير**﴾ إلى قوله : ﴿**فسحقًا لأصحاب السعير** ﴾ ولهذا قالوا : ﴿ **ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قومًا ضالين** ﴾ أي : قد قامت علينا الحجة ، ولكن كنا أشقى من أن ننقاد لها ونتبعها ، فضللنا عنها ولم نرزقها .

ثم قالوا : ﴿ **ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون** ﴾ أي : ردَّنا إلى الدار الدنيا ، فإن عدنا إلى ما سلف منا فنحن ظالمون مستحقون للعقوبة ، كما قالوا : ﴿ **فاعترفنا بذنوبنا * فهل إلى خروج من سبيل** ﴾ إلى قوله : ﴿**فالحكم لله العلي الكبير** ﴾ أي : لا سبيل إلى الخروج ؛ لأنكم كنتم تشركون بالله إذا وحّده المؤمنون .

﴿قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ۝١٠٨ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ
ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝١٠٩ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ
ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ۝١١٠ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ
ٱلۡفَآئِزُونَ ۝١١١﴾

هذا جواب من الله تعالى للكفار ، إذا سألوا الخروج من النار ، والرجعة إلى هذه الدار . يقول : ﴿ **اخسئوا فيها** ﴾ أي :امكثوا فيها صاغرين مهانين أذلاء ﴿ **ولا تكلمون** ﴾ أي :لا تعودوا إلى سؤالكم هذا فإنه لا جواب لكم عندي ، قال العوفي عن ابن عباس : ﴿ **اخسئوا فيها ولا تكلمون** ﴾ قال : هذا قول الرحمن حين انقطع كلامهم منه .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبدة بن سليمان المروزي ، حدثنا عبد الله بن

---

[١] – ما بين المعكوفتين في ت : « وتوبيخ لأهل النار » .

[٢] – في ز : ارتكبوا .

[٣] – سقط من ز .

[٤] – سقط من : ز ، خ .

المبارك ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أبي أيوب ، عن عبد اللَّه بن عمرو ، قال : إن أهل جهنم يدعون مالكا فلا يجيبهم أربعين عامًا ، ثم يرد عليهم : إنكم ماكثون. قال : هانت دعوتهم - واللَّه - على مالك ورب مالك ، ثم يدعون ربهم فيقولون : ﴿ **ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين * ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون** ﴾ قال : فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم : ﴿ **اخسئوا فيها ولا تكلمون** ﴾ قال : فواللَّه ما نبس القوم بعدها بكلمة واحدة[١] ، وما هو إلا الزفير والشهيق في نار جهنم ، قال : فشبهت أصواتهم بأصوات الحمير ، أولها زفير وآخرها شهيق .

وقال [ابن أبي حاتم][٢] أيضًا : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، حدثنا أبو الزعراء قال : قال عبد اللَّه بن مسعود : إذا أراد اللَّه تعالى أن لا يخرج منهم أحدًا - يعني من جهنم - غيَّر وجوههم وألوانهم ، فيجيء الرجل [من المؤمنين][٣] فيشفع فيقول : يا رب ؛ فيقول اللَّه : من عرف أحدًا فليخرجه ، فيجيء الرجل من المؤمنين فينظر فلا يعرف أحدًا ، [فيناديه الرجل : يا فلان][٤] ، أنا فلان . فيقول : ما أعرفك ! قال[٥] : فعند ذلك يقولون[٦] : ﴿ **ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون** ﴾ فعند ذلك يقول اللَّه تعالى : ﴿**اخسئوا فيها ولا تكلمون** ﴾ فإذا قال ذلك أطبقت عليهم النار[٧] ، فلا يخرج منهم أحد[٨] .

ثم قال تعالى مذكرًا لهم بذنوبهم في الدنيا وما كانوا يستهزئون بعباده المؤمنين وأوليائه ؛ فقال تعالى : ﴿ **إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين * فاتخذتموهم سخريًّا** ﴾ أي :فسخرتم منهم في دعائهم إياي ، وتضرعهم إليّ ﴿ **حتى أنسوكم ذكري** ﴾ أي : حملكم بغضهم على أن نسيتم معاملتي ﴿ **وكنتم منهم تضحكون** ﴾ أي :من صنيعهم وعبادتهم ؛ كما قال تعالى : ﴿ **إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون** ﴾ أي :يلمزونهم استهزاء .

ثم أخبر تعالى عما جازى به أولياءه وعباده الصالحين ، فقال تعالى : ﴿ **إني جزيتهم اليوم بما صبروا** ﴾ أي :على أذاكم لهم ، واستهزائكم بهم[٩] ﴿ **أنهم هم الفائزون** ﴾ [أي جعلناهم هم الفائزون][١٠] بالسعادة والسلامة والجنة والنجاة[١١] من النار .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « فيقول » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز : يقول .
[٧] - سقط من ز .
[٨] - في ز ، خ : « بشر » .
[٩] - في ز ، خ : « منهم » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[١١] - في ز ، خ : « الناجون » .

﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَـٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾

يقول تعالىٰ منبهًا لهم علىٰ ما أضاعوه في عمرهم القصير في الدنيا من طاعة اللَّه تعالىٰ، وعبادته وحده[١]، ولو صبروا في مدة الدنيا القصيرة لفازوا كما فاز أولياؤه المتقون ﴿ **قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين** ﴾ أي :كم كانت إقامتكم في الدنيا ﴿ **قالوا لبثنا يومًا أو بعض يوم فاسأل العادين** ﴾ أي :الحاسبين ﴿ **قال إن لبثتم إلا قليلًا** ﴾ أي :مدة يسيرة علىٰ كل تقدير ﴿ **لو أنكم كنتم تعلمون** ﴾ أي :لما آثرتم الفاني علىٰ الباقي، ولما تصرفتم لأنفسكم هذا التصرف السيىء، [ولا استحققتم][٢] من اللَّه سخطه في تلك المدة اليسيرة، فلو أنكم صبرتم علىٰ طاعته وعبادته كما فعل المؤمنون لفزتم كما فازوا .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي، حدثنا محمد بن الوزير، حدثنا الوليد، حدثنا صفوان، عن أيفع بن عبد الكلاعي، أنه سمعه يخطب الناس، فقال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن اللَّه إذا أدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، قال : يا أهل الجنة، كم لبثتم في الأرض عدد سنين ؟ قالوا : لبثنا يومًا أو بعض يوم، قال : لنعم ما اتجرتم في يوم أو بعض يوم ! رحمتي ورضواني وجنتي امكثوا فيها خالدين مخلدين، ثم يقول : يا أهل النار، كم لبثتم في الأرض عدد سنين ؟ قالوا لبثنا يومًا أو بعض يوم، فيقول : بئس ما اتجرتم في يوم أو بعض يوم ! ناري وسخطي امكثوا فيها خالدين مخلدين** » :

وقوله تعالىٰ : ﴿ **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا** ﴾ أي :أفظننتم أنكم مخلوقون عبثًا بلا قصد، ولا إرادة منكم، ولا حكمة لنا ؟ ! [وقيل : للعبث، أي :لتلعبوا وتعبثوا، كما خلقت البهائم، لا ثواب لها ولا عقاب، وإنما خلقناكم للعبادة، وإقامة أوامر اللَّه عز وجل][٣] ﴿ **وأنكم إلينا لا ترجعون** ﴾ أي : لا تعودون في الدار الآخرة كما قال تعالىٰ : ﴿ **أيحسب الإنسان أن يترك سدي** ﴾ يعني هملا[٤] .

وقوله : ﴿ **فتعالىٰ اللَّه الملك الحق** ﴾ أي : تقدس أن يخلق شيئًا عبثًا، فإنه الملك الحق،

---

[١] - سقط من : ز، خ .
[٢] - في ز : إن استحقيتم .
[٣] - سقط من : ز، خ .
[٤] - في ز، خ : « مهملا » .

المنزه عن ذلك ﴿ **لا إله إلا هو رب العرش الكريم** ﴾ فذكر العرش ؛ لأنه سقف جميع المخلوقات ، ووصفه بأنه كريم أي :حسن المنظر بهي الشكل ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **وأنبتنا فيها من كل زوج كريم** ﴾ .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا علي بن محمد الطنافسي ، حدثنا إسحاق بن سليمان - شيخ من أهل العراق - أنبأنا شعيب بن صفوان ، عن رجل من آل سعيد بن العاص قال : كان آخر خطبة خطبها[١] عمر بن عبد العزيز ؛ أن حمد الله ، وأثنىٰ عليه ، ثم قال : أما بعد ، [أيها الناس][٢] فإنكم لم تخلقوا عبثًا ، ولن تتركوا سدىٰ ، وإن لكم معادًا ينزل الله فيه للحكم بينكم والفصل بينكم ، فخاب وخسر وشقىٰ [عبدٌ أخرجه الله من رحمته][٣] ، وحرم جنة عرضها السماوات والأرض ، ألم تعلموا أنه لا يأمن غدًا إلا من حذر هذا[٤] اليوم وخافه ، وباع نافدًا بباق ، و[٥] قليلًا بكثير ، وخوفًا بأمان ؟ ألا ترون أنكم من أصلاب الهالكين ، وسيكون من بعدكم الباقين ، حتىٰ تردوا إلىٰ خير الوارثين ؟ ثم إنكم في كل يوم تشيعون غاديًا ورائحًا إلىٰ الله عز وجل قد قضىٰ نحبه ، وانقضىٰ أجله ، حتىٰ تغيبوه في صدع من الأرض ، في بطن صدع غير ممهد ولا موسد ، قد فارق الأحباب وباشر التراب ، وواجه الحساب ، مرتهن بعمله ، غني عما ترك ، فقير إلىٰ ما قدم ، فاتقوا الله عباد الله قبل انقضاء مواثيقه ، ونزول الموت بكم ، ثم رفع[٦] طرف ردائه علىٰ وجهه ، فبكىٰ وأبكىٰ من حوله .

وقال ابن أبي حاتم : ثنا يحيىٰ بن نصير[٧] الخولاني ، ثنا ابن وهب ، أخبرني ابن لهيعة ، عن أبي[٨] هبيرة ، عن حنش بن عبد الله ، أن رجلًا مصابًا مر به علىٰ[٩] عبد الله ابن مسعود ، فقرأ في أذنه هذه الآية : ﴿ **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا وأنكم إلينا لا ترجعون * فتعالىٰ الله الملك الحق** ﴾ حتىٰ ختم السورة فبرأ ، [فذكر ذلك لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم][١٠] فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم : « **بماذا قرأت في أذنه ؟** » فأخبره ، [فقال له : « **إنها إذا قرئت في أذنه أحرقته**][١١] » ، ثم قال رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم : « **والذي نفسي بيده ، لو أن رجلا موقنًا قرأها علىٰ جبل لزال** » .

---

[١] - في ز : خطب .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « من خرج من رحمة الله » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - في ز : حين تردوا .
[٧] - في ت : « جعل » .
[٨] - في ز ، خ : « نصر » .
[٩] - سقط من : خ .
[١٠] - سقط من : ز ، خ .
[١٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وروىٰ أبو نعيم من طريق خالد بن نزار ، عن سفيان بن عيينة ، عن محمد بن المنكدر ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن أبيه ، قال : بعثنا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم في سرية ، وأمرنا أن نقول إذا نحن أمسينا وأصبحنا : ﴿ **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا وأنكم إلينا لا ترجعون** ﴾ قال : فقرأناها فغنمنا وسلمنا .

وقال ابن أبي حاتم أيضًا(٦١) : حدثنا إسحاق بن وهب العلاف الواسطي ، حدثنا أبو المسيب سلمة بن سلام ، حدثنا بكر بن خنيس[١] ، عن نهشل بن سعيد ، عن الضحاك بن مزاحم ، عن عبد اللَّه بن عباس قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أمان أمتي[٢] من الغرق إذا ركبوا في السفن[٣] : باسم اللَّه الملك الحق ، وما قدروا اللَّه حق قدره ، والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة ، والسماوات مطويات بيمينه ، سبحانه وتعالىٰ عما يشركون ، بسم اللَّه مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم** ».

وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾

يقول تعالىٰ متوعدًا من أشرك به غيره ، وعبد معه سواه ، ومخبرًا أن من أشرك باللَّه ﴿ **لا برهان له** ﴾ ، أي : لا دليل له علىٰ قوله ، فقال تعالىٰ : ﴿ **ومن يدع مع اللَّه إلهًا آخر لا برهان له به** ﴾ وهذه جملة معترضة ، وجواب الشرط في قوله : ﴿ **فإنما حسابه عند ربه** ﴾ أي :اللَّه يحاسبه علىٰ ذلك .

ثم أخبر ﴿ **إنه لا يفلح الكافرون** ﴾ أي :لديه يوم القيامة لا فلاح لهم ولا نجاة .

قال قتادة : ذكر لنا أن نبي اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال لرجل : « **ما تعبد ؟** » قال : أعبد اللَّه وكذا وكذا ، حتىٰ عد أصناما ، فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **فأيهم إذا أصابك ضر فدعوته كشفه عنك ؟** » قال : اللَّه عز وجل [قال : « **فأيهم إذا كانت لك حاجة فدعوته أعطاكها ؟** » قال : اللَّه عز وجل][٤] قال : « **فما يحملك علىٰ أن تعبد هؤلاء معه ؟** » قال : أردت شكره بعبادة هؤلاء معه أم حسبت أن يغلب عليه ، فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **تعلمون ولا يعلمون** » . فقال[٥] الرجل [بعد][٦] ما

(٦١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/١٢٤) ، وفي كتاب الدعاء برقم (٨٠٤) من طرق عن عبد الحميد الهلالي ، عن نهشل به ، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/١٣٢) : « نهشل بن سعيد متروك » .

[١] - في ز : حبيش .
[٢] - في ز : لأمتي .
[٣] - في ت : السفينة .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ .
[٥] - في ز : قال .
[٦] - في ز : بعد و .

أسلم : لقيت رجلًا خصمني .

هذا مرسل من هذا الوجه ، وقد روىٰ أبو عيسىٰ الترمذي في جامعه مسندًا[٦٢] عن عمران ابن الحصين عن أبيه عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم نحو ذلك .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين** ﴾ هذا إرشاد من اللّٰه تعالىٰ إلىٰ هذا الدعاء ، فالغفر إذا أطلق معناه : محوه الذنب ، وستره عن الناس ، والرحمة معناها : أن يسدده ويوفقه في الأقوال والأفعال .

آخر تفسير سورة المؤمنون

☆ ☆ ☆

(٦٢) سنن الترمذي برقم (٣٤٨٣) وقال : « هذا حديث غريب » .

تفسير سورة النور

وهي مدنية

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١) الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢)﴾

يقول تعالىٰ : هذه ﴿ **سورة أنزلناها** ﴾ فيه تنبيه إلىٰ[١] الاعتناء بها ، ولا ينفي ما عداها ﴿ **وفرضناها** ﴾ قال مجاهد وقتادة : أي : بينا الحلال والحرام ، والأمر والنهي والحدود .

وقال البخاري : ومن قرأ ﴿ **فرضناها** ﴾ يقول : فرضناها عليكم ، وعلىٰ من بعدكم ، ﴿ **وأنزلنا فيها آيات بينات** ﴾ أي : مفسرات واضحات ﴿ **لعلكم تذكرون** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة** ﴾ [ ][٢] هذه الآية الكريمة فيها حكم الزاني في الحد ، وللعلماء فيه تفصيل ونزاع ؛ فإن الزاني لا يخلو إما أن يكون بكرًا وهو الذي لم يتزوج ، أو محصنًا وهو الذي قد وطئ في نكاح صحيح ، وهو حر بالغ عاقل ، فأمّا إذا كان بكرًا لم يتزوج ، فإن حده [جلد مائة][٣] ، كما في الآية ، ويزاد علىٰ ذلك أن يغرب عامًا [عن بلده][٤] عند جمهور العلماء ، خلافًا لأبي حنيفة رحمه الله ؛ فإن عنده : أن التغريب إلىٰ رأي الإمام ، إن شاء غرّب ، وإن شاء لم يغرب .

وحجة الجمهور في ذلك ما ثبت في الصحيحين(١) من رواية الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني في الأعرابيين اللذين أتيا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال أحدهما : يا رسول الله؛ إن ابني [ ][٥] كان عسيفًا - يعني : أجيرًا - علىٰ هذا ، فزنا بامرأته ، فافتديت [ ][٦] منه بمائة شاة ووليدة ، فسألت أهل العلم ؛ فأخبروني أن علىٰ ابني جلد مائة وتغريب عام ، وأن علىٰ امرأة هذا الرجم ؛ فقال

(١) - صحيح البخاري ، كتاب الصلح ، باب : إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ، حديث (٢٦٩٦) وأطرافه حديث (٢٧٢٥) في الشروط ، و(٦٦٣٣) في الأيمان والنذور ، و(٦٨٢٨ ، و٦٨٣٦، و٦٨٤٣) ثلاثتهم في الحدود ، و(٧١٩٥) في الأحكام ، و(٧٢٦٠) في أخبار الآحاد . وصحيح مسلم ، كتاب الحدود ، باب : من اعترف على نفسه بالزنا حديث (١٦٩٨) .

[١] - في ت : « على » .
[٢] - في ت : يعني .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ت : « مائة جلدة » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٥] - في ت : هذا .
[٦] - في ت : ابني .

رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله تعالىٰ ، الوليدة والغنم رد عليك ، وعلىٰ ابنك جلد مائة وتغريب عام . واغد يا أنيس - لرجل من أسلم - إلىٰ امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها** » . فغدا عليها فاعترفت فرجمها .

وفي هذا دلالة علىٰ تغريب الزاني مع جلد مائة إذا كان بكرًا لم يتزوج ، فأما إن كان محصنًا [وهو الذي قد وطئ في نكاح صحيح وهو حر بالغ عاقل][١] فإنه يرجم .

كما قال الإمام مالك : حدثني محمد[٢] بن شهاب ، عن[٣] عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود : أن ابن عباس أخبره : أن عمر - رضي الله عنه - قام : فحمد الله ، وأثنىٰ عليه ، ثم قال : أما بعد ، أيها الناس ؛ فإن الله تعالىٰ بعث محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم بالحق ، وأنزل عليه الكتاب ، فكان فيما أنزل عليه آية الرجم ، فقرأناها ووعيناها ، ورجم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ورجمنا بعده ، فأخشىٰ أن يطول بالناس زمان أن يقول قائل : لا نجد آية الرجم في كتاب الله ؛ فيضلوا بترك فريضة قد أنزلها الله ، فالرجم في كتاب الله حق علىٰ [ ][٤] من زنىٰ إذا أحصن من الرجال و[ ][٥] النساء ، إذا قامت البينة أو الحبل أو الاعتراف .

أخرجاه في الصحيحين(٢) من حديث مالك مطولًا . وهذه[٦] قطعة منه فيها مقصودنا هٰهنا.

وروىٰ الإمام أحمد(٣) عن هشيم ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس ، حدثني عبد الرحمن بن عوف : أن عمر بن الخطاب خطب الناس فسمعته يقول : ألا وإن ناسًا يقولون : ما بال الرجمُ وفي كتاب الله [ ][٧] الجلد ، وقد رجم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ورجمنا بعده ، ولولا أن يقول [قائلون أو يتكلم متكلمون][٨] : أن عمر زاد في كتاب الله ما ليس منه[٩] لأثبتُّها كما نزلت [ ][١٠] .

(٢) - رواه البخاري في الحدود ، باب : الاعتراف بالزنا ، حديث (٦٨٢٩) ، وباب : رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت ، حديث (٦٨٣٠) ، ورواه مسلم حديث (١٦٩١) في الحدود ، باب : رجم الثيب في الزنا . وأبو داود حديث (٤٤١٨) في الحدود ، باب : الرجم . ورواه الترمذي ، حديث (١٤٣٢) في الحدود ، باب : ما جاء في تحقيق الرجم ، وابن ماجه حديث (٢٥٥٣) في الحدود ، باب : الرجم ، وأحمد حديث (٣٩٣) ، والدارمي حديث (٢٣٢٢) في الحدود ، باب : حد المحصنين في الزنا .

(٣) - رواه أحمد حديث (١٩٨) .

[١] - في ت : من حديث .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ت : « أخبرنا » .
[٤] - في ت : كل .
[٥] - في ت : من .
[٦] - في ز : « هذا » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ت : وإنما فيه .
[٨] - في ت : « قائل ويتكلم متكلم » .
[٩] - في ز : « فيه » .
[١٠] - في ت : به .

وأخرجه النسائي من حديث عبيد اللَّه بن عبد الله [ ][١].

وقد روىٰ الإمام[٢] أحمد(٤) أيضًا عن هشيم ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس قال : خطب عمر بن الخطاب -رضي اللَّه عنه- فذكر الرجم ، فقال : [إنا لا نجد من الرجم بدًّا][٣] لاتخدعن عنه ، فإنه حد من حدود اللَّه تعالىٰ ، ألا وإن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قد رجم ، ورجمنا بعده ، ولولا أن يقول قائلون : [زاد عمر][٤] في كتاب اللَّه ما ليس فيه ؛ لكتبت في ناحية من[٥] المصحف : وشهد عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وفلان وفلان : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قد رجم ورجمنا بعده ، ألا وإنه سيكون من بعدكم قوم يكذبون بالرجم وبالدجال وبالشفاعة ، وبعذاب القبر ، وبقوم يخرجون من النار بعدما امتحشوا .

وروىٰ أحمد(٥) أيضًا عن يحيى القطان ، عن يحيىٰ الأنصاري ، عن سعيد بن المسيب ، عن عمر بن الخطاب : « إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم ... » الحديث

رواه الترمذي من حديث سعيد ، عن عمر ، وقال : صحيح .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي : حَدَّثَنَا عبيد اللَّه بن عمر القواريري ، حَدَّثَنَا يزيد بن زريع ، حَدَّثَنَا ابن عون ، عن محمد هو ابن سيرين قال : نبئت عن كثير بن الصلت قال : كنا عند مروان ، وفينا زيد ، فقال زيد : كنا نقرأ : (الشيخ[٦] والشيخة [إذا زنيا][٧] فارجموهما ألبتة) ، قال مروان : ألا كتبتها في المصحف ؟ قال : ذكرنا ذلك وفينا عمر بن الخطاب ؛ فقال : أنا أشفيكم من ذلك ، قال : قلنا : فكيف ؟ قال : جاء رجل إلىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ؛ قال : فذكر كذا وكذا ، وذكر الرجم ، فقال : يا رسول اللَّه ؛ اكتبني آية الرجم ، قال : « **لا أستطيع الآن** » هذا أو نحو ذلك .

---

(٤) - رواه أحمد حديث (١٥٧) .

(٥) - رواه أحمد حديث (٢٥١) . ورواه الترمذي حديث (١٤٣١) في الحدود ، باب : ما جاء في تحقيق الرجم .

---

[١] - سقط من ت .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - في ز : « والشيخ » .

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

وقد رواه النسائي(٦) [عن][١] محمد بن المثني ، عن غندر ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن يونس بن جبير ، عن كثير بن الصلت ، عن زيد بن ثابت به[٢] ، وهذه طرق كلها متعددة متعاضدة[٣] ، ودالة علىٰ أن آية الرجم كانت مكتوبة فنسخ تلاوتها ، وبقي حكمها معمولًا به ، [ولله الحمد][٤] .

وقد أمر رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم برجم هذه المرأة ، وهي زوجة الرجل الذي استأجر الأجير ، لما زنت مع الأجير ، ورجم رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ماعزًا والغامدية ، وكل هؤلاء لم ينقل عن[٥] رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه[٦] جلدهم قبل الرجم ، وإنما وردت الأحاديث [الصحاح][٧] المتعددة الطرق والألفاظ بالاقتصار علىٰ رجمهم ، وليس فيها ذكر الجلد ، ولهذا كان هذا مذهب جمهور العلماء ، وإليه ذهب أبو حنيفة ومالك والشافعي - رحمهم اللَّه - وذهب الإمام أحمد - رحمه اللَّه - إلىٰ أنه يجب أن يجمع علىٰ الزاني المحصن بين الجلد للآية والرجم للسنة ، كما رُوِيَ عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي اللَّه عنه - أنه لما أتىٰ بشراحة ، وكانت قد زنت وهي محصنة ، فجلدها يوم الخميس ورجمها يوم الجمعة ، ثم قال : جلدتها بكتاب اللَّه ، ورجمتها بسنة رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم .

وقد روىٰ الإمام أحمد ، ومسلم ، وأهل السنن الأربعة من حديث قتادة عن الحسن عن حطان بن عبد اللَّه الرقاشي عن عبادة بن الصامت(٧) قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **خذوا عني ، خذوا عني ، قد جعل اللَّه لهن سبيلًا ، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب سنة[٨] ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم** »

(٦) - رواه النسائي في الكبرى (٤/٢٧٠) حديث ٧١٤٥ .

(٧) - رواه مسلم حديث (١٦٩٠) في الحدود ، باب : حد الزنى ، وأبو داود حديث (٤٤١٥) في الحدود ، باب : الرجم ، والترمذي حديث (١٤٣٤) في الحدود ، باب : ما جاء في الرجم على الثيب ، والنسائي في الكبرى حديث (٧١٤٢ ، ٧١٤٣ ، ٧١٤٤) (٤/٢٧٠) في كتاب الرجم ، وابن ماجه حديث (٢٥٥٠) ، في الحدود ، باب : حد الزنى ، وأحمد حديث (٢٢٧٦٩) ، والدارمي حديث (٢٣٢٧) في الحدود ، باب : تفسير قول الله تعالى : ﴿ ويجعل الله لهن سبيلًا ﴾ .

[١] - في ت : « من حديث » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ت : « والله أعلم » .

[٥] - في ز : « أن » .

[٦] - سقط من : ز .

[٧] - في ت : « الصحيحة المتعاضدة » .

[٨] - في ت : « عام » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله** ﴾ أي : في حكم اللّٰه ، لا ترجموهما [وترثوا لهما][١] في شرع اللّٰه ، وليس المنهي عنه الرأفة الطبيعية [علىٰ إقامة الحد ، وإنما هي الرأفة التي تحمل الحاكم][٢] علىٰ ترك الحد ، فإنه لا[٣] يجوز له ذلك .

قال مجاهد : ﴿ **ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله** ﴾ قال : إقامة الحدود إذا رفعت إلىٰ السلطان ، فتقام ولا تعطل ، وكذا رُوي عن سعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح وقد جاء في الحديث : « **تعافوا الحدود فيما بينكم ، فما بلغني من حد فقد وجب** »(٨) وفي الحديث الآخر : « **لحدّ يقام في الأرض خير لأهلها من أن يمطروا أربعين صباحًا** »(٩) .

وقيل المراد : ﴿ **ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله** ﴾ فلا تقيموا الحد كما ينبغي من شدة الضرب الزاجر عن المأثم ، وليس المراد الضرب المبرح . قال عامر الشعبي : ﴿ **ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله** ﴾ قال : رحمة في شدة الضرب ، وقال عطاء : ضرب ليس بالمبرح ، وقال سعيد بن أبي عروبة عن حماد بن أبي سليمان : يجلد القاذف وعليه ثيابه ، والزاني تخلع ثيابه ، ثم تلا ﴿ **ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله** ﴾ فقلت : هذا في الحكم ؟ قال : هذا في الحكم والجلد . يعني : في إقامة الحد وفي شدة الضرب .

وقال ابن أبي حاتم : حَدَّثَنَا عمرو بن عبد اللّٰه الأودي ، حَدَّثَنَا وكيع ، عن نافع بن عمر ، عن ابن أبي مليكة ، عن عبيد[٤] اللّٰه بن عبد اللّٰه بن عمر : أن جارية لابن عمر زنت ، فضرب رجليها . قال نافع : أراه قال : و[٥]ظهرها . قال : قلت : ﴿ **ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله** ﴾ قال : يا بني ؛ ورأيتني أخذتني بها رأفة ؟ إن اللّٰه لم يأمرني أن أقتلها ، ولا أن أجعل جلدها في رأسها ، وقد أوجعت حيث ضربت .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر** ﴾ أي : فافعلوا ذلك ، أقيموا[٦]

---

(٨) - رواه أبو داود حديث (٤٣٧٦) في الحدود ، باب : العفو عن الحدود ما لم تبلغ السلطان ، والنسائي حديث (٤٨٨٦) في قطع السارق ، باب : ما يكون حرزًا وما لا يكون . كلاهما من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه ، عن جده به .

(٩) - رواه أحمد حديث (٨٥٢١) ، وابن ماجه حديث (٢٥٣٨) في الحدود ، باب : إقامة الحدود ، كلاهما من حديث جرير بن يزيد ، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير ، عن أبي هريرة به مرفوعًا . وجرير بن يزيد ضعيف ، والراوي عنه عيسى بن يزيد : مقبول .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « وترأفوا بهما» .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٣] - في ت : « فلا » .

[٤] - في ز : « عبد » .

[٥] - سقط من ت .

[٦] - في ت : وأقيموا .

الحدود علىٰ من زنىٰ ، وشددوا عليه الضرب ، ولكن ليس مبرحًا ؛ ليرتدع هو ومن يصنع مثله بذلك ، وقد جاء في المسند(١٠) عن بعض الصحابة أنه قال : يا رسول اللَّه ؛ إني لأذبح الشاة وأنا أرحمها فقال : « **ولك في ذلك أجر** » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين** ﴾ هذا فيه تنكيل للزانيين إذا جلدا[١] بحضرة الناس ؛ فإن ذلك يكون أبلغ في زجرهما ، وأنجع في ردعهما ؛ فإن في ذلك تقريعًا وتوبيخًا وفضيحة إذا كان الناس حضورًا .

قال الحسن البصري في قوله : ﴿ **وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين** ﴾ يعني : علانية ، ثم قال علي بن أبي طلحة [عن ابن عباس][٢] ﴿ **وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين** ﴾ الطائفة : الرجل فما فوقه ، و[٣] قال مجاهد : الطائفة : [رجل][٤] إلىٰ الألف ، وكذا قال عكرمة ، ولهذا قال الإمام أحمد : إن الطائفة تصدق علىٰ واحد . وقال عطاء بن أبي رباح اثنان ، وبه قال إسحاق بن راهويه ، وكذا قال سعيد بن جبير ﴿ **طائفة من المؤمنين** ﴾ [قال : يعني الرجلين فصاعدًا ، وقال الزهري : ثلاثة نفر فصاعدًا ، وقال عبد الرزَّاق : حدثني ابن وهب عن الإمام مالك في قوله ﴿ **وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين** ﴾][٥] قال الطائفة أربعة نفر فصاعدًا ؛ لأنه لا يكون شهادة في الزنا دون[٦] أربعة شهداء فصاعدًا وبه قال الشافعي .

---

(١٠) - رواه أحمد (١٥٦٣٤) (٤٣٦/٣) عن معاوية بن قرة ، [عن أبيه] : أن رجلًا قال : يا رسول اللَّه ! إني لأذبح الشاة وأنا أرحمها ، [أو] قال : إني لأرحم الشاة أن أذبحها ؛ فقال : « [و] الشاة إن رحمتها رحمك اللَّه] » .وحديث ٢٠٤١٥ (٣٤/٥) . والبخاري في « الأدب المفرد » حديث (٣٧٣) . ورواه الطبراني في « الصغير » (١٠٩/١) . وفي الأوسط (٢٥٥/٣) (٣٧٠) . وفي « الكبير » (٢٣/١٩) (٤٥-٤٦) . والبزار كما في كشف الأستار (٦٨/٢) حديث ١٢٢١ . وأبو نعيم في الحلية » (٣٤٣/٦) . من طريق زياد بن مخراق ، عن معاوية بن قرة ، عن أبيه به . وأخرجه الحاكم (٥٨٧/٣) . من حديث عدي بن الفضل ، عن يونس بن عبيد ، عن معاوية عن أبيه به . وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣٠٢/٢، ٦/ ٣٤٣) . والطبراني في الأوسط (١٤٢/٣) حديث (٢٧٣٦) . وفي الكبير (٢٤/١٩) حديث (٤٧) . من طريق يونس بن عبيد ، عن معاوية بن قرة . والحديث سكت عنه الحاكم ، وقال الذهبي : فيه عدي بن الفضل وهو هالك . والحديث صححه الألباني في صحيح الأدب المفرد وهو عنده في الصحيحة حديث (٢٦) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٥/٤ - ٣٦) وقال : رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير والصغير كلهم من غير شك قالوا : قال : يا رسول الله ! إني لأذبح الشاة فأرحمها . وله ألفاظ كثيرة ورجاله ثقات . اهـ .

---

[١] - في ز : « جلدوا » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ت : الرجل الواحد .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٦] - في ت : « إلا » .

وقال ربيعة : خمسة ، وقال الحسن البصري : عشرة ، وقال قتادة : أمر اللَّه أن يشهد عذابهما طائفة من المؤمنين أي : نفر من المسلمين ؛ ليكون ذلك موعظة وعبرة ونكالًا .

وقال ابن أبي حاتم : حَدَّثَنَا أبي ، حَدَّثَنَا يحيىٰ بن عثمان ، حَدَّثَنَا بقية قال : سمعت نصر بن علقمة [ ][1] في قوله تعالىٰ ﴿ وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ﴾ قال : ليس ذلك للفضيحة ، إنما ذلك ليُدعىٰ اللَّه تعالىٰ لهما بالتوبة والرحمة .

ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾

هذا خبر من اللَّه تعالىٰ بأن الزاني لا يطأ إلا زانية [أو مشركة أي][2] : لا يطاوعه علىٰ مراده من الزنا إلا زانية عاصية ، أو مشركة لا ترىٰ حرمة ذلك ، وكذلك ﴿ **الزانية لا ينكحها إلا زان** ﴾ أي : عاص بزناه ﴿ **أو مشرك** ﴾ لا يعتقد تحريمه ، قال سفيان الثوري ، عن حبيب بن أبي عمرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - ﴿ **الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة** ﴾ قال : ليس هذا بالنكاح إنما هو الجماع ، لا يزني بها إلا زان أو مشرك ، وهذا إسناد صحيح عنه ، وقد روي عنه من غير وجه أيضًا .

وقد رُوي عن مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وعروة بن الزبير ، والضحاك ، ومكحول ، ومقاتل بن حيان ، وغير واحد ؛ نحو ذلك .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وحرم ذلك علىٰ المؤمنين** ﴾ أي : تعاطيه ، والتزويج بالبغايا أو تزويج العفائف [بالفجار من الرجال][3] .

و[4]قال أبو داود الطيالسي : حَدَّثَنَا قيس ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ﴿ **وحرم ذلك علىٰ المؤمنين** ﴾ قال : حرم اللَّه الزنا علىٰ المؤمنين .

وقال قتادة ومقاتل بن حيان : حرم اللَّه علىٰ المؤمنين نكاح البغايا ، وتقدم في ذلك فقال : ﴿ **وحرم ذلك علىٰ المؤمنين** ﴾ وهذه الآية كقوله تعالىٰ : ﴿ **محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان** ﴾ وقوله ﴿ **محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان** ﴾ الآية ، ومن هٰهنا ذهب الإمام أحمد بن حنبل - رحمه اللَّه - إلىٰ أنه لا يصح العقد من الرجل العفيف

---

[١] - في ت : ويقول . [٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ت : « بالرجال الفجار » . [٤] - سقط من : ز .

علىٰ المرأة البغي ، ما دامت[١] كذلك حتىٰ[٢] تستتاب ، فإن تابت صح العقد عليها وإلا فلا ، وكذلك لا يصح تزويج المرأة الحرة العفيفة بالرجل الفاجر المسافح حتىٰ يتوب توبة صحيحة لقوله تعالىٰ ﴿ **وحرم ذلك علىٰ المؤمنين** ﴾ .

وقال الإمام أحمد(١١) : حَدَّثَنَا عارم ، حَدَّثَنَا معتمر بن سليمان ؛ قال : قال أبي : حَدَّثَنَا الحضرمي ، عن القاسم بن محمد ، عن عبد اللَّه بن عمرو - رضي اللَّه عنهما - أن رجلًا من المسلمين[٣] استأذن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم في امرأة يقال لها : أم مهزول ، كانت تسافح وتشترط له أن تنفق عليه ، قال : فاستأذن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم، أو ذكر له أمرها قال: فقرأ عليه رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ﴿ **الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرّم ذلك علىٰ المؤمنين** ﴾ .

وقال النسائي(١٢) : أخبرنا عمرو بن علي[٤] ، حَدَّثَنَا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن الحضرمي ، عن القاسم بن محمد ، عن عبد اللَّه بن عمرو قال : كانت امرأة يقال لها : أم مهزول ، وكانت تسافح ، فأراد رجل من أصحاب رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أن يتزوجها فأنزل اللَّه - عز وجل - ﴿ **الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرّم ذلك علىٰ المؤمنين** ﴾

قال[٥] الترمذي(١٣) : حَدَّثَنَا عبد بن حميد ، حَدَّثَنَا روح بن عبادة ، عن عبيد اللَّه بن الأخنس ، أخبرني عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال : كان رجل يقال له : مرثد ابن أبي مرثد ، وكان رجلًا يحمل الأسارى من مكة حتىٰ يأتي بهم المدينة ، قال : وكانت امرأة بغي بمكة يقال لها : عناق ، وكانت صديقة له ، وإنه واعد[٦] رجلًا من أسارى مكة يحمله ، قال : فجئت حتىٰ انتهيت إلىٰ ظل حائط من حوائط مكة في ليلة مقمرة ، قال : فجاءت عناق فأبصرت سواد ظل تحت[٧] الحائط ؛ فلما انتهت إليّ عرفتني[٨] ؛ فقالت : مرثد ؟ فقلت : مرثد ؛ فقالت : مرحبًا وأهلًا ، هلم فبت عندنا الليلة . قال : فقلت[٩] يا عناق ؛ حرم اللَّه الزنا ، فقالت[١٠] : يا أهل الخيام هذا الرجل يحمل أسراكم . قال : فتبعني

(١١) - المسند (١٥٩/٢) .

(١٢) - النسائي في الكبرى حديث (١١٣٥٩) .

(١٣) - رواه الترمذي حديث (٣١٧٧) في تفسير القرآن ، تفسير سورة النور .

[١] - في ز : « دامها » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ت : « المؤمنين » .
[٤] - في ت : « عدي » .
[٥] - في ز : « وقال » .
[٦] - في ز : « وعد » .
[٧] - سقط من : خ ، ز .
[٨] - في ز : « عرفت » .
[٩] - في ز : « قلت » .
[١٠] - في ز : « قالت » .

ثمانية وسلكت[١] الخندمة[٢] فانتهيت إلىٰ غار أو كهف فدخلت فيه فجاءوا حتىٰ قاموا علىٰ رأسي فبالوا ، فظل بولهم علىٰ رأسي ، فأعماهم[٣] اللَّه عني ، قال : ثم رجعوا ، ورجعت[٤] إلىٰ صاحبي فحملته ، وكان رجلًا ثقيلًا حتىٰ انتهيت إلىٰ الإِذخر[٥] ، ففككت عنه أكبله[٦]، فجعلت أحمله ويعينني حتىٰ أتيت به المدينة ، فأتيت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ؛ فقلت : يا رسول الله ! أنكح عناقًا ، أنكح عناقًا - مرتين - فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليّ شيئًا حتىٰ نزلت ﴿ **الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك علىٰ المؤمنين** ﴾ [فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **يا مرثد ! الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك**][٧] **فلا تنكحها** » .

ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

وقد[٨] رواه أبو داود والنسائي في كتاب النكاح من سننيهما(١٤) من حديث عبيد اللَّه بن الأخنس به .

وقال ابن أبي حاتم : حَدَّثَنَا أبي ، حَدَّثَنَا مسدد أبو الحسن ، حَدَّثَنَا عبد الوارث ، عن حبيب المعلم ، حدثني عمرو بن شعيب ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لا ينكح الزاني المجلود إلا مثله** » .

وهكذا أخرجه أبو داود(١٥) في سننه عن مسدد ، وأبي معمر [ ][٩] - عبد اللَّه بن عمرو - كلاهما عن عبد الوارث به .

وقال الإِمام أحمد(١٦) : حَدَّثَنَا يعقوب ، حَدَّثَنَا عاصم بن محمد بن زيد بن عبد اللَّه بن

(١٤) - رواه أبو داود حديث (٢٠٥١) في باب : قوله تعالى : ﴿ الزاني لا ينكح إلا زانية ﴾ والنسائي حديث ٣٢٢٨ في باب : تزويج الزانية .
(١٥) - رواه أبو داود حديث (٢٠٥٢) في باب : قوله تعالى : ﴿ الزاني لا ينكح إلا زانية ﴾
(١٦) - رواه أحمد (١٣٤/٢) .

[١] - في ت : « ودخلت » .
[٢] - الخندمة : اسم جبل في مكة .
[٣] - في خ : « ونحاهم » .
[٤] - في ت : « فرجعت » .
[٥] - الإذخر : موضع خارج مكة ينبت فيه الإذخر.
[٦] - أكبله : جمع - قلة - كبل ، وهو القيد الضخم .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٨] - سقط من : ز .
[٩] - في خ ، ز : « عن » .

عمر بن الخطاب ، عن أخيه عمر بن محمد ، عن عبد اللَّه بن يسار - مولىٰ ابن عمر - قال : أشهد لسمعت سالمًا يقول : قال عبد اللَّه : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **ثلاثة لا يدخلون الجنة ولا ينظر اللَّه إليهم يوم القيامة : العاق لوالديه ، والمرأة المترجلة المتشبهة بالرجال ، والديوث . وثلاثة لا ينظر اللَّه إليهم يوم القيامة : العاق لوالديه ، ومدمن الخمر ، والمنان بما أعطىٰ** » .

ورواه النسائي(١٧) عن عمرو بن علي الفلاس ، عن يزيد بن زريع ، عن عمر بن محمد العمري ، عن عبد اللَّه بن يسار به .

وقال الإِمام أحمد أيضًا(١٨) : حَدَّثَنَا يعقوب ، حَدَّثَنَا أبي ، حَدَّثَنَا الوليد بن كثير ، عن قطن بن وهب ، عن عويمر بن الأجدع ، عمن حدثه ، عن سالم بن عبد اللَّه بن عمر قال : حدثني عبد اللَّه بن عمر: أن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم قال : « **ثلاثة حرم اللَّه عليهم الجنة : مدمن الخمر ، والعاق [ ][١] ، والديوث الذي يقر في أهله الخبث** » .

وقال أبو داود الطيالسي في مسنده(١٩) : حدثني شعبة ، حدثني رجل من آل سهل بن حنيف ، عن محمد بن عمار ، عن عمار بن ياسر قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لا يدخل الجنة ديوث** » يستشهد به لما قبله من الأحاديث .

وقال ابن ماجة(٢٠) : حَدَّثَنَا هشام بن عمار ، حَدَّثَنَا سلَّام بن سوار ، حَدَّثَنَا كثير بن سليم ، عن الضحاك بن مزاحم ، سمعت أنس بن مالك يقول : سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول[٢] : « **من أراد أن يلقىٰ اللَّه طاهرًا مطهرًا فليتزوج الحرائر** » في إِسناده ضعف .

قال[٣] الإِمام أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري في كتاب[٤] « الصحاح في اللغة » : الديوث : القُنْذُع وهو الذي لا غيرة له .

---

(١٧) - رواه النسائي حديث ٢٥٦٢ في الزكاة ، باب : المنان بما أعطى .

(١٨) - رواه أحمد (٦٩/٢) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٧/٨) وقال : فيه راوٍ لم يسم .

(١٩) - مسند الطيالسي رقم ٦٤٢ .

(٢٠) - رواه ابن ماجة حديث (١٨٦٢) في النكاح ، باب : تزويج الحرائر ، وهذا إسنادٌ ضعيف ، سلام بن سوار ضعيف ، وكثير بن سليم ضعيف ، والضحاك : صدوق كثير الإرسال ، وهشام بن عمار : صدوق كبر فصار يتلقن ، فحديثه في القديم أصح .

---

[١] - في ت : لوالديه .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ت : وقال .

[٤] - في ت : « كتابه » .

فأما الحديث الذي رواه الإمام أبو عبد الرحمن النسائي(٢١) في كتاب النكاح من سننه: أخبرنا محمد بن إسماعيل بن علية، عن يزيد بن هارون، عن حماد بن سلمة، وغيره، عن هارون بن رئاب، عن عبد الله بن عبيد بن عمير - وعبد الكريم، عن عبد الله بن عبيد بن عمير، عن ابن عباس - عبد الكريم رفعه إلىٰ[١] ابن عباس، وهارون لم يرفعه - قالا: جاء رجل إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال[٢]: إن عندي امرأة [ ][٣] من أحب الناس إليّ وهي لا تمنع يد. لامس قال: « **طلقها** ». قال: لا صبر لي عنها، قال: « **استمتع بها** ».

ثم قال النسائي: هذا الحديث غير ثابت، وعبد الكريم ليس بالقوي، وهارون أثبت منه وقد أرسل الحديث وهو ثقة، وحديثه أولىٰ بالصواب من حديث عبد الكريم.

قلت: وهو ابن أبي المخارق البصري المؤدب، تابعي ضعيف الحديث، وقد خالفه هارون ابن رئاب وهو تابعي ثقة من رجال مسلم، فحديثه المرسل أولىٰ، كما قال النسائي، لكن قد رواه النسائي(٢٢) في كتاب الطلاق عن إسحاق بن راهويه، عن النضر بن شميل، عن حماد بن سلمة، عن هارون بن رئاب، عن عبد الله بن عبيد بن عمير، عن ابن عباس مسندًا، فذكره. [فهذا][٤] بهذا الإسناد رجاله[٥] علىٰ شرط مسلم؛ إلا أن النسائي بعد روايته له قال: « وهذا خطأ والصواب مرسل. ورواه غير النضر علىٰ الصواب ».

وقد رواه النسائي (٢٣) أيضًا وأبو داود عن الحسين بن حريث، أخبرنا الفضل بن موسىٰ، أخبرنا الحسين بن واقد، عن عمارة بن أبي حفصة عن عكرمة، عن ابن عباس، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم فذكره. وهذا إسناد[٦] جيد.

وقد اختلف الناس في هذا الحديث ما بين مضعف له كما تقدم عن النسائي، ومنكر[٧] كما قال الإمام[٨] أحمد: هو حديث منكر، وقال ابن قتيبة: إنما أراد أنها سخية لا تمنع

(٢١) - رواه النسائي حديث (٣٢٢٩) في النكاح، باب: تزويج الزانية.
(٢٢) - رواه النسائي حديث (٣٤٦٥) في الطلاق، باب: ما جاء في الخلع.
(٢٣) - رواه النسائي حديث (٣٤٦٤) في الطلاق، باب: ما جاء في الخلع. أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّ امْرَأَتِي لَا تَمْنَعُ يَدَ لَامِسٍ فَقَالَ: « غَرِّبْهَا إِنْ شِئْتَ » قَالَ: إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَتْبَعَهَا نَفْسِي قَالَ: « اسْتَمْتِعْ بِهَا ».

[١] - سقط من: خ.
[٢] - في ز: « قال ».
[٣] - ما بين المعكوفتين في ت: وهي.
[٤] - سقط من خ.
[٥] - في خ: « فرجاله ».
[٦] - في خ: « الإسناد ».
[٧] - سقط من: خ، ز.
[٨] - سقط من: ز.

سائلًا ، وحكاه النسائي في سننه عن بعضهم فقال : وقيل : سخية تعطى ، وردّ هذا بأنه لو كان المراد لقال[١] : لا تردّ يد ملتمس ، وقيل : المراد إن سجيتها لا ترد يد لامس ، [لا أن][٢] المراد أن هذا واقع منها وأنها تفعل الفاحشة فإن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم لا يأذن في مصاحبة من هذه صفتها ؛ فإن زوجها والحالة هذه يكون ديوثًا ، وقد تقدم الوعيد علىٰ ذلك ، ولكن لما كانت سجيتها هكذا ليس فيها ممانعة ولا مخالفة لمن أرادها لو خلا بها أحد، أمره[٣] رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بفراقها ، فلما ذكر أنه يحبها أباح له البقاء معها ، لأن محبته لها محققة ووقوع[٤] الفاحشة منها متوهم[٥] ، فلا يصار إلىٰ الضرر العاجل ، لتوهم الآجل ، واللّٰه سبحانه وتعالىٰ أعلم .

قالوا : فأما إذا حصلت توبة فإنه يحل التزويج، كما قال الإمام أبو محمد بن أبي حاتم - رحمه اللّٰه - : حَدَّثَنَا أبو سعيد الأشج ، حَدَّثَنَا أبو خالد ، عن ابن أبي ذئب قال : سمعت شعبة[٦] - مولىٰ ابن عباس - رضي اللّٰه عنه - قال : سمعت ابن عباس وسأله رجل فقال[٧] له : إني كنت ألم بامرأة آتي منها ما حرم اللّٰه - عز وجل - علي ، فرزق اللّٰه - عز وجل - من ذلك توبة ، فأردت أن أتزوجها ، فقال أناس : إن الزاني لا ينكح إلا زانية [ ][٨] . فقال ابن عباس : ليس هذا في هذا ، انكحها فما كان من إثم فعليَّ .

وقد ادعىٰ طائفة آخرون من العلماء أن هذه الآية منسوخة .

قال ابن أبي حاتم : حَدَّثَنَا أبو سعيد الأشج ، حَدَّثَنَا أبو خالد ، عن يحيىٰ بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب قال : ذكر عنده : ﴿ **الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك** ﴾ قال : كان يقال : نسختها التي بعدها ﴿ **وأنكحوا الأيامىٰ منكم** ﴾ قال : كان يقال : الأيامي من المسلمين .

و[٩]هكذا رواه الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب « الناسخ والمنسوخ » له ، عن سعيد بن المسيب(٢٤) .

ونص علىٰ ذلك أيضا الإمام أبو عبد اللّٰه محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله .

(٢٤) - الناسخ والمنسوخ ص (١٠٠) ، أثر (١٧١) وروى نحوه الشافعي في الأم (١٢/٥، ١٤٨) والبيهقي في الكبرى (١٥٤/٧) .

[١] - في ز : « فقال » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « لأن » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في خ : « ووقع » .
[٥] - في ز : « متوهمة » .
[٦] - سقط من : خ ، ز .
[٧] - في ز : « قال » .
[٨] - ما بين المعكوفتين في ت : أو مشركة .
[٩] - سقط من : ز .

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾

هذه الآية الكريمة فيها بيان حكم جلد القاذف للمحصنة ، وهي الحرة البالغة العفيفة ، فإذا كان المقذوف رجلًا فكذلك يجلد قاذفه أيضًا ، وليس في هذا نزاع بين العلماء ، فأما إن أقام القاذف بينة على صحة ما قاله رُدَّ[١] عنه الحد ؛ ولهذا قال تعالى ﴿ **ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدًا وأولئك هم الفاسقون** ﴾ فأوجب على القاذف إذا لم يقم بينة[٢] على صحة ما قاله[٣] ثلاثة أحكام : (أحدها) أن يجلد ثمانين جلدة ، (الثاني) أنه تردّ شهادته دائمًا[٤] ، (الثالث) أن يكون فاسقًا ليس بعدل ، لا عند اللَّه ولا عند الناس ، ثم قال تعالى : ﴿ **إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا [فإن اللَّه غفور رحيم][٥]** ﴾ . واختلف[٦] العلماء في هذا الاستثناء ، هل يعود إلى الجملة الأخيرة فقط ؛ فترفع التوبةُ الفسقَ فقط ، ويبقى مردود الشهادة دائمًا وإن تاب ، أو يعود إلى الجملتين الثانية والثالثة ؟ وأما[٧] الجلد : فقد ذهب وانقضى ، سواء تاب أو أصر ، ولا حكم له بعد ذلك بلا خلاف ، فذهب الإمام مالك والشافعي وأحمد بن حنبل إلى أنه إذا تاب قبلت شهادته ، وارتفع عنه حكم الفسق ، ونص عليه سعيد بن المسيب سيد التابعين ، وجماعة من السلف أيضًا ، وقال الإمام أبو حنيفة : إنما يعود الاستثناء إلى الجملة الأخيرة فقط ، فيرتفع الفسق بالتوبة ويبقى مردود الشهادة أبدًا ، وممن ذهب إليه من السلف : القاضي شريح وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبير ومكحول وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر . وقال الشعبي والضحاك : لا تقبل [شهادته وإن تاب إلا أن يعترف على نفسه بأنه[٨] قد قال البهتان ، فحينئذ تقبل][٩] شهادته واللَّه أعلم .

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ

[١] - في خ : « درأ » .
[٢] - في خ : « البينة » .
[٣] - في خ : « قال » .
[٤] - في ت : « أبدًا » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ت : « الآية » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - في ت : « أنه » .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

﴿ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾

هذه الآية الكريمة فيها فرج للأزواج ، وزيادة مخرج إذا قذف أحدهم زوجته وتعسر عليه إقامة البينة أن يلاعنها كما أمر اللَّه - عز وجل - وهو أن يحضرها إلىٰ الإمام فيدعي عليها بما رماها به ، فيحلفه الحاكم أربع شهادات باللَّه في مقابلة أربعة شهداء ، إنه لمن الصادقين ، أي : فيما رماها به من الزنا ﴿ **والخامسة أن لعنة اللَّه عليه إن كان من الكاذبين** ﴾ فإذا قال ذلك بانت منه بنفس هذا اللعان عند الشافعي[١] وطائفة كثيرة من العلماء ، وحرمت عليه أبدًا ، ويعطيها مهرها ويتوجه عليها حد الزنا ، ولا يدرأ عنها العذاب[٢] إلا أن تلاعن فتشهد أربع شهادات باللَّه إنه لمن الكاذبين ، أي : فيما رماها به ﴿ **والخامسة أن غضب اللَّه عليها إن كان من الصادقين** ﴾ ولهذا قال ﴿ **ويدرأ عنها العذاب** ﴾ يعني : الحد ﴿ **أن تشهد أربع شهادات باللَّه إنه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب اللَّه عليها إن كان من الصادقين** ﴾ فخصها بالغضب [كما] أن الغالب أن الرجل لا يتجشم[٣] فضيحة أهله ورميها بالزنا ، إلا وهو صادق معذور ، وهي تعلم صدقه فيما رماها به ، ولهذا كانت الخامسة في حقها أن غضب اللَّه عليها ، والمغضوب عليه هو الذي يعلم الحق ثم يحيد عنه .

ثم ذكر تعالىٰ [لطفه بخلقه ورأفته بهم وشرعه لهم] الفرج والمخرج من شدة ما يكون بهم من الضيق ، فقال تعالىٰ : ﴿ **ولولا فضل اللَّه عليكم ورحمته** ﴾ أي : لحرجتم[٤] ولشق عليكم كثير من أموركم ﴿ **وأن اللَّه تواب** ﴾ [ ][٥] : علىٰ عباده ، وإن كان [ ][٦] بعد الحلف والأيمان المغلظة ﴿ **حكيم** ﴾ فيما يشرعه ، ويأمر به وفيما ينهى عنه ، وقد وردت الأحاديث بمقتضىٰ العمل بهذه الآية ، وذكر سبب نزولها وفيمن نزلت فيه[٧] من الصحابة .

قال الإمام أحمد(٢٥) : حَدَّثَنَا يزيد ، أخبرنا عباد بن منصور ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : ﴿ **والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم**

(٢٥) - رواه أحمد (٢٣٨/١)

[١] - في ز : « الشافعية » .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ز : « يتحشم » .
[٤] - في ز : « لحرجتم » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ت : اي .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ت : ذلك .
[٧] - سقط من : ز .

ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدًا ﴾ قال سعد بن عبادة - وهو سيد الأنصار رضي الله عنه - : أهكذا أنزلت يا رسول الله ؟ فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **يا معشر الأنصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم ؟** » فقالوا : يا رسول الله ! لا تلمه فإنه رجل غيور والله ما تزوّج امرأة قط [إلا بكرًا ، وما طلق امرأة قط][١] فاجترأ رجل منا أن يتزوّجها من شدّة غيرته ، فقال سعد : والله يا رسول الله ؛ إني لأعلم أنها حق[٢] ، وأنها من الله ، ولكني قد تعجبت أني لو وجدت لكاعًا قد تفخذها رجل لم يكن لي أن أهيجه ولا أحرّكه ، حتىٰ آتي بأربعة شهداء فوالله [ ][٣] لا آتي بهم حتىٰ يقضي حاجته !! قال : فما لبثوا إلا يسيرًا حتىٰ جاء هلال بن أمية وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم ، فجاء من أرضه عشاءً ، فوجد عند أهله رجلًا فرأىٰ بعينيه وسمع بأذنيه فلم يهيجه حتىٰ أصبح فغدا علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ؛ إني جئت أهلي عشاءً فوجدت عندها رجلًا فرأيت بعيني وسمعت بأذني ، فكره رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ما جاء به، واشتدّ عليه ، واجتمعت [ ][٤] الأنصار ، وقالوا[٥] : قد ابتلينا بما قال سعد بن عبادة ، الآن يضرب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم هلال بن أمية ويبطل شهادته في الناس، فقال هلال: والله إني لأرجو أن يجعل الله لي منها مخرجًا. وقال هلال: يا رسول الله؛ إني[٦] قد أرىٰ ما اشتدّ عليك مما جئت به ، والله يعلم إني لصادق . فوالله إن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يريد أن يأمر بضربه إذ[٧] أنزل الله علىٰ رسوله صلىٰ الله عليه وسلم الوحي ، وكان إذا نزل[٨] عليه الوحي عرفوا ذلك في تربد[٩] وجهه ، يعني فأمسكوا عنه حتىٰ فرغ من الوحي فنزلت **﴿ والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله ﴾** الآية ، فسري عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال : « **أبشر يا هلال، فقد[١٠] جعل الله لك فرجًا ومخرجًا** » فقال هلال: قد كنت أرجو ذلك من ربي - عز وجل - فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أرسلوا إليها** » فأرسلوا إليها فجاءت ، فتلاها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عليهما ، وذكرهما[١١] وأخبرهما أن عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا ، فقال هلال : والله يا رسول الله لقد صدقت عليها فقالت : كذب . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لاعنوا بينهما** » فقيل لهلال : اشهد ،

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ت : « لحق » .
[٣] - في ت : إني .
[٤] - في ت : عليه .
[٥] - في ز : « فقال » .
[٦] - في ت : « فإني » .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - في ت : « أنزل » .
[٩] - في ز : « تزبد » .
[١٠] - في ز : « قد » .
[١١] - في ت : « فذكرهما » .

فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين ، فلما [كان في][١] الخامسة قيل له : يا هلال ؛ اتق الله ، فإن عذاب الدنيا أهون من الآخرة وإن هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب ، فقال : والله لا يعذبني الله عليها ، كما لم يجلدني عليها ، فشهد في الخامسة : أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ، ثم قيل [للمرأة : اشهدي أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين ، وقيل لها عند الخامسة][٢] : اتقي الله ، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة ، وإن هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب ، فتلكأت ساعة ، ثم قالت : والله لا أفضح قومي ، فشهدت في الخامسة : أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ، ففرق رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بينهما ، وقضىٰ أن لا يدعىٰ ولدها لأب ولا يرمى ولدها ، ومن رماها أو رمىٰ ولدها فعليه الحد ، وقضىٰ [أن لا بيت لها عليه][٣] ، ولا قوت لها ، من أجل أنهما يتفرقان[٤] من غير طلاق ولا متوفىٰ عنها ، وقال : « **إن جاءت به أصيهب [أريسح حمش][٥] الساقين(*) فهو لهلال ، وإن جاءت به أورق جعدًا جماليًا خدلج الساقين سابغ الأليتين فهو الذي رميت به** » .

فجاءت به أورق جعدًا جماليًا خدلج الساقين سابغ الأليتين فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لولا الأيمان لكان لي ولها شأن** » .

قال عكرمة : فكان بعد ذلك أميرًا علىٰ مصر وكان يدعىٰ لأمه ولا يدعي لأب .

ورواه أبو داود (٢٦) عن الحسن بن علي ، عن يزيد بن هارون به نحوه مختصرًا .

ولهذا الحديث شواهد كثيرة في الصحاح وغيرها من وجوه كثيرة ، فمنها ما

قال البخاري(٢٧) : حدثني محمد بن بشار ، حَدَّثَنا ابن أبي عدي ، عن هشام بن

(*) أما الجعد فبفتح الجيم وإسكان العين ، قال الهروي : الجعد في صفات الرجال يكون مدحا ويكون ذمًا ، فإذا كان مدحًا فله معنيان : أحدهما أن يكون معصوب الحلق شديد الأسرة ، والثاني أن يكون شعره غير سبط لأن السبوطة أكثرها في شعور العجم . وأما الجعد المذموم فله معنيان : أحدهما القصير المتردد ، والآخر البخيل يقال : جعد الأصابع وجعد اليدين أي بخيل .

وأما حَمْشُ الساقين أي رقيقهما ، والحموشة الدقة .

(٢٦) - رواه أبو داود حديث (٢٢٥٦) في كتاب الطلاق في اللعان .

(٢٧) - رواه البخاري حديث (٤٧٤٧) في كتاب التفسير ، ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهاداتٍ .. وأطرافه عنده حديث (٢٦٧١) في الشهادات ، و(٥٣٠٧) في الطلاق .

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « كانت » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٤] - في ت : « يفترقان » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « أريشح خمس» .

حسان، حدثني عكرمة، عن ابن عباس: أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي صلىٰ الله عليه وسلم بشريك بن سحماء فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: « **البينة أو حد في ظهرك** » فقال: يا رسول الله! إذا رأىٰ أحدنا علىٰ[١] امرأته رجلًا ينطلق يلتمس البينة؟ فجعل[٢] النبي صلىٰ الله عليه وسلم يقول[٣]: « **البينة وإلا حد في ظهرك** » فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد، فنزل جبريل وأنزل عليه ﴿ **والذين يرمون أزواجهم** ﴾ - فقرأ حتىٰ بلغ - ﴿ **إن كان من الصادقين** ﴾ فانصرف النبي صلىٰ الله تعالىٰ عليه وآله وسلم، فأرسل إليهما فجاء هلال فشهد، والنبي صلىٰ الله عليه وسلم يقول: « **إن[٤] الله يعلم[٥] أن أحدكما كاذب، فهل منكما تائب؟** » ثم قامت فشهدت، فلما كان عند[٦] الخامسة وقفوها وقالوا: [إنها موجبة][٧]. قال ابن عباس: فتلكأت ونكصت حتىٰ ظننا أنها ترجع، ثم قالت: لا أفضح قومي سائر اليوم، فمضت، فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: « **أبصروها فإن جاءت به أكحل العينين سابغ الأليتين، خدلَّج الساقين فهو لشريك بن سحماء** » فجاءت به كذلك. فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: « **لولا[٨] ما مضىٰ من كتاب الله لكان لي ولها شأن** ».

انفرد به البخاري من هذا الوجه، وقد رواه من غير وجه عن ابن عباس وغيره.

وقال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا أحمد بن منصور الزيادي، حَدَّثَنَا يونس بن محمد، حَدَّثَنَا صالح - وهو ابن عمر - حَدَّثَنَا عاصم - يعني ابن كليب - عن أبيه، حدثني ابن عباس قال: جاء رجل إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فرمىٰ امرأته برجل، فكره ذلك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فلم يزل يردده حتىٰ أنزل الله تعالىٰ: ﴿ **والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء** ﴾ فقرأ حتىٰ فرغ من الآيتين، فأرسل إليهما فدعاهما، فقال: « **إن الله تعالىٰ قد أنزل فيكما** » فدعا الرجل فقرأ عليه فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين، ثم أمر به فأمسك علىٰ فيه فوعظه، فقال له: كل شيء أهون عليك من لعنة الله، ثم أرسله، فقال: لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، ثم [دعا بها][٩] فقرأ عليها فشهدت أربع شهادات بالله إنه لمن[١٠] الكاذبين، ثم أمر بها فأمسك علىٰ فيها فوعظها وقال: ويحك! كل شيء أهون من غضب الله، ثم أرسلها فقالت: غضب الله عليها إن كان من الصادقين. فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: « **أما والله لأقضين بينكما قضاءً**

---

[١] - في خ، ز: « مع ».
[٢] - سقط من: ز.
[٣] - سقط من: خ، ز.
[٤] - سقط من: خ، ز
[٥] - في خ، ز: « يشهد ».
[٦] - في ت: « في ».
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز: « بها موجب ».
[٨] - في ز: « لو ما ».
[٩] - في ت: « دعاها ».
[١٠] - في ت: « من ».

فصلًا »

قال: فولدت فما رأيت مولودًا بالمدينة أكثر[١] غاشية(*) منه، فقال: « **إن جاءت به لكذا وكذا فهو كذا، وإن جاءت به لكذا وكذا فهو لكذا** » فجاءت به يشبه الذي قُذفت به.

وقال الإمام أحمد(٢٨): حَدَّثَنَا يحيىٰ بن سعيد، حَدَّثَنَا عبد الملك بن أبي سليمان، قال: سمعت سعيد بن جبير قال: سئلت عن المتلاعنين أيفرق بينهما؟ - في إمارة ابن الزبير - فما دريت ما أقول، فقمت من مكاني إلىٰ منزل ابن عمر، فقلت: يا[٢] أبا عبد الرحمن؛ المتلاعنان أيفرق بينهما؟ فقال: سبحان اللَّه، إن أول من سأل عن ذلك فلان بن فلان، فقال: يا رسول اللَّه! أرأيت الرجل يرىٰ امرأته علىٰ فاحشة فإن تكلم تكلم بأمر عظيم، وإن سكت سكت علىٰ[٣] مثل ذلك؟ فسكت فلم يجبه، فلما كان بعد ذلك، أتاه فقال الذي سألتك عنه قد ابتليت به؟ فأنزل اللَّه تعالىٰ هذه الآيات في سورة النور ﴿ **والذين يرمون أزواجهم** ﴾ حتىٰ بلغ ﴿ **أن غضب اللَّه عليها إن كان من الصادقين** ﴾ فبدأ بالرجل فوعظه، وذكره وأخبره أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة؛ فقال: والذي بعثك بالحق ما كذبتك، ثم ثنىٰ بالمرأة فوعظها وذكرها، وأخبرها أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فقالت المرأة[٤]: والذي بعثك بالحق إنه لكاذب. قال: فبدأ بالرجل فشهد أربع شهادات باللَّه إنه لمن الصادقين، والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، ثم ثنى بالمرأة، فشهدت أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين، والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين. ثم فرق بينهما

رواه النسائي(٢٩) في التفسير من حديث عبد الملك بن أبي سليمان به

وأخرجاه في الصحيحين(٣٠) من حديث سعيد بن جبير عن [ابن عباس].

وقال الإِمام أحمد(٣١): حَدَّثَنَا يحيىٰ بن حماد، حَدَّثَنَا أبو عوانة، عن الأعمش، عن

(*) الغاشية هٰهنا: الناس الذين ذهبوا ليروا المولود.

(٢٨) - الحديث في المسند (١٩/٢)

(٢٩) - النسائي في الكبرى رقم (١١٣٥٧).

(٣٠) - البخاري (٥٣١٢) في الطلاق، باب: إن أحدكما كاذب، ومسلم (١٤٩٣) في كتاب اللعان كلاهما من حديث سعيد بن جبير، عن ابن عمر.

(٣١) - المسند (٤٢١/١)، ومسلم حديث (١٤٩٥) في كتاب: اللعان.

[١] - سقط من: خ، ز.

[٢] - سقط من: خ، ز.

[٣] - في ز: « عن ».

[٤] - سقط من: خ، ز.

إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد اللّٰه قال : كنا جلوسًا عشية الجمعة في المسجد ، فقال رجل من الأنصار : أحدنا إذا رأىٰ مع امرأته رجلًا [فقتله][١] قتلتموه ، وإن تكلم جلدتموه ، وإن سكت سكت علىٰ غيظ ؟!. واللّٰه لإن أصبحت صالحًا[٢] لأسألن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم. قال : فسأله ، فقال : يا رسول اللّٰه ! إن أحدنا إذا رأىٰ مع امرأته رجلًا [فقتله][٣] قتلتموه ، وإن تكلم جلدتموه ، وإن سكت سكت علىٰ غيظ ، اللهم احكم ، قال : فأنزلت[٤] آية اللعان ، فكان ذلك الرجل أول من[٥] ابتلي به .

انفرد بإخراجه مسلم ، فرواه من طرق عن سليمان بن مهران الأعمش به .

وقال الإمام أحمد أيضًا(٣٢) : حَدَّثَنَا أبو كامل ، حَدَّثَنَا إبراهيم بن سعد ، حَدَّثَنَا ابن شهاب ، عن سهل بن سعد قال : جاء عويمر إلىٰ عاصم بن عدي ، فقال له[٦] : سل رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : أرأيت رجلًا وجد رجلًا مع امرأته ، فقتله أيقتل به ، أم كيف يصنع ؟ فسأل عاصم رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فعاب رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم المسائل ، قال : فلقيه عويمر فقال : ما صنعت ؟ قال : ما صنعت ! إنك لم تأتني بخير ، سألت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فعاب المسائل ، فقال عويمر : واللّٰه[٧] لآتين رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فلأسألنه . فأتاه فوجده قد أنزل عليه فيها . قال : فدعا بهما ولاعن[٨] بينهما . قال عويمر : إن انطلقت بها يا رسول اللّٰه لقد كذبت عليها . قال : ففارقها قبل أن يأمره رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فصارت سنة المتلاعنين . وقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم « **أبصروها ؛ فإن جاءت به أسحم أدعج العينين عظيم الأليتين ، فلا أراه إلا قد صدق ، وإن جاءت به أحيمر كأنه وحرة[٩] فلا أراه إلا كاذبًا** » فجاءت به علىٰ النعت المكروه .

أخرجاه في الصحيحين(٣٣) وبقية الجماعة إلا الترمذي . من طرق عن الزهري به

---

(٣٢) - المسند (٥/٣٣٤) (٢٢٩٣٧) .

(٣٣) - البخاري حديث (٤٧٤٥) في التفسير ، باب : قوله تعالىٰ ﴿ والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم ... ﴾ ، ومسلم رقم (١٤٩٢) في اللعان ، وأبو داود حديث (٢٢٤٥) في كتاب الطلاق ، باب : في اللعان ، والنسائي (٦/١٤٣ رقم ٣٤٠٢) كتاب الطلاق ، باب : الرخصة في ذلك =

---

[١] - في خ : « فقتلته » ، وفي ت : « إن قتله » . [٢] - في خ : « صحيحًا » .
[٣] - في خ : « فقتلته » ، وفي ز : « إن قتله » . [٤] - في خ : « فنزلت » .
[٥] - في ز : « ما » . [٦] - سقط من : خ .
[٧] - سقط من : خ ، ز . [٨] - في خ : « ولاعن » .
[٩] - في ز : « وجرة » .

[ورواه البخاري(٣٤) أيضًا من طرق عن الزهري به، فقال: حَدَّثَنَا سليمان بن داود أبو الربيع، حَدَّثَنَا فليح، عن الزهري، عن سهل بن سعد، أن رجلًا أتىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! أرأيت رجلًا رأىٰ مع امرأته رجلًا أيقتله فتقتلونه، أم كيف يفعل؟ فأنزل الله تعالىٰ فيهما ماذكر في القرآن من التلاعن، فقال له رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم «**قد قضي فيك وفي امرأتك**» قال: فتلاعنا وأنا شاهد عند رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ففارقها، فكانت سنة أن يفرق بين المتلاعنين. وكانت حاملًا فأنكر حملها وكان ابنها يدعىٰ إليها. ثم جرت السنة في الميراث أن يرثها وترث منه ما فرض الله لها][١].

وقال الحافظ أبو بكر البزار(٣٥) : حَدَّثَنَا إسحاق بن الضيف، حَدَّثَنَا النضر بن شميل، حَدَّثَنَا يونس بن أبي إسحاق، عن أبيه، عن زيد بن يثيع، عن حذيفة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لأبي بكر: «**لو رأيت مع أم رومان رجلًا ما كنت فاعلا به؟**» قال: كنت والله فاعلًا به شرًّا، قال: «**فأنت يا عمر؟**» قال: كنت والله فاعلًا، كنت أقول: لعن الله الأعجز فإنه[٢] خبيث. قال: فنزلت ﴿ **والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم** ﴾ ثم قال: لا نعلم أحدًا أسنده إلا النضر بن شميل، عن يونس بن أبي إسحاق، ثم رواه من حديث الثوري عن أبي إسحاق عن زيد بن يثيع مرسلًا، فالله أعلم.

وقال الحافظ أبو يعلى(٣٦) : حَدَّثَنَا مسلم بن أبي مسلم الجرمي، حَدَّثَنَا مخلد بن الحسين، عن هشام، عن ابن سيرين، عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: لأول لعان كان في الإسلام: أن شريك بن سحماء قذفه هلال بن أمية بامرأته، فرفعته[٣] إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «**أربعة شهود وإلا فحد في ظهرك**» فقال: يا رسول الله؛ إن الله يعلم إني لصادق ولينزلن الله عليك ما يبرئ به ظهري من الجلد. فأنزل الله آية اللعان ﴿ **والذين يرمون أزواجهم [ولم يكن لهم شهداء إلا**

= وابن ماجه حديث (٢٠٦٦) في الطلاق، باب: اللعان.

(٣٤) - رواه البخاري حديث (٤٧٤٦) في التفسير، تفسير قوله تعالى: ﴿ والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ﴾.

(٣٥) «كشف الأستار» (٢٢٣٧)، وقال الهيثمي في المجمع (٧/٧٤): «رجاله ثقات».

(٣٦) مسند أبي يعلى (٥/٢٠٧)، ورواه مسلم حديث (١٤٩٦) من طريق هشام عن محمد، به.

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز. [٢] - في ز: «وإنه».

[٣] - في خ: «فرفعه».

أنفسهم][١] ﴾ إلىٰ آخر الآية ، قال : فدعاه النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ؛ فقال : « **اشهد باللّٰه إنك لمن الصادقين فيما رميتها به من الزنا** » فشهد بذلك أربع شهادات ، ثم قال له في الخامسة : « **ولعنة اللّٰه عليك إن كنت من الكاذبين فيما رميتها به من الزنا** » ، ففعل ثم دعاها[٢] رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقال : « **قومي فاشهدي باللّٰه إنه لمن الكاذبين فيما رماك به من الزنا** » فشهدت بذلك أربع شهادات ، ثم قال لها في الخامسة : « **وغضب اللّٰه عليك إن كان من الصادقين فيما رماك به من الزنا** » قال[٣] : فلما [كان في][٤] الرابعة أو الخامسة سكتت سكتة حتىٰ ظنوا أنها ستعترف ، ثم قالت : لا أفضح قومي سائر اليوم ، فمضت علىٰ القول ، ففرق رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بينهما وقال : « **انظروه ، فإن جاءت به جعدًا حمش الساقين فهو لشريك بن سحماء ، وإن جاءت به أبيض سبطًا** [ ][٥] **قضيء**(*) **العينين فهو لهلال بن أمية** » فجاءت به آدم[٦] جعدًا حمش[٧] الساقين ، فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **لولا ما نزل فيهما من كتاب اللّٰه لكان لي ولها شأن** » .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١﴾ ﴾

هذه العشر الآيات كلها نزلت في شأن عائشة أم المؤمنين - رضي اللّٰه عنها - حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحت ، والفرية التي غار اللّٰه - عز وجل - لها ولنبيه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فأنزل اللّٰه تعالىٰ براءتها صيانة لعرض رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : فقال تعالىٰ ﴿ **إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم** ﴾ أي : جماعة منكم - يعني : ما هو واحد ولا اثنان بل جماعة ، فكان المقدم في هذه اللعنة : عبد اللّٰه بن أبيّ ابن سلول رأس المنافقين ، فإنه كان يجمعه ويستوشيه ، حتىٰ دخل ذلك في أذهان بعض المسلمين ، فتكلموا به وجوزه آخرون منهم ، وبقي الأمر كذلك قريبًا من شهر حتىٰ نزل القرآن ، وسياق[٨] ذلك في الأحاديث الصحيحة .

وقال الإمام أحمد(٣٧) : حَدَّثَنَا عبد الرزاق ، حَدَّثَنَا معمر ، عن الزهري قال : أخبرني سعيد

(*) أي فاسد العين . وهو من قَضِئَ الثوبُ يقضأ فهو قضئ : إذا تقزّر وتشقق . النهاية (٤/٧٦) .
(٣٧) - المسند (٦/١٩٤ - ١٩٧) (٢٥٧٣١) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين من : ز .
[٢] - في خ ، ز : « رماها » .
[٣] - في ز : « فقالت » .
[٤] - في خ : « كانت » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « قصير » .
[٦] - سقط من : ت .
[٧] - في ز : « خمش » .
[٨] - في ت : « بيان » .

ابن المسيب، وعروة بن الزبير، وعلقمة بن وقاص، وعبيد اللَّه بن عبد اللَّه بن عتبة بن مسعود، عن حديث عائشة زوج النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم، حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فبرأها اللَّه تعالىٰ، وكلهم قد حدثني بطائفة من حديثها، وبعضهم كان أوعىٰ لحديثها من بعض، وأثبت له اقتصاصًا، وقد[١] وعيت عن كل [واحد منهم][٢] الحديث الذي حدثني، [وبعض حديثهم][٣] يصدق بعضًا: ذكروا أن عائشة -رضي اللَّه عنها- زوج النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قالت: كان رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم إذا أراد أن يخرج لسفر أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم معه. قالت عائشة -رضي اللَّه عنها-: فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي، وخرجت مع رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم، وذلك بعد ما أنزل الحجاب، فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه، فسرنا حتىٰ إذا فرغ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم من [غزوه][٤]، وقفل ودنونا من المدينة، آذن ليلة بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرحيل، فمشيت حتىٰ جاوزت الجيش فلما قضيت شأني، أقبلت إلىٰ الرحل[٥]، فلمست صدري، فإذا عقد[٦] من جزع ظفار قد انقطع، فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فحملوا[٧] هودجي، فرحلوه علىٰ بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أني فيه. قالت: وكان النساء إذ ذاك خفافًا لم يهبلن[٨] ولم يغشهن اللحم؛ إنما يأكلن العلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم خفة[٩] الهودج [حين رفعوه وحملوه][١٠]، وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش، فجئت منازلهم، وليس بها[١١] داع ولا مجيب، فتيممت منزلي الذي كنت فيه، وظننت [أن القوم سيفقدونني][١٢]، فيرجعون إليّ، فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني[١٣] فنمت، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني قد عرّس من وراء الجيش، فأدلج فأصبح عند منزلي فرأىٰ سواد إنسان نائم فأتاني فعرفني حين رآني، وكان قد رآني، قبل [أن يضرب عليَّ][١٤] الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي، واللَّه ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حتىٰ[١٥] أناخ راحلته، فوطئ علىٰ يدها فركبتها، فانطلق يقود بي

[١] - سقط من: ز.
[٢] - سقط من ز، خ.
[٣] - في خ، ز: «وبعضهم».
[٤] - في خ: «غزوته تلك».
[٥] - في خ: «رحلي».
[٦] - بعده في خ: لي.
[٧] - في خ: «فاحتملوا».
[٨] - في ت: «يثقلن».
[٩] - في خ، ز: «ثقل».
[١٠] - في خ، ز: «حتى رحلوه ورفعوه».
[١١] - في خ، ز: «فيها».
[١٢] - في خ، ز: «أنهم سيفقدوني».
[١٣] - في خ: «عيناي».
[١٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: ت.
[١٥] - في خ: «حين».

الراحلة حتىٰ أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة ، فهلك من هلك في شأني ، وكان الذي تولىٰ كبره عبد اللَّه بن أبيّ ابن سلول ، فقدمت المدينة فاشتكيت حين قدمنا[١] شهرًا ، والناس يفيضون في قول أهل الإفك ، ولا أشعر بشيء من ذلك ، وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف[٢] من رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم [اللطف الذي كنت أرىٰ منه حين أشتكي ، إنما يدخل رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم][٣] فيسلم ثم يقول : « **كيف تيكم** ؟ » فذلك الذي[٤] يريبني ، ولا أشعر بالشر حتىٰ[٥] خرجت بعدما نقهت ، وخرجت معي أم مسطح قبل المناصع - وهو متبرزنا - ولا نخرج إلا ليلًا إلىٰ ليل ، وذلك قبل أن نتخذ الكنف(*) قريبًا من بيوتنا ، وأمرنا أمر العرب الأول في التنزه [في البرية][٦] ، وكنا نتأذىٰ بالكنف أن نتخذها في بيوتنا ، فانطلقت أنا وأم مسطح ، وهي بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد المطلب [بن عبد مناف][٧] ، وأمها ابنة صخر بن عامر ، خالة أبي بكر الصديق ، وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن عبد المطلب ، فأقبلت أنا وابنة أبي رهم [أم مسطح][٨] قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها(**) ، فقالت : تعس مسطح ! فقلت لها : بئسما قلت ! تسبين رجلًا شهد بدرًا ؟ قالت[٩]: أي هنتاه ألم تسمعي ما قال ؟ قلت : وماذا قال ؟ قالت : فأخبرتني بقول أهل الإفك ، فازددت مرضًا إلىٰ مرضي ، فلما رجعت إلىٰ بيتي ، فدخل[١٠] عليّ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فسلَّم[١١] ثم قال : « **كيف تيكم** ؟ » [قلت][١٢] : أتأذن لي أن آتي أبوي؟ قالت : وأنا حينئذ أريد أن أتيقن الخبر من قبلهما ، فأذن لي[١٣] رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فجئت أبوي فقلت لأمي : يا أمتاه ؛ ما[١٤] يتحدث الناس[١٥] ؟ فقالت : أي بنية هوني عليك ، فواللَّه لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها . قالت : فقلت[١٦] : سبحان اللَّه ،

(*) الكُنُف : الكنيف : الساتر ويسمى التُّرسُ (كنيفًا) لأنه يستر صاحبه ، وقيل للمرحاض : (كنيف) . المصباح المنير [٢/٥٤٢] .

(**) مِرْطها : المِرْط : كساء من صوف أَوْ خَزٍ يؤتزر به ، وتتلفع المرأة به ، والجمع (مُرُوط) . المصباح المنير [٢/٥٦٩] .

---

[١] - في خ : « قدمناها » .
[٢] - في ت : « أرى » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - سقط من : خ ، ز .
[٥] - في خ : « حين » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٩] - في خ : « فقالت » .
[١٠] - في خ : « دخل » .
[١١] - في ز : « فسلم ثم » .
[١٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « فقلت له » .
[١٣] - في ز : « يا » .
[١٤] - في ت : « ماذا » .
[١٥] - بعده في ت : به .
[١٦] - سقط من : ز .

أو قد تحدث الناس بها ؟ قالت : فبكيت تلك الليلة ، حتىٰ أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ، ثم أصبحت أبكي ، قالت[١] : فدعا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم [علي بن أبي طالب][٢] ، وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي ، يسألهما[٣] ويستشيرهما في فراق أهله ، قالت : فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود ، فقال[٤] : يا رسول اللَّه ؛ هم أهلك ، ولا نعلم إلا خيرًا . وأما علي بن أبي طالب فقال : [ ][٥] ؛ لم يضيق اللَّه عليك والنساء سواها كثير ، وإن تسأل الجارية تصدقك الخبر ، قالت : فدعا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بريرة فقال : « **أي بريرة ؛ هل رأيت من شيء يريبك من عائشة** » فقالت له[٦] بريرة : والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمرًا قط أغمصه[٧](*) عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن ، تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله . فقام رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم [من يومه][٨] فاستعذر من عبد اللَّه بن أبيّ ابن سلول . قالت : فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم وهو علىٰ المنبر : « **يا معشر المسلمين ، من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في [أهل بيتي][٩] ، فواللَّه ما علمت علىٰ أهلي إلا خيرًا ، ولقد ذكروا رجلًا ما علمت عليه إلا خيرًا ، وما كان يدخل علىٰ أهلي إلا معي** » فقام سعد بن معاذ الأنصاري - رضي اللَّه عنه - فقال : أنا أعذرك منه يا رسول اللَّه ، إن كان من الأوس ضربنا عنقه ، وإن كان من إخواننا من[١٠] الخزرج أمرتنا ففعلنا بأمرك[١١] . قالت : فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان رجلًا صالحًا ، ولكن احتملته[١٢] الحمية ، فقال لسعد بن معاذ[١٣] ! كذبت لعمر اللَّه لا تقتله ولا تقدر علىٰ قتله[١٤] ، فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ ، فقال لسعد بن عبادة : كذبت ، لعمر اللَّه لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين ، فتثاور الحيان : الأوس والخزرج حتىٰ هموا أن يقتتلوا ، ورسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم [قائم علىٰ المنبر ، فلم يزل رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم][١٥] يخفضهم حتىٰ سكتوا ، وسكت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم .

(*) أغمصَه ؛ أي : أعيبُها به وأُطْعَنُ به عليها . نهاية [٣/٣٨٦] .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « عليًا » .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - بعده في ت : أسامة .

[٥] - بعده في ت : « يارسول الله » .

[٦] - سقط من : خ ، ز .

[٧] - في ز : « أغمضه » .

[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٩] - في ت: « أهلي » .

[١٠] - سقط من : ز .

[١١] - في ز : « أمرك » .

[١٢] - في المسند : اجتهلته .

[١٣] - بعده في ت : كذبت .

[١٤] - بعده في ت : ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل .

[١٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

قالت : وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ، ولا أكتحل بنوم ، وأبواي يظنان أن البكاء فالق كبدي . قالت[١] : فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي[٢]، استأذنت عليّ امرأة من الأنصار، فأذنت لها ، فجلست تبكي معي، فبينا نحن علىٰ ذلك إذ دخل علينا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فسلم ثم[٣] جلس . قالت : ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل ، وقد لبث شهرًا لا يوحى إليه في شأني شيء ، قالت : فتشهد رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم حين جلس ثم قال : « **أما بعد ، يا عائشة ؛ فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرئك اللّٰه ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري اللّٰه ، ثم[٤] توبي إليه ، فإن العبد إذا اعترف [بذنب ثم][٥] تاب ، تاب اللّٰه عليه** » قالت : فلما قضىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتىٰ ما أحس منه قطرة ، فقلت[٦] لأبي : أجب عني رسول اللّٰه صلى الله عليه وسلم فقال : واللّٰه ما أدري ما أقول لرسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم . فقلت لأمي : أجيبي رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم . فقالت : واللّٰه ما أدري ما أقول لرسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم . قالت : فقلت - وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ[٧] كثيرًا من القرآن - : واللّٰه لقد [عرفت أنكم قد][٨] سمعتم بهذا الحديث[٩] ، حتىٰ استقر في أنفسكم وصدقتم به ، فلئن قلت لكم : إني بريئة - واللّٰه يعلم إني بريئة - لا تصدقوني ، [ولئن اعترفت بأمر - واللّٰه عز وجل يعلم أني منه بريئة - تصدقوني ، فواللّٰه ما][١٠] أجد لي ولكم مثلًا إلا كما قال أبو يوسف ﴿ **فصبر جميل واللّٰه المستعان علىٰ ما تصفون** ﴾ قالت : ثم تحولت ، فاضطجعت[١١] علىٰ فراشي ، قالت : وأنا واللّٰه حينئذ اعلم أني بريئة، وأن اللّٰه تعالىٰ مبرئي ببراءتي ، ولكن واللّٰه ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحي يتلىٰ، ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم اللّٰه فيَّ بأمر يتلىٰ، ولكن كنت أرجو أن يرىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني اللّٰه بها . قالت : فواللّٰه[١٢] ما رام رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم مجلسه ، ولا خرج من أهل البيت أحد حتىٰ أنزل اللّٰه تعالىٰ علىٰ نبيه ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي حتىٰ أنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق [في اليوم الشاتي][١٣] من ثقل القول الذي أنزل عليه . قالت : فلما سري عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وهو يضحك فكان[١٤] أول كلمة تكلم بها أن قال : « **أبشري يا**

---

[١] - سقط من : ت .

[٢] - بعده في ت : إذ .

[٣] - في ز : « و » .

[٤] - في م : « و » .

[٥] - ما بين المعكوفتين في خ : « بذنبه و » .

[٦] - في ز : « قلت » .

[٧] - في ت : « أحفظ » .

[٨] - ما بين المعكوفتين في ت : « علمت لقد » .

[٩] - سقط من : ز .

[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، وفي ز : « وإني والله لا » .

[١١] - في خ : « فاضجعت » .

[١٢] - في ز : « والله » .

[١٣] - في م : « وهو في يوم شات » .

[١٤] - في ز : « كان » .

عائشة، أما الله عز وجل فقد برأك » قالت[١] : فقالت لي أمي : قومي إليه، فقلت : والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله عز وجل هو الذي أنزل براءتي وأنزل الله - عز وجل - ﴿ إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم ﴾ [العشر الآيات كلها، فلما أنزل الله هذا في][٢] براءتي، قالت : فقال[٣] أبو بكر رضي الله عنه وكان ينفق على مسطح [بن أثاثة][٤] لقرابته منه وفقره - : والله لا أنفق عليه شيئًا أبدًا بعد الذي قال لعائشة. فأنزل الله تعالى ﴿ ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى ﴾ - إلى قوله[٥] - ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴾ فقال أبو بكر : بلى[٦] والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال : والله[٧] لا أنزعها منه أبدًا.

قالت عائشة : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم عن أمري[٨]، ما[٩] علمت أو ما[١٠] رأيت ؟ » فقالت : يا رسول الله ؛ أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت إلا خيرًا. قالت عائشة : وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فعصمها الله تعالى بالورع، وطفقت أختها حمنة بنت جحش تحارب لها فهلكت فيمن هلك. قال ابن شهاب : فهذا ما انتهى إلينا من أمر هؤلاء الرهط.

أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما(٣٨) من حديث الزهري.

وهكذا رواه ابن إسحاق عن الزهري كذلك قال : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله ابن الزبير، عن أبيه، عن عائشة -رضي الله عنها- وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري عن عمرة عن عائشة بنحو ما تقدم، والله أعلم.

ثم قال البخاري (٣٩)، وقال أبو أسامة، عن هشام بن عروة قال[١١] : أخبرني أبي عن عائشة -رضي الله عنها- قالت : لما ذكر من شأني الذي ذكر وما علمت به. قام رسول الله

(٣٨) - رواه البخاري في الشهادات (٢٦٦١)، وفي التفسير (٤٧٥٠)، ومسلم في كتاب التوبة (٢٧٧٠).
(٣٩) - صحيح البخاري، كتاب التفسير حديث (٤٧٥٧).

[١] - سقط من : ز.
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « عشر آيات فأنزل الله هذه الآيات ».
[٣] - في خ : « قال ».
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز.
[٥] - سقط من : ز.
[٦] - سقط من : ز.
[٧] - سقط من : ز.
[٨] - بعده في ت : فقال : يازينب.
[٩] - في ت : « ماذا ».
[١٠] - سقط من : ت.
[١١] - سقط من : خ.

صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فيَّ خطيبًا فتشهد فحمد اللّٰه وأثنىٰ عليه بما هو أهله . ثم قال : « **أما بعد ، أشيروا عليّ في أناس أبنوا أهلي ، وايم اللّٰه ، ما علمت علىٰ أهلي من سوء**][١] **وأبنوهم بمن ، واللّٰه ما علمت عليه من سوء قط ، ولا يدخل**[٢] **بيتي قط إلا وأنا حاضر ، ولا غبت في سفر إلا غاب معي** » فقام سعد بن معاذ[٣] الأنصاري فقال[٤] : ائذن [لي يارسول الله أن أضرب][٥] أعناقهم ، فقام رجل من الخزرج ، وكانت أم حسان بن ثابت من رهط ذلك الرجل ، فقال : كذبت[٦] ! أما واللّٰه لو كانوا[٧] من الأوس ، ما أحببت أن تضرب أعناقهم . حتىٰ كاد أن يكون بين الأوس والخزرج شر في المسجد وما علمت . فلما كان مساء ذلك اليوم خرجت لبعض حاجتي ومعي أم مسطح ، فعثرت فقالت : تعس مسطح! فقلت [لها : أي أم ؛ تسبين ابنك ؟ فسكتت][٨] ثم عثرت الثانية فقالت : تعس مسطح ! [فقلت لها : أي أم ؛ تسبين ابنك ؟ ثم عثرت الثالثة فقالت : تعس مسطح!][٩] . فانتهرتها . فقالت : واللّٰه ما أسبه إلا فيك . فقلت : في أي شأني ؟ قالت : فبقرت(*) لي الحديث ، فقلت : وقد كان هذا ؟ قالت : نعم واللّٰه . فرجعت إلىٰ بيتي ، كأن الذي خرجت له لا أجد منه[١٠] قليلًا ولا كثيرًا ، ووعكت ، وقلت لرسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : أرسلني إلىٰ بيت أبي ، فأرسل معي الغلام ، فدخلت الدار ، فوجدت أم رومان في السفل ، وأبا بكر فوق البيت يقرأ . فقالت [أمي][١١] : ما جاء بك يا بنية؟ فأخبرتها ، وذكرت لها الحديث ، وإذا هو لم يبلغ منها ما[١٢] بلغ مني ، [فقالت : يا بنية خففي عليك الشأن ، فإنه واللّٰه لقلّ ما كانت امرأة قط حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر، إلا حسدنها ، وقيل فيها . فقلت][١٣] : وقد علم به أبي؟ قالت : نعم. قلت : ورسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ؟ قالت : نعم ، ورسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فاستعبرت وبكيت ، فسمع أبو بكر صوتي وهو فوق البيت يقرأ فنزل ، فقال لأمي : ما شأنها؟ قالت : بلغها الذي ذكر من شأنها ففاضت عيناه – رضي اللّٰه عنه – فقال[١٤] : أقسمت عليك أي[١٥] بنية إلا [ما][١٦] رجعت

---

[١] – بعده في ت : ما علمت على أهلي إلا خيرًا .
[٢] – في ز : « دخل » .
[٣] – في خ ، ز : « عبادة » .
[٤] – بعده في خ : يارسول الله .
[٥] – في ت : « لنا أن نضرب » .
[٦] – في ز : « كذب » .
[٧] – في ز : « كان » .
[٨] – في ز : « يا أم ؛ أتسبين ؟ وسكتت » .
[٩] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[١٠] – في ز : « لا » .
[١١] – في ت : أم رومان .
[١٢] – في ت : « مثل الذي » .
[١٣] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[١٤] – في ز : « وقال » .
[١٥] – في خ ، ت : « يا » .
[١٦] – سقط من خ ، ت .

إلىٰ بيتك . فرجعت ، ولقد جاء رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بيتي فسأل عني خادمي ، فقالت : [يا رسول اللَّه ، لا][١] ، واللَّه ما علمت عليها عيبًا إلا أنها كانت ترقد حتىٰ تدخل الشاة فتأكل خميرها أو عجينها ، وانتهرها بعض أصحابه فقال : اصدقي رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم حتىٰ أسقطوا لها به . فقالت : سبحان اللَّه ! واللَّه ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ علىٰ تبر الذهب الأحمر ، وبلغ الأمر ذلك الرجل الذي قيل له . فقال : سبحان اللَّه ! واللَّه ما كشفت كنف أنثىٰ قط . قالت عائشة رضي اللَّه عنها فقتل شهيدًا في سبيل اللَّه .

قالت : وأصبح أبواي عندي فلم يزالا حتىٰ دخل عليّ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم وقد صلىٰ العصر ، ثم دخل وقد اكتنفني أبواي عن يميني وعن شمالي ، فحمد اللَّه تعالىٰ وأثنىٰ عليه ثم قال : « **أما بعد ، يا عائشة ؛ إن كنت قارفت سوءًا أو[٢] ظلمت فتوبي إلىٰ اللَّه ، فإن اللَّه يقبل التوبة عن عباده** » قالت : وقد[٣] جاءت امرأة من الأنصار فهي[٤] جالسة بالباب ، فقلت : ألا تستحيي من هذه المرأة أن تذكر شيئًا فوعظ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فالتفتّ إلي أبي فقلت له: [أجبه][٥] . قال : فماذا أقول ؟ فالتفتّ إلي أمي فقلت : [أجيبيه][٦] . قالت : ماذا أقول ؟ فلما لم يجيباه تشهدت فحمدت اللَّه وأثنيت عليه بما هو أهله ، ثم قلت : أما بعد فواللَّه إن قلت لكم : إني لم أفعل - واللَّه عز وجل يشهد إني لصادقة - ما ذاك بنافعي عندكم ، لقد تكلمتم به وأشربته قلوبكم ، وإن قلت لكم : إني قد فعلت - واللَّه يعلم أني لم أفعل - لتقولن قد باءت [به][٧] علىٰ نفسها ، وإني واللَّه ما أجد لي ولكم مثلًا - والتمست اسم يعقوب فلم أقدر عليه - إلا أبا يوسف حين قال ﴿ **فصبر جميل واللَّه المستعان علىٰ ما تصفون** ﴾ وأنزل اللَّه علىٰ رسوله صلىٰ اللَّه عليه وسلم من ساعته فسكتنا فرفع عنه ، وإني لأتبين السرور في وجهه وهو يمسح جبينه ، ويقول : « **أبشري يا عائشة ، فقد أنزل اللَّه براءتك** » قالت : وكنت[٨] أشد ما كنت غضبًا ، فقال لي أبواي : قومي إليه[٩] ، فقلت : لا واللَّه لا أقوم إليه [ولا أحمده][١٠] ، ولا أحمدكما ، ولكن أحمد اللَّه الذي أنزل براءتي ، لقد سمعتموه فما أنكرتموه ولا غيرتموه ، وكانت عائشة تقول : أما زينب بنت جحش فعصمها[١١] اللَّه بدينها فلم تقل إلا خيرًا ، وأما أختها حمنة

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ز : « و » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - في ز : « وهي » .

[٥] - في ت : « أجب رسول الله ﷺ » .

[٦] - في ت : « أجيبي رسول الله ﷺ » .

[٧] - سقط من خ ، ت .

[٨] - في ز : « فكنت » .

[٩] - سقط من : ز .

[١٠] - سقط من خ ، ت .

[١١] - في ز : « فقد عصمها » .

بنت جحش فهلكت فيمن هلك، وكان الذي يتكلم فيه: مسطح وحسان بن ثابت، و[١]المنافق عبد اللَّه بن أبيّ ابن سلول، وهو[٢] الذي كان[٣] يستوشيه ويجمعه، وهو الذي تولىٰ كبره منهم هو وحمنة، قالت: فحلف[٤] أبو بكر أن لا ينفع مسطحًا بنافعة أبدًا، فأنزل اللَّه تعالىٰ: ﴿ **ولا يأتل أولو الفضل منكم** ﴾[٥] يعني: أبا بكر ﴿ **والسعة أن يؤتوا أولىٰ القربىٰ والمساكين** ﴾ يعني: مسطحًا، إلىٰ قوله ﴿ **ألا تحبون أن يغفر اللَّه لكم واللَّه غفور رحيم** ﴾؟ فقال أبو بكر: بلىٰ واللَّه يا ربنا، إنا لنحب[٦] أن تغفر لنا، وعاد له بما كان يصنع.

هكذا رواه البخاري من هذا الوجه معلقًا بصيغة الجزم عن أبي أسامة حماد بن أسامة [أحد الأئمة الثقات. وقد رواه ابن جرير(٤٠) في تفسيره عن سفيان بن وكيع عن أبي أسامة][٧] به مطولًا مثله أو نحوه.

ورواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الأشج عن أبي أسامة ببعضه.

وقال الإمام أحمد(٤١): حَدَّثَنَا هشيم، [ ][٨] أخبرنا عمر[٩] بن أبي سلمة، عن أبيه، عن عائشة -رضي اللَّه عنها- قالت: لما نزل عذري من السماء، جاءني النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فأخبرني بذلك، فقلت: نحمد اللَّه لا نحمدك.

وقال الإمام أحمد(٤٢): حدثني ابن أبي عدي، عن محمد بن إسحاق، عن عبد اللَّه ابن أبي بكر عن، عمرة عن عائشة قالت: لما نزل عذري، قام رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فذكر ذلك وتلا القرآن، فلما نزل أمر برجلين وامرأة فضربوا حدهم.

وأخرجه أهل السنن الأربعة. وقال الترمذي: هذا حديث حسن. ووقع عند أبي داود تسميتهم: حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش.

---

(٤٠) تفسير الطبري (٧٤/١٨).

(٤١) المسند (٣٠/٦) (٢٤١٢٢) وأخرجه الطبراني في الكبير: (١٢١/٢٣/رقم: ١٥٥، ١٥٦) من طرق عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه به.

(٤٢) المسند (٣٥/٦) (٢٤١٧٥)، وأخرجه أبو داود في سننه في كتاب الحدود، باب: حد القذف (٤/ ١٦٠/رقم: ٤٤٧٤، ٤٤٧٥). والترمذي في جامعه في كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة =

---

[١] - في ز: « وأما ».

[٢] - في ز: « فهو ».

[٣] - سقط من: ز.

[٤] - في ز: « وحلف ».

[٥] - في ز: « إلى آخر الآية ».

[٦] - في ز: « نحب ».

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

[٨] - في المسند: عن منصور.

[٩] - في ز، خ: عمرو. والمثبت من المسند.

فهذه طرق متعددة عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- في المسانيد والصحاح والسنن وغيرها[١] .

وقد روي من حديث أمها أم رومان -رضي الله عنها- فقال الإمام أحمد(٤٣) : حَدَّثَنَا علي بن عاصم ، أخبرنا حصين ، عن أبي وائل ، عن مسروق ، عن أم رومان ؛ قالت : بينا أنا عند عائشة إذ دخلت علينا امرأة من الأنصار ؛ فقالت : فعل الله بابنها وفعل ، فقالت عائشة : ولم ؟ قالت : إنه كان فيمن حدث الحديث ، قالت [عائشة][٢] وأي حديث[٣] ؟ قالت : كذا وكذا . قالت : وقد بلغ ذلك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؟ قالت : نعم ، قالت[٤]: وبلغ أبا بكر ؟ قالت : نعم . فخرت عائشة -رضي الله عنها- مغشيًا عليها فما أفاقت إلا وعليها حمىٰ بنافض . قالت : فقمت فدثرتها . قالت : وجاء النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال[٥] : « ما[٦] **شأن هذه ؟** » قلت : يا رسول الله ؛ أخذتها حمىٰ بنافض قال : « **فلعله في حديث تحدث به** » قالت : فاستوت له[٧] عائشة قاعدة فقالت : والله لئن حلفت لكم لا تصدقوني ولئن اعتذرت إليكم لا تعذروني ، فمثلي ومثلكم كمثل يعقوب وبنيه[٨] ﴿**والله المستعان علىٰ ما تصفون**﴾ قالت : وخرج[٩] رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل[١٠] الله عذرها ، فرجع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ومعه أبو بكر [فدخل فقال : يا عائشة ؛ « **إن الله تعالىٰ قد أنزل عذرك** » فقالت : بحمد الله لا بحمدك ، فقال لها أبو بكر ، تقولين هذا لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؟ قالت : نعم ، قالت : وكان فيمن حدث هذا الحديث رجل كان يعوله أبو بكر][١١] فحلف [أبو بكر][١٢] أن لا يصله فأنزل الله ﴿ **ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة** ﴾ إلىٰ آخر الآية قال[١٣] أبو بكر : بلىٰ ، فوصله .

= النور (٥/٣٣٦/رقم : ٣١٨١) . والنسائي في الكبرى كتاب التعزيرات والشهود ، باب : حد القذف (٤/٣٢٥/رقم : ٧٣٥١) . وابن ماجة في سننه في كتاب الحدود ، باب : حد القذف (٢/٨٥٧/رقم : ٢٥٦٧) . كلهم من طريق ابن أبي عدي به .

(٤٣) المسند (٦/٣٦٧) (٢٧١٨٣) ، وأخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب : قول الله تعالى : ﴿ **لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين** ﴾ . (٦/٤٨٢/رقم : ٣٣٨٨) . وأطرافه في (٤١٤٣، ٤٦٩١، ٤٧٥١) . من طرق عن حصين ، عن أبي وائل شقيق بن سلمة ، عن مسروق بن الأجدع ، عن أم رومان .

[١] - في ز : « وغيرهم » .
[٢] - سقط من خ ، ت .
[٣] - في خ : « الحديث » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « فقال » .
[٦] - في خ : « فما » .
[٧] - سقط من : خ ، ز .
[٨] - بعده في ت : حين قال : فصبر جميل .
[٩] - في خ : « فخرج » .
[١٠] - في ز : « فأنزل » .
[١١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[١٢] - سقط من خ ، ت .
[١٣] - في خ ، ت : « فقال » .

تفرّد به البخاري دون مسلم من طريق حصين، وقد رواه البخاري عن موسىٰ بن إسماعيل، عن أبي عوانة، وعن محمد بن سلام، عن محمد بن فضيل - كلاهما - عن حصين به(٤٤). وفي لفظ أبي عوانة: حدثتني أم رومان، وهذا صريح في سماع مسروق منها وقد أنكر ذلك جماعة من الحفاظ منهم الخطيب البغدادي، وذلك لما ذكره أهل التاريخ أنها ماتت في زمان[١] النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم.

قال الخطيب: وقد كان مسروق يرسله، فيقول: سئلت أم رومان، ويسوقه، فلعل بعضهم كتب: سئلت بألف. فاعتقد[٢] الراوي أنها سألت فظنه متصلًا، قال الخطيب: وقد رواه البخاري، كذلك ولم تظهر له علته. كذا قال واللَّه أعلم. [ورواه بعضهم عن مسروق عن عبد اللَّه بن مسعود عن أم رومان فاللَّه أعلم][٣].

فقوله تعالىٰ: ﴿ **إنّ الذين جاءوا بالإفك** ﴾ أي: بالكذب والبهت والافتراء ﴿ **عصبة** ﴾ أي: جماعة منكم ﴿ **لا تحسبوه شرًا لكم** ﴾ أي: يا آل أبي بكر ﴿ **بل هو خير لكم** ﴾ أي: في الدنيا والآخرة، لسان صدق في الدنيا ورفعة منازل في الآخرة، وإظهار شرف لهم باعتناء اللَّه تعالىٰ بعائشة أم المؤمنين -رضي اللَّه عنها- حيث أنزل اللَّه تعالى براءتها في القرآن العظيم ﴿ **الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه**﴾ ولهذا لما دخل عليها ابن عباس -رضي اللَّه عنه- وعنها[٤] وهي في سياق الموت، قال لها: أبشري؛ فإنك زوجة رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم وكان يحبك، ولم يتزوّج بكرًا غيرك، ونزلت[٥] براءتك من السماء(٤٥).

وقال ابن جرير في تفسيره(٤٦): حدثني محمد بن عثمان الواسطي، حَدَّثَنا جعفر بن عون، عن المعلى بن عرفان، عن محمد بن عبد اللَّه بن جحش قال: تفاخرت عائشة وزينب -رضي اللَّه عنهما- فقالت زينب: أنا التي نزل تزويجي من السماء قال وقالت عائشة: أنا التي نزل عذري في [كتاب اللَّه][٦]، حين حملني صفوان[٧] بن المعطل علىٰ

(٤٤) صحيح البخاري (٤١٤٣) من رواية موسى بن إسماعيل، وحديث (٣٣٨٨) من رواية بن سلام.
(٤٥) رواه البخاري في صحيحه حديث (٤٧٥٣).
(٤٦) تفسير الطبري (١٨/٧٠).

[١] - في خ، ت: « زمن ».
[٢] - في خ، ت: « اعتقد ».
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.
[٤] - سقط من: ز.
[٥] - في ز: « أنزل ».
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز: « كتابه ».
[٧] - سقط من: ز.

الراحلة. فقالت لها زينب: يا عائشة؛ ما قلت حين ركبتيها؟ قالت: قلت[١]: حسبي الله ونعم الوكيل، قالت: قلت كلمة المؤمنين.

وقوله تعالىٰ: ﴿ لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم ﴾ أي: لكل من تكلم في هذه القضية ورمىٰ أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- بشيء من الفاحشة نصيب عظيم من العذاب.

﴿ والذي تولىٰ كبره منهم ﴾ قيل: ابتدأ به، وقيل: الذي كان يجمعه ويستوشيه ويذيعه ويشيعه.

﴿ له عذاب عظيم ﴾ أي: علىٰ ذلك، ثم الأكثرون علىٰ أن المراد بذلك إنما هو عبد الله بن أبيّ ابن سلول، قبحه الله ولعنه، وهو الذي تقدم النص عليه في الحديث، وقال ذلك مجاهد وغير واحد.

وقيل: [بل][٢] المراد به حسان بن ثابت. وهو قول غريب، ولولا أنه وقع في صحيح البخاري بما قد يدل علىٰ إيراد[٣] ذلك، لما كان لإيراده كبير فائدة، فإنه كان[٤] من الصحابة الذين كان لهم فضائل ومناقب ومآثر، وأحسن مآثره[٥]؛ أنه كان يذب عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بشعره[٦]، وهو الذي قال له رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: « **هاجهم وجبريل معك** »(٤٧).

وقال الأعمش، عن أبي الضحىٰ، عن مسروق؛ قال: كنت عند عائشة -رضي الله عنها- فدخل حسان بن ثابت فأمرت فألقي له وسادة، فلما خرج، قلت لعائشة: ما تصنعين بهذا؟ يعني يدخل عليك، وفي رواية قيل لها: أتأذنين لهذا يدخل عليك وقد قال الله: ﴿ والذي تولىٰ كبره منهم له عذاب عظيم ﴾؟ فقالت[٧]: وأي عذاب أشد من العمىٰ - وكان قد ذهب بصره - لعل الله أن يجعل ذلك هو العذاب العظيم. ثم قالت: إنه كان ينافح عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وفي رواية أنه أنشدها عندما دخل عليها شعرًا[٨] يمتدحها به فقال:

حصان رزان ما تزن بريبة ... وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

(٤٧) - رواه البخاري حديث (٣٢١٣)، كتاب بدء الخلق.

[١] - سقط من: ت.
[٢] - سقط من خ، ت.
[٣] - سقط من: خ، ز.
[٤] - سقط من: ت.
[٥] - في خ، ز: « محاسنه ».
[٦] - سقط من: خ، ز.
[٧] - في خ، ت: « قالت ».
[٨] - سقط من: ز.

فقالت: أما أنت فلست كذلك، وفي رواية: لكنك لست كذلك(٤٨).

وقال ابن جرير(٤٩): حَدَّثَنَا الحسن بن قزعة، حَدَّثَنَا سلمة بن علقمة، حَدَّثَنَا داود عن عامر، عن عائشة أنها قالت: ما سمعت بشعر[١] أحسن من شعر حسان، ولا[٢] تمثلت به إلا رجوت له الجنة، قوله لأبي سفيان بن الحارث[٣] بن عبد المطلب:

هجوت[٤] محمدًا فأجيب[٥] عنه ... وعند اللَّه في ذاك الجزاء
فإنّ أبي ووالده وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء
أتشتمه ولست له بكفء؟ ... فشرّكما لخيركما الفداء
لساني صارم لا عيب فيه ... وبحري لا تكدره الدلاء

فقيل: يا أم المؤمنين؛ أليس هذا لغوًا؟ قالت: لا، إنما اللغو ما قيل عند النساء. قيل: أليس اللَّه يقول: ﴿ **والذي تولىٰ كبره منهم له عذاب عظيم** ﴾ قالت: أليس قد أصابه عذاب[٦] عظيم، أليس[٧] قد ذهب بصره وكنع[٨] بالسيف؟ تعني: الضربة التي ضربه إياها صفوان ابن المعطل السلمي[٩] حين بلغه عنه[١٠] أنه يتكلم في ذلك فعلاه بالسيف، وكاد أن يقتله.

لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ (١٢) لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ (١٣)

هذا تأديب من اللَّه تعالىٰ للمؤمنين في قصة عائشة -رضي اللَّه عنها- حين أفاض بعضهم في ذلك الكلام السوء[١١] وما ذكر من شأن الإفك، فقال تعالىٰ: ﴿ **لولا** ﴾

---

(٤٨) صحيح البخاري حديث (٤١٤٦) حدثني بشر بن خالد، عن محمد بن جعفر، عن شعبة، عن الأعمش، به.

(٤٩) تفسير الطبري (١٨/٦٩).

---

[١] - في خ، ز: «بشيء».
[٢] - في ز: «ما».
[٣] - في خ، ز: «حرب».
[٤] - في ز: «هجرت».
[٥] - في ز: «وأجبت».
[٦] - سقط من: خ، ز.
[٧] - سقط من: ز.
[٨] - في ز: «كتع».
[٩] - سقط من: خ، ز.
[١٠] - سقط من خ، ت.
[١١] - في ز: «السيء».

يعني[١]: هلا ﴿ **إذ سمعتموه** ﴾ أىْ: ذلك الكلام أي [٢] الذي رميت به أم المؤمنين - رضي اللَّه عنها - ﴿ **ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرًا** ﴾ أىْ: قاسوا[٣] ذلك الكلام علىٰ أنفسهم، فإن كان لا يليق بهم فأم المؤمنين أولىٰ بالبراءة منه بطريق الأولىٰ و[٤]الأحرىٰ.

وقد قيل: إنها نزلت في أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري وامرأته - رضي اللَّه عنهما - كما قال الإمام محمد بن إسحاق بن يسار، عن أبيه، عن بعض رجال بني النجار: إن أبا أيوب خالد بن زيد الأنصاري[٥] قالت له امرأته أم أيوب: يا أبا أيوب؛ أما تسمع ما يقول الناس في عائشة - رضي اللَّه عنها -؟ قال: نعم، و[٦] ذلك الكذب، أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا، واللَّه ما كنت لأفعلَهُ. قال: فعائشة واللَّه خير منك. قال: فلما نزل القرآن ذكر اللَّه - عز وجل - من قال في الفاحشة ما قال من أهل الإفك: ﴿ **إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم** ﴾ وذلك حسان وأصحابه الذين قالوا ما قالوا، ثم قال تعالىٰ: ﴿ **لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون ...** ﴾ الآية أى: كما قال أبو أيوب وصاحبته(٥٠).

وقال محمد بن عمر الواقدي: حدثني ابن أبي حبيب، عن داود بن الحصين، عن أبي سفيان، عن أفلح مولىٰ أبي أيوب أن أم أيوب قالت لأبي أيوب: ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: بلىٰ، وذلك الكذب أفكنت - يا أم أيوب - [فاعلة ذلك][٧]؟ قالت: لا واللَّه. قال: فعائشة واللَّه خير منك. فلما نزل[٨] القرآن، وذكر أهل الإفك، قال اللَّه عز وجل: ﴿ **لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرًا وقالوا هذا إفك مبين** ﴾ يعني: أبا أيوب حين قال لأم أيوب ما[٩] قال.

ويقال: إنما قالها أبي بن كعب.

وقوله تعالىٰ: ﴿ **[ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرًا]**[١٠] ﴾ أي: هلا ظنوا الخير، فإن أم المؤمنين أهله وأولى به، هذا ما يتعلق بالباطن، ﴿ **وقالوا** ﴾ أي: بألسنتهم: ﴿ **هذا إفك مبين** ﴾ أي: كذب ظاهر علىٰ أم المؤمنين - رضي اللَّه عنها - فإن الذي وقع لم يكن ريبة، وذلك أن مجيء أم المؤمنين راكبة جهرة علىٰ راحلة صفوان بن المعطل في وقت

---

[١] - في ز: « بمعنى ».
[٢] - سقط من خ، ت.
[٣] - في ز: « قاسوه ».
[٤] - سقط من خ، ت.
[٥] - سقط من: خ، ز.
[٦] - سقط من خ، ت.
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.
[٨] - في خ - ت: « أنزل ».
[٩] - سقط من: ز.
[١٠] - ما بين المعكوفتين في ز: « وقالوا هذا إفك مبين ».

الظهيرة، والجيش بكماله يشاهدون ذلك، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم، ولو[١] كان هذا الأمر فيه ريبةٌ لم يكن هكذا[٢] جهرة، ولا كانا يقدمان على مثل ذلك على رءوس الأشهاد، ، بل كان [يكون هذا][٣] لو قدر - خفية مستورًا، فتعين أن ما جاء به أهل الإفك مما رموا به أم المؤمنين هو الكذب البحت، والقول الزور، والرعونة الفاحشة الفاجرة[٤]، والصفقة الخاسرة.

قال الله تعالى: ﴿ **لولا** ﴾ أي: هلا ﴿ **جاءوا عليه** ﴾ أي: على ما قالوه ﴿ **بأربعة شهداء** ﴾ يشهدون على[٥] صحة ما جاءوا به ﴿ **فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون** ﴾ أي: في حكم الله كذبة[٦] فاجرون.

وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾

يقول تعالى: ﴿ **ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة** ﴾ أيها الخائضون في شأن عائشة؛ بأن قَبِلَ توبتكم وإنابتكم إليه في الدنيا، وعفا عنكم لإيمانكم بالنسبة إلى الدار الآخرة ﴿ **لمسكم فيما أفضتم فيه** ﴾ من قضية الإفك ﴿ **عذاب عظيم** ﴾ وهذا فيمن عنده إيمان رزقه الله بسببه التوبة إليه، كمسطح وحسّان وحمنة بنت جحش أخت زينب بنت جحش، فأما من خاض فيه من المنافقين، كعبد الله بن أبيّ ابن سلول وأضرابه، فليس أولئك مرادين في هذه الآية؛ لأنه ليس عندهم من الإيمان والعمل الصالح ما يعادل هذا ولا ما يعارضه، وهكذا شأن ما يرد من الوعيد على فعل معين يكون مطلقًا مشروطًا بعدم التوبة، أو ما يقابله[٧] من عمل صالح يوازنه أو يرجح عليه.

ثم قال تعالى: ﴿ **إذ تلقونه بألسنتكم** ﴾ قال مجاهد وسعيد بن جبير: أي: يرويه بعضكم عن بعض، يقول هذا: سمعته من فلان وقال فلان: كذا، وذكر بعضهم كذا.

وقرأ آخرون: (**إذ تَلِقُونه[٨] بألسنتكم**) وفي صحيح البخاري(٥١) عن عائشة أنها كانت

---

[١] - في ز: «لو». [٢] - في خ، ت: «هذا».
[٣] - ما بين المعكوفتين في خ، ت: «هذا يكون». [٤] - سقط من: ز.
[٥] - في ز: «في». [٦] - في خ، ت: «كاذبون».
[٧] - في خ، ت: «يقبله».
[٨] - في ز: «تَلِيقونه».

تقرؤها كذلك، وتقول: هو من وَلْقِ القول[١] يعني: الكذب الذي يستمر صاحبه فيه[٢]، تقول العرب: ولق فلان في السير إذا استمر فيه، والقراءة الأولىٰ أشهر، وعليها الجمهور، ولكن الثانية مروية عن أم المؤمنين عائشة.

قال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا أبو سعيد الأشج، حَدَّثَنَا أبو أسامة، عن نافع بن عمر، عن ابن أبي مليكة [عن عائشة أنها كانت تقرأ (**إذ تَلِقُونه**) وتقول: إنما هو ولق القول - والولق: الكذب. قال ابن أبي مليكة][٣]: هي أعلم به من غيرها.

وقوله تعالىٰ: ﴿**وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم**﴾ أي: تقولون ما لا تعلمون.

ثم قال تعالىٰ: ﴿**وتحسبونه هينًا وهو عند اللَّه عظيم**﴾ أي: تقولون ما تقولون في شأن أم المؤمنين، وتحسبون ذلك يسيرًا سهلًا، ولو لم تكن زوجة النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم لما كان هينًا، فكيف وهي زوجة النبي الأمي خاتم الأنبياء وسيد المرسلين؟ فعظيم عند اللَّه أن يقال في زوجة [نبيه و][٤]رسوله ما قيل، [فإن اللَّه سبحانه وتعالىٰ][٥] يغار لهذا، وهو سبحانه وتعالىٰ لا يقدّر علىٰ زوجة نبي من أنبيائه ذلك، حاشا وكلًّا، ولما [لم يكن ذلك][٦] فكيف يكون هذا في سيدة نساء الأنبياء، زوجة سيد ولد آدم علىٰ الإطلاق في الدنيا والآخرة؟! ولهذا قال تعالىٰ: ﴿**وتحسبونه هينًا وهو عند اللَّه عظيم**﴾.

وفي الصحيحين(٥٢): «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط اللَّه لا يدري ما تبلغ، يهوي بها في النار أبعد مما[٧] بين السماء والأرض**». وفي رواية «**لا يلقي لها بالًا**».

وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾

---

(٥٠) رواه الطبري في تفسيره (١٨/٧٧).

(٥١) صحيح البخاري، كتاب المغازي (٤١٤٤)، وطرفه حديث (٤٧٥٢).

(٥٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق (٦٤٧٨)، وصحيح مسلم (٢٩٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

---

[١] - في ت: «اللسان».

[٢] - في ت: «عليه».

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز.

[٥] - ما بين المعكوفتين في ز: «الله».

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز.

[٧] - في ز: «ما».

هذا تأديب آخر بعد الأول : الأمر بالظن خيرًا أي : إذا ذكر ما لا يليق من القول في شأن الخيرة ، فأولىٰ ينبغي الظن بهم خيرًا ، وأن لا يشعر نفسه سوىٰ ذلك ، ثم إن علق بنفسه شيء من ذلك - وسوسة أو خيالًا - فلا ينبغي أن يتكلم به ، فإن[١] رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **إن اللّٰه تعالىٰ تجاوز لأمتى عما حدثت به أنفسها ما لم تقل أو تعمل** » . أخرجاه في الصحيحين(٥٣) .

وقال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا** ﴾ أى ما ينبغي لنا أن نتفوّه بهذا الكلام ولا نذكره لأحد ﴿ **سبحانك هذا بهتان عظيم** ﴾ أي : سبحان اللّٰه أن يقال هذا الكلام علىٰ زوجة رسوله وحليلة خليله !

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **يعظكم اللّٰه أن تعودوا لمثله أبدًا** ﴾ أى : ينهاكم اللّٰه متوعدًا أن يقع منكم ما يشبه هذا ﴿**أبدًا**﴾ ، أي : فيما يستقبل ؛ ولهذا[٢] قال : ﴿ **إن كنتم مؤمنين**﴾ أى : إن كنتم تؤمنون باللّٰه وشرعه ، وتعظمون رسوله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فأما من كان متصفًا بالكفر [فذاك له][٣] حكم آخر .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ويبين اللّٰه لكم الآيات** ﴾ أى : يوضح لكم الحكم[٤] الشرعية ، والأحكام القدرية ﴿ **واللّٰه عليم حكيم** ﴾ أي : عليم بما يصلح عباده ، حكيم في شرعه وقدره .

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾

وهذا تأديب ثالث لمن سمع شيئًا من الكلام السيئ فقام بذهنه [منه شيء وتكلم به][٥] فلا يكثر منه ، ولا يشيعه ويذيعه ، فقد قال تعالىٰ : ﴿ **إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم** ﴾ أى : يختارون ظهور الكلام عنهم بالقبيح ﴿ **لهم عذاب أليم في الدنيا** ﴾ أى : بالحد . وفي الآخرة بالعذاب ﴿ **واللّٰه يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾ أي : فردوا الأمور إليه ترشدوا .

---

(٥٣) صحيح البخاري ، كتاب الطلاق حديث (٥٢٦٩) ، وصحيح مسلم (١٢٧) من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « فلهذا » .
[٣] - في ت : « فله » .
[٤] - في ت : « الأحكام » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ت : « شيء به » .

وقال الإمام أحمد(٥٤) : حَدَّثَنَا محمد بن بكر، حَدَّثَنَا ميمون بن أبي محمد المرئي[١]، حَدَّثَنَا محمد بن عباد المخزومي ، عن ثوبان ، عن النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم قال : « **لاتؤذوا عباد اللّه، ولا تعيروهم ، ولا تطلبوا عوراتهم ، فإنه من طلب[٢] عورة أخيه المسلم طلب اللّه عورته حتىٰ يفضحه في بيته** » .

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾

يقول اللّه تعالىٰ : ﴿ **ولولا فضل اللّه عليكم ورحمته وأن الله رءوف رحيم** ﴾ أي : لولا هذا ؛ لكان أمر آخر، ولكنه تعالىٰ رءوف بعباده، رحيم بهم، فتاب علىٰ من تاب إليه من هذه القضية[٣] ، وطهر من طهر منهم، بالحد الذي أقيم عليهم[٤] .

ثم قال : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان** ﴾ يعني : طرائقه ومسالكه وما يأمر به ﴿ **ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر** ﴾ هذا تنفير وتحذير من ذلك بأفصح [عبارة وأبلغها وأوجزها][٥] وأحسنها .

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿ **خطوات الشيطان** ﴾ : عمله ، وقال عكرمة : نزغاته . وقال قتادة : كل معصية فهي من خطوات الشيطان . وقال أبو مجلز : النذور في المعاصي من خطوات الشيطان .

وقال[٦] مسروق : سأل رجل ابن مسعود ؛ فقال : إني حرمت أن آكل طعامًا فقال : هذا من نزغات الشيطان : كَفِّرْ عن يمينك وكُلْ .

---

(٥٤) المسند (٥/٢٧٩) (٢٢٥٠٣) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٨٦، ٨٧) وعزاه لأحمد وقال : « ورجاله رجال الصحيح غير ميمون بن عجلان ، وهو ثقة » .

---

[١] - في ز : « المرائي » .
[٢] - في خ ، ز : « ظلم » .
[٣] - سقط من : خ ، ز .
[٤] - في خ ،ت : « عليه » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « العبارة أوجزها وأبلغها » .
[٦] - بياض في : ز .

وقال الشعبي في رجل نذر ذبح ولده : وهذا من نزغات الشيطان ، وأفتاه أن يذبح كبشًا .

وقال ابن أبي حاتم : حَدَّثَنَا أبي ، حَدَّثَنَا حسان بن عبد اللَّه المصري ، حَدَّثَنَا السري بن يحيىٰ ، عن سليمان التيمي ، عن أبي رافع ؛ قال : غضبت على امرأتي فقالت[١] : هي يوم يهودية ، ويوم نصرانية ، وكل مملوك لها حر إن لم تطلق امرأتك ، فأتيت عبد اللَّه بن عمر ؛ فقال : إنما هذه من نزغات الشيطان . وكذلك قالت زينب بنت أم سلمة ، وهي يومئذ أفقه امرأة بالمدينة ، وأتيت عاصم بن عمر فقال مثل ذلك .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ولولا فضل اللَّه عليكم ورحمته ما زكىٰ منكم من أحد أبدًا** ﴾ أي : لولا هو يرزق لمن[٢] يشاء التوبة [ ][٣] والرجوع إليه ، ويزكي النفوس من شركها وفجورها ودنسها وما فيها من أخلاق رديئة ، كل بحسبه - لما حصل أحد لنفسه زكاة ولا خيرًا ﴿ **ولكن اللَّه يزكي من يشاء** ﴾ أي : من خلقه ، ويضل من يشاء ، ويرديه في مهالك الضلال والغي .

وقوله : ﴿ **واللَّه سميع عليم** ﴾ أي : سميع لأقوال عباده ، عليم بهم ، من يستحق منهم الهدىٰ والضلال .

وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **ولا يأتل** ﴾ من الألية [وهي الحلف][٤] ، أي : لا يحلف ﴿ **أولو الفضل منكم** ﴾ أي : الطول والصدقة والإحسان ﴿ **والسعة** ﴾ أي : الجدة ﴿ **أن يؤتوا أولي القربىٰ والمساكين والمهاجرين في سبيل الله** ﴾ أي : لا تحلفوا أن لا تصلوا قراباتكم المساكين والمهاجرين ، وهذا[٥] في غاية الترفق[٦] والعطف علىٰ صلة الأرحام ؛ ولهذا قال : ﴿ **وليعفوا وليصفحوا** ﴾ أي : عما تقدم منهم من الإساءة والأذىٰ ، وهذا[٧] من حلمه تعالىٰ وكرمه ، ولطفه بخلقه مع ظلمهم لأنفسهم .

---

[١] - في ز : « فقلت » .
[٢] - في خ، ت : « من » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « إليه » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٥] - في ز : « هذه » .
[٦] - في ز : « الترقق » .
[٧] - في ز : « هذا » .

وهذه الآية نزلت في الصديق -رضي اللَّه عنه- حين حلف أن لا ينفع مسطح بن أثاثة بنافعة، بعد ما قال في عائشة ما قال، كما تقدم في الحديث، فلما أنزل اللَّه براءة أم المؤمنين عائشة، وطابت النفوس المؤمنة واستقرت، وتاب اللَّه علىٰ من كان تكلم من المؤمنين في ذلك، وأقيم الحد علىٰ من أقيم عليه - شرع تبارك وتعالىٰ - وله الفضل والمنة - يعطف الصديق علىٰ قريبه ونسيبه، وهو مسطح بن أثاثة، فإنه كان ابن خالة الصديق، وكان مسكينًا لا مال له؛ إلا ما ينفق عليه أبو بكر -رضي اللَّه عنه- وكان من المهاجرين في سبيل اللَّه، وقد ولق ولقة تاب اللَّه عليه منها، وضرب الحد عليها. وكان الصديق -رضي اللَّه عنه- معروفًا بالمعروف، له الفضل والأيادي علىٰ الأقارب والأجانب، فلما نزلت هذه الآية إلىٰ قوله: ﴿ **ألا تحبون أن يغفر اللَّه لكم واللَّه غفور رحيم** ﴾ أي: كان[١] الجزاء من جنس العمل، فكما تغفر [ذنب من أذنب][٢] إليك [يغفر اللَّه][٣] لك، وكما تصفح يصفح[٤] عنك، فعند ذلك قال الصديق: بلىٰ، واللَّه إنا نحب أن تغفر لنا يا ربنا. ثم رجع إلىٰ مسطح ما كان يصله من النفقة، وقال: واللَّه لا أنزعها منه أبدًا. في مقابلة ما كان قال: واللَّه لا أنفعه بنافعة أبدًا؛ فلهذا كان الصديق هو الصديق -رضي اللَّه عنه- [وعن بنته][٥].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٢٣ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٤ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ٢٥ ﴾

هذا وعيد من اللَّه تعالىٰ للذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات[٦]، خرج مخرج الغالب [ ][٧]، فأمهات المؤمنين أولىٰ بالدخول في هذا من كل محصنة، ولا سيما التي كانت سبب النزول، وهي عائشة بنت الصديق رضي اللَّه عنهما.

وقد أجمع العلماء -رحمهم اللَّه- قاطبة علىٰ أن من سبها بعد هذا ورماها بما رماها به [الذين ذكروا][٨] في هذه الآية، فإنه كافر؛ لأنه معاند للقرآن، وفي بقية أمهات المؤمنين قولان: أصحهما أنهن كهي، واللَّه أعلم.

---

[١] - في ت: «فإن».
[٢] - ما بين المعكوفتين في خ، ز: «عن المذنب». [٣] - ما بين المعكوفتين في ز: «نغفر».
[٤] - في ز: «نصفح». [٥] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز.
[٦] - سقط من: ز. [٧] - ما بين المعكوفتين في ز: «المؤمنات».
[٨] - ما بين المعكوفتين في ت: «بعد هذا الذي ذكر».

وقوله[١] : ﴿ **لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم** ﴾ كقوله : ﴿ **إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابًا مهينًا** ﴾ .

وقد ذهب بعضهم إلىٰ أنها خاصة بعائشة - رضي الله عنها - فقال ابن أبي حاتم : حَدَّثَنَا أبو سعيد الأشج ، حَدَّثَنَا عبد الله بن خراش ، عن العوام ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ﴿ **إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات** ﴾ نزلت في عائشة خاصة .

و[٢]كذا قال مقاتل بن حيان ، وقد ذكره ابن جرير عن عائشة فقال(٥٥) : حَدَّثَنَا أحمد ابن عبدة الضبي ، حَدَّثَنَا أبو عوانة ، عن عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه قال : قالت عائشة : رميت بما رميت به وأنا غافلة ، فبلغني بعد ذلك ، قالت : فبينا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم جالس عندي ؛ إذ أوحي إليه ، قالت : وكان إذا أوحي إليه أخذه كهيئة السبات ، وإنه أوحي إليه وهو جالس عندي ، ثم استوىٰ جالسًا يمسح علىٰ وجهه ، وقال : « **يا عائشة ؛ أبشري !** » قالت : فقلت[٣] : بحمد الله لا بحمدك ، فقرأ ﴿ **إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات** ﴾ - حتىٰ قرأ[٤] - ﴿ **أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم** ﴾ .

هكذا أورده وليس فيه أن الحكم خاص بها ، وإنما فيه أنها سبب النزول دون غيرها ، وإن كان الحكم يعمها كغيرها ، ولعله مراد ابن عباس ومن قال كقوله ، والله أعلم .

وقال الضحاك وأبو الجوزاء وسلمة بن نبيط : المراد بها أزواج النبي خاصة دون غيرهن من النساء .

وقال العوفي عن ابن عباس في قوله : ﴿ **إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات ...** ﴾ الآية يعني : أزواج النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، رماهن أهل النفاق فأوجب الله لهم اللعنة والغضب ، وباءوا بسخط من الله ، فكان ذلك في أزواج النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، ثم نزل بعد ذلك ﴿ **والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء** ﴾ إلىٰ قوله[٥] ﴿ **فإن الله غفور رحيم** ﴾ فأنزل الله الجلد والتوبة ، فالتوبة تقبل ، والشهادة ترد .

وقال ابن جرير :(٥٦) حَدَّثَنَا القاسم ، حَدَّثَنَا الحسين ، حَدَّثَنَا هشيم ، أخبرنا العوام بن حوشب ، عن شيخ من بني أسد ، عن ابن عباس قال : فسر سورة النور ، فلما أتىٰ علىٰ هذه

---

(٥٥) تفسير الطبري (٨٢/١٨) .

(٥٦) تفسير الطبري (٨٣/١٨) .

---

[١] - بياض في : ز .

[٢] - سقط من خ ، ت .

[٣] - في ز : « قلت » .

[٤] - في خ ، ت : « بلغ » .

[٥] - سقط من : ز .

الآية : ﴿ **إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا ...**﴾ الآية. قال: في شأن عائشة وأزواج النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم، وهي مبهمة وليست لهم توبة، ثم قرأ : ﴿ **والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء** ﴾ **إلىٰ قوله** ﴿ **إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ...**﴾ الآية. قال: فجعل لهؤلاء توبة و[١] لم يجعل لمن قذف أولئك توبة. قال: فهمّ بعض القوم أن يقوم إليه فيقبل رأسه من حسن ما فسر به[٢] سورة النور.

فقوله: وهي مبهمة؛ أي: عامة في تحريم قذف كل محصنة، ولعنته في الدنيا والآخرة

وهكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هذا في عائشة، ومن صنع مثل هذا أيضًا اليوم في المسلمات فله ما قال اللّٰه تعالىٰ، و[٣] لكن عائشة كانت [إمامًا في][٤] ذلك.

وقد اختار ابن جرير عمومها وهو الصحيح، ويعضد العموم ما رواه ابن أبي حاتم:

حَدَّثَنَا أحمد بن عبد الرحمن بن أخي ابن وهب، حدثني عمي، حَدَّثَنَا سليمان بن بلال، عن ثور بن زيد، عن أبي الغيث، عن أبي هريرة: أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال: « **اجتنبوا السبع الموبقات** » قيل: يارسول الله وما هن؟ قال: « **الشرك باللّٰه، والسحر، وقتل النفس التي حرم اللّٰه إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات** ».

أخرجاه في الصحيحين(٥٧) من حديث سليمان ابن بلال به.

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني(٥٨) : حَدَّثَنَا محمد بن عمرو بن خالد الحذاء الحراني، حدثني أبي ح[٥]. وحَدَّثَنَا أبو شعيب الحراني، حَدَّثَنَا جدي أحمد بن أبي شعيب، حَدَّثَنَا موسىٰ بن أعين[٦]، عن ليث، عن أبي إسحاق، عن صلة بن زفر، عن حذيفة، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال: « **قذف المحصنة يهدم عمل مائة سنة** ».

و[٧]قوله : ﴿ **يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون** ﴾ قال ابن

(٥٧) صحيح البخاري حديث (٢٧٦٦) وصحيح مسلم (٨٩).

(٥٨) المعجم الكبير للطبراني (٣/١٩٦) ، وقال الهيثمي في المجمع (٦/٢٧٩) : « وفيه ليث بن أبي سليم وهو ضعيف وقد يحسن حديثه، وبقية رجاله رجال الصحيح ».

[١] - سقط من خ، ت.

[٢] - سقط من : خ، ز.

[٣] - سقط من خ، ت.

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « إمام ».

[٥] - في خ : « حينئذ ».

[٦] - في ز : « عين ».

[٧] - سقط من خ، ت.

أبي حاتم : حَدَّثَنَا أبو سعيد الأشج، حَدَّثَنَا أبو يحيىٰ الرازي ، عن عمرو بن أبي قيس ، عن مطرف ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : إنهم - يعني المشركين - إذا رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الصلاة ، قالوا : تعالوا حتىٰ نجحد فيجحدون ، فيختم علىٰ أفواههم ، وتشهد أيديهم وأرجلهم ، ولا يكتمون اللَّه حديثًا .

وقال ابن جرير(٥٩) وابن أبي حاتم أيضًا : حَدَّثَنَا يونس بن عبد الأعلىٰ ، حَدَّثَنَا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، عن دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد - عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **إذا كان يوم القيامة ، عرف الكافر بعمله ، فيجحد ويخاصم ، فيقال له**[١] **: هؤلاء جيرانك يشهدون عليك ، فيقول : كذبوا . فيقول : أهلك وعشيرتك ، فيقول : كذبوا . فيقال : احلفوا فيحلفون ثم [يصمهم اللَّه ، فتشهد]**[٢] **عليهم أيديهم وألسنتهم ، ثم يدخلهم النار** » .

وقال ابن أبي حاتم أيضًا : حَدَّثَنَا أبو شيبة إبراهيم بن[٣] عبد اللَّه بن أبي شيبة الكوفي ، حَدَّثَنَا منجاب بن الحارث التميمي[٤] ، حَدَّثَنَا أبو عامر الأسدي ، حَدَّثَنَا سفيان ، عن [ ][٥] عبيد المكتب ، عن فضيل بن عمرو الفقيمي ، عن الشعبي ، عن أنس بن مالك ، قال : كنا عند النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فضحك حتىٰ بدت نواجذه ثم قال : « **تدرون**[٦] **مم أضحك ؟** » قلنا : اللَّه ورسوله أعلم . قال : « **من مجادلة العبد لربه [يوم القيامة]**[٧] ، **يقول : يارب ؛ ألم تجرني من الظلم ؟ فيقول : بلىٰ ؛ فيقول : لا أجيز علي [إلا شاهدًا من نفسي]**[٨] **. فيقول : كفى بنفسك اليوم [عليك شهيدًا]**[٩] **، وبالكرام عليك شهودًا**[١٠] **، فيختم علىٰ فيه ، ويقال لأركانه : انطقي ! فتنطق بعمله ، ثم يخلّى بينه وبين الكلام ، فيقول : بعدًا لكنَّ وسحقًا ! فعنكنَّ كنت أناضل** » .

وقد رواه مسلم(٦٠) والنسائي جميعًا عن أبي بكر بن أبي النضر ، عن أبيه ، عن عبد اللَّه

---

(٥٩) تفسير الطبري (١٨/١٠٥) ، ورواه أبو يعلى في مسنده حديث (١٣٩٢) من طريق ابن لهيعة ، عن دراج ، عن أبي الهيثم به ، ورواية دراج عن أبي الهيثم فيها ضعف .

(٦٠) صحيح مسلم حديث (٢٩٦٩) .

---

[١] - سقط من : ت .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « يضمهم » .

[٣] - في خ و ت : « عن » .

[٤] - في خ ، ت : « التيمي » .

[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « بن » .

[٦] - في خ ، ت : « أتدرون » .

[٧] - سقط من خ ، ت .

[٨] - ما بين المعكوفتين في ز : « شاهد مني من نفسي » .

[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[١٠] - في ز : « شهيدًا » .

الأشجعي ، عن سفيان الثوري به ، ثم قال النسائي : لا أعلم أحدًا روىٰ هذا الحديث عن سفيان الثوري غير الأشجعي ، وهو حديث غريب ، والله أعلم ، هكذا قال .

وقال قتادة: ابن آدم؛ والله إن عليك لشهودًا، غير [متهمة من][١] بدنك، فراقبهم واتق الله في سرك[٢] وعلانيتك ، فإنه لا يخفىٰ عليه خافية ، والظُلْمة عنده ضوء ، والسر عنده علانية ، فمن استطاع أن يموت وهو بالله حسن الظن فليفعل ، ولا قوة إلا بالله .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق** ﴾ قال ابن عباس : ﴿ **دينهم** ﴾ ؛ أي : حسابهم ، وكل ما في القرآن دينهم أي : حسابهم ، وكذا قال غير واحد .

ثم إن قراءة الجمهور بنصب الحق علىٰ أنه صفة لدينهم ، وقرأ مجاهد بالرفع علىٰ أنه نعت الجلالة ، وقرأها بعض السلف في مصحف أبيّ بن كعب : (يومئذ يوفيهم اللّٰه الحق دينهم) .

وقوله ﴿ **ويعلمون أن الله هو الحق المبين** ﴾ أي : وعده ووعيده ، وحسابه هو العدل الذي لا جور فيه .

ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾

قال ابن عباس : الخبيثات[٣] من القول للخبيثين من الرجال ، والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول . والطيبات من القول للطيبين من الرجال ، والطيبون من الرجال للطيبات من القول . قال : ونزلت في عائشة وأهل الإفك .

وهكذا روي عن مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير والشعبي والحسن بن أبي الحسن البصري وحبيب بن أبي ثابت والضحاك واختاره ابن جرير ، ووجهه بأن الكلام القبيح أولىٰ بأهل القبح من الناس ، والكلام الطيب أولىٰ بالطيبين من الناس ، فما[٤] نسبه أهل النفاق إلىٰ عائشة [من كلام][٥] هم أولىٰ به ، وهي أولىٰ بالبراءة والنزاهة منهم ؛ ولهذا قال :﴿ **أولئك مبرءون مما يقولون** ﴾ وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال ، والخبيثون من الرجال للخبيثات[٦] من النساء ، والطيبات من النساء للطيبين من الرجال ، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء .

---

[١] – ما بين المعكوفتين في ز : « متممة في » .
[٢] – في ز : « سرائرك » .
[٣] – في ت : « الخبائث » .
[٤] – في ز : « مما » .
[٥] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٦] – في ز : « للخبيثين » .

وهذا أيضًا يرجع إلىٰ ما قاله أولئك باللازم، أي: ما كان اللّٰه[١] ليجعل عائشة زوجة لرسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم إلا وهي طيبة؛ لأنه أطيب من كل طيب من البشر، ولو كانت خبيثة لما صلحت له[٢]، لا شرعًا ولا قدرًا؛ ولهذا قال: ﴿ **أولئك مبرءون مما يقولون** ﴾ أي: هم بُعداء عما يقوله أهل الإفك والعدوان ﴿ **لهم مغفرة** ﴾ أي: بسبب ما قيل فيهم من الكذب ﴿ **ورزق كريم** ﴾ أي: عند اللّٰه في جنات النعيم، وفيه وعد بأن تكون زوجة رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في الجنة.

و[٣] قال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا محمد بن مسلم، حَدَّثَنَا أبو نعيم، حَدَّثَنَا عبد السلام بن حرب. عن يزيد بن عبد الرحمن، عن الحكم، عن يحيىٰ بن الجزار؛ قال: جاء أسير بن جابر إلىٰ عبد اللّٰه فقال: لقد سمعت الوليد بن عقبة[٤] اليوم تكلم[٥] اليوم بكلامٍ أعجبني، فقال عبد اللّٰه: إن الرجل المؤمن يكون في قلبه [الكلمة غير الطيبة][٦] تتجلجل في صدره [ما تستقر حتىٰ يلفظها][٧]، فيسمعها الرجل عنده يتلها فيضمها إليه، وإن الرجل الفاجر يكون في قلبه الكلمة الطيبة تتجلجل في صدره ما تستقر حتىٰ يلفظها، فيسمعها الرجل الذي عنده يتلها فيضمها إليه، ثم قرأ عبد اللّٰه ﴿ **الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات** ﴾.

ويشبه هذا ما رواه الإمام أحمد (٦١) في المسند مرفوعًا: « **مثل الذي يسمع الحكمة[٨] ثم لا يحدث إلا بشرّ ما سمع، كمثل رجل جاء إلىٰ صاحب غنم، فقال: [اجْزِرْني][٩] شاة، فقال: اذهب فخذ بأذن أيها شئت فذهب فأخذ بأذن كلب الغنم** ».

وفي الحديث الآخر: « **الحكمة ضالة المؤمن من[١٠] حيث وجدها أخذها** »(٦٢).

---

(٦١) المسند (٣٥٣/٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦٢) رواه الترمذي حديث (٢٦٨٧)، وابن ماجة حديث (٤١٦٩) من طريق عبد الله بن نمير، عن إبراهيم ابن الفضل، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، رضي الله عنه. وقال الترمذي: « هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإبراهيم بن الفضل المدني المخزومي، يضعف في الحديث من قبل حفظه ».

---

[١] - سقط من: ز.
[٢] - سقط من: خ، ز.
[٣] - سقط من خ، ت.
[٤] - في ز: « عتبة ».
[٥] - بعده في خ، ت: اليوم.
[٦] - ما بين المعكوفتين في خ، ز: «غير طابل».
[٧] - ما بين المعكوفتين في خ، ز: « حتى يخرجها ». [٨] - في خ، ز: « الكلمة ».
[٩] - في ت: اجزر لي، ومعنى: «أجزرني» أعطني شاة تصلح للذبح.
[١٠] - سقط من: خ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨ لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ٢٩﴾

هذه آداب شرعية أدب الله بها عباده المؤمنين، وذلك في الاستئذان، [أمر الله المؤمنين][١] أن لا يدخلوا بيوتًا غير بيوتهم حتىٰ يستأنسوا [أي : يستأذنوا][٢] قبل الدخول ويسلموا بعده، وينبغي أن يستأذن [ثلاثًا][٣] ، فإن أذن له وإلا انصرف، كما ثبت في الصحيح(٦٣) أن أبا موسىٰ حين استأذن علىٰ عمر ثلاثًا فلم يؤذن له انصرف، ثم قال عمر: ألم أسمع صوت عبد الله بن قيس يستأذن ؟ ائذنوا له . فطلبوه فوجدوه قد ذهب، فلما جاء بعد ذلك؛ قال: ما رجعك[٤] ؟ قال: إني استأذنت ثلاثًا فلم يؤذن لي، وإني سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول: « **إذا[٥] استأذن أحدكم ثلاثًا فلم يؤذن له فلينصرف** ». فقال عمر[٦] : لتأتين[٧] علىٰ هذا ببينة وإلا أوجعتك ضربًا . فذهب إلىٰ ملإ من الأنصار فذكر لهم ما قال عمر؛ فقالوا: لا يشهد لك إلا أصغرنا، فقام معه أبو سعيد الخدري فأخبر عمر بذلك؛ فقال: ألهاني عنه الصفق بالأسواق .

وقال الإمام أحمد(٦٤) : حدَّثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن ثابت، عن أنس أو غيره: أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم استأذن على سعد بن عبادة فقال: « **السلام عليك ورحمة الله** ». فقال سعد: وعليك السلام ورحمة الله . ولم يسمع النبي صلىٰ الله عليه وسلم حتىٰ سلم ثلاثًا ورد عليه سعد ثلاثًا، ولم يسمعه؛ فرجع النبي صلىٰ الله عليه وسلم فاتبعه

(٦٣) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب : التسليم والاستئذان ثلاثًا حديث (٦٢٤٥)، وصحيح مسلم حديث (٢١٥٣) .
(٦٤) المسند (١٣٨/٣) .

[١] - في خ، ت : «أمرهم».
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ت : « ثلاث مرات » .
[٤] - في خ، ت : « أرجعك » .
[٥] - في ت : « إن » .
[٦] - سقط من : خ، ز .
[٧] - في خ، ت : « لتأتيني» .

سعد فقال: يا رسول الله؛ بأبي أنت وأمي ! ما سلمت تسليمة إلا وهي بأذني ، ولقد رددت عليك ولم أسمعك؛ وأردت أن أستكثر من [سلامك ومن][١] البركة ، ثم أدخله البيت ، فقرب إليه زبيبًا ، فأكل نبي الله ، فلما فرغ قال : « **أكل طعامكم الأبرار ، وصلت عليكم الملائكة ، وأفطر عندكم الصائمون !** » .

وقد روىٰ أبو داود (٦٥) والنسائي من حديث أبي عمرو الأوزاعي : سمعت يحيىٰ بن أبي كثير يقول : حدثني محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة ، عن قيس بن سعد - هو ابن عبادة - قال: زارنا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في منزلنا فقال: « **السلام عليكم ورحمة الله** » . فرد سعد ردًّا خفيًّا . قال قيس : فقلت : ألا تأذن لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؟ فقال : دعه[٢] يكثر علينا من السلام . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **السلام عليكم ورحمة الله** » . فرد سعد ردًّا خفيًّا . ثم قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **السلام عليكم ورحمة الله** » . ثم رجع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم واتبعه سعد . فقال : يا رسول الله؛ إني كنت أسمع تسليمك وأرد عليك ردًّا خفيًّا لتكثر علينا من السلام . قال[٣] : فانصرف معه [رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وأمر له سعد بغسل ، فاغتسل ، ثم ناوله بملحفة مصبوغة][٤] بزعفران أو ورس فاشتمل بها ، ثم رفع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يديه وهو يقول : « **اللهم اجعل صلاتك ورحمتك علىٰ آل سعد بن عبادة** » . قال : ثم أصاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من الطعام ، فلما أراد الانصراف قرب إليه[٥] سعد حمارًا قد وطيء عليه بقطيفة ، فركب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال سعد : يا قيس؛ اصحب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، قال قيس : فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **اركب** » فأبيت فقال : « **إما أن تركب وإما أن تنصرف** » قال : فانصرفت .

وقد رُوي هذا من وجه آخر ، فهو حديث جيد قوي ، والله أعلم .

ثم ليعلم أنه ينبغي للمستأذن علىٰ أهل المنزل أن لا يقف تلقاء الباب بوجهه ، ولكن ليكن

(٦٥) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب : كم مرة يسلم الرجل في الاستئذان حديث (٥١٨٥) ، والنسائي في السنن الكبرى حديث (١٠١٥٧) ، (١٠١٥٩) من طريق عبد الله ، عن الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أتى سعد بن عبادة زائرًا ، فذكر الحديث .

[١] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز: «سماعك و» .

[٢] - في ز : « ودعه » .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٥] - في ز : « له » .

الباب عن يمينه أو يساره ؛ لما رواه أبو داود(٦٦) : حَدَّثَنَا مؤمّل بن الفضل الحراني في آخرين قالوا : حَدَّثَنَا بقية ، حَدَّثَنَا محمد بن عبد الرحمن ، عن عبد اللّه بن بسر[١] قال : كان رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم إذا أتىٰ باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر ويقول[٢] : « **السلام عليكم السلام عليكم** ». وذلك أن الدور لم يكن عليها يومئذ ستور . تفرد[٣] به أبو داود .

وقال أبو داود(٦٧) أيضًا : حَدَّثَنَا عثمان بن أبي شيبة ، حَدَّثَنَا جرير ح . قال أبو داود : حَدَّثَنَا أبو بكر بن أبي شيبة ، حَدَّثَنَا حفص ، عن الأعمش ، عن طلحة ، عن هزيل قال : جاء رجل - قال عثمان: سعد - فوقف علىٰ باب النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم يستأذن، فقام علىٰ الباب - قال عثمان : مستقبل الباب - فقال له النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **هكذا عنك - أو هكذا ؛ فإنما الاستئذان من النظر** » .

وقد رواه أبو داود الطيالسي، عن سفيان الثوري ، عن الأعمش ، عن طلحة بن مصرف ، عن رجل ، عن سعد ، عن النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم - رواه أبو داود(٦٨) من حديثه .

وفي الصحيحين(٦٩) عن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم أنه قال: « **لو أن امرءًا اطلع عليك بغير إذن ؛ فحذفته[٤] بحصاة ؛ ففقأت عينه ما كان عليك من جناح** » .

وأخرج الجماعة(٧٠) من حديث شعبة ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر قال : أتيت النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم في دين كان علىٰ أبي فدققت الباب فقال : « **من ذا؟** » . قلت[٥] : أنا . قال : « **أنا أنا ؟** » . كأنه كرهه . وإنما كره ذلك ؛ لأن هذه اللفظة لا يعرف صاحبها حتىٰ يفصح باسمه أو كنيته التي هو مشهور بها ، وإلا فكل أحد يعبر عن نفسه بـ « أنا » فلا يحصل بها المقصود من الاستئذان الذي هو الاستئناس المأمور به في الآية .

(٦٦) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب : كم مرة يسلم الرجل في الاستئذان حديث (٥١٨٦) .
(٦٧) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب : الاستئذان ، حديث (٥١٧٤) .
(٦٨) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب : الاستئذان ، حديث (٥١٧٥) .
(٦٩) صحيح البخاري ، كتاب الديات حديث (٦٩٠٢) ، وصحيح مسلم ، كتاب الأدب (٢١٥٨) .
(٧٠) صحيح البخاري ، كتاب الاستئذان ، (٦٢٥٠) ، وصحيح مسلم ، كتاب الآداب (٢١٥٥) ، وسنن أبي داود ، كتاب الأدب (٥١٨٧) ، وسنن الترمذي ، كتاب الاستئذان حديث (٢٧١١) ، والنسائي في السنن الكبرى حديث (١٠١٦٠) ، وسنن ابن ماجة حديث (٣٧٠٩) .

[١] - في ز : « بشر » .
[٢] - في ز : « فيقول » .
[٣] - في ت : « انفرد » .
[٤] - في خ ، ت : « فخذفته » .
[٥] - في خ ، ت : « فقلت » .

وقال العوفي عن ابن عباس : الاستئناس : الاستئذان . وكذا قال غير واحد . وقال ابن جرير : حَدَّثَنَا ابن بشار، حَدَّثَنَا محمد بن جعفر، حَدَّثَنَا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس في هذه الآية ﴿ **لا تدخلوا بيوتًا غير بيوتكم حتىٰ تستأنسوا وتسلموا** ﴾ قال : إنما هي خطأ من الكاتب (حتىٰ تستأذنوا[١] وتسلموا) .

وهكذا رواه[٢] هشيم عن أبي بشر، وهو جعفر بن إياس، [به . وروى معاذ[٣] بن سليمان ، عن جعفر بن إياس][٤] عن سعيد ، عن ابن عباس بمثله ، وزاد : وكان ابن عباس يقرأ : (**حتىٰ تستأذنوا وتسلموا**) وكان يقرأ علىٰ قراءة أبيّ بن كعب رضي اللّه عنه وهذا غريب جدًّا عن ابن عباس.

وقال هشيم : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم قال : في مصحف ابن مسعود : (**حتىٰ تسلموا علىٰ أهلها وتستأذنوا**) وهذا أيضًا رواية عن ابن عباس وهو اختيار ابن جرير .

وقد قال الإمام أحمد(٧١) : حَدَّثَنَا روح، حَدَّثَنَا ابن جريج، أخبرني عمرو بن أبي سفيان : أن عمرو بن أبي صفوان أخبره : أن كلدة بن الحنبل أخبره : أن صفوان بن أمية بعثه في الفتح بلبأ وجداية وضغابيس[٥] والنبي صلىٰ اللّه عليه وسلم بأعلىٰ الوادي قال : فدخلت [عليه] ولم أسلم ولم أستأذن . فقال النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم « **ارجع فقل : السلام! عليكم أأدخل؟** » . وذلك بعد ما أسلم صفوان[٦] ، ورواه أبو داود والترمذي ، والنسائي من حديث ابن جريج به(٧٢) ، وقال الترمذي : حسن غريب لا نعرفه إلا من حديثه .

---

(٧١) - رواه أحمد حديث ١٥٤٦٦ - (٤١٤/٣) .
وقوله : لِبأ : اللِّبأ ؛ مهموز وزان عنب : أول اللبن عند الولادة ، وقال أبو زيد : وأكثرما يكون ثلاث حلبات، وأقلّه حلبة. المصباح المنير [٥٤٨/٢] .
والجداية : بفتح الجيم وكسرها : أولاد الظباء ذكرًا كان أو أنثى مما بلغ ستة أشهر أو سبعة أشهر بمنزلة الجدي من المعز كذا في النهاية « ينظر عون المعبود » (٥٥/٧) (٥١٦٥) .
وضغابيس : جمع ضغْبوس - بفتح الضاد وسكون الغين المعجمتين - وهو صغير القثاء . « ينظر عون المعبود » (٥٥/٧) .
(٧٢) - رواه أبو داود في كتاب الأدب ، باب : كيف الاستئذان (٣٤٤/٤) حديث (٥١٧٦) . والترمذي في كتاب الاستئذان ، باب : ما جاء في التسليم قبل الاستئذان (٦٢/٥) حديث (٢٧١٠) .

---

[١] - في م : « تستأنسوا » .
[٢] - في خ : « روى » .
[٣] - في ز : « سعاد » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - في ز : « ضغاييس » .
[٦] - سقط من : ت .

وقال أبو داود(٧٣) : حَدَّثَنَا أبو بكر بن أبي شيبة ، حَدَّثَنَا أبو الأحوص ، عن منصور ، عن ربعي . قال : حَدَّثَنَا[١] رجل من بني عامر استأذن علي النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم وهو في بيته فقال : أألج؟[٢] فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم لخادمه : « **اخرج إلىٰ هذا ، فعلمه الاستئذان فقل له : قل : السلام عليكم أأدخل؟** » . فسمعه الرجل . فقال : السلام عليكم أأدخل ؟ فأذن له النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فدخل .

وقال هشيم : أخبرنا منصور ، عن ابن سيرين ، وأخبرنا يونس بن عبيد ، عن عمرو[٣] بن سعيد الثقفي : أن رجلًا استأذن علىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال : أألج ؟ أو أنلج ؟ فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم لأمة له - يقال لها : روضة - : « **قومي إلىٰ هذا فعلميه ؛ فإنه لا يحسن يستأذن ، فقولي له : يقول : السلام عليكم أأدخل؟** » فسمعها[٤] الرجل فقالها ؛ فقال : « **ادخل** » .

وقال الترمذي(٧٤) : حَدَّثَنَا الفضل بن الصباح ، حَدَّثَنَا سعيد بن زكريا ، عن عنبسة بن عبد الرحمن ، عن محمد بن زاذان ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد اللَّه قال : قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم : « **السلام قبل الكلام** » .

ثم قال الترمذي(*) : عنبسة ضعيف الحديث ذاهب ، ومحمد بن زاذان منكر الحديث .

وقال هشيم(٧٥) : قال مغيرة : قال مجاهد : جاء ابن عمر من حاجة وقد أذاه الرمضاء ؛ فأتىٰ فسطاط امرأة من قريش فقال : السلام عليكم أأدخل ؟ قالت : ادخل بسلام ، فأعاد ، فأعادت وهو يراوح[٥] بين قدميه قال : قولي : ادخل . قالت : ادخل . فدخل .

[وقال ابن][٦] أبي حاتم : حَدَّثَنَا أبو سعيد الأشج ، حَدَّثَنَا أبو نعيم الأحول ، حدثني خالد ابن إياس ، حدثتني جدتي أم إياس قالت : كنت في أربع نسوة يستأذنّ[٧] [علىٰ

(٧٣) تفسير الطبري (٨٧/١٨) .
(٧٤) سنن الترمذي ، كتاب الاستئذان والأدب ، حديث (٢٦٩٩) .
(*) في السنن : هذا حديث منكر لا نعرفه إلا من هذا الوجه وسمعت محمدًا يقول .... فذكره .
(٧٥) تفسير الطبري (٨٧/١٨) .

[١] - في خ ، ز : « جاء » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « عمر » .
[٤] - في خ ، ت : « فسمعه » .
[٥] - في ز : « يروح » .
[٦] - في خ ، ت : « لابن » .
[٧] - في خ ، ت : « استأذن » .

عائشة][١] ، فقلت[٢] : ندخل ؟ قالت[٣] : لا ، قلن[٤] لصاحبتكن : تستأذن[٥] . فقالت : السلام عليكم أندخل ؟ قالت : ادخلوا ، ثم قالت : **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتًا غير بيوتكم حتىٰ تستأنسوا وتسلموا علىٰ أهلها ﴾** .

وقال هشيم(٧٦) : أخبرنا أشعث بن سوار ، عن كردوس ، عن ابن مسعود قال : عليكم أن تستأذنوا علىٰ أمهاتكم وأخواتكم . وقال[٦] أشعث عن عدي بن ثابت : أن امرأة من الأنصار قالت : يا رسول اللَّه ، إني أكون في منزلي علىٰ الحال التي لا أحب أن يراني أحد عليها ولا[٧] والد ، ولا ولد ، وإنه لا يزال يدخل عليّ رجل من أهلي ، وأنا علىٰ تلك الحال . قال : فنزلت **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتًا [غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها]﴾**[٨] .

وقال ابن جريج : سمعت عطاء بن أبي رباح يخبر عن ابن عباس -رضي اللَّه عنه- قال : ثلاث آيات جحدها الناس ؛ قال اللَّه تعالىٰ : **﴿ إن أكرمكم عند اللَّه أتقاكم ﴾** قال ويقولون : إن أكرمهم عند اللَّه أعظمهم بيتًا . قال : والإذن[٩] كله قد[١٠] جحده الناس . قال : قلت : أستأذن علىٰ أخواتي أيتام في حجري معي في بيت واحد ؟ قال : نعم . فرددت عليه[١١] ليرخص لي فأبىٰ ، فقال : تحب أن تراها عريانة ؟ قلت : لا ، قال : فاستأذن . قال : فراجعته أيضًا فقال : أتحب أن تطيع الله ؟ قال[١٢] : قلت : نعم . [ ][١٣] قال : فاستأذن .

قال ابن جريج : وأخبرني ابن طاوس عن أبيه قال : ما من امرأة أكره إليّ أن أرىٰ عورتها من ذات محرم . قال : وكان يشدد في ذلك .

وقال ابن جريج عن الزهري : سمعت هزيل بن شرحبيل الأودي الأعمىٰ أنه سمع ابن مسعود يقول : عليكم الإذن[١٤] علىٰ أمهاتكم .

---

(٧٦) تفسير الطبري (٨٧/١٨) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٢] - في ز : « فقلت » .
[٣] - في خ ، ت : « فقالت » .
[٤] - في خ ، ت : « فقلن » .
[٥] - في ز : « نستأذن » .
[٦] - في ز : « قال » .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - سقط من ت .
[٩] - في ز : « الأدب » .
[١٠] - سقط من : ز .
[١١] - سقط من : خ ، ز .
[١٢] - سقط من : ز .
[١٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « قال » .
[١٤] - سقط من : خ .

وقال ابن جريج: قلت لعطاء: أيستأذن الرجل علىٰ امرأته ؟ قال: لا . وهذا محمول علىٰ عدم الوجوب، وإلا فالأولىٰ أن يعلمها بدخوله ولا يفاجئها[١] به[٢] لاحتمال أن تكون علىٰ هيئة لا تحب أن يراها عليها .

وقال أبو جعفر بن جرير(٧٧) : حَدَّثَنَا القاسم، حَدَّثَنَا الحسين، حَدَّثَنَا محمد بن حازم، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن يحيىٰ بن الجزار، عن ابن أخي زينب امرأة عبد الله ابن مسعود عن زينب -رضي الله عنها- قالت: كان عبد الله إذا جاء من حاجة فانتهىٰ إلىٰ الباب تنحنح وبزق؛ كراهة[٣] أن يهجم منا علىٰ أمر يكرهه: إسناده صحيح .

وقال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا أحمد بن سنان الواسطي، حَدَّثَنَا عبد الله بن نمير، حَدَّثَنَا الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن أبي هبيرة قال: كان عبد الله إذا دخل الدار استأنس تكلم ورفع صوته .

وقال مجاهد: حتىٰ تستأنسوا قال: تنحنحوا أو تنخموا .

وعن الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- أنه قال: إذا دخل الرجل بيته استحب له أن يتنحنح أو يحرك نعليه. ولهذا جاء في الصحيح(٧٨) عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: **أنه نهىٰ أن يطرق الرجل أهله طروقًا** . وفي رواية: «**ليلًا يتخونهم**».

وفي الحديث الآخر(٧٩) : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قدم المدينة نهارًا فأناخ بظاهرها وقال «**انتظروا حتىٰ ندخل عشاء - يعني آخر النهار - حتىٰ تتمشط الشعثة وتستحد المغيبة**» .

وقال ابن أبي حاتم(٨٠) : حَدَّثَنَا أبي، حَدَّثَنَا أبو بكر بن أبي شيبة، حَدَّثَنَا عبد الرحمن

---

(٧٧) تفسير الطبري (٨٨/١٨) .

(٧٨) صحيح البخاري، كتاب النكاح حديث (٥٢٤٣، ٥٢٤٤)، وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها حديث (٧١٥) من حديث جابر، رضي الله عنه .

(٧٩) رواه البخاري في صحيحه حديث (٥٢٤٧) من حديث جابر، رضي الله عنه .

(٨٠) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٦٠٧/٨) ومن طريقه ابن ماجة في السنن حديث (٣٧٠٧)، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١٧٨/٤)، حدثنا عبيد بن غنام عن أبي بكر بن أبي شيبة، به . قال البوصيري في الزوائد (١٧١/٣) : «هذا إسناد ضعيف» .

---

[١] - في ز : «يخافصها» .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : «كراهية» .

ابن سليمان، عن واصل بن السائب، حدثني أبو سورة[١] ابن أخي أبي أيوب، عن أبي أيوب قال: قلت: يا رسول الله؛ هذا السلام فما الاستئناس؟ قال «**يتكلم الرجل**[٢] **بتسبيحة أو**[٣] **تكبيرة أو**[٤] **تحميدة ويتنحنح؛ فيؤذن أهل البيت**». هذا حديث غريب.

وقال قتادة في قوله: ﴿ **حتىٰ تستأنسوا** ﴾ [قال][٥] هو[٦] الاستئذان [ثلاثًا][٧]. [قال: وكان يقال][٨]: الاستئذان ثلاثًا. فمن لم يؤذن له فيهنّ[٩] فليرجع، أما الأولىٰ فليسمع الحي، وأما الثانية فليأخذوا حذرهم، وأما الثالثة فإن شاءوا أذنوا وإن شاءوا ردوا، ولا تقفن علىٰ باب قوم ردوك عن بابهم؛ فإن للناس حاجات ولهم أشغال، والله أولى بالعذر.

وقال مقاتل بن حيان في قوله: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتًا غير بيوتكم حتىٰ تستأنسوا وتسلموا علىٰ أهلها** ﴾ كان الرجل في الجاهلية إذا لقي صاحبه لا يسلم عليه ويقول: حييت صباحًا! وحييت مساء! وكان ذلك تحية القوم بينهم، وكان أحدهم ينطلق إلىٰ صاحبه فلا يستأذن حتىٰ يقتحم ويقول: قد دخلت [ونحو ذلك][١٠]؛ فيشق ذلك علىٰ الرجل، ولعله يكون مع أهله، فغير الله ذلك كله في ستر[١١] وعفة وجعله [نقيًا نزيهًا][١٢] من الدنس والقذر والدرن، فقال تعالىٰ: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتًا غير بيوتكم حتىٰ تستأنسوا وتسلموا علىٰ أهلها** ﴾.

وهذا الذي قاله مقاتل حسن؛ ولهذا قال: ﴿ **ذلكم خير لكم** ﴾ يعني الاستئذان، خير لكم، بمعنىٰ هو خير من الطرفين للمستأذن ولأهل البيت ﴿ **لعلكم تذكرون** ﴾. وقوله: ﴿ **فإن لم تجدوا فيها أحدًا فلا تدخلوها حتىٰ يؤذن لكم** ﴾ وذلك لما فيه من التصرف في ملك الغير بغير إذنه، فإن شاء أذن، وإن شاء لم يأذن ﴿ **وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكىٰ لكم** ﴾ [أي: إذا ردوكم من الباب قبل الإذن أو بعده ﴿ **فارجعوا هو أزكىٰ لكم** ﴾][١٣] أي: رجوعكم أزكىٰ وأطهر لكم ﴿ **والله بما تعملون عليم** ﴾.

---

[١] - في خ، ت: «ثورة».
[٢] - سقط من: ز.
[٣] - في ز: «و».
[٤] - في ز: «و».
[٥] - سقط من: ت.
[٦] - في خ: «هؤلاء».
[٧] - سقط من خ، ت.
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.
[٩] - في خ، ز: «منهم».
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.
[١١] - في ز: «شر».
[١٢] - في ز: «نبيا نزها».
[١٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.

وقال قتادة: قال بعض المهاجرين: لقد طلبت عمري كله هذه الآية فما أدركتها أن استأذن على بعض إخواني، فيقول لي: ارجع، فأرجع وأنا مغتبط ﴿ **وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكىٰ لكم والله بما تعملون عليم** ﴾.

وقال سعيد بن جبير [﴿ **وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا** ﴾ أي][١] : لا تقفوا علىٰ أبواب الناس.

وقوله: ﴿ **ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتًا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون** ﴾ هذه الآية الكريمة أخص من التي قبلها، وذلك أنها تقتضي جواز الدخول إلىٰ البيوت التي ليس فيها أحد إذا كان له متاع فيها بغير إذن، كالبيت المعد للضيف إذا أذن له فيه أول مرة كفى. قال ابن جريج: قال ابن عباس: ﴿ **لا تدخلوا بيوتًا غير بيوتكم** ﴾ ثم نسخ واستثنىٰ فقال: ﴿ **ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتًا غير مسكونة فيها متاع لكم** ﴾ وكذا روي عن عكرمة والحسن البصري. وقال آخرون: هي بيوت التجار كالخانات ومنازل الأسفار وبيوت مكة وغير ذلك. واختار ذلك ابن جرير وحكاه عن جماعة، والأول أظهر، والله أعلم. وقال مالك عن زيد بن أسلم: هي بيوت الشعر.

قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾

هذا أمر من الله تعالىٰ لعباده[٢] المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم عما حرم عليهم فلا ينظروا إلا [إلى][٣] ما أباح لهم النظر إليه، وأن يغضُّوا أبصارهم عن المحارم، فإن اتفق أن وقع البصر علىٰ محرم من غير قصد فليصرف بصره عنه سريعًا، كما رواه مسلم في صحيحه(٨١) من حديث يونس بن عبيد، عن عمرو بن سعيد، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير، عن جده [ ][٤] جرير بن عبد الله البجلي -رضي الله عنه- قال: سألت النبي صلىٰ الله عليه وسلم عن نظرة الفجأة؟ فأمرني أن أصرف بصري.

وكذا رواه الإمام أحمد، عن هشيم، عن يونس بن عبيد به. ورواه أبو داود والترمذي

---

(٨١) صحيح مسلم، كتاب الآداب (٢١٥٩)، والمسند (٣٦١/٤)، وسنن أبي داود، كتاب النكاح (٢١٤٨)، وسنن الترمذي، كتاب الأدب (٢٧٧٦)، والنسائي في السنن الكبرى حديث (٩٢٣٣).

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ت: « في الآية ». [٢] - في ز: « عباده ».
[٣] - سقط من خ. [٤] - ما بين المعكوفتين في ز: « عن ».

والنسائي من حديثه أيضًا، وقال الترمذي: حسن صحيح. وفي رواية لبعضهم فقال: «**أطرق بصرك**». يعني انظر إلىٰ الأرض، والصرف أعم؛ فإنه قد يكون إلىٰ الأرض وإلىٰ جهة أخرىٰ، والله أعلم.

وقال أبو داود(٨٢): حَدَّثَنَا إسماعيل بن موسىٰ الفزاري، حَدَّثَنَا شريك، عن أبي ربيعة الإيادي عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعليّ: «**يا عليّ؛ لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولىٰ وليس لك الآخرة**».

ورواه الترمذي من حديث شريك، وقال: غريب لا نعرفه إلا من حديثه.

وفي الصحيح(٨٣) عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «**إياكم والجلوس علىٰ الطرقات**». قالوا يا رسول الله؛ لا[١] بد لنا من مجالسنا نتحدث[٢] فيها، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «**إن أبيتم فأعطوا الطريق حقه**». قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: «**غض البصر وكف الأذىٰ، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر**».

وقال أبو القاسم البغوي: حَدَّثَنَا طالوت بن عباد، حَدَّثَنَا فضيل[٣] بن جبير، سمعت أبا أمامة يقول: سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول[٤]: «**اكفلوا لي بستٍّ[٥] أكفل لكم بالجنة، إذا حدث أحدكم فلا يكذب، وإذا ائتُمِنَ فلا يخن، وإذا وعد فلا يخلف، وغضوا[٦] أبصاركم، وكفوا أيديكم، واحفظوا فروجكم**»(٨٤).

وفي صحيح البخاري(٨٥): «**من يكفل لي ما بين لحييه و[ما بين][٧] رجليه أكفل له الجنة**».

(٨٢) سنن أبي داود، كتاب النكاح حديث (٢١٤٩)، وسنن الترمذي، كتاب الأدب حديث (٢٧٧٧) وشريك ضُعف لسوء حفظه.

(٨٣) صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب حديث (٢٤٦٥)، وصحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة حديث (٢١٢١) من حديث أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه.

(٨٤) رواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٣٩٢/٧) من طريق أبي القاسم البغوي، به. ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٣١٤/٨)، وابن حبان في المجروحين (٢٠٤/٢) من طريق فضال بن جبير. ويقال: ابن زبير، به. وقال ابن حبان: «فضال بن جبير لا يحل الاحتجاج به».

(٨٥) صحيح البخاري حديث (٦٤٧٤) من حديث سهل بن سعد، رضي الله عنه.

[١] - في ز: «ما».
[٢] - في خ، ز: «نقعد».
[٣] - في ز: «فضل».
[٤] - سقط من: ز.
[٥] - في ز: «لستٌ».
[٦] - في ز: «غضوا».
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز.

وقال عبد الرزاق : أنبأنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين عن عبيدة قال : كل ما عصي الله به فهو كبيرة ، وقد ذكر الطرفين فقال : ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم** ﴾ .

ولما كان النظر داعية إلىٰ فساد القلب ، كما قال بعض السلف : النظر سهام سمّ[١] إلىٰ القلب . ولذلك أمر الله بحفظ الفروج كما أمر بحفظ الأبصار التي هي بواعث إلىٰ ذلك ، فقال : ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم** ﴾ وحفظ الفرج تارة يكون بمنعه من الزنا ، كما قال : ﴿ **والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين** ﴾ . وتارة يكون بحفظه من النظر إليه ؛ كما جاء في الحديث في مسند أحمد والسنن(٨٦) « **احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك** » . ﴿ **ذلك أزكىٰ لهم** ﴾ أي :أطهر لقلوبهم واتقىٰ لدينهم ، كما قيل : من حفظ بصره أورثه الله نورًا في بصيرته ، ويروىٰ : في قلبه .

وقد[٢] قال الإمام أحمد(٨٧) : حدَّثَنا عتاب ، حدَّثَنا عبد الله بن المبارك ، أخبرنا يحيىٰ بن أيوب ، عن عبيد الله بن زحر ، عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة – رضي الله عنه – عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **ما من مسلم ينظر إلىٰ محاسن امرأة [أول مرة][٣] ثم يغض بصره إلا أخلف الله له عبادة يجد حلاوتها** » .

وروي هذا مرفوعا عن ابن عمر وحذيفة(٨٨) وعائشة – رضي الله عنهم – ولكن في إسنادها ضعف ؛ إلا أنها في الترغيب ومثله يتسامح فيه .

---

(٨٦) المسند (٣/٥ ، ٤) ، وسنن أبي داود حديث (٤٠١٧) ، وسنن ابن ماجة حديث (١٩٢٠) من حديث معاوية بن حيدة ، رضي الله عنه .

(٨٧) المسند (٢٦٤/٥) . وفي إسناده عبيد الله بن زحر ، قال ابن حبان : « يروى الموضوعات عن الأثبات وإذا روى عن علي بن يزيد أتى بالطامات ، وإذا اجتمع في إسناد خبر عبيد الله بن زحر وعلي بن يزيد والقاسم أبو عبد الرحمن ، لم يكن ذلك الخبر إلا مما عملته أيديهم » .

(٨٨) أما حديث حذيفة ، فرواه الحاكم في المستدرك (٣١٤/٤) من طريق إسحاق القرشي عن هشيم عن عبد الرحمن عن إسحاق عن محارب عن صلة بن زفر عن حذيفة ، رضي الله عنه ، وصححه الحاكم ، وتعقبه الذهبي . قلت : إسحاق واه وعبد الرحمن هو الواسطي ضعفوه .

وأما حديث ابن عمر ، فرواه أبو نعيم في الحلية (١٠١/٦) من طريق أبي اليمان عن أبي المهدي عن أبي الزاهرية عن كثير بن مرة عن ابن عمر ، رضي الله عنهما ، وإسناده ضعيف جدًا .

---

[١] – في ز : « سهم » . [٢] – سقط من خ ، ت .

[٣] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

وفي الطبراني(٨٩) من طريق عبيد اللَّه بن زحر[١] عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة مرفوعًا : « **لتغضن أبصاركم ولتحفظن فروجكم ولتقيمن وجوهكم أو لتكسفن وجوهكم** »

وقال الطبراني(٩٠) : حَدَّثَنَا أحمد بن زهير التستري ، قال : قرأنا على محمد بن حفص ابن عمر الضرير المقرئ ، حَدَّثَنَا يحيى بن أبي بكير ، حَدَّثَنَا هريم بن سفيان ، عن عبد الرحمن ابن إسحاق ، عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد اللَّه بن مسعود - رضي اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن النظر سهم من سهام إبليس مسموم ، من تركها مخافتي أبدلته إيمانًا يجد حلاوته في قلبه** » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **إن اللَّه خبير بما يصنعون**[٢] ﴾ كما قال تعالىٰ : ﴿ **يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور** ﴾ .

وفي الصحيح(٩١) عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **كتب علىٰ ابن آدم حظه من الزنا ، أدرك ذلك لا محالة ؛ فزنا العينين النظر ، وزنا اللسان النطق ، وزنا الأذنين الاستماع ، وزنا اليدين البطش ، وزنا الرجلين الخطىٰ ، والنفس تمنى وتشتهي ، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه** » . و[٣] **رواه البخاري تعليقًا ومسلم مسندًا من وجه آخر بنحو ما تقدم**[٤] .

وقد قال كثير من السلف : إنهم كانوا ينهون أن يُحِدَّ الرجل نظره[٥] إلىٰ الأمرد ، وقد شدد كثير من أئمة الصوفية في ذلك ، وحرمه طائفة من أهل العلم ؛ لما فيه من الافتتان ، وشدد آخرون في ذلك كثيرًا جدًّا .

وقال ابن أبي الدنيا(٩٢) : حَدَّثَنَا أبو سعيد المدني ، حَدَّثَنَا عمرو[٦] بن سهل المازني ،

---

(٨٩) المعجم الكبير (٨/٢٤٦) وعبيد الله بن زحر وعلي بن يزيد والقاسم ضعفاء .

(٩٠) المعجم الكبير (١٠/٢١٤) ، وقال الهيثمي في المجمع (٨:/٦٣) : « وفيه عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي وهو ضعيف » .

(٩١) صحيح البخاري ، كتاب الاستئذان حديث (٦٣٤٣) ، وصحيح مسلم ، كتاب القدر حديث (٢٦٥٧) .

(٩٢) ورواه أبو نعيم في الحلية (٣/١٦٣) من طريق داود بن عطاء عن عمر بن صهبان ، عن صفوان عن =

---

[١] - في خ ، ز : « يزيد » .
[٢] - في ز : « تصنعون » .
[٣] - سقط من خ ، ت .
[٤] - في ت : « ذكر » .
[٥] - في خ : « بصره » .
[٦] - في ز : « عمر » .

حدثني عمر بن محمد بن صهبان[١] ، عن صفوان بن سليم ، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **كل عين باكية[٢] يوم القيامة إلا عينًا غضت عن محارم الله، وعينًا سهرت في سبيل الله ، وعينًا يخرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله عز وجلّ** ».

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

هذا أمر من الله تعالىٰ للنساء المؤمنات، وغيرة منه لأزواجهن عباده المؤمنين، وتمييز لهن عن صفة نساء الجاهلية وفعال المشركات . وكان سبب نزول هذه الآية الكريمة[٣] ما ذكره مقاتل بن حيان قال : بلغنا -والله أعلم- أن جابر بن عبد الله الأنصاري حدث أن أسماء بنت مرشدة، كانت في محل لها في بني حارثة، فجعل النساء يدخلن عليها غير متأزرات فيبدو ما في أرجلهن من الخلاخيل[٤] ، وتبدو صدورهن وذوائبهن، فقالت أسماء: ما أقبح هذا ! فأنزل الله تعالىٰ : ﴿ **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهنّ** ﴾ الآية .

فقوله تعالىٰ : ﴿ **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن** ﴾ أي : عما[٥] حرم الله عليهن من النظر إلىٰ غير أزواجهن ؛ ولهذا ذهب [كثير من العلماء إلىٰ][٦] أنه لا يجوز للمرأة أن

= أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، به . فلا أدري أسقط أبو سلمة من إسناد ابن أبي الدنيا أم لا ؟ وعمر بن صهبان منكر الحديث اتفق الأئمة على تضعيفه .

[١] - في ز : « ههبان » .
[٢] - في خ ، ز : « زانية » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في خ ، ت : « الخلاخل » .
[٥] - في ز : « ما » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

تنظر إلىٰ الأجانب بشهوة ولا بغير شهوة أصلًا . واحتج كثير منهم بما رواه أبو داود والترمذي(٩٣) من حديث الزهري عن نبهان مولىٰ أم سلمة أنه حدثه أن أم سلمة حدثته أنها كانت عند رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وميمونة قالت : فبينما نحن عنده أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه - وذلك بعد ما أمرنا بالحجاب - فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **احتجبا منه** » . فقلت : يا رسول الله ؛ أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أو عمياوان أنتما ؟ ألستما تبصرانه ؟** » . ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

وذهب آخرون من العلماء إلىٰ جواز نظرهن إلىٰ الأجانب بغير شهوة ، كما ثبت في الصحيح(٩٤) أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم جعل ينظر إلىٰ الحبشة وهم يلعبون بحرابهم يوم العيد في المسجد وعائشة أم المؤمنين تنظر إليهم من ورائه وهو يسترها منهم حتىٰ ملت ورجعت .

وقوله[١] : ﴿ **ويحفظن فروجهن** ﴾ قال[٢] سعيد بن جبير : عن الفواحش . وقال قتادة وسفيان : عما لا يحل لهن . وقال مقاتل : عن الزنا . وقال أبو العالية : كل آية أنزلت[٣] في القرآن يذكر فيها حفظ الفروج فهو من الزنا إلا هذه الآية ﴿ **ويحفظن فروجهن** ﴾ أن لا يراها أحد . قال : ﴿ **ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها** ﴾ أي : و[٤] لا يظهرن شيئًا من الزينة للأجانب إلا ما لا يمكن إخفاؤه . قال[٥] ابن مسعود : كالرداء والثياب . يعني علىٰ ما كان يتعاناه نساء العرب من المقنعة التي تجلل ثيابها وما يبدو من أسافل الثياب فلا حرج عليها فيه ؛ لأن هذا لا يمكن إخفاؤه . [ونظيره في زي النساء ما يظهر من إزارها وما لا يمكن إخفاؤه . وقال][٦] بقول[٧] ابن مسعود الحسن وابن سيرين وأبو الجوزاء وابراهيم النخعي وغيرهم ، وقال الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﴿ **ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها** ﴾ قال : وجهها وكفيها والخاتم . وروي عن ابن عمر وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبير ، وأبي[٨] الشعثاء والضحاك ، وإبراهيم النخعي وغيرهم نحو ذلك ، وهذا يحتمل أن يكون تفسيرًا للزينة التي نهين عن إبدائها ، كما قال أبو إسحاق السبيعي عن أبي الأحوص

---

(٩٣) سنن أبي داود ، كتاب اللباس حديث (٤١١٢) ، وسنن الترمذي ، كتاب الأدب حديث (٢٧٧٨) .
(٩٤) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة حديث (٤٥٤) .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « وقال » .
[٣] - في خ ، ت : « نزلت » .
[٤] - سقط من خ ، ت .
[٥] - في ز : « وقال » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٧] - في ز : « يقول » .
[٨] - في ز : « أبو » .

عن عبد اللَّه قال[١] في قوله: ﴿ **ولا يبدين زينتهن** ﴾ الزينة القرط والدملوج والخلخال[٢] والقلادة . وفي رواية عنه بهذا الإسناد قال: الزينة زينتان ؛ فزينة لا يراها إلا الزوج: الخاتم والسوار، [وزينة يراها الأجانب][٣] وهي الظاهر من الثياب .

وقال الزهري: [لا يبدين][٤] لهؤلاء الذي سمىٰ اللَّه ممن لا تحل[٥] له إلا الأسورة والأخمرة والأقرطة من غير حسر ، وأما عامة الناس فلا يبدو منها إلا الخواتم .

وقال مالك عن الزهري: ﴿ **إلا ما ظهر منها** ﴾ الخاتم والخلخال .

ويحتمل أن ابن عباس ومن تابعه أرادوا تفسير ما ظهر منها بالوجه والكفين، وهذا هو المشهور عند الجمهور ، ويستأنس له بالحديث الذي رواه أبو داود في سننه (٩٥) :

حَدَّثَنَا يعقوب بن كعب الإنطاكي ، ومؤمل بن الفضل الحراني[٦] قالا : حَدَّثَنَا الوليد عن سعيد بن بشير عن قتادة عن خالد بن دريك عن عائشة -رضي اللَّه عنها- أن أسماء بنت أبي بكر دخلت علىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال: « يا أسماء؛ إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرىٰ منها إلا هذا ». وأشار إلىٰ وجهه وكفيه ، لكن قال أبو داود وأبو حاتم الرازي: هذا[٧] مرسل . خالد بن دريك لم يسمع من عائشة ، واللَّه أعلم .

وقوله تعالىٰ: ﴿ **وليضربن بخمرهن علىٰ جيوبهن** ﴾ يعني المقانع يعمل لها ضيقات ضاربات علىٰ [صدور النساء][٨] لتواري ما تحتها من صدرها وترائبها ليخالفن شعار نساء أهل الجاهلية ، فإنهن لم يكن يفعلن ذلك بل كانت المرأة منهن تمر بين الرجال مسفحة بصدرها لا يواريه شيء ، وربما أظهرت عنقها وذوائب شعرها وأقرطة آذانها ، فأمر اللَّه المؤمنات أن يستترن في هيئاتهن وأحوالهن ، كما قال الله تعالىٰ: ﴿ **يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنىٰ أن يعرفن فلا يؤذين** ﴾ وقال في هذه الآية الكريمة ﴿ **وليضربن بخمرهن علىٰ جيوبهن** ﴾ والخمر جمع خمار ، وهو ما يخمر[٩] ، أي :يغطىٰ به الرأس وهي التي تسميها الناس المقانع .

---

(٩٥) سنن أبي داود ، كتاب اللباس حديث (٤١٠٤) .

---

[١] - سقط من : ت .
[٢] - في ز : « الدملج » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « يحل » .
[٦] - في خ : « الجواني » .
[٧] - في خ ، ت : « هو » .
[٨] - ما بين المعكوفتين في ت : « صدورهن » .
[٩] - بعده في خ ، ت : به .

قال سعيد بن جبير: ﴿ وليضربن ﴾ وليشددن ﴿ بخمرهن علىٰ جيوبهن ﴾ يعني علىٰ النحر والصدر فلا يرىٰ منه شيء .

وقال البخاري(٩٦) : وقال[١] أحمد بن شبيب: حَدَّثَنَا أبي ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة -رضي اللَّه عنها- قالت : يرحم اللَّه نساء المهاجرات الأول ! لما أنزل اللَّه : ﴿ وليضربن بخمرهن علىٰ جيوبهن ﴾ شققن مروطهن فاختمرن بها[٢] .

وقال أيضا(٩٧) : حَدَّثَنَا أبو نعيم، حَدَّثَنَا إبراهيم بن نافع ، عن الحسن بن مسلم ، عن صفية بنت شيبة أن عائشة -رضي اللَّه عنها- [كانت تقول][٣] : لما نزلت هذه الآية ﴿ وليضربن بخمرهن علىٰ جيوبهن ﴾ أخذن أزرهن فشققنها من قبل الحواشي فاختمرن بها .

وقال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا أبي ، حَدَّثَنَا أحمد بن عبد اللَّه بن يونس ، حدثني الزنجي بن خالد ، حَدَّثَنَا عبد اللَّه بن عثمان بن خثيم[٤] ، عن صفية بنت شيبة قالت : بينا نحن عند عائشة قالت : فذكرن نساء قريش وفضلهن ، فقالت عائشة رضي اللَّه عنها : إن لنساء قريش لفضلًا ، وإني واللَّه ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقًا لكتاب[٥] اللَّه ولا إيمانًا بالتنزيل لقد أنزلت سورة النور ﴿ وليضربن بخمرهن علىٰ جيوبهن ﴾ انقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل اللَّه[٦] إليهم فيها ويتلو الرجل علىٰ امرأته وابنته وأخته وعلىٰ كل ذي قرابته ، فما منهن امرأة إلا قامت إلىٰ مرطها المرحل[٧] فاعتجرت به ، تصديقًا وإيمانًا بما أنزل اللَّه من كتابه ، فأصبحن وراء رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم الصبح معتجرات ، كأن علىٰ رءوسهن الغربان . ورواه أبو داود(٩٨) من غير وجه عن صفية بنت شيبة به .

وقال ابن جرير(٩٩) : حَدَّثَنَا يونس ، أخبرنا ابن وهب : أن قرة[٨] بن عبد الرحمن ، أخبره

---

(٩٦) صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن حديث (٤٧٥٨) .

(٩٧) صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن حديث (٤٧٥٩) .

(٩٨) سنن أبي داود ، كتاب اللباس حديث (٤١٠٠ ، ٤١٠١) .

(٩٩) تفسير الطبري (٩٤/١٨) ، وسنن أبي داود ، كتاب اللباس حديث (٤١٠٢) . وقرة بن عبد الرحمن : صدوق له مناكير .

---

[١] - في خ ، ز : « وحدثنا » .

[٢] - في ز : « به » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « قالت » .

[٤] - في خ ، ت : « خيثم » .

[٥] - في ز : « بكتاب » .

[٦] - سقط من : ز .

[٧] - في ز : « المراجل » .

[٨] - في خ ، ز : قرقرة » .

عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أنها قالت : يرحم الله النساء المهاجرات الأول ! لما أنزل الله ﴿ **وليضربن بخمرهن علىٰ جيوبهن** ﴾ شققن أكثف مروطهن فاختمرن به[١] . ورواه أبو داود من حديث ابن وهب به .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن** ﴾ يعني[٢] :أزواجهن ﴿ **أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن** ﴾ كل هؤلاء محارم للمرأة يجوز لها أن تظهر عليهم[٣] بزينتها ولكن من غير [اقتصاد وتبهرج][٤].

وقال[٥] ابن المنذر : حَدَّثَنَا موسىٰ - يعني : ابن هارون - حَدَّثَنَا أبو بكر - يعني ابن أبي شيبة - حَدَّثَنَا عفان ، حَدَّثَنَا حماد بن سلمة ، أخبرنا داود ، عن الشعبي وعكرمة في هذه الآية : ﴿ **ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن** ﴾ حتىٰ فرغ منها قال : لم يذكر العم ولا الخال لأنهما يتبعان لأبنائهما ، ولا تضع خمارها عند العم والخال ، فأما الزوج فإنما ذلك كله من أجله فتتصنع له ما لا يكون بحضرة غيره .

وقوله : ﴿ **أو نسائهن** ﴾ يعني تظهر زينتها[٦] أيضًا للنساء المسلمات دون نساء[٧] أهل[٨] الذمة لئلا تصفهن لرجالهن ، وذلك وإن كان محذورًا في جميع النساء ، إلا أنه في نساء أهل الذمة أشد فإنهن [لا يمنعهن[٩] من ذلك مانع ، وأما[١٠] المسلمة فإنها تعلم أن ذلك حرام فتنزجر عنه][١١] ، وقد قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « لا تباشر المرأة المرأة تنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها » . أخرجاه في الصحيحين عن ابن مسعود(١٠٠) .

وقال سعيد بن منصور في سننه(١٠١) : حَدَّثَنَا إسماعيل بن عياش ، عن هشام بن الغاز ، عن عبادة بن نسي ، عن أبيه ، عن الحارث بن قيس قال : كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلىٰ أبي عبيدة : أما بعد ، فإنه بلغني أن نساء من نساء المسلمين يدخلن الحمامات

(١٠٠) صحيح البخاري حديث (٥٢٤١) .

(١٠١) ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٩٥/٧) من طريق سعيد بن منصور ، به .

[١] - في خ ، ت : « بها » .
[٢] - في خ ، ت : « أي » .
[٣] - سقط من: ت .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ت : « تبرج » .
[٥] - في ز : « قال » .
[٦] - في خ ، ت : « بزينتها » .
[٧] - في خ ، ت : « النساء » .
[٨] - سقط من : خ ، ز .
[٩] - سقط من : ز .
[١٠] - في خ ، ت : « فأما » .
[١١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

مع نساء أهل الشرك ، فإنه من قبلك ، فلا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن ينظر إلىٰ عورتها إلا أهل ملتها .

وقال مجاهد في قوله : ﴿ أو نسائهن ﴾ قال : نساؤهن المسلمات ليس المشركات من نسائهن ، وليس للمرأة المسلمة أن تنكشف بين يدي المشركة[١] .

وروىٰ عبد في تفسيره عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ﴿أو نسائهن﴾ قال : هنّ المسلمات لا تبديه ليهودية ولا نصرانية ، وهو النحر والقُرط والوشاح وما لا[٢] يحل أن يراه إلا محرم .

وروىٰ سعيد : حَدَّثَنَا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد قال : لا تضع المسلمة خمارها عند مشركة ؛ لأن الله تعالىٰ يقول : ﴿ أو نسائهن ﴾ فليست[٣] من نسائهنّ .

وعن مكحول وعبادة بن نسي ، أنهما كرها أن تقبل النصرانية واليهودية والمجوسية المسلمة .

فأما ما رواه ابن أبي حاتم : حَدَّثَنَا علي بن الحسين ، حَدَّثَنَا أبو عمير ، حَدَّثَنَا ضمرة قال : قال ابن عطاء عن أبيه[٤] قال : لما[٥] قدم أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بيت المقدس كان قوابل نسائهم[٦] اليهوديات والنصرانيات ، فهذا إن صح محمول[٧] علىٰ حال الضرورة ، أو أن ذلك من باب الامتهان ، ثم إنه ليس فيه كشف عورة[٨] ولابد ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ أو ما ملكت أيمانهنّ ﴾ قال ابن جريج[٩] : يعني من نساء المشركين ، فيجوز لها أن تظهر [زينتها لها ، ، وإن كانت مشركة لأنها أمتها . وإليه ذهب سعيد بن المسيب ، وقال الأكثرون : بل يجوز لها أن تظهر][١٠] علىٰ رقيقها من الرجال والنساء واستدلوا بالحديث الذي رواه أبو داود(١٠٢) : حَدَّثَنَا محمد بن عيسىٰ ، حَدَّثَنَا أبو جميع سالم بن دينار ، عن ثابت ، عن أنس – رضي الله عنه – أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أتىٰ فاطمة

(١٠٢) سنن أبي داود ، كتاب اللباس حديث (٤١٠٦) .

[١] – في خ ، ت : « مشركة » .
[٢] – سقط من : ز .
[٣] – في ز : « فليس » .
[٤] – بعده في خ ، ت : قال .
[٥] – في ز : « ولما » .
[٦] – في خ ، ت : « نسائهن » .
[٧] – في خ ، ت : « فمحمول » .
[٨] – في خ ، ت : « عرة » .
[٩] – في ت : « جرير » .
[١٠] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

بعبد قد وهبه لها قال: وعلىٰ فاطمة ثوب إذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها وإذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها فلما رأىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ما تلقىٰ قال: «**إنه ليس عليك بأس، إنما هو أبوك وغلامك**».

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر(١٠٣) في تاريخه في[١] ترجمة [خديج الحصى][٢] مولىٰ معاوية أن عبد اللَّه بن مسعدة الفزاري كان أسود شديد الأدمة، وأنه قد كان النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم وهبه لابنته فاطمة فربته ثم أعتقته، ثم قد كان بعد ذلك كله مع معاوية أيام صفين، وكان من[٣] أشد الناس علىٰ علي[٤] بن أبي طالب رضي اللَّه عنه.

وقال الإمام أحمد(١٠٤): حَدَّثَنَا سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن نبهان، عن أم سلمة ذكرت أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال: «**إذا كان لإحداكن مكاتب، وكان له ما يؤدي فلتحتجب منه**». ورواه أبو داود عن مسدد عن سفيان به[٥].

وقوله: ﴿**أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال**﴾ يعني كالأجراء والأتباع الذين ليسوا[٦] بأكفاء، وهم مع ذلك في عقولهم وَلَهٌ وخَوَثٌ، ولا همّ لهم إلىٰ النساء ولا يشتهونهنّ. قال ابن عباس: هو المغفل الذي لا شهوة له.

وقال مجاهد: هو الأبله.

وقال عكرمة: هو المخنث الذي لا يقوم زُبُّه[٧]. وكذلك قال غير واحد من السلف، وفي الصحيح(١٠٥) من حديث الزهري عن عروة عن عائشة أن مخنثًا[٨] كان يدخل علىٰ أهل رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم، وكانوا يعدونه من غير أولي الإربة، فدخل النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم: وهو ينعت امرأة يقول[٩]: إنها إذا أقبلت أقبلت بأربع، وإذا أدبرت أدبرت بثمان، فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم: «**ألا أرىٰ هذا يعلم ما هاهنا لا يدخلنّ**

(١٠٣) تاريخ دمشق (٢٧٨/٤ «المخطوط»).

(١٠٤) المسند (٢٨٩/٦)، وسنن أبي داود، كتاب العتق حديث (٣٩٢٨).

(١٠٥) صحيح مسلم حديث (٢١٨١) وزيادة: «فكان بالبيداء يدخل كل يوم جمعة ..... الحديث» أخرجها أبو داود، كتاب اللباس حديث (٤١٠٩) من طريق الزهري، به، وليست في صحيح مسلم.

[١] - سقط من: ز.

[٢] - ما بين المعكوفتين في خ، ت: «حُديج الخصى». [٣] - سقط من: ز.

[٤] - سقط من: ز. [٥] - سقط من: ز.

[٦] - في ز: «ليس». [٧] - في ت: «ذكره».

[٨] - في ز: «مونثًا». [٩] - سقط من: ز.

عليكم » . فأخرجه فكان بالبيداء يدخل [كل يوم][١] جمعة يستطعم .

وقال الإمام أحمد(١٠٦) : حَدَّثَنَا أبو معاوية : حَدَّثَنَا هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن زينب بنت أبي سلمة ، عن أم سلمة [أنها قالت][٢] : دخل [علينا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم][٣] وعندها مخنث(*) وعندها عبد الله بن أبي أمية [يعني أخاها والمخنث يقول: يا عبد الله بن أبي أمية][٤] ؛ إن فتح الله عليكم الطائف غدًا فعليك بابنة غيلان ، فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان(**) . قال : فسمعه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال لأم سلمة: « **لا يدخلن هذا عليك** » . أخرجاه في الصحيحين من حديث هشام بن عروة به .

وقال الإمام أحمد(١٠٧) : حَدَّثَنَا عبد الرزاق ، حَدَّثَنَا معمر ، عن الزهري ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رجل يدخل علىٰ أزواج النبي صلىٰ الله عليه وسلم مخنث ، وكانوا يعدونه من غير أولي الإربة ، فدخل النبي صلىٰ الله عليه وسلم

---

(١٠٦) المسند (٦/٢٩٠) (٢٦٦٠٠) وأخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب : غزوة الطائف . الفتح : (٧/٦٣٩/رقم : ٤٣٢٤) وطرفاه في (٥٢٣٥ ، ٥٨٨٧) . ومسلم في صحيحه في كتاب السلام ، باب : منع المخنث من الدخول على النساء الأجانب . (٤/١٧١٥/رقم : ٢١٨٠) . وأبو داود في سننه في كتاب الأدب ، باب : في الحكم في المخنثين . (٤/٤٨٤/رقم : ٤٩٢٩) . والنسائي في الكبرى في كتاب عشرة النساء ، باب : دخول المخنث على النساء . (٥/٣٩٥ ، ٣٩٦/رقم : ٩٢٤٥ ، ٩٢٤٩ ، ٩٢٥٠) . وابن ماجة في سننه في كتاب النكاح ، باب : في المخنثين (١/٦١٣/رقم : ١٩٠٢) . وكتاب الحدود ، ، باب : المخنثين (٢/٨٧٢/رقم : ٢٦١٤) . كلهم من طريق هشام بن عروة به .

(*) المخنَّث – بكسر النون وفتحها – : هو الذي يشبه النساء في أخلاقه وكلامه وحركاته ، والفعل : خَنَّث ، بتشديد النون . شرح النووي على صحيح مسلم بتصرف [١٤/٢٣٣] .

(**) تقبل بأربع وتدبر بثمان : قال أبو عبيد وسائر العلماء : معنى قوله : « تقبل بأربع وتدبر بثمان » . أي : أربع عُكَن – والعُكن جمع عُكْنة وهي الطَّيُّ في البطن من السِّمَن – وثمان عُكن . قالوا : ومعناه : أن لها أربع عُكَن تقبل بهن ، من كل ناحية ثنتان ، ولكل واحدة طرفان ، فإذا أدبرت صارت الأطراف ثمانية . قالوا : وإنما ذَكَّر فقال : « بثمان » . وكان أصله أن يقول : « بثمانية » ؛ فإن المراد الأطراف ، وهي مذكرة ؛ لأنه لم يذكر لفظ المذكر ، ومتى لم يذكره جاز حذف الهاء ، كقوله – صلى الله عليه وسلم – : « من صام رمضان وأتبعه بستٍّ من شوال » . شرح النووي على صحيح مسلم [١٤/ ٢٣٣ ، ٢٣٤]، المصباح المنير [٢/٤٢٤] .

(١٠٧) المسند (٦/١٥٢) (٢٥٢٩٤) ، وأخرجه مسلم في كتاب السلام ، باب : منع المخنث من الدخول على النساء الأجانب . (٤/١٧١٦ /رقم : ٢١٨١) . وأبو داود في كتاب اللباس ، باب : في قوله «(غير أولي الإربة ») . (٤/٦١ ، ٦٢/رقم : ٤١٠٧ – ٤١١٠) . والنسائي في الكبرى في كتاب عشرة النساء ، باب : دخول المخنث على النساء . (٥/٣٩٥/رقم : ٩٢٤٦ ، ٩٢٤٧) . كلهم من طريق عروة به .

---

[١] – ما بين المعكوفتين في ز : « يوم كل » . [٢] – ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « قال » .
[٣] – ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « عليها » . [٤] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

يومًا[١]، وهو عند بعض نسائه، وهو ينعت امرأة فقال: إنها إذا أقبلت أقبلت بأربع وإذا أدبرت أدبرت بثمان. فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم: «**ألا أرىٰ هذا يعلم ما هٰهنا لا يدخلن عليكم هذا**». فحجبوه.

ورواه مسلم وأبو داود والنسائي من طريق عبد الرزاق به.

وقوله: ﴿**أو الطفل الذين لم يظهروا علىٰ عورات النساء**﴾ يعني: لصغرهم لا يفهمون أحوال[٢] النساء وعوراتهن من كلامهن الرخيم، وتعطفهن في المشية، وحركاتهن وسكناتهن، فإذا كان الطفل صغيرًا لا يفهم ذلك، فلا بأس بدخوله علىٰ النساء، فأما إن كان مراهقًا أو قريبًا منه بحيث يعرف ذلك ويدريه ويفرق بين الشوهاء والحسناء، فلا يمكن من الدخول علىٰ النساء، وقد ثبت في الصحيحين عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه قال: «**إياكم والدخول علىٰ النساء**». قالوا[٣] يا رسول اللَّه؛ أفرأيت الحمو؟ قال: «**الحمو الموت**».

وقوله: ﴿**ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن**﴾ كانت المرأة في الجاهلية إذا كانت تمشي في الطريق وفي رجلها خلخال صامت لا يسمع صوته، ضربت برجلها الأرض فيعلم الرجال طنينه، فنهىٰ اللَّه المؤمنات عن مثل ذلك. وكذلك إذا كان شيء من زينتها مستورًا فتحرّكت بحركة لتظهر ما هو خفي دخل في هذا النهي؛ لقوله تعالىٰ: ﴿**ولا يضربن بأرجلهنّ ليعلم ما يخفين من زينتهنّ**﴾ ومن ذلك أيضًا[٤] أنها تنهىٰ عن التعطر والتطيب عند خروجها من بيتها ليشتم الرجال طيبها، فقد قال أبو عيسىٰ الترمذي(١٠٨): حَدَّثَنَا محمد بن بشار، حَدَّثَنَا يحيىٰ بن سعيد القطان، عن ثابت بن عمارة الحنفي، عن غنيم بن قيس، عن أبي موسىٰ -رضي اللَّه عنه- عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال: «**كل عين زانية والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا**». يعني: زانية، قال: وفي الباب عن أبي هريرة وهذا حسن صحيح، ورواه أبو داود والنسائي من حديث ثابت بن عمارة به(١٠٩).

وقال أبو داود(١١٠): حَدَّثَنَا محمد بن كثير، أخبرنا سفيان، عن عاصم بن عبيد اللَّه،

(١٠٨) سنن الترمذي، كتاب الأدب حديث (٢٧٨٦). وثابت بن عمارة: صدوق فيه لين.

(١٠٩) سنن أبي داود حديث، كتاب الترجل (٤١٧٣)، وسنن النسائي (١٥٣/٨).

(١١٠) سنن أبي داود، كتاب الترجل حديث (٤١٧٤)، وسنن ابن ماجة حديث (٤٠٠٢). وعاصم بن عبيد الله: ضعيف.

[١] - سقط من: خ.

[٢] - في خ، ت: «لأحوال».

[٣] - في خ، ت: «قيل».

[٤] - سقط من: خ، ز.

عن عبيد مولىٰ أبي رهم ، عن أبي هريرة – رضي اللَّه عنه – قال : لقيته امرأة وجد منها ريح الطيب ولذيلها إعصار فقال: يا أمة الجبار ، جئت من المسجد ؟ قالت : نعم . قال لها : وله[١] تطيبت ؟ قالت نعم. قال : إني سمعت حبي أبا القاسم صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « **لا يقبل اللَّه صلاة امرأة[٢] تطيبت لهذا المسجد حتىٰ ترجع فتغتسل غسلها من الجنابة** » ورواه ابن ماجة عن أبي بكر بن أبي شيبة عن سفيان هو ابن عيينة به .

وروىٰ الترمذي أيضًا(١١١) من حديث موسىٰ بن عبيدة عن أيوب بن خالد عن ميمونة بنت سعد أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **الرافلة في الزينة في غير أهلها كمثل ظلمة يوم القيامة لا نور لها** ». ومن ذلك أيضًا أنهنّ ينهين عن المشي في وسط الطريق لما فيه من التبرج .

قال أبو داود(١١٢) : حَدَّثَنَا القعنبي : حَدَّثَنَا عبد العزيز – يعني ابن محمد – عن أبي اليمان ، عن شداد بن أبي عمرو بن حماس ، عن أبيه ، عن حمزة بن أبي أسيد الأنصاري ، عن أبيه أنه سمع النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم [ ][٣] وهو خارج من المسجد ، وقد اختلط الرجال مع النساء في الطريق فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم للنساء : « **استأخرن فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق ، عليكنّ بحافات الطريق** ». فكانت المرأة تلتصق[٤] بالجدار حتىٰ إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به .

وقوله : ﴿ **وتوبوا إلىٰ اللَّه جميعًا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون** ﴾ أي :افعلوا ما آمركم به ، من هذه الصفات الجميلة والأخلاق الجليلة ، واتركوا ما كان عليه أهل الجاهلية من الأخلاق والصفات الرذيلة ، فإن الفلاح كل الفلاح في فعل ما أمر اللَّه به ورسوله وترك ما نهيا عنه ، واللَّه تعالىٰ هو المستعان .

وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ

(١١١) سنن الترمذي ، كتاب الرضاع حديث (١١٦٧) وقال الترمذي : « وهذا حديث لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عبيدة ، وموسى بن عبيدة يضعف في الحديث من قبل حفظه وهو صدوق ، وقد رواه بعضهم عن موسى بن عبيدة ولم يرفعه » .

(١١٢) سنن أبي داود ، كتاب الأدب حديث (٥٢٧٢) .

[١] – سقط من : خ ، ز .
[٢] – في ز : « لامرأة » .
[٣] – ما بين المعكوفتين في ز : « يقول » .
[٤] – في ز : « تلصق » .

يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾

اشتملت هذه الآيات الكريمات المبينة على جمل من الأحكام المحكمة والأوامر المبرمة ، فقوله تعالىٰ : ﴿ **وأنكحوا الأيامىٰ منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم** ﴾ هذا أمر بالتزويج . وقد ذهب طائفة من العلماء إلىٰ وجوبه علىٰ كل من قدر عليه ، واحتجوا بظاهر قوله صلى الله عليه وسلم: « **يا معشر الشباب ! من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء** » . أخرجاه [في الصحيحين][١] من حديث ابن مسعود(١١٣) ، وقد[٢] جاء في السنن من غير وجه أن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم قال : « **تزوجوا توالدوا تناسلوا فإني مباهٍ[٣] بكم الأمم يوم القيامة** »(١١٤) . وفي رواية : « **حتىٰ بالسقط** » . والأيامىٰ جمع أيم ، ويقال ذلك للمرأة التي لا زوج لها وللرجل الذي لا زوجة له ، وسواء كان قد تزوج ثم فارق ، أو لم يتزوج واحد منهما . حكاه الجوهري عن أهل اللغة ، يقال رجل أيم وامرأة أيم أيضًا .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **إن يكونوا فقراء يغنهم اللّه من فضله والله واسع عليم** ﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : رغبهم اللّه في التزويج ، وأمر به الأحرار والعبيد ، ووعدهم عليه الغني فقال : ﴿ **إن يكونوا فقراء يغنهم اللّه من فضله** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم : حَدَّثَنَا أبي ، حَدَّثَنَا محمود بن خالد الأزرق ، حَدَّثَنَا عمر بن عبد الواحد ، عن سعيد - يعني ابن عبد العزيز - قال : بلغني أن أبا بكر الصديق - رضي اللّه عنه - قال : أطيعوا اللّه فيما أمركم به من النكاح ينجز ما وعدكم من الغنىٰ ، قال : ﴿ **إن**

---

(١١٣) صحيح البخاري ، كتاب النكاح حديث (٥٠٦٦) ، وصحيح مسلم ، كتاب النكاح (١٤٠٠) .
(١١٤) سنن أبي داود ، كتاب النكاح حديث (٢٠٥٠) ، وسنن النسائي ، كتاب النكاح (٦/٦٥) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز . [٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - في خ ، ت : « مباهي » .

يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ﴾ [وعن ابن مسعود : والتمسوا الغنىٰ في النكاح ، يقول الله تعالىٰ : ﴿ **إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله** ﴾][١] . رواه ابن جرير ، وذكر البغوي [عن عمر نحوه][٢] .

وعن الليث ، عن محمد بن عجلان ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ثلاثة[٣] حق[٤] علىٰ الله عونهم[٥] : الناكح يريد العفاف ، والمكاتب يريد الأداء ، والغازي في سبيل الله** » . رواه الإمام أحمد والترمذي ، والنسائي وابن ماجة(١١٥) .

وقد زوج رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ذلك الرجل الذي لم يجد عليه[٦] إلا إزاره ، ولم يقدر علىٰ خاتم من حديد(١١٦) ، ومع هذا فزوجه بتلك المرأة ، وجعل صداقها عليه أن يعلمها ما يحفظه من القرآن . والمعهود من كرم الله تعالىٰ ولطفه أن يرزقه ما فيه كفاية لها وله ، وأما ما يورده كثير من الناس علىٰ أنه حديث : « **تزوجوا فقراء يغنكم[٧] الله** » فلا أصل له ، ولم أره[٨] بإسناد قوي ولا ضعيف إلىٰ الآن ، وفي القرآن غنية عنه ، وكذا [هذه الأحاديث التي أوردناها][٩] ، ولله الحمد والمنة[١٠] .

وقوله : ﴿ **وليستعفف الذين لا يجدون نكاحًا حتىٰ يغنيهم الله من فضله** ﴾ هذا أمر من الله تعالىٰ لمن[١١] لا يجد تزويجًا بالتعفف[١٢] عن الحرام ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « **يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء** » .

---

(١١٥) المسند (٢/٢٥١) ، وسنن الترمذي ، كتاب فضائل الجهاد ح (١٦٥٥) ، وسنن النسائي (٦/٦١) ، وسنن ابن ماجة ، كتاب الأحكام حديث (٢٥١٨) .

(١١٦) - رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن حديث (٥٠٣٠) ، مسلم في (١٤٢٥) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين في : خ ، ز « بنحوه » .

[٣] - في ز : « ثلاث » .

[٤] - في خ : « عقد » .

[٥] - في خ ، ت : « عونهن » .

[٦] - سقط من : خ ، ز .

[٧] - في ز : « يغنيكم » .

[٨] - في خ ، ت : « أراه » .

[٩] - ما بين المعكوفتين في ز : « هذا الحديث الذي أوردناه » .

[١٠] - سقط من : ز .

[١١] - في ز : « أن » .

[١٢] - سقط من : ز .

وهذه الآية مطلقة والتي في سورة النساء أخص منها ، وهي قوله تعالىٰ : ﴿ **ومن لم يستطع منكم طولًا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات** ﴾ إلى أن قال : ﴿ **ذلك لمن خشي العنت منكم وأن تصبروا خير لكم** ﴾ أي : صبركم عن تزوّج[١] الإماء خير لكم[٢] لأن الولد يجيء رقيقًا ﴿ **والله غفور رحيم** ﴾ قال عكرمة في قوله : ﴿ **وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا** ﴾ قال : هو الرجل يرىٰ المرأة فكأنه يشتهي ، فإن كانت له امرأة فليذهب إليها وليقض[٣] حاجته منها ، وإن لم يكن له امرأة فلينظر في ملكوت السموات والأرض[٤] حتىٰ يغنيه الله .

وقوله : ﴿ **والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرًا** ﴾ هذا أمر من اللّٰه تعالىٰ للسادة إذا طلب منهم عبيدهم الكتابة أن يكاتبوهم ، بشرط أن يكون للعبد حيلة وكسب يؤدي إلىٰ سيده المال الذي شارطه علىٰ أدائه ، وقد ذهب كثير من العلماء إلىٰ أن هذا الأمر أمر إرشاد واستحباب[٥] لا أمر تحتم وإيجاب ، بل السيد مخير إذا طلب منه عبده الكتابة إن شاء كاتبه وإن شاء لم يكاتبه .

قال الثوري ، عن جابر ، عن الشعبي : إن شاء كاتبه وإن شاء لم يكاتبه . وقال ابن وهب ، عن إسماعيل بن عياش ، عن رجل ، عن عطاء بن أبي رباح : إن يشأ كاتبه وإن لم يشأ لم يكاتبه . وكذا قال مقاتل بن حيان والحسن البصري .

وذهب آخرون إلىٰ أنه يجب علىٰ السيد إذا طلب منه عبده ذلك أن يجيبه إلىٰ ما طلب أخذًا بظاهر [هذا][٦] الأمر .

و[٧]قال البخاري (١١٨) : وقال روح ، عن ابن جريج قلت لعطاء : [أواجب عليّ إذا علمت له مالا أن أكاتبه ؟ قال : ما أراه إلا واجبًا . وقال عمرو بن دينار : قلت لعطاء][٨] :

أتأثره[٩] عن أحد ؟ قال : لا . ثم أخبرني أنّ موسىٰ بن أنس أخبره أن سيرين سأل أنسًا المكاتبة وكان كثير المال فأبىٰ فانطلق إلىٰ عمر - رضي اللّٰه عنه - فقال كاتبه فأبىٰ فضربه بالدرة ويتلو عمر [بن الخطاب][١٠] - رضي اللّٰه عنه - ﴿ **فكاتبوهم إن علمتم فيهم**

(١١٨) صحيح البخاري (٥/١٨٤) « فتح » .

[١] - في ز : « تزويج » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « فليقض » .
[٤] - سقط من : خ ، ز .
[٥] - في خ : « واستجلاب » .
[٦] - سقط من خ ، ت .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٩] - في ز : « أتأثر » .
[١٠] - سقط من : ت .

خيرًا ﴾ فكاتبه . هكذا ذكره البخاري تعليقًا .

ورواه عبد الرزاق(١١٩) : أخبرنا ابن جريج قال : قلت لعطاء : أواجب عليّ إذا علمت له مالا أن أكاتبه ؟ قال : ما أراه إلا واجبا . [وقالها عمرو][١] [بن دينار ، قال : قلت لعطاء : أتأثره عن أحد؟ قال : لا][٢] .

وقال ابن جرير[٣](١٢٠) : حَدَّثَنَا محمد بن بشار ، حَدَّثَنَا محمد بن بكر ، حَدَّثَنَا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك أن سيرين أراد أن يكاتبه فتلكأ عليه ، فقال له عمر : لتكاتبنه . إسناد صحيح .

وقال[٤] سعيد بن منصور ، حَدَّثَنَا هشيم بن جويبر ، عن الضحاك قال : هي عزمة ، وهذا هو القول القديم من قولي الشافعي - رحمه الله - وذهب في الجديد إلىٰ أنه لا يجب لقوله - عليه الصلاة والسلام - : « **لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب من نفسه** »(١٢١) .

وقال ابن وهب ، قال مالك : الأمر عندنا أنه[٥] ليس علىٰ سيد العبد أن يكاتبه إذا سأله ذلك ، ولم أسمع أحدًا من الأئمة أكره أحدًا علىٰ أن يكاتب عبده . قال مالك : وإنما ذلك أمر من اللَّه وإذن منه للناس وليس بواجب .

وكذا قال الثوري ، وأبو حنيفة ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وغيرهم ، واختار ابن جرير قول الوجوب لظاهر الآية .

وقوله : **﴿ إن علمتم فيهم خيرًا ﴾** قال بعضهم : أمانة وقال بعضهم : صدقا ، [وقال بعضهم : مالا][٦] . وقال بعضهم : حيلة وكسبًا .

وروىٰ أبو داود في كتاب المراسيل ، عن يحيىٰ بن أبي كثير قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم **﴿ فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرًا ﴾** قال : « إن علمتم فيهم حرفة ولا ترسلوهم كلابًا[٧] علىٰ الناس » .

---

(١١٩) ورواه الطبري في تفسيره (٩٨/١٨) من طريق عبد الرزاق به .

(١٢٠) تفسير الطبري (٩٨/١٨) .

(١٢١) رواه أحمد في مسنده (٧٢/٥) من حديث عم أبي حرة الرقاشي ، وفي (٤٢٥/٥) من حديث أبي حميد الساعدي ، وفي (٤٢٣/٣) من حديث عمرو بن يثربي .

---

[١] - في ز : « وقال عمر » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - في ز : « جريج » .
[٤] - في ت : « وروى » .
[٥] - في ز : « أن » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٧] - في ت : « كلا » .

وقوله: ﴿ **وآتوهم من مال اللَّه الذي آتاكم** ﴾ اختلف المفسرون فيه فقال قائلون: معناه اطرحوا لهم من الكتابة بعضها ثم قال بعضهم: مقدار الربع، وقيل: الثلث، وقيل: النصف، وقيل: جزءًا[١] من الكتابة من غير حد، وقال آخرون: بل المراد من قوله: ﴿ **وآتوهم من مال اللَّه الذي آتاكم** ﴾ هو النصيب الذي فرض اللَّه لهم من أموال الزكوات، وهذا قول الحسن وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وأبيه، ومقاتل بن حيان، واختاره ابن جرير.

وقال إبراهيم النخعي في قوله ﴿ **وآتوهم من مال اللَّه الذي آتاكم** ﴾ قال: حث الناس على[٢] مولاه وغيره، وكذا[٣] قال بريدة بن الحصيب الأسلمي وقتادة.

وقال ابن عباس: أمر اللَّه المؤمنين أن يعينوا في الرقاب، وقد تقدم في الحديث عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه قال: « **ثلاثة حق علىٰ اللَّه عونهم** » فذكر منهم « **المكاتب يريد الأداء** » **والقول الأوّل أشهر**.

وقال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا محمد بن إسماعيل، حَدَّثَنَا وكيع، عن ابن شبيب، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن عمر أنه كاتب [عبدًا له][٤] يكنىٰ أبا أمية، فجاء بنجمه حين حلّ فقال: يا أبا أمية، اذهب فاستعن به في مكاتبتك، فقال[٥]: يا أمير المؤمنين، لو تركته حتىٰ يكون من آخر نجم؟ قال: أخاف أن لا أدرك ذلك ثم قرأ ﴿ **فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرًا وآتوهم من مال اللَّه الذي آتاكم** ﴾ قال عكرمة: فكان[٦] أوّل نجم أدّى في الإسلام.

وقال ابن جرير(١٢٢): حَدَّثَنَا ابن حميد، حَدَّثَنَا هارون بن المغيرة، عن عنبسة، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير قال: كان ابن عمر إذا كاتب مكاتبه لم يضع عنه شيئًا من أول نجومه مخافة أن يعجز فترجع[٧] إليه صدقته، ولكنه إذا كان في آخر مكاتبته وضع عنه ما أحب.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿ **وآتوهم من مال اللَّه الذي آتاكم** ﴾ قال: يعني[٨] ضعوا [ ][٩] عنهم مكاتبتهم. وكذلك[١٠] قال مجاهد وعطاء والقاسم بن أبي بزة

(١٢٢) تفسير الطبري (١٨/١٠١).

[١] - في خ، ت: « جزء ».
[٢] - في ت: « عليه ».
[٣] - في ز: « وكذلك ».
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز: « عبد البر ».
[٥] - في ز: « قال ».
[٦] - في ز: « كان ».
[٧] - في ز: « فرجع ».
[٨] - سقط من: ت.
[٩] - ما بين المعكوفتين في ز: « من ».
[١٠] - في خ، ت: « كذا ».

وعبد الكريم بن مالك الجزري والسدي .

وقال محمد بن سيرين في قوله : ﴿وآتوهم من مال الله الذى آتاكم﴾ : كان يعجبهم أن يدع الرجل لمكاتبه طائفة من مكاتبته .

وقال ابن أبي حاتم(١٢٣): أخبرنا الفضل بن شاذان المقري، أخبرنا إبراهيم بن موسىٰ، أخبرنا هشام بن يوسف ، عن ابن جريج ، أخبرني عطاء بن السائب أن عبد اللّٰه بن جندب أخبره عن علي - رضي اللّٰه عنه - عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « ربع الكتابة » وهذا حديث غريب ورفعه منكر ، والأشبه أنه موقوف علىٰ عليّ - رضي اللّٰه عنه - كما رواه عنه[١] أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله (١٢٤) .

وقوله تعالىٰ : ﴿ ولا تكرهوا فتياتكم علىٰ البغاء إن أردن تحصنًا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ﴾ الآية ، كان أهل الجاهلية إذا كان لأحدهم أمة أرسلها تزني وجعل عليها ضريبة يأخذها منها كل وقت ، فلما جاء الإِسلام نهىٰ اللّٰه المسلمين[٢] عن ذلك .

وكان سبب نزول هذه الآية الكريمة - فيما ذكره غير واحد من المفسرين من السلف والخلف - في شأن عبد اللّٰه بن أبيّ ابن سلول ؛ فإنه كان له إماء فكان يكرههن علىٰ البغاء طلبًا لخراجهن ورغبة في أولادهن ورياسة منه فيما يزعم .

(ذكر الآثار الواردة في ذلك)

قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار(١٢٥) - رحمه اللّٰه - في مسنده : حَدَّثَنَا أحمد بن داود الواسطي ، حَدَّثَنَا أبو عمرو اللخمي - يعني محمد بن الحجاج - حَدَّثَنَا محمد بن إسحاق ، عن الزهري قال : كانت جارية لعبد اللّٰه بن أبي ابن سلول يقال لها : معاذة ، يكرهها علىٰ الزنا فلما جاء الإِسلام نزلت : ﴿ ولا تكرهوا فتياتكم علىٰ البغاء ﴾ إلى قوله : ﴿فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم﴾ .

(١٢٣) ورواه عبد الرزاق في المصنف حديث (١٥٥٨٩) من طريق ابن جريج به . وقال : « قال ابن جريج : وأخبرني غير واحد عن عطاء بن السائب أنه كان يحدث بهذا الحديث ، لا يذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم » .

(١٢٤) ورواه عبد الرزاق في مصنفه حديث (١٥٥٩٠) من طريق معمر ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، به .

(١٢٥) « كشف الأستار » حديث (٢٢٤٠) ، وقال الهيثمي في المجمع (٨٣/٧) : « فيه محمد ابن الحجاج اللخمي وهو كذاب » .

[١] - سقط من : ز . [٢] - في ت : « المؤمنين » .

وقال الأعمش(١٢٦) : عن أبي سفيان ، عن جابر في هذه الآية : ﴿ **ولا تكرهوا فتياتكم علىٰ البغاء** ﴾ قال : نزلت في أمة لعبد الله بن أبيّ ابن سلول يقال لها : مسيكة ، كان يكرهها علىٰ الفجور وكانت لا بأس بها فتأبىٰ ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية : ﴿ **ولا تكرهوا فتياتكم علىٰ البغاء** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم** ﴾ وروىٰ النسائي من حديث ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر نحوه(١٢٧) .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حَدَّثَنَا عمرو بن علي ، حَدَّثَنَا علي بن سعيد ، حَدَّثَنَا الأعمش حدثني أبو سفيان عن جابر قال : كان لعبد الله بن أبيّ ابن سلول جارية يقال لها : مسيكة ، وكان يكرهها علىٰ البغاء فأنزل الله : ﴿ **ولا تكرهوا فتياتكم علىٰ البغاء** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم** ﴾ .

صرح الأعمش بالسماع من أبي سفيان طلحة بن نافع ، فدل على بطلان قول من قال : لم يسمع منه إنما هو صحيفة . حكاه البزار .

و[١]قال أبو داود الطيالسي(١٢٨) : عن سليمان بن معاذ ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن جارية لعبد الله بن أبيّ كانت تزني في الجاهلية فولدت أولادًا من الزنا فقال لها : مالك لا تزنين ؟ قالت : والله لا أزني ؛ فضربها ؛ فأنزل الله عز وجل : ﴿ **ولا تكرهوا فتياتكم علىٰ البغاء إن أردن تحصنًا** ﴾ .

وقال عبد الرزاق(١٢٩) : أخبرنا معمر ، عن الزهري : أن رجلًا من قريش أسر يوم بدر وكان عند[٢] عبد الله بن أبيّ أسيرًا ، وكانت لعبد الله بن أبيّ جارية يقال لها : معاذة ، وكان القرشي الأسير يريدها علىٰ نفسها ، وكانت مسلمة ، وكانت تمتنع منه لإسلامها ، وكان عبد الله بن أبيّ يكرهها علىٰ ذلك ، ويضربها رجاء أن تحمل [من القرشي][٣] فيطلب فداء ولده . فقال تبارك وتعالىٰ : ﴿ **ولا تكرهوا فتياتكم علىٰ البغاء إن أردن تحصنًا** ﴾ .

وقال السدي : أنزلت هذه الآية الكريمة في عبد الله بن أبيّ ابن سلول رأس المنافقين ،

---

(١٢٦) رواه الطبري في تفسيره (١٠٣/١٨) من طريق الأعمش به .

(١٢٧) النسائي في السنن الكبرى حديث (١١٣٦٥) من طرق عن ابن جريج عن أبي الزبير به .

(١٢٨) ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٨٤/١١) من طريق أبي داود الطيالسي ، به .

(١٢٩) تفسير عبد الرزاق (٥٠/٢) .

---

[١] - سقط من خ ، ت . [٢] - سقط من : ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « للقرشي » .

وكانت له جارية تدعىٰ معاذة، وكان إذا نزل به ضيف أرسلها إليه ليواقعها إرادة الثواب منه والكرامة له، فأقبلت الجارية إلىٰ أبي بكر -رضي اللَّه عنه- فشكت إليه ذلك، فذكره أبو بكر للنبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم، فأمره بقبضها، فصاح عبد اللَّه بن أبيّ: من يعذرني من محمد؟ يغلبنا علىٰ مملوكتنا! فأنزل اللَّه فيهم هذا.

وقال مقاتل بن حيان: بلغنا - واللَّه أعلم - أن هذه الآية نزلت في رجلين كانا يكرهان أمتين لهما، إحداهما اسمها مسيكة وكانت للأنصار، وكانت أميمة أم مسيكة لعبد اللَّه بن أبيّ، وكانت معاذة وأروى بتلك المنزلة فأتت مسيكة وأمها النبي[١] صلىٰ اللَّه عليه وسلم فذكرتا ذلك له، فأنزل اللَّه في ذلك: ﴿ **ولا تكرهوا فتياتكم علىٰ البغاء** ﴾ يعني: الزنا، وقوله: ﴿ **إن أردن تحصنًا** ﴾ هذا خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له.

وقوله: ﴿ **لتبتغوا عرض الحياة الدنيا** ﴾ أي: من خراجهن[٢] ومهورهن وأولادهن وقد **نهىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم، عن كسب الحجام [ومهر البغي وحلوان الكاهن**(١٣٠) .

وفي رواية: « **مهر البغىٰ خبيث وكسب الحجام]**[٣] **خبيث، وثمن الكلب خبيث** »(١٣١) .

وقوله: ﴿ **ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم** ﴾ [أي: لهن. كما تقدم في الحديث عن جابر.

وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس: فإن فعلتم فإن اللَّه لهن غفور رحيم][٤] وإثمهن علىٰ من أكرههن، وكذا قال مجاهد وعطاء الخراساني والأعمش وقتادة.

وقال أبو عبيد: حدثني إسحاق الأزرق، عن عوف، عن الحسن في هذه الآية: ﴿ **فإن اللَّه من بعد إكراههن غفور رحيم** ﴾ قال: لهن والله، لهن والله.

---

(١٣٠) رواه البخاري في البيوع حديث (٢٢٣٧)، ومسلم في المساقاة حديث (١٥٦٧) من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه: « أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نهى عن ثمن الكلب ومهر البغى وحلوان الكاهن »، وأما كسب الحجّام، فروى ابن ماجة في السنن حديث (٢١٦٥) من حديث عقبة بن عمرو: « نهى النبي - صلى الله عليه وسلم - عن كسب الحجّام ».

(١٣١) رواه أحمد في مسنده (٣/٤٦٤) من حديث رافع بن خديج، رضي الله عنه.

---

[١] - في خ، ت: « للنبيّ ».
[٢] - في ز: « خرجهن ».
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

وعن الزهري قال: غفور لهن ما أكرهن عليه. وعن زيد بن أسلم قال: غفور رحيم للمكرهات. حكاهن ابن المنذر في تفسيره بأسانيده.

وقال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا أبو زرعة، حَدَّثَنَا يحيىٰ بن عبد الله، حدثني ابن لهيعة، حدثني عطاء عن سعيد بن جبير قال: في قراءة عبد الله بن مسعود: (فإن الله من بعد إكراههن لهن غفور رحيم وإثمهن علىٰ من أكرههن).

وفي الحديث المرفوع عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «**رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**»(١٣٢).

ولما فصل تبارك وتعالىٰ هذه الأحكام وبينها قال: ﴿ **ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات** ﴾. يعني: القرآن في آيات واضحات مفسرات ﴿ **ومثلًا من الذين خلوا من قبلكم** ﴾ أي: خبرًا عن الأمم الماضية وما حل بهم في مخالفتهم [ ][١] أوامر الله تعالىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿ **فجعلناهم سلفًا ومثلًا للآخرين وموعظة** ﴾ أي: زاجرًا عن ارتكاب المآثم والمحارم ﴿ **وموعظة للمتقين** ﴾ أي: لمن اتقىٰ الله وخافه. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في صفة القرآن: فيه حكم ما بينكم، وخبر ما قبلكم، ونبأ ما بعدكم، وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغىٰ الهدىٰ في[٢] غيره أضله الله.

۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿ **الله نور السمٰوات والأرض** ﴾ يقول: هادي أهل السمٰوات والأرض.

قال[٣] ابن جريج: قال مجاهد وابن عباس في قوله: ﴿ **الله نور السمٰوات**

(١٣٢) رواه ابن ماجة في السنن حديث (٢٠٤٣) وقد سبق الكلام عليه في سورة الأعراف.

[١] - ما بين المعكوفتين في ز: «في».
[٢] - في خ، ت: «من».
[٣] - سقط من خ، ت.

والأرض ﴾ : يدبر الأمر فيهما نجومهما وشمسهما وقمرهما.

وقال ابن جرير: حَدَّثَنَا سليمان بن عمر بن خالد الرقي، حَدَّثَنَا وهب بن راشد، عن فرقد، عن أنس بن مالك قال: إن اللَّه[١] يقول: نوري هداى[٢] .

واختار هذا القول ابن جرير - رحمه الله -، وقال أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس عن أبي العالية، عن أبيّ بن كعب في قول الله تعالىٰ: **﴿ اللَّه نور السمٰوات والأرض مثل نوره ﴾** قال هو المؤمن الذي [ ][٣] جعل اللَّه[٤] الإِيمان والقرآن في صدره، فضرب اللَّه مثله فقال: **﴿ اللَّه نور السمٰوات والأرض ﴾** فبدأ بنور نفسه ثم ذكر نور المؤمن فقال: مثل نور من آمن به، قال: فكان أبيّ بن كعب يقرؤها: (مثل نور من آمن به) فهو المؤمن جعل الإِيمان والقرآن في صدره.

وهكذا قال سعيد بن جبير وقيس بن سعد، عن ابن عباس أنه قرأها كذلك: (**مثل[٥] نور من آمن بالله**) وقرأ بعضهم: (**اللَّه نور السمٰوات والأرض**).

وعن الضحاك: (**اللَّه نوّر السمٰوات والأرض**). وقال السدي في قوله: **﴿ اللَّه نور السمٰوات والأرض ﴾** فبنوره أضاءت السمٰوات والأرض، وفي الحديث الذي رواه محمد بن إسحاق في السيرة عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم، أنه قال في دعائه يوم آذاه أهل الطائف « **أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن يحل بي غضبك أو ينزل بي سخطك[٦]، لك العتبىٰ حتىٰ ترضىٰ ولا حول ولا قوة إلا بالله** »(١٣٣) .

وفي الصحيحين(١٣٤) عن ابن عباس: كان رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم إذا قام من الليل يقول: « **اللهم لك الحمد، أنت قيوم[٧] السموات والأرض ومن فيهن [ولك الحمد][٨] أنت نور السموات والأرض ومن فيهن** ». الحديث.

وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنّه[٩] قال: إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار، نور

(١٣٣) السيرة النبوية (٤٢٠/١).

(١٣٤) صحيح البخاري، كتاب الجمعة ح (١١٢٠)، وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ح (٧٦٩).

[١] - في ز: « إلاهي ».

[٢] - في خ، ت: « هدى ».

[٣] - سقط من خ، ت.

[٤] - سقط من: خ، ز.

[٥] - سقط من: ز.

[٦] - في ز: « سخط ».

[٧] - في ز: « قيّم ».

[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من: ت.

[٩] - سقط من: ت.

العرش من نور وجهه .

وقوله : ﴿ **مثل نوره** ﴾ في هذا الضمير قولان ؛ (أحدهما) أنه عائد إلىٰ اللَّه - عز وجل - أي :مثل هداه في قلب المؤمن قاله[١] ابن عباس - كمشكاة .

(والثاني) أن الضمير عائد إلىٰ المؤمن الذي دل عليه سياق الكلام ، تقديره : مثل نور المؤمن الذي في قلبه كمشكاة ، فشبه قلب المؤمن وما هو مفطور عليه من الهدىٰ وما يتلقاه من القرآن المطابق لما هو مفطور عليه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **أفمن كان علىٰ بينة من ربه ويتلوه شاهد منه** ﴾ فشبه قلب المؤمن في صفائه في نفسه بالقنديل من الزجاج الشفاف الجوهري وما يستهديه[٢] من القرآن والشرع بالزيت الجيد الصافي المشرق المعتدل الذي لا كدر فيه ولا انحراف .

فقوله[٣] : ﴿ **كمشكاة** ﴾ قال ابن عباس ومجاهد ومحمد بن كعب وغير واحد : هو موضع الفتيلة من القنديل . هذا هو المشهور؛ ولهذا قال بعده : ﴿ **فيها مصباح** ﴾ وهو الذبالة[٤] التي تضيء .

وقال العوفي عن ابن عباس في[٥] قوله : ﴿ **اللَّه نور السمٰوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح** ﴾ وذلك أن اليهود قالوا لمحمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم : كيف يخلص نور اللَّه من دون السماء ؟ فضرب اللَّه [مثلًا][٦] لنوره فقال : ﴿ **اللَّه نور السمٰوات والأرض مثل نوره كمشكاة** ﴾ والمشكاة كوة في البيت ، قال : وهو مثل ضربه اللَّه لطاعته، فسمى الله طاعته نورًا ، ثم سماها أنواعًا شتىٰ .

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد : الكوة بلغة الحبشة ، وزاد غيره فقال : المشكاة الكوة التي لا منفذ لها . وعن مجاهد : المشكاة الحدائد التي يعلق بها القنديل .

والقول الأول أولىٰ : وهو أن المشكاة هي موضع الفتيلة من القنديل ؛ ولهذا قال ﴿ **فيها مصباح** ﴾ وهو النور الذي في الذبالة[٧] .

قال أبيّ بن كعب : المصباح النور وهو القرآن والإيمان الذي في صدره .

وقال السدي : هو السراج .

---

[١] - في خ ، ت : « قال » .
[٢] - في ز : « يستمد به » .
[٣] - في ز : « بقوله » .
[٤] - في خ ، ت : « الزبالة » .
[٥] - سقط من : ت .
[٦] - في خ ، ت : « مثل ذلك » .
[٧] - في خ ، ت : « الزبالة » .

﴿ **المصباح في زجاجة** ﴾ أي :هذا الضوء مشرق في زجاجة صافية . وقال أبيّ بن كعب وغير واحد : وهي نظير قلب المؤمن .

﴿ **الزجاجة كأنها كوكب درى** ﴾ قرأ بعضهم بضم الدال [بغير همز][١] من الدر، أي :كأنها كوكب من درّ . وقرأ آخرون دِرِّيءٌ ودُرِّيءٌ ، بكسر الدال وضمها مع الهمز[٢] من الدرء وهو الدفع ، وذلك أن النجم إذا رمي به يكون أشد استنارة من سائر الأحوال ، والعرب تسمي ما لا يعرف من الكواكب دراري .

قال أبيّ بن كعب : كوكب مضيء . وقال قتادة : مضيء مبين ضخم ﴿ **يوقد من شجرة مباركة** ﴾ أي :يستمد من زيت زيتون شجرة مباركة ﴿ **زيتونة** ﴾ بدل أو عطف بيان ﴿ **لا شرقية ولا غربية** ﴾ أي :ليست في شرقيّ بقعتها فلا تصل إليها الشمس من أول النهار ، ولا في [غربيها ، فيتقلص][٣] عنها الفيء قبل الغروب ، بل هي في مكان وسط تفرعه الشمس من أول النهار إلىٰ آخره ، فيجيء زيتها صافيًا معتدلًا مشرقًا .

وقال[٤] ابن أبي حاتم : حَدَّثَنَا محمد بن عمار ، قال : حَدَّثَنَا عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن سعد ، أخبرنا عمرو بن أبي قيس ، عن سماك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **زيتونة لا شرقية ولا غربية** ﴾ قال : هي[٥] شجرة بالصحراء لا يظلها شجر ولا جبل ولا كهف ولا يواريها شيء ، و[٦]هو أجود لزيتها .

وقال يحيىٰ بن سعيد القطان ، عن عمران بن حدير ، عن عكرمة في قوله : ﴿ **لا شرقية ولا غربية** ﴾ قال : هي بصحراء و[٧] ذلك أصفى لزيتها .

وقال ابن أبي حاتم : حَدَّثَنَا أبي ، حَدَّثَنَا أبو نعيم ، حَدَّثَنَا عمرو بن فروخ ، عن حبيب بن الزبير عن عكرمة وسأله[٨] رجل عن قوله تعالىٰ : ﴿ **زيتونة لا شرقية ولا غربية** ﴾ قال : تلك زيتونة[٩] بأرض فلاة إذا أشرقت الشمس أشرقت عليها ، وإذا[١٠] غربت غربت عليها فذاك[١١] أصفى ما يكون من الزيت .

---

[١] – ما بين المعكوفتين في خ ، ت : « من غير همزة » .
[٢] – في خ ، ت : « الهمزة » .
[٣] – ما بين المعكوفتين في ز : « غربها فيقلص» .
[٤] – في ز : « قال » .
[٥] – سقط من : خ .
[٦] – سقط من ز .
[٧] – سقط من خ ، ت .
[٨] – في ز : « سأله » .
[٩] – سقط من : خ ، ز .
[١٠] – في خ ، ت : « فإذا » .
[١١] – في خ ، ت : « فذلك » .

وقال مجاهد في قوله تعالىٰ: ﴿ زيتونة لا شرقية ولا غربية ﴾ قال: ليست بشرقية لا تصيبها الشمس إذا طلعت[١] ولا غربية لا تصيبها الشمس [ ][٢] إذا غربت [ولكنها شرقية وغربية تصيبها إذا طلعت وإذا غربت][٣] .

وقال سعيد بن جبير في قوله : ﴿ زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ﴾ قال: هو أجود الزيت. قال: إذا طلعت الشمس أصابتها من صوب المشرق، فإذا أخذت في الغروب أصابتها الشمس ، فالشمس تصيبها بالغداة والعشي ، فتلك لا تعد شرقية ولا غربية .

وقال السدّي قوله: ﴿ زيتونة لا شرقية ولا غربية ﴾ يقول: ليست بشرقية يحوزها المشرق ولا غربية يحوزها المغرب دون المشرق، ولكنها علىٰ رأس جبل أو في صحراء تصيبها الشمس النهار كله .

وقيل: المراد بقوله تعالىٰ: ﴿ زيتونة لا شرقية ولا غربية ﴾ أنها في وسط الشجر و[٤]ليست بادية للمشرق ولا للمغرب .

و[٥]قال أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبيّ بن كعب، في قول اللّه تعالىٰ: ﴿ زيتونة لا شرقية ولا غربية ﴾ قال: هي[٦] خضراء ناعمة لا تصيبها الشمس علىٰ أي حال كانت، لا إذا طلعت ولا إذا غربت. قال: فكذلك هذا المؤمن قد أجير من أن يصله[٧] شيء من الفتن وقد ابتلى[٨] بها فيثبته اللّه فيها ، فهو بين أربع خلال ؛ إن قال صدق ، وإن حكم عدل ، وإن ابتلي صبر ، وإن أعطي شكر ، فهو في سائر الناس كالرجل الحي يمشي في قبور الأموات .

قال[٩] ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا علي بن الحسين ، حَدَّثَنَا مسدد قال: حَدَّثَنَا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد[١٠] بن جبير في قوله: ﴿ زيتونة لا شرقية ولا غربية ﴾ قال : هي وسط الشجر لا تصيبها الشمس شرقًا ولا غربًا .

وقال عطية العوفي : ﴿ لا شرقية ولا غربية ﴾ قال: هي شجرة في موضع من الشجر يرىٰ ظل ثمرها في ورقها وهذه من الشجر لا تطلع عليها الشمس ولا تغرب .

---

[١] - في ز : « غربت » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « إذا طلعت و » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٤] - سقط من خ ، ت .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « فهي » .
[٧] - في خ ، ت : « يصيبه » .
[٨] - في خ ، ت : « ابتلي » .
[٩] - في ز : « وقال » .
[١٠] - في خ ، ز : « عبد » .

وقال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا محمد بن عمار، حَدَّثَنَا عبد الرحمن الدشتكي، حَدَّثَنَا عمرو ابن أبي قيس، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - في قوله تعالىٰ: ﴿ **لا شرقية ولا غربية** ﴾ ليست شرقية ليس فيها غرب، ولا غربية ليس فيها شرق ولكنها شرقية غربية.

وقال محمد بن كعب القرظي: ﴿ **لا شرقية ولا غربية** ﴾ قال: هي القبلية.

وقال زيد بن أسلم: ﴿ **لا شرقية ولا غربية** ﴾ قال: الشام.

وقال الحسن البصري: لو كانت هذه الشجرة في الأرض لكانت شرقية أو غربية، ولكنه مثل ضربه اللَّه لنوره.

وقال الضحاك، عن ابن عباس: ﴿ **توقد من شجرة مباركة** ﴾ قال: رجل صالح ﴿ **زيتونة لا شرقية ولا غربية** ﴾ قال: لا يهودي ولا نصراني.

وأولىٰ هذه الأقوال القول الأول وهو: أنها في مستوىٰ من الأرض في مكان فسيح بارز[١] ظاهر ضاح للشمس، تقرعه من أول النهار إلىٰ آخره؛ ليكون ذلك أصفى لزيتها وألطف كما قاله[٢] غير واحد ممن تقدم؛ ولهذا قال ﴿ **يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار** ﴾ قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يعني كضوء إشراق الزيت.

وقوله تعالىٰ: ﴿ **نور علىٰ نور** ﴾ قال العوفي، عن ابن عباس: يعني بذلك إيمان العبد وعمله.

وقال[٣] مجاهد والسدي يعني: نور النار ونور الزيت. وقال أُبيّ بن كعب: ﴿ **نور علىٰ نور** ﴾ فهو يتقلب في خمسة من النور، فكلامه نور، وعمله نور، ومدخله نور، ومخرجه نور، ومصيره إلىٰ النور يوم القيامة إلىٰ الجنة.

وقال شمر بن عطية: جاء ابن عباس إلىٰ كعب الأحبار، فقال: حدثني عن قول اللَّه تعالىٰ: ﴿ **يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار** ﴾ قال: يكاد محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم يبين للناس وإن لم يتكلم أنه نبي كما يكاد ذلك الزيت أن[٤] يضيء.

وقال السدي في قوله: ﴿ **نور علىٰ نور** ﴾ قال: نور النار ونور الزيت حين اجتمعا أضاءا، ولا يضيء واحد بغير صاحبه [كذلك نور القرآن ونور الإيمان حين اجتمعا فلا يكون واحد منهما إلا بصاحبه][٥].

---

[١] - في خ، ت: « باد ».
[٢] - في خ، ت: « قال ».
[٣] - بياض في ز.
[٤] - في ز: « أنه ».
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

وقوله تعالىٰ : ﴿ **يهدي اللَّه لنوره من يشاء** ﴾ أي : يرشد[١] اللَّه إلىٰ هدايته من يختاره ، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد(١٣٥) :

حَدَّثَنَا معاوية بن عمرو ، حَدَّثَنَا إبراهيم بن محمد الفزاري ، حَدَّثَنَا الأوزاعي ، حدثني ربيعة ابن يزيد[٢] ، عن عبد اللَّه الديلمي[٣] ، عن عبد اللَّه بن عمرو ، سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « إن اللَّه تعالىٰ خلق خلقه في ظلمة ، ثم ألقىٰ عليهم من نوره يومئذ فمن أصابه[٤] من نوره يومئذ ، اهتدىٰ ، ومن أخطأه ضل ؛ فلذلك[٥] أقول : جف القلم علىٰ علم اللَّه عز وجل » .

(طريق أخرىٰ عنه) قال البزار(١٣٦) : حَدَّثَنَا أيوب بن[٦] سويد ، عن يحيىٰ بن أبي عمرو[٧] الشيباني ، عن أبيه ، عن عبد اللَّه بن عمرو سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « **إن اللَّه خلق خلقه في ظلمة فألقىٰ عليهم نورًا من نوره ، فمن أصابه من ذلك النور اهتدىٰ ومن أخطأه ضل** » . [ورواه البزار ، عن عبد اللَّه بن عمرو من طريق آخر بلفظه وحروفه][٨] .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ويضرب اللَّه الأمثال للناس واللَّه بكل شيء عليم** ﴾ لما ذكر تعالىٰ هذا مثلًا لنور هداه في قلب المؤمن ختم الآية بقوله : ﴿ **ويضرب اللَّه الأمثال للناس واللَّه بكل شيء عليم** ﴾ أي :هو أعلم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الإِضلال .

قال الإِمام أحمد(١٣٧) : حَدَّثَنَا أبو النضر ، حَدَّثَنَا أبو معاوية - يعني[٩] شيبان - عن ليث ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البختري ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول اللَّه

(١٣٥) المسند (١٧٦/٢) .

(١٣٦) مسند البزار حديث (٢١٤٥) « كشف الأستار » ، ورواه أحمد في مسنده (١٩٧/٢) من طريق محمد بن مهاجر عن عروة بن رويم عن ابن الديلمي عن عبد الله بن عمرو ، به .

(١٣٧) المسند (١٧/٣) (١١١٤٣) . وإسناده ضعف لعلتين : الأولى : الإرسال ؛ فإن أبا البختري لم يسمع من أبي سعيد ، قاله أبو داود ، عقب إخراج حديث له عن أبي سعيد - كتاب الزكاة ، باب : ما تجب فيه الزكاة ، حديث ١٥٥٩ - : « وأبو البختري لم يسمع من أبي سعيد » . ونقله عنه ابن حجر في التهذيب .

[١] - في ز : « يرسل » .
[٢] - في خ ، ز : « زيد » .
[٣] - في ز : « الديلي » .
[٤] - في خ : « أصاب » .
[٥] - في ز : « فكذلك » .
[٦] - في ز : « عن » .
[٧] - في ز : « كثير » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٩] - في ز : « ثنا » .

صلى الله عليه وسلم: «القلوب أربعة: قلب أجرد(*) فيه مثل السراج يزهر، وقلب أغلف(**) مربوط على غلافه، وقلب منكوس، وقلب مصفح(***)، فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن[١] سراجه فيه نوره. وأما القلب الأغلف فقلب الكافر، وأما القلب المنكوس فقلب المنافق[٢]؛ عرف ثم أنكر، وأما القلب المصفح: فقلب فيه إيمان ونفاق، ومثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها الدم والقيح. فأي المدتين غلبت على الأخرى غلبت عليه». إسناده[٣] جيد ولم يخرجوه.

فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٨﴾

= وأبو البختري، اسمه سعيد بن فيروز بن أبي عمران الطائي الكوفي.

وقال ابن أبي حاتم عن أبيه - في المراسيل -: لم يدرك أبا ذر، ولا أبا سعيد. وذكره ابن حبان في الثقات وقال: سعيد بن فيروز، ويقال: سعيد بن عمران، وقيل غير ذلك، وقال ابن سعد: كان كثير الحديث، يرسل حديثه، ويروي عن الصحابة، ولم يسمع من كثير أحد، فما كان من حديثه سماعاً فهو حسن، وما كان غيره فهو ضعيف. وقال عنه في التقريب: ثقة ثبت، فيه تشيع قليل، كثير الإرسال.

والعلة الثانية: هي أنه من طريق ليث وهو ابن أبي سليم، واسم أبيه أيمن، وقيل: أنس، وقيل غير ذلك، وهو صدوق اختلط جدًّا، ولم يتميز حديثه، فتُرك، قاله ابن حجر. وقال الذهبي: فيه ضعف يسير من سوء حفظه، كان ذا صلاة وصيام، وعلمٍ كثير، وبعضهم احتج به. روى له مسلم مقروناً.

وأما عمرو بن مرة، فهو ثقة.

والحديث أخرجه الطبراني في الصغير (٢/١٠٩ - ١١٠) وأبو نعيم في الحلية (٤/٣٨٥). وقال أبو نعيم: وقد رواه جرير، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري، عن حذيفة مرسلاً.

والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/٦٣) وقال: رواه أحمد والطبراني في الصغير، وفي إسناده ليث بن أبي سليم.

(*) أجرد؛ أي: ليس فيه غِلٌّ ولا غشٌّ، فهو على أصل الفطرة، فنور الإيمان فيه يُزهر. نهاية [١/٢٥٦]

(**) أغلف؛ أي: عليه غشاء عن سماع الحق وقبوله. نهاية [٣/٣٧٩]

(***) مُصفَح: المُصفَح: الذي له وجهان يلقى أهل الكفر بوجه وأهلَ الإيمان بوجه. وصَفْحُ كل شيء: وجهه وناحيتُه. نهاية [٣/٣٤]

[١] - بعده في خ، ت: من. [٢] - سقط من: ز.

[٣] - في ز: «إسناد».

لما ضرب الله تعالىٰ مثل[١] قلب المؤمن وما فيه من الهدىٰ والعلم بالمصباح في الزجاجة الصافية المتوقد من زيت طيب وذلك كالقنديل؛ ذكر محلها وهي المساجد التي هي أحب البقاع إلىٰ الله تعالىٰ من الأرض، وهي بيوته التي يعبد فيها ويوحد، فقال: ﴿ **في بيوت أذن الله أن ترفع** ﴾ أي: أمر الله تعالىٰ برفعها أي: بتطهيرها من الدنس واللغو والأقوال والأفعال التي لا تليق فيها، كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية الكريمة. ﴿ **في بيوت أذن الله أن ترفع** ﴾ قال: نهىٰ الله سبحانه عن اللغو فيها.

وكذا قال عكرمة وأبو صالح والضحاك ونافع بن جبير وأبو بكر بن سليمان بن أبي حثمة[٢]، وسفيان بن حسين وغيرهم من علماء المفسرين.

وقال قتادة: هي هذه المساجد، أمر الله سبحانه وتعالىٰ ببنائها [ورفعها وأمر بعمارتها][٣] وتطهيرها، وقد ذكر لنا أن كعبًا كان يقول: [إن في التوراة مكتوبًا][٤]: ألا إن بيوتي في الأرض المساجد، وإنه من توضأ فأحسن وضوءه، ثم زارني في بيتي، أكرمته وحقٌّ علىٰ المزور كرامة الزائر. رواه عبد الرحمن بن أبي حاتم في تفسيره.

وقد وردت أحاديث كثيرة في بناء المساجد واحترامها وتوقيرها وتطييبها وتبخيرها، وذلك له محل مفرد يذكر فيه، وقد كتبت في ذلك جزءًا علىٰ حدة ولله الحمد والمنة. ونحن بعون الله تعالىٰ نذكر هٰهنا طرفًا من ذلك إن شاء الله تعالىٰ وبه الثقة وعليه التكلان.

فعن أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول: « **من بنىٰ مسجدًا يبتغي به وجه الله بنىٰ الله له مثله في الجنة** » أخرجاه في الصحيحين(١٣٨).

وروىٰ ابن ماجة عن عمر بن الخطاب(١٣٩) - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: « **من بنىٰ مسجدًا يذكر فيه اسم الله بنىٰ الله له بيتًا في الجنة** »

(١٣٨) صحيح البخاري، كتاب الصلاة حديث (٤٥٠)، وصحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة حديث (٥٣٣).

(١٣٩) سنن ابن ماجة، كتاب المساجد والجماعات حديث (٧٣٥) من طريق الوليد بن أبي الوليد عن عثمان ابن عبد الله عن عمر. وقال البوصيري في الزوائد (١/ ٢٦٠): « هذا إسناد مرسل، عثمان بن عبد الله بن سراقة روى عن عمر وهو جده لأمه، ولم يسمع منه. قاله المزي ». ورواه بان حبان في صحيحه.

[١] - سقط من: ز. [٢] - في خ، ز: « خيثمة ».

[٣] - ما بين المعكوفتين في خ، ت: « وعمارتها ورفعها ».

[٤] - ما بين المعكوفتين في خ، ت: « مكتوب في التوراة ».

[وللنسائي(١٤٠) عن عمرو بن عبسة[١] مثله، والأحاديث في هذا كثيرة جدًّا][٢] .

وعن عائشة -رضي اللَّه عنها- قالت: أمر[٣] رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم، ببناء المساجد في الدور وأن تنظف وتطيب. رواه أحمد وأهل السنن إلا النسائي(١٤١)، ولأحمد وأبي داود عن سمرة بن جندب نحوه(١٤٢) .

وقال البخاري(١٤٣) : قال عمر: ابن للناس ما يكنهم، وإياك أن تحمر أو تصفر فتفتن[٤] الناس. وروىٰ ابن ماجة(١٤٤) [عنه][٥] قال: قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم: « **ما ساء عمل قوم قط[٦] إلا زخرفوا مساجدهم** ». وفي إسناده ضعف.

وروىٰ أبو داود(١٤٥)، عن ابن عباس -رضى الله عنهما- قال: قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم: « **ما أمرت بتشييد المساجد** » قال ابن عباس: لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارىٰ.

وعن أنس(١٤٦) -رضي اللَّه عنه- قال: قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم: « **لا تقوم الساعة حتىٰ يتباهىٰ الناس في المساجد** ». رواه الإمام أحمد وأهل السنن إلا الترمذي.

وعن بريدة(١٤٧) : أن رجلًا أنشد في المسجد، فقال: من دعا إلىٰ الجمل الأحمر؛ فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم: « **لا وجدت إنما بنيت المساجد لما بنيت له** ». رواه مسلم.

---

(١٤٠) سنن النسائي (٣١/٢).

(١٤١) المسند (٢٧٩/٦)، وسنن أبي داود حديث (٤٥٥)، وسنن الترمذي حديث (٥٩٤)، وسنن ابن ماجه حديث (٧٥٩).

(١٤٢) المسند (١٧/٥)، وسنن أبي داود حديث (٤٥٦).

(١٤٣) صحيح البخاري (٥٣٩/١) « فتح ».

(١٤٤) سنن ابن ماجة حديث (٧٤١) من طريق جبارة بن المغلس عن عبد الكريم بن عبد الرحمن عن عمرو ابن ميمون عن عمر بن الخطاب، به. قال البوصيري في الزوائد (٢٦٢/١): « هذا إسناد فيه جبارة بن المغلس وقد اتهم ».

(١٤٥) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب: بناء المساجد حديث (٤٤٨).

(١٤٦) المسند (١٣٤/٣)، وسنن أبي داود حديث (٤٤٩)، سنن النسائي (٣٢/٢)، وسنن ابن ماجة حديث (٧٣٩).

(١٤٧) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة حديث (٥٦٩).

---

[١] - في ز: « عنبسة ».

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.

[٣] - في ت: « أمرنا ».

[٤] - في ز: « فتعين ».

[٥] - سقط من خ، ت.

[٦] - سقط من: خ.

وعن عمرو بن شعيب(١٤٨) ، عن أبيه، عن جده قال: نهىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم، عن البيع والابتياع ، وعن تناشد الأشعار في المساجد . رواه أحمد وأهل السنن ، وقال الترمذي: حسن .

وعن أبي هريرة(١٤٩) -رضي اللّٰه عنه- أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال: « **إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا: لا أربح اللّٰه تجارتك ، وإذا رأيتم من ينشد ضالة[١] فقولوا: لا رد اللّٰه عليك !** » . رواه الترمذي وقال: حسن غريب .

وقد روىٰ ابن ماجة(١٥٠) وغيره من حديث ابن عمر مرفوعًا قال: « **خصال لا تنبغي[٢] في المسجد : لا يتخذ طريقًا ، ولا يشهر فيه سلاح[٣]، ولا ينبض فيه بقوس، ولا ينثر[٤] فيه نبل، ولا يمر فيه بلحم نيء، ولا يضرب فيه حد، ولا [يقتص فيه من][٥] أحد، ولا يتخذ سوقًا** » .

وعن واثلة بن الأسقع(١٥١) ، عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم [أنه][٦] قال: « **جنبوا مساجدكم صبيانكم، ومجانينكم، وشراءكم وبيعكم، وخصوماتكم، ورفع أصواتكم، وإقامة حدودكم، وسل سيوفكم، واتخذوا علىٰ أبوابها المطاهر وجمروها في الجمع** » . ورواه ابن ماجة أيضًا وفي إسنادهما ضعف .

أما أنه لا يتخذ طريقًا فقد كره بعض العلماء المرور فيه إلا لحاجة إذا وجد مندوحة عنه ، وفي الأثر: إن الملائكة لتتعجب من الرجل يمر بالمسجد[٧] لا يصلي فيه !

---

(١٤٨) المسند (١٧٩/٢) ، وسنن أبي داود ، كتاب الصلاة حديث (١٠٧٩) ، وسنن الترمذي ، كتبا الصلاة حديث (٣٢٢) ، وسنن النسائي ، كتاب المساجد (٤٧/٢) ، وسنن ابن ماجة ، كتاب المساجد والجماعات حديث (٧٤٩) .

(١٤٩) سنن الترمذي ، كتاب البيوع ، باب : النهي عن البيع في المسجد حديث (١٣٢١) .

(١٥٠) سنن ابن ماجة ، كتاب المساجد والجماعات ، باب : ما يكره في المساجد حديث (٧٤٨) ، وقال البوصيري في الزوائد (٢٦٤/١) : « هذا إسناد فيه زيد بن جبيرة . قال ابن عبد البر : أجمعوا على أنه ضعيف » .

(١٥١) سنن ابن ماجه ، كتاب المساجد والجماعات حديث (٧٥٠) ، وقال البوصيري في الزوائد (٢٦٥/١) : « هذا إسناد ضعيف ، أبو سعيد هو محمد بن سعيد المصلوب ، قال أحمد : عمدًا كان يضع الحديث =

---

[١] - بعده في ت : في المسجد .
[٢] - في ز : « تبتغي » .
[٣] - في ز : « بسلاح » .
[٤] - في ز : « ينتشر » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « يقص في » .
[٦] - سقط من خ ، ت .
[٧] - في ز : « في المسجد » .

وأما أنه لا يشهر فيه بسلاح ولا ينبض فيه بقوس ولا ينثر فيه نبل؛ فلما يخشىٰ من إصابة بعض الناس به لكثرة المصلين فيه، ولهذا أمر رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم: إذا مر أحد[١] بسهام أن يقبض علىٰ نصالها لئلا يؤذي أحدًا. كما ثبت ذلك[٢] في الصحيح(١٥٢)

وأما النهي عن المرور باللحم النيئ فيه، فلما يخشىٰ من تقاطر[٣] الدم منه، كما نهيت الحائض عن المرور فيه إذا خافت التلويث.

وأما أنه لا يضرب فيه حد [أو يقتص][٤] فلما يخشىٰ من إيجاد النجاسة[٥] فيه من المضروب أو المقطوع.

وأما أنه لا يتخذ سوقًا؛ فلما تقدم من النهي عن البيع والشراء فيه، فإنه إنما بني لذكر اللّٰه والصلاة فيه[٦] كما قال النبي[٧] عليه الصلاة والسلام لذلك الأعرابي الذي بال في طائفة المسجد: « **إن المساجد لم تبن لهذا؛ إنما بنيت لذكر اللّٰه والصلاة فيها**[٨] »(١٥٣).

ثم أمر بسجل من ماء فأهريق علىٰ بوله. وفي الحديث الثاني: « **جنبوا مساجدكم صبيانكم** ». وذلك لأنهم يلعبون فيه ولا يناسبهم. وقد كان عمر بن الخطاب - رضي اللّٰه عنه - إذا رأىٰ صبيانًا يلعبون في المسجد ضربهم بالمخفقة - وهي الدرة - وكان يعس المسجد بعد العشاء فلا يترك فيه أحدًا « **ومجانينكم** » يعني لأجل ضعف عقولهم وسخر الناس بهم فيؤدي إلىٰ اللعب فيها ولما يخشىٰ من تقذيرهم [][٩] المسجد ونحو ذلك « **وبيعكم وشراءكم** » كما تقدم.

= ثم قال: والحارث بن نبهان متفق على ضعفه ». وعتبة بن يقظان: ضعيف.

(١٥٢) رواه مسلم في البر والصلة والآداب حديث (٢٦١٥) من حديث أبي موسى الأشعري.

(١٥٣) حديث الأعرابي الذي بال في المسجد أصله عند البخاري (٢٢٠، ٦٠١٠، ٦١٢٨)، ومسلم (٢٨٤)، وابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها حديث (٥٢٩) وليس فيه: «أن المساجد لم تبن لهذا» وإنما هذه اللفظة وردت في حديث من ينشد الضالة في المسجد رواه مسلم في، في المساجد ومواضع الصلاة حديث (٥٦٨).

[١] - في ت: « رجل ».
[٢] - سقط من: ز.
[٣] - في خ، ز: « تطاير ».
[٤] - ما بين المعكوفتين في خ، ت: « ولا يقتص منه».
[٥] - في ز: « نجاسة ».
[٦] - سقط من: خ، ز.
[٧] - سقط من: ز.
[٨] - سقط من: خ، ز.
[٩] - ما بين المعكوفتين في ز: « في ».

« وخصوماتكم » يعني : التحاكم والحكم فيه ، ولهذا نص كثير من العلماء علىٰ أن الحاكم لا ينتصب لفصل الأقضية في المسجد بل يكون في موضع غيره ؛ لما فيه من كثرة الحكومات والتشاجر والعياط الذى لا يناسبه ؛ ولهذا قال بعده : « **ورفع أصواتكم** » .

وقال البخاري(١٥٤) : حَدَّثَنَا علي بن عبد اللَّه ، حَدَّثَنَا يحيىٰ بن سعيد ، حَدَّثَنَا الجعيد[١] بن عبد الرحمن [قال : حدثني][٢] يزيد بن خصيفة[٣] ، عن السائب بن يزيد الكندي قال : كنت قائمًا في المسجد فحصبني رجل ، فنظرت ، فإذا عمر بن الخطاب ؛ فقال : اذهب فأتني بهذين ، فجئته بهما فقال : من أنتما ؟ أو من أين أنتما ؟ قالا : من أهل الطائف . قال : لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ، ترفعان أصواتكما[٤] في مسجد رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم !!

وقال النسائي(١٥٥) : حَدَّثَنَا سويد بن نصر ، عن عبد اللَّه بن المبارك ، عن شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، عن أبيه إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ؛ قال : سمع عمر صوت رجل في المسجد ، فقال : أتدري أين أنت ؟ وهذا أيضًا صحيح .

وقوله : « وإقامة حدودكم وسل سيوفكم » تقدما .

وقوله : « واتخذوا علىٰ أبوابها المطاهر » يعني : المراحيض التي يستعان بها علىٰ الوضوء وقضاء الحاجة . وقد كانت قريبًا من مسجد رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم آبار يستقون منها فيشربون ، ويتطهرون ويتوضئون وغير ذلك .

وقوله : « وجمروها في الجمع » يعني : بخروها في أيام الجمع لكثرة اجتماع الناس يومئذ .

وقد قال الحافظ أبو يعلى الموصلي(١٥٦) : حَدَّثَنَا عبيد اللَّه ، حَدَّثَنَا عبد الرحمن بن مهدي ، عن عبد اللَّه بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر : أن عمر كان يجمر مسجد رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، كل جمعة . إسناده حسن لا بأس به واللَّه أعلم .

---

(١٥٤) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب : رفع الصوت في المسجد حديث (٤٧٠) .
(١٥٥) ذكره المزي في تحفة الأشراف (٤/٨) وعزاه للنسائي في السنن الكبرى في المواعظ .
(١٥٦) مسند أبي يعلى (١/١٧٠) .

---

[١] - في خ ، ت : « الجعد » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « بن » .
[٣] - في ت : « حفصة » .
[٤] - في ز : « أصواتكم » .

وقد ثبت في الصحيحين(١٥٧) : عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم، أنه[١] قال: « صلاة الرجل في الجماعة تضعف علىٰ صلاته في بيته وفي سوقه خمسًا وعشرين ضعفًا ؛ وذلك أنه إذا[٢] توضأ فأحسن الوضوء[٣]، ثم خرج إلىٰ المسجد لا يخرجه إلا الصلاة، لم يخط خطوة، إلا رفع له بها درجة، وحط عنه بها خطيئة، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه[٤] ما دام في مصلاه : اللهم صلِّ عليه، اللهم ارحمه . ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة » .

وعند الدارقطني مرفوعًا : « لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد »(١٥٨) ، وفي السنن : « **بشر المشائين إلىٰ المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيامة** »(١٥٩) .

ويستحب لمن دخل المسجد : أن يبدأ برجله اليمنىٰ وأن يقول - كما ثبت في صحيح البخاري، عن عبد اللَّه بن عمرو - رضي اللَّه عنهما - عن رسول الله صلىٰ اللَّه عليه وسلم: أنه كان إذا دخل المسجد ؛ قال - : « **أعوذ باللَّه العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم قال: [أقط؟ قال: نعم. قال][٥] : فإذا قال ذلك، قال الشيطان: حفظ مني سائر اليوم** »(١٦٠) .

(١٥٧) صحيح البخاري، كتاب الأذان حديث (٦٤٧) ، وصحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة حديث (٦٤٩) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه .

(١٥٨) سنن الدارقطني (١/٤٢٠) من طريق سليمان بن داود اليمامي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعًا، به .
وقد رواه الحاكم في المستدرك (١/٢٤٦) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/٥٧) من طريق سليمان بن داود، به . وسليمان بن داود مجمع على تضعيفه . ومن حديث جابر، رواه الدارقطني أيضًا في السنن (١/٤٢٠) من طريق محمد بن مسكين عن عبد الله بن بكير عن محمد بن سوقة عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعًا، به . وقال أبو الطيب في التعليق : « فيه محمد بن مسكين، قال الذهبي : لا يعرف وخبره منكر . وقال البخاري : في إسناد حديثه نظر » .

(١٥٩) رواه أبو داود في الصلاة حديث (٥٦١) ، والترمذي في الصلاة حديث (٢٢٣) من حديث بريدة بن الخصيب، رضي الله عنه، وقال الترمذي : « هذا حديث غريب من هذا الوجه مرفوع، وهو صحيح مسند وموقوف إلى أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ولم يسند إلى النبي - صلى الله عليه وسلم » .

(١٦٠) لم أجده في صحيح البخاري، وقد ذكره المزي في تحفة الأشراف وابن الأثير في جامع الأصول ولم يعزواه إلا لأبي داود، كتاب الصلاة حديث (٤٦٦) .

[١] - سقط من خ، ت .
[٢] - سقط من : خ، ز .
[٣] - في ز : « وضوءه » .
[٤] - سقط من : خ، ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ، ز .

وروىٰ مسلم بسنده عن أبي حميد - أو أبي أسيد - قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « إذا دخل أحدكم المسجد فليقل : اللهم افتح لي أبواب رحمتك . وإذا خرج فليقل : اللهم [إني أسألك من][١] فضلك »(١٦١) .

ورواه النسائي عنهما عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم .

وعن أبي هريرة(١٦٢) - رضي اللّٰه عنه - قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إذا دخل أحدكم المسجد، فليسلم علىٰ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج، فليسلم علىٰ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وليقل : اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم** » .

ورواه ابن ماجة ، وابن خزيمة ، وابن حبان في صحيحيهما .

وقال الإمام أحمد(١٦٣) : حَدَّثَنَا إسماعيل بن إبراهيم ، حَدَّثَنَا ليث بن أبي سليم ، عن [عبد اللّٰه بن حسن][٢] عن أمه فاطمة بنت حسين ، عن جدتها فاطمة بنت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قالت : كان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، إذا دخل المسجد صلىٰ على محمد وسلم ، ثم قال : « اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك » وإذا خرج صلىٰ على محمد وسلم ، ثم قال : « اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك » .

ورواه الترمذي وابن ماجة ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن ، وإسناده ليس بمتصل ؛ لأن فاطمة بنت الحسين الصغرىٰ لم تدرك فاطمة[٣] الكبرىٰ .

فهذا الذي ذكرناه - مع ما تركناه من الأحاديث الواردة في ذلك [حال الطول][٤] -

(١٦١) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها حديث (٧١٣) ، وأبو داود كتاب الصلاة (٤٦٥) وسنن النسائي ، كتاب المساجد (٢/٥٣) . وابن ماجه في المساجد (٧٧٢)

(١٦٢) سنن ابن ماجة ، كتاب المساجد حديث (٧٧٣) ، وصحيح ابن خزيمة حديث (٤٥٢) ، وصحيح ابن حبان حديث (٢٠٤٨) « الإحسان » كلهم من طريق أبي بكر الحنفي عن الضحاك بن عثمان عن المقبري عن أبي هريرة ، به . وقال البوصيري في الزوائد (١/٩٧) : « هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات » .

(١٦٣) المسند (٦/٢٨٢) ، وسنن الترمذي حديث (٣١٤) ، وسنن ابن ماجة حديث (٧٧١) .

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « افتح لي أبواب » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « عبد الرحمن بن حسين » ، وفي ز : « عبد الله بن حسين » .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « لحال القول » .

كله داخل في قوله تعالىٰ : ﴿ **في بيوت أذن اللّه أن ترفع** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ويذكر فيها اسمه** ﴾ [أي :اسم اللّه][١] كقوله : ﴿ **يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد** ﴾ وقوله : ﴿ **وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين** ﴾ وقوله : ﴿ **وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدًا** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ويذكر فيها اسمه** ﴾ قال ابن عباس يعني : يتلىٰ فيما[٢] كتابه .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **يسبح له فيها بالغدو والآصال** ﴾ أي :في البكرات والعشيات . والآصال جمع أصيل وهو آخر النهار .

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس : كل تسبيح في القرآن هو الصلاة .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : يعني بالغدوّ: صلاة الغداة ، ويعني بالآصال : صلاة العصر ، وهما أول ما افترض اللّه من الصلاة ؛ فأحب أن يذكرهما ، وأن يُذكّر بهما عباده .

وكذا قال الحسن والضحاك : ﴿ **يسبح له فيها بالغدو والآصال** ﴾ يعني : الصلاة ، ومن قرأ من القراء (**يُسَبَّحُ له فيها بالغدو والآصال**)(*) بفتح الباء من (**يسبح**) علىٰ أنه مبنى لما لم يسم فاعله ، وقف علىٰ قوله ﴿ **والآصال** ﴾ وقفًا تامًا ، وابتدأ بقوله : ﴿ **رجال لا تلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله** ﴾ وكأنه مفسر للفاعل المحذوف كما قال الشاعر :

لِيُبْكَ يزيدُ ضارعٌ لخصومة ومختبطٌ[٣] مما تطيح الطوائح(١٦٤)

كأنه قال : من يبكيه؟ قال : هذا يبكيه ، وكأنه قيل : من يسبح له فيها ؟ قال: رجال .

وأما علىٰ قراءة من قرأ ﴿ **يسبح** ﴾ بكسر الباء(**) ، فجعله فعلًا وفاعله ﴿ **رجال** ﴾ فلا يحسن الوقف إلا علىٰ الفاعل لأنه تمام الكلام ، فقوله تعالىٰ: ﴿ **رجال** ﴾ فيه إشعار بهممهم السامية ونياتهم وعزائمهم العالية ، التي بها صاروا عُمّارًا للمساجد التي هي بيوت

(*) وهي قراءة ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر . (السبعة في القراءات ص (٤٥٦) .

(١٦٤) نسبه سيبويه للحارث بن نهيك (١/١٤٥) ، ونسبه الأعلم للبيد . وقال البغدادي في الخزانة (١/١٥٠) هذا البيت لنهشل بن حري على ما في شرح أبيات الكتاب لابن خلف .

(**) وهي قراءة ابن كثير ونافع ، وأبي عمرو وحمزة ، والكسائي ، وحفص عن عاصم . السبعة ص (٤٥٦)

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ز : « فيها » . [٣] - في ز : « مخطبط » .

اللَّه في أرضه، ومواطن عبادته وشكره وتوحيده وتنزيهه ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا اللَّه عليه** ﴾ .

وأما النساء، فصلاتهن في بيوتهن أفضل لهن؛ لما رواه أبو داود عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال: « **صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها ، وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها** »(١٦٥) .

وقال الإمام أحمد(١٦٦) : حَدَّثَنَا يحيىٰ بن غيلان ، حَدَّثَنَا رشدين ، حدثني عمرو ، عن أبي السمح ، عن السائب مولىٰ أم سلمة ، عن أم سلمة رضي الله عنها عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه قال : « **خير مساجد النساء قعر بيوتهن** » .

وقال الإمام[١] أحمد أيضًا(١٦٧) : حَدَّثَنَا هارون أخبرني عبد اللَّه بن وهب ، حَدَّثَنَا داود ابن قيس ، عن عبد اللَّه بن سويد الأنصاري ، عن عمته أم حميد امرأة أبي حميد الساعدي : أنها جاءت إلىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقالت : يا رسول اللَّه ، إني أحب الصلاة معك ؟ قال : « **قد علمت أنك تحبين الصلاة معي ، وصلاتك في بيتك خير من صلاتك في حجرتك ، وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك ، وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك ، وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجدي** » . قال : فأمرت فبني لها مسجد في أقصىٰ بيت من بيوتها وأظلمه فكانت تصلي فيه حتىٰ لقيت اللَّه تعالىٰ[٢] . لم يخرجوا هذا .

ويجوز لها شهود جماعة الرجال بشرط[٣] أن لا تؤذي أحدًا من الرجال بظهور زينة ولا

(١٦٥) سنن أبي داود حديث (٥٨٠) ، ورواه ابن ماجه (١٩٨٣) . وفي إسناده عبد الرحمن بن حرملة ضعفه غير واحد ، وأخرج له مسلم ، وأخرج له البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « **يصلون لكم فإن أصابوا فلكم ولهم ، وإن أخطئوا فلكم وعليهم** » .

(١٦٦) المسند (٦/٢٩٧) (٢٦٦٥١) صحيح - إسناده ضعيف من أجل رشدين بن سعد . إلا أنه توبع من عبد الله بن وهب كما عند البيهقي وغيره . والحديث أخرجه أبو يعلى في مسنده (١٢/٤٥٤/رقم : ٧٠٢٥) . والطبراني في الكبير (٢٣/٣١٣ ، ٣١٤/رقم : ٧٠٩) . كلاهما من طريق ابن لهيعة به . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/٣٣) وعزاه لأحمد والطبراني وأبي يعلى ، وقال : « وفيه ابن لهيعة ، وفيه كلام » . وأخرجه أيضًا الحاكم في المستدرك (١/٢٠٩) . والبيهقي في السنن (٣/١٣١) . وابن خزيمة في صحيحه (٣/٩٢/رقم : ١٦٨٣) . كلهم من طريق عمرو بن الحارث به .

(١٦٧) المسند (٦/٣٧١) (٢٧٢٠٢) . ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٣٣، ٣٤) ، وعزاه لأحمد وقال : « ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن سويد الأنصاري ، وثقه ابن حبان» . =

[١] - سقط من : ت .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « بشرطه » .

ريح طيب، كما ثبت في الصحيحين(١٦٨) عن عبد الله بن عمر أنه قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله**». رواه البخاري ومسلم، ولأحمد وأبي داود: «**وبيوتهنّ خير لهنّ**»(١٦٩). وفي رواية: «**وليخرجن وهنّ تفلات**»(١٧٠). أي لا ريح لهن. وقد ثبت في صحيح مسلم(١٧١) عن زينب امرأة [عبد الله][١] بن مسعود قالت: قال لنا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «إذا شهدت إحداكنّ المسجد فلا تمس طيبًا».

وفي الصحيحين(١٧٢) عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: كان نساء المؤمنات[٢] يشهدن الفجر مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، ثم يرجعن متلفعات بمروطهنّ ما يعرفن من الغلس.

وفي الصحيحين(١٧٣) عنها أيضًا أنها قالت: لو أدرك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ما أحدث النساء لمنعهنّ من المساجد، كما منعت نساء بني إسرائيل.

وقوله تعالىٰ: ﴿ **رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله** ﴾ كقوله تعالىٰ: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون** ﴾. وقال[٣] تعالىٰ: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلىٰ ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون** ﴾.

يقول تعالىٰ: لا تشغلهم الدنيا وزخرفها وزينتها وملاذّ بيعها وربحها عن ذكر ربهم الذي هو خالقهم ورازقهم، والذين يعلمون أن الذي عنده هو خير لهم وأنفع مما بأيديهم، لأن ما

= والحديث أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٩٥/٣/رقم: ١٦٨٩). من طريق أبي الطاهر عن أبي بكر، عن عيسى بن إبراهيم، عن ابن وهب به.

(١٦٨) صحيح البخاري، كتاب الجمعة حديث (٩٠٠)، وصحيح مسلم، كتاب الصلاة حديث (٤٤٢).

(١٦٩) المسند (٧٦/٢)، وسنن أبي داود حديث (٥٦٧) من حديث عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما.

(١٧٠) وهي في المسند (٤٣٨/٢) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(١٧١) صحيح مسلم، كتاب الصلاة حديث (٤٤٣).

(١٧٢) صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، حديث (٥٧٨)، وصحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة حديث (٦٤٥).

(١٧٣) صحيح البخاري، كتاب الأذان حديث (٨٦٩)، وصحيح مسلم، كتاب الصلاة حديث (٤٤٥).

---

[١] - سقط من: ز.

[٢] - في خ، ز: «المؤمنين».

[٣] - في خ، ت: «قوله».

عندهم ينفد وما عند اللَّه باق ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر اللَّه وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة** ﴾ أي :يقدمون طاعته ومراده ومحبته علىٰ مرادهم ومحبتهم . قال هشيم(١٧٤) : عن سيار قال[١] : حدثت عن ابن مسعود أنه رأىٰ قومًا من أهل السوق حيث نودي للصلاة المكتوبة[٢] تركوا بياعاتهم[٣] ، ونهضوا إلىٰ الصلاة ، فقال[٤] عبد اللَّه [بن مسعود][٥] : هؤلاء من الذين ذكر اللَّه في كتابه : ﴿ **رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله** ﴾ .

وهكذا روىٰ عمرو بن دينار القهرماني(١٧٥) ، عن سالم ، عن عبد اللَّه بن عمر - رضي اللَّه عنهما - أنه كان في السوق ، فأقيمت الصلاة ، فأغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد ؛ فقال ابن عمر : فيهم نزلت : ﴿ **رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله** ﴾ . رواه ابن أبي حاتم وابن جرير .

وقال ابن أبي حاتم : حَدَّثَنَا أبي ، حَدَّثَنَا محمد بن عبد اللَّه بن بكر الصنعاني ، حَدَّثَنَا أبو سعيد مولىٰ بني[٦] هاشم ، حَدَّثَنَا عبد اللَّه بن بجير ، حَدَّثَنَا أبو عبد ربه[٧] قال : قال أبو الدرداء - رضي اللَّه عنه - إني أقمت علىٰ هذا الدرج أبايع عليه أربح كل يوم ثلاثمائة دينار ، أشهد الصلاة في كل يوم في المسجد ، أما إني لا أقول : إن ذلك ليس بحلال ، ولكني أحب أن أكون من الذين قال اللَّه : ﴿ **رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله** ﴾ .

وقال عمرو بن دينار الأعور : كنت مع سالم بن عبد اللَّه ونحن نريد المسجد فمررنا بسوق المدينة وقد قاموا إلىٰ الصلاة وخمروا متاعهم ، فنظر سالم إلىٰ أمتعتهم ليس معها أحد فتلا سالم هذه الآية : ﴿ **رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله** ﴾ ثم قال : هم هؤلاء .

وكذا قال سعيد بن أبي الحسن ، والضحاك : لا تلهيهم التجارة والبيع أن يأتوا الصلاة في وقتها .

وقال مطر الوراق : كانوا يبيعون ويشترون ولكن[٨] كان أحدهم إذا سمع النداء وميزانه

---

(١٧٤) رواه الطبري في تفسيره (١١٣/١٨) .

(١٧٥) تفسير الطبري (١١٣/١٨) .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في خ ، ت : « بياعتهم » .

[٤] - في ز : « قال » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٦] - في ز : « أبي » .

[٧] - في خ ، ز : « رب » .

[٨] - في ز : « لكن » .

في يده خفضه وأقبل إلى الصلاة .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ **لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله** ﴾ يقول : عن الصلاة المكتوبة . وكذا قال مقاتل بن حيان والربيع بن أنس .

وقال السدي : عن الصلاة في جماعة .

وعن مقاتل بن حيان : لا يلهيهم ذلك عن حضور الصلاة وأن يقيموها كما أمرهم الله ، وأن يحافظوا على مواقيتها وما استحفظهم الله فيها .

وقوله تعالى : ﴿ **يخافون يومًا تتقلب فيه القلوب والأبصار** ﴾ أي[١] :يوم القيامة الذي تتقلب فيه القلوب والأبصار ، أي : من شدة الفزع وعظمة الأهوال ؛ كما قال تعالى : ﴿ **وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **ويطعمون الطعام على حبه مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا * إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكورًا * إنا نخاف من ربنا يومًا عبوسًا قمطريرًا * فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورًا * وجزاهم بما صبروا جنة وحريرًا** ﴾ .

وقال[٢] تعالى هاهنا : ﴿ **ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله** ﴾ أي : هؤلاء من الذين يتقبل [عنهم أحسن ما عملوا من فضله][٣] ويتجاوز عن سيئاتهم ، وقوله : ﴿ **ويزيدهم من فضله** ﴾ أي :يتقبل منهم الحسن ويضاعفه لهم ؛ كما قال تعالى : ﴿ **إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرًا عظيمًا** ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ **من جاء بالحسنة [ ][٤] فله عشر أمثالها** ﴾ وقال : ﴿ **من ذا الذي يقرض الله قرضًا حسنًا فيضاعفه له أضعافًا كثيرة** ﴾ وقال : ﴿ **والله يضاعف لمن يشاء** ﴾ و[٥]قال هاهنا : ﴿ **والله يرزق من يشاء بغير حساب** ﴾ .

وعن ابن مسعود أنه جيء بلبن فعرضه على جلسائه واحدًا واحدًا ، فكلهم لم يشربه ؛ لأنه كان صائمًا فتناوله ابن مسعود ، [وكان مفطرًا فشربه][٦] ، ثم تلا قوله : ﴿ **يخافون يومًا تتقلب فيه القلوب والأبصار** ﴾ . رواه النسائي(١٧٦) وابن أبي حاتم ، من حديث الأعمش ،

---

(١٧٦) ذكره المزي في تحفة الأشراف حديث (٩٤٣٥) وعزاه للنسائي في المواعظ .

---

[١] - سقط من : ز . [٢] - في خ ، ت : « قوله » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ت : « حسناتهم » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « فله خير منها » . [٥] - في خ ، ت : « و » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في خ ، ت : « فشربه لأنه كان مفطرًا » .

عن إبراهيم، عن علقمة عنه .

وقال أيضًا(١٧٧) : حَدَّثَنَا أبي، حَدَّثَنَا سويد بن سعيد[١]، حَدَّثَنَا علي بن مسهر، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد قالت: قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم: « **إذا جمع اللَّه الأوّلين والآخرين يوم القيامة جاء مناد فنادىٰ بصوت يسمع الخلائق : سيعلم أهل الجمع من أولىٰ بالكرم ؛ ليقم الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر اللَّه . فيقومون وهم قليل، ثم يحاسب سائر الخلائق** » .

وروىٰ الطبراني من حديث بقية(١٧٨) ، عن إسماعيل بن عبد اللَّه الكندي، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن ابن مسعود، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم، في قوله[٢] : ﴿ **ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله** ﴾ قال: « **أجورهم يدخلهم الجنة ويزيدهم من فضله الشفاعة لمن وجبت له الشفاعة لمن صنع لهم المعروف في الدنيا** » .

وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾

هذان مثلان ضربهما اللَّه تعالىٰ لنوعي الكفار، كما ضرب للمنافقين في أول البقرة مثلين ناريًا ومائيًا، وكما ضرب لما يقرّ في القلوب من الهدىٰ والعلم في سورة الرعد مثلين مائيًا وناريًا ، وقد تكلمنا علىٰ كل منهما في موضعه بما أغنىٰ عن إعادته ، ولله الحمد والمنة .

فأما الأول من هذين المثلين: فهو للكفار الدعاة إلىٰ كفرهم ، الذين يحسبون أنهم علىٰ شيء من الأعمال والاعتقادات، وليسوا في نفس الأمر علىٰ شيء، فمثلهم[٣] في ذلك

(١٧٧) ورواه هناد في الزهد حديث (١٧٦) من طريق أبي معاوية عن عبد الرحمن بن إسحاق ، به . وعبد الرحمن بن إسحاق ضعيف .

(١٧٨) المعجم الكبير للطبراني (١٠/٢٤٨) ، وتقدم قول الحافظ ابن كثير عند تفسير الآية : ١٨٣ من سورة النساء : « هذا إسناد لا يثبت ، وإذا روى عن ابن مسعود موقوفًا فهو جيد » .

[١] - في ز : « شعبة » . [٢] - في ز : « قولهم » .

[٣] - في ز : « فمثالهم » .

كالسراب الذي يرىٰ في القيعان من الأرض عن بعد، كأنه بحر طام، والقيعة: جمع قاع كجار وجيرة، والقاع أيضًا واحد القيعان كما يقال: جار وجيران وهي الأرض المستوية المتسعة المنبسطة، وفيه يكون السراب، وإنما يكون ذلك بعد نصف النهار، وأما الأول فإنما يكون أول النهار يرىٰ كأنه ماء بين السماء والأرض، فإذا رأىٰ السراب من هو محتاج إلىٰ الماء فحسبه[١] ماءً فقصده ليشرب منه، فلما انتهىٰ إليه ﴿ **لم يجده شيئًا** ﴾ فكذلك الكافر يحسب أنه قد عمل عملًا وأنه قد حصل شيئًا؛ فإذا وافى الله يوم القيامة وحاسبه عليها، ونوقش علىٰ أفعاله لم يجد له شيئًا بالكلية قد قُبل، إمّا لعدم الإخلاص، أو لعدم سلوك الشرع؛ كما قال تعالىٰ: ﴿ **وقدمنا إلىٰ ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورًا** ﴾ وقال هاهنا: ﴿ **ووجد[٢] الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب** ﴾ وهكذا روي عن أبي ابن كعب وابن عباس ومجاهد وقتادة وغير واحد.

وفي الصحيحين(١٧٩) أنه يقال يوم القيامة لليهود: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد عزير ابن الله. فيقال: كذبتم! ما اتخذ الله من ولد ماذا تبغون؟ فيقولون: أي ربنا عطشنا، فاسقنا. فيقال: ألا ترون؟ فتمثل لهم النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضًا، فينطلقون فيتهافتون فيها.

وهذا المثال مثال لذوي الجهل المركب، فأما أصحاب الجهل البسيط وهم الطماطم الأغشام المقلدون لأئمة الكفر الصم البكم الذين لا يعقلون فمثلهم[٣] كما قال تعالىٰ: ﴿ **أو كظلمات في بحر لجي** ﴾ قال قتادة: و[٤]: هو العميق ﴿ **يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها** ﴾ أي: لم يقارب رؤيتها من شدّة الظلام، فهذا مثل قلب الكافر الجاهل البسيط المقلد الذي لا يعرف أين يذهب ولا هو يعرف حال من يقوده [ولا يدري][٥]، بل كما يقال في المثل للجاهل: أين تذهب؟ قال: معهم. قيل: فإلىٰ أين يذهبون؟ قال: لا أدري.

وقال[٦] العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ **يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب** ﴾ يعني بذلك: الغشاوة التي علىٰ القلب والسمع والبصر، وهي كقوله: ﴿ **ختم الله علىٰ قلوبهم وعلىٰ سمعهم وعلىٰ أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم** ﴾، وكقوله:

(١٧٩) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن حديث (٤٥٨١)، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان حديث (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه.

[١] - في خ: يحسبه.
[٢] - في ز: « فوجد ».
[٣] - في خ: « مثلهم ».
[٤] - في خ: لجى.
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.
[٦] - في ز: « قال ».

﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله علىٰ علم وختم علىٰ سمعه وقلبه وجعل علىٰ بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون ﴾ .

وقال أبيّ بن كعب في قوله تعالىٰ : **﴿ ظلمات بعضها فوق بعض ﴾** فهو يتقلب في خمسة من الظلم، كلامه[١] ظلمة ، وعمله ظلمة ، ومدخله ظلمة ، ومخرجه ظلمة ، ومصيره يوم القيامة إلىٰ الظلمات إلىٰ النار .

وقال السدي والربيع بن أنس نحو ذلك أيضًا .

وقوله تعالىٰ : **﴿ ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور ﴾** أي :من لم يهده الله فهو هالك جاهل حائر بائر كافر ، كما قال تعالىٰ : **﴿ من يضلل الله فلا هادي له ﴾** وهذا في مقابلة ما قال في مثل المؤمنين: **﴿ يهدي الله لنوره من يشاء ﴾** فنسأل الله العظيم أن يجعل في[٢] قلوبنا نورًا ، وعن أيماننا نورًا ، وعن شمائلنا نورًا ، وأن يعظم لنا نورًا .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾

يخبر تعالىٰ أنه **﴿ [يسبح له][٣] من في السماوات والأرض ﴾** أي :من الملائكة والأناسي[٤] والجان والحيوان حتىٰ الجماد ، كما قال تعالىٰ: **﴿ تسبح له السمٰوات السبع والأرض ومن فيهنّ [وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليمًا غفورًا][٥]﴾** .

وقوله تعالىٰ : **﴿ والطير صافات ﴾** أي في حال طيرانها تسبح ربها وتعبده بتسبيح ألهمها ، وأرشدها إليه ، وهو يعلم ما هي فاعلة؛ ولهذا قال تعالىٰ : **﴿ كل قد علم صلاته وتسبيحه ﴾** أي :كل قد أرشده إلىٰ طريقته ومسلكه[٦] في عبادته الله عز وجل .

ثم أخبر أنه عالم بجميع ذلك لا يخفى عليه من ذلك شيء ، ولهذا قال تعالىٰ : **﴿ والله عليم بما يفعلون ﴾** .

---

[١] - في خ : « فكلامه » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « ليسبحه » .
[٤] - في ز : « الأناسين » .
[٥] - سقط من خ .
[٦] - في خ : « ملكه » .

ثم أخبر تعالىٰ أن له ملك السمٰوات والأرض فهو الحاكم المتصرف لا معقب لحكمه وهو الإِلٰه المعبود الذي لا تنبغي العبادة إلا له ﴿ **وإلىٰ الله المصير** ﴾ أي: يوم القيامة، فيحكم فيه بما يشاء ﴿ **ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى** ﴾. فهو الخالق المالك [ ][١] له الحكم في الدنيا والآخرة[٢]، وله الحمد في الأولىٰ والآخرة.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾

يذكر تعالىٰ أنه بقدرته يسوق السحاب أول ما ينشئها وهي ضعيفة، وهو الإزجاء ﴿ **ثم يؤلف بينه** ﴾ أي: يجمعه بعد تفرقه ﴿ **ثم يجعله ركامًا** ﴾ أي: متراكما، يركب بعضه بعضًا ﴿ **فترىٰ الودق** ﴾ أي: المطر ﴿ **يخرج من خلاله** ﴾ أي: من خلله. وكذا قرأها ابن عباس والضحاك.

قال عبيد بن عمير الليثي: يبعث الله المثيرة فتُقمّ الأرض قمًّا، ثم يبعث الله الناشئة فتنشئ السحاب، ثم يبعث الله المؤلفة فتؤلف بينه، ثم يبعث الله اللواقح فتلقح السحاب. رواه ابن أبي حاتم وابن جرير رحمهما الله.

وقوله: ﴿ **وينزل من السماء من جبال فيها من برد** ﴾ قال بعض النحاة: (من) الأولى لابتداء الغاية، والثانية للتبعيض، والثالثة لبيان الجنس. وهذا إنما يجيء علىٰ قول «مِن» ذهب من المفسرين إلىٰ أن قوله: ﴿ **من جبال فيها من برد** ﴾ معناه أن في السماء جبال برد ينزل الله منها[٣] البرد، وأما من جعل الجبال هاهنا عبارة كناية[٤] عن السحاب، فإن من الثانية عند هذا لابتداء الغاية أيضا لكنها بدل من الأولىٰ والله أعلم.

وقوله تعالىٰ: ﴿ **فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء** ﴾ يحتمل أن يكون المراد بقوله: [﴿ **فيصيب به** ﴾][٥] أي: بما ينزل من السماء من نوعى المطر والبرد، فيكون قوله: ﴿ **فيصيب به من يشاء** ﴾ رحمة بهم[٦] ﴿ **ويصرفه عمن يشاء** ﴾ أي: يؤخر عنهم

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز: « له ».
[٢] - في ز: « الأخرى ».
[٣] - في ز: « منه ».
[٤] - سقط من: ت.
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز.
[٦] - في خ: « لهم ».

الغيث ، ويحتمل أن يكون المراد بقوله : ﴿ فيصيب به ﴾ أي : بالبرد نقمة علىٰ من يشاء لما فيه من نثر[١] ثمارهم وإتلاف زروعهم وأشجارهم ، ﴿ ويصرفه عمن يشاء ﴾ أي[٢] : رحمة بهم .

وقوله : ﴿ يكاد سنابرقه يذهب بالأبصار ﴾ أي : يكاد ضوء برقه من شدته يخطف الأبصار إذا اتبعته وتراءته[٣] .

وقوله : ﴿ يقلب الله الليل والنهار ﴾ أي : يتصرف فيهما فيأخذ من طول هذا في قصر هذا حتىٰ يعتدلا ، ثم يأخذ من هذا في هذا فيطول الذي كان قصيرًا ويقصر الذي كان طويلا ، والله هو المتصرف في ذلك بأمره وقهره وعزته وعلمه ﴿ إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار ﴾ أي: لدليلا علىٰ عظمته تعالىٰ ؛ كما قال الله تعالى : ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ﴾ وما بعدها من الآيات الكريمات .

وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾

يذكر تعالىٰ قدرته التامة وسلطانه العظيم في خلقه أنواع المخلوقات[٤] علىٰ اختلاف أشكالها وألوانها وحركاتها وسكناتها من ماء واحد ﴿ فمنهم من يمشى علىٰ بطنه ﴾ كالحية وما شاكلها ﴿ ومنهم من يمشي علىٰ رجلين ﴾ كالإنسان والطير ﴿ ومنهم من يمشي علىٰ أربع ﴾ كالأنعام وسائر الحيوانات ؛ ولهذا قال : ﴿ يخلق الله ما يشاء ﴾ أي بقدرته لأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، ولهذا قال : ﴿ إن الله علىٰ كل شيء قدير ﴾ .

لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾

يقرر تعالىٰ أنه أنزل في هذا القرآن من الحكم [ ][٥] والأمثال البينة المحكمة كثيرًا جدًّا ، وأنه يرشد إلىٰ تفهمها وتعقلها أولى الألباب والبصائر والنهىٰ ؛ ولهذا قال : ﴿ والله يهدي من يشاء إلىٰ صراط مستقيم ﴾ .

وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ

---

[١] - في خ : « شر » .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - في ز : « أرادته » .
[٤] - سقط من : خ ، ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « والحكم » .

أُولَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾

يخبر تعالىٰ عن صفات المنافقين الذين يظهرون خلاف ما يبطنون، يقولون قولًا بألسنتهم: ﴿ **آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولىٰ فريق منهم من بعد ذلك** ﴾ أي: يخالفون أقوالهم بأعمالهم، فيقولون ما لا يفعلون؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿ **وما أولئك بالمؤمنين** ﴾ [وقوله تعالىٰ: ﴿ **وإذا دعوا إلىٰ الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون** ﴾ أي: إذا طلبوا إلىٰ اتباع الهدىٰ فيما أنزل الله علىٰ رسوله أعرضوا عنه، واستكبروا في أنفسهم عن اتباعه، وهذه كقوله تعالىٰ: ﴿ **ألم تر إلىٰ الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك** ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ **رأيت المنافقين يصدون عنك صدودًا** ﴾][1].

وفي الطبراني(١٨٠) من حديث روح بن عطاء، عن أبي ميمونة، عن أبيه، عن الحسن، عن سمرة مرفوعًا: « **من دعىٰ إلىٰ سلطان فلم يجب فهو ظالم لا حق له** ».

وقوله: ﴿ **وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين** ﴾ أي: إذا كانت الحكومة لهم لا عليهم جاءوا سامعين مطيعين وهو معنىٰ قوله: ﴿ **مذعنين** ﴾ وإذا كانت الحكومة عليه أعرض ودعا إلىٰ غير الحق وأحب أن يتحاكم إلىٰ غيرالنبي صلىٰ الله عليه وسلم ليروج باطله ثَمَّ، فإذعانه أولًا لم يكن عن اعتقاد منه أن ذلك هو الحق، بل لأنه موافق لهواه، ولهذا لما خالف الحق قصده عدل عنه إلىٰ غيره، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿ **أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله** ﴾ يعني: لايخرج أمرهم عن أن يكون في القلوب

(١٨٠) المعجم الكبير للطبراني (٧/٢٢٥)، وقال الهيثمي في المجمع (٤/١٩٨): « فيه روح بن عطاء، وثقه ابن عدي وضعفه الأئمة ».

[١] - ما بين المعكوفتين متأخر بعد الفقره التى تليها.

مرض لازم لها أو قد عرض لها شك في الدين، أو يخافون أن يجور الله ورسوله عليهم في الحكم، وأيًّا ما كان فهو كفر محض، والله عليم بكل منهم وما هو منطوٍ عليه من هذه الصفات .

وقوله : ﴿ **بل أولئك هم الظالمون** ﴾ أي : بل[١] هم الظالمون الفاجرون، والله ورسوله مبرآن مما يظنون ويتوهمون من الحيف والجور، تعالىٰ الله ورسوله عن ذلك .

قال ابن أبي حاتم (١٨١) : حَدَّثَنَا أبي، حَدَّثَنَا موسىٰ بن إسماعيل، حَدَّثَنَا مبارك، حَدَّثَنَا الحسن قال : كان الرجل إذا كان بينه وبين الرجل منازعة فدعي إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم، [وهو محق أذعن وعلم أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم][٢] سيقضي له بالحق، وإذا أراد أن يظلم فدعي إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم، أعرض وقال : أنطلق إلىٰ فلان . فأنزل الله هذه الآية . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **من كان بينه وبين أخيه شيء فدعي إلىٰ حكم من حكام[٣] المسلمين فأبىٰ أن يجيب فهو ظالم لا حق له** » .

وهذا حديث غريب وهو مرسل .

ثم أخبر تعالىٰ عن صفة المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله، الذين لا يبغون دينا سوىٰ كتاب الله وسنة رسوله فقال : ﴿ **إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلىٰ الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا** ﴾ أي : سمعًا وطاعة، ولهذا وصفهم تعالىٰ بالفلاح وهو نيل المطلوب والسلامة من الرهوب[٤] فقال تعالىٰ : ﴿ **وأولئك هم المفلحون** ﴾ .

وقال قتادة في هذه الآية : ﴿ **أن يقولوا سمعنا وأطعنا** ﴾ ذكر لنا أن عبادة بن الصامت وكان عقبيًّا بدريًّا أحد نقباء الأنصار - أنه لما حضره الموت قال لابن أخيه جنادة بن أبي أمية : ألا أنبئك بماذا عليك وبماذا[٥] لك؟ قال : بلىٰ . قال : فإن عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك، وعليك أن تقيم لسانك بالعدل، وأن لا تنازع الأمر أهله إلا أن يأمروك بمعصية الله بُواحًا، فما أمرت به من شيء يخالف[٦] كتاب الله فاتبع كتاب الله .

و[٧]قال قتادة : وذكر لنا أن أبا الدرداء قال : لا إسلام إلا بطاعة الله، ولا خير إلا في

(١٨١) ورواه عبد بن حميد وابن المنذر عن الحسن مرسلًا كما في الدر المنثور (٦/٢١٣) .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - في ت : « أحكام » .
[٤] - في ز : « المرهوب » .
[٥] - في خ : « بماذا » .
[٦] - في خ : « يخالفُ » .
[٧] - سقط من : ز .

جماعة والنصيحة ة ولرسوله وللخليفة والمؤمنين[١] عامة .

قال : وقد[٢] ذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول : عروة الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والطاعة لمن ولاه الله أمر المسلمين .

رواه ابن أبي حاتم والأحاديث والآثار في وجوب الطاعة لكتاب الله [وسنة رسوله وللخلفاء الراشدين والأئمة إذا أمروا بطاعة الله][٣] كثيرة[٤] جدًّا أكثر من أن تحصر في هذا المكان .

وقوله ﴿ **ومن يطع الله ورسوله** ﴾ [قال قتادة : يطع الله ورسوله][٥] فيما أمراه به وترك ما نهياه عنه ، ويخشى الله فيما مضىٰ من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل .

وقوله ﴿ **فأولئك هم الفائزون** ﴾ يعني : الذين فازوا بكل خير وأمنوا من كل شر في الدنيا والآخرة .

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٥٣) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٥٤) ﴾

يقول تعالىٰ مخبرا عن أهل النفاق الذين كانوا يحلفون للرسول صلىٰ الله عليه وسلم لئن أمرهم بالخروج ليخرجن ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **قل لاتقسموا** ﴾ أيٰ لا تحلفوا ، وقوله : ﴿ **طاعة معروفة** ﴾ قيل معناه : طاعتكم طاعة معروفة ، أي قد علمت[٦] طاعتكم إنما هيٰ قول لا فعل معه ، وكلما حلفتم كذبتم ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كان يعملون** ﴾ ، فهم من سجيتهم الكذب حتىٰ فيما يختارونه كما قال تعالىٰ : ﴿ **ألم تر إلىٰ الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين**

---

[١] - في خ : « المؤمنين » . [٢] - سقط من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٤] - في ز : « كثير » .
[٥] - مكانه في ت : « قال قتادة : يطع الله ورسوله » .
[٦] - في ز : « علمتم » .

كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدًا أبدًا وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون * لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ، ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون ﴾ .

وقيل : المعنىٰ في قوله : ﴿ **طاعة معروفة** ﴾ أىٰ : ليكن أمركم طاعة معروفة أىٰ : بالمعروف من غير حلف ولا إقسام كما يطيع اللَّه ورسوله المؤمنون بغير حلف [ولا إقسام ، فكونوا][١] أنتم مثلهم ﴿ **إن اللَّه خبير بما تعملون** ﴾ أىٰ : هو خبير بكم ، وبمن[٢] يطيع ممن يعصي ، فالحلف وإظهار الطاعة والباطن بخلافه وإن راج علىٰ المخلوق فالخالق تعالىٰ يعلم السر وأخفى لا يروج عليه شيء من التدليس ، بل هو خبير بضمائر عباده ، وإن أظهروا خلافها . ثم قال تعالىٰ : ﴿ **قل أطيعوا اللَّه وأطيعوا الرسول** ﴾ أي : اتبعوا كتاب اللَّه وسنة رسوله .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **فإن تولوا** ﴾ أى تتولوا عنه وتتركوا[٣] ما جاءكم به . ﴿ **فإنما عليه ما حُمل** ﴾ أي إبلاغ الرسالة وأداء الأمانة ﴿ **وعليكم ما حملتم** ﴾ أي : [من قبول][٤] ذلك وتعظيمه والقيام بمقتضاه ﴿ **وإن تطيعوه تهتدوا** ﴾ وذلك لأنه يدعو إلىٰ صراط مستقيم ﴿ **صراط اللَّه الذي له مافي السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وما علىٰ الرسول إلا البلاغ المبين** ﴾ كقوله تعالىٰ : ﴿ **فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب** ﴾ وقوله : ﴿ **فذكر إنما أنت مذكر * لست عليهم بمصيطر** ﴾ . و[٥] قال وهب بن منبه : أوحىٰ اللَّه إلىٰ نبي من أنبياء بني إسرائيل - يقال له : شعياء - أن قم في بني إسرائيل فإني سأطلق لسانك بوحي . فقام فقال : يا سماء اسمعي ويا أرض أنصتي ، فإن اللَّه يريد أن يقضي شأنا ويدبر أمرًا هو منفذه ، إنه يريد أن يحول الريف إلىٰ الفلاة ، والآجام في الغيطان ، والأنهار[٦] في الصحارى ، والنعمة[٧] في الفقراء ، والملك في الرعاة ، ويريد أن يبعث أميًا من الأميين ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب[٨] في الأسواق ، لو يمر [إلى جنب][٩] السراج لم يطفئه من سكينته ، ولو يمشي علىٰ القصب واليابس لم يسمع من تحت قدميه ، أبعثه مبشرًا[١٠] ونذيرًا ، لا يقول الخنا ، أفتح به أعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا ، وأسدده لكل[١١] أمر جميل ، وأهب له كل خلق كريم ، وأجعل السكينة

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « وكونوا » .
[٢] - في ز : « من » .
[٣] - في ز : « تتركون » .
[٤] - في خ : « بقبول » .
[٥] - سقط من خ .
[٦] - في خ ، ز : « والنهار » .
[٧] - في ز : « النقمة » .
[٨] - في خ : « سخاب » .
[٩] - في خ : « على » .
[١٠] - في ت : « بشيرًا » .
[١١] - في خ : « بكل » .

لباسه ، والبر شعاره ، والتقوىٰ ضميره ، والحكمة منطقه ؛ والصدق والوفاء طبيعته ، والعفو والمعروف خلقه ، والحق شريعته ، والعدل سيرته ، والهدىٰ إمامه ، والإسلام ملته ، وأحمد اسمه ، أهدي به بعد الضلالة ، وأعلم به من الجهالة ، وأرفع به بعد الخمالة ، وأعرف به بعد النكرة ، وأكثر به[١] بعد القلة ، وأغنى به[٢] بعد العيلة ، وأجمع به بعد الفرقة ، وأؤلف به بين أمم متفرقة ، وقلوب مختلفة ، وأهواء مشتتة[٣] ، وأستنقذ به فئامًا من الناس عظيمًا من الهلكة ، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، موحدين مؤمنين ، مخلصين مصدقين بما جاءت به رسلي . رواه ابن أبي حاتم(١٨٢) .

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾

هذا وعد من اللَّه تعالىٰ لرسوله صلى الله عليه وسلم بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض ، أي[٤] أئمة الناس والولاة عليهم ؛ وبهم تصلح البلاد ، وتخضع لهم العباد . [وليبدلنهم من][٥] بعد خوفهم [من الناس][٦] أمنًا وحكمًا فيهم ، وقد فعل تبارك وتعالىٰ ذلك وله الحمد والمنة : فإنه صلىٰ اللَّه عليه وسلم لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتىٰ فتح اللَّه عليه مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب ، وأرض اليمن بكمالها ، وأخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض أطراف الشام ، وهاداه هرقل ملك الروم وصاحب مصر والإسكندرية وهو المقوقس ، وملوك عمان والنجاشي ملك الحبشة الذي تملك بعد أصحمة ، رحمه اللَّه وأكرمه .

ثم لما مات رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، واختار اللَّه له ما عنده من الكرامة قام بالأمر بعده خليفته أبو بكر الصديق فلمَّ شعث ما وهىٰ عند موته صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وأخذ[٧] جزيرة العرب ومهدها ، وبعث [الجيوش الإسلامية][٨] إلىٰ بلاد فارس[٩] صحبة خالد بن

(١٨٢) وروى عن عبد الله بن سلام وكعب الأحبار كما في الشفاء للقاضي عياض (١٥/١) .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « متشتتة » .
[٤] - سقط من :خ ، ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « ليبدلن » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٧] - في ز : « أحد » .
[٨] - في خ : « جيوش الإسلام » .
[٩] - بعده في خ : في .

الوليد - رضي اللَّه عنه - ففتحوا طرفا منها وقتلوا خلقًا من أهلها . وجيشًا آخر صحبة أبي عبيدة رضي اللَّه عنه ومن معه[١] من الأمراء إلىٰ أرض الشام ، وثالثا صحبة عمرو بن العاص رضىٰ اللَّه عنه إلىٰ بلاد مصر ؛ ففتح اللَّه للجيش الشامي في أيامه[٢] بصرىٰ ودمشق ومخاليفهما من بلاد حوران وما والاها ، وتوفاه اللَّه ، عز وجل ، واختار له ما عنده من الكرامة ومنّ علىٰ[٣] الإسلام [وأهله][٤] بأن ألهم الصديق أن يستخلف عمر الفاروق فقام بالأمر[٥] بعده قيامًا تامًّا لم يدور الفلك بعد الأنبياء علىٰ مثله في قوة سيرته وكمال عدله . وتم في أيامه فتح البلاد الشامية بكمالها ، وديار مصر إلىٰ آخرها ، وأكثر إقليم فارس . وكسر كسرىٰ وأهانه غاية الهوان وتقهقر إلىٰ أقصىٰ مملكته ، وقصر قيصر وانتزع يده عن بلاد الشام فانحاز[٦] إلىٰ القسطنطينية ؛ وأنفق أموالها[٧] في سبيل الله ، كما أخبر بذلك ووعد به رسول الله ؛ عليه من ربه أتم سلام وأزكىٰ صلاة .

ثم لما كانت الدولة العثمانية امتدت الممالك الإسلامية إلىٰ أقصىٰ مشارق الأرض ومغاربها ؛ ففتحت بلاد المغرب إلىٰ أقصىٰ ما هنالك الأندلس وقبرص ؛ وبلاد القيروان وبلاد سبتة مما يلي البحر المحيط، ومن ناحية المشرق إلىٰ أقصىٰ بلاد الصين ؛ وقتل كسرى وباد[٨] ملكه بالكلية ؛ وفتحت مدائن العراق وخراسان والأهواز ، وقتل المسلمون من الترك مقتلة عظيمة جدًّا ؛ وخذل اللَّه[٩] ملكهم الأعظم خاقان ، وجُبى الخراج من المشارق والمغارب إلىٰ حضرة أمير المؤمنين عثمان [بن عفان][١٠] رضىٰ اللَّه عنه، وذلك ببركة تلاوته ودراسته وجمعه الأمة علىٰ حفظ القرآن ؛ ولهذا ثبت في الصحيح عن[١١] رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه[١٢] قال : « إن اللَّه زوىٰ لى[١٣] الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها »(١٨٣) ، فها نحن نتقلب فيما وعدنا اللَّه ورسوله وصدق اللَّه ورسوله ، فنسأل[١٤] اللَّه الإيمان به وبرسوله والقيام بشكره علىٰ الوجه الذي يرضيه عنا .

قال الإمام مسلم بن الحجاج [في صحيحه][١٥] : حَدَّثَنَا ابن أبي عمر ، حَدَّثَنَا سفيان ،

(١٨٣) صحيح مسلم حديث (٢٨٨٩) من حديث ثوبان ، رضي الله عنه .

[١] - في ت : « أتبعه » .
[٢] - في ز : « أيام » .
[٣] - بعده في خ ، ت : أهل .
[٤] - سقط من خ ، ت .
[٥] - في ز : « في الأمر » .
[٦] - في ت : « وانحدر » .
[٧] - في خ : « أموالهما » .
[٨] - في ز : « بلاد » .
[٩] - سقط من : ز .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[١١] - في خ : « أن » .
[١٢] - سقط من : ت .
[١٣] - سقط من : ز .
[١٤] - في ز : « ونسأل » .
[١٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

عن عبد الملك بن عمير ، عن جابر بن سمرة قال : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **لا يزال أمر الناس ماضيًا ما وليهم اثنا عشر رجلًا** » ثم[١] تكلم النبي صلىٰ الله عليه وسلم بكلمة خفيت عنىٰ فسألت أبي ماذا قال رسول الله ؟ فقال : قال[٢] ، « **كلهم من قريش** » .

ورواه البخاري من حديث شعبة عن عبد الملك بن عمير به(١٨٤) .

وفي رواية لمسلم أنه قال ذلك عشية رجم ماعز بن مالك ، وذكر معه أحاديث أخر(١٨٥) .

وفي هذا الحديث دلالة علىٰ أنه لابد من وجود اثنى عشر خليفة عادل ، وليسوا هم بأئمة الشيعة الإثني عشر ، فإن كثيرا من أولئك لم يكن إليهم[٣] من الأمر شيء ، فأما هؤلاء فإنهم يكونون من قريش يلون فيعدلون ، وقد وقعت البشارة بهم في الكتب المتقدمة ، ثم لا يشترط أن يكونوا متتابعين ، بل يكون وجودهم في الأمة متتابعًا ومتفرقًا ، وقد وُجد منهم أربعة علىٰ الولاء وهم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي رضي الله عنهم ، ثم كانت[٤] بعدهم فترة بينهم[٥] ثم وجد منهم من[٦] شاء الله ، ثم قد يوجد منهم من بقى في [الوقت الذي][٧] يعلمه [الله تعالىٰ][٨] ، ومنهم المهدي الذي [يطابق اسمه] اسم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، وكنيته كنيته ، يملأ الأرض عدلًا وقسطًا كما ملئت جورًا وظلمًا.

وقد روىٰ الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث سعيد بن جمهان[٩] عن سفينة مولىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم [أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم][١٠] قال : « **الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون[١١] ملكًا عضوضًا** »(١٨٦) .

---

(١٨٤) صحيح مسلم حديث (١٨٢١) ، وصحيح البخاري حديث (٧٢٢٢) .

(١٨٥) صحيح مسلم حديث (١٨٢٢) .

(١٨٦) المسند (٥/٢٢٠) (٢٢٠١٤) ، أخرجه أبو داود : كتاب السنة باب في الخلفاء (٤/ ١٠/ رقم: ٤٦٤٦، ٤٦٤٧) . والترمذي : كتاب الفتن باب ما جاء في الخلافة (٤/ ٥٠٣/رقم: ٢٢٢٦) . وقال : وهذا حديث حسن ، قد رواه غير واحد عن سعيد بن جمهان ، ولا نعرفه إلا من حديث سعيد بن جمهان. والنسائي في الكبرى : كتاب المناقب باب أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم أجمعين=

---

[١] - في ز : « و » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في خ : « لهم » .

[٤] - في ز : « كان » .

[٥] - سقط من : ت .

[٦] - في ز : « ما » .

[٧] - ما بين المعكوفتين في ز : « وقت » .

[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٩] - في ز : « جيهان » .

[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[١١] - في ز : « يكون » .

وقال الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله: ﴿ **وعد اللَّه الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضىٰ لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنًا** ﴾ الآية، قال: كان النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم وأصحابه بمكة نحوًا من عشر سنين يدعون إلىٰ اللَّه وحده وعبادته وحده لا شريك له سرًّا، وهم خائفون لا يؤمرون بالقتال حتىٰ أمروا بعد بالهجرة إلىٰ المدينة، فقدموها[١] فأمرهم اللَّه بالقتال، فكانوا بها خائفين يمسون في السلاح ويصبحون في السلاح، فَغَبَروا بذلك ما شاء اللَّه ثم إن رجلًا من الصحابة قال: يا رسول اللَّه؛ أبد الدهر نحن خائفون هكذا؟ أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع عنا السلاح؟ فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم: « لن تَغبروا إلا يسيرًا حتىٰ يجلس الرجل منكم في الملإ العظيم محتبيًا[٢] ليست فيهم حديدة ». وأنزل اللَّه هذه الآية فأظهر اللَّه نبيه علىٰ جزيرة العرب فآمنوا ووضعوا السلاح. ثم إن[٣] اللَّه تعالىٰ قبض نبيه صلىٰ اللَّه عليه وسلم، فكانوا كذلك آمنين في إمارة أبي بكر وعمر وعثمان، حتىٰ وقعوا فيما وقعوا فيه[٤] فأدخل عليهم الخوف [فأدخلوا][٥] الحجز والشرط وغيروا فغير بهم.

وقال بعض السلف: خلافة أبي بكر وعمر رضي اللَّه عنهما حق في كتابه، ثم تلا هذه الآية.

وقال البراء بن عازب: نزلت هذه الآية ونحن في خوف شديد.

وهذه الآية الكريمة كقوله تعالىٰ: ﴿ **واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض** ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ **لعلكم تشكرون** ﴾.

وقوله تعالىٰ: ﴿ **كما استخلف الذين من قبلهم** ﴾ كما قال تعالىٰ عن موسىٰ - عليه السلام - أنه قال لقومه: ﴿ **عسىٰ ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون** ﴾ وقال تعالىٰ: ﴿ **ونريد أن نمن علىٰ الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم**

= (٥/ ٤٧/رقم: ٨١٥٥). كلهم من طريق سعيد بن جمهان به.

ولم ترد لفظة: « عضوضًا » في أي من هذه المصادر، وإنما وردت في حديث آخر عن أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: « إن الله تعالى بدأ هذا الأمر نبوة ورحمة، وكائنًا خلافة ورحمة، وكائنًا عضوضًا، وكائنًا عنوة وجبرية وفسادًا في الأمة ..... الحديث » أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٨/١٥٩).

[١] - في ز: « فقدموا المدينة ».
[٢] - في خ: « محتسبًا ».
[٣] - سقط من: ز.
[٤] - سقط من: ز.
[٥] - في ت: « فاتخذوا ».

أئمة ونجعلهم الوارثين [ونمكن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون][١] ﴾ .

وقوله : ﴿ **وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضىٰ لهم [وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنًا][٢]** ﴾ كما قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، لعدي بن حاتم حين وفد عليه : « **أتعرف الحيرة ؟** » قال : لم أعرفها ولكن قد سمعت بها قال : « **فوالذي نفسي بيده ؛ ليتمن اللَّه هذا الأمر حتىٰ تخرج الظعينة من الحيرة حتىٰ تطوف بالبيت في غير جوار أحد ، ولتفتحن كنوز كسرىٰ بن هرمز** » . قلت : كسرىٰ بن هرمز ؟ قال : « **نعم ، كسرىٰ بن هرمز ، وليبذلن المال حتىٰ لا يقبله أحد** » . قال عدي بن حاتم : فهذه الظعينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت في غير جوار أحد ، ولقد كنت فيمن افتتح كنوز كسرىٰ بن هرمز ، والذي نفسي بيده لتكونن الثالثة ؛ لأن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قد قالها (١٨٧) .

وقال الإمام أحمد : حَدَّثَنَا عبد الرزاق ، أخبرنا سفيان ، عن أبي سلمة ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبيّ بن كعب قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **بشر هذه الأمة[٣] بالسناء والرفعة والدين والنصر والتمكين في الأرض ، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب** » (١٨٨) .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **يعبدونني لا يشركون بي شيئا** ﴾ قال الإمام أحمد : حَدَّثَنَا عفان ، حَدَّثَنَا همام ، حَدَّثَنَا قتادة ، عن أنس ، أن معاذ بن جبل حدثه قال : بينا[٤] أنا رديف رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم [علىٰ حمار][٥] ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل ، قال : « يا معاذ » . قلت : لبيك يا رسول اللَّه وسعديك . قال : [ثم سار ساعة ثم قال : « يا معاذ بن جبل » . قلت : لبيك يا رسول اللَّه وسعديك][٦] . ثم سار ساعة ثم قال : « يا معاذ بن جبل » . قلت : لبيك يا رسول اللَّه وسعديك قال : « هل تدري ما حق اللَّه علىٰ

(١٨٧) رواه البخاري في صحيحه حديث (٣٥٩٥) .

(١٨٨) المسند (١٣٤/٥) (٢١٣٠٠) . رواه البيهقي في دلائل النبوة (٣١٨/٦) من طريق المغيرة بن مسلم السراج ، عن الربيع به . ورواه الحاكم في المستدرك (٣١١/٤) من طريق زيد بن الحباب ، عن سفيان به وصححه الحاكم ووافقه الذهبي . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٢٠) وقال : « رواه أحمد وابنه من طرق ، ورجال أحمد رجال الصحيح » .

[١] - سقط من ت .
[٢] - سقط من ت .
[٣] - في ز : « الرفعة » .
[٤] - في ز : « بينما » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

العباد ؟ » . قلت : اللّٰه ورسوله أعلم ، قال : « حق اللّٰه علىٰ العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا » . قال : ثم سار ساعة ثم قال : « يامعاذ بن جبل ». قلت : لبيك يا رسول اللّٰه وسعديك قال : « فهل تدري ما حق العباد علىٰ اللّٰه إذا فعلوا ذلك ؟ » . قال : قلت اللّٰه ورسوله أعلم . قال : « فإن حق العباد علىٰ اللّٰه أن لا يعذبهم » .

أخرجاه في الصحيحين، من حديث قتادة(١٨٩) .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ومن[١] كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون** ﴾ أي :فمن خرج عن طاعتي بعد ذلك فقد فسق[٢] عن أمر ربه وكفي بذلك ذنبًا عظيمًا ، فالصحابة رضي اللّٰه عنهم لما كانوا أقوم الناس بعد النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بأوامر اللّٰه - عز وجل - وأطوعهم لله كان نصرهم بحسبهم أظهروا كلمة اللّٰه في المشارق والمغارب ، وأيدهم الله تأييدًا عظيمًا ، وتحكموا في سائر العباد والبلاد ؛ ولما قصر الناس بعدهم في بعض الأوامر نقص ظهورهم بحسبهم ، ولكن قد ثبت في الصحيحين من غير وجه عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أنه قال : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلىٰ يوم القيامة » وفي رواية - « حتىٰ يأتي أمر اللّٰه وهم كذلك » - وفي رواية - « حتىٰ يقاتلون الدجال » - وفي رواية - « حتىٰ ينزل عيسىٰ ابن مريم وهم ظاهرون » . وكل هذه الروايات صحيحة ولا تعارض بينها .

وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾

يقول تعالىٰ آمرًا عباده المؤمنين بإقام الصلاة ، وهي عبادة اللّٰه وحده لا شريك له ، وإيتاء الزكاة وهي الإحسان إلىٰ المخلوقين ضعفائهم وفقرائهم ، وأن يكونوا في ذلك مطيعين [للرسول][٣] صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أي :سالكين وراءه فيما به[٤] أمرهم ، وتاركين[٥] ما عنه زجرهم ، لعل اللّٰه يرحمهم بذلك ، ولا شك أن من فعل هذا أن اللّٰه سيرحمه كما قال تعالىٰ في الآية الأخرىٰ : ﴿ **أولئك سيرحمهم الله** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **لا تحسبن** ﴾ أي : [لا تظن][٦] يا محمد أن[٧] ﴿ **الذين كفروا** ﴾

(١٨٩) المسند (٢٤٢/٥) ، وصحيح البخاري حديث (٥٩٦٧) ، وصحيح مسلم حديث (٣٠) .

[١] - في ز : « فمن » .
[٢] - في ت : « خرج » .
[٣] - في خ : « لرسول الله » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في خ : « ترك » .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - بياض في ز .

أي خالفوك وكذبوك ﴿ **معجزين في الأرض** ﴾ أي لا يعجزون الله، بل الله قادر عليهم وسيعذبهم على ذلك أشد العذاب، ولهذا قال تعالى: ﴿ **ومأواهم** ﴾ أي: في الدار الآخرة ﴿ **النار ولبئس**[١] **المصير** ﴾ أي: بئس المآل مآل الكافرين، وبئس القرار وبئس المهاد!

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّـٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾

هذه الآيات الكريمة اشتملت على استئذان الأقارب بعضهم على بعض، وما تقدم في أول السورة فهو[٢] استئذان الأجانب بعضهم على بعض، فأمر الله تعالى المؤمنين أن يستأذنهم خدمهم مما ملكت أيمانهم وأطفالهم الذين لم يبلغوا الحلم منهم، في ثلاثة أحوال؛ الأول: من قبل صلاة الغداة؛ لأن الناس إذ ذاك يكونون نيامًا في فرشهم ﴿ **وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة** ﴾ أي: في وقت القيلولة لأن الإنسان قد يضع ثيابه في تلك الحال مع أهله ﴿ **ومن بعد صلاة العشاء** ﴾ لأنه وقت النوم، فيؤمر الخدم والأطفال أن لا يهجموا على أهل البيت في هذه الأحوال؛ لما يخشى أن يكون الرجل على أهله أو نحو ذلك من الأعمال، ولهذا قال: ﴿ **ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن** ﴾ أي: إذا دخلوا في حال غير هذه الأحوال فلا جناح عليكم في تمكينكم إياهم من ذلك، ولا عليهم إن رأوا شيئًا في غير تلك الأحوال؛ لأنه قد أذن لهم في الهجوم، ولأنهم طوافون عليكم أي: في الخدمة وغير ذلك. ويغتفر في الطوافين ما لا يغتفر في غيرهم؛ ولهذا روى

---

[١] - في ز: «بئس».
[٢] - في ز: «فيها».

الإمام مالك وأحمد بن حنبل، وأهل السنن أن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال في الهرة: « إنها ليست بنجسة ؛ إنها من الطوافين عليكم والطوافات »(١٩٠) .

ولما كانت هذه الآية محكمة ولم تنسخ بشيء، وكان عمل الناس بها قليلًا جدًّا، أنكر عبد اللَّه بن عباس ذلك علىٰ الناس، كما قال ابن أبي حاتم :

حَدَّثَنَا أبو زرعة، حَدَّثَنَا يحيىٰ بن عبد اللَّه بن بكير، حدثني عبد اللَّه بن لهيعة، حدثني عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير ؛ قال : قال ابن عباس : ترك الناس ثلاث آيات فلم يعملوا بهن : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم**﴾ إلىٰ آخر الآية، والآية التي في سورة النساء ﴿ **وإذا حضر القسمة أولو القربىٰ** [**واليتامي والمساكين فارزقوهم منه**][١] ﴾ ، والآية التي في الحجرات : ﴿ **إن أكرمكم عند اللَّه أتقاكم** ﴾ .

وروى أيضًا من حديث إسماعيل بن مسلم - وهو ضعيف - عن عمرو بن دينار، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس، قال : غلب الشيطان الناس علىٰ ثلاث آيات فلم يعملوا بهن ﴿ **يأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم** ﴾ إلىٰ آخر الآية .

ورویٰ[٢] أبو داود، حَدَّثَنَا ابن الصباح بن[٣] سفيان وابن عبدة - وهذا حديثه - أخبرنا سفيان، عن[٤] عبيد اللَّه بن أبي يزيد، سمع ابن عباس يقول : لم يؤمن بها أكثر الناس آية الإذن، وإني لآمر جاريتي هذه تستأذن عليّ . قال أبو داود : وكذلك رواه عطاء عن ابن عباس يأمر به(١٩١) .

وقال الثوري، عن موسىٰ بن أبي عائشة، سألت الشعبي : ﴿ **ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم** ﴾ ؟ قال : لم تنسخ . قلت : فإن الناس لا يعملون بها . فقال : اللَّه المستعان .

---

(١٩٠) الموطأ (١/ ٢٣)، ورواه أحمد في المسند (٥/ ٢٩٦) (٢٢٦٣٠) وأبو داود في كتاب الطهارة، باب : في سؤر الهرة (١/ ٢٠/ رقم : ٧٥) . والترمذي في كتاب الطهارة، باب : ما جاء في سؤر الهرة (١/ ١٥٣، ١٥٤/ رقم : ٩٢) . وقال : هذا حيث حسن صحيح . والنسائي في كتاب الطهارة، باب : سؤر الهرة (١/ ٥٥/ رقم : ٦٨) . وكتاب المياه، باب : سؤر الهرة (١/ ١٧٨/ رقم : ٣٤٠) . وابن ماجة في كتاب الطهارة، باب : الوضوء بسؤر الهرة والرخصة في ذلك (١/ ١٣١/ رقم : ٣٦٧). وابن خزيمة في صحيحه (٥٥/ رقم : ١٠٤) . كلهم من طريق مالك بن أنس به .

(١٩١) سنن أبي داود، كتاب الأدب حديث (٥١٩١) .

---

[١] - سقط من ت .
[٢] - في ز : « قال » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في خ : « وابن » .

وقال ابن أبي حاتم : حَدَّثَنَا الربيع بن سليمان ، حَدَّثَنَا ابن وهب ، أخبرنا سليمان بن بلال ، عن عمرو بن أبي عمرو ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن رجلين سألاه عن الاستئذان في الثلاث عورات التي أمر اللَّه بها في القرآن ؟ فقال ابن عباس : إن اللَّه ستير يحب الستر ، كان الناس ليس لهم ستور علىٰ أبوابهم ولا حجال في بيوتهم ، فربما فاجأ[١] الرجل خادمه أو ولده أو يتيمه[٢] في حجره وهو علىٰ أهله ، فأمرهم اللَّه أن يستأذنوا في تلك العورات التي سمىٰ الله ، ثم جاء اللَّه بعد بالستور فبسط اللَّه عليهم [في][٣] الرزق فاتخذوا الستور واتخذوا الحجال ، فرأىٰ الناس أن ذلك قد كفاهم من الاستئذان الذي[٤] أمروا به .

وهذا إسناد صحيح إلىٰ ابن عباس ، ورواه أبو داود عن القعنبي عن الدراوردي عن عمرو ابن أبي عمرو به (١٩٢) .

وقال السدي : كان أناس من الصحابة رضي اللَّه عنهم يحبون أن يواقعوا نساءهم في هذه الساعات ليغتسلوا ثم يخرجوا إلىٰ الصلاة فأمرهم اللَّه أن يأمروا المملوكين والغلمان أن لا يدخلوا عليهم في تلك الساعات إلا بإذن .

وقال مقاتل بن حيان : بلغنا - واللَّه أعلم - أن رجلًا من الأنصار وامرأته أسماء بنت مرثد[٥] صنعا للنبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم طعامًا ، فجعل الناس يدخلون بغير إذن . فقالت أسماء : يا رسول اللَّه ، ما أقبح هذا ! إنه ليدخل علىٰ المرأة وزوجها وهما في ثوب واحد غلامهما بغير إذن . فأنزل اللَّه في ذلك : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم [والذي لم يبلغوا الحلم منكم]**[٦] ﴾ ، ومما يدل علىٰ أنها محكمة لم[٧] تنسخ قوله : ﴿ **كذلك يبين اللَّه لكم الآيات واللَّه عليم حكيم** ﴾ ثم قال تعالىٰ : ﴿ **وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم** ﴾ يعني : إذا بلغ الأطفال منكم الحلم الذين إنما كانوا يستأذنون[٨] في العورات الثلاث إذا بلغوا الحلم وجب عليهم أن يستأذنوا علىٰ كل حال ، يعني بالنسبة إلىٰ أجانبهم وإلىٰ الأحوال التي يكون الرجل علىٰ امرأته ، وإن لم يكن في الأحوال الثلاث .

---

(١٩٢) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب : الاستئذان في العورات ثلاث حديث (٥١٩٢) .

---

[١] - في ز : « جاء » .
[٢] - في ز : « قيمه » .
[٣] - سقط من خ .
[٤] - في ز : « اللاى » .
[٥] - في ز : « مرشد » .
[٦] - سقط من خ .
[٧] - في ز : « لن » .
[٨] - في خ : « يستأذنوا » .

قال الأوزاعي: عن يحيىٰ بن أبي كثير: إذا كان الغلام رباعيًا فإنه يستأذن في العورات الثلاث علىٰ أبويه ، فإذا بلغ الحلم فليستأذن علىٰ كل حال . وهكذا قال سعيد بن جبير . وقال في قوله : ﴿ **كما استأذن الذين من قبلهم** ﴾ يعني : كما استأذن الكبار من ولد الرجل وأقاربه .

وقوله : ﴿ **والقواعد من النساء** ﴾ قال سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان والضحاك وقتادة : هن اللواتي انقطع عنهن الحيض ويئسن من الولد ﴿ **اللاتي لا يرجون نكاحًا** ﴾ أي : لم يبق لهن تشوف[١] إلىٰ التزوج[٢] ﴿ **فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة** ﴾ أي : ليس عليهن[٣] من الحجر في التستر كما علىٰ غيرهنّ[٤] من النساء .

قال أبو داود : حَدَّثَنَا أحمد بن محمد المروزي ، حدثني علي بن الحسين بن واقد ، عن أبيه ، عن يزيد النحوي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن** ﴾ الآية ، فنسخ واستثنىٰ من ذلك ﴿ القواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحًا﴾ الآية .(١٩٣)

قال ابن مسعود [في قوله][٥] : ﴿ **فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن** ﴾ قال : الجلباب أو الرداء . وكذلك[٦] روي عن ابن عباس وابن عمر ومجاهد وسعيد بن جبير وأبي الشعثاء وإبراهيم النخعي والحسن وقتادة والزهري والأوزاعي وغيرهم .

وقال أبو صالح : [تضع الجلباب][٧] وتقوم بين يدي الرجل في الدرع والخمار . وقال سعيد بن جبير وغيره : في قراءة عبد اللّه بن مسعود (**أن يضعن من ثيابهن**) وهو الجلباب من فوق الخمار ، فلا بأس أن يضعن عند قريب أو غيره بعد أن يكون عليها خمار صفيق .

وقال سعيد بن جبير [في الآية][٨] ﴿ **غير متبرجات بزينة** ﴾ يقول : لا يتبرجن بوضع الجلباب [ليرىٰ ما عليهن][٩] من الزينة .

وقال ابن أبي حاتم : حَدَّثَنَا أبي ، حَدَّثَنَا هشام بن عبد اللّه ، حَدَّثَنَا ابن المبارك ، حدثني

---

(١٩٣) سنن أبي داود ، كتاب اللباس حديث (٤١١١) . وقال المنذري : في إسناده علي بن الحسين بن واقد وفيه مقال .

---

[١] - في ز : « تشوف » .
[٢] - في ز : « التزويج » .
[٣] - في ز : « عليها » .
[٤] - في ز : « غيرها » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٦] - في ز : « كذا » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز : « اتضع الجباب» .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٩] - ما بين المعكوفتين في ز : « أن يرى ما عليها » .

سوار بن ميمون ، حَدَّثَنا[١] طلحة بن[٢] عاصم ، عن أم الضياء [ ][٣] أنها قالت : دخلت [علىٰ عائشة][٤] رضي الله عنها فقلت : يا أم المؤمنين ، ما تقولين في الخضاب والنفاض والصباغ والقرطين والخلخال وخاتم الذهب وثياب الرقاق ؟ فقالت : يا معشر النساء ، قصتكن[٥] كلها واحدة ، أحل الله لكن الزينة غير متبرجات ، أي : لا يحل لكن أن يروا منكن محرمًا .

وقال السدي : كان شريك لي يقال له : مسلم ، وكان مولىٰ لامرأة حذيفة بن اليمان ، فجاء يومًا إلىٰ السوق وأثر الحناء في يده ، فسألته عن ذلك ؟ فأخبرني أنه خضب رأس مولاته وهي امرأة حذيفة ! فأنكرت ذلك . فقال : إن شئت أدخلتك عليها . فقلت : نعم . فأدخلني عليها فإذا هي[٦] امرأة جليلة . فقلت لها : إن مسلمًا حدثني أنه خضب رأسك . فقالت : نعم يا بني ، إني من القواعد اللاتي لا يرجون نكاحًا ، وقد قال الله تعالىٰ في ذلك ما سمعت .

وقوله : ﴿ **وأن يستعففن خير لهن** ﴾ أي :وترك وضعهن لثيابهن - وإن كان جائزًا - خير وأفضل لهن والله سميع عليم .

لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَـٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَـٰلَـٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَـٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

اختلف المفسرون - رحمهم الله - في المعنىٰ الذي رفع [من أجله][٧] الحرج عن

[١] - في خ ، ز : « حدثتنا » .
[٢] - في ز : « بنت » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « عن عائشة » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « عليها » .
[٥] - في ز : « فصلن » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في خ : « لأجله » .

الأعمىٰ ، والأعرج والمريض هاهنا ، فقال عطاء الخراساني ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : [يقال إنها][١] نزلت في الجهاد . وجعلوا هذه الآية هاهنا [كالآية التي][٢] في سورة الفتح ، وتلك في الجهاد لا محالة ، أي : أنهم لا إثم عليهم في ترك الجهاد ، لضعفهم وعجزهم ، وكما قال تعالىٰ في سورة براءة : ﴿ **ليس على الضعفاء ولا على المرضىٰ ولا على الذين لايجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل واللَّه غفور رحيم * ولا علي الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم [عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنًا][٣] أن لا يجدوا ما ينفقون** ﴾ .

وقيل : المراد هاهنا[٤] أنهم كانوا يتحرجون من الأكل مع الأعمىٰ ، لأنه لا يرىٰ الطعام وما فيه من الطيبات ، فربما سبقه غيره إلىٰ ذلك ، ولا مع الأعرج؛ لأنه لا يتمكن من الجلوس ، فيفتات عليه جليسُه ، والمريض لا يستوفي من الطعام كغيره ، فكرهوا أن يؤاكلوهم لئلا يظلموهم ، فأنزل اللَّه هذه الآية رخصة في ذلك . هذا[٥] قول سعيد بن جبير ، ومقسم .

وقال الضحاك : كانوا قبل المبعث[٦] يتحرجون من الأكل مع هؤلاء تقذرًا وتقززًا ، ولئلا يتفضلوا عليهم ، فأنزل اللَّه هذه الآية .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن ابن[٧] أبي نَجيح ، عن مجاهد في قوله تعالىٰ : ﴿ **ليس علىٰ الأعمىٰ حرج** ﴾ الآية ، قال : كان الرجل يذهب بالأعمىٰ ، أو الأعرج[٨] ، أو المريض[٩] إلىٰ بيت أبيه ، أو بيت[١٠] أخيه ، أو بيت أخته ، أو بيت عمته ، أو بيت خالته . فكان الزّمنىٰ يتحرجون من ذلك ، يقولون : إنما يذهبون بنا إلىٰ بيوت عشيرتهم[١١]. فنزلت هذه الآية رخصةً لهم(١٩٤) .

وقال السدّي : كان الرجل يدخل بيت أبيه أو أخيه أو ابنه ؛ فتُتْحفه المرأة بالشيء[١٢] من الطعام ؛ فلا يأكل من أجل أن رَبَّ البيت ليس ثَمَّ . فقال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **ليس علىٰ الأعمىٰ**

(١٩٤) تفسير عبد الرزاق (٥٣/٢) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٢] - في خ : « كالتي » .
[٣] - سقط من ت .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في خ : وهذا .
[٦] - في خ : « البعثة » .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - في خ : « بالأعرج » .
[٩] - في خ : « بالمريض » .
[١٠] - سقط من : ت .
[١١] - في خ ، ز : غيرهم » .
[١٢] - في خ : « بشيء »

حرج [ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم ﴾ - إلى قوله : ﴿ ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعًا أو أشتاتًا][١] ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ولا علىٰ أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم** ﴾ إنما ذَكَرَ هذا ، وهو معلوم ، ليعطف عليه غيره في اللفظ[٢] ، وليستأديه ما بعده في الحكم ، وتضمن هذا بيوت الأبناء ، لأنه لم ينص عليهم ، ولهذا استدل بهذا من ذهب إلىٰ أن[٣] مال الولد بمنزلة مال أبيه ، وقد جاء في المسند والسنن ، من غير وجه ، عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أنه قال : « **أنت ومالك لأبيك** »(١٩٥) .

وقوله[٤] : ﴿ **أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم** ﴾ - إلىٰ قوله : ﴿ **أو ما ملكتم مفاتحه** ﴾ هذا ظاهر : وقد يستدل به من يوجب نفقة الأقارب ، بعضهم علىٰ بعض ، كما هو مذهب أبي حنيفة والإمام أحمد بن حنبل ، في المشهور عنهما .

وأما قوله : ﴿ **أو ما ملكتم مفاتحه** ﴾ قال[٥] سعيد بن جبير والسدى : هو[٦] خادم الرجل ، من عبد وقهرمان ، فلا بأس أن يأكل مما استودعه من الطعام بالمعروف .

وقال الزهري ، عن عروة ، عن عائشة - رضي اللّٰه عنها - قالت : كان المسلمون يرغبون في النفير مع رسول الله - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - فيدفعون مفاتحهم إلىٰ ضُمنائهم ، ويقولون : قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما احتجتم إليه . فكانوا يقولون : إنه لا يحل لنا أن نأكل ؛ إنهم أذنوا لنا عن غير طيب أنفسهم ، وإنما نحن أمناء ، فأنزل الله : ﴿ **أو ما ملكتم مفاتحه** ﴾ .

وقوله : ﴿ **أو صديقكم** ﴾ . أي : بيوت أصدقائكم وأصحابكم ، فلا جناح عليكم في الأكل منها ، إذا علمتم أن ذلك لا يَشُقّ عليهم ، ولا يكرهون ذلك .

وقال قتادة : إذا دخلت بيت صديقك ، فلا بأس أن تأكل بغير إذنه .

وقوله : ﴿ **ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعًا أو أشتاتًا** ﴾ قال عليّ بن أبي طلحة ،

---

(١٩٥) المسند (٢/١٧٩) ، وسنن أبي داود ، كتاب البيوع ، حديث (٣٥٣٠) ، وسنن ابن ماجة ، كتاب البيوع حديث (٢٢٩٢) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما .

---

[١] - سقط من ت .
[٢] - في ز : « اللفظة » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « فقال » .
[٦] - في ز : « وهو » .

عن ابن عباس في هذه الآية : وذلك لما أنزل الله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** ﴾ قال المسلمون : إن الله قد نهانا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل ، والطعام هو أفضل[١] الأموال ، فلا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد ، فكفّ الناسُ عن ذلك . فأنزل الله : ﴿ **ليس علىٰ الأعمىٰ حرج** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **أو صديقكم** ﴾ . وكانوا أيضًا يأنفون ويتحرجون أن يأكل الرجل الطعام وحده ، حتىٰ يكون معه غيره ، فرخص الله لهم في ذلك ، فقال : ﴿ **ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعًا أو أشتاتًا** ﴾ .

وقال قتادة : وكان هذا الحيّ من بني كنانة ، يرىٰ أحدهم أنّ مخزاةً عليه أن يأكل وحده في الجاهلية ، حتىٰ إن كان الرجل ليَسُوق الذَّودَ الحُفَّل وهو جائع ، حتىٰ يجد من يؤاكله ويشاربه ، فأنزل الله : ﴿ **ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعًا أو أشتاتًا** ﴾ .

فهذه رخصة من الله تعالىٰ في أن يأكل الرجل وحده ، ومع الجماعة ، وإن كان الأكل مع الجماعة أفضل وأبرك ؛ كما رواه الإمام أحمد : حَدَّثَنَا يزيد بن عبد ربه ، حَدَّثَنَا الوليد ابن مسلم ، عن وحشى بن حرب ، عن أبيه ، عن جده ؛ أن رجلًا قال للنبي - صلىٰ الله عليه وسلم : إنا نأكل ولا نشبع ؟ ! قال : « **فلعلكم[٢] تأكلون متفرقين ، اجتمعوا علىٰ طعامكم ، واذكروا اسم الله يُبَارَكْ لكم فيه** » .

ورواه أبو داود وابن ماجة من حديث الوليد بن مسلم به(١٩٦) .

وقد رَوَىٰ ابن ماجة أيضًا ، من حديث عمرو بن دينار القهرماني ، عن سالم ، عن أبيه ، عن عمر ، عن رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - أنه قال : « **كلوا جميعًا ولا تَفَرّقوا ؛ فإن البركة مع الجماعة** » (١٩٧) .

---

(١٩٦) المسند (٣/٥٠١) (١٦١٢٦) وإسناده ضعيف ؛ وحشي بن حرب : قال صالح جزرة : لا يشتغل به ، ولا بأبيه « الميزان » وفي التقريب : مستور . وحرب بن وحشي بن حرب : ذكره ابن حبان في الثقات .وقال البزار : مجهول في الرواية معروف في النسب .روى له د ، ق حديثًا واحدًا .وفي التقريب : مقبول . والحديث رواه أبو داود في كتاب الأطعمة ، باب : الاجتماع على الطعام (٣/ ٣٤٦) حديث (٣٧٦٤) . وابن ماجه في كتاب الأطعمة ، باب : الاجتماع على الطعام (٢/ ١٠٩٣) حديث (٣٢٨٦) . والطبراني في الكبير (٢٢/ ٣٩) حديث (٣٦٨) . وابن حبان كما في الموارد (١٣٤٥) . والحاكم (٢/ ١٠٣) .شاهداً ، وسكت عنه . وحسنه الشيخ الألباني بشواهده كما في السلسلة الصحيحة (٦٦٤) . وصحيح أبي داود ٣١٩٩ . وصحيح ابن ماجه (٢/ ٢٢٨) حديث (٢٦٥٧) .

(١٩٧) سنن ابن ماجه حديث (٣٢٨٧) ، وقال البوصيري في الزوائد (٣/٧٧) : « هذا إسناد ضعيف » .

---

[١] - بعده في خ : من . [٢] - في خ : « لعلكم » .

وقوله : ﴿ فإذا دخلتم بيوتًا فسلموا علىٰ أنفسكم ﴾ . قال سعيد بن جبير والحسن البصري وقتادة والزهري : يعني[١] فليسلم بعضكم علىٰ بعض .

و[٢]قال ابن جريج : حَدَّثَنَا أبو الزبير : سمعتُ جابر بن عبد اللَّه يقول : إذا دخلت علىٰ أهلك فسلّم عليهم تحية من عند اللَّه مباركة طيبة . قال : ما رأيته إلا يوجبه . قال ابن جريج : وأخبرني زياد ، عن ابن طاوس أنه كان يقول : إذا دخل أحدكم[٣] بيته فليسلم .

قال ابن جريج : قلت لعطاء : أواجب إذا خرجت ثم دخلت أن أسلم عليهم؟ قال : لا ، [ولا][٤] أثر وجوبه عن أحد ، ولكن هو أحب إليّ ، وما أدعه إلا ناسيًا .

وقال مجاهد : إذا دخلت المسجد فقل : السلام علىٰ رسول الله ، وإذا دخلت علىٰ أهلك فسلم عليهم ، وإذا دخلت بيتًا ليس فيه أحد فقل : السلام علينا وعلىٰ عباد اللَّه الصالحين .

[وروىٰ الثوري ، عن عبد الكريم الجزَري ، عن مجاهد : إذا دخلت بيتًا ليس فيه أحد فقل : بسم الله ، والحمد لله السلام علينا من ربنا ، السلام علينا وعلىٰ عباد اللَّه الصالحين][٥].

وقال قتادة : إذا دخلت علىٰ أهلك ، فسلم عليهم ، وإذا دخلت بيتًا ليس فيه أحد ، فقل : السلام علينا وعلىٰ عباد اللَّه الصالحين فإنه كان يؤمر بذلك ، وحُدِّثْنا أن الملائكة ترد عليه .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حَدَّثَنَا محمد بن المثني ، حَدَّثَنَا عَوْبَدُ بن أبي عمران الجوني، عن أبيه ، عن أنس قال : أوصاني النبي - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - بخمس خصال ، قال : « يا أنس ، أسبغ الوضوء يُزَد في عمرك ، وسَلّم علىٰ من لقيك من أمتي تَكْثُر حسناتك ، وإذا دخلت - يعني : بيتك - فسلم علىٰ أهل بيتك ، يكثر خير بيتك ، وصل صلاة الضحىٰ فإنها صلاة الأوابين قبلك ، يا أنس ، ارحم الصغير ، ووقر الكبير ، تَكُنْ من رفقائي يوم القيامة » (١٩٨) .

---

(١٩٨) ورواه ابن عدي في الكامل (٣٨٢/٥) من طريق موسى عن عوبد بن أبي عمران الجواني ، به . ونقل عن البخاري : « عوبد بن أبي عمران ، عن أبيه منكر الحديث » ثم قال ابن عدي : « وعوبد بين على حديثه الضعف » .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

وقوله : ﴿ **تحية من عند الله مباركة طيبة** ﴾ قال محمد بن إسحاق[١] : حدثني داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه كان يقول : ما أخذت التشهد إلا من كتاب الله ، سمعت الله يقول : ﴿ **فإذا دخلتم بيوتًا فسلموا علىٰ أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة** ﴾ ، فالتشهد في الصلاة : التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلىٰ عباد الله الصالحين . ثم يدعو لنفسه ويسلم .

هكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث ابن إسحاق .

والذي في صحيح مسلم(١٩٩) ، عن ابن عباس ، عن رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – يخالف هذا ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون** ﴾ ، لما ذكر تعالىٰ ما في هذه السورة الكريمة من الأحكام المحكمة ، والشرائع المتقنة المبرمة ، نبَّه تعالىٰ علىٰ أنه يُبَيِّنُ لعباده الآيات بيانًا شافيًا ، ليتدبروها ويتعقلوها [لعلهم يعقلون][٢] .

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾

وهذا أيضًا أدب أرشد الله عباده المؤمنين إليه ، فكما أمرهم بالاستئذان عند الدخول ، كذلك أمرهم بالاستئذان عند الانصراف ، لا سيما إذا كانوا في أمر جامع مع الرسول – صلوات الله وسلامه عليه – من صلاة جمعة أو عيد أو جماعة ، أو اجتماع [لمشورة][٣] ونحو

(١٩٩) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة حديث (٤٠٣) ولفظه : كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن ، فكان يقول : « التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله » .

[١] – في خ : « الحسين » .

[٢] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٣] – في خ : « في مشورة » .

ذلك ، أمرهم اللَّه تعالىٰ أن لا ينصرفوا[١] عنه والحالة هذه إلا بعد استئذانه ومشاورته ، وإن من يفعل ذلك فهو[٢] من المؤمنين الكاملين .

ثم أمر رسوله - صلوات اللَّه وسلامه عليه - إذا استأذنه أحد منهم في ذلك أن يأذن له إن شاء ، ولهذا قال : ﴿ **فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله [إن الله غفور رحيم]**[٣]﴾ .

وقد قال أبو داود(٢٠٠) : حَدَّثَنَا أحمد بن حَنْبَل ومُسَدّد قالا : حَدَّثَنَا بشر - هو ابن المفضل - عن ابن عجلان ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « إذا انتهىٰ أحدكم إلىٰ المجلس فليسلم ، فإذا أراد أن يقوم فليسلم ، فليست[٤] الأولىٰ بأحق من الآخرة » . وهكذا رواه الترمذي والنسائي من حديث محمد بن عجلان به ، وقال الترمذي : حسن .

لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾

قال الضحاك ، عن ابن عباس : كانوا يقولون : « يا محمد » ، « يا أبا القاسم » ، فنهاهم اللَّه - عز وجل - [عن ذلك][٥] ، إعظامًا لنبيه - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - قال : فقالوا : يا رسول اللَّه ، يا نبي الله . وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير . وقال قتادة : أمر اللَّه أن يهاب نبيه - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - وأن يُبَجّل ، وأن يعظم ، وأن يسود[٦] . وقال مقاتل [ابن حيان][٧] في قوله : ﴿ **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضًا** ﴾ ، يقول : لا تُسَمُّوه إذا دَعَوتموه « يا محمد » ، ولا تقولوا : « يا ابن عبد الله » ، ولكن شَرّفوه فقولوا : « يا نبي الله » ، « يا رسول الله » .

وقال مالك ، عن زيد بن أسلم في قوله : ﴿ **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء**

(٢٠٠) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب : في السلام إذا قام من المجلس حديث (٥٢٠٨) ، وسنن الترمذي في الاستئذان حديث (٢٧٠٦) ، والنسائي في السنن الكبرى حديث (١٠٢٠١) .

[١] - في خ : « يتفرقوا » .
[٢] - في خ : « فإنه » .
[٣] - مكانها في ت : « الآية ».
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٦] - في ز : « يود » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

بعضكم بعضًا ﴾ ، قال : أمرهم الله[١] أن يشرفوه . هذا قول ، وهو الظاهر من السياق ، كما قال تعالى : **﴿ يأيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا ﴾** .

وقوله : **﴿ يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾** إلىٰ قوله : **﴿ إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون * ولو أنهم صبروا حتىٰ تخرج إليهم لكان خيرًا لهم ﴾** الآية[٢] وهذا[٣] كله من باب الأدب[٤] [في مخاطبة النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - والكلام معه ، وعنده ، كما أمروا بتقديم الصدقة قبل مناجاته][٥] .

والقول الثاني في ذلك : أن المعنىٰ في : **﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضًا ﴾** ، أي : لا تعتقدوا أن دعاءه علىٰ غيره كدعاء غيره ، فإن دعاءه مستجاب ، فاحذروا أن يدعو عليكم فتهلكوا . حكاه ابن أبي حاتم عن ابن عباس والحسن البصري وعطية العوفي ، والله[٦] أعلم .

وقوله : **﴿ قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذًا ﴾** ، قال مقاتل بن حَيَّان : هم المنافقون ، كان يثقل عليهم الحديث في يوم الجمعة - ويعني بالحديث : الخطبة - فيلوذون ببعض أصحاب محمد - صلىٰ الله عليه وسلم - حتىٰ يخرجوا من المسجد ، وكان[٧] لا يصلح[٨] للرجل أن يخرج من المسجد إلا بإذن من النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - في يوم الجمعة ، بعد ما يأخذ في الخطبة ، وكان إذا أراد أحدهم الخروج أشارَ بأصبعه إلىٰ النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - فيأذن له من غير أن يتكلم الرجل ؛ لأن الرجل منهم[٩] كان إذا تكلم والنبي - صلىٰ الله عليه وسلم - يخطب ، بطلتْ جُمعته .

وقال السدي : كانوا إذا كانوا معه في جماعة لاذ بعضهم ببعض ، حتىٰ يتغيبوا عنه ، فلا يراهم .

وقال قتادة في قوله: **﴿ قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذًا ﴾** [يعني : لوذًا عن نبي الله وعن كتابه .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « فهذا » .
[٤] - في ز : « الآداب» .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٦] - في ز : « فالله » .
[٧] - في ز : « فكان » .
[٨] - في ت : « يصح » .
[٩] - سقط من : ز .

وقال سفيان : ﴿ قد يعلم اللَّه الذين يتسللون منكم لواذًا ﴾ ، قال : من الصف . وقال مجاهد في الآية : ﴿ لواذا ﴾ : [[١] خلافًا .

وقوله : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره ﴾ ، أي : عن أمر رسول الله - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - و[٢] سبيله هو ومنهاجه ، وطريقته ، وسنته[٣] ، وشريعته ، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله ، فما وافق ذلك قُبل ، وما خالفه فهو مردود علىٰ قائله وفاعله ، كائنًا من[٤] كان ، كما ثبت في الصحيحين(٢٠١) وغيرهما ، عن رسول الله - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - أنه قال : « من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رَدّ » . أي : فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطنًا أو[٥] ظاهرًا ﴿ أن تصيبهم فتنة ﴾ ، أي : في قلوبهم ، من كفر أو نفاق أو بدعة ، ﴿ أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ ، أي : في الدنيا ، بقتل أو حدٍّ أو حبس ، أو نحو ذلك .

قال الإمام أحمد(٢٠٢) : حَدَّثَنا عبد الرزاق ، حَدَّثَنا معمر ، عن همام بن مُنَبِّه قال : هذا ما حَدَّثَنا أبو هريرة قال : قال رسول الله - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - : « مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد نارًا ، فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهى هذه الدواب اللائي[٦] يقعن [في النار يقعن][٧] فيها ، وجعل يحجزهن ويغلبنه ويتقحّمن[٨] فيها ، قال : فذلك مثلي ومثلكم ، أنا آخذ بحجزكم عن النار ، هلم عن النار ! فتغلبوني وتقتحمون فيها » . أخرجاه من حديث عبد الرزاق .

﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمُۢ ﴿٦٤﴾ ﴾

يخبر تعالى أنه مالك السماوات والأرض ، وأنه عالم [غيب السماوات والأرض][٩] ، وهو عالم بما العباد عاملون في سرهم وجهرهم ، فقال : ﴿ قد يعلم ما أنتم عليه ﴾ « وقد » للتحقيق ، كما قال قبلها : ﴿ قد يعلم اللَّه الذين يتسللون منكم لواذا ﴾ ، وقال تعالىٰ :

(٢٠١) صحيح البخاري ، كتاب الصلح ، حديث (٢٦٩٧) ، وصحيح مسلم ، كتاب الأقضية (١٧١٨) .
(٢٠٢) المسند (٢/٣١٢) ، ومسلم في الفضائل (٢٢٨٤) وليس عند البخاري من هذا الطريق .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - في خ : هو .
[٣] - سقط من : خ ، ز .
[٤] - في ز : « ما » .
[٥] - في خ : « و » .
[٦] - في ز : « اللاتي » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٨] - في ز : « يقتحمن » .
[٩] - في خ : « الغيب والشهادة » .

﴿ قد يعلم الله المعوقين منكم [والقائلين لإخوانهم هلم إلينا][١] ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها [وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير][٢]﴾ وقال : ﴿ قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ﴾... الآية . وقال : ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء ﴾ فكل هذه الآيات فيها تحقيق الفعل بـ «قد» ، كما يقول المؤذن تحقيقًا وثبوتًا : (قد قامت الصلاة . قد قامت الصلاة) . فقوله[٣] تعالىٰ : ﴿ قد يعلم ما أنتم عليه ﴾ ، أي : هو عالم به ، مشاهد له ، لا يعزب عنه مثقال ذرة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ وتوكل علىٰ العزيز الرحيم ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ إنه هو السميع العليم ﴾ . وقوله[٤] : ﴿ وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودًا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ﴾ أي : هو شهيد علىٰ عباده بما هم فاعلون من خير وشر ، وقال تعالىٰ : ﴿ ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون ﴾ الآية[٥] ، وقال تعالى : ﴿ سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ وما من دابة في الأرض إلا علىٰ الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين ﴾ ، وقال : ﴿ وعنده مَفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾ والآيات والأحاديث في هذا كثيرة جدًّا .

وقوله : ﴿ ويوم يرجعون إليه ﴾ ، أي : ويوم ترجع الخلائق إلىٰ الله - وهو يوم القيامة - ﴿ فينبئهم بما عملوا ﴾ ، أي : يخبرهم بما فعلوا في الدنيا ، من جليل وحقير ، وصغير وكبير ، كما قال تعالىٰ : ﴿ ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر ﴾ ، وقال : ﴿ ووضع الكتاب فترىٰ المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرًا ولا يظلم ربك أحدًا ﴾ ، ولهذا قال هاهنا : ﴿ ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم ﴾ ، والحمد لله رب العالمين ، ونسأله التمام .

* * *

---

[١] - مكانها في ت : « الآية ».

[٢] - مكانها في ت : « الآية ».

[٣] - في ز : « وقوله » .

[٤] - في ز : « قال » .

[٥] - سقط من : ز .

تفسير سورة الفرقان

وهي مكية

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَـدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾

يقول تعالىٰ حامدًا نفسه[١] الكريمة علىٰ ما نزّله علىٰ رسوله الكريم من القرآن العظيم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **الحمد لله الذي أنزل علىٰ عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا * قيّمًا لينذر بأسًا شديدًا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات** ﴾... الآية[٢] ، وقال ههنا : ﴿ **تبارك** ﴾ ، وهو تفاعل ، من البركة المستقرة [الدائمة الثابتة][٣] ﴿ **الذي نزل الفرقان** ﴾ ؛ نزّل : فعّل ، من التكرر والتكثر ، كما قال : ﴿ **والكتاب الذي نَزّل علىٰ رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل** ﴾ ؛ لأن الكتب المتقدمة كانت تنزل جملة واحدة والقرآن [نزل][٤] منجمًا [مفرقًا][٥] مفصلًا آيات بعد آيات ، وأحكامًا بعد أحكام ، وسُورًا بعد سُوَر ، وهذا أشد وأبلغ ، وأشد اعتناءً بمن أنزل عليه ؛ كما قال في أثناء هذه السورة : ﴿ **وقال الذين كفروا لولا نُزّل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلًا * ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرًا** ﴾ ، ولهذا سماه هاهنا الفرقان ، لأنه يفرق بين الحق والباطل ، والهدىٰ والضلال ، والغيّ والرشاد ، و[الحرام والحلال] .

وقوله : ﴿ **علىٰ عبده** ﴾ ، هذه صفة مدح وثناء ، لأنه[٦] أضافه إلىٰ عبوديته ، كما وصفه بها في أشرف أحواله ، وهي ليلة الإسراء ، فقال : ﴿ **سبحان الذي أسرىٰ بعبده ليلًا** ﴾ ، وكما وصفه بذلك في مقام الدعوة إليه : ﴿ **وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدًا** ﴾ ، وكذلك وصفه عند إنزال الكتاب عليه ونزول الملك إليه ، فقال : ﴿ **تبارك الذي نَزّل الفرقان علىٰ عبده ليكون للعالمين نذيرًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ليكون للعالمين نذيرًا** ﴾ ، أي : إنما خصه بهذا الكتاب العظيم المبين المفصل المحكم ، الذي ﴿ **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** ﴾ الذي

---

[١] - في ت : « لنفسه » .
[٢] - زيادة من : ت .
[٣] - ما بين المعكوفتين في خ : « الثابتة الدائمة] .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٦] - في ز : « لا » .

جعله فرقانًا عظيمًا، إنما خصه به ليخصه بالرسالة[١] إلى من يستظل بالخضراء، ويستقل على الغبراء(*)، كما قال صلوٰت الله وسلامه عليه : « **بُعثت إلى الأحمر والأسود** »(١) . وقال : « **أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي** »(٢) ، فذكر منهن : أنه « **كان النبي يبعث إلىٰ قومه** [خاصة][٢] ، **وبعثت إلىٰ الناس عامة** » .

وقال الله تعالى : ﴿ **قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا الذى له ملك السموٰات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت** ﴾ ، أي : الذي أرسلني هو مالك السموات والأرض ، الذي يقول للشيء كن فيكون ، وهو الذي يحيي ويميت ، وهكذا قال ههنا : ﴿ **الذي له ملك السمٰوات والأرض ولم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك** ﴾ ، فنزَّه نفسه عن الولد ، وعن الشريك .

ثم أخبر أنه ﴿ **خلق كل شيء فقدره تقديرًا** ﴾ أي : كل شيء مما سواه مخلوق مربوب ، وهو خالق كل شيء وربه ومليكه وإلٰهه ، وكل شيء تحت [قدره وتقديره][٣] وتسخيره ، وتدبيره [ ][٤] .

﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ ﴾

يخبر تعالىٰ عن جهل المشركين في اتخاذهم آلهة من دون اللّٰه ، الخالق لكل شيء ، المالك لأزمَّة الأمور ، الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، ومع هذا عَبَدُوا معه من الأصنام ما لا يقدر علىٰ خلق جناح بعوضة ، بل هم مخلوقون ، ولا يملكون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعًا ، فكيف يملكون لعابديهم ؟ ! ﴿ **ولا يملكون موتًا ولا حياة ولا نشورًا** ﴾ ، أي : ليس إليهم[٥] من ذلك شيء ، بل ذلك مرجعه كله إلىٰ اللّٰه –عز وجل– فهو[٦] الذي يحيي ويميت ، وهو الذي يعيد الخلائق يوم القيامة أولهم وآخرهم ، ﴿ **ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة** ﴾ ، ﴿ **وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر** ﴾ وقوله[٧] : ﴿ **فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة** ﴾، ﴿ **إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون** ﴾ ، فهو اللّٰه

---

(١) رواه مسلم في صحيحه حديث (٥٢١) هو والذي يليه من حديث جابر ، رضي الله عنه .

(٢) رواه الطبراني في تفسيره (١٤٠/١٨) من طريق سفيان به مرسلًا .

---

[١] – في ت : « برسالته » .

[٢] – ما بين المعكوفتين في ت : « خاصة » .

[٣] – في ت : « قهره » .

[٤] – ما بين المعكوفين في ت : « وتقديره » .

[٥] – في ت : « لهم » .

[٦] – سقط من : ت .

[٧] – سقط من : ز ، خ .

الذي لا إله غيره، ولا رب سواه، ولا تنبغي العبادة إلا له، لأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن. وهو الذي لا ولد له ولا والد، ولا عديل ولا نديد ولا وزير ولا نظير، بل هو الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (٤) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٥) قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (٦)﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن سَخَافة عقول الجهلة من الكفار، في قولهم عن القرآن: ﴿ **إن هذا إلا إفك** ﴾، أي: كذب، ﴿ **افتراه** ﴾، يعنون النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ﴿ **وأعانه عليه قوم آخرون** ﴾، أي: واستعان علىٰ جمعه بقوم آخرين؛ قال[١] اللّٰه تعالىٰ: ﴿ **فقد جاءوا ظلمًا وزورًا** ﴾، أي: فقد افتروا هم قولًا باطلًا، هم يعلمون أنه باطل، ويعرفون كذب أنفسهم فيما يزعمون ﴿ **وقالوا أساطير الأولين اكتتبها** ﴾، يعنون كتب الأوائل، [أي: استحسنها][٢]، ﴿ **فهي تملىٰ عليه** ﴾، أي: تُقرأ عليه ﴿ **بكرة وأصيلًا** ﴾ أي: في أول النهار وآخره وهذا الكلام - لسخافته وكذبه وبَهْته [كل أحد يعلم][٣] منهم بطلانه، [فإنه قد عُلم][٤] بالتواتر وبالضرورة: أن محمدًا رسول اللّٰه - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - لم يكن يعاني شيئًا من الكتابة، لا في أول عمره ولا في آخره، وقد نشأ بين أظهرهم من أول مولده إلىٰ أن بعثه اللّٰه نحوًا من أربعين سنة، وهم يعرفون مدخله ومخرجه، وصدقه [وبره وأمانته ونزاهته من][٥] الكذب والفجور، وسائر الأخلاق الرذيلة، حتىٰ إنهم [لم يكونوا][٦] يسمونه في صغره إلىٰ أن بعث إلا[٧] الأمين؛ لما يعلمون من صدقه وبره، فلما أكرمه اللّٰه بما أكرمه به، نصبوا له العداوة، ورَمَوْه بهذه الأقوال التي يعلم كل عاقل براءته منها، وحاروا ماذا[٨] يقذفونه به، فتارة من إفكهم يقولون: ساحر، وتارة يقولون: شاعر، وتارة يقولون: مجنون، وتارة يقولون: كذاب، [قال][٩] اللّٰه تعالىٰ: ﴿ **انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون**

---

[١] - في ت: « فقال ».

[٢] - ما بين المعكوفتين في ت: « استنسخها ».

[٣] - ما بين المعكوفين في ت: « يعلم كل أحد ». [٤] - ما بين المعكوفتين زيادة من: ت.

[٥] - في ت: « ونزاهته وبره وأمانته وبعده عن ». [٦] - في ت: « كانوا ».

[٧] - سقط من: ت. [٨] - في ت: « فيما ».

[٩] - في ت: « وقال ».

سبيلًا ﴾ وقال تعالىٰ في جواب ما عاندوا ههنا وافتروا : ﴿ **قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض** ﴾ الآية[١] ، أي : أنزل القرآن المشتمل علىٰ أخبار الأولين والآخرين إخبارًا حقًّا صدقًا ، مطابقًا للواقع في الخارج ، ماضيًا ومستقبلًا ، ﴿ **أنزله الذى يعلم السر** ﴾ أي : الله الذي يعلم غيب السموات والأرض ، ويعلم السرائر كعلمه بالظواهر .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **إنه كان غفورًا رحيمًا** ﴾ ، دعاء لهم إلىٰ التوبة والإنابة ، وإخبار لهم[٢] بأن رحمته واسعة ، وأن حلمه[٣] عظيم ، وأن من تاب إليه تاب عليه ، فهؤلاء - مع كذبهم وافترائهم وفجورهم ، وبهتهم وكفرهم وعنادهم ، وقولهم عن الرسول والقرآن ما قالوا - يدعوهم إلىٰ التوبة والإقلاع عما هم فيه إلىٰ الإسلام والهدىٰ ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد ، وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسّن الذين كفروا منهم عذاب أليم . أفلا يتوبون إلىٰ الله ويستغفرونه ، والله غفور رحيم** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق** ﴾ . قال الحسن البصري : انظروا إلىٰ هذا الكرم والجود ، قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلىٰ التوبة والرحمة !

وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ
مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ
يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ
كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ
ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل
لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾
إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا
ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟
ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « حكمه » .

يخبر تعالىٰ عن تعنّت الكفار وعنادهم ، وتكذيبهم للحق بلا حجة ولا دليل منهم ، وإنما تعللوا بقولهم[١] : ﴿ **ما لهذا الرسول يأكل الطعام** ﴾ ، يعنون : كما نأكله ، ويحتاج إليه كما نحتاج [إليه][٢] ، ﴿ **ويمشي في الأسواق** ﴾ ، أي : يتردد فيها وإليها طلبًا للاكتساب[٣] والتجارة ، ﴿ **لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرًا** ﴾ ، يقولون : هلا أنزل إليه ملك[٤] من عند اللَّه ، فيكون له شاهدًا علىٰ صدق ما يدعيه ! وهذا كما قال فرعون : ﴿ **فلولا ألقي عليه أسورة[٥] من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين** ﴾ . وكذلك قال هؤلاء علىٰ السواء ، تشابهت قلوبهم ، ولهذا قالوا : ﴿ **أو يلقىٰ إليه كنز** ﴾ ، أي : علم كنز [يكون][٦] ينفق منه ، ﴿ **أو تكون له جنة يأكل منها** ﴾ ، أي : تسير معه حيث سار . وهذا كله سهل يسير علىٰ اللَّه ، ولكن له الحكمة في ترك ذلك ، وله الحجة البالغة . ﴿ **وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلًا مسحورًا** ﴾ . قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا** ﴾ أي : جاءوا بماذا[٧] يقذفونك [ ][٨] ، ويكذبون به عليك ، من قولهم « ساحر ، مسحور ، مجنون ، كذاب ، شاعر » ، وكلها أقوال باطلة ، كل أحد ممن له أدنىٰ فهم وعقل يعرف كذبهم وافتراءهم في[٩] ذلك ، ولهذا قال : ﴿ **فضلوا** ﴾ أي[١٠] : عن طريق الهدىٰ ، ﴿ **فلا يستطيعون سبيلًا** ﴾ ، وذلك لأن كل من خرج عن الحق ، فإنه ضال حيثما[١١] توجه ، لأن الحق واحد ومنهج[١٢] متحد ، يصدّق بعضه بعضًا .

ثم قال تعالىٰ مخبرًا نبيه ، أنه لو[١٣] شاء لآتاه خيرًا مما يقولون في الدنيا ، وأفضل وأحسن ، فقال : ﴿ **تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرًا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورًا** ﴾ .

قال مجاهد : يعنى في الدنيا ، قال : وقريش يسمون كل بيت من حجارة قصرًا ، سواء كان كبيرًا أو صغيرًا .

وقال سفيان الثوري(٣) ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن خيثمة ، قيل للنبي - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - : إن شئت أن نعطيك خزائن الأرض ومفاتيحها ما لم يُعْطَ[١٤] نبيّ قبلك ، ولا

(٣) تفسير الطبري (١٨/١٤٠) .

[١] - في ت : « بقوله » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٣] - في ت : « للتكسب » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : « أساورة » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٧] - في ت : « بما » .
[٨] - في ت : « به » .
[٩] - في ت : « على » .
[١٠] - سقط من : ت .
[١١] - في خ ، ز : « خبيث ما » .
[١٢] - في ت : « منهجه » .
[١٣] - في ت : « إن » .
[١٤] - في ت : « يعطه » .

يُعطىٰ أحدٌ من بعدك ، ولا ينقص ذلك مما لك عند اللَّه ؟ فقال : اجمعوها لي في الآخرة . فأنزل اللَّه - عز وجل - في ذلك : ﴿ **تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرًا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورًا** ﴾ وقوله : ﴿ **بل كذبوا بالساعة** ﴾ ، أي : إنما يقول هؤلاء هكذا تكذيبًا وعنادًا ، لا أنهم يطلبون ذلك تبصرًا واسترشادًا ، بل تكذيبهم بيوم القيامة يحملهم علىٰ قول ما يقولونه من هذه الأقوال . ﴿ **وأعتدنا** ﴾ ، أي : أرصدنا ﴿ **لمن كذب بالساعة سعيرًا** ﴾ ، أي : عذابًا أليمًا حارًّا لا يطاق في نار جهنم .

وقال الثورى ، عن سلمة بن كهيل ، عن سعيد بن جبير : السعير : وادٍ من قيح جهنم .

وقوله : ﴿ **إذا رأتهم** ﴾ ، أي : جهنم ﴿ **من مكان بعيد** ﴾ ، يعني : في مقام المحشر - قال السدي : من مسيرة مائة عام - ﴿ **سمعوا لها تغيظًا وزفيرًا** ﴾ ، أي : حنقًا عليهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقًا وهي تفور * تكاد تميز من الغيظ** ﴾ ، أي : يكاد ينفصل بعضها من بعض ، من شدة غيظها علىٰ من كفر باللَّه .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا إدريس بن حاتم بن الأحنف[١] الواسطى - أنه سمع محمد بن الحسن الواسطي، عن أصبغ بن زيد، عن خالد بن كثير ، عن خالد بن دُرَيك[٢]، عن رجل من أصحاب النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال: قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **من يقل عليّ ما لم أقل ، أو ادعي إلىٰ غير والديه ، أو انتمىٰ إلىٰ غير مواليه فليتبوأ بين عيني جهنم مقعدًا** » . قيل : يا رسول اللَّه ، وهل لها من عينين ؟ قال : « **أما سمعتم اللَّه يقول : ﴿ إذا رأتهم من مكان بعيد﴾** الآية » . رواه ابن جرير عن محمود[٣] بن خداش ، عن محمد بن يزيد الواسطي ، به .

وقال أيضًا : حدثنا أبيّ ، حدثنا عليّ بن محمد الطنافسي ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن عيسىٰ بن سُلَيْم ، عن أبي وائل قال : خرجنا مع عبد اللَّه - يعني : ابن مسعود - ومعنا الربيع ابن خُثَيم[٤] فمروا علىٰ حداد ، فقام عبد اللَّه ينظر إلىٰ حديدة في النار ، ونظر الربيع بن خُثَيم[٥] إليها ، فتمايل ليسقط ، فمر عبد اللَّه علىٰ أَتون(*) علىٰ [شاطئ][٦] الفرات ، فلما رآه عبد اللَّه والنار تلتهب في جوفه؛ قرأ هذه الآية : ﴿ **إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظًا وزفيرًا** ﴾ فصعق[٧] - يعني : الربيع [بن خثيم][٨] - فحملوه[٩] إلىٰ [أهله][١٠]، ورابطه(**)

---

[١] - في ت : « الأخيف » .

[٢] - في الطبري : خالد بن كثير عن فديك .

[٣] - في ت : « محمد » .

[٤] - في ت : « خيثم » .

[٥] - في ت : « خيثم » .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

(*) الأتون : الموقد الكبير ، كموقد الحمّام والجصّاص .

[٧] - في ز ، خ : « صعق » .

[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

[٩] - في ت : « وحملوه » .

[١٠] - ما بين المعكوفتين في ت : « أهل بيته » .

عبد الله إلىٰ الظُّهر فلم يفق - رضي الله عنه - .

وحدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن رجاء ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي يحيىٰ ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ؛ قال : إن العبد ليجر إلىٰ النار ، فتشهق إليه شهقة البغلة إلىٰ الشعير ، ثم تزفر زفرة لا يبقىٰ أحد إلا خاف .

هكذا رواه ابن أبي حاتم مختصرًا ، وقد رواه الإمام أبو جعفر بن جرير :

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا عُبيد الله بن موسىٰ ، أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيىٰ ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ؛ قال : إن الرجل ليجر إلىٰ النار ، فتنزوي وتنقبض بعضها إلىٰ بعض ، فيقول لها الرحمٰن : ما لك ؟ قالت : إنه يستجير مني . فيقول : أرسلوا عبدي . وإن الرجل ليُجَرّ إلىٰ النار ، فيقول : يا رب ، ما كان هذا الظن بك ، فيقول : فما كان ظنك ؟ فيقول : أن تسعني رحمتك . فيقول : أرسلوا عبدي . وإن الرجل ليُجَرّ إلىٰ النار ، فتشهق إليه النار شهوق البغلة إلى الشعير ، وتزفر زفرة لا يبقى أحد إلا خاف . وهذا إسناد صحيح .

وقال عبد الرزاق(٤) : أخبرنا معمر ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن عُبَيد بن عُمير في قوله : ﴿ سمعوا لها تغيظًا وزفيرًا ﴾ ، قال : إن جهنم تزفر زفرة ، لا يبقىٰ ملك [ ][١] ولا نبي إلا خرّ [ ][٢] تَرْعَد فرائصه(***) ، حتىٰ إن إبراهيم - عليه السلام - ليجثو علىٰ ركبتيه ويقول : رب ، لا أسألك اليوم إلا نفسي .

وقوله : ﴿ وإذا ألقوا منها[٣] مكانًا ضيقًا مقرنين[٤] ﴾ ، قال قتادة ، عن أبي أيوب ، عن عبد الله بن عمرو قال : مثل الزُّج في الرمح أى : من ضيقه .

وقال عبد الله بن وهب(٥) : أخبرني نافع بن يزيد ، عن يحيىٰ بن أبي أسيد - يرفع الحديث إلىٰ رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - أنه سئل عن قول الله : ﴿ وإذا ألقوا منها مكانًا ضيقًا مقرنين ﴾ ، قال : « **والذي نفسي بيده ، إنهم ليستكرهون في النار ، كما يستكره الوتد في الحائط** » .

---

(٤) تفسير عبد الرزاق (٢/٥٦) .

(٥) رواه ابن أبي حاتم ، كما في الدر المنثور (٦/٢٤٠) .

(**) أي : لازَمَه .

[١] - في ت : « مقرب » .

[٢] - في ت : « لوجهه » .

(***) الفرائص : جمع فريصة : وهي لحمة بين الكتف والصدر ، ترتعد عند الخوف والفزع ، وهما فريضتان .

[٣] - في ز : « فيها » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

وقوله : ﴿ **مقرنين** ﴾ ، قال أبو صالح : يعني : مكتفين ، ﴿ **دعوا هنالك ثبورًا** ﴾ ، أي : بالويل والحسرة والخيبة ﴿ **لا تدعوا اليوم ثبورًا واحدًا وادعوا ثبورًا كثيرا** ﴾ :

[قال][١] الإمام أحمد(٦) : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن عليّ بن يزيد ، عن أنس ابن مالك أن رسول اللّٰه - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - قال : « **أول من يكسىٰ حلة من النار إبليس ، فيضعها علىٰ حاجبيه ويسحبها منْ خَلْفه ، وذريته من بعده ، وهو ينادي : يا ثبوراه . وينادون : يا ثبورهم ! حتىٰ يقفوا علىٰ النار ، فيقول : يا ثبوراه ! ويقولون : يا ثبورهم ! فيقال لهم : ﴿ لا تدعوا اليوم ثبورًا واحدًا وادعوا ثبورًا كثيرًا ﴾** » . لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة ، ورواه ابن أبي حاتم ، عن أحمد بن سنان ، عن عفان ، به . ورواه ابن جرير ، من حديث حماد[٢] بن سلمة ، به .

وقال العَوفي ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **لا تدعوا اليوم ثبورًا واحدًا وادعوا ثبورًا كثيرا** ﴾ ، أي : لا تدعوا اليوم ويلًا واحدًا ، وادعوا ويلًا كثيرًا . وقال الضحاك : الثبور : الهلاك . والأظهر أن الثبور يجمع الهلاك والويل والخَسَار والدّمار ، كما قال موسىٰ لفرعون : ﴿ **وإني لأظنك يا فرعون مثبورًا** ﴾ أي : هالكا ، وقال عبد الله بن الزِّبَعْرَي :

إذْ أجَاري الشَّيطانَ في سَنَنِ الغـ ـيّ ، وَمَـنْ مَـالَ مَـيْـلَـهُ مَـثْـبُـورُ

قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾

يقول تعالىٰ : يا محمد ، هذا الذي وصفناه من حال هؤلاء[٣] الأشقياء ، الذين يحشرون علىٰ وجوههم إلىٰ جهنم ، فتتلقاهم بوجه عبوس ، وبغيظ وزفير ، ويُلقَون في أماكنها الضيقة مقرَّنين ، لا يستطيعون حراكًا ، ولا انتصارًا ، ولا فكاكًا مما هم فيه ؛ أهذا خير أم جنة الخلد التي وعدها اللّٰه للمتقين[٤] من عباده ، التي أعدها لهم ، وجعلها لهم جزاء علىٰ ما أطاعوه في الدنيا ، وجعل مآلهم إليها .

﴿ **لهم فيها ما يشاءون** ﴾ من الملاذ : من مآكل ومشارب ، وملابس ومساكن ، ومراكب ومناظر ، وغير ذلك ، مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خَطَر علىٰ قلب أحد . وهم في

(٦) المسند (١٥٢/٣) ، وتفسير الطبري (١٤١/١) .

[١] - في ت : « وقال » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ت : « أولئك » .
[٤] - في ت : « المتقين » .

ذلك خالدون [دائمًا أبدًا][١] سرمدًا بلا انقطاع و[٢]لا زوال ولا انقضاء ، ولا يبغون عنها حوَلا . وهذا من وَعْد الله الذي تفضل به عليهم ، وأحسن به إليهم ؛ ولهذا قال : ﴿ **كان علىٰ ربك وعدًا مسئولاً** ﴾ أي : لابد أن يقع وأن يكون ، كما حكاه أبو جعفر بن جرير عن بعض علماء العربية أن معنى قوله : ﴿ **وعدًا مسئولاً** ﴾ أي : وعدا واجبًا .

وقال ابن جُريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس : ﴿ **كان على ربك وعدًا مسئولاً** ﴾ ، يقول : سلوا الذي واعدتكم - أو قال : واعدناكم - نُنجِز .

وقال محمد بن كعب القرظي في قوله تعالى : ﴿ **كان على ربك وعدًا مسئولا** ﴾ : إن الملائكة تسأل لهم ذلك ، ﴿ **ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم** ﴾ .

وقال أبو حازم : إذا كان يوم القيامة ؛ قال المؤمنون : ربنا عملنا لك بالذي أمرتنا[٣] ، فأنجز لنا ما وعدتنا . فذلك قوله : ﴿ **وعدًا مسئولاً** ﴾ وهذا المقام في هذه السورة من ذكر النار ، ثم التنبيه علىٰ حال أهل الجنة ، كما ذكر تعالىٰ في « **سورة الصافات** » حال أهل الجنة ، [][٤] وما فيها من النضرة والحبور ، ثم قال : ﴿ **أذلك خير نزلًا أم شجرة الزقوم * إنا جعلناها فتنة للظالمين * إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم * طلعها كأنه رءوس الشياطين * فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون * ثم إن لهم عليها لشوبًا من حميم * ثم إن مرجعهم لإلىٰ الجحيم * إنهم ألفوا آباءهم ضالين * فهم علىٰ آثارهم يُهْرعون** ﴾

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عما يَقَع يوم القيامة من تقريع الكفار في عبادتهم من عبدوا من دون الله، من الملائكة وغيرهم، فقال: ﴿ **ويوم يَحشُرهم[٥] وما يعبدون من دون الله** ﴾، قال مجاهد :

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « أبدًا دائمًا » . [٢] - سقط من : ز .

[٣] - في خ ، ز : « وعدتنا » . [٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « ثم » .

[٥] - في ز ، خ : « نحشرهم » وهي قراءة : نافع ، وأبي عمرو ، وحمزة ، والكسائي ، وابن عامر . وقد أثبتنا قراءة حفص بن عاصم .

عيسىٰ ، والعُزَير ، والملائكة . ﴿ **فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل** ﴾ ، أي : فيقول [الرَّبُّ][١] تبارك وتعالىٰ : أأنتم دعوتم هؤلاء إلىٰ عبادتكم من دوني ، أم هم عبدوكم من تلقاء أنفسهم ، من غير دعوة منكم لهم ؟ كما قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **وإذ قال اللَّه يا عيسىٰ ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون اللَّه قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم** ﴾ ، إلىٰ آخر الآية ، ولهذا قال تعالىٰ مخبرًا عما يُجيب به المعبودون يوم القيامة : ﴿ **قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء** ﴾ . قرأ الأكثرون بفتح « **النون** » من قوله ﴿ **نَتَّخِذ من دونك أولياء** ﴾ ، أي : ليس للخلائق كلهم أن يعبدوا أحدًا سواك ، لا نحن ولا هم ، فنحن ما دعوناهم إلىٰ ذلك ، بل هم قالوا ذلك من تلقاء أنفسهم من غير أمرنا ولا رضانا ، ونحن برآء منهم ومن عبادتهم ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **ويوم يحشرهم**[٢] **جميعًا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون** ﴾ .

وقرأ آخرون : ﴿ **ما كان ينبغي لنا أن نُتَّخَذَ من دونك من أولياء** ﴾ ، أي : ما ينبغي لأحد أن يعبدنا ، فإنا عبيد لك ، فقراء إليك . وهي قريبة المعنىٰ من الأولىٰ .

﴿ **ولكن متعتهم وآباءهم** ﴾ ، أي : طال عليهم العمر ، حتىٰ نسوا الذكر ، أي: نسوا ما أنزلته إليهم علىٰ ألسنة رسلك ، من الدعوة إلىٰ عبادتك وحدك لا شريك لك .

﴿ **وكانوا قومًا بورًا** ﴾ ، قال ابن عباس : أي : هلكىٰ . وقال الحسن البصري - ومالك عن الزهري - : أي : لا خير فيهم . وقال ابن الزبعري حين أسلم :

يا رَسُولَ المَلِيكِ إنّ لِسانِي ... رَاتِقٌ[٣] ما فَتَقْتُ إذْ[٤] أنا بُورُ
إذْ أجارِي الشَّيْطانَ في سَنَنِ الغَـ ... ـيِّ ، وَمَن مالَ مَيْلَه مَثْبُورُ

قال اللَّه تعالىٰ :﴿ **فقد كذبوكم بما تقولون** ﴾ ، أي : فقد كذبكم الذين عبدتم فيما زعمتم أنهم لكم أولياء ، وأنكم اتخذتموهم قربانًا يقربونكم إليه زلفىٰ ، كما قال تعالىٰ :﴿ **ومن أضل ممن يدعو من دون اللَّه من لا يستجيب له إلىٰ يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين** ﴾ وقوله :﴿ **فما تستطيعون**[٥] **صرفًا ولا نصرًا** ﴾ ، أي : لا يقدرون علىٰ صرف العذاب عنهم ، ولا الانتصار لأنفسهم ،﴿ **ومن**

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

[٢] - في ت : « نحشرهم » وهي قراءة الجمهور . وأثبتنا قراءة حفص بن عاصم .

[٣] - في ز : « رَائِقٌ » . [٤] - في ز : « إذا » .

[٥] - في ز ، خ : « يستطيعون » وهي قراءة الجمهور . والمثبت قراءة حفص عن عاصم .

يظلم منكم ﴾ ، أي : يشرك بالله ﴿ **نذقه عذابًا كبيرًا** ﴾ .

وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن جميع من بعثه من الرسل المتقدمين : إنهم كانوا يأكلون الطعام ، ويحتاجون الىٰ التغذي به و﴿ **يمشون في الأسواق** ﴾ ، أي : للتكسب والتجارة ، وليس ذلك بمناف لحالهم ومنصبهم ؛ فإن الله جعل لهم من السمات الحسنة ، والصفات الجميلة ، والأقوال الفاضلة ، والأعمال الكاملة ، والخوارق الباهرة ، والأدلة القاهرة، ما يستدل به كل ذي لب سليم وبصيرة مستقيمة؛ علىٰ صدق ما جاءوا به من الله عز وجل . ونظير هذه الآية الكريمة قوله تعالىٰ :﴿ **وما أرسلنا من**[١] **قبلك إلا رجالًا نوحي إليهم من أهل القرى** ﴾، ﴿ **وما جعلناهم جسدًا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين** ﴾.

وقوله : ﴿ **وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون** ﴾ ، أي : اختبرنا بعضكم ببعض ، وبلونا بعضكم ببعض ، لنعلم من يطيع ممن يعصي ؛ ولهذا قال : ﴿ **أتصبرون وكان ربك بصيرًا** ﴾ ، أي : [بمن يستحق أن يوحىٰ إليه ، كما قال تعالىٰ :﴿ **الله أعلم حيث يجعل رسالته** ﴾][٢] ومن يستحق أن يهديه الله لما أرسلهم به ومن لا يستحق ذلك .

وقال محمد بن إسحاق في قوله : ﴿ **وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون** ﴾ ، قال :يقول الله : لو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلي لا[٣] يخالفون ، لفعلت ، ولكني قد أردت أن أبتلي العباد بهم ، [وأبتليهم بهم][٤] .

وفي صحيح مسلم(٧) عن عياض بن حمار عن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **يقول الله : إني مبتليك ومبتل بك** » . وفي المسند عن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **لو شئت لأجرىٰ الله معي جبال الذهب والفضة** » . وفي الصحيح أنه – عليه أفضل الصلاة والسلام – خير بين أن يكون نبيًا ملكًا أو عبدًا رسولًا ، فاختار أن يكون عبدًا رسولًا .

۞ **وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ**

---

(٧) صحيح مسلم حديث (٢٨٦٥) .

---

[١] – سقط من : ز ، خ .

[٢] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٣] – في ت : « فلا » .

[٤] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن تَعَنُّت الكفار في كفرهم ، وعنادهم في قولهم : ﴿ **لولا أنزل علينا الملائكة** ﴾ ، أي : بالرسالة كما نُزّل علىٰ الأنبياء ، كما أخبر عنهم تعالىٰ في الآية الأخرىٰ : ﴿ **قالوا لن نؤمن حتىٰ نؤتىٰ مثل ما أوتي رسل الله** ﴾ ويحتمل أن يكون مرادهم ههنا : ﴿ **لولا أنزل علينا الملائكة** ﴾ فنراهم عياناً، فيخبرونا أن محمدًا رسول الله ، كقولهم : ﴿ **أو[١] تأتي بالله والملائكة قبيلًا** ﴾ ، وقد تقدم تفسيرها في سورة سبحان ؛ ولهذا قال[٢] : ﴿ **أو نرىٰ ربنا** ﴾ ، ولهذا قال الله تعالىٰ : ﴿ **لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوًا كبيرًا** ﴾ . وقد قال تعالىٰ : ﴿ **ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتىٰ وحشرنا عليهم كل شيء قبلًا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **يوم يرون الملائكة لا بشرىٰ يومئذ للمجرمين ويقولون حجرًا محجورًا** ﴾ ، أي : هم لا يرون الملائكة في يوم خير لهم ، بل يوم يرون الملائكة لا بشرىٰ يومئذ لهم ، وذلك يصدق علىٰ وقت الاحتضار ، حين تبشرهم الملائكة بالنار ، وغضب الجبار ، فتقول الملائكة للكافر عند خروج روحه : اخرجي أيتها النفس الخبيثة في الجسد الخبيث ، اخرجي إلىٰ سموم وحميم ، وظل من يحموم . فتأبىٰ الخروج وتتفرق في البدن ، فيضربونه ، كما قال الله تعالىٰ : ﴿ **ولو ترىٰ إذ يتوفىٰ الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم** ﴾ ، وقال : ﴿ **ولو ترىٰ إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم** ﴾ ، أي : بالضرب ، ﴿ **أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون علىٰ الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون** ﴾ ؛ ولهذا قال في هذه الآية الكريمة : ﴿ **يوم يرون الملائكة لا بشرىٰ يومئذ للمجرمين** ﴾ ، وهذا بخلاف حال المؤمنين في وقت احتضارهم ، فإنهم يبشرون بالخيرات ، وحصول المسرات . قال الله تعالىٰ : ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلًا من غفور رحيم** ﴾ وفي الحديث الصحيح عن البراء بن عازب : أن الملائكة تقول لروح المؤمن : « **اخرجي أيتها النفس**

---

[١] - في ت : « حتى » . [٢] - في ت : « قالوا » .

الطيبة في الجسد الطيب ، كنت تعمرينه ، اخرجي إلىٰ روح وريحان ورب غير غضبان » .
وقد تقدم الحديث في « سورة إبراهيم » ، عند قوله تعالىٰ : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ﴾ وقال آخرون : بل المراد بقوله : ﴿ يوم يرون الملائكة ﴾ ، يعني : يوم القيامة ؛ قاله مجاهد ، والضحاك ، وغيرهما .

ولا منافاة بين هذا وبين ما تقدم ؛ فإن الملائكة في هذين اليومين - يوم الممات ويوم المعاد - تتجلىٰ للمؤمنين وللكافرين ، فتبشر المؤمنين بالرحمة والرضوان ، وتخبر الكافرين بالخيبة والخسران ، فلا بشرىٰ يومئذ للمجرمين .

﴿ ويقولون حجرًا محجورًا ﴾ أي : [وتقول][١] الملائكة للكافرين : حرام محرم عليكم الفلاح اليوم .

وأصل « الحجر » : المنع ، ومنه يقال : حَجَر القاضي علىٰ فلان ، إذا منعه التصرف إما لسفهٍ ، أو فلس ، أو صغر ، أو نحو ذلك ، ومنه سمي « الحِجْر » عند البيت الحرام ؛ لأنه يمنع الطواف أن يطوفوا فيه ، وإنما يطاف من ورائه ، ومنه يقال للعقل « حِجْرًا » ؛ لأنه يمنع صاحبه عن تعاطي ما لا يليق .

والغرض أن الضمير في قوله : ﴿ ويقولون ﴾ عائد علىٰ الملائكة ، هذا قول مجاهد ، وعكرمة ، والضحاك ، والحسن ، وقتادة ، وعطية العوفي ، وعطاء الخراساني ، وخصيف ، وغير واحد ، واختاره ابن جرير(٨) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا موسىٰ - يعني : ابن قيس - عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد الخدري : ﴿ ويقولون حجرًا محجورًا ﴾ ، قال : حراماً مُحَرَّمًا أن يُبَشَّر بما يبشر به المتقون .

وقد حكىٰ ابن جَرير ، عن ابن جُريج أنه قال : ذلك من كلام المشركين : ﴿ يوم يرون الملائكة ﴾ ، [أي : يتعوذون من الملائكة ؛ وذلك أن العرب كانوا إذا نزل بأحدهم نازلة أو شدة][٢] يقول[٣] : ﴿ حجرًا محجورًا ﴾ .

وهذا القول - وإن كان له مأخذ ووجه - ولكنه بالنسبة إلىٰ السياق [في الآية][٤] بعيد ، [ولا][٥] سيما قد نص الجمهور علىٰ خلافه ، ولكن قد روىٰ ابن أبي نجيح ، عن مجاهد أنه

(٨) تفسير الطبري (٢/١٩) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ز : « يقولون » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٥] - في ت : « لا » .

قال في قوله: ﴿ **حجرًا محجورًا** ﴾، أي: عوذًا معاذًا. فيحتمل أنه أراد ما ذكره ابن جُرَيج، ولكن في رواية ابن أبي حاتم، عن ابن أبي نَجيح، عن مجاهد أنه قال: ﴿ **حجرًا محجورًا** ﴾، عوذًا معاذًا، الملائكة [تقوله][١]، فالله أعلم.

وقوله تعالىٰ: ﴿ **وقدمنا إلىٰ ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورًا** ﴾، [وهذا][٢] يوم القيامة، حين يحاسب الله العباد علىٰ ما عملوه من [خير وشر][٣]، فأخبر أنه لا يتحصل لهؤلاء المشركين من الأعمال - التي ظنوا أنها منجاة لهم - شيء؛ وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي؛ إما الإخلاص فيها، وإما المتابعة لشرع الله، فكل عمل لا يكون خالصًا وعلىٰ الشريعة المرضية، [ ][٤] فهو باطل. فأعمال الكفار لا تخلو من واحد من هذين، وقد تجمعهما معًا، فتكون أبعد من القبول حينئذ؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿ **وقَدمنا إلىٰ ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورًا** ﴾.

قال مجاهد والثورى: ﴿ **وقدمنا** ﴾؛ أي: عمدنا. وقال السدى: قدمنا: عمدنا، وبعضهم يقول: أتينا عليه.

وقوله: ﴿ **فجعلناه هباء منثورًا** ﴾، قال سفيان الثوري، عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن عليّ - رضي الله عنه - في قوله: ﴿ **هباءً منثورًا** ﴾، قال[٥]: شعاع الشمس إذا دخل في الكوة. وكذا روي من غير هذا الوجه عن عليّ. وروي مثله[٦] عن ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جُبير، والسدي، والضحاك، وغيرهم. وكذا قال الحسن البصري: هو الشعاع في كوة أحدهم، ولو ذهب يقبض عليه لم يستطع.

وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿ **هباءً منثورًا** ﴾ قال: هو الماء المهراق.

وقال أبو الأحوص، عن أبي إسحاق، عن [ ][٧] الحارث، عن عليّ: ﴿ **هباء منثورًا** ﴾، قال: الهباء رَهْج(*) الدواب. وروي مثله عن ابن عباس أيضًا والضحاك، وقاله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

وقال قتادة في قوله: ﴿ **هباءً منثورًا** ﴾، قال: ما[٨] رأيت يبيس(**) الشجر إذا أذرته[٩]

---

[١] - ما ت: « تقول ذلك ».
[٢] - في ت: « هذا ».
[٣] - ما بين المعكوفتين في ت: « الخير والشر ».
[٤] - ما بين المعكوفين في ز، خ: « وإلا ».
[٥] - في خ: « على ».
[٦] - سقط من: خ.
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز، خ: « أبي ».
(*) في ز، خ: « وهج ». ويبدو أن الكلمة حرفت، وانقلبت الراء واوًا. والرهج: الغبار، والسحاب الرقيق كأنه غبار.
[٨] - في ت: « أما ».
(**) اليَبِيس: ما يَبِس من العُشْب والبقول التي تتناثر إذا يبست. [٩] - في ت: « ذرته ».

الريح ؟ فهو ذلك الورق .

وقال عبد الله بن وهب : أخبرني عاصم بن حكيم ، عن أبي سريع الطائي ، عن [عَبيد بن تِعْلى][١] قال : وإن الهباء الرماد .

وحاصل هذه الأقوال التنبيه على مضمون الآية ، وذلك أنهم عملوا أعمالًا اعتقدوا أنها شئ ، فلما عرضت علىٰ الملك الحكيم العدل ، الذي لا يجور ، ولا يظلم أحدًا ، إذا إنها لا شئ بالكلية . وشبهت في ذلك بالشيء التافه الحقير المتفرق ، الذي لا يقدر منه صاحبه علىٰ شيء بالكلية ، كما قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا علىٰ شئ ذلك هو الضلال البعيد** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذىٰ كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن باللّٰه واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدًا** ﴾ إلىٰ قوله ﴿ **لا يقدرون علىٰ شئ مما كسبوا** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتىٰ إذا جاءه لم يجده شيئًا** ﴾ وتقدم الكلام على تفسير ذلك ، ولله الحمد والمنة[٢] .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرًا وأحسن مقيلًا** ﴾ [أي : يوم القيامة لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة ، وأصحاب الجنة هم الفائزون][٣] وذلك لأن[٤] أهل الجنة يصيرون إلىٰ الدرجات العاليات ، والغرفات الآمنات ، فهم في مقام أمين ، حسن المنظر ، طيب المقام ﴿ **خالدين فيها حسنت مستقرًا ومقامًا** ﴾ ، وأهل النار يصيرون إلىٰ الدركات السافلات، والحسرات المتتابعات ، وأنواع العذاب والعقوبات ﴿ **إنها ساءت مستقرًا ومقاماً** ﴾ ، أي : بئس المنزل منظرًا ، وبئس المقيل مقامًا ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرًا وأحسن مقيلًا** ﴾ ، أي : بما عملوه من الأعمال المتقبلة ، نالوا ما نالوا ، وصاروا إلىٰ ما صاروا إليه ، بخلاف أهل النار فإنه[٥] ليس لهم عمل واحد يقتضي لهم دخول الجنة والنجاة من النار ، فَنَبّه [تعالىٰ] بحال السعداء علىٰ حال الأشقياء ، وأنه لا خير عندهم بالكلية ، فقال تعالىٰ : ﴿ **أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرًا وأحسن مقيلًا** ﴾ . قال الضحاك ، عن ابن عباس : إنما هي ضحوة ، فيقيل أولياء اللّٰه علىٰ الأسِرّة مع الحور العين ، ويقيل أعداء اللّٰه مع الشياطين مقرنين .

وقال سعيد بن جبير : يفرغ اللّٰه من الحساب نصف النهار ، فيقيل أهل الجنة في الجنة ،

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « عبيد بن يعلى » وحرف ، تعلى إلى يعلى . وترجمته في تهذيب الكمال [١٩/١٩٠] ، والجرح والتعديل [٥/٤٠٢] .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

[٤] - في ت : « أن » .

[٥] - في ت : « فإنهم » .

وأهل النار في النار ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرًا وأحسن مقيلًا** ﴾ . وقال عكرمة : إني لأعرف الساعة التي يدخل فيها أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ؛ [هي][١] الساعة التي تكون في الدنيا عند ارتفاع الضحىٰ الأكبر ، إذا انقلب الناس إلىٰ أهليهم للقيلولة ، فينصرف أهل النار إلىٰ النار ، وأما أهل الجنة [فينطلق بهم إلىٰ الجنة][٢] ، فكانت قيلولتهم [في الجنة][٣]، وأطعموا كبد حوت ، فأشبعهم [ذلك][٤] كلهم ، وذلك قوله : ﴿ **أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرًا وأحسن مقيلًا** ﴾ . وقال [سفيان ، عن][٥] ميسرة ، عن المنهال ، عن أبي عبيدة ، عن عبد اللَّه بن مسعود [أنه][٦] قال : لا ينتصف النهار حتىٰ يقيل هؤلاء وهؤلاء ، ثم قرأ : ﴿ **أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرًا وأحسن مقيلًا** ﴾ . وقرأ: ﴿ **ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم** ﴾ .

وقال العوفي ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرًا وأحسن مقيلًا** ﴾ ، قال : قالوا في الغرف من الجنة ، وكان حسابهم أنْ[٧] عُرضوا على ربهم[٨] عرضة واحدة ، وذلك الحساب اليسير ، وهو مثل قوله تعالىٰ : ﴿ **فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا * وينقلب إلىٰ أهله مسرورًا** ﴾ . وقال قتادة في قوله : ﴿**أصحاب الجنة يومئذٍ خير مستقرًا وأحسن مقيلًا**﴾ أي : مأوى ومنزلًا .

و[٩]قال قتادة : وحدث صفوان بن محرز أنه قال : يجاء [يوم القيامة برجلين ، كان أحدهما][١٠] ملكًا في الدنيا ، إلىٰ الحمرة والبياض فيحاسب ، فإذا عبدٌ لم يعمل خيرًا [ ][١١] ، فيؤمر به إلىٰ النار . والآخر كان صاحب كساء في الدنيا ، فيحاسب . فيقول : يا رب ، ما أعطيتني من شيء فتحاسبني به . [فيقول][١٢] : صدق عبدي ، فأرسلوه . فيؤمر به إلىٰ الجنة ، ثم يتركان ما شاء اللَّه ، ثم يدعىٰ صاحب النار ، فإذا هو مثل الحُمَمة السوداء ، فيقال له : كيف وجدت ؟ فيقول : شر مَقيل . فيقال له : عُدْ . ثم يُدعىٰ بصاحب الجنة ، فإذا هو مثل القمر ليلة البدر ، فيقال له : كيف وجدت ؟ فيقول : رب ، خير مَقيل . فيقال له[١٣] : عد . رواها ابن أبي حاتم كلها .

وقال ابن جرير(٩) : حدثني يونس ، أنبأنا ابن وهب ، أنبأنا عمرو بن الحارث ، أن سعيدًا

(٩) تفسير الطبري (١٩/٥) .

[١] - في ت : « وهي » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٥] - ما بين المعكوفتين في خ : « بن » ، وفي ز : « سفيان بن » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٧] - في ز ، خ : « إذْ » .
[٨] - سقط من : خ ، ز .
[٩] - سقط من : ز ، خ .
[١٠] - في ت : « برجلين يوم القيامة أحدهما كان » .
[١١] - في ت : « قط » .
[١٢] - في ت : « فيقول اللَّه » .
[١٣] - سقط من : ز .

الصوَّاف حدثه ، أنه بلغه : أن يوم القيامة يقصر علىٰ المؤمن حتىٰ يكون كما بين العصر إلىٰ غروب الشمس ، وأنهم ليقيلون[١] في رياض الجنة حتىٰ يفرغ من الناس ، فذلك[٢] قوله تعالىٰ : ﴿ **أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا** ﴾ .

وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾

يخبر تعالىٰ عن هول يوم القيامة ، ومايكون فيه من الأمور العظيمة ، فمنها انشقاق[٣] السماء وتفطرها وانفراجها بالغمام ، وهو ظلل النور العظيم الذي يبهر الأبصار ، ونزول ملائكة السموات يومئذ ، فيحيطون بالخلائق في مقام المحشر ، ثم يجيء الرب تبارك وتعالىٰ لفصل القضاء .

قال مجاهد : وهذا كما قال تعالى : ﴿ **هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عمار بن الحارث ، حدثنا مؤمل ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن عليّ بن زيد عن[٤] يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، أنه قرأ هذه الآية : ﴿ **ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا** ﴾ ، قال ابن عباس رضي اللّٰه عنهما : يجمع اللّٰه الخلق [في][٥] يوم القيامة في صعيد واحد ، الجن والإنس والبهائم والسباع والطير وجميع الخلق[٦] ، فتنشق السماء الدنيا ، فينزل أهلها - وهم أكثر من الجن والإنس ومن جميع الخلائق[٧] - فيحيطون بالجن والإنس وبجميع الخلق ، ثم تنشق السماء الثانية فينزل أهلها[فيحيطون بالملائكة الذين نزلوا قبلهم وبالجن والإنس وجميع الخلق]، وهم أكثر من أهل السماء الدنيا ومن [الجن والإنس و][٨] جميع الخلق [فيحيطون بالملائكة الذين نزلوا قبلهم

---

[١] - في ز ، خ : « ليقيلوا » .
[٢] - في ت : « وذلك » .
[٣] - في ز ، خ : « اشتقاق » .
[٤] - في ت ، خ : « بن » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٦] - في ت : « الخلائق » .
[٧] - في ت : « الخلق » .
[٨] - سقط من : ت .

وبالجن والإِنس وجميع الخلق](*) ، ثم تنشق السماء الثالثة ، فينزل أهلها ، وهم أكثر من أهل السماء الثانية والسماء الدنيا ومن جميع الخلق ، فيحيطون بالملائكة الذين نزلوا قبلهم ، وبالجن والإِنس وجميع الخلق ، ثم كذلك كل سماء حتىٰ تنشق السماء السابعة ، [فينزل أهلها][١] وهم أكثر ممن نزل قبلهم من أهل السموات ، ومن الجن والإِنس ، ومن جميع الخلق ، فيحيطون بالملائكة الذين نزلوا قبلهم من أهل السموات ، وبالجن والإِنسِ وجميع الخلق كلهم[٢] ، [و][٣] ربنا - عز وجل - في ظلل من الغمام ، وحوله الكرُوبيون وهم أكثر من أهل السموات السبع والإِنس والجن وجميع الخلق ، لهم قرون كأكعب القنا وهم تحت العرش ، لهم زَجَل بالتسبيح والتهليل والتقديس للّٰه عز وجل ، ما بين إخمص قدم أحدهم إلىٰ كعبه مسيرة خمسمائة عام ، وما بين كعبه إلىٰ ركبته[٤] مسيرة خمسمائة عام ، وما بين ركبته إلىٰ أرنبته[٥] مسيرة خمسمائة عام ، [وما بين حجزته إلى ترقوته مسيرة خمسمائة عام][٦] وما بين ترقوته[٧] إلىٰ [موضع القُرط][٨] مسيرة خمسمائة عام ، [ ][٩] وما فوق ذلك مسيرة خمسمائة عام ، وجهنم مجنبته . هكذا رواه ابن أبي حاتم بهذا السياق .

وقال ابن جرير(١٠) : حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثني الحجاج ، عن مبارك بن فضالة ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن يوسف بن مهْران ، أنه سمع ابن عباس يقول : إن هذه السماء إذا انشقت نزل[١٠] منها من الملائكة أكثر من [الجن والإِنس][١١] ، وهو يوم التلاق ، يوم يلتقي أهل السماء وأهل[١٢] الأرض ، فيقول أهل الأرض : جاء ربنا ؟ فيقولون : لم يجئ ، وهو آتٍ ، ثم تنشق السماء الثانية ، ثم سماء سماء ، علىٰ قدر ذلك من التضعيف إلىٰ السماء السابعة ، فينزل منها من الملائكة أكثر [من جميع][١٣] من نزل من السموات ومن الجن والإِنس . قال : فتنزل الملائكة الكَرُوبيّون ، ثم يأتي ربنا في حملة العرش الثمانية ، بين كعب كل ملك وركبته مسيرة سبعين سنة ، وبين فخذه ومنكبه مسيرة سبعين سنة . قال : وكل

(١٠) تقدم الحديث عند تفسير الآية : ٧٣ من سورة الأنعام .

(*) سقط من ز ، خ . وأثبتناه من الدر المنثور [١٢٤/٥] ، وهو في ت بعد : ثم تنشق السماء الثانية فينزل أهلها .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفين في ت : « وينزل » .
[٤] - في ت : « ركبتيه » .
[٥] - في ت : « حجزته » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : م .
[٧] - في ز : « أرنبته » .
[٨] - ما بين المعكوفتين في ز : « ترقوته » .
[٩] - ما بين المعكوفتين في ز : « وما بين ترقوته إلى موضع القُرط مسيرة خمسمائه عام » .
[١٠] - في ت : « ينزل » .
[١١] - ما بين المعكوفتين في ت : « الإنس والجن » .
[١٢] - سقط من : ز ، خ .
[١٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

ملك منهم لم يتأمل وجه صاحبه ، وكل ملك منهم واضع رأسه بين ثدييه يقول : سبحان الملك القدوس ! وعلىٰ رءوسهم شيء مبسوط كأنه القَباء ، والعرش فوق ذلك . ثم وقف . فمداره علىٰ عليّ بن زيد بن جُدْعان ، وفيه ضعف ، وفي سياقاته - غالبًا - نكارة شديدة ، وقد ورد في حديث الصور المشهور قريب من هذا ، والله أعلم .

وقد قال الله تعالىٰ : ﴿ **فيومئذ وقعت الواقعة * وانشقت السماء فهي يومئذ واهية . والملك علىٰ أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية** ﴾ . قال شهر بن حوشب : حملة العرش ثمانية ، أربعة منهم يقولون : سبحانك اللّهم وبحمدك ، لك الحمد علىٰ حلمك بعد علمك ، وأربعة يقولون : سبحانك اللّهم وبحمدك ، لك الحمد علىٰ عفوك بعد قدرتك . رواه ابن جرير عنه .

[وقال][١] أبو بكر بن عبد الله : إذا نظر أهل الأرض إلىٰ العرش يهبط عليهم من فوقهم ، شخصت إليه أبصارهم ، ورجَفَت كُلاهم في أجوافهم ، وطارت قلوبهم من مقرها من صدورهم إلى حناجرهم .

وقال ابن جرير : حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين[٢] ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن عبد الجليل ، عن أبي حازم ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : يهبط الله - عز وجل - حين يهبط وبينه وبين خلقه سبعون ألف حجاب ، منها النور والظلمة ، فيصوت الماء في تلك الظلمة صوتًا تنخلع منه القلوب . وهذا موقوف على[٣] عبد الله بن عمرو من كلامه ، ولعلّه من الزاملتين ، والله أعلم .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يومًا على الكافرين عسيرًا** ﴾ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **لمن الملك اليوم لله الواحد القهار** ﴾ . وفي الصحيح(١١) أن الله تعالىٰ يطوي السموات بيمينه ويأخذ الأرضين[٤] بيده الأخرىٰ ثم يقول : أنا الملك ! أنا الديان ! أين ملوك الأرض ؟ أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟

وقوله : ﴿ **وكان يومًا علىٰ الكافرين عسيرًا** ﴾ . أي : شديدًا صعبًا ؛ لأنه يوم عدل وقضاء فصل ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير * علىٰ الكافرين غير يسير** ﴾ . فهذا حال الكافرين في ذلك[٥] اليوم . وأما المؤمنون فكما قال تعالىٰ : ﴿ **لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون** ﴾ .

(١١) صحيح مسلم حديث (٢٧٨٨) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه وليس فيه : « أنا الديان».

[١] - في ت : « قال » .
[٢] - في ت : « الحسن » .
[٣] - في ز : « عن » .
[٤] - في خ : « الأرض » .
[٥] - في ت : « هذا » .

قال[١] الإمام أحمد(١٢) : حدثنا حسن[٢] بن موسىٰ ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا دَرّاج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري قال : قيل : يا رسول اللَّه : ﴿ **يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** ﴾ ما أطول هذا اليوم ! فقال رسول اللَّه - صلىٰ اللَّه عليه وسلّم - : « **والذي نفسي بيده ، إنه ليخفف علىٰ المؤمن حتىٰ يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا** » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ويوم يعض الظالم علىٰ يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلًا** ﴾ يخبر تعالىٰ عن ندم الظالم الذي فارق طريق الرسول ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وما جاء به من عند اللَّه من الحق المبين ، الذي لا مرْية فيه ، وسلك طريقًا أخرىٰ غير سبيل الرسول ، فإذا كان يوم القيامة نَدم حيثُ لا ينفعه النَّدَمُ ، وعضّ علىٰ يديه حسرة وأسفًا .

وسواء كان سبب نزولها في عقبة بن أبي مُعَيْط أو غيره من الأشقياء ، فإنها عامة في كل ظالم ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا اللَّه وأطعنا الرسولا * وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا * ربّنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنًا كبيرًا**[٣] ﴾ فكل ظالم يندم يوم القيامة غاية الندم ، ويعض على يديه قائلًا : ﴿ **يا ليتني اتخذتُ مع الرسول سبيًلا يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانًا خليلًا** ﴾ . يعني : لمنْ[٤] صرفه عن الهدىٰ ، وعدل به إلىٰ طريق [الضلالة][٥] ، وسواء في ذلك أمية بن خلف ، أو أخوه أبيّ[٦] بن خلف ، أو غيرهما .

﴿ **لقد أضلني عن الذكر [ ][٧] بعد إذ جاءني** ﴾ . أي : بعد بلوغه إليَّ ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **وكان الشيطان للإنسان خذولا** ﴾ .أي : يخذله عن الحق ، ويصرفه عنه ، ويستعمله في الباطل ويدعوه إليه .

---

(١٢) المسند (٣/٧٥) (١١٧٣٤) ، وإسناده ضعيف . والحديث أخرجه أبو يعلى (٢/١٣٩٠) حدثنا زهير ، حدثنا الحسن بن موسى به . وابن عدي في الكامل (٣/٩٨١) من طريق أسد بن موسى - تحرفت إلى أنس - ثنا ابن لهيعة به . وأخرجه ابن حبان في « صحيحه » (١٦/٧٣٣٤) ، وهو في « الموارد » (٨/ ٢٥٧٧) . والطبري في تفسيره (٢٩/٧٢) . من طريقين عن ابن وهب به ، وتحرف عند الطبري « عن أبي سعيد » إلى « عن سعيد » . وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٠/٣٤٠) وقال : « رواه أحمد وأبو يعلى وإسناده حسن على ضعف في راويه » . وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٦/٤١٧) والتبريزي في « مشكاة المصابيح » (٣/٥٥٦٤) إلى « البيهقي في « كتاب البعث والنشور » .

---

[١] - في ز : « وقال » .
[٢] - في ت : « حسين » .
[٣] - في ز : « كثيرًا » .
[٤] - في ت : « من » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ت : « الضلال » من دعاة الضلالة .
[٦] - في ز : « أمية » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ت : « وهو القرآن » .

وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ﴿٣١﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن رسوله ونبيه محمد، صلوات اللَّه وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين، أنه قال : ﴿ **يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورًا** ﴾ . وذلك أن المشركين كانوا لا يُصغُون للقرآن ولا يسمعونه[١] ، [كما قال تعالىٰ][٢] : ﴿ **وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون** ﴾ . وكانوا[٣] إذا تلي عليهم القرآن أكثروا اللغط والكلام في غيره ، حتىٰ لا يسمعوه ؛ فهذا من هجرانه ، وتركُ الإيمان به وتصديقه من هجرانه ، [وتركُ تدبره وتفهمه من هجرانه ، وتركُ العمل به وامتثال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه][٤] ، والعدولُ عنه إلىٰ غيره من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره من هجرانه ، فنسأل اللَّه الكريم المنان القادر علىٰ ما يشاء ، أن يخلّصنا مما يُسخطه ، ويستعملنا فيما يرضيه ، من حفظ كتابه وفهمه ، والقيام بمقتضاه آناءَ الليل وأطرافَ النهار ، علىٰ الوجه الذي يحبه ويرضاه ، إنه كريم وهاب .

وقوله تعالىٰ: ﴿**وكذلك جعلنا لكل نبي عدوًّا من المجرمين**﴾، أي: كما حصل لك يا محمد في قومك من الذين هجروا القرآن، كذلك كان في الأمم الماضين[٥]؛ لأن اللَّه جعل لكل نبي عدوًّا من المجرمين ، يدعون الناس إلىٰ ضلالهم وكفرهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وكذلك جعلنا لكل نبي عدوًّا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ولتصغىٰ إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون** ﴾ ؛ ولهذا قال تعالىٰ هاهنا : ﴿ **وكفىٰ بربك هاديًا ونصيرًا** ﴾ . أي : لمن اتبع رسوله ، وآمن بكتابه وصدقه واتبعه ، فإن اللَّه هاديه وناصره في الدنيا والآخرة ، وإنما قال : ﴿ **هاديًا ونصيرًا** ﴾ ؛ لأن المشركين كانوا[٦] يصدون الناس عن اتباع القرآن ، لئلا يهتدي أحد به ، ولتغلب طريقتهم طريقةَ القرآن ؛ فلهذا قال : ﴿ **وكذلك جعلنا لكل نبيّ عدوًّا من المجرمين وكفىٰ بربك هاديًا ونصيرًا** ﴾ .

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ

---

[١] - في ت : « يستمعونه » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « وكانوا » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٥] - في ز : « الماضين » .
[٦] - سقط من : خ ، ز .

تَفۡسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴿٣٤﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن كثرة اعتراض الكفار وتعنتهم، وكلامهم فيما لا يعنيهم، حيث قالوا: ﴿ **لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة** ﴾. أي: هلا أنزل عليه هذا الكتاب الذي أوحي إليه جملة واحدة، كما نزلت الكتب قبله [ ][١]، كالتوراة والإنجيل والزبور، وغيرها من الكتب الإلهية. فأجابهم الله تعالىٰ عن ذلك بأنه إنما أنزل[٢] منجمًا في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع والحوادث، وما يحتاج إليه[٣] من الأحكام لتثبيت قلوب المؤمنين به كقوله: ﴿ **وقرآنًا فرقناه لتقرأه علىٰ الناس علىٰ مكث ونزلناه تنزيلًا** ﴾. ولهذا قال: ﴿ **لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلًا** ﴾.

قال قتادة: وبيّناه تبيينًا. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: وفسرناه تفسيرًا.

﴿ **ولا يأتونك بمثل** ﴾. أي: بحجة وشبهة ﴿ **إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرًا** ﴾. أي: ولايقولون قولًا يعارضون به الحق إلّا أجبناهم بما هو الحق في نفس الأمر، وأبين وأوضح وأفصح من مقالتهم. قال سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس: ﴿ **ولا يأتونك بمثل** ﴾، أي: بما يلتمسون به عيب القرآن والرسول ﴿ **إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا** ﴾ أي: إلا نزل جبريلُ من الله بجوابهم.

ثم في هذا اعتناء كبير؛ لشرف الرسول -صلىٰ الله عليه وسلم- حيث كان يأتيه الوحي من الله - عز وجل - بالقرآن صباحًا ومساء، [وليلًا][٤] ونهارًا، سفرًا وحضرًا، وكل مرة كان يأتيه الملك بالقرآن كإنزال كتاب[٥] مما قبله من الكتب المتقدمة، فهذا المقام أعلىٰ وأجل، وأعظم مكانة من سائر إخوانه من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

فالقرآن أشرف كتاب أنزله الله، ومحمد، صلىٰ الله عليه وسلم، أعظم نبي أرسله الله تعالىٰ، وقد جمع الله للقرآن الصفتين معًا، ففي الملأ الأعلىٰ أنزل جملة واحدة[٦] من اللوح المحفوظ إلىٰ بيت العزة [من سماء][٧] الدنيا، ثم نزل[٨] بعد ذلك إلىٰ الأرض منجمًا بحسب الوقائع والحوادث.

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ت: «جملة واحدة». [٢] - في ت: «نزل».
[٣] - سقط من: خ، ز. [٤] - في ت: «وليلًا».
[٥] - في ت: «الكتاب». [٦] - سقط من: ز، خ.
[٧] - ما بين المعكوفين في ت: «في السماء». [٨] - في ت: «أنزل».

[قال أبو عبد الرحمن النسائي(١٣) : أخبرنا أحمد بن سليمان ، حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا داود ، عن عكرمة][١] عن ابن عباس ؛ قال : أنزل القرآن [جملة][٢] إلىٰ السماء[٣] الدنيا في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرًا** ﴾ ، و[قوله][٤] : ﴿ **وقرآنا فرقناه لتقرأه علىٰ الناس علىٰ مكث ونزلناه تنزيلًا** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ مخبرًا عن سوء حال الكفار في معادهم يوم القيامة وحشرهم إلىٰ جهنم ، في أسوأ الحالات وأقبح الصفات : ﴿ **الذين يحشرون علىٰ وجوههم إلىٰ جهنم أولئك شر مكانًا وأضل سبيلًا** ﴾. وفي الصحيح(١٤) عن أنس أن رجلًا قال : يا رسول اللَّه ، كيف يحشر الكافر علىٰ وجهه يوم القيامة ؟ فقال : « **إن الذي أمشاه علىٰ رجليه قادر أن يُمشيه علىٰ وجهه يوم القيامة** ». وهكذا قال مجاهد والحسن وقتادة وغير واحد من المفسرين .

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَـٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَدَمَّرْنَـٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَـٰهُمْ وَجَعَلْنَـٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَـٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَـٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾

يقول تعالىٰ متوعدًا مَنْ كَذَّبَ رسوله محمدًا -صلىٰ اللَّه عليه وسلم- من مشركي قومه ومَنْ خالفه ، ومحذرهم من عقابه وأليم عذابه ، مما[٥] أحله بالأمم الماضية المكذبين لرسله ، فبدأ بذكر موسىٰ -عليه السلام- وأنه ابتعثه[٦] وجعل معه أخاه هارون وزيرًا ؛ أي : نبيًّا مُوازرًا ومؤيدًا وناصرًا ، فكذبهما فرعون وجنوده ، فـ ﴿ **دمر اللَّه عليهم وللكافرين أمثالها** ﴾ . وكذلك فعلَ بقوم نوح حين كذّبوا رسوله نوحًا -عليه السلام- ومن كذب برسول فقد كذب

(١٣) النسائي في السنن الكبرى حديث (١١٣٧٢) .

(١٤) صحيح البخاري حديث (٤٧٦٠) ، وصحيح مسلم حديث (٢٨٠٦) .

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « وروى النسائي بإسناده » .

[٢] - ما بين المعكوفين في ت : « جملة واحدة » . [٣] - في ت : « سماء » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ت : « وقول تعالى » . [٥] - في ز ، خ : « فيما » .

[٦] - في ت : « بعثه » .

بجميع الرسل ؛ إذ لا فرق بين رسول ورسول ، ولو فرض أن الله بعث إليهم كل رسول فإنهم كانوا يكذبونه ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وقوم نوح لما كذبوا الرسل** ﴾ . ولم يبعث إليهم إلا نوح فقط ، وقد لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا ، يدعوهم إلىٰ الله - عز وجل - ويحذرهم نقمته[١] ، فما آمن معه إلا قليل ؛ ولهذا أغرقهم الله جميعًا ، ولم يبق منهم أحد[٢] ، ولم يبق[٣] من بني آدم علىٰ وجه الأرض سوىٰ أصحاب السفينة فقط .

﴿ **وجعلناهم للناس آية** ﴾ . أي : عبرة يعتبرون بها ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **إنا لما طغىٰ الماء حملناكم في الجارية * لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية** ﴾ . أي : وأبقينا لكم من[٤] السفن ما تركبون في لُجَج البحار ، لتذكروا نعمة الله عليكم في إنجائكم من الغرق ، وجَعْلكم من ذرّية من آمن به وصَدّق أمره .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وعادًا وثمود وأصحاب الرس** ﴾ قد تقدم الكلام علىٰ قصتيهما في غير ما سورة ، [منها في سورة][٥] الأعراف بما أغنىٰ عن الإعادة .

وأما أصحاب الرس فقال ابن جريج : قال[٦] ابن عباس : هم أهل قرية من قرىٰ ثمود .

[قال][٧] ابن جريج : [وقال][٨] عكرمة : أصحاب الرس بفَلَج[٩] وهم أصحاب ياسين وقال قتادة : فَلَج : من قرىٰ اليمامة .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن عمرو بن أبي عاصم النبيل[١٠] ، حدثنا الضحاك بن مخلد أبو عاصم ، حدثنا شبيب بن بشر ، حدثنا عكرمة عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وأصحاب الرس** ﴾ ، قال : بئر بأذربيجان .

وقال سفيان الثوري عن أبي بُكَير عن عكرمة : الرس : بئر رسوا فيها نبيهم . أي : دفنوه بها[١١] .

وقال محمد بن إسحاق، عن محمد بن كعب القرظي[١٢] قال[١٣]: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن أول الناس يدخل الجنة يوم القيامة العبدُ الأسود ، وذلك أن الله تعالىٰ وتبارك بعث نبيًا إلىٰ أهل قرية ، فلم يؤمن به من أهلها إلا ذلك [العبد الأسود] ، ثم إن**

---

[١] - في ت : « نقمه » .
[٢] - في ت : « أحدًا » .
[٣] - في ت : « يترك » .
[٤] - في ز ، خ : « في » .
[٥] - ما بين المعكوفين في ت : « كسورة » .
[٦] - في ت : « عن » .
[٧] - في ت : « وقال » .
[٨] - في ت : « قال » .
[٩] - في ز : « بقلح » .
[١٠] - سقط من : ت .
[١١] - في ت : « فيها » .
[١٢] - سقط من : ت .
[١٣] - سقط من : ز ، خ .

إن أهل[١] القرية عَدَوا علىٰ النبي ، فحفروا له بئرًا فألقوه فيها ، ثم أطبقوا عليه بحجر أصم[٢] .

قال : فكان ذلك العبد يذهب فيحتطب[٣] علىٰ ظهره ، ثم يأتي بحطبه فيبيعه ، ويشتري به طعامًا وشرابًا ، ثم يأتي به إلىٰ تلك البئر ، فيرفع تلك الصخرة ، ويعينه اللَّه عليها ، فيدلي إليه طعامه وشرابه ، ثم يردها كما كانت . قال : فكان كذلك ما شاء اللَّه أن يكون ، ثم إنه ذهب يومًا يحتطب كما كان يصنع[٤] ، فجمع حطبه وحزم حُزْمَته وفرغ منها ، فلما أراد أن يحتملها وجد سنة ، فاضطجع فنام . [فضُرِبَ][٥] علىٰ أذنه سبع سنين [نائمًا ، ثم إنه هب فتمطىٰ ، فتحول لشقه الآخر فاضطجع ، فضرب اللَّه علىٰ أذنه سبع سنين][٦] أخرىٰ ، ثم إنه هب واحتمل حُزْمَته ولا يحسبُ إلا أنه نام ساعة من نهار ، فجاء إلىٰ القرية فباع حزمته ، ثم اشترىٰ طعامًا وشرابًا كما كان يصنع ، ثم ذهب إلىٰ الحفيرة في موضعها الذي كانت فيه ، فالتمسه فلم يجده . [وقد كان][٧] بدا لقومه فيه بَداء ، فاستخرجوه وآمنوا به وصدقوه .

قال : فكان نبيهم يسألهم عن ذلك الأسود : ما فعل ؟ فيقولون له : ما ندري . حتىٰ قبض اللَّه النبي ، وأهبّ الأسود من نومته بعد ذلك . فقال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن ذلك الأسود لأولُ من يدخل الجنة** » .

[هكذا][٨] رواه ابن جرير(١٥) ، عن ابن حميد ، عن سلمة ، عن محمد[٩] بن إسحاق ، عن محمد بن كعب مرسلًا وفيه غرابة ونكارة ولعل فيه إدراجًا ، واللَّه أعلم . [وأما ابن جرير فقال][١٠] : لا يجوز أن يحمل هؤلاء على أنهم أصحاب الرس الذين ذكروا فى القرآن ؛ لأن اللَّه أخبر عنهم أنه أهلكهم وهؤلاء قد بدا لهم فآمنوا[١١] بنبيهم ، اللَّهم[١٢] أن يكون حدث لهم[١٣] أحداث آمنوا بالنبي بعد هلاك آبائهم ، واللَّه أعلم .

واختار ابن جرير أن المراد بأصحاب الرس هم أصحاب الأخدود الذين ذكروا فى سورة البروج ، فاللَّه أعلم .

---

(١٥) تفسير الطبري (١٩/١٠) .

---

[١] - سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ت : « ضخم » .
[٣] - في ز ، خ : « فيتحطب » .
[٤] - سقط من : خ ، ز .
[٥] - ما بين المعكوفين في ت : « فضرب اللَّه » .
[٦] - ما بين المعكوفين سقط من : خ .
[٧] - في ت : « كان وقد » .
[٨] - في ت : « وهكذا » .
[٩] - سقط من : ز ، خ .
[١٠] - ما بين المعكوفتين في ت : « وقال ابن جرير » .
[١١] - في ت : « آمنوا » .
[١٢] - في ت : « إلا » .
[١٣] - في ز : « له » .

وقوله تعالى : ﴿ **وقرونًا بين ذلك كثيرًا** ﴾ . أي : وأممًا بين أضعاف مَنْ ذُكِرَ أهلكناهم كثيرة ؛ ولهذا قال : ﴿ **وكلا ضربنا له الأمثال** ﴾ أي[١] بيّنا لهم الحجج ، ووضحنا لهم الأدلة . كما قال قتادة أزحنا الأعذار عنهم ﴿ **وكلا تبرنا تتبيرًا** ﴾ أي : أهلكنا إهلاكًا ؛ كقوله تعالى : ﴿ **وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح** ﴾ والقرن هو : الأمة من الناس . كقوله : ﴿ **ثم أنشأنا من بعدهم قرنًا آخرين** ﴾ وحده بعضهم بمائة وعشرين سنة ، وقيل : بمائة سنة ، وقيل : بثمانين سنة[٢] ، وقيل : أربعين ، وقيل غير ذلك ، والأظهر أن القرن هم الأمة المتعاصرون[٣] في الزمن الواحد وإذا ذهبوا وخلفهم جيل فهم[٤] قرن ثانٍ[٥] كما ثبت في الصحيحين [عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال][٦] « **خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم** » . الحديث .

وقوله : ﴿ **ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء** ﴾ . يعني قرية قوم لوط وهي سدوم ومعاملتها ، التي [أهلكها][٧] بالقلب وبالمطر [الحجارة من سجيل][٨] . كما قال تعالى : ﴿ **وأمطرنا عليهم مطرًا فساء مطر المنذرين** ﴾ وقال : ﴿ **وإنكم لتمرون عليهم مصبحين * وبالليل أفلا تعقلون** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وإنها لبسبيل مقيم** ﴾ وقال : ﴿ **وإنهما لبإمام مبين** ﴾ ؛ ولهذا قال : ﴿ **أفلم يكونوا يرونها** ﴾ أى فيعتبروا بما حل بأهلها من العذاب والنكال بسبب تكذيبهم بالرسول ومخالفتهم[٩] أوامر الله .

وقوله : ﴿ **بل كانوا لا يرجون نشورًا** ﴾ يعني المارّين بها من الكفار لا يعتبرون ؛ لأنهم[١٠] لا يرجون نشورًا ؛ أي : معادًا يوم القيامة .

وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا (٤٠) وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا (٤١) إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٢) أَرَءَيْتَ مَنِ

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - في ت : « المتعاصرة » .
[٤] - في ت : « فهو » .
[٥] - في ت : « آخر » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٧] - في ت : « أهلكها الله » .
[٨] - ما بين المعكوفين في ت : « من الحجارة التي من سجيل » .
[٩] - في ت : « بمخالفتهم » .
[١٠] - في ت : « أنهم » .

﴿ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝٤٣ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝٤٤ ﴾

يخبر تعالى عن استهزاء المشركين بالرسول ، صلى اللّه عليه وسلم ، إذا رأوه ؛ كما قال تعالى : ﴿ **وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوًا [أهذا الذي يذكر آلهتكم]**[١]﴾ . يعنون بالعيب والنقص ، وقال هاهنا : ﴿ **وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوًا أهذا الذي بعث اللّه رسولًا** ﴾ أي : على سبيل التنقص والازدراء قبحهم[٢] اللّه ! كما قال ﴿ **ولقد استهزئ برسل من قبلك [فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب]**[٣] ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ **إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها** ﴾ يعنون أنه كاد يثنيهم[٤] عن عبادة أصنامهم[٥] لولا أن صبروا وتجلدوا واستمروا على عبادتها ! قال اللّه تعالى متوعدًا لهم ومتهددًا: ﴿**وسوف يعلمون حين يرون العذاب [من أضل سبيلًا]**[٦]﴾ .

ثم قال تعالى لنبيه منبهًا له أنَّ من كتب اللّه عليه الشقاوة والإضلال[٧] فإنه لا يهديه أحد إلا اللّه - عز وجل - ﴿ **أرأيت من اتخذ إلهه هواه** ﴾ أي : مهما استحسن من شيء، ورآه حسنًا في هوى نفسه [كان دينه ومذهبه ؛ كما قال تعالى: ﴿ **أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنًا**][٨] * **فإنّ اللّه يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات** ﴾ . ولهذا قال ههنا: ﴿ **أفأنت تكون عليه وكيلًا** ﴾ . قال ابن عباس : كان الرجل فى الجاهلية يعبد الحجر الأبيض زمانًا فإذا رأى غيره أحسن منه عبد الثاني وترك الأول .

ثم قال تعالى : ﴿ **أم تحسب أنّ أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا** ﴾ . أي: هم أسوأ حالا من الأنعام السارحة فإن تلك تفعل[٩] ما خلقت له، وهؤلاء خلقوا لعبادة اللّه وحده لا شريك له [ ][١٠] وهم يعبدون غيره ويشركون به مع قيام الحجة عليهم وإرسال الرسل إليهم .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٢] - في ت : « فقبحهم » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٤] - في ت : « يفتنهم » .
[٥] - في ت : « الأصنام » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٧] - في ت : « الضلال » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٩] - في ز : « تعقل » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين في ت : « فلم يفعلوا » .

دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾

من ههنا شرع سبحانه وتعالى في بيان الأدلة الدالة على وجوده وقدرته التامة على خلق الأشياء المختلفة والمتضادّة فقال تعالى: ﴿ **ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظل** ﴾. قال ابن عباس، وابن عمر، وأبو العالية، وأبو مالك، ومسروق، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي، والضحاك، والحسن البصري، وقتادة، والسّدي وغيرهم: هو ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

﴿ **ولو شاء لجعله ساكنًا** ﴾ أي: دائمًا لا يزول؛ كما قال تعالى: ﴿ **قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدًا إلى يوم القيامة** ﴾، ﴿ **قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدًا إلى يوم القيامة** ﴾.

وقوله: ﴿ **ثم جعلنا الشمس عليه دليلًا** ﴾ أي: لولا أن الشمس تطلع عليه لما عرف، فإن الضد لا يعرف إلا بضده.

وقال قتادة، والسّديّ: دليلًا يتلوه ويتبعه حتى يأتي عليه كله.

وقوله: ﴿ **ثم قبضناه إلينا قبضًا يسيرًا** ﴾ أي: الظل. وقيل: الشمس. ﴿ **إلينا قبضًا يسيرًا** ﴾، أي: سهلًا - قال ابن عباس: سريعًا. وقال مجاهد: خفيًا. وقال السّديّ: قبضًا خفيًّا، حتى لا يبقى في الأرض ظل إلا تحت سقف أو تحت شجرة، وقد أظلت الشمس ما فوقه.

وقال أيوب بن موسى: ﴿ **ثم قبضناه إلينا قبضًا يسيرًا** ﴾. أي: قليلًا قليلًا.

وقوله: ﴿ **وهو الذي جعل لكم الليل لباسًا** ﴾، أي: يلبس الوجود ويُغَشّيه، كما قال: ﴿ **والليل إذا يغشى** ﴾، وقال: ﴿ **والليل إذا يغشاها** ﴾.

﴿ **والنوم سباتًا** ﴾، أي: قَطْعًا للحركة لراحة الأبدان، فإن الأعضاء والجوارح تكل من كثرة الحركة في الانتشار بالنهار في المعايش، فإذا جاء الليل وسكن سكنت الحركات، فاستراحت فحصل النوم الذي فيه راحة البدن والروح معًا.

﴿ **وجعل النهار نشورًا** ﴾، أي: ينتشر[١] الناسُ فيه لمعايشهم ومكاسبهم وأسبابهم، كما

---

[١] - في ز، خ: « ينشر ».

قال تعالىٰ : ﴿ **ومن رحمته جعلَ لكم الليلَ والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون** ﴾ .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا (٤٨) لِّنُحْۦِىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا (٤٩) وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (٥٠) ﴾

وهذا أيضًا من قدرته التامة وسلطانه العظيم ، وهو أنه تعالىٰ يرسل الرياح مبشرات . أي : بمجيء السحاب بعدها ، والرياح أنواع ، في صفات كثيرة من التسخير ، فمنها ما يثير السحاب ، ومنها ما تحمله[١] ، ومنها ما تسوقه[٢] ، ومنها ما يكون بين يدي السحاب مبشرًا ، ومنها ما يكون قبل ذلك يقُمّ الأرض ، ومنها ما يلقح السحاب ليمطر ، ولهذا قال : ﴿ **وأنزلنا من السماء ماء طهورًا** ﴾ . أي : آلة يتطهر بها ، كالسَّحُور والوقود[٣] وما جرىٰ مجراه . هذا[٤] أصح ما يقال في ذلك .

وأما من قال : إنه فعول بمعنىٰ فاعل ؛ أو : إنه مبني للمبالغة أو التعدي ، فعلىٰ كل منهما إشكالات من حيث اللغة والحكم ، ليس هذا موضعَ بسطها ، والله أعلم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عمر بن حفص بن غياث ، حدثنا أبي ، عن أبي جعفر الرازي ، حدثني حُميد الطويل ، عن ثابت البُناني ؛ قال : دخلت مع أبي العالية في يوم مطير ، وطرق البصرة قَذِرة ، فصلىٰ ؛ فقلت له[٥] ، فقال : ﴿ **وأنزلنا من السماء ماء طهورًا** ﴾ . قال : طهره ماء السماء .

وقال أيضًا : حدثنا أبي ، حدثنا أبو سلمة ، حدثنا وُهَيب ، عن داود ، عن سعيد بن المسيب في هذه الآية : ﴿ **وأنزلنا من السماء ماء طهورًا** ﴾ لا ينجسه شيء .

وعن أبي سعيد قال(١٦) : قيل : يا رسول الله ؛ أنتوضأ من بئر بضاعة ؟ - وهي بئر يلقىٰ فيها النَّتن ولحومُ الكلاب - فقال : « **إن الماء طهور لا ينجسه شيء** » . رواه الشافعي ، وأحمد

---

(١٦) الأم للشافعي (٩/١) ، والمسند (١٥/٣) ، وأخرجه النسائي - كتاب المياه ، باب : « ذكر بئر بضاعة » - (١٧٤/١) . والطحاوي في شرح معاني الآثار - (١٢/١) . وأبو يعلى في مسنده - (١٣٠٤) - (٤٧٦/٢) . والبيهقي في الكبرى - كتاب الطهارة ، باب : الماء الكثير لا ينجس بنجاسة تحدث فيه =

---

[١] - في ت : « يحمله » .
[٢] - في ت : « يسوقه » .
[٣] - في ز ، خ : « الوجود » .
[٤] - في ت : « فهذا » .
[٥] - بياض في ز ، خ .

وصححه ، وأبو داود ، والترمذي وحسنه ، والنسائي .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو الأشعث ، حدثنا معتمر ، سمعت أبي يحدث عن سيار ، عن خالد بن يزيد ؛ قال : كان عند عبد الملك بن مروان ، فذكروا الماء ، فقال خالد بن يزيد : منه من السماء ، ومنه ما يسقيه الغيم من البحر فيعذبه الرعد والبرق ، فأما ما كان من البحر فلا يكون له نبات فأما النبات فمما كان من السماء .

وروي عن عكرمة قال : ما أنزل الله من السماء قطرة إلا أنبت بها في الأرض عشبة أو في البحر لؤلؤة . وقال غيره : في البر برٌّ ، وفي البحر دُرٌّ .

وقوله : ﴿ **لنحيي به بلدة ميتًا** ﴾ أي : أرضًا قد طال انتظارها للغيث ، فهي هامدة لا نبات فيها ولا شيء ، فلما جاءها الحيا عاشت واكتست رباها أنواع الأزاهير والألوان ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج** ﴾ ﴿ **ونسقيه مما خلقنا أنعامًا وأناسي كثيرًا** ﴾ . أي : وليشرب منه الحيوان من أنعام وأناسي ، محتاجون[١] إليه غاية الحاجة ، لشربهم وزروعهم وثمارهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الوليّ الحميد** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **فانظر إلىٰ آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتىٰ وهو علىٰ كل شيء قدير** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ولقد صرفناه بينهم ليذكروا** ﴾ . أي : أمطرنا هذه الأرض دون هذه ، وسقنا السحاب فمر علىٰ الأرض وتعداها وجاوزها [إلىٰ الأرض الأخرىٰ][٢] ، لم ينزل فيها قطرة من

= ما لم يتغير (١/٢٥٧-٢٥٨) . من طرق عن عبد العزيز بن مسلم به - وسقط في شرح معاني الآثار « سليط » ؛ فليستدرك .

وأخرجه أبو داود - كتاب الطهارة ، باب : ما جاء في بئر بضاعة - (٦٦) . والترمذي - كتاب الطهارة ، باب : ما جاء في أن الماء لا ينجسه شيء - (٦٦) . والنسائي - (١/١٧٤) وابن الجارود في « المنتقى » (٤٧) ، والبيهقي (١/٤-٥) ، وأحمد (١١٢٧٣) (٣/٣١) .

من طريق أبي أسامة عن الوليد بن كثير عن محمد بن كعب عن عبيد الله بن عبد الله بن رافع ابن خديج عن الخدري .

وقال الترمذي : هذا حديث حسن ، وقد جود أبو أسامة هذا الحديث ، فلم يرو واحد حديث أبي سعيد في بئر بضاعة أحسن مما روى أبو أسامة ، وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن أبي سعيد .

وأخرجه أبو داود - (٦٧) والطحاوي - (١/١١) وأحمد (١١٨٣١) (٣/٨٦) .

من طرق ثلاثة عن محمد بن إسحاق عن سليط بن أيوب عن عبيد الله بن عبد الرحمن بن رافع عن أبي سعيد به .

والحديث صححه الشيخ الألباني في الإرواء (١٤) .

---

[١] - في ت : « محتاجين » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

ماء ، وله في ذلك الحجة البالغة والحكمة القاطعة .

قال ابن مسعود وابن عباس : ليس عام بأكثر مطرًا من عام ، ولكن الله يصرفه كيف يشاء ، ثم قرأ هذه الآية : ﴿ **ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبىٰ أكثر الناس إلا كفورًا** ﴾ .

أي : ليذكروا بإحياء الله الأرض الميتة أنه قادر علىٰ إحياء الأموات والعظام والرفات[١] . أو : ليذكر من مُنِعَ القَطْر أنما أصابه ذلك بذنب أصابه ، فيقلع عما هو فيه .

وقال عُمَر مولىٰ غُفْرَة : كان جبريل - عليه السلام - في موضع الجنائز ، فقال له النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **يا جبريل ، إني أحب أن أعلم أمْرَ السحاب** » قال[٢] فقال جبريل : يا نبي الله ، هذا ملك السحاب فسله . فقال : تأتينا صِكَاكٌ مختَّمة : اسق بلاد كذا وكذا ، كذا وكذا قطرة . رواه ابن أبي حاتم ، وهو حديث مرسل .

وقوله : ﴿ **فأبىٰ أكثر الناس إلا كفورًا** ﴾ . قال عكرمة : يعني الذين يقولون : مطرنا بنوء كذا وكذا .

وهذا الذي قاله عكرمة كما صَحّ في الحديث المخرج في صحيح مسلم(١٧) ، عن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أنه[٣] قال لأصحابه يومًا[٤] ، علىٰ أثر سماء أصابتهم من الليل : « **أتدرون ماذا قال ربكم ؟** » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « **قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال : مُطرنا بفضل الله ورحمته فذاك مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما[٥] من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذاك كافر بي ، مؤمن بالكوكب** » .

وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرًا** ﴾ ، يدعوهم إلىٰ الله عز وجل ، ولكنا خصصناك ، يا محمد ، بالبعثة إلىٰ جميع أهل الأرض ، وأمرناك أن تبلغ الناس هذا القرآن ،

---

(١٧) صحيح مسلم حديث (٧١) من حديث زيد بن خالد الجهني .

---

[١] - في ت : « والرفات » .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : خ ، ز .
[٥] - سقط من : ز ، خ .

﴿ لأنذركم به ومن بلغ ﴾ ﴿ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده﴾ ﴿ لتنذر أم القرىٰ ومن حولها ﴾ . ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا﴾ .

وفي الصحيحين : « **بعثت إلىٰ الأحمر والأسود** » . وفيهما : « **وكان النبي يبعث إلىٰ قومه [ ][١] وبعثت إلىٰ الناس عامة** » ؛ ولهذا قال : **﴿فلا تطع الكافرين وجاهدهم به﴾** يعني : القرآن[٢] ؛ قاله ابن عباس **﴿جهادًا كبيرًا﴾** كما قال تعالىٰ : **﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم﴾** .

وقوله : **﴿ وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج ﴾** ، أي : خلق الماءين : الحلو والملح ، فالحلو كالأنهار والعيون والآبار ، وهذا هو البحر الحلو الفرات العذب الزلال ؛ قاله ابن جريج ، واختاره ابن جرير ، وهذا الذي لا شك فيه ، فإنه ليس في الوجود بحر ساكن وهو عذب فرات . والله سبحانه إنما أخبر [عن الواقع][٣] لينبه العباد علىٰ نعمه عليهم ليشكروه ، فالبحر العذب هو هذا السارح بين الناس ، فرقه تعالىٰ[٤] بين خلقه لاحتياجهم إليه أنهارًا وعيونًا في كل أرض بحسب حاجتهم وكفايتهم لأنفسهم وأراضيهم .

وقوله : **﴿وهذا ملح أجاج﴾** أي : مالحٌ مرٌّ زُعَاق(*) لا يستساغ[٥] ، وذلك كالبحار المعروفة في المشارق والمغارب ، البحر المحيط وما يتصل به من الزقاق وبحر القلزم ، وبحر اليمن ، وبحر البصرة ، وبحر فارس ، وبحر الصين والهند ، وبحر الروم ، وبحر الخزر ، وما شاكلها وشبهها[٦] من البحار الساكنة التي لا تجري ، ولكن تتموج وتضطرب وتغتلم[٧] في زمن الشتاء وشدة الرياح ، ومنها ما فيه مد وجَزْر ، ففي أول كل شهر يحصل منها مد وفيض ، فإذا شرع الشهر في النقصان جَزَرت ، حتىٰ ترجع إلىٰ غايتها الأولىٰ ، فإذا استهل الهلال من الشهر الآخر شرعت في المد إلىٰ الليلة الرابعة عشرة ثم تشرع في النقص ، فأجرىٰ الله سبحانه وتعالىٰ - وله القدرة التامة - العادة بذلك .

فكل هذه البحار الساكنة خلقها الله سبحانه وتعالىٰ مالحة الماء ، لئلا يحصل بسببها نتن الهواء ، فيفسد الوجود بذلك ، ولئلا تجوى(**) الأرض بما يموت فيها من الحيوان . ولما كان ماؤها ملحًا كان هواؤها صحيحًا وميتتها طيبة ؛ ولهذا قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وقد سئل عن ماء البحر : أنتوضأ به ؟ فقال : « **هو الطهور ماؤه ، الحل ميتته** » . رواه

---

[١] - ما بين المعكوفين في ت : « خاصة » .

[٢] - في ت : « بالقرآن » .

[٣] - في ت : « بالواقع » .

[٤] - سقط من : ز .

(*) الزعاق من الماء : المُرُّ الغليظ ، لا يُطاق شُرْبُه .

[٥] - في ز ، خ : « يستطاع » .

[٦] - في ت : « شابهها » .

[٧] - في ز : « تقتلم » .

(**) جَوِيَ الشيء : تغيَّر وأنتن .

الأئمة(١٨) : مالك ، والشافعي ، وأحمد ، وأهل السنن ، بإسناد جيد .

وقوله : ﴿ **وجعل بينهما برزخًا وحجرًا** ﴾ ، أي : بين[١] العذب والملح[٢] ﴿ **برزخًا** ﴾ أي: حاجزًا ، وهو اليبَس من الأرض ، ﴿ **وحجرًا محجورًا** ﴾ ، أي : مانعًا أن يصل أحدهما إلىٰ الآخر ، كما قال تعالى : ﴿ **مرج البحرين يلتقيان * بينهما برزخ لا يبغيان * فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **أمن جعل الأرض قرارًا وجعل خلالها أنهارًا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزًا أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وهو الذي خلق من الماء بشرًا فجعله نسبًا وصهرًا وكان ربك قديرًا** ﴾ أي : خلق الإنسان من نطفة ضعيفة ، فسواه وعدّله ، وجعله كامل الخلقة ، ذكرًا أو أنثىٰ ، كما يشاء ، ﴿ **فجعله نسبًا وصهرًا** ﴾ ، فهو في ابتداء أمره ولد نسيب ، ثم يتزوج فيصير صهرًا ، ثم يصير له أصهار وأختان وقرابات . وكل ذلك من ماء مهين ؛ ولهذا قال : ﴿ **وكان ربك قديرًا** ﴾ .

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾

يخبر تعالىٰ عن جهل المشركين في عبادتهم غيرَ الله من الأصنام ، التي لا تملك لهم نفعًا ولا ضرًا ، بلا دليل قادهم إلىٰ ذلك ، ولا حجة أدتهم إليه ، بل بمجرد الآراء ، والتشهي والأهواء [٣]، فهم [يوالون لهم][٤] ويقاتلون في سبيلهم ، ويعادون الله ورسوله فيهم ، ولهذا قال : ﴿ **وكان الكافر علىٰ ربه ظهيرًا** ﴾ . أي : عونًا في سبيل الشيطان علىٰ حزب الله ،

(١٨) سبق تخريجه عند تفسير الآية : ٣ من سورة المائدة .

[١] - في ز : « من » .
[٢] - في ت : « المالح » .
[٣] - سقط من : خ ، ز .
[٤] - في ت : « يوالونهم » .

وحزب اللّٰه هم الغالبون ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **واتخذوا من دون اللّٰه آلهة لعلهم ينصرون * لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون** ﴾ . أي : آلهتهم التي اتخذوها من دون اللّٰه لا تملك لهم نصرًا ، وهؤلاء الجهلة للأصنام جند محضرون[١] يقاتلون عنهم ، ويَذُبُّون عن حوزتهم ، ولكن العاقبة والنصرة للّٰه ولرسوله في الدنيا والآخرة .

قال مجاهد: ﴿**وكان الكافر على ربه ظهيرًا**﴾ قال: يظاهر الشيطان على معصية الله: يعينه[٢].

وقال سعيد بن جبير: ﴿**وكان الكافر على ربه ظهيرًا**﴾ يقول: عونًا للشيطان على ربه بالعداوة والشرك.

وقال زيد بن أسلم : ﴿ **وكان الكافر علىٰ ربه ظهيرًا** ﴾ ، قال : مواليًا .

ثم قال تعالىٰ لرسوله - صلوات اللّٰه وسلامه عليه - : ﴿ **وما أرسلناك إلا مبشرًا ونذيرًا** ﴾ ، أي : بشيرًا للمؤمنين ونذيرًا للكافرين ، مبشرًا بالجنة لمن أطاع اللّٰه ، ونذيرًا بين يدي عذاب شديد لمن خالف أمر اللّٰه .

﴿ **قل ما أسألكم عليه من أجر** ﴾ . أي : علىٰ هذا البلاغ وهذا الإنذار من أجرة أطلبها من أموالكم ، وإنما أفعل ذلك ابتغاء وجه اللّٰه ، ﴿ **لمن شاء منكم أن يستقيم** ﴾ ﴿**إلّا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلًا**﴾ . أي : طريقًا ومسلكًا ومنهجًا يقتدي فيها بما جئت به .

ثم قال : ﴿ **وتوكل علىٰ الحيّ الذي لا يموت** ﴾ . أي : في أمورك كلها كن متوكلًا على اللّٰه الحي الذي لا يموت أبدًا، الذي هو ﴿**الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم**﴾ الدائم الباقي السرمديّ الأبدي ، الحي القيوم رب كل شيء ومليكه ، اجعله ذُخْرك[٣] وملجأك ، وهو الذي يُتَوكل عليه ويفزع إليه ، فإنه كافيك وناصرك ومؤيدك ومظفرك ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته واللّٰه يعصمك من الناس** ﴾ .

و[٤]قال ابن أبي حاتم(١٩) : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا عبد اللّٰه بن محمد بن عليّ بن نفيل قال : قرأت علىٰ معقل - يعني : ابن عبيد اللّٰه - عن عبد اللّٰه بن أبي حسين ، عن شهر بن حوشب قال : لقي سلمانُ رسولَ اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، في بعض فجاج المدينة فسجد له

(١٩) ورواه أبو نعيم في تاريخ أصبهان (١٠٣/٢) من طريق محمد بن أحمد بن سيار ، عن هشام ، عن إسماعيل بن عياش ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين به .

[١] - في ز : « محضر » .
[٢] - في ز ، خ : « بعينه » .
[٣] - في ز ، خ : « ذكرك » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .

فقال: لا تسجد لي يا سلمان، واسجد للحي الذي لا يموت. وهذا مرسل حسن.

[وقوله تعالىٰ: ﴿ **وسبح بحمده** ﴾، أي: اقرن بين حمده وتسبيحه][١]، ولهذا كان رسول اللّٰه، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم، يقول: « **سبحانك اللّٰهم ربَّنا وبحمدك!** ». أي: أخلص له العبادة والتوكل، كما قال تعالىٰ: ﴿ **رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلًا** ﴾ وقال: ﴿**فاعبده وتوكل عليه**﴾، ﴿ **قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا** ﴾.

وقوله: ﴿ **وكفىٰ به بذنوب عباده خبيرًا** ﴾، أي: لعلمه التام الذي لا يخفىٰ عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرة.

وقوله: ﴿ **الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام** ﴾، أي: هو الحي الذي لا يموت، وهو خالق كل شيء وربه ومليكه، الذي خلق بقدرته وسلطانه السموات السبع، في ارتفاعها واتساعها، والأرضين السبع في سفولها وكثافتها، ﴿ **في ستة أيام ثم استوىٰ علىٰ العرش** ﴾، أي: يدبر الأمر، ويقضي الحق، وهو خير الفاصلين.

وقوله: ﴿ **ثم استوىٰ علىٰ العرش الرحمن فاسأل به خبيرًا** ﴾، أي: استعلم عنه من هو خبير به عالم به فاتبعه واقتد به، وقد عُلم أنه لا أحد أعلم باللّٰه ولا أخبر به من عبده ورسوله محمد - صلوات اللّٰه وسلامه علىٰ سيد ولد آدم علىٰ الإطلاق، في الدنيا والآخرة، الذي لا ينطق عن الهوىٰ، إن هو إلا وحي يوحىٰ، فما قاله فهو حق، وما أخبر به فهو صدق، وهو الإمام المحكم الذي إذا تنازع الناس في شيء وجب رَدّ نزاعهم إليه، فما يوافق أقواله وأفعاله فهو الحق، وما يخالفها فهو مردود علىٰ قائله وفاعله، كائنًا من كان، قال اللّٰه تعالىٰ: ﴿ **فإن تنازعتم في شيء فردوه إلىٰ اللّٰه والرسول** ﴾، وقال: ﴿**وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى اللّٰه**﴾ وقال تعالىٰ: ﴿ **وتمت كلمة**[٢] **ربك صدقًا وعدلًا**﴾ أي: صدقًا في الإخبار وعدلًا في الأوامر والنواهي، ولهذا قال: ﴿ **فاسأل به خبيرًا** ﴾ قال مجاهد في قوله: ﴿ **فاسأل به خبيرًا** ﴾، قال: ما أخبرتك من شيء فهو كما أخبرتك. وكذا قال ابن جُرَيج.

وقال شمر بن عطية في قوله: ﴿ **فأسأل به خبيرا** ﴾ قال: هذا القرآن خبير به.

ثم قال تعالىٰ منكرًا علىٰ المشركين الذين يسجدون لغير اللّٰه من الأصنام والأنداد: ﴿ **وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن** ﴾ أي: لا نعرف الرحمن. وكانوا ينكرون أن يُسَمّىٰ اللّٰه باسمه الرحمن، كما أنكروا ذلك يوم الحديبية حين قال النبي - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - للكاتب: « **اكتب بسم اللّٰه الرحمن الرحيم** ». فقالوا: لا نعرف الرحمن ولا الرحيم، ولكن اكتب كما كنت تكتب: باسمك اللّٰهم. ولهذا أنزل الله ﴿**قل ادعوا الله أو**

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز. [٢] - في ز، خ: « كلمات ».

ادعوا الرحمن أيًّاما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ ، أي : هو اللَّه وهو الرحمن . وقال في هذه الآية : ﴿ وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن ﴾ أي : لا نعرفه ولا نُقر به ، ﴿ أنسجد لما تأمرنا ؟ ﴾ أي : لمجرد قولك ؟ ﴿ وزادهم نفورًا ﴾ ؛ أما المؤمنون فإنهم يعبدون اللَّه الذي هو الرحمن الرحيم ، ويُفْرِدُونه بالإلهية ويسجدون له . وقد اتفق العلماء - رحمهم اللَّه - علىٰ أن هذه السجدة التي في الفرقان مشروعٌ السجود عندها لقارئها ومستمعها ، كما هو مقرر في موضعه ، واللَّه أعلم .

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾

يقول تعالىٰ ، ممجدًا نفسه ، ومعظمًا علىٰ جميل ما خلق في السماء من البروج - وهي الكواكب العظام[١] ، في قول مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وأبي صالح ، والحسن ، وقتادة ، وقيل : هي قصور في السماء للحرس ، يروىٰ هذا عن عليّ ، وابن عباس ، ومحمد بن كعب ، وإبراهيم النخعي ، وسليمان بن مِهْران الأعمش ، وهو رواية عن أبي صالح أيضًا ، والقول الأول أظهر . اللَّهم إلا أن يكون الكواكب العظام هي قصور[٢] للحرس ، فيجتمع القولان ، كما قال تعالىٰ : ﴿ ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجومًا للشياطين ﴾ ؛ ولهذا قال : ﴿ تبارك الذي جعل في السماء بروجًا وجعل فيها سراجًا ﴾ ، وهي الشمس المنيرة ، التي هي كالسراج في الوجود ، كما قال : [﴿ وجعلنا سراجًا وهاجًا ﴾ ﴿ وقمرًا منيرًا ﴾ ، أي : مضيئًا مشرقًا بنور آخر ونوع وفن آخر ، غير نور الشمس][٣] ، كما قال : ﴿ وهو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورًا ﴾ ، وقال مخبرًا عن نوح ، عليه السلام ، إنه قال لقومه : ﴿ ألم تروا كيف خلق اللَّه سبع سمٰوات طباقًا . وجعل القمر فيهن نورًا وجعل الشمس سراجًا ﴾ ثم قال : ﴿ وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة ﴾ ، أي : يخلف كل واحد منهما الآخر ، يتعاقبان [ ][٤] ، إذا ذهب هذا جاء هذا ، وإذا جاء هذا ذهب ذاك ، كما قال : ﴿ وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار ﴾ وقال : ﴿ يغشي الليل النهار يطلبه حثيثًا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ﴾ .

وقال : ﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ﴾ .

وقوله : ﴿ لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا ﴾ ، أي : جعلهما يتعاقبان ، توقيتًا لعبادة عباده له ، فمن فاته عمل في الليل استدركه في النهار ، ومن فاته عمل في النهار استدركه في

---

[١] - سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ت : « قصورًا » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ت : « لا يفتران » .

الليل . وقد جاء في الحديث الصحيح(٢٠) : « **إن الله تعالىٰ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل** » .

قال أبو داود الطيالسي(٢١) : حدثنا أبو حُرَّة[١] ، عن الحسن : أن عمر بن الخطاب أطال صلاة الضحىٰ ، فقيل له : صنعت اليوم شيئًا لم تكن تصنعه ؟ فقال : إنه بقي عليَّ من وِرْدي شيء ، فأحببت أن أتمه - أو قال : أقضيه - وتلا هذه الآية : ﴿ **وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة** ﴾ .

[وقال عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ **وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة** ﴾][٢] يقول : من فاته شيء من الليل [أن يعمله][٣] ، أدركه بالنهار ، أو من النهار أدركه بالليل . وكذا قال عكرمه وسعيد بن جبير والحسن

وقال مجاهد وقتادة : ﴿ **خلفة** ﴾ ، أي : مختلفين ، هذا بسواده ، وهذا بضيائه .

وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾

هذه صفات عباد الله المؤمنين ﴿ **الذين يمشون على الأرض هونًا** ﴾ أي بسكينةٍ ووقار من غير جبرية(*) ولا استكبار، كقوله تعالى: ﴿ **ولا تمش في الأرض مرحًا إنك لن تخرق الأرض ولن[٤] تبلغ الجبال طولًا** ﴾ فأما هؤلاء فإنهم يمشون من غير استكبارٍ ولا مرحٍ ولا أشر ولا بطر، وليس المراد أنهم يمشون كالمرضى من البضائع(**) وتصنعًا[٥] ورياءً، فقد كان سيد ولد

(٢٠) رواه مسلم في صحيحه حديث (٢٧٥٩) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

(٢١) - إسناده ضعيف ؛ لانقطاعه بين الحسن ، وعمر .

[١] - في ز ، خ : « أبو حمزة » وهو تحريف . والصواب ما أثبتناه ، كما في تفسير ابن أبي حاتم عن أبي داود الطيالسي .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

(*) الجبرية - بفتح الباء وإسكانها - : التكبّر . [٤] - في ز : « ولم » .

(**) كذا في : ز ، خ . ولعلها محرفة عن جمع : الأبضع ، وهو الإنسان المهزول .

[٥] - في ت : « تصنعًا » .

آدم ، صلى الله عليه وسلم ، إذا مشى كأنما ينحط من صَبَبٍ ، وكأنما الأرض تطوىٰ له . وقد كره بعض السلف المشي بتضعف وتصنع ، حتىٰ روي عن عمر أنه رأىٰ شابًا يمشي رُوَيدًا ، فقال : ما بالك ؟ أأنت مريض ؟ قال : لا ، يا أمير المؤمنين . فعلاه بالدّرة ، وأمره أن يمشي بقوة . وإنما المراد بالهَوْن هاهنا : السكينة والوقار ، كما قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم(٢٢) : « **إذا أتيتم الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون ، وَأتوها وعليكم السكينة ، فما أدركتم فصلوا ، وما فاتكم فأتموا** » .

وقال عبد الله بن المبارك ، عن معمر ، عن يحيى[١] بن المختار ، عن الحسن البصري في قوله : ﴿ **وعباد الرحمن الذين يمشون علىٰ الأرض هونًا** ﴾ قال : إن المؤمنين قوم ذُلُل[٢] ، ذلت منهم - واللّٰه - الأسماعُ والأبصار والجوارح ، حتىٰ تحسبهم مرضىٰ وما بالقوم من مرض ، وإنهم لأصحاء[٣] ، ولكنهم دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم ، ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة ، فقالوا : الحمد للّٰه الذي أذهب عنا الحزن . أما واللّٰه ، ما أحزنهم حزن الناس ، ولا تعاظم في نفوسهم شيء طلبوا به الجنة ، أبكاهم الخوف من النار ، إنه[٤] من لم يتعز بعزاء اللّٰه تَقَطَّعْ نفسهُ علىٰ الدنيا حسرات ، ومن لم ير للّٰه نعمة إلا في مطعم أو في مشرب ، فقد قل علمه وحَضَر عذابهُ .

وقوله : ﴿ **وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا** ﴾ ، أي : إذا سَفه عليهم الجهال بالسيئ ، لم يقابلوهم عليه بمثله ، بل يعفون ويصفحون ، ولا يقولون إلا خيرًا ، كما كان رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، لا تزيده[٥] شدة الجهل عليه إلا حلمًا ، وكما قال تعالىٰ : ﴿ **وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين** ﴾ .

وقال الإمام أحمد(٢٣) : حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا أبو بكر ، عن الأعمش ، عن أبي خالد الوالبي ، عن النعمان بن مُقَرّن المُزَني قال : قال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - [وسبّ رجلٌ رجلًا عنده - قال : فجعل الرجل المسبوب يقول : عليك السلام . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم][٦] : « **أما إن ملكًا بينكما يذب عنك ، كلما شتمك هذا قال له : بل[٧] أنت ، وأنت أحق به . وإذا قال له عليك السلام ، قال : لا ، بل عليك وأنت**

(٢٢) رواه البخاري في صحيحه حديث (٦٣٥) ، ومسلم في صحيحه حديث (٦٠٣) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه .

(٢٣) المسند (٤٤٥/٥) ، وقال الهيثمي في المجمع (٧٥/٨) : « رجاله رجال الصحيح ، غير أبي خالد الوالبى وهو ثقة » .

[١] - في خ ، ز : « عمر » .
[٢] - في ز ، خ : « ذلك » .
[٣] - في خ : « لأصماء » .
[٤] - في ت : « وإنه » .
[٥] - في ز : « يزيده » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٧] - سقط من : ز ، خ .

أحق به ». إسناد[١] حسن ولم يخرجوه.

وقال مجاهد: ﴿ **قالوا سلامًا** ﴾، يعني قالوا: سدادًا.

وقال سعيد بن جبير: ردوا معروفًا من القول.

وقال الحسن البصري: [﴿ **قالوا سلامًا** ﴾، قال: حلماء لا يجهلون][٢]، وإن جُهِلَ عليهم حلموا، يصاحبون[٣] عباد الله نهارهم [بما تسمعون][٤]. ثم [ذكر أن ليلهم][٥] خير ليل.

وقوله: ﴿ **والذين يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا** ﴾، أي: في عبادته وطاعته، كما قال تعالىٰ: ﴿ **كانوا قليلًا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون** ﴾. وقال: ﴿ **تتجافىٰ جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفًا وطمعًا ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ وقال: ﴿ **أمن هو قانت آناء الليل ساجدًا وقائمًا يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه** ﴾ الآية؛ ولهذا قال: ﴿ **والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غرامًا** ﴾، أي: ملازمًا دائمًا، كما قال الشاعر

إن يعذب يكن غرامًا وإن يعـ ـطـ جـزيـلًا فـإنـه لا يـبـالـي

ولهذا قال الحسن في قوله: ﴿ **إن عذابها كان غرامًا** ﴾: كل شيء يصيب ابن آدم و[٦]يزول عنه فليس بغرام، وإنما الغرام اللازم ما دامت السموات والأرض. كذا قال سليمان التيمي.

وقال محمد بن كعب: ﴿ **إن عذابها كان غرامًا** ﴾، يعني: ما نعموا في الدنيا؛ إن سأل الله الكفار عن النعمة فلم يردوها إليه، فأغرمهم فأدخلهم النار.

﴿ **إنها ساءت مستقرًا ومقامًا** ﴾، أي: بئس المنزل منظرًا، وبئس المقيل مقامًا.

قال ابن أبي حاتم عند قوله: ﴿ **إنها ساءت مستقرًا ومقامًا** ﴾: حدثنا أبي، حدثنا الحسن ابن الربيع، حدثنا أبو الأحوص، عن الأعمش، عن مالك بن الحارث، قال: إذا طُرح الرجل في النار هوىٰ فيها، فإذا انتهىٰ إلىٰ بعض أبوابها قيل له[٧]: مكانك حتىٰ تتحف، قال: فيسقىٰ كأسًا من سُمّ الأساود(*) والعقارب، قال: فيميز الجلد علىٰ حدة، والشعر علىٰ حدة،

---

[١] - في ت: « إسناده ».

[٢] - في خ: « قالوا: سلام عليكم ».

[٣] - في ز: « أيضاحيون ».

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز: « ليلهم ».

[٥] - في ز: « رد بما يسمعون ».

[٦] - سقط من: ز.

[٧] - سقط من: خ.

(*) الأسادو: جمع أسود، وهو العظيم من الحيات، وأخبثها وأنكاها.

[والعصب علىٰ حدة][١] ، والعروق علىٰ حدة .

وقال أيضًا[٢] : حدثنا أبي ، حدثنا الحسن بن الربيع ، حدثنا أبو الأحوص ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن عُبيد بن عمير ؛ قال : إن في النار لجبابًا(*) فيها حيات أمثال البخت(**) ، وعقارب أمثال البغال الدُّلم(***) ، فإذا قذف بهم في النار خرجت إليهم من أوطانها ، فأخذت شفاههم[٣] وأبشارهم وأشعارهم ، فكشطت لحومهم إلىٰ أقدامهم ، فإذا وجدت حر النار رجعت .

وقال الإمام أحمد (٢٤) : حدثنا الحسن بن موسىٰ ، حدثنا سلام - يعني ابن مسكين[٤] - عن أبي ظلال ، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **إن عبدًا في جهنم لينادي ألف سنة : يا حنان ! يا منان ! فيقول الله لجبريل : اذهب فأتني[٥] بعبدي هذا . فينطلق جبريل فيجد أهل النار منكبين يبكون ، فيرجع إلىٰ ربه ، عز وجل ، فيخبره ، فيقول الله عز وجل : ائتني به فإنه في مكان كذا وكذا . فيجيء به فيوقفه علىٰ ربه عز وجل ، فيقول له[٦] : يا عبدي ، كيف وجدت مكانك ومقيلك ؟ فيقول : يا رب، شر مكان وشر مقيل ، فيقول : ردوا عبدي . فيقول : يا رب ، ما كنت أرجو إذ[٧] أخرجتني منها أن تردني فيها ! فيقول : دعوا عبدي** » .

وقوله : ﴿ **والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قوامًا** ﴾ ، أي : ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة ، ولا بخلاء علىٰ أهليهم فيقصرون في حقهم فلا يكفونهم ، بل عَدْلًا خيارًا ، وخير الأمور أوسطها ، لا هذا ولا هذا ، ﴿ **وكان بين ذلك قوامًا** ﴾ ، كما قال : ﴿ **ولا تجعل يدك مغلولة إلىٰ عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملومًا محسورًا** ﴾ .

---

(٢٤) المسند (٣/٢٣٠) (١٣٤٣٥) إسناده ضعيف جدًّا . سلام بن مسكين ، قال أحمد : ثقة ، كثير الحديث . وأبو ظلال ، اسمه هلال بن أبي هلال القسملي ، أو ابن أبي مالك ، وهو ابن ميمون ، وقيل غير ذلك في اسم أبيه ، مشهور بكنيته ، قال ابن معين : أبو ظلال ليس بشيء . وقال ابن حبان : كان مغفلاً يروي عن أنس ما ليس من حديثه ، لا يجوز الاحتجاج به بحال . وفي التقريب : ضعيف - روى له البخاري تعليقًا ، وأبو داود . وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٣٨٤) : « رجاله رجال الصحيح غير أبي ظلال وضعفه الجمهور ، ووثقه ابن حبان » .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

(*) الجُبُّ : البئر الواسعة .

(*) البُخت : الإبل الخراسانية ، واحدها بختيّ .

(*) دلم الشيء : اشتداد سواده في ملوسة .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « شفاههم » .

[٤] - في خ ، ز : « سكين » .

[٥] - في ز ، خ : « ائتني » .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

[٧] - في ز : « إذا » .

[وقال][١] الإمام أحمد(٢٥) : حدثنا عصام بن خالد، حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني، عن ضمرة، عن أبي الدرداء، عن النبي - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - قال : « **من فقه الرجل رفقه في معيشته** ». [لم][٢] يخرجوه.

وقال أحمد أيضًا(٢٦) : حدثنا أبو عبيدة الحداد، حدثنا سكين[٣] بن عبد العزيز العَبْدي، حدثنا إبراهيم الهَجَري، عن أبي الأحوص، عن عبد اللّٰه بن مسعود؛ قال: قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ما عال من اقتصد** ». [لم][٤] يخرجوه .

وقال الحافظ أبو بكر البزار(٢٧) : حدثنا أحمد بن يحيىٰ، حدثنا إبراهيم [بن محمد][٥] ابن ميمون، حدثنا سعيد بن حكيم، عن مسلم بن حبيب، عن بلال - يعني العبسي - عن حذيفة؛ قال: قال رسول اللّٰه، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : «**ما أحسن القصد في الغنىٰ، وأحسن القصد في الفقر، وأحسن القصد في العبادة**». ثم قال: لا نعرفه يروىٰ إلا من حديث حذيفة رضي اللّٰه عنه .

وقال إياس بن معاوية: ما جاوزت به أمر الله فهو سَرَفٌ.

وقال غيره: السرف: النفقة في معصية الله.

وقال الحسن البصري: ليس في[٦] النفقة في سبيل اللّٰه سرفٌ[٧].

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ

(٢٥) المسند (١٩٤/٥) (٢١٧٨٥) وإسناد ضعيف من أجل أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم . والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٤/٤) وقال : « رواه أحمد ، وفيه أبو بكر بن أبي مريم وقد اختلط».

(٢٦) المسند (٤٤٧/١) ، وقال الهيثمي في المجمع (٢٥٢/١٠) : « في إسناده إبراهيم بن مسلم الهجري وهو ضعيف » .

(٢٧) مسند البزار حديث (٣٦٠٤) ، وقال الهيثمي في المجمع (٢٥٢/١٠) : « رواه البزار عن سعيد بن حكيم عن مسلم بن حبيب ، ومسلم هذا لم أجد من ذكره إلا ابن حبان في ترجمة سعيد الراوى عنه ، وبقية رجاله ثقات » .

[١] - في ت : « قال » .
[٢] - في ت : « ولم » .
[٣] - في خ ، ز : « مسكين » .
[٤] - في ت : « ولم » .
[٥] - مكررة في ز ، خ .
[٦] - سقط من : ت .
[٧] - في ت : « سرفًا » .

ٱلْقِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾

قال الإمام أحمد(٢٨) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن شقيق ، عن عبد اللّٰه - هو ابن مسعود - قال : سُئل رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : أي الذنب أكبر ؟ قال : « **أن تجعل للّٰه ندًّا وهو خلقك** » . قال : ثم أيّ ؟ قال : « **أن تقتل ولدك خشية أن يطعَم معك** » . قال : ثم أيّ ؟ قال : « **أن تزاني حليلة جارك** » . قال عبد اللّٰه : وأنزل اللّٰه تصديق ذلك : ﴿ **والذين لا يدعون مع اللّٰه إلهًا آخر ولا يقتلون النفس التي حرم اللّٰه إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثامًا** ﴾ .

وهكذا رواه النسائي عن هناد بن السري عن أبي معاوية ، به .

وقد أخرجه البخاري ومسلم(٢٩) ، من حديث الأعمش ومنصور - زاد البخاري : وواصل - ثلاثتهم عن أبي وائل ، شقيق بن سلمة ، عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل ، عن ابن مسعود ، به ، فاللّٰه أعلم ، ولفظهما عن ابن مسعود قال : قلت : يا رسول اللّٰه ، أيّ الذنب أعظم ...؟ الحديث ، طريق غريب .

وقال ابن جرير : حدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي ، حدثنا عامر بن مدرك ، حدثنا السري - يعني ابن إسماعيل - حدثنا الشعبي ، عن مسروق ؛ قال : قال عبد اللّٰه : خرج رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه ، وسلم ذات يوم فاتبعته ، فجلس علىٰ نَشَز من الأرض ، وقعدت أسفل منه ، ووجهي حيال ركبتيه ، واغتنمت خلوته فقلت[١] : بأبي أنت وأمي يا رسول اللّٰه ! أي الذنوب أكبر ؟ قال : « **أن تدعو للّٰه ندًّا وهو خلقك** » . قلت : ثم مه ؟ قال : « **أن تقتل ولدك كراهية أن يطعم معك** » . قلت : ثم مه ؟ قال : « **أن تزاني حليلة جارك** » . ثم قرأ : ﴿ **والذين لا يدعون مع اللّٰه إلهًا آخر** ﴾ الآية .

وقال النسائي(٣٠) : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن هلال بن

---

(٢٨) المسند (١/ ٣٨٠) ، والنسائي في السنن الكبرى حديث (١١٣٦٨) .

(٢٩) صحيح البخاري حديث (٦٨١١) ، وصحيح مسلم حديث (٦٨) .

(٣٠) النسائي في السنن الكبرى حديث (١١٣٧٣) .

---

[١] - في ت : « وقلت » .

يساف ، عن سلمة بن قيس ؛ قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، في حجة الوداع : « **ألا إنما هي أربع** » فما أنا بأشح عليهن مني[١] منذ سمعتهن من رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لا تشركوا باللَّه شيئًا ، ولا تقتلوا النفس التي حرم اللَّه إلا بالحق ، ولا تزنوا ، ولا تسرقوا** » .

وقال الإمام أحمد(٣١) : حدثنا عليّ بن المديني - رحمه اللَّه - حدثنا محمد بن فضيل بن غَزْوان ، حدثنا محمد بن سعد[٢] الأنصاري ، سمعت أبا طيبة الكلاعي ، سمعت المقداد بن الأسود - رضي اللَّه عنه - يقول : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، لأصحابه : « **ما تقولون في الزنا ؟** » قالوا : حَرّمه اللَّه ورسوله ، فهو حَرَام إلىٰ يوم القيامة ، فقال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، لأصحابه : « **لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسرُ عليه من أن يزني بامرأة جاره** » . قال: « **ما تقولون في السرقة ؟** » . قالوا : حرمها اللَّه ورسوله ، فهي حرام . قال : « **لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر له[٣] من أن يسرق من جاره** » .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا(٣٢) : حدثنا عمار بن نصر ، حدثنا بقية ، عن أبي بكر بن أبي مريم ، عن الهيثم بن مالك الطائي عن النبي - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - : قال : « **ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند اللَّه من نُطفة وضعها رجل في رَحِم لا يحل له** » .

وقال ابن جُرَيج : أخبرني يعلىٰ ، عن سعيد بن جبير : أنه سمعه يحدث عن ابن عباس : أن ناسًا من أهل الشرك قتلوا فأكثروا ، وزَنَوا فأكثروا ، ثم أتوا محمدًا - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - فقالوا : إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن ، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة ، فنزلت : ﴿ **والذين لا يدعون مع اللَّه إلهًا آخر ولا يقتلون النفس التي حرم اللَّه إلا بالحق ولا يزنون** ﴾ ، ونزلت : ﴿ **قل يا عبادي الذين أسرفوا علىٰ أنفسهم لا تقنطوا من رحمة اللَّه إن اللَّه يغفر الذنوب جميعًا** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم(٣٣) : حدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن أبي فاختة ؛ قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، لرجل : « **إن اللَّه ينهاك أن تعبد المخلوق وتدع الخالق ، وينهاك أن تقتل ولدك وتغذو كَلْبَك ، وينهاك أن تزني بحليلة**

(٣١) المسند (٦/٨) ، وقال الهيثمي في المجمع (١٦٨/٨) : « رجاله ثقات » .

(٣٢) الورع لابن أبي الدنيا حديث (١٣٧) : « وهو مرسل ، وفي إسناده بقية وهو مدلس وابن أبي مريم ضعيف » ا.هـ .

(٣٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٧٧/٦) وعزاه لابن أبي حاتم . ووقع فيه : « عن أبي قتادة » .

[١] - في ز ، خ : « شيء » . [٢] - في ز ، خ : « سعيد » .

[٣] - في ت : « عليه » .

جارك ». قال سفيان: وهو قوله: ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهًا آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ﴾.

وقوله: ﴿ومن يفعل ذلك يلق أثامًا﴾ روي عن عبد الله بن عمرو أنه قال: ﴿أثامًا﴾ وادٍ في جهنم. وقال عكرمة: ﴿ يلق أثامًا ﴾، أودية في جهنم يعذب فيها الزناة. وكذا روي عن سعيد بن جبير ومجاهد. وقال قتادة: ﴿يلق أثامًا﴾ نكالًا، كنا نحدث أنه وادٍ في جهنم.

وقد ذُكر لنا أن لقمان كان يقول: يا بني، إياك والزنا! فإن أوله مخافة، وآخره ندامة.

وقد ورد[١] في الحديث الذي رواه ابن جرير وغيره(٣٤)، عن أبي أمامة الباهلي - موقوفًا ومرفوعًا -: أن « غيًا » و « أثامًا » بئران في قعر جهنم. أجارنا الله منها بمنه وكرمه!

وقال السدي ﴿يلق أثامًا﴾ جزاء[٢]. وهذا أشبه بظاهر الآية، ولهذا فسره بما بعده مبدلًا منه، وهو قوله: ﴿يضاعف له العذاب يوم القيامة﴾ أي: يكرر عليه ويغلظ ﴿ويخلد فيه مهانًا﴾. أي: حقيرًا ذليلًا.

وقوله: ﴿ إلا من تاب وآمن وعمل عملًا صالحًا ﴾، أي: جزاؤه علىٰ ما فعل من هذه الصفات القبيحة ما ذكر ﴿ إلا من تاب ﴾ في الدنيا إلىٰ الله من جميع ذلك، فإن الله يتوب عليه.

وفي ذلك دلالة علىٰ صحة توبة القاتل، ولا تعارض بين هذه وبين آية النساء: ﴿ ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابًا عظيمًا ﴾ فإن هذه وإن كانت مدنية إلا أنها مطلقة، فتحمل علىٰ من لم يتب؛ لأن هذه مقيدة بالتوبة، ثم قد قال تعالىٰ: ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ وقد ثبتت السنة الصحيحة، عن رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، بصحة توبة القاتل، كما ذكر مقررًا من قصة الذي قتل مائة رجل ثم تاب، وقبل منه، وغير ذلك من الأحاديث.

وقوله: ﴿ فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورًا رحيمًا ﴾. في معنىٰ قوله: ﴿ يبدل الله سيئاتهم حسنات ﴾ قولان: أحدهما: إنهم بدلوا مكان عمل السيئات بعمل الحسنات، قال عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿ فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ﴾ قال: هم المؤمنون، كانوا من قبل إيمانهم علىٰ السيئات، فرغب الله بهم عن [ذلك][٣] فحولهم إلىٰ الحسنات، فأبدلهم مكان السيئات الحسنات.

---

(٣٤) تفسير الطبري (١٩/٢٩).

---

[١] - في خ: « روى ».
[٢] - في ت: « بجزاء ».
[٣] - مكانها بياض في: ز، وسقط من: خ.

وروىٰ مجاهد عن ابن عباس أنه كان ينشد عند هذه الآية :

بُدِّلْنَ بَعْدَ [حَرِّهِ خَرِيفًا][١] وَبَعْدَ طُولِ النَّفَسِ الوَجِيفَا

يعني : تغيرت تلك الأحوال إلى غيرها .

وقال عطاء بن أبي رباح : هذا في الدنيا ، يكون الرجل علىٰ هيئة قبيحة ، ثم يبدله الله بها خيرًا .

وقال سعيد بن جبير: أبدلهم بعبادة الأوثان عبادة الله ، وأبدلهم بقتال المسلمين قتالًا مع المسلمين للمشركين[٢] ، وأبدلهم بنكاح المشركات نكاح المؤمنات .

وقال الحسن البصري : أبدلهم الله[٣] بالعمل السيئ العمل الصالح ، وأبدلهم بالشرك إخلاصًا ، وأبدلهم بالفجور إحصانًا ، و بالكفر[٤] إسلامًا .

وهذا قول أبي[٥] العالية وقتادة وجماعة آخرين.

والقول الثاني : إن تلك السيئات الماضية تنقلب بنفس التوبة النصوح حسنات ، وما ذاك إلا أنه كلما [تذكَّر ما مضىٰ][٦] ندم واسترجع واستغفر ، فينقلب الذنب طاعة بهذا الاعتبار . فيوم القيامة وإن وجده مكتوبًا عليه لكنه لا يضره وينقلب حسنة في صحيفته ، كما ثبتت السنة بذلك ، وصحت به الآثار المروية[٧] عن السلف -رحمهم الله تعالىٰ- وهذا سياق الحديث : قال الإمام أحمد(٣٥) :

حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن المعرور بن سويد ، عن أبي ذر ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **إني لأعرف آخر أهل النار خروجًا من النار ، وآخر أهل الجنة دخولًا إلىٰ الجنة ، يؤتىٰ برجل فيقول : نَحُّوا كبار ذنوبه وسلوه عن صغارها ، قال : فيقال له : عملت يوم كذا وكذا كذا ، وعملت يوم كذا وكذا كذا ؟ فيقول : نعم - لا يستطيع أن ينكر من ذلك شيئًا - فيقال : فإن لك بكل سيئة حسنة . فيقول : يا رب ؛ عملت أشياء لا أراها هاهنا** » . قال : فضحك رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، حتىٰ بدت نواجذه . انفرد به مسلم .

(٣٥) المسند (١٧٠/٥) ، وصحيح مسلم حديث (١٩٠) .

[١] - في ز ، خ : « جَرِّهِ صَرِيفًا » . [٢] - في ز ، خ : « المشركين » .
[٣] - سقط من : ز . [٤] - سقط من : خ ، ز .
[٥] - في ز ، خ : « أبو » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « مضى ذكر ما » [٧] - في ز ، خ : « النبوية » .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني(٣٦) : حدثنا هاشم بن يزيد ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثني أبي ، حدثني ضمضم بن زرعة ، عن شُرَيح بن عبيد ، عن أبي مالك الأشعري ؛ قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **إذا نام ابن آدم قال الملك للشيطان : أعطني صحيفتك . فيعطيه إياها ، فما وجد في صحيفته من حسنة محا بها عشر سيئات من صحيفة الشيطان ، وكتبهن حسنات ، فإذا أراد أن ينام أحدكم فليكبر ثلاثًا وثلاثين تكبيرة ، ويحمد أربعًا وثلاثين تحميدة ، ويسبح ثلاثًا وثلاثين تسبيحة ، فتلك مائة** » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو سلمة وعارم ؛ قالا : حدثنا ثابت - يعني ابن يزيد - أبو زيد ، حدثنا عاصم ، عن أبي عثمان ، عن سلمان قال : يعطى رجل يوم القيامة صحيفته فيقرأ[١] أعلاها ، فإذا سيئاته[٢] ، فإذا كاد يسوء ظنه ينظر[٣] في أسفلها فإذا حسناته ، ثم ينظر في أعلاها فإذا هي قد بدلت حسنات .

وقال أيضًا : حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا سليمان بن موسى الزهري أبو داود ، حدثنا أبو العنبس ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ؛ قال : ليأتين الله - عز وجل - بأناس[٤] يوم القيامة رأوا أنهم قد[٥] استكثروا من السيئات ، قيل : من هم يا أبا هريرة ؟ قال : الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات .

وقال أيضًا : حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن أبي زياد ، حدثنا سَيَّار ، حدثنا جعفر ، حدثنا أبو حمزة ، عن أبي الضيف - وكان من أصحاب معاذ بن جبل - قال : يدخل أهل الجنة الجنة على أربعة أصناف : المتقين ، ثم الشاكرين ، ثم الخائفين ، ثم أصحاب اليمين . قلت : لم سموا أصحاب اليمين ؟ قال : لأنهم عملوا الحسنات والسيئات ، فأعطوا كتبهم بأيمانهم ، فقرءوا سيئاتهم حرفًا حرفًا - قالوا : يا ربنا ، هذه سيئاتنا ، فأين حسناتنا ؟ فعند ذلك محا الله السيئات وجعلها حسنات ، فعند ذلك قالوا : ﴿ **هاؤم اقرءوا كتابيه** ﴾ ، فهم أكثر أهل الجنة !

وقال علي بن الحسين[٦] زين العابدين : ﴿ **يبدل الله سيئاتهم حسنات** ﴾ قال : في الآخرة .

وقال مكحول : يغفرها لهم فيجعلها حسنات . [رواهما ابن أبي حاتم . وروى ابن جرير ، عن سعيد بن المسيب مثله][٧].

(٣٦) المعجم الكبير للطبراني (٢٩٦/٣) ، قال الهيثمي في المجمع (١٢١/١٠) : « فيه محمد بن إسماعيل بن عياش وهو ضعيف » ، ولم يثبت سماعه عن أبيه أيضًا .

[١] - في خ ، ز : « فسوى » .
[٢] - في ز ، خ : « إساءته » .
[٣] - في ت : « نظر » .
[٤] - في ز ، خ : « أناس » .
[٥] - سقط من : خ ، ز .
[٦] - في ت : « الحسن » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[وقال][١] ابن أبي حاتم(٣٧) : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن الوزير الدمشقي ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا أبو جابر : أنه سمع مكحولًا يحدث قال : جاء شيخ كبير هرم ، قد سقط[٢] حاجباه على عينيه ، فقال : يا رسول الله ؛ رجل غدر وفجر ، لم يدع حاجة ولا داجة إلا اقتطعها بيمينه ، لو قسمت خطيئته بين أهل الأرض لأوبقتهم ، فهل له من توبة ؟ فقال له رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أسلمت ؟** » قال : أما أنا فأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، وأن محمدًا عبده ورسوله . فقال النبي - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - : « **فإن اللَّه غافر لك ما كنت كذلك ، ومبدل سيئاتك حسنات** » . فقال : يا رسول اللَّه ؛ وغَدَرَاتي وفَجَراتي ؟ فقال : « **وغَدرَاتك وفَجَراتك** » . فَوَلَّىٰ الرجل يهلل ويكبر .

وروى الطبراني (٣٨) من حديث أبي المغيرة عن صفوان بن عمر عن عبد الرحمن بن جبير عن أبي فروة - شطب - أنه أتى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : أرأيت رجلًا عمل الذنوب كلها ، ولم يترك حاجة ولا داجة ، فهل له من توبة ؟ فقال : « **أسلمت ؟** » فقال : نعم . قال : « **فافعل الخيرات ، واترك السيئات ، فيجعلها[٣] اللَّه لك خيرات كلها** » . قال : وغَدرَاتي وفَجَراتي ؟ قال : « **نعم** » قال : فما زال يكبر حتىٰ توارىٰ .

ورواه الطبراني(٣٩) من طريق أبي فَروة الرهاوي ، عن ياسين الزيات ، عن أبي سلمة الحمصي ، عن يحيىٰ بن جابر ، عن سلمة بن نفيل مرفوعًا .

وقال أيضًا : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا إبراهيم بن المنذر ، حدثنا عيسىٰ بن شعيب بن ثوبان ، [عن فليح الشماس ، عن عبيد بن أبي عبيد][٤] ، عن أبي هريرة ، رضي اللَّه عنه ، قال : جاءتني امرأة فقالت : هل لي من توبة ؟ إني زنيت وولدت وقتلته . فقلت : لا ، ولا نَعمت

---

(٣٧) وقد وصله الإمام أحمد في مسنده (٣٨٤/٤) من طريق نوح بن قيس ، عن أشعث بن جابر الحداني ، عن مكحول ، عن عمرو بن عبسة به مرفوعًا ، باختصار في أوله وآخره ، وقال الهيثمي في المجمع (٣٢/١) : « رجاله موثقون إلا أنه من رواية مكحول عن عمرو بن عبسة ، فلا أدرى أسمع منه أم لا » .

(٣٨) المعجم الكبير للطبراني (٣١٤/٧) ورواه الخطيب في تاريخ بغداد (٣٥٢/٣) من طريق أبي القاسم البغوي عن محمد بن هارون الحربي ، عن أبي المغيرة به . وقال أبو القاسم البغوي : « روى هذا الحديث غير محمد بن هارون ، عن أبي المغيرة ، عن صفوان ، عن عبد الرحمن بن جبير : أن رجلًا أتى النبي ﷺ طويلًا شطب الممدود ، وأحسب أن محمدًا بن هارون صحف فيه ، والصواب ما قال غيره » .

(٣٩) المعجم الكبير للطبراني (٥٣/٧) ، وقال الهيثمي في المجمع (٣١/١) : « في إسناده ياسين الزيات يروى الموضوعات » .

---

[١] - في ت : « قال » . [٢] - في ز : « سقطت » .

[٣] - في ز ، خ : « فيجعلهم » .

[٤] - في خ ، ز : « عن فليح بن عبيد بن أبي عبيد الشماس ، عن أبيه » .

العينُ ولا كرامة. فقامت وهي تدعو بالحسرة. ثم صليت مع النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، الصبح، فقصصت عليه ما قالت المرأة وما قلت لها . فقال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **بئسما قلت ! أما كنت تقرأ هذه الآية : ﴿ والذين لا يدعون مع اللَّه إلهًا آخر ﴾** إلىٰ قوله : **﴿ إلا من تاب وآمن وعمل عملًا صالحًا فأولئك يبدل اللَّه سيئاتهم حسنات وكان اللَّه غفورًا رحيمًا ﴾** » . فقرأتها عليها ، فخرت ساجدة وقالت : الحمد للَّه الذي جعل لي مخرجًا .

هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وفي رجاله من لا يُعرف ، واللَّه أعلم . وقد رواه ابن جرير(٤٠) من حديث إبراهيم بن المنذر الحزامي بسنده بنحوه ، وعنده : فخرجَتْ تدعو بالحسرة وتقول : يا حسرتا ! أخُلق هذا الحسن للنار ؟! وعنده أنه لما رجع من عند رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، تَطَلَّبها في جميع دور المدينة فلم يجدها ، فلما كان من الليلة المقبلة جاءته ، فأخبرها بما قال له رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فخرت ساجدة وقالت : الحمد للَّه الذي جعل لي مخرجًا وتوبة مما عملت . وأعتقت جارية كانت معها وابنتها، وتابت إلىٰ الله عز وجل .

ثم قال تعالىٰ مخبرًا عن عموم رحمته لعباده[١] ، وأنه من تاب إليه منهم تاب عليه من أي ذنب كان ، جليل أو حقير ، كبير أو صغير ، فقال : **﴿ ومن تاب وعمل صالحًا فإنه يتوب إلىٰ اللَّه متابًا ﴾** ، أي : فإن اللَّه يقبل توبته ، كما قال تعالىٰ : **﴿ ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه ثم يستغفر اللَّه يجد اللَّه غفورًا رحيمًا ﴾** ، وقال : **﴿ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم﴾** وقال : **﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا علىٰ أنفسهم لا تقنطوا من رحمة اللَّه إن اللَّه يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم ﴾** أي لمن تاب إليه .

وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾

وهذه أيضًا من صفات عباد الرحمن ، أنهم : **﴿ لا يشهدون الزور ﴾** ، قيل : هو الشرك

(٤٠) تفسير الطبري (٢٧/١٩) ورواه ابن مردويه كما في الدر المنثور (٢٧٩/٦) وقال السيوطي : « إسناده ضعيف » .

[١] - في ت : « بعباده » .

وعبادة الأصنام . وقيل : الكذب ، والفسق ، واللغو ، والباطل .

وقال محمد بن الحنفية : اللَّهو والغناء .

وقال أبو العالية ، وطاوس ، ومحمد بن سيرين ، والضحاك ، والربيع بن أنس ، وغيرهم : هي أعياد المشركين .

وقال عمرو بن قيس : هي مجالس السوء والخنا .

وقال مالك (٤١) ، عن الزهري : [شرب الخمر][١] لا يحضرونه ولا يرغبون فيه ، كما جاء في الحديث : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس علىٰ مائدة يدار عليها الخمر** » .

وقيل : المراد بقوله تعالىٰ : ﴿ **لا يشهدون الزور** ﴾ ، أي : شهادة الزور ، وهي الكذب متعمدًا علىٰ غيره، كما ثبت[٢] في الصحيحين (٤٢) عن أبي بكرة ؛ قال: قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟** » . ثلاثًا ، قلنا : بلىٰ ، يا رسول اللَّه . قال : « **الشرك بالله وعقوق الوالدين** » . وكان متكئًا فجلس ، فقال : « **ألا وقول الزور ، ألا وشهادة الزور** » . فما زال يكررها ، حتىٰ قلنا : ليته سكت !

والأظهر من السياق أن المراد : لا يشهدون الزور ، أي : لا يحضرونه ، ولهذا قال : ﴿ **وإذا مروا باللغو مروا كرامًا** ﴾ ، أي : لا يحضرون الزور ، وإذا اتفق مرورهم به مروا ولم يتدنسوا فيه[٣] بشيء ؛ ولهذا قال : ﴿ **مروا كرامًا** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم(٤٣) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو الحسين العُكْلي(*) ، عن محمد بن مسلم ، أخبرني إبراهيم بن ميسرة ، أن ابن مسعود مر بلهو معرضًا[٤] فقال النبي ، صلى الله عليه وسلم: « **لقد أصبح ابن مسعود أو أمسى كريمًا[٥]** » .

---

(٤١) رواه الترمذي في السنن حديث (٢٨٠١) من طريق ليث بن أبي سليم ، عن طاوس ، عن جابر به مرفوعًا . وقال الترمذي : « هذا حديث حسن غريب لانعرفه من حديث طاوس عن جابر إلا من هذا الوجه » ثم نقل كلام العلماء في تضعيف ليث بن أبي سليم .

(٤٢) صحيح البخاري حديث (٢٦٥٤) ، وصحيح مسلم حديث (٨٧) .

(٤٣) ورواه ابن عساكر في المختصر لابن منظور (٥٥/١٤) من طريق إبراهيم بن ميسرة به .

---

[١] - في ت : « المعاصي » . [٢] - سقط من : ت .

[٣] - في ت : « منه » .

(*) في ز ، خ : العجلي . وهو تحريف . والمثبت من تفسير ابن أبي حاتم . وانظر ترجمته في تهذيب الكمال [٤٠/١٠] .

[٤] - في ز ، خ : « معرضة » . [٥] - في ز ، خ : « لكريمًا » .

[وحدثنا الحسن بن محمد بن سلمة النحوي ، حدثنا حبان، أنا عبد الله، أنا محمد بن مسلم ، أخبرني [إبراهيم بن ميسرة](**) قال : بلغني أن ابن مسعود مر بلهو معرضًا فلم يقف ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لقد أصبح ابن مسعود أو أمسىٰ كريمًا** »][١] . ثم تلا إبراهيم بن ميسرة : ﴿ **وإذا مروا باللغو مروا كرامًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صمًّا وعميانًا** ﴾ - هذه من[٢] صفات المؤمنين - ﴿ **الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا وعلىٰ ربهم يتوكلون** ﴾ بخلاف الكافر فإنه إذا سمع كلام الله لا يؤثر فيه ولا يقصر عما كان عليه ، بل يبقىٰ مستمرًا علىٰ كفره وطغيانه وجهله وضلاله ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانًا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانًا وهم يستبشرون * وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسًا إلىٰ رجسهم** ﴾ فقوله : ﴿ **لم يخروا عليها صمًّا وعميانًا** ﴾ أي : بخلاف الكافر ؛ أي[٣]: الذي ذكر بآيات ربه ، فاستمر علىٰ حاله ، كأن لم يسمعها أصم أعمىٰ .

قال مجاهد: قوله: ﴿**لم يخروا عليها صمًّا وعميانًا**﴾ لم يسمعوا ولم يبصروا ولم يفقهوا شيئًا . وقال الحسن البصري : كم من رجل يقرؤها ويخر عليها أصم أعمىٰ !

وقال قتادة : قوله تعالىٰ : ﴿ **والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صمًّا وعميانًا** ﴾، يقول : لم يصموا عن الحق ولم يعموا فيه ، فهم - والله - قوم عقلوا عن الله فانتفعوا[٤] بما سمعوا من كتابه .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أسيد بن عاصم ، حدثنا عبد الله بن حُمْران ، حدثنا ابن عون قال : سألت الشعبي قلت : الرجل يرىٰ القوم سجودًا ولم يسمع ما سجدوا ، أيسجد معهم ؟ قال : فتلا هذه الآية : ﴿ **والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صمًّا وعميانًا** ﴾ ، يعني : أنه لا يسجد معهم لأنه لم يتدبر آية السجدة فلا ينبغي للمؤمن أن يكون إمعة ، بل يكون علىٰ بصيرة في[٥] أمره ، ويقين واضح بَيِّنٍ .

وقوله : ﴿ **والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين** ﴾ ، يعني : الذين يسألون الله أن يخرج من أصلابهم وذرياتهم من يطيعه ويعبده وحده لا شريك له .

قال ابن عباس: يعنون من يعمل بالطاعة فتقر به أعينهم في الدنيا والآخرة .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ت ، والمثبت من : ز ، خ .
[٤] - في ت : « وانتفعوا » .
[٥] - في ت : « من » .

وقال عكرمة : لم يريدوا بذلك صباحة ولا جمالًا ، ولكن أرادوا أن يكونوا مطيعين .

وقال الحسن البصري - وسئل عن هذه الآية - قال[١] : أن يُريَ اللَّه العبدَ المسلم من زوجته ، و[٢]من أخيه ، و[٣]من حميمه ، طاعة اللَّه . لا واللَّه ما شيء أقر لعين المسلم من[٤] أن يرىٰ ولدًا ، أو ولد ولد ، أو أخًا ، أو حميمًا ، مطيعًا للَّه عز وجل .

وقال ابن جريج في قوله : ﴿ **هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين** ﴾ ، قال : يعبدونك ويحسنون عبادتك ولا يجرون علينا الجرائر .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يعني : يسألون الله لأزواجهم وذرياتهم أن يهديهم للإسلام .

وقال الإمام أحمد (٤٤) : حدثنا يعمر[٥] بن بشر ، حدثنا عبد اللَّه بن المبارك ، أخبرنا صفوان ابن عمرو ، حدثني عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، عن أبيه ؛ قال : جلسنا إلىٰ المقداد بن الأسود يومًا[٦] ، فمر به رجل فقال : طوبىٰ لهاتين العينين اللتين رأتا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ! لوددنا أنَّا رأينا ما رأيت ، وشهدنا ما شهدتَ ! فاستغضب ، فجعلت أعجبُ ، ما قال إلا خيرًا ! ثم أقبل إليه فقال : ما يحمل الرجل علىٰ أن يتمنىٰ مَحْضَرًا غَيَّبه اللَّه عنه ، لا يدري لو شهده كيف كان يكون فيه؟ واللَّه ، لقد حضر رسولَ اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، أقوام أكبَّهم اللَّه علىٰ مناخرهم[٧] في جهنم لم يجيبوه ولم [يصدقوه][٨] ، أوَ لا تحمدون اللَّه إذ أخرجكم لا تعرفون إلا ربكم مصدقين لما جاء به نبيكم ، قد كُفيتم البلاء بغيركم ، لقد بعث اللَّه النبيَّ - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - علىٰ أشد حال بعث عليها نبيًّا من الأنبياء في فترة من جاهلية ، ما يرون أن دينًا أفضل من عبادة الأوثان . فجاء بفُرقان فَرَّقَ به بين الحق والباطل ، وفَرَّقَ بين الوالد وولده ، [حتىٰ][٩] إن كان الرجل ليرىٰ[١٠] والده وولده ، أو أخاه كافرًا ، وقد فتح اللَّه قُفْل[١١] قلبه للإيمان ، يعلم أنه إن هلك دخل النار ، فلا تقر عينه وهو يعلم أن

(٤٤) المسند (٦/٢) . وأخرجه الطبراني في الكبير (٢٠/٢٥٣،٢٥٤/رقم : ٦٠٠) . وأبو نعيم في الحلية (١/١٧٥،١٧٦) . كلاهما من طريق ابن المبارك ، عن صفوان بن عمرو به . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧/٦) وعزاه للطبراني فقط وقال : « رواه الطبراني بأسانيد في أحدها يحيى بن صالح ؛ وثقه الذهبي ، =

[١] - في ت : « فقال » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : خ ، ز .
[٥] - في ز ، خ : « معمر » والمثبت من المسند .
[٦] - سقط من : ز خ .
[٧] - في ت : « مناخيرهم » .
[٨] - سقط من : خ ، ز والمثبت من المسند .
[٩] - سقط من : ز ، خ .
[١٠] - في ز ، خ : « يرى » .
[١١] - سقط من : ز ، خ .

حبيبه في النار ، وأنها التي قال الله تعالىٰ : ﴿ **والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين** ﴾ . وهذا إسناد صحيح ولم يخرجوه .

وقوله : ﴿ **واجعلنا للمتقين إمامًا** ﴾ ، قال ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، والسدي ، والربيع ابن أنس : أئمة يقتدىٰ بنا في الخير .

وقال غيرهم : هداةً مهتدين ، [دعاةً][١] إلىٰ الخير ، فأحبوا أن تكون عبادتهم متصلة بعبادة أولادهم وذرياتهم ، وأن يكون هداهم متعديًا إلىٰ غيرهم بالنفع وذلك أكثر ثوابًا ، وأحسن مآبًا ، ولهذا ورد في صحيح مسلم(٤٥) ، [عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم][٢] : « **إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : من ولد صالح يدعو له ، و[٣] علم ينتفع به من[٤] بعده ، و[٥] صدقة جارية** » .

أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامَۢا ﴿٧٧﴾

لما ذكر تعالىٰ من أوصاف عباده المؤمنين ما ذكر من[٦] الصفات الجميلة ، والأفعال والأقوال الجميلة - قال بعد ذلك كله : ﴿ **أولئك** ﴾ ، أي : المتصفون بهذه ﴿ **يجزون** ﴾ ، أي : يوم القيامة ﴿ **الغُرْفة** ﴾ ، وهي الجنة .

قال أبو جعفر الباقر ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، والسدي : سميت بذلك لارتفاعها .

﴿ **بما صبروا** ﴾ ، أي : علىٰ القيام بذلك ، ﴿ **ويُلَقَّون فيها** ﴾ ، أي : في الجنة ﴿ **تحية وسلامًا** ﴾ ، أي : يُبْتَدَءُونَ[٧] فيها بالتحية والإكرام ، ويُلَقَّون التوقير[٨] والاحترام ، فلهم السلام وعليهم السلام ، فإن الملائكة يدخلون عليهم من كل باب ، سلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبىٰ الدار .

=وقد تكلموا فيه ، وبقية رجاله رجال الصحيح » .

(٤٥) صحيح مسلم حديث (١٦٣١) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ت : « أو » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ت : « أو » .
[٦] - في ز ، خ : « هذه » .
[٧] - في ت : « يبتدرون » .
[٨] - في ز ، خ : « فيها التوفيق » .

وقوله: ﴿خالدين فيها﴾ أي: مقيمين لا يظعنون ولا يحولون [ولا يموتون][١] ولا يزولون عنها ولا يبغون عنها حولًا، كما قال تعالى: ﴿ وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ ﴾ .

وقوله: ﴿حسنت مستقرًا ومقامًا﴾ . أي: حسنت منظرًا وطابت مقيلًا ومنزلًا .

ثم قال تعالى: ﴿ قل ما يعبأ بكم ربي ﴾ . أي: لا يبالي [بكم][٢] ولا يكترث بكم إذا لم تعبدوه، فإنه إنما خلق الخلق ليعبدوه ويوحدوه ويسبحوه بكرة وأصيلًا .

وقال مجاهد، وعمرو بن شعيب: ﴿ما يعبأ بكم ربي﴾ يقول: ما يفعل بكم ربي .

وقال عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿ قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم ﴾ يقول: لولا إيمانكم، فأخبر اللَّه الكفار أنه لا حاجة له بهم إذ لم يخلقهم مؤمنين، ولو كان [له][٣] بهم حاجة لحبب إليهم الإيمان كما حببه إلى المؤمنين .

وقوله: ﴿ فقد كذبتم ﴾، أي: أيها الكافرون، ﴿ فسوف يكون لزامًا ﴾، أي: فسوف يكون تكذيبكم[٤] لزامًا لكم، يعني: مقتضيًا [لهلاككم وعذابكم ودماركم][٥] في الدنيا والآخرة، ويدخل في ذلك يوم بدر، كما فسره بذلك عبد اللَّه بن مسعود، وأبيّ بن كعب، ومحمد بن كعب القرظي، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، والسدي، وغيرهم .

وقال الحسن البصري: ﴿فسوف يكون لزامًا﴾ يعني: يوم القيامة. ولا منافاة بينهما، والله أعلم .

☆ ☆ ☆

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ت .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ت .

[٤] - في ز، خ: « تكذيبهم » .

[٥] - ما بين المعكوفتين في ز، خ: « لهلاكهم وعذابهم ودمارهم » .

تفسير سورة الشعراء

وهي مكية

(ووقع في تفسير مالك المروي عنه تسميتها سورة الجامعة)

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾

أما الكلام على الحروف المقطعة في أوائل السور، فقد تكلمنا عليه في أول تفسير سورة البقرة.

وقوله: ﴿ **تلك آيات الكتاب المبين** ﴾، أي: هذه آيات القرآن المبين، أي: البين الواضح، الذي يفصل[١] بين الحق والباطل، والغيّ والرشاد.

وقوله: ﴿ **لعلك باخع نفسك** ﴾، أي: مهلك ﴿ **نفسك** ﴾، أي: مما تحرص [عليهم][٢] وتحزن عليهم، ﴿ **ألّا يكونوا مؤمنين** ﴾. وهذه تسلية من الله لرسوله - صلوات الله وسلامه عليه - في عدم إيمان من لم يؤمن به من الكفار، كما قال تعالىٰ: ﴿ **فلا تذهب نفسك عليهم حسرات** ﴾ وقال: ﴿**فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفًا**﴾ قال مجاهد، وعكرمة، والحسن، وقتادة، وعطية، والضحاك: ﴿ **لعلك باخع نفسك** ﴾، أي: قاتل نفسك، قال الشاعر:

ألا أيّهذا الباخعُ الحزنُ نفسَه   لشيء[٣] نحتْه عن يديه المقادرُ

ثم قال الله تعالىٰ: ﴿ **إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين** ﴾ أي: لو شئنا لأنزلنا آية تضطرهم إلى الإيمان قهرًا، ولكنّا لا نفعل ذلك، لأنا لا نريد من أحد

---

[١] - في ز، خ: «يفعل».

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ت.

[٣] - في ز، خ: «بشيء».

إلا الإيمان الاختياري ، وقال تعالىٰ : ﴿ و[١]لو شاء ربك لآمن مَنْ في الأرض كلهم جميعًا أفأنت تكره الناس حتىٰ يكونوا مؤمنين ﴾ وقال : ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾ ، فَنَفَذ قَدَرُه ، ومضت[٢] حكمته ؛ وقامت حجته البالغة علىٰ خلقه بإرسال الرسل إليهم ، وإنزالِ الكتب عليهم .

ثم قال : ﴿ وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين ﴾ ، أي : كلما جاءهم كتاب من السماء أعرض عنه أكثر الناس ؛ كما قال : ﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾ وقال : ﴿يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون﴾ ، وقال : ﴿ ثم أرسلنا رسلنا تترىٰ كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث فبعدًا لقوم لا يؤمنون ﴾؛ ولهذا قال تعالىٰ هاهنا : ﴿ فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون ﴾ ، أي : فقد كذبوا بما جاءهم من الحق ، فسيعلمون نبأ هذا التكذيب بعد حين ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون ﴾ .

ثم نبه تعالىٰ علىٰ عظمته في سلطانه وجلالة قدره وشأنه ، الذين اجترءوا علىٰ مخالفة رسوله وتكذيب كتابه ، وهو القاهر العظيم القادر ، الذي خلق الأرض وأنبت فيها من كل زوج كريم ، [من][٣] زروع وثمار وحيوان .

قال سفيان الثوري ، عن رجل ، عن الشعبي : الناس من نبات الأرض ، فمن دخل الجنة فهو كريم ، ومن دخل النار فهو لئيم .

﴿ إن في ذلك لآية ﴾ ، أي : دلالة علىٰ قدرة الخالق[٤] للأشياء ، الذي بسط الأرض ورفع بناء السماء ، ومع هذا ما آمن أكثر الناس ، بل كذبوا به وبرسله وكتبه ، وخالفوا أمره وارتكبوا زواجره .

وقوله : ﴿ وإن ربك لهو العزيز ﴾ ، أي : الذي عزّ كلَّ شيء وقهره وغلبه ، ﴿ الرحيم ﴾ ، أي : بخلقه ، فلا يعجل علىٰ من عصاه بل ينظره ويؤجله ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر .

قال أبو العالية ، وقتادة ، والربيع بن أنس ، وابن[٥] إسحاق : العزيز في نقمته وانتصاره ممن خالف أمره وعبد غيره . وقال سعيد بن جبير : الرحيم بمن تاب إليه وأناب .

وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ ، ز : « وقضت » .
[٣] - ما بين المعكوفين في ت : « ومن » .
[٤] - في ز ، خ : « الخالد » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .

قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنۡ أَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكۡمٗا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلۡكَ نِعۡمَةٞ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنۡ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عما أمر به عبده ورسوله وكليمه موسىٰ بن عمران - صلوات اللَّه وسلامه عليه - حيث[١] ناداه من جانب الطور الأيمن ، وكلمه وناجاه ، وأرسله واصطفاه ، وأمره بالذهاب إلىٰ فرعون وملئه ؛ ولهذا قال : ﴿ **أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون * قال رب إني أخاف أن يكذبون * ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلىٰ هارون * ولهم عليّ ذنب فأخاف أن يقتلون** ﴾ هذه أعذار سأل من اللَّه إزاحتها عنه ، كما قال في سورة طه : ﴿ **قال رب اشرح لي صدري * ويسر لي أمري * واحلل عقدة من لساني * يفقهوا قولي * واجعل لي وزيرًا من أهلي * هارون أخي * اشدد به أزري * وأشركه في أمري * كي نسبحك كثيرًا * ونذكرك كثيرًا إنك كنت بنا بصيرًا * قال قد أوتيت سؤلك يا موسىٰ** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ولهم عليّ ذنب فأخاف أن يقتلون** ﴾ ، أي : بسبب ما كان قتل ذلك القبطي الذي كان سبب خروجه من بلاد مصر ﴿ **قال كلا** ﴾ ، أي : قال اللَّه له : لا تخف من شيء من ذلك ؛ كما قال : ﴿ **سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانًا** ﴾ ، أي : برهانًا ﴿ **فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون** ﴾ .

﴿ **فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون** ﴾ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **إنني معكما أسمع وأرىٰ** ﴾ أي : [ ][٢] معكما بحفظي وكلاءتي ونصري وتأييدي .

﴿ **فائتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين** ﴾ وقال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **إنا رسولا ربك** ﴾ ، أي : كل منا رسول اللَّه إليك ﴿ **أن أرسل معنا بني إسرائيل** ﴾ ، أي : أطلقهم من

---

[١] - في ت : « حين » .
[٢] - ما بين المعكوفين في ت : « إنني » .

إسارك وقبضتك وقهرك وتعذيبك ، فإنهم عباد الله المؤمنون ، وحزبه المخلصون ، وهم معك في العذاب المهين . فلما قال له موسىٰ ذلك أعرض فرعون عما هنالك بالكلية ، ونظر بعين الازدراء والغمص فقال : ﴿ ألم نربّك فينا وليدًا ولبثت فينا من عمرك سنين ﴾ . [أي : أما أنت الذي ربيناه][١] فينا ، وفي بيتنا ، وعلىٰ فراشنا [ ][*] ، وأنعمنا عليه مدة من السنين، ثم بعد هذا قابلت ذاك[٢] الإحسان بتلك الفعلة أن قتلت منا رجلًا ، وجحدت نعمتنا عليك . ولهذا قال : ﴿ وأنت من الكافرين ﴾ ، أي : الجاحدين . قاله ابن عباس ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، واختاره ابن جرير ﴿ قال فعلتها إذًا ﴾ ، أي : في تلك الحال ، ﴿ وأنا من الضالين ﴾ أي : قبل أن يُوحىٰ إليّ ويُنعم الله عليّ بالرسالة والنبوة .

قال ابن عباس -رضي الله عنهما- ومجاهد، وقتادة، والضحاك وغيرهم: ﴿وأنا من الضالين﴾ أي : الجاهلين .

قال[٣] ابن جريج : وهي كذلك في قراءة عبد الله بن مسعود ، رضي الله عنه .

﴿ ففررْتُ منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكمًا وجعلني من المرسلين ﴾ أي : الحال الأول انفصل وجاء أمر آخر ، فقد[٤] أرسلني الله إليك ، فإن أطعته سَلمت ، وإن خالفته عَطبت .

ثم قال موسىٰ : ﴿ وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل ﴾ ، أي : وما أحسنت إليّ وربّيتني مقابل ما أسأت إلىٰ بني إسرائيل ، فجعلتهم عبيدًا وخدمًا ، تصرفهم في أعمالك ومشاق رعيتك ، أفيَفي إحسانك إلىٰ رجل واحد منهم بما أسأتَ إلىٰ مجموعهم ؟ أي : ليس ما ذكرته شيئًا بالنسبة إلىٰ ما فعلت بهم .

قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن كفر فرعون وتمرده وطغيانه وجحوده ، في قوله : ﴿ وما رب

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
(*) ما بين المعكوفين في ز : وهو ما . وفي خ : حدثنا . [٢] - في ت : « هذا » .
[٣] - في ز ، خ : « وقال » . [٤] - في ز ، خ : « قد » .

العالمين ﴾ وذلك أنه كان يقول لقومه : ﴿ **ما علمت لكم من إله غيري** ﴾ ، ﴿ **فاستخف**[١] **قومه فأطاعوه**﴾ وكانوا يجحدون الصانع - تعالىٰ - ويعتقدون أنه لا رب لهم سوىٰ فرعون . فلما قال له[٢] موسىٰ : ﴿ **إني رسول رب العالمين** ﴾ ، قال له : ومن هذا الذي تزعم أنه رب العالمين غيري ؟ هكذا فسره علماء السلف وأئمة الخلف ، حتىٰ قال السدي : هذه الآية كقوله تعالىٰ : ﴿ **قال**[٣] **فمن ربكما يا موسىٰ قال ربنا الذي أعطىٰ كل شيء خلقه ثم هدىٰ** ﴾ .

ومن زعم من أهل المنطق وغيرهم أن هذا سؤال عن الماهية ، فقد غلط ؛ فإنه لم يكن مقرًا[٤] بالصانع حتىٰ يسأل عن الماهية ، بل كان جاحدًا له بالكلية فيما يظهر ، وإن كانت الحجج والبراهين قد قامت عليه ، فعند ذلك [][٥] قال موسىٰ لما سأله عن رب العالمين : ﴿ **قال رب السمٰوات والأرض وما بينهما** ﴾ ، أي : خالق جميع ذلك ومالكه ، والمتصرف فيه وإلهه ، لا شريك له ، هو الله الذي خلق الأشياء كلها ، العالم العلويّ وما فيه من الكواكب الثوابت والسيارات النيرات ، والعالم السفليّ وما فيه من بحار وقفار ، وجبال وأشجار ، وحيوان ونبات وثمار ، وما بين ذلك من الهواء والطيور ، وما يحتوي عليه الجو ، الجميع عبيد له خاضعون ذليلون .

﴿ **إن كنتم موقنين** ﴾ . أي : إن كانت لكم قلوب موقنة ، وأبصار نافذة . فعند ذلك التفت فرعون إلىٰ من حوله من ملئه ورؤساء دولته قائلًا لهم ، علىٰ سبيل التهكم والاستهزاء والتكذيب لموسىٰ فيما قاله : ﴿ **ألا تستمعون** ﴾ ؟! أي : ألا تعجبون مما يقول هذا في زعمه أن لكم إلهًا غيري ؟ فقال لهم موسىٰ : ﴿ **ربكم ورب آبائكم الأولين** ﴾ . أي : خالقكم وخالق آبائكم الأوائل ، الذين كانوا قبل فرعون وزمانه . ﴿ **قال** ﴾ أي : فرعون لقومه : ﴿ **إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون** ﴾ . أي : ليس له عقل في دعواه أنّ ثَمّ ربًا غيري . ﴿ **قال** ﴾ أي : موسىٰ لأولئك الذين أوعز[٦] إليهم فرعون ما أوعز[٧] من الشبهة ، فأجاب موسىٰ بقوله : ﴿ **رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون** ﴾ . أي : هو الذي جعل المشرق مشرقًا تطلع منه الكواكب ، والمغرب مغربًا تغرب فيه[٨] الكواكب ثوابتها وسياراتها ، مع هذا النظام الذي سَخّرها فيه وقدرها ، فإن كان هذا الذي يزعم[٩] أنه ربكم وإلهكم صادقًا فليعكس الأمر ، وليجعل المشرق مغربًا ، والمغرب مشرقًا ، كما أخبر تعالىٰ عن : ﴿ **الذي حاجّ إبراهيم في ربه [أن آتاه الله الملك]**[١٠] **إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي**

---

[١] - في ز ، خ : « واستخف » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز ، خ : « مقر » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « قد » .
[٦] - في ز ، خ : « أوغر » .
[٧] - في ز ، خ : « أوغر » .
[٨] - في ز ، خ : « منه » .
[٩] - في ز ، خ : « تزعم » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأتِ بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾؛ ولهذا لما غُلب فرعون وانقطعت حجته، عدل إلىٰ استعمال جاهه وقوته وسلطانه، واعتقد أن ذلك نافع له ونافذ في موسىٰ - عليه السلام - فقال ما أخبر الله تعالىٰ عنه:

قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾

لما قامت علىٰ فرعون الحجة بالبيان والعقل عدل إلىٰ[١] أن يقهر موسىٰ بيده وسلطانه، وظن أنه ليس وراء هذا المقام مقال[٢]، فقال: ﴿ **لئن اتخذت إلهًا غيري لأجعلنك من المسجونين** ﴾ فعند ذلك قال موسىٰ: ﴿ **أولو جئتك بشيء مبين** ﴾. أي: برهان[٣] قاطع واضح، ﴿ **قال فأتِ به إن كنت من الصادقين * فألقىٰ عصاه فإذا هي ثعبان مبين** ﴾، أي: ظاهر واضح في غاية الجلاء والوضوح والعظمة، ذات قوائم وفم كبير، وشكل هائل مزعج. ﴿ **ونزع يده** ﴾ أي: من جيبه، ﴿ **فإذا هي بيضاء للناظرين** ﴾. أي: تتلألأ كقطعة من القمر. فبادر فرعون لشقائه[٤] إلىٰ التكذيب والعناد، فقال للملأ حوله: ﴿ **إن هذا لساحر عليم** ﴾. أي: فاضل بارع في السحر. فَرَوَّج عليهم فرعون أن هذا من قبيل السحر لا من قبيل المعجزة، ثم هيجهم وحرضهم علىٰ مخالفته، والكفر به، فقال: ﴿ **يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون** ﴾. أي: [أراد أن][٥] يذهب بقلوب الناس معه بسبب هذا، فيكثر أعوانه وأنصاره وأتباعه ويغلبكم علىٰ دولتكم، فيأخذ البلاد منكم، فأشيروا عليّ فيه ماذا أصنع به؟ ﴿ **قالوا أرجِهْ وأخاه وابعث في المدائن حاشرين * يأتوك بكلِّ سحّار عليم** ﴾، [أي: أخره وأخاه حتىٰ تجمع له من مدائن مملكتك وأقاليم دولتك كل سحار

---

[١] - في ت: « عن ».
[٢] - في خ، ز: « مقام ».
[٣] - في ت: « ببرهان ».
[٤] - في ت: « بشقائه ».
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

عليم][١] يقابلونه[٢] ، ويأتون بنظير ما جاء به ، فتغلبه أنت وتكون لك النصرة والتأييد . فأجابهم إلىٰ ذلك وكان هذا من تسخير اللّٰه تعالىٰ لهم في ذلك ، ليجتمع الناس في صعيد واحد ، ولتظهر آيات اللّٰه وحججه وبراهينه علىٰ الناس في النهار جهرة .

فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَـٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ (٣٨) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ (٣٩) لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَـٰلِبِينَ (٤٠) فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَـٰلِبِينَ (٤١) قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ (٤٢) قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ (٤٣) فَأَلۡقَوۡاْ حِبَالَهُمۡ وَعِصِيَّهُمۡ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَـٰلِبُونَ (٤٤) فَأَلۡقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ (٤٥) فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ (٤٦) قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ (٤٧) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ (٤٨)

ذكر تعالى هذه المناظره العقلية[٣] بين موسىٰ والقبط في « سورة الأعراف » وفي « سورة طه » ، وفي هذه السورة ، وذلك أن القبط أرادوا أن يطفئوا نور اللّٰه بأفواههم فأبىٰ اللّٰه إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . وهذا شأن الكفر والإيمان ، ما تواجها وتقابلا إلا غلبه الإيمان ، ﴿ **بل نقذف بالحق علىٰ الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون** ﴾ . ﴿ **وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا** ﴾ ولهذا لما جاء السحرة ، و[٤]قد جمعوهم من أقاليم بلاد مصر ، وكانوا إذ ذاك أسحر الناس وأصنعهم وأشدهم تخيلًا[٥] في ذلك ، وكان السحرة جمعًا كثيرًا ، وجمًّا غفيرًا ، قيل : كانوا اثني عشر ألفًا ، وقيل : خمسة عشر ألفًا ، وقيل : سبعة عشر ألفًا ، [وقيل : تسعة عشر ألفًا ، وقيل : بضعة وثلاثين ألفًا][٦] ، وقيل : ثمانين ألفًا ، وقيل غير ذلك ، واللّٰه أعلم بعدتهم .

قال ابن إسحاق : وكان أمرهم راجعًا[٧] إلى أربعة منهم وهم رؤساؤهم ، وهم : ساتور ، وعازور ، وحطحط ، ويصفى .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ز ، خ : « يقاتلونه » .

[٣] - في ت : « الفعلية » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ت : « تخييلًا » .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٧] - في ز ، خ : « راجع » .

واجتهد[١] الناس في الاجتماع ذلك اليوم ، وقال قائلهم : ﴿ لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين ﴾ . ولم يقولوا : نتبع الحق سواء كان من السحرة أو من موسىٰ ، بل الرعية علىٰ دين ملكهم . ﴿ فلما جاء السحرة ﴾ . أي : إلىٰ مجلس فرعون وقد ضرب له وطاقًا(*) وجمع حشمه وخدمه وأمراءه[٢] ووزراءه ورؤساء دولته وجنود مملكته . فقام السحرة بين يدي فرعون ، يطلبون منه الإحسان إليهم والتقرب إليه إن غلبوا . أي : هذا الذي جمعتنا من أجله فقالوا : ﴿ أإنَّ لنا لأجرًا إن كنا نحن الغالبين * قال نعم وإنكم إذًا لمن المقربين ﴾ . أي : وأخص مما تطلبون أجعلكم من المقربين عندي وجلسائي . فعادوا إلىٰ مقام المناظرة ، ﴿ قالوا يا موسىٰ إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقىٰ * قال بل ألقوا ﴾ . وقد اختصر هذا هاهنا . فقال : ﴿ قال[٣] لهم موسىٰ ألقوا ما أنتم ملقون * فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون ﴾ . وهذا كما يقوله الجهلة من العوام إذا فعلوا شيئًا : هذا بثواب فلان . وقد ذكر الله في « سورة الأعراف » : أنهم ﴿ سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم ﴾ . وقال في « سورة طه » : ﴿ فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعىٰ فأوجس في نفسه خيفة موسىٰ قلنا لاتخف إنك أنت الأعلىٰ * وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتىٰ ﴾ .

وقال هاهنا : ﴿ فألقىٰ موسىٰ عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون ﴾ . أي : تخطفه [وتجمعه][٤] من كل بقعة وتبتلعه فلم تدع منه شيئًا ، قال تعالىٰ : ﴿ فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون . فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين * وألقي السحرة ساجدين * قالوا آمنا برب العالمين * ربِّ موسىٰ وهارون ﴾ .

وكان هذا أمرًا عظيمًا جدًّا ، وبرهانًا قاطعًا للعذر وحجة دامغة ، وذلك أن الذين[٥] استنصر بهم وطلب منهم أن يَغلبوا قد[٦] غُلبوا وخضعوا وآمنوا بموسىٰ في الساعة الراهنة ، وسجدوا لله رب العالمين ، الذي أرسل موسىٰ وهارون بالحق والمعجزة الباهرة ، فَغُلِب فرعون غَلبًا لم يشاهد العالم مثله ، وكان وقحًا جريئًا عليه لعنة الله ! فعدل إلىٰ المكابرة والعناد ودعوىٰ الباطل ، فشرع يتهددهم ويتوعدهم ، ويقول : ﴿ إنه لكبيركم الذي علمكم السحر ﴾ ، وقال : ﴿ إنّ هذا لمكرٌ مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون ﴾ .

قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ

---

[١] - في ز ، خ : « وحشر » .

[٢] - سقط من : ت .

[٣] - سقط من : ت .

[٤] - ما بين المعكوفتين مكرر في ز .

[٥] - في ز ، خ : « الذي » .

[٦] - في خ : « منهم » ، وفي ز : « منه » .

(*) كذا ، ولا أدري ما معناها .

تَعلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾

تهددهم فلم يقطع ذلك فيهم ، وتوعدهم فما زادهم إلا إيمانًا وتسليمًا ، وذلك أنه قد كشف عن قلوبهم حجاب الكفر ، وظهر لهم الحق بعلمهم ما جهل قومهم ، من أن هذا الذي جاء به موسىٰ لا يصدر عن بشر ، إلا أن يكون الله قد أيده به ، وجعله له حجة ودلالة علىٰ صدق ما جاء به من ربه ؛ ولهذا لما قال لهم فرعون : ﴿ **آمنتم له قبل أن آذن لكم** ﴾ أي : كان ينبغي أن تستأذنوني فيما فعلتم ، ولا تفتاتوا عليّ في ذلك ، فإن أذنت لكم فعلتم ، وإن منعتكم امتنعتم ، فإني أنا الحاكم المطاع ، ﴿ **إنه لكبيركم الذي علمكم السحر** ﴾ . وهذه مكابرة يعلم كل أحد بُطلانها ، فإنهم لم يجتمعوا بموسىٰ قبل ذلك اليوم ، فكيف يكون كبيرَهم الذي أفادهم صناعة السحر ؟ ! هذا لا يقوله عاقل .

ثم توعدهم فرعون بقطع [الأيدي و][١]الأرجل والصلب ، فقالوا : ﴿ **لا ضير** ﴾ . أي : لا حرج ولا يضرنا ذلك ولا نبالي به ﴿ **إنا إلىٰ ربنا منقلبون** ﴾ . أي : المرجع[٢] إلىٰ الله ، وهو لا يضيع أجر من أحسن عملًا ، ولا يخفىٰ عليه ما فعلت بنا[٣] ، وسيجزينا علىٰ ذلك أتم الجزاء ؛ ولهذا قالوا : ﴿ **إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا** ﴾ . أي : ما قارفناه من الذنوب وما أكرهتنا عليه من السحر ، ﴿ **أنْ كنّا أولَ المؤمنين** ﴾ أي : بسبب أنّا بادرنا قومنا من القبط إلىٰ الإيمان . فقتلهم[٤] كلهم .

۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾

لما طال مُقام موسىٰ - عليه السلام - ببلاد مصر ، وأقام بها حُجج الله وبراهينه علىٰ فرعون وملئه ، وهم مع ذلك يكابرون ويعاندون ، لم يبق لهم إلا العذاب والنكال ، فأمر الله موسىٰ

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز : « المرجوع » وفي خ : « الرجوع » .

[٣] - سقط من : ز ، خ . [٤] - في ز ، خ : « فقتلهم » .

عليه السلام - أن يخرج ببني إسرائيل ليلًا من مصر ، وأن يمضي بهم حيث يُؤمر ، ففعل موسىٰ - عليه السلام - ما أمره به ربه عز وجل ، خرج بهم بعد ما استعاروا من قوم فرعون حُليًّا كثيرًا ، وكان خروجه بهم - فيما ذكر غير واحد من المفسرين - وقت طلوع القمر . وذكر مجاهد - رحمه اللَّه - أنه كُسف القمر تلك الليلة ، فاللَّه أعلم . وأن موسىٰ - عليه السلام - سأل عن قبر يوسف - عليه السلام - فدلته امرأة عجوز من بني إسرائيل عليه ، فاحتمل تابوته معهم ، ويقال : إنه هو الذي حمله بنفسه عليهما السلام ، وكان يوسف قد وصىٰ[١] بذلك إذا خرج بنو إسرائيل أن يحملوه معهم . وقد ورد في ذلك حديث رواه ابن أبي حاتم رحمه اللَّه فقال :

حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا عبد الله بن عمر [ابن محمد][٢] بن أبان بن صالح ، حدثنا [ابن فُضَيْلَ][٣] ، عن عبد اللَّه بن أبي إسحاق ، عن ابن أبي بردة ، [عن أبيه][٤] ، عن أبي موسىٰ ؛ قال : نزل رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بأعرابيّ فأكرمه ، فقال له رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **تعاهدنا** » . فأتاه الأعرابي فقال له رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « [**حاجتك**][٥] ؟ » قال : ناقة برحلها وأعنق[٦] يحتلبها أهلي ، فقال : « **أعجزت أن تكون مثل عجوز بني إسرائيل** ؟ » فقال له أصحابه : وما عجوز بني إسرائيل يا رسول الله ؟ قال : « **إن موسىٰ لمّا أراد أن يسير ببني إسرائيل أضل الطريق ، فقال لبني إسرائيل : ما هذا ؟ فقال له علماء بني إسرائيل : نحن نحدثك : إن يوسف - عليه السلام - لما حضره الموت أخذ علينا موثقًا من اللَّه أن لا نخرج من مصر حتىٰ ننقل تابوته معنا ، فقال لهم موسىٰ : فأيكم يدري أين قبر يوسف ؟ قالوا : ما يعلمه إلا عجوز لبني إسرائيل . فأرسل إليها فقال لها : دليني علىٰ قبر يوسف . قالت[٧] : واللَّه لا أفعل حتىٰ تعطيني حكمي . فقال لها : وما حكمك ؟ قالت : حكمي أن أكون معك في الجنة . فكأنه ثقل عليه ذلك فقيل له : أعطها حكمها . قال : فانطلقت معهم إلىٰ بحيرة - مستنقع ماء - فقالت لهم[٨] : أنضبوا هذا الماء . فلما أنضبوه ، قالت : احتفروا . فلما احتفروا استخرجوا قبر يوسف ، فلما احتملوه إذا الطريق مثل ضوء النهار** » (١) .

(١) ورواه أبو يعلى في مسنده (١٣/٢٣٦) ، وابن حبان في صحيحه (٢٤٣٥) « موارد » ، والحاكم =

[١] - في ت : « أوصى » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٣] - في ز ، خ : ابن فضل . وهو تحريف . والصواب : ابن فضيل . وهو محمد بن فضيل . من رجال التهذيب.
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٥] - ما بين المعكوفين في ت : « ما حاجتك » .
[٦] - في ت : « وأعنز » .
[٧] - في ت : « فقالت » .
[٨] - سقط من : ز ، خ .

هذا حديث غريب جدًا والأقرب أنه موقوف، والله أعلم.

فلما أصبحوا وليس في ناديهم[١] داعٍ ولا مجيب، غاظ ذلك فرعون واشتد غضبه على بني إسرائيل، لما يريد الله به من الدمار، فأرسل سريعًا في بلاده حاشرين. أي: من يحشرُ الجندَ ويجمعه، كالنُّقَباء والحُجّاب، ونادى فيهم: ﴿ **إن هؤلاء** ﴾ - يعني: بني إسرائيل - ﴿ **لشرذمة قليلون** ﴾. أي: لطائفة قليلة، ﴿ **وإنهم لنا لغائظون** ﴾، أي: كل وقت يصل لنا منهم ما يغيظنا، ﴿ **وإنا لجميع حاذرون** ﴾. أي: نحن كل وقت نحذر من غائلتهم، وإني أريد أن أستأصل شأفتهم، وأبيد خَضْراءهم. فجوزي في نفسه وجنده بما أراد لهم، قال الله تعالى: ﴿ **فأخرجناهم من جنات وعيون * وكنوز ومقام كريم** ﴾. أي: فخرجوا من هذا النعيم إلى الجحيم، و[٢]تركوا تلك المنازل العالية، والبساتين والأنهار، والأموال، والأرزاق، والملك، والجاه الوافر في الدنيا. ﴿ **كذلك وأورثناها بني إسرائيل** ﴾، كما قال تعالى: ﴿ **وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون** ﴾. وقال تعالى: ﴿ **ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون** ﴾.

كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾

ذكر ذلك غير واحد من المفسرين: أن فرعون خرج في جحفل عظيم وجمع كبير، هو عبارة عن مملكة الديار المصرية في زمانه، أولي الحل والعقد والدول، من الأمراء والوزراء

= في المستدرك (٢/٥٧١) من طريق محمد بن فضيل، عن يونس بن أبي إسحاق، عن أبي بردة، عن أبي موسى به. وقال الهيثمي في المجمع (١٠/١٧٠): «رجال أبي يعلى رجال الصحيح».

---

[١] - في خ: «ناهيهم». [٢] - سقط من: ز، خ.

والكبراء والرؤساء والجنود ، فأما ما ذكره غير واحد من الإسرائيليات ، من أنه خرج في ألف ألف وستمائة ألف فارس ، منها مائة ألف على خيل دُهْم ، وقال كعب الأحبار : فيهم ثمانمائة ألف حصان أدهم - ففي ذلك نظر . والظاهر أنه من مجازفات بني إسرائيل ، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم ، والذي أخبر به هو النافع ، ولم يعين عدتهم إذ لا فائدة تحته ، إلا أنهم خرجوا بأجمعهم .

﴿ **فأتبعوهم مشرقين** ﴾ . أي : وصلوا إليهم عند شروق الشمس ، وهو طلوعها ﴿ **فلما تراءىٰ الجمعان** ﴾ أي : رأىٰ كل من الفريقين صاحبه ، فعند ذلك ﴿ **قال أصحاب موسىٰ إنا لمدركون** ﴾ ، وذلك أنه انتهىٰ بهم السير إلىٰ سيف(*) البحر ، وهو بحر القلزم ، فصار أمامهم البحر ، وفرعون قد أدركهم بجنوده ؛ فلهذا قالوا : ﴿ **إنا لمدركون * قال كلا إن معي ربي سيهدين** ﴾ . أي : لا يصل إليكم شيء مما تحذرون ، فإن الله سبحانه هو الذي أمرني أن أسير هاهنا بكم ، وهو لا يخلف الميعاد .

وكان هارون - عليه السلام - في المقدمة ، ومعه يوشع بن نُون ، [ومؤمن آل فرعون ، وموسىٰ - عليه السلام - في الساقة ، وقد ذكر غير واحد من المفسرين : أنهم وقفوا لا يدرون ما يصنعون ، وجعل يوشع بن نون][١] ، أو مؤمن آل فرعون يقول لموسىٰ عليه السلام: يا نبي الله ، هاهنا أمرك الله أن تسير ؟ فيقول : نعم ، واقترب فرعون وجنوده ، ولم يبق إلا القليل . فعند ذلك أمر الله نبيه موسىٰ أن يضرب البحر بعصاه ، فضربه وقال : انفلق بإذن الله .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا صفوان بن صالح ، حدثنا الوليد ، حدثنا محمد ابن حمزة بن محمد بن يوسف بن[٢] عبد الله بن سلام : أن موسىٰ - عليه السلام - لما انتهىٰ إلىٰ البحر قال : يامن كان قبل كل شيء ، والمكوّن لكل شيء ، والكائن بعد كل شيء ، اجعل لنا مخرجًا ، فأوحىٰ الله إليه : ﴿ **أن اضرب بعصاك البحر** ﴾ .

وقال قتادة : أوحىٰ الله تلك الليلة إلىٰ البحر : أن إذا ضربك موسىٰ بعصاه فاسمع له وأطع ، فبات البحر تلك الليلة [وله اضطراب][٣] ، ولا يدريْ من أي جانب[٤] يضربه موسىٰ ، فلما انتهىٰ إليه موسىٰ قال له فتاه يوشع بن نون : يا نبي الله ؛ أين أمرك ربك ؟ قال : أمرني أن أضرب البحر . قال : فاضربه[٥] .

وقال محمد بن إسحاق : أوحىٰ الله - فيما ذكر لي - إلىٰ البحر : أن إذا ضربك موسىٰ بعصاه فانفلق له . قال : فبات البحر يضرب[٦] بعضه بعضًا ، فرقًا من الله تعالىٰ ، وانتظارًا لما أمره

(*) أي : ساحله .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ز ، خ : « عن » .

[٣] - ما بين المعكوفتين بياض في ز .

[٤] - في خ ، ز : « باب » .

[٥] - في خ : « فاضرب به » .

[٦] - في ز ، خ : « يضطرب » .

الله ، وأوحىٰ اللّٰه إلىٰ موسىٰ : ﴿ **أن اضرب بعصاك البحر** ﴾ . فضربه بها ، وفيها سلطان اللّٰه الذي أعطاه ، فانفلق .

وذكر غير واحد أنه كنّاه فقال : انفلق عليّ [أبا خالد][١] ؛ بحول الله . قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم** ﴾ . أي : كالجبل الكبير . قاله ابن مسعود ، وابن عباس ، ومحمد بن كعب ، والضحاك ، وقتادة ، وغيرهم .

وقال عطاء الخراساني : هو الفج بين الجبلين .

وقال ابن عباس : صار البحر اثني عشر طريقًا ، لكل سبط طريق - وزاد السدي : وصار فيه طاقات ينظر بعضهم إلىٰ بعض ، وقام الماء علىٰ حيله كالحيطان ، وبعث اللّٰه الريح علىٰ قعر البحر فلفحته ، فسار يَبَسا كوجه الأرض ، قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **فاضرب لهم طريقًا في البحر يبسًا لا تخافُ دركًا ولا تخشىٰ** ﴾ . وقال في هذه القصة : ﴿ **وأزلفنا ثم** ﴾ أي : هنالك ﴿ **الآخرين** ﴾ قال ابن عباس ، وعطاء الخراساني ، وقتادة ، والسدي : ﴿ **وأزلفنا** ﴾ ، أي : قربنا فرعون وجنوده من البحر ، وأدنيناهم إليه . ﴿ **وأنجينا موسىٰ ومن معه أجمعين * ثم أغرقنا الآخرين** ﴾ ، أي : أنجينا موسىٰ وبني إسرائيل ومن معهم علىٰ دينهم فلم يهلك منهم أحد ، وأغرق فرعون وجنوده فلم يبق منهم رجل إلا هلك .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عليّ بن الحسين ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا شبابة ، حدثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله - هو ابن مسعود - أن موسىٰ - عليه السلام - حين أسرىٰ ببني إسرائيل بلغ فرعون ذلك[٢] ، فأمر بشاة فذبحت ، ثم قال : لا ، واللّٰه لا يُفرَغ من سلخها حتىٰ يجتمع إليَّ ستمائة ألف من القبط .

فانطلق موسىٰ حتىٰ انتهىٰ إلىٰ البحر ، فقال له : انفرق[٣] . فقال البحر : لقد استكبرت يا موسىٰ ؛ وهل فرقت[٤] لأحد من ولد آدم فأفرق[٥] لك ؟ قال : ومع موسىٰ رجل علىٰ حصان له ، فقال له ذلك الرجل : أين أمرتَ يا نبي الله ؟ قال : ما أمرت إلا بهذا الوجه - [يعني البحر - فأقحم فرسه فَسَبَح به فخرج . فقال : أين أمرت يا نبي الله ؟ قال : ما أمرت إلا بهذا الوجه][٦] . قال : واللّٰه ما كَذبت ولا كُذبت . ثم اقتحم الثانية فسبح ، ثم خرج فقال : أين أمرت يا نبي الله ؟ قال : ما أمرت إلا بهذا الوجه . قال : واللّٰه ما كَذَبت ولا كُذبت . قال : فأوحىٰ اللّٰه إلىٰ موسىٰ أن اضرب بعصاك البحر فضربه موسىٰ بعصاه ، فانفلق[٧] ، فكان فيه اثنا

---

[١] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « أنه » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في خ : « انفلق » .

[٤] - في ت : « انفرقت » .

[٥] - في ت : « فأنفرق » .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٧] - في ت : « فانفرق » .

عشر طريقًا[١] لكل سبط طريق يتراءون ، فلما خرج أصحاب موسىٰ وتَـتَام أصحاب فرعون ، التقىٰ البحر عليهم فأغرقهم .

وفي رواية إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ،عن عبد اللَّه قال : فلما خَرَج آخر أصحاب موسىٰ ، وتكامل أصحاب فرعون ، اضطمّ عليهم البحر ، فما رُئي سواد أكثر من يومئذ ، وغرق فرعون لعنه الله .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **إن في ذلك لآية** ﴾ . أي : في[٢] هذه القصة وما فيها من العجائب والنصر والتأييد لعباد اللَّه المؤمنين ، لدلالة وحجة قاطعة وحكمة بالغة ، ﴿ **وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك لهو العزيز الرحيم** ﴾ . تقدم تفسيره .

وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾

هذا إخبار من اللَّه تعالىٰ عن عبده ورسوله وخليله إبراهيم إمام الحنفاء ، أمر اللَّه رسوله محمدًا - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - أن يتلوه علىٰ أمته ، ليقتدوا به في الإخلاص والتوكل ، وعبادة اللَّه وحده لا شريك له ، والتبري من الشرك وأهله ، فإن اللَّه تعالىٰ آتىٰ إبراهيم رشده من قبل . أي : من صغره إلىٰ كبره ، فإنه من وقت نشأ وشَبّ ، أنكر علىٰ قومه عبادة الأصنام مع اللَّه - عز وجل - فقال ﴿ **لأبيه وقومه ماذا تعبدون** ﴾ أي : ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ؟ ﴿ **قالوا نعبد أصنامًا فنظل لها عاكفين** ﴾ . أي : مقيمين علىٰ عبادتها ودعائها ، ﴿ **قال هل يسمعونكم إذ تدعون * أو ينفعونكم أو يضرون * قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون** ﴾ . يعني : اعترفوا بأن أصنامهم لا تفعل شيئًا من ذلك ، وإنما رأوا آباءهم كذلك يفعلون ، فهم علىٰ آثارهم يُهرعون .

فعند ذلك قال لهم إبراهيم : ﴿ **أفرأيتم ما كنتم تعبدون * أنتم وآباؤكم الأقدمون * فإنهم عدو لي إلا رب العالمين** ﴾ . أي : إن كانت هذه الأصنام شيئًا ولها تأثير ، فَلْتَخْلُص إليَّ بالمساءة ، فإني عدو لها لا أباليها ولا أفكر فيها ، وهذا كما قال تعالىٰ مخبرًا عن نوح عليه

---

[١] - في ز ، خ : « سبطًا » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

السلام : ﴿ فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إليّ ولا تنظرون ﴾ . وقال هود - عليه السلام - : ﴿ إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون * من دونه فكيدوني جميعًا ثم لا تنظرون * إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها * إن ربي على صراط مستقيم ﴾ . وهكذا تبرأ إبراهيم من آلهتهم وقال : ﴿ وكيف أخاف ما أشركتم * ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانًا ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله * كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا حتىٰ تؤمنوا بالله وحده ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني فإنه سيهدين * وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون ﴾ يعني : لا إله إلا الله .

ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ (٨٢)

يعني : لا أعبد إلا الذي يفعل هذه الأشياء : ﴿ الذي خلقني فهو يهدين ﴾ . أي : هو الخالق الذي قدر قدرًا ، وهدىٰ الخلائق إليه ، فكل يجري علىٰ قَدَر ، وهو الذي يهدي من يشاء ويُضلّ من يشاء ، ﴿ والذي هو يطعمني ويسقين ﴾ . أي : هو خالقي ورازقي ، بما سخر ويَسَّر من الأسباب السماوية والأرضية ، فساق المُزْنَ ، وأنزل الماء ، وأحيا به الأرض ، وأخرج به من كل الثمرات رزقًا للعباد ، وأنزل الماء عذبًا زلالًا ﴿ نسقيه مما خلقنا أنعامًا وأناسي كثيرًا ﴾ .

وقوله : ﴿ وإذا مرضت فهو يشفين ﴾ أسند المرض إلىٰ نفسه ، وإن كان عن قدر الله وقضائه وخَلْقه ، ولكن أضافه إلىٰ نفسه أدبًا ؛ كما قال تعالىٰ آمرًا للمصلي أن يقول : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ . فأسند الإنعام إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ ، والغضب حُذف فاعله أدبًا ، وأسند الضلال إلىٰ العبيد ، كما قالت الجن : ﴿ وأنّا لا ندري أشَرٌّ أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدًا ﴾ . ولهذا قال إبراهيم : ﴿ وإذا مرضت فهو يشفين ﴾ . أي : إذا وقعت في مرض فإنه لا يقدر علىٰ شفائي أحد غيره ، بما يقدر من الأسباب الموصولة إليه .

﴿ والذي يميتني ثم يحيين ﴾ . أي : هو الذي يحيي ويميت ، لا يقدر علىٰ ذلك أحد سواه ، فإنه هو الذي يبدئ ويعيد ، ﴿ والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ﴾ . أي : هو الذي لا يقدر علىٰ غَفْر الذنوب في الدنيا والآخرة إلا هو ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ، وهو الفعال لما يشاء .

رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾

وهذا سؤال من إبراهيم - عليه السلام - أن يؤتيه ربه[١] حكمًا.

قال ابن عباس: وهو العلم. وقال عكرمة: هو اللب. وقال مجاهد: هو القرآن. وقال السدي: هو النبوة.

وقوله: ﴿ **وألحقني بالصالحين** ﴾. أي: اجعلني مع الصالحين في الدنيا والآخرة، كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - عند الاحتضار: [« **اللهمَّ، في الرفيق الأعلى** »(٢). قالها ثلاثًا. وفي الحديث في الدعاء][٢]: « **اللهم، أحينا مسلمين، وأمتنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مبدلين** »(٣).

(٢) رواه البخاري في صحيحه حديث (٦٥٠٩)، ومسلم في صحيحه حديث (٢١٩١) من حديث عائشة، رضي الله عنها، وليس عندهما أنه قالها ثلاثًا، وإنما فيهما ما يفيد أنها مرتين، والله أعلم.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣/٤٢٤) (١٥٥٣٤) ثنا مروان بن معاوية الفزاري، ثنا عبد الواحد بن أيمن المكي، عن عبيد الله بن عبد الله الزرقي، عن أبيه؛ قال - وقال الفزاري مرة: عن ابن رفاعة الزرقي، عن أبيه، قال: - قال أبي: وقال غير الفزاري: عبيد بن رفاعة الزرقي - قال: لما كان يوم أحد، وانكفأ المشركون، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: .... فذكره في حديث طويل، والنسائي في « الكبرى » في كتاب « عمل اليوم والليلة »: باب: الاستنصار عند اللقاء حديث (٦/١٠٤٤٥) (٦/١٥٦). قال: أخبرنا زياد بن أيوب، حدثنا مروان ابن معاوية. والحاكم في المستدرك (١/٥٠٦ - ٥٠٧). قال: أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن أيوب، ثنا ابن أبي مسرة، ثنا خلاد بن يحيى. والطبراني في الكبير (٥/٤٧) حديث (٤٥٤٩). قال: حدثنا عبد الرحمن بن مسلم الرازي، ثنا سهل بن عثمان؛ قال: ثنا مروان ابن معاوية. وأبو نعيم في « الحلية » (١٠/١٢٧). قال: حدثنا محمد بن علي بن سهل: ثنا محمد بن الفضل بن جابر، ثنا السرى بن مغلس وداود بن عمرو؛ قالا: ثنا مروان بن معاوية بن قرة. كلهم من طريق عبد الواحد بن أيمن المكي، عن عبيد بن رفاعة بن رافع الرقى - عند أبي نعيم: « رفيعة » بدلا من « رفاعة » ولعله تصحيف - عن أبيه ... فذكره. قال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال الذهبي: لم يخرجا لعبيد وهو ثقة، والحديث مع نظافة إسناده منكر، أخاف أن لا يكون موضوعًا، رواه عن خلاد بن أبي سبرة. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٢٤، ١٢٥) وقال: رواه أحمد والبزار، ورجال أحمد رجال الصحيح. اهـ. من حديث الزرقي، وعنده: « غير خزايا ولا مفتونين ».

[١] - سقط من: خ، ز. [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

وقوله: ﴿**واجعل لي لسان صدق في الآخرين**﴾. أي: واجعل لي[١] ذكرًا جميلًا بعدي أذكر به، ويقتدىٰ بي في الخير، كما قال تعالىٰ: ﴿**وتركنا عليه في الآخرين * سلام علىٰ إبراهيم كذلك نجزي المحسنين**﴾.

قال مجاهد وقتادة: ﴿**واجعل لي لسان صدق في الآخرين**﴾، يعني: الثناء الحسن. قال مجاهد: وهو كقوله تعالىٰ: ﴿**وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين**﴾.

وكقوله: ﴿**وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين**﴾.

قال ليث بن أبي سليم: كل ملة تحبه وتتولاه. وكذا قال عكرمة.

وقوله: ﴿**واجعلني من ورثة جنة النعيم**﴾. أي: أنعم عليّ في الدنيا ببقاء الذكر الجميل بعدي، وفي الآخرة بأن تجعلني من ورثة جنة النعيم.

وقوله: ﴿**واغفر لأبي إنه كان من الضالين**﴾ كقوله: ﴿**ربنا اغفر لي ولوالدي**﴾ وهذا مما رَجَع عنه إبراهيم -عليه السلام- كما قال تعالىٰ: ﴿**وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأوّاه حليم**﴾. وقد قطع تعالىٰ الإلحاق في استغفاره لأبيه، فقال: ﴿**قد كانت[٢] لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا حتىٰ تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء**﴾.

وقوله: ﴿**ولا تخزني يوم يبعثون**﴾. أي: أجرني من الخزي يوم القيامة، ويوم[٣] يبعث الخلائق أولهم وآخرهم.

قال البخاري في قوله: ﴿**ولا تخزني يوم يبعثون**﴾ وقال إبراهيم بن طهمان، عن ابن أبي ذئب، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، [عن أبيه][٤]، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «**إن إبراهيم رأىٰ أباه يوم القيامة عليه الغَبَرَةُ والقَتَرَةُ**»(٤).

حدثنا إسماعيل، حدثنا أخي، عن ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، عن النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - قال: «**يلقىٰ إبراهيم أباه، فيقول: يارب، إنك وعدتني**

(٤) صحيح البخاري حديث (٤٧٦٨).

[١] - سقط من: ز، خ.
[٢] - في ز: «كان».
[٣] - سقط من: ز.
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

أنك لا تخزيني يوم يبعثون ، فيقول ا : إني حرمت الجنة [على الكافرين][١] » . هكذا رواه عند هذه الآية(٥) .

وفي أحاديث الأنبياء بهذا الإسناد بعينه منفردًا به ، ولفظه : « **يلقىٰ إبراهيمُ أباه آزر يوم القيامة ، وعلىٰ وجه آزر قَتَرَة وغَبَرَة ، فيقول له إبراهيم : ألم أقل لك : لا تعصني ؟ فيقول أبوه : فاليوم لا أعصيك . فيقول إبراهيم : يارب ، إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون ، فأي خزي أخزىٰ من أبي[٢] الأبعد ؟ فيقول الله تعالىٰ : إني حرمت الجنة علىٰ الكافرين . ثم يُقَال : يا إبراهيم ؛ ما تحت رجليك ؟ فينظر فإذا هو بِذِيخ متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقىٰ في النار** »(٦) .

وقال أبو عبد الرحمن النسائي في التفسير من سننه الكبير(٧) قوله : ﴿ **ولا تخزني يوم يبعثون** ﴾ : أخبرنا أحمد بن حفص بن عبد الله ، حدثني أبي ، حدثني إبراهيم بن طهمان ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن إبراهيم رأىٰ أباه يوم القيامة عليه الغَبَرَة والقَتَرَة ، وقال له : قد نهيتك عن هذا فعصيتني . قال : لكني اليوم لا أعصيك واحدة . قال : يارب ، وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون ، فإن أخزيت أباه فقد أخزيت الأبعد . قال : يا إبراهيم ، إني حرمتها علىٰ الكافرين . فأخذ منه ، قال : يا إبراهيم، أين أبوك ؟ قال : أنت أخذته مني . قال : انظر أسفل منك . فنظر فإذا ذِيخ يتمرغ في نَتنِهِ ، فأخذ بقوائمه فألقيَ في النار** » . هذا إسناد غريب ، وفيه نكارة .

والذيخ : هو الذكر من الضباع ، كأنه حول آزر إلىٰ صورة ذيخ متلطخ بعذرته ، فيلقىٰ في النار كذلك .

وقد رواه البزار من حديث حماد بن سلمة ، عن أيوب ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هُرَيرة ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم . وفيه غرابة .

ورواه أيضًا من حديث قتادة ، عن جعفر ابن عبد الغافر ، عن أبي سعيد ، عن النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - بنحوه .

وقوله : ﴿ **يوم لا ينفع مال ولا بنون** ﴾ . أي : لا يقي المرءَ من عذاب الله مالُه ، ولو

---

(٥) صحيح البخاري حديث (٤٧٦٩) ولفظه : « وعدتنى أن لا تخزنى يوم يبعثون » .

(٦) صحيح البخاري حديث (٣٣٥٠) .

(٧) النسائي في الكبرى حديث (١١٣٧٥) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٢] - في ز : « أب » .

افتدىٰ بملء الأرض ذهبًا ، ﴿ **ولا بنون** ﴾ ولو افتدىٰ بمن في الأرض جميعًا ، ولا ينفعُ يومئذ إلا الإيمان بالله ، وإخلاص[١] الدين له ، والتبري من الشرك ؛ ولهذا قال : ﴿ **إلا من أتىٰ الله بقلب سليم** ﴾ . أي : سالم من الدنس والشرك .

قال محمد بن سيرين : القلب السليم أن يعلم أن اللَّه حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن اللَّه يبعث من في القبور .

وقال ابن عباس : ﴿ **إلا من أتىٰ الله بقلب سليم** ﴾ : حيي يشهد أن لا إله إلا الله .

وقال مجاهد ، والحسن ، وغيرهما : ﴿ **بقلب سليم** ﴾ ، يعني : من الشرك .

وقال سعيد بن المسيب : القلب السليم : هو القلب الصحيح ، وهو قلب المؤمن ، لأن قلب المنافق مريض ، قال الله : ﴿ **في قلوبهم مرض** ﴾ .

وقال أبو عثمان النيسابوري[٢] : هو القلب الخالي من البدعة المطمئن على السُّنة .

وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (٩٠) وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (٩١) وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٢) مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ (٩٣) فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ (٩٤) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (٩٥) قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (٩٦) تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٩٨) وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ (٩٩) فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ (١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (١٠١) فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٠٢) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٠٣) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (١٠٤)

﴿ **وأزلفت الجنة** ﴾ أي : قربت الجنة وأدنيت من أهلها يوم القيامة مزخرفة مزينة لناظريها ، وهم المتقون الذين رغبوا فيها ، وعملوا لها في الدنيا ، ﴿ **وبرزت الجحيم للغاوين** ﴾ أي : أظهرت وكُشف عنها ، وبدت منها عُنُق ، فزفرت زفرة بلغت منها القلوب إلى الحناجر ، وقيل لأهلها تقريعًا وتوبيخًا : ﴿ **أين ما كنتم تعبدون * من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون** ﴾ أي : ليست الآلهة التي عبدتموها من دون الله ، من تلك الأصنام والأنداد تغني[٣] عنكم اليوم

---

[١] - في ز ، خ : « وخلاص » . [٢] - في ز ، خ : « السابوري » .

[٣] - في ز ، خ : « لتغني » .

شيئًا ولا تدفع عن أنفسها ، فإنكم وإياها اليوم حَصَبُ جهنم أنتم لها واردون .

وقوله : ﴿ **فكبكبوا فيها هم والغاوون** ﴾ . قال مجاهد : يعني : فَدُهْوِرُوا فيها .

وقال غيره : كبكبوا فيها ، والكاف مكررة ؛ كما يقال : صرصر . والمراد : أنه أُلقي بعضهم على بعض من الكفار وقادتهم الذين دعوهم إلى الشرك ، ﴿ **وجنود إبليس أجمعون** ﴾ ، أي : ألقوا فيها عن آخرهم . ﴿ **قالوا وهم فيها يختصمون تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نُسويكم برب العالمين** ﴾ . أي : يقول الضعفاء للذين استكبروا : ﴿ **إنا كنا لكم تبعًا فهل أنتم مغنون عنا نصيبًا من النار** ﴾ .

ويقولون وقد عادوا على أنفسهم بالملامة : ﴿ **تالله إن كنا لفي ضلال مبين * إذ نسويكم برب العالمين** ﴾ ، أي : نجعل أمركم مطاعًا كما يطاع أمر رب العالمين ، وعبدناكم مع رب العالمين ﴿ **وما أضلنا إلا المجرمون** ﴾ أي : ما دعانا إلى ذلك إلا المجرمون ، ﴿ **فما لنا من شافعين** ﴾ . قال بعضهم : يعني : من الملائكة ، كما يقولون : ﴿ **فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل** ﴾ . وكذا قالوا : ﴿ **فما لنا من شافعين ولا صديق حميم** ﴾ . أي : قريب . قال قتادة : يعلمون - والله - أن الصديق إذا كان صالحًا نفع ، وأن الحميم إذا كان صالحًا شفع ﴿ **فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين** ﴾ . وذلك أنهم يتمنون أنهم يردون إلى الدار الدنيا ، ليعملوا بطاعة ربهم فيما يزعمون ، وهو سبحانه وتعالى يعلم أنه لو ردهم إلى الدار الدنيا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون .

وقد أخبر تعالى عن تخاصم أهل النار في سورة « ص » ، ثم قال : ﴿ **إن ذلك لحق تخاصم أهل النار** ﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿ **إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين** ﴾ . أي : إن في محاجّة إبراهيم لقومه وإقامته الحجة[١] عليهم في التوحيد لآية ودلالة واضحة جلية على أنه لا إله إلا الله . ﴿ **وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك لهو العزيز الرحيم** ﴾ .

كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٠٨) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١١٠)

هذا إخبار من الله - عز وجل - عن عبده ورسوله نوح - عليه السلام - وهو أول رسول بُعث إلى الأرض بعد ما عبدت الأصنام والأنداد بعثه الله ناهيًا عن ذلك ، ومحذرًا من وبيل

---

[١] - في ت : « الحجج » .

عقابه ، فكذبه قومه واستمروا على ما هم عليه من الفعال الخبيثة في عبادتهم أصنامهم ، ويتنزل تكذيبهم له بمنزلة تكذيب جميع الرسل ؛ ولهذا قال : ﴿ **كذبت قوم نوح المرسلين إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون** ﴾ . أي : ألا تخافون الله في عبادتكم غيره ؟ ﴿ **إني لكم رسول أمين** ﴾ . أي : إني رسول من الله إليكم ، أمين فيما بعثني به ، أبلغكم رسالة الله لا أزيد فيها ولا أنقص منها ، ﴿ **فاتقوا الله وأطيعون * وما أسألكم عليه من أجر** ﴾ . أي : لا أطلب منكم جزاء على نصحي لكم ، بل أدخر ثواب ذلك عند الله ، ﴿ **فاتقوا الله وأطيعون** ﴾ . فقد وضح لكم وبان صدقي ونصحي وأمانتي فيما بعثني به وائتمنني عليه .

﴿ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾

يقولون : أنؤمن لك ونتبعك ونتساوى في ذلك بهؤلاء الأراذل الذين اتبعوك وصدقوك ، وهم أراذلنا ؟ ولهذا﴿ **قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون * قال وما علمي بما كانوا يعملون** ﴾ أي : وأي شيء يلزمني من اتباع هؤلاء لي ، ولو كانوا على أي شيء كانوا عليه لا يلزمني التنقيب[١] عنه والفحص والبحث ، إنما عليّ أن أقبل منهم تصديقهم[٢] إيّاي ، [وأَكِلُ][٣] سرائرهم إلى الله عز وجل ، ﴿ **إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون * وما أنا بطارد المؤمنين** ﴾ . كأنهم سألوا منه أن يبعدهم عنه ليتابعوه ، فأبى عليهم ذلك ، وقال : ﴿ **وما أنا بطارد المؤمنين * إن أنا إلا نذير مبين** ﴾ . أي : إنما[٤] بعثت نذيرًا ؛ فمن أطاعني واتبعني وصدقني كان مني وكنت منه ، سواء كان شريفًا أو وضيعًا ، أو جليلًا أو حقيرًا .

إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾

لما طال مقام نبي الله بين أظهرهم يدعوهم إلى الله ليلًا ونهارًا ، وجهرًا وإسرارًا ، وكلما كرر

---

[١] - في ز ، خ : « التنقب » . [٢] - في ز ، خ : « بصدقهم » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٤] - في ز ، خ : « أنا » .

عليهم الدعوة صمموا على الكفر الغليظ ، والامتناع الشديد ، وقالوا في الآخر : ﴿ **لئن لم تنته** ﴾ . أي : عن دعوتك إيانا إلى دينك يا نوح ﴿ **لتكونن من المرجومين** ﴾ . أي : لنرجمنك . فعند ذلك دعا عليهم دعوة استجاب اللّه منه ، فقال : ﴿ **رب إنّ قومي كذبون * فافتح بيني وبينهم فتحًا ونجني ومن معي من المؤمنين** ﴾ . كما قال في الآية الأخرى : ﴿ **فدعا ربه أني مغلوب فانتصر * ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر * وفجرنا الأرض عيونًا فالتقى الماء على أمر قد قدر * وحملناه على ذات ألواح ودسر * تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر** ﴾ .

وقال هاهنا : ﴿ **فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون * ثم أغرقنا بعد الباقين** ﴾ . والمشحون : هو المملوء بالأمتعة والأزواج التي حمل فيه[١] من كل زوجين اثنين ، أي : نجيناه ومن معه كلهم وأغرقنا من كذبه وخالف أمره كلهم . ﴿ **إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك لهو العزيز الرحيم** ﴾ .

كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾

وهذا إخبار من [اللّه تعالى عن][٢] عبده ورسوله هود - عليه السلام - : أنه دعا قومه عادًا وكانوا قومًا يسكنون الأحقاف ، وهي جبال الرمل قريبًا من بلاد حضرموت بلاد[٣] متاخمة لبلاد اليمن ، وكان زمانهم بعد قوم نوح ، [كما قال في « سورة الأعراف » : ﴿ **واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح**][٤] **وزادكم في الخلق بسطة** ﴾ . وذلك أنهم كانوا في غاية من قوة التركيب والقوة والبطش الشديد ، والطول المديد ، والأرزاق الدارة ، والأموال ، والجنات والعيون ، والأبناء والزروع والثمار ، وكانوا مع ذلك يعبدون غير اللّه معه ، فبعث اللّه إليهم رجلًا منهم رسولًا وبشيرًا ونذيرًا ، فدعاهم إلى اللّه [وحده[٥]] ، وحذرهم نقمته وعذابه في مخالفته ، فقال لهم كما قال نوح لقومه ، إلى أن قال : ﴿ **أتبنون بكل ريع آية تعبثون** ﴾ .

---

[١] - في ت : « فيها » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٣] - سقط من : ت .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

اختلف المفسرون في الريع بما حاصله : أنه المكان المرتفع عند جواد الطرق المشهورة ، تبنون هناك بناء محكمًا باهرًا هائلًا ؛ ولهذا قال : ﴿ **أتبنون بكل ريع آية** ﴾ . أي : معلمًا بناء مشهورًا ، ﴿ **تعبثون** ﴾ ، وإنما تفعلون ذلك عبثًا لا للاحتياج إليه بل لمجرد اللعب واللهو وإظهار القوة ؛ ولهذا أنكر عليهم نبيهم - عليه السلام - ذلك ، لأنه تضييع للزمان وإتعاب للأبدان في غير فائدة ، واشتغال بما لا يجدي في الدنيا ولا في الآخرة .

ثم قال : ﴿ **وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون** ﴾ . قال مجاهد : المصانع : البروج المشيدة ، والبنيان المخلد . وفي رواية عنه : بروج الحمام .

وقال قتادة : هي مآخذ الماء. قال قتادة : وقرأ بعض القراء : (**وتتخذون مصانع كأنكم خالدون**) وفي القراءة المشهورة : ﴿ **لعلكم تخلدون** ﴾ . أي : لكي تقيموا فيها أبدًا[١] ، وليس ذلك بحاصل لكم ، بل زائل عنكم ، كما زال عمن كان قبلكم .

و[٢]قال ابن أبي حاتم - رحمه الله - : حدثنا أبي ، حدثنا الحكم بن موسىٰ ، حدثنا الوليد ، حدثنا ابن عجلان ، حدثني عون بن عبد الله بن عتبة ، أن أبا الدرداء - رضي الله عنه - لما رأىٰ ما أحدث المسلمون في الغُوطة من البنيان ونصب الشجر ، قام في مسجدهم فنادىٰ : يا أهل دمشق ، فاجتمعوا إليه ، فحمد الله وأثنىٰ عليه ، ثم قال : ألا تستحيون ! ألا تستحيون ! تجمعون ما لا تأكلون ، وتبنون ما لا تسكنون ، وتأملون ما لا تدركون ، إنه كانت قبلكم قرون ، يجمعون فيوعُون ويبنون فيوثقون ، ويأملون فيطيلون ، فأصبح أملهم غرورًا ، وأصبح جمعهم بورًا ، وأصبحت مساكنهم قبورًا ، ألا إنّ عادًا ملكت ما بين عدن وعمان خيلًا وركابًا ، فمن[٣] يشتري مني ميراث عاد بدرهمين ؟ .

وقوله : ﴿ **وإذا بطشتم بطشتم جبارين** ﴾ . وصفهم بالقوة والغلظة والجبروت ، ﴿ **فاتقوا الله وأطيعون** ﴾ . أي : اعبدوا ربكم ، وأطيعوا رسولكم .

ثم شرع يذكرهم نعم الله عليهم فقال : ﴿ **واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون * أمدكم بأنعام وبنين * وجنات وعيون * إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم** ﴾ . أي : إن كذبتم وخالفتم ، فدعاهم إلىٰ الله بالترغيب والترهيب ، فما نفع فيهم[٤] .

قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ
﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ

---

[١] - سقط من : خ ، ز .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « من » .
[٤] - سقط من : ز .

أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن جواب قوم هود له ، بعد ما حذرهم وأنذرهم ، ورغبهم ورهبهم ، وبين لهم الحق ووضحه ﴿ **قالوا سواءٌ علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين** ﴾ أي : لا نرجع عما نحن فيه ، ﴿ **وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين** ﴾ وهكذا الأمر فإن الله تعالى قال : ﴿ **إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون * ولو جاءتهم كل آية حتىٰ يروا العذاب الأليم** ﴾ .

وقولهم : ﴿ **إنْ هذا إلا خلق الأولين** ﴾ . قرأ بعضهم : (**إن هذا إلا خَلْق**) - بفتح الخاء وتسكين اللام(*) .

قال ابن مسعود ، والعوفي عن عبد الله بن عباس ، وعلقمة ، ومجاهد : يعنون ماهذا الذي جئتنا به إلا أخلاق الأولين؛ كما قال المشركون من قريش : ﴿ **وقالوا أساطير الأولين [اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلًا** ﴾ ، وقال : ﴿ **وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون * فقد جاءوا ظلمًا وزورًا * وقالوا أساطير الأولين** ﴾ .

وقال : ﴿ **وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين** ﴾][١].

وقرأ آخرون(*) : (**إن هذا إلا خُلُق الأولين**) - بضم الخاء واللام - يعنون : دينهم وما هم عليه من الأمر هو دين الأوائل من الآباء والأجداد ، ونحن تابعون لهم ، سالكون وراءهم ، نعيش كما عاشوا ، ونموت كما ماتوا ، ولا بعث ولا معاد ؛ ولهذا قالوا : ﴿ **وما نحن بمعذبين** ﴾ .

قال[٢] عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس : ﴿ **إن هذا إلا خُلُق الأولين** ﴾ يقول : دين الأولين . وقاله عكرمة ، وعطاء الخراساني ، وقتادة ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، واختاره ابن جرير(٨) .

قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **فكذبوه فأهلكناهم** ﴾ . أي : فاستمروا علىٰ تكذيب نبي اللّٰه هود ومخالفته وعناده ، فأهلكهم الله . وقد بين سبب إهلاكه إياهم في غير موضع من القرآن بأنه

(٨) تفسير الطبري (١٩/٦٠) .

(*) وهي قراءة عبد اللّٰه بن كثير ، وأبي عمرو ، والكسائي .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

(*) وهم : نافع ، وعاصم ، وابن عامر . وحمزة . [٢] - بياض في : ز ، وفي خ : « حدثنا » .

أرسل عليهم ريحًا صرصرًا عاتية ، أي : ريحًا شديدة الهبوب ، ذات برد شديد جدًّا ، فكان إهلاكهم من جنسهم ، فإنهم كانوا أعتىٰ شيء وأجبره ، فسلط اللَّه عليهم ما هو أعتىٰ منهم وأشد قوة كما قال : ﴿ **ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم** ﴾ . وهم عاد الأولىٰ ؛ كما قال : ﴿ **وأنه أهلك عادًا الأولىٰ** ﴾ وهم من [نسل][١] إرم بن سام بن نوح ﴿ **ذات العماد** ﴾ أي : الذين كانوا يسكنون العَمَد . ومن زعم أن « **إرم** » مدينةٌ ، فإنما أخذ ذلك من الإسرائيليات من كلام كعب ووهب ، وليس لذلك[٢] أصل أصيل ؛ ولهذا قال : ﴿ **التي لم يخلق مثلها في البلاد** ﴾ أي : لم يخلق مثل هذه القبيلة في قوتهم وشدتهم وجبروتهم ، ولو كان المراد بذلك مدينة لقال : التي لم يبن مثلها في البلاد . وقال : ﴿ **فأما[٣] عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أو لم يروا أن اللَّه الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون** ﴾ .

وقد قدمنا أن اللَّه تعالىٰ لم يرسل عليهم من الريح إلا بمقدار أنف الثور ، عتت علىٰ الخزنة بأذن[٤] اللَّه لها في ذلك ، وسلكت وحصبت بلادهم ، فحصبت كل شيء لهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرىٰ إلا مساكنهم** ﴾ الآية[٥] . وقال تعالىٰ : ﴿ **وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسومًا** ﴾ أي : كاملة ، ﴿ **فترىٰ القوم فيها صرعىٰ كأنهم أعجاز نخل خاوية** ﴾ . أي: بقوا أبدانًا بلا رءوس ؛ وذلك أن الريح كانت تأتي الرجل منهم فتقتلعه وترفعه في الهواء ، ثم تنكسه علىٰ أم رأسه فتشدخ دماغه وتكسر رأسه وتلقيه ، كأنهم أعجاز نخل منقعر .

وقد كانوا تحصنوا في الجبال والكهوف والمغارات ، وحفروا لهم في الأرض إلىٰ أنصافهم ، فلم يغن [ذلك عن][٦] أمر اللَّه شيئًا ، ﴿ **إن أجل اللَّه إذا جاء لا يؤخر** ﴾ . ولهذا قال : ﴿ **فكذبوه فأهلكناهم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك لهو العزيز الرحيم** ﴾ .

كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ز ، خ : « كذلك » .
[٣] - في خ : « وأما » .
[٤] - في ت : « فأذن » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ت : «عنهم ذلك من» .

وهذا إخبار من الله - عز وجل - عن عبده ورسوله صالح - عليه السلام - : أنه بعثه إلىٰ قومه ثمود - وكانوا عربًا يسكنون مدينة الحجْر ، التي بين وادي القُرَىٰ وبلاد الشام ، ومساكنهم معروفة مشهورة . [وقد][١] قدمنا في سورة « **الأعراف** » الأحاديث المروية في مُرور رسول الله -صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - بهم حين أراد غزْو الشام ، فوصل إلىٰ تَبُوك ، ثم عاد إلىٰ المدينة ليتأهب لذلك .

وقد كانوا بعد عاد وقبل الخليل - عليه السلام - فدعاهم نبيهم صالح إلىٰ الله عز وجل أن يعبدوه وحده لا شريك له، وأن يطيعوه فيما بلغهم من الرسالة ، فأبوا عليه وكذبوه وخالفوه ، فأخبرهم أنه لا يبتغي بدعوتهم أجرًا منهم ، [وإنـما][٢] يطلب ثواب ذلك من الله - عز وجل - ثم ذكرهم آلاء اللّٰه عليهم فقال :

أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾

يقول لهم واعظًا لهم ومحذرًا إياهم نقم اللّٰه أن تحل بهم ، ومذكرًا بأنعم اللّٰه عليهم فيما رزقهم من الأرزاق الدارة ، وجعلهم في أمن من المحذورات ، وأنبت لهم من الجنات ، وأنبع لهم من العيون الجاريات ، وأخرج لهم من الزروع والثمرات ؛ ولهذا قال : و﴿ **ونخل طلعها هضيم** ﴾ قال العوفي عن ابن عباس : أينع وبَلَغ فهو هضيم .

وقال عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ **ونخل طلعها هضيم** ﴾ ، يقول : مُعْشبة .

[وقال][٣] إسماعيل بن أبي خالد ، عن عمرو بن أبي عمرو - وقد أدرك الصحابة - عن ابن عباس ، في قوله ﴿ **ونخل طلعها هضيم** ﴾ قال : إذا رطُب واسترخىٰ . رواه ابن أبي حاتم . قال : ورُوي عن أبي صالح نحو هذا .

وقال أبو إسحاق ، عن أبي العلاء : ﴿ **ونخل طلعها هضيم** ﴾ قال : هو المذنب من الرطب .

وقال مجاهد : هو الذي إذا كُبس تهشم وتفتت وتناثر .

وقال ابن جريج : سمعت عبد الكريم أبا أمية ، سمعت مجاهدًا يقول :﴿ **ونخل طلعها**

---

[١] - في ت : « قد » .
[٢] - في ت : « إنما » .
[٣] - في ت : « قال » .

هضيم ﴾ . قال : حين يطلع تقبض عليه فتهضمه ، فهو من الرطب الهضيم ، ومن اليابس الهشيم ، تقبض عليه فتهشمه .

وقال عكرمة وقتادة : الهضيم : الرطب اللين .

وقال الضحاك : إذا كثر حمل الثمرة ، [وركب][١] بعضه بعضًا ، فهو هضيم .

وقال مرة : هو الطلع حين يتفرق ويخضر .

وقال الحسن البصري : هو الذي لا نوىٰ له .

وقال أبو صخر : ما رأيت الطلع حين يشق عنه الكم ؛ فترىٰ الطلع قد لصق بعضه ببعض ، فهو الهضيم .

وقوله : ﴿ وتنحتون من الجبال بيوتًا فارهين ﴾ . قال ابن عباس ، وغير واحد : يعني حاذقين . وفي رواية عنه :شرهين أشرين . وهو اختيار مجاهد وجماعة ، ولا منافاة بينهما ، فإنهم كانوا يتخذون تلك البيوت المنحوتة في الجبال أشرًا وبطرًا وعبثًا ، من غير حاجة إلىٰ سكناها ، وكانوا حاذقين متقنين لنحتها ونقشها ، كما هو المشاهد من حالهم لمن رأىٰ منازلهم ؛ ولهذا قال : ﴿ فاتقوا الله وأطيعون ﴾ أي : أقبلوا علىٰ عَمَل ما يعود نفعه عليكم في الدنيا والآخرة ، من عبادة ربكم الذي خلقكم ورزقكم لتوحدوه وتعبدوه وتسبحوه بكرة وأصيلًا ، ﴿ ولا تطيعوا أمر المسرفين * الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ﴾ يعني : رؤساءهم وكبراءهم ، الدعاة لهم إلىٰ الشرك والكفر ، ومخالفة الحق .

قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن ثمود في جوابهم لنبيهم صالح - عليه السلام - حين دعاهم إلىٰ عبادة ربهم ، ﴿ قالوا إنما أنت من المسحَّرين ﴾ ، قال مجاهد وقتادة : يعنون من المسحورين .

---

[١] - في ت : « ركب » .

وروىٰ أبو صالح، عن ابن عباس: ﴿من المسحّرين﴾ يعني: من[١] المخلوقين. واستشهد بعضهم علىٰ هذا القول بما قال الشاعر:

فإن تسألينا فيمَ[٢] نحن فإننا عصافيرُ من هذا الأنام المُسَحَّر

يعني: الذين لهم سُحور. والسَّحر هو الرئة، والأظهر في هذا قول مجاهد وقتادة أنهم يقولون: إنما أنت في قولك هذا مسحورًا لا عقل لك.

ثم قالوا: ﴿ما أنت إلا بشر مثلنا﴾. يعني: فكيف أوحي إليك دوننا؟ كما قالوا في الآية الأخرىٰ: ﴿أألقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر * سيعلمون غدًا من الكذاب الأشر﴾. ثم إنهم اقترحوا عليه آية يأتيهم بها، ليعلموا صدقه بما جاءهم به من ربهم فطلبوا منه - وقد اجتمع ملؤهم - أن يخرج لهم الآن من هذه الصخرة - وأشاروا إلىٰ صخرة عندهم - ناقةً عُشَراء من صفتها كذا وكذا. فعند ذلك أخذ عليهم نبي اللَّه صالح العهود والمواثيق، لئن أجابهم إلىٰ ما سألوا لَيُؤمنُنّ به وليتبعنه، فأنعموا بذلك(*). فقام [نبي اللَّه][٣] صالح - عليه السلام - فصلىٰ، ثم دعا اللَّه - عز وجل - أن يجيبهم إلىٰ سؤالهم، فانفطرت تلك الصخرة التي أشاروا إليها عن ناقة عُشَراء، علىٰ الصفة التي وصفوها، فآمن بعضهم وكفر أكثرهم، ﴿قال هذه ناقة لها شربٌ ولكم شرب يوم معلوم﴾ يعني: ترد ماءكم يومًا، ويوما تَردونه أنتم، ﴿ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم﴾ فحذرهم نقمة اللَّه إن أصابوها بسوء، فمكثت الناقة بين أظهرهم حينًا من الدهر ترد الماء، وتأكل الورق والمرعىٰ، وينتفعون بلبنها، يحتلبون منها ما يكفيهم شربًا وريًّا، فلما طال عليهم الأمد وحضر شقاؤهم، تمالئوا علىٰ قتلها وعقرها، ﴿فعقروها فأصبحوا نادمين * فأخذهم العذاب﴾. وهو أن أرضهم زُلزلت زلزالًا شديدًا، وجاءتهم صيحة عظيمة اقتلعت القلوب عن محالها، وأتاهم من الأمر مالم يكونوا يحتسبون، فأصبحوا في ديارهم جاثمين، ﴿إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾.

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن عبده ورسوله لوط - عليه السلام - وهو: لوط بن هاران بن آزر،

---

[١] - سقط من: ز.

[٢] - في خ: « فيهم ».

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز.

(*) أنعم له: قال لله: نعم.

وهو ابن أخي إبراهيم الخليل ، وكان اللّٰه تعالىٰ قد بعثه إلىٰ أمة عظيمة في حياة إبراهيم ، وكانوا يسكنون « سَدُوم » وأعمالها التي أهلكها [اللّٰه بها][١] ، وجعل مكانها بحيرة منتنة خبيثة ، وهي مشهورة ببلاد الغور ، متاخمة لجبال البيت المقدس ، بينها وبين بلاد الكَرَك والشَّوبَك . فدعاهم إلىٰ اللّٰه -عز وجل - أن يعبدوه وحده لا شريك له ؛ وأن يطيعوا رسولهم الذي بعثه اللّٰه إليهم ، ونهاهم عن معصية الله ، وارتكاب ما كانوا قد ابتدعوه في العالم ، مما لم يسبقهم الخلائق إلىٰ فعله ، من إتيان الذكران دون الإناث ؛ ولهذا قال تعالىٰ :

أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾

لما نهاهم نبي اللّٰه عن إتيانهم الفواحش ، وغشيانهم الذكور ، وأرشدهم إلىٰ إتيان نسائهم اللاتي خلقهن اللّٰه لهم ، ما كان جواب قومه له إلا أن قالوا : ﴿ **لئن لم تنته يا لوط** ﴾ ، يعنون عما جئتنا به ، ﴿ **لتكونن من المخرجين** ﴾ ، أي : ننفيك من بين أظهرنا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون** ﴾ فلما رأىٰ أنَّهم لا يرتدعون عما هم فيه ، وأنهم مستمرون علىٰ ضلالهم[٢] ، تبرأ منهم فقال : ﴿ **إني لعملكم من القالين** ﴾ . أي : المُبغضين[٣] ، لا أحبه ولا أرضىٰ به ، وأنا[٤] بريء منكم . ثم دعا اللّٰه عليهم ؛ قال : ﴿ **رب نجني وأهلي مما يعملون** ﴾ .

قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **فنجيناه وأهله أجمعين** ﴾ . أي : كلهم ، ﴿ **إلا عجوزًا في الغابرين** ﴾ ، وهي امرأته ، وكانت عجوز سوء ، بقيت فهلكت مع من بقي من قومها ،وذلك كما أخبر اللّٰه تعالىٰ عنهم في « **سورة الأعراف** » و« **هود** » ، وكذا في « **الحجْر** » حين أمره اللّٰه أن يسري بأهله إلا امرأته ، وأنهم لا يلتفتون إذا سمعوا الصيحة حين تنزل علىٰ قومه ،

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ت : « ضلالتهم » .

[٣] - في خ ، ز : « البغيضين » .

[٤] - في ت : « فأنا » .

فصبروا لأمر اللّه واستمروا ، وأنزل اللّه على أولئك العذابَ الذي عمَّ جميعهم ، وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود ، ولهذا قال : ﴿ **ثم دمرنا الآخرين * وأمطرنا عليهم مطرًا فساء مطر المنذرين . إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك لهو العزيز الرحيم** ﴾ .

كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٧٩) وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٨٠)

هؤلاء - أعني : أصحاب الأيكة - هم أهل مدين على الصحيح . وكان نبي اللّه شعيب من أنفسهم ، وإنما لم يقل هاهنا : أخوهم [شعيب][١] ، لأنهم نسبوا إلىٰ عبادة الأيكة ، وهي شجرة ، وقيل : شجر ملتف كالغَيضة[٢] ، كانوا يعبدونها ، فلهذا لما قال : ﴿ **كذب أصحاب الأيكة المرسلين** ﴾ ، لم يقل : « **إذ قال لهم أخوهم شعيب** » . وإنما قال : ﴿ **إذ قال لهم شعيب** ﴾ . فقطع نسبة الأخوة بينهم ؛ للمعنىٰ الذي نسبوا إليه ، وإن كان أخاهم نسبًا . ومن الناس من لم يتفطن لهذه النكتة، فظن أن أصحاب الأيكة غير أهل مدين ، فزعم أن شعيبًا - عليه السلام - بعثه اللّه إلىٰ أمتين ، ومنهم من قال : ثلاث أمم .

وقد روىٰ إسحاق بن بشر الكاهلي - وهو ضعيف - حدثني ابن السدي ، عن أبيه وزكريا بن عمر[٣] ، عن خصيف ، عن عكرمة ، قال[٤] : ما بعث اللّه نبيًا مرتين إلا شعيبًا ، مرة إلىٰ مدين فأخذهم اللّه بالصيحة ، ومرة إلىٰ أصحاب الأيكة فأخذهم اللّه بعذاب يوم الظلة .

وروىٰ أبو القاسم البغوي ، عن هُدْبة ، عن هَمام ، عن قتادة في قوله تعالىٰ : ﴿ **وأصحاب الرس** ﴾ : قوم شعيب ، وقوله : ﴿ **وأصحاب الأيكة** ﴾ : قوم شعيب .

قال إسحاق بن بشر. وقال غير جويبر: أصحاب الأيكة ومدين هما واحد. واللّه أعلم.

وقد روىٰ الحافظ ابن عساكر(٩) في ترجمة « **شعيب** » من طريق محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، عن أبيه ، عن معاوية بن هشام ، عن هشام بن سعد[٥] ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن

---

(٩) انظر : مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٣٠٩/١٠) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ز : « كالغيظة » . والغيضة : الأكمة ، أو الموضع يكثر فيه الشجر ويلتفّ .

[٣] - في ز : « عمرو » .

[٤] - في ت : « قالا » .

[٥] - في ز : « سعيد » .

ربيعة ابن سيف ، عن عبد الله بن عمرو ؛ قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن قوم مدين وأصحاب الأيكة أمتان ، فبعث**[١] **الله إليهم**[٢] **شعيبًا النبي عليه السلام** » .

وهذا غريب ، وفي رفعه نظر ، والأشبه أن يكون موقوفًا[٣] . والصحيح أنهم أمة واحدة ، وصفوا في كل مقام بشيء . ولهذا وعظ لهؤلاء[٤] وأمرهم بوفاء المكيال والميزان ، كما في قصة مدين سواء بسواء ، فدل ذلك علىٰ أنهم أمة واحدة .

﴿ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ (١٨١) وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (١٨٣) وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ (١٨٤)

يأمرهم تعالىٰ بإيفاء المكيال والميزان ، وينهاهم عن التطفيف فيهما ، فقال : ﴿ **أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين** ﴾ أي : إذا دفعتم إلىٰ الناس فكملوا الكيل لهم ، ولا تخسروا الكيل فتعطوه ناقصًا ، وتأخذوه - إذا كان لكم - تامًّا وافيًا ، ولكن خذوا كما تعطون ، وأعطوا كما تأخذون .

﴿ **وزنوا بالقسطاس المستقيم** ﴾ والقسطاس هو : الميزان ، وقيل : القبان . قال بعضهم : هو معرب من الرومية. وقال مجاهد : القسطاس : المستقيم العدل بالرومية . وقال قتادة : القسطاس: العدل .

وقوله : ﴿ **ولا تبخسوا الناس أشياءهم** ﴾ ، أي : لا تَنْقُصُوهُمْ أموالهم ، ﴿ **ولا تعثوا في الأرض مفسدين** ﴾ ، يعني : قطع الطريق ، كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **ولا تقعدوا بكل صراط توعدون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين** ﴾ ، يخوفهم بأس الله الذي خلقهم وخلق آباءهم الأوائل ، كما قال موسىٰ عليه السلام : ﴿ **ربكم ورب آبائكم الأولين** ﴾ ، قال ابن عباس ، ومجاهد ، والسدي ، وسفيان بن عيينة ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ﴿ **والجبلة الأولين** ﴾ ، يقول : خلق الأولين . وقرأ ابن زيد : ﴿ **ولقد أضل منكم جبلًا كثيرًا** ﴾ .

قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ (١٨٥) وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ

---

[١] - في ت : « بعث » . [٢] - في ت : « إليهما » .
[٣] - في خ ، ز : « مرفوعًا » . [٤] - في ز : « لهولاء » .

ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾
قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ
عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾

يخبر تعالىٰ عن جواب قومه له بمثل ما أجابت به ثمود لرسولها - تشابهت قلوبهم - حيث قالوا : ﴿ **إنما أنت من المسحرين** ﴾ ، يعنون : من المسحورين ، كما تقدم . ﴿ **وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين** ﴾ ، أي : تتعمد الكذب فيما تقوله ، لا أن اللَّه أرسلك إلينا ، ﴿ **فأسقط علينا كسفًا من السماء** ﴾ ، قال الضحاك : جانبًا من السماء . وقال قتادة : قطعًا من السماء ، وقال السدي : عذابًا من السماء . وهذا شبيه بما قالت قريش فيما أخبر اللَّه عنهم في قوله تعالىٰ : ﴿ **وقالوا لن نؤمن لك حتىٰ تفجر لنا من الأرض ينبوعًا** ﴾ ، إلىٰ أن قالوا :﴿ **أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفًا أو تأتي باللَّه والملائكة قبيلًا** ﴾ ، وقوله : ﴿ **وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم** ﴾ وهكذا قال هؤلاء الكفرة الجهلة : ﴿ **فأسقط علينا كسفًا من السماء إن كنت من الصادقين** ﴾ . ﴿ **قال ربي أعلم بما تعملون** ﴾ . يقول : اللَّه أعلم بكم ، فإن كنتم تستحقون ذلك جازاكم به غير ظالم لكم . وكذلك وقع بهم كما سألوا جزاء وفاقًا ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم** ﴾ . وهذا من جنس ما سألوا من إسقاط الكسَف عليهم ؛ فإن اللَّه سبحانه وتعالىٰ جعل عقوبتهم أن أصابهم حر شديد جدًّا مدة سبعة أيام لا يَكُنّهم(*) منه شيء ، ثم أقبلت إليهم سحابة أظلتهم فجعلوا ينطلقون إليها يستظلون بظلها من الحر ، فلما اجتمعوا تحتها أرسل اللَّه تعالىٰ عليهم منها شررًا من نار ولهبًا ووهجًا عظيمًا ، وَرَجفت بهم الأرض ، وجاءتهم صيحة عظيمة أزهقت أرواحهم ، ولهذا قال : ﴿ **إنه كان عذاب يوم عظيم** ﴾ .

وقد ذكر اللَّه تعالىٰ صفة إهلاكهم في ثلاثة مواطن ، كل موطن بصفة تناسب ذلك السياق ، ففي الأعراف ذكر أنه[١] أخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين ، وذلك لأنهم قالوا : ﴿ **لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا** ﴾ فأرجفوا بنبي اللَّه ومن اتبعه ، فأخذتهم الرجفة . وفي سورة هود قال : ﴿ **وأخذت[٢] الذين ظلموا الصيحة** ﴾ وذلك لأنهم استهزءوا بنبي اللَّه في قولهم : ﴿ **أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد**

(*) كنّ الشيءَ : ستره .

[١] - في ت : « أنهم » .

[٢] - في ز ، خ : « فأخذت » .

آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد ﴾ . قالوا ذلك علىٰ سبيل التهكم والازدراء ، فناسب أن تأتيهم صيحة تسكتهم ، فقال : ﴿ **[وأخذت الذين ظلموا]**[١] **الصيحة** ﴾ . وهاهنا قالوا : ﴿ **فأسقط علينا كسفًا من السماء إن كنت من الصادقين** ﴾ . علىٰ وجه التعنت والعناد ، فناسب أن يحق[٢] عليهم ما استبعدوا وقوعه : ﴿ **فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم** ﴾ .

قال قتادة : قال عبد اللّٰه بن [عمرو][٣] - رضي اللّٰه عنه - : إن اللّٰه سلط عليهم الحر سبعة أيام حتىٰ ما يظلهم منه شيء ، ثم إن اللّٰه أنشأ لهم سحابة ، فانطلق إليها أحدهم واستظل بها ، فأصاب تحتها بردًا وراحة ، فأعلم بذلك قومه ، فأتوها جميعًا فاستظلوا تحتها ، فأجّجَتْ عليهم نارًا .

وهكذا روي عن عكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وغيرهم .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : بعث اللّٰه إليهم الظلة ، حتىٰ إذا اجتمعوا كلّهم كشف اللّٰه عنهم الظلة ، وأحمىٰ عليهم الشمس فاحترقوا كما يحترق الجراد في المَقْلَىٰ .

وقال محمد بن كعب القُرظي : إن أهل مدين عذبوا بثلاثة أصناف من العذاب : أخذتهم الرجفة في دارهم حتىٰ خرجوا منها ، فلما خرجوا منها أصابهم فزع شديد ، فَفَرَقُوا أن يدخلوا إلىٰ البيوت فتسقط عليهم ، فأرسل اللّٰه عليهم الظلة ، فدخل تحتها رجل فقال : ما رأيت كاليوم ظلًا[٤] أطيب ولا أبرد [من هذا][٥] ، هلموا أيّها الناس . فدخلوا جميعًا تحت الظلة ، فصاح فيهم[٦] صيحة واحدة ، فماتوا جميعًا . ثم تلا محمد بن كعب : ﴿ **فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم** ﴾ .

وقال ابن جرير(١٠) : حدثني الحارث ، حدثني الحسن ، حدثني سعيد بن زيد - أخو حماد بن زيد - حدثني حاتم بن أبي صغيرة ، حدثني يزيد الباهلي : سألت ابن عباس عن هذه الآية : ﴿ **فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم** ﴾ قال : بعث اللّٰه عليهم رعدا وحرا شديدا فأخذ بأنفاسهم ، فخرجوا من البيوت هرابًا إلىٰ البرية؛ فبعث اللّٰه سحابة فأظلتهم من الشمس ، فوجدوا لها بردًا ولذة ، فنادىٰ بعضهم بعضًا ، حتىٰ إذا اجتمعوا تحتها أرسلها اللّٰه[٧] عليهم نارًا . قال ابن عباس : فذاك[٨] عذاب يوم الظلة ، ﴿ **إنه كان عذاب يوم عظيم** ﴾ .

---

(١٠) تفسير الطبري (١٩/٦٧) .

---

[١] - في ز ، خ : « فأخذتهم » .
[٢] - في ز ، خ : « يحقق » .
[٣] - في ت : « عمر » .
[٤] - في ز ، خ : « ظلة » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ت : « بهم » .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - في ت : « فذلك » .

﴿ **إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم** ﴾ أي : العزيز في انتقامه من الكافرين ، الرحيم بعباده المؤمنين .

وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن الكتاب الذي أنزله علىٰ عبده ورسوله محمد - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - : ﴿ **وإنه** ﴾ ، أي : القرآن الذي تقدم ذكره في أول السورة في قوله : ﴿ **وما يأتيهم من ذكر من الرحمن**[١] **محدث** ﴾ ، ﴿ **لتنزيل رب العالمين** ﴾ أي : أنزله اللّٰه عليك وأوحاه إليك ، ﴿ **نزل به الروح الأمين** ﴾ ، وهو جبريل عليه السلام ، قاله غير واحد من السلف : ابن عباس ، ومحمد بن كعب ، وقتادة ، وعطية العوفي ، والسدي ، والضحاك ، والزهري ، وابن جريج ، وهذا ما لا نزاع فيه .

قال الزهري : وهذه كقوله : ﴿ **قل من كان عدوًّا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله** ﴾ الآية .

وقال مجاهد : من كلمه الروح الأمين لا تأكله الأرض .

[﴿ **علىٰ قلبك لتكون من المنذرين** ﴾، أي : نزل به ملك كريم أمين، ذو مكانة عند الله ، مطاع في الملأ الأعلىٰ ، ﴿ **علىٰ قلبك** ﴾ يا محمد ، سالمًا من الدنس والزيادة والنقص][٢] ؛ ﴿ **لتكون من المنذرين** ﴾ ، أي : لتنذر به بأس اللّٰه ونقمته علىٰ من خالفه وكذبه ، وتبشر به المؤمنين المتبعين له .

وقوله : ﴿ **بلسان عربي مبين** ﴾ ، أي : هذا القرآن الذي أنزلناه إليك [أنزلناه][٣] بلسانك العربي الفصيح الكامل الشامل ، ليكون بيّنًا واضحًا ظاهرًا ، قاطعًا للعذر ، مقيمًا للحجة ، دليلًا إلى المحجة .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبد اللّٰه بن أبي بكر العَتَكِيّ ، حدثنا عباد بن عباد المُهَلّبي ، عن موسىٰ بن محمد بن إبراهيم التيمي ، عن أبيه ؛ قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه في يوم دجن(*) إذ قال لهم : « **كيف ترون بواسقها**(**) ؟ » . قالوا : ما

---

[١] - في ز ، خ : « ربهم » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

(*) الدجن : إلباس الغيم الأرض وأقطار السماء . ويقال : يومُ دجنٍ ، ويومٌ دجنٌ .

(**) قال ابن الأثير : أي : ما استطال من فروعها .

أحسنها وأشد تراكمها ! قال : « **فكيف ترون قواعدها**(*) ؟ » . قالوا : ما أحسنها وأشد تمكنها قال : « **فكيف ترون جَوْنَهَا**(**) ؟ »[١] ؟ قالوا : ما أحسنه وأشد سواده ! قال : « **فكيف ترون رحاها استدارت** ؟ » قالوا : ما أحسنها وأشد استدارتها ! قال : « **فكيف ترون برقها ؟ أوميض ، أم خَفْو**[٢] ، **أم يَشُقّ شَقًّا** ؟ » . قالوا : بل يشق شقًّا . قال : « **الحياء الحياء إن شاء الله** » . قال : فقال رجل : يا رسول الله ، بأبي وأمي ما أفصحك[٣] ! ما رأيت الذي هو أعرب منك . قال : فقال : « **حُقَّ لي ، وإنما نزل**[٤] **القرآن بلساني ، والله يقول : ﴿ بلسان عربيّ مبين ﴾** »(١١) .

وقال سفيان الثوري : لم ينزل وحي إلا بالعربية ، ثم تَرْجم كل نبي لقومه ، واللسان يوم القيامة بالسريانية ، فمن دخل الجنة تكلم بالعربية . رواه ابن أبي حاتم .

وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾

يقول تعالىٰ : وإن ذكر هذا القرآن والتنويه به لَموجود في كتب الأولين المأثورة عن أنبيائهم الذين بشروا به في قديم الدهر وحديثه ، كما أخذ الله عليهم الميثاق بذلك حتىٰ قام آخرهم خطيبًا في ملئه بالبشارة بأحمد : **﴿ وإذ قال عيسىٰ ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقًا لما بين يدي من التوراة ومبشرًا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴾** والزُبُر هاهنا هي الكتب وهي جمع زبُور[٥] ، وكذلك الزبور ، وهو كتاب داود ، وقال تعالىٰ : **﴿ وكل شيء فعلوه في الزبر ﴾** ، أي : مكتوب عليهم في صحف الملائكة .

ثم قال تعالىٰ : **﴿ أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل ﴾** ، أي : أَوَ ليس يكفيهم[٦] من الشاهد الصادق علىٰ ذلك : أن العلماء من بني إسرائيل يجدون ذكر هذا القرآن في كتبهم التي يدرسونها ؟ والمراد العدول منهم ، الذين يعترفون بما في أيديهم من صفة محمد - صلىٰ الله عليه وسلم - ومبعثه وأمته ، كما أخبر بذلك مَنْ آمن منهم كعبد الله بن

(١١) ورواه الرامهرمزي في أمثال الحديث ص (١٥٥) من طريق عبد الله بن محمد الأموي ، عن عباد بن عباد المهلبي به .

(*) الضمير يعود على سحابة ، والمراد بقواعدها : ما اعترض منها وسَفَل .

(**) الجون : الأسود ، أو الأسود تخالطه حمره .

[١] - في خ : « حربها » ، في ز : « حرها » .
[٢] - في خ ، ز : « خفق » .
[٣] - في ز : « أفحك » .
[٤] - في ز : « نزل » .
[٥] - في خ ، ز : « زبرة » .
[٦] - في ز : « يكفيكم » .

سلام ، وسلمان الفارسي ، عمن أدركه منهم ومن شاكلهم . وقال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **الذين يتبعون الرسول النبي الأميّ الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل** ﴾ الآية .

ثم قال تعالىٰ مخبرًا عن شدة كفر قريش وعنادهم لهذا القرآن إنه لو أنزله علىٰ رجل من الأعاجم ، ممن لا يدري من العربية كلمة ، وأنزل عليه هذا الكتاب ببيانه وفصاحته ، لا يؤمنون به ، ولهذا قال : ﴿ **ولو نزّلناه علىٰ بعض الأعجمين * فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين** ﴾ ، كما أخبر عنهم في الآية الأخرىٰ : ﴿ **ولو فتحنا عليهم بابًا من السماء فظلوا فيه يعرجون * لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون** ﴾ وقال تعالى : ﴿**ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلًا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله** ﴾ . وقال : ﴿ **إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون . ولو جاءتهم كل آية حتىٰ يروا العذاب الأليم** ﴾ .

كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾

يقول تعالىٰ : كذلك سلكنا التكذيب والكفر والعناد والجحود ، أي : أدخلناه في قلوب المجرمين ، ﴿ **لا يؤمنون به** ﴾ أي : بالحق ، ﴿ **حتىٰ يروا العذاب الأليم** ﴾ ، أي : حيث لا ينفع الظالمين معذرتهم ، ولهم اللعنة ولهم سوء الدار . ﴿ **فيأتيهم بغتة** ﴾ أي : عذاب اللّٰه بغتة ، ﴿ **وهم لا يشعرون * فيقولوا هل نحن منظرون** ﴾ أي : يتمنون حين يشاهدون العذاب أن لو أنظروا قليلًا ليعملوا[١] بطاعة اللّٰه ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلىٰ أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال** ﴾ فكل ظالم وفاجر وكافر إذا شاهد[٢] عقوبته ندم ندمًا شديدًا ؛ هذا فرعون لما دعا عليه الكليم بقوله : ﴿ **ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالًا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس علىٰ أموالهم واشدد علىٰ قلوبهم فلا يؤمنوا حتىٰ يروا العذاب الأليم * قال قد أجيبت دعوتكما** ﴾ ، فأثرت هذه الدعوة في فرعون ، فما آمن حتىٰ رأىٰ العذاب الأليم ، ﴿ **حتىٰ إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا**

---

[١] - في ت : « لعملوا » . [٢] - في ز ، خ : « شاهدوا » .

الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين * آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ﴾ . وقال : ﴿ فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين * فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا ﴾ الآية ، وقوله تعالىٰ : ﴿ أفبعذابنا يستعجلون ﴾ ، إنكار عليهم ، وتهديد لهم ، فإنهم كانوا يقولون للرسول تكذيبًا واستبعادًا : ﴿ ائتنا بعذاب الله ﴾ كما قال تعالى : ﴿ويستعجلونك بالعذاب[ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين][١] ﴾ ، ثم قال : ﴿ أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون * ما أغنىٰ عنهم ما كانوا يمتعون ﴾ ، أي : [ولو][٢] أخرناهم وأنظرناهم وأملينا لهم برهة من الزمان وحينًا من الدهر وإن طال ، ثم جاءهم أمر الله ، أيّ شيء يجدي عنهم ما كانوا فيه من النعيم ﴿ كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها ﴾ .

وقال تعالى : ﴿يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر﴾ وقال تعالى : ﴿وما يغني عنه ماله إذا تردى﴾ .

ولهذا قال : ﴿ ما أغنىٰ عنهم ما كانوا يمتعون ﴾ .

وفي الحديث الصحيح(١٢) : « يؤتىٰ بالكافر فيغمس في النار غمسة ، ثم يقال له : هل رأيت خيرًا قط ؟ هل رأيت نعيمًا قط ؟ فيقول : لا [والله يارب][٣] . ويؤتىٰ بأشد الناس بؤسًا - كان في الدنيا - فيصبغ في الجنة صبغة ، ثم يقال له : هل رأيت بؤسًا قط ؟ فيقول : لا [والله يا رب][٤] ، » أي : ما كأن شيئًا[٥] كان ؛ ولهذا كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يتمثل بهذا البيت :

كأنك لَمْ تُوتِرْ مِنَ الدهر ليلةً   إذا أنت أدركتَ الذي كنتَ تطلب

ثم قال تعالىٰ مخبرًا عن عدله في خلقه : إنّه ما أهلك أمة من الأمم إلا بعد الإعذار إليهم والإنذار لهم وبعثة الرسل إليهم[٦] وقيام الحجج عليهم . ولهذا قال : ﴿ وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون * ذكرىٰ وما كنا ظالمين ﴾ كما قال تعالىٰ : ﴿ وما كنا معذّبين حتىٰ نبعث رسولًا ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ وما كان ربك مهلك القرىٰ حتىٰ يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرىٰ إلا وأهلها ظالمون ﴾ .

---

(١٢) رواه مسلم حديث ٥٥ - (٢٨٠٧) . والنسائي (٣٦/٦) . وأحمد في مسنده (٢٠٣/٣) (١٣١٣٥) من حديث أنس بن مالك ، رضي الله عنه .

---

[١] - سقط من : ت .
[٢] - في ت : « لو » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : « شيء » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن كتابه العزيز ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد : إنه نزل به الروح الأمين المؤيد من الله ، ﴿ **وما تنزلت به الشياطين** ﴾ . ثم ذكر أنه يمتنع عليهم من ثلاثة أوجه ، أحدها : أنه لا[١] ينبغي لهم[٢] ، أي : ليس هو[٣] من بُغْيَتِهم ولا من طَلِبَتهم ؛ لأن من سجاياهم الفساد وإضلال العباد ، وهذا فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ونور وهدىً وبرهان عظيم ، فبينه وبين الشياطين منافاة عظيمة ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وما ينبغي لهم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وما يستطيعون** ﴾ ، أي : ولو انبغىٰ لهم لما استطاعوا ذلك ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **لو أنزلنا هذا القرآن علىٰ جبل لرأيته خاشعًا متصدعًا من خشية الله** ﴾ ثم بين أنه لو انبغىٰ لهم واستطاعوا حمله وتأديته ، لما وصلوا إلىٰ ذلك ؛ لأنهم بمعزل عن استماع القرآن حال نزوله ، لأن السماء ملئت حرسًا شديدًا وشُهُبًا في مُدّة إنزال القرآن علىٰ رسوله فلم يخلص أحد من الشياطين إلىٰ استماع حرف واحد منه ، لئلا يشتبه الأمر . وهذا من رحمة الله بعباده ، وحفظه لشرعه ، وتأييده لكتابه ولرسوله ، ولهذا قال : ﴿ **إنهم عن السمع لمعزولون** ﴾ ، كما قال تعالىٰ مخبرًا عن الجن : ﴿ **وأنّا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسًا شديدًا وشهبًا * وأنّا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابًا رصدًا * و أنّا لا ندري أشرّ أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدًا** ﴾ .

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾

يقول تعالى آمرًا بعبادته وحده لا شريك له ومخبرًا أن من أشرك به عذبه .

ثم قال تعالىٰ آمرًا لرسوله - صلىٰ الله عليه وسلم - أن ينذر عشيرته الأقربين ، أي : الأدنين

---

[١] - في ت : « لا » .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

إليه ، وأنه لا يُخلِّص أحدًا منهم إلا إيمانه بربه عز وجل . وأَمَرَه به[١] أن يُلين جانبه لمن اتبعه من عباد اللّٰه المؤمنين ، ومن عصاه من خلق اللّٰه كائنًا من كان فليتبرأ منه ، ولهذا قال : ﴿ **فإن عصوك فقل إني بريءٌ مما تعملون** ﴾ . وهذه النّذارة الخاصة لا تنافي العامة ، بل هي فرد من أجزائها ، كما قال : ﴿ **لتُنذر قومًا ما أنذر آباؤهم فهم غافلون** ﴾ وقال : ﴿ **لتنذر أم القرى ومن حولها** ﴾ ، وقال : ﴿ **وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلىٰ ربهم** ﴾ وقال : ﴿ **لتبشر به المتقين وتنذر به قومًا لدًّا** ﴾ وقال : ﴿ **لأنذركم به ومن بلغ** ﴾ كما قال : ﴿ **ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده** ﴾ .

وفي صحيح مسلم :« **والذي نفسي بيده ، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ، يهُودي ولا نصراني ، ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار** » .

وقد وردت أحاديث كثيرة في نزول هذه الآية الكريمة ، فلنذكرها :

الحديث الأول : قال الإمام أحمد(١٣) - رحمه الله - : حدثنا عبد اللّٰه بن نمير ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مُرة ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ؛ قال : لما أنزل اللّٰه عز وجل : ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ ، أتىٰ النبي - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - الصفا فصعد عليه ، ثم نادىٰ :« **يا صباحاه** » . فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيء إليه ، وبين رجل يبعث رسوله ، فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **يا بني عبد المطلب ، يا بني فهر ، يا بني لؤي**[٢] ، **أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلًا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم ، صدقتموني؟** » . قالوا : نعم . قال :« **فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد** » . فقال أبو لهب : تبًا لك سائر اليوم ! أما دعوتنا إلا لهذا ؟ وأنزل الله : ﴿ **تبت يدا أبي لهب وتب** ﴾ .

ورواه البخاري ومسلم والنسائي والترمذي ، من طرق ، عن الأعمش ، به .

الحديث الثاني : قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا هشام ، عن أبيه ، عن عائشة ؛ قالت : لما نزلت : ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ ، قام رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقال : « **يا فاطمة بنة محمد ، يا صفية بنة عبد المطلب ، يا بني عبد المطلب ، لا أملك لكم من اللّٰه شيئًا سلوني من مالي ما شئتم** » . انفرد بإخراجه مسلم(١٤) .

---

(١٣) المسند ، وصحيح البخاري حديث (٤٨٠١) ، وصحيح مسلم حديث (٢٠٨) ، والنسائي في السنن الكبرى حديث (١١٧١٤) ، وسنن الترمذي حديث (٣٣٦٣) .

(١٤) المسند (١٣٦/٦ ، ١٨٧) (٢٥١٥٦، ٢٥٦٤٣) ، أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب : قوله

---

[١] - سقط من : ت .

[٢] - بياض في : ز .

الحديث الثالث : قال أحمد(١٥) : حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا زائدة ، حدثنا عبد الملك بن عُمير ، عن موسىٰ بن طلحة ، عن أبي هريرة - رضي اللّه عنه - قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ ، دعا رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم قريشًا[١] ، فعم وخص ، فقال : « **يا معشر قريش ، أنقذوا أنفسكم من النار . يا معشر بني كعب ، أنقذوا أنفسكم ، من النار ، [يا معشر بني عبد مناف ، أنقذوا أنفسكم من النار]**[٢] **. يا معشر بني هاشم ، أنقذوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني عبد المطلب ، أنقذوا أنفسكم من النار ، [يا فاطمة بنت محمد ، أنقذي نفسك من النار]**[٣] **فإني والله - ما أملك لكم من الله شيئًا إلا أن لكم رحمًا سأبُلُّها**[٤] **بِبلالها**(*) » . ورواه مسلم والترمذي ، من حديث عبد الملك بن عمير ، به ، وقال الترمذي : غَريب من هذا الوجه .

ورواه النسائي(١٦) من حديث موسى بن طلحة مرسلًا ، لم يذكر فيه[٥] أبا هريرة . والموصول هو الصحيح .

وأخرجاه في الصحيحين من حديث الزهري ، عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة(١٧) .

وقال الإِمام أحمد(١٨) : حدثنا يزيد، حدثنا محمد - يعني ابن إسحاق - عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **يا بني عبد المطلب، اشتروا أنفسكم من الله، يا صفية عمة رسول الله، ويا فاطمة بنت رسول الله ، اشتريا أنفسكما من الله ، لا أُغني عنكما [من اللّه]**[٦] **شيئًا ، سلاني من مالي**

تعالى: ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ . (١/١٩٢/رقم : ٢٠٥) . والترمذي في كتاب الزهد ، باب : ما جاء في إنذار النبي صلى الله عليه وسلم قومه . (٤/٥٥٤ ، ٥٥٥/رقم : ٢٣١٠) . وكتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الشعراء (٥/٣٣٨/رقم: ٣١٨٤) . والنسائي في كتاب الوصايا ، باب : إذا أوصى لعشيرته الأقربين . (٦/٢٥٠/رقم : ٣٦٤٨) . كلهم من طريق هشام بن عروة به .

(١٥) المسند (٢/٣٦٠) ، وصحيح مسلم حديث (٢٠٤) ، وسنن الترمذي حديث (٣١٨٥) .

(١٦) سنن النسائي (٦/٢٤٨) .

(١٧) صحيح البخاري حديث (٤٧٧١) ، وصحيح مسلم حديث (٢٠٦) .

(١٨) المسند (٢/٤٤٨) .

[١] - بياض في : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٤] - في م : « سأبلوها » .

(*) أي : أصلكم في الدنيا ، ولا أغنى عنكم من اللّه شيئًا . والبلال جمع بَلَل . وقيل : هو كُلُّ ما بلَّ الحلق من ماء ، أو لبن ، أو غيره .

[٥] - في ت : « به » .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

ما شئتما » . تفرد به من هذا الوجه ،

وتفرد به أيضًا ، عن معاوية ، عن زائدة ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - بنحوه(١٩) .

ورواه أيضًا عن حسن ، ثنا ابن لهيعة ، عن الأعرج : سمعت[١] أبا هريرة ... مرفوعًا(٢٠) .

وقال أبو يعلىٰ : حدثنا سُويد بن سَعيد ، حدثنا ضمام بن إسماعيل ، عن موسىٰ بن وَرْدَان ، عن أبي هريرة ، عن النبي - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - : **« يا بني قصيّ ، يا بني هَاشم ، يا بني عبد مناف ، أنا النذير والموت المغير ، والساعة الموعد »**(٢١) .

الحديث الرابع : قال أحمد(٢٢) : حدثنا يحيىٰ بن سعيد ، حدثنا التيمي ، عن أبي عثمان ، عن قَبيصة بن مُخَارق وزهير بن عمرو ؛ قالا : لما نزلت : **﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾** ، صَعد رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم رَضْمَة(*) من جبل علا أعلاها حجرًا ، فجعل ينادي[٢] : **« يا بني عبد مناف ، إنما أنا نذير ، إنما مثلي ومثلكم كرجل رأىٰ العدو ، فذهب يربأ(**)[٣] أهله - يخشىٰ أن يسبقوه - فجعل ينادي ويهتف : يا صباحاه »** .

ورواه مسلم والنسائي ، من حديث سليمان بن طرخان التيمي ، عن أبي عثمان عبد الرحمن بن مُلّ النَّهْدي[٤] ، عن قَبيصة وزُهير بن عَمْرو الهلالي ، به .

الحديث الخامس : قال الإمام أحمد (٢٣) : حدثنا أسود بن عامر[٥] ، حدثنا شريك ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن عباد بن عبد اللَّه الأسدي ، عن عليّ - رضي اللَّه عنه - قال : لما

---

(١٩) المسند (٣٩٨/٢) .
(٢٠) المسند (٣٥٠/٢) .
(٢١) مسند أبي يعلى (١٠/١١) وسويد بن سعيد متكلم فيه .
(٢٢) المسند (٦٠/٥) ، وصحيح مسلم حديث (٢٠٧) ، والنسائي في السنن الكبرى حديث (١١٣٧٩) .
(٢٣) المسند (١١١/١) ، وقال الهيثمي في المجمع (٣٠٢/٨) : « رجال أحمد رجال الصحيح ، غير شريك وهو ثقة » .

---

[١] - سقط من : ز ، وفي خ : « عن » .
(*) الرضمة : ما دون الهضاب . وقيل صخور بعضُها على بعضٍ .
[٢] - بياض في : ز ، خ .
(**) أي : يحفظهم من عدوهم .
[٣] - في خ ، ز : « يربو » .
[٤] - في ز : « الفهدي » .
[٥] - في ز : « حامد » .

نزلت هذه الآية : ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ ، جمع النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - من أهل بيته ، فاجتمع ثلاثون فأكلوا وشربوا ، قال : وقال لهم : « **من يَضْمَنْ عني ديني ومواعيدي ، ويكون معي في الجنة ، ويكون خليفتي في أهلي ؟** » . فقال رجل - لم يسمه شريك - : يا رسول الله ، [أنت كنت بحرًا][١] من يقوم بهذا ؟ قال : ثم قال لآخر(***) قال : فعرض ذلك على أهل بيته . فقال عليّ : أنا .

طريق أخرىٰ بأبسط من هذا السياق ، قال أحمد(٢٤) : حدثنا عفان ، حدثنا أبو عوانة ، عن عثمان بن المغيرة ، عن أبي صادق ، عن ربيعة بن ناجذ ، عن عليّ - رضي الله عنه - قال[٢] : جمع رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم - أو دعا رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم - بني عبد المطلب ، وهم رهطٌ كلهم يأكل الجَذَعَة ويشرب الفَرَق . قال : وصنع لهم مُدًّا من طعام فأكلوا حتىٰ شبعوا . قال : وبقي الطعام كما هو كأنه لم يمس ، ثم دعا بغمر فشربوا حتىٰ رَوُوا ، وبقي الشراب كأنه لم يمس - أو لم يشرب - وقال : « **يا بني عبد المطلب ، إني بعثت إليكم خاصة وإلىٰ الناس عامة ، وقد رأيتم من هذه الآية ما رأيتم ، فأيكم يبايعني علىٰ أن يكون أخي وصاحبي ؟** » قال : فلم يقم إليه أحد . قال : فقمتُ إليه - وكنت أصغر القوم - قال : فقال : « **اجلس** » . ثم قال ثلاث مرات ، كل ذلك أقوم إليه فيقول لي : « **اجلس** » . حتىٰ كان في الثالثة ضرب بيده علىٰ يدي .

طريق أخرىٰ أغرب وأبسط من هذا السياق بزيادات أخر ، قال الحافظ أبو بكر البيهقي في دلائل النبوة (٢٥) : أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يُونس[٣] بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ؛ قال : فحدثني من سمع عبد الله بن الحارث بن نوفل - واستكتمني اسمه - عن ابن عباس ، عن عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال : لما نزلت هذه الآية علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين * واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين**﴾. قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **عرفت أني إن بادأتُ بها قومي ، رأيت منهم ما أكره فَصَمَتُّ ، فجاءني جبريل - عليه السلام - فقال : يا محمد ، إن لم تفعل ما أمرك به ربك عذبك ربك** » . قال عليّ - رضي الله عنه - : فدعاني فقال : « **يا عليّ ، إن الله قد أمرني : أن أنذر عشيرتي الأقربين ، فعرفت أني إن بادأتهم بذلك رأيت منهم ما أكره . فَصَمَتُّ عن ذلك ، ثم جاءني جبريل فقال : يا محمد ؛ إن لم تفعل ما أمرك به ربك عذبك ربك . فاصنع لنا يا عليّ شاة**

---

(٢٤) المسند (١٥٩/١) ، وقال الهيثمي في المجمع (٣٠٢/٨) : « رجاله ثقات » .

(٢٥) دلائل النبوة (١٧٨/٢) .

---

[١] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : « إن كنت تجري » . والمثبت عن المسند .

[٢] - سقط من : ز ، خ . [٣] - في ز : « يوسف » .

علىٰ صاع من طعام ، وأعدّ لنا عُسّ لبنٍ ، ثم اجمع لي بني عبد المطلب » ففعلت . فاجتمعوا له وهم يومئذٍ أربعون رجلًا ، يزيدون رجلًا أو ينقصون رجلًا[١] ، فيهم أعمامه : أبو طالب ، وحمزة ، والعباس ، وأبو لهب الكافر الخبيث ، فقدّمت إليهم تلك الجَفْنَة ، فأخذ رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، منها حِذْيَة(*) فشقها بأسنانه ثم رمىٰ بها في نواحيها ، وقال : « **كلوا باسم الله** » . فأكل القوم حتىٰ نهلوا عنه ما يرىٰ إلا آثار أصابعهم ، واللّٰه إن كان الرجل منهم ليأكل مثلها .

ثم قال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **اسقهم يا عليّ** » . فجئت بذلك القَعْب(**) فشربوا منه حتىٰ نَهِلُوا جميعًا ، وايم اللّٰه ، إن كان الرجل منهم ليشرب مثله . فلما أراد[٢] رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أن يكلمهم ، بَدَره أبو لهب إلىٰ الكلام فقال : لَهَدّما(*) سحركم صاحبكم . فتفرقوا ولم يكلمهم رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فلما كان الغدُ قال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **يا عليّ ، عُدْ لنا بمثل[٣] الذي كنت صنعت بالأمس من الطعام والشراب ، فإن هذا الرجل قد بَدَرني إلىٰ ما سمعت قبل أن أكلم القوم** » . ففعلت ، ثم جمعتهم له ، فصنع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كما صنع بالأمس ، فأكلوا حتىٰ نَهِلُوا عنه ، وايم اللّٰه إن كان الرجل منهم ليأكل مثلها .

ثم قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **اسقهم يا عليّ** » . فجئت بذلك القَعب فشربوا منه[٤] حتىٰ نهلوا جميعًا . وايم اللّٰه إن كان الرجل منهم ليشرب مثله . فلما أراد رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أن يكلمهم بَدَرَه أبو لهب بالكلام فقال : لَهَدّما سحركم صاحبكم ! فتفرقوا ولم يكلمهم رسول اللّٰه .

فلما كان الغد قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **يا عليّ ، عد لنا بمثل الذي كنت صنعتَ لنا بالأمس من الطعام والشراب ، فإن هذا الرجل قد بَدَرني إلىٰ ما سمعت قبل أن أكلم القوم** » . ففعلت ، ثم جمعتهم له فصنع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم [كما صنع][٥] بالأمس ، فأكلوا [حتىٰ نهلوا][٦] عنه ثم سقيتهم من ذلك القعب حتىٰ نهلوا عنه ، وايم اللّٰه إن كان الرجل منهم ليأكل مثلها ويشرب مثلها ، ثم قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **يا بني عبد المطلب ، إني – والله – ما أعلم شابًّا من العرب جاء قومه بأفضل مما[٧] جئتكم به ،**

[١] – سقط من : ز ، خ .

(*) الحِذية : قطعة من اللحم تقطع بالطول .

(**) القعب : قدح ضخم غليظ .

[٢] – في خ ، ز : « رأى » .

(*) لَهَدَّ : كلمة يُتَعَجَّب بها . يُقال : لَهَدَّ الرجُل : أي ما أجلدَه ! ويقال : إنه لهَدُّ الرجل : أي : لنعم الرجُل ، وذلك إذا أُثني عليه بجَلَد وشدةٍ . واللام للتأكيد .

[٣] – في ز ، خ : « مثل » .

[٤] – سقط من : خ ، ز .

[٥] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٦] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٧] – في ز ، خ : « ما » .

إني قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة » .

قال أحمد بن عبد الجبار : بلغني أن ابن إسحاق إنما سمعه من عبد الغفار بن القاسم[١] أبي مريم ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبد الله بن الحارث . وقد رواه أبو جعفر بن جرير ، عن ابن حميد ، عن سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الغفار بن القاسم ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبد الله بن الحارث ، عن ابن عباس ، عن عليّ بن أبي طالب - فذكر مثله .

وزاد بعد قوله : « **إني جئتكم بخير الدنيا والآخرة** » - : « **وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه ، فأيكم يؤازرني[٢] علىٰ هذا الأمر علىٰ أن يكون أخي ، وكذا وكذا ؟** » قال : فأحجم القوم عنها جميعًا ، وقلت - وإني[٣] لأحدثهم سنًّا وأرمصهم(*) عينًا ، وأعظمهم بطنًا[٤] ، وأحمشهم(*)[٥] ساقًا - : أنا يا نبيّ الله ، أكون وزيرك عليه . فأخذ بِرَقَبتي ، ثم قال : « **إن هذا أخي وكذا وكذا ، فاسمعوا له وأطيعوا** » . قال : فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب : قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع ! (٢٦)

تفرد بهذا السياق عبد الغفار بن القاسم [أبو][٦] مريم ، وهو متروك كذاب شيعي ، اتهمه عليّ بن المديني وغيره بوضع الحديث ، وضعفه الأئمة رحمهم الله .

(طريق أخرىٰ) قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا الحسين بن عيسىٰ بن ميسرة الحارثي ، حدثنا عبد الله بن عبد القدوس ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبد الله بن الحارث قال : قال عليّ -رضي الله عنه- : لما نزلت هذه الآية : ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ ، قال لي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **اصنع لي رجل شاة بصاع من طعام وإناء لبنًا** » . قال : ففعلت ، ثم قال : « **ادع بني هاشم** » . قال : فدعوتهم وإنهم يومئذ لأربعون غير رجل - أو : أربعون ورجل - قال : وفيهم عشرة كلهم يأكل الجذعة بإدامها . قال : فلما أتوا بالقصعة أخذ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من ذروتها ثم قال : « **كلوا** » . فأكلوا حتىٰ شبعوا ، وهي علىٰ هيئتها لم يرزءوا منها إلا يسيرًا ، قال : ثم أتيتهم بالإناء فشربوا حتىٰ رَوُوا . قال : وفَضَل فضْلٌ ، فلما فرغوا أراد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أن يتكلم

---

(٢٦) تفسير الطبري (١٩/٤٠) .

---

[١] - بعده في خ ، ز : « بن » وهو خطأ .
[٢] - في ز ، خ : « وازرني » .
[٣] - سقط من : ز .
(*) رَمِصَت العينُ تَرْمَص رَمَصًا : اجتمع في موقِها وَسَخٌ أسود .
[٤] - في خ ، ز : « نطقًا » .
(*) حَمِش الرجل : كان دقيق الساقين .
[٥] - في ز : « أحمشهم » .
[٦] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : « ابن أبي » . وهو خطأ .

فبدرُوه الكلام ، فقالوا : ما رأينا كاليوم في السحر . فسكت رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم . ثم قال [لي][١] : « **اصنع رجل شاة بصاع من طعام** » . [فصنعت ، قال][٢] : فدعاهم، فلما أكلوا وشربوا [قال : فبدروه فقالوا مثل مقالتهم الأولىٰ، فسكت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ثم قال لي : « **اصنع رجل شاة بصاع من طعام** » . فصنعت ، قال : فجمعتهم ، فلما أكلوا وشربوا][٣] بَدَرهم رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم الكلام فقال : « **أيكم يقضي عني ديني ويكون خليفتي في أهلي ؟** » . قال : فسكتوا وسكت العباس خشية أن يحيط ذلك بماله ، قال : وسكتّ أنا لسنّ العباس . ثم قالها مرة أخرىٰ فسكت العباس ، فلما رأيت ذلك قلت : أنا يا رسول الله . قال : وإني يومئذ لأسوأهم هيئة وإني لأعمش العينين ، ضخم البطن ، حَمش الساقين .

فهذه طرق متعددة لهذا الحديث عن عليّ رضي اللّٰه عنه . ومعنىٰ سؤاله - عليه الصلاة والسلام - لأعمامه وأولادهم أن يقضوا عنه دينه ، ويخلفوه في أهله ، يعني : إن قتل في سبيل الله ، كأنه خشي إذا قام بأعباء الإنذار أن يقتل ، ولما أنزل اللّٰه عز وجل : ﴿ **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته واللّٰه يعصمك من الناس** ﴾ . فعند ذلك أمِن ، وكان أولًا يحرس حتىٰ نزلت هذه الآية : ﴿ **واللّٰه يعصمك من الناس** ﴾ ، ولم يكن في بني هاشم إذ ذاك أشدّ إيمانًا وإيقانًا وتصديقًا لرسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، من عليّ رضي اللّٰه عنه ، ولهذا بدرهم إلىٰ التزام ما طلب منهم رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، ثم كان بعد هذا - واللّٰه أعلم - دعاؤه الناس جَهرة علىٰ الصفا ، وإنذاره لبطون قريش عمومًا وخصوصًا ، حتىٰ سمَّىٰ من سمَّىٰ من أعمامه وعماته وبناته؛ لينبه بالأدنىٰ علىٰ الأعلىٰ ، أي : إنما أنا نذير ، واللّٰه يهدي من يشاء إلىٰ صراط مستقيم .

وقد روىٰ الحافظ ابن عساكر(٢٧) في ترجمة عبد الواحد الدمشقي - غير منسوب - من طريق عمرو بن سمُرة . عن محمد بن سوقة ، عن عبد الواحد الدمشقي ؛ قال : رأيت أبا الدرداء - رضي اللّٰه عنه - يحدث الناس ويفتيهم ، وولده إلىٰ جنبه ، وأهل بيته جلوس في جانب المسجد يتحدثون ، فقيل له : ما بَال الناس يرغبون فيما عندك من العلم ، وأهل بيتك جلوس لاهين ؟ فقال : لأني سمعت رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « **أزهد الناس في الدنيا الأنبياء ، وأشدهم عليهم**[٤] **الأقربون** » . وذلك فيما أنزل اللّٰه -عز وجل- : [﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ الآية ، ثم قال : إن أزهد الناس في العالم أهله حتىٰ يفارقهم ؛ ولهذا قال][٥] : ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين * واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فإن**

(٢٧) تاريخ دمشق (٥٨٧/١٠ المخطوط) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - في ز ، خ : « عليه » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

عصوك فقل إني بريء مما تعملون ﴾ .

وقوله : ﴿**وتوكل على العزيز الرحيم**﴾ . أي : في جميع أمورك ، فإنه مؤيدك وناصرك وحافظك ومظفرك ومُعْلٍ كلمتك .

وقوله : ﴿ **الذي يراك حين تقوم** ﴾ . أي : هو مُعْتَنٍ بك ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فاصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا** ﴾ قال ابن عباس : ﴿**الذي يراك حين تقوم**﴾ . يعني : إلى الصلاة .

وقال عكرمة : يرىٰ قيامه وركوعه وسجوده .

وقال الحسن : ﴿**الذي يراك حين تقوم**﴾ إذا صليت وحدك .

وقال الضحاك : ﴿ **الذي يراك حين تقوم** ﴾ . أي : من فراشك أو مجلسك .

وقال قتادة : ﴿**الذى يراك**﴾ قائمًا وجالسًا وعلى حالاتك .

وقوله : ﴿ **وتقلبك في الساجدين** ﴾ - قال قتادة : ﴿ **الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين** ﴾ . قال : في الصلاة ، يراك وحدك ويراك في الجميع[١] . وهذا قول عكرمة ، وعطاء الخراساني ، والحسن البصري .

وقال مجاهد : كان رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يرىٰ من خلفه كما يرىٰ من أمامه ، ويشهد لهذا ما صح في الحديث : « **سَوّوا صفوفكم ، فإني أراكم من وراء ظهري** »(٢٨) .

وروىٰ البزار وابن أبي حاتم ، من طريقين ، عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية : يعني تقلبه من صلب نبي إلىٰ صلب نبي ، حتىٰ أخرجه نبيًّا .

وقوله : ﴿ **إنه هو السميع العليم** ﴾ . أي : السميع لأقوال عباده ، العليم بحركاتهم وسكناتهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنّا عليكم شهودًا إذ تُفيضون فيه** ﴾ الآية .

هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ
ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ
فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

(٢٨) رواه البخاري في صحيحه حديث (١٧٢٣) .

[١] - في ت : « الجمع » .

وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

يقول تعالىٰ مخاطبًا لمن زعم من المشركين أن ما جاء به الرسول ليس حقًّا ، وأنه شيء افتعله من تلقاء نفسه ، أو أنه أتاه به رَئِيٌّ من الجن فنزه الله - سبحانه - جناب رسوله عن قولهم وافترائهم ، ونبه أن ما جاء به إنما هو من عند الله ، وأنه تنزيله ووحيه ، نزل به ملك كريم أمين عظيم ، وأنه ليس من قبيل الشياطين ، فإنهم ليس لهم رغبة في مثل هذا القرآن العظيم ، وإنما ينزلون علىٰ من يشاكلهم ويشابههم من الكهان الكذبة ؛ ولهذا قال : ﴿ **هل أنبئكم** ﴾ أي : أخبركم ﴿ **علىٰ من تنزل الشياطين * تنزل علىٰ كل أفاك أثيم** ﴾ أي : كذوب في قوله ، وهو الأفاك الأثيم ، أي : الفاجر في أفعاله . فهذا هو الذي تنزل عليه الشياطين كالكهان وما جرىٰ مجراهم من الكذبة الفسقة ، فإن الشياطين أيضًا كذبة فسقة .

﴿ **يلقون السمع** ﴾ . أي : يسترقون السمع من السماء ، فيسمعون الكلمة من علم الغيب ، فيزيدون معها مائة كذبة ، ثم يلقونها إلىٰ أوليائهم من الإنس فيتحدثون بها ، فيصدقهم الناس في كل ما قالوه ، بسبب صدقهم في تلك الكلمة التي سمعت من السماء ، كما صح بذلك الحديث ؛ كما رواه البخاري ، من حديث الزهري ، أخبرني يحيىٰ بن عُروة بن الزبير ، أنه سمع عُروة بن الزبير يقول : قالت عائشة - رضي الله عنها - : سأل ناسٌ النبيَّ - صلىٰ الله عليه وسلم - عن الكهان ، فقال : « **إنهم ليسوا بشيء** » . قالوا : يا رسول الله ، فإنهم يحدثون بالشيء يكون حقًّا ؟ فقال النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - : « **تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني ، فيُقَرْقِرُهَا في أذن وليّه كقرقرة الدجاجة ، فيخلطون معها أكثر من**[١] **مائة كذبة** »(٢٩) .

وقال البخاري أيضًا (٣٠) : حدثنا الحميدي[٢] ، حدثنا سفيان ، حدثنا عمرو قال[٣] : سمعت عكرمة يقول : سمعت أبا هريرة يقول : إن [نبي الله][٤] - صلىٰ الله عليه وسلم - قال[٥] : « **إذا قضىٰ الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله كأنه**[٦]

(٢٩) صحيح البخاري حديث (٧٥٦١) .

(٣٠) صحيح البخاري حديث (٤٨٠٠) .

[١] - في ت : « في » .

[٢] - في خ : « الجهدي » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ت : « النبي » .

[٥] - في خ ، ز : « يقول » .

[٦] - في ت : « كأنهم » .

سلسلة علىٰ صَفْوان ، حتىٰ إذا فُزّع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ [قالوا للذي][١] قال : الحق وهو العليّ الكبير . فيسمعها مسترقو السمع ، ومسترقو السمع هكذا بعضهم فوق بعض ، ووصف سفيان بيده فحَرَفها ، وبَدّدَ بين أصابعه - فيسمع الكلمة ، فيلقيها إلىٰ من تحته ، ثم يلقيها الآخرُ إلىٰ من تحته ، حتىٰ يلقيها علىٰ لسان الساحر - أو : الكاهن - فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة . فيقال : أليس قد[٢] قال لنا يوم كذا وكذا : كذا وكذا ؟ فيُصدَّق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء » . انفرد به البخاري .

وروىٰ مسلم من حديث الزهري ، عن عليّ بن الحسين ، عن ابن عباس ، عن رجال من الأنصار قريبًا من هذا ، وسيأتي عند قوله تعالىٰ في سبأ : ﴿ حتىٰ إذا فزع عن قلوبهم ﴾ الآية .

وقال البخاري(٣١) : وقال الليث : حدثني خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبي هلال ، أن أبا الأسود أخبره ، عن عروة ، عن عائشة ، عن النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - أنه قال : « إن الملائكة تحدث في العنان - والعنان : الغَمَام - بالأمر يكون[٣] في الأرض ، فتسمع الشياطين الكلمة ، فَتَقَرّها في أُذن الكاهن كما تُقَرّ القارورة ، فيزيدون معها مائة كذبة » .

وروى[٤] البخاري في موضع آخر من كتاب « بدء الخلق » عن سعيد بن أبي مريم ، عن الليث ، عن عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن ، عن عروة ، عن عائشة ، بنحوه(٣٢) .

وقوله : ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ﴾ قال عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : يعني الكفار يتبعهم ضلال الإنس والجن . وكذا قال مجاهد - رحمه الله - وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وغيرهما .

وقال عكرمة : كان الشاعران يتهاجيان فينتصر لهذا فِئام من الناس ، ولهذا فِئام من الناس ، فأنزل الله : ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ﴾ .

[وقال][٥] الإمام أحمد(٣٣) : حدثنا قتيبة ، حدثنا ليث ، عن ابن الهاد ، عن يُحنَّس -

(٣١) صحيح البخاري حديث (٣٢٨٨) وقد وصله أبو نعيم في المستخرج من طريق أبي حاتم الرازي عن أبي صالح كاتب الليث عنه ، كما في الفتح (٤٣٢/٦) .
(٣٢) صحيح البخاري رقم (٢٢١٠) .
(٣٣) المسند (٨/٣) .

[١] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « قال الذي » . [٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : خ ، ز . [٤] - في ت : « قال » .
[٥] - في ت : « قال » .

مولىٰ مصعب بن الزبير - عن أبي سعيد ؛ قال : بينما نحن نسير مع رسول الله - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - بالعَرْج ، إذ عَرَض شاعر يُنشد ، فقال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **خذوا الشيطان - أو : أمسكوا الشيطان - لأنْ يمتلىء جوف أحدكم قيحًا خير له من أن يمتلىء شعرًا** » .

وقوله : ﴿ **ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون** ﴾ - قال عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : في[١] كل لغو يخوضون .

وقال الضحاك عن ابن عباس: في كل فنٍّ من الكلام . وكذا قال مجاهد وغيره .

وقال الحسن البصري : قد - والله - رأينا أوديتهم التي يهيمون فيها ، مرة في شتمة فلان ، ومرة في مدحة فلان .

وقال قتادة: الشاعر يمدح قومًا بباطل، ويذم قومًا بباطل .

وقوله : ﴿ **وأنهم يقولون مالا يفعلون** ﴾ - قال العوفي ، عن ابن عباس : كان رجلان علىٰ عهد رسول الله ، أحدهما من الأنصار والآخر من قوم آخرين ، وإنهما تهاجيا ، فكان مع كل واحد منهما غُواةٌ من قومه - هم السفهاء - فقال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **والشعراء يتبعهم الغاوون * ألم تر أنهم في كل واد يهيمون * وأنهم يقولون مالا يفعلون** ﴾ .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس: أكثر قولهم يكذبون فيه . وهذا الذي قاله ابن عباس - رضي اللّٰه عنه - هو الواقع في نفس الأمر ؛ فإن الشعراء يتبجحون بأقوال وأفعال لم تصدر منهم ؛ ولا عنهم ، فيتكثرون بما ليس لهم[٢] .

ولهذا اختلف العلماء - رحمهم الله - فيما إذا اعترف الشاعر في شعره بما يوجب حَدًّا : هل يقام عليه بهذا الاعتراف أم لا - لأنهم يقولون ما لا يفعلون - علىٰ قولين .

وقد ذكر محمد بن إسحاق ، ومحمد بن سعد في « **الطبقات** » ، والزبير بن بكار في « **كتاب الفكاهة** » : أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي اللّٰه عنه - استعمل النعمان بن عديّ بن نضلة علىٰ « **مَيْسَان** » - من أرض البصرة - وكان يقول الشعر ، فقال :

ألاهلْ أتى الحسناءَ أن حليلَها[٣] بِمَيْسَانَ ، يُسقَىٰ في[٤] زُجاج وحَنْتَم
إذا شئتُ غنَّتْني دهاقينُ قريةٍ ورقّاصةٌ تحدو علي كلِ مَنْسم
فإنْ كنتَ ندماني فبالأكبر اسقني ولا تَسقني بالأصْغَر المُتَثَلِّم

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « حليها » .
[٤] - في ز : « من » .

لَعَلّ أميرَ المؤمنينَ يَسُوؤُه[١] تَنَادُمُنا بالجَوْسَقِ المُتَهَدِّمِ

فلما بلغ أمير المؤمنين قال : إي والله ، إنه ليسوؤني ذلك ، ومن لقيه فليخبره أني قد عزلته وكتب إليه : بسم اللّه الرحمن الرحيم . ﴿ **حم * تنزيل الكتاب من اللّه العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير** ﴾ . أما بعد ، فقد بلغني قولك :

لعلّ أمير المؤمنين يسوؤه تنادمُنا بالجوسَقِ المتهدِّمِ

وايمُ الله ، إنه ليسوؤني وقد عزلتك . فلما قدم علىٰ عمر بكّتَهُ(*) بهذا الشعر فقال : والله يا أمير المؤمنين ، ما شربتُها قط ، وما ذاك الشعر إلا شيء طَفَح علىٰ لساني . فقال عمر : أظنّ ذلك ، ولكن - والله - لا تعمل لي على عملٍ أبدًا وقد قلت ما قلت .

فلم يُذكر أنه حدَّهُ علىٰ الشراب ، وقد ضمنه شعره ، لأنهم يقولون ما لا يفعلون ، ولكنه ذمه عمر - رضي اللّه عنه - ولامه علىٰ ذلك وعزله به ؛ ولهذا جاء في الحديث : « **لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحًا ، يَرِيه خيرٌ له من أن يمتلىء شِعرًا** »(٣٤) ، والمراد من هذا أن الرسول - صلىٰ اللّه عليه وسلم - الذي أنزل عليه [هذا][٢] القرآن ليس بكاهن ولا بشاعر ؛ لأن حاله مناف لحالهم من وجوه ظاهرة ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلًا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلًا ما تذكرون * تنزيل من رب العالمين** ﴾ . وهكذا قال هاهنا : ﴿ **وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * علىٰ قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربيّ مبين** ﴾ ... إلىٰ أن قال : ﴿ **وما تنزلت به الشياطين * وما ينبغي لهم وما يستطيعون * إنهم عن السمع لمعزولون** ﴾ . إلىٰ أن قال : ﴿ **هل أنبئكم علىٰ مَنْ تنزل الشياطين * تنزل علىٰ كل أفاك أثيم * يُلْقُون السمع وأكثرهم كاذبون * والشعراء يتبعهم الغاوون * ألم تر أنهم في كل واد يهيمون * وأنهم يقولون ما لا يفعلون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ . قال محمد بن إسحاق ، عن يَزيد[٣] ابن عبد اللّه بن قُسَيط ، عن أبي الحسن سالم البَرّاد مولىٰ تميم الداريّ ؛ قال : لمّا نزلتْ ﴿ **والشعراء يتبعهم الغاوون** ﴾ ، جاء حسان بن ثابت ، وعبد اللّه بن رَوَاحة ، وكعب بن مالك ، إلىٰ رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، وهم يبكون فقالوا : قد علم اللّه حين أنزل هذه الآية أنا شعراء . فتلا النبي - صلىٰ اللّه عليه وسلم - : ﴿ **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ ، قال : « **أنتم** » ، ﴿ **وذكروا اللّه كثيرًا** ﴾ ، قال : « **أنتم** » ، ﴿ **وانتصروا**

(٣٤) رواه مسلم في صحيحه حديث (٢٢٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

[١] - في خ : « بسؤة » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت . [٣] - في ز ، خ : « زيد » .

من بعد ما ظلموا ﴾ ، قال : « أنتم » .

رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم من رواية ابن إسحاق (٣٥) .

وقد روىٰ ابن أبي حاتم أيضًا ، عن أبي سعيد الأشجّ ، عن أبي أسامة ، عن الوليد بن كثير ، عن يزيد بن عبد الله، عن أبي الحسن مولىٰ بني[١] نوفل: أن حسان بن ثابت، وعبد اللَّه بن رواحة أتيا رسول الله ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، حين نزلت **﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ﴾** يبكيان ، فقال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وهو يقرؤها عليهما : « **﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ﴾** ، حتىٰ بلغ : **﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾** ، قال : **أنتم** »(٣٦) .

وقال أيضًا : حدثنا أبي ، حدثنا أبو سلمة ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن هشام بن عروة ، عن عروة قال : لما نزلت : **﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ﴾** إلىٰ قوله : **﴿ يقولون مالا يفعلون ﴾** ، قال عبد اللَّه بن رواحة : يا رسول الله ؛ قد علم اللَّه أني منهم . فأنزل اللَّه **﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾** إلىٰ قوله : **﴿ ينقلبون ﴾** .

وهكذا قال ابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد ، وقتادة ، وزيد بن أسلم ، وغير واحد : إن هذا استثناء مما تقدم . ولا شك أنه استثناء ، ولكن هذه السورة مكية ، فكيف يكون سبب نزول هذه الآية في شعراء الأنصار ؟ في ذلك نظر ، ولم يتقدم إلا مرسلات لا يعتمد عليها ، واللَّه أعلم .

ولكن هذا الاستثناء يدخل فيه شعراء الأنصار وغيرهم ، حتىٰ يدخل فيه من كان متلبسًا من شعراء الجاهلية بذم الإسلام وأهله، ثم تاب وأناب ، ورجع وأقلع ، وعمل صالحًا ، وذكر اللَّه كثيرًا في مقابلة ما تقدم من الكلام السَّيىء ، فإن الحسنات يذهبن السيئات ، وامتدح الإِسلام وأهله في مقابلة ما كذب بذمه ، كما قال عبد اللَّه بن الزِّبَعْرَىٰ حين أسلم.

يَا رَسُولَ المَلِيكِ ، إنّ لِسَانِي ... رَاتِقٌ مَا فَتَقْتُ إذْ أَنَا بُورُ
إذْ أُجَارِي الشيطانَ في سَنَنِ الغَـ ... ـيِّ ومَنْ مَالَ مَيْلَهُ مَثْبُورُ

وكذلك أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، كان من أشد الناس عداوة للنبي - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - وهو ابن عمه ، وأكثرهم له هجوًا ، فلما أسلم لم يكن أحد أحبّ إليه من رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وكان يمدح رسول الله - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - بعد ما كان يهجوه ، ويتولاه بعد ما كان قد عاداه .

(٣٥) تفسير الطبري (٧٩/١٩) .

(٣٦) ورواه الحاكم في المستدرك (٤٨٨/٣) من طريق أبي أسامة به .

[١] - سقط من : خ ، ز .

وهكذا روىٰ مسلم في صحيحه (٣٧) ، عن ابن عباس : أن أبا سفيان صخر بن حرب لما أسلم قال : يا رسول الله ؛ ثلاث أعْطِنِيهِنَّ[١] . قال : « نعم » . قال[٢] : معاوية تجعله كاتبًا بين يديك . قال : « نعم » . قال : وتؤمرني حتىٰ أقاتل الكفار ، كما كنت أقاتل المسلمين . قال: « نعم »، وذكر الثالثة ؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿ **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرًا** ﴾ قيل : معناه ذكروا الله كثيرًا في كلامهم . وقيل : في شعرهم ، وكلاهما صحيح مُكفِّر لما سبق .

وقوله : ﴿ **وانتصروا من بعد ما ظلموا** ﴾ قال ابن عباس: يردون[٣] على الكفار الذين كانوا يهجون به المؤمنين. وكذا قال مجاهد ، وقتادة ، وغير واحد . وهذا كما ثبت في الصحيح أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال لحسان : « **اهجهم - أو قال : هاجهم - وجبريل معك** »(٣٨) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، عن أبيه ، أنه قال للنبي - صلىٰ الله عليه وسلم - : إن الله عزَّ جلَّ قد أنزل في الشعر ما أنزل ، فقال : « **إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه ، والذي نفسي بيده[٤] ، لكأن ما ترمونهم به نَضح النبْل** »(٣٩) .

وقوله : ﴿ **وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون** ﴾ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يوم لا ينفع الظالمين معذرتُهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار** ﴾ . وفي الصحيح أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **إياكم والظلم ،فإن الظلم ظلمات يوم القيامة** »(٤٠) .

وقال قتادة بن دِعَامَة في قوله : ﴿ **وسيعلم الذين ظلموا أي مُنقَلب ينقلبون** ﴾ يعني من الشعراء وغيرهم .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا إياس بن أبي تَميمة ، قال : حضرت الحسن ومُرَّ عليه بجنازة نصراني ، فقال الحسن : ﴿ **وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون** ﴾ .

---

(٣٧) صحيح مسلم حديث (٢٥٠١) .

(٣٨) صحيح البخاري حديث (٦١٥٣) ، وصحيح مسلم حديث (٢٤٨٦) من حديث البراء بن عازب ، رضي الله عنه .

(٣٩) المسند (٣٨٧/٦) .

(٤٠) صحيح مسلم حديث (٢٥٧٨) من حديث جابر، رضي الله عنه، ولفظه : « اتقوا الظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة » .

---

[١] - في ز : « أعطيتهن » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في خ ، ز : « يريدون » .

[٤] - في خ ، ز : « به » .

وقال عبد الله بن رَبَاح ، عن صفوان بن مُحرِز : أنه كان إذا قرأ هذه الآية بكىٰ حتىٰ أقول : قد اندق قَضِيب زَوره : ﴿ **وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون** ﴾ .

وقال ابن وهب : أخبرني ابن سُرَيج الإِسكندراني ، عن بعض المشيخة : أنهم كانوا بأرض الروم ، فبينما هم ليلة علىٰ نار يشتوون عليها - أو يصطلون - إذا بركاب قد أقبلوا ، فقاموا إليهم ، فإذا فضالة بن عُبيد فيهم ، فأنزلوه فجلس معهم - قال : وصاحب لنا قائم يصلي - قال : حتىٰ مرّ بهذه الآية : ﴿ **وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون** ﴾ . قال فضالة بن عبيد : هؤلاء الذين يخربون البيت .

وقيل : المراد بهم أهل مكة . وقيل : الذين ظلموا من المشركين .

والصحيح أن هذه الآية[١] عامة في كل ظالم ، كما قال ابن أبي حاتم : ذُكر عن زكريا بن يحيىٰ الواسطي ، حدثني الهيثم بن محفوظ أبو سعد النهدي ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن المجبر ، حدثنا هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : كتب أبي وصيته سطرين : « **بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصىٰ به أبو بكر بن أبي قُحافة ، عند خروجه من الدنيا ، حين يؤمن الكافر ، وينتهي الفاجر ، ويَصدُق الكاذب : إني استخلفت عليكم عُمر بن الخطاب ، فإن يعدل فذاك ظني به ورجائي فيه ، وإن يجر ويُبدل فلا أعلم الغيب ، ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون ﴾** » .

آخر تفسير سورة الشعراء ، و[٢]الحمد لله ربّ العالمين

☆ ☆ ☆

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

تفسير سورة النمل

وهي مكية

طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ (١) هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٣) إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ (٤) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ (٥) وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (٦)

قد تقدم الكلام في « **سورة البقرة** » على الحروف المتقطعة في أوائل السور .

وقوله : ﴿ **تلك آيات** ﴾ أي : هذه آيات ﴿ **القرآن وكتاب مبين** ﴾ أي : بيّن واضح ، ﴿ **هدى وبشرىٰ للمؤمنين** ﴾ أي : إنما تحصل الهداية والبشارة من القرآن لمن آمن به واتبعه وصدقه ، وعمل بما فيه ، وأقام الصلاة المكتوبة ، وآتىٰ الزكاة المفروضة ، وآمن بالدار الآخرة والبعث بعد الموت ، والجزاء علىٰ الأعمال ، خيرها وشرها ، والجنة والنار ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمىٰ أولئك ينادون من مكان بعيد** ﴾ وقال : ﴿ **لتبشر به المتقين وتنذر به قومًا لدّا** ﴾ ولهذا قال هاهنا : ﴿ **إن الذين لا يؤمنون بالآخرة** ﴾ أي : يكذبون بها ، ويستبعدون وقوعها ﴿ **زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون** ﴾ . أي : حَسَّنَّا لهم ما هم فيه ، ومددنا لهم في غَيهم فهم يَتِيهون في ضلالهم . وكان هذا جزاء علىٰ ما كذبوا به من الدار الآخرة ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون** ﴾ .

﴿ **أولئك الذين لهم سوء العذاب** ﴾ أي : في الدنيا والآخرة ، ﴿ **وهم في الآخرة هم الأخسرون** ﴾ . أي : ليس يخسر أنفسهم وأموالهم سواهم من أهل المحشر .

وقوله : ﴿ **وإنك لتلقىٰ القرآن من لدن حكيم عليم** ﴾ أي : ﴿ **وإنك** ﴾ – يا محمد – قال قتادة : ﴿ **لتلقىٰ** ﴾ أي : لتأخذ ﴿ **القرآن من لدن حكيم عليم** ﴾ أي : من عند حكيم عليم ، أي : حكيم في أوامره ونواهيه ، عليم بالأمور جليلها وحقيرها ، فخبره هو الصدق المحض ، وحكمه هو العدل التام ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وتمت كلمة ربك صدقًا وعدلًا** ﴾

إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَـٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَـٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾

يقول تعالىٰ لرسوله - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - مذكرًا له ما كان من أمر موسىٰ ، كيف اصطفاه اللّٰه ، وكلمه وناجاه ، وأعطاه من الآيات العظيمة الباهرة ، والأدلة القاهرة ، وابتعثه إلىٰ فرعون وملئه ، فجحدوا بها وكفروا واستكبروا عن اتباعه والانقياد له ، فقال تعالىٰ : ﴿ **إذ قال موسىٰ لأهله** ﴾ أي : اذْكُرْ حين سار موسىٰ بأهله ، فأضل الطريق ، وذلك في ليل وظلام ، فآنس من جانب الطور نارًا ، أي : رأىٰ نارًا تتأجّج وتضطرم ، فقال ﴿ **لأهله إني آنست نارًا سآتيكم منها بخبر** ﴾ أي : عن الطريق ، ﴿ **أو آتيكم [بشهاب قبس]**[١] **لعلكم تصطلون** ﴾، أي: تتدفئون به . وكان كما قال ، فإنه رجع منها بخبر عظيم ، واقتبس [منها][٢] نورًا عظيمًا ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها** ﴾ أي : فلما أتاها رأىٰ منظرًا هائلًا عظيمًا ، حيث انتهىٰ إليها ، والنار تضطرم في شجرة خضراء ، لا تزداد النار إلا توقدًا ، ولا تزداد الشجرة إلا خضرة ونضرة ، ثم رفع رأسه فإذا نورها متصل بعنان السماء .

قال ابن عباس وغيره : ولم تكن نارًا ، إنما كانت نورًا يتوهج .

وفي رواية عن ابن عباس : نور رب العالمين . فوقف موسىٰ متعجبًا مما رأىٰ ، فنودي ﴿ **أن بورك من في النار** ﴾ . قال ابن عباس : أي[٣] قُدّس ﴿ **ومن حولها** ﴾ أي : من الملائكة .

---

[١] - ما بين المعكوفين في ز : خ : « بقبس » . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

[٣] - سقاطه من : ت .

قاله ابن عباس ، وعكرمة ، وسعيد بن جُبير ، والحسن ، وقتادة .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس بن حبيب ، حدثنا أبو داود - هو الطيالسي - حدثنا شعبة والمسعودي ، عن عمرو بن مرة ، سمع أبا عُبَيدة يحدث عن أبي موسىٰ - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن الله لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار ، وعمل النهار قبل الليل** » . زاد المسعودي : « **وحجابه [النور أو][١] النار - لو كشفها لأحرقت سُبُحاتُ وجهه كل شيء أدركه بصره** » . ثم قرأ أبو عُبَيدة : ﴿ **أن بُورِكَ من في النار ومن حولها** ﴾ . وأصل هذا الحديث مخرج في الصحيح لمسلم ، من حديث عمرو بن مرة ، به(١) .

وقوله : ﴿ **وسبحان الله رب العالمين** ﴾ . أي : الذي يفعل ما يشاء ، ولا يشبه شيئًا من مخلوقاته ، ولا يحيط به شيء من مصنوعاته ، وهو العليّ العظيم ، المباين لجميع المخلوقات ، ولا يكتنفه الأرض والسمٰوات ، بل هو الأحد الصمد ، المنزه عن مماثلة المحدثات .

وقوله : ﴿ **يا موسىٰ إنه أنا الله العزيز الحكيم** ﴾ أَعْلَمَهُ أن الذي يخاطبه ويناجيه هو ربه الله العزيز الحكيم[٢] ، الذي عزّ كل شيء وقهره وغلبه ، الحكيم في أفعاله وأقواله .

ثم أمره أن يلقي عصاه من يده ؛ ليظهر له دليلا واضحًا علىٰ أنه الفاعل المختار ، القادر علىٰ كل شيء ، فلما ألقىٰ موسىٰ تلك العصا من يده انقلبت في الحال حَيَّةً عظيمة هائلة في غاية الكبر ، وسرعة الحركة مع ذلك ؛ ولهذا قال : ﴿ **فلما رآها تهتز كأنها جان** ﴾ ، والجان : ضرب من الحيات ، [أسرعه حركةً][٣] ، وأكثره اضطرابًا - وفي الحديث نَهْيٌ عن قتل جِنان البيوت(٢) . فلما عاين موسى ذلك ﴿ **ولى مدبرًا ولم يعقب** ﴾ أي : ولم يلتفت من شدة فرقه . ﴿ **يا موسىٰ لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون** ﴾ ، أي : لا تخف مما ترىٰ ، فإني أريد أن أصطفيك رسولًا وأجعلك نبيًّا وجيهًا .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب : في قوله عليه السلام : « **إن الله لا ينام** » وفي قوله : « **حجابه النور لو كشفه لأحرق سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه** » حديث ٢٩٤، ٢٩٥ - (١٧٩) (١٨/٣) . وأخرجه حديث ٢٩٣ - (١٧٩) . وابن ماجه في المقدمة ، باب : فيما أنكرت الجهمية ، حديث (١٩٥) (٧٠/١) ولكنهما قالا : بخمس كلمات . وزادا : « **حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه** » وكذلك زاد مسلم في الموضع الأول . وأخرجه ابن ماجة مختصرًا حديث (١٩٦) في المقدمة ، باب : ما أنكرت الجهمية (٧١/١) . كلاهما من طريق عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة ، عن أبي موسى رضي الله عنه فذكره . ورواه أحمد حديث (١٩٥٨٧ ، ١٩٦٤١ ، ١٩٦٨٨) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - سقط من : ت .

[٣] - في خ ، ز : « لسرعة حركته » .

وقوله : ﴿ **إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فإني غفور رحيم** ﴾ هذا استثناء منقطع وفيه بشارة عظيمة للبشر وذلك أن من كان علىٰ شيء ثم أقلع عنه ، ورجع وتاب وأناب ، فإن اللّٰه يتوب عليه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحًا ثم اهتدىٰ** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه ثم يستغفر اللّٰه يجد اللّٰه غفورًا رحيمًا** ﴾ والآيات في هذا كثيرة جدًا .

وقوله : ﴿ **وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء** ﴾ ، هذه آية أخرىٰ ، ودليل باهر علىٰ قدرة اللّٰه الفاعل المختار ، وصدْق من[١] جعل له معجزة ، وذلك أن الله تعالىٰ أمره أن يُدخل يده في جيب دِرْعه ، فإذا أدخلها وأخرجها خَرَجت بيضاء ساطعة ، كأنها قطعة قمر ، لها لمعان يتلألأ كالبرق الخاطف .

وقوله : ﴿ **في تسع آيات** ﴾ أي : هاتان ثنتان من تسع آيات أُؤيدك بهن ، وأجعلهن برهانًا لك إلىٰ فرعون وقومه ، ﴿ **إنهم كانوا قوما فاسقين** ﴾ . وهذه هى الآيات التسع التي قال الله تعالى : ﴿ **ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات** ﴾ كما تقدم تقرير ذلك هنالك .

وقوله ﴿ **فلما جاءتهم آياتنا مبصرة** ﴾ أي : بينة واضحة ظاهرة ﴿ **قالوا هذا سحر مبين** ﴾ ، وأرادوا معارضته بسحرهم ، فغلبوا وانقلبوا صاغرين ﴿ **وجحدوا بها** ﴾ أي في ظاهر أمرهم ﴿ **واستيقنتها أنفسهم** ﴾ أي : علموا في أنفسهم أنها حَقٌّ من عند الله ، ولكن جَحَدُوها وعاندوها وكابروها ﴿ **ظلمًا وعلوًا** ﴾ ، أي : ظلما من أنفسهم ، سَجِيَّة ملعونة ، ﴿ **وعلوًا** ﴾ أي : استكبارًا عن اتباع الحق ؛ ولهذا قال : ﴿ **فانظر كيف كان عاقبة المفسدين** ﴾ أي : انظر يا محمد كيف كان عاقبة كُفرهم ، في إهلاك اللّٰه إياهم ، وإغراقهم عن آخرهم في صبيحة واحدة .

وفحوىٰ الخطاب يقول : احذروا أيها المكذبون بمحمد ، الجاحدون لما جاء به من ربه ، أن يصيبكم ما أصابهم بطريق الأولىٰ والأحرىٰ ، فإن محمدًا - صلوات اللّٰه وسلامه عليه - أشرف وأعظم من موسىٰ ، وبرهانه أدل وأقوىٰ من برهان موسىٰ ، بما آتاه اللّٰه تعالى من الدلائل المقترنة بوجوده في نفسه وشمائله ، وما سبقه من البشارات من الأنبياء به ، وأخذ المواثيق له ، عليه من ربه أفضلُ الصلاة والسلام .

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا

[١] - في خ : « و » .

مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾

يخبر تعالىٰ عما أنعم به علىٰ عبديه ونبييه داود وابنه سليمان - عليهما من اللَّه السلام - من النعم الجزيلة ، والمواهب الجليلة ، والصفات الجميلة ، وما جمع لهما بين سعادة الدنيا والآخرة ، والملك والتمكين التام في الدنيا ، والنبوة والرسالة في الدين ؛ ولهذا قال : ﴿ **ولقد آتينا داود وسليمان علمًا وقالا الحمد للَّه الذي فضلنا علىٰ كثير من عباده المؤمنين** ﴾ .

قال ابن أبي حاتم : ذكر عن إبراهيم بن يحيى بن تمام : أخبرني أبي ، عن جدي ؛ قال : كتب عمر بن عبد العزيز : إن اللَّه لم ينعم علىٰ عَبد نعمة فحمد اللَّه عليها ، إلا كان حَمْدُهُ أفضلَ من نعمه[١] ، لو كنت لا تعرف ذلك إلا من[٢] كتاب اللَّه المنزل ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **ولقد آتينا داود وسليمان علمًا وقالا الحمد للَّه الذي فضلنا علىٰ كثير من عباده المؤمنين** ﴾ وأي نعمة أفضلُ مما أوتي داود وسليمان عليهما السلام ؟

وقوله : ﴿ **وورِث سليمان داود** ﴾ أي : في الملك والنبوة ، وليس المراد ورَاثَةَ المال ؛ إذ لو كان كذلك لم يخص سليمان وحده من بين سائر أولاد داود ، فإنه قد كان لداود مائةُ امرأة . ولكن المراد بذلك وراثةُ الملك والنبوة ، فإن الأنبياء لا تورث أموالهم ، كما أخبر بذلك رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **نحن معشر الأنبياء لا نورث ، ما تركنا**[٣] **صدقة** »(٣) .

وقوله : ﴿ **يا أيها الناس عُلمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء** ﴾ أي : أخبر سليمان

(٢) صحيح البخاري حديث (٣٢٩٨) من حديث ابن عمر ، رضي الله عنهما .

(٣) رواه البخاري حديث (٦٧٢٧) من حديث عائشة بلفظ : « لا نورث ما تركناه صدقة » . قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٨/١٢) : وأما ما اشتهر في كتب أهل الأصول وغيرهم بلفظ : « نحن معاشر الأنبياء لانورث » فقد أنكره جماعة من الأئمة ، وهو كذلك بالنسبة لخصوص لفظ : « نحن » ، وانظر الفتح .

[١] - في ت : « نعمته » .

[٢] - في ت : « في » .

[٣] - في ت : « تركناه » .

بنعم اللّه عليه ، فيما وهبه له من الملك التام ، والتمكين العظيم ، حتىٰ إنه سَخَّر له الإِنس والجن والطير ، وكان يعرف لغة الطير والحيوان أيضًا ، وهذا شيء لم يُعطه أحد من البشر - فيما علمناه - مما أخبر اللّه به ورسوله . ومن زعم من الجهلة والرّعاع أنّ الحيوانات كانت تنطق كنطق بني آدم قبل سليمان بن داود - كما يتفوه به كثير من الناس - فهو قولٌ بلا علم ، ولو كان الأمر كذلك لم يكن لتخصيص سليمان بذلك فائدة ، إذ كلهم يسمع كلام الطيور والبهائم ، ويعرف ما تقول ، فليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا ، بل لم تزل البهائم والطيور وسائر المخلوقات من وقت خُلقت إلىٰ زماننا هذا علىٰ هذا الشكل والمنوال ، ولكن اللّه - سبحانه وتعالىٰ - كان قد أفهم سليمان - عليه السلام - ما يتخاطب به الطيور في الهواء ، وما تنطق به الحيوانات علىٰ اختلاف أصنافها ، ولهذا قال : ﴿ **علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء** ﴾ [أي : مما يحتاج إليه المُلك][١] ، ﴿ **إن هذا لهو الفضل المبين** ﴾ ، أي : الظاهر البيِّن لِلّه علينا .

قال الإِمام أحمد : حدثنا قتيبة ، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ، عن عمرو بن أبي عمرو ، عن المطلب ، عن أبي هريرة - رضي اللّه عنه - : أن رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، قال : « **كان داود - عليه السلام - فيه غيرة شديدة ، فكان إذا خرج أغلقت الأبواب ، فلم يدخل علىٰ أهله أحد حتىٰ يرجع ، قال : فخرج ذات يوم وأغلقت الأبواب ، فأقبلت امرأته[٢] تطلع إلىٰ الدار ، فإذا رجل قائم وسط الدار ، فقالت لمن في البيت : منْ أين دخل هذا الرجل ، والدار مغلقة ؟ واللّه لنفتضحن بداود ، فجاء داود - عليه السلام - فإذا الرجل قائم وسط الدار ، فقال له داود : من أنت؟ قال : الذي لا يهاب الملوك ، ولا يمتنع من الحجاب ، فقال داود : أنت واللّه إذن ملك الموت ، مرحبًا بأمر اللّه ، فتزمل(*)[٣] داود - عليه السلام - مكانه حتىٰ قبضت نفسه ، حتىٰ فرغ من شأنه وطلعت عليه الشمس ، فقال سليمان - عليه السلام - للطير : أظلي علىٰ داود .فأظلت[٤] عليه الطير حتىٰ أظلمت عليهما[٥] الأرض ، فقال لها سليمان : اقبضي جناحًا جناحًا** » . قال أبو هريرة : يا رسول اللّه ، كيف فعلت الطير ؟ فقبض رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم يده ، وغلبت عليه يومئذ المضرَحيّة (٤) .

قال أبو الفرج بن الجوزي : المضرحية : النسور الحمر .

---

(٤) المسند (٤١٩/٢) ، وقال الهيثمي في المجمع (٢٠٦/٨) : « فيه المطلب بن عبد الله بن حنطب وثقه أبو زرعة وغيره ، وبقية رجاله رجال الصحيح » .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ز ، خ : « امرأة » .
(*) تزمَّل فلان : التفَّ بثوبه .
[٣] - في خ . ز : « فزمل » .
[٤] - في خ : « فظلت » .
[٥] - سقط من : خ ، ز .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون** ﴾ أي : وجمع لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير ، يعني : ركب فيهم في أبهة وعظمة كبيرة في الإنس ، وكانوا هم الذين يلونه ، والجن وهم بعدهم في المنزلة ، والطير ومنزلتها فوق رأسه ، فإن كان حرٌّ أظلته منه بأجنحتها .

وقوله : ﴿ **فهم يوزعون** ﴾ أي : يكف[١] أولهم على آخرهم لئلا يتقدم أحد عن منزلته التي هي مرتبة له . قال مجاهد : جعل على كل صنف وَزَعَة ، يردّون أولاها على أخراها ، لئلا يتقدموا في المسير ، كما يفعل الملوك اليوم .

وقوله : ﴿ **حتىٰ إذا أتوا علىٰ وادي النمل** ﴾ أي : حتىٰ إذا مر سليمان - عليه السلام - بمن معه من الجيوش والجنود علىٰ وادي النمل ، ﴿ **قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون** ﴾ .

أورد[٢] ابن عساكر من طريق إسحاق بن بشر ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن : أن اسم هذه النملة : حرس ، وأنها من قبيلة يقال لهم : بنو الشيصان ، وأنها كانت عرجاء ، وكانت بقدر الذئب .

أي : خافت علىٰ النمل أن تحطمها الخيول بحوافرها ، فأمرتهم بالدخول إلىٰ مساكنها ، ففهم ذلك سليمان - عليه السلام - عنها[٣] ، ﴿ **فتبسم ضاحكًا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلىٰ والديّ وأن أعمل صالحاً ترضاه** ﴾ ، أي : ألهمني أن أشكر نعمتك التي مننت بها عليّ، من تعليمي منطق الطير والحيوان ، وعلىٰ والديّ بالإسلام لك[٤]، والإيمان بك ، ﴿ **وأن أعمل صالحاً ترضاه** ﴾ ، أي : عمّلا تحبه وترضاه ، ﴿ **وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين** ﴾ . أي : إذا توفيتني فألحقني بالصالحين من عبادك ، والرفيق الأعلىٰ من أوليائك .

ومن قال من المفسرين : إن هذا الوادي كان بأرض الشام أو بغيره ، وإن هذه النملة كانت ذات جناحين كالذباب ، أو غير ذلك من الأقاويل ، فلا حاصل لها .

وعن نوف البَكَالي أنه قال : كان نمل سليمان أمثال الذياب . هكذا رأيته مضبوطًا بالياء المثناة من[٥] تحت وإنما هو بالباء الموحدة ، وذاك[٦] تصحيف ، والله أعلم .

والغرض أن سليمان - عليه السلام - فهم قولها ، وتبسم ضاحكا من ذلك ، وهذا أمر عظيم جدًا .

---

[١] - في ت : « يكفوا » .
[٢] - في ز ، خ : « فأورد » .
[٣] - في ت : « منها » .
[٤] - سقط من : خ ، ز .
[٥] - سقط من : خ ، ز .
[٦] - في ت : « ذلك » .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا مشعَر ، عن زيد العَميّ ، عن أبي الصدّيق الناجي قال : خرج سليمان - عليه السلام - يستسقي ، فإذا هو بنملة مستلقية علىٰ ظهرها ، رافعة قوائمها إلىٰ السماء ، وهي تقول : اللهم ، إنّا خلق من خلقك ، ولا غنىٰ بنا عن سقياك ، وإلا تسقنا تهلكنا . فقال سليمان - عليه السلام - : « **ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم** » .

وقد ثبت في الصحيح - عند مسلم - من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة ، عن النبي - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - : « **قَرصتْ نبيًا من الأنبياء نملةٌ فأمر بقرية النمل فأحرقت ، فأوحى اللّٰه إليه : أفي أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبح؟ فهلّا نملة واحدة** »(٥) .

﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾

قال مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وغيرهما عن ابن عباس وغيره : كان الهدهد مهندسًا ، يدل سليمان - عليه السلام - علىٰ الماء ، إذا كان بأرض فلاة طلبه فنظر له الماء في تخوم الأرض ، كما يرىٰ الإنسان الشيء الظاهر علىٰ وجه الأرض ، ويعرف كم مساحة بعده من وجه الأرض ، فإذا دلهم عليه أمر سليمان - عليه السلام - الجان فحفروا له ذلك المكان ، حتىٰ يستنبطوا[١] الماء من قراره ، فنزل سليمان - عليه السلام - بفلاة من الأرض ، فتفقد الطير ليرىٰ الهدهد ، فلم يره ، ﴿ **فقال ما لي لا أرىٰ الهدهد أم كان من الغائبين** ﴾ .

حدث يومًا عبد اللّٰه بن عباس بنحو هذا ، وفي القوم رجل من الخوارج ، يقال له : « **نافع بن الأزرق** » ، وكان كثير الاعتراض علىٰ ابن عباس ، فقال له : قف يا ابا[٢] عباس ، غُلبت اليوم ! قال : ولم ؟ قال : إنك تخبر عن الهدهد أنه يرىٰ الماء في تخوم الأرض ، وإن الصبيّ ليضع له الحبة في الفخ ويحثو علىٰ الفخ ترابًا ، فيجيء الهدهد فيأخذها[٣] فيقع في الفخ ، فيصيده الصبيّ . فقال ابن عباس : لولا أن يذهب هذا فيقول : رددت علىٰ ابن عباس ، لما أجبته . فقال له : ويحك ! إنه إذا نزل القَدَر عَمِيَ البصر ، وذهب الحَذَر . فقال له نافع : واللّٰه لا أجادلك في شيء من القرآن أبدًا(٦) .

---

(٥) صحيح مسلم حديث (٢٢٤١) .

(٦) رواه الحاكم في المستدرك (٤٠٥/٢) من طريق المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير بنحوه .

---

[١] - في م : « يستنبط » .

[٢] - في ت : « ابن » . [٣] - في ت : « ليأخذها » .

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر(٧) في ترجمة [أبي عبد الله البَرْزيّ][١] - من أهل « بَرْزَة » من غوطة[٢] دمشق ، وكان من الصالحين يصوم الإثنين والخميس ، وكان أعور قد بلغ الثمانين - فروىٰ ابن عساكر بسنده إلىٰ أبي سليمان بن يزيد[٣] : [أنه سأله][٤] عن سبب عَوَره ، فامتنع عليه ، فألح عليه شهورًا ، فأخبره أن رجلين من أهل خراسان نزلا عنده جمعة في قرية برزة ، وسألاه عن [واديها][٥] ، فأريتهما إياه ، فأخرجا مجامرَ وأوقدا فيها بخورًا كثيرًا ، حتىٰ عجعج الوادي بالدخان ، فأخذا يُعْزمان والحيات تقبل من كل مكان إليهما ، فلا يلتفتان إلىٰ شيء منها[٦] ، حتىٰ أقبلت حية نحو الذراع ، وعيناها توقدان مثل الدينار ، فاستبشرا بها عظيمًا ، وقالا : الحمد لله الذي لم يُخَيب سفرنا من سنة ، وكسرا المجامر ، وأخذا الحية فأدخلا في عينها ميلًا فاكتحلا به ، فسألتهما أن يكحلاني ، فأبيا ، فألححت عليهما وقلت : لابد من ذلك ، وتوعدتهما بالدّولة ، فكحلا عيني الواحدة اليمنىٰ ، فحين وقع في عيني نظرت إلىٰ الأرض تحتي مثل المرآة ، أنظر ما تحتها كما تُوري[٧] المرآة ، ثم قالا لي : سر معنا قليلًا ، فسرت معهما وهما[٨] يحدثاني ، حتىٰ إذا[٩] بعدت عن القرية ، أخذاني فكتفاني ، وأدخل أحدهما يده في عيني ففقأها ، ورمىٰ بها ومضيا ، فلم أزل كذلك ملقى مكتوفًا، حتىٰ مر بي نفر فَفَكَ وَثَاقي . فهذا ما كان من خبر عيني .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عليّ بن الحسين ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا صدقة بن عمرو الغساني ، حدثنا عَباد بن ميسرة المنقري ، عن الحسن قال : اسم هدهد سليمان عليه السلام : عنبر .

وقال محمد بن إسحاق : كان سليمان - عليه السلام - إذا غدا إلىٰ مجلسه الذي كان يجلس فيه تفقد[١٠] الطير ، وكان فيما يزعمون يأتيه نُوبٌ من كل صنف من الطير ، كلّ يوم طائر ، فنظر فرأىٰ من أصناف الطير كلّها من حَضَره إلا الهدهد ، ﴿ **فقال ما لي لا أرىٰ الهدهد أم كان من الغائبين** ﴾ ، أخطأه بصري من الطير ، أم غاب فلم يحضر ؟

وقوله : ﴿ **لأعذبنه عذابًا شديدًا** ﴾ قال الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد ، عن

(٧) تاريخ دمشق (١٩/١٣٠ « المخطوط ») .

[١] - في خ : « عبد الله أبي البزي » وهو خطأ من الناسخ .
[٢] - في خ ، ز : « حولط » .
[٣] - في خ ، ز : « زيد » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ت : « وادِ بها » .
[٦] - في ز : « منهما » .
[٧] - في ت : « ترى » .
[٨] - في ز : « هم » .
[٩] - سقط من : خ ، ز .
[١٠] - في ز : « فتفقد » .

ابن عباس[١] : يعني نتف ريشه .

وقال عبد اللَّه بن شداد : نتفُ ريشه وتشميسه . وكذا قال غير واحد من السلف : إنه نتفُ ريشه ، وتركه مُلقىً يأكله الذر والنمل .

وقوله : ﴿ **أو لأذبحنه** ﴾ يعني : قتله ﴿ **أو ليأتيني بسلطان مبين** ﴾ أي : بعذر واضح بين .

[قال][٢] سفيان بن عيينة ، وعبد اللَّه بن شداد : لما قدم الهدهد قال له الطير : ما خلفك ، فقد نذر سليمان دمك ! فقال : هل استثنىٰ ؟ فقالوا : نعم . قال : ﴿ **لأعذبنه عذابًا شديدًا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين** ﴾ ، فقال : نجوت إذًا .

قال مجاهد : إنما دفع عنه بيره بأمه .

فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ
(٢٢) إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ
(٢٣) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ
أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى
يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) ٱللَّهُ لَآ
إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ (٢٦)

يقول تعالىٰ : ﴿ **فمكث** ﴾ الهدهد ﴿ **غير بعيد** ﴾ أي : غاب زمانًا يسيرًا ، ثم جاء فقال لسليمان : ﴿ **أحطتُ بما لم تحط به** ﴾ ، أي : اطلعت علىٰ ما لم تطلع عليه أنت ولا جنودك ، ﴿ **وجئتك من سبأ بنبأ يقين** ﴾ ، أي : بخبر صدق حقّ يقين ، وسبأ : هم حمير ، وهم ملوك اليمن .

ثم قال : ﴿ **إني وجدت امرأة تملكهم** ﴾ ، قال الحسن البصري : وهي بلقيس بنت شَرَاحيل ملكة سبأ .

وقال قتادة : كانت أمها جنية ، وكان مؤخر قدميها مثل حافر الدابة ، من بيت مملكة . وقال زهير بن محمد : هي بلقيس بنت شَرَاحيل بن مالك بن الريان ، وأمها فارعة الجنية .

---

[١] - في ت : « عياش » . [٢] - في ت : « وقال » .

وقال ابن جريج : بلقيس بنت ذي شرخ ، وأمها بلتقة .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عليّ بن الحسين ، حدثنا مسدد ، حدثنا سفيان - يعني ابن عيينة - عن عطاء بن السائب ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ؛ قال : [كان مع][١] صاحبة سليمان ألفُ قَيْل ، تحت كل قيل مائة ألف .

وقال الأعمش ، عن مجاهد : كان تحت يدي ملكة سبأ اثنا عشر ألف قيل ، تحت كل قَيْل : مائة ألف مقاتل .

وقال عبد الرزاق : أنبأنا معمر ، عن قتادة ، في قوله : ﴿ **إني وجدت امرأة تملكهم** ﴾ ، كانت من بيت مملكة ، وكان أولو مشورتها ثلاثمائة واثني[٢] عشر رجلًا ، كل رجل منهم على عشرة آلاف رجل . وكانت بأرض يقال لها : مأرب ، على ثلاثة أميال من صنعاء . وهذا القول هو أقرب على أنه كثير على مملكة[٣] اليمن ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **وأوتيت من كل شيء** ﴾ ، أي : من متاع الدنيا ما يحتاج إليه الملك المتمكن ، ﴿ **ولها عرش عظيم** ﴾ ، يعني : سرير تجلس عليه عظيم هائل مزخرف بالذهب ، وأنواع الجواهر واللآلئ .

قال زهير بن محمد : كان من ذهب صفحتاه مرمولة[٤] بالياقوت والزبرجد [طوله ثمانون ذراعًا ، وعرضه أربعون ذراعًا .

وقال محمد بن إسحاق : كان من ذهب مفصص بالياقوت والزبرجد][٥] واللؤلؤ ، وكان إنما يخدمها[٦] النساء ، لها ستمائة امرأة [تليها للخدمة][٧] .

قال علماء التاريخ : وكان هذا السرير في قصر عظيم مشيد رفيع البناء محكم ، كان فيه ثلاثمائة وستون طاقة من شرقه ومثلها من غربه ، قد وضع بناؤه على أن تدخل الشمس كل يوم من طاقة ، وتغرب من مقابلتها ، فيسجدون لها صباحًا ومساء ، ولهذا قال : ﴿ **وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل** ﴾ أي : عن طريق الحق ، ﴿ **فهم لا يهتدون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ألّا يسجدوا لله** ﴾ . [معناه : ﴿ **وزين لهم الشيطان أعمالهم ، فصدهم عن**

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ز ، خ : « اثنا » .
[٣] - في ت : « مملكته » .
[٤] - في ت : « مرمرل » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٦] - في خ ، ز : « يحدثها » .
[٧] - في ت : « تلي الخدمة » .

السبيل ، فهم لا يهتدون * ألاّ يسجدوا لله ﴾[١] أي : لا يعرفون سبيل الحق التي هي إخلاص السجود للَّه وحده دون ما خلق من شيء من الكواكب وغيرها ، كما قال تعالىٰ : **﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا للَّه الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون ﴾** ، وقرأ بعض القراء (ألا يا اسجدوا لله)(*) جعلها : « **ألا** » الاستفتاحية ، و « **يا** » النداء[٢] ، وحذف المنادىٰ ، تقديره عنده : « **ألا يا قوم ، اسجدوا لله** » .

وقوله : **﴿ الذي يخرج الخبء في السمٰوات والأرض ﴾** ، قال عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : يعلم كل خبيئة في السماء والأرض . وكذا قال عكرمة ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، وغير واحد .

وقال سعيد بن المسيب : الخَبْء : الماء . وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : خبء السمٰوات والأرض : ما جعل فيها من الأرزاق ؛ المطر من السماء ، والنبات من الأرض . وهذا مناسب من كلام الهدهد ، الذي جعل اللَّه فيه من الخاصية ما ذكره ابن عباس وغيره ، من[٣] أنه يرىٰ الماء يجري في تخوم الأرض ودواخلها .

وقوله : **﴿ ويعلم [ما تخفون وما تعلنون[٤] ﴾** أي : يعلم ما يخفيه العباد ، وما يعلنونه من الأقوال والأفعال ؛ وهذا كقوله تعالىٰ : **﴿ سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ﴾** .

وقوله : **﴿ اللَّه لا إله إلا هو رب العرش العظيم ﴾** أي : هو المدعو الله ، وهو الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم ، الذي ليس في المخلوقات أعظم منه .

ولما كان الهدهد داعيًا إلىٰ الخير ، وعبادة اللَّه وحده والسجود له ، نهي عن قتله ، كما رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجة ، عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال : نهىٰ النبي - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - عن قتل أربع من الدواب : النملة ، والنحلة ، والهدهد ، والصُّرَد . وإسناده صحيح(٨) .

(٨) لم يروه من حديث أبي هريرة إلا ابن ماجة حديث (٣٢٢٣) بلفظ : « نهى رسول الله - صلى =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

(*) قال ابن مجاهد : كُلُّهم شدد اللام في : ﴿ ألّا يسجدوا ﴾ غيرَ الكسائي فإنه خفَّفها ولم يجعل فيها « أنْ » ، ووقف : ﴿ ألا يا ﴾ ثم ابتدأ ﴿ اسجدوا ﴾ كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص٤٨٠) .

[٢] - في ت : « للنداء » .

[٣] - في ز ، خ : « ما » .

[٤] - في ز ، خ : « ما يخفون وما يعلنون » . وهي قراءة الجمهور . وأثبتنا قراءة حفص عن عاصم ، وهي قراءة الكسائي أيضًا . انظر السبعة (ص٤٨٠) .

۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾

يخبر تعالىٰ عن قيل سليمان - عليه السلام - للهدهد حين أخبره عن أهل[١] سبإ وملكتهم : ﴿ **قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين** ﴾ ، أي : أصدقت في إخبارك هذا ، ﴿ **أم كنت من الكاذبين** ﴾ في مقالتك ، فتتخلص من الوعيد الذي أوعدتك ﴿ **اذهب بكتابي هذا فألْقِهْ إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون** ﴾ ، وذلك أن سليمان - عليه السلام - كتب كتابًا إلىٰ بلقيس وقومها ، وأعطاه لذلك الهدهد فحمله - قيل : في جناحه كما هو عادة الطير ، وقيل : بمنقاره - وذهب إلىٰ بلادهم فجاء إلىٰ قصر بلقيس ، إلىٰ الخلوة التي كانت تختلي فيها بنفسها ، فألقاه إليها من كُوَّةٍ هنالك بين يديها ، ثم تولىٰ ناحية أدبًا ورياسة ، فتحيرتْ مما رأتْ ، وهالها ذلك ، ثم عمدت إلىٰ الكتاب فأخذته ، ففتحت ختمه وقرأته ، فإذا فيه : ﴿ **إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم * ألّا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين** ﴾ فجمعت عند ذلك أمراءها ووزراءها وكبراء دولتها ومملكتها ، ثم قالت لهم : ﴿ **يا أيها الملأ إني[٢] ألقي إليّ كتاب كريم** ﴾ ، تعني بكرمه ما رأته من عجيب أمره ، كون طائر أتىٰ به فألقاه إليها ، ثم تولىٰ عنها أدبًا . وهذا أمر لا يقدر عليه أحد من الملوك ، ولا سبيل لهم إلىٰ ذلك ، ثم قرأته عليهم ، ﴿ **إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم * ألّا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين** ﴾ ؛ فعرفوا أنه من نبي الله سليمان ، وأنه لا قِبَل لهم به ، وهذا الكتاب في غاية البلاغة والوَجازة والفصاحة ، فإنه حَصّل المعنىٰ بأيسر عبارة وأحسنها ، قال العلماء : ولم يكتب أحد ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ قبل سليمان عليه السلام.

وقد روىٰ ابن أبي حاتم في ذلك حديثًا في تفسيره ، حيث قال : حدثنا أبي ، حدثنا هارون ابن الفضل أبو يعلىٰ الحناط[٣]، حدثنا أبو يوسف، عن سلمة بن صالح ، [عن عبد الكريم][٤] أبي أمية عن ابن[٥] بُرَيدَة ، عن أبيه قال : كنت أمشي مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم

= الله عليه وسلم - عن قتل الصرد والضفدع والنملة والهدهد » . وهو بهذا اللفظ من حديث ابن عباس في مسند الإمام أحمد (٣٣٢/١) وسنن أبي داود حديث (٥٢٦٧) وسنن ابن ماجة حديث (٣٢٢٤) .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز ، خ : « إنه » .
[٣] - في ز ، خ : « الخياط » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٥] - سقط من : ز .

فقال: « **إني أعلم آية[١] لم تنزل[٢] علىٰ نبيّ قبلي بعد سليمان بن داود** » . قال: قلت: يا رسول الله، أيّ آية؟ قال: « **سأعلمكها[٣] قبل أن أخرج من المسجد** » . قال: فانتهىٰ إلىٰ الباب، فأخرج إحدىٰ قدميه، فقلت: نسيَ، ثم التفت إليّ فقال[٤]: « ﴿ **إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ » (٩) . هذا حديث غريب وإسناده ضعيف.

وقال ميمون بن مهران: كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يكتب: باسمك اللهم، حتىٰ نزلت هذه الآية، فكتب: ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ .

وقوله: ﴿ **ألا تعلوا علي** ﴾، يقول قتادة: لا تجبروا علي[٥] ، وأتوني مسلمين.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: لا تمتنعوا ولا تتكبروا عليّ ﴿ **وأتوني مسلمين** ﴾ قال ابن عباس: موحدين. وقال غيره: مخلصين. وقال سفيان بن عيينة: طائعين.

قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ (٣٢) قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣) قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ (٣٥)

لما قرأت عليهم كتاب سليمان استشارتهم في أمرها، وما قد نزل بها؛ ولهذا قالت: ﴿ **يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرًا حتىٰ تشهدون** ﴾ أي: حتىٰ تحضرون وتشيرون. ﴿ **قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد** ﴾ أي: مَتُّوا[٦] إليها بعَدَدهم وعُدَدهم وقوتهم، ثم فوضوا إليها بعد ذلك الأمر فقالوا: ﴿ **والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين** ﴾ أي: نحن ليس لنا عاقة، [ولا بنا بأس. إن شئت أن تقصديه وتحاربيه، فما لنا عاقة][٧] عنه، وبعد هذا فالأمر إليك، مري فينا برأيك نمتثله ونطعه[٨] .

قال الحسن البصري - رحمه الله -: فوضوا أمرهم إلى عِلْجَةٍ(*) يضطرب ثدياها، فلما قالوا لها ما قالوا، كانت هي أحزمَ رأيًا منهم، وأعلم بأمر سليمان، وأنه لا قبل لها بجنوده

(٩) ورواه أبو نعيم في تاريخ أصفهان (١٨٧/٢) من طريق الحسين بن حفص عن أبي يوسف به.

[١] - في خ، ز: « أنه » .
[٢] - في ز، خ: « ينزل » .
[٣] - في ز: « ما علمكها » .
[٤] - في ت: « وقال » .
[٥] - سقط من: خ، ز.
[٦] - في ت: « منُّوا » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.
[٨] - في ز، خ: « نطيعه » .
(*) العِلْج: الرجل من كُفَّار العجم.

وجيوشه ، وما سُخِّر له من الجن والإنس والطير ، وقد شاهَدَت من قضية الكتاب مع الهدهد أمرًا عجيبًا بديعًا ، فقالت لهم : إني أخشىٰ أن نحاربه ونمتنع عليه ، فيقصدنا بجنوده ، ويهلكنا بمن معه ، ويخلص إليّ وإليكم الهلاك والدمار دون غيرنا ؛ ولهذا قالت : ﴿ **إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها** ﴾ .

قال ابن عباس : أي : إذا دخلوا بلدًا عنوة أفسدوه ، أي : خَرَّبوه ، ﴿ **وجعلوا أعزة أهلها[١] أذلة** ﴾ ، أي : وقصدوا من فيها من الولاة والجنود ، فأهانوهم غاية الهوان ، إما بالقتل أو بالأسر .

قال ابن عباس : قالت بلقيس : ﴿ **إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة** ﴾ ، قال الرب عز وجل : ﴿ **وكذلك يفعلون** ﴾ .

ثم عدلت إلىٰ المهادنة والمصالحة والمسالمة والمخادعة والمصانعة ، فقالت : ﴿ **وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون** ﴾ أي : سأبعث إليه بهدية تليق به ، وأنظر ماذا يكون جوابه بعد ذلك ، فلعله يقبل ذلك ويكف عنا ، أو يضرب علينا خَرَاجًا نحمله إليه في كل عام ، ونلتزم له بذلك ويترك[٢] قتالنا ومحاربتنا . قال قتادة : رحمها الله ورضي عنها ، ما كان أعقَلَهَا في إسلامها وفي شركِهَا ! ! علمت أن الهدية تقع موقعًا من الناس .

[وقال][٣] ابن عباس وغير واحد : قالت لقومها : إن قَبِلَ الهدية فهو ملك فقاتلوه ، وإن لم يقبلها فهو نبي فاتبعوه .

فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾

ذكر غير واحد من المفسرين ، من السلف وغيرهم : أنها بعثت إليه بهدية عظيمة من ذهب وجواهر ولآليء وغير ذلك . وقال بعضهم : أرسلت إليه بلَبنَة من ذهب ، والصحيح أنها أرسلت إليه[٤] بآنية من ذهب . قال مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وغيرهما : وأرسلت جواري في زيّ الغلمان ، وغلمان في زيّ الجواري ، وقالت : إن عرف هؤلاء من هؤلاء فهو نبيّ . قالوا : فأمرهم - عليه السلام - أن يتوضئوا ، فجعلت الجارية تُفرغ علىٰ يدها من الماء ، وجعل الغلام يغترف ، فميزهم بذلك .

---

[١] - في ز : « أهله » .
[٢] - في ز ، خ : « نترك » .
[٣] - في ت : « قال » .
[٤] - سقط من : ت .

وقيل : بل جعلت الجارية تغسل باطن زندها قبل ظاهره ، والغلام بالعكس .

وقيل : بل جعلت الجواري يغتسلن من أكفهن إلىٰ مرافقهن ، والغلمان من مرافقهم إلىٰ أكفهم . ولا منافاة بين ذلك كله ، والله أعلم .

وذكر بعضهم : أنها أرسلت إليه بقدح ليملأه ماء رواء[١] ، لا من السماء ولا من الأرض ، فأجرىٰ الخيل حتىٰ عرقت ، ثم ملأه من ذلك . وبخرزة وسلك فيجعله[٢] فيها ، ففعل ذلك . والله أعلم أكان ذلك أم لا ، وأكثره مأخوذ من الإسرائيليات ، والظاهر أن سليمان - عليه السلام - لم ينظر إلىٰ ما جاءوا به بالكلية ، ولا اعتنىٰ به ، بل أعرض عنه ، وقال منكرًا عليهم ؛ ﴿ **أتمدونن بمال** ﴾ أي : أتصانعونني بمال لأتركم علىٰ شرككم وملككم ؟ ! ﴿ **فما آتاني الله خير مما آتاكم** ﴾ أي : الذي أعطاني الله من الملك والمال والجنود - خيرٌ مما أنتم فيه ، ﴿ **بل أنتم بهديتكم تفرحون** ﴾ ، أي : أنتم الذين تنقادون للهدايا والتحف ، وأما أنا فلا أقبل منكم إلا الإسلام أو السيف .

قال الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، -رضي الله عنه - : أمر سليمانُ الشياطينَ فموّهوا له ألف قصر من ذهب وفضة . فلما رأت رسلُها ذلك قالوا : ما يصنع هذا بهديتنا وفي هذا دلالة علىٰ [جواز تهيؤ][٣] الملوك وإظهارهم الزينة للرسل والقصاد .

﴿ **ارجع إليهم** ﴾ أي : بهديتهم ، ﴿ **فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُم بِهَا** ﴾ ، أي : لا طاقة لهم بقتالهم ، ﴿ **ولنخرجنهم منها** ﴾ ، أي : من بلدهم ﴿ **أذلة وهم صاغرون** ﴾ ، أي : مهانون مدحورون .

فلما رجعت إليها رسلُها بهديتها ، وبما قال سليمان ، سمعت وأطاعت هي وقومها ، وأقبلت تسير إليه في جنودها خاضعة ذليلة ، معظمة لسليمان ، ناوية متابعته في الإسلام ، ولما تحقق سليمان - عليه السلام - قدومهم عليه ، ووفودهم إليه ، فرح بذلك وسَرَّه .

قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا

---

[١] - في ز ، خ : « دواء » . [٢] - في ت : « ليجعله » .
[٣] - في ز ، خ : « نهي جواز » .

عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ﴿٤٠﴾

قال محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رُومان ، قال : فلما رجعت إليها الرسل بما قال سليمان قالت : قد ، والله ، عرفت ما هذا بملك ، وما لنا به من طاقة ، وما نصنع بمكابرته[١] شيئًا . وبعثت إليه : إني قادمة عليك [ ][٢] بملوك قومي ، لأنظر ما أمرُك وما تدعونا إليه من دينك . ثم أمرت بسرير ملكها الذي كانت تجلس عليه - وكان من ذهب مُفَصَّص بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ - فجعل[٣] في سبعة أبيات ، بعضها في بعض ، ثم أقفلت عليه الأبواب ، ثم قالت لمن خَلفت[٤] علىٰ سلطانها ، احتفظ بما قبلك وسرير ملكي ، فلا يخلص إليه أحد من عباد الله ، وَلايَرَينَّه أحد[٥] حتىٰ آتيك . ثم شَخَصَت إلىٰ سليمان في اثني عشر ألفًا[٦] قَيْلٍ من ملوك اليمن ، تحت يدي كل قَيل منهم ألوف كثيرة . فجعل سليمان يبعث الجن يأتونه بمسيرها ومنتهاها كل يوم وليلة ، حتىٰ إذا دَنت جمع مَنْ عنده مِنَ الجن والإِنس ، ممن تحت يديه ، فقال : ﴿ **يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين** ﴾ .

وقال قتادة : لما[٧] بلغ سليمان أنها جائية ، وكان قد ذُكر له عرشها فأعجبه ، وكان من ذهب ، وقوائمه لؤلؤ وجوهر ، وكان مسترًا بالديباج والحرير ، وكانت عليه تسعة مغاليق ، فكره أن يأخذه بعد إسلامهم . وقد علم نبيّ الله أنهم متىٰ أسلموا تحرم أموالهم مع دمائهم فقال : ﴿ **يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين** ﴾ .

وهكذا قال عطاء الخراساني، والسدّي، وزُهير بن محمد : ﴿ **قبل أن يأتوني مسلمين** ﴾ ، فتحرم عليَّ أموالهم بإسلامهم .

﴿ **قال عفريت من الجن** ﴾ ، قال مجاهد : أي مارد من الجن. قال شعيب الجبائي : وكان اسمه كوزن. وكذا قال محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رومان ، وكذا قال أيضًا وهب بن منبه . قال أبو صالح : وكان كأنَّه جبل .

﴿ **أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك** ﴾ ، قال ابن عباس : يعني قبل أن تقوم من مجلسك . وقال مجاهد : متعدك . وقال السدي وغيره : كان يجلس للناس للقضاء

---

[١] - في ت : « بمكاثرته » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « قادمة » .

[٣] - في ز ، خ : « يجعل » .

[٤] - في خ : « خالفت » .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - سقط من : خ ، ز .

[٧] - سقط من : ز ، خ .

والحكومات ، وللطعام من أول النهار إلىٰ أن تزول الشمس .

﴿ وإني عليه لقوي أمين ﴾ قال ابن عباس : أي قوي على حمله أمين على ما فيه من الجوهر .

فقال سليمان عليه السلام : أريد أعجل من ذلك . ومن هاهنا يظهر أن النبي سليمان أراد بإحضار هذا السرير إظهار عظمة ما وهبه اللّٰه تعالى له[١] من الملك ، وسَخَّر له من الجنود ، الذي لم يُعْطَه أحد من[٢] قبله ، ولا يكون لأحد من بعده ، وليتخذ ذلك حجة علىٰ نبوته عند بلقيس وقومها ؛ لأن هذا خارق عظيم أن يأتي بعرشها كما هو من بلادها قبل أن يَقْدَموا عليه . هذا وقد حجبته بالأغلاق والأقفال والحفظة[٣] . فلما قال سليمان[٤] : أريد أعجل من ذلك ، ﴿ قال الذي عنده علم من الكتاب ﴾ ، قال ابن عباس : وهو آصف كاتب سليمان . وكذا رَوَىٰ محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رومان : أنه آصف بن برخياء ، وكان صدّيقًا يعلم الاسم الأعظم .

وقال قتادة : كان مؤمنًا من الإنس ، واسمه آصف . وكذا قال أبو صالح ، والضحاك ، وقتادة : إنه كان من الإنس . زاد قتادة : من بني إسرائيل .

وقال مجاهد : كان اسمه أسطوم . وقال قتادة - في رواية عنه : كان اسمه بليخا .

وقال زهير بن محمد : هو رجل من الإنس يقال له : ذو النور .

وزعم عبد اللّٰه بن لهيعة أنه الخضر ، وهو غريب جدًّا .

وقوله : ﴿ أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ﴾ أي : ارفع بصرك وانظر مَدّ بصرك مما تقدر عليه ، فإنك لا يكل بصرك إلا وهو حاضر عندك .

وقال وهب بن منبه : امدد بصرك فلا يبلغ مداه حتى آتيك به .

فذكروا أنه أمره أن ينظر نحو اليمن التي فيها هذا العرش المطلوب، ثم قام فتوضأ ، ودعا اللّٰه - عز وجل .

قال مجاهد : قال[٥] : يا ذا الجلال والإكرام . وقال الزهري : قال[٦] : يا إلهنا وإله كل شيء ، إلهًا واحدًا ، لا إله إلا أنت ، ائتني بعرشها . قال : فتمثل[٧] له بين يديه .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - في خ ، ز : « والحفظ » .
[٤] - سقط من : خ ، ز .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز ، خ : « تمثل » .

قال مجاهد ، وسعيد بن جبير ، ومحمد بن إسحاق ، وزهير بن محمد ، وغيرهم : لما دعا الله عز وجل ، وسأله أن يأتيه بعرش بلقيس - وكان في اليمن ، وسليمان عليه السلام ببيت المقدس - غاب السرير ، وغاص في الأرض ، ثم نبع من بين يديّ سليمان عليه السلام .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، لم يشعر سليمان إلا وعرشها يحمل بين يديه . قال : وكان هذا الذي جاء به من عُبّاد البحر ، فلما عاين سليمان ومَلَؤه ذلك ، ورآه مستقرًّا عنده ، ﴿ **قال هذا من فضل ربي** ﴾ ، أي : هذا من نعم الله عليّ ، ﴿ **ليبلوني** ﴾ ، أي : ليختبرني ﴿ **أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه** ﴾ ، كقوله : ﴿ **من عمل صالحًا فلنفسه ومن أساء فعليها** ﴾ وقوله : ﴿ **ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ومن كفر فإن ربي غنيّ كريم** ﴾ ، أي : هو غنيّ عن العباد وعبادتهم ، ﴿ **كريم** ﴾ ، أي : كريم في نفسه ، وإن لم يعبده أحد ، فإن عظمته ليست مفتقرة إلىٰ أحد ، وهذا كما قال موسىٰ : ﴿ **إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعًا فإن الله لغنيّ حميد** ﴾ .

وفي صحيح مسلم : « **يقول الله تعالىٰ : يا عبادي ، لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنّكم ، كانوا على أتقىٰ قلب رجل منكم ، ما زاد ذلك في ملكي شيئًا ، يا عبادي ، لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم ، كانوا علىٰ أفجر قلب رجل منكم ، ما نقص ذلك من ملكي شيئًا ، يا عبادي ، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ، [ثم أوفيكم إياها]**[١] ، **فمن وجد خيرًا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه** »(١٠) .

قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾

لما جيء سليمان - عليه السلام - بعرش بلقيس قبل قدومها ، أمر به أن يغير بعض صفاته ، ليختبر معرفتها وثباتها عند رؤيته ، هل تقدم علىٰ أنه عرشها أو أنه ليس به ، فقال :

---

(١٠) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب حديث (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

﴿ نكّروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون ﴾ .

[قال][١] ابن عباس : نزع عنه فصوصه ومرافقه . وقال مجاهد : أمر به فغُيّر ، ما كان أحمر جُعل أصفر ، وما كان أصفر جُعل أحمر ، وما كان أخضر جُعل أحمر ، غيَّرَ كلَّ شيءٍ عن حاله . وقال عكرمة : [زادوا][٢] فيه ونقصوا .

[وقال قتادة : جعل أسفله أعلاه ومقدمه مؤخره ، وزادوا فيه ونقصوا][٣] .

﴿ فلما جاءت قيل أهكذا عرشك ﴾ أي : عرض عليها عرشها[٤] ، وقد غُيّر ونُكّر ، وزيد فيه ونقص منه[٥] ، فكان فيها ثبات وعقل ، ولها لُبّ ودهاء وحزم ، فلم تقدم علىٰ أنه هو لبعد مسافته عنها ، ولا أنه غيره ، لما رأت من آثاره وصفاته ، وإن غير وبدل ونكر ، فقالت : ﴿ كأنه هو ﴾ أي[٦] : يشبهه ويقاربه . وهذا غاية في الذكاء والحزم .

وقوله : ﴿ وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين ﴾ قال مجاهد : سليمان يقوله .

وقوله : ﴿ وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين ﴾ هذا من تمام كلام سليمان - عليه السلام - في قول مجاهد ، وسعيد بن جبير - رحمهمَا الله - أي : قال سليمان : ﴿ و[٧]أوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين ﴾ ، وهي كانت قد صدها ، أي : منعها من عبادة الله وحده ﴿ ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين ﴾ . وهذا الذي قاله مجاهد وسعيد - حَسَنٌ ، وقاله ابن جرير أيضًا .

ثم قال ابن جرير : ويحتمل أن يكون في قوله : ﴿ وصدها ﴾ ، ضمير يعود إلىٰ سليمان ، أو إلىٰ الله عز وجل ، تقديره : ومنعها ﴿ ما كانت تعبد من دون الله ﴾ . أي : صدها عن عبادة [غير الله][٨] ، ﴿ إنها كانت من قوم كافرين ﴾ .

قلت : ويؤيد قول مجاهد : أنها إنما أظهرت الإسلام بعد دخولها إلى الصرح كما سيأتي .

وقوله : ﴿ قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها ﴾ ، وذلك أن سليمان - عليه السلام - أمر الشياطين فبنوا له قصرًا عظيمًا من قوارير ، أي : من زجاج ، وأجرىٰ تحته الماء ، فالذي لا يعرف أمره يحسب أنه ماء ، ولكن الزجاج يحول بين الماشي وبينه ، واختلفوا في السبب الذي دعا سليمان - عليه السلام - إلىٰ اتخاذه ، فقيل : إنه لما عزم علىٰ تَزْويجِها واصطفائها لنفسه ، ذكر له جمالها وحسنها ، ولكن في ساقيها هُلْبٌ(*) عظيم ،

[١] - في ت : « وقال » .
[٢] - في ت : « وزادوا » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : خ ، ز .
[٦] - سقط من : خ ، ز .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - ما بين المعكوفتين في ز : « الله غير » .
(*) الهُلْبُ : ما غَلُظَ وصُلب من الشَّعر .

ومؤخر أقدامها كمؤخر الدابّة ، فساءه ذلك ، فاتخذ هذا ليعلم صحته أم لا ؛ هذا قول محمد بن كعب القُرَظي وغيره . فلما دخلت وكشفت عن ساقيها ، رأىٰ أحسن الناس وأحسنه قدمًا ، ولكن رأىٰ[١] علىٰ رجليها شعرًا[٢] ، لأنها ملكة ليس لها بعل ، فأحب أن يذهب ذلك عنها ، فقيل لها : الموسىٰ ؟ فقالت : لا أستطيع ذلك . وكره سليمان ذلك ، وقال للجن : اصنعوا شيئًا غير الموسىٰ يذهب به هذا الشعر ، فصنعوا له النورَة . وكان أول من اتخذت له النّوْرَة . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، ومحمد بن كعب القرظي ، والسدي ، وابن جريج ، وغيرهم .

و[٣]قال محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رُومَان : ثم قال لها : ادخلي الصرح ، ليريها مُلْكًا هو أعزّ من ملكها ، وسلطانًا هو أعظم من سلطانها . فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها ، لا تشك إلا أنه ماء تخوضه ، فقيل لها : إنه صرح مُمَرّد من قوارير ، فلما وقفت علىٰ سليمان دعاها إلىٰ عبادة اللّٰه ، وعاتبها في عبادتها [الشمس من][٤] دون الله .

وقال الحسن البصري : لما رأت العِلْجَة الصرح عرفت - والله - أن قد رأت[٥] ملكًا أعظم من ملكها .

وقال محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه قال : أمر سليمان بالصرح ، وقد عملته له الشياطين من زجاج ، كأنه الماء بياضًا . ثم أرسل الماء تحته ، ثم وضع له فيه سريره ، فجلس عليه ، وعكفت عليه الطير والجن والإنس ، ثم قال : ادخلي الصرح ، ليريها ملكا هو أعز من ملكها ، وسلطانًا هو أعظم من سلطانها ، ﴿ **فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها** ﴾ ، لا تشك أنه ماء تخوضه ، قيل لها : ﴿ **إنه صرح مُمَرّد من قوارير** ﴾ ، فلما وقفت علىٰ سليمان ، دعاها إلىٰ عبادة اللّٰه عز وجل ، وعاتبها في عبادتها الشمس من دون الله ، فقالت بقول الزنادقة ، فوقع سليمان ساجدًا إعظامًا لما قالت ، وسجد معه الناس ، فسقط في يديها حين رأت سليمان صنع ما صنع ، فلما رفع [سليمان][٦] رأسه قال : ويحكِ ! ماذا قلت ؟ - قال : وأنسيت ما قالت - فقالت[٧] : ﴿ **رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين** ﴾ ، فأسلمت وحسن إسلامها .

وقد روىٰ الإمام أبو بكر بن أبي شيبة في هذا أثرًا غريبًا عن ابن عباس قال :

حدثنا الحسين بن عليّ ، عن زائدة ، حدثني عطاء بن السائب ، حدثنا مجاهد - ونحن في الأزد - قال : حدثنا ابن عباس ، قال : كان سليمان - عليه السلام - يجلس علىٰ سريره ، ثم

---

[١] - سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ز ، خ : « شعر » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين في خ، ز: «الشيطان» .
[٥] - في خ ، ز : « أوبت » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٧] - سقط من : ز .

تُوضَعُ كراسيّ حوله ، فيجلس عليها الإنس ، ثم يجلس الجن ، ثم الشياطين ، ثم تأتي الريح فترفعهم ، ثم تظلهم الطير ، ثم يغدون[١] قدر ما يشتهي الراكب ، أن ينزل[٢] شهرًا ورواحها شهرًا ، قال : فبينما هو ذات يوم في مسير له ، إذ تفقد الطير ففقد[٣] الهدهد فقال[٤] : ﴿ **ما لي لا أرىٰ الهدهد أم كان من الغائبين * لأعذبنه عذابًا شديدًا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين** ﴾ ، قال : فكان عذابه إياه أن ينتفه ، ثم يلقيه [بالأرض][٥] ، فلا يمتنع من نملة ، ولا من شيء من هوام الأرض .

قال عطاء : وذكر سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس مثل حديث مجاهد . ﴿ **فمكث غير بعيد** ﴾ فقرأ حتىٰ انتهىٰ إلىٰ قوله : ﴿ **سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين * اذهب بكتابي هذا** ﴾ وكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، إلىٰ بلقيس ، ﴿ **ألّا تعلوا عليّ وائتوني مسلمين** ﴾ ، [فلما ألقىٰ الهدهد الكتابَ إليها ، أُلقي في رُوعها : إنه كتاب كريم ، وإنه من سليمان ، وأن لا تعلوا عليّ وائتوني مسلمين . قالوا : نحن أولو قوة][٦] . قالت : إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها ، وإني مرسلة إليهم بهدية . فلما جاءت الهدية سليمان قال : أتمدونني بمال ، ارجع إليهم . فلما نظر إلىٰ الغبار - أخبرنا ابن عباس قال : وكان بين سليمان وبين ملكة سبإ ومن معها حين نظر إلىٰ الغبار كما بيننا وبين الحيرة[٧] ، قال عطاء : ومجاهد حينئذ في الأزد - قال سليمان : أيكم يأتيني بعرشها ؟ قال : وبين عرشها وبين سليمان حين نظر إلىٰ الغبار مسيرة شهرين ، ﴿ **قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك** ﴾ ، قال : وكان لسليمان مجلس يجلس فيه للناس ، كما يجلس الأمراء ثم يقوم . قال : ﴿ **أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك** ﴾ ، قال سليمان : أريد أعجل من ذلك . فقال الذي عنده علم من الكتاب : أنا أنظر في كتاب ربي ، ثم آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك . [قال : فنظر إليه سليمان فلما قطع كلامه رد سليمان بصره][٨] ، فنبع عرشها من تحت قدم سليمان ، من تحت كرسيّ كان لسليمان[٩] ، يضع عليه رجله ، ثم يصعد إلىٰ السرير . قال : فلما رأىٰ سليمان عرشها قال : ﴿ **هذا من فضل ربي** ﴾ ، ﴿ **قال نكروا لها عرشها** ﴾ ، فلما جاءت قيل لها : أهكذا عرشك ؟ قالت : كأنه هو .

قال : فسألَتْهُ [حين جاءته][١٠] عن أمرين : قالت لسليمان : أريد[١١] ماء ليس من أرض ولا سماء - وكان سليمان إذا سئل عن شيء ، سأل الإنس ثم الجن ثم الشياطين - فقالت

---

[١] - في ز ، خ : « يغدوا » .
[٢] - في خ ، ز : « يترك » .
[٣] - في ز ، خ : « فتفقد » .
[٤] - في ز ، خ : « قال » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ت : « في الأرض » .
[٦] - ما بين المعكوفتين ضبب عليه في ز .
[٧] - في خ ، ز : « الحرة » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٩] - في ت : « سليمان » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[١١] - سقط من : خ ، ز .

الشياطين : هذا هَين ، أجْر الخيلَ ثم خذ عرقها ، ثم املأ منه الآنية . قال : فأمر بالخيل فأجريَت ، ثم أخذ عرقها فملأ منه الآنية .

قال : وسألت عن لون اللّٰه - عز وجل - قال : فوثب سليمان عن سريره ، فخرَّ ساجدًا ، فقال : يا رب ، لقد سَألتْني عن أمر[١] إنه يتكايد [ ][٢] في قلبي أن أذكره لك . قال : ارجع فقد كَفَيتكهم . قال : فرجع إلىٰ سريره فقال : ما سألت عنه ؟ قالت : ما سألتك إلا عن الماء . فقال لجنوده : ما سألت عنه ؟ فقالوا : ما سألتك إلا عن الماء . قال : ونَسُوه كلّهم .

قال : وقالت الشياطين لسُلَيمان : تُريدُ أن تتخذها لنفسك ؟ فإن اتخذها لنفسه ثم ولد بينهما ولد ، لم ننفك من عبوديته . قال : فجعلوا صرحًا ممردًا من قوارير ، فيه السمك . قال : فقيل لها : ادخلي الصرح . فلما رأته حسبته لجة ، وكشفت عن ساقيها ، فإذا هي شَعْرَاء . فقال سليمان : هذا قبيح ، ما يذهبه ؟ فقالوا : تذهبه المواسى . فقال : أثر المواسي[٣] قبيح ! قال : فجعلت الشياطين النّورَة . قال : فهو أول من جُعلت له النّورة .

ثم قال أبو بكر بن أبي شيبة : ما أحسنه من حديث !

قلت : بل[٤] هو منكر غريب جدًّا ، ولعله من أوهام عطاء بن السائب علىٰ ابن عباس ، واللّٰه أعلم . والأقرب في مثل هذه السياقات أنها متلقاة عن أهل الكتاب ، مما يوجد في صحفهم ، كروايات كعب ووهب - سامحهما اللّٰه تعالىٰ - فيما نقلا إلىٰ هذه الأمة من أخبار بني إسرائيل ، من الأوابد والغرائب والعجائب ، مما كان وما لم يكن ، ومما حرف وبدل ونسخ . وقد أغنىٰ[٥] الله - سبحانه - عن ذلك بما هو أصح منه وأنفع وأوضح وأبلغ ، ولله الحمد والمنة .

أصل الصرح في كلام العرب : هو القصر ، وكل بناء مرتفع ، قال اللّٰه سبحانه وتعالىٰ إخبارًا عن فرعون - لعنه الله - أنه قال لوزيره هامان : ﴿ **ابن لي صرحًا لعلّي أبلغ الأسباب أسباب السمٰوات فأطّلع إلىٰ إله موسىٰ** ﴾ الآية . والصرح : قصر في اليمن عالي البناء : والممرد أي : المبنيّ بناء محكمًا أملس ﴿ **من قوارير** ﴾ أي : زجاج . وتمريد البناء : تمليسه . ومارد : حصن بدومة الجندل .

والغرض أن سليمان - عليه السلام - اتخذ قصرًا عظيمًا منيفًا من زجاج لهذه الملكة ، ليريها

---

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ت : « أي يتعاظم » . وليست هذه العبارة من صلب الكتاب ، وإنما نقلت من هامش المخطوط .

[٣] - فيْ : « الموسى » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ت : « أغنانا » .

عظمة سلطانه وتمكنه ، فلما رأت ما آتاه الله - تعالىٰ - وجلالة ما هو فيه ، وتبصرت في أمره - انقادت لأمر اللّٰه ، وعَرَفت أنه نبيّ كريم ، وملك عظيم ، فأسلمت للّٰه عز وجل ؛ وقالت : ﴿ **رب ؛ إني ظلمت نفسي** ﴾ أي : بما[١] سلف من كفرها ، وشركها ، وعبادتها وقومها الشمس من دون الله ، ﴿ **وأسلمتُ مع سليمان للّٰه رب العالمين** ﴾ ، أي : متابعة لدين سليمان في عبادته للّٰه وحده ، لا شريك له ، الذي خلق كل شيء فقدره تقديرًا .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾

يخبر تعالىٰ عن ثمود وما كان من أمرها مع نبيها صالح - عليه السلام - حين بعثه اللّٰه إليهم ، فدعاهم إلىٰ عبادة اللّٰه وحده لا شريك له ، ﴿ **فإذا هم فريقان يختصمون** ﴾ ، قال مجاهد : مؤمن وكافر ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **قال الملأ[٢] الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه قالوا إنّا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا إنّا بالذي آمنتم به كافرون** ﴾ .

﴿ **قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة** ﴾ ، أي : لم تدعون بحضور[٣] العذاب ، ولا تطلبون من اللّٰه رحمته ؟! ولهذا قال : ﴿ **لولا تستغفرون اللّٰه لعلكم ترحمون * قالوا اطيرنا بك وبمن معك** ﴾ ، أي : ما رأينا علىٰ وجهك ووجوه من اتبعك خيرًا . وذلك أنهم - لشقائهم - كان لا يصيب أحدًا منهم سوء إلا قال : هذا من قِبَلِ صالح وأصحابه .

قال مجاهد : تشاءموا بهم . وهذا كما قال تعالىٰ إخبارًا عن قوم فرعون : ﴿ **فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطّيّروا بموسىٰ ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله** ﴾ ، أي : بقدر اللّٰه وقضائه . وقال مخبرًا عن أهل القرية إذ جاءها المرسلون : ﴿ **قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم * قالوا طائركم معكم** ﴾. وقال هؤلاء: ﴿**اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله**﴾، أي: اللّٰه[٤] يجازيكم علىٰ ذلك ﴿ **بل أنتم قوم تفتنون** ﴾ ، قال قتادة : تبتلون بالطاعة والمعصية .

---

[١] - في خ ، ز : « مما » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في خ ، ز : « بحضون » .
[٤] - سقط من : خ ، ز .

والظاهر أن المراد بقوله : ﴿ تفتنون﴾ أي : تستدرجون فيما أنتم فيه من الضلال .

﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾

يخبر تعالىٰ عن طغاة ثمود ورؤوسهم ، الذين كانوا دعاة قومهم إلىٰ الضلالة والكفر وتكذيب صالح ، وآل بهم الحال إلىٰ أنهم عقروا الناقة ، وهموا بقتل صالح أيضًا ، بأن يبيتوه[١] في أهله ليلا فيقتلوه غيلة ، ثم يقولوا[٢] لأوليائه من أقربيه : إنهم ما علموا بشيء من أمره ، وإنهم لصادقون فيما أخبروهم به ، من أنهم لم يشاهدوا ذلك . فقال تعالىٰ : ﴿ وكان في المدينة ﴾ ، أي : مدينة ثمود ﴿ تسعة رهط ﴾ ، أي : تسعة نفر ، ﴿ يفسدون في الأرض ولا يصلحون ﴾ ، وإنما غلب هؤلاء علىٰ أمر ثمود ؛ لأنهم كانوا كبراء فيهم ورؤساءهم .

قال العوفي عن ابن عباس : هؤلاء هم الذين عقروا الناقة ، أي : الذين صدر ذلك عن آرائهم ومشورتهم ، قبحهم الله ولعنهم ! وقد فعل ذلك .

وقال السدي ، عن أبي مالك ، عن ابن عباس : كان أسماء هؤلاء التسعة : [دعمىٰ ، ودعيم][٣] ، وهرما[٤] ، وهريم ، وداب ، وصواب ، ورياب[٥] ، ومسطع ، وقدار[٦] ابن سالف - عاقر الناقة - أي : الذي باشر ذلك بيده . قال الله تعالىٰ : ﴿ فنادوا صاحبهم فتعاطىٰ فعقر ﴾ وقال تعالى : ﴿ إذ انبعث أشقاها ﴾ .

وقال عبد الرزاق : أنبأنا يحيىٰ بن ربيعة الصنعاني ، سمعت عطاء - هو ابن أبي رباح - يقول : ﴿ وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون ﴾ ، قال : كانوا

---

[١] - في ز ، خ : « بيتوه » . [٢] - في ز ، خ : « يقولون » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في خ : « رعمى ، ورعيم » ، وفي ز : « ودعمى ووعيم » .

[٤] - في خ ، ز : « هرم » . [٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - في ز : « قداد » .

يقرضون الدراهم(١١) .

يعني أنهم كانوا يأخذون منها[١] ، وكأنهم كانوا يتعاملون بها عددًا ، كما كان العرب يتعاملون .

و[٢]قال الإمام مالك : عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب أنه قال : قطع الذهب والورق من الفساد في الأرض(١٢) .

وفي الحديث الذى رواه أبو داود وغيره أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، نهى عن كسر سِكَّةِ المسلمين الجائزة بينهم إلا من بأس(١٣) .

والغرض أن هؤلاء الكفرة الفسقة ، كان من صفاتهم الإفساد في الأرض بكل طريق يقدرون عليها ، فمنها ما ذكره هؤلاء الأئمة ، وغير ذلك .

وقوله : ﴿ **قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله** ﴾ أي : تحالفوا وتبايعوا علىٰ قتل نبيّ الله صالح - عليه السلام - من لقيه ليّلا غيلة ، فكادهم الله ، وجعل الدائرة عليهم .

قال مجاهد : ﴿ **تقاسموا** ﴾ [تحالفوا][٣] على هلاكه ، فلم يصلوا إليه حتى هلكوا وقومهم أجمعين .

وقال قتادة : توافقوا علىٰ أن يأخذوه ليّلا فيقتلوه ، وذكر لنا أنهم بينما هم مَعَانيق إلى صالح ليفتكوا به ، إذ بعث الله عليهم صخرة فأهمدتهم .

وقال العوفي : عن ابن عباس : هم الذين عقروا الناقة قالوا حين عقروها : نُبَيِّت صالحًا وقومه فنقتلهم ، ثم نقول لأولياء صالح : ما شهدنا من هذا شيئًا ، وما لنا به علم ؛ فدمرهم الله أجمعين .

وقال محمد بن إسحاق : قال هؤلاء التسعة بعد ما عقروا الناقة : هَلُمَّ فلنقتل صالحًا ، فإن كان صادقًا عجلناه قبلنا ، وإن كان كاذبًا كنا قد ألحقناه بناقته ! فأتوه ليّلا ليبيّتوه في أهله ، فدمغتهم الملائكة بالحجارة ، فلما أبطئوا علىٰ أصحابهم ، أتوا مَنْزل صالح ، فوجدوهم منشدخين قد رضخوا بالحجارة ، فقالوا لصالح : أنت قتلتهم ؟ ثم هموا به ، فقامت عشيرته دونه ،

(١١) تفسير عبد الرزاق (٢/٧٠) .

(١٢) الموطأ (٢/٦٣٥) (١٣٢٢) .

(١٣) سنن أبي داود ، كتاب البيوع ، باب : كسر الدراهم حديث (٣٤٤٩) . وابن ماجه في التجارات (٢٢٦٣) .

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ت : « وتحالفوا » .

ولبسوا السلاح ، وقالوا لهم : واللّٰه لا تقتلونهم[١] أبدًا ، وقد وعدكم أن العذاب نازل بكم في ثلاث ، فإن كان صادقًا فلا تزيدوا ربكم عليكم غضبًا ، وإن كان كاذبًا فأنتم[٢] من وراء ما تريدون . فانصرفوا عنهم ليلتهم تلك .

وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم : لما عقروا الناقة وقال لهم صالح : ﴿ **تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب** ﴾ ، قالوا : زعم صالح أنه يفرغ منا إلىٰ ثلاثة أيام ، فنحن نفرغ منه وأهله قبل ثلاث . وكان لصالح مسجد في الحِجْر عند شعب هناك يصلي فيه ، فخرجوا إلىٰ كهف - أي : غار - هناك ليْلا ، فقالوا : إذا جاء يصلي قتلناه ، ثم رجعنا إذا فرغنا منه إلىٰ أهله ، ففرغنا منهم ، فبعث اللّٰه صخرة من الهضَب حيالهم ، فخشوا أن تشدخهم فتبادروا[٣] ، فانطبقت عليهم الصخرة وهم في ذلك الغار ، فلا يدري قومهم أين هم ، ولا يدرون ما فعل بقومهم ، فعذب اللّٰه[٤] هؤلاء هاهنا ، وهؤلاء هاهنا ، وأنجىٰ اللّٰه صالحًا ومن معه ، ثم قرأ : ﴿ **ومكروا مكرًا ومكرنا مكرًا وهم لا يشعرون * فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين * فتلك بيوتهم خاوية** ﴾ ، أي : فارغة ليس فيها أحد ﴿ **بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون * وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون** ﴾ .

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾

يخبر تعالىٰ عن عبده لوط - عليه السلام - : أنه أنذر قومه نقمة اللّٰه بهم ، في فعلهم الفاحشة التي لم يسبقهم إليها أحد من بني آدم ، وهي إتيان الذكور دون الإناث ، وذلك فاحشة عظيمة : استغنىٰ[٥] الرجال بالرجال ، والنساء بالنساء . قال : ﴿ **أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون** ﴾ ، أي : يرىٰ بعضكم بعضًا ، وتأتون في ناديكم المنكر ؟ ﴿ **أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون** ﴾ أي : لا تعرفون شيئًا لا طبعًا ولا شرعًا ، كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **أتأتون الذكران من العالمين * وتذرون ما خلق لكم ربكم من**

---

[١] - في ت : « تقتلوه » .
[٢] - في ز ، خ : « فإنهم » .
[٣] - في ز ، خ : « فبادروا » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ: « استغلا » . كذا .

أزواجكم بل أنتم قوم عادون ﴾ .

﴿ **فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون** ﴾ ، أي : يتحرجون[١] من فعل ما تفعلونه[٢] ، ومن إقراركم علىٰ صنيعكم ، فأخرجوهم من بين أظهركم ، فإنهم لا يصلحون لمجاورتكم في بلادكم ، فعزموا علىٰ ذلك ، فدمر الله عليهم وللكافرين أمثالها ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين** ﴾ ، أي : من الهالكين مع قومها ، لأنها كانت ردءًا لهم علىٰ دينهم ، وعلىٰ طريقتهم في رضاها بأفعالهم القبيحة ، فكانت تدل قومها علىٰ ضيفان لوط ، ليأتوا إليهم ، لا أنها كانت تفعل الفواحش تكرمة لنبي الله - صلىٰ الله عليه وسلم - لا كرامة لها[٣] .

وقوله : ﴿ **وأمطرنا عليهم مطرًا** ﴾ ، أي : حجارة من سجيل منضود [مسومة عند ربك][٤] ، وما هي من الظالمين ببعيد ؛ ولهذا قال : ﴿ **فساء مطر المنذرين** ﴾ أي : الذين قامت عليهم الحجة ، ووصل إليهم الإنذار ، فخالفوا الرسول وكذبوه ، وهموا بإخراجه من بينهم .

قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾

يقول تعالىٰ آمرًا رسوله - صلىٰ الله عليه وسلم - أن يقول : ﴿ **الحمد لله** ﴾ ، أي : علىٰ نعمه علىٰ عباده ، من النعم التي لا تعد ولا تحصىٰ ، وعلىٰ ما اتصف به من الصفات العُلىٰ والأسماء الحسنىٰ ، وأن يُسلّم علىٰ عباد الله الذين اصطفاهم واختارهم ، وهم رسله وأنبياؤه الكرام - عليهم من الله الصلاة والسلام - هكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وغيره : إن المراد بعباده الذين اصطفىٰ : هم الأنبياء ، قال : وهو كقوله تعالىٰ : ﴿ **سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام علىٰ المرسلين * والحمد لله رب العالمين** ﴾ وقال الثوري والسدي : هم أصحاب محمد - صلىٰ الله عليه وسلم - ورضي عنهم أجمعين : وروي نحوه عن ابن عباس .

---

[١] - في ز ، خ : « يخرجون » .

[٢] - في ز ، خ : « يفعلونه » .

[٣] - في ز : « بها » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

ولا منافاة ، فإنهم إذا كانوا من [عباده][١] الذين اصطفىٰ ، فالأنبياء بطريق الأولىٰ والأحرىٰ ، والقصد أن اللَّه تعالىٰ أمر رسوله ومن اتبعه بعد ما ذكر لهم ما فعل بأوليائه من النجاة والنصر والتأييد ، وما أحل بأعدائه من الخزي والنكال والقهر - أن يحمدوه علىٰ جميل[٢] أفعاله ، وأن يسلموا علىٰ عباده المصطفين الأخيار .

وقد قال أبو بكر البزار(١٤) : حدثنا محمد بن عمارة بن صبيح ، حدثنا طلق بن غنام ، حدثنا الحكم بن ظهير ، عن السدي - إن شاء الله - عن أبي مالك ، عن ابن عباس : ﴿ **وسلام علىٰ عباده الذين اصطفىٰ** ﴾ ، قال : هم أصحاب محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، اصطفاهم اللَّه لنبيه رضي اللَّه عنهم .

قوله : ﴿ **آللَّه خير أمّا يشركون** ﴾ استفهامُ إنكارٍ علىٰ المشركين في عبادتهم مع اللَّه آلهة أخرىٰ ، ثم شرع [تعالىٰ يبينٌ أنه المتفرد][٣] بالخلق والرزق والتدبير دون غيره ، فقال : ﴿ **أمن خلق السمٰوات والأرض** ﴾ أي : تلك السمٰوات[٤] بارتفاعها وصفائها ، وما جعل فيها من الكواكب النيّرة ، والنجوم الزاهرة ، والأفلاك الدائرة ، والأرض باستفالها وكثافتها ، وما جعل فيها من الجبال والأوعار والسهول ، والفيافي والقفار ، والأشجار والزروع ، والثمار والبحور ، والحيوان علىٰ اختلاف الأصناف والأشكال والألوان وغير ذلك .

وقوله : ﴿ **وأنزل لكم من السماء ماء** ﴾ أي : جعله رزقًا للعباد ، ﴿ **فأنبتنا به حدائق** ﴾ ، أي : بساتين ﴿ **ذات بهجة** ﴾ ، أي : منظر حسن وشكل بهيّ[٥] ، ﴿ **ما كان لكم أن تنبتوا شجرها** ﴾ ، أي : لم تكونوا تقدرون علىٰ إنبات شجرها ، وإنما يقدر علىٰ ذلك الخالق الرازق ، المستقل بذلك المنفرد به دون ما سواه من الأصنام والأنداد ، كما يعترف به هؤلاء المشركون ، كما قال تعالىٰ في الآية الأخرىٰ : ﴿ **ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنّ الله** ﴾ ﴿ **ولئن سألتهم من نزل من السماء ماءًا فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله** ﴾ أي: هم معترفون بأنه الفاعل لجميع ذلك وحده لا شريك له، ثم هم يعبدون معه غيره مما يعترفون أنه لا يخلق ولا يرزق، وإنما يستحق أن يُفرَد بالعبادة مَنْ هو المتفرد بالخلق والرزق ؛ ولهذا قال : ﴿ **أإله مع الله** ﴾ ، أي : أإله مع اللَّه يُعبد ؟! وقد تبين لكم ولكل ذي لب مما يعرفون به أيضًا - أنه الخالق الرازق ؟

---

(١٤) مسند البزار حديث (٢٢٤٣) « كشف الأستار » ، وقال الهيثمي في المجمع (٨٧/٧) : « وفيه الحكم بن ظهير ، وهو متروك » .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ت: «عباد اللَّه».
[٢] - في ت : « جميع » .
[٣] - في ز ، خ : « يبينٌ تعالى أنه المتفرد » .
[٤] - سقط من : خ ، ز .
[٥] - في خ : « به » .

ومن المفسرين من يقول: معنى قوله: ﴿ **أإله مع الله** ﴾ [أي: أإله مع الله][١] فعل هذا ؟! وهو يرجع إلىٰ معنىٰ الأول، لأن تقدير الجواب أنهم يقولون: ليس ثَمّ أحد فعل هذا معه، بل هو المتفرد به. فيقال: فكيف تعبدون معه غيره، وهو المستقل المتفرد بالخلق والتدبير؟ كما قال: ﴿ **أفمن يخلق كمن لا يخلق** ﴾ وقوله هاهنا: ﴿ **أمّن خلق السمٰوات والأرض** ﴾، ﴿ **أمّن** ﴾ [أمّن][٢] في هذه الآيات تقديره: أمّن يفعل هذه الأشياء كمن لا يقدر علىٰ شيء منها؟ هذا معنىٰ السياق وإن لم يذكر الآخر؛ لأن في قوة الكلام ما يرشد إلىٰ ذلك، وقد قال: ﴿ **آلله خيرًا أما يشركون** ﴾ ثم قال في آخر الآية: ﴿ **بل هم قوم يعدلون** ﴾، أي: يجعلون لله عدلًا و[٣]نظيرًا، وهكذا قال تعالىٰ: ﴿ **أمّن هو قانت آناء الليل ساجدًا وقائمًا يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه** ﴾، أي: [أمن هو هكذا كمن ليس كذلك][٤]؟ ولهذا قال: ﴿ **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب** ﴾، ﴿ **أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو علىٰ نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين** ﴾، وقال: ﴿ **أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت** ﴾ أي: أمن هو شهيد علىٰ أفعال الخلق، حركاتهم وسكناتهم، يعلم الغيب جليله وحقيره، كمن هو لا يعلم، ولا يسمع، ولا يبصر من هذه الأصنام التي عبدوها؟ ولهذا قال: ﴿ **وجعلوا لله شركاء قل سموهم** ﴾، وهكذا هذه الآيات الكريمات كلها.

أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾

يقول: ﴿ **أمّن جعل الأرض قرارًا** ﴾ أي: قارة ساكنة ثابتة، لا تميد ولا تتحرك بأهلها ولا[٥] ترجف بهم، فإنها لو كانت كذلك لما طاب عليها العيش والحياة، بل جعلها من فضله ورحمته مهادًا بساطًا ثابتة لا تتزلزل ولا تتحرك، كما قال في الآية الأخرىٰ: ﴿ **الله الذي جعل لكم الأرض قرارًا والسماء بناء** ﴾.

﴿ **وجعل خلالها أنهارًا** ﴾، أي: جعل فيها الأنهار العذبة الطيبة تشقها في خلالها، وصرفها فيها ما بين أنهار كبار وصغار وبين ذلك، وسيرها شرقًا وغربًا وجنوبًا وشمالًا، بحسب مصالح عباده في أقاليمهم وأقطارهم، حيث ذرأهم من[٦] أرجاء الأرض، سيّر إليهم[٧] أرزاقهم

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز.
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ت.
[٣] - سقط من: ز، خ.
[٤] - في ز، خ: «ليس هو هكذا كمن ليس كذلك».
[٥] - سقط من: ز، خ.
[٦] - في ت: «في».
[٧] - في ت: «لهم».

بحسب ما يحتاجون إليه ، ﴿ **وجعل لها رواسي** ﴾ أي : جبالًا شامخة ترسي الأرض وتثبتها لئلا تميد بكم ، ﴿ **وجعل بين البحرين حاجزًا** ﴾ ، أي : جعل بين المياه العذبة والمالحة حاجزًا ، أي : مانعًا يمنعها من الاختلاط ، لئلا يفسد هذا بهذا ، وهذا بهذا ، فإن الحكمة الإلهية تقتضي بقاء كل منهما على صفته المقصودة منه ، فإن البحر الحلو هو هذه الأنهار السارحة الجارية بين الناس ، والمقصود منها أن تكون عذبة زلالًا تسقي الحيوان والنبات والثمار منها ؛ والبحار المالحة هي المحيطة بالأرجاء والأقطار من كل جانب ، والمقصود منها أن يكون ماؤها ملحًا أجاجًا ، لئلا يفسد الهواء بريحها ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخًا وحجرًا محجورًا** ﴾ ؛ ولهذا قال : ﴿ **أإله مع الله** ﴾ : فعل هذا [وبعد][1] ، هذا على القول [ ][2] الآخر ، وكلاهما متلازم صحيح . ﴿ **بل أكثرهم لا يعلمون** ﴾ ، أي[3] : في عبادتهم غيره .

أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾

ينبه تعالىٰ أنه هو[4] المدعوّ عند الشدائد ، المرجوّ عند النوازل ، كما قال : ﴿ **وإذا مسكم الضر في البحر ضلّ من تدعون إلا إياه** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون** ﴾ وهكذا قال هاهنا : ﴿ **أمّن يجيب المضطر إذا دعاه** ﴾ ، أي : من هو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه ، والذي لا يكشف ضر المضرورين سواه .

قال الإمام أحمد(١٥) : حدثنا عفان ، حدثنا وُهَيب ، حدثنا خالد الحذّاء ، عن أبي تميمة الهُجَيمي ، عن رجل من بلهجيم ، قال : قلت : يا رسول الله ، إلام تدعو ؟ قال : « **أدعو إلى الله وحده ، الذي إن مَسّك ضر فدعوته كشف عنك ، والذي إن أضلَلْتَ بأرض قَفْرٍ فدعوته رَدّ عليك ، والذي إن أصابتك سَنة فدعوته أنبتَ لك** » . قال : قلت : أوصني ، قال : « **لا تسبنّ أحدًا ، ولا تَزْهَدَنَّ في المعروف ، ولو أن تلقى[5] أخاك وأنت منبسطٌ إليه وجهك ، ولو أن تُفرغَ من دَلوك في إناء المستقي ، واتّزر إلى نصف الساق ، فإن أبيت فإلى الكعبين . وإياك وإسبال الإزار ، فإن إسبال الإزار من المخيلة ، [وإن الله – تبارك وتعالىٰ – لا يحب المخيلة][6]** » .

---

(١٥) المسند (٦٤/٥) (٢٠٦٩٣) . وانظر الحديث التالي .

[١] – في ت : « ويعبد » .
[٢] – ما بين المعكوفتين في ت : « الآخر و » .
[٣] – سقط من : ز ، خ .
[٤] – سقط من : ز ، خ .
[٥] – في خ ، ز : « يلقاك » .
[٦] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

وقد رواه الإمام أحمد من وجه آخر(١٦) ، فذكر اسم الصحابي فقال : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ابن سلمة ، حدثنا يونس - هو ابن عبيد - حدثنا عَبيدةُ الهُجَيمي[١] ، عن أبي تَميمَة الهُجَيمي ، عن جابر بن سُلَيم الهُجَيمي ، قال : أتيت رسول الله - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - وهو مُحتَبٍ بشملة ، وقد قع هدبها علىٰ قدميه ، فقلت : أيكم محمد - أو : رسول الله ؟ - فأومأ بيده إلىٰ نفسه ، فقلت : يا رسول الله ، أنا من أهل البادية ، وفيَّ جفاؤهم ، فأوصني . فقال : « **لا تحقرَنّ من المعروف شيئًا ، ولو أن تلقىٰ أخاك ووجُهك مُنبَسطٌ ، ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستقي**[٢] ، **وإن امرؤ شَتَمك بما يعلم فيك فلا تشتمه بما تعلم فيه ، فإنه يكون لك أجره وعليه وِزْرُه ، وإياك وإسبال الإزار ، فإن إسبال الإزار من المَخِيلَة ، وإن اللّٰه لا يحب المخيلة ، ولا تَسُبَّنَّ أحدًا** » . قال : فما سببت بعد[٣] أحدًا ، ولا شاة ولا بعيرًا .

وقد روى أبوداود والنسائي لهذا الحديث طرقًا ، وعندهما[٤] طرف صالح منه(١٧) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عليّ بن هاشم ، حدثنا عبدَة بن نوح ، عن عمر بن الحجاج ، عن عبيد اللّٰه بن أبي صالح قال : دخل عليّ طاوس يعودني[٥] ، فقلت له : ادع اللّٰه لي ، [ ][٦] يا أبا عبد الرحمن ، فقال[٧] : ادع لنفسك ؛ فإنه يجيب المضطر إذا دعاه .

وقال وهب بن منبه : قرأت في الكتاب الأول : إن اللّٰه يقول : « **بعزتي ، إنه من اعتصم بي فإن كادته السمٰوات ومن فيهن ، والأرض بمن فيها ؛ فإني أجعل له من بين ذلك مخرجًا ، ومن لم يعتصم بي ؛ فإني أخسف به من تحت قدميه الأرض ، فأجعله في الهواء ، فأكله إلىٰ نفسه** » .

---

(١٦) المسند (٦٣/٥) (٢٠٦٨٩) أخرجه أبو داود في كتاب اللباس ، باب : الهدب (٥٣/٤/ رقم : ٤٠٧٥) مختصرًا . وفي باب : ما جاء في إسبال الإزار (٥٥/٤، ٥٦/ رقم : ٤٠٨٤) . وفي كتاب الأدب ، باب : كراهية أن يقول : عليك السلام (٣٥٥/٤/ رقم : ٥٢٠٩) مختصرًا . والترمذي في كتاب الإستئذان ، باب : ما جاء في كراهية أن يقول : عليك السلام مبتدئًا (٧١/٥، ٧٢/ رقم : ٢٧٢١، ٢٧٢٢) . وقال : وهذا حديث حسن صحيح . والنسائي في الكبرى في كتاب الزينة ، باب : الاختلاف على أبي إسحاق فيه (٤٨٦/٥، ٤٨٧/ رقم : ٩٦٩١/٩٦٩٩) . وفي كتاب عمل اليوم والليلة ، باب : كيف السلام (٨٧/٦، ٨٨/ رقم : ١٠١٤٩، ١٠١٥٢) . كلهم من حديث جابر بن سليم أبي جري .

(١٧) سنن أبي داود ، كتاب اللباس ،باب : ما جاء في إسبال الإزار حديث (٤٠٨٤) ، والترمذي في الاستئذان (٢٧٢١) والنسائي في السنن الكبرى حديث (١٠٤٩ - ١٠٥٢) .

---

[١] - بعده في خ ، ز : « عن أبيه » .
[٢] - في ز : « المستسقي » .
[٣] - في ت : « بعده » .
[٤] - في ت : « عندهم » .
[٥] - في خ : « يقودني » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « قال » .
[٧] - سقط من : ز .

وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة رجل - حكىٰ عنه أبو بكر محمد بن داود الدِّينَوَري ، المعروف بالدقي الصوفي - قال هذا الرجل[١] : كنت أكاري علىٰ بغل لي من دمشق إلىٰ بلد الزبداني ، فركب معي ذات مرة رجل ، فمررنا علىٰ بعض الطريق ، علىٰ طريق غير مسلوكة ، فقال لي : خذ في هذه ، فإنها أقرب . فقلت : لا خبرة لي فيها ، فقال : بل هي أقرب . فسلكناها فانتهينا إلىٰ مكان وَعْر وواد عميق ، وفيه قتلىٰ كثير ، فقال لي : أمسك رأس البغل حتىٰ أنزل . فنزل وتشمر ، وجمع عليه ثيابه ، وسل سكينًا معه وقصدني ، ففررت من بين يديه وتبعني ، فناشدته اللّٰه ، وقلت : خذ البغل بما عليه . فقال : هو لي ، وإنما أريد قتلك . فخوفته اللّٰه والعقوبة فلم يقبل ، فاستسلمت بين يديه ، وقلت : إن رأيت أن تتركني حتىٰ أصلي ركعتين ؟ فقال : وعجل . فقمت أصلي فأرْتج عليّ القرآنُ فلم يَحضرني منه حرف واحد ، فبقيت واقفًا متحيرًا وهو يقول : هيه ! افرُغ . فأجرىٰ اللّٰه علىٰ لساني قوله تعالىٰ : ﴿ **أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء** ﴾ ، فإذا أنا بفارس قد أقبل من فم[٢] الوادي ، وبيده حربة ، فرمىٰ بها الرجل فما أخطأت فؤاده ، فخر صريعًا ، فتعلقت بالفارس وقلت : باللّٰه ، من أنت ؟ فقال : أنا رسول الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء . قال : فأخذت البغل والحمل ورجعت سالمًا .

وذكر[٣] في ترجمة فاطمة بنت الحسن أم أحمد العجلية(١٨) ، قالت : هزم الكفار يومًا المسلمين في غزاة ، فوقف جَوَاد جَيّد بصاحبه ، وكان من ذوي اليسار ومن الصلحاء ، فقال للجواد : مالك ؟ ويلك ! إنما كنت أعدّك لمثل هذا اليوم . فقال له الجواد : وما لي لا أقصر وأنت تكل علوفتي إلىٰ السواس فيظلموني ولا يطعمونني إلا القليل ؟ فقال : لك علي عهد اللّٰه أن[٤] لا أعلفك بعد هذا اليوم إلا في حِجْري . فجرىٰ الجواد عند ذلك ، ونجّىٰ صاحبه ، وكان لا يعلفه بعد ذلك إلا في حجره . واشتهر أمره بين الناس ، وجعلوا يقصدونه ليسمعوا منه ذلك ، وبلغ ملك الروم أمرُه ، فقال : ما تُضَام[٥] بلدة يكون هذا الرجل فيها . واحتال ليحصله في بلده ، فبعث إليه رجلا من المرتدين عنده ، فلما انتهىٰ إليه أظهر له أنه قد حَسُنت نيته في الإسلام وقومه ، حتىٰ استوثق ، ثم خرجا يومًا يمشيان علىٰ جنب الساحل ، وقد أوعد شخصًا آخر من جهة ملك الروم ليتساعدا علىٰ أسره ، فلما اكتنفاه ليأخذاه رَفَع طرفه إلىٰ السماء وقال : اللهم ، إنه إنما خَدَعني بك فاكفنيهما بما شئت ، قال : فخرج سبعان إليهما فأخذاهما ، ورجع الرجل سالمًا .

---

(١٨) تاريخ دمشق (٤٨٩/١٩ « المخطوط ») .

---

[١] - في ز ، خ : « بالرجل » .
[٢] - في ز ، خ : « ثم » .
[٣] - في ز ، خ : « وذكرت » .
[٤] - في ت : « أني » .
[٥] - في خ ، ز : « نظام » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ويجعلكم خلفاء الأرض** ﴾ ، أي : يُخلفُ قَرنًا[١] لقرن قبلهم ، وخَلَفًا[٢] لسلف ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذُرِّيَّة قوم آخرين** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ، ورفع بعضكم فوق بعضٍ درجات** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة** ﴾ ، أي : قومًا يخلف بعضهم بعضًا كما قدمنا تقريره . وهكذا هذه الآية : ﴿ **ويجعلكم خلفاء الأرض** ﴾ أي : أمة بعد أمة ، وجيلًا بعد جيل ، وقومًا بعد قوم . ولو شاء لأوجدهم كلهم في وقت واحد ، ولم يجعل بعضهم من ذرية بعض ، بل لو شاء لخلقهم كلهم أجمعين ، كما خلق آدم من تراب . ولو شاء أن يجعلهم [بعضَهم من ذرية بعض][٣] ، ولكن لا يميت أحدًا حتىٰ تكون وفاة الجميع في وقت واحد ، فكانت تضيق عليهم الأرض ، وتضيق عليهم معايشهم وأكسابهم ، ويتضرر بعضهم ببعض ، ولكن اقتضت حكمته وقدرته أن يخلقهم من نفس واحدة ، ثم يكثرهم غاية الكثرة ، ويذرؤهم في الأرض ، ويجعلهم قرونًا بعد قرون ، وأممًا بعد أمم ، حتىٰ ينقضي الأجل وتفرغ البشرية[٤] ، كما قدر ذلك تبارك وتعالىٰ ، وكما أحصاهم وعَدّهم عَدًّا ، ثم يقيم القيامة ، ويُوفي كل عامل عمله إذا بلغ الكتاب أجله ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله** ﴾ ، أي : يقدر علىٰ ذلك ، أو : أإله مع اللّٰه يُعْبَد ، وقد علم أن اللّٰه هو المنفرد[٥] بفعل ذلك ﴿ **قليلًا ما يذكّرون** ﴾ أي ما أقل تذكرهم فيما يرشدهم [إلىٰالحق][٦] ويهديهم إلى الصراط المستقيم .

أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾

يقول : ﴿ **أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر** ﴾ أي : بما خلق من الدلائل السماوية والأرضية ، كما قال : ﴿ **وعلامات وبالنجم هم يهتدون** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر** ﴾ الآية .

وقال تعالى : ﴿ **ومن يرسل الرياح بشرًا**[٧] **بين يدي رحمته** ﴾ ، أي : بين يدي السحاب الذي فيه مطر ، يغيث به عباده المجدبين الأزِلين القنطين ﴿ **أإله مع الله تعالى الله عما يشركون** ﴾ .

---

[١] - في ز : « قرن » .
[٢] - في ز : « خلف » .
[٣] - في خ ، ز : « من ذرية بعضهم بعضًا » .
[٤] - في ت : « البرية » .
[٥] - في ت : « المتفرد » .
[٦] - في ت : « للحق » .
[٧] - في ز : « نشرًا » .

أَمَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾

أي : هو الذي بقدرته وسلطانه يبدأ[١] الخلق ثم يعيده ، كما قال تعالىٰ في الآية الأخرىٰ : ﴿ **إن بطش ربك لشديد * إنه هو يبدئ ويعيد** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه** ﴾ .

﴿ **ومن يرزقكم من السماء والأرض** ﴾ ، أي[٢] : بما ينزل من مطر السماء ، وينبت من بركات الأرض ، كما قال : ﴿ **والسماء ذات الرجع * والأرض ذات الصدع** ﴾ . وقال : ﴿ **يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها** ﴾ فهو تبارك وتعالىٰ ينزل من السماء ماء مباركًا فيسكنه في الأرض ، ثم يخرج به أنواع الزروع والثمار والأزاهير ، وغير ذلك من ألوان شتىٰ ، ﴿ **كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهى** ﴾ ، ولهذا قال : ﴿ **أإله مع الله** ﴾ ، أي[٣] : فعل هذا ؟ وعلىٰ القول الآخر : [بعد هذا][٤] ؟ ﴿ **قل هاتوا برهانكم** ﴾ علىٰ صحة ما تدعونه من عبادة آلهة أخرىٰ ، ﴿ **إن كنتم صادقين** ﴾ في ذلك ، وقد علم أنه لا حجة لهم ولا برهان ، كما قال : ﴿ **ومن يدع مع الله إلهًا آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون** ﴾ .

قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾

يقول تعالىٰ آمرًا رسوله - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - أن يقول معلمًا لجميع الخلق : إنه لا يعلم أحد من أهل السموات والأرض الغيب . وقوله : ﴿ **إلا الله** ﴾ استثناء منقطع ، أي : لا يعلم أحد ذلك إلا اللّٰه عز وجل ، فإنه المنفرد بذلك وحده ، لا شريك له ؛ كما قال : ﴿ **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو** ﴾ الآية ، وقال : ﴿ **إن اللّٰه عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن اللّٰه عليم خبير** ﴾ والآيات في هذا كثيرة .

وقوله تعالى : ﴿ **وما يشعرون أيان يبعثون** ﴾ أي : وما يشعر الخلائق الساكنون في

---

[١] - في ز : « بداء » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ت : « يعبد » .

السموات والأرض بوقت الساعة ؛ كما قال : ﴿ **ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة** ﴾ أي ثقل علمها على أهل السموات والأرض .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عليّ[١] بن الجعد ، حدثنا أبو جعفر الرازي ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة - رضي اللّه عنها - قالت : من زعم أنه يعلم - يعني النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم - ما يكون في غد؛ فقد أعظم علىٰ اللّه الفرية ؛ لأن اللّه تعالىٰ يقول : ﴿ **لا يعلم مَنْ في السموات والأرض الغيبَ إلا الله** ﴾ (١٩) .

وقال قتادة : إن اللّه إنما جعل هذه النجوم لثلاث خصلات : جعلها زينة للسماء ، وجعلها يهتدىٰ بها ، وجعلها رجومًا للشياطين، فمن تعاطىٰ فيها غير ذلك فقد قال برأيه ، وأخطأ حظه ، وأضاع نصيبه ، وتكلف مالا علم له به . وإن ناسًا جَهَلَة بأمر الله ، قد أحدثوا من هذه النجوم كهانة : من أغْرَس بنجم كذا وكذا، كان كذا وكذا ، ومن سافر بنجم كذا وكذا ، كان كذا وكذا ، ومن ولد بنجم كذا وكذا ، كان كذا وكذا ، ولعمري ، ما من نجم إلا يولد به الأحمر والأسود ، والقصير والطويل ، والحسن والدّميم ، وما علم هذا النجم، وهذه الدابة ، وهذا الطير - بشيء من الغيب ! وقضىٰ الله : أنه لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله ، وما يشعرون أيّان يبعثون .

رواه ابن أبي حاتم عنه بحروفه ، وهو كلام جليل متين صحيح .

وقوله : ﴿ **بل ادارك[٢] علمهم في الآخرة بل هم في شك منها** ﴾ أي : انتهىٰ علمهم وعجز عن معرفة وقتها .

وقرأ آخرون : (**بل أدرك علمهم**)(*) أي : تساوىٰ علمهم في ذلك ، كما في الصحيح لمسلم : أن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم قال لجبريل - وقد سأله عن وقت الساعة - : « **ما المسئول عنها بأعلم من السائل** »(٢٠) . أي : تساوىٰ في العجز عن درك ذلك علم المسئول والسائل .

قال عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿**بل أدارك**(**) **علمهم في الآخرة**﴾ ، أي :

(١٩) هو عند مسلم في حديث طويل برقم (١١٧) كتاب الإيمان ، والترمذي في التفسير (٣٠٦٨) .

(٢٠) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان حديث (٨) .

[١] - سقط من : خ .

(*) وهي قراءة عبد اللّه بن كثير وأبي عمرو . وقرأ نافع ، وعاصم ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي : « بل ادَّارك » . وروى أبو بكر عن عاصم : « بل ادَّرك » على وزن افتعل .

[٢] - في ز ، خ : « ادرك » .

(**) كذا في ز ، خ . والذي في تفسير الطبري والدر المنثور : أدرك .

غاب [علمهم في الآخرة][١] . وقال قتادة : ﴿بل ادارك[٢] علمهم في الآخرة﴾ ، يعني : بجهلهم ربهم ، يقول : لم ينفذ لهم إلي الآخرة علم . هذا قول .

وقال ابن جريج: عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس: ﴿بل ادارك علمهم في الآخرة﴾ ، حين لم ينفع العلم . وبه قال عطاء الخراساني ، والسدّي : أن علمهم إنما يُدرك ويُكْمل يوم القيامة حيث لا ينفعهم ذلك ، كما قال تعالىٰ : ﴿ أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين ﴾ .

وقال سفيان : عن[٣] عمرو بن عبيد ، عن الحسن: إنه كان يقرأ: (بل أدرك علمهم[٤]) قال : اضمحل علمهم في الدنيا حين عاينوا الآخرة .

وقوله : ﴿ بل هم في شك منها ﴾ ، عائد علىٰ الجنس ، والمراد: الكافرون ، كما قال تعالىٰ : ﴿ وعرضوا علىٰ ربك صفًا لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم ألّن نجعل لكم موعدًا ﴾ ، أي : الكافرون منكم . وهكذا قال هاهنا : ﴿ بل هم في شك منها ﴾ ، أي : شاكون في وجودها ووقوعها ، ﴿ بل هم منها عمون ﴾ ، أي : في عماية وجهل كبير في أمرها وشأنها .

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن منكري البعث من المشركين : إنهم استبعدوا إعادة الأجساد بعد صيرورتها عظامًا [ورفاتًا][٥] وترابًا ، ثم قال : ﴿ لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل ﴾ أي : ما زلنا نسمع بهذا نحن وآباؤنا ، ولا نرىٰ له حقيقة ولا وقوعًا .

وقولهم : ﴿ إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾ يعنون : ما هذا الوعد بإعادة الأبدان ﴿ إلا أساطير الأولين ﴾ ، أي : أخذه قوم عمن قبلهم ، مَنْ قبلهم يتلقاه بعضهم[٦] عن بعض ، وليس له حقيقة . قال اللّٰه تعالىٰ مجيبًا لهم عما ظنوه من الكفر وعدم المعاد : ﴿ قل ﴾ - يا

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز : « أدرك » .
[٣] - في ز ، خ : « بن » .
[٤] - في ت : « علمه » .
[٥] - في ز ، خ : « رفاتا » .
[٦] - في م : « بعض » .

محمد - لهؤلاء : ﴿ **سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين** ﴾ ، أي : المكذبين بالرسل وما جاءوهم به من أمر المعاد وغيره ، كيف حلت بهم نِقَمُ اللَّه وعذابه ونكاله ، ونجىٰ اللَّه من بينهم رسلَه الكرام ومن اتبعهم من المؤمنين ؛ فدل ذلك علىٰ صدق ما جاءت به الرسل وصحته .

ثم قال تعالىٰ مسليًا لنبيه - صلوات اللَّه وسلامه عليه - ﴿ **ولا تحزن عليهم** ﴾ أي : المكذبين بما جئت به ، ولا تأسف عليهم وتذهب نفسك عليهم حسرات ، ﴿ **ولا تكن في ضيق مما يمكرون** ﴾ ، أي : في كيدك وردّ ما جئت به ، فإن اللَّه مؤيدك وناصرك ، ومظهرٌ دينَك علىٰ مَنْ خالفه وعانده في المشارق والمغارب .

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن المشركين ، في سؤالهم عن يوم القيامة ، واستبعادهم وقوع ذلك : ﴿ **ويقولون متىٰ هذا الوعد إن كنتم صادقين** ﴾ قال اللَّه مجيبًا لهم : ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **عسىٰ أن يكونَ رَدِفَ لكم بعض الذي تستعجلون** ﴾ ، [قال ابن عباس : أن يكون قرب - أو : أن يقرب - لكم بعض الذي تستعجلون . وهكذا][١] قال مجاهد والضحاك ، وعطاء الخراساني وقتادة والسدى وهذا هو المراد ، كقوله[٢] تعالىٰ : ﴿ **ويقولون متىٰ هو قل عسىٰ أن يكون قريبًا** ﴾ .وقال تعالى: ﴿ **ويستعجلونك بالعذاب وإن جهنّم لمحيطة بالكافرين** ﴾ .

وإنما دخلت « **اللام** » في قوله : ﴿ **ردف لكم** ﴾ ، لأنه ضُمن معنىٰ « **عَجِل لكم** » ، كما قال مجاهد في رواية عنه ، ﴿ **عسىٰ أن يكون ردف لكم** ﴾ : عجل لكم .

ثم قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **وإن ربك لذو فضل علىٰ الناس** ﴾ أي[٣] : في إسباغه نعمه عليهم مع ظلمهم لأنفسهم ، وهم مع ذلك لا يشكرونه علىٰ ذلك إلا القليل منهم ، ﴿ **وإن ربك ليعلم ما تكنّ صدورهم وما يعلنون** ﴾ ، أي : يعلم السرائر والضمائر ، كما يعلم الظواهر ، ﴿ **سواء منكم من أسرّ القول ومن جهر به** ﴾ ﴿ **يعلم السر وأخفى** ﴾ ﴿ **ألا حين يستغشون**

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « وهذا» . [٢] - في ت : « بقوله » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون ﴾ .

ثم أخبر تعالىٰ بأنه عالم غيب السموات والأرض ، وأنه عالم الغيب والشهادة - وهو ما غاب عن العباد وما شاهدوه[١] فقال : ﴿ **وما من غائبة في السماء والأرض** ﴾ ، قال ابن عباس : يعني وما من شيء ﴿ **في السماء والأرض إلا في كتاب مبين** ﴾ ، وهذا كقوله تعالىٰ : ﴿ **ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير** ﴾ .

إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن كتابه العزيز ، وما اشتمل عليه من الهدىٰ والبينات والفرقان : إنه يقص علىٰ بني إسرائيل - وهم حملة التوراة والإنجيل - ﴿ **أكثر الذي هم فيه يختلفون** ﴾ ، كاختلافهم في عيسىٰ وتباينهم فيه ، فاليهود افتروا ، والنصارىٰ غلوا ، فجاء القرآن بالقول الوسط الحق العدل :إنه عبد من عباد الله وأنبيائه ورسله الكرام - عليه الصلاة والسلام - كما قال تعالىٰ : ﴿ **ذلك عيسىٰ ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون** ﴾ وقوله : ﴿ **وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين** ﴾ ، أي : هدىً لقلوب المؤمنين ، ورحمة لهم في العمليات .

ثم قال : ﴿ **إن ربك يقضي بينهم** ﴾ أي : يوم القيامة ﴿ **بحكمه وهو العزيز** ﴾ في انتقامه ، ﴿ **العليم** ﴾ بأفعال عباده وأقوالهم .

﴿ **فتوكل علىٰ الله** ﴾ أي : في أمورك ، وبَلّغ رسالة ربك ، ﴿ **إنك علىٰ الحق المبين** ﴾ ، أي : أنت علىٰ الحق المبين وإن خالفك مَنْ خالفك ممن كتبت عليه الشقاوة وحَقّت عليهم كلمة ربك أنهم لا يؤمنون ، ولو جاءتهم كل آية ؛ ولهذا قال : ﴿ **إنك لا تسمع الموتىٰ** ﴾ ، أي : لا تسمعهم شيئًا ينفعهم ، فكذلك هؤلاء علىٰ قلوبهم غشاوة ، وفي آذانهم وَقْر الكفر ؛ ولهذا قال : ﴿ **ولا تسمع الصّم الدعاء إذا ولّوْا مدبرين * وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون** ﴾ ، إنما يستجيب لك من هو سميع بصير ، السمع

---

[١] - في ز ، خ : « يشاهدوه » .

والبصر النافع في القلب والبصيرة، الخاضع لله، ولما جاء عنه علىٰ ألسنة الرسل عليهم السلام.

﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

هذه الدابّة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس، وتَرْكِهم أوامرَ الله، وتبديلهم الدين الحق، يخرج الله لهم دابّة من الأرض - قيل[١]: من مكة، وقيل: من غيرها - كما سيأتي تفصيله - فتُكلّم الناسَ علىٰ ذلك.

قال ابن عباس والحسن وقتادة - ورُوي عن علي رضي الله عنه: تكلمهم كلامًا، أي: تخاطبهم مخاطبة.

وقال عطاء الخراساني: تكلمهم فتقول لهم: إنّ الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون. ويروىٰ هذا عن عليّ، واختاره ابن جرير وفي هذا نظر لا يخفى، والله أعلم.

وقال ابن عباس - في رواية -: تجرحهم، وعنه رواية، قال: كلًّا[٢] تفعل، يعني هذا وهذا. وهو قول حسن ولا منافاة، والله أعلم. وقد ورد في ذكر الدابّة أحاديث وآثارٌ كثيرة، فلنذكر ما تيسر منها، بالله[٣] المستعان:

قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن فُرَات، عن أبي الطفيل، عن حُذيفة بن أسيد الغفاري، قال: أشرف علينا رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - من غرفة ونحن نتذاكر أمر الساعة فقال: «**لا تقوم الساعة حتىٰ تَرَوا عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدابّة، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج عيسىٰ ابن مريم، والدجال، وثلاثة خسوف: خسف بالمغرب، وخسف بالمشرق، وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قَعر عدن تسوق [ ][٤] - أو تحشر: الناس، تبيت معهم حيث باتوا، وتَقيل معهم حيث قالوا**»(٢١).

(٢١) رواه الإمام أحمد في المسند (٤/٦ ، ٧) (١٦١٨٨ ، ١٦١٩٠) ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة (١٨ / ٣٦) حديث (٢٩٠١/٣٩). من طريق أبي خيثمة وإسحاق بن إبراهيم وابن أبي عمر المكى، ثنا سفيان بن عيينة، عن فرات به. وأبو داود في كتاب الملاحم، باب: أمارات الساعة (٤ / ١١٤) حديث (٤٣١١). من طريق مسدد وهناد، ثنا أبو الأحوص، ثنا فرات القزاز، عن عامر بن واثلة أبي الطفيل به. والترمذي في الفتن حديث ٢١٨٣. والنسائي في التفسير من السنن الكبرى. وابن ماجة في كتاب الفتن، باب: أشراط الساعة (٢ / ١٣٤١) حديث (٤٠٤١). من طريق أبي بكر بن أبي شيبة، ثنا وكيع، عن سفيان، عن فرات به. والطبراني (٣ / ١٨٩ - ١٩٢). حديث (٣٠٢٨) إلى حديث (٣٠٣٤).

[١] - سقط من: خ، ز.
[٢] - في ز، خ: «كلّ».
[٣] - في ت: «الله».
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز، خ: «الناس».

وهكذا رواه مسلم وأهل السنن ، من طرق ، عن فُرات القزاز ، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة ، عن حُذَيفة [به مرفوعًا][١] ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

ورواه مسلم(٢٢) أيضًا من حديث عبد العزيز بن رفيع ، عن أبي الطفيل ، عنه موقوفًا[٢] ، والله أعلم .

(طريق أخرىٰ) قال أبو داود الطيالسي ، عن طلحة بن عمرو ، وجرير بن حازم ؛ فأما طلحة فقال : أخبرني عبد اللَّه بن عبيد اللَّه بن عُمَير الليثي : أن أبا الطفيل حدثه ، عن حذيفة بن أسيد الغفاري أبي سَريحَةَ ؛ وأما جرير فقال : عن عبد اللَّه بن عُبيد ، عن رجل من آل عبد اللَّه بن مسعود - وحديث طلحة أتم وأحسن - قال : ذكر رسولُ اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم الدابّة فقال : « **لها ثلاث خرجات من الدهر ، فتخرج خَرجة من أقصىٰ البادية ، ولا يدخل ذكرها القرية - يعني مكة - ثم تكمن زمانًا طويًلا ، ثم تخرج خَرْجة أخرىٰ دون تلك ، فيعلو ذكرها في أهل البادية ، ويدخل ذكرها القرية** » - يعني مكة - قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **ثم بينما الناس في أعظم المساجد علىٰ اللَّه حرمة وأكرمها : المسجد الحرام ، لم يرعهم إلا وهي ترغو[٣] بين الركن والمقام ، تنفض عن رأسها التراب . فارفضّ الناس عنها شتّىٰ ومعًا ، وبقيت[٤] عصابة من المؤمنين ، وعرفوا أنهم لم يعجزوا الله ، فبدأت بهم ، فجلَت وجوههم حتىٰ جعلتها كأنها الكوكب الدريّ ، وولت في الأرض لا يدركها طالب ، ولا ينجو منها هارب ، حتىٰ إن الرجل ليتعوذ منها بالصلاة ، فتأتيه من خلفه فتقول : يا فلان ، الآن تصلي ؟ فيقبل عليها فَتَسِمُه في وجهه ، ثم تنطلق ، ويشترك الناس في الأموال ، ويصطحبون في الأمصار ، يعرف المؤمن مِنَ الكافر ، حتىٰ إنّ المؤمن ليقول : يا كافر ، اقضني حقي . وحتىٰ إنّ الكافر ليقول : يا مؤمن ، اقضني حقي** »(٢٣) .

ورواه ابن جرير من طريقين عن حذيفة بن أسيد موقوفًا(٢٤) ، فاللَّه أعلم .

ورواه من رواية حذيفة ابن اليمان مرفوعًا ، وأن ذلك في زمان عيسىٰ بن مريم ، وهو يطوف بالبيت ، ولكن إسناده لا يصح (٢٥) .

---

(٢٢) صحيح مسلم ، كتاب الفتن ، وأشراط الساعة حديث (٢٩٠١) .

(٢٣) مسند الطيالسي حديث (١٠٦٩) .

(٢٤) تفسير الطبري (١٠/٢٠) .

(٢٥) تفسير الطبري (١١/٢٠) .

---

[١] - في ت : « موقوفًا » .

[٢] - في ت : « مرفوعًا » .

[٣] - في ز ، خ : « تربوا » .

[٤] - في ز ، خ : « ولقيت » .

(حديث آخر) : قال مسلم بن الحجاج : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا محمد بن بشر ، عن أبي حَيَّان ، عن أبي زُرْعَةَ ، عن عبد اللَّه بن عمرو[١] قال : حفِظْتُ من[٢] رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، حديثًا لم أنسه بعد : سمعتُ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يقول : « **إن أول الآيات خروجًا : طلوعُ الشمس من مغربها ، وخروجُ الدابّة علىٰ الناس ضُحى ، وأيتهما ما كانت قبل صاحبتها ، فالأخرىٰ علىٰ إثرها قريبًا** »(٢٦) .

(حديث آخر) : روىٰ مسلم في صحيحه من حديث العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب - مولىٰ الحُرَقَة - عن أبيه ، عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **بادروا بالأعمال ستًّا[٣] : طلوع الشمس من مغربها ، أو الدخان ، أو الدجال ، أو الدابة ، أو خاصة أحدكم أو أمر العامة** »(٢٧) .

وله من حديث قتادة ، عن الحسن ، عن زياد بن رباح ، عن أبي هُرَيرة رضي اللَّه عنه ، عن النبي - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - قال :« **بادروا بالأعمال سِتَّةً : الدُّخَان أو الدَّجّال ، ودابّة الأرض ، وطلوع الشمس من مغربها ، وأمر العامة ، وخُوَيْصة[٤] أحدكم** »(٢٨) .

(حديث آخر) ، قال ابن ماجة : حدثنا حرملة بن يحيىٰ ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني عَمْرُو ابن الحارث وابن لَهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن سنان بن سعد ، عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه ، عن رسول الله - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - قال : « **بادروا بالأعمال ستًّا : طلوع الشمس من مغربها ، والدخان ، ودابّة الأرض ، والدجال ، وخُوَيْصة[٥] أحدكم ، وأمر العامة** » . تفرد به(٢٩) .

(حديث آخر) : قال أبو داود الطيالسي أيضًا(٣٠) : حدثنا حماد بن سلمة ، عن عليّ بن زيد ، عن أوس[٦] بن خالد ، عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **تخرج دابة الأرض ، ومعها عصا موسىٰ وخاتم سليمان عليهما السلام ،**

---

(٢٦) صحيح مسلم ، كتاب الفتن ، وأشراط الساعة حديث (٢٩٤١) .

(٢٧) (٢٨) صحيح مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة حديث (٢٩٤٧) .

(٢٩) سنن ابن ماجه ، كتاب الفتن (٤٠٥٦) ، وقال البوصيري في الزوائد (٢٥٦/٣) : « هذا إسناد حسن ، سنان بن سعد مختلف فيه وفي اسمه » .

(٣٠) مسند الطيالسي حديث (٢٩٥/٢) ، والمسند (٢٩٥/٢) من حديث عفان ويزيد ، و(٢٩١/٢) من حديث بهز .

---

[١] - في م : « عمر » .
[٢] - في خ ، ز : « عن » .
[٣] - في ت : « ستًّا » .
[٤] - في ز ، خ : « خويصية » .
[٥] - في ز ، خ : « خويصية » .
[٦] - في خ : « أويس » .

فتخطم أنف الكافر بالعصى، وتجلي[١] وجه المؤمن بالخاتم، حتى يجتمع[٢] الناس على الخوان، يعرف المؤمن من الكافر».

ورواه الإمام أحمد، عن بهز وعفان ويزيد بن هارون، ثلاثتهم عن حماد بن سلمة، به.

وقال: «**فتخطم أنف الكافر بالخاتم، وتجلو وجه المؤمن بالعصا، حتى إنّ أهل الخوان الواحد ليجتمعون فيقول هذا: يا مؤمن، ويقول هذا: يا كافر**»(٣١).

ورواه ابن ماجة، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن يونس بن محمد[٣] المؤدب، عن حماد ابن سلمة، به.

(حديث آخر): قال ابن ماجة: حدثنا أبو غسان محمد بن عمرو، حدثنا أبو تُمَيلة، حدثنا خالد بن عُبيْد، حدثنا عبد الله بن بُرَيدة، عن أبيه؛ قال: ذهب بي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ موضع بالبادية، قريب من مكة، فإذا أرض يابسة حولها رمل، فقال رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم: «**تخرج الدابة من هذا الموضع. فإذا فِتر(*) في شبر**» قال ابن بُرَيدة: فحججت بعد ذلك بسنين، فأرانا عصًا له، فإذا هو بعصاي هذه[٤]. كذا وكذا(٣٢).

وقال عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة: إن ابن عباس قال: هي دابّة ذات زَغَب(**)، لها أربع قوائم، تخرج من بعض أودية تهامة (٣٣).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن[٥] رجاء، حدثنا فضيل بن مرزوق، عن عطية، قال: قال عبد الله: تخرج الدابّة من صِدْع من الصفا كجَرْي الفرس ثلاثة أيام، لم يخرج ثلثها.

وقال محمد بن إسحاق، عن أبان بن صالح، قال: سئل عبد الله بن عمرو عن الدابّة، فقال: الدابّة تخرج من تحت صخرة بجياد(***)، والله لو كنت معهم، أو لو شئت بعصاي الصخرة التي تخرج الدابة من تحتها. قيل: فتصنعُ ماذا يا عبد الله بن عمرو؟ قال: تستقبل

(٣١) سنن ابن ماجة، كتاب الفتن حديث (٤٠٦٦).

(٣٢) سنن ابن ماجة، كتاب الفتن (٤٠٦٧)، وقال البرصيري في الزوائد (٢٥٩/٣): «هذا إسناد ضعيف».

(٣٣) تفسير عبد الرزاق (٧١/٢).

[١] - في ز: «تجل».

[٢] - في ز: «يجمع».

[٣] - في ز: «محمد بن».

(*) الفِتْر: ما بين طرف الإبهام وطرف السبابة إذا فتحهَما.

[٤] - في ز: «هذا».

(**) الزغب: صغارُ الريش والشعر وليّنه.

[٥] - سقط من: ز، خ.

(***) أجياد: موضع بمكة يلي الصفا.

المشرق فتصرخ صرخة تنفُذه ، [ثم تستقبل الشام فتصرخ صرخة تنفذه ، ثم تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه][١] ، ثم تستقبل اليمن فتصرخ صرخة تنفذه ، ثم تروح من مكة فتصبح[٢] بعُسْفَانَ . قيل : ثم ماذا ؟ قال : لا أعلم .

وعن عبد الله بن عمر أنه قال : تخرج الدابة ليلة جَمْعٍ(*) (٣٤) .

ورواه ابن أبي حاتم ، وفي إسناده ابن البيلمان .

وعن وهب بن منبه : أنه حكىٰ من كلام عُزَير - عليه السلام - أنه قال : « **وتخرج من تحت سدوم دابّة تكلم الناس ، كلٌّ يسمعها ، وتضع الحبالىٰ[٣] قبل التمام ، ويعود الماء العذب أجاجًا ، ويتعادىٰ الأخلاء ، وتُحرَقُ الحكمة ، ويُرفَعُ العلم ، وتكلم الأرض التي تليها . وفي ذلك الزمان يرجو الناس ما لا يبلغون ، ويتعنَّوْن[٤] فيما لا ينالون[٥] ، ويعملون فيما لا يأكلون** » . رواه ابن أبي حاتم ، عنه .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو صالح كاتب الليث ، حدثني معاوية بن صالح ، عن أبي مريم : أنه سمع أبا هريرة - رضي اللّٰه عنه - يقول : إن الدابّة فيها من كل لون ، ما بين قرنيها فرسخ للراكب .

وقال ابن عباس : هي مثل الحربة[٦] الضخمة .

وعن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب - رضي اللّٰه عنه - أنه قال : إنها دابّة لها ريش وزغب وحافر ، وما لها ذنب ، ولها لحية ، وإنها لتخرج حُضْر(**)[٧] الفرس الجواد ثلاثًا وما [خرج ثلثاها][٨] .

رواه ابن أبي حاتم .

وقال ابن جريج ، عن ابن الزبير ، أنه وصف الدابّة فقال : رأسها رأس ثور ، وعينها عين

(٣٤) ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٥/ ١٨٠) من طريق عبد الملك بن المغيرة ، عن ابن البيلماني ، عن ابن عمر قال : « تخرج الدابة ليلة جمع والناس يسيرون إلى منى فتحملهم بين عجزها وذنبها فلا يبقى منافق إلا خطمته ، قال : وتمسح المؤمن ، قال : فيصبحون وهم أشر من الدجال » .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ز ، خ : « فتضع » .
[٣] - في ز ، خ : « الحبال » .
[٥] - في ز ، خ : « يبالون » .
[٧] - في ز : « حُضر » .
[٨] - في ت : « خرج ثلثها » .

(*) جمع : المزدلفة .
[٤] - في ت : « يتعبون » .
[٦] - في خ ، ز : « الخربة » .
(**) الحُضْر : عَدْوٌ مع وثب .

خنزير ، وأذنها أذن فيل ، وقرنها قرن أيل ، وعنقها عنق نعامة ، وصدرها صدر أسد ، ولونها لون نمر ، وخاصرتها خاصرة هرّ ، وذنبها ذنب كبش ، وقوائمها قوائم بعير ، بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعًا ، تخرج معها عصا موسىٰ وخاتم سليمان ، فلا يبقىٰ مؤمن إلا نكتت في وجهه بعصا موسىٰ نكتة بيضاء ، فتفشو تلك النكتة حتىٰ يبيض لها وجهه ، ولا يبقىٰ كافر إلا نكتتْ في وجهه نكتة سوداء بخاتم سليمان ، فتفشو تلك النكتة حتىٰ يسود لها وجهه ، حتىٰ إنّ الناس يتبايعون في الأسواق : بكم ذا يا مؤمن ؟ بكم ذا يا كافر ؟ وحتىٰ إن أهل البيت يجلسون علىٰ مائدتهم ، فيعرفون مؤمنهم من كافرهم ، ثم تقول لهم الدابة : يا فلان ، أبشر ، أنت من أهل الجنة . ويا فلان ، أنت من أهل النار ؛ فذلك قول اللّه تعالىٰ : ﴿ **وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابّة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون** ﴾ .

وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن يوم القيامة ، وحشر الظالمين المكذبين بآيات اللّه ورسله إلىٰ بين يدي اللّه عز وجل ، ليسألهم عما فعلوه في الدار الدنيا ، تقريعًا وتوبيخًا ، وتصغيرًا وتحقيرًا فقال : ﴿ **ويوم نحشر من كل أمة فوجًا** ﴾ ، أي : من كل قوم وقرن فوجًا ، أي : جماعة ، ﴿ **ممن يكذب بآياتنا** ﴾ ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **احشروا الذين ظلموا وأزواجهم** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وإذا النفوس زوجت** ﴾ .

وقوله : ﴿ **فهم يوزعون** ﴾ ، قال ابن عباس - رضي اللّه عنهما - : يدفعون . وقال قتادة : وزعة ترد[١] أولهم على آخرهم . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : يساقون .

﴿ **حتىٰ إذا جاءوا** ﴾ ، أي : أوقفوا بين يدي اللّه - عز وجل - في مقام المساءلة ، ﴿ **قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علمًا أمّاذا كنتم تعملون** ﴾ أي : ويسألون عن اعتقادهم ، وأعمالهم ، فلما لم يكونوا من أهل السعادة ، وكانوا كما قال اللّه تعالىٰ عنهم : ﴿ **فلا صدّق ولا صلىٰ * ولكن كذّب وتولىٰ** ﴾ ، فحينئذ قامت عليهم الحجة ، ولم يكن لهم عذر يعتذرون به ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **هذا يوم لا ينطقون * ولا يؤذن لهم فيعتذرون * ويل يومئذ للمكذبين** ﴾ ، وهكذا قال هاهنا : ﴿ **ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون** ﴾ ، أي :

[١] - في ز ، خ : « يرد » .

بهتوا فلم يكن لهم جواب ؛ لأنهم كانوا في الدار الدنيا ظلمة لأنفسهم ، وقد ردوا إلىٰ عالم الغيب والشهادة الذي لا تخفىٰ عليه خافية .

و[١] قال تعالىٰ منبهًا علىٰ قدرته التامة ، وسلطانه العظيم ، وشأنه الرفيع الذي تجب طاعته ، والانقياد لأوامره ، وتصديق أنبيائه فيما جاءوا به من الحق الذي لا مَحيد عنه ، فقال : ﴿ **ألم يروا أنّا جعلنا الليل ليسكنوا فيه** ﴾ ، أي : فيه ظلام تسكن بسببه حركاتهم ، وتهدأ أنفاسهم ، ويستريحون من نَصَب التعب في نهارهم . ﴿ **والنهار مبصرًا** ﴾ أي : منيرًا مشرقًا ، فبسبب ذلك يتصرفون في المعايش والمكاسب ، والأسفار والتجارات ، وغير ذلك من شئونهم التي يحتاجون إليها ، ﴿ **إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون** ﴾ .

وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾

يخبر تعالى عن هول يوم نفخة الفزع في الصور وهو كما جاء في الحديث : « **قرن ينفخ[٢] فيه** » . وفي حديث الصور[٣] أن إسرافيل هو الذي ينفخ فيه بأمر اللّه تعالىٰ ، فينفخ فيه أولًا نفخة الفزع ويطولها ، وذلك في آخر عمر الدنيا ، حين تقوم الساعة علىٰ شرار الناس من الأحياء ، فيفزع مَنْ في السموات ومَنْ في الأرض ﴿ **إلا من شاء الله** ﴾ ، وهم الشهداء ، فإنهم أحياء[٤] عند ربهم يرزقون .

قال الإمام مسلم بن الحجاج : حدثنا عُبيد[٥] اللّه بن مُعاذ العنبري ، حدثنا أبي ، حدثنا شعبة ، عن النعمان بن سالم : سمعت يعقوب بن عاصم بن عُروة بن مسعود الثقفي ، سمعت عبد اللّه بن عمرو - رضي اللّه عنه - وجاءه رجل فقال : ما هذا الحديث الذي تحدث أن الساعة تقوم إلىٰ كذا وكذا ؟ فقال : سبحان الله - أو : لا إله إلا الله - أو : كلمة

---

[١] - في ت : « ثم » .

[٢] - في ز : « تنفخ » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ز ، خ : « عبد » .

نحوهما[١] - لقد هممت أن لا أحدث أحدًا شيئًا أبدًا ، إنما قلت : إنكم سترون بعد قليل أمرًا عظيمًا يخرب البيت ، ويكون ويكون[٢] ؛ ثم قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين - [لا أدري أربعين][٣] يومًا ، أو أربعين شهرًا ، أو أربعين عامًا - فيبعث اللّه عيسىٰ بن مريم كأنه عروة بن مسعود ، فيطلبه فيهلكه ، ثم يمكث الناس سبع سنين ، ليس بين اثنين عداوة ، ثم يرسل اللّه ريحًا باردة من قبل الشام ، فلا يبقىٰ علىٰ وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته ، حتىٰ لو أن أحدهم دخل كبد جبل لدخَلَته عليه حتىٰ تقبضه** » . قال : سمعتها من رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، قال : « **فيبقىٰ شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع ، لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا ، فيتمثل لهم الشيطان فيقول : ألا تستجيبون ؟ فيقولون : فما تأمرنا ؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان ، وهم في ذلك دارٌّ رزقهم ، حسن عيشهم[٤] ، ثم ينفخ في الصور ، فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتًا ورفع ليتا . قال : « وأول من يسمعه رجل يَلُوط حوض إبله** » . قال : « **فَيَصْعَقُ ويصعقُ الناس ، ثم يرسل الله - أو قال : ينزل اللّه - مطرًا ، كأنه الطّل[٥] - أو قال : الظل[٦]** - نعمان الشاك - **فتنبت منه أجساد الناس ، ثم ينفخُ فيه أخرىٰ فإذا هم قيام ينظرون ، ثم يقال : يا أيها الناس ؛ هلموا إلىٰ ربكم ، وقفوهم إنهم مسئولون . ثم يقال : أخرجوا بعث النار . فيقال : مِنْ كم ؟ فيقال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين[٧] ، قال : فذلك يوم يجعل الولدان شيبًا ، وذلك يومَ يكشف عن ساق** » (٣٥) .

فقوله[٨] : « **ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغىٰ ليتًا ورفع ليتًا** » . الليت : هو صفحة العنق ، أي : أمال عنقه ليستمعه من السماء جيدًا .

فهذه نفخة الفزع ، ثم بعد ذلك نفخة الصعق ، وهو الموت ، ثم بعد ذلك نفخة القيام لرب العالمين ، وهو النشور من القبور لجميع الخلائق ؛ ولهذا قال : ﴿ **وكل أتوه داخرين** ﴾ : قُرئ بالمد ، وبغيره علىٰ الفعل(*) ، وكل بمعنى[٩] واحد - و﴿ **داخرين** ﴾ أي : صاغرين مطيعين ، لا يتخلف أحد عن أمره ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده** ﴾ ، وقال : ﴿ **ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون** ﴾ .

---

(٣٥) صحيح مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة حديث (٢٩٤٠) .

---

[١] - في ز ، خ : « نحوها » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٤] - في ز ، خ : « عيشتهم » .
[٥] - في ز ، خ : « الظل » .
[٦] - في ز ، خ : « الطل » .
[٧] - في ز ، خ : « تسعون » .
[٨] - في ت : « فقوله » .
(*) قرأ حمزة وحفص عن عاصم : (أَتَوْه) . وقرأ الباقون : (آتوه) ممدودة مضمومة التاء .
[٩] - في ز : « بفعل » .

وفي حديث الصور : أنه في النفخة الثالثة يأمر اللَّه الأرواح ، فتوضع في ثقب في الصور ، ثم ينفخ إسرافيل فيه بعدما تنبت الأجساد في قبورها وأماكنها ، فإذا نفخ في الصور طارت الأرواح ، تتوهج أرواح المؤمنين نورًا ، وأرواح الكافرين ظُلمة ، فيقول اللَّه -عز وجل- : « **وعزتي وجلالي لترجعنّ كل روح إلىٰ جسدها** » ، فتجيء الأرواح إلىٰ أجسادها ، فتدبّ فيها كما يَدبّ السّم في اللديغ ، ثم يقومون فينفضون التراب من قبورهم ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلىٰ نصب يوفضون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وترىٰ الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب** ﴾ ، أي : تراها كأنها ثابتة باقية علىٰ ما كانت عليه ، وهي تمرّ مرَّ السحاب ، أي : تزول عن أماكنها ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يوم تمور السماء مورًا * وتسير الجبال سيرًا** ﴾ ، وقال : ﴿ **ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفًا * فيذرها قاعًا صفصفًا * لا ترىٰ فيها عوجًا ولا أمتًا** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **ويوم نسير**[١] **الجبال وترى الأرض بارزة** ﴾ .

وقوله : ﴿ **صنع اللَّه الذي أتقن كل شيء** ﴾ ، أي : يفعل ذلك بقدرته العظيمة الذي قد أتقن كلّ ما خلق ، وأودع فيه من الحكمة ما أودع ، ﴿ **إنه خبير بما تفعلون**[٢] ﴾ أي : هو عليم بما يفعل عباده من خير وشر فيجازيهم عليه .

ثم بين تعالىٰ حال السعداء والأشقياء يومئذ فقال : ﴿ **من جاء بالحسنة فله خير منها** ﴾ قال قتادة : بالإخلاص . وقال زين العابدين : هي لا إله إلا الله . وقد بين في المكان الآخر أن له عَشْر أمثالها .

﴿ **وهم من فزعٍ يومئذٍ آمنون** ﴾ ، كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **لا يحزنهم الفزع الأكبر** ﴾ . وقال : ﴿ **أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنًا يوم القيامة** ﴾ وقال : ﴿ **وهم في الغرفات آمنون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار** ﴾ أي : من لقي اللَّه مسيئًا لا حسنة له ، أو : قد رجحت سيئاته علىٰ حسناته ، كلٌّ بحسبه ؛ ولهذا قال : ﴿ **هل تجزون إلا ما كنتم**[٣] **تعملون** ﴾ .

وقال ابن مسعود وأبو هريرة وابن عباس - رضي اللَّه عنهم - وأنس بن مالك ، وعطاء ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، ومجاهد ، وإبراهيم النخعي ، وأبو وائل ، وأبو صالح ، ومحمد بن كعب ، وزيد بن أسلم ، والزهري ، والسدي ، والضحاك ، والحسن ، وقتادة ، وابن زيد ، في

---

[١] - في ز : « تسير » وهي قراءة ابن عامر .
[٢] - في ز : « يفعلون » وهي قراءة ابن عامر . [٣] - في ز : « كانوا » .

قوله : ﴿ **ومن جاء بالسيئة** ﴾ ، يعني : بالشرك .

﴿ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ (٩١) وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ (٩٢) وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ (٩٣) ﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا [عن][١] رسوله وآمرًا له أن يقول : ﴿ **إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء** ﴾ ، كما قال ﴿ **قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم** ﴾ .

إضاف[٢] الربوبية إلىٰ البلدة علىٰ سبيل التشريف لها[٣] والاعتناء بها ، كما قال : ﴿ **فليعبدوا رب هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف** ﴾ .

وقوله : ﴿ **الذي حرمها** ﴾ ، أي : الذي إنما صارت حرامًا قدرًا وشرعًا ، بتحريمه لها ، كما ثبت في الصحيحين عن ابن عباس قال : قال رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - يوم فتح مكة : « **إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض ، فهو حرام بحرمة الله إلىٰ يوم القيامة ، لا يُعضَد شوكه ، ولا ينفر صيدهُ ، ولا يلتقط لقطته إلا لمن عرفها ، ولا يختلى خلاها ...**»(٣٦) . الحديث بتمامه . وقد ثبت في الصحاح والحسان والمسانيد من طرق جماعة تفيد القطع ، كما هو مبين في موضعه من « **كتاب الأحكام** » ، ولله الحمد .

وقوله : ﴿ **وله كل شيء** ﴾ ، من باب عطف العام علىٰ الخاص ، أي : هو رب هذه البلدة ، ورب كل شيء ومليكه ﴿ **وأمرت أن أكون من المسلمين** ﴾ ، أي : الموحدين المخلصين المنقادين لأمره المطيعين له[٤] .

وقوله : ﴿ **وأن أتلو القرآن** ﴾ ، أي : علىٰ الناس أبلغهم إياه ، كقوله : ﴿ **ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم** ﴾ وكقوله : ﴿ **نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم**

(٣٦) صحيح البخاري ، كتاب الحج (١٨٣٤) ، وصحيح مسلم ، كتاب الحج (١٣٥٣) ، وسنن أبي داود ، كتاب المناسك (٢٠١٨) ، وسنن الترمذي ، كتاب السير (١٥٩٠) ، وسنن النسائي ، كتاب مناسك الحج (٢٠٣/٥) ، والمسند (٢٥٩/١) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٢] - في ت : « إضافة » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : خ ، ز .

يؤمنون﴾ ، أي : أنا مبلغ ومنذر ، ﴿ **فمن اهتدىٰ فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين** ﴾ ، أي : لي سوية الرسل الذين أنذروا قومهم ، وقاموا بما عليهم من أداء الرسالة إليهم ، وخَلَصُوا من عهدتهم ، وحساب أممهم علىٰ الله ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب** ﴾ وقال : ﴿**إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل**﴾ .

﴿ **وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها** ﴾ ، أي : للَّه الحمد الذي لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه ، والإعذار إليه ؛ ولهذا قال : ﴿ **سيريكم آياته فتعرفونها** ﴾ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتىٰ يتبينّ لهم أنه الحق** ﴾ .

وقوله : ﴿**وما ربك بغافلٍ عما تعملون**[١]﴾ أي : بل هو شهيد علىٰ كل شيء .

قال ابن أبي حاتم : ذكر عن أبي عمر الحوضي حفص بن عمر : حدثنا أبو أمية بن يعلىٰ الثقفي ، حدثنا سعيد بن أبي سعيد ، سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **يا أيها الناس ، لا يَغترَنَّ أحدكم بالله ، فإن اللَّه لو كان غافلًا شيئًا لأغفل البعوضة والخردلة والذرة** »(٣٧) .

[وقال أيضًا][٢] : حدثنا محمد بن يحيىٰ ، حدثنا نصر بن علي ، قال أبي : أخبرني [ ][٣] خالد بن قيس ، عن مطر ، عن عمر بن عبد العزيز قال : فلو كان اللَّه مغفّلًا شيئًا لأغفل ما تَعفي الرياح من أثر قدمي ابن آدم .

وقد ذكر عن الإمام أحمد - رحمه الله - أنه كان ينشد هذين البيتين ، إمّا له أو لغيره :

إِذَا مَا خَلَوتَ الدّهْرَ يَومًا فَلا تَقُل خَلَوتُ ، وَلكن قُل : عَليَّ رَقيب
وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ يَغْفَلُ سَاعَةً وَلا أن مَا يَخْفىٰ عَلَيْه يَغيب

☆ ☆ ☆

---

(٣٧) ورواه الديلمي في مسند الفردوس حديث (٨١٦٧) من طريق أبي أمية بن يعلى به .

---

[١] - في ز : « يعملون » وهي إحدى الروايات عن ابن عامر .

[٢] - بياض في : خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « عن » .

تفسير سورة القصص

وهي مكية

قال الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله -: حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا وكيع ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق ، عن معد يكرب قال : أتينا عبد الله فسألناه أن يقرأ علينا ﴿ طسم ﴾ المائتين ، فقال : ما هي معي ، ولكن عليكم مَن أخذها من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : خبّاب بن الأرت[١] . قال : فأتينا خبّاب بن الأرت[٢] ، فقرأها علينا رضي الله عنه(١) .

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ﴿٦﴾

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة .

وقوله : ﴿ تلك ﴾ ، أي : هذه ﴿ آيات الكتاب المبين ﴾ ، أي : الواضح الجليّ الكاشف عن حقائق الأمور ، وعلم ما قد كان وما هو كائن .

وقوله : ﴿ نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ﴾ كما قال تعالى : ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص ﴾ أي : نذكر [الأمر كما][٣] كان عليه كأنك شاهد وكأنك

(١) المسند (٤١٩/١) ، ومعدي كرب هو الهمداني ، ويقال : العبدي . ترجمه البخاري في التاريخ الكبير (٤١/٨) ، وابن أبي حاتم (٣٩٨/٨) ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلًا ، وذكره ابن حبان في الثقات (٥/ ٤٥٨) . وأبو إسحاق مدلس وقد عنعن .

[١] - في ز ، خ : « الأرث » . [٢] - في ز ، خ : « الأرث » .

[٣] - ما بين المعكوفين في ت : «لك الأمر على ما» .

حاضرة .

ثم قال : ﴿ **إن فرعون علا في الأرض** ﴾ ، أي : تكبّر وتجبّر وطغىٰ ، ﴿ **وجعل أهلها شيعًا** ﴾ ، أي : أصنافًا ، قد صرف كل صنف فيما يريد من أمور دولته .

وقوله : ﴿ **يستضعف طائفة منهم** ﴾ ، يعني : بني إسرائيل ، وكانوا في ذلك الوقت خيار أهل زمانهم ، هذا ، وقد سلط عليهم هذا الملك الجبار العنيد ، يستعملهم في أخس الأعمال ، ويَكُدُّهُم ليلًا ونهارًا في أشغاله وأشغال رعيته ، ويقتل مع هذا أبناءهم ويستحيي نساءهم ؛ إهانة لهم واحتقارًا ، وخوفًا من أن يوجد منهم الغلام الذي كان قد تخوف هو وأهل مملكته من[١] أن يوجد منهم غلام يكون سبب هلاكه وذهاب دولته علىٰ يديه ، وكانت القبط قد تلقوا هذا من بني إسرائيل فيما كانوا يدرسونه من قول إبراهيم الخليل ، حين ورد الديار المصرية ، وجرىٰ له مع جبارها ما جرىٰ ، حين أخذ سارة ليتخذها جارية ، فصانها اللّٰه منه ، ومنعه منها بقدرته وسلطانه ، فبشر إبراهيم - عليه السلام - ولده أنه سيولد من صلبه وذريته من يكون هلاك مَلك مصر علىٰ يديه ، وكانت[٢] القبط تتحدث بهذا عند فرعون ، فاحترز فرعون من ذلك ، وأمر بقتل ذكر[٣] بني إسرائيل ، ولن ينفع حذر من قدر ؛ لأن أجل اللّٰه إذا جاء لا يؤخر ، ولكل أجل كتاب ، ولهذا قال : ﴿ **ونريد أن نمنّ علىٰ الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون** ﴾ ، وقد فعل تعالىٰ بهم ذلك ، كما قال : ﴿ **وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنىٰ علىٰ بني إسرائيل بما صبروا ودمّرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون** ﴾ وقال : ﴿ **كذلك وأورثناها بني إسرائيل** ﴾ ، أراد فرعون بحوله وقوته أن ينجو من موسىٰ ، فما نفعه ذلك مع[٤] قَدَر الملك العظيم الذي لا يُخَالف أمره القدري ، بل نفذ حكمه وجرىٰ قلمه في القِدَم[٥] بأن يكون إهلاك فرعون علىٰ يديه ، بل يكون هذا الغلام الذي احترزت من وجوده ، وقتلتَ بسببه ألوفًا من الولدان إنما[٦] منشؤه ومرباه علىٰ فراشك ، وفي دارك ، وغذاؤه من طعامك ، وأنت تربيه وتدلله وتتفداه[٧] ، وحتفك وهلاكك وهلاك جنودك علىٰ يديه ، لتعلم أن رب السموات العُلا هو القاهر الغالب العظيم ، العزيز القويّ الشديد المحال ، الذي ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن .

وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا

[١] - في ز ، خ : « منه » .
[٢] - في ت : « فكانت » .
[٣] - في ت : « ذكور » .
[٤] - في ز ، خ : « من » .
[٥] - في ز ، خ : « القدر » .
[٦] - في ز ، خ : « وإنما » .
[٧] - في ز ، خ : « تنفذه » .

تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾

ذكروا أن فرعون لما أكثر من قتل ذكور بني إسرائيل ، خافت القبط أن يُفْني بني إسرائيل ، فَيَلُون هم ما كانوا يلونه من الأعمال الشاقة ، فقالوا لفرعون : إنه يوشك - إن استمر هذا الحال - أن يموت شيوخهم وغلمانهم لا يعيشون ، ونساؤهم لا يمكن أن يَقُمْن بما يقوم به رجالهم من الأعمال ، فيخلص إلينا ذلك ؛ فأمر بقتل الولدان عامًا وتركهم عامًا ، فولد هارون - عليه السلام - في السنة التي يتركون فيها الولدان[١] ، وولد موسىٰ - عليه السلام - في السنة التي يقتلون فيها الولدان ، وكان لفرعون أناس موكلين[٢] بذلك ، وقوابل يَدُرْنَ[٣] علىٰ النساء ، فمن رأينها قد حملت أحصوا اسمها ، فإذا كان وقت[٤] ولادتها لا يَقْبَلُها إلا نساء القبط ، فإن ولدت المرأة جارية تركنها وذهبن ، وإن ولدت غلامًا دخل أولئك الذباحون ، بأيديهم الشفار المرهفة ، فقتلوه ومضوا قَبَّحَهُمُ الله . فلما حملت أم موسىٰ به - عليه السلام - لم يظهر عليها مخايل الحمل كغيرها ، ولم تفطن[٥] لها الدايات ، ولكن لما وضعته ذكرًا ضاقت به ذرعًا ، وخافت عليه خوفًا شديدًا وأحبته حبًّا زائدًا ، وكان موسىٰ - عليه السلام - لا يراه أحد إلا أحبه ، فالسعيد من أحبه طبعًا وشرعًا ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **وألقيت عليك محبة مني** ﴾ فلما ضاقت ذرعًا به أُلْهِمَتْ في سِرِّها ، وأُلقِيَ في خَلَدِها ، ونُفِثَ في رُوعِها ، كما قال الله تعالىٰ : ﴿ **وأوحينا إلىٰ أم موسىٰ أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين** ﴾ . وذلك أنه كانت دارها علىٰ حافة النيل ، فاتخذت تابوتًا ، ومَهَدت فيه مهدًا ، وجعلت [ترضع ولدها][٦] ، فإذا دخل عليها أحد ممن تخافه جعلته في ذلك التابوت ، وسيرته في البحر ، وربطته[٧] بحبل عندها . فلما كان [في بعض الأيام][٨] دخل عليها [أحد ممن][٩] تخافه ، فذهبت فوضعته في ذلك التابوت ، وأرسلته

---

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ت : « موكلون » .

[٣] - في ز : « يدورون » .

[٤] - سقط من : خ ، ز .

[٥] - في ز ، خ : « يفطن » .

[٦] - ما بين المعكوفين في ز ،خ :« ترجع ولدًا » .

[٧] - سقط من : ز ، خ .

[٨] - ما بين المعكوفتين في ت : « ذتن يوك ».

[٩] - ما بين المعكوفتين في ز : « من » .

في البحر وذهلت عن أن تربطه ، فذهب مع الماء واحتمله ، حتىٰ مر به علىٰ دار فرعون ، فالتقطه الجواري فاحتملنه ، وذهبن[١] به إلىٰ امرأة فرعون ، ولا يدرين ما فيه ، وخشين أن يَفْتَتْنَ عليها في فتحه دونها، فلما كشفت عنه إذا هو غلام من أحسن الخلق وأجمله وأحلاه وأبهاه ، فأوقع اللَّه محبته في قلبها حين نظرت إليه ، وذلك لسعادتها وما أراد اللَّه[٢] من كرامتها وشقاوة بعلها ؛ ولهذا قال : ﴿ **فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوًّا** ﴾ .

قال محمد بن إسحاق وغيره : « **اللام** » ههنا[٣] لام العاقبة ، لا لام التعليل ، لأنهم لم يريدوا بالتقاطه ذلك . ولا شك أن ظاهر اللفظ يقتضي ما قالوه ، ولكن إذا نظر إلىٰ معنىٰ السياق فإنه تبقىٰ اللام للتعليل ؛ لأن معناه أن الله - تعالىٰ - قيضهم لالتقاطه ليجعله لهم عدوًّا وحزنًا ، فيكون أبلغ [في إبطال][٤] حذرهم منه ؛ ولهذا قال : ﴿ **إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين** ﴾ .

وقد روي عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه كتب كتابًا إلىٰ قوم من القدرية ، في تكذيبهم بكتاب اللَّه وبأقداره النافذة في علمه السابق : وموسىٰ في علم اللَّه السابق لفرعون عدو وحزن ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **ونري[٥] فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون** ﴾ ، وقلتم أنتم : لو شاء فرعون أن يكون لموسىٰ وليًّا وناصرًا ، واللَّه يقول : ﴿ **ليكون لهم عدوًّا وحزنًا** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وقالت امرأة فرعون قُرّة عين لي ولك لا تقتلوه عسىٰ أن ينفعنا أو نتخذه ولدًا وهم لا يشعرون** ﴾ ، يعني أن فرعون لما رآه همَّ بقتله خوفًا من أن يكون من بني إسرائيل، فجعلت امرأته آسية بنت مزاحم تُحَاجّ[٦] عنه وتَذِبُّ دونه ، وتحببه إلىٰ فرعون ، فقالت : ﴿ **قرة عين لي ولك** ﴾ ، فقال : أمّا لكِ فَنَعَم ، وأما لي فلا . فكان كذلك ؛ فهداها[٧] اللَّه به ، وأهلكه اللَّه علىٰ يديه . وقد تقدم في حديث الفتون في « **سورة طه** » هذه القصة بطولها من رواية ابن عباس مرفوعًا عند النسائي وغيره .

وقوله : ﴿ **عسىٰ أن ينفعنا** ﴾ ، وقد حصل لها ذلك ، وهداها اللَّه به ، وأسكنها الجنة بسببه .

وقولها : ﴿ **أو نتخذه ولدًا** ﴾ ، أي : أرادت أن تتخذه ولدًا وتتبناه[٨] ، وذلك أنها[٩] لم

---

[١] - في ت : « فذهبن » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « ههنا » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : « لنري » .
[٦] - في ز ، خ : « تحاجج » .
[٧] - في ت : « وهداها » .
[٨] - في خ ، ز : « وتثبت له » .
[٩] - في ز ، خ : « أنه » .

يكن لها ولد منه .

وقوله تعالىٰ : ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ ، أي : لا يدرون ما أراد اللَّه منه بالتقاطهم إياه ، من الحكمة العظيمة [البالغة ، والحجة القاطعة][١] .

﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن فؤاد أم موسىٰ ، حين ذهب ولدها في البحر : إنه أصبح فارغًا ، أي : من كل شيء من أمور الدنيا إلا من موسىٰ ؛ قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وأبو عبيدة ، والضحاك ، والحسن البصري ، وقتادة ، وغيرهم .

﴿ **إن كادت لتبدي به** ﴾ ، أي : إن كادت من شدة وجدها وحزنها وأسفها لَتُظهر أنَّه ذهب لها ولد ، وتخبر بحالها ، لولا أن اللَّه ثَبَّتها وصبَّرها ؛ قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **لولا أن ربطنا علىٰ قلبها لتكون من المؤمنين * وقالت لأخته قصّيه** ﴾ ، أي : أمرت ابنتها - وكانت كبيرة تعي ما يقال لها - فقالت لها : ﴿ **قصّيه** ﴾ ، أي : اتبعي أثره ، وخذي خبره ، وتَطَلَّبي شأنه من نواحي البلد . فخرجت لذلك ، ﴿ **فبَصُرتْ به عن جُنُب** ﴾ ، قال ابن عباس : عن جانب .

وقال مجاهد : ﴿ **فبصرت به عن جنب** ﴾ عن بعيد .

وقال قتادة :جعلت تنظر إليه وكأنها لا تريده .

وذلك أنه لما استقر موسىٰ - عليه السلام - بدار فرعون ، وأحبته امرأة الملك ، واستطلقته منه ، عرضوا عليه المراضع التي في دارهم ، فلم يقبل منها ثديًا ، وأبىٰ أن يقبل شيئًا من ذلك .

---

[١] - في خ ، ز : « والحجة البالغة » .

فخرجوا به إلىٰ سوق لعلهم يجدون امرأة تصلح لرضاعته ، فلما رأته بأيديهم عرفته ، ولم تظهر ذلك ولم يشعروا بها ، قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **وحرمنا عليه المراضع من قبل** ﴾ ، أي : تحريمًا قَدَريًّا ، وذلك لكرامة اللّٰه له ، صانه عن أن يرتضع غير ثدي أمه ، ولأن الله - سبحانه - جعل ذلك سببًا إلىٰ رجوعه إلىٰ أمه ، لترضعه وهي آمنة ، بعد ما كانت خائفة . فلما رأتهم حائرين فيمن يرضعه ﴿ **قالت هل أدلكم علىٰ أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون** ﴾ .

قال ابن عباس : لما قالت ذلك أخذوها ، وشكُّوا في أمرها ، وقالوا لها : وما يدريك نصحهم له وشفقتهم عليه ؟ فقالت : نصحهم له وشفقتهم عليه رغبتهم في ظُئُورة[١] الملك ورجاء منفعته . فأرسلوها ، فلما قالت لهم ذلك وخَلَصت من أذاهم ، ذهبوا معها إلى منزلهم ، فدخلوا به علي أمه ، فأعطته ثديها فالتقمه ، ففرحوا بذلك فرحًا شديدًا .

وذهب البشير إلىٰ امرأة الملك ، فاستدعت أم موسىٰ ، وأحسنت إليها ، وأعطتها عطاءً جزيلا ، وهي لا تعرف أنها أمه في الحقيقة ، ولكن لكونه وافق ثديها . ثم سألتها آسية أن تقيم عندها فترضعه ، فأبت عليها ، وقالت : إن لي بعلًا وأولادًا ، ولا أقدر علىٰ المقام عندك ، ولكن إن أحببت أن أرضعه في بيتي فعلت . فأجابتها امرأة فرعون إلىٰ ذلك ، وأجْرَتْ عليها النفقة والصلات[٢] والكساوي والإحسان الجزيل. فرجعت أم موسىٰ بولدها راضية مرضية، قد أبدلها اللّٰه من بعد خوفها أمنًا ، في عز وجاه ورزق دارٍّ؛ ولهذا جاء في الحديث : « **مثل الذي يعمل ويحتسب في صنعته الخير ، كمثل أم موسىٰ ترضع ولدها وتأخذ أجرها** » . ولم يكن بين الشدة والفرج إلا القليل : يوم وليلة ، أو[٣] نحوه ، واللّٰه أعلم ، فسبحان من بيده الأمر ! ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، الذي يجعل لمن اتقاه بعد كل هم فرجًا ، وبعد كل ضيق مخرجًا ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **فرددناه إلىٰ أمه كي تقر عينها** ﴾ ، أي : به ، ﴿ **ولا تحزن** ﴾ ، أي : عليه ، ﴿ **ولتعلم أن وعد اللّٰه حق** ﴾ ، أي : فيما وعدها من رده إليها ، وجعله من المرسلين ، فحينئذ تحققت برده إليها أنه كائن منه رسول من المرسلين ، فعاملته في تربيته ما ينبغي له طبعًا وشرعًا .

وقوله : ﴿ **ولكن أكثرهم لا يعلمون** ﴾ ، أي : حُكْمَ اللّٰه في أفعاله وعواقبها المحمودة ، التي هو المحمود عليها في الدنيا والآخرة ، فربما يقع الأمر كريهًا إلىٰ النفوس ، وعاقبته محمودة في نفس الأمر ، كما قال تعالىٰ : [﴿ **وعسىٰ أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم ، وعسىٰ أن تحبوا شيئًا وهو شر لكم** ﴾ ، وقال تعالى][٤] : ﴿**فعسىٰ أن تكرهوا شيئًا ويجعل الله فيه خيرًا كثيرًا**﴾ .

---

[١] - في خ ، ز : « صهر » .
[٢] - في ز : « الصلاة » .
[٣] - في ز ، خ : « أي » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾
وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن
شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ
مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ
إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ
بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾

لما ذكر تعالىٰ مبدأ أمر موسىٰ - عليه السلام - ذكر أنه لما بلغ أشده واستوىٰ ، آتاه اللّٰه حكمًا وعلمًا . قال مجاهد : يعني النبوة : ﴿ **وكذلك نجزي المحسنين** ﴾ .

ثم ذكر تعالىٰ سبب وصوله إلىٰ ما كان تعالىٰ قَدّر له من النبوة والتكليم : قضية قتله ذلك القبطيّ ، الذي كان سبب خروجه من الديار المصرية إلىٰ بلاد مدين ، فقال تعالىٰ : ﴿ **ودخل المدينة علىٰ حين غفلة من أهلها** ﴾ ، قال ابن جُرَيج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس : وذلك بين المغرب والعشاء .

وقال ابن المنكدر ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن عباس : كان ذلك نصف النهار . وكذلك قال سعيد بن جبير ، وعكرمة ، والسدي ، وقتادة .

﴿ **فوجد فيها رجلين يقتتلان** ﴾ ، أي : يتضاربان ويتنازعان ، ﴿ **هذا من شيعته** ﴾ ، أي : من بني إسرائيل ، ﴿ **وهذا من عدوه** ﴾ ، أي : قبطي ؛ قاله ابن عباس ، وقتادة ، والسدي ، ومحمد بن إسحاق . فاستغاث الإسرائيلي موسىٰ[١] عليه السلام ، ووجد موسىٰ فرصة ، وهي[٢] غفلة الناس ، فعمد إلىٰ القبطي ﴿ **فوكزه موسىٰ فقضىٰ عليه** ﴾ .

[قال][٣] مجاهد : وكزه ، أي : طعنه بجُمعِ[٤] كفِّه .

وقال قتادة : وكزه بعصا[٥] كانت معه .

﴿ **فقضىٰ عليه** ﴾ ، أي : كان فيها حتفه فمات ، ﴿ **قال**[٦] ﴾ موسىٰ : ﴿ **هذا من عمل**

---

[١] - في ت : « بموسى » .
[٢] - في ز ، خ : « وهو » .
[٣] - في ت : « وقال » .
[٤] - في خ ، ز : « بجميع » .
[٥] - في ز ، خ : « بعصاه » .
[٦] - في ز ، خ : « فقال » .

الشيطان ، إنه عدو مضل مبين * قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم * قال رب بما أنعمت عليّ ﴾ ، أي : بما جعلت لي من الجاه والعز[١] والمنعة **﴿ فلن أكون ظهيرًا ﴾** ، أي : معينًا : **﴿ للمجرمين ﴾** ، أي : الكافرين بك ، المخالفين لأمرك .

﴿ فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن موسىٰ - عليه السلام - لما قتل ذلك القبطي : إنه أصبح **﴿ في المدينة خائفًا ﴾** ، أي : من مَعَرة ما فعل **﴿ يترقب ﴾** ، أي : يتلفت[٢] و[٣]يتوقع ما يكون من هذا الأمر ، فمر في بعض الطرق ، فإذا ذاك الذي استنصره بالأمس علىٰ ذلك القبطي يقاتل آخر ، فلما مر موسىٰ استصرخه علىٰ الآخر ، فقال له موسىٰ : **﴿ إنك لغويّ مبين ﴾** ، أي : ظاهر الغواية كثير الشر . ثم عزم علىٰ البطش بذلك القبطي ، فاعتقد الإسرائيلي لخوره وضعفه وذلته أن موسىٰ إنما يريد قصده لما سمعه يقول ذلك ، فقال يدفع عن نفسه : **﴿ يا موسىٰ أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسًا بالأمس ﴾** ؟ وذلك لأنه لم يعلم به إلا هو وموسىٰ عليه السلام ، فلما سمعها ذلك القبطي لقفها من فمه ، ثم ذهب بها إلىٰ باب فرعون فألقاها عندهم[٤] ، فعلم بذلك ، فاشتد حنقه ، وعزم علىٰ قتل موسىٰ ، فطلبوه وبعثوا وراءه ليحضروه لذلك .

﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾

قال تعالىٰ : **﴿ وجاء رجل ﴾** ، وصفه بالرّجُولية ؛ لأنه خالف الطريق ، فسلك طريقًا أقرب من طريق الذين بُعثوا وراءه ، فسبق إلىٰ موسىٰ ، فقال له : يا موسىٰ ، **﴿ إن الملأ يأتمرون بك ﴾** ، أي : يتشاورون فيك **﴿ ليقتلوك فاخرج ﴾** ، أي : من البلد ، **﴿ إني لك من الناصحين ﴾** .

---

[١] - في ت : « العزة » .
[٢] - في ز ، خ : « يتقلب » .
[٣] - في ز ، خ : « أي » .
[٤] - في ت : « عنده » .

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾

لما أخبره ذلك الرجل بما تمالأ عليه فرعون ودولته في أمره ، خرج من مصر وحده ، ولم يألف ذلك قبله ، بل كان في رفاهية ونعمة ورياسة ، ﴿ **فخرج منها خائفًا يترقب** ﴾ ، أي : يتلفت ، ﴿ **قال رب نجني من القوم الظالمين** ﴾ ، أي : من فرعون وملئه . فذكروا أن الله - سبحانه وتعالىٰ - بعث له ملكا علىٰ فرس ، فأرشده إلىٰ الطريق ، فالله أعلم .

﴿ **ولما توجه تلقاء مدين** ﴾ أي : أخذ طريقًا سالكًا مَهْيَعًا . فرح بذلك ، ﴿ **قال عسىٰ ربي أن يهديني سواء السبيل** ﴾ ، أي : إلىٰ الطريق الأقوم . ففعل الله به ذلك ، وهداه إلىٰ الطريق المستقيم في الدنيا والآخرة ، فجعله هاديًا مهديًّا .

﴿ **ولما ورد ماء مدين** ﴾ أي : ولما وصل إلى مدين وورد ماءها ، وكان لها بئر ترده رعاء الشاء .

﴿ **وجد عليه أمة من الناس** ﴾ أي : جماعة ﴿ **يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان** ﴾ ، أي : تكفكفان غنمهما أن[١] ترد مع غنم أولئك الرعاء لئلا يُؤذَيا . فلما رآهما موسىٰ - عليه السلام - رق لهما ورحمهما ، ﴿ **قال ما خطبكما** ﴾ ، أي : ما خبركما لا تردان مع هؤلاء ؟ ﴿ **قالتا لا نسقي حتىٰ يُصْدِرَ الرِّعاء** ﴾ ، أي : لا يحصل لنا سقي إلا بعد فراغ هؤلاء ، ﴿ **وأبونا شيخ كبير** ﴾ ، أي : فهذا الحال الملجئ لنا إلىٰ ما ترىٰ . قال الله تعالىٰ : ﴿ **فسقىٰ لهما** ﴾ .

قال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا عبد الله ، أنبأنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو[٢] ابن ميمون الأودي ، عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن موسىٰ - عليه السلام - لما ورد ماء مدين ، وجد عليه أمة من الناس يسقون ، قال : فلما فرغوا أعادوا الصخرة علىٰ البئر ،

---

[١] - في ز : « أي » .

[٢] - في خ ، ز : « عروة » .

ولا يطيق رفعها إلا عشرة رجال ، فإذا هو بامرأتين تذودان ، قال : ما خطبكما ؟ فحدثتاه[١] ، فأتى الحجر فرفعه ، ثم لم يستق إلا ذنوبًا واحدًا حتى رويت الغنم . إسناد صحيح (٢) .

وقوله : ﴿ ثم تولىٰ إلىٰ الظل فقال رب إني لما أنزلتَ[٢] إليَّ من خير فقير ﴾ ، قال ابن عباس : سار موسىٰ من مصر إلىٰ مدين ، ليس له طعام إلا البقل وورق الشجر ، وكان حافيًا فما وصل [إلى][٣] مَدْيَنَ حتىٰ سقطت نعل قدمه و[٤]جلس في الظل ، وهو صفوة الله من خلقه ، وإن بطنه لاصق بظهره من الجوع ، وإن خضرة البقل لترىٰ من داخل جوفه ، وإنه لمحتاج إلىٰ شق تمرة .

وقوله : ﴿إلى الظل﴾ قال ابن عباس وابن مسعود والسدى : جلس تحت شجرة .

وقال ابن جرير(٣) : حدثني الحسين بن عمرو العنقزي ، حدثنا أبي ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال : حَثثتُ علىٰ جمل ليلتين ، حتىٰ صَبَّحت مدين ، فسألت عن الشجرة التي أوىٰ إليها موسىٰ ، فإذا شجرة خضراء ترف، فأهوىٰ إليها جملي - وكان جائعًا - فأخذها جملي فعالجها ساعة ، ثم لفظها، فدعوت الله لموسىٰ - عليه السلام - ثم انصرفتُ . وفي رواية عن ابن مسعود أنه ذهب إلىٰ الشجرة التي كلم الله منها موسىٰ ، كما سيأتي ، والله أعلم .

وقال السدى : كانت من شجر السَّمُر .

و[٥]قال عطاء بن السائب : لما قال موسىٰ : ﴿رب إني لما أنزلت إليَّ من خير فقير﴾ ؛ أَسْمَعَ المرأة .

﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن

(٢) المصنف لابن أبي شيبة (١١/٥٣٠) .
(٣) تفسير الطبري (٢٠/٣٧) .

[١] - في ز ، خ : « فحدثاه » .
[٢] - في ز ، خ : « أنزل » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٤] - في ز : « ولما » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .

﴿تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾

لما رجعت المرأتان سراعًا بالغنم إلىٰ أبيهما ، أنكر حالهما ومجيئهما سريعًا ، فسألهما عن خبرهما ، فقصتا عليه ما فعل موسىٰ عليه السلام ، فبعث إحداهما إليه لتدعوه إلىٰ أبيها . قال الله تعالىٰ : ﴿ فجاءته إحداهما تمشي علىٰ استحياء ﴾ ، أي : مَشْيَ الحرائر ؛ كما روي عن أمير المؤمنين عمر - رضي الله عنه - أنه قال : كانت مستترة بكم درعها .

وقال ابن أبي حاتم : [حدثنا أبي][١] ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، قال : قال عمر - رضي الله عنه - : جاءت تمشي علىٰ استحياء ، قائلة بثوبها على وجهها ، ليست بسلفع خرّاجة ولاجة . هذا إسناد صحيح .

قال الجوهري : السلفع[٢] من الرجال : الجسور ، ومن النساء : الجريئة السليطة ، ومن النوق : الشديدة .

﴿ قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا ﴾ ، وهذا تأدب في العبارة[٣] ، لم تطلبه طلبًا مطلقًا لئلا يوهم ريبة ، بل قالت : ﴿ إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا ﴾ ، يعني : ليثيبك ويكافئك علىٰ سقيك لغنمنا . ﴿ فلما جاءه وقصّ عليه[٤] القصص ﴾ ، أي : ذكر له ما كان من أمره ، وما جرىٰ له من السبب الذي خرج من أجله من بلده ، ﴿ قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين ﴾ . يقول : طب نفسًا وقرّ عينًا ، فقد خرجتَ من مملكتهم فلا حُكم لهم في بلادنا ؛ ولهذا قال : ﴿ نجوت من القوم الظالمين ﴾ .

وقد اختلف المفسرون في هذا الرجل : من هو ؟ علىٰ أقوال ؛ أحدها : أنه شعيب النبيّ - عليه السلام - الذي أرسل إلىٰ أهل مدين . وهذا هو المشهور عند كثيرين ، وقد قاله الحسن البصري وغير واحد ، ورواه ابن أبي حاتم :

حدثنا أبي ، حدثنا ابن عبد العزيز الأويسي[٥] ، حدثنا مالك بن أنس : أنه بلغه أن شعيبًا هو الذي قصّ عليه موسىٰ القصص ، قال : ﴿ لا تخف نجوت من القوم الظالمين ﴾ .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - سقط من : خ .

[٣] - في ز : « العيادة » [٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ز ، خ : « الأودي » . وهو تحريف . وما أثبتناه من تفسير ابن ابي حاتم . وهو الصواب . وانظر ترجمته في تهذيب الكمال [١٨/ ١٦٠] .

وقد روىٰ الطبراني(٤) عن سلمة بن سعد العَنَزي ، أنه وفد علىٰ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقال له : « **مرحبًا بقوم شعيب وأَخْتَانِ موسىٰ ، هُدِيت** » .

وقال آخرون : بل كان ابن أخي شعيب . وقيل : رجل مؤمن من قوم شعيب . وقال آخرون : كان شعيب قبل زمان موسىٰ - عليه السلام - بمدة طويلة ؛ لأنه قال لقومه[١] : ﴿ **وما قوم لوط منكم ببعيد** ﴾ . وقد كان هلاك قوم لوط في زمن الخليل - عليه السلام - بنص القرآن ، وقد علم أنه كان بين موسىٰ والخليل - عليهما السلام - مدة طويلة تزيد علىٰ أربعمائة سنة ، كما ذكره غير واحد . وما قيل : إن شعيبًا عاش مدة طويلة ، إنما هو - واللَّه أعلم - احتراز من هذا الإشكال . ثم من المقوّي لكونه ليس بشعيب أنه لو كان إياه لأوشك أن ينص علىٰ اسمه في القرآن هاهنا ، وما جاء في بعض الأحاديث من التصريح بذكره في قصة موسىٰ ، لم يصح إسناده ، كما سنذكره قريبًا إن شاء الله . ثم من الموجود في كتب بني إسرائيل أن هذا الرجل اسمه : « **ثيرون**[٢] » ، واللَّه أعلم .

وقال أبو عبيدة بن عبد اللَّه بن مسعود : وأثرون هو ابن أخي شعيب عليه السلام .

وعن أبي حمزة[٣] ، عن ابن عباس : الذي استأجر موسىٰ يثري[٤] [صاحب مدين][٥] . رواه ابن جرير ، ثم قال : والصواب أن هذا لا يدرك إلا بخبر ، و لا خبر[٦] تجب به[٧] الحجة في ذلك .

وقوله : ﴿ **قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القويُّ الأمين** ﴾ ، أي : قالت إحدىٰ ابنتي هذا الرجل - قيل : هي التي ذهبت وراء موسىٰ عليه السلام - قالت لأبيها : ﴿ **يا أبت استأجره** ﴾ ، أي : لرعْية[٨] هذه الغنم .

قال عمر ، وابن عباس ، وشُريح القاضي ، وأبو مالك ، وقتادة ، ومحمد بن إسحاق ، وغير واحد : لما قالت : ﴿ **إن خير من استأجرت القويُّ الأمين** ﴾ قال لها أبوها : وما علمك بذلك ؟ قالت : إنه رفع الصخرة التي لا يطيق حملها إلا عشرة رجال ، وإنه لما جئت معه تقدمت أمامه ، فقال لي : كوني من ورائي ، فإذا اجتنبتُ الطريق فاحذفي بحصاة أعلم بها كيف الطريق لأتهدى إليه .

(٤) المعجم الكبير (٥٥/٧) من طريق حفص بن سلمة عن شيبان بن قيس عن سلمة بن سعد به ، وقال الهيثمي : « فيه من لم أعرفهم » .

[١] - في ز ، خ : « لقوم » .
[٢] - في ب : « ثبرون » .
[٣] - في خ ، ز : « سمرة » .
[٤] - في ز : « يتري » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٦] - سقط من : خ ، ز .
[٧] - في ز ، خ : « فيه » .
[٨] - في ز : « رعية » .

قال سفيان الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عُبيدة ، عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال : أفرس الناس ثلاثة : أبو بكر حين تفرس في عُمر ، وصاحب يوسف حين قال : ﴿ أكرمي مثواه ﴾ ، وصاحبة موسىٰ حين قالت : ﴿ **يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القويُّ الأمين** ﴾ .

قال : ﴿ **إني أريد أن أنكحك إحدىٰ ابنتيّ هاتين** ﴾ ، أي : طلب إليه هذا الرجل الشيخ الكبير أن يرعىٰ عنه ، ويزوجه إحدىٰ ابنتيه هاتين .

قال شعيب الجبائي : وهما صفورا وليا .

وقال محمد بن إسحاق : صفورا وشرقا ، ويقال : ليا .

وقد استدل أصحاب أبي حنيفة بهذه الآية [علىٰ صحة][١] البيع فيما إذا قال : بعتك أحد[٢] هذين العبدين بمائة . فقال[٣] : اشتريت أنه يصح ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **علىٰ أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشرًا فمن عندك** ﴾ ، أي : علىٰ أن ترعىٰ عليّ ثماني سنين ، فإن تبرعت بزيادة سنتين فهو إليك ، وإلا ففي ثمان كفاية ، ﴿ **وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين** ﴾ أي : لا أشاقك ، ولا أؤاذيك[٤] ، ولا أماريك .

وقد استدلوا بهذه الآية الكريمة لمذهب الأوزاعي فيما إذا قال : بعتك هذا بعشرة نقدًا ، أو بعشرين نسيئة ، أنه يصح ، ويختار المشتري بأيهما أخذه صح ، وحُمِلَ الحديث المروي في سنن أبي داود : « **من باع بيعتين في بيعة ، فله أوكسهما أو الربا** »(٥) . علىٰ هذا المذهب . وفي الاستدلال بهذه الآية وهذا الحديث علىٰ هذا المذهب - نظرٌ ، ليس هذا موضع بسطه لطوله ، والله أعلم .

ثم قد استدل أصحاب الإمام أحمد ومن تبعهم ، في صحة استئجار الأجير بالطعمة والكسوة بهذه الآية ، واستأنسوا في ذلك بما رواه أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة في كتابه السنن ، حيث قال : باب استئجار الأجير علىٰ طعام بطنه : حدثنا محمد بن المصفّىٰ الحمْصي ، حدثنا بقية بن الوليد ، عن مسلمة بن عليّ ، عن سعيد بن أبي أيوب ، عن الحارث بن يزيد ، عن عليّ ابن رَبَاح ، قال[٥] : سمعت عُتبة بن النُّدَّر[٦] يقول : كنا عند رسول الله صلىٰ الله عليه

(٥) سنن أبي داود برقم (٣٤٦١) .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « بصحة »
[٢] - في ز ، خ : « إحدى » .
[٣] - في ز ، خ : « قال » .
[٤] - في ت : « أؤذيك » .
[٥] - في ز ، خ : « يقول » .
[٦] - في ز ، خ : « المنذر » .

وسلم فقرأ ﴿ **طسم** ﴾ ، حتىٰ إذا بلغ قصة موسىٰ قال : « **إن موسىٰ آجر نفسه ثماني سنين - أو : عشر**[١] **سنين - علىٰ عفة فرجه وطعام بطنه** »(٦) .

وهذا الحديث من هذا الوجه ضعيف ؛ لأن مسلمة بن عليّ - وهو الخُشَني الدمشقي البلاطيّ - ضعيف الرواية عند الأئمة ، ولكن قد رُوي من وجه آخر ، وفيه نظر أيضًا .

فقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا صفوان ، حدثنا الوليد ، حدثنا عبد اللَّه بن لَهيعة ، عن الحارث بن يزيد الحضرمي ، عن عليّ بن رَبَاح اللخمي ، قال : سمعت عتبة بن النُّدَّر[٢] السلمي صاحب رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يحدث أن رسول اللَّه - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - قال : « **إن موسىٰ آجر نفسه بعفة فرجه ، وطعمة بطنه** »(٧) .

وقوله تعالىٰ إخبارًا عن موسىٰ -عليه السلام- : ﴿ **قال ذلك بيني وبينك أيّما الأجلين قضيت فلا عدوان عليّ واللَّه علىٰ ما نقول وكيل** ﴾ ، يقول : إن موسىٰ قال لصهره : الأمر علىٰ ما قلت من أنك استأجرتني علىٰ ثماني سنين ، فإن أتممت عشرًا فمن عندي ، فأنا متىٰ فعلت أقلهما برئت من العهد ، وخرجت من الشرط ، ولهذا قال : ﴿ **أيّما الأجلين قضيت فلا عدوان عليّ** ﴾ ، أي : فلا حرج عليّ مع أن الكامل - وإن كان مباحًا - لكنه فاضل من جهة أخرىٰ ، بدليل من خارج ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه** ﴾ .

وقال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، لحمزة بن عمرو الأسلمي - رضي اللَّه عنه - وكان كثير الصيام ، وسأله عن الصوم في السفر فقال : « **إن شئت فصم ، وإن شئت فأفطر** »(٨) . مع أن فعل الصيام راجح من دليل آخر . هذا ، وقد دل الدليل علىٰ أن موسىٰ - عليه السلام - إنما فعل أكمل الأجلين وأتمهما ، قال البخاري(٩) :

حدثنا محمد بن عبد الرحيم ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا مروان بن شُجاع ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير [قال][٣] : سألني يهودي من أهل الحيرة : أي الأجلين قضىٰ موسىٰ ؟ فقلت : لا أدري حتىٰ أَقدمَ علىٰ حَبْر العرب فأسأله . فقدمت فسألت ابن

---

(٦) سنن ابن ماجه برقم (٢٤٤٤) ، وضعفه البوصيري في الزوائد (٢/٢٦٠) لتدليس بقية بن الوليد .

(٧) ورواه البزار في مسنده برقم (١٤٩٥) « كشف الأستار » من طريق يحيى بن بكير عن ابن لهيعة بأطول منه ، وفي إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف .

(٨) رواه أحمد في مسنده (٣/٤٩٣) ، والنسائي في السنن (٤/١٨٥) .

(٩) صحيح البخاري برقم (٢٦٨٤) .

---

[١] - في ز ، خ : « عشرة » .

[٢] - في ز ، خ : « المنذر » .

[٣] - ما بين المعكوفتين مكررة في ز ، خ .

عباس - رضي الله عنه - فقال : قضىٰ أكثرهما وأطيبهما ، إن رسول الله إذا قال فعل . هكذا رواه البخاري ، وهكذا رواه حكيم بن جبير وغيره ، عن سعيد بن جبير . ووقع في « **حديث الفُتُون** » ، من رواية القاسم بن أبي أيوب ، عن سعيد بن جبير : أن الذي سأله رجل من أهل النصرانية ، والأول أشبه ، والله أعلم . وقد رُوِي من حديث ابن عباس مرفوعًا :

قال ابن جرير(١٠) : حدثنا أحمد بن محمد الطوسي ، حدثنا الحميدي ، حدثنا سفيان ، حدثني إبراهيم بن يحيىٰ بن أبي يعقوب ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **سألت جبريل : أيّ الأجلين قضىٰ موسىٰ ؟ قال : أكملهما وأتمهما** ». ورواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن الحميدي ، عن سفيان - وهو ابن عيينة - حدثني إبراهيم بن يحيىٰ بن أبي يعقوب - وكان من أسناني أو أصغر مني - فذكره .

قلت : وإبراهيم هذا ليس بمعروف .

ورواه البزار(١١) عن أحمد بن أبان القرشي ، عن سفيان بن عيينة [ ][١]، عن إبراهيم بن أعين ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، فذكره ، ثم قال : لا نعرفه مرفوعًا عن ابن عباس إلا من هذا الوجه .

وقال ابن أبي حاتم : قُرِئَ علىٰ يونس بن عبد الأعلىٰ ، أنبأنا ابن وهب ، أنبأنا عمرو بن الحارث ، عن يحيىٰ بن ميمون الحضرمي ، عن يوسف بن [سَرْح][٢] ، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم سئل : أيّ الأجلين قضىٰ موسىٰ ؟ قال : « **لا علم لي** » . [فسأل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم جبريل ، فقال جبريل : لا علم لي][٣]. فسأل جبريل ملكًا فوقه فقال : لا علم لي . فسأل ذلك الملك ربه - عز وجل - عما سأله عنه جبريل عما سأله عنه محمد - صلىٰ الله عليه وسلم - فقال الرب سبحانه وتعالىٰ : « **قضىٰ[٤] أبرهما وأبقاهما - أو قال :**

(١٠) تفسير الطبري (٢٠/٤٤) .

(١١) قال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان (١/١٢٤) : « إبراهيم بن يحيى العدني عن الحكم بن أبان وعنه سفيان بن عيينة بخبر منكر والرجل نكرة ، وحديثه عن الحميدي ومتنه : سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - جبريل عليه السلام أي الأجلين قضى موسى ، انتهى . وهذا الرجل ذكره ابن حبان في الثقات . وقال الأزدي : لا يتابع في حديثه ، وأخرج الحاكم حديثه المذكور في المستدرك » .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « عن إبراهيم » .

[٢] - في ز ، خ ، ت : « تيرح » . وهو تحريف وتشويه . والمثبت من تفسير ابن أبي حاتم . وترجمته في الجرح والتعديل [٩/ ٢٢٣] ولكنه لم يصرح بتحديث يحيى بن ميمون عنه ، وقد صرح بذلك الدارقطني فقال في المؤتلف والمختلف [٣/ ١٢٢٥] : يوسف بن سرح ، مصري ، روى عنه يحيى بن ميمون الحضرمي .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

أزكاهما - »(١٢) .

وهذا مرسل: وقد جاء مرسلًا من وجه آخر، قال[١] سُنَيد: حدثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: قال مجاهد: إن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم سأل جبريل: « **أيّ الأجلين قضىٰ موسىٰ؟ فقال: سوف أسأل إسرافيل. فسأله فقال: سوف أسأل الرب عز وجل. فسأله فقال: أبرهما وأوفاهما** »(١٣) .

(طريق أخرىٰ مرسلة أيضًا) قال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع، حدثنا أبي، حدثنا أبو معشر، عن محمد بن كعب القرظي، قال: سُئل رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم: أيّ الأجلين قضىٰ موسىٰ؟ قال: « **أوفاهما وأتمهما** »(١٤) .

فهذه طرق متعاضدة، ثم قد روي مرفوعًا من رواية أبي ذر - رضي اللّٰه عنه -: قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا أبو عبيد اللّٰه يحيىٰ بن محمد بن السكن، حدثنا إسحاق بن إدريس، حدثنا عَوْبَدْ بن أبي عمران الجوني[٢]، عن أبيه، عن عبد اللّٰه بن الصامت، عن أبي ذر: أن النبي - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - سُئل: أيّ الأجلين قضىٰ موسىٰ؟ قال: « **أوفاهما وأبرهما** ». قال: « **وإن سُئلتَ**[٣]: **أيّ المرأتين تَزوَّجَ؟ فقل: الصغرىٰ منهما** ».

ثم قال البزار: لا نعلم يروى عن أبي ذر إلا بهذا الإسناد(١٥) .

وقد رواه ابن أبي حاتم من حديث عوْبَدْ بن أبي عمران - وهو ضعيف - ثم قد روي أيضًا نحوه من حديث عتبة بن النُّدَّر[٤] بزيادة غريبة جدًّا، فقال أبو بكر البزار: حدثنا عمر بن الخطاب السجستاني، حدثنا يحيىٰ بن بكير، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا الحارث بن يزيد، عن عليّ بن رباح اللخمي قال: سمعت عتبة بن النُّدَّر[٥] يقول: إن رسول الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم سُئل: أيّ الأجلين قضىٰ موسىٰ؟ قال: « **أبرهما وأوفاهما** ». ثم قال النبي، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم: « **إنّ موسىٰ - عليه السلام - لما أراد فراق شعيب - عليه السلام - أمر امرأته أن تسأل أباها أن يعطيها من غنمه ما يعيشون به، فأعطاها ما ولدت غنمه في ذلك العام من قالِب لَون** ». قال: « **فما مرت شاة إلا ضرب [جنبها موسى]**[٦] **بعصاه، فولدت**

(١٢) مسند البزار برقم (٢٢٤٥) « كشف الأستار ».
(١٣) (١٤) تفسير الطبري (٢٠/٤٤).
(١٥) مسند البزار برقم (٢٢٤٤) « كشف الأستار ».

[١] - في ز، خ: « وقال ».
[٢] - في ز، خ: « الحري ».
[٣] - في ز، خ: « سألت ».
[٤] - في ز، خ: « المنذر ».
[٥] - في ز، خ: « المنذر ».
[٦] - في ز: « موسى جنبها ».

قَوَالب ألوان(*)[١] **كلها ، وولدت ثنتين وثلاثًا كل شاة ليس فيها فَشُوش ولا ضبُوب ولا كميشة**[٢] **تُفوِّت الكف ، ولا ثَعُول**(**) » . وقال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إذا افتتحتم الشام فإنكم ستجدون بقايا منها ، وهي السامرية** »(١٦) .

هكذا أورده البزار . وقد رواه ابن أبي حاتم بأبسط من هذا فقال :

حدثنا أبو زرعة ، حدثنا يحيىٰ بن عبد اللَّه بن بكير ، حدثني عبد اللَّه بن لهيعة (ح) وحدثنا أبو زرعة ، حدثنا صفوان ، حدثنا الوليد ، حدثنا عبد اللَّه بن لهيعة ، عن الحارث بن يزيد الحضرمي ، عن عليّ بن رباح اللخمي، قال: سمعت عتبة بن النُدَّر[٣] السلمي صاحب رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يحدث أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **إن موسىٰ – عليه السلام – آجر نفسه بعفة فرجه وطعمة بطنه . فلما وفَّىٰ الأجل** » . قيل : يا رسول اللَّه ؛ أي الأجلين ؟ – قال : « **أبرهما وأوفاهما ، فلما أراد فراق شعيب أمر امرأته أن تسأل أباها أن يعطيها من غنمه ما يعيشون به ، فأعطاها ما ولد**[٤] **من غنمه من قالب**[٥] **لون من ولد ذلك العام ، وكانت غنمه سوداء حسناء فانطلق موسىٰ – عليه السلام – إلىٰ عصاه فسملها**[٦] **من طرفها ، ثم وضعها في أدنىٰ الحوض ، ثم أوردها فسقاها ، ووقف موسىٰ بإزاء الحوض ، فلم تصدر**[٧] **منها شاة إلا ضرب جنبها شاة شاة قال : [فأتأمت وأثلثت]**[٨] **، ووضعت كلها قوالب ألوان ، إلا شاة أو شاتين ليس فيها فشوش**[٩] – قال يحيىٰ : **ولا ضبون**[١٠] . وقال صفوان : **ولا ضبُوب**[١١] . قال أبوزرعة : الصواب ضَبُوب – **ولا عَزُوز ولا ثَعُول ولا كميشة تُفوِّت الكف** » .

قال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **فلو افتتحتم الشام وجدتم بقايا تلك الغنم وهي السامرية** » .

---

(١٦) مسند البزار برقم (٢٢٤٦) « كشف الأستار » .

(*) قال ابن الأثير : « تفسيره في الحديث : أنها جاءت على غير ألوان أُمَّهاتها ؛ كأنَّ لونها قد انقلب » . النهاية [٤/ ٩٧] .

[١] – في ز : « ألوانًا » . [٢] – في خ : « كمشة » .

(**) الفشوش : هي التي ينفش لبنها من غير حَلْب : أي يجري ؛ وذلك لسعة الإحليل . والضبوب : ضيِّقة ثقب الإحليل . والكميشة : الصغيرة الضرع . والثعول : الشاة التي لها زيادة حلمة ، وهو عيب .

[٣] – في خ ، ز : « المنذر » .

[٤] – في ز ، خ : « ولدت » . [٥] – في خ ، ز : « قابلة » .

[٦] – في خ : « فسلمها » . [٧] – في ز ، خ : « يصدر » .

[٨] – في خ ، ز : « فأتمت واثنتيت » . [٩] – في خ ، ز : « قنوش » .

[١٠] – في خ ، ز : « ضيوب » . [١١] – في ز : « صبوب » .

وحدثنا أبو زُرعة ، حدثنا صفوان ، قال : سمعت الوليد قال : فسألت ابن لهيعة : ما الفشوش ؟ قال : التي تَفُشُّ بلبنها واسعة الشخب . قلت : [فما الضبوب ؟ قال : الطويلة الضرع تجره . قلت : فما العَزُوز ؟ قال : ضيقة الشخب . قلت][١] : فما الثعُول ؟ قال : التي ليس لها ضرع إلا[٢] كهيئة حلمتين . قلت : فما الكميشة ؟ قال[٣] : التي تفوّت الكف ، كميشة الضرع ، صغير لا يدركه الكف .

مدار هذا الحديث على عبد اللّه بن لهيعة المصري - وفي حفظه سوء - وأخشى أن يكون رفعه خطأ[٤] ، واللّه أعلم . وينبغي أن يُرْوَىٰ : ليس فيها فشوش ولا عزوز ، ولا ضبوب ولا ثَعول ولا كميشة[٥] لتذكر كل صفة ناقصة مع ما يقابلها من الصفات الناقصة . وقد روىٰ ابن جرير من كلام أنس بن مالك - موقوفًا عليه - ما يقارب بعضه بإسناد جيد فقال :

حدثنا محمد بن المثنىٰ ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثنا أبي ، عن قتادة ، حدثنا[٦] أنس بن مالك - رضي اللّه عنه - قال : لما دعا نبيُّ اللّه موسىٰ - عليه السلام - صاحبه إلى الأجل الذي كان بينهما ، قال له صاحبه : كل شاة ولدت على غير[٧] لونها ذلك[٨] ولدها لك . فعمد فرفع حبالًا على الماء ، فلما رأت الخيال فزعت فجالت جولة ، فولدن كلهن بلقا إلَّا شاة واحدة ، فذهب بأولادهن ذلك العام(١٧) .

۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن

(١٧) تفسير الطبري (٢٠/٤٤) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ز : « قلت » .
[٤] - في خ ، ز : « حقا » .
[٥] - في خ ، ز : « كمشة » .
[٦] - في ز ، خ : « عن » .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - في ت : « فذلك » .

﴿رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾

قد تقدم في تفسير الآية قبلها أن موسىٰ - عليه السلام - قضىٰ أتم الأجلين وأوفاهما وأبرهما وأكملهما وأنقاهما[١] ، وقد يستفاد هذا أيضًا من الآية الكريمة من قوله : ﴿ **فلما قضىٰ موسىٰ الأجل** ﴾ ، أي : الأكمل منهما[٢] والله أعلم .

قال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : قضىٰ عشر سنين وبعدها عشرًا أخر . وهذا القول لم أره لغيره ، وقد حكاه عنه ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **وسار بأهله** ﴾ ، قالوا : كان موسىٰ قد اشتاق إلىٰ بلاده وأهله ، فعزم علىٰ زيارتهم في خفية من فرعون وقومه ، فتحمل بأهله وما كان معه من الغنم التي وهبها له صهره ، فسلك بهم في ليلة مطيرة مظلمة باردة ، فنزل منزلًا فجعل كلما أورى زنده لا يُضيء شيئًا ، فتعجب من ذلك ، فبينما هو كذلك [إذ][٣] : ﴿ **آنس من جانب الطور نارًا** ﴾ ، أي : رأىٰ نارًا تضيء له علىٰ بعد ، فـ ﴿ **قال لأهله امكثوا إني آنست نارًا** ﴾ أي : حتىٰ أذهب إليها ، ﴿ **لعلي آتيكم منها بخبر** ﴾ . وذلك لأنه كان قد أضل الطريق ، ﴿ **أو جذوة من النار** ﴾ ، أي : قطعة منها ، ﴿ **لعلكم تصطلون** ﴾ ، أي : تتدفئون بها من البرد . قال الله تعالىٰ : ﴿ **فلما أتاها نودي من شاطئ الوادِ الأيمن** ﴾ أي : من جانب الوادي مما يلي الجبل عن يمينه من ناحية الغرب ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **وما كنت بجانب الغربيّ إذ قضينا إلىٰ موسىٰ الأمر** ﴾ ، فهذا مما يرشد إلىٰ أن موسىٰ قصد النار إلىٰ جهة القبلة ، والجبل الغربيّ عن يمينه ، والنار وجدها تضطرم في شجرة خضراء في لِحْف(*) الجبل مما يلي الوادي ، فوقف باهتًا في أمرها ، فناداه ربه : ﴿ **من شاطيء الوادي الأيمن[٤] في البقعة المباركة من الشجرة** ﴾ .

قال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مُرّة ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ؛ قال : رأيت الشجرة التي نودي منها موسىٰ - عليه السلام - سمرة خضراء ترف . إسناد[٥] مقارب

وقال محمد بن إسحاق ، عن بعض من لا يُتَّهَمُ ، عن وهب بن منبه قال : شجرة من العُلَّيق وبعض أهل الكتاب يقول : من العوسج

[وقال قتادة : هي من العوسج ، وعصاه من العوسج][٦] .

[١] - في ز ، خ : « أتقاهما » .
[٢] - في ز ، خ : « بينهما » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
(*) اللَّحف : أصل الجبل .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ت : « إسناده » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **أنْ يا موسىٰ إني أنا الله رب العالمين** ﴾ ، أي : الذي يخاطبك ويكلمك هو رب العالمين ، الفعال لما يشاء ، لا إله غيره ولا رب سواه ، تعالىٰ وتقدس وتنزه عن مماثلة المخلوقات في ذاته وصفاته ، وأقواله[١] وأفعاله سبحانه .

وقوله : ﴿ **وأن ألق عصاك** ﴾أي : التي في يدك . كما قرره علىٰ ذلك في قوله : ﴿ **وما تلك بيمينك يا موسىٰ قال هي عصاي أتوكأُ عليها وأَهُشُّ بها علىٰ غنمي ولي فيها مآرب أخرىٰ** ﴾ . والمعنىٰ : أما هذه عصاك التي تعرفها ؟ ﴿ **ألقها فألقاها فإذا هي حية تسعىٰ** ﴾ فعرف وتحقق أن الذي يخاطبه ويكلمه هو الذي يقول للشيء : كن ، فيكون . كما تقدم بيان ذلك في « **سورة طه** » وقال هاهنا : ﴿ **فلما رآها تهتز** ﴾ ، أي : تضطرب ﴿ **كأنها جان** ﴾ ، أي : في حركتها السريعة مع عظم خِلْقة[٢] قوائمها واتساع فمها واصطكاك أنيابها وأضراسها ، بحيث لا تمر بصخرة إلا ابتلعتها ، فتنحدر في فيها تقعقع[٣] كأنها حادرة في واد . فعند ذلك ﴿ **ولّىٰ مُدْبِرًا ولم يُعَقِّب** ﴾ . أي : ولم [يلتفت][٤] ، لأن طبع البشرية ينفر من ذلك . فلما قال الله له : ﴿ **يا موسىٰ أقبل ولا تخف إنك من الآمنين** ﴾ ، رجع فوقف في مقامه الأول ، ثم قال الله له : ﴿ **اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء** ﴾ . أي : إذا أدخلت يدك في جيب درعك ثم أخرجتها فإنها تخرج تتلألأ ، كأنها قطعة قمر في لمعان البرق . ولهذا قال : ﴿ **من غير سوء** ﴾ ، أي : من غير برص[٥] .

وقوله : ﴿ **واضمم إليك جناحك من الرهب** ﴾ ، قال مجاهد : من الفزع . وقال قتادة : من الرعب . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وابن جرير : مما[٦] حصل لك من خوفك من الحية .

والظاهر أن المراد أعم من هذا ، وهو أنه أمر - عليه السلام - إذا خاف من شيء أن يضم إليه جناحه من الرهب وهي يده ، فإذا فعل ذلك ذهب عنه ما يجده من الخوف ، وربما إذا استعمل أحد ذلك علىٰ سبيل الاقتداء فوضع يده علىٰ فؤاده ، فإنه يزول عنه ما يجد أو يَخف إن شاء الله ، وبه الثقة .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا عليّ بن الحسين ، حدثنا الربيع بن ثعلب الشيخ الصالح ، أخبرنا أبو إسماعيل المؤدب عن عبد الله بن مسلم ، عن مجاهد ، قال : كان موسىٰ - عليه السلام - قد مُلئَ قلبه رعبًا من فرعون ، فكان إذا رآه قال : اللهم إني أدرأ بك في نحره ، وأعوذ بك من

---

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ت : « خلق » .

[٣] - في ت : « تتقعقع » .

[٤] - ما بين المعكوفين في ت : « يكن يلتفت » .

[٥] - في خ : « مرض » .

[٦] - في ز : « ما » .

شره ، ففرّغ اللّه ما كان في قلب موسىٰ - عليه السلام - وجعله في قلب فرعون ، فكان إذا رآه بال كما يبول الحمار .

وقوله : ﴿ **فذانك برهانان من ربك** ﴾ ، يعني : إلقاءه العصا وجعلها حية تسعىٰ ، وإدخاله يده في جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء ، دليلان قاطعان واضحان علىٰ قدرة الفاعل المختار ، وصحة نبوة من جرىٰ هذا الخارق علىٰ يديه ؛ ولهذا قال : ﴿ **إلىٰ فرعون وملئه** ﴾ أي : وقومه من الرؤساء والكبراء والأتباع ﴿ **إنهم كانوا قومًا فاسقين** ﴾ أي : خارجين عن طاعة اللّه ، مخالفين لدين اللّه .

قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾

لما أمره اللّه تعالىٰ بالذهاب إلىٰ فرعون ، الذي إنما خرج من ديار مصر فرارًا منه وخوفًا من سطوته ، ﴿ **قال رب إني قتلت منهم نفسًا** ﴾ ، يعني ذلك القبطي ﴿ **فأخاف أن يقتلون** ﴾ أي : إذا رأوني . ﴿ **وأخي هارون هو أفصح مني لسانًا** ﴾ ، وذلك أن موسىٰ - عليه السلام - كان في لسانه لثغة ، بسبب ما كان تناول تلك الجمرة ، حين خُير بينها وبين التمرة أو الدرّة [فأخذ الجمرة][١] فوضعها علىٰ لسانه ، فحصل فيه[٢] شدة في التعبير ، ولهذا قال : ﴿ **واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي . واجعل لي وزيرًا من أهلي . هارون أخي . اشدد به أزري . وأشركه في أمري** ﴾ أي : يؤنسني فيما أمرتني به من هذا المقام العظيم وهو القيام بأعباء النبوة والرسالة إلىٰ هذا الملك المتكبر الجبار العنيد ؛ ولهذا قال : ﴿ **وأخي هارون هو أفصح مني لسانًا فأرسله معي ردءًا** ﴾ أي[٣]: وزيرًا ومعينًا ومقويًا لأمري ، يصدقني فيما أقوله وأخبر به عن اللّه عز وجل ، لأن خبر اثنين أنجع في النفوس من خبر واحد ؛ ولهذا قال : ﴿ **إني أخاف أن يكذبون** ﴾ .

وقال محمد بن إسحاق : ﴿ **ردءًا يصدقني** ﴾ أي : يبين[٤] لهم عني ما أكلمهم به فإنه يفهم مالا يفهمون .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ز ، خ : « منه » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز ، خ : « يتبين » .

فلما سأل ذلك قال الله تعالىٰ : ﴿ **سنشد عضدك بأخيك** ﴾ ، أي[١] : سنقوي أمرك ونعز جانبك بأخيك الذي سألت له أن يكون نبيًّا معك ؛ كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **قد أوتيت سؤلك يا موسىٰ** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيًّا** ﴾ ولهذا قال بعض السلف : ليس أحد أعظم مِنَّة علىٰ أخيه من موسىٰ علىٰ هارون - عليهما السلام - فإنه شفع فيه حتىٰ جعله الله نبيًّا ورسولًا معه إلى فرعون وملئه [ولهذا][٢] قال في حق موسى : ﴿ **وكان عند الله وجيهًا** ﴾ وقوله تعالىٰ : ﴿ **ونجعل لكما سلطانًا** ﴾ ، أي : حجة قاهرة ﴿ **فلا يصلون إليكما بآياتنا** ﴾ أي : لا سبيل لهم إلىٰ الوصول إلىٰ أذاكم[٣] بسبب إبلاغكما آيات الله ، كما قال الله تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **والله يعصمك من الناس** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدًا إلا الله وكفى بالله حسيبًا** ﴾ أي : وكفىٰ بالله ناصرًا ومعينًا ومؤيدًا . ولهذا أخبرهما أن العاقبة لهما ولمن اتبعهما في الدنيا والآخرة ، فقال : ﴿ **أنتما ومن اتبعكما الغالبون** ﴾ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلي إن الله قويّ عزيز** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد . يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار** ﴾ ووجه ابن جرير علىٰ أن المعنىٰ : ﴿ **ونجعل لكما سلطانًا فلا يصلون إليكما** ﴾ ، ثم يبتدئ فيقول : ﴿ **بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون** ﴾ ، تقديره : أنتما ومن اتّبعكما الغالبون بآياتنا(١٨) .

ولا شك أن هذا المعنىٰ صحيح ، وهو حاصل من التوجيه الأول ، فلا حاجة إلىٰ هذا ، والله أعلم .

فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّفۡتَرٗى وَمَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾

يخبر تعالىٰ عن مجيء موسىٰ وأخيه هارون إلىٰ فرعون وملئه وعرضه ما آتاهما الله من المعجزات الباهرة والدلالات القاهرة ، علىٰ صدقهما فيما أخبرا عن الله - عز وجل - من توحيده واتباع أوامره ، فلما عاين فرعون وملؤه ذلك وشاهدوه وتحققوه ، وأيقنوا أنه من الله ، عدلوا بكفرهم وبغيهم[٤] إلىٰ العناد والمباهتة ، وذلك لطغيانهم وتكبرهم عن اتباع الحق فقالوا :

---

(١٨) تفسير الطبري (٢٠/٤٨) .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ت : « لهذا » .
[٣] - في ت : « أذاكما » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .

﴿ **ما هذا إلا سحر مفترىٰ** ﴾ أي : مفتعل مصنوع . أرادوا معارضته بالحيلة[١] والجاه فما صعد معهم ذلك وقوله : ﴿ **وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين** ﴾ ، يعنون عبادة اللَّه وحده لا شريك له ، يقولون[٢] : ما رأينا أحدًا من آبائنا علىٰ هذا الدين ، ولم نر الناس إلا يشركون مع اللَّه آلهة أخرىٰ . فقال موسىٰ - عليه السلام - مجيبًا لهم : ﴿ **ربي أعلم بمن جاء بالهدىٰ من عنده** ﴾ ، يعني : مني ومنكم ، وسيفصل بيني وبينكم ؛ ولهذا قال : ﴿ **ومن تكون له عاقبة الدار** ﴾ ، أي : النصرة والظفر والتأييد﴿ **إنه لا يفلح الظالمون** ﴾ أي : المشركون باللَّه .

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾

يخبر تعالىٰ عن كفر فرعون وطغيانه وافترائه في دعوىٰ الإلٰهية لنفسه القبيحة - لعنه اللَّه - كما قال تعالىٰ : ﴿ **فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قومًا فاسقين** ﴾ ، [وذلك][٣] لأنه دعاهم إلىٰ الاعتراف له بالإلٰهية ، فأجابوه إلىٰ ذلك بقلة عقولهم وسخافة أذهانهم ، ولهذا قال : ﴿ **يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري** ﴾ ، [وقال][٤] تعالىٰ إخبارًا عنه : ﴿ **فحشر فنادىٰ * فقال أنا ربكم الأعلىٰ * فأخذه اللَّه نكال الآخرة والأولىٰ * إن في ذلك لعبرة لمن يخشىٰ** ﴾ . يعني : أنه جمع قومه ونادىٰ فيهم بصوته العالي مُصَرِّحًا لهم بذلك ، فأجابوه سامعين مطيعين ؛ ولهذا انتقم اللَّه تعالىٰ منه[٥] فجعله عبرة لغيره في الدنيا والآخرة ، وحتىٰ إنه واجه موسىٰ الكليم بذلك قال[٦] : ﴿ **لئن اتخذت إلهًا غيري لأجعلنك من المسجونين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **فأوقد لي يا هامان علىٰ الطين فاجعل لي صرحًا لعلي أطّلع إلىٰ إله موسىٰ** ﴾

---

[١] - في ز ، خ : « بالحلية » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ت : « ذلك » .
[٤] - في ت : « قال » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ت : « فقال » .

أي : أمر وزيره هامان ومدبر رعيته ومشير دولته أن يوقد له[١] علىٰ الطين ، ليتخذ له آجرًا لبناء الصرح ، وهو القصر المنيف الرفيع - كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحًا لعلي أبلغ الأسباب * أسباب السموات فأطّلع إلىٰ إله موسىٰ وإني لأظنه كاذبًا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصُدّ عن السبيل وما كيد فرعون إلا في[٢] تباب** ﴾ ، وذلك لأن فرعون بنىٰ هذا الصرح الذي لم يُرَ في الدنيا بناء أعلىٰ منه إنما أراد بهذا أن يظهر لرعيته تكذيب موسىٰ فيما زعمه من دعوىٰ إله غير فرعون ؛ ولهذا قال : ﴿ **وإني لأظنه من الكاذبين** ﴾ . أي : في قوله إنّ ثَمّ ربًّا[٣] غيري ، لا أنه كذبه في أن اللَّه أرسله ، لأنه لم يكن يعترف بوجود الصانع ، فإنه قال : ﴿ **وما رب العالمين** ﴾ وقال : ﴿ **لئن اتخذت إلهًا غيري لأجعلنك من المسجونين** ﴾ وقال : ﴿ **يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري** ﴾ وهذا قول ابن جرير وقوله : ﴿ **واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون** ﴾ ، أي : طغوا وتجبروا ، وأكثروا في الأرض الفساد ، واعتقدوا أنه لا معاد ولا قيامة ، ﴿ **فصب عليهم ربك سَوْطَ عذاب إن ربك لبالمرصاد** ﴾ ولهذا قال هاهنا : ﴿ **فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم** ﴾ ، أي : غرقناهم[٤] في البحر في صبيحة واحدة ، فلم يبق منهم أحد ، ﴿ **فانظر كيف كان عاقبة الظالمين * وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار** ﴾ ، أي : لمن سلك وراءهم وأخذ بطريقتهم ، في تكذيب الرسل وتعطيل الصانع ﴿ **ويوم القيامة لا ينصرون** ﴾ أي : فاجتمع عليهم خزي الدنيا موصولًا بذل الآخرة ، كما قال تعالى : ﴿ **أهلكناهم فلا ناصر لهم** ﴾ وقوله : ﴿ **وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة** ﴾ ، أي : وشرع اللَّه لعنتهم ولعنة ملكهم فرعون علىٰ ألسنة المؤمنين من عباده المتبعين رسله ، وكما أنهم في الدنيا ملعونون علىٰ ألسنة[٥] الأنبياء وأتباعهم ، وكذلك ﴿ **يوم القيامة هم من المقبوحين** ﴾ ، قال قتادة : وهذه الآية الكريمة[٦] كقوله تعالىٰ : ﴿ **وأُتبِعُوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود** ﴾ .

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

يخبر تعالىٰ عما أنعم به علىٰ عبده ورسوله موسىٰ الكليم - عليه من ربه الصلاة والتسليم - من إنزال التوراة عليه بعد ما أهلك فرعون وملأه .

وقوله : ﴿ **من بعد ما أهلكنا القرون الأولىٰ** ﴾ يعني : أنه بعد إنزال التوراة لم يعذب أمة بعامة ، بل أمر المؤمنين أن يقاتلوا أعداء اللَّه من المشركين ، كما قال : ﴿ **وجاء فرعون ومن**

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « رب » .
[٤] - في ت : « أغرقناهم » .
[٥] - في ز ، خ : « لسان » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .

قبله والمؤتفكات بالخاطئة * فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية ﴾ .

وقال ابن جرير(١٩) : حدثنا ابن بشار ، حدثنا محمد وعبد الوهاب قالا : حدثنا عوف ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري قال : ما أهلك الله قومًا بعذاب من السماء ولا من الأرض بعدما أنزلت التوراة على وجه الأرض ، غير القرية التي مسخوا قردة ، ألم تر أن الله يقول : ﴿ **ولقد آتينا موسىٰ الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولىٰ** ﴾ .

ورواه ابن أبي حاتم من حديث عوف بن أبي جميلة[١] الأعرابي بنحوه . وهكذا رواه أبو بكر البزار في مسنده عن عمرو بن علي الفلاس ، عن يحيىٰ القطان ، عن عوف ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد موقوفًا (٢٠) .

ثم رواه عن نصر بن عليّ ، عن عبد الأعلىٰ ، عن عوف ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد - رفعه إلىٰ النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - قال : « **ما أهلك الله قومًا بعذاب من السماء ولا من الأرض إلا قبل موسىٰ** » ، ثم قرأ : ﴿ **ولقد آتينا موسىٰ الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولىٰ** ﴾(٢١) .

وقوله : ﴿ **بصائر للناس** ﴾ أي : من العمىٰ والغيّ ، ﴿ **وهدىً** ﴾ إلىٰ الحق ، ﴿ **ورحمة** ﴾ أي : إرشادًا[٢] إلىٰ الأعمال الصالحة ، ﴿ **لعلهم يتذكرون** ﴾ أي : لعل الناس يتذكرون به ، ويهتدون بسببه .

وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ

(١٩) تفسير الطبري (٢٠/٥٠) .

(٢٠) مسند البزار برقم (٢٢٤٧) « كشف الأستار » .

(٢١) مسند البزار برقم (٢٢٤٨) « كشف الأستار » ، وقال الهيثمي في المجمع (٧/٨٨) : « رواه البزار موقوفًا ومرفوعًا ورجالهما رجال الصحيح » .

[١] - في خ ، ز : « حميد » . [٢] - في ز ، خ : « إرشاد » .

أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

يقول تعالىٰ منبها علىٰ برهان نبوة محمد - صلىٰ الله عليه وسلم - حيث أخبر بالغيوب الماضية ، خبرًا كأن سامعه شاهد ورَاءٍ[١] لما تقدم ، وهو رجل أميّ لا يقرأ شيئًا من الكتب ، نشأ بين قوم لا يعرفون شيئًا من ذلك ، كما أنه لما أخبره عن مريم وما كان من أمرها ، قال تعالىٰ : ﴿ **وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون** ﴾ . أي : ما كنت حاضرًا لذلك ، ولكنّ الله أوحاه إليك . وهكذا لما أخبره[٢] عن نوح وقومه ، وما كان من[٣] إنجاء الله له وإغراق قومه .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين** ﴾ ، وقال في آخر السورة : ﴿ **ذلك من أنباء القرى نقصه عليك** ﴾ وقال بعد ذكر قصة يوسف : ﴿ **ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون** ﴾ وقال في سورة طه : ﴿ **كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا** ﴾ ، وقال هاهنا بعد ما أخبر عن قصة موسىٰ من أولها إلىٰ آخرها وكيف كان ابتداء إيحاء الله إليه وتكليمه له : ﴿ **وما كنت بجانب الغربيّ إذ قضينا إلىٰ موسىٰ الأمر** ﴾ ، يعني : يا محمد ، ما كنت بجانب الجبل الغربيّ الذي كلم الله موسىٰ من الشجرة التي هي شرقية علىٰ شاطئ الوادي ﴿ **وما كنت من الشاهدين** ﴾ لذلك ، ولكن الله سبحانه وتعالىٰ أوحىٰ إليك ذلك ، ليجعله حجة وبرهانًا علىٰ قرون قد تطاول عهدها ، ونسوا حجج الله عليهم وما أوحاه إلىٰ الأنبياء المتقدمين .

وقوله : ﴿ **وما كنت ثاويًا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا** ﴾ أي : وما كنت مقيمًا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا حين أخْبرتَ عن نبيها شعيب ، وما قال لقومه ، وما ردوا عليه ، ﴿ **ولكنا كنا مرسلين** ﴾ ، أي : ولكن نحن أوحينا إليك ذلك ، وأرسلناك للناس رسولا .

﴿ **وما كنت بجانب الطور إذ نادينا** ﴾ . قال أبو عبد الرحمن النسائي في التفسير من سننه : أخبرنا علي بن حُجْر ، أخبرنا عيسىٰ - وهو ابن يونس - عن حمزة الزيات ، عن الأعمش ، عن عليّ بن مدرك ، عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - : ﴿ **وما كنت بجانب الطور إذ نادينا** ﴾ ، قال : نودوا : يا أمة محمد ، أعطيتكم قبل أن تسألوني ، وأجبتكم قبل أن تدعوني .

---

[١] - في ز ، خ : « ورائي » .
[٢] - في ز ، خ : « أخبر » .
[٣] - في ز ، خ : « بين » .

وهكذا رواه ابن جرير(٢٢) ، وابن أبي حاتم ، من حديث جماعة ، عن حمزة - وهو ابن حبيب الزيات - عن الأعمش . ورواه ابن جرير من حديث وكيع ويحيىٰ بن عيسىٰ ، عن الأعمش ، عن عليّ بن مدرك ، عن أبي زرعة - وهو ابن عمرو بن جرير - أنه قال ذلك من كلامه ، والله أعلم .

وقال مقاتل بن حيان : ﴿ **وما كنت بجانب الطور إذ نادينا** ﴾ : أمتك في أصلاب آبائهم أن يؤمنوا بك إذا بعثت .

وقال قتادة : ﴿ **وما كنت بجانب الطور إذ نادينا** ﴾ : موسىٰ . وهذا - والله أعلم - أشبه بقوله تعالىٰ : ﴿ **وما كنت بجانب الغربيّ إذ قضينا إلىٰ موسىٰ الأمر** ﴾ .

ثم أخبر هاهنا بصيغة[١] أخرى أخص من ذلك وهو النداء كما قال تعالى : ﴿ **وإذ نادى ربك موسى** ﴾ وقال : ﴿ **إذ ناداه ربه بالوادى المقدس طوى** ﴾ وقال : ﴿ **وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ولكن رحمة من ربك** ﴾ ، أي : ما كنت مشاهدًا لشيء من ذلك ، ولكن الله أوحاه إليك وأخبرك به ، رحمة منه لك وبالعباد بإرسالك إليهم ، ﴿ **لتنذر قومًا ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون** ﴾ ، أي : لعلهم يهتدون بما جئتهم به من الله عز وجل .

﴿ **ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولًا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين** ﴾ ، أي : وأرسلناك إليهم لتقيم عليهم الحجة ولتقطع عذرهم إذا[٢] جاءهم عذاب من الله بكفرهم ، فيحتجوا بأنهم لم يأتهم رسول ولا نذير ؛ كما قال تعالىٰ بعد ذكره إنزال كتابه المبارك وهو القرآن : ﴿ **أنْ تقولوا[٣] إنما أنزل الكتاب علىٰ طائفتين من قبلنا وإنْ كنا عن دراستهم لغافلين * أو تقولوا[٤] لو أنّا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدىٰ منهم ، فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة** ﴾ ، وقال : ﴿ **رسلًا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم علىٰ فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله علىٰ كل شيء قدير** ﴾ والآيات في هذا[٥] كثيرة .

فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ أَوَلَمْ

(٢٢) تفسير الطبري (٢٠/٥١) والذي فيه من طريق سفيان ويحيى بن عيسى .

[١] - في خ ، ز : « بقصة » .
[٢] - في ز ، خ : « إذ » .
[٣] - في ز : « يقولوا » .
[٤] - في ز : « يقولوا » .
[٥] - في ت : « ذلك » .

يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلۡ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبٖ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمَآ أَتَّبِعۡهُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن القوم الذين لو عذبهم قبل قيام الحجة عليهم ، لاحتجوا بأنهم لم يأتهم رسول -: إنهم لما جاءهم الحق من عنده علىٰ لسان محمد - صلوات اللَّه وسلامه عليه - قالوا علىٰ وجه التعنت والعناد والكفر والجهل والإلحاد : ﴿ **لولا أوتي مثل ما أوتي موسىٰ أو لم يكفرو بما أوتي موسىٰ من قبل** ﴾ يعنون - واللَّه أعلم - من الآيات الكثيرة مثل العصا ، واليد والطوفان ، والجراد ، والقمّل ، والضفادع ، والدم ، وتنقص الزروع والثمار، بما[١] يضيق علىٰ أعداء اللَّه، وكفلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المنّ والسلوىٰ ، إلىٰ غير ذلك من الآيات الباهرة والحجج القاهرة ، التي أجراها اللَّه علىٰ يدي موسىٰ - عليه السلام - حجة وبراهين له علىٰ فرعون وملئه وبني إسرائيل ، ومع هذا كله لم ينجع في فرعون وملئه ، بل كفروا بموسىٰ وأخيه هارون ، كما قالوا لهما[٢] : ﴿ **أجئتنا لتلفتنا عمّا وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **فكذبوهما فكانوا من المهلكين** ﴾ ، ولهذا قال هاهنا : ﴿ **أو لم يكفروا بما أوتي موسىٰ من قبل** ﴾ ، أي : أو لم [يكفر البشر][٣] بما أوتى موسى من تلك الآيات العظيمة ﴿ **قالوا ساحران تظاهرا** ﴾ : أي تعاونا . ﴿ **وقالوا إنّا بكل كافرون** ﴾ ، أي : بكل منهما كافرون . ولشدة التلازم والتصاحب والمقارنة بين موسىٰ وهارون ، دل ذكر أحدهما علىٰ الآخر ، كما قال الشاعر :

فَمَا أَدري إِذَا يَمَّمْتُ أَرْضًا أُرِيدُ الخَيرَ أَيُّهُمَا يَلِينِي

أي : فما أدري أيليني الخير أو الشر . قال مجاهد بن جبر[٤] : أمرت اليهود قريشًا أن يقولوا لمحمد ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ذلك ، فقال اللَّه : ﴿ **أو لم يكفروا بما أوتي موسىٰ من قبل قالوا ساحران تظاهرا** ﴾ ، قال : يعني موسىٰ وهارون صلىٰ اللَّه عليهما وسلم ﴿ **تظاهرا** ﴾ ، أي : تعاونا وتناصرا وصدّق كل منهما الآخر ، وبهذا[٥] قال سعيد بن جبير وأبو رزين في قوله :

---

[١] - في ت : « مما » .

[٢] - سقط من : ت .

[٣] - في ز : « يكفروا ببشر » .

[٤] - في ز ، خ : « جبير » .

[٥] - في ز ، خ : « هذا » .

﴿ **ساحران** ﴾ . يعنون : موسىٰ وهارون . وهذا قول جيد قَوي ، واللَّه أعلم .

وقال مسلم بن يسار[١] ، عن ابن عباس ﴿ **قالوا ساحران تظاهرا** ﴾ ، يعني : موسىٰ ومحمدًا - صلوات اللَّه وسلامه عليهما - وهذه[٢] رواية عن الحسن البصري .

[وقال الحسن][٣] وقتادة : يعني عيسىٰ ومحمد - صلى اللَّه عليهما وسلم - وهذا فيه بعد ، لأن عيسىٰ لم يجر له ذكر هاهنا ، واللَّه أعلم .

وأما من قرأ : (**سحران تظاهرا**)(*) ، فقال عليّ بن أبي طلحة والعوفي ، عن ابن عباس : يعنون التوراة والقرآن . وكذا قال عاصم الجَنَديّ ، والسّديّ ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، قال السدي : يعني صَدّق كل واحد منهما الآخر .

وقال عكرمة : يعنون التوراة والإنجيل ، وهو رواية عن أبي زرعة ، واختاره ابن جرير(٢٣) .

وقال الضحاك وقتادة : الإنجيل والقرآن . واللَّه سبحانه أعلم بالصواب .

والظاهر علىٰ قراءة : (سحران) أنهم يعنون التوراة والقرآن ؛ لأنه قال بعده : ﴿ **قل فأتوا بكتاب من عند اللَّه هو أهدىٰ منهما أتبعه** ﴾ . وكثيرًا ما يقرن اللَّه بين التوراة والقرآن ، كما في قوله تعالىٰ : ﴿ **قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسىٰ نورًا وهدى للناس** ﴾ إلىٰ أن قال : ﴿ **وهذا كتاب أنزلناه مبارك** ﴾ ، وقال في آخر السورة : ﴿ **ثم آتينا موسىٰ الكتاب تمامًا علىٰ الذي أحسن** ﴾ إلىٰ أن قال : ﴿ **وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون** ﴾ وقالت الجن : ﴿ **إنا سمعنا كتابًا أنزل من بعد موسى** ﴾ وقال ورقة بن نوفل : هذا الناموس الذي أنزل علىٰ موسىٰ . وقد علم بالضرورة لذوي الألباب أن اللَّه لم ينزل كتابًا من السماء - فيما أنزل من الكتب المتعددة علىٰ أنبيائه - أكمل ولا أشمل ولا أفصح ولا أعظم ولا أشرف من الكتاب الذي أنزل علىٰ محمد - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - وهو القرآن ، وبعده في الشرف والعظمة الكتاب الذي أنزله علىٰ موسىٰ ابن عمران - عليه السلام - وهو التوراة التي قال اللَّه تعالىٰ فيها : ﴿ **إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب اللَّه وكانوا عليه شهداء** ﴾والإنجيل إنما نزل متممًا للتوراة ومحلًا لبعض ما حرم علىٰ بني إسرائيل ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **قل فأتوا بكتاب من عند اللَّه هو أهدىٰ منهما أتبعه إن كنتم صادقين** ﴾ ، أي : فيما تدافعون به الحق وتعارضون به من الباطل .

---

(٢٣) تفسير الطبري (٥٣/٢٠) .

---

[١] - في ز : « بشار » .

[٢] - في ز ، خ : « هذا » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

(*) وهي قراءة عاصم وحمزة والكسائي . وقرأ عبد اللَّه بن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر : « ساحران » بإثبات الألف .

قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **فإن لم يستجيبوا لك** ﴾ ، أي : فإن لم يجيبوك عما قلت لهم ولم يتبعوا الحق ، ﴿ **فاعلم أنما يتبعون أهواءهم** ﴾ ، أي : بلا دليل ولا حجة ، ﴿ **ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من اللَّه** ﴾ ، أي : بغير حجة مأخوذة من كتاب[١] اللَّه ﴿ **إن اللَّه لا يهدي القوم الظالمين** ﴾ .

وقوله : ﴿**ولقد وصلنا لهم القول**﴾ قال مجاهد : فصلنا لهم القول . وقال السدى : بينا لهم القول .

وقال قتادة : يقول تعالىٰ : أخبَرَهم كيف صُنع بمن مضىٰ وكيف هو صانع ، ﴿ **لعلهم يتذكرون** ﴾ قال مجاهد وغيره : ﴿ **وصلنا لهم** ﴾ ، يعني : قريشًا . وهذا هو الظاهر . لكن قال حماد بن سلمة ، عن عمرو بن دينار ، عن يحيىٰ بن جعدة ، عن رفاعة - رفاعة هذا هو ابن قَرَظَة القُرَظِي ، وجعله ابن مندة : رفاعة بن سمْوال ، خال صفية بنت حييّ ، وهو الذي طلق تميمة بنت وهب التي تزوجها بعده عبد الرحمن بن الزبير بن باطا ، كذا ذكره ابن الأثير(٢٤) .

[قال : نزلت : ﴿**ولقد وصلنا لهم القول**﴾ في عشرة أنا أحدهم .رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم في حديثه][٢](٢٥) .

ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ (٥٢) وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ (٥٣) أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ (٥٤) وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ (٥٥)

يخبر تعالىٰ عن العلماء الألباء[٣] من أهل الكتاب أنهم يؤمنون بالقرآن ، كما قال تعالىٰ : ﴿**الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به** ﴾ وقال : ﴿**وإن من أهل الكتاب**

---

(٢٤) أسد الغابة لابن الأثير (٢/٢٢٨) .

(٢٥) تفسير الطبري (٢٠/٥٦) ، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٥/٥٣) من طريق حماد بن سلمة به .

---

[١] - في ز ، خ : « كتب » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ت : « الأولياء » .

لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله﴾ وقال: ﴿ **إن الذين أوتوا العلم[١] من قبله إذا يتلىٰ عليهم يخرون للأذقان سجدًا ويقولون سبحان ربنا إنْ كان وعد ربنا لمفعولاً﴾** وقال: ﴿ **ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارىٰ ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانًا وأنهم لا يستكبرون وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ﴾**.

قال سعيد بن جبير: نزلت في سبعين من القسيسين بعثهم النجاشي، فلما قدموا علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم قرأ عليهم: ﴿ **يس والقرآن الحكيم** ﴾، حتىٰ ختمها، فجعلوا يبكون وأسلموا ونزلت فيهم هذه الآية الأخرىٰ: ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون * وإذا يتلىٰ عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنّا كنا من قبله مسلمين** ﴾، يعني: من قبل هذا القرآن كنا مسلمين، أي[٢]: موحدين مخلصين مستجيبين له.

قال الله: ﴿ **أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا** ﴾، أي: هؤلاء المتصفون بهذه الصفة الذين آمنوا بالكتاب الأول ثم بالثاني، ولهذا قال: ﴿ **بما صبروا** ﴾، أي: علىٰ اتباع الحق؛ فإن تجشم مثل هذا شديد علىٰ النفوس. وقد ورد في الصحيحين من حديث عامر الشعبي، عن أبي بُرْدَةَ، عن أبي موسىٰ الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم -: « **ثَلاثَةٌ يُؤْتَون أَجْرَهُم مَرّتَيْنِ: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه ثم آمن بي، وعبد مملوك أدىٰ حق الله وحق مواليه، ورَجُل [كانت][٣] [له][٤] أمة فأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها فتزوجها** »(٢٦).

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيىٰ بن إسحاق السَّيْلَحيني، حدثنا ابن لَهيعة، عن سليمان بن عبد الرحمن، عن القاسم، عن أبي أمامة قال: إني لتَحْتَ راحلة رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - يوم الفتح، فقال قولًا حسنًا جميلًا وقال فيما قال: « **من أسلم من أهل الكتابين فله أجره مرتين، وله ما لنا وعليه ما علينا، [ومن أسلم من المشركين، فله أجره وله ما لنا وعليه ما علينا][٥]** »(٢٧).

وقوله ﴿ **ويدرءون بالحسنة السيئة** ﴾، أي: لا يقابلون السيء[٦] بمثله، ولكن يعفون ويصفحون؛ ﴿ **ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ أي: ومن الذي رزقهم من الحلال ينفقون[٧] علىٰ خَلْق

(٢٦) صحيح البخاري برقم (٩٧)، وصحيح مسلم برقم (١٥٤).
(٢٧) المسند (٥/٢٥٩).

[١] - في ز، خ: « الكتاب ».
[٢] - سقط من: ز، خ.
[٣] - في خ، ز: « كان ».
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.
[٦] - في ز: « على الشيء ».
[٧] - سقط من: خ، ز.

الله في النفقات الواجبة لأهلهم وأقاربهم والزكاة المفروضة والمستحبة من التطوعات وصدقات النفل والقربات .

وقوله : ﴿ وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه ﴾ ، أي : لا يخالطون أهله ولا يعاشرونهم[١] بل كما قال تعالىٰ : ﴿ وإذا مروا باللغو مروا كرامًا ﴾ .

﴿ وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين ﴾ أي : إذا سَفه عليهم سَفيه ، وكلّمهم بما لا يَليق بهم الجوابُ عنه ، أعرضوا عنه ولم يقابلوه بمثله من الكلام القبيح ولا يصدر عنهم إلا كلام طيب ؛ ولهذا قال عنهم : إنهم قالوا : ﴿ لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين ﴾ أي[٢] : لا نُريد طَريق الجاهلين ولا نحبّها .

قال محمد بن إسحاق في السيرة : ثم قدم على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وهو بمكة عشرون رجلًا ، أو قريب من ذلك ، من النصارىٰ ، حين بلغهم خبره من الحبشة ؛ فوجدوه في المسجد ، فجلسوا إليه وكلموه وساءلوه - و[٣]رجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة - فلما فرغوا من مساءلة رسول الله عما أرادوا ، دعاهم إلىٰ الله وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا وآمنوا به وصدقوه ، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره . فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش ، فقالوا لهم : خيبكم الله من ركب ! بعثكم مَنْ وراءكم مِنْ أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم[٤] بخبر الرجل ، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتىٰ فارقتم دينكم وصدقتموه فيما قال ، ما نعلم ركبًا أحمق منكم - أو كما قالوا لهم - فقالوا : سلام عليكم ، لا نجاهلكم ، لنا ما نحن عليه ، ولكم ما أنتم عليه ، لم نَألُ أنفسنا خيرًا (٢٨) .

قال : ويقال : إن النفر النصارى من أهل نجران ، فالله أعلم ، أيّ ذلك كان . قال : ويقال - والله أعلم - : إنّ فيهم نزلت هذه الآيات : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ لا نبتغي الجاهلين ﴾ .

قال : وقد سألت الزهري عن هذه الآيات فيمن أُنْزِلَن[٥] ؟ فقال[٦] : ما زلتُ أسمع من علمائنا أنهنّ أُنزلنَ في النجاشي وأصحابه - رضي الله عنهم - والآيات التي في سورة المائدة : ﴿ ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانًا ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ فاكتبنا مع الشاهدين ﴾

(٢٨) السيرة النبوية لابن هشام (١/٣٩٢) .

[١] - في ز ، خ : « يحاشرونهم » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز ، خ : « فتأتوهم » .
[٥] - في ز ، خ : « نزل » .
[٦] - في ت : « قال » .

[﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلىٰ الرسول ترىٰ أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين﴾][1]

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾

يقول تعالىٰ لرسوله - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - : إنك يا محمد ﴿ **لا تهدي مَنْ أحببت** ﴾ أي : ليس إليك ذلك ، إنما عليك البلاغ ، واللّٰه يهدي من يشاء ، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ليس عليك هداهم ولكن اللّٰه يهدي من يشاء** ﴾ وقال : ﴿ **وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين** ﴾ .

وهذه الآية أخص من هذا كله فإنه قال : ﴿ **إنك لا تهدي من أحببت ولكن اللّٰه يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين** ﴾ أي : هو أعلم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغَوَاية ، وقد ثبت في الصحيحين أنها نزلت في أبي طالب عَمّ رسول اللّٰه - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - وقد كان يَحُوطه وينصره ، ويقوم في صفه يحبه حبًا طَبَعِيًا لا شرعيًا ، فلما حضرته الوفاة وحان أجله ، دعاه رسول اللّٰه - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - إلىٰ الإيمان والدخول في الإسلام فسبق القدر فيه ، واختُطف من يده ، فاستمر علىٰ ما كان عليه من الكفر ، ولله الحكمة[2] التامة .

قال الزهري : حدثني سعيد بن المسيب ، عن أبيه - وهو المسيب بن حزْن المخزومي - رضي اللّٰه عنه - قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فوجد عنده أبا جهل بن هشام ، وعبد اللّٰه بن أبي أمية بن المغيرة ، فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **يا عم ، قل : لا إله إلا اللّٰه ، كلمة أشهد لك بها عند اللّٰه** » . فقال أبو جهل ، وعبد اللّٰه بن أبي[3] أمية : يا أبا طالب ، أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يعرضها عليه ، ويعودان له بتلك المقالة ، حتىٰ قال آخر ما قال : هو علىٰ ملة عبد المطلب . وأبىٰ أن يقول : لا إله إلا اللّٰه . فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **أما لأستغفرن لك ما لم أنه عنك** » . فأنزل اللّٰه عز وجل : ﴿ **ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربىٰ** ﴾ ، [وأنزل][4] في أبي طالب : ﴿ **إنك لا تهدي من**

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - في خ ، ز : « الحجة » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ت : « وأنزل اللّٰه » .

أحببت ، ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ .

أخرجاه(٢٩) من حديث الزهري . وهكذا رواه مسلم في صحيحه ، والترمذي من حديث يزيد بن كيسان ، عن أبي حازم ، عن أبي هُريرة رضي الله عنه ، قال : لما حَضَرَتْ وفاة أبي طالب ؛ أتاه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال : « **يا عمَّاه ، قل : لا إله إلا الله ، أشهد لك بها يوم القيامة** » . فقال : لولا أن يُعَيِّرني[١] بها قريش ، يقولون : ما حمله عليه إلا جزع الموت ، لأقررتُ بها عينَك ، لا أقولها إلا لأُقرَّ بها عينك . فأنزل الله : **﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ﴾** . وقال الترمذي : حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث يزيد بن كيسان(٣٠) .

ورواه الإمام أحمد ، عن يحيىٰ بن سعيد القطان ، عن يزيد بن كيسان ، حدثني أبو حازم ، عن أبي هريرة ... فذكره بنحوه(٣١) .

وهكذا قال ابن عباس ، وابن عمر ، ومجاهد ، والشعبي ، وقتادة : إنها نزلت في أبي طالب حين عَرَض عليه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أن يقول : « **لا إله إلا الله** » ، فأبىٰ عليه ذلك ، وقال : أيْ ابن أخي ، ملّة الأشياخ . وكان آخر ما قال : هو علىٰ ملة عبد المطلب .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو سلمة ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا عبد الله ابن عثمان بن خُثيْم ، عن سعيد بن أبي راشد ، قال : كان رسول قيصر جاء إليَّ قال : كتب معي قيصر إلىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، كتابًا ، فأتيته فدفعت الكتاب ، فوضعه في حجره ثم قال : « **ممن الرجل ؟** » قلت : من تنوخ[٢] . قال : « **هل لك في دين أبيك إبراهيم الحنيفية ؟** » قلت : إني رسول قوم[٣] وعلىٰ دينهم حتىٰ أرجع إليهم . فضحك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ونظر إلىٰ أصحابه فقال[٤] : « **﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾** »(٣٢) .

وقوله : **﴿ وقالوا إنْ نتبع الهدىٰ معك نتخطف من أرضنا ﴾** ، [يقول تعالىٰ مخبرًا عن اعتذار بعض الكفار في عدم اتباع الهدىٰ حيث قالوا لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : **﴿ إنْ نتبع الهدىٰ معك نتخطف من أرضنا ﴾**][٥] أي : نخشىٰ إنِ اتبعنا[٦] ما جئت به من الهدىٰ ،

(٢٩) صحيح البخاري برقم (١٣٦٠) ، وصحيح مسلم برقم (٢٤) .
(٣٠) صحيح مسلم برقم (٢٥) ، وسنن الترمذي برقم (٣١٨٨) .
(٣١) المسند (٢/٤٣٤) .
(٣٢) رواه أحمد في المسند (٣/٤٤١) من طريق حماد بن سلمة بنحوه .

[١] - في ت : « تعيرني » .
[٢] - في خ ، ز : « تبرح » .
[٣] - في ز ، خ : « قومي » .
[٤] - في ت : « وقال » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٦] - في ز : « اتبعت » .

وخالفنا مَنْ حولنا من أحياء العرب المشركين، أن يقصدونا بالأذىٰ والمحاربة، ويتخطفونا أينما كنا، فقال اللّٰه تعالىٰ مجيبًا لهم: ﴿ **أو لم نمكن لهم حرمًا آمنًا** ﴾ يعني: هذا الذي اعتذروا به كذب وباطل؛ لأن اللّٰه جعلهم في بلد أمين وحَرَم معظم آمن[١] منذ وُضع، فكيف يكون هذا الحرم آمنًا [لهم][٢] في حال كفرهم وشركهم، ولا يكون آمنًا لهم وقد أسلموا وتابعوا الحق ؟!

وقوله: ﴿ **يُجبىٰ إليه ثمرات كل شيء** ﴾، [أي: من سائر الثمار مما حوله من الطائف وغيره، وكذلك المتاجر والأمتعة][٣] ﴿ **رزقًا من لدنّا** ﴾، أي: من عندنا، ﴿ **ولكن أكثرهم لا يعلمون** ﴾ فلهذا قالوا ما قالوا.

وقد قال النسائي: أنبأنا الحسن بن محمد، حدثنا حجاج[٤]، عن ابن جُريج، أخبرني ابن أبي مُليكة، قال: قال عمرو بن شعيب، عن ابن عباس - ولم يسمعه منه -: إن الحارث بن عامر بن نوفل الذي قال: ﴿ **إن نتبع الهدىٰ معك نتخطف من أرضنا** ﴾(٣٣).

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾

يقول تعالىٰ مُعَرِّضًا بأهل مكة في قوله: ﴿ **وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها** ﴾، أي: طغت وأشرت[٥] وكفرت نعمة اللّٰه، فيما أنعم به عليهم من الأرزاق، كما قال في الآية الأخرىٰ: ﴿ **وضرب اللّٰه مثلًا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان فكفرت بأنعم اللّٰه فأذاقها اللّٰه لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون. ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون** ﴾ ولهذا قال: ﴿ **فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلًا** ﴾ أي: دثرت ديارهم، فلا ترى إلا مساكنهم.

وقوله: ﴿ **وكنا نحن الوارثين** ﴾ أي: رجعت خرابًا، ليس فيها أحد. وقد ذكر ابن أبي

---

(٣٣) النسائي في السنن الكبرى برقم (١١٣٨٥).

---

[١] - في ز، خ: «أمين».
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ت.
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.
[٤] - في ت: «الحجاج».
[٥] - في خ، ز: «وأصرت».

حاتم ، عن ابن مسعود ، أنه سمع كعبًا يقول لعمر : إن سليمان - عليه السلام - قال للهامة - يعني : البومة - : ما لك لا تأكلين الزرع ؟ قالت : لأنه أخرج آدم بسببه من الجنة . قال : فما لك لا تشربين الماء ؟ قالت : لأن اللَّه أغرق قوم نوح به . قال : فما لك لا تأوين إلا إلى الخراب ؟ قالت : لأنه ميراث اللَّه - عز جل - ثم تلا : ﴿ **وكنا نحن الوارثين** ﴾ .

ثم قال اللَّه مخبرًا عن عدله ، وأنه لا يهلك أحدًا ظالمًا له ، وإنما يهلك من أهلك بعد قيام الحجة عليهم ؛ ولهذا قال : ﴿ **وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها** ﴾ وهي مكة ﴿ **رسولًا يتلو عليهم آياتنا** ﴾ ، فيه دلالة على أن النبي الأمي - وهو محمد صلى اللَّه عليه وسلم - المبعوثَ من أم القرى - رسولٌ إلى جميع القرى من عرب وأعجام ؛ كما قال تعالى : ﴿ **لتنذر أم القرى ومن حولها** ﴾ وقال تعالى : ﴿**قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا**﴾ وقال : ﴿ **لأنذركم به ومن بلغ** ﴾ . وقال : ﴿**ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده**﴾ وتمام الدليل : ﴿ **وإنْ من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابًا شديدًا . كان ذلك في الكتاب مسطورًا** ﴾فأخبر أنه سيهلك كل قرية قبل يوم القيامة ، وقد قال : ﴿**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولًا**﴾ . فجعل تعالى بعثة النبي الأمي شاملة لجميع القرى، لأنه مبعوث إلى أمها وأصلها[١] التي ترجع إليها. وثبت في الصحيحين عنه - صلى اللَّه عليه وسلم - أنه قال : « **بعثت إلى الأحمر والأسود** » . ولهذا ختم به الرسالة والنبوة ، فلا نبي بعده ولا رسول ، بل شرعه باق بقاء الليل والنهار إلى يوم القيامة .

وقيل المراد بقوله : ﴿**حتى يبعث في أمها**﴾ أي : أصلها وعظيمتها كأمهات الرساتيق والأقاليم . حكاه الزمخشري وابن الجوزي وغيرهما ، وليس ببعيد .

وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾

يقول تعالى مخبرًا عن حقارة الدنيا ، وما فيها من الزينة الدنيئة والزهرة الفانية بالنسبة إلى ما أعده اللَّه لعباده الصالحين في الدار الآخرة من النعيم العظيم المقيم ؛ كما قال : ﴿ **ما عندكم ينفد وما عند اللَّه باق** ﴾ وقال : ﴿**وما عند الله خير للأبرار**﴾ وقال : ﴿ **وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع** ﴾ وقال : ﴿**بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى**﴾ وقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **واللَّه ما الدنيا في الآخرة إلا كما يَغْمِس أحدكم إصبعه في اليم فلينظر ماذا يرجع إليه ؟** » (٣٤) .

(٣٤) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٨٥٨) من حديث المستورد بن شداد رضي الله عنه .

[١] - في ز ، خ : « وأهلها » .

﴿ أفلا تعقلون[١] ﴾ أي : أفلا يعقل من يقدم الدنيا على الآخرة .

وقوله : ﴿ أفمن وعدناه وعدًا حسنًا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين ﴾ .

يقول : أفمن هو مؤمن مصدق بما وعده الله على صالح أعماله من الثواب الذي هو صائر إليه لا محالة ، كمن هو كافر مكذب بلقاء الله ووعده ووعيده ، فهو ممتع في الحياة الدنيا أيامًا قلائل ، ﴿ ثم هو يوم القيامة من المحضرين ﴾ ، قال مجاهد ، وقتادة : من المعذبين .

ثم قد قيل : إنها نزلت في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفي أبي جهل . وقيل : في حمزة ، وعليّ ، وأبي جهل ، وكلاهما عن مجاهد . والظاهر أنها عامة ، وهذا كقوله تعالى إخبارًا عن ذلك المؤمن حين أشرف على صاحبه ، وهو في الدرجات وذاك في الدركات : ﴿ ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين ﴾ وقال تعالى: ﴿ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون﴾ .

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾

يقول تعالى مخبرًا[٢] عما يوبخ به الكفار المشركين يوم القيامة ، حيث يناديهم فيقول : ﴿أين شركائي الذين كنتم تزعمون ﴾ يعني : أين الآلهة التي كنتم تعبدونها في الدار الدنيا ، من الأصنام والأنداد ، هل ينصرونكم أو ينتصرون ؟ وهذا على سبيل التقريع والتهديد ؛ كما قال : ﴿ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون ﴾ .

---

[١] - في ز ، خ : « يعقلون » . [٢] - سقط من : خ ، ز .

وقوله : ﴿ **قال الذين حَقَّ عليهم القول** ﴾ ، يعني : من الشياطين والـمَرَدَة[١] والدعاة إلىٰ الكفر ﴿ **ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون** ﴾ فشهدوا عليهم أنهم أغووهم فاتبعوهم[٢] ، ثم تبرءوا من عبادتهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **واتخذوا من دون اللَّه آلهة ليكونوا لهم عزًّا * كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدًّا** ﴾ وقال : ﴿ **ومن أضل ممن يدعو من دون اللَّه من لا يستجيب له إلىٰ يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حُشِر الناسُ كانوا لهم أعداءً وكانوا بعبادتهم كافرين** ﴾ ، وقال الخليل لقومه : ﴿ **إنما اتخذتم من دون اللَّه أوثانًا مَودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضًا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين** ﴾ وقال اللَّه : ﴿ **إذ تبرأ الذين اتُّبعوا من الذين اتَّبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب * وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم اللَّه أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار** ﴾ ؛ ولهذا قال : ﴿ **وقيل ادعوا شركاءكم** ﴾ ليخلصوكم مما أنتم فيه كما كنتم ترجون منهم في الدار الدنيا ﴿ **فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب** ﴾ أي : [وتيقنوا][٣] أنهم صائرون إلىٰ النار لا محالة .

وقوله : ﴿ **لو أنهم كانوا يهتدون** ﴾ أي : فودوا[٤] حين عاينوا العذاب لو أنهم كانوا من المهتدين في الدار الدنيا . وهذا كقوله تعالىٰ : ﴿ **ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقًا * ورأىٰ المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ويوم يناديهم فيقول[٥] ماذا أجبتم المرسلين** ﴾ ، النداء الأول عن سؤال التوحيد ، وهذا فيه إثبات النبوات : ماذا كان جوابكم للمرسلين إليكم ؟ كيف كان حالكم معهم ؟ وهذا كما يُسأل العبد في قبره : من ربك ؟ ومن نبيك ؟ وما دينك ؟ فأما المؤمن : فيشهد أنه لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا عبد اللَّه، ورسوله . وأما الكافر فيقول : هاه ... هاه ... لا أدري ؛ ولهذا لا جواب له يوم القيامة غير السكوت ؛ لأن من كان في هذه أعمىٰ فهو في الآخرة أعمىٰ وأضل سبيلًا ؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ **فعميت عليهم الأنباء يومئذ فهم لا يتساءلون** ﴾ .

وقال مجاهد : فعميت عليهم الحجج فهم لا يتساءلون بالأنساب .

وقوله : ﴿ **فأما من تاب وآمن وعمل صالحًا** ﴾ ، أي : في الدنيا ، ﴿ **فعسىٰ أن يكون من**

---

[١] - في ت : « المردة » .
[٢] - في خ، ز : « فيما يتبعوهم » .
[٣] - في ت : « تيقنوا » .
[٤] - في ز ، خ : « فردوا » .
[٥] - سقط من : ز .

المفلحين ﴾ ، أي : يوم القيامة . « وعسىٰ » من الله موجبة ، فإن هذا واقع بفضل الله ومَنِّهِ لا محالة .

﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٨) وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (٦٩) وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٧٠) ﴾

يخبر تعالىٰ أنه المنفرد بالخلق والاختيار ، وأنه ليس له في ذلك منازع ولا معقب فقال : ﴿ **وربك يخلق ما يشاء [ويختار** ﴾ ، أي : ما يشاء][١]، فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، فالأمور كلها خيرها وشرها بيده ، ومرجعها إليه .

وقوله : ﴿ **ما كان لهم الخيرة** ﴾ ، نفيٌ علىٰ أصح القولين ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضىٰ الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم** ﴾ وقد اختار ابن جرير أن (ما) هاهنا بمعنىٰ « **الذي** » ، تقديره : ويختار الذي لهم فيه خيرة . وقد احتج بهذا المسلك[٢] طائفة المعتزلة علىٰ وجوب مراعاة الأصلح . والصحيح أنها نافية ، كما نقله ابن أبي حاتم ، عن ابن عباس وغيره أيضًا ، فإن المقام في بيان انفراده تعالىٰ بالخلق والتقدير والاختيار ، وأنه لا نظير له في ذلك ؛ ولهذا قال : ﴿ **سبحان الله وتعالىٰ عما يشركون** ﴾ ، أي : من الأصنام والأنداد التي لا تخلق ولا تختار شيئًا .

ثم قال : ﴿ **وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون** ﴾ أي : يعلم [مكتمة][٣] الضمائر وما تنطوي عليه السرائر ، كما يعلم ما تبديه الظواهر من سائر الخلائق ، ﴿ **سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وهو الله لا إله إلا هو** ﴾ ، أي : هو المنفرد بالإلهية ، فلا معبود سواه ، كما لارب يخلق ويختار سواه ﴿ **له الحمد في الأولىٰ والآخرة** ﴾ ، أي : في جميع ما يفعله هو المحمود عليه ، لعدله وحكمته ﴿ **وله الحكم** ﴾ ، أي : الذي لا معقب له ، لقهره وغلبته وحكمته ورحمته ، ﴿ **وإليه ترجعون** ﴾ ، أي : جميعكم يوم القيامة فيجازي كل عامل بعمله ، من خير وشر ، ولا يخفىٰ عليه منهم خافية في سائر الأعمال .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ. [٢] - في خ : « الملك » .

[٣] - في ت : « ما تكنه » .

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾

يقول تعالىٰ ممتنًّا علىٰ عبادِهِ بما سخر لهم من الليل والنهار، اللذين لا قَوَام لهم بدونهما، وبين أنه لو جعل الليل دائمًا عليهم سرمدًا إلىٰ يوم القيامة، لأضرّ ذلك بهم، ولسئمته[١] النفوس وانحصرت منه؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿ **مَنْ إله غير اللّه يأتيكم بضياء** ﴾، أي: تبصرون به وتستأنسون بسببه، ﴿ **أفلا تسمعون** ﴾ ؟.

ثم أخبر أنه لو جعل النهار سرمدًا [دائمًا مستمرًا][٢] إلىٰ يوم القيامة لأضر ذلك بهم، ولتعبت الأبدان وكلّت من كثرة الحركات والأشغال؛ ولهذا قال: ﴿ **مَنْ إله غير اللّه يأتيكم بليل تسكنون فيه** ﴾ أي: تستريحون من حركاتكم وأشغالكم، ﴿ **أفلا تبصرون ومن رحمته** ﴾، أي: بكم ﴿ **جعل لكم الليل والنهار** ﴾، أي: خلق هذا وهذا، ﴿ **لتسكنوا فيه** ﴾ أي: في الليل، ﴿ **ولتبتغوا من فضله** ﴾، أي: في النهار بالأسفار والترحال، والحركات والأشغال، وهذا من باب اللف والنشر.

وقوله: ﴿ **ولعلكم تشكرون** ﴾، أي: تشكرون اللّه بأنواع العبادات في الليل والنهار، ومن فاته شيء بالليل[٣] استدركه بالنهار، أو بالنهار استدركه بالليل، كما قال تعالىٰ: ﴿ **وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا** ﴾ والآيات في هذا[٤] كثيرة.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾

[١] - في خ، ز: « ولساء منه ».
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: م.
[٣] - في ز، خ: « من الليل ».
[٤] - في ت: « ذلك ».

وهذا أيضًا نداء علىٰ سبيل التقريع والتوبيخ لمن عبد مع اللَّه إلهًا آخر يناديهم الرب - تبارك وتعالىٰ - علىٰ رءوس الأشهاد فيقول : ﴿ **أين شركائي الذين كنتم تزعمون** ﴾ . أي : في الدار الدنيا .

﴿ **ونزعنا من كل أمة شهيدًا** ﴾ قال مجاهد : يعني رسولًا ﴿ **فقلنا هاتوا برهانكم** ﴾ أي : علىٰ صحة ما ادعيتموه من أن للَّه شركاء ، ﴿ **فعلموا أن الحق لله** ﴾ أي : لا إله غيره ، أي : فلم ينطقوا ولم[١] يحيروا جوابًا ، ﴿ **وضل عنهم ما كانوا يفترون** ﴾ . أي : ذهبوا فلم ينفعوهم[٢] .

۞ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

قال الأعمش : عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ؛ قال : ﴿ **إن قارون كان من قوم موسىٰ** ﴾ ، [ ][٣]: كان ابن عمه . وهكذا قال إبراهيم النخعي ، وعبد اللَّه ابن الحارث بن نوفل ، وسماك بن حرب ، وقتادة ومالك بن دينار ، وابن جريج ، وغيرهم : إنه كان ابن عم[٤] موسىٰ عليه السلام .

قال ابن جريج : هو قارون بن [يصهر بن قاهث][٥] ، وموسىٰ بن عمران بن قاهث .

وزعم محمد بن إسحاق بن يسار : أن قارون كان عم موسى عليه السلام .

قال ابن جرير : وأكثر أهل العلم علىٰ أنه كان ابن عمه ، واللَّه أعلم .

وقال قتادة بن دعامة : كنا نُحدّث أنه كان ابن عم موسىٰ ، وكان يسمىٰ المنوّر لحسن صوته بالتوراة ، ولكن عدو اللَّه نافق كما نافق السامري ، فأهلكه البغي لكثرة ماله .

---

[١] - في ز ، خ : « ولا » . [٢] - في ز ، خ : « ينفعهم » .
[٣] - ما بين المعكوفين في ت : « قال » . [٤] - في ز : « عمه » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « يعمر بن فاهث » ، و في ز : « يعهر بن قاهث » .

وقال شهر بن حوشب : زاد في ثيابه شبرًا طولًا ترفعًا على قومه .

وقوله : ﴿ **وآتيناه من الكنوز** ﴾ ، أي : الأموال ﴿ **ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة** ﴾ ، أي : لَيثقُل حملُها الفئام من الناس لكثرتها[١] .

قال الأعمش : عن خيثمة : كانت مفاتيح كنوز قارون من جلود ، كل مفتاح مثل الإصبع ، كل مفتاح على خزانة على حدته ، فإذا ركب حملت على ستين بغلًا[٢] أغر محجلًا[٣] ، وقيل غير ذلك ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين** ﴾ أي : وعظه فيما هو فيه صالحو[٤] قومه ، فقالوا على سبيل النصح والإرشاد : لا تفرح بما أنت فيه ، يعنون لا تبطر بما أنت فيه من الأموال ﴿ **إن الله لا يحب الفرحين** ﴾ .

قال ابن عباس : يعني المرحين ، وقال مجاهد يعني[٥] : الأشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم .

وقوله : ﴿ **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا** ﴾ ، أي : استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة في طاعة ربك والتقرب إليه بأنواع القربات ، التي يحصل لك بها[٦] الثواب في الدار الآخرة ، ﴿ **ولا تنس نصيبك من الدنيا** ﴾ ، أي : مما[٧] أباح الله فيها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح ، فإن لربك عليك حقًّا ولنفسك عليك حقًّا ، ولأهلك عليك حقًّا ، ولزَوْرك [عليك حقًّا][٨] فآت كل ذي حق حقه .

﴿ **وأحسن كما أحسن الله إليك** ﴾ ، أي : أحسن إلى خلقه كما أحسن هو إليك ، ﴿ **ولا تبغ الفساد في الأرض** ﴾ ، أي : لاتكن همتك بما أنت فيه أن تفسد به في[٩] الأرض ، وتسيء إلى خلق الله ﴿ **إن الله لا يحب المفسدين** ﴾ .

قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةً وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ

---

[١] - في ت : « لكثرتهم » .
[٢] - في ز : « بغل » .
[٣] - في ز ، خ : « محجل » .
[٤] - في ت : « صالح » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز ، خ : « ما » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٩] - سقط من : خ ، ز .

الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن جواب قارون لقومه ، حين نصحوه وأرشدوه إلىٰ الخير ، ﴿ **قال إنما أوتيته علىٰ علم عندي** ﴾ أي : أنا لا أفتقر إلىٰ ما تقولون ، فإن اللّٰه تعالىٰ إنما أعطاني هذا المال لعلمه بأني أستحقه ، ولمحبته لي ، فتقديره[١] : إنما أعطيته لعلم اللّٰه فيّ أنّي أهل له ، [وهذا][٢] كقوله تعالىٰ : ﴿ **فإذا مس الإنسان ضر دعانا ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته علىٰ علم** ﴾ ، [أي : علىٰ علم من اللّٰه بي][٣] ، وكقوله تعالىٰ : ﴿ **ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي** ﴾ أي : هذا أستحقه .

وقد رُوي عن بعضهم أنه أراد : ﴿ **إنما أوتيته علىٰ علم عندي** ﴾ ، أي : إنه كان يعاني علم الكيمياء . وهذا القول ضعيف ، لأن علم الكيمياء في نفسه علم باطل ، لأن قلب الأعيان لا يقدر أحد عليها إلا اللّٰه عز وجل ، قال اللّٰه : ﴿ **يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون اللّٰه لن يخلقوا ذبابًا ولو اجتمعوا له** ﴾ .

وفي الصحيح عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أنه قال : « **يقول اللّٰه تعالىٰ ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي ، فليخلقوا ذرة ، فليخلقوا شعيرة** » (٣٥) . وهذا ورد في المصورين[٤] الذين يشبهون بخلق اللّٰه في مجرد الصورة الظاهرة أو الشكل ، فكيف بمن يدعي أنه يحيل ماهية هذه الذات إلىٰ ماهية ذات أخرىٰ ، هذا زور ومحال ، وجهل وضلال . وإنما يقدرون علىٰ الصبغ في الصورة الظاهرة ، وهو كذب وزغل وتمويه ، وترويج أنه صحيح في نفس الأمر ، وليس كذلك قطعًا لا محالة ، ولم يثبت بطريق شرعي أنه صح مع أحد من الناس من هذه الطريقة التي يتعاناها هؤلاء الجهلة الفسقة الأفاكون ، فأما ما يجريه اللّٰه - تعالىٰ - من خَرْق العوائد علىٰ يدي بعض الأولياء من قلب بعض الأعيان ذهبًا أو فضة أو نحو ذلك ، فهذا أمر لا ينكره مسلم ، ولا يرده مؤمن ، ولكن هذا ليس من قبيل الصناعات ، وإنما هذا عن مشيئة رب الأرض والسماوات ، واختياره وفعله ، كما روي عن حَيوة بن شُريح المصري - رحمه اللّٰه - أنه سأله سائل ، فلم يكن عنده ما يعطيه ورأىٰ ضرورته ، فأخذ حصاة من الأرض فأجالها في كفه ، ثم ألقاها إلىٰ ذلك السائل فإذا هي ذهب أحمر . والأحاديث والآثار كثيرة جدًّا يطول ذكرها .

وقال بعضهم :إن قارون كان يعلم الاسم الأعظم ، فدعا الله به[٥] فتموّل بسببه . والصحيح

---

(٣٥) صحيح البخاري برقم (٥٩٥٣) ، وصحيح مسلم برقم (٢١١١) .

---

[١] - في ز ، خ : « فتقدير » .
[٢] - في ت : « هذا » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٤] - في خ ، ز : « المتصورين » .
[٥] - سقط من : خ ، ز .

المعنىٰ الأول ؛ ولهذا قال اللَّه - تعالىٰ - رادًّا عليه فيما ادعاه من اعتناء اللَّه به فيما أعطاه من المال : ﴿ **أولم يعلم أن اللَّه قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعًا** ﴾ ، أي : قد كان من هو أكثر منه مالًا وما كان ذلك عن محبة منا له ، وقد أهلكهم اللَّه مع ذلك بكفرهم وعدم شكرهم ؛ ولهذا قال : ﴿ **ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون** ﴾ ، أي : لكثرة ذنوبهم .

قال قتادة : ﴿**علىٰ علم عندي**﴾ على خيرٍ عندي : وقال السديُّ : على علم أني أهل لذلك .

وقد أجاد في تفسير هذه الآية الإمام عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، فإنه قال في قوله : ﴿ **قال إنما أوتيته علىٰ علم عندي** ﴾ قال : لولا رضا اللَّه عني ، ومعرفته بفضلي ، ما أعطاني هذا المال ، وقرأ : ﴿ **أولم يعلم أن اللَّه قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعًا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون** ﴾ .

فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن قارون : إنه خرج ذات يوم علىٰ قومه في زينة عظيمة ، وتجمل باهر ، من مراكب وملابس عليه وعلىٰ خدمه وحشمه ، فلما رآه من يريد الحياة الدنيا ويميل إلىٰ زخرفها وزينتها ، تمنوا أن لو كان لهم مثل الذي أعطي ، ﴿ **قالوا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم** ﴾ ، أي : ذو حظ وافر من الدنيا . فلما سمع مقالتهم أهل العلم النافع قالوا لهم : ﴿ **ويلكم ثواب اللَّه خير لمن آمن وعمل صالحًا** ﴾ ، أي : جزاء اللَّه لعباده المؤمنين الصالحين في الدار الآخرة خير مما ترون .

[كما في الحديث الصحيح : « **يقول اللَّه تعالىٰ : أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر علىٰ قلب بشر . واقرءوا إن شئتم : ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾** »][1](36) .

---

(٣٦) صحيح مسلم برقم (٢٨٢٤) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

وقوله : ﴿ ولا[١] يلقاها إلا الصابرون ﴾ ، قال السدي : وما يلقىٰ الجنة إلا الصابرون . كأنه جعل ذلك من تمام كلام الذين أوتوا العلم ، قال ابن جرير : وما يلقىٰ هذه الكلمة إلا الصابرون عن محبة الدنيا ، الراغبون[٢] في الدار الآخرة . وكأنه جعل ذلك مقطوعًا[٣] من كلام أولئك ، وجعله من كلام الله - عز وجل - وإخباره[٤] بذلك .

فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾

لما ذكر - تعالىٰ - اختيال قارون في زينته ، وفخره علىٰ قومه ، وبغيه عليهم - عقب ذلك بأنه خسف به وبداره الأرض ، كما ثبت في الصحيح - عند البخاري من حديث الزهري ، عن سالم ، أن أباه حدثه ، أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **بينا رجل يجر إزاره إذ خُسف به ، فهو يتجلجل في الأرض إلىٰ يوم القيامة** » .

ثم رواه من حديث جرير بن زيد ، عن سالم ، عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، نحوه (٣٧) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا النضر بن إسماعيل أبو المغيرة القاصّ ، حدثنا الأعمش ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **بينا رجل فيمن كان قبلكم ، خرج في بردين أخضرين يختال فيهما ، أمر الله الأرض فأخذته ، فإنه ليتجلجل فيها إلىٰ يوم القيامة** » . تفرد به أحمد وإسناده حسن (٣٨) .

وقال الحافظ أبو يعلىٰ الموصلي : حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا [مُعَلَّىٰ][٥] بن منصور ، أخبرني محمد بن مسلم ، سمعت زيادًا النميري يحدث عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال :

(٣٧) صحيح البخاري برقم (٥٧٩٠) .
(٣٨) المسند (٣/٤٠) .

[١] - في ز ، خ : « ما » . [٢] - في ز ، خ : « الراغبين » .
[٣] - في ز ، خ : « معطوفًا » . [٤] - في ز ، خ : « اختاره » .
[٥] - في خ ، ز : « أبو معلى » . وفي ت : « أبو يعلى » . والأولى تحريف . والثانية كنية معلى . وقد أثبتنا الموجود في مسند أبي يعلى .

قال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **بينا رجل فيمن كان قبلكم خرج في بردين فاختال فيهما ، فأمر اللّٰه الأرض فأخذته ، فهو يتجلجل فيها إلىٰ يوم القيامة** »(٣٩) .

وقد ذكر محمد بن المنذر -شَكَّر- في كتاب « **العجائب الغريبة**[١] » بسنده عن نوفل بن مساحق قال : رأيت شابًا في مسجد نجران ، فجعلت أنظر إليه وأتعجب من طوله وتمامه وجماله ، فقال : ما لك تنظر إليّ ؟ فقلت : أعجب من جمالك وكمالك . فقال : إن اللّٰه ليعجب مني . قال : فما زال ينقص وينقص حتىٰ صار بطول الشبر فأخذه بعض قرابته في كمه وذهب .

وقد ذُكر أن هلاك قارون كان عن دعوة نبي اللّٰه موسىٰ -عليه السلام- واختلف في سببه : فعن ابن عباس والسدي : أن قارون أعطىٰ امرأة بغيًا مالًا علىٰ أن تبهت موسىٰ بحضرة الملإ من بني إسرائيل ، وهو قائم فيهم يتلو عليهم كتاب اللّٰه ، فتقول : يا موسىٰ ، إنك فعلت بي كذا وكذا ، فلما قالت في الملإ ذلك لموسىٰ - عليه السلام - أرْعَدَ من الفرَق ، وأقبل عليها ، وصلىٰ ركعتين ثم قال : أنشدك باللّٰه الذي فرق البحر ، وأنجاكم من فرعون ، وفعل كذا وكذا ، لما أخبرتني بالذي حملكِ علىٰ ما قلتِ ؟ فقالت : أما إذ نَشَدتني فإنّ قارون أعطاني كذا وكذا ، علىٰ أن أقول لك ، وأنا أستغفر اللّٰه وأتوب إليه . فعند ذلك خرّ موسىٰ لله - عز وجل - ساجدًا ، وسأل اللّٰه في قارون . فأوحىٰ اللّٰه إليه أني قد أمرت الأرض أن تطيعك فيه فأمر موسىٰ الأرض أن تبتلعه وداره فكان ذلك .

وقيل : إن قارون لما خرج علىٰ قومه في زينته تلك ، وهو راكب علىٰ البغال الشّهب ، وعليه وعلىٰ خدمه الثياب الأرجوان الصّبغة[٢] ، فمر في جَحفَله ذلك علىٰ مجلس نبي اللّٰه موسىٰ - عليه السلام - وهو يذكرهم بأيام اللّٰه ، فلما رأىٰ الناس قارون انصرفت وجوه الناس حوله ، ينظرون إلىٰ ما هو فيه ، فدعاه موسىٰ - عليه السلام - وقال : ما حملك علىٰ ما صنعت ؟ فقال : يا موسىٰ ، أما لئن كنت فُضِّلت عليّ بالنبوة ، فلقد فضلت عليك بالدنيا ، ولئن شئت لنخرجن ، فلتدعونّ عليّ وأدعو عليك . فخرج وخرج قارون في قومه فقال موسىٰ : تدعو أو أدعو أنا ؟ قال : بل أنا أدعو . فدعا قارون فلم يجب له ، ثم قال موسىٰ : أدعو ؟ قال : نعم . فقال موسىٰ : اللهم ، مر الأرض أن تطيعني اليوم . فأوحىٰ اللّٰه إليه أني قد فعلت ، فقال موسىٰ : يا أرض ، خذيهم . فأخذتهم إلىٰ أقدامهم . ثم قال : خذيهم . فأخذتهم إلىٰ ركبهم ، ثم إلىٰ مناكبهم . ثم قال : أقبلي بكنوزهم وأموالهم . قال : فأقبلت بها حتىٰ نظروا إليها . ثم أشار موسىٰ بيده فقال : اذهبوا بني لاوي فاستوت بهم الأرض .

(٣٩) مسند أبي يعلى (٢٧٩/٧) ، وقال الهيثمي في المجمع (١٢٦/٥) : « فيه زياد بن عبد الله النميري وهو ضعيف ، وقد وثقه ابن حبان وقال : يخطىء » .

[١] - في ز : « العربية » . [٢] - في خ : « الصنعة » .

وعن ابن عباس أنه قال: خُسِفَ بهم إلى الأرض السابعة. وقال قتادة: ذكر لنا أنه يخسف بهم كل يوم قامة. فهم[١] يتجلجلون فيها إلىٰ يوم القيامة وقد ذُكر هاهنا إسرائيليات أضربنا عنها صفحًا.

وقوله: ﴿ **فما كان له من فئة ينصرونه من دون اللّٰه وما كان من المنتصرين** ﴾، أي: ما أغنىٰ عنه ماله وما جَمَعه، ولا خدمه وحشمه. ولا دفعوا عنه نقمة اللّٰه وعذابه ونكاله [به][٢]، [ولا كان هو في نفسه منتصرًا لنفسه، فلا ناصر له من نفسه ولا من غيره.

وقوله تعالىٰ: ﴿ **وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس** ﴾، أي: الذين لما رأوه في زينته ﴿ **قالوا ياليت لنا مثل ما أوتي قارون. إنه لذو حظ عظيم** ﴾، فلما خسف][٣] به أصبحوا يقولون: ﴿ **ويكأنّ اللّٰه يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر** ﴾ أي: ليس المال بدالّ علىٰ رضا اللّٰه عن صاحبه؛ فإن اللّٰه يعطي ويمنع، ويضيق ويوسع، [ويخفض ويرفع][٤]، وله الحكمة التامة والحجة البالغة. وهذا كما في الحديث المرفوع عن ابن مسعود: « **إنّ اللّٰه قسم بينكم أخلاقكم، كما قسم أرزاقكم، وإن اللّٰه يعطي المال من يحب، ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب** »(٤٠).

﴿ **لولا أن منَّ اللّٰه علينا لخسف بنا** ﴾، أي: لولا لُطف اللّٰه بنا وإحسانه إلينا لخسف بنا كما خسف به، لأنّا وَددْنا أنّا[٥] نكون مثله.

﴿ **ويكأنه لا يفلح الكافرون** ﴾، يعنون أنه كان كافرًا، ولا يفلح الكافرون عند اللّٰه، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

وقد اختلف النحاة في معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ **ويكأنّ** ﴾ فقال بعضهم: معناها: « **ويلك**[٦] **اعلم أن** » ولكن خُفّفت فقيل: « **ويك** » ودل فتح « **أن** » علىٰ حذف « **اعلم** ». وهذا القول ضَعفه ابن جرير (٤١)، والظاهر أنّه قوي، ولا يشكل علىٰ ذلك إلا كتابتها في المصاحف متصلة « **ويكأن** ». والكتابة أمر وضعي[٧] اصطلاحي، والمرجع إلىٰ اللفظ العربي، والله أعلم.

---

(٤٠) المسند (١/٣٨٧).

(٤١) تفسير الطبري (٢٠/٧٧).

---

[١] - سقط من: خ، ز.

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ت.

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

[٥] - في ت: « أن ».

[٦] - في ز، خ: « ويك ».

[٧] - في ز، خ: « وضع ».

وقيل : معناها : ويكأن ، أي : ألم تر أن ؛ قاله قتادة . وقيل : معناها : « **وي كأن** » ، ففصلها وجعل حرف « وي[١] » للتعجب أو للتنبيه ، و « **كأن** » : بمعنىٰ : أظنّ وأحسب . قال ابن جرير : وأقوىٰ الأقوال في هذا قول قتادة : إنها بمعنىٰ : « **ألم تر أن** » ، واستشهد بقول الشاعر

سَـأَلَـتَـانـي الـطَّـلاق أنْ رَأَتَـانـي قَلّ مالي ، قَدْ[٢] جِئْتُمَاني بنُكر[٣]
وَيْكَأنْ مَنْ يَكُن له نَشَب يُحْـ ـبَبْ ، ومن يَفْتَقِرْ يَعِشْ عَيشَ ضُرّ

﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾

يخبر تعالىٰ أن الدار الآخرة ونعيمها المقيم الذي لا يحول ولا يزول جعلها لعباده المؤمنين المتواضعين ، الذين لا يريدون علوًّا في الأرض ، أي : ترفعًا علىٰ خلق الله وتعاظمًا عليهم وتجبرًا بهم ، ولا فسادًا فيهم . كما قال عكرمة : العلو : التجبر .

وقال سعيد بن جبير : العلو : البغي .

وقال سفيان بن سعيد الثوري : عن منصور ، عن مسلم البطين : العلو في الأرض : التكبر بغير حق . والفساد : أخذ المال بغير حق .

وقال ابن جُريج : **﴿ لا يريدون علوًّا في الأرض ﴾** . تعظمًا وتجبرًا **﴿ ولا فسادًا ﴾** : عملًا[٤] بالمعاصي .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا أبي ، عن أشعث[٥] السمان عن أبي سلام الأعرج ، عن عليٍّ ، قال : إنّ الرجل ليعجبه من شراك نعله أن يكون أجود من شراك صاحبه ، فيدخل في قوله : **﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوًّا في الأرض ولا فسادًا والعاقبة للمتقين ﴾** .

وهذا محمول علىٰ ما إذا أراد الفخر علىٰ غيره ، [فإنّ ذلك مذموم كما ثبت في الصحيح ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **أنه أوحي إليّ أن تَوَاضعُوا ، حتىٰ لا يفخر أحد علىٰ**

[١] - في ز ، خ : « أي » .
[٢] - في خ ، ز : « أن » .
[٣] - في ز ، خ : « بيكر » .
[٤] - في ز ، خ : « عمل » .
[٥] - في ز ، خ : « أشعب » .

أحد ، ولا يبغي أحد على أحد »(٤٢)][١] ، وأما إذا أحب ذلك لمجرد التجمل فهذا لا بأس به ، فقد ثبت أن رجلًا ، قال : يا رسول الله ، إني أحب أن يكون ردائي حسنًا ونعلي [حسنة][٢] أفمن الكبر ذلك ؟ فقال : « **لا ، إن الله جميل يحب الجمال** » .

وقوله : ﴿ **من جاء بالحسنة** ﴾ ، أي : يوم القيامة ﴿ **فله خير منها** ﴾ ، أي : ثواب الله خير من حَسَنَة العبد ، فكيف والله يضاعفه أضعافًا كثيرة ! فهذا مقام الفضل .

ثم قال : ﴿ **ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون** ﴾ ، كما قال في الآية الأخرى : ﴿ **ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون** ﴾ وهذا مقام الفصل العدل .

إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

يقول تعالى آمرًا رسوله - صلوات الله وسلامه عليه - ببلاغ الرسالة وتلاوة القرآن على الناس ، ومخبرًا له بأنه سيرده إلى معاد وهو يوم القيامة ، فيسأله عما استرعاه من أعباء النبوة ، ولهذا قال : ﴿ **إن الذي فرض عليك القرآن لرادّك إلى معاد** ﴾ أي : افترض عليك أداءه إلى الناس ﴿ **لرادك إلى معاد** ﴾ ، أي : إلى يوم القيامة فيسألك عن ذلك ، كما قال تعالى : ﴿ **فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين** ﴾ وقال : ﴿ **يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم** ﴾ ، وقال : ﴿ **وجيء بالنبيين والشهداء** ﴾ .

وقال السدي : عن أبي صالح ، عن ابن عباس : ﴿ **إن الذي فرض عليك القرآن لرادّك إلى معاد** ﴾ يقول : لرادك إلى الجنة ، ثم سائلك عن القرآن . قال السدي : وقال أبو سعيد مثلها .

(٤٢) صحيح مسلم برقم (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار رضي الله عنه .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٢] - في ت : « حسنًا » .

وقال الحكم بن أبان : عن عكرمة ، عن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - : ﴿ **لرادك إلىٰ معاد** ﴾ قال : إلىٰ يوم القيامة . ورواه مالك ، عن الزهري .

وقال الثورى عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : ﴿**لرادك إلى معاد**﴾ : إلى الموت ، ولهذا طرق عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وفي بعضها : لرادك إلى معدنك من الجنة .

وقال مجاهد : يحييك يوم القيامة . وكذا روي عن عكرمة ، وعطاء ، وسعيد بن جبير ، وأبي قَزَعَة ، وأبي مالك ، وأبي صالح . وقال الحسن البصري : إي واللَّه ، إن له لمعادًا يبعثه[١] اللَّه يوم القيامة ثم يدخله الجنة .

وقد روي عن ابن عباس غير ذلك ، كما قال البخاري في التفسير من صحيحه :

حدثنا محمد بن مقاتل ، أنبأنا[٢] يعلىٰ ، حدثنا سفيان العُصفُري ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ **لرادك إلىٰ معاد** ﴾ ، قال : إلىٰ مكة .

وهكذا رواه النسائي(٤٣) في تفسير سننه ، وابن جرير من حديث يعلىٰ - وهو ابن عبيد الطنافسي - به . وهكذا روىٰ العَوفي ، عن ابن عباس : ﴿ **لرادك إلىٰ معاد** ﴾ ، أي : لرادك إلىٰ مكة كما أخرجك منها . وقال محمد بن إسحاق عن مجاهد في قوله : ﴿**لرادك إلى معاد**﴾ : إلى مولدك بمكة .

قال ابن أبي حاتم : وقد روي عن ابن عباس ، ويحيىٰ بن الجزار ، وسعيد بن جبير ، وعطية ، والضحاك ، نحو ذلك .

[وحدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي عمر ، قال : قال سفيان : وسمعناه من مقاتل منذ سبعين سنة عن الضحاك][٣] ، قال : لما خرج النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم من مكة فبلغ الجُحفة اشتاق إلىٰ مكة فأنزل اللَّه عليه : ﴿ **إنّ الذي فرض عليك القرآن لرادك إلىٰ معاد** ﴾ إلىٰ مكة .

وهذا من كلام الضحاك يقتضي أن هذه الآية مدنية وإن كان مجموع السورة مكيًا ، والله أعلم .

وقد قال عبد الرزاق : حدثنا معمر ، عن قتادة ، في قوله : ﴿ **لرادك إلىٰ معاد** ﴾ ، قال : هذه مما كان [ابن عباس][٤] يكتمها ، وقد روىٰ ابن أبي حاتم بسنده عن نعيم القارئ[٥] أنه

---

(٤٣) النسائي في السنن الكبرى برقم (١١٣٨٦) ، وتفسير الطبري (٢٠/٨٠) .

---

[١] - في ز ، خ : « ابتعثه » .
[٢] - في ز ، خ : « أبا » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٥] - في ز ، خ : « القاهري » .

قال في قوله : ﴿ لرادك إلىٰ معاد ﴾ قال : إلىٰ بيت المقدس .

وهذا - والله أعلم - يرجع إلىٰ قول من فسر ذلك بيوم القيامة ؛ لأن بيت المقدس هو أرض المحشر والمنشر ، والله الموفق للصواب .

ووجه الجمع بين هذه الأقوال أن ابن عباس فسر ذلك تارة برجوعه إلىٰ مكة ، وهو الفتح الذي هو[١] عند ابن عباس أمارة علىٰ اقتراب أجله - صلىٰ الله عليه وسلم - كما فسره ابن عباس بسورة : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجًا * فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا** ﴾ : أنه أجَلُ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم نُعي إليه ، وكان ذلك بحضرة عمر بن الخطاب ووافقه عمر علىٰ ذلك ، وقال : لا أعلم منها غير الذي تعلم . ولهذا فسر ابن عباس تارة أخرىٰ قوله : ﴿ **لرادك إلىٰ معاد** ﴾ بالموت ، وتارة بيوم القيامة الذي هو بعد الموت ، وتارة بالجنة التي هي جزاؤه ومصيره علىٰ أداء رسالة الله ، وإبلاغها إلىٰ الثقلين الجن والإنس ، ولأنه أكمل خلق الله ، وأفصح خلق الله ، وأشرف خلق الله علىٰ الإطلاق .

وقوله : ﴿ **قل ربي أعلم من جاء بالهدىٰ ومن هو في ضلال مبين** ﴾ أي : قل لمن خالفك وكذبك[٢] يا محمد من قومك من المشركين ومن تبعهم علىٰ كفرهم - قل : ربي أعلم بالمهتدي منكم ومني ، وستعلمون لمن تكون عاقبة الدار ، ولمن تكون العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة .

ثم قال تعالىٰ مذكرًا لنبيه نعمته العظيمة عليه وعلىٰ العباد إذ أرسله إليهم : ﴿ **وما كنت ترجو أن يلقىٰ إليك الكتاب** ﴾ أي : ما كنت تظن قبل إنزال الوحي إليك أن الوحي ينزل عليك ، ﴿ **ولكن رحمة من ربك** ﴾ ، أي : إنما نزل عليك الوحي من الله من رحمته بك وبالعباد بسببك ، فإذ[٣] منحك هذه النعمة العظيمة ﴿ **فلا تكونن ظهيرًا** ﴾ ، أي : معينًا ﴿ **للكافرين** ﴾ ، ولكن فارقهم ونابذهم وخالفهم .

﴿ **ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك** ﴾ أي : لا تتأثر لمخالفتهم لك وصدهم الناس عن طريقك ، و[٤]لا تلوي علىٰ ذلك ولا تباله ؛ فإن الله معلٍ[٥] كلمتك ، ومؤيد[٦] دينك ، ومظهر ما أرسلت به علىٰ سائر الأديان ، ولهذا قال : ﴿ **وادع إلىٰ ربك** ﴾ ، أي : إلىٰ عبادة ربك وحده لا شريك له ، ﴿ **ولا تكونن من المشركين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ولا تدعُ مع الله إلهًا آخر لا إله إلّا هو** ﴾ أي : لا تليق العبادة إلا له ، ولا تنبغي

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز ، خ : « كذلك » .
[٣] - في ت : « فإذا » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : « معك » .
[٦] - في ز ، خ : « مؤيدك » .

الإلهية إلا لعظمته .

وقوله : ﴿ **كل شيء هالك إلا وجهه** ﴾ إخبار بأنه الدائم الباقي الحي القيوم الذي تموت الخلائق ولا يموت ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **كل من عليها فان * ويبقىٰ وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾ فعبر بالوجه عن الذات ، وهكذا قوله هاهنا : ﴿ **كل شيء هالك إلا وجهه** ﴾ أي : إلا إياه وقد ثبت في الصحيح ، من طريق أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أصدق كلمة قالها الشاعر[١] كلمة لبيد** :

ألا كُــلُّ شــيءٍ مــا خــلا اللّهُ باطــلُ(٤٤)

قال مجاهد والثوري في قوله : ﴿ **كل شيء هالك إلا وجهه** ﴾ أي : إلا ما أريد به وجهه وحكاه البخاري في صحيحه كالمقرِّر له .

قال ابن جرير : ويستشهد من قال ذلك بقول الشاعر .

أستغفرُ اللّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيَهُ   رَبّ العبَاد ، إلَيه الوَجْهُ والعَمَلُ

وهذا القول لا ينافي القول الأول ، فإن هذا إخبار عن كل الأعمال بأنها باطلة إلا ما أريد بها وجه اللّه - عز وجل - من الأعمال الصالحة المطابقة للشريعة . والقول الأول مقتضاه أن كل الذوات فانية وهالكة وزائلة إلا ذاته - تعالىٰ - فإنه الأول و[٢]الآخر الذي هو قبل كل شيء وبعد كل شيء .

قال أبو بكر عبد اللّه بن محمد بن أبي الدنيا في كتاب « **التفكر والاعتبار** » : حدثنا أحمد ابن محمد بن أبي بكر ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا عمرو بن سليم الباهلي ، حدثنا أبو الوليد ، قال : كان ابن عمر إذا أراد أن يتعاهد قلبه ، يأتي الخربة فيقف علىٰ بابها ، فينادي بصوت حزين فيقول : أين أهلُكِ ؟ ثم يرجع إلىٰ نفسه فيقول : ﴿ **كل شيء هالك إلا وجهه** ﴾ .

وقوله : ﴿ **له الحكم** ﴾ ، أي : الملك والتصرف ولا معقب لحكمه ﴿ **وإليه ترجعون** ﴾ . أي : يوم معادكم فيجزيكم بأعمالكم إنْ خيرًا فخير ، وإنْ شرًا فشر .

☆ ☆ ☆

(٤٤) صحيح البخاري برقم (٣٨٤١) ، وصحيح مسلم برقم (٢٢٥٦) .

[١] - في ز : « شاعر » .   [٢] - سقط من : ز .

تفسير سورة العنكبوت

وهي مكية

الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٤﴾

أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم في أول «**سورة البقرة**».

وقوله: ﴿ **أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون** ﴾ استفهام إنكار ومعناه أن الله - سبحانه وتعالىٰ - لابد أن يبتلي عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الإيمان كما جاء في الحديث الصحيح(١): «**أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل، يبتلىٰ الرجل علىٰ حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في البلاء**». وهذه الآية كقوله: ﴿ **أم حسبتم أن تُتركوا ولمَّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين** ﴾ ومثلها في «سورة براءة». وقال في البقرة: ﴿ **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتىٰ يقول الرسول والذين آمنوا معه متىٰ نصر الله ألا إن نصر الله قريب** ﴾؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿ **ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين** ﴾، أي: الذين صدقوا في دعواهم الإيمان ممن[١] هو كاذب في قوله ودعواه. والله - سبحانه وتعالىٰ - يعلم ما كان وما يكون [وما لم][٢] يكن لو كان كيف كان يكون. وهذا مجمع عليه عند أئمة السنة والجماعة ولهذا يقول ابن عباس وغيره في مثل: ﴿ **إلا لنعلم[٣]** ﴾ إلا لنرىٰ؛ وذلك أن الرؤية إنما تتعلق بالموجود، والعلم أعم من الرؤية، فإنه يتعلق بالمعدوم والموجود.

---

(١) المسند (١٧٢/١)، والترمذي حديث (٢٣٩٨) من طريق مصعب، عن أبيه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

---

[١] - في خ، ز: «فيمن».
[٢] - في خ، ز: «ولو لم».
[٣] - في ز: «ليعلم».

وقوله : ﴿ **أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون** ﴾ ، أي : لا يحسبن الذين لم يدخلوا في الإيمان أنهم يتخلصون من هذه الفتنة والامتحان ، فإن من ورائهم من العقوبة والنكال ما هو أغلظ من هذا وأطَمّ ، ولهذا قال : ﴿ **أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا** ﴾ أي : يفوتونا ﴿ **ساء ما يحكمون** ﴾ أي : بئس ما يظنون !

مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **من كان يرجو لقاء الله** ﴾ أي : في الدار الآخرة ، وعمل الصالحات رجاء ما عند الله من الثواب الجزيل ، فإن الله سيحقق له رجاءه ، ويوفيه عمله كاملا موفورًا ، فإن ذلك كائن لا محالة لأنه سميع الدعاء ، بصير بكل الكائنات ؛ ولهذا قال : ﴿ **من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه** ﴾ كقوله : ﴿ **من عمل صالحًا فلنفسه** ﴾ : أي : من عمل صالحًا فإنما يعود نفع عمله علىٰ نفسه . فإن الله غني عن أفعال العباد ولو كانوا كلهم علىٰ أتقىٰ قلب رجل منهم ، ما زاد ذلك في ملكه شيئًا ؛ ولهذا قال :﴿ **ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين** ﴾ .

قال الحسن البصري : إن الرجل ليجاهد وما ضرب يومًا من الدهر بسيف .

ثم أخبر أنه مع غناه عن الخلائق جميعهم من [إحسانه وبره] بهم يجازي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أحسن الجزاء ، وهو أنه يكفر عنهم أسوأ الذي عملوا ، ويجزيهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ، فيقبل القليل من الحسنات ، ويثيب عليها الواحدة بعشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف ، ويجزي علىٰ السيئة بمثلها أو يعفو ويصفح ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **إن الله لا يظلم مثقال ذرة ، وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرًا عظيمًا** ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون** ﴾ .

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾

يقول تعالىٰ آمرًا عباده بالإحسان إلىٰ الوالدين بعد الحث علىٰ التمسك بتوحيده ، فإن الوالدين هما سببُ وجود الإنسان ، ولهما عليه[١] غاية الإحسان ، [فالوالد][٢] بالإنفاق والوالدة بالإشفاق ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وقضىٰ ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانًا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولًا كريمًا واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل : رب ارحمهما كما ربياني صغيرًا** ﴾ ومع هذه الوصية بالرأفة والرحمة والإحسان إليهما ، في مقابلة إحسانهما المتقدم ، قال : ﴿ **وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما** ﴾ ، أي : وإن حَرَصَا عليك أن تتابعهما في دينهما إذا كانا مشركين ، فإياك وإياهما ، لا تطعهما في ذلك ، فإن مرجعكم إليَّ يوم القيامة فأجزيك بإحسانك إليهما وصبرك علىٰ دينك ، وأحشرك مع الصالحين لا في زمرة والديك وإن كنت أقرب الناس إليهما في الدنيا فإن المرء إنما يحشر يوم القيامة مع من أحب ، أي : حبا دينيًا ؛ ولهذا قال : ﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين** ﴾ .

وقال الترمذي(٢) عند تفسيره هذه الآية : حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنىٰ ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة عن سماك بن حرب [قال][٣] : سمعت مُصعب بن سعد يحدث عن أبيه سعد ، قال : نزلت فيَّ أربع آيات . فذكر قصة وقالت أم سعد : أليس قد أمرك اللَّه بالبر ؟ واللَّه لا أطعم طعامًا ولا أشرب شرابًا حتىٰ أموت أو تكفر ، قال : فكانوا[٤] إذا أرادوا أن يطعموها شَجَرُوا فاها(*) ؛ فأنزل اللَّه : ﴿ **ووصينا الإنسان بوالديه حسنًا وإن جاهداك** ﴾ الآية .

وهذا الحديث رواه الإمام أحمد ومسلم. وأبو داود والنسائي أيضا ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾

---

(٢) سنن الترمذي حديث (٣٠٧٩) ، والمسند (١/١٨١) ، وصحيح مسلم حديث (١٧٤٨) ، وسنن أبي داود حديث (٢٧٤٠) .

(*) - أي : فتحوا فمها .

---

[١] - في ز ، خ : « إليه » .

[٢] - في خ : « قالوا الوالد » .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - في ز : « وكانوا » .

يقول تعالىٰ مخبرًا عن صفات قوم من المكذبين[١] الذين يدعون الإيمان بألسنتهم، ولم يثبت الإيمان في قلوبهم، بأنهم إذا جاءتهم فتنة ومحنة في الدنيا اعتقدوا أن هذا من نقمة اللّه - تعالىٰ - بهم، فارتدوا عن الإسلام؛ ولهذا قال: ﴿ **ومن الناس من يقول آمنا باللّه فإذا أوذي في اللّه جعل فتنة الناس كعذاب اللّه** ﴾.

قال ابن عباس: يعني فتنته أن يرتد عن دينه إذا أوذي في اللّه. وكذا قال غيره من علماء السلف. وهذه الآية كقوله تعالىٰ: ﴿ **ومن الناس من يعبد اللّه علىٰ حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب علىٰ وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين** ﴾.

ثم قال: ﴿ **ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم** ﴾ أي: ولئن[٢] جاء نصر قريب من ربك - يا محمد - وفتح ومغانم، ليقولن هؤلاء لكم: إنا كنا معكم، أي إخوانكم في الدين، كما قال تعالىٰ: ﴿ **الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من اللّه قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين** ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿ **فعسىٰ اللّه أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا علىٰ ما أسروا في أنفسهم نادمين** ﴾ وقال تعالىٰ مخبرًا عنهم هاهنا: ﴿ **ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم** ﴾ ثم قال تعالىٰ: ﴿ **أو ليس اللّه بأعلم بما في صدور العالمين** ﴾، أي: أو ليس اللّه بأعلم بما في قلوبهم، وما تُكنه ضمائرهم وإن أظهروا لكم الموافقة؟

وقوله: ﴿ **وليعلمن اللّه الذين آمنوا وليعلمن المنافقين** ﴾، أي: وليختبرن اللّه الناس بالضراء والسراء، ليتميز هؤلاء من هؤلاء، ومن يطيع اللّه في الضراء والسراء، ومن إنما يطيعه في حظ نفسه، كما قال تعالىٰ: ﴿ **ولنبلونكم حتىٰ نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم** ﴾، وقال تعالىٰ بعد وقعة أحد التي كان فيها [ما كان][٣]: ﴿ **ما كان اللّه ليذر المؤمنين علىٰ ما أنتم عليه حتىٰ يميز الخبيث من الطيب** ﴾ الآية.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن كفار قريش: إنهم قالوا لمن آمن منهم واتبع الهدىٰ: ارجعوا عن دينكم إلىٰ ديننا واتبعوا سبيلنا، ﴿ **ولنحمل خطاياكم** ﴾، أي: وآثامكم - إن كانت لكم آثام

---

[١] - سقط من: خ، ز.

[٢] - في ت: «لئن».

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من ز، خ.

في ذلك - علينا وفي رقابنا ، كما يقول القائل : « افعل هذا وخطيئتك في رقبتي » . قال اللَّه تكذيبًا لهم : ﴿ **وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون** ﴾ ، أي : فيما قالوه : إنهم يحملون[١] عن أولئك خطاياهم فإنه لا يحمل أحد وزر أحد ﴿ **وإن تدع مثقلة إلىٰ حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربىٰ** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **ولا يسأل حميم حميما يبصرونهم** ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ **وليحملن أثقالهم وأثقالًا مع أثقالهم** ﴾ إخبار عن الدعاة إلىٰ الكفر والضلالة أنهم يوم القيامة يحملون أوزار أنفسهم ، [وأوزارًا أخرىٰ][٢] بسبب من[٣] أضلوا من الناس من غير أن ينقص من أوزار أولئك شيئًا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون** ﴾ .

وفي الصحيح(٣) : « **من دعا إلىٰ هدىٰ ، كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه إلىٰ يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا ، ومن دعا إلىٰ ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه إلىٰ يوم القيامة من غير أن ينقص من آثامهم شيئًا** » .

وفي الصحيح(٤) : « **ما قتلت نفس ظلمًا إلا كان علىٰ ابن آدم الأول كِفْلٌ (*) من دمها ، لأنه أول من سَنّ القتل** » .

وقوله : ﴿ **وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون** ﴾ أي : يكذبون ويختلقون ، من البهتان .

وقد ذكر ابن أبي حاتم هاهنا حديثًا فقال : حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا صدقة ، حدثنا [عثمان أبو حفص بن أبي العاتكة][٤] حدثني سليمان بن حبيب المحاربي ، عن أبي أمامة - رضي اللَّه عنه - قال : إن[٥] رسول اللَّه - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - بلغ ما أرسل به ثم قال : إياكم والظلم فإن اللَّه يعزم يوم القيامة فيقول : وعزتي لا يجوزني اليوم ظلم ! ثم

---

(٣) تقدم تخريج الحديث عند الآية : ٢ من سورة المائدة .

(٤) تقدم تخريج الحديث عند الآية : ٣٠ من سورة المائدة .

(*) - الكفل : الحظ ، والنصيب .

(**) - التِباعة : الحقوق في المال .

---

[١] - في ز : « يحملوا » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز، خ : « أوزار أخر » . [٣] - في ز، خ : « ما » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : [عثمان بن حفص بن أبي العالية] وجاء في تفسير ابن أبي حاتم : عثمان ابن حفص بن أبي العاتكة . وكلاهما تحريف .

[٥] - في خ ، ز : « قال » .

ينادي مناد فيقول : أين فلان بن فلان ؟ فيأتي يتبعه من الحسنات أمثال الجبال . فيشخص(***) الناس إليها أبصارهم حتىٰ يقوم بين يدي اللَّه الرحمن - عز جل - ثم يأمر المنادي فينادي : مَنْ كانت له تِباعة - أو : ظُلامة - عند فلان بن فلان ، فهلمّ . فيقبلون حتىٰ يجتمعوا قيامًا بين يدي الرحمن . فيقول الرحمن : اقضوا عن عبدي . فيقولون : كيف نقضي عنه ؟ فيقول لهم : خذوا لهم من حسناته . فلا[١] يزالون يأخذون منها حتىٰ لا يبقىٰ له حسنة وقد بقى من أصحاب الظلامات . فيقول اقضوا عن عبدي . فيقولون : لم يبق[٢] له حسنة . فيقول : خذوا[٣] من سيئاتهم فاحملوها عليه . ثم نَزَع النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم بهذه الآية الكريمة : ﴿ **وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون** ﴾ .

وهذا الحديث له شاهد في الصحيح من غير هذا الوجه .

وقال ابن أبي حاتم(٥) : حدثني[٤] أحمد بن أبي الحواري ، حدثنا أبو بشر الحذاء عن أبي حمزة البيساني[٥] ، عن معاذ بن جبل - رضي اللَّه عنه - قال : قال لي رسول اللَّه - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - : « **يا معاذ ، إن المؤمن يسأل يوم القيام عن جميع سعيه ، حتىٰ عن كحل عينيه وعن فتات الطينة بإصبعيه ، فلا أُلْفِيَنَّكَ[٦] تأتي يوم القيامة وأحد أسعد بما آتاك اللَّه منك** » .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾

هذه تسلية من اللَّه تعالىٰ لعبده ورسوله محمد - صلوات اللَّه وسلامه عليه - يخبره عن نوح - عليه السلام - : أنه مكث في قومه هذه المدة يدعوهم إلىٰ اللَّه ليلًا ونهارًا ، [سرًا وإجهارًا][٧] ، ومع هذا ما زادهم ذلك إلا فرارًا عن الحق ، وإعراضًا عنه وتكذيبًا له ، ما آمن معه منهم إلا قليل ، ولهذا قال : ﴿ **فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا فأخذهم الطوفان**

(***) شخص إليه ببصره : فتح عينيه ولم يطرف بهما ، متأملًا أو منزعجًا .

(٥) ورواه أبو نعيم في الحلية (٣١/١٠) من طريق إسحاق بن أبي حسان ، عن أحمد بن أبي الحواري به .

[١] - في ز ، خ: « ولا » .
[٢] - في ز ، خ : « تبق » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز : « حدثنا »
[٥] - في ت : الشمالي .
[٦] - في ز ، خ : « فلألفينك » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ت : « وسرًا وجهارًا » .

وهم ظالمون ﴾ ، أي : بعد هذه المدة الطويلة ما نجع فيهم البلاغ والإنذار ، فأنت - يا محمد - لا تأسف علىٰ من كفر بك من قومك ، ولا تحزن عليهم ، فإن اللَّه يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، وبيده الأمر وإليه ترجع الأمور ، ﴿ **إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون . ولو جاءتهم كل آية حتىٰ يروا العذاب الأليم** ﴾ واعلم أن اللَّه سيظهرك وينصرك ويؤيدك ويذل عدوك ويكبتهم ويجعلهم أسفل السافلين قال حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن ماهك ، عن ابن عباس قال : بعث نوح وهو لأربعين سنة ولبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا ، وعاش بعد الطوفان ستين عامًا ، حتىٰ كثر الناس وفشوا .

وقال قتادة : يقال : إن عمره كله ألف سنة إلا خمسين عامًا لبث فيهم قبل أن يدعوهم ثلاثمائة سنة ، ، ودعاهم ثلاثمائة ولبث بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة .

وهذا قول غريب ، وظاهر السياق من الآية أنه مكث في قومه يدعوهم إلى اللَّه ألف سنة إلا خمسين عامًا .

وقال عون بن أبي شداد : إن اللَّه أرسل نوحًا إلىٰ قومه وهو ابن خمسين وثلاثمائة سنة ، فدعاهم ألف سنة إلا خمسين عامًا ، ، ثم عاش بعد ذلك ثلاثمائة وخمسين سنة .

وهذا أيضًا غريب رواه ابن أبي حاتم ، وابن جرير ، وقول ابن عباس أقرب واللَّه أعلم .

وقال الثوري ، عن سلمة بن كهيل ، عن مجاهد قال : قال لي ابن عمر : كم لبث نوح في قومه ؟ قال: قلت : ألف سنة إلا خمسين عامًا . قال : فإن الناس لم يزالوا في نقصان من أعمارهم وأحلامهم وأخلاقهم إلىٰ يومك هذا .

وقوله: ﴿ **فأنجيناه وأصحاب السفينة** ﴾ أي: الذين آمنوا بنوح -عليه السلام- وقد تقدم ذكر ذلك مفصلًا في « **سورة هود** » وتقدم تفسيره بما أغنى عن إعادته .

وقوله : ﴿ **وجعلناها آية للعالمين** ﴾ ، أي : وجعلنا تلك السفينة باقية إما عينها كما قال قتادة : إنها بقيت إلىٰ أول الإسلام علىٰ جبل الجودي ، أو نوعها جعله للناس تذكرة لنعمه علىٰ الخلق كيف نجاهم زمن[١] الطوفان كما قال تعالىٰ : ﴿ **وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون * وخلقنا لهم من مثله ما يركبون . وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولاهم ينقذون . إلا رحمة منا ومتاعًا إلىٰ حين** ﴾ وقال تعالى: ﴿**إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية**﴾ وقال هاهنا : ﴿ **فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين** ﴾ وهذا من باب التدريج من الشخص إلىٰ الجنس ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجومًا للشياطين** ﴾ ، أي : وجعلنا نوعها ، فإن

---

[١] - في ت : « من » .

التي يرمى بها ليست هي التي زينة للسماء . وقال تعالىٰ : ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين** ﴾ ولهذا نظائر كثيرة .

وقال ابن جرير : لو قيل إن الضمير في قوله : ﴿ **وجعلناها** ﴾ عائد إلىٰ العقوبة ، لكان وجها والله أعلم .

وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾

يخبر تعالىٰ عن عبده ورسوله وخليله إبراهيم إمام الحنفاء : أنه دعا قومه إلىٰ عبادة الله وحده لا شريك له ، والإخلاص له في التقوىٰ ، وطلب الرزق منه وحده لا شريك له وتوحيده في الشكر فإنه المشكور علىٰ النعم لا مُسْدي لها غيره ، فقال لقومه : ﴿ **اعبدوا الله واتقوه** ﴾ أي : أخلصوا له في[١] العبادة والخوف ﴿ **ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون** ﴾ أي : إذا فعلتم ذلك حصل لكم الخير في الدنيا والآخرة واندفع عنكم الشر في الدنيا والآخرة .

ثم أخبرهم أن الأصنام التي يعبدونها والأوثان ، لا تضر ولا تنفع وإنما اختلقتم أنتم لها أسماء ، سميتموها آلهة وإنما هي مخلوقة مثلكم . هكذا روى العوفي عن ابن عباس . وبه قال مجاهد ، والسدي .

وروىٰ الوالبي عن ابن عباس : وتصنعون إفكًا ، أي : تنحتونها أصنامًا . وبه قال مجاهد - في رواية - وعكرمة ، والحسن ، وقتادة وغيرهم ، واختاره ابن جرير رحمه الله .

وهي لا تملك لهم رزقًا﴿ **فابتغوا عند الله الرزق** ﴾ وهذا أبلغ في الحصر كقوله : ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ ﴿ **رب ابن لي عندك بيتًا في الجنة** ﴾ ، ولهذا قال : ﴿ **فابتغوا** ﴾ ، أي : فاطلبوا ﴿ **عند الله الرزق** ﴾ ، أي : لا تعبدوا[٢] غيره ، فإن غيره لا يملك شيئًا ، ﴿ **واعبدوه واشكروا له** ﴾ أي : كلوا من رزقه واعبدوه وحده ، واشكروا له علىٰ ما أنعم به عليكم ﴿ **إليه ترجعون** ﴾ ، أي : يوم القيامة ، فيجازي كل عامل بعمله .

---

[١] - سقط من ت .
[٢] - في ت : « عند » .

وقوله : ﴿ **وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم** ﴾ ، أي : فبلغكم ما حل بهم من العذاب والنكال في مخالفة الرسل ، ﴿ **وما على الرسول إلا البلاغ المبين** ﴾ ، يعني إنما على الرسول أن يبلغكم ما أمره الله - تعالىٰ - به من الرسالة ، والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء ، فاحرصوا لأنفسكم أن[١] تكونوا من السعداء .

وقال قتادة(٦) في قوله : ﴿ **وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم** ﴾ ، قال : يُعزي نبيه صلىٰ الله عليه وسلم . وهذا من قتادة يقتضي أنه قد انقطع الكلام الأول ، واعترض بهذا إلىٰ قوله : ﴿ **فما كان جواب قومه** ﴾ .

وهكذا نص علىٰ ذلك ابن جرير أيضًا والظاهر من السياق أن كل هذا من كلام إبراهيم الخليل - عليه السلام - [ ][٢] يحتج عليهم لإثبات المعاد لقوله بعد هذا كله : ﴿ **فما كان جواب قومه** ﴾ ، والله أعلم .

أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن الخليل - عليه السلام -: إنه أرشدهم إلىٰ إثبات المعاد الذي ينكرونه ، بما يشاهدونه في أنفسهم من خلق الله إياهم ، بعد أن لم يكونوا شيئًا مذكورًا ، ثم وجدوا وصاروا أناسًا سامعين مبصرين . فالذي بدأ هذا قادر علىٰ إعادته ، فإنه سهل عليه ، يسير لديه .

ثم أرشدهم إلىٰ الاعتبار بما في الآفاق من الآيات المشاهدة من خلق الله الأشياء : السموات وما فيها من الكواكب النيرة الثوابت[٣] ، والسيارات ، والأرضين وما فيها من مهاد وجبال ،

(٦) تفسير الطبري (٢٠/٨٩) .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز،خ : « لقوله » .
[٣] - في ز ، خ: « والثوابت » .

وأودية وبراريّ وقفار ، وأشجار ، وأنهار ، وثمار ، وبحار . كل ذلك دال على حدوثها في أنفسها ، وعلى وجود صانعها الفاعل المختار ، الذي يقول للشيء : كن ، فيكون ، ولهذا قال : ﴿ **أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير** ﴾ ، كقوله : ﴿ **وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه** ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ **قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة** ﴾ ، أي : يوم القيامة ، ﴿ **إن الله على كل شيء قدير** ﴾ . وهذا المقام شبيه بقوله تعالى : ﴿ **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق** ﴾ ، وكقوله تعالى : ﴿ **أم خُلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **يعذب من يشاء ويرحم من يشاء** ﴾ ، أي : هو الحاكم المتصرف ، الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، لا معقب لحكمه ، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، فله الخلق والأمر ، مهما فعل فَعَدل ؛ لأنه المالك الذي لا يظلم مثقال ذرة ، كما جاء في الحديث الذي رواه أهل السنن(٧) : « **إن الله لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه ، لعذبهم وهو غير ظالم لهم** » . ولهذا قال تعالى : ﴿ **يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تقلبون** ﴾ ، أي : ترجعون يوم القيامة .

وقوله : ﴿ **وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء** ﴾ ، أي : لا يعجزه أحد من أهل سماواته وأرضه ، بل هو القاهر فوق عباده ، وكل شيء خائف منه ، فقير إليه ، وهو الغني عما سواه .

﴿ **وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير والذين كفروا بآيات الله ولقائه** ﴾ ، أي : جحدوها وكفروا بالمعاد ، ﴿ **أولئك يئسوا من رحمتي** ﴾ ، أي : لا نصيب لهم فيها ، ﴿ **وأولئك لهم عذاب أليم** ﴾ ، أي : موجع في الدنيا والآخرة .

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾

(٧) رواه أبو داود في السنن حديث (٤٦٩٩) ، وابن ماجة في السنن حديث (٧٧) من حديث أبي بن كعب وزيد بن ثابت رضي الله عنهما .

يقول تعالىٰ مخبرًا عن قوم إبراهيم في كفرهم وعنادهم ومكابرتهم ، ودفعهم الحق بالباطل : إنه ما كان لهم جواب بعد مقالة إبراهيم هذه المشتملة علىٰ الهدىٰ والبيان ﴿ **إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه** ﴾ ، وذلك لأنهم قام عليهم البرهان ، وتوجهت عليهم الحجة ، فعدلوا إلىٰ استعمال جاههم وقوة ملكهم ، ﴿ **فقالوا ابنوا له بنيانًا فألقوه في الجحيم * وأرادوا به كيدًا فجعلناهم الأسفلين** ﴾ ، وذلك أنهم حَشَدُوا في جمع أحطاب عظيمة مدة طويلة ، وحَوّطوا حولها ، ثم أضرموا فيها النار فارتفع لها لهب إلىٰ عَنَان السماء . ولم توجد[١] نار قط أعظم منها، ثم عمدوا إلىٰ إبراهيم فكتفوه وألقوه في كفَّة المنجنيق ، ثم قذفوا به فيها ، فجعلها اللّٰه عليه بردًا وسلامًا ، وخرج منها سالمًا بعد ما مكث فيها أيامًا ولهذا وأمثاله جعله اللّٰه للناس إمامًا . فإنه بذل نفسه للرحمن ، وجَسَده للنيران ، وسخا بولده للقربان ، وجعل ماله للضيفان ، ولهذا اجتمع علىٰ محبته جميع أهل الأديان .

وقوله : ﴿ **فأنجاه اللّٰه من النار** ﴾ ، أي : سَلَّمه منها ، بأن جعلها عليه بردًا وسلامًا ، ﴿ **إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون وقال إنما اتخذتم من دون اللّٰه أوثانًا مودة بينكم في الحياة الدنيا** ﴾ ، يقول لقومه مقرّعًا لهم وموبخًا علىٰ سوء صنيعهم ، في عبادتهم الأوثان : إنما اتخذتم هذه لتجتمعوا علىٰ عبادتها في الدنيا ، صداقة وألفة منكم ، [بعضكم لبعض][٢] في الحياة الدنيا . وهذا علىٰ قراءة من نصب ﴿ **مودة بينكم** ﴾(*) ، علىٰ أنه مفعول له ، وأما علىٰ قراءة الرفع فمعناه[٣] : إنما اتخاذكم هذا يُحَصِّل لكم المودة في الدنيا فقط ، ﴿ **ثم يوم القيامة** ﴾ ينعكس هذا الحال ، فتبقىٰ هذه الصداقة والمودة بَغْضَة وشنآنا ، فـ ﴿ **يكفر بعضكم ببعض** ﴾ [أي : تتجاحدون ماكان بينكم][٤] ، ﴿ **ويلعن بعضكم بعضًا** ﴾ ، أي : يلعن الأتباع المتبوعين ، والمتبوعون[٥] الأتباع ، ﴿ **كلما دخلت أمة لعنت أختها** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين** ﴾ وقال هاهنا : ﴿ **ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضًا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين** ﴾ ، أي : ومصيركم ومرجعكم بعد عرصات القيامة إلىٰ النار ، وما لكم من ناصر ينصركم ، ولا منقذ ينقذكم من عذاب اللّٰه . وهذا حال الكافرين ، فأما المؤمنون فبخلاف ذلك .

قال ابن أبي حاتم(٨) : حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي ، حدثنا أبو عاصم الثقفي الربيع ابن إسماعيل[٦] عن[٧] عمرو بن سعيد بن جعدة بن هبيرة المخزومي، عن أبيه ، عن جده ، عن

(*) انظر القراءات في هذه الآية في كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص٤٩٨ - ٤٩٩)

(٨) ورواه الطبراني في المعجم الأوسط حديث (٤٨٠٣) من طريق محمد بن إسماعيل الأحمسي به ، وقال : « لا يروى عن أم هانىء إلا بهذا الإسناد ، تفرد به أبو عاصم » . وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٣٥٥) : =

[١] - في ت : « توقد » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: «لبعضكم بعضًا» . [٣] - في ز ، خ: « معناه » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٥] - في ز ، خ: « المتبوعين » .

[٦] - في ز، خ : « سليمان » . [٧] - في ز : خ : ابن . وهو تحريف .

أم هانئ - أخت علي بن أبي طالب - قالت: قال لي النبي صلىٰ الله عليه وسلم « **أخبرك أن الله - تعالىٰ - يجمع الأولين والآخرين يوم القيامة في صعيد واحد ، فمن يدري أين الطرفان**[١] **؟ فقالت : الله ورسوله أعلم . ثم ينادي مناد من تحت العرش : يا أهل التوحيد ، فيشرئبون** - قال أبو عاصم : يرفعون رءوسهم - **ثم ينادي : يا أهل التوحيد . ثم ينادي الثالثة : يا أهل التوحيد ، إن الله قد عفا عنكم . قال : فيقوم الناس قد تعلق بعضهم ببعض في ظُلامات الدنيا** - يعني : **المظالم** - **ثم ينادي : يا أهل التوحيد ، ليعف**[٢] **بعضكم عن بعض وعلىٰ الله الثواب** ».

﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن إبراهيم : إنه آمن له لوط ، يقال : إنه ابن أخي إبراهيم ، يقولون هو : لوط بن هاران بن آزر يعني : ولم يؤمن به من قومه سواه ، وسارة امرأة الخليل . لكن يقال : كيف الجمع بين هذه الآية ، وبين الحديث الوارد في الصحيح (٩) : « **أن إبراهيم حين مرّ علىٰ ذلك الجبار ، فسأل إبراهيم عن سارة : ما هي منه ؟ فقال : أختي . ثم جاء إليها فقال لها : إني قد قلت له : إنك أختي فلا تكذبيني ، فإنه ليس علىٰ وجه الأرض مؤمن غيرك وغيري ، فأنت أختي في الدين** » . وكأن المراد من هذا - والله أعلم -أنه ليس علىٰ وجه الأرض زوجان علىٰ الإسلام غيري وغيرك ، فإن لوطًا - عليه السلام - آمن به من قومه ، وهاجر معه إلىٰ بلاد الشام ، ثم أرسل في حياة الخليل إلىٰ أهل « **سَدُوم** » وإقليمها ، وكان من أمرهم[٣] ما تقدم وما سيأتي .

وقوله : ﴿ **وقال إني مهاجر إلىٰ ربي** ﴾ ، يحتمل عود الضمير في قوله ﴿ **وقال** ﴾ علىٰ لوط ، لأنه أقرب المذكورين ، ويحتمل عوده إلىٰ إبراهيم - قال ابن عباس والضحاك : هو المكنى عنه بقوله: ﴿ **فآمن له لوط** ﴾ أي: من قومه ثم أخبر عنه بأنه اختار المهاجرة من بين أظهرهم ، ابتغاء إظهار الدين والتمكن من ذلك ، ولهذا قال : ﴿ **إنه هو العزيز** ﴾ أي : له العزة ولرسوله وللمؤمنين به ، ﴿ **الحكيم** ﴾ في أقواله وأفعاله وأحكامه القدرية والشرعية .

وقال قتادة : هاجرا جميعًا من « **كوثى** » وهي من سواد الكوفة إلىٰ الشام . قال : وذُكر لنا

= «فيه أبو عاصم - الربيع بن إسماعيل - منكر الحديث ، قاله أبو حاتم » .

[١] - في ز ، خ : « الطرفين » . [٢] - في ز ، خ: « يعفوا » .

[٣] - في ز ، خ: « إبراهيم » .

أن نبي اللّٰه - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - قال : « **إنها ستكون هجرة بعد هجرة ، ينحاز أهل الأرض إلىٰ مُهاجر إبراهيم ، ويبقىٰ في الأرض شرار أهلها حتىٰ تلفظهم أرضهم وتَقْذرهم روح اللّٰه ، وتحشرهم النار مع القردة والخنازير ، تبيت معهم إذا باتوا[١] ، وتقيل معهم إذا قالوا ، وتأكل ما سقط منهم** .

وقد أسند الإمام أحمد(١٠) هذا الحديث فرواه مطولًا من حديث عبد اللّٰه بن عمرو بن العاص ، فقال[٢] :

حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن شهر بن حوشب قال : لما جاءتنا بيعة يزيد بن معاوية ، قدمت الشام فأخبرت بمقام يقومه نوف البكالي ، فجئته إذ جاء رجل ، فانتبذ الناس ، وعليه خميصة وإذا هو عبد اللّٰه بن عمرو بن العاص . فلما رآه نوف أمسك عن الحديث ، فقال عبد اللّٰه : سمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « **إنها ستكون هجرة بعد هجرة ، فينحاز الناس إلىٰ مُهَاجر إبراهيم ، لا يبقىٰ في الأرض إلا شرار أهلها ، فتلفظهم أرضوهم ، تقْذرَهم نفس الرحمن ، تحشرهم النار مع القردة والخنازير ، تبيت[٣] معهم إذا باتوا[٤] ، وتقيل معهم إذا قالوا، وتأكل منهم من تخلف** » . قال : وسمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « **سيخرج أناس من أمتي من قبل المشرق ، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم - كلما خرج منهم قرن قطع ، كلما خرج منهم قرن قطع ، حتى عدها زيادة[٥] على عشرين مرة -كلما - خرج منهم قرن قطع[٦] حتىٰ يخرج الدجال في بقيتهم** » .

ورواه أحمد(١١) عن أبي داود ، وعبد الصمد كلاهما ، عن هشام الدستوائي[٧] عن قتادة به .

وقد رواه أبو داود في سننه(١٢) ، فقال في كتاب الجهاد: باب ما جاء في سكنى الشام . حدثنا عبيد اللّٰه بن عمر ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثني [أبي][٨] ، عن قتادة ، عن شهر بن حوشب ، عن عبد اللّٰه بن عمرو قال : سمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول :

(٩) صحيح مسلم حديث (٢٣٧١) .
(١٠) المسند (٢/٢٠٩) .
(١١) المسند (٢/٢٠٩) .
(١٢) سنن أبي داود حديث (٢٤٨٢) .

[١] - في ز،خ : « ناموا » .
[٢] - في ت : « قال » .
[٣] - في ت : « فتبيت » .
[٤] - في ز،خ : « ناموا » .
[٥] - في ز ، خ: « زياد » .
[٦] - سقط من : ت .
[٧] - في ز ، خ: « بن سوائي » .
[٨] - سقط من : خ ، ز . وثبتناه من سنن أبي داود

« ستكون هجرة بعد هجرة ، فخيار[١] أهل الأرض ألزمهم مُهاجر إبراهيم ، ويبقىٰ في الأرض شرار أهلها تلفظهم أرضهم وتَقْذرهم نفس الرحمن ، وتحشرهم النار مع القردة والخنازير » .

وقال الإمام أحمد أيضًا(١٣) : حدثنا يزيد ، أخبرنا أبو جَنَاب يحيىٰ بن أبي حَيَّة ، عن شهر ابن حوشب قال : سمعتُ عبد الله بن عُمر قال[٢] : لقد رأيتنا وما صاحب الدينار والدرهم بأحق من أخيه المسلم ، ثم[٣] لقد رأيتُنا بأخرة الآن والدينار والدرهم أحب إلىٰ أحدنا من أخيه المسلم ، ولقد سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **لئن أنتم اتبعتم أذناب البقر ، وتبايعتم بالعينة ، وتركتم الجهاد في سبيل الله ؛ ليلزمنكم الله مذلة في أعناقكم [ثم لا تنزع][٤] منكم حتىٰ ترجعوا إلىٰ ما كنتم عليه ، وتتوبوا إلىٰ الله عز وجل** » . وسمعت رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - يقول : « **لتكونن هجرة بعد هجرة إلىٰ مهاجر أبيكم إبراهيم ، حتىٰ لا يبقىٰ في الأرضين إلا شرار أهلها وتلفظهم أرضوهم وتقذرهم روح الرحمن ، وتحشرهم النار مع القردة والخنازير ، تقيل حيث يقيلون[٥] ، وتبيت حيث يبيتون وما سقط منهم فلها[٦]** ». ولقد سمعت رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - يقول : « **يخرج من أمتي قوم يسيئون الأعمال ، يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم** - قال يزيد : لا أعلمه إلا قال : **يحقر أحدكم علمه مع علمهم ، يقتلون أهل الإسلام ، فإذا خرجوا فاقتلوهم ، ثم إذا خرجوا فاقتلوهم ، ثم إذا خرجوا فاقتلوهم ، فطوبىٰ لمنْ قتلهم وطوبىٰ لمن قتلوه . كلما[٧] طلع منهم قرن قَطَعه الله . فردد ذلك رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - عشرين مرة ، أو أكثر ، وأنا أسمع** .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي : أخبرنا أبو الحُسين بن الفضل ، أخبرنا عبد الله بن جعفر ، حدثنا يعقوب بن سفيان ، حدثنا أبو النضر إسحاق بن يزيد ، وهشام بن عمار الدمشقيان قالا : حدثنا يحيىٰ بن حمزة ، حدثنا الأوزاعي ، عن نافع - وقال أبو النضر ، عمن حدثه ، عن نافع - عن عبد الله بن عمر : أن رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - قال : « **سيهاجر أهل الأرض هجرة بعد هجرة ، إلىٰ مهاجر إبراهيم ، حتىٰ لا يبقىٰ إلا شرار أهلها ، تلفظهم الأرضون وتقذرهم روح الرحمن ؛ وتحشرهم النار مع القردة والخنازير ، تبيت معهم حيث باتوا ، وتقيل معهم حيث قالوا ، لها ما سقط منهم** » .

غريب من حديث نافع . والظاهر أن الأوزاعي قد رواه عن شيخ له من الضعفاء ، والله

(١٣) المسند (٨٤/٢) ، وقال الهيثمي في المجمع (٢٥١/٥) : « فيه أبو جناب الكلبي وهو ضعيف » . وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (٣٨٠/١١) : « سنده لا بأس به » .

[١] - في ز ، خ: « يختار » .

[٢] - في ت : « يقول » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « لا ترجع » .

[٥] - في خ ، ز : « قالوا » .

[٦] - في خ ، ز : « مثلها » .

[٧] - في ز : « وكلما » .

أعلم . وروايته من حديث عبد اللّه بن عمرو بن العاص أقرب إلىٰ الحفظ .

وقوله : ﴿ **ووهبنا له إسحاق ويعقوب** ﴾ ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون اللّه وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيًا** ﴾ . أي : إنه لما فارق قومه أقرّ اللّه عينه بوجود ولد صالح نبي [وولد له وَلَد صالح نبي][١] في حياة جده . وكذلك قال اللّه : ﴿ **ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة** ﴾ ، أي : زيادة ، كما قال : ﴿ **فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب** ﴾ . أي : ويولد لهذا الولد ولد في حياتكما ، تقر به أعينكما . وكون يعقوب ولدًا لإسحاق نص عليه القرآن ، وثبتت به السنة النبوية ، قال اللّه : ﴿ **أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهًا واحدًا ونحن له مسلمون** ﴾ .

وفي الصحيحين(١٤) : « **إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم** » .

فأما ما رواه العوفي عن ابن عباس في قوله : ﴿ **ووهبنا له إسحاق ويعقوب** ﴾ قال : هما ولد إبراهيم . فمعناه أن ولد الولد بمنزلة الولد ، فإن هذا أمر لا يكاد يخفىٰ علىٰ من هو دون ابن عباس .

وقوله : ﴿ **وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب** ﴾ ، هذه خلعة سنية عظيمة ، مع اتخاذ اللّه إياه خليلًا وجعله للناس إمامًا ، أن جعل في ذريته النبوة والكتاب ، فلم يوجد نبي بعد إبراهيم - عليه السلام - إلا وهو من سلالته ، فجميع أنبياء بني إسرائيل من سلالة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، حتىٰ كان آخرهم عيسىٰ ابن مريم فقام في ملئهم مبشرًا بالنبي العربي القرشي الهاشمي ، خاتم الرسل علىٰ الإطلاق ، وسيد ولد آدم في الدنيا والآخرة . الذي اصطفاه اللّه من صميم العرب العَرْباء ، من سلالة إسماعيل بن إبراهيم عليهم السلام . ولم يوجد نبي من سلالة إسماعيل سواه ، عليه أفضل الصلاة والسلام .

وقوله : ﴿ **وآتيناه أجره في الدنيا ، وإنه في الآخرة لمن الصالحين** ﴾ ، أي : جمع اللّه له بين سعادة الدنيا الموصولة بسعادة الآخرة ، فكان له في الدنيا الرزق الواسع الهني ، والمنزل الرحب ، والمورد العذب ، والزوجة الحسنة الصالحة ، والثناء الجميل ، والذكر الحسن ، فكل أحد يحبه ويتولاه ، كما قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم ، مع القيام بطاعة اللّه من جميع الوجوه كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإبراهيم الذي وفىٰ** ﴾ ، أي : قام بجميع ما أمر به وكمل طاعة ربه ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين** ﴾ ، كما قال

(١٤) صحيح البخاري حديث (٤٦٨٨) من حديث ابن عمر ، ولم أجده عند مسلم .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

تعالىٰ : ﴿ **إن إبراهيم كان أمة قانتًا لله حنيفًا ولم يك من المشركين * شاكرًا لأنعمه اجتباه وهداه إلىٰ صراط مستقيم * وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين** ﴾ .

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن نبيه لوط - عليه السلام - أنه أنكر علىٰ قومه سوء صنيعهم ، وما كانوا يفعلونه من قبيح الأعمال ، في إتيانهم الذكران من العالمين ، ولم يسبقهم إلىٰ هذه الفعلة أحد من بني آدم قبلهم ، وكانوا مع هذا يكفرون بالله ويكذبون رسوله ويخالفون ويقطعون السبيل أي : يقفون في طريق الناس يقتلونهم ويأخذون أموالهم ، ﴿ **وتأتون في ناديكم المنكر** ﴾ أي : يفعلون ما لا يليق من الأقوال والأفعال في مجالسهم التي يجتمعون فيها ، لا ينكر بعضهم علىٰ بعض شيئًا من ذلك ، فَمِنْ قائل : كانوا يأتون بعضهم بعضًا في الملأ . قاله مجاهد . ومن قائل : كانوا يتضارطون ويتضاحكون . قالته عائشة - رضي الله عنها - والقاسم . ومن قائل : كانوا يناطحون بين الكباش ، ويناقرون بين الديوك ، وكل ذلك كان يصدر عنهم ، وكانوا شرًّا من ذلك .

وقال الإمام أحمد(١٥) : حدثنا حماد بن أسامة ، أخبرني حاتم بن أبي صغيرة ، حدثنا سماك بن حرب ، عن أبي صالح - مولىٰ أم هانئ - عن أم هانئ ، قالت : سألت رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - عن قوله عز وجل : ﴿ **وتأتون في ناديكم المنكر** ﴾ قال : « **يحذفون أهل الطريق ، ويسخرون منهم ، وذلك المنكر الذي كانوا يأتونه** » .

ورواه الترمذي ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، من حديث أبي أسامة حماد بن أسامة ، عن[١] أبي يونس القُشَيري - حاتم بن أبي صَغيرة - به . ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث حاتم بن أبي صغيرة ، عن سماك .

---

(١٥) المسند (٣٤١/٦) ، وسنن الترمذي حديث (٣١٩٠) .

---

[١] - سقط من : ز، خ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا محمد بن كثير ، عن عمرو بن قيس ، عن الحكم ، عن مجاهد : ﴿ وتأتون في ناديكم المنكر ﴾ ، قال : الصفير ، ولعب الحمام ، والجُلاهق(*) والسؤال في المجلس وحل أزرار القباء .

وقوله : ﴿ **فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين** ﴾ وهذا من كفرهم واستهزائهم وعنادهم ، ولهذا استنصر عليهم نبيُّ الله فقال : ﴿ **رب ، انصرني على القوم المفسدين** ﴾ .

وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٣٥﴾

لما استنصر لوط - عليه السلام - الله عليهم بعث[١] الله لنصرته ملائكة فمروا على[٢] إبراهيم - عليه السلام - في هيئة أضياف فجاءهم بما ينبغي للضيف ، فلما رأى أنه لا همّة لهم إلى الطعام نكرهم وأوجس منهم خيفة ، فشرعوا يؤانسونه ويبشرونه بوجود ولد صالح من امرأته سارة - وكانت حاضرة - فتعجبت من ذلك ، كما تقدم بيانه في سورة « **هود** » و« **الحجر** » . فلما جاءت إبراهيم البشرى[٣] ، وأخبروه بأنهم أرسلوا لهلاك قوم لوط ، أخذ يدافع لعلهم يُنظرون ، لعل الله أن يهديهم . ولما قالوا : إنا مهلكو أهل هذه القرية ﴿ **قال إن فيها لوطًا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين** ﴾ ، أي : من الهالكين ؛ لأنها كانت تُمالئهم على كفرهم وبغيهم ودبرهم ثم ساروا من عنده فدخلوا على لوط في صورة شباب حسان ، فلما رآهم كذلك ﴿ **سيء بهم وضاق بهم ذرعًا** ﴾ أي : اهتم بأمرهم ، إن هو أضافهم خاف عليهم من قومه ، وإن لم يضيفهم[٤] خشي عليهم منهم ، ولم

(*) قال في القاموس : الجُلاهِقُ - كعُلابط - البندق الذي يرمى به .

[١] - في خ : « بعثه » .
[٢] - في ز ، خ: « مع » .
[٣] - في ت : « بالبشرى » .
[٤] - في ت : « يضفهم » .

يعلم بأمرهم في الساعة الراهنة . ﴿ **قالوا لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين * إنا منزلون علىٰ أهل هذه القرية رجزًا من السماء بما كانوا يفسقون** ﴾ ، وذلك أن جبريل - عليه السلام - اقتلع قراهم[١] من قرار الأرض، ثم رفعها إلىٰ عَنان السماء ثم قلبها عليهم . وأرسل اللَّه عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد ، وجعل مكانها بحيرة خبيثة منتنة ، وجعلهم عبرة إلىٰ يوم التناد ، وهم من أشد الناس عذابًا يوم المعاد ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ولقد تركنا منها آية بينة** ﴾ ، أي : واضحة ، ﴿ **لقوم يعقلون** ﴾، كما قال : ﴿ **وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون** ﴾ .

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾

يخبر تعالىٰ عن عبده ورسوله شعيب - عليه السلام - : أنه أنذر قومه أهل مدين ، فأمرهم بعبادة اللَّه وحده لا شريك له ، وأن يخافوا بأس اللَّه ونقمته وسطوته يوم القيامة ، فقال : ﴿ **يا قوم اعبدوا اللَّه وارجوا اليوم الآخر** ﴾ .

قال ابن جرير: قال بعضهم: معناه : واخشوا اليوم الآخر. وهذا كقوله تعالىٰ : ﴿ **لمن كان يرجو اللَّه واليوم الآخر** ﴾ ثم نهاهم عن العيث[٢] في الأرض بالفساد ، وهو السعي فيها والبغي علىٰ أهلها وذلك أنهم كانوا ينقصون المكيال والميزان ، ويقطعون الطريق علىٰ الناس ، هذا مع كفرهم باللَّه ورسوله ، فأهلكهم اللَّه برجفة عظيمة زلزلت عليهم بلادهم ، وصيحة أخرجت القلوب من حناجرها ، وعذاب يوم الظلة الذي أزهق الأرواح من مستقرها ، إنه كان عذاب يوم عظيم . وقد تقدمت قصتهم مبسوطة في « **سورة الأعراف** » و« **هود** » و« **الشعراء** » .

وقوله: ﴿ **فأصبحوا في دارهم جاثمين** ﴾ قال قتادة: ميتين . وقال غيره: قد ألقي بعضهم على بعض .

وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟

---

[١] - في خ : « قرارهم » .
[٢] - في خ : « العبث » .

سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾

يخبر تعالىٰ عن هؤلاء الأمم المكذبة للرسل كيف أبادهم وتنوع في عذابهم ، فأخذهم بالانتقام منهم ، فعاد قوم هود ، وكانوا يسكنون الأحقاف وهي قريبة من حضرموت ببلاد اليمن ، وثمود قوم صالح وكانوا يسكنون الحجر قريبًا من وادي القرىٰ ، وكانت العرب تعرف مساكنهما جيدًا ، وتمر عليها كثيرًا . وقارون صاحب الأموال الجزيلة ومفاتيح الكنوز الثقيلة . وفرعون ملك مصر في زمان موسىٰ ووزيره هامان القبطيان الكافران باللَّه ورسوله ، ﴿ **فكلًّا أخذنا بذنبه** ﴾ ، أي : كانت عقوبته بما يناسبه ، ﴿ **فمنهم من أرسلنا عليه حاصبًا** ﴾ ، وهم عاد ، وذلك أنهم قالوا : من أشد منا قوة ؟!! فجاءتهم ريح صرصر باردة شديدة البرد ، عاتية شديدة الهبوب جدًّا ، تحمل عليهم حصباء الأرض فتقلبها عليهم ، وتقتلعهم من الأرض فترفع الرجل منهم إلىٰ عَنَان السماء ثم تنكسه علىٰ أم رأسه فتشدخه فيبقىٰ بدنًا بلا رأس كأنهم أعجاز نخل منقعر . ﴿ **ومنهم من أخذته الصيحة** ﴾ ، وهم ثمود ، قامت عليهم الحجة وظهرت لهم الدلالة ، من تلك الناقة التي انفلقت عنها الصخرة ، مثل ما سألوا سواء بسواء ومع هذا ما آمنوا بل استمروا علىٰ طغيانهم وكفرهم ، وتهددوا نبيَّ اللَّه صالحًا ومن آمن معه ، وتوعَّدوهم بأن يخرجوهم ويرجموهم ، فجاءتهم صيحة أخمدت الأصوات منهم والحركات . ﴿ **ومنهم من خسفنا به الأرض** ﴾ ، وهو قارون الذي طغىٰ وبغىٰ وعتا وعصىٰ الرب الأعلىٰ ، ومشىٰ في الأرض مرحًا وفرح ومرح وتاه بنفسه ، واعتقد أنه أفضل من غيره ، واختال في مشيته فخسف اللَّه به وبداره الأرض ، فهو يتجلجل فيها إلىٰ يوم القيامة . ﴿ **ومنهم من أغرقنا** ﴾ ، وهم فرعون ووزيره هامان ، وجنوده عن آخرهم ، أغرقوا في صبيحة واحدة ، فلم ينج منهم مخبر ، ﴿ **وما كان اللَّه ليظلمهم** ﴾ ، أي : فيما فعل بهم ، ﴿ **ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** ﴾ ، أي: إنما [فعل] ذلك بهم جزاءً وفاقًا بما كسبت أيديهم .

وهذا الذي ذكرناه ظاهر سياق الآية ، وهو من باب اللف والنشر وهو أنه ذكر الأمم المكذبة ، ثم قال : ﴿ **فكلًّا أخذنا بذنبه** ﴾ ، أي : من هؤلاء المذكورين ، وإنما نبهتُ علىٰ هذا لأنه قد روي أن ابن جُريج[١] قال : قال ابن عباس في قوله : ﴿ **فمنهم من أرسلنا عليه حاصبًا** ﴾ ، قال : قوم لوط . ﴿ **ومنهم من أغرقنا** ﴾ قال : قوم نوح . وهذا منقطع عن ابن عباس ؛ فإن ابن جريج لم يدركه . ثم قد ذكر اللَّه في هذه السورة إهلاك قوم نوح بالطوفان ، وقوم لوط

---

[١] - في خ ، ز : « جرير » .

بإنزال الرجز من السماء ، وطال السياقُ والفصل بين ذلك وبين هذا السياق .

وقال قتادة : ﴿ **فمنهم من أرسلنا عليه حاصبًا** ﴾ ، قال[١] : قوم لوط ، ﴿ **ومنهم من أخذته الصيحة** ﴾ : قوم شعيب . وهذا بعيد أيضًا لما تقدم ، والله أعلم .

مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾

هذا مثل ضربه الله تعالىٰ للمشركين في اتخاذهم آلهةً من[٢] دون الله ، يرجون نصرهم ورزقهم ، ويتمسكون بهم في الشدائد ، فهم في ذلك كبيت العنكبوت في ضعفه ووهنه[٣] ، فليس في أيدي هؤلاء من آلهتهم إلا كمن يتمسك ببيت العنكبوت فإنه لا يجدي عنه شيئًا ، فلو علموا هذا الحال لما اتخذوا من دون الله أولياء . وهذا بخلاف [المسلم المؤمن] قلبه لله ، وهو مع ذلك يحسن العمل في اتباع الشرع فإنه مستمسك بالعروة الوثقىٰ لا انفصام لها ، لقوتها وثباتها .

ثم قال تعالىٰ متوعدًا لمن عبد غيره وأشرك به : إنه تعالىٰ يعلم ما هم عليه من الأعمال ، ويعلم وما يشركون به من الأنداد ، وسيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **وتلك الأمثال نضربها للناس ، وما يعقلها إلا العالمون** ﴾ ، أي : وما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون في العلم المتضلعون منه .

قال الإمام أحمد(١٦) : حدثنا إسحاق بن عيسىٰ ، حدثني ابن لهيعة ، عن أبي قَبيل ، عن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - قال : عَقَلْتُ عن رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - ألف مثل .

وهذه منقبة عظيمة لعمرو بن العاص - رضي الله عنه - حيث يقول تعالىٰ : ﴿ **وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون** ﴾ .

---

(١٦) المسند (٢٠٣/٤) ، وقال الهيثمي في المجمع (٢٦٤/٨) : « إسناده حسن » .

---

[١] - سقط من : ز، خ .   [٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ز ، خ : « ووهائه » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عليّ بن الحسين ، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن ، حدثنا أبي ، حدثنا ابن سنان ، عن عمرو بن مُرة ، قال : ما مررت بآية من كتاب الله لا أعرفها إلا أحزنني، لأني سمعت الله تعالىٰ يقول : ﴿ **وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون** ﴾ .

خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا[١] عن قدرته العظيمة : إنه خلق السموات والأرض بالحق ، يعني : لا علىٰ وجه العبث واللعب ﴿ **لتجزىٰ كل نفس بما تسعىٰ** ﴾ .﴿ **ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إن في ذلك لآية للمؤمنين** ﴾ . أي : لدلالة[٢] واضحة على أنه تعالى المتفرد بالخلق والتدبير والإلـٰهية .

ثم قال تعالىٰ آمرًا رسوله والمؤمنين بتلاوة القرآن ، وهو قراءته وإبلاغه للناس ، ﴿ **وأقم الصلاة إن الصلاة تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر** ﴾ ، يعني : أن الصلاة تشتمل علىٰ شيئين : علىٰ ترك الفواحش والمنكرات ، أي : إن مواظبتها تحمل علىٰ ترك ذلك ، وقد جاء في الحديث[٣] من رواية عِمْران ، وابن عباس ، مرفوعًا : « **من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر ، لم تزده من الله إلا بعدًا** »(١٧) .

[ذكر الآثار الواردة في ذلك]

قال ابن أبي حاتم(١٨) : حدثنا محمد بن هارون المخرمي الفلاس ، حدثنا عبد الرحمن بن نافع أبو زياد ، حدثنا عمر بن أبي عثمان ، حدثنا الحسن ، عن عمران بن حُصين ، قال : سُئل

(١٧) أما حديث عمران بن حصين ، فقد أخرجه ابن أبي حاتم - كما سيأتي - من طريق عمر بن أبي عثمان عن الحسن عن عمران به ، والحسن لم يسمع من عمران بن حصين . وأما حديث ابن عباس ، فقد رواه الطبراني في المعجم الكبير (٥٤/١١) من طريق ليث ، عن طاوس ، عن ابن عباس به .

(١٨) وهذا الحديث فيه علتان ذكرهما الشيخ ناصر الدين الألباني في الضعيفة وهما :

١ - الانقطاع بين الحسن - وهو البصري - وعمران بن حصين ، فإنهم اختلفوا في سماعه منه فإنه ثبت ، فعلته عنعنة الحسن فإنه مدلس معروف بذلك .

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ت : « له دلالة » .

[٣] - في ز ، خ: « حديث » .

النبي صلىٰ الله عليه وسلم عن قول الله : ﴿ **إن الصلاة تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر** ﴾ ، قال : « **من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له** » .

وحدثنا عليُّ بن الحسين[١٩] ، حدثنا يحيىٰ بن أبي طلحة اليربوعي ، حدثنا أبو معاوية ، عن ليث ، عن طاوس ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر ، لم يزدد بها من الله إلا بعدًا** » . ورواه الطبراني من حديث أبي معاوية .

وقال ابن جرير[٢٠] : [حدثنا القاسم][١] ، حدثنا الحسين ، حدثنا خالد بن عبد الله ، عن العلاء بن المسيب ، عمن ذكره ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **إن الصلاة تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر** ﴾ ، قال : فمن لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهه[٢] عن المنكر ، لم يزدد بصلاته من الله إلا بعدًا » . فهذا موقوف .

قال ابن جرير[٢١] : وحدثنا القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثنا عليُّ بن هاشم بن البريد ، عن جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن مسعود ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « **لا صلاة لمن لم يطع الصلاة . وطاعة الصلاة أن تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر** » . قال : وقال سفيان : ﴿ **قالوا يا شعيب أصلواتك تأمرك** ﴾؟ قال : فقال سفيان : إي و الله ، تأمره وتنهاه .

وقال ابن أبي حاتم[٢٢] : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو خالد ، عن جويبر ، عن الضحاك ، عن عبد الله ، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم - وقال أبو خالد مَرّةً : عن عبد الله - : « **لا صلاة لمن لم يطع الصلاة ، وطاعة الصلاة تنهاه عن الفحشاء والمنكر** » .

والموقوف أصح كما رواه الأعمش ، عن مالك بن الحارث ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، قال : قيل لعبد الله : إن فلانًا ليطيل الصلاة ؟ قال : إنّ الصلاة لا تنفع إلا من أطاعها[٢٣] .

---

٢ - جهالة عمر بن أبي عثمان ، ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (١٢٣/١/٣) وقال : « سمع طاوسًا ، روى عنه يحيى بن سعيد » .

(١٩) المعجم الكبير (٥٤/١١) وقال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء : « إسناده لين » .

(٢٠) تفسير الطبري (٩٩/٢٠) .

(٢١) تفسير الطبري (٩٩/٢٠) وفيه جويبر وهو متروك .

(٢٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٦٥/٦) مرفوعًا ، وقال : « أخرج عبد بن حميد وابن جرير ، وابن مردويه بسند ضعيف » فذكر الرواية التى قبلها .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ز : « تنهاه » .

وقال ابن جرير(٢٤) : [قال عليٌّ، حدثنا إسماعيل بن مسلم][١] ، عن الحسن ، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **من صلىٰ صلاة لم تنهه عن الفحشاء والمنكر ، لم يزدد بها من الله إلا بعدًا** » . والأصح في هذا كله الموقوفات عن ابن مسعود ، وابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، والأعمش ، وغيرهم ، والله أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر البزار (٢٥) : حدثنا يوسف بن موسىٰ ، حدثنا جَرير - يعني ابن عبد الحميد - عن الأعمش ، عن أبي صالح ، قال : أراه عن جابر - شك الأعمش - قال : قال رجل للنبي صلىٰ الله عليه وسلم : إن فلانًا يصلي فإذا أصبح سرق ، قال : « **سينهاه ما يقول** » .

وحدثناه(٢٦) محمد بن موسىٰ الحَرَشي[٢] ، حدثنا زياد بن عبد الله ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن جابر ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم بنحوه - ولم يشك - ثم قال : وهذا الحديث قد رواه غير واحد عن الأعمش ، واختلفوا في إسناده ، فرواه غير واحد عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هُريرة أو غيره ، وقال قيس : عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر ، قال جرير وزياد : عن عبد الله ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن جابر .

وقال الإمام أحمد(٢٧) : حدثنا وكيع ، حدثنا الأعمش قال [أبو صالح أخبرنا][٣] عن أبي هريرة قال : جاء رجل إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم فقال[٤] : إنّ فلانًا يصلي بالليل[٥] فإذا أصبح سرق فقال : « **إنه سينهاه ما يقول** » . وتشتمل الصلاة أيضًا علىٰ ذكر الله تعالىٰ ، وهو المطلوب الأكبر ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ولذكر الله أكبر** ﴾ ، أي : أعظم من الأول ، ﴿ **والله يعلم ما تصنعون** ﴾ أي : يعلم جميع أقوالكم وأعمالكم .

وقال أبو العالية في قوله : ﴿ **إنّ الصلاة تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر** ﴾ قال : إن الصلاة فيها

(٢٣) ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٣/٢٩٨) من طريق زائدة ، عن عاصم ، عن شقيق ، عن ابن مسعود قال : « **لا تنفع الصلاة إلا من أطاعها ثم قرأ عبد الله : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَا وَالْمُنْكَر ...﴾الآية** » .

(٢٤) تفسير الطبري (٢٠/٩٩) وهو من مراسيل الحسن .

(٢٥) مسند البزار حديث (٧٢١) « كشف الأستار » . وقال الهيثمي في المجمع (٢/٢٥٨) : « رجاله ثقات» .

(٢٦) « كشف الأستار حديث (٧٢٢) » .

(٢٧) المسند (٢/٤٤٧) ، ورواه البزار في مسنده كما في « كشف الأستار » حديث (٧٢٠) من طريق الأعمش به ، وقال الهيثمي في المجمع (٢/٢٥٨) : « رجاله رجال الصحيح » .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : ثنا علي بن إسماعيل بن مسلم ، وهو تحريف . والمثبت من تفسير ابن جرير .

[٢] - في ز ، خ : أرى أبا صالح ، والمثبت من المسند .[٣] - في خ ، ز : « الجرشي » .

[٤] - في ز : « قال » . [٥] - في ز : « في الليل » .

ثلاث خلال[١] ، فكلّ[٢] صلاة لا يكون فيها شيء من هذه[٣] الخلال فليست بصلاة : الإخلاص، والخشية، وذكر الله . فالإخلاص يأمره بالمعروف، والخشية تنهاه عن المنكر ، وذكر الله القرآن يأمره وينهاه .

وقال ابن عون الأنصاري : إذا كنت في صلاة فأنت في معروف ، وقد حجزتك عن الفحشاء والمنكر ، والذي أنت فيه من ذكر الله أكبر .

وقال حماد بن أبي سليمان : ﴿**إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**﴾ يعني : ما دمت فيها .

وقال عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **ولذكر الله أكبر** ﴾ ، يقول : ولذكر الله لعباده إذا [ذكروه][٤] أكبر من ذكرهم إياه ، وكذا روى غير واحد عن ابن عباس . [وبه قال مجاهد وغيره .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن داود بن أبي هند ، عن رجل ، عن ابن عباس][٥] : ﴿ **ولذكر الله أكبر** ﴾ ، قال : ذكر الله عند طعامك وعند منامك . قلت : فإن صاحبًا لي في المنزل يقول غير الذي تقول ؟ قال : وأي شيء يقول ؟ قلت : قال : يقول الله : ﴿ **فاذكروني أذكركم** ﴾ ، فلذكر الله إيانا أكبر من ذكرنا إياه . قال : صدق .

قال : وحدثنا أبي ، حدثنا النفيلي ، حدثنا إسماعيل ، عن خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **ولذكر الله أكبر** ﴾ ، قال : لها وجهان ، قال : ذكر الله عِنْدَ مَا حرَّمه ، قال : وذكر الله إياكم أعظم من ذكركم إياه .

وقال ابن جرير (٢٨) : حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا هشيم ، أخبرنا عطاء بن السائب ، عن عبد الله بن ربيعة قال : قال لي ابن عباس : هل تدري ما قوله تعالىٰ : ﴿ **ولذكر الله أكبر** ﴾ ؟ قال[٦] : قلت : نعم . قال : فما هو ؟ قلت : التسبيح والتحميد والتكبير في الصلاة ، وقراءة القرآن ، ونحو ذلك . قال : لقد قلت قولًا عجبًا ، وما هو كذلك ، ولكنه إنما يقول : ذكر الله إياكم عِنْدَ مَا أَمَر به أو نهىٰ عنه - إذا ذكرتموه - أكبر من ذكركم إياه ، وقد روي هذا من غير وجه عن ابن عباس . وروي أيضًا عن ابن مسعود ، وأبي الدرداء ، وسلمان الفارسي ، وغيرهم ، واختاره ابن جرير .

(٢٨) تفسير الطبري (٢٠/٩٩) .

[١] - في ت : « خصال » .
[٢] - في ز ، خ: « فعل » .
[٣] - في ز ، خ: « هذا » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين في خ، ز : « في قوله » .
[٦] - سقط من : ز، خ .

﴿ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾

قال قتادة وغير واحد : هذه الآية منسوخة بآية السيف ، ولم يبق معهم مجادلة ، وإنما هو الإسلام أو الجزية أو السيف .

وقال آخرون : بل هي باقية أو محكمة لمن أراد الاستبصار[١] منهم في الدين ، فيجادل بالتي هي أحسن ، ليكون أنجع[٢] فيه كما قال تعالىٰ : ﴿ **ادع إلىٰ سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين** ﴾ ، وقال تعالىٰ لموسىٰ وهارون حين بعثهما إلىٰ فرعون : ﴿ **فقولا له قولا لينًا لعله يتذكر أو يخشىٰ** ﴾ وهذا القول اختاره ابن جرير(٢٩) وحكاه عن ابن زيد .

وقوله : ﴿ **إلا الذين ظلموا منهم** ﴾ ، أي : حادوا عن وجه الحق ، وعَمُوا عن واضح المحجة ، وعاندوا وكابروا ، فحينئذ ينتقل عن[٣] الجدال إلىٰ الجلاد ، ويقاتلون بما يردعهم ويمنعهم ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قويّ عزيز** ﴾ قال جابر: أمرنا من خالف كتاب الله أن نضربه بالسيف .

قال مجاهد : ﴿ **إلا الذين ظلموا منهم** ﴾ ، يعني أهل الحرب ، ومن امتنع منهم من[٤] أداء الجزية .

وقوله : ﴿ **وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم** ﴾ ، يعني : إذا أخبروا بما لا يعلم صدقه ولا كذبه ، فهذا لا نُقدم علىٰ تكذيبه؛ لأنه قد يكون حقًّا ولا علىٰ تصديقه فلعله أن يكون باطلًا ، ولكن نؤمن به إيمانًا مجملًا معلقًا على شرط ، وهو أن يكون منزلًا لا مبدلًا ولا[٥] مؤولًا .

قال البخاري رحمه الله(٣٠) : حدثنا محمد بن بشار، حدثنا عثمان بن عُمر، ثنا[٦] عليُّ بن

(٢٩) تفسير الطبري (٢/٢١) .

(٣٠) صحيح البخاري حديث (٤٤٨٥ ، ٧٣٦٢) .

[١] - في ز ، خ: « الاستنصار » .
[٢] - في خ ، ز : « الجمع » .
[٣] - في ت : « من » .
[٤] - في ت : « عن » .
[٥] - سقط من : ز ، خ.
[٦] - في ت : « أخبرنا » .

المبارك ، عن يحيىٰ بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : كان أهل الكتاب[١] يقرءون التوراة بالعبرانية ، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا : آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم ، وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون** » . وهذا الحديث تفرد به البخاري .

وقال الإمام أحمد (٣١) : حدثنا عثمان بن عُمر[٢] ، أخبرنا يونس ، عن الزهري ، أخبرني ابن أبي نملة أن أبا نملة الأنصاري أخبره أنه بينما هو جالس عند رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - جاءه رجل من اليهود ، فقال : يا محمد ، هل تتكلم هذه الجنازة ؟ قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **الله[٣] أعلم** » . قال اليهودي : أنا أشهد أنها تتكلم . فقال رسول الله -صلىٰ الله عليه وسلم - : « **إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ، وقولوا : آمنا بالله ورسله وكتبه ، فإن كان حقًّا لم تكذبوهم ، وإن كان باطلًا لم تصدقوهم** » .

قلت : وأبو نملة هذا هو : عمارة . وقيل : عَمّار . وقيل : عمرو بن معاذ بن زُرارة الأنصاري ، رضي الله عنه .

ثم ليعلم أن أكثر ما يُحدّثون به غالبه كذب وبهتان ، لأنه قد دخله تحريف وتبديل وتغيير وتأويل ، وما أقلَّ الصدقَ فيه ! ثم ما أقل فائدة كثير منه لو كان صحيحًا !

قال ابن جرير(٣٢) : حدثنا ابن بشار ، حدثنا أبو[٤] عاصم ، حدثنا سفيان ، عن سليمان بن عامر ، عن عمارة[٥] بن عمير ، عن حريث بن ظهير ، عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال : لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء ، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا ، إما أن [تكذبوا بحق أو تصدقوا][٦] بباطل ، فإنه ليس أحد من أهل الكتاب إلا وفي قلبه[٧] تالية[٨] تدعوه إلى دينه كتالية[٩] المال .

(٣١) المسند (٤/١٣٦) .

(٣٢) تفسير الطبري (٢١/٤) .

[١] - في خ ، ز : « التوراة » .

[٢] - في خ ، ز : « عمرو » . وهو تحريف .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - سقط من : خ ، ز .

[٥] - في ت : « عمار » .

[٦] - في ز : « يكذبوا الحق أو يصدقوا » .

[٧] - سقط من : خ .

[٨] - في ز ، خ: « مالية » . والمثبت من تفسير الطبري . وجاء في النهاية (١/١٩٦) تليت له تلية من حقه وتُلاوة ، أي بقيت له بقية .

[٩] - في ز ، خ: « كمالية » .

وقال البخاري (٣٣) : حدثنا موسىٰ بن إسماعيل ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، أخبرنا ابن شهاب ، عن عُبيد[١] الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، قال : كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل إليكم علىٰ رسوله - صلىٰ الله عليه وسلم - أحدثُ ، تقرءونه محضًا لم يُشَب ، وقد حدّثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه ، وكتبوا بأيديهم الكتاب ، وقالوا : هو من عند الله ؛ ليشتروا به ثمنًا قليلًا ؟ ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم ؟ لا والله ما رأينا منهم رجلًا يسألكم عن الذي أنزل عليكم .

وقال البخاري (٣٤) : وقال أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، عن الزهري ، أخبرني حُميد[٢] بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية يحدث رهطًا من قريش بالمدينة - وذكر كعب الأحبار - فقال : إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدّثون عن أهل الكتاب ، وإنْ كنا مع ذلك لنبلو[٣] عليه الكذب .

قلت : معناه أنه يقع منه الكذب لغة من غير قصد ؛ لأنه يحدث عن صحف هو يحسن بها الظن ، وفيها أشياء موضوعة ومكذوبة ، لأنهم لم يكن في ملتهم حفاظ متقنون كهذه الأمة العظيمة ، ومع ذلك وقرب العهد وضعت أحاديث كثيرة في هذه الأمة ، لا يعلمها إلا الله عز وجل ومن منحه الله علمًا بذلك ، كل بحسبه ، ولله الحمد والمنة .

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾

قال ابن جرير : يقول الله تعالىٰ : كما أنزلنا الكتب علىٰ من قبلك - يا محمد - من الرسل ، كذلك أنزلنا إليك هذا الكتاب . وهذا الذي قاله حسن ومناسبة وارتباط جيد .

وقوله : ﴿ **فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به** ﴾ ، أي : الذين أخذوه فتلَوه[٤] حق تلاوته

(٣٣) صحيح البخاري حديث (٧٣٦٣) .

(٣٤) صحيح البخاري حديث (٧٣٦١) .

[١] - في خ ، ز : « عبد » .
[٢] - في خ ، ز : « عبيد » .
[٣] - في ز ، خ: « لنتلوا » .
[٤] - في خ ، ز : « يتلوه » .

من أحبارهم العلماء الأزكياء كعبد اللَّه بن سلام وسلمان الفارسي ، وأشباههما .

وقوله : ﴿ **ومن هؤلاء من يؤمن به** ﴾ . يعني : العرب من قريش وغيرهم ، ﴿ **وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون** ﴾ ، أي : ما يكذب بها ويجحد حقها إلا من يستر الحقّ بالباطل ، ويغطي ضوء الشمس بالوصائل ، وهيهات !

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك** ﴾ ، أي : قد لبثت في قومك - يا محمد - [من][١] قبل أن تأتي بهذا القرآن عُمرًا لا تقرأ كتابًا ولا تحسن الكتابة ، بل كل أحد من قومك وغيرهم يعرف أنك رجل أميّ لا تقرأ ولا تكتب . وهكذا صفته في الكتب المتقدمة كما قال تعالىٰ : ﴿ **الذين يتبعون الرسول النبيّ الأميّ الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر** ﴾ الآية . وهكذا كان صلىٰ اللَّه عليه وسلم - إلىٰ يوم القيامة - لا يحسن الكتابة ولا يخط سطرًا ولا حرفًا بيده بل كان له كتّاب يكتبون بين يديه الوحي والرسائل إلىٰ الأقاليم . ومن زعم من متأخري الفقهاء كالقاضي أبي الوليد الباجي ومن تابعه ، أنه - عليه السلام - كتب يوم الحديبية : « **هذا ما قاضىٰ عليه محمد بن عبد اللَّه** » فإنما حمله علىٰ ذلك رواية في صحيح البخاري : « **ثم أخذ فكتب** » . وهذه محمولة علىٰ الرواية الأخرىٰ : « **ثم أمر فكتب** » ولهذا اشتد النكير من فقهاء المغرب والمشرق علىٰ من قال بقول الباجي ، وتبرءوا منه ، وأنشدوا في ذلك أقوالًا وخطبوا به في محافلهم وإنما أراد الرجل - أعنى الباجى ، فيما يظهر عنه - أنه كتب ذلك على وجه المعجزة ، لا أنه كان يحسن الكتابة ، كما قال - عليه الصلاة والسلام - إخبارًا عن الدجال(٣٥) : « **مكتوب بين عينيه كافر** » . وفي رواية : « **ك ف ر ، يقرؤه[٢] كل مؤمن** » .

وما أورده بعضهم من الحديث أنه لم يمت - عليه السلام - حتىٰ تعلم الكتابة ، فضعيف لا أصل له ؛ قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **وما كنت تتلو** ﴾ أي : تقرأ ﴿ **من قبله من كتاب** ﴾ لتأكيد النفي ﴿ **ولا تخطه بيمينك** ﴾ ، تأكيد أيضًا و[٣]خرج مخرج الغالب ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ولا طائر يطير بجناحيه** ﴾ وقوله : ﴿ **إذًا لارتاب المبطلون** ﴾ ، أي : لو كنت تخطها[٤] لارتاب بعض الجهلة من الناس فيقول : إنما تعلم هذا من كُتب قبله مأثورة عن الأنبياء ، مع أنهم قالوا ذلك مع علمهم بأنه أميّ لا يحسن الكتابة: ﴿ **وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملىٰ عليه بكرة وأصيلًا** ﴾، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفورًا رحيمًا** ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ **بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم** ﴾ ، أي:

(٣٥) رواه البخاري في صحيحه حديث (٧١٣١) من حديث أنس رضي الله عنه .

[١] - في ت : ومن .
[٢] - في ت : « يقرؤها » .
[٣] - في ز ، خ: «أو » .
[٤] - في ت : « تحسنها » .

القرآن آيات بينة واضحة في الدلالة على الحق أمرًا ونهيًا وخبرًا ، يحفظه العلماء ، يَسَّره الله عليهم حفظًا وتلاوة وتفسيرًا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر** ﴾ ، وقال رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم(٣٦) - : « **ما من نبي إلا وقد أعطي ما آمن علىٰ**[١] **مثله البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا** » .

وفي حديث عياض بن حمار - في صحيح مسلم (٣٧) - : « **يقول الله تعالىٰ : إني مبتليك ومبتل بك ، ومنزل عليك كتابًا لا يغسله الماء ، تقرؤه نائمًا يقظان** » . أي : لو غسل الماء المحل المكتوب فيه لما احتيج إلى ذلك المحل كما جاء في الحديث الآخر(٣٨) : « **لو كان القرآن في إهاب لما**[٢] **أحرقته النار** » لأنه محفوظ في الصدور ، ميسر علىٰ الألسنة ، مهيمن علىٰ القلوب ، معجز لفظًا ومعنى . ولهذا جاء في الكتب المتقدمة ، في صفة هذه الأمة : « **أناجيلهم في صدورهم** » .

واختار ابن جرير(٣٩) أن المعنىٰ في قوله تعالىٰ : ﴿ **بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم** ﴾ ، بل العلم بأنك[٣] ما كنت تتلو من قبل هذا الكتاب كتابًا ولا تخطه بيمينك آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب . ونقله عن قتادة وابن جريج ، وحكي الأول عن الحسن فقط . قلت : وهو الذي رواه العوفي عن عبد الله بن عباس ، وقاله الضحاك ، وهو الأظهر ، والله أعلم .

وقوله: ﴿ **وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون** ﴾ ، أي : ما يكذب بها ويبخس حقها ويردها إلا الظالمون ، أي : المعتدون المكابرون ، الذين يعلمون الحق ويحيدون عنه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **إنّ الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولوجاءتهم كل آية حتىٰ يروا العذاب الأليم** ﴾ .

وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ

(٣٦) رواه البخاري في صحيحه حديث (٧٢٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وسيأتي إن شاء الله .
(٣٧) صحيح مسلم حديث (٢٨٦٥) .
(٣٨) رواه أحمد في مسنده (١٥١/٤) من حديث عقبة بن عامر ، وتقدم الكلام عليه في فضائل القرآن .
(٣٩) تفسير الطبري (٥/٢١) .

[١] - في ز ،خ : « عليه » . [٢] - في ت : « ما » .
[٣] - في خ : « يماثل » .

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥١) قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٥٢)﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن المشركين في تعنتهم وطلبهم آيات - يعنون - ترشدهم إلىٰ أن محمدًا رسول الله كما جاء صالح بناقته .

قال الله تعالىٰ : ﴿ **قل** ﴾ يا محمد: ﴿ **إنما الآيات عند الله** ﴾ ، أي : إنما أمر ذلك إلىٰ الله ، فإنه لو علم أنكم تهتدون لأجابكم إلىٰ سؤالكم ، لأن ذلك سهل عليه يسير لديه ، ولكنه يعلم منكم أنما قصدكم التعنت والامتحان فلا يجيبكم إلىٰ ذلك ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذَّب بها الأولون ، وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وإنما أنا نذير مبين** ﴾ ، أي : إنما بعثت نذيرًا لكم بيِّنَ النِّذَارة فَعَليّ أني[١] أبلغكم رسالة الله ، و﴿ **من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا** ﴾ وقال تعالى : ﴿**ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء**﴾ .

ثم قال تعالىٰ مبينًا كثرة جهلهم ، وسخافة عقلهم ، حيث طلبوا آيات تدلهم علىٰ صدق محمد فيما جاءهم - وقد جاءهم بالكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، الذي هو أعظم من كل معجزة ، إذ عجزت الفصحاء والبلغاء عن معارضته ، بل عن معارضة عشر سور من مثله ، بل عن معارضة سورة منه - فقال تعالىٰ : ﴿ **أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلىٰ عليهم** ﴾ ، أي : أو لم يكفهم آية أنا أنزلنا عليك هذا الكتاب العظيم الذي فيه خبر ما قبلهم ، ونبأ ما بعدهم ، وحكم ما بينهم ، وأنت رجل أميٌ لا تقرأ ولا تكتب ، ولا[٢] تخالط أحدًا من أهل الكتاب ، فجئتهم بأخبار ما في الصحف الأولىٰ ، ببيان الصواب مما اختلفوا فيه ، وبالحق الواضح البيّن الجليّ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿**وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه أو لم تأتهم بينة ما في الصحف الأولىٰ**﴾ .

وقال الإمام أحمد(٤٠) : حدثنا حجاج ، حدثنا ليث ، حدثني سعيد بن أبي سعيد ، عن

(٤٠) المسند (٣٤١/٢) ، وصحيح البخاري حديث (٤٩٨١) ، وصحيح مسلم حديث (١٥٢) .

[١] - في ت : « أن » . [٢] - في ت : « ولم » .

أبيه ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما من الأنبياء من نبي إلا وقد أعطي [من الآيات][١] ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة** » . أخرجاه من حديث الليث .

وقال الله تعالىٰ : ﴿ **إن في ذلك لرحمة وذكرىٰ لقوم يؤمنون** ﴾ ،أي : إن في هذا القرآن ﴿ **لرحمة** ﴾ ، أي : بيانًا[٢] للحق ، وإزاحة للباطل ، و﴿ **ذكرىٰ** ﴾ بما فيه حلول النقمات ونزول العقاب بالمكذبين والعاصين ، ﴿ **لرحمة وذكرىٰ لقوم يؤمنون** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **قل كفىٰ بالله بيني وبينكم شهيدًا** ﴾ أي : هو أعلم بما تفيضون فيه من التكذيب ، ويعلم ما أقول لكم من إخباري عنه ، بأنه أرسلني ، فلو كنت كاذبًا عليه لانتقم مني ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولو تقول علينا بعض الأقاويل . لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين . فما منكم من أحد عنه حاجزين** ﴾ ، وإنما أنا صادق عليه فيما أخبرتكم به ؛ ولهذا أيدني بالمعجزات الواضحات ، والدلائل القاطعات .

﴿ **يعلم ما في السموات والأرض** ﴾ لا تخفى عليه خافية ﴿ **والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون** ﴾ ، أي : يوم معادهم سيجزيهم علىٰ ما فعلوا ، ويقابلهم علىٰ ما صنعوا ، من تكذيبهم بالحق واتباعهم الباطل ، كذبوا برسل الله مع قيام الأدلة علىٰ صدقهم ، وآمنوا بالطواغيت والأوثان بلا دليل ، سيجازيهم علىٰ ذلك ، إنه حكيم عليم .

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن جهل المشركين في استعجالهم عذاب الله أن يقع بهم ، وبأس الله أن يحل عليهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم** ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ **ويستعجلونك بالعذاب ، ولولا أجل مسمىٰ لجاءهم العذاب** ﴾ ، أي : لولا ما حتّم الله من تأخير العذاب إلىٰ يوم القيامة لجاءهم العذاب قريبًا سريعًا كما استعجلوه .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٢] - في ز ، خ: « بيان » .

ثم قال : ﴿ وليأتينهم بغتة ﴾ . أي : فجأة ﴿ وهم لا يشعرون * يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ﴾ أي : يستعجلون العذاب[١] ، وهو واقع بهم لا محالة .

قال شعبة : عن سماك ، عن عكرمة قال في قوله : ﴿وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ قال : البحر .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا عمر بن إسماعيل بن مجالد ، حدثنا أبي ، عن مجالد ، عن الشعبي : أنه سمع ابن عباس يقول : ﴿ وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ﴾ ، وجهنم هو هذا البحر الأخضر ، تنتثر الكواكب فيه ، وتُكور فيه الشمس والقمر ، ثم يستوقد فيكون هو جهنم .

وقال الإمام أحمد(٤١) : حدثنا أبو عاصم؛ حدثنا عبد الله بن أمية، حدثني محمد بن حُيي[٢] ، حدثنا صفوان بن يعلى ، عن أبيه ، أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « البحر هو جهنم » قالوا ليعلى ؟ فقال : ألا ترون أن الله يقول : ﴿ نارًا أحاط بهم سرادقها ﴾ ، قال : لا ، والذي نفس يعلى بيده لا أدخلها أبدًا حتىٰ أعرض علىٰ الله ، ولا يصيبني منها قطرة حتىٰ أعرض علىٰ الله - عز وجل - هذا تفسير غريب وحديث غريب جدًّا ، والله أعلم .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴾ ، كقوله تعالىٰ : ﴿ لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش ﴾ وقال : ﴿لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل﴾ وقال : ﴿ لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفّون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ﴾ فالنار تغشاهم من[٣] سائر جهاتهم ، وهذا أبلغ في العذاب الحسي .

وقوله : ﴿ ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون ﴾ ، تهديد وتقريع وتوبيخ ، وهذا عذاب معنوي علىٰ النفوس ، كقوله : ﴿ يوم يسحبون في النار علىٰ وجوههم ذوقوا مس سقر * إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ ، وقال : ﴿ يوم يُدعون إلىٰ نار جهنم دعًّا * هذه النار التي كنتم بها تكذبون * أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون * اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون ﴾ ، ﴿ ذوقوا فتنتكم هذه النار التي كنتم بها تكذبون ﴾ .

يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ

(٤١) المسند (٤/٢٣٣) ، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٣٨٦) : « رجاله ثقات » .

[١] - في ت : « بالعذاب » .

[٢] - في خ ، ز : « جني » . [٣] - في ت : « عن » .

ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾

هذا أمر من اللّٰه لعباده المؤمنين بالهجرة من البلد الذي لا يقدرون فيه علىٰ إقامة الدين ، إلىٰ أرض اللّٰه الواسعة ، حيث يمكن إقامة الدين ، بأن يوحدوا اللّٰه ويعبدوه كما أمرهم ، ولهذا قال : ﴿ **يا عبادي [الذين آمنوا][١] إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون** ﴾ .

قال الإمام أحمد(٤٢) : حدثنا يزيد بن عبد ربه ، حدثنا بقية بن الوليد ، حدثني جُبير بن عمرو القرشي ، حدثني أبو سعد الأنصاري ، عن أبي يحيىٰ مولىٰ الزبير بن العوام ، عن الزبير العوام قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **البلاد بلاد اللّٰه والعباد عباد اللّٰه ، فحيثما أصبت خيرًا فأقم** » . ولهذا لما ضاق علىٰ المستضعفين بمكة مقامهم بها ، خرجوا مهاجرين إلىٰ أرض الحبشة ليأمنوا علىٰ دينهم هناك ، فوجدوا هناك خير المنزلين ، أصحمة النجاشي ملك الحبشة - رحمه اللّٰه - آواهم وأيدهم بنصره، وجعلهم سيُوُمًا[٢] (*) ببلاده ، ثم بعد ذلك هاجر رسول اللّٰه - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - وأصحابه الباقون إلىٰ المدينة النبوية يثرب المطهرة .

ثم قال : ﴿ **كل نفس ذائقة الموت ، ثم إلينا ترجعون** ﴾ ، أي : أينما كنتم يدرككم الموت ، فكونوا في طاعة الله وحيث أمركم اللّٰه ، فهو خير لكم ، فإن الموت لابد منه ، ولا محيد عنه ، ثم إلىٰ اللّٰه المرجع ، فمن كان مطيعًا له جازاه أفضل الجزاء ، [ووفاه تمام][٣] الثواب ؛ ولهذا قال : ﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفًا تجري من تحتها الأنهار** ﴾ ، أي : لنسكننهم[٤] منازل عاليةً في الجنة تجري من تحتها الأنهار علىٰ اختلاف أصنافها ، من ماء وخمر ، وعسل ولبن ، يصرفونها ويجرونها حيث شاءوا . ﴿ **خالدين فيها** ﴾ ، أي : ماكثين فيها أبدًا لا يبغون عنها حولًا ﴿ **نعم أجر العاملين** ﴾ نعمت هذه الغرف أجرًا علىٰ أعمال المؤمنين ﴿ **الذين صبروا** ﴾ أي : علىٰ دينهم وهاجروا إلىٰ اللّٰه ، ونابذوا

---

(٤٢) المسند (١/١٦٦) ، وقال الهيثمي في المجمع (٤/٧٢) : « فيه جماعة لم أعرفهم » .

(*) - أي : آمنين ، وهي كلمة حبشية ، وتُروى بفتح السين . وقيل : سيوم : جمع سائم ، أي تسومون في بلدي كالغنم السائمة لا يعارضكم أحد (النهاية ٢/٤٣٤، ٤٣٥) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٢] - في خ : « سهوما » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ت : « ووافاه أتم » .
[٤] - في ز ، خ: « لنسكننكم » .

الأعداء ، وفارقوا الأهل والأقرباء ، ابتغاء وجه الله ، ورجاء ما عنده وتصديق موعوده .

قال ابن أبي حاتم رحمه الله(٤٣) : حدثني أبي ، حدثنا صفوان المؤذن ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا معاوية بن سلام ، عن أخيه زيد بن سلام ، عن جده أبي سلام الأسود ، حدثني أبو معانق[١] الأشعري : أن أبا مالك الأشعري حدثه أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حدثه[٢] « **أن في الجنة غُرفًا يرىٰ ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها ، أعدها الله لمن أطعم الطعام ، وأطاب الكلام ، وأباح الصيام ، وأقام الصلاة والناس نيام** » .

﴿**وعلى ربهم يتوكلون**﴾ في أحوالهم كلها في دينهم ودنياهم ثم أخبرهم تعالىٰ أن الرزق لا يختص ببقعة ، بل رزقه تعالىٰ عام لخلقه حيث كانوا وأين كانوا ، بل كانت أرزاق المهاجرين حيث هاجروا أكثر وأوسع وأطيب فإنهم بعد قليل صاروا حكام البلاد في سائر الأقطار والأمصار ، ولهذا قال : ﴿ **وكأين من دابة لا تحمل رزقها** ﴾ ، أي : لا تطيق جمعه وتحصيله ، ولا تؤخر شيئًا لغد ﴿ **الله يرزقها وإياكم** ﴾ أي : الله يُقيض لها رزقها علىٰ ضعفها ، وييسره عليها ، فيبعث إلىٰ كل مخلوق من الرزق ما يصلحه حتىٰ الذر في قرار الأرض ، والطير في الهواء والحيتان في الماء . قال الله تعالىٰ : ﴿ **وما من دابة في الأرض إلا علىٰ الله رزقها ، ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم(٤٤) : حدثنا محمد بن عبد الرحمن[٣] الهروي ، حدثنا يزيد - يعني ابن هارون - حدثنا الجراح بن[٤] منهال الجزري - هو أبو العطوف - عن الزهري ، عن رجل ، عن ابن عمر قال : خرجت مع رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - حتىٰ دخل بعض حيطان المدينة ، فجعل يلتقط من التمر ويأكل ، فقال لي : « **يا ابن عمر ، مالك لا تأكل ؟** » قال : قلت : لا أشتهيه يا رسول الله . قال : « **لكني أشتهيه وهذه صبح رابعة منذ لم أذق طعامًا ولم أجده ، ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك قيصر وكسرىٰ ، فكيف[٥] بك يا ابن عمر ، إذا بقيتَ في قوم يَخْبَئون رزق سنتهم بضعف[٦] اليقين ؟** » قال : فوالله ما برحنا ولا رِمْنا حتىٰ نزلت : ﴿ **وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع**

---

(٤٣) ورواه الإمام أحمد في مسنده (٣٤٣/٥) من طريق أبي معانق ، عن أبي مالك به ، وسيأتي عند الآية : ٢٠ من سورة الزمر .

(٤٤) ورواه البغوي في تفسيره (٢٥٣/٦) من طريق إسماعيل بن زرارة ، عن الجراح بن المنهال به - وقال الشوكاني في فتح القدير (٢١٣/٤) : « وهذا الحديث فيه نكارة شديدة لمخالفته لما كان عليه النبي - صلى

---

[١] - في ت : « معاوية » . [٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ابن أبي حاتم : عبد الرزاق .

[٤] - في ز : « عن » . [٥] - في ز : « وكيف » .

[٦] - في ز : « لضعف » .

العليم ﴾ . فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إن اللّٰه لم يأمرني بكنز الدنيا ولا باتباع الشهوات ، فمن كنز دنياه يريد بها حياة باقية فإن الحياة بيد اللّٰه ، ألا وإني لا أكنز دينارًا ولا درهمًا ولا أخبأ رزقًا لغد**[١] » .

هذا حديث غريب ، وأبو العطوف الجزري ضعيف .

وقد ذكروا أن الغراب إذا فَقَس عن فراخه البيض ، خرجوا وهم بيض ، فإذا رآهم أبواهم كذلك ، نفر عنهم أيامًا حتىٰ يسود الريش، فيظل الفرخ فاتحًا فاه [يتفقد][٢] أبويه فيقيض اللّٰه[٣] له طيرًا صغارًا كالبِرْغَش(*) فيغشاه[٤] فيتقوت منه تلك الأيام حتىٰ يسود ريشه والأبوان يتفقدانه كل وقت ، فكلما رأوه أبيض الريش نفرا عنه[٥] ، فإذا رأوه قد اسود ريشه عطفا عليه بالحضانة والزق ، ولهذا قال الشاعر :

يا رازق النَّعَاب(**) في عشه وجابر العظم الكسير المهيض

وقد قال الشافعي في جملة كلام له في الأوامر ، كقول النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **سافروا تصحوا وترزقوا** » .

قال البيهقي(٤٥) : أخبرناه إملاء أبو الحسن[٦] علي [بن محمد][٧] بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد ، أخبرنا محمد بن غالب ، حدثني محمد بن سنان ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن رَدّاد[٨] - شيخ من أهل المدينة - حدثنا عبد اللّٰه بن دينار ، عن ابن عمر قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **سافروا تصحوا وتغنموا** » . قال : ورويناه عن ابن عباس .

وقال الإمام أحمد(٤٦) ، حدثنا قتيبة : حدثنا ابن لَهيعة ، عن دَرّاج ، عن عبد الرحمن بن

اللّٰه عليه وسلم - فقد كان يعطي نساءه قوت العام كما ثبت ذلك في كتب الحديث المعتبرة ، وفي إسناده أبو العطوف الجزري وهو ضعيف » .ا.هـ مستفادًا من حاشية تفسير البغوي .

(*) البرغش : البعوض اللساع .

(**) - النعاب : فَرْخ الغراب .

(٤٥) السنن الكبرى (١٠٢/٧) ، ورواه ابن عدي في الكامل (١٩٠/٦) من طريق محمد بن عبد الرحمن بن رواد به ، وقال : « لا أعلم يرويه غير الرواد هذا ، عامة ما يرويه غير محفوظ » وقال ابن أبي حاتم في العلل (٣٠٦/٢) : « سألت أبي عن هذا الحديث فقال : هذا حديث منكر » .

(٤٦) المسند (٣٨٠/٢) وفيه ابن لهيعة ودراج ضعيفان .

---

[١] - في خ ، ز : « لأحد » . [٢] - في خ ، ز : « وقال » .
[٣] - سقط من : خ . [٤] - في ز،خ : « فتغشاه » .
[٥] - سقط من : ز، خ . [٦] - في ز : « الحسين » .
[٧] - في ز،خ : « ابن أحمد » . والمثبت من البيهقي .[٨] - في ز ، خ : « وارد » .

حُجيرة[١] ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **سافروا تربحوا وصوموا تصحوا ، واغزوا تغنموا** » .

وقد ورد مثل حديث ابن عمر عن ابن عباس مرفوعًا ، وعن معاذ بن جبل موقوفًا[٢] (٤٧) . وفي لفظ : « **سافروا مع ذوي الجدود والميسرة** »(٤٨) .

وقوله تعالى: ﴿**وهو السميع العليم**﴾ أي: السميع لأقوال عباده، العليم بحركاتهم وسكناتهم .

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

يقول تعالى مقررًا أنه لا إله إلا هو . لأن المشركين - الذين يعبدون معه غيره - معترفون أنه المستقل بخلق السموات والأرض والشمس والقمر ، وتسخير الليل والنهار وأنه الخالق الرازق لعباده ، ومقدر آجالهم واختلافها واختلاف أرزاقهم ففاوت بينهم ، فمنهم الغني والفقير ، وهو العليم بما يصلح كلًّا منهم ، ومن يستحق الغنى ممن يستحق الفقر ، فذكر أنه المستبد بخلق الأشياء المتفرد بتدبيرها ، فإذا كان الأمر كذلك فلم يعبد غيره ؟ ولم يتوكل على غيره ؟فكما أنه الواحد في ملكه فليكن الواحد في عبادته ، وكثيرًا ما يقرر[٣] تعالى مقام الإلهية بالاعتراف بتوحيد الربوبية . وقد كان المشركون يعترفون بذلك ، كما كانوا يقولون في تلبيتهم : « **لبيك لا شريك لك ، إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك** » .

---

(٤٧) أما حديث ابن عباس ، فرواه البيهقي في السنن الكبرى (١٠٢/٧) ، من طريق بسطام بن حبيب ، عن القاسم ، عن أبي حازم ، عن ابن عباس مرفوعًا ، ورواه ابن عدي في الكامل (٥٧/٧) من طريق نهشل ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، مرفوعًا . وقال : « هذه الأحاديث كلها عن الضحاك غير محفوظة » . ولم أجده عن معاذ موقوفًا ، وسيأتي مرفوعًا ، وجاء من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا . ورواه ابن عدي في الكامل (٤٥٤/٣) عن سوار بن مصعب ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، مرفوعًا وقال : « سوار هذا عامة ما يرويه غير محفوظ » .

(٤٨) رواه الديلمي في مسند الفردوس حديث (٣٣٨٧) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه ، وذكره السيوطي في الجامع ورمز له بالضعف وأعله المناوى بإسماعيل بن زياد .

---

[١] - في ز ، خ: « حجير » . [٢] - في خ : « مرفوعًا » .

[٣] - في ز ، خ: « يقدر » .

وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن حقارة الدنيا وزوالها وانقضائها ، وأنها لا دوام لها ، وغاية ما فيها لهو ولعب : ﴿ **وإن الدار الآخرة لهي الحيوان** ﴾ أي : الحياة الدائمة الحق الذي لا زوال لها ولا انقضاء ، بل هي مستمرة أبد الآباد .

وقوله : ﴿ **لو كانوا يعلمون** ﴾ أي : لآثروا ما يبقى على ما يفنى .

ثم أخبر تعالىٰ عن المشركين أنهم عند الاضطرار يدعونه وحده لا شريك له ، فهلا يكون هذا منهم دائمًا ، ﴿ **فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين** ﴾ ، كقوله : ﴿ **وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم**[١] **إلىٰ البر أعرضتم** ﴾ وقال هاهنا : ﴿ **فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون** ﴾ .

وقد ذكر محمد بن إسحاق ، عن عكرمة بن أبي جهل : أنه لما فتح رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم مكة ذهب فارًّا منها ، فلما ركب في البحر ليذهب إلىٰ الحبشة اضطربت بهم السفينة ، فقال أهلها : يا قوم ؛ أخلصوا لربكم الدعاء ، فإنه لا يُنجّي هاهنا إلا هو . فقال عكرمة : والله إن كان لا ينجي في البحر غيره ، فإنه لا ينجي أيضًا غيره في البر ، اللهم ؛ لك علي عهد لئن خرجتُ لأذهبن فلأضعنّ يدي في يد محمد فلأجدنه رءوفًا رحيمًا . وكان كذلك .

وقوله : ﴿ **ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا** ﴾ ، هذه « **اللام** » يسميها كثير من أهل العربية والتفسير وعلماء الأصول « **لام العاقبة** » ، لأنهم لا يقصدون[٢] ذلك ، ولا شك أنها كذلك بالنسبة إليهم ، وأما بالنسبة إلىٰ تقدير الله عليهم ذلك[٣] وتقييضه إياهم لذلك[٤] فهي « **لام التعليل** » . وقد قدمنا [تقرير ذلك][٥] في قوله تعالىٰ : ﴿ **ليكون لهم عدوًّا وحزنا** ﴾ .

أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ

---

[١] - في ز ، خ: « أنجاكم » .
[٢] - في خ ، ز : « يعدون » .
[٣] - سقط من : ز ، خ.
[٤] - في ت : « ذلك » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ت : « تقريرًا لذلك » .

﴿وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ۝٦٧ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ۝٦٨ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٦٩﴾

يقول تعالىٰ ممتنًّا علىٰ قريش فيما أحلهم من حرمه[١] ، الذي جعله للناس سواء العاكف فيه والبادي ومن دخله كان آمنًا ، فهم في أمن عظيم ، والأعراب حوله ينهب بعضهم بعضًا ، ويقتل بعضهم بعضًا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **لإيلاف قريش . إيلافهم رحلة الشتاء والصيف . فليعبدوا رب هذا البيت . الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف** ﴾ .

وقوله : ﴿ **أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون** ﴾ ، أي : أفكان شكرهم علىٰ هذه النعمة العظيمة أن أشركوا به ، وعبدوا معه الأصنام والأنداد ، و﴿ **بدلوا نعمة الله كفرًا وأحلوا قومهم دار البوار** ﴾ ، وكفروا بنبي الله وعبده ورسوله ، فكان اللائق بهم[٢] إخلاص العبادة لله ، وأن لا يشركوا به ، وتصديق الرسول وتعظيمه وتوقيره ، فكذبوه وقاتلوه وأخرجوه من بين أظهرهم ؛ ولهذا سلبهم الله ما كان أنعم به عليهم ، وقتل من قتل منهم ببدر ، وصارت الدولة(*) لله ولرسوله وللمؤمنين[٣] ، ففتح الله علىٰ رسوله مكة ، وأرغم آنافهم[٤] وأذل رقابهم .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ومن أظلم ممن افترىٰ علىٰ الله كذبًا أو كذب بالحق لما جاءه** ﴾ ، أي: لا أحد أشدّ عقوبة ممن كذب علىٰ الله فقال : إن الله أوحىٰ إليه ولم يوح إليه شيء . ومن قال : سأنزل مثل ما أنزل الله . وهكذا لا أحد أشد عقوبة ممن كذب بالحق لما جاءه ، فالأول مفتر ، والثاني مكذب ، ولهذا قال : ﴿ **أليس في جهنم مثوى للكافرين** ﴾؟ .

ثم قال : ﴿ **والذين جاهدوا فينا** ﴾ ، يعني الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - وأصحابه وأتباعه إلىٰ يوم الدين ، ﴿ **لنهدينهم سبلنا** ﴾ ، أي : لنُبَصِّرنَّهم سبلنا أي : طرقنا[٥] في الدنيا والآخرة .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن أبي الحواري ، حدثنا عباس الهمداني أبو أحمد - من أهل عكا - في قول الله : ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وإن الله لمع المحسنين** ﴾ ، قال : الذين يعملون بما يعلمون يهديهم لما لا[٦] يعلمون . قال أحمد بن أبي

(*) - الدولة : الغلبة .

[١] - في خ ، ز : « حريمه » .
[٢] - في ز ، خ: « لهم » .
[٣] - سقط من : ز، خ .
[٤] - في ز ، خ: « آنافيهم » .
[٥] - في خ ، ز : « طريقنا » .
[٦] - سقط من : خ .

الحواري : فحدثت به أبا سليمان الداراني فأعجبه ، وقال : ليس[١] ينبغي لمن ألهم شيئًا من الخير أن يعمل به[٢] حتىٰ يسمعه في الأثر ، فإذا سمعه في الأثر عمل به ، وحمد اللَّه حين وافق ما[٣] في نفسه .

وقوله : ﴿وإن الله لمع المحسنين﴾ . قال ابن أبي حاتم :

حدثنا أبي ، حدثنا عيسىٰ بن جعفر قاضي الري ، حدثنا أبو جعفر الرازي ، عن المغيرة ، عن الشعبي قال : قال عيسىٰ ابن مريم عليه السلام : إنما الإحسان أن تحسن إلىٰ من أساء إليك[٤] ، و[٥]ليس الإحسان أن تحسن إلىٰ من أحسن إليك . واللَّه أعلم .

☆ ☆ ☆

انتهى بحمد الله وحسن توفيقه المجلد العاشر

ويليه إن شاء الله تعالى المجلد الحادي عشر وأوله تفسير سورة الروم

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - في خ ، ز : « فيما » .

[٤] - في خ : « عليك » .

[٥] - سقط من : ز .

تفسير القرآن العظيم

للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء
إسماعيل بن كثير الدمشقي
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

هذه الطبعة أول طبعة مقابلة على النسخة الأزهرية
وكذلك على نسخة كاملة بدار الكتب المصرية

تحقيق

مصطفى السيد محمد | محمد السيد رشاد
محمد فضل العجماوي | علي أحمد عبد الباقي
حسن عباس قطب

المجلد الحادي عشر

مؤسسة قرطبة
طباعة . نشر . توزيع
جيزة - ت : ٥٨١٥٠٢٧

مكتبة أولاد الشيخ للتراث
٣٦ ش اليابان - عمرانية غربية - جيزة
ت : ٥٦٢٨٣١٨ - ٥٦١١٤٤٢

رقم الإيداع : ٩٣٤٩ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولى : I.S.B.N
977 - 5234 - 33 - 6

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر هاتف : ٤٣٠٧٥٢٦ - ٢٠٥٥٦٨٨ القاهرة

تفسير

القرآن العظيم

تفسير سورة الروم

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾

نزلت[١] هذه الآيات حين غلب سابور ملك الفرس على بلاد الشام وما والاها من بلاد الجزيرة وأقاصي بلاد الروم ، واضطر هرقل ملك الروم حتى ألجأه إلى القسطنطينية ، وحاصره فيها مدة طويلة ثم عادت الدولة لهرقل كما سيأتي .

قال الإمام أحمد(١) : حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا أبو إسحاق ، عن سفيان ، عن حبيب ابن أبي عمرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله تعالى : ﴿ **الم * غلبت الروم في أدنى الأرض** ﴾ ، قال : غُلبت وغَلَبت . قال : كان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم ، لأنهم أصحاب أوثان ، وكان[٢] المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس ، لأنهم أهل كتاب ، فذكر ذلك لأبي بكر ، فذكره أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أما إنهم سيغلبون** » . فذكره أبو بكر لهم ، فقالوا : اجعل بيننا وبينك أجلًا ، فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا ، وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا . فجعل أجلًا[٣] خمس سنين ، فلم يظهروا ، فذكر ذلك أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم - فقال : « **ألا جعلتها إلى دُون - أراه قال - : العشر** » . قال سعيد بن جبير : البضع مادون العشر . ثم ظهرت الروم بعد ، قال : فذلك قوله : ﴿ **الم * غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ**

(١) المسند (١/٢٧٦) ، وسنن الترمذي حديث (٣١٩٣) ، والنسائي في السنن الكبرى حديث (١١٣٨٩) .

[١] - سقط من : خ ، ز .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - في خ، ز : « رجل » .

يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ﴾ .

هكذا رواه الترمذي والنسائي جميعًا عن الحسين بن حريث ، عن معاوية بن عمرو ، عن أبي إسحاق الفزاري ، عن سفيان بن سعيد الثوري به .

وقال الترمذي : حسن غريب ، إنما نعرفه من حديث سفيان عن حبيب ،

ورواه ابن أبي حاتم ، عن محمد بن إسحاق الصاغاني[١] ، عن معاوية بن عمرو ، به .

ورواه ابن جرير(٢) : حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا [محمد بن أسعد - أو[٢] سعيد - التَّغْلَبِيّ الذي يقال له أبو سعيد[٣]][٤] من أهل طرسوس - حدثنا أبو إسحاق الفزاري ، فذكره . وعندهم : قال سفيان : فبلغني أنهم غلبوا يوم بدر .

(حديث آخر) : قال سليمان بن مهران الأعمش : عن مسلم ، عن مسروق ، قال : قال عبد الله : خمس قد مضين : الدخان واللزام والبطشه والقمر والروم . أخرجاه(٣) .

وقال ابن جرير(٤) : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا المحاربي ، عن داود بن أبي هند ، عن عامر - هو الشعبي - عن عبد الله - هو ابن مسعود رضي الله عنه - قال : كانت فارس ظاهرة علىٰ الروم وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس علىٰ الروم . وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم علىٰ فارس ؛ لأنهم أهل كتاب ، وهم أقرب إلىٰ دينهم ، فلما نزلت : **﴿ الم * غلبت الروم . في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين ﴾** ، قالوا : يا أبا بكر ، إن صاحبك يقول : إن الروم تظهر علىٰ فارس في بضع سنين ؟ ! قال : صدق . قالوا : هل لك إلىٰ أن نقامرك : فبايعوه علىٰ أربع[٥] قلائص إلىٰ سبع سنين ، فمضت السبع ولم يكن شيء ، ففرح المشركون بذلك وشق علىٰ المسلمين ، فذُكر ذلك للنبي صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال : « **ما بضع السنين[٦] عندكم** ؟ » قالوا : دون العشر . قال : « **اذهب فزايدهم وازدد سنتين في الأجل** » . قال : فما[٧] مضت السنتان حتىٰ جاءت الركبان بظهور الروم علىٰ فارس ، ففرح المؤمنون بذلك وأنزل الله : **﴿ الم * غلبت الروم ﴾** ، إلىٰ قوله : **﴿ لا يخلف الله وعده ﴾** .

---

(٢) تفسير الطبري (١٢/٢١) .

(٣) صحيح البخاري حديث (٤٧٦٧) ، وصحيح مسلم حديث (٢٧٩٨) .

(٤) تفسير الطبري (١٤/٢١) .

---

[١] - في ز : « الصنعاني » .
[٢] - في ز ، خ: « أبو » .
[٣] - في ز ، خ: « أسعد » .
[٤] - المثبت من تهذيب الكمال (٤٢٩/٢٤) .
[٥] - في ز ، خ: « أربعة » .
[٦] - في ت : « سنين » .
[٧] - في ز ، خ: « ما » .

(حديث آخر) : قال ابن أبي حاتم(٥) : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا أحمد بن عمر الوكيعي[١] ، حدثنا مؤمل ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : لما نزلت : ﴿ **الم * غلبت الروم . في أدنىٰ الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون** ﴾ ، قال المشركون لأبي بكر : ألا ترىٰ إلىٰ ما يقول صاحبك ؟ يزعم أن الروم تغلب فارس ! قال : صدق صاحبي . قالوا : هل لك أن نخاطرك ؟ فجعل بينه وبينهم أجلًا ، فحل الأجل قبل أن تغلب الروم فارس ، فبلغ ذلك النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فساءه ذلك وكرهه ، وقال لأبي بكر : « **ما دعاك إلىٰ هذا ؟** » . قال : تصديقًا للّٰه ولرسوله . فقال : « **تَعَرَّضْ لهم وأعظم الخَطَر ، واجعله إلىٰ بضع سنين** » . فأتاهم أبو بكر فقال لهم : هل لكم في العود ، فإن العود أحمد ؟ قالوا : نعم . فلم تمض تلك السنين حتىٰ غلبت الروم فارس ، وربطوا خيولهم بالمدائن وبنوا الرومية ، فجاء به أبو بكر إلىٰ النبي - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - فقال : هذا السحت ، قال : « **تصدق به** » .

(حديث آخر » : قال أبو عيسىٰ الترمذي(٦) : حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا إسماعيل ابن أبي أويس ، أخبرني ابن أبي الزناد ، عن عروة بن الزبير ، عن نِيار بن مُكرم الأسلمي قال : لما نزلت ﴿ **الم * غلبت الروم * في أدنىٰ الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون * في بضع سنين** ﴾ ، وكانت فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين[٢] للروم ، وكان المسلمون يحبون ظهور[٣] الروم عليهم ، لأنهم وإياهم أهل كتاب ، وفي ذلك قول اللّٰه : ﴿ **ويومئذ يفرح المؤمنون * بنصر اللّٰه ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم** ﴾ وكانت قريش تحب ظهور فارس؛ لأنهم وإياهم ليسوا أهل[٤] كتاب ولا إيمان ببعث ، فلما أنزل اللّٰه هذه الآية؛ خرج أبو بكر يصيح في نواحي مكة : ﴿ **الم * غلبت الروم . في أدنىٰ الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون * في بضع سنين** ﴾ ، قال ناس من قريش لأبي بكر : فذاك بيننا وبينك ، زعم صاحبك أن الروم ستغلب فارس في بضع سنين أفلا نراهنك علىٰ ذلك ؟ قال : بلىٰ - وذلك قبل تحريم الرهان - [فارتهن أبو بكر والمشركون ، وتواضعُوا الرهان][٥] ، وقالوا لأبي بكر : كم تجعل البضع ؟ ثلاث سنين إلىٰ تسع[٦] سنين فَسمِّ[٧] بيننا وبينك وسطًا ننتهي إليه . قال : فسموا بينهم ست سنين . قال :

(٥) ورواه أبو يعلى في المسند الكبير ، كما في المطالب (٩/٥) من طريق إبراهيم بن محمد بن عرعرة ، عن المؤمل بنحوه ، وقال البوصيري في الإتحاف : « له شاهد من حديث نيار بن مكرم رواه الترمذي » . وهو الآتي بعده .

(٦) سنن الترمذي حديث (٣١٩٤) .

[١] - في ز ،خ : « الركيعي » .

[٢] - في ز ، خ: « قاهرون » .

[٣] - سقط من : ز ، خ.

[٤] - في ت : « بأهل » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٦] - في خ ، ز : « سبع » .

[٧] - في ز ، خ: « قم » .

فمضت [السنين الست][١] قبل أن يظهروا ، فأخذ المشركون رهن أبي بكر ، فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم علىٰ فارس ، فعاب المسلمون علىٰ أبي بكر تسمية[٢] ست سنين . قال : لأن اللَّه قال : **﴿في بضع سنين﴾** . قال : فأسلم عند ذلك ناس كثير .

هكذا ساقه الترمذي ثم قال: هذا حديث حسن صحيح ، لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد ، وقد روي نحو هذا مرسلًا عن جماعة من التابعين ، مثل : عكرمة ، والشعبي ، ومجاهد ، وقتادة ، والسدي ، والزهري ، وغيرهم .

ومن أغرب هذه السياقات ما رواه الإمام سُنيد بن داود في تفسيره حيث قال (٧) : حدثني حجاج ، عن أبي بكر بن عبد اللَّه ، عن عكرمة قال : كانت في فارس امرأة لا تلد إلا الملوك الأبطال ، فدعاها كسرىٰ فقال : إني أريد أن أبعث إلىٰ الروم جيشًا وأستعمل عليهم رجلًا من بنيك فأشيري عليّ ، أيّهم أستعمل ؟ فقالت : هذا فلان ، وهو أروغ من ثعلب ، وأحذر من صقر . وهذا فرخان ، وهو أنفذ من سنان . وهذا شهربراز وهو أحلم من كذا - تعني أولادها الثلاثة - فاستعمل أيهم شئت . قال : فإني قد استعملت الحليم . فاستعمل شهربراز فسار إلىٰ الروم بأهل فارس ، فظهر عليهم فقتلهم ، وخرّب مدائنهم ، وقطع زيتونهم .

قال أبو بكر بن عبد اللَّه : فحدثت هذا[٣] الحديث عطاء الخراساني فقال : أما رأيت بلاد الشام ؟ قلت . لا ، قال : أما إنك لو رأيتها لرأيت المدائن التي خربت والزيتون الذي قطع . فأتيت الشام بعد ذلك فرأيته .

قال عطاء الخراساني : حدثني يحيى بن يعمر أن قيصر بعث رجلًا يدعى بطنة[٤] بجيش من الروم ، وبعث كسرىٰ شهربراز فالتقيا بأذرعات وبُصرىٰ ، وهي أدنىٰ الشام إليكم ، فلقيت فارس الروم ، فغلبتهم فارس . ففرحت بذلك كفار قريش وكره المسلمون .

قال عكرمة : ولقي المشركون أصحاب النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقالوا : إنكم أهل كتاب ، والنصارىٰ أهل كتاب ، [ونحن أميون ، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس علىٰ إخوانكم من أهل الكتاب][٥] ، وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرنّ عليكم . فأنزل اللَّه : **﴿الم * غلبت الروم . في أدنىٰ الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون . في بضع سنين للَّه الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون * بنصر اللَّه ينصر من يشاء﴾** فخرج أبو بكر الصديق إلىٰ

(٧) رواه الطبري في تفسيره (١٣/٢١) من طريق سنيد به .

[١] - في ت : « ست السنين » .
[٢] - في ز ، خ: « قسمته » .
[٣] - في ت : « بهذا » .
[٤] - في ت : « قطمة ».
[٥] - سقط من ز ، خ .

الكفار فقال : أفرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا ، فلا تفرحوا . ولا يُقِرَّن اللَّه أعينكم ، فواللَّه ليظهرن اللَّه[١] الروم على فارس ، أخبرنا بذلك نبينا صلى اللَّه عليه وسلم . فقام إليه أُبَيّ بن خلف فقال : كذبت يا أبا فضيل . فقال له أبو بكر : أنت أكذب يا عدو اللَّه . قال[٢] : [أناحِبُكَ][٣](*) عشر قلائص مني وعشر قلائص منك ، فإن ظهرت الروم على فارس غَرِمتُ وإن ظهرت فارس غرمتَ إلى ثلاث سنين . ثم جاء أبو بكر إلى النبي صلى اللَّه عليه وسلم فأخبره ، فقال : ما هكذا ذكرت ، إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع . فزايده في الخَطَر[٤](**) وماده في الأجل . فخرج أبو بكر فلقي أبيًا فقال : لعلك ندمت ؟ فقال : لا ، تعالى أزايدك في الخَطَر وأمادك في الأجل ، فاجعلها مائة قلوص لمائة قلوص إلى تسع سنين . قال : قد فعلت . فظهرت الروم على فارس قبل ذلك ، فغلبهم المسلمون .

قال عكرمة : لما أن ظهرت فارس على الروم ، جلس فرخان يشرب - وهو أخو شهربراز - فقال لأصحابه : لقد رأيت كأني جالس على سرير كسرى . فبلغت[٥] كسرى فكتب إلى شهربراز : إذا أتاك كتابي فابعث إلي برأس فرخان . فكتب إليه : أيها الملك ؛ إنك لن تجد مثل فرخان . له نكاية[٦] وصوت في العدو ، فلا تفعل . فكتب إليه : إن في رجال فارس خلفًا منه ، فعجّل إلي برأسه . فراجعه ، فغضب كسرى فلم يجبه ، وبعث بريدًا إلى أهل فارس : إني قد نزعت عنكم شهربراز ، واستعملت عليكم فرخان . ثم دفع إلى البريد صحيفة لطيفة صغيرة فقال : إذا ولي فرخان الملك ، وانقاد له أخوه ، فأعطه هذه[٧] . فلما قرأ شهربراز الكتاب قال : سمعًا وطاعة ، ونزل عن سريره وجلس فرخان ودفع إليه الصحيفة قال : ائتوني بشهربراز ، وقَدَّمه ليضرب عنقه ، قال : لا تعجل حتى أكتب وصيتي ، قال : نعم . فدعا بالسَّفط[٨](***) فأعطاه [ثلاث صحائف][٩] وقال : كل هذا راجعت فيك كسرى ، وأنت أردت أن تقتلني بكتاب واحد . فرد الملك إلى أخيه شهربراز وكتب شهربراز إلى قيصر ملك الروم : إن لي إليك حاجة لا تحملها البُرُد ولا تحملها الصّحف ، فالقني ولا تلقني إلا في خمسين روميًا ، فإني ألقاك في خمسين فارسيًا . فأقبل قيصر في خمسمائة ألف رومي ، وجعل يضع[١٠] العيون بين يديه في

(*) ناحب فلانًا : راهنه .

(**) الخطر : الرهان .

(***) السفط : وعاء من قضبان الشجر ونحوها ، توضع فيه الأشياء ، كالفاكهة ونحوها وهو يشبه الجوالق أو القفة .

[١] - سقط من : ز ، خ.
[٢] - في ت : فقال .
[٣] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز: « أناجيك » .
[٤] - في ز ، خ : « الحضر » .
[٥] - في خ : « فغلبت » .
[٦] - في ز ، خ: « مكانه » .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - في ز : « بالسقط » .
[٩] - ما بين المعكوفتين في ت : « الصحائف » .
[١٠] - سقط من : خ ، ز .

الطريق ، وخاف أن يكون قد[١] مكر به ، حتىٰ أتاه عيونه أنه ليس معه إلا خمسون رجلًا . ثم بسط لهما والتقيا في قبة ديباج ضربت لهما مع كل واحد منهما سكين ، فدعيا تَرْجُمَانًا بينهما ، فقال شهربراز : إن[٢] الذين خربوا مدائنك أنا وأخي بكيدنا وشجاعتنا ، وإن كسرىٰ حَسَدنا ، وأراد أن أقتل أخي فأبيت ، ثم أمر أخي أن يقتلني . وقد خلعناه[٣] جميعًا فنحن نقاتله معك . قال : وقد[٤] أصبتما. ثم أشار أحدهما إلىٰ صاحبه أن السر بين اثنين فإذا جاوز اثنين فشا . قال : أجل. فقتلا الترجمان جميعًا بسكينيهما، فأهلك الله كسرىٰ، وجاء الخبر إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يوم الحديبية ففرح والمسلمون معه .

فهذا سياق غريب ، وبناء عجيب . ولنتكلم علىٰ كلمات هذه الآيات الكريمة :

فقوله تعالىٰ : ﴿ **الم * غلبت الروم** ﴾ ، قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أوائل السور ، في أول سورة البقرة ، وأما الروم فهم من سلالة العيص بن إسحاق بن إبراهيم ، وهم أبناء عم بني إسرائيل ويقال لهم : بنو الأصفر . وكانوا علىٰ دين اليونان ، واليونان من سلالة يافث بن نوح أبناء عم الترك . وكانوا يعبدون الكواكب السيارة السبعة ، ويقال لها : المتحيرة ، ويصلون إلىٰ القطب الشمالي ، وهم الذين أسسوا دمشق ، وبنوا معبدها ، وفيه محاريب إلىٰ جهة الشمال ، فكان الروم علىٰ دينهم إلىٰ بعد مبعث المسيح بنحو من ثلاثمائة سنة ، وكان من ملك الشام مع الجزيرة منهم يقال له : قيصر . فكان أول من دخل في دين النصارىٰ من الملوك قسطنطين بن قسطس ، وأمه مريم الهيلانية الشدقانية من أرض حران ، كانت قد تنصرت قبله ، فدعته إلىٰ دينها ، وكان قبل ذلك فيلسوفًا ، فتابعها - يقال : تَقِيَّة - واجتمعت به النصارىٰ ، وتناظروا في زمانه مع عبد الله بن أريوس ، واختلفوا اختلافا منتشرًا متشتتًا لا ينضبط ، إلا أنه اتفق من جماعتهم ثلاثمائة وثمانيةَ عشرَ أسقفًا ، فوضعوا لقسطنطين العقيدة ، وهي التي يسمونها : الأمانة الكبيرة ، وإنما هي الخيانة الحقيرة ، وضعوا له القوانين - يعنون كتب الأحكام- من تحليل وتحريم وغير ذلك مما يحتاجون إليه ، وغيَّروا دين المسيح عليه السلام ، وزادوا فيه ونقصوا منه . وصلوا إلىٰ المشرق واعتاضوا عن السبت بالأحد ، وعبدوا الصليب وأحلوا الخنزير ، واتخذوا أعيادًا أحدثوها ، كعيد الصليب والقداس ، والغطاس ، وغير ذلك من البواعيث والشعانين(*) ، وجعلوا له الباب وهو كبيرهم ثم البتاركة ، ثم المطارنة ، ثم الأساقفة ، والقساقسة ، ثم الشمامسة . وابتدعوا الرهبانية . وبنىٰ لهم الملك الكنائس والمعابد ، وأسس المدينة المنسوبة إليه وهي القسطنطينية ، يقال : إنه بني في أيامه اثنىٰ عشر ألفَ كنيسة ، وبنىٰ بيت لحم بثلاثة[٥] محاريب ، وبنت أمه القمامة ، وهؤلاء هم الملكية ، يعنون الذين هم علىٰ

(*) الشعانين : عيد النصارى يقع يوم الأحد السابق لعيد الفِصح ، يحتفل فيه بذكرى دخول السيد المسيح بيت المقدس .

[١] - سقط من : خ ، ز .
[٢] - سقط من : ز ، خ.
[٣] - في ز ، خ: « خلعنا » .
[٤] - في ت : وقد .
[٥] - في ز،خ : « بثلاث » .

دين الملك .

ثم حدثت بعدهم اليعقوبية أتباع يعقوب الإسكاف . ثم النسطورية أتباع[١] نسطورا ، وهم فرق وطوائف كثيرة ، كما قال رسول اللَّه - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - : « **إنهم افترقوا علىٰ اثنتين وسبعين فرقة** »(٨) . والغرض إنهم استمروا علىٰ النصرانية ، كلما هلك قيصر خلفه آخر بعده . حتىٰ كان آخرهم هرقل ، وكان من عقلاء الرجال ، ومن أحزم الملوك وأدهاهم ، وأبعدهم غورا وأقصاهم رأيا ، فتملَّك عليهم في رياسة عظيمة وأبهة كبيرة ، فناوأه كسرىٰ ملك الفرس ، ومَلك البلاد كالعراق وخراسان والرّي ، وجميع بلاد العجم ، وهو سابور ذو الأكتاف ، وكانت مملكته أوسع من مملكة قيصر ، وله رياسة العجم وحماقة الفرس ، وكانوا مجوسًا يعبدون النار .

فتقدم عن عكرمة أنه بعث إليه نوابه وجيشه فقاتلوه ، والمشهور أن كسرىٰ [غزاه بنفسه][٢] في بلاده فقهره وكَسَره وقصره ، حتىٰ لم يبق معه سوىٰ مدينة قسطنطينية ؛ فحاصره بها مدة طويلة حتىٰ ضاقت عليه وكانت النصارىٰ تعظمه تعظيمًا زائدًا ، ولم يقدر كسرىٰ علىٰ فتح البلد ، ولا أمكنه ذلك لحصانتها ، لأن نصفها من ناحية البر ونصفها الآخر من ناحية البحر ، فكانت تأتيهم الميرة والمَدَد من هنالك . فلما طال الأمر دبر قيصر مكيدة ، ورأىٰ[٣] في نفسه خديعة ، فطلب من كسرىٰ أن يقلع عن بلاده علىٰ مال يصالحه عليه ، ويشترط عليه ما شاء . فأجابه إلىٰ ذلك ، وطلب منه أموالاً عظيمة لا يقدر عليها أحد[٤] من ملوك الدنيا ، من ذهب ، وجواهر ، وأقمشة ، وجوار[٥] ، وخدام ، وأصناف كثيرة . فطاوعه قيصر ، وأوهمه أن عنده جميع ما طلب ، واستقل عقله لما طلب منه ما طلب ، ولو اجتمع هو وإياه لعجزت قدرتهما عن جمع عُشره ، وسأل [من][٦] كسرىٰ أن يُمكنه من الخروج إلىٰ بلاد الشام وأقاليم مملكته ، ليسعىٰ في تحصيل ذلك من ذخائره وحواصله ودفائنه ، فأطلق سراحه ، فلما عزم قيصر علىٰ الخروج عن[٧] مدينة قسطنطينية ، جمع أهل ملته وقال : إني خارج في أمر قد أبرمته ، في جند قد عينته من جيشي ، فإن رجعت إليكم قبل الحول فأنا ملككم ، وإن لم أرجع إليكم قبلها فأنتم بالخيار ، إن شئتم استمررتم علىٰ بيعتي ، وإن شئتم وليتم عليكم غيري . فأجابوه بأنك ملكنا ما دمت حيًا ولو غبت عشرة أعوام .

(٨) - سنن أبي داود حديث (٤٥٩٦) ، ورواه ابن ماجة في السنن حديث (٣٩٩٢) ، وقال البوصيري في الزوائد : « إسناد عوف بن مالك فيه مقال ، قال ابن عدي : روى أحاديث تفرد بها . وذكره ابن حبان في الثقات وباقي رجال الإسناد ثقات » .

[١] - في ت : « أصحاب » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « بنفسه غزاه » .

[٣] - في ز ، خ: « وروى » .

[٤] - في ز، خ : « أحدًا » .

[٥] - في ز ، خ: « وجواري » .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من ت.

[٧] - في ت : « من » .

فلما خرج من القسطنطينية خرج جريدة(*) في جيش متوسط ، هذا وكسرىٰ مُخيم علىٰ القسطنطينية ينتظره ليرجع ، فركب قيصر من فوره وسار[١] مسرعًا حتىٰ انتهىٰ إلىٰ بلاد فارس فعاث في بلادها[٢] قتلًا لرجالها ومن بها من المقاتلة أولًا فأولًا[٣] ، ولم يزل يقتل[٤] حتىٰ انتهىٰ إلىٰ المدائن ، وهي كرسي مملكة كسرىٰ ، فقتل من بها وأخذ جميع حواصله وأمواله ، وأسر نساءه وحريمه ، وحلق رأس ولده ، وركّبه علىٰ حمار وبعث معه من الأساورة(**) من قومه في غاية الهوان والذلة ، وكتب إلىٰ كسرىٰ يقول : هذا ما طلبت فخُذه . فلما بلغ [ذلك][٥] كسرىٰ أخذه من الغم ما لا يحصيه إلا الله عز وجل ، واشتد حنقه علىٰ البلد فاشتد في حصارها بكل ممكن فلم يقدر علىٰ ذلك . فلما عجز ركب ليأخذ عليه الطريق من مخاضة جيحون ، التي لا سبيل لقيصر إلىٰ القسطنطينية إلا منها ، فلما علم قيصر بذلك احتال بحيلة عظيمة لم يسبق إليها ، وهو أنه أرصد جنده وحواصله التي معه عند فم المخاضة وركب في بعض الجيش ، وأمر بأحمال من التبن والبعر والروث فحملت معه ، وسار إلىٰ قريب من يوم في الماء مصعدًا ، ثم أمر بإلقاء تلك الأحمال في النهر فلما مرت بكسرىٰ ظن هو وجنده[٦] أنهم قد[٧] خاضوا من هنالك ، فركبوا في طلبهم فشغرت(***) المخاضة عن الفرس ، وقدم قيصر فأمرهم بالنهوض في الخوض ، فخاضوا وأسرعوا السير ففاتوا كسرىٰ وجنوده ، ودخلوا القسطنطينية . وكان ذلك يومًا مشهودًا عند النصارىٰ . وبقي كسرىٰ وجنوده[٨] حائرين لا يدرون ماذا يصنعون لم يحصلوا علىٰ بلاد قيصر ، وبلادهم قد خرّبتها الروم وأخذوا حواصلهم ، وسبوا ذراريهم ونساءهم[٩] . [فهذا ما كان][١٠] من غَلَب الروم فارس وكان ذلك بعد تسع سنين من غلب الفرس للروم .

وكانت الواقعة الكائنة بين فارس والروم حين غلبت الروم بين أذرعات وبصرىٰ ، علىٰ ما ذكره ابن عباس وعكرمة وغيرهما ، وهي طرف بلاد الشام مما يلي بلاد الحجاز .

وقال مجاهد : كان ذلك في الجزيرة وهي أقرب بلاد الروم من فارس . فالله أعلم .

(*) الجريدة : خيل لا رجالة فيها .

(**) جمع إسوار وهو قائد الفرس .

(***) شغر المكان : خلا .

[١] - في ز ، خ: « وساق » .

[٢] - في ت : « بلادهم » .

[٣] - في ز ، خ: « فأول » .

[٤] - في خ : « يقصر » ، و في ز : «يقصل».

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .

[٦] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « وجنده ظن» .

[٧] - سقط من : ز .

[٨] - في ت : « جيوشه » .

[٩] - سقط من : خ ، ز .

[١٠] - ما بين المعكوفتين في ز : « فكان هذا » .

ثم كان غلب الروم لفارس بعد بضع سنين ، وهي تسع ؛ فإن البضع في كلام العرب ما بين الثلاث إلىٰ التسع ، وكذلك جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وابن جرير وغيرهما(٩) ، من حديث عبد الله بن عبد الرحمن الجمحي ، عن الزهري ، عن عُبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال لأبي بكر في مُنَاحَبَة[١] : ﴿ **ألم * غلبت الروم** ﴾ : « **ألا احتطت يا أبا بكر ، فإن البضع ما بين ثلاث إلىٰ تسع ؟** » . ثم قال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .

وروى ابن جرير عن عبد الله بن عمرو أنه قال ذلك (١٠) .

وقوله : ﴿ **لله الأمر من قبل ومن بعد** ﴾ ، أي : من قبل ذلك ومن بعده ، فبني علىٰ الضم لما قُطع المضاف ، وهو قوله : ﴿ **قبل** ﴾ عن الإضافة ونُويت .

﴿ **ويومئذ يفرح المؤمنون * بنصر الله** ﴾ أي : للروم أصحاب قيصر ملك الشام ، علىٰ فارس أصحاب كسرىٰ ، وهم المجوس . وقد كانت نصرة الروم علىٰ فارس يوم وقعة بدر في قول طائفة كبيرة من العلماء ، كابن عباس ، والثوري ، والسدي ، وغيرهم .

وقد ورد في الحديث الذي رواه الترمذي(١١) وابن جرير وابن أبي حاتم والبزار ، من حديث الأعمش ، عن عطية ، عن أبي سعيد قال : لما كان يوم بدر ، ظهرت الروم علىٰ فارس ، فأعجب ذلك المؤمنين وفرحوا به ، وأنزل الله : ﴿ **ويومئذ يفرح المؤمنون * بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم** ﴾ .

وقال آخرون : بل كان نصرة الروم علىٰ فارس عام الحديبية ، قاله عكرمة ، والزهري ، وقتادة ، وغيرهم .

ووجه بعضهم هذا القول بأن قيصر كان قد نذر لئن أظفره الله بكسرىٰ ليمشين من حمص إلىٰ إيلياء - وهو بيت المقدس - شكرا لله - عز وجل - ففعل ، فلما بلغ بيت المقدس لم يخرج منها[٢] حتىٰ وافاه كتاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، الذي بعثه مع دحية بن خليفة ، فأعطاه دحية لعظيم بصرىٰ ، فدفعه عظيم بصرىٰ إلىٰ قيصر . فلما وصل إليه سأل : من بالشام من عرب الحجاز ؟ فأحضر له أبو سفيان صخر بن حرب الأموي في جماعة من كفار قريش كانوا في غزة ، فجيء بهم إليه ، فجلسوا بين يديه ، فقال : أيكم أقرب نسبًا بهذا

(٩) سنن الترمذي حديث (٣١٩١) ، وتفسير الطبري (٢١/١٢) .

(١٠) تفسير الطبري (٢١/١٦) .

(١١) سنن الترمذي حديث (٣١٩٢) ، وتفسير الطبري (٢١/١٦) .

[١] - في ز : « مناجبة » . [٢] - في ت : « منه » .

الرجل الذي يزعم أنه نبي ؟ فقال أبو سفيان : أنا ، فقال لأصحابه - وأجلسهم خلفه - : إني سائل هذا عن هذا الرجل ، فإن كذب فكذبوه . فقال أبو سفيان : فوالله لولا أن[١] يَأْثُرُوا عليّ الكذب لكذبت . فسأله هرقل عن نسبه وصفته، فكان فيما سأله أن قال : فهل يغدر ؟ قال : قلت : لا ، ونحن منه في مُدة لا ندري ما هو صانع فيها - يعني بذلك الهدنة التي كانت قد[٢] وقعت بين رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وكفار قريش يوم الحديبية - علىٰ وضع الحرب بينهم عشر سنين ، فاستدلوا بهذا علىٰ أن نصر الروم علىٰ فارس كان عام الحديبية ، لأن قيصر إنما وفىٰ بنذره بعد الحديبية ، والله أعلم .

ولأصحاب القول الأول أن يجيبوا عن هذا بأن بلاده كانت قد خربت وتشعثت ، فما تمكن من وفاء نذره حتىٰ أصلح ما ينبغي إصلاحه وتفقد بلاده ، ثم بعد أربع سنين من نصرته وفىٰ بنذره ، والله أعلم .

والأمر في هذا سهل قريب إلا أنه لما انتصرت[٣] فارس علىٰ الروم ساء ذلك المؤمنين ، فلما انتصرت الروم علىٰ فارس فرح المؤمنون بذلك ، لأن الروم أهل كتاب في الجملة ، فهم أقرب إلىٰ المؤمنين من المجوس ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **لتجدّن(*) أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارىٰ ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون * وإذا سمعوا ما أنزل إلىٰ الرسول ترىٰ أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين** ﴾ وقال تعالى هاهنا : ﴿ **ويومئذ يفرح المؤمنون * بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم** ﴾

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا صفوان ، حدثنا الوليد ، حدثني أسيد الكلابي ، قال : سمعت العلاء بن الزبير الكلابي يحدث عن أبيه ، قال : رأيت [ ][٤] غلبة فارس الروم ، ثم رأيت غلبة الروم فارس ، ثم رأيت غلبة المسلمين فارس والروم ، كل ذلك في خمس عشرة سنة .

وقوله : ﴿ **وهو العزيز** ﴾ أي : في انتصاره وانتقامه من أعدائه ﴿ **الرحيم** ﴾ بعباده المؤمنين .

وقوله : ﴿ **وعد الله لا يخلف الله وعده** ﴾ أي : هذا الذي أخبرناك به - يا محمد - من أنا سننصر الروم علىٰ فارس ، وعد من الله حق ، وخَبَر صدق لا يخلف ، ولابد من كونه ووقوعه ؛ لأن الله قد جرت سنته أن ينصر أقرب الطائفتين المقتتلتين إلىٰ الحق ، ويجعل لها العاقبة ، ﴿ **ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ ، أي : بحكم الله في كونه وأفعاله المحكمة الجارية

---

[١] - سقط من : ز،خ .
[٢] - سقط من : ز ،خ.
[٣] - في ز ، خ: « انتصر » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « قال : رأيت » .

علىٰ وفق العدل .

وقوله : ﴿ **يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون** ﴾ أي : أكثر الناس ليس لهم علم إلا بالدنيا وأكسابها[١] وشئونها وما فيها ، فهم حذاق أذكياء في تحصيلها ووجوه مكاسبها ، وهم غافلون عما ينفعهم في الدار الآخرة ، كأن أحدهم مُغَفَّل لا ذهن له ولا فكرة .

قال الحسن البصري : والله لَبَلَغَ من أحدهم بدنياه أنه يقلب الدرهم علىٰ ظفره ، فيخبرك بوزنه ، وما يحسن أن[٢] يصلي .

وقال ابن عباس في قوله : ﴿ **يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون** ﴾ . يعني : الكفار ، يعرفون عمران الدنيا ، وهم في أمر الدين جهال .

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ (٨) أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٩) ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ (١٠)

يقول تعالىٰ منبهًا علىٰ التفكر في مخلوقاته ، الدالة علىٰ وجوده وانفراده بخلقها ، وأنه لا إله غيره ، ولا رب سواه ، فقال : ﴿ **أو لم يتفكروا في أنفسهم** ﴾ يعني به[٣] : النظر ، والتدبر ، والتأمل لخلق الله الأشياء من العالم العلوي والسفلي ، وما بينهما من المخلوقات المتنوعة ، والأجناس المختلفة ، فيعلموا أنها ما خلقت سُدًى ولا باطلًا ، بل بالحق وأنها مؤجلة إلىٰ أجل مسمًّى ، وهو يوم القيامة ، ولهذا قال : ﴿ **وإن كثيرًا من الناس بلقاء ربهم لكافرون** ﴾ .

ثم نبههم علىٰ صدق رسله فيما جاءوا به عنه ، بما أيدهم به من المعجزات و[٤] الدلالات الواضحات ، من إهلاك من كفر بهم ، ونجاة من صدقهم فقال : ﴿ **أو لم يسيروا في الأرض** ﴾ أي : بأفهامهم وعقولهم ونظرهم وسماع أخبار الماضين ، ولهذا قال : ﴿ **فينظروا**

---

[١] - في خ : « وأعبائها » ، وفي ز : « أعسابها » . [٢] - سقط من : ز ، خ.

[٣] - في خ ، ز : « في » . [٤] - في خ ، ز : « من » .

كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة ﴾ أي : كانت الأمم الماضية والقرون السالفة أشد منكم - أيها المبعوث إليهم محمد - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - وأكثر أموالًا وأولادًا ، وما أوتيتم معشار ما أوتوا ، ومُكنوا في الدنيا تمكينا لم تبلغوا إليه ، وعمروا فيها أعمارًا طوالًا ، فعمروها أكثر منكم . واستغلوها أكثر من استغلالكم ، ومع هذا لما جاءتهم رسلهم بالبينات وفرحوا بما أوتوا ، أخذهم اللّٰه بذنوبهم ، وما كان لهم من اللّٰه من واق ، ولا حالت أموالهم ولا أولادهم بينهم وبين بأس اللّٰه ، ولا دفعوا عنهم مثقال ذرة ، وما كان اللّٰه ليظلمهم فيما أحل بهم من العذاب والنكال ، **﴿ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾** ، أي : وإنما أوتوا من أنفسهم حيث كذبوا بآيات اللّٰه ، واستهزءوا بها ، وما ذاك إلا بسبب ذنوبهم السالفة ، [في تكذيبهم][١] المتقدم ، ولهذا قال : **﴿ ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأىٰ أن كذبوا بآيات اللّٰه وكانوا بها يستهزئون ﴾** ، كما قال تعالىٰ : **﴿ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ﴾** وقوله : **﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾** وقال : **﴿ فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ﴾** وعلىٰ هذا تكون [السوأىٰ منصوبة مفعولًا لأساءوا ، وقيل : بل المعنىٰ في ذلك : **﴿ ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأىٰ ﴾**][٢] أي : كانت السوأىٰ عاقبتهم ، لأنهم كذبوا بآيات اللّٰه ، وكانوا بها يستهزئون . فعلىٰ هذا تكون السوأىٰ منصوبة خبر كان .

هذا توجيه ابن جرير(١٢) ونقله عن ابن عباس وقتادة . ورواه ابن أبي حاتم عنهما ، وعن الضحاك بن مزاحم ، وهو الظاهر ، واللّٰه أعلم . **﴿ وكانوا بها يستهزئون ﴾** .

ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾

يقول تعالىٰ : **﴿ اللّٰه يبدأ الخلق ثم يعيده ﴾** ، أي : كما هو قادر علىٰ بداءته فهو قادر علىٰ إعادته **﴿ ثم إليه ترجعون ﴾** ، أي : يوم القيامة ، فيجازي كل عامل بعمله .

---

(١٢) تفسير الطبري (١٨/٢١) .

---

[١] - في ت : « وتكذيبهم » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

ثم قال : ﴿ **ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون** ﴾ قال ابن عباس: ييأس المجرمون . وقال مجاهد : يفتضح المجرمون . [وفي رواية : يكتئب المجرمون][١] .

﴿ **ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء** ﴾ ، أي : ما شفعت فيهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون اللّٰه ، وكفروا بهم ، وخانوهم أحوج ما كانوا إليهم .

ثم قال: ﴿**ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون**﴾ قال قتادة: هي والله الفرقة التي لا اجتماع بعدها . يعني : إذا رفع هذا إلىٰ عليين ، وخفض هذا إلىٰ أسفل السافلين ، فذاك آخر العهد بينهما ، ولهذا قال : ﴿ **فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون** ﴾ ، قال مجاهد وقتادة : ينعمون .

وقال يحيى[٢] بن أبي كثير : يعني : سماع الغناء . والحبرة أعم من هذا كله . قال العجاج :

الحمد لله الذى أعطى الحبر[٣] موالي الحق ، إن المولى شكر

فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾

هذا تسبيح منه تعالىٰ لنفسه المقدسة ، وإرشاد لعباده إلىٰ تسبيحه وتحميده ، في هذه الأوقات المتعاقبة الدالة علىٰ كمال قدرته وعظيم سلطانه : عند المساء ، وهو إقبال الليل بظلامه ، وعند الصباح ، وهو إسفار النهار عن ضيائه .

ثم اعترض بحمده ، مناسبة للتسبيح وهو التحميد ، فقال : ﴿ **وله الحمد في السمٰوات والأرض** ﴾ ، أي : هو المحمود علىٰ ما خلق في السماوات والأرض .

ثم قال : ﴿ **وعشيًا وحين تظهرون** ﴾ ، فالعشاء هو : شدة الظلام ، والإظهار : قوة الضياء . فسبحان خالق هذا وهذا ، فالق الإصباح وجاعل الليل سكنًا كما قال : ﴿ **والنهار إذا جلاها * والليل إذا يغشاها** ﴾ وقال[٤] : ﴿**والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى**﴾ وقال : ﴿ **والضحىٰ * والليل إذا سجىٰ** ﴾ والآيات في هذا كثيرة .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ز : « الحبرة » .
[٤] - سقط من : ز،خ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا زَبَّان بن فائد ، عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني ، عن أبيه ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، أنه قال : « **ألا أخبركم لِمَ سمىٰ الله إبراهيم خليله الذي وفىٰ ؟ لأنه كان يقول كلما أصبح وأمسىٰ : سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ، وله الحمد في السموات والأرض وعشيًّا وحين تظهرون** »(١٣) .

وقال الطبراني(١٤) : حدثنا مطلب بن شعيب الأزدي ، حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثني الليث بن سعد ، عن سعيد بن بشير، عن محمد بن عبد الرحمن بن البيلماني ، عن أبيه ، عن عبد الله ابن عباس ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **من قال حين يصبح : ﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون . وله الحمد في السمٰوات والأرض وعشيًّا وحين تظهرون ﴾** الآية بكمالها ، **أدرك ما فاته في**[١] **يومه ، ومن قالها حين يمسي أدرك ما فاته في ليلته** » . إسناده[٢] جيد ، ورواه أبو داود في سننه .

وقوله : ﴿ **يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي** ﴾ ، هو ما نحن فيه من قدرته علىٰ فعل[٣] الأشياء المتقابلة ، وهذه الآيات المتتابعة الكريمة كلها من هذا النمط ، فإنه يذكر فيها خلقه الأشياء وأضدادها ، ليدل خلقه علىٰ كمال قدرته ، فمن ذلك إخراج النبات من الحب ، والحب من النبات . والبيض من الدجاج ، والدجاج من البيض ، والإنسان من النطفة ، والنطفة من الإنسان ، والمؤمن من الكافر ، والكافر من المؤمن .

(١٣) المسند (٤٣٩/٣) . وإسناده ضعيف من أجل ابن لهيعة وزبان بن فائد .

زبان بن فائد : ضعفه أحمد وابن معين وغيرهما ، وقال ابن حبان : منكر الحديث جدًا ، يتفرد عن سهل بن معاذ بنسخة كأنها موضوعة ، لا يحتج به . وقال أبو حاتم : شيخ صالح . وقال الليث بن سعد : لو أراد زبان أن يزيد في العبادة مقدار خردلة ما وجد لها موضعًا . وقال ابن يونس : كان على مظالم مصر وكان من أعدل ولاتهم .

وسهل بن معاذ بن أنس الجهني : قال أبو بكر بن أبي خيثمة عن ابن معين : ضعيف . وذكره ابن حبان في الثقات . قال ابن حجر : لكن قال : لا يعتبر حديثه ما كان من رواية زبان بن فائد عنه ، وذكره في الضعفاء فقال : منكر الحديث جدًا ، فلست أدري أوقع التخليط في حديثه منه أو من زبان ؟ فإن كان من أحدهما فالأخبار التي رواها ساقطة ، وإنما اشتبه هذا لأن راويها عن سهل زبان إلا الشيء بعد الشيء ، وزبان ليس بشيء . وقال العجلي : مصري تابعي ثقة . بخ د ت ق .

والحديث وأخرجه الطبراني في الكبير (١٩٢/٢٠) حديث ٤٢٧ - ٤٢٨ . والطبري في تفسره (٧٣/١٣) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٧/١٠) وقال : رواه الطبراني وفيه ضعفاء وثقوا .

(١٤) المعجم الكبير (٢٣٩/١٢) ، وسنن أبي داود حديث (٥٠٧٦) .

---

[١] - في ز : « من » . [٢] - في ت : « إسناد » .

[٣] - في ت : « خلق » .

وقوله : ﴿ **ويحيي الأرض بعد موتها** ﴾ ، كقوله : ﴿ **وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون** ﴾ ، وقال : ﴿ **وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور** ﴾ ، وقال : ﴿ **وهو الذي يرسل الرياح بُشرا[١] بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابًا ثقالًا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون** ﴾ ولهذا قال هاهنا : ﴿ **وكذلك تخرجون** ﴾ .

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾

يقول تعالى : ﴿ **ومن آياته** ﴾ الدالة على عظمته وكمال قدرته أنّه خلق أباكم آدم من تراب ، ﴿ **ثم إذا أنتم بشر تنتشرون** ﴾ ، فأصلكم من تراب ، ثم من ماء مهين ، ثم تَصَوّر فكان علقةً ، ثم مضغةً ، ثم صار عظامًا مشكلة[٢] على شكل الإنسان ، ثم كسا الله تلك العظام لحمًا ، ثم نفخ فيه الروح ، فإذا هو سميع بصير ، ثم خرج من بطن أمه صغيرًا ضعيف القوى والحركة ، ثم كلما طال عمره تكاملت قواه وحركاته ، حتى آل به الحال إلى[٣] أن صار يبني المدائن والحصون ، ويسافر في أقطار الأقاليم ، ويركب متن البحور ، ويدور أقطار الأرض ، ويتكسب ويجمع الأموال ، وله فكرة وغور ، ودهاء ومكر ، ورأي وعلم ، واتساع في أمور الدنيا والآخرة كل بحسبه . فسبحان من أقدرهم وسيّرهم وسخرهم وصرفهم في فنون المعايش والمكاسب ، وفاوت بينهم في العلوم والفكرة والحسن والقبح ، والغنى والفقر ، والسعادة والشقاء[٤] ، ولهذا قال تعالى : ﴿ **ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون** ﴾ .

وقال الإمام أحمد (١٥) : حدثنا يحيى بن سعيد وغندر قالا : حدثنا عوف ، عن قسامة بن زهير ، عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إن الله خلق آدم من**

---

(١٥) المسند (٤/٤٠٠) ، وأخرجه أبو داود في كتاب السنة ، باب : في القدر ، حديث (٤٦٩٣) =

---

[١] - في ز : « نشرًا » . وهي قراءة جماعة منهم ابن عامر .
[٢] - في ت : « شكله » . [٣] - سقط من : ز،خ .
[٤] - في ت : « الشقاوة » .

قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم علىٰ قدر الأرض جاء[١] **منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك ، والخبيث والطيب ، والسهل والحزن ، وبين ذلك** » . ورواه أبو داود والترمذي من طرق ، عن عوف الأعرابي ، به . وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

وقوله : ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا** ﴾ أي : خلق لكم من جنسكم إناثًا يَكُن لكم أزواجًا ، ﴿ **لتسكنوا إليها** ﴾ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها** ﴾ يعني ، بذلك حواء خلقها الله من آدم من ضلعه الأقصر الأيسر . ولو أنه جعل بني[٢] آدم كلهم ذكورًا ، وجعل إناثهم من جنس آخر ، إما من جان أو حيوان ، لما حصل هذا الائتلاف بينهم وبين الأزواج ، بل كانت تحصل نَفْرَة ولو كانت الأزواج من غير الجنس . ثم من تمام رحمته بيني آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم ، وجعل بينهم [وبينهن][٣] مودة : وهي المحبة ، ورحمة : وهي الرأفة ، فإن الرجل يمسك المرأة إما لمحبته[٤] لها أو لرحمة بها ، بأن يكون لها منه ولد ، أو محتاجة إليه في الإنفاق ، أو للألفة بينهما وغير ذلك ، ﴿ **إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون** ﴾ .

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ (٢٢) وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٢٣)

يقول تعالىٰ : ومن آيات قدرته العظيمة ﴿ **خلق السموات والأرض** ﴾ [أي : خلق السماوات][٥] في ارتفاعها واتساعها ، وشفوف أجرامها ، وزهارة كواكبها ونجومها الثوابت والسيارات ، والأرض في[٦] انخفاضها وكثافتها ، وما فيها من جبال وأودية وبحار وقفار ،

= (٢٢٢/٤) . والترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة البقرة ، حديث (٢٩٥٥) (١٨٧/٥-١٨٨) . وعبد بن حميد (٥٤٩) . وابن سعد في الطبقات (٢٣/١) . وابن خزيمة في التوحيد ص (٦٤) . والحاكم (٢٦١/٢-٢٦٢) . والطبرى (٢١٤/١) عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **وعلم آدم الأسماء كلها ...**﴾ من سورة البقرة . وابن حبان في صحيح في كتاب التاريخ ، باب : بدئ الخلق (٦١٦٠) (٢٩/١٤) . وأبو نعيم في الحلية (١٣٥/٨) . كلهم من طريق عوف ، عن قسامة بن زهير ، عن أبي موسى - رضي الله عنه ... فذكره . قال الترمذي : حديث حسن صحيح . وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . وصححه الألباني في الصحيحة برقم (١٦٣٠) . وزاد نسبته إلى ابن عساكر (٢/٣٠٧/٢) . والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٢٧،٣٨٥) .

[١] - سقط من : ز ،خ.
[٢] - في ز،خ : « بنو » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .
[٤] - في خ ، ز : « محبة » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٦] - في ز ، خ: « من » .

وحيوان وأشجار .

وقوله : ﴿ واختلاف ألسنتكم ﴾ يعني : اللغات ، فهؤلاء بلغة العرب ، وهؤلاء تتر لهم[١] لغة أخرىٰ ، وهؤلاء كرَج ، وهؤلاء روم ، وهؤلاء إفرنج ، وهؤلاء بربر ، وهؤلاء تُكرور ، وهؤلاء حبشة ، وهؤلاء هنود ، وهؤلاء عجم ، وهؤلاء صقالبة ، وهؤلاء خزر ، وهؤلاء أرمن ، وهؤلاء أكراد ، إلىٰ غير ذلك مما لا يعلمه إلا اللَّه من اختلاف لغات بني آدم ، واختلاف ألوانهم وهي حُلاهم ، فجميع أهل الأرض - بل أهل الدنيا - منذ خلق اللَّه آدم إلىٰ قيام الساعة : كل له عينان وحاجبان ، وأنف وجبين ، وفم وخدان . وليس يشبه واحد منهم الآخر ، بل لابد أن يفارقه بشيء من السمت أوالهيئة أو الكلام ، ظاهرًا كان أو خفيًا ، يظهر عند التأمل ، كل وجه منهم أسلوب بذاته ، وهيئة لا تشبه الأخرى . ولو توافق جماعة في صفة من جمال أو قبح لابد من فارق بين كل واحد منهم وبين الآخر ، ﴿ **إن في ذلك لآيات للعالمين** ﴾ .

﴿ **ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله** ﴾ ، أي : ومن الآيات ما جعل لكم من صفة النوم في الليل والنهار ، فيه تحصل الراحة وسكون الحركة ، وذهاب الكلال والتعب ، وجعل لكم الانتشار والسعي في الأسباب والأسفار [في النهار][٢] ، وهذا ضد النوم ، ﴿ **إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون** ﴾ أي : يعون .

قال الطبراني (١٦) : حدثنا حجاج بن عمران السدوسي[٣] ، حدثنا عمرو بن الحصين العقيلي ، حدثنا محمد بن عبد اللَّه بن عُلاثة ، حدثني ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان ، سمعت عبد الملك بن مروان ، يحدث عن أبيه ، عن زيد بن ثابت - رضي اللَّه عنه - قال : أصابني أرق من الليل ، فشكوت ذلك إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال : « **قل : اللهم غارت النجوم ، وهدأت العيون ، وأنت حي قيوم ، يا حي يا قيوم ، [أنم عيني ، وأهدئ[٤] ليلي** » . فقلتها ، فذهب عني .

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ

(١٦) المعجم الكبير (٥/١٢٤) ، ورواه ابن السني في عمل اليوم والليلة حديث (٧٤٥) ، وابن عدي في الكامل (٥/١٥٠) من طريق عمرو بن الحصين به ، وقال ابن عدي : « تفرد به عمرو بن الحصين وهو مظلم الحديث ، ويروى عن قوم معروفين » . وله شاهد من حديث أنس ، حسنه الحافظ ابن حجر كما في الفتوحات الربانية لابن علان (٣/١٧٧) .

[١] -

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.

[٣] - في ت : « السدسي » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « اهد » .

ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **ومن آياته** ﴾ الدالة علىٰ عظمته أنه ﴿ **يريكم البرق خوفًا وطمعًا** ﴾ ، أي[١] : تارة تخافون[٢] مما يحدث بعده من أمطار مزعجة ، أو صواعق متلفة ، وتارة ترجون وَميضه وما يأتي بعده من المطر المحتاج إليه ، ولهذا قال : ﴿ **وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها** ﴾ ، أي : بعد ما كانت هامدة لا نبات فيها ولا شيء ، فلما جاءها الماء ﴿ **اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج** ﴾ . وفي ذلك عبرة ودلالة واضحة علىٰ المعاد وقيام الساعة ، ولهذا قال : ﴿ **إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون** ﴾ . ثم قال :﴿ **ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره** ﴾ كقوله : ﴿ **ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه** ﴾ وقوله : ﴿ **إن الله يمسك السمٰوات والأرض أن تزولا** ﴾ .

وكان عمر بن الخطاب - رضي اللّه عنه - إذا اجتهد في اليمين يقول : « **لا ، والذي تقوم السماء والأرض بأمره** » . أي : هي قائمة ثابتة بأمره لها وتسخيره إياها ، ثم إذا كان يوم القيامة بُدلت الأرض غير الأرض والسماوات وخرجت الأموات من قبورها أحياء بأمره تعالىٰ ودعائه إياهم . ولهذا قال : ﴿ **ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون** ﴾ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلًا** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة** ﴾ وقال : ﴿ **إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون** ﴾ .

وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **وله من في السمٰوات والأرض** ﴾ أي : ملكه وعبيده ، ﴿ **كل له قانتون** ﴾ ، أي : خاضعون خاشعون طوعًا وكرهًا .

وفي حديث دراج (١٧) ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد مرفوعًا : « **كل حرف في القرآن**

(١٧) إسناده ضعيف لضعف رواية دراج عن أبي الهيثم . ورواه أحمد (٧٥/٣) وأبو يعلى في مسنده =

[١] - سقط من : ز،خ . [٢] - في ز : « لتخافون » .

يذكر فيه القنوت فهو الطاعة » .

وقوله : ﴿ **وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه** ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : يعني أيسر عليه .

وقال مجاهد : الإعادة أهون عليه من البداءة ، والبداءة عليه هين .

وكذا قال عكرمة وغيره .

وقال البخاري(١٨) : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، أخبرنا أبو الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « **قال الله : كَذَّبَني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياي فقوله : لن يعيدني كما بدأني ، وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته . وأما شتمه إياي فقوله : اتخذ الله ولدًا ، وأنا الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوًا أحد** » .

انفرد بإخراجه البخاري[١] ، كما انفرد بروايته أيضًا من حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة به(١٩) .

وقد رواه الإمام أحمد منفردًا به(٢٠) عن حسن بن موسى ، عن ابن لهيعة ، حدثنا أبو يونس سليم بن جبير عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه أو مثله .

وقال آخرون : كلاهما بالنسبة للقدرة على السواء .

= (١٣٧٩/٢) حدثنا الحسن بن موسى به . والطبري في « تفسيره » (٢٦٥/٣ - ٢٦٦) من طريق محمد بن حرب ، قال : ثنا ابن لهيعة به وأخرجه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (٥٣١/٢) ، وابن حبان في « صحيحه » (٣٠٩/٢) ، وفي « الموارد » (١٧٢٣/٥) ، والطبراني في « الأوسط » (٥١٨١/٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣٢٥/٨) . من طريق عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن دراج به .

وذكره الهيثمي في « المجمع » (٣٢٣/٦) وقال : « رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني في الأوسط ، وفي إسناد أحمد وأبي يعلى ابن لهيعة وهو ضعيف » . وقال ابن كثير في « تفسيره » [سورة البقرة آية (١١٦)] : في هذا الإسناد ضعف لا يعتمد عليه ، ورفع هذا الحديث منكر ، وقد يكون من كلام الصحابي أو مَنْ دونه وكثير ما يأتي بهذا الإسناد تفاسير فيها نكارة ، فلا يغتر بها فإن السند ضعيف والله أعلم . وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٢٠٨/١) إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، والنحاس في « ناسخه » وأبي نصر السِّجزيّ في « الإبانة » والضياء في « المختارة » .

(١٨) صحيح البخاري حديث (٤٩٧٤) .

(١٩) صحيح البخاري حديث (٤٩٧٥) .

(٢٠) المسند (٣٥٠/٢) .

[١] - سقط من : خ ، ز .

قال العوفي عن ابن عباس : كل عليه هين . وكذا قال الربيع بن خُثيم . ومال إليه ابن جرير ، وذكر عليه شواهد كثيرة ، قال : ويحتمل أن يعود الضمير في قوله : ﴿ **وهو أهون عليه** ﴾ إلىٰ الخلق أي : وهو أهون علىٰ الخلق

وقوله : ﴿ **وله المثل الأعلىٰ في السمٰوات والأرض** ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس كقوله : ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾ .

وقال قتادة : مثله[١] أنه لا إله إلا هو ، ولا رب غيره ، وقال مثل هذا ابن جرير .

وقد أنشد بعض المفسرين عند ذكر هذه الآية لبعض أهل المعارف :

إذَا سَكَن الغَدير عَلَىٰ صَفَاء وَجُنِّبَ أنْ يُحَرِكه النَّسِيم
تَـرَىٰ فيه السَّمَـاء بـلاَ امْتـراء كَـذَاكَ الشَّمس تَبْدُو وَالنُّجُومُ
كَـذَاكَ قُلُـوبُ أرْبَاب التَّجَلِي يُرَىٰ في صَفْوِها اللَّه العَظِيم

﴿ **وهو العزيز** ﴾ : الذي لا يغالب ولا يمانع ، بل قد غلب كل شيء ، وقهر كل شيء بقدرته وسلطانه ﴿ **الحكيم** ﴾ في أفعاله وأقواله شَرْعًا وقَدَرًا .

وعن مالك في تفسيره المروي عنه ، عن محمد بن المنكدر ، في قوله تعالىٰ : ﴿ **وله المثل الأعلىٰ** ﴾ ، قال : لا إله إلا اللَّه .

ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾

هذا مثل ضربه اللَّه - تعالىٰ - للمشركين به ، العابدين معه غيره ، الجاعلين له شركاء وهم مع ذلك معترفون أن شركاءه من الأصنام والأنداد عبيد له ملك له ، كما كانوا في تلبيتهم يقولون : لبيك لا شريك لك ، إلا شريكًا هو لك ، تملكه وما ملك . فقال تعالىٰ : ﴿ **ضرب لكم مثلًا من أنفسكم** ﴾ أي : تشهدونه وتفهمونه من أنفسكم : ﴿ **هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء** ﴾ ، أي : [لا يرتضي][٢] أحد منكم أن يكون[٣] عبده شريكًا له في ماله ، فهو وهو فيه علىٰ السواء ﴿ **تخافونهم كخيفتكم أنفسكم** ﴾

---

[١] - سقط من : ز ، خ. [٢] - في ز ، خ: « ليرتضي » .
[٣] - سقط من : خ .

أي : تخافون أن يقاسموكم[١] الأموال .

قال أبو مجلز : إن مملوكك لا تخاف أن يقاسمك مالك وليس له ذاك ، كذلك[٢] الله لا شريك له .

والمعنىٰ أن أحدكم يأنف من ذلك ، فكيف تجعلون لله الأنداد من خلقه ؟ وهذا كقوله تعالىٰ : ﴿ **ويجعلون لله ما يكرهون** ﴾ أي : من البنات ، حيث جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا ، وجعلوها بنات الله ، وقد كان أحدهم إذا بُشر ﴿ **بالأنثىٰ ظل وجهه مسودًا وهو كظيم ، يتوارىٰ من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه علىٰ هون أم يدسه في التراب** ﴾ ؟ فهم يأنفون من البنات ، وجعلوا الملائكة بنات الله ، فنسبوا إليه ما لا يرتضونه لأنفسهم ، فهذا أغلظ الكفر . وهكذا[٣] في هذا المقام جعلوا له شركاء من عبيده وخلقه ، وأحدهم يأبىٰ غاية الإباء ويأنف غاية الأنفة من ذلك ، أن يكون عبدُه شريكه في ماله ، يساويه فيه ، ولو شاء لقاسمه عليه ، تعالىٰ الله عن ذلك علوًا كبيرًا .

قال الطبراني (٢١) : حدثنا محمود بن الفرج الأصبهاني ، حدثنا إسماعيل بن عمرو البجلي ، حدثنا حماد بن شعيب ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان يلبي أهل الشرك : لبيك اللهم ، لبيك لا شريك لك ، إلا شريكًا هو لك ، تملكه وما ملك . فأنزل الله : ﴿ **هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم** ﴾ ولما كان التنبيه بهذا المثل علىٰ براءته تعالىٰ - ونزاهته بطريق الأولىٰ والأحرىٰ - قال : ﴿ **كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ مبينًا أن المشركين إنما عبدوا غيره سَفَهًا من أنفسهم وجهلًا : ﴿ **بل اتبع الذين ظلموا** ﴾ ، أي : المشركون[٤] ﴿ **أهواءهم** ﴾ ، أي : في عبادتهم الأنداد بغير علم ﴿ **فمن يهدي من أضل الله** ﴾ ، [أي : فلا أحد يهديهم إذا كتب الله ضلالهم][٥] ، ﴿ **وما لهم من ناصرين** ﴾ ، أي : ليس لهم [عن ذلك][٦] منقذ ولا مجير ، ولا محيد لهم عنه ، لأنه ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن .

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ

---

(٢١) المعجم الكبير (١٢/٢٠) ، وقال الهيثمي في المجمع (٣/٢٢٣) : « وفيه حماد بن شعيب وهو ضعيف» .

---

[١] - في ز ، خ: « يقاسمكم » .

[٢] - في ز ، خ: « كذاك » .

[٣] - في ز : « هذا » .

[٤] - في ز ، خ: « المشركين » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٦] - ما بين المعكوفتين في ت : من قدرة الله .

ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًاۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

يقول تعالىٰ : فسدد وجهك واستمر علىٰ الدين الذي شرعه الله لك من الحنيفية ملة إبراهيم ، التي[١] هداك الله لها ، وكملها[٢] لك غاية الكمال ، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة ، التي فطر الله الخلق عليها ، فإنه تعالىٰ فطر خلقه علىٰ [معرفته وتوحيده ، وأنه لا إله غيره ، كما تقدم عند قوله تعالىٰ : ﴿ **وأشهدهم علىٰ أنفسهم ألست بربكم قالوا بلىٰ** ﴾ . وفي الحديث : « **إني خلقت عبادي حنفاء ، فاجتالتهم الشياطين عن دينهم** » وسنذكر في الأحاديث أن الله - تعالىٰ - فطر خلقه علىٰ][٣] الإسلام ، ثم طرأ علىٰ بعضهم الأديان الفاسدة كاليهودية أو النصرانية أو المجوسية .

وقوله : ﴿ **لا تبديل لخلق الله** ﴾ ، قال بعضهم : معناه لا تبدلوا خلق الله ، فتغيروا الناس عن فطرتهم التي فَطرهم الله عليها . فيكون خبرًا بمعنىٰ الطلب ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ومن دخله كان آمنا** ﴾ وهذا معنى حسن صحيح .

وقال آخرون : هو خبر علىٰ بابه ، ومعناه : أنه - تعالىٰ - ساوىٰ بين خلقه ، كلهم في الفطرة علىٰ الجِبِلَّة المستقيمة ، لا يولد أحد إلا علىٰ ذلك ، ولا تفاوت بين الناس في ذلك . ولهذا قال ابن عباس، وإبراهيم النخعي ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، والضحاك ، وابن زيد في قوله : ﴿ **لا تبديل لخلق الله** ﴾ ، أي : لدين الله .

وقال البخاري (٢٢) : قوله : ﴿ **لا تبديل لخلق الله** ﴾ : لدين الله ، خَلْقُ الأولين : [دين الأولين][٤] والفطرة : الإسلام .

حدثنا عبدان ، أخبرنا عبد الله ، أخبرنا يونس ، عن الزهري ، أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن : أن أبا هريرة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما من مولود يولد إلا علىٰ الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تُنتج البهيمة بهيمة جمْعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟** » . ثم يقول: ﴿ **فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق**

---

(٢٢) صحيح البخاري حديث (٤٧٧٥) ، وصحيح مسلم رقم (٢٦٥٨) .

---

[١] - في ت : « الذي » .
[٢] - في خ : « وكلها » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين في خ : « الدين » .

الله ذلك الدين القيم ﴾ » .

ورواه مسلم من حديث عبد الله بن وهب ، عن يونس بن يزيد الأيلي ، عن الزهري به .

وأخرجاه أيضًا(٢٣) من حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم .

وفي معنىٰ هذا الحديث قد وردت أحاديث عن جماعة من الصحابة ، فمنهم الأسودُ بن سريع التميمي ، قال الإمام أحمد :

حدثنا إسماعيل ، حدثنا يونس ، عن الحسن ، عن الأسود بن سريع قال : أتيت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وغزوت معه ، فأصبت ظهرًا[١] ، فَقَتَل الناس يومئذ ، حتىٰ قتلوا الولدان . فبلغ ذلك رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - فقال : « **ما بال أقوام جاوزهم القتل اليوم حتىٰ قتلوا الذرية ؟** » فقال رجل : يا رسول الله ، إنما هم أبناء المشركين ؟ فقال : « **ألا إنما خياركم أبناء المشركين** » . ثم قال : « **لا تقتلوا ذرية ، لا تقتلوا ذرية** » . وقال : « **كل نسمة تولد علىٰ الفطرة ، حتىٰ يُعرب عنها لسانها ، فأبواها يهودانها أو ينصرانها** » .

ورواه النسائي في[٢] كتاب السير ، عن زياد بن أيوب ، عن هشيم ، عن يونس - وهو ابن عبيد - عن الحسن البصري به(٢٤) .

ومنهم جابر بن عبد الله الأنصاري .

قال الإمام أحمد : حدثنا هاشم ، حدثنا[٣] أبو جعفر ، عن الربيع بن أنس، عن الحسن ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **كل مولود يولد علىٰ الفطرة ، حتىٰ يعرب**(*) **عنه لسانه ، فإذا عبر عنه لسانه إما شاكرًا وإما كفورًا** »(٢٥) .

---

(٢٣) صحيح البخاري حديث (٦٥٩٩) ، وصحيح مسلم حديث (٢٦٥٨) .

(٢٤) المسند (٣/٤٣٥) ، والنسائي في السنن الكبرى حديث (٨٦١٦) .

(٢٥) المسند (٣/٣٥٣) ، أبو جعفر هو الرازي : صدوق سيئ الحفظ . والحسن هو البصري مدلس وقد عنعن بل قال ابن أبي حاتم : سألت أبي : سمع الحسن من جابر ؟ قال : ما أرى ولكن هشام بن حسان يقول عن الحسن : حدثنا جابر . وأنا أنكر هذا إنما الحسن عن جابر كتاب مع أنه أدرك جابرًا ، انظر جامع التحصيل للعلائي (ص١٦٤) . والحديث ذكره الهيثمي في المجمع (٧/٢٢١) وقال : رواه أحمد وفيه أبو جعفر الرازي وهو ثقة وفيه خلاف ، وبقية رجاله ثقات . ويشهد له حديث الأسود بن سريع عند أحمد (٣/٤٣٥) ، والنسائي في الكبرى كتاب السير ، باب : النهي عن قتل ذراري المشركين (٨٦١٦) (٥/١٨٤) .

=

---

[١] - في ز ، خ: « ظفرًا » .

[٢] - في ز ، خ: « من » .

[٣] - سقط من : ز .

ومنهم عبد الله بن عباس الهاشمي ، قال الإمام أحمد (٢٦) : حدثنا عفان ، حدثنا أبو عوانة ، حدثنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم سُئل عن أولاد المشركين ، فقال : « **الله أعلم بما كانوا عاملين إذ خلقهم** » .

أخرجاه في الصحيحين ، من حديث أبي بشر جعفر بن إياس اليشكري ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس مرفوعًا كذلك[١].

وقد قال أحمد أيضًا : حدثنا عفان ، حدثنا حماد - يعني : ابن سلمة - أنبأنا عمار بن أبي عمار ، عن ابن عباس قال : أتىٰ عليَّ زمان وأنا أقول : أولاد المسلمين مع أولاد[٢] المسلمين ، وأولاد المشركين مع المشركين . حتىٰ حدثني فلان عن فلان ، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم سئل عنهم فقال : « **الله أعلم بما كانوا عاملين** » قال : فلقيت الرجل فأخبرني ، فأمسكت عن قولي (٢٧) .

ومنهم[٣] عياض بن حمار المجاشعي .

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيىٰ بن سعيد ، حدثنا هشام ، حدثنا قتادة ، عن مُطرف ، عن عياض بن حمار أن رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - خطب ذات يوم ، فقال في خطبته : « **إن ربي - عز وجل - أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومي هذا : كل مال[٤]**

= والدارمي (٢٤٦٦) ، وأبي يعلى (٩٤٢) (٢/٢٤٠) ، وابن حبان في صحيحه (١٣٢) (١/٣٤١) ، وفي الموارد (١٦٥٨) (٥/٢٥٥) ، والبخاري في التاريخ الكبير (١/٤٤٥) ، والطبراني في الكبير (٨٢٧) (١/٢٨٣) ، والحاكم (٢/١٢٣) ، والبيهقي (٩/٧٧) من طرق عن الحسن عنه بنحو حديث جابر ، وقد صرح الحسن بسماعه من الأسود عند عدد منهم . وفي الباب عن أبي هريرة عند البخاري في كتاب الجنائز ، باب : إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه .... (١٣٥٩) ، ومسلم في كتاب القدر ، باب : معنى كل مولود يولد على الفطرة ... (٢٦٥٨) ، وأبو داود في كتاب السنة ، باب : في ذراري المشركين (٤٧١٤) ، والترمذي في كتاب القدر ، باب : ما جاء في كل مولود يولد على الفطرة (٢١٣٩) .

(*) يُعْرِبَ هكذا يروى بالتخفيف ، من أعرب ، قال أبو عبيد : الصواب «يُعَرِّب» يعنى بالتشديد .. يُقال : عَرَّبت عن القوم إذا تكلَّمْتَ عنهم . نهاية [٣/٢٠٠] .

(٢٦) المسند (١/٣٢٨) ، وصحيح البخاري حديث (١٣٨٣) حديث (١٣٨٣) ، وصحيح مسلم حديث (٢٦٦٠) .

(٢٧) المسند (٥/٧٣) ، وعمار بن أبي عمار : روى له مسلم . وقال عنه ابن حجر : صدوق ربما أخطأ . وقال الهيثمي في المجمع (٧/٢١٨) : « رجاله رجال الصحيح » . قال ابن حجر في أطرافه : هذا المبهم سماه روح ابن عبادة ، عن حماد : أبي بن كعب ، كذا في زيادة مسند أبي داود الطيالسي .

---

[١] - في ت : « بذلك » .
[٢] - سقط من : ز،خ .
[٣] - في ت : « منه » .
[٤] - كذا في ت والمسند ، وفي ز : « ما » .

نحلته عبادي حلال ، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فأضلتهم[١] عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا، ثم إن الله – عز وجل – نظر إلىٰ أهل الأرض فمقتهم ، عربهم وعجمهم ، إلا بقايا من أهل الكتاب ، وقال : إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك ، وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائمًا ويقظانا . ثم إن الله أمرني أن أحرق قريشًا ، فقلت : يارب ، إذًا يَثْلغُوا(*) رأسي فيدعوه خُبزَة . فقال : استخرجهم كما استخرجوك ، [واغزهم نُغزك][٢] ، وأنفق [عليهم فسننفق][٣] عليك ، وابعث جيشا نبعث خمسة مثله ، وقاتل بمن أطاعك من عصاك . قال[٤] : وأهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مُقسط متصدق وموفق ، ورجل رحيم رقيق القلب بكل ذي قربى ومسلم ، ورجل عفيف فقير متصدق . وأهل النار خمسة : الضعيف الذي لا زَبْرَ(**) له ، الذين هم فيكم تَبعا ، لا يبتغون أهلًا ولا مالًا ، والخائن الذى لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه ، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك » . وذكر البخل، و[٥] الكذب و[٦] الشنظير الفاحش[٧] .

انفرد بإخراجه مسلم فرواه من طرق عن قتاده به(٢٨) .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ذلك الدين القيم** ﴾ ، أي : [التمسك بالشريعة][٨] والفطرة السليمة هو الدين القويم المستقيم ﴿ **ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ أي : ولهذا[٩] لا يعرفه أكثر[١٠] الناس فهم عنه ناكبون ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين** ﴾. ﴿ **وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله** ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ **منيبين إليه** ﴾ ، قال ابن زيد وابن جريج : أي راجعين إليه ، ﴿ **واتقوه** ﴾ ، أي : خافوه وراقبوه ، ﴿ **وأقيموا الصلاة** ﴾ ، وهي الطاعة العظيمة ، ﴿ **ولا تكونوا من المشركين** ﴾ ، أي : بل من الموحدين المخلصين له العبادة ، لا يريدون بها سواه .

قال ابن جرير : [حدثنا ابن حميد][١١] ، حدثنا يحيى بن واضح ، حدثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن يزيد بن أبي مريم ، قال : مر عمر – رضي الله عنه – بمعاذ بن جبل فقال : ما

(*) الثَّلغ : الشدخ ، وقيل هو ضربك الشيء الرطب بالشيء اليابس حتى ينشدخ .
(**) الزبر : العقل والرأي .

---

[١] – في ز ،خ : « أضلتهم » .
[٢] – في ز : «وعزهم بعرك» .
[٣] – ما بين المعكوفتين في ز : « استنفق » .
[٤] – سقط من : خ .
[٥] – [٦] – في ز : « أو » .
[٧] – في ت : « الفحاش » .
[٨] – ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « المتمسك بالشرعة » .
[٩] – في ت : « فلهذا » .
[١٠] – سقط من : خ ، ز .
[١١] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

قوام هذه الأمة[١] ؟ قال معاذ : ثلاث[٢] ، وهن المنجيات : الإخلاص ، وهي الفطرة [فطرة الله][٣] التي فطر الناس عليها ، والصلاة وهي الملة ، والطاعة وهي العصمة . فقال عمر : صدقت .

حدثني يعقوب ، حدثنا ابن علية، حدثنا أيوب ، عن أبي قلابة : أن عمر - رضي الله عنه - قال لمعاذ : ما قوام هذا الأمر ؟ ... فذكر[٤] نحوه (٢٩) .

وقوله : ﴿ من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ ، أي : لا تكونوا من المشركين الذين قد[٥] فرقوا دينهم ، أي : بدلوه وغيروه ، وآمنوا ببعض وكفروا ببعض .

وقرأ بعضهم : (**فارقوا دينهم**) ، أي : تركوه وراء ظهورهم ، وهؤلاء كاليهود والنصارىٰ والمجوس وعَبَدة الأوثان ، وسائر أهل الأديان الباطلة ، مما عدا أهل الإسلام ، كما قال تعالىٰ : **﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلىٰ الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون ﴾** فأهل الأديان قبلنا اختلفوا فيما بينهم علىٰ آراء ومِلَل باطلة ، وكل فرقة منهم تزعم أنهم علىٰ شيء ، وهذه الأمة أيضًا اختلفوا فيما بينهم علىٰ نحل كلها ضلالة إلا واحدة ، وهم أهل السنة والجماعة المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله صلىٰ الله عليه وسلم ، وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين في قديم الدهر وحديثه ، كما رواه الحاكم في مستدركه أنه سئل - عليه السلام - عن الفرقة الناجية منهم ، فقال : « **ما أنا عليه وأصحابي** » (٣٠) .

وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ

(٢٨) المسند (٤/١٦٢) ، وصحيح مسلم حديث (٢٨٦٥) .

(٢٩) تفسير الطبري (٢١/٢٦) .

(٣٠) المستدرك (١/١٢٨ ، ١٢٩) ، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف ص (٦٣) : « إسناده حسن» .

[١] - في خ ، ز : « الآية » .

[٢] - في خ : « بلا » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٤] - في ت : « فذكره » .

[٥] - سقط من : ز ، خ.

أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن الناس ، أنهم في حال الاضطرار يدعون اللَّه وحده لا شريك له ، وأنه إذا أسبغ عليهم النعم إذا فريق منهم في حالة الاختيار يشركون باللَّه ، ويعبدون معه غيره .

وقوله : ﴿ **ليكفروا بما آتيناهم** ﴾ هي « **لام** » العاقبة عند بعضهم ، « **ولام** » التعليل عند آخرين ، ولكنها تعليل لتقييض[١] اللَّه لهم ذلك .

ثم توعدهم بقوله : ﴿ **فسوف تعلمون**[٢] ﴾ ، قال بعضهم : واللَّه لو توعدني حارس دَرْب لخفت منه ، فكيف والمتوعد هاهنا الذي يقول للشيء : كن فيكون .

ثم قال منكرًا علىٰ المشركين فيما اختلقوه من عبادة الأوثان بلا دليل ولا حجة ولا برهان : ﴿ **أم أنزلنا عليهم سلطانًا** ﴾ ، [أي : حجة][٣] ، ﴿ **فهو يتكلم** ﴾ [أي : ينطق][٤] ﴿ **بما كانوا به يشركون ؟** ﴾ وهذا استفهام إنكار ، أي : لم يكن شيء من ذلك .

ثم قال : ﴿ **وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون** ﴾ ، هذا إنكار علىٰ الإنسان من حيث هو ، إلا مَنْ عصَمه اللَّه[٥] ووفقه ؛ فإن الإنسان إذا أصابته نعمة بَطِر وقال : ﴿ **ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور** ﴾ ، أي : يفرح في نفسه ويفخر علىٰ غيره ، وإذا أصابته شدة قَنط ، وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير بالكلية ، قال اللَّه : ﴿ **إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات** ﴾ ، أي : صبروا في الضراء[٦] ، وعملوا الصالحات في الرخاء ، كما ثبت في الصحيح : « **عجبًا للمؤمن ، لا يقضي اللَّه له قضاء إلا كان خيرًا له ، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له ، وإن أصابته ضرَاء صبر فكان خيرًا له** »(٣١) .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **أو لم يروا أن اللَّه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر** ﴾ ، أي : هو المتصرف

---

(٣١) صحيح مسلم حديث (٢٩٩٩) من حديث صهيب الرومي رضي الله عنه .

---

[١] - في ز،خ : « لتقيض » .

[٢] - في ز : « يعلمون » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٥] - سقط من : ز،خ .

[٦] - في خ ، ز : « الضرائر » .

الفاعل لذلك بحكمته وعدله ، فيوسع علىٰ قوم ويضيّق علىٰ آخرين ، ﴿ **إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون** ﴾ .

فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾

يقول تعالىٰ آمرًا بإعطاء ذي ﴿ **القربىٰ حقه** ﴾ ، أي : من البر والصلة ، ﴿ **والمسكين** ﴾ ، وهو : الذي لا شيء له ينفق عليه ، أو له شيء لا يقوم بكفايته ، ﴿ **وابن السبيل** ﴾ ، وهو المسافر المحتاج إلىٰ نفقة ، وما يحتاج إليه في سفره ، ﴿ **ذلك خير للذين يريدون وجه الله** ﴾ ، أي : النظر إليه يوم القيامة ، وهو الغاية القصوىٰ ، ﴿ **وأولئك هم المفلحون** ﴾ ، أي : في الدنيا وفي الآخرة .

ثم قال : ﴿ **وما آتيتم من ربًا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله** ﴾ ، أي : من أعطىٰ عطية [ ][١] يريد أن يرد الناس عليه أكثر مما أهدىٰ لهم فهذا لا ثواب له عند الله . بهذا فسره ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، وقتادة ، وعكرمة ، ومحمد بن كعب ، والشعبي . وهذا الصنيع مباح ، وإن كان لا ثواب فيه ، إلا أنه قد نهىٰ عنه رسول الله -صلىٰ الله عليه وسلم - خاصة ، قاله الضحاك ، واستدل بقوله : ﴿ **ولا تمنن تستكثر** ﴾ ، أي : لا تعط العطاء تريد أكثر منه .

وقال ابن عباس : الربا رباءان (*) ، فربا لا يصح[٢] - يعني : ربا البيع - وربا لا بأس به ، وهو هدية الرجل يريد فضلها[٣] وأضعافها . ثم تلا هذه الآية : ﴿ **وما آتيتم[٤] من ربًا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله** ﴾ .

وإنما الثواب عند الله في الزكاة ، ولهذا قال : ﴿ **وما آتيتم[٥] من زكاة تريدون وجه الله**

(*) كذا في ز ، خ : والرباء - بالمد - لغة في الربا .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « أي » .

[٢] - في ز : « يصلح » .

[٣] - في ز : « أفضلها » .

[٤] - في ز : « أوتيتم » .

[٥] - في ز : « أوتيتم » .

فأولئك هم المضعفون ﴾ ، أي : الذين يضاعف الله لهم الثواب والجزاء ، كما جاء[١] في الصحيح : « **وما تصدق أحد بعدل تمرة من كسب طيب إلا أخذها الرحمن بيمينه ، فيربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فَلوَّه أو فصيله ، حتىٰ تصير التمرة أعظم من أُحُد** »(٣٢) .

وقوله : ﴿ **الله الذي خلقكم ثم رزقكم** ﴾ ، أي : هو الخالق الرزاق ، يخرج الإنسان من بطن أمه عريانا ، لا علم له ، ولا سمع ، ولا بصر ، ولا قُوة ، ثم يرزقه جميع ذلك بعد ذلك ، والرياش واللباس والمال والأملاك والمكاسب .

كما قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن سلام أبي[٢] شرحبيل ، عن حَبَّة وسواء ابني خالد قالا : دخلنا علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم وهو يصلح شيئا فأعَنَّاه ، فقال : « **لا تيأسا من الرزق ما تَهَزززتْ رءوسكما ؛ فإن الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشرة ثم يرزقه الله عز وجل** »(٣٣) .

وقوله : ﴿ **ثم يميتكم** ﴾ أي : بعد هذه الحياة ، ﴿ **ثم يحييكم** ﴾ أي : يوم القيامة .

وقوله : ﴿ **هل من شركائكم** ﴾ ، أي : الذين تعبدونهم من دون الله ، ﴿ **من يفعل من ذلكم من شيء** ﴾ ؟، أي : لا يقدر أحد منهم علىٰ فعل شيء من ذلك ، بل الله - سبحانه وتعالىٰ - هو المستقل بالخلق والرزق ، والإحياء والإماتة ، ثم يبعث الخلائق يوم القيامة . ولهذا قال بعد هذا كله : ﴿ **سبحانه وتعالىٰ عما يشركون** ﴾ أي : تعالىٰ وتقدس وتنزه وتعاظم وجل وعَزّ عن أن يكون له شريك أو نظير أو مساو ، أو ولد أو والد . بل هو الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوًا أحد .

ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى

(٣٢) صحيح البخاري حديث (١٤١٠) .

(٣٣) المسند (٣/٤٦٩) . وحبة بن خالد الأسدي ، العامري : قال الحافظ في التقريب : صحابي ، له حديث واحد ، نزل الكوفة . بخ ق . وسلام بن شرحبيل أبو شرحبيل : قال الحافظ في التقريب : مقبول ، من الرابعة . بخ ق . وقال في التهذيب : وذكره ابن حبان في الثقات . وسواء بن خالد الأسدي : قال الحافظ في التقريب : صحابي ، له حديث . بخ ق . والحديث أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد ، باب : التوكل واليقين (٢/١٣٩٤) حديث (٤١٦٤) . والطبراني في الكبير (٤/٧:٨) حديث ٣٤٧٩ ، ٣٤٨٠. وقال البوصيري في الزوائد : إسناده صحيح وسلام بن شرحبيل ذكره ابن حبان في الثقات ، ولم أر من تكلم فيه وباقي رجال الإسناد ثقات . وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع (٦٢٩٥) ، وضعيف ابن ماجه حديث ٩١٠. وعزاه لسلسلته الضعيفة (٤٧٩٨) .

[١] - سقط من : ت . [٢] - في خ : « بن » .

عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾

قال ابن عباس ، وعكرمة ، والضحاك ، والسدي ، وغيرهم : المراد بالبر هاهنا : الفيافي ، وبالبحر : الأمصار والقرىٰ ، وفي رواية عن ابن عباس وعكرمة : البحر : الأمصار والقرىٰ ، ما كان منها علىٰ جانب نهر .

وقال آخرون : بل المراد بالبر ، هو البر المعروف ، وبالبحر ، البحر المعروف .

و[١]قال زيد بن رُفيع : ﴿ **ظهر الفساد** ﴾ ، يعني : انقطاع المطر عن البر يعقبه القحط ، وعن البحر تعمى دوابه .

رواه ابن أبي حاتم وقال : حدثنا محمد بن عبد اللّه بن يزيد المقري ، عن سفيان ، عن حُميد ، بن قيس الأعرج عن مجاهد : ﴿ **ظهر الفساد في البر والبحر** ﴾ قال : فساد البر قتل ابن آدم ، وفساد[٢] البحر : أخذ السفينة غصبًا .

وقال عطاء الخراساني : المراد بالبر[٣] ما فيه من المدائن والقرى ، وبالبحر : جزائره .

والقول الأول أظهر ، وعليه الأكثر ، ويؤيده ما ذكره محمد بن إسحاق في السيرة : أن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم صَالَح ملك أيلة ، وكتب له ببحره - يعني ببلده .

ومعنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ **ظهرالفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس** ﴾ ، أي : بان النقص في الثمار والزروع بسبب المعاصي .

و[٤]قال أبو العالية : من عصىٰ اللّه في الأرض فقد أفسد في الأرض ، لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة ، ولهذا جاء في الحديث الذي رواه أبو داود : « **لَحَدّ يقام في الأرض أحب إلىٰ أهلها من أن يمطروا أربعين صباحًا** »(٣٤) .

والسبب في هذا أن الحدود إذا أقيمت ، انكفّ الناس - أو أكثرهم أو كثير منهم - عن تعاطي المحرمات ، وإذا ارتكبت المعاصي كان سببًا في محاق البركات من السماء والأرض .

---

(٣٤) رواه أحمد في المسند (٣٦٢/٢) ، والنسائي في السنن (٧٥/٨) من حديث أبي هريرة ، ولم يقع لى في سنن أبي داود .

---

[١] - سقط من : ز ، خ.
[٢] - في خ ، ز : « وفي » .
[٣] - في ز ، خ: « من البر » .
[٤] - سقط من : ز ، خ.

ولهذا إذا نزل عيسىٰ - عليه السلام - في آخر الزمان فحكم بهذه الشريعة المطهرة في ذلك الوقت من قتل الخنزير ، وكسر الصليب ، ووضع الجزية ، وهو تركها - فلا يقبل إلا الإسلام أو السيف ، فإذا أهلك اللَّه في زمانه الدجال وأتباعه ، ويأجوج ومأجوج ، قيل للأرض : أخرجي بركاتك . فيأكل من الرمانة الفئام(*) من الناس ، ويستظلون بقحفها ، ويكفي لبن اللقحة الجماعة من الناس . وما ذاك إلا ببركة تنفيذه[١] شريعة رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فكلما أقيم العدل كثرت البركات والخير .

وثبت في الصحيح : « أن الفاجر إذا مات تستريح العباد والبلاد ، والشجر والدواب »(٣٥) .

ولهذا قال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا محمد والحسين قالا : حدثنا عوف عن[٢] أبي قحذم قال : وجد رجل[٣] في زمان زياد - أو ابن زياد - صرة فيها حب ، يعني : من بر أمثال النوى عليه مكتوب : هذا نبت في زمان كان[٤] يعمل فيه بالعدل (٣٦) .

وروى مالك ، عن زيد بن أسلم : أن المراد بالفساد هاهنا : الشرك . وفيه نظر .

وقوله : ﴿ ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون ﴾ ، أي : يبتليهم بنقص الأموال والأنفس والثمرات ، اختبارا منه ، ومجازاة علىٰ صنيعهم ، ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ أي : عن المعاصي ، كما قال تعالىٰ : ﴿ وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون ﴾ ثم قال تعالىٰ : ﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل ﴾ ، أي : من قبلكم[٥] ، ﴿ كان أكثرهم مشركين ﴾ ، أي : فانظروا ماذا حل بهم من تكذيب الرسل وكفر النعم .

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾

يقول تعالىٰ آمرًا عباده بالمبادرة إلىٰ الاستقامة في طاعته ، والمبادرة إلىٰ الخيرات : ﴿ فأقم

(٣٥) صحيح البخاري حديث (٦٥١٢) .
(٣٦) المسند (٢/٢٩٦) .

[١] - في ت : « تنفيذ » .
[٢] - في خ ، ز : « بن » .
[٣] - في ز : « قحدم » .
[٤] - سقط من : ز ، خ.
[٥] - سقط من : ز،خ .

وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ﴾ ، أي : يوم القيامة ، إذا أراد كونه فلا راد له ، ﴿ **يومئذ يصدعون** ﴾ أي : يتفرقون ، ، ففريق في الجنة وفريق في السعير ، ولهذا قال : ﴿ **من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله** ﴾ أي : يجازيهم مجازاة الفضل : الحسنة بعشر أمثالها ، إلىٰ سبعمائة ضعف ، إلىٰ ما يشاء الله ، ﴿ **إنه لا يحب الكافرين** ﴾ . ومع هذا هو العادل فيهم ، الذي لا يجور .

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

يذكر تعالىٰ نعمه علىٰ خلقه ، في إرساله الرياح مبشرات بين يدي رحمته بمجيء الغيث عقيبها ، ولهذا قال : ﴿ **وليذيقكم من رحمته** ﴾ ، أي : المطرالذي ينزله فيحيي به العباد والبلاد ، ﴿ **ولتجري الفلك بأمره** ﴾ أي : في البحر وإنما سيرها بالريح ، ﴿ **ولتبتغوا من فضله** ﴾ ، أي : في التجارات والمعايش ، والسير من إقليم إلىٰ إقليم ، وقطر إلىٰ قطر ، ﴿ **ولعلكم تشكرون** ﴾ ، أي : تشكرون الله[١] علىٰ ما أنعم به عليكم من النعم الظاهرة والباطنة ، التي لا تعد ولا تحصىٰ .

ثم قال : ﴿ **ولقد أرسلنا من قبلك رسلًا إلىٰ قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا** ﴾ ، هذه تسلية من الله لعبده ورسوله محمد - صلىٰ الله عليه وسلم - بأنه وإن كذبه كثير من قومه ومن الناس ، فقد كُذبت الرسل المتقدمون[٢] مع ما جاءوا أممهم به من الدلائل الواضحات ، ولكن الله انتقم ممن كذبهم وخالفهم ، وأنجىٰ المؤمنين بهم ، ﴿ **وكان حقًّا علينا نصر المؤمنين** ﴾ ، هو حق أوجبه علىٰ نفسه الكريمة ، تكرمًا وتفضلًا[٣] ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **كتب ربكم علىٰ نفسه الرحمة** ﴾ قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا ابن نفيل ، حدثنا موسىٰ بن أعين ، عن ليث ، عن شهر بن حوشب ، عن أم الدرداء ، عن أبي الدرداء قال : سمعت رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - يقول : « **ما من امرئ مسلم يَرُدّ عن عرض أخيه ، إلا كان حقًّا علىٰ الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة** » . ثم تلا هذه الآية :

---

[١] - سقط من : ز ، خ.
[٢] - في ز : « لله » .
[٣] - في ز ، خ: « المتقدمين » .

﴿ وكان حقًّا علينا نصر المؤمنين ﴾ (٣٧) .

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾

يبين تعالى كيف يخلق السحاب التي ينزل منها الماء ، فقال : ﴿ **الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابًا** ﴾ ، إما من البحر على ما ذكره غير واحد ، أو مما يشاء الله عز وجل ، ﴿ **فيبسطه في السماء كيف يشاء** ﴾ ، أي : يمدّه فيكثره وينميه ، ويجعل من القليل كثيرًا ، ينشئ سحابة فترى في رأى العين مثل الترس ، ثم يبسطها حتى تملأ أرجاء الأفق ، وتارة يأتي السحاب من نحو البحر ثقالًا مملوءة ماء ، كما قال تعالى : ﴿ **وهو الذي يرسل الرياح بشرًا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالًا سقناه لبلدٍ ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون** ﴾ وكذلك قال هاهنا : ﴿ **الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابًا فيبسطه في السماء كيف يشاء ، ويجعله[١] كسفًا** ﴾ قال مجاهد ، وأبو عمرو ابن العلاء ، و مطر الورّاق ، وقتادة : يعني قِطَعًا . وقال غيرهم : متراكما . قاله الضحاك . وقال غيره : أسود من كثرة الماء ، تراه مدلهمًا ثقيلًا ، قريبا من الأرض .

وقوله : ﴿ **فترى الودق يخرج من خلاله** ﴾ ، أي : فترى المطر - وهو القطر - يخرج من بين ذلك السحاب ، ﴿ **فإذا أصاب به من يشاء[٢] من عباده إذا هم يستبشرون** ﴾ ، أي : لحاجتهم إليه يفرحون بنزوله عليهم ، ووصوله إليهم .

وقوله : ﴿ **وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين** ﴾ ، معنى[٣] الكلام أن

(٣٧) ورواه أحمد في المسند (٤٤٨/٦) من طريق إسماعيل ، وابن أبي الدنيا في الغيبة والنميمة ، حديث (١٠٢) من طريق جرير كلاهما عن ليث - وهو ابن أبي سليم - به ولم يذكر الآية .

[١] - في ز ، خ: « فضلًا » .

[٢] - في ز ، خ: « فيجعله » .

[٣] - في ز ، خ : « شاء » .

[٤] - في ز ، خ: « يعني » .

هؤلاء القوم الذين أصابهم هذا المطر كانوا [أزلين قَنطين] من نزول المطر إليهم قبل ذلك ، فلما جاءهم جاءهم على فاقة فوقع منهم موقعًا عظيمًا .

وقد اختلف النحاة في قوله : ﴿ **من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين** ﴾ ، فقال ابن جرير : هو تأكيد . وحكاه عن بعض أهل العربية .

وقال آخرون : من قبل أن ينزل عليهم المطر ، ﴿ **من قبله** ﴾ ، أي : الإنزال ﴿ **لمبلسين** ﴾ .

ويحتمل أن يكون ذلك من دلالة التأسيس ، ويكون معنىٰ الكلام : أنهم كانوا محتاجين إليه قبل نزوله ، ومن قبله أيضًا قد فات عندهم نزوله وقتا بعد وقت ، فترقبوه في إبانه فتأخر ، فمضت مدة ثم ترقبوه[١] فتأخر ، ثم جاءهم بغتة بعد الإياس منه والقنوط ، فبعد ما كانت أرضهم مقشعرة هامدة ، أصبحت وقد اهتزت وربت . وأنبتت من كل زوج بهيج . ولهذا قال : ﴿ **فانظر إلىٰ آثار رحمة اللّٰه** ﴾ ، يعني : المطر ، ﴿ **كيف يحيي الأرض بعد موتها** ﴾ .

ثم نبه بذلك علىٰ إحياء الأجساد بعد موتها وتفرقها وتمزقها ، فقال : ﴿ **إن ذلك لمحي الموتىٰ** ﴾ ، أي : إن الذي فعل ذلك لقادر علىٰ إحياء الأموات ، ﴿ **إنه علىٰ كل شيء قدير** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ولئن أرسلنا ريحًا فرأوه مصفرًا لظلوا من بعده يكفرون** ﴾ ، يقول : ﴿ **ولئن أرسلنا ريحًا** ﴾ يابسة علىٰ الزرع الذي زرعوه ونبت وشب واستوىٰ علىٰ سوقه ، فرأوه مصفرًا ، أي : قد اصفر وشرع في الفساد ، ﴿لظلوا[٢] من بعده﴾ أي : بعد هذا الحال ، ﴿يكفرون﴾، أي: يجحدون ما تقدم من النعم ، كما قال : ﴿ **أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطامًا فظلتم تفكهون إنا لمغرمون بل نحن محرومون** ﴾ .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن عيسىٰ بن الطباع ، حدثنا هشيم ، عن يعلى بن عطاء ، عن أبيه ، عن عبد اللّٰه بن عمرو قال : الرياح ثمانية ، أربعة منها رحمة ، وأربعة عذاب ، فأما الرحمة : فالناشرات ، والمبشرات ، والمرسلات ، والذاريات . وأما العذاب : فالعقيم ، والصرصر ، وهما في البر ، والعاصف ، والقاصف ، وهما في البحر .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو عُبَيد اللّٰه ابن أخي ابن وهب، حدثنا عمي ، حدثنا عبد اللّٰه ابن عَيّاش ، حدثني عبد اللّٰه بن سليمان[٣] ، عن دراج ، عن عيسىٰ بن هلال الصدفي ، عن عبد اللّٰه بن عمرو قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **الريح مسخرة[٤] من**

[١] - في ت : فترقبوه » .

[٢] - في ز ، خ: « فظلوا » .

[٣] - في خ ، ز : « سلمان » .

[٤] - في ز ، خ: « سخر » .

الثانية - يعني : من[١] الأرض الثانية - فلما أراد الله أن يهلك عادًا ، أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحًا تهلك عادًا ، فقال[٢] : يارب ، أرسل عليهم من الريح قدر منخر الثور . قال له الجبار تبارك وتعالىٰ : لا ، إذًا تكفأ الأرض وما عليها ، ولكن أرسل عليهم بقدر خاتم ، فهي التي قال الله في كتابه : [﴿ ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم ﴾][٣] » . هذا حديث غريب ورفعه منكر ، والأظهر أنه من كلام عبد الله بن عمرو رضي الله عنه .

فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾

يقول تعالىٰ : كما أنك ليس في قدرتك أن تسمع الأموات في أجداثها(*) ، ولا تبلغ كلامك الصمّ الذين لا يسمعون ، وهم مع ذلك مُدْبِرُون عنك ، كذلك لا تقدر[٤] علىٰ هداية العميان عن الحق ، وردهم عن ضلالتهم ، بل ذلك إلىٰ الله تعالىٰ ، فإنه[٥] بقدرته يُسمع الأموات أصواتَ الأحياء إذا شاء ، ويهدي من يشاء ويضل من يشاء ، وليس ذلك لأحد سواه ، ولهذا قال : ﴿ إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون ﴾ ، أي : خاضعون مستجيبون مطيعون ، فأولئك هم الذين يستمعون الحق ويتبعونه ، وهذا حال المؤمنين ، والأول مثل الكافرين ، كما قال تعالىٰ : ﴿ إنما يستجيب الذين يسمعون والموتىٰ يبعثهم الله ثم إليه يرجعون ﴾ .

وقد استدلت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - بهذه الآية : ﴿ إنك لا تسمع الموتىٰ ﴾ ، علىٰ توهيم عبد الله بن عمر في روايته مخاطبة النبي صلىٰ الله عليه وسلم القتلىٰ الذين ألقوا في [القليب][٦] قليب بدر ، بعد ثلاثة أيام ، ومعاتبته إياهم ، وتقريعه لهم ، حتىٰ قال له[٧] عمر : يا رسول الله ، ما تخاطب من قوم قد جَيَّفُوا (**) ؟ فقال : « والذي نفسي بيده ، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكن لا يجيبون » .

وتأولته عائشة علىٰ أنه قال : إنهم الآن ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق .

(*) جمع جدث وهو القبر .

(**) أي أنتنوا . يقال : جافت الميتة وجيفت ، واجتافت . والجيفة جثة الميت إذا أنتن .

[١] - سقط من : ز،خ .
[٢] - في ز : « قال » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٤] - في ز ، خ: « يقدر » .
[٥] - في ت : « إنه » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٧] - سقط من : ز،خ .

وقال قتادة : أحياهم الله له حتى سمعوا مقالته تقريعًا وتوبيخًا ونقمة .

والصحيح عند العلماء رواية ابن عمر ، لما لها من الشواهد على صحتها من وجوه[١] كثيرة ، من أشهر ذلك ماروواه ابن عبد البر مصححًا ، عن ابن عباس مرفوعًا : « **ما من أحد يمر بقبر أخيه المسلم ، كان يعرفه في الدنيا ، فيسلم عليه ، إلا رد الله[٢] عليه روحه ، حتى يرد عليه السلام** »(٣٨) .

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾

ينبه تعالى على تنقل الإنسان في أطوار الخلق حالًا بعد حال ، فأصله من تراب ، ثم من نطفة ، ثم من علقة ، ثم من مضغة ، ثم يصير عظامًا ، ثم يُكسى لحمًا ، ويُنفخ فيه الروح ، ثم يخرج من بطن أمه ضعيفا نحيفًا واهن القوى . ثم يشب قليلًا قليلًا حتى يكون صغيرًا ، ثم حَدَثًا ، ثم مراهقًا ، ثم شابا . وهو[٣] القوة بعد الضعف ، ثم يشرع في النقص ، فيكتهل[٤] ثم يشيخ ثم يهرم ، وهو الضعف بعد القوة ، فتضعف الهمة والحركة والبطش ، وتشيب اللمَّة ، وتتغير الصفات الظاهرة والباطنة ولهذا قال : ﴿ **ثم جعل من بعد قوة ضعفًا وشيبة يخلق ما يشاء** ﴾ ، أي : يفعل ما يشاء ، ويتصرف في عبيده بما يريد ، ﴿ **وهو العليم القدير** ﴾ .

قال الإمام أحمد (٣٩) : حدثنا وكيع ، عن فضيل[٥] ، ويزيد ، حدثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية العوفي قال : قرأت على ابن عمر : ﴿ **الله الذي خلقكم من ضَعْفٍ ثم جعل من بعد ضعْفٍ قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفًا** ﴾ ، ثم قال : قرأتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قرأت علي ، فأخذ علي كما أخذتُ عليك .

ورواه أبو داود ، والترمذي - وحسَّنه - من حديث فضيل ، به .

ورواه أبو داود من حديث عبد الله بن جابر ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، بنحوه(٤٠) .

(٣٨) سيأتي تخريج الحديث عند تفسير الآية : ٤٢ من سورة الذاريات .
(٣٩) المسند (٢/٥٨) ، وسنن أبي داود حديث (٣٩٧٨) ، وسنن الترمذي حديث (٢٩٣٦) .
(٤٠) سنن أبي داود حديث (٣٩٧٩) .

[١] - في ز،خ : « وجه » .
[٢] - سقط من : ز،خ .
[٣] - في ز ،خ: « في » .
[٤] - في ز ، خ: « فيكهل » .
[٥] - في ز ،خ : « فضل » .

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾﴾

يخبر تعالىٰ عن جهل الكفار في الدنيا والآخرة ، ففي الدنيا فعلوا ما فعلوا من عبادة الأوثان ، وفي الآخرة يكون منهم جهل عظيم أيضًا ، فمنه إقسامهم بالله أنهم ما لبثوا في الدنيا إلا ساعة واحدة ، ومقصودهم [ ][١] بذلك عدم قيام الحجة عليهم ، وأنهم لم يُنْظروا حتىٰ يُعذر إليهم . قال الله تعالىٰ : ﴿ **كذلك كانوا يؤفكون * وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلىٰ يوم البعث** ﴾ ، أي : فيردّ عليهم المؤمنون العلماء في الآخرة ، كما أقاموا عليهم حجة الله في الدنيا ، فيقولون لهم حين يحلفون ما لبثوا غير ساعة : ﴿ **لقد لبثتم في كتاب الله** ﴾ ، أي : في[٢] كتاب الأعمال ﴿ **إلىٰ يوم البعث** ﴾ ، أي : من يوم خلقتم إلىٰ أن بعثتم ، ﴿ **ولكنكم كنتم لا تعلمون** ﴾ .

قال الله تعالىٰ : ﴿ **فيومئذ** ﴾ ، أي : يوم القيامة ﴿ **لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم** ﴾ ، أي : اعتذارهم عما[٣] فعلوا ﴿ **ولا هم يستعتبون** ﴾ ، أي : ولا هم يرجعون إلىٰ الدنيا . كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين** ﴾ .

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **ولقد ضربنا[٤] للناس في هذا القرآن من كل مثل** ﴾ أي : قد بينا لهم الحق ، ووضحناه لهم ، وضربنا لهم فيه الأمثال ، ليتبينوا الحق ويتبعوه . ﴿ **ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون** ﴾ ، أي : لو رأوا أي آية كانت ، سواء كانت

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « هم » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز،خ .
[٣] - في ز،خ : « مما » .
[٤] - في ز ، خ: « صرفنا » .

باقتراحهم أو غيره لا يؤمنون بها ، ويعتقدون أنها سحر وباطل ، كما قالوا في انشقاق القمر ونحوه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون * ولو جاءتهم كل آية حتىٰ يروا العذاب الأليم** ﴾ ، ولهذا قال هاهنا ، ﴿ **كذلك يطبع الله علىٰ قلوب الذين لا يعلمون * فاصبر إن وعد الله حق** ﴾ ، أي : اصبر علىٰ مخالفتهم وعنادهم ، فإن الله منجز لك ما وعدك من نصره إياك ، وجعله العاقبة لك ، ولمن اتبعك في الدنيا والآخرة . ﴿ **ولا يستخفنك الذين لا يوقنون** ﴾ ، أي : بل اثبت علىٰ ما بعثك الله[١] به ، فإنه الحق الذي [لا مرية فيه][٢] ، ولا تعدل عنه ، وليس فيما سواه هُدىٰ يتبع ، بل الحق كله[٣] منحصر فيه .

قال سعيد ، عن قتادة : نادىٰ رجل من الخوارج عليًا - رضي الله عنه - وهو في الصلاة - صلاة الغداة - فقال : ﴿ **ولقد أوحي إليك وإلىٰ الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين** ﴾ ، فأنصت له علي[٤] حتىٰ فهم ما قال ، فأجابه وهو في الصلاة : ﴿ **فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون** ﴾ . رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم . وقد رواه ابن جرير من وجه آخر فقال :

حدثنا ابن وكيع ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن عثمان بن أبي زرعة ، عن علي ابن ربيعة قال : نادىٰ رجل من الخوارج عليًا وهو في صلاة الفجر ، فقال : ﴿ **ولقد أوحي إليك وإلىٰ الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين** ﴾ ، فأجابه علي وهو في الصلاة : ﴿ **فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون** ﴾ (٤١) .

(طريق أخرىٰ) قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا علي بن الجعد ، أخبرنا شريك ، عن عمران بن ظَبيان ، عن أبي تحيا قال : صلىٰ علي - رضي الله عنه - صلاة الفجر ، فناداه رجل من الخوارج : ﴿ **لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين** ﴾ ، فأجابه علي ، وهو في الصلاة : ﴿ **فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون** ﴾ .

ما روي في فضل هذه السورة الشريفة واستحباب قراءتها في الفجر

قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن عبد الملك بن عمير ، سمعت شبيبًا أبا روح ، يحدث عن رجل من أصحاب النبي صلىٰ الله عليه وسلم أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم - صلىٰ بهم الصبح فقرأ فيها الرّوم فأوهم(*) ، فقال : « **إنه يلبس علينا القرآن** ،

(٤١) تفسير الطبري (٢١/٣٨) .

(*) أوهم في الصلاة أو في القراءة : ترك منها شيئًا . يقال : أوهمت الشيء إذا تركته . وأوهمت في الكلام والكتاب إذا أسقطت منه شيئًا .

[١] - سقط من : ز،خ .
[٢] - في خ، ز : « أمر به » .
[٣] - سقط من : ز ،خ.
[٤] - سقط من : ز،خ .

فإن أقوامًا منكم يصلون معنا لا يحسنون الوضوء ، فمن شهد الصلاة معنا فليحسن الوضوء »(٤٢).

وهذا إسناد حسن ومتن حسن ، وفيه سر عجيب[١] . ونبأ غريب ، وهو أنه - عليه السلام - تأثر بنقصان وضوء من ائتم به ، فدل ذلك أن صلاة المأموم معدوقة بصلاة الإمام .

☆ ☆ ☆

---

(٤٢) المسند (٤٧١/٣) . رواه النسائي في كتاب الافتتاح ، باب : القراءة في الصبح بالروم (١٥٦/٢) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٤٦/١) وقال : رواه أحمد عن أبي روح عن رجل ورجاله رجال الصحيح . اهـ . وضعفه الألباني في ضعيف النسائي .

---

[١] - في ز ، خ : « غريب » .

تفسير سورة لقمان

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

تقدم في أول « **سورة البقرة** » عامةُ الكلامِ على ما يتعلق بصدر هذه السورة ، وهو أنه - تعالىٰ - جعل هذا القرآن هدىً وشفاء ورحمة للمحسنين ، وهم الذين أحسنوا العمل في اتباع الشريعة ، فأقاموا الصلاة المفروضة بحدودها وأوقاتها ، وما يتبعها من نوافل راتبة وغير راتبة ، وآتوا الزكاة المفروضة عليهم إلىٰ مستحقيها ، ووصلوا قراباتهم وأرحامهم ، وأيقنوا بالجزاء في الدار الآخرة ، فرغبوا إلىٰ الله في ثواب ذلك ، لم يراءوا به ، ولا أرادوا جزاء من الناس ولا شكورا ، فمن فعل ذلك كذلك فهو من الذين قال الله تعالىٰ : ﴿ **أولئك علىٰ هدىً من ربهم** ﴾، أي : علىٰ[١] بصيرة وبينة ومنهج واضح جليٍّ ، ﴿ **وأولئك هم المفلحون** ﴾ ، أي : في الدنيا والآخرة .

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾

لما ذكر تعالىٰ حال السعداء ، وهم الذين يهتدون بكتاب الله وينتفعون بسماعه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **الله نزل أحسن الحديث كتابًا متشابهًا مثاني تقشعرّ منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلىٰ ذكر الله ذلك هدىٰ الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد** ﴾ عطف بذكر حال الأشقياء ، الذين أعرضوا عن الانتفاع بسماع كلام الله ، وأقبلوا علىٰ استماع المزامير والغناء بالألحان وآلات الطرب ، كما قال ابن مسعود في قوله

---

[١] - سقط من : ز .

تعالىٰ : ﴿ **ومن الناس من يشتري لهو الحديث** ﴾ ، قال : هو - واللّٰه - الغناءُ .

قال ابن جرير : حدثني يونس [بن عبد الأعلىٰ][١] ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني يزيد عن[٢] يونس ، عن أبي صخر ، عن أبي معاوية البجلي ، عن سعيد بن جبير ، عن أبي الصهباء البكري ، أنه سمع عبد اللّٰه بن مسعود - وهو يسأل عن هذه الآية : ﴿ **ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل اللّٰه** ﴾ - فقال عبد اللّٰه : الغناء ، واللّٰه الذي لا إله إلا هو ، يرددها ثلاث مرات .

حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا صفوان بن عيسىٰ ، أخبرنا حميد الخراط ، عن عمار ، عن سعيد بن جبير ، عن أبي الصهباء ، أنه سأل ابن مسعود عن قول اللّٰه : ﴿ **ومن الناس من يشتري لهو الحديث** ﴾ ، قال : الغناء(١) .

وكذا قال ابن عباس ، وجابر ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، ومكحول ، وعمرو ابن شعيب ، وعلي بن بذيمة .

وقال الحسن البصري : أنزلت هذه الآية : ﴿ **ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل اللّٰه بغير علم** ﴾ في الغناء والمزامير .

وقال قتادة : قوله : ﴿ **ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل اللّٰه بغير علم** ﴾ : واللّٰه لعله لا ينفق فيه مالاً ، ولكن شراؤه استحبابه ، بحسب المرء من الضلالة أن يختارَ حديثَ الباطل علىٰ حديث الحق ، وما يضر علىٰ ما ينفع .

وقيل : عنى بقوله : ﴿ **يشتري لهو الحديث** ﴾ اشتراء المغنيات من الجواري .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي ، حدثنا وكيع ، عن خلاد

---

(١) - إسناده صحيح ، وقد ورد من غير وجه عن سعيد بن جبير عن ، أبي الصهباء به . كما أخرجه ابن جرير وغيره . وأبو الصهباء هو صهيب مولى ابن عباس ، وثقه أبو زرعة ، وذكره ابن حبان فى ثقاته ، وأخرج له مسلم ، وقال النسائى : ضعيف . وقال الحافظ : مقبول . قلت : وكلام أهل الجرح والتعديل يجعل النفس غير مطمئنة لتصحيح حديثه إذا انفرد ، وهذا مقتضى كلام الحافظ ؛ فمقبول يعنى عن المتابعة وإلا فلين كما هو معروف ، ولكنا صححنا هذا الإسناد لأن هذا خبر عن ابن مسعود وليس عن رسول الله ﷺ ، ولا سيما أن ورد هذا القول عن ابن عباس ، وجابر ، وعكرمة وغيرهم من الصحابة والتابعين ، ولأن هذه الطبقة يتساهل معها ما لم يتساهل مع غيرها . لأنهم لازموا خير القرون ، فهذا يجبر ما كان بهم من ستر ، والله أعلم .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٢] - في ت : « بن » .

الصفار ، عن عُبيد اللَّه بن زَحْر ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبي أمامة ، عن النبي - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - قال : « **لا يحل بيع المغنيات ، ولا شراؤهن ، وأكل أثمانهن حرام ، وفيهن أنزل اللَّه - عز وجل - عَلَيّ : ﴿ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ﴾** » .

وهكذا رواه الترمذي وابن جرير ، من حديث عُبَيد اللَّه بن زحر بنحوه ، ثم قال الترمذي : هذا حديث غريب ، وضُعّف علي بن يزيد المذكور(٢) .

قلت : علي وشيخه والراوي عنه ، كلهم ضعفاء ، واللَّه أعلم .

وقال الضحاك في قوله تعالىٰ : **﴿ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ﴾** : يعني الشرك . وبه قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، واختار ابن جرير أنه كل كلام يصد عن آيات اللَّه واتباع سبيله .

وقوله : **﴿ ليضل عن سبيل الله ﴾** أي : إنما يصنع هذا للتخالف للإسلام وأهله وعلىٰ قراءة فتح الياء ، تكون اللام لام العاقبة ، أو تعليلًا للأمر القدري ، أي : قُيِّضوا[١] لذلك ليكونوا كذلك .

وقوله : **﴿ ويتخذها هزوًا ﴾** قال مجاهد : ويتخذ سبيل الله هزوًا يستهزئ بها .

وقال قتادة : يعني ويتخذ آيات اللَّه هزوًا . وقول مجاهد أولىٰ .

وقوله تعالىٰ : **﴿ أولئك لهم عذاب مهين ﴾** ، أي : كما استهانوا بآيات اللَّه وسبيله ،

---

(٢) - **إسناده واهٍ** ، وأخرجه أحمد (٥/ ٢٥٢، ٢٦٤) ، والترمذى فى البيوع من جامعه ، باب : « ما جاء فى كراهية بيع المغنيات » حديث رقم (١٢٨٢) ، وفى التفسير ، باب : ومن سورة لقمان ، حديث رقم (٣١٩٥) ، وابن ماجه فى كتاب التجارات ، باب : ما لا يحل بيعه ، حديث رقم (٢١٦٨) ، والطبرانى (٨/ ٢١٢، ٢٢٣، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٤) ، وابن أبى الدنيا فى ذم الملاهى - ومن طريقه ابن الجوزى فى العلل المتناهية (٢/٧٨٣ - ٧٨٤) ، والبيهقى (٦/١٤ - ١٥) ، وابن عدى فى الكامل (٦/٢٣١٥) ، وابن الجوزى فى العلل المتناهية (٢/ ٧٨٣، ٧٨٤) من طرق عن عبيد الله بن زحر ، عن على بن يزيد ، عن القاسم بن عبد الرحمن الشامى ، عن أبى أمامة به . وفى بعض الطرق عند الطبرانى وابن الجوزى فى العلل المتناهية من طريق آخر عن القاسم عن أبى أمامة ، وكلها ضعيفة لا تثبت ، والحديث محفوظ من هذه الطريق : عبيد الله بن زحر عن على بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبى أمامة ، وهذا إسناد مسلسل بالضعفاء ، وفى الباب عن عائشة مرفوعًا بلفظ : « إن الله تعالى حرم القينة ، وبيعها وتعليمها ، والاستماع إليها ثم قرأ : ﴿ **ومن الناس** .... ﴾ الآية أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الملاهى - ومن طريقه ابن الجوزى فى العلل المتناهية (٢/٧٨٣ - ٧٨٥) وضعفه ، لتفرد ليث بن أبى سليم به .

---

[١] - في ز : « أفيضوا » .

أهينوا يوم القيامة في العذاب الدائم المستمر .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **وإذا تتلىٰ عليه آياتنا ولىٰ مستكبرًا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرًا** ﴾ ، أي : هذا المقبل علىٰ اللهو واللعب والطرب ، إذا تليت عليه الآيات القرآنية ، ولىٰ عنها وأعرض وأدبر وتصام[١] وما به من صمم ، كأنه ما يسمعها ، لأنه يتأذىٰ بسماعها ، إذ لا انتفاع له بها ، ولا أرَبَ له فيها ، ﴿ **فبشره بعذاب أليم** ﴾ ، أي : يوم القيامة يؤلمه ، كما تألَّم بسماع كتاب اللّٰه وآياته .

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾

هذا ذكر مآل الأبرار من السعداء في الدار الآخرة ، الذين آمنوا باللّٰه وصَدقوا المرسلين ، وعملوا الأعمال الصالحة المتابعة لشريعة اللّٰه ، ﴿ **لهم جنات النعيم** ﴾ ، أي : يتنعمون فيها بأنواع الملاذ والمسارّ ، من المآكل والمشارب ، والملابس والمساكن ، والمراكب والنساء ، والنضرة والسماع الذي لم يخطر ببال أحد ، وهم في ذلك مقيمون دائمًا فيها ، لا يظعنون ولا يبغون عنها حولًا .

وقوله : ﴿ **وعد اللّٰه حقًّا** ﴾ ، أيْ : هذا كائن لا محالة ، لأنه من وعد اللّٰه ، واللّٰه لايخلف الميعاد ، لأنه الكريم المنان ، الفعال لما يشاء ، القادر علىٰ كل شيءٍ ، ﴿ **وهو العزيز** ﴾ ، الذي قد قهر كل شيءٍ ، ودان له كلُّ شيءٍ . ﴿ **الحكيم** ﴾ في أقواله وأفعاله ، الذي جعل القرآن هدى للمؤمنين ، ﴿ **قل هو للذين آمنوا هدًى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمىٰ** ﴾ ، ﴿ **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارًا** ﴾ .

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾

---

[١] - في ز : « تصامم » .

يبين سبحانه بهذا قدرته العظيمة علىٰ خلق السماوات والأرض ، وما فيهما وما بينهما ، فقال : ﴿ **خلق السمٰوات بغير عمد** ﴾ ، قال الحسن وقتادة : ليس لها عُمُد مرئية ولا غير مرئية .

وقال ابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد : لها عمد لا ترونها . وقد تقدم تقرير هذه المسألة في أول « **سورة الرعد** » بما أغنى[١] عن إعادته .

﴿ **وألقىٰ في الأرض رواسي** ﴾ ، يعني : الجبال أرست الأرض وثقلتها ؛ لئلا تضطرب بأهلها علىٰ وجه الماء ، ولهذا قال : ﴿ **أن تميد بكم** ﴾ ، أي : لئلا تميد بكم .

وقوله : ﴿ **وبث فيها من كل دابة** ﴾ ، أي : وذرأ فيها من أصناف الحيوانات مما لا يعلم عدد أشكالها وألوانها إلا الذي خلقها .

ولما قرر أنه الخالق ، نبه علىٰ أنه الرازق بقوله تعالىٰ : ﴿ **وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم** ﴾ ، أي : من كل زوج من النبات كريم ، أي : حسن المنظر .

وقال الشعبي : والناس أيضًا من نبات الأرض ، فمن دخل الجنة فهو كريم ، ومن دخل النار فهو لئيم .

وقوله : ﴿ **هذا خلق الله** ﴾ ، أي : هذا الذي ذكره تعالىٰ من خلق السماوات والأرض وما بينهما ، صادر عن فعل الله وخلقه وتقديره ، وحده لا شريك له في ذلك ، ولهذا قال : ﴿ **فأروني ماذا خلق الذين من دونه** ﴾ ، أي : مما تعبدون وتدعون[٢] من الأصنام والأنداد ، ﴿ **بل الظالمون** ﴾ ، يعني : المشركين بالله العابدين معه غيره ، ﴿ **في ضلال** ﴾ ، أي : جهل وعمى ، ﴿ **مبين** ﴾ ، أي : واضح ظاهر لا خفاء به .

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾

اختلف السلف في لقمان - عليه السلام - هل كان نبيًا ، أو عبدًا صالحًا من غير نبوة ؟ علىٰ قولين ، الأكثرون علىٰ الثاني .

وقال سفيان الثوري ، عن الأشعث ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان لقمان عبدًا حبشيًا نجارًا .

---

[١] - في ز : « يغني » . [٢] - سقط من : ز .

وقال قتادة ، عن عبد اللّٰه بن الزبير قلت لجابر بن عبد اللّٰه : ما انتهىٰ إليكم من شأن لقمان ؟ قال : كان قصيرًا أفطس ، من النوبة .

وقال يحيىٰ بن سعيد الأنصاري ، عن سعيد بن المسيب قال : كان لقمان من سودان مصر ، ذا[١] مشافر ، أعطاه اللّٰه الحكمة ، ومنعه النبوة .

وقال الأوزاعي - رحمه اللّٰه - : حدثني عبد الرحمن بن حرملة قال : جاء أسود إلىٰ سعيد ابن المسيب يسأله ، فقال له سعيد بن المسيب : لا تحزن من أجل أنك أسود ، فإنه كان من أخير الناس ثلاثة من السودان : بلال ، ومهْجَع[٢] مولىٰ عمر بن الخطاب ، ولقمان الحكيم ، كان أسود نوبيًّا ذا مشافر .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا أبي ، عن أبي الأشهب ، عن خالد الربعي قال : كان لقمان عبدًا حبشيًّا نجارًا ، فقال له مولاه : اذبح لنا هذه الشاة ، فذبحها[٣] ، فقال : أخرجْ أطيب مُضغتين فيها . فأخرج اللسان والقلب ، فمكث ما شاء اللّٰه ، ثم قال : اذبح لنا[٤] هذه الشاة . فذبحها ، فقال : أخرج أخبث مضغتين فيها . فأخرج اللسان والقلب ، فقال له مولاه : أمرتك أن تخرج أطيب مضغتين فيها فأخرجتهما ، وأمرتك أن تخرج أخبث مضغتين فيها فأخرجتهما ؟ فقال لقمان : إنه ليس من شيء أطيب منهما إذا طابا ، ولا أخبث منهما إذا خَبُثا .

وقال شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد : كان لقمان عبدًا صالحًا ولم يكن نبيًّا .

وقال الأعمش : قال مجاهد : كان لقمان عبدًا أسود عظيم الشفتين ، مشقق القدمين .

وقال حكام بن سلم ، عن سعيد الزبيدى ، عن مجاهد : كان لقمان الحكيم عبدًا حبشيًّا ، غليظ الشفتين ، مصفح القدمين ، قاضيًا على بنى إسرائيل . وذكر غيره : أنه كان قاضيا علىٰ بني إسرائيل في زمن داود عليه السلام .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن[٥] حُمَيد ، حدثنا الحكم ، حدثنا عمرو بن قيس قال : كان لقمان - عليه السلام - عبدًا أسود غليظ الشفتين ، مُصَفَّح القدمين ، فأتاه رجل وهو في مجلس أناس يحدثهم ، فقال له : ألست الذي كنت ترعىٰ معي الغنم في مكان كذا وكذا ؟ قال : نعم ، فقال : فما[٦] بلغ بك ما أرىٰ ؟ قال : صدق الحديث ، والصمت عما لا يعنيني[٧] .

---

[١] - في ز : « ذو » .
[٢] - في ز : « مهجمع » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - سقط من : خ ، ز .
[٦] - في ز : « ما » .
[٧] - في ز : « يعني » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا صفوان ، حدثنا الوليد ، حدثنا عبد الرحمن ابن يزيد ، عن[١] جابر قال : إن اللّٰه رفع لقمان الحكيم بحكمته ، فرآه رجل كان يعرفه قبل ذلك ، فقال له[٢] : ألست عبد بني فلان الذي كنت ترعىٰ[٣] بالأمس ؟ قال : بلىٰ ، قال : فما بلغ بك ما أرىٰ ؟ قال : قَدَرُ اللّٰه ، وأداء الأمانة ، وصدق الحديث ، وتركي ما لا يعنيني .

فهذه الآثار منها ما هو مُصرّح فيه بنفي كونه نبيًا ، ومنها ما هو مشعر بذلك ، [لأن كونه][٤] عبدًا قد[٥] مَسَّه الرق ينافي كونه نبيًا ، لأن الرسل كانت تبعث في أحساب قومها . ولهذا كان جمهور السلف علىٰ أنه لم يكن نبيًا ، وإنما ينقل كونه نبيًا عن عكرمة ، إن صح السند إليه ، فإنه رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم من حديث وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عكرمة قال : كان لقمان نبيًا . وجابر هذا هو ابن يزيد الجعفي ، وهو ضعيف ، واللّٰه أعلم .

وقال عبد اللّٰه بن وهب : أخبرني عبد اللّٰه بن عياش القِتْبَاني[٦] ، عن عُمَر مولىٰ غُفْرَة قال : وقف رجل علىٰ لقمان الحكيم فقال : أنت لقمان ، أنت عبد بني الحسحاس[٧] ؟ قال : نعم . قال : أنت راعي الغنم ؟ قال : نعم . قال : أنت الأسود ؟ قال : أما سوادي فظاهر ، فما الذي يعجبك من أمري ؟ قال : وطء الناسِ بسَاطَك ، وغَشْيُهم بابك ، ورضاهم بقولك . قال : يابن أخي ، إن صَغَيتَ إلىٰ ما أقول لك كنت كذلك . قال لقمان : غضي بصري ، وكفي لساني[٨] ، وعفة طعمتي ، وحفظي فرجي ، [وقولي بصدقي][٩] ، ووفائي بعهدي ، وتكرمتي ضيفي ، وحفظي جاري ، وتركي ما لا يعنيني ، فذاك الذي صيرني إلىٰ ما ترىٰ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا ابن فضيل[١٠] ، حدثنا عمرو بن واقد ، عن عَبْدَةَ ابن رَبَاح ، عن ربيعة ، عن أبي الدرداء - رضيٰ اللّٰه عنه - أنه قال يومًا - وذُكِرَ لقمان الحكيم - فقال : ما أوتي ما أوتي عن أهل ولا مال ، ولا حسب ولا خصال ، ولكنه كان رجلًا صَمْصَامة[١١] سكيتًا ، طويل التفكر ، عميق النظر ، لم ينم نهارًا قط ، ولم يره أحد قط يبزق ، ولا يتنخع ، ولا يبول ولا يتغوط ، ولا يغتسل ، ولا يعبث ، ولا يضحك ، وكان لا يعيد منطقًا نطقه إلا أن يقول حكمة يستعيدها إياه أحد ، وكان قد تزوج وولد له أولاد ، فماتوا فلم يبك عليهم . وكان يغشَىٰ السلطان ، ويأتي الحكام ، لينظر ويتفكر ويعتبر ، فبذلك أوتي ما

[١] - في خ : « بن » .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ز : « تراعي » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في خ : « لكونه » .
[٥] - سقط من : خ ، ز .
[٦] - في ز : « القتياني » .
[٧] - في ز : « الحسحساس » .
[٨] - في ز : « إساءتي » .
[٩] - ما بين المعكوفتين في ز : « قواى بصدقي » .
[١٠] - في ت : « نفيل » .
[١١] - سقط من : خ ، ز .

أوتي [٣] .

وقد ورد أثر غريب عن قتادة رواه ابن أبي حاتم[٤] فقال : حدثنا أبي ، حدثنا العباس بن الوليد ، حدثنا زيد بن يحيىٰ بن عبيد الخزاعي ، حدثنا سعيد بن بشير ، عن قتادة قال : خَيّر اللَّه لقمان الحكيم بين النبوة والحكمة ، فاختار الحكمة علىٰ النبوة . قال : فأتاه جبريل وهو نائم فَذَرّ عليه الحكمة - أو : رش عليه الحكمة - : فأصبح ينطق بها .

قال سعيد : فسمعت عن قتادة يقول : قيل للقمان : كيف اخترت الحكمة علىٰ النبوة وقد خَيَّرك ربك ؟ فقال : إنه لو أرسل إلي بالنبوة عَزْمَةً لرجوت فيه الفوز منه ، ولكنت أرجو أن أقوم بها ، ولكنه خَيّرني فخفت أن أضعف عن النبوة ، فكانت الحكمة أحب إلي . فهذا من رواية سعيد بن بشير وفيه ضعف ، وقد تكلموا فيه بسببه ، فاللَّه أعلم .

والذي رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة ، في قوله تعالىٰ : ﴿ **ولقد آتينا لقمان الحكمة** ﴾ ، أي : الفقه في الإسلام ، ولم يكن نبيًا ، ولم يوح إليه .

وقوله : ﴿ **ولقد آتينا لقمان الحكمة** ﴾ أي : الفهم والعلم والتعبير ، ﴿ **أن اشكر لله** ﴾ ، أي : أمرناه أن يشكر اللَّه - عز وجل - علىٰ ما آتاه اللَّه ومنحه ووهبه من الفضل ؛ الذي خَصَّه به عمن سواه من أبناء جنسه وأهل زمانه .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه** ﴾ ، أي : إنما يعود نفع ذلك وثوابه علىٰ الشاكرين ، لقوله تعالىٰ : ﴿ **ومن عمل صالحًا فلأنفسهم يمهدون** ﴾ وقوله : ﴿ **ومن كفر فإن اللَّه غني حميد** ﴾ ، أي : غني عن العباد ، لايتضرر بذلك ، ولو كفر أهل الأرض كلهم جميعًا فإنه الغني عما سواه ، فلا إله إلا اللَّه ، ولا نعبد[١] إلا إياه .

وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ

(٣) - **إسناده ضعيف** ، الأشعث هو ابن سوار قال الحافظ : « ضعيف » وهو من بلاغات ابن عباس ، ولا نعلم من أخبر ابن عباس بذلك ! وقد رواه جماعة عن لقمان بهذا الوصف أو قريبٌ منه كما سيسوقه المصنف . وهذا يشبه أن يكون قد أخذوه من مصدر واحدٍ ، ولكن لا نستطيع أن نجزم أنهم أخذوه عن رسول الله ﷺ ، مع إمكانية ذلك وجوازه ، لأنه من الممكن أن يكونوا قد حملوه عن أهل الكتاب وقد أمروا أن يحدثوا عنهم ، ولا حرج عليهم فى ذلك ، والله أعلم والخبر أخرجه ابن جرير الطبرى فى تفسيره .

(٤) - **إسناده ضعيف** ، سعيد بن بشير ضعفه غير واحد ، وحاصل الكلام فيه أنه ضعيف لا يقبل خبره إذا انفرد ، وقد خالفه سعيد بن أبى عروبة - وهو من أثبت الناس فى قتادة - عن قتادة فى قوله : ﴿ **ولقد آتينا لقمان ...** ﴾ الآية أي الفقه فى الإسلام ، ولم يكن نبيًا ولم يوح إليه وسيذكره المصنف بعده .

[١] - في ز : « يعبد » .

عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾

يقول تعالى مخبرًا عن وصية لقمان لولده ، وهو لقمان بن عنقاء بن سدون ، واسم ابنه : ثاران ، في قول حكاه السهيلي . وقد ذكره تعالىٰ بأحسن الذكر ، فإنه آتاه الحكمة ، وهو يوصي ولده الذي هو أشفق الناس عليه وأحبهم إليه ، فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف ، ولهذا أوصاه أولًا بأن يعبد اللَّه وحده ولا يشرك به شيئًا ، ثم قال محذرًا له : ﴿ **إن الشرك لظلم عظيم** ﴾ ، أي : هو أعظم الظلم .

قال البخاري : حدثنا قتيبة ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد اللَّه - رضي اللَّه عنه - قال : لما نزلت : ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم** ﴾ ، شق ذلك علىٰ أصحاب رسول اللَّه - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - وقالوا : أينا لم يَلْبس إيمانه بظلم ؟ فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إنه ليس بذاك ، ألا تسمع إلىٰ قول لقمان : ﴿ يا بني لا تشرك باللَّه إن الشرك لظلم عظيم ﴾** » ورواه مسلم من حديث الأعمش به(٥) .

ثم قَرَنَ بوصيته إياه بعبادة اللَّه وحده البرّ بالوالدين ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وقضىٰ ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانًا** ﴾ . وكثيرًا ما يقرن تعالىٰ بين ذلك في القرآن ، وقال هاهنا : ﴿ **ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنًا علىٰ وهن** ﴾ - قال مجاهد : مشقة وَهْن الولد . وقال قتادة : جهدًا على جهد . وقال عطاء الخراساني : ضعفًا علىٰ ضعف .

وقوله : ﴿ **وفصاله في عامين** ﴾ ، أي : تربيته وإرضاعه بعد وضعه في عامين ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة** ﴾ ومن هاهنا استنبط ابن عباس وغيره من الأئمة أن أقل مدة الحمل ستة أشهر ، لأنه قال تعالىٰ في الآية الأخرىٰ : ﴿ **وحمله وفصاله ثلاثون شهرًا** ﴾ وإنما يذكر تعالىٰ تربية الوالدة وتعبها ومشقتها في سهرها ليلًا ونهارًا ، ليُذكّر الولد بإحسانها المتقدم إليه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرًا** ﴾ . ولهذا قال : ﴿ **أن اشكر لي ولوالديك إليَّ المصير** ﴾ ، أي : فإني

---

(٥) - أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان من صحيحه ، باب : « ظلمٌ دون ظلم » حديث رقم (٣٢) ، وأطرافه فى (٣٣٦٠، ٣٤٢٨، ٣٤٢٩، ٤٦٢٩، ٤٧٧٦، ٦٩١٨، ٦٩٣٧) ، وأخرجه مسلم فى كتاب الإيمان من صحيحه ، باب : « صدق الإيمان وإخلاصه » حديث رقم (١٢٤) .

سأجزيك[١] على ذلك أوفر الجزاء .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا عبد الله بن أبي شيبة ، ومحمود بن غيلان قالا : حدثنا عبيد الله ، أخبرنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن وهب قال : قدم علينا معاذ بن جبل ، وكان بعثه النبي صلى الله عليه وسلم فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكم : « أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا ، وأن تطيعوني لا آلوكم خيرًا ، وإن المصير إلى الله ، وإلى الجنة أو إلى النار ، إقامة فلا ظعن وخلود فلا موت »(٦) .

وقوله : ﴿ **وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما** ﴾ ، أي : إن حرَصا عليك كل الحرص على أن تتابعهما على دينهما ، فلا تقبل منهما ذلك ، ولا يمنعنَّك ذلك من أن تصاحبهما في الدنيا معروفًا ، أي : محسنًا إليهما ، ﴿ **واتبع سبيل من أناب إليّ** ﴾ ، يعني المؤمنين ، ﴿ **ثم إليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون** ﴾ .

قال الطبراني في « **كتاب العشرة** » : حدثنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدثنا أحمد بن أيوب بن راشد ، حدثنا مسلمة بن علقمة ، عن داود بن أبي هند ، أن سعد ابن مالك قال : أنزلت فيَّ هذه الآية : ﴿ **وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما** ﴾ الآية ، قال : كنت رجلًا برًّا بأمي ، فلما أسلمت قالت : يا سعد ، ما هذا الذي أراك قد أحدثت ؟ لتَدَعَنَّ دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت ، فتُعَيَّر بي ، فيقال : « **يا قاتل أمه** » . فقلت : لا تفعلي ياأمّه ، فإني لا أدع ديني هذا لشيء . فمكثت يومًا وليلة لم تأكل فأصبحت قد جهدت ، فمكثت يومًا وليلة أخرى لا تأكل ، فأصبحت قد اشتد جهدها ، فلما رأيت ذلك قلت : يا أمّه ، تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس فخرَجت نَفْسًا نَفْسًا ، ما تركت ديني هذا لشيء ، فإن شئت فكلي ، وإن شئت لا تأكلي ، فأكلت(٧) .

---

(٦) - صحيح إلى معاذ بن جبل ، وأبو إسحاق ، وهو السبيعى ، مدلس وقد عنعن ، ولكن وجدت هذا الخبر من وجه آخر عن معاذ بن جبل بنحوه ، وفيه بعض الزيادات ، أخرجه ابن عساكر فى تاريخه (٦٢١/١٦) ضمن ترجمة معاذ بن جبل من طريق جابر بن يزيد الجعفى عن خالته به ، وأصل قصة بعث النبى ﷺ معاذ ابن جبل إلى اليمن فى الصحيحين وغيرهما تتضمن أصل هذه الوصية .

(٧) - سبق تخريج هذا الخبر من غير هذا الوجه عند الآية رقم (٨) من سورة العنكبوت ، وهو فى صحيح مسلم وغيره ، والحديث أخرجه الواحدى فى أسباب النزول فى سورة العنكبوت الآية رقم (٨) من طريق مسلمة بن علقمة عن داود بن أبى هند بهذا الإسناد ، ونسبه السيوطى فى الدر المنثور لأبى يعلى ، والطبرانى ، وابن مردويه ، وابن عساكر .

---

[١] - في ز : « سأجازيك » .

يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

هذه وصايا نافعة قد حكاها اللّٰه تعالىٰ عن لقمان الحكيم ، ليمتثلها الناس ويقتدوا بها ، فقال : ﴿ **يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل** ﴾ ، أي : إن المظلمة أو الخطيئة لو كانت مثقال حبة خردل . وجوز بعضهم أن يكون الضمير في قوله : ﴿ **إنها** ﴾ ضمير الشأن والقصة . وجوز علىٰ هذا رفع ﴿ **مثقال** ﴾ والأول أولىٰ .

وقوله : ﴿ **يأت بها اللّٰه** ﴾ ، أي : أحضرها اللّٰه يوم القيامة حين يضع الموازين القسط ، وجازى عليها إن خيرًا فخير ، وإن شرًّا فشر . كما قال تعالىٰ : ﴿ **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفىٰ بنا حاسبين** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره** ﴾ ولو كانت تلك الذرة محصنة محجبة في داخل صخرة صماء ، أو غائبة[١] ذاهبة في أرجاء السماوات أو الأرض ، فإن اللّٰه يأتي بها ، لأنه لا تخفىٰ عليه خافية ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ، ولهذا قال : ﴿ **إن اللّٰه لطيف خبير** ﴾ ، أي : لطيف العلم ، فلا تخفىٰ عليه الأشياء وإن دقت ولطفت وتضاءلت ، ﴿ **خبير** ﴾ بدبيب النمل في الليل البهيم .

وقد زعم بعضهم أن المراد بقوله : ﴿ **فتكن في صخرة** ﴾ ، أنها صخرة تحت الأرضين السبع ، ذكره السدي بإسناده ذلك المطروق عن ابن عباس وابن مسعود وجماعة من الصحابة إن صح ذلك ، ويروىٰ هذا عن عطية العوفي ، وأبي مالك ، والثوري ، والمنهال بن عمرو ، وغيرهم . وهذا والله أعلم ، كأنه متلقى من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب ، والظاهر - والله أعلم - أن المراد أن هذه الحبة في حقارتها لو كانت داخل صخرة فإن اللّٰه

---

[١] - في ز : « عاتية » .

سيبديها ويظهرها بلطيف علمه ، كما قال الإمام أحمد :

حدثنا حسن بن موسىٰ ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا دَرَّاج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ، ليس لها باب ولا كُوَّة ، لخرج[١] عمله للناس كائنًا ما كان** »(٨) .

ثم قال : ﴿ **يا بني أقم الصلاة** ﴾ ، أي : بحدودها وفروضها وأوقاتها ، ﴿ **وأمر بالمعروف وانه عن المنكر** ﴾ ، أي : بحسب طاقتك وجهدك ، ﴿ **واصبر علىٰ ما أصابك** ﴾ . علم أن الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر ، لابد أن يناله من الناس أذىٰ ، فأمره بالصبر .

وقوله : ﴿ **إن ذلك من عزم الأمور** ﴾ أي : إن الصبر على أذى الناس لمن[٢] عزم الأمور .

وقوله : ﴿ **ولا تصعر خدك للناس** ﴾ ، يقول : لا تُعرِضْ بوجهك عن الناس إذا كلمتهم أو كلموك ، احتقارًا منك لهم ، واستكبارًا عليهم . ولكن ألن جانبك ، وابسط وجهك إليهم ، كما جاء في الحديث : « **ولو أن تلقىٰ أخاك ووجهك إليه منبسط ، وإياك وإسبالَ الإِزار فإنها من المخيلة ، والمخيلة لا يحبها الله** »(٩) .

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **ولا تصعر خدك للناس** ﴾ ، يقول : لا تتكبر فتحقر عباد الله وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك . وكذا روى العوفي وعكرمة عنه .

وقال مالك عن زيد بن أسلم : ﴿ **ولا تصعر خدك للناس** ﴾ لا تَكَلَّمْ وأنت معرض ، وكذا رُوي عن مجاهد ، وعكرمة ، ويزيد بن الأصم ، وأبي الجوزاء ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، وابن زيد ، وغيرهم .

وقال إبراهيم النخعي : يعني بذلك التشديق في الكلام .

والصواب القول الأول .

قال ابن جرير : وأصل الصَّعَر داء يأخذ الإبل في أعناقها أو رءوسها ، حتىٰ تُلفَتَ[٣] أعناقُها عن رءوسها ، فشبه به الرجل المتكبر[٤] ، ومنه قول عمرو بن حُنيّ التغلبي :

وَكُـنَّـا إذَا الجَبَّـارُ صَـعَّـر خَـدّه أَقَـمْـنَـا لَـهُ مِـنْ مَـيْـلِه فَـتَـقَـوّمَـا

(٨) - سبق تخريج هذا الحديث فى سورة التوبة الآية رقم (١٠٥) .

(٩) - سبق تخريج هذا الحديث فى سورة النمل الآية رقم (٦٢) .

[١] - في ز : « تخرج » .

[٢] - في ز : « فمن » .

[٣] - في خ : « بلغت » .

[٤] - في خ : « المنكسر » ، وفي ز : «المنكر».

وقال أبو طالب في شعره :

وَكُنَّا قَدِيمًا لا نُقِرُّ ظُلامَةً إذ ما ثَنوا صُعْرَ الرءوس نُقِيمُها

وقوله : ﴿ **ولا تمش في الأرض مرحًا** ﴾ ، أي : جذلًا متكبرًا جبارًا عنيدًا ، لا تفعل ذلك يغضبك اللَّه ، ولهذا قال : ﴿ **إن اللَّه لا يحب كل مختال فخور** ﴾ أي : مختال معجب في نفسه ، فخور ، أي : على غيره . وقد[١] قال تعالى : ﴿ **ولا تمش في الأرض مرحًا ، إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولًا** ﴾ وقد تقدم الكلام على ذلك في موضعه .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا محمد بن عبد اللَّه الحضرمي ، حدثنا محمد بن عمران بن أبي ليلى ، حدثنا أبي ، عن ابن أبي ليلى ، عن عيسى ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن ثابت بن قيس بن شمَّاس قال : ذكر الكبر عند رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم فشدد فيه ، فقال : « **إن اللَّه لا يحب كل مختال فخور** » . فقال رجل من القوم : واللَّه يا رسول اللَّه ؛ إني لأغسل ثيابي فيعجبني بياضها ، ويعجبني شراك نعلي ، وعلاقة سوطي ، فقال : « **ليس ذلك الكبرَ ، إنما الكبرُ أن تَسْفَه الحق ، وتَغْمط الناس** » .

ورواه من طريق أخرى بمثله ، وفيه قصة طويلة ، ومقتل ثابت ووصيته بعد موته (١٠) .

---

(١٠) - أخرجه الطبراني (٦٩/٢) (١٣١٧) - ووقع في المطبوع من المعجم أكثر من تصحيف فلينتبه إلى ذلك - عن محمد بن عبد الله الحضرمي ، عن محمد بن عمران بن أبي ليلى عن أبيه عن ابن أبي ليلى به ، كما ذكره المصنف ، وأخرجه الطبراني أيضًا في ٦٩/٢ (١٣١٨) من طريق آخر عن ابن أبي ليلى به ، وهذا الإسناد ضعيف لتفرد ابن أبي ليلى به ، قال الهيثمي في المجمع (١٣٤/٥) : « وفيه محمد بن أبي ليلى وهو سيئ الحفظ وحديثه حسن بالشواهد التي تقدمت في هذا الباب ، ولكن عبد الرحمن بن أبي ليلى لم يسمع من ثابت بن قيس » وللحديث طريق أخرى ، وهي التي أشار إليها المصنف بقوله : « ورواه - يعني الطبراني - من طريق أخرى بمثله ، وفيه قصة طويلة ومقتل ثابت ... » قلت : وهي عند الطبراني (٧٠/٢) (١٣٢٠) من طريق ابنة ثابت بن قيس عن أبيها وذكره الهيثمي في المجمع (٣٢٤/٩) وقال : « ابنة ثابت بن قيس لم أعرفها » ثم وجدت طريقًا أخرى لهذا الحديث ولكنه أخصر من هذا فليس فيه ذكر الآية ﴿ **إن الله لا يحب كل مختال فخور** ﴾ أخرجه الروياني في مسنده (١٧٥/٢) حديث رقم (١٠٠٣) من طريق هشام بن عمار عن عمرو بن واقد عن يونس بن حلبس عن أبي إدريس الخولاني عن ثابت بن قيس بلفظ : « يا رسول الله ، إني رجل أحب الجمال حتى في نعلي ... ؟ فقال رسول الله ﷺ : « إن الله جميل يحب الجمال » وهذا الإسناد ضعيف جدًّا ؛ فيه عمرو بن واقد وهو متروك . وفي الجملة فإن الحديث من مسند ثابت بن قيس غير صحيح وله شاهد صحيح أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنًا . قال : « إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمطُ الناس » وسيذكره المصنف عندما يعقد بابًا باسم : « ذم الكبر » .

---

[١] - سقط من ت .

وقوله : ﴿ **واقصد في مشيك** ﴾ ، أي : امش مشيًا مقتصدًا ليس بالبطيء[١] المتثبط ، ولا بالسريع المفرط ، بل عدلًا وسطًا بينَ بينَ .

وقوله : ﴿ **واغضض من صوتك** ﴾ ، أي : لا تبالغ في الكلام ، و[٢]لا ترفع صوتك فيما لا فائدة فيه ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **إن أنكر الأصوات لصوت الحمير** ﴾ . قال مجاهد وغير واحد : إن أقبح الأصوات لصوت الحمير . أي : غاية مَن[٣] رفع صوته أنه يُشَبَّه بالحمير في علوه ورفعه ، ومع هذا هو بغيض إلىٰ اللّٰه تعالىٰ . وهذا التشبيه في هذا بالحمير يقتضي تحريمه وذمه غاية الذم ، لأن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **ليس لنا مثل السوء ، العائد في هبته كالكلب يقيء ثم يعود في قيئه** »(١١) .

وقال النسائي عند تفسير هذه الآية : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا الليث ، عن جعفر بن ربيعة ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **إذا سمعتم صياح الدِيَكة فاسألوا اللّٰه من فضله ، وإذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا باللّٰه من الشيطان ، فإنها رأت شيطانًا** » .

وقد أخرجه بقية الجماعة(١٢) سوى ابن ماجة من طرق عن جعفر بن ربيعة به ، وفي بعض الألفاظ : « **بالليل** » . فاللّٰه أعلم .

---

(١١) - سبق تخريجه فى سورة الأعراف ، الآية رقم (١٧٧) .

(١٢) - كتاب التفسير ، باب سورة لقمان ، حديث رقم (١١٣٩١) . وأخرجه البخارى فى صحيحه كتاب بدء الخلق ، باب : « خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال» حديث رقم (٣٣٠٣) ، ومسلم فى صحيحه كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب استحباب الدعاء عند صياح الديك حديث رقم (٢٧٢٩) ، وأبو داود فى سننه كتاب الأدب باب ما جاء فى الديك والبهائم (٥١٠٢) ، وأخرجه الترمذى فى جامعه كتاب الدعوات ، باب ما يقول : إذا سمع نهيق الحمار حديث رقم (٣٤٥٩) ، وأخرجه النسائى فى الكبرى كتاب عمل اليوم والليلة باب ما يقول إذا سمع نهيق الحمير حديث رقم (١٠٧٧٩) وما يقول إذا سمع صياح الديك حديث رقم (١٠٧٨٠) ، وأما ما أشار إليه المصنف من أنه ورد فى بعض الألفاظ ، تقييد هذا الذكر « بالليل » فقد ورد هذا القيد فى حديث جابر بن عبد الله عند أحمد (٣/٣٠٦) ، والبخارى فى الأدب المفرد برقم (١٢٣٣) ، (١٢٣٥) ، وابن السنى فى اليوم والليلة رقم (٣٠٧) ، وأبو داود فى كتاب الأدب من سننه ، باب ما جاء فى الديك والبهائم حديث رقم (٥١٠٢) ، والحاكم (٤/ ٢٨٣، ٢٨٤)، والبغوى فى شرح السنة كتاب الدعوات باب ما يقول عند صياح الديك حديث رقم (١٣٣٤) وغيرهم من طرق عن جابر بن عبد الله بلفظ : « إذا سمعتم نباح الكلب ، ونهيق الحمر بالليل فتعوذوا بالله فإنهن يرين ما لا ترون » قال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذا السياق » .

---

[١] - في خ : « السبط »، وفي ز : «بالبسيط» . [٢] - في ز : « أي » .

[٣] - في ز : « في » .

فهذه وصايا نافعة جدًّا ، وهي من قَصص القرآن العظيم عن لقمان الحكيم . وقد روي عنه من الحكم والمواعظ أشياء كثيرة ، فلنذكر منها أنموذجًا ودستورًا إلىٰ ذلك ، قال الإمام أحمد :

حدثنا علي بن إسحاق ، أخبرنا ابن المبارك ، أخبرنا سفيان ، أخبرني نهشل[١] بن مجمع الضبي ، [عن قزعة][٢] ، عن ابن عمر - رضي الله عنه - قال : أخبرنا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **إن لقمان الحكيم كان يقول : إن الله إذا اسْتُوْدِع شيئًا حفظه** »[١٣] .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا عيسىٰ بن يونس ، عن الأوزاعي ، عن

(١٣) - المسند (٨٧/٢) (٥٦٠٥، ٥٦٠٦) . وأخرجه النسائى فى اليوم والليلة (٥١٧، ٥١٨) من طريق ابن مهدى وابن المبارك وعبدة ، عن الثورى ، وأخرجه النسائى فى اليوم والليلة (٥١٦) من طريق محمد بن فضيل كلاهما « الثورى ، وابن فضل » عن نهشل بن مجمع الضبى عن قزعة عن ابن عمر ، فذكره كما ساقه المصنف .

وأخرجه عبد بن حميد (٨٥٥) ، والنسائى فى اليوم والليلة (٥١٩) ، والبيهقى فى الشعب (٢١١/٣) ، من طريق إسحاق الأزرق وقبيصة وأبى داود الجفرى ، ثلاثتهم عن الثورى عن نهشل الضبى عن أبى غالب قال : شيعتُ ابن عمر فقال : إن رسول الله ﷺ ... الحديث ، وأبو غالب هذا مجهول ، وإذا كان الحديث محفوظًا من طريق قزعة عن ابن عمر فإسناده حسن ؛ نهشل بن مجمع الضبى صدوق .

والحديث أخرجه الطبرانى فى الدعاء الحديث رقم (٨٢٧) من طريق أبى نعيم عن الثورى عن نهشل عن أبى غالب ، وقزعة أو أحدهما عن ابن عمر به مرفوعًا .

والحديث أخرجه النسائى فى اليوم والليلة (٥٢٠) من طريق سويد بن نصر عن عبد الله بن المبارك عن سفيان عن أبى سنان عن قزعة ، وأبى غالب عن ابن عمر موقوفًا عليه ، ليس فيه ذكر لقمان - عليه السلام - وأخرجه النسائى أيضًا فى اليوم والليلة (٥٢١) من طريق إسرائيل عن أبى سنان عن أبى غالب - وحده - عن ابن عمر موقوفًا ليس فيه ذكر لقمان ، والحديث رواه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز واختلف عليه فى اسم شيخه فأخرجه أحمد ١٣٦/٢ (٦١٩٩) ،وعبد بن حميد (٨٣٤) ، والبخارى فى التاريخ الكبير ٨/ ٢٦٠، والنسائى فى اليوم والليلة (٥١١ - ٥١٣) ، والبيهقى فى السنن (٢٥١/٥) ، والمحاملى فى الدعاء ، باب ما يودع به المسافر من الدعاء حديث رقم (٤) ، كلهم من طريق أبى نعيم ، وعبدة ، وأبي حمزة عن عبد العزيز بن عمر عن يحيى بن إسماعيل بن جرير عن قزعة عن ابن عمر مرفوعًا ليس فيه ذكر لقمان . وأخرجه أحمد (٣٨/٢) (٤٩٥٧) ، وأبو داود (٢٦٠٠) من طريق مروان بن معاوية الفزارى ، وعبد الله بن داود كلاهما عن عبد العزيز عن إسماعيل بن جرير عن قزعة عن ابن عمر مرفوعًا - وفيه أن شيخ عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز هو إسماعيل بن جرير - قال الحافظ : صوابه يحيى بن إسماعيل ، لين الحديث - وأخرجه النسائى فى عمل اليوم والليلة (٥١٤) من طريق آخر عن عبد العزيز بن عمر قال : حدثنى إسماعيل بن محمد بن سعد عن قزعة عن ابن عمر مرفوعًا ، وفيه أن شيخ عبد العزيز هو إسماعيل ابن محمد بن سعد وهو الزهرى ثقة ، وأخرجه أحمد (٢٥/٢) (٤٧٨١) ، والنسائى فى اليوم والليلة (٥١٥) من طريق وكيع ويحيى بن حمزة عن عبد العزيز بن عمر عن قزعة عن ابن عمر مرفوعًا ، وليس فيه

[١] - في ز : « نهيل » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ر .

موسىٰ بن سليمان، عن القاسم [يحدث عن أبي موسىٰ الأشعري][١] أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **قال لقمان لابنه وهو يعظه : يا بُني ، إياك والتقنع فإنه مخوفة بالليل ، مذلة بالنهار** »(١٤) .

وقال : حدثنا أبي ، حدثنا عمرو بن عثمان ، عن[٢] ضمرة ، حدثنا السَّري[٣] بن يحيىٰ قال : قال لقمان لابنه : يا بني ، إن الحكمة أجلست المساكين مجالس الملوك(١٥) .

وقال : حدثنا أبي ، حدثنا عبدة بن سليمان ، أخبرنا ابن المبارك ، حدثنا عبد الرحمن المسعودي ، عن عون بن عبد اللّٰه قال : قال لقمان لابنه : يابني ؛ إذا أتيت نادي قوم فارمهم بسهم الإِسلام - يعني السلام - ثم اجلس في ناحيتهم ، فلا تنطق حتىٰ تراهم قد نطقوا ، فإن

شيخ عبد العزيز ، والذى يظهر لى أن الحمل فى هذا الخلاف على عبد العزيز نفسه ، فقد قال الحافظ فى التقريب : « صدوق يخطئ » ، والله أعلم .

فالحاصل : أن هذا الحديث مداره على ثلاثة من الرواة :

الأول نهشل بن مجمع الضبى ، وهو ثقة ، وثقه الثورى وابن معين وأبو داود ، وذكره ابن حبان فى ثقاته ، وقد اختلف عليه كما سبق على وجوه فقيل عنه عن قزعة عن ابن عمر ، وقيل عنه عن أبى غالب عن ابن عمر ، وقيل عنه عن كليهما ، وقيل عنه على الشك .

- الثانى : أبو سنان ، وهو ثقة ثبت ، فرواه سويد بن نصر - وهو راوية عبد الله بن المبارك ومن أثبت الناس فيه - عن ابن المبارك عن الثورى عن أبى سنان ضرار بن مرة عن قزعة ، وأبى غالب عن ابن عمر موقوفًا عليه ، ورواه إسرائيل عن أبى سنان عن أبى غالب - وحده - عن ابن عمر موقوفًا عليه .

- الثالث ، عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، وقد اختلف فى حديثه على شيخه ، والراجح أنه يحيى بن إسماعيل بن جرير ، وهو لين الحديث كما قال الحافظ : وعليه فالحديث من الثلاثة طرق لا يثبت للإضطراب فى إسناده ، والله أعلم .

(١٤) - إسناده ضعيف ، موسى بن سليمان بن موسى القرشى فيه جهالة . لم يرو عنه إلا الأوزاعى ، قال أبو حاتم : شيخ . وذكره ابن حبان فى ثقاته ، وقال الحافظ : مقبول . والحديث أخرجه الحاكم ٤١١/٢ من طريق آخر عن الأوزاعى عن موسى بن سليمان به ، وقال : « متن شاهده إسناده صحيح والله أعلم » وأقره الذهبى .

(١٥) - **إسناده حسن إلى السرى** ؛ عمرو بن عثمان هو ابن سعيد بن كثير بن دينار وثقه غير واحد وقال الحافظ : صدوق . وضمرة هو ابن ربيعة ، قال الحافظ : صدوق يهم قليلاً ، والسرى بن يحيى هو ابن إياس بن حرملة وثقه جماعة ، وقال الأزدى : ضعيف . وخطأه الحافظ فى التقريب قائلاً : « ... ثقة وأخطأ الأزدى فى تضعيفه » ، وقال ابن عبد البر : « وهو أوثق من الأزدى بمئة مرة » انظر الميزان (٣٠٩٣/٢) وهذا الخبر من بلاغات السرى عن لقمان ، ومثله لا يقبل عند أهل النقد ، ولا يصح الخبرعن لقمان ومن فى طبقته من الأنبياء والصالحين إلا ما كان من قول رسول الله ﷺ عن رب العزة .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في خ ، ز : « بن » . [٣] - في ز : « البري » .

أفاضوا في ذكر اللَّه فَأجِلْ سهمك معهم ، وإن أفاضوا في غير ذلك فتحول عنهم إلى غيرهم(١٦) .

وحدثنا أبي ، حدثنا عمرو بن عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار ، حدثنا ضمرة ، عن حفص بن عمر - رضي اللَّه عنه - قال : وضع لقمان جرابًا من خردل إلىٰ جانبه ، وجعل يعظ ابنه وعظة ويخرج خردلة ، حتىٰ نفذ الخردل ، فقال : يا بني ، لقد وعظتك موعظة لو وُعِظَها جبل لتفطر . قال : فتفطر ابنه(١٧) .

وقال أبو القاسم الطبراني : حدثنا يحيىٰ بن عبد الباقي المصيصي ، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الحراني ، حدثنا عثمان بن عبد الرحمن الطرائفي ، حدثنا أيمن بن سفيان المقدسي ، عن خليفة بن سلام ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **اتخذوا السودان ، فإن ثلاثة منهم من سادات أهل الجنة لقمان الحكيم ، والنجاشي ، وبلال المؤذن** » . قال أبو القاسم الطبراني : أراد الحبش(١٨) .

(فصل في الخمول والتواضع)

وذلك متعلق بوصية لقمان - عليه السلام - لابنه ، وقد جمع في ذلك الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا كتابًا مفردًا ، نحن نذكر منه مقاصده ،

قال : حدثنا إبراهيم بن المنذر ، حدثنا عبد اللَّه بن موسىٰ المدني ، عن أسامة بن زيد ، عن حفص بن عبيد[١] اللَّه بن أنس ، عن جده أنس بن مالك : سمعت رسول اللَّه - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - يقول : « **رُبَّ أشعثَ ذي[٢] طِمْرَين يُصْفَح عن أبواب الناس ، إذا أقسم على الله لأبره** »(١٩) .

---

(١٦) - **إسناده ضعيف** ؛ فيه المسعودى وقد اختلط بآخرة ، ولم أقف على من نص على سماع عبد الله بن المبارك منه هل كان قبل الاختلاط أم بعده .

(١٧) - **إسناده حسن** ، إلى حفص بن عمر ، وضمرة هو ابن ربيعة تقدم قريبًا .

(١٨) - إسناده ضعيف جدًّا . أخرجه الطبرانى (١١/١٩٨) ، وابن حبان في المجروحين (١/١٧٠) ، وزاد السيوطى نسبته إلى ابن عساكر ، من طريق عثمان بن عبد الرحمن به ، وأيمن هذا ليس بشيء ؛ قال ابن حبان : « كان يقلب الأخبار ، وأكثر روايته عن الضعفاء » وقال البخارى : « لا يكتب حديثه » ، وقال الدارقطنى : « ضعيف له مناكير » . والحديث ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات (٢/٢٣٢) وقال : « لا يصح ، والمتهم به أيمن كان يقلب الأخبار ، وعثمان لا يحتج به » ، وفى الباب عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر مرفوعًا بلفظ : « سادات السودان أربعة ... فذكر الثلاثة وزاد مهجع » أخرجه ابن عساكر ، وفى الباب أيضًا من حديث واثلة بن الأسقع عند الحاكم (٤/٢٨٤) بنحو حديث عبد الرحمن بن يزيد .

(١٩) - **حديث صحيح** ، أخرجه الترمذى فى المناقب من جامعه ، باب مناقب البراء بن عازب ، حديث =

---

[١] - في خ ، ز : « عبد » . [٢] - في ز : « في » .

ثم رواه من حديث جعفر بن سليمان ، عن ثابت وعلي بن زيد ، عن أنس ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، فذكره ، وزاد : منهم البراء بن مالك .

وقال أبو بكر بن سهل التميمي : حدثنا ابن أبي مريم ، حدثنا نافع بن يزيد ، عن عياش بن عباس ، عن عيسىٰ بن عبد الرحمن ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عمر رضي الله عنه - أنه دخل المسجد فإذا هو بمعاذ بن جبل يبكي عند قبر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال له : ما يبكيك يا معاذ ؟ قال : حديث سمعته من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، سمعته يقول : « **إن اليسير من الرياء شرك ، وإن الله يحب الأتقياء الأخفياء الأثرياء ، الذين إذا غابوا لم يفتقدوا ، وإذا حضروا لم يعرفوا ، قلوبهم مصابيح الهدىٰ ، ينجون من كل غبراء مظلمة** »(٢٠) .

حدثنا الوليد بن شجاع ، حدثنا عَثَّام بن علي ، عن حميد بن عطاء الأعرج ، عن عبد الله ابن الحارث ، عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **رُبَّ ذي طمرين لايُؤْبَه له ، لو أقسم علىٰ الله لأبره ، لو قال : اللهم؛ إني أسألك الجنة لأعطاه الجنة ، ولم يعطه من الدنيا شيئًا** »(٢١) .

وقال أيضًا : حدثنا إسحاق بن إبراهيم [١]، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن سالم بن

= رقم (٣٨٥٤) ، وعبد بن حميد في مسنده حديث رقم (١٢٣٦) ، والبيهقي في الشعب ٧/ ٣٣١، وأبو نعيم في الحلية ١/ ٣٥٠، والخطيب في تاريخه ٢٠٣/٣ من طرق عن أنس بن مالك به ، وعند بعضهم : « ... منهم البراء بن عازب » ولم أجد هذا الحديث في كتاب التواضع والخمول للحافظ ابن أبي الدنيا ، الذي أشار إليه المصنف ، وفلعله سقط من المطبوع والله أعلم . وللحديث شواهد كثيرة ، فقد أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة ، باب فضل الضعفاء والخاملين حديث رقم (٢٠٢٤) ، وفي كتاب الجنة باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء حديث رقم (٢١٩١) ، من حديث أبي هريرة . وفي الباب عن ابن مسعود وحارثة بن وهب ، وغيرهما انظر كشف الخفا حديث رقم (١٣٦٢) .

(٢٠) - إسناده ضعيف جدًّا ، عيسى بن عبد الرحمن وهو الزرقي متروك . والحديث أخرجه ابن ماجه في الفتن ، باب من ترجى له السلامة من الفتن حديث رقم (٣٩٨٩) ، وابن أبي الدنيا في التواضع والخمول حديث رقم (٨) ، وفي الأولياء حديث رقم (٦) ، والحاكم في المستدرك (٣٢٨/٤) ، من طرق عن عيسى بن عبد الرحمن عن الليث بن سعد عن عياش بن عباس عن زيد بن أسلم عن أبيه به ، بإسقاط عيسى الزرقي منه ، ثم قال الحاكم : « صحيح ولا علة له » وأقره الذهبي . قلت : بل علته الانقطاع بين عياش بن عباس ، وزيد بن أسلم ، فبينهما هذا الهالك ، فمدار هذا الحديث عليه ، والله أعلم .

(٢١) - أخرجه البزار في مسنده (٤٠٤/٥) حديث رقم (٢٠٣٥) من طريق آخر عن حميد الأعرج ، وحميد ضعيف ، ولم أجد من تابعه . والحديث ذكره الهيثمي في المجمع (٢٦٤/١٠) وقال : « رواه البزار رجاله رجال الصحيح غير جارية بن هرم وقد وثقه ابن حبان على ضعفه » قلت : جارية قد توبع عليه من

[١] - في التواضع والخمول : إسماعيل .

أبي الجعد قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **إن من أمتي من لو أتىٰ باب أحدكم يسأله دينارًا أو درهمًا أو فلسًا لم يعطه ، ولو سأل اللّه الجنة لأعطاه إياها ، ولو سأله الدنيا لم يعطه إياها ، ولم يمنعها إياه لهوانه عليه ، ذو طمرين لا يؤبه له ، لو أقسم علىٰ اللّه لأبره** » . وهذا مرسل من هذا الوجه (٢٢) .

وقال أيضًا : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، أخبرنا جعفر بن سليمان ، حدثنا عوف قال : قال أبو هريرة : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **إن من ملوك الجنة كُلَّ أشعثَ أغبرَ ذي**[١] **طمرين لايُؤبَه له ، الذين إذا استأذنوا علىٰ الأمراء لم يؤذن لهم ، وإذا خطبوا النساء لم ينكحوا ، وإذا قالوا لم يُنصَت لهم ، حوائج أحدهم تتجلجل في صدره ، لو قسم نوره يوم القيامة بين الناس لوسعهم** » (٢٣) .

قال : وأنشدني عمر بن شبة عن ابن عائشة قال : قال عبد الله بن المبارك :

أَلا رُبَّ ذيْ طِمْرَيْنِ في مَنْزِلٍ غَدًا ... زَرَابِيّهُ مَبْثُوثَةٌ وَنَمَارِقُهْ
قَد اطَّرَدَتْ[٢] أنهاره حَوْلَ قَصْرِهِ ... وَأَشْرَقَ ، والتفَّتْ عَلَيه حَدَائِقُهْ(٢٤)

وروىٰ أيضًا[٣] من حديث عُبَيد اللّه بن زَحْر(٢٥) ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة مرفوعًا : « **قال اللّه : منْ أغبط أوليائي عندي مؤمنٌ خفيف الحاذ ، ذو حظ من**

عثام وغيره ، وإنما علته حميد هذا قال البزار : « وهذا الكلام لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد » . والحديث أخرجه ابن عدى فى الكامل (٦٨٩/٢) فى ترجمة حميد الأعرج من غير طريق جارية الذى أعل الهيثمى الحديث به ، مما يؤكد أن الحمل فيه على حميد الأعرج لا على من دونه .

(٢٢) - إسناده صحيح إلى سالم بن أبى الجعد ، وهو من مراسيله . والخبر أخرجه ابن أبى الدنيا فى التواضع والخمول حديث رقم (١) .

(٢٣) - أخرجه ابن أبى الدنيا فى الأولياء حديث رقم (٩) ، وإسحاق بن إبراهيم هو ابن عبد الرحمن البغوى أبو يعقوب لقبه لؤلؤ وقيل : بؤبؤ وهو ثقة ، وعوف هو ابن أبى جميلة . وهذا الإسناد منقطع فإن عوفًا لم يدرك أبا هريرة ، والحديث أخرجه البيهقى فى الشعب حديث رقم (١٠٤٨٧) من طريق إسحاق بن سليمان الرازى عن جعفر بن سليمان عن عوف عن الحسن أظنه عن أبى هريرة ، فزاد فى إسناده الحسن وإسحاق بن سليمان الرازى ثقة ، فإن كان الحديث محفوظًا بهذا الإسناد فمن رأى أن الحسن سمع من أبى هريرة فيكون الحديث صحيحًا به ، ومن أنكر السماع ، فيكون الإسناد منقطعًا ، وفى سماع الحسن من أبى هريرة خلافٌ مشهور ، والأكثرون على علم السماع ، والله أعلم .

(٢٤) - الخبر فى التواضع والخمول لابن أبى الدنيا برقم (٥) ، وعمر بن شبة هو ابن عبيدة بن زيد النميري قال الحافظ : « صدوق له تصانيف » وابن أبى عائشة هو عبيد الله بن محمد التيمى .

(٢٥) - أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٢، ٢٥٥) ، وفى الزهد (ص ١١) ، والترمذى فى الزهد من جامعه ، باب ما جاء فى الكفاف والصبر حديث رقم (٢٣٤٧) ونعيم بن حماد فى زوائده على الزهد لابن المبارك

[١] - في ز : « ذو » .

[٢] - في ز : « اضطردت » .

[٣] - سقط من : ز .

صلاة ، أحسن عبادة ربه ، وأطاعه في السر ، وكان غامضًا في الناس ، لا يُشارُ إليه بالأصابع إن صبر علىٰ ذلك . قال : ثم نَقَرَ[١]. رسول الله بيده وقال: « عجلت منيتُه ، وقلّ تراثه ، وقلت بواكيه » .

وعن عبد اللّٰه بن عمرو قال : أحب عباد اللّٰه إلىٰ اللّٰه الغرباءُ ، قيل : ومن الغرباء ؟ قال[٢] : الفرارون بدينهم ، يجمعون يوم القيامة إلىٰ عيسىٰ ابن مريم(٢٦) .

وقال الفضيل بن عياض : بلغني أن اللّٰه تعالىٰ يقول للعبد يوم القيامة : « ألم أنعم عليك ؟ ألم أعطك ؟ ألم أسترك ؟ ألم ..؟ ألم ..؟ ألم أخمل ذكرك ؟ » ثم قال الفضيل : إن استطعت أن لا تُعرف فافعل ، وما عليك أن لا يُثنىٰ عليك ، وما عليك أن تكون مذمومًا عند الناس محمودًا عند اللّٰه (٢٧) .

وكان ابن محيريز يقول : اللهم؛ إني أسألك ذكرًا خاملًا (٢٨) .

ص ٥٤، ووكيع فى الزهد (٣٥٩/١ - ٣٦٢) ، والحميدى فى مسنده (٤٠٤/٢) ، والحاكم (٤/ ١٢٣) ، وقال : « هذا إسناد للشاميين صحيح عندهم ولم يخرجاه » وقال الذهبى : « لا ، بل إلى الضعف هو » وأبو نعيم فى الحلية (٢٥/١) ، والبيهقى فى الزهد (١٤٤ - ١٤٥) من طريق عبيد الله بن زحر عن على بن زيد عن القاسم به ، وهذا الإسناد ضعيف لضعف على بن يزيد وهو الألهانى .

والحديث أخرجه ابن ماجه من طريق آخر عن أبى أمامة فى كتاب الزهد من سننه ، باب : « من لا يؤبه له » حديث رقم (٤١١٧) وفى إسناده مجهول ، وآخر متفق على تضعيفه . فالحديث ضعيف لا يثبت .

(٢٦) - أخرجه ابن أبى الدنيا فى التواضع والخمول حديث رقم (١٨) ، وأحمد فى الزهد ص ٧٧، والدورقى (٩٤) والآجرى فى الغرباء ص ٤٩، والبخارى فى التاريخ الكبير (٢١٣٠/٢) من طريق محمد بن مسلم الطائفى به ، وإسناده ضعيف محمد بن مسلم الطائفى ضعفه غير واحدٍ وشيخه قال الحافظ : « مقبول » أى وللحديث طريق أخرى مرفوعًا . فأخرجه أحمد فى الزهد ص ١٤٩، وأبو نعيم فى الحلية ١/ ٢٥، والبيهقى فى الزهد (٢٠٩) من طريق سفيان بن وكيع عن عبد الله بن رجاء عن ابن جريج عن ابن أبى مليكة عن عبيد الله بن عمرو مرفوعًا به ، وهذا الإسناد ضعيف أيضًا ؛ سفيان بن وكيع ضُعف بسبب ورّاقه السوء ، وابن جريج مدلس وقد عنعن ، ويشبه أن يكون هذا الخبر من أحاديث أهل الكتاب ، والذين كان يحدث عنهم عبد الله بن عمرو من الزاملتين اللتين وجدهما فى غزاةٍ غزاها ، هذا إن صح السند إليه ولا أراه يصح ، والله أعلم .

(٢٧) - أخرجه ابن أبى الدنيا فى التواضع والخمول حديث رقم (١٧) وفيه إبراهيم بن الأشعث قال ابن حبان : « ... يغرب وينفرد ويخطئ ويخالف » والخبر من بلاغات الفضيل بن عياض ، وقد أشرنا قبل ذلك من أن مثل هذه الأخبار الأصل فيها التوقيف ، فلابد من قول لرسول الله ﷺ فيها وإلا فليس بشيء .

(٢٨) - المصدر السابق برقم (١٨) وإسناده ليس بالقوى . والخبر أخرجه أبو نعيم فى الحلية (١٤٠/٥) : « ترجمة ابن محيريز » وكذلك أوردها الذهبى فى السير ضمن ترجمته ، وكذلك ابن عساكر فى تاريخه وكذا ابن الجوزى فى صفة الصفوة .

[١] - في ز : « نفذ » . [٢] - سقط من : ز .

وكان الخليل بن أحمد يقول : اللهم ؛ اجعلني عندك من أرفع خلقك ، واجعلني في نفسي من أوضع خلقك ، وعند الناس من أوسط خلقك(٢٩) .

ثم قال :

باب ما جاء في الشهرة

حدثنا أحمد بن عيسىٰ المصري ، حدثنا ابن وهب ، عن عمرو[١] بن الحارث وابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن سنان بن سعد ، عن أنس عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « **حسب امرئ من الشر - إلا من عصم الله - أن يشير الناس إليه بالأصابع في دينه ودنياه ، وإن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن إلى قلوبكم وأعمالكم** » (٣٠) .

وروي مثله عن إسحاق بن البهلول ، عن ابن أبي فَديك ، عن محمد بن عبد الواحد الأخنسي ، عن عبد الواحد بن أبي كثير ، عن جابر بن عبد الله مرفوعًا ، مثله (٣١) .

وروي عن الحسن مرسلًا نحوه ، فقيل للحسن : فإنه يشار إليك بالأصابع ؟ فقال : إنما المراد من يشار إليه في دينه بالبدعة ، وفي دنياه بالفسق (٣٢) .

وعن علي - رضي الله عنه - قال : لا تبدأ[٢] لأن تشتهر ، ولا ترفع شخصك لتذكر ، وتعلم واكتم ، واصمت تسلم ، تَسُرّ الأبرار ، وتَغيظ الفجار(٣٣) .

---

(٢٩) - المصدر السابق برقم (٢١) وإسناده قوى إلى الخليل بن أحمد .

(٣٠) - التواضع والخمول رقم (٣٠) ، وأخرجه البيهقي في الشعب (٥/٣٦٦) من طريق يوسف بن يعقوب عن أحمد بن عيسى به . والحديث ذكره السيطي في الجامع الصغير (٣/١٩٦) ، وأعله المناوي بضعف يوسف وابن لهيعة ، وتابعه الألباني في الضعيفة (١٦٧٠) . ويوسف بن يعقوب متابع من ابن أبي الدنيا . وابن لهيعة متابع من عمرو بن الحارث كما عند ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب . وعليه فإعلال الحديث بيوسف بن يعقوب أو ابن لهيعة ليس بشيء . ولكن للحديث علة أخرى هي سنان بن سعد ، أو سعد بن سنان ، فقد اختلف في اسمه ، وانفرد يزيد بن أبي حبيب به عنه .

(٣١) - أخرجه ابن أبي الدنيا فى التواضع والخمول حديث رقم (٣١) وعنده « محمد بن سليمان الأخنسى » بدلاً من « محمد بن عبد الواحد الأخنسى » وهو وشيخه عبد الواحد لم أجد من ترجم لهما ، والحديث لا شك أنه من الزوائد ، ومع ذلك لم أجد الهيثمى ذكره فى المجمع ، ولا السيوطى فى الجامع وذلك بعد بحث والله أعلم .

(٣٢) - أخرجه ابن أبى الدنيا فى التواضع والخمول حديث رقم (٣٢، ٣٣) وإسناده ضعيف ؛ فيه المبارك بن فضالة يدلس ويسوي ، وقد عنعن . والخبر أورده السيوطى فى الجامع الكبير ، وعزاه للحكيم الترمذى عن الحسن مرسلاً .

(٣٣) - أخرجه ابن أبى الدنيا فى التواضع والخمول الخبر رقم (٣٤) وسنده واه ؛ فيه إبراهيم بن هراسة =

---

[١] - في ت : « عمر » . [٢] - في ز : « تبدى » .

وقال إبراهيم بن أدهم - رحمه الله - : ما صدقَ الله من أحبَّ الشهرةَ .

و[١]قال أيوب : ما صدق اللّٰه عبد إلا سره أن لا يشعر بمكانه .

وقال محمد بن العلاء : من أحب الله أحب ألا يعرفه الناس .

وقال سماك بن سلمة : إياك وكثرة الأخلاء .

وقال أبان بن عثمان : إن أحببت أن يسلم لك دينك فأقل من المعارف .

وكان أبو العالية إذا جلس إليه أكثرُ من ثلاثة نهَضَ وتركَهم .

وقال : حدثنا علي بن الجعد ، أخبرنا شعبة ، عن عوف ، عن أبي رجاء قال : رأىٰ طلحة قومًا يمشون معه ، فقال : ذباب طمع ، وفراش النار (٣٤) .

وقال ابن إدريس ، عن هارون بن عنترة[٢] ، عن سليم بن حنظلة قال : بينا نحن حول أبي إذ علاه عمر بن الخطاب بالدِّرَّة ، وقال : إنها مذلة للتابع ، وفتنة للمتبوع (٣٥) .

وقال [ابن عون][٣] ، عن الحسن : خرج ابن مسعود فاتبعه أناس ، فقال : واللّٰه لو تعلمون ما أغلقُ عليه بابي ، ما اتبعني منكم رجلان (٣٦) .

وقال حماد بن زيد : كنا إذا مررنا على المجلس ومعنا أيوب ، فسلم ، رَدّوا ردًّا شديدًا ، فكان ذلك يَغُمّه .

وقال عبد الرزاق ، عن معمر : كان أيوب يطيل قميصه ، فقيل له في ذلك ، فقال : إن الشهرة فيما مضىٰ كانت في طول القميص ، واليوم في تشميره . واصطنع مرة نعلين علىٰ حذو

= متروك وشيخه لا يعرف ، وشيخ شيخه لم يسم . ولهذا الخبر طريق أخرى بمعناه مختصرًا أخرجه ابن أبى الدنيا فى الصمت رقم (٦١٣) وفيه إعضال بلفظ : « وار شخصك لا تذكر ، واصمت تسلم » .

(٣٤) - أخرجه ابن أبى الدنيا فى التواضع والخمول الخبر رقم (٥٠) ورجاله ثقات ، عوف هو ابن أبى جميلة، وأبو رجاء عمران بن ملحان واختلف فى اسم أبيه ، وهو ثقة مخضرم ، مشهور بكنيته .

(٣٥) - أخرجه ابن أبى الدنيا ، الخبر رقم (٥١) ، ونعيم بن حماد فى زوائده على الزهد لابن المبارك ص ١٣ الخبر رقم (٤٨) ، والدارمي (١٣٢/١) ، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم وفضله (١٤٤/١) من طرق عن هارون ابن عنترة به .

(٣٦) - أخرجه ابن أبى الدنيا فى التواضع والخمول والتواضع الخبر رقم (٥٢) ، والدارمى (١٣٤/١) من طريق آخر عن عون به .

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ز : « أبي عسرة » .

[٣] - في التواضع : عون .

نعلي النبي - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - فلبسهما أيامًا ثم خلعهما ، وقال : لم أر الناس يلبسونهما (٣٧) .

وقال إبراهيم النخعي : لا تلبسوا من الثياب ما يَشْتهِرك الفقهاء[١] ، ولا ما يزدريك السفهاء .

وقال الثوري : كانوا يكرهون من الثياب الجياد ، التي يُشتَهر بها ، ويرفع[٢] الناس إليه فيها أبصارهم ، والثياب الرديئة التي يحتقر فيها ، ويستذل دينه .

وحدثنا خالد بن خدَاش : حدثنا حماد ، عن أبي حسنة - صاحب الزيادي - قال : كنا عند أبي قلابة إذ دخل عليه رجل عليه أكسية ، فقال : إياكم وهذا الحمار النهاق !

وقال الحسن -رحمه اللّٰه- : إن قومًا جعلوا الكبر في قلوبهم ، والتواضع في ثيابهم ، فصاحب الكساء بكسائه أعظم من صاحب المطرف بمطرفة(*) ، مالهم تفاقروا .

وفي بعض الأخبار : أن موسىٰ - عليه السلام - قال لبني إسرائيل : ما لكم تأتوني عليكم ثياب الرهبان ، وقلوبكم قلوب الذئاب ؟ البسوا ثياب الملوك ، وألينوا قلوبكم بالخشية (٣٨) .

فصل في حسن الخلق

قال[٣] أبو التياح عن أنس - رضي اللّٰه عنه : كان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم من أحسن الناس خلقًا (٣٩) .

وعن[٤] عطاء ، عن ابن عمر : قيل : يا رسول الله ؛ أي المؤمنين أفضل ؟ قال : « **أحسنهم خلقًا** » (٤٠) .

(٣٧) - أخرجه ابن أبى الدنيا فى المصدر السابق ، الخبر رقم (٦١) .

(*) المطرف : الثوب الذي في طرفيه علَمان . النهاية (٣/١٢١) .

(٣٨) - أخرجه ابن أبى الدنيا فى التواضع والخمول الخبر رقم (١٥٣) وفيه أن القائل هو عيسى عليه السلام ، وعند أبى نعيم فى الحلية ٥/٣٦٥ من كلام موسى عليه السلام ، فالله أعلم .

(٣٩) - أخرجه البخارى فى كتاب الأدب باب « الكنية للصبى قبل أن يولد للرجل » حديث رقم (٦١٢٩) ، ومسلم من كتاب الآداب حديث رقم (٢١٥٠) .

(٤٠) - هذا الحديث أخرجه ابن أبى الدنيا فى التواضع والخمول حديث رقم (١٦٥) ، وابن ماجه ، كتاب الزهد حديث رقم (٤٢٥٩) ، والطبرانى فى الكبير (١٢/٣٥٤) حديث رقم (١٣٣٢٦) من طريق فروة بن قيس عن عطاء عن ابن عمر ، وعند الطبرانى من طريق فروة عن ابن عمر يدلس بينهما عطاء » قال البوصيرى فى الزوائد : « .. فروة مجهول وكذا الراوى عنه » ونقل عن الذهبى أنه قال : « وخبره باطل »=

[١] - في م : « الفقهاء » .
[٢] - في ز : « ويرفعون » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من : ز .

وعن[١] نوح بن عباد [عن ثابت][٢] عن أنس مرفوعًا : « **إن العبد ليبلغ بحسن خلقه درجات الآخرة وشرف المنازل ، وإنه لضعيف العبادة . وإنه ليبلغ بسوء خلقه دَرَك جهنم وهو عابد** » (٤١) .

[وعن سنان][٣] بن هارون ، عن حميد ، عن أنس مرفوعًا : « **ذهب حسن الخلق بخير**

= يعني فروة ، قلتُ : ولهذا الحديث طريق أخرى عن عطاء ، فقد أخره البزار (٢/٢٦٨) (٦٧٦ - كشف) ، والطبراني في الأوسط حديث رقم (٤٦٧١) ، والحاكم (٤/٥٤٠) من طريق حفص بن غيلان عن عطاء به قال الحاكم : « هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي ، قلت : وهذه متابعة جيدة لفروة عن عطاء ثم هناك متابعة أخرى فقد أخرجه البيهقي في الشعب ٦/ ٢٣٠، وفي الزهد الكبير له (٤٥٦) وزاد الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٨٤) نسبته إلى ابن عدى في الكامل ، والدارقطني في الغرائب من طريق عبيد الله بن سعيد بن كثير عن عفير حدثني أبي حدثني مالك بن أنس عن سهيل بن مالك عن عطاء به ، وعبيد الله بن سعيد ضعيف ، قال ابن حبان : « يروى عن الثقات المقلوبات ، ولا يجوز الاحتجاج به وقال : لا يشبه حديثه حديث الثقات » قلت : وهناك متابعة ثالثة . فقد أخرجه ابن أبي الدنيا في التواضع والخمول حديث رقم (١٦٤) من طريق معاوية بن عبد الرحمن عن عطاء به ، ومعاوية قال أبو حاتم : « ليس بمعروف » وقال الذهبي : « مجهول » قلت : ولكنه توبع عن عطاء كما سبق ، فهذه المتابعات تقوى حديثه ، ثم وجدت متابعة أخرى لهؤلاء عن عطاء فقد أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٣٣) من طريق خالد بن يزيد عن أبيه عن عطاء به ، فهؤلاء خمسة أنفس يروونه عن عطاء عن ابن عمرو « حفص ابن غيلان ، وفروة بن قيس ، ومعاوية بن عبد الرحمن وسهيل بن مالك ، وخالد بن يزيد عن أبيه - خمستهم عن عطاء به ، فالذى يترجح لى أن هذا الحديث صحيح إلى عطاء ، ولكن العلة فيه هل سمع عطاء من ابن عمر ؟! قال على بن المديني كما في جامع التحصيل : « رأى عبد الله بن عمر ولم يسمع منه» وليس في الصحيحين ولا في أحدهما رواية لعطاء عن ابن عمر ، مما يشير إلى أن هذه الرواية ليست على شرط الصحيح والله أعلم .

(٤١) - أخرجه ابن أبي الدنيا في التواضع والخمول حديث رقم (١٦٨) ، والطبراني في الكبير ١/ ٦٠، حديث رقم (٧٥٤) ونسبه العراقي إلى الخرائطي في مكارم الأخلاق ، وأبي الشيخ في طبقات الأصبهانيين من طريق نوح بن عباد القرشي البصري عن ثابت به ، وهذا إسنادٌ جيد ، والحديث ذكره الهيثمي في المجمع ٢٥/٨ وقال : « رواه الطبراني عن شيخه المقدام بن داود وهو ضعيف » قلت : وشيخ الطبراني قد توبع من شيخ ابن أبي الدنيا وهو حميد النسائي ، وهو ثقة ثبت ، وعلة هذا الحديث في « نوح بن عباد » ولكن أثنى عليه تليمذه في هذا الحديث قائلاً : « حدثني نوح بن عباد القرشي - وما رأيت أحدًا كان أخشى لله عز وجل منه » وقد ذكره ابن حبان في ثقاته ، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً . قلت : فالظن به حسن إن شاء الله ، ولا سيما أن لهذا الحديث شواهد كثيرة جدًا يرتقى الحديث بها إلى الصحة ، وقد ذكر الحديث العراقي في تخريج الإحياء وقال : « عن أنس وإسناده جيد » وانظر ما سيأتي من حديث عائشة بنحوه .

[١] - سقط من : ز . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز.

[٣] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « سيار » .

الدنيا والآخرة »(٤٢) .

والمطلب ، عن عائشة مرفوعًا : « **إن العبد ليبلغ بحسن خلقه درجة قائم الليل صائم النهار** » .(٤٣)

وقال ابن أبي الدنيا : حدثني أبو مسلم عبد الرحمن بن يونس ، حدثنا عبد الله بن إدريس ، أخبرني أبي وعمي ، عن جدي ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يُدخل الناسَ الجنة ، فقال : « **تقوى الله ، وحسن الخلق** » . وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار ، فقال : « **الأجوفان : الفم والفرج** »(٤٤) .

---

(٤٢) - أخرجه ابن أبي الدنيا في التواضع والخمول حديث رقم (١٦٩) من طريق العباس بن أبي طالب الواسطي عن عبيد بن سليمان عن سنان به - كما ساقه المصنف - والحديث عزاه الهيثمي في المجمع إلى الطبراني والبزار من هذا الوجه ، بلفظ : « عن أنس قال : قالت أم حبيبة : يا رسول الله المرأة يكون لها زوجان ثم تموت فتدخل الجنة هي وزوجاها لأيهما تكون للأول أو للآخر قال : « تخير أحسنهما خلقًا كان معها في الدنيا يكون زوجًا لها في الجنة . يا أم حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة » . وجاء في العلل لابن أبي حاتم ٤١٦/١ برقم (١٢٥٢) ما نصه : « سألت أبي عن حديث رواه عبيد بن إسحاق عن سنان بن هارون عن حميد عن أنس قال : قالت أم حبيبة : يارسول الله المرأة منا يكون لها زوجان ... فقال : تخيَّر أحسنهما خلقًا كان معها في الدنيا ... قالت أم حبيبة : ذهب حسن الخلق ... » ففي هذا الموضع المرفوع أصبح موقوفًا . ومع ذلك فإن الإسناد ضعيف جدًّا لعلتين ؛ الأولى : عبيد بن إسحاق قال الهيثمي في المجمع الموضع السابق : « فيه عبيد بن إسحاق وهو متروك وقد رضيه أبو حاتم ، وهو أسوأ أهل هذا الإسناد حالاً » قلت : قال أبو حاتم عنه عندما سئل عنه : « ما رأينا إلا خيرًا » وقال أبو زرعة : منكر الحديث . أما العلة الثانية : فقد قال أبو حاتم في العلل من الموضع السابق : « هذا حديث موضوع لا أصل له ، وسنان عندنا مستور » فأعله بسنان ، قال الحافظ : صدوق فيه لين ، وعليه فهذا الإسناد ضعيف لا يثبت .

(٤٣) - أخرجه أحمد ٦/ ٩٠، ٩٤، ١٣٣، ١٨٧، وأبو داود في الأدب باب : في حسن الخلق ، والبغوي في شرح السنة حديث رقم (٣٥٠٠) ، (٣٥٠١) ، وابن حبان حديث رقم (٤٨٠) ، وابن أبي الدنيا في التواضع والخمول حديث رقم (١٦٦) ، والحاكم (٦٠/١) من طرق عن عمرو بن عبد المطلب عن عائشة به . قال الحاكم : « صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي ، قلت : المطلب ابن عبد الله المخزومي في سماعه من عائشة نظر ، قال أبو حاتم الرازي : « المطلب ابن عبد الله لم يدرك عائشة » ، وقال أيضًا : « روايته عن عائشة مرسل » وقال البخاري : لا أعرف للمطلب بن حنطب عن أحد من أصحاب النبي ﷺ سماعًا ، إلا أنه يقول : حدثني من شهد النبي ﷺ ، وقال الترمذي : « سمعت عبد الله بن عبد الرحمن يقول : لا نعرف للمطلب سماعًا من أحد من أصحاب النبي ﷺ » ، وسئل أبو زرعة سمع المطلب بن عبد الله بن حنطب من عائشة ؟ فقال : أرجو أن يكون سمع منها . انظر تهذيب الكمال ٨١/٢٨ ترجمة المطلب ، مع الحاشية ففيهما الخير الكثير .

(٤٤) - أخرجه أحمد ٢/ ٢٩١، ٣٩٢، ٤٤٢، وفي الزهد ص ٣٩٧، والبخاري في الأدب المفرد (٢٨٩) ، (٢٩٤) ، والترمذي كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في حسن الخلق حديث رقم (٢٠٠٤) ، وابن ماجه في الزهد باب ذكر الذنوب حديث رقم (٤٢٤٦) ، وابن أبي الدنيا في التواضع والخمول =

وقال أسامة بن شريك [٤٥] : كنت عند رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فجاءته الأعراب من كل مكان ، فقالوا : يا رسول الله ، ما خير ما أعطي الإنسان ؟ قال : « **حسن الخلق** » .

وقال يعلى بن سماك ، عن أم الدرداء ، عن أبي الدرداء - يبلغ به - قال : « **ماشيءٌ أثقل في الميزان من حسن الخلق** » . وكذا رواه عطاء ، عن أم الدرداء ، به [٤٦] .

= حديث رقم (١٧٠) وفى الصمت حديث رقم (٤) ، وفى الورع حديث رقم (١٣٥) ، والحاكم ٣٢٤/٤ وصححه ووافقه الذهبى ، والبيهقى فى الزهد الكبير (٣٦٣) ، وابن حبان فى صحيحه حديث رقم (٤٧٦) ، والبغوى فى شرح السنة (٣٤٩٧) ، والمزى فى تهذيب الكمال ١٨٦/٣٢ - ترجمة يزيد بن عبد الرحمن الأودى كلهم من طريق داود بن يزيد أبي يزيد الأودى ، وإدريس بن يزيد الأودى كلاهما عن أبيهما يزيد به ويزيد بن عبد الرحمن الأودى قال الحافظ : « مقبول » ، ولم أرى له متابعًا ، وقد ذكره ابن حبان فى ثقاته ووثقه العجلى .

(٤٥) - أخرجه أحمد ٤/ ٢٧٨، والحميدى (٨٢٤) ، والبخارى فى الأدب المفرد حديث رقم (٢٩١) ، والترمذى فى الطب ، باب ما جاء فى الدواء والحث عليه حديث رقم (٢٠٣٨) ، وأبو داود فى الطب ، باب الرجل يتداوى حديث رقم (٣٨٥٥) ، وابن ماجه فى الطب ، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له دواء حديث رقم (٣٤٣٦) ، والنسائى فى الكبرى كتاب الطب ، باب الأمر بالدواء حديث رقم (٧٥٥٣ - ٧٥٥٤) ، وابن الجعد فى مسنده حديث رقم (٢٦٨٠) ، وابن أبى الدنيا فى التواضع والخمول حديث رقم (١٧١) ، وتمام فى فوائده حديث رقم (١٠١٣ - الروض) ، وهناد فى الزهد رقم (١٢٦٠) ، والطحاوى فى شرح المثانى ٤/ ٢٣، وابن حبان (١٣٩٥، ١٩٢٤) ، والبيهقى ٩/ ٣٤٣، والحاكم ١/ ١٢١، ٤/ ١٩٨، والخطيب فى تاريخه ٩/ ١٩٨، وابن أبى عاصم فى الآحاد والمثانى حديث رقم (١٤٦٧ - ١٤٦٨) ، وابن أبى شيبة فى كتاب الأدب ٥١٤/٨ رقم (٥٣٦٧) ، والطيالسى ٣٤٣/١ رقم (١٧٤٧ - منحة) ، والطبرانى ١٤٤/١ - ١٥٢ من طرق عن زياد بن علاقة به ، وهذا إسناد صحيح ، قال الحاكم : « هذا حديث أسانيده كلها صحيحة على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، والعلة عندهم فيه أن أسامة بن شريك ليس له راو غير زياد بن علاقة ... إلخ » ووافقه الذهبى .

(٤٦) - أخرجه أحمد ٦/ ٤٤٢، ٤٤٦، ٤٤٨، وعبد بن حميد فى مسنده حديث رقم (٢٠٤) ، والبخارى في الأدب المفرد (٢٧٠) ، وأبو داود فى الأدب ، باب فى حسن الخلق حديث رقم (٤٧٩٩) ، والترمذى فى البر والصلة ، باب ما جاء فى حسن الخلق حديث رقم (٢٠٠٣) ، وأبو نعيم فى الحلية ٧/ ١٠٧، والخرائطى فى مكارم الأخلاق ص ٩ - ١٠، وابن أبى شيبة ٣٢٨/٨ وابن أبى الدنيا فى التواضع والخمول حديث رقم (١٧٣) من طريق الحسن بن مسلم والقاسم بن أبى بزة ومطرف ، ثلاثتهم عن عطاء ابن نافع الكيخارانى عن أم الدرداء عن أبى الدرداء به مرفوعًا ، والحديث أخرجه هناد فى الزهد رقم (١٢٥٨) من طريق أبان وهو ابن أبى عياش عن عطاء عن أم الدرداء عن أبى الدرداء قال : « ما يوضع فى الميزان ... فذكر الحديث » من قوله وليس مرفوعًا ، وأبان ضعيف ، وخالفه غيره فرفعه ، ورواه ابن أبى الدنيا فى التواضع والخمول من طريق يعلى بن مملك عن أم الدرداء عن أبى الدرداء به مرفوعًا ، وهذا متابعة جيدة لعطاء . وفى الباب أحاديث صحيحة عن أبى هريرة وعائشة وأنس وابن عمر وغيرهما ، وقد سبق طرفٌ منها .

وعن[١] مسروق عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا : « **إن من خياركم أحاسنكم أخلاقًا** »(٤٧) .

حدثنا عبد اللّه بن أبي بدر ، حدثنا محمد بن عبيد ، عن محمد بن أبي سارة ، عن الحسن ابن علي قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **إن اللّه ليعطي العبد من الثواب علىٰ حسن الخلق ، كما يعطي المجاهد في سبيل اللّه ، يغدو عليه الأجر ويروح** » (٤٨) .

وعن[٢] مكحول ، عن أبي ثعلبة مرفوعًا : « **إن أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسًا أحاسنكم أخلاقًا ، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني منزلًا في الجنة مساويكم أخلاقًا ، الثرثارون المتشدقون المتفيهقون** » (٤٩) .

[وعن أبي][٣] أويس ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر مرفوعًا : « **ألا أخبركم بأكملكم إيمانًا ؟ أحاسنكم أخلاقًا ، الموطئون أكنافًا ، الذين يؤلفون ويألفون** »(٥٠) .

وقال الليث : عن يزيد بن عبد اللّه بن أسامة ، عن بكر بن أبي الفرات قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **ما حَسَّن اللّه خَلْق رجل وخُلقَه فَتَطْعَمَه النار** » (٥١) .

وعن[٤] عبد الله بن غالب الحداني ، عن أبي سعيد مرفوعًا : « **خصلتان لا يجتمعان في مؤمن : البخل وسوء الخلق** » (٥٢) .

---

(٤٧) - أخرجه البخارى فى المناقب من صحيحه باب صفة النبي ﷺ حديث رقم (٣٥٥٩) ، وفى فضائل الصحابة باب مناقب ابن مسعود حديث رقم (٣٧٥٩) ، وفى الأدب باب لم يكن رسول الله ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا حديث رقم (٦٠٢٩) ، وباب حسن الخلق حديث رقم (٦٠٣٥) وأخرجه مسلم فى الفضائل باب كثرة حيائه ﷺ حديث رقم (٢٣٢١) ، والترمذى فى البر والصلة ، باب ما جاء فى الفحش حديث رقم (١٨٧٥) وغيرهم .

(٤٨) - التواضع والخمول أثر رقم(١٧٦) .

(٤٩) - أخرجه أحمد في مسنده (١٩٣/٤، ١٩٤) من طريقين عن داود عن مكحول به ، والحديث عزاه الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٤/٨) إلى أحمد والطبرانى ، وقال : رجال أحمد رجال الصحيح .

(٥٠) - التواضع والخمول أثر رقم (١٧٨) .

(٥١) - ذكر السيوطي في اللآلئ (١١٩/١) هذا الحديث عن الإمام السلفي بسنده إلى الليث بن سعد عن بكر بن الفرات عن أنس ، وقال : أورده الحافظ شمس الدين ابن الجزري في كتابه أحاسن المنن ، وقال : (رجاله ثقات) ، وتعقبه العلامة اليماني في تعليقه على الفوائد المجموعة [ص ٢١٩] ، والحديث أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (١٦٥/١) من طريق أخرى عن أنس وفي إسناده أبو سعيد العدوى ، وخراش وكلاهما كذاب . وينظر طرق هذا الحديث في الموضوعات واللآلئ ، والفوائد المجموعة ، وتنزيه الشريعة ٢٠١/١ .

(٥٢) - أخرجه عبد بن حميد (٩٩٦) ، والبخارى في الأدب المفرد (٢٨٢) ، والترمذي في البر والصلة =

---

[١] - سقط من : ز . [٢] - سقط من : ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز . [٤] - سقط من : ز .

وقال ميمون بن مهران ، عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ما من ذنب أعظم عند اللّٰه من سوء الخلق ، وذلك أن صاحبه لا يخرج من ذنب إلا وقع في آخر** » (٥٣) .

حدثنا علي بن الجعد ، حدثنا أبو المغيرة الأحمسي ، حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق ، عن رجل من قريش قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إن الخلق الحسن ليذيب الذنوب كما تُذيب الشمس الجليد ، وإن الخلق السيئ ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل** » (٥٤) .

وقال عبد اللّٰه بن إدريس ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبي هريرة مرفوعًا : « **إنكم لا تسعون الناس بأموالكم ، ولكن يَسعهم منكم بسط وجوه وحسن خلق** »(٥٥) .

وقال محمد بن سيرين : حسن الخلق عون على الدين(٥٦) .

فصل في ذم الكبر

قال علقمة ، عن ابن مسعود - رفعه - : « **لا يدخل الجنة مَنْ كان[١] في قلبه مثقال حبة من كبر ، ولا يدخل النار من في قلبه مثقال حبة[٢] من إيمان** »(٥٧) .

وقال إبراهيم بن أبي عبلة[٣] ، عن أبي سلمة ، عن عبد اللّٰه بن عمرو مرفوعًا : « **من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، أكبه اللّٰه علىٰ وجهه في النار** » (٥٨) .

حدثنا إسحاق بن إسماعيل ، حدثنا أبو معاوية ، عن عمر بن راشد ، عن إياس بن سلمة ،

= باب : ما جاء في البخيل ، حديث (١٩٦٢) من طرق عن صدقة بن موسى عن مالك بن دينار عن عبد الله ابن غالب به .

(٥٣) - عزاه المنذرى في الترغيب والترهيب (٢٦٥/٣) إلى الأصبهانى في ترغيبه ثم قال : وهذا مرسل .

(٥٤) - التواضع والخمول رقم (١٨٣)

(٥٥) - أخرجه البزار في مسنده (١٩٧٩ - كشف) بسنده إلى ابن إدريس به ورجاله إسناده ثقات ، وأخرجه أبو يعلى في مسنده (٦٥٥٠) والبزار (١٩٧٧ - كشف) من طريق المقبري عن أبي هريرة به مرفوعًا دون ذكر (حسن الخلق) . وأخرجه أيضًا البزار في (١٠٧٨ - كشف) من طريق عطاء عن أبي هريرة . والحديث ذكره المنذري في الترغيب (٢٦٤/٣) وقال : رواه أبو يعلى والبزار من طرق أحدهما حسن جيد .

(٥٦) - أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، حديث (٩١) من طريقين عن إبراهيم عن علقمة به .

(٥٧) - المسند (٢١٥/٢) .

(٥٨) - أخرجه الترمذي في البر والصلة ، باب ما جاء في الكبر حديث (٢٠٠٠) عن أبي كريب عن أبي معاوية به.

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في خ ، ز : « ذرة » . [٣] - في ز : « علية » .

عن أبيه مرفوعًا : « **لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتىٰ يكتب عند الله من الجبارين ، فيصيبه ما أصابهم من العذاب** »(٥٩) .

وقال مالك بن دينار : ركب سليمان بن داود - عليهما السلام - ذات يوم البساط في مائتي ألف من الإنس ، ومائتي ألف من الجن ، فَرُفِعَ حتىٰ سمع تسبيح الملائكة في السماء ، ثم خفضوه حتىٰ مست قدمه ماء البحر ، فسمعوا صوتًا : لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة[١] من كبر لخسف به أبعد مما رفع (٦٠) .

حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا يزيد بن هارون ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس قال : كان أبو بكر يخطبنا فيذكر بدء خلق الإنسان ، حتىٰ إن أحدنا ليُقذر نفسه ، يقول : خرج من مجرىٰ البول ، مرتين (٦١) .

وقال الشعبي : من قتل اثنين فهو جبار ، ثم تلا : ﴿ **أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسًا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارًا في الأرض** ﴾ .

وقال الحسن : عجبًا لابن آدم ! يغسل الخرء[٢] بيده في اليوم مرتين ثم يتكبر ! يعارض جبار السماوات .

قال[٣] : حدثنا خالد بن خداش ، حدثنا حماد بن زيد ، عن علي عن[٤] الحسن ، عن الضحاك بن سفيان ، فذكر حديث : « **ضرب مثل الدنيا بما يخرج من ابن آدم** »(٦٢) .

وقال الحسن ، عن عتي[٥] ، عن أُبيّ قال : إن مطعم ابن آدم ضرب مثلًا للدنيا ، وإن قزحه[٦] ومَلّحه(٦٣) .

(٥٩) - التواضع والخمول رقم (١٩٨)

(٦٠) - التواضع والخمول رقم (١٩٩) .

(٦١) - التواضع والخمول رقم (٢٠٠) .

(٦٢) - التواضع والخمول رقم (٢١٠) .

(٦٣) - التواضع والخمول رقم (٢١١) .

[١] - في ز : « حبة » .

[٢] - في ز : « الخرو » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - في ت : ابن ، والمثبت من التواضع ، وعلي هو ابن زيد .

[٥] - في ت : يحيى ، والمثبت من التواضع .

[٦] - في ز : « فرخه » . تَوْبله ، من القِزْحِ وهو التابل الذي يطرح في القدر ، كالكمون والكزبرة ونحو ذلك (النهاية ٤/٥٨) .

وقال محمد بن الحسين بن علي - من ولد علي رضي الله عنه - : ما دخل قلبَ رجل شيءٌ من كبر إلا نقص من عقله بقدر ذلك (٦٤) .

وقال يونس بن عبيد : ليس مع السجود كبر ، وليس[١] مع التوحيد نفاق .

ونظر طاوس إلىٰ عمر بن عبد العزيز ، وهو يختال في مشيته ، وذلك قبل أن يستخلف ، فطعن طاوس في جنبه بأصبعه ، وقال : ليس هذا شأن[٢] من في[٣] بطنه خُرْءٌ[٤] ؟ . فقال له كالمعتذر إليه : يا عم ؛ لقد ضُرب كل عضو مني علىٰ هذه المشية حتىٰ تعلمتها(٦٥) .

قال أبو بكر بن أبي الدنيا ، كانت بنو أمية يضربون أولادهم حتى يتعلموا[٥] هذه المشية .

فصل في الاختيال

عن[٦] ابن أبي ليلى ، عن ابن بريدة ، عن أبيه مرفوعًا : « **من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه** » (٦٦) .

ورواه عن إسحاق بن إسماعيل ، عن سفيان ، عن زيد بن أسلم ، عن ابن عمر مرفوعًا مثله (٦٧) .

وحدثنا محمد بن بكار ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة مرفوعًا : « **لا ينظر الله يوم القيامة إلىٰ من جر إزاره** » (٦٨) .

و« **بينما رجل يتبختر في برديه ، أعجبته نفسه ، خسف الله به الأرض ، فهو يتجلجل فيها إلىٰ يوم القيامة** » (٦٩) .

---

(٦٤) - التواضع والخمول رقم (٢٢٦) .

(٦٥) - التواضع والخمول رقم (٢٤١) .

(٦٦) - التواضع والخمول رقم (٢٣٨) .

(٦٧) - أخرجه أحمد في المسند (١٤٧/٢) من طريق معمر عن زيد بن أسلم به ، وأصل الحديث في الصحيحين عن ابن عمر .

(٦٨) - أخرجه البخاري في اللباس ، باب من جر ثوبه من الخيلاء ، حديث (٥٧٨٨) من طريق مالك عن أبي الزناد به .

(٦٩) - أخرجه أحمد في المسند (٥٣١/٢) ، ومسلم في كتاب اللباس ، حديث (٢٠٨٨) من طرق عن أبي هريرة .

---

[١] - في ز : « ولا » .

[٢] - في ز : « شيء » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - في ز : « خرو » .

[٥] - في ز : « يتعلمون » .

[٦] - سقط من : ز .

وروى الزهري عن سالم عن أبيه : « بينما رجل ... » إلى آخره(٧٠) .

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ (٢٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ (٢١) ﴾

يقول تعالىٰ منبهًا خلقه علىٰ نعمه عليهم في الدنيا والآخرة ، بأنه[١] سخر لهم ما في السماوات من نجوم يستضيئون بها في ليلهم ونهارهم ، وما يحلق فيها من سحاب وأمطار وثلج وبرد ، وجعْلُه إياها لهم[٢] سقفًا محفوظًا ، وما خلق لهم في الأرض من قرار وأنهار وأشجار وزروع وثمار . وأسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة ، من إرسال الرسل وإنزال الكتب ، وإزاحة الشبهة[٣] والعلل ، ثم مع هذا كله ما آمن الناس كلهم ، بل منهم من يجادل في اللّه ، أي : في توحيده وإرسال الرسل . ومجادلته في ذلك بغير علم [ولا مستند من حجة صحيحة ، ولا كتاب مأثور صحيح ، ولهذا قال تعالىٰ : **﴿ ومن الناس من يجادل في اللّه بغير علم]**[٤] **ولا هدى ولا كتاب منير ﴾** ، أي : مبين مضيء .

﴿ وإذا قيل لهم ﴾ ، أي : لهؤلاء المجادلين في توحيد اللّه : **﴿ اتبعوا ما أنزل اللّه ﴾** ، أي : علىٰ رسوله من الشرائع المطهرة ، **﴿ قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا ﴾** ، أي : لم يكن لهم حجة إلا اتباع الآباء الأقدمين ، قال اللّه : **﴿ أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئًا ولا يهتدون ﴾** ، أي : فما ظنكم أيها المحتجون بصنيع آبائهم ، أنهم كانوا علىٰ ضلالة ، وأنتم خلف لهم فيما كانوا فيه ؛ ولهذا قال : **﴿ أو لو كان الشيطان يدعوهم إلىٰ عذاب السعير ﴾** .

﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ

(٧٠) - أخرجه أحمد (٦٦/٢) ، والبخاري في أحاديث الأنبياء ، حديث (٣٤٨٥) ، وطرفه في (٥٧٩٠) ، والنسائي (٢٠٦/٨) من طريق الزهري به .

[١] - في ز : « فإنه » .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ت : « الشبه » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عمن أسلم وجهه لله[١] ، أي : أخلص له العمل ، وانقاد لأوامره[٢] ، واتبع شرعه ، ولهذا قال : ﴿ **وهو محسن** ﴾ ، أي : في عمله ، باتباع ما به[٣] أمر ، وترك ما عنه زجر ، ﴿ **فقد استمسك بالعروة الوثقىٰ** ﴾ ، أي : فقد أخذ موثقًا من الله متينًا ، أنه لا يعذبه ، ﴿ **وإلىٰ الله عاقبة الأمور * ومن كفر فلا يحزنك كفره** ﴾ ، أي : لا تحزن يا محمد عليهم في كفرهم بالله وبما جئت به ؛ فإن قدر الله نافذ فيهم ، إلىٰ الله ﴿ **مرجعهم فينبئهم بما عملوا** ﴾ ، أي : فيجزيهم عليه ، ﴿ **إن الله عليم بذات الصدور** ﴾ فلا تخفىٰ عليه خافية .

ثم قال : ﴿ **نمتعهم قليلًا** ﴾ ، أي : في الدنيا ، ﴿ **ثم نضطرهم** ﴾ ، أي نلجئهم ﴿ **إلىٰ عذاب غليظ** ﴾ ، أي : فظيع صعب شاقٍ[٤] علىٰ النفوس ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **إن الذين يفترون علىٰ الله الكذب لا يفلحون * متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون** ﴾

نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن هؤلاء المشركين به : إنهم يعرفون أن الله خالقُ السماوات والأرض ، وحدَه لا شريك له ، ومع هذا يعبدون معه شركاء[٥] ، يعترفون أنها خَلْقٌ له وملك له ، ولهذا قال : ﴿ **ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله** ﴾ ، [أي : إذْ قامت عليكم الحجة باعترافكم][٦] ، ﴿ **بل أكثرهم لا يعلمون** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **لله ما في السماوات والأرض** ﴾ ، أي: هو خلقه وملكه ، ﴿ **إن الله هو الغنيّ الحميد** ﴾ ، أي : الغنيّ عما سواه ، وكل شيء فقير إليه ، الحميد في جميع ما خلق ، له الحمد في السماوات والأرض علىٰ ما خلق وشرع ، وهو المحمود في الأمور كلها .

لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ

---

[١] - سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ت : « لأمره » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « مشق » .
[٥] - في ز : « شريكًا » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن عظمته وكبريائه وجلاله ، وأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلا ، وكلماته التامة التي لا يحيط بها أحد ، ولا اطلاع لبشر علىٰ كنهها وإحصائها ، كما قال سيد البشر وخاتم الرسل : « **لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت علىٰ نفسك** »(٧١) . فقال تعالىٰ : ﴿ **ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله** ﴾ ، [أي : ولو أن جميع أشجار الأرض جعلت أقلامًا ، وجعل البحر مدادًا ومَدّه سبعة أبحر][١] معه ، فكتبت بها كلمات الله الدالة علىٰ عظمته وصفاته وجلاله لتكسرت[٢] الأقلام ، ونفد ماء البحر ، ولو جاء أمثالها مددًا .

وإنما ذكرت « **السبعة** » علىٰ وجه المبالغة ، ولم يرد الحصر ولا أن[٣] ثم سبعة أبحر موجودة تحيط بالعالم ، كما يقوله من تلقاه من كلام الإسرائيليين التي لا تصدق ولا تكذب ، بل كما قال تعالىٰ في الآية الأخرىٰ : ﴿ **قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددًا** ﴾ ، فليس المراد بقوله : ﴿ **بمثله** ﴾ آخر فقط ، بل بمثله ثم بمثله [ثم بمثله][٤] ، ثم هلمَّ جرًا ؛ لأنه لا حصر لآيات الله وكلماته .

وقال الحسن البصري : لو جعل شجر الأرض أقلامًا ، وجعل البحر مدادًا ، و[٥]قال الله : إن من أمري كذا ، ومن أمري كذا . لنفد ما في البحور ، وتكسرت الأقلام .

وقال قتادة : قال المشركون : إنما هذا كلام يوشك أن ينفد . فقال الله تعالىٰ : ﴿ **ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام** ﴾ . أي : لو كان شجر الأرض أقلامًا ، ومع[٦] البحر سبعة أبحر ، ما كان لتنفد عجائب ربي وحكمته وخلقه وعلمه .

وقال الربيع بن أنس : إن مثل علم العباد كلهم في علم الله كقطرة من ماء البحور كلها ، وقد أنزل الله ذلك : ﴿ **ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام ...** ﴾ الآية .

---

(٧١) - مسلم الصلاة (٢٢٢) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ز : « فتكسرت » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٥] - في ز : « أو » .
[٦] - في ز : « بلغ » .

يقول : لو كان ذلك البحر مدادًا لكلمات اللَّه ، والأشجار[١] كلها أقلامًا ، لانكسرت الأقلام ، وفني ماء البحر ، وبقيت كلمات اللَّه قائمة لا يفنيها شيء ، لأن أحدًا لا يستطيع أن يقدر قدره ، ولا يثني عليه كما ينبغي ، حتىٰ يكون هو الذي يثني علىٰ نفسه ، إن ربنا كما يقول ، وفوق ما نقول .

وقد روي أن هذه الآية نزلت جوابًا لليهود ، قال ابن إسحاق : حدثني ابن أبي محمد ، عن سعيد بن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس : أن أحبار يهود قالوا لرسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بالمدينة : يا محمد ، أرأيت قولك : ﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا** ﴾ إيانا تريد أم قومك ؟ فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **كُلًّا** » ، فقالوا : ألست تتلو فيما جاءك أنا قد أوتينا التوراة فيها تبيان لكل[٢] شيء ؟ فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إنها في علم اللَّه قليل ، وعندكم من[٣] ذلك ما يكفيكم** » . وأنزل اللَّه فيما سألوه عنه من ذلك : ﴿ **ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام ...** ﴾ الآية .

وهكذا روي عن عكرمة ، وعطاء بن يسار : وهذا يقتضي أن هذه الآية مدنية لا مكية ، والمشهور أنها مكية ، واللَّه أعلم .

وقوله : ﴿ **إن اللَّه عزيز حكيم** ﴾ ، أي : عزيز قد عز كلّ شيء وقهره وغلبه ، فلا مانع لما أراد ، ولا مخالف[٤] ، ولا معقب لحكمه ، ﴿ **حكيم** ﴾ في خلقه وأمره ، وأقواله وأفعاله ، وشرعه وجميع شئونه .

وقوله : ﴿ **ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة** ﴾ ، أي : ما خَلْقُ جميع الناس وبعثهم يوم المعاد - بالنسبة إلىٰ قدرته - إلا كنسبة خلق[٥] نفس واحدة ، الجميع هيِّنٌ عليه ، ﴿ **إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون** ﴾ ﴿ **وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر** ﴾ أي : لا يأمر بالشيء إلا مرة واحدة ، فيكون ذلك الشيء لا يحتاج إلىٰ تكرره وتوكُّده . ﴿ **فإنما هي زجرة واحدة . فإذا هم بالساهرة** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إن اللَّه سميع بصير** ﴾ ، أي : كما هو سميع لأقوالهم بصير بأفعالهم ، كسمعه وبصره بالنسبة إلىٰ نفس واحدة ، كذلك قدرته عليهم كقدرته علىٰ نفس واحدة ؛ ولهذا قال : ﴿ **وما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير** ﴾ .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ

---

[١] - في ز : « الشجر » .

[٢] - في ز : « كل » .

[٣] - في ز : « في » .

[٤] - في ز : « يخالف » .

[٥] - سقط من : ز .

وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾

يخبر تعالىٰ أنه ﴿ **يولج الليل في النهار** ﴾ ، بمعنىٰ يأخذ منه في النهار ، فيطولُ ذاك[١] ويقصر هذا ، وهذا يكون زمن الصيف يطول النهار إلىٰ الغاية ، ثم يشرع في النقص فيطول الليل ويقصر النهار ، وهذا يكون في الشتاء ، ﴿ **وسخر الشمس والقمر كل يجري إلىٰ أجل مسمىٰ** ﴾ ، قيل : إلىٰ غاية محدودة ، وقيل : إلىٰ يوم القيامة . وكلا المعنيين صحيح . ويستشهد للقول الأول بحديث أبي ذر - رضي اللَّه عنه - الذي في الصحيحين: أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **يا أبا ذر ، أتدري أين تذهب هذه الشمس ؟** » قلت : اللَّه ورسوله أعلم ، قال : « **فإنها تذهب فتسجد تحت العرش ، ثم تستأذن ربَّها فيوشك أن يقال لها : ارجعي من حيث جئت** »(٧٢) .

وقال ابن أبي حاتم (٧٣) : حدثنا أبي ، حدثنا أبو صالح ، حدثنا يحيىٰ بن أيوب ، عن ابن جريج ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس أنه قال : الشمس بمنزلة الساقية ، تجري بالنهار في السماء في فلكها ، فإذا غربت جرت بالليل في فلكها تحت الأرض حتىٰ تطلع من مشرقها ، قال : وكذلك القمر . إسناده صحيح .

وقوله : ﴿ **وأن الله بما تعملون خبير** ﴾ كقوله : ﴿ **ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض** ﴾ .

ومعنىٰ هذا أنه تعالىٰ الخالق العالم بجميع الأشياء ، كقوله : ﴿ **اللَّه الذي خلق سبع سمٰوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن اللَّه علىٰ كل شيء قدير وأن اللَّه قد أحاط بكل شيء علمًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ذلك بأن اللَّه هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل** ﴾ ، أي : إنما يظهر لكم آياته لتستدلوا بها علىٰ أنه الحق ، أي : الموجود الحق الإله[٢] الحق ، وأن كل ما سواه

(٧٢) - أخرجه البخارى في بدء الخلق ، باب صفة الشمس والقمر . حديث (٣١٩٩) وأطرافه في (٤٨٠٢، ٤٨٠٣، ٧٤٢٤، ٧٤٣٣) ، ومسلم في الإيمان حديث (١٥٩) من طريق سليمان التيمي عن أبي ذر .
(٧٣) - عزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٢٢/٥) إلى ابن إسحاق وابن جرير ، وابن أبي حاتم .

[١] - في ز : « ذلك » . [٢] - في ز : « إلا أنه » .

باطل ، فإنه الغنيّ عما سواه ، وكل شيء فقير إليه ، لأن كل ما في السماوات والأرض الجميع خلْقُه وعبيدُه ، لا يقدر أحد منهم علىٰ تحريك ذَرة إلا بإذنه ، ولو اجتمع كل أهل الأرض علىٰ أن يخلقوا ذبابًا لعجزوا عن ذلك . ولهذا قال : ﴿ **ذلك بأن الله هو الحق ، وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العليّ الكبير** ﴾ ، [أي :][1] العليّ : الذي لا أعلىٰ منه ، الكبير : الذي هو أكبر من كل شيء ، فكل شيء خاضع حقير بالنسبة إليه .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾

يخبر تعالىٰ أنه هو الذي سَخَّر البحر لتجري فيه الفلك بأمره ، أي : بلطفه وتسخيره ، فإنه لولا ما جعل في الماء من[2] قوة يحمل بها السفن لما جرت ، ولهذا قال : ﴿ **ليريكم من آياته** ﴾ ، أي : من[3] قدرته ، ﴿ **إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور** ﴾ ، أي : صبار في الضراء ، شكور في الرخاء .

ثم قال : ﴿ **وإذا غشيهم موج كالظلل** ﴾ ، أي : كالجبال والغمام ﴿ **دعوا الله مخلصين له الدين** ﴾ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه** ﴾ وقال : ﴿ **فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين** ﴾ ثم قال : ﴿ **فلما نجاهم إلىٰ البر فمنهم مقتصد** ﴾ ، قال مجاهد : أي كافر . كأنه فسر المقتصد هاهنا بالجاحد، كما قال تعالى : ﴿ **فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون** ﴾ . وقال ابن[4] زيد : هو المتوسط في العمل ، وهذا الذي قاله ابن زيد هو المراد في قوله : ﴿ **فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات** ﴾ فالمقتصد هاهنا هو : المتوسط في العمل . ويحتمل أن يكون مرادًا هنا أيضًا ، ويكون من باب الإنكار علىٰ من شاهد تلك الأهوال والأمور العظام، والآيات الباهرات في البحر ، ثم بعد ما أنعم الله عليه من الخلاص ، كان ينبغي أن يقابل ذلك بالعمل التام ، والدءوب في العبادة ، والمبادرة إلىٰ الخيرات . فمن اقتصد بعد ذلك كان مقصرًا والحالة هذه ، والله أعلم .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ت : « أبو » .

وقوله : ﴿ وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور ﴾ ، فالختار : هو الغَدار[١] . قاله مجاهد ، والحسن ، وقتادة ، ومالك ، عن زيد بن أسلم ، وهو الذي كلما عاهد نقض عهده ، والخَتْر : أَتَمّ الغدر وأبلغه ، قال عمرو بن معد يكرب :

وإنَّـك لـو رَأيـتَ أبـا عُـمـيـرٍ مَـلأتَ يَـدَيـك مِـن غَـدرٍ وخَـتـرْ

وقوله : ﴿ كفور ﴾ أي : جحود للنعم لا يشكرها ، بل يتناساها ولا يذكرها .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾

يقول تعالىٰ منذرًا للناس يوم المعاد ، وآمرًا لهم بتقواه والخوف منه ، والخشية من[٢] يوم القيامة حيث ﴿ لا يجزي والد عن ولده ﴾ أي : لو أراد أن يفديه بنفسه لما قُبل منه[٣] . وكذلك الولد لو أراد فداء والده بنفسه لم يُتقبل منه .

ثم عاد بالموعظة عليهم بقوله : ﴿ فلا تغرنكم الحياة الدنيا ﴾ ، [أي : لا تلهينكم بالطمأنينة فيها عن الدار الآخرة][٤] ، ﴿ ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ ، يعني : الشيطان . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، وقتادة . فإنه يغر ابن آدم ويَعِدُه ويمنيه ، وليس من ذلك شيء ، بل كما قال تعالىٰ : ﴿ يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورًا ﴾ .

قال وهب بن منبه : قال عزير -عليه السلام- : « لما رأيت بلاء قومي اشتد حزني وكثر همي ، وأرق نومي ، فضرعت[٥] إلىٰ ربي وصليت وصمت ، فأنا في ذلك أتضرع وأبكي ؛ إذ أتاني الملك ، فقلت له : أخبرني ، هل تشفع أرواح المصدقين للظلمة ، أو الآباء لأبنائهم ؟ قال : إن القيامة فيها فصل القضاء وملك ظاهر ، ليس فيه رخصة ، لا يتكلم فيه أحد إلا بإذن الرحمن ، ولا يؤخذ فيه والد عن ولده ، ولا ولد عن والده ، ولا أخ عن أخيه ، ولا عبد عن سيده ، ولا يهتم أحد [بهم غيره][٦] ، ولا يحزن لحزنه ، ولا أحد يرحمه ، كل مشفق علىٰ نفسه ، ولا يؤخذ إنسان عن إنسان ، كل يَهُم همه ، ويبكي عَوله ، ويحمل وزره ، ولا يحمل وزره معه غيره » . رواه ابن أبي حاتم .

---

[١] - في ز : « العذاب » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٥] - في ز : « تضرعت » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ت : « بغيره » .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾

هذه مفاتيح الغيب التي استأثر اللّه تعالىٰ بعلمها ، فلا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه تعالىٰ بها ، فعلم وقت الساعة لا يعلمه نبيّ مرسل ، ولا ملكٌ مقرب ، ﴿ **لا يجليها لوقتها إلا هو** ﴾ ، وكذلك إنزال الغيث لا يعلمه إلا اللّه ، ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك ، ومن شاء الله من خلقه . وكذلك لا يعلم ما في الأرحام مما يريد أن يخلقه تعالىٰ سواه ، ولكن إذا أمر بكونه ذكرًا أو أنثىٰ ، أو [شقيًا أو سعيدًا][١] ، علم الملائكة الموكّلون بذلك ، ومن شاء اللّه من خلقه . وكذلك لا تدري نفس ماذا تكسب غدًا في دنياها وأخراها ، ﴿ **وما تدري نفس بأي أرض تموت** ﴾ أفي بلدها أم[٢] غيره من أي بلاد اللّه كان ، لا علم لأحد بذلك ، وهذه شبيهة بقوله تعالىٰ : ﴿ **وعنده مَفَاتِحُ الغيب لا يعلمها إلا هو** ... ﴾ الآية . وقد وردت السنة بتسمية هذه الخمس مفاتيح الغيب :

قال الإمام أحمد (٧٤) : حدثنا زيد بن الحباب ، حدثني حسين بن واقد ، حدثني عبد اللّه بن بُرَيدة ، سمعت أبي بُرَيدة يقول : سمعت رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم يقول : « **خمس لا يعلمهن إلا اللّه – عز وجل – : ﴿ إن اللّه عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن اللّه عليم خبير ﴾** » . هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجوه .

(حديث ابن عمر) قال الإمام أحمد(٧٥) : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن عبد اللّه ابن دينار ، عن ابن عمر قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا اللّه : ﴿ إن اللّه عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما في الأرحام ، وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا ، وما تدري نفس بأي أرض تموت ، إن اللّه عليم خبير ﴾** » .

انفرد بإخراجه البخاري ، فرواه في كتاب « **الاستسقاء** » من صحيحه (٧٦) ، عن محمد بن

(٧٤) – المسند (٣٥٣/٥) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٢/٧) : رواه أحمد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح .

(٧٥) – المسند (٢٤/٢، ٥٨) ، وأخرجه في ٥٢/٢ ، وعبد بن حميد (٧٩١) ، والبخاري في التوحيد باب قول الله تعالى : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدًا » حديث (٧٣٧٩) من حديث عبد الله بن دينار .

(٧٦) – صحيح البخاري ، كتاب الاستسقاء ، باب : لا يدرى متى يجيء المطر إلا الله ، حديث (١٠٣٩) ، وانظر السابق .

[١] – ما بين المعكوفتين في ز: «شقيٌ أو سعيد» . [٢] – في ت : « أو » .

يوسف الفريابي ، عن سفيان بن سعيد الثوري ، به .

ورواه في التفسير من وجه آخر فقال (٧٧) :

حدثنا يحيىٰ بن سليمان ، حدثنا ابن وهب ، حدثني عمر بن محمد بن زيد بن عبد اللَّه بن عمر : أن أباه حدثه ، أن عبد اللَّه بن عمر قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **مفاتيح الغيب خمس ، ثم قرأ : ﴿ إن اللَّه عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام ﴾** » . انفرد به أيضًا .

ورواه الإمام أحمد(٧٨) عن غُنْدرَ ، عن شعبة ، عن عمر بن محمد : أنه سمع أباه يحدث ، عن ابن عمر ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **أوتيت مفاتيح كل شيء إلا الخمس : ﴿ إن اللَّه عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن اللَّه عليم خبير ﴾** » .

[(حديث ابن مسعود - رضي اللَّه عنه -) قال الإمام أحمد (٧٩) : حدثنا يحيىٰ ، عن شعبة ، حدثني عمرو بن مرة ، عن عبد اللَّه بن سلمة قال : قال عبد اللَّه : أوتي نبيكم صلىٰ اللَّه عليه وسلم مفاتيح كل شيء غير خمس : **﴿ إن اللَّه عنده علم الساعة وينزل الغي ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن اللَّه عليم خبير ﴾**][١] وكذا رواه عن محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن عمرو بن مرة به . وزاد في آخره : « قال : قلت له : أنت سمعته من عبد اللَّه ؟ قال : نعم . أكثر من خمسين مرة .

ورواه أيضًا عن وكيع عن مسعر عن عمرو[٢] بن مرة به .

وهذا إسناد حسن على شرط أصحاب[٣] السنن ولم يخرجوه .

(حديث أبي هريرة) قال البخاري عند تفسير هذه الآية (٨٠) : حدثنا إسحاق ، عن جرير ، عن أبي حيان[٤] عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه

(٧٧) - صحيح البخارى في التفسير ، باب : « إن الله عنده علم الساعة » ، حديث (٤٧٧٨) .

(٧٨) - المسند (٨٥/٢) .

(٧٩) - المسند (٣٨٦/١) ، وأخرجه الحميدي (١٢٤) وأحمد في (٤٣٨/١) عن محمد بن جعفر عن شعبة به.

(٨٠) - صحيح البخارى في التفسير ، باب (إن الله عنده علم الساعة) ، حديث (٤٧٧٧) ، والحديث عند البخارى في الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الإيمان ، حديث (٥٠) ، ومسلم في الإيمان ، حديث (٩) من طريق أبي حيان به .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ز : « عمر » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في خ ، ز : « حصان » .

عليه وسلم كان يومًا بارزًا للناس ، إذ أتاه رجل يمشي ، فقال : يا رسول اللَّه ، ما الإيمان ؟ قال : الإيمان أن تؤمن باللَّه وملائكته وكتبه ورسله ولقائه ، وتؤمن بالبعث الآخر » . قال : يا رسول اللَّه ، ما الإسلام ؟ قال : « **الإسلام أن تعبد اللَّه ولا تشرك به شيئًا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان** » . فقال : يا رسول اللَّه ، ما الإحسان ؟ قال : « **الإحسان أن تعبد اللَّه كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك** » . قال : يا رسول اللَّه ، متى[١] الساعة ؟ قال : « **ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، ولكن سأحدثك عن أشراطها [ ][٢]: إذا ولدت الأمة ربتها ، فذاك من أشراطها ، وإذا كان الحفاة العراة رءوس الناس ، فذاك من أشراطها ، في خمس لا يعلمهن إلا اللَّه : ﴿ إن اللَّه عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام﴾** . ثم انصرف الرجل فقال : « **ردُّوه عليَّ** » . فأخذوا[٣] ليردوه ، فلم يروا شيئًا ، فقال : « **هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم** » .

ورواه البخاري في كتاب الإيمان أيضًا ، ومسلم من طرق ، عن أبي حيان ، به . وقد تكلمنا عليه في أول « **شرح البخاري** » . وذكرنا ثمّ حديثَ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في ذلك بطوله ، وهو من أفراد مسلم (٨١) .

(حديث ابن عباس) قال الإمام أحمد (٨٢) : حدثنا أبو النضر ، حدثنا عبد الحميد ، حدثنا شهر[٤] ، حدثنا عبد اللَّه بن عباس - رضي اللَّه عنهما - قال : جلس رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم مجلسًا له[٥] ، فأتاه جبريل فجلس بين يدي رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم واضعًا كفيه علىٰ ركبتي النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقال : يا رسول اللَّه ، حدثني[٦] ما الإسلام ؟ قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **الإسلام أن تسلم وجهك للَّه عز وجل ، وتشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، وأن محمدًا عبده ورسوله** » . قال : فإذا[٧] فعلت ذلك فقد أسلمت ؟ قال : « **إذا فعلت ذلك فقد أسلمت** » . قال : يا رسول اللَّه ، حدثني[٨] ما الإيمان ؟ قال : « **الإيمان أن تؤمن باللَّه واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وتؤمنَ بالموت وبالحياة بعد الموت وتؤمن بالجنة والنار والحساب والميزان وتؤمنَ بالقدر كله خيره وشره** » . قال : فإذا فعلت ذلك فقد آمنت ؟ قال : « **إذا فعلت ذلك فقد آمنت** » . قال : يا رسول

---

(٨١) - صحيح مسلم في الإيمان ، حديث (٨) من حديث عبد الله بن عمر عن أبيه .

(٨٢) - المسند (٣١٨/١) وفي إسناده شهر بن حوشب ، وانظر الحديث في مجمع الزوائد (٤٢/١) .

---

[١] - في ز : « ما » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « قال » .

[٣] - في ت : « فأخذوه » .

[٤] - في خ ، ز : « بهز » .

[٥] - سقط من : خ ، ز .

[٦] - سقط من : خ ، ز .

[٧] - في ز : « إذا » .

[٨] - في ت : « فحدثني » .

اللَّه ، حدثني ما الإِحسان ؟ قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **الإِحسان أن تعمل للَّه كأنك تراه ، فإن كنت لا تراه فإنه يراك** » . قال : يا رسول اللَّه ، فحدثني متىٰ الساعة ؟ قال رسول اللَّه - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - : « **سبحان اللَّه ! في خمس لا يعلمهن إلا هو : ﴿ إن اللَّه عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا ، وما تدري نفس بأي أرض تموت ، إن اللَّه عليم خبير ﴾ ولكن إن شئت حدثتك بمعالم لها دون ذلك** » . قال : أجل، يا رسول اللَّه ، فحدثني . قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إذا رأيت الأمة ولدت ربتها - أو : ربها - ورأيت أصحاب الشاء[١] يتطاولون في البنيان، ورأيت الحفاة الجياع العالة [كانوا رءوس الناس، فذلك من معالم الساعة وأشراطها** ». قال: يا رسول اللَّه ، ومن أصحاب الشاء والحفاة الجياع العالة ؟][٢] قال : « **العرب[٣]** » . حديث غريب ولم يخرجوه .

(حديث رجل من بني عامر) [روىٰ الإِمام أحمد (٨٣) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن منصور][٤] ، عن ربعيّ بن حرَاش[٥] ، عن رجل من بني عامر : أنه استأذن علىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال : أألج[٦] ؟ فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم لخادمه : « **اخرجي إليه فإنه لا يحسن الاستئذان فقولي له : فليقل : السلام عليكم . أأدخل ؟** » . قال[٧] : فسمعتُه يقول ذلك ، فقلت : السلام عليكم ، أأدخل ؟ فأذن فدخلت ، فقلت : بم أتيتنا به ؟ قال : « **لم آتكم إلا بخير ، أتيتكم أن تعبدوا اللَّه وحده لا شريك له ، وأن تَدَعوا اللات والعزىٰ ، وأن تصلوا بالليل والنهار خمس صلوات ، وأن تصوموا من السنة شهرًا ، وأن تحجوا البيت ، وأن تأخذوا الزكاة من مال أغنيائكم فتردوها علىٰ فقرائكم** » . قال : فقال : فهل[٨] بقي من العلم شيء لا تعلمه[٩] ؟ قال : « **قد عَلم اللَّه - عز وجل - خيرًا ، وإنّ من العلم ما لا يعلمه إلا اللَّه - عز وجل - الخمس : ﴿ إن اللَّه عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن اللَّه عليم خبير ﴾** » . وهذا إسناد صحيح .

---

(٨٣) - المسند (٥/٣٦٨) ، وأخرجه أبو داود في السنن (٥١٧٧، ٥١٧٩) ، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٣١٦)من طريق منصور به . وأخرجه أبو داود في (٥١٧٨) من طريق أبي الأحوص عن منصور عن ربعي قال : حدث أن رجلًا من بني عامر استأذن على النبي - صلى الله عليه وسلم - بمعناه .

---

[١] - في ز : « النيان » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ز : « العريب » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٥] - في ز : « خراش » .
[٦] - في ز : « أيلج » .
[٧] - سقط من : خ ، ز .
[٨] - في ز : « هل » .
[٩] - في ز : « تعلم » .

وقال ابن أبي نجيح (٨٤) ، عن مجاهد : جاء رجل من أهل البادية فقال : إن امرأتي حبلىٰ ، فأخبرني[١] ما تلد ؟ وبلادنا جَدْبَةٌ فأخبرني متىٰ ينزل الغيث ؟ وقد عَلمتُ متىٰ وُلدتُ فأخبرني متىٰ أموت ؟ فأنزل اللّه عز وجل : ﴿ **إن اللّه عنده علم الساعة** ﴾ إلىٰ قوله ﴿ **إن اللّه عليم خبير** ﴾ . قال مجاهد : وهي مفاتيح الغيب التي قال اللّه تعالىٰ : ﴿ **وعنده مَفاتِحُ الغيب لا يعلمها إلا هو** ﴾ . رواه ابن أبي حاتم وابن جرير .

وقال الشعبي(٨٥) ، عن مسروق ، عن عائشة - رضي اللّه عنها - أنها قالت : من حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ، ثم قرأت : ﴿ **وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وما تدري نفس بأي أرض تموت** ﴾ قال قتادة : أشياء استأثر اللّه بهن ، فلم يُطلع عليهن مَلكًا مقربًا ، ولا نبيًّا مرسلًا : ﴿ **إن اللّه عنده علم الساعة** ﴾ ، فلا يدري أحد من الناس متىٰ تقوم الساعة ، في أي سنة أو في أي[٢] شهر ، أو ليل أو نهار ، ﴿ **وينزل الغيث** ﴾ فلا يعلم أحد متىٰ ينزل الغيث ، ليلًا أو نهارًا ، ﴿ **ويعلم ما في الأرحام** ﴾ ، فلا يعلم أحد ما في الأرحام ، أذكر[٣] أم أنثىٰ ، أحمر أو أسود ، وما هو . ﴿ **وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا** ﴾ ، أخير أم شر ، ولا تدري يا بن آدم متىٰ تموت ؟ لعلك الميت غدًا ، لعلك المصاب غدًا ، ﴿ **وما تدري نفس بأي أرض تموت** ﴾ ليس أحد من الناس يدري أين مضجعه من الأرض ، أفي بحر أم[٤] بر ، أو سهل أو جبل .

وقد جاء في الحديث : « **إذا أراد اللّه قبض عبد بأرض ، جعل له إليها حاجة** » . فقال الحافظ أبو القاسم الطبراني في « **معجمه الكبير** » (٨٦) ، في مسند أسامة بن زيد :

حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، أخبرنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن أبي المليح ، عن أسامة بن زيد قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **ما جعل اللّه ميتةَ عبد بأرض إلا جعل له فيها حاجة** » .

وقال عبد اللّه ابن الإمام أحمد (٨٧) : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا أبو داود

---

(٨٤) - أخرجه الطبري في تفسيره (٨٧/٢١) من طريق ورقاء عن ابن أبي نجيح به .

(٨٥) - أخرجه الطبري (٨٨/٢١) من طريق مغيرة عن الشعبي به .

(٨٦) - المعجم الكبير (٤٦١) ، وقال الهيثمي في المجمع (١٩٦/٧) : رجاله رجال الصحيح .

(٨٧) - المسند (٢٢٧/٥) ، وأخرجه الترمذي في القدر ، باب : ما جاء أن النفس تموت حيثما كتب لها حديث (٢١٤٦) من طريق أبي داود الحفري به .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « ذكر » .

[٤] - في ز : « أو » .

الحَفَري ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن مطر بن عَكَامس[١] قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إذا قضىٰ اللَّه ميتة عبد بأرض ، جعل له إليها حاجة** » .

وهكذا رواه الترمذي في « **القدر** » ، من حديث سفيان الثوري ، به : ثم قال : حسن غريب ، ولا يعرف لمطر عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم غير هذا الحديث . وقد رواه أبو داود في « **المراسيل** » فاللَّه أعلم .

وقال الإمام أحمد (٨٨) : حدثنا إسماعيل ، حدثنا أيوب ، عن أبي المليح بن أسامة ، عن أبي عزة قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إذا أراد اللَّه قبض روح عبد بأرض جعل له فيها - أو قال : بها - حاجة** » .

وأبو عزة هذا هو : يسار[٢] بن عبد[٣] اللَّه ، ويقال : ابن عبد الهذلي . وأخرجه الترمذي من حديث إسماعيل [بن إبراهيم - وهو ابن عُلَيّة - وقال : صحيح .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن عصام الأصفهاني ، حدثنا المؤمل بن إسماعيل][٤] ، حدثنا عبيد اللَّه بن أبي حميد ، عن أبي المليح ، عن أبي عزة الهذلي قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إذا أراد اللَّه قبض عبد بأرض ، جعل له إليها حاجة ، فلم ينته حتىٰ يقدمها** » . ثم قرأ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **إن اللَّه عنده علم الساعة وينزل الغيث ، ويعلم ما في الأرحام ، وماتدري نفس ماذا تكسب غدًا وما تدري نفس بأي أرض تموت ، إن اللَّه عليم خبير** ﴾ .

(حديث آخر) ، قال الحافظ أبو بكر البزار (٨٩) : حدثنا أحمد بن ثابت الجَحْدَري ومحمد ابن يحيىٰ القُطَعي قالا : حدثنا عُمَر بن علي ، حدثنا إسماعيل ، عن قيس ، عن عبد اللَّه قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إذا أراد اللَّه قبض عبد بأرض جعل له إليها حاجة** » . ثم قال البزار : وهذا الحديث لا نعلم أحدًا يرفعه إلا عُمَر بن علي المُقَدّمي .

وقال ابن أبي الدنيا(٩٠) : حدثني سليمان بن أبي مسيح قال : أنشدني محمد بن الحكم

---

(٨٨) - المسند (٤/٤٢٩) ، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧٨٠) والترمذي في القدر ، باب : ما جاء أن النفس تموت حيثما كتب لها ، حديث (٢١٤٧) من طريقين عن إسماعيل به .

(٨٩) - مسند البزار (١٨٩٩) ، وأخرجه ابن ماجة في الزهد ، باب ذكر الموت والاستعداد له ، حديث (٤٢٦٣) عن أحمد بن ثابت الجحدري وعمر بن شبة بن عبيدة قالا : ثنا عمر بن علي به .

(٩٠) - أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٩/١٠٠٥) (مخطوط) بسنده إلى ابن أبي الدنيا به .

---

[١] - في خ ، ز : « عكاس » .

[٢] - في ز : « بشار » .

[٣] - في ز : « عبيد » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

لأعشىٰ همدان :

فَمَا تَزَوّدَ مِمَّا كَانَ يَجْمَعُهُ سوىٰ حَنُوطٍ[١] غَدَاةَ البَيْنْ مَعْ خرَق
وَغَيْرَ[٢] نَفْحَةِ أَعْوَادٍ تُشَبّ لَهُ وَقَلّ ذَلِكَ مِنْ زَادٍ لمُنْطَلِق !
لاَ تَأْسَيَنَّ[٣] عَلَىٰ شَيء ، فَكُلّ فَتَى إِلَىٰ مَنِيّته سَيَّارٌ في عَنَق[٤]
وكُلّ مَنْ ظَنّ أَنَ الموتَ يُخْطئُه مُعَلَّلٌ بأَعَاليل مِن الحَمَق
بأَيّمَا بَلْدةٍ تُقْدَرْ منيَّتُهُ إنْ لا يُسَيَّرْ إليَها طَائعًا يُسَق

أورده[٥] الحافظ ابن عساكر - رحمه اللّٰه - في ترجمة عبد الرحمن بن عبد اللّٰه بن الحارث ، وهو أعشىٰ هَمْدَان ، وكان الشعبي زوج أخته ، وهو مُزَوّج بأخت الشعبي أيضًا ، وقد كان ممن طلب العلم وتَفَقه ، ثم عدل إلىٰ صناعة الشعر[٦] فعُرف به .

وقد رواه ابن ماجة عن أحمد بن ثابت وعُمَر بن شَبّة[٧] ، كلاهما عن عمر بن علي[٨] مرفوعًا : « **إذا كان أجل أحدكم بأرض [أتت له][٩] إليها حاجة ، فإذا بلغ أقصىٰ أثره[١٠] قبضه الله - عز وجل - فتقول الأرض يوم القيامة رب[١١] ؛ هذا ما أودعتني** » .

قال الطبراني (٩١) : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن أيوب ، عن أبي المليح ، عن أسامة أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **ما جعل اللّٰه منية عبد بأرض ، إلاّ جعل له إليها حاجة** » .

آخر تفسير سورة لقمان ، والحمد لله رب العالمين ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

☆ ☆ ☆

(٩١) - تقدم بسنده ومتنه في (٨٦) .

[١] - في ز : « حنوطًا » .
[٢] - في خ ، ز : « و » .
[٣] - في ز : « تَيْأَسَنّ » .
[٤] - في ز : « غَسَق » .
[٥] - في ز : « أورد » .
[٦] - سقط من : خ ، و .
[٧] - في ز : « شيبة » .
[٨] - في خ ، ز : « عكرمة » .
[٩] - ما بين المعكوفتين في م : « أوثبته » .
[١٠] - في خ : « أمره » .
[١١] - سقط من : ز .

تفسير سورة [الم][١] السجدة

وهي مكية

قال البخاري(١) في « **كتاب الجمعة** » : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا سفيان ، عن سعد بن إبراهيم ، عن عبد الرحمن بن هُرمز الأعرج ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : كان النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يقرأ في الفجر يوم الجمعة : ﴿ **الم . تنزيل** ﴾ السجدة ، و ﴿ **هل أتىٰ علىٰ الإنسان** ﴾ . ورواه مسلم أيضًا من حديث سفيان الثوري ، به[٢] .

وقال الإمام أحمد (٢) : حدثنا أسود بن عامر ، أخبرنا الحسن بن صالح ، عن ليث ، عن أبي الزبير ، عن جابر ؛ **قال : كان النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، لاينام حتىٰ يقرأ** : ﴿**الم . تنزيل** ﴾ السجدة ، و﴿ **تبارك الذي بيده الملك** ﴾ . تفرد به أحمد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ

(١) - صحيح البخاري برقم (٨٩١) ، صحيح مسلم برقم (٨٨٠) .

(٢) المسند (٣/٣٤٠) . وإسناده ضعيف من أجل الليث بن أبي سليم . ورواه الترمذي في فضائل القرآن ، باب : ما جاء في فضل سورة الملك (١٥٢/٥) حديث ٢٨٩٢ . وقال أبو عيسى : هذا حديث رواه غير واحد عن ليث بن أبي سليم مثل هذا ، ورواه مغيرة بن مسلم عن أبي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو هذا . وروى زهير قال : قلت لأبي الزبير : سمعت من جابر .... فذكر هذا الحديث ؟ فقال أبو الزبير : أخبرنيه صفوان - أو ابن صفوان - وكأن زهيراً أنكر أن يكون هذا الحديث عن أبي الزبير عن جابر .
وقال الترمذي : وحدثنا هناد ، ثنا أبو الأحوص ، عن ليث ، عن أبي الزبير ، عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، نحوه . ورواه الترمذي أيضاً من حديث ليث في الدعوات ، باب : في قراءة سورة الكافرون ، حديث ٣٤٠٤. وقال الترمذي : وهكذا روى الثوري وغير واحد هذا الحديث عن ليث عن أبي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، نحوه . ورواه عبد بن حميد من طريق ليث حديث ١٠٤٠.
ورواه الدارمي من حديث ليث في كتاب فضائل القرآن ، باب : فضل سورة تنزيل ﴿ السجدة ﴾ ﴿وتبارك ﴾ (٣٢٧/٢) رقم ٣٤١٤. والبخاري في الأدب المفرد من حديث ليث حديث ١٢٠٩. ورواه النسائي من حديث المغيرة بن مسلم أبي سلمة السراج أخي عبد العزيز بن مسلم القسملي عن أبي الزبير عن جابر ، حديث ٧٠٦. والبخاري في الأدب المفرد حديث ١٢٠٧. ورواه النسائي في الكبرى في كتاب عمل اليوم والليلة من طرق عن أبي الزبير عن جابر ، به (١٧٨/٦) رقم ١٠٥٤٢ من حديث مغيرة عن أبي الزبير ، وحديث ١٠٥٤٣ من حديث الحسن بن صالح عن ليث عن أبي الزبير ، وحديث ١٠٥٤٥ من حديث زهير عن ليث عن أبي الزبير عن جابر . وحديث ١٠٥٤٤ من حديث زهير عن ليث عن أبي الزبير وفيه : ليس جابر حدثنيه ولكن صفوان أو أبو صفوان .

[١] - سقط من ت .   [٢] - سقط من : ز ، خ .

ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أول « **سورة البقرة** » بما أغنىٰ عن إعادته .

وقوله : ﴿ **تنزيل الكتاب لا ريب فيه** ﴾ أي : لا شك فيه ولا مرية أنه نزل ﴿ **من رب العالمين** ﴾ .

ثم قال مخبرًا عن المشركين : ﴿ **أم يقولون افتراه** ﴾ ، [ ][١] أي : اختلقه من تلقاء نفسه ، ﴿ **بل هو الحق من ربك لتنذر قومًا ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون** ﴾ ، أي : يتبعون الحق .

ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾

يخبر تعالىٰ أنه الخالق للأشياء ، فخلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، ثم استوىٰ علىٰ العرش ، وقد تقدم الكلام علىٰ ذلك .

﴿ **ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع** ﴾ ، أي : بل هو المالك لأزمة الأمور ، الخالق لكل شيء ، المدبر لكل شيء ، القاهر[٢] علىٰ كل شيء ، فلا ولي لخلقه سواه ، ولا شفيع إلا من بعد إذنه .

﴿ **أفلا تتذكرون** ﴾ ، يعني : أيها العابدون غيره ، المتوكلون علىٰ من عداه ، تعالىٰ وتقدس وتنزه أن يكون له نظير أو شريك أو نديد ، أو وزير أو عديل ، لا إله إلا هو ، ولا رب سواه .

وقد أورد النسائي هاهنا حديثًا(٣) فقال : حدثنا إبراهيم بن يعقوب ، حدثني محمد بن

(٣) النسائي في السنن الكبرى برقم (١١٣٩٢) .

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : بل يقولون افتراه .

[٢] - في ت : « القادر » .

الصباح ، حدثنا أبو عبيدة الحداد ، حدثنا الأخضر بن عجلان ، عن ابن جريج المكي ، عن عطاء ، عن أبي هريرة : أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ،أخذ بيدي فقال : « **إن الله خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، ثم استوىٰ علىٰ العرش في اليوم السابع ، فخلق التربة يوم السبت ، والجبال يوم الأحد ، والشجر يوم الإثنين ، والمكروه يوم الثلاثاء ، والنور يوم الأربعاء ، والدواب يوم الخميس ، وآدم يوم الجمعة في آخر ساعة من النهار بعد العصر ، وخلقه من أديم الأرض ، بأحمرها وأسودها ، وطيبها وخبيثها ، من أجل [ذلك جعل][١] الله من بني[٢] آدم [الخبيث والطيب]** » .

هكذا أورد هذا الحديث إسنادًا ومتنًا . وقد أخرج مسلم والنسائي أيضًا(٤) من حديث الحجاج ابن محمد الأعور ، عن ابن جُرَيج ، عن إسماعيل بن أمية ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله ابن رافع ، عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، بنحو من هذا السياق .

وقد علله البخاري في كتاب « **التاريخ الكبير** »(٥) فقال : وقال بعضهم : أبو هريرة عن كعب الأحبار - وهو أصح . وكذا علله غير واحد من الحفاظ ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **يدبر الأمر من السماء إلىٰ الأرض ثم يعرج إليه** ﴾ ، أي : يتنزل أمره من أعلىٰ السماوات إلىٰ أقصىٰ تخوم الأرض السابعة ، [كما][٣] قال الله تعالىٰ : ﴿ **الله الذي خلق سبع سمٰوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله علىٰ كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا** ﴾ وترفع الأعمال إلىٰ ديوانها فوق سماء الدنيا ، ومسافة ما بينها وبين الأرض مسيرة[٤] خمسمائة سنة ، وسمك السماء خمسمائة سنة .

وقال مجاهد ، وقتادة ، والضحاك : النزول من الملك في مسيرة خمسمائة عام ، وصعوده في مسيرة[٥] خمسمائة عام ، ولكنه يقطعها في طرفة عين ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون** ﴾ .

﴿ **ذلك عالم الغيب والشهادة** ﴾ ، أي : المدبر لهذه الأمور ، الذي هو شهيد علىٰ أعمال عباده ، يرفع إليه جليلها وحقيرها ، وصغيرها وكبيرها - هو ﴿ **العزيز** ﴾ الذي قد عَزّ كل شيء

(٤) صحيح مسلم برقم (٢٧٨٩) ، والنسائي في السنن الكبرى برقم (١١٠١٠) .

(٥) - التاريخ الكبير للبخاري (٤١٣/١ ، ٤١٤) وممن أعله من الحفاظ ابن المديني كما نقل ذلك البيهقي في الأسماء والصفات ص (٢٧٥) ، وقد رد ذلك الشيخ ناصر الألباني في صحيحته برقم (١٨٣٣) ، والحديث يحتاج إلى بحث ، والله أعلم .

[١] - ما بين المعكوفتين مكرر في ز ، خ .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من ز ، خ .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ز ، خ : « مسافة » .

فقهره وغلبه ، ودانت له العباد والرقاب ، ﴿ **الرحيم** ﴾ بعباده المؤمنين فهو عزيز في رحمته ، رحيم في عزته .

ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾

يقول تعالى : إنه الذي أحسن خلق الأشياء ، وأتبتها[١] وأحكمها .

وقال مالك : عن زيد بن أسلم : ﴿ **الذي أحسن كل شيء خلقه** ﴾ ، قال : « **أحسن خلق كل شيء** » . كأنه جعله من المقدم والمؤخر .

ثم لما ذكر خلق السماوات والأرض[٢] ، شرع في ذكر خلق الإنسان فقال : ﴿ **وبدأ خلق الإنسان من طين** ﴾ ، يعني : خَلْق أبي[٣] البشر آدم من طين ﴿ **ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين** ﴾ أي : يتناسلون كذلك من نطفة تخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة : ﴿ **ثم سواه** ﴾ ، يعني : آدم ، لما خلق[٤] من تراب خلقه سويًّا مستقيمًا ، ﴿ **ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة** ﴾ ، يعني : العقول ، ﴿ **قليلًا ما تشكرون** ﴾ أي : بهذه القوى التي رزقكموها الله - عز وجل - فالسعيد من استعملها في طاعة ربه عز وجل .

وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن المشركين في استبعادهم المعاد حيث قالوا : ﴿ **أئذا ضللنا في الأرض** ﴾ ، أي : تمزقت أجسامنا ، وتفرقت في أجزاء الأرض وذهبت ، ﴿ **أئنا لفي خلق جديد** ﴾ ؟ أي : أئنا لنعُود بعد تلك الحال ؟ ! يستبعدون [تلك الحال][٥] ، وهذا إنما هو بعيد بالنسبة إلىٰ قُدَرهم العاجزة ، لا بالنسبة إلىٰ قُدْرة الذي بدأهم وخلقهم من العدم ، الذي إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له : كن فيكون ، ولهذا قال : ﴿ **بل هم بلقاء ربهم**

---

[١] - في ت : « أتقنها » .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ت : « أبا » .
[٤] - في ت : « خلقه » .
[٥] - مابين المعكوفتين في ت :« ذلك » .

كافرون ﴾ .

ثم قال : ﴿ **قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم** ﴾ ، الظاهر من هذه الآية أن ملك الموت شخص معين من الملائكة ، كما هو المتبادر من حديث البراء المتقدم ذكره في « **سورة إبراهيم** » ، وقد سمّي في بعض الآثار بعزرائيل ، وهو المشهور ؛ قاله قتادة وغير واحد ، وله أعوان . وهكذا ورد في الحديث أن أعوانه ينتزعون الأرواح من سائر الجسد ، حتىٰ إذا بلغت الحلقوم تناولها ملك الموت .

قال مجاهد : حوِيت له الأرض فجعلت له مثل الطست ، يتناول منها حيث يشاء .

ورواه زهير بن محمد عن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، بنحوه مرسلًا ، وقاله ابن عباس رضي اللّٰه عنهما .

وقال ابن أبي حاتم(٦) : حدثنا أبي ، حدثنا يحيىٰ بن أبي يحيىٰ المقري ، حدثنا عمرو[١] بن شَمِر[٢] [عن جعفر بن محمد][٣] قال : سمعت أبي يقول : نظر رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، إلىٰ ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار ، فقال له النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **يا ملك الموت ، ارفق بصاحبي فإنه مؤمن . فقال مَلَك الموت : يا محمد ، طبْ نفسًا ، وقرّ عينًا ، فإني بكل مؤمن رفيق ، واعلم أن ما في الأرض بيت مَدَر ولا شَعَر، في بر ولا بحر ، إلا وأنا أتصفحه في كل يوم خمس مرات ، حتىٰ إني أعرَفُ بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم ، واللّٰه يا محمد ، لو أني أردت أن أقبض روح بعوضة ما قَدَرتُ علىٰ ذلك حتىٰ يكون اللّٰه هو الآمر بقبضها** » .

قال[٤] جعفر : بلغني أنه[٥] إنما يتصفحهم عند مواقيت الصلاة ، فإذا حضرهم عند الموت فإن[٦] كان ممن يحافظ علىٰ الصلاة دنا منه المَلَك ، ودفع عنه الشيطان ، ولقنه المَلَك : « **لا إله**

(٦) ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢٠/٤) ، والبزار في مسنده برقم (٧٨٤) « كشف الأستار » من طريق إسماعيل بن أبان ، عن عمرو ابن شمر الجعفى ، عن جعفر بن محمد عن أبيه ، عن الحارث بن الخزرج عن أبيه ، أنه سمع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فذكر نحوه ، فأسنده ولم يرسله ، ذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة وقال : « عمرو بن شِمر متروك الحديث » .

[١] – في ت : « عمر » وهو تحريف .

[٢] – في خ ، ز سمرة . وهو تحريف . وانظر ترجمته في اللسان [٤٢٢/٤] .

[٣] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٤] – سقط من : ز ، خ . [٥] – سقط من : ز ، خ .

[٦] – سقط من : خ .

إلا الله ، محمد رسول الله » في تلك الحال العظيمة .

وقال عبد الرزاق(٧) : حدثنا محمد بن مسلم ، عن إبراهيم بن ميسرة ؛ قال : سمعت مجاهدًا يقول : ما علىٰ ظهر الأرض من بيت شعر أو مدر إلا وملك الموت يطيف[١] به كل يوم مرتين .

وقال كعب الأحبار : والله ما من بيت فيه أحد من أهل الدنيا إلا وملك الموت [يطيف به كل يوم مرتين][٢] يقوم علىٰ بابه كل يوم سبع مرات ، ينظر هل فيه أحد أمر أن يتوفاه . رواه ابن أبي حاتم .

وقوله : ﴿ **ثم إلى ربكم ترجعون** ﴾ أي : يوم معادكم وقيامكم من قبوركم لجزائكم .

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَـَٔاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

يخبر تعالى عن حال المشركين يوم القيامة وقالهم حين عاينوا البعث ، وقاموا بين يدي الله حقيرين ذليلين ﴿ **ناكسو** [٣] **رءوسهم** ﴾ أي : من الحياء والخجل ، يقولون : ﴿ **ربنا أبصرنا وسمعنا** ﴾ ، أي : نحن الآن نسمع قولك ، ونطيع أمرك ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا** ﴾ . وكذلك يعودون علىٰ أنفسهم بالملامة إذا دخلوا النار بقولهم : ﴿ **لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير** ﴾ . وهكذا هؤلاء يقولون : ﴿ **ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا** ﴾ ، أي : إلىٰ الدار الدنيا ، ﴿ **نعمل صالحاً إنا موقنون** ﴾ ، أي : قد أيقنا وتحققنا أن وعدك حق ولقاءك حق ، وقد علم الرب تعالىٰ منهم أنه لو أعادهم إلىٰ الدار الدنيا لكانوا كما كانوا فيها كفارًا ، يكذبون آيات الله ويخالفون رسله ؛ كما قال : ﴿ **ولو ترىٰ إذ وقفوا علىٰ النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذبَ بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون**

(٧) تفسير الطبري (٢١/٦٣) .

[١] - في ت : « يطوف » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

[٣] - في ت : « ناكسي » .

من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين ﴾ . وقال هاهنا : ﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ﴾ كما قال تعالىٰ : ﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعًا ﴾ .

﴿ ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ ، أي : من الصنفين ، فدارهم النار لا محيد لهم عنها ، ولا محيص لهم منها ، نعوذ بالله وكلماته التامة من ذلك .

﴿ فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا ﴾ ، أي : يقال لأهل النار -علىٰ سبيل التقريع والتوبيخ- : ذوقوا العذاب بسبب تكذيبكم به ، واستبعادكم وقوعه ، وتناسيكم له ، إذ عاملتموه معاملة من هو ناس له ، ﴿ إنا نسيناكم ﴾ ، أي : سنعاملكم معاملة الناسي ، لأنه تعالىٰ [لا ينسىٰ شيئًا ، و][١]لا يضل عنه شيء ، بل من باب المقابلة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ اليوم[٢] ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ﴾ .

وقوله : ﴿ وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون ﴾ ، أي : بسبب [كفرهم وتكذيبهم][٣] ، كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ لا يذوقون فيها بردًا ولا شرابًا * إلا حميمًا وغساقًا * جزاء وفاقًا * إنهم كانوا لا يرجون حسابًا * وكذبوا بآياتنا كذابًا * وكل شيء أحصيناه كتابًا * فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابًا ﴾ .

إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ إنما يؤمن بآياتنا ﴾ ، أي : إنما يصدق بها ﴿ الذين إذا ذكروا بها خروا سجدًا ﴾ ، أي : استمعوا لها وأطاعوها قولًا وفعلًا ، ﴿ وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون ﴾ عن اتباعها والانقياد لها ، كما يفعله الجهلة من الكفرة الفجرة ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾ .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ تتجافىٰ جنوبهم عن المضاجع ﴾ ، يعني بذلك قيام الليل ، [وترك النوم والاضطجاع علىٰ الفرش الوطيئة . قال مجاهد والحسن في قوله تعالىٰ ﴿ تتجافىٰ جنوبهم ﴾

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « فاليوم » .

[٣] - في ت : « كفركم وتكذيبكم » .

يعني بذلك : قيام الليل][١] . وعن أنس ، وعكرمة ، ومحمد بن المنكدر ، وأبي حازم ، وقتادة : هو الصلاة بين العشاءين . وعن أنس أيضًا : هو انتظار صلاة العتمة . رواه ابن جرير بإسناد جيد .

وقال الضحاك : هو صلاة العشاء في جماعة ، وصلاة الغداة في جماعة .

﴿ يدعون ربهم خوفًا وطمعًا ﴾ ، أي : خوفًا من وبال عقابه ، وطمعًا في جزيل ثوابه . ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ ، فيجمعون بين فعل القربات اللازمة والمتعدية ، ومقدم هؤلاء ، وسيدهم ، وفخرهم في الدنيا والآخرة رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، كما قال عبد اللّٰه بن رواحة - رضي اللّٰه عنه - :

وَفينا رَسُولُ اللّٰه يَتْلُو كِتَابَه إذَا انشَقّ مَعْرُوفٌ مِنَ الصُّبح سَاطعُ[٢]
[أرَانا الهُدَىٰ بَعْدَ العَمَىٰ ، فَقُلُوبُنَا به مُوقنَاتٌ أنَّ مَا قَالَ واقعُ][٣]
يَبيتُ يُجَافي جَنْبه عَنْ فرَاشه إذَا اسْتَثْقَلَتْ بالْمُشْركين المَضَاجعُ

وقال الإمام أحمد (٨) : حدثنا روح وعفان قالا : حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا عطاء بن السائب ، عن مُرّة الهمداني ، عن ابن مسعود ، عن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال : « عجب ربنا من رجلين : رجل ثار من وِطَائه ولحافه ، من بين أهله وحيِّه إلىٰ صلاته ، [فيقول ربنا : أيا ملائكتي ، انظروا إلىٰ عبدي ، ثار من فراشه ووطائه ، ومن بين حيه وأهله إلىٰ صلاته][٤] ، رغبةً فيما عندي ، وشفقة مما عندي . ورجل غزا في سبيل اللّٰه - عز وجل - فانهزموا ، فعلم ما عليه من الفرار ، وما له في الرجوع ، فرجع حتىٰ أهريق دمه ، رغبة فيما عندي ، وشفقة مما عندي . فيقول اللّٰه - عز وجل - للملائكة : انظروا إلىٰ عبدي رجع رغبة فيما عندي ، ورهبة مما عندي ، حتىٰ أهريق دمه » . وهكذا رواه أبو داود في الجهاد ، عن موسىٰ بن إسماعيل ، عن حماد بن سلمة ، به بنحوه .

وقال الإمام أحمد (٩) : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن أبي وائل ، عن معاذ بن جبل قال : كنت مع النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، في سفر ، فأصبحت يومًا قريبًا منه ، ونحن نسير ، فقلت : يا رسول[٥] اللّٰه ، أخبرني بعمل يدخلني الجنة

(٨) المسند (٤١٦/١) ، وسنن أبي داود برقم (٥٢٣٦) .
(٩) المسند (٢٣١/٥) وأخرجه الترمذي في كتاب الإيمان ، باب : ما جاء في حرمة الصلاة (٥/ ١١، ١٢/ رقم: ٢٦١٦) . وقال : هذا حديث حسن صحيح . والنسائي في الكبرى في كتاب التفسير ، باب : قوله=

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ز : « صاطع » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٥] - في ت : « نبي » .

ويباعدني من النار . قال : « **لقد سألت عن عظيم ، وإنه ليسير علىٰ من يسره اللّٰه عليه : تعبد اللّٰه ولا تشرك به شيئًا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت . ثم قال : ألا أدلك علىٰ أبواب الخير ؟ الصوم جنة ، والصدقة تطفئ الخطيئة ، وصلاة الرجل في[١] جوف الليل** - ثم قرأ : ﴿ **تتجافىٰ جنوبهم عن المضاجع** ﴾ ، حتىٰ بلغ ﴿ **يعملون** ﴾ . ثم قال - : **ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟** » فقلت : بلىٰ ، يا رسول اللّٰه . فقال : « **رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سَنامه الجهادُ في سبيل اللّٰه** » ثم قال : « **ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟** » فقلت : بلىٰ ، يا نبي اللّٰه ، فأخذ بلسانه ثم قال : « **كُفّ عليك هذا** » ، فقلت : يا رسول اللّٰه ، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ، فقال : « **ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يكب الناسَ في النار علىٰ وجوههم - أو قال : علىٰ[٢] مناخرهم - إلا حصائدُ ألسنتهم** » .

رواه الترمذي ، والنسائي ، وابن ماجة في سننهم ، من طرق عن معمر ، به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

[وقد][٣]رواه ابن جرير(١٠) من حديث شعبة عن الحكم ؛ قال : سمعت عروة بن النزال يحدث عن معاذ بن جبل : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال له[٤] : « **ألا أدلك علىٰ أبواب الخير : الصوم جنة ، والصدقة تكفر الخطيئة ، وقيام العبد في جوف الليل** » وتلا هذه الآية : ﴿ **تتجافىٰ جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفًا وطمعًا ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ .

ورواه أيضًا من حديث الثوري(١١) ، عن منصور بن المعتمر ، عن الحكم ، عن ميمون بن أبي شبيب ، عن معاذ ، عن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، بنحوه ، ومن حديث الأعمش ، عن [حبيب ابن أبي ثابت][٥] ، والحكم ، عن ميمون بن أبي شبيب ، عن معاذ مرفوعًا بنحوه .

ومن حديث حماد بن سلمة ، عن عاصم بن أبي النَّجُود ، عن شهر ، عن معاذ بن جبل ، عن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، في قوله تعالىٰ : ﴿ **تتجافىٰ جنوبهم عن المضاجع** ﴾ ، قال : « **قيام العبد من الليل** » .

= تعالى : ﴿**تتجافى جنوبهم عن المضاجع**﴾ (٦/ ٤٢٨/ : ١١٣٩٤). وابن ماجة في كتاب الفتن ، باب : كف اللسان في الفتنة (٢/ ١٣١٤، ١٣١٥/ رقم : ٣٩٧٣).

(١٠) تفسير الطبري (٢١/٦٤) .

(١١) تفسير الطبري (٢١/٦٤ ، ٦٥) .

---

[١] - في ز ، خ : « من » . [٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ت : « و » . [٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « أبي حبيب ابن ثابت » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان الواسطي ، حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا فِطْر ابن خليفة ، عن حبيب بن أبي ثابت ، والحكم ، وحكيم بن جبير ، عن ميمون بن أبي شبيب ، عن معاذ بن جبل قال : كنت مع النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، في غزوة تبوك فقال : « **إن شئت أنبأتك بأبواب الخير : الصوم جنة ، والصدقة تطفئ الخطيئة ، وقيام الرجل في جوف الليل** » ثم تلا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : ﴿ **تتجافىٰ جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفًا وطمعًا ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ » .

ثم قال : حدثنا أبي(١٢) ، حدثنا سويد بن سعيد ، حدثنا علي بن مسهر ، عن عبد الرحمن ابن إسحاق ، عن شهر بن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد قالت : قال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إذا جمع اللّٰه الأولين والآخرين يوم القيامة ، جاء مناد فنادىٰ بصوت يُسمعُ الخلائق : سيعلم أهل الجمع اليوم مَن أولىٰ بالكرم . ثم يرجع فينادي : ليقم الذين كانت ﴿ تتجافىٰ جنوبهم عن المضاجع ...﴾** الآية ، **فيقومون وهم قليل** » .

وقال البزار (١٣) : حدثنا عبد اللّٰه بن شبيب ، حدثنا الوليد بن عطاء بن الأغر ، حدثنا عبد الحميد ابن سليمان ، حدثني مصعب ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه قال : قال بلال لما نزلت هذه الآية : ﴿ **تتجافىٰ جنوبهم عن المضاجع** ﴾ ، كنا نجلس في المجلس ، وناس من أصحاب رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، يصلون بعد المغرب إلىٰ العشاء ، فنزلت هذه الآية : ﴿ **تتجافىٰ جنوبهم عن المضاجع** ﴾ .

ثم قال لا نعلم روىٰ أسلم عن بلال سواه ، وليس له طريق عن بلال غير هذه الطريق .

وقوله : ﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون** ﴾ ، أي : فلا يعلم أحد عظمة ما أخفىٰ اللّٰه لهم في الجنات من النعيم المقيم ، واللذات التىٰ لم يطلع علىٰ مثلها أحد ، لمّا أخفوا أعمالهم أخفىٰ اللّٰه لهم من الثواب ، جزاء وفاقًا ، فإن الجزاء من جنس العمل .

قال الحسن : أخفىٰ قوم عملهم[١] فأخفىٰ اللّٰه لهم ما لم تر عين ، ولا[٢] يخطر علىٰ قلب بشر . رواه ابن أبي حاتم .

---

(١٢) ورواه إسحاق بن راهويه في مسنده ، وأبو يعلى في المسند الكبير كما في المطالب العالية (٣٧٣/٤) من حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنها .

(١٣) « كشف الأستار » (٢٢٥٠) ، وقال الهيثمي في المجمع (٩٠/٧) : « فيه عبد الله بن شبيب وهو ضعيف » .

---

[١] - سقط من : ز ، خ . [٢] - في ت : « ولم » .

قال البخاري [(١٤)] : قوله : ﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ...**﴾ الآية ، حدثنا عليّ ابن عبد اللَّه ، حدثنا سفيان ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - عن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « **قال اللَّه تعالىٰ : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر علىٰ قلب بشر** » . قال أبو هريرة : فاقرءوا إن شئتم : ﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين** ﴾ .

قال : وحدثنا سفيان ، حدثنا أبو الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة قال : قال اللَّه تعالى ...[مثله][١] . قيل لسفيان : رواية ؟ قال : فَأَيُّ شيء ؟ !

ورواه مسلم والترمذي من حديث سفيان بن عيينة ، به ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

ثم قال البخاري[(١٥)] : حدثنا إسحاق بن نصر ، حدثنا أبو أسامة ، عن الأعمش ، [عن أبي][٢] صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **يقول اللَّه تعالىٰ : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر علىٰ قلب بشر ، ذُخرًا من بَله ما اطلعتم عليه . ثم قرأ : ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾** » .

قال أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح : قرأ أبو هريرة : (قرّات أعين) . انفرد به البخاري من هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد[(١٦)] : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن اللَّه تعالىٰ قال : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر علىٰ قلب بشر** » .

أخرجاه في الصحيحين من رواية عبد الرزاق ، ورواه الترمذي[(١٧)] في التفسير ، وابن جرير ، من حديث عبد الرحيم بن سليمان ، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بمثله . ثم قال الترمذي : هذا حديث

(١٤) صحيح البخاري برقم (٤٧٧٩) ، وصحيح مسلم برقم (٢٨٢٤) ، وسنن الترمذي برقم (٣١٩٧) .
(١٥) صحيح البخاري برقم (٤٧٨٠) وفي البخاري « رواية أبي معاوية » بعد الحديث المتقدم .
(١٦) المسند (٢/٣١٣) ، وصحيح البخاري برقم (٨٤٩٨) من طريق عبد الله عن معمر به ، ولم أجده في الصحيحين من رواية عبد الرزاق .
(١٧) سنن الترمذي برقم (٣٢٩٢) ، وتفسير الطبري (٢١/٦٦) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ت : « حدثنا أبو » .

حسن صحيح .

وقال حماد بن سلمة ، عن ثابت بن أبي رافع ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه ، قال حماد : أحسبه - عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **من يدخل الجنة ينعم لا ييأس ، لا تبلىٰ ثيابه ، ولا يفنىٰ شبابه في الجنة ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر علىٰ قلب بشر** ». رواه مسلم[١] من حديث حماد بن سلمة به (١٨) .

وقال[٢] الإمام أحمد(١٩) : حدثنا هارون ، حدثنا ابن وهب ، حدثني أبو صخر ، أن أبا حازم حدثه قال : سمعت سهل بن سعد الساعدي - رضي الله عنه - يقول : شهدت من رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم ، مجلسًا وصف فيه الجنة ، حتىٰ انتهىٰ ، ثم قال في آخر حديثه : « **فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر علىٰ قلب بشر** » ، ثم اقترأ[٣][٤] هذه الآية : ﴿ **تتجافىٰ جنوبهم عن المضاجع** ﴾ ، إلىٰ قوله : ﴿ **يعملون** ﴾ . وأخرجه مسلم في صحيحه عن هارون ابن معروف ، وهارون بن سعيد ، كليهما[٥] عن ابن وهب به .

وقال ابن جرير(٢٠) : حدثني العباس بن أبي طالب ، حدثنا معلىٰ بن أسد ، حدثنا سلّام بن أبي مطيع ، عن قتادة ، عن عقبة بن عبد الغافر ، عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يروي عن ربه عز وجل ، قال : « **أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر علىٰ قلب بشر** » لم يخرجوه .

وقال مسلم أيضًا في صحيحه(٢١) : حدثنا ابن أبي عمر وغيره ، حدثنا سفيان ، حدثنا[٦] مُطَرِّف ابن طريف ، وعبد الملك بن سعيد ، سمعا الشعبي يخبر عن المغيرة بن شعبة قال : سمعته[٧] علىٰ المنبر - يرفعه إلىٰ النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم - قال : « **سأل موسىٰ عليه السلام ربه عز وجل : ما أدنىٰ أهل الجنة منزلة ؟ قال : هو رجل يجيء بعد ما أدخل أهل**

---

(١٨) صحيح مسلم برقم (٢٨٣٦) .

(١٩) المسند (٥/٣٣٤) ، وصحيح مسلم برقم (٢٨٢٥) .

(٢٠) تفسير الطبري (٢١/٦٧) .

(٢١) صحيح مسلم برقم (١٨٩) ، وسنن الترمذي برقم (٣١٩٨) .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ت : « وروى » .

[٣] - في ت : « قرأ » .

[٤] - اقترأ القرآنَ والكتاب: قرأه.

[٥] - في ز ، خ : « كلاهما » .

[٦] - في خ ، ز : « بن » ويبدوا أنها كانت « عن » فتحرفت من الناسخ إلى « ابن » .

[٧] - في ز ، خ : « سمعت » .

الجنة الجنة ، فيقال له : ادخل الجنة . فيقول : أي رب ، كيف وقد نزل الناس منازلهم ، وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل مُلْك مَلِكٍ من ملوك الدنيا ؟ فيقول : رضيت رب . فيقول : لك ذلك ، ومثله ، ومثله ، ومثله ، ومثله ، فقال في الخامسة : رضيت رب[١] . فيقول : هذا لك وعشرةُ أمثاله ، ولك ما اشتهت نفسك ، ولَذت عينك . فيقول : رضيت رب . قال : رب ، فأعلاهم منزلة ؟ قال : أولئك الذين أَرَدتُ ، غَرَسْتُ كرامتهم بيدي ، وختمت عليها ، فلم تر عين ، ولم تسمع أذن ، ولم يخطر على قلب بشر ، قال : ومصداقه من كتاب الله : ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون ﴾ » .

ورواه الترمذي عن ابن أبي عمر ، وقال : حسن صحيح ، قال : ورواه بعضهم عن الشعبي ، عن المغيرة ولم يرفعه ، والمرفوع أصح .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا جعفر[٢] بن منير المدائني ، حدثنا أبو بدر [ ][٣] شجاعُ بن الوليد ، حدثنا زياد بن[٤] خيثمة ، عن محمد بن جُحَادة ، عن عامر[٥] بن عبد الواحد قال : بلغني أن الرجل من أهل الجنة يمكث في مكانه سبعين سنة ، ثم[٦] يلتفت فإذا هو بامرأة أحسن مما كان فيه ، فتقول له : قد أنَى[٧] لك أن يكون لنا منك نصيب ؟ فيقول : من أنت ؟ فتقول : أنا من المَزِيد . فيمكث معها سبعين سنة ، ثم[٨] يلتفت فإذا هو بامرأة أحسن مما كان فيه ، [فتقول له][٩] : قد أنى لك أن يكون لنا[١٠] منك نصيب ، فيقول : من أنت ؟ فتقول : أنا التي[١١] قال الله : ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ﴾ .

وقال ابن لهيعة : حدثني عطاء بن دينار ، عن سعيد بن جُبَير قال : تدخل عليهم الملائكة في مقدار كل يوم من أيام الدنيا ثلاث مرات ، معهم التحف من الله من جنات عدن ما ليس في جناتهم ، وذلك قوله : ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ﴾ ، ويُخبرُون أن الله عنهم راضٍ .

وقال ابن جرير (٢٢) : حدثنا سهل بن موسى الرازي ، حدثنا الوليد بن مسلم ، عن صفوان

(٢٢) تفسير الطبري (٢١/٦٦) .

[١] - في ت : « ربي » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « بن » .
[٤] - في ز ، خ : « عن » .
[٥] - في خ ، ز : « عباس » .
[٦] - بياض في : ز ، خ .
[٧] - أنى : حان .
[٨] - في ز ، خ : « و » .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[١٠] - سقط من : ز .
[١١] - في ز ، خ : « الذي » .

بن عمرو ، عن أبي اليمان الهوزني - أو غيره - قال : الجنة مائة درجة ، أولها درجة فضة ، وأرضها فضة ، ومساكنها فضة ، [وآنيتها فضة][١] ، وترابها المسك . والثانية ذهب ، وأرضها ذهب ، ومساكنها ذهب ، وآنيتها ذهب ، وترابها المسك . والثالثة لؤلؤ ، وأرضها لؤلؤ ، ومساكنها اللؤلؤ ، وآنيتها اللؤلؤ ، وترابها المسك . وسبع وتسعون بعد ذلك ، ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . ثم تلا هذه الآية : ﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ، جزاءً بما كانوا يعملون** ﴾ .

وقال ابن جرير (٢٣) : حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا معتمر بن سليمان ، عن الحكم بن أبان ، عن الغطريف ، عن جابر بن زيد ، عن ابن عباس ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، عن الروح الأمين قال[٢] : « **يؤتى بحسنات العبد وسيئاته ، ينقص بعضها من بعض ، فإن بقيت حسنة واحدة[٣] وسع الله له في الجنة** » ، قال : فدخلت على « **يزداد[٤]** » فَحَدّثَ[٥] بمثل هذا الحديث ، قال : فقلت : فأين ذهبت الحسنة ؟ قال : ﴿ **أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون** ﴾ . قلت : قوله تعالى : ﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين** ﴾ ، قال : العبد يعمل سرًّا أسَرّه إلى الله ، لم يَعلم به الناس ، فأسَرّ الله له يوم القيامة قُرّة أعين[٦] .

أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾

يخبر تعالى عن عدله ، أنه لا يساوي في حُكمه يوم القيامة من كان مؤمنًا بآياته متبعًا

(٢٣) تفسير الطبري (٢١/٦٧) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : خ ، ز .
[٤] - هو يزداد - أو أزداد بن فساءة . له ترجمة في التقريب رقم (٣٠٠) .
[٥] - في ، ز ، خ : « فحدثت » .
[٦] - في ز ، خ : « عين » .

لرسله ، بمن كان فاسقًا ، أي : خارجًا عن طاعة ربه ، مكذبًا لرُسُله إليه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواءً محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ﴾ وقال تعالى : ﴿ لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون ﴾ ولهذا قال تعالى هاهنا : ﴿ أفمن كان مؤمنًا كمن كان فاسقًا لا يستوون ﴾ أي : عند الله يوم القيامة .

وقد ذكر عطاء بن يَسَار والسدي وغيرهما : أنها نزلت في علي بن أبي طالب ، وعقبة بن أبي مُعَيط . ولهذا فَصَّل حكمهم فقال : ﴿ أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ ، أي : صدقت قلوبهم بآيات الله وعملوا بمقتضاها ، وهي الصالحات ، ﴿ فلهم جنات المأوىٰ ﴾ ، أي : التي فيها المساكن والدور والغرف العالية ، ﴿ نزلًا ﴾ ، أي : ضيافة وكرامة ﴿ بما كانوا يعملون ﴾ ﴿ وأما الذين فسقوا ﴾ ، أي : خرجوا عن الطاعة ، ﴿ فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها ﴾ ، [كقوله : ﴿ كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها ... ﴾ الآية][١] قال الفُضَيل بن عياض : والله إن الأيدي لموثقة ، وإن الأرجل لمقيدة ، وإن اللهب ليرفعهم والملائكة تقمعهم .

﴿ وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ﴾ أي : يقال لهم ذلك[٢] تقريعًا وتوبيخًا .

وقوله : ﴿ ولنذيقنهم من العذاب الأدنىٰ دون العذاب الأكبر ﴾ ، قال ابن عباس : يعني بالعذاب الأدنىٰ مصائب الدنيا وأسقامها وآفاتها ، وما يحل بأهلها مما يبتلي الله به عباده ليتوبوا إليه . ورُوى مثله عن أبيّ بن كعب ، [وأبي العالية][٣] ، والحسن ، وإبراهيم النخَعي ، والضحاك ، وعلقمة ، وعطية ، ومجاهد ، وقتادة ، وعبد الكريم الجزَري ، وخصيف .

وقال ابن عباس في رواية عنه : يعني به إقامة الحدود عليهم .

وقال البراء بن عازب ، ومجاهد ، وأبو عبيدة : يعني به عذاب القبر .

وقال النسائي(٢٤) : أخبرنا عمرو بن علي ، أخبرنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص وأبي عبيدة ، عن عبد الله : ﴿ ولنذيقنهم من العذاب الأدنىٰ دون العذاب الأكبر ﴾ ، قال : سنون أصابتهم .

---

(٢٤) النسائي في السنن الكبرى برقم (١١٣٩٥) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز

وقال عبد اللَّه بن الإمام أحمد(٢٥) : حدثني عبيد[١] اللَّه بن عُمَر القواريري ، حدثنا يحيىٰ ابن سعيد ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن عَزْرَة[٢] ، عن الحسن العُرَني ، عن يحيىٰ بن الجزار ، عن ابن أبي ليلىٰ ، عن أبيّ بن كعب في هذه الآية : ﴿ **ولنذيقنهم من العذاب الأدنىٰ دون العذاب الأكبر** ﴾ ، قال : القمر[٣] والدخان قد مضيا ، والبطشة واللزام . ورواه مسلم من حديث شعبة به[٤] موقوفًا نحوه .

وعند البخاري(٢٦) عن ابن مسعود ، [نحوه .

وقال عبد اللَّه بن مسعود][٥] أيضًا في رواية عنه : العذاب الأدنىٰ : ما أصابهم من القتل والسبي يوم بدر . وكذا قال مالك ، عن زيد بن أسلم .

قال السدي وغيره : لم يبق بيت بمكة إلا دخله الحزن علىٰ قتيل لهم أو أسير ، فأصيبوا أو غرموا[٦] ، ومنهم من جمع له الأمران .

وقوله : ﴿ **ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها** ﴾، أي: لا أظلم ممن[٧] ذَكَّرَه اللَّه بآياته ، وبينها له ووضحها ، ثم بعد ذلك تركها وجحدها وأعرض عنها وتناساها ، كأنه لا يعرفها .

قال قتادة - رحمه اللَّه - : إياكم والإِعراضَ عن ذكر اللَّه ! فإن من أعرض عن ذكره فقد اغتر أكبر الغرّة ، وأعوز أشد العَوَز ، وعظم من أعظم الذنوب .

ولهذا قال تعالى متهددًا لمن فعل ذلك :﴿ **إنا من المجرمين منتقمون** ﴾ أي : سأنتقم ممن فعل ذلك[٨] أشد الانتقام .

[قال] ابن جرير (٢٧) : حدثني عمران بن بكار الكلاعي ، حدثنا محمد بن المبارك ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، حدثنا عبد العزيز بن عبيد اللَّه ، عن عبادة بن نُسَيّ ، عن جنادة بن

(٢٥) زوائد المسند (١٢٨/٥) . وأخرجه مسلم في كتاب صفات النافقين وأحكامهم ، باب : نزول أهل الجنة (٤/ ٢١٥٧، ٢١٥٨/ رقم: ٢٧٩٩) من طرق عن غندر ، عن شعبة به . وأخرجه الحاكم في مستدركه (٤٢٧/٤ - ٤٢٨) من طريق شعبة ، عن قتادة به . وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(٢٦) صحيح البخاري برقم (٤٨٢٠) ولفظه : « مضي خمس : الدخان والروم والقمر والبطشة واللزام » .

(٢٧) تفسير الطبري (٦٩/٢١) .

[١] - في ز ، خ : « عبد » .
[٢] - في خ ، ز : « عروة » .
[٣] - في خ ، ز : « الضمار » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٦] - في ز ، خ : « هزموا » .
[٧] - في ز ، خ : « من » .
[٨] - سقط من : ز ، خ .

أبي أمية ، عن معاذ بن جبل قال : سمعت رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يقول[١] : « **ثلاث من فعلهن فقد أجرم ، من عقد لواءً في غير حق ، أو عق والديه ، أو مشىٰ مع ظالم ينصره ، فقد أجرم** » يقول الله تعالىٰ : ﴿ **إنا من المجرمين منتقمون** ﴾ » . ورواه ابن أبي حاتم من حديث إسماعيل بن عياش ، به[٢] ، هذا حديث غريب جدًّا .

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾

يقول تعالى مخبرًا عن عبده ورسوله موسى - عليه السلام - إنه أتاه الكتاب ، وهو التوراة .

وقوله : ﴿ **فلا تكن في مرية من لقائه** ﴾ ، قال قتادة : يعني به ليلة الإسراء . ثم روىٰ عن أبي العالية الرّياحي قال : حدثني ابن عم نبيكم - يعني ابن عباس - قال : قال رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم(٢٨) - : « **أريتُ ليلة أسري بي موسىٰ بن عمران ، رجلًا آدم[٣] طوالًا ، جعدًا، كأنه من رجال شنوءة ، ورأيت عيسى رجلًا مربوع الخلق ، إلىٰ الحمرة والبياض ، سبط الرأس ، ورأيت مالكًا خازن النار والدجال** » ، في آيات أراهن الله إياه ، ﴿ **فلا تكن في مرية من لقائه** ﴾ ، أنه قد رأىٰ موسىٰ ، ولقي موسىٰ ليلة أسري به .

وقال الطبراني (٢٩) : حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا الحسن بن علي الحلواني ، حدثنا روح بن عبادة ، حدثنا سعيد بن أبي عَرُوبة ، عن قتادة ، عن أبي العالية ، عن ابن عباس عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، في قوله : ﴿ **وجعلناه هدىً لبني إسرائيل** ﴾ ، قال : « **جُعل موسىٰ هُدىً لبني إسرائيل** » ، وفي قوله : ﴿ **فلا تكن في مرية من لقائه** ﴾ ، قال : « **من لقاء موسىٰ ربه عز وجل** » .

وقوله : ﴿ **وجعلناه** ﴾ ، أي : الكتاب الذي آتيناه موسى[٤] ﴿ **هُدىً لبني إسرائيل** ﴾ ، [كما قال تعالىٰ في سورة الإسراء : ﴿ **وآتينا موسىٰ الكتاب وجعلناه هدًى لبني إسرائيل**][٥] **أن لا تتخذوا من دوني وكيلًا** ﴾ وقوله : ﴿ **وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا**

(٢٨) - انظر تفسير الآية الأولى من سورة الإسراء وقد تقدم تخريجه هناك .

(٢٩) المعجم الكبير للطبراني (١٢/١٦٠) ، وقال الهيثمي في المجمع (٧/٩٠) : « رجاله رجال الصحيح » .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ت .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

بآياتنا يوقنون ﴾ ، أي : لما كانوا صابرين علىٰ أوامر اللَّه ، وترك زواجره ، وتصديق رسله ، واتباعهم فيما جاءوهم به - كان منهم أئمة يهدون إلىٰ الحق بأمر اللَّه ، ويدعون إلىٰ الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر . ثم لما بدلوا وحرّفوا وأوّلوا ، سلبوا ذلك المقام ، وصارت قلوبهم قاسية ، يحرفون الكلم عن مواضعه ، فلا عمل [صالحًا ، ولا اعتقاد صحيحًا][١]. ولهذا قال : [**﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا ﴾**][٢] قال قتادة وسفيان : لما صبروا عن الدنيا . وكذلك قال الحسن بن صالح .

قال سفيان : هكذا كان هؤلاء ، ولا[٣] ينبغي للرجل أن يكون [ ][٤] إمامًا يُقتَدى به حتىٰ يتحامىٰ عن الدنيا .

قال وكيع : قال سفيان : لابد للدين من العلم ، كما لابد للجسد من الخبز[٥] .

وقال ابن بنت الشافعي [قال][٦]: قرأ أبي علىٰ عمي - أو عمي علىٰ أبي - سئل سفيان عن قول عليّ - رضي اللَّه عنه - : الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، ألم تسمع قوله : **﴿ [وجعلنا منهم][٧] أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا ﴾** ، قال : لما أخذوا برأس الأمر صاروا رءوسًا .

[قال بعض العلماء : بالصبر واليقين تُنَالُ الإمامة في الدين ؛ ولهذا قال تعالىٰ][٨] : **﴿ ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم علىٰ العالمين وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم ﴾** كما قال هنا : **﴿ إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾** ، أي : من الاعتقادات والأعمال .

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « صحيحًا ولا اعتقاد صالحًا » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب » .
[٣] - سقط من : خ ، ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « له » .
[٥] - في ز ، خ : « الخير » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « وجعلناهم » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾

يقول تعالىٰ : أو لم يهد لهؤلاء المكذبين بالرسل ما أهلك الله قبلهم من الأمم الماضية ، بتكذيبهم بالرسل[١] ، ومخالفتهم إياهم فيما جاءوهم به من قويم[٢] السبل ، فلم يبق منهم باقية ولا عين ولا أثر ؟ ﴿ **هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزًا** ﴾ ؟ . ولهذا قال : ﴿ **يمشون في مساكنهم** ﴾ ، أي : وهؤلاء المكذبون يمشون في مساكن أولئك المكذبين ، فلا يرون فيها أحدًا ممن كان يسكنها ويعمُرها ، ذهبوا منها ﴿ **كأن لم يغنوا فيها** ﴾ كما قال : ﴿ **فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا** ﴾ وقال : ﴿ **فكأين من قرية أهلكناها**[٣] **وهي ظالمة فهي خاوية علىٰ عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد * أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمىٰ الأبصار ولكن تعمىٰ القلوب التي في الصدور** ﴾ ولهذا قال هاهنا : ﴿ **إن في ذلك لآيات** ﴾ ، أي : إن[٤] في ذهاب أولئك القوم ، ودَمَارهم وما حل بهم بسبب تكذيبهم الرسل ، ونجاة من آمن بهم - لآيات [وعبرًا ومواعظ][٥] ، ودلائل متظاهرة[٦] .

﴿ **أفلا يسمعون** ﴾ أي : أخبار من تقدم ، كيف كان أمرهم ؟ .

وقوله : ﴿ **أو لم يروا أنا نسوق الماء إلىٰ الأرض الجرز** ﴾ ، يبين تعالىٰ لطفه بخلقه ، وإحسانه إليهم في إرساله الماء ، إما من السماء أو من السيح ، وهو[٧] : ما تحمله الأنهار ويتحدر[٨] من الجبال ، إلىٰ الأراضي المحتاجة إليه في أوقاته ، ولهذا قال : ﴿ **إلىٰ الأرض الجرز** ﴾ ، وهي : التي لا نبات فيها ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإنا لجاعلون ما عليها صعيدًا جُرُزًا** ﴾ ، أي : يَبَسًا لا تنبت شيئًا . وليس المراد من قوله : ﴿ **إلىٰ الأرض الجرز** ﴾ ، أرض مصر فقط ، بل هي بعض المقصود ، وإن مثل بها كثير من المفسرين فليست المقصودة وحدها ، ولكنها مرادة قطعًا من هذه الآية ، فإنها في نفسها أرض رخوة غليظة ، تحتاج من الماء ما لو نزل عليها مطرًا لتهدمت أبنيتها ، فيسوق الله إليها النيل بما يتحمله من الزيادة الحاصلة من أمطار بلاد الحبشة ، وفيه طين أحمر ، فيغشىٰ أرض مصر ، وهي أرض سبخة مرملة ، محتاجة إلىٰ ذلك الماء ، وذلك الطين أيضًا ؛ لينبُتَ الزرعُ فيه ، فيستغلون كل سنة علىٰ ماء جديد ممطور في غير بلادهم ، وطين جديد من غير أرضهم ، فسبحان الحكيم الكريم المنان ، المحمود ابتداء .

---

[١] - في ت : « الرسل » . [٢] - في ز ، خ : « تبريم » .
[٣] - في ز : « أهلكتها » وهي قراءة أبي عمرو ، ورواها أبو بكر عن عاصم .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « عبرة وموعظة » .[٦] - في خ : « متناظرة » .
[٧] - سقط من : خ ، ز . [٨] - في ت : « ينحلر » .

قال ابن لهيعة ، عن قيس بن حجاج ، عمن حدثه قال : لما فُتحت مصر ، أتىٰ أهلها عمرو ابن العاص حين دخل بئونة - من أشهر العجم - فقالوا : أيها الأمير ، إن لنيلنا سُنَّة لا يجري إلا بها ، قال : وما ذاك ؟ قالوا : إذا كانت ثنتا عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عَمَدنا إلىٰ جارية بكْر بين أبويها ، فأرضينا أبويها ، وجعلنا عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون ، ثم ألقيناها في هذا النيل . فقال لهم عمرو : إن هذا ما لا يكون في الإسلام ، إن الإسلام يهدم ما كان قبله . فأقاموا بئونة والنيل لا يجري ، حتىٰ هموا بالجلاء ، فكتب عمرو إلىٰ عمر بن الخطاب بذلك ، فكتب إليه : إنك قد أصبت بالذي فعلت ، وقد بعثت إليك ببطاقة داخل كتابي هذا ، فألقها في النيل . فلما قدم كتابه ، أخذ عمرو البطاقة ففتحها فإذا فيها : من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلىٰ نيل أهل مصر ، أما بعد ، فإنك إن كنت إنما تجري من قبلك فلا تجر ، وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك؛ فنسأل الله أن يجريك. قال: فألقىٰ البطاقة في النيل، وأصبحوا يوم السبت وقد أجرىٰ الله النيل ستة عشر ذراعًا في ليلة واحدة ، وقطع الله تلك السُّنَّة عن أهل مصر إلىٰ اليوم . رواه الحافظ أبو القاسم اللالكائي الطبري في كتاب « **السنة** » له (٣٠) .

ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **أو لم يروا أنا نسوق الماء إلىٰ الأرض الجرز فنخرج به زرعًا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون** ﴾ ؟ كما قال تعالىٰ : ﴿ **فلينظر الإنسان إلىٰ طعامه . أنا صببنا الماء صبًا ثم شققنا الأرض شقًّا فأنبتنا فيها حبًّا وعنبًا وقضبًا وزيتونًا ونخلًا وحدائق غلبًا وفاكهة وأبًّا متاعًا لكم ولأنعامكم** ﴾ ولهذا قال هاهنا : ﴿ **أفلا يبصرون**[١] ﴾ .

وقال ابن أبي نجيح ، عن رجل ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **إلىٰ الأرض الجرز** ﴾ ، قال : هي التي لا تُمطَر إلا مطرًا لا يغني عنها شيئًا ، إلا ما يأتيها من السيول .

وعن ابن عباس ومجاهد : هي أرض باليمن . وقال الحسن - رحمه الله - : هي قرى فيما بين اليمن والشام .

وقال عكرمة ، والضحاك ، وقتادة ، والسدي ، وابن زيد : الأرض الجرز التي لا نبات فيها وهي[٢] مغبرة .

قلت : وهذا كقوله : ﴿ **وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبًّا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون . ليأكلوا من ثمره وما عملته**

(٣٠) كتاب السنة للالكائي برقم (٦٦) « قسم كرامات الأولياء » : حدثنا محمد بن أبي بكر ، حدثنا محمد بن مخلد ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثنا عبد الله بن صالح ، عن ابن لهيعة به ، وهو مرسل .

[١] - في ز ، خ : « تبصرون » . [٢] - سقط من ز ، خ .

أيديهم أفلا يشكرون ﴾ .

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن استعجال الكفار وقوع بأس اللَّه بهم، وحلول[١] غضبه ونقمته عليهم، استبعادًا وتكذيبًا وعنادًا ﴿ **ويقولون متىٰ هذا الفتح** ﴾ ؟ ، أي : متىٰ تنصر علينا يا محمد ؟ كما تزعم أن لك وقتًا تُدَال[٢] علينا ، ويُنتقم لك منا ، فمتىٰ يكون هذا ؟ ما نراك أنت وأصحابك إلا مختفين خائفين ذليلين ! قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **قل يوم الفتح** ﴾ ، أي : إذا حَل بكم بأس اللَّه وسَخَطه وغضبه في الدنيا وفي الأخرىٰ ، ﴿ **لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون** ﴾ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون . فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا باللَّه وحده وكفرنا بما كنا به مشركين . فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة اللَّه التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون** ﴾ .

ومن زعم أن المراد من هذا الفتح فتحُ مكة فقد أبعد النّجعة ، وأخطأ فأفحش ، فإن يوم الفتح قد قَبل رسولُ اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، إسلام الطلقاء ، وقد كانوا قريبًا من ألفين ، ولو كان المراد فتحَ مكة لما قبل إسلامهم ، لقوله : ﴿ **قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون** ﴾ ، وإنما المراد الفتح الذي هو القضاء والفصل ؛ كقوله تعالىٰ : ﴿ **فافتح بيني وبينهم فتحًا ونجني ومن معي من المؤمنين** ﴾ وكقوله : ﴿ **قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد** ﴾ ، وقال : ﴿ **وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا** ﴾ وقال : ﴿ **إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون** ﴾ ، أي : أعرض عن هؤلاء المشركين وبلغ ما أنزل إليك من ربك ، كقوله : ﴿ **اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين** ﴾ وانتظر، فإن اللّه سينجز لك ما وعدك وسينصرك على من خالفك، إنه لا يخلف الميعاد .

وقوله : ﴿ **إنهم منتظرون** ﴾ ، أي : أنت منتظر، وهم منتظرون ، ويتربصون بكم الدوائر ،

---

[١] - في خ : « وطول » . [٢] - في ز ، خ : « يدال » .

﴿ **أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون** ﴾ ، وسترىٰ أنت عاقبة صبرك عليهم، وعلىٰ أداء رسالة اللّٰه ، في نصرتك وتأييدك ، وسيجدون غبّ ما ينتظرونه فيك وفي أصحابك ، من وبيل عقاب اللّٰه لهم ، وحلول عذابه بهم ، وحسبنا اللّٰه ونعم الوكيل .

☆ ☆ ☆

تفسير سورة الأحزاب

وهي مدنية

[قال عبد الله بن الإمام أحمد(١)][١] : حدثنا خلف بن هشام ، حدثنا حماد بن زيد ، عن عاصم بن بهدلة ، عن زرّ قال : قال لي أبيّ بن كعب : كَأيِّن[٢] تقرأ[٣] سورة الأحزاب ؟ أو كَأيِّن[٤] تعدها[٥] ؟ قال : قلت : ثلاثًا وسبعين آية . فقال : قَط ! لقد رأيتها وإنها لتعادل « سورة البقرة » ، ولقد قرأنا فيها: « **الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة ، نكالًا من الله . والله عليم حكيم** » .

ورواه النسائي من وجه آخر ، عن عاصم - وهو ابن أبي النجود ، وهو ابن بهدلة - به . وهذا إسناد حسن ، وهو يقتضي أنه قد[٦] كان فيها قرآن ثم نسخ لفظه وحكمه أيضًا ، والله أعلم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٢) وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا (٣)

هذا تنبيه بالأعلىٰ علىٰ الأدنىٰ ، فإنه تعالىٰ إذا كان يأمر عبده ورسوله بهذا فَلأن يأتمر من دونه بذلك بطريق الأولىٰ والأحرىٰ . وقد قال طلق بن حبيب : التقوىٰ أن تعمل بطاعة

(١) - المسند (١٣٢/٥) (٢١٢٨٧)، وأخرجه أيضًا (١٣٢/٥) (٢١٢٨٦) ، والنسائي في الكبرى ، كتاب الرجم ، باب : نسخ الجلد عن الثيب ، حديث (٧١٥٠) . وأخرجه الحاكم أيضًا في المستدرك (٢/ ٤١٥) و(٤/ ٣٥٩) . من طرق ، عن عاصم ، عن زر به . ورواه ابن حبان كما في الإحسان (٣٠١/٦ - ٣٠٢) حديث ٤٤١١ . عن عبد الله بن محمد الأزدي عن إسحاق بن إبراهيم - بنحوه - عن النضر ابن شميل عن حماد بن سلمة ، عن عاصم .

[١] - ما بين المعكوفتين في خ : « قال الإمام أحمد إنما قاله عبد الله بن أحمد » ويبدوا أن عبارة «إنما قاله عبد الله بن أحمد »يبدوا أنها كانت لبعض المعلقين على الكتاب فأدخلها الناسخ سهوًا في صلب الكتاب .

[٢] - في خ ، ز : « كان » .

[٣] - في ز ، خ : « يقرأ » .

[٤] - في خ ، ز : « كان » .

[٥] - في ز : « يعدها » .

[٦] - سقط من : ت .

اللَّه، علىٰ نور من اللَّه، ترجو ثواب اللَّه، وأن تترك معصية اللَّه، علىٰ نور من اللَّه [لله][١]، مخافة عذاب اللَّه .

وقوله : ﴿ **ولا تطع الكافرين والمنافقين** ﴾، أي : لا تسمع منهم ولا تستشرهم[٢]، ﴿ **إن اللَّه كان عليمًا حكيمًا** ﴾ ، أي : فهو أحق أن تتبع أوامره وتطيعه ، فإنه عليم بعواقب الأمور ، حكيم في أقواله وأفعاله ، ولهذا قال : ﴿ **واتبع ما يوحىٰ إليك من ربك** ﴾ ، أي : من قرآن وسنة ، ﴿ **إن اللَّه كان بما تعملون خبيرًا** ﴾ ، أي : فلا تخفىٰ عليه خافية . ﴿ **وتوكل علىٰ اللَّه** ﴾ ، أي : في جميع أمورك وأحوالك ، ﴿ **وكفىٰ باللَّه وكيلًا** ﴾ أي : وكفىٰ به وكيلًا لمن توكل عليه وأناب إليه .

مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾

يقول تعالىٰ موطئًا قبل المقصود المعنوي أمرًا حسيًّا معروفًا ، وهو أنه كما لا يكون للشخص الواحد قلبان في جوفه ، ولا تصير زوجته التي يظاهر منها بقوله : أنت عَلَيَّ كظهر أمي - أمًّا له ، كذلك لا يصير الدّعيّ ولدًا للرجل إذا تبنّاه فدعاه ابنًا له ، فقال : ﴿ **ما جعل اللَّه لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم** ﴾ ، كقوله : ﴿ **ماهن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم وإنهم ليقولون منكرًا من القول وزورًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وما جعل أدعياءكم أبناءكم** ﴾ ، هذا هو المقصود بالنفي ، فإنها نزلت في شأن زيد بن حارثة مولىٰ النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، كان النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قد تبناه قبل النبوة ، وكان يقال له : « **زيد بن محمد** » ، فأراد اللَّه تعالىٰ أن يقطع هذا الإلحاق وهذه النسبة بقوله : ﴿ **وما جعل أدعياءكم أبناءكم** ﴾ ، كما قال في أثناء السورة : ﴿ **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول اللَّه وخاتم النبيين وكان اللَّه بكل شيء عليمًا** ﴾ . وقال هاهنا : ﴿ **ذلكم قولكم بأفواهكم** ﴾ ، يعني تبنيكم لهم قول لا يقتضي أن يكون ابنًا حقيقيًّا ، فإنه مخلوق من صلب رجل آخر ، فما يمكن أن يكون له أبوان ، كما لا يمكن أن

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من ت . [٢] - في ز ، خ : « تستشيرهم » .

يكون للبشر الواحد قلبان .

﴿ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ﴾ ، قال سعيد بن جبير : ﴿ يقول الحق ﴾ ، أي : العدل . وقال قتادة : ﴿ وهو يهدي السبيل ﴾ ، أي : الصراط المستقيم .

وقد ذكر غير واحد : أن هذه الآية نزلت في رجل من قريش ، كان يقال له : « ذو القلبين » ، وأنه كان يزعم أن له قلبين ، كل منهما بعقل وافر . فأنزل الله هذه الآية ردًّا عليه . هكذا روىٰ العَوفي عن ابن عباس . وقاله مجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة . واختاره ابن جرير .

وقال الإمام أحمد(٢) : حدثنا حسن ، حدثنا زهير ، عن قابوس - يعني : ابن أبي ظبيان - أن أباه حدثه قال : قلت لابن عباس : أرأيت قول الله تعالىٰ : ﴿ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ﴾ ، ما عنى بذلك ؟ قال : قام رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يومًا يصلي ، فخَطَر خَطْرَة[١] . فقال المنافقون الذين يصلون معه : ألا ترون له قلبين ، قلبًا معكم وقلبًا معهم ؟ فأنزل الله عز وجل : ﴿ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ﴾ .

وهكذا رواه الترمذي عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، عن صاعد الحراني - [و][٢] عن عبد بن حميد ، عن أحمد بن يونس - كليهما[٣] عن زهير - وهو ابن معاوية - به ، ثم قال : وهذا حديث حسن . وكذا رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم من حديث زهير ، به .

وقال عبد الرزاق (٣) : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، في قوله : ﴿ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ﴾ ، قال : بلغنا أن ذلك كان في زيد بن حارثة ، ضُرب له مثل ، يقول : ليس ابن رجل آخر ابنك .

وكذا قال مجاهد ، وقتادة ، وابن زيد : إنها نزلت في زيد بن حارثة . وهذا يوافق ما قدمناه من التفسير ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ﴾ ، هذا أمر ناسخ لما كان في ابتداء الإسلام من جواز ادعاء الأبناء الأجانب ، وهم الأدعياء ، فأمر تعالىٰ برد نسبهم إلىٰ آبائهم في الحقيقة ، وأن هذا هو العدل والقسط .

(٢) - المسند (١/٢٦٧) ، وأخرجه الترمذي في تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الأحزاب ، حديث (٣١٩٩) وابن خزيمة (٨٦٥) من طريق قابوس به .

(٣) - تفسير عبد الرزاق (٢/١١١) ، ومن طريقه أخرجه ابن جرير .

[١] - أي وُسوس .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - في ز : « كلاهما » .

قال البخاري(٤) - رحمه الله - : حدثنا مُعَلىٰ بن أسد ، حدثنا عبد العزيز بن المختار ، حدثنا موسىٰ بن عقبة قال : حدثني سالم ، عن عبد الله بن عمر : أن زيد بن حارثة مولىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، ما كُنَّا ندعوه إلا زيد بن محمد ، حتىٰ نزل القرآن : ﴿ **ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله** ﴾ وأخرجه مسلم والترمذي والنسائي من طرق عن موسى بن عقبة ، به .

وقد كانوا يعاملونهم معاملة الأبناء من[١] كل وجه ، في الخلوة بالمحارم وغير ذلك ؛ ولهذا قالت سهلة بنت سهيل امرأة أبي حذيفة : يا رسول الله ؛ [إنا][٢] كنا ندعو سالمًا ابنًا ، وإن الله قد أنزل ما أنزل ، وإنه كان يدخل عَلَيّ ، وإني أجد في نفس أبي حذيفة من ذلك شيئًا[٣] ، فقال صلىٰ الله عليه وسلم : « **أرضعيه تحرمي عليه** ...» . الحديث(٥) .

ولهذا لما نسخ هذا الحكم ، أباح تعالىٰ زوجة الدعيّ ، وتزوج رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، بزينب بنت جحش زوجة زيد بن حارثة (٦) ، وقال : ﴿ **لكيلا يكون علىٰ المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرًا** ﴾ ، وقال في آية التحريم : ﴿ **وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم** ﴾ احترازًا عن زوجة الدّعيّ ، فإنه ليس من الصلب ، فأما الابن من الرضاعة فمنزل بمنزلة[٤] ابن الصلب شرعًا ، بقوله - عليه السلام - في الصحيحين (٧) : « **حرموا من الرضاعة ما يحرم من النسب** » .

---

(٤) - صحيح البخاري في التفسير ، باب : ﴿ أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ﴾ حديث (٤٧٨٢) ، وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة حديث (٢٤٢٥) والترمذي في تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الأحزاب ، حديث (٣٢٠٩) وفي المناقب ، باب : مناقب زيد بن حارثة رضي الله عنه ، حديث (٣٨١٤) والنسائي في التفسير (٤١٦) من طريق موسى بن عقبة به .

(٥) - أخرجه مسلم في الرضاع ، حديث (١٤٥٣/٢٧) من طريق القاسم عن عائشة ، وأصل الحديث عند البخاري في المغازي : حديث (٤٠٠٠) وفي النكاح ، باب : الأكفاء في الدين ، حديث (٥٠٨٨) من طريق عروة عن عائشة .

(٦) - أحاديث زواج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زينب بنت جحش كثيرة ، وانظر تاريخ دمشق (١/ ١٣٧، ١٤٤ - السيرة) .

(٧) - الحديث في المسند (٦/٧٢) بلفظ : « حرموا من الرضاعة ما تحرموا من الولادة » من طريق ابي بكر بن صخير عن عروة عن عائشة به مرفوعًا ، والحديث عند البخارى في النكاح حديث (٥٠٩٩) ، ومسلم في الرضاع حديث (١٤٤٤) بلفظ : « إن الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة » . وفي لفظ لمسلم : « يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة » .

---

[١] - في ز ، خ : « في » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .
[٣] - سقط من : خ ، ز .
[٤] - في ت : « منزلة » .

فأما دعوة الغير ابنًا علىٰ سبيل التكريم والتحبيب ، فليس مما نهي عنه في هذه الآية ، بدليل ما رواه الإمام أحمد وأهل السنن إلا الترمذي ، من حديث سفيان الثوري (٨) ، عن سلمة ابن كهيل ، عن الحسن العُرَني ، عن ابن عباس - رضي اللّٰه عنهما - قال : قدمنا علىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، أغيلمة بني عبد المطلب علىٰ حُمُرَات لنا من جَمْع . فجعل يلطخ أفخاذنا ويقول : « **أُبَيْنِيَّ[١] لا ترموا الجمر حتى تطلع الشمس** » .

قال أبو عبيد وغيره : « **أُبَيْنِيّ[٢] : تصغير ابني[٣]** » . وهذا ظاهر الدلالة ، فإنّ هذا كان في حجة الوداع سنة عشر .

وقوله : ﴿ **ادعوهم لآبائهم** ﴾ في شأن زيد بن حارثة ، وقد قتل في يوم مؤتة سنة ثمان ، وأيضًا ففي صحيح مسلم(٩) ، من حديث أبي عوانة الوضاح بن عبد اللّٰه اليشكري، [عن الجعد][٤] أبي عثمان البصري ، عن أنس بن مالك رضي اللّٰه عنه ، قال : قال لي رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **يا بني** » . ورواه أبو داود والترمذي .

وقوله : ﴿ **فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم** ﴾ ، أمر تعالىٰ برد أنساب الأدعياء إلىٰ آبائهم ، إن عرفوا ، فإن لم يعرفوا آباءهم فهم إخوانهم في الدين ومواليهم ، أي : عوضًا عما فاتهم من النسب ؛ ولهذا قال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، يوم خرج من مكة عام عُمرة القضاء ، وتبعتهم ابنة حمزة تنادي : يا عم ، يا عم . فأخذها عليّ وقال لفاطمة : دونَك ابنةَ عَمّك [فاحتمليها . فاختصم][٥] فيها عليّ ، وزيد ، وجعفر في أيّهم يكفلها ، فكل أدلىٰ بحجته ، فقال عليّ : أنا أحق بها وهي ابنة عمي . وقال زيد : ابنة أخي . وقال جعفر بن أبي طالب : ابنة عمي ، وخالتها تحتي - يعني أسماء بنت عميس - فقضىٰ النبيّ ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، لخالتها ، وقال : « **الخالة بمنزلة الأم** » . وقال لعليّ : « **أنت**

---

(٨) - أخرجه أحمد (١/٢٣٤، ٣١١، ٣٤٣) ، وأبو داود في المناسك ، باب : التعجيل من جمع ، حديث (١٩٤٠) ، والنسائي في الحج ، باب : النهي عن رمي جمرة العقبة قبل طلوع الشمس (٥/٢٧٠، ٢٧) وابن ماجة في الحج ، باب : من تقدم من جمع إلى منى ، حديث (٣٠٢٥) من طريق سفيان به . والحديث أخرجه الحميدي (٤٦٥) ، وأحمد (١/٢٣٤) من طريق مسعر وسفيان عن سلمة به .

(٩) - صحيح مسلم ، كتاب الآداب ، حديث (٢١٥١) ، وأخرجه أحمد (٣/٢٨٥) وأبو داود في الأدب ، باب : في الرجل يقول لابن غيره : يا بنى ، حديث (٤٩٦٤) والترمذى في الأدب ، باب : ما جاء في يابنى، حديث (٢٨٣١) من طرق عن أبى عوانه به .

---

[١] - في ز : « ابني » . [٢] - في ز : « ابني » .

[٣] - في ز : « ابني » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في خ، ز : « الجعدي » .

[٥] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « فاحتملتها واختصم » .

مني ، وأنا منك » . وقال لجعفر : « **أشبهت خَلْقي وخُلُقي** » . وقال لزيد : « **أنت أخونا ومولانا** »[١٠] .

ففي هذا الحديث أحكام كثيرة من أحسنها أنه عليه الصلاة والسلام حكم بالحق ، وأرضىٰ كلًّا من المتنازعين ، وقال لزيد : « **أنت أخونا ومولانا** » ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فإخوانكم في الدين ومواليكم** ﴾ .

وقال ابن جرير[١١] : حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن علية ، عن عيينة بن عبد الرحمن ، عن أبيه قال : قال أبو بكرة : قال اللّٰه عز وجل : ﴿ **ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند اللّٰه فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم** ﴾ ، فأنا ممن لا يعرف أبوه ، وأنا من إخوانكم في الدين . قال أبي : واللّٰه ، إني لأظنه لو علم أن أباه كان حمارًا لانتمىٰ إليه .

وقد جاء في الحديث : « **من ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر** »[١٢] .

وهذا تشديد وتهديد ، ووعيد أكيد ، في التبري من النسب المعلوم ؛ ولهذا قال : ﴿ **ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند اللّٰه ، فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به** ﴾ أي : إذا نسبتم بعضهم إلىٰ غير أبيه في الحقيقة خطأً ، بعد الاجتهاد واستفراغ الوسع ، فإن اللّٰه قد وضع الحرج في الخطأ ورفع إثمه ، كما أرشد إليه في قوله آمرًا عباده أن يقولوا : ﴿ **ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا** ﴾ .

وثبت في صحيح مسلم[١٣] أن رسول اللّٰه ، صلى اللّٰه عليه وسلم ، قال : « **قال اللّٰه : قد فعلت** » .

وفي صحيح البخاري[١٤] ، عن عمرو بن العاص قال : قال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه

---

(١٠) - أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الصلح ، باب : كيف يكتب «هذا ما صالح فلان بن فلان ...» حديث (٢٦٩٩) ، وفي المغازي ، باب : عمرة القضاء ، حديث (٤٢٥١) ، والترمذي في البر والصلة ، باب : ما جاء في بر الخالة ، حديث (١٩٠٤) ، وفي المناقب حديث (٣٧١٦) ، (٣٧٦٥) من طريق أبي إسحاق عن البراء بن عازب .

(١١) - تفسير الطبرى (١٢١/٢١) .

(١٢) - رواه البخاري ، في كتاب المناب ، حديث (٣٥٠٨) بمعناه . وطرفه (٦٠٤٥)

(١٣) - صحيح مسلم حديث (١٢٦) ..

(١٤) - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب : أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ، حديث (٧٣٥٢) ولفظه : « إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر » والحديث أخرجه أيضاً مسلم في الأقضية حديث (١٧١٦) من طريق أبي قيس مولى عمرو بن العاص عن عمرو به مثل لفظ البخاري . وقد تقدم تخريج الحديث في سورة الأنبياء الآية (٧٩) .

وسلم : « **إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر** ».

وفي الحديث الآخر : « **إن الله رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما يكرهون عليه** »(١٥) .

وقال هاهنا : ﴿ **وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورًا رحيمًا** ﴾. أي: وإنما الإثم علىٰ من تعمد[١] الباطل كما قال تعالىٰ : ﴿ **لايؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم** ﴾ .

وفي الحديث المتقدم(١٦) : « **من ادّعي إلىٰ غير أبيه ، وهو يعلمه ، إلا كفر** » . وفي القرآن المنسوخ : « **فإن كفرًا بكم أن ترغبوا عن آبائكم** » .

قال الإمام أحمد(١٧) : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن الزهريّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن ابن عباس ، عن عمر أنه قال : بعث الله محمدًا ، صلىٰ الله عليه وسلم ، بالحق ، وأنزل معه الكتاب ، فكان فيما أنزل عليه آية الرجم ، فرجم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ورجمنا بعده ، ثم قال : قد كنا نقرأ : « **ولا ترغبوا عن آبائكم [فإنه كفر بكم – أو : إن كفرًا بكم – أن ترغبوا عن آبائكم** »][٢] . وإن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « **لا تطروني [كما أطري]**[٣] **عيسىٰ ابن مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا : عبده ورسوله** » . وربما قال معمر : « **كما أطرت النصارى ابن مريم** » .

ورواه في الحديث الآخر : « **ثلاث في الناس كفر : الطعن في النسب ، والنياحة علىٰ الميت ، والاستسقاء بالنجوم** » (١٨) .

﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ٦ ﴾

(١٥) – تقدم تخريجه في تفسير سورة الأعراف الآية (١٥٧) .

(١٦) – تقدم في رقم (١٢) .

(١٧) – المسند (١/٤٧) ، والحديث أخرجه البخارى في الحدود ، باب : رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت ، حديث (٦٨٣٠) مطولاً من طريق صالح بن كيسان عن الزهرى به .

(١٨) – (٥/٣٤٢) (٢٣٠١٠) ، وأخرجه مسلم في كتاب الجنائز ، باب : التشديد في النياحة (٢/ ٦٤٤/ رقم: ٩٣٤) . من حديث أبي مالك الأشعري مرفوعًا به .

[١] – في خ : « تعلم » .
[٢] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٣] – ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « كإطراء » .

قد علم اللَّه تعالىٰ شفقة رسوله ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، علىٰ أمته ، ونصحه لهم ، فجعله أولىٰ بهم من أنفسهم ، وحُكمه فيهم مُقَدّمًا علىٰ اختيارهم لأنفسهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتىٰ يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ، ويسلموا تسليمًا** ﴾ .

وفي الصحيح [١٩] : « **والذي نفسي بيده ، لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين** » .

وفي الصحيح[٢٠] أيضًا أن عمر - رضي اللَّه عنه - قال : يا رسول اللَّه ، واللَّه لأنت أحب إليّ من كل شيء [ ][١] إلا من نفسي . فقال : « **لا يا عمر ، حتىٰ أكون أحب إليك من نفسك** » . فقال : يا رسول اللَّه ، لأنت أحب إليّ من كل شيء حتىٰ من نفسي . فقال : «**الآن يا عمر** » . ولهذا قال تعالى في هذه الآية : ﴿ **النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم** ﴾ .

وقال البخاري[٢١] عندها : حدثنا إبراهيم بن المنذر ، حدثنا [محمد بن][٢] فُلَيح ، حدثنا أبي ، عن هلال بن عليّ ، عن عبد الرحمن بن أبي عَمْرَة ، عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - عن النبيّ ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « **ما من مؤمن إلا وأنا أولىٰ الناس به في الدنيا والآخرة ، اقرءوا إن شئتم : ﴿ النبيّ أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم ﴾ فأيما مؤمن ترك مالاً فليرثه عصبته من كانوا ، فإن ترك دينًا أو ضياعًا ، فليأتني فأنا مولاه** » . تفرد به البخاري .

ورواه أيضًا في « الاستقراض » ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، من طرق ، عن فليح ، به مثله .

ورواه الإمام أحمد[٢٢] ، من حديث أبي حصين، عن أبي صالح، عن أبي هريرة ، عن

---

(١٩) - صحيح البخارى في الإيمان ، باب : حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان ، حديث (١٤) من حديث أنس بلفظ « والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده » وأخرجه البخارى في الموضع السابق ، حديث (١٥) ، ومسلم في الإيمان حديث (٤٤) من حديث أنس نحوه .

(٢٠) - صحيح البخارى في الأيمان والنذور ، باب : كيف كانت يمين النبيى صلى الله عليه وسلم ، حديث (٦٦٣٢) من طريق أبي عقيل زهرة بن معبد عن جده عبدالله بن هشام به .

(٢١) - صحيح البخارى في التفسير ، حديث (٤٧٨١) ، وأخرجه أيضًا في الاستعراض ، باب الصلاة على من ترك ديناً ، حديث (٢٣٩٩) والطبرى ( ) من طريق فليح به .

(٢٢) - المسند (٣٥٦/٢) ، والحديث في صحيح البخارى ، كتاب الفرائض ، باب : ابنى عم أحدهما أخ للأم والآخر زوج ، حديث (٦٧٤٥) من طريق أبي حصين به أيضاً .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « والله » . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

وقال الإمام أحمد(٢٣) : حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهريّ في قوله تعالىٰ : ﴿**النبي أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم**﴾ عن أبي سلمة ، عن جابر بن عبد الله ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، كان يقول : « **أنا أولىٰ بكل مؤمن من نفسه ، فأيما رجل مات وترك دينًا فإليّ ، ومن ترك مالًا فلورثته** » . ورواه أبو داود عن أحمد بن حنبل به نحوه .

وقوله : ﴿ **وأزواجه أمهاتهم** ﴾ ، أي : في الحرمة والاحترام ، والإكرام والتوقير والإعظام ، ولكن لا تجوز الخلوة بهن ، ولا ينتشر التحريم إلىٰ بناتهن وأخواتهن بالإجماع ، وإن سمىٰ بعض العلماء بناتهن أخوات المؤمنين ، كما هو منصوص الشافعيّ في « المختصر » ، وهو من باب إطلاق العبارة لا إثبات الحكم . وهل يقال لمعاوية وأمثاله : خال المؤمنين ؟ فيه قولان للعلماء ، ونص الشافعيّ علىٰ أنه يقال ذلك . وهل يقال لهن : أمهات المؤمنات[١] ، فيدخل النساء في جمع المذكر السالم تغليبًا ؟ فيه قولان ، صح عن عائشة – رضي الله عنها – أنها[٢] قالت : لا يقال ذلك . وهذا أصح الوجهين في مذهب الشافعي رحمه الله .

وقد روي عن أبيّ بن كعب ، وابن عباس أنهما قرأا : (**النبيّ أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم**) . وروي نحو هذا عن معاوية ، ومجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وهو أحد الوجهين في مذهب الشافعيّ . حكاه البغويّ وغيره . واستأنسوا عليه بالحديث الذي رواه أبو داود(٢٤) :

حدثنا عبد الله بن محمد النفيليّ ، حدثنا ابن المبارك ، عن محمد بن عجلان ، عن القعقاع بن حكيم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعَلّمكم ، فإذا أتىٰ أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ، ولا يستطب بيمينه** » ، وكان يأمر بثلاثة أحجار وينهى عن الروث والرّمّة .

وأخرجه النسائي وابن ماجة من حديث ابن عجلان .

والوجه الثاني : أنه لا يقال ذلك، واحتجوا بقوله: ﴿ **ما كان محمد أبا أحد من**

(٢٣) – المسند (٢٩٦/٣) ، وعنه أبو داود في الخراج والإمارة والفيء ، حديث (٢٩٥٣) ، وأخرجه أبو داود في البيوع والإجارات ، باب : في التشديد في الدين ، حديث (٣٣٤٣) والنسائي في الجنائز ، باب : الصلاة على من عليه دين (٦٥/٤) من طريق عبدالرزاق به .

(٢٤) – سنن أبي داود في الطهارة ، باب : كراهية استقبال القبلة عند قضاء الحاجة ، حديث (٨) ، والنسائي في الطهارة ، باب : النهى عن الاستطابة بالروث (٣٨/١) ، وابن ماجه في الطهارة باب : الاستنجاء بالحجارة والنهى عن الروث والرمة ، حديث (٣١٣) من طريق ابن عجلان به .

[١] – في ز ، خ : « المؤمنين » . [٢] – سقط من : ز ، خ .

رجالكم ﴾ . وقوله : ﴿ وأولو الأرحام بعضهم أولىٰ ببعض في كتاب الله ﴾ ، أي : في حكم الله[١] ﴿ من المؤمنين والمهاجرين ﴾ ، أي : القرابات أولىٰ بالتوارث من المهاجرين والأنصار . وهذه ناسخة لما كان قبلها من التوارث بالحلف والمؤاخاة التي كانت بينهم ، كما قال ابن عباس وغيره : كان المهاجريّ يرث الأنصاريّ دون قراباته وذوي رحمه ، للأخوة التي آخىٰ بينهما رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم . وكذا قال سعيد بن جبير ، وغير واحد من السلف والخلف .

وقد أورد فيه ابن أبي حاتم حديثًا عن الزبير بن العوام - رضي الله عنه - فقال : حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن أبي بكر المصعبي - من ساكني بغداد - عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن الزبير بن العوام قال : أنزل الله - عز وجل - فينا خاصة - معشر قريش والأنصار - : ﴿ وأولو الأرحام بعضهم أولىٰ ببعض ﴾ ، وذلك أنّا - معشر قريش - لما قدمنا المدينة قَدمنا ولا أموال لنا ، فوجدنا الأنصار نعْمَ الإخوانُ ، فواخيناهم وورثناهم ، فواخىٰ أبو بكر خارجة بن زيد ، وآخىٰ عمر فلانًا ، وآخىٰ عثمان بن عفان رجلًا من بني زريق[٢] سعد الزرقي[٣] - ويقول بعض الناس غيره - قال الزبير : وواخيت أنا كعب بن مالك ، فجئته فابتعلته فوجدت السلاح قد ثقله فيما يرىٰ ، فوالله يابني[٤] ، لو مات يومئذ عن الدنيا ما ورثه غيري ، حتىٰ أنزل الله هذه الآية فينا معشر قريش والأنصار خاصة ، فرجعنا إلىٰ مواريثنا .

وقوله : ﴿ إلا أن تفعلوا إلىٰ أوليائكم معروفًا ﴾ ، أي : ذهب الميراث ، وبقي النصر والبر والصلة والإحسان والوصية .

وقوله : ﴿ كان ذلك في الكتاب مسطورًا ﴾ ، أي : هذا الحكم ، وهو أن أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض ، حكم من الله مقدر مكتوب في الكتاب الأول ، الذي لا يبدل ، ولا يغير . قاله مجاهد وغير واحد . وإن كان قد يقال : قد[٥] شرع خلافه في وقت لما له في ذلك من الحكمة البالغة ، وهو يعلم أنه سينسخه إلىٰ ما هو جار في قدره الأزليّ ، وقضائه القدريّ الشرعيّ .

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ

---

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - في خ ، ز : « رزيق » .

[٣] - في ز : « الدرقي » .

[٤] - في خ ، ز : « ما بى » .

[٥] - سقط من : ز .

لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٨)

يقول تعالىٰ مخبرًا عن أولي العزم الخمسة ، وبقية الأنبياء : إنه أخذ عليهم العهد والميثاق في إقامة دين الله ، وإبلاغ رسالته ، والتعاون والتناصر والاتفاق ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم علىٰ ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين** ﴾ . فهذا العهد والميثاق أخذ عليهم بعد إرسالهم ، وكذلك هذا . ونص من بينهم علىٰ هؤلاء الخمسة ، وهم أولو العزم ، وهو من باب عطف الخاص علىٰ العام ، وقد صرح بذكرهم أيضًا في هذه الآية ، وفي قوله : ﴿ **شرع لكم من الدين ما وصىٰ به نوحًا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** ﴾ ، فذكر الطرفين والوسط ، الفاتح[١] والخاتم ، ومن بينهما على الترتيب . فهذه هي الوصية التي أخذ عليهم الميثاق بها ، كما قال : ﴿ **وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم** ﴾ ، فبدأ في هذه الآية بالخاتم ، لشرفه - صلوات الله عليه - ثم رتبهم بحسب وجودهم صلوات الله عليهم .

قال ابن أبي حاتم (٢٥) : حدثنا أبو زرعة الدمشقي ، حدثنا محمد بن بكار ، حدثنا سعيد ابن بشير ، حدثني قتادة ، عن الحسن ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، [في قول الله تعالىٰ : ﴿ **وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح** ﴾ . الآية قال النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم][٢] : « **كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث ، [فبدئ بي][٣] قبلهم** » . سعيد ابن بشير فيه ضعف .

وقد رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مرسلًا ، وهو أشبه ، ورواه بعضهم عن قتادة موقوفًا ، فالله أعلم .

وقال أبو بكر البزار (٢٦) : حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا أبو أحمد ، حدثنا حمزة الزيات ، حدثنا عديّ بن ثابت ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال : خيار ولد آدم خمسة : نوح ،

---

(٢٥) - أخرجه أبو نعيم في الدلائل (٣) ، والبغوي في تفسيره كما في البداية والنهاية (٣/٤٩٨- هجر) من طريق سعيد بن بشير به و زاد السيوطي في الدر المنثور (٥/٣٥٣) نسبته إلى الحسن بن سفيان وابن مردويه والديلمي ، وابن عساكر . وانظر سلسلة الأحاديث الضعيفة للشيخ الألباني (٦٦١) .

(٢٦) - كشف الأستار (٢٣٦٨) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٢٥٨) : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح .

---

[١] - في خ ، ز : « الناتج » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين بياض في ز ، خ .

وإبراهيم ، وموسىٰ ، وعيسىٰ ، ومحمد ، وخيرهم محمد ، صلىٰ الله عليهم وسلم ، أجمعين . موقوف ، وحمزة فيه ضعف .

وقد قيل : إن المراد بهذا الميثاق الذي أخذ منهم حين أخرجوا في صورة الذرّ من صلب آدم ، كما قال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبيّ بن كعب قال : ورفع أباهم آدم ، فنظر إليهم - يعني : ذريته - وأن فيهم الغنيّ والفقير ، وحسن الصورة ، ودون ذلك ، فقال : رب ، لو سويت بين عبادك ؟ فقال : إني أحببت أن أشكر . وأري فيهم الأنبياء مثل السرج عليهم كالنور ، وخصوا بميثاق آخر من الرسالة والنبوة فهو الذي يقول الله تعالىٰ : ﴿ **وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح** ﴾ الآية . وهذا قول مجاهد أيضًا .

وقال ابن عباس : الميثاق الغليظ : العهد .

وقوله : ﴿ **ليسأل الصادقين عن صدقهم** ﴾ ، قال مجاهد : المبلغين المؤدين عن[١] الرسل .

وقوله : ﴿ **وأعدَّ للكافرين** ﴾ ، أي : من أممهم ﴿ **عذابًا أليمًا** ﴾ ، أي : موجعًا ، فنحن نشهد أن الرسل قد بلَّغوا رسالات ربهم ، ونصحوا الأمم وأفصحوا لهم عن الحق المبين ، الواضح الجليّ ، الذي لا لبس فيه ولا شك ولا امتراء ، وإن كذبهم من كذبهم من الجهلة والمعاندين والمارقين والقاسطين ، فما جاءت به الرسل هو الحق ، ومن خالفهم فهو علىٰ الضلال .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن نعمته وفضله وإحسانه إلىٰ عباده المؤمنين ، في صرفه أعداءهم وهزمه إياهم عام تألبوا عليهم وتحزبوا وذلك عام الخندق ، وذلك في شوال سنة خمس من الهجرة علىٰ الصحيح المشهور . وقال موسى [بن عقبة][٢] وغيره : كانت في سنة أربع .

وكان سبب قدوم الأحزاب أن نفرًا من أشراف يهود بني النضير ، الذين كانوا قد أجلاهم رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، من المدينة إلىٰ خيبر ، منهم : سلام بن أبي[٣] الحقيق ،

---

[١] - في ز ، خ : « من » .

[٢] - ما بين المعكوفتين مكرر في ز ، خ .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

وسلام بن مشكم ، وكنانة بن الربيع ، خرجوا إلىٰ مكة واجتمعوا بأشراف قريش ، وألبوهم علىٰ حرب رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، ووعدوهم من أنفسهم النصر والإعانة ، فأجابوهم إلىٰ ذلك . ثم خرجوا إلىٰ[١] غطفان فدعوهم فاستجابوا لهم أيضًا . وخرجت قريش في أحابيشها(*) ومن تابعها ، وقائدهم أبو سفيان صخر بن حرب ، وعلى غطفان عُيَينة بن حصن بن بدر ، والجميع قريب من عشرة آلاف ، فلما سمع رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، بمسيرهم أمر المسلمين بحفر الخندق حول المدينة مما يلي الشرق ، وذلك بإشارة سلمان الفارسيّ فعمل المسلمون فيه واجتهدوا ، ونقل معهم[٢] رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، التراب وحفرَ ، وكان في حفره ذلك آيات بينات ودلائل واضحات . وجاء المشركون فنزلوا شرقيّ المدينة قريبًا من أحد ، ونزلت طائفة منهم في أعالي أراضي[٣] المدينة ، كما قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم** ﴾ ، وخرج رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، ومن معه من المسلمين ، وهم نحو ثلاثة آلاف - وقيل : سبعمائة - وأسندوا ظهورهم إلىٰ سَلْع ووجوههم إلىٰ نحو العدو ، والخندق حفير ليس فيه ماء بينهم وبينهم يحجب الرجالة والخيالة أن تصل إليهم ، وجعل النساء والذراري في آطام(**) المدينة ، وكانت بنو قريظة - وهم طائفة من اليهود - لهم حصن شرقيّ المدينة ، ولهم عهد من النبيّ ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وذمة ، وهم قريب من ثمانمائة مقاتل ، فذهب إليهم حُيَيّ بن أخطب النَّضَري ، فلم يزل بهم حتىٰ نقضوا العهد ، ومالئوا الأحزاب علىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فعظم الخطب واشتد الأمر ، وضاق الحال ؛ كما قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالًا شديدًا** ﴾ .

ومكثوا محاصرين للنبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وأصحابه قريبًا من شهر ، إلا أنهم لا يصلون إليهم ، ولم يقع بينهم قتال إلا أن عمرو بن عبد ودّ العامريّ - وكان من الفرسان الشجعان المشهورين في الجاهلية - ركب ومعه فوارس فاقتحموا الخندق ، وخلصوا إلىٰ ناحية المسلمين وندب[٤] رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، خيل المسلمين إليه ، فلم يبرز إليه أحد ، فأمر عليًا فخرج إليه ، فتجاولا ساعة ، ثم قتله عليّ رضي اللّٰه عنه ، فكان علامة علىٰ النصر .

ثم أرسل اللّٰه - عز وجل - علىٰ الأحزاب ريحًا شديدة الهبوب قوية ، حتىٰ لم تبق لهم خيمة ولا شيء ولا تُوقد لهم نار ، ولم يقر لهم قرار حتىٰ ارتحلوا خائبين خاسرين ؛ كما قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة اللّٰه عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحًا** ﴾ .

(*) قال ابن الأثير : هم أحياء القارة انضموا إلى بني ليث في محاربتهم قريشًا. والتحبش : التجمّع . وقيل: حالفوا قريشًا تحت جبل يُسَمَّى حبشيًا فسُمُّوا بذلك .

(**) الآطام : جمع أُطُمٍ ؛ وهو البناء المرتفع .

[١] - سقط من : ز ، خ . [٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ت : « أرض » . [٤] - في ت : « فندب » .

قال مجاهد : وهي الصبا . ويؤيده الحديث الآخر : « **نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور** » .

وقال ابن جرير(٢٧) : حدثني محمد بن المثنىٰ ، حدثنا عبد الأعلىٰ ، حدثنا داود ، عن عكرمة قال : قالت الجنوب للشمال ليلة الأحزاب : انطلقي ننصرْ رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم . فقالت الشمال : إن الحرة لا تسري بالليل . قال : فكانت[١] الريح التي أرسلت عليهم الصبا . ورواه ابن أبي حاتم ، عن أبي سعيد الأشج ، عن حفص بن غياث ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فذكره .

وقال ابن جرير أيضًا (٢٨) : حدثنا يونس ، حدثنا ابن وهب ، حدثني عبيد اللّٰه بن عمر ، عن نافع ، عن عبد اللّٰه بن عمر قال : أرسلني خالي عبد الله [٢] بن مظعون ليلة الخندق في برد شديد وريح إلىٰ المدينة ، فقال : ائتنا بطعام ولحاف ، قال : فاستأذنت رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فأذن لي ، وقال : « **من أتيت من أصحابي فمرهم يرجعوا** » . قال : فذهبت والريح تسفي[٣] كل شيء ، فجعلت لا ألقىٰ أحدًا إلا أمرته بالرجوع إلىٰ النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال : فما يلوي أحد منهم عنقه . قال : وكان معي ترس لي ، فكانت الريح تضربه عليّ ، [قال :][٤] وكان فيه حديد ، قال : فضربته الريح حتىٰ وقع بعض ذلك الحديد علىٰ كفي ، فأنفدها[٥] إلىٰ الأرض .

وقوله : ﴿ **وجنودًا لم تروها** ﴾ ، وهم الملائكة ، زلزلتهم وألقت في قلوبهم الرعب والخوف ، فكان رئيس كل قبيلة يقول : يا بني فلان إليّ . فيجتمعون إليه فيقول : النجاء ، النجاء ، لما ألقىٰ اللّٰه تعالىٰ في قلوبهم من الرعب .

وقال محمد بن إسحاق (٢٩) ، عن يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي قال : قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان : يا أبا عبد اللّٰه ، رأيتم رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وصحبتموه ؟ قال : نعم يا بن أخي . قال : وكيف كنتم تصنعون ؟ قال : واللّٰه لقد

(٢٧) - تفسير الطبرى (١٢٧/٢١) .

(٢٨) - تفسير الطبرى (١٢٧/٢١) .

(٢٩) - سيرة ابن هشام (١٨٦/٣) وأخرجه في مسنده (٣٩٢/٥) بسنده إلى ابن إسحاق به ، وانظر التالى .

[١] - في ز ، خ : « وكانت » .

[٢] - في ت : عثمان . وهو تحريف عجيب ؛ حيث إن عثمان بن مظعون لم يشهد سوى بدر ، ومات في السنة الثانية للهجرة . أما أخوه عبد الله بن مظعون فقد توفي في سنة ثلاثين للهجرة . انظر أسد الغابة [٣/ ٣٩٤ ، ٥٩٨] .

[٣] - سفت الريحُ الترابَ : أذرته أو حملته .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .

[٥] - في خ : « ما بعدها » ، وفي ز : «فأبعدها» .

كنا نجهد . قال الفتىٰ : واللّه لو أدركناه ما تركناه يمشي علىٰ الأرض ولحملناه علىٰ أعناقنا . قال : قال حذيفة : يا بن أخي ، واللّه لو رأيتنا مع رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، بالخندق وصلىٰ رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، هويًا من الليل ، ثم التفت فقال : « **من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم** ؟ » - يشرط[١] له النبيّ صلىٰ اللّه عليه وسلم أنه يرجع - **أدخله اللّه الجنة** » . قال : فما قام رجل . ثم صلىٰ رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، هويًا من الليل ، ثم التفت إلينا ، فقال مثله ، فما قام منا رجل . ثم صلىٰ رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، هويًا من الليل ثم التفت إلينا فقال : « **من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع** - يشرط[٢] له رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم الرجعة - **أسأل اللّه أن يكون رفيقي في الجنة** » . فما قام رجل من القوم ؛ من شدة الخوف ، وشدة الجوع ، وشدة البرد ، فلما لم يقم أحد ، دعاني رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني فقال : « **يا حذيفة ، اذهب فادخل في القوم فانظر ما يفعلون ، ولا تحدثَنّ شيئًا حتىٰ تأتينا** » . قال : فذهبت فدخلت [في القوم][٣] ، والريح وجنود اللّه - عز وجل - تفعل بهم ما تفعل ، لا تُقر لهم قِدْرًا[٤] ولا نارًا ولا بناءً ، فقام أبو سفيان فقال : يا معشر قريش ، لينظر امرؤ مَنْ جليسه . قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذي إلىٰ جنبي ، فقلت : من أنت ؟ فقال : أنا فلان بن فلان ، ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش ، إنكم واللّه ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكُرَاع والخُفّ ، وأخلفتنا بنو قُرَيظة ، وبَلَغَنا عنهم الذي نكره ، ولقينا من هذه الريح الذي ترون ، واللّه ما تطمئن لنا قدر[٥] ، ولا تَقُوم لنا نار[٦] ، ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فإني مُرتحل ، ثم قام إلىٰ جَمَله وهو معقول ، فجلس عليه ، ثم ضربه، فوثب به علىٰ ثلاث ، فما أطلق عقَالَه إلا وهو قائم ، ولولا عهد رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، إليّ : « **أن لا تحدث شيئًا حتىٰ تأتينا** » ثم شئتُ لقتلته بسهم .

قال حذيفة : فرجعت إلى رسول اللّه ، صلى الله عليه وسلم، وهو قائم يصلى في مرط[٧] لبعض نسائه مُرَحَّل - فلما رآني أدخلني بين رجليه ، وطرح عليّ طرف المرْط ، ثم ركع ، وسجد ، وإني لفيه ، فلما سلم أخبرته الخبر ، وسمعت غَطَفان بما فعلت قريش ، فانشمروا[٨] راجعين إلى بلادهم .

وقد رواه مسلم في صحيحه(٣٠) من حديث الأعمش ، عن إبراهيم التيمي ، عن أبيه قال :

(٣٠) - صحيح مسلم في الجهاد والسير ، حديث (١٧٨٨) .

[١] - في ت : « يشترط » .

[٢] - في ت : « يشترط » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - في خ ، ز : « قرارًا » .

[٥] - في ز ، خ : قدرًا .

[٦] - في ز ، خ : نارًا .

[٧] - في ز : « مرض » .

[٨] - انشمروا : مطاوع شمره ، والمراد : أسرعوا.

كنا عند حذيفة بن اليمان - رضي اللّٰه عنه - فقال له رجل : لو أدركتُ رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قاتلتُ معه وأبليتُ . فقال له حذيفة : أنت كنتَ تفعل ذلك ؟ لقد رَأيتُنا مع رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، ليلة الأحزاب في ليلة ذات [ريح شديدة][١] وقرّ[٢] ، فقال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ألا رجل يأتي بخبر القوم ، يكون معي يوم القيامة** » . فلم يجبه منا أحد ، ثم الثانية ، ثم الثالثة مثله . ثم قال : « **يا حذيفة ، قم فأتنا بخبر من القوم** » . فلم أجد بُدًّا إذ دعاني باسمي أن أقوم ، فقال : « **ائتني بخبر القوم ، ولا تَذْعَرْهم[٣] عَلَيّ** » قال : فمضيت كأنما أمشي في حَمَّام ، حتىٰ أتيتهم ، فإذا أبو سفيان يَصْلي ظهره بالنار ، فوضعت سهمًا في كبد قوسي وأردت أن أرميه ، ثم ذكرتُ قول رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، : « **لا تَذْعَرْهم عَلَيّ** » . ولو رَمَيْته لأصبته. قال : فرجعت كأنما أمشي في حَمَّام ، فأتيت رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، ثم أصابني البرد حين فَرَغتُ وقررْتُ ، فأخبرتُ رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وألبسني من فضل عَبَاءة[٤] كانت عليه يصلي فيها ، فلم أزل نائمًا حتىٰ الصبح ، فلما أن أصبحت قال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، : « **قم يا نومان[٥]** » .

ورواه يونس بن بكير(٣١) ، عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم أن رجلًا قال لحذيفة - رضي اللّٰه عنه - : نشكو إلىٰ اللّٰه صحبتكم لرسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، إنكم أدركتموه ولم ندركه ، ورأيتموه ولم نره . فقال حذيفة : ونحن نشكو إلىٰ اللّٰه إيمانكم به ولم تروه ، واللّٰه لا تَدْري يا بن أخي لو أدركتَه كيف كنتَ تكون ؛ لقد رأيتنا مع رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، ليلة الخندق في ليلة باردة مَطيرة ... ثم ذكر نحو ما تقدم مطولًا .

وروى بلال بن يحيى العبسي عن حذيفة نحو ذلك أيضًا(٣٢) .

وقد أخرج الحاكم والبيهقيّ في « **الدلائل** »(٣٣) ، من حديث عكرمة بن عمار ، عن محمد ابن عبد اللّٰه الدؤلي ، عن عبد العزيز ابن أخي حذيفة قال : ذَكَر حذيفة مشاهدهم مع رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فقال جلساؤه : أما واللّٰه لو شَهِدنا ذلك لكنا فعلنا وفعلنا . فقال

(٣١) - دلائل النبوة (٣/٤٥٤-٤٥٥) بسنده إلى يونس بن بكير به .

(٣٢) - الدلائل (٣/٤٥٠- ٤٥١) بسنده إلى بلال .

(٣٣) - المستدرك (٣/٣١) ، ودلائل النبوة (٣/٤٥١-٤٥٢) ، ومن طريق البيهقي أخرجه ابن عساكر في تاريخه (١٢/٢٨٢،٢٨٣) .

[١] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : «برد شديد » . [٢] - القُرّ : البرد .

[٣] - الذّعر : الفزع الشديد ، يريد : لا تغلِبْهم بنفسك وامش في خفية لِئلّا ينفروا منك ويقبلوا عليَّ .

[٤] - في ز ، خ : « هناة » وهو تحريف .

[٥] - النومان : كثير النوم .

حذيفة : لا تمنوا ذلك . لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافون قُعُود : أبو سفيان ومن معه من الأحزاب فوقنا ، وقريظة اليهود أسفل منا نخافهم علىٰ ذرارينا ، وما أتت علينا [ليلة][١]قط أشد ظلمة ولا أشد ريحًا ، في أصوات ريحها أمثال الصواعق ، وهي ظلمة ما يرىٰ أحدنا أصبعه . فجعل المنافقون يستأذنون النبيّ ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، ويقولون : ﴿ **إن بيوتنا عورة وما هي بعورة** ﴾ . فما يستأذنه أحد منهم إلا أذن له ، ويأذن لهم فيتسللون ، ونحن ثلاثمائة ونحو ذلك ، إذ استقبلنا رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، رجلًا رجلًا حتى أتي عليّ ، وما عليّ جُنَّة من العدو ولا من البرد إلا مرط لامرأتي ، لا[٢] يجاوز ركبتي . قال : فأتاني ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، وأنا جَاثٍ علىٰ ركبتيّ فقال : « **من هذا ؟** » . فقلت : حذيفة . قال : « **حذيفة** » . فتقاصرتُ بالأرض[٣] ، فقلت: بلى يا رسول اللّه، كراهية أن أقوم. [قال : « **قُم** »][٤] فقمت فقال : « [**إنه كائن**][٥] **في القوم خبر فائتني بخبر القوم** » - قال[٦] : وأنا من أشد الناس[٧] فزعًا ، وأشدهم قُرًّا - قال : فخرجت ، فقال رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **اللهم ، احفظه من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شماله ، ومن فوقه ومن تحته** » . قال : فواللّه ما خلق اللّه فزعًا ولا قرًّا في جوفي إلا خرج من جوفي ، فما أجد فيه شيئًا . قال : فلما وليت قال : « **يا حذيفة ، لا تحدِثَنّ في القوم شيئًا حتىٰ تأتيني** » . قال : فخرجت حتىٰ إذا دنوت من عسكر القوم نظرت في ضوء نار لهم توقد ، وإذا رجل أدهم ضخم يقول بيده علىٰ النار ، ويمسح خاصرته ، ويقول : [الرحيلَ الرحيل][٨] . ولم أكن أعرف أبا سفيان قبل ذلك ، فانتزعت سهمًا من كنانتي أبيض الريش ، فأضعه في كَبَد قوسي لأرميه به في ضوء النار ، فذكرت قول رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **لا تحدثن فيهم شيئًا حتىٰ تأتيني** » . فأمسكت ورددت[٩] سهمي إلىٰ كنانتي، ثم إني شَجَّعت نفسي حتىٰ دخلت العسكر ، فإذا أدنىٰ الناس مني[١٠] بنو عامر يقولون : يا آل عامر ؛ الرحيل الرحيلَ ! لا مُقام لكم . وإذا الريح في عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبرًا ، فواللّه إني لأسمع صوت الحجارة في رحالهم وَفَرَسَتْهُمُ[١١][١٢] الريح تضربهم بها ثم خرجت نحو النبي ، صلى اللّه عليه وسلم، فلما انتصفت في الطريق أو نحوًا من ذلك ، إذا [ ][١٣] أنا بنحو من عشرين فارسًا أو[١٤] نحو ذلك

---

[١] - سقط من ز ، خ . ومثبت من الدلائل . [٢] - في ت : « ما » .

[٣] - في ز ، خ : « الأرض » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز والمثبت من الدلائل .

[٥] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « إن كان » . [٦] - سقط من : ز والمثبت من الدلائل .

[٧] - سقط من : ز والمثبت من الدلائل .

[٨] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « الرجل الرجل » .[٩] - في ز : « فرددت » .

[١٠] - في خ ، ز : « معى » . [١١] - في خ ، ز : « ورشهم » .

[١٢] - فرستهم : فتكت بهم . وهو على سبيل الاستعارة .

[١٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « نحن » . [١٤] - في ز ، خ : « و » .

مُعْتَمِّين[١]، فقالوا : أخْبر صاحبك أن اللَّه تعالىٰ كَفاه القوم . فرجعت إلىٰ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وهو مشتمل في شملة يصلي ، فو اللَّه ما عدا أن رجعت رَاجَعَني القُرُّ وجعلت أقَرْقفُ[٢] فأومأ إليَّ رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، بيده[٣] وهو يصلي ، فدنوت منه ، فأسبل علي شملته ، وكان رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، إذا حَزَبه[٤] أمر صلىٰ ، فأخبرته خبر القوم ، و[٥]أخبرته أني تركتهم يترحلون ، وأنزل اللَّه تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة اللَّه عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحًا وجنودًا لم تروها وكان اللَّه بما تعملون بصيرًا** ﴾ .

وأخرج أبو داود في سننه(٣٤) منه : كان رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ،إذا حزبه أمر . من حديث عكرمة بن عمار ، به .

وقوله : ﴿ **إذ جاءوكم من فوقكم** ﴾ ، أي : الأحزاب ﴿ **ومن أسفل منكم** ﴾ ، تقدم عن حذيفة أنهم بنو قريظة ، ﴿ **وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر** ﴾ ، أي : من شدة الخوف والفزع ، ﴿ **وتظنون باللَّه الظنونا** ﴾ .

قال ابن جرير : ظن بعض من كان مع رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، أن الدائرة على المؤمنين ، وأن اللَّه سيفعل ذلك .

وقال محمد بن إسحاق في قوله : ﴿ **وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون باللَّه الظنونا** ﴾ : ظن المؤمنون كل ظن ، ونجم النفاق حتىٰ قال مُعَتّب بن بشير[٦] - أخو بني عمرو بن عوف - : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرىٰ وقيصر ، وأحدنا لا يقدر علىٰ أن يذهب إلىٰ الغائط .

وقال الحسن في قوله : ﴿ **وتظنون باللَّه الظنونا** ﴾ : ظنون مختلفة ، ظن المنافقون أن محمدًا وأصحابه سيُستأصلون[٧] ، وأيقن المؤمنون أن ما وعد اللَّه ورسوله حق . وأنه سيظهره علىٰ الدين كله ولو كره المشركون .

---

(٣٤) - سنن أبي داود في الصلاة ، باب : وقت قيام النبي صلى الله عليه وسلم من الليل ، حديث (١٣١٩)، وأخرجه أحمد في (٥/٣٨٨) من طريق عكرمة بن عمار به أيضاً .

---

[١] - في خ ، ز : « مقيمين » .
[٢] - قرقف : أرعد .
[٣] - سقط من : خ ، ز .
[٤] - حزبه أمر : نزل به هَمٌّ، أو شغله غَمٌّ .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ت : « قشير » وقد حكى ابن الأثير في أسد الغابة كلا القولين [٥/ ٢٢٥] .
[٧] - في ت : « يستأصلون » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن عصام[١] الأنصاري . حدثنا أبو عامر (ح) وحدثنا أبي ، حدثنا أبو عامر العقدي ، حدثنا الزبير - يعني ابن عبد الله ، مولى عثمان بن عفان - عن رُبيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد، عن أبيه، عن أبي سعيد قال: قلنا يوم الخندق : يا رسول الله ، هل من شيء نقول ، فقد بلغت القلوب الحناجر ؟ قال صلى الله عليه وسلم : « **نعم ، قولوا : اللهم ، استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا** » . قال : فضرب وجوه أعدائه بالريح ، فهزمهم بالريح . وكذا رواه الإمام أحمد بن حنبل عن أبي عامر العقدي (٣٥) .

﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾

يقول تعالى مخبرًا عن ذلك الحال ، حين نزلت الأحزاب حول المدينة ، والمسلمون محصورون في غاية الجهد والضيق ، ورسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بين أظهرهم ، إنهم ابتلوا واختبروا وزُلزلوا زلزالًا شديدًا ، فحينئذ ظهر النفاق ، وتكلم الذين في قلوبهم مرض بما في

(٣٥) - وأخرجه أحمد (٣/٣) وإسناده ضعيف لضعف الزبير بن عبد الله ، وربيح بن أبي سعيد . الزبير بن عبد الله : هو ابن أبي خالد الأموي ، مولاهم ، مولى عثمان بن عفان ، وأبوه يقال له : ابن رهيمة ، وهي أمه . قال أبو حاتم : صالح . وذكره ابن حبان في الثقات . وقال ابن معين : الزبير بن عبد الله يكتب حديثه . وذكر له ابن عدي أحاديث وقال : أحاديثه منكرة المتن والإسناد . وقال الحافظ في التقريب : مقبول . وربيح بن أبي سعيد : هو ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد ، قال أحمد : ربيح رجل ليس بمعروف . وقال أبو زرعة : شيخ . وقال ابن عدي : أرجو أنه لا بأس به . وذكره ابن حبان في الثقات . وقيل : إن اسمه سعيد ، وأن لقبه ربيح . وقال الترمذي في العلل الكبير عن البخاري : ربيح منكر الحديث . (التهذيب ٢٣٨/٣) . وفي التقريب : مقبول . والحديث أخرجه ابن جرير في تفسيره - (٢١/ ١٢٧) . وذكره الهيثمي في « المجمع » - (١٣٩/١٠) وقال : رواه أحمد والبزار وإسناد البزار متصل رجاله ثقات ، وكذلك رجال أحمد إلا أن في نسختي من المسند عن ربيح بن أبي سعيد ، عن أبيه وهو في البزار : عن أبيه ، عن جده . وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور - (٣٥٥/٥) لابن المنذر . قلت : والصحيح ما في مسند البزار وقد أثبتناه هنا ، ثم إن ربيح هذا لم نجد أحدًا ذكر أنه يروي عن جده مباشرةً ، ودون واسطة . فرحم الله سلفنا الصالح كم عانوا من سوء النسخ ، ونحن بين الطبعات الفاخرة ومع ذلك فحدث ولا حرج عن الأخطاء التي توجد في الكتب المحققة في هذا الأيام وإلى الله المشتكى .

[١] - في ت : « عاصم » وهو تحريف .انظر الجرح والتعديل [٢/ ٦٦] .

نفوسهم ، ﴿ **وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورًا** ﴾ ، أما المنافق فنجم[١] نفاقه ، والذي في قلبه شبهة أو حسيكة[٢] ، ضَعُف حاله فتنفس بما يجده من الوسواس في نفسه، لضعف إيمانه، وشدة ما هو فيه من ضيق الحال. وقوم آخرون قالوا كما قال الله تعالىٰ : ﴿ **وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب** ﴾ ، يعني المدينة كما جاء في الصحيح : « **أريت [في المنام][٣] دارَ هجرتكم أرض بين حَرّتين فذهب وهلي أنها هجر، فإذا هي يثرب** ». وفي لفظ : « **المدينة** » .

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد (٣٦) : حدثنا إبراهيم بن مهدي ، حدثنا صالح بن عمر ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ ، عن البراء - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - : « **من سمىٰ المدينة يثرب(*) فليستغفر الله** ؛

(٣٦) - المسند (٢٨٥/٤) . والحديث أخرجه أبو يعلى في « مسنده » (١٦٨٨) (٢٤٧/٣ - ٢٤٨) . وعمر ابن شبّة في « تاريخ المدينة » (١٦٥/١) . من طريق صالح بن عمر عن يزيد بن أبي زياد به . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٣٠٣/٣) وقال : رواه أحمد وأبويعلى ورجاله ثقات . والحديث ذكره ابن حجر في « القول المسدد » (صـ ٤٠ ، ٤١) وقال : ذكره ابن الجوزي في الموضوعات من طريق أحمد بن إبراهيم الموصلي عن صالح بن عمر به . وأعله بيزيد بن أبي زياد ولم يصب ، فإن يزيد وإن ضعفه بعضهم من قبل حفظه وبكونه كان يلقن فيتلقن في آخر عمره ؛ فلا يلزم من شيء من ذلك أن يكون حمل ما يحدث به موضوعًا .
وقد أورده الدارقطني في « الأفراد » وقال : تفرد به صالح بن عمر عن يزيد - يعني بهذا الإسناد وأخرجه ابن عدى في « الكامل » في ترجمه يزيد بن أبي زياد وضعف يزيد ، وقد رواه أبو بكر بن مردويه في « تفسيره » من طريق أبي يوسف القاضى عن يزيد بن أبي زياد فقال : عن ابن عباس بدل : البراء ، ولفظه : « لاتدعوها « يثرب » فإنها طيبة - يعنى المدينة ، ومن قال : « يثرب » فليستغفر الله ثلاث مرات ، هى طيبة : هي طيبة ، وشاهده ما أخرجه مالك والبخاري ومسلم والنسائي من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أمرت بقرية تأكل القرى يقولون : يثرب ، وهي المدينة** » . اهـ والحديث ضعفه الشيخ الألباني في « ضعيف الجامع » (٥٦٤٧) .

(*) يثرب : قال ابن الأثير : هي اسم مدينة النبي صلى الله عليه وسلم ، قديمة ، فغيَّرها وسمَّاها : طَيْبَة ، وطابة ؛ كراهية للتثريب ، وهو اللوم والتعيير. وقيل : هو اسم أرضها . وقيل : سُمِّيت باسم رجل من العمالقة . نهاية [٢٩٣/٥] .

قال المناوي: لأن اليثرب : الفساد ، والتثريب: التوبيخ والمؤاخذة بالذنب واللوم ، ولا يليق بها ذلك . وظاهر أمره بالاستغفار أن تسميتها بذلك حرام ، لأن استغفارنا إنما هو عن خطيئة ، وهو ظاهر كلام جمع منهم الدميري ؛ قالوا : وتسميتها في التنزيل حكاية لقول المنافقين أو من باب مخاطبة الناس بما يعرفونه . ا . هـ والأكثر على الكراهة ، ولا ينافي الكراهة ما في الصحيحين في حديث الهجرة : فإذا هي المدينة يثرب ، وفي رواية : « لا أراها إلا يثرب » لأن ذلك كان قبل النهي كما ذكره السمهوديّ تبعًا لصحاح الجوهري . فيض القدير شرح الجامع الصغير [١٥٦/٦] .

[١] - نجم الشيءُ : طلع وظهر . ونجم له رأيٌ : بدا . [٢] - الحسيكة : الحقد والعداوة .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

هي طابة ، هي طابة » . تفرد به الإمام أحمد ، - ففي[١] إسناده ضعف ، والله أعلم .

ويقال : إنما كان أصل تسميتها « **يثرب** » برجل نزلها من العماليق ، يقال له : يثرب بن عبيل ابن مهلاييل بن عوص بن عملاق بن [لاوذ بن إرم][٢] بن سام بن نوح . قاله السهيلي ، قال : وروي عن بعضهم أنه قال : إن لها أحد عشر اسمًا : المدينة ، وطابة ، وطَيبة ، والمسكينة ، والجابرة ، والمحبة ، والمحبوبة ، والقاصمة ، والمجبورة ، والعذراء ، والمرحومة .

وعن كعب الأحبار قال : إنا نجد في التوراة : يقول الله للمدينة : يا طيبة ، ويا طابة ، ويا مسكينة[٣] ، [لا تقلي الكنوز ، أرفع أحاجرك على أحاجر القرى .

وقوله][٤] : ﴿ **لا مقام لكم** ﴾ : أي ، هاهنا ، يعنون عند النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في مقام المرابطة ، ﴿ **فارجعوا** ﴾ ، أي[٥] : إلى بيوتكم ومنازلكم . ﴿**ويستأذن فريق منهم النبي** ﴾ ، قال العوفي ، عن ابن عباس : هم بنو حارثة قالوا : بيوتنا نخاف[٦] عليها السَّرَق . وكذا قال غير واحد .

وذكر ابن إسحاق أن القائل لذلك هو أوس بن قَيظي[٧] ، يعني : اعتذروا في الرجوع إلى منازلهم بأنها عَورة ، أي : ليس دونها ما يحجبها عن العدو ، فهم يخشون عليها منهم . قال الله تعالى : ﴿ **وما هي بعورة** ﴾ ، أي : ليست كما يزعمون ، ﴿ **إن يريدون إلا فرارًا** ﴾ ، أي : هَرَبًا من الزحف .

وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾

---

[١] - في ز ، خ : في . وصوبتها لكي يستقيم الكلام .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « لاذ بن آدم» . [٣] - في خ ، ز : « سكينة » .

[٤] - ما بين المعكوفتين بياض في خ ، ز بمقدار سطر . [٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - سقط من : ز ، خ . [٧] - في ز ، خ : « قبطي » .

يخبر تعالىٰ عن هؤلاء الذين ﴿ **يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارًا** ﴾ : أنهم لو دَخل عليهم الأعداء من كل جانب من جوانب المدينة ، وقطر من أقطارها ، ثم سئلوا الفتنة - وهي الدخول في الكفر - لكفروا سريعًا ، وهم لا يحافظون علىٰ الإيمان ، ولا يستمسكون به مع أدنىٰ خوف وفزع .

هكذا فسرها[١] قتادة ، وعبد الرحمن بن زيد ، وابن جرير ، وهذا ذم لهم في غاية الذم .

ثم قال تعالىٰ يذكرهم بما كانوا عاهدوا الله من قبل هذا الخوف ، أن لا يولوا الأدبار ولا يفروا[٢] من الزحف ؛ ﴿ **وكان عهد الله مسئولًا** ﴾ أي : وإن الله سيسألهم عن ذلك العهد ، لابد من ذلك ، ثم أخبرهم أن فرارهم ذلك لا يؤخر آجالهم ، ولا يطول أعمارهم ، بل ربما كان ذلك سببًا في تعجيل أخذهم غرة ؛ ولهذا قال : ﴿ **وإذًا لا تمتعون إلا قليلًا** ﴾ أي : بعد هربكم وفراركم ﴿ **قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **قل من ذا الذي يعصمكم** ﴾ ، أي : يمنعكم ، ﴿ **من الله إن أراد بكم سوءًا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليًا ولا نصيرًا** ﴾ ، أي : ليس لهم ولا لغيرهم من دون الله مجيرًا ولا مغيث[٣] .

﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾

يخبر تعالىٰ عن إحاطة علمه بالمعوقين لغيرهم عن شهود الحرب ، والقائلين لإخوانهم ، أي أصحابهم وعُشَرائهم وخلطائهم ﴿ **هلم إلينا** ﴾ ، أي : إلىٰ ما نحن فيه من الإقامة في الظلال والثمار ، وهم مع ذلك ﴿ **لا يأتون البأس إلا قليلًا أشحة عليكم** ﴾ أي : بخلاء بالمودة والشفقة عليكم . وقال السدي : ﴿ **أشحة عليكم** ﴾ أي في الغنائم .

﴿ **فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشىٰ عليه من الموت** ﴾ ، أي : من شدة خوفه وجزعه ، وهكذا خوف هؤلاء الجبناء من القتال ﴿ **فإذا ذهب الخوف**

---

[١] - في ز ، خ : « فسره » . [٢] - في ز ، خ : « يفرون » .

[٣] - في خ ، ز : « معينًا » .

سلقوكم بألسنة حداد ﴾ ، أي : فإذا كان الأمن تكلموا كلامًا بليغًا فصيحًا عاليًا ، وادعوا لأنفسهم المقامات العالية في الشجاعة والنجدة ، وهم يكذبون في ذلك .

وقال ابن عباس : ﴿ **سلقوكم** ﴾ أي : استقبلوكم .

وقال قتادة : أما عند الغنيمة فأشح قوم ، وأسوؤه مقاسمة : أعطونا ، أعطونا ، قد شهدنا معكم . وأما عند البأس فأجبن قوم ، وأخذله للحق وهم مع ذلك أشحة علىٰ الخير ، أي : ليس فيهم خير ، قد جَمَعُوا الجبن والكذب وقلة الخير ، فهم كما قال في أمثالهم الشاعر :

أفي السلم أعْيَارًا جَفَاءً وغلْظَةً وفي الحَرْب أمْثَالَ النّساء العَوَارِكِ

أي : في حال المسالمة كأنهم الحمير . والأعيار : جمع عير ، وهو الحمار . وفي الحرب كأنهم النساء الحُيَّض ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك علىٰ الله يسيرًا** ﴾ ، أي : سهلًا هينًا عنده .

يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾

وهذا أيضًا من صفاتهم القبيحة في الجبن والخوف والخور ، ﴿ **يحسبون الأحزاب لم يذهبوا** ﴾ ، بل هم قريب منهم ، وإن لهم عودة إليهم ﴿ **وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم** ﴾ ، أي : ويَوَدُّون إذا جاءت الأحزاب أنهم لا يكونون حاضرين معكم في المدينة بل في البادية ، يسألون عن أخباركم ، وما كان من أمركم مع عدوكم ، ﴿ **ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلًا** ﴾ . أي: ولو كانوا بين أظهركم لما قاتلوا معكم إلا قليلًا لكثرة جبنهم وذلتهم، وضعف يقينهم .

لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، في أقواله وأفعاله وأحواله ؛ ولهذا أُمِرَ الناس بالتأسي بالنبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يوم الأحزاب ، في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه - عز وجل - صلواتُ الله وسلامه عليه دائمًا إلىٰ يوم الدين ؛ ولهذا قال تعالىٰ للذين [تقلقوا] وتضجروا وتزلزلوا واضطربوا في

أمرهم يوم الأحزاب : ﴿ **لقد كان لكم في رسول اللّه أسوة حسنة** ﴾ ، أي : هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله ؟ ولهذا قال : ﴿ **لمن كان يرجو اللّه واليوم الآخر وذكر اللّه كثيرًا** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ مخبرًا عن عباده المؤمنين المصدقين بموعود اللّه لهم ، وجَعْله العاقبةَ حاصلةً لهم في الدنيا والآخرة ، فقال : ﴿ **ولما رأىٰ المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا اللّه ورسوله وصدق اللّه ورسوله** ﴾ .

قال ابن عباس وقتادة : يعنون قوله تعالىٰ في « **سورة البقرة** » : ﴿ **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتىٰ يقول الرسول والذين آمنوا معه متىٰ نصر اللّه ألا إن نصر اللّه قريب** ﴾ أي هذا ما وعدنا اللّه ورسوله من الابتلاء والاختبار والامتحان الذي يعقبه النصر القريب ؛ ولهذا قالوا[١]: ﴿ **وصدق اللّه ورسوله** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وما زادهم إلا إيمانًا وتسليمًا** ﴾ ، دليل علىٰ زيادة الإيمان وقوته بالنسبة إلىٰ الناس وأحوالهم، كما قاله جمهور الأئمة : إنه يزيد وينقص. وقد قررنا ذلك في أول «**شرح البخاري**» ، ولله الحمد والمنة .

ومعنىٰ قوله : ﴿ **وما زادهم** ﴾ ، أي : ذلك الحال والضيق والشدة ﴿ **إلا إيمانًا** ﴾ باللّه ، ﴿ **وتسليمًا** ﴾ أي : انقيادًا لأوامره ، وطاعة لرسوله .

مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾

لما ذكر عن المنافقين أنهم نقضوا العهد الذي كانوا عاهدوا اللّه عليه[٢] لا يولون الأدبار - وصف المؤمنين بأنهم استمروا علىٰ العهد والميثاق و ﴿ **صدقوا ما عاهدوا اللّه عليه فمنهم من قضىٰ نحبه** ﴾ ، قال بعضهم : أجله . وقال البخاري : عهده ، وهو يرجع إلى الأول .

﴿ **ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلًا** ﴾ ، أي : وما غيروا عهد اللّه ، ولا نقضوه ولا بدلوه .

قال البخاري (٣٧) : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، عن الزهري ؛ قال : أخبرني خارجة

(٣٧) - صحيح االبخارى في التفسير ، باب ﴿ فمنهم من قضى نحبه . . . . ﴾ حديث (٤٧٨٤) ، =

[١] - في ت : « قال » . [٢] - سقط من : ز ، خ .

ابن زيد ابن ثابت ، عن أبيه قال : لما نسخنا المصحف فَقَدْتُ آيةً من سورة الأحزاب كنت أسمع رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، يقرؤها ، لم أجدها مع أحد إلا مع خزيمة بن ثابت الأنصاري - الذي جعل رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، شهادته بشهادة رجلين - : ﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا اللّه عليه** ﴾ .

انفرد به البخاري دون مسلم . وأخرجه أحمد في مسنده ، والترمذي والنسائي - في التفسير من سننيهما - من حديث الزهري ، به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقال البخاري أيضًا(٣٨) : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا محمد بن عبد اللّه الأنصاري ، حدثني أبي ، عن ثُمَامَةَ ، عن أنس بن مالك قال : نرىٰ هذه الآية نزلت في أنس بن النضر : ﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا اللّه عليه** ﴾ . انفرد به البخاري من هذا الوجه ، ولكن له شواهد من طرق أخر ، قال الإمام أحمد(٣٩) :

حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت قال : قال أنس : عَمّي أنس ابن النضر سُميت به ، لم يشهد مع رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، يوم بدر ، فشق عليه وقال : أول مشهد شهده رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، غُيبْتُ عنه ، لئن أراني اللّه مشهدًا فيما بعد مع رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، لَيَرَيَنّ اللّه ما أصنع . قال : فهاب أن يقول غيرها ، فشهد مع رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، يوم[١] أحد ، فاستقبل سعد بن معاذ فقال له أنس : يا أبا عمرو[٢] ؛ أين ؟ واهًا[٣] لريح الجنة أجده دون أحد ! قال : فقاتلهم حتىٰ قُتل ، قال : فَوُجد في جسده بضع[٤] وثمانون من ضربة وطعنة ورمية ، فقالت أخته - عمتي الرُّبَيِّعُ بنة النضر - : فما عرفت أخي إلا ببنانه . قال : فنزلت هذه الآية : ﴿ **رجال صدقوا ما**

= وأطرافه عند البخارى في (٢٨٠٧،٤٠٤٩،٤٦٧٩،٤٩٨٦،٤٩٨٩،٧١٩١،٧٤٢٥) ، وأخرجه أحمد (٥/ ١٨٨،١٨٩) والترمذى في تفسير القرآن باب : ومن سورة التوبة ، حديث (٣١٠٤) ، والنسائي في التفسير (٤٢١) من طريق الزهرى به .

(٣٨) - صحيح البخارى في التفسير ، باب ﴿ فمنهم من قضى نحبه . . . ﴾ الحديث (٤٧٨٣) .

(٣٩) - المسند (٣/١٩٤) ، وفيه قال أحمد : ثنا بهز وثنا هاشم قالا : ثنا سليمان بن المغيرة فذكره .

وأخرجه مسلم في الإمارة ، حديث (١٩٠١) من طرق عن هاشم بن القاسم به .

وأخرجه مسلم في نفس الموضع ، حديث (١٩٠٣) ، والترمذى في التفسير ، باب : « ومن سورة الأحزاب » ، حديث (٣٢٠٠) ، والنسائي في فضائل الصحابة (١٨٦) ، وفى التفسير (٤٢٢) من طريق سليمان بن المغيرة به .

[١] - سقط من : ز ، خ . [٢] - في ز ، خ : « عمر » .

[٣] - واها : كلمة تحنن وتلهف . والقائل هو أنس بن النضر .

[٤] - في ز ، خ : « بضعة » .

عاهدوا اللّٰه عليه فمنهم من قضىٰ نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلًا ﴾ قال: فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه.

ورواه مسلم والترمذي والنسائي، من حديث سليمان بن المغيرة. ورواه النسائي أيضًا وابن جرير [٤٠]، من حديث حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، به نحوه.

وقال ابن أبي حاتم[٤١] : حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا حميد، عن أنس: أن عمه - يعني أنس بن النضر - غاب عن قتال بدر فقال: غُيِّبْتُ عن أول قتال قاتله رسول اللّٰه، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم، المشركين، لئِنِ اللّٰه أشهدني قتالًا للمشركين لَيَرَيَنَّ اللّٰه ما أصنع. قال: فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون، فقال: اللهم، إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم فلقيه سعد - يعني ابن معاذ - دون أحد، فقال: أنا معك. قال سعد: فلم أستطع أن أصنع ما صنع. قال: فوجد فيه بضع وثمانون ضربة سيف، وطعنة رمح، ورمية سهم. وكانوا يقولون فيه وفي أصحابه: ﴿ **فمنهم من قضىٰ نحبه ومنهم من ينتظر** ﴾.

وأخرجه الترمذي في التفسير عن عبد بن حميد، والنسائي فيه أيضًا عن إسحاق بن إبراهيم، كلاهما، عن يزيد بن هارون، به. وقال الترمذي: حسن.

وقد رواه البخاري[٤٢] في المغازي عن حسان بن حسان، عن محمد بن طلحة بن مُصَرِّف، عن حميد، عن[١] أنس، به. ولم يذكر نزول الآية.

ورواه ابن جرير[٤٣] من حديث المعتمر بن سليمان، عن حميد، عن أنس، به.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن الفضل العسقلاني، حدثنا سليمان بن أيوب بن سليمان ابن عيسىٰ بن موسىٰ بن طلحة بن عبيد اللّٰه، حدثني أبي، عن جدي، عن موسىٰ بن طلحة، عن أبيه طلحة قال: لما أن رجع النبيّ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم، من أحد صعد المنبر، فحمد اللّٰه وأثنىٰ عليه، وعَزّىٰ المسلمين بما أصابهم، وأخبرهم بما لهم فيه من الأجر والذخر،

(٤٠) - أخرجه النسائي في التفسير (٤٢٢)، وأحمد (٢٥٣/٣)، والطبرى من طريق حماد به.

(٤١) - الحديث أخرجه أحمد (٢٠١/٣)، وعبد بن حميد (١٣٩٦)، والترمذى في التفسير، باب: ومن سورة الأحزاب، حديث (٣٢٠١)، والنسائي في التفسير (٤٢٣) من طريق يزيد بن هارون به.

(٤٢) - صحيح البخارى في المغازى، باب غزوة أحد، حديث (٤٠٤٨) والحديث عند البخارى أيضاً في الجهاد والسير، باب قول الله عز وجل ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه . . . . ﴾ حديث (٢٨٠٥) من طريق حميد الطويل به نحوه.

(٤٣) - تفسير الطبرى (١٤٧/٢١).

[١] - في ز، خ: «بن».

ثم قرأ هذه الآية : ﴿ **رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه** ﴾ الآية كلها . فقام إليه رجل[١] من المسلمين فقال : يا رسول الله ، من هؤلاء ؟ فأقبلت وعَليّ ثوبان أخضران حَضْرَميَّان فقال : « **أيها السائل ، هذا منهم** » .

وكذا رواه ابن جرير(٤٤) من حديث سليمان بن أيوب الطلحي به .

وأخرجه الترمذي في التفسير والمناقب أيضًا ، وابن جرير(٤٥) ، من حديث يونس بن بكير ، عن طلحة بن يحيىٰ ، عن موسىٰ وعيسىٰ ابني[٢] طلحة ، عن أبيهما ، به . وقال : حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث يونس .

وقال أيضًا (٤٦) : حدثنا أحمد بن عصام الأنصاري ، حدثنا أبو عامر - يعني العقدي - حدثنا إسحاق - يعني ابن طلحة بن عبيد الله - عن موسىٰ بن طلحة قال : [دخلت علىٰ معاوية - رضي الله عنه - فلما خرجت دعاني فقال : ألا أضع عندك يا بن أخي حديثًا سمعته من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؟ أشهد لَسَمعتُ رسولَ الله - صلىٰ الله عليه وسلم - يقول : « **طلحة ممن قضىٰ نحبه** » .

ورواه ابن جرير(٤٧) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا عبد الحميد الحمّاني ، عن إسحاق بن يحيىٰ بن طلحة الطلحي ، عن موسىٰ بن طلحة قال][٣] : قام معاوية بن أبي سفيان فقال : إني سمعت رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يقول : « **طلحة ممن قضىٰ نحبه** » .

ولهذا قال مجاهد في قوله : ﴿ **فمنهم من قضىٰ نحبه** ﴾ ، قال : عهده ، ﴿ **ومنهم من ينتظر** ﴾ ، قال : يومًا فيه قتال فيصدق في اللقاء .

وقال الحسن : ﴿ **فمنهم من قضىٰ نحبه** ﴾ ، يعني موته علىٰ الصدق والوفاء ، ﴿ **ومنهم من ينتظر** ﴾ الموت علىٰ مثل ذلك ، ومنهم من لم يبدل تبديلًا ، وكذا قال قتادة وابن زيد. وقال بعضهم: ﴿**نحبه**﴾: نذره وقوله: ﴿**وما بدلوا تبديلًا**﴾ أي : وما غيروا عهدهم ، وبدلوا

(٤٤) - تفسير الطبرى (١٤٧/٢١) .

(٤٥) - سنن الترمذى في تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الأحزاب ، حديث (٣٢٠٣) ، وفي المناقب ، باب : مناقب طلحة بن عبيدالله حديث (٣٧٤٢) ، الطبرى (١٤٧/٢١) من طريق يونس بن بكير به . وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١٣٩٩) ، وأبو يعلى في مسنده (٦٦٣) من طريق يونس به .

(٤٦) - سنن الترمذى في تفسير القرآن ، حديث (٣٢٠٢) ، وفى المناقب ، حديث (٣٧٤٠) وأخرجه ابن أبى عاصم في السنة (١٤٠١) وابن ماجه في المقدمة حديث (١٢٦،١٢٧) من طريق إسحاق بن يحيى به .

(٤٧) - تفسير الطبرى (١٤٧/٢١) ، وانظر السابق .

[١] - سقط من : ز ، خ . [٢] - في ز ، خ : « بن » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

الوفاء بالغدر ، بل استمروا علىٰ ما عاهدوا اللّٰه عليه ، وما نقضوه كفعل المنافقين الذين قالوا : ﴿ **إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارًا** ﴾ ﴿ **ولقد كانوا عاهدوا اللّٰه من قبل لا يولون الأدبار** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ليجزي اللّٰه الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم** ﴾ ، أي : إنما يختبر عباده بالخوف والزلزال فيميز[١] الخبيث من الطيب ، فيظهر أمر هذا بالفعل ، وأمر[٢] هذا بالفعل . مع أنه تعالىٰ يعلم الشيء قبل كونه ، ولكن لا يعذب الخلق بعلمه فيهم ، حتىٰ يعملوا بما يعلمه فيهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولنبلونكم حتىٰ نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم** ﴾ فهذا علم بالشيء بعد كونه وإن كان العلم السابق حاصلًا به قبل وجوده . وكذا قال تعالىٰ : ﴿ **ما كان اللّٰه ليذر المؤمنين علىٰ ما أنتم عليه حتىٰ يميز الخبيث من الطيب وما كان اللّٰه ليطلعكم علىٰ الغيب** ﴾ ، ولهذا قال هاهنا : ﴿ **ليجزي اللّٰه الصادقين بصدقهم** ﴾ ، أي : بصبرهم علىٰ ما عاهدوا اللّٰه عليه ، وقيامهم به ، ومحافظتهم عليه . ﴿ **ويعذب المنافقين** ﴾ ، وهم الناقضون لعهد اللّٰه ، المخالفون لأوامره ، فاستحقوا بذلك عقابه وعذابه ، ولكن هم تحت مشيئته في الدنيا ، إن شاء[٣] استمر بهم علىٰ ما فعلوه حتىٰ يلقوه به فيعذبهم عليه ، وإن شاء تاب عليهم بأن أرشدهم إلىٰ النزوع عن النفاق إلىٰ الإيمان ، وعمل الصالح بعد الفسوق والعصيان[٤] . ولما كانت رحمته ورأفته بخلقه هي الغالبة[٥] لغضبه قال : ﴿ **إن اللّٰه كان غفورًا رحيمًا** ﴾ .

﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ ﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن الأحزاب ، لما أجلاهم عن المدينة ، بما أرسل عليهم من الريح والجنود الإلهية - ولولا أن جعل اللّٰه رسوله رحمة للعالمين ؛ لكانت هذه الريح عليهم أشد من الريح العقيم علىٰ عاد ، ولكن قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **وما كان اللّٰه ليعذبهم وأنت فيهم** ﴾ ، فسلط عليهم هواء فرق شملهم ، كما كان سبب اجتماعهم من الهوىٰ ، وهم أخلاط من قبائل شتىٰ ، أحزاب وآراء ، فناسب أن يرسل عليهم الهواء الذي فرق جماعتهم ، وردهم خائبين خاسرين بغيظهم وحَنَقهم ، لم ينالوا خيرًا لا في الدنيا ، مما كان في أنفسهم من الظفر والمغنم ، ولا في الآخرة مما تحملوه من الآثام في مبارزة الرسول ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، بالعداوة ، وهمهم بقتله ، واستئصال جيشه . ومن هم بشيء وصدق هَمَّه بفعله فهو في الحقيقة كفاعله .

---

[١] - في ت : « ليميز » .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « إن » .
[٤] - سقط من : خ ، ز .
[٥] - في خ ، ز : « الغاية » .

وقوله : ﴿ **وكفىٰ اللَّه المؤمنين القتال** ﴾ ، أي : لم يحتاجوا إلىٰ منازلتهم ومبارزتهم حتىٰ يجلوهم عن بلادهم ؛ بل كفىٰ اللَّه وحده[1] ، ونصر عبده ، وأعز جنده ؛ ولهذا قال رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم : « **لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، فلا شيء بعده** » . أخرجاه من حديث أبي هريرة(٤٨) .

وفي الصحيحين(٤٩) من حديث إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد اللَّه بن أبي أوفىٰ قال : دعا رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، علىٰ الأحزاب فقال : « **اللهم ، منزل الكتاب ، سريع الحساب ، اهزم الأحزاب ، اللهم ، اهزمهم وزلزلهم** » .

وفي قوله : ﴿ **وكفىٰ اللَّه المؤمنين القتال** ﴾ - إشارة إلىٰ وضع الحرب بينهم وبين قريش ، وهكذا وقع بعدها ، لم يغزهم المشركون بل غزاهم المسلمون في بلادهم .

قال محمد بن إسحاق(٥٠) : لما انصرف أهل الخندق عن الخندق ؛ قال رسول اللَّه ،صلىٰ اللَّه عليه وسلم - فيما بلغنا - : « **لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ، ولكنكم تغزونهم**[2] » . فلم تغز قريش بعد ذلك ، وكان هو يغزوهم بعد ذلك ، حتىٰ فتح اللَّه عليه مكة .

وهذا الحديث الذي ذكره محمد بن إسحاق ، حديث صحيح ، كما قال الإمام أحمد(٥١) :

حدثنا يحيىٰ ، عن سفيان حدثني أبو إسحاق قال[3] : سمعت سليمان بن صُرَد يقول : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يوم الأحزاب : « **الآن نغزوهم ولا يغزونا** » .

وهكذا رواه البخاري في صحيحه من حديث الثوري وإسرائيل عن أبي إسحاق به .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وكان اللَّه قويًّا عزيزًا** ﴾ ، أي : بحوله وقوته ، ردهم خائبين ، لم ينالوا

(٤٨) - صحيح البخارى في المغازى ، باب غزوة الخندق وهى الأحزاب حديث (٤١١٣) ، وصحيح مسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، حديث (٢٧٢٤) من طريق أبى سعيد المقبرى عن أبي هريرة .

(٤٩) - صحيح البخارى في الجهاد والسير ، باب : الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة ، حديث (٢٩٣٣) ، وفي المغازى ، باب غزوة الخندق ، حديث (٤١١٥) ، وفى الدعوات ، باب : الدعاء على المشركين ، حديث (٦٣٩٢) ، وفى التوحيد ، باب : قوله تعالى : ﴿ أنزله بعلمه والملائكة يشهدون ﴾ ، حديث (٧٤٨٩) ، ومسلم في الجهاد والسير ، باب : استحباب الدعاء والنصر عند لقاء العدو ، حديث (١٧٤١) (٢١) من طريق إسماعيل بن أبي خالد به .

(٥٠) - سيرة ابن هشام (٢٠٦/٣) ورواه البيهقي فى دلائل النبوة بسنده إلى ابن إسحاق .

(٥١) - المسند (٢٦٢/٤) ، (٢٩٤/٦) ، وأخرجه البخارى في المغازى ، باب غزوة الخندق ، حديث (٤١٠٩، ٤١١٠) من طرق عن أبى إسحاق به .

[1] - سقط من : خ ، ز .

[2] - في ز ، خ : « تغزوهم » .

[3] - سقط في : ز ، خ .

خيرًا ، وأعز اللَّه الإسلام وأهله ، وصدق وعده ، ونصر رسوله وعبده ، فله الحمد والمنة .

﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾

قد تقدم أن بني قريظة لما قدمت جنود الأحزاب ونزلوا علىٰ المدينة ، نقضوا ما كان بينهم وبين رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، من العهد ، وكان ذلك بسفارة حُيَيّ بن أخطب النَّضري - لعنه اللَّه - دخل حصنهم ، ولم يزل بسيدهم كعب بن أسد حتىٰ نقض العهد ، وقال له فيما قال : ويحك . قد جئتك بعز الدهر ، أتيتك بقريش وأحابيشها ، وغطفان وأتباعها ، ولا يزالون هاهنا حتىٰ يستأصلوا محمدًا وأصحابه .

فقال له كعب : بل واللَّه أتيتني بذل الدهر ، ويحك يا حييّ ، إنك مشئوم ، فدعنا منك . فلم يزل يفتل في الذِّروة والغَارب[١] حتىٰ أجابه ، واشترط له حييّ إن ذهب الأحزاب ، ولم يكن من أمرهم شيء ، أن يدخل معهم في الحصن ، فيكون له أسوتهم ، فلما نَقَضت قريظةُ ، وبلغ ذلك رسولَ اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، ساءه ، وشق عليه وعلىٰ المسلمين جدًّا ، فلما أيد اللَّه ونَصَر ، وكبت الأعداء وردهم خائبين بأخسر صفقة ، ورجع رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، إلىٰ المدينة مؤيدًا منصورًا ، ووضع الناس السلاح ، فبينما رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يغتسل من وعثاء[٢] تلك المرابطة في بيت أم سلمة إذ تبدىٰ له جبريل معتجرًا[٣] بعمامة من إستبرق ، علىٰ بغلة عليها قطيفة ديباج ، فقال : أوضعت السلاح يا رسول اللَّه ؟ قال : « **نعم** » . قال : لكن الملائكة لم تضع أسلحتها ، وهذا الآن رجوعي من طلب القوم . ثم قال : إن اللَّه يأمرك أن تنهض إلىٰ بني قريظة - وفي رواية فقال له : عذيرَك من مقاتل ، أوضعتم السلاح ؟ قال : « **نعم** » قال : لكنا لم نضع أسلحتنا بعد ، انهض إلىٰ هؤلاء ، قال : « **أين ؟** » قال : بني قريظة ، فإن اللَّه أمرني أن أزلزل عليهم . فنهض رسول اللَّه - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - من فوره ، وأمر الناس بالمسير إلىٰ بني قريظة ، وكانت علىٰ أميال من المدينة ، وذلك بعد صلاة الظهر ، وقال : « **لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة** »(٥٢) .

(٥٢) - روى ذلك عن البيهقي في دلائل النبوة (٤/٧،٨) من حديث عبدالرحمن بن كعب بن مالك عن عمه عبيدالله بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من طلب الأحزاب وضع عنه اللأمة =

[١] - الغارب : مُقَدَّم السَّنام ، والذروة أعلاه .أراد أنه ما زال يخادعه ويتلطفه حتى وافقه.

[٢] - الوعثاء : المشقة والتعب .

[٣] - في ت : « متعجرًا » . والاعتجار بالعمامة : هو أن يَلُفَّها على رأسه ويَرُدَّ طرفها على وجهه ، ولا يعمل منها شيئًا تحت ذقنه . النهاية [١٨٥/٣] .

فسار الناس ، فأدركتهم الصلاة في الطريق ، فصلىٰ بعضهم في الطريق وقالوا : لم يرد منا رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، إلا تعجيل السير ، وقال آخرون : لا نصليها إلا في بني قريظة . فلم يُعَنِّف واحدًا من الفريقين . وتبعهم رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وقد استخلف علىٰ المدينة ابن أم مكتوم ، وأعطىٰ الراية لعليّ بن أبي طالب .

ثم نازلهم رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وحاصرهم خمسًا وعشرين ليلة ، فلما طال عليهم الحال نزلوا علىٰ حكم سعد بن معاذ سيد الأوس ، لأنهم كانوا حلفاءهم في الجاهلية ، واعتقدوا أنه يحسن إليهم في ذلك ، كما فعل عبد اللّٰه بن أبيّ ابن سلول في مواليه بني قينقاع ، حين استطلقهم من رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فظن هؤلاء أن سعدًا سيفعل فيهم كما فعل ابن أبيّ في أولئك ، ولم يعلموا أن سعدًا - رضي اللّٰه عنه - كان قد أصابه سهم في أكحله أيام الخندق ، فكواه رسول اللّٰه - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - في أكحله ، وأنزله في قبة في المسجد ليعوده من قريب .

وقال سعد فيما دعا به ، اللهم ، إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئًا فأبقني لها . وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم ، فافجرها ولا تمتني حتىٰ تُقر عيني من بني قريظة . فاستجاب اللّٰه دعاءه ، وقَدَّر عليهم أن نزلوا علىٰ حكمه باختيارهم طلبًا[١] من تلقاء أنفسهم ، فعند ذلك استدعاه رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، من المدينة ليحكم فيهم ، فلما أقبل وهو راكب [علىٰ حمار][٢] قد وطئوا له عليه ؛ جعل الأوس يلوذون به ويقولون : يا سعد ؛ إنهم مواليك ، فأحسن فيهم ، ويرققونه[٣] عليهم ويعطفونه ، وهو ساكت لا يرد عليهم ، فلما أكثروا عليه قال : لقد آن لسعد أن لا تأخذه في اللّٰه لومة لائم . فعرفوا أنه غير مستبقيهم . فلما دنا من الخيمة التي فيها رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **قوموا إلىٰ سيدكم** » . فقام إليه المسلمون ، فأنزلوه إعظامًا وإكرامًا واحترامًا له في محل ولايته ، ليكون أنفذ لحكمه فيهم ، فلما جلس قال له رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - : « **إن هؤلاء - وأشار إليهم - قد نزلوا علىٰ حكمك ، فاحكم فيهم بما شئت** » . قال : وحكمي نافذ عليهم ؟ قال : « **نعم** » . قال : وعلىٰ من في هذه الخيمة ؟ قال : « **نعم** » . قال : وعلىٰ من هاهنا . وأشار إلىٰ الجانب الذي فيه رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وهو معرض بوجهه عن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، إجلالًا وإكرامًا وإعظامًا ، فقال له رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **نعم** » . فقال : إني أحكم أن تقتل مُقَاتلتهم ، وتسبىٰ ذريتهم وأموالهم . فقال له رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **لقد حكمت بحكم اللّٰه من فوق سبعة**

= واغتسل . . . . بالحديث وأصل القصة في البخارى كتاب المغازى ، حديث (٤١٢٢) من حديث عائشة .

---

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ت : « يرفقونه » .

أرقعة » وفي رواية : « **لقد حكمت بحكم الملك** »(٥٣) .

ثم أمر رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، بالأخاديد فخُدَّتْ في الأرض ، وجيء بهم مكتفين ، فضرب أعناقهم ، وكانوا ما بين السبعمائة إلىٰ الثمانمائة ، وسبىٰ من لم يُنبت منهم مع النساء ، وأموالهم . وهذا كله مقرر مفصل بأدلته وأحاديثه وبسطه في كتاب السيرة ، الذي أفردناه موجزًا ومقتصًا ، ولله الحمد والمنة .

ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وأنزل الذين ظاهروهم** ﴾ ، أي : عاونوا الأحزاب وساعدوهم علىٰ حرب رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ﴿ **من أهل الكتاب** ﴾ يعني بني قريظة من اليهود ، من بعض أسباط بني إسرائيل ، كان قد نزل آباؤهم الحجاز قديمًا ، طَمَعًا في اتباع النبيّ الأميّ الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل ، ﴿ **فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به** ﴾ فعليهم لعنة اللَّه .

وقوله : ﴿ **من صياصيهم** ﴾ يعني : حصونهم . كذا قال مجاهد وعكرمة ، وعطاء والسدي ، وقتادة ، وغيرهم ، ومنهم سميت صياصي البقر ، وهي قرونها لأنها أعلى شيء فيها ﴿ **وقذف في قلوبهم الرعب** ﴾ ، وهو الخوف ؛ لأنهم كانوا مالئوا المشركين علىٰ حرب رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وليس من يعلم كمن لا يعلم ، فأخافوا المسلمين وراموا قتلهم ليَعزّوا [في الدنيا][١] ، فانعكس عليهم الحال ، وانقلب الفال ، انشمر المشركون ففازوا بصفقة المغبون ، فكما راموا العز أُذِلُّوا[٢] ، وأرادوا استئصال المسلمين فاستؤصلوا ، وأضيف إلىٰ ذلك شقاوة الآخرة ، فصارت الجملة أن هذه هي الصفقة الخاسرة ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **فريقًا تقتلون وتأسرون فريقًا** ﴾ ، فالذين قتلوا هم المقاتلة ، والأسراء هم الأصاغر والنساء .

قال الإمام أحمد(٥٤) : حدثنا هُشَيم بن بشير ، أخبرنا عبد الملك بن عمير ، عن عطية القرظي قال : عُرِضتُ علىٰ النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يوم قريظة فشكوا فيّ ، فأمر بي النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، أن ينظروا : هل أنبتُّ بعد ؟ فنظروا فلم يجدوني أنبتّ [بعد][٣] . فخلىٰ عني وألحقني بالسبي .

---

(٥٣) - السيرة النبوية (١٩٢/٣-١٩٣) .

(٥٤) - المسند (٣٨٣/٤) ، (٣١١/٥) ، وأخرجه أحمد (٣١٠/٤،٣٨٣) ، (٣٨٣/٥) ، وأبو داود في الحدود ، باب : في الغلام يصيب الحد ، حديث (٤٤٠٤،٤٤٠٥) ، والترمذي في السير ، باب في النزول على الحكم ، حديث (١٥٨٤) ، والنسائي في الطلاق ، باب : متى يقع طلاق الصبي (١٥٥/٦) ، وفي قطع السارق ، باب حد البلوغ . . . . (٩٢/٨) ، وابن ماجه في الحدود ، باب : من لا يجب عليه الحد ، حديث (٢٥٤١، ٢٥٤٢) من طرق عن عبدالملك بن عمير به .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٢] - في ت : « ذلوا » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .

وكذا رواه أهل السنن كلهم من طرق ، عن عبد الملك بن عمير ، به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

ورواه النسائي(٥٥) أيضًا ، من حديث ابن جريج ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن عطية ، بنحوه .

وقوله : ﴿ وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم ﴾ ، أي : جعلها لكم من قتلكم لهم ﴿ وأرضًا لم تطئوها ﴾ ، قيل : خيبر . وقيل : مكة . رواه مالك ، عن زيد بن أسلم ، وقيل : فارس والروم . وقال ابن جرير : يجوز أن يكون الجميع مرادًا .

﴿ وكان الله على كل شيء قديرًا ﴾ قال الإمام أحمد(٥٦) :

حدثنا يزيد ، أخبرنا محمد بن عمرو ، عن أبيه ، عن جده علقمة بن وقاص قال : أخبرتني عائشة قالت : خرجت يوم الخندق أقفو الناس ، فسمعت وئيد[١] [٢] الأرض ورائي ، فإذا أنا بسعد ابن معاذ و[٣]معه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجنَّه ، قالت : فجلست إلىٰ الأرض فمر سعد وعليه درْع من حديد[٤] قد خرجت منه أطرافه ، فأنا أتخوف علىٰ أطراف سعد ، قالت : وكان سعد من أعظم الناس وأطولهم ، فمر وهو يرتجز ويقول :

لبث قليلًا[٥] يشهدُ الهيجا حَمَل   ما أحسن الموتَ إذا حان الأجل !

قالت : فقمت فاقتحمت حديقة فإذا فيها نفر من المسلمين ، وإذا فيها عمر بن الخطاب ، وفيهم رجل عليه تَسْبغَة[٦] [٧] له - تعني المغفر - فقال عمر : ما جاء بك ؟ لعمري والله إنك لجريئة[٨] ، وما يُؤمِنُك أن يكون بلاء أو[٩] يكون تَحَوّز[١٠] . قالت : فما زال يلومني حتىٰ

(٥٥) - سنن النسائي الكبرى ، كتاب السير ، باب : حد الإدراك حديث (٨٦١٩) ، وأخرجه الحميدى (٨٨٩) عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : سمعت رجلًا في مسجد الكوفة يقول : كنت يوم كلم سعد ابن معاذ في بنى قريظة غلامًا فشكوا في ، فنظروا إلى فلم يجدوا المواس جرت على فاستبقيت .

(٥٦) - المسند (١٤١/٦-١٤٢) ، وانظر التالى .

[١] - في ز ، خ : « وبير » .

[٢] - الوئيد : صوت شِدَّة الوطء على الأرض يُسْمَع كالدَّوِيِّ من بُعْدٍ .

[٣] - سقط في : ز ، خ .

[٤] - في ز ، خ : « حديث » .

[٥] - مكررة في خ ، ز .

[٦] - في خ : « نسيعة »، وفي ز : « نشيعة» .

[٧] - جاء في المعجم الوسيط (سبغ) : تسبغة الخوزة : ما توصل به من حلق الدروع فتستر العُنُق.

[٨] - في ز رسمت هكذا : « نخريه » وفي خ : تحريه[٩] - في ز : « أن » .

[١٠] - قال ابن الأثير [٤٥٩/٥] : هو من قوله تعالى : ﴿أو متحيزًا إلى فئة ﴾ أي منضمًا إليها .

تمنيت أن الأرض انشقت بي[١] ساعتئذ ، فدخلت فيها . فرفع الرجل التسبغة[٢] عن وجهه ، فإذا هو طلحة بن عبيد الله فقال : يا عمر ، ويحك ! إنك قد أكثرت منذ اليوم ، وأين التّحَوّز أو الفرار إلا إلىٰ الله تعالىٰ ؟ قالت : ويرمي سعدًا رجل من قريش ، يقال له : ابن العَرَقة بسهم له وقال له : خذها وأنا ابن العَرَقة ! فأصاب[٣] أَكْحَلَه فقطعه ، فدعا الله سعد فقال : اللهم ؛ لا تمتني حتىٰ تُقر عيني من قريظة . قالت : وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية ، قالت : فرقأ[٤] كَلْمُه ، وبعث الله الريح علىٰ المشركين ، وكفىٰ الله المؤمنين القتال ، وكان الله قويًا عزيزًا . فلحق أبو سفيان ومن معه بتهامة ، ولحق عيينة بن بدر ومن معه بنجد ، ورجعت بنو قريظة فتحصنوا في صياصيهم ، ورجع رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، إلىٰ المدينة وأمر بقبة من أدم فضربت علىٰ سعد في المسجد ، قالت : فجاءه جبريل - عليه السلام - وإن علىٰ ثناياه لنقع الغبار ، فقال : أو قد وضعت السلاح ؟ لا ، والله ما وضعت الملائكة بعد السلاح ، اخرج إلىٰ بني قريظة فقاتلهم . قالت[٥] : فلبس رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لأمته وأذن في الناس بالرحيل أن يخرجوا ، [فخرج رسول الله ، صلى الله عليه وسلم][٦] ، فمر علىٰ بني غَنم[٧] وهم جيران المسجد حوله ، فقال : من مر بكم ؟ قالوا : مر بنا دحية الكلبيّ - وكان دحية الكلبيّ تشبه لحيته وسنه ووجهه جبريل - عليه الصلاة والسلام - فأتاهم رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فحاصرهم خمسًا وعشرين ليلة ، فلما اشتد حصارهم واشتد البلاء قيل لهم : انزلوا علىٰ حكم رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فاستشاروا أبا لبابة بن عبد المنذر ، فأشار إليهم أنه الذبح . قالوا : ننزل علىٰ حكم سعد بن معاذ [فقال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **انزلوا علىٰ حكم سعد بن معاذ** » . فنزلوا وبعث رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، إلىٰ سعد بن معاذ][٨] فأتي به على حمار عليه إكاف[٩] من ليف قد حُمل عليه ، وحَفّ به قومه ، فقالوا : يا أبا عمرو ، حلفاؤك ومواليك وأهل النّكاية[١٠] ومن قد علمت . قالت : ولا يَرْجِعُ إليهم شيئًا ، ولا يلتفت إليهم ، حتىٰ إذا دنا من دورهم التفت إلىٰ قومه فقال : قد آن لي أن لا أبالي في الله لومة لائم ، قال : قال أبو سعيد : فلما طلع قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **قوموا إلىٰ سيدكم فأنزلوه** » . فقال عمر : سيدنا الله . قال : « **أنزلوه** » . فأنزلوه ، قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **احكم فيهم** » . قال سعد : فإني أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم ، وتسبىٰ ذراريهم ، وتقسم أموالهم ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

---

[١] - في ز ، خ : « لي » .
[٢] - في ز ، خ : « المسبغة » .
[٣] - في ز ، خ : « فأصابت » .
[٤] - رقأ الدم : سكن وجفَّ وانقطع بعد جريانه . والكلْم : الجرح .
[٥] - في ز ، خ : « قال » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٧] - في خ ، ز : « تميم » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٩] - الإكاف : البرذعة التي توضع علىٰ ظهر الحمار .
[١٠] - في ز ، خ : « الكتابة » .

« **لقد حكمت فيهم بحكم اللّه وحكم رسوله** » . ثم دعا سعد فقال : اللهم ؛ إن كنت أبقيتَ علىٰ نبيك من حرب قريش شيئًا فأبقني لها ، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني إليك . قال : فانفجر كَلْمُه ، وكان قد برئ منه إلا مثل الخُرْص[١] ، ورجع إلىٰ قبته التي ضرب عليه رسول اللّه ، صلى الله عليه وسلم .

قالت عائشة : فَحَضَره[٢] رسولُ اللّه - صلىٰ اللّه عليه وسلم - وأبو[٣] بكر ، وعمر . قالت : فوالذي نفس محمد بيده ، إني لأعرف بكاء أبي بكر من بكاء عمر ، وأنا في حجرتي ، وكانوا كما قال اللّه تعالىٰ : ﴿ **رحماء بينهم** ﴾ .

قال علقمة : فقلت : أيْ أُمّه ؛ فكيف[٤] كان رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، يصنع ؟ قالت : كانت عينه لا تدمع علىٰ أحد ، ولكنه كان إذا وجد فإنما هو آخذ بلحيته .

وقد أخرج البخاري ومسلم(٥٧) من حديث عبد اللّه بن نمير ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه عن عائشة نحوًا من هذا ، ولكنه[٥] أخصر منه ، وفيه دُعاء سعد رضي اللّه عنه .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٢٩﴾

هذا أمر من اللّه لرسوله[٦] ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، بأن يُخَيِّر نساءه بين أن يفارقهن ، فيذهبن إلىٰ غيره ممن يَحصُلُ لهن [من] عنده الحياةُ الدنيا وزينتها ، وبين الصبر علىٰ ما عنده من ضيق الحال ، ولهن عند اللّه في ذلك الثوابُ الجزيل : فاخترن - رضي اللّه عنهن وأرضاهن - اللّه ورسوله والدار الآخرة ، فجمع اللّه لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة .

---

(٥٧) - صحيح البخارى في المغازى ، باب فرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الأحزاب ومخرجه إلى بنى قريظة ، حديث (٤١٢٢) ، ومسلم في الجهاد والسير ، باب : إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب ، حديث (١٧٦٩) من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة .

---

[١] - الخرص : الحلقة الصغيرة من الذهب أو الفضة . [٢] - في ز ، خ : « ويحضره » .
[٣] - في ز ، خ : « أبي » . [٤] - في ز ، خ : « كيف » .
[٥] - في ز ، خ : « لكن » . [٦] - في ز ، خ : « رسوله » .

قال البخاري (٥٨) : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، عن الزهريّ ، قال[١] : أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن ، أن عائشة -رضي الله عنها- زوج النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - أخبرته : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم جاءها حين أمره الله أن يخير أزواجه ، فبدأ بي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال : « **إني ذاكر لك أمرًا ، فلا عليك أن تستعجلي حتىٰ تستأمري أبويك** » . وقد عَلِمَ أن أبويّ لم يكونا يأمراني بفراقه ، قالت : ثم قال : إن الله قال : ﴿ **يا أيها النبيّ قل لأزواجك** ﴾ إلىٰ تمام الآيتين ، فقلت له : ففي أي هذا استأمر أبويّ ، فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة ؟

وكذا رواه معلقًا عن الليث : حدثني يونس ، عن الزهريّ ، عن أبي سلمة ، عن عائشة ، فذكره وزاد ، قالت : ثم فعل أزواج النبي صلىٰ الله عليه وسلم مثل ما فعلت(٥٩) .

وقد حكىٰ البخاريّ أن معمرًا اضطرب ، فتارة رواه عن الزهري ، عن أبي سلمة ، وتارة رواه عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة .

وقال ابن جرير(٦٠) : حدثنا أحمد بن عَبدة الضبي ، حدثنا أبو عوانة ، عن عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه قال : قالت عائشة : لما نزل الخيار قال لي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إني أريد أن أذكر لك أمرًا ، فلا تقضي فيه شيئًا حتىٰ تستأمري أبويك** » . قالت : قلت : وما هو يا رسول الله ؟ قال[٢] : فردّه عليها فقالت : فما هو يا رسول الله ؟ قالت : فقرأ عليها : ﴿ **يا أيها النبيّ قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها** ﴾ إلىٰ آخر الآية ، قالت : فقلت : بل نختار الله ورسوله والدار الآخرة . قالت : ففرح بذلك النبيّ صلىٰ الله عليه وسلم .

وحدثنا ابن وكيع (٦١) ، حدثنا محمد بن بشر ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : لما نزلت آية التخيير ، بدأ بي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال : « **يا عائشة ؛ إني عارض عليك أمرًا ، فلا تفتاتي فيه بشيء[٣] حتىٰ تعرضيه علىٰ أبويك أبي بكر وأم رومان** » . فقلت : يا رسول الله ؛ وما هو ؟ قال : قال الله عز وجل :

---

(٥٨) - صحيح البخارى كتاب التفسير ، باب : ﴿ قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا . . . ﴾ حديث (٤٧٨٥) ، وأخرجه مسلم في الطلاق ، حديث (١٤٧٥) من طريق يونس بن يزيد عن الزهرى به .

(٥٩) - صحيح البخارى في التفسير ، باب : ﴿ وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرًا عظيمًا ﴾ .

(٦٠) - تفسير الطبرى (١٥٧/٢١) ، وأخرجه أحمد (١٥٢،٧٧/٦) من طريق أبي عوانة به .

(٦١) - تفسير الطبرى (١٥٨/٢١) ، وأخرجه أحمد (٢١١/٦) عن محمد بن بشر به .

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - في ز ، خ: « قالت » .

[٣] - سقط من : ز ، خ.

﴿ يا أيها النبيّ قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحًا جميلًا وإن كنتن تردن اللّٰه ورسوله والدار الآخرة فإن اللّٰه أعد للمحسنات منكن أجرًا عظيمًا ﴾ . قالت : فإني أريد اللّٰه ورسوله والدار الآخرة ، ولا أؤامر في ذلك أبويّ أبا بكر وأم رومان ، فضحك رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ثم استقرأ الحُجَر فقال : « **إن عائشة قالت كذا وكذا** » . فقلن : ونحن نقول مثل ما قالت عائشة . رضي اللّٰه عنهن كلهن .

ورواه ابن أبي حاتم ، عن أبي سعيد الأشج ، عن أبي أسامة ، عن محمد بن عمرو ، به .

قال ابن جرير (٦٢) : وحدثنا سعيد بن يحيىٰ الأموي ، حدثنا أبي ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد اللّٰه بن أبي بكر ، عن عَمرة ، عن عائشة أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم لما نزل إلىٰ نسائه أمر أن يخيرهن ، فدخل عَليّ فقال : « **سأذكر لك أمرًا فلا تعجلي حتىٰ تستشيري أباك** » : فقلت . وما هو يا نبيّ اللّٰه ؟ قال : « **إني أمرت أن أخيركن** » ، وتلا عليها آية التخيير ، إلىٰ آخر الآيتين . قالت : فقلت : وما الذي تقول لا تستعجلي[١] حتىٰ تستشيري أباك ؟ فإني أختار اللّٰه ورسوله . فَسُرّ بذلك ، وعَرَض علىٰ نسائه فتتابعن كُلّهن ، فاخترن اللّٰه ورسوله .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا يزيد بن سنان البصري ، حدثنا أبو صالح عبد اللّٰه بن صالح ، حدثني الليث ، حدثني عُقَيل ، عن الزهريّ ، أخبرني عبيد اللّٰه بن [عبد الله بن][٢] أبي ثَوْر ، عن ابن عباس - رضي اللّٰه عنهما - قال : قالت عائشة - رضي اللّٰه عنها - : أنزلت آية التخيير ، فبدأ بي أول امرأة من نسائه ، فقال : إني ذاكر لك أمرًا ، فلا عليك أن لا تعجلي حتىٰ تستأمري أبويك » قالت : قد عَلِمَ أن أبويّ لم يكونا يأمراني بفراقه قالت : ثم قال : إن اللّٰه قال : **﴿ يا أيها النبيّ قل لأزواجك ...﴾** الآيتين . قالت عائشة : فقلت : أفي هذا أستأمر أبويّ ؟ فإني أريد اللّٰه ورسوله والدار الآخرة . ثم خير نساءه كلهن ، فقلن مثل ما قالت عائشة رضي اللّٰه عنهن .

وأخرجه البخاري ومسلم جميعًا(٦٣) عن قتيبة عن الليث عن الزهري عن عروة عن عائشة مثله .

وقال الإمام أحمد(٦٤) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن مسلم بن صَبيح ، عن

(٦٢) - تفسير الطبرى (١٥٨/٢١) .

(٦٣) - لم أجده بهذا الإسناد فيهما ، ولا ذكره الحافظ المزي في تحفة الأشراف .

(٦٤) - المسند (٤٥/٦،٤٧) ، وأخرجه البخارى في الطلاق باب : من خير أزواجه ، حديث (٥٢٦٢) ، ومسلم في الطلاق حديث (١٤٧٧) (٢٨) من طريق الأعمش به .

[١] - في ت : « تعجلي » . [٢] - سقط في : ز ، خ.

مسروق ، عن عائشة قالت : خيرنا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فاخترناه ، فلم يعدها علينا شيئًا . أخرجاه من حديث الأعمش .

وقال الإمام أحمد (٦٥) : حدثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو ، حدثنا زكريا بن إسحاق ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : أقبل أبو بكر - رضي اللَّه عنه - يستأذن علىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، والناس ببابه جلوس ، والنبيّ صلىٰ اللَّه عليه وسلم جالس . فلم يؤذن له . ثم أقبل عمر فاستأذن فلم يؤذن له . ثم أذن لأبي بكر وعمر فدخلا ، والنبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم جالس وحوله نساؤه ، وهو ساكت ، فقال عمر : لأكلمن النبيّ صلىٰ اللَّه عليه وسلم لعله يضحك ، فقال عمر : يا رسول اللَّه ؛ لو رأيت ابنة زيد - امرأة عمر - سألتني النفقة آنفًا ، فوجأت عُنقها ، فضحك النبي صلى اللَّه عليه وسلم حتى بدا ناجذه . وقال: « **هن حولي يسألنني النفقة** » . فقام أبو بكر رضي اللَّه عنه إلىٰ عائشة ليضربها ، وقام عمر - رضي اللَّه عنه - إلىٰ حفصة ، كلاهما يقولان : تسألان النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ما ليس عنده ! فنهاهما رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقلن نساؤه : واللَّه لا نسأل رسول اللَّه بعد هذا المجلس ما ليس عنده. قال : وأنزل اللَّه - عز وجل - الخيار ، فبدأ بعائشة فقال : « **إني أذكر لك أمرًا ما أحب أن تعجلي فيه حتىٰ تستأمري أبويك** » . قالت : وما هو ؟ قال: فتلا عليها : ﴿ **يا أيها النبي قل لأزواجك ...**﴾ الآية . قالت عائشة -رضي اللَّه عنها- : أفيك أستأمر أبوي ، بل أختار اللَّه ورسوله ، وأسألك أن لا تذكر لامرأة من نسائِك ما اخترت . فقال : « **إن اللَّه تعالىٰ لم يبعثني معنفًا ، ولكن بعثني معلمًا ميسرًا ، لا تسألني امرأة منهن عما اخترت إلا أخبرتُها** » . انفرد بإخراجه مسلم[١] دون البخاري ، فرواه هو والنسائي ، من حديث زكريا بن إسحاق المكيّ به .

وقال عبد اللَّه ابن الإمام أحمد(٦٦) : حدثنا سريج[٢] بن يونس ، حدثنا علي بن هاشم بن البريد ، عن محمد بن عبيد [اللَّه بن عليّ][٣] بن أبي رافع ، عن عثمان بن عليّ بن الحسين ،

---

(٦٥) - المسند (٣٢٨/٣) ، وأخرجه مسلم في الطلاق ، حديث (١٤٧٨) ، والنسائي في الكبرى كتاب عشرة النساء ، باب : إذا لم يجد الرجل ما ينفق على امرأته هل يخير امرأته ، حديث (٩٢٠٨) من طريق زكريا بن إسحاق به .

(٦٦) - المسند (٧٨/١) ، وأخرجه في نفس الموضع عن يحيى بن أيوب عن على بن هاشم به .

ومحمد بن عبيدالله أبي رافع منكر الحديث وقد وقع اسمه في جميع النسخ « محمد بن عبيدالله بن أبي رافع » والصواب « عبيد الله أبي رافع » بدون (ابن) وهو منكر الحديث ترجمته في التاريخ الكبير للبخارى (١٧١/١) ، وانظر تعليق العلامة أحمد شاكر على المسند (٣٠/٢) حديث (٥٨٨،٥٨٩) .

---

[١] - سقط في : ز ، خ.

[٢] - في ز ، خ: « شريح » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

عن أبيه ، عن عليّ رضي الله عنه : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم خَيَّر نساءه الدنيا والآخرة ، ولم يخيرهن الطلاق .

وهذا منقطع ، وقد رُوي عن الحسن وقتادة وغيرهما نحو ذلك . وهو خلاف الظاهر من الآية ، فإنه قال : ﴿ **فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحًا جميلًا** ﴾ أي : أعطيكن حقوقكن ، وأطلق سراحكن .

وقد اختلف العلماء في جواز تزويج غيره لهن لو طلقهن ، علىٰ قولين ، وأصحهما : نعم لو وقع ، ليحصل المقصود من السراح ، والله أعلم .

قال عكرمة : وكان تحته يومئذ تسع نسوة ، خمس من قريش : عائشة ، وحفصة ، وأم حبيبة ، وسودة ، وأم سلمة ، وكانت تحته صلىٰ الله عليه وسلم صفية بنت حُيَيّ النَّضَرِيَّة ، وميمونة بنت الحارث الهلالية ، وزينب بنت جحش الأسدية ، وجويرية بنت الحارث المصطلقية ، رضي الله عنهن وأرضاهن .

يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾

يقول تعالىٰ واعظًا نساء النبي – صلىٰ الله عليه وسلم – اللاتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة ، واستقر أمرهن تحت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أن يخبرهن[١] بحكمهن دون سائر النساء ، بأن[٢] من يأت منهن بفاحشة مبينة – قال ابن عباس : وهي النشوز وسوء الخلق – وعلىٰ كل تقدير فهو شرط ، والشرط لا يقتضي الوقوع ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ولقد أوحي إليك وإلىٰ الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك** ﴾ ، وكقوله : ﴿ **ولوا أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون** ﴾ ﴿ **قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين** ﴾ ﴿ **لو أراد الله أن يتخذ ولدًا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار** ﴾ فلما كانت محلتهن رفيعة ، ناسب أن يجعل الذنب لو وقع منهن مغلظًا ، صيانة لجنابهن وحجابهن الرفيع ؛ ولهذا قال : ﴿ **من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين** ﴾ . قال مالك عن زيد ابن أسلم : ﴿ **يضاعف لها العذاب ضعفين** ﴾ . قال : في الدنيا والآخرة .

وعن ابن أبي نجيح ، [عن مجاهد][٣] مثله .

---

[١] – في ز ، خ: « يخترن » . [٢] – في ز ، خ: « فإن » .

[٣] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

﴿ **وكان ذلك على الله يسيرا** ﴾ أي: سهلًا هينًا ثم، ذكر عدله وفضله في قوله: ﴿ **ومن يقنت منكن لله ورسوله** ﴾، أي: يطيع[١] الله ورسوله ويستجيب ﴿ **نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقًا كريمًا** ﴾، أي: في الجنة، فإنهن في منازل رسول الله صلى الله عليه وسلم، في أعلى عليين، فوق منازل جميع الخلائق، في الوسيلة التي هي أقرب منازل الجنة إلى العرش.

يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾

هذه آداب أمر الله بها نساء النبيّ صلى الله عليه وسلم، ونساء الأمة تبع لهن في ذلك، فقال مخاطبًا لنساء النبي بأنهن إذا اتقين الله كما أمرهن، فإنهن[٢] لا يشبههن أحد من النساء، ولا يلحقهن في الفضيلة والمنزلة، ثم قال: ﴿ **فلا تخضعن بالقول** ﴾. قال السدي وغيره: يعني بذلك ترقيق الكلام إذا خاطبن الرجال، ولهذا قال: ﴿ **فيطمع الذي في قلبه مرض** ﴾، أي: دَغَل، ﴿ **وقلن قولًا معروفًا** ﴾ قال ابن زيد: قولًا حسنًا جميلًا معروفًا في الخير، ومعنى هذا أنها تخاطب الأجانب بكلام ليس فيه ترخيم، أي: لا تخاطب المرأة الأجانب كما تخاطب زوجها.

وقوله: ﴿ **وقرن في بيوتكن** ﴾، أي: الزمن بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة. ومن الحوائج الشرعية الصلاة في المسجد بشرطه، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، وليخرجن وهن تَفِلاتٌ**»[٣]. وفي رواية: «**وبيوتهن خير لهن**»(٦٧).

---

(٦٧) - أخرجه أحمد (٢/٤٣٨،٤٧٥،٥٢٨)، وأبو داود في الصلاة، باب: ما جاء في خروج النساء إلى المسجد، حديث (٥٦٥) والدارمي (١٢٨٢)، وابن خزيمة (١٦٧٩) من طرق عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة به مرفوعاً. =

[١] - في ت: «يطع».
[٢] - في ت: «فإنه».
[٣] - غير متعطرات.

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا حميد بن مسعدة[١]، حدثنا أبو رجاء الكلبيّ: روح بن المسيب - ثقة - حدثنا ثابت البناني، عن أنس - رضي الله عنه - قال: جئن النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن: يا رسول الله؛ ذهب الرجال بالفضل والجهاد في سبيل الله تعالى، فمالنا عمل ندرك به عمل المجاهدين في سبيل الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من قعد - أو كلمة نحوها - منكن في بيتها فإنها تدرك عمل المجاهد[٢] في سبيل الله**».

ثم قال: لا نعلم رواه عن ثابت إلا روح بن المسيب وهو رجل من أهل البصرة مشهور.

وقال البزار(٦٨) أيضًا: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا عمرو بن عاصم، حدثنا همام، عن قتادة، عن مُوَرِّق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «**إن المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان وأقرب ما تكون بروحة ربها وهي في قعر بيتها**».

ورواه الترمذي عن بندار عن عمرو بن عاصم به نحوه.

وروى البزار بإسناده المتقدم، وأبوداود أيضًا(٦٩)، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «**صلاة المرأة في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها، وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها**». وهذا إسناد جيد.

وقوله تعالى: ﴿**ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى**﴾، قال مجاهد: كانت المرأة تخرج تمشي بين يدي الرجال، فذلك تبرج الجاهلية.

وقال قتادة: ﴿**ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى**﴾ يقول: إذا خرجتن من بيوتكن - وكانت لهن مشية وتكسر وتغنج[٣] - فنهى الله عن ذلك.

= وروى أوله البخارى في صحيحه في الجمعة، حديث (٩٠٠)، ومسلم في الصلاة، حديث (٤٤٢) (١٣٦) من حديث عبدالله بن عمر، والرواية الثانية: «و بيوتهن خير لهن» عند أبي داود في الصلاة، باب ما جاء في خروج النساء إلى المسجد، حديث (٥٦٧) من حديث ابن عمر.

(٦٨) - مسند البزار (٢٠٦١) وأخرجه الترمذي في الرضاع، باب: (١٨)، حديث (١١٧٣) عن محمد ابن بشار عن عمرو بن عاصم به مختصرًا، وأخرجه ابن خزيمة (١٦٨٥) عن أبي موسى عن عمرو بن عاصم به.

(٦٩) - مسند البزار (٢٠٦٠)، وسنن أبي داود في الصلاة، باب: التشديد في ذلك، حديث (٥٧٠) عن ابن المثنى بإسناد البزار السابق. وأخرجه ابن خزيمة (١٦٨٨، ١٦٩٠) من طريقين عن عمرو بن عاصم به.

---

[١] - في خ، ز: «مسعود».
[٢] - في ت: «المجاهدين».
[٣] - في ز، خ: «وتقبح».

وقال مقاتل بن حيان : ﴿ **ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولىٰ** ﴾ ، والتبرج : أنها تلقي[١] الخمار علىٰ رأسها ، ولا تشده فيواري قلائدها وقرطها وعنقها ، ويبدو ذلك كله منها ، وذلك التبرج ، ثم عمت نساء المؤمنين في التبرج .

وقال ابن جرير(٧٠) : حدثني ابن[٢] زهير ، حدثنا موسىٰ بن إسماعيل ، حدثنا داود - يعني ابن أبي الفرات - حدثنا علي بن أحمر ، عن عكرمة عن ابن عباس قال : تلا هذه الآية : ﴿ **ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولىٰ** ﴾ . قال : كانت فيما بين نوح وإدريس ، فكانت[٣] ألف سنة ، وإن بطنين من ولد آدم كان أحدهما يسكن السهل ، والآخر يسكن الجبل ، وكان رجال الجبل صباحًا وفي النساء دمامة ، وكان نساء السهل صباحًا وفي الرجال دمامة ، وإن إبليس أتىٰ رجلًا من أهل السهل في صورة غلام ، فآجر[٤] نفسه منه ، فكان يخدمه واتخذ إبليس شيئًا مثل الذي يُزَمّر فيه الرِّعاء ، فجاء فيه بصوت لم يسمع الناس مثله ، فبلغ ذلك من حوله ، فانتابوهم يسمعون إليه ، واتخذوا عيدًا يجتمعون إليه في السنة ، فيتبرَّجُ [النساء للرجال][٥] - قال : ويتزين[٦] الرجال لهن ، وإن رجلًا من أهل الجبل هَجَم عليهم في عيدهم ذلك ، فرأىٰ النساء وصباحتهن ، فأتىٰ أصحابه فأخبرهم بذلك ، فتحولوا إليهن . فنزلوا معهن وظهرت الفاحشة فيهن ، فهو قوله تعالىٰ : ﴿ **ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولىٰ** ﴾

وقوله : ﴿ **وأقمن الصلاة وآتين الذكاة وأطعن الله ورسوله** ﴾ نهاهن أولًا عن الشر ثم أمرهن بالخير ، من إقامة الصلاة - وهي : عبادة اللّٰه وحده لا شريك له - وإيتاء الزكاة ، وهي : الإحسان إلىٰ المخلوقين ، ﴿ **وأطعن اللّٰه ورسوله** ﴾ ، وهذا من باب عطف العام علىٰ الخاص .

وقوله : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا** ﴾ وهذا نص في دخول أزواج النبي - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - في أهل البيت هاهنا . لأنهن سبب نزول هذه[٧] الآية ، وسبب النزول داخل فيه قولًا واحدًا إما وحده على قول أو مع غيره على الصحيح .

وروىٰ ابن جرير ، عن عكرمة أنه كان ينادي في السوق : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا** ﴾ ، نزلت في نساء النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم خاصة ،

(٧٠) - تفسير الطبري (٤/٢٢) ، وأخرجه الحاكم في المستدرك والبيهقي في شعب الإيمان (٥٤٥١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٧٤/٥) إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم وابن مردويه .

[١] - في خ : « ترمي » . [٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ت : « وكانت » . [٤] - في خ : « فأخرجه » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: «الرجال للنساء» . [٦] - في خ ، ز : « وينزل » .
[٧] - سقط من : خ ، ز .

وهكذا روىٰ ابن أبي حاتم قال[١] : حدثنا عليّ بن حرب الموصلي ، حدثنا زيد بن الحباب ، حدثنا حسين بن واقد ، عن يزيد النحوي ، عن عكرمة عن ابن عباس في قوله : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت** ﴾ ، قال : نزلت في نساء النبي صلىٰ الله عليه وسلم خاصة .

وقال عكرمة : من شاء باهلته(*) أنها نزلت في أزواج النبي صلىٰ الله عليه وسلم(٧١) .

فإن كان المراد أنهن كن سبب النزول دون غيرهن فصحيح ، وإن أريد أنهن المراد فقط دون غيرهن ، ففي هذا نظر ؛ فإنه قد وردت أحاديث تدل علىٰ أن المراد أعم من ذلك :

(الحديث الأول) : قال الإمام أحمد(٧٢) : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، أخبرنا عليّ بن زيد ، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : إن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلىٰ صلاة الفجر ، يقول : الصلاة يا أهل البيت ، ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا** ﴾ .

ورواه الترمذي عن عبد بن حميد عن عفان به ، وقال : حسن غريب .

(حديث آخر) ، قال ابن جرير (٧٣) : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا يونس بن أبي إسحاق ، أخبرني أبو داود، عن أبي الحمراء قال : رابطت المدينة سبعة أشهر علىٰ عهد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، [قال : رأيت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم][٢] إذا طلع الفجر ، جاء إلىٰ باب عليّ وفاطمة فقال : « **الصلاة الصلاة** ، ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا** ﴾ » .

أبو داود الأعمى هو نفيع[٣] بن الحارث كذّاب .

(*) باهل القومُ بعضُهم بعضًا : اجتمعوا وتداعَوْا ، فاستنزلوا لعنة الله على الظالم منهم .

(٧١) - عزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٧٦/٥) إلى ابن أبي حاتم وابن عساكر .

(٧٢) - المسند (٢٨٥/٣) ، وأخرجه عبد بن حميد (١٢٣٠ منتخب) - وعنه الترمذي في السنن ، كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الأحزاب حديث (٣٢٠٦) - عن عفان به . وأخرجه أحمد (٢٥٩/٣) من طريق حماد بن سلمة به .

(٧٣) - تفسير الطبري (٦/٢٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٧٨/٥) إلى ابن مردويه ، وإسناد الحديث ضعيف جدًا ؛ نفيع بن الحارث أبو داود الأعمى متروك كذبه ابن معين ، وهو من رجال التهذيب روى له الترمذي وابن ماجة .

---

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ز ، خ : « بضع » .

(حديث آخر) : وقال الإمام أحمد أيضًا(٧٤) : حدثنا محمد بن مصعب ، حدثنا الأوزاعي ، حدثنا شداد أبو[١] عمار قال: دخلت علىٰ واثلة بن الأسقع وعنده قوم، فذكروا عليًا - رضي اللَّه عنه - فلما قاموا قال لي : ألا أخبرك بما رأيتُ من رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ؟ قلت : بلىٰ . قال : أتيت فاطمة أسألها عن عليّ فقالت : تَوَجّه إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فجلست أنتظره حتىٰ جاء رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ومعه عليّ[٢] وحسن وحسين ، آخذ كل واحد منهما بيده حتىٰ دخل ، فأدنىٰ عليًا وفاطمة وأجلسهما بين يديه ، وأجلس حسنًا وحسينًا كل واحد منهما علىٰ فخذه ، ثم لف عليهم ثوبه - أو قال : كساءه - ثم تلا هذه الآية : ﴿ **إنما يريد اللَّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ، ويطهركم تطهيرًا** ﴾ ، « **اللهم؛ هؤلاء أهل بيتي ، وأهل بيتي أحق** » .

وقد رواه أبو جعفر بن جرير(٧٥) عن عبد الكريم بن[٣] أبي عمير ، عن الوليد بن مسلم ، عن أبي عمرو الأوزاعي بسنده نحوه ، زاد في آخره : قال واثلة : فقلت : وأنا ، يا رسول اللَّه - صلىٰ اللَّه عليك - من أهلك ؟ قال : « **وأنت من أهلي** » . قال واثلة : إنها من أرجىٰ ما أرتجي .

ثم رواه أيضًا(٧٦) عن عبد الأعلىٰ بن واصل[٤] ، عن الفضل بن دكين ، عن عبد السلام بن حرب ، عن كلثوم المحاربي ، عن شداد أبي[٥] عمار قال[٦] : إني لجالس عند واثلة بن الأسقع ، إذ ذكروا عليًا فشتموه ، فلما قاموا قال : اجلس حتىٰ أخبرك عن الذي شتموه : إني عند رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم إذ جاء عليّ وفاطمة وحسن وحسين فألقىٰ صلىٰ اللَّه عليه وسلم عليهم كساء له ، ثم قال : « **اللهم؛ هؤلاء أهل بيتي ، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا** ». قلت: يا رسول اللَّه ؛ وأنا ؟ قال : « **وأنت** » . قال : فواللَّه إنها لأوثق عملي عندي .

[حديث آخر][٧] : قال الإمام أحمد (٧٧) : حدثنا عبد اللَّه بن نمير ، حدثنا عبد الملك بن

---

(٧٤) - المسند (١٠٧/٤) ، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٥٠١/٧) عن محمد بن مصعب به ، وأخرجه الحاكم (٤١٦/٢) والبيهقي في السنن (١٥٢/٢) من طريق الوليد بن مزيد عن الأوزاعي به . وانظر الحديثين التاليين .

(٧٥) - تفسير الطبري (٧/٢٢) .

(٧٦) - تفسير الطبري (٦/٢٢، ٧) .

(٧٧) - المسند (٢٩٢/٦) وللحديث طرق أخرى عن أم سلمة يأتي تخريجها عند المصنف .

---

[١] - في خ ، ز : « بن » .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ز : عن ، وسقط من : خ .

[٤] - في خ ، ز : « زامل » .

[٥] - في ز ، خ : ابن أبي .

[٦] - سقط في : ز، خ .

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط في : ز، خ .

أبي سليمان ، عن عطاء بن أبي رباح ، حدثني من سمع أم سلمة تذكر أن النبي - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - كان في بيتها ، فأتته فاطمة - رضي اللَّه عنها - ببرمة فيها خزيرة(*) ، فدخلت بها عليه فقال لها : « **ادعي زوجك وابنيك**[١] » . قالت : فجاء عليّ وحسن وحسين فدخلوا عليه ، فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة ، وهو علىٰ منامة(**) له علىٰ دكان تحته كساء خيبري ، قالت : وأنا في الحجرة أصلي ، فأنزل اللَّه - عز وجل - هذه الآية : ﴿ **إنما يريد اللَّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ، ويطهركم تطهيرًا** ﴾ قالت : فأخذ فضل الكساء فغطاهم به ، ثم أخرج[٢] يده فألوى بها إلىٰ السماء ، ثم قال : « **اللهم ؛ هؤلاء أهل بيتي وحامَّتِي(***) ، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا** » . قالت : فأدخلت رأسي البيت ، فقلت : وأنا معكم يا رسول اللَّه ؟ فقال : « **إنك إلىٰ خير إنك إلىٰ خير** » .

في إسناده من لم يسم[٣] وهو شيخ عطاء وبقية رجاله ثقات .

(طريق أخرىٰ) ، قال الإمام أحمد(٧٨) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا عوف ، عن أبي المعدل [عطية](****) الطفاوي ، عن أبيه أن أم سلمة حدثته قالت : بينما رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم في بيتي يومًا ؛ [إذ قالت][٤] الخادم : إن فاطمة وعليًا بالسدة(*****) قالت : فقال لي : قومي فَتَنَحي عن أهل بيتي . قالت : فقمت فتنحيت في البيت قريبًا ، فدخل علي وفاطمة ، ومعهما الحسن والحسين ، وهما صبيان صغيران ، فأخذ الصبيين فوضعهما في حجره فقبلهما ، واعتنق عليًا بإحدىٰ يديه وفاطمة باليد الأخرىٰ ، وقبل فاطمة وقبل عليًا ، وأغدف[٥](******) عليهم خَميصَة سوداء وقال : « **اللهم ؛ إليك لا إلىٰ النار أنا وأهل بيتي** » . قالت : قلت[٦] : وأنا يا رسول اللَّه ؟ صلىٰ اللَّه عليك ! قال : « **وأنت** » .

(*) الخزيرة : لحم يقطع صغارًا ويصب عليه ماء كثير ، فإذا نضج ذر عليه الدقيق .

(**) أي قطيفة .

(***) في ت : خاصتي ، كذا في مطبوعة المسند ، والمثبت من ز ، خ ، وكذا هو في مخطوطة المسند الأزهرية ، وحامة الإنسان : خاصته ومن يقرب منه ، وهو الحميم أيضًا . [النهاية : ١/٤٤٦] .

(٧٨) - المسند (٦/٢٩٦) ، وأخرجه في (٦/٣٠٤) عن عبد الوهاب بن عطاء عن عوف به .

(****) في ز ، خ : عن عطية ، وهو تحريف ؛ لأن عطية هو نفسه أبو المعدل .

(*****) السدة كالظلة على الباب ، لتقي الباب من المطر ، وقيل : هي الباب نفسه ، وقيل : الساحة بين يديه . النهاية [٢/٣٥٣] .

(******) أي : أرسلها وأسبلها .

---

[١] - في ز ، خ: « وبنيك » .

[٢] - في ت : « أخرجه » .

[٣] - في خ ، ز : « يسمع » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « فقالت » .

[٥] - في ز : « أغرف » .

[٦] - في ت : « فقلت » .

(طريق أخرىٰ) قال ابن جرير(٧٩) : حدثنا أبو كريب ، [حدثنا الحسن بن عطية][١] ، حدثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، عن أم سلمة أن هذه الآية نزلت في بيتها ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا** ﴾ ، قالت : وأنا جالسة علىٰ باب البيت فقلت : يا رسول الله ؛ ألستُ من أهل البيت ؟ فقال : « **إنك إلىٰ خير ، أنت من أزواج النبي** » صلىٰ الله عليه وسلم ، قالت : وفي البيت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وعليّ ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، رضي الله عنهم .

(طريق أخرىٰ) : رواه ابن جرير أيضًا(٨٠) ، عن أبي كريب ، عن وكيع ، عن عبد الحميد ابن بهرام ، عن شهر بن حوشب عن أم سلمة بنحوه .

(طريق أخرىٰ) : قال ابن جرير (٨١) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا خالد بن مخلد ، حدثني موسىٰ بن يعقوب ، حدثني هاشم بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، عن عبد الله بن وهب بن زمعة قال : أخبرتني أم سلمة -رضي الله عنها- أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم جمع فاطمة والحسن والحسين ، ثم أدخلهم تحت ثوبه ، ثم جأر إلىٰ الله -عز وجل- ثم قال : « **هؤلاء أهل بيتي** » . قالت أم سلمة : فقلت : يا رسول الله ؛ أدخلني معهم . فقال : « **أنت من أهلي** » .

(طريق أخرىٰ) : رواه ابن جرير أيضًا(٨٢) عن أحمد بن محمد الطوسي ، عن عبد الرحمن ابن صالح ، عن محمد بن سليمان الأصبهاني ، عن يحيىٰ بن عبيد المكي ، عن عطاء ، عن عمر بن أبي سلمة ، عن أمه بنحو ذلك .

(طريق أخرىٰ) : قال ابن جرير (٨٣) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا مصعب بن المقدام ، حدثنا سعيد ابن زَرْبِيّ ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة ، عن أم سلمة قالت : جاءت فاطمة إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بِبُرْمة لها ، قد صنعت فيها عَصيدة تحملها علىٰ

(٧٩) - تفسير الطبري (٧/٢٢) ، وأخرجه الخطيب في تاريخه (٢٧٨/١٠) من طريق عمران بن مسلم عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري نحوه .

(٨٠) - المصدر السابق (٧/٢٢) .

(٨١) - أخرجه الطبري في تفسيره (٧/٢٢) عن أبي كريب عن وكيع عن عبد الحميد عن شهر عن فضيل بن مرزوق بنفس الإسناد السابق ، وأخرجه في (٦/٢٢) عن موسى بن عبد الرحمن المسروقي عن يحيى بن إبراهيم عن هلال بن مقلاص ، عن زبيد عن شهر عن أم سلمة .

(٨٢) - تفسير الطبري (٨/٢٢) .

(٨٣) - تفسير الطبري (٧/٢٢) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

طبق ، فوضعتها بين يديه فقال : « **أين ابن عمك وابناك ؟** » فقالت : في البيت . فقال : « **ادعيهم** » ، فجاءت إلىٰ عليّ فقالت : أجِبْ رسولَ الله أنت وابناك . قالت أم سلمة : فلما رآهم مقبلين مد يده إلىٰ كساء كان علىٰ المنامة ، فمده وبسطه ، وأجلسهم عليه ، ثم أخذ بأطراف الكساء الأربعة بشماله ، فضمه فوق رءوسهم ، وأومأ بيده اليمنىٰ إلىٰ ربه - عز وجل - فقال : « **اللهم ؛ هؤلاء[١] أهل البيت ، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا** » .

(طريق أخرىٰ) : قال ابن جرير (٨٤) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا عبد الله بن عبد القدوس ، عن الأعمش ، عن حكيم بن سعد قال : ذكرنا عليّ بن أبي طالب عند أم سلمة ، فقالت : في بيتي نزلت : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا** ﴾ . قالت أم سلمة : جاء رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ بيتي فقال[٢] : « **لا تأذني لأحد** » . فجاءت فاطمة فلم أستطع أن أحجبها عن أبيها . ثم جاء الحسن فلم أستطع أن أحجبه عن أمه وجده . ثم جاء الحسين فلم أستطع أن أحجبه، ثم جاء عليّ فلم أستطع أن أحجبه . فاجتمعوا فَجَلّلهم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بكساء كان عليه ، ثم قال : « **هؤلاء أهل بيتي ، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا** » . فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا علىٰ البساط ، قالت : فقلت : يا رسول الله ، وأنا[٣] ؟ قالت : فوالله ما أنعم وقال: « **إنك إلى خير** » .

(حديث آخر) : قال ابن جرير (٨٥) : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا محمد بن بشر ، عن زكريا ، عن مصعب بن شيبة ، عن صفية بنت شيبة قالت: قالت عائشة رضي الله عنها : خرج رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ذات غداة ، وعليه مرط مرحل من شَعر أسود ، فجاء الحسن فأدخله معه ، [ثم جاء الحسين فأدخله معه ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها معه][٤] ، ثم جاء عليّ فأدخله معه ، ثم قال : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا** ﴾ .

ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن محمد بن بشر به .

(٨٤) - تفسير الطبري (٨/٢٢) .

(٨٥) - تفسير الطبري (٦/٢٢) ، وأخرجه أحمد (١٦٢/٦) ، ومسلم في اللباس والزينة ، حديث (٢٠٨١)، وفي فضائل الصحابة ، حديث (٢٤٢٤) وأبو داود في اللباس ، باب : في لبس الصوف والشعر حديث (٤٠٣٢) ، والترمذي في الأدب ، باب : ما جاء في الثوب الأسود من حديث (٢٨٣١) من طريق زكريا بن أبي زائدة به .

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ز ، خ : « فأنا » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

(طريق أخرىٰ) : قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا سُرَيج[١] بن يونس أبو الحارث ، حدثنا محمد بن يزيد ، عن العوام - يعني ابن حوشب - عن عم له قال : دخلت مع أبي علىٰ عائشة ، فسألتها عن عليّ -رضي اللَّه عنه- فقالت -رضي اللَّه عنها- : تسألني عن رجل كان من أحب الناس إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وكانت تحته ابنته وأحب الناس إليه ؟ لقد رأيت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم دعا عليًا وفاطمة وحسنًا وحسينًا . فألقىٰ عليهم ثوبًا فقال : « **اللهم ؛ هؤلاء أهل بيتي ، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا** » . قالت : فدنوت منه فقلت : يا رسول اللَّه ؛ وأنا من أهل بيتك ؟ فقال : « **تنحي ، فإنك علىٰ خير** » .

(حديث آخر) قال ابن جرير(٨٦) : حدثنا ابن المثنىٰ ، حدثنا بكر بن يحيىٰ بن زبّان العنزي[٢] ، حدثنا مندل ، عن الأعمش ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **نزلت هذه الآية في خمسة : في ، وفي عليّ ، وحسن ، وحسين ، وفاطمة : ﴿ إنما يريد اللَّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا ﴾** » وقد تقدم أن فضيل بن مرزوق رواه عن عطية عن أبي سعيد عن أم سلمة كما تقدم . وروىٰ ابن أبي حاتم من حديث هارون بن سعد[٣] العجلي ، عن عطية ، عن أبي سعيد موقوفًا ، فاللَّه أعلم .

(حديث آخر) : قال ابن جرير (٨٧) : حدثنا ابن المثنىٰ ، حدثنا أبو بكر الحنفي ، حدثنا بكير بن مسمار قال[٤] : سمعت عامر بن سعد قال : قال سعد : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم حين نزل عليه الوحي ، فأخذ عليًا وابنيه وفاطمة فأدخلهم تحت ثوبه ، ثم قال : « **رب هؤلاء أهلي وأهل بيتي** » .

(حديث آخر) : وقال مسلم في صحيحه(٨٨) : حدثني زهير بن حرب ، وشُجاع بن مَخْلَد - جميعًا - عن ابن عُلَيَّة قال زهير : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدثني أبو[٥] حَيَّان ، حدثني يزيد بن حَيَّان قال : انطلقت أنا وحُصَين بن سَبْرَةَ وعمر بن مسلم[٦] إلىٰ زيد بن أرقم ، فلما جلسنا إليه قال له حصين : لقد لقيتَ يا زيدُ خيرًا كثيرًا ؛ [رأيت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه

(٨٦) - تفسير الطبري (٦/٢٢) ، وأخرجه الطبراني .

(٨٧) - تفسير الطبري (٨/٢٢) ، وأخرجه الحاكم (١٤٧/٣) من طريق بكير بن مسمار به . وزاد السيوطي في الدر (٣٧٧/٥) نسبته إلى ابن مردويه .

(٨٨) - صحيح مسلم في فضائل الصحابة ، حديث (٢٤٠٨) (٣٦) ، وانظر التالي .

[١] - في ز ، خ: « شُريح » .
[٢] - في ز ، خ: « العربي » .
[٣] - في ز : « سعيد » .
[٤] - سقط من : خ ، ز .
[٥] - في خ ، ز : « بن » .
[٦] - في ز : « سلمة » .

وسلم وسمعت حديثه، وغزوت معه، وصليت خلفه، لقد لقيت يا زيد خيرًا كثيرًا] حَدِّثنا يا زيد ما سمعتَ من رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم. قال [١] : يا بن أخي؛ واللَّه لقد كَبِرَتْ سني، وقَدُم عهدي، ونسيتُ بعض الذي كنتُ أعي من رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم، فما حَدَّثتكم فاقبلوا، وما لا فلا تُكَلِّفونيه[٢]. ثم قال: قام فينا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يومًا خطيبًا بماء يدعىٰ خُمًّا[٣] - بين مكة والمدينة - فحمد اللَّه وأثنىٰ عليه، ووعظ وَذكّر، ثم قال: « **أما بعد، ألا أيها الناس؛ فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين، وأولهما كتاب اللَّه فيه الهدىٰ والنور، فخذوا بكتاب اللَّه واستمسكوا به** ». فَحَثَّ علىٰ كتاب اللَّه وَرَغَّب فيه، ثم قال: « **وأهلُ بيتي، أذَكّركم اللَّه في أهل بيتي، أذكركم اللَّه في أهل بيتي** » ثلاثًا - فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حُرِمَ الصّدقة بعده. قال: ومن هم؟ قال: هم آل عليّ، وآل عَقيل، وآل جعفر، وآل عباس. قال: كل هؤلاء حُرِمَ الصدقة؟ قال: نعم.

ثم[٤] رواه(٨٩) عن محمد بن بكار بن الريَّان، عن حسان بن إبراهيم، عن سعيد بن مسروق، عن يزيد بن حَيَّان، عن زيد بن أرقم، فذكر الحديث كنحو[٥] ما تقدم، وفيه: فقلنا له: من أهل بيته نساؤه[٦]؟ قال: لا و[٧]ايم اللَّه، إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلىٰ أبيها وقومها[٨]، أهل بيته أصله وعَصَبته الذين حُرموا الصدقة بعده.

هكذا وقع في هذه الرواية والأُولىٰ[٩] أولىٰ، والأخذ بها أحرىٰ. وهذه الثانية تحتمل أنه أراد تفسير الأهل المذكورين في الحديث الذي رواه، إنما المراد بهم آله الذين حُرموا الصدقة، أو أنه ليس المراد بالأهل الأزواج فقط، بل هم مع آله، وهذا الاحتمال أرجح، جمعًا بينها وبين الرواية التي قبلها، وجمعًا أيضًا بين القرآن والأحاديث المتقدمة إن صحت، فإن في بعض أسانيدها نظرًا[١٠]، واللَّه أعلم.

---

(٨٩) - صحيح مسلم الموضع السابق حديث (٢٤٠٨) (٣٧). والحديث أخرجه أحمد في مسنده (٣٦٦/٤)، وأبو داود (٤٩٧٣). مختصرًا على (أمّا بعد) وابن خزيمة (٢٣٥٧) من طريق أبي حيان التيمي به.

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

[٢] - في ز، خ: « تكلفونه ».

[٣] - في ز، خ: « خمسًا ».

[٤] - سقط في: ز، خ.

[٥] - في ت: « بنحو ».

[٦] - في ز، خ " كذا" : « فتاوه ».

[٧] - سقط في: ز، خ.

[٨] - في خ، ز: « وأمها ».

[٩] - في ز، خ: « الأول ».

[١٠] - في ز، خ: « نظر ».

ثم الذي لا يَشُك فيه من تَدبّر القرآن أن نساء النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم داخلات في قوله : ﴿ **إنما يريد اللَّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا** ﴾ ، فإن سياق الكلام معهن ؛ ولهذا قال بعد هذا كله : ﴿ **واذكرن ما يتلىٰ في بيوتكن من آيات اللَّه والحكمة** ﴾ ، أي : اعملن بما نزل[١] اللَّه علىٰ رسوله في بيوتكن من الكتاب والسنة ، قاله قتادة وغير واحد . واذكرن هذه النعمة التي [خصصتن بها][٢] من بين الناس ، إن الوحي ينزل في بيوتكن دون سائر الناس ، وعائشة بنت الصديق أولاهن بهذه النعمة ، وأحظاهن بهذه الغنيمة ، وأخصهن من هذه الرحمة العميمة ، فإنه لم ينزل علىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم الوحيُ في فراش امرأة سواها ، كما نص علىٰ ذلك صلىٰ اللَّه عليه وسلم (٩٠) .

قال بعض العلماء -رحمه اللَّه- : لأنه لم يتزوج بكرًا سواها ، ولم ينم معها رجل في فراشها سواه ، فناسب أن تخصص بهذه المزية ، وأن تفرد بهذه الرتبة العلية ، ولكن إذا كان أزواجه من أهل بيته ، فقرابته أحق بهذه التسمية ، كما تقدم في الحديث : « **وأهل بيتي أحق** » (٩١) .

وهذا يشبه ما ثبت في صحيح مسلم : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم لما سئل عن المسجد الذي أسس علىٰ التقوىٰ من أول يوم ، فقال : « **هو مسجدي هذا** » (٩٢) .

فهذا من هذا القبيل ؛ فإن الآية إنما نزلت في مسجد قُباء ، كما ورد في الأحاديث الأخر (٩٣) . ولكن إذا كان ذاك أسس علىٰ التقوىٰ من أول يوم ، فمسجد رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أولىٰ بِتَسمِيتِه بذلك ، واللَّه أعلم .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو[٣] الوليد ، حدثنا أبو عوانة ، عن حُصَين بن عبد الرحمن ، عن أبي[٤] جميلة قال[٥] : إن الحسن بن عليّ استُخلِفَ حين قُتِل عليّ -رضي

---

(٩٠) - أخرجه البخاري في صحيحه في الهبة ، باب : من أهدى إلى صاحبه وتحرى بعض نسائه دون بعض، حديث ، (٢٥٨١) من حديث عروة بن الزبير عن عائشة بحديث طويل فيه : « لا تؤذيني في عائشة فإن الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة إلّا عائشة » .

(٩١) - تقدم من حديث واثلة برقم (٧٧) .

(٩٢) - صحيح مسلم في الحج ، حديث (١٣٩٨) من حديث أبي سعيد الخدري . بلفظ : « هو مسجدكم هذا » .

(٩٣) - تقدم في التوبة الآية (١٠٨) .

---

[١] - في ت : « ينزل » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ،خ : « خصصتهن» .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - في خ ، ز : « ابن » .

[٥] - سقط في : ز ، خ.

اللَّه عنهما- قال : فبينما هو يصلي إذ وثب عليه رجل فطعنه بخنجره[١] ، وزعم حصين أنه بلغه أن الذي طعنه رجل من بني أسد ، وحسن ساجد ، قال : فيزعمون أن الطعنة وقعت في وَركه ، فمرض منها أشهرًا ، ثم بَرأ فقعد على المنبر ، فقال : يا أهل العراق ؛ اتقوا اللَّه فينا ، فإنا أمراؤكم وضيفانكم ، ونحن أهل البيت الذي قال اللَّه : ﴿ **إنما يريد اللَّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا** ﴾ ، قال : فما زال يقولها حتىٰ ما بقي أحد من أهل المسجد إلا وهو[٢] يَحِنّ بكاء .

وقال السدي ، عن أبي الديلم قال : قال عليّ بن الحسين لرجل من أهل[٣] الشام : أما قرأت في الأحزاب : ﴿ **إنما يريد اللَّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا** ﴾ ؟ قال : نعم ، ولأنتم هم ؟ قال : نعم .

وقوله : ﴿ **إن اللَّه كان لطيفًا خبيرًا** ﴾ ، أي : بلطفه بكنّ بلغتُنّ هذه المنزلة ، وبخبرته[٤] بكن وأنكن أهل لذلك ، أعطاكن ذلك وخصكن بذلك .

قال ابن جرير ، رحمه اللَّه : واذكرن نعمة اللَّه عليكن بأن جعلكن في بيوت تتلىٰ فيها آيات اللَّه والحكمة ، فاشكرن اللَّه علىٰ ذلك واحمدنه ﴿ **إن اللَّه كان لطيفًا خبيرًا** ﴾ ، أي : ذا لطف بكن ، إذ جعلكن في البيوت التي تتلىٰ فيها آياته والحكمة . وهي السنة ، خبيرًا بكن إذ اختاركن لرسوله أزواجًا .

وقال قتادة : ﴿**واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات اللَّه والحكمة**﴾ قال : « **يَمْتَنُّ عليهن بذلك** » . رواه ابن جرير .

وقال عطية العوفي في قوله : ﴿ **إن اللَّه كان لطيفًا خبيرًا** ﴾ ، يعني : لطيف باستخراجها ، خبير بموضعها . رواه ابن أبي حاتم ، ثم[٥] قال : وكذا روي عن[٦] الربيع بن أنس ، و[٧] قتادة .

إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا

[١] - في ت : « بخنجر » .
[٢] - سقط في : ز ، خ.
[٣] - سقط في : ز ، خ.
[٤] - في ز ، خ: « بخبيرته » .
[٥] - سقط في : ز ، خ.
[٦] - سقط في : ز ، خ.
[٧] - في ت : « عن » .

﴿وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝٣٥﴾

قال الإمام أحمد (٩٤) : حدثنا عفان ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا عثمان بن حكيم ، حدثنا عبد الرحمن بن شيبة ، سمعت أم سلمة زوج النبي صلىٰ الله عليه وسلم تقول : قلت للنبي صلىٰ الله عليه وسلم : ما لنا لا نُذكَرُ في القرآن كما يذكر الرجال ؟ قالت : فلم يَرعني[١] منه ذات يوم إلا ونداؤه علىٰ المنبر ، قالت : وأنا أسرّح شعري ، فلففت شعري ، ثم خرجت إلىٰ [حُجرة من][٢] حُجَر[٣] بيتي، فجعلت سمعي عند الجريد، فإذا هو يقول عند المنبر: « **يا أيها الناس ، إن الله يقول : ﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ...﴾** إلىٰ آخر الآية .

وهكذا رواه النسائي وابن جرير من حديث عبد الواحد بن زياد ، به مثله .

(طريق أخرىٰ عنها) قال النسائي أيضًا(٩٥) : حدثنا محمد بن حاتم، حدثنا سويد، أخبرنا عبد الله عن[٤] شريك ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أم سلمة أنها قالت للنبي صلىٰ الله عليه وسلم : يا نبي الله ؛ ما لي أسمع الرجال يذكرون في القرآن ، والنساء لا يذكرن[٥] ؟ فأنزل الله : **﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ﴾** .

وقد رواه ابن جرير(٩٦) ، عن أبي كريب ، عن أبي معاوية ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة : أن يحيىٰ بن عبد الرحمن بن حاطب ، حدثه عن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت : قلت[٦] : يا رسول الله ؛ أيذكر الرجال في كل شيء ولا نذكر ؟ فأنزل الله **﴿ إن المسلمين والمسلمات ...﴾** الآية .

(طريق أخرىٰ) قال سفيان الثوري(٩٧) ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : قالت أم

---

(٩٤) - المسند (٣٠١/٦، ٣٠٥) ، وأخرجه النسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (١٨١٩١) وهو في التفسير برقم (٤٢٥) من طريق عبد الواحد بن زياد به .

(٩٥) - أخرجه النسائي في التفسير (٤٢٤) ، وأخرجه الطبراني في الكبير (٢٦٣/٢٣) (٥٥٤) من طريق محمد بن عمرو به .

(٩٦) - تفسير الطبري (١٠/٢٢) .

(٩٧) - أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/٢٢) والحاكم (٤١٦/٢) كلاهما من حديث سفيان الثوري به .

---

[١] - في ت : « يرعى » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « حجرتى » .
[٣] - في ز ، خ: « حجرة » .
[٤] - في ت : « بن » .
[٥] - في ز ، خ: « يذكرون » .
[٦] - سقط في : ز ، خ.

سلمة : يا رسول اللّٰه ؛ يذكر الرجال ولا نذكر ؟ فأنزل اللّٰه : ﴿ **إن المسلمين والمسلمات** ...﴾ الآية .

(حديث آخر) قال ابن جرير (٩٨) : [حدثنا أبو كريب ، قال][١] : حدثنا سنّان[٢] بن مظاهر العَنَزي[٣] ، حدثنا أبو كدينة يحيىٰ بن المهلب ، عن قابوس بن أبي ظبيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : قال النساء للنبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : ما له يذكر المؤمنين ولا يذكر المؤمنات ؟ فأنزل اللّٰه : ﴿ **إن المسلمين والمسلمات** ...﴾ الآية .

وحدثنا بشر(٩٩) ، حدثنا يزيد، حدثنا سعيد، عن قتادة، قال : دخل نساء علىٰ نساء النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فقلن : قد ذكَركُن اللّٰه في القرآن ، ولم نُذكر بشيء ، أما فينا ما يذكر[٤] ؟ فأنزل اللّٰه -عز وجل- : ﴿ **إن المسلمين والمسلمات** ...﴾ الآية .

فقوله : ﴿ **إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات** ﴾ دليل علىٰ أن الإيمان غير الإسلام ، وهو أخص منه ، لقوله تعالىٰ : ﴿ **قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم** ﴾ . وفي الصحيحين(١٠٠) « **لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن** » فسلبه[٥] الإيمان ، ولا يلزم من ذلك كفره بإجماع المسلمين ، فدل علىٰ أنه أخص[٦] منه كما قررناه في أول شرح البخاري .

﴿ **والقانتين والقانتات** ﴾ القنوت : هو الطاعة في سكون ، ﴿ **أمن هو قانت آناء الليل ساجدًا وقائمًا يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وله من في السمٰوات والأرض كلٌّ له قانتون** ﴾ ﴿ **يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين** ﴾ . ﴿ **وقوموا للّٰه قانتين** ﴾ فالإسلام بعده مرتبة يرتقىٰ إليها ، ثم القنوت ناشيء عنهما .

﴿ **والصادقين والصادقات** ﴾ هذا في الأقوال ، فإن الصدق خَصلة محمودة ؛ ولهذا كان بعض الصحابة لم تُجرب عليه كِذْبة لا في الجاهلية ولا [في الإسلام][٧] ، وهو علامة علىٰ الإيمان ، كما أن الكذب أمارة علىٰ النفاق ، ومن صدق نجا ، [« **عليكم بالصدق ، فإن**

---

(٩٨) - تفسير الطبري (١٠/٢٢) ، وأخرجه الطبراني في الكبير (١٠٨/١٢) (١٢٦١٤) من طريق قابوس به . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٤/٧) : فيه قابوس وهو ضعيف وقد وثق وبقية رجاله ثقات .

(٩٩) - تفسير الطبري (١٠/٢٢) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ت ، وابن جرير : « سيار » .

[٣] - في ز ، خ: « العرى » .

[٤] - في ز ، خ: « نذكر » .

[٥] - في ت : « فيسلبه » .

[٦] - في خ : « أحق » ، وفي ز : « أخف » .

[٧] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « إسلام » .

الصدق يهدي إلىٰ البر ، وإن البر يهدي إلىٰ الجنة ، وإياكم والكذب ؛ فإن الكذب يهدي إلىٰ الفجور ، وإن الفجور يهدي إلىٰ النار][1] ، **ولا يزال الرجل يصدق ويتحرىٰ الصدق حتىٰ يكتب عند الله صديقًا ، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرىٰ الكذب حتىٰ يكتب عند الله كذّابًا** »(١٠١) . والأحاديث فيه كثيرة جدًّا .

﴿ **والصابرين والصابرات** ﴾ ، هذه سَجِية[2] الأثبات ، وهي الصبر علىٰ المصائب ، والعلم بأن المقدور كائن لا محالة ، وَتَلَقي ذلك بالصبر والثبات ، وإنما الصبر عند الصدمة الأولىٰ ، أي : أصعبه في أول وهلة ، ثم ما بعده أسهل منه ، وهو صدق السجية وثباتها .

﴿ **والخاشعين والخاشعات** ﴾ ، الخشوع[3] : السكون والطمأنينة ، والتؤدة والوقار والتواضع . والحامل عليه الخوف من الله ومراقبته ، « **اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك** » (١٠٢) .

﴿ **والمتصدقين والمتصدقات** ﴾، الصدقة: هي الإحسان إلىٰ الناس المحاويج الضعفاء ، الذين لا كَسْبَ لهم ولا كاسب ، يعطون من فضول الأموال طاعة لله ، وإحسانًا إلىٰ خلقه ، وقد ثبت في الصحيحين(١٠٣) : « **سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله – فذكر منهم – : ورجل تصدق بصدقة فأخفاها ، حتىٰ لا تعلم شماله ما تنفق يمينه** ».

وفي الحديث الآخر(١٠٤) : « **والصدقة تطفئ الخطيئة، كما يطفئ**[4] **الماء النار**». والأحاديث في الحث عليها كثيرة جدًّا ، له موضع بذاته .

﴿ **والصائمين والصائمات** ﴾، في الحديث الذي رواه ابن ماجه (١٠٥) : « **والصوم زكاة**

(١٠٠) – تقدم تخريجه في تفسير المائدة الآية (٩١) .

(١٠١) – حديث عبد الله بن مسعود تقدم تخريجه في تفسير سورة التوبة الآية (١١٩) .

(١٠٢) – يأتي تخريجه في سورة الحديد عند الآية (٦) .

(١٠٣) – تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة اللآية (٢٧١) .

(١٠٤) – أخرجه ابن ماجة في الزهد ، باب الحسد ، حديث (٤٢١٠) وأبو يعلى في مسنده (٣٦٥٦) من حديث أنس وإسناده ضعيف جدًا فيه عيسى بن أبي عيسى ميسرة ، متروك الحديث ، وانظر مصباح الزجاجة (٢٩٨/٣) .

(١٠٥) – سنن ابن ماجة في الصيام ، باب : في الصوم زكاة الجسد ، حديث (١٧٤٥) من حديث أبي هريرة ، وفيه موسى بن عبيدة الترمذي وهو مجمع على ضعفه ، وانظر مصباح الزجاجة (٣٤/٢) .

[١] – ما بين المعكوفتين هذه الفقرة جاءت في خ ، ز بعد قوله : « عند الله كذابا » .

[٢] – في خ ، ز : « نتيجة » .

[٣] – سقط من : خ ، وفي ز : « أي » .

[٤] – في ت : « تطفئ » .

البدن » . أي : تزكّيه وتطهره وتنقّيه من الأخلاط الرديئة طبعًا وشرعًا .

قال[١] سعيد بن جبير: من صام رمضان، وثلاثة أيام من كل شهر؛ دخل في قوله: ﴿ **والصائمين والصائمات** ﴾ .

ولما كان الصوم من أكبر العون علىٰ كسر الشهوة - كما قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **يا معشر الشباب ؛ من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء** » (١٠٦) - ناسب أن يذكر بعده : ﴿ **والحافظين فروجهم والحافظات** ﴾ ، أي : عن المحارم والمآثم إلا عن المباح ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **والذين هم لفروجهم حافظون . إلا علىٰ أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين . فمن ابتغىٰ وراء ذلك فأولئك هم العادون** ﴾ .

وقوله ﴿ **والذاكرين اللّه كثيرًا والذاكرات** ﴾ : قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن عبيد اللّه ، حدثنا محمد بن جابر ، عن عليّ بن الأقمر ، عن الأغر أبي مسلم ، عن أبي سعيد الخدري - رضي اللّه عنه - أن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم قال : « **إذا أيقظ الرجل امرأته من الليل ، فصليا ركعتين ، كتبا[٢] تلك الليلة من الذاكرين اللّه كثيرًا والذاكرات** » .

وقد رواه أبو داود والنسائي وابن ماجة (١٠٧) ، من حديث الأعمش عن الأغر أبي مسلم ، عن أبي سعيد وأبي هريرة ، عن النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم ، بمثله .

وقال الإمام أحمد (١٠٨) : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا دَرّاج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري - رضي اللّه عنه - أنه قال : قلت : يا رسول اللّه ؛ أيّ العباد أفضل درجة عند اللّه يوم القيامة ؟ قال : « **الذاكرون اللّه كثيرًا والذاكرات** » . قال[٣] : قلت : يا رسول اللّه ؛ ومن الغازي في سبيل اللّه ؟ قال : « **لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتىٰ**

---

(١٠٦) - تقدم تخريجه في تفسير البقرة الآية (١٨٣) .

(١٠٧) - سنن أبي داود في الصلاة ، باب : قيام الليل ، حديث (١٣٩٠) وفي باب : الحث على قيام الليل ، حديث (١٤٥١) ، والنسائي في قيام الليل ، باب : ثواب من استيقظ وأيقظ امرأته فصليا حديث (١٣١٠) ، وابن ماجة في إقامة الصلاة والسنة فيها باب : ما جاء فيمن أيقظ أهله من الليل ، حديث (١٣٣٥) من طريق شيبان عن الأعمش به .

(١٠٨) - المسند (٧٥/٣) ، وأخرجه الترمذي في الدعاء ، حديث (٣٣٧٦) عن قتيبة عن ابن لهيعة به . وقال الترمذي : حديث غريب إنما نعرفه من حديث دراج .

---

[١] - سقط في : ز .

[٢] - في ز ، خ: « كانا » .

[٣] - سقط من : خ .

ينكسر ويختضبَ دمًا لكان الذاكرون الله أفضل منه » .

وقال الإمام أحمد (١٠٩) : حدثنا عفان ، حدثنا [عبد الرحمن بن إبراهيم][١] ، عن العلاء ، عن أبيه، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : كان النبي صلىٰ الله عليه وسلم يسير في طريق مكة ، فأتىٰ علىٰ جُمْدان(*) . فقال : هذا جمدان ، سيروا فقد سبق المفرّدون قالوا : وما المُفَرّدون ؟ قال : « **الذاكرون الله كثيرًا** » . ثم قال : « **اللهم؛ اغفر للمحلقين** » . قالوا : والمقصرين ؟ قال : « **اللهم؛ اغفر للمحلقين** » . قالوا : والمقصرين ؟ قال : « **والمقصرين** » .

تفرد به من هذا الوجه ، ورواه مسلم دون آخره .

وقال الإمام أحمد(١١٠) : حدثنا مُحجَين[٢] بن المثنىٰ ، حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة، عن زياد بن أبي زياد - مولىٰ عبد الله بن عَيَّاش[٣] بن أبي ربيعة - أنه بلغه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ، أنه قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما عمل آدميّ عملًا قطُّ أنجىٰ له من عذاب الله من ذكر الله** » .

وقال معاذ : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ألا أخبركم بخير أعمالكم [لكم][٤]، و[٥]أزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من تعاطي الذهب والفضة ، ومن أن تلقوا عدوكم غدًا[٦] فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟** » . قالوا : بلىٰ ، يا رسول الله . قال : « **ذكر الله عز وجل** » .

وقال الإمام أحمد (١١١) : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا زَبَّان بن فائد ، عن سهل ابن معاذ بن أنس الجهني ، عن أبيه ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : أن رجلًا سأله فقال : أيّ المجاهدين أعظم أجرًا يا رسول الله ؟ فقال : « **أكثرهم لله ذكرًا** » . قال : فأيّ

(١٠٩) - المسند (٤١١/٢) ، وأخرجه مسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، حديث (٢٦٧٦) من طريق روح بن القاسم عن العلاء به . دون قوله : « ثم قال : اللهم اغفر للمحلقين ......الخ » .

(*) جمدان : جبل على بعد ليلة من المدينة .

(١١٠) - المسند (٢٣٩/٥) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٦/١٠) : رجاله رجال الصحيح إلَّا أن زياد بن أبي زياد مولى ابن عياش لم يدرك معاذًا .

(١١١) - المسند (٤٣٨/٣) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٧/١٠) : رواه أحمد ، والطبراني ... وفيه زبان بن فائد وهو ضعيف وقد وثق وكذلك ابن لهيعة ، وبقية رجاله ثقات .

[١] - ما بين المعكوفتين في خ، ز : « إبراهيم بن عبد الرحمن » .

[٢] - في ز ، خ: « حجير » .

[٣] - في ز ، خ: « عباس » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .

[٥] - سقط في : ز ، خ .

[٦] - سقط في : ز ، خ.

الصائمين أكثر أجرًا ؟ قال : « **أكثرهم لله ذكرًا** » . ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة ، كل ذلك يقول رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أكثرهم لله ذكرًا** » . فقال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما : ذهب الذاكرون بكل خير ! فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أجل** » .

وسنذكر بقية الأحاديث الواردة في كثرة الذكر عند قوله تعالىٰ في هذه السورة : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرًا كثيرًا وسبحوه بكرة وأصيلًا** ...﴾ الآية . إن شاء الله تعالى .

وقوله : ﴿ **أعد الله**[١] **لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا** ﴾ ، أي : هيأ لهم منه لذنوبهم مغفرة وأجرًا عظيمًا وهو الجنة .

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾

قال العوفي ، عن ابن عباس ، قوله : ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة** ...﴾ الآية . وذلك أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم انطلق ليخطب علىٰ فتاه زيد بن حارثة ، فدخل علىٰ زينب بنت جحش الأسدية فخطبها ، فقالت : لست بناكحته . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **بل فانكحيه** » . قالت : يا رسول الله ؛ أؤامر في نفسي ؟ فبينما هما يتحادثان أنزل الله هذه الآية علىٰ رسوله صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضىٰ الله ورسوله أمرًا** ...﴾ الآية . قالت : قد رضيته لي منكحًا يا رسول الله ؟ قال : نعم . قالت : إذًا لا أعصي رسولَ الله صلىٰ الله عليه وسلم ، قد أنكحته نفسي .

وقال ابن لهيعة ، عن ابن أبي عمرة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : خطب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم زينب بنت جحش لزيد بن حارثة ، فاستنكفت(*) منه ، وقالت : أنا خير منه حسبًا - وكانت امرأة فيها حدة - فأنزل الله عز وجل : ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة** ...﴾ الآية كلها .

وهكذا قال مجاهد ، وقتادة ، ومقاتل بن حيان : إنها نزلت في زينب بنت جحش حين خطبها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ مولاه زيد بن حارثة ، فامتنعت ثم أجابت .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعَيط ، وكانت

(*) استنكف من الشيء : امتنع عنه بكبْر .

[١] - سقط في : ز ، خ .

أول من هاجر من النساء - يعني بعد صلح الحديبية - فوهبت نفسها للنبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقال : قد قبلت . فزوجها زيد بن حارثة - يعني ، واللَّه أعلم ، بعد فراقه زينب - فسخطت هي وأخوها وقالا : إنما أردنا رسولَ اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فزوجنا عبده ، قال : فنزل القرآن : ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضىٰ اللَّه ورسوله أمرًا** ...﴾ إلىٰ آخر الآية . قال : وجاء أمر أجمع من هذا : ﴿ **النبي أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم** ﴾ ، قال : فذاك خاص وهذا جماع .

وقال الإمام أحمد(١١٢) : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن ثابت البُناني ، عن أنس ، قال : خطب النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم علىٰ جُلَيْبيب امرأة من الأنصار إلىٰ أبيها ، فقال : حتىٰ أستأمر أمها . فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **فنعم**[١] **إذًا** » . قال : فانطلق الرجل إلىٰ امرأته [فذكر ذلك لها][٢] ، فقالت : لاها [اللَّه(*) ذا][٣] ، ما وجد رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم إلا جُليبيبًا[٤] ، وقد منعناها من فلان وفلان . قال : والجارية في سترها تسمع ، قال : فانطلق الرجل يريد أن يخبر النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم بذلك . فقالت الجارية : أتريدون أن تَرُدّوا علىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أمره ، إن كان قد رضيه لكم فأنكحوه . قال : فكأنها جَلَّت عن أبويها ، وقالا : صدقت فذهب أبوها إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال : إن كنتَ رضيته فقد رضيناه . قال : « **فإني قد رضيته** » . قال : فزوجها ، ثم فزع أهل المدينة ، فركب جُلَيبيب فوجدوه قد قتل ، وحوله ناس من المشركين قد قتلهم ، قال أنس : فلقد رأيتها وإنها[٥] لمن أنفق(**) بيت بالمدينة .

وقال الإمام أحمد(١١٣) : حدثنا عفان ، حدثنا حماد - يعني ابن سلمة - عن ثابت ، عن كنانة بن نعيم العدوي ، عن أبي برزة الأسلمي أن جليبيبًا كان امرءًا يدخل علىٰ النساء يَمُر بهنّ

(١١٢) - المسند (١٣٦/٣) ، وأخرجه عبد بن حميد (١٢٤٥- منتخب) عن عبد الرزاق به . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٧١/٩) : رواه أحمد والبزار ... ورجال أحمد رجال الصحيح .

(*) الهاء - هاهنا - داخلة في القسم على لفظ الجلالة ، وحرف القسم محذوف . وفي هذا الإسلوب لغات أخر ، وإعرابات كثيرة فانظر شرح الكافية الشافية لابن مالك (٨٥٩/٢ ، ٨٦٥، ٨٦٦)والمصباح المنير(٢/ ٦٤٤) .

(**) اسم تفضيل من النَّفاق - بفتح النون - وهو الرواج . يُقال : نفقت السلعة والمرأة نَفَاقًا : كثر طُلَّابها وخُطَّابها .

(١١٣) - المسند (٤٢٢/٤) ، وقد أخرجه أحمد (٤٢١/٤، ٤٢٥) ، ومسلم في فضائل الصحابة ، حديث=

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « والله » .

[٤] - في ز ، خ: « جليبيب » .

[٥] - سقط في : ز .

ويلاعبهنّ ، فقلت لامرأتي : لا يدخلن اليوم عليكم جُليبيبٌ[١] ، فإنه إن دخل عليكن[٢] لأفعلن ولأفعلن. قال : وكانت الأنصار إذا كان لأحدهم أيّم لم يزوجها حتىٰ يعلم : هل لنبي اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فيها حاجة أم لا ؟ فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم لرجل من الأنصار : « **زوجني ابنتك** » . قال : نعم ، وكرامة يا رسول اللَّه ، ونُعْمَة عين . فقال : « **إني لست أريدها لنفسي** » . قال : فلمن [يا رسول اللَّه][٣] ؟ قال : « **لجليبيب** » . فقال[٤] : يا رسول اللَّه ؛ أشاور أمها . فأتىٰ أمها فقال : رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يخطب ابنتك ؟ فقالت : نعم ونُعمة عين . فقال : إنه ليس يخطبها لنفسه ، إنما يخطبها لجليبيب . فقالت : أجُلَيبيب إنيه(*) ؟ أجليبيب إنيه [٥]؟ لا ، لعمر اللَّه لا نَزوّجه . فلما أراد أن يقوم ليأتي رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فيخبره بما قالت أمها ، قالت الجارية : من خطبني إليكم ؟ فأخبرتها أمها . قالت : أتردون علىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أمره ؟ ! ادفعوني إليه ، فإنه لن يضيعني . فانطلق أبوها إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال : شأنك بها . فَزَوّجها جليبيبًا . قال : فخرج رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم في غزاة له ، فلما أفاء اللَّه عليه قال لأصحابه : « **هل تفقدون من أحد** ؟ » . قالوا : نفقد فلانًا ونفقد فلانًا . قال : « **انظروا هل تفقدون من أحد** ؟ » . قالوا : لا . قال : « **لكني أفقد جليبيبًا** » . قال : « **فاطلبوه في القتلىٰ** » . فطلبوه فوجدوه إلىٰ جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه . [فقالوا : يا رسول اللَّه ، ها هو ذا إلىٰ جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه][٦] ، فأتاه رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقام عليه ، فقال : « **قتل سبعة وقتلوه**[٧] ، **هذا مني وأنا منه** » - مرتين أو ثلاثًا - ، ثم وضعه رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم علىٰ ساعديه [وحفر له ، ما له سرير إلا ساعد النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، ثم][٨] وضعه في قبره ، ولم يذكر أنه غسله - رضي اللَّه عنه - قال ثابت : فما كان في الأنصار أيّم[٩] أنفق منها . وحدث إسحاق بن عبد اللَّه بن أبي طلحة ثابتًا : هل تعلم ما دعا لها رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم؟ فقال : « **اللهم ؛ صب عليها الخير**[١٠] **صبًا** ، [**ولا تجعل عيشها كدًّا**][١١] » . كذا قال فما كان في الأنصار ، أيّم أنفق منها . هكذا أورده الإمام أحمد بطوله ، وأخرج منه مسلم والنسائي في الفضائل قصة قتله .

= (٢٤٧٢) ، والنسائي في فضائل الصحابة (١٤٢) من طرق عن حماد بن سلمة به مختصرًا على (قصة الغزو) .

(*) لفظة تستعملها العرب في الإنكار ، يقول لك القائل : جاء زيد . فتقول أنت : أزيدٌ نيه ! أو أزيدٌ إنيه ! كأنك استبعدت مجيئه . وقيل في معناها ولفظها غير ذلك ، فانظر النهاية لابن الأثير (٧٨/١ ، ٧٩) .

---

[١] - في ز ، خ: « جليبيبًا » .
[٢] - في ت : « عليكم » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط في : ز ، خ.
[٤] - في ز ، خ: « قال » .
[٥] - كررت في ز ، خ بلفظ : « لجليبيب إنيه » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٧] - سقط في : ز ، خ.
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٩] - في ز ، خ: « تأيم » .
[١٠] - سقط في : ز ، خ.
[١١] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « واجعل عيشها كذا وكذا » .

وذكر الحافظ أبو عمر بن عبد البر في «الاستيعاب» أن الجارية لما قالت في خدرها: أتردون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره؟ تلت هذه الآية: ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم** ﴾.

وقال ابن جريج: [أخبرني عامر بن مصعب، عن طاوس، قال: إنه سأل ابن عباس عن ركعتين بعد العصر، فنهاه، وقرأ ابن عباس -رضي الله عنه-: ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم** ﴾][١].

فهذه[٢] الآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء، فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد هاهنا ولا رأي ولا قول، كما قال تعالى: ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليمًا** ﴾.

وفي الحديث(١١٤): « **والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به** ». ولهذا شدد في خلاف ذلك، فقال: ﴿ **ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالًا مبينًا** ﴾ كقوله تعالى: ﴿ **فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم** ﴾.

وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾

يقول تعالى مخبرًا عن نبيه - صلى الله عليه وسلم -: إنه قال لمولاه زيد بن حارثة، وهو الذي ﴿ **أنعم الله عليه** ﴾، أي: بالإسلام ومتابعة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام: ﴿ **وأنعمت عليه** ﴾، أي: بالعتق من الرق، وكان سيدًا كبير الشأن جليل القدر، حبيبًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، يقال له: الحبّ، ويقال لابنه أسامة: الحب ابن الحبّ. قالت عائشة -رضي الله عنها-: ما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية إلا أمّره عليهم، ولو عاش بعده لاستخلفه.

---

(١١٤) - تقدم تخريجه في تفسير التوبة الآية (٢٤).

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز. [٢] - في ز، خ: « هذه ».

رواه أحمد(١١٥) ، عن سعيد بن محمد الوراق ومحمد بن عبيد ، عن وائل بن داود ، عن عبد اللّٰه البهي ، عنها .

وقال البزار : حدثنا خالد بن يوسف ، حدثنا أبو عوانة (ح) ، وحدثنا محمد بن معمر ، حدثنا أبو داود ، حدثنا أبو عوانة ، أخبرني عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه : حدثني أسامة بن زيد ، قال : كنت في المسجد ، فأتاني العباس وعليّ بن أبي طالب -رضي اللّٰه عنهما- فقالا : يا أسامة ؛ استأذن لنا علىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم . قال : فأتيتُ رسولَ اللّٰه فأخبرته ، فقلت : عليٌّ والعباس يستأذنان . فقال : « **أتدري ما حاجتهما ؟** » . فقلت : لا يا رسول اللّٰه . فقال : « **لكني أدري** » . قال : « **فأذن لهما** » . قالا : يا رسول اللّٰه ، جئناك لتخبرنا : أيُّ أهلك أحبُّ إليك ؟ فقال : « **أحب أهلي إليّ فاطمة بنت محمد** » . قالا : يا رسول اللّٰه ، ما نسألك عن فاطمة . قال : « **فأسامة بن زيد [ابن] حارثة ، الذي أنعم اللّٰه عليه وأنعمتُ عليه** » .

وكان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قد زَوّجه بابنة عمته زينب بنت جحش الأسدية - وأمها أميمة بنت عبد المطلب - وأصدقها عشرة دنانير ، وستين درهمًا ، وخمارًا ، وملْحفة ، ودرْعًا ، وخمسين مُدًّا من طعام ، وعشرة أمداد من تمر . قاله مقاتل بن حيان - فمكثتْ عنده قريبًا من سنة أو فوقها ، ثم وقع بينهما ، فجاء زيد يشكوها إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، [فجعل رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم][١] يقول له: « **أمسك عليك زوجك ، واتق اللّٰه** ». قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **وتخفي في نفسك ما اللّٰه مبديه وتخشىٰ الناس واللّٰه أحق أن تخشاه** ﴾ .

ذكر ابن جرير ، وابن أبي حاتم - هاهنا - آثارًا عن بعض السلف رضي اللّٰه عنهم ، أحببنا أن نضرب عنها صفحًا [لعدم صحتها][٢] فلا نوردها .

وقد روىٰ الإمام أحمد(١١٦) هاهنا أيضًا حديثًا ، من رواية حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس ، فيه غرابة تركنا سياقه أيضًا .

وقد روىٰ البخاري أيضًا(١١٧) بعضه مختصرًا فقال : حدثنا محمد بن عبد الرحيم ، حدثنا

(١١٥) - المسند (٦/٢٨١) ، وأخرجه أحمد (٦/٢٢٦، ٢٥٤) ، والنسائي في الكبرى (٨١٨٢) من طريق وائل بن داود به .

(١١٦) - المسند (٣/١٤٩، ١٥٠) عن مؤمل به سليمان عن حماد به .

(١١٧) - صحيح البخاري في التفسير ، باب : ﴿ وتخفي في نفسك ما الله مبديه ﴾ حديث (٤٧٨٧) ، وأخرجه البخاري ايضًا في التوحيد ، باب : « وكان عرشه على الماء » حديث (٧٤٢٠) من طريق =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط في : ز ،خ .

معلىٰ بن منصور ، عن حماد بن زيد ، حدثنا ثابت ، عن أنس بن مالك ، قال : إن هذه الآية : ﴿ **وتخفي في نفسك ما اللّه مبديه** ﴾ نزلت في شأن زينب بنت جحش ، وزيد بن حارثة رضي اللّه عنهما .

وقال ابن أبي حاتم (١١٨) : حدثنا أبي ، حدثنا عليُّ بن هاشم بن مرزوق ، حدثنا ابن عيينة ، عن عليّ بن زيد بن جُدْعان ، قال : سألني عليُّ بن الحسين ما يقول الحسن في قوله : ﴿ **وتخفي في نفسك ما اللّه مبديه** ﴾ ؟ فذكرت له فقال : لا ، ولكن اللّه أعلم نبيه أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها ، فلما أتاه زيد ليشكوها إليه قال : « **اتق اللّه ، وأمسك عليك زوجك** » . فقال : قد أخبرتك أني مُزَوّجكها ، وتخفي في نفسك ما اللّه مبديه . وهكذا روي عن السدي أنه قال نحو ذلك .

وقال ابن جرير (١١٩) : حدثني إسحاق بن شاهين ، حدثني خالد عن داود ، عن عامر ، عن عائشة - رضي اللّه عنها - أنها قالت : لو كتم محمد - صلىٰ اللّه عليه وسلم - شيئًا مما أوحي إليه من كتاب اللّه لكتم : ﴿ **وتخفي في نفسك ما اللّه مبديه وتخشىٰ الناس واللّه أحق أن تخشاه** ﴾ .

وقوله : ﴿ **فلما قضىٰ زيد منها وطرًا زوجناكها** ﴾ ، الوطر : هو الحاجة والأرب ، أي : لما فَرَغ منها وفارقها زَوّجناكها ، وكان الذي وَلي تزويجها منه هو[١] اللّه -عز وجل - بمعنىٰ : أنه أوحىٰ إليه أن يدخل عليها بلا وليّ ولا مهر ولا عقد ولا شهود من البشر .

قال الإمام أحمد (١٢٠) : حدثنا هاشم - يعني : ابن القاسم - أبو[٢] النضر ، حدثنا سليمان ابن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس - رضي اللّه عنه - قال : لما انقضت عدة زينب قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم لزيد بن حارثة : « **اذهب فاذكرها عليّ** » فانطلق حتىٰ أتاها وهي تُخَمّر عجينها ، قال : فلما رأيتها عظمت في صدري ، حتىٰ ما أستطيع أن أنظر إليها ؛أنّ

= أبي بكر المقدمي عن حماد بن زيد به نحوه .

(١١٨) - أخرجه الطبري (١٣/٢٢) ، والبيهقي في الدلائل (٤٦٦/٣) من طريق سفيان بن عيينة به وليس فيه عند ابن جرير ذكر الحسن . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٨٤/٥) أيضًا إلى الحكيم الترمذي .

(١١٩) - تفسير الطبري (١٣/٢٢) ، وأخرجه أحمد في المسند (٢٤١/٦) ومسلم في الإيمان ، حديث (١٧٧) (٢٢٨) من طريق داود به .

(١٢٠) - المسند (١٩٥/٣) ، وفيه حدثنا بهز ، حدثنا هاشم قالا : حدثنا سليمان بن المغيرة به . وأخرجه مسلم في النكاح ، حديث (١٤٢٨) ، والنسائي في النكاح ، باب : صلاة المرأة إذا خطبت واستخارتها ربها (٧٩/٦) وفي الكبرى (٥٣٩٩) ، (١١٤١٠) من طريق سليمان بن المغيرة به .

---

[١] - سقط في : ز ، خ. [٢] - في ز : « أبا » .

رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ذكرها ، فوليتها ظهري ونكصت علىٰ عقبي ، وقلت : يا زينب ؛ أبشري ، أرسلني رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يذكرك . قالت : ما أنا بصانعة شيئًا حتىٰ أؤامر ربي عز وجل . فقامت إلىٰ مسجدها ، ونزل القرآن ، وجاء رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فدخل عليها بغير إذن . ولقد رأيتنا حين دَخَلْتُ علىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أطعمنا عليها الخبز واللحم ، فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام ، فخرج رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم واتبعته[١] فجعل يَتَبَع[٢] حُجر نسائه يسلم عليهن ، ويقلن : يا رسول اللَّه ؛ كيف وجدت أهلك ؟ فما أدري أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أُخبِرَ - قال : فانطلق حتىٰ دخل البيت ، فذهبت أدخل معه ، فألقىٰ الستر بيني وبينه ، ونزل الحجاب ، ووُعظَ القوم بما وعظوا به : ﴿ **لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم ...**﴾ الآية . [ ][٣] .

ورواه[٤] مسلم والنسائي من طرق عن سليمان بن المغيرة به .

وقد روىٰ البخاري(١٢١) - رحمه اللَّه - عن أنس بن مالك - رضي اللَّه عنه - أن زينب بنت جحش كانت تفخر علىٰ أزواج النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فتقول : زوجكنّ أهاليكنّ وزوجني اللَّه من فوق سبع سموات .

وقد قدمنا في « سورة النور » عن محمد بن عبد اللَّه بن جحش قال : تفاخرت زينب وعائشة ، فقالت زينب -رضي اللَّه عنها- : أنا التي نزل[٥] تزويجي من السماء . وقالت عائشة : أنا التي نزل عذري من السماء . فاعترفت لها زينب رضي اللَّه عنها .

وقال ابن جرير(١٢٢) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا جرير ، عن المغيرة ، عن الشعبي ، قال[٦] : كانت زينب تقول للنبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : إني لأُدِلُّ عليكَ بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن : إن جدي وجدك واحد ، وإني أنكحنيك اللَّه من السماء ، وإن السفير جبريل عليه السلام .

وقوله : ﴿ **لكيلا يكون علىٰ المؤمنين حَرَج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرًا** ﴾ ، أي : إنما أبحنا لك تزويجها وفعلنا ذلك ، لئلا يبقىٰ حرج علىٰ المؤمنين في تزويج مطلقات الأدعياء ، وذلك أنّ رسولَ اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم كان قبل النبوة قد تبنىٰ زيد بن حارثة ،

(١٢١) - صحيح البخاري في التوحيد ، باب : « وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم » ، حديث (٧٤٢١) من حديث عيسى بن طمهان عن أنس به .

(١٢٢) - تفسير الطبري (١٤/٢٢) ، وأخرجه الحاكم (٢٥/٢) من طريق داود بن أبي هند عن الشعبي نحوه.

[١] - سقط من : ز ، خ.

[٢] - في ز ، خ: « يتّبع » .

[٣] - في ت : به .

[٤] - في ت : « رواه » .

[٥] - سقط من : ز ، خ.

[٦] - في ز : « قالت » .

فكان يقال له : « زيد بن محمد » ، فلما قطع اللّه هذه النسبة بقوله تعالىٰ : ﴿ **وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم واللّه يقول الحق وهو يهدي السبيل . ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند اللّه** ﴾ ، ثم زاد ذلك بيانًا وتأكيدًا بوقوع تزويج رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم بزينب بنت جحش لما طلقها زيد بن حارثة ولهذا قال في آية التحريم : ﴿ **وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم** ﴾ ليحترز من الابن الدعي ؛ فإن ذلك كان كثيرًا فيهم.

وقوله : ﴿ **وكان أمر اللّه مفعولًا** ﴾ أي : وكان هذا الأمر الذي وقع قد قدره اللّه تعالىٰ وحتَّمه ، وهو كائن لا محالة ، كانت زينب في علم اللّه ستصير من أزواج النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم .

مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **ما كان علىٰ النبي من حرج فيما فرض اللّه له** ﴾ ، أي : فيما أحل له وأمره به من تزويج زينب التي طلقها دَعيه زيد بن حارثة .

وقوله : ﴿ **سنة اللّه في الذين خلوا من قبل** ﴾ ، أي : هذا حكم اللّه في الأنبياء قبله ، لم يكن ليأمرهم بشيء وعليهم في ذلك حَرَج ، وهذا رَدٌّ علىٰ من تَوَهم من المنافقين نقصًا في تزويجه امرأة زيد مولاه ودَعيه الذي كان قد تبناه .

﴿ **وكان أمر اللّه قدرًا مقدورًا** ﴾ ، أي : وكان أمره الذي يقدره كائنًا لا محالة ، وواقعًا لا محيد عنه ولا معدل ، فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن .

ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾

يمدح تعالىٰ : ﴿ **الذين يبلغون رسالات اللّه** ﴾ ، أي : إلىٰ خلقه ويؤدونها[١] بأمانتها ، ﴿ **ويخشونه** ﴾ أي : يخافونه ولا يخافون أحدًا سواه ، فلا تمنعهم[٢] سطوة أحد عن إبلاغ رسالات اللّه ، ﴿ **وكفىٰ باللّه حسيبًا** ﴾ ، أي : وكفىٰ باللّه ناصرًا ومعينًا . وسيد الناس في هذا المقام -

---

[١] - في ز ، خ: « ويؤديها » . [٢] - في ز ، خ: « يمنعهم » .

بل وفي كل مقام - محمد رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فإنه قام بأداء الرسالة وإبلاغها إلىٰ أهل المشارق والمغارب ، إلىٰ جميع أنواع بني آدم ، وأظهر اللَّه كلمته ودينه وشرعه علىٰ جميع الأديان والشرائع ، فإنه قد كان النبي يبعث إلىٰ قومه خاصة ، وأما هو - صلوات اللَّه وسلامه عليه - فإنه بعث إلىٰ جميع الخلق عربهم وعجمهم ، **﴿ قل يا أيها الناس إني رسول اللَّه إليكم جميعًا ﴾**، ثم ورَّث مقام البلاغ عنه أمته من بعده ، فكان أعلىٰ من قام بها بعده أصحابه - رضي اللَّه عنهم - بلغوا عنه كما أمرهم به في جميع أقواله وأفعاله وأحواله ، في ليله ونهاره ، وحَضره وسفره ، وسره وعلانيته ، فرضي اللَّه عنهم وأرضاهم . ثم ورثه كُلّ خلف عن سلفهم إلىٰ زماننا هذا ، فبنورهم يقتدي المهتدون ، وعلىٰ منهجهم يسلك الموفقون . فنسأل اللَّه الكريم المنان أن يجعلنا من خلفهم .

قال الإمام أحمد(١٢٣) : حدثنا ابن نمير ، أخبرنا الأعمش ، عن عمرو بن مُرّة ، عن أبي البَخْتَرِيّ ، عن أبي سعيد الخدري - رضي اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - : « **لا يَحْقرن أحدكم نفسه أن يرىٰ أمر اللَّه فيه مقال ثم لا يقوله ، فيقول اللَّه : ما يمنعك أن تقول فيه**[١] ؟ **فيقول : رب ، خشيت الناس ، فيقول : فأنا أحق أن يخشىٰ** » .

ورواه أيضًا عبد الرزاق عن الثوري عن زبيد عن عمرو بن مرة .

ورواه ابن ماجة عن أبي كريب عن عبد اللَّه بن نمير وأبي معاوية كلاهما عن الأعمش به .

وقوله : **﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ﴾** ، نهىٰ أن يقال بعد هذا : « **زيد بن محمد** » ، أي : لم يكن أباه وإن كان قد تبناه ، فإنه - صلوات اللَّه عليه وسلامه - لم يعش له ولد ذكر حتىٰ بلغ الحلم ، فإنه ولد له القاسم ، والطيب ، والطاهر ، من خديجة فماتوا صغارًا ، وولد له إبراهيم من مارية القبطية ، فمات أيضًا رضيعًا . وكان له من خديجة أربع بنات : زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة رضي اللَّه عنهم أجمعين - فمات في حياته ثلاث وتأخرت فاطمة حتىٰ أصيبت به - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - ثم ماتت بعده لستة أشهر .

وقوله : **﴿ولكن رسول اللَّه وخاتم النبيين وكان اللَّه بكل شيء عليمًا﴾** كقوله : **﴿ اللَّه أعلم حيث يجعل رسالاته﴾** فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده ، وإذا كان لا نبي بعده فلا

(١٢٣) - المسند (٣٠/٣) ، وأخرجه ابن ماجة في الفتن ، باب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حديث (٤٠٠٨) وعبد بن حميد (٩٧١منتخب) من طريق الأعمش به .
ورواه عبد االرزاق ، وعنه أحمد في المسند (٤٧/٣، ٧٣) عن سفيان الثوري عن زبيد عن عمرو بن مرة به وأخرجه عبد بن حميد (٩٧٢) عن أبي نعيم عن سفيان به .

[١] - في ز ، خ: « منه » .

رسول بطريق الأولىٰ والأحرىٰ ؛ لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة ، فإن كل رسول نبي ، ولا ينعكس . وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم من حديث جماعة من الصحابة .

قال الإمام أحمد(١٢٤) : حدثنا أبو عامر الأزدي ، حدثنا زهير بن محمد ، عن عبد اللَّه بن محمد بن عقيل ، عن الطفيل بن أبيّ بن كعب ، عن أبيه ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **مثلي في النبيين كمثل رجل بنىٰ دارًا فأحسنها[١] وأكملها ، وترك فيها موضع لَبنة لم يَضَعها ، فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه ، ويقولون : لو تم موضع هذه اللبنة ! فأنا في النبيين موضع تلك اللبنة** » . ورواه الترمذي عن بندار عن أبي عامر العقدي به ، وقال : حسن صحيح .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد (١٢٥) : حدثنا عفان ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا المختار بن فُلفل ، [قال][٢] حدثنا أنس بن مالك ، قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن الرسالة والنبوة قد انقطعت ، فلا رسول بعدي ولا نبي** » . قال : فشَقّ ذلك علىٰ الناس ، قال : « **ولكن المبشرات** » . قالوا : يا رسول اللَّه ؛ وما المبشرات ؟ قال : « **رؤيا الرجل المسلم ، وهي[٣] جزء من أجزاء النبوة** » .

وهكذا روىٰ الترمذي ، عن الحسن بن محمد الزعفراني ، عن عفان بن مسلم ، به ، وقال : صحيح غريب من حديث المختار بن فُلفل .

(حديث آخر) قال أبو داود الطيالسي(١٢٦) : حدثنا سَليم بن حَيَّان ، عن سعيد بن ميناء ، عن جابر بن عبد اللَّه ، قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنىٰ دارًا فأكملها وأحسنها إلا موضع لَبِنَة ، فكان من دخلها فنظر إليها قال : ما أحسنها إلا موضع هذه اللبنة ! فأنا موضع اللبنة ، ختم بي الأنبياء عليهم السلام** » .

---

(١٢٤) - المسند (١٣٦/٥) وفيه قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، وأبو عامر قالا : حدثنا زهير محمد به . وأخرجه الترمذي في المناقب ، باب في فضل النبي ﷺ ، حديث (٣٦١٣) عن محمد بن بشار عن أبي عامر به .

(١٢٥) - المسند (٢٦٧/٣) ، وأخرجه الترمذي في الرؤيا ، باب : ذهبت النبوة وبقيت المبشرات ، حديث (٢٢٧٢) عن الحسن بن محمد الزعفراني عن عفان بن مسلم به .

(١٢٦) - وأخرجه البخاري في المناقب باب : خاتم النبيين ﷺ ، حديث (٣٥٣٤) ، ومسلم في الفضائل ، حديث (٢٢٨٧) ، والترمذي في الأمثال ، باب : ما جاء في مثل النبي ﷺ والأنبياء قبله ، حديث (٢٨٦٢) ، من طريق سليم بن حيان به .

---

[١] - في خ ، ز : « فأحكمها » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .

[٣] - في ز ، خ: « وهو » .

ورواه البخاري ، ومسلم ، والترمذي ، من طرق ، عن سليم بن حيان ، به . وقال الترمذي : صحيح غريب من هذا الوجه .

[حديث آخر][١] قال الإمام أحمد (١٢٧) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد الخدري - رضي اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **مثلي ومثل النبيين [من قبلي][٢] كمثل رجل بنىٰ دارًا فأتمها إلا لبنة واحدة ، فجئت أنا فأتممت تلك اللبنة** » .

انفرد بإخراجه مسلم من رواية الأعمش به .

(حديث آخر) قال أحمد(١٢٨) : حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا عثمان ابن عُبيد الراسبي ، قال[٣] : سمعت أبا الطفيل قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لا نبوة بعدي إلا المبشرات** » . قال : قيل : وما المبشرات يا رسول اللَّه ؟ قال : « **الرؤيا الحسنة** » . أو قال : « **الرؤيا الصالحة** » .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد (١٢٩) : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن هَمَّام بن مُنبه ، قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل ابتنىٰ بيوتًا فأحسنها وأكملها وأجملها ، إلا موضع لَبنة من زاوية من زواياها ، فجعل الناس يطوفون ويعجبهم البنيان ويقولون : ألا وَضَعت هاهنا لبنة فيتم بنيانك ؟ !** » . قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **فكنت أنا اللبنة** » . أخرجاه من حديث عبد الرزاق .

(حديث آخر ، عن أبي هريرة أيضًا) قال الإمام مسلم (١٣٠) : حدثنا يحيىٰ بن أيوب وقتيبة وعليّ بن حجر[٤] ، قالوا : حدثنا إسماعيل بن جعفر ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **فُضلت علىٰ الأنبياء بست** :

---

(١٢٧) - المسند (٣/٩) ، وأخرجه مسلم في الفضائل ، حديث (٢٢٨٦) (٢٢) عن أبي بكر بن أبي شيبة وأبي كريب عن أبي معوية به .

(١٢٨) - المسند (٥/٤٥٤) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٦/٧) : رجاله ثقات .

(١٢٩) - المسند (٣١٢/٢) ، وأخرجه مسلم في الفضائل ، حديث (٢٢٨٦٩ (٢١) عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق به . والحديث ليس عند البخاري من طريق عبد الرزاق إنما رواه من غير طريقه .

(١٣٠) - صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، حديث (٥٢٣) ، وأخرجه أحمد (٤١١/٢) ، والترمذي في السير ، باب : ما جاء في الغنيمة حديث (١٥٥٣) ، وابن ماجة في الطهارة وسننها ، ما =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٣] - سقط في : ز ، خ.
[٤] - في خ ، ز : « محمد » .

أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض طهورًا ومسجدًا ، وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بي النبيون » . ورواه الترمذي وابن ماجة من حديث إسماعيل بن جعفر ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد (١٣١) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : « **مثلي ومثل الأنبياء من قبلي ، كمثل رجل بنى دارًا فأتمها[١] إلا موضع لبنة واحدة[٢] ، فجئت أنا فأتممت تلك اللبنة** » .

ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وأبي كريب كليهما[٣] عن أبي معاوية به .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(١٣٢) : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا معاوية بن صالح ، عن سعيد بن سُوَيد الكلبي ، عن عبد الأعلى بن هلال السلمي ، عن العرباض بن سارية قال : قال النبي صلى اللّه عليه وسلم : « **إني عند اللّه لخاتم[٤] النبيين وإن آدم لمنجدل(*) في طينته** » .

(حديث آخر) قال الزهري : أخبرني محمد بن جبير[٥] بن مطعم ، عن أبيه - رضي اللّه عنه - قال : سمعت رسول اللّه - صلى اللّه عليه وسلم - يقول : « **إن لي أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو اللّه بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي** » . أخرجاه في الصحيحين(١٣٣) .

وقال الإمام أحمد (١٣٤) : حدثنا يحيى بن إسحاق ، حدثنا ابن لهيعة ، عن عبد اللّه بن

= جاء في السبب من حديث (٥٦٧) مختصرًا - من طريق العلاء بن عبد الرحمن به .

(١٣١) - تقدم تخريجه في رقم (١٣٥)

(١٣٢) - المسند (١٢٧/٤) وفي المطبوع منه : « سعيد بن سويد الكلبي عن عبد الله بن هلال السلمي » ثم رواه أحمد عن أبي العلاء وهو الحسين بن سوار عن ليث عن معاوية عن سعيد بن سويد عن عبد الأعلى بن هلال السلمي عن عرباض بن سارية .

(*) أي ملقى على الجندلة وهي الأرض .

(١٣٣) - صحيح البخاري في المناقب ، باب : ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ ، حديث (٣٥٣٢) ، وفي التفسير ، باب : سورة الصف ، حديث (٤٨٩٦) ، ومسلم الفضائل ، حديث (٢٣٥٤) من طريق الزهري به .

(١٣٤) - المسند (١٧٢/٢، ٢١٢) (٦٦٠٧، ٦٩٨١- شاكر) .

---

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - سقط في : خ ، ز .

[٣] - في ز ، خ : « كلاهما » .

[٤] - في ز، خ : « خاتم » .

[٥] - في خ ، ز : « حسين » .

هُبيرة ، عن عبد الرحمن بن جبير ، قال : سمعت عبد الله بن عمرو يقول : خرج علينا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يومًا كالمودّع ، فقال : « **أنا محمد النبيُّ[١] الأميُّ - ثلاثًا - ولا نبي بعدي أوتيت فواتح الكلم وجوامعه وخواتمه ، وعلمت كم خزنة النار وحملة العرش ، وتجوز بي ، [وعُوفيتُ وعُوفيتُ][٢] أمتي ؛ فاسمعوا وأطيعوا مادمت فيكم ، فإذا ذُهب بي فعليكم بكتاب الله ، أحلوا حلاله وحرموا حرامه** » . تفرد به الإمام أحمد .

ورواه أحمد أيضًا(١٣٥) عن يحيىٰ بن إسحاق ، عن ابن لهيعة ، عن عبد الله بن هُبيرة ، عن عبد الله(*) بن مريج[٣] الخولاني عن أبي قيس - مولى عمرو بن العاص - عن عبد الله بن عمرو ، فذكر مثله سواء .

والأحاديث في هذا كثيرة ، فمن رحمة الله تعالىٰ بالعباد إرسال محمد - صلىٰ الله عليه وسلم - إليهم ، ثم من تشريفه له ختم الأنبياء والمرسلين به ، وإكمال الدين الحنيف له . وقد أخبر تعالىٰ في كتابه ، ورسوله في السنة المتواترة عنه : أنه لا نبي بعده ليعلموا[٤] أن كل من ادعىٰ هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك ، دجال ضال مضل ، ولو تخرق[٥](**) وشعبذ ، وأتىٰ بأنواع السحر والطلاسم والنيرجيّات(***) ، فكلها محال وضلال عند أولي الألباب ، كما أجرىٰ الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ يدي[٦] الأسود العَنْسي باليمن ، ومسيلمة الكذاب باليمامة ، من الأحوال الفاسدة والأقوال الباردة ، ما علم كل ذي لب وفهم وحجىً أنهما كاذبان ضالان ، لعنهما الله . وكذلك كل مدع لذلك[٧] إلىٰ يوم القيامة حتىٰ يختموا بالمسيح الدجال ، يخلق الله معه من الأمور ما يشهد العلماء والمؤمنون بكذب من جاء بها . وهذا من تمام لطف الله تعالىٰ بخلقه ، فإنهم بضرورة الواقع لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر إلا علىٰ سبيل الاتفاق ، أو لما لهم فيه من المقاصد إلىٰ غيره ، ويكون في غاية الإفك والفجور في أقوالهم وأفعالهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **هل أنبئكم علىٰ من تنزل الشياطين . تنزل علىٰ كل أفاك أثيم ...** ﴾ الآية . وهذا بخلاف حال الأنبياء - عليهم السلام - فإنهم في غاية البر والصدق

(١٣٥) - المسند (٢/١٧٢) (٦٦٠٦- شاكر) .

(*) كذا ، وقد أورده كل من ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٥/٢٨٧) والذهبي في الميزان (٣/٣٠٣) ، وابن حجر في اللسان (٣/٥٢٩) : عبد الرحمن ، وكلاهما صحيح .

(**) تخرق الكذب : اختلقه .

(***) قال في القاموس : النِّيرَج : أخذ كالسحر .

[١] - سقط من : ز ، خ.

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « وعرفت وعرفت » [٣] - في خ ، ز : « سريج » .

[٤] - في ز ، خ: « لتعلموا » . [٥] - في ز : « تحرق » .

[٦] - في ت : « يد » . [٧] - في ز ، خ: « كذلك » .

والرشد والاستقامة فيما يقولونه ويفعلونه ويأمرون به وينهون عنه ، مع ما يؤيدون به من الخوارق للعادات ، والأدلة الواضحات ، والبراهين الباهرات . فصلوات الله وسلامه عليهم دائمًا مستمرًا مادامت الأرض والسماوات .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣) تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا (٤٤) ﴾

يقول تعالىٰ آمرًا عباده المؤمنين بكثرة ذكرهم لربهم تعالىٰ المنعم عليهم بأنواع النعم وأصناف المنن ، لما لهم في ذلك من جزيل الثواب ، وجميل المآب .

قال الإمام أحمد(١٣٦) : حدثنا يحيىٰ بن سعيد ، عن عبد الله بن سعيد ، حدثني[١] مولىٰ ابن عياش ، عن أبي بَحرية ، عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إعطاء[٢] الذهب والوَرق ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم** ؟ » . قالوا : وما هو يا رسول الله ؟ قال : « **ذكر الله عز وجل** » .

وهكذا رواه الترمذي وابن ماجة ، من حديث عبد الله بن سعيد بن أبي هند ، عن زياد - مولىٰ ابن عياش - عن أبي بَحريّة - واسمه عبد الله بن قيس التراغمي - عن أبي الدرداء به .

قال الترمذي : ورواه بعضهم عنه فأرسله .

قلت : وقد تقدم هذا الحديث عند قوله تعالىٰ : ﴿ **والذاكرين الله كثيرًا والذاكرات** ﴾ في مسند أحمد ، من حديث زياد بن أبي زياد مولىٰ عبد الله بن عَيّاش أنه بلغه عن معاذ بن جبل ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، بنحوه[٣] ، فالله أعلم .

---

(١٣٦) المسند (١٩٥/٥) ، وأخرجه الترمذي في كتاب الدعاء ، باب : منه (٥ / ٤٥٩ / رقم : ٣٣٧٧) . وابن ماجة في كتاب الأدب ، باب : فضل الذكر (٢ / ١٢٤٥ / رقم : ٣٧٩) . كلاهما من طريق عبد الله ابن سعيد بن أبي هند ، عن زياد بن أبي زياد ، عن أبي بحرية به .

---

[١] - سقط من : ز ، خ . [٢] - في ز ، خ: « إنفاق » .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

وقال الإمام أحمد (١٣٧) : حدثنا وكيع ، حدثنا فرج[١] بن فضالة ، عن أبي سعيد[٢] الحمصي، قال[٣] : سمعت أبا هريرة يقول : دعاء سمعته[٤] من رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم لا أدعه : « **اللهم؛ اجعلني أعظم شكرَك ، وأتبع نصيحتك ، وأكثر ذكرك ، وأحفظ وصيتك** » .

ورواه الترمذي(١٣٨) عن يحيىٰ بن موسىٰ ، عن وكيع ، عن أبي فضالة الفرج بن فضالة ، عن أبي سعيد الحمصي عن أبي هريرة فذكر مثله وقال : غريب .

وهكذا رواه الإمام أحمد أيضًا عن أبي النضر هاشم بن القاسم ، عن فرج بن فضالة ، عن أبي سعيد المدني[٥] ، عن أبي هريرة فذكره (١٣٩) .

وقال الإمام أحمد (١٤٠) : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن معاوية بن صالح ، عن عمرو ابن قيس ، قال : سمعت عبد اللّٰه بن بُسْر[٦] يقول : جاء أعرابيان إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فقال أحدهما : يا رسول اللّٰه ، أيّ الناس خير ؟ قال : « **من طال عمره وحسن عمله** » . وقال الآخر : يا رسول اللّٰه ؛ إن شرائع الإسلام قد كثرت علينا ، فمرني بأمر أتشبث به . قال : « **لا يزال لسانك رطبًا بذكر اللّٰه** » .

وروىٰ الترمذي وابن ماجة الفصل الثاني (١٤١) ، من حديث معاوية بن صالح به . وقال الترمذي : حسن غريب .

وقال الإمام أحمد (١٤٢) : حدثنا سُرَيج ، حدثنا ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ،

---

(١٣٧) المسند (٤٧٧/٢) .

(١٣٨) سنن الترمذي برقم (٣٦٠٤) .

(١٣٩) المسند (٣١١/٢) .

(١٤٠) المسند (١٩٠/٤) . أخرجه الترمذي في كتاب الزهد ، باب : ما جاء في طول العمر للمؤمن (٤/ ٤٨٩) حديث (٢٣٢٩) . وحديث ٣٣٧٥ . وابن ماجه في الأدب ، باب : فضل الذكر (١٢٤٦/٢) حديث ٣٧٩٣ . والبيهقي في كتاب الجنائز ، باب : طوبى لمن طال عمره وحسن عمله (٣٧١/٣) . وأبونعيم في الحلية (٥١/٩) .

(١٤١) سنن الترمذي برقم (٣٣٧٥) ، وسنن ابن ماجة برقم (٣٧٩٣) .

(١٤٢) المسند (٦٨/٣) ، وأخرجه ابن حبان في « صحيحه » (٨١٧/٣) ، وابن عدي في « الكامل » =

---

[١] - في ز ، خ: « روح » .
[٢] - في خ ، ز : « سعد » .
[٣] - سقط في : ز ، خ.
[٤] - في ز ، خ: « سمعه » .
[٥] - في خ ، ز : «المري » .
[٦] - في ز ،خ: « بشر » .

قال[١] : إنّ دَرّاجًا أبا السمح حدثه ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **أكثروا ذكر الله حتىٰ يقولوا : مجنون** » .

وقال الطبراني (١٤٣) : حدثنا عبد الله بن أحمد ، حدثنا عقبة بن مُكرم العَمّي ، حدثنا سعيد ابن سفيان[٢] الجحدري ، حدثنا الحسن بن أبي جعفر ، عن عقبة بن أبي ثُبيت[٣] الراسبي ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **اذكروا الله[٤] ذكرًا كثيرًا حتىٰ[٥] يقول المنافقون : تراءون[٦]** » .

وقال الإمام أحمد (١٤٤) : حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم ، حدثنا شداد أبو طلحة الراسبي ، سمعت أبا الوازع[٧] جابر بن عمرو يحدث عن عبد الله بن عمرو ، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما من قوم جلسوا مجلسًا لم يذكروا الله فيه ، إلا رأوه[٨] حسرة يوم القيامة** » .

وقال عليُّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿ **اذكروا الله ذكرًا كثيرًا** ﴾: إن الله لم يفرض [علىٰ عباده][٩] فريضة إلا [جعل لها حدًّا معلومًا ، ثم][١٠] عذر أهلها في حال عذر ، غير الذكر[١١] ، فإن الله لم يجعل له حدًّا[١٢] ينتهي إليه[١٣] ، ولم يعذر أحدًا[١٤] في تركه ، إلا مغلوبًا علىٰ تركه ، فقال : ﴿ **فاذكروا الله قيامًا وقعودًا وعلىٰ جنوبكم** ﴾ ، بالليل والنهار ، [في البر والبحر][١٥] ، وفي السفر والحضر ، والغنىٰ والفقر ، والصحة والسقم ، والسر

= (٣/٩٨٠) . والحاكم في « المستدرك » (١/٤٩٩) وصححه ، وسكت عنه الذهبي . من طريقين عن عبد الله ابن وهب به . وأخرجه عبد بن حميد في « المنتخب » (٩٢٥) ، وأبو يعلى في « مسنده » رقم (١٣٧٦) . من طريق الحسن بن موسى قال : حدثنا ابن لهيعة عن دراج به . وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٠/٧٨-٧٩) وقال : رواه أحمد وأبو يعلى وفيه دراج وقد ضعفه جماعة ، وبقية رجال أحد إسنادي أحمد ثقات . والحديث ضعفه الشيخ الألباني في « الضعيفة » (٥١٧) .

(١٤٣) المعجم الكبير للطبراني (١٢/١٦٩) ، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٧٦٠) : « فيه الحسين بن أبي جعفر الجعفري وهو ضعيف » .

(١٤٤) المسند (٢/٢٢٤) ، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٨٠) : « رجاله رجال الصحيح » .

[١] - سقط في : ز، خ .
[٢] - في ز ، خ: « سفر » .
[٣] - في ز ، خ: « نبيب » .
[٤] - سقط في : ز ، خ.
[٥] - بياض في : ز ، خ.
[٦] - في ز ، خ: « يراءون » .
[٧] - في ز ، خ: « الورع » .
[٨] - في خ ، ز : « زاده » .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط في : ز ، خ.
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[١١] - في ز ، خ: « الذاكر » .
[١٢] - في ز ، خ: « حد » .
[١٣] - سقط من : ز ،خ .
[١٤] - في ز ، خ : « حد » .
[١٥] - ما بين المعكوفتين سقط في : ز .

والعلانية ، وعلىٰ كل حال ، وقال : ﴿ **وسبحوه بكرة وأصيلًا** ﴾ . فإذا[١] فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته .

والأحاديث والآيات والآثار في الحث علىٰ ذكر اللّٰه كثيرة جدًّا ، وفي هذه الآية الكريمة الحث علىٰ الإكثار من ذلك ، وقد صنف الناس في الأذكار المتعلقة بآناء الليل والنهار كالنسائي[٢] والمعمري وغيرهما ، ومن أحسن الكتب المؤلفة في ذلك كتاب « **الأذكار** » للشيخ محيي الدين النووي رحمه اللّٰه تعالىٰ .

وقوله : ﴿ **وسبحوه بكرة وأصيلًا** ﴾ أي : عند الصباح والمساء ، كقوله : ﴿ **فسبحان اللّٰه حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السمٰوات والأرض وعشيًّا وحين تظهرون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **هو الذي يصلي عليكم وملائكته** ﴾ ، هذا تهييج إلىٰ الذكر ، أي : إنه سبحانه يذكركم فاذكروه أنتم ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **كما أرسلنا فيكم رسولًا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون** ﴾ ، وقال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **يقول اللّٰه : من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في مَلإ ذكرته في ملإ خير منهم** » (١٤٥) .

والصلاة من اللّٰه ثناؤه على العبد عند الملائكة . حكاه البخاري عن أبي العالية ، ورواه أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عنه . وقال غيره : الصلاة من اللّٰه الرحمة وقد يقال : لا منافاة بين القولين واللّٰه أعلم .

وأما الصلاة من الملائكة فبمعنىٰ الدعاء للناس والاستغفار ، كقوله : ﴿ **الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم [ويؤمنون به][٣] ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلمًا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم * ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم * وقهم السيئات** ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ **ليخرجكم من الظلمات إلىٰ النور** ﴾ ، أي : بسبب رحمته بكم[٤] وثنائه عليكم ودعاء ملائكته لكم ، يخرجكم من ظلمات الجهل والضلال إلىٰ نور الهدىٰ واليقين ، ﴿ **وكان بالمؤمنين رحيمًا** ﴾ ، أي : في الدنيا والآخرة ، أما في الدنيا فإنه هداهم إلىٰ الحق الذي جهله

(١٤٥) رواه البخاري في صحيحه برقم (٧٤٠٥) ، ومسلم في صحيحه برقم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه .

[١] - في ت : « وإذا » .
[٢] - في ز ، خ: « كالنسى » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط في : ز ، خ.
[٤] - في ز ، خ: « لكم » .

غيرهم ، وبَصرهم الطريق الذي ضل عنه وحاد عنه مَن سواهم من الدعاة إلىٰ الكفر أو البدعة وأشياعهم من الطغام (*) . وأما رحمته بهم في الآخرة فآمنهم من الفزع الأكبر ، وأمر ملائكته يتلقونهم بالبشارة بالفوز بالجنة والنجاة من النار ، وما ذاك إلا لمحبته[١] لهم ورأفته بهم .

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن أبي عديّ ، عن حميد ، عن أنس رضي اللّٰه عنه قال : مر رسول اللّٰه - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - في نفر من أصحابه وصبي في الطريق ، فلما رأت أمه القوم خشيت علىٰ ولدها أن يوطأ ، فأقبلت تسعىٰ وتقول : ابني ! ابني ! وَسَعَت فأخذته ، فقال القوم : يا رسول اللّٰه ، ما كانت هذه لتلقي ابنها في النار . قال : فَخَفَّضهم رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم وقال : « **لا واللّٰه لا يلقي حبيبه في النار** » .

إسناده علىٰ شرط الصحيحين ، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة (١٤٦) ، ولكن في صحيح الإمام البخاري ، عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم رأىٰ امرأة من السبي قد أخذت صبيًا لها ، فألصقته إلىٰ صدرها ، وأرضعته فقال : « **أترون هذه تلقي ولدها في النار وهي تقدر علىٰ ذلك ؟** » . قالوا : لا . قال : « **فواللّٰه للّٰه أرحم بعباده من هذه بولدها** » (١٤٧) .

وقوله : ﴿ **تحيتهم يوم يلقونه سلام** ﴾ ، الظاهر أن المراد - واللّٰه أعلم - ﴿ **تحيتهم** ﴾ أي : من اللّٰه تعالىٰ يوم يلقونه ﴿ **سلام** ﴾ ، أي : يوم يسلم عليهم كما قال تعالىٰ : ﴿ **سلام قولًا من رب رحيم** ﴾ .

وزعم قتادة أن المراد أنهم يتحون[٢] بعضهم بعضًا بالسلام يوم يلقون اللّٰه في الدار الآخرة ، واختاره ابن جرير .

قلت : وقد يستدل له بقوله تعالىٰ : ﴿ **دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد للّٰه رب العالمين** ﴾ .

(*) الطغام : أراذل الناس وأوساخهم .

(١٤٦) المسند (١٠٤/٣) . ورواه الحاكم (١٧٧/٤) وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ورواه الحاكم أيضًا (٥٨/١) وقال : صحيح على شرط الشيخين . ورواه أحمد ١٣٤٩٢ - (٢٣٥/٣) . وأبو يعلى حديث ٣٧٤٨ - (٣٩٨/٦) . وذكره في مجمع الزوائد (٣٨٣/١٠) وقال : رواه أحمد والبزار بنحوه وأبو يعلى ورجالهم رجال الصحيح .

وللحديث شاهد من حديث عمر بن الخطاب عند البخاري في كتاب الأدب ، باب : رحمة الولد وتقبيله ومعانقته حديث ٥٩٩٩ .

(١٤٧) صحيح البخاري برقم (٥٩٩٩) .

---

[١] - في ز : « لهبته » . [٢] - في ت : « يحيي » .

وقوله : ﴿ وأعد لهم أجرًا كريمًا ﴾ ، يعني : الجنة وما فيها من المآكل والمشارب ، والملابس والمساكن ، والمناكح والملاذ والمناظر ، وما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٤٨﴾

قال الإمام أحمد(١٤٨) : حدثنا موسى بن داود ، حدثنا فُليح بن سليمان ، عن هلال بن عليّ ، عن عطاء بن يسار ، قال : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت : أخبرني عن صفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في التوراة . قال : أجل ، والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا ، وحرزًا للأميين ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل [لست بفظّ][١] ولا غليظ ولا سخاب[٢] [في الأسواق][٣] ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضَه الله[٤] حتى [يقيمَ به][٥] الملة العوجاء ، بأن يقولوا : لا إله إلا الله ، فيفتح بها أعينًا عميًا ، وآذانًا صمًا ، وقلوبًا غلفًا .

وقد رواه البخاري في « البيوع » عن محمد بن سنان ، عن فليح بن سليمان ، عن هلال ابن عليّ ، به . ورواه في التفسير عن عبد الله - قيل : ابن رجاء ، وقيل : ابن صالح - عن عبد العزيز بن أبي سلمة ، عن هلال ، عن عطاء بن يسار ، عن عبد الله بن عمرو ، به . ورواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن عبد الله بن رجاء ، عن عبد العزيز بن [أبي سلمة][٦] الماجشون به .

وقال البخاري في البيوع : وقال سعيد عن هلال عن عطاء عن عبد الله بن سلام .

وقال وهب بن منبه : إن الله أوحى إلى نبيٍّ من أنبياء بني إسرائيل - يقال له : شعياء - : « أن قم في قومك بني إسرائيل ، فإني[٧] منطق لسانك بوحي وأبعث أميًا من الأميين ، أبعثه

(١٤٨) المسند (١٧٤/٢) وصحيح البخاري برقم (٢١٢٥) ورقم (٤٨٣٨) .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « لا فظّ » .
[٢] - في ت : « صخاب » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « بالأسواق » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « يقيموا » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.
[٧] - في ت : « إني » .

ليس بفظّ ولا غليظ ولا سخاب[١] [بالأسواق][٢] ، لو يمر إلىٰ جنب سراج لم يطفئه ، من سكينته ، ولو يمشي علىٰ القصب لم يسمع من تحت قدميه[٣] ، أبعثه مبشرًا ونذيرًا ، لا يقول الخنا ، أفتح به أعينًا كُمهًا ، وآذانًا صمًّا ، وقلوبًا غلفًا ، أسَدده لكل أمر جميل ، وأهب له كل خلق كريم ، وأجعل السكينة لباسه ، والبر شعاره ، والتقوىٰ ضميره ، والحكمة منطقه ، والصدق والوفاء طبيعته ، والعفو والمعروف خلقه ، والحق شريعته ، والعدل سيرته ، والهدىٰ إمامه ، والإسلام ملته ، وأحمدَ اسمه ، أهدي به بعد الضلالة ، وأعلم به بعد الجهالة ، وأرفع به بعد الخَمَالة ، وأعرف به بعد النُّكْرَة ، وأكثر به بعد القلة ، وأغني به بعد العَيْلَة ، وأجمع به بعد الفرقة ، وأؤلف به بين أمم متفرقة ، وقلوب مختلفة ، وأهواء متشتتة ، وأستنقذ به فئامًا من الناس عظيمة من الهلكة ، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، موحدين مؤمنين مخلصين ، مصدقين لما جاءت به رسلي ، ألهمهم التسبيح والتحميد ، والثناء والتكبير والتوحيد ، في مساجدهم ومجالسهم، ومضاجعهم ومنقلبهم ومثواهم ، يصلون لي قيامًا وقعودًا ، ويقاتلون في سبيل الله صفوفًا وزحوفًا ، ويخرجون من ديارهم ابتغاء مرضاتي ألوفًا ، يطهرون الوجوه والأطراف ، ويشدون الثياب في الأنصاف ، قربانهم دماؤهم ، وأناجيلهم في صدورهم ، رهبان بالليل ليوث بالنهار ، وأجعل في أهل بيته وذريته السابقين ، والصديقين والشهداء والصالحين ، أمته من بعده يهدون بالحق وبه يعدلون ، أعز من نصرهم ، وأؤيد من دعا لهم ، وأجعل دائرة السوء علىٰ من خالفهم أو بغىٰ عليهم ، أو أراد أن ينتزع شيئًا مما في أيديهم ، أجعلهم ورثة لنبيهم ، والداعية إلىٰ ربهم ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويوفون بعهدهم ، أختم بهم الخير الذي بدأته بأولهم ، ذلك فضلي أوتيه من أشاء ، وأنا ذو الفضل العظيم » .

هكذا رواه ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه اليماني - رحمه الله .

ثم قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبد الرحمن بن صالح ، حدثنا عبد الرحمن بن محمد ابن عبيد الله العَرْزَمِيّ[٤] ، عن شيبان النحوي ، أخبرني قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت : ﴿ **يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا** ﴾ - وقد كان أمر عليًا ومعاذًا أن يسيرا إلىٰ اليمن - فقال : « **انطلقا فبشرا ولا تنفرا ، ويسرا ولا تعسرا ، إنه قد أنزل عليّ : ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا ﴾** » .

ورواه الطبراني(١٤٩) عن محمد بن نصر بن حميد البزاز البغدادي ، عن عبد الرحمن بن

(١٤٩) المعجم الكبير (٣١٢/١١) ، وقال الهيثمي في المجمع (٩٢/٧) : « وفيه عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله العرزمي وهو ضعيف » .

[١] - في ت : « صخاب » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ت : « في الأسواق» .
[٣] - في ز ، خ: « قدمه » .
[٤] - في خ ، ز : « القرشي » .

صالح الأزدي ، عن عبد الرحمن [بن محمد][١] بن عبيد الله العرزمي ، بإسناده مثله ، وقال في آخره : « **فإنه قد أنزل عليّ : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا علىٰ أمتك ومبشرًا بالجنة ، ونذيرًا من النار ، وداعيًا إلىٰ شهادة أن لا إله إلا الله بإذنه ، وسراجًا منيرًا بالقرآن** » .

وقوله : ﴿ **شاهدًا** ﴾ ، أي : للّه بالوحدانية ، وأنه لا إله غيره ، وعلىٰ الناس بأعمالهم يوم القيامة ، ﴿ **وجئنا بك علىٰ هؤلاء شهيدًا** ﴾ ، [كقوله : ﴿ **لتكونوا شهداء علىٰ الناس ويكون الرسول عليكم شهيدًا** ﴾][٢] .

وقوله : ﴿ **ومبشرًا ونذيرًا** ﴾ ، أي : بشيرًا للمؤمنين بجزيل الثواب ، ونذيرًا للكافرين من وبيل العقاب .

وقوله : ﴿ **وداعيًا إلىٰ الله بإذنه** ﴾ ، أي : داعيًا للخلق إلىٰ عبادة ربهم عن أمره لك بذلك ، ﴿ **وسراجًا منيرًا** ﴾ ، أي : وأمرك ظاهر فيما جئت به من الحق ، كالشمس في إشراقها وإضاءتها ، لا يجحدها إلا معاند .

وقوله : ﴿ **ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم** ﴾ ، أي : لا تطعهم وتسمع[٣] منهم في الذي يقولونه ، ﴿ **ودع أذاهم** ﴾ ، أي : اصفح وتجاوز عنهم ، وكِلْ أمرهم إلىٰ الله ، فإن فيه كفايةً لهم ، ولهذا قال : ﴿ **وتوكل علىٰ الله وكفىٰ بالله وكيلًا** ﴾ .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾

هذه الآية الكريمة فيها أحكام كثيرة ، منها : إطلاق النكاح علىٰ العقد وحده ، وليس في القرآن آية أصرح في ذلك منها ، وقد اختلفوا في النكاح : هل هو حقيقة في العقد وحده ، أو في الوطء ، أو فيهما ؟ علىٰ ثلاثة أقوال ، واستعمال القرآن إنما هو في العقد والوطء بعده ، إلا في هذه الآية فإنه استعمل في العقد وحده ، لقوله : ﴿ **إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهنّ** ﴾ ، وفيها دلالة لإباحة طلاق المرأة قبل الدخول بها .

وقوله : ﴿ **المؤمنات** ﴾ خرج مخرج الغالب ؛ إذ لا فرق في الحكم بين المؤمنة والكتابية في ذلك بالاتفاق ، وقد استدل ابن عباس ، وسعيد بن المسيب ، والحسن البصري ، وعليّ بن الحسين زين العابدين ، وجماعة من السلف بهذه الآية علىٰ أن الطلاق لا يقع إلا إذا تقدمه نكاح ، لأن الله تعالىٰ قال : ﴿ **إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن** ﴾ ، فعقب النكاح بالطلاق ، فدل علىٰ أنه لا يصح ولا يقع قبله . وهذا مذهب الشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وطائفة كبيرة[٤] من

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ز ، خ: « أسمع » .
[٤] - في ت : « كثيرة » .

السلف والخلف رحمهم الله تعالىٰ .

وذهب مالك وأبو حنيفة رحمهما الله إلىٰ صحة الطلاق قبل النكاح ؛ فيما إذا قال : إن تزوجت فلانة فهي طالق . فعندهما متىٰ تزوجها طلقت منه . واختلفا فيما إذا قال : كل امرأة أتزوجها فهي طالق . فقال مالك : لا تطلق حتىٰ يعين المرأة . وقال أبو حنيفة - رحمه الله - : كل امرأة يتزوجها بعد هذا الكلام تطلق منه . فأما الجمهور فاحتجوا علىٰ عدم وقوع الطلاق بهذه الآية .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن منصور المروزي ، حدثنا النضر بن شميل ، حدثنا يونس - يعني : ابن أبي إسحاق - سمعت آدم مولىٰ خالد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال :[إذا قال][١] : كل امرأة أتزوجها فهي طالق . قال : ليس بشيء من أجل أن الله تعالىٰ يقول : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن** ...﴾ الآية .

وحدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي ، حدثنا وكيع ، عن مطر ، عن الحسن بن مسلم بن يَنّاق[٢] ، عن ابن عباس ، قال : إنما قال الله تعالىٰ : ﴿ **إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن** ﴾ ، ألا ترىٰ أن الطلاق بعد النكاح .

وهكذا روىٰ محمد بن إسحاق ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال الله : ﴿ **إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن** ﴾ فلا طلاق [قبل النكاح][٣] .

وقد ورد الحديث بذلك عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لا طلاق لابن آدم فيما لا يملك** » (١٥٠) . رواه الإمام أحمد والترمذي ، وأبو داود ، وابن ماجة . وقال الترمذي : هذا حديث حسن ، وهو أحسن شيء روي في هذا الباب . وهكذا روىٰ ابن ماجة عن عليّ ، والمسور بن مخرمة عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « **لا طلاق قبل نكاح** » (١٥١) .

---

(١٥٠) المسند (٢/١٨٩) ، وسنن الترمذي برقم (١١٨١) ، وسنن أبي داود برقم (٢١٩١) ، وسنن ابن ماجة برقم (٢٠٤٧) .

(١٥١) سنن ابن ماجه برقم (٢٠٤٨) من طريق علي بن الحسين ، عن هشام بن سعد، عن الزهري ، عن عروة، عن المسور ، به . وقال البوصيري في الزوائد (٢/١٣٢) : « هذا إسناد حسن ، علي بن الحسين ، وهشام بن سعد مختلف فيهما » . وبرقم (٢٠٤٩) من طريق جويبر ، عن الضحاك ، عن النزّال بن سبرة ، عن علي ، به . وقال البوصيري في الزوائد (٢/١٣٢) : « هذا إسناد ضعيف لاتفاقهم على ضعف جويبر بن سعيد البجلي ، لكن لم ينفرد به جويبر ، فقد رواه البيهقي في الكبرى (٧/٣٢٠) من طريق معاذ العنبرى =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.   [٢] - في ز ، خ : « نيّاق » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

وقال : ﴿ **فما لكم عليهن من عدة تعتدونها** ﴾ ، هذا أمر مجمع عليه بين العلماء : أن المرأة إذا طلقت قبل الدخول بها لا عدة عليها فتذهب فتتزوج في فورها من شاءت ، ولا يستثنىٰ من هذا إلا المتوفىٰ عنها زوجها ، فإنها تعتد منه أربعة أشهر وعشرًا ، وإن لم يكن دخل بها بالإجماع أيضًا .

وقوله : ﴿ **فمتعوهن وسرحوهن سراحًا جميلًا** ﴾ المتعة هاهنا أعم من أن تكون نصف الصداق المسمىٰ ، أو المتعة الخاصة ، إن لم يكن قد سمىٰ لها ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم** ﴾ وقال : ﴿ **لا جناح عليكم إن طلقتم النساء مالم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن علىٰ الموسع قدره وعلىٰ المقتر قدره متاعًا بالمعروف حقًّا علىٰ المحسنين** ﴾ .

وفي صحيح البخاري ، عن سهل بن سعد وأبي أُسيد أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم تزوج أُميمة بنت شَرَاحيل ، فلما أدخلت عليه بسط يده إليها ، فكأنها كرهت ذلك ، فأمر أبا أَسَيد أن يجهزها ويكسوها ثوبين رازقيّين (١٥٢)(*) .

قال عليٌّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - : إن كان سمّىٰ لها صداقًا فليس لها إلا النصف ، وإن لم يكن سمّىٰ لها صداقًا فأمتعها علىٰ قدر عسره ويسره ، وهو السراح الجميل .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾

يقول تعالىٰ مخاطبًا نبيه - صلىٰ الله عليه وسلم - بأنه قد أحل له من النساء أزواجه اللاتي

= عن حميد الطويل ، عن الحسن عن علي به ، ثم رواه من طريق سعيد عن جويبر به موقوفًا من الطريقين معًا.

(١٥٢) صحيح البخاري برقم (٥٢٥٦ ، ٥٢٥٧) .

(*) وفي رواية : رازقيتين . والرازقية : ثياب كتان بيض . والرازقي : الضعيف من كل شيء .

أعطاهن مهورهن ، وهي الأجور هاهنا . كما قاله مجاهد وغير واحد ، وقد كان مَهْرُه لنسائه اثنتي عشرة أوقية ونَشًا وهو نصف أوقية ، فالجميع خمسمائة درهم . إلا أم حبيبة بنت أبي سفيان فإنه أمهرها عنه النجاشي رحمه الله أربعمائة دينار ، وإلا صفية بنت حُيَيّ فإنه اصطفاها من سَبْي خيبر ، ثم[١] أعتقها وجعل عتقها صداقها . وكذلك جُوَيْرِية بنت الحارث المصطلقية ، أدّىٰ عنها كتابتها إلىٰ ثابت بن قيس بن شماس وتزوجها ، رضي الله عن جميعهن .

وقوله : ﴿ **وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك** ﴾ ، أي : وأباح لك التسري مما أخذت من المغانم ، وقد ملك صفية وجويرية فأعتقهما وتزوجهما . وملك ريحانة بنت شمعون النضرية ، ومارية القبطية أم ابنه إبراهيم عليه السلام ، وكانتا من السراري ، رضي الله عنهما .

وقوله : ﴿ **وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك** ﴾ هذا عدل وَسَط بين الإفراط والتفريط ؛ فإن النصارىٰ لا يتزوجون المرأة إلا إذا كان الرجل بينه وبينها سبعة أجداد فصاعدًا ، واليهود يتزوج أحدهم بنت أخيه وبنت أخته ، فجاءت هذه الشريعة الكاملة الطاهرة بهدم إفراط النصارىٰ ، فأباح[٢] بنت العم والعمة ، وبنت الخال والخالة ، وتحريم ما أفرّطت[٣] فيه اليهود من إباحة بنت الأخ والأخت ، وهذا بشع فظيع .

وإنما قال : ﴿ **وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك** ﴾ فَوَحَّدَ لفظ الذكر لشرفه ، وجمع الإناث لنقصهن ، كقوله : ﴿ **عن اليمين والشمائل** ﴾ ﴿ **يخرجهم من الظلمات إلى النور** ﴾ ﴿ **وجعل الظلمات والنور** ﴾ وله نظائر كثيرة .

وقوله : ﴿ **اللاتي هاجرن معك** ﴾ قال ابن أبي حاتم - رحمه الله - : حدثنا محمد بن عمار ابن الحارث الرازي ، حدثنا عبيد الله بن موسىٰ ، حدثنا إسرائيل، عن السدي، عن أبي صالح، عن أم هانئ قالت: خطبني رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فاعتذرت إليه فعذرني[٤]، ثم أنزل الله : ﴿ **إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **اللاتي هاجرن[٥] معك** ﴾ ، قالت : فلم أكن أحل له ، ولم أكن ممن هاجر معه ، كنت من الطلقاء .

ورواه ابن جرير (١٥٣) عن أبي كريب ، عن عبيد الله بن موسى به . ثم رواه ابن أبي حاتم من حديث إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ، عنها بنحوه . ورواه الترمذي في جامعه (١٥٤) .

---

(١٥٣) تفسير الطبري (٢٢/١٥) .

(١٥٤) سنن الترمذي برقم (٣٢١٤) وقال : « هذا حديث حسن صحيح لا أعرفه إلا من هذا الوجه من حديث السدي » .

---

[١] - في ز ، خ: « فإنه » .

[٢] - في خ ، ز : « مما بلغ » .

[٣] - في ت : « فرطت » .

[٤] - في ز ، خ: « فعذر لي » .

[٥] - في ز ، خ: « هاجرت » .

وهكذا قال أبو رزين وقتادة : إن المراد : من هاجر معه إلىٰ المدينة . وفي رواية عن قتادة : ﴿ **اللاتي هاجرن معك** ﴾، أي: أسلمن . وقال الضحاك : قرأ ابن مسعود: (**واللاتي هاجرت**[١] **معك**) .

وقوله : ﴿ **وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها** ﴾ ، أي : ويحل لك - يا أيها النبي - المرأة المؤمنة إذا وهبت نفسها لك أن تتزوجها بغير مهر إن شئت ذلك . وهذه الآية توالى [فيها شرطان][٢] ، كقوله تعالىٰ إخبارًا عن نوح - عليه السلام - أنه قال لقومه : ﴿ **ولا ينفعكم نصحى إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم** ﴾ . وكقول موسى : ﴿ **يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين** ﴾ . وقال هاهنا : ﴿ **وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها** ﴾ .

وقد قال الإمام أحمد (١٥٥) : حدثنا إسحاق ، أخبرنا مالك ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد الساعدي : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم جاءته امرأة فقالت : يا رسول الله ؛ إني قد وَهَبت نفسي لك . فقامت قيامًا طويلًا ، فقام رجل فقال : يا رسول الله ؛ زَوّجنيها إن لم يكن لك بها حاجة ! فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **هل عندك من شيء تُصدقها إياه ؟** » فقال : ما عندي إلا إزاري هذا ! فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن أعطيتها إزارك جلستَ لا إزار لك ، فالتمس شيئًا** » . فقال : لا أجد شيئًا . فقال : « **التمس ولو خاتمًا من حديد** » . فالتمس فلم يجد شيئًا ، فقال له النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **هل معك من القرآن شيء ؟** » . قال : نعم ، سورة كذا ، وسورة كذا - لِسُور يسميها - فقال له رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **زوجتكها بما معك من القرآن** » . أخرجاه من حديث مالك .

وقال الإمام أحمد (١٥٦) : حدثنا عفان ، حدثنا مرحوم ، سمعت ثابتًا يقول : كنت مع أنس جالسًا وعنده ابنة له ، فقال أنس : جاءت امرأة إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم فقالت : يا نبي الله ، هل لك فيَّ حاجة؟ فقالت ابنته: ما كان أقل حياءها! فقال : « **هي خير منك، رغبت في**

(١٥٥) المسند (٥/٣٣٦) ، أخرجه البخاري في كتاب الوكالة ، باب : وكالة المرأة الإمام في النكاح (٤/ ٥٦٧/رقم: ٢٣١٠) . وأطرافه في (٥٠٢٩، ٥٠٣٠، ٥٠٨٧، ٥١٢١، ٥٢٢٦، ٥١٣٢، ٥١٣٥، ٥١٤١، ٥١٤٩، ٥١٥٠، ٥٨٧١ ، ٧٤١٧) . ومسلم في كتاب النكاح ، باب : الصداق وجواز كونه تعليم قرآن أو خاتم حديد (٢/ ١٠٤٠، ١٠٤١/رقم: ١٤٢٥) .

(١٥٦) المسند (٣/٢٦٨) (١٣٨٦٣) ، وأخرجه البخاري في صحيحه في كتاب النكاح ، باب : عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح ، حديث (٥١٢٠) (٩/١٧٤) . والنسائي في كتاب النكاح ، باب : عرض المرأة نفسها على من ترضى (٦/٧٨ - ٧٩) . وفي الكبرى ، حديث (٥٣٦١) - (٣/٢٧٧) . وابن ماجه=

[١] - في ت : « هاجرن » . [٢] - في ز ، خ: « شرطًا » .

النبي صلى الله عليه وسلم ، فعرضت عليه نفسها » .

انفرد بإخراجه البخاري ، من حديث مرحوم بن عبد العزيز[١] ، عن ثابت البناني ، عن أنس به .

وقال أحمد أيضًا : حدثنا عبد اللّٰه بن بكر[٢] ، حدثنا سنان بن ربيعة ، عن الحضرمي ، عن أنس بن مالك ، أن امرأة أتت النبي - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - فقالت : يا رسول اللّٰه ، ابنة لي كذا وكذا . فذكرت من حسنها وجمالها ، فآثرتك[٣] بها . فقال : « **قد قبلتها** » . فلم تزل تمدحها حتىٰ ذكرت أنها لم تصدع ولم تَشْتَكِ شيئًا قطُّ ، فقال : « **لا حاجة لي في ابنتك** » . لم يخرجوه (١٥٧) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا منصور بن أبي مزاحم ، حدثنا ابن أبي الوضاح - يعني محمد بن مسلم - عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : التي وهبت نفسها للنبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم خولة بنت حكيم (١٥٨) .

وقال ابن وهب ، عن سعيد بن عبد الرحمن وابن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه : أن خولة بنت حكيم بن الأوقص، من بني سليم، كانت من اللاتي وَهَبْنَ أنفسهن لرسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم (١٥٩) .

= في كتاب النكاح ، باب : التي وهبت نفسها للنبي - صلى اللّٰه عليه وسلم - حديث (٢٠٠١) (١/ ٦٤٥) . من طرقٍ عن مرحوم بن عبد العزيز عن ثابت ، به ..

(١٥٧) المسند (١٥٥/٣) . وحضرمي بن لاحق التميمي السعدي : قال عبد الله بن أحمد : سألت أبي عن الحضرمي الذي حدث عنه سليمان التيمي . قال : كان قاصًا ، فزعم معتمر قال : قد رأيته قال : لا أعلم من يروي عنه غير سليمان التيمي . وقال عبد الله : وسألت يحيى بن معين فقال : ليس به بأس ، وليس هو بالحضرمي بن لاحق . وقال أبو حاتم : حضرمي اليمامي وحضرمي بن لاحق هما عندي واحد . وقال عكرمة بن عمار : كان فقيهًا وخرجت معه إلى مكة سنة مائة ، وذكره ابن حبان في الثقات . وقال ابن حجر : وفرق بين الحضرمي بن لاحق وحضرمي الذي يروي عنه سليمان التيمي ، فقال في الثاني : لا أدري من هو ولا ابن من هو . انتهى كلامه. وكذلك قال ابن المديني : حضرمي شيخ بالبصرة ، روى عنه التيمي مجهول ، وكان قاصًا ، وليس هو بالحضرمي بن لاحق ، قال ابن حجر : والذي يظهر لي أنهما اثنان . دس . والحديث أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٤/٢) وقال : رواه أحمد وأبو يعلى (٤٢٣٤) (٧/ ٢٣٢) ورجاله ثقات .

(١٥٨) ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٥٥/٧) من طريق منصور بن أبي مزاحم ، به .

(١٥٩) رواه الطبري في تفسيره (٢٣/٢٢) .

---

[١] - في خ ، ز : « الغفار » .

[٢] - في ز ، خ: « بكير » .

[٣] - في ز ، خ: « فآثرك » .

وفي رواية له عن سعيد بن عبد الرحمن ، عن هشام ، عن أبيه ، كنا نتحدث أن خولة بنت حكيم كانت وهبت نفسها لرسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وكانت امرأة صالحة (١٦٠) .

فيحتمل أن أم سليم هي خولة بنت حكيم ، أو هي امرأة أخرى .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي ، حدثنا وكيع ، حدثنا موسىٰ بن عبيدة ، عن محمد بن كعب ، وعمر بن الحكم ، وعبد اللّٰه بن عبيدة قالوا : تزوج رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ثلاث عشرة امرأة ، ست من قريش ، خديجة ، وعائشة ، وحفصة ، وأم حبيبة ، وسودة ، وأم سلمة . وثلاث من بني عامر بن صعصعة ، وامرأتان[١] من بني هلال بن عامر : ميمونة بنت الحارث ، وهي التي وهبت نفسها للنبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وزينب أم المساكين ، وامرأة من بني أبي بكر بن كلاب من القَرطاء ، وهي التي اختارت الدنيا . وامرأة من بني الجون ، وهي التي استعاذت منه ، وزينب بنت جحش الأسدية ، والسبيتان[٢] صفية بنت حيي بن أخطب ، وجويرية بنت الحارث بن عمرو بن المصطلق الخزاعية (١٦١) .

وقال سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن ابن عباس : ﴿ **وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي** ﴾ ، قال : هي ميمونة بنت الحارث .

فيه انقطاع ، هذا مرسل ، والمشهور أن زينب التي كانت تدعىٰ أم المساكين هي زينب بنت خُزيمة الأنصارية ، وقد ماتت عند النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في حياته ، فاللّٰه أعلم .

والغرض من هذا أن اللاتي وهبن أنفسهن من النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كثير[٣] ، كما قال البخاري : حدثنا زكريا بن يحيىٰ ، حدثنا أبو أسامة قال هشام بن عروة : حدثنا عن أبيه ، عن عائشة قالت : كنت أغار من اللاتي وهبن أنفسهن من النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وأقول : أتهب امرأة نفسها ؟ فلما أنزل اللّٰه : ﴿ **ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك** ﴾ ، قلت : ما أرىٰ ربك إلا يسارع في هواك (١٦٢) .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا محمد بن منصور الجعفي ، حدثنا يونس بن بكير ، عن عنبسة بن الأزهر ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لم

(١٦٠) رواه الطبري في تفسيره (٢٢/٢٣) .

(١٦١) وراه ابن أبي شيبة في المصنف (٥/٢٧٠) من طريق وكيع بلفظ : « تزوج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – امرأة بنى الجون فطلقها وهى التى استعاذت منه » .

(١٦٢) صحيح البخاري برقم (٤٧٨٨) .

[١] – في ز ، خ: « امرأتين » . [٢] – في ز ، خ: « السبيتين » .

[٣] – في ز ، خ: « كثيرًا » .

يكن عند رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم امرأة وهبت نفسها له .

ورواه ابن جرير (١٦٣) ، عن أبي كريب عن يونس بن بكير . أي إنه لم يقبل واحدة ممن وهبت نفسها له[١] ، وإن كان ذلك مباحًا له ومخصوصًا به ؛ لأنه مردود إلىٰ مشيئته ، كما قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **إن أراد النبي أن يستنكحها** ﴾ ، أي : إن اختار ذلك .

وقوله : ﴿ **خالصة لك من دون المؤمنين** ﴾ ، قال عكرمة : أي لا تحل الموهوبة لغيرك ، ولو أن امرأة وهبت نفسها لرجل لم تحل له حتىٰ يعطيها شيئًا . وكذا قال مجاهد والشعبي وغيرهما .

أي : إنها إذا فوضت المرأة نفسها إلىٰ رجل فإنه متىٰ دخل بها وجب لها عليه مهر مثلها ، كما حكم به رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم في بَرْوَع بنت واشق لما فوضت ، فحكم لها رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بصداق مثلها لما توفىٰ عنها زوجها ، والموت والدخول سواء في تقرير المهر، وثبوت مهر المثل في المفوضة لغير النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فأما هو - عليه السلام - فإنه لا يجب عليه للمفوضة شيء ولو دخل بها ؛ لأن له أن يتزوج بغير صداق ولا ولي ولا شهود ، كما في قصة زينب بنت جحش، رضي اللَّه عنها؛ ولهذا قال قتادة في قوله : ﴿ **خالصة لك من دون المؤمنين** ﴾ ، يقول : ليس لامرأة تهب نفسها لرجل بغير ولي ولا مهر إلا للنبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم .

[وقوله تعالىٰ : ﴿ **قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت إيمانهم** ﴾][٢] قال أبي بن كعب ، ومجاهد ، والحسن ، وقتادة وابن جرير في قوله : ﴿ **قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم** ﴾ ، أي : منْ حَصْرِهم في أربع نسوة حرائر وما شاءوا من الإماء ، واشتراط الولي والمهر والشهود عليهم ، وهم الأمة ، وقد رخصنا لك في ذلك ، فلم نوجب عليك شيئًا منه ، ﴿ **لكيلا[٣] يكون عليك حرج وكان اللَّه غفورًا رحيمًا** ﴾ .

﴿ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾

(١٦٣) تفسير الطبري (١٧/٢٢) .

[١] - سقط من : ز ، خ.

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ز ، خ: « لكلا » .

قال الإمام أحمد (١٦٤) : حدثنا محمد بن بشر ، حدثنا هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي اللّٰه عنها : أنها كانت تُعَيِّر النساء اللاتي وهبن أنفسهن لرسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قالت : ألا تستحي المرأة أن[١] تعرض نفسها بغير صداق ؟ فأنزل اللّٰه عز وجل : ﴿ **ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك** ﴾ ، قالت : إني أرىٰ ربك يسارع لك في هواك .

وقد تقدم أنَّ البخاري رواه من حديث أبي[٢] أسامة ، عن هشام بن عروة ، فدل هذا علىٰ أن المراد بقوله : ﴿ **ترجي** ﴾ ، [أي : تؤخر][٣] ﴿ **من تشاء منهن** ﴾ ، أي : من الواهبات ، ﴿ **وتؤوي إليك من تشاء** ﴾ ، أي : من شئت قبلتها ، ومن شئت رددتها ، ومن رددتها فأنت[٤] فيها أيضًا بالخيار بعد ذلك ، إن شئت عُدْتَ فيها فآويتها ؛ ولهذا قال ﴿ **ومن ابتغيت ممن[٥] عزلت فلا جناح عليك** ﴾ .

قال عامر الشعبي في قوله : ﴿ **ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء** ﴾ كن نساء وهبن أنفسهن للنبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فدخل ببعضهن وأرجأ بعضهن لم يُنْكحن بعده ، منهن أم شريك .

وقال آخرون : بل المراد بقوله : ﴿ **ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء** ﴾ ، أي : من أزواجك ، لا حرج عليك أن تترك القَسم لهن ، فتقدم من شئت ، وتؤخر من شئت ، وتجامع من شئت ، وتترك من شئت .

هكذا يروىٰ عن ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن ، وقتادة ، وأبي رَزين ، وعبد الرحمن بن زيد ابن أسلم ، وغيرهم، ومع هذا كان صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقسم لهن ؛ ولهذا ذهب طائفة من

---

(١٦٤) المسند (١٥٨/٦) . وأخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ **ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء** ﴾ من سورة الأحزاب (٣٨٥/٨/رقم : ٤٧٨٨) وطرفه في (٥١١٣) . ومسلم في كتاب الرضاع ، باب : جواز هبتها نوبتها لضرتها . (١٠٨٥/٢ ، ١٠٨٦/رقم : ١٤٦٤) . والنسائي في كتاب النكاح ، ، باب : ذكر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في النكاح وأزواجه . (٥٤/٦/رقم : ٣١٩٩) . وفي الكبرى في كتاب عشرة النساء ، باب : تأويل قول الله جل ثناؤه : ﴿ **ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء** ﴾ (٢٩٤/٥/رقم : ٨٩٢٧) . وكتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ **ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء** ﴾ . (٤٣٤/٦/رقم : ١١٤١٤) . وابن ماجة في كتاب النكاح ، باب : التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم . (٦٤٤/١/رقم : ٢٠٠٠) . كلهم من طريق هشام بن عروة به .

---

[١] - سقط من : ز ، خ.

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٤] - في ز ، خ: « أنت » .

[٥] - في ز ، خ: « من » .

الفقهاء من الشافعية وغيرهم إلىٰ أنه لم يكن القسم واجبًا عليه صلىٰ اللَّه عليه وسلم واحتجوا بهذه الآية الكريمة .

وقال البخاري (١٦٥) : حدثنا حبان بن موسىٰ ، حدثنا عبد اللَّه - هو ابن المبارك - أخبرنا عاصم الأحول ، عن مُعَاذة ، عن عائشة : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم كان يستأذن في اليوم[١] المرأة منا بعد أن نزلت هذه الآية : ﴿ **ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ، ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك** ﴾ ، فقلت لها : ما كنت تقولين ؟ فقالت : كنت أقول : إن كان ذاك إلي فاني لا أريد يا رسول اللَّه ؛ أن أوثر عليك أحدًا .

فهذا الحديث عنها يدل علىٰ أن المراد من ذلك عدم وجوب القسم ، وحديثها الأول يقتضي أن الآية نزلت في الواهبات ، ومن هاهنا اختار ابن جرير أن الآية عامة في الواهبات ، وفي النساء اللاتي عنده ، أنه مخير[٢] فيهن ، إن شاء قسم ، وإن شاء لم يقسم ، وهذا الذي اختاره حسن جيد قوي ، وفيه جمع بين الأحاديث ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ذلك أدنىٰ أن تقر أعينهن ولا يحزَن ويرضين بما آتيتهن كلهن** ﴾ ، أي : إذا علمن أن اللَّه قد وضع عنك الحرج في القسم ، فإن شئت قسمت ، وإن شئت لم تقسم ، لا جناح عليك في أي ذلك فعلت ، ثم مع هذا أنت تقسم لهن اختيارًا منك لا أنه علىٰ سبيل الوجوب ، فرحن بذلك واستبشرن به وحملن جميلك[٣] في ذلك ، واعترفن بمنتك[٤] عليهن في قسمك لهن وتسويتك بينهن وإنصافك لهن وعدلك فيهن .

وقوله : ﴿ **واللَّه يعلم ما في قلوبكم** ﴾ ، أي : من الميل إلىٰ بعضهن دون بعض ، مما لا يمكن دفعه ، كما قال الإمام أحمد[٥] (١٦٦) :

حدثنا يزيد ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن عبد اللَّه بن يزيد ، عن عائشة قالت : كان رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ، ثم يقول :

(١٦٥) صحيح البخاري برقم (٤٧٨٩) .
(١٦٦) المسند (١٤٤/٦) (٢٥٢٢٢) ، وأخرجه أبو داود في كتاب النكاح ، باب : القسم بين النساء . (٢/ ٢٤٢/رقم : ٢١٣٤) . والترمذي في كتاب النكاح ، باب : ما جاء في التسوية بين الضرائر . (٤٣٧/٣/ رقم: ١١٤٠) . والنسائي في كتاب عشرة النساء ، باب : ميل الرجل إلى بعض نسائه دون بعض . (٧/ ٦٣، ٦٤/رقم : ٣٩٤٣) . وابن ماجة في كتاب النكاح ، باب : القسمة بين النساء . (٦٣٣/١/رقم : ١٩٧١) . والدارمي في سننه (١٩٣/٢) . وابن حبان في صحيحه (٢٠٣/٦حديث ٤٤٩٢) . والحاكم في مستدركه (١٨٧/٢) . كلهم من طريق حماد بن سلمة به . وقال الحافظ في التلخيص : وأعله النسائي والترمذي والدارقطني بالإرسال . وقال أبو زرعة : لا أعلم أحدًا تابع حماد بن سلمة على وصله . .

[١] - في ت : « يوم » .
[٢] - في ز : « يخير » .
[٣] - في ز ، خ: « جميلتك » .
[٤] - في ز ، خ: « بمانتك » .
[٥] - سقط من : ز ، خ.

« اللهم هذا فعلي فيما أملك ، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك » .

ورواه أهل السنن الأربعة ، من حديث حماد بن سلمة - وزاد أبو داود بعد قوله : **« فلا تلمني فيما تملك ولا أملك »** يعني القلب . وإسناده صحيح ، و[1]رجاله كلهم ثقات . ولهذا عقب ذلك بقوله : ﴿ **وكان الله عليمًا** ﴾ ، أي : بضمائر السرائر ، ﴿ **حليمًا** ﴾ ، أي : يحلم ويغفر .

﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ ﴾

ذكر غير واحد من العلماء - كابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، وقتادة ، وابن زيد ، وابن جرير ، وغيرهم - أن هذه الآية نزلت مجازاة لأزواج النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - ورضًا عنهن ، علىٰ حسن صنيعهن في اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة ، لما خيرهن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كما تقدم في الآية . فلما اخترن رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - كان جزاؤهن أن قَصَره عليهن ، وحرم عليه أن يتزوج بغيرهن ، أو يستبدل بهن أزواجًا غيرهن ، ولو أعجبه حسنهن إلا الإماء والسراري فلا حجر عليه فيهن . ثم إنه تعالىٰ رفع عنه الحجر في ذلك ونسخ حكم هذه الآية . وأباح له التزوج ، ولكن لم يقع منه بعد ذلك تَزَوّج لتكون المنة للرسول صلىٰ الله عليه وسلم عليهن .

قال الإمام أحمد (١٦٧) : حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : ما مات رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حتىٰ أحل الله له النساء .

ورواه أيضًا(١٦٨) من حديث ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة .

ورواه الترمذي والنسائي في سننيهما .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الملك بن شيبة ، حدثني

(١٦٧) المسند (٦/٤١) (٢٤٢٤٦).

(١٦٨) المسند (٦/١٨٠) (٢٥٥٧٤) ، وأخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الأحزاب (٥/٣٣٢/رقم : ٣٢١٦) . والنسائي في كتاب النكاح ، باب : ما افترض الله عز وجل على رسوله عليه السلام وحرمه على خلقه .(٦/٥٦/رقم : ٣٢٠٤، ٣٢٠٥) . وفي الكبرى في كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى ﴿ **لا يحل لك النساء من بعد** ﴾ .(٦/٤٣٤/رقم : ١١٤١٥) . وابن حبان (١٤/٢٨١ رقم ٦٣٦٦) . والبيهقي (٧/٥٤) . وقال الترمذي : هذا حديث حسن . كلهم من حديث عائشة رضي الله عنها .

[١] - سقط من : ز ، خ.

عمر بن أبي بكر، حدثني المغيرة بن عبد الرحمن الحزامي ، عن أبي النضر مولىٰ عمر بن عبيد الله ، عن عبد الله بن وهب بن زمعة ، عن أم سلمة أنها قالت : لم يمت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حتىٰ أحل الله له أن يتزوج من النساء ما شاء ، إلا ذات محرم ، وذلك قول الله - عز وجل - ﴿ **ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء** ﴾ .

فجعلت هذه ناسخة للتي بعدها في التلاوة كآيتي عدة الوفاة في البقرة الأولى ناسخة للتي بعدها ، فالله[١] أعلم .

وقال آخرون : بل معنىٰ الآية : ﴿ **لا يحل لك النساء من بعد** ﴾ ، أي : من بعد ما ذكرنا لك من صفة النساء اللاتي أحللنا لك من نسائك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك ، وبنات العم والعمات والخال والخالات والواهبة وما سوىٰ ذلك من أصناف النساء فلا يحل لك ، هذا مرويّ عن أبي بن كعب ، ومجاهد ، وعكرمة ، والضحاك - في رواية - وأبي رزين - في رواية عنه - وأبي صالح ، والحسن ، وقتادة - في رواية - والسدي ، وغيرهم .

قال ابن جرير (١٦٩) : حدثنا يعقوب ، حدثنا ابن علية ، عن داود بن أبي هند ، حدثني محمد بن أبي موسىٰ ، عن زياد - رجل من الأنصار - قال : قلت لأبي بن كعب : أرأيت لو أن أزواج النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - تُوُفين ، أما كان له أن يتزوج ؟ فقال : وما يمنعه من ذلك ؟ قال : قلت : قوله : ﴿ **لا يحل لك النساء من بعد** ﴾ . فقال : إنما أحل الله له ضربًا من النساء ، فقال : ﴿ **يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **إن وهبت نفسها للنبي** ﴾ . ثم قيل له : ﴿ **لا يحل[٢] لك النساء من بعد** ﴾ .

ورواه عبد الله بن أحمد من طرق ، عن داود به .

وروىٰ الترمذي (١٧٠) ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال . نهىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن أصناف النساء ، إلا ما كان من المؤمنات المهاجرات بقوله : ﴿ **لا يحل[٣] لك**

(١٦٩) تفسير الطبري (٢١/٢٢) ، وزوائد المسند (١٣٢/٥) . وإسناده ضعيف : محمد بن أبي موسى : مجهول ورواه الضياء في المختارة حديث ١١٧٢ (٣٧٧/٣) بإسناده من طريق يزيد بن زريع وعبد الأعلى . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٩٢، ٩٣) وقال : « رواه عبد الله بن أحمد وزاد : كذا رأيت في ثقات ابن حبان : زياد أبو يحيى الأنصارى يروى عن ابن عباس فإن كان هو فهو ثقة ، والظاهر أنه هو ، ومحمد بن أبي موسى ذكره ابن حبان في الثقات ، وبقية رجاله رجال الصحيح ، والحديث آخرجه أيضًا الدارمي في سننه (٢/ ١٥٣، ١٥٤) من طريق يعلى بن شداد عن وهيب عن داود به .

(١٧٠) سنن الترمذي برقم (٣٢١٥) وقال : « هذا حديث حسن إنما نعرفه من حديث عبد الرحميد بن بهرام ، قال : سمعت أحمد بن الحسن يقول : قال أحمد بن حنبل : لا بأس بحديث عبد الحميد بن =

[١] - في ت : « والله » . [٢] - في ز ،خ : « تحل » .

[٣] - في ز ، خ: « تحل » .

النساء من بعد ، ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك ﴾ ، فأحل اللَّه فتياتكم المؤمنات **﴿ وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي ﴾** ، وحرم كل ذات دين غير الإِسلام ، ثم قال : **﴿ ومن يكفر بالإِيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين[١] ﴾** وقال : **﴿ يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك ﴾** إلىٰ قوله **﴿ خالصة لك من دون المؤمنين ﴾** ، وحرم ما سوىٰ ذلك من أصناف النساء .

وقال مجاهد : **﴿ لا يحل[٢] لك النساء من بعد ﴾** ، أي : من بعد ما سمي لك ، لا[٣] مسلمة ولا يهودية ولا نصرانية ولا كافرة .

وقال أبو صالح : **﴿ لا يحل[٤] لك النساء من بعد ﴾** ، أُمِرَ أن لا[٥] يتزوج أعرابية ولا عربية ، ويتزوج بعدُ من نساء تهامة ، وما شاء من بنات العم والعمة ، والخال والخالة ، إن شاء ثلاثمائة .

وقال عكرمة : **﴿لا يحل[٦] لك النساء من بعد﴾** أي : التي سمى اللَّه .

واختار ابن جرير - رحمه اللَّه - أن الآية عامة فيمن ذكر من أصناف النساء ، وفي النساء اللواتي في عصمته وكن تسعًا . وهذا الذي قاله جيد ، ولعله مراد كثير ممن حكينا عنه من السلف ؛ فإن كثيرًا منهم روى عنه هذا وهذا ، ولا منافاة ، واللَّه أعلم .

ثم أورد ابن جرير علىٰ نفسه ما روي أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها ، وعزم علىٰ فراق سودة حتىٰ وهبته يومها لعائشة ، ثم أجاب بأن هذا كان قبل نزول قوله : **﴿ لا يحل[٧] لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن ﴾** ، وهذا الذي قاله من أن هذا كان قبل نزول الآية - صحيح ، ولكن لا يحتاج إلىٰ ذلك ؛ فإن الآية إنما دلت علىٰ أنه[٨] لا يتزوج بمن عدا اللواتي في عصمته ، وأنه لا يستبدل بهن غيرهن ، ولا يدل ذلك علىٰ أنه لا يطلق واحدة منهن من غير استبدال ، واللَّه أعلم .

فأما قضية سودة ففي الصحيح عن عائشة - رضي اللَّه عنها - وهي سبب نزول قوله

= بهرام عن شهر بن حوشب » .

[١] - في ز ، خ: « الأخسرين » .
[٢] - في ز ، خ : « تحل » .
[٣] - في خ ، ز : « من » .
[٤] - في ز ، خ: « تحل » .
[٥] - سقط من : ز ، خ.
[٦] - في ز ،خ : « تحل » .
[٧] - في ز ، خ: « تحل » .
[٨] - في ز ، خ: « أن » .

تعالىٰ : ﴿ **وإن امرأة خافت من بعلها نشوزًا أو إعراضًا فلا جناح عليهما أن يصلحا[١] بينهما صلحًا** ﴾ الآية(١٧١) .

وأما قضية حفصة فروى أبو داود والنسائي وابن ماجة وابن حبان في صحيحه ، من طرق عن يحيىٰ بن زكريا بن أبي زائدة ، عن صالح بن صالح بن حَي ، عن سلمة بن كهيل ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن عمر : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها . وهذا إسناد قوي(١٧٢) .

وقال الحافظ أبو يعلى (١٧٣) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا يونس بن بكير ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن ابن عمر قال : دخل عمر علىٰ حفصة وهي تبكي ، فقال : ما يبكيك ؟ لعل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم طلقك ؟ إنه قد كان طلقك مرة ثم راجعك من أجلي ، والله لئن كان طلقك مرة أخرىٰ لا أكلمك أبدًا . ورجاله علىٰ شرط الصحيحين .

وقوله : ﴿ **ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن** ﴾ ، فنهاه عن الزيادة عليهن ، أو طلاق واحدة منهن واستبدال غيرها بها إلا ما ملكت يمينه[٢] .

وقد روىٰ الحافظ أبو بكر البزار حديثًا مناسبًا ذكره هاهنا ، فقال :

حدثنا إبراهيم بن نصر ، حدثنا مالك بن إسماعيل ، حدثنا عبد السلام بن حرب ، عن إسحاق بن عبد الله القُرَشي ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يَسَار ، عن أبي هُرَيرة – رضي الله عنه – قال : كان البَدلُ في الجاهلية أن يقول الرجل للرجل : بادلني امرأتك وأبادلك بامرأتي . أي : تنزل لي عن امرأتك ، وأنزل لك عن امرأتي . فأنزل الله : ﴿ **ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن** ﴾ . قال : فدخل عيينة بن حصن علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، وعنده عائشة ، فدخل بغير إذن ، فقال له رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **فأين الاستئذان ؟** » . فقال : يا رسول الله ، ما استأذنت علىٰ رجل من مُضَر منذ أدركت . ثم قال : من هذه الحُميراء إلىٰ جنبك ؟ فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **هذه عائشة أم المؤمنين** » . قال : أفلا أنزل لك علىٰ أحسن الخلق ؟ قال : « **يا عيينة إن الله قد حرم ذلك** » . فلما أن خرج قالت عائشة : من هذا ؟ قال : « **هذا[٣] أحمقُ مطاع ، وإنه – على**

(١٧١) انظر تخريج هذا الحديث عند تفسير الآية : ١٢٨ من سورة النساء .

(١٧٢) سنن أبي داود برقم (٢٢٨٣) ، وسنن النسائي (٢١٣/٦) ، وسنن ابن ماجة برقم (٢٠١٦) .

(١٧٣) مسند أبي يعلى (١٦٠/١) .

[١] – في ز ، خ: « يصالحا » .
[٢] – في ز ، خ: « يمينك » .
[٣] – سقط من : خ ، ز .

ما ترين - لسيد قومه » .

ثم قال البزار (١٧٤) : إسحاق بن عبد الله : لين الحديث جدًّا ، وإنما ذكرناه لأنا لم نحفظه إلا من هذا الوجه ، وبينا العلة فيه .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ ۖ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا (٥٣) إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٥٤) ﴾

هذه آية الحجاب ، وفيها أحكام وآداب شرعية ، وهي مما وافق تنزيلها قول[١] عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما ثبت ذلك في الصحيحين عنه أنه قال : وافقت ربي في ثلاث فقلت : يا رسول الله ؛ لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلىً ؟ فأنزل الله : **﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلىً ﴾** : وقلت : يا رسول الله ؛ إن نساءك ليدخل[٢] عليهن البر والفاجر ، فلو حجبتهن ؟ فأنزل الله آية الحجاب . وقلت لأزواج النبي صلىٰ الله عليه وسلم لما[٣] تمالأن عليه في الغيرة : **﴿ عسىٰ ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن ﴾** ، فنزلت كذلك(١٧٥) .

وفي رواية لمسلم ذكر أسارى بدر وهي قضية رابعة .

وقد قال البخاري : حدثنا مسدد ، عن يحيىٰ ، عن حميد ، عن أنس بن مالك قال[٤] :

---

(١٧٤) مسند البزار برقم (٢٢٥١) « كشف الأستار » ، وقال الهيثمي في المجمع (٩٢/٧) : « وفيه إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة وهو متروك » .

(١٧٥) صحيح البخاري برقم (٤٠٢) .

---

[١] - في ز ، خ: « لقول » .

[٢] - في ت : « يدخل » .

[٣] - في ز ، خ: « إنما » .

[٤] - سقط من : ز ، خ.

قال عمر بن الخطاب : يا رسول اللَّه ؛ يدخل عليك البر والفاجر ، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب ؟ فأنزل اللَّه آية الحجاب (١٧٦) .

وكان وقت نزولها في صبيحة عرس رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بزينب بنت جحش ، التي تولىٰ اللَّه تعالىٰ تزويجها بنفسه ، وكان ذلك في ذي القعدة من السنة الخامسة ، في قول قتادة والواقدي وغيرهما .

وزعم أبو عبيدة معمر بن المثنى ، وخليفة بن خياط ؛ أن ذلك كان في سنة ثلاث ، فاللَّه[١] أعلم .

قال البخاري (١٧٧) : حدثنا محمد بن عبد اللَّه الرّقاشي ، حدثنا معتمر بن سليمان ، سمعت أبي ، حدثنا أبو مجْلز ، عن أنس بن مالك - رضي اللَّه عنه - قال : لما تزوج رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم زينب بنت جحش ، دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون ، فإذا هو كأنه[٢] يتهيأ للقيام فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام، [فلما قام قام][٣] من قام، وقعد ثلاثة نفر . فجاء النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ليدخل ، فإذا القوم جلوس ، ثم إنهم قاموا . فانطلقت[٤] فجئت فأخبرت النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنهم قد انطلقوا . فجاء حتىٰ دخل ، فذهبت أدخل ، فألقىٰ الحجاب[٥] بيني وبينه ، فأنزل اللَّه ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي ...**﴾ الآية .

وقد رواه أيضًا في موضع آخر ، ومسلم والنسائي ، من طرق ، عن معتمر بن سليمان ، به .

ثم رواه البخاري متفردًا[٦] به من حديث أيوب، عن أبي قلابة، عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه [بنحوه(١٧٨) .

ثم قال : حدثنا أبو معمر ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس بن مالك][٧] قال : بنىٰ[٨] النبي - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - بزينب بنت جحش بخبز ولحم ،

---

(١٧٦) صحيح مسلم برقم (٢٣٩٩) .

(١٧٧) صحيح البخاري برقم (٤٧٩١) وبرقم (٦٢٣٩ ، ٦٢٧١) ، وصحيح مسلم برقم (١٤٢٨) ، والنسائي في السنن الكبرى برقم (١١٤٢٠) .

(١٧٨) صحيح البخاري برقم (٤٧٩٢) .

---

[١] - في ت : « والله » .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٤] - في ز ، خ: « فانطلقوا » .

[٥] - سقط من ز ، خ .

[٦] - في ت : « منفردًا » .

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٨] - في ت : « بني على » .

فَأُرسلْتُ علىٰ الطعام داعيًا ، فيجيء القوم[١] فيأكلون ويخرجون ، ثم يجيء قوم فيأكلون ويخرجون . فدعوتُ حتىٰ ما أجد أحدًا أدعوه ، فقلت : يا نبي اللَّه ، ما أجد أحدًا أدعوه . قال : « **ارفعوا طعامكم** » وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت ، فخرج النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فانطلق إلىٰ حجرة عائشة ، فقال : « **السلام عليكم - أهل البيت - ورحمةُ اللَّه وبركاته** » . فقالت[٢] : وعليك السلام ورحمة اللَّه ، كيف وجدت أهلك ، بارك اللَّه لك ؟ فَتَقَرىٰ(*) حُجر نسائه كلهن ، ويقول لهن كما يقول لعائشة ، ويقلن له كما قالت عائشة . ثم رجع رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فإذا رهط ثلاثة [في البيت][٣] يتحدثون . وكان النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم شديد الحياء ، فخرج منطلقًا نحو حُجْرة عائشة ، فما أدري أخبرتُه أم أُخبِرَ أن القوم خرَجوا ؟ فرجع حتىٰ إذا وضع رجله في أُسْكُفَّةِ(**) الباب داخله وأخرى خارجه ، أرخى الستر بيني وبينه ، وأنزلت آية الحجاب .

انفرد به البخاري من بين أصحاب الكتب الستة[٤] سوى النسائي في اليوم والليلة من حديث عبد الوارث(١٧٩) .

ثم رواه عن إسحاق - هو ابن منصور - عن عبد اللَّه بن بكر السهمي ، عن حُميد ، عن أنس ، بنحو ذلك(١٨٠) ، وقال : « **رجلان** » . انفرد به من هذا الوجه . وقد تقدم في أفراد مسلم من حديث سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو المظفر ، حدثنا جعفر بن سليمان ، عن الجعد - أبي عثمان اليشكري - عن أنس بن مالك قال : أعرس رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ببعض نسائه ، فصنعت أم سليم حيسًا(***) ثم وضعته في تَوْر(****) ، فقالت : اذهب بهذا إلى رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وأقرئه[٥] مني السلام ، وأخبره أن هذا منا له قليل - قال أنس : والناس يومئذ في جَهد ، فجئت به فقلت : يا رسول اللَّه ؛ بعثت بهذا أم سُليم إليك ، وهي

(*) أي : تتبعها .

(**) أسكفة الباب : عتبته .

(١٧٩) صحيح البخاري برقم (٤٧٩٣) ، والنسائي في السنن الكبرى برقم (١٠١٠١) .

(١٨٠) صحيح البخاري برقم (٤٧٩٤) .

(***) الحيس : تمر وأقط وسمن تخلط وتعجن وتسوَّى كالثريد .

(****) التور : إناء يشرب فيه .

[١] - في ت : « قوم » .

[٢] - في ت : « قالت » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز،خ .

[٤] - سقط من : ز ،خ.

[٥] - في ز ، خ: « وأقره » .

تقرئك السلام ، وتقول : أخبره أن هذا منا له قليل فنظر إليه ثم قال : « **ضعه** » فوضعته في ناحية البيت ، ثم قال : « **اذهب فادع لي فلانًا وفلانًا** » ، وسمىٰ رجالًا كثيرًا ، و[١]قال : « **ومن لقيتَ من المسلمين** » . [فدعوتُ مَن قال لي ، ومن لقيت من المسلمين][٢] ، فجئت والبيت والصفة والحجرة مَلأىٰ من الناس - فقلت : يا أبا عثمان ؛ كم كانوا ؟ فقال : كانوا زهاء ثلاثمائة - قال أنس : فقال لي رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **جِئْ به** » . فجئتُ به إليه ، فوضع يده عليه ، ودعا وقال : ما شاء اللَّه . ثم قال : « **ليتَحَلَّق عَشرة عَشَرة ، وليسموا ، وليأكل كلٍ إنسان مما يليه** ». فجعلوا يسمون ويأكلون ، حتىٰ أكلوا كلهم . فقال لي رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **ارفعه** » . قال[٣] : فجئتُ فأخذت التَور فما أدري أهو حين وضعتُ أكثر أم حين أخذتُ ؟ قال : وتخلف رجال يتحدثون في بيت رسول اللَّه ، وزوج رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم [التي دخل بها][٤] معهم مُولية وجهها إلىٰ الحائط، فأطالوا الحديث، فشقوا علىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم [وكان أشد الناس حياء - ولو أعلموا كان ذلك عليهم عزيزًا][٥]- فقام رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فخرج فسلم علىٰ حُجره وعلىٰ نسائه ، فلما رأوه قد جاء ظنوا أنهم قد ثقلوا عليه ، ابتدروا الباب فخرجوا ، وجاء رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم حتىٰ أرخىٰ الستر ، ودخل البيت وأنا في الحجرة ، فمكث رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم في بيته يسيرًا ، وأنزل اللَّه عليه القرآن ، فخرج وهو يقرأ هذه الآية : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلىٰ طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **بكل شيء عليمًا** ﴾ . قال أنس : فقرأهن عليَّ قبل الناس[٦] ، فأنا أحدث الناس بهن عهدًا .

وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي جميعًا عن قتيبة عن جعفر بن سليمان به(١٨١) . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وعلقه البخاري في كتاب النكاح فقال :

وقال إبراهيم بن طهمان ، عن الجعد أبي عثمان ، عن أنس ، فذكر نحوه(١٨٢) .

ورواه مسلم أيضًا عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر عن الجعد به(١٨٣) .

(١٨١) صحيح مسلم برقم (١٤٢٨) ، وسنن الترمذي برقم (٣٢١٨) ، وسنن النسائي (٦/١٣٦) .
(١٨٢) صحيح البخاري برقم (٥١٦٣) .
(١٨٣) صحيح مسلم برقم (١٤٢٨) .

[١] - سقط من : ز ، خ.
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.
[٤] - سقط من : ز ، خ.
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٦] - في ز ، خ : « النساء » .

وقد روى هذا الحديث عبد اللّٰه بن المبارك عن شريك عن بيان بن بشر عن أنس بنحوه .

[وروىٰ البخاري والترمذي ، من طريقين آخرين ، عن بَيَان بن بشر الأُحمسي الكوفي ، عن أنس ، بنحوه(١٨٤)][١] .

ورواه ابن أبي حاتم أيضًا ، من حديث أبي نضرة العبدي ، عن أنس بن مالك ، بنحوه .

ورواه ابن جرير(١٨٥) من حديث عمرو بن سعيد ، ومن حديث الزهري ، عن أنس بنحو ذلك .

وقال الإِمام أحمد(١٨٦) : حدثنا بهز وهاشم بن القاسم قالا : حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس قال : لما انقضت عدة زينب قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم [لزيد][٢]: « **اذهب فاذكرها علي** » . قال : فانطلق زيد حتىٰ أتاها ، قال : وهي تُخمر عجينها ، فلما رأيتُها عَظُمت في صدري ... وذكر تمام الحديث كما قدمناه عند قوله : ﴿ **فلما قضىٰ زيد منها وطرا** ﴾ ، وزاد في آخره بعد قوله : وَوَعَظَ القوم بما وعظوا به . قال هاشم في حديثه : ﴿ **لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلىٰ طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم واللّٰه لا يستحي من الحق** ﴾ به[٣] .

وقد أخرجه مسلم والنسائي من حديث [سليمان بن المغيرة][٤] .

قال ابن جرير(١٨٧) : حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن أخي ابن وهب ، حدثني عمي عبد اللّٰه ابن وهب ، حدثني يونس ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت : إن أزواج رسول اللّٰه - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - كنّ يخرجن بالليل إذا تبرزن إلىٰ المناصع - وهو صعيد أفيح - وكان عمر يقول لرسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : احجب نساءك . فلم يكن رسول اللّٰه صلىٰ

(١٨٤) صحيح البخاري ، كتاب النكاح (٥١٧٠) ، وسنن الترمذي ، كتاب تفسير القرآن (٣٢١٩) .

(١٨٥) تفسير الطبري (٢٢/٢٧) .

(١٨٦) المسند (٣/١٩٥) ، (١٣٠٤٨) رواه مسلم في النكاح حديث ٨٩ - (١٤٢٨) عن محمد بن حاتم ، عن بهز . وعن محمد بن رافع ، عن أبي النضر هاشم بن القاسم . والنسائي في النكاح ، باب : صلاة المرأة إذا خطبت واستخارتها (٦/٧٩) . وفي التفسير في الكبرى (١١٤١٠) (٦/٤٣٣) عن سويد بن نصر ، عن ابن المبارك . ثلاثتهم عن سليمان به .

(١٨٧) تفسير الطبري (٢٢/٢٨) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « جعفر بن سليمان به » .

اللَّه عليه وسلم ليفعل . فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وكانت امرأة طويلة ، فناداها عمر بصوته الأعلىٰ : قد عرفناك يا سودة ، حرْصًا أن ينزل الحجاب ، قالت : فأنزل اللَّه الحجاب .

هكذا وقع في هذه الرواية ، والمشهور أن هذا كان بعد نزول الحجاب ، كما رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم (١٨٨) ، من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت : خرجت سودة بعد ما ضرب الحجاب لحاجتها ، وكانت امرأة جَسيمة لا تَخفَى علىٰ من يعرفها ، فرآها عمر بن الخطاب فقال : يا سودة ؛ أما واللَّه ما تَخْفَين علينا ، فانظري كيف تخرجين ؟ . قالت : فانكفأت راجعة ، ورسولُ اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم في بيتي ، وإنه ليتعشىٰ ، وفي يده عَرْقٌ (*) ، فدخلت فقالت[١] : يا رسول اللَّه ؛ إني خرجت لبعض حاجتي ، فقال لي عمر كذا وكذا . قالت : فأوحىٰ اللَّه إليه ، ثم رُفِعَ عنه وإن العرق في يده ، ما وضعه . فقال : « **إنه قد[٢] أذنَ لكن أن تخرجن لحاجتكن** » . لفظ البخاري .

فقوله : ﴿ **لا تدخلوا بيوت النبي** ﴾ حَظَر علىٰ المؤمنين أن يدخلوا منازل رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بغير إذن ، كما كانوا قبل ذلك يصنعون في بيوتهم في الجاهلية وابتداء الإسلام ، حتىٰ غار اللَّه لهذه الأمة ، فأمرهم بذلك، وذلك من إكرامه تعالىٰ على هذه الأمة؛ ولهذا قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إياكم والدخول علىٰ النساء!** »(١٨٩) .

ثم استثنى من ذلك فقال : ﴿ **إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه** ﴾ .

قال مجاهد وقتادة وغيرهما : أي غير متحينين نضجه واستواءه ، أي : لا ترقبوا الطعام حتى إذا قارب الاستواء تعرضتم للدخول ، فإن هذا يكرهه اللَّه ويذمه . وهذا دليل علىٰ تحريم التطفيل ، وهو الذي تسميه العرب الضيفن[٣] ، وقد صنف الخطيب البغدادي في ذلك كتابا في ذم الطفيليين ، وذكر من أخبارهم أشياء يطول إيرادها .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **[ولكن إذا][٤] دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا** ﴾ ، وفي صحيح مسلم عن ابن عمر - رضي اللَّه عنهما - قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إذا**

---

(١٨٨) المسند (٦/٥٦) (٢٤٤٠١) ، وأخرجه البخاري في كتاب الوضوء ، باب : خروج النساء إلى البراز (١/٢٩٩/رقم : ١٤٦) . وأطرافه في (١٤٧ - ٤٧٩٥ - ٥٢٣٧- ٦٢٤٠) . ومسلم في كتاب السلام ، باب : إباحة الخروج للنساء لقضاء حاجة الإنسان . (٤/ ١٧٠٩، ١٧١٠/رقم : ٢١٧٠) .

(*) العرق : العظم أخذ عنه معظم اللحم وبقي عليه لحوم رقيقة طيبة .

(١٨٩) رواه البخاري في كتاب النكاح برقم (٥٢٣٢) ، ومسلم في كتاب السلام برقم (٢١٧٢) من حديث عقبة بن عامر ، رضي الله عنه .

---

[١] - في ز : « فقلت » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز ، خ: « الطيفن » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « فإذا » .

دعا أحدكم أخاه فَلْيُجِب ، عُرسًا كان أو غيره » (١٩٠) . وأصله في الصحيحين .

وفي الصحيح أيضًا(١٩١) ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لو دُعيت إلىٰ ذراع لأجبت ، ولو أهدي إليَّ كُرَاع لقبلت . فإذا فَرَغتم من الذي دُعيتم إليه فخففوا عن أهل المنزل ، وانتشروا في الأرض** » . ولهذا قال : ﴿ **ولا مستأنسين لحديث** ﴾ ، أي : كما وقع لأولئك النفر الثلاثة الذين استرسل بهم الحديث ، ونسُوا أنفسهم ، حتىٰ شَق ذلك علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي[١] منكم** ﴾ .

وقيل : المراد أن دخولكم منزله بغير إذنه كان يشق عليه ويتأذىٰ به ، لكن كان يكره أن ينهاهم عن ذلك من شدة حيائه - عليه السلام - حتىٰ أنزل الله عليه النهي عن ذلك ، ولهذا قال : ﴿ **والله لا يستحي[٢] من الحق** ﴾ ، أي : ولهذا نهاكم عن ذلكم وزجركم عنه .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **وإذا سألتموهن متاعًا فاسألوهن من وراء حجاب** ﴾ ، أي : وكما نهيتكم عن الدخول عليهن ، كذلك لا تنظروا إليهن بالكلية ، ولو كان لأحدكم حاجة يريد تناولها منهن فلا ينظر إليهن ، ولا يسألهن حاجة إلا من وراء حجاب .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان ، عن مسعر ، عن موسىٰ بن أبي كثير ، عن مجاهد ، عن عائشة قالت : كنت آكل مع النبي صلىٰ الله عليه وسلم حَيسًا في قَعْب[٣] (*) فمر عمر فدعاه فأصابت إصبعه إصبعي فقال : حسّ(**) - أو : أوه[٤] - لو أطاع فيكن ما رأتك عين . فنزل الحجاب(١٩٢) .

﴿ **ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن** ﴾ أي : هذا الذي أمرتكم به ، وشرعته لكم من الحجاب أطهر وأطيب .

وقوله : ﴿ **وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدًا إن**

---

(١٩٠) صحيح مسلم ، كتاب النكاح برقم (١٤٢٩) .

(١٩١) في صحيح البخاري ، كتاب الهبة برقم (٢٥٦٨) من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه .

(*) القعب : القدح الضخم .

(**) في ز ، خ : خير . وفي ت : حسن ، وكلاهما تحريف غير ملائم للسياق . وقال ابن الأثير في النهاية : «١/٣٨٥» كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه ما مضّه وأحرقه غفلة كالجمرة والضربة ونحوهما .

(١٩٢) ورواه النسائي في السنن الكبرى برقم (١١٤١٩) من طريق زكريا بن يحيى عن ابن أبي عمر ، به .

---

[١] - في ز ، خ: « فيستحيي » .

[٢] - في ز ، خ : « يستحيي » .

[٣] - في ز ، خ: « لعب » .

[٤] - في ز ، خ: « آه » .

ذلكم كان عند الله عظيمًا ﴾ .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا محمد بن أبي[١] حماد ، حدثنا مهران ، عن سفيان ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله تعالىٰ : **﴿ وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ﴾**، قال : نزلت في رَجُل هَمَّ أن يتزوج بعضَ نساء النبي صلىٰ الله عليه وسلم . قال رجل لسفيان : أهي عائشة ؟ قال : قد ذكروا ذاك .

وكذا قال مقاتل بن حيان ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وذكر بسنده عن السّدي أن الذي عزم علىٰ ذلك طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه ، حتىٰ نزل التنبيه علىٰ[٢] تحريم ذلك ؛ ولهذا أجمع العلماء قاطبة علىٰ أن من توفي عنها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من أزواجه أنه يحرم علىٰ غيره تزويجها من بعده ؛ لأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة وأمهات المؤمنين كما تقدم . واختلفوا فيمن دخل بها ثم طلقها في حياته هل يحل[٣] لغيره أن يتزوجها ؟ علىٰ قولين : مأخذهما : هل دخلت هذه في عموم قوله **﴿ من بعده ﴾** أم لا ؟ فأما من تزوجها ثم طلقها قبل أن يدخل بها ، فما نعلم في حلها لغيره - والحالة هذه - نزاعًا . والله أعلم .

وقال ابن جرير : حدثني [محمد][٤] بن المثنى ، حدثنا عبد الوهاب ، حدثنا داود ، عن عامر : أن نبي الله صلىٰ الله عليه وسلم مات وقد ملك قيلة بنت الأشعث - يعني ابن قيس - فتزوجها عكرمة بن أبي جهل بعد ذلك ، فشق ذلك علىٰ أبي بكر مشقة شديدة ؛ فقال له عمر : يا خليفة رسول الله ، إنها ليست من نسائه ، إنها لم يُخَيّرها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ولم يحجبها ، وقد برأها الله منه بالردة التي ارتدت مع قومها . قال : فاطمأن أبو بكر - رضي الله عنهما - وسكن (١٩٣) .

وقد عظم تبارك وتعالىٰ ذلك ، وشدد فيه وتوعد عليه بقوله : **﴿ إن ذلكم كان عند الله عظيمًا ﴾** ، ثم قال : **﴿ إن تبدوا شيئًا أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليمًا ﴾** ، أي : مهما تكنه ضمائركم وتنطوي عليه سرائركم ، فإن الله يعلمه ، فإنه لا تخفىٰ عليه خافية ، **﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ﴾** .

لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ

(١٩٣) تفسير الطبري (٢٢/٢٩) .

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ز ، خ: « في » .

[٣] - في ز ، خ: « تحل » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من ز ، خ .

كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾

لما أمر تعالىٰ النساء بالحجاب من الأجانب ، بين أن هؤلاء الأقارب لا يجب الاحتجاب منهم ، كما استثناهم في « سورة النور » ، عند قوله : ﴿ **ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن** ﴾ إلىٰ آخرها ، وفيها زيادات علىٰ هذه . وقد تقدم تفسيرها والكلام عليها بما أغنى عن إعادته ، وقد سأل بعض السلف فقال : لم لم يذكر العم والخال في هاتين الآيتين ؟ فأجاب عكرمة والشعبي بأنهما لم يذكرا ؛ لأنهما قد يصفان ذلك لبنيهما .

قال ابن جرير : حدثني محمد بن المثنى ، حدثنا حجاج بن منهال ، حدثنا حماد ، حدثنا داود ، عن الشعبي وعكرمة في قوله : ﴿ **لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن** ﴾ ، قلت : ما شأن العم والخال لم يذكرا ؟ قالا : هما ينعتانها[١] لأبنائهما . وكرها أن تضع خمارها عند خالها وعمها .

وقوله : ﴿ **ولا نسائهن** ﴾ يعني بذلك عدم الاحتجاب من النساء المؤمنات .

وقوله : ﴿ **ولا ما ملكت أيمانهن** ﴾ يعني به أرقاؤهن من الذكور والإناث كما تقدم التنبيه عليه ، وإيراد الحديث فيه(١٩٤) .

قال سعيد بن المسيب : إنما يعنى به الإماء فقط . رواه ابن أبي حاتم

وقوله : ﴿ **واتقين الله إن الله كان علىٰ كل شيء شهيدًا** ﴾ ، أي : واخشينه في الخلوة والعلانية ، فإنه شهيد علىٰ كل شيء ، لا تخفىٰ عليه خافية ، فراقبن الرقيب .

إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾

قال البخاري (١٩٥) : قال أبو العالية : صلاة الله : ثناؤه عليه عند الملائكة ، وصلاة الملائكة الدعاء. وقال ابن عباس : يصلون : يبركون . هكذا علقه البخاري عنهما.

---

(١٩٤) تقدم تخريج الحديث عند تفسير الآية : ٣١ من سورة النور .

(١٩٥) صحيح البخاري (٨/٥٣٢) « فتح » .

---

[١] - في ز ، خ: « ينعتاها » .

وقد رواه أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية كذلك . وروىٰ مثله عن الربيع أيضًا : وروىٰ علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس كما قاله سواء . رواهما ابن أبي حاتم .

وقال أبو عيسىٰ الترمذي : و[١]روي عن سفيان الثوري وغير واحد من أهل العلم قالوا : صلاة الرب : الرحمة ، وصلاة الملائكة : الاستغفار .

ثم قال ابن أبي حاتم : حدثنا عمرو[٢] الأودي ، حدثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن عمرو ابن مرة قال الأعمش عن عطاء بن أبي رباح : ﴿ **إن الله وملائكته يصلون علىٰ النبي** ﴾ ، قال : صلاته تبارك وتعالىٰ : سبوح قدوس ، سبقت رحمتي غضبي .

والمقصود من هذه الآية أن الله سبحانه أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملإ الأعلىٰ ، بأنه[٣] يثني عليه عند الملائكة المقربين ، وأن الملائكة تصلي عليه ، ثم أمر تعالىٰ أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه . ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعًا .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن أشعث بن إسحاق ، عن جعفر - يعني : ابن المغيرة - عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أن بني إسرائيل قالوا لموسىٰ - عليه السلام - هل يصلي ربك ؟ فناداه ربه : « **يا موسىٰ ، سألوك : هل يصلي ربك ؟ فقل : نعم ، إنما أصلي أنا[٤] وملائكتي علىٰ أنبيائي ورسلي** » . فأنزل الله - عز وجل - علىٰ نبيه صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **إن الله وملائكته يصلون علىٰ النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾ .

وقد أخبر أنه سبحانه وتعالىٰ يصلي علىٰ عباده المؤمنين في قوله تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرًا كثيرًا وسبحوه بكرة وأصيلًا * هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلىٰ النور وكان بالمؤمنين رحيمًا** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون** ﴾ .

وفي الحديث : « **إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف** » (١٩٦)

وفي الحديث الآخر : « **اللهم ؛ صل علىٰ آل أبي أوفى** » (١٩٧) .

(١٩٦) - رواه أبو داود في الصلاة حديث (٦٧٦) ، وابن ماجه في إقامة الصلاة حديث (١٠٠٥) .

(١٩٧) - رواه البخاري في الزكاة (١٤٩٨) ، ومسلم في الزكاة حديث (١٠٧٨) من حديث عائشة .

[١] - سقط من : ز ، خ.

[٢] - في ز ، خ : « عمر » .

[٣] - في ز ، خ: « فإنه » .

[٤] - سقط من : ز ، خ.

وقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لامرأة جابر - وقد سألته أن يصلي عليها وعلىٰ زوجها - : « **صلىٰ الله عليك ، وعلىٰ زوجك** » (١٩٨) .

وقد جاءت الأحاديث المتواترة عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بالأمر بالصلاة عليه ، وكيفية الصلاة عليه ، ونحن نذكر منها إن شاء الله تعالىٰ ما تيسر ، وبالله[١] المستعان .

قال البخاري عند تفسير هذه الآية (١٩٩) : حدثنا سعيد بن يحيىٰ بن سعيد ، حدثنا أبي ، عن مسعر ، عن الحكم ، عن ابن أبي ليلىٰ ، عن كعب بن عجرة قال : قيل : يا رسول الله ، أما السلام عليك فقد عرفناه ، فكيف الصلاة ؟ فقال : « **قولوا : اللهم ؛ صل علىٰ محمد ، وعلىٰ آل محمد** ، [**كما صليت علىٰ آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد . اللهم ؛ بارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد**][٢] ، **كما باركت علىٰ آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد**» .

وقال الإمام أحمد (٢٠٠) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن الحكم قال : سمعت ابن أبي ليلىٰ قال : لقيني كعب بن عجرة فقال : ألا أهدي لك هدية ؟ خرج علينا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقلنا : يا رسول الله ؛ قد علمنا - أو : عرفنا - كيف السلام عليك ، فكيف الصلاة ؟ قال : «**قولوا : اللهم صل علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد ، كما صليت علىٰ آل**[٣] **إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد ، كما باركت علىٰ آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد** ».

وهذ الحديث قد أخرجه الجماعة في كتبهم ، من طرق متعددة ، عن الحكم - وهو [ابن عتيبة][٤] - زاد البخاري : وعبد الله بن عيسىٰ ، كلاهما عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ ، فذكره .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا هشيم بن بُشير ، عن يزيد بن أبي زياد ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ ، عن كعب بن عُجرة ، قال : لما نزلت : ﴿ **إن الله وملائكته يصلون علىٰ النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا** ﴾ . قال : قلنا : يارسول الله ؛ قد علمنا السلام ، فكيف الصلاة عليك ؟ قال : « **قولوا : اللهم؛ صل**

(١٩٨) رواه أحمد في مسنده (٣٩٨/٣) (١٥٣٢١) ، وابن حبان في صحيحه برقم (١٩٥١) « موارد » من طريق الأسود بن قيس عن نبيح العنزي عن جابر رضي الله عنه .

(١٩٩) صحيح البخاري برقم (٤٧٩٧) .

(٢٠٠) المسند (٢٤١/٤) (١٨١٥٦) ، والحديث أخرجه : البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب : رقم=

[١] - في ت : « والله » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « بن أبي عيينة » .

علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد ، كما صليت علىٰ [إبراهيم و علىٰ][١] آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد . وبارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما باركت علىٰ إبراهيم وعلىٰ[٢] آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد » .

وكان عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ يقول : « **وعلينا معهم** » .

ورواه الترمذي بهذه الزيادة(٢٠١) .

ومعنىٰ قولهم : أما السلام عليك فقد عرفناه ، هو الذي في التشهد الذي كان يعلمهم إياه ، كما كان يعلمهم السورة من القرآن ، وفيه : « **السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته** » .

حديث آخر ، قال البخاري :حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا الليث ، عن ابن الهاد ، عن عبد الله بن خَبّاب ، عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه - قال : قلنا : يا رسول الله ؛ هذا السلام ، فكيف نصلي عليك ؟ قال : « **قولوا : اللهم صل علىٰ محمد عبدك ورسولك ، كما صليت علىٰ آل إبراهيم . وبارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما باركت علىٰ إبراهيم** » . [قال أبو صالح ، عن الليث : علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد ، كما باركت علىٰ آل إبراهيم][٣] .

حدثنا إبراهيم بن حمزة ، حدثنا ابن أبي حازم والدّراوَرْدِي ، عن يزيد - يعني ابن الهاد[٤] - قال[٥] : « **كما صليت علىٰ إبراهيم ، وبارك علىٰ محمد وآل محمد ، كما**

= (١٠) ، (٤٠٨/٦) حديث (٣٣٧٠) . وطرفاه حديث رقم (٤٧٩٧) ، (٦٣٥٧) . ومسلم في كتاب الصلاة . باب : الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد التشهد (١٦٥/٤) حديث (٤٠٦) . وأبو داود في كتاب الصلاة باب : الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد التشهد (٢٥٧/١) حديث (٩٧٦) وحديث ٩٧٧ ، و٩٧٨ . والترمذي في كتاب الصلاة . باب : ما جاء في صفة الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - (٣٥٢/٢) حديث (٤٨٣) . والنسائي في المجتبى في كتاب الصلاة . باب : كيف الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - نوع آخر (٣/ ٤٧) . وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها . باب : الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - (٢٩٣/١) حديث (٩٠٤) . وأبو داود الطيالسي في مسنده (ص١٤٢ - ١٤٣/حديث ١٠٦١) . والبيهقي في سننه الكبرى (١٤٧/٢ - ١٤٨) . وأبو عوانة في مسنده (٢٣١/٢ - ٢٣٢) . وأبو نعيم في الحلية الأولياء (٣٥٦/٤) . وابن الجارود في المنتقى حديث (٢٠٦) . والطبراني في الكبير (١١٦/١٩) حديث (٢٤١) ، (٢٤٢) .

(٢٠١) سنن الترمذي ، في الصلاة برقم (٤٨٣) وقال : « حديث حسن صحيح » .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٢] - سقط من : ز، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٤] - في خ ، ز : « المنهال » .
[٥] - سقط من : خ ، ز .

باركت علىٰ إبراهيم وآل إبراهيم » .

وأخرجه النسائي وابن ماجة من حديث ابن الهاد[١] به (٢٠٢) .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد (٢٠٣) : قرأت علىٰ عبد الرحمن : مالك ، عن عبد اللَّه بن أبي بكر ، عن أبيه ، عن عمرو بن سليم أنه قال : أخبرني أبو حميد الساعدي أنهم قالوا : يا رسول اللَّه ؛ كيف نصلي عليك ؟ قال : قولوا : « **اللهم ،صل علىٰ محمد وأزواجه وذريته ، كما صليت علىٰ آل[٢] إبراهيم ، وبارك علىٰ محمد وأزواجه وذريته ، كما باركت علىٰ آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد** » . وقد أخرجه بقية الجماعة سوى الترمذي من حديث مالك به .

حديث آخر ، قال مسلم (٢٠٤) : حدثنا يحيىٰ بن يحيىٰ التيمي قال : قرأت علىٰ مالك ، عن نُعيم بن عبد اللَّهِ المُجمر ، أخبرني محمد بن عبد اللَّه بن زيد الأنصاري - قال : وعبد اللَّه ابن زيد هو الذي كان أُري[٣] النداء بالصلاة - أخبره عن أبي مسعود الأنصاري ، قال : أتانا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عُبادَةَ ، فقال له بَشير بن سَعد : أمرنا اللَّه أن نصلي عليك يا رسول اللَّه ، فكيف نصلي عليك ؟ قال : فسكت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم حتىٰ تمنينا أنه لم يسأله ، ثم قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : قولوا : « **اللهم ؛ صلِّ علىٰ محمد ، وعلىٰ آل محمد ، كما صليت علىٰ آل إبراهيم ، وبارك علىٰ محمد ، وعلىٰ آل محمد ، كما باركت علىٰ آل إبراهيم ، في العالمين ، إنك حميد مجيد ، والسلام كما [قد علمتم]**[٤] » .

وقد رواه أبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، من حديث مالك به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

---

(٢٠٢) صحيح البخاري برقم (٤٧٩٨) .

(٢٠٣) المسند (٥/٤٢٤) (٢٣٧٠٣) ، وأخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب : رقم (١٠) (٦/٤٦٩/رقم : ٣٣٦٩) وطرفه في (٦٣٦٠) . ومسلم في كتاب الصلاة ، باب : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد (١/٣٠٦/رقم : ٤٠٧) . وأبو داود في كتاب الصلاة ، باب : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد (١/٢٥٧/رقم : ٩٧٩) . والنسائي في كتاب السهو ، باب : نوع آخر (من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم) (٣/٤٩/رقم : ١٢٩٤) . وابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة ، باب : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (١/٢٩٣/رقم : ٩٠٥) . كلهم من طريق مالك به .

(٢٠٤) صحيح مسلم كتاب الصلاة برقم (٤٠٥) ، وسنن أبي داود ، كتاب الصلاة برقم (٩٨٠) ، وسنن الترمذي كتاب الصلاة برقم (٣٢٢٠) ، وسنن النسائي ، كتاب السهو (٣/٤٥) .

---

[١] - في ت : « الهادية » .
[٢] - سقط من : ز ، خ.
[٣] - في ز ، خ: « رأى » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في خ : « علمهم » ، وفي ز : « علمتم » .

وروىٰ الإمام أحمد ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن خزيمة ، وابن حبان ، والحاكم في مستدركه ، من حديث محمد بن إسحاق ، عن محمد بن إبراهيم التيمي ، عن محمد بن عبد اللّٰه بن زيد بن عبد ربه ، عن أبي مسعود البدري أنهم قالوا : يا رسول اللّٰه ؛ أما السلام فقد عرفناه ، فكيف نصلي عليك إذا نحن صلينا في صلاتنا ؟ فقال : « **قولوا : اللهم صل علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد** ...» . وذكره (٢٠٥) .

ورواه الشافعي (٢٠٦) - رحمه اللّٰه - في مسنده، عن أبي هريرة ، بمثله . ومن هاهنا ذهب الشافعي - رحمه اللّٰه - إلىٰ أنه يجب علىٰ المصلي أن يصلي علىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في التشهد الأخير ، فإن تركه لم تصح صلاته . وقد شَرع بعض المتأخرين من المالكية وغيرهم يُشَنّع علىٰ الإمام الشافعي في اشتراطه ذلك في الصلاة ، ويزعم أنه قد تفرد بذلك ، وحكىٰ الإجماعَ علىٰ خلافه أبو جعفر الطبري والطحاوي والخطابي وغيرهم فيما نقله القاضي عياض . وقد تعسّف القائل في رده علىٰ الشافعي ، وتكلف في دعواه الإجماع في ذلك . فإنه قد روينا وجوب ذلك والأمر بالصلاة علىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في الصلاة كما هو ظاهر الآية ، ومفسر بهذا الحديث عن جماعة من الصحابة ، منهم ابن مسعود ، وأبو مسعود البدري وجابر بن عبد اللّٰه . ومن التابعين : الشعبي ، وأبو جعفر الباقر ، ومقاتل بن حيان . وإليه ذهب الشافعي ، لا خلاف عنه في ذلك ولا بين أصحابه أيضًا ، وإليه ذهب أحمد أخيرًا فيما حكاه عنه أبو زرعة الدمشقيّ [ ][١] . وبه قال إسحاق بن راهويه، والفقيه الإمام محمد بن إبراهيم المعروف بابن المَوّاز المالكي ، رحمهم اللّٰه ، حتىٰ إن بعض أئمة الحنابلة أوجب أن يقال في الصلاة عليه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كما علمهم[٢] أن يقولوا لما سألوه ، وحتىٰ إن بعض أصحابنا أوجب الصلاة علىٰ الآل ممن حكاه البَنْدَنيجيّ وسليم الرازي وصاحبه نصر بن إبراهيم المقدسي ، ونقله إمام الحرمين وصاحبه الغزالي قولًا عن الشافعي ، والصحيح أنه وجه ، علىٰ أن الجمهور علىٰ خلافه ، وحكوا الإجماع علىٰ خلافه ، وللقول بوجوبه [ظواهر الحديث][٣] ، واللّٰه أعلم .

والغَرَض أن الشافعي - رحمه اللّٰه - لقوله بوجوب الصلاة علىٰ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم

---

(٢٠٥) المسند (١١٩/٤) (١٧١٢٣) ، وأخرجه أحمد حديث ٢٢٤٥٣ (٢٧٣/٥ - ٢٧٤) . وأبو داود في الصلاة ، باب : الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد حديث ٩٨٠ ، ٩٨١ . والترمذي في التفسير ، باب : ومن سورة الأحزاب ، حديث ٣٢٢٠ . وقال أبو عيسى : حسن صحيح . والنسائي في الصلاة (٤٥/٣ - ٤٦) . والحاكم (٢٦٨/١) . والدارقطني (٣٥٤/١ - ٣٥٥) . والبيهقي (١٤٦/٢ - ١٤٧) .

(٢٠٦) مسند الشافعي برقم (٢٦٨) « بدائع المنن » ، ورواه النسائي في السنن الكبرى برقم (٩٨٧٥) من طريق داود بن قيس ، عن نعيم بن عبد الله ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : به . [٢] - في ز ، خ: « علمتم » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: «ظهور للحديث».

في الصلاة - سَلَفٌ وخَلَفٌ كما تقدم ، ولله الحمد والمنة ، فلا إجماع على خلافه في هذه المسألة لا قديمًا ولا حديثًا ، والله أعلم .

ومما يؤيد ذلك الحديث الآخر الذي رواه الإمام أحمد وأبو داود ، والترمذي - وصححه - والنسائي ، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما ، من رواية حَيْوة بن شُريح المصري ، عن أبي هانئ حميد بن هانئ ، عن عمرو بن مالك أبي علي الجَنْبي ، عن فضالة بن عبيد - رضي الله عنه - قال : سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلًا يدعو في صلاته ، لم يمجد الله ولم يصل[١] على النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **عَجِل هذا** » . ثم دعاه فقال له ولغيره : « **إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد[٢] الله - عز وجل - والثناء عليه ، ثم ليصل[٣] على النبي ثم ليدع بعد[٤] بما شاء** » (٢٠٧) .

وكذا الحديث الذي رواه ابن ماجة ، من رواية عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد الساعدي ، عن أبيه ، عن جده ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **لا صلاة لمن لا وضوء له ، ولا وضوء لمن لم يذكر اسم[٥] الله عليه ، ولا صلاة لمن لم يصل على النبي ، ولا صلاة لمن لم يحب الأنصار** » (٢٠٨) .

ولكن عبد المهيمن هذا متروك . وقد رواه الطبراني من رواية أخيه « **أبيّ بن عباس** » ، ولكن في ذلك نظر (٢٠٩) ، وإنما يعرف من رواية « **عبد المهيمن** » ، والله أعلم .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(٢١٠) : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا إسماعيل، عن أبي

(٢٠٧) المسند (١٨/٦) ، وأخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب : الدعاء . (٢/ ٧٧/ رقم : ١٤٨١) . عن أحمد بن حنبل به . والترمذي في كتاب الدعوات ، باب : رقم : (٦٥) . (٥/ ٤٨٢/ رقم : ٣٤٧٦، ٣٤٧٧) . عن محمود بن غيلان عن أبي عبد الرحمن المقرئ وقال : صحيح . والنسائي في كتاب الصلاة ، باب : التمجيد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة . (٣/ ٤٤/ رقم : ١٢٨٤) . عن محمد بن سلمة عن وهب عن حيوة به . وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . والبيهقي (١٤٨/٢) . وابن خزيمة (٧١٠) . وابن حبان ح ١٩٦٠. والحاكم (١/ ٢٣٠، ٢٦٨) . وقال مرة : على شرط مسلم ، ومرة على شرط الشيخين ولم يتعقبه الذهبي .

(٢٠٨) سنن ابن ماجة ، كتاب الطهارة وسننها (٤٠٠) ، وقال البوصيري في الزوائد (١٦٧/١) : « هذا إسناد ضعيف لاتفاقهم على ضعف عبد المهيمن ، لكن لم ينفرد به فقد تابعه عليه ابن أخي عبد المهيمن» .

(٢٠٩) المعجم الكبير للطبراني (١٢١/٦) .

(٢١٠) المسند (٣٥٣/٥) (٢٣٠٩٤) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ١٤٤) و(١٠/ ١٦٣)=

[١] - في ز ، خ: « يصلي » .

[٢] - في ت : « بتحميد » .

[٣] - في ز ، خ: « ليصلي » .

[٤] - سقط من : خ ، ز .

[٥] - سقط من : خ .

داود الأعمى ، عن بُريدة قال : قلنا : يا رسول اللَّه ؛ قد علمنا كيف نسلم عليك ، فكيف نصلي عليك ؟ قال : « **قولوا : اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد ، كما جعلتها علىٰ إبراهيم[١] وآل إبراهيم ، إنك حميد مجيد** » .

أبو داود الأعمى اسمه : نفيع بن الحارث متروك .

(حديث آخر موقوف) رويناه من طريق سعيد بن منصور وزيد بن الحباب ويزيد ابن هارون ، ثلاثتهم عن نوح بن قيس : حدثنا سلامة الكندي أن عليًا - رضي اللَّه عنه - كان يعلم الناس هذا الدعاء : اللهم داحي المدْحُوَّات(١) وبارئ المسموكات(٢) ، وجبار(٣) القلوب علىٰ فِطْرَتِها[٢] شقيها وسعيدها . اجعل شرائف صلواتك ، ونوامي بركاتك ، ورأفة تحننك[٣] ، علىٰ محمد عبدك ورسولك ، الخاتم لما سبق ، والفاتح لما أغلق ، والمعلن الحق بالحق ، والدامغ(٤) جيشات الأباطيل كما حمل فاضطلع(٥) بأمرك لطاعتك مستوفزًا(٦) في[٤] مرضاتك ، غير نَكل في قَدَم(٧) ولا واهن في عزم(٨) ، داعيًا[٥] بوحيك[٦] ، حافظًا لعهدك[٧] ، ماضيًا علىٰ نفاذ أمرك ، حتىٰ أورىٰ [قبسًا لقابس][٨] ، آلاء اللَّه تصل بأهله أسبابه ، به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والإثم وأقام[٩] موضحات الأعلام ، ومُنيرات الإسلام ونائرات الأحكام ، فهو

= وعزاه لأحمد وقال : « وفيه أبو داود الأعمى ، وهو ضعيف » ..

(١) - دحى الشيءَ : بسطه ووسعه . والمدحوات : الأرضون .

(٢) - سمك الشيء : رفعه . والمسموكات : السماوات السبع .

(٣) - قال ابن الأثير [٢٣٦/١] : هو من جَبَرَ العظمَ المكسور ، كأنه أقام القلوب وأثبتها على ما فطرها عليه من معرفته والإقرار به ، شقيها وسعيدها .

(٤) - أي : مهلكها . ودمغ فلان فلانًا : غلبه وعلاه ، ودمغ الحق الباطل : محاه . والجيشات جمع جيشة ، وهي المرة من جاش إذا ارتفع .

(٥) - اضطلع بالشيء : نهض به .

(٦) - استوفز : قعد على هيئة كأنه يريد القيام . والمعنى أنه صلى اللَّه عليه وسلم يسرع في مرضاة الله عز وجل .

(٧) - القَدَم : الإقدام ، ونَكِل : جبن وتقاعد .

(٨) - الواهن : الضعيف .

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ز ، خ: « فطْرَاتها » .

[٣] - في ز ،خ: « تحيتك » .

[٤] - في ز ، خ: « لي » .

[٥] - في ز ، خ: « واعيًا » .

[٦] - في ز ، خ: « لوحيك » .

[٧] - في ز : « لوحيك » .

[٨] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: «قبسًا لقابس».

[٩] - سقط من : خ ، ز .

أمينك المأمون ، وخازن علمك المخزون ، وشهيدك يوم الدين ، وبَعِيثُك نعمة ، ورسولك بالحق رحمة . اللهم؛ أفسح له مُفسحات في عدلك ، واجزه مضاعفات الخير من فضلك [مهنآت له][١] غير مكدرات من فوز ثوابك المعلول[٢] ، وجزيل عطائك المجمول . اللهم؛ أعل[٣] على بناء البانين[٤] بنيانه ، وأكرم مثواه لديك ونزله . وأتمم له نوره ، واجزه من ابتعاثك له [مقبول الشهادة][٥] ، مرضي المقالة ، ذا منطق عدل ، وخُطَّة فصل ، وحجة وبرهان عظيم (٢١١) .

هذا مشهور من كلام عليّ رضي اللَّه عنه ، وقد تكلم عليه ابن قتيبة في مشكل الحديث ، وكذا أبو الحسين أحمد بن فارس اللغوي في جزء جمعه في فضل الصلاة على النبي صلى اللَّه عليه وسلم ، إلا أن في إسناده نظرًا .

قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي : سلامة الكندي (٢١٢) هذا ليس بمعروف ، ولم يدرك عليًّا - كذا قال - وقد روى الحافظ أبو القاسم الطبراني هذا الأثر عن محمد بن عليّ الصائغ ، عن سعيد ابن منصور ، حدثنا نوح بن قيس ، عن سلامة الكندي قال : كان عليّ - رضي اللَّه عنه - يعلمنا الصلاة على النبي صلى اللَّه عليه وسلم فيقول : « **اللهم داحي المَدْحُوات** ...» وذكره (٢١٣) .

(حديث آخر موقوف) قال ابن ماجة (٢١٤) : [حدثنا الحسين بن بيان][٦] ، حدثنا زياد بن عبد اللَّه ، حدثنا المسعودي ، عن عون بن عبد اللَّه ، عن أبي فاختة ، عن الأسود بن يزيد[٧] ، عن عبد اللَّه بن مسعود - رضي اللَّه عنه - قال : إذا صليتم على رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - فأحسنوا الصلاة عليه ؛ فإنكم لا تدرون لعل ذلك يُعْرَض عليه . قال : فقالوا له :

(٢١١) رواه أبو نعيم في عوالي سعيد بن منصور برقم (١٨) فقال : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا مسعدة ابن سعد ، حدثنا سعيد بن منصور فذكره ، ورواه الحنائي في الفوائد (١٠/١٦٢/ب) - كما في حاشية العوالي - من طريق يزيد بن هارون ، به .

(٢١٢) سلامة الكندي ذكره البخاري في التاريخ الكبير (٤/١٩٥) ، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٤/ ٣٠٠) وأشار ابن أبي حاتم إلى هذا الحديث وقال : « مرسل » .

(٢١٣) المعجم الأوسط برقم (٤٦٥٣) « مجمع البحرين » لكن فيه : « حدثنا مسعدة بن سعد ، حدثنا سعيد بن منصور » فلعل الحافظ نقله هنا من مسند العشرة .

(٢١٤) سنن ابن ماجة ، إقامة الصلاة والسنة فيها برقم (٩٠٦) ، وقال البوصيري في الزوائد (١/٣١١) : « هذا إسناد رجاله ثقات إلا أن المسعودي واسمه عبد الرحمن بن عتبة بن مسعود اختلط بآخره ، ولم يتميز حديثه الأول بالآخر ، فاستحق الترك . قاله ابن حبان » .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « له مهنئات».

[٢] - في ز ، خ: « المعلون » .

[٣] - في ز ، خ: « عَلِّي » .

[٤] - في ز ، خ: « المبنيين» .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٧] - في ز ، خ: « زيد » .

فَعَلِّمْنا . قال : قولوا : اللهم ؛ اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك علىٰ سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، وخاتم النبيين ، محمد عبدك ورسولك ، إمام الخير وقائد الخير ، ورسول الرحمة . اللهم ؛ ابعثه مقامًا محمودًا يَغْبِطُهُ به الأولون والآخرون . اللهم ؛ صل[١] علىٰ محمد [وعلىٰ آل محمد][٢] ، كما صليت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد . اللهم ؛ بارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد ، كما باركت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد .

وهذا موقوف ، وقد روى إسماعيل القاضي(٢١٥) عن عبد الله بن عمرو - أو : عمر ، علىٰ الشك من الراوي - قريبًا من هذا .

(حديث آخر) قال ابن جرير(٢١٦) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا مالك بن إسماعيل ، حدثنا أبو إسرائيل ، عن يونس بن خباب قال : خطبنا بفارس فقال : ﴿ **إن الله وملائكته يصلون علىٰ النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا** ﴾ ، فقال : أنبأني من سمع ابن عباس يقول : هكذا أنزل . فقلنا - أو : قالوا - : يا رسول الله ، عَلِمْنا السلام عليك ، فكيف الصلاة عليك ؟ فقال : « **اللهم ؛ صلِّ[٣] علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد ، كما صليت علىٰ إبراهيم ، وآل إبراهيم ، إنك حميد مجيد ، وارحم محمدًا وآل محمد ، كما رحمت آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد ، [وبارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد ، كما باركت علىٰ إبراهيم ، إنك حميد مجيد][٤]** » .

فيستدل[٥] بهذا الحديث مَنْ ذهب إلىٰ جواز الترحم علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، كما هو قول الجمهور ، ويعضده حديث الأعرابي الذي قال : اللهم ارحمني ومحمدًا ، ولا ترحم معنا أحدًا . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لقد حجرت واسعًا** » وحكى القاضي عياض عن جمهور المالكية منعه ، قال :وأجازه أبو محمد بن أبي زيد .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد (٢١٧) : حدثنا محمد بن جعفر ، أخبرنا شعبة ، عن

(٢١٥) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (٦٢) .

(٢١٦) تفسير الطبري (٣١/٢٢) .

(٢١٧) المسند (٤٤٥/٣) (١٥٧٢١) ، وإسناده ضعيف من أجل عاصم بن عبيد الله . والحديث رواه ابن ماجه ، في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، (١/ ٢٩٤) حديث ٩٠٧ . وقال في الزوائد : إسناده ضعيف ؛ لأن عاصم بن عبيد الله قال فيه البخاري وغيره : منكر الحديث . ورواه أبو يعلى في مسنده (١٥٤/١٣) ح ٧١٩٦ . وعبد الرزاق (٣١/٥) . وأبو نعيم في الحلية (١٢٠/١) .

[١] - في ز ، خ : « صلي » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ز ، خ: « صلي » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٥] - في ز ، خ: « فدل » .

عاصم بن عبيد الله قال : سمعت عبد الله بن عامر بن ربيعة يحدث عن أبيه قال : سمعت النبي صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **من صلىٰ عليّ صلاة لم تزل الملائكة تصلي عليه ما صلىٰ عليّ ، فَلْيُقِلَّ عبد من ذلك أو ليكثر** » . ورواه ابن ماجة من حديث شعبة به .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(٢١٨) : حدثنا أبو سلمة منصور بن سلمة الخزاعي ، ويونس - هو ابن محمد - قالا : حدثنا ليث ، عن يزيد بن الهاد ، عن عمرو بن أبي عمرو ، عن أبي الحويرث ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن عبد الرحمن بن عوف قال : خرج رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فاتبعته حتىٰ دخل نخلًا ، فسجد فأطال السجود ، حتىٰ خفت - أو : خشيت - أن يكون الله قد توفاه أو قبضه . قال : فجئت أنظر . فرفع رأسه فقال : « **ما لك يا عبد الرحمن ؟** » . قال : فذكرت ذلك له . فقال : « **إنَّ جبريل - عليه السلام - قال لي : ألا أبشرك ؟ إن الله - عز وجل - يقول : من صلىٰ عليك صليت عليه ، ومن سلم عليك سلمت عليه** » .

(طريق أخرىٰ) قال الإمام أحمد (٢١٩) : حدثنا أبو سعيد مولىٰ بني هاشم ، حدثنا سليمان ابن بلال ، حدثنا عمرو بن أبي عمرو ، عن عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن بن عوف ، عن عبد الرحمن بن عوف [قال : خرج][١] رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فتوجه نحو صدقته ، فدخل فاستقبل القبلة ، فخر ساجدًا فأطال السجود ، حتىٰ ظننت أن الله قد قبض نفسه فيها ، فدنوت منه ثم جلست ، فرفع رأسه فقال : « **من هذا ؟** » . فقلت : عبد الرحمن . قال : « **ما شأنك ؟** » . قلت : يا رسول الله ، سجدت سجدة خشيت أن يكون[٢] الله - عز وجل - قبض نفسك فيها . فقال : « **إن جبريل أتاني فبشرني[٣] أن الله - عز وجل - يقول لك : من صلىٰ عليك صليت عليه ، ومن سلم عليك سلمت عليه . فسجدتُ لله - عز وجل - شكرًا** » .

(حديث آخر) قال [الحافظ][٤] أبو القاسم الطبراني (٢٢٠) : حدثنا محمد بن عبد الرحيم[٥] ابن بَحير بن عبد الله بن معاوية بن بحير بن ريسان ، [نا عمرو بن الربيع بن طارق][٦] حدثنا

---

(٢١٨) المسند (١/١٩١) .

(٢١٩) المسند (١/١٩١) .

(٢٢٠) المعجم الصغير (٢/٨٩) ، والمختارة برقم (٩٣) . وقال الطبراني : « لم يروه عن عبيد الله بن عمر إلا يحيى بن أيوب ، تفرد به عمرو ابن الربيع » .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز، خ : « قال : قال » . [٢] - سقط من : ز ، خ.

[٣] - في ز ، خ: « وبشرني » . [٤] - سقط من : ت .

[٥] - كذا في ز ، خ . لكن الذي في الأوسط : عبد الرحمن . وكذا أورده الدارقطني في المؤتلف [١/ ٣٥٢]، وابن ماكولا في الإكمال [١/٢٠٠] ، وابن ناصر الدين في التوضيح [١/٣٥٢] وابن حجر في تبصير المنتبه [١/٦٠] .

[٦] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ . وأثبتناه من المعجم الأوسط .

يحيىٰ بن أيوب ، حدثنا عبيد[١] اللّٰه بن عمر ، عن الحكم بن عتيبة[٢] ، عن إبراهيم النخعي ، عن الأسود بن يزيد ، عن عمر بن الخطاب رضي اللّٰه عنه قال : خرج رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم لحاجة فلم يجد أحدًا يتبعه ، ففزع عمر ، فأتاه بمطهَرة (١) من خلفه فوجد النبي ساجدًا في مشربة (٢) ، فتنحىٰ عنه من خلفه حتىٰ رفع النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم رأسه ، فقال : « أحسنت[٣] **يا عمر حين وجدتني ساجدًا فتنحيت عني ، إن جبريل أتاني فقال : من صلىٰ عليك من أمتك واحدة ، صلىٰ اللّٰه عليه [عشرًا]**[٤] **، ورفعه عشر درجات** » .

وقد اختار هذا الحديثَ الحافظُ الضياء المقدسي في كتابه « **المستخرج علىٰ الصحيحين** » .

وقد رواه إسماعيل القاضي ، عن القعنبي ، عن سلمة بن وِرْدان ، عن أنس ، عن عمر بنحوه (٢٢١) .

ورواه أيضًا عن يعقوب بن حميد ، عن أنس بن عياض ، عن سلمة بن وردان ، عن مالك ابن أوس بن الحدثان ، عن عمر بن الخطاب ، بنحوه (٢٢٢) .

(حديث آخر) قال أبو عيسىٰ الترمذي (٢٢٣) : حدثنا بندار ، حدثنا محمد بن خالد بن عَثْمة ، حدثني موسىٰ بن يعقوب الزّمعي ، حدثني عبد اللّٰه بن كيسان ، أن عبد اللّٰه بن شداد أخبره ، عن عبد اللّٰه بن مسعود أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **أولىٰ الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة** » . تفرد بروايته الترمذي رحمه اللّٰه ، ثم قال : هذا[٥] حديث حسن غريب .

(حديث آخر) قال إسماعيل القاضي (٢٢٤) : [حدثنا عليّ بن عبد اللّٰه ، حدثنا سفيان][٦] ، عن يعقو ب بن زيد بن طلحة قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **أتاني آت من ربي فقال لي : ما من عبد يصلي عليك صلاة إلا صلىٰ اللّٰه عليه بها عشرًا** » .

---

(١) – المطهرة : كل إناء يتطهر به كالإبريق والسطل وغيرها .

(٢) – المشربة : الغرفة .

(٢٢١) فضل الصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم – برقم (٤) .

(٢٢٢) فضل الصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم – برقم (٥) .

(٢٢٣) سنن الترمذي ، كتاب الصلاة برقم (٤٨٤) .

(٢٢٤) فضل الصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم – برقم (١٣) .

---

[١] – في ز ، خ : عبيد الله . وهو تحريف .

[٢] – في ز : « عيينة » . [٣] – في ز : « أخشيت » .

[٤] – ما بين المعكوفتين في ت : « عشر صلوات » . [٥] – سقط من : ز ، خ .

[٦] – ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « حدثنا شقيق » .

فقام رجل فقال : يا رسول اللَّه ، ألا أجعل نصف دعائي لك ؟ قال[١] : « **إن شئت** » . قال : ألا أجعل ثلثي دعائي لك ؟ قال : « **إن شئت** » . قال : ألا أجعل دعائي [كله لك][٢] ؟ قال : « **إذن يكفيك اللَّه هم الدنيا وهم الآخرة** » . فقال شيخ - كان بمكة يقال له : منيع[٣] - لسفيان : عمن أسنده قال : لا أدري .

(حديث آخر) قال إسماعيل القاضي (٢٢٥) : حدثنا سعيد بن سَلام العطار ، حدثنا سفيان - يعني: الثوري - عن عبد اللَّه بن محمد بن عقيل، عن الطفيل بن أبيّ بن كعب، عن أبيه قال: كان رسول الله صلىٰ اللَّه عليه وسلم يخرج في جوف الليل فيقول : « **جاءت الراجفة ، تتبعها الرادفة جاء[٤] الموت بما فيه** » . قال أبي : يا رسول اللَّه، إني أصلي من الليل أفأجعل[٥] لك ثلث صلاتي ؟ قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **الشطر** » . قال : أفأجعل[٦] لك شطر صلاتي ؟ قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **الثلثان** » . قال : أفأجعل[٧] لك صلاتي كلها ؟ قال : « **إذن يغفر اللَّه لك ذنبك كله** » .

وقد رواه الترمذي بنحوه(٢٢٦) فقال : حدثنا هَنّاد ، حدثنا قبيصة ، حدثنا سفيان ، عن عبد اللَّه بن محمد بن عقيل ، عن الطفيل بن أبيّ بن كعب ، عن أبيه قال : كان رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال : « **يا أيها الناس ؛ اذكروا اللَّه ، [اذكروا اللَّه][٨] ، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه** » قال أبي : قلت[٩] : يا رسول اللَّه ، إني أكثر الصلاة عليك ، فكم أجعل لك من صلاتي ؟ قال : « **ما شئت** » . قلت : الربع ؟ قال : « **ما شئت ، فإن زدت فهو خير لك** » . قلت : فالنصف ؟ قال : « **ما شئت ، فإن زدت فهو خير لك** » . قلت : فالثلثين ؟ قال : « **ما شئت ، فإن زدت فهو خير لك** » . قلت : أجعل لك صلاتي كلها ؟ قال : « **إذن تكفىٰ هَمّك ، ويغفر لك ذنبك** » . ثم قال : هذا[١٠] حديث حسن.

وقال الإمام أحمد (٢٢٧) : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن عبد اللَّه بن محمد بن عقيل ،

(٢٢٥) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (١٤) .
(٢٢٦) سنن الترمذي ، صفة القيامة برقم (٢٤٥٧) .
(٢٢٧) المسند (١٣٦/٥) (٢١٣٢٢) . وأخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة ، باب : رقم (٢٣) . =

[١] - في ز ، خ: « قال » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « لك كله » .
[٣] - في ز ، خ: « نسيع » .
[٤] - في ز ، خ: « جاءت » .
[٥] - في خ ، ز : « إنما جعل » .
[٦] - في خ ، ز : « إنما جعل » .
[٧] - في خ ، ز : « إنما جعل » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.
[٩] - سقط من : ز، خ .
[١٠] - سقط من : ز ، خ.

عن الطفيل بن أبيّ ، عن أبيه قال : قال رجل : يا رسول اللَّه ؛ أرأيت إن جعلتُ صلاتي كلها عليك ؟ قال : « **إذن يكفيك اللَّه ما أهَمّك من دنياك وآخرتك** » .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد (٢٢٨) : حدثنا أبو كامل ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت بن سليمان مولىٰ الحسن بن عليّ ، عن عبد اللَّه بن أبي طلحة ، عن أبيه أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم جاء ذات يوم ، والسرور يرىٰ في وجهه ، فقالوا : يا رسول اللَّه ؛ إنا لنرىٰ السرور في وجهك . فقال : « **إنه أتاني الملك فقال : يا محمد ؛ أما يرضيك أن ربك - عز وجل - يقول : إنه لا يصلي عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشرًا ، ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرًا ؟ قال : بلىٰ** » .

ورواه النسائي من حديث حماد بن سلمة به .

وقد رواه إسماعيل القاضي (٢٢٩) ، عن إسماعيل ابن أبي أويس ، عن أخيه ، عن سليمان بن بلال ، عن عُبيد اللَّه بن عمر ، عن ثابت ، عن أنس ، عن أبي طلحة ، بنحوه .

(طريق أخرىٰ) قال أحمد (٢٣٠) : حدثنا شريج ، حدثنا أبو معشر ، عن إسحاق بن كعب ابن عُجرة ، عن أبي طلحة الأنصاري قال : أصبح رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يومًا طيب النفس ، يرىٰ في وجهه البشر ، قالوا : يا رسول اللَّه ؛ أصبحت اليوم طيب النفس ، يرىٰ في وجهك البشر ؟ قال : « **أجل ، أتاني آت من ربي - عز وجل - فقال : من صلىٰ عليك من أمتك صلاة ، كَتَبَ اللَّه له بها عشر حسنات ، ومحا عنه عشر سيئات ، ورفع له عشر درجات ، ورد عليه[١] مثلها** » . هذا أيضًا إسناد جيد ولم يخرجوه .

(حديث آخر) روىٰ مسلم(٢٣١) وأبو داود والترمذي والنسائي ، من حديث إسماعيل بن

= (٤/ ٦٣٦، ٦٣٧/رقم: ٢٤٥٧) . من طريق هناد عن قبيصة به . ورواه عبد بن حميد مطولًا عن قبيصة ابن عقبة حديث ١٧٠ . ورواه الحاكم في المستدرك (٢/٥١٣) من طريق معاذ بن نجدة ، عن قبيصة بن عقبة بنحوه . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٦٠) وقال: « قلت : رواه الترمذي ولفظه إذًا تكفى همك ، ويغفر ذنبك - رواه أحمد وإسناده جيد » .

(٢٢٨) المسند (٤/٣٠) (١٦٤١٥) ، والنسائي في السنن الكبرى برقم (٩٨٨٨) .

(٢٢٩) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (١) .

(٢٣٠) المسند (٤/٢٩) (١٦٤٠٤) إسحاق بن كعب بن عجرة : في التقريب : مجهول الحال ، وفي التهذيب : قال ابن القطان : مجهول الحال ، ما روى عنه غير ابنه سعد . قد روى عنه أبو معشر كما هنا . والحديث أخرجه النسائى (٣/٤٤ - ٥٠) . والحاكم (٢/٤٢٠) . والطبرانى (٥/١٠٢) حديث (٤٧٢٤) ، (٤٧١٧) . وحسنه الشيخ الألباني ، انظر صحيح النسائى (١/٢٧٤ - ٢٧٥) .

(٢٣١) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة برقم (٤٠٨) ، وسنن أبي داود ، كتاب الصلاة برقم (١٥٣٠) ، وسنن الترمذي كتاب الصلاة برقم (٤٨٥) ، وسنن النسائي كتاب السهو (٣/٥٠) .

---

[١] - في ز ، خ: « له » .

جعفر ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **من صلىٰ عَلَيّ واحدة صلىٰ الله عليه بها عشرًا** » . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وفي الباب عن عبد الرحمن بن عوف ، وعامر بن ربيعة ، وعمار ، وأبي طلحة ، وأنس ، وأُبيّ بن كعب .

وقال[١] الإمام أحمد (٢٣٢) : حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا شريك ، عن ليث ، عن كعب[٢] عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: « **صلوا عليّ ؛ فإنها زكاة لكم . وسلوا الله لي الوسيلة ، فإنها درجة في أعلىٰ الجنة ، لا[٣] ينالها إلا رجل ، وأرجو أن أكون أنا هو** » .

تفرد به أحمد .

وقد رواه البزار(٢٣٣) من طريق مجاهد ، عن أبي هريرة بنحوه فقال : حدثنا محمد بن إسحاق البَكالي ، حدثنا عثمان بن سعيد ، حدثنا ذَوَّاد بن عُلبة ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن أبي هُرَيْرَة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **صلوا عليّ فإنها زكاة لكم ، وسلوا الله لي الدرجة الوسيلة من الجنة** » . فسألناه - أو : أخبرنا - فقال : « **هي درجة في أعلىٰ الجنة ، وهي لرجل ، وأنا أرجو أن أكون ذلك الرجل** » .

في إسناده بعض من تكلم فيهم[٤] .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد (٢٣٤) : حدثنا يحيىٰ بن إسحاق ، حدثنا ابن لهيعة ، [عن عبد الله بن هبيرة][٥] ، عن عبد الرحمن بن مريج[٦] الخولاني ، سمعت أبا قيس - مولىٰ عمرو ابن العاص - سمعت عبد الله بن عمرو[٧] يقول : من صلىٰ علىٰ رسول الله عليه الصلاة والسلام صلاة، صلىٰ الله عليه وملائكته بها سبعين صلاة، فَلْيُقِلَّ عبد من ذلك أو ليكثر.

---

(٢٣٢) المسند (٢/٣٦٥) .

(٢٣٣) مسند البزار برقم (٣٦٣) « كشف الأستار » ، وقال الهيثمي : « فيه ذَوَّاد بن علبة ، ضعفه ابن معين والنسائي غيرهما ووثقه ابن نمير ، وقال موسى بن داود الضبي : ثنا ذَوَّاد بن علبة وأثني عليه خيرًا ، وقال ابن عدي : هو في جملة الضعفاء ممن يكتب حديثه » . كذا فيه ذوَّاد بن علبة وهو الصواب . انظر : الكامل (٣/ ١٢١) ، والتهذيب (٣/٢٢١) ، والميزان (٢/٣٢) .

(٢٣٤) المسند (٢/١٧٢) .

---

[١] - في ت : « قال » .

[٢] - في خ ، ز : « ثابت » .

[٣] - في ز : « ولا » .

[٤] - في خ ، ز : « به » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٦] - في خ ، ز : « شريح » .

[٧] - في ز ، خ: « عمر » .

وسمعت عبد الله ابن عمرو يقول : خرج علينا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يومًا كالمودع فقال : « **أنا محمد النبي الأمي** - قاله ثلاث مرات - **ولا نبي بعدي ، أوتيت فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه ، وعَلِمْتُ كم خزنة النار وحملة العرش ، وتجوز بي ، وعُوفيت وعُوفِيتْ أمتي ، فاسمعوا وأطيعوا ما دمت فيكم ، فإذا ذُهِب بي فعليكم بكتاب الله ، أحلوا حلاله ، وحرموا حرامه** » .

(حديث آخر) قال أبو داود الطيالسي : حدثنا أبو سَلَمة الخراساني ، حدثنا أبو إسحاق ، عن أنس قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **من ذُكرتُ عنده فَلْيُصَلِّ عليّ ، ومن صَلّىٰ عليّ مرة واحدة[١] صلىٰ الله عليه عشرًا** » .

ورواه النسائي في « **اليوم والليلة** » ، من حديث أبي داود الطيالسي ، عن أبي سلمة - وهو المغيرة بن مسلم الخراساني - عن أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي ، عن أنس به (٢٣٥) .

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن فضيل، حدثنا يونس بن عمرو ، عن يونس بن أبي إسحاق ، عن بُريد[٢] بن أبي مريم ، عن أنس قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **من صلىٰ عليّ صلاة واحدة ، صلىٰ الله عليه عشر صلوات ، وحط عنه عشر خطيئات** »(٢٣٦) .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(٢٣٧) : حدثنا عبد الملك بن عمرو وأبو سعيد؛ قالا[٣] : حدثنا سليمان بن بلال ، عن عمارة بن[٤] غزية ، عن عبد الله بن علي بن الحسين ، عن [أبيه

(٢٣٥) السنن الكبرى برقم (٩٨٨٩) .

(٢٣٦) المسند (١٠٢/٣) (١٢٠١٦) . بريد بن أبي مريم السلولي : قال ابن معين وأبو زرعة : ثقة . وقال أبو حاتم : صالح . وقال العجلي : ثقة . وقال الدارقطني : على شرط الصحيح . وذكره ابن حبان في الثقات وأخرج له في الصحيح ، وكذلك الحاكم . والحديث رواه النسائي في كتاب السهو ، باب : الفضل في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (٥٠/٣) من حديث يونس ، به . وفي « اليوم والليلة » حديث ٣٦٢ عن إسحاق بن منصور ، عن محمد بن يوسف ، عن يونس بن أبي إسحاق ، عن بريد بن أبي مريم : حدثنا أنس... فذكره . وفي « اليوم والليلة » حديث ٣٦٣ عن عبد الله بن محمد بن تميم ، عن حجاج . وحديث ٣٦٤ عن إسحاق بن إبراهيم ، عن يحيى بن آدم ، وأبي نعيم - ثلاثتهم - عن يونس ، عن بريد بمعناه ورواه مخلد بن يزيد ، عن يونس ، عن بريد ، عن الحسن عن أنس . ورواه أحمد حديث ١٣٧٨١ - (٢٦١/٣) . قال ابن كثير في جامع المسانيد : ورُوي عن يونس ، عن أبيه ، عن بريد . وروي عن بريد ، عن الحسن ، عن أنس . وقد ثبت سماع بريد من أنس لهذا الحديث . واختاره الضياء ، في صحيحه - المختارة . ورواه أحمد ١٢٥٩١ - (١٥٤/٣) . وفي صحيح مسلم ، عن أبي هريرة مرفوعًا ، مثله .

(٢٣٧) المسند (٢٠١/١) .

[١] - سقط من : ز ، خ.

[٢] - في خ ، ز : « زيد » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز ، خ: « عن » .

علي بن الحسين عن][١] أبيه : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **البخيل من ذكرت عنده ، ثم لم يصلّ عليّ** » . وقال أبو سعيد : « **فلم يصل عليّ** » .

ورواه الترمذي من حديث سليمان بن بلال ثم قال : هذا حديث حسن غريب صحيح .

و[٢]من الرواة من جعله من مسند « **الحسين بن علي** » ، ومنهم من جعله من مسند « **عليّ** » نفسه .

(حديث آخر) قال إسماعيل القاضي (٢٣٨) : حدثنا حجاج بن منهال ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن معبد بن هلال العَنْزي ، حدثني رجل من أهل دمشق ، عن عوف بن مالك ، عن أبي ذر رضي اللّٰه عنه أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **إن أبخل الناس من ذُكرت عنده فلم يصلّ عليّ** » .

(حديث آخر مرسل) قال إسماعيل (٢٣٩) : وحدثنا سُليمان بن حرْب ، حدثنا جرير بن حازم ، سمعت الحسن يقول : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **بحسب امرئ من البخل أن أذكر عنده فلا يُصَلّي عليّ** » . صلوات اللّٰه عليه .

(حديث آخر) قال الترمذي (٢٤٠) : حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا ربْعيّ بن إبراهيم ، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن سعيد بن أبي سعيد المقْبري، عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **رَغِمَ أنف رجل ذكرت عنده فلم يصلّ عليّ . [ورغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له][٣] ، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة** » . ثم قال : حسن غريب .

قلت : وقد رواه البخاري في « **الأدب** »(٢٤١) عن محمد بن عبيد اللّٰه ، حدثنا ابن أبي حازم ، عن كثير بن زيد ، عن الوليد بن رباح ، عن أبي هريرة مرفوعًا ، [بنحوه ، ورويناه من حديث محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة][٤] ، به . قال الترمذي : وفي الباب عن جابر وأنس .

قلت: وابن عباس، وكعب بن عجرة، وقد ذكرت طرق هذا الحديث في أول كتاب

---

(٢٣٨) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (٣٧) .
(٢٣٩) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (٣٨) .
(٢٤٠) سنن الترمذي برقم (٣٥٤٥) .
(٢٤١) - رواه الترمذي كتاب الدعوات (٣٥٤٥) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - سقط من : ز ، خ.
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

الصيام ، وعند قوله تعالى : ﴿**إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما**﴾ .

وهذا الحديث والذي قبله دليل على وجوب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كلما ذُكر، وهو مذهب طائفة من العلماء .

ويتقوى بالحديث الآخر الذى رواه ابن ماجة (٢٤٢) :

حدثنا جُبَارة بن المغلس ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا عمرو بن دينار ، عن جابر بن زيد ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **من نسي الصلاة عليَّ خطئ طريق الجنة** » .

جُبَارة ضعيف .

ولكن رواه إسماعيل القاضي من غير وجه (٢٤٣) ، عن أبي جعفر محمد بن على الباقر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **من نسي الصلاة عليَّ خطئ طريق الجنة** » . وهذا مرسل يتقوى بالذي قبله .

وذهب آخرون إلى أنه تجب الصلاة في المجلس مرة واحدة ، ثم لا تجب في بقية ذلك المجلس ، بل تستحب . نقله الترمذي عن بعضهم ، ويتأيد بالحديث الذي رواه الترمذي (٢٤٤) :

حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان ، عن صالح - مولى التوأمة - عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا الله فيه ، ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم تِرَةً**(*) ، **فإن شاء عذبهم ، وإن شاء غفر لهم** » .

تفرد به الترمذي من هذا الوجه . ورواه الإمام أحمد عن حجاج ويزيد[١] بن هارون ، كلاهما عن ابن أبي ذئب ، عن صالح - مولى التوأمة - عن أبي هريرة ، مرفوعًا مثله[٢] . ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن .

وقد روي عن أبي هريرة (٢٤٥) ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، من غير وجه . وقد رواه

(٢٤٢) سنن ابن ماجة ، إقامة الصلاة والسنة فيها برقم (٩٠٨) ، وقال البوصيري في الزوائد (٣١٣/١) : « هذا إسناد ضعيف لضعف جبارة بن المغلس » .

(٢٤٣) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (٤١) .

(٢٤٤) سنن الترمذي ، كتاب الدعوات برقم (٣٣٨٠) ، والمسند (٤٥٣/٢) .

(*) - أي : نقصًا . يقال : وَتَرَه يَتِرُه تِرَةً ، وعلى ذلك تكون الهاء في « ترة » عوضًا من الواو المحذوفة ، وقيل : أراد بالترة هاهنا : التبعة .

(٢٤٥) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (٥٥) .

[١] - في ز ، خ : « زيد » . [٢] - سقط من : خ .

إسماعيل القاضي من حديث شعبة، عن سليمان، عن ذكوان، عن أبي سعيد قال: ما من قوم يقعدون ثم يقومون ولا يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم، إلا كان عليهم حسرة، وإن دخلوا الجنة لمًا يرون من الثواب.

وحكي عن بعضهم أنه إنما تجب الصلاة عليه -عليه السلام- في العمر مرة واحدة، امتثالًا لأمر الآية، ثم هي مستحبة في كل حال. وهذا هو الذى نصره القاضي عياض بعدما حكى الإجماع[١] على وجوب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في الجملة. قال: وقد حكى الطبري[٢] أن محمل الآية على الندب، وادعى فيه الإجماع. قال: ولعله فيما زاد على المرة، والواجب منه مرة كالشهادة له بالنبوة، وما زاد على ذلك فمندوب مُرَغَّب فيه من سنن الإسلام، وشعار أهله.

قلت: وهذا قول غريب، فإنه قد ورد الأمر بالصلاة عليه في أوقات كثيرة فمنها واجب ومنها مستحب على ما نبينه:

فمنه[٣] بعد النداء للصلاة للحديث الذي رواه الإمام أحمد (٢٤٦):

حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا حيوة، حدثنا كعب بن علقمة، أنه سمع عبد الرحمن بن جبير يقول: إنه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: إنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إذا سمعتم مؤذنًا فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليّ، فإنه من صلى علَيّ صلى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو[٤]، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة**».

وأخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي، من حديث كعب بن علقمة.

(طريق أخرىٰ) قال إسماعيل القاضي (٢٤٧): حدثنا محمد بن أبي بكر[٥]، حدثنا عمرو[٦] ابن علي، عن أبي بكر الجشمي، عن صفوان بن سليم، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من[٧] سأل الله لي الوسيلة، حلت[٨] عليه شفاعتي يوم القيامة**».

---

(٢٤٦) المسند (٢/١٦٨)، وصحيح مسلم، الصلاة برقم (٣٨٤)، وسنن أبي داود، الصلاة برقم (٥٢٣)، وسنن الترمذي، المناقب برقم (٣٦١٤)، وسنن النسائي في الأذان (٢/٢٥).

(٢٤٧) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (٥٠).

---

[١] - سقط من: ز، خ.

[٢] - في ت: «الطبراني».

[٣] - في خ، ز: «عنه».

[٤] - سقط من: خ.

[٥] - في خ، ز: «بكير».

[٦] - في ز، خ: «عمر».

[٧] - في ز: «أو».

[٨] - في خ، ز: «حقت».

(حديث آخر) : قال إسماعيل القاضي : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا سعيد بن [زيد ، عن][١] ليث ، عن كعب - هو كعب الأحبار ، عن أبي هريرة - رضى اللّٰه عنه - قال : قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم : « **صلوا عليّ ، فإن صلاتكم عليّ زكاة لكم ، وسلوا اللّٰه لي الوسيلة** » قال : فإما حدّثنا وإما سألناه ؛ فقال : « **الوسيلة أعلى درجة في الجنة ، لا ينالها إلا رجل ، وأرجو أن أكون ذلك الرجل** » .

ثم رواه(٢٤٨) عن محمد بن أبي بكر ، عن معتمر ، عن ليث - وهو ابن أبي سليم - به . وكذا الحديث الآخر .

قال الإمام أحمد(٢٤٩) : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا بكر بن سوادة ، عن زياد بن نعيم ، عن وفاء[٢] الحضرمي ، عن رويفع بن ثابت الأنصاري : أن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم قال : « **من صلى على محمد وقال : اللهم أنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة ؛ وجبت له شفاعتي** » . وهذا إسناد لا بأس به ، ولم يخرجوه .

(أثر آخر) : قال إسماعيل القاضي : حدثنا على بن عبد اللّٰه ، حدثنا سفيان ، حدثني معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، سمعت ابن عباس يقول : اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى ، وارفع درجته العليا ، وأعطه سؤله في الآخرة والأولى ، كما آتيت [إبراهيم وموسى][٣] عليهما السلام . إسناد جيد قوي صحيح(٢٥٠) .

ومن ذلك عند دخول المسجد والخروج منه ، للحديث الذي رواه الإمام أحمد(٢٥١) :

حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا ليث بن أبي سليم ، عن عبد اللّٰه بن الحسن[٤] ، عن أمه فاطمة بنت الحسين ، عن جدته فاطمة[٥] بنت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قالت[٦] : كان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم إذا دخل المسجد صلىٰ علىٰ محمد وسلم وقال : « **اللهم اغفر**

(٢٤٨) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (٤٦ ، ٤٧) .

(٢٤٩) المسند (٤/١٠٨) (١٧٠٤١) . في إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف . ووفاء الحضرمي : مقبول . زياد بن نعيم : ثقة . وذكره الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٦٦) وقال : رواه البزار والطبراني في الأوسط والكبير وأسانيده حسنة . اهـ . وأخرجه الطبراني في الكبير (٥/٢٦) حديث (٤٤٨٠ ، ٤٤٨١) .

(٢٥٠) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (٥٢) .

(٢٥١) المسند (٦/٢٨٢) . ليث بن أبي سليم : صدوق اختلط جدًا ، ولم يتميز حديثه فترك . والحديث =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.
[٢] - في خ ، ز : « ورقاء » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: «موسى وإبراهيم».
[٤] - في خ ، ز : « الحسين » .
[٥] - سقط من : خ ، ز .
[٦] - في ز ، خ : « قال » .

لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب رحمتك » . وإذا خرج صلىٰ علىٰ محمد وسلم ، ثم قال : « اللهم ؛ اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب فضلك » .

وقال إسماعيل القاضي (٢٥٢) : حدثنا يحيىٰ بن عبد الحميد ، حدثنا سفيان بن عمر التميمي ، عن سليمان الضبي ، عن عليّ بن الحسين قال : قال عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - : إذا مررتم بالمساجد فصلوا علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم .

وأما الصلاة عليه صلىٰ الله عليه وسلم في الصلاة ؛ فقد قدمنا الكلام عليها في التشهد الأخير ، ومن ذهب إلىٰ ذلك من العلماء مع الشافعي رحمه الله . وأما التشهد الأول فلا تجب فيه قولًا واحدًا وهل تستحب ؟ على قولَين للشافعي .

ومن ذلك الصلاة عليه صلىٰ الله عليه وسلم في صلاة الجنازة ، فإنّ السنة أن يقرأ في التكبيرة الأولىٰ فاتحة الكتاب ، وفي الثانية يصلي علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، وفي الثالثة يدعو للميت ، وفي الرابعة يقول : اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده .

قال الشافعي رحمه الله (٢٥٣) : حدثنا مُطرف بن مازن ، عن معمر ، عن الزهري : أخبرني أبو أمامة بن سهل بن حُنيف أنه أخبره رجل من أصحاب النبي صلىٰ الله عليه وسلم : أن السنة في الصلاة علىٰ الجنازة أن يكبر الإمام ، ثم يقرأ بفاتحة الكتاب بعد التكبيرة الأولىٰ سرًّا في نفسه ، ثم يصلي علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، ويخلص الدعاء للجنازة ، وفي التكبيرات لا يقرأ في شيء منها ، ثم يسلم سرًّا في نفسه .

ورواه[١] النسائي(٢٥٤) عن أبي أمامة نفسه أنه قال : من السنة ... فذكره .

وهذا من الصحابي في حكم المرفوع علىٰ الصحيح .

ورواه إسماعيل القاضي(٢٥٥) ، عن محمد بن المثنىٰ ، عن عبد الأعلىٰ ، عن معمر ، عن الزهري ، عن أبي أمامة بن[٢] سهل ، عن سعيد بن المسيب أنه قال : السنة في الصلاة علىٰ

= أخرجه الترمذي في جامعه في كتاب الصلاة ، باب : ما جاء ما يقول عند دخول المسجد . (٢/ ١٢٧ ، ١٢٨/رقم : ٣١٤) . وابن ماجة في سننه في كتاب المساجد ، باب : الدعاء عند دخول المسجد . (١/ ٢٥٣ ، ٢٥٤/رقم : ٧٧١) . كلاهما من طريق ليث بن أبي سليم به . والحديث صححه الألباني في صحاح السنن المذكورة - الترمذي حديث ٢٥٩ /٣١٤ ، وابن ماجه ٦٢٥/ ٧٧١.

(٢٥٢) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (٨٠) .

(٢٥٣) سنن النسائي (٤/٧٥) .

(٢٥٤) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (٩٤) .

(٢٥٥) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (٨٨) .

[١] - في ت : « رواه » . [٢] - في ز ، خ: « عن » .

الجنازة ... فذكره .

وهكذا روي عن أبي هريرة وابن عمر والشعبي .

ومن ذلك في صلاة العيد ، قال إسماعيل القاضي : حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا هشام الدستوائي ، حدثنا حمّاد بن أبي سليمان ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، أن ابن مسعود وأبا موسىٰ وحذيفة خرج عليهم الوليد بن عقبة [يومًا قبل العيد][١] فقال لهم : إن هذا العيد قد دنا[٢] فكيف التكبير فيه ؟ قال عبد الله : تبدأ فتكبر تكبيرة تفتتح بها الصلاة ، وتحمد ربك وتصلي علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، ثم تدعو ، وتكبر وتفعل مثل ذلك ، ثم تكبر و[٣]تفعل مثل ذلك ، ثم تكبر وتفعل مثل ذلك ، ثمّ تقرأ ثم تكبر ، وتركع ، ثم تقوم فتقرأ وتحمد ربك وتصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم تدعو وتكبر ، وتفعل مثل ذلك ، ثم تركع . فقال حذيفة وأبو موسىٰ : صدق أبو عبد الرحمن . إسناده[٤] صحيح .

ومن ذلك أنه يستحب ختم الدعاء بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ، قال الترمذي (٢٥٦) :

حدثنا أبو داود ، أخبرنا النضر بن شميل ، عن أبي قُرّة الأسدي ، عن سعيد بن المسيّب ، عن عمر بن الخطاب قال : الدعاء موقوف بين السماء والأرض ، لا يصعد منه شيء حتىٰ تصلى علىٰ نبيك .

وهكذا رواه أيوب بن موسىٰ عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب - قوله - . ورواه معاذ بن الحارث ، عن أبي قرة ، عن سعيد بن المسيب ، عن عمر مرفوعًا (٢٥٧) .

وكذا رواه رزين بن معاوية في « **كتابه** » مرفوعًا ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **الدعاء موقوف بين السماء والأرض ، لا يصعد حتىٰ يصلىٰ عليّ ، فلا تجعلوني كغُمَر[٥] (*) الراكب ، صلوا عليَّ أول الدعاء وأوسطه وآخره** » (٢٥٨) .

(٢٥٦) سنن الترمذي ، كتاب الصلاة برقم (٤٨٦) . وإسناده ضعيف لجهالة أبي قرة . وأما أبو داود فهو سليمان بن مسلم المصاحفي : ثقة .

(٢٥٧) أخرجه الواحدي ومن طريقه الحافظ الرهاوي في الأربعين كما في تخريج الكشاف لابن حجر (ص ١٣٧) .

(*) - قال ابن الأثير في النهاية [٣/٣٨٥] : « الغُمَر - بضم الغين وفتح الميم - : القَدَح الصغير ، أراد أن الراكب يحمل رحله وأزواده على راحلته ويترك قَعْبَه إلى آخر تَرْحاله ، ثم يُعَلِّقه على رحله كالعِلاوة ، فليس عنده بمهمّ ، فنهاهم أن يجعلوا الصلاة عليه كالغُمَر الذي لا يُقَدَّم في المهامّ ويُجْعَل تَبَعًا » . اهـ .

(٢٥٨) ذكره ابن الأثير في جامع الأصول (٤/١٥٥) رواية رزين .

[١] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « صلى العيد يوما » . [٢] - في خ ، ز : « وفىٰ » .
[٣] - في ز ، خ: « ثم » . [٤] - في ز ، خ: « إسناد » .
[٥] - في ز : « لعمر » .

وهذه الزيادة إنما ترویٰ من رواية جابر بن عبد الله في « **مسند الإمام عبد بن حميد الكَشي** » قال (٢٥٩) : حدثنا جعفر بن عون ، أخبرنا موسىٰ بن عبيدة ، عن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم ، عن أبيه قال : قال جابر : قال لنا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لا تجعلوني كقدح الراكب ، إذا علق تعاليقه أخذ قدحه فملأه من الماء ، فإن كان له حاجة في الوضوء توضأ ، وإن كان له حاجة في الشرب شرب ، وإلا أهراق ما فيه ، اجعلوني في أول الدعاء ، وفي وسط الدعاء ، وفي آخر الدعاء** » .

فهذا حديث غريب ، وموسى بن عبيدة ضعيف الحديث .

ومن ذلك دعاء القنوت ، لما رواه الإمام أحمد وأهل السنن ، وابن خزيمة ، وابن حبّان ، والحاكم ، من حديث أبي الجوزاء ، عن الحسن بن عليّ - رضي الله عنهما - قال : علّمني رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كلمات أقولهن في الوتر : « **اللهم اهدني فيمن هديت ، وعافني فيمن عافيت ، وتولني فيمن توليت ، وبارك لي فيما أعطيت ، وقني شر ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يقضىٰ عليك ، إنه لا يذل من واليت ، تباركت ربنا[١] وتعاليت** »(٢٦٠) .

وزاد النسائي في سننه بعد هذا : « **وصلىٰ الله[٢] على النبي محمد[٣]** » .

ومن ذلك أنه يستحب الإكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة وليلة الجمعة . قال الإمام أحمد(٢٦١) : حدثنا حسين بن عليّ الجعفي ، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، عن أبي[٤]

---

(٢٥٩) المنتخب لعبد بن حميد برقم (١١٣٠) ، ورواه البزار في مسنده برقم (٣١٥٦) « كشف الأستار » من طريق موسى بن عبيدة به .

(٢٦٠) المسند (١٩٩/١) ، وسنن أبي داود برقم (١٤٢٥) ، وسنن الترمذي برقم (٤٦٤) ، وسنن النسائي (٢٤٨/٣) ، وسنن ابن ماجة برقم (١١٧٨) ، وصحيح ابن خزيمة (١٠٩٥) ، وصحيح ابن حبان (٢/ ١٤٨) ، والمستدرك (١٧١/٣) .

(٢٦١) المسند (٨/٤) ، وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر : ثقة ، روى له الجماعة . وأبو الأشعث الصنعاني : هو شراحيل بن آدة ، ويقال : آدة جد أبيه ، وهو شرحبيل بن كليب ، ثقة ، روى له البخاري في الأدب ومسلم وأصحاب السنن . والحديث أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب : فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة (١/ ٢٧٥) . حديث ١٠٤٧ . وفي كتاب الصلاة ، باب : الاستغفار حديث (١٥٣١) (٢/ ٨٨) من طريق هارون بن عبد الله ، ثنا حسين بن على ، عن عبد الرحمن به . والنسائى في كتاب الجمعة ، باب : إكثار الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة (٩١/٣ - ٩٢) . من طريق إسحاق بن منصور ، ثنا حسين الجعفى به . وابن ماجة في كتاب الجنائز ، باب : ذكر وفاته ودفنه صلى الله عليه وسلم (٥٢٤/١) حديث (١٦٣٦) . من طريق أبى بكر بن أبى شيبة ، ثنا الحسين بن على ، عن عبد الرحمن به . وحديث ١٠٨٥ . والحاكم في المستدرك (٢٧٨/١) . وابن حبان كما في الموارد (٥٥٠) . والحديث صححه الشيخ الألبانى صحيح أبي داود (١٩٦/١).

---

[١] - سقط من : ز ، خ.

[٢] - في ت : « اللهم » .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - في خ : « ابن » .

الأشعث الصنعاني ، عن أوس بن أوس الثقفي - رضي اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة عليّ** » . قالوا : يا رسول اللَّه ؛ وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرِمْتَ ؟ - يعنى : وقد بليت - قال : « **إن اللَّه حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء** » .

ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجة من حديث حسين بن على الجعفى . وقد صحح هذا الحديث ابنُ خزيمة ، وابن حبان ، والدارقطني ، والنووي في « **الأذكار** » .

(حديث آخر) قال أبو عبد اللَّه بن ماجة (٢٦٢) : حدثنا عمرو بن سوّاد المصري ، حدثنا عبد اللَّه ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن سعيد[١] بن أبي هلال ، عن زيد بن أيمن ، عن عبادة بن نُسيّ ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أكثروا الصلاة عليّ يوم الجمعة ، فإنه مشهود تشهده الملائكة . وإن أحدًا لن يصلي عليّ إلا عرضت [عَلَيّ صلاته]**[٢] **حتىٰ يفرغ منها** ». قال: قلت: وبعد الموت ؟ قال : « **[وبعد الموت]**[٣] . **إن اللَّه حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء** » [فنبى اللَّه حى يرزق][٤] . هذا حديث غريب[٥] من هذا الوجه وفيه انقطاع بين عبادة بن نسيّ وأبي الدرداء فإنه لم يدركه ، واللَّه أعلم .

وقد روىٰ البيهقي(٢٦٣) من حديث أبي أمامة وابن مسعود ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم في الأمر بالإِكثار من الصلاة عليه ليلة الجمعة ويوم الجمعة ، ولكن في إسنادهما ضعف ، واللَّه أعلم .

ورُوي مرسلًا عن الحسن البصرى فقال إسماعيل القاضي(٢٦٤) : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا جرير بن حازم ، سمعت الحسنَ - هو البصري - يقول : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لا تأكل الأرض جسدَ من كَلَّمهُ روحُ القدس** » . مرسل حسن .

وقال الشافعي : أخبرنا إبراهيم بن محمد ، أخبرنا صفوان بن سليم أن النبي صلىٰ اللَّه عليه

---

(٢٦٢) سنن ابن ماجة برقم (١٦٣٧) . وفيه أيضًا انقطاعصا آخر بين زيد وعبادة ، قاله البخاري .

(٢٦٣) السنن الكبرى للبيهقي (٣/٢٤٩) من حديث أبي أمامة ، رضي الله عنه ، ولم أجده عنده من حديث أبي مسعود وإنما هو من حديث أنس ، رضي الله عنه .

(٢٦٤) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (٢٣) .

---

[١] - في ز ، خ: « شعيب » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « صلاته عَلَيّ » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٥] - سقط من : خ ، ز .

وسلم قال : « **إذا كان يوم الجمعة وليلة الجمعة ، فأكثروا الصلاة عليّ** » . هذا مرسل .

وهكذا يجب علىٰ الخطيب أن يصلي علىٰ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يوم الجمعة علىٰ المنبر في الخطبتين ، ولا تصح الخطبتان إلا بذلك ، لأنها عبادة ، و[١]ذكر اللّٰه فيها شرط ، فوجب ذكر الرسول صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فيها كالأذان والصلاة . هذا مذهب الشافعي وأحمد رحمهما اللّٰه .

ومن ذلك أنه[٢] يستحب الصلاة والسلام عليه عند زيارة قبره صلوات اللّٰه وسلامه عليه ، قال أبو داود(٢٦٥) : حدثنا[٣] ابن عوف - هو محمد - حدثنا المقريّ ، حدثنا حيوة ، عن أبي صخر حميد بن زياد ، عن يزيد بن عبد اللّٰه بن قسيط ، عن أبي هريرة أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **ما من أحد يسلم عليّ إلا رَدّ اللّٰه عليّ روحي حتىٰ أرد عليه السلام** » .

تفرد به أبو داود ، وصححه النووي في « **الأذكار** » ، ثم قال أبو داود (٢٦٦) :

حدثنا أحمد بن صالح؛ قال: قرأت على عبد اللّٰه بن نافع، أخبرني ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبُري، عن أبي هريرة؛ قال: قال رسولُ اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم: « **لا تجعلوا بيوتكم قُبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلوا عليّ؛ فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم** ».

تفرد به أبو داود أيضًا .

وقد رواه الإمام أحمد(٢٦٧) عن شُرَيج[٤]، عن عبد اللّٰه بن نافع -وهو الصائغ- به. وصححه النووي أيضًا .

وقد روي من وجه آخر عن على -رضي اللّٰه عنه- قال القاضي إسماعيل بن إسحاق في كتابه « **فضل الصلاة على النبي صلى اللّٰه عليه وسلم** »(٢٦٨) :

حدثنا إسماعيل بن أبي أويس، حدثنا جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد اللّٰه بن جعفر ابن أبي طالب [عمن أخبره][٥] من أهل بيته، عن علي بن الحسين بن[٦] علي؛ أن رجلًا كان

(٢٦٥) سنن أبي داود ، كتاب المناسك ، باب : زيارة القبور برقم (٢٠٤١) .

(٢٦٦) سنن أبي داود ، كتاب المناسك ، باب : زيارة القبور برقم (٢٠٤٢) .

(٢٦٧) المسند (٢/٣٦٧) .

(٢٦٨) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (٢٠) .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ: « أن » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز ، خ : « شريح » .

[٥] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « عن أخيه » .

[٦] - في ز ، خ: « عن » .

يأتي كل[١] غداة فيزور قبرَ النبي صلى اللَّه عليه وسلم ويصلي عليه، ويصنع من ذلك ما اشتهر عليه علي ابن الحسين، فقال له عليُّ بن الحسين: ما يحملك على هذا؟ قال: أحب السلام على النبي صلى اللَّه عليه وسلم. فقال له علي بن الحسين: هل لك أن أحدثك حديثًا عن أبي؟ قال: نعم. فقال له علي بن الحسين: أخبرني أبي عن جدي أنه قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «**لا تجعلوا قبري عيدًا ولا تجعلوا بيوتكم قبورًا، وصلوا عليّ وسلموا حيثما كنتم فتبلغني صلاتكم وسلامكم**».

في إسناده رجل مبهم[٢] لم يُسمّ.

وقد رُوي من وجه آخر مرسلًا، قال عبد الرزاق في «**مصنفه**»(٢٦٩)، عن الثوري، عن ابن عجلان، عن رجل - يقال له: سهيل - عن الحسن بن الحسن بن علي؛ أنه[٣] رأى قومًا عند القبر فنهاهم، وقال: إن النبي صلى اللَّه عليه وسلم قال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا تتخذوا بيوتكم قبورًا، وصلوا علي حيثما كنتم، فإن صلاتكم تبلغني**». فلعله رآهم يسيئون الأدب برفع أصواتهم، فنهاهم.

وقد رُوي أنه رأى رجلًا ينتاب القبر فقال: يا هذا؛ ما أنت ورجل بالأندلس منه إلا سواء. أي: الجميع يبلغه. صلوات اللَّه وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين.

وقال الطبراني(٢٧٠) في «**معجمه الكبير**»: حدثنا أحمد بن رشدين[٤] المصري، حدثنا سعيد بن أبي مريم، حدثنا محمد بن جعفر، أخبرني حميد بن أبي زينب، عن حسن بن حسن ابن علي بن أبي طالب - رضي اللَّه عنهم - عن أبيه أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم؛ قال: «**صلوا عليَّ حيثما كنتم، فإن صلاتكم تبلغني**».

ثم قال الطبراني(٢٧١): حدثنا العباس بن حمدان الأصبهاني، حدثنا شعيب بن عبد الحميد الطحان، أخبرنا يزيد بن هارون [أنا][٥] شيبان، عن الحكم بن عبد اللَّه بن خُطّاف[٦]، عن أم أنيس بنت الحسن بن علي، عن أبيها؛ قال: [قالوا: يا][٧] رسول اللَّه صلى اللَّه عليه

(٢٦٩) المصنف برقم (٦٧٢٦).

(٢٧٠) المعجم الكبير (٨٢/٣)، وقال الهيثمي في المجمع (١٦٢/١٠): «فيه حميد بن أبي زينب لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح».

(٢٧١) المعجم الكبير (٨٩/٣)، وقال الهيثمي في المجمع (٩٣/٧): «فيه الحكم بن عبد الله بن خطاف وهو كذاب».

[١] - سقط من: ز، خ.

[٢] - في ز، خ: «متهم».

[٣] - في ز، خ: «قال».

[٤] - في ز: «رشد».

[٥] - ما بين المعكوفين في ز، خ: بن أبي. والمثبت من المعجم الكبير

[٦] - في ز، خ: خطاب. وهو تحريف.

[٧] - ما بين المعكوفين في ز، خ: قال.

وسلم: أرأيت قول الله عز وجل: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾؟ فقال: «**إن هذا من المكتوم، ولولا أنكم سألتموني عنه لما أخبرتكم، إن الله وكل بي ملكين لا أذكر عند عبد مسلم فيصلي علي إلا قال ذانك الملكان: غفر الله لك. وقال[١] الله وملائكته جوابًا لذينك الملكين: آمين ولا يصلي أحد إلا قال ذانك الملكان: لا غفر الله لك. وقال[٢] الله وملائكته جوابًا لذينك الملكين: آمين**».

غريب جدًّا، وإسناده فيه ضعف شديد.

وقد قال الإمام أحمد(٢٧٢): حدثنا وكيع، عن سفيان، عن عبد الله بن السائب، عن زاذان، عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ يقول[٣]: «**إن لله ملائكة سياحين في الأرض، يبلغوني عن[٤] أمتي السلام**».

وهكذا رواه النسائي من حديث سفيان الثوري وسليمان بن مهران الأعمش، كلاهما عن عبد الله بن السائب به.

فأما الحديث الآخر: «**من صلى عَلَيّ عند قبري سمعته، ومن صلى علي من بعيد بُلغته**»(٢٧٣). ففي إسناده نظر. تفرد به محمد بن مروان السدي الصغير، وهو متروك، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة مرفوعًا.

قال أصحابنا: ويستحب للمحرم إذا لبى وفرغ من تلبيته أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، لما روى [ ][٥] الشافعي(٢٧٤) والدارقطني من رواية صالح بن محمد بن زائدة، عن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق؛ قال: كان يُؤمر الرجل إذا فرغ من تلبيته أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم على كل حال.

وقال إسماعيل القاضي(٢٧٥): حدثنا عارم بن الفضل، حدثنا عبد الله بن المبارك، حدثنا زكريا، عن الشعبي، عن وهب بن الأجدع؛ قال: سمعت عمر بن الخطاب؛ يقول: إذا قدمتم

---

(٢٧٢) المسند (٤٤١/١)، وسنن النسائي (٤٣/٣).

(٢٧٣) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٢٩٢/٣) من طريق الاصمعي عن السدي به، ثم روى بإسناد عن ابن قتيبة قال: سألت ابن نمير عن حديث: «من صلى عليَّ عند قبري» فقال: «دع ذا، محمد بن مروان ليس بشيء».

(٢٧٤) الأم (١٣٤/٢).

(٢٧٥) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (٨١).

---

[١] - في ز: «قال».

[٢] - في ت: «قال».

[٣] - سقط من: ز.

[٤] - في ت: «من».

[٥] - في ز، خ: عن.

فطوفوا بالبيت سبعًا، وصلوا عند المقام ركعتين، ثم ائتوا الصفا فقوموا عليه من حيث ترون البيت، فكبروا سبع تكبيرات، تكبيرًا بين حمد اللّٰه وثناء عليه، وصلاة علي النبي صلى اللّٰه عليه وسلم، ومسألة لنفسك، وعلى المروة مثل ذلك.

إسناد جيد حسن قوي.

وقالوا: ويستحب الصلاة على النبي صلى اللّٰه عليه وسلم مع ذكر اللّٰه عند الذبح، واستأنسوا بقوله تعالى: ﴿**ورفعنا لك ذكرك**﴾ قال بعض المفسرين: يقول اللّٰه تعالى: «**لا أذكر إلا ذكرت معي**». وخالفهم في ذلك الجمهور، وقالوا: هذا موطن يفرد فيه ذكر الرب تعالى، كما عند الأكل، والدخول، والوقاع وغير ذلك، مما لم ترد فيه السنة بالصلاة على النبي صلى اللّٰه عليه وسلم.

(حديث آخر) قال [القاضي إسماعيل](٢٧٦): حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي، حدثنا عمر ابن هارون، عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن ثابت، عن أبي هريرة؛ أن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم؛ قال: «**صلوا على أنبياء اللّٰه ورسله، فإن اللّٰه بعثهم كما بعثني**».

في إسناده ضعيفان، وهما عمر بن هارون وشيخه، واللّٰه أعلم.

وقد رواه عبد الرزاق(٢٧٧)، عن الثوري، عن موسى بن عبيدة الرَّبَذي به.

ومن ذلك أنه يستحب الصلاة عليه عند طنين الأذن، إن صح الخبر في ذلك، على أن الإمام أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة قد رواه في صحيحه(٢٧٨)؛ فقال: حدثنا زياد بن يحيى، حدثنا معمر بن محمد بن عبيد اللّٰه، عن[١] علي بن أبي رافع، عن أبيه [ ][٢] أبي رافع؛ قال: قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم: «**إذا طنت أذن أحدكم فَلْيذكرني وليصل عليّ، وَلْيَقُلْ: ذَكَر اللّٰه مَن ذكرني بخير**». إسناده غريب، وفي ثبوته نظر، واللّٰه أعلم.

[مسألة]

(٢٧٦) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (٤٥) وعمر بن هارون متروك، وموسى بن عبيدة ضعيف.

(٢٧٧) المصنف لعبد الرزاق برقم (٣١١٨).

(٢٧٨) ورواه الطبراني في المعجم الصغير (١٢٠/٢) وابن عدي في الكامل (٤٥١/٦) من طريق معمر به، وقال ابن عدي: «معمر بن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه منكر الحديث، مقدار ما يرويه لا يتابع عليه».

[١] - في خ، ز: «بن».

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز، خ: «عن».

وقد استحب أهل الكتابة أن يكرر الكاتب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كلما كتبه، وقد ورد في الحديث من طريق كادح بن رحمة، عن نهشل، عن الضحاك، عن ابن عباس؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من صلى عليّ في كتاب، لم تزل الصلاة جارية له ما دام اسمي في ذلك الكتاب**»(٢٧٩).

وليس هذا الحديث بصحيح من وجوه كثيرة.

وقد رُوي من حديث أبي هريرة، ولا يصح أيضًا(٢٨٠)، قال الحافظُ أبو عبد الله الذهبي شيخُنا: أحسبه موضوعًا.

وقد رُوي نَحوُه عن أبي بكر، وابن عباس(٢٨١). ولا يصح من ذلك شيء. والله أعلم.

وقد ذكر الخطيب البغدادي في كتابه: «**الجامع لآداب الراوي والسامع**[١]»، قال: رأيت بخط الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله كثيرًا ما يكتب اسم النبي صلى الله عليه وسلم من غير ذكر الصلاة عليه كتابة، قال: وبلغني أنه كان يصلي عليه لفظًا(٢٨٢).

[فصل]

وأما الصلاة على غير الأنبياء فإن كانت[٢] على سبيل التبعية كما تقدم في الحديث: «**اللهم صل على محمد وآله وأزواجه وذريته**»، فهذا جائز بالإجماع، وإنما وقع النزاع فيما إذا أفرد غير الأنبياء بالصلاة عليهم فقال قائلون: يجوز ذلك. واحتجوا بقوله تعالى: ﴿**هو الذي يصلي عليكم وملائكته**﴾، وبقوله: ﴿**أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة**﴾ وبقوله تعالى: ﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم**﴾، وبحديث عبد الله بن أبي أوفى؛ قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: «**اللهم صلّ عليهم**». وأتاه أبي بصدقته فقال: «**اللهم صلّ على آل أبي أوفى**». أخرجاه في الصحيحين.

---

(٢٧٩) أخرجه أبو القاسم الأصبهاني في الترغيب والترهيب برقم (١٦٩٩) من طريق أحمد بن جعفر الهاشمي عن سليمان بن الربيع عن كادح بن رحمة به.

(٢٨٠) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٢٣٤) «مجمع البحرين» من طريق يزيد بن عياض عن الأعرج، عن أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٢٨١) أما حديث ابن عباس فسبق، وأما حديث أبي بكر فرواه ابن عدي في الكامل (٢٤٩/٣) من طريق أبي داود النخعي، عن أيوب بن موسى، عن القاسم، عن أبي بكر، رضي الله عنه، وداود النخعي وضاع.

(٢٨٢) الجامع لأخلاق الراوي (٢٧١/١) ثم قال عقبه: «وقد خالفه غيره من الأئمة المتقدمين في ذلك».

---

[١] - في خ، ز: «والسائل». [٢] - في ز، خ: «كان».

وبحديث جابر: أن امرأته قالت: يا رسول الله؛ صل عليّ وعلى زوجي. فقال: «**صلى الله عليك وعلى زوجك**»(٢٨٣) .

وقال الجمهور من العلماء: لا يجوز إفراد غير الأنبياء بالصلاة، لأن هذا قد صار شعارًا للأنبياء إذا ذكروا، فلا يلحق بهم غيرهم، فلا يقال: قال أبو بكر صلى الله عليه. أو قال علي صلى الله عليه. وإن كان المعنى صحيحًا. كما لا يقال: قال محمد عز وجل، وإن كان عزيزًا جليلًا؛ لأن هذا من شعار ذكر الله عز وجل. وحملوا ما ورد في ذلك من الكتاب والسنة على الدعاء لهم؛ ولهذا لم يثبت شعارًا لآل أبي أوفى، ولا لجابر وامرأته. وهذا مسلك حسن.

وقال آخرون: لا يجوز ذلك؛ لأن الصلاة على غير الأنبياء قد صارت[١] من شعار أهل الأهواء، يصلون على من يعتقدون فيهم، فلا يقتدى بهم في ذلك، والله أعلم.

ثم اختلف المانعون من ذلك: هل هو من باب التحريم، أو الكراهة[٢] التنزيهية، أو خلاف الأولى؟ على ثلاثة أقوال، حكاها الشيخ أبو زكريا النووي في كتاب «**الأذكار**». ثم قال: والصحيح الذي عليه الأكثرون أنه مكروه كراهة تنزيه؛ لأنه شعار أهل البدع، وقد نهينا عن شعارهم، والمكروه هو ما ورد فيه نهي مقصود.

قال أصحابنا: والمعتمد في ذلك أن الصلاة صارت مخصوصة في اللسان بالأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - كما أن قولنا. عز وجل، مخصوص بالله سبحانه وتعالى، فكما لا يقال: محمد عز وجل، وإن كان عزيزًا جليلًا، لا يقال: أبو بكر - أو: علي - صلى الله عليه. هذا لفظه بحروفه. قال: وأما السلام، فقال الشيخ أبو محمد الجُوَيني من أصحابنا: هو في معنى الصلاة، فلا يستعمل في الغائب، ولا يفرد به غير الأنبياء، فلا يقال: عليٌّ عليه السلام، وسواء في هذا الأحياء والأموات، وأما الحاضر فيخاطب به، فيقال: سلام عليكم، أو سلام عليك، أو السلام عليك أو عليكم. وهذا مجمع عليه. انتهى ما ذكره(٢٨٤) .

قلت: وقد غلب هذا في عبارة كثير من النساخ للكتب، أن يفرد عليّ رضي الله عنه بأن يقال: عليه السلام من دون سائر الصحابة، أو: كرم الله وجهه وهذا وإن كان معناه صحيحًا، لكن ينبغي أن يُسَاوى بين الصحابة في ذلك، فإن هذا من باب التعظيم والتكريم، فالشيخان[٣] وأمير المؤمنين عثمان أولى بذلك منه، رضي الله عنهم أجمعين.

---

(٢٨٣) - تقدم تخريج هذين الحديثين في هذه السورة.

(٢٨٤) الأذكار ص (١٥٩، ١٦٠).

---

[١] - في ز، خ: «صار».

[٢] - في ز، خ: «الكراهية».

[٣] - في خ: «قال شيخنا».

قال إسماعيل القاضي(٢٨٥) : حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب ، [حدثنا عبد الواحد][١] بن زياد ، حدثني عثمان بن حكيم بن عَبَّاد بن حُنَيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال : لا تصلح[٢] الصلاة على أحد إلا على النبي صلى الله عليه وسلم ولكن يدعى للمسلمين والمسلمات بالاستغفار[٣] .

وقال أيضًا : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة(٢٨٦) ، حدثنا حسين بن علي ، عن جعفر بن بَرْقان قال : كتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله : أما بعد ، فإن أناسًا من الناس قد التمسوا الدنيا بعمل الآخرة ، وإن ناسًا من القصاص قد أحدثوا في الصلاة على خلفائهم وأمرائهم عِدْلَ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا جاءك كتابي هذا فَمُرْهم أن تكون صلاتهم على النبيين ودعاؤهم للمسلمين عامة ، ويدعوا ما سوى ذلك . أثر حسن .

قال إسماعيل القاضي(٢٨٧) : حدثنا معاذ بن أسد ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثني خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن نُبَيه بن وهب : أن كعبًا دخل على عائشة رضي الله عنها ، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال كعب : ما من فجر يطلع إلا نزل سبعون ألفًا من الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم ، سبعون ألفًا بالليل ، وسبعون ألفًا بالنهار ، حتى إذا انشقت عنه الأرض خرج في سبعين ألفًا من الملائكة يزفونه .

[فرع]

قال النووي : إذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم فليجمع بين الصلاة والتسليم ، فلا يقتصر على أحدهما فلا يقل[٤] : صلى الله عليه فقط ، ولا : عليه السلام فقط . وهذا الذى قاله منتزع من هذه الآية الكريمة وهي قوله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا** ﴾ ، فالأولى أن يقال : صلى الله عليه وسلم تسليمًا .

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ

(٢٨٥) فضل الصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم – برقم (٧٥) ولفظه عنده « لا تصلوا على أحد إلا على النبي – صلى الله عليه وسلم – ، ولكن يدعى للمسلمين والمسلمات بالاستغفار » .

(٢٨٦) فضل الصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم – برقم (٧٦) .

(٢٨٧) فضل الصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم – برقم (١٠٢) .

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] – في ت : « تصح » .

[٣] – في ت : « بالمغفرة » .

[٤] – في ت : « يقول » .

ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾

يقول تعالى متهددًا ومتوعدًا من آذاه، بمخالفة أوامره وارتكاب زواجره وإصراره على ذلك، وآذى رسوله بعيب أو تنقص، عياذًا بالله من ذلك.

قال عكرمة: في قوله: ﴿**إن الذين يؤذون الله ورسوله**﴾، نزلت في المصوّرين.

وفي الصحيحين(٢٨٨)، من حديث سفيان بن عيينة، عن الزهرى، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يقول الله عز وجل: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر، وأنا الدهر، أقلب ليله ونهاره**». ومعنى هذا أن الجاهلية كانوا يقولون: يا خيبة الدهر؛ فعل بنا كذا وكذا. فيسندون أفعال الله تعالى إلى الدهر ويسبونه، وإنما الفاعل لذلك هو الله عز وجل، فنهى عن ذلك.

هكذا قرره[١] الشافعي وأبو عبيد وغيرهما من العلماء رحمهم الله.

وقال العوفي، عن ابن عباس في قوله: ﴿**يؤذون الله ورسوله**﴾، نزلت في الذين طعنوا في تزويجه صفية بنت حُيَي بن أخطب.

والظاهر أن الآية عامة في كل من آذاه بشيء، ومن آذاه فقد آذى الله، ومن أطاعه فقد أطاع الله، كما قال الإمام أحمد(٢٨٩):

حدثنا يونس، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن عَبيدة بن أبي رائطة الحذاء التميمي[٢]، عن عبدالرحمن [بن زياد][٣]، عن عبد الله بن المغفل المزني قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:

(٢٨٨) صحيح البخاري برقم (٤٨٢٦)، وصحيح مسلم برقم (٢٢٤٦).

(٢٨٩) المسند (٨٧/٤) (١٦٨٥٣)، وعبيدة بن أبي رائطة: قال في التقريب: صدوق، روى له الترمذي.

وعبد الله بن عبد الرحمن: وقيل: عبد الرحمن بن زياد، وقيل: عبد الرحمن بن عبد الله، قال ابن معين: لا أعرفه. وذكره ابن حبان في الثقات. قال الحافظ: لكن ابن حبان لم يذكره إلا في عبد الله بن عبدالرحمن وتبع في ذلك البخاري وابن أبي حاتم، ثم إن البخاري لما ذكره حكى كلام من قال فيه عبدالرحمن بن زياد؛ قال: وفيه نظر.

والحديث رواه الترمذي حديث ٣٨٦٢ من حديث عبد الرحمن بن زياد ويقال: إنه أخو عبيد الله بن زياد - عن ابن مغفل به نحوه. وقال: غريب لا أعرفه إلا من هذا الوجه. وأخرجه أيضًا المزي في تهذيب الكمال في ترجمة عبد الرحمن بن زياد. والحديث أخرجه أحمد في مسنده حديث (٢٠٦٠٥، ٢٠٦٠٦، ٢٠٦٣٥) (٥ / ٥٤، ٥٥، ٥٧).

[١] - في خ، ز: «رواه».

[٢] - في خ، ز: «التيمي».

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

«اللَّه اللَّه في أصحابي، لا تتخذوهم غَرضًا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى اللَّه، ومن آذى اللَّه يوشك أن يأخذه».

وقد رواه الترمذي من حديث عُبيدة بن أبي رائطة، عن عبد الرحمن بن زياد، عن عبد اللَّه ابن المغفل به. ثم قال: وهذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

وقوله: ﴿**والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا**﴾، أي: ينسبون إليهم ما هم بُرَآء منه لم يعملوه ولم يفعلوه، ﴿**فقد احتملوا بهتانًا وإثمًا مبينًا**﴾، وهذا هو البهت البيّن أن يحكى أو ينقل عن المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه[١]، على سبيل العيب والتنقص لهم، ومن أكثر من يدخل في هذا[٢] الوعيد الكفرةُ باللَّه ورسوله، ثم الرافضة الذين ينتقصون[٣] الصحابة ويعيبونهم بما قد برّأهم اللَّه منه، ويصفونهم بنقيض ما أخبر اللَّه عنهم؛ فإن اللَّه -عز وجل- قد أخبر أنه قد رضي عن المهاجرين والأنصار ومدحهم، وهؤلاء الجهلة الأغبياء يسبونهم وينتقصونهم، ويذكرون عنهم ما لم يكن ولا فعلوه أبدًا، فهم في الحقيقة منكوسو[٤] القلوب، يذمون الممدوحين، ويمدحون المذمومين.

وقال أبو داود:(٢٩٠) حدثنا القعنبي، حدثنا عبد العزيز -يعني ابن محمد- عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة أنه قيل: يا رسول اللَّه، ما الغيبة؟ قال: «**ذكرُكَ أخاك بما يكره**». قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بَهَتَّه**».

وهكذا رواه الترمذي، عن قتيبة، عن الدراوردي، به. [ثم][٥] قال: حسن صحيح.

وقد قال ابن أبي حاتم(٢٩١): حدثنا أحمد بن سلمة، حدثنا أبو كريب، حدثنا معاوية بن هشام، عن عمار بن أنس، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة قالت: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم لأصحابه: «**أي الربا أربى عند اللَّه؟**» قالوا: اللَّه ورسوله أعلم. قال: «**أربى الربا عند اللَّه استحلالُ عرض امرئ مسلم**»، ثم قرأ: ﴿**والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا، فقد احتملوا بهتانًا وإثمًا مبينًا**﴾.

---

(٢٩٠) سنن أبي داود، كتاب الأدب برقم (٤٨٧٤)، وسنن الترمذي كتاب البر والصلة برقم (١٩٣٤).

(٢٩١) ورواه البيهقي في شعب الإيمان برقم (٦٧١١) من طريق يحيى بن واضح عن عمار بن أنس، به.

---

[١] - في خ، ز: «ينقلوه».

[٢] - سقط من: خ، ز.

[٣] - في ت: «يتنقصون».

[٤] - في ز، خ: «منكوسي».

[٥] - سقط من ت.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ
ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٥٩) لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ
ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ
لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا (٦٠) مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟
تَقْتِيلًا (٦١) سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ
تَبْدِيلًا (٦٢)﴾

يقول تعالى آمرًا رسوله صلى اللَّه عليه وسلم تسليمًا أن يأمر النساء المؤمنات خاصة أزواجه وبناته لشرفهن بأن يدنين عليهن من جلابيبهن، ليتميزن عن سمات نساء الجاهلية وسمات الإماء. والجلباب هو: الرداء فوق الخمار. قاله[١] ابن مسعود، وعبيدة، وقتادة[٢]، والحسن البصري، وسعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي، وعطاء الخراساني، وغير واحد. وهو بمنزلة الإزار اليوم.

قال الجوهري: الجلباب: الملحفة، قالت[٣] امرأة من هذيل ترثي قتيلًا لها:

تَمْشي النّسور إليه وَهْي لاهيَةٌ ... مَشْيَ العَذَارَى عَلَيْهِنّ الجَلابيبُ(٢٩٢)

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: أمر اللَّه نساء المؤمنات[٤] إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رءوسهن بالجلابيب، ويبدين عينًا واحدة.

وقال محمد بن سيرين: سألت عَبيدَةَ السلماني عن قول اللَّه تعالى: ﴿**يدنين عليهن من جلابيبهن**﴾، فغطى وجهه ورأسه وأبرز عينه اليسرى.

وقال عكرمة: تغطي ثُغْرَة نحرها بجلبابها تدنيه عليها.

وقال ابن أبي حاتم(٢٩٣): أخبرنا أبو عبد اللَّه الطِّهراني[٥] فيما كتب إليّ، حدثنا[٦] عبد

---

(٢٩٢) الصحاح (١٠١/١).

(٢٩٣) تفسير عبد الرزاق (١٠١/٢) ورواه الحسن بن مسلم عن صفية بنت شيبة عن عائشة مثله، وأخرجه البخاري في صحيحه برقم (٤٧٥٩).

---

[١] - في ز، خ: «قال».
[٢] - سقط من: ز، خ.
[٣] - في ز، خ: «قال».
[٤] - في ت: «المؤمنين».
[٥] - في ت: «الظهراني».
[٦] - سقط من: خ.

الرزاق، أخبرنا معمر، عن ابن خُثَيم، عن صفية بنت شيبة، عن أم سلمة قالت: لما نزلت هذه الآية: ﴿**يدنين عليهن من جلابيبهن**﴾، خرج نساء الأنصار كأن على رءوسهن الغربان من السكينة، وعليهن أكسية سُود يلبسنها.

و[١]قال ابن أبي حاتم، حدثنا أبي، حدثنا أبو صالح، حدثني الليث، حدثنا يونس بن يزيد قال: وسألناه - يعني الزهري -: هل على الوليدة خمار متزوجة أو غير متزوجة؟ قال: عليها الخمار إن كانت متزوجة، وتنهى عن الجلباب لأنه يكره لهن أن يتشبهن بالحرائر إلا محصنات، وقد قال الله تعالى: ﴿**يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن**﴾.

وروي عن سفيان الثوري أنه قال: لا بأس بالنظر إلى زينة نساء أهل الذمة، إنما ينهى عن ذلك لخوف الفتنة لا لحرمتهن. واستدل بقوله تعالى: ﴿**ونساء المؤمنين**﴾.

وقوله: ﴿**ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين**﴾، أي: إذا فعلن ذلك عُرِفْن أنَّهن حرائر، لسن بإماء ولا عواهر.

قال السدي في قوله تعالى: ﴿**قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين**﴾، قال: كان ناس من فساق أهل المدينة يخرجون بالليل حين يختلط الظلام إلى طرق المدينة، يتعرضون للنساء، وكانت مساكن أهل المدينة ضَيِّقة، فإذا كان الليل خرج النساء إلى الطرق يقضين حاجتهن، فكان أولئك الفساق يبتغون ذلك منهن، فإذا رأوا امرأة عليها جلباب قالوا: هذه حرة، كفوا عنها. وإذا رأوا المرأة ليس عليها جلباب، قالوا: هذه أمة. فوثبوا إليها.

وقال مجاهد: يتجلببن فيعلم أنهن حرائر فلا يعرض لهن فاسق بأذىً ولا ريبة.

وقوله: ﴿**وكان الله غفورًا رحيمًا**﴾، أي: لما سلف في أيام الجاهلية حيث لم يكن عندهن علم بذلك.

ثم قال تعالى متوعدًا للمنافقين، وهم الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر: ﴿**والذين في قلوبهم مرض**﴾ - قال عكرمة وغيره: هم الزناة هاهنا. ﴿**والمرجفون في المدينة**﴾، يعني: الذين يقولون: «جاء الأعداء»، «وجاءت الحروب». وهو كذب وافتراء - لئن لم ينتهوا عن ذلك ويرجعوا إلى الحق ﴿**لنغرينك بهم**﴾، قال عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: أي لنسلطنَّك عليهم.

---

[١] - سقط من: ز، خ.

وقال قتادة رحمه اللَّه: لنحرشَنَّك[١] بهم.

وقال السدي: لنعلمنك بهم. ﴿**ثم لا يجاورونك فيها**﴾، أي: في[٢] المدينة ﴿**إلا قليلًا* ملعونين**﴾ حال منهم في مدة إقامتهم في المدينة مدة قريبة مطرودين مبعدين، ﴿**أينما ثقفوا**﴾، أي: وجدوا، ﴿**أخذوا**﴾ لذلتهم وقلتهم، ﴿**وقتلوا تقتيلًا**﴾.

ثم قال: ﴿**سنة اللَّه في الذين خلوا من قبل**﴾، أي: هذه سنته في المنافقين إذا تمردوا على نفاقهم وكفرهم ولم يرجعوا عما هم فيه. إن أهل الإيمان يسلطون عليهم ويقهرونهم، ﴿**ولن تجد لسنة اللَّه تبديلًا**﴾، أي: وسنة اللَّه في ذلك لا تبدل ولا تغير.

يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾

يقول تعالى مخبرًا لرسوله صلى اللَّه عليه وسلم: أنه لا علم له بالساعة، وإن سأله الناس عن ذلك. وأرشده أن يرد علمها إلى اللَّه -عز وجل- كما قال له في «**سورة الأعراف**». وهي مكية وهذه مدنية، فاستمر الحال في رَدّ علمها إلى الذي يقيمها، لكن أخبره أنها قريبة بقوله: ﴿**وما يدريك لعل الساعة تكون قريبًا**﴾، كما قال: ﴿**اقتربت الساعة وانشق القمر**﴾. وقال: ﴿**اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون**﴾. وقال: ﴿**أتى أمر اللَّه فلا تستعجلوه**﴾.

ثم قال: ﴿**إن اللَّه لعن الكافرين**﴾، أي: أبعدهم من رحمته ﴿**وأعد لهم سعيرًا**﴾، أي: في الدار الآخرة، ﴿**خالدين فيها أبدًا**﴾، أي: ماكثين مستمرين، فلا خروج لهم منها ولا زوال لهم عنها، ﴿**لا يجدون وليًّا ولا نصيرًا**﴾، أي: وليس لهم مغيث ولا معين ينقذهم مما هم فيه.

ثم قال: ﴿**يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا اللَّه وأطعنا الرسولا**﴾، أي:

---

[١] - بعده في خ: «عليهم». [٢] - سقط من: ز، خ.

يسحبون في النار على وجوههم، وتلوى وجوههم على جهنم، يقولون وهم كذلك، يتمنون أن لو كانوا في الدار الدنيا ممن أطاع اللَّه وأطاع الرسول، كما أخبر عنهم في حال العرصات بقوله: ﴿ويوم يَعَضُّ الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلًا * يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلانًا خليلًا * لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولًا﴾.

وقال تعالى: ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾. وهكذا أخبر عنهم في حالتهم هذه أنهم يَوَدون أن لو كانوا أطاعوا اللَّه وأطاعوا الرسول في الدنيا، ﴿وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا﴾. وقال طاوس: سادتنا يعني الأشراف ،وكبراءنا يعني العلماء. رواه ابن أبي حاتم.

أي: اتبعنا السادة وهم الأمراء والكبراء من المشيخة، وخالفنا الرسل واعتقدنا أن عندهم شيئًا، وأنهم على شيء [فإذا هم ليسوا على شيء][١]، ﴿ربنا آتهم ضعفين من العذاب﴾، أي: بكفرهم وإغوائهم إيانا، ﴿والعنهم لعنًا كبيرًا[٢]﴾ قرأ بعض القراء(*) بالباء الموحدة. وقرأ آخرون(**) بالثاء المثلثة، وهما [قريبًا المعنى][٣]، كما في حديث عبد اللَّه بن عمرو: أن أبا بكر قال: يا رسول اللَّه، علمني دعاء أدعو به في صلاتي. قال: «قل: اللهم، إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم». أخرجاه في الصحيحين(٢٩٤)، يروى «كبيرًا» و «كثيرًا» وكلاهما بمعنى صحيح.

واستحب بعضهم أن يجمع الداعي بين اللفظين في دعائه، وفي ذلك نظر. بل الأولى أن يقول هذا تارة. وهذا تارة كما أن القارئ مخير بين القراءتين أيتهما قرأ فَحَسَن، وليس له الجمع بينهما، واللَّه أعلم.

وقال أبو القاسم الطبراني(٢٩٥): حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، حدثنا ضرار بن صُرَد، حدثنا علي بن هاشم[٤]، عن عبيد اللَّه بن أبي رافع، عن أبيه، في تسمية من شهد مع علي رضي اللَّه عنه: الحجاج بن عمرو بن غَزِيَّة[٥]، وهو الذي كان يقول عند اللقاء: يا معشر

(*) - وهم: ابن عامر، وعاصم.

(**) - وهم: ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع، وحمزة، والكسائي.

(٢٩٤) صحيح البخاري، الأذان برقم (٨٣٤)، وصحيح مسلم، الذكر والدعاء برقم (٢٧٠٥).

(٢٩٥) المعجم الكبير (٣/٢٢٣).

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز. [٢] - في ز: «كثيرًا».

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز: «قريبان، يعني».

[٤] - في خ، ز: «هشام». [٥] - في خ، ز: «عزمة».

الأنصار، أتريدون أن تقولوا لربنا إذا لقيناه: ﴿**ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا* ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنًا كبيرًا**[١]﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾

قال البخاري عند تفسير هذه الآية(٢٩٦): حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا روح بن عبادة، حدثنا عوف، عن الحسن ومحمد[٢] وخلاس، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن موسى كان رجلًا حييًا، وذلك قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهًا﴾**».

هكذا أورد هذا الحديث هاهنا مختصرًا جدًا، وقد رواه في أحاديث «**الأنبياء**» بهذا السند بعينه(٢٩٧)، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن موسى عليه السلام كان رجلًا حييًا ستيرًا، لا يُرَىٰ من جلده شيء استحياءً منه، فآذاهُ من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا: ما يتستر هذا التستر إلا من عيب بجلده، إما برص وإما أُدْرَة(*) وإما آفة**». وإن الله عز وجل أراد أن يبرّئه مما قالوا لموسى عليه السلام، فخلا يومًا وحده، فخلع ثيابه على حجر، ثم اغتسل، فلمّا فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حَجَرُ، ثوبي حَجَرُ، حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل، فرأوه عريانًا أحسن ما خلق الله عز وجل وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر، فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضربًا بعصاه، فوالله إن بالحجر لَنَدبًا(**) من أثر ضربه ثلاثًا أو أربعًا أو خمسًا – قال: فذلك قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهًا**﴾».

وهذا سياق حسن مطول. وهذا الحديث من أفراد البخاري دون مسلم.

وقال الإمام أحمد(٢٩٨): حدثنا روح، حدثنا عوف، عن الحسن، عن النبي صلى الله عليه

(٢٩٦) صحيح البخاري برقم (٤٧٩٩).

(٢٩٧) صحيح البخاري برقم (٣٤٠٤).

(*) – الأدرة: انتفاخ كيس الصفن من سائل يتجمع فيه.

(**) – النَّدَب: أثر الجرح. والمقصود أثر العصا.

(٢٩٨) المسند (٢/١٥٤).

[١] – في ز، خ: «كثيرًا». [٢] – سقط من: خ، ز.

وسلم. وخلاس ومحمد، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في هذه الآية: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا﴾**، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**إن موسى كان رجلًا حييًا ستيرًا، لا يكاد يرى من جلده شيء استحياءً منه ...**».

ثم ساق الحديث كما رواه البخاري مطولًا. ورواه(*) في تفسيره عن روح، عن عوف، به. ورواه ابن جرير من حديث الثوري، عن جابر الجعفي، عن عامر الشعبي، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه بنحو هذا(٢٩٩).

وهكذا رواه من حديث سليمان بن مهران الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، وعبد الله بن الحارث، عن ابن عباس في قوله: **﴿لا تكونوا كالذين آذوا موسى﴾** قال: قال قومه له: إنك آدر، فخرج ذات يوم يغتسل، فوضع ثيابه على صخرة، فخرجت الصخرة تشتد بثيابه، وخرج يتبعها عريانًا حتى انتهت به مجالس بني إسرائيل، قال: فرأوه ليس بآدر، فذلك قوله: **﴿فبرأه الله مما قالوا﴾**.

وهكذا روى[١] العوفي، عن ابن عباس سواء.

وقال الحافظ أبو بكر البزار(٣٠٠): حدثنا روح بن حاتم وأحمد بن المعلى الأدمي قالا: حدثنا يحيى بن حماد، حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال: «**كان موسى عليه السلام رجلًا حييًا، وإنه أتى – أحسبه قال: الماء – ليغتسل، فوضع ثيابه على صخرة، وكان لا يكاد تبدو عورته، فقال بنو إسرائيل: إن موسى آدر أو به آفة يعنون أنه لا يضع ثيابه – فاحتملت الصخرة ثيابه حتى صارت بحذاء مجالس بني إسرائيل، فنظروا إلى موسى كأحسن الرجال، أو كما قال، فذلك قوله: ﴿فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهًا﴾**».

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا عباد بن العوام، عن سفيان ابن حسين، حدثنا الحكم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم في قوله: **﴿فبرأه الله مما قالوا﴾**.

قال: صعد موسى وهارون الجبل، فمات هارون عليه السلام، فقال بنو إسرائيل لموسى عليه

(*) – أي: البخاري.

(٢٩٩) تفسير الطبري (٣٦/٢٢).

(٣٠٠) مسند البزار برقم (٢٢٥٢) «كشف الأستار»، وقال الهيثمي في المجمع (٩٢/٧): «وفيه إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة وهو متروك».

---

[١] – في ت: «رواه».

السلام: أنت قتلته، كان ألين [لنا منك][١] وأشد حياء. فآذوه من ذلك، فأمر اللَّه الملائكة فحملته، فمروا به على مجالس بني إسرائيل، فتكلمت بموته، فما عرف موضع قبره إلا الرخم، وإن اللَّه جعله أصم أبكم.

وهكذا رواه ابن جرير(٣٠١)، عن علي بن موسى الطوسي، عن عباد بن العوام، به.

ثم قال: وجائز أن يكون هذا هو المراد بالأذىٰ، وجائز أن يكون الأول هو المراد، فلا قول أولى من قول اللَّه عز وجل.

قلت: يحتمل أن يكون الكل مرادًا، وأن يكون معه غيره، واللَّه أعلم.

قال الإمام أحمد(٣٠٢): حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن شقيق، عن عبد اللَّه قال: قسم رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ذات يوم قسمًا، فقال رجل من الأنصار: إن هذه لقسمة[٢] ما أريد بها وجه اللَّه. قال: فقلت: يا عدو اللَّه، أما لأخبرن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم بما قلت. قال: فذكر ذلك[٣] للنبي صلى اللَّه عليه وسلم فاحمرَّ وجهُه، ثم قال: «**رحمة اللَّه على موسى، لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر**».

أخرجاه في الصحيحين من حديث سليمان بن مهران الأعمش، به.

(طريق أخرى) قال الإمام أحمد(٣٠٣): حدثنا حجاج، سمعت إسرائيل بن يونس، عن الوليد بن أبي هاشم - مولى الهمداني - عن زيد بن أبي زائد، عن عبد اللَّه بن مسعود قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم لأصحابه: «**لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئًا، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا[٤] [سليم الصدر][٥]**»، فأتى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم مال[٦] فقسمه، قال: فمررت برجلين وأحدهما يقول لصاحبه: واللَّه ما أراد محمد بقسمته وجه اللَّه ولا الدار الآخرة. قال: فَتَثَبَّتُّ حتى سمعتُ ما قالا، ثم أتيت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم فقلت: يا رسول اللَّه، إنك قلت لنا: «**لا يبلغني أحد[٧] عن أصحابي شيئًا**»، وإني مررت بفلان وفلان، وهما يقولان كذا وكذا. فاحمرَّ وجهُ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم

(٣٠١) تفسير الطبري (٢٢/٣٧).
(٣٠٢) المسند (١/٣٨٠)، وصحيح البخاري برقم (٣٤٠٥)، وصحيح مسلم برقم (١٠٦٢).
(٣٠٣) المسند (١/٣٩٥).

[١] - ما بين المعكوفتين في ت: «منك لنا». [٢] - في ت: «القسمة».
[٣] - سقط من: ز، خ.
[٤] - في حاشية ز، خ هنا: «هاهنا سقط لعله ورقتين فإنه في نصف الكراس».
[٥] - ما بين المعكوفتين بياض في: ز. [٦] - في خ: «قال».
[٧] - في ز، خ: «أحدًا».

وشَق عليه، ثم قال: «دعنا منك، لقد أوذي موسى بأكثر من هذا، فصبر».

وقد رواه أبو داود(٣٠٤) في الأدب، عن محمد [بن يحيى الذهلي، عن محمد بن يوسف الفريابي، عن إسرائيل عن الوليد][١] بن أبي هاشم به مختصرًا: «لا يبلغني أحد [من أصحابي][٢] عن أحد شيئًا؛ إني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر».

وكذا رواه الترمذي(٣٠٥) في «المناقب» عن الذهلي سواء، إلا أنه قال: «زيد بن زائدة». ورواه أيضًا عن محمد بن إسماعيل، عن عبد الله بن محمد، عن عبيد الله بن موسى وحسين بن محمد، كلاهما عن إسرائيل، عن السدي، عن الوليد بن أبي هاشم، به مختصرًا أيضًا، فزاد في إسناده السدى، ثم قال: غريب من هذا الوجه.

وقوله: ﴿وكان عند الله وجيهًا﴾. أي: له وجاهة وجاه عند ربه عز وجل.

قال الحسن البصري: كان مستجاب الدعوة عند الله. وقال غيره من السلف: لم يسأل الله شيئًا إلا أعطاه، ولكن منع الرؤية لما يشاء الله عز وجل.

وقال بعضهم: من وجاهته العظيمة: أنه شفع في أخيه هارون أن يرسله الله معه، فأجاب الله سؤله، وقال: ﴿ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيًّا﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾

يقول تعالى آمرًا عباده المؤمنين بتقواه، وأن يعبدوه عبادة من كأنه يراه، وأن يقولوا ﴿قولًا سديدًا﴾، أي: مستقيمًا لا اعوجاج فيه ولا انحراف. ووعدهم أنهم إذا فعلوا ذلك، أثابهم عليه بأن يصلح لهم[٣] أعمالهم، أي: يوفقهم للأعمال الصالحة، وأن يغفر لهم الذنوب الماضية. وما قد يقع منهم[٤] في المستقبل يلهمهم التوبة منها[٥].

ثم قال: ﴿ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزًا عظيمًا﴾، وذلك أنه يجار من النار، ويصير إلى النعيم المقيم.

(٣٠٤) سنن أبي داود، كتاب الأدب برقم (٤٨٦٠).
(٣٠٥) سنن الترمذي، كتاب المناقب برقم (٣٨٩٦).

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.
[٣] - سقط من: ز، خ.
[٤] - في ز، خ: «لهم».
[٥] - في ز، خ: «فيها».

وقال ابن أبي حاتم(٣٠٦) : حدثنا أبي، حدثنا عمرو بن عون، حدثنا خالد، عن ليث، عن أبي بردة، عن أبي موسى الأشعري قال[١]، صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر، فلما انصرف أومأ إلينا بيده فجلسنا، فقال: «**إن الله أمرني أن آمركم، أن تتقوا الله وتقولوا قولًا سديدًا**». ثم أتى النساء فقال: «**إن الله أمرني أن آمركن: أن تتقين الله وتقلن قولًا سديدًا**».

وقال ابن أبي الدنيا في كتاب «**التقوى**»: حدثنا محمد بن عباد بن موسى، حدثنا عبد العزيز ابن عمران الزهري. حدثنا عيسى بن سَمُرة[٢]، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر إلا سمعته يقول: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولًا سديدًا**﴾ الآية. غريب جدًا.

وروي [من حديث][٣] عبد الرحيم بن زيد العمي، عن أبيه، عن محمد بن كعب عن ابن عباس موقوفًا: من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله.

قال عكرمة: القول السديد: لا إله إلا الله.

وقال غيره: السديد: الصدق. وقال مجاهد: هو السداد. وقال غيره: هو الصواب. والكل حق.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾

قال العوفي، عن ابن عباس: يعني بالأمانة: الطاعة، وعرضها عليهم قبل أن يعرضها على

(٣٠٦) ورواه أحمد في مسنده (٣٩١/٤) (١٩٥٤٥) من طريق شيبان عن ليث، به. وإسناده ضعيف ليث هو ابن أبي سليم - كما جاء مصرحًا به في رواية البزار. ورواه البزار حديث ٣١٤٨ «البحر الزخار». وهو في كشف الأستار، باب: الأمر بالتقوى (٦٨/٤) حديث ٣٢١٧. والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٧/٧) وقال: رواه أحمد والطبراني وفيه ليث بن أبي سليم وهو مضطرب الحديث وبقية رجالهما رجال الصحيح.

[١] - سقط من: ز، خ.

[٢] - في ز، خ: «سبرة».

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.

آدم، فلم يطقنها. فقال لآدم: إني قد عرضتُ الأمانةَ على السماوات والأرض والجبال فلم يطقنها، فهل أنت آخذ بما فيها؟ قال: يا رب، وما فيها؟ قال: إن أحسنت جزيت، وإن أسأت عوقبت. فأخذها آدم فتحملها، وذلك[١] قوله: ﴿**وحملها الإنسان إنه كان ظلومًا جهولًا**﴾.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: الأمانة: الفرائض، عرضها الله على السماوات والأرض والجبال إن أدوها أثابهم، وإن ضيعوها عذبهم [الله][٢]، فكرهوا ذلك وأشفقوا من غير معصية، ولكن تعظيمًا لدين الله أن لا يقوموا بها، ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها، وهو قوله: ﴿**وحملها الإنسان إنه كان ظلومًا جهولًا**﴾، يعني: غِرًّا بأمر الله.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن بشار، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: ﴿**إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها**﴾. قال: عرضت على آدم فقال: خذها بما فيها، فإن أطعت غَفَرتُ لك، وإن عَصَيت عذبتك. قال: قبلت. فما كان إلا قدر ما بين العصر إلى الليل من ذلك اليوم، حتى أصاب الخطيئة.

وقد روى الضحاك، عن ابن عباس، قريبًا من هذا. وفيه نظر وانقطاع بين الضحاك وبينه، والله أعلم. وهكذا قال مجاهد، وسعيد بن جبير، والضحاك، والحسن البصري، وغير واحد: إن الأمانة هي الفرائض.

وقال آخرون: هي الطاعة.

وقال الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق: قال أبي بن كعب: من الأمانة [أن المرأة][٣] اؤتمنت على فرجها.

وقال قتادة: الأمانة الدين والفرائض والحدود.

وقال بعضهم: الغسل من الجنابة.

وقال مالك، عن زيد بن أسلم قال: الأمانة ثلاثة: الصلاة، والصوم، والاغتسال من الجنابة.

وكل هذه الأقوال لا تنافي بينها، بل هي متفقة وراجعة إلى أنها التكليف، وقبول الأوامر والنواهي بشرطها، وهو أنه إن قام بذلك أثيب، وإن تركها عُوقِبَ، فقبلها الإنسان على ضعفه وجهله وظلمه، إلا من وفق الله، وبالله المستعان.

---

[١] - في ت: « فذلك ».

[٢] - سقط من ت.

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبد العزيز بن المغيرة، حدثنا حماد بن واقد- يعني أبا عمر الصفار- سمعت أبا معمر- يعني عون بن معمر - يحدث عن الحسن- يعني البصري- أنه تلا هذه الآية: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال﴾، قال: عرضها على السبع الطباق الطرائق التي زينت بالنجوم، وحملة العرش العظيم، فقيل لها: هل تحملين الأمانة وما فيها؟ قالت: وما فيها؟ قال: قيل لها: إن أحسنت جزيت، وإن أسأت عوقبت. قالت: لا. ثم عرضها على الأرضين السبع الشداد، التي شدت بالأوتاد، وذللت بالمهاد، قال: فقيل لها: هل تحملين الأمانة وما فيها؟ قالت: وما فيها؟ قال: قيل لها: إن أحسنت جزيت، وإن أسات عوقبت، قالت: لا. ثم عرضها على الجبال الشم الشوامخ الصعاب الصلاب، قال: قيل لها: هل تحملين الأمانة وما فيها؟ قالت: وما فيها؟ قال: قيل لها: إن أحسنت جزيت، وإن أسأت عوقبت، قالت: لا.

وقال مقاتل بن حيان: إن الله حين خلق خلقه، جمع بين الإنس والجن، والسماوات والأرض والجبال، فبدأ بالسماوات فعرض عليهن الأمانة وهي الطاعة، فقال لهن: أتحملن هذه الأمانة، ولكنَّ عليَّ الفضل والكرامة والثواب في الجنة؟ فقلن: يا رب، إنا لا نستطيع هذا الأمر، وليست بنا قوة، ولكنا لك مطيعين(*). ثم عرض الأمانة على الأرضين، فقال لهن: أتحملن هذه الأمانة وتقبلنها مني، وأعطيكن الفضل والكرامة؟ فقلن: لا صبر لنا على هذا يا رب ولا نطيق، ولكنا لك سامعين مطيعين(*)، لا نعصيك في شيء تأمرنا به. ثم قرب آدم فقال له: أتحمل هذه الأمانة وترعاها حق رعايتها؟ فقال عند ذلك آدم: ما لي عندك؟ قال: يا آدم، إن أحسنت وأطعت ورعيت الأمانة؛ فلك عندي الكرامة والفضل وحسن الثواب في الجنة. وإن عصيت ولَم ترعَها حق رعايتها وأسأت؛ فإني معذبك ومعاقبك وأنزلك النار. قال: رضيت رب.

وتحَمَّلها، فقال الله عز وجل: قد حمَّلْتُكَهَا. فذلك قوله: ﴿وحملها الإنسان﴾. رواه ابن أبي حاتم.

وعن مجاهد أنه قال: عرضها على السماوات فقالت: يا رب، حملتني الكواكب وسكان السماء وما ذكر، وما أريد ثوابًا ولا أحمل فريضة. قال: وعرضها على الأرض فقالت: يا رب، غرست في الأشجار، وأجريت في الأنهار وسكان الأرض وما ذكر، وما أريد ثوابًا ولا أحمل فريضة. وقالت الجبال مثل ذلك، قال الله تعالى: ﴿**وحملها الإنسان إنه كان ظلومًا جهولًا**﴾ في عاقبة أمره. وهكذا قال ابن جريج.

و[١]عن ابن أشوع أنه قال: لما عرض الله عليهن حمل الأمانة، ضَجَجْنَ إلى الله ثلاثة أيام

(*) كذا في ز، خ.

[١] - سقط من: ز، خ.

ولياليهن، وقلن: ربنا، لا طاقة لنا بالعمل، ولا نريد الثواب.

ثم قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هارون بن زيد بن أبي الزرقاء الموصلي، حدثنا أبي، حدثنا هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم في هذه الآية: ﴿**إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال**﴾، فقال الإنسان: بين أذني وعاتقي. فقال اللَّه تعالى: إني مُعينك عليها، أي: معينك على عينيك بطبقتين[١]، فإذا نازعاك إلى ما أكره فأطبق. ومعينك على لسانك بطبقتين[٢]، فإذا نازعك[٣] إلى ما أكره فأطبق. ومعينك على فرجك بلباس، فلا تكشفه إلى ما أكره.

ثم روى عن أبي حازم نحو هذا.

وقال ابن جرير: حدثنا يونس، حدثنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قول اللَّه عز وجل: ﴿**إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها**﴾، قال: إن اللَّه عرض عليهن الأمانة أن يفترض عليهن الدين، ويجعل لهن ثوابًا وعقابًا، ويستأمنهن على الدين. فقلن: لا، نحن مسخرات لأمرك [لا نريد ثوابًا ولا عقابًا][٤]، قال: وعرضها اللَّه على آدم فقال: بين أذني وعاتقي. قال ابن زيد: فقال اللَّه تعالى له: أما إذْ تحملت هذا فسأعينك: أجعل لبصرك حجابًا، فإذا خشيت[٥] أن تنظر إلى ما لا يحل لك فأرخ عليه حجابه، وأجعل للسانك بابًا وغلقًا، فإذا خشيت فأغلق. وأجعل لفرجك لباسًا فلا تكشفه إلا على ما أحللت لك[٦].

وقال ابن جرير(٣٠٧): حدثني سعيد بن عمرو السَّكُوني[٧]، حدثنا بقية، حدثنا عيسى بن إبراهيم، عن موسى بن أبي حبيب، عن الحكم بن عمير - وكان من أصحاب النبي صلى اللَّه عليه وسلم قال: قال النبي صلى اللَّه عليه وسلم: «**إن الأمانة والوفاء نزلا على ابن آدم مع الأنبياء، فأرسلوا به، فمنهم رسول [اللَّه، ومنهم نبي][٨]، ومنهم نبي رسول، ونزل القرآن وهو كلام اللَّه، ونزلت العربية والعجمية، فعلموا أمر القرآن وعلموا أمر السنن بألسنتهم، ولم يدع اللَّه شيئًا من أمره مما يأتون وما يجتنبون وهي الحجج عليهم، إلا بينه لهم. فليس**

---

(٣٠٧) تفسير الطبري (٢٢/٣٩) وله شاهد من حديث حذيفة أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٦٤٩٧) وسيأتي.

---

[١] - في خ: «تطيعين». [٢] - في خ: «قطيعين».

[٣] - في ز، خ: نازعا.

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز: «لا ثوابًا ولا عقابًا». [٥] - في ز، خ: «شئت».

[٦] - سقط من: ز، خ. [٧] - في ز، خ: «السكوتي».

[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

أهل لسان إلا وهم يعرفون الحسن والقبيح، ثم الأمانة أول شيء يرفع ويبقى أثرها في جذور قلوب الناس، ثم يرفع الوفاء والعهد والذمم وتبقى الكتب، فعالم يعمل، وجاهل يعرفها وينكرها ولا يحملها، حتى وصل إليّ وإلى أمتي، ولا يهلك على اللَّه إلا هالك، ولا يغفله إلا تارك. فالحذر أيها الناس. وإياكم والوسواس الخناس، فإنما يبلوكم أيكم أحسن عملًا».

هذا حديث غريب جدًّا، وله شواهد من وجوه أخر[١].

ثم قال ابن جرير(٣٠٨): حدثنا محمد بن خلف العسقلاني، حدثنا عبيد اللَّه بن عبد المجيد الحنفي، أخبرنا أبو العوام القطان، حدثنا قتادة، وأبان بن أبي عياش، عن خُلَيد العَصَريّ[٢]، عن أبي الدرداء- رضي اللَّه عنه- قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: **«خمس من جاء بهن يوم القيامة مع إيمان دخل الجنة: من حافظ على الصلوات الخمس على وضوئهن وركوعهن وسجودهن ومواقيتهن[٣]، وأعطى الزكاة من ماله طَيِّب النفس بها، وكان يقول: وايم اللَّه لا يفعل ذلك إلا مؤمن، [وصام رمضان، وحج البيت إن استطاع إلى ذلك سبيلًا][٤]، وأدى الأمانة»**. قالوا: يا أبا الدرداء؛ وما أداء الأمانة؟ قال: الغسل من الجنابة، فإن اللَّه لم يأمن ابن آدم على شيء من دينه غيره.

وهكذا رواه أبو داود عن محمد بن عبد الرحمن العنبري، عن أبي علي عبيد اللَّه بن عبد المجيد الحنفي، عن أبي العوام عمران بن داور[٥] القطان به.

وقال ابن جرير أيضًا: حدثنا تميم بن المنتصر، أخبرنا إسحاق، عن شريك، عن الأعمش، عن عبد اللَّه بن السائب، عن زاذان، عن عبد اللَّه بن مسعود، عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم؛ أنه قال: **«القتل في سبيل اللَّه يكفر الذنوب كلها -أو قال: يكفر كل شيء- إلا الأمانة، يؤتى بصاحب الأمانة فيقال له: أد أمانتك. فيقول: أني يا رب وقد ذهبت الدنيا؟ فيقال له: أد أمانتك فيقول: أني يا رب وقد ذهبت الدنيا؟ فيقال له: أد أمانتك. فيقول: أني يا رب وقد ذهبت الدنيا؟ فيقول: اذهبوا به[٦] إلى أمه الهاوية. فيذهب به إلى الهاوية، فيهوي فيها حتى ينتهي إلى قعرها، فيجدها هنالك كهيئتها، فيحملها فيضعها على عاتقه، فيصعد بها إلى شفير جهنم، حتى إذا رأى أنه قد خرج زَلَّت، فيهوى[٧] في أثرها أبد الآبدين. قال: والأمانة في الصلاة، والأمانة في الصوم، والأمانة في الوضوء، والأمانة في الحديث، وأشد**

---

(٣٠٨) تفسير الطبري (٣٩/٢٢)، وسنن أبي داود، كتاب الصلاة برقم (٤٢٩).

---

[١] - في ت: «أخرى».

[٢] - في ز، خ: «القيصري».

[٣] - في ز، خ: «مراقبتهن».

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

[٥] - في ت: «داود».

[٦] - سقط من: ز، خ.

[٧] - في ت: «فهوىٰ».

ذلك الودائع. فلقيت البراء فقلت: ألا تسمع إلى ما يقول أخوك عبد الله؟ فقال: صدق.

قال شريك: وحدثنا عياش[١] العامري، عن زاذان، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، بنحوه. ولم يذكر «**الأمانة في الصلاة وفي كل شيء**»(٣٠٩). إسناده جيد، ولم يخرجوه.

ومما يتعلق بالأمانة الحديث الذي رواه الإمام أحمد(٣١٠):

حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن زيد بن وهب، عن حذيفة؛ قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر، حدثنا: «**أن الأمانة نزلت في جذر(١) قلوب الرجال، ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة**». ثم حدثنا عن رفع الأمانة. فقال: «**ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه. فيظل أثرها مثل أثر [الوكت(٢)، فتقبض الأمانة من قلبه. فيظل أثرها][٢] مثل أثر المجل(٣) كجمر دحرجته [على رجلك، تراه مُنتبرا(٤) وليس فيه شيء**» قال: ثم أخذ حصى فدحرجه][٣] على رجله - قال: «**فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدي الأمانة، حتى يقال: إن في بني فلان رجلًا أمينًا، حتى يقال للرجل: ما أجلده وأظرفه[٤] وأعقله، وما في قلبه حبة من خردل من إيمان.**» ولقد أتى عَلَيّ زمان وما أبالي أيكم بايعت، إن كان مسلمًا ليردنه على دينه، وإن كان نصرانيًا أو يهوديًا ليردنه على ساعيه، فأما اليوم فما كنت أبايع منكم إلا فلانًا وفلانًا.

وأخرجاه في الصحيحين من حديث الأعمش به.

---

(٣٠٩) تفسير الطبري (٤٠/٢٢).

(٣١٠) المسند (٣٨٣/٥) (٢٣٣٦٢)، وأخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: رفع الأمانة (٣٤١/١١/ رقم: ٦٤٩٧) وطرفاه في (٧٠٨٦، ٧٢٧٦). ومسلم في كتاب الإيمان، باب: رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب (١٢٦/١، ١٢٧/رقم: ١٤٣). والترمذي في كتاب الفتن، باب: ما جاء في رفع الأمانة. (٤٧٤/٤، ٤٧٥/رقم: ٢١٧٩). وقال: هذا حديث حسن صحيح. وابن ماجة في كتاب الفتن، باب: ذهاب الأمانه (١٣٤٦/٢/رقم: ٤٠٥٣). كلهم من طريق الأعمش به.

(١) - أي: في أصلها.

(٢) - الوكت: جمع وكتة وهي الأثر في الشيء كالنقطة من غير لونه.

(٣) - يقال: مجلت يده من العمل مَجْلًا: إذا تقرّحت من العمل وتكوّن بين الجلد واللحم فيها ماء بإصابة نار أو مشقة أو معالجة الشيء الخشن.

(٤) - أي: وَرِمًا.

---

[١] - في ز: «عبد الله».

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

[٤] - في ز: «وأطرفه».

وقال الإمام أحمد(٣١١) : حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، عن الحارث بن يزيد الحضرمي، عن عبد الله بن عمرو؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال: «**أربع إذا كنّ فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة طُعمة**».

هكذا رواه الإمام أحمد في مسند عبد الله بن عمرو بن العاص.

وقد قال الطبراني(٣١٢) في مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب: حدثنا يحيى بن أيوب العلاف المصري، حدثنا سعيد بن أبي مريم، حدثنا ابن لهيعة، عن الحارث بن يزيد، عن ابن حُجَيرة، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة طعمة**». فزاد في الإسناد: «**ابن حُجَيرة**»، وجعله من مسند ابن عمر.

وقد ورد النهي عن الحلف بالأمانة، قال عبد الله بن المبارك في «كتاب الزهد»(٣١٣) : حدثنا شريك، عن أبي إسحاق الشيباني، عن خُنَاس بن سُحَيم - أو قال: جَبَلَة[١] بن سُحَيم - قال: أقبلت مع زياد بن حُدير من الجابية فقلتُ في كلامي: لا والأمانة. فجعل زياد يبكي ويبكي، فظننت أني أتيتُ أمرًا عظيمًا، فقلت له: أكان يكره هذا؟ فقال: نعم. كان عمر بن الخطاب ينهى عن الحلف بالأمانة أشد النهي.

وقد ورد في ذلك حديث مرفوع، قال أبو داود(٣١٤) : حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس، حدثنا زهير، حدثنا الوليد بن ثعلبة الطائي، عن ابن بُرَيدة، عن أبيه؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من حلف بالأمانة فليس منا**». تفرد به أبو داود، رحمه الله.

وقوله تعالى: ﴿**ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات**﴾، أي: إنما حمل ابن آدم الأمانة - وهي التكاليف - ليعذب الله[٢] المنافقين منهم والمنافقات، وهم الذين يظهرون الإيمان خوفًا من أهله ويبطنون الكفر متابعة لأهله، ﴿**والمشركين والمشركات**﴾، وهم الذين ظاهرهم وباطنهم على الشرك بالله -عز وجل- ومخالفة رسله، ﴿**ويتوب الله على المؤمنين**

(٣١١) المسند (١٧٧/٢).

(٣١٢) مجمع الزوائد (١٤٥/٤) وقال الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني في الكبير، وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح».

(٣١٣) الزهد برقم (٢١٣).

(٣١٤) سنن أبي داود، كتاب الأيمان والنذور، باب: كراهية الحلف بالأمانة برقم (٣٢٥٣)، ورواه ابن حبان في صحيحه برقم (١٣١٨) «موارد» من طريق وكيع عن الوليد بن ثعلبة، به.

[١] - في ز، خ: «خيلة».
[٢] - سقط من: خ.

والمؤمنات﴾، أي: وليرحم المؤمنين من الخلق [الذين آمنوا][١] بالله وملائكته[٢] وكتبه ورسله العاملين بطاعته، وكان الله غفورًا رحيمًا.

☆ ☆ ☆

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.
[٢] - سقط من: ز، خ.

تفسير سورة سبأ

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾

يخبر تعالى عن نفسه الكريمة؛ أن له الحمد المطلق في الدنيا والآخرة، لأنه المنعم المتفضل على أهل الدنيا والآخرة، المالك لجميع ذلك، الحاكم في جميع ذلك، كما قال: ﴿**وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون**﴾؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿**الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض**﴾، أي: الجميع ملكه وعبيده وتحت قهره وتصرفه، كما قال: ﴿**وإن لنا للآخرة والأولى**﴾.

ثم قال: ﴿**وله الحمد في الآخرة**﴾، فهو المعبود أبدًا، المحمود على طول المدى. وقال: ﴿**وهو الحكيم**﴾، أي في أقواله وأفعاله وشرعه وقَدَره، ﴿**الخبير**﴾ الذي لا تخفى عليه خافية، ولا يغيب عنه شيء.

وقال مالك عن[١] الزهري: خبير بخلقه، حكيم بأمره؛ ولهذا قال: ﴿**يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها**﴾، أي: يعلم عدد القطر النازل في أجزاء الأرض، والحب المبذور والكامن فيها، ويعلم ما يخرج من ذلك. عدده وكيفيته وصفاته.

﴿**وما ينزل من السماء**﴾، أي: من قطر ورزق، ﴿**وما يعرج فيها**﴾، أي[٢]: من الأعمال الصالحة وغير ذلك، ﴿**وهو الرحيم الغفور**﴾، أي: الرحيم بعباده فلا يعاجل عُصاتهم بالعقوبة، الغفور عن ذنوب التائبين إليه المتوكلين عليه.

---

[١] - سقط من: ز. [٢] - سقط من: ز.

﴿لِّيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤) وَالَّذِينَ سَعَوْ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ (٥) وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٦) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (٧)﴾

هذه إحدى الآيات الثلاث التي[١] لا رابع لهن، مما أمر اللَّه رسوله صلى اللَّه عليه وسلم أن يقسم بربه العظيم على وقوع المعاد لَمَّا أنكره من أنكره من أهل الكفر والعناد، فإحداهن في « سورة يونس »: ﴿**ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين**﴾، والثانية هذه: ﴿**وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم**﴾: والثالثة في « التغابن » ﴿**زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤُن بما عملتم وذلك على اللَّه يسير**﴾، فقوله: ﴿**قل بلى وربى لتأتينكم**﴾، ثم وصفه بما يؤكد ذلك ويقرره: ﴿**عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين**﴾.

قال مجاهد وقتادة: ﴿**لا يعزب عنه**﴾، لا يغيب عنه، أي: الجميع مندرج تحت علمه فلا يخفى[٢] عليه منه شيء فالعظام - وإن تلاشت وتفرقت وتمزقت - فهو عالم أين ذهبت وأين تفرقت، ثم يعيدها كما بدأها أول مرة، فإنه بكل شيء عليم.

ثم بين حكمته في إعادة الأبدان وقيام الساعة بقوله: ﴿**ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم * والذين سعوا في آياتنا معاجزين[٣]**﴾، أي: سعوا في الصد عن سبيل اللَّه وتكذيب رسله، ﴿**أولئك لهم عذاب من رجز أليم**﴾، أي: لينعم السعداء من المؤمنين، ويعذب الأشقياء من الكافرين، كما قال: ﴿**لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون**﴾. وقال تعالى: ﴿**أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار**﴾.

وقوله: ﴿**ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق**﴾، هذه حكمة أخرى معطوفة على التي قبلها. وهي أن المؤمنين بما أنزل على الرسل إذا شاهدوا قيام الساعة

[١] - في ز: « اللاتي ».
[٢] - في ت: « تخفى ».
[٣] - في ز: « معجزين ».

ومجازاة الأبرار والفجار بالذي[١] كانوا قد علموه من كتب الله في الدنيا رأوه حينئذ عين اليقين ،ويقولون يومئذ أيضًا : ﴿**لقد جاءت رسل ربنا بالحق**﴾ ، ويقال أيضًا : ﴿**هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون**﴾ ، ﴿**لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث**﴾ ﴿**ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد**﴾ - العزيز هو : المنيع الجناب ، الذي لا يُغالب ولا يُمانَع ، بل قد قهر كل شيء ، الحميد في جميع أقواله وأفعاله[٢] وشرعه وقدره ، وهو المحمود في ذلك كله .

أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَـٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾

هذا إخبار من الله عن استبعاد الكفرة الملحدين قيامَ الساعة واستهزائهم بالرسول صلى الله عليه وسلم في[٣] إخباره بذلك : ﴿**وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مُزقتم كل ممزق**﴾ ، أي : تفرقت أجسادكم في الأرض وذهبت فيها كل مذهب ،وتمزقت كل ممزق : ﴿**إنكم**﴾ ، أي : بعد هذا الحال ﴿**لفي خلق جديد**﴾ ، أي : تعودون أحياء ترزقون بعد ذلك . وهو في هذا الإخبار لا يخلو أمره من قسمين : إما أن يكون قد تعمد الافتراء على الله أنه قد أوحى إليه ذلك . أو أنه لم يتعمد لكن لُبِّس عليه كما يُلَبَّس على المعتوه والمجنون ؛ ولهذا قالوا : ﴿**أفترى على الله كذبًا أم به جنة**﴾ ؟ قال الله تعالى رادًّا عليهم : ﴿**بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد**﴾ ، أي : ليس الأمر كما زعموا ولا كما ذهبوا إليه ، بل محمد صلى الله عليه وسلم هو الصادق البار الراشد الذي جاء بالحق ، وهم الكذبة الجهلة الأغبياء ، ﴿**في العذاب**﴾ ، أي : الكفر المفضي بهم إلى عذاب الله ، ﴿**والضلال البعيد**﴾ ، من الحق في الدنيا .

ثم قال منبهًا لهم على قدرته في خلق السماوات والأرض- فقال : ﴿**أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض**﴾ ، أي : حيثما توجهوا وذهبوا فالسماء مُظّلة مظللة عليهم ، والأرض تحتهم ، كما قال : ﴿**والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون * والأرض فرشناها**

---

[١] - في ز : « الذي » . [٢] - في ز : « وأقواله » .

[٣] - في ز : « و » .

فنعم الماهدون﴾.

قال عبد بن حميد: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة: **﴿أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض﴾**، قال: إنك إن نظرت عن يمينك أو عن شمالك، أو من بين يديك أو من خلفك، رأيت السماء والأرض.

وقوله: **﴿إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفًا من السماء﴾**، أي: لو شئنا لفعلنا بهم ذلك؛ لظلمهم وقدرتنا عليهم، ولكن نؤخر ذلك لحلمنا وعفونا.

ثم قال: **﴿إن في ذلك لآية لكل عبد منيب﴾**، قال معمر، عن قتادة: **﴿منيب﴾** تائب.

وقال سفيان عن قتادة: المنيب: المقبل إلى الله عز وجل.

أي: إن في النظر إلى خلق السماء والأرض لدلالة لكل عبد فَطِن لبيب رَجّاع إلى الله، على قدرة الله على بعث الأجساد ووقوع المعاد، لأن من قدر على خلق [السماوات في][١] ارتفاعها واتساعها، وهذه الأرضين في انخفاضها وأطوالها وأعراضها، إنه لقادر على إعادة الأجسام ونشر الرميم من العظام، كما قال تعالى: **﴿أو ليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن [يخلق مثلهم][٢] بلى﴾** وقال: **﴿لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق[٣] الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾**.

أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾

يخبر تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله داود - صلوات الله وسلامه عليه - مما آتاه من الفضل المبين، وجمع له بين النبوة والملك المتمكن، والجنود ذوي العدد والعُدَدَ، وما أعطاه ومنحه من الصوت العظيم، الذي كان إذا سبح به تسبح معه الجبال الراسيات، الصم الشامخات، وتقف له الطيور السارحات، والغاديات والرائحات، وتجاوبه بأنواع اللغات. وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع صوت أبي موسى الأشعري يقرأ من الليل،

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز: «هذه السماوات و».

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز: «يحيى الموتى». [٣] - سقط من: ز.

فوقف فاستمع لقراءته، ثم قال: «**لقد أوتى هذا مِزْمَارًا من مزامير آل داود**»(١) .

و[١]قال أبو عثمان النهدي: ما سمعت صوت صَنج ولا بَرْبَط[٢] ولا وَتَر أحسنَ من صوت أبي موسى الأشعري رضي اللّٰه عنه.

ومعنى قوله: ﴿**أوبي معه**﴾، أي: سبحي. قاله ابن عباس، ومجاهد، وغير واحد.

وزعم أبو ميسرة أنه بمعنى سَبّحي بلسان الحبشة. وفي هذا نظر، فإن التأويب في اللغة هو الترجيع، فأمرت الجبال والطير أن ترجع معه بأصواتها.

وقال أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي في كتابه «**الجُمل**» في باب النداء منه ﴿**يا جبال أوبي معه**﴾، أي: سيري معه بالنهار كله، والتأويب: سير النهار كله، والإسار: سير الليل كله[٣]. وهذا لفظه، وهو غريب جدًّا لم أجده لغيره، وإن كان له مساعدة من حيث[٤] اللفظ في اللغة، لكنه بعيد في معنى الآية هاهنا. والصواب أن المعنى في قوله تعالى: ﴿**أوبي معه**﴾، أي: رَجّعي مُسَبّحة معه، كما تقدم، واللّٰه أعلم.

وقوله: ﴿**وألنا له الحديد**﴾، قال الحسن البصري، وقتادة، والأعمش وغيرهم: كان لا يحتاج أن يُدخلَه نارًا ولا يضربه بمطرقة، بل كان يفتله بيده مثل الخيوط، ولهذا قال: ﴿**أن اعمل سابغات**﴾، وهي: الدروع - قال قتادة: وهو أول من عملها من الخلق، وإنما كانت قبل ذلك صفائح.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا ابن[٥] سماعة، حدثنا ابن ضَمَرة، عن ابن شوذب؛ قال: كان داود - عليه السلام - يرفع في كل يوم درعًا فيبيعها بستة آلاف درهم: ألفين له ولأهله، وأربعة آلاف درهم يطعم بها بني إسرائيل خبز الحوارى.

﴿**وقدر في السرد**﴾، هذا إرشاد من اللّٰه لنبيه، داود عليه السلام، في تعليمه صنعة الدروع.

قال مجاهد في قوله: ﴿**وقدر في السرد**﴾: لا تُدِق[٦] المسمار فَيقلَق في الحلقة، ولا تُغَلّظه فيفصمها[٧]، واجعله بقدر.

---

(١) تقدم تخريج الحديث .

---

[١] - سقط من: ز.
[٢] - في ز: «بَرْبَط».
[٣] - سقط من: ز.
[٤] - سقط من: ز.
[٥] - سقط من: خ.
[٦] - في ز: «بدق».
[٧] - في ز: «فيقصهما».

وقال الحكم بن عُتيبة[١]: لا تُغَلظه فيفصم[٢]، ولا تدقه فيقلَق. وهكذا روي عن قتادة، وغير واحد.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: السرد: حَلَقُ[٣] الحديد. وقال بعضهم: يقال: درع مسرودة[٤]: إذا كانت مسمورة الحلق، واستشهد بقول الشاعر:

وَعَليهما مَسْرُودتَان قَضَاهُما[٥] «دَاوُد»، أو صَنَعُ السَّوابغ «تُبَّعُ»

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة داود عليه السلام(٢) من طريق إسحاق بن بشر[٦] - وفيه كلام - عن أبي إلياس، عن وهب بن مُنَبه ما مضمونه: أن داود عليه السلام كان يخرج متنكرًا، فيسأل الركبان عنه وعن سيرته، فلا يسأل أحدًا إلا أثنى عليه خيرًا في عبادته وسيرته ومعدلته - صلوات الله وسلامه عليه - قال وهب: حتى بعث الله ملكًا في صورة رجل، فلقيه داود فسأله كما كان يسأل غيره، فقال: هو خير الناس لنفسه ولأمته، إلا أن فيه خصلة لو لم تكن فيه كان كاملًا. [قال: ما هي؟][٧] قال: يأكل ويطعم عياله من مال المسلمين - يعني بيت المال - فعند ذلك نصب داود عليه السلام إلى ربه في الدعاء أن يعلمه عملًا بيده يستغني به[٨] ويغني به عياله، فألان له الحديد، وعلمه صنعة الدروع، فعمل الدرع، وهو أول من عملها، فقال الله: ﴿**أن اعمل سابغات وقدر في السرد**﴾، يعني مسامير الحلق، قال: وكان يعمل الدرع، فإذا ارتفع من عمله درع باعها، فتصدق بثلثها، واشترى بثلثها ما يكفيه وعياله، وأمسك الثلث يتصدق به يومًا[٩] بيوم إلى أن يعمل غيرها. وقال: إن الله أعطى داود شيئًا لم يعطه غيره من حسن الصوت، إنه كان إذا قرأ الزبور تسمع الوحش حتى يؤخذ بأعناقها وما تنفر،وما صنعت الشياطين المزامير والبرابط والصنوج إلا على أصناف صوته. وكان شديد الاجتهاد، وكان إذا افتتح الزبور بالقراءة كأنما ينفخ في المزامير، وكان قد أعطي سبعين مزمارًا[١٠] في حلقه.

وقوله: ﴿**واعملوا صالحًا**﴾، أي: في الذى أعطاكم الله من النعم، ﴿**إني بما تعملون بصير**﴾، أي: مراقب لكم، بصير بأعمالكم وأقوالكم، لا يخفى عليّ من ذلك شيء.

---

(٢) تاريخ دمشق (٧٠٨/٥ المخطوط).

---

[١] - في ز: «عيينة».
[٢] - في ز: «فيقصم».
[٣] - في ز: «هو».
[٤] - في ز: «مسرود».
[٥] - في ز: «يضاهما».
[٦] - في ز: «بسر».
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز.
[٨] - سقط من: خ، ز.
[٩] - سقط من: خ، ز.
[١٠] - سقط من: خ، ز.

﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾

لما ذكر تعالى ما أنعم به على داود، عطف بذكر ما أعطى سليمان بن داود، من تسخير الريح له تحمل بساطه، غدوها شهر ورواحها شهر.

قال الحسن البصري: كان يغدو على بساطه من دمشق فينزل بإصطخر يتغدّى بها، ويذهب [رائحا][١] من إصطخر فيبيت بكابل، وبين دمشق وإصطخر شهر كامل للمسرع، وبين إصطخر وكابل شهر كامل للمسرع.

وقوله: ﴿**وأسلنا له عين القطر**﴾ قال ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وعطاء الخراساني، وقتادة، والسدي، ومالك عن زيد بن أسلم، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وغير واحد: القطر النحاس. قال قتادة: وكانت باليمن، فكل ما يصنع الناس مما أخرج الله تعالى لسليمان عليه السلام.

قال السدي: وإنما أسيلت له ثلاثة أيام.

وقوله: ﴿**ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه**﴾، أي: وسخرنا له الجن يعملون بين يديه بإذن الله، أي: بقدره[٢]، وتسخيره لهم بمشيئته ما يشاء من البنايات وغير ذلك. ﴿**ومن يزغ منهم عن أمرنا**﴾، أي: ومن يعدل ويخرج منهم عن الطاعة ﴿**نذقه من عذاب السعير**﴾، وهو الحريق.

وقد ذكر ابن أبي حاتم هاهنا حديثًا غريبًا فقال(٣): [حدثنا أبي][٣]، حدثنا أبو صالح، حدثنا معاوية بن صالح، عن أبي الزاهرية، عن جبير بن نُفَير، عن أبي ثعلبة الخُشَني؛ أن رسول

(٣) ورواه الحاكم في المستدرك (٢/٤٥٦) وصححه، ووافقه الذهبي، والطبراني في الكبير (٢٢/٢١٤) من طريق عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح به، ورواه ابن حبان في صحيحه حديث (٢٠٠٧) من طريق ابن وهب، عن معاوية بن صالح، به.

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من ز.
[٢] - في ز: «القدري».
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز.

اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم؛ قال: «**الجن على ثلاثة أصناف: صنف له أجنحة يطيرون في الهواء، وصنف حيات وكلاب، وصنف يحلون ويظعنون**». رفعه غريب جدًّا.

وقال أيضًا: حدثنا أبي، حدثنا حرملة، حدثنا ابن وهب، أخبرني بكر بن مضر، عن محمد، عن ابن أنعم؛ أنه قال: الجن ثلاثة: صنف لهم الثواب وعليهم العقاب، وصنف طيارون فيما بين السماء والأرض، وصنف حيات وكلاب.

قال بكر بن مضر: ولا أعلم إلا أنه قال[١]: حدثني أن الإنس ثلاثة: صنف يظلهم اللَّه بظل عرشه يوم القيامة، وصنف كالأنعام بل هم أضل سبيلًا، وصنف في صُور الناس على قلوب الشياطين.

وقال أيضًا: حدثنا أبي، حدثنا علي بن هاشم بن مرزوق، حدثنا سلمة - يعني ابن الفضل - عن إسماعيل، عن الحسن؛ قال: الجن ولد إبليس، والإنس ولد آدم، ومن هؤلاء مؤمنون ومن هؤلاء مؤمنون، وهم شركاؤهم في الثواب والعقاب، ومن كان من هؤلاء وهؤلاء مؤمنًا فهو ولي اللَّه، ومن كان من هؤلاء وهؤلاء كافرًا فهو شيطان.

وقوله: ﴿**يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل**﴾، أما المحاريب فهي البناء الحسن، وهو أشرف شيء في المسكن وصدره.

وقال مجاهد: المحاريب بنيان دون القصور. وقال الضحاك: هي المساجد. وقال قتادة: هي المساجد والقصور. وقال ابن زيد: هي المساكن.

وأما التماثيل فقال عطية العوفي، والضحاك والسدي: التماثيل: الصور. قال مجاهد: وكانت من نحاس. وقال قتادة: من طين وزجاج.

وقوله: ﴿**وجفان كالجواب وقدور راسيات**﴾، الجواب: جمع جابية، وهي الحوض الذي يجبى فيه الماء، كما قال الأعشى ميمون بن قيس:

تَرُوحُ عَلَى آلِ المحلَّق جَفْنَةٌ كَجَابيَة الشَّيخ العِرَاقي تَفْهَقُ

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿**كالجواب**﴾، أي: كالجَوبة من الأرض.

وقال العوفي، عنه: كالحياض. وكذا قال مجاهد، والحسن، وقتادة، والضحاك وغيرهم.

والقدور الراسيات: أي الثابتات في أماكنها[٢] لا تتحول ولا تتحرك عن أماكنها لعظمها.

كذا قال مجاهد والضحاك، وغيرهما.

---

[١] - سقط من: ز.

[٢] - في ز: «أماكنهم».

وقال عكرمة : أثافيها منها .

وقوله : ﴿ **اعملوا آل داود شكرًا** ﴾ ، أي : وقلنا لهم اعملوا شكرًا على ما أنعم به عليكم في الدنيا والدين .

وشكرًا : مصدر من غير الفعل ، أو أنه مفعول له ، وعلى التقديرين فيه دلالة على أن الشكر يكون بالفعل كما يكون بالقول وبالنية ، كما قال :

أَفَادَتْكُمُ النَّعْمَاءُ مِنِّي ثَلاثَةً يدِي ، ولِسَاني ، وَالضَّمِيرَ المُحَجَّبَا

قال أبو عبد الرحمن الحُبلي[١] : الصلاة شكر ، والصيام شكر ، وكل خير تعمله لله شكر . وأفضل الشكر الحمد . رواه ابن جرير .

وروى هو وابن أبي حاتم ، عن محمد بن كعب القرظي ؛ قال : الشكر تقوى الله والعمل الصالح .

وهذا يقال لمن هو متلبس بالفعل ، وقد كان آل داود - عليه السلام - كذلك قائمين بشكر الله قولًا وعملًا .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن أبي بكر ، حدثنا جعفر - يعني ابن سليمان - عن ثابت البُناني ؛ قال : كان داود عليه السلام قد جزأ على أهله وولده ونسائه الصلاة ، فكان لا تأتي[٢] عليهم ساعة من الليل والنهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي ، فغمرتهم هذه الآية : ﴿ **اعملوا آل داود شكرًا وقليل من عبادي الشكور** ﴾ .

وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ أنه قال : « **إن أحب الصلاة إلى الله صلاةُ داودَ ، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ، وأحب الصيام إلى الله صيام داود ، كان يصوم يومًا ويفطر يومًا ، ولا يَفر إذا لاقى** »(٤) .

وقد روى أبو عبد الله بن ماجة من حديث سُنَيد بن داود ، حدثنا يوسف بن محمد بن المنكدر ، عن أبيه ، عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **قالت أمّ سليمان بن داود لسليمان : يا بني ؛ لا تكثر النوم بالليل ؛ فإن كثرة النوم بالليل تترك الرجل فقيرًا يوم القيامة** »(٥) .

---

(٤) صحيح البخاري ، كتاب التهجد حديث (١١٣١) ، وصحيح مسلم ، كتاب الصيام حديث (١١٥٩).

(٥) سنن ابن ماجه ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها حديث (١٣٣٢) ، وقال البوصيري في الزوائد (١/ ٤٣٣) : « هذا إسناد ضعيف » .

---

[١] - في خ ، ز : « السلمي » . [٢] - في ز : « يأتي » .

وروى ابن أبي حاتم عن [عن أبي حاتم][١] داود - عليه السلام - هاهنا أثرًا غريبًا مطولًا جدًّا، وقال أيضًا:

حدثنا أبي، حدثنا عمران بن موسى، حدثنا أبو يزيد[٢] قبيصة بن إسحاق الرقي؛ قال: قال فضيل في قوله تعالى: ﴿اعملوا آل داود شكرًا﴾. فقال داود: يا رب؛ كيف أشكرك، والشكر نعمة منك؟ قال: «الآن شكرتني حين علمت[٣] أن النعمة[٤] مني».

وقوله: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾، إخبار عن الواقع.

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾

يذكر تعالى كيفية موت سليمان عليه السلام، وكيف عَمَّى الله موته على الجانّ المسخرين له في الأعمال الشاقة، فإنه مكث متوكئًا على عصاه - وهي منسأته - كما قال ابن عباس، ومجاهد، والحسن، وقتادة وغير واحد - مدة طويلة نحوًا من سنة، فلما أكلتها دابةُ الأرض، وهي الأرضة، ضعفت[٥] وسقط إلى الأرض، وعلم أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة - تبينت الجن والإنس أيضًا أن الجن لا يعلمون الغيب، كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس ذلك.

وقد ورد في ذلك حديث مرفوع غريب، وفي صحته نظر.

وقال ابن جرير(٦): حدثنا أحمد بن منصور، حدثنا موسى بن مسعود أبو حذيفة، حدثنا إبراهيم بن طهمان، عن عطاء بن[٦] السائب، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: «**كان سليمان نبي الله - عليه السلام - إذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه فيقول لها: ما اسمك؟ فتقول: كذا. فيقول: لأي شيء أنت؟ فإن كانت لغرس غُرِسَتْ، وإن كانت لدواء كُتِبَتْ. فبينما هو يصلي ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه، فقال لها: ما اسمك؟ قالت: الخروب. قال: لأي شيء أنت؟ قالت: لخراب هذا البيت. فقال سليمان: اللهم، عَمِّ علي الجن موتي[٧] حتى يعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب. فنحتها عصًا، فتوكأ عليها حولًا ميتًا، والجن تعمل. فأكلتها الأرضة، فتبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولًا[٨] في العذاب المهين**».

(٦) تفسير الطبري (٢٢/٧٤).

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ت.
[٢] - في خ: «زيد».
[٣] - في ز: «قلت».
[٤] - في خ: «النعم».
[٥] - في ز: «فضعفت».
[٦] - في ت: «عن».
[٧] - في ز: «موتتي».
[٨] - سقط من: ز.

قال: وكان ابن عباس يقرؤها كذلك. قال: فشكرت الجن الأرضة، فكانت تأتيها[١] بالماء).

وهكذا رواه ابن أبي حاتم، من حديث إبراهيم بن طهمان به. وفي رفعه غرابة ونكارة، والأقرب أن يكون موقوفًا، وعطاء بن أبي مسلم[٢] الخراساني له غرابات، وفي بعض حديثه نكارة.

وقال السدي(٧) ، في حديث ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح، عن ابن عباس وعن مُرة الهمداني، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم؛ قال: كان سليمان يتحرَّد(*) في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين، وأقل من ذلك وأكثر، يدخل طعامه وشرابه، فأدخله في المرة التي توفي فيها، وكان بدء ذلك أنه لم يكن يوم يصبح فيه إلا نبتت في بيت المقدس شجرة، فيأتيها فيسألها، فيقول: ما اسمك؟ فتقول: اسمي كذا وكذا. فإن كانت لغرس غرسها، وإن كانت نبتت دواء قالت: نَبَتُّ دواء لكذا وكذا. فيجعلها كذلك، حتى نبتت شجرة يقال لها: الخرّوبة، فسألها: ما اسمك؟ فقالت: أنا الخروبة. قال: ولأي شيء نَبَتِّ؟ قالت: نبت لخراب هذا المسجد. قال سليمان: ما كان اللَّه ليخرِّبه وأنا حي؟ أنت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس. فنزعها[٣] وغرسها في حائط له، ثم دخل المحراب فقام[٤] يصلي متكئًا على عصاه، فمات ولا تعلم به الشياطين، وهم في ذلك يعملون له، يخافون أن يخرج فيعاقبهم. وكانت الشياطين تجتمع حول المحراب، وكان المحراب له كُوى بين يديه وخلفه، فكان الشيطان الذي يريد أن[٥] يخلع يقول: ألست جلدًا إن دخلت فخرجت من ذلك الجانب؟ فيدخل حتى يخرج من الجانب الآخر، فدخل شيطان من أولئك فمر، ولم يكن شيطان ينظر إلى سليمان في المحراب إلا احترق. فمر ولم يسمع صوت سليمان، ثم رجع فلم يسمع، ثم رجع فوقع في البيت ولم يحترق. ونظر إلى سليمان عليه السلام قد سقط ميتًا. فخرج فأخبر الناس أن سليمان قد مات، [ففتحوا عليه][٦] فأخرجوه، وَوَجدوا منسأته - وهي: العصا بلسان الحبشة - قد أكلتها الأرضة، ولم يعلموا منذ كم مات؟ فوضعوا الأرضة على العصا، فأكلت منها يومًا وليلة، ثم حسبوا على ذلك النحو، فوجدوه قد مات منذ سنة. وهي في قراءة ابن مسعود: (فمكثوا يدأبون[٧] له من بعد موته حولًا كاملًا) فأيقن

(٧) - أخرجه ابن جرير من طريق السدي (٢٢/٧٥)

(*) أي يعتزل ويتنحّىٰ.

[١] - في ز: « تأتيه ».
[٢] - في ز: « سليم ».
[٣] - في خ، ز: « فتزوجها ».
[٤] - في ز: « فدخل ».
[٥] - سقط من: ز.
[٦] - ما بين المعكوفتين في خ، ز: « فتنحوا عنه ».
[٧] - في ز: « يدئبون ».

الناس عند ذلك أن الجن كانوا يكذبونهم ولو أنهم علموا الغيب؛ لعلموا بموت سليمان، ولم يلبثوا في العذاب يعملون له سنة، وذلك قول اللَّه عز وجل: ﴿**ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته، فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين**﴾، يقول: تبين أمرهم للناس أنهم كانوا يكذبونهم، ثم إن الشياطين قالوا للأرضة: لو كنت تأكلين الطعام أتيناك بأطيب الطعام، ولو كنت تشربين[١] الشراب سقيناك أطيب الشراب، ولكنا سننقل إليك الماء والطين- قال: فهم ينقلون إليها ذلك حيث كانت- قال: ألم تر إلى الطين الذي يكون في جوف الخشب؟ فهو ما تأتيها به الشياطين، شكرًا لها(٨).

وهذا الأثر- واللَّه أعلم- إنما هو مما تلقي من علماء أهل الكتاب، وهي وَقفٌ، لا يصدق منها إلا ما وافق الحق، ولا يكذب منها إلا ما خالف الحق، والباقي لا يصدق ولا يكذب.

وقال ابن وهب وأصبغ بن الفرج، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: ﴿**ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته**﴾، قال: قال سليمان عليه السلام لملك الموت: إذا أمرتَ بي فأعلمني. فأتاه فقالَ: يا سليمان؛ قد أمرت بك، قد بقيت لك سويعة؟ فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحًا من قوارير، وليس له[٢] باب، فقام يصلي فاتكأ على عصاه، قال: فدخل عليه ملك الموت، فقبض روحه وهو متوكئ على عصاه، ولم يصنع ذلك فرارًا من ملك الموت- قال: والجن يعملون بين يديه وينظرون إليه، يحسبون أنه حي. قال: فبعث اللَّه عز وجل دابة الأرض، قال: والدابة تأكل العيدان- يقال لها: القادح- فدخلت فيها فأكلتها، حتى إذا أكلت جوف العصا ضعفت، وثقل عليها فخر ميتًا، فلما رأت ذلك الجن انفضوا[٣] وذهبوا، قال: فذلك قوله: ﴿**ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته**﴾.

قال أصبغ: بلغني عن غيره أنها قامت سنة تأكل منها قبل أن يخر.

وقد ذكر غير واحد من السلف نحوًا من هذا، [واللَّه أعلم][٤].

فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ
وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا
الْكَفُورَ (١٧) وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا

---

(٨) تفسير الطبري (٢٢/٧٥ - ٧٦).

---

[١] - في خ، ز: «تشتهين».

[٢] - سقط من: خ.

[٣] - في ز: «انفضت».

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز.

فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾

كانت سبأ ملوكَ اليمن وأهلها، وكانت التبابعة[١] منهم، وبلقيس صاحبة سليمان منهم، وكانوا في نعمة وغبطة في بلادهم وعيشهم، واتساع أرزاقهم وزروعهم وثمارهم. وبعث اللّه إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزقه، ويشكروه بتوحيده وعبادته، فكانوا[٢] كذلك ما شاء اللّه، ثم أعرضوا عما أمروا به، فعوقبوا بإرسال السيل والتفرق في البلاد أيدي سبأ، شذرمَذرَ؛ كما يأتي تفصيله وبيانه قريبًا إن شاء اللّه تعالى وبه الثقة.

قال الإمام أحمد رحمه اللّه(٩) : حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا ابن لهيعة، عن عبد اللّه ابن هُبَيرة، عن عبد الرحمن بن وَعلة[٣]؛ قال: سمعت ابن عباس يقول: إن رجلًا سأل رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم عن سبأ: ما هو؟ رجل أم امرأة أم أرض؟ قال: «**بل هو رجل، ولد عَشَرَة، فسكن اليمن منهم ستة، وبالشام منهم أربعة، فأما اليمانيون فَمَذْحِجٌ، وكِندَةُ، والأزد، والأشعريون وأنمار، وحمير، وأما الشامية فلخم، وجُذام، وعاملة، وغسّان**».

ورواه عَبد، عن الحسن بن موسى، [عن ابن لهيعة][٤] به. وهذا إسناد حسن، ولم يخرجوه. وقد رواه الحافظ أبو عمر بن عبد البر في كتاب «**القصد والأمَمُ، بمعرفة أصول[٥] أنساب العرب والعجم**»، من حديث ابن لهيعة، عن علقمة بن وعلة، عن ابن عباس فذكر نحوه. وقد روى نحوه من وجه آخر.

وقال الإمام أحمد[٦] أيضًا وعبد بن حميد: حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا أبو جَنَاب يحيى ابن أبي حية[٧] الكلبي، عن يحيى بن هانئ بن عروة، عن فروة بن مُسَيك؛ قال: أتيت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فقلت: يا رسول اللّه؛ أقاتل بمقبل قومي مدبرهم؟ قال: «**نعم، فقاتل بمقبل قومك مدبرهم**». فلما وليت دعاني فقال: «**لا تقاتلهم حتى تدعوهم إلى الإسلام**». فقلت: يا رسول اللّه؛ أرأيت سبأ أواد هو، أو رجل، أو[٨] ما هو؟ قال: «**بل رجل من العرب، ولد له عشرة فتَيَامَنَ ستة وتشاءم أربعة، تيامن الأزد، والأشعريون، وحمير، وكندة، ومذحج، وأنمار الذين يقال لهم: بجيلة[٩]، وخثعم. وتشاءم لخم، وجذام، وعاملة،**

(٩) المسند (٣١٦/١).

[١] - في ز: «التتابعة».
[٢] - في ز: «وكانوا».
[٣] - في ز: «وعكة».
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.
[٥] - سقط من: خ، ز.
[٦] - سقط من: ز.
[٧] - بياض في خ، ز.
[٨] - في ز: «أم».
[٩] - في ز: «بجلة».

وغسّان »(١٠) .

وهذا أيضًا إسناد جيد وإن كان فيه أبو جَنَاب[١] الكلبي ، وقد تكلموا فيه . لكن رواه ابن جرير(١١) عن أبي كريب ، عن العنقزيّ ، عن أسباط بن نصر ، عن يحيى بن هانئ المراديّ ، عن عمه أو عن أبيه - يشك أسباط - قال : قدم فروة بن مُسَيك على رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، فذكره .

(طريق أخرى لهذا الحديث) ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، حدثنا ابن وهب ، حدثني ابن لهيعة ، عن توبة بن نَمر[٢] ، عن عبد العزيز بن يحيى أنه أخبره قال : كنا عند عبيدة بن عبد الرحمن بإفريقية فقال يومًا : ما أظن قومًا بأرض إلا هم من أهلها . فقال عليّ بن رباح : كلا ، قد حدثني فلان أن فروة بن مُسَيك الغُطيفي قدم على رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فقال : يا رسول اللّه ؛ إن سبأ قوم كان لهم عز في الجاهلية ، وإني أخشى أن يرتدّوا عن الإسلام ، أفأقاتلهم ؟ فقال : « **ما أمرت فيهم بشيء بعد** » . فأنزلت هذه الآية : ﴿**لقد كان لسبأ في [مسكنهم آية]**[٣]﴾ الآيات ، فقال له رجل : يا رسول اللّه ؛ ما سبأ ؟ فذكر مثل [هذا الحديث الذي][٤] قبله : أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم سُئل عن سبأ : ما هو ؟ أبلد ، أم رجل ، أم امرأة ؟ قال : « **بل رجل ، وَلَد عَشَرَة ، فسكن اليمن منهم ستة ، والشام أربعة ، أما اليمانيون فمذحج ، وكندة ، والأزد ، والأشعريون ، وأنمار ، وحمير غير ما حلها . وأما الشام فلخم ، وجذام ، وغسان ، وعاملة** » .

فيه غرابة من حيث[٥] ذكر الآية بالمدينة ، والسورة مكية كلها ، واللّه[٦] أعلم .

(طريق أخرى) ، قال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا أبو أسامة ، حدثني الحسن بن الحكم ، حدثنا أبو سبرة النخعي ، عن فروة بن مسيك الغطيفي ؛ قال : قال رجل : يا رسول اللّه ؛ أخبرني عن[٧] سبأ : ما هو ؟ أرض ، أم امرأة ؟ قال : « **ليس بأرض ولا امرأة ، ولكنه رجل ولد عشرة من الولد ، فتيامن ستة وتشاءم أربعة ، فأما الذين تشاءموا فلخم وجذام وعاملة وغسان ، وأما الذين تيامنوا فكندة ، والأشعريون ، والأزد ، ومذحج ، وحمير ،وأنمار** » . فقال رجل : ما أنمار ؟ قال : « **الذين منهم خثعم وبجيلة** » .

---

(١٠) مسند الإمام أحمد ، طبعة مؤسسة قرطبة ، حديث (٢٧٨٥٧) ، وهو ساقط من باقي النسخ المطبوعة .
(١١) تفسير الطبري (٧٧/٢٢) .

---

[١] - في ز : « خباب » .
[٢] - في ز : « نمير » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « مساكنهم » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « حديث » .
[٥] - في ز : « حديث » .
[٦] - في ز : « فالله » .
[٧] - سقط من : ز .

ورواه الترمذي في جامعه(١٢)، عن أبي كريب وعبد بن حميد؛ قالا: حدثنا أبو أسامة... فذكره أبسط من هذا، ثم قال: هذا حديث حسن غريب.

وقال أبو عمر بن عبد البر: حدثنا عبد الوارث بن سفيان، حدثنا قاسم بن أصبغ، حدثنا أحمد ابن زهير، حدثنا عبد الوهاب بن نجدة الحوطي، حدثنا ابن كثير - هو عثمان بن كثير - عن الليث بن سعد، عن موسى بن علي، عن يزيد بن حصين، عن تميم الداري؛ أن رجلًا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن سبأ... فذكر مثله، فقوى[١] هذا الحديث وحَسّن.

قال علماء النسب منهم محمد بن إسحاق: اسم سبأ: عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

وإنما سمي سبأ لأنه أول من سبأ في العرب، وكان يقال له: الرائش؛ لأنه أول من غنم في الغزو فأعطى قومه، فسمي الرائش، والعرب تسمي المال: ريشًا ورياشًا. وذكروا أنه بشر برسول الله صلى الله عليه وسلم في زمانه المتقدم، وقال في ذلك شعرًا:

سَيَمْلِكُ بَعْدَنَا مُلْكًا عظيمًا ... نَبِيّ لا يُرَخِّصُ في الحَرَام
وَيَمْلِك بَعْدَه مِنْهُم مُلُوك ... يدينون العبادَ بغير ذام
ويَملك بَعدهم منا مُلُوك ... يَصير المُلك فينَا باقْتسَام[٢]
وَيَمْلِك بَعْدَ قَحْطَان نَبي ... تَقي خَبْتَة[٣] خير الأنام
وسُمّي أحْمَدًا يَالَيْتَ أني ... أعَمَّرُ بَعْدَ مَبْعَثه بِعَام
فأعَضُده وأحبوه بنَصْري ... بكُل مُدَجّج وبكُل رام
متى يَظْهَرْ فَكُونُوا نَاصريه ... وَمَنْ يَلْقَاهُ يُبْلغُهُ سَلامي

ذكر ذلك الهمداني في كتاب «**الإكليل**».

واختلفوا في قحطان على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه من سلالة إرم بن سام بن نوح، واختلفوا في كيفية اتصال نسبه به على ثلاث طرائق.

والثاني: أنه من سلالة عَابر، وهو هود عليه الصلاة والسلام، واختلفوا في كيفية اتصال نسبه به[٤] على ثلاث طرائق أيضًا.

(١٢) تفسير الطبري (٧٦/٢٢ - ٧٧)، وسنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة سبأ، حديث (٣٢٢٢).

[١] - في ز: «تقوى».
[٢] - في ز: «باقتسام».
[٣] - في خ: «حببه».
[٤] - سقط من: ز.

والثالث: أنه من سلالة إسماعيل بن إبراهيم الخليل - عليهما السلام - واختلفوا في كيفية[١] اتصال نسبه به على ثلاث طرائق أيضًا.

وقد ذكر ذلك مستقصى الإمام الحافظ أبو عمر بن عبد البر النَّمري رحمه الله، في كتابه: «**الإنباه على ذكر أصول القبائل الرواه**».

ومعنى قوله عليه السلام: «**كان رجلًا من العرب**»، يعني: العرب العاربة الذين كانوا قبل الخليل عليه السلام، من سلالة سام بن نوح. وعلى القول الثالث: كان من سلالة الخليل عليه السلام، وليس هذا بالمشهور عندهم، والله أعلم.

وفي صحيح البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بنفر من «**أسلَمَ**» ينتضلون، فقال: «**ارموا بني إسماعيل، فإن أباكم كان راميًا**»(١٣).

فأسلم قبيلة من الأنصار، والأنصار[٢] أوسها وخزرجها من غسان من عرب اليمن من سبأ نزلوا بيثرب لما تفرقت سبأ في البلاد، حين بعث الله عليهم سيل[٣] العرم، ونزلت طائفة منهم بالشام، وإنما قيل: لهم: غَسَّان بماء نزلوا عليه؛ قيلَ: باليمن. وقيل: إنه قريب من المُشَلَّل[٤]، كما قال حسان بن ثابت:

إمَّا سَألت فَإنَّا مَعْشَرٌ نُجُبٌ[٥] الأَزْدُ نِسْبَتُنَا، والماء غَسَّانُ

ومعنى قوله: «**ولد له**[٦] **عشرة من العرب**»، أي: كان من نسله هؤلاء العشرة الذين يرجع إليهم أصول القبائل من عرب اليمن، لا أنهم ولدوا من صلبه، بل منهم من بينه وبينه[٧] الأبوان والثلاثة والأقل والأكثر، كما هو مقرر مبين في مواضعه من كتب النسب.

ومعنى قوله: «**فتيامن منهم ستة، وتشاءم منهم أربعة**»، أي: بعد ما أرسل الله عليهم سيل العرم، منهم من أقام ببلادهم، ومنهم من نزح[٨] عنها إلى غيرها. وكان من أمر السد أنه كان الماء يأتيهم من بين جبلين، وتجتمع إليه أيضًا سيول أمطارهم وأوديتهم، فعَمَدَ[٩] ملوكهم الأقادم، فبنوا بينهما سدًّا عظيمًا محكمًا حتى ارتفع الماء، وحُكِمَ على حافات ذينك الجبلين، فغرسوا الأشجار واستغلوا الثمار في غاية ما يكون من الكثرة والحسن. كما ذكره غير واحد من

(١٣) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب: نسبة اليمن إلى إسماعيل حديث (٣٥٠٧) من حديث سلمة، رضي الله عنه.

[١] - سقط من: ز.
[٢] - سقط من: ز.
[٣] - سقط من: ز.
[٤] - في ز: «المسلك».
[٥] - في ز: «نُجُبٌ».
[٦] - سقط من: ز.
[٧] - سقط من: ز.
[٨] - في خ، ز: «نزع».
[٩] - في ز: «فتعمد».

السلف، منهم قتادة: أن المرأة كانت تمشي تحت الأشجار وعلى رأسها مكتل أو زنبيل، وهو الذي تخترف فيه الثمار، فيتساقط من الأشجار في ذلك ما يملؤه[١] من غير أن يحتاج إلى كلفة ولا قُطَّاف، لكثرته ونضجه واستوائه. وكان هذا السد بمأرب: بلدة بينها وبين صنعاء ثلاث مراحل، ويعرف بسد مأرب.

وذكر آخرون أنه لم يكن ببلدهم شيء من الذباب ولا البعوض ولا البراغيث، ولا شيء من الهوام، وذلك لاعتدال الهواء وصحة المزاج وعناية الله بهم، ليوحدوه ويعبدوه، كما قال تعالى: ﴿**لقد كان لسبأ في مسكنهم[٢] آية**﴾، ثم فسرها بقوله: ﴿**جنتان عن يمين وشمال**﴾، أي: من ناحيتَيْ[٣] الجبلين والبلدة بين ذلك، ﴿**كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور**﴾، أي: غفور لكم إن استمررتم[٤] على التوحيد.

وقوله: ﴿**فأعرضوا**﴾، أي: عن توحيد الله وعبادته وشكره على ما أنعم به عليهم، وعدلوا إلى عبادة الشمس، كما قال هدهد سليمان: ﴿**وجئتك من سبأ بنبأ يقين إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون**﴾.

وقال محمد بن إسحاق، عن وهب بن مُنَبِّه: بعث الله إليهم ثلاثة عشر نبيًّا.

وقال السّدّي: أرسل الله إليهم اثني عشر ألف نبي. والله أعلم.

وقوله: ﴿**فأرسلنا عليهم سيل العرم**﴾، قيل المراد بالعرم المياه. وقيل: الوادي. وقيل: الجُرَذ: وقيل الماء الغزير. فيكون من باب إضافة الاسم إلى صفته، مثل: «**مسجد الجامع**» و «**سعيد[٥] كرز**»، حكى ذلك السهيلي.

وذكر غير واحد منهم ابن عباس، ووهب بن منبه، وقتادة، والضحاك: أن الله عز وجل لما أراد عقوبتهم بإرسال العرم عليهم، بعث على السد دابة من الأرض، يقال لها: «**الجُرَذ**» نقبته[٦]. قال وهب بن منبه: وقد كانوا يجدون في كتبهم أن سبب خراب هذا السد هو الجُرَذ فكانوا يرصدون عنده السنانير برهة من الزمان، فلما جاء القدر غلبت الفأر السنانير، وولجت إلى السّدّ فنقبته، فانهار عليهم.

وقال قتادة وغيره: الجُرَذ: هو الخَلْد، نقبت أسافله حتى إذا ضَعف ووَهَى، وجاءت أيام

---

[١] - في خ: «علاه».
[٢] - في ز: «مساكنهم».
[٣] - في ز: «ناحية».
[٤] - في ز: «استمريتم».
[٥] - في ز: «معبد».
[٦] - في ز: «نقبت».

السيول، صَدمَ الماءُ البناءَ فسقط، فانساب الماء في أسفل الوادي، وخرّبَ[١] ما بين يديه من الأبنية والأشجار وغير ذلك، ونضب الماء عن الأشجار التي في الجبلين عن يمين وشمال، فيبست وتحطمت، وتبدلت تلك الأشجار المثمرة الأنيقة النضرة، كما قال اللَّه[٢] تعالى: ﴿**وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط**﴾.

قال ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وعطاء الخراساني، والحسن، وقتادة، والسدي: وهو الأراك، وأُكُله البرير.

﴿**وأثل**﴾، قال العوفي، عن ابن عباس: هو الطَّرفاء.

وقال غيره: هو شجر يشبه الطرفاء. وقيل: هو السَّمرُ. فاللَّه أعلم.

وقوله: ﴿**وشيء من سدر قليل**﴾، لما كان أجودَ هذه الأشجار المبدل بها هو السّدرُ قال: ﴿**وشيء من سدر قليل**﴾، فهذا الذي صار أمر تَيْنِك[٣] الجنتين إليه، بعد الثمار النضيجة والمناظر الحسنة، والظلال العميقة والأنهار الجارية، تبدلت إلى شجر الأراك والطرفاء والسدر ذي الشوك الكثير والثمر القليل. وذلك بسبب كفرهم وشركهم باللَّه، وتكذيبهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل.

ولهذا قال: ﴿**ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور**﴾؟ أي: عاقبناهم بكفرهم.

قال مجاهد: ولا يعاقب إلا الكفور.

وقال الحسن البصري: صدق اللَّه العظيم. لا يعاقب بمثل فعله إلا الكفور.

وقال طاوس: لا يناقش إلا الكفور.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا أبو عمر بن النحاس الرملي، حدثنا حجاج ابن محمد، حدثنا أبو البيداء، عن هشام بن صالح التغلبي[٤]، عن ابن خيرة - وكان من أصحاب علي رضي اللَّه عنه - قال: جزاء المعصية الوهن في العبادة، والضيق في المعيشة، والتعسر في اللذة. قيل: وما التعسر في اللذة؟ قال: لا يصادف لذة حلالًا إلا جاءه من يُنَغّصه إياها.

فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴿١٩﴾ وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ

[١] - في ز: «خربت».
[٢] - سقط من: خ، ز.
[٣] - في ز: «تلك».
[٤] - في ز: «التعلبي».

ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾

يذكر تعالى ما كانوا فيه من الغبطة والنعمة، والعيش الهني الرغيد، والبلاد الرخية، والأماكن الآمنة، والقرى المتواصلة المتقاربة، بعضها من بعض، مع كثرة أشجارها وزروعها وثمارها، بحيث إن مسافرهم لا يحتاج إلى حَمل زاد ولا ماء، بل حيث نزل وجد ماء وثمرًا، ويَقيل في قرية ويبيت في أخرى، بمقدار ما يحتاجون إليه في سيرهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿**وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها**﴾ - قال وهب بن منبه: هي قرى بصنعاء. وكذا قال أبو مالك.

وقال مجاهد، والحسن، وسعيد بن جبير، ومالك عن زيد بن أسلم، وقتادة، والضحاك، والسدي، وابن زيد، وغيرهم: يعني قرى الشام. يعنون أنهم كانوا يسيرون من[١] اليمن إلى الشام في قرى ظاهرة متواصلة[٢].

وقال العوفي، عن ابن عباس: القرى التي باركنا فيها بيت المقدس.

وقال العوفي، عنه أيضًا: هي قرى عربية بين المدينة والشام.

﴿**قرى ظاهرة**﴾، أي: بينة واضحة، يعرفها المسافرون، يَقيلون في واحدة، ويبيتون في أخرى؛ ولهذا قال: ﴿**وقدرنا فيها السير**﴾، أي: جعلناها بحسب ما يحتاج المسافرون إليه، ﴿**سيروا فيها ليالي وأيامًا آمنين**﴾، أي: الأمن حاصل لهم في سيرهم ليلًا ونهارًا.

﴿**فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم**﴾ - وقرأ آخرون: ﴿**بَعِّدْ بين أسفارنا**﴾ - وذلك أنهم بَطروا هذه النعمة - كما قاله ابن عباس، ومجاهد، والحسن، وغير واحد - وأحبُّوا مفاوز ومهامه يحتاجون في قطعها إلى الزاد والرواحل والسير في الحَرُور والمخاوف، كما طلب بنو إسرائيل من موسى أن يخرج الله لهم مما تنبت الأرض، من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها، مع أنهم كانوا في عيش رغيد في مَنّ وسلوى وما يشتهون من [مآكل ومشارب][٣] وملابس مرتفعة، ولهذا قال لهم: ﴿**أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرًا فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله**﴾، وقال تعالى: ﴿**وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها**﴾. وقال تعالى: ﴿**و[٤]ضرب الله مثلًا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس [الجوع والخوف] بما كانوا يصنعون**﴾. وقال في حق هؤلاء: ﴿**وظلموا أنفسهم**﴾، أي: بكفرهم، ﴿**فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق**﴾، أي: جعلناهم حديثًا للناس، وسَمَرًا يتحدثون به من

---

[١] - في ز: «بين».
[٢] - سقط من: ز.
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.
[٤] - سقط من: ز.

خبرهم ،وكيف مكر الله بهم ، وفرق شملهم بعد الاجتماع والألفة والعيش الهنيء ، تفرقوا في البلاد هاهنا وهاهنا ؛ ولهذا تقول العرب في القوم إذا تفرقوا : « **تفرقوا أيدي سبأ** » « **وأيادي سبأ** » و « **تفرقوا شَذَرَمَذَرَ** » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد بن يحيى بن سعيد القطان ، حدثنا إبراهيم بن حبيب ابن الشهيد ، سمعت أبي يقول : سمعت عكرمة يحدث بحديث أهل سبأ ، قال : ﴿ **لقد كان لسبأ في مسكنهم**[١] **آية جنتان** ﴾ إلى قوله : ﴿ **فأرسلنا عليهم سيل العرم** ﴾ : وكانت فيهم كهنة ، وكانت الشياطين يسترقون السمع ، فأخبروا الكهنة بشيء من أخبار السماء ، فكان فيهم رجل كاهن شريف كثير المال ، وإنه خُبّر أن زوال أمرهم قد دنا ، وأن العذاب قد أظلهم . فلم يدر كيف يصنع ، لأنه كان له مال كثير من عقار[٢] ، فقال لرجل من بنيه - وهو أعزهم أخوالًا - : إذا كان غدًا وأمرتك بأمر فلا تفعل ، فإذا انتهرتك فانتهرني ، فإذا تناولتك فالطمني . فقال : يا أبت ؛ لا تفعل ، إن هذا أمر عظيم ، وأمر شديد . قال : يا بني ؛ قد حدث أمر لابد منه .

فلم يزل به[٣] حتى وافاه على ذلك . فلما أصبحوا واجتمع الناس ، قال : يا بني ؛ افعل كذا وكذا . فأبى ، فانتهره أبوه ، فأجابه ، فلم يزل ذلك بينهما حتى تناوله أبوه ، فوثب على أبيه فلطمه ، فقال : ابني يلطمني ؟ . عَلَي بالشفرة ، قالوا : وما تصنع بالشفرة ؟ قال : أذبحه . قالوا : تذبح ابنك ؟! الطمه[٤] أواصنع ما بدا لك . قال : فأبى ، قال : فأرسلوا إلى أخواله فأعلموهم[٥] ذلك ، فجاء أخواله فقالوا : خذ منا ما بدا لك . فأبى إلا أن يذبحه . قالوا : فلتموتن قبل أن تذبحه . قال : فإذا كان الحديث هكذا فإني لا أرى أن أقيم ببلد يحال بيني وبين ولدي فيه ، اشتروا مني دوري ، اشتروا مني أرضي . فلم يزل حتى باع دوره وأراضيه وعقاره ، فلما صار الثمن في يده وأحرزه[٦] ، قال : أي قوم ؛ إن العذاب قد أظلكم ، وزوال أمركم قد دنا ، فمن أراد منكم دارًا جديدًا ، وجملًا شديدًا ، وسفرًا بعيدًا ، فليلحق بعمان . ومن أراد منكم الخَمْر والخَمير والعَصير وكلمة ، - قال إبراهيم : لم أحفظها - فليلحق ببصْرَى ، ومن أراد الراسخات في الوحل ، والمطعمات في المحل ، المقيمات في الضحل[٧] ، فليلحق بيثرب ذات نخل . فأطاعه قومه ، فخرج أهل عمان إلى عمان . وخرجت غسان إلى بصرى . وخرجت الأوس والخزرج وبنو عثمان إلى يثرب ذات النخل . قال : فأتوا على بطن مر فقال بنو عثمان : هذا مكان صالح ، لا نبغي به بدلًا . فأقاموا به ، فسموا لذلك خزاعة ؛ لأنهم انخزعوا من أصحابهم ، واستقامت الأوس والخزرج حتى نزلوا المدينة ، وتوجه أهل عمان إلى عمان وتوجهت غسان إلى بصرى .

---

[١] - في ز : « مساكنهم » .
[٢] - في ز : « عقر » .
[٣] - سقط من : خ ، ز .
[٤] - في ز : « للطمة » .
[٥] - في ز : « فأعلموه » .
[٦] - سقط من : خ ، ز .
[٧] - في ز : « الفحل » .

هذا أثر غريب عجيب، وهذا الكاهن هو عمرو بن عامر أحد رؤساء اليمن وكبراء سبأ وكهانهم.

وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار في أول السيرة ما كان من أمر [عمرو بن][١] عامر الذي كان أول من خرج من بلاد اليمن، بسبب استشعاره بإرسال العَرِم فقال: وكان سبب خروج عمرو بن عامر من اليمن - فيما حدثني أبو زيد الأنصاري - أنه رأى جرذًا يَحفرُ[٢] في سد مأرب، الذي كان يحبس عنهم الماء فيصرفونه حيث شاءوا من أرضهم، فعلم أنه لا بقاء للسد على ذلك، فاعتزم على النُّقْلة عن اليمن فكاد[٣] قومه، فأمر أصغر أولاده إذا أغلظ له ولطمه أن يقوم إليه فيلطمه، ففعل ابنه ما أمره به، فقال عمرو: لا أقيم ببلد لَطَم وجهي فيها[٤] أصغر ولدي. وعرض أمواله، فقال أشراف من أشراف اليمن: اغتنموا غَضْبَةَ عمرو. فاشتروا منه أمواله. وانتقل في ولده وولد ولده. وقالت الأزد[٥]: لا نتخلف عن عمرو بن عامر. فباعوا أموالهم، وخرجوا [معه فساروا][٦] حتى نزلوا بلاد «عك»[٧] مجتازين يرتادون البلدان، فحاربتهم عك، وكانت[٨] حربهم سجَالًا. ففي ذلك يقول عباس بن مرداس السلمي:

وَعَكُّ بنُ عَدنَانَ الذين تَغَلَّبُوا بَغَسَّانَ، حتى طُرِّدُوا كُلَّ مَطْرَد

وهذا البيت من[٩] قصيدة له.

قال: ثم ارتحلوا عنهم فتفرقوا في البلاد، فنزل[١٠] آل جفنة بن عمرو بن عامر الشام، ونزلت الأوس والخزرج يثرب، ونزلت خزاعة مَرًّا. ونزلت أزد السراة السراة[١١]، ونزلت أزد عُمَان عُمَان، ثم أرسل الله على السد السيل فهدمَه، وفي ذلك أنزل الله -عز وجل- هذه الآيات(١٤)[١٢].

وقد ذكر السدي قصة عمرو بن عامر بنحو ما[١٣] ذكر محمد بن إسحاق، إلا أنه قال: «**فأمر ابن أخيه**»، مكان «**ابنه**»، إلى قوله: «فباع ماله وارتحل بأهله، فتفرقوا». رواه ابن أبي حاتم.

(١٤) السيرة النبوية لابن هشام (١٠/١).

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز.
[٢] - في ز: «تحفر».
[٣] - في ز: «وكاد».
[٤] - في ز: «فيه».
[٥] - في ز: «الأسد».
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز.
[٧] - في خ، ز: «محل».
[٨] - في ز: «فكان».
[٩] - في ز: «في».
[١٠] - في خ، ز: «فتفرق».
[١١] - سقط من: ز.
[١٢] - في ز: «الآية».
[١٣] - في ت: «مما».

وقال ابن جرير(١٥) : حدثنا ابن[١] حميد، أخبرنا سلمة[٢] ، عن ابن إسحاق؛ قال: يزعمون أن عمرو بن عامر، وهو عم القوم كان كاهنًا، فرأى في كهانته أن قومه سَيمزَّقون ويباعَدُ بين أسفارهم. فقال لهم: إني قد[٣] علمت أنكم ستمزقون، فمن كان منكم ذا هَمٍّ بعيد وجمل شديد، ومَزَاد جَديد[٤] - فليلحق بكاس أو كرود. قال: فكانت وادعة بن عمرو. ومن كان منكم ذا هَمٍّ مُدْن، وأمر دَعْن، فليلحق بأرض شَنّ. فكانت عوف بن عمرو، وهم الذين يقال لهم: بارق. ومن كان منكم يريد عيشًا آنيا، وحرمًا آمنًا، فليلحق بالأرزين[٥]. فكانت خزاعة، ومن كان منكم يريد الراسيات في الوحل، والمطعمات في المحل، فليلحق بيثرب ذات النخل. فكانت الأوس والخزرج، وهماهذان الحيان من الأنصار. ومن كان منكم يريد خمرًا وخَميرا، وذهبًا وحريرًا، وملكا وتأميرًا، فليلحق بكُوثى وبُصرى، فكانت غسان بنو جَفنة ملوكُ الشام. ومن كان منهم بالعراق.

قال ابن إسحاق: وقد سمعت بعض أهل العلم يقول: إنما قالت[٦] هذه المقالة طريفةُ امرأة عمرو بن عامر، وكانت كاهنة، فرأت في كهانتها ذلك[٧]، فالله أعلم أي ذلك كان.

وقال سعيد، عن قتادة، عن الشعبي: أما غسان فلحقوا بالشام، وأما الأنصار فلحقوا بيثرب، وأما خزاعة فلحقوا بتهامة، وأما الأزد فلحقوا بعمان فمزقهم الله كل ممزق. رواه ابن أبي حاتم وابن جرير.

ثم قال محمد بن إسحاق: حدثني أبو عبيدة؛ قال: قال الأعشى - أعشى بني قيس بن ثعلبة - واسمه: ميمون بن قيس.

وَفي ذَاكَ[٨] لِلمُؤْتَسي[٩] أُسْوَةٌ ... ومَأربُ عَفَّى عليها العَرِمْ
رُخَام بَنَتْهُ لَهُمْ حِمْيرُ ... إذا جاءَ مَوَّارُهُ لم يَرِمْ
فَأرْوَى الزُّرُوعَ وَأعنَابَها ... عَلَى سَعَةٍ مَاؤُهُمْ إذْ قُسِمْ
فَصَارُوا أيَادي مَا يَقْدِرُو ... نَ منه علَى شُربِ طِفْلٍ فُطِم(١٦)

وقوله تعالى: ﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾، أي: إن في هذا الذي حل

(١٥) تفسير الطبري (٨٦/٢٢).
(١٦) السيرة النبوية لابن هشام (١٤/١).

[١] - سقط من: ز.
[٢] - سقط من: خ، ز.
[٣] - سقط من: خ، ز.
[٤] - في ز: «حديد».
[٥] - في ز: «بالأردين».
[٦] - في ز: «قال».
[٧] - سقط من: خ، ز.
[٨] - في ز: «ذلك».
[٩] - في ز: «للمتوسي».

بهؤلاء من النقمة والعذاب، وتبديل النعمة وتحويل العافية، عقوبةً على ما ارتكبوه من الكفر والآثام - لعبرةً ودلالةً لكل عبد صبار على المصائب، شكور على النعم.

قال الإمام أحمد(١٧): حدثنا عبد الرحمن وعبد الرزاق المعنى، قالا: أخبرنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن العَيْزار بن حُرَيْث عن عمر بن سعد، عن أبيه - هو سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«عجبت من قضاء الله للمؤمن، إن أصابه خير حَمدَ رَبَّه وشكر، وإن أصابته مصيبة حَمد ربه وصَبَر، يؤجر المؤمن في كل شيء، حتى في اللقمة يرفعها إلى في امرأته»**.

وقد رواه النسائي في «**اليوم والليلة**»، من حديث أبي إسحاق السَّبيعي به وهو حديث عزيز - من رواية عمر بن سعد، عن أبيه. ولكن له شاهد في الصحيحين من حديث أبي هريرة: **«عجبًا للمؤمن، لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرًا، إن أصابته سراء شكر فكان[١] خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له؛ وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن»**(١٨).

قال عبد: حدثنا يونس، عن شيبان. عن قتادة **﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾**، قال: كان مطرِّف يقول: نعم العبد الصبار الشكور، الذي إذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر.

وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾

لما ذكر تعالى قصة سبأ وما كان من أمرهم في اتباعهم الهوى والشيطان، أخبر عنهم وعن أمثالهم ممن اتبع إبليس والهوى، وخالف الرشاد والهدى، فقال: **﴿ولقد صدَّق عليهم إبليس ظنه﴾**.

قال ابن عباس وغيره: هذه الآية[٢] كقوله تعالى إخبارًا عن إبليس حين امتنع من السجود لآدم، ثم قال: **﴿أرأيتك هذا الذي كرمت علي، لئن أخرتن إلى يوم القيامة، لأحتنكن ذريته**

(١٧) المسند (١/١٧٣)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، باب: ما يقول إذا أصابته مصيبة، حديث (١٠٩٠٦).

(١٨) لم أجده من حديث أبي هريرة، وقد رواه مسلم في صحيحه حديث (٢٩٩٩) من حديث صهيب، رضي الله عنه. وانظر حديث (١٣٣) من سورة الأعراف، آية (٩٥).

[١] - في ز: «وكان». [٢] - سقط من: ز.

إلا قليلًا﴾، ثم قال: **﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾**... والآيات في هذا كثيرة.

و[١]قال الحسن البصري: لما أهبط الله آدم من الجنة ومعه حواء، هبط إبليس فرحًا بما أصاب منهما، وقال: إذا أصبت من الأبوين ما أصبت، فالذرية أضعف وأضعف. وكان ذلك ظنًّا من إبليس، فأنزل الله عز وجل: **﴿ولقد صدَّق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقًا من المؤمنين﴾**، فقال عند ذلك إبليس: «**لا أفارق ابن آدم ما دام فيه الروح، أعدُه وأمَنِّيه وأخدعه**». فقال الله: «**وعزتي، لا أحجب عنه التوبة ما لم يُغرغِر بالموت، ولا يدعوني إلا أجبته، ولا يسألني إلا أعطيته، ولا يستغفرني إلا غفرت له**». رواه ابن أبي حاتم.

وقوله: **﴿وما كان له عليهم من سلطان﴾** - قال ابن عباس: أي من حجة.

وقال الحسن البصري: والله ما ضربهم بعصا، ولا أكرههم على شيء، وما كان إلا غرورا وأماني دعاهم إليها فأجابوه.

وقوله: **﴿إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك﴾**، أي: إنما سلطناه عليهم ليظهرَ أمر من هو مؤمن بالآخرة وقيامها والحساب فيها والجزاء، فيُحسنَ عبادة ربه -عز وجل- في الدنيا، ممن هو منها في شك.

وقوله: **﴿وربك على كل شيء حفيظ﴾**، أي: ومع حفظه ضَلَّ من ضلَّ من أتباع إبليس، وبحفظه وكلاءته سَلِم من سلم من المؤمنين أتباع الرسل.

وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾

يبيّنُ[٢] تعالى أنه الإله[٣] الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لا نظير له ولا شريك له، بل هو المستقل بالأمر وحده، من غير مشارك ولا منازع ولا معارض، فقال: **﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله﴾**، أي: من الآلهة التي عبدت من دونه [**﴿لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض﴾**، كما قال تبارك وتعالى: **﴿والذين تدعون من دونه**][٤] **ما**

[١] - سقط من: ز.
[٢] - في ت: «بيَّنَ».
[٣] - سقط من: ز.
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

يملكون من قطمير﴾ .

وقوله : ﴿**وما لهم فيهما من شرك**﴾ ، أي : لا يملكون شيئًا استقلالًا ولا على سبيل الشركة ، ﴿**وما له منهم من ظهير**﴾ ، أي : وليس للَّه من هذه الأنداد من ظهير يستظهر به في الأمور ، بل الخلق كلهم فقراء إليه ، عبيد لديه .

قال قتادة في قوله : ﴿**وما له منهم من ظهير**﴾ ، من عون يعينه بشيء .

وقال : ﴿**ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له**﴾ ، أي : لعظمته وكبريائه لا يجترئ أحد أن يشفع عنده تعالى في شيء ، إلا بعد إذنه له في الشفاعة ، كما قال تعالى : ﴿**من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه**﴾ ، وقال : ﴿**وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئًا إلا من بعد أن يأذن اللّه لمن يشاء**﴾ ، وقال : ﴿**ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون**﴾ .

ولهذا ثبت في الصحيحين(١٩) ، من غير وجه عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم - وهو سيد ولد آدم ، وأكبر شفيع عند اللّه - أنه حين يقوم المقام المحمود ليشفع في الخلق كلّهم أن يأتي ربّهم لفصل القضاء ، قال : « **فأسجد للّه فيدعني ما شاء اللّه**[١] **أن يدعني ، ويفتح علي بمحامد لا أحصيها الآن ، ثم يقال : يا محمد ؛ ارفع رأسك ، وقل يُسمع ، وسل تُعطَه ، واشفع تشفع** » ... الحديث بتمامه .

وقوله : ﴿**حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق**﴾ . وهذا أيضًا مقام رفيع في العظمة . وهو أنه تعالى إذا تكلم بالوحي ، فسمع أهل السماوات كلامه ، أرْعدوا من الهيبة حتى يلحقهم مثل الغشي . قاله ابن مسعود ومسروق ، وغيرهما .

﴿**[حتى إذا]**[٢] **فزع عن قلوبهم**﴾ ، أي : زال الفزع عنها ، قال ابن عباس ، وابن عمر ، وأبو عبد الرحمن السلمي ، والشعبي ، وإبراهيم النخعي ، والضحاك والحسن ، وقتادة في قوله تعالى : ﴿**حتى إذا فزع عن قلوبهم**﴾ ، يقول : جُلّي عن قلوبهم . وقرأ بعض السلف - وجاء مرفوعًا - : ﴿**حتى إذا فرّغ**﴾ بالغين المعجمة ، ويرجع إلى الأول .

فإذا كان كذلك يسأل[٣] بعضهم بعضًا : ماذا قال ربكم ؟ فيخبر بذلك حملة العرش الذين[٤] يلونهم ، ثم الذين يلونهم لمن تحتهم ، حتى ينتهي الخبر إلى أهل السماء الدنيا ؛ ولهذا قال : ﴿**قالوا الحق**﴾ ، أي : أخبروا[٥] بما قال من غير زيادة ولا نقصان ، ﴿**وهو العلي**

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « فإذا » .
[٣] - في ز : « سأل » .
[٤] - في ز : « للذين » .
[٥] - في ز : « خبروا » .

الكبير﴾.

وقال آخرون: بل معنى قوله: **﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم﴾**، يعني المشركين عند الاحتضار، ويوم القيامة حتى إذا استيقظوا مما كانوا فيه من الغفلة في الدنيا، ورجعت إليهم عقولهم يوم القيامة، قالوا: ماذا قال ربكم؟ فقيل لهم: الحق. وأخبروا به مما كانوا عنه لاهين في الدنيا.

قال ابن أبي نَجيح، عن مجاهد: **﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم﴾**، كشف عنها الغطاء يوم القيامة.

وقال الحسن: **﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم﴾**، يعني: ما فيها من الشك والتكذيب.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: **﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم﴾**، [يعني: ما فيها من الشك،][1] قال: فزع الشيطان عن قلوبهم ومآربهم[2] وأمانيهم وما كان يضلهم، **﴿قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير﴾**، قال: و[3]هذا في بني آدم، هذا عند الموت، أقروا حين لا ينفعهم الإقرار.

وقد اختار ابن جرير القول الأول(٢٠) : أن الضمير عائد على الملائكة. هذا هو الحق الذي لا مرية فيه، لصحة الأحاديث فيه والآثار، ولنذكر منها طرفًا يدل على غيره.

قال البخاري عند تفسير هذه الآية الكريمة في صحيحه(٢١) . حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا عمرو، سمعت عكرمة، سمعت أبا هُرَيرة يقول: إن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: **«إذا قضى اللهُ الأمرَ في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خُضعانًا لقوله: كأنه سلسلة على صفوانٍ، فإذا فُزّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحقّ، وهو العلي الكبير، فيسمعها مُسْتَرِق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض - ووصف سفيان بيده فَحَرّفها وبَدّد بين أصابعه - فيَسمع الكلمة، فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيَها على لسان الساحر[4] أو الكاهن. فربما أدركه الشّهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذْبَة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا**

(١٩) تقدمت أحاديث الشفاعة عند تفسير الآية : ٧٩ من سورة الإسراء .

(٢٠) تفسير الطبري (٩٢/٢٢) .

(٢١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: ﴿ حتى إذا فزع .... ﴾ حديث (٤٨٠٠)، وسنن أبي داود حديث (٣٩٨٩)، وسنن الترمذي حديث (٣٢٢٣)، وسنن ابن ماجه حديث (١٩٤) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٢] - في م : « وفارقهم » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - في خ، ز : « الآخر » .

وكذا، كذا وكذا؟ فيصدّق بتلك الكلمة التي سُمعت من السماء».

انفرد بإخراجه البخاري دون مسلم من هذا الوجه.

وقد رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجة، من حديث سفيان بن عيينة به.

حديث آخر، قال الإمام أحمد(٢٢): حدثنا محمد بن جعفر [ثنا معمر][١] وعبد الرزاق أخبرنا معمر، أخبرنا الزهري، عن علي بن الحسين، عن ابن عباس؛ قال: كان رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم جالسًا[٢] في نفر من أصحابة - قال عبد الرزاق: من الأنصار - فَرُمِيَ بنجم فاستنار، قال[٣]: «**ما كنتم تقولون إذا كان مثلُ هذا في الجاهلية؟**» قالوا: كنا نقول يُولدَ عظيم، أو[٤] يموت عظيم- قلت للزهري: أكان يرمى بها في الجاهلية؟ قال: نعم، ولكن غُلّظت حين بعث النبي صلى اللّٰه عليه وسلم- قال: فقال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم: «**فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا -تبارك وتعالى، إذا قضى أمرًا سبح حَمَلةُ العرش، [ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح هذه الدنيا، ثم يستخير أهل السماء الذين يَلونَ حملة العرش، فيقول الذين يلون حملة العرش لحملة العرش][٥]: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم، ويخبر أهل كل سماء سماء، حتى ينتهي الخبر إلى هذه السماء، وتخطف الجن السمع فيرمون، فما جاءوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يفرقون فيه ويزيدون**».

هكذا[٦] رواه الإمام أحمد. وقد أخرجه مسلم في صحيحه(٢٣)، من حديث صالح بن كيسان، والأوزاعي، ويونس ومعقل بن عبيد[٧] اللّٰه، أربعتهم عن الزهري، عن علي بن الحسين، عن ابن عباس عن رجل من الأنصار به. ورواه[٨] وقال يونس: عن رجال من الأنصار.

وكذا رواه النسائي(٢٤) في «**التفسير**» من حديث الزبيدي، عن الزهري به.

---

(٢٢) المسند (٢١٨/١).

(٢٣) - صحيح مسلم، كتاب السلام، باب: تحريم الكهانة وإتيان العراف حديث (٢٢٢٩).

(٢٤) النسائي في السنن الكبرى حديث (١١٢٧٢).

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من ت.

[٢] - سقط من: خ، ز.

[٣] - سقط من: خ، ز.

[٤] - في ز: «و».

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

[٦] - في ز: «هذا».

[٧] - في خ، ز: «عبد».

[٨] - سقط من: ز.

ورواه الترمذي فيه(٢٥) عن الحُسَين بن حريث، عن الوليد بن مسلم، عن الأوزاعي، عن الزهري، عن عُبيد[١] الله بن عبد الله، عن ابن عباس، عن رجل من الأنصار - رضي الله عنه - والله أعلم.

حديث آخر، قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عوف، وأحمد بن منصور بن سيار الرمادي[٢] - والسياق لمحمد بن عوف - قالا: حدثنا نعيم بن حماد، حدثنا الوليد، هو ابن مسلم، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن عبد الله بن أبي زكرياء، عن رجاء بن حيوة، عن النواس بن سمْعان؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا أراد الله أن يوحي بأمره تكلم بالوحي، فإذا تكلم أخذت السماوات منه[٣] رجفة- أو قال: رعدة شديدة من خوف الله. فإذا سمع بذلك أهل السماوات صعقوا وخروا لله سجدًا، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، فيمضي به جبريل على الملائكة، كلما مَرّ بسماء سماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول: قال: الحقّ، وهو العلي الكبير. فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي حيث أمره الله من السماء والأرض**».

وكذا رواه ابن جرير وابن خُزَيمة(٢٦)، عن زكريا بن أبان المصري، عن نعيم بن حماد به.

قال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: ليس هذا الحديث بالشام عن الوليد بن مسلم رحمه الله.

وقد روى ابن أبي حاتم من حديث العَوفي، عن ابن عباس عن قتادة: أنهما فسرا هذه الآية بابتداء إيحاء الله سبحانه إلى محمد صلى الله عليه وسلم بعد الفترة التي كانت بينه وبين عيسى. ولا شك أن هذا أولى ما دخل في هذه الآية.

قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا

(٢٥) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة سبأ، عقب حديث رقم (٣٢٢٤).

(٢٦) تفسير الطبري (٩٥/٢٢)، والتوحيد لابن خزيمة ص (٩٥)، ورواه ابن أبي عاصم في السنة حديث (٥١٥) من طريق محمد بن عوف، عن نعيم بن حماد، به.

[١] - في خ، ز: «عبد».

[٢] - في ز: «الزيادي».

[٣] - في ز: «منها».

كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾

يقول تعالى مُقررًا [تفردَه بالخلق][١] والرزق، وانفراده بالإلهية أيضًا، فكما كانوا يعترفون بأنه لا يرزقهم من السماء[٢] والأرض- أي: بما ينزل من المطر وينبت من الزرع- [إلا الله][٣]، فكذلك فليعلموا أنه لا إله غيره.

وقوله: ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾، هذا من باب اللف والنشر، أي: واحد من الفريقين مبطل، والآخر محق، لا سبيل إلى أن تكونوا أنتم ونحن على الهدى أو على الضلال، بل واحد منا مصيب، ونحن قد أقمنا البرهان على التوحيد، فدل على بطلان ما أنتم عليه من الشرك بالله؛ ولهذا قال: ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾.

قال قتادة: قد قال ذلك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم للمشركين: والله ما نحن وإياكم على أمر واحد، إن أحد الفريقين لمهتد.

وقال عكرمة، وزياد بن أبي مريم: معناه: إنا نحن لعلى هدى، وإنكم لفي ضلال مبين.

وقوله: ﴿قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون﴾، معناه التبري منهم، أي: لستم منا ولا نحن منكم، بل ندعوكم إلى الله وإلى توحيده وإفراد العبادة له، فإن أجبتم فأنتم منا ونحن منكم، وإن كذبتم فنحن بُرآء منكم وأنتم برآء منا. كما قال تعالى: ﴿فإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون﴾. وقال: ﴿قل يا أيها الكافرون* لا أعبد ما تعبدون* ولا أنتم عابدون ما أعبد، ولا أنا عابد ما عبدتم* ولا أنتم عابدون ما أعبد* لكم دينكم ولي دين﴾.

وقوله: ﴿قل يجمع بيننا ربنا﴾، أي: يوم القيامة، يجمع الخلائق في صعيد واحد، ثم يفتح بيننا بالحق، أي: يحكم بيننا بالعدل، فيجزى كل عامل بعمله، إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر. وستعلمون يومئذ لمن [العزة والنصرة] والسعادة الأبدية، كما قال تعالى: ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون. فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون. وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون﴾؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وهو الفتاح العليم﴾، أي: الحاكم العادل العالم بحقائق الأمور.

وقوله: ﴿قل أرونيَ الذين ألحقتم به شركاء﴾، أي: أروني هذه الآلهة التي جعلتموها لله أندادًا وصَيَّرتموها له عدلًا؟ كلا، أي: ليس له نظير ولا نديد ولا شريك ولا عديل؛ ولهذا

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز: «تفرد بالحق». [٢] - في ز: «السماوات».

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ ز.

قال: ﴿بل هو الله﴾، أي: الواحد الأحد الذي لا شريك له العزيز الحكيم، أي: ذو العزة التي قد قهر بها كل شيء، وَغَلَبت كل شيء، الحكيم في أفعاله وأقواله، وشرعه وقدره، تعالى وتقدس.

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾

يقول تعالى لعبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾، أي: إلا إلى جميع الخلق من المكلفين، كقوله تعالى: ﴿قل: يا أيها الناس، إني رسول الله إليكم جميعًا﴾، ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا﴾، ﴿بشيرًا ونذيرًا﴾، أي: [تبشر من][١] أطاعك بالجنة، وتنذر من عصاك بالنار.

﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾، كقوله تعالى: ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾، ﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله﴾.

قال محمد بن كعب في قوله: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾، يعني إلى الناس عامة.

وقال قتادة في هذه الآية: أرسل الله محمدًا صلى الله عليه وسلم إلى العرب والعجم، فأكرمُهم على الله أطوعهم لله عز وجل.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو عبد الله الطهراني، حدثنا حفص بن[٢] عمر العدني، حدثنا الحكم - يعني ابن أبان - عن عكرمة؛ قال: سمعت ابن عباس؛ يقول: إن الله فضل محمدًا صلى الله عليه وسلم على أهل السماء وعلى الأنبياء. قالوا: يا بن عباس؛ فيم فضله الله على الأنبياء؟ قال: إن الله قال: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾، وقال للنبي صلى الله عليه وسلم: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾، فأرسله الله إلى الجن والإنس.

وهذا الذي قاله ابن عباس قد ثبت في الصحيحين(٢٧) رَفْعهُ عن جابر؛ قال: قال رسول الله

(٢٧) صحيح البخاري، كتاب التيمم حديث (٣٣٥)، وصحيح مسلم، كتاب المساجد، ومواضع الصلاة حديث (٥٢١).

[١] - ما بين المعكوفتين في ز: «بشيرًا لمن». [٢] - في ز: «عن».

صلى الله عليه وسلم: «**أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه، وبعثت إلى الناس عامة**».

وفي الصحيح أيضًا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال: «**بعثت إلى الأسود والأحمر**»[٢٨].

قال مجاهد: يعني الجن والإنس. وقال غيره: يعني العرب والعجم. والكل صحيح.

ثم قال تعالى مخبرًا عن الكفار في استبعادهم قيام الساعة: ﴿**ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين**﴾، كما قال تعالى: ﴿**يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق**﴾ ... الآية.

ثم قال: ﴿**قل: لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون**﴾، أي: لكم ميعاد مؤجل معدود محرر، لا يزداد ولا ينتقص، فإذا جاء فلا يؤخر ساعة ولا يقدم، كما قال تعالى: ﴿**إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر**﴾ وقال ﴿**وما نؤخره إلا لأجل معدود يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد**﴾.

قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾

يخبر تعالى عن تمادي الكفار في طغيانهم وعنادهم وإصرارهم على عدم الإيمان بالقرآن وما أخبر به من أمر المعاد؛ ولهذا قال: ﴿**وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه**﴾، قال الله تعالى متهددًا لهم ومتوعدًا، ومخبرًا عن مواقفهم الذليلة بين يديه في حال تخاصمهم وتحاجهم: ﴿**يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا**﴾ منهم وهم

---

(٢٨) وهو قطعة من حديث جابر السابق عند مسلم في صحيحه حديث (٥٢١).

الأتباع ﴿للذين استكبروا﴾، وهم قادتهم وسادتهم: ﴿لولا أنتم لكنا مؤمنين﴾، أي: لولا أنتم تصدونا لكنا[١] اتبعنا الرسل وآمنا بما جاءونا به. فقال لهم القادة والسادة، وهم الذين استكبروا: ﴿أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم﴾، أي: نحن ما فعلنا بكم ذلك[٢] أكثر من أنَّا دعوناكم فاتبعتمونا من غير دليل ولا برهان، وخالفتم الأدلة والبراهين والحجج التي جاءت بها الأنبياء، لشهوتكم واختياركم لذلك، ولهذا قالوا: ﴿بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار﴾، أي: بل كنتم تمكرون بنا ليلًا ونهارًا، وتَغُرّونا وتُمَنّونا، وتخبرونا أنا على هدى وأنا على شيء، فإذا جميع ذلك باطل وكَذِبٌ ومَين[٣].

قال قتادة، وابن زيد: ﴿بل مكر الليل والنهار﴾، يقول: بل[٤] مكرهم بالليل والنهار. وكذا قال مالك، عن زيد بن أسلم: مكرهم بالليل والنهار.

﴿إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادًا﴾، أي: نظراء وآلهة معه، وتقيموا لنا شُبَهًا وأشياءَ من المحال، تضلونا بها. ﴿وأسروا الندامة لما رأوا العذاب﴾، أي: الجميع من السادة والأتباع، كُلٌّ نَدم على ما سَلَف منه.

﴿وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا﴾، وهي السلاسل التي تجمع أيديهم مع أعناقهم، ﴿هل يجزون إلا ما [كانوا يعملون][٥]﴾، أي: إنما نجازيكم بأعمالكم، كُلّ بحسبه، للقادة عذاب بحسبهم، وللأتباع بحسبهم؛ قال: ﴿لكل ضعف ولكن لا تعلمون﴾.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا فروة بن أبي المغراء، حدثنا محمد بن سليمان ابن الأصبهاني، عن أبي سنان ضرار بن صُرد، عن عبد الله بن أبي الهُذَيل، عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن جهنم لما سيق إليها أهلها تَلَقَّاهم لهبها، ثم لَفَحتهم[٦] لَفحةً فلم يبق لحم إلا سقط على العرقوب**»(٢٩).

وحدثنا أبي، حدثنا أحمد بن أبي الحواري، حدثنا الطيب أبو الحسن، عن الحسن بن يحيى الخُشَني؛ قال: ما في جهنم دار ولا مغار ولا غل ولا سلسلة ولا قيد، إلا اسم صاحبها عليه مكتوب. قال: فحدثتُه أبا سليمان - يعني الداراني، رحمة الله عليه، فبكى ثم قال: ويحك! فكيف به لو جمع هذا كله عليه، فجعل القيد في رجليه، والغُلّ في يديه، والسلسلة في عنقه،

(٢٩) ورواه الطبراني في المعجم الأوسط حديث (٢٧٨، ٩٣٦٥)، وأبو نعيم في الحلية (٣٦٣/٤) من طرق عن محمد بن سليمان الأصبهاني، به. وقال الهيثمي في المجمع (٣٨٩/١٠): «وفيه محمد بن سليمان الأصبهاني وهو ضعيف».

[١] - سقط من: ز.
[٢] - سقط من: ت.
[٣] - في خ: «مبين».
[٤] - في ت: «بكل».
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز: «كنتم تعملون».
[٦] - في ز: «لحقتهم».

ثم أدخل الدار وأدخل المغار[١].

وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ
ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ
أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ
ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا
مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ
مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ
ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟
يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾

يقول تعالى مسليًا لنبيه، وآمرًا له بالتأسي بمن قبله من الرسل، ومخبره بأنه ما بعث نبيًا في قرية إلا كذبه مترفوها، واتبعه ضعفاؤهم، كما قال قوم نوح: ﴿**أنؤمن[٢] لك واتبعك الأرذلون**﴾، ﴿**وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي**﴾، وقال الكبراء من قوم صالح: ﴿**للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحًا مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون * قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون**﴾ وقال تعالى: ﴿**وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منَّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين**﴾ وقال: ﴿**وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها**﴾، وقال: ﴿**وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها**﴾.

وقال هاهنا: ﴿**وما أرسلنا في قرية من نذير**﴾، أي: نبي أو رسول ﴿**إلا قال مترفوها**﴾، وهم أولو النعمة والحشمة والثروة والرياسة.

قال قتادة: هم جبابرتهم وقادتهم ورءوسهم في الشر. ﴿**إنا بما أرسلتم به كافرون**﴾، أي: لا نؤمن به ولا نتبعه.

قال ابن أبي حاتم(٣٠): حدثنا علي بن الحسين، حدثنا هارون بن إسحاق، حدثنا محمد

(٣٠) ورواه ابن أبي شيبة وابن المنذر كما في الدر المنثور (٧٠٤/٦) ووقع في الدر: «ابن زيد» بدل: «أبو رزين».

[١] - في ز: «الغار». [٢] - في ز: «لن نؤمن».

ابن عبد الوهاب، عن سفيان، عن عاصم، عن أبي رزين؛ قال: كان رجلان شريكين[١]، خرج أحدهما إلى الساحل وبقي الآخر، فلما بعث النبي صلى اللّٰه عليه وسلم كتب إلى صاحبه يسأله: ما فعل؟ فكتب إليه أنه لم يتبعه أحد من قريش، إنما اتبعه أراذل الناس ومساكينهم. قال: فترك تجارته ثم أتى صاحبه فقال: دلني عليه - قال: وكان يقرأ الكتب، أو بعض الكتب - قال: فأتى النبي صلى اللّٰه عليه وسلم فقال: إلام تدعو؟ فقال: إلى كذا وكذا. قال: أشهد أنك رسول اللّٰه. قال: «**وما علمك بذلك؟**» قال: إنه لم يبعث نبي إلا اتبعه رُذَالة الناس ومساكينهم. قال: فنزلت هذه الآية: ﴿**وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون**﴾، قال: فأرسل إليه النبي صلى اللّٰه عليه وسلم: إن اللّٰه قد أنزل تصديق ما قلت.

وهكذا قال هرقل لأبي سفيان حين سأله عن تلك المسائل، قال فيها: وسألتك: أضعفاء الناس اتبعه أم أشرافهم؟ فزعمت: بل ضعفاؤهم، وهم أتباع الرسل.

وقوله تعالى إخبارًا عن المترفين المكذبين: ﴿**وقالوا نحن أكثر أموالًا وأولادًا وما نحن بمعذبين**﴾، أي: افتخروا بكثرة الأموال والأولاد، واعتقدوا أن ذلك دليل على محبة اللّٰه لهم واعتنائه بهم، وأنه ما كان ليعطيهم هذا في الدنيا، ثم يعذبهم في الآخرة، وهيهات لهم ذلك. قال اللّٰه: ﴿**أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين. نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون**﴾. وقال: ﴿**فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد اللّٰه ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون**﴾. وقال تعالى: ﴿**ذرني ومن خلقت وحيدًا وجعلت له مالًا ممدودًا وبنين شهودًا ومَهَّدت له تمهيدًا ثم يطمع أن أزيد كلا إنه كان لآياتنا عنيدًا سأرهقه صعودًا**﴾.

وقد أخبر اللّٰه عن صاحب تينك الجنتين؛ أنه كان ذا مال وولد وثمر، ثم لم تُغن عنه شيئًا، بل سُلب ذلك كله في الدنيا قبل الآخرة، ولهذا قال تعالى هاهنا: ﴿**قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر**﴾ أي يعطي المال لمن يحب ومن لا يحب، فيفقر من يشاء ويغني من يشاء، وله الحكمة التامة البالغة والحجة الدامغة القاطعة ﴿**ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾.

ثم قال: ﴿**وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى**﴾ أي: ليست هذه دليلًا على محبتنا لكم، ولا اعتنائنا بكم.

قال الإمام أحمد رحمه اللّٰه(٣١): حدثنا كُثير، حدثنا جعفر، حدثنا يزيد بن الأصم، عن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه قال: قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم: «**إن اللّٰه لا ينظر إلى**

(٣١) المسند (٢/٥٣٩)، وصحيح مسلم وكتاب البر والصلة، والآداب، حديث (٢٥٦٤)، وسنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب: القناعة حديث (٤١٤٣).

[١] - في ت: «شريكان».

صوركم وأموالكم، ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

رواه مسلم وابن ماجة، من حديث كثير بن هشام، عن جعفر بن بُرْقَان[١] به.

ولهذا قال: ﴿**إلا من آمن وعمل صالحاً**﴾، أي: إنما يقربكم عندنا زلفى الإيمانُ والعمل الصالح، ﴿**فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا**﴾، أي: تضاعف لهم الحسنة بعشر[٢] أمثالها، إلى سبعمائة ضعف. ﴿**وهم في الغرفات آمنون**﴾. [أي: في منازل الجنة العالية آمنون][٣] من كل بأس وخوف وأذىً، ومن كل شر يُحذر منه.

قال ابن أبي حاتم(٣٢): حدثنا أبي، حدثنا فروة بن أبي المغراء الكندي، حدثنا القاسم وعلي ابن مُسهر، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن النعمان بن سعد، عن علي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن في الجنة لَغرفًا ترى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها**». فقال أعرابي: لمن هي؟ قال: «**لمن طيب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام**».

﴿**والذين يسعون في آياتنا معاجزين**[٤]﴾، أي: يسعون في الصد عن سبيل الله، واتباع الرسل والتصديق بآياته: ﴿**فأولئك في العذاب محضرون**﴾، أي: جميعهم مَجْزيون[٥] بأعمالهم فيها بحسبهم.

وقوله: ﴿**قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له**﴾، أي: بحسب مَالَه في ذلك من الحكمة، [يبسط على هذا من المال كثيرًا، ويضيق على هذا ويقتر عليه رزقه جدًّا، وله في ذلك من الحكمة][٦] مالا يدركها غيره، كما قال تعالى: ﴿**انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض، وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً**﴾، أي: كما هم متفاوتون في الدنيا: هذا فقير مدقع، وهذا غنى مُوَسَّع عليه، فكذلك هم في الآخرة: هذا في الغُرفات في أعلى الدرجات، وهذا في الغَمَرَات في أسفل الدركات. وأطيب الناس في الدنيا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**قد أفلح من أسلم ورُزق كَفَافًا، وقنَّعه الله بما آتاه**». رواه مسلم من حديث ابن عمرو(٣٣)[٧].

(٣٢) ورواه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب: ما جاء في قول المعروف، حديث (١٩٨٤) من طريق على ابن مسهر، عن عبد الرحمن بن إسحاق بأطول منه، وقال: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن إسحاق، وقد تكلم أهل الحديث في عبد الرحمن بن إسحاق هذا من قبل حفظه وهو كوفي». قلت: وله شواهد من حديث عبد الله بن عمرو وأبي مالك الأشعري، رضي الله عنهم.

(٣٣) صحيح مسلم، كتاب الزكاة حديث (١٠٥٤).

[١] - في خ: «رومان» في ز: «رمان».
[٢] - في ت: «بعشرة».
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.
[٤] - في ز: «معجزين».
[٥] - في ز: «مجتزئون».
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.
[٧] - في ز: «عمر».

وقوله: ﴿ **وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه** ﴾، أي: مهما أنفقتم من شيء فيما أمركم به وأباحه لكم، فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالجزاء والثواب، كما ثبت في الحديث: « **يقول الله تعالى: أنفق أُنفِق عليك** »(٣٤). وفي الحديث « أن ملكين يصيحان[١] كل يوم، يقول أحدهما: اللهم أعط ممسكًا تلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط منفقًا خلفًا »(٣٥). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « **أنفق بلال[٢]، ولا تخش من ذي العرش إقلالًا** »(٣٦).

وقال ابن أبي حاتم ذكر[٣] عن يزيد بن عبد العزيز الفلاس حدثنا هشيم عن الكوثر[٤] بن حكيم، عن مكحول قال: بلغني عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **ألا إن بعدكم زمان عضوض، يعض الموسر على ما في يديه[٥] حذار الإنفاق** ». ثم تلا هذه الآية: ﴿ **وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه، وهو خير الرازقين** ﴾(٣٧).

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي(٣٨): حدثنا روح بن حاتم، حدثنا هُشَيم، عن الكوثر بن حكيم، عن مكحول قال: بلغني عن حذيفة أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **ألا إن بعد زمانكم هذا زمان عضوض، يعض الموسر على ما في يديه حذار الإنفاق** »، قال الله تعالى: ﴿ **وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين** ﴾، وَيَنْهَل شرار الخلق يبايعون كل مضطر، ألا إن بيع المضطرين حرام، [ألا إن بيع المضطرين حرام][٦]، المسلم أخو المسلم،

---

(٣٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، حديث (٤٦٨٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة حديث (٩٩٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة حديث (١٤٤٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة حديث (١٠١٠) من حديث أبي هريرة، رضي اله عنه.

(٣٦) جاء عن جماعة من الصحابة، فرواه الطبراني في المعجم الكبير (٣٤٠/١) من طريق قيس بن الربيع، عن أبي حصين، عن يحيى بن وثاب، عن مسروق، عن ابن مسعود، رضي الله عنه، وقيس بن الربيع ضعفوه. ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٣٤٢/١)، وأبو يعلى في مسنده (٤٢٩/١٠)، وأبو نعيم في الحلية (٢٨٠/٢) عن هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، رضي الله عنه. ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٣٥٩/١) من طريق أبي إسحاق عن مسروق عن بلال، رضي الله عنه، وفيه ابن زبالة وهو ضعيف.

(٣٧) ذكره السيوطي في الدر (٧٠٧/٦) وقال: « أخرج أبو يعلى وابن أبي حاتم وابن مردويه بسند ضعيف فذكره ».

(٣٨) ذكره الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٢٦١/١) وعزاه لأبي يعلى في مسنده.

---

[١] - في ت: « يتصيحان ».

[٢] - في ت: « بلالًا ».

[٣] - سقط من: ت.

[٤] - في ز: « المكوثر ».

[٥] - في ت: « يده ».

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز.

لا يظلمه ولا يخذله، إن كان عندك معروف، فَعُد به على أخيك، وإلا فلا تزده هلاكًا إلى هلاكه».

هذا حديث غريب من هذا الوجه، وفي إسناده ضعف.

وقال سفيان الثوري، عن أبي يونس الحسن بن يزيد قال: قال مجاهد: لا يتأولن[١] أحدكم هذه الآية: ﴿و[٢]**ما أنفقتم من شيء فهو يخلفه**﴾: إذا كان عند أحدكم ما يقيمه فليقصد فيه، فإن الرزق مقسوم.

قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًىۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾

يخبر تعالى أنه يقرع المشركين يوم القيامة على رءوس الخلائق، فيسأل الملائكة الذين كان المشركون يزعمون أنهم يعبدون الأنداد التي هي على صور الملائكة ليقربوهم إلى الله زلفى، فيقول للملائكة: ﴿**أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون**﴾، أي: أنتم أمرتم هؤلاء بعبادتكم؟ كما قال في سورة الفرقان: ﴿**أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل**﴾؟ وكما يقول لعيسى: ﴿**أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق**﴾.

وهكذا تقول الملائكة: ﴿**سبحانك**﴾، أي[٣]: تعاليت وتقدست عن أن يكون معك إله. ﴿**أنت ولينا من دونهم**﴾، أي: نحن عبيدك ونبرأ إليك من هؤلاء، ﴿**بل كانوا يعبدون الجن**﴾، يعنون الشياطين [لأنهم هم][٤] الذين يزينون لهم عبادة الأوثان ويضلونهم[٥]، ﴿**أكثرهم بهم مؤمنون**﴾، كما قال تعالى: ﴿**إن يدعون من دونه إلا إناثًا وإن يدعون إلا شيطانًا**[٦] **مريدًا**﴾ قال الله تعالى: ﴿**فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعًا ولا ضرًّا**﴾، أي: لا يقع لكم نفع ممن كنتم ترجون نفعه اليوم من الأنداد والأوثان، التي ادخرتم عبادتها لشدائدكم

[١] - في ز: «يتناولن».
[٢] - سقط من: ز.
[٣] - في ز: «و».
[٤] - في ز: «ثم».
[٥] - في ز: «يضلوهم».
[٦] - في ز: «شيطان».

وكُرَبكم، اليوم لا يملكون لكم نفعًا ولا ضرًا، ﴿ونقول للذين ظلموا﴾ - وهم المشركون - ﴿ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون﴾، أي: يقال لهم ذلك، تقريعًا وتوبيخًا.

وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾

يخبر تعالى عن الكفار أنهم يستحقون منه العقوبة والأليم من العذاب، لأنهم كانوا إذا تتلى عليهم آياته بينات يسمعونها غَضَّةً[١] طرية من لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، ﴿قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم﴾، يعنون أن دين آبائهم هو الحق، وأن ما جاءهم به الرسول عندهم باطل - عليهم وعلى آبائهم لعائن الله - ﴿وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى﴾، يعنون القرآن ﴿وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين﴾. قال الله تعالى: ﴿وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير﴾، أي: ما أنزل الله على العرب من كتاب قبل القرآن، وما أرسل إليهم نبيًّا قبل محمد صلى الله عليه وسلم، وقد كانوا يَوَدّون ذلك ويقولون: لو جاءنا نذير أو أنزل علينا كتاب، لكنا أهدى من غيرنا، فلما مَنَّ الله عليهم بذلك كذبوه وعاندوه وجحدوه. ثم قال: ﴿وكذب الذين من قبلهم﴾، أي: من الأمم، ﴿وما بلغوا معشار ما آتيناهم﴾ - قال ابن عباس: أي من القوة في الدنيا. وكذلك[٢] قال قتادة، والسدّي وابن زيد. كما قال تعالى: ﴿ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعًا وأبصارًا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾، ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة﴾، أي: وما دفع ذلك عنهم عذاب الله ولا رده، بل دمر الله عليهم لما[٣] كذبوا رسله، ولهذا قال: ﴿فكذبوا رسلي فكيف كان نكير﴾، أي: كيف كان نكالي وعقابي وانتصاري لرسلي؟.

قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ

---

[١] - في خ، ز: «محضة». [٢] - في ز: «كذا».

[٣] - في ز: «ما».

شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾

يقول تعالى: قل يا محمد لهؤلاء الكافرين الزاعمين أنك مجنون: ﴿**إنما أعظكم بواحدة**﴾، أي: إنما آمركم بواحدة، وهي: ﴿**أن تقوموا للَّه مثنىٰ وفرادىٰ ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة**﴾، أي: تقوموا قيامًا خالصًا للَّه، من غير هوى ولا عصبية، فيسأل بعضكم بعضا: هل بمحمد من جنون؟ فينصح بعضكم بعضًا، ﴿**ثم تتفكروا**﴾، أي: ينظر الرجل لنفسه في أمر محمد صلى اللَّه عليه وسلم ويسأل غيره من الناس عن شأنه إن أشكل عليه، ويتفكر في ذلك، ولهذا قال: ﴿**أن تقوموا للَّه مثنىٰ وفرادىٰ، ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة**﴾.

هذا معني ما ذكره مجاهد، ومحمد بن كعب، والسدي، وقتادة، وغيرهم، وهذا هو المراد من الآية. فأما الحديث الذى رواه ابن أبي حاتم:

حدثنا أبي، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا صدقة بن خالد، حدثنا عثمان بن أبي العاتكة، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة: أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم كان يقول: «**أعطيت ثلاثًا لم يعطهن مَن قبلي ولا فخر: أحلت لي الغنائم، ولم تحل لمن قبلي، كانوا قبلي يجمعون غنائمهم فيحرقونها. وبُعثت إلى كل أحمر وأسود، وكان كل نبي يبعث إلى قومه، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، أتيمم بالصعيد، وأصلي حيث أدركتني الصلاة، قال اللَّه: ﴿أن تقوموا للَّه مثنى وفرادى﴾ وأعنت بالرعب مسيرة شهر بين يدي**».

فهو حديث ضعيف الإسناد، وتفسير الآية بالقيام في الصلاة في جماعة وفرادىٰ، بعيد، ولعله مقحم في[١] الحديث من بعض الرواة، فإن أصله ثابت في الصحاح وغيرها(٣٩)، واللَّه أعلم.

وقوله: ﴿**إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد**﴾- قال البخاري عندها(٤٠):

حدثنا علي بن عبد اللَّه، حدثنا محمد بن خَازم[٢]، حدثنا الأعمش، عن عمرو بن مُرّة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: صَعدَ النبي صلى اللَّه عليه وسلم الصفا ذات يوم، فقال: يا صباحاه! فاجتمعت إليه قريش، فقالوا: ما لك؟ فقال: أرأيتم لو[٣] أخبرتكم أن العدو يُصَبِّحكم أو يُمَسِّيكم، أما كنتم تصدقوني؟ قالوا: بلى؟ قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب

(٣٩) سبق تخريج حديث جابر، رضي الله عنه، في الصحيحين عند تفسير الآية: ٢٨ من هذه السورة.
(٤٠) صحيح البخاري، كتاب التفسير حديث (٤٨٠١).

[١] - في ز: «من». [٢] - في خ: «محازم»، وفي ز: «حازم».
[٣] - في ز: «إن».

شديد: فقال أبو لهب: تبًا لك! ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله: ﴿**تبت يدا أبي لهب**﴾.

وقد تقدم عند قوله: ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾.

وقال الإمام أحمد(٤١): حدثنا أبو نعيم، حدثنا بشير بن المهاجر، حدثني عبد الله بن بريدة، عن أبيه قال: خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا فنادى ثلاث مرات فقال: «**أيها الناس تدرون ما مثلي ومثلكم؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**إنما مثلي ومثلكم مثل قوم**[١] **خافوا عدوًّا يأتيهم، فبعثوا رجلًا يتراءى لهم، فبينما هو كذلك أبصر العدو، فأقبل لينذرهم وخشي أن يدركه العدو قبل أن ينذر قومه، فأهوى بثوبه: أيها الناس، أوتيتم. أيها الناس، أوتيتم. ثلاث مرات**».

وبهذا الإسناد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**بعثت أنا والساعة جميعًا، إن كادت لتسبقني**». تفرد به الإمام أحمد في مسنده(٤٢).

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (٤٨) قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ (٤٩) قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ۖ وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ (٥٠) وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ (٥١)﴾

يقول تعالى آمرًا رسوله أن يقول للمشركين: ﴿**ما سألتكم من أجر فهو لكم**﴾، أي: لا أريد منكم جعلًا ولا عطاءًا على أداء رسالة الله إليكم، ونصحي إياكم، وأمركم بعبادة الله، ﴿**إن أجرى إلا على الله**﴾، أي: إنما أطلب ثواب ذلك عند الله، ﴿**وهو على كل شيء شهيد**﴾، أي: عالم بجميع الأمور، بما أنا عليه من إخباري عنه بإرساله إياي إليكم، وما أنتم عليه.

وقوله: ﴿**قل إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب**﴾، كقوله تعالى: ﴿**يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده**﴾. أي: يرسل الملك إلى من يشاء من عباده من أهل الأرض، وهو

(٤١) المسند (٣٤٨/٥) (٢٣٠٥٤). ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ١٨٨) وعزاه لأحمد وقال: «ورجاله رجال الصحيح».

(٤٢) - المسند (٣٤٨/٥) (٢٣٠٥٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣١١) وقال: «رواه أحمد والبزار؛ إلا أنه قال: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**». وضم أصبعيه السبابة والوسطى، ورجال أحمد رجال الصحيح.

[١] - في ز: «قومًا».

علام الغيوب، فلا تخفى عليه خافية في السماوات ولا في الأرض.

وقوله: ﴿**قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد**﴾، أي: جاء الحق من الله والشرع العظيم، وذهبَ الباطل وزهق واضمحل، كقوله: ﴿**بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه**﴾، ولهذا لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد الحرام يوم الفتح، ووجد تلك الأصنام منصوبة حول الكعبة، جعل يَطعُن الصنم بسِيَة قَوْسه، ويقرأ: ﴿**وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا**﴾، ﴿**قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد**﴾.

رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وحده عند هذه الآية، كلهم من حديث الثوري، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن أبي معمر عبد الله بن سَخْبَرَة، عن ابن مسعود به(٤٣).

أي: لم يبق للباطل مقالة ولا رياسة ولا كلمة.

وزعم قتادة والسدي: أن المراد بالباطل هاهنا إبليس، أي: إنه لا يخلق أحدًا ولا يعيده، ولا يقدر على ذلك. وهذا وإن كان حقًا ولكن ليس هو المراد هاهنا، والله أعلم.

وقوله: ﴿**قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي**﴾، أي: الخير كله من عند الله، وفيما أنزله الله عز وجل من الوحي والحق المبين فيه الهدى والبيان والرشاد، ومن ضل فإنما يضل من تلقاء نفسه، كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لما سئل عن تلك المسألة في المفوّضة: أقول فيها برأيي، فإن يكن صوابًا فمن الله، وإن يكن خطأً فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه(٤٤).

وقوله: ﴿**إنه سميع قريب**﴾، أي: سميع لأقوال عباده، قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، وقد روى النسائي هاهنا حديث أبي موسى الذي في الصحيحين: «**إنكم لا تدعون أصمّ ولا غائبًا، إنما تدعون سميعًا قريبًا مجيبًا**»(٤٥).

وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ

(٤٣) صحيح البخاري، كتاب المظالم حديث (٢٤٧٨)، وكتاب المغازي (٤٢٨٧)، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير حديث (١٧٨١)، وسنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، حديث (٣١٣٨)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، حديث (١١٤٢٨).

(٤٤) انظر الأثر في المسند (٤٧٧/١).

(٤٥) النسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير حديث (١١٤٢٧)، وصحيح البخاري، كتاب المغازي، حديث (٤٢٠٥) وصحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار حديث (٢٧٠٤).

﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ٥٤﴾

يقول تعالى: ولو ترى- يا محمد- إذ فَزِع هؤلاء المكذبون يوم القيامة، ﴿فلا فوت﴾، أي: فلا مفر لهم، ولا وزر ولا ملجأ. ﴿وأخذوا من مكان قريب﴾، أي: لم يُمكّنوا أن يُمعِنُوا في الهرب، بل أخذوا من أول وهلة.

قال الحسن البصري: «حين خرجوا من قبورهم».

وقال مجاهد، وعطية العوفي، وقتادة: «من تحت أقدامهم».

وعن ابن عباس والضحاك: «يعني عذابهم في الدنيا».

وقال عبد الرحمن بن زيد: «يعني قتلهم يوم بدر».

والصحيح أن المراد بذلك يوم القيامة، وهو الطامة العظمىٰ، وإن كان ما ذكر متصلًا[١] بذلك.

وحكى ابن جرير عن بعضهم قال: إن المراد بذلك جيش يخسف[٢] بهم بين مكة والمدينة في أيام بني العباس. ثم أورد في ذلك حديثًا موضوعًا بالكلية. ثم لم ينبه على ذلك، وهذا أمر عجيب غريب منه.

﴿وقالوا آمنا به﴾، أي: يوم القيامة يقولون: آمنا بالله وبكتبه ورسله. كما قال تعالى: ﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون﴾، ولهذا قال تعالى: ﴿وأنى لهم التناوش من مكان بعيد﴾، أي: وكيف لهم [ ][٣] تعاطي الإيمان وقد بعدوا عن محل قبوله منهم وصاروا إلى الدار[٤] الآخرة، وهي دار الجزاء لا دار الابتلاء، فلو كانوا آمنوا في الدنيا لكان ذلك نافعهم، ولكن بعد مصيرهم إلى الدار الآخرة لا سبيل لهم إلى قبول الإيمان، كما لا سبيل إلى حصول الشيء لمن يتناوله من بعيد.

قال مجاهد: ﴿وأنى لهم التناوش﴾، قال: التناول لذلك.

وقال الزهري: التناوش: تناولهم الإيمان وهم في الآخرة، وقد انقطعت عنهم الدنيا[٥].

وقال الحسن البصري: أما إنهم طلبوا الأمر من حيث لا ينال، تعاطوا الإيمان من مكان بعيد.

---

[١] - في ز: «متصل».

[٢] - في خ: «خسف»، وفي ز: «حشف».

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز: «عن».

[٤] - سقط من: ز.

[٥] - سقط من: خ، ز.

وقال ابن عباس: طلبوا الرجعة إلى الدنيا والتوبة مما هم فيه، وليس بحين رجعة ولا توبة.

وكذا قال محمد بن كعب القرظي رحمه الله.

وقوله: ﴿**وقد كفروا به من قبل**﴾، أي: كيف يحصل لهم الإيمان في الآخرة، وقد كفروا بالحق في الدنيا، وكذبوا الرسل؟.

﴿**ويقذفون بالغيب من مكان بعيد**﴾، قال مالك، عن زيد بن أسلم: ﴿**ويقذفون بالغيب**﴾، قال: بالظن.

قلت: كما قال تعالى: ﴿**رجمًا بالغيب**﴾، فتارة يقولون: شاعر. وتارة يقولون: كاهن. وتارة يقولون: ساحر. وتارة يقولون مجنون إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة ويكذبون بالغيب والنشور والمعاد: ﴿**ويقولون إن نظن إلا ظنًا وما نحن بمستيقنين**﴾.

قال قتادة: يرجمون بالظن، لا بعث ولا جنة ولا نار.

وقوله: ﴿**وحيل بينهم وبين ما يشتهون**﴾، قال الحسن البصري، والضحاك، وغيرهما: يعني الإيمان.

وقال السدي: ﴿**وحيل بينهم وبين ما يشتهون**﴾، وهي: التوبة. وهذا اختيار ابن جرير، رحمه الله.

وقال مجاهد: ﴿**وحيل بينهم وبين ما يشتهون**﴾ من هذه الدنيا، من مال وزهرة وأهل.

وروي عن ابن عباس وابن عمر والربيع بن[١] أنس. وهو قول البخاري وجماعة.

والصحيح أنه لا منافاة بين القولين، فإنه قد حيل بينهم وبين شهواتهم في الدنيا وبين[٢] ما طلبوه في الآخرة، فمنعوا منه.

وقد ذكر ابن أبي حاتم هاهنا أثرًا غريبًا عجيبًا جدًا، فلنذكره بطوله فإنه قال: حدثنا محمد ابن يحيى، حدثنا بشر بن حجر السامي، حدثنا علي بن منصور الأنباري، عن الشَرَقَى بن قُطَامى، عن سعد بن طريف، عن عكرمة، عن ابن عباس في قول الله عز وجل: ﴿**وحيل بينهم وبين ما يشتهون**﴾ إلى آخر الآية، قال: كان رجل من بنى إسرائيل فاتحًا أي: فتح الله له مالًا - فمات فورثه ابن له تافه - أي: فاسد - فكان يعمل في مال الله بمعاصي الله. فلما رأى ذلك إخوان أبيه أتوا الفتى فعذلوه ولاموه، فضجر الفتى فباع عقاره بصامت، ثم رحل فأتى عينًا

---

[١] - في خ: «و».

[٢] - في خ: «وهى».

ثجاجَة فسرح فيها ماله، وابتنى قصرًا. فبينما هو ذات يوم جالس إذ شَملت عليه ريح[١] بامرأة من أحسن الناس وجهًا وأطيبهم أرَجًا - أي: ريحًا - فقالت: من أنت يا عبد اللّٰه؟ فقال: أنا امرؤ من بني إسرائيل. قالت: فلك هذا القصر، وهذا المال؟ قال: نعم، قالت: فهل لك من زوجة؟ قال: لا. قالت: فكيف يَهْنيك العيش ولا زوجة لك؟ قال: قد كان ذلك. فهل لك من بَعل؟ قالت: لا. قال: فهل لك إلى أن أتزوجك؟ قالت: إني امرأة منك على مسيرة ميل، فإذا كان غد فتزود زاد يوم وأتني، وإن رأيت في طريقك هولًا فلا يَهُولنَّكَ. فلما كان من الغد تزود زاد يوم، وانطلق فانتهى إلى قصر، فقرع رتاجه، فخرج إليه شاب من أحسن الناس وجهًا وأطيبهم أرَجًا - أي: ريحًا - فقال: من أنت يا عبد اللّٰه؟ فقال: أنا الإسرائيلي. قال: فما حاجتك؟ قال: دعتني صاحبة هذا القصر إلى نفسها. قال: صدقت، فهل رأيت في طريقك هولًا[٢]؟ قال: نعم، ولولا أنها أخبرتني أن لا بأس عليَّ لهالني الذي رأيت. [قال: ما رأيت؟][٣] قال: أقبلت حتى إذا انفرج بي السبيل إذ أنا بكلبة فاتحة فاها، ففزعت، فَوَثَبت فإذا أنا من ورائها، وإذا جراؤها ينبحن في بطنها، فقال له الشاب: لست تدرك هذا، هذا يكون في آخر الزمان، يقاعد الغلام المشيخة في مجلسهم ويبتزهم[٤] حديثهم.

قال: ثم أقبلت حتى إذا[٥] انفرج بي السبيل، إذا أنا بمائة عنز حُفَّل[٦]، وإذا فيها جدي يمصّها، فإذا أتى عليها وظن أنه لم يترك شيئًا، فتح فاه يلتمس الزيادة. فقال[٧]: لست تدرك هذا، هذا يكون في آخر الزمان، ملك يجمع صامت الناس كلّهم، حتى إذا ظن أنه لم يترك شيئًا فتح فاه يلتمس الزيادة.

قال: ثم أقبلت حتى إذا[٨] انفرج بي السبيل إذا أنا[٩] بشجر، فأعجبني غصن من شجرة منها ناضر، فأردت قطعه، فنادتني شجرة أخرى: «**يا عبد اللّٰه، مني فخذ**». حتى ناداني الشجر أجمع: «**يا عبد اللّٰه؛ منا فخذ**». قال: لست تدرك هذا، هذا يكون في آخر الزمان، يقل الرجال ويكثر النساء، حتى إن الرجل ليخطب امرأة فتدعوه العشر والعشرون إلى أنفسهن.

قال: ثم أقبلت حتى إذا انفرج بي السبيل إذا أنا برجل قائم على عين، يغرف لكل إنسان من الماء، فإذا تَصَدّعوا عنه صَبَّ في جَرَّته فلم تَعلَق جَرَّتُه من الماء بشيء. قال: لست تدرك هذا، هذا يكون في آخر الزمان، القاص يعلم الناس العلم ثم يخالفهم إلى معاصي اللّٰه.

---

[١] - سقط من: خ.
[٢] - سقط من: خ، ز.
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.
[٤] - في ت: «يبذهم».
[٥] - سقط من: خ، ز.
[٦] - في ز: «جُفَّل».
[٧] - في ز: «قال».
[٨] - سقط من: خ، ز.
[٩] - سقط من: ز.

قال: ثم أقبلت حتى إذا انفرج بي السبيل إذا أنا بعنز، وإذا قوم[١] قد أخذوا بقوائمها، وإذا رجل قد أخذ بقرنيها، وإذا رجل قد أخذ بذنَبها، وإذا رجل قد ركبها، وإذا رجل يحلبها. فقال: أما العنز فهي الدنيا، والذين أخذوا بقوائمها يتساقطون من عيشها، وأما الذي قد أخذ بقرنيها فهو يعالج من عيشها ضيقًا، وأما الذي أخذ بذنبها فقد أدبرت عنه، وأما الذي[٢] ركبها فقد تركها. وأما الذي يحلبها فَبخٍ بخ، ذهب ذلك بها.

قال: ثم أقبلت حتى إذا انفرج بي السبيل، و[٣]إذا أنا برجل يمْتح على قَليب، كلما أخرج دلوه صبَّه في الحوض، فانساب الماء راجعًا إلى القليب. قال: هذا رجل رَدّ الله صالح عمله، فلم يقبله.

قال: ثم أقبلت حتى إذا انفرج بي السبيل، إذا أنا برجل يبذُر بذرًا فيستحصد، فإذا حنطة طيبة. قال: هذا رجل قبل الله صالح عمله، وأزكاه له.

قال: ثم أقبلت حتى إذا انفرج بي السبيل، إذا أنا برجل مستلق على قفاه، قال[٤]: يا عبد الله، ادن مني فخذ بيدي وأقعدني، فوالله ما قعدت منذ خلقني الله - عز وجل - فأخذت بيده، فقام يسعى حتى ما أراه. فقال له الفتى: هذا عمر الأبعد نَفَد، أنا[٥] ملك الموت [وأنا المرأة التي أتتك][٦] ... أمرني الله عز وجل بقبض روح الأبعد في هذا المكان، ثم أصيره[٧] إلى نار جهنم. قال: ففيه نزلت هذه: ﴿**وحيل بينهم وبين ما يشتهون**﴾ الآية.

هذا أثر غريب(٤٦)، وفي صحته نظر، وتنزيل الآية عليه وفي حقه بمعنى أن الكفاركلهم يتوفون[٨] وأرواحهم متعلقة بالحياة الدنيا، كما جرى لهذا المغرور المفتون، ذهب بطلب[٩] مراده فجاءه الموت فجأة بغتة، وحيل بينه وبين ما يشتهي.

وقوله: ﴿**كما فعل بأشياعهم من قبل**﴾، أي: كما جرى للأمم الماضية المكذبة للرسل، لما جاءهم بأس الله تمنوا أن لو آمنوا فلم يقبل منهم، ﴿**فلما رأوا بأسنا قالوا: آمنا بالله وحده، وكفرنا بما كنا به مشركين* فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده. وخسر هنالك الكافرون**﴾.

(٤٦) الأثر ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/٧١٦) وعزاه لابن أبي حاتم.

[١] - في ت: « بقوم ».
[٢] - بعده في خ، ز: « قد ».
[٣] - سقط من: ز.
[٤] - في ز: « فقال ».
[٥] - سقط من: خ، ز.
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.
[٧] - في ز: « أصبره ».
[٨] - في خ: « يتوقفون ».
[٩] - في ز: « يطلب ».

وقوله: ﴿**إنهم كانوا في شك مريب**﴾، أي: كانوا في الدنيا في شك وريبة، فلهذا لم يتقبل منهم الإيمان عند معاينة العذاب.

قال قتادة: إياكم والشك والريبة! فإنه من مات على شك بعث عليه، ومن مات على يقين بعث عليه.

آخر تفسير سورة سبأ، ولله الحمد والمنة.

☆ ☆ ☆

تفسير سورة فاطر

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ①﴾

قال سفيان الثوري، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: كنت لا أدري ما فاطر السموات والأرض، حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أنا بدأتها. فقال ابن عباس أيضًا: ﴿**فاطر السموات والأرض**﴾، بديع السموات والأرض(١).

وقال الضحاك: كل شيء في القرآن: فاطر السموات والأرض؛ فهو خالق السموات والأرض(٢).

وقوله: ﴿**جاعل الملائكة رسلًا**﴾، أي: بينه وبين أنبيائه، ﴿**أولي أجنحة**﴾، أي: يطيرون بها ليبلغوا ما أمروا به سريعًا ﴿**مثنى وثلاث ورباع**﴾، أي: منهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة، ومنهم من له أكثر من ذلك، كما جاء في الحديث: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى جبريل ليلة الإسراء وله ستمائة جناح، بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب(٣). ولهذا قال: ﴿**يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير**﴾.

قال السدي: يزيد في الأجنحة وخلقهم ما يشاء. وقال الزهري، وابن جريج في قوله: ﴿**يزيد في الخلق ما يشاء**﴾، يعني: حسن الصوت. رواه عن الزهري[١] البخاري في الأدب، وابن أبي حاتم في تفسيره(٤).

---

(١) - رواه أبو عبيد في فضائله ص (٣٤٥)، والبيهقي في شعب الإيمان برقم (١٦٨٢) من طريق يحيى بن سعيد، عن سفيان، به. وأورده السيوطي في الدر (٤٥٨/٥) وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٢) - أخرجه ابن أبي حاتم كما عزاه إليه السيوطي في الدر (٤٥٨/٥).

(٣) - تقدم في سورة الإسراء.

(٤) - وأورده السيوطي (٤٥٨/٥) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، والبيهقي في الشعب.

---

[١] - في خ، ز: «السدي».

وقُرِئَ في الشاذ: (يزيد في الحلق)، بالحاء المهملة، والله أعلم.

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾

يخبر تعالى أنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا مانع لما أعطى، ولا معطى لما منع.

قال الإمام أحمد(٥): حدثنا علي بن عاصم، حدثنا مغيرة، أخبرنا عامر، عن وَرَّاد[١] - مولى المغيرة بن شعبة - قال: كتب معاوية إلى المغيرة بن شعبة: اكتب إليَّ بما سمعتَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم. فدعاني المغيرة فكتبت إليه: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من الصلاة قال: «**لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجدّ**». وسمعته ينهى عن: «**قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال، وعن وأد البنات، وعقوق الأمهات، ومَنْع وَهَات**».

وأخرجاه من طرق عن وَرَّاد[٢] به.

وثبت في صحيح مسلم(٦) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا رفع رأسه من الركوع يقول: «**سمع الله لمن حمده، اللهم ربنا لك الحمد، [ملء السموات وملء الأرض][٣]، وملء ما شئت من شيء بعد. اللهم، أهلَ الثناء والمجد. أحقّ ما قال العبد - وكلنا لك عبد - اللهمّ لا مانع لما أعطيت، ولامعطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجدّ منك الجدّ**».

وهذه الآية كقوله تعالى: **﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو، وإن يردك بخير فلا راد لفضله﴾**. ولهذا نظائر كثيرة.

وقال الإمام مالك(٧): كان أبو هريرة إذا مُطروا يقول: مُطرنا بنَوء الفتح، ثم يقرأ هذه

(٥) - رواه أحمد ١٨٢٨٥ - (٢٥٤/٤)، ١٨١٩١ - (٢٤٥/٤)، والبخاري في الأذان برقم (٨٤٤)، وأطرافه (٦٣٣٠، ٦٤٧٣، ٦٦٥١، ٧٢٩٢)، ومسلم في المساجد، ومواضع الصلاة برقم (٥٩٣).
(٦) - مسلم في الصلاة برقم (٤٧٧).
(٧) - الموطأ (١٩٢/١).

[١] - في ز: «وارد». [٢] - في ز: «وارد».
[٣] - ما بين المعكوفتين في ت: «ملء السماء والأرض».

الآية: ﴿**ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم**﴾. ورواه ابن أبي حاتم، عن يونس، عن ابن وهب، عنه.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾

ينبه تعالى عباده ويرشدهم إلى الاستدلال على توحيده في إفراد العبادة له، كما أنه المستقل بالخلق والرزق فكذلك فَلْيفرد بالعبادة، ولا يشرك به غيره من الأصنام والأنداد والأوثان. ولهذا قال: ﴿**لا إله إلا هو فأنى تؤفكون**﴾، أي: فكيف تؤفكون بعد هذا البيان، ووضوح هذا البرهان، وأنتم بعد هذا تعبدون الأنداد والأوثان؟.

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾

يقول: وإن يكذبوك -يا محمد- هؤلاء المشركون بالله ويخالفوك[١] فيما جئتهم به من التوحيد، فلك فيمن[٢] سلف قبلك من الرسل أسوة؛ فإنهم كذلك جاءوا قومهم بالبينات وأمروهم بالتوحيد فكذبوهم وخالفوهم، ﴿**وإلى الله ترجع الأمور**﴾، [أي: وسنجزيهم][٣] على ذلك أوفر الجزاء.

ثم قال: ﴿**يا أيها الناس إن وعد الله حق**﴾، أي: المعاد كائن لا محالة، ﴿**فلا تغرنكم الحياة الدنيا**﴾، أي: العيشة الدنيئة[٤] بالنسبة إلى ما أعد الله لأوليائه وأتباع رسله من الخير العظيم فلا تَتَلَهوا[٥] عن ذلك الباقي بهذه الزهرة الفانية، ﴿**ولا يغرنكم بالله الغرور**﴾، وهو الشيطان، قاله ابن عباس. أي: لا يفتننكم الشيطان ويصرفنكم عن اتباع رسل الله وتصديق كلماته، فإنه غرّار كذاب أفاك. وهذه الآية كالآية التي في آخر لقمان: ﴿**فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور**﴾.

---

[١] - في ز: «ويخالفونك».
[٢] - في ز: «ممن».
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز: «وستجزيهم».
[٤] - في ز: «الدنية».
[٥] - في ز: «تلتهوا».

قال مالك، عن زيد بن أسلم: هو الشيطان. كما قال: يقول المؤمنون للمنافقين يوم القيامة حين يضرب ﴿ بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور﴾.

ثم بين تعالى عداوة إبليس لابن آدم فقال: ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوًا﴾، أي: هو مبارز لكم بالعداوة، فعادوه أنتم أشد العداوة، وخالفوه وكذبوه فيما يغركم به، ﴿إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾، أي: إنما يقصد أن يضلكم حتى تدخلوا معه إلى عذاب السعير، فهذا هو العدو المبين. فنسأل الله القوى العزيز أن يجعلنا أعداء الشيطان، وأن يرزقنا اتباع كتابه، والاقتفاء بطريق رسوله، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير. وهذه كقوله: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً﴾.

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾

لما ذكر تعالى أن أتباع إبليس مصيرهم إلى السعير، ذكر بعد ذلك أن [الذين كفروا لهم][١] عذاب شديد، لأنهم أطاعوا الشيطان وعَصَوا الرحمن، وأن الذين آمنوا بالله ورسله ﴿وعملوا الصالحات لهم مغفرة﴾، أي: لما كان منهم من ذنب، ﴿وأجر كبير﴾ على ما عملوه من خير.

ثم قال: ﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنًا﴾، يعني كالكفار والفجار، يعملون أعمالًا سيئة، وهم في ذلك يعتقدون ويحسبون أنهم يحسنون صنعًا، أي: أفمن[٢] كان هكذا قد أضله الله، ألك فيه حيلة؟ لا حيلة لك فيه، ﴿فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء﴾، أي: بقدره كان ذلك، ﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات﴾، أي: لا تأسف على ذلك فإن الله حكيم[٣] في قدره إنما يضل من يضل ويهدي من يهدي، لما له في ذلك من الحجة

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز: «للذين كفروا». [٢] - في ز: «فمن».

[٣] - في ز: «حليم».

البالغة، والعلم التام، ولهذا قال: ﴿**إن الله عليم بما يصنعون**﴾.

وقال ابن أبي حاتم عند هذه الآية: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن عوف الحمصي، حدثنا محمد بن كثير، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي[١] عمرو السيباني[٢] [أو: ربيعة]، عن عبد الله بن الديلمي[٣] قال: أتيت[٤] عبد الله بن عمرو، وهو في حائط بالطائف يقال له: الوهط، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إن الله خلق خلقه في ظلمة، ثم ألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من نوره يومئذٍ فقد اهتدىٰ، ومن أخطأه منه ضل، فلذلك أقول: جف القلم على ما علم الله عز وجل**»(٨).

ثم قال: حدثنا يحيى بن عبدك القزويني، حدثنا حسان بن حسان البصري، حدثنا إبراهيم ابن بشر[٥]، حدثنا يحيى بن مَعنٍ، حدثنا إبراهيم القرشي، عن سعيد[٦] بن شرحبيل، عن زيد ابن أبي أوفى قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «**الحمد لله الذي يهدي من الضلالة، ويلبس الضلالة على من أحب**»(٩).

---

(٨) - رواه الطيالسي ٥٧ - (٣١/١) من طريق ابن المبارك، وأحمد (١٧٦/٢)، والحاكم (٣٠/١ - ٣١) من طريق أبي إسحاق الفزاري، والحاكم (٣٠/١ - ٣١) من طريق الوليد بن مزيد، ومحمد بن كثير المصيصي. ورواه ابن حبان في صحيحه (١٨١٢) «موارد»، من طريق ابن المبارك، جميعهم عن الأوزاعي، عن ربيعة بن يزيد، عن عبد الله الديلمي، بنحوه.

ورواه الترمذي في السنن برقم (٢٦٤٤) من طريق إسماعيل بن عياش، عن يحيى بن أبي عمرو السيباني، عن عبد الله الديلمي، بنحوه، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن».

ورواه أحمد (١٩٧/٢) من طريق أبي المغيرة، ثنا محمد بن مهاجر، أخبرنا عروة بن رويم، عن عبد الله الديلمي، به نحوه.

(٩) - إبراهيم بن بشر، قال أبو حاتم (٩٠/٢): هو مجهول، ويحيى مجهول. وهذا الحديث هو جزء من حديث طويل في المؤاخاة بين الصحابة، رواه البخاري في التاريخ الصغير (٢٥٠/١) فقال: حدثنا حسان بن حسان، عن إبراهيم بن بشر، عن يحيى بن [معنٍ] المدني، عن إبراهيم القرشي، عن سعيد بن شرحبيل، عن زيد بن أبي أوفى فذكره، ثم قال بعدما أورده: «وهذا إسناد مجهول لا يتابع عليه، ولا يعرف سماع بعضهم من بعض». ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢٠/٥) من طريق عبد المؤمن بن عباد، عن يزيد ابن معن، عن عبد الله بن شرحبيل، عن رجل من قريش، عن زيد بن أبي أوفى بطوله، ورواه ابن الأثير في أسد الغابة (٢٧٨/٢) من طريق شعيب بن يونس، عن موسى بن صهيب، عن يحيى بن زكريا، عن عبدالله بن شرحبيل، عن رجل من قريش، عن زيد بن أبي أوفى. وقال ابن السكن: روي حديثه من ثلاث طرق، ليس فيها ما يصح. وقال ابن عبد البر في الاستيعاب (٤١/٤) في ترجمة زيد: روىٰ حديثَ المؤاخاة بتمامه؛ إلا أنَّ في إسناده ضعفًا.

---

[١] - سقط من: خ، ز.
[٢] - في ز: «الشيباني».
[٣] - في خ، ز: «الديلي».
[٤] - سقط من: ز.
[٥] - في ت، والجرح والتعديل: «بشير».
[٦] - في ت: «سعد».

وهذا أيضًا حديث غريب جدًا.

﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ (٩) مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ (١٠) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١١)﴾

كثيرًا ما يستدل تعالى على المعاد بإحيائه الأرض بعد موتها - كما في سورة الحج ينبه عباده أن يعتبروا بهذا على ذلك، فإن الأرض تكون ميتة هامدة لا نبات فيها، فإذا أرسل إليها السحاب تحمل الماء وأنزله عليها، ﴿**اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج**﴾، كذلك الأجساد[١]، إذا أراد اللَّه سبحانه بعثها ونشورها، أنزل من تحت العرش مطرًا يعم[٢] الأرض جميعًا فتنبت الأجساد في قبورها كما ينبت الحب في الأرض ولهذا جاء في الصحيح: «**كل ابن آدم يبلى[٣] إلا عَجْبُ[٤] الذَّنَب، منه خلق ومنه[٥] يركب**». ولهذا قال تعالى: ﴿**كذلك النشور**﴾.

وتقدم في «**الحج**» حديث أبي رَزِين قلت: يا رسول اللَّه، كيف يحيي اللَّه الموتى؟ وما آية ذلك في خلقه؟. قال: «**يا أبا رزين، أما مررت بوادي قومك محلًا[٦] ثم مررت به يهتز خضِرًا؟**» قلت: بلى. قال: «**فكذلك يحيي اللَّه الموتى**».

وقوله: ﴿**من كان يريد العزة فلله العزة جميعًا**﴾، أي: من كان يحب أن يكون عزيزًا في الدنيا والآخرة، فليلزم[٧] طاعة اللَّه فإنه يحصل له مقصوده، لأن اللَّه مالك الدنيا والآخرة، وله العزة جميعها [كما قال تعالى: ﴿**الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة للَّه جميعًا**﴾][٨].

---

[١] - في خ، ز: «الأجسام».
[٢] - في ز: «فعم».
[٣] - سقط من: خ.
[٤] - في ز: «عجم».
[٥] - في ز: «وفيه».
[٦] - في ز: «ممحلًا».
[٧] - في ز: «فليزم».
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

وقال تعالى: ﴿ولا يحزنك قولهم إن العزة للّه جميعًا﴾، وقال: ﴿وللّه العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون[١]﴾.

قال مجاهد: ﴿من كان يريد العزة﴾ بعبادة الأوثان، ﴿فإن العزة للّه جميعًا﴾.

وقال قتادة: ﴿من كان يريد العزة فإن العزة للّه جميعًا﴾، أي: فليتعزز بطاعة اللّه عز وجل.

وقيل: من كان يريد علم العزة، لمن هي؟ ﴿فإن العزة للّه جميعًا﴾، حكاه ابن جرير.

وقوله: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾، يعني: الذكر والتلاوة والدعاء. قاله غير واحد من السلف.

وقال ابن جرير: حدثني محمد بن إسماعيل الأحمسي، أخبرني جعفر بن عون، عن عبد الرحمن بن عبد اللّه المسعودي، عن عبد اللّه بن المخارق، عن أبيه المخارق بن سليم قال: قال لنا عبد اللّه - هو ابن مسعود - إذا حدثناكم حديثًا أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب اللّه: إن العبد المسلم إذا قال: «سبحان اللّه وبحمده، والحمد للّه، و[٢] لا إله إلا اللّه، و[٣] اللّه أكبر، تبارك اللّه[٤]»، أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه، ثم صَعد بهن إلى السماء فلا يمرّ بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن، حتى يجيء بهن وجه الرحمن عز وجل، ثم قرأ عبد اللّه: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾.

وحدثني يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن عُلية، أخبرنا سعيد[٥] الجُرَيْري، عن عبد اللّه بن شقيق قال: قال كعب الأحبار: إن لـ «سبحان اللّه، والحمد للّه، ولا إله إلا اللّه، واللّه أكبر» لدويًّا حول العرش كدويّ النحل، يُذَكِّرن بصاحبهن، والعمل الصالح في الخزائن(١٠).

وهذا إسناد صحيح إلى كعب الأحبار رحمه اللّه، وقد روي مرفوعًا.

قال الإمام أحمد(١١): حدثنا ابن نمير، حدثنا موسى - يعني بن مسلم الطحان - عن عون ابن عبد اللّه، عن أبيه - أو: عن أخيه - عن النعمان بن بشير قال: قال رسول اللّه صلى اللّه

(١٠) - تفسير ابن جرير (٢٢/١٢٠).

(١١) - المسند ١٨٤١٥ - (٤/٢٦٨) ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/٢٨٩). والدَّوِيُّ: صوت ليس بالعالي. نهاية [٢/١٤٣].

[١] - في ز: «يفقهون».

[٢] - سقط من: ز.

[٣] - سقط من: ز.

[٤] - سقط من: خ.

[٥] - بعده في ز «بن».

عليه وسلم: «**الذين يذكرون الله من جلال الله ، من تسبيحه وتكبيره وتحميده وتهليله، يتعاطفن حول العرش، لهن دوي كدوي النحل، يذكرون بصاحبهن ؛ ألا يحب**[١] **أحدكم أن لا يزال**[٢] **له عند الله شيء يذكر به**».

وهكذا رواه ابن ماجة(١٢) عن أبي بشر[٣] بكر بن خلف، عن يحيى بن سعيد القطان، عن موسى بن أبي عيسى[٤] الطحان، عن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن أبيه - أو: عن أخيه - عن النعمان بن بشير، به[٥] .

وقوله: ﴿**والعمل الصالح يرفعه**﴾، قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: الكلم الطيب: ذكر الله ، يصعد به إلى الله عز وجل، [والعمل الصالح أداء فرائضه][٦] ومن ذكر الله ولم يؤد فرائضه، رد كلامه على عمله، فكان أولى به.

وكذا قال مجاهد: العمل الصالح[٧] يرفع الكلام الطيب. وكذا قال أبو العالية، وعكرمة، وإبراهيم النخعي، والضحاك، والسدي، والربيع بن أنس، وشهر بن حوشب، وغير واحد. وقال إياس بن معاوية القاضي: لولا العمل الصالح لم يرفع الكلام. وقال الحسن، وقتادة: لا يقبل قول إلا بعمل.

وقوله: ﴿**والذين يمكرون السيئات**﴾، قال مجاهد، وسعيد بن جبير، وشهر بن حوشب: هم المراءون بأعمالهم، يعني يمكرون بالناس، يوهمون أنهم في طاعة الله ، وهم بُغَضاء إلى الله عز وجل، يراءون بأعمالهم، ﴿**ولا يذكرون الله إلا قليلا**﴾. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هم المشركون.

والصحيح أنها عامة، والمشركون داخلون بطريق الأولى. ولهذا قال: ﴿**لهم عذاب شديد، ومكر أولئك هو يبور**﴾،أي: يفسد ويبطل ويظهر زيفهم عن قريب لأولى البصائر والنهى، فإنه ما أسرَّ عبد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه، وما أسر أحد سريرة إلا كساه الله رداءها، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر. فالمرائي لا يروج أمره ويستمر إلا على غبي، أما المؤمنون المتفرسون فلا يروج ذلك عليهم، بل يُكشَفُ لهم عن قريب، وعالم الغيب لا تخفى عليه خافية.

(١٢) - أخرجه ابن ماجة في كتاب الأدب، باب: فضل التسبيح، حديث (٣٨٠٩)، (١٢٥٢/٢)، وقال البوصيري في الزوائد (١٩٣/٣): «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات».

[١] - في ز: «يحبن» والمثبت موافق للمسند.

[٢] - في خ، ز: «يكون» والمثبت موافق للمسند. [٣] - بعده في ز: «بن».

[٤] - سقط من: خ، ز. [٥] - سقط من: خ، ز.

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز. [٧] - سقط من: ز.

وقوله: ﴿**والله خلقكم من تراب، ثم من نطفة**﴾، أي: ابتدأ خلق أبيكم آدم من تراب، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ﴿**ثم جعلكم أزواجًا**﴾، أي: ذكرًا وأنثى، لطفًا منه ورحمة أن جعل لكم أزواجًا من جنسكم، لتسكنوا إليها.

وقوله: ﴿**وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه**﴾، أي: هو عالم بذلك، لا يخفى عليه من ذلك شيء، بل ﴿**ما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض، ولا رطب ولا يابس، إلا في كتاب مبين**﴾.

وقد تقدم الكلام على قوله تعالى: ﴿**الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام**﴾، إلى قوله: ﴿**المتعال**﴾.

وقوله: ﴿**وما يعمر من معمر، ولا ينقص من عمره إلا في كتاب**﴾، أي: ما يعطى بعض النطف من العمر الطويل يعلمه، وهو عنده في الكتاب الأول، ﴿**وما ينقص من عمره**﴾ [الضمير عائد][١] على الجنس، لا على العين، لأن العين الطويل العمر في الكتاب وفي[٢] علم الله لا ينقص من عمره، وإنما عاد الضمير على الجنس.

قال ابن جرير: وهذا كقولهم: «**عندي ثوب ونصفه**»، أي: ونصف آخر.

وروى من طريق العَوْفي، عن ابن عباس(١٣) في قوله: ﴿**وما يعمر من معمَّر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك [على الله يسير**﴾، يقول: ليس أحد قضيت له طول عُمُر وحياة إلا وهو بالغ ما قدرت له من العمر وقد قضيت ذلك][٣] له، فإنما ينتهي إلى الكتاب الذي قدرت لا يزاد عليه، وليس أحد قَضَيتُ له أنه قصير العمر والحياة ببالغ العمر، ولكن ينتهي إلى الكتاب الذي كتبت له، فذلك قوله: ﴿**ولا ينقص من عمره إلا في كتاب، إن ذلك على الله يسير**﴾، يقول: كل ذلك في كتاب عنده. وهكذا قال الضحاك بن مزاحم.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه: ﴿**ولا ينقص من عمره إلا في كتاب**﴾، قال: ما لَفَظت الأرحام من الأولاد من غير تمام. وقال عبد الرحمن في تفسيرها: ألا ترى الناس، يعيش الإنسان مائة سنة، وآخر يموت حين يولد، فهذا هذا. وقال قتادة: والذي ينقص من عمره: فالذي يموت قبل ستين سنة. وقال مجاهد: ﴿**وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب**﴾، أي: في بطن أمه يكتب له ذلك، لم يخلق الخلق على عمر واحد، بل[٤] لهذا عمر، ولهذا عمر هو أنقص من عمره، وكل ذلك مكتوب لصاحبه، بالغ ما بلغ.

(١٣) - تفسير الطبري (١٢٢/٢٢).

[١] - ما بين المعكوفتين في ز: «عائد الضمير». [٢] - في ز: «أن».
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز.
[٤] - سقط من: ز.

وقال بعضهم: بل معناه: ﴿**وما يعمر من معمر**﴾، أي: ما يكتب من الأجل ﴿**ولا**[١] **ينقص من عمره**﴾، وهو ذهابه قليلًا قليلًا، الجميع معلوم عند اللّه سنة بعد سنة، وشهرًا بعد شهر، وجمعة بعد جمعة، ويومًا بعد يوم،وساعة بعد ساعة، الجميع مكتوب عند اللّه في كتاب.

نقله ابن جرير عن أبي مالك (١٤). وإليه ذهب السدي، وعطاء الخراساني. واختار ابن جرير الأول، وهو كما قال.

وقال النسائي عند تفسير هذه الآية الكريمة: حدثنا أحمد بن يحيى بن أبي زيد بن سليمان، سمعت ابن وهب، يقول: حدثني يونس، عن ابن شهاب، عن أنس بن مالك رضي اللّه عنه قال: سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقول: «**من سره أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أجله فليصل رحمه**».

وقد رواه البخاري ومسلم وأبو داود، من حديث يونس بن يزيد الأيلي به(١٥).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين[٢]، حدثنا الوليد بن عبد الملك بن عبيد اللّه أبو مسرح، حدثنا [عثمان بن عطاء][٣]، عن مسلمة[٤] بن عبد اللّه، عن عمه أبي مَشْجَعَةَ ابن ربعي، عن أبي الدرداء - رضي اللّه عنه - قال: ذكرنا عند رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فقال: «**إن اللّه لا يؤخر نفسًا إذا جاء أجلها، وإنما زيادة العمر بالذرية الصالحة يرزقها العبد، فيدعون له من بعده، فيلحقه دعاؤهم في قبره، فذلك زيادة العمر**»(١٦).

وقوله: ﴿**إن ذلك على اللّه يسير**﴾، أي: سهل عليه يسير، لديه علمه بذلك وبتفصيله

---

(١٤) - تفسير الطبري (١٢٣/٢٢).

(١٥) - رواه النسائي في السنن الكبرى برقم (١١٤٢٩)، والبخاري في البيوع برقم (٢٠٦٧)، ومسلم في البر والصلة والآداب برقم (٢٥٥٧)، وأبو داود برقم (١٦٩٣).

(١٦) - رواه العقيلي في الضعفاء (١٣٤/٢) في ترجمة سليمان بن عطاء، وقال: لا يتابع عليه بهذا اللفظ، وقد رُوي بمتن هذا الإسناد بلفظ: «**الولد الصالح يتركه الرجل فيدعو له فيلحقه دعاؤه**» من طريق صالح الإسناد، والكلام الأول في الحديث ليس بمحفوظ. ورواه كذلك ابن عدي (١١٣٣/٣) وقال: ولسليمان ابن عطاء عن مسلمة، عن عمه أبي مشجعة، عن أبي الدرداء وغيره، غير ما ذكرت من الحديث، وفي بعض أحاديثه وليس بالكثير مقدار ما يرويه بعض الإنكار كما ذكره البخاري. وقال البخاري: سليمان بن عطاء في حديثه بعض مناكير.

---

[١] - في ز: «ما». [٢] - بعده في خ، ز: «بن الوليد».

[٣] - عند ابن عدي، والعقيلي: سليمان بن عطاء. [٤] - في ز: «سلمة».

جميع مخلوقاته، فإن علمه شامل لجميع ذلك لا يخفى [عليه منه] شيء.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾

يقول تعالى منبها على قدرته العظيمة في خلقه الأشياء المختلفة: و[١]خلق البحرين العذب الزلال، وهو هذه الأنهار السارحة بين الناس، من كبار وصغار، بحسب الحاجة إليها في الأقاليم والأمصار، والعمران والبراري والقفار، وهي عذبة سائغ شرابها لمن أراد ذلك، ﴿**وهذا ملح أجاج**﴾، وهو البحر الساكن الذي تسير فيه السفن الكبار، وإنما تكون مالحة زعاقًا مُرَّة، ولهذا قال: ﴿**وهذا ملح أجاج**﴾، أي: مر.

ثم قال: ﴿**ومن كلٍّ تأكلون لحمًا طريًّا**﴾، يعنى السمك، ﴿**وتستخرجون حلية تلبسونها**﴾، كما قال تعالى: ﴿**يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان * فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾.

وقوله: ﴿**وترى الفلك [فيه مواخر][٢]**﴾، أي: تمخره وتشقه بحيزومها، وهو مقدمها المُسَنَّم الذي يشبه جؤجؤ الطير- وهو: صدره.

وقال مجاهد: تمخر الريح السفن، ولا يمخر الريح من السفن إلا العظام.

وقوله: ﴿**لتبتغوا من فضله**﴾، أي: بأسفاركم بالتجارة، من قطر إلى قطر، وإقليم إلى إقليم ﴿**ولعلكم تشكرون**﴾، أي: تشكرون ربكم على تسخيره لكم هذا الخلق العظيم، وهو البحر، تتصرفون فيه كيف شئتم، وتذهبون أين أردتم، و[٣]لا يمتنع عليكم شيء منه، بل بقدرته قد سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض، الجميع من فضله ومن رحمته.

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا

[١] - سقط من: ز.

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز: « مواخر فيه ». [٣] - سقط من: ز.

﴿دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ١٤﴾

وهذا أيضًا من قدرته التامة وسلطانه العظيم، في تسخيره الليل بظلامه والنهار بضيائه، ويأخذ من طول هذا فيزيده على قصر هذا فيعتدلان. ثم يأخذ من هذا في هذا فيطول هذا ويقصر هذا، ثم يتقارضان صيفًا وشتاء، ﴿**وسخر الشمس والقمر**﴾، أي: والنجوم السيارات[١]، والثوابت الثاقبات[٢] بأضوائهن أجرام السماوات، الجميع يسيرون بمقدار معين، وعلى منهاج مقنن محرر، تقديرًا من عزيز عليم.

﴿**[كل يجري لأجل][٣] مسمى**﴾، أي: إلى يوم القيامة.

﴿**ذلكم الله ربكم**﴾ أي: الذي فعل هذا هو الرب العظيم، الذي لا إله غيره، ﴿**والذين تدعون من دونه**﴾، أي: من الأنداد والأصنام التي هي على صورة من تزعمون من الملائكة المقربين، ﴿**ما يملكون من قطمير**﴾.

قال ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وعطاء، وعطية[٤] العوفي، والحسن، وقتادة، وغيرهم: القطمير: هو اللفافة التي تكون على نواة التمرة. أي: لا يملكون من السماوات والأرض شيئًا، ولا بمقدار هذا القطمير.

ثم قال: ﴿**إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم**﴾، يعني: الآلهة التي تدعونها من دون الله لا يسمعون دعاءكم، لأنها جماد لا أرواح فيها. ﴿**ولو سمعوا ما استجابوا لكم**﴾، أي: لا يقدرون على ما تطلبون منها، ﴿**ويوم القيامة يكفرون بشرككم**﴾، أي: يتبرءون منكم، كما قال تعالى: ﴿**ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين**﴾، وقال: ﴿**واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزًّا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدًّا**﴾.

وقوله: ﴿**ولا ينبئك مثل خبير**﴾، أي: ولا يخبرك بعواقب الأمور ومآلها وما تصير إليه؛ مثلُ خبير بها. قال قتادة: يعني نفسه تبارك وتعالى، فإنه أخبر بالواقع لا محالة.

---

[١] - في ز: «السائرات». [٢] - في ز: «الباقيات».

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز: «إلى أجل». [٤] - سقط من: خ، ز.

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ حِمۡلِهَا لَا يُحۡمَلۡ مِنۡهُ شَيۡءٞ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰٓۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٨﴾

يخبر تعالى بغنائه عما سواه، وبافتقار المخلوقات كلها إليه، وتذللها بين يديه، فقال: ﴿**يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله**﴾، أي: هم محتاجون إليه في جميع الحركات والسكنات، وهو الغني عنهم بالذات، ولهذا قال: ﴿**والله**[١] **هو الغني الحميد**﴾، أي: هو المتفرد بالغنى وحده لا شريك له، وهو الحميد في جميع ما يفعله ويقوله، ويقدره ويشرعه.

وقوله: ﴿**إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد**﴾، أي: لو شاء لأذهبكم أيها الناس وأتى بقوم غيركم، وما هذا عليه بصعب ولا ممتنع؛ ولهذا قال: ﴿**وما ذلك على الله بعزيز**﴾.

وقوله: ﴿**ولا تزر وازرة وزر أخرى**﴾، أي: يوم القيامة، ﴿**وإن تدع مثقلة إلى حملها**﴾، أي: وإن تدع نفس مثقلة بأوزارها إلى أن تُساعَدَ على حمل ما عليها من الأوزار أو بعضه، ﴿**لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى**﴾، أي: ولو كان قريبًا إليها، حتى ولو كان أباها أو ابنها، كل مشغول بنفسه وحاله.

قال عكرمة في قوله: ﴿**وإن تدع مثقلة إلى حملها**﴾ الآية، قال: هو الجار يتعلق بجاره يوم القيامة، فيقول: يارب، سل هذا: لم كان يغلق بابه دوني؟ وإن الكافر ليتعلق بالمؤمن يوم القيامة، فيقول له: يا مؤمن، إن لي عندك يدًا، قد عرفت كيف كنت لك في الدنيا، وقد احتجت إليك اليوم. فلا يزال المؤمن يشفع له إلى ربه - عز وجل - حتى يرده إلى [منزل دون][٢] منزله، وهو في النار. وإن الوالد ليتعلق بولده يوم القيامة، فيقول: يا بني، أيّ والد كنتُ لك؟ فيثني خيرًا، فيقول له: يا بني؛ إني قد احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك أنجو بها مما ترى. فيقول له ولده: يا أبت، ما أيسر ما طلبت! ولكنني أتخوف مثل ما تتخوف، فلا أستطيع أن أعطيك شيئًا. ثم يتعلق بزوجته فيقول: يا فلانة - أو: يا هذه - أي زوج كنت لك؟ فتثني خيرًا، فيقول لها: إني أطلب إليك حسنة واحدة تَهَبِينَها[٣] لي، لعلي أنجو بها مما

---

[١] - سقط من: ز.
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز.
[٣] - في ز: «تهبيها».

ترين. قال: فتقول: ما أيسر ما طلبت! ولكنى لا أطيق أن أعطيك شيئًا، إني أتخوف مثل الذي تتخوف، يقول الله: ﴿**وإن تدع مثقلة**﴾ الآية، ويقول الله: ﴿**لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئًا**﴾، ويقول تعالى: ﴿**يوم يفر المرء من أخيه، وأمه وأبيه. وصاحبته وبنيه. لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه**﴾.

رواه ابن أبي حاتم رحمه الله، عن أبي عبد الله الطهراني، عن حفص بن عمر، عن الحكم ابن أبان، عن عكرمة به.

ثم قال: ﴿**إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة**﴾، أي: إنما يتعظ بما جئت به أولو البصائر والنهى، الخائفون من ربهم، الفاعلون ما أمرهم به، ﴿**ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه**﴾، أي: ومن عمل صالحًا فإنما يعود نفعه[١] على نفسه، ﴿**وإلى الله المصير**﴾، أي: وإليه المرجع والمآب، وهو سريع الحساب، وسيجزي كل عامل بعمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾

يقول تعالى: كما لا تستوي هذه الأشياء المتباينة المختلفة، كالأعمى والبصير لا يستويان، بل بينهما فرق وبون كثير، وكما لا تستوي الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور، كذلك لا تستوي الأحياء ولا الأموات. وهذا مثل ضربه الله للمؤمنين وهم الأحياء، وللكافرين[٢] وهم الأموات، كقوله تعالى: ﴿**أو من كان ميتًا فأحييناه وجعلنا له نورًا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها**﴾، وقال تعالى: ﴿**مثل الفريقين كالأعمى والأصم و[البصير والسميع][٣] هل يستويان مثلًا**﴾ فالمؤمن سميع بصير في نور يمشي، على صراط

---

[١] - في ز: «بنفسه». [٢] - في ز: «الكافرين».

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز: «السميع والبصير».

مستقيم في الدنيا والآخرة، حتى يستقر به الحال في الجنات ذات الظلال والعيون، والكافر أعمى أصم، في ظلمات يمشي، لا خروج له منها، بل هو يتيه في غيه وضلاله في الدنيا والآخرة، حتى يفضي به ذلك إلى الحَرور والسموم والحميم، ﴿**وظل من يحموم. لا بارد ولا كريم**﴾.

وقوله: ﴿**إن الله يسمع من يشاء**﴾، أي: يهديهم إلى سماع الحجة وقبولها والانقياد لها، ﴿**وما أنت بمسمع من في القبور**﴾، أي: كما لا ينتفع الأموات بعد موتهم وصيرورتهم إلى قبورهم، وهم كفار بالهداية والدعوة إليها، كذلك هؤلاء المشركون الذين كُتب عليهم الشقاوة لا حيلة لك فيهم، ولا تستطيع هدايتهم.

﴿**إن أنت إلا نذير**﴾، أي: إنما عليك البلاغ والإنذار، والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء.

﴿**إنا أرسلناك بالحق بشيرًا ونذيرًا**﴾ أي: بشيرًا للمؤمنين، ونذيرًا للكافرين، ﴿**وإن من أمة إلا خلا فيها نذير**﴾، أي: وما من أمة خلت من بني آدم إلا وقد بعث الله إليهم النذر، وأزاح عنهم العلل، كما قال تعالى: ﴿**إنما أنت منذر ولكل قوم هاد**﴾، وكما قال تعالى: ﴿**ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة**﴾ الآية، والآيات في هذا كثيرة.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿**وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم، جاءتهم رسلهم بالبينات**﴾، وهي: المعجزات الباهرات، والأدلة القاطعات، ﴿**وبالزبر**﴾، وهي الكتب، ﴿**وبالكتاب المنير**﴾، أي: الواضح البين. ﴿**ثم أخذت الذين كفروا**﴾، أي: ومع هذا كله كذّب أولئك رسلهم فيما جاءوهم به، فأخذتهم، أي بالعقاب والنكال، ﴿**فكيف كان نكير**﴾؟ أي: فكيف رأيت [ ][١] إنكاري عليهم [يعني عظيمًا شديدًا بليغًا].

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾

يقول تعالى منبهًا على كمال قدرته في خلقه الأشياء المتنوعة المختلفة من الشيء الواحد، وهو الماء الذي ينزله من السماء ويخرج به ثمرات مختلفًا ألوانها، من أصفر وأحمر وأخضر وأبيض،

[١] - ما بين المعكوفتين في ز: «كان».

إلى غير ذلك من ألوان الثمار، كما هو المشاهد من تنوع ألوانها وطعومها وروائحها، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿**وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع[١] ونخيل صنوان وغير صنوان يُسقَى[٢] بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون**﴾.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿**ومن الجبال جُدَد بيض وحمر مختلف ألوانها**﴾، أي: وخلق الجبال كذلك مختلفة الألوان، كما هو المشاهد أيضًا من بيض وحمر، وفي بعضها طرائق - وهي: الجُدَد، جمع جُدّة - مختلفة الألوان أيضًا.

قال ابن عباس رضي اللَّه عنهما: الجُدَد: الطرائق. وكذا قال أبو مالك، والحسن، وقتادة، والسدي. ومنها ﴿**غرابيب سود**﴾، قال عكرمة: الغرابيب: الجبال الطوال السود. وكذا قال أبو مالك، وعطاء الخراساني، وقتادة. وقال ابن جرير: والعرب إذا وصفوا الأسود بكثرة السواد، قالوا[٣]: أسود غربيب. ولهذا قال بعض المفسرين في هذه الآية: هذا من المقدم والمؤخر في قوله تعالى: ﴿**وغرابيب سود**﴾، أي: سود غرابيب. وفيما قاله نظر.

وقوله تعالى: ﴿**ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك**﴾، أي: وكذلك الحيوانات من الأناسي والدواب - وهو: كل ما دب على قوائم - والأنعام: من باب عطف الخاص على العام. كذلك هي مختلفة أيضًا، فالناس منهم بربر وحُبُوش وطُمَاطم في غاية السواد، وصقالبة وروم في غاية البياض، والعرب بين ذلك، والهنود دون ذلك؛ ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿**واختلاف ألسنتكم وألوانكم، إن في ذلك لآيات للعالمين**﴾. وكذلك الدواب والأنعام مختلفة الألوان، حتى في الجنس الواحد، [بل النوع الواحد منهن مختلف الألوان، بل الحيوان الواحد][٤] يكون أبلق، فيه من هذا اللون وهذا اللون، فتبارك اللَّه أحسن الخالقين.

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده (١٧): حدثنا الفضل بن سهل، حدثنا عبد اللَّه بن عمر بن أبان بن صالح، حدثنا زياد بن عبد اللَّه، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس؛ قال: جاء رجل إلى النبي صلى اللَّه عليه وسلم فقال: أيصبغ ربك؟ فقال: «**نعم صبغًا لا يُنفَض، أحمر وأصفر وأبيض**». ورُوي مرسلًا وموقوفًا، واللَّه أعلم.

ولهذا قال تعالى بعد هذا: ﴿**إنما يخشى اللَّه من عباده العلماء**﴾، أي: إنما يخشاه حق

(١٧) - مختصر زوائد البزار برقم (١١٨٤) و«كشف الأستار» (٢٩٤٤) وقال البزار: لا نعلم أحدًا أسنده عن ابن عباس؛ إلا زياد، وقال غيره عن عطاء، عن سعيد بن جبير مرسلاً. وقال الهيثمي في المجمع (٥/ ١٢٨): «وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط».

[١] - في ز: «زروع».
[٢] - في ز: «تُسقَى».
[٣] - في ز: «قال».
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

خشيته العلماء العارفون به ؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم [القدير العليم][١] الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى - كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾ ، قال: الذين يعلمون أن الله على كل شيء قدير.

وقال ابن لَهِيعَةَ، عن ابن[٢] أبي عمرة، عن عكرمة، عن ابن عباس؛ قال: العالم بالرحمن من لم يشرك به شيئًا، وأحل حلاله، وحرم حرامه، وحفظ وصيته، وأيقن أنه ملاقيه ومحاسبه بعمله. وقال سعيد بن جبير: الخشية هي[٣] التي تحول بينك وبين معصية الله عز وجل. وقال الحسن البصري: الإيمان مَنْ خشي الرحمن بالغيب، ورغب فيما رغب الله فيه، وزهد فيما سَخط الله فيه، ثم تلا الحسن: ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور**﴾. وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: ليس العلم عن كثرة الحديث، ولكن العلم عن كثرة الخشية. وقال أحمد بن صالح المصري، عن ابن وهب، عن مالك؛ قال: إن [العلم ليس][٤] بكثرة الرواية، و[٥]إنما العلم نور يجعله الله في القلب.

قال أحمد بن صالح المصري: معناه أن الخشية لا تدرك بكثرة الرواية، وأما العلم الذي فرض[٦] الله عز وجل أن يتبع فإنما هو الكتاب والسنة، وما جاء عن الصحابة -رضي الله عنهم- ومن بعدهم من أئمة المسلمين- فهذا لا يدرك إلا بالرواية ويكون تأويل قوله: (نور) يريد به فهم العلم، ومعرفة معانيه.

وقال سفيان الثوري، عن أبي حيان، عن رجل؛ قال: كان يقال: العلماء ثلاثة: عالم بالله، عالم بأمر الله. وعالم بالله، ليس بعالم بأمر الله. وعالم بأمر الله، ليس بعالم[٧] بالله. فالعالم بالله وبأمر الله : الذي يخشى الله ويعلم الحدود والفرائض. والعالم بالله ليس بعالم[٨] بأمر الله : الذي يخشى الله ولا يعلم الحدود ولا الفرائض. والعالم بأمر الله ليس بعالم بالله : الذي يعلم الحدود والفرائض، ولا يخشى الله عز وجل.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا

---

[١] - في ز: «العليم القدير».
[٢] - سقط من: ز.
[٣] - سقط من: ز.
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز: «ليس العلم».
[٥] - سقط من: ز.
[٦] - في ز: «فرضه».
[٧] - في ز: «عالم».
[٨] - في ز: «عالم».

﴿وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ۝٢٩ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ۝٣٠﴾

يخبر تعالى عن عباده المؤمنين الذين يتلون كتابه ويؤمنون به ويعملون بما فيه، من إقام[١] الصلاة، والإنفاق مما رزقهم اللَّه في الأوقات المشروعة ليلًا ونهارًا، سرًّا وعلانية، ﴿**يرجون تجارة لن تبور**﴾، أي: يرجون ثوابًا عند اللَّه لابد من حصوله. كما قدمنا في أول التفسير عند فضائل القرآن أنه يقول لصاحبه: «**إن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل تجارة**». ولهذا قال تعالى: ﴿**ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله**﴾، أي: ليوفيهم ثواب ما فعلوه ويضاعفه لهم بزيادات لم تخطر لهم، ﴿**إنه غفور**﴾، أي: لذنوبهم، ﴿**شكور**﴾ للقليل من أعمالهم.

قال قتادة: كان مُطَرِّف رحمه اللَّه إذا قرأ هذه الآية يقول: هذه آية القراء.

قال الإمام أحمد(١٨) : حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا حيوة، حدثنا سالم بن غيلان؛ أنه سمع دَرَّاجًا أبا السمح يحدث عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخُدْري - رضي اللَّه عنه - أنه سمع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم؛ يقول: «**إن اللَّه تعالى إذا رضي عن العبد أثنى عليه سَبْعَةَ أصناف من الخير لم يعمله، وإذا سخط على العبد أثنى عليه سَبْعَةَ[٢] أصناف من الشر لم يعمله**». غريب جدًّا.

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ﴾

---

(١٨) - **إسناده ضعيف لضعف رواية دراج أبي السمح عن أبي الهيثم**

وهو في المسند ١١٣٥٤ - (٣٨/٣) وأخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١٣٨٢) (٨٢٦/٢) من طريق عبد الله بن أحمد به. وأخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» (٩٢٨). وأبو يعلى في مسنده (١٣٣١)، وابن حبان في صحيحه (٣٦٨) (٨٩/٢ - ٩٠)، وفي الموارد (٢٥١٥) (١٩٧/٨ - ١٩٨)، وأبو نعيم في الحلية (٣٧٠/١). من طرق عن عبد الله بن يزيد أبي عبد الرحمن المقرئ به. إلا أن عند أبي يعلى وابن حبان «تسعة» بدلًا من «سبعة». وأخرجه البيهقي في «الزهد الكبير» (٨١٦)، وأبو نعيم في «أخبار أصفهان» (١٩٦/٢)، ورواه أحمد (١١٣٧٩) (٤٠/٣). من طريق أبي عاصم عن حيوة به. و(١١٧٤٥) (٧٦/٣) من طريق حسن بن موسى، ثنا ابن لهيعة، عن دراج به. وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح، قال أحمد: أحاديث دراج مناكير. وذكره الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٧٥ - ٢٧٦) وقال: رواه أحمد وأبو يعلى إلا أنه قال: تسعة أصناف - تصحفت إلى أضعاف - ورجاله وثقوا على ضعف في بعضهم.

---

[١] - في ز: «إيقامهم».
[٢] - في ز: «بسبعة».

بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾

يقول تعالى: ﴿**والذي أوحينا إليك**﴾، يا محمد من الكتاب، وهو القرآن ﴿**هو الحق مصدقًا لما بين يديه**﴾، أي من الكتب المتقدمة يصدقها، كما شهدت له بالنبوة[١]، وأنه منزل من رب العالمين.

﴿**إن الله بعباده لخبير بصير**﴾، أي: هو خبير بهم، بصير بمن يستحق ما يفضله به على من سواه، ولهذا فضل الأنبياء والرسل على جميع البشر، وفضل النبيين بعضهم على بعض، ورفع بعضهم درجات، وجعل منزلة محمد صلى الله عليه وسلم فوق جميعهم، صلوات الله عليهم أجمعين.

ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾

يقول تعالى: ثم جعلنا القائمين بالكتاب العظيم، المصدق لما بين يديه من الكتب، الذين اصطفينا من عبادنا، وهم هذه الأمة، ثم قسمهم إلى ثلاثة أنواع، فقال: ﴿**فمنهم ظالم لنفسه**﴾، وهو: المفرط[٢] في فعل بعض الواجبات، المرتكب لبعض المحرمات. ﴿**ومنهم مقتصد**﴾، وهو: المؤدي للواجبات، التارك للمحرمات، وقد يترك بعض المستحبات، ويفعل بعض المكروهات. ﴿**ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله**﴾، وهو: الفاعل للواجبات والمستحبات، التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿**ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا**﴾، قال: هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ورثهم الله كل كتاب أنزله، فظالمهم يُغفَر له، ومقتصدهم يحاسب حسابًا يسيرًا، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب.

وقال أبو القاسم الطبراني(١٩): حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح، وعبد الرحمن بن معاوية العُتْبي قالا: حدثنا أبو الطاهر بن السرح، حدثنا موسى بن عبد الرحمن الصنعاني، حدثني ابن

(١٩) - المعجم الكبير (١١/١٨٩) وأورده الهيثمي (١٠/٣٧٨) وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط باختصار عنه وفيه موسى بن عبد الرحمن الصنعاني وهو وضّاع.

[١] - في م: « بالتنويه ». [٢] - في ز: « مفرط ».

جريج، عن عطاء، عن ابن عباس، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أنه قال ذات يوم: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**». قال ابن عباس: السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب، والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم.

وهكذا رُوي عن غير واحد من السلف: أن الظالم لنفسه من هذه الأمة من المصطفين، على ما فيه من عوج وتقصير. وقال آخرون: بل الظالم لنفسه ليس من هذه الأمة، ولا من المصطفين الوارثين الكتاب.

قال ابن أبي حاتم، حدثنا أبي، حدثنا علي بن هاشم بن مرزوق، حدثنا ابن عيينة، عن عمرو، عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿**فمنهم ظالم لنفسه**﴾، قال: هو الكافر. وكذا رَوَى عنه عكرمة، وبه قال عكرمة أيضًا فيما رواه ابن جرير.

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿**فمنهم ظالم لنفسه**﴾، قال: هم أصحاب المشأمة. وقال مالك عن زيد بن أسلم، والحسن، وقتادة: هو المنافق. ثم قد قال ابن عباس، والحسن، وقتادة: وهذه الأقسام الثلاثة كالأقسام[١] الثلاثة المذكورة في أول «**سورة الواقعة**» وآخرها.

والصحيح أن الظالم لنفسه من[٢] هذه الأمة. وهذا[٣] اختيار ابن جرير كما هو ظاهر الآية، وكما جاءت به الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، من طرق يشد بعضها بعضًا، ونحن نورد منها ما تيسر:

(الحديث الأول): قال الإمام أحمد(٢٠): حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن الوليد ابن العيزار أنه سمع رجلًا من ثقيف يُحَدِّث عن رجل من كنانة، عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: في هذه الآية: «﴿**ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله**﴾، قال: هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة، وكلهم في الجنة».

---

(٢٠) – المسند ١١٧٦١ – (٧٨/٣)، وأخرجه الطيالسي في «مسنده» (٢٢٣٦) حدثنا شعبة به. ومن طريقه البيهقي في «البعث» (٥٧). وأخرجه الترمذي، في تفسير القرآن، باب: «ومن سورة الملائكة» (٣٢٢٣). وابن جرير في «تفسيره» (١٣٧/٢٢). من طريقين عن محمد بن جعفر به. وقال الترمذي: حديث غريب حسن، لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

---

[١] – في ز: «في الأقسام». [٢] – في ز: «في».

[٣] – في ز: «هو».

هذا حديث غريب من هذا الوجه، وفي إسناده من لم يسم. وقد رواه ابن جرير وابن أبي حاتم، من حديث شعبة، به نحوه.

ومعنى قوله بمنزلة واحدة أي: في أنهم من هذه الأمة، وأنهم من أهل الجنة، وإن كان بينهم فرق في المنازل في الجنة.

(الحديث الثاني) قال الإمام أحمد(٢١) : حدثنا إسحاق بن عيسى، حدثنا أنس بن عياض الليثي أبو ضمرة، عن موسى بن عقبة، عن علي[١] بن عبد الله الأزدي، عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال[٢]: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ يقول: قال الله : ﴿ **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله** ﴾، فأما الذين سبقوا فأولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وأما الذين اقتصدوا فأولئك يحاسبون حسابًا يسيرًا، وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين يحبسون[٣] في طول المحشر، ثم هم الذين تلافاهم برحمته[٤]، فهم الذين يقولون: ﴿ **الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب** ﴾.

(طريق أخرى) قال ابن أبي حاتم: حدثنا أسيد بن عاصم، حدثنا الحسين بن حفص، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن رجل، عن أبي ثابت، عن أبي الدرداء، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ يقول: ﴿ **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه** ﴾، قال: فأما الظالم لنفسه فيحبس حتى يصيبه الهم والحزن، ثم يدخل الجنة».

ورواه ابن جرير(٢٢) من حديث سفيان الثوري، عن الأعمش؛ قال: ذكر أبو ثابت أنه دخل المسجد، فجلس إلى جنب أبي الدرداء، فقال: اللهم، آنس[٥] وحشتي، وارحم غربتي، ويسر لي جليسًا صالحًا. قال أبو الدرداء: لئن كنت صادقًا لأنا أسعد بك[٦] منك، سأحدثك حديثًا

---

(٢١) - المسند ٢١٨١٨ - (١٩٨/٥). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٩٥) وقال: «رواه أحمد بأسانيد، رجال أحدها رجال الصحيح، وهذا إن كان على بن عبد الله الأزدى سمع من أبى الدرداء فإنه تابعى».

(٢٢) - تفسير الطبري (١٣٧/٢٢)، ورواه أحمد (٢١٧٨٧) (١٩٤/٥) فقال: ثنا وكيع، ثنا سفيان، عن الأعمش، عن ثابت - أو عن أبي ثابت - أن رجلاً دخل مسجد دمشق فقال: اللهم آنس وحشتي، وارحم غربتي، وارزقني جليسًا صالحًا؛ فسمعه أبو الدرداء ..... » ورواه الحاكم في المستدرك (٤٢٦/٢) =

---

[١] - سقط من: م.
[٢] - سقط من: ز.
[٣] - في خ، ز: «يحاسبون».
[٤] - في ز: «رحمته».
[٥] - في ز: «أنّس».
[٦] - في خ، ز: «به».

سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أحدث به منذ سمعته منه، ذكر هذه الآية: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا، فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات﴾: «فأما السابق بالخيرات فيدخلها بغير حساب، وأما المقتصد فيحاسب حسابًا يسيرًا. وأما الظالم لنفسه فيصيبه في ذلك المكان من الغم والحزن، وذلك قوله: ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾».

(الحديث الثالث): قال الحافظ أبو القاسم الطبراني(٢٣): حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس، حدثنا [ابن][١] مسعود، أخبرنا سهل بن عبد ربه الرازي، حدثنا عمرو[٢] بن أبي قيس، عن ابن أبي ليلى، عن أخيه، [عن][٣] عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أسامة بن زيد: ﴿فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات﴾... الآية، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كلهم من هذه الأمة».

(الحديث الرابع): قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عَزيز[٤]، حدثنا سلامة، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عوف بن مالك، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أنه قال: «أمتي ثلاثة أثلاث: فثلث يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وثلث يحاسبون حسابًا يسيرًا ثم يدخلون الجنة، وثلث يُمَحَّصون ويكشفون، ثم تأتي الملائكة فيقولون: وجدناهم يقولون: لا إله إلا الله وحده. يقول الله عز وجل: صدقوا لا إله إلا أنا، أدخلوهم الجنة بقولهم: لا إله إلا الله وحده واحملوا خطاياهم على أهل النار»، وهي التي قال الله تعالى: ﴿وليحملن أثقالهم وأثقالًا مع أثقالهم﴾، وتصديقها في التي فيها ذكر الملائكة، قال الله تعالى: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾، فجعلهم ثلاثة أنواع، وهم أصناف كلهم، فمنهم ظالم لنفسه، فهذا الذي يكشف ويمحص. غريب جدًّا(٢٤).

= ومن طريقه البيهقي في البعث برقم (٦٢) من طريق الأعمش، به. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٩٥، ٩٦) وقال: «رواه الطبراني وأحمد باختصار إلا أنه قال: عن الأعمش، عن ثابت أو أبي ثابت: أن رجلًا دخل المسجد مسجد دمشق .... فذكر الحديث باختصار، وثابت بن عبيد ومن قبله من رجال الصحيح، وفي إسناد الطبراني رجل غير مسمى».

(٢٣) - المعجم الكبير (١/١٦٧)، ورواه البيهقي في البعث (٦٠) من طريق محمد بن سعيد، عن عمرو بن قيس، عن ابن أبي ليلى، عن أخيه عيسى، عن أبيه، عن أسامة بن زيد، به. ورواه أيضًا برقم (٥٩) من طريق حصين بن نمير، عن ابن أبي ليلى، عن أخيه، عن أبيه، عن أسامة بن زيد، بنحوه. وأورده الهيثمي (٧/٩٦) وقال: رواه الطبراني وفيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وهو سيئ الحفظ. ورواه الخطيب في تاريخه (١٢/٣٧١)، وعزاه صاحب الكنز (٢/٤٨٦) إلى سعيد بن منصور.

(٢٤) - رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٨/٨٠) من طريق محمد بن عزيز، به. وقال الهيثمي في المجمع =

[١] - في الطبراني: أبو.
[٢] - سقط من الطبراني.
[٣] - في خ: «عمر».
[٤] - في ز: «عزير».

(**أثر عن ابن مسعود**) : قال ابن جرير : حدثني ابن حميد ، حدثنا الحكم بن بشير ، عن عمرو بن قيس ، عن عبد الله بن عيسى ، عن يزيد بن الحارث ، عن شقيق[١] أبي وائل ، عن عبد الله بن مسعود ؛ أنه قال : هذه [الأمة][٢] ثلاثة أثلاث يوم القيامة ، ثلث يدخلون الجنة بغير حساب ، وثلث يحاسبون حسابًا يسيرًا ، وثلث يجيئون بذنوب عظام حتى يقول : ما هؤلاء - وهو أعلم تبارك وتعالى - فتقول الملائكة : هؤلاء جاءوا بذنوب عظام ، إلا أنهم لم يشركوا بك . فيقول الرب عز وجل : أدخلوا هؤلاء في سعة[٣] رحمتي . وتلا عبد الله هذه الآية : ﴿ **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا** ﴾ ... الآية(٢٥) .

(**أثر آخر**) : قال أبو داود الطيالسي(٢٦) ، عن الصلت بن دينار [أبو شُعيب][٤] ، عن عقبة بن صهبان الهنائي ؛ قال : سألت عائشة رضي الله عنها عن قول الله : ﴿ **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه** ﴾ ... الآية، فقالت لي: يا بني، هؤلاء في الجنة ، أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحياة والرزق . وأما المقتصد فمن اتبع[٥] أثره من أصحابه حتى لحق به . وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلكم . قال : فجعلت نفسها معنا .

وهذا منها رضي الله عنها ، من باب الهَضْم والتواضع ، وإلا فهي من أكبر السابقين بالخيرات ؛ لأن فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام .

وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله : قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، في قوله تعالى : ﴿ **فمنهم ظالم لنفسه** ﴾ ، قال : هي لأهل بدونا ، ومقتصدنا أهل حضرنا ، وسابقنا أهل الجهاد . رواه ابن أبي حاتم .

= (٩٦/٧) : « فيه سلامة بن روح وثقه ابن حبان ، وضعفه جماعة ، وبقية رجاله ثقات » .

(٢٥) - تفسير الطبري (١٣٤/٢٢) .

(٢٦) - **ضعيف جدًا** ، رواه الطيالسي برقم (١٤٨٩) ، ورواه الطبراني في الأوسط ٦٠٩٤ - (١٦٧/٦) ، والحاكم (٤٢٦/٢ - ٤٢٧) وجاء عنده الصلت بن عبد الرحمن ، وقال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن عقبة بن صهبان إلا أبو شعيب الصلت بن دينار ، تفرد به معتمر ، وقال الحاكم : صحيح ، وتعقبه الذهبي بقوله : قلت : فيه الصلت بن عبد الرحمن قال النسائي : ليس بثقة ، وقال أحمد : ليس بالقوي . وزاد نسبته السيوطي في الدر إلى عبد بن حميد ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٦/٧ - ٩٧) وقال : رواه الطبراني ، وفيه الصلت بن دينار وهو متروك .

---

[١] - بعده في ز : « عن » وهو خطأ .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « الآية » . [٣] - في ز : « جنة » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في خ : « بن الأشعث » . [٥] - في ز : « تبع » .

وقال عوف الأعرابي: حدثنا عبد الله بن الحارث بن نوفل، قال: حدثنا كعب الأحبار؛ قال: إن الظالم لنفسه من هذه الأمة، والمقتصد والسابق بالخيرات كلهم في الجنة، ألم تر أن الله تعالى قال[١]: ﴿**ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا، فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله، ذلك هو الفضل الكبير. جنات عدن يدخلونها**﴾... إلى قوله: ﴿**والذين كفروا لهم نار جهنم**﴾، قال: فهؤلاء أهل النار.

رواه ابن جرير من طرق، عن عوف به(٢٧). ثم قال:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن علية، أخبرنا حميد، عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث، عن أبيه أن ابن عباس سأل كعبًا عن قوله: ﴿**ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا**﴾، إلى قوله: ﴿**بإذن الله**﴾، فقال[٢]: تماسَّت مناكبهم ورَبِّ كعب، ثم أعطوا الفضل بأعمالهم(٢٨).

ثم قال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا الحكم بن بشير، حدثنا عمرو[٣] بن قيس، عن أبي إسحاق السبيعي في هذه الآية: ﴿**ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا**﴾... الآية، قال أبو إسحاق: أما ما سمعت منذ ستين سنة فكلهم ناج(٢٩).

ثم قال: حدثنا ابن حميد، حدثنا الحكم، حدثنا عمرو، عن[٤] محمد بن الحنفية؛ قال: إنها أمة مرحومة، الظالم مغفور له، والمقتصد في الجنان عند الله، والسابق بالخيرات في الدرجات عند الله(٣٠).

ورواه الثوري، عن إسماعيل بن سميع، عن رجل، عن محمد بن الحنفية بنحوه.

وقال أبو الجارود: سألت محمد بن علي - يعني الباقر - عن قوله: ﴿**فمنهم ظالم لنفسه**﴾، فقال: هو الذي خلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا.

فهذا ما تيسر من إيراد الأحاديث والآثار المتعلقة بهذا المقام. وإذا تقرر هذا فإن الآية عامة في جميع الأقسام الثلاثة من هذه الأمة، فالعلماء أغبط الناس بهذه النعمة، وأولى الناس بهذه

---

(٢٧) - ابن جرير (٢٢/١٣٤).
(٢٨) - ابن جرير (٢٢/١٣٤).
(٢٩) - ابن جرير (٢٢/١٣٤).
(٣٠) - ابن جرير (٢٢/١٣٥).

---

[١] - سقط من: ز.
[٢] - في ت: «قال».
[٣] - في خ، ز: «عمر».
[٤] - في خ، ز: «بن».

الرحمة، فإنهم كما قال الإمام أحمد رحمه الله (٣١) :

حدثنا محمد بن يزيد، حدثنا عاصم بن رجاء بن حيوة، عن قيس بن كثير؛ قال: قدم رجل من المدينة إلى أبي الدرداء وهو بدمشق؛ فقال: ما أقدمك أيْ أخي ؟ قال: حديث بلغني أنك تحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال أما قدمت لتجارة؟ قال: لا. قال: أما قدمت لحاجة؟ قال: لا؟ قال: أما قدمت إلا في طلب هذا الحديث؟ قال: نعم. قال: فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**من سلك طريقًا يطلب فيه[١] علمًا، سلك الله به طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضًا لطالب العلم، وإنه ليستغفر للعالم من في السماوات والأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء هم ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا [دينارًا ولا درهمًا][٢]، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر**».

وأخرجه أبو داود، والترمذي، وابن ماجة، من حديث كثير بن قيس - ومنهم من يقول: قيس ابن كثير - عن أبي الدرداء.

وقد ذكرنا طرقه واختلاف الرواة فيه في [شرح «**كتاب**][٣] **العلم**» من «**صحيح البخاري**»، ولله الحمد والمنة.

وقد تقدم في أول «**سورة طه**» حديث ثعلبة بن الحكم، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال: «**يقول الله تعالى يوم القيامة للعلماء[٤]: إني لم أضع علمي وحكمتي فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم، على ما كان منكم، ولا أبالي**» (٣٢).

جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٣٣﴾ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ

(٣١) - كثير بن قيس: قال ابن حجر: وقيل: قيس بن كثير، ضعيف. ووهم ابن قانع فأورده في الصحابة. والحديث رواه أحمد ٢١٨٠٦ - (١٩٦/٥)، وأبو داود في كتاب العلم، باب: الحث على طلب العلم (٣ / ٣١٦ / رقم: ٣٦٤١). والترمذي في كتاب العلم، باب: ما جاء في فضل الفقه في العبادة (٥ / ٤٨، ٤٩ / رقم: ٢٦٨٢). وابن ماجة في كتاب المقدمة، باب: فضل العلماء والحث على طلب العلم (١ / ٨١/ رقم: ٢٢٣). كلهم من طريق كثير بن قيس به.

(٣٢) - تقدم تخريج الحديث عند تفسير الآية (٢) من سورة طه.

[١] - سقط من: ز.

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز: «درهمًا ولا دينارًا».

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز: «كتاب شرح».

[٤] - سقط من: ز.

شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾

يخبر تعالى أن مأوى هؤلاء المصطفين من عباده، الذين أورثوا الكتاب المنزل من رب العالمين مأواهم يوم القيامة ﴿**جنات عدن**﴾، أي: جنات الإقامة يدخلونها يوم معادهم وقدومهم على ربهم عز وجل: ﴿**يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا**﴾، كما ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه عن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم؛ أنه قال: «**تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء**»(٣٣).

﴿**ولباسهم فيها حرير**﴾، ولهذا كان محظورًا عليهم في الدنيا، فأباحه اللّٰه لهم في الدار الآخرة، وثبت في الصحيح أن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم قال: «**من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة**»(٣٤). وقال: «**هي لهم في الدنيا ولكم في الآخرة**».

وقال ابن أبي حاتم(٣٥): حدثنا عمرو بن سواد السرحي، أخبرنا ابن وهب، عن ابن لهيعة، عن عقيل بن خالد، عن الحسن، عن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه، أن أبا أمامة حدث أن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم حدثهم، وذكر حلي [أهل الجنة][١] فقال: «**مسورون بالذهب والفضة، مكللة بالدر، وعليهم أكاليل من دُرٍّ وياقوت متواصلة، وعليهم تاج كتاج الملوك، شباب جُرْدٌ مُرْدٌ مكحّلون**».

﴿**وقالوا الحمد للّٰه الذي أذهب عنا الحزن**﴾، وهو الخوف من المحذور، أزاحه عنا، وأراحنا مما كنا نتخوفه، ونحذره من هموم الدنيا والآخرة.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن ابن عمر؛ قال: قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم: «**ليس على أهل لا إله إلا اللّٰه وحشة في قبورهم ولا في منشرهم، وكأني بأهل لا إله إلا اللّٰه ينفضون التراب عن رءوسهم ويقولون: ﴿الحمد للّٰه الذي أذهب عنا الحزن﴾**». رواه ابن أبي حاتم من حديثه(٣٦).

(٣٣) - صحيح مسلم برقم (٢٥٠).

(٣٤) - متفق عليه من حديث أنس، رواه البخاري في كتاب اللباس (٥٨٣٢)، ومسلم في اللباس والزينة (٢٠٧٣)، ورواه البخاري من حديث ابن الزبير وعمر (٥٨٣٣، ٥٨٣٤)، ومسلم منحديث ابي أمامة (٢٠٧٤).

(٣٥) - رواه أبو نعيم في صفة الجنة برقم (٢٦٧) من طريق على بن الحسن، عن عمرو بن سواد، به. والحسن البصري لم يسمع من أبي هريرة.

(٣٦) - عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ضعفه ابن معين، وابن المديني، والنسائي، والحديث رواه =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز.

وقال الطبراني(٣٧) : حدثنا جعفر بن محمد الفريابي، حدثنا موسى بن يحيى المروزي، حدثنا سليمان بن عبد الله بن وهب الكوفي، عن عبد العزيز بن حكيم، عن ابن عمر؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في الموت ولا في قبورهم ولا في النشور. و**[١] **كأني أنظر إليهم عند الصيحة ينفضون رءوسهم من التراب، يقولون: ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور﴾** ».

قال ابن عباس، وغيره: غَفَر لهم الكثير من السيئات، وشكر لهم اليسيرَ من الحسنات.

﴿الذي أحلنا دار المقامة من فضله﴾، يقولون: الذي أعطانا هذه المنزلة، وهذا المقام من فضله ومَنّه ورحمته، لم تكن أعمالنا تساوي ذلك. كما ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال: « **لن يُدخِل أحدًا منكم عمله الجنة** ». قالوا: ولا أنت يا رسول الله ؟ قال: « **ولا أنا، إلا أن يتغمّدني الله برحمة منه وفضل** »(٣٨).

﴿لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب﴾، أي: لا يمسنا فيها عناء ولا إعياء.

والنصَب واللغوب: كل منهما يستعمل في التعب. وكأن المراد بنفي هذا وهذا عنهم أنهم لا تعب على أبدانهم ولا أرواحهم، والله أعلم. فمن ذلك أنهم كانوا يُدْئِبُون أنفسهم في العبادة في الدنيا، فسقط عنهم التكليف بدخولها، وصاروا في راحة دائمة مستمرة. قال الله تعالى: **﴿كلوا واشربوا هنيئًا بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾**.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا

= الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٤٥٣١) « مجمع البحرين »، وابن عدي في الكامل (١٥٨١/٤) من طريق يحيى الحماني، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، به. وقال المنذري في الترغيب (٤١٦/٢): « في متنه نكارة ».

(٣٧) - وأورده الهيثمي في المجمع (٣٣٣/١٠) وقال: « رواه الطبراني، وفيه جماعة لم أعرفهم ». ورواه ابن عدي في الكامل (٤٩٨/٢) من حديث الحسن بن قزعة، عن بهلول بن عبيد الكندي، عن سلمة بن كهيل عن ابن عمر، والبيهقي في البعث برقم (٨٢) من طريق ابن عدي، وقال ابن عدي: ليس بذاك، ولبهلول هذا غير ما ذكرت من الحديث قليل، وأحاديثه عمن روى عنه فيه نظر، وحديثه عن أبي إسحاق أنكر منه عن غيره، وإنما ذكرته لأبين أن أحاديثه مما يتابعه عليها الثقات؛ إذ لم أر لمن تكلم في الرجال فيه كلامًا. وقال البيهقي: « هذا مرسل عن سلمة بن كهيل وابن عمر، وبهلول تفرد به، وليس بالقوي ».

(٣٨) - متفق عليه من حديث أبي هريرة، رواه البخاري في كتاب المرضى برقم (٥٦٧٣)، ومسلم في صفات المنافقين وأحكامهم برقم (٢٨١٦).

[١] - سقط من: ز.

﴿نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ (٣٧)﴾

لما ذكر تعالى حال السعداء، شرع في بيان مآل الأشقياء، فقال: **﴿والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضي عليهم فيموتوا﴾**، كما قال تعالى: **﴿لا يموت فيها ولا يحيىٰ﴾**. وثبت في صحيح مسلم(٣٩) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «**أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولايحيون**». قال الله تعالى: **﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون﴾**. فهم في حالهم ذلك يرون موتهم راحة لهم، ولكن لا سبيل إلى ذلك - قال الله تعالى: **﴿لا يقضى عليهم فيموتوا، ولا يخفف عنهم من عذابها﴾**، كما قال تعالى: **﴿إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون * لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون﴾**، وقال: **﴿كلما خبت زدناهم سعيرًا﴾**، **﴿فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابًا﴾**.

ثم قال: **﴿كذلك نجزي كل كفور﴾**، أي: هذا جزاء كل من كفر بربه، وكذّب بالحق.

وقوله: **﴿وهم يصطرخون فيها﴾**، أي: ينادون فيها، يجأرون إلى الله عز وجل بأصواتهم: **﴿ربنا، أخرجنا نعمل صالحًا غير الذي كنا نعمل﴾**، أي: يسألون الرجعة إلى الدنيا، ليعملوا غير عملهم الأول، وقد علم الرب جل جلاله أنه لو ردهم إلى الدار الدنيا، لعادوا لما نهوا عنه، وإنهم لكاذبون. فلهذا لا يجيبهم إلى سؤالهم، كما قال تعالى مخبرًا عنهم في قولهم: **﴿فهل إلى خروج[١] من سبيل * ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا﴾**. أي: لا يجيبكم إلى ذلك؛ لأنكم كنتم[٢] كذلك، ولو رددتم لعدتم إلى ما نهيتم عنه. ولهذا قال هاهنا: **﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر﴾**، أي: أو ما عشتم في الدنيا أعمارًا لو كنتم ممن ينتفع بالحق لانتفعتم به في مدة عمركم؟.

وقد اختلف المفسرون في مقدار العمر المراد هاهنا، فرُوي عن علي بن الحسين زين العابدين؛ أنه قال[٣]: مقدار سبع عشرة سنة.

وقال قتادة: اعلموا أن طول العمر [حجة، فنعوذ بالله أن نُعَيَّر بطول العمر][٤]، قد نزلت هذه الآية: **﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر﴾**، وإن فيهم لابن ثماني عشرة سنة[٥].

---

(٣٩) - مسلم في كتاب الإيمان برقم (١٨٥).

---

[١] - في ز: «مرد».

[٢] - سقط من: ز.

[٣] - سقط من: خ، ز.

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

[٥] - سقط من: خ، ز.

وكذا قال أبو غالب الشيباني.

وقال عبد الله بن المبارك، عن معمر، عن رجل، عن وهب بن منبه في قوله: ﴿**أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر**﴾، قال: عشرين سنة.

وقال هشيم، عن منصور، عن زاذان، عن الحسن في قوله: ﴿**أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر**﴾، قال: أربعين سنة.

وقال هشيم، عن مجالد، عن الشعبي، عن مسروق أنه كان يقول: إذا بلغ أحدكم أربعين سنة؛ فليأخذ حذره من الله عز وجل.

وهذا رواية عن ابن عباس فيما قال ابن جرير(٤٠): حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا بشر بن المفضل، حدثنا عبد الله بن عثمان بن خُثَيم، عن مجاهد؛ قال: سمعت ابن عباس، يقول: العمر الذي أعذر الله إلى ابن آدم: ﴿**أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر**﴾ أربعون سنة.

هكذا رواه من هذا الوجه، عن ابن عباس. وهذا القول هو اختيار ابن جرير.

ثم رواه(٤١) من طريق الثوري وعبد الله بن إدريس، كليهما[١] عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن مجاهد، عن ابن عباس؛ قال: العمر الذي أعذر الله [ ][٢] فيه لابن آدم في قوله: ﴿**أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر**﴾؛ ستون سنة.

فهذه الرواية أصح عن ابن عباس، وهي الصحيحة في نفس الأمر أيضًا، لما ثبت في ذلك من الحديث - كما سنورده - لا كما زعمه ابن جرير، من أن الحديث لم يصح؛ لأن «**في إسناده من يجب التثبت في أمره**»(٤٢).

وقد روى أصبغ بن نُباتة، عن عليّ رضي الله عنه أنه قال: العمر الذي عَيَّرهم الله به في قوله تعالى: ﴿**أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر**﴾. ستون سنة.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا دُحَيم، حدثنا ابن أبي فديك، حدثني إبراهيم بن الفضل المخزومي، عن ابن أبي حُسَين المكي؛ أنه حدثه عن عَطاء - هو ابن أبي رباح - عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال: «**إذا كان يوم القيامة قيل: أين أبناء الستين؟ وهو العمر الذي قال الله فيه: ﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر**

(٤٠) - تفسير ابن جرير (١٤١/٢٢).

(٤١) - تفسير ابن جرير (١٤١/٢٢).

(٤٢) - تفسير ابن جرير (١٤٢/٢٢).

[١] - في ز: «كلاهما».

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز: «إليه».

وجاءكم النذير﴾ .

وكذا رواه ابن جرير، عن علي بن شعيب، [عن محمد بن إسماعيل بن أبي فُديك به. وكذا رواه][١] الطبراني من طريق ابن أبي فُديك به(٤٣) .

وهذا الحديث فيه نظر، لحال إبراهيم بن الفضل، والله أعلم.

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(٤٤) : حدثنا عبد الرزّاق، حدثنا معْمَر، عن رجُل من بني غِفَار، عن سعيد المَقْبُرِيّ، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه[٢] قال: « **لقد أعذر الله إلى عبد أحياه حتى بلغ ستين أو سبعين سنة، لقد أعذر الله إليه [لقد أعذر الله إليه][٣]** » .

وهكذا رواه الإمام البخاري في « **كتاب الرقاق** » من صحيحه(٤٥) : حدثنا عبد السلام بن مُطَهَّر، عن عُمَر بن عليّ، عن مَعْن بن محمد الغفَاري، عن سعيد المَقْبُرِيّ، عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [« **أعذر الله عز وجل الى امرئ أَخَّر عمره حتى بَلَّغَه ستين سنة** » .

ثم قال البخاري: تابعه أبو حازم وابنُ عجلان، عن سعيد المَقْبُري][٤] .

فأما أبو حازم فقال ابن جرير: حدثنا أبو صالح الفَزَاريّ[٥]، حدثنا محمد بن سوار، أخبرنا يعقوب بن عبد الرحمن بن عبد القاري الإسكندريّ، حدثنا أبو حازم، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « **[من عَمَّره الله][٦] ستين سنة، فقد أعذر إليه في العمر** » .

وقد رواه الإمام أحمد والنسائي في الرقاق جميعًا عن قتيبة [عن يعقوب بن عبد الرحمن به(٤٦) .

---

(٤٣) - **إسناده ضعيف**، وهو في تفسير الطبري (١٤١/٢٢)، والمعجم الكبير للطبراني (١٧٧/١١)، وقال الهيثمي في المجمع (٩٧/٧) : « وفيه إبراهيم بن الفضل المخزومي وهو ضعيف » .

(٤٤) - المسند (٢٧٥/٢) .

(٤٥) - البخاري في الرقاق برقم (٦٤١٩) .

(٤٦) - تفسير الطبري (١٤٢/٢٢)، والمسند (٤١٧/٢)، والنسائي في السنن الكبرى كما في تحفة الأشراف للمزي (٤٧٢/٩) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٥] - في ز : « الصراري » .

[٦] - ما بين المعكوفتين في خ : « إذا أحب الله ابن آدم » ، وفي ز : « إذا أحيا الله ابن آدم » .

ورواه البزار(٤٧) قال: حدثنا هشام بن يونس، حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم، عن أبيه][١] عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال: «**العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة**». يعني: ﴿**أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر**﴾(٤٨).

وأما متابعة ابن عجلان فقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو السفر يحيى بن محمد بن عبد الملك ابن قرعة بسامراء، حدثنا أبو عبد الرحمن المقبري، حدثنا سعيد بن أبي أيوب، حدثني محمد بن عجلان، عن سعيد المقبرى، عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من أتت عليه ستون سنة فقد أعذر الله عز وجل إليه في العمر**».

وكذا رواه الإمام أحمد عن أبي عبد الرحمن هو المقرئ به(٤٩).

ورواه أحمد أيضًا، عن خلف عن أبي معشر، عن سعيد المقبُري(٥٠).

(طريق أخرى، عن أبي هريرة) قال ابن جرير: حدثني أحمد بن الفرج أبو عُتْبة الحمْصي، حدثنا بقية بن الوليد، حدثنا المطرف بن مازن الكناني، حدثني معمر بن راشد؛ قال: سمعت محمد بن عبد الرحمن الغفاري يقول: سمعت أبا هريرة؛ يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لقد أعذر الله عز وجل في العمر إلى صاحب الستين سنة والسبعين**»(٥١).

فقد صح هذا الحديث من هذه الطرق، فلو لم يكن إلا الطريق التي ارتضاها أبو عبد الله البخاري شيخ هذه الصناعة لكفت[٢]. وقول ابن جرير: «**إن في رجاله بعض من[٣] يجب التثبت في أمره**»، لا يلتفت إليه مع تصحيح البخاري، والله أعلم.

وذكر بعضهم أن العمر الطبيعي عند الأطباء مائة وعشرون سنة، فالإنسان لا يزال في ازدياد إلى كمال الستين، ثم يشرع بعد هذا في النقص والهرم، كما قال الشاعر:

---

(٤٧) - المسند (٢/٤٠٥).

(٤٨) - رواه ابن مردويه في تفسيره كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٣/١٥٥) من طريق سليمان بن حرب، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد، وربما لم يقل: عن سهل، فذكر نحوه دون الآية، والمحفوظ عن أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٤٩) - المسند (٢/٣٢٠).

(٥٠) - رواه أحمد (٢/٤٠٥).

(٥١) - تفسير الطبري (٢٢/١٤٢).

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

[٢] - سقط من: ز.

[٣] - سقط من: ز.

إِذَا بَلَغَ الفتى ستين عَاما فقد ذَهَبَ المَسَرَّةُ والفَتَاءُ

و[١] لما كان هذا هو العمر الذي يعذر اللّٰه إلى عباده به، ويزيح به عنهم العلل، كان هو الغالب على أعمار هذه الأمة، كما ورد بذلك الحديث، قال الحسن بن عرفة رحمه اللّٰه :

حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي[٢]، حدثنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم: «**أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم مَن يجوز ذلك**».

وهكذا رواه الترمذي وابن ماجة جميعًا في كتاب الزهد، عن الحسن بن عرفة به. ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه(٥٢) .

وهذا عَجَب من الترمذي، فإنه قد رواه أبو بكر بن أبي الدنيا[٣] من وجه آخر وطريق أخرى، عن أبي هريرة، حيث قال :

حدثنا سليمان بن عمر، عن محمد بن ربيعة، عن كامل أبي العلاء، عن أبي صالح، عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم: «**أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك**».

وقد رواه الترمذي في «**كتاب الزهد**»(٥٣) أيضًا عن إبراهيم بن سعيد الجوهري، عن محمد ابن ربيعة به. ثم قال: هذا حديث حسن غريب، من حديث أبي صالح عن أبي هريرة، وقد روى من غير وجه عنه. هذا نصه بحروفه في الموضعين، واللّٰه أعلم.

و[٤]قال الحافظ أبو يعلى(٥٤) : حدثنا أبو موسى الأنصاري، حدثنا ابن أبي فُديك، حدثني إبراهيم بن الفضل مولى بني مخزوم، عن المقبُري[٥]، عن أبي هريرة، قال: قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم: «**مُعْتَرك المنايا ما بين الستين إلى السبعين**».

---

(٥٢) - سنن الترمذي برقم (٣٥٥٠)، وسنن ابن ماجه برقم (٤٢٣٦) .

(٥٣) - سنن الترمذي برقم (٢٣٣١) .

(٥٤) - مسند أبي يعلى حديث ٦٥٤٣ - (٤٢٢/١١ ، ٤٢٣) وفيه إبراهيم بن الفضل وهو متروك . وأخرجه الخطيب في التاريخ (٤٧٦/٥) والشهاب في مسنده ٢٥١ - (١٧٤/١) .

---

[١] - قبله في خ ، ز : «قال حديث آخر» .

[٢] - في ز : «البخاري» .

[٣] - في ز : «الدرداء» .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - في ز : «المقري» .

وبه قال(٥٥) : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «**أقل أمتي أبناء سبعين**». إسناده ضعيف.

(حديث آخر في معنى ذلك) قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده(٥٦) :

حدثنا إبراهيم بن هانئ، حدثنا إبراهيم بن مهدي، حدثنا عثمان بن مطر، عن أبي مالك، عن ربعي، عن حذيفة، أنه قال: يا رسول اللَّه، أنبئنا بأعمار أمتك. قال: «**ما بين الخمسين إلى الستين**». قالوا: يا رسول اللَّه؛ فأبناء السبعين؟ قال: «**قَلَّ من يبلغها من أمتي، رحم اللَّه [ ][١] أبناء السبعين ورحم اللَّه أبناء الثمانين**».

ثم قال البزار: لا يروى بهذا اللفظ إلا بهذا الإسناد، وعثمان بن مطر من أهل البصرة ليس بقوي.

وقد ثبت في الصحيح أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم عاش ثلاثة وستين سنة، قيل: ستين. وقيل: خمسًا وستين سنة. والمشهور الأول، واللَّه أعلم.

وقوله: ﴿**وجاءكم النذير**﴾، روي عن ابن عباس، وعكرمة، وأبي جعفر الباقر، وقتادة، وسفيان بن عُيَينة أنهم قالوا: يعني الشيب.

وقال السدي، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يعني به الرسول صلى اللَّه عليه وسلم، وقرأ ابن زيد: ﴿**هذا نذير من النذر الأولى**﴾. وهذا هو الصحيح عن قتادة، فيما رواه شيبان، عنه أنه قال: احتج عليهم بالعمر[٢] والرسل.

وهذا اختيار ابن جرير، وهو الأظهر، لقوله[٣] تعالى: ﴿**ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون* لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون**﴾، أي: لقد بينا لكم الحق على ألسنة الرسل، فأبيتم وخالفتم، وقال تعالى: ﴿**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولًا**﴾، وقال تبارك وتعالى: ﴿**كلما أُلقي فيها فوج سألهم خزنتُها ألم يأتكم نذير* قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل اللَّه من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير**﴾.

وقوله: ﴿**فذوقوا فما للظالمين من نصير**﴾، أي: فذوقوا عذاب النار جزاء على مخالفتكم

(٥٥) - مسند أبي يعلى حديث ٦٥٤٤ - (١١/٤٢٣)، وعزاه صاحب الكنز إلى الحكيم في نوادر الأصول بلفظ: «أقل أمتي أبناء السبعين».

(٥٦) - مسند البزار برقم (٣٥٨٦) «كشف الأستار»، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٢٠٦): «وفيه عثمان ابن مطر وهو ضعيف».

[١] - ما بين المعكوفتين في ز: «من».
[٢] - سقط من: خ، ز.
[٣] - في ز: «كقوله».

للأنبياء[١] في مدة أعماركم، فما لكم اليوم ناصر ينقذكم مما أنتم فيه من العذاب والنكال والأغلال.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَـٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾﴾

يخبر تعالى بعلمه غيب السماوات والأرض، وأنه يعلم ما تكنه السرائر وتنطوي عليه الضمائر، وسيجازي كل عامل بعمله.

ثم قال: ﴿**هو الذي جعلكم خلائف في الأرض**﴾، أي: يخلف قوم الآخرين قبلهم، وجيل لجيل قبلهم، كما قال: ﴿**ويجعلكم خلفاء الأرض**﴾، ﴿**فمن كفر فعليه كفره**﴾، أي: فإنما يعود وبال ذلك على نفسه دون غيره، ﴿**ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتا**﴾، أي: كلما استمروا على كفرهم أبغضهم الله، وكلما استمروا فيه خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، بخلاف المؤمنين فإنهم كلما طال عمر أحدهم وحَسُن عمله؛ ارتفعت درجته ومنزلته في الجنة وزاد أجره، وأحبه خالقه وبارئه رب العالمين.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّـٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾

يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين: ﴿**أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله**﴾، **أي: من الأصنام والأنداد**، ﴿**أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات**﴾؟ أي: ليس لهم شيء من ذلك، ما يملكون من قطمير.

وقوله[٢]: ﴿**أم آتيناهم كتابًا فهم على بينة منه**﴾، أي: أم أنزلنا عليهم كتابًا بما يقولونه من الشرك والكفر؟ ليس الأمر كذلك، ﴿**بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضًا إلا غرورًا**﴾، أي: بل إنما اتبعوا في ذلك أهواءهم وآراءهم وأمانيهم التي تمنوها لأنفسهم، وهي غرور وباطل وزور.

---

[١] - في ز: «الأنبياء».

[٢] - سقط من: ز.

ثم أخبر تعالى عن قدرته العظيمة التي بها تقوم السماء والأرض عن أمره، وما جعل فيهما من القوة الماسكة لهما، فقال: ﴿**إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا**﴾، أي: أن تضطربا عن أماكنهما، كما قال: ﴿**ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه**﴾، وقال تعالى: ﴿**ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره**﴾.

﴿**ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده**﴾، أي: لا يقدر على دوامهما وإبقائهما إلا هو، وهو مع ذلك حليم غفور أي: يرى عباده وهم يكفرون به ويعصونه، وهو يحلم فيؤخر وينظر ويؤجل ولا يَعجَل، ويستر آخرين ويغفر، ولهذا قال: ﴿**إنه كان حليمًا غفورًا**﴾.

وقد أورد ابن أبي حاتم(٥٧) هاهنا حديثًا غريبًا بل منكرًا، فقال: حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد، حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثني هشام بن يوسف، عن أمية بن شبل[١]، عن الحكم ابن أبان، عن عكرمة، عن أبي هريرة؛ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي عن موسى عليه السلام على المنبر؛ قال: «**وقع في نفس موسى عليه السلام هل ينام الله عز وجل؟ فأرسل الله إليه ملكًا، فأرّقه ثلاثًا، وأعطاه قارورتين [في كل يد قارورة][٢] وأمره أن[٣] يحتفظ بهما، قال: فجعل ينام وتكاد يداه تلتقيان، ثم يستيقظ فيحبس[٤] إحداهما عن الأخرى، حتى نام نومة فاصطفقت يداه[٥] فتكسَّرَت القارورتان، و[٦] قال: ضرب الله له[٧] مثلًا: إن الله لو كان ينام لم تستمسك السماء والأرض**».

و[٨]الظاهر أن هذا الحديث ليس بمرفوع، بل من الإسرائيليات المنكرة، فإن موسى عليه السلام أجَلُّ من[٩] أن يُجَوِّز على الله سبحانه وتعالى النوم، وقد أخبر الله تعالى في كتابه العزيز بأنه: ﴿**الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الأرض**﴾. وثبت في الصحيحين(٥٨) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل، حجابه النور أو النار، لو كشفه لأحرقت سُبُحات وجهه**

(٥٧) - سبق تخريجه عند تفسير الآية: ٢٥٥ من سورة البقرة.

(٥٨) - مسلم في كتاب الإيمان برقم (١٧٩)، وليس في صحيح البخاري، وهو عند أحمد (٤/٣٩٥، ٤٠٠، ٤٠٥) وقد ذكره الحافظ عند تفسير الآية: ٢٥٥ من سورة البقرة فقال: «وفي الصحيح هكذا بالإفراد».

[١] - في خ، ز: «سنبل».

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

[٣] - سقط من: ز.

[٤] - في ز: «يجبس».

[٥] - سقط من: ز.

[٦] - سقط من: ز.

[٧] - سقط من: ز.

[٨] - سقط من: ز.

[٩] - في ز: «عن».

ما انتهى إليه بصره من خلقه » .

وقد قال أبو جعفر بن جرير(٥٩) : حدثنا ابن بشار ، حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ؛ قال : جاء رجل إلى عبد الله هو ابن مسعود - فقال : من أين جئت ؟ قال : من الشام . قال : من لقيت ؟ قال: لقيت كعبًا . قال ما حدثك كعب ؟ قال : حدثني أن السماوات تدور على منْكب مَلَك . قال : أفصدقته أو كذبته ؟ قال : ما صدقته ولا كذبته . قال : لوددت أنك افتديت من رحلتك إليه براحلتك ورَحْلها، كَذَب كعب . إن الله تعالى يقول : ﴿ **إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده** ﴾ .

وهذا إسناد صحيح إلى كعب وإلى ابن مسعود .

ثم رواه ابن جرير عن ابن حميد ، عن جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ؛ قال : ذهب جُندَب البَجَلي إلى كعب بالشام ، فذكر نحوه(٦٠) .

وقد رأيت في مصنف الفقيه يحيى بن إبراهيم بن مُزَين[١] الطليطلي ، سماه « سير الفقهاء » ، أورد هذا الأثر عن محمد بن عيسى بن الطَّبَّاع ، عن وكيع ، عن الأعمش ، به . ثم قال : وأخبرنا زونان يعني عبد الملك بن الحسن ، عن ابن وهب ، عن مالك ؛ أنه قال : السماء لا تدور . واحتج بهذه الآية ، وبحديث : « **إن بالمغرب بابًا للتوبة لايزال مفتوحًا حتى تطلع الشمس منه** » .

قلت : وهذا الحديث في الصحيح(٦١) ، والله أعلم .

﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾

---

(٥٩) - تفسير الطبري (٢٢/١٤٤) .

(٦٠) - تفسير الطبري (٢٢/١٤٤ ، ١٤٥) .

(٦١) - لم أجد الحديث في الصحيحين ، وهو عند الترمذي في الدعوات برقم (٣٥٣٠) في حديث طويل ، وهو في المسند للإمام أحمد ١٨١٤٥ - (٤/٢٤٠) ، وصحيح ابن خزيمة برقم (١٩٣) من حديث صفوان ابن عسال ، رضي الله عنه .

---

[١] - في ز : « سرين » .

يخبر تعالى عن قريش والعرب أنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم، قبل إرسال الرسول إليهم: ﴿لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم﴾، أي: من جميع الأمم الذين أرسل إليهم الرسل. قاله الضحاك وغيره، كقوله تعالى: ﴿أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين* أو تقولوا لو أنَّا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصَدَف عنها﴾ وكقوله تعالى: ﴿وإن كانوا ليقولون* لو أن عندنا ذكرًا من الأولين* لكنا عباد الله المخلصين* فكفروا به فسوف يعلمون﴾.

قال الله تعالى: ﴿فلما جاءهم نذير﴾، وهو: محمد صلى الله عليه وسلم بما أنزل معه من الكتاب العظيم، وهو القرآن المبين، ﴿ما زادهم إلا نفورا﴾، أي: ما ازدادوا إلا كفرًا إلى كفرهم، ثم بين ذلك بقوله: ﴿استكبارًا في الأرض﴾، أي: استكبروا عن اتباع آيات الله، ﴿ومكر السيئ﴾، أي: ومكروا بالناس في صدِّهم إياهم عن سبيل الله، ﴿ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله﴾، [أي: وما يعود وبال ذلك إلا عليهم أنفسهم دون غيرهم.

قال ابن أبي حاتم: ذكر علي بن الحسين، حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا سفيان، عن أبي زكريا الكوفي، عن رجل حدَّثه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إياك ومكر السيئ، فإنه لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله][1]، ولهم من الله طالب»(٦٢).

وقد قال محمد بن كعب القرظي: ثلاث من فعلهن لم ينجُ حتى ينزل به من مكر أو بغى أو نكث، وتصديقها في كتاب الله: ﴿ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله﴾، [﴿إنما بغيكم على أنفسكم﴾، ﴿فمن نكث فإنما ينكث على نفسه﴾][2].

وقوله: ﴿فهل ينظرون إلا سنة الأولين﴾، يعني: عقوبة الله لهم على تكذيبهم رسله ومخالفتهم أمره، ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلًا﴾، أي: لا تغير ولا تبدل، بل هي جارية كذلك في كل مكذب، ﴿ولن تجد لسنة الله تحويلا﴾، أي: ﴿وإذا أراد الله بقوم سوءًا فلا مرد له﴾، ولا يكشف ذلك عنهم، ويحوله عنهم أحد.

أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ

(٦٢) - في إسناده جهالة، وانقطاع، ولم أجد من أخرجه غير ابن أبي حاتم، وقد روى ابن المبارك في الزهد برقم (٧٢٥) عن الزهري مرسلًا نحوه.

[١] - ما بين المعكوفتين من: خ، ز.

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

﴿عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾

يقول تعالى: قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بما جئتهم به من الرسالة: سيروا في الأرض، فانظروا كيف كان عاقبة الذين كذبوا الرسل، كيف دمر اللَّه عليهم وللكافرين أمثالها، فَخُلِّيَتْ منهم منازلهم، وسلبوا ما كانوا فيه من النِّعَم بعد كمال القوة، وكثرة العدد والعُدَد، وكثرة الأموال والأولاد، فما أغنى ذلك شيئًا، ولا دفع عنهم من عذاب اللَّه من شيء، لما جاء أمر ربك؛ لأنه تعالى لا يعجزه شيء، إذا أراد كونه في السماوات والأرض، **﴿إنه كان عليمًا قديرًا﴾**. أي عليم بجميع الكائنات، قدير على مجموعها.

ثم قال تعالى: **﴿ولو يؤاخذ اللَّه الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة﴾**، أي: لو آخذهم بجميع ذنوبهم؛ لأهلك جميع أهل الأرض، وما يملكونه من دواب وأرزاق.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا عبد الرحمن، حدثنا سفيان الثوري، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد اللَّه؛ قال: كاد الجُعَل أن يعذب في جُحْره بذنب ابن آدم، ثم قرأ: **﴿ولو يؤاخذ اللَّه الناس بما كسبوا، ما ترك على ظهرها من دابة﴾**.

وقال سعيد بن جبير، والسُّدّي في قوله: **﴿ما ترك على ظهرها من دابة﴾**، أي: لما سقاهم المطر، فماتت جميع الدواب.

﴿ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى﴾، أي: ولكن يُنْظِرُهم إلى يوم القيامة، فيحاسبهم يومئذ، ويوفي كل عامل بعمله، فيجازي بالثواب أهل الطاعة، وبالعقاب أهل المعصية؛ ولهذا قال تعالى: **﴿فإذا جاء أجلهم فإن اللَّه كان بعباده بصيرًا﴾**.

آخر تفسير سورة فاطر، ولله الحمد والمنة[١]

☆ ☆ ☆

---

[١] - في حاشية خ، ز: « وهو آخر الجزء الخامس، يتلوه إن شاء الله تعالى في أول السادس تفسير سورة يس. والحمد لله رب العالمين آمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين ».

تفسير سورة يس

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

رب أعن على إتمامه[١]

قال أبو عيسى الترمذي(١) : حدثنا قتيبة وسفيان بنُ وكيع، حدثنا حُمَيد بن عبد الرحمن الرؤاسي، عن الحسن بن صالح، عن هارون أبي محمد، عن مقاتل بن حيان، عن قتادة، عن أنس؛ قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: «**إن لكل شيء قلبا، وقلب القرآن يس. ومن قرأ يس كَتَبَ اللّه له بقراءتها قراءةَ القرآن عشر مرات**».

ثم قال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حُمَيد بن عبد الرحمن، وهارون أبو محمد شيخ مجهول، وفي الباب عن أبي بكر الصديق رضي اللّه عنه، ولا يصح لضعف إسناده، وعن أبي هريرة منظور فيه.

أما حديث الصديق فرواه [الحكيم الترمذي في كتابه « نوادر الأصول »][٢] وأما حديث أبي هريرة فقال أبو بكر البزار(٢) : حدثنا عبد الرحمن بن الفضل، حدثنا زيد- هو ابن الحباب- حدثنا حُميد هو المكي، مولى آل علقمة، عن عطاء - هو ابن أبي رباح - عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: «**إن لكل شيء قلبًا، وقلب القرآن يس**». ثم قال: لا نعلم رواه إلا زيد، عن حميد.

وقال الحافظ أبو يعلى(٣) : حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل، حدثنا حجاج بن محمد، عن هشام بن زياد، عن الحسن؛ قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: «**من قرأ يس في ليلة أصبح مغفورًا له. ومن قرأ: «حم» التي يذكر فيها الدخان [في ليلة الجمعة][٣] أصبح مغفورًا له**». إسناد جيد.

(١) - سنن الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب: ما جاء في فضل يس، حديث (٢٨٨٧)، وأخرجه الدارمي في فضائل القرآن، باب: في فضل يس، حديث (٣٤١٩) عن محمد بن سعيد، عن حميد بن عبد الرحمن به.

(٢) - كشف الأستار (٣/٨٧) (٢٣٠٤).

(٣) - مسند أبي يعلى (١١/٩٣،٩٤) (٦٢٢٤)، وأخرجه الدارمي، في فضائل القرآن، باب: في فضل يس، حديث (٣٤٢٠)، والطبراني في الأوسط (٣٥٠٩) من طريق الحسن، عن أبي هريرة بنحوه، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/٤٨١) أيضًا إلى ابن مردويه، والبيهقي في شعب الإيمان.

[١] - في ت: « وبه الإعانة ». [٢] - ما بين المعكوفتين بياض في خ، ز.

[٣] - سقط من ز، خ. ومثبت من مسند أبي يعلى.

وقال ابن حبان في صحيحه(٤) : حدثنا محمد بن إسحاق بن إبراهيم مولى ثقيف، حدثنا الوليد ابن شجاع بن الوليد السكوني، حدثنا أبي، حدثنا زياد بن خيثمة، حدثنا محمد بن جُحَادة، عن الحسن، عن جندب بن عبد الله؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر له**».

وقد قال الإمام أحمد(٥) : حدثنا عارم، حدثنا معتمر، عن أبيه، عن رجل، عن أبيه، عن معقل[١] بن يَسَار رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**البقرة سنام القرآن وذِرْوَته، نزل مع كل آية منها ثمانون ملكًا، واستخرجت ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾، من تحت العرش فوصلت بها - أو: فوصلت بسورة البقرة -، ويس قلب القرآن، لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة، إلا غفر له، واقرءوها على موتاكم**».

وكذا رواه النسائي في «**اليوم والليلة**»، عن محمد بن عبد الأعلى، عن معتمر بن سليمان به.

ثم قال الإمام أحمد(٦) : حدثنا عارم، [حدثنا ابن][٢] المبارك، حدثنا سليمان التيمي، عن أبي عثمان - وليس بالنهدي - عن أبيه، عن معقل بن يسار؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**اقرءوها على موتاكم**» . يعني : يس.

ورواه أبو داود، والنسائي في «**اليوم والليلة**»، وابن ماجه من حديث عبد الله بن المبارك، به . إلا أن في رواية النسائي: عن أبي عثمان، عن معقل بن يسار.

ولهذا قال بعض العلماء: من خصائص هذه السورة أنها لا تقرأ عند أمر عسير إلا يسره الله. وكأن قراءتها عند الميت لتنزل الرحمة والبركة، وليسهل عليه خروج الروح، والله أعلم.

قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا أبو المغيرة، حدثنا صفوان؛ قال: كان المشيخة يقولون: إذا قرئت - يعني : يس - عند الميت خُفِّف عنه بها.

(٤) - صحيح ابن حبان (٣١٢/٦) (٢٥٧٤) ورجاله ثقات لكن فيه عنعنة الحسن.

(٥) - المسند (٢٦/٥)، وأخرجه النسائي في« عمل اليوم والليلة » (١٠٧٥) عن محمد بن عبد الأعلى، عن معتمر به.

(٦) - المسند (٢٦/٥)، وأخرجه في (٢٧/٥)، وأبو داود في الجنائز، باب: القراءة عند الميت، حديث (٣١٢١)، وابن ماجة في الجنائز، باب: فيما يقال عند المريض، حديث (١٤٤٨) من طرق عن ابن المبارك به.

[١] - في خ: « مغفل ».

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز، خ: « عن ».

وقال البزار(٧) : حدثنا سلمة[١] بن شبيب ، حدثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان ، عن أبيه ، عن عكرمة ، عن ابن عباس؛ قال: قال النبي صلى اللّه عليه وسلم: «**لوددت أنها في قلب كل إنسان من أمتي**» يعني يس[٢] .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يسٓ (١) وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤) تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٥) لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ (٦) لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٧)

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أول «**سورة البقرة**» .

وروي عن ابن عباس وعكرمة ، والضحاك ، والحسن ، وسفيان بن عُيينة : أن «**يس**» بمعنى : يا إنسان .

وقال سعيد بن جبير : هو كذلك في لغة الحبشة .

وقال مالك ، عن زيد بن أسلم : هو اسم من أسماء اللّه تعالى .

﴿**والقرآن الحكيم**﴾ ، أي : المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ﴿**إنك**﴾ يا محمد ﴿**لمن المرسلين* على صراط مستقيم**﴾ ، أي : على منهج ودين قويم ، وشرع مستقيم ، ﴿**تنزيل العزيز الرحيم**﴾ ، أي : هذا الصراط والمنهج والدين الذي جئت به مُنَزّل من رب العزة ، الرحيم بعباده المؤمنين ، كما قال تعالى : ﴿**وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم* صراط اللّه الذي له ما في السماوات وما في الأرض ألا إلى اللّه تصير الأمور**﴾ .

وقوله تعالى : ﴿**لتنذر قومًا ما أنذر آباؤهم فهم غافلون**﴾ ، يعني بهم العرب ، فإنه ما أتاهم من نذير من قبله . وذكرهم وحدهم لا ينفي من عداهم ، كما أن ذكر بعض الأفراد لا ينفي العموم . وقد تقدم ذكْر الآيات والأحاديث المتواترة في عموم بعثته صلوات اللّه وسلامه عليه عند قوله تعالى : ﴿**قل يا أيها الناس إني رسول اللّه إليكم جميعًا**﴾ .

وقوله : ﴿**لقد حق القول على أكثرهم**﴾ قال ابن جرير : لقد وجب العذاب على أكثرهم

(٧) - كشف الأستار (٧٨/٣) (٢٣٠٥) ، وقال البزار : لا نعلمه يروى إلَّا عن ابن عباس بهذا الإسناد ، وإبراهيم لم يتابع على أحاديثه ، على أنه قد حدَّث عنه أهل العلم .

[١] - في ز ، خ : «مسلمة» . [٢] - سقط من : خ .

بأن ختّم عليهم في أم الكتاب أنهم لا يؤمنون، ﴿فهم لا يؤمنون﴾ بالله، ولا يصدقون رسله.

إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾

يقول تعالى: إنا جعلنا هؤلاء المحتوم عليهم بالشقاء نسبتهم إلى الوصول إلى الهدى كنسبة من جُعل في عنقة غُلّ؛ فجَمَع يديه مع عنقه تحت ذقنه، فارتفع رأسُه، فصار مقمَحًا، ولهذا قال: ﴿فهم مقمحون﴾، والمقمح هو الرافع رأسه، كما قالت أم زرْع في كلامها: «وأشرب فأتقمَّح»، أي: أشرب فأروى، وأرفع رأسي تهينًا وتَرَوِّيًا. واكتفى بذكر الغل في العنق عن ذكر اليدين، وإن كانتا مرادتين، كما قال الشاعر:

فَمَا أدْري إذَا يَمَّمْتُ أرْضًا أريد الخَيْرَ أيُّهما يَليني
أَلْخَيْرُ الذي أنَا أبْتَغيه أم الشَّرُّ الذي لا يَأْتَليني

فاكتفى بذكر الخير عن ذكر الشر لَمَّا دل السياق والكلام عليه، وكذا هذا، لما كان الغُلّ إنما يعرف فيما جَمَع اليدين مع العنق، اكتفى بذكر العنق عن اليدين.

قال العوفي، عن ابن عباس في قوله: ﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون﴾، قال: هو كقول الله تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك﴾، يعني بذلك أن أيديهم موثقة إلى أعناقهم، لا يستطيعون أن يبسطوها بخير.

وقال مجاهد: ﴿فهم مقمحون﴾، قال: رافعو[١] رءوسهم، وأيديهم موضوعة على أفواههم، فهم مغلولون عن كل خير.

وقوله: ﴿وجعلنا من بين أيديهم سدًّا﴾، قال مجاهد: عن الحق، ﴿ومن خلفهم سدًّا﴾، قال مجاهد: عن الحق، فهم يترددون. وقال قتادة: في الضلالات.

وقوله: ﴿فأغشيناهم﴾، أي: أغشينا أبصارهم عن الحق، ﴿فهم لا يبصرون﴾، أي: لا ينتفعون بخير ولا يهتدون إليه.

[١] - في خ، ز: «راخي».

قال ابن جرير: وروي عن ابن عباس أنه كان يقرأ (فأعشيناهم)، بالعين المهملة، من العشا وهو داء في العين.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: جعل الله هذا السد بينهم وبين الإسلام والإيمان، فهم لا يخلصون إليه، وقرأ: ﴿**إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم**﴾. ثم قال: من منعه الله لا يستطيع.

وقال عكرمة: قال أبو جهل: لئن رأيتُ محمدًا لأفعلن ولأفعلنّ. فأنزلت: ﴿**إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً**﴾ إلى قوله: ﴿**لا يبصرون**﴾، قال: وكانوا يقولون: هذا محمد. فيقول: أين هو؟ أين هو؟ لا يبصره. رواه ابن جرير.

وقال محمد بن إسحاق(٨): حدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب؛ قال: قال أبو جهل وهم جلوس: إن محمدًا يزعم أنكم إن تابعتموه كنتم ملوكًا، فإذا متّم بُعثتم بعد موتكم، وكانت لكم جِنانٌ خير من جنان الأُرْدُن. وأنكم إن خالفتموه كان لكم منه ذبح، ثم بعثتم بعد موتكم وكانت لكم نار تُعذّبون بها. وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك. وفي يده حفنة من تراب، وقد أخذ الله على أعينهم دونه، فجعل يَذرّها على رءوسهم، ويقرأ: ﴿**يس * والقرآن الحكيم**﴾، حتى انتهى إلى قوله: ﴿**وجعلنا من بين أيديهم سدًّا ومن خلفهم سدًّا فأغشيناهم فهم لا يبصرون**﴾، وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته، وباتوا رُصَداء على بابه، حتى خرج عليهم بعد ذلك خارج من الدار، فقال: ما لكم؟ قالوا: ننتظر محمدًا. قال: قد خرج عليكم، فما بقي منكم من رجل إلا وضع على رأسه ترابًا، ثم ذهب لحاجته. فجعل كل رجل منهم ينفض ما على رأسه من تراب. قال: وقد بلغ النبي صلى الله عليه وسلم قول أبي جهل فقال: «**وأنا أقول ذلك: إن لهم مني لذبحًا، وإنه أحدهم**[١]».

وقوله: ﴿**وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون**﴾، أي: قد ختم الله عليهم بالضلالة، فما يفيد فيهم الإنذار ولا يتأثرون به.

وقد تقدم نظيرها في أول «سورة البقرة»، وكما قال تعالى: ﴿**إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم**﴾.

﴿**إنما تنذر من اتبع الذكر**﴾، أي: إنما ينتفع بإنذارك المؤمنون الذين يتبعون الذكر، وهو القرآن العظيم، ﴿**وخشي الرحمن بالغيب**﴾، أي: حيث[٢] لا يراه أحد إلا الله، يعلم أن الله مطلع عليه، وعالم بما يفعله، ﴿**فبشره بمغفرة**﴾. أي: لذنوبه، ﴿**وأجر كريم**﴾، أي: كبير

(٨) - سيرة ابن هشام (٢/٩٥).

[١] - في خ، ز: «آخذهم». [٢] - سقط من: خ، ز.

واسع حسن جميل، كما قال تعالى: ﴿**إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير**﴾.

ثم قال تعالى: ﴿**إنا نحن نحيي الموتى**﴾، أي: يوم القيامة، وفيه إشارة إلى أن الله تعالى يحيي قلب من يشاء من الكفار الذين قد ماتت قلوبهم بالضلالة، فيهديهم بعد ذلك إلى الحق، كما قال بعد ذكر قسوة القلوب: ﴿**اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون**﴾.

وقوله: ﴿**ونكتب ما قدموا**﴾، أي: من الأعمال. وفي قوله: ﴿**وآثارهم**﴾ قولان:

أحدهما: نكتب أعمالهم التي باشروها بأنفسهم، وآثارهم التي أثروها من بعدهم، فنجزيهم على ذلك أيضًا، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، كقوله صلى الله عليه وسلم: «**من سن في الإسلام سنة حسنة، كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزرُ من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيئًا**».

رواه مسلم(٩)، من رواية شعبة، عن عون بن أبي جُحَيْفة، عن المنذر بن جرير، [عن أبيه جرير][١] بن عبد الله البَجَلي رضي الله عنه، وفيه قصة المجْتَابي[٢] النِّمار(*) [٣] المُضَرِيِّين.

ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه، عن يحيى بن سليمان الجعفي، عن أبي المحياة يحيى بن يعلى، عن عبد الملك بن عمير، عن جرير بن عبد الله فذكر الحديث بطوله، ثم تلا هذه الآية: ﴿**ونكتب ما قدموا وآثارهم**﴾.

وقد رواه مسلم(١٠) من رواية أبي عوانة، عن عبد الملك بن عمير، عن المنذر بن جرير، عن أبيه، فذكره.

وهكذا الحديث الآخر الذي في صحيح مسلم(١١) عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال

---

(٩) - أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الزكاة، حديث (١٠١٧) وفي كتاب العلم، حديث (١٠١٧) من حديث عبد الرحمن بن هلال الراسبي، عن جرير بن عبد الله.

(*) النمار: جمع نمرة، وهي ثياب صوف فيها خطوط بيض وسود. ومجتابي النمار: أي: خرقوها وقوروا وسطها.

(١٠) - صحيح مسلم، كتاب الزكاة، حديث (١٠١٧) (٧٠)، وفي العلم حديث (١٠١٧) (١٥).

(١١) - تقدم تخريجه في سورة البقرة، الآية (١٢٨).

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز. [٢] - في ت: «مجتابي».

[٣] - بياض في ز، خ.

رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: من علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له، أو صدقة جارية من بعده**».

و[١]قال سفيان الثوري، عن أبي سعيد؛ قال: سمعت مجاهدًا يقول في قوله: ﴿**إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم**﴾، قال: ما أورثوا من الضلالة.

وقال ابن لهيعة، عن عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿**ونكتب ما قدموا وآثارهم**﴾، يعني: ما أثّروا، يقول: ما سنوا من سنة، فعمل بها قوم من بعد موته[٢]، فإن كان خيرًا فله مثل أجورهم، لا ينقص من أجر من عمله شيئًا، [وإن كانت شرًّا فعليه مثل أوزارهم، ولا ينقص من أوزار من عمله شيئًا][٣]. ذكرهما ابن أبي حاتم. وهذا القول هو اختيار البَغَوي.

والقول الثاني: أن المراد بذلك آثار خطاهم إلى الطاعة أو المعصية.

قال ابن أبي نَجيح وغيره، عن مجاهد: ﴿**ما قدموا**﴾: أعمالهم، ﴿**وآثارهم**﴾؛ قال: خطاهم بأرجلهم.

وكذا قال الحسن وقتادة: ﴿**وآثارهم**﴾، يعني: خطاهم.

قال قتادة: لو كان اللَّه تعالى مُغْفِلًا شيئًا من شأنك يا بن آدم؛ أغفل ما تُعَفي الرياحُ من هذه الآثار، ولكن أحصى على ابن آدم أثره وعمله كله، حتى أحصى هذا الأثر فيما هو من طاعة اللَّه أو من معصيته، فمن استطاع منكم أن يكتب أثره في طاعة اللَّه فليفعل.

وقد وَرَدت[٤] في هذا المعنى أحاديث:

(الحديث الأول) قال الإمام أحمد(١٢): حدثنا عبد الصمد، حدثنا أبي، حدثنا الجُرَيري، عن أبي نَضْرَة، عن جابر بن عبد اللَّه؛ قال: خلت البقاع حول المسجد، فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد، فبلغ ذلك رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم، فقال لهم: «**إنه[٥] بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد؟**». قالوا: نعم[٦] يا رسول اللَّه؛ قد أردنا[٧] ذلك؛

(١٢) - المسند (٣/٣٣٢)، وأخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة، حديث (٦٦٥) من طريق كهمس عن أبي نضرة، عن جابر به.

[١] - سقط من ز، خ.
[٢] - في ت: «موتهم».
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.
[٤] - في ز، خ: «أوردت».
[٥] - في خ، ز: «إني».
[٦] - سقط من: خ، ز.
[٧] - في ز، خ: «ردنا».

فقال: «يا بني سلمة؛ دياركم تكتب آثاركم، دياركم تكتب آثاركم».

وهكذا رواه مسلم، من حديث سعيد الجُرَيري وكهمس بن الحسن، كليهما[١] عن أبي نضرة - واسمه: المنذر بن مالك بن قَطَعَة العَبْدي - عن جابر به.

(الحديث الثاني) قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن الوزير الواسطي، حدثنا إسحاق الأزرق، عن سفيان الثوري، عن أبي سفيان، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري؛ قال: كانت بنو سَلمة في ناحية من المدينة، فأرادوا أن ينتقلوا إلى قريب من المسجد؛ فنزلت: ﴿إنا نحن [نحيي الموتى][٢] ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: «إن آثاركم تُكتَبُ». فلم ينتقلوا.

انفرد بإخراجه الترمذي(١٣) عند تفسير هذه الآية الكريمة، عن محمد بن الوزير به. ثم قال: حسن غريب من حديث الثوري.

ورواه ابن جرير(١٤)، عن سليمان بن عمر بن خالد الرقي، عن ابن المبارك، عن سفيان الثوري، عن طريف - وهو ابن شهاب أبي[٣] سفيان السعدي - عن أبي نضرة، به.

وقد رُوِيَ من غير طريق الثوري، فقال الحافظ أبو بكر البزار:

حدثنا عباد بن الساجي، حدثنا عثمان بن عمر، حدثنا شعبة، عن سعيد الجُرَيري، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد؛ قال[٤]: إن بني سَلمة شَكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد منازلهم من المسجد؛ فنزلت: ﴿ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾، فأقاموا في مكانهم.

وحدثناه ابن المثنى(١٥)، حدثنا عبد الأعلى، حدثنا الجُرَيري، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد، عن النبي صلى الله عليه وسلم، بنحوه. وفيه غرابة مِن حيثُ[٥] ذكر نزول هذه الآية، والسورة بكمالها مكية، فالله أعلم.

(الحديث الثالث) قال ابن جرير(١٦): حدثنا نصر بن علي الجهضمي، حدثنا أبو أحمد

(١٣) - سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة يس حديث (٣٢٢٦) عن محمد بن وزير به، وقد سقط من المطبوع من السنن (أبي سفيان) والصواب ذكره كما في تحفة الأشراف (٤٣٥٨).
(١٤) - تفسير الطبري (٢٢/١٥٤).
(١٥) - تقدم الحديث من طريق الجريري برقم (١٢).
(١٦) - تفسير الطبري (٢٢/١٥٤).

[١] - في ز، خ: «كلاهما».
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٣] - في خ، ز: «بن».
[٤] - سقط من: ز، خ.
[٥] - في ز، خ: «حديث».

الزبيري، حدثنا إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس؛ قال: كانت منازل الأنصار متباعدة من المسجد فأرادوا أن ينتقلوا إلى المسجد، فنزلت: ﴿**ونكتب ما قدموا وآثارهم**﴾». فقالوا: نثبت مكاننا. هكذا رواه، وليس فيه شيء مرفوع.

ورواه الطبراني(١٧) عن عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم، عن محمد بن يوسف الفريابي، عن إسرائيل، عن سماك، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس؛ قال: كانت الأنصار بعيدة منازلهم من المسجد؛ فأرادوا أن يتحولوا إلى المسجد، فنزلت: ﴿**ونكتب[١] ما قدموا وآثارهم**﴾، فثبتوا في منازلهم.

(الحديث الرابع) قال الإمام أحمد(١٨): حدثنا حسن، حدثنا ابن لَهيعة، حدثني حُيَي بن عبد الله، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي، عن عبد الله بن عمرو؛ قال: توفي رجل بالمدينة، فصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: «**يا ليته مات في غير مولده**»؛ فقال رجل من الناس: ولم يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الرجل إذا توفي في غير مولده، قيس له من مولده إلى منقطع أثره في الجنة**».

ورواه النسائي عن يونس بن عبد الأعلى، وابن ماجة عن حرملة، كلاهما عن ابن وهب، عن حيي بن عبد الله به.

وقال ابن جرير(١٩): حدثنا ابن حميد، حدثنا أبو تميلة، حدثنا الحسين، عن ثابت، قال: مشيت مع أنس فأسرعتُ المشي، فأخذ بيدي فمشينا رويدًا، فلما قضينا الصلاة؛ قال أنس: مشيت مع زيد بن ثابت فأسرعت المشي؛ فقال: يا أنس، أما شَعرتَ أن الآثار تكتب؟ أما شَعرت أن الآثار تكتب؟.

وهذا القول لا تنافي بينه وبين الأول، بل في هذا تنبيه ودلالة على ذلك بطريق الأولى والأحرى، فإنه إذا كانت هذه الآثار تُكتَب، فَلأَنْ تُكتَبَ تلك التي فيها قُدوة بِهم من خير أو شر بطريق الأولى، والله أعلم.

وقوله: ﴿**وكل شيء أحصيناه في إمام مبين**﴾، أي: جميع الكائنات مكتوب في كتاب

(١٧) - المعجم الكبير (١٢٣١٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٩/٧): رواه الطبراني عن شيخه عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم وهو ضعيف.

(١٨) - المسند (١٧٧/٢)، وأخرجه النسائي في الجنائز، باب: الموت بغير مولده (٧/٤)، وابن ماجة في الجنائز، باب: ما جاء فيمن مات غريبًا، حديث (١٦١٤) من طريق ابن وهب عن حُيي بن عبد الله به.

(١٩) - تفسير الطبري (١٥٤/٢٢).

[١] - في ز، خ: «سنكتب».

مسطور مضبوط في لوح محفوظ، والإمام المبين هنا هو أم الكتاب. قاله مجاهد، وقتادة، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

وكذا في قوله تعالى: ﴿**يوم ندعوا كل أناس بإمامهم**﴾، أي: بكتاب أعمالهم الشاهد عليهم بما عملوه من خير وشر، كما قال تعالى: ﴿**ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء**﴾، وقال تعالى: ﴿**ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرًا ولا يظلم ربك أحدًا**﴾.

وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾

يقول تعالى: واضرب - يا محمد - لقومك الذين كذبوك ﴿**مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون**﴾.

قال ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس، وكعب الأحبار، ووهب بن منبه: إنها مدينة أنطاكية، وكان بها ملك يقال له: أنطيخس بن أنطيخس بن أنطيخس، وكان يعبد الأصنام، فبعث الله إليه ثلاثة من الرسل، وهم: صادق وصدوق وشلوم[١]، فكذبهم.

وهكذا رُوي عن بُرَيدة بن الحُصَيب، وعكرمة، وقتادة، والزهري: أنها أنطاكية.

وقد استشكل بعضُ الأئمة كونَها[٢] أنطاكية، بما سنذكره بعد تمام القصة، إن شاء الله تعالى.

وقوله: ﴿**إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما**﴾، أي: بادروهما بالتكذيب، ﴿**فعززنا بثالث**﴾، أي: قويناهما وشددنا أزرهما برسول ثالث.

قال ابن جريج، عن وهب بن سليمان، عن شعيب الجبائي؛ قال[٣]: كان اسم الرسولين الأولين شمعون ويوحنا، واسم الثالث بولص، والقرية أنطاكية.

---

[١] - في ز: «شكوم».
[٢] - في ز، خ: «أنها».
[٣] - سقط من: ز، خ.

﴿فقالوا﴾، أي: لأهل تلك القرية: ﴿إنا إليكم مرسلون﴾، أي: من ربكم الذي خلقكم، نأمركم بعبادته وحده لا شريك له. قاله أبو العالية.

وزعم قتادة بن دعامة: أنهم كانوا رسل المسيح عليه السلام إلى أهل أنطاكية.

﴿قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا﴾، أي: فكيف أوحي إليكم وأنتم بشر ونحن بشر، فلم لا أوحيَ إلينا مثلكم؟ ولو كنتم رسلًا لكنتم ملائكة. وهذه شُبَه كثير من الأمم المكذبة، كما أخبر الله تعالى عنهم في قوله: ﴿ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا﴾؟، فاستعجبوا من ذلك وأنكروه، وقوله: ﴿قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فائتونا بسلطان مبين﴾. وقوله حكاية عنهم في قوله: ﴿ولئن أطعتم بشرًا مثلكم إنكم إذا لخاسرون﴾، ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرًا رسولًا﴾، ولهذا قال هؤلاء: ﴿ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون * قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون﴾، أي: أجابتهم رُسُلهم الثلاثة قائلين: الله يعلم أنا رسله إليكم، ولو كنا كَذَبة عليه لانتقم منا أشد الانتقام، ولكنه سيعزنا وينصرنا عليكم، وستعلمون لمن تكون عاقبة الدار، كقوله تعالى: ﴿قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدًا يعلم ما في السماوات وما في الأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون﴾.

﴿وما علينا إلا البلاغ المبين﴾، يقولون: إنما علينا أن نبلغكم ما أرسلنا به إليكم، فإن أطعتم كانت لكم السعادة في الدنيا والآخرة، وإن لم[١] تجيبوا فستعلمون غِبَّ ذلك.

قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨﴾
قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿١٩﴾

فعند ذلك قال لهم أهل القرية: ﴿إنا تطيرنا بكم﴾، أي: لم نر على وجوهكم خيرًا في عيشنا.

وقال قتادة: يقولون: إن أصابنا شر فإنما هو من أجلكم.

وقال مجاهد: يقولون: لم يدخل مثلكم إلى قرية إلا عُذب أهلها.

﴿لئن لم تنتهوا لنرجمنكم﴾، قال قتادة: بالحجارة. وقال مجاهد: بالشتم.

﴿وليمسنكم منا عذاب أليم﴾، أي: عقوبة شديدة فقالت لهم رسلهم: ﴿طائركم معكم﴾، أي: مردود عليكم، كقوله تعالى في قوم فرعون: ﴿فإذا[٢] جاءتهم الحسنة قالوا لنا

---

[١] - في ز: «أنتم». [٢] - في ز، خ: «وإذا».

هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله﴾، وقال قوم صالح[١]: **﴿اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله﴾** .

وقال قتادة: ووهب بن منبه: أي أعمالكم معكم .

وقال تعالى: **﴿وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثًا﴾** .

وقوله: **﴿أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون﴾**، أي: من أجل أنّا ذكرناكم وأمرناكم بتوحيد الله وإخلاص العبادة له، قابلتمونا بهذا الكلام، وتوعدتمونا وتهددتمونا؟ بل أنتم قوم مسرفون .

وقال قتادة، أي[٢]: إن ذكرناكم بالله تطيرتم بنا، بل أنتم قوم مسرفون .

وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾

قال ابن إسحاق - فيما بلغه عن ابن عباس وكعب الأحبار ووهب بن منبه -: إن أهل القرية همّوا بقتل رسلهم فجاءهم رجل من أقصى المدينة يسعى، أي: لينصرهم من قومه - قالوا: وهو حبيب، وكان يعمل الجرَير[٣] - وهو الحبال - وكان رجلًا سقيمًا، قد أسرع فيه الجذام، وكان كثير الصدقة، يتصدق بنصف كسبه، مستقيمَ النظرة .

وقال ابن إسحاق عن رجل سماه، عن الحكم، عن مقْسَم - أو: عن مجاهد - عن ابن عباس؛ [كان][٤]: اسم صاحب يس "حبيب"، وكان الجذام قد أسرع فيه .

وقال الثوري، عن عاصم الأحول، عن أبي مجلز: كان اسمه حبيب بن مرى[٥] .

وقال شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس؛ قال: اسم صاحب يس حبيب النجار،

---

[١] - في خ، ز: « لوط » .
[٢] - سقط من: ز، خ .
[٣] - في ز، خ: « الجَريد » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ت: « قال » .
[٥] - في خ، ز: « سرى » .

فقتله قومه[١].

وقال السدي: كان قَصَّارًا. وقال عمر بن الحكم: كان إسكافًا.

وقال قتادة: كان يتعبد في غار هناك.

﴿قال يا قوم اتبعوا المرسلين﴾، يحض قومه على اتباع الرسل الذين أتوهم، **﴿اتبعوا من لا يسألكم أجرًا﴾**، أي: على إبلاغ الرسالة، **﴿وهم مهتدون﴾** فيما يدعونكم إليه، من عبادة الله وحده لا شريك له.

﴿وما لي لا أعبد الذي فطرني﴾، أي: و[٢]ما يمنعني من إخلاص العبادة للذي خلقني وحده لا شريك له، **﴿وإليه ترجعون﴾**، أي[٣]: يوم المعاد، فيجازيكم على أعمالكم، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

﴿أأتخذ من دونه آلهة﴾، استفهام إنكار وتوبيخ وتقريع، **﴿إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئًا ولا ينقذون﴾**، أي: هذه الآلهة التي تعبدونها من دونه لا يملكون من الأمر شيئًا، فإن الله لو أرادني بسوء **﴿فلا[٤] كاشف له إلا هو﴾**. وهذه الأصنام لا تملك دفع ذلك ولا منعه، ولا ينقذونني مما أنا فيه **﴿إني إذًا لفي ضلال مبين﴾**، أي: إن اتخذتها آلهة من دون الله.

وقوله: **﴿إني آمنت بربكم فاسمعون﴾** قال ابن إسحاق - فيما بلغه عن ابن عباس وكعب ووهب: - يقول لقومه: **﴿إني آمنت بربكم﴾**، الذي كفرتم به، **﴿فاسمعون﴾**، أي: فاسمعوا قولي.

ويحتمل أن يكون خطابه للرسل بقوله: **﴿إني آمنت بربكم﴾**، أي: الذي أرسلكم، **﴿فاسمعون﴾**، أي: فاشهدوا لي بذلك عنده. وقد حكاه ابن جرير فقال: وقال آخرون: بل خاطب بذلك الرسل، وقال لهم: اسمعوا قولي، لتشهدوا لي بما أقول لكم عند ربي، إني آمنت بربكم واتبعتكم.

وهذا الذي حكاه عن هؤلاء أظهر في المعنى، والله أعلم.

قال ابن إسحاق - فيما بلغه عن ابن عباس وكعبٍ ووهب -: فلما قال ذلك وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه، ولم يكن له أحد يمنع عنه.

---

[١] - في ز، خ: «قوم».
[٢] - سقط من: ز، خ.
[٣] - سقط من: ز، خ.
[٤] - في ز، خ: «لا».

و[١]قال قتادة: جعلوا يرجمونه بالحجارة، وهو يقول: «**اللهم، اهد قومي، فإنهم لا يعلمون**» .فلم يزالوا به حتى أقعصوه(*) وهو يقول كذلك. فقتلوه رحمه الله.

قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَـٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ (٢٧) ۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ (٢٨) إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَـٰمِدُونَ (٢٩)

قال محمد بن إسحاق، عن بعض أصحابه، عن ابن مسعود: إنهم وطئوه بأرجلهم حتى خرج قُصْبه(**) من دبره. وقال الله له: ﴿**ادخل الجنة**﴾، فدخلها فهو يرزق منها، قد أذهب الله عنه سُقْم الدنيا وحُزنها ونَصَبها.

وقال مجاهد: قيل لحبيب النجار: ادخل الجنة. وذلك أنه قتل فوجبت له، فلما رأى الثواب ﴿**قال يا ليت قومي يعلمون**﴾.

قال قتادة: لا تلقى المؤمن إلا ناصحًا، لا تلقاه غاشًا، لمَّا عاين [ما عاين][٢] من كرامة الله ﴿**قال يا ليت قومي يعلمون * بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين**﴾، تمنى على[٣] الله أن يعلم قومه ما عاين من كرامة الله، وما هجم عليه.

و[٤]قال ابن عباس: نصح قومه في حياته بقوله: ﴿**يا قوم اتبعوا المرسلين**﴾، وبعد مماته في قوله: ﴿**يا ليت قومي يعلمون * بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين**﴾. رواه ابن أبي حاتم.

وقال سفيان الثوري، عن عاصم الأحول، عن أبي مجلز: ﴿**بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين**﴾، بإيماني بربي، وتصديقي المرسلين.

ومقصوده أنهم لو اطلعوا على ما حَصَل من هذا الثواب والجزاء والنعيم المقيم؛ لقادهم ذلك إلى اتباع الرسل، فرحمه الله ورضي عنه، فلقد كان حريصًا على هداية قومه.

قال[٥] ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن عبيد الله، حدثنا ابن[٦] جابر - [وهو][٧] محمد - عن عبد الملك - يعني: ابن عمير - قال: قال عروة بن مسعود الثقفي للنبي صلى الله

(*) أقعصه: أماته مكتنه.

(**) قصبه: أمعاؤه.

[١] - سقط من: ز، خ.

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من ت.

[٣] - في ز، خ: «و».

[٤] - سقط من: ز، خ.

[٥] - بياض في: ز، خ.

[٦] - سقط من: ز، خ.

[٧] - ما بين المعكوفتين في ز: «هو ابن».

عليه وسلم: ابعثني إلى قومي أدعوهم إلى الإسلام؛ فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: «**إني أخاف أن يقتلوك**». فقال: لو وجدوني نائمًا ما[١] أيقظوني، فقال له رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: «**انطلق**». فانطلق فمر على اللات والعزى، فقال: لأُصْبحَنَّك غدًا بما يسؤوك. فغضبت ثقيف؛ فقال: يا معشر ثقيف، إن اللاتَ لالات، وإن العُزّى لا عُزّى، أسلموا تسلموا. يا معشر الأحلاف؛ إن العزى لا عزى، وإن اللات لالات، أسلموا تسلموا. قال ذلك ثلاث مرات، فرماه رجل فأصاب أَكْحله فقتله، فبلغ رسولَ اللّه صلى اللّه عليه وسلم؛ فقال: «**هذا مثله كمثل صاحب يس ﴿قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين﴾**».

وقال محمد بن إسحاق، عن عبد اللّه بن عبد الرحمن بن مَعمر بن حَزْم: إنه حدث عن كعب الأحبار: أنه ذكر له حبيب بن زيد بن عاصم - أخو بني مازن بن النجار - الذي كان مسيلمة الكذاب قَطَّعه باليمامة، حين جعل يسأله عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، فجعل يقول: أتشهد أن محمدًا رسول اللّه؟ فيقول: نعم. ثم يقول: أتشهد أني رسول اللّه؟ فيقول: لا أسمع. فيقول له مسيلمة: أتسمع هذا ولا تسمع ذاك؟ فيقول: نعم. فجعل يُقَطِّعه عضوا عضوًا، كلما سأله لم يزده على ذلك [حتى مات في يديه][٢] : فقال كعب حين قيل له[٣]: اسمه حبيب، وكان واللّه صاحب يس اسمه حبيب.

وقوله: ﴿**وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين**﴾، يخبر تعالى أنه انتقم من قومه بعد قتلهم إياه، غضبًا منه تعالى عليهم؛ لأنهم كذبوا رسله، وقتلوا وليّه. ويذكر تعالى: أنه ما أنزل عليهم، وما احتاج في إهلاكه إياهم إلى إنزال جند من الملائكة عليهم، بل الأمر كان أيسر من ذلك. قاله ابن مسعود، فيما رواه ابن إسحاق، عن بعض أصحابه، عنه أنه قال في قوله: ﴿**وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين**﴾، أي: ما كاثرناهم بالجموع. الأمر كان أيسر علينا من ذلك، ﴿**إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون**﴾، قال: فأهلك اللّه ذلك الملك، وأهلك أهل[٤] أنطاكية، فبادوا عن وجه الأرض، فلم يبق منهم باقية.

وقيل: ﴿**وما كنا منزلين**﴾، أي: وما كنا ننزل الملائكة على الأمم إذا أهلكناهم، بل نبعث عليهم عقابًا[٥] يدمرهم.

وقيل: المعنى في قوله: ﴿**وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء**﴾، أي: من

---

[١] - سقط من: ز.

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

[٣] - سقط من: خ، ز.

[٤] - سقط من: خ، ز.

[٥] - في ت: «عذابًا».

رسالة أخرى إليهم. قاله مجاهد وقتادة. قال قتادة: فلا والله ما عاتب الله قومه بعد قتله، ﴿إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون﴾.

قال ابن جرير: والأول أصح؛ لأن الرسالة لا تسمى جندًا.

قال المفسرون، بعث الله إليهم جبريل عليه السلام فأخذ بِعِضَادتَيْ باب بلدهم، ثم صاح بهم صيحة واحدة فإذا هم خامدون عن آخرهم، لم تبق فيهم[١] روح تتردد في جسد.

وقد تقدم عن كثير من السلف أن هذه القرية هي أنطاكية، وأن هؤلاء الثلاثة كانوا رسلًا من عند المسيح عليه السلام؛ كما نص عليه قتادة وغيره، وهو الذي لم يذكر عن[٢] واحد من متأخري المفسرين غيره، وفي ذلك نظر من وجوه.

أحدها[٣]: أن ظاهر القصة يدل على أن هؤلاء كانوا رسل الله عز وجل، لا من جهة المسيح، كما قال تعالى: ﴿إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون﴾ إلى أن قالوا: ﴿ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون * وما علينا إلا البلاغ المبين﴾، ولو كان[٤] هؤلاء من الحواريين لقالوا عبارة تناسب أنهم من عند المسيح عليه السلام، والله أعلم. ثم لو كانوا رسل المسيح لما قالوا لهم: ﴿إن أنتم إلا بشر مثلنا﴾.

الثاني: أن أهل أنطاكية آمنوا برسل المسيح إليهم، فكانوا[٥] أول مدينة آمنت بالمسيح؛ ولهذا كانت عند النصاري إحدى المدائن الأربعة اللاتي فيهن بَتَارِكَةٌ، وهن القدس لأنها بلد المسيح، وأنطاكية لأنها أول بلدة آمنت بالمسيح عن آخر أهلها.

والإسكندرية لأن فيها اصطلحوا على اتخاذ البتاركة والمطارنة والأساقفة والقساوسة[٦] والشمامسة والرهابين. ثم رومية لأنها مدينة الملك قسطنطين الذي نصر[٧] دينهم وأطَّدَه(*). ولما ابتنى القسطنطينيةَ نقلوا البترك من رومية إليها، كما ذكره غير واحد ممن ذكر تواريخهم كسعيد بن بطريق وغيره من أهل الكتاب والمسلمين، فإذا تقرر أن أنطاكية أول قرية[٨] آمنت. فأهل هذه القرية قد ذكر الله تعالى أنهم كذبوا رسلهم[٩]، وأنه أهلكهم بصيحة واحدة أخذتهم[١٠]، فالله أعلم.

(*) أي ثبته.

---

[١] - في ت: «بهم».

[٢] - في ز، خ: «غير».

[٣] - في ت: «أحدهما».

[٤] - في ز، خ: «كانوا».

[٥] - في ت: «وكانوا».

[٦] - في ز، خ: «القساقسة».

[٧] - في خ، ز: «حصر».

[٨] - في ت: «مدينة».

[٩] - في ت: «رسله».

[١٠] - في ت: «أخمدتهم».

الثالث: أن قصة أنطاكية مع الحواريين أصحاب المسيح بعد نزول التوراة ،وقد ذكر أبو سعيد الخدري وغير واحد من السلف؛ أن الله تعالى بعد إنزاله التوراة لم يهلك أمة من الأمم عن آخرهم بعذاب يبعثه عليهم، بل أمر المؤمنين بعد ذلك بقتال المشركين، ذكروه عند قوله تعالى: ﴿**ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى**﴾. فعلى هذا يتعين أن[١] هذه القرية المذكورة في القرآن قرية أخرى غير أنطاكية، كما أطلق ذلك غير واحد من السلف أيضًا. أو تكون أنطاكية إن كان لفظها محفوظًا في هذه القصة، مدينة أخرى غير هذه المشهورة المعروفة، فإن هذه لم يعرف أنها أهلكت لا في الملة النصرانية ولا قبل ذلك، والله سبحانه وتعالى أعلم.

فأما الحديث الذي رواه الحافظ[٢] أبو القاسم الطبراني(٢٠): حدثنا الحسين بن إسحاق التُّستري، حدثنا الحسين بن أبي السري العسقلاني، حدثنا حُسَين الأشقر، حدثنا ابن عيينة، عن ابن أبي نَجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**السُّبَّق ثلاثة: فالسابق إلى موسى يوشع بن نون، والسابق إلى عيسى صاحب يس، والسابق إلى محمد عليّ بن أبي طالب**». فإنه حديث منكر، لا يعرف إلا من طريق حسين الأشقر، وهو شيعيّ متروك.

يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ﴿٣٢﴾

قال عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿**يا حسرة على العباد**﴾، [أي: يا ويل العباد[٣]].

وقال قتادة: ﴿**يا حسرة على العباد**﴾، أي: يا حسرة العباد على أنفسهم[٤]، على[٥] ما ضيعت من أمر الله، فرطت في جنب الله- قال: وفي بعض القراءة: «**يا حسرةَ[٦] العباد على أنفسها**».

(٢٠) - المعجم الكبير (١١/٩٣) (١١١٥٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/١٠٤): فيه حسين بن حسن الأشقر وثقه ابن حبان وضعفه الجمهور وبقية رجاله حديثهم حسن أو صحيح.

[١] - بعده في خ، ز: «أهل».
[٢] - سقط من: خ.
[٣] - ما بين المعكوفتين مكررة في ز، خ.
[٤] - في ت: «أنفسها».
[٥] - سقط من: ز، خ.
[٦] - بعده في ز، خ: «على».

ومعنى هذا: يا حسرتهم وندامتهم يوم القيامة إذا عاينوا العذاب، كيف كذبوا رسل الله، وخالفوا أمر الله، فإنهم كانوا في الدار الدنيا المكذبون منهم.

﴿ما يأتيهم من رسول إلا كانوابه يستهزئون﴾، أي :يكذبونه ويستهزئون به، ويجحدون ما أرسل به من الحق.

ثم قال تعالى: ﴿ألم يروا كما أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون﴾، أي: ألم يتعظوا بمن أهلك الله قبلهم من المكذبين للرسل،كيف لم تكن لهم إلى هذه الدنيا كرة ولا رجعة، ولم يكن الأمر كما زعم كثير من جهلتهم وفَجَرتهم من قولهم: ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا﴾، وهم القائلون بالدور من الدهرية، وهم الذين يعتقدون جهلًا منهم أنهم يعودون إلى الدنيا كما كانوا فيها، فردّ الله تعالى عليهم باطلهم، فقال: ﴿ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون﴾.

وقوله: ﴿وإن كل لما جميع لدينا محضرون﴾، أي: وإن جميع الأمم الماضية والآتية ستحضر[١] للحساب يوم القيامة بين يدي الله عز وجل، فيجازيهم بأعمالهم كلها خيرها وشرها، ومعنى هذه كقوله تعالى: ﴿وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم﴾. وقد اختلف القراء في أداء هذا الحرف، فمنهم من قرأ: ﴿وَإِن كل لَمَا﴾ بالتخفيف، فعنده أن «إن» للإثبات[٢]، ومنهم من شدد ﴿لمَّا﴾، وجعل «إن» نافية، و«لمَّا» بمعنى إلا تقديره: وما كل إلا جميع لدينا محضرون، ومعنى القراءتين واحد، والله أعلم.

وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾

يقول تعالى: ﴿وآية لهم﴾، أي :دلالة لهم على وجود الصانع وقدرته التامة وإحيائه الموتى ﴿الأرضُ الميتة﴾، أي: إذا كانت ميتة هامدة لا شيء فيها من النبات، فإذا أنزل الله عليها الماء اهتزت وربت، وأنبتت من كل زوج بهيج، ولهذا قال:

---

[١] - في ز، خ: «تستحضر».
[٢] - في ت: «لإثبات».

﴿ أحييناها وأخرجنا منها حبًا فمنه يأكلون ﴾، أي: جعلناه رزقًا لهم ولأنعامهم، ﴿ وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ﴾، أي: جعلنا فيها أنهارًا سارحة في أمكنة، يحتاجون إليها ليأكلوا من ثمره. لما امْتَنَّ[١] على خلقه بإيجاد الزروع لهم عَطَف بذكر الثمار وتنوعها وأصنافها.

وقوله: ﴿ وما عملته أيديهم ﴾، أي: وما ذاك كله إلا من رحمة الله بهم، لا بسعيهم ولا كدهم، ولا بحولهم ولا بقوتهم[٢]. قاله ابن عباس وقتادة. ولهذا قال: ﴿ أفلا يشكرون ﴾، أي: فهلا يشكرونه على ما أنعم به عليهم من هذه النعم التي لا تعد ولا تحصى. واختار ابن جرير - بل جزم به، ولم يحك غيره إلا احتمالاً - أن « ما » في قوله: ﴿ وما عملته أيديهم ﴾، بمعنى « الذي »، تقديره: ليأكلوا من ثمره ومما عملته أيديهم، أي: غرسوه ونصبوه، قال: وهي كذلك في قراءة ابن مسعود: « ليأكلوا من ثمره ومما عملته أيديهم أفلا يشكرون ».

ثم قال: ﴿ سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ﴾، أي: من زروع وثمار ونبات، ﴿ ومن أنفسهم ﴾، فجعلهم ذكرًا وأنثى، ﴿ ومما لا يعلمون ﴾، أي: من مخلوقات شتى لا يعرفونها، كما قال تعالى: ﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ﴾.

وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

يقول تعالى: ومن الدلالة لهم على قدرته - تعالى - العظيمة خَلْقَ الليل والنهار، هذا بظلامه وهذا بضيائه، وجعلهما يتعاقبان، يجيء هذا فيذهب هذا، ويذهب هذا فيجيء هذا، كما قال: ﴿ يغشي الليل النهار يطلبه حثيثًا ﴾، ولهذا قال هاهنا: ﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار ﴾، أي: نصرمه منه فيذهب، فيقبل الليل، ولهذا قال: ﴿ فإذا هم مظلمون ﴾، كما جاء في الحديث: « إذا أقبل الليل من هاهنا، وأدبر النهار من هاهنا، وغربت الشمس، فقد أفطر الصائم ».

هذا هو الظاهر من الآية، وزعم قتادة أنها كقوله تعالى: ﴿ يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ﴾. وقد ضعف ابن جرير قولَ قتادة هاهنا، وقال: إنما معنى الإيلاج الأخذ من هذا في هذا، وليس هذا مرادًا في هذه الآية وهذا الذي قاله ابن جرير حق.

---

[١] - في ت: « أمن ».　[٢] - في ت: « وقوتهم ».

وقوله: ﴿**والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم**﴾، في معنى قوله: ﴿**لمستقر لها**﴾، قولان: أحدهما: أن المراد مستقرها المكاني، وهو تحت العرش مما يلي الأرض من ذلك الجانب، وهي أينما كانت فهي تحت العرش هي وجميع المخلوقات، لأنه سقفها، وليس بكُرَةٍ كما يزعمه كثير من أرباب الهيئة، وإنما هو قبة ذات قوائم تحمله الملائكة، وهو فوق العالم مما يلي رءوس الناس، فالشمس إذا كانت في قبة الفلك وقت الظهيرة تكون أقرب ما تكون إلى العرش، فإذا استدارت في فلكها الرابع إلى مقابلة هذا المقام، وهو وقت نصف الليل، صارت أبعد ما تكون من العرش، فحينئذ تسجد وتستأذن في الطلوع، كما جاءت بذلك الأحاديث.

قال البخاري[٢١]: حدثنا أبو نُعَيم، حدثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن أبيه، عن أبي ذر رضي الله عنه؛ قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد عند غروب الشمس، فقال: «**يا أبا ذر، أتدري أين تَغرُبُ الشمس؟**». قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فذلك قوله: ﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾**».

حدثنا عبد الله بن الزبير الحُمَيديّ[٢٢]، حدثنا وكيع عن الأعمش، عن إبراهيم، عن أبيه، عن أبي ذر؛ قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله: ﴿**والشمس تجري لمستقر لها**﴾، قال: «**مستقرها تحت العرش**».

كذا أورده هاهنا. وقد أخرجه في أماكن متعددة، ورواه بقية الجماعة إلا ابن ماجة، من طرق، عن الأعمش به.

وقال الإمام أحمد[٢٣]: حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي ذر؛ قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد حين وجبت الشمس، فقال: «**يا أبا ذر؛ تدري أين تذهب الشمس؟**». قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإنها تذهب حتى تسجد بين يدي ربها عز وجل، فتستأذن في الرجوع فيؤذن لها، وكأنها قد قيل لها: ارجعي من حيث جئت. فترجع إلى مطلعها، وذلك مستقرها، ثم قرأ: ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾**».

وقال سفيان الثوري[٢٤]، عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي ذر رضي

---

(٢١) - تقدم تخريجه في تفسير سورة لقمان، الآية (٢٩).

(٢٢) - صحيح البخاري كتاب التفسير، باب: ﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾، حديث (٤٨٠٣)، وانظر رقم (٢٢).

(٢٣) - المسند (٥/١٥٢)، وانظر رقم (٢٢).

(٢٤) - أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب: صفة الشمس والقمر، حديث (٣١٩٩) بسنده إلى سفيان به. وانظر رقم (٢٢).

اللَّه عنه؛ قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم [لأبي ذر][١] حين غربت الشمس: « **أتدري أين تذهب؟** » قلت: اللَّه ورسوله أعلم. قال: « **فإنها تذهب حتى تسجد تحت**[٢] **العرش، فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، ويقال لها: ارجعي من حيث جئت. فتطلع من مغربها، ذلك قوله: ﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾** ».

وقال عبد الرزاق (٢٥): أخبرنا معمر، عن أبي إسحاق، عن وهب بن جابر، عن عبد اللَّه ابن عمرو؛ قال في قوله: **﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾**، قال: إن الشمس تطلع فتردها ذنوب بني آدم، حتى إذا غربت سَلَّمت وسجدت واستأذنت[٣] فيؤذن لها، حتى إذا كان يوم غربت فسلمت وسجدت، واستأذنت فلا يؤذن لها، فتقول: إن المسير بعيد وإني إلّا يؤذن لي لا أبلغ، فتحبس ما شاء اللَّه أن تحبس، ثم يقال لها: « **اطلعي من حيث غربت** » قال: فمن يومئذ إلى يوم القيامة لا ينفع نفسًا إيمانها، لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيرًا.

وقيل المراد بقوله: **﴿لمستقر لها﴾**، [هو انتهاء سيرها][٤] وهو غاية ارتفاعها في السماء في الصيف وهو أوجها، ثم غاية انخفاضها في الشتاء وهو الحضيض.

والقول الثاني: أن المراد بمستقرها هو: منتهى سيرها، وهو يوم القيامة، يبطل سيرها وتسكن حركتها وتكور، وينتهي هذا العالم إلى غايته، وهذا هو مستقرها الزماني.

قال قتادة: **﴿لمستقر لها﴾**، أي: لوقتها ولأجل لا تعدوه.

وقيل: المراد أنها لا تزال تنتقل في مطالعها الصيفية إلى مدة لا تزيد عليها، ثم تنتقل في مطالع الشتاء إلى مدة لا تزيد عليها يروى هذا عن عبد اللَّه بن عمرو.

وقرأ ابن مسعود، وابن عباس: **﴿والشمس تجري لا مستقر لها﴾**، أي: لا قرار لها ولا سكون، بل هي سائرة ليلًا ونهارًا، لا تفتر ولا تقف. كما قال تعالى: **﴿وسخر لكم الشمس والقمر دائبين﴾**، أي[٥]: لا يفتران ولايقفان إلى يوم القيامة.

﴿ذلك تقدير العزيز﴾، أي: الذي لا يخالَف ولا يُمانَع، **﴿العليم﴾**، بجميع الحركات والسكنات، وقد قدر ذلك وقنَّنه على منوال لا اختلاف فيه ولا تعاكس، كما قال تعالى:

---

(٢٥) - تفسير عبد الرزاق (١٤٢/٢).

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ. [٢] - سقط من: ز، خ.
[٣] - بعده في خ، ز: زيادة: « وسجدت واستأذنت، وسجدت واستأذنت، وسجدت ».
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز. [٥] - سقط من: ز، خ.

﴿فالق الإصباح وجعل[١] الليل سكنًا والشمس والقمر حسبانًا ذلك تقدير العزيز العليم﴾. وهكذا ختم آية ﴿حم﴾ السجدة بقوله: ﴿ذلك تقدير العزيز العليم﴾.

ثم قال: ﴿والقمر قدرناه منازل﴾، أي جعلناه يسير سيرًا آخر يستدل به على مضي[٢] الشهور، كما أن الشمس [بها يعرف] الليل والنهار، وكما قال تعالى: ﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج﴾، وقال: ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورًا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب﴾... الآية وقال: ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلًا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلًا﴾. فجعل الشمس لها ضوء يخصها، والقمر له نور يخصه، وفاوت بين سير هذه وهذا، فالشمس تطلع كل يوم وتغرب في آخره على ضوء واحد، ولكن تنتقل في مطالعها ومغاربها صيفًا وشتاء، يطول بسبب ذلك النهار ويقصر الليل، ثم يطول الليل ويقصر النهار، وجعل سلطانها بالنهار، فهي كوكب نهاري. وأما القمر فقدره منازل، يطلع في أول ليلة من الشهر ضئيلًا قليل النور، ثم يزداد نورًا في الليلة الثانية، و[يرتفع منزلة][٣]، ثم كلما ارتفع ازداد ضياء، وإن كان مقتبسًا من الشمس، حتى يتكامل نوره في الليلة الرابعة عشرة، ثم يشرع في النقص إلى آخر الشهر، حتى يصير كالعرجون القديم.

قال ابن عباس: وهو أصل العذْق.

وقال مجاهد: العرجون القديم، أي: العذق اليابس.

يعني ابن عباس أصل العنقود من الرطب إذاعَتُق ويبس وانحنى، وكذا قال غيرهما. ثم بعد هذا يبديه الله جديدًا في أول الشهر الآخر، والعرب تسمى كل ثلاث ليال من الشهر باسم باعتبار القمر، فيسمون الثلاث الأول «غُرَر» واللواتي بعدها «نُفَل» واللواتي بعدها «تُسَع» لأن أخراهن التاسعة، واللواتي بعدها «عُشَر» لأن أولاهن[٤] العاشرة، واللواتي بعدها «البيض» لأن ضوء القمر فيهن إلى آخرهن، واللواتي بعدهن «دُرَع» جمع دَرْعاء، لأن أولهن سُود، لتأخر القمر في أولهن، ومنه الشاة الدرعاء وهي التي رأسها أسود. وبعدهن ثلاث «ظُلَم» ثم ثلاث «حَنَادس». وثلاث «آدئ[٥]»، وثلاث «محَاق»، لانمحاق القمر أواخر الشهر فيهن. وكان أبو عُبَيد[٦] ينكر التُسَع والعُشَر. كذا قال في كتاب «غريب المصنف».

---

[١] - في ز: «وجاعل» وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر.

[٢] - في ز، خ: «معنى».

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز، خ: «ترتفع منزلته».

[٤] - في ز، خ: «أولهن». [٥] - في خ، ز: «داري».

[٦] - في خ، ز: «عبيدة».

وقوله: ﴿**لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر**﴾، قال مجاهد: لكل منهما حد لا يعدوه ولا يُقَصّر دونه، إذا جاء سلطان هذا ذهب هذا، وإذا ذهب سلطان هذا جاء سلطان هذا.

وقال عبد الرزاق(٢٦): أخبرنا معمر، عن الحسن في قوله: ﴿**لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر**﴾. قال: ذلك ليلة الهلال.

وروى ابن أبي حاتم هاهنا، عن عبد الله بن المبارك، أنه قال: إن للريح جناحًا، وإن القمر يأوي [إلى[١] غلاف] من الماء.

وقال الثوري، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح: لا يدرك هذا ضوء[٢] هذا، ولا هذا ضوء[٣] هذا.

وقال عكرمة: ﴿**لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر**﴾، يعني أن لكل منهما سلطانًا، فلا ينبغي للشمس أن تطلع بالليل.

وقوله: ﴿**ولا الليل سابق النهار**﴾، يقول: لا ينبغي إذا كان الليلُ أن يكون ليل آخر حتى يكون النهار، فسلطان الشمس بالنهار، وسلطان القمر بالليل.

وقال الضحاك: لا يذهب الليل من هاهنا حتى يجيء النهار من هاهنا. وأومأ بيده إلى المشرق.

وقال مجاهد: ﴿**ولا الليل سابق النهار**﴾: يَطّلبان حَثيثين، نسلخ[٤] أحدهما من الآخر.

والمعنى في هذا: أنه لا فترة بين الليل والنهار، بل كل منهما يعقب الآخر بلا مهلة ولا تراخ، لأنهما مسخران دائبين[٥] يتطالبان[٦] طلبًا حثيثًا.

وقوله: ﴿**وكل في فلك يسبحون**﴾، [يعني الليل والنهار، والشمس والقمر، كلهم يسبحون][٧]، أي: يدورون في فلك السماء. قاله ابن عباس، وعكرمة، والضحاك، والحسن، وقتادة، وعطاء الخراساني.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: في فلك بين السماء والأرض.

---

(٢٦) - تفسير عبد الرزاق (١٤٣/٢).

---

[١] - في ز، خ: « الاغلاف ».
[٢] - في ز، خ: « ضر ».
[٣] - في ز، خ: « ضر ».
[٤] - في ت: « ينسلخ ».
[٥] - كذا في ز، خ.
[٦] - في ز، خ: « يتطلبان ».
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

رواه ابن أبي حاتم، وهو غريب جدًا، بل منكر.

قال ابن عباس وغير واحد من السلف: في فَلْكَة كفَلْكَة المِغْزَل.

وقال مجاهد: الفَلَك كحديدة الرّحَى، أو[١] كفلكة المغزل، لا يدور المغزل إلا بها، ولا تدور إلا به.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾﴾

يقول تعالى: و[٢]دلالة لهم أيضًا على قدرته تعالى تسخيره[٣] البحر ليحمل السفن، فمن ذلك - بل أوله - سفينة نوح عليه السلام التي أنجاه الله فيها بمن معه من المؤمنين، الذين[٤] لم يبق على وجه الأرض من ذرية آدم غيرهم، ولهذا قال: ﴿**وآية لهم أنا حملنا ذريتهم**﴾، أي: آباءهم، ﴿**في الفلك المشحون**﴾، أي: في السفينة المملوءة من الأمتعة والحيوانات، التي أمره الله أن يحمل فيها[٥] من كل زوجين اثنين.

قال ابن عباس: المشحون: المُوقَر.

وكذا قال سعيد بن جبير، والشعبي، وقتادة، والسدي.

و[٦]قال الضحاك، وقتادة، وابن زيد: وهي سفينة نوح عليه السلام.

وقوله: ﴿**وخلقنا لهم من مثله ما يركبون**﴾، قال العوفي، عن ابن عباس: يعني بذلك الإبل، فإنها سفن البر يحملون عليها ويركبونها.

وكذا قال عكرمة، ومجاهد، والحسن، وقتادة في رواية، وعبد الله بن شَداد، وغيرهم.

وقال السدي في رواية: هي الأنعام.

وقال ابن جرير(٢٧): حدثنا الفضل بن الصباح، حدثنا محمد بن فضيل، عن عطاء، عن

(٢٧) - تفسير الطبري (٢٣/١٠).

[١] - في ز، خ: «و».
[٢] - سقط من: ز، خ.
[٣] - في ز، خ: «لتسخيره».
[٤] - في ز، خ: «الذي».
[٥] - سقط من: خ، ز.
[٦] - سقط من: ز، خ.

سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس؛ قال: تدرون ما ﴿وخلقنا لهم [من مثله][١] ما يركبون﴾؟ [قلنا: لا][٢]. قال: السفن، جعلت من بعد سفينة نوح على مثلها.

وكذا قال أبو مالك، والضحاك، وقتادة، وأبو صالح، والسدي أيضًا: ﴿وخلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾، أي: السفن.

ويُقَوِّي هذا المذهب في المعنى قوله تعالى: ﴿إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية * لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية﴾.

وقوله: ﴿وإن نشأ نغرقهم﴾، يعني الذين في السفن، ﴿فلا صريخ لهم﴾، أي: فلا مغيث لهم مما هم فيه، ﴿ولاهم ينقذون﴾، أي: مما أصابهم، ﴿إلا رحمة منا﴾. وهذا استثناء منقطع، تقديره: لكن برحمتنا نسيركم في البر والبحر، ونُسَلِّمكم إلى أجل مسمى، ولهذا قال: ﴿ومتاعًا إلى حين﴾، أي: إلى وقت معلوم عند الله.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾﴾

يقول تعالى مخبرًا عن تمادي المشركين في غيهم وضلالهم، وعدم اكتراثهم بذنوبهم التي أسلفوها، وما هم يستقبلون بين أيديهم يوم القيامة: ﴿وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم﴾، قال مجاهد: من الذنوب. وقال غيره بالعكس ﴿لعلكم ترحمون﴾، أي: لعل الله باتقائكم ذلك يرحمكم ويؤمنكم من عذابه. وتقدير الكلام: أنهم لا يجيبون إلى ذلك ويعرضون عنه. واكتفى عن ذلك بقوله: ﴿وما تأتيهم من آية من آيات ربهم﴾، أي: على التوحيد وصدق الرسل ﴿إلا كانوا عنها معرضين﴾، أي: لا يتأملونها ولاينتفعون بها.

وقوله: ﴿وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله﴾، أي: وإذا أمروا بالإنفاق مما رزقهم الله على الفقراء والمحاويج من المسلمين ﴿قال الذين كفروا للذين آمنوا﴾، أي: عن الذين آمنوا من الفقراء، أي: قالوا لمن أمرهم من المؤمنين بالإنفاق محاجّين لهم فيما أمروهم به: ﴿أنطعم من لو يشاء الله أطعمه﴾، أي: هؤلاء الذين أمرتمونا بالإنفاق عليهم، لو شاء الله لأغناهم ولأطعمهم من رزقه، فنحن نوافق مشيئة الله فيهم، ﴿إن أنتم إلا في ضلال مبين﴾، أي: في

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

أمركم لنا بذلك.

قال ابن جرير: ويحتمل أن يكون من قول الله للكفار حين ناظروا المسلمين وردوا عليهم، فقال لهم: ﴿**إن أنتم إلا في ضلال مبين**﴾. وفي هذا نظر.

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾

يخبر تعالى عن استبعاد الكفرة لقيام الساعة في قولهم: ﴿**متى هذا الوعد**﴾؟ ﴿**يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها**﴾، قال الله تعالى: ﴿**ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون**﴾، أي: ما ينتظرون إلا صيحة واحدة، وهذه - والله أعلم - نفخة الفزع، ينفخ في الصور نفخة الفزع، والناس في أسواقهم ومعايشهم يختصمون ويتشاجرون على عادتهم، فبينما هم كذلك إذ أمر الله تعالى إسرافيل فنفخ في الصور نفخة يُطوّلها ويَمُدّها، فلا يبقى أحد على وجه الأرض إلا أصغى لِيتًا، ورفع لِيتًا وهي صفحة العنق يتسمع الصوت من قبل السماء. ثم يساق الموجودون من الناس إلى محشر القيامة بالنار، تحيط بهم من جوانبهم، ولهذا قال: ﴿**فلا يستطيعون توصية**﴾، أي: على ما يملكونه، الأمر أهم من ذلك، ﴿**ولا إلى أهلهم يرجعون**﴾.

وقد وردت هاهنا آثار وأحاديث ذكرناها في موضع آخر، ثم تكون بعد هذا نفخة الصعق، التي تموت بها الأحياء كلهم ما عدا الحي القيوم، ثم بعد ذلك نفخة البعث.

وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

هذه هي النفخة الثالثة، وهي نفخة البعث والنشور للقيام من الأجداث والقبور، ولهذا قال: ﴿**فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون**﴾، والنَّسلان هو: المشي[١] السريع، كما قال

---

[١] - سقط من: خ، ز.

تعالى: ﴿يوم يخرجون من الأجداث سراعًا كأنهم إلى نصب يوفضون﴾.

﴿قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا﴾؟ يعنون قبورهم التي كانوا يعتقدون في الدار الدنيا أنهم لا يبعثون منها، فلما عاينوا ما كذبوه في محشرهم ﴿قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا﴾، وهذا لا ينفي عذابهم في قبورهم، لأنه بالنسبة إلى ما بعده في الشدة كالرقاد.

وقال أبي بن كعب، ومجاهد، والحسن، وقتادة: ينامون نومة قبل البعث.

قال قتادة: وذلك بين النفختين.

فلذلك يقولون: ﴿من بعثنا من مرقدنا﴾، فإذا قالوا ذلك أجابهم المؤمنون - قاله غير واحد من السلف -: ﴿هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾.

وقال الحسن: إنما يجيبهم بذلك الملائكة.

ولا منافاة إذ الجمع ممكن، والله أعلم.

وقال عبد الرحمن بن زيد: الجميع من قول الكفار: ﴿يا ويلنا [من بعثنا من مرقدنا][١] هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾.

نقله ابن جرير، واختار الأول، وهو أصح، وذلك كقوله تعالى في الصافات: ﴿وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون﴾ وقال تعالى: ﴿ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون﴾.

وقوله: ﴿إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون﴾، كقوله: ﴿فإنما هي زجرة واحدة * فإذا هم بالساهرة﴾، وقال تعالى: ﴿وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب﴾. وقال: ﴿يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلًا﴾.

أي: إنما يأمرهم[٢] أمرًا واحدًا، فإذا الجميع محضرون، ﴿فاليوم لا تظلم نفس شيئًا﴾، أي: من عملها، ﴿ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾.

إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ. [٢] - في ت: «نأمرهم».

يخبر تعالى عن أهل الجنة، أنهم يوم القيامة إذا ارتحلوا من العَرَصات فنزلوا في رَوْضات الجنات، أنهم في شُغُل عن غيرهم، بما هم فيه من النعيم المقيم، والفوز العظيم.

قال الحسن البصري، وإسماعيل بن أبي خالد: ﴿**في شغل**﴾ عما فيه أهل النار من العذاب.

وقال مجاهد: ﴿**في شغل فاكهون**﴾، أي: في نعيم معجبون، أي: به. وكذا قال قتادة.

وقال ابن عباس: ﴿**فاكهون**﴾، أي: فرحون.

وقال عبد الله بن مسعود، وابن عباس، وسعيد بن المسيب، وعكرمة، والحسن، وقتادة، والأعمش، وسليمان التيمي، والأوزاعي في قوله: ﴿**إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون**﴾، قالوا: شغلهم افتضاض[١] الأبكار.

وقال ابن عباس في رواية عنه: ﴿**في شغل فاكهون**﴾، أي: بسماع الأوتار.

وقال أبو حاتم: لعله غلط من المستمع، وإنما هو افتضاض[٢] الأبكار.

وقوله: ﴿**هم وأزواجهم**﴾ قال مجاهد: وحلائلهم ﴿**في ظلال**﴾، [أي: في ظلال][٣] الأشجار، ﴿**على الأرائك متكئون**﴾.

قال ابن عباس: ومجاهد، وعكرمة، ومحمد بن كعب، والحسن، وقتادة، والسدي، وخُصيف: ﴿**الأرائك**﴾، هي: السرر تحت الحجال (*).

قلت: نظيره في الدنيا هذه التخوت تحت البشاخين (**)، والله أعلم.

وقوله: ﴿**لهم فيها فاكهة**﴾، أي: من جميع أنواعها، ﴿**ولهم ما يدعون**﴾، أي: مهما طلبوا وجدوا من جميع أصناف أنواع الملاذ.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عوف الحمصي، حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار، حدثنا محمد بن مهاجر، عن الضحاك المَعَافري، عن سليمان بن موسى، حدثني كُرَيب؛ أنه سمع أسامة بن زيد، يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ألا هل مُشَمّر إلى الجنة؟ فإن الجنة لا خَطَر (***) لها، هي ورب الكعبة نور كلها تتلألأ[٤]، وريحانة تهتز، وقصر**

(*) جمع حَجلة: وهي الستر يضرب للعروس داخل البيت.

(**) كذا ولم أجدها.

(***) أي لا عِوض لها ولا مِثلَ. والخطر - بالتحريك - في الأصل: الرهن وما يُخاطر عليه. ومثلُ =

[١] - في ز، خ: «اقتضاض».
[٢] - في ز، خ: «اقتضاض».
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٤] - في ت: «يتلألأ».

مَشيد، ونهر مُطَّرد(*) ، **وثمرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة، ومقام في أبد، في دار سلامة، وفاكهة خضرة وحَبْرَة**[١](**) **ونعمة، ومحلة عالية بَهيَّة»** . قالوا: نعم يا رسول الله؛ نحن المشمّرون لها. قال: قولوا: «**إن شاء الله**». قال القوم: إن شاء الله.

وكذا رواه ابن ماجة في «**كتاب الزهد**» من سننه(٢٨) ، من حديث الوليد بن مسلم، عن محمد بن مُهَاجر به.

وقوله: ﴿**سلام قولًا من رب رحيم**﴾، قال ابن جريج: قال ابن عباس في قوله: ﴿**سلام قولًا من رب رحيم**﴾: فإن الله نفسه سلام على أهل الجنة.

وهذا الذي قاله ابن عباس كقوله تعالى: ﴿**تحيتهم يوم يلقونه سلام**﴾.

وقد روى ابن أبي حاتم هاهنا حديثًا في إسناده نظر؛ فإنه قال: حدثنا موسى بن يوسف، حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، حدثنا أبو عاصم العَبَّاداني، حدثنا الفضل الرّقاشي، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**بينا أهل الجنة في نعيمهم، إذ سطع لهم نور، فرفعوا رءوسهم فإذا الرب تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة. فذلك قوله: ﴿سلام قولًا من رب رحيم﴾، قال: فينظر إليهم وينظرون إليه، فلا يلتفتون إلى**[٢] **شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه، حتى يحتجب عنهم، ويبقى نوره وبركته عليهم وفي ديارهم**».

ورواه ابن ماجة في «كتاب السنة»(٢٩) من سننه، عن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب به.

وقال ابن جرير(٣٠) : حدثنا يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب، حدثنا حَرمَلَةُ، عن

= الشيء وعِدْله. ولا يقال إلا في الشيء الذي له قَدْرٌ ومَزِيَّة.

(*) أي نهر جارٍ.

(**) الحبرة: النعمة وسعة العيش.

(٢٨) - سنن ابن ماجة، كتاب الزهد، باب: صفة الجنة، حديث (٤٣٣٢) من طريق محمد بن مهاجر به، وقال البوصيري في الزوائد (٣/٣٢٥): (هذا إسناد فيه مقال).

(٢٩) - سنن ابن ماجة في المقدمة، باب: فيما أنكرت الجهمية حديث (١٨٤)، وقال البوصيري (٨٦/٠١): هذا إسناد ضعيف لضعف الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي.

(٣٠) - تفسير الطبري (٢١/٢٣)، وقد أورده الطبري من طرق انظر التفسير (٢١/٢٣، ٢٢).

---

[١] - في ز: «وخبزة». [٢] - سقط من: خ، ز.

سليمان بن حُمَيد؛ قال: سمعت محمد بن كعب القرظي يحدّث عن عمر بن عبد العزيز؛ قال: إذا فرغ الله من أهل الجنة والنار، أقبل في ظُلَل من الغمام والملائكة. قال: فيسلم[١] على أهل الجنة، فيردون عليه السلام. قال القرظي: وهذا في كتاب الله: ﴿**سلام قولاً من رب رحيم**﴾، فيقول: سلوني فيقولون: ماذا نسألك أي رب؟ قال: بلى سلوني. قالوا: نسألك أيْ رب؛ رضاك. قال: رضائي أحلكم دار كرامتي. قالوا: يا رب، فما الذي نسألك، فوعزتك وجلالك وارتفاع مكانك، لو قسمت علينا رزق الثقلين لأطعمناهم وأسقيناهم[٢] ولألبسناهم ولأخدمناهم، لا ينقصنا ذلك شيئًا. قال: إن لديّ مزيدًا. قال: فيفعل ذلك بهم في درجهم، حتى يستوي في مجلسه. قال: ثم تأتيهم التحف من الله عز وجل تحملها[٣] إليهم الملائكة. ثم ذكر نحوه.

وهذا أثر غريب، أورده ابن جرير من طرق.

وَامْتَـٰزُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِى ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾

يقول تعالى مخبرًا عما يئول إليه حال الكفار يوم القيامة من أمره لهم أن يمتازوا، بمعنى يتميزون عن المؤمنين في موقفهم. كقوله تعالى: ﴿**ويوم نحشرهم جميعًا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم**﴾. وقال تعالى: ﴿**ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون**﴾، ﴿**يومئذ يصدعون**﴾، أي: يصيرون صدْعَين فرقتين، ﴿**احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم**﴾.

وقوله تعالى: ﴿**ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين**﴾: هذا تقريع من الله للكفرة من بني آدم، الذين أطاعوا الشيطان وهو عدو لهم مبين، وعصوا الرحمن وهو الذي خلقهم ورزقهم؛ ولهذا قال: ﴿**وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم**﴾، أي: قد أمرتكم في الدار[٤] الدنيا بعصيان الشيطان، وأمرتكم بعبادتي، وهذا هو الصراط المستقيم، فسلكتم غير ذلك واتبعتم الشيطان فيما أمركم به[٥]، ولهذا قال: ﴿**ولقد أضل منكم جبلًا كثيرًا**﴾، يقال. «**جِبلًا**» بكسر الجيم، وتشديد اللام. ويقال: «**جُبُلًا**» بضم الجيم والباء،

---

[١] - في ز، خ: «فسلم».
[٢] - في ت: «لأسقيناهم».
[٣] - في ز، خ: «تحمله».
[٤] - في ت: «دار».
[٥] - سقط من: خ، ز.

وتخفيف اللام. ومنهم من يسكن الباء. والمراد بذلك الخلق الكثير قاله مجاهد، والسدي، وقتادة، وسفيان بن عيينة.

وقوله: ﴿**أفلم تكونوا تعقلون**﴾، أي: أفما[١] كان لكم عقل في مخالفة ربكم فيما أمركم به من عبادته وحده لا شريك له، وعُدُولكم إلى اتباع الشيطان.

قال ابن جرير(٣١): حدثنا أبو كريب، حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، عن إسماعيل بن رافع[٢]، عمن حدثه عن محمد بن كعب القرظي، عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال: «**إذا كان يوم القيامة أمر الله جهنم فيخرج منها عُنُق ساطع مظلم ثم**[٣]، **يقول**: ﴿**ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين* وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم* ولقد أضل منكم جبلًا كثيرًا أفلم تكونوا تعقلون* هذه جهنم التي كنتم توعدون**﴾، ﴿**امتازوا اليوم أيها المجرمون**﴾. فيتميز الناس ويجثون، وهي التي يقول الله تعالى: ﴿**وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون**﴾.

هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾

يقال للكفرة من[٤] بني آدم يوم القيامة، وقد برزت الجحيم لهم تقريعًا وتوبيخًا: ﴿**هذه جهنم التي كنتم توعدون**﴾، أي: هذه التي حَذَّرتكم الرسل فكذبتموهم، ﴿**اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون**﴾، كما قال تعالى: ﴿**يوم يدعون إلى نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم بها تكذبون* أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون**﴾.

وقوله تعالى: ﴿**اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون**﴾، هذا حال الكفار والمنافقين يوم القيامة، حين ينكرون ما اجترموه في الدنيا،

---

(٣١) - تفسير الطبري (٢٢/٢٣).

---

[١] - في ز، خ: «أما».

[٢] - في خ: «نافع».

[٣] - سقط من: ت.

[٤] - في ز، خ: «يا».

ويحلفون ما فعلوه، فيختم الله على أفواههم، ويستنطق جوارحهم بما عملت.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو شيبة إبراهيم بن عبد الله بن أبي شيبة، حدثنا منْجَاب بن الحارث التميمي، حدثنا أبو عامر الأسدي، حدثنا سفيان، عن عبيد المُكْتِب، عن الفُضَيل بن عمرو، عن الشعبي، عن أنس بن مالك؛ قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال: «**أتدرون مم أضحك؟**». قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «**من مجادلة العبد ربه يوم القيامة، يقول: يا رب، ألم تجرني من الظلم؟ فيقول: بلى. فيقول: لا أجيز[١] علي إلا شاهدًا من نفسي. فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا، وبالكرام الكاتبين شهودًا. فيختم على فيه، ويُقال[٢] لأركانه: انطقي. فتنطق بعمله، ثم يخلى بينه وبين الكلام، فيقول: بُعدًا لكُنَّ وسُحقًا، فعنكُنَّ كنتُ أناضل**».

وقد رواه مسلم والنسائي(٣٢)، كلاهما عن أبي بكر بن أبي النضر، عن أبي النضر، عن عُبيد الله بن عبد الرحمن الأشجعي، عن سفيان - هو الثوري - به. ثم قال النسائي: [لا أعلم أحدًا روى هذا الحديث عن سفيان غير الأشجعي، وهو حديث غريب، والله تعالى أعلم.

كذا قال: وقد تقدم من رواية أبي عامر عبد الملك بن عمرو الأسدي - وهو العَقَدي - عن سفيان.

وقال عبد الرزاق(٣٣): أخبرنا معمر، عن بَهْز بن حكيم، عن أبيه، عن جده، عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال: «**إنكم تُدْعَون مُفَدَّمة(*) أفواهكم بالفدَام، فأول ما يسأل عن أحدكم فخذه وكتفه**». رواه النسائي][٣] عن محمد بن رافع، عن عبد الرزاق به.

وقال سفيان بن عيينة(٣٤)، عن سُهَيل، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث القيامة الطويل، قال فيه: «**ثم يلقى الثالث فيقول: ما أنت؟ فيقول: أنا عبدك، آمنت بك وبنبيك وبكتابك، وصمت وصليت وتصدقت- ويثني**

(٣٢) - أخرجه مسلم في الزهد والرقائق، حديث (٢٩٦٩)، والنسائي في التفسير (٦٧٣).

(٣٣) - أخرجه النسائي في التفسير، بسنده إلى عبد الرزاق وأخرجه أحمد في مسنده (٣/٥) من طريق الجريري عن حكيم به.

(*) الفِدام: ما يُشَدُّ على فم الإبريق والكوز من خِرقَةٍ لتصفية الشراب الذي فيه، أي: يُمنعون الكلام بأفواههم حتى تتكلم جوارحهم، فشبَّه ذلك بالفدام.

(٣٤) - أخرجه الحميدي (١١٧٨)، ومسلم في الزهد والرقائق، حديث (٢٩٦٨)، وأبو داود - مختصرًا - في السنة، باب: في الرؤية، حديث (٤٧٣٠) بسندهما إلى سفيان به.

[١] - في ز، خ: «أجز». [٢] - في ز، خ: «يقول».

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

بخير ما استطاع- قال: فيقال له: ألا نبعث عليك شاهدنا؟ قال: فيفكر في نفسه، من الذي يشهد عليه، فيختَم على فيه، ويقال لفخذه: انطقي. فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بما كان يعمل، وذلك المنافق، وذلك ليعذر من نفسه. وذلك الذي سَخط اللّه عليه».

ورواه مسلم[١] وأبو داود، من حديث سفيان بن عيينة، به بطوله.

ثم قال ابن أبي حاتم رحمه اللّه: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا إسماعيل بن عياش، حدثنا ضَمْضَم بن زُرْعَة، عن شريح بن عبيد، عن عقبة بن عامر؛ أنه سمع رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم؛ يقول: «**إن أول عظم من الإنسان يتكلم يوم يُختم على الأفواه، فَخذُه من الرجل اليسرى**».

ورواه ابن جرير(٣٥) عن محمد بن عوف، عن عبد اللّه بن المبارك، عن إسماعيل بن عياش، به مثله.

وقد جَوَّد إسناده الإمام أحمد(٣٦) رحمه اللّه فقال[٢]: حدثنا الحكم بن نافع، حدثنا إسماعيل بن عَيَّاش، عن ضَمْضَم بن زُرْعَةَ، عن شُرَيح بن عُبَيد الحَضْرمي، عمن حَدّثه عن عقبة بن عامر؛ أنه سمع رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم؛ يقول: «**إن أول عظم من الإنسان يتكلم يوم يُختَم على الأفواه، فَخِذه من الرجل الشمال**».

وقال ابن جرير(٣٧): حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن عُلَيَّة، حدثنا يونس بن عُبَيد، عن حُمَيد بن هلال؛ قال: قال أبو بردة: قال أبو موسى، هو الأشعري، رضي اللّه عنه-: يدعى المؤمن للحساب يوم القيامة، فَيَعرِضُ عليه رَبُّه عملَه فيما بينه وبينه، فيعترف فيقول: نعم أيْ ربِّ؛ عملتُ عملتُ عملت. قال: فيغفر اللّه له ذنوبه، ويستره منها. قال: فما على الأرض خليقة ترى من تلك الذنوب شيئًا، وتبدو[٣] حسناته، فَوَدّ أن الناس كلهم يرونها، ويدعى الكافر والمنافق للحساب، فيعرض ربه عليه عمله، فيجحده[٤] فيقول: أي رب؛ وعزتك لقد كتب على هذا الملك ما لم أعمل. فيقول له الملك: أما عملت كذا، في يوم كذا، في مكان كذا؟ فيقول: لا، وعزتك أيْ رب؛ ما عملتُه. فإذا فعل ذلك خُتِم على فيه. قال أبوموسى الأشعري: فإني أحسب أول ما ينطق منه الفخذ اليمنى، ثم تلا: ﴿**اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون**﴾.

(٣٥) - تفسير الطبري (٢٣/٢٤).
(٣٦) - المسند (٤/١٥١).
(٣٧) - تفسير الطبري (٢٣/٢٤)، زاد السيوطي في الدر المنثور (٥/٥٠٣) نسبته إلى ابن أبي حاتم.

[١] - سقط من: خ، ز.
[٢] - في ز، خ: «وقال».
[٣] - في ز، خ: «يبدو».
[٤] - في ت: «فيجحد».

وقوله: ﴿ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون﴾، قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في تفسيرها: يقول: ولو نشاء لأضللناهم عن الهدى، فكيف يهتدون؟ وقال مرة: أعميناهم.

وقال الحسن البصري: لو شاء الله لطمس على أعينهم، فجعلهم عُميًا يترددون.

وقال السدي: لو شئنا أعمينا أبصارهم.

قال مجاهد، وأبو صالح، وقتادة، والسدي: ﴿فاستبقوا الصراط﴾، يعني الطريق.

وقال ابن زيد: يعني بالصراط هاهنا الحق، ﴿فأنى يبصرون﴾، وقد طمسنا على أعينهم.

وقال العَوفي، عن ابن عباس: ﴿فأنى يبصرون﴾: لا يبصرون الحق.

وقوله: ﴿ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم﴾، قال العوفي، عن ابن عباس: أهلكناهم.

وقال السدي: يعني لغيّرنا خَلْقهم.

وقال أبو صالح: لجعلناهم حجارة.

وقال الحسن البصري، وقتادة: لأقعدهم على[١] أرجلهم.

ولهذا قال تعالى: ﴿فما استطاعوا مضيًا﴾، أي: إلى أمام، ﴿ولا يرجعون﴾، أي[٢]: إلى وراء، بل يلزمون حالًا واحدًا لايتقدمون ولا يتأخرون.

﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾

يخبر تعالى عن ابن[٣] آدم أنه كلما طال عمره رُدّ إلى الضعف بعد القوة، والعجز بعد النشاط، كما قال تعالى: ﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفًا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير﴾. وقال: ﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر، لكيلا يعلم من بعد علم شيئًا﴾.

---

[١] - في ز، خ: «عن».
[٢] - سقط من: ز، خ.
[٣] - في ز، خ: «بني».

والمراد من هذا والله أعلم الإخبارُ عن هذه الدار بأنها دار زوال وانتقال، لا دار دوام واستقرار، ولهذا قال: ﴿أفلا يعقلون﴾، أي: يتفكرون بعقولهم في ابتداء خلقهم ثم صيرورتهم إلى الشَّبيبَة[١]، ثم إلى الشيخوخة، ليعلموا أنهم خُلقوا لدار أخرى، لا زوال لها ولا انتقال منها، ولا محيد عنها، وهي الدار الآخرة.

وقوله: ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له﴾، يقول تعالى مخبرًا عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إنه ما علمه الشعر، ﴿وما ينبغي له﴾، أي: وما هو في طبعه، فلا يحسنه ولا يحبه، ولا تقتضيه جِبِلَّتُه، ولهذا وَرَد أنه عليه الصلاة والسلام كان[٢] لا يحفظ بيتًا على وزن منتظم، بل إن أنشده زَحَّفه أو لم يتمه.

وقال أبو زُرْعة الرازي: حُدّثت عن إسماعيل بن مجالد، عن أبيه، عن الشعبي أنه قال: ما ولد عبد المطلب ذكرًا ولا أنثى إلا يقول الشعر، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكره ابن عساكر في ترجمة «**عتبة بن أبي لهب**» الذي أكله السَّبُع بالزرقاء.

قال ابن أبي حاتم (٣٨): حدثنا أبي، حدثنا أبو سلمة، حدثنا حماد بن سلمة، عن علي [ابن زيد][٣]، عن الحسن هو البصري؛ قال[٤]: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت:

* كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهيًا *

فقال[٥] أبو بكر: يا رسول الله:

* كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيًا *

قال أبو بكر، أو عمر: أشهد أنك رسول الله، يقول الله: ﴿**وما علمناه الشعر وما ينبغي له**﴾.

وهكذا روى البيهقي في «الدلائل»، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال للعباس ابن مرداس السلمي: «**أنت القائل**:

أتجعل نَهْبي ونَهْب العُبَيْـ ـد بينَ الأقرع وعيينة»

فقال: إنما هو: «بين عيينة والأقرع» فقال: «**الكل سواء**».

(٣٨) - زاد السيوطي نسبته في الدر المنثور (٥/٥٠٥) إلى ابن سعد في الطبقات والمرزباني في معجم الشعراء.

[١] - في خ: «الشيبة».
[٢] - في ز، خ: «أنه».
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.
[٤] - سقط من: ز، خ.
[٥] - في ز، خ: «قال».

يعني في المعنى، صلوات الله وسلامه عليه.

وقد ذكر السهيلي في «**الروض الأنف**» لهذا التقديم والتأخير الذي وقع في كلامه عليه السلام في هذا البيت مناسبة أغرب فيها، حاصلها شَرَفُ الأقرع بن حابس على عُيَيْنَةَ بن بَدْر الفَزَارِيّ، لأنه ارتد في أيام الصديق، بخلاف ذاك، والله أعلم.

وهكذا روى الأموي في «**مغازيه**»؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، جعل يمشي بين القتلى يوم بدر، وهو يقول:

نُفَلِّق هَامًا ....

فيقول الصديق رضي الله عنه متممًا للبيت:

.... مِنْ رِجَالٍ أعِزَّةٍ عَلَيْنَا، وهُمْ كَانُوا أعَقَّ وَأظْلَما

وهذا لبعض شعراء العرب في قصيدة له، وهي في «**الحماسة**».

وقال الإمام أحمد(٣٩): حدثنا هشيم، حدثنا مغيرة، عن الشعبي، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استراب الخبر، تمثل فيه ببيت طَرَفَةَ.

* وَيَأْتِيكَ بالأَخْبارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ *

وهكذا رواه النسائي في «**اليوم والليلة**» من طريق إبراهيم بن مهاجر، عن الشعبي عنها ورواه الترمذي والنسائي أيضًا(٤٠) من حديث المقدام بن شريح بن هانئ، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها، كذلك. ثم قال الترمذي: «**هذا حديث حسن صحيح**».

وقال الحافظ أبو بكر البزار(٤١): حدثنا يوسف بن موسى، حدثنا أبو أسامة، عن زائدة، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس؛ قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل من الأشعار:

* وَيَأْتِيكَ بالأَخْبَارِ من لَمْ تُزَوِّدِ *

ثم قال: رواه غير زائدة، عن سماك، عن عكرمة عن عائشة.

---

(٣٩) - المسند (٦/٣١،١٣٦)، وأخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٩٥)، (٩٩٦) من طريق الشعبي به.

(٤٠) - الترمذي في الأدب، باب: ما جاء في إنشاد الشعر حديث (٢٨٤٨)، وفي الشمائل المحمدية (٢٤١)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٩٧) من طريق شريك، عن المقدام به. والحديث عند أحمد في المسند (٦/١٣٨،١٥٦،٢٢٢) والبخاري في الأدب المفرد (٨٦٧) من نفس الطريق.

(٤١) - وأخرجه عبد بن حميد (٦١٤- منتخب)، والطبراني في الكبير (١١٧٦٢) من طريق أبي أسامة عن زائدة به.

وهذا في شعر طرفة بن العبد، في معلقته المشهورة، وهذا المذكور منها، أوله:

سَتُبْدِي لكَ الأيامُ مَا كُنْتَ جَاهلًا وَيَأتيكَ بالأخْبَار مَنْ لَمْ تُزوِّدِ

وَيَأتيكَ بالأخبْار مَنْ لَمْ تَبِعْ لهُ بَتَاتًا[١]، ولم تَضربْ له وَقْتَ مَوْعد

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي(٤٢): أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو حفص عمر بن أحمد بن نعيم - وكيل المتقي بيغداد - حدثنا أبو محمد عبد الله بن هلال النحوي الضرير، حدثنا علي بن عمرو الأنصاري، حدثنا سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: ما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت شعر قط، إلا بيتًا واحدًا:

تَفاءلْ[٢] بما تَهْوَى يَكُنْ[٣]، فَلَقَلَّما يُقَالُ لشَيء كَانَ إلّا تَحَقَّقَا

سألت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزّي عن هذا الحديث؛ فقال: هو منكر. ولم يعرف شيخ الحاكم، ولا الضرير.

وقال سعيد بن أبي[٤] عَرُوبة عن قتادة: قيل لعائشة: هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم: يتمثل بشيء من الشعر؟ قالت: كان أبغض الحديث إليه، غير أنه كان يتمثل ببيت أخي[٥] بني قيس، فيجعل أوله آخره، وآخره أوله. فقال أبو بكر: ليس هكذا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إني والله ما أنا بشاعر ولاينبغي لي**».

رواه ابن أبي حاتم وابن جرير(٤٣)، وهذا لفظه.

وقال معمر[٦] عن قتادة: بلغني أن[٧] عائشة سُئلت: هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر؟ فقالت: لا، إلا بيت طَرَفَةَ:

سَتُبْدِي لكَ الأيامُ مَا كُنْتَ جَاهلًا وَيَأتيك بالأخْبَار مَنْ لم تُزوّدِ

فجعل يقول: «**من لم تُزَوِّد بالأخبار**». فقال أبو بكر: ليس هذا هكذا. فقال: «**إني لست**

(٤٢) - سنن البيهقي (٧/٤٣).

(٤٣) - تفسير الطبري (٢٣/٢٧)، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥/٥٠٥) إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.

[١] - في خ: «ثيابا».

[٢] - في خ، ز: «تنال».

[٣] - في خ: «لمن».

[٤] - سقط من: ز، خ.

[٥] - سقط من: خ، ز.

[٦] - في خ: «عمر».

[٧] - في ز، خ: «عن».

بشاعر، ولا ينبغي لي»(٤٤) .

وثبت في الصحيحين(٤٥) أنه عليه الصلاة والسلام تمثل يوم حفر الخندق بأبيات عبد اللّٰه بن رواحة، ولكن تبعًا لقول أصحابه، فإنهم كانوا يرتجزون وهم يحفرون، فيقولون :

[لا هُمّ][١] لوْلَا أنتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدّقْنَا وَلَا صَلَّينَا
فَأنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبّتِ الأقْدَام إنْ لاقينا
إنّ الأولى قَدْ بَغَوا عَلَينَا إذا أرَادُوا فتْنَةً أبَينَا

ويرفع صوته بقوله: «أبينا» ويمدها .

وقد روى هذا بزحاف في الصحيح أيضًا(٤٦) . وكذلك ثبت أنه قال يوم حنين وهو راكب البغلة، يُقدم بها في نحور العدو :

أنا النبيّ لا كَذِب أنا ابنُ عَبْد المُطَّلب

لكن قالوا : هذا وقع اتفاقًا من غير قصد لوزن شعر، بل جرى على اللسان من غير قصد إليه .

وكذلك ما ثبت في الصحيحين(٤٧) عن جُندب بن عبد اللّٰه؛ قال : كنا مع رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم في غار فَنَكِبت أصبعه، فقال :

هَلْ أنْتِ إلا إصْبع دَميت وفي سَبيل اللّٰه مَا لَقيتِ

وسيأتي عند قوله تعالى : ﴿**إلا** [**اللمم**﴾ إنشاد][٢] :

إنْ تَغْفر اللّٰهُمّ تَغْفر جَمًّا وَأيُّ عَبْد لكَ مَا ألَمَّا

وكل هذا لا ينافي كونه صلى اللّٰه عليه وسلم ما عُلّم شعرًا ولا ينبغي له، فإن اللّٰه تعالى إنما علمه القرآن العظيم، ﴿**الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم**

(٤٤) - انظر السابق .

(٤٥) - صحيح البخاري في المغازي، باب : غزوة الخندق، وهي الأحزاب، حديث (٤١٠٤)، ومسلم في الجهاد والسير، حديث (١٨٠٣) من طريق أبي إسحاق عن البراء بن عازب .

(٤٦) - أخرجه البخاري في الجهاد، باب : من قاد دابة غيره في الحرب حديث (٢٨٦٤)، وأطرافه في (٢٨٧٤،٢٩٣٠،٣٠٤٢،٤٣١٥،٤٣١٦،٤٣١٧) من حديث البراء بن عازب .

(٤٧) - أخرجه البخاري في الجهاد باب : من يُنكب في سبيل الله .... ، حديث (٢٨٠٢)، وطرفه في (٦١٤٦) ومسلم في كتاب الجهاد والسير، حديث (١٧٩٦) .

[١] - في البخاري : والله .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ، ز .

حميد﴾، وليس هو بشعر كما زعمه طائفة من جهلة كفار قريش، ولا كهانة، ولا مفتعل، ولا سحر يُؤثر، كما تنوعت فيه أقوال الضُّلَّال وآراء الجُهَّال. وقد كانت سجيته صلى الله عليه وسلم تأبى صناعة الشعر طبعًا وشرعًا[١]، كما رواه أبو داود؛ قال(٤٨) :

حدثنا [عبيد الله بن عُمَر[٢]، حدثنا عبد الله بن يزيد، حدثنا سعيد بن أبي أيوب، حدثنا شرحبيل بن يزيد المُعَافري، عن [عبد الرحمن][٣] بن رافع التَّنُوخي؛ قال[٤]: سمعت عبد الله ابن عمرو؛ يقول: [سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ يقول[٥]: «**ما أبالي ما أتِيتُ[٦] إن أنا شَربت تزياقا، أو تعلقت تميمة، أو قلت الشعر من قبل نفسي**». تفرد به أبو داود.

وقال الإمام أحمد رحمه الله(٤٩) : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن الأسود بن[٧] شيبان، عن أبي نوفل؛ قال: سألت عائشة: أكان[٨] رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسامع[٩] عنده الشعر؟ فقالت: كان أبغض الحديث إليه. وقال عن عائشة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الجوامع من الدعاء، ويدع ما بين ذلك.

و[١٠]قال أبو داود(٥٠) : حدثنا أبو الوليد الطيالسي، حدثنا شعبة، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحًا خير له من أن يمتلئ شعرًا**».

تفرد به من هذا الوجه، وإسناده على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

وقال الإمام أحمد(٥١) : حدثنا يزيد، حدثنا قَزَعَةُ بن سُوَيد الباهلي، عن عاصم بن مخلد،

---

(٤٨) - سنن أبي داود، كتاب الطب، باب: في الترياق، حديث (٣٨٦٩) وأخرجه أحمد (٢/ ٢٢٣،١٦٧) من طريق شرحبيل به.

(٤٩) - المسند (٦/١٤٨،١٨٨)، وأخرجه أبو داود في الصلاة، باب: الدعاء، حديث (١٤٨٢) من طريق يزيد بن هارون عن الأسود به دون أوله.

(٥٠) - سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب: ما جاء في الشعر، حديث (٥٠٠٩)، والحديث أخرجه أحمد (٢/٤٨٠) من طريق شعبة به. وأخرجه البخاري في الأدب، باب: ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر، حديث (٦١٥٥)، ومسلم في كتاب الشعر، حديث (٢٢٥٧) من طريق الأعمش به.

(٥١) - المسند (٤/١٢٥).

---

[١] - في ز، خ: «شعرًا».

[٢] - في ز، خ: «عبد بن عمرو».

[٣] - في ز، خ: عبد الله.

[٤] - سقط من: خ، ز.

[٥] - ما بين المعكوفين سقط من ز، خ.

[٦] - في ز، خ: أوتيت.

[٧] - بعده في خ: «أبي».

[٨] - في ز، خ: كان.

[٩] - في ت: «بسائغ».

[١٠] - سقط من: ز، خ.

عن أبي الأشعث الصنعاني، (ح) وحدثنا الأشيب فقال: عن أبي عاصم، عن أبي[١] الأشعث، عن شَداد بن أوس؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من قرض بيت شعر بعد العشاء الآخرة، لم تقبل له صلاة تلك الليلة**».

وهذا حديث غريب من هذا الوجه، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة.

والمراد بذلك نظمه لا إنشاده، والله أعلم. على أن الشعر فيه ما هو مشروع، وهو هجاء المشركين الذي كان يتعاطاه شعراء الإسلام، كحسان بن ثابت، وكعب بن مالك وعبد الله بن رَوَاحة، وأمثالهم وأضرابهم، رضي الله عنهم أجمعين. ومنه ما فيه حكم ومواعظ وآداب، كما يوجد في شعر جماعة من الجاهلية، ومنهم أمية بن أبي الصلت الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: «**آمن شعره وكفر قلبه**». وقد أنشد بعض الصحابة منه للنبي صلى الله عليه وسلم مائة بيت، يقول عقب كل بيت: «**هيه**»؛ يعني يستطعمه[٢] (*)، فيزيده[٣] من ذلك.

وقد روى أبو داود(٥٢) من حديث أبي بن كعب، وبُريدة بن الحُصَيب، وعبد الله بن عباس؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال: «**إن من البيان سحرًا، وإن من الشعر حكمًا**».

ولهذا قال تعالى: ﴿**وما علمناه الشعر**﴾، ويعني[٤]: محمدًا صلى الله عليه وسلم ما علمه الله شعرًا، ﴿**وما ينبغي له**﴾، أي[٥]: وما يصلح له، ﴿**إن هو إلا ذكر وقرآن مبين**﴾، [أي: ما هذا الذي علمناه ﴿**إلا ذكر وقرآن مبين**﴾،][٦] أي: بين واضح جلي لمن تأمله وتدبره؛ ولهذا قال: ﴿**لينذر من كان حيا**﴾، أي: لينذر هذا القرآن البيّن كلّ حي على وجه الأرض، كقوله: ﴿**لأنذركم به ومن بلغ**﴾، وقال: ﴿**ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده**﴾. وإنما ينتفع بنذارته من هو حَيّ القلب، مستنير البصيرة، كما قال قتادة: حي القلب، حي البصر. وقال الضحاك: يعني عاقلًا، ﴿**ويحق القول على الكافرين**﴾، أي: هو[٧] رحمة للمؤمن، وحجة على الكافر.

(*) استطعم فلانًا الحديث: طلب منه أن يحدثه.

(٥٢) - حديث أبي بن كعب أخرجه أبوداود في الأدب باب: ما جاء في الشعر، حديث (٥٠١٠)، وهو عند البخاري في صحيحه في الأدب، باب: ما يجوز في الشعر، حديث (٦١٤٥) بلفظ: «إن من الشعر حكمة» وحديث بريدة أخرجه أبو داود في نفس الموضع حديث (٥٠١٢) وحديث ابن عباس أخرجه أبوداود في نفس الموضع حديث (٥٠١١) وهو عند البخاري في الأدب المفرد (٨٧٢)، والترمذي في السنن (٢٨٤٥).

---

[١] - سقط من: خ، ز.

[٢] - في خ، ز: «يستعظمه».

[٣] - في ت: «فيزيد».

[٤] - في ت: ويعني.

[٥] - سقط من: ز، خ.

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

[٧] - سقط من: خ، ز.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾

يذكر تعالى ما أنعم به على خلقه من هذه[١] الأنعام التي سخرها لهم، ﴿**فهم لها مالكون**﴾، قال قتادة: مطيقون؛ أي: جعلهم يقهرونها وهي ذليلة لهم، لا تمتنع منهم، بل لو جاء صغير إلى بعير لأناخه، ولو شاء لأقامه وساقه، وذاك ذليل منقاد معه. وكذا لو كان القطارُ مائة بعير أو أكثر، لسار الجميع بسير صغير.

وقوله: ﴿**فمنها ركوبهم ومنها يأكلون**﴾، أي: منها ما يركبون في الأسفار، ويحملون عليه الأثقال، إلى سائر الجهات والأقطار. ومنها ما[٢] يأكلون إذا شاءوا نحروا واجتزروا، ﴿**ولهم فيها منافع**﴾، أي: من أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثًا ومتاعًا إلى حين، ﴿**ومشارب**﴾، أي: من ألبانها وأبوالها لمن يتداوى، ونحو ذلك، ﴿**أفلا يشكرون**﴾، أي: أفلا يُوَحِّدُون خالق ذلك ومسخره، ولا يشركون به غيره؟

﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾

يقول تعالى منكرًا على المشركين في اتخاذهم الأنداد آلهة مع الله، يبتغون بذلك أن تنصرهم تلك الآلهة وترزقهم، وتقربهم إلى الله زلفى. قال الله تعالى: ﴿**لا يستطيعون نصرهم**﴾، أي: لا تقدر الآلهة على نصر عابديها، بل هي أضعف من ذلك وأقل وأذل وأحقر وأدحر[٣]، بل لا تقدر على الانتصار لأنفسها، ولا الانتقام ممن أرادها بسوء، لأنها جماد لا تسمع ولا تعقل.

وقوله: ﴿**وهم لهم جند محضرون**﴾ قال مجاهد: يعني عند الحساب يريد أن هذه الأصنام محشورة مجموعة يوم القيامة، محضرة عند حساب عابديها، ليكون ذلك أبلغ في خزيهم، وأدل عليهم في إقامة الحجة عليهم.

---

[١] - سقط من: خ، ز.
[٢] - سقط من: ت.
[٣] - في خ: «وأزجر».

وقال قتادة: ﴿**لا يستطيعون نصرهم**﴾، يعني الآلهة، ﴿**وهم لهم جند محضرون**﴾، والمشركون يغضبون للآلهة في الدنيا، وهي لا تسوق إليهم خيرًا، ولا تدفع عنهم سوءًا، وإنما هي أصنام.

وهكذا قال الحسن البصري. وهذا القول حسن، وهو اختيار ابن جرير رحمه الله.

وقوله: ﴿**فلا يحزنك قولهم**﴾، أي: تكذيبهم لك وكفرهم بالله، ﴿**إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون**﴾، أي: نحن نعلم جميع ما هم عليه، وسنجزيهم وصْفَهم ونعاملهم على ذلك، يوم لا يفقدون من أعمالهم جليلًا ولا حقيرًا، ولا صغيرًا ولا كبيرًا، بل يعرض عليهم جميع ما كانوا يعملون قديمًا وحديثًا.

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾

قال مجاهد، وعكرمة وعروة بن الزبير، والسدي، وقتادة: جاء أبي بن خلف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده عظم رميم وهو يُفَتِّتُه ويُذَرِّيه في الهواء، وهو يقول: يا محمد؛ أتزعم أن الله يبعث هذا؟! فقال: «**نعم؛ يميتك الله تعالى، ثم يبعثك، ثم يحشرك إلى النار**». ونزلت هذه الآيات من آخر «**يس**»: ﴿**أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة**﴾ إلى آخرهن.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد، حدثنا محمد بن العلاء، حدثنا عثمان بن سعيد الزيات، عن هشيم، عن أبي بشر عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس؛ أن العاص بن وائل أخذ عظمًا من البطحاء ففته بيده، ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أيحيي الله تعالى هذا بعد ما أرى؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**نعم**[١]، **يميتك الله**[٢] **ثم يحييك، ثم يدخلك جهنم**». قال: ونزلت الآيات من آخر «**يس**».

ورواه ابن جرير(٥٣) عن يعقوب بن إبراهيم، عن هُشيم، عن أبي بشر، عن سعيد بن

(٥٣) - تفسير الطبري (٢٣/٣٠)، والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٤٢٩) من طريق هشيم بل مثل رواية ابن أبي حاتم. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/٥٠٧) عن ابن عباس، وعزاه إلى ابن جرير =

[١] - سقط من: خ، ز. [٢] - سقط من: ز، خ.

جبير، فذكره ولم يذكر «**ابن عباس**».

وروى(٥٤) من طريق العَوفي، عن ابن عباس؛ أنه[١] قال: جاء عبد الله بن أبي بعظم ففته.. وذكر نحو ما تقدم.

وهذا منكر؛ لأن السورة مكية، وعبد الله بن أبي ابن سلول، إنما كان بالمدينة. وعلى كل تقدير، سواء كانت هذه الآيات نزلت في أبي بن خلف، أو في العاص، أو فيهما، فهي عامة في كل من أنكر البعث، والألف واللام في قوله: ﴿**أو لم ير الإنسان**﴾ للجنس، يعم كل[٢] منكر للبعث.

﴿**أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين**﴾، أي: أو لم يستدل من أنكر البعث بالبداء[٣] على الإعادة، فإن الله ابتدأ خلق الإنسان من سلالة من ماء مهين، فخلقه من شيء حقير ضعيف مهين، كما قال تعالى: ﴿**ألم نخلقكم من ماء مهين* فجعلناه [ ]**[٤] **في قرار مكين* إلى قدر معلوم**﴾. وقال: ﴿**إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه**﴾، أي: من نطفة من أخلاط متفرقة، فالذي خلقه من هذه النطفة الضعيفة أليس بقادر على إعادته بعد موته، كما قال الإمام أحمد في مسنده(٥٥):

حدثنا أبو المغيرة، حدثنا حَريز[٥]، حدثني عبد الرحمن بن ميسرة، عن جبير بن نفير، عن بسر بن جحاش؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بَصَق يومًا في كفه، فوضع عليها أصبعه، ثم قال: «**قال الله تعالى: ابن**[٦] **آدم، أنّى تُعجِزني وقد خلقتك من مثل هذه، حتى إذا سَوَّيتك وعَدَلتك، مشيت بين بُردَيك وللأرض منك وئيد، فجمعت ومنعت، حتى إذا بَلَغَت التراقي قلت: أتصدق. وأنى أوان الصدقة؟**»

ورواه ابن ماجة عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن يزيد بن هارون، عن حَريز[٧] بن عثمان به.

= وابن المنذر وابن أبي حاتم والإسماعيلي في معجمه والحاكم وابن مردويه والبيهقي في البعث، والضياء في المختارة.

(٥٤) - تفسير الطبري (٣١/٢٣)، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٠٧/٥) نسبته إلى ابن المنذر.

(٥٥) - المسند (٢١٠/٤)، وأخرجه ابن ماجه (٩٠٣/٢) حديث (٢٧٠٧) في كتاب الوصايا، باب: النهي عن الإمساك في الحياة والتبارير عند الموت بلفظ: «**يا ابن آدم...**». وقال في الزوائد: إسناده صحيح. ورواه الطبراني في الكبير (٣٢/٢) حديث (١١٩٣)، (١١٩٤). وحسنه الشيخ الألباني في =

[١] - سقط من: ت.
[٢] - في ز، خ: «لكل».
[٣] - في ت: «بالبدء».
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز، خ: «نطفة».
[٥] - في ز، خ: «جرير».
[٦] - في ز، خ: «يا بني».
[٧] - في ز، خ: «جرير».

ولهذا قال: ﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم﴾؟ أي: استبعد إعادة الله تعالى ذي القدرة العظيمة التي خلقت السماوات والأرض - للأجساد والعظام الرميمة، ونسي نفسه، وأن الله خلقه من العدم، فعلم من نفسه ما هو أعظم مما استبعده وأنكره وجحده؛ ولهذا قال تعالى: ﴿قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾، أي: يعلم العظام في سائر أقطار الأرض وأرجائها، أين ذهبت، وأين تفرقت وتمزقت؟

قال الإمام أحمد(٥٦): حدثنا عفان، حدثنا أبو عوانة، عن عبد الملك بن عمير، عن[١] رِبْعيّ؛ قال: قال عقبة بن عمرو لحذيفة: ألا تحدثُنا ما سمعتَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: سمعته يقول: «**إن رجلاً حضره الموت، فلما أيس من الحياة أوصى أهله: إذا أنا متّ فاجمعوا لي حَطَبًا كثيرًا جَزْلاً، ثم أوقدوا فيه نارًا، حتى إذا أكلت[٢] لحمي وخَلصت إلى عظمي فامتُحشْتُ فخذوها فأذَرّوها[٣] في اليم، ففعلوا، فجمعه الله إليه فقال له: لم فعلت ذلك؟ قال: من خشيتك، فغفر الله له**». فقال عقبة بن عمرو: وأنا سمعته يقول ذلك. وكان نَبّاشًا[٤].

وقد أخرجاه في الصحيحين، من حديث عبد الملك بن عمير، بألفاظ كثيرة، منها: «**أنه أمر بنيه أن يحرقوه ثم يسحقوه، ثم يُذَرُّوا نصفه في البر ونصفه في البحر، في يوم رائح، أي: كثير الهواء- ففعلوا ذلك، فأمر الله البحر فجمع ما فيه وأمر البر فجمع ما فيه، ثم قال له: كن. فإذا هو رجل قائم، فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: مخافتك وأنت أعلم. فما تلافاه أن غفر له**».

وقوله: ﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارًا فإذا أنتم منه توقدون﴾، أي: الذي بدأ خلق هذا الشجر من ماء حتى صار خضرًا نَضرًا ذا ثمر ويَنْع، ثم أعاده إلى أن صار حطبًا يابسًا، توقد[٥] به النار، كذلك [هو فعال][٦] لما يشاء، قادر على ما يريد لا يمنعه شيء.

قال قتادة في قوله: ﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارًا فإذا أنتم منه توقدون﴾، يقول: الذي أخرج هذه النار من هذا الشجر قادر أن يبعثه.

= السلسلة الصحيحة (١٠٩٩) وصحيح ابن ماجه (١١١/٢) حديث (٢١٨٨).

(٥٦) - المسند (٣٩٥/٥)، وأخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل حديث (٣٤٥٢) وأطرافه في (٣٤٧٩، ٦٤٨٠).

---

[١] - سقط من: خ.

[٢] - سقط من: ت، خ.

[٣] - في ت: «فذروها».

[٤] - في ز، خ: «ماشيا».

[٥] - في ز، خ: «يوقد».

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

وقيل: المراد بذلك [سَرْح المرخ][١] والعَفَار، ينبت في أرض الحجاز فيأتي من أراد قَدْح [نار][٢] وليس معه زناد، فيأخذ منه عودين أخضرين، ويقدح[٣] أحدهما بالآخر، فتتولد النار من بينهما، كالزناد سواء. روي هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما. [وفي المثل][٤] : «**لكل شجر نار، واستمجد المرْخُ والعَفَار**». وقال الحكماء: في كل شجر نار إلا الغاب.

أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

يقول تعالى منبهًا على قدرته العظيمة في خلقه[٥] السماوات السبع، بما فيها من الكواكب السيارة والثوابت، والأرضين[٦] السبع وما فيها من جبال ورمال، وبحار وقفار، وما بين ذلك، ومرشدًا إلى الاستدلال على إعادة الأجساد بخلق هذه الأشياء العظيمة، كقوله تعالى: ﴿**لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس**﴾. وقال هاهنا: ﴿**أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم**﴾؟، أي: مثل البشر، فيعيدهم كما بدأهم. قاله ابن جرير.

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿**أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير**﴾. وقال: هاهنا ﴿**بلى وهو الخلاق العليم * إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون**﴾، أي: إنما يأمر بالشيء أمرًا واحدًا، لا يحتاج إلى تكرار:

إِذَا مَا أَرَادَ اللَّهُ[٧] أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ «كُنْ» قَوْلَةً[٨] فَيَكُونُ

وقال الإمام أحمد(٥٧) : حدثنا ابن نمير، حدثنا موسى بن المسيب، عن شهر، عن عبد الرحمن ابن غنم، عن أبي ذر رضي الله عنه؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال: «**إن**

(٥٧) - المسند (١٧٧/٥)، وأخرجه في (١٥٤/٥) والترمذي في صفة القيامة، حديث (٢٤٩٥)، وابن ماجة في الزهد، باب: ذكر التوبة، حديث (٤٢٥٧) من طريق شهر بن حوشب به.

[١] - ما بين المعكوفتين في ز، خ: «شرح المرح».
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من ت. [٣] - سقط من: ز، خ.
[٤] - ما بين المعكوفتين في خ، ز: «قال الراجز». [٥] - في ت: «خلق».
[٦] - في ز، خ: «الأرض». [٧] - سقط من: خ.
[٨] - سقط من: خ.

الله يقول: يا عبادي، كلكم مذنب إلا من عافيت، فاستغفروني أغفر لكم. وكلكم فقير إلا من أغنيت، إني جواد ماجد واجد أفعل ما أشاء، عطائي كلام، وعذابي كلام، إذا أردت شيئًا فإنما أقول له كن فيكون».

وقوله: ﴿**فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء، وإليه ترجعون**﴾. أي: تنزيه وتقديس وتبرئة من السوء الحي القيوم، الذي بيده مقاليد السماوات والأرض[١]، وإليه يرجع الأمر كله، وله الخلق والأمر، وإليه ترجع العباد يوم القيامة، فيجازي كل عامل بعمله، وهو العادل المنعم المتفضل.

ومعنى قوله: ﴿**فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء**﴾ كقوله [عز وجل: ﴿**قل من بيده ملكوت كل شيء**﴾، وكقوله تعالى][٢] : ﴿**تبارك الذي بيده الملك**﴾، فالملك والملكوت واحد في المعنى، كرحمة ورَحَمُوت، [ورَهْبة ورهبوت][٣]، وجَبْر وجَبرُوت. ومن الناس من زعم أن المُلْك هو عالم الأجسام[٤]، والملكوت هو عالم الأرواح، والأول هو الصحيح، وهو الذي عليه الجمهور من المفسرين وغيرهم.

قال الإمام أحمد(٥٨) : حدثنا سُرَيج[٥] بن النعمان، حدثنا حماد، عن عبد الملك بن عمير، حدثني ابن عم لحذيفة، عن حذيفة، و[٦]هو ابن اليمان، رضي الله عنه؛ قال: قمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة، فقرأ السبع الطُّوَل في سبع ركعات، وكان إذا رفع رأسه من الركوع قال: سمع الله لمن حمده. ثم قال: «**الحمد لله ذي الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة**» وكان ركوعه مثل قيامه، وسجوده مثل ركوعه، فأنصرف وقد كادت تنكسر رجلاي.

وقد روى أبو داود، والترمذي في الشمائل، والنسائي، من حديث شعبة، عن عمرو بن مُرّة، عن أبي حَمْزة - مولى الأنصار - عن رجل من بني عَبْس[٧]، عن حذيفة؛ أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل، وكان يقول: «**الله أكبر ثلاثًا ذو[٨] الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة**». ثم استفتح فقرأ البقرة، ثم ركع [فكان][٩] ركوعه نحوًا من قيامه، وكان يقول في ركوعه: «**سبحان ربي العظيم**». ثم رفع رأسه من الركوع، فكان قيامه

(٥٨) - المسند (٣٨٨/٥)، وأخرجه في المسند (٣٩٦/٥) من طريق بهز عن حماد به.

[١] - سقط من: خ.
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز: «هبة وهبوت».
[٤] - في ت: «الأجساد».
[٥] - في ز، خ: «شريح».
[٦] - سقط من: ز، خ.
[٧] - في ز، خ: «عيش».
[٨] - في ز، خ: «ذي».
[٩] - ما بين المعكوفتين في ز، خ: «وكان».

نحوًا من ركوعه[١] ، [يقول : « **لربي الحمد** » ثم سجد ، فكان سجوده نحوًا من قيامه][٢]، وكان يقول في سجوده : « **سبحان ربي الأعلى** » . ثم رفع رأسه من السجود ، وكان يقعد فيما بين السجدتين نحوًا من سجوده ، وكان يقول : « **رب اغفر لي ، رب اغفر لي** » . فصلى [أربع ركعات ، فقرأ][٣] فيهن البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة - أو الأنعام شك شعبة . هذا لفظ أبي داود (٥٩) .

وقال النسائي : أبو حمزة عندنا طلحة بن يزيد ، وهذا الرجل يشبه أن يكون صلة . كذا قال ، والأشبه أن يكون ابن عم حذيفة ، كما تقدم في رواية الإمام أحمد ، فأما رواية صلة بن زفر ، عن حذيفة ، فإنها في صحيح مسلم (٦٠) ، ولكن ليس فيها ذكر الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة .

وقال أبو داود (٦١) : حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن وهب ، حدثني معاوية بن صالح ، عن عمرو بن قيس ، عن عاصم بن حُمَيد ، عن عوف بن مالك الأشجعي ؛ قال : قمتُ مع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ليلة[٤] فقام فقرأ سورة البقرة ، لا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل ، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوّذ ، قال : ثم ركع بقدر قيامه ، يقول في ركوعه : « **سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة** » . ثم[٥] سجد بقدر قيامه ، ثم قال في سجوده مثل ذلك ، ثم قام فقرأ بآل عمران ، ثم قرأ سورة سورة .

ورواه الترمذي في الشمائل ، والنسائي ، من حديث معاوية بن صالح به .

آخر تفسير سورة يس

☆ ☆ ☆

(٥٩) - سنن أبي داود في الصلاة ، باب : ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده ، حديث (٨٧٤) ، وأخرجه الترمذي في الشمائل (٢٧٥) والنسائي في كتاب الافتتاح ، باب : ما يقول في قيامه وذلك (٢/١٩٩،٢٠٠) من طريق شعبة به .

(٦٠) - صحيح مسلم في صلاة المسافرين وقصرها ، حديث (٧٧٢) .

(٦١) - سنن أبي داود في الصلاة ، باب : ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده ، حديث (٨٧٣) ، وأخرجه الترمذي في الشمائل (٣١٣) ، والنسائي في الافتتاح ، باب : نوع أخر من الذكر في الركوع (٢/١٩١) ، وفي نوع آخر [من الدعاء في السجود] (٢/٢٢٣) من طريق معاوية بن صالح به .

[١] - في خ ، ز : « قيامه » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في ز ، خ : « و » .

تفسير القرآن العظيم

للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء
إسماعيل بن كثير الدمشقي
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

هذه الطبعة أول طبعة مقابلة على النسخة الأزهرية
وكذلك على نسخة كاملة بدار الكتب المصرية

تحقيق
مصطفى السيد محمد — محمد السيد رشاد
محمد فضل العجماوي — علي أحمد عبد الباقي
حسن عباس قطب

المجلد الثاني عشر

مؤسسة قرطبة
طباعة . نشر . توزيع
جيزة - ت : ٥٨١٥٠٢٧

مكتبة أولاد الشيخ للتراث
٣٦ ش اليابان - عمرانية غربية - جيزة
ت : ٥٦٢٨٣١٨ - ٥٦١١٤٤٢

رقم الإيداع : ٩٣٤٩ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولى : I.S.B.N
977 - 5234 - 33 - 6

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر هاتف : ٤٣٠٧٥٢٦ - ٢٠٥٥٦٨٨ القاهرة

تفسير

القرآن العظيم

تفسير سورة الصافات

وهي مكية

قال النسائي(١) : أخبرنا إسماعيل بن مسعود ، حدثنا خالد - يعني ابن الحارث - عن ابن أبي ذئب قال[١] : أخبرني الحارث بن عبد الرحمن عن[٢] سالم بن عبد الله ، عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالتخفيف ، ويؤمنا بالصافات . تفرد به النسائي .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴿٥﴾

قال سفيان الثوري(٢) : عن الأعمش ، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله بن

---

(١) - « السنن الصغرى » ، كتاب الإمامة ، باب : الرخصة للإمام في التطويل (٢/٩٥) وفي «التفسير» من الكبرى (١١٤٣٢/٦) ، وإسناده حسن ، رجاله كلهم ثقات ؛ حاشا الحارث بن عبد الرحمن - خال ابن أبي ذئب - وهو صدوق كما في التقريب ، ورواه ابن خزيمة في صحيحه (١٦٠٦/٣) من طريق بشر بن معاذ العقدي ، نا خالد بن الحارث به ، ورواه علي بن الجعد في مسنده (٢/رقم ٢٨٦٠) - ومن طريقه الطبراني في المعجم الكبير (١٣١٩٤/١٢) - ثنا ابن أبي ذئب به ، ورواه أحمد (٢/٢٦،٤٠،١٥٧) وأبو يعلى في مسنده (٩/٥٤٤٥،٥٥٠٣) ومن طريقه الثاني ابن حبان في صحيحه (١٨١٧/٥) - وابن خزيمة أيضًا والبيهقي في السنن الكبرى (١١٨/٣) كلهم من طريق - مفرقًا - (وكيع وحمّاد بن الخياط ويزيد بن هارون ، وعثمان بن عمر ، وشبابة بن سوار) عن ابن أبي ذئب به ، وفي رواية يزيد بن هارون ، وإن كان لَيَؤُمّنا بالصافات في صلاة الفجر ، ويزيد ثقة ثبت ، وهكذا رواه أصحاب ابن أبي ذئب بهذا الإسناد ، ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده (رقم ١٨١٦) ثنا ابن أبي ذئب ، عن الزهري أو غيره ، عن سالم به - شك أبو داود - ورواية الجماعة بغير الشك أولى ، والحديث قصر في عزوه السيوطي في الدر المنثور (٥٠٩/٥) فلم يعزه لغير النسائي والبيهقي!!.

(٢) - رواه الفريابي - كما في الدر المنثور (٥١٠/٥) - ومن طريقه الطبراني في المعجم الكبير (٩٠٤١/١٢) عن سفيان الثوري به ، وأورده الهيثمي في المجمع (١٠١/٧) وأعله بشيخ الطبراني : عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم وهو متابع ، فقد رواه الحاكم في المستدرك (٤٢٩/٢) من طريق أحمد بن حازم الغفاري ، ثنا قبيصة بن عقبة ، أنبأنا سفيان به وقال الحاكم : حديث صحيح على شرط الشيخين . ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا ، ولا تضره عنعنة الأعمش حيث رواه شعبة عنه ، عن أبي الضحى ، به . كما عند ابن جرير (٣٣/٢٣) وشعبة كفانا تدليس الأعمش ولله الحمد . وقد رواه عبد الرزاق في تفسيره (١٤٧/٣) =

---

[١] - سقط من : ز ، خ. [٢] - في ت : « بن » .

مسعود -رضي الله عنه- أنه قال : ﴿ **والصافات صفًّا** ﴾ وهي الملائكة ، [﴿ **فالزاجرات زجرًا** ﴾ هي الملائكة][١] ، ﴿ **فالتاليات ذكرًا** ﴾ هي الملائكة .

وكذا قال ابن عباس(٣) ومسروق ، وسعيد بن جبير وعكرمة ، ومجاهد والسدي ، وقتادة والربيع بن أنس . قال قتادة : الملائكة صفوف في السماء .

وقال مسلم(٤) : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا محمد بن فضيل ، عن أبي مالك الأشجعي ، عن ربعي ، عن حذيفة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **فُضِّلنا علىٰ الناس بثلاث : جُعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وجعلت لنا الأرض كلها مسجدًا ، وجُعلت لنا تُرْبَتها طهورًا إذا لم نجد الماء** » .

وقد روىٰ مسلم أيضًا ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجة(٥) ، من حديث الأعمش ، عن المُسَيب بن رافع ، عن تميم[٢] بن طَرَفَة ، عن جابر بن سَمُرة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ألا تَصفّون كما تصف الملائكة عند رَبّهم ؟** » . قلنا : وكيف تصفّ الملائكة عند ربهم ؟ قال : « **يُتمون الصفوفَ المتقدمة ويَتَراصون في الصف** » .

وقال السدي وغيره : معنى قوله : ﴿ **فالزاجرات زجرًا** ﴾: أنها تزجر السحاب زجرًا[٣] .

وقال الربيع بن أنس: ﴿**فالزاجرات زجرًا** ﴾ ما زجر الله عنه في القرآن. وكذا رَوَىٰ مالك، عن زيد بن أسلم. ﴿ **فالتاليات ذكرًا** ﴾ قال السدي: الملائكة يجيئون بالكتاب والقرآن من عند الله إلىٰ الناس . وهذه الآية كقوله تعالىٰ : ﴿ **فالملقيات ذكرًا * عذرًا أو نذرًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إن إلهكم لواحد** ﴾ هذا هو المقسم عليه : أنه تعالىٰ لا إله إلا هو ﴿ **رب السموات والأرض وما بينهما** ﴾ أي : من المخلوقات ﴿ **ورب المشارق** ﴾ أي : هو المالك[٤]

= عن معمر ، عن الأعمش به . والخبر زاد نسبته السيوطي إلىٰ عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) - رواه أبو الشيخ في العظمة (٥١١/٣) بإسناد ضعيف إليه ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥١٠/٥) وزاد نسبته إلىٰ ابن المنذر .

(٤) - صحيح مسلم ، فاتحة كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٤) (٥٢٢) .

(٥) - رواه مسلم ، كتاب الصلاة ، باب : الأمر بالسكون في الصلاة ... (١١٩) (٤٣٠) وأبو داود ، كتاب الصلاة ، باب : تسوية الصفوف (٦٦١) ، والنسائي ، كتاب الصلاة ، باب : حث الإمام على رَصِّ الصفوف والمقاربة بينها (٩٢/٢) ، وابن ماجة ، كتاب الصلاة والسنة فيها ، باب : إقامة الصفوف (٩٩٢) من طرق عن الأعمش به .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - سقط من : خ .

المتصرف في الخلق بتسخيره بما فيه من[١] كواكب ثوابت وسيارات، تبدو من المشرق، وتغرب من المغرب. واكتفى بذكر المشارق عن المغارب لدلالتها عليهما[٢]، وقد صرح بذلك في قوله: ﴿ **فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون** ﴾ وقال في الآية الأخرى: ﴿ **رب المشرقين ورب المغربين** ﴾ يعني: في الشتاء والصيف، للشمس والقمر.

إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾

يخبر تعالى أنه زين السماء الدنيا للناظرين إليها من أهل الأرض ﴿ **بزينة الكواكب** ﴾ قرئ بالإضافة وبالبدل، وكلاهما بمعنى واحد، فالكواكب السيارة والثوابت يَثْقُب ضوؤها جرمَ السماء الشفاف فتضيء لأهل الأرض، كما قال تعالىٰ: ﴿ **ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجومًا للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير** ﴾، وقال: ﴿ **ولقد جعلنا في السماء بروجًا وزيناها للناظرين * وحفظناها من كل شيطان رجيم * إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين** ﴾.

وقوله هاهنا: ﴿ **وحفظًا**[٣] ﴾ تقديره: وحَفظناها حفظًا ﴿ **من كل شيطان مارد** ﴾ يعني: المتمرد العاتي إذا أراد أن يسترق السمع، أتاه شهاب ثاقب فأحرقه؛ ولهذا قال: ﴿ **لا يسمعون إلىٰ الملإ الأعلىٰ** ﴾ أي: لئلا يصلوا[٤] إلىٰ الملإ الأعلىٰ، وهي السموات ومن فيها من الملائكة، إذا تكلموا بما يوحيه الله مما يقوله من شرعه وقدره، كما تقدم بيان ذلك في الأحاديث التي أوردناها عند قوله تعالىٰ: ﴿ **حتىٰ إذا فُزّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحقّ وهو العلي الكبير** ﴾.

ولهذا قال: ﴿ **ويقذفون** ﴾ أي: يُرمَون ﴿ **من كل جانب** ﴾ أي: من كل جهة يقصدون السماء منها ﴿ **دحورًا** ﴾ أي: رجمًا يدحرون به ويرجمون[٥]، ويمنعون من الوصول إلىٰ ذلك ﴿ **ولهم عذاب واصب** ﴾ أي: في الدار الآخرة لهم عذاب دائم موجع مستمر، كما قال: ﴿ **وأعتدنا لهم عذاب السعير** ﴾.

وقوله: ﴿ **إلا من خَطِفَ الخطفة** ﴾ أي: إلا من اختطف من الشياطين الخطفة، وهي الكلمة يسمعها من السماء فيلقيها إلىٰ الذي تحته، ويلقيها الآخر إلىٰ الذي تحته، فربما أدركه

[١] - سقط من: ز.
[٢] - في ز: «عليها».
[٣] - في ز: «وحفظناها».
[٤] - في ز،خ: «يصلون».
[٥] - في ت: «ويزجرون».

الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها بقدر الله قبل أن يأتيه الشهاب فيحرقه، فيذهب بها الآخر إلى الكاهن ، كما تقدم في الحديث ؛ ولهذا قال : ﴿ **إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب** ﴾ أي : مستنير .

قال ابن جرير (٦) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس قال : كانت للشياطين مقاعد في السماء ، فكانوا يستمعون الوحي ، قال : وكانت النجوم لا تجري ، وكانت الشياطين لا تُرمى[١] ، قال : فإذا سمعوا الوحي نزلوا إلى الأرض ، فزادوا في الكلمة[٢] تسعًا ، قال : فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الشيطان إذا قعد مقعده جاء شهاب فلم يُخْطِئه حتى يُحرقَه ، قال : فشكوا ذلك إلى إبليس ، فقال : ما هو إلا من أمر حدث ، قال : فَبَثَّ جنوده فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي بين جبلي نخلة - قال وكيع : يعني بطن نخلة - قال : فرجعوا إلى إبليس فأخبروه فقال : هذا الذي حدث .

وستأتي الأحاديث الواردة مع الآثار في هذا المعنى عند قوله تعالى إخبارًا عن الجن أنهم قالوا : ﴿ **وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسًا شديدًا وشهبًا * وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابًا رصدًا * وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدًا** ﴾ .

فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَ

(٦) - تفسير ابن جرير (٣٦/٢٣) ورواه أيضًا (٣٦/٢٣،٣٧) وأحمد (٢٧٤/١) والترمذي ، كتاب التفسير (٣٣٢٤) والنسائي في التفسير من الكبرى (١١٦٢٦/٦) والطبراني في المعجم الكبير (١٢٤٣١/١٢) من طرق عن إسرائيل به ، وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات من رجال الشيخين ، ولا تضر عنعنة أبي إسحاق هنا ، لأن إسرائيل من أوثق الناس فيه ، كما قال أبو حاتم وغيره ، وتابع إسرائيل فيه أبوه يونس بن أبي إسحاق . رواه من هذا الوجه البيهقي في الدلائل (٢٣٩/٢،٢٤٠) .

ورواه أحمد أيضًا (٣٢٣/١) ثنا وكيع ، عن إسرائيل عن سماك ، عن سعيد بن جبير به . وهذا إسناد حسن لكلام في سماك ، والخبر أورده السيوطي في الدر المنثور (٤٣٣/٦) وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن مردويه وأبي نعيم في الدلائل وانظر ما تقدم (سورة سبأ / آية ٢٣) .

[١] - في خ : « ترى » . [٢] - في خ ، ز : « الآية » .

ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾

يقول تعالىٰ : فسل هؤلاء[١] المنكرين للبعث : أيما أشد خلقًا هم أم السماوات والأرض ، وما بينهما من الملائكة والشياطين والمخلوقات العظيمة ؟ وقرأ ابن مسعود : (أم من عددنا) ، فإنهم يُقرّون أن هذه المخلوقات أشد خلقًا منهم ، وإذا كان الأمر كذلك فلم ينكرون البعث ، وهم يشاهدون ما هو أعظم مما أنكروا ؟ كما[٢] قال تعالىٰ : ﴿ **لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ ثم بين أنهم خلقوا من شيء ضعيف فقال : ﴿ **إنا خلقناهم من طين لازب** ﴾ .

قال مجاهد ، وسعيد بن جبير ، والضحاك : هو الجيّد[٣] الذي يلتزق بعضه ببعض .

وقال ابن عباس(٧) ، وعكرمة : هو اللزج وقال قتادة : هو الذي يلزق باليد .

وقوله : ﴿ **بل عجبت ويسخرون** ﴾ أي : بل عجبت - يا محمد - من تكذيب هؤلاء المنكرين للبعث ، وأنت موقن مصدق بما أخبر الله به من الأمر العجيب ، وهو إعادة الأجسام بعد فنائها ، وهم بخلاف أمرك ، من شدة تكذيبهم يسخرون مما تقول لهم من ذلك .

قال قتادة : عجب محمد صلى الله عليه وسلم وسخر ضلال بني آدم .

﴿ **وإذا رأوا آية** ﴾ أي : دلالة واضحة على ذلك ﴿ **يستسخرون** ﴾ قال مجاهد ، وقتادة : يستهزئون .

﴿ **وقالوا إن هذا إلا سحر مبين** ﴾ أي : إنْ هذا الذي جئت به إلا سحر مبين ﴿ **أئذا متنا وكنا ترابًا وعظامًا أئنا لمبعوثون * أو آباؤنا الأولون** ﴾ يستبعدون ذلك ويكذبون به ﴿ **قل : نعم وأنتم داخرون** ﴾ أي : قل لهم يا محمد : نعم تبعثون يوم القيامة بعدما تصيرون ترابًا وعظامًا ﴿ **وأنتم داخرون** ﴾ أي : حقيرون تحت القدرة العظيمة . كما قال تعالىٰ : ﴿ **وكلٌ أتوه داخرين** ﴾ .

وقال : ﴿ **إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين** ﴾ ثم قال : ﴿ **فإنما**

---

(٧) - رواه عنه ابن جرير في تفسيره (٤٣،٤٢/٢٣) بأسانيد قابلة للصحة وانظر الدر المنثور (٥١٢/٥) .

---

[١] - سقط من : خ . [٢] - سقط من : ز،خ .
[٣] - في خ : « الجسد » .

هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون ﴾ أي : إنما هو أمر واحد من الله - عز وجل - يدعوهم دعوة واحدة[١] أن يخرجوا من الأرض ، فإذا هم بين يديه ، ينظرون إلىٰ أهوال يوم القيامة .

﴿ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ (٢٠) هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢١) ۞ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣) وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ (٢٤) مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ (٢٥) ﴾

يخبر تعالىٰ عن قِيلِ الكفار يوم القيامة : إنهم يرجعون علىٰ أنفسهم بالملامة ، ويعترفون بأنهم كانوا ظالمين لأنفسهم في الدار الدنيا ، فإذا عاينوا أهوال القيامة ندمُوا كلَّ الندم حيث لا ينفعهم الندم ، ﴿ **وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين** ﴾ ، فتقول لهم الملائكة والمؤمنون : ﴿ **هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون** ﴾ . وهذا يقال لهم علىٰ وجه التقريع والتوبيخ ، ويأمر اللّه الملائكة أن تُميِّز الكفار من المؤمنين في الموقف في محشرهم ومنشرهم ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿**احشروا الذين ظلموا وأزواجهم**﴾ ، قال النعمان بن بشير -رضي اللّه عنه- : يعني بأزواجهم : أشباههم وأمثالهم . وكذا قال ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، ومجاهد ، والسدي ، وأبو صالح ، وأبو العالية ، وزيد بن أسلم .

وقال سفيان الثوري(٨) : عن سماك ، عن النعمان بن بشير ، عن عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه : ﴿ **احشروا الذين ظلموا وأزواجهم** ﴾ قال : إخوانهم .

وقال شريك(٩) عن سماك[٢] عن النعمان قال : سمعت عمر يقول : ﴿ **احشروا الذين ظلموا وأزواجهم** ﴾ قال : أشباههم . قال : يجيء صاحب الربا مع أصحاب الربا ، وصاحب الزّنا مع أصحاب الزّنا ، وصاحب[٣] الخمر مع أصحاب الخمر .

---

(٨) - رواه ابن جرير (٤٦/٢٣) ثنا ابن بشار ، ثنا عبد الرحمن ، ثنا سفيان به ، غير أنه قال : «ضرباءهم» ورواه الحاكم في المستدرك (٤٣٠/٢) من طريق عبيد الله بن موسى ، أنبأ إسرائيل، ثنا سماك بن حرب به ، وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي ، ورواه عبد الرزاق في تفسيره (١٤٨/٣) عن إسرائيل به ، ليس فيه عمر ، ولفظه : «أمثالهمالذين مِثلهم» وانظر ما بعده :

(٩) - لم أهتد له من هذا الوجه ، وشريك هو ابن عبد الله القاضي سيئ الحفظ غير أنه متابع كما في السابق ، وقد أورده السيوطي في الدر المنثور (٥١٣/٥) بنحو هذا اللفظ وزاد نسبته إلى الفريابي وابن أبي شيبة وابن منيع في مسنده وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في البعث - وهو غير موجود في الجزء المطبوع من البعث - فلعله عندهم أو أحدهم من هذا الوجه والله أعلم .

---

[١] - سقط من : ز ، خ . [٢] - في ز ، خ: « شريك » .

[٣] - في ز ، خ: « أصحاب » .

وقال خصيف(١٠) عن مقسم عن ابن عباس : أزواجهم : نساءهم وهذا غريب ، والمعروف عنه الأول ، كما رواه مجاهد وسعيد بن جبير عنه : أزواجهم : قُرَناءهم .

﴿ وما كانوا يعبدون من دون الله ﴾ أي : من الأصنام والأنداد ، وتحشر[١] معهم في أماكنهم .

و[٢]قوله : ﴿ فاهدوهم إلىٰ صراط الجحيم ﴾ أي : أرشدوهم إلىٰ طريق جهنم . وهذا كقوله تعالىٰ : ﴿ ونحشرهم يوم القيامة علىٰ وجوههم عُميًا و[بُكمًا وصُمًّا][٣] مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرًا ﴾ .

وقوله : ﴿ وقفوهم إنهم مسئولون ﴾ أي : قفوهم حتىٰ يُسألوا عن أعمالهم وأقوالهم التي صدرت عنهم في الدار الدنيا ، كما قال الضحاك(١١) ، عن ابن عباس : يعني : احبسوهم إنهم محاسبون .

وقال ابن أبي حاتم(١٢) : حدثنا أبي ، حدثنا النّفيلي ، حدثنا المعتمر بن سليمان قال[٤] : سمعت ليثًا يُحدّث عن بشر ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « أيما داعٍ دعا إلىٰ شيء كان موقوفًا معه إلىٰ يوم القيامة ، لا يغادره ولا يفارقه ، وإن دعا رجل رجلًا » . ثم قرأ : ﴿ وقفوهم إنهم مسئولون ﴾ .

---

(١٠) - خُصَيف هو ابن عبد الرحمن الجزري فيه ضعف ، وقد ورد تفسيره عن ابن عباس كالجادة وهو الأصح سندًا وهذا غريب كما قال المصنف ، وانظر تفسير ابن جرير (٢٣/٤٦،٤٧) والدر المنثور (٥/ ٥١٤).

(١١) - والضحاك لم يسمع من ابن عباس ، والأثر أورده السيوطي في الدر المنثور (٥/٥١٤) ولم يعزه لغير ابن أبي حاتم .

(١٢) - وعزاه إلى ابن أبي حاتم السيوطي في الدر المنثور (٥/٥١٤) وقد رواه البخاري في التاريخ الكبير (٢/ ٨٦) عن مسدد ، والترمذي في الجامع ، كتاب تفسير القرآن (٣٢٢٨) ثنا أحمد بن عبدة الضبي . وإسحاق ابن راهويه - ومن طريقه الحاكم (٢/٤٣٠) - وابن جرير في تفسيره (٢٣/٤٨) ثنا يعقوب بن إبراهيم أربعتهم (مسدد وأحمد وإسحاق ويعقوب) ثنا معتمر بن سليمان به ، وأبهم يعقوب في روايته اسم شيخ الليث فقال : عن رجل - وقد رواه الدارمي في سننه (١/٥٢٢) من طريق عبد السلام بن حرب ، عن ليث به . وقال الترمذي : حديث غريب - يعنى : ضعيف . وعلته ليث وهو ابن أبي سليم ، فإنه اختلط جدًّا ولم يتميز حديثه فترك كما في التقريب . وشيخه مجهول ، وقد تقدمت ترجمته عند (آية رقم ٩٢) من سورة الحجر ، وقد اضطرب في تسميته ليث ، فلم ينسبه هنا ، بينما رواه ابن أبي شيبة - وعنه ابن أبي عاصم في السنة (١/ رقم ١١٢) وابن ماجة في المقدمة (٢٠٨) - ثنا أبو معاوية ، عن ليث ، عن بشر بن نهيك ، =

---

[١] - في ت : « يحشر » . [٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « وصُمًّا وبكمًا » . [٤] - سقط من : خ ، ز .

ورواه الترمذي من حديث ليث بن أبي سليم. ورواه ابن جرير، عن يعقوب بن إبراهيم، عن معتمر، عن ليث، عن رجل، عن أنس مرفوعًا.

وقال عبد الله بن المبارك(١٣) : سمعت عثمان بن زَائِدَة يقول: إن أول ما يُسأل عنه الرجل جلساؤه، ثم يقال لهم على سبيل التقريع والتوبيخ: ﴿ **ما لكم لا تناصرون** ﴾ أي: كما زعمتم أنكم جميع منتصر، ﴿ **بل هم اليوم مستسلمون** ﴾ أي: منقادون[١] لأمر الله، لا يخالفونه ولا يحيدون عنه.

بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾

يذكر تعالى أن الكفار يتلاومون في عرصات القيامة، كما يتخاصمون في دَرَكات النار،

= عن أبي هريرة مرفوعًا به، دون ذكر الآية، وبشر بن نَهيك تابعي معروف، غير أنَّ ليثًا ضعيف، وقد عُدَّ ذلك من تخاليطه، ثم إنه لا يعرف لليث رواية عن بشير، ولذلك لم يحسن المنذري حينما أورده في الترغيب (٩٢/١) وقال: رواه ابن ماجة، ورواته ثقات !! . وقد رواه الحاكم أيضًا، ثنا عمر بن جعفر البصري، ثنا الحسن بن أحمد التستري، ثنا عبيد الله بن معاذ العنبري، ثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه عن أنس مرفوعًا به. وقال الحاكم: هكذا حدَّث به الحسن بن أحمد التستري، عن عبيد الله بن معاذ عنه، ولو جاز لنا قبوله منه، لكنا نصححه على شرط الشيخين، ولكن نقول أن صوابه. ثم أسند طريق إسحاق بن راهويه المتقدمة، والحسن بن أحمد هذا ترجم له الذهبي في الميزان فقال: روى خبرًا موضوعًا عن إسماعيل ابن إسحاق القاضي بسند كالشمس متنه ...... وقال الخطيب: الحسن بن أحمد صاحب مناكير، وفي اللسان لان حجر عن الدارقطني قال: الحسن ضعيف جدًّا، كان يتهم بوضع الحديث. والحديث زاد نسبته السيوطي إلى ابن منذر وابن مرداويه.

(١٣) - أورده السيوطي في الدر المنثور (٥١٤/٥) ولم يعزه لغير ابن أبي حاتم.

[١] - في ز، خ: « ينقادون ».

﴿ فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعًا فهل أنتم مغنون عنا نصيبًا من النار * قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد ﴾ وقال : **﴿ ولو ترىٰ إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلىٰ بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين * قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدىٰ بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين * وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا : بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادًا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون ﴾** ، وهكذا قالوا لهم هاهنا : **﴿ إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين ﴾** ، قال الضحاك عن ابن عباس(١٤) : يقولون : كنتم تقهروننا بالقدرة منكم علينا ، لأنا كنا أذلاء وكنتم أعزاء .

وقال مجاهد : يعني : عن الحق . الكفار تقوله للشياطين .

وقال قتادة : قالت الإنس للجن : **﴿ إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين ﴾** قال : من قبل الخير ، فتنهونا عنه وتبطئونا عنه . وقال السدي : تأتوننا من قبل الحق تزينون لنا الباطل وتصدونا عن الحق . وقال الحسن في قوله : **﴿ إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين ﴾** إي والله يأتيه عند كل[١] خير يريده فيصده عنه .

وقال ابن زيد : معناه تحولون بيننا وبين الخير ، ورددتمونا عن الإسلام والإيمان والعمل بالخير الذى أمرنا به[٢] . وقال يزيد الرِّشْك : من قبل « **لا إله إلا الله** » . وقال خُصيف : يعنون من قبل ميامنهم .

وقال عكرمة : **﴿ إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين ﴾** قال : من حيث نأمنكم .

وقوله : **﴿ قالوا بل لم تكونوا مؤمنين ﴾** ، تقول القادة من الجن والإنس للأتباع : ما الأمر كما تزعمون ، بل كانت قلوبكم منكرة للإيمان ، قابلة للكفر والعصيان[٣] **﴿ وما كان لنا عليكم من سلطان ﴾** أي : من حجة علىٰ صحة ما دعوناكم إليه ، **﴿ بل كنتم قومًا طاغين ﴾** أي : بل كان فيكم طغيان ومجاوزة للحق ؛ فلهذا استجبتم لنا وتركتم الحق الذي جاءتكم به الأنبياء ، وأقاموا لكم الحجج علىٰ صحة ما جاءوكم به ، فخالفتموهم .

﴿ فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون * فأغويناكم إنا كنا غاوين ﴾ ، يقول الكبراء للمستضعفين : حقت علينا كلمة الله أنا من الأشقياء الذائقين العذاب يوم القيامة ،

---

(١٤) - سنده فيه انقطاع بين الضحاك وابن عباس وانظر الدر المنثور (٥/٥١٥) .

---

[١] - سقط من : ز ، خ . [٢] - سقط من : ز ، خ.

[٣] - سقط من : خ ، ز .

﴿ **فأغويناكم** ﴾ أي : دعوناكم إلىٰ الضلالة ، ﴿ **إنا كنا غاوين** ﴾ أي : دعوناكم إلىٰ ما نحن فيه فاستجبتم لنا . قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون** ﴾ أي : الجميع في النار ، كل بحسبه ، ﴿ **إنا كذلك نفعل بالمجرمين * إنهم كانوا** ﴾ أي : [في الدار الدنيا][١] ﴿ **إذا قيل لهم لا إله إلا اللَّه يستكبرون** ﴾ أي : يستكبرون أن يقولوها ، كما يقولها المؤمنون.

قال ابن أبي حاتم (١٥) : حدثنا أبو عبيد اللَّه ابن أخي ابن وهب ، حدثنا عمي ، حدثنا الليث ، عن ابن مُسافر - يعني عبد الرحمن بن خالد - عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هُرَيرة - رضي اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يقولوا : لا إله إلا اللَّه ، فمن قال : لا إله إلا اللَّه ، فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه ، وحسابه علىٰ اللَّه** » وأنزل اللَّه في كتابه - وذكر قومًا استكبروا - فقال : ﴿ **إنهم كانوا إذا قيل لهم: لا إله إلا اللَّه يستكبرون** ﴾ » .

وقال ابن أبي حاتم أيضًا(١٦) : حدثنا أبي ، حدثنا أبو سلمة موسىٰ بن إسماعيل ، حدثنا حَمَّاد ، عن سعيد الجُرَيري ، عن أبي العلاء قال : يؤتىٰ باليهود يوم القيامة فيقال لهم : ما كنتم

(١٥) - وعزاه إلى ابن أبي حاتم السيوطي في الدر المنثور (٥/٥١٦) ورواه الدارقطني في العلل (٩/١٥٥/ س ١٦٨٧) ثنا النيسابوري ثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب أبو عبيد الله به ، وأورده المصنف أيضًا في (سورة الفتح / آية ٢٦) من طريق ابن أبي حاتم ، ثنا أحمد بن منصور الرمادي ، ثنا عبد الله بن صالح ، حدثني الليث به . ورواه ابن جرير في تفسيره (٢٦ / ١٠٣، ١٠٤) والبيهقي في الأسماء والصفات (١/رقم ١٩٦) من طريق إسماعيل بن أبي أويس عن أخيه ، عن سليمان بن بلال ، عن يحيى بن سعيد ، وابن حبان في صحيحه (١/رقم ٢١٨) من طريق شعيب بن أبي حمزة ، كلاهما (يحيى وشعيب) عن ابن شهاب به وقوله : وأنزل الله في كتابه - وذكر قومًا استكبروا - فقال : ﴿ إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ﴾ وفيه زيادة بعده أيضًا ذكرها المصنف في (سورة الفتح) وهي : وقال الله جل ثناؤه ﴿ وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها ﴾ وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فاستكبروا عنها ، واستكبر عنها المشركون يوم الحديبية فكاتبهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على قضية المدة . قال ابن كثير : والظاهر أن هذه الزيادة مدرجة من كلام الزهري والله أعلم . لكن رواه البيهقي (رقم ١٩٥) من طريق إسحاق بن يحيى الكلبي ، ثنا الزهري ، حدثني سعيد بن المسيب أن أبا هريرة - رضي الله عنه - أخبره عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : أنزل الله تعالى في كتابه فذكر قومًا استكبروا .... وهذا ظاهره الرفع ، لكن إسحاق بن يحيى - وإن كان صدوقًا - فقد خالف الثقات في ذلك لا سيما وقد رواه البخاري ، كتاب الجهاد (٢٩٤٦) ، ومسلم كتاب الإيمان (٣٣) (٢١) والنسائي (٦/٤، ٧، ٧٨) من طريقين عن ابن شهاب به ، دون ذكر هذه الزيادة ، وانظر العلل لأبي الحسن الدارقطني (١/س٣) ، (٩/س ١٦٨٧) .

(١٦) - إسناده صحيح إلى أبي العلاء ، وهو يزيد بن عبد الله الشخير ، وحماد هو ابن سلمة ، وقد روى عن الجريري قبل اختلاطه .. راجع الكواكب النيرات [ص١٨٣] - وأبو نضرة هو المنذر بن مالك بن قطعة الجدي .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

تعبدون ؟ فيقولون : اللّٰه وعُزَيرًا . فيقال لهم : خذوا ذات الشمال . ثم يؤتىٰ بالنصارىٰ فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون : نعبد اللّٰه والمسيح . فيقال لهم : خذوا ذات الشمال . ثم يؤتىٰ بالمشركين فيقال لهم : « **لا إله إلا اللّٰه** » ، فيستكبرون . ثم يقال لهم : « **لا إله إلا اللّٰه** » ، فيستكبرون . ثم يقال لهم : « **لا إله إلا اللّٰه** » فيستكبرون . فيقال لهم : خذوا ذات الشمال ، قال أبو نضرة : فينطلقون أسرع من الطير ، قال أبو العلاء : ثم يؤتىٰ بالمسلمين فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون : كنا نعبد اللّٰه . فيقال لهم : هل تعرفونه إذا رأيتموه ؟ فيقولون : نعم . فيقال لهم : فكيف تعرفونه ولم تروه ؟ قالوا : نعلم أنه لا عِدْلَ له قال : فيتعرف لهم تبارك وتعالى وينجي الله المؤمنين ﴿ **ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعرٍ مجنون** ﴾ أي : أنحن نترك عبادة آلهتنا وآلهة آبائنا عن قول الشاعر المجنون ، يعنون رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ! قال اللّٰه تعالىٰ تكذيبًا لهم ، وَرَدًّا عليهم : ﴿ **بل جاء بالحق** ﴾ ، يعني رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم جاء بالحق في جميع شرْعة اللّٰه له من الإخبار والطلب ، ﴿ **وصدق المرسلين** ﴾ أي : صدّقهم فيما أخبروا[١] عنه من الصفات الحميدة ، والمناهج السديدة ، وأخبر عن اللّٰه في شرعه وأمره كما أخبروا ، ﴿ **ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك** ...﴾ الآية .

إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾

يقول تعالىٰ مخاطبًا للناس: ﴿ **إنكم لذائقو العذاب الأليم * وما تجزون إلا ما كنتم تعملون** ﴾ . ثم استثنىٰ من ذلك عبادَه المخلصين ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ ، وقال : ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ ، وقال : ﴿ **وإن منكم إلا واردها كان علىٰ ربك حتمًا مقضيًا * ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيًا** ﴾ وقال : ﴿ **كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين** ﴾، ولهذا قال هاهنا : ﴿ **إلا عباد اللّٰه المخلصين** ﴾ أي : ليسوا يذوقون العذاب الأليم ، ولا يناقشون في الحساب ، بل

---

[١] - في ت : « أخبروه » .

يتجاوز عن سيئاتهم ، إن كان لهم سيئات ، ويجزون الحسنة بعشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف إلىٰ أضعاف كثيرة ، إلىٰ ما يشاء الله من التضعيف .

وقوله : ﴿ **أولئك لهم رزق معلوم** ﴾ ، قال قتادة ، والسدي : يعني الجنة . ثم فسره بقوله تعالىٰ : ﴿ **فواكه** ﴾ أي : متنوعة ﴿ **وهم مكرمون** ﴾ أي : يخدمون ويرفهون وينعمون ، ﴿ **في جنات النعيم * علىٰ سرر متقابلين** ﴾ ، قال مجاهد : لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض .

وقال ابن أبي حاتم(١٧) : حدثنا يحيىٰ بن عبدك القزويني ، حدثنا حسان بن حسان ، حدثنا إبراهيم بن بشر ، حدثنا يحيىٰ بن معين ، حدثنا إبراهيم القرشي ، عن سعيد[١] بن شرحبيل ، عن زيد ابن أبي أوفىٰ قال : خرج علينا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فتلا هذه الآية : ﴿ **علىٰ سرر متقابلين** ﴾ : « **ينظر بعضهم إلىٰ بعض** » . حديث غريب .

وقوله : ﴿ **يطاف عليهم بكأس من معين * بيضاء لذة للشاربين * لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون** ﴾ ، كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **يطوف عليهم ولدان مخلدون * بأكواب وأباريق وكأس من معين * لا يصدعون عنها ولا ينزفون** ﴾ فنزّه الله خمر الآخرة عن الآفات التي في خمر الدنيا من صداع الرأس ووجع البطن - وهو الغول - وذهابها بالعقل جملة ، فقال هاهنا : ﴿ **يطاف عليهم بكأس من معين** ﴾ أي : بخمر من أنهار جارية ، لا يخافون انقطاعها ولا فراغها .

---

(١٧) - إسناده مسلسل بالمجاهيل . وتقدم عند المصنف (سورة الحجر / آية ٤٧) كما هنا ، وقد رواه البخاري في التاريخ الكبير (٣٨٦/٣) وفي الصغير (٢٥٠/١) ثنا حسان بن حسان به . وهو جزء من حديث المؤاخاة الطويل وقد قال البخاري : هذا إسناد مجهول لا يتابع عليه ، ولا يعرف سماع بعضهم من بعض ، رواه بعضهم عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الله بن أبي أوفى ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ولا أصل له . وزيد بن أبي أوفى أخو عبد الله بن أبي أوفى صحابي لا يعرف إلا في هذا الحديث ، ورجاله من إبراهيم بن بشر إلى سعيد بن شرحبيل جهلهم أبو حاتم كما في الجرح والتعديل (٣٣/٤) . ويحيى بن معين في هذا الإسناد هو المدني مجهول ، وهو غير يحيى بن معين أبي زكريا البغدادي إمام الجرح والتعديل . وأفاد محقق التاريخ الكبير أن هذا الاسم محرف ، وصوابه : يحيى بن معن وهو محتمل بل يحتمل التحريف في الاسم كله ، فقد رواه عبد الله بن محمد البغوي (؟؟) - ومن طريقه ابن عدي في الكامل (٥/ ١٩٨٤،١٩٨٥) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤١٢/٧/ مخطوط) ومن طريق ابن عدي أبو الفرج بن الجوزي في العلل المتناهية (١/رقم ٣٤٤) . وابن جرير كما في السير لأبي عبد الله الذهبي (١٤١/١، ١٤٢) من طريق حسين بن محمد الزراع نا عبد المؤمن ابن عباد نا يزيد ابن معن عن عبد الله شرحبيل ، عن زيد بن أبي اوفى به ، قال ابن الجوزي : هذا حديث لا يصح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال أبو حاتم الرازي : عبد المؤمن ضعيف ، فقد رواه نصر بن علي ، عن ابن شرحبيل ، عن رجل ، عن يزيد ، ولعل ذلك الرجل غير ثقة فقد أسقطه عبد المؤمن ، ومن طريق نصر بن علي عن عبد المؤمن عن يزيد بن معن عن عبد الله بن شرحبيل عن رجل من قريش عن زيد بن أبي أوفى به رواه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني=

[١] - في ز ، خ : « سعد » .

قال مالك ، عن زيد بن أسلم : خمر جارية بيضاء . أي : لونها مشرق حسن بهِيّ لا كخمر الدنيا في منظرها البشع الرديء ، من حمرة أو سواد أو اصفرار أو كدورة إلى غير ذلك مما ينفر الطبع السليم .

وقوله : ﴿ لذة للشاربين ﴾ أي : طعمها طيب كلونها ، وطيب الطعم دليل علىٰ طيب الريح ، بخلاف خمر الدنيا في جميع ذلك .

وقوله : ﴿ لا فيها غول ﴾ يعني : لا تؤثر فيهم غولًا وهو وجع البطن . قاله مجاهد ، وقتادة ، وابن زيد كما تفعله خمر الدنيا من القُولَنْج ونحوه لكثرة مائيتها .

وقيل : المراد بالغول هاهنا صُدَاع الرأس . ورُوي هكذا عن ابن عباس(١٨) .

و[ ][١] قتادة : هو صداع الرأس ووجع البطن . وعنه وعن السدي : لا تغتال عقولهم . كما قال الشاعر :

فما زالت الكأس تغتالنا وتذهب بالأول الأولِ

وقال سعيد بن جبير : لا مكروه فيها ولا أذى . والصحيح قول مجاهد : إنه وَجعُ البطن .

وقوله : ﴿ ولا هم عنها ينزفون ﴾ ، قال مجاهد : لا تذهب عقولهم . وكذا قال ابن عباس ، ومحمد بن كعب ، والحسن ، وعطاء بن أبي مسلم الخراساني ، والسدي ، وغيرهم .

وقال الضحاك(١٩) : عن ابن عباس : في الخمر أربع خصال : السكر ، والصداع ، والقيء ، والبول . فذكر اللّٰه خمر الجنة فنزّهها[٢] عن هذه الخصال ، كما ذكر في سورة الصافات .

= (٢٧٠٧/٥) والطبراني في المعجم الكبير (٥١٤٦/٥) والحسن بن سفيان . كما في السير ، والإصابة لابن حجر (٤٠/٤) - وابن عساكر ، وقد رواه ابن مردويه - ومن طريقه ابن الأثير في أسد الغابة (٢٧٨/٢) . وعلقه الذهبي في السير من طريق موسى بن صهيب ، عن يحيى بن زكريا - كذا وقع - عن عبد الله بن شرحبيل ، عن رجل ، عن زيد به . وهذا مسلسل بالمجاهيل أيضًا . قال الذهبي : هو منكر جدًّا ، وزيد لا يعرف إلا في هذا الحديث الموضوع ... وقال ابن عبد البر في الاستيعاب (٤١/٤/ هامش الإصابة) : زيد بن أبي أوفى الأسلمي ، له صحبة يَعِدُّ في أهل المدينة ... روى حديث المؤاخاة بتهامة ، إلا أن في إسناده ضعفًا ، وقال ابن السكن - كما في الإصابة - : روى حديثه من ثلاث طرق ، ليس فيها ما يصح وبالله التوفيق .

(١٨) - رواه ابن جرير (٥٥/٢٣) والبيهقي في البعث والنشور (رقم ٣٢٢) وفي سنده انقطاع وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٥١٧/٥) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(١٩) - الضحاك لم يسمع من ابن عباس كما قال شعبة وغيره . راجع جامع التحصيل [ص١٩٩] - والخبر عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥١٧/٥) إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه .

---

[١] - في ت : قال . [٢] - في ز، خ: « فنزعها » .

وقوله : ﴿ وعندهم قاصرات الطرف ﴾ أي : عفيفات لا ينظرن إلىٰ غير أزواجهن . كذا قال ابن عباس (٢٠) ، ومجاهد ، وزيد بن أسلم ، وقتادة ، والسدي ، وغيرهم .

وقوله : ﴿ عين ﴾ أي : حسان الأعين . وقيل : ضخام الأعين . وهو يرجع إلىٰ الأول ، وهي النَّجلاء العيناء ، فوصف عيونهن بالحسن والعفة ، كقول زليخا في يوسف حين جمَّلته وأخرجته علىٰ تلك النسوة ، فأعظمنه وأكبرنه ، وظنن[١] أنه مَلك من الملائكة لحسنه وبهاء منظره : ﴿ قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ﴾ أي : هو مع هذا الجمال عفيف تقي نقي ، وهكذا الحور العين ﴿ خيرات حسان ﴾ ولهذا قال : ﴿ وعندهم قاصرات الطرف عين ﴾ .

وقوله : ﴿ كأنهن بيض مكنون ﴾ [بترافة وصفهن بترافة الأبدان بأحسن الألوان .

قال علي بن أبي طلحة(٢١) ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - : ﴿ كأنهن بيض مكنون ﴾][٢] يقول : اللؤلؤ المكنون ، ويُنْشَدُ[٣] هاهنا بيت أبي دَهْبَل الشاعر في قصيدة له :

وَهْـيَ زَهْـرَاءُ مِثْـلُ لُؤلُـؤةِ الـغَوَّ اصِ مِيِّزَتْ[٤] مِن جوهر مكْنُون

وقال الحسن : ﴿ كأنهن بيض مكنون ﴾ يعني : محصون لم تمسه الأيدى .

وقال السدي : البيضُ في عشه مكنون .

وقال سعيد بن جبير : ﴿ بيض مكنون ﴾ يعني : بطن البيض .

وقال عطاء الخراساني : هو السحاء الذي يكون بين قشرته العليا ولباب البيض[٥] .

وقال السدي : ﴿ كأنهن بيض مكنون ﴾ يقول : بياض البيضُ حين يُنزع قشره . واختاره ابن جرير لقوله[٦] : ﴿ مكنون ﴾ قال : والقشرة العليا يمسها جناح الطير والعش وتنالها[٧] الأيدي بخلاف داخلها ، والله أعلم .

---

(٢٠) - رواه ابن جرير (٢٣/٥٦) والبيهقي في البعث والنشور (رقم ٣٤١) وسنده فيه انقطاع وزاد عزوه السيوطي في الدر المنثور (٥/٥١٧) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢١) - علي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس . وانظر التخريج السابق .

---

[١] - في ز : « ظنين » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ز : « وينشد » .

[٤] - في خ : « ميزان » .

[٥] - في خ ، ز : « البيضة » .

[٦] - في ز : « كقوله » .

[٧] - في خ : « ومالها » .

وقال ابن جرير (٢٢) : حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، حدثنا محمد بن الفرج الصَّدَفي الدمياطي ، عن عمرو[١] بن هاشم ، عن ابن أبي كريمة ، عن هشام ، عن الحسن ، عن أمه ، عن أم سلمة - رضي الله عنها - قلتُ : يا رسول الله ، أخبرني عن قول الله : ﴿ كأنهن بيض مكنون ﴾ . قال : « **رقتهن كرقة الجلدة التي رأيتها في داخل البيضة ، التي تلي القشر ، وهي الغِرْقِي**[٢] ».

وقال ابن أبي حاتم (٢٣) : حدثنا أبي ، حدثنا أبو غسَّان النهدي ، حدثنا عبد السلام بن حرب ، عن ليث ، عن الربيع بن أنس ، عن أنس - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أنا أول الناس خروجًا إذا بعثوا ، وأنا خطيبهم إذا وفدوا ، وأنا**

---

(٢٢) - منكر .
تفسير ابن جرير (٥٨/٢٣) ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٣/رقم ٨٧٠) وفي الأوسط (٣١١٤/٣) - ومن طريقه سيورده المصنف عند آية (٣٧) من سورة الواقعة - والعقيلي في الضعفاء (١٣٨/٢/ ترجمة سليمان بن أبي كريمة) وابن عدي في الكامل (١١١١/٣) كلهم من طريق بكر بن سهل ، ثنا عمرو بن هشام به مطولاً . وقال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن هشام بن حسان إلا سليمان بن أبي كريمة ، تفرد به عمرو بن هاشم ، وهو حسن الحديث غير أن شيخه ضعفه أبو حاتم واستنكر له ابن عدي هذا الحديث بعينه وقال : أحاديثه منكرة مسندة في التفسير وغيره . وقال العقيلي : يحدث بمناكير ، ولا يتابع على كثير من حديثه ، ولا يتابع على هذا الحديث ولا يعرف إلا به ، وبه أعله الهيثمي في المجمع (١٢٢/٧) ، (٤٢١،٤٢٠،١٠) وسكت عنه المنذري في الترغيب والترهيب (٥٣٧،٥٣٦/٤) !! وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢١١/٦) وزاد نسبته إلى ابن مردويه .

(٢٣) - ورواه الترمذي ، كتاب المناقب ، باب : فضل النبي - صلى الله عليه وسلم - (٣٦١٠) ثنا الحسين بن يزيد الكوفي ، ثنا عبد السلام بن حرب به ، دون قوله : يطوف علي .... ورواه الدارمي (١/رقم ٤٩) وابن أبي الدنيا - كما في النهاية للمصنف (١٩١،١٩٠/٢) والبيهقي في الدلائل (٤٨٣/٥) والبغوي في الأنوار في شمائل النبي المختار (١/رقم ٦٧) وفي شرح السنة (٣٦٢٤/١٣) من طريق سعيد بن سليمان - تحرف سليمان عند الدارمي إلى سفيان - ثنا منصور بن أبي الأسود ، نا الليث به . وقال الترمذي : حديث حسن غريب . وقال البغوي : حديث غريب يعني : ضعيف . وهو أشبه ؛ إذ إن ليث هو ابن أبي سليم ، وهو صدوق اختلط أخيرًا ، ولم يتميز حديثه فترك كذا في التقريب - وقد اختلط عليه فيه فرواه (عبد السلام ابن حرب ومنصور بن أبي الأسود) عنه بالإسناد المتقدم ، ورواه حبان بن علي العنزي عنه عن عبيد الله بن زحر ، عن الربيع به ، فزاد فيه : عبيد الله ، رواه من هذا الوجه أبو يعلى في المعجم (١/رقم ١٦٠) - ومن طريقه البيهقي (٤٨٤/٥) وابن زحر متكلم فيه وحبان بن علي ضعيف لكن الحمل فيه على ليث ، حيث رواه محمد بن فضيل عنه بمثل رواية حبان ، ذكر رواية ابن فضيل المزي في تحفة الأشراف (١/ رقم ٨٣١) والحديث أورده السيوطي في الدر المنثور (١٤٩/٦) وعزاه إلى الترمذي وابن مردويه ورمز لضعفه في الجامع الصغير وأقره المناوي في فيض القدير (٤٠/٣) - لكنه أغرب حيث اكتفى بإعلاله بشيخ الترمذي وهو متابع . وتبعهما الألباني فسود به حديث رقم (١٤٠٦) من ضعيف الجامع وبالله التوفيق .

---

[١] - في خ : « عمر » . [٢] - في ز : « العزفي » .

مُبشّرهم إذا حزنوا ، وأنا شفيعهم إذا حُبسوا[١] . لواء الحمد يومئذ بيدي ، وأنا أكرم ولد آدم علىٰ ربي - عز وجل - ولا فخر ، يطوف عليّ ألف خادم كأنهن البيض المكنون - أو : اللؤلؤ المكنون » .

فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾

يخبر تعالىٰ عن أهل الجنة أنه أقبل بعضهم علىٰ بعض يتساءلون ، أي : عن أحوالهم ، وكيف كانوا في الدنيا ، وماذا كانوا يعانون فيها ؟ وذلك من حديثهم علىٰ شرابهم ، واجتماعهم في تنادمهم وعشرتهم في مجالسهم ، وهم جلوس علىٰ السّرُر ، والخدم بين أيديهم ، يسعون ويجيئون بكل خير عظيم ، من مآكل ومشارب وملابس ، وغير ذلك مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر علىٰ قلب بشر ، ﴿ **قال قائل منهم إني كان لي قرين** ﴾ قال مجاهد : يعني : شيطانًا .

وقال العوفي(٢٤) ، عن ابن عباس : هو الرجل المشرك يكون له صاحب من أهل الإيمان في الدنيا ، ولا تنافي بين كلام مجاهد وابن عباس ، فإن الشيطان يكون من الجن فيوسوس في النفس ، ويكون من الإنس فيقول كلامًا تسمعه الأذنان ، وكلاهما متعاديان[٢] ، قال اللّه تعالىٰ : ﴿ **يوحي بعضهم إلىٰ بعض زخرف القول غرورًا** ﴾ ، وكل منهما يوسوس ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **من شر الوسواس الخناس * الذي يوسوس في صدور الناس * من الجنة والناس** ﴾ ؛ ولهذا ﴿ **قال قائل منهم إني كان لي قرين * يقول أئنك لمن المصدقين** ﴾ أي : أأنت تُصدّق بالبعث والنشور والحساب والجزاء ؟ ! يعني يقول ذلك علىٰ وجه التعجب والتكذيب والاستبعاد ، والكفر والعناد ، ﴿ **أئذا متنا وكنا ترابًا وعظامًا أئنا لمدينون** ﴾ ، قال مجاهد ، والسدي : لمحاسبون . وقال ابن عباس ، ومحمد بن كعب القرظي : لمجزيون بأعمالنا . وكلاهما صحيح .

(٢٤) - رواه ابن جرير (٥٩/٢٣) بإسناد مسلسل بالضعفاء ، أولهم عطية العوفي .

[١] - في ز : « جلسوا » . [٢] - في خ : « متقاربان » .

قال : ﴿ قال هل أنتم مطلعون ﴾ ، أي : مشرفون . يقول المؤمن لأصحابه وجلسائه من أهل الجنة . ﴿ فاطلع فرآه في سواء الجحيم ﴾ قال ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وخُليد العَصَري، وقتادة ، والسدي ، وعطاء الخراساني : يعني في وسط الجحيم .

وقال الحسن البصري : في وسط الجحيم كأنه شهاب يتقد[١] .

وقال قتادة : ذُكرَ لنا أنه اطلع فرأىٰ جماجم القوم تغلي . وذكرَ لنا أن كعب الأحبار قال : في الجنة كُوًى إذا أراد أحد من أهلها أن ينظر إلىٰ عدوه في النار اطلع فيها ، فازداد شكرًا .

﴿ قال تاللّه إن كدت لتردين ﴾ يقول المؤمن مخاطبًا للكافر : واللّه إن كدت لتُهلكني لو أطعتك ، ﴿ ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين ﴾ أي : ولولا فضل اللّه عليّ لكنت مثلكَ في سواء الجحيم حيث أنت ، محضر معك في العذاب ، ولكنه تفضل عليّ[٢] ورحمني فهداني للإيمان ، وأرشدني إلىٰ توحيده ، ﴿ وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا اللّه ﴾ .

وقوله : ﴿ أفما نحن بميتين * إلا موتتنا الأولىٰ وما نحن بمعذبين ﴾ هذا من كلام المؤمن مُغْبطًا نفسه بما أعطاه اللّه من الخلد في الجنة والإقامة في دار الكرامة ، لا موت فيها ولا عذاب ، ولهذا قال : ﴿ إن هذا لهو الفوز العظيم ﴾ .

قال ابن أبي حاتم(٢٥) : حدثنا أبو عبد اللّه الظهراني ، حدثنا حفص بن عُمر العدَني ، حدثنا الحكم ابن أبان ، عن عكرمة قال : [قال ابن عباس -رضي اللّه عنهما - في قول اللّه تبارك وتعالىٰ لأهل الجنة : ﴿ كلوا واشربوا هنيئًا بما كنتم تعملون ﴾][٣] قال ابن عباس - رضي اللّه عنهما -: قوله ﴿ هنيئًا ﴾ أي : لا يموتون فيها . فعندها قالوا : ﴿ أفما نحن بميتين * إلا موتتنا الأولىٰ وما نحن بمعذبين ﴾ .

[وقال الحسن البصري : علموا أن كل نعيم فإن الموت يقطعه ، فقالوا : ﴿ أفما نحن بميتين * إلا موتتنا الأولىٰ وما نحن بمعذبين ﴾ ،][٤] قيل : لا . قالوا : ﴿ إن هذا لهو الفوز العظيم ﴾ .

وقوله : ﴿ لمثل هذا فليعمل العاملون ﴾ [قال قتادة][٥] : هذا من كلام أهل الجنة .

(٢٥) - حفص بن عمر العدني ، ضعيف وشيخه صدوق له أوهام كما في التقريب - والخبر ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٢١/٥) ولم يعزه لغير عبد بن حميد .

[١] - في خ ، ز : « يقد » .

[٢] - سقط من : م .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٥] - ما بين المعكوفتين بياض في : خ ، ز .

وقال ابن جرير (٢٦) : هو من كلام الله تعالىٰ ، ومعناه : لمثل هذا النعيم وهذا الفوز فليعمل العاملون في الدنيا ، ليصيروا إليه في الآخرة .

وقد ذكروا قصة رجلين كانا شريكين في بني إسرائيل ، تدخل في ضمن عموم هذه الآية الكريمة .

قال أبو جعفر بن جرير(٢٧) : حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، حدثنا عتاب ابن بشير ، عن[١] خُصيف ، عن فرات بن ثعلبة البهْرَانيّ[٢] في قوله : ﴿ **إني كان لي قرين** ﴾ قال : إن رجلين كانا شريكين ، فاجتمع لهما ثمانية آلاف دينار ، وكان أحدهما له حرفة ، والآخر ليس له حرفة ، فقال الذي له حرفة للآخر : ليس عندك حرفة ، ما أراني إلا مفارقك ومقاسمك . فقاسمه وفارقه ، ثم إن الرجل اشترىٰ دارًا بألف دينار كانت لملك مات ، فدعا صاحبه فأراه فقال : كيف ترىٰ هذه الدار ؟ ابتعتها بألف دينار ؟ قال : ما أحسنها ! فلما خرج قال : اللَّهم ؛ إن صاحبي ابتاع هذه الدار بألف دينار ، وإني أسألك دارًا من دور الجنة . فتصدق بألف دينار ، ثم مكث ما شاء اللَّه أن يمكث . ثم إنه تزوج بامرأة بألف دينار ، فدعاه وصَنع له طعامًا ، فلما أتاه قال : إني تزوجت امرأة بألف دينار . [قال : ما أحسن هذا ! فلما انصرف قال : يارب ، إن صاحبي تزوج امرأة بألف دينار][٣] ، وإني أسألك امرأة من الحور العين . فتصدق بألف دينار ، ثم إنه مكث ما شاء اللَّه أن يمكث . ثم اشترىٰ بستانين[٤] بألفي دينار ، ثم دعاه فأراه فقال : إني ابتعت هذين البستانين . فقال : ما أحسن هذا ! فلما خرج قال : يارب ؛ إن صاحبي قد اشترىٰ بستانين بألفي دينار ، وأنا أسألك بستانين في الجنة . فتصدق بألفي دينار ، ثم إن المَلَك أتاهما فتوفاهما ، ثم انطلق بهذا المتصدق ، فأدخله دارًا تعجبه ، وإذا امرأة تَطَّلعُ يضيء ما تحتها من حسنها ، ثم أدخله بستانين وشيئًا اللَّه به عليم ، فقال عند ذلك : ما أشبه هذا برجل كان من أمره كذا وكذا قال : فإنه ذاك ولك هذا المنزل

---

(٢٦) - التفسير (٦٢/٢٣) .

(٢٧) - تفسير ابن جرير (٥٩/٢٣) وفي إسناده انقطاع بين خُصَيف وفرات ، فقد ترجم ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٧٩/٧) لفرات فقال : ابن ثعلبة البهراني شامي ، روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أدخله أبي في مسند الوحدان ، وأدخله أبو زرعة في مسند الشاميين ، ولم يذكر فيما يروى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - لقيًا ولا سماعًا روى عن أبي عامر ، روى عنه سليم بن عامر ، وضمرة والمهاصر بن حبيب . وروى عبد الكريم الجزري وخُصيف عنه مرسلًا .... وانظر أيضًا التاريخ الكبير لأبي عبد الله البخاري (١٢٨/٧، ١٢٩) وهذا الخبر ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥١٩/٥) وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور .

---

[١] - في خ : « بن » .

[٢] - في خ ، ز : « البصرائي » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٤] - في ز : « بساتين » .

والبستانان[١] والمرأة . قال : فإنه كان لي صاحب يقول : أئنك لمن المصّدّقين ؟ قيل له : فإنه في الجحيم . قال : هل أنتم مطلعون؟ فاطلع فرآه في سواء الجحيم . فقال عند ذلك : ﴿ **تالله إن كدت لتردين * ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين** ...﴾ الآيات .

قال ابن جرير : وهذا يقوي قراءة من قرأ : ﴿ **أئنك لمن المصّدّقين** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم(٢٨) : حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا عُمَر بن عبد الرحمن الأبَّار - أنا أبو حفص ؛ قال : سألتُ إسماعيلَ السدّي عن هذه الآية : ﴿ **قال قائل منهم إني كان لي قرين * يقول: أئنك لمن المصدقين** ﴾ ؟ قال : فقال لي : ما ذَكَّرك هذا ؟ قلت : قرأته آنفًا فأحببت أن أسألك عنه ؟ فقال : أمّا فاحفظْ : كان شريكان في بني إسرائيل ، أحدهما مؤمن والآخر كافر، فافترقا على ستة آلاف دينار ، كل واحد منهما ثلاثة آلاف دينار ، فمكثا ما شاء الله أن يمكثا ، ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن : ما صنعت في مالك ؟ أَضَرَبْتَ به شيئًا ؟ أَتَّجَرْتَ به في شيء ؟ فقال له المؤمن : لا ، فما صنعت أنت ؟ فقال : اشتريت به أرضًا ونخلًا وثمارًا وأنهارًا . قال : فقال له المؤمن : أوَ فعلت ؟ قال : نعم . قال : فرجع المؤمن حتى إذا كان الليل صلى ما شاء الله أن يصلي ، فلما انصرف أخذ ألف دينار فوضعها بين يديه ، ثم قال : اللَّهم ؛ إن[٢] فلانًا - يعني شريكه الكافر - اشترى أرضًا ونخلًا وثمارًا وأنهارًا بألف دينار ، ثم يموت غدًا ويتركها ، اللَّهم؛ إني اشتريت منك بهذه الألف دينار أرضًا ونخلًا وثمارًا[٣] وأنهارًا في الجنة . قال : ثم أصبح فقسمها في المساكين . قال : ثم مكثا ما شاء الله أن يمكثا ، ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن : ما صنعت في مالك ؟ أضربت[٤] به في شيء ؟ أتجرت به في شيء ؟ قال : لا ، فما صنعت أنت ؟ قال : كانت ضيعتي قد اشتد عليّ مؤنتها ، فاشتريت رقيقًا بألف دينار ، يقومون بي فيها ، ويعملون لي فيها . فقال له المؤمن : أو فعلت ؟ قال : نعم . قال : فرجع المؤمن [حتى إذا][٥] كان الليل صلى ما شاء الله أن يصلي ، فلما انصرف أخذ ألف دينار فوضعها بين يديه ، ثم قال : اللَّهم ؛ إن فلانًا - يعني : شريكه الكافر - اشترى رقيقًا من رقيق الدنيا بألف دينار ، يموت غدًا ويتركهم ، أو يموتون فيتركونه ، اللَّهم ؛ وإني أشتري منك بهذه الألف الدينار رقيقًا في الجنة . ثم أصبح فقسمها في المساكين .

---

(٢٨) - ولم يعزه السيوطي في الدر المنثور (٥١٩/٥) لغير أبي حاتم ورجاله ثقات غير أبي حفص هذا فلم أعرفه ، وأخشى أن تكون كلمة أنا أبو حفص مقحمة ، فإني لم أجد في الرواة عن السدي من يكنى بذلك ، وكنية عمرو بن عبد الرحمن الأبار أبو حفص ، فيحتمل أن يكون أنا بين عمرو وأبي حفص مقحمة ، والذي جعلني لم أجزم بذلك أنهم لم يذكروا رواية لـ عمر بن عبد الرحمن عن إسماعيل السدي ، فالله أعلم .

---

[١] - في ز : « البستانين » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « ضربت » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في خ : « فلما » .

قال : ثم مكثا ما شاء اللّٰه أن يمكثا ، ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن : ما صنعت في مالك ؟أضربت به في شيء ؟ . أتجرت به في شيء ؟ . قال : لا ، فما صنعت أنت ؟ قال : أمري كله قد تم إلا شيئًا واحدًا ، فلانة قد مات عنها زوجها ، فأصدقتها ألف دينار ، فجاءتني بها ومثلها معها . فقال له المؤمن : أو فعلت ؟ قال : نعم . فرجع المؤمن حتىٰ إذا كان الليل صلىٰ ما شاء اللّٰه أن يصلي ، فلما انصرف أخذ الألف الدينار الباقية فوضعها بين يديه ، وقال : اللّٰهم ؛ إن فلانًا - يعني شريكه الكافر - تزوج زوجة من أزواج الدنيا فيموت غدًا فيتركها ، أو تموت غدًا فتتركه ، اللّٰهم ؛ [إني][١] أخطب إليك بهذه الألف الدينار حَورَاء عيناء في الجنة . ثم أصبح فقسمها بين المساكين . قال : فبقي المؤمن ليس عنده شيء .

قال : فلبس قميصًا من قطن ، وكساء من صوف ، ثم أخذ مَرًّا فجعله علىٰ رقبته ، يعمل الشيء ويحفر الشيء بقوته . قال : فجاءه رجل فقال : يا عبد اللّٰه ؛ أتؤاجرني نفسك مشاهرة ، شهرًا بشهر ، تقوم علىٰ دواب لي تعلفها وتكنس سَرْقِينها ؟ قال : نعم . قال : فآجره نفسه مشاهرة ، شهرًا بشهر ، يقوم علىٰ دوابه . قال : فكان صاحب الدواب يغدو كل يوم ينظر إلىٰ دوابه ، فإذا رأىٰ منها دابة ضامرة ، أخذ برأسه فوجأ عنقه ، ثم يقول له : سرقت شعير هذه البارحة ؟ فلما رأىٰ المؤمن هذه الشدة قال : لآتين شريكي الكافر ، فَلأعملن في أرضه فيطعمني هذه الكسرة يومًا بيوم ، ويكسوني هذين الثوبين إذا بليا .

قال : فانطلق يريده فلما انتهىٰ إلىٰ بابه وهو مُمْسٍ ، فإذا قصر مَشيد في السماء ، وإذا حوله البوابون ، فقال لهم : استأذنوا لي على صاحب هذا القصر ، فإنكم إذا فعلتم سَرّه ذلك . فقالوا له : انطلق إن كنت صادقًا فَنَم في ناحية ، فإذا أصبحت فَتَعَرّضْ له . قال : فانطلق المؤمن ، فألقىٰ نصف كسائه تحته ، ونصفه فوقه ، ثم نام .

فلما أصبح أتىٰ شريكه فتعرّض له ، فخرج[٢] شريكه الكافر وهو راكب ، فلما رآه عَرَفه فوقف عليه وسلم عليه وصافحه ، ثم قال له : ألم تأخذ من المال مثل ما أخذت ؟ ! قال : بلىٰ ، وهذه حالي وهذه حالك . قال : أخبرني ما صنعت في مالك ؟ ! قال : لا تسألني عنه . قال : فما جاء بك ؟ قال : جئت أعمل في أرضك هذه ، فتطعمني هذه الكسرة [يومًا بيوم][٣] ، وتكسوني هذين الثوبين إذا بليا . قال : لا ، ولكن أصنع بك ما هو خير من هذا ، ولكن لا ترىٰ مني خيرًا حتىٰ تخبرني ما صنعت في مالك ؟ ! [قال : أقرضته][٤] قال : من ؟ قال : المَلِيءَ الوفيّ . قال : من ؟ قال : اللّٰه ربي . قال وهو مصافحه ، فانتزع يده من يده ، ثم[٥] قال : ﴿ **أئنك لمن المصدقين * أئذا متنا وكنا ترابًا وعظامًا أئنا لمدينون** ﴾ -

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في خ : « فلما خرج » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٥] - سقط من : ز .

قال السدي : محاسبون - قال : فانطلق الكافر وتركه . قال : فلما رآه المؤمن ليس يلوي عليه ، رجع وتركه ، يعيش المؤمن في شدة من الزمان ، ويعيش الكافر في رخاء من الزمان . قال : فإذا كان يوم القيامة وأدخل اللّٰه المؤمن الجنة يمر فإذا هو بأرض ونخل وثمار وأنهار ، فيقول : لمن هذا ؟ فيقال : هذا لك . فيقول : يا سبحان اللّٰه ! أوبلغ من فضل عملي أن أثاب بمثل هذا ؟ ! قال: ثم [يمر فإذا هو][١] برقيق لا تحصىٰ عدتهم ، فيقول : لمن هذا ؟ فيقال : هؤلاء لك . فيقول : يا سبحان اللّٰه ؛ أو بلغ من فضل عملي أن أثاب بمثل هذا ؟ ! قال : ثم يمر فإذا هو بقبة [من ياقوتة][٢] حمراء مجوفة ، فيها حوراء عيناء ، فيقول : لمن هذه ؟ فيقال : هذه لك . فيقول : يا سبحان اللّٰه ! أوبلغ من فضل عملي أن أثاب بمثل هذا ؟ ! قال : ثم يذكر المؤمن شريكه الكافر فيقول[٣] : ﴿ **إني كان لي قرين * يقول أئنك لمن المصدقين * أئذا متنا وكنا ترابًا وعظامًا أئنا لمدينون** ﴾ ، قال : فالجنة عالية ، والنار هاوية ، قال : فيريه اللّٰه شريكه في وسط الجحيم ، من[٤] بين أهل النار ، فإذا رآه المؤمن عرفه ، فيقول : ﴿ **تاللّٰه إن كدت لتردين * ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين * أفما نحن بميتين * إلا موتتنا الأولىٰ وما نحن بمعذبين * إن هذا لهو الفوز العظيم * لمثل هذا فليعمل العاملون** ﴾ : بمثل ما منّ عليه . قال : فيتذكر المؤمن ما مَرّ[٥] عليه في الدنيا من الشدة ، فلا يذكر مما[٦] مر عليه في الدنيا [من الشدة][٧] ، أشد عليه من الموت .

﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ (٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ (٦٥) فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ (٦٨) إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ (٦٩) فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ (٧٠) ﴾

يقول اللّٰه تعالىٰ : أهذا[٨] الذي ذكره من نعيم الجنة وما فيها من مآكل ومشارب ومناكح وغير ذلك من الملاذ - خيرٌ ضيافةً وعطاءً ﴿ **أم شجرة الزقوم** ﴾ ؟ أي : التي في جهنم .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ز : « يقول » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « مَنَّ » .
[٦] - في ز : « ما » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٨] - في ز : « هذا » .

وقد يحتمل أن يكون المراد بذلك شجرة واحدة معينة ، كما قاله[١] بعضهم من أنها شجرة تمتد فروعها إلىٰ جميع محالّ جهنم ، كما أن شجرة طوبىٰ ما من دار في الجنة إلا وفيها منها غصن.

وقد يحتمل أن يكون المراد بذلك جنس شجر ، يقال له : الزقوم ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين** ﴾ ، يعني : الزيتونة ، ويؤيد ذلك قوله تعالىٰ : ﴿ **ثم إنكم أيها الضالون المكذبون * لآكلون من شجر من زقوم** ﴾ وقوله : ﴿ **إنا جعلناها فتنة للظالمين** ﴾ قال قتادة : ذُكرت شجرة الزقوم ، فافتتن بها أهل الضلالة ، وقالوا : صاحبكم ينبئكم أن في النار شجرة ، والنار تأكل الشجر ، فأنزل اللّٰه عز وجل : ﴿ **إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم** ﴾ غُذيت من النار ، ومنها خلقت . وقال مجاهد : ﴿ **إنا جعلناها فتنة للظالمين** ﴾ ، قال أبو جهل - لعنه اللّٰه - : إنما الزقوم التمر والزبد أتزقمه[٢].

قلت : ومعنىٰ الآية : إنما أخبرناك يا محمد بشجرة الزقوم اختبارًا نختبر[٣] به الناسَ ، مَن يُصَدق منهم ممن يكذب ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانًا كبيرًا** ﴾ وقوله : ﴿ **إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم** ﴾ أي : أصل منبتها في قرار النار ، ﴿ **طلعها كأنه رءوس الشياطين** ﴾ تبشيع وتكريه لذكرها .

قال وهب بن منبه : شعور الشياطين قائمة إلى السماء وإنما شبهها برءوس الشياطين وإن لم تكن معروفة عند المخاطبين ؛ لأنه قد استقر في النفوس أن الشياطين قبيحة المنظر .

وقيل : المراد بذلك ضرب من الحيَّات رءوسها بشعة المنظر وقيل[٤] : جنس من النبات ، طلعه في غاية الفحاشة .

وفى هذين الاحتمالين نظر ، وقد ذكرهما ابن جرير ، والأول أقوى وأولى ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون** ﴾ ، ذكر تعالىٰ أنهم يأكلون من هذه الشجرة التي لا أبشع منها ، ولا أقبح من منظرها ، مع ما هي عليه من سوء الطعم والريح والطبع ، فإنهم ليضطرون إلىٰ الأكل منها ؛ لأنهم لا يجدون إلا إياها ، وما في معناها ، كما قال : ﴿ **ليس لهم طعام إلا من ضريع * لا يسمن ولا يغني من جوع** ﴾ .

---

[١] - في ز : « قاله » .
[٢] - في ز : « أثر فمه » .
[٣] - في ز : « تخبر » .
[٤] - في ز : « بقل » .

وقال ابن أبي حاتم(٢٩) -رحمه الله- : حدثنا أبي ، حدثنا عمرو بن مرزوق ، حدثنا شعبة ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية ، وقال[١] : « **اتقوا الله حق تقاته ، فلو أن قطرة من الزقوم قُطِرَت في بحار الدنيا ، لأفسدت على أهل الأرض معايشهم ، فكيف بمن يكون طعامه ؟** » .

ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجة ، من حديث شعبة ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقوله تعالى : ﴿ **ثم إن لهم عليها لشوبًا من حميم** ﴾ ، قال ابن عباس : يعني : شرب الحميم على الزقوم .

وقال في رواية عنه : ﴿ **شوبًا من حميم** ﴾ مزجًا من حميم .

و[٢]قال غيره : يعني : يمزج لهم الحميم بصديد وغساق مما يسيل من فروجهم وعيونهم .

(٢٩) - ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره أيضًا (٢/رقم ١٠٩٨/ ط دار طيبة) ثنا أبو سعيد بن يحيى بن سعيد القطان ، ثنا عثمان بن عمر ، ثنا شعبة به . ورواه أحمد في المسند (١/ ٣٠٠،٣٣٨) والترمذي في الجامع كتاب صفة جهنم (٢٥٨٥) والنسائي في : التفسير من الكبرى (٦/ ١١٠٧٠) وابن ماجة ، كتاب الزهد (٤٣٢٥) والطبراني في المعجم الكبير (١١/ ١١٠٦٨) وفي المعجم الصغير (٢/ ٥١) وغيرهم من طرق عن شعبة به ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح ونقل السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٠٦) تصحيح أحمد له وصححه أبو حاتم ابن حبان (١٦/ ٧٤٧٠/ إحسان) وأبو الأشبال أحمد شاكر في حاشيته على المسند (٤/ رقم ٢٧٣٥) والحاكم (٢/ ٢٩٤،٤٥١) على شرط الشيخين ووافقه الذهبي مع أنهما لم يخرجا شيئًا من رواية الأعمش عن مجاهد ، عن ابن عباس . وقال الطبراني : لم يروه عن الأعمش إلا شعبة ، وهو ثقة حافظ متقن ؛ غير أن الأعمش مدلس وقد عنعن ، لكن صح عن شعبة أنه قال : كفيتكم تدليس ثلاثة : الأعمش وأبي إسحاق ، وقتادة . وقال الحافظ ابن حجر في مراتب المدلسين [ص ١٠٤] وهذه قاعدة جيدة في أحاديث هؤلاء الثلاثة أنها إذا جاءت من طريق شعبة دلت على السماع ولو كانت معنعنة ؛ غير أن أبا عبيدة الآجري روى عن أبي داود السجستاني قال : عند شعبة عن الأعمش نحو من خمس مئة ، وشعبة قد أخطأ على الأعمش في أكثر من عشرة أحاديث ... وكان شعبة يصحب الأعمش وهو شاب - التهذيب ، هذا مع قول أبي حاتم الرازي كما في العلل لابنه (٢/رقم ٢١١٩) : أن الأعمش قليل السماع من مجاهد ، وعامة ما يروي عن مجاهد مدلس يجعل في القلب شيئًا من تصحيح هذا الحديث ، لا سيما وأن هذا الحديث قد رواه أحمد (١/ ٣٣٨) من طريق فضيل بن عياض ، وابن أبي شيبة في المصنف (٨/ ٩٦) وأسد ابن موسى في الزهد (رقم ٣٦) والبيهقي في البعث والنشور (رقم ٥٤٤) من طريق يحيى بن عيسى الرملي ، كلاهما (فضيل ويحيى) عن الأعمش عن أبي يحيى عن مجاهد عن ابن عباس به موقوفًا دون ذكر الآية . وأبو يحيى هو القتات لين الحديث كما في التقريب - فمن المحتمل أن يكون هذا الوجه هو الصواب في هذا الخبر ، وأن الأعمش دلس في هذا الحديث ، وشعبة سمعه منه بتدليسه ، فحدث به ، فيُعَدُّ من أخطائه على الأعمش التي أشار لها أبو داود . والعلم عند الله تعالى . وقد وجدت أبا عبد الرحمن الألباني وضع =

[١] - سقط من : خ ، ز . [٢] - سقط من : ز .

وقال ابن أبي حاتم (٣٠) : حدثنا أبي ، حدثنا حيوة بن شريح الحضرمي ، حدثنا بقية بن الوليد ، عن صفوان بن عمرو ، أخبرني عبيد اللّٰه بن بشر[١] ، عن أبي أمامة الباهلي رضي اللّٰه عنه ، عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أنه كان يقول : « **يقرب** - يعني : إلىٰ أهل النار - **ماء فيتكرهه**[٢] ، **فإذا أدني منه شوىٰ وجهه ، ووقعت فروة رأسه فيه ، فإذا شربه قطع أمعاءه حتىٰ تخرج من دبره** » .

وقال ابن أبي حاتم(٣١) : حدثنا أبي ، حدثنا عمرو بن رافع ، حدثنا يعقوب بن عبد اللّٰه ، عن جعفر ، وهارون بن عنترة ، عن سعيد بن جبير قال : إذا جاع أهل النار استغاثوا بشجرة الزقوم ، فأكلوا منها فاختلست جلود وجوههم ، فلو أن مارًّا يمر بهم يعرفهم لعرف وجوههم فيها ، ثم يصب عليهم العطش ، فيستغيثون فيغاثون بماء كالمهل - وهو الذي قد انتهىٰ حره -

= هذا الحديث في ضعيف الترمذي وابن ماجة (٤٨١،٩٤٤) ونأمل أن نقف على كلامه في علة تضعيفه والله الموفق .

(٣٠) - ضعيف : وعزاه إلى ابن أبي حاتم السيوطي في « الدر المنثور » (١٣٠/٤) وقد رواه ابن جرير في تفسيره (٢٠٦٣٣/١٦/شاكر) حدثني محمد بن خلف العسقلاني ، ثنا حيوة بن شريح به . ورواه عبدالله ابن المبارك في مسنده (رقم ١٢٩) وفي « الزهد » (رقم ٣١٤/ زوائد نعيم بن حماد) نا صفوان بن عمرو به ، غير أن الرواة عن ابن المبارك اختلفوا في تسمية شيخ صفوان فقال بعضهم : «عبدالله بن بسر» وقال بعضهم : «عبيدالله بن بسر» رواه من هذه الطرق أحمد في «المسند» (٢٦٥/٥) وفي كتاب «الزهد» (ص ٢٧) ومن طريق المسند نقله المصنف في تفسير (سورة إبراهيم الآية ١٦) - والترمذي ، كتاب : صفة جهنم (٢٥٨٣) والنسائي في التفسير من «الكبرى» (١١٢٦٣/٦) ، وابن أبي الدنيا في «صفة النار» (رقم ٧٣) وابن جرير (٢٠٦٣١/١٦،٢٠٦٣٢) والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٤٦٠/٨) - وعنه وعن غيره أبو نعيم في «الحلية» (١٨٢/٨) - والحاكم (٣٥١/٢) - وعنه البيهقي في «البعث والنشور» (رقم ٥٤٩) - والبغوي في «شرح السنة» (٤٤٠٥/١٥) وقال الترمذي : « هذا حديث غريب ، وهكذا قال محمد بن إسماعيل - البخاري - عن عبيدالله بن بُسر ، ولا نعرف عبيدالله بن بُسر إلا في هذا الحديث وقد روى صفوان بن عمرو عن عبدالله بن بُسر صاحب النبي - صلى الله عليه وسلم - غير هذا الحديث ..... وعبيدالله بن بُسر الذى روى عنه صفوان بن عمرو هذا الحديث رجلٌ آخر ليس بصاحبي . وقال أبو نعيم : « تفرد به صفوان عن عبدالله بن بسر ، وقيل : عبيدالله بن بسر - وهو محرف هناك فليصحح - وهو اليحصبي الحمصي يكنى أبا سعيد ، ورواة بقية بن الوليد ، عن صفوان مثله . وروى صفوان عن عبدالله بن بسر المازني ، وله صحبة ، وعن عبيدالله بن بسر ، ولذلك اشتبه على بعض الناس وهذا هو عبيدالله بن بسر وهو مجهول كما قال الذهبي في «الميزان» وابن حجر في «التقريب» غير أن الذهبي رجح أن يكون هو «عبدالله بن بسر الجراني التابعي» - وهذا «ضعيف» أيضاً كما في «التقريب» - ومع هذا فقد أقر الحاكم في تصحيحه لهذا الحديث على شرط مسلم !! والحديث زاد نسبته السيوطي إلى أبي يعلى وابن المنذر وابن مردويه .

(٣١) - إسناده حسن إلى سعيد بن جبير . وجعفر هو ابن أبي وحشية .

[١] - في خ ، ز : « بشير » .
[٢] - في ز : « فتتكرهه » .

فإذا أدنوه من أفواههم اشتوىٰ من حَرّه لحومُ وجوههم التي قد سقطت عنها الجلود ، ويصهر ما في بطونهم ، فيمشون تسيل[١] أمعاؤهم وتسّاقط[٢] جلودهم ، ثم يضربون بمقامع من حديد ، فيسقط كل عضو علىٰ حياله ، يدعون بالثبور .

وقوله : ﴿ ثم إن مرجعهم لإلىٰ الجحيم ﴾ أي : ثم إن مَرَدّهم بعد هذا الفصل لإلىٰ نار تتأجج ، وجحيم تتوقد ، وسعير تتوهج ، فتارة في هذا وتارة في هذا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ يطوفون بينها وبين حميم آن ﴾ هكذا تلا قتادة هذه الآية ، عند هذه الآية وهو تفسير حسن قوى ، وقال السدي في قراءة عبد اللّٰه : « ثم إن مقيلهم لإلىٰ الجحيم » وكان عبد اللّٰه يقول : والذي نفسي بيده لا ينتصف نهار[٣] يوم القيامة حتىٰ يقيلَ أهل الجنة في الجنة ، وأهل النار في النار ، ثم قرأ : ﴿ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرًا وأحسن مقيلًا ﴾ .

وروىٰ الثوري(٣٢) ، عن ميسرة ، عن المنهال بن عمرو ، عن أبي عبيدة ، عن عبد اللّٰه قال : لا ينتصف النهار يوم القيامة حتىٰ يقيل هؤلاء ويقيل هؤلاء . قال سفيان : أراه ، ثم قرأ : ﴿ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرًا وأحسن مقيلًا ﴾ . ثم إن مقيلهم لإلى الجحيم .

قلت : علىٰ هذا التفسير تكون « ثم » عاطفة [لخبر علىٰ خبر][٤] .

وقوله : ﴿ إنهم ألفوا آباءهم ضالين ﴾ أي : إنما جازيناهم بذلك لأنهم وجدوا آباءهم علىٰ الضلالة فاتبعوهم فيها بمجرد ذلك ، من غير دليل ولا برهان ؛ ولهذا قال : ﴿ فهم علىٰ آثارهم يُهرَعون ﴾ ، قال مجاهد[٥] : شبيهة بالهرولة . وقال سعيد بن جبير : يَسْفَهُون .

وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾

---

(٣٢) - رواه ابن أبي حاتم - كما في «الدر المنثور» (٥/١٢٢،٥٢٣) - ومن طريقه الحاكم في «المستدرك» (٢/٤٠٢) - ثنا قبيصة بن عقبة ، ثنا سفيان الثوري به . وقال الحاكم : «حديث صحيح على شرط مسلم» ووافقه الذهبي !! ورجاله ثقات غير أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه إلا أحرفاً يسيرة . ومسلم لم يرو بهذا الإسناد شيئًا . وزاد نسبته السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن المبارك في «الزهد» وروى ابن جرير (١٩/٥) بإسناد صحيح إلى إبراهيم بن يزيد النخعي في قوله : ﴿ أصحاب الجنة يومئذٍ خيرٌ مستقراً وأحسن مقيلاً ﴾ قال : كانوا يرون أنه يفرغ من حساب الناس يوم القيامة من نصف النهار ، فيقيل هؤلاء في الجنة ، وهؤلاء في النار وقد صحح جماعة من الأئمة مراسيل إبراهيم النخعي انظر ترجمته في «التهذيب» .

---

[١] - سقط من : خ ، ز . [٢] - في ت : « تتساقط » .

[٣] - في ت : « النهار » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: «بخير على خير» . [٥] - سقط من : خ ، ز .

يخبر تعالىٰ عن الأمم الماضية[١] أن أكثرهم كانوا ضالين يجعلون مع اللّٰه آلهة أخرىٰ ، وذكر تعالىٰ أنه أرسل فيهم منذرين ، ينذرون بأس[٢] اللّٰه ، ويحذرونهم سطوته ونقمته ، ممن كفر به وعبد غيره ، وأنهم تمادوا علىٰ مخالفة رسلهم وتكذيبهم ، فأهلك المكذبين ودمَّرهم ، ونجىٰ المؤمنين ونصرهم وظفَّرهم ؛ ولهذا قال : ﴿ **فانظر كيف كان عاقبة المنذرين * إلا عباد اللّٰه المخلصين** ﴾ .

﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ (٧٥) وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ (٧٦) وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ (٧٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ (٧٨) سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ (٧٩) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ (٨٠) إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ (٨١) ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ (٨٢) ﴾

لما ذكر تعالى عن أكثر الأولين أنهم ضلوا عن سبيل النجاة شرع يبين ذلك مفصلًا ، فذكر نوحًا - عليه السلام - وما لقي من قومه من التكذيب ، وأنه لم يؤمن منهم إلا القليل مع طول المدة ، لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا ، فلما طال عليه ذلك واشتد عليه تكذيبهم ، وكلما دعاهم ازدادوا نَفْرَة ، فدعا ربه أني مغلوب فانتصر ، فغضب اللّٰه لغضبه عليهم ؛ ولهذا قال : ﴿ **ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون** ﴾ أي : فلنعم المجيبون له ، ﴿ **ونجيناه وأهله من الكرب العظيم** ﴾ ، وهو التكذيب والأذىٰ ، ﴿ **وجعلنا ذريته هم الباقين** ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس(٣٣) يقول : لم تبق إلا ذرية نوح - عليه السلام - وقال سعيد بن أبي عروبة : عن قتادة في قوله : ﴿ **وجعلنا ذريته هم الباقين** ﴾ قال : الناس كلهم من ذرية نوح .

وقد روىٰ الترمذي(*) ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم(٣٤) ، من حديث سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمُرَة ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في قوله : ﴿ **وجعلنا ذريته هم الباقين** ﴾ قال : « **سام ، وحام ، ويافث** » .

وقال الإمام أحمد(٣٥) : حدثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمُرة : أن نبي اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **سام أبو العرب ، وحام أبو الحبش ، ويافث أبو**

---

(٣٣) - رواه ابن جرير (٢٣/٦٨) وفي سنده انقطاع بين علي بن أبي طلحة وابن عباس .

(*) لم يروه الترمذي من طريق سعيد بن بشير [انظر التخريج] .

(٣٤) - انظر الآتي .

(٣٥) - إسناده ضعيف . « المسند » (٥/٩) وفي هذا الموضع « وحدثنا حسين ، ثنا شيبان » ورواه أيضًا =

---

[١] - في ز : « الماضين » .   [٢] - في خ : « بأمر » .

الروم » .

ورواه الترمذي عن بشر بن معاذ العَقَديّ ، عن يزيد بن زُرَيع ، عن سعيد - وهو ابن أبي عروبة[١] - [عن قتادة به][٢] .

[قال الحافظ أبو عمر بن عبد] البر : وقد روي عن عمران[٣] بن حصين ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم مثله(٣٦) .

والمراد بالروم هاهنا : هم الروم الأُوَل ، وهم اليونان المنتسبون إلىٰ رومي بن ليطي بن يونان ابن يافث بن نوح - عليه السلام -

ثم روى من حديث إسماعيل بن عياش (٣٧) ، عن يحيىٰ بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب قال : ولد نوح ثلاثة : سام وحام ويافث ، وولد كل واحد من هذه الثلاثة ثلاثة ، فولد سامُ العربَ وفارسَ والروم ، وولد يافثُ التركَ والصقالبةَ ويأجوج ومأجوج ، وولد حامُ القبطَ

= (٥/١٠) ثنا روح من كتابه قال : ثنا سعيد بن أبي عروبة ومن طريق سعيد رواه أيضًا الترمذي (٣٢٣١، ٣٩٣١) وابن سعد في « الطبقات » (٣٦/١) والطبراني في « المعجم الكبير » (٦٨٧٢/٧) ورواه الخطيب البغدادي في « المتفق والمفترق » (٢/رقم ٥٠٠) من طريق شعبة ، ثلاثتهم (شيبان وسعيد وشعبة) عن قتادة به وقال الترمذي : « حسن غريب » وإسناده رجاله ثقات رجال الشيخين غير أن الحسن مدلس وعنعنه ، وأما عنعنة قتادة فقد كفانا « شعبة » مؤونتها ، ثم إن ابن أبي عروبة من أثبت الناس في قتادة ، وقد رواه سعيد بن بشير عن قتادة به ؛ غير أنه ذكره بلفظ (عن النبي ﷺ في قوله ﴿ **وجعلنا ذريته هم الباقين**﴾ قال : « سام وحام ويافث ») رواه من هذا الوجه ابن جرير في تفسيره (٤٣/٢٣) وفي « التاريخ » (١/ ١٩٢، ٢٠٩) والروياني في مسنده (٢/رقم ٧٩٣) وأبونعيم في « أخبار أصبهان » (٢/ ٢٥٦) ورواه ابن عدي في « الكامل » (٩١٩/٣) والطبراني (٧/ ٦٨٧٢، ٦٨٧٣) من طريق سعيد بن بشير وخليد ابن دعلج بلفظ : «**ولد نوح سام ويافث وحام** » وسعيد بن بشير وخليد ضعيفان ، فالمعتمد عن قتادة رواية شعبة وغيره منه ، وللحديث طريق آخر عن سمرة رواه الطبراني (٧٠٣٣/٧) لكن إسناده ضعيف ، والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٥٢٤/٤) إلى أبي يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣٦) - كسابقه ، رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٨/رقم ٣٠٩) من طريق عبدالأعلى ، ثنا سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن عمران بن حصين وسمرة بن جندب أن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : ... الحديث ، ورواه الحاكم في « المستدرك » (٥٤٦/٢) من طريق عبدالأعلى به ، غير أنه جعله « عن الحسن ، عن عمران ، عن سمرة » وقال : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي ، وقال الهيثمي في « المجمع » (١٩٨/١) : « رجاله موثقون » وهذا أشبه ، انظر السابق .

(٣٧) - رواه ابن جرير في « التاريخ » (٢١٠/١) وابن عياش ضعيف في غير أهل بلده ، وهذه منها ، غير =

[١] - في خ ، ز : « البر » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ز : « عمر » .

والسودان والبربر . ورُوي عن وهب بن منبه نحو هذا ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ وتركنا عليه في الآخرين ﴾ قال ابن عباس : يذكر بخير وقال مجاهد : يعني لسان صدق للأنبياء كلهم .

وقال قتادة والسدى : [أبقى الله عليه الثناء الحسن في الآخرين .

قال الضحاك : السلام والثناء الحسن .

وقوله تعالىٰ : ﴿ سلام علىٰ نوح في العالمين ﴾ ، مفسر لما][١] أبقىٰ عليه من الذكر الجميل والثناء الحسن : أنه يسلم عليه في جميع الطوائف والأمم .

﴿ إنا كذلك نجزي المحسنين ﴾ أي : هكذا نجزي من أحسن من العباد في طاعة الله ، نجعل له لسانَ صدق يذكر به بعده بحسب مرتبته في ذلك .

ثم قال : ﴿ إنه من عبادنا المؤمنين ﴾ أي : المصدقين الموحدين الموقنين ، ﴿ ثم أغرقنا الآخرين ﴾ أي : أهلكناهم ، فلم تبْقَ منهم عين تطرف ، ولا ذكر لهم ولا عين ولا أثر ، ولا يعرفون إلا بهذه الصفة القبيحة .

۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾

= أنه توبع ، تابعه معاوية بن صالح - وهو صدوق له أوهام عن يحيى به ، رواه من هذا الوجه ابن سعد في « الطبقات » (٣٦/١) والحاكم في « المستدرك » (٤٦٣/٤) هكذا من قول سعيد بن المسيب وأسنده بعض الضعفاء ، كما في « كشف الأستار » (١/رقم ٢١٨) وكذا « مختصر الزوائد » لابن حجر (١/رقم ١٣٤) ، ورواه ابن حبان في « المجروحين » (١٠٧/٣) وابن عدي في « الكامل » (٢٧٢٥/٧) ، والدارقطني في « الأفراد » (؟؟) . كما في حاشية « العلل » له (٧/س ١٣٥٤) من طريق محمد بن يزيد ابن سنان به ، وقال الدارقطني : « تفرد به محمد بن يزيد بن سنان ، عن أبيه ، عنه » يحيى بن سعيد ومحمد بن يزيد ليس بالقوي ، وأبوه ضعيف . ورواه سليمان بن أرقم - وهو ضعيف أيضًا - عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب به ، استنكره من هذا الوجه ابن عدي في « الكامل » (١١٠/٣) لابن أرقم ، وضعف ابن حجر في « الفتح » (١٠٧/١٣) سند حديث أبي هريرة بالكلية ، فالخبر إذن صوابه أنه من قول سعيد بن المسيب وانظر « الدر المنثور » (/ ٥٢٤، ٥٢٥) وبالله التوفيق .

[١] - سقط من : خ ، ز .

قال علي بن أبي طلحة(٣٨) عن ابن عباس : ﴿ وإن من شيعته لإبراهيم ﴾ يقول : من أهل دينه وقال مجاهد : على منهاجه وسنته .

﴿ إذ جاء ربه بقلب سليم ﴾ ، قال ابن عباس : يعني[١] شهادة أن لا إله إلا اللّه .

وقال ابن أبي حاتم (٣٩) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة ، عن عوف : قلت لمحمد ابن سيرين : ما القلب السليم ؟ قال : يعلم أن اللّه حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن اللّه يبعث من في القبور .

وقال الحسن : سليم من الشرك . وقال عروة لا يكون لعانًا .

وقوله : ﴿ إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون ﴾ أنكر عليهم عبادة الأصنام والأنداد ؛ ولهذا قال : ﴿ أئفكا آلهة دون اللّه تريدون * فما ظنكم برب العالمين ﴾ ، قال قتادة : ما ظنكم به أنه فاعل بكم إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره ؟ !

فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ (٨٨) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (٨٩) فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ (٩٠) فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٩١) مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ (٩٢) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ (٩٣) فَأَقْبَلُوٓا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ (٩٤) قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (٩٥) وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦) قَالُوا ٱبْنُوا لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِي ٱلْجَحِيمِ (٩٧) فَأَرَادُوا بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ (٩٨)

إنما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه ذلك ، ليقيم في البلد إذا ذهبوا إلى عيدهم ، فإنه كان قد أزف خروجهم إلى عيد لهم ، فأحب أن يختلي بآلهتهم ليكسرها ، فقال لهم كلامًا هو حق في نفس الأمر ، فهموا منه أنه سقيم على مقتضى ما يعتقدونه ، ﴿ فتولوا عنه مدبرين ﴾ ، قال قتادة : والعرب تقول لمن تفكر : نظر في النجوم . يعني قتادة أنه نظر في السماء متفكرًا فيما يلهيهم به ، فقال : ﴿ إني سقيم ﴾ أي : ضعيف .

(٣٨) - فيه انقطاع بين علي بن أبي طلحة وابن عباس . والخبر رواه ابن جرير (٦٩/٢٣) وابن أبي حاتم - كما في «الدر المنثور» (٥٢٥/٥) .

(٣٩) - إسناده صحيح إلى محمد بن سيرين ، وعوف بن أبي جميلة الأعرابي .

[١] - سقط من : خ ، ز .

فأما الحديث الذى رواه ابن جرير هاهنا(٤٠) حدثنا أبو كريب ، حدثنا أبو أسامة ، حدثني هشام ، عن محمد ، عن أبي هريرة : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **لم يكذب إبراهيم عليه الصلاة والسلام غير ثلاث كذبات : ثنتين في ذات اللَّه ، قوله : ﴿ إني سقيم ﴾** ، وقوله : ﴿ **بل فعله كبيرهم هذا** ﴾ ، **وقوله في سارة : هي أختي** » .

فهو حديث مخرج في الصحاح والسنن من طرق ، ولكن ليس هذا من باب الكذب الحقيقي الذي يذم فاعله - حاشا وكلا ولما[١] - وإنما أطلق الكذب علىٰ هذا تجوزًا ، وإنما هو من المعاريض في الكلام لمقصد شرعي ديني ، كما جاء في الحديث (٤١) : « **إن [في][٢] المعاريض لمندوحة عن الكذب** » .

وقال ابن أبي حاتم (٤٢) : حدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان ، عن علي بن زيد بن جدْعان ، عن أبي نَضْرَةَ ، عن أبي سعيد قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم في كلمات إبراهيم الثلاث التي قال : « **ما منها كلمة إلا ما حَلّ بها عن دين اللَّه تعالىٰ ، ﴿ فقال إني سقيم ﴾** ، وقال : ﴿ **بل فعله كبيرهم هذا** ﴾، **وقال للملك حين أراد المرأة : هي أختي** » .

قال سفيان في قوله : ﴿ **إني سقيم** ﴾ يعني : طعين . وكانوا يفرون من المطعون ، فأراد أن يخلو بآلهتهم . وكذا قال العوفي ، عن ابن عباس : ﴿ **فنظر نظرة في النجوم * فقال إني سقيم** ﴾ ، فقالوا له وهو في بيت آلهتهم : اخرج . فقال : إني مطعون ، فتركوه مخافة الطاعون .

وقال قتادة عن سعيد بن المسيب : رأى نجمًا طلع فقال : ﴿ **إني سقيم** ﴾ كابد[٣] نبي الله عن دينه ﴿ **فقال إني سقيم** ﴾ .

(٤٠) - صحيح ، تفسير ابن جرير (٧١/٢٣) ورواه البزار - كما في «قصص الأنبياء» للمصنف و«الفتح» لابن حجر (٣٩١/٦) - وأبو داود ، كتاب الطلاق (٢٢١٢) والنسائي في «الكبرى» (٨٣٧٤/٥) ، وأبو يعلى (٩/١٠ ، ٦٠٣) - ومن طريقه ابن عساكر (٣٢١/٢/مخطوط) - وابن حبان (٥٧٣٧/١٣) من طريق هشام بن حسان به ، ورواه البخري ، كتاب البيوع (٢٢١٧) - وانظر أطرافه ثمة - ومسلم في الفضائل (٢٣٧١) وغيرهم عن أبي هريرة به .

(٤١) - بوب به البخاري باب رقم (١١٦) من كتاب «الأدب» داخل صحيحه ، دون أن ينسبه لأحد ، وقد رُوى مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم - من حديث عمران بن حصين وعلى بن أبي طالب ، ولا يصح ، وقد صح موقوفاً على عمران وعمر بن الخطاب ، انظر «فتح الباري» للحافظ ابن حجر (٥٩٤/١٠) و«الضعيفة» لأبى عبدالرحمن الألباني (١٠٩٤/٣) .

(٤٢) - إسناده ضعيف . ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٢٠/٢/مخطوط) من طريق الحسين بن إسماعيل نا أبوحاتم الرازي نا عثمان بن مطيع بن إبراهيم نا سفيان به ، ورواه الترمذي ، كتاب : =

[١] - سقط من : ت .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من ت . [٣] - في خ : « دايد» .

وقال آخرون : ﴿ فقال إني سقيم ﴾ بالنسبة إلى ما يستقبل ، يعني مرض الموت .

وقيل : أراد ﴿ إني سقيم ﴾ أي : مريض القلب من عبادتكم الأوثان من دون اللَّه عز وجل .

وقال الحسن البصري : خرج قوم إبراهيم إلىٰ عيدهم ، فأرادوه علىٰ الخروج ، فاضطجع علىٰ ظهره وقال : ﴿ إني سقيم ﴾ ، وجعل ينظر في السماء ، فلما خرجوا أقبل إلىٰ آلهتهم فكسرها . رواه ابن أبي حاتم(٤٣) .

ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ فتولوا عنه مدبرين ﴾ أي : إلىٰ عيدهم ، ﴿ فراغ إلىٰ آلهتهم ﴾ أي: ذهب إليها بعد أن خرجوا ، في سرعة واختفاء ، ﴿ فقال ألا تأكلون ﴾ ، وذلك أنهم كانوا قد وضعوا بين أيديها طعامًا قربانًا لتُبَرّك لهم فيه .

قال السدي : دخل إبراهيم - عليه السلام - إلىٰ بيت الآلهة ، فإذا هم في بهو عظيم ، وإذا مستقبل باب البهو صنم عظيم ، إلىٰ جنبه أصغر منه ، بعضها إلىٰ جنب بعض ، كل صنم يليه أصغر منه ، حتىٰ بلغوا باب البهو ، وإذا هم قد جعلوا طعامًا وضعوه بين أيدي الآلهة ، وقالوا : إذا كان حين نرجع وقد بَرّكَت الآلهة في طعامنا أكلنا ، فلما نظر إبراهيم - عليه السلام - إلىٰ ما بين أيديهم من الطعام قال : ﴿ ألا تأكلون * ما لكم لا تنطقون ﴾؟ .

وقوله : ﴿ فراغ عليهم ضربًا باليمين ﴾ قال الفراء : معناه مال عليهم ضربًا باليمين . وقال قتادة والجوهري : فأقبل عليهم ضربًا باليمين .

وإنما ضربهم باليمين لأنها أشد وأنكىٰ ؛ ولهذا تركهم جذاذًا إلا كبيرًا لهم لعلهم إليه يرجعون ، كما تقدم في « سورة الأنبياء » تفسير ذلك .

وقوله هاهنا : ﴿ فأقبلوا إليه يزفون ﴾ قال مجاهد : وغير واحد أي : يسرعون ، وهذه القصة هاهنا مختصرة ، وفي « سورة الأنبياء » مبسوطة ، فإنهم لما رجعوا ما عرفوا من أول وهلة من فعل ذلك حتىٰ كشفوا واستعلموا ، فعرفوا أن إبراهيم - عليه السلام - هو الذي فعل ذلك . فلما جاءوا ليعاتبوه أخذ في تأنيبهم وعَيْبهم ، فقال : ﴿ أتعبدون ما تنحتون ﴾ ؟ ! أي : أتعبدون[١] من دون اللَّه من الأصنام ما أنتم تنحتونها وتجعلونها بأيديكم ؟ ! ﴿ واللَّه خلقكم وما تعملون ﴾ ، يحتمل أن تكون « ما » مصدرية ، فيكون تقدير الكلام : [واللَّه خلقكم وعَملكم . ويحتمل أن تكون بمعنى « الذي » ، تقديره][٢] : واللَّه خلقكم والذي

= تفسير القرآن (٣١٤٨) ، وأبويعلى في مسنده (٢/١٠٤٠) - ومن طريقه ابن عساكر أيضًا - عن سفيان به مطولًا ومختصرًا وصححه الترمذي !! مع أن ابن جدعان ضعفه الجمهور لكن يشهد له حديث أبي هريرة السابق .

(٤٣) - وعزاه له السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٥٢٦) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

[١] - في ز، خ : « تعبدون » . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

تعملونه . وكلا القولين متلازم ، والأول أظهر ؛ لما رواه البخاري في كتاب « **أفعال العباد** »(٤٤) ، عن علي بن المديني ؛ عن مروان[١] بن معاوية ، عن أبي مالك ، عن رِبْعِيّ بن حِرَاش[٢] ، عن حذيفة مرفوعًا قال[٣] : « **إن الله يصنع كل صانع وصنعته** » . وقرأ بعضهم : ﴿ **والله خلقكم وما تعملون** ﴾ فعند ذلك لما قامت عليهم الحجة عدلوا إلىٰ أخذه باليد والقهر ، فقالوا : ﴿ **ابنوا له بنيانًا فألقوه في الجحيم** ﴾ . وكان من أمرهم ما تقدم بيانه في « **سورة الأنبياء** » ، ونجاه الله من النار وأظهره عليهم ، وأعلىٰ حجته ونصرها ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **فأرادوا به كيدًا فجعلناهم الأسفلين** ﴾ .

وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ
بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي
أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ
الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ

(٤٤) - صحيح ، رقم (١١٧) ومن طريق البخاري رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٢/٣٠،٣١) ورواه الحاكم في «المستدرك» (١/٣١) - وعنه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/رقم ٨٢٥) - وفي «شعب الإيمان» (١/رقم ١٩٠) من طريق علي بن المديني به . دون ذكر الآية ورواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٣٥٨) والبزار في مسنده (٧/٢٨٣٧/البحرالزخار) ونقله ابن حجر في «مختصر زوائد البزار » (٢/١٦٠٣) وابن منده في «التوحيد» (١/١١٥) - واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٣/٩٤٣) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١/رقم٣٧) وفي «الاعتقاد» (٣٧٧) من طرق عن مروان بن معاوية به . وصحح إسناده ابن حجر غير أن البزار أعله فقال : « هذا الكلام لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم - إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد ، ورواه غير مروان موقوفاً كذا قال : وتابع مروان على رفعه

١ - الفضيل بن سليمان عن أبي مالك به ، رواه من هذا الوجه ابن أبي عاصم (١/٣٥٧) وابن عدي في «الكامل» (٦/٢٠٤٦) والحاكم (١/٣١،٣٢) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي وأقرهما أبو عبدالرحمن الألباني في «الصحيحة» (١/١٦٣٧) وهو كما قالوا فقد روى مسلم حديث رقم (٥٢) (١٠٠٥) بهذا الإسناد وأغرب ابن عدي فقال : « لا أعلم يرويه عن أبي مالك غير فضيل بهذا الإسناد !!

٢ - وتابعهما أبو خالد الأحمر سليمان بن حيان وياسين الزيات ويحيى بن زكريا - مفرقاً - عن أبي مالك به . رواه من هذه الوجوه «المحاملي» في «أماليه» (٣٢٥) واللالكائي (٩٤٢) وأبو كر القطيعي في «جزء الألف دينار» (٢١٧) وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١/٢٢٠) - وقد رواه البخاري (١١٨،١١٩) من طريق (أبي معاوية ووكيع) عن الأعمش عن شقيق عن حذيفة موقوفاً به وهذه لا تقدح في صحة الرواية الموصولة ؛ لأن ربعي بن حراش ثقة فاضل وأثبت من شقيق بن سلمة . وبالله التوفيق .

[١] - في خ ، ز : « هارون » .

[٢] - في ز : « خِرَاش » . [٣] - سقط من : ز .

صَدَّقْتَ ٱلرُّؤْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ (١٠٨) سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ (١٠٩) كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ (١١٠) إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ (١١١) وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (١١٢) وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ (١١٣)

يقول تعالىٰ مخبرًا عن خليله إبراهيم : إنه بعد ما نصره اللَّه علىٰ قومه وأيس من إيمانهم بعد ما شاهدوا من الآيات العظيمة، هاجر من بين أظهرهم، وقال : ﴿ **إني ذاهب إلىٰ ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين** ﴾ يعني : أولادًا مطيعين عوضًا من قومه وعشيرته الذين فارقهم ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **فبشرناه بغلام حليم** ﴾ ، وهذا الغلام هو إسماعيل - عليه السلام - فإنه أولُ ولد بُشِّرَ به إبراهيم - عليه السلام - وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب ، بل في نص كتابهم أن إسماعيل وُلد ولإبراهيم - عليه السلام - ست وثمانون سنة ، وولد إسحاق وعُمْر إبراهيم تسع وتسعون سنة ، وعندهم أن اللَّه تعالىٰ أمر إبراهيم أن يذبح ابنه وحيده ، وفي نسخة : بكره ، فأقحموا هاهنا كذبًا وبهتانًا « **إسحاق** » ، ولا يجوز هذا لأنه مخالف لنص كتابهم ، وإنما أقحموا « **إسحاق** » لأنه أبوهم ، وإسماعيل أبو العرب ، فحسدوهم ، فزادوا ذلك وحرّفوا « **وحيدك** » ، بمعنىٰ الذي ليس عندك غيره ، فإن إسماعيل كان ذهب به وبأمه إلىٰ جنب مكة ، وهذا تأويل وتحريف باطل ، فإنه لا يقال : «**وحيد**». إلا لمن ليس له غيره ، وأيضًا فإن أول ولد [له معزة][١] ما ليس لمن بعده من الأولاد ، فالأمر بذبحه أبلغ في الابتلاء والاختبار[٢] . وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلىٰ أن الذبيح هو إسحاق ، وحُكي ذلك عن طائفة من السلف ، حتىٰ نقل عن بعض الصحابة أيضًا ، وليس ذلك في كتاب ولا سنة ، وما أظن ذلك تُلُقِّي إلا عن أخبار[٣] أهل الكتاب ، وأخذ ذلك مسلمًا [من غير][٤] حجة ، وهذا كتاب اللَّه شاهد ومرشد إلىٰ أنه إسماعيل ، فإنه ذكر البشارة بالغلام الحليم ، وذكر أنه الذبيح ، ثم قال بعد ذلك : ﴿ **وبشرناه بإسحاق نبيًّا من الصالحين** ﴾ ، ولما بشرت الملائكة إبراهيم بإسحاق قالوا : ﴿ **إنا نبشرك بغلام عليم** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **فبشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب** ﴾ أي : يولد له في حياتهما ولد يسمىٰ يعقوب ، فيكون

---

[١] - ما بين المعكوفتين في خ : « يعتبره » ، وفي ز : « معتبرة » .

[٢] - في ز ، خ: « اختبارًا » . [٣] - في ت : « أحبار » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في خ : « بن عمير » .

من ذريته عقب[١] ونسل ، وقد قدمنا هناك أنه لا يجوز بعد هذا أن يؤمر بذبحه وهو صغير ، لأن اللَّه قد وعدهما بأنه سيعقب ، ويكون له نسل ، فكيف يمكن بعد هذا أن يؤمر بذبحه صغيرًا ، وإسماعيل وصف هاهنا بالحليم ، لأنه مناسب[٢] لهذا المقام .

وقوله : ﴿ **فلما بلغ معه السعي** ﴾ أي : كبر وترعرع وصار يذهب مع أبيه ويمشي معه ، وقد كان إبراهيم - عليه السلام - يذهب في كل وقت يتفقد ولده وأم ولده ببلاد « **فاران** » وينظر في أمرهما ، وقد ذكر أنه كان يركب على البراق سريعًا إلى هناك ، فالله أعلم .

وعن ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وعطاء الخراساني ، وزيد بن أسلم ، وغيرهم : ﴿ **فلما بلغ معه السعي** ﴾ ، بمعنىٰ : شب وارتحل[٣] وأطاق ما يفعله أبوه من السعي والعمل ، ﴿ **فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرىٰ في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترىٰ** ﴾ ، [قال عبيد بن عمير(٤٥) : رؤيا الأنبياء وحي ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ **قال يا بني إني أرىٰ في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترىٰ** ﴾][٤] .

وقد قال ابن أبي حاتم(٤٦) : حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد ، حدثنا[٥] أبو عبد الملك الكرندي ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن إسرائيل بن يونس ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن

(٤٥) - أخرجه البخاري ، كتاب : الوضوء ، باب : التخفيف في الوضوء (١٣٨) ، كتاب : الأذان ، باب : وضوء الصبيان (٨٥٩) بسنده عن عبيد بن عمير قوله ، وقال الحافظ في «الفتح» (٢٣٩/١) قوله : « رؤيا الأنبياء وحي» رواه مسلم مرفوعاً وسيأتي في التوحيد - (٧٥١٧) - من رواية شريك عن أنس «وهو غير موجود في مسلم بهذا اللفظ ، ولعل الحافظ أراد معناه فانظر (١٢٥) (٧٣٨) من صحيح مسلم وانظر ما بعده .

(٤٦) - إسناده ضعيف مرفوعاً ، وصح موقوفاً .

وعزاه إلى ابن أبي حاتم السيوطي في «الدر المنثور» (٥٢٨/٥) - ورواية سماك عن عكرمة مضطربة كما قال ابن المديني وغيره ، وراويه عن ابن عيينة (أبو عبدالملك الكرندي) لم أهتد لترجمته ويحتمل أن يكون أحد الهلكى المجهولين حيث رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٤٦٣/١) وابن جرير في تفسيره (١٨٧٧٨/١٥/ شاكر) من طريق أبي أحمد الزبيري وابن جرير أيضاً (١٨٧٧٩/١٥/شاكر) من طريق أبي أسامة ، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٣٠٢/١٢) من طريق محمد بن يوسف الفريابي ، والحاكم (٤٣١/٢) من طريق محمد بن جعشم الصنعاني (٣٩٦/٤) من طريق قبيصة بن عقبة ، خمستهم (أبو أحمد وأبو أسامة والفريابي والصنعاني وقبيصة عن سفيان الثوري ، عن سماك ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس به موقوفاً . وصححه الحاكم في الموضع الأول على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وفي حاشية «المطالب العالية» (٣/ ٢٨٢٤) قال البوصيري : «رواته ثقات» !! وسماك : صدوق ، وإنما روى له البخاري تعليقاً ، وقد استدرك ذلك الحاكم في الموضع الثاني ، واكتفى بتصحيحه على شرط مسلم وأعله الهيثمي في «المجمع» =

[١] - في ز، خ : « عاقبة » .
[٢] - في ز، خ : « يناسب » .
[٣] - في ز، خ : « ارتجل » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٥] - سقط من : ز .

عباس قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **رؤيا الأنبياء في المنام وحي** » . ليس هو في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه .

وإنما أعلم ابنه بذلك ليكون أهون عليه ، وليختبر صبره وجلده وعزمه من صغره على طاعة الله وطاعة أبيه ﴿ **قال يا أبت افعل ما تؤمر** ﴾ أي : امض لما أمرك الله من ذبحي ، ﴿ **ستجدني إن شاء الله من الصابرين** ﴾ أي : سأصبر وأحتسب ذلك عند الله عز وجل . وصدق صلوات الله وسلامه عليه فيما وعد ؛ ولهذا قال الله تعالىٰ : ﴿ **واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبيًا ، وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيًا** ﴾ .

قال الله تعالىٰ : ﴿ **فلما أسلما وتله للجبين** ﴾ أي : فلما تشهدا وذكرا الله تعالىٰ؛ إبراهيم علىٰ الذبح والولد علىٰ شهادة الموت ، وقيل ﴿ **أسلما** ﴾ استسلما وانقادا ؛ إبراهيم امتثل أمْرَ الله ، وإسماعيل طاعة الله وأبيه . قاله مجاهد ، وعكرمة ، والسدي ، وقتادة ، وابن إسحاق ، وغيرهم .

ومعنى : ﴿ **تله للجبين** ﴾ أي : صرعه على وجهه ليذبحه من قفاه ولا يشاهد وجهه عند ذبحه ليكون أهون عليه .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، وقتادة : ﴿ **وتله للجبين** ﴾ : أكبه علىٰ وجهه .

وقال الإمام أحمد (٤٧) : حدثنا سُرَيج[١] ويونس قالا : حدثنا حماد بن سلمة ، عن أبي عاصم الغَنَويّ ، عن أبي الطفيل ، عن ابن عباس أنه قال : لما أمر إبراهيم بالمناسك عَرَض له الشيطان عند المسعى ، فسابقه فسبقه إبراهيم ، ثم ذهب به جبريل إلىٰ جمرة العقبة ، فعرض له الشيطان ، فرماه بسبع حصيات حتىٰ ذهب ، ثم عرض له عند الجمرة الوسطىٰ فرماه بسبع حصيات ، و[٢] ثَمَّ تَلَّه للجبين ، وعلىٰ إسماعيل قميص أبيض ، فقال له : يا أبت ؛ إنه[٣] ليس

= (١٧٩/٧) بشيخ الطبراني وهو متابع والخبر زاد نسبته السيوطي في «الدر المنثور» (٦/٤) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه ، وعزاه الحافظ في «المطالب العالية» إلى أحمد بن منيع . وانظر ما قبله

(٤٧) - «المسند» (٢٩٨،٢٩٧/١) (رقم ٢٧٠٧/شاكر) ورواه أبو داود ، كتاب : المناسك (١٨٨٥) - ومن طريقه رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٥٥،١٥٤/٥) وابن جرير (٨٠/٢٣) والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٦٢٨/١٠) - ومن طريقه المزي في «تهذيب الكمال» (١٠٤٩/٣٤/ترجمة أبي عاصم الغنوي) - والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١٧٩/٢) والبيهقي في «الكبرى» و «الشعب» (٤٠٧٧/٣) وفي «دلائل النبوة» (٣٢٧،٣٢٦/٤) من طرق عن حماد بن سلمة به مطولاً وذكره الهيثمي في «المجمع» (٣/ ٢٦٢) : «رواه أحمد والطبراني في «الكبير» ورجاله ثقات» وقال في (٢٠٤/٨) : «رواه أحمد ورجاله =

[١] - في ز ، خ: « شريح » .   [٢] - سقط من : ز ، خ.
[٣] - سقط من : ز، خ .

لي ثوب تكفنني فيه غيره ، فاخلعه حتىٰ تكفِّنني[١] فيه ، فعالجه ليخلعه ، فنُودِيَ من خلفه : ﴿ أن يا إبراهيم * قد صدقت الرؤيا ﴾ ، فالتفت إبراهيم فإذا بكبش أبيض أقرن أعين ، قال ابن عباس : لقد رأيتنا نبيع ذلك الضرب[٢] من الكباش .

وذكر تمام الحديث في « **المناسك** » بطوله . ثم رواه أحمد(٤٨) بطوله عن يونس ، عن حماد بن سلمة ، عن عطاء بن[٣] السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، فذكر نحوه إلا أنه قال[٤] : « **إسحاق** » . فعن ابن عباس في تسمية الذبيح روايتان ، والأظهر عنه إسماعيل لما سيأتي بيانه .

وقال محمد بن إسحاق (٤٩) : عن الحسن بن دينار ، عن قتادة ، عن جعفر بن إياس ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وفديناه بذبح عظيم** ﴾ قال : خرج عليه كبش من الجنة قد رعىٰ قبل ذلك أربعين خريفًا ، فأرسل إبراهيم ابنه واتبع الكبش ، فأخرجه إلىٰ الجمرة الأولىٰ ، فرماه بسبع حصيات فأفلَتَه عندها ، فجاء الجمرة الوسطىٰ فأخرجه عندها ، فرماه بسبع حصيات ثم أفلته ، [فأدركه عند][٥] الجمرة الكبرىٰ ، فرماه بسبع حصيات فأخرجه عندها . ثم أخذه ، فأتىٰ به المنحر من منى فذبحه ، فوالذي نفسُ ابن عباس بيده لقد كان أولَ الإسلام ، وإن رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة قد حَشّ[٦] يعني : يبس .

= رجال الصحيح غير أبي عاصم الغنوي وهو ثقة غير أن أبا حاتم قال : « لا أعلم روى عنه غير حماد بن سلمة ، ولا أعرفه ، ولا أعرف اسمه » لكن وثقه ابن معين ، ومع هذا قصَّر ابن حجر في «التقريب» فوسمه بأنه : «مقبول» !! وأصل الحديث عند مسلم كتاب : الحج (٢٣٧) (١٢٦٤) من طريق الجريري عن أبي الطفيل به بجزء من الحديث المطول والمشار إليه ، وانظر ما بعده .

(٤٨) - رواه أحمد في «المسند» (٣٠٧،٣٠٦/١) (٢٧٩٥/شاكر) ورواه الطبراني (١٢٢٩٢/١١) من طريق سريج بن النعمان ، ثنا حماد بن سلمة به . وابن خزيمة في صحيحه (٢٩٦٧/٤) . والطبراني (١١/ ١٢٢٩١) - وعنه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٥٣/٥) - من طريق أبي حمزة والطبراني (١٢٢٩٣/١١) من طريق شعيب بن صفوان : كلاهما (أبو حمزة وشعيب) عن عطاء بن السائب به . وقال البيهقي : «تفردبه هكذا عطاء بن السائب» وهو مختلط وبه أعل الخبر الهيثمي في «المجمع» (٢٦٣،٢٦٢/٣) ، (٨/ ٢٠٤) غير أن حماد بن سلمة روى عنه قبل الاختلاط كما قال ابن معين وأبو داود وغيرهما ثم إنه قد صح من طرق أخرى عن ابن عباس أنه كان يرى أن الذبيح هو «إسحاق» فعنه روايتان في ذلك ، وهذا ينفي شبهة اختلاط عطاء هنا .

(٤٩) - ومن طريق ابن إسحاق رواه ابن جرير في تفسيره (٨٧/٢٣) والحسن بن دينار كذبه أبو حاتم وأبو خثيمة وتركه وكيع وأحمد بن حنبل ، وقال ابن عدي ، أجمع من تكلم في الرجال على ضعفه - انظر ترجمته في «اللسان» لابن حجر ثم إن فيه انقطاعاً بين جعفر بن إياس وابن عباس .

---

[١] - في ز ، خ : « تكفِّني » .
[٢] - في ت : « لضرب » .
[٣] - في ز : « عن » .
[٤] - سقط من : خ ، ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين بياض في خ ، ز .
[٦] - سقط من : خ ، ز .

وقال عبد الرزاق (٥٠) : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، أخبرنا القاسم قال : اجتمع أبو هريرة وكعب ، فجعل أبو هريرة يحدث عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وجعل كعب يحدث عن الكُتُب ، فقال أبو هريرة : قال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن لكل نبي دعوة مستجابة ، وإني قد خَبأتُ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة** » . فقال له كعب : أنت سمعتَ هذا من رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ؟ قال : نعم . قال : فداك أبي وأمي - أو : فداه أبي وأمي - أفلا أخبرك عن إبراهيم - عليه السلام - ؟ إنه لما أُري ذَبْح ابنه إسحاق قال الشيطان : إن لم أفتن هؤلاء عند هذه لم أفتنهم أبدًا . فخرج إبراهيم بابنه ليذبحه ، فذهب الشيطان فدخل علىٰ سارة ، فقال : أين ذهب إبراهيم بابنك ؟ قالت : غدا به لبعض حاجته . قال : لم يغد به لحاجة ، وإنما ذهب به ليذبحه . قالت : وَلِمَ يذبحه ؟ قال : زعم أن ربه أمره بذلك . قالت : فقد أحسن أن يطيع ربه . فذهب الشيطان في أثرهما فقال للغلام : أين يذهب بك أبوك ؟ قال : لبعض حاجته . قال : إنه لا يذهب بك لحاجة ، ولكنه يذهب بك ليذبحك . قال : ولم يذبحني ؟ قال: زعم أن ربه أمره بذلك . قال : فواللَّه لئن كان الله أمره بذلك ليفعلن . قال : فيئس منه فلحق بإبراهيم ، فقال[١] : أين غدوت بابنك[٢] ؟ قال : لحاجة . قال : فإنك لم تغد به لحاجة ، وإنما غدوت به لتذبحه. قال: وَلِم أذبَحه ؟ قال : تزعم أن ربك أمرك بذلك . قال : فواللَّه لئن كان اللَّه أمرني بذلك لأفعلن . قال : فتركه ويئس أن يطاع .

وقد رواه ابن جرير(٥١) عن يونس ، عن ابن وهب ، عن يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، أن[٣] عمرو بن أبي سفيان بن[٤] أسيد بن جَارِيَة[٥] الثقفي أخبره ، أن كعبًا قال لأبي

(٥٠) - تفسير عبدالرزاق (٣/١٥٠،١٥١) وإسناده صحيح والقاسم هو ابن محمد بن أبي بكر ، وقد رواه أحمد في «المسند» (٢/٢٧٥) ثنا عبدالرزاق به مقتصراً على المرفوع منه وكذا رواه من طريق عبدالرزاق مختصرًا ابن منده في «الإيمان» (٢/رقم٩٠٠) وقال : «رواه عبدالله بن المبارك ومحمد بن ثور وغيرهما عن معمر نحوه» . وانظر ما بعده .

(٥١) - تفسير ابن جرير (٢٣/٨٢،٨٣) ورواه مسلم ، كتاب : الإيمان (٣٣٧) (١٩٨) وابن منده في كتاب «الإيمان» (٢/١٩٩) من طريق حرملة بن يحيى والحاكم (٢/٥٥٨) من طريق محمد بن عبدالله بن الحكم كلاهما (حرملة ومحمد) ثنا عبدالله بن وهب به - رواية الحاكم مطولة كما بينا ورواه ابن منده أيضاً (٢/ ٨٩٧،٨٩٨) والقضاعي في «مسند الشهاب» (٢/١٠٤٠) من طرق عن يونس بن يزيد به . ورواه مسلم (٣٣٦) والدارمي (٢٨٠٩) وابن منده (٨٩٦) من طريقين عن ابن شهاب الزهري به .وقد رواه البخاري ، كتاب : الدعوات (٦٣٠٤) ومسلم (١٩٨) وغيرهما من طرق عن أبي هريرة كلهم بالقسم المرفوع منه فحسب.

[١] - في ز ، خ: « قال » .
[٢] - سقط من : ز،خ .
[٣] - في خ : « عن » .
[٤] - في خ ، ز : « عن أبي » .
[٥] - في ز ، خ: « حارثة » .

هريرة ... فذكره بطوله ، وقال في آخره : وأوحىٰ اللَّه إلىٰ إسحاق [أني أعطيتك][١] دعوة أستجيب لك فيها . قال إسحاق : اللَّهم ، إني أدعو أن تستجيب لي : أيُّما عَبْد لقيك من الأولين والآخرين ، لا يشرك بك شيئًا ، فأدخله الجنة .

وقال ابن أبي حاتم (٥٢) : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن الوزير الدمشقي ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن اللَّه خيرني بين أن يغفر لنصف أمتي ، وبين أن أختبئ شفاعتي ، فاختبأت شفاعتي ، ورجوت أن تكفر الجمّ لأمتي ، ولولا الذي سبقني إليه العبد الصالح لتعجلت فيها دعوتي ، إن اللَّه لما فرج عن إسحاق كَرْبَ الذبح قيل له : يا إسحاق ، سَلْ تُعْطَهْ . فقال : أما والذي نفسي بيده لأتعجلنها قبل نزغات الشيطان ، اللَّهم ؛ من مات لا يشرك بك شيئًا فاغفر له وأدخله الجنة** » .

هذا حديث غريب منكر ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف الحديث ، وأخشىٰ أن يكون في الحديث زيادة مدرجة ، وهي قوله : « **إن اللَّه تعالىٰ لما فرج عن إسحاق ...** » إلىٰ آخره (*) ، واللَّه أعلم . فهذا إن كان محفوظًا فالأشبه أن السياق إنما هو عن « **إسماعيل** » ، وإنما حرفوه بإسحاق ، حَسَدًا منهم كما تقدم ، وإلا فالمناسك والذبائح إنما محلها بمنى [من أرض مكة ، حيث كان إسماعيل لا إسحاق ، فإنه إنما كان ببلاد كنعان][٢] من أرض الشام .

وقوله تعالى : ﴿ **وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا** ﴾ أي : قد حصل المقصود من رؤياك بإضجاعك ولدك للذبح .

وذكر السّدي وغيره أنه أَمَرَّ السكين علىٰ رقبته فلم تقطع شيئًا ، بل حال بينها وبينه صفيحة من نحاس ، ونودي إبراهيم - عليه السلام - عند ذلك : ﴿ **قد صدقت الرؤيا** ﴾ .

---

(٥٢) - منكر

وعزاه إلى ابن أبي حاتم السيوطي في «الدر المنثور» (٥٣١/٥) . ورواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٩٩٤/٧) ثنا محمد بن عبدالله بن عمير ، ثنا صفوان بن صالح ، ثنا الوليد بن مسلم به . وقال الطبراني : «لم يرو هذا الحديث عن زيد بن أسلم إلا ابنه عبدالرحمن ، تفرد به الوليد بن مسلم » وهو ثقة يُدلس و يُسوى غير أن شيخه هو المتهم بهذا الحديث ، فقد استنكره ابن عدي في «الكامل» (١٥٨٣/٤) و «عبدالرحمن بن زيد» وقال الهيثمي في «المجمع» (٢٠٦/٨) : « وفيه عبدالرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف ، وشيخ الطبراني لم أعرفه » وكذا لم أهتد لترجمته غير أنه متابع من رواية ابن أبي حاتم ، والحديث استنكره أبو حاتم الرازي - كما في «العلل» لابنه (٢١٤٨/٢) - وضعف إسناده السيوطي ورقم به أبو عبدالرحمن الألباني حديث (٣٣٣) من «الضعيفة» .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز، خ : « أن أعطيك» .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

وقوله : ﴿ **إنا كذلك نجزي المحسنين** ﴾ أي : هكذا نصرف عمن أطاعنا المكاره والشدائد ، ونجعل لهم من أمرهم فرجًا ومخرجًا ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ومن يتق اللَّه يجعل له مخرجًا * ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل علىٰ اللَّه فهو حسبه إن اللَّه بالغ أمره قد جعل اللَّه لكل شيء قدرًا** ﴾ .

وقد استدل بهذه الآية والقصة جماعة من علماء الأصول علىٰ صحة النسخ قبل التمكن من الفعل ، خلافًا لطائفة من المعتزلة ، والدلالة من هذه ظاهرة ، لأن اللَّه تعالىٰ شرع لإبراهيم ذَبْحَ ولده ، ثم نسخه عنه وصرفه إلىٰ الفداء ، وإنما كان المقصود من شرعه أولًا إثابة الخليل علىٰ الصبر علىٰ ذبح ولده وعزمه علىٰ ذلك ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **إن هذا لهو البلاء المبين** ﴾ أي: الاختبار الواضح الجلي؛ حيث أُمِرَ بذبح ولده ، فسارع إلىٰ ذلك مستسلمًا لأمر اللَّه ، منقادًا لطاعته ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وإبراهيم الذي وفىٰ** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وفديناه بذبح عظيم** ﴾ ، قال سفيان الثوري(٥٣) : عن جابر الجُعْفي ، عن أبي الطفيل ، عن علي رضي اللَّه عنه : ﴿ **وفديناه بذبح عظيم** ﴾ قال : بكبش أبيض أعين أقرن ، قد ربط بسمرة ، قال أبو الطفيل : وجدوه مربوطًا بَسَمُرَة في ثَبِير ، وقال الثوري أيضًا(٥٤) : عن عبد اللَّه ابن عثمان بن خُثَيم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كبش قَد رعىٰ في الجنة أربعين خريفًا .

وقال ابن أبي حاتم(٥٥) : حدثنا أبي ، حدثنا يوسف بن يعقوب الصفار ، حدثنا داود العَطّار[١] ، عن ابن خثيم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : الصخرة التي بمنىٰ بأصل ثَبِير هي الصخرة التي ذبح عليها إبراهيم فداء ابنه ، هبط عليه من ثبير كبش أعين أقرن له ثغاء ،

---

(٥٣) - رواه ابن جرير (٨٦/٢٣) وجابر الجعفي ضعيف ، والخبر ذكره السيوطي في «الدرالمنثور» (٥٣٤/٥) وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٥٤) - إسناده هكذا حسن غير أني لم أقف على من دون الثوري ، وقد ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥٣٤/٥) وعزاه إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن جرير ، وهو عند الأخير في تفسيره (٨٧/٢٣) من طريق يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن عبدالله بن عيسى ، عن سعيد بن جبير به . وأخشى أن يكون «عبدالله بن عيسى» - وهو ثقة «كما في التقريب» - محرفاً من «عبدالله بن عثمان» أو أن يحيى بن يمان قد أخطأ في هذا الإسناد فإنه موسوم في «التقريب» بأنه : «صدوق يخطىء كثيراً» .

(٥٥) - وعزاه إلى ابن أبي حاتم السيوطي في «الدر المنثور» (٥٣٤/٥) وقد رواه الحاكم (٥٥٩/٢) من طريق الواقدي - وهو متروك ؛ غير أنه متابع من شيخ أبي حاتم - عن داود العطار به . وإسناده حسن ، وقد رواه ابن جرير في تفسيره (٨٦/٢٣) من طريق سفيان الثوري عن ابن خُثيم به مختصراً . والخبر زاد نسبته السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

---

[١] - في ز، خ : « القطار » .

فذبحه ، وهو الكبش الذي قرّبه ابن آدم فتقبل منه ، فكان مخزونًا حتىٰ فدي به إسحاق .

ورُوي أيضًا عن سعيد بن جبير أنه قال : كان الكبش يرتع في الجنة حتى تشقق عنه ثبير وكان عليه عِهْنٌ[١] أحمرُ . وعن الحسن البصري (٥٦) ؛ أنه [ ][٢] كان اسم[٣] كبش إبراهيم : جرير .

وقال ابن جريج : قال عبيد بن عمير : ذبحه بالمقام . وقال مجاهد : ذبحه بمنى عند المنحر . وقال هشيم (٥٧) : عن سيار ، عن عكرمة : إن ابن عباس كان أفتىٰ الذي جعل عليه نذرًا[٤] أن ينحر نفسه ، فأمره بمائة من الإبل . ثم قال بعد ذلك : [لو كنت أفتيته][٥] بكبش لأجزأه أن يذبح كبشًا ، فإن الله تعالىٰ قال في كتابه : ﴿ **وفديناه بذبح عظيم** ﴾ .

---

(٥٦) - رواه ابن جرير (٢٣/٨٧) بإسناد ضعيف إليه ونقله المصنف في قصص الأنبياء ، وقال : «لا يصح عنه» .

(٥٧) - رواه ابن جرير (٢٣/٨٦) حدثني يعقوب بن إبراهيم ثنا هشيم به . وهذا إسناد حسن من أجل سيار وهو ابن عبدالرحمن الصدفي ، فإنه «صدوق» كما في «التقريب» وقد رواه عبدالرزاق في «المصنف» (٨/ ١٥٩٠٥) - ومن طريقه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١/١١٩٩٥) ثنا معمر ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن عكرمة - أحسبه عن ابن عباس قال : من نذر أن ينحر نفسه أو ولده فليذبح كبشاً ، ثم تلا ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ ورواه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/٧٣) من طريق شعبة ، عن قتادة وخالد الحذاء عن عكرمة به نحوه . وجزم أنه عن ابن عباس ، وهذا أصح إسناداً ، ورواه عبدالرزاق أيضاً (٨/ ١٥٩٠٤) : أخبرني ابن جريج ، قال : أخبرني عطاء أن رجلاً جاء ابن عباس فقال : نذرت لأنحرن نفسي ، فقال ابن عباس ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ ثم تلا ﴿وفديناه بذبح عظيم﴾ ثم أمره بذبح كبش، وتابع عبدالرزاق ، سفيان الثوري عن ابن جريج به ، رواه الثوري في «الجامع» - ومن طريق الطبراني البيهقي ، وقد رواه البيهقي أيضاً من طريق عثمان بن عمر أنبأ ابن جريج به ، غير أن متنه : «أن رجلاً قال لابن عباس - رضي الله عنهما - إني نذرت أن أنحر بني...» بدلاً من نحر نفسه ، قال البيهقي : «رواية عثمان بن عمر خطأ » وقد رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١/١١٤٤٣) وفي «الأوسط» (١/رقم٢٠٨) والبيهقي من طريقين عن عبدالملك بن شعيب نا ابن وهب ، أخبرني الليث ، قال : قال يحيى بن سعيد الأنصاري : زعم ابن جريج أن عطاء بن أبي رباح حدثه أن رجلاً أتى ابن عباس ...الحديث وقال الطبراني : « لم يرو هذا الحديث عن يحيى بن سعيد إلا الليث ، ولا عن الليث إلا ابن وهب ، تفرد به : عبدالملك بن شعيب » كذا قال !! وتابعه أبو عبيدالله أحمد بن عبدالرحمن ابن أخي ابن وهب حدثني عمي عبدالله بن وهب به . رواه من هذا الوجه البيهقي والخبر ذكره الهيثمي في «المجمع» (٤/١٩٣) وقال :« رواه الطبراني في «الكبير» و «الأوسط» ....ورجاله رجال الصحيح » وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٥٣٥) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن مردويه .

---

[١] - في ز : « عهد » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .

[٣] - سقط من : ز، خ .

[٤] - سقط من : خ ، ز .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

والصحيح الذي عليه الأكثرون أنه فُدي بكبش . وقال الثوري(٥٨) : عن رجل ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وفديناه بذبح عظيم** ﴾ قال : وَعِل[١] .

وقال محمد بن إسحاق (٥٩) : عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن أنه كان يقول : ما فُدي إسماعيل إلا بتيس من الأرْوَىٰ أهبط عليه من ثبير .

وقد قال الإمام أحمد(٦٠) : حدثنا سفيان ، حدثني منصور ، عن خاله مسافع ، عن صفية بنت شيبة قالت : أخبرتني امرأة من بني سليم - وَلَدت عَامَّة أهل دارنا - أرسل رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم إلىٰ عثمان بن طلحة ، وقال[٢] مَرّة : إنها سألت عثمان : لم دعاك النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ؟ قال : قال : « **إني كنتُ رأيتُ قرني الكبش حين دخلت البيت ، فنسيت أن آمرك أن تخمّرهما ، فَخَمِّرْهما ، فإنه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء[٣] يشغل المصلي** » . قال سفيان : لم يزل[٤] قرنا الكبش معلقين[٥] في البيت حتىٰ احترق البيت ، فاحترقا .

وهذا دليل مستقل علىٰ أنه إسماعيل - عليه السلام - فإن قريشًا توارثوا قرني الكبش الذي فدىٰ به إبراهيم خلفًا عن سلف وجيلًا بعد جيل إلى أن بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم .

فصل في ذكر الآثار الواردة عن السلف في أن الذبيح من هو ؟

---

(٥٨) - رواه ابن جريج في تفسيره (٨٧/٢٣) ثنا أبو كريب ، ثنا معاوية بن هشام ، عن سفيان الثوري به وهذا إسناد ضعيف لجهالة شيخ الثوري ، وقد أورده المصنف في «قصص الأنبياء» وقال : «لايصح عنه» .

(٥٩) - ومن طريق ابن إسحاق رواه ابن جرير (٨٧/٢٣) وعمرو بن عبيد متهم بالكذب لا سيما في مروياته عن الحسن . راجع ترجمته في «التهذيب» .

(٦٠) - «المسند» (٦٨/٤) ، (٣٨٠/٥) ورواه عبدالرزاق في «المصنف» (٩٠٨٣/٥) - ومن طريقه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٣٩٦/٩) ومن طريق الطبراني - المزي في «تهذيب الكمال» (٤٢٤/٢٧/ترجمة مسافع» - وابن أبي شيبة في «المصنف» (٤٩٧/١) والحميدي في مسنده (١/رقم٥٦٥) وأبو داود في سننه ، كتاب : الحج (٢٠٣٠) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤٣٨/٢) كلهم من طريق سفيان - وهو ابن عيينة - به نحوه ، ورواية أبي داود : «عن صفية قالت : سمعت الأسلمية تقول لعثمان ..... » الحديث ورجاله كلهم ثقات ، وصفية بنت شيبة لها رؤية واختلف في صحبتها ، والأسلمية : قال ابن حجر في «التقريب» : «لاتعرف» وأثبت المزي صحبتها كما في «تهذيب الكمال» (٣٩٦/١٩/ت عثمان بن طلحة) وعثمان بن طلحة صحابي مشهور .

---

[١] - في ز : « وعلًا » .
[٢] - في ت : « قال » .
[٣] - سقط من : ز، خ .
[٤] - في ز ، خ: « تزل » .
[٥] - في خ ، ز : « معلقة » .

ذكر من قال : هو إسحاق :

قال حمزة الزيات(٦١) ، عن أبي ميسرة - رحمه الله - قال : قال يوسف - عليه السلام - للملك في وجهه : ترغب أن تأكل معي ، وأنا والله يوسف بن يعقوب نبي الله ، ابن إسحاق ذبيح الله ، ابن إبراهيم خليل الله .

وقال الثوري(٦٢) : عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل : أن يوسف - عليه السلام - قال للملك كذلك أيضًا .

وقال سفيان الثوري(٦٣) : عن زيد بن أسلم ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، عن أبيه قال : قال موسىٰ : يارب ؛ يقولون : يا إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، فبم قالوا ذلك ؟ قال : إن إبراهيم لم يعدل بي شيء قط إلا اختارني عليه . وإن إسحاق جاد لي بالذبح ، وهو بغير ذلك أجود . وإن يعقوب كلما زدته بلاء زادني حُسنَ ظن .

وقال شعبة (٦٤) : عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص قال : افتخر رجل عند ابن مسعود فقال : أنا فلان بن فلان ، ابن[١] الأشياخ الكرام . فقال عبد الله : ذاك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله ، ابن إبراهيم خليل الله .

---

(٦١) - رواه ابن جرير (٨٣/٢٣) بإسناد حسن إلى أبي ميسوة واسمه عمر بن شرحبيل .

(٦٢) - رواه ابن جرير (٨٣/٢٣) بإسناد صحيح إلى ابن أبي الهذيل واسمه عبدالله .

(٦٣) - رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٤٤٩/٧) وعبدالرزاق في تفسيره (١٥٤/٣) وابن جرير في تفسيره (٨٢/٢٣) والبيهقي في «الشعب» (١٠٠٠٨/٧) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٤٣/٢/مخطوط) من طرق عن سفيان به وإسناده صحيح وذكره السيوطي في «الدر المنثور (٥٣٠/٥) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد .

(٦٤) - رواه عبدالرزاق في تفسيره (١٥٢/٣) وابن جرير (٨١/٢٣) والطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ٨٩١٦) والحاكم (٥٥٩/٢) من طرق عن شعبة به وهذا إسناد صحيح إلى عبدالله بن مسعود كما قال المصنف وأعله الهيثمي في «المجمع» (٢٠٥/٨) بجهالة مشايخ الطبراني !! وهما متابعان ومعروفان .. والخبر ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥٣٠/٥) وعزاه إلى عبد بن حميد والطبراني . رواه الطبراني أيضًا (١٠/ ١٠٢٧٨) من طريق بقية بن الوليد عن شعبة عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبدالله عن النبي صلى الله عليه وسلم - أنه سئل من أكرم الناس قال : «يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله» وهذا إسناده ضعيف لانقطاعه بين أبي عبيدة وأبيه عبدالله بن مسعود وبهذا أعله الهيثمي في «المجمع» (٢٠٥/٨) وزاد أنه من رواية بقية وهو مدلس وعنعن ، غير أنه بقية متابع ، من معاوية بن حفص عن شعبة به . رواه ابن المظفر في «غرائب شعبة» (١٣٨/١) - كما في «الضعيفة» لأبي عبدالرحمن الألباني (١/رقم٣٣٤) - فعلته الأصلية الانقطاع وبالله التوفيق .

---

[١] - في خ : « من » .

وهذا صحيح إلىٰ ابن مسعود ، وكذا رَوَىٰ عكرمة(٦٥) ، عن ابن عباس أنه إسحاق . وعن أبيه العباس(٦٦) ، وعلي بن أبي طالب(٦٧) مثل ذلك . وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، والشعبي ، وعبيد بن عمير ، وأبو ميسرة ، وزيد بن أسلم ، وعبد اللَّه بن شقيق ، والزهري ، والقاسم بن أبي بَزَّة[١] ، ومكحول ، وعثمان بن[٢] حاضر ، والسدي ، والحسن ، وقتادة ، وأبو الهذيل ، وابن سابط ، وهو اختيار ابن جرير ، وتقدم روايته عن كعب الأحبار أنه إسحاق .

وهكذا روىٰ ابن إسحاق(٦٨) عن عبد اللَّه بن أبي بكر ، عن الزهري ، عن أبي سفيان ابن[٣] العلاء ابن جارية ، عن أبي هريرة ، عن كعب الأحبار ، أنه قال : هو إسحاق .

وهذه الأقوال - واللَّه أعلم - كلها مأخوذة عن كعب الأحبار ، فإنه لما أسلم في الدولة العُمَرية جعل يُحدّث عمر - رضي اللَّه عنه - عن كتبه ، فربما استمع له عمر - رضي اللَّه عنه - فترخَّص الناس في استماع ما عنده ، ونقلوا عنه غَثَّها وسمينها ، وليس بهذه[٤] الأمة - واللَّه أعلم - حاجة إلىٰ حرف واحد مما عنده . وقد حكىٰ البغوي هذا القول بأنه إسحاق : عن عمر ، وعلي ، وابن مسعود ، والعباس ، ومن التابعين : عن كعب الأحبار ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، ومسروق ، وعكرمة ، ومقاتل ، وعطاء ، والزهري ، والسدي قال : وهو إحدىٰ الروايتين عن ابن عباس .

وقد ورد في ذلك حديث - لو ثبت لقلنا به على الرأس والعين ، لكن لم يصح سنده - قال

(٦٥) - رواه ابن جرير (٨١/٢٣) والحاكم (٥٥٨/٢) من طرق عن داود بن أبي هند عن عكرمة به وهذا إسناد صحيح وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥٣١/٥) وزاد عزوه إلى الفريابي وسعيد بن منصور وعبد ابن حميد .

(٦٦) - يأتي تخريجه .

(٦٧) - رواه عبدالرزاق في تفسيره (١٥٢/٣) أنا رجل عن الحجاج بن أرطاة عن القاسم بن أبي بزة ، عن أبي الطفيل ، عن علي به . وهذا إسناد ضعيف لجهالة شيخ عبدالرزاق وضعف الحجاج بن أرطاة وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥٣١/٥) وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور وابن المنذر .

(٦٨) - ومن طريقه ابن جرير في تفسيره (٨١/٢٣) وتحرف فيه اسم شيخ ابن إسحاق من «عبدالله بن أبي بكر» إلى «عبدالرحمن بن أبي بكر» ووقع فيه تسمية شيخ الزهري . «العلاء بن حارثة الثقفي» وهو هنا : «أبو سفيان بن العلاء بن جارية» وكلاهما لم أهتد لترجمته وأظن أن الاسم محرف وصوابه «عمرو بن أبي سفيان ابن أسيد بن جارية الثقفي» وهذا مترجم في «التهذيب» ومذكور فيه روايته عن أبي هريرة ، ورواية الزهري عنه وقد تقدم الخبر مطولاً من طريقه فانظر رقم (٤٨) .

[١] - في خ : « برزة » .
[٢] - بعده في خ ، ز : « أبي » .
[٣] - في ز : « عن » .
[٤] - في ت : « لهذه » .

ابن جرير (٦٩) :

حدثنا أبو كريب، حدثنا زيد بن حُبَاب، عن الحسن بن دينار ، عن علي بن زيد بن جُدعان ، عن الحسن ، عن الأحنف بن قيس ، عن العباس بن عبد المطلب ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في حديث ذكره قال : « **هو إسحاق** » .

ففي إسناده ضعيفان ، وهما الحسن بن دينار البصري ؛ متروك ، وعلي بن زيد بن جُدْعان ، منكر الحديث . وقد رواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن مسلم بن إبراهيم ، عن حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد بن جُدْعان، به مرفوعًا . ثم قال[١] : قد رواه مبارك بن فضالة ، عن الحسن ، عن الأحنف ، عن العباس قوله ، وهذا أشبه وأصح .

ذكر الآثار الواردة بأنه إسماعيل - عليه السلام
وهو الصحيح المقطوع به

قد تقدمت الرواية عن ابن عباس أنه إسحاق ، [وقال][٢] سعيد بن جبير ، وعامر الشعبي ،

---

(٦٩) - ضعيف جداً .

تفسير ابن جرير (٨١/٢٣) ورواه البزار في مسنده (١٣٠٧/٤/[البحر الزخار]) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٤٢/٢/مخطوط) من طريق أبي كريب به ، غير أنه وقع في بعض روايات ابن عساكر عدم التصريح بذكر «الحسن بن دينار» فقال : « عن رجل أو شيخ من أهل البصرة ، عن علي بن زيد » وكناه البزار في روايته بـ «أبو سعيد» ولذلك لم يعرفه الهيثمي فقال في «المجمع» (٢٠٥/٨) : «رواه البزار من رواية أبي سعيد عن علي بن زيد ، وأبو سعيد لم أعرفه ، وعلي بن زيد ضعيف ، وقد وثق » غير أن ابن عدي اتهم به «أبو سعيد الحسن بن دينار» فاستنكره له في «الكامل» (٧١٣/٢) وقال : «وهذا الحديث بهذا الإسناد لا أعرفه إلا من حديث الحسن بن دينار» وقال البزار : «وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن العباس عن النبي صلى الله عليه وسلم - إلا من حديث أبي سعيد عن علي بن زيد ، وأبو سعيد هذا هو الحسن بن دينار وهو ليس بالقوي في الحديث ، وقد روى هذا الحديث حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن الحسن عن الأحنف بن قيس عن النبي صلى الله عليه وسلم . مرسلاً ولم يقل عن العباس ، وإنما ذكرنا هذا الحديث وإن كان الحسن لين الحديث لنبين أنه رفعه ، وأن الحديث له أصل من حديث حماد بن سلمة » وقد رواه من طريقه الحاكم في «المستدرك» (٥٥٦/٢) ثنا الحسن بن يعقوب العدل ، ثنا يحيى بن أبي طالب ، ثنا زيد بن الحباب ، عن حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد عن الحسن عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبدالمطلب به . ورواه ابن أبي حاتم - كما ذكر المصنف أعلاه - من طريق مسلم بن إبراهيم ، عن حماد بن سلمة به . هكذا مرفوعاً ومن رواية حماد بن سلمة وقال الحاكم : «حديث صحيح رواه الناس عن علي بن زيد بن جدعان تفرد به «ووافقه الذهبي !! وعلي بن زيد ضعيف وله مناكير وتابعه مبارك بن فضالة - وهو مثله في الضعف - فرواه البزار (١٣٠٨) من طريق مسلم بن إبراهيم نا مبارك عن الحسن عن الأحنف عن العباس مرفوعاً =

---

[١] - سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ت : « قال » .

ويوسف ابن مهران ، ومجاهد ، وعطاء ، وغير واحد ، عن ابن عباس (٧٠) : هو إسماعيل عليه السلام .

وقال ابن جرير (٧١) : حدثني يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني عمر بن قيس ، عن عطاء ابن أبي رباح ، عن ابن عباس أنه قال : المفدىٰ إسماعيل - عليه السلام - ، وزعمت اليهود أنه إسحاق ، وكذبت اليهود .

وقال إسرائيل(٧٢) عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر قال : الذبيح إسماعيل .

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد : هو إسماعيل . وكذا قال يوسف بن مهران .

وقال الشعبي : هو إسماعيل - عليه السلام - وقد رأيت قرني الكبش في الكعبة .

وقال محمد بن إسحاق(٧٣) عن الحسن بن دينار وعمرو بن عبيد ، عن الحسن البصري : أنه كان لايشك[١] في ذلك: أن الذي أُمِرَ بذبحه من ابني إبراهيم : إسماعيل .

قال ابن إسحاق (٧٤) : وسمعت محمد بن كعب القرظي وهو[٢] يقول : إن الذي أمر الله

= بلفظ «الذبيح إسحاق» قال الهيثمي في «المجمع» (٢٠٥/٨) : «فيه مبارك بن فضالة وقد ضعفه الجمهور» قال البزار : «وقد رواه جماعة عن المبارك بن فضالة عن الحسن عن الأحنف عن العباس موقوفاً» وهذا أشبه وأصح كما قال المصنف والله أعلم .

(٧٠) - انظر هذه الطرق في تفسير ابن جرير (٨٣/٢٣، ٨٤) وانظر «الدر المنثور» (٥٢٩/٥) وصححه الحاكم على شرط الشيخين من طريق الشعبي عنه ابن عباس به «المستدرك» (٥٥٥/٢) ووافقه الذهبي .

(٧١) - تفسير ابن جرير (٨٤/٢٣) ورواه الحاكم (٥٥٤/٢، ٥٥٥) من طريق بحر بن نصر الخولاني ، ثنا عبدالله بن وهب به ، وسكت عنه الحاكم ، قال الذهبي : «سمعه ابن وهب منه - يعني من عمر بن قيس - وهو هالك» وعمر بن قيس هنا هو المكي المعروف بـ «سندل » كذبه ابن معين في رواية وتركه أحمد وعمرو ابن علي والنسائي وأبو داود وأبو حاتم وقال البخاري : «منكر الحديث » وضعفه غير واحد .
والخبر ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥٢٩/٥) ولم يعزه لغير ابن جرير والحاكم .

(٧٢) - رواه ابن جرير (٨٣/٢٣) والحاكم (٢٥٤/٢) من طريقين عن إسرائيل به وسكت عنه الحاكم - ونقل السيوطي في «الدر المنثور» (٥٢٩/٥) تصحيحه عنه ، وقال الذهبي «ثوير بن أبي فاختة : واهٍ » ضعفه ابن معين وأبو حاتم وغيرهما وتركه الدارقطني وقال النسائي : «ليس بثقة» وقال أبو زرعة : « ليس بذاك القوي» وذكره السيوطي في «الدر المنثور» وزاد عزوه إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٧٣) - ومن طريق ابن إسحاق رواه ابن جرير (٨٤/٢٣) وإسناده لا يصح إلى الحسن البصري . الحسن بن دينار تركه غير واحد وعمرو بن عبيد متهم بالكذب لا سيما في مروياته عن الحسن ، والأول من رجال «لسان الميزان» والثاني من رجاله «التهذيب» .

(٧٤) - ومن طريق ابن إسحاق رواه ابن جرير (٨٤/٢٣) والحاكم (٥٥٥/٢) وذكره السيوطي في =

[١] - سقط من : ز ، خ. [٢] - سقط من : ز ، خ.

إبراهيم بذبحه من ابنيه إسماعيل . وإنا لنجد ذلك في كتاب الله ، وذلك أن الله حين فرغ من قصة المذبوح من ابني إبراهيم قال : ﴿ وبشرناه بإسحاق نبيًا من الصالحين ﴾ يقول الله تعالىٰ : ﴿ فبشرناه[١] بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴾ ، يقول : بابن وابن ابن ، فلم يكن ليأمره بذبح إسحاق وله فيه من الموعود ما وعده ، وما الذي أمر بذبحه إلا إسماعيل .

وقال ابن إسحاق (٧٥) : عن بُرَيدة بن سفيان بن فَرْوَةَ الأسلمي ، عن محمد بن كعب القرظي أنه حدثهم : أنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة إذ كان معه بالشام ، فقال له عمر : إن هذا لشيء ما كنت أنظر فيه ، وإني لأراه كما قلت . ثم أرسل إلىٰ رجل كان عنده بالشام ، كان يهوديًا فأسلم وحَسُن إسلامه ، وكان يرىٰ أنه من علمائهم ، فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك - قال محمد بن كعب : وأنا عند عمر بن عبد العزيز - فقال له عمر : أيّ ابني إبراهيم أُمِرَ بذبحه ؟ فقال : إسماعيل والله يا أمير المؤمنين ، وإن يهود لتعلم بذلك ، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب علىٰ أن يكون أباكم الذي كان من أمر الله فيه والفضل الذي ذكره الله منه لصبره لمَا أمر به ، فهم يجحدون ذلك ، ويزعمون أنه إسحاق ، بكون إسحاق أباهم[٢] ، والله أعلم أيهما كان ، وكلٌّ قد كان طاهرًا طيبًا مطيعًا لله - عز وجل - .

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله : سألت أبي عن الذبيح ، مَن هو ؟ إسماعيل أو إسحاق ؟ فقال : إسماعيل . ذكره في « **كتاب الزهد** » .

وقال ابن أبي حاتم : وسمعت أبي يقول : الصحيح أن الذبيح إسماعيل - عليه السلام -. قال : ورُوِيَ عن علي ، وابن عمر ، وأبي هريرة ، وأبي الطفيل ، وسعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، ومجاهد ، والشعبي ، ومحمد بن كعب القرظي ، وأبي جعفر محمد بن علي ، وأبي صالح أنهم قالوا : الذبيح إسماعيل .

وقال البغوي في تفسيره : وإليه ذهب عبد الله بن عمر ، وسعيد بن المسيب ، والسدي ، والحسن البصري ، ومجاهد ، والربيع بن أنس ، ومحمد بن كعب القرظي ، والكلبي ، وهو رواية عن ابن عباس ، وحكاه أيضًا عن أبي عمرو بن العلاء .

وقد روىٰ ابنُ جرير في ذلك حديثًا غريبًا فقال(٧٦) : حدثني محمد بن عمار الرازي ،

= «الدر المنثور» (٥٢٩/٥) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد .

(٧٥) - ومن طريق ابن إسحاق رواه ابن جرير (٨٤/٢٣، ٨٥) وبريدة بن سفيان الأسلمي «ليس بالقوي ، وفيه رفض» كذا في «التقريب» وابن إسحاق مدلس وقد عنعنه غير أنه رواه عن محمد بن كعب مباشرة دون واسطة ، وفيه تصريحه بالسماع لكن دون ذكر لعمر بن عبدالعزيز في الخبر انظر السابق .

(٧٦) - إسناده واهٍ =

---

[١] - في ز ، خ: « وبشرناها » . [٢] - في ز ، خ: « أبوهم » .

حدثنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة ، حدثنا عمر بن عبد الرحيم الخطابي ، عن عُبَيد اللَّه ابن محمد العُتْبي - من ولد عُتبة بن أبي سفيان - عن أبيه : حدثني عبد اللَّه بن سعيد ، عن الصُّنَابحي قال : كنا عند معاوية بن أبي سفيان ، فذكروا الذبيح : إسماعيل أو إسحاق ؟ فقال : علىٰ الخبير سَقَطْتُم ، كنا عند رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فجاءه رجل فقال : يا رسول اللَّه ، عُدْ علي مما أفاء اللَّه عليك يا ابن الذبيحين . فضحك رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم . فقيل له : يا أمير المؤمنين ، وما الذبيحان ؟ فقال : إن عبد المطلب لما أُمِر بحفر زمزم نذر للَّه إن سهل اللَّه أمرها عليه[١] ، ليَذْبَحَنّ أحدَ ولده ، قال : فخرج السهم علىٰ عبد اللَّه ، فمنعه أخواله وقالوا : افد ابنك بمائة من الإبل . ففداه بمائة من الإبل ، وإسماعيل الثاني .

وهذا حديث غريب جدًا ، وقد رواه الأموي في مغازيه : حدثنا بعض أصحابنا ، أخبرنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة ، حدثنا عمر بن عبد الرحمن القرشي ، حدثنا عبيد[٢] اللَّه بن محمد العتبي - من[٣] ولد عتبة بن أبي سفيان - حدثنا عبد اللَّه بن سعيد[٤] ، حدثنا الصنابحي قال : حضرنا مجلس معاوية ، فتذاكر القوم إسماعيل وإسحاق ، وذكره . كذا كتبته من نسخة [ ][٥] وإنما عَوّل ابنُ جرير في اختياره أن الذبيح إسحاق علىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ **فبشرناه[٦] بغلام حليم** ﴾ ، فجعل هذه البشارة هي البشارة بإسحاق في قوله : ﴿ **وبشروه بغلام عليم** ﴾ ، وأجاب عن البشارة بيعقوب بأنه قد كان بلغ معه السعي ، أي العمل ، ومن الممكن أنه قد كان ولد له أولاد مع يعقوب أيضًا ، قال : وأما القرنان اللذان كانا مُعلَّقين بالكعبة فمن الجائز أنهما نقلا من بلاد الشام . قال[٧] : وقد تقدم أن من الناس من ذهب إلىٰ أنه ذبح[٨] إسحاق هناك . هذا ما اعتمد عليه في تفسيره ، وليس ما ذهب إليه بمذهب ولا لازم ، بل هو[٩] بعيد جدًا ، والذي استدل به محمد بن كعب القرظي علىٰ أنه إسماعيل أثبت

= تفسير ابن جرير (٢٣/٨٥) وقد رواه الأموي - كما يذكره المصنف بعد هذا وعزاه له السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٥٢٩) - والحاكم في «المستدرك» (٢/٥٥٤) من طريق إسماعيل بن عبيد به ، وعند الحاكم تحريف في الإسناد يصوب من هنا وسكت عنه الحاكم وقال الذهبي :«إسناده واهٍ» وضعف إسناده السيوطي في «الدر المنثور» وزاد عزوه إلى الخلعي في فوائده - وبين علة ضعفه في «الفتاوى» (٢/٣٥) فقال : «هذا حديث غريب ، وفي إسناده من لا يعرف حاله» قلت : عبدالله بن سعيد جهله الذهبي في «ديوان الضعفاء» (ت/٢١٨١) وعمر بن عبدالرحيم والعتبي لم أهتد لترجمة لهما ، وانظر لزاماً «الضعيفة» لأبي عبدالرحمن الألباني (١/٣٣١) ، (٤/١٦٧٧) والله المستعان

[١] - سقط من : ز ، خ.
[٢] - في خ ، ز : « عبد » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في خ ، ز : « سعد » .
[٥] - بياض في : خ ، ز .
[٦] - في ز ، خ: « وبشرناه » .
[٧] - سقط من : ز، خ .
[٨] - في خ ، ز : « ذهب » .
[٩] - سقط من : ز، خ .

وأصح وأقوىٰ ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **وبشرناه بإسحاق نبيًّا من الصالحين** ﴾ ، لما تقدمت البشارة بالذبيح - وهو إسماعيل - عطف بذكر البشارة بأخيه إسحاق ، وقد ذكرت في سورتي « **هود** » و « **الحجر** » . وقوله : ﴿ **نبيًّا** ﴾ حال مقدرة[١] أي سيصير منه نبي من الصالحين .

وقال ابن جرير(٧٧) : حدثني يعقوب ، حدثنا ابن عُلَيّة ، عن داود ، عن عكرمة قال : قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : الذبيح إسحاق . قال : وقوله : ﴿ **وبشرناه بإسحاق نبيًّا من الصالحين** ﴾ ، قال : بشر بنبوته ، قال : وقوله : ﴿ **ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيًّا** ﴾ ، قال : كان هارون أكبر من موسىٰ ، ولكن أراد : وَهَب له نبوته .

وحدثنا ابن عبد الأعلىٰ(٧٨) ، حدثنا المعتمر بن سليمان قال[٢] : سمعتُ داود يُحدّث ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في هذه الآية : ﴿ **وبشرناه بإسحاق نبيًّا من الصالحين** ﴾ ، قال : إنما بُشّر به نبيًّا حين فداه الله من الذبح ، ولم تكن البشارة بالنبوة عند مولده .

وقال ابن أبي حاتم (٧٩) : حدثنا أبي ، حدثنا أبو نُعَيم ، حدثنا سفيان][٣] الثوري ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ **وبشرناه بإسحاق نبيًّا من الصالحين** ﴾ ، قال : بُشّر به حين ولد ، وحين نُبّئ .

وقال سعيد بن أبي عَرُوبَةَ (٨٠) : عن قتادة في قوله : ﴿ **وبشرناه بإسحاق نبيًّا من الصالحين** ﴾ ، قال : بعد ما كان من أمره ، لما جاد لله بنفسه وقال الله : ﴿ **وباركنا عليه وعلى إسحاق** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وباركنا عليه وعلىٰ إسحاق. ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين** ﴾ ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلىٰ أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يَمَسّهم منا عذاب أليم** ﴾ .

(٧٧) - (٧٨) - تفسير ابن جرير (٨٩،٨١) وإسناده صحيح وتقدم تخريجه برقم (٦١) .

(٧٩) - وعزاه إلى ابن أبي حاتم السيوطي في «الدر المنثور» (٥٣٦/٥) ورواه الحاكم (٥٥٧/٢) من طريق وكيع عن سفيان به . وقال : «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي وهو كما قالا ، وانظر السابق وقد زاد عزو هذا الخبر السيوطي إلى عبد حميد وابن أبي شيبة وابن المنذر» .

(٨٠) - تفسير ابن جرير (٨٩/٢٣) بإسناد صحيح إلى قتادة ، ورواه عنه أيضاً عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

[١] - في خ ، ز : « تقرره » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾﴾

يذكر تعالىٰ ما أنعم به علىٰ موسىٰ وهارون من النبوة والنجاة بمن آمن معهما ، من قهر فرعون وقومه ، وما كان يعتمده في حقهم من الإساءة العظيمة ، من قتل الأبناء واستحياء النساء ، واستعمالهم في أخسّ الأشياء . ثم بعد هذا كله نصرهم عليهم ، وأقر أعينهم منهم ، فغلبوهم وأخذوا أرضهم وأموالهم وما كانوا جمعوه طول حياتهم . ثم أنزل اللَّه علىٰ موسىٰ الكتاب العظيم الواضح الجلي المستبين ، وهو التوراة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولقد آتينا موسىٰ وهارون الفرقان وضياءً** ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ **وآتيناهما الكتاب المستبين * وهديناهما الصراط المستقيم** ﴾ أي : في الأقوال والأفعال ، ﴿ **وتركنا عليهما في الآخرين** ﴾ أي : أبقينا لهما من بعدهما ذكرًا جميلًا وثناءً حسنًا ثم فسره بقوله : ﴿ **سلامٌ على موسى وهارون إنا كذلك نجزي المحسنين. إنهما من عبادنا المؤمنين** ﴾ .

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾﴾

قال قتادة ومحمد بن إسحاق ، يقال : إلياس هو إدريس .

وقال ابن أبي حاتم[٨١] : حدثنا أبي ، حدثنا أبو نُعيم ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ،

(٨١) - وعزاه إلى ابن أبي حاتم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٥٣٧) ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٨٣/٣/مخطوط) وابن جرير وعبد بن حميد وابن المنذر وابن ماجه في «التفسير» - كما في «التهذيب» لابن حجر ترجمة (عبيدة بن ربيعة) وكذا في «الدر المنثور» - من طريق إسرائيل به وعلقه البخاري في صحيحه ، كتاب : الأنبياء ، باب (رقم٤) فقال : « ويذكر عن ابن مسعود وابن عباس أن إلياس هو =

عن عَبيدة بن ربيعة عن عبد اللّٰه بن مسعود رضي اللّٰه عنه قال : إلياس هو إدريس . وكذا قال الضحاك .

وقال وهب بن منبه: هو إلياس بن ياسين[١] بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران ، بعثه اللّٰه في بني إسرائيل بعد حزقيل - عليهما السلام - وكانوا قد عبدوا صنمًا يقال له : « **بعل** » ، فدعاهم إلىٰ اللّٰه ، ونهاهم عن عبادة ما سواه ، وكان قد آمن به ملكهم ثم ارتد ، واستمروا علىٰ ضلالتهم ، ولم يؤمن به منهم أحد . فدعا اللّٰه عليهم ، فحَبَس عنهم القَطْر ثلاث سنين ، ثم سألوه أن يكشف ذلك عنهم ، ووعدوه[٢] الإيمان به إن هم أصابهم المطر . فدعا اللّٰه لهم ، فجاءهم الغيث فاستمروا علىٰ أخبث ما كانوا عليه من الكفر ، فسأل اللّٰه أن يقبضه إليه . وكان قد نشأ علىٰ يديه اليسع بن أخطوب - عليه السلام - فأمر إلياس أن يذهب إلىٰ مكان[٣] كذا وكذا ، فمهما جاءه فليركبه [ولا يهبه][٤] ، فجاءته فرس من نار فركب ، وألبسه اللّٰه النور وكساه الريش ، وكان يطير مع الملائكة ملكًا إنسيًا سماويًا أرضيًا . هكذا حكاه وهب عن أهل الكتاب ، واللّٰه أعلم بصحته .

﴿ **إذ قال لقومه ألا تتقون** ﴾ ؟ أي : ألا تخافون الله في عبادتكم غيره ؟ ﴿ **أتدعون بعلًا وتذرون أحسن الخالقين** ﴾ ، قال ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، والسدي : بعلًا يعني : ربًّا .

قال قتادة وعكرمة : وهي لغة أهل اليمن . وفي رواية عن قتادة قال : هي لغة أزْد شَنُوءة .

وقال ابن إسحاق : أخبرني بعض أهل العلم أنهم كانوا يعبدون امرأة اسمها « **بعل** » .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه : هو اسم صنم كان يعبده أهل مدينة يقال لها : « **بعلبك** » ، غربي دمشق .

وقال الضحاك : هو صنم كانوا يعبدونه .

وقوله : ﴿ **أتدعون بعلًا** ﴾ ، أي : أتعبدون صنمًا ؟ ﴿ **وتذرون أحسن الخالقين * اللّٰه ربكم ورب آبائكم الأولين** ﴾ أي : هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له .

= إدريس» قال ابن حجر في «الفتح» (٣٧٣/٦) : «قول ابن مسعود وصله عبد بن حميد وابن أبي حاتم بإسناد حسن عنه .... وقول ابن عباس وصله جويبر في تفسيره عن الضحاك عنه ، وإسناده ضعيف ، ولهذا لم يجزم به البخاري وكذا لم يجزم بخبر ابن مسعود حيث أن عبيدة بن ربيعة لم يوثقه غير العجلي وابن حبان وقال ابن حجر نفسه «التقريب» . «مقبول» !! .

---

[١] - في خ : « نسبى » ، وفي ز : « تسبي» . [٢] - في ز ، خ: « فوعدوه » .

[٣] - سقط من : خ ، ز . [٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **فكذبوه فإنهم لمحضرون** ﴾ أي : للعذاب يوم الحساب ، ﴿ **إلا عباد اللّٰه المخلصين** ﴾ أي : الموحدين منهم ؛ وهذا استثناء منقطع من مثبت .

وقوله : ﴿ **وتركنا عليه في الآخرين** ﴾ أي : ثناءً جميلًا ، ﴿ **سلام علىٰ إلْ ياسِينَ** ﴾ ، كما يقال[١] في إسماعيل : إسماعين ، وهي لغة بني أسد . وأنشد بعض بني نمير[٢] في ضبٍّ صاده

يقول رب السوق لما جينا هذا ورب [البيت إسرائينا][٣]

ويقال : ميكال وميكائيل وميكائين ، وإبراهيم وإبراهام ، وإسرائيل وإسرائين ، وطور سيناء ، وطور سينين ، وهو موضع واحد ، وكل هذا سائغ .

وقرأ آخرون : « **سلام على إدريس**[٤] » . وهي قراءة عبد اللّٰه بن مسعود . وآخرون : « **سلام علىٰ آل ياسين** » ، يعني : آل محمد صلىٰ اللّٰه عليه وسلم .

وقوله : ﴿ **إنا كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين** ﴾ قد تقدم تفسيره .

إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾

يخبر تعالىٰ عن عبده ورسوله لوط - عليه السلام - أنه بعثه إلىٰ قومه فكذبوه ، فنجاه اللّٰه من بين أظهرهم هو وأهله ، إلا امرأته فإنها هلكت مع من هلك من قومها ، فإن اللّٰه تعالىٰ أهلكهم بأنواع من العقوبات ، وجعل محلتهم من الأرض بحيرة منتنة قبيحة المنظر والطعم والريح ، وجعلها بسبيل مقيم يمر بها المسافرون ليلًا ونهارًا ؛ ولهذا قال : ﴿ **وإنكم لتمرون عليهم مصبحين * وبالليل أفلا تعقلون** ﴾ أي : أفلا تعتبرون بهم ، كيف دمر اللّٰه عليهم ، وتعلمون أن للكافرين أمثالها ؟ !

وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ

---

[١] - في ز، خ : « قال » . [٢] - في خ ، ز : « تميم » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « أنس أبينا » . [٤] - في ز ، خ: « إل ياسين » .

ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾

وقد تقدمت قصة يونس - عليه السلام - في «**سورة الأنبياء**» وفي الصحيحين(٨٢) عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه قال: « **ما ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس ابن متىٰ** ». ونَسَبَه إلىٰ أمه وفي رواية قيل: « **إلى أبيه** ».

وقوله: ﴿ **إذ أبق إلىٰ الفلك المشحون** ﴾، قال ابن عباس: هو المُوقر. أي: المملوء بالأمتعة.

﴿ **فساهم** ﴾ أي: قارع، ﴿ **فكان من المدحضين** ﴾ أي: المغلوبين، وذلك أن السفينة تَلَعَّبَتْ بها الأمواج من كل جانب، وأشرفوا علىٰ الغرق، فتساهموا[١] علىٰ من تقع عليه القرعة يُلقىٰ في البحر، لتخف بهم السفينة، فوقعت القرعة علىٰ نبي اللَّه يونس - عليه الصلاة والسلام - ثلاث مرات، وهم يضنون به أن يلقىٰ من بينهم، فتجرد من ثيابه ليلقي نفسه وهم يأبون عليه ذلك. وأمر اللَّه تعالىٰ حوتًا من البحر الأخضر أن يشق البحار، وأن يلتقم يونس - عليه السلام - فلا يَهْشِمُ له لحمًا، ولا يكسر له عظمًا. فجاء ذلك الحوت وألقىٰ يونس - عليه السلام - نفسه، فالتقمه الحوت، وذهب به فطاف به البحار كلها. ولما استقر يونس في بطن الحوت، حسب أنه قد مات، ثم حرك رأسه ورجليه وأطرافه فإذا هو حي، فقام يصلي في بطن الحوت، وكان من جملة دعائه: « **يا رب، اتخذتُ لك مسجدًا في موضع لم يبلغه أحد من الناس** ». واختلفوا في مقدار ما لبث في بطن الحوت، فقيل: ثلاثة أيام. قاله قتادة. وقيل: جُمُعَة. قاله جعفر الصادق. وقيل: أربعين يومًا. قاله أبو مالك.

وقال مُجَالد، عن الشعبي: التقمه ضحًى، وقذفه عشية.

واللَّه أعلم بمقدار ذلك وفي شعر أمية بن أبي الصلت:

وَأَنْتَ بفضلٍ منْكَ نجَّيتَ يُونُسا   وَقَدْ بَاتَ في أضْعَاف حُوتٍ لَياليَا

وقوله: ﴿ **فلولا أنه كان من المسبحين * للبث في بطنه إلىٰ يوم يبعثون** ﴾، قيل: لولا ما تقدم له من العمل في الرخاء. قاله الضحاك بن قيس، وأبو العالية، ووهب بن منبه، وقتادة،

(٨٢) - صحيح البخاري: كتاب: الأنبياء (٤٣١٣) - وانظره بأطرافه عند رقم (٣٣٩٥) - ورواه أحمد (٢٤٢/١) ومسلم كتاب: الفضائل (١٦٧) (٢٣٧٧)، وأبو داود، كتاب: السنة (٤٦٦٩) من طريق شعبة عن قتادة عن أبي العالية عن ابن عباس مرفوعاً به.

[١] - في ت: « فساهموا ».

وغير واحد ، واختاره ابن جرير ، وقد ورد في الحديث الذي سنورده ما يدل على ذلك إن صح الخبر . وفي حديث عن[١] ابن عباس (٨٣) : « **تَعَرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة** » .

وقال ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، وعطاء بن السائب ، والسدي ، والحسن ، وقتادة : ﴿ **فلولا أنه كان من المسبحين** ﴾ يعني : المصلين . وصرح بعضهم بأنه كان من المصلين قبل ذلك ، وقال بعضهم : كان من المسبحين في جوف أبويه .

وقيل المراد : ﴿ **فلولا أنه كان من المسبحين** ﴾ هو قوله : ﴿ **فنادىٰ في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين * فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين** ﴾ ، قاله سعيد بن جبير وغيره .

وقال ابن أبي حاتم (٨٤) : حدثنا أبو عبيد الله ابن أخي ابن وهب ، حدثنا عمي ، حدثنا أبو صخر : أن يزيد الرقاشي حَدّثه : أنه سمع أنس بن مالك - ولا أعلم إلا أنّ[٢] أنسًا يرفع الحديث إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم - : « **أن يونس النبي صلىٰ الله عليه وسلم حين بدا له أن يدعو بهذه الكلمات وهو في بطن الحوت ، فقال : اللّهم ، لا إله إلا أنت سبحانك ، إني كنت من الظالمين . فأقبلت الدعوة تحف[٣] بالعرش ، قالت الملائكة : يا رب ، هذا صوت ضعيف معروف من بلاد بعيدة[٤] غريبة ؟ فقال : أما[٥] تعرفون ذلك . قالوا : يا رب ، ومن هو ؟ قال : عبدي يونس . قالوا : [عبدك يونس الذي][٦] لم يزل يرفع له عمل متقبل[٧] ، ودعوة مستجابة ؟ ! قالوا : يارب ، أو لا ترحم ما كان يصنع في الرخاء فتنجّيَه من البلاء ؟ قال : بلىٰ . فأمر الحوت فطرحه بالعراء** » .

---

(٨٣) - رواه أحمد (١/٢٩٣،٣٠٣) والترمذي ، كتاب : صفة القيامة (٢٥١٦) وأبو يعلى في مسنده (٤/٢٥٥٦) وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٤٢٥) والطبراني في «الدعاء» (٢/رقم٤٢) والبيهقي في «الشعب» (١/رقم ١٩٥) من طريق الليث بن سعد - مقروناً به ابن لهيعة عند الترمذي - عن قيس بن الحجاج عن حنش عن ابن عباس مرفوعاً بالحديث المشهور - « يا غلام ، إني أعلمك كلمات أحفظ الله يحفظك . . . » وليس فيه اللفظة التي هنا وهذه قد رواها أحمد (١/٣٠٧) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١/رقم١٢٦) من طريق نافع بن يزيد وابن لهيعة وكهمس بن الحسن وهمام عن قيس بن الحجاج به ورواه الآجري في «الشريعة» (١/رقم٤٥٠) من طريق يزيد بن أبي حبيب عن حنش به باللفظ الأول ، وقال الترمذي : «حديث حسن صحيح» - قال الحافظ أبو عبدة بن منده : « لهذا الحديث طرق - انظرها في ، المصدر الآتي ، و «السنة» لا بن أبي عاصم (٣١٦:٣١٨) - عن ابن عباس وهذا أصحها وهذا إسناد مشهور رواته «ثقات» - نقلاً من كتاب «نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي صلى الله عليه وسلم =

---

[١] - سقط من : ز ، خ.

[٢] - سقط من : ز،خ .

[٣] - في ز ، خ: « تجن » .

[٤] - سقط من : ز،خ .

[٥] - في خ ، ز : « ألا » .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٧] - في ز : « متقبلًا » .

ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب به . زاد ابن أبي حاتم : قال أبو صخر حُمَيد بن زياد : فأخبرني ابن قُسَيط وأنا أحدثه[١] هذا الحديث : أنه سمع أبا هريرة يقول : طرح بالعراء ، وأنبت الله عليه اليقطينة . قلنا : يا أبا هريرة ، وما اليقطينة ؟ قال : شجرة الدُّباء . قال أبو هريرة : وَهَيَّأ الله له أُرْوِيَّة[٢] وحشيةً تأكل من خشاش الأرض - أو قال : هشاش الأرض - قال : فتتفشح[٣] عليه فَتَرْوِيه من لبنها كل عَشية وبُكرة حتىٰ نَبَت .

وقال أمية بن أبي الصلت في ذلك بيتًا من شعره :

فأنبت يقطينًا عليه برحمةٍ   من الله لولا الله ألفى ضاحيًا

وقد تقدم حديث أبي هريرة(٨٥) مسندًا مرفوعًا في تفسير « **سورة الأنبياء** » ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **فنبذناه** ﴾ أي: ألقيناه ﴿ **بالعراء** ﴾، قال ابن عباس، وغيره: وهي الأرض التي ليس فيها[٤] نبت ولا بناء . قيل : علىٰ جانب دجلة . وقيل : بأرض اليمن . فالله أعلم .

﴿ **وهو سقيم** ﴾ أي : ضعيف البدن . قال ابن مسعود - رضي الله عنه - : كهيئة الفرخ ليس عليه ريش . وقال السدي : كهيئة الصبي يعني[٥] حين يولد ، وهو المنفوس . وقاله ابن

= لابن عباس» لابن رجب الحنبلي (ص ٣٠، ٣١) وقال ابن رجب هنا أيضاً وفي «جامع العلوم والحكم» (١/ ٤٨٣) : «وقد روى هذا الحديث عن ابن عباس من رواية جماعة . . . وفي أسانيدها جميعها مقال : وفي ألفاظها بعض الزيادة والنقص ، . . . وأجود أسانيده من رواية حنش عن ابن عباس ، وهو إسناد حسن لا بأس به» ومن هذا الوجه اختاره الضياء في «المختارة» (٨/١٢: ١٥) وصححه أبو عبدالرحمن الألباني كما في حاشية «السنة» (١/رقم ٣١٦) والله الموفق .

(٨٤) - . وقد تقدم عند المصنف (سورة الأنبياء/آية٨٧) كما هنا ، وكذا نقله في «قصص الأنبياء» له وقد عزاه لابن أبي حاتم أيضاً السيوطي في «الدر المنثور» (٤/٥٩٩) ، (٥/٥٤٠) وقد رواه ابن جرير (٢٣/١٠٠) حدثني يونس عن ابن وهب به ، وإسناده ضعيف ، لضعف يزيد الرقاشي ، لكن قواه المصنف بحديث أبي هريرة الآتي تخريجه - فقال في «القصص» عقب هذا الحديث «غريب من هذا الوجه ، ويزيد الرقاشي ضعيف ، لكن يتقوى بحديث أبي هريرة ، كما يتقوى ذلك بهذا والله أعلم » وقد تابع يزيد الرقاشي هنا يحيى بن العلاء عن حميد أبي صخر به : وفيه زيادة خبر أبي هريرة رواه من هذا الوجه عبدالرزاق في تفسيره (٣/١٥٦، ١٥٧) غير أن يحيى بن العلاء هذا مرمي بالوضع ، وقد روى خبر أبي هريرة ابن جرير (٢٣/ ١٠٣) من طريق آخر بإسناد حسن .

(٨٥) - تقدم عند المصنف (سورة الأنبياء/آية٨٧) من طريق محمد بن إسحاق عمن حدثه عن عبدالله بن رافع مولى أم سلمة ، قال : سمعت أبا هريرة يقول ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - «لما أراد الله حبس يونس في بطن الحوت . . . .» الحديث ومن طريق ابن إسحاق رواه ابن جرير (١٧/٨١) وهذا إسنادٌ ضعيف لجهالة شيخ ابن إسحاق . وقد رواه البزار في مسنده (٣/٢٢٥٤/كشف) (٢/١٥٠٢/زوائد ابن حجر)=

[١] - في ز : « أخدمه » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « فتتفسخ » .
[٤] - في ت : « بها » .
[٥] - سقط من : ت .

عباس ، وابن زيد أيضًا .

﴿ وأنبتنا عليه شجرة من يقطين ﴾ قال ابن مسعود(٨٦) ، وابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، ووهب بن منبه ، وهلال بن يَسَاف ، وعبد اللّٰه بن طاوس ، والسدي[١] ، وقتادة ، والضحاك ، وعطاء الخراساني ، وغير واحد - قالوا كلهم - : اليقطين هو القرع .

و[٢]قال هشيم(٨٧) عن القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبير : كل شجرة لا ساق لها فهي من اليقطين . وفي رواية عنه : كل شجرة تهلك[٣] من عامها[٤] فهي من اليقطين .

وذكر بعضهم في القرع فوائد ، منها : سرعة نباته ، وتظليلُ ورقه لكبره ، ونعومته ، وأنه لا يقربها الذباب ، وجودة أغذية ثمره ، وأنه يؤكل نيئًا ومطبوخًا بلبه وقشره أيضًا . وقد ثبت أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كان يُحبُّ الدباء ، ويتتبعه من حَوَاشي الصَّحْفة (٨٨) .

وقوله تعالىٰ : ﴿ وأرسلناه إلىٰ مائة ألف أو يزيدون ﴾ ، روىٰ شهر بن حوشب ، عن ابن عباس أنه قال : إنما كانت رسالة يونس بعد ما نبذه الحوت .

رواه ابن جرير(٨٩) [حدثني الحارث قال : حدثنا الحسن قال : حدثنا][٥] أبو هلال عن شهر

= ثنا بعض أصحابنا - عبيدالله بن سعيد وغيره - عن يعقوب بن إبراهيم حدثني أبي ، عن ابن إسحاق عن عبدالله بن رافع به هكذا - بدون واسطة ، وقال البزار : «لا نعلمه مرفوعاً بهذا اللفظ إلا بهذا الإسناد» وكأن عدم ذكر الواسطة من تدليس ابن إسحاق لا سيما وقد عنعنه ، وفيه أيضاً جهالة شيخ البزار ، وقد أعله الهيثمي في «المجمع» (١٠١/٧) بالعلتين فقال : «رواه البزار عن بعض أصحابه ولم يسمه !! وفيه ابن إسحاق وهو مدلس وبقية رجاله رجال الصحيح» ، وقال الحافظ ابن حجر :«هذا خبر منكر» وقد أورده السيوطي في «الدر المنثور» (٥٤١/٥) ولم يعزه لغير المذكورين هنا ، وانظر السابق .

(٨٦) - رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٤٥٩/٧) وابن أبي الدنيا في«كتاب العقوبات» (رقم ١٧١) في خير طويل عنه بإسناد صحيح إليه وقد رواه مختصرًا ابن جرير (١٠٢/٢٣،١٠٣) وأورده مطولاً السيوطي في «الدر المنثور» (٥٤١/٥) وزاد عزوه إلى أحمد في «الزهد» - ولم أجده في المطبوع منه - وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٨٧) - رواه ابن جرير (١٠٢/٢٣) والرواية الأخرى من طريق الأصبع بن زيد عن القاسم به ، وإسنادهما صحيح .

(٨٨) - صحيح البخاري ، كتاب : البيوع ، باب : الخياط (٢٠٩٢) وصحيح مسلم ، كتاب : الأشربة ، باب : جواز أكل المرق واستحباب أكل اليقطين . . . (١٤٤،١٤٥) (٢٠٤١) من حديث أنس بن مالك .

(٨٩) - تفسير ابن جرير (١٠٥/٢٣) وشهر بن حوشب ، ضعيف والخبر أورده السيوطي في «الدر المنثور»=

---

[١] - في ز ، خ: « النسائي » .
[٢] - سقط من : ز ، خ.
[٣] - في ز، خ : « يهلك » .
[٤] - في ز ، خ: « عليها » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز، خ : « حدثني » .

به .

وقال ابن أبي نَجِيح : عن مجاهد : أرسل إليهم قبل أن يلتقمه الحوت .

قلت : ولا مانع أن يكون الذين أرسل إليهم أولا أُمر بالعود إليهم بعد خروجه من الحوت ، فصدقوه كلهم وآمنوا به . وحكىٰ البغوي أنه أرسل إلىٰ أمة أخرىٰ بعد خروجه من الحوت ، كانوا مائة ألف أو يزيدون .

وقوله : ﴿ **أو يزيدون** ﴾ ، قال ابن عباس - في رواية عنه - : بل يزيدون ، وكانوا مائة وثلاثين ألفًا . وعنه : مائة ألف وبضعة وثلاثين ألفًا . وعنه : مائة ألف وبضعة وأربعين ألفًا .

وقال سعيد بن جبير : يزيدون سبعين ألفًا . وقال مكحول : كانوا مائة ألف وعشرة آلاف . رواه ابن أبي حاتم .

وقال ابن جرير (٩٠) : حدثنا محمد بن عبد الرحيم البرقي ، حدثنا عمرو بن أبي سلمة قال[١] : سمعت زُهَيرًا، عمن سمع أبا العالية قال[٢] : حدثني [ ][٣] أبي بن كعب أنه سأل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن قوله : ﴿ **وأرسلناه إلىٰ مائة ألف أو يزيدون** ﴾ قال : « **يزيدون عشرين ألفًا** » . ورواه الترمذي عن علي بن حُجْر ، عن الوليد بن مسلم ، عن زُهَير ، عن رجل ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب ، به ، وقال : غريب . ورواه ابن أبي حاتم من حديث زهير به .

قال ابن جرير : وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول في ذلك : معناه إلىٰ المائة الألف[٤] ، أو كانوا يزيدون عندكم ، يقول : كذلك كانوا عندكم .

وهكذا[٥] سلك ابن جرير هاهنا ما سلكه عند قوله تعالى : ﴿ **ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة** ﴾وقوله : ﴿ **إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية** ﴾ وقوله : ﴿ **فكان قاب قوسين أو أدنىٰ** ﴾ أن المراد ليس أنقص من ذلك بل أزيد .

= (٥٤٧/٥) وزاد عزوه إلى أحمد في «الزهد» ولم أجده في المطبوع منه - وعبد بن حميد وابن مردويه .

(٩٠) - تفسير ابن جرير (١٠٤/٢٣) ورواه الترمذي ، كتاب : التفسير (٣٢٢٩) من طريق الوليد ين مسلم عن زهير به ، وفوق ما فيه من الجهالة ، فإن رواية أهل الشام عن زهير - وهو ابن محمد التميمي - غير مستقيمة وهذه منها ، والحديث ضعفه الترمذي فقال : «حديث غريب » وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٥٤٧/٥) وزاد عزوه إلى ابن المنذر وابن مردويه وابن أبي حاتم .

[١] - سقط من : ز ، خ.
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « محمد بن » .
[٤] - في ز ، خ: « ألف » .
[٥] - في ز، خ : « هلا » .

وقوله : ﴿ **فآمنوا** ﴾ أي : فآمن هؤلاء القوم الذين أرسل إليهم يونس - عليه السلام - جميعهم ، ﴿ **فمتعناهم إلىٰ حين** ﴾ أي : إلىٰ وقت آجالهم ، كقوله : ﴿ **فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلىٰ حين** ﴾ .

فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾

يقول تعالىٰ منكرًا علىٰ هؤلاء المشركين في جعلهم للَّه البنات - سبحانه - ولهم ما يشتهون ، أي : من الذكور ، أي : يودون لأنفسهم الجيد . ﴿ **وإذا بشر أحدهم بالأنثىٰ ظل وجهه مسودًا وهو كظيم** ﴾ أي : يسوؤه ذلك ، ولا يختار لنفسه إلا البنين . يقول تعالىٰ : فكيف نسبوا إلىٰ اللَّه القسم الذي لا يختارونه لأنفسهم ؟ ولهذا قال : ﴿ **فاستفتهم** ﴾ أي : سلهم علىٰ سبيل الإنكار عليهم : ﴿ **ألربك البنات ولهم البنون** ﴾ ، كقوله : ﴿ **ألكم الذكر وله الأنثىٰ * تلك إذًا قسمة ضيزىٰ** ﴾ .

وقوله : ﴿ **أم خلقنا الملائكة إناثًا وهم شاهدون** ﴾ أي : كيف حكموا علىٰ الملائكة أنهم إناث وما شاهدوا خلقهم ؟ كقوله : ﴿ **وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون** ﴾ أي : يسألون عن ذلك يوم القيامة .

وقوله : ﴿ **ألا إنهم من إفكهم** ﴾ أي : من كذبهم ﴿ **ليقولون * ولد اللَّه** ﴾ أي : صدر منه الولد ، ﴿ **وإنهم لكاذبون** ﴾ . فذكر اللَّه عنهم في الملائكة ثلاثة أقوال في غاية الكفر والكذب : فأولًا جعلوهم بنات اللَّه ، فجعلوا للَّه ولدًا ، وجعلوا ذلك الولد أنثىٰ ، ثم عبدوهم من دون اللَّه . وكل[١] منها كاف في التخليد في نار جهنم .

ثم قال منكرًا عليهم : ﴿ **أصطفىٰ البنات علىٰ البنين** ﴾ ، أي : أيّ شيء يحمله علىٰ[٢] أن

---

[١] - في ز ، خ: « فكل » . [٢] - في ت : « عن » .

يختار البنات دون[١] البنين ؟ ! كقوله : ﴿ أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثًا إنكم لتقولون قولًا عظيمًا ﴾ ؛ ولهذا قال : ﴿ مالكم كيف تحكمون ﴾ ، أي : ما لكم عقول [تتدبرون بها][٢] ما تقولون ﴿ أفلا تذكرون * أم لكم سلطان مبين ﴾ أي : حجة علىٰ ما تقولونه ، ﴿ فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين ﴾ أي : هاتوا برهانكم علىٰ ذلك يكون مستندًا إلىٰ [كتاب مُنَزَّل][٣] من السماء عن الله أنه اتخذ ما تقولونه ، فإن ما تقولونه لا يمكن استناده[٤] إلىٰ عقل ، بل لا يُجَوِّزُه العقل بالكلية .

وقوله : ﴿ وجعلوا بينه وبين الجنة نسبًا ﴾ قال مجاهد (٩١) : قال المشركون : الملائكة بنات الله فسأل[٥] أبو بكر - رضي الله عنه - : فمن أمهاتهن ؟ قالوا : بنات سروات الجن . وكذا قال قتادة ، وابن زيد ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ ولقد علمت الجنة ﴾ أي : الذين نسبوا إليهم ذلك : ﴿ إنهم لمحضرون ﴾ ، أي : إن الذين قالوا ذلك لمحضرون في العذاب يوم الحساب لكذبهم في ذلك وافترائهم ، وقولهم الباطل بلا علم .

وقال العوفي (٩٢) : عن ابن عباس في قوله: ﴿ وجعلوا بينه وبين الجنة نسبًا ﴾ قال : زعم أعداء الله أنه تبارك وتعالىٰ [ ][٦] هو وإبليس أخوان . حكاه ابن جرير وقوله : ﴿ سبحان الله عما يصفون ﴾ أي : تعالىٰ وتقدس وتنزه عن أن يكون له ولد ، وعما يصفه به الظالمون الملحدون علوًّا كبيرًا .

وقوله : ﴿ إلا عباد الله المخلصين ﴾ استثناء منقطع ، وهو من مثبت ، إلا أن يكون الضمير في قوله : ﴿ عما يصفون ﴾ عائد إلىٰ جميع الناس ثم استثنىٰ منهم المخلصين ، وهم المتبعون للحق المنزل علىٰ كل[٧] نبي ومرسل . وجعل ابن جرير هذا الاستثناء من قوله : ﴿ إنهم لمحضرون... إلا عباد الله المخلصين ﴾ . وفي هذا الذي قاله نظر .

فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ (١٦١) مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَـٰتِنِينَ (١٦٢) إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ (١٦٣) وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ (١٦٤) وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ (١٦٦)

---

(٩١) - رواه ابن جرير (١٠٨/٢٣) بإسناد صحيح إلى مجاهد غير أن مجاهداً لم يسمع من أبي بكر والخبر عزاه السيوطي لغير واحدٍ فانظر «الدر المنثور» (٥٤٨/٥) .

(٩٢) - رواه ابن جرير (١٠٨/٢٣) والعوفي . ضعيف .

---

[١] - في خ : « على » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « تدبرون » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « من نزل » .
[٤] - في ز، خ : « إسناده » .
[٥] - في ز ، خ: « قال » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز، خ : « أنه » .
[٧] - سقط من : خ ، ز .

وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُواْ بِهِۦ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾

يقول تعالىٰ مخاطبًا للمشركين : ﴿ **فإنكم وما تعبدون * ما أنتم عليه بفاتنين * إلا من هو صال الجحيم** ﴾ أي : ما ينقاد لمقالكم وما أنتم عليه من الضلالة والعبادة الباطلة إلا من هو أضل منكم ممن ذُرئ للنار . ﴿ **لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون** ﴾ . فهذا الضرب من الناس هو الذي ينقاد لدين الشرك والكفر والضلالة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **إنكم لفي قول مختلف * يؤفك عنه من أفك** ﴾ أي[١] : إنما يضل به من هو مأفوك ومبطل .

ثم قال تعالىٰ مُنزِّهًا للملائكة مما نَسَبوا إليهم من الكفر بهم والكذب عليهم أنهم بنات اللَّه : ﴿ **وما منا إلا له مقام معلوم** ﴾ أي : [ ][٢] موضع مخصوص في السماوات ومقامات العبادة لا [يتجاوزه ولا يتعداه][٣] .

قال[٤] ابن عساكر (٩٣) في ترجمته لمحمد بن خالد ، بسنده إلىٰ عبد الرحمن بن العلاء بن سعد[٥] ، [عن أبيه][٦] - وكان ممن بايع يوم الفتح - أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم [ ][٧] قال يومًا لجلسائه : « **أطَّتِ السماء وحُقّ لها أن تَئِطّ ، ليس فيها موضع قَدَم إلا عليه ملك راكع أو ساجد** » . ثم قرأ : ﴿ **وإنا لنحن الصافون * وإنا لنحن المسبحون** ﴾ .

(٩٣) - رواه أبو عبدالله بن منده في «الصحابة» - كما في «أسد الغابة» لا بن الأثير (٤/٧٦) و «الإصابة» لابن حجر (٧/٤٠) - ومن طريق ابن منده ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٥/٢٧٧/مخطوط/ترجمة محمد بن خالد أبو جعفر الهاشمي» ، ورواه محمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١/رقم٢٥٥) وبإسناده نقله المصنف في تفسيره (سورة المدثر/آية ٣١) - وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٢/ورقة٢٢٢/ مخطوط) ، ثلاثتهم (ابن منده وأبو نعيم وابن نصر) من طريق محمد بن خالد أبي جعفر ، ثنا المغيرة بن عمر ابن عطية ، حدثني عمرو بن عوف ، حدثني سليمان بن أيوب - من بنى سالم بن عوف - حدثني عطاء بن زيد بن مسعود - من بنى الحبلي - حدثني سليمان بن عمرو بن الربيع بن سالم ، حدثني عبدالرحمن بن العلاء به . وذكره السيوطي «الدر المنثور» (٥/٥٤٩) ولم يعزه لغير ابن نصر وابن عساكر وقال المصنف - في الموضع المشار إليه سابقاً - «إسناده غريب جداً» قلت : وهو موضوع والمتهم به : «محمد بن خالد» هذا فقد كذبه أبو حاتم الرازي ، وله عن مالك خبر منكر ، واستنكره له ابن عساكر والذهبي في «الميزان» وتبعه ابن حجر =

[١] - سقط من : ز، خ . [٢] - ما بين المعكوفتين في ت : به .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ت : « يتجاوزه ولا يتعداه » .
[٤] - في ت : وقال . [٥] - في خ ، ز : « سعيد » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « أنه » .

وقال الضحاك في تفسيره (٩٤) : ﴿ **وما منا إلا له مقام معلوم** ﴾ قال : كان مسروق يَرْوي عن عائشة - رضي اللَّه عنها - أنها قالت : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **ما من السماء الدنيا موضع إلا عليه ملك ساجد أو قائم** » . فذلك قوله : ﴿ **وما منا إلا له مقام معلوم** ﴾ .

وقال الأعمش (٩٥) : عن [أبي إسحاق](*) ، عن مسروق، عن ابن مسعود - رضي اللَّه عنه - قال[١]: إن في السماوات لسماءً ما فيها موضع شبر إلا عليه جبهة ملك أو قدماه. ثم قرأ

= في «اللسان» ثم إن من فوقه لم أجد لهم تراجم في كتب الرجال ، لكن للحديث طريق آخر وهو الآتي:

(٩٤) - رواه ابن جرير في تفسيره (١١٢/٢٣) وأبو الشيخ في «كتاب العظمة» (٣/رقم٥٠٨) وابن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١/رقم٢٥٣) - ومن طريقه نقله المصنف في تفسيره سورة المدثر آية (٣١) - من طريقين عن أبي معاذ النحوي الفضل بن خالد ، ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك ابن مزاحم يقول . . . . . . فذكره وقال المصنف - في الموضع المشار إليه - : «وهذا مرفوع غريب جداً ولا تضر غرابته فقد قال أبو عبد الرحمن الألباني في الصحيحة (١٠٥٩/٣) هذا إسناد حسن في الشواهد ، رجاله ثقات غير الفضل بن خالد ، فقد ترجمه ابن أبي حاتم (٦١/٢/٣) من رواية ثقتين عنه ، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً» وأشار له البخاري في «التاريخ الصغير» (٢٩٥/٢) ووثقه ابن حبان «الثقات» (٧/٩) وقد أكثر عنه أبو منصور الأزهري في كتابه اللغوي «التهذيب» كما في «بغية الوعاة» للسيوطي (٢/٢٤٥) وشيخه عبيد بن سليمان الذي وثقه أبو عبدالرحمن !! لم يوثقه غير ابن حبان (٤٢٨/٨) ، وقال أبو حاتم الرازي : «لابأس به » وبهذا وسمه ابن حجر في «التقريب» فالحديث بهذا الإسناد لا شك أنه محتمل للتحسين جداً ، لا سيما وأن له شاهدين - دون ذكر الآية - من حديث أبي ذر عند أحمد (١٧٣/٥) والترمذي (٢٣١٢) وابن ماجه (٤١٩٠) وقال الترمذي : «حديث حسن غريب» وصححه الحاكم على شرط الشيخين (٤/ ٥٧٩) ووافقه الذهبي . والشاهد الثاني من حديث حكيم بن حزام عند ابن نصر (١/رقم ٢٥٠) والطبراني في «المعجم الكبير» (٣١٢٢/٣) وأبي الشيخ في «العظمة» (٥٠٩/٣) والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢/ ٤٣) وقصر في عزوه السيوطي جداً فلم يعزه في «الدر المنثور» (٥٥٠/٥) لغير ابن مردويه . وإسناده صحيح ، وانظر ما بعده .

(٩٥) - رواه عبدالرزاق في تفسيره (١٥٨/٣) وابن جرير (١١٢/٢٣) من طريق سفيان الثوري ، ورواه الفريابي - كما في «الدر المنثور» (٥٥٠/٥) - ومن طريقه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩٠٤٢/٩) من طريق قيس بن الربيع ، ورواه محمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١/رقم٢٥٤) - ومن طريقه نقله المصنف في تفسيره (سورة المدثر/آية٣١) ، وابن جرير ، والبيهقي في «الشعب» (١/رقم١٥٩) من طريق أبي معاوية محمد بن خازم ، ثلاثتهم (الثوري وقيس وأبو معاوية) عن الأعمش به ، وإسناده صحيح ، ولا تضر عنعنة الأعمش هنا ، إذ أن أبا معاوية من أثبت الناس فيه ، والأغرب أن يُعله الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٠١) بشيخ الطبراني !! وهو متابع والخبر زاد نسبته السيوطي إلى سعيد بن منصور ، وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(*) كذا وقع هنا ، والصواب : « أبي الضحى مسلم بن صبيح » .

[١] - سقط من : ز، خ .

عبد اللّه : ﴿ **وما منا إلا له مقام معلوم** ﴾ . وكذا قال سعيد بن جبير.

وقال قتادة : كانوا يصلون الرجال والنساء جميعًا ، حتىٰ نزلت : ﴿ **وما منا إلا له مقام معلوم** ﴾ ، فتقدم الرجال وتأخر النساء .

﴿ **وإنا لنحن الصافون** ﴾ أي : نقف صفوفًا في الطاعة ، كما تقدم عند قوله : ﴿ **والصافات صفًا** ﴾ ، قال ابن جريج[١] (٩٦) : عن الوليد بن عبد اللّه بن أبي مغيث قال : كانوا لا يصفون في الصلاة حتىٰ نزلت : ﴿ **وإنا لنحن الصافون** ﴾ ، فصفوا .

وقال أبو نضرة : كان عمر إذا أقيمت الصلاة استقبل الناس بوجهه ، ثم قال : أقيموا صفوفكم ، استووا قيامًا ، يريد اللّه بكم هَدْيَ الملائكة ، ثم يقول : ﴿ **وإنا لنحن الصافون**﴾ ، تأخر يا فلان ، تقدم يافلان ، ثم يتقدم فيكبر - رضي اللّه عنه . رواه ابن أبي حاتم ، وابن جرير(٩٧) .

وفي صحيح مسلم(٩٨) عن حذيفة - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **فُضلنا علىٰ الناس بثلاث : جُعلَت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وجعلت لنا الأرض مسجدًا ، وتربتها طهورًا** ...» . الحديث .

﴿ **وإنا لنحن المسبحون** ﴾ أي : نصطف فنسبح الرب ونمجده ونقدسه وننزهه عن النقائص ، فنحن عبيد له ، فقراء إليه ، خاضعون لديه .

وقال ابن عباس ، ومجاهد : ﴿ **وما منا إلا له مقام معلوم** ﴾ : الملائكة ، ﴿ **وإنا لنحن الصافون** ﴾ : الملائكة ، ﴿ **وإنا لنحن المسبحون** ﴾ : الملائكة يسبحون اللّه ، عز وجل .

وقال قتادة : ﴿ **وإنا لنحن المسبحون** ﴾ يعني : المصلون ، يثبتون[٢] بمكانهم من العبادة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا سبحانه بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضىٰ وهم من خشيته مشفقون * ومن يَقُلْ منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي**

---

(٩٦) - رواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/٥٥٠) - ورواه عبدالرزاق في «المصنف» (٢/٢٤٢٣) عن ابن جريج قال : حدثت أنهم كانوا لا يصفون حتى نزلت (وإنا لنحن الصافون . وإنا لنحن المسبحون».

(٩٧) - رواه ابن جرير (١١٢/٢٣) حدثني يعقوب بن إبراهيم ، ثنا ابن علية ، أخبرنا الجريري عن أبي نضرة به وهذا إسناد رجاله ثقات ، رجال الشيخين غير أنهم لم يذكروا رواية لأبي نضرة - واسمه المنذر ابن مالك العبدي - عن عمر بن الخطاب ، فالإسناد منقطع .

(٩٨) - تقدم تخريجه في فاتحة هذه السورة (رقم٤) .

---

[١] - في خ ، ز : « جرير » .

[٢] - في ز ، خ: « ينبيون » .

الظالمين ﴾.

وقوله : ﴿ **وإن كانوا ليقولون * لو أن عندنا ذكرًا من الأولين * لكنا عباد الله المخلصين** ﴾ أي : قد كانوا يتمنون قبل أن تأتيهم يا محمد لو كان عندهم من يذكرهم بأمر الله ، وما كان من أمر القرون الأولىٰ ، ويأتيهم بكتاب الله ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدىٰ من إحدىٰ الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورًا** ﴾ ، وقال : ﴿ **أن تقولوا إنما أنزل الكتاب علىٰ طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين * أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدىٰ ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصَدَف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون** ﴾ ، ولهذا قال هاهنا : ﴿ **فكفروا به فسوف يعلمون** ﴾ ، وعيد أكيد وتهديد شديد ، علىٰ كفرهم بربهم سبحانه وتعالىٰ وتكذيبهم رسوله صلىٰ الله عليه وسلم .

وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين** ﴾ أي : تقدم في الكتاب الأول أن العاقبة للرسل وأتباعهم في الدنيا والآخرة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد** ﴾ ولهذا قال : ﴿ **ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * إنهم لهم المنصورون** ﴾ أي : في الدنيا والآخرة . كما تقدم بيان نصرتهم علىٰ قومهم ممن كذبهم وخالفهم ، و[١]كيف أهلك الله[٢] الكافرين ، ونجىٰ عباده المؤمنين ، ﴿ **وإن جندنا لهم الغالبون** ﴾ [أي : تكون لهم العاقبة . وقوله جل وعلا][٣] : ﴿ **فتول عنهم حتىٰ حين** ﴾ أي : اصبر علىٰ أذاهم لك ، وانتظر إلىٰ وقت مؤجل ، فإنا سنجعل لك العاقبة والنصرة والظفر ، ولهذا قال [بعضهم : غيًا ذلك إلى يوم بدر وما بعدها أيضًا في معناها .

وقوله][٤] : ﴿ **وأبصرهم فسوف يبصرون** ﴾ أي : انظرهم وارتقب ماذا يحل بهم من العذاب والنكال علىٰ مخالفتك وتكذيبك ؛ ولهذا قال علىٰ وجه التهديد والوعيد : ﴿ **فسوف**

---

[١] - سقط من : ز ، خ.
[٢] - سقط من : ز ، خ.
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

يبصرون ﴾ . ثم قال -عز وجل- : ﴿ **أفبعذابنا يستعجلون** ﴾ أي : هم إنما يستعجلون العذاب لتكذيبهم وكفرهم ، فإن اللّه يغضب عليهم بذلك ، ويعجل[١] لهم العقوبة ، ومع هذا أيضًا كانوا من كفرهم وعنادهم يستعجلون العذاب والعقوبة ، قال اللّه تعالىٰ : ﴿ **فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين** ﴾ أي : فإذا نزل العذاب بمحلتهم ، فبئس ذلك اليوم يومُهم ، بإهلاكهم ودمارهم[٢] .

قال السدي : ﴿ **فإذا نزل بساحتهم** ﴾ يعني : بدارهم ، ﴿ **فساء صباح المنذرين** ﴾ أي : فبئس ما يصبحون ، أي : بئس الصباح صباحهم ؛ ولهذا ثبت في الصحيحين(٩٩) من حديث إسماعيل بن عُلَية ، عن عبد العزيز بن صُهَيب ، عن أنس رضي اللّه عنه قال : صَبَّح رسولُ اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم خيبر ، فلما خرجوا بفئوسهم ومساحيهم و[٣]رأوا الجيش ، رجعوا وهم[٤] يقولون : محمد واللّه ، محمد والخميس . فقال النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **اللّه أكبر خَربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين** » .

ورواه البخاري(١٠٠) من حديث مالك عن حميد عن أنس .

وقال الإمام أحمد (١٠١) : حدثنا رَوح ، حدثنا سعيد بن أبي عَرُوبة ، عن قتادة ، عن أنس ابن مالك ، عن أبي طلحة قال : لما صَبَّح رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم خيبر ، وقد أخذوا مساحيَهم وغَدَوا إلىٰ حروثهم وأرضيهم ، فلما رأوا النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم ولوا مدبرين ، فقال نبي اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : [« **اللّه أكبر ، اللّه أكبر**][٥] ، **إنا إذا نزلنا بساحة قوم**

---

(٩٩) - صحيح البخاري ، كتاب : الصلاة : باب ، ما يذكر في الفخذ . . . . (٣٧١) ، وصحيح مسلم ، كتاب : النكاح ، باب : فضيلة إعتاقه أمته ثم يتزوجها (٨٤) (١٣٦٥) وأبو داود ، كتاب : الخراج والإمارة والفيء ، باب : ما جاء في سهم الصيفي (٢٩٩٨) والنسائي ، كتاب : النكاح ، باب : البناء في السفر (٦/ ١٣١) وأحمد (٣/١٠١،١٨٦) من طرق عن إسماعيل بن علية به .

(١٠٠) - صحيح البخاري ، كتاب : الجهاد ، باب : دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - الناس إلى الإسلام والنبوة . . . . (٢٩٤٥) - وهو في «موطأ مالك» كتاب ، الجهاد باب : ما جاء في الخيل والمسابقة بينها . . . . (رقم٤٨) (٢/٣٧٣) ومن طريق مالك أخرجه أيضاً الترمذي ، كتاب : السير ، باب في البيات والغادات : والنسائي في الكبرى ، كتاب / السير باب : وقت الغارة (٨٥٩٨) .

(١٠١) - «المسند» (٤/٢٨،٢٩) ورواه أحمد أيضاً (٤/٢٨) من طريقين عن شيبان عن قتادة به ، و إسناده صحيح على شرط الشيخين كما قال المصنف ، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٦/١٥٢) وقال : « رواه أحمد والطبراني بأسانيد ورجال أحمد رجال الصحيح» ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» كتاب : المغازي ، =

---

[١] - في ز ، خ: « ويجعل » .
[٢] - في ز : « وبإدمارهم » .
[٣] - في ز ، خ : « فلما » .
[٤] - سقط من : ت .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

فساء صباح المنذرين ». لم يخرجوه من هذا الوجه، وهو صحيح على شرط الشيخين .

وقوله : ﴿ **وتول عنهم حتىٰ حين * وأبصر فسوف يبصرون** ﴾ تأكيد لما تقدم من الأمر بذلك .

سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾

ينزه تعالىٰ نفسه الكريمة ويقدسها ويبرئها عما يقوله الظالمون المكذبون المعتدون[١] - تعالىٰ وتقدس عن قولهم علوًّا كبيرًا - ولهذا قال : ﴿ **سبحان ربك رب العزة** ﴾ أي : ذي العزة التي لا تُرَام ، ﴿ **عما يصفون** ﴾ أي : عن قول هؤلاء المعتدين المفترين ، ﴿ **وسلام علىٰ المرسلين** ﴾ أي : سلام اللَّه عليهم في الدنيا والآخرة ، لسلامة ما قالوه في ربهم ، وصحته وحَقّيَّته[٢] ، ﴿ **والحمد للّه رب العالمين** ﴾ أي : له الحمد في الأولىٰ والآخرة في كل حال . ولما كان التسبيح يتضمن التنزيه والتبرئة من[٣] النقص بدلالة المطابقة ، ويستلزم إثبات الكمال ، كما أن الحمد يدل علىٰ إثبات صفات الكمال مطابقة ، ويستلزم التنزيه من النقص - قرن بينهما في هذا الموضع ، وفي مواضع كثيرة من القرآن ؛ ولهذا قال : ﴿ **سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام علىٰ المرسلين * والحمد للّه رب العالمين** ﴾ .

وقال سعيد بن أبي عَرُوبة عن قتادة قال : قال[٤] رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إذا سلمتم عليّ فسلموا علىٰ المرسلين ، فإنما أنا رسول من المرسلين** » .

هكذا[٥] رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث سعيد عنه كذلك (١٠٢) ، وقد أسنده ابن أبي حاتم رحمه اللّه فقال (١٠٣) : حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد ، حدثنا أبو بكر الأعين ، ومحمد

= باب : غزوة خيبر (٥٢١/٨) ثنا يزيد بن هارون نا ابن عوف عن عمرو بن سعيد عن أبي طلحة به وهذا إسناد صحيح أيضاً .

(١٠٢) - رواه ابن جرير (١١٦/٢٣) ثنا بشر ، ثنا يزيد ، ثنا سعيد به ، وهذا إسناد منقطع وقد ذكره من هذا الوجه السيوطي في «الدر المنثور» (٥٥٣/٥) وزاد نسبته إلى عبدالرزاق - وهو غير موجود في تفسيره المطبوع - وعبد بن حميد وابن المنذر وكذا ابن أبي حاتم . وانظر ما بعده .

(١٠٣) - ورواه ابن سعد وابن مردويه - كما في الدر المنثور (٥٥٣/٥) - من طريق سعيد عن قتادة به ، ورجاله ثقات رجال الصحيحين ، غير أن قتادة مدلس ولم يصرح فيه بالسماع ورواه ابن مردويه أيضًا كما في الدر المنثور من طريق أبي العوام عن قتادة عن أنس مرفوعًا ، وفيه نفس العلة المشار إليها .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في خ ، ز : « وحقيقته » .
[٣] - في ز، خ : « و » .
[٤] - سقط من : ز ، خ.
[٥] - في ز، خ : « هذا » .

بن عبد الرحيم - صاعقة - قالا : حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا شيبان[١] ، عن قتادة قال : حدّث أنس بن مالك ، عن أبي طلحة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إذا سلمتم عليّ فسلموا علىٰ المرسلين** » .

و[٢]قال الحافظ أبو يعلى(١٠٤) : حدثنا محمد بن أبى بكر، حدثنا نوح[٣] وحدثنا أبو هارون، عن أبي سعيد ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه كان إذا سَلَّم قال : « **سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام علىٰ المرسلين والحمد لله رب العالمين** » . ثم يسلم . إسناده ضعيف .

وقال ابن أبي حاتم (١٠٥) : حدثنا عمار بن خالد الواسطي ، حدثنا شبابة ، عن يونس بن أبي إسحاق ، عن الشعبي قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **من سره أن يكتال بالمكيال الأوفىٰ من الأجر يوم القيامة ، فليقل آخر مجلسه حين يريد أن يقوم : ﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام علىٰ المرسلين * والحمد لله رب العالمين ﴾** » .

وروي من وجه آخر متصل موقوف علي عليّ - رضي الله عنه - :

---

(١٠٤) - لم أجده في المسند لأبي يعلى بهذا الإسناد ، وإنما رواه (٢/ رقم ١١١٨) ثنا إسحاق ، ثنا حماد - وهو ابن سلمة - عن أبي هارون نحوه ، ورواه الطيالسي في مسنده (رقم ٢١٩٨) ثنا حماد بن سلمة به وعنده : أنه كان يقول ذلك ثلاث مرات .

ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٣٧/١) ثنا هشيم ، وعبد بن حميد في المنتخب (٩٥٦) أخبرنا علي بن عاصم ، ورواه أيضًا (٩٥٤) والطبراني في الدعاء (٢/رقم ٦٥١) وأبو بكر بن السُّنِّيّ في عمل اليوم والليلة (رقم ١١٩) من طريق سفيان الثوري ، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٣٨/١٣) من طريق مُطَرِّف بن طريف ، أربعتهم (هشيم وعلي والثوري ومطرف عن أبي هارون به وذكره الهيثمي في المجمع (٢/ ١٥٠،١٥١) ووقع عنده : عن أبي هريرة قال : قلنا لأبي سعيد وهذا محرف وصوابه : عن أبي هارون ... وكأن هذا تحرف على الهيثمي ولذلك قال : رواه أبو يعلي ، ورجاله ثقات ونقل ذلك عنه أبو الأشبال في حاشيته على جامع الترمذي ولم ينبه على تصحيفه !! فجلّ من لا يسهو !!!! وأبو هارون العبدي - واسمه عمارة بن جوين البصري - متروك ، وكذبه ابن معين وحماد بن زيد وغيرهما ولذلك علقه الترمذي في الجامع (٩٧/٢/ تحت حديث رقم ٢٩٩) بصيغة التحريض ، وقد ذكر هذا الحديث ابن حجر في نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار (٢٩٠/٢) وقال : مدارُ هذا الحديث على أبي هارون ... وهو ضعيف جدًّا ، اتفقوا على تضعيفه ، وكذبه بعضهم وأورده السيوطي في الدر المنثور (٥٥٣/٥) وزاد نسبته إلى سعيد ابن منصور وابن مردويه والدارقطني في الأفراد وانظر ما بعده :

(١٠٥) - وعزاه إلى ابن أبي حاتم السيوطي في الدر المنثور (٥٥٤/٥) ورجاله ثقات رجال الصحيح غير أنه مرسل والمرسل من أقسام الضعيف ، وقد ورد من وجه آخر متصلًا موقوفًا على علي بن أبي طالب ، فانظر الأتي :

---

[١] - في خ ، ز : « شيبة » .

[٢] - سقط من : ز . [٣] - في خ ، ز : « فرج » .

قال أبو محمد البغوي في تفسيره : أخبرنا أبو سعيد أحمد بن شريح ، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي ، أخبرني ابن منجويه ، حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان ، حدثنا إبراهيم بن سهلويه ، حدثنا علي بن محمد الطنافسي ، حدثنا وكيع ، عن ثابت بن أبي صفية ، عن الأصبغ بن نباتة ، عن علي رضي اللّٰه عنه قال : من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفىٰ من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه في[1] مجلسه : ﴿ **سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام علىٰ المرسلين * والحمد للّٰه رب العالمين** ﴾ .

وروى الطبراني(١٠٦) من طريق عبد الله بن صخر [بن أنس][2] عن عبد اللّٰه بن زيد بن أرقم ، عن أبيه ، عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أنه قال : « **من قال دُبُر كل صلاة : ﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام علىٰ المرسلين * والحمد للّٰه رب العالمين ﴾ ، ثلاث مرات ، فقد اكتال بالجَرِيب الأوفى من الأجر** » .

وقد وردت أحاديث(١٠٧) في كفارة المجلس : « **سبحانك اللّٰهم وبحمدك ، لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك** » .

وقد أفردت لها جزءًا على حدة ، فليكتب هاهنا إن شاء الله تعالى .

[آخر تفسير سورة الصافات]

---

(١٠٦) - المعجم الكبير للطبراني (٥/٥١٢٤) ثنا أحمد بن رشدين المصري ، ثنا عبد المنعم بن بشير الأنصاري ، ثنا عبد الله بن محمد الأنسي من ولد أنس - كذا - عن عبد الله بن زيد به ، وعبد الله بن محمد - أو ابن صخر كما هنا - لم أجد له ترجمة هو وشيخه عبد الله بن زيد ، ثم إن عبد المنعم بن بشير هذا جرحه يحيى بن معين واتهمه . وقال ابن حبان : منكر الحديث جدًّا ، لا يجوز الاحتجاج به ، وقال ابن عدي : عامة ما يرويه لا يتابع عليه ، وقال الخليلي في الإرشاد : هو وضاع على الأئمة . راجع ترجمته في الميزان واللسان - وبه أعله الهيثمي ، فأورده في المجمع (١٠/١٠٥،١٠٦) وقال : رواه الطبراني وفيه عبدالمنعم بن بشير ، وهو ضعيف جدًّا . والحديث أورده المنذري في الترغيب والترهيب والسيوطي في الدر المنثور (٥/٥٥٤) ولم يعزياه لغير الطبراني .

(١٠٧) - فمن ذلك حديث أبي هريرة عند الترمذي ، كتاب الدعوات (٣٤٣٣) وقال : حديث حسن صحيح غريب . وصححه أيضًا الحاكم (١/٥٣٦) ووافقه الذهبي ، وكذا صححه ابن حبان (٢/٥٩٤) ، وهو عند أبي داود (٤٨٥٧،٤٨٥٨) من وجه آخر بإسناد صحيح ، وفي الباب عن جبير بن مطعم عند الطبراني في الكبير (٢/١٥٨٦) وصححه الحاكم (١/٥٣٧) ووافقه الذهبي ، ومن حديث أبي برزة الأسلمي عند أبي داود (٤٨٥٩) والحاكم (١/٥٣٧) والدارمي (٢/٢٨٣) وإسناده صحيح : وآخر من حديث رافع ابن خديج عند الطبراني (٤/٤٤٤٥) والحاكم وإسناده حسن .

---

[١] - في ز، خ : « من » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « الأنسي » .

تفسير سورة ص

وهي مكية

﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ (١) بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ (٢) كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ (٣) ﴾

أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم في أول « **سورة البقرة** ». بما أغنىٰ عن إعادته هاهنا .

وقوله : ﴿ **والقرآن ذي الذكر** ﴾ أي : والقرآن المشتمل على ما فيه ذكر للعباد ونفع لهم في المعاش والمعاد . قال الضحاك في قوله : ﴿ **ذي الذكر** ﴾ ، كقوله : ﴿ **لقد أنزلنا إليكم كتابًا فيه ذكركم** ﴾ ، أي : تذكيركم . وكذا قال قتادة ، واختاره ابن جرير .

وقال ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وإسماعيل بن أبي خالد ، وابن عيينة ، وأبو حصين ، وأبو صالح ، والسدي : ﴿ **ذي الذكر** ﴾ : ذي الشرف ، أي : ذي الشأن والمكانة .

ولا منافاة بين القولين فإنه كتاب شريف مشتمل على التذكير والإعذار والإنذار ، واختلفوا في جواب هذا القسم ، فقال بعضهم : هو قوله : ﴿ **إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب** ﴾ . وقيل : قوله : ﴿ **إن ذلك لحق تخاصم أهل النار** ﴾ ، حكاهما ابن جرير ، [وهذا الثاني فيه بُعد كبير ، وَضَعَّفَه ابن جرير][١] .

وقال قتادة : جوابه : ﴿ **بل الذين كفروا في عزة وشقاق** ﴾ ، [واختاره ابن جرير][٢] .

وقيل : جوابه ما تضمنه سياق السورة بكمالها ، والله أعلم .

ثم حكىٰ ابن جرير عن بعض أهل العربية[٣] أنه قال : جوابه : « **ص** » بمعنىٰ[٤] : صدق حق والقرآن ذي الذكر .

وقوله : ﴿ **بل الذين كفروا في عزة وشقاق** ﴾ أي : إن في هذا القرآن لذكرًا[٥] لمن يتذكر ، وعبرة لمن يعتبر . وإنما لم ينتفع به الكافرون لأنهم ﴿ **في عزة** ﴾ أي : استكبار عنه وحمية ، ﴿ **وشقاق** ﴾ أي : مخالفة له ومعاندة ومفارقة .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ت : « العلم » .
[٤] - سقط من : خ ، ز .
[٥] - في ز : « لذكر » .

ثم خوفهم ما أهلك به الأمم المكذبة قبلهم بسبب مخالفتهم للرسل وتكذيبهم الكتب المنزلة من السماء ، فقال : ﴿ **كم أهلكنا من قبلهم من قرن** ﴾ أي : من أمة مكذبة ، ﴿ **فنادوا** ﴾ أي : حين جاءهم العذاب استغاثوا وجَأَرُوا إلىٰ اللّٰه ، وليس ذلك بمُجدٍ عنهم شيئًا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون** ﴾ أي : يهربون ، ﴿ **لا تركضوا وارجعوا إلىٰ ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون** ﴾ .

قال أبو داود الطيالسي(١) : حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن التميمي ، قال : سألت ابن عباس عن قول اللّٰه : ﴿ **فنادوا ولات حين مناص** ﴾ ، قال : ليس بحين نداء[١] ، ولا نَزْوٍ[٢] . ولا فرار

وقال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس : ليس بحين مغاث .

وقال شبيب بن بشر عن عكرمة ، عن ابن عباس : نادوا النداء حين لا ينفعهم ، وأنشد :

تَذَكَّرَ[٣] لَيْلَى لَاتَ حَيْنَ تَذَكُّرِ .

وقال محمد بن كعب في قوله : ﴿ **فنادوا ولات حين مناص** ﴾ ، يقول : نادوا بالتوحيد حين تولت الدنيا عنهم ، واستباصوا[٤] للتوبة[٥] حين تولت الدنيا عنهم .

وقال قتادة : لما رأوا العذاب أرادوا التوبة في غير حين[٦] النداء .

وقال مجاهد : ﴿ **فنادوا ولات حين مناص** ﴾ ، ليس بحين فرار ولا إجابة .

وقد روي نحو هذا عن عكرمة ، وسعيد بن جبير ، وأبي[٧] مالك ، والضحاك ، وزيد بن أسلم ، والحسن ، وقتادة .

وعن مالك ، عن زيد بن أسلم : ﴿ **ولات حين مناص** ﴾ ، ولا نداء في غير حين النداء .

وهذه الكلمة وهي « **لات** » ، هي « **لا** » التي للنفي ، زيدت معها « **التاء** » ، [كما تزاد][٨] في « **ثُمّ** » ، فيقولون : « **ثُمّت** » ، و« **رب** » فيقولون[٩] : « **رُبَّت** » . وهي

---

(١) - أخرجه أيضًا الطبري في تفسيره (١٢١/٢٣) ، والحاكم (٤٣٢/٢-٤٣٣) من طرق عن أبي إسحاق به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٥٦/٥) أيضًا إلى عبدالرزاق ، والفريابي ، وعبد بن حميد وابن المنذر .

---

[١] - سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ز : « ترو » .
[٣] - في ز : « يذكر » .
[٤] - في خ : « واستناصوا » .
[٥] - بياض في خ ، ز .
[٦] - بعده في ز : « لا » .
[٧] - في خ : « أبو » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٩] - في ز : « ويقولون » .

مفصولة ، والوقف عليها . ومنهم من حكىٰ عن المصحف الإمام فيما ذكره [ابن جرير][١] أنها متصلة بحين : (ولا تحين مناص) . والمشهور الأول . ثم قرأ الجمهور بنصب ﴿ حين ﴾ ، تقديره : وليس الحين حينَ مناص . ومنهم من جوز النصب بها ، وأنشد :

تَذَكَّرَ حُبَّ لَيْلَى لَاتَ حِينا وَأَضْحَى الشَّيْبُ قَدْ قَطَعَ الْقَرِينا

ومنهم من جوَّز الجر بها ، وأنشد :

طَلَبُوا صُلْحَنَا وَلَاتَ أَوَانٍ فَأَجَبْنَا أَنْ لَيْسَ حِينَ بَقَاءِ

وأنشد بعضهم أيضًا :

ولاتَ ساعةِ مَنْدَمِ[٢] .

بخفض الساعة ، وأهل اللغة يقولون : « النوص : التأخر ، والبوص : التقدم » ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ ولات حين مناص ﴾ أي : ليس الحين حين فرار ولا ذهاب .

وَعَجِبُوٓا أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ
إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ
ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا
ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟
عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ
مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن المشركين في تعجبهم من بعثه الرسول بشرًا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ أكان للناس عجبًا أن أوحينا إلىٰ رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن هذا لساحر مبين ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ وعجبوا أن جاءهم منذر منهم ﴾ أي : بشر مثلهم ، ﴿ وقال الكافرون هذا ساحر كذاب * أجعل الآلهة إلهًا واحدًا ﴾ أي: أزعم أن المعبود[٣] واحد لا إله إلا هو ؟ ! أنكر المشركون ذلك - قبَّحهم الله تعالىٰ - وتعجبوا من ترك الشرك بالله ، فإنهم كانوا قد تلقوا عن آبائهم عبادة الأوثان وأشربته

[١] - ما بين المعكوفتين بياض في خ ، ز .

[٢] - في ز : « مند » . [٣] - بعده في ز ، خ : إلهًا .

قلوبهم ، فلما دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى خلع ذلك من قلوبهم ، وإفراد الله بالوحدانية ، أعظموا ذلك وتعجبوا وقالوا : ﴿ **أجعل الآلهة إلهًا واحدًا إن هذا لشيء عجاب * وانطلق الملأ منهم أن** ﴾ ، وهم سادتهم وقادتهم ورؤساؤهم وكبراؤهم قائلين : ﴿ **امشوا** ﴾ أي : استمروا على دينكم ، ﴿ **واصبروا على آلهتكم** ﴾ ، ولا تستجيبوا لما يدعوكم إليه محمد من التوحيد .

وقوله : ﴿ **إن هذا لشيء يراد** ﴾ قال ابن جرير : إن هذا الذي يدعونا إليه محمد من التوحيد لشيء يريد به الشرف عليكم ، والاستعلاء ، وأن يكون له منكم أتباع[١] ، ولسنا[٢] مُجيبيه إليه .

ذكر سبب نزول هذه الآيات

قال السدي : إن ناسًا[٣] من قريش اجتمعوا ، فيهم : أبو جهل بن هشام ، والعاص بن وائل ، والأسود بن المطلب ، والأسود بن عبد يغوث في نفر من مشيخة قريش ، فقال بعضهم لبعض : انطلقوا بنا إلى أبي طالب فَلْنُكَلِّمْه فيه ، فَلْينصفنا منه ، فَلْيكف عن شَتْم آلهتنا ، ونَدَعه وإلهه الذي يعبده ؛ فإنا نخاف أن يموت هذا الشيخ ، فيكونَ منا إليه شيء ، فتعيرنا العرب ، يقولون : تركوه حتى إذا مات عنه تناولوه . فبعثوا رجلًا منهم يقال له : المطلب ، فاستأذن لهم على أبي طالب ، فقال : هؤلاء مشيخة قومك وسَرَاتهم يستأذنون عليك ؟ قال : أدخلهم . فلما دخلوا عليه قالوا : يا أبا طالب ، أنت كبيرنا وسيدنا ، فأنصفنا من ابن أخيك ، فمره فليكف عن شتم آلهتنا وندعه وإلهه . قال : فبعث إليه أبو طالب ، فلما دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا ابن أخي ، هؤلاء مشيخة قومك وسَرَاتهم ، وقد سألوك أن تكف عن شتم آلهتهم ويدَعُوك وإلهك . قال : « **ياعم ، أفلا أدعوهم إلى ما هو خير لهم ؟** » قال : وإلام تدعوهم ؟ قال : « **أدعوهم أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها[٤] العرب ، ويملكون بها العجم** » . فقال أبو جهل من بين القوم : ما هي وأبيك ؟ لنعطينكها[٥] وعشرة أمثالها . قال : « **تقولون : لا إله إلا الله** » . فنفر وقال : سَلْنا غير هذا . قال : « **لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ، ما سألتكم غيرها** » . فقاموا من عنده غضابًا ، وقالوا : والله لنشتمنك وإلهك الذي أمرك بهذا . ﴿ **وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد** ﴾ .

رواه ابن أبي حاتم ، وابن جرير (٢) ، وزاد : فلما خرجوا دعا رسول الله صلى الله عليه

(٢) - تفسير الطبري (٢٣/١٢٧-١٢٨) .

[١] - في خ : « الباع » .
[٢] - في ز : « لنا » .
[٣] - في خ : « أناسًا » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ت : « لنعطينها »

وسلم عمه[١] إلىٰ قول « **لا إله إلا الله** » ، فأبىٰ وقال : بل علىٰ دين الأشياخ . ونزلت : ﴿ **إنك لا تهدي من أحببت** ﴾ .

وقال أبو جعفر بن جرير(٣) : حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا : حدثنا أبو أسامة ، حدثنا الأعمش ، حدثنا عباد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما مرض أبو طالب ، دخل عليه رهط من قريش ، فيهم[٢] أبو جهل ، فقالوا : إن ابن أخيك يشتم آلهتنا . ويفعل ويفعل ، ويقول ويقول ، فلو بعثت إليه فنهيته ؟ فبعث إليه ، فجاء النبي صلىٰ الله عليه وسلم فدخل البيت وبينهم وبين أبي طالب قدر مجلس رجل ، قال : فخشي أبو جهل إن جلس إلىٰ جنب أبي طالب أن يكون أرقّ له عليه . فوثب فجلس في ذلك المجلس ، ولم يجد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم مجلسًا قرب عمه ، فجلس عند الباب . فقال له أبو طالب : أي ابنَ أخي ، ما بال قومك يشكونك ، يزعمون أنك تشتم آلهتهم ، وتقول وتقول ؟ قال : وأكثروا عليه من القول . وتكلم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال : « **يا عم ، إني أريدهم علىٰ كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب ، وتؤدي إليهم بها العجم الجزية** » . ففزعوا لكلمته ولقوله ، وقالوا : كلمة واحدة ! نعم وأبيك عشرًا ، فقالوا : وما[٣] هي ؟ وقال أبو طالب : و[٤]أي كلمة هي يا بن أخي ؟ فقال : « **لا إله إلا الله** » . فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم ، وهم يقولون : ﴿ **أجعل الآلهة إلهًا واحدًا إن هذا لشيء عجاب** ﴾ . قال : ونزلت من[٥] هذا الموضع إلىٰ قوله : ﴿ **لما يذوقوا عذاب** ﴾ . لفظ أبي كريب .

وهكذا رواه الإمام أحمد ، والنسائي من حديث محمد بن عبد الله بن[٦] نمير ، كلاهما عن أبي أسامة ، عن الأعمش ، عن عباد ، غير منسوب ، به نحوه . ورواه الترمذي ، والنسائي ، وابن أبي حاتم ، وابن جرير أيضًا ، كلهم في تفاسيرهم(٤) من حديث سفيان الثوري ، عن الأعمش ، عن يحيىٰ بن عُمَارة الكوفي ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، فذكر نحوه . وقال الترمذي : حسن .

وقولهم : ﴿ **ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة** ﴾ أي : ما سمعنا بهذا الذي يدعونا إليه محمد من التوحيد في الملة الآخرة .

---

(٣) - تفسير الطبري (١٢٥/٢٣) ، وأخرجه أحمد (٣٦٢،٢٢٨/١) والنسائي في التفسير (٤٥٧) من طريق أبي أسامة عن الأعمش به .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في ز : « منهم » .
[٣] - في ز : « فما » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « في » .
[٦] - في ز ، خ : « وابن » .

و[١]قال مجاهد وقتادة وابن[٢] زيد : يعنون دين قريش .

وقال غيرهم : يعنون النصرانية . قاله محمد بن كعب ، والسدي .

وقال العوفي عن ابن عباس : ﴿ **ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة** ﴾ يعني النصرانية ، قالوا : لو كان هذا القرآن حقًّا أخبرتنا به النصاري ﴿**إنْ هذا إلّا اختلاق**﴾ قال مجاهد وقتادة : كذب . وقال ابن عباس : تخرص .

وقولهم : ﴿ **أأنزل عليه الذكر من بيننا** ﴾ يعني : أنهم يستبعدون تخصيصه بإنزال القرآن عليه[٣] من بينهم كلهم ، كما قالوا في الآية الأخرىٰ : ﴿ **لولا نزل هذا القرآن علىٰ رجل من القريتين عظيم** ﴾ ، قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات** ﴾ ، ولهذا لما قالوا هذا الذي دل علىٰ[٤] جهلهم وقلة عقلهم ، في استبعادهم إنزالَ القرآن علىٰ الرسول من بينهم ، قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿**بل لما يذوقوا عذاب**﴾ أي : إنما يقولون هذا لأنهم ما ذاقوا إلىٰ حين قولهم ذلك عذابَ اللّٰه ونقمته ، سيعلمون غِبّ ما قالوا وما كذبوا به يوم يدعون إلى نار جهنم دعًّا ثم قال مبينًا أنه المتصرف في ملكه ، الفعال لما يشاء ، الذي يعطي من شاء لمن يشاء ، [ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، ويهدي من يشاء ، ويضل من يشاء][٥] ، وينزل الروح من أمره علىٰ من يشاء من عباده ، ويختم علىٰ قلب من يشاء ، فلا يهديه أحد من بعد اللّٰه ، وإن العباد لا يملكون شيئًا من الأمر ، وليس إليهم من التصرف [في الملك][٦] ولا مثقال ذرة ، وما يملكون من قطمير ؛ ولهذا قال تعالىٰ منكرًا عليهم : ﴿ **أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب** ﴾ ، أي : العزيز الذي لا يُرَام جَنَابه ، الوهاب الذي يعطي ما يريد لمن يريد .

وهذه الآية شبيهة بقوله : ﴿ **أم لهم نصيب من الملك فإذًا لا يؤتون الناس نقيرًا * أم يحسدون الناس علىٰ ما آتاهم اللّٰه من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكًا عظيمًا * فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفىٰ بجهنم سعيرًا** ﴾ وقوله : ﴿**قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذًا لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورًا**﴾ وذلك بعد الحكاية عن الكفار أنهم أنكروا بعثة الرسول البَشَرِيّ ، وكما أخبر تعالىٰ عن قوم صالح حين قالوا : ﴿ **أألقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر * سيعلمون غدًا من الكذاب الأشر** ﴾

وقوله : ﴿ **أم لهم ملك السمٰوات والأرض وما بينهما فليرتقوا في الأسباب** ﴾ أي : إن

---

[١] - سقط من : ز . [٢] - في ز : « وأبو » .
[٣] - سقط من : ز . [٤] - في ز : « عليه » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

كان لهم ذلك فليصعدوا في الأسباب .

قال[١] ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغيرهم : يعني[٢] : طرق السماء .

وقال الضحاك : فليصعدوا إلىٰ السماء السابعة .

ثم قال : ﴿ **جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب** ﴾ أي : هؤلاء الجند المكذبون الذين هم في عزة وشقاق سيهزمون[٣] ويغلبون ويُكبَتُون ، كما كبت الذين من قبلهم من الأحزاب المكذبين ، وهذه كقوله : ﴿ **أم يقولون نحن جميع منتصر * سيهزم الجمع ويولون الدبر** ﴾ ، [وكان ذلك يوم بدر][٤] ، ﴿ **بل الساعة موعدهم والساعة أدهىٰ وأمرّ** ﴾ .

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ (١٢) وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْـَٔيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ (١٣) إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ (١٤) وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ (١٥) وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ (١٦)

يقول تعالىٰ مخبرًا عن هؤلاء القرون الماضية ، وما حل بهم من العذاب والنكال والنقمات في مخالفة الرسل وتكذيب الأنبياء . وقد تَقَدّمت قصَصُهم مبسوطة في أماكن متعددة .

وقوله : ﴿ **أولئك الأحزاب** ﴾ أي : كانوا أكثر منكم وأشد قوة ، وأكثر أموالًا وأولادًا ، فما[٥] دافع ذلك عنهم من عذاب الله من شيء ، لما جاء أمر ربك ؛ ولهذا قال : ﴿ **إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب** ﴾ ، فجعل علة هلاكهم هو تكذيبهم بالرسل ، فليحذر المخاطبون من ذلك أشد الحذر .

وقوله : ﴿ **وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة مالها من فواق** ﴾ قال مالك ، عن زيد بن أسلم : أي : ليس لها مثنوية . أي : ما ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها ، أي : قد اقتربت ودنت وأزفت . وهذه الصيحة هي نفخة الفزع التي يأمر[٦] الله إسرافيل أن يُطَوّلها ، فلا يبقىٰ أحد من أهل السماوات والأرض إلا فزع ، إلا من استثنىٰ الله ، عز وجل .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - في ز : « فسيهزمون » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - في ز : « لما » .
[٦] - في ز : « أمر » .

وقوله : ﴿ **وقالوا ربنا عجّل لنا قطنا قبل يوم الحساب** ﴾ . هذا إنكار من الله علىٰ المشركين في دعائهم علىٰ أنفسهم بتعجيل العذاب ، فإن القطّ هو الكتابُ . وقيل : هو الحظ والنصيب .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، والحسن ، وغير واحد : سألوا تعجيل العذاب . زاد قتادة : كما قالوا : ﴿ **اللّهم ؛ إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم** ﴾

وقيل : سألوا تعجيل نصيبهم من الجنة ، إن كانت موجودة أن يلقوا ذلك[١] في الدنيا . وإنما خَرَج هذا[٢] منهم مَخْرَج الاستبعاد والتكذيب .

وقال ابن جرير : سألوا تعجيل ما يستحقونه من الخير أو[٣] الشر في الدنيا . وهذا الذي قاله جيد ، وعليه يدور كلام الضحاك ، وإسماعيل بن أبي خالد ، والله أعلم .

ولما كان هذا الكلام منهم علىٰ وجه الاستهزاء والاستبعاد ، قال الله تعالىٰ لرسوله صلىٰ الله عليه وسلم آمرًا له بالصبر علىٰ أذاهم ، ومبشرًا له علىٰ صبره بالعاقبة والنصر[٤] والظفر .

ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾

يذكر تعالىٰ عن عبده ورسوله داود عليه الصلاة والسلام ؛ أنه كان ذا أيد ، والأيد : القوة في العلم والعمل ، قال ابن زيد والسدي : الأيد القوة . وقرأ ابن زيد : ﴿ **والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون** ﴾ وقال مجاهد : الأيد : القوة في الطاعة .

وقال قتادة : أعطي داود عليه السلام قوة في العبادة ، وفقهًا في الإسلام ، وقد ذُكر لنا أنه عليه السلام كان يقوم ثلث الليل ، ويصوم نصف الدهر ، وهذا ثابت في الصحيحين(٥) عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «**أحب الصلاة إلىٰ الله صلاة داود، وأحب الصيام إلىٰ الله صيام داود ، كان ينام نصف الليل ، ويقوم ثلثه ، وينام سدسه ، وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا ، ولا يفر إذا لاقىٰ ، وإنه كان أوابًا** » . وهو الرجاع إلى الله عز وجل في جميع أموره وشئونه .

---

[١] - في خ : « هذا » .
[٢] - في خ : « ذلك » .
[٣] - في خ : « و » .
[٤] - في خ : « والصبر » .

وقوله : ﴿ إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق ﴾ أي : إنه تعالىٰ سخر الجبال تسبح معه عند إشراق الشمس وآخر النهار ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يا جبال أوبي معه والطير** ﴾ ، وكذلك كانت الطير تسبح بتسبيحه ، وترجّع بترجيعه ، إذا مر به الطير وهو سابح[١] في الهواء فسمعه[٢] وهو يترنم بقراءة الزبور ، لا تستطيع الذهاب ، بل تقف في الهواء ، تسبح[٣] معه وتجيبه الجبال الشامخات ، ترجع معه ، وتسبح تبعًا له .

قال ابن جرير(٦) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا محمد بن بشر ، عن مسْعَر ، عن عبد الكريم ، عن موسىٰ بن أبي كثير ، عن ابن عباس أنه بلغه أن أم هانئ ذكرت أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يوم فتح مكة صلىٰ الضحىٰ ثمان ركعات . قال ابن عباس : [قد ظننت][٤] أن لهذه الساعة صلاة ، يقول اللَّه تعالىٰ : ﴿ **يسبحن بالعشي والإشراق** ﴾ .

ثم رواه(٧) من حديث سعيد بن أبي عروبة ، عن أبي المتوكل ، عن أيوب بن صفوان ، عن مولاه[٥] عبد اللَّه بن الحارث بن نوفل ، أن ابن عباس كان لا يصلي الضحىٰ . قال : فأدخلته علىٰ أم هانئ فقلت : أخبري هذا ما أخبرتيني به[٦] ، فقالت أم هانئ : دخل عليّ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يوم الفتح في بيتي ، ثم أمر بماء صُبّ في قصعة ، ثم أمر بثوب ، فأخذ بيني وبينه ، فاغتسل ثم رَش ناحية البيت ، فصلىٰ ثماني ركعات ، وذلك من الضحىٰ ، قيامهن وركوعهن وسجودهن وجلوسهن[٧] سواء ، قريب بعضهن من بعض . فخرج ابن عباس وهو يقول : لقد قرأت ما بين اللوحين ما عرفت صلاة الضحىٰ إلا الآن : ﴿ **يسبحن بالعشي والإشراق** ﴾ ، وكنت أقول : أين صلاة الإشراق ؟ ! وكان بَعدُ يقول : صلاة الإشراق .

---

(٤) - أخرجه أحمد (٢٢٧/١) ، والترمذي في تفسير القرآن ، باب : ومن سورة (ص) ، حديث (٣٢٢٣) ، والنسائي في التفسير (٤٥٦) وأبو يعلى (٢٥٨٣) والطبري (١٢٥/٢٣) ، وابن حبان (١٧٥٧-موارد) ، والحاكم (٤٣٢/٢) ، والبيهقي (١٨٨/٩) من طرق عن سفيان به .

(٥) - صحيح البخاري في التهجد ، باب : من نام عند السحر ، حديث (١١٣١) ومسلم في الصيام ، حديث (١١٥٩) من حديث عبدالله بن عمرو به .

(٦) - تفسير الطبري (١٣٧/٢٣) ، وانظر التالي .

(٧) - تفسير الطبري (١٣٧/٢٣) . وأخرجه الحاكم في المستدرك (٥٣/٤) من طريق عبدالوهاب بن عطاء عن سعيد بن أبي عروبة به .

---

[١] - في ز : « سانح » .
[٢] - في ز : « فيسمعه » .
[٣] - في خ ، ت : وتسبح .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « فظننت » .
[٥] - في ز : « مولا » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - سقط من : خ ، ز .

ولهذا قال : ﴿ والطير محشورة ﴾ أي : محبوسة في الهواء ، ﴿ كل له أواب ﴾ أي : مطيع يسبح تبعًا له .

قال سعيد بن جبير وقتادة ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد ﴿ كل له أواب ﴾ أي : مطيع .

﴿ وشددنا ملكه ﴾ أي : جعلنا له ملكًا كاملًا من جميع ما يحتاج إليه الملوك .

قال ابن أبي نجيح عن مجاهد : كان أشد أهل الدنيا سلطانًا .

وقال السدي : كان يحرسه في كل يوم أربعة آلاف .

وقال بعض السلف : بلغني أنه كان حَرَسُه في كل ليلة ثلاثة وثلاثين ألفًا ، لا تدور عليهم النَّوبة إلىٰ مثلها من العام القابل .

وقال غيره : أربعون ألفًا [مشملون بالسلاح][١] .

وقد ذكر ابنُ جرير ، وابن أبي حاتم (٨) ، من رواية علْباء بن أحمر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ أن نَفَرين من بني إسرائيل استعدىٰ أحدهما علىٰ الآخر إلىٰ داود - عليه السلام - أنه اغتصبه بقرًا، فأنكر الآخر، ولم يكن للمدعي بيّنة ، فأرجأ أمرهما. فلما كان الليل أمر داود - عليه السلام - في المنام بقتل المدعي . فلما كان النهار طلبهما وأمر بقتل المدعي ، فقال : يا نبي اللّٰه ؛ علام تقتلني وقد اغتصبني هذا بقري ؟ فقال : إن اللّٰه - عز وجل - قد[٢] أمرني بقتلك ، فأنا قاتلك لا محالة . فقال : واللّٰه[٣] يا نبي اللّٰه ؛ إن اللّٰه لم يأمرك بقتلي لأجل هذا الذي ادعيتُ عليه ، وإني لصادق فيما ادعيت ، ولكني كنت قد اغتلت أباه وقتلته ، ولم يشعر بذلك أحد ، فأمر [داود بقتله فقتل][٤] .

قال ابن عباس : فاشتدت هيبته في بني إسرائيل ، وهو الذي يقول اللّٰه عز وجل : ﴿ وشددنا ملكه ﴾ .

وقوله : ﴿ وآتيناه الحكمة ﴾ ، قال مجاهد : يعني الفهم والعقل والفطنة . وقال مَرّة : الحكمة والعدل . وقال مَرّة : الصواب .

وقال قتادة : كتاب اللّٰه واتباع ما فيه .

---

(٨) - تفسير الطبري (١٣٨/٢٣) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز: «مشتكون السلاح». [٢] - سقط من خ ، ت .
[٣] - في ز : « يالله » . [٤] - في ت : « به داود فقتل » .

وقال السدي : ﴿ **الحكمة** ﴾ النبوة .

وقوله : ﴿ **وفصل الخطاب** ﴾ قال شريح القاضي ، والشعبي : فصل الخطاب الشهود والأيمان .

وقال قتادة : شاهدان على المدعي ، أو يمين المدعى عليه ، هو فصل الخطاب الذي فصل به الأنبياء والرسل - أو قال : المؤمنون والصالحون - وهو قضاء هذه الأمة إلى يوم القيامة . وكذا قال أبو عبد الرحمن السلمي .

وقال مجاهد والسدي : وإصابة القضاء وفهمه . وقال مجاهد أيضًا : هو الفصل في الكلام وفي الحكم ، وهذا يشمل هذا كله ، وهو المراد ، واختاره ابن جرير .

وقال ابن أبي حاتم(٩) : حدثنا عمر بن شبّة النميري ، حدثنا إبراهيم بن المنذر ، حدثني عبد العزيز بن أبي ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن بلال بن أبي بردة ، عن أبيه ، عن أبي موسى -رضي الله عنه- قال : أول من قال : « **أما بعد** » . داود - عليه السلام - وهو فصل الخطاب .

وكذا قال الشعبي فصل الخطاب : « **أما بعد** » .

﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾

قد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ[١] من الإسرائيليات ، ولم يثبت فيها عن المعصوم

(٩) - عزاه السيوطي في الدرالمنثور (٥/٥٦٤) إلى ابن أبي حاتم والديلمي

[١] - في ز : « مأخوذة » .

حديث يجب اتباعه ، ولكن روىٰ ابن أبي حاتم(١٠) هنا حديثًا لا يصح سنده ؛ لأنه من رواية يزيد الرقاشي ، عن أنس ، ويزيد وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة ، فالأولىٰ أن يقتصر علىٰ مجرد تلاوة هذه القصة وأن يُرَدّ علمها إلىٰ الله - عز وجل - فإن القرآن حق ، وما تضمن فهو حق أيضًا .

وقوله : ﴿ **ففزع منهم** ﴾ ، إنما كان ذلك لأنه كان في محرابه ، وهو أشرف مكان في داره ، وكان قد أمرَ أن لا يدخل عليه أحد ذلك اليوم ، فلم يشعر إلا بشخصين قد تَسَوّرا عليه المحراب ، أي : احتاطا به يسألانه عن شأنهما .

وقوله : ﴿**وعزني في الخطاب**﴾ أي : غلبني يقال : عزّ يعزُّ : إذا قهر وغلب .

وقوله : ﴿ **وظن داود أنما فتناه** ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : أي اختبرناه .

وقوله : ﴿**وخر راكعًا**﴾ أي : ساجدًا ﴿**وأناب**﴾ ويحتمل أنه ركع أولًا ، ثم سجد بعد ذلك . وقد ذكر أنه استمر ساجدًا أربعين صباحًا ، ﴿ **فغفرنا له ذلك** ﴾ أي : ما كان منه مما يقال فيه : « **إن حسنات الأبرار سيئات المقربين** » .

وقد اختلف الأئمة -رضي الله عنهم- في سجدة « ص » ، هل هي من عزائم السجود ؟ علىٰ قولين ؛ الجديد من مذهب الشافعي رحمه الله أنها ليست من عزائم السجود ، بل هي سجدة شكر . والدليل علىٰ ذلك ما رواه الإمام أحمد حيث قال(١١) :

حدثنا إسماعيل - وهو ابن عُلَيّة - ، عن أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال في السجود في « ص » : ليست من عزائم السجود ، وقد رأيت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يسجد فيها .

ورواه البخاري ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي في تفسيره ، من حديث أيوب به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقال النسائي(١٢) أيضًا عند تفسير هذه الآية : أخبرني إبراهيم بن[١] الحسن ، هو المقْسَمي ،

---

(١٠) - أخرجه الطبري في تفسيره (١٥٠/٢٣) ، من طريق يزيد الرقاشي عن أنس به ، وزاد السيوطي نسبته في الدرالمنثور (٥٦٥/٥) إلى الحكيم الترمذي في نوادر الأصول .

(١١) - المسند (٣٦٠/١) ، وأخرجه البخاري في كتاب سجود القرآن ، باب : سجدة (ص) ، حديث (١٠٦٩) ، وطرفه في (٣٤٢٢) ، وأبو داود في سجود القرآن ، باب : السجود في (ص) ، حديث (١٤٠٩) ، والترمذي في الصلاة ، باب : ما جاء في السجدة في (ص) ، حديث (٥٧٧) ، والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (٥٩٨٨) من طرق عن أيوب السختياني به .

(١٢) - تفسير النسائي رقم (٤٥٨) ، وهو في السنن الصغرى له أيضًا في كتاب الافتتاح ، باب :=

---

[١] - في ز : « عن » .

حدثنا حجاج بن محمد ، عن عمر بن ذر ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما ، أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم سجد في « ص » ، وقال : **« سجدها داود عليه السلام ، توبة ، ونسجدها شكرًا »** .

تفرد بروايته النسائي ، [ورجال إسناده كلهم][١] ثقات .

وقد أخبرني شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزّي قراءة عليه وأنا أسمع :

أخبرنا أبو إسحاق المدرجي ، أخبرنا زاهر بن أبي طاهر الثقفي ، أخبرنا زاهر بن طاهر الشحّامي[٢] ، أخبرنا أبو سعيد[٣] الكنجروذي[٤] ، أخبرنا الحاكم أبو أحمد محمد[٥] بن محمد الحافظ ، أخبرنا أبو العباس السراج ، حدثنا هارون بن عبد الله ، حدثنا محمد بن يزيد بن خُنَيس ، عن الحسن بن محمد بن عبيد[٦] الله بن أبي يزيد ، قال : قال لي ابن جريج : يا حسن ؛ حدثني جدك عبيد الله بن أبي يزيد ، عن ابن عباس ؛ قال : جاء رجل إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إني رأيت فيما يرىٰ النائم كأني أصلي خلف شجرة ، فقرأت السجدة ، فسجدتُ فسجدتِ الشجرةُ لسجودي ، فسمعتها تقول وهي ساجدة : **« اللهم ، اكتب لي بها عندك أجرًا ، واجعلها لي عندك ذخرًا ، وضع عني بها وزرًا ، واقبلها مني كما قبلتها من عبدك داود »** .

قال ابن عباس : فرأيت النبي صلىٰ الله عليه وسلم قام فقرأ السجدة ، ثم سجد ، فسمعته يقول وهو ساجد كما حكىٰ الرجل عن كلام الشجرة(١٣) .

رواه الترمذي عن قتيبة ، وابن ماجة عن أبي بكر بن خلاد ، كلاهما عن محمد بن يزيد بن خنيس ، نحوه ، وقال الترمذي : غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

= سجود القرآن (السجود في ص) (١٥٩/٢) ، وفي الكبرى برقم (١٠٢٩) بسنده ومتنه . وأخرجه الدارقطني في سننه (٤٠٧/١) من طريق عبدالله بن بذيع عن عمرو بن ذر به .

(١٣) - أخرجه الترمذي في أبواب الصلاة ، باب : ما يقوله في سجود القرآن حديث (٥٧٩) ، وفي الدعوات ، باب ما يقول في سجود القرآن ، حديث (٣٤٢٤) ، وابن ماجه في إقامة الصلاة ، والسنة ، باب : سجود القرآن ، حديث (١٠٥٣) ، وابن خزيمة (٥٦٢،٥٦٣) من طرق عن محمد بن يزيد بن خنيس به .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « وإسناده رجالهم كلهم » .

[٢] - في ز : « السحابي » .

[٣] - في ز ، خ ، ت : « أبو سعد » والتصويب من اللباب لابن الأثير (١١٣/٣) .

[٤] - في ز : « الكنجدروذي » .

[٥] - سقط من : خ ، ز .

[٦] - في خ : « عبد » .

وقال البخاري(١٤) عند تفسيرها أيضًا : حدثنا محمد بن عبد اللَّه ، حدثنا محمد بن عبيد الطنافسي ، عن العوام؛ قال : سألت مجاهدًا عن سجدة « ص » ؟ فقال : سألت ابن عباس : من أين سَجَدْتَ ؟ فقال : أو ما تقرأ : ﴿ **ومن ذريته داود وسليمان** ﴾ ، ﴿ **أولئك الذين هدىٰ اللَّه فبهداهم اقتده** ﴾ ، فكان داود - عليه السلام - ممن[١] أُمِرَ نَبِيّكم صلىٰ اللَّه عليه وسلم أن يقتدى به ، فسجدها داود - عليه السلام - فسجدها رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم .

وقال الإمام أحمد (١٥) : حدثنا عفان ، حدثنا يزيد بن زُرَيع ، حدثنا حميد ، حدثنا بكر - هو ابن عبد اللَّه المزني - أنه أخبره : أن أبا سعيد الخدري رأىٰ رؤيا أنه يكتب « **ص** » ، فلما بلغ إلىٰ التي يسجد بها رأىٰ الدواة والقلم وكل شيء بحضرته انقلب ساجدًا . قال[٢] : فقصها علىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فلم يزل يسجد بها بعد . تفرد به أحمد .

وقال أبو داود(١٦) : حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن عياض بن عبد اللَّه بن سعد بن أبي سَرْح ، عن أبي سعيد الخُدْري -رضي اللَّه عنه- قال : قرأ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم وهو علىٰ المنبر ﴿ **ص** ﴾ ، فلما بلغ السجدة نزل فسجد ، وسجد الناس معه ، فلما كان يوم آخر قرأها ، فلما بلغ السجدة تَشَزَّن(*) الناس للسجود فقال : « **إنما هي توبة نبي ، ولكني رأيتكم تشزَّنتم[٣]** » . فنزل وسجد وسجدوا[٤] . تفرد به أبو داود ، وإسناده على شرط الصحيح.

وقوله : ﴿ **وإن له عندنا لزلفىٰ وحسن مآب** ﴾ أي : وإن له يوم القيامة لقربة يُقَرِّبه اللَّه ، عز وجل ، بها ، وحسن مرجع ، وهو الدرجات العاليات في الجنة ، لنبوته[٥] وعدله التام في ملكه ، كما جاء في الصحيح : « **المقسطون علىٰ منابر من نور عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين ، الذين يقسطون في أهليهم وما وُلّوا** » .

---

(١٤) - صحيح البخاري في التفسير ، باب : سورة ص ، حديث (٤٨٠٧) ، وانظر أيضًا الحديث رقم (٤٨٠٦) ، والحديث في مسند أحمد (٣٦٠/١) أيضًا من طريق يحيى بن أبي غنية عن العوام بن حوشب به .

(١٥) - المسند (٧٨/٣) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٨٧/٢) : رجاله رجال الصحيح.

(١٦) - سنن أبي داود في الصلاة ، باب السجود في (ص) حديث (١٤١٠) . وأخرجه الدارمي (١٤٧٤)، (١٥٦٢) ، وابن خزيمة (١٤٥٥) (١٧٩٥) من طريق سعيد بن أبي هلال به .

(*) التشزن : التأهب والتهيؤ للشيء ، والاستعداد له . النهاية (٤٧١/٢)

---

[١] - في ز : « فيمن » .

[٢] - في ز : « فقال » .

[٣] - في ز : « نشزتم » .

[٤] - سقط من : خ ، ز .

[٥] - في خ : « لتوبته » .

وقال الإمام أحمد (١٧) : حدثنا يحيىٰ بن آدم ، حدثنا فضيل ، عن عطية ، عن أبي سعيد الخدري ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن أحب الناس إلىٰ الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلسًا ، إمام عادل . وإن أبغض الناس إلىٰ الله يوم القيامة وأشدهم عذابًا ، إمام جائر** » .

ورواه الترمذي من حديث فضيل - وهو ابن مرزوق الأغرّ عن عطية به . وقال : لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه .

وقال ابن أبي حاتم (١٨) : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا عبد الله بن أبي زياد ، حدثنا سيار ، حدثنا جعفر بن سليمان ، سمعت مالك بن دينار في قوله : ﴿ **وإن له عندنا لزلفىٰ وحسن مآب** ﴾ قال : مقام[١] داود يوم القيامة عند ساق العرش ، ثم يقول : يا داود ؛ مجدني اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تمجدني به[٢] في الدنيا . فيقول : وكيف وقد سُلِبتُه ؟ فيقول : إني أرده عليك اليوم . قال : فيرفع داود بصوت يستفرغ نعيم أهل الجنان .

يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾

هذه وصية من الله - عز وجل - لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالىٰ ، ولا يعدلوا عنه فيضلوا عن سبيله . وقد توعد تعالىٰ من ضل عن سبيله ، وتناسىٰ يوم الحساب ، بالوعيد الأكيد والعذاب الشديد .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن خالد ، حدثنا الوليد ، حدثنا مروان بن جناح ، حدثني إبراهيم أبو زرعة - وكان قد قرأ الكتاب - أن الوليد بن عبد الملك ؛ قال له : أيحاسب الخليفة ، فإنك قد قرأت الكتاب الأول ، وقرأت القرآن وفَقِهتَ ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ أقول ؟ قال : قل في أمان . قلت : يا أمير المؤمنين ؛ أنت أكرم علىٰ الله أو داود ؟ إن الله - عز وجل - جمع له النبوة والخلافة ، ثم توعده[٣] في كتابه فقال : ﴿ **يا داود إنا**

---

(١٧) - المسند (٢٢/٣) ، وأخرجه في (٥٥/٣) ، والترمذي في الأحكام باب : ما جاء في الإمام العادل ، حديث (١٣٢٩) من طريق فضيل بن مرزوق به .

(١٨) - عزاه السيوطي أيضًا في الدر المنثور (٥٧٣/٥) إلى أحمد في الزهد والحكيم الترمذي وابن المنذر.

---

[١] - في ز ، خ ، ت: يقم . والمثبت من الدر والمنثور .

[٢] - سقط من : ز . [٣] - في ز : « تواعده » .

جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوىٰ فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾ الآية .

[وقال عكرمة : ﴿ **لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب** ﴾][١] ، هذا من المقدم والمؤخر ، لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا .

وقال السدى : لهم عذاب شديد بما تركوا أن يعملوا ليوم الحساب .

وهذا القول أمشىٰ علىٰ ظاهر الآية ، فالله أعلم .

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢٩﴾

يخبر تعالىٰ أنه ما خلق الخلق عبثًا ، وإنما خلقهم ليعبدوه ويوحدوه ، ثم يجمعهم[٢] ليوم الجمع ، فيثيب المطيع ويعذب الكافر ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلًا ذلك ظن الذين كفروا** ﴾ أي : الذين لا يرون بعثًا ولا معادًا ، وإنما يعتقدون هذه الدار فقط ، ﴿ **فويل للذين كفروا من النار** ﴾ أي : ويل لهم يوم معادهم ونشورهم من النار المعدة لهم .

ثم بين تعالىٰ أنه من عدله وحكمته لا يساوي بين المؤمن والكافر ، فقال : ﴿ **أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار** ﴾ أي : لا نفعل ذلك ، ولا يستوون عند الله ، وإذا كان الأمر كذلك فلا بُدّ من دار أخرىٰ ، يثاب فيها هذا المطيع ، ويعاقب فيها هذا الفاجر . وهذا الإرشاد يدل العقول السليمة والفطرَ المستقيمة علىٰ أنه لابد من معاد وجزاء ، فإنا نرىٰ الظالم الباغي يزداد ماله وولده ونعيمه ويموت كذلك ، ونرىٰ المطيع المظلوم يموت بكَمَده ، فلابد في حِكمَة الحكيم العليم العادل ، الذي لا يظلم مثقال ذرة ، من إنصاف هذا من هذا . وإذا لم يقع هذا في هذه الدار ، فتعين [أن هناك دارًا][٣] أخرىٰ لهذا الجزاء والمواساة . ولما كان القرآن يرشد إلىٰ المقاصد الصحيحة والمآخذ العقلية الصريحة ، قال : ﴿ **كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب** ﴾ أي : ذوو العقول ، وهي الألباب ، جمع لب ، وهو العقل .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - في ز : « جمعهم » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، وفي ز «دار».

قال الحسن البصري : والله ما تَدَبُّرُه بحفظ حروفه وإضاعة حدوده ، حتى إن أحدهم ليقول : قرأت القرآن ، ما يُرَى له القرآن في خلق ولا عمل . رواه ابن أبي حاتم .

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (٣١) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (٣٣) ﴾

يقول تعالى مخبرًا[١] أنه وهب لداود سليمان أي : نبيًا ؛ كما قال : ﴿ **وورث سليمان داود** ﴾ أي : في النبوة ، وإلا فقد كان له بنون غيره ، فإنه قد كان عنده مائة امرأة حرائر .

وقوله : ﴿ **نعم العبد إنه أواب** ﴾ ، ثناء على سليمان - عليه السلام - بأنه كثير الطاعة والعبادة والإنابة إلى الله عز وجل .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمود بن خالد ، حدثنا الوليد ، حدثنا ابن جابر ، حدثنا مكحول ؛ قال : لما وهب الله لداود سليمان - عليه السلام - قال له : يابني ؛ ما أحْسَنُ ؟ قال : سكينة الله وإيمان . قال : فما أقبح ؟ قال : كفر بعد إيمان . قال : فما أحلى ؟ قال : روح الله بين[٢] عباده . قال : فما أبردُ ؟ قال : عفو الله عن الناس ، وعفو الناس بعضهم عن بعض . قال داود - عليه السلام - : فأنت نبي .

وقوله : ﴿ **إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد** ﴾ أي : إذ عرض على سليمان في حال مملكته وسلطانه الخيل الصافنات .

قال مجاهد : وهي التي تقف على ثلاث وطرف حافر الرابعة . والجياد : السراع . وكذا قال غير واحد من السلف .

و[٣]قال ابن جرير(١٩) : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا مُؤَمَّل ، حدثنا سفيان ، عن أبيه سعيد بن مسروق ، عن إبراهيم التيمي في قوله : ﴿ **إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد** ﴾ قال : كانت عشرين فرسًا ذات أجنحة . كذا رواه ابن جرير .

(١٩) - تفسير الطبري (١٥٤/٢٣) لكن نقله السيوطي في الدر المنثور (٥٨٠/٥) عن إبراهيم بلفظ " قال : عشرين ألف فرس ذات أجنحة ، فعقرها " . وعزاه إلى الفريابي وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم.

[١] - في خ : « مختبرًا » . [٢] - في خ ، ز : « من » .
[٣] - سقط من : ز .

وقال ابن أبي حاتم (٢٠) : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا[١] إبراهيم بن موسىٰ ، حدثنا ابن أبي زائدة ، أخبرني إسرائيل ، عن سعيد بن مسروق ، عن إبراهيم التيمي ؛ قال : كانت الخيل التي شغلت سليمان عليه الصلاة والسلام عشرين ألف فرس ، فعقرها . وهذا أشبه ، والله أعلم .

وقال أبو داود(٢١) : حدثنا محمد بن عوف ، حدثنا سعيد بن أبي مريم ، أخبرنا يحيىٰ بن أيوب ، حدثني عُمَارة بن غَزِيّة ؛ أن محمد بن إبراهيم حدثه ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن عائشة -رضي الله عنها- قالت : قَدِمَ رسولُ الله صلىٰ الله عليه وسلم من غزوة تبوك - أو : خيبر - وفي سهوتها ستر ، فهبت الريح ، فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة - لُعَب - فقال : « **ما هذا يا عائشة ؟** » . قالت : بناتي . ورأىٰ بينهن فرسًا له جناحان من رقاع ، فقال : « **ما هذا الذي أرىٰ وسطهن ؟** » . قالت: فرس . قال : « **وما هذا[٢] الذي عليه ؟** » . قالت : جناحان . قال : « **فرس له جناحان ؟ !** » . [قالت : أما][٣] سمعت أن لسليمان خيلًا لها أجنحة ؟ قالت[٤] : فضحك حتى رأيت نواجذه صلى الله عليه وسلم .

وقوله : ﴿ **فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتىٰ توارت بالحجاب** ﴾ ، ذكر غير واحد من السلف والمفسرين أنه اشتغل بعرضها حتىٰ فات وقت صلاة العصر ، والذي يقطع به أنه لم يتركها عمدًا بل نسيانًا ، كما شُغِل النبي صلىٰ الله عليه وسلم يوم الخندق عن صلاة العصر حتىٰ صلاها بعد الغروب ، وذلك ثابت في الصحيحين من غير وجه(٢٢) ؛ من ذلك : عن جابر ؛ قال : جاء عمر رضي الله عنه يوم الخندق بعد ما غربت الشمس ، فجعل يسب كفار قريش ، ويقول : يا رسول الله ؛ والله ما كدْتُ أصلي العصر حتىٰ كادت الشمس تغرب . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **والله ما صليتها** » . فقال : فقمنا إلىٰ بُطْحَان فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعدما غربت الشمس ، ثم صلى بعدها المغرب .

ويحتمل أنه كان سائغًا في ملتهم تأخير الصلاة لعذر الغزو والقتال ، والخيل تراد للقتال ، وقد ادعىٰ[٥] طائفة من العلماء أن هذا كان مشروعًا فنسخ ذلك بصلاة الخوف ، ومنهم من ذهب إلىٰ ذلك في حال المسايفة والمضايقة ، حيث لا يمكن صلاة ولا ركوع ولا سجود ، كما فعل

---

(٢٠) - انظر السابق .

(٢١) - سنن أبي داود في الأدب ، باب : في اللعب بالبنات ، حديث (٤٩٣٢) .

(٢٢) - أخرجه البخاري في مواقيت الصلاة ، باب : من صلى بالناس جماعة بعد ذهاب الوقت ، حديث (٥٩٦) ، وأطرافه في (٥٩٨،٦٤١،٩٤٥،٤١١٢) ، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة ، حديث (٦٣١) من حديث جابر رضي الله عنه .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « ما » .

[٤] - سقط من خ ، ت .

[٥] - بعده في ز : هذا .

الصحابة - رضي الله عنهم - في فتح تُستَر ، وهو منقول عن مكحول ، والأوزاعي ، وغيرهما . والأول أقرب ؛ لأنه قال بعدها : ﴿ ردوها عليّ فطفق مسحًا بالسوق والأعناق ﴾ .

قال الحسن البصري : قال : لا ، والله لا تشغلينى عن عبادة ربي آخر ما عليك . ثم أمر بها فعقرت . وكذا قال قتادة .

وقال السدي : ضرب أعناقها وعراقيبها بالسيوف .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها ؛ حُبًّالها .

وهذا القول اختاره ابن جرير ، قال : لأنه لم يكن ليعذب حيوانًا بالعرقبة ، ويهلك مالًا من ماله بلا سبب سوىٰ أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها ولا ذنب لها. وهذا الذي رَجّح به ابن جرير فيه نظر؛ لأنه قد يكون في شرعهم جواز مثل هذا ، ولا سيما إذا كان غضبًا لله - عز وجل - بسبب أنه اشتغل بها حتىٰ خرج[١] وقت الصلاة؛ ولهذا لما خرج عنها لله تعالىٰ عوضه الله تعالىٰ ما[٢] هو خير منها ، وهي الريح التي تجري بأمره رخاء حيث أصاب ، غدوها شهر ورواحها شهر ، فهذا أسرع وخير من الخيل .

و[٣]قال الإمام أحمد (٢٣) : حدثنا إسماعيل ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن حميد بن هلال ، عن أبي قتادة وأبي الدهماء - وكانا يكثران السفر نحو البيت - قالا : أتينا علىٰ رجل من أهل البادية ، فقال البدوي : أخذ بيدي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فجعل يعلمني مما علمه الله تعالىٰ ، وقال : « **إنك لا تدع شيئًا اتقاء الله - عز وجل - إلا أعطاك الله خيرًا منه** » .

وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَـٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ
لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى
بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى
ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ
وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾

(٢٣) - المسند (٥/٧٨) ، وأخرجه في (٥/٧٩) عن بهز ، وعفان عن سليمان بن المغيرة به.

[١] - سقط من : خ . [٢] - في ز : « بما » .
[٣] - سقط من : ز .

يقول تعالىٰ : ﴿ **ولقد فتنا سليمان** ﴾ أي : اختبرناه بأن سلبناه الملك مرة ، ﴿ **وألقينا علىٰ كرسيه جسدًا** ﴾ ، قال ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، وقتادة ، وغيرهم : يعني شيطانًا . ﴿ **ثم أناب** ﴾ أي : ثم[١] رجع إلىٰ ملكه وسلطانه وأبهته .

قال ابن جرير: وكان اسم ذلك الشيطان صخرًا[٢] . قاله ابن عباس ، وقتادة . وقيل : آصف . قاله مجاهد . وقيل : أصروا . قاله مجاهد أيضًا . وقيل : حبقيق . قاله السدي . وقد ذكروا هذه القصة مبسوطة ومختصرة .

وقد قال سعيد بن أبي عَرُوبة : عن قتادة ، قال[٣] : أمر سليمان - عليه السلام - ببناء بيت المقدس ، فقيل له : ابنِه ولا يُسمَعُ[٤] فيه صوت حديد . قال : فطلب ذلك فلم يقدر عليه . فقيل له : إن شيطانًا في البحر يقال له : « **صخر** » شبه المارد . قال : فطلبه وكانت عين في البحر يَرِدُها في كل سبعة أيام مرة ، فنُزِح ماؤها وجعل فيها خمْرًا ، فجاء يوم وِرْده فإذا هو بالخمر ، فقال : إنك لشراب طيب ، إلا أنك تصبين الحليم وتزيدين الجاهل جهلًا . قال : ثم رجع حتىٰ عَطِشَ عَطَشًا شديدًا ، ثم أتاها فقال : إنك لشراب طيب ، إلا أنك تصبين الحليم ، وتزيدين الجاهل جهلًا . ثم شربها حتىٰ غلبت علىٰ عقله ، قال : فأري الخاتم ، أو ختم به بين كتفيه فَذَلّ . قال[٥] : وكان ملكه في خاتمه ، فأتي به سليمان فقال : إنه قد أمرنا ببناء هذا البيت ، فقيل لنا : لا يسمعن[٦] فيه صوت حديد . قال : فأتىٰ ببيض الهدهد فجعل عليه زجاجة ، فجاء الهدهد فدار حولها ، فجعل يَرَىٰ بيضه ولا يقدر عليه ، فذهب فجاء بالماس فوضعه عليه ، فقطعها به ، حتىٰ أفضىٰ إلىٰ بيضه . فأخذ الماس ، فجعلوا يقطعون به الحجارة . وكان سليمان إذا أراد أن يدخل الخلاء - أو : الحمام - لم يدخل بخاتمه ، فانطلق يومًا إلىٰ الحمام ، وذلك الشيطان - صخر - معه ، وذلك عند [مقارفة قارف][٧] فيه بعض نسائه . قال : فدخل الحمام وأعطىٰ الشيطان خاتمه ، فألقاه في البحر ، فالتقمته سمكة ، ونُزِع ملكُ سليمان منه ، وألقيَ علىٰ الشيطان شَبَه سليمان . قال : فجاء فقعد علىٰ كرسيه وسريره ، وسُلّط علىٰ ملك سليمان كله غير نسائه . قال : فجعل يقضي بينهم ، وجعلوا ينكرون منه أشياء ، [حتىٰ قالوا : لقد فتن نبي اللّٰه][٨] . وكان فيهم رجل يشبهونه بعمر بن الخطاب في القوة فقال : واللّٰه لأجربنه . قال : فقال : يا نبي اللّٰه - وهو لا يرىٰ إلا أنه نبي اللّٰه - أحدنا تصيبه الجنابة في الليلة الباردة ، فيدع الغسل عمدًا حتىٰ تطلع الشمس ، أترىٰ عليه بأسًا ؟ فقال : لا . قال : فبينا هو كذلك أربعين ليلة حتىٰ وجد نبي اللّٰه خاتمه في بطن سمكة ، فأقبل فجعل لا

[١] - سقط من خ ، ت .
[٢] - في ز : « صخر » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « تسمع » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « تسمعن » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في خ : « مقارنة قارن » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

يستقبله جني ولا طير إلا سجد له ، حتىٰ انتهىٰ إليهم ، ﴿ **وألقينا علىٰ كرسيه جسدًا** ﴾ قال : هو الشيطان صخر .

وقال السدي : ﴿ **ولقد فتنا سليمان** ﴾ أي : ابتلينا سليمان ، ﴿ **وألقينا علىٰ كرسيه جسدًا** ﴾ قال : [جلس الشيطان][١] علىٰ كرسيه أربعين يومًا . قال : وكان لسليمان - عليه السلام - مائة امرأة ، وكانت امرأة منهن يقال لها : « **جرادة** » ، وهي آثَرُ نسائه وآمَنُهُنَّ عنده ، وكان إذا أجنب أو أتىٰ حاجة نزع خاتمه ، ولم يَأْتَمِنْ عليه أحدًا من الناس غيرها ، فأعطاها يومًا خاتمه ودخل الخلاء ، فخرج الشيطان في صورته ، فقال : هاتي الخاتم . فأعطته الخاتم ، فجاء حتىٰ جلس علىٰ مجلس سليمان ، وخرج سليمان بعد ذلك[٢] فسألها أن تعطيه خاتمه ، فقالت : ألم تأخذه قبل ؟ قال : لا . وخرج مكانه تائهًا . قال : ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يومًا ، قال : فأنكر الناس أحكامه ، فاجتمع قراء بني إسرائيل وعلماؤهم ، فجاءوا حتىٰ دخلوا علىٰ نسائه ، فقالوا : إنا قد أنكرنا هذا ، فإن كان سليمان فقد ذهب عقله وأنكرنا أحكامه . قال : فبكىٰ النساء عند ذلك ، قال : فأقبلوا يمشون حتىٰ أتوا ، فأحدقوا به ثم نشروا فقرءوا التوراة . قال : فطار من بين أيديهم حتىٰ وقع علىٰ شرفة ، والخاتم معه . ثم طار حتىٰ ذهب إلىٰ البحر ، فوقع الخاتم منه في البحر ، فابتلعه حوت من حيتان البحر . قال : وأقبل سليمان في حاله التي كان فيها ، حتىٰ انتهىٰ إلىٰ صياد من صيادي[٣] البحر ، وهو جائع ، وقد اشتد جوعه ، فاستطعمهم من صيدهم ، وقال : إني أنا سليمان . فقام إليه بعضهم [فضربه بعصا][٤] فشجَّه ، فجعل يغسل دمه وهو علىٰ شاطئ البحر ، فلام الصيادون صاحبَهم الذي ضربه ، وقالوا : بئس ما صنعت حيث ضربته ! قال : إنه زعم أنه سليمان . قال : فأعطوه سمكتين مما قد مَذر عندهم ، فلم يشغله ما كان به من الضرب حتىٰ قام إلىٰ شط البحر ، فشق بطونهما ، فجعل يغسل ، فوجد خاتمه في بطن إحداهما ، فأخذه فلبسه ، فرد اللَّه عليه بهاءه وملكه ، وجاءت الطير حتىٰ حامت عليه ، فعرف القوم أنه سليمان عليه السلام فقام القوم يعتذرون مما صنعوا ، فقال : ما أحمدكم علىٰ عذركم ، ولا ألومكم علىٰ ما كان منكم ، كان هذا الأمر لابد منه . قال : فجاء حتىٰ أتىٰ[٥] ملكه ، وأرسل إلىٰ الشيطان ، فجيء به فأمر به ، فجعل في صندوق من حديد ، ثم أطبق عليه ، وقفل عليه بقفل ، وختم عليه بخاتمه ، ثم أمر به فألقي في البحر ، فهو فيه حتىٰ تقوم الساعة . وكان اسمه حبقيق . قال : وسخر له الريح ، ولم تكن سخرت له قبل ذلك ، وهو قوله : ﴿ **وهب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب** ﴾ .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : «الشيطان جلس».

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ز : « صيادين » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : «بعصا فضربه» .

[٥] - سقط من : ز .

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله : ﴿ وألقينا علىٰ كرسيه جسدًا ﴾ قال : شيطانًا يقال له : آصف . فقال له سليمان : كيف تفتنون الناس ؟ قال : أرني خاتمك أخبرك . فلما أعطاه إياه[١] نبذه آصف في البحر ، فساح سليمان وذهب ملكه ، وقعد آصف علىٰ كرسيه ، ومنعه اللّٰه نساء سليمان ، فلم يقربهن ولم يقربنه وأنكرنَه . قال : فكان[٢] سليمان يستطعم ، فيقول : أتعرفوني ؟ أطعموني ، أنا سليمان . فيكذبونه ، حتىٰ أعطته امرأة يومًا حوتًا فجعل يطيّبُ بطنه ، فوجد خاتمه في بطنه ، فرجع إليه ملكه ، وفر آصف ، فدخل البحر فارًّا .

وهذه كلها من الإسرائيليات ومن أنكرِها ما قال ابن أبي حاتم(٢٤) : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا محمد بن العلاء ، وعثمان بن أبي شيبة ، وعلي بن محمد؛ قالوا : حدثنا أبو معاوية ، أخبرنا الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ وألقينا علىٰ كرسيه جسدًا ثم أناب ﴾ قال : أراد سليمان أن يدخل الخلاء ، فأعطىٰ الجرادة خاتمه[٣] - وكانت الجرادة امرأته ، وكانت أحب نسائه إليه - فجاء الشيطان في صورة سليمان ، فقال لها : هاتي خاتمي . فأعطته إياه[٤] . فلما لبسه[٥] دانت له الإنس والجن والشياطين ، فلما خرج سليمان من الخلاء قال لها : هاتي خاتمي . قالت : قد[٦] أعطيته سليمان ! [قال : أنا سليمان . قالت][٧] : كذبت ، لست سليمان . فجعل لا يأتي أحدًا فيقول له : أنا سليمان ، إلا كذبه ، حتىٰ جعل الصبيان يرمونه بالحجارة . فلما رأىٰ ذلك عرَف أنه من أمر اللّٰه عز وجل . قال : وقام الشيطان يحكم بين الناس ، فلما أراد اللّٰه أن يرد علىٰ سليمان سلطانه ، ألقىٰ في قلوب الناس إنكار ذلك الشيطان . قال : فأرسلوا إلىٰ نساء سليمان فقالوا لهن : أتنكرن[٨] من سليمان شيئًا ؟ قلن : نعم ، إنه يأتينا ونحن حُيَّض ، وما كان يأتينا قبل ذلك . فلما رأىٰ الشيطان أنْ قد فُطِن له ، ظن أن أمره قد انقطع ، فكتبوا كتبًا فيها سحر وكفر ، فدفنوها تحت كرسي سليمان ، ثم أثاروها وقرءوها علىٰ الناس . وقالوا : بهذا كان يظهر سليمان علىٰ الناس . فأكفر الناسُ سليمانَ - عليه السلام - فلم يزالوا يكفرونه ، وبعث ذلك الشيطانُ بالخاتم فطرحه في البحر ، فتلقته سمكة فأخذته . وكان سليمان يحمل علىٰ شط البحر بالأجر ، فجاء رجل فاشترىٰ سمكًا فيه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم ، فدعا سليمان فقال : تحمل لي[٩] هذا السمك ؟ فقال : نعم . قال : فبكم[١٠] ؟ قال : بسمكة من هذا السمك . قال : فحمل سليمان عليه السلام السمك ، ثم انطلق به إلىٰ منزله ، فلما انتهىٰ الرجل إلىٰ بابه أعطاه

(٢٤) - عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٨٠/٥) أيضًا إلى النسائي وابن جرير .

[١] - في ز : « سليمان » .
[٢] - في ز : « وكان » .
[٣] - في ز : « امرأته » .
[٤] - سقط من : خ ، ز .
[٥] - في ز : « لبس » .
[٦] - سقط من : خ ، ز .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٨] - في ز : « تنكرن » .
[٩] - في خ : « منا » .
[١٠] - في خ : « بكم » .

تلك السمكة التي في بطنها الخاتم ، فأخذها سليمان فشق بطنها ، فإذا الخاتم في جوفها ، فأخذه فلبسه . قال : فلما لبسه دانت له الجن والإنس والشياطين ، وعاد إلىٰ حاله ، وهَرَب الشيطان حتىٰ دخل جزيرة من جزائر البحر ، فأرسل سليمان في طلبه ، وكان شيطانًا مريدًا ، فجعلوا يطلبونه ولا يقدرون عليه ، حتىٰ وجدوه يومًا نائمًا ، فجاءوا فبنوا عليه بنيانًا من رصاص ، فاستيقظ فوثب فجعل لا يثب[١] في مكان من البيت إلا انماط معه الرصاص . قال : فأخذوه فأوثقوه ، وجاءوا به إلىٰ سليمان ، فأمر به فنقر له تخت من رخام ، ثم أدخل في جوفه ، ثم سد بالنحاس ، ثم أمر به فطرح في البحر ، فذلك قوله : ﴿ **ولقد فتنا سليمان وألقينا علىٰ كرسيه جسدًا ثم أناب** ﴾ قال : يعني الشيطان الذي كان سلط عليه .

إسناده إلىٰ ابن عباس قوي ، ولكن الظاهر أنه [مما تلقاه][٢] ابن عباس - إن صح عنه - من أهل الكتاب ، وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان - عليه السلام - ، فالظاهر أنهم يكذبون عليه ؛ ولهذا كان في هذا السياق منكرات من أشدها ذكر النساء ، فإن المشهور أن ذلك الجني لم يسلط علىٰ نساء سليمان ، بل عصمهن اللّٰه منه ، تشريفًا وتكريمًا لنبيه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم . وقد رُويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف ، كسعيد بن المسيب ، وزيد ابن أسلم ، وجماعة آخرين ، وكلها مُتلقَّاة من قصص أهل الكتاب ، واللّٰه أعلم بالصواب .

وقال يحيى بن أبي عمرو[٣] السيباني[٤] : وجد سليمان خاتمه في عسقلان ، فمشىٰ في خرقة[٥] إلىٰ بيت المقدس ، تواضعًا للّٰه عز وجل . رواه ابن أبي حاتم .

وقد روىٰ ابن أبي حاتم عن كعب الأحبار [في صفة كرسي سليمان عليه الصلاة والسلام خبرًا عجيبًا ، فقال : حدثنا أبي رحمه اللّٰه ، حدثنا أبو صالح كاتب الليث ، أخبرني أبو إسحاق المصري ، عن كعب الأحبار][٦] : أنه لما فرغ من حديث « **إرم ذات العماد** » قال له معاوية : يا أبا إسحاق ، أخبرني عن كرسي سليمان بن داود ، وما كان عليه ؟ ومن أي شيء هو ؟ فقال : كان كرسي سليمان من أنياب الفيلة مُفَصّصًا بالدر والياقوت والزبرجد واللؤلؤ . وقد جُعل له[٧] درجة منها مُفَصّصة[٨] بالدر والياقوت والزبرجد ، ثم أمر بالكرسي فحُفَّ من جانبيه بالنخل ، نخل من ذهب ، شماريخها من ياقوت وزبرجد ولؤلؤ . وجعل علىٰ رءوس النخل [التي عن يمين الكرسي طواويس من ذهب ، ثم جُعِل علىٰ رءوس النخل التي علىٰ يسار الكرسي نسور من ذهب مقابلة الطواويس . وجعل علىٰ يمين الدرجة الأولىٰ شجرتا صنوبر من

---

[١] - في خ : « يثيب » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « مما تلقى » ، وفي ت : «إنما تلقاه » .
[٣] - في خ ، ز : « عروبة » .
[٤] - في ز : « الشيباني » .
[٥] - في خ : « جرته » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٧] - سقط من : خ ، ز .
[٨] - في ز : « مفصَّصًا » .

ذهب ، وعن يسارها أَسَدَان من ذهب ، وعلىٰ رءوس الأسدين عمودان من زبرجد][١] ، وجُعِل من جانبي الكرسي شجرتا[٢] كرم من ذهب ، قد أظلتا الكرسي ، وجعل عناقيدهما درًّا وياقوتًا أحمر . ثم جعل فوق دَرَج الكرسي أسدان عظيمان من ذهب مجوفان محشوان مسكًا وعنبرًا . فإذا أراد سليمان أن يصعد علىٰ كرسيه استدار الأسدان ساعة ، ثم يقفان[٣] فينضحان ما في أجوافهما من المسك والعنبر حول كرسيّ سليمان - عليه السلام - ثم يوضع منبران من ذهب ، واحد لخليفته والآخر لرئيس أحبار بني إسرائيل ذلك الزمان . ثم يوضع أمام كرسيه سبعون منبرًا من ذهب ، يقعد عليها سبعون قاضيًا من بني إسرائيل وعلمائهم ، وأهل الشرف منهم والطول ، ومن خلف تلك المنابر كلها خمسة وثلاثون منبرًا من ذهب ، ليس عليها أحد ، فإذا أراد أن يصعد علىٰ كرسيه وضع قدميه علىٰ الدرجة السفلىٰ ، فاستدار الكرسي كله بما فيه وما عليه ، ويبسط الأسد يده اليمنىٰ وينشر النسر جناحه الأيسر ، ثم يصعد علىٰ الدرجة الثانية ، فيبسط الأسد يده اليسرىٰ ، وينشر النسر جناحه الأيمن ، فإذا استوىٰ سليمان علىٰ الدرجة الثالثة وقعد علىٰ الكرسي ، أخذ نسر من تلك النسور عظيم تاج سليمان[٤] فوضعه علىٰ رأسه ، [فإذا وضعه علىٰ رأسه][٥] استدار الكرسي بما فيه كما تدور الرحىٰ المسرعة . فقال معاوية[٦] -رضي اللَّه عنه- : وما الذي يديره يا أبا إسحاق ؟ قال : تنين من ذهب ، ذلك الكرسي عليه وهو عظيم مما عمله صخر الجني ، فإذا أحست بدورانه تلك النسور والأُسْدُ والطواويس التي في أسفل الكرسي دُرْنَ إلىٰ أعلاه ، فإذا وقف وقفن كلهن منكسات رءوسهن علىٰ رأس سليمان - عليه السلام - وهو جالس ، ثم ينضحن جميعًا ما في أجوافهن من المسك والعنبر علىٰ رأس سليمان - عليه السلام - ثم تتناول حمامة من ذهب واقفة علىٰ عمود من جوهر التوراة فتجعلها في يده[٧] ، فيقرؤها سليمان علىٰ الناس .

وذكر تمام الخبر وهو غريب جدًّا

﴿ **قال رب اغفر لي وهب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب** ﴾ قال بعضهم : معناه لا ينبغي لأحد من بعدي ، أي : لا يصلح لأحد أن يسلبنيه بعدي كما كان من قضية الجسد الذي أُلقي علىٰ كرسيه ، لا أنه يحجر علىٰ من بعده من الناس . والصحيح أنه سأل من اللَّه ملكًا لا يكون لأحد من بعده من البشر مثله ، وهذا هو ظاهر السياق من الآية ، وبه وردت الأحاديث الصحيحة من طرق عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم :

قال البخاري(٢٥) ، عند تفسير هذه الآية : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، أخبرنا روح ،

(٢٥) - صحيح البخاري كتاب التفسير ، باب : (هب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ز : « شجرتي » .
[٣] - في ت : « يقعان » .
[٤] - سقط من : خ ، ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٦] - في خ ، ز : « إسحاق » .
[٧] - في ز : « يدها » .

ومحمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن محمد بن زياد ، عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **إن عفريتًا من الجن تَفَلَّت عليّ البارحة** - أو كلمة نحوها - **ليقطع عليّ الصلاة ، فأمكنني اللَّه منه ، وأردت أن أربطه إلىٰ سارية من سواري المسجد حتىٰ تُصبحوا وتنظروا**[١] **إليه كلكم ، فذكرت قول أخي سليمان : ﴿ رب اغفر لي وهب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي ﴾** » .

قال روح : فرده خاسئًا .

وكذا رواه مسلم والنسائي من حديث شعبة به .

وقال مسلم في صحيحه (٢٦) : حدثنا محمد بن سلمة المُرَادي ، حدثنا عبد اللَّه بن وهب ، عن معاوية بن صالح ، حدثني ربيعة بن يَزيد[٢] ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن أبي الدرداء قال : قام رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يصلي ، فسمعناه يقول : « **أعوذ باللَّه منك** » . ثم قال : « **ألعنك بلعنة اللَّه** » - ثلاثًا[٣] - وبسط يَدَه كأنه يتناول شيئًا ، فلما فرغ من[٤] الصلاة قلنا : يا رسول اللَّه ، قد[٥] سمعناك تقول في الصلاة شيئًا لم نسمعك تقوله قبل ذلك ، ورأيناك بسطت يدك ؟ قال : « **إن عدو اللَّه إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي ، فقلت : أعوذ باللَّه منك - ثلاث مرات - ثم قلت : ألعنك بلعنة اللَّه التامة . فلم يستأخر ثلاث مرات، ثم أردت أخذَه ، واللَّه لولا دعوة أخينا**[٦] **سليمان ، لأصبح موثقًا يلعب**[٧] **به صبيان أهل المدينة** » .

وقال الإمام أحمد(٢٧) : حدثنا أبو أحمد، حدثنا ميسرة[٨] بن معبد، حدثنا أبو عبيد حاجب سليمان قال : رأيت عطاء بن يزيد الليثي قائمًا يصلي ، فذهبت أمرّ بين يديه فردني ، ثم قال : حدثني أبو سعيد الخدري : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قام يصلي صلاة

الوهاب) . حديث (٤٨٠٨) ، وأطرافه في (٤٦١، ١٢١٠، ٣٢٨٤، ٣٤٢٣) ، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة ، حديث (٥٤١) ، والنسائي في تفسيره (٤٦٠) من طريق شعبة به .

(٢٦) - صحيح مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، حديث (٥٤٢) . وأخرجه النسائي في كتاب السهو ، باب لعن إبليس والتعوذ بالله منه في الصلاة (١٣/٣) وفي الكبرى (٥٤٩) ، (١١٣٨) ، وابن خزيمة (٨٩١) من طريق عبد الله بن وهب به .

(٢٧) - المسند (٨٢/٣) .

[١] - في ز : « فتنظروا » .
[٢] - في خ ، ز : « زيد » .
[٣] - سقط من : خ ، ز .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في خ ، ز : « أخي » .
[٧] - في ز : « تلعب » .
[٨] - في خ ، ز : « مرة » .

الصبح وهو خلفه ، فقرأ فالتبست عليه القراءة ، فلما فرغ من صلاته قال : « **لو رأيتموني وإبليس ، فأهويت بيدي ، فما زلت أخنقه حتىٰ وجدت بَرْدَ لعابه بين إصبعي هاتين – الإبهام والتي تليها – ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح[١] مربوطًا بسارية من سواري المسجد ، يتلاعب به صبيان المدينة ، فمن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل** »

[وقد روىٰ أبو داود منه(٢٨) : « **من استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل** »][٢] ، عن أحمد بن أبي سُرَيج ، عن أبي أحمد الزبيري ، به .

وقال الإمام أحمد (٢٩) : حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا إبراهيم بن محمد الفزاري ، حدثنا الأوزاعي ، حدثني ربيعة بن يزيد[٣] ، عن[٤] عبد الله الديلمي قال : دخلت علىٰ عبد الله بن عمرو ، وهو في حائط له بالطائف يقال له « **الوهط** » ، وهو مُخَاصر فتى من قريش يُزَنّ بِشُرب الخمر ، فقلت : بلغني عنك حديث أنه من شرب شربة خَمْر لم يقبل الله – عز وجل – له توبَةً أربعين صباحًا ، وإن الشقي من شقي في بطن أمه ، وإنه من أتىٰ بيت المقدس لا يَنْهَزه إلا الصلاة فيه ، خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه ، فلما سمع الفتىٰ ذكر الخمر اجتذب يده من يده ، ثم انطلق ، فقال عبد الله بن عمرو : إني لا أحل لأحد أن يقول عَلَيّ ما لم أقل ، سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **من شرب من الخمر شربة ، لم تقبل له صلاة أربعين صباحًا ، [فإن تاب تاب الله عليه ، فإن عاد لم تقبل له صلاة أربعين صباحًا ، فإن تاب تاب الله عليه . فإن عاد][٥] قال : فلا أدري في الثالثة[٦] أو الرابعة – فإن عاد كان حقًا على الله أن يسقيه من ردغة الخبال يوم القيامة** » .

قال : وسمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **إن الله خلق خلقه في ظلمة ، ثم ألقى عليهم من نوره ، فمن أصابه من نوره يومئذ اهتدىٰ ، ومن أخطأه ضل ، فكذلك أقول : جف القلم علىٰ علم الله عز وجل** » .

وسمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **إن سليمان سأل الله تعالىٰ ثلاثًا ، فأعطاه اثنتين ، ونحن نرجو أن تكون لنا الثالثة : سأله حكمًا يصادف حكمه ، فأعطاه إياه ، وسأله ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده ، فأعطاه إياه ، وسأله : أيّما رجل خرج من بيته لا يريد**

(٢٨) – سنن أبي داود في الصلاة ، باب : ما يؤمر المصلي أن يدرأ عن الممر بين يديه ، حديث (٦٩٩) .
(٢٩) – المسند (١٧٦/٢) ، وانظر التالي .

[١] – في ز : « أصبح » .
[٢] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٣] – في خ : « زيد » .
[٤] – في خ ، ز : « بن » .
[٥] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٦] – في خ : « الثلاثة ».

إلا الصلاة في هذا المسجد ، خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه ، فنحن نرجو أن يكون الله تعالىٰ قد أعطانا إياها » .

وقد روىٰ هذا الفصل الأخير من هذا الحديث النسائي وابن ماجة من طرق ، عن عبد الله ابن فيروز الديلمي ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن سليمان لما بنىٰ بيت[1] المقدس سأل ربه – عز وجل – خلالاً ثلاثًا** » ... وذكره(٣٠) .

وقد روي من حديث رافع بن عمير –رضي الله عنه– بإسناد وسياق غريبين ، فقال الطبراني(٣١) :

حدثنا محمد بن الحسن بن قتيبة العسقلاني ، حدثنا محمد بن أيوب بن سويد ، حدثني أبي ، حدثنا إبراهيم بن أبي عبلة، عن أبي الزاهرية ، عن رافع بن عمير قال: سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **قال الله – عز وجل – لداود – عليه السلام – : ابن لي بيتًا في الأرض . فبنىٰ داود بيتًا لنفسه قبل البيت الذي أمر به ، فأوحىٰ الله إليه : يا داود ، نصبت بيتك قبل بيتي . قال : يا رب ، هكذا قضيت ، من ملك استأثر . ثم أخذ في بناء المسجد ، فلما تم السور سقط ، ثلاثًا ، فشكا ذلك إلىٰ الله – عز وجل – فقال : يا داود ، إنك لا تصلح أن تبني لي بيتًا . قال : ولم يارب ؟ قال : لما جرىٰ علىٰ يديك من الدماء . قال : يارب ، أو ما كان ذلك في هواك ومحبتك ؟ قال : بلىٰ ، ولكنهم عبادي ، وأنا أرحمهم . فشق ذلك عليه ، فأوحىٰ الله إليه : لا تحزن ، فإني سأقضي بناءه علىٰ يدي ابنك سليمان . فلما مات داود أخذ سليمان في بنيانه فلما تم قرّب القرابين ، وذبح الذبائح ، وجمع بني إسرائيل ، فأوحىٰ الله إليه : قد أرىٰ سرورَك ببنيان بيتي ، فسلني أعطك . قال : أسألك ثلاث خصال : حكمًا يصادف حكمك ، وملكا لا ينبغي لأحد من بعدي ، ومن أتىٰ هذا البيت لا يريد إلا الصلاة فيه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه** » . قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أما ثنتان[2] فقد أعطيهما ، وأنا أرجو أن يكون قد أعطي الثالثة** » .

و[3]قال الإمام أحمد(٣٢) : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا عُمَر بن راشد اليمامي ، حدثنا إياس

(٣٠) – أخرجه النسائي في الأشربة ، باب توبة شارب الخمر (٨/٣١٧) ، وابن ماجة في الأشربة ، باب : من شرب الخمر لم تقبل له صلاة ، حديث (٣٣٧٧) ، والدارمي (٢٠٩٧) ، وأحمد (٢/١٧٦) من طرق عن الأوزاعي به .

(٣١) – المعجم الكبير (٥/٢٤) (٤٤٧٧) .

(٣٢) – المسند (٤/٥٤) ، وأخرجه عبد بن حميد (٣٨٧ – منتخب) عن عثمان بن عمر بن راشد اليمامي به.

[1] – في ز : « البيت » .

[2] – في ز : « اثنتين » .

[3] – سقط من : ز .

ابن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه قال : ما سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم دعا إلا استفتحه : « **سبحان الله[١] ربي الأعلىٰ العليّ الوهاب** » .

وقد قال أبو عبيد : حدثنا علي بن ثابت ، عن جعفر بن بَرْقان ، عن صالح بن مسمار قال : لما مات نبي الله داود أوحىٰ الله إلىٰ ابنه سليمان عليهما السلام : « **أن سلني حاجتك . قال : أسألك أن تجعل لي قلبًا يخشاك ، كما كان قلب أبي ، وأن تجعل قلبي يحبك كما كان قلب أبي . فقال الله : أرسلت إلىٰ عبدي وسألته[٢] حاجته فكانت أن أجعل قلبه يخشاني وأن أجعل قلبه يحبني ، لأهَبَنّ له ملكا لا ينبغي لأحد من بعده . قال الله تعالىٰ : ﴿ فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ﴾** والتي بعدها ، قال : فأعطاه ما أعطاه ، وفي الآخرة لا حساب عليه » .

كذا أورده أبو القاسم بن عساكر في ترجمة سليمان -عليه السلام- في تاريخه .

وروي عن بعض السلف أنه قال : بلغني عن داود أنه قال : « **إلهي ، كن لسليمان كما كنت لي . فأوحىٰ الله إليه أن قل لسليمان أن يكون لي كما كنتَ لي أكون له كما كنتُ لك** » .

وقوله: **﴿فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب﴾** قال الحسن البصري رحمه الله : لما عقر سليمان الخيل غضبًا لله - عز وجل - عوضه الله ما هو خير منها وأسرع، الريح التي[٣] غدوها شهر ورواحها شهر .

وقوله : **﴿حيث أصاب﴾** أي : حيث أراد من البلاد .

وقوله : **﴿ والشياطين كل بناء وغواص ﴾** أي : منهم من هو مستعمل في الأبنية الهائلة من محاريب وتماثيل وجفان كالجوابي وقدور راسيات ، إلىٰ غير ذلك من الأعمال الشاقة التي لا يقدر عليها البشر ، وطائفة غواصون في البحار يستخرجون مما فيها من اللآلىء والجواهر والأشياء النفيسة التي لا توجد إلا فيها ، **﴿ وآخرين مقرنين في الأصفاد ﴾** أي : موثقون[٤] في الأغلال والأكبال ، ممن قد تَمَرّد وعصىٰ وامتنع من العمل وأبىٰ ، أو قد أساء في صنيعه واعتدىٰ .

وقوله : **﴿ هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ﴾** أي : هذا الذي أعطيناك من الملك التام والسلطان الكامل كما سألتنا ، فأعط من شئت واحرم من شئت ، لا حساب عليك ، أي : مهما فعلت فهو جائز لك ، احكم بما شئت فهو صواب .

وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خُير بين أن يكون عبدًا

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في ز : « أساله » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في خ : « موثوقون » .

رسولًا - وهو الذي يفعل ما يؤمر به ، وإنما هو قاسم يقسم بين الناس ما أمره اللّه به - وبين أن يكون ملكا نبيًا ، يعطي من يشاء ويمنع من يشاء بلا حساب ولا جناح ، اختار المنزلة الأولىٰ بعد ما استشار جبريل ، فقال له : تواضع . فاختار المنزلة الأولىٰ ؛ لأنها أرفع قدرًا عند اللّه وأعلىٰ منزلة في المعاد . وإن كانت المنزلة الثانية وهي النبوة مع الملك عظيمة أيضًا في الدنيا وفي الآخرة . ولهذا لما ذكر تعالىٰ ما أعطي سليمان في الدنيا نبه علىٰ أنه ذو حظ عظيم عند اللّه يوم القيامة أيضًا ، فقال : ﴿ **وإن له عندنا لزلفىٰ وحسن مآب** ﴾ أي : في الدار الآخرة .

وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾

يذكر تعالىٰ عبده ورسوله أيوب - عليه السلام - وما كان ابتلاه تعالىٰ به من الضر في جسده وماله وولده ، حتىٰ لم يبق من جسده مَغْرز إبرة سليمًا سوىٰ قلبه ، ولم يبق له من حال الدنيا شيء يستعين به علىٰ مرضه وما هو فيه ، غير أن زوجته حفظت وده لإيمانها باللّه ورسوله ، فكانت تخدم الناس بالأجرة وتطعمه ، وتخدمه نحوًا من ثماني عشرة سنة . وقد كان قبل ذلك في مال جزيل وأولاد وسعة طائلة من الدنيا ، فَسُلبَ جميعَ ذلك . حتىٰ آل به الحال إلىٰ أن ألقي علىٰ مزبلة من مزابل البلدة هذه المدة بكمالها ، ورفضه القريب والبعيد سوىٰ زوجته - رضي اللّه عنها - فإنها كانت لا تفارقه صباحًا ومساء إلا بسبب خدمة الناس ، ثم تعود إليه قريبًا . فلما طال المطال ، واشتد الحال ، وانتهىٰ القدر المقدور ، وتم الأجل المقدَّر ، تضرع إلىٰ رب العالمين وإله المرسلين ، فقال : ﴿ **إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين** ﴾ وفي هذه الآية الكريمة قال : ﴿ **رَبِّ إني مسني الشيطان بنصب وعذاب** ﴾ قيل : بنصب في بدني ، وعذاب في مالي وولدي . فعند ذلك استجاب له أرحم الراحمين ، وأمره أن يقوم من مقامه ، وأن يركض الأرض برجله . ففعل ، فأنبع اللّه عينًا وأمره أن يغتسل منها ، فأذهبت جميع ما كان في بدنه من الأذىٰ . ثم أمره فضرب الأرض في مكان آخر ، فأنبع له عينًا أخرىٰ وأمره أن يشرب منها ، فأذهبت جميع ما كان في باطنه من السوء ، وتكاملت العافية ظاهرًا وباطنًا ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب** ﴾ .

قال ابن جرير ، وابن أبي حاتم جميعًا [٣٣] : حدثنا يونس بن عبد الأعلىٰ ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني نافع بن يزيد ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، عن أنس بن مالك - رضي اللّه

(٣٣) - تفسير الطبري (٢٣/١٦٧) .

عنه - : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **إن نبي اللَّه أيوب - عليه السلام - لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة ، فرفضه القريب والبعيد ، إلا رجلين كانا من أخص إخوانه به ، كانا يغدوان إليه ويروحان ، فقال أحدهما لصاحبه : تعلم - واللَّه - لقد أذنب أيوب ذنبًا ما أذنبه أحد من العالمين. قال له صاحبه : وما ذاك ؟ قال : من ثماني عشرة سنة لم يرحمه اللَّه ، فيكشفَ ما به . فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتىٰ ذكر ذلك له ، فقال أيوب : لا أدري ما تقول ، غير أن اللَّه يعلم أني كنت أمرّ علىٰ الرجلين يتنازعان ، فيذكران اللَّه - عز وجل - فأرجع إلىٰ بيتي فأكفر عنهما ، كراهية أن يذكرا اللَّه إلا في حق . قال : وكان يخرج إلىٰ حاجته فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتىٰ يبلغ ، فلما كان ذات يوم أبطأ عليها ، وأوحىٰ اللَّه تعالىٰ إلىٰ أيوب - عليه السلام - أن ﴿ اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ﴾** ، فاستبطأته ، فتلقته[١] تنظر ، فأقبل[٢] عليها ، قد أذهب اللَّه ما به من البلاء ، وهو علىٰ أحسن ما كان . فلما رأته قالت : أي بارك اللَّه فيك ، هل رأيت نبي اللَّه هذا المبتلىٰ . فواللَّه على ذلك ، ما رأيت رجلًا أشبه به منك إذ كان صحيحًا ، قال : فإني أنا هو . قال : وكان له أندران ، أندر للقمح وأندر للشعير ، فبعث اللَّه سحابتين ، فلما كانت إحداهما علىٰ أندر القمح أفرغَت فيه الذهب حتىٰ فاض ، وأفرغت الأخرىٰ في أندر الشعير حتىٰ فاض » . هذا لفظ ابن جرير رحمه اللَّه .

وقال الإمام أحمد (٣٤) : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن همام بن مُنَبّه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **بينما[٣] أيوب يغتسل عريانًا ، خَرّ عليه جراد من ذهب ، فجعل أيوب يحثو[٤] في ثوبه ، فناداه ربه : يا أيوب ؛ ألم أكن أغنيتك عما ترىٰ ؟ قال : بلىٰ يا رب ، ولكن لا غنىٰ بي عن بركتك** » . انفرد بإخراجه البخاري من حديث عبد الرزاق به .

ولهذا قال تعالىٰ : **﴿ ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرىٰ لأولي الألباب ﴾** ، قال الحسن ، وقتادة : أحياهم اللَّه تعالىٰ له بأعيانهم وزادَه مثلهم معهم .

وقوله : **﴿ رحمة منا ﴾** أي : به علىٰ صبره وثباته وإنابته وتواضعه واستكانته ، **﴿ وذكرىٰ لأولي الألباب ﴾** أي : لذوي العقول ، ليعلموا أن عاقبة الصبر الفرجُ والمخرجُ والراحة .

وقوله : **﴿ وخذ بيدك ضغثًا فاضرب به ولا تحنث ﴾** ، وذلك أن أيوب - عليه السلام -

---

(٣٤) - المسند (٢/٣١٤) ، وأخرجه البخاري في الغسل ، باب : من اغتسل عريانًا وحده في الخلوة ... ، حديث (٢٧٨) ، وأطرافه في (٣٤٠٤،٤٧٩٩) .

---

[١] - في خ : « فبلغته » .
[٢] - في ز : « وأقبل » .
[٣] - في ز : « فبينما » .
[٤] - في ز : « يحثي » .

كان قد غضب علىٰ زوجته ، ووَجَد عليها في أمر فعَلته . قيل : باعت ضفيرتها بخبز فأطعمته إياه[١] ، فلامها علىٰ ذلك ، وحلف إن شفاه اللَّه ليضربنها مائة جلدة . وقيل : لغير ذلك من الأسباب . فلما شفاه اللَّه وعافاه ، ما كان جزاؤها مع هذه الخدمة التامة والرحمة والشفقة والإحسان أن تقابل بالضرب ، فأفتاه اللَّه - عز وجل - أن يأخذ ضغثًا - وهو : الشِّمراخ - فيه مائة قضيب فيضربها به ضربة واحدة ، وقد برّت يمينه ، وخرج من حنثه ووفىٰ[٢] بنذره ، وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقىٰ اللَّه وأناب إليه ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **إنا وجدناه صابرًا نعم العبد إنه أواب** ﴾ ، أثنىٰ اللَّه تعالىٰ عليه ومدحه بأنه ﴿ **نعم العبد إنه أواب** ﴾ أي : رجاع منيب ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ومن يتق اللَّه يجعل له مخرجًا * ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾ وقد استدل كثير من الفقهاء[٣] بهذه الآية الكريمة علىٰ مسائل في الإيمان وغيرها ، وأخذوها بمقتضاها .

وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن فضائل عباده المرسلين وأنبيائه العابدين : ﴿ **واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار** ﴾ ، يعني بذلك : العمل الصالح والعلم النافع والقوة في العبادة والبصيرة النافذة .

قال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس : ﴿ **أولي الأيدي والأبصار** ﴾ ، يقول : أولي القوة والعبادة ، ﴿ **والأبصار** ﴾ ، يقول : الفقه في الدين .

وقال مجاهد : ﴿ **أولي الأيدي** ﴾ يعني : القوة في طاعة اللَّه ، ﴿ **والأبصار** ﴾ يعني : البصر في الحق .

وقال قتادة والسدي أعطوا قوة في العبادة وبصرًا في الدين .

وقوله :﴿ **إنا أخلصناهم بخالصة ذكرىٰ الدار** ﴾ قال مجاهد : أي جعلناهم يعملون للآخرة ليس لهم هَمّ غيرها . وكذا قال السدي : ذكرهم للآخرة وعملهم لها .

وقال مالك بن دينار : نزع اللَّه من قلوبهم حب الدنيا وذكرها ، وأخلصهم لحب الآخرة

---

[١] - سقط من : ز . [٢] - سقط من : خ .
[٣] - في خ : « العلماء » .

وذكرها . وكذا قال عطاء الخراساني .

وقال سعيد بن جُبَير : يعني بالدار الجنة ، يقول : أخلصناها لهم بذكرهم لها . وقال في رواية أخرىٰ : ﴿ **ذكرىٰ الدار** ﴾ : عقبىٰ الدار .

وقال قتادة : كانوا يذكرون الناس الدار الآخرة والعمل لها .

وقال ابن زيد : جعل لهم خاصَّة أفضل شيء في الدار الآخرة .

وقوله : ﴿ **وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار** ﴾ أي : لمن المختارين المجتبين الأخيار ، فهم أخيار مختارون .

وقوله : ﴿ **واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار** ﴾ ، قد تقدم الكلام علىٰ قصصهم وأخبارهم مستقصاة في « **سورة الأنبياء** » بما أغنى عن إعادته هاهنا .

وقوله : ﴿ **هذا ذكر** ﴾ أي : هذا فضل فيه ذكر لمن يتذكر .

وقال السدي : يعني القرآن .

هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾

يخبر تعالىٰ عن عباده المؤمنين السعداء ، أن لهم في الآخرة ﴿ **لحسن مآب** ﴾ وهو : المرجع والمنقلب . ثم فسره بقوله : ﴿ **جنات عدن** ﴾ أي : جنات إقامة ﴿ **مفتحة لهم الأبواب** ﴾ . والألف واللام هنا بمعنى الإضافة كأنه يقول: « **مفتحة لهم أبوابها** » أي: إذا جاءوها فتحت لهم[١] أبوابها .

قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن ثواب[٢] الهَبَّاري، حدثنا عبد الله بن نمير، حدثنا عبد الله ابن مسلم - يعني ابن هرمز عن ابن سابط ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن في الجنة قصرًا يقال له**[٣] : **عدن ، حوله البروج والمروج ، له خمسة آلاف باب ، عند كل باب خمسة آلاف**[٤] **حِبَرَة ، لا يدخله - أو : لا يسكنه - إلا نبي أو**

[١] - في ت : « لها » .
[٢] - بياض في خ ، ز .
[٣] - سقط من : خ ، ز .
[٤] - في ز : « إلا » .

صديق أو شهيد أو إمام عدل» . وقد ورد في ذكر أبواب الجنة الثمانية أحاديث كثيرة من وجوه عديدة .

وقوله : ﴿ متكئين فيها ﴾ قيل : متربعين فيها على سرر تحت الحجال ، ﴿ يدعون فيها بفاكهة كثيرة ﴾ أي : مهما طلبوا وجدوا ، وحضر كما أرادوا . ﴿ وشراب ﴾ أي : من أيّ أنواعه شاءوا أتتهم به الخدام ﴿ بأكواب وأباريق وكأس من معين ﴾ .

﴿ وعندهم قاصرات الطرف ﴾ أي : عن غير أزواجهن ، فلا يلتفتن إلىٰ غير بعولتهن ، ﴿ أتراب ﴾ أي : متساويات في السن والعمر . هذا معنىٰ قول ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد ابن جبير ، ومحمد بن كعب ، والسّدّي .

﴿ هذا ما توعدون ليوم الحساب ﴾ أي : هذا الذي ذكرنا من صفة الجنة التي [ ][١] وعدها لعباده المتقين ، التي يصيرون إليها بعد نشورهم وقيامهم من قبورهم وسلامتهم من النار .

ثم أخبر عن الجنة أنه لا فراغ لها ولا انقضاء ولا زوال ولا انتهاء ، فقال : ﴿ إن هذا لرزقنا ماله من نفاد ﴾ ، كقوله تعالىٰ : ﴿ ما عندكم ينفد وما عند الله باق ﴾ وكقوله : ﴿ عطاء غير مجذوذ ﴾ وكقوله : ﴿ لهم أجر غير ممنون ﴾ أي : غير مقطوع ، وكقوله : ﴿ أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ﴾ والآيات في هذا كثيرة جدًا .

هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾

لما ذكر تعالىٰ مآل السعداء ، ثنّىٰ بذكر حال الأشقياء ومرجعهم ومآبهم في دار معادهم وحسابهم ، فقال : ﴿ هذا وإن للطاغين ﴾ وهم : الخارجون عن طاعة الله ، المخالفون لرسل الله ، ﴿ لشر مآب ﴾ أي : لسوء منقلب ومرجع . ثم فسره بقوله : ﴿ جهنم يصلونها ﴾

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « هي » .

أي : يدخلونها فتغمرهم من جميع جوانبهم ، ﴿ **فبئس المهاد * هذا فليذوقوه حميم وغساق** ﴾ ، أما الحميم فهو : الحار الذي قد انتهىٰ حره ، وأما الغَسَّاق فهو ضده ، وهو البارد الذي لا يستطاع من شدة برده المؤلم . ولهذا قال : ﴿ **وآخر من شكله أزواج** ﴾ أي : وأشياء من هذا القبيل ، الشيء وضده يعاقبون بها .

قال الإمام أحمد (٣٥) : حدثنا حسن بن موسىٰ ، حدثنا ابن لهِيعَة ، حدثنا دَرّاج ، عن أبي[١] الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم أنه قال : « **لو أن دَلْوًا من غسَّاق يهراق في الدنيا ، لأنتن أهل الدنيا** » .

ورواه الترمذي ، عن سويد بن نصر ، عن ابن المبارك ، عن رشْدين بن سعد ، عن عمرو بن الحارث ، عن دَرّاج ، به . ثم قال : لا نعرفه إلا من حديث رشدين . كذا قال : وقد تقدم من غير حديثه .

ورواه ابن جرير(٣٦) ، عن يونس بن عبد الأعلىٰ ، عن ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث به .

وقال كعب الأحبار : غساق[٢] : عين في جهنم يسيل إليها حمة كل ذات حمة من حية وعقرب وغير ذلك ، فيستنقع ، فيؤتىٰ[٣] بالآدمي فيغمس فيها غمسة واحدة ، فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام ، ويتعلق جلده ولحمه في كعبيه وعقبيه ، ويجر لحمه كما يجر الرجل ثوبه . رواه ابن أبي حاتم .

وقال الحسن البصري في قوله : ﴿ **وآخر من شكله أزواج** ﴾ ألوان من العذاب .

وقال غيره : كالزمهرير ، والسموم ، وشرب الحميم ، وأكل الزقوم ، والصعود والهَوِيّ ، إلىٰ غير ذلك من الأشياء المختلفة والمتضادة ، والجميع مما يعذبون به ، ويهانون بسببه .

وقوله : ﴿ **هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبًا بهم إنهم صالوا النار** ﴾ ، هذا إخبار عن قيل أهل النار بعضهم لبعض [كما قال تعالىٰ][٤] : ﴿ **كلما دخلت أمة لعنت أختها** ﴾ ، يعني بدل السلام يتلاعنون ويتكاذبون ، ويكفر بعضهم ببعض ، فتقول الطائفة التي تدخل قبل

---

(٣٥) - المسند (٨٣،٢٨/٣) ، وأخرجه الترمذي في صفة جهنم ، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار حديث (٢٥٨٤) .

(٣٦) - تفسير الطبري (١٧٨/٢٣) .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ت : وغساق .

[٣] - في ز : « يؤتى » .

[٤] - المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

الأخرىٰ ، إذا أقبلت التي بعدها مع الخزنة من الزبانية : ﴿ **هذا فوج مقتحم** ﴾ أي : داخل معكم ، ﴿ **لا مرحبًا بهم إنهم صالو النار** ﴾ ؛ لأنهم من أهل جهنم . ﴿ **قالوا بل أنتم لا مرحبًا بكم** ﴾ أي : فيقول لهم الداخلون : بل أنتم لا مرحبًا بكم ﴿ **أنتم قدمتموه لنا** ﴾ أي : أنتم دعوتمونا إلىٰ ما أفضىٰ بنا إلىٰ هذا المصير ، ﴿ **فبئس القرار** ﴾ أي : فبئس المنزل والمستقر والمصير . ﴿ **قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابًا ضعفًا في النار** ﴾ ، [كما قال عز وجل : ﴿ **قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابًا ضعفًا من النار**][1] **قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون** ﴾ أي: لكل منكم عذاب بحسبه[2] ﴿**وقالوا ما لنا لا نرى رجالًا كنا نعدهم من الأشرار * أتخذناهم سخريًّا أم زاغت عنهم الأبصار** ﴾ ، هذا إخبار عن الكفار في النار أنهم يَفْقِدُون رجالًا كانوا يعتقدون أنهم على الضلالة وهم المؤمنون في زعمهم قالوا: ما لنا لا نراهم معنا في النار؟

قال مجاهد : هذا قول أبي جهل ، يقول : ما لي لا أرىٰ بلالًا وعمارًا وصهيبًا وفلانًا وفلانًا .

وهذا مثل ضُرب ، وإلا فكل الكفار هذا حالهم : يعتقدون أن المؤمنين يدخلون النار ، فلما دخل الكفار النار[3] افتقدوهم فلم يجدوهم ، فقالوا : ﴿ **ما لنا لا نرىٰ رجالًا كنا نعدهم من الأشرار * أتخذناهم سخريًّا** ﴾ أي : في الدنيا ، ﴿ **أم زاغت عنهم الأبصار** ﴾ ، يُسَلون أنفسهم بالمحال ، يقولون : أو لعلهم معنا في جهنم ، ولكن لم يقع بصرنا عليهم . فعند ذلك يعرفون أنهم في الدرجات العاليات ، وهو قوله : ﴿ **ونادىٰ أصحابُ الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله علىٰ الظالمين** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إن ذلك لحق تخاصم أهل النار** ﴾ أي : إن هذا الذي أخبرناك به يا محمد ، من تخاصم أهل النار بعضهم في بعض ، ولعن بعضهم لبعض ، لحقّ لا مرية فيه ولا شكّ .

قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾

---

[١] - سقط من خ ، ز .

[٢] - في خ : « يحسبه » .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

يقول تعالىٰ آمرًا رسوله صلىٰ اللَّه عليه وسلم أن يقول للكفار باللَّه المشركين به المكذبين لرسوله : إنما أنا منذر ، لست كما تزعمون ، ﴿ **وما من إله إلا اللَّه الواحد القهار** ﴾ أي : هو وحده قد قَهَرَ كل شيء وغلبه . ﴿ **رب السماوات والأرض وما بينهما** ﴾ أي : هو مالك جميع ذلك ومتصرف فيه ، ﴿ **العزيز الغفار** ﴾ أي : غفار مع عزته وعظمته .

﴿ **قل هو نبأ عظيم** ﴾ أي: خبر عظيم وشأن بليغ وهو إرسال اللَّه إياى إليكم ﴿ **أنتم عنه معرضون** ﴾ أي غافلون .

قال مجاهد ، وشُرَيح القاضي ، والسُّدِّي في قوله : ﴿ **قل هو نبأ عظيم** ﴾ يعني : القرآن .

وقوله : ﴿ **ما كان لي من علم بالملأ الأعلىٰ إذ يختصمون** ﴾ أي : لولا الوحي من أين كنت أدري باختلاف الملأ الأعلىٰ ؟ يعني في شأن آدم وامتناع إبليس من السجود له ، ومحاجته ربه في تفضيله عليه . فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد(٣٧) حيث قال :

حدثنا أبو سعيد مولىٰ بني هاشم ، حدثنا جَهْضَم اليمامي ، عن يحيىٰ بن أبي كثير ، عن زيد بن أبي سلام ، عن أبي سلام ، عن عبد الرحمن بن عائش ، عن مالك بن يَخَامر ، عن معاذ -رضي اللَّه عنه- قال : احتبس علينا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ذات غداة عن صلاة الصبح ، حتىٰ كدنا نتراءىٰ قَرن الشمس . فخرج [رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم][١] سريعًا ، فَثَوَّب بالصلاة فصلى وتجوَّز في صلاته ، فلما سلم قال : « **كما أنتم [علىٰ مَصَافّكم »**][٢] . ثم أقبل إلينا فقال : « [**إني سَأحدثكم ما حَبَسني عنكم الغداة ،**][٣] **إني قمت من الليل فصليت ما قُدِّر لي ، فَنَعَست في صلاتي حتىٰ استيقظت ، فإذا أنا بربي في أحسن صورة ، فقال : يا محمد ، أتدري فيم يختصم الملأ الأعلىٰ قلت : لا أدري رَبِّ - أعادها ثلاثًا - فرأيته وضع كفه بين كتفي حتىٰ وجدت برد أنامله بين صدري ، فتجلىٰ لي كل شيء وعرفت ، فقال**[٤] : **يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلىٰ قلت : في الكفارات . قال : وما الكفارات . قلت : نقل الأقدام إلىٰ الجُمُعات ، والجلوس في المساجد بعد الصلوات ، وإسباغ الوضوء عند الكريهات . قال : وما الدرجات . قلت : إطعام الطعام ، ولين الكلام ، والصلاة والناس نيام . قال : سل . قلت : اللَّهم ، إني أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تغفر لي وترحمني ، وإذا أردت فتنة بقوم فتوفني غير مفتون ، وأسألك حُبَّك ، وحُبَّ من يُحبك ، وحُبّ عمل يقربني إلىٰ حبك** ». وقال رسول

---

(٣٧) - المسند (٢٤٣/٥) ، وأخرجه الترمذي في تفسير القرآن ، باب : ومن سورة ص حديث (٣٢٣٥) عن محمد بن بشار عن معاذ بن هانئ عن جهضم به .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٤] - في ز : « فتلك » .

اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم: « **إنها حق فادرسوها**[١] **وتعلموها** » .

فهو حديث المنام المشهور ، ومن جعله يقظة فقد غَلِط ، وهو في السنن من طرق . وهذا الحديث بعينه قد رواه الترمذي من حديث جهضم بن عبد اللَّه اليمامي ، به . وقال : حسن صحيح . وليس هذا الاختصام هو الاختصام المذكور في القرآن ؛ فإن هذا قد فُسّر ، وأما الاختصام الذي في القرآن فقد فسر بعد هذا ، وهو قوله تعالىٰ :

إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾

هذه القصة ذكرها اللَّه تعالىٰ في « **سورة البقرة** » ، وفي أول « **الأعراف** » ، وفي « **سورة الحجر** ، **وسبحان** ، **والكهف** » ، وهاهنا ، وهي أن اللَّه سبحانه أعلمَ الملائكةَ قبل خلق آدم - عليه السلام - بأنه سيخلق بشرًا من صلصال من حَمأ مسنون ، وتقدم إليهم بالأمر متىٰ فرغ من خلقه وتسويته فَلْيَسْجُدوا له إكرامًا وإعظامًا واحترامًا وامتثالًا لأمر اللَّه عز وجل . فامتثل الملائكةُ كلهم ذَلكَ سوىٰ إبليس ، ولم يكن منهم جنسًا ، كان من الجن فخانه طبعه وجبلّته أحوجَ ما كان إليه ، فاستنكف[٢] عن السجود لآدم ، وخاصم ربه - عز وجل - فيه ، وادعىٰ أنه خير من آدم ؛ فإنه مخلوق من نار وآدم خلق من طين ، [والنار خير من الطين][٣] في زعمه . وقد

---

[١] - في ز : « فارسوها » .

[٢] - في ز : « فاستأنف » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

أخطأ في ذلك ، وخالف أمر اللّٰه ، وكفر بذلك ، فأبعده اللّٰه وأرغم أنفه ، وطرده عن[١] باب رحمته ومحل أنسه ، وحضرة قدسه ، وسماه « إبليس » ، إعلامًا له بأنه قد أبْلَس من الرحمة ، وأنزله من السماء مذمومًا مَدْحورًا إلىٰ الأرض ، فسأل اللّٰه النَّظِرَةَ إلىٰ يوم البعث ، فأنظره الحليم الذي لا يَعْجَل علىٰ من عصاه . فلما أمِنَ الهلاك إلىٰ يوم القيامة تَمَرَّد وطغىٰ ، وقال : ﴿ **فبعزتك لأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين** ﴾ ، كما قال : ﴿ **أرأيتك هذا الذي كرمت عليّ لئن أخرتني إلىٰ يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلًا** ﴾ ، وهؤلاء هم المستثنون في الآية الأخرىٰ ، وهي قوله تعالىٰ : ﴿ **إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفىٰ بربك وكيلًا** ﴾ وقوله : ﴿ **قال فالحق والحق أقول * لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين** ﴾ ، قرأ ذلك جماعة منهم مجاهد برفع « **الحق** » الأولىٰ ، وفسره مجاهد بأن معناه : أنا الحقُّ ، والحقّ أقول . وفي رواية عنه : الحقُّ مني ، وأقول الحقَّ .

وقرأ آخرون بنصبهما قال السدي : هو قسم أقسم اللّٰه به .

قلت : وهذه الآية الكريمة كقوله تعالىٰ : ﴿ **ولكن حَقّ القول مني لأملان جهنم من الجنة والناس أجمعين** ﴾ . وكقوله تعالى : ﴿ **قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورًا** ﴾ .

قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾

يقول تعالىٰ : قل يا محمد لهؤلاء المشركين : ما أسألكم علىٰ هذا البلاغ وهذا النصح أجرًا تعطونيه من عرض الحياة الدنيا ، ﴿ **وما أنا من المتكلفين** ﴾ أي : وما أزيد علىٰ ما أرسلني اللّٰه به ، ولا أبتغي زيادة عليه ، بل ما أمرت به أدّيته لا أزيد عليه ولا أنقص منه، وإنما أبتغي بذلك وجه اللّٰه - عز وجل - والدار الآخرة .

قال سفيان الثوري : عن الأعمش، ومنصور ، عن أبي الضحىٰ، عن مسروق قال: أتينا عبداللّٰه بن مسعود قال : يا أيها الناس ، من علم شيئًا فليقل به ، ومن لا يعلم فليقل : اللّٰه أعلم ؛ فإن من العلم أن يقولَ الرجلُ لما لا يعلم : اللّٰه أعلم ، فإن اللّٰه قال لنبيكم صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : ﴿ **قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين** ﴾ . أخرجاه(٣٨) من حديث الأعمش ، به .

---

(٣٨) - أخرجه البخاري في التفسير ، باب (وما أنا من المتكلفين) حديث (٤٨٠٩) ، ومسلم في كتاب صفات المنافقين ، حديث (٢٧٩٨) .

---

[١] - في خ : « من » .

وقوله : ﴿ **إن هو إلا ذكر للعالمين** ﴾ يعني : القرآن ذكر لجميع المكلفين من الإنس والجن . قاله ابن عباس . ورواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن أبي غسان مالك بن إسماعيل حدثنا قيس ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **للعالمين** ﴾ قال : الجن والإنس .

وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ **لأنذركم به ومن بلغ** ﴾ ، ﴿ **ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ولتعلمن نبأه** ﴾ أي : خبره وصدقه ﴿ **بعد حين** ﴾ أي : عن قريب . قال قتادة : بعد الموت . وقال عكرمة : يعني يوم القيامة . ولا منافاة بين القولين ، فإن من مات فقد[١] دخل في حكم القيامة .

وقال قتادة في قوله تعالى : ﴿ **ولتعلمن نبأه بعد حين** ﴾ ، قال الحسن[٢] : يا ابن آدم ، عند الموت يأتيك الخبر اليقين .

[آخر تفسير سورة « ص » ولله الحمد والمنة] .

☆ ☆ ☆

---

[١] - في ز : « قد » .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

تفسير سورة الزمر

وهي مكية

قال النسائي(١) : حدثنا محمد بن النضر بن مساور، حدثنا حماد ، عن مروان أبي لبابة[١] ، عن عائشة -رضي الله عنها- قالت : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يصوم حتىٰ نقول : ما يريد أن يفطر . ويفطر حتىٰ نقول : ما يريد أن يصوم ، وكان يقرأ في كل ليلة بني إسرائيل والزمر .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١) إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (٢) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٣)

يخبر تعالىٰ أن تنزيل هذا الكتاب - وهو القرآن العظيم - من عنده تبارك وتعالىٰ ، فهو الحق الذي لامرية فيه ولاشك ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * علىٰ قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين** ﴾ وقال: ﴿**وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد**﴾ وقال هاهنا : ﴿ **تنزيل الكتاب من الله العزيز** ﴾ أي : المنيع الجناب ، ﴿ **الحكيم** ﴾ أي : في أقواله وأفعاله ، وشَرْعه وقَدَره .

﴿ **إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصًا له الدين** ﴾ أي : فاعبد الله وحده لا شريك له ، وادع الخلق إلىٰ ذلك ، وأعلمهم أنه لا تصلح العبادة إلا له ، وأنه ليس له شريك ولا عَديل ولا نَديد ، ولهذا قال : ﴿ **ألا لله الدين الخالص** ﴾ أي : لا يقبل من العمل إلا ما أخلص فيه العاملُ للّه وحده ، لاشريك له . وقال قتادة في قوله : ﴿**ألا لله الدين الخالص**﴾ شهادة أن لا إله إلا الله .

ثم أخبر تعالىٰ عن عباد الأصنام من المشركين أنهم يقولون : ﴿ **ما نعبدهم إلا ليقربونا إلىٰ**

(١) - « عمل اليوم والليلة » رقم (٧١٢) ، أخرجه أحمد (٦/٦٨،١٢٢،١٨٩) ، والترمذي في فضائل القرآن حديث (٢٩٢٠) ، وفي الدعوات حديث (٣٤٠٥) وابن خزيمة (١١٦٣) من طرق عن حماد بن زيد به .

[١] - في ز ، خ : مروان بن أبي لبابة ، والمثبت من سنن النسائي ، وغيره .

اللّه زلفىٰ ﴾ أي : إنما يحملهم علىٰ عبادتهم لهم أنهم عَمَدوا إلىٰ أصنام اتخذوها علىٰ صور الملائكة المقربين في زعمهم ، فعبدوا تلك الصّور تنزيلًا لذلك منزلة عبادتهم الملائكة ، ليشفعوا لهم عند اللّه في نَصْرهم ورزْقهم ، وما ينوبهم من أمْر الدنيا ، فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به .

قال قتادة ، والسّديّ ، ومالك عن زيد بن أسلم ، وابن زيد : **﴿ إلا ليقربونا إلىٰ اللّه زلفىٰ ﴾** أي : ليشفعوا لنا ، ويقربونا عنده منزلة .

ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم إذا حَجّوا في جاهليتهم : لبيك لا شريك لك ، إلا شريكًا هو لك ، تملكه وما ملك . وهذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه ، وجاءتهم الرسل - صلوات اللّه وسلامه عليهم أجمعين - بردّها والنهي عنها ، والدعوة إلىٰ إفراد العبادة للّه[١] وحده لا شريك له ، وأن هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم ، لم يأذَن اللّه فيه ولا رَضِيَ به ، بل أبغضه ونهىٰ عنه : **﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولًا أن اعبدوا اللّه واجتنبوا الطاغوت ﴾** ، **﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي[٢] إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾** وأخبر أن الملائكة التي في السماوات من المقربين وغيرهم ، كلّهم عبيد خاضعون لله ، لا يشفعون عنده إلا بإذنه لمن ارتضىٰ ، وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم ، يشفعون عندهم بغير إذنهم فيما أحبه الملوك وأبَوه ، **﴿ فلا تضربوا للّه الأمثال ﴾** تعالى اللّه عن ذلك .

وقوله : **﴿ إن اللّه يحكم بينهم ﴾** أي : يوم القيامة ، **﴿ فيما هم فيه يختلفون ﴾** أي : سيفصل بين الخلائق يوم مَعَادِهم ، ويجزي كل عامل بعمله ، **﴿ ويوم يحشرهم جميعًا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون * قالوا سبحانك أنت وليّنا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ﴾** .

وقوله : **﴿ إن اللّه لا يهدي من هو كاذب كفار ﴾** أي : لا يرشد إلىٰ الهداية مَن قَصْدُه الكذبُ والافتراء علىٰ الله ، وقلبه كَفّار يجحد بآياته وبراهينه .

ثم بين تعالىٰ أنه لا ولد له كما يزعمه جَهَلة المشركين في الملائكة ، والمعاندون من اليهود والنصارىٰ في العُزَير وعيسىٰ ، فقال : **﴿ لو أراد اللّه أن يتخذ ولدًا لاصطفىٰ مما يخلق ما يشاء ﴾** أي : لكان الأمر علىٰ خلاف ما يزعمون . وهذا شرط لايلزم وقوعه ولا جوازه ، بل هو محال ، وإنما قصد تجهيلهم فيما ادعوه وزعموه ، كما قال : **﴿ لو أردنا أن نتخذ لهوًا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين ﴾** **﴿ قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ﴾** كل هذا من باب الشرط ، ويجوز تعليق الشرط علىٰ المستحيل لقصد المتكلم .

وقوله : **﴿ سبحانه هو اللّه الواحد القهار ﴾** أي : تعالىٰ وتنزه وتقدس عن أن يكون له ولد ، فإنه الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذي كل شيء عبد لديه ، فقير إليه ، وهو الغني

---

[١] - سقط من : خ . [٢] - في ز : « يوحى » .

عما سواه ، الذي قد قهر الأشياء فدانت له وذلّت وخضعت .

﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّـٰرُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَـٰتٍ ثَلَـٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾

يخبر تعالىٰ أنه الخالق لما في السماوات والأرض ، وما بين ذلك من الأشياء ، وأنه مالك الملك المتصرف فيه ، يقلب ليله ونهاره ، ﴿ **يكور الليل علىٰ النهار ويكور النهار علىٰ الليل** ﴾ أي : سخرهما يجريان متعاقبين لا يَقِرّان ، كل منهما يطلب الآخر طلبًا حثيثًا ، كقوله : ﴿ **يغشي الليل النهار يطلبه حثيثًا** ﴾ . هذا معنى ما روي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وغيرهم .

وقوله : ﴿ **وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى** ﴾ أي : إلىٰ مدة معلومة عند الله ثم تنقضي [ ][١] يوم القيامة . ﴿ **ألا هو العزيز الغفار** ﴾ أي : مع عزته وعظمته وكبريائه هو غفار لمن عصاه ثم تاب وأناب إليه .

وقوله : ﴿ **خلقكم من نفس واحدة** ﴾ أي : خلقكم مع اختلاف أجناسكم وأصنافكم وألسنتكم وألوانكم من نفس واحدة ، وهو آدم عليه السلام ، ﴿ **ثم جعل منها زوجها** ﴾ وهي حواء عليهما السلام ، كقوله : ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيرًا ونساء** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج** ﴾ أي : وخلق لكم من ظهور الأنعام ثمانية أزواج ، وهي المذكورة في « **سورة الأنعام** » : ﴿ **ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين** ﴾ ﴿ **ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **يخلقكم في بطون أمهاتكم** ﴾ أي : قدركم[٢] في بطون أمهاتكم ﴿ **خلقًا من**

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « بيوم » . [٢] - في ز : « يخلقكم » .

بعد خلق ﴾ أي: يكون أحدكم أولًا نطفة ، ثم يكون علقة ، ثم يكون مضغة ، ثم يخلق فيكون لحمًا وعظمًا وعَصَبًا وعروقًا ، وينفخ فيه الروح فيصير خلقًا آخر ، ﴿ **فتبارك الله أحسن الخالقين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **في ظلمات ثلاث** ﴾ يعني : ظلمة الرحم ، وظلمة المَشيمَة - التي هي كالغشاوة والوقاية علىٰ الولد - ، وظلمة البطن . كذا قال ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وأبو مالك ، والضحاك ، وقتادة ، والسدي ، وابن[١] زيد .

وقوله : ﴿ **ذلكم الله ربكم** ﴾ أي : هذا الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما وخلقكم[٢] وخلق آباءكم ، هو الرب له الملك والتصرف في جميع ذلك ، ﴿ **لا إله إلا هو** ﴾ أي : الذي[٣] لا تنبغي العبادة إلا له وحده ، ﴿ **فأنّىٰ تصرفون** ﴾ أي : فكيف تعبدون معه غيره ؟ أين يُذْهَبُ بعقولكم ؟ !

إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن نفسه تعالىٰ : بأنه[٤] الغني عما سواه من المخلوقات ، كما قال موسىٰ : ﴿ **إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعًا فإن الله لغني حميد** ﴾ .

وفي صحيح مسلم(٢) : « **يا عبادي ، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا علىٰ أفجر قلب رجل منكم ، ما نقص ذلك من ملكي شيئًا** » .

وقوله : ﴿ **ولا يرضىٰ لعباده الكفر** ﴾ أي : لا يحبه ولا يأمر به ، ﴿ **وإن تشكروا يرضه لكم** ﴾ أي : يحبه منكم ويزدكم[٥] من فضله .

---

(٢) - تقدم في تفسير سورة يونس الآية (٤٤) .

---

[١] - في خ ، ز : « وأبو » .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ز : « التي » .
[٤] - في خ : « إنه » .
[٥] - في ز : « ويزيدكم » .

﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرىٰ ﴾ أي : لا تحمل نفس عن نفس شيئًا[١] ، بل كلٌّ مطالب بأمر نفسه ، ﴿ ثم إلىٰ ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون إنه عليم بذات الصدور ﴾ [أي : فلا تخفىٰ عليه خافية][٢] .

وقوله : ﴿ وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبًا إليه ﴾ أي : عند الحاجة يضرع ويستغيث بالله وحده لا شريك له ، كما قال تعالىٰ : ﴿ وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلىٰ البر أعرضتم وكان الإنسان كفورًا ﴾ ؛ ولهذا قال : ﴿ ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل ﴾ أي : في حال الرفاهية ينسىٰ ذلك الدعاء والتضرع ، كما قال تعالىٰ : ﴿ وإذا مس الإنسان الضرّ دعانا لجنبه أو قاعدًا أو قائمًا فلما كشفنا عنه ضره مرَّ كأن لم يدعنا إلىٰ ضر مسه ﴾ .

﴿ وجعل لله أندادًا ليضل عن سبيله ﴾ أي : في حال العافية يشرك بالله ، ويجعل له أندادًا ، ﴿ قل تمتع بكفرك قليلًا إنك من أصحاب النار ﴾ أي: قل لمن هذه حاله وطريقته ومسلكه: تمتع بكفرك قليلًا وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد ، كقوله : ﴿ قل تمتعوا فإن مصيركم إلىٰ النار ﴾ وقوله: ﴿ نمتعهم قليلًا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ ﴾ .

أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾

يقول تعالىٰ : أمَّن هذه صفته كمن أشرك بالله وجعل له أندادًا ؟ لايستوون عند الله ، كما قال تعالىٰ : ﴿ ليسوا سواءً من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ أمن هو قانت آناء الليل ساجدًا وقائمًا ﴾ أي : في حال سجوده وفي حال قيامه ؛ ولهذا استدل بهذه الآية مَن ذهب إلىٰ أن القنوت هو الخشوع في الصلاة ، ليس هو القيام وحده ، كما ذهب إليه آخرون .

وقال الثوري ، عن فراس ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن ابن مسعود، أنه قال: القانت المطيع لله ولرسوله .

وقال ابن عباس ، والحسن ، والسدي ، وابن زيد : ﴿ آناء الليل ﴾ : جوف الليل .

وقال الثوري ، عن منصور: بلغنا أن ذلك بين المغرب والعشاء .

وقال الحسن ، وقتادة : ﴿ آناء الليل ﴾ : أوله وأوسطه وآخره .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

وقوله : ﴿ **يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه** ﴾ أي : في حال عبادته خائف راج ، ولابدّ في العبادة من هذا وهذا ، وأن يكون الخوف في مدة الحياة هو الغالب ؛ ولهذا قال : ﴿ **يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه** ﴾ ، فإذا كان عند الاحتضار فَلْيَكن الرجاء هو الغالب عليه[١] ، كما قال الإمام عَبْدُ بن حُمَيد في مسنده (٣) :

حدثنا يحيىٰ بن عبد الحميد ، حدثنا جعفر بن سليمان ، حدثنا ثابت ، عن أنس قال : دخل رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم علىٰ رجل وهو في الموت ، فقال له : « **كيف تجدك ؟** » . قال : أرجو وأخاف . فقال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **لايجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه اللّه – عز وجل – الذي يرجو ، وأمنه الذي يخافه** » .

ورواه الترمذي والنسائي في « **اليوم والليلة** » ، وابن ماجة من حديث سَيَّار بن حاتم ، عن جعفر بن سليمان ، به ، وقال الترمذي : غريب . وقد رواه بعضهم عن ثابت ، عن أنس ، عن النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم مرسلًا .

و[٢]قال ابن أبي حاتم (٤) ، حدثنا عمر بن شَبَّة ، عن عبيدة النميري ، حدثنا أبو خلف[٣] ، عبد اللّه بن عيسى الخزاز[٤] ، حدثنا يحيىٰ البكاء، أنه سمع ابن عمر قَرَأ : ﴿ **أمن هو قانت آناء الليل ساجدًا وقائمًا يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه** ﴾ قال ابن عمر: ذاك عثمان بن عفان رضي اللّه عنه .

وإنما قال ابن عمر ذلك ؛ لكثرة صلاة أمير المؤمنين عثمان بالليل وقراءته ، حتىٰ إنه ربما قرأ القرآن في ركعة ، كما روىٰ ذلك أبو عبيدة عنه رضي اللّه عنه ، وقال الشاعر :

ضَحوا بأشمط عنوان السجود به   يقطع الليل تسبيحًا وقرآنًا

وقال الإمام أحمد (٥) : كتب إلي الربيع بن نافع : حدثنا الهيثم بن حميد ، عن زيد بن واقد ، عن سليمان بن موسىٰ ، عن كثير بن مرة ، عن تميم الداري قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **من قرأ بمائة آية في ليلة ، كُتبَ له قنوتُ ليلة** » .

---

(٣) – المنتخب من مسند عبد بن حميد (١٣٧٠) ، وأخرجه الترمذي في الجنائز ، حديث (٩٨٣) ، والنسائي في « عمل اليوم والليلة » (١٠٦٢) وابن ماجه في الزهد ، باب : ذكر الموت والاستعداد له ، حديث (٤٢٦١) من طريق سيار ، عن جعفر بن سليمان به .

(٤) – عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/٣٥٥-٣٥٦) إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه وأبي نعيم في الحلية ، وابن عساكر .

(٥) – المسند (١٠٣/٤) ، وأخرجه الدارمي (٣٤٥٣) من طريق يحيى بن حمزة ، عن زيد بن واقد به .

---

[١] – سقط من : خ ، ز .

[٢] – سقط من : ز .

[٣] – بعده في خ ، ز : « ابن » .

[٤] – في ز : « الخراز » .

وكذا رواه النسائي في « **اليوم والليلة** »(٦) عن إبراهيم بن يعقوب ، عن عبد الله بن يوسف والربيع بن نافع ، كلاهما عن الهيثم بن حُمَيد ، به .

وقوله : ﴿ **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون** ﴾ أي : هل يستوي هذا والذي قبله ممن جعل لله أندادًا ليضل عن سبيله ؟ ! ﴿ **إنما يتذكر أولو الألباب** ﴾ أي : إنما يعلم الفرق بين هذا وهذا مَن له لُبّ ، وهو العقل .

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠) قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ (١١) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ (١٢) ﴾

يقول تعالىٰ آمرًا عباده المؤمنين بالاستمرار علىٰ طاعته وتقواه : ﴿ **قل يا عبادِ الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة** ﴾ أي : لمن أحسنَ العمل في هذه الدنيا حسنة في دنياهم وأخراهم .

وقوله : ﴿ **وأرض الله واسعة** ﴾ قال مجاهد : فهاجروا فيها وجاهدوا واعتزلوا الأوثان[١] .

وقال شريك عن منصور ، عن عطاء في قوله : ﴿ **وأرض الله واسعة** ﴾ قال : إذا دعيتم إلىٰ المعصية فاهربوا ، ثم قرأ : ﴿ **ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إنما يوفىٰ الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾ ، قال الأوزاعي : ليس يوزن لهم ولا يكال ، إنما يغرف لهم غرفًا .

وقال ابن جريج[٢] : بلغني أنه لا يحسب [ ][٣] ثواب عملهم قط ولكن يزادون على ذلك .

وقال السدي : ﴿ **إنما يوفىٰ الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾ : يعني في الجنة .

وقوله : ﴿ **قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصًا له الدين** ﴾ أي : إنما[٤] أمرت بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له ، ﴿ **وأمرت لأن أكون أول المسلمين** ﴾ ، قال السدي : يعني من أمته صلىٰ الله عليه وسلم .

---

(٦) - عمل اليوم والليلة رقم (٧١٧) .

[١] - مكرره في : ز .

[٢] - في خ ، ز : « جرير » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « عليهم » .

[٤] - سقط من : ز .

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَـٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾

يقول تعالىٰ : قل يا محمد وأنت رسول الله : ﴿ **إني أخاف إن عصيت ربي عذابَ يوم عظيم** ﴾ ، وهو يوم القيامة . وهذا شرط ، ومعناه التعريض بغيره بطريق الأولىٰ والأحرىٰ ، ﴿ **قل الله أعبد مخلصًا له ديني * فاعبدوا ما شئتم من دونه** ﴾ ، وهذا أيضًا تهديد وتبرّؤ منهم ، ﴿ **قل إن الخاسرين** ﴾ أي : إنما الخاسرون كل الخسران[١] ﴿ **الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة** ﴾ أي : تفارقوا فلا التقاء لهم أبدًا ، سواء ذهب أهلوهم إلىٰ الجنة وقد ذهبوا هم إلىٰ النار ، أو أن الجميع أسكنوا النار ، ولكن لا اجتماع لهم ولا سرور ، ﴿ **ألا ذلك هو الخسران المبين** ﴾ أي : هذا هو الخَسَار البيِّن الظاهر الواضح .

ثم وصف حالهم في النار فقال : ﴿ **لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل** ﴾ ، كما قال : ﴿ **لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين** ﴾ وقال : ﴿ **يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون** ﴾ وقوله : ﴿ **ذلك يخوف الله به عباده** ﴾ أي : إنما يقص[٢] خبر هذا الكائن لا محالة ليخوّف به عباده ، لينزجروا عن المحارم والمآثم .

قوله : ﴿ **يا عبادي فاتقون** ﴾ أي : اخشوا بأسي وسطوتي وعذابي ونقمتي .

﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٨﴾﴾

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه : ﴿ **والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها** ﴾ ، نزلت في زيد بن عمرو[٣] بن نفيل ، وأبي ذر ، وسلمان الفارسي . والصحيح أنها شاملةٌ لهم

---

[١] - في ز : « الخاسرون » .
[٢] - في ز : « نقص » . [٣] - في خ : « عمر » .

ولغيرهم ، ممن اجتنب عبادة الأوثان ، وأناب إلىٰ عبادة الرحمن . فهؤلاء هم[١] الذين لهم البشرىٰ في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

ثم قال : ﴿ **فبشر عباد * الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه** ﴾ أي : يفهمونه ويعملون بما فيه ، كقوله تعالىٰ لموسىٰ حين آتاه التوراة : ﴿ **فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها** ﴾ .

﴿ **أولئك الذين هداهم الله** ﴾ أي : المتصفون بهذه الصفة هم الذين هداهم الله في الدنيا والآخرة ، ﴿ **وأولئك هم أولو الألباب** ﴾ أي : ذوو العقول الصحيحة ، والفطَر المستقيمة .

أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾

يقول تعالىٰ : أفمن كتب الله أنه شَقِيّ [تَقْدرُ تُنْقذُه مما][٢] هو فيه من الضلال والهلاك ؟ أي : لا يهديه أحد من بعد الله ؛ لأنه من يضلل الله فلا هادي له ، ومن يهده فلا مضل له .

ثم أخبر عن عباده السعداء أنهم لهم غرف في الجنة ، وهي[٣] القصور الشاهقة ، ﴿ **من فوقها غرف مبنية** ﴾ أي : طباق فوق طباق ، مَبْنيات محكمات مزخرفات عاليات .

قال عبد الله ابن الإمام أحمد(٧) : حدثنا عباد بن يعقوب الأسدي ، حدثنا محمد[٤] بن فضيل ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن النعمان بن سعد ، عن علي - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن في الجنة لغرفًا يُرَىٰ بطونها من ظهورها ، وظهورها من بطونها** » . فقال أعرابي : لمن هي يا رسول الله ؟ قال : « **لمن أطاب الكلام ، وأطعم الطعام ، وصلىٰ [لله بالليل][٥] والناس نيام** » . ورواه الترمذي من حديث عبد الرحمن بن إسحاق ، وقال : حسن غريب ، وقد تكلم بعض أهل العلم فيه من قِبَل حفظه .

---

(٧) - المسند (١/١٥٥) ، وأخرجه الترمذي في البر والصلة ، باب : ما جاء في قول المعروف ، حديث (١٩٨٤) ، وفي صفة الجنة ، باب : ما جاء في صفة غرف الجنة حديث (٢٥٢٧) ، وابن خزيمة (٢١٣٦) من طريق عبدالرحمن بن إسحاق به . وقال ابن خزيمة : في القلب من عبدالرحمن بن إسحاق أبي شيبة الكوفي .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « بقدر يُنفذه بما » . [٣] - في ز : « وهو » .
[٤] - في خ : « حماد » . [٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

وقال الإمام أحمد(٨) : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن يحيىٰ بن أبي كثير ، عن ابن مُعانِق - أو : أبي مُعَانِق - عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إن في الجنة لغرفة يرىٰ ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها ، أعدها اللّٰه لمن أطعم الطعام ، وألان الكلام ، وتابع الصيام ، وصلىٰ والناس نيام** » . تفرد به أحمد من حديث عبد اللّٰه بن معانق الأشعري عن أبي مالك به .

وقال الإمام أحمد (٩) : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **إن أهل الجنة ليتراءون الغرفة في الجنة كما تراءون[١] الكوكب في السماء** » . قال : فحدثتُ بذلك النعمان بن أبي عياش ، فقال : سمعت أبا سعيد الخدري يقول : « **كما تراءون الكوكب الدريَّ[٢] في الأفق الشرقي أو الغربي** » .

أخرجاه في الصحيحين(١٠) ، من حديث أبي حازم ، وأخرجاه أيضًا[٣] في الصحيحين من حديث مالك ، عن صفوان بن سليم ، عن عطاء بن يَسَار ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم .

وقال الإمام أحمد (١١) : حدثنا فزارة ، أخبرني فُلَيح ، عن هلال بن علي ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **إن أهل الجنة ليتراءون في الجنة أهل الغرف ، كما تراءون الكوكب الدرّيّ الغارب في الأفق الطالع ، في تفاضل[٤] أهل الدرجات** » . فقالوا : يارسول اللّٰه ، أولئك النبيون ؟ فقال : « **بلىٰ ، والذي نفسي بيده ، وأقوام آمنوا باللّٰه وصدقوا الرسل** » .

ورواه الترمذي عن سويد ، عن ابن المبارك ، عن فليح به ، وقال : حسن صحيح .

---

(٨) - المسند (٥/٣٤٣) ، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٢١٣٧) عن الحسين بن مهدي ، عن عبدالرزاق به.

(٩) - المسند (٥/٣٤٠) وأخرجه البخاري في الرقاق ، باب : صفة الجنة والنار ، حديث (٦٥٥٥،٦٥٥٦) ومسلم في الجنة وصفة نعيمها ، حديث (٢٨٣٠،٢٨٣١).

(١٠) - صحيح البخاري في بدء الخلق ، باب : ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة حديث (٣٢٥٦) ، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها ، حديث (٢٨٣١) من طريق مالك بن أنس به .

(١١) - المسند (٢/٣٣٩) ، وأخرجه في (٢/٣٣٥) عن أبي عامر ، وسريج بن النعمان عن فليح به . وأخرجه الترمذي في صفة الجنة ، باب : ما جاء في ترائي أهل الجنة في الغرف حديث (٢٥٥٦) من طريق فليح به .

---

[١] - في خ ، ز : « يترائون » .

[٢] - في ز : « الذي » .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - في ز : « تفاضيل » .

وقال الإمام أحمد(١٢) : حدثنا أبو النضر وأبو كامل[١] قالا : حدثنا زهير ، حدثنا سعد الطائي ، حدثنا أبو المدَلّه - مولىٰ أم المؤمنين - أنه[٢] سمع أبا هريرة يقول[٣] : قلنا : يارسول الله ، إنا إذا رأيناك رقت قلوبنا ، وكنا من أهل الآخرة ، فإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا وشَممْنَا النساء والأولاد . قال : « **لو أنكم تكونون علىٰ كل حال علىٰ الحال التي أنتم عليها عندي ، لصافحتكم الملائكة بأكفهم ، ولزارتكم في بيوتكم . ولو لم تُذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون كي[٤] يغفر لهم** » . قلنا : يارسول الله ، حدثنا عن الجنة ، ما بناؤها ؟ قال : « **لَبِنَةُ ذهب ولَبِنَة فضة ، وملاطها المسك الأذفر ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران ، من يدخلها ينعم ولا ييْأس[٥] ، ويخلد ولا يموت ، لاتبلىٰ ثيابه ولا يفنىٰ شبابه . ثلاثة لا تُردُّ دعوتهم : الإمام العادل ، والصائم حتىٰ يفطر ، ودعوة المظلوم تحمل علىٰ الغمام ، وتفتح لها أبواب السماوات ، ويقول الرب : وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين** » . وروىٰ الترمذي ، وابنُ ماجة بعضَه ، من حديث سعد أبي مجاهد الطائي - وكان ثقة - عن أبي المُدَلّه وكان ثقة ، به.

وقوله : ﴿ **تجري من تحتها الأنهار** ﴾ أي : تسلك[٦] الأنهار بين خلال ذلك ، كما يشاءوا وأين أرادوا ، ﴿ **وعد الله** ﴾ أي : هذا الذي ذكرناه وَعْدٌ وعَدَه الله عباده المؤمنين ﴿ **إن الله لايخلف الميعاد** ﴾ .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾

(١٢) - المسند (٢/٣٠٤) ، وأخرجه الحميدي (١١٥٠) ، وأحمد (٢/٣٠٥، ٤٤٣، ٤٤٥، ٤٤٧) ، وعبد بن حميد ، والدارمي (٢٨٢٤) ، والترمذي في الدعوات ، باب : في العفو ، والعافية ، حديث (٣٥٩٨) ، وابن ماجة في الصيام ، باب : في الصائم لا ترد دعوته ، حديث (١٧٥٢)، وابن خزيمة (١٩٠١) من طرق عن سعد بن عبيد أبي مجاهد به . والروايات مطولة ومختصرة .

[١] - في ز : « عامر » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « لكي » .
[٥] - في ز : « ييأس » .
[٦] - في ز : « تلك » .

يخبر تعالى أن أصل الماء في الأرض من السماء كما قال تعالى: ﴿**وأنزلنا من السماء ماءً طهورًا**﴾ ، فإذا أنزل الماء من السماء كَمَن في الأرض ، ثم يصرفه تعالىٰ في أجزاء الأرض كما يشاء ، ويُنبِعهُ عيونًا ما بين صغار وكبار ، بحسب الحاجة إليها ؛ ولهذا قال : ﴿ **فسلكه ينابيع في الأرض** ﴾ .

قال ابن أبي حاتم رحمه الله : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا أبو قتيبة عتبة بن يقظان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله تعالىٰ : ﴿ **ألم تر أن اللّٰه أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض** ﴾ [قال : ليس في الأرض ماء إلا نزل من السماء ، ولكن عروق في الأرض تغيره ، فذلك قوله تعالىٰ : ﴿ **فسلكه ينابيع في الأرض** ﴾][١] ، فمن سره أن يعود الملح عذبًا فليصعده .

وكذا قال سعيد بن جبير وعامر الشعبي : إن كل ماء في الأرض، فأصله من السماء .

وقال سعيد بن جبير : أصله من الثلج . يعني أن الثلج يتراكم علىٰ الجبال ، فيسكن في قرارها ، فتنبع العيون من أسافلها .

وقوله : ﴿ **ثم يخرج به زرعًا مختلفًا ألوانه** ﴾ أي : ثم يخرج بالماء النازل من السماء والنابع من الأرض زرعًا ﴿ **مختلفًا ألوانه** ﴾ أي: أشكاله وطعومه وروائحه ومنافعه، ﴿ **ثم يهيج** ﴾ أي:[٢] بعد نضارته وشبابه يكتهل[٣] ﴿ **فتراه مصفرًا** ﴾ ، قد خالطه اليُبس ، ﴿ **ثم يجعله حُطامًا** ﴾ أي : ثم يعود يابسًا يتحطم[٤] : ﴿ **إن في ذلك لذكرىٰ لأولي الألباب** ﴾ أي : الذين يتذكرون بهذا ، فيعتبرون إلىٰ أن الدنيا هكذا ، تكون خَضرةً نضرةً حسناء ، ثم تعود عَجُوزًا شوهاء ، والشاب يعود شيخًا هَرِمًا كبيرًا ضعيفًا ، وبعد ذلك كله الموت . فالسعيد من كان حاله بعده إلىٰ خير ، وكثيرًا ما يضرب اللّٰه تعالىٰ مثل الحياة الدنيا بما ينزل اللّٰه من السماء من ماء ، وينبت به زرعًا وثمارًا، ثم يكون بعد ذلك حُطامًا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيمًا تَذْرُوه الرياح وكان اللّٰه علىٰ كل شيء مقتدرًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **أفمن شرح اللّٰه صدره للإسلام فهو علىٰ نور من ربه** ﴾ أي : هل يستوي هذا ومن هو قاسي القلب بعيد من الحق ؟ ! كقوله تعالىٰ : ﴿ **أومن كان ميتًا فأحييناه وجعلنا له نورًا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها** ﴾ ؛ ولهذا قال : ﴿ **فويل للقاسية قلوبهم من ذكر اللّٰه** ﴾ أي : فلا تلين[٥] عند ذكره[٦] ، ولا [تخشع ولا تعي ولا

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « يكتمل » .
[٤] - في ز : « ينحطم » .
[٥] - في ز : « يلين » .
[٦] - في ز : « ذكر » .

تفهم][١] ، ﴿ أولئك في ضلال مبين ﴾ .

﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٢٣) ﴾

هذا مَدْحٌ من الله – عز وجل – لكتابه القرآن العظيم المنزل علىٰ رسوله الكريم ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **الله نزل أحسن الحديث كتابًا متشابهًا مثاني** ﴾ ، قال مجاهد : يعني القرآن كله[٢] متشابه مثاني .

وقال قتادة : الآية تشبه الآية والحرف يشبه الحرف .

وقال الضحاك : ﴿ **مثاني** ﴾ : ترديد القول ليفهموا عن ربهم عز وجل .

وقال عكرمة والحسن : ثنى الله فيه القضاء . زاد الحسن : تكون السورة فيها آية وفي السورة الأخرى آية تشبهها .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ﴿ **مثاني** ﴾ : مُرَدَّد ، رُدِّد موسىٰ في القرآن ، وصالح وهود والأنبياء – عليهم السلام – في أمكنة كثيرة .

وقال سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿**مثاني**﴾ قال : القرآن يشبه بعضه بعضًا ، ويرد بعضه على بعض .

وقال بعض العلماء : ويُرْوىٰ عن سفيان بن عيينة معنىٰ قوله : ﴿ **متشابهًا مثاني**﴾ : أن سياقات القرآن تارةً تكونُ في معنى واحد ، فهذا من المتشابه ، وتارة تكونُ بذكر الشيء وضده ، كذكر المؤمنين ثم الكافرين ، و[٣]كصفة الجنة ثم صفة النار ، وما أشبه هذا ، فهذا من المثاني ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **إن الأبرار لفي نعيم * وإن الفجار لفي جحيم** ﴾ وكقوله : ﴿ **كلا إن كتاب الفجار لفي سجين**﴾ إلى أن قال : ﴿**كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين**﴾ ﴿**هذا ذكر ، وإن للمتقين لحسن مآب**﴾ إلى أن قال : ﴿**هذا وإن للطاغين لشر مآب**﴾ ونحو هذا من السياقات ، فهذا كله من المثاني ، أي : في معنيين اثنين[٤] ، وأما إذا كان السياق كله في معنى واحد يشبه بعضه بعضًا ، فهو المتشابه . وليس هذا من المتشابه المذكور في قوله : ﴿ **منه**

---

[١] – ما بين المعكوفتين في ز : « يخشع ولا يعي ولا يفهم » .

[٢] – سقط من : ز . [٣] – سقط من : ز .

[٤] – سقط من : خ ، ز .

آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ﴾ ، ذلك معنى آخر .

وقوله : ﴿ **تقشعر منه جلود الذين يخشَوْن ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلىٰ ذكر الله** ﴾ أي: هذه صفة الأبرار ، عند سماع كلام الجبار ، [المهيمن العزيز الغفار][١] ، لما يفهمون منه من الوعد والوعيد ، والتخويف والتهديد ، تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف . ﴿ **ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلىٰ ذكر الله** ﴾ ، لما يرجون ويُؤمِّلون من رحمته ولطفه ، فهم مخالفون لغيرهم من الكفار من وجوه :

أحدها : أن سماع هؤلاء هو تلاوة الآيات ، وسماع أولئك نغمات الأبيات[٢] من أصوات القينات .

الثاني : أنهم إذا تليت عليهم آيات الرحمن خروا سجدًا وَبُكيًا ، بأدب وخشية ، ورجاء ومحبة ، وفهم وعلم ، كما قال : ﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذكر اللّٰه وَجِلت قلوبهم وإذا تُليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا وعلىٰ ربهم يتوكلون * الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * أولئك هم المؤمنون حقًّا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صمًّا وعميانًا** ﴾ أي : لم يكونوا عند سماعها متشاغلين لاهين عنها ؛ بل مصغين إليها ، فاهمين بصيرين بمعانيها ، فلهذا إنما يعملون بها ، ويسجدون عندها عن بصيرة لا عن جهل ومتابعة لغيرهم .

الثالث : أنهم يلزمون الأدب عند سماعها ، كما كان الصحابة -رضي اللّٰه عنهم- عند سماعهم كلام اللّٰه من تلاوة رسول الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم تقشعر جلودهم ، ثم تلين مع قلوبهم إلىٰ ذكر الله . لم[٣] يكونوا يتصارخُون ولا يتكلّفون ما[٤] ليس فيهم ، بل عندهم من الثبات والسكون والأدب والخشية ما لا يلحقهم أحد في ذلك ، ولهذا فازوا بالقدح المُعَلّىٰ في الدنيا والآخرة .

قال عبد الرزاق : حدثنا معمر قال : تلا قتادة رحمه الله : ﴿ **تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلىٰ ذكر الله** ﴾ قال : هذا نعت أولياء الله ، نعتهم اللّٰه بأن تقشعر جلودهم ، وتبكي أعينهم ، وتطمئن قلوبهم إلىٰ ذكر الله ، ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم ، إنما هذا في أهل البدع ، وهذا من الشيطان .

وقال السدي : ﴿ **ثم تلين [جلودهم و][٥]قلوبهم إلى ذكر اللّٰه** ﴾ أي : إلى وعد اللّٰه .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ز : « الآيات » .
[٣] - في ز : « لا » .
[٤] - في ز : « لما » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

وقوله : ﴿ ذلك هدىٰ الله يهدي به من يشاء من عباده ﴾ أي : هذه صفة من هداه الله ، ومن كان علىٰ خلاف ذلك فهو ممن أضله الله ، ﴿ ومن يضلل الله فما له من هاد ﴾ .

﴿ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ (٢٤) كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٢٥) فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ (٢٦) ﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة ﴾ ، ويُقَرَّعُ فيقال له ولأمثاله من الظالمين : ﴿ ذوقوا ما كنتم تكسبون ﴾ ، كمن يأتي آمنًا يوم القيامة ؟ ! كما قال تعالىٰ : ﴿ أفمن يمشي مُكبًا علىٰ وجهه أهدىٰ أمن يمشي سويًّا علىٰ صراط مستقيم ﴾ . وقال[١] : ﴿ يوم يسحبون في النار على وجوهم ذوقوا مس سقر ﴾ وقال : ﴿ أفمن يلقىٰ في النار خير أم من يأتي آمنًا يوم القيامة ﴾ واكتفى في هذه الآية بأحد القسمين عن[٢] الآخر كقول الشاعر :

فَـمَـا أَدْرِي إِذَا يَمَّـمْـتُ أَرْضًـا ... أُرِيـدُ الخَيْـرَ أَيُّـهـمَـا يَـلِـيـنِي ؟

[يعني : الخير والشر][٣] .

وقوله : ﴿ كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ يعني : القرون الماضية المكذبة للرسل ، أهلكهم الله بذنوبهم ، وما كان لهم من الله من واق .

وقوله : ﴿ فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا ﴾ أي : بما أنزل بهم من العذاب والنكال وتشفي المؤمنين بهم ، فليحذر المخاطبون من ذلك ، فإنهم قد كذبوا أشرف الرسل ، وخاتم الأنبياء ، والذي أعده الله لهم في الآخرة من العذاب الشديد أعظمُ مما أصابهم في الدنيا ؛ ولهذا قال : ﴿ ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ﴾ .

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧) قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٢٨) ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا

[١] - في خ : « فقال » .

[٢] - في خ : « على » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

يَعۡلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل** ﴾ أي : بينا للناس فيه بضرب الأمثال ، ﴿ **لعلهم يتذكرون** ﴾ فإن المثل يُقرِّب المعنىٰ إلىٰ الأذهان ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ضرب لكم مثلا من أنفسكم** ﴾ أي : تعلمونه من أنفسكم ، وقال : ﴿ **وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **قرآنًا عربيًا غير ذي عوج** ﴾ أي : هو قرآن بلسان عربي مبين ، لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا لبس ، بل هو بيان ووضوح وبرهان ، وإنما جعله الله كذلك ، وأنزله بذلك ، ﴿ **لعلهم يتقون** ﴾ أي : يحذرون ما فيه من الوعيد ، ويعملون بما[١] فيه من الوعد .

ثم قال : ﴿ **ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون** ﴾ أي : يتنازعون في ذلك العبد المشترك بينهم ، ﴿ **ورجلا سلمًا**[٢] **لرجل** ﴾ أي : خالصًا لرجل لا يملكه أحد غيره ﴿ **هل يستويان مثلاً** ﴾ أي : لا يستوي هذا وهذا . كذلك لا يستوي المشرك الذي يعبد آلهة مع الله ، والمؤمن المخلص الذي لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له ، فأين هذا من هذا ؟

قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد : هذه الآية ضربت مثلًا للمشرك والمخلص ، ولما كان هذا المثلُ ظاهرًا بيِّنًا جليًا ، قال : ﴿ **الحمد لله** ﴾ أي : علىٰ إقامة الحجة عليهم ، ﴿ **بل أكثرهم لا يعلمون** ﴾ أي : فلهذا يشركون بالله .

وقوله : ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون** ﴾ ، هذه الآية من الآيات التي استشهد بها الصديق عند موت الرسول صلىٰ الله عليه وسلم ، حتىٰ تحقق الناس موته ، مع قوله : ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم علىٰ أعقابكم ومن ينقلب علىٰ عقبيه فلن يضر الله شيئًا وسيجزي الله الشاكرين** ﴾ ومعنىٰ هذه الآية : ستنقلون من هذه الدار لا محالة ، وستجتمعون عند الله في الدار الآخرة ، وتختصمون فيما أنتم فيه في الدنيا من التوحيد والشرك بين يدي الله - عز وجل - فيفصل بينكم ، ويفتح بالحق وهو الفتاح العليم . فينجي المؤمنين المخلصين الموحدين ، ويعذب الكافرين الجاحدين المشركين المكذبين .

ثم إن هذه الآية وإن كان سياقها في المؤمنين والكافرين ، وذكر الخصومة بينهم في الدار الآخرة ، فإنها شاملة لكل متنازعين في الدنيا ، فإنه تعاد عليهم الخصومة في الدار الآخرة .

---

[١] - في ز : « لما » .　[٢] - في ز : « سالمًا » .

قال ابن أبي حاتم - رحمه الله -: حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ، حدثنا سفيان، عن محمد بن عمرو، عن ابن حاطب - يعني يحيىٰ بن عبد الرحمن - [عن ابن الزبير][١]، عن الزبير قال: لما نزلت: ﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾، قال الزبير: يا رسول الله؛ أتكرر علينا الخصومة؟ قال: «نعم». قال: إن الأمر إذًا لشديد.

وكذا رواه الإمام أحمد(١٣) [عن سفيان][٢]، وعنده زيادة: ولما نزلت: ﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾، قال الزبير: أي رسول الله؛ أيُّ نعيم نُسألُ عنه وإنما - يعني - هما[٣] الأسودان: التمر والماء؟ قال «أما إن ذلك سيكون».

وقد روى هذه الزيادةَ الترمذيُّ وابن ماجة من حديث سفيان به. وقال الترمذي: «حسن».

وقال الإمام أحمد أيضًا(١٤): حدثنا ابن نمير، حدثنا محمد - يعني ابن عمرو - عن يحيىٰ بن عبد الرحمن بن حاطب، عن عبد الله بن الزبير، عن الزبير بن العوام؛ قال: لما نزلت هذه السورة علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون * ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾، قال الزبير: أيّ رسول الله، أيكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع[٤] خواص الذنوب؟ قال: «نعم، ليكررَنّ[٥] عليكم، حتىٰ [يُؤدَّىٰ إلىٰ][٦] كل ذي حق حقه». قال الزبير: والله إن الأمر لشديد.

ورواه الترمذي من حديث محمد بن عمرو، به وقال: «حسن صحيح».

وقال الإمام أحمد(١٥): حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ابن لهيعة، عن أبي عُشَّانَة، عن عقبة ابن عامر قال؛ قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «أول الخصمين يوم القيامة

---

(١٣) - المسند (١٦٤/١) (١٤٠٥)، وأخرجه الترمذي في تفسير القرآن، باب: ومن سورة الزمر، حديث (٣٢٣٦) عن ابن أبي عمر عن سفيان به، دون الزيادة، وهذه الزيادة أخرجها الحميدي (٦١)، وأحمد (١٦٤/١)، والترمذي في تفسير القرآن، باب: ومن سورة التكاثر حديث (٣٣٥٦)، وابن ماجة في الزهد، باب: معيشة أصحاب النبي ﷺ حديث (٤١٥٢) من طريق سفيان بإسناده إلى عبد الله بن الزبير عن الزبير.

(١٤) - المسند (١٦٧/١) (١٤٣٤)، وانظر السابق.

(١٥) - المسند (١٥١/٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٣/٨): رواه أحمد، والطبراني بنحوه وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح غير أبي عشانة وهو ثقة.

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.
[٣] - في ز: «بهما».
[٤] - في ز: «من».
[٥] - في ز: «لتكررن».
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز: «يُؤدِّي».

جاران » . تفرد به أحمد .

وقال الإمام أحمد(١٦) : حدثنا حسن بن موسىٰ ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا دَرّاج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : **« والذي نفسي بيده ، إنه ليختصم**[١] ، **حتىٰ الشاتان فيما انتطحتا »** . تفرد به أحمد .

وفي المسند عن أبي ذر(١٧) رضي اللّٰه عنه قال : رأىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم شاتين ينتطحان ، فقال[٢] : **« أتدري فيم ينتطحان يا أبا ذر ؟ »** . قلت : لا . قال : **« لكن اللّٰه يدري وسيحكم بينهما »** .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا سهل بن بحر ، حدثنا حيان بن أغلب ، حدثنا أبي ، حدثنا ثابت ، عن أنس قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : **« يجاء بالإمام الخائن يوم القيامة ، فتخاصمه الرعية فَيُفْلَجُون عليه ، فيقال له : سُدَّ ركنًا من أركان جهنم »** .

ثم قال : الأغلب بن تميم ليس بالحافظ .

وقال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس - رضي اللّٰه عنهما - : ﴿ **ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون** ﴾ يقول : يخاصم الصادقُ الكاذبَ ، والمظلومُ الظالمَ ، والمهديُّ الضالَّ ، والضعيفُ المستكبرَ .

وقد روىٰ ابن مَنْده[٣] في كتاب « **الروح** » ، عن ابن عباس أنه قال : يختصم الناس يوم القيامة ، حتىٰ تختصم الروح مع الجسد ، فتقول الروح للجسد : أنتَ فعلت . ويقول الجسد للروح : أنت أمرت ، وأنت سولت . فيبعث اللّٰه مَلَكًا يفصل بينهما ، فيقول : إن مَثَلكما كمثل رجل مُقعَد بصير وآخر ضرير ، دخلا بستانًا ، فقال المقعد للضرير : إني أرىٰ هاهنا ثمارًا ، ولكن لا أصل إليها . فقال له الضرير : اركبني فتناولها . فركبه فتناولها ، فأيهما المعتدي؟ فيقولان : كلاهما . فيقول لهما الملك : فإنكما[٤] قد حكمتما علىٰ أنفسكما . يعني أن الجسدَ للروح كالمطية ، وهو راكبه .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا جعفر بن أحمد بن[٥] عوسجة ، حدثنا ضرار ، حدثنا أبو سلمة

---

(١٦) - المسند (٢٩/٣) .

(١٧) - المسند (١٦٢/٥) قال : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة وأبو معاوية ، عن أشياخ لمنذر الثوري عن أبي ذر به . ورواه أحمد (١٧٢/٥) ، والطبراني في الأوسط (٦١١٠) من حديث هزيل بن شرحبيل عن أبي ذر قريبًا منه . وانظر مجمع الزوائد (٣٥٥/١٠) .

---

[١] - في ز : « يختصم » .

[٢] - في ز : « قال » .

[٣] - في خ ، ز : « أمية » .

[٤] - في ز : « إنكما » .

[٥] - في ز : « عن » .

الخزاعي منصور بن سلمة ، حدثنا القُمّي - يعني يعقوب بن عبد الله - عن جعفر بن المغيرة ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عمر قال : نزلت هذه الآية ، وما نعلم في أيّ شيء نزلت : ﴿ **ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون** ﴾ قلنا : من نخاصم ؟ ليس بيننا وبين أهل الكتاب خصومة ، فمن نخاصم ؟ حتىٰ وقعت الفتنة ، فقال ابن عمر : هذا الذي وَعَدنا ربّنا - عز وجل - نختصم فيه .

ورواه النسائي[١٨] عن محمد بن عامر عن منصور بن سلمة ، به .

وقال أبو العالية : ﴿ **ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون** ﴾ قال : يعني أهل القبلة

وقال ابن زيد : يعنى أهل الإسلام وأهل الكفر . وقد قدمنا أن الصحيح العموم ، والله أعلم .

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾

يقول تعالىٰ مخاطبًا للمشركين الذين افتروا علىٰ الله ، وجعلوا معه آلهة أخرىٰ ، وادّعوا أن الملائكة بناتُ الله ، وجعلوا لله ولدًا - تعالىٰ الله عن قولهم علوًّا كبيرًا - ومع هذا كذبوا بالحق إذ جاءهم علىٰ ألسنة رسل الله - صلوات الله عليهم أجمعين - ولهذا قال : ﴿ **فمن أظلم ممن كذب علىٰ الله وكذب بالصدق إذ جاءه** ﴾ أي : لا أحد أظلم من هذا ؛ لأنه جمع بين طَرَفي الباطل ، كَذَب علىٰ الله ، وكَذّب رسول الله ، قالوا الباطل وردوا الحق ، ولهذا قال متوعدًا لهم : ﴿ **أليس في جهنم مثوى للكافرين** ﴾ ، وهم الجاحدون المكذبون .

ثم قال : ﴿ **والذي جاء بالصدق وصدق به** ﴾ قال مجاهد ، وقتادة ، والربيع بن أنس ، وابن زيد : الذي جاء بالصدق هو الرسول .

---

(١٨) - سنن النسائي الكبرى (٦/٤٤٥) (١١٤٤٧) ، وهو في تفسيره برقم (٤٦٧) ، وأخرجه أيضًا الطبراني كما في مجمع الزوائد (٧/١٠٣) وقال الهيثمي : رجاله ثقات . وزاد السيوطي نسبته في الدر المنثور (٥/ ٣٢٧) إلى عبد بن حميد ونعيم بن حماد ، وابن مردويه والحاكم .

وقال السدي: هو جبريل - عليه السلام - ﴿وصدّق[١] به﴾ يعني: محمدًا صلى اللّٰه عليه وسلم

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿ والذي جاء بالصدق ﴾ قال: من جاء بلا إله إلا الله، ﴿ وصَدَّق به ﴾ يعني: رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم.

وقرأ الربيع بن أنس: ﴿والذين جاءوا بالصدق﴾، يعني: الأنبياء، ﴿ وصدَّق به ﴾ يعني: الأتباع.

وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد: ﴿ والذي جاء بالصدقِ وصدق به ﴾ قال: أصحابُ القرآن المؤمنون يجيئون يوم القيامة، فيقولون: هذا ما أعطيتمونا، فعملنا فيه بما أمرتمونا.

وهذا القول عن مجاهد يشمل كل المؤمنين؛ فإن المؤمن يقول الحق ويعمل به، والرسول صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أولىٰ الناس بالدخول في هذه الآية علىٰ هذا التفسير، فإنه جاء بالصدق، وصدّق المرسلين، وآمن بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون، كل آمن باللّٰه وملائكته وكتبه ورسله.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ﴿ والذي جاء بالصدق ﴾: هو رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم، ﴿ وصدق به ﴾ المسلمون.

﴿أولئك هم المتقون﴾ قال ابن عباس: اتقوا الشرك ﴿ لهم ما يشاءون عند ربهم ﴾ يعني: في الجنة، مهما طلبوا وجدوا، ﴿ ذلك جزاء المحسنين * ليكفر اللّٰه عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون ﴾. كما قال في الآية الأخرىٰ: ﴿ أولئك الذين نتقبل[٢] عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون ﴾.

أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ
فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى
ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ
أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ
أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ

[١] - في ز: « وصدقوا ». [٢] - في ز: « يُتقبل ».

ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **أليس الله بكافٍ عبده** ﴾ وقرأ بعضهم : (عباده) ، يعني أنه تعالىٰ يكفي مَن عَبَده وتوكل عليه .

وقال ابن أبي حاتم هاهنا : حدثنا أبو عبيد الله ابن أخي ابن وهب حدثنا عمي ، حدثنا أبو هانئ ، عن أبي علي عمرو بن مالك الجَنْبي[١] ، عن فضالة بن عبيد الأنصاري أنه[٢] سمع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **أفلح من هُدِيَ إلىٰ الإسلام ، وكان عيشه كفافًا ، وقَنَعَ به** » .

[ورواه الترمذي والنسائي(١٩) من حديث حيوة بن شريح عن أبي هانئ الخولاني ، به . وقال الترمذي : صحيح][٣] .

﴿ **ويخوفونك بالذين من دونه** ﴾ يعني المشركين يخوفون الرسول ويتوعدونه بأصنامهم وآلهتهم التي يعبدونها[٤] من دونه جهلًا منهم وضلالًا ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ومن يضلل الله فما له من هاد * ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذي انتقام** ﴾ ، أي : منيع الجناب لا يضام ، من استند إلىٰ جنابه ولجأ إلىٰ بابه ، فإنه العزيز الذي لا أعز منه ، ولا أشد انتقامًا منه ، ممن كفر به وأشرك وعاند رسوله صلىٰ الله عليه وسلم .

وقوله : ﴿ **ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله** ﴾ يعني : المشركين كانوا يعترفون بأن الله هو الخالق للأشياء كلها ، ومع هذا يعبدون معه غيره ، مما[٥] لا يملك لهم ضرًّا ولا نفعًا ، ولهذا قال : ﴿ **قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته** ﴾ ، أي : لا تستطيع[٦] شيئًا من الأمر .

وذكر ابن أبي حاتم هاهنا حديث قيس بن الحجاج ، عن حَنَش الصّنعاني ، عن ابن عباس

---

(١٩) - أخرجه أحمد (١٩١٦) والترمذي في الزهد ، باب : ما جاء في الكفاف والصبر عليه ، حديث (١٣٤٩) ، والنساتي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (١١٠٣٣) من طريق حيوة بن شريح به .

---

[١] - في ز : « الجَمّي » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٤] - في خ : « يدعونها » .
[٥] - في ز : « ممن » .
[٦] - في ز : « يستطيع » .

مرفوعًا : « **احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، تَعَرّف إلىٰ الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا علىٰ أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يضروك ، ولو اجتمعوا علىٰ أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم ينفعوك . جفّت الصحف ، ورُفعت الأقلام ، واعمل لله بالشكر في اليقين . واعلم أن في الصبر علىٰ ما تكره خيرًا كثيرًا . وأن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرًا** »(٢٠) .

﴿ **قل حسبي الله** ﴾ أي : اللَّه كافيَّ، عليه توكلت وعليه يتوكل المتوكلون. كما قال هود - عليه السلام - حين قال له قومه: ﴿ **إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تُنظرون إني توكلت علىٰ الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي علىٰ صراط مستقيم** ﴾ .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن عصام الأنصاري ، حدثنا عبد الله بن بكر السهمي ، حدثنا محمد بن حاتم ، عن أبي المقدام - مولىٰ آل عثمان - عن محمد بن كعب القرظي ، حدثنا ابن عباس ، رفع الحديث إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **من أحب أن يكون أقوىٰ الناس فليتوكل علىٰ الله . ومن أحب أن يكون أغنىٰ الناس فليكن بما في يد الله أوثق بما في يديه . ومن أحب أن يكون أكرم الناس ، فليتق الله** »(٢١) .

وقوله : ﴿ **قل يا قوم اعملوا علىٰ مكانتكم** ﴾ أي : علىٰ طريقتكم . وهذا تهديد ووعيد ، ﴿ **إني عامل** ﴾ أي : علىٰ طريقتي ومنهجي ، ﴿ **فسوف تعلمون** ﴾ أي : ستعلمون غِبّ ذلك وَوَباله ﴿ **من يأتيه عذاب يخزيه** ﴾ أي : في الدنيا ، ﴿ **ويحل عليه عذاب مقيم** ﴾ أي : دائم مستمر ، لا محيد له عنه . وذلك يوم القيامة .

إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ
فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ
مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ
ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾

---

(٢٠) - أخرجه أحمد (٢٩٣/١، ٣٠٣) ، والترمذي في صفة القيامة ، حديث (٢٥١٦) من حديث قيس بن الحجاج به دون قوله : « واعمل لله بالشكر في اليقين ... الخ » .

(٢١) - أخرجه عبد بن حميد في مسنده (٦٧٥- منتخب) عن محمد بن كثير ، عن هشام بن زياد أبي المقدام به .

يقول تعالىٰ مخاطبًا رسولَه محمدًا صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : ﴿ **إنا أنزلنا عليك الكتاب** ﴾ يعني : القرآن ﴿ **للناس بالحق** ﴾ أي : لجميع الخلق من الإنس والجن لتنذرهم به ، ﴿ **فمن اهتدىٰ فلنفسه** ﴾ أي : فإنما يعود نفعُ ذلك إلىٰ نفسه ، ﴿ **ومن ضل فإنما يضل عليها** ﴾ أي : إنما يرجع وبال ذلك علىٰ نفسه ، ﴿ **وما أنت عليهم بوكيل** ﴾ ، أي[١] : بموكل[٢] أن يهتدوا﴿ **إنما أنت نذير واللّٰه على كل شيء وكيل** ﴾ ﴿ **إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ مخبرًا عن نفسه الكريمة بأنه المتصرف في الوجود بما يشاء ، وأنه يتوفىٰ الأنفس الوفاة الكبرىٰ ، بما يرسل من الحفظة الذين يقبضونها من الأبدان . والوفاة الصغرىٰ عند المنام ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرَحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضىٰ أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعمَلون * وهو القاهر فوق عباده ويُرسل عليكم حفظة حتىٰ إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون** ﴾ . فذكر الوفاتين : الصغرىٰ ثم الكبرىٰ . وفي هذه الآية ذكر الكبرىٰ ثم الصغرىٰ ؛ ولهذا قال : ﴿ **اللّٰه يتوفىٰ الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضىٰ عليها الموت ويرسل الأخرىٰ إلىٰ أجل مسمى** ﴾ ، فيه دلالة علىٰ[٣] أنها تجتمع في الملأ الأعلىٰ ، كما ورد بذلك الحديث المرفوع الذي رواه ابن منده وغيره .

وفي صحيحي البخاري ومسلم(٢٢) من حديث عُبيد[٤] اللّٰه ابن عمر ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إذا أوىٰ أحدكم إلىٰ فراشه فلْينفُضْه بدَاخلة إزاره ، فإنه لا يدري ما خَلَفَهُ عليه ، ثم ليقل : باسمك ربي وضعت جنبي ، وبك أرفعه ، إن أمسكتَ نفسي فارحمها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين** » .

وقال بعض السلف : يقبض[٥] أرواح الأموات إذا ماتوا ، وأرواح الأحياء إذا ناموا ، فتتعارف ما شاء اللّٰه تعالىٰ أن تتعارف ، ﴿ **فيمسك التي قضىٰ عليها الموت** ﴾ التي : قد ماتت ، ويرسل الأخرىٰ إلىٰ ﴿أجل مسمى﴾ .

---

(٢٢) - أخرجه البخاري في الدعوات ، حديث (٦٣٢٠) ، ومسلم في الذكر والدعاء ، حديث (٢٧١٤) . وجاء الحديث من طرق عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة ليس فيه : (عن أبيه) .

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في حاشية ز : « وقيل : الوكيل من يجعل إليه الشيء لعجز موكله عنه بنفسه يقول : لسنا بعاجزين عن حملهم الإيمان فنكل ذلك إليك بل نحن قادرون على ذلك قال اللّٰه تعالى : ﴿ ولو شاء ربك لأمن من في الأرض كلهم جميعًا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ وقيل : نُسِخت بهذه الآية آية الأمر بالقتال . نسفي » .

[٣] - في ز : « إلى » .

[٤] - في خ ، ز : « عبد » .

[٥] - في ز : « تقبض » .

قال السدي : إلىٰ بقية أجلها . وقال ابن عباس : يمسك[١] أنفس الأموات ، ويرسل[٢] أنفس الأحياء ، ولا يغلط . ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ .

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ (٤٣) قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٤٤) وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٥) ﴾

يقول تعالىٰ ذامًّا للمشركين في اتخاذهم شفعاء من دون الله ، وهم الأصنام والأنداد ، التي اتخذوها من تلقاء أنفسهم بلا دليل ولا برهان حداهم علىٰ ذلك ، وهي لا تملك شيئًا من الأمر ، بل وليس لها عقل تعقل به ، ولا سمع تسمع به ، ولا بصر تبصر به ، بل هي جمادات أسوأ حالًا من الحيوان بكثير[٣]: قل ، أيْ يا محمد لهؤلاء الزاعمين أن ما اتخذوه شفعاء لهم عند الله ، أخبرهم أن الشفاعة لا تنفع عند اللَّه إلا لمن ارتضاه وأذن له ، فمرجعها كلها إليه ، ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ ﴿ له ملك السماوات والأرض ﴾ أي : هو المتصرف في جميع ذلك ، ﴿ ثم إليه ترجعون ﴾ أي : يوم القيامة ، فيحكم بينكم بعدله ، ويجزي كلًّا بعمله .

ثم قال تعالىٰ ذامًّا للمشركين أيضًا : ﴿ وإذا ذكر اللَّه وحده ﴾ أي : إذا[٤] قيل : لا إله إلا اللَّه ﴿ اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴾ ، قال مجاهد : ﴿ اشمأزت ﴾[٥] انقبضت . وقال السدي : نفرت . وقال قتادة : كفرت واستكبرت . وقال مالك ، عن زيد بن أسلم : استكبرت . كما قال تعالىٰ : ﴿ إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا اللَّه يستكبرون ﴾ أي : عن المتابعة والانقياد لها . فقلوبهم لا تقبل الخير ، ومن لم يقبل الخير يقبل الشر ؛ ولهذا قال : ﴿ وإذا ذكر الذين من دونه ﴾ أي : من الأصنام والأنداد ، قاله مجاهد ، ﴿ إذا هم يستبشرون ﴾ أي : يفرحون ويسرون .

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٤٦) وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِى

---

[١] - في ز : « تمسك » .
[٢] - في ز : « ترسل » .
[٣] - بعده في ت : ثم قال ٨,
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - سقط من : ز .

﴿ الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (٤٧) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٤٨) ﴾

يقول تعالىٰ بعد ما ذكر عن المشركين ما ذكر ، من المذمة لهم في حبهم الشرك ، ونفرتهم عن التوحيد : ﴿ **قل اللهم فاطر السماوات والأرض** [**عالم الغيب والشهادة** ﴾ أي : ادع أنت الله وحده لا شريك له ، الذي خلق السماوات والأرض][١] وفطرها ، أي : جعلها علىٰ غير مثال سبق ، ﴿ **عالم الغيب والشهادة** ﴾ أي : السر والعلانية ، ﴿ **أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون** ﴾ أي : في دنياهم ، ستفصل بينهم يوم معادهم ونشورهم ، وقيامهم من قبورهم .

وقال مسلم في صحيحه(٢٣) : حدثنا عبد بن حميد ، حدثنا عمر بن يونس ، حدثنا عكرمة بن عمار ، حدثنا يحيىٰ بن أبي كثير ، حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن قال : سألت عائشة : بأيّ شيء كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يفتتح صلاته إذا قام من الليل ؟ قالت : كان إذا قام من الليل افتتح صلاتَه : « **اللهم ، رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فاطرَ السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختُلِفَ فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلىٰ صراط مستقيم** » .

وقال الإمام أحمد (٢٤) : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، وأخبرنا سهيل بن[٢] أبي صالح ، وعبد الله بن عثمان بن خُثَيم ، عن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عبد الله ابن مسعود أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **من قال : اللهم فاطر السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، إني أعهد إليك في هذه الدنيا أني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وأن محمدًا عبدك ورسولك ، فإنك إن تكلني إلىٰ نفسي تُقَرِّبني من الشر وتباعدني من الخير ، وإني لا أثق إلا برحمتك ، فاجعل لي عندك عهدًا تُوَفِّينيه يوم القيامة ، إنك لا تُخْلف الميعاد ، إلا قال الله عز وجل لملائكته يوم القيامة : إن عبدي قد عهد إليّ عهدًا فأوفوه إياه ، فيدخله الله الجنة** » .

(٢٣) - صحيح مسلم في صلاة المسافرين وقصرها ، حديث (٧٧٠) ، قال : حدثنا محمد بن المثنى ، ومحمد بن حاتم ، وعبد بن حميد ، وأبو معين الرقاشي قالوا : ثنا عمر بن يونس به .

(٢٤) - المسند (١/٤١٢) (٣٩١٦) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في خ ، ز : « عن » .

قال سهيل : فأخبرت القاسم بن عبد الرحمن أن عونًا أخبر بكذا وكذا ؟ فقال : ما في أهلنا جارية إلا وهي تقول هذا في خدرها . انفرد به الإمام أحمد .

وقال الإمام أحمد (٢٥) : [حدثنا حسن][١] حدثنا ابن لهيعة ، حدثني حيي بن عبد الله : أن أبا عبد الرحمن حدثه قال : أخرج لنا عبد الله بن عمرو قرطاسًا وقال : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يعلمنا يقول : « **اللهم فاطرَ السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت ربّ كل شيء ، وإله كل شيء ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، وحدك لا شريك لك ، وأن محمدًا عبدك ورسولك ، والملائكة يشهدون . أعوذ بك من الشيطان وشركه ، وأعوذ بك أن أقترف علىٰ نفسي إثمًا ، أو أجُرّه إلىٰ مسلم** » .

قال أبو عبد الرحمن : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يعلمه[٢] عبد الله بن عمرو أن يقول ذلك حين يريد أن ينام . تفرد به أحمد أيضا .

وقال أحمد أيضًا (٢٦) : حدثنا خلف بن الوليد ، حدثنا ابن عَيَّاش[٣] ، عن محمد بن زياد الألهاني ، عن أبي راشد الحُبْرَاني قال: أتيت عبد الله بن عمرو فقلت له : حَدِّثنا ما سمعتَ من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم . فألقىٰ بين يَدَيّ صحيفة فقال: هذا ما كتب لي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم . فنظرت فيها فإذا فيها أن أبا بكر الصديق قال : يا رسول الله ، علّمني ما أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت . فقال له رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **يا أبا بكر ، قل : اللهم فاطرَ السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، لا إله إلا أنت ، ربّ كل شيء ومليكه ، أعوذ بك من شر نفسي ، وشر الشيطان وشركه ، أو أقترف علىٰ نفسي سوءًا ، أو أجره إلىٰ مسلم** » . ورواه الترمذي ، عن الحسن بن عرفة ، عن إسماعيل بن عياش ، به ، وقال : « حسن غريب من هذا الوجه » .

وقال الإمام أحمد(٢٧) : حدثنا هاشم ، حدثنا شيبان[٤] ، عن ليث ، عن مجاهد قال : قال أبو بكر الصديق : أمرني رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أن أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت ، وإذا أخذت مضجعي من الليل : « **اللهم فاطر السماوات والأرض** » إلىٰ آخره .

---

(٢٥) - المسند (١٧١/٢) ، وأخرجه أيضًا عبد بن حميد (٣٣٨ - منتخب) عن عبد الله بن يزيد عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن أبي عبد الرحمن الحلبي به . وسيأتي من طريق لخر عن ابن عمرو ، انظر التخريج التالي .

(٢٦) - المسند (١٩٦/٢) ، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٢٠٤) ، والترمذي في الدعوات ، حديث (٣٥٢٩) ، من طريق إسماعيل بن عياش به .

(٢٧) - المسند (١٤/١) (٨١) وضعفه العلامة أحمد شاكر في تعليقه على المسند .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ز : « يعلم » .
[٣] - في ز : « عباس » .
[٤] - في خ ، ز : « سيار » .

وقوله : ﴿ **ولو أن للذين ظلموا** ﴾ وهم المشركون ﴿ **ما في الأرض جميعًا ومثله معه** ﴾ أي : ولو أن جميعَ مُلْك الأرض وضِعْفَه معه[١] ﴿ **لافتدوا به من سوء العذاب** ﴾ أي : الذي أوجبه اللَّه لهم يوم القيامة ، ومع هذا لا يُتَقَبَّل منهم الفداء ولو كان ملءَ الأرض ذهبًا ، كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **وبدا لهم من اللَّه ما لم يكونوا يحتسبون** ﴾ أي : وظهر لهم من اللَّه من العذاب والنكال بهم ما لم يكن في بالهم ولا في حسابهم ، ﴿ **وبدا لهم سيئات ماكسبوا** ﴾ أي : وظهر لهم جزاء ما اكتسبوا في الدار الدنيا من المحارم والمآثم ، ﴿ **وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون** ﴾ أي : وأحاط بهم من العذاب والنكال ما كانوا يستهزئون به في الدار الدنيا .

فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن الإنسان : إنه في حال الضراء يَضرَع إلىٰ الله - عز وجل - وينيب إليه ويدعوه ، وإذا خوله منه نعمة بغىٰ وطغىٰ ، وقال : ﴿ **إنما أوتيته علىٰ علم** ﴾ أي : لما يعلم اللَّه من استحقاقي له ، ولولا أني عند اللَّه تعالىٰ خصيص لما خَوّلني هذا !

قال قتادة : ﴿ **على علم عندي** ﴾ على خير عندي .

قال اللَّه -عز وجل- : ﴿ **بل هي فتنة** ﴾ أي : ليس الأمر كما زعموا ، بل أنعمنا عليه بهذه النعمة لنختبره فيما أنعمنا عليه ، أيُطيع أم يعصي ؟ مع علمنا المتقدم بذلك ، فهي فتنة أي : اختبار ، ﴿ **ولكن أكثرهم[٢] لا يعلمون** ﴾ ، فلهذا يقولون ما يقولون ، ويَدّعون ما يدّعون.

﴿ **قد قالها الذين من قبلهم** ﴾ أي : قد قال هذه المقالة وزَعَم هذا الزعم وادعىٰ هذه[٣] الدعوىٰ - كثير ممن سلف من الأمم ، ﴿ **فما أغنىٰ عنهم ما كانوا يكسبون** ﴾ أي : فما صح

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « أكثر الناس » .
[٣] - سقط من : ز .

قولهم ولا منعهم جمعهم[١] وما كانوا يكسبون ، [﴿ **فأصابهم سيئات ما كسبوا**][٢] ﴿ **والذين ظلموا من هؤلاء** ﴾ أي : من[٣] المخاطبين ﴿ **سيصيبهم سيئات ما كسبوا** ﴾ أي : كما أصاب أولئك ، ﴿ **وما هم بمعجزين** ﴾ كما قال تعالىٰ مخبرًا عن قارون أنه قال [له قومه][٤] : ﴿ **لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين * وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين * قال إنما أوتيته علىٰ علم عندي أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعًا ولا يُسأل عن ذنوبهم المجرمون** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولادًا وما نحن بمعذبين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **أو لم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر** ﴾ أي : يوسّعه علىٰ قوم ويضيقه علىٰ آخرين ، ﴿ **إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون** ﴾ أي : لعبرًا وحججًا .

۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾

هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلىٰ التوبة والإنابة ، وإخبار بأن الله

---

[١] - في ز : « جميعهم » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين في خ : « لقومه » .

يغفر الذنوب جميعًا لمن تاب منها ورجع عنها ، وإن كانت مهما كانت ، وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر . ولا يصح حمل هذه على غير توبة ؛ لأن الشرك لا يُغفر لمن لم يتب منه .

وقال البخاري(٢٨) : حدثنا إبراهيم بن موسىٰ ، أخبرنا هشام بن يوسف ؛ أن ابن جُرَيج أخبرهم ؛ قال يعلىٰ : إن سعيد بن جبير أخبره عن ابن عباس ؛ أن ناسًا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا ، وَزَنَوْا فأكثروا . فأتوا محمدًا صلىٰ اللّه عليه وسلم؛ فقالوا : إن الذي تقول وتدعو إليه لحَسَنٌ لو تُخبرنا أنّ لمَا عملنا كفارة . فنزل : ﴿ **والذين لا يدعون مع الله إلهًا آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون** ﴾ ، ونزل قوله : ﴿ **قل ياعبادي الذين أسرفوا علىٰ أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله** ﴾ .

وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي(٢٩) ، من حديث ابن جُرَيج ، عن يعلىٰ بن مسلم المكي ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس به .

والمراد من الآية الأولى قوله : ﴿ **إلا من تاب وآمن وعمل عملًا صالحًا** ... ﴾ الآية .

وقال الإمام أحمد (٣٠) : حدثنا حَسَن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا أبو قَبِيل؛ قال[١] : سمعت أبا[٢] عبد الرحمن المرّيّ[٣] ؛ يقول : سمعت ثوبان مولىٰ رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم؛ يقول : سمعت رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم؛ يقول[٤] : « **ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية** : ﴿ **ياعبادي الذين أسرفوا علىٰ أنفسهم** ﴾...» . إلىٰ آخر الآية ، فقال رجل : يارسول الله ؛ فمن أشرك ؟ فسكت النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم ، ثم قال : « **ألا ومن أشرك** » . ثلاث مرات . تفرد به الإمام أحمد .

وقال الإمام أحمد أيضًا (٣١) : حدثنا سُرَيج[٥] بن النعمان ، حدثنا نوح[٦] بن قيس ، عن

(٢٨) - صحيح البخاري كتاب التفسير ، باب : ﴿ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ...﴾ حديث (٤٨١٠) .

(٢٩) - أخرجه مسلم في الإيمان ، حديث (١٢٢) ، وأبو داود في الفتن والملاحم ، باب : في تعظيم قتل المؤمن ، حديث (٤٢٧٤) والنسائي في تحريم الدم ، باب تعظيم الدم (٨٦/٧) وفي التفسير (٤٦٩) من طريق ابن جريج به .

(٣٠) - المسند (٢٧٥/٥) ، وأخرجه الطبراني في الأوسط (١٧٤) من طريق ابن أبي مريم عن ابن لهيعة به ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١٧/١٠) : إسناده حسن .

(٣١) - المسند (٣٨٥/٤) .

[١] - سقط من : خ ، ز .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في خ : « المدني » .
[٤] - سقط من : خ ، ز .
[٥] - في ز : « شريح » .
[٦] - في ز : « فرج » .

أشعث بن جابر الحُدّاني ، عن مكحول ، عن عمرو بن عَبَسَة[١] ؛ قال : جاء رجل إلىٰ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، شيخ كبير يَدّعِمُ علىٰ عصا له ، فقال : يا رسول الله ؛ إن لي غَدَرَات وفَجَرَات ، فهل يغفر لي ؟ فقال : « **ألست تشهد أن لا إله إلا الله ؟** » . قال : بلىٰ ، وأشهد أنك رسول الله . فقال : « **قد غفر لك غَدَرَاتك وفجراتك** » . تفرد به أحمد .

وقال الإمام أحمد (٣٢) : حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن شهر ابن حَوْشَب ، عن أسماء بنت يزيد ؛ قالت : سمعتُ رسول الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقرأ : ﴿ **إنه عمل غير صالح** ﴾ ، وسمعته يقول : ﴿ **يا عبادي الذين أسرفوا علىٰ أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن اللّٰه يغفر الذنوب جميعًا** ﴾ - ولا يبالي - ﴿ **إنه هو الغفور الرحيم** ﴾ ورواه أبو داود والترمذي من حديث ثابت به .

فهذه الأحاديث كلها دالة علىٰ أن المراد أنه يغفر جميع ذلك مع التوبة ، ولا يقنطَنّ عبد من رحمة الله ، وإن عَظُمت ذنوبه وكثرت ؛ فإن باب التوبة والرحمة واسع ، قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **ألم يعلموا أن اللّٰه هو يقبل التوبة عن عباده** ﴾ [وقال تعالى : ﴿ **ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه ثم يستغفر اللّٰه يجد اللّٰه غفورًا رحيمًا** ﴾][٢] وقال تعالىٰ في حق المنافقين : ﴿ **إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرًا * إلا الذين تابوا** ﴾ ، وقال : ﴿ **لقد كفر الذين قالوا إن اللّٰه ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم** ﴾ ، ثم قال : ﴿ **أفلا يتوبون إلىٰ اللّٰه ويستغفرونه واللّٰه غفور رحيم** ﴾ وقال : ﴿ **إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا** ﴾ .

قال الحسن البصري : انظر إلىٰ هذا الكرم والجود ، قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلىٰ التوبة والمغفرة !

والآيات في هذا كثيرة جدًا ، وفي الصحيحين (٣٣) عن أبي سعيد ، عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، حديثُ الذي قتل تسعًا[٣] وتسعين نفسًا ، ثم ندم وسأل عابدًا من عُبَّاد بني إسرائيل : هل له من توبة ؟ فقال : لا . فقتله وأكمل به مائة . ثم سأل عالمًا من علمائهم : [هل له من توبة][٤] ؟ فقال : ومن يحول بينك وبين التوبة ؟ ثم أمره بالذهاب إلىٰ قرية يعبد

(٣٢) - المسند (٦/٤٥٤) ، وأخرجه في (٦/٤٦٠) عن عفان عن حماد به . وأخرجه أبو داود في الحروف والقراءات ، حديث (٣٩٨١،٣٩٨٢) ، والترمذي في القراءات ، باب : ومن سورة هود حديث (٢٩٣١،٢٩٣٢) من طريق ثابت البناني به . وفي بعض الطرق عن شهر عن أم سلمة ، قال الترمذي : سمعت عبد بن حميد يقول : أسماء بنت يزيد هي أم سلمة الأنصارية) .

(٣٣) - أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء ، حديث (٣٤٧٠) ، ومسلم في التوبة ، حديث (٢٧٦٦) من

[١] - في ز : « عنسبة » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - في ز : « تسعة » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

اللَّه فيها ، فقصدها فأتاه الموت في أثناء الطريق ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فأمر اللَّه أن يقيسوا ما بين الأرضين ، فإلىٰ أيهما كان أقرب فهو منها . فوجدوه أقرب إلىٰ الأرض التي هاجر إليها بشبر ، فقبضته ملائكة الرحمة . وذُكر أنه نأىٰ بصدره عند الموت ، وأن اللَّه أمر البلدة الخَيِّرة أن تقترب ، وأمر تلك البلدة[١] أن تتباعد .

هذا معنى الحديث ، وقد كتبناه في موضع آخر بلفظه .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، رضي اللَّه عنهما قوله : ﴿ **قل يا عبادي الذين أسرفوا علىٰ أنفسهم لا تقنطوا من رحمة اللَّه إن اللَّه يغفر الذنوب جميعًا** ...﴾ إلىٰ آخر الآية ، قال : قد دعا اللَّه إلىٰ مغفرته من زعم أن المسيح هو الله ، ومن زعم أن المسيح هو ابن الله ، ومن زعم أن عُزَيرًا ابن الله ، ومن زعم أن اللَّه فقير ، ومن زعم أن يد اللَّه مغلولة ، ومن زعم أن اللَّه ثالث ثلاثة ، يقول اللَّه تعالىٰ لهؤلاء : ﴿ **أفلا يتوبون إلىٰ اللَّه ويستغفرونه واللَّه غفور رحيم** ﴾ ، ثم دعا إلىٰ توبته مَن[٢] هو أعظم قولًا من هؤلاء ، من قال : ﴿ **أنا ربكم الأعلىٰ** ﴾ ، وقال : ﴿ **ما علمت لكم من إله غيري** ﴾ ، قال ابن عباس : مَن آيَسَ عبادَ اللَّه من التوبة بعد هذا فقد جَحَد كتاب الله ، ولكن لا يقدر العبد أن يتوب حتىٰ يتوب اللَّه عليه .

وروى الطبراني من طريق الشعبي ، عن سنيد بن شَكَل؛ أنه قال : سمعتُ ابنَ مسعود يقول : إن أعظم آية في كتاب الله : ﴿ **اللَّه لا إله إلا هو الحي القيوم** ﴾ ، وإن أجمع آية في القرآن بخير وشر: ﴿ **إن اللَّه يأمر بالعدل والإحسان** ﴾، وإن أكثر آية في القرآن فرجًا في سورة الغرف: ﴿**قل يا عبادي الذين أسرفوا علىٰ أنفسهم لا تقنطوا من رحمة اللَّه**﴾، وإن أشد آية في كتاب اللَّه تصريفًا : ﴿ **ومن يتق اللَّه يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾ . فقال له مسروق : صدقت .

وقال الأعمش ، عن أبي سعيد ، عن أبي الكنود؛ قال : مر عبد اللَّه - يعني ابن مسعود - علىٰ قاصٍّ ، وهو يذكِّر الناس ، فقال : يا مُذَكِّر ، لِمَ تُقَنِّط الناس ؟ ثم قرأ : ﴿ **قل يا عبادي الذين أسرفوا علىٰ أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله** ﴾ . رواه ابن أبي حاتم .

ذكر أحاديث فيها نفى القنوط

قال الإمام أحمد (٣٤) : حدثنا سُرَيج بن النعمان ، حدثنا أبو عُبيدة عبد المؤمن بن عبيد الله

حديث أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري به .

(٣٤) - المسند (٢٨٣/٣) وأخرجه البخاري في التاريخ (٦٥/٢) ، وأبو يعلي في مسنده (٤٢٢٦) من طريق عبد المؤمن به . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١٨/١٠) : رجاله ثقات .

---

[١] - سقط من : ز . [٢] - في ز : « ومَن » .

السدوسي، حدثني حسن السدوسي؛ قال: دخلت على أنس بن مالك؛ فقال: سمعتُ رسولَ اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم؛ يقول: « **والذي نفسي بيده ، لو أخطأتم حتىٰ تملأ خطاياكم ما بين السماء والأرض، ثم استغفرتم اللَّه لغفر لكم ، والذي نفس محمد بيده، لو لم تخطئوا لجاء اللَّه بقوم يخطئون ، ثم يستغفرون اللَّه فيغفر لهم** » . تفرد به أحمد .

وقال الإمام أحمد (٣٥) : حدثنا إسحاق بن عيسىٰ ، حدثني ليث ، حدثني محمد بن قيس - قاصّ[١] عمر بن عبد العزيز - عن أبي صِرْمة ، عن أبي أيوب الأنصاري رضي اللَّه عنه ، أنه قال حين حضرته الوفاة : قد كنت كتمت[٢] منكم شيئًا سمعته من رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يقول : « **لولا أنكم تذنبون[٣] ، لخلق اللَّه قومًا يذنبون فيغفر لهم** » .

هكذا رواه الإمام أحمد ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، والترمذي جميعًا ، عن قتيبة ، عن الليث بن سعد به .

ورواه مسلم من وجه آخر به(٣٦) ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن أبي صرْمةَ - وهو الأنصاري ، صحابي - عن أبي أيوب به .

وقال الإمام أحمد (٣٧) : حدثنا أحمد بن عبد الملك الحراني ، حدثنا يحيىٰ بن عمرو بن مالك النُكري[٤] ؛ قال[٥]: سمعت أبي يحدث عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : [« **كفارة الذنب الندامة** » . وقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم][٦]: « **لو لم تذنبوا لجاء اللَّه بقوم يذنبون ، فيغفر لهم** ». تفرد به أحمد .

وقال عبد اللَّه ابن الإمام أحمد(٣٨) : حدثني عبد الأعلىٰ بن حماد النَّرسيّ[٧] ، حدثنا داود

(٣٥) - المسند (٥/٤١٤) ، وأخرجه عبد بن حميد (٢٣٠-منتخب) ومسلم في التوبة ، حديث (٢٧٤٨) (٩) ، والترمذي في الدعوات ، باب ، في فضل التوبة والاستغفار حديث (٣٥٣٩) من طريق الليث بن سعد به .

(٣٦) - صحيح مسلم كتاب التوبة حديث (٢٧٤٨) (١٠) .

(٣٧) - المسند (١/٢٨٩) (٢٦٢٣) ، وإسناده ضعيف ، وأخرجه ابن عدي في الكامل (٩/٣٧- ترجمة يحيى بن عمرو) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٢١٨) وعزاه لأحمد والطبراني باختصار ، والأوسط ، والبراز وقال : فيه يحيى بن عمرو بن مالك النكري وهو ضعيف وقد وثق ، وبقية رجاله ثقات). وانظر تعليق الشيخ أحمد شاكر على المسند .

(٣٨) - المسند (١/٨٠،١٠٣) وأخرجه أبو يعلى (٤٨٣) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٢٠٣) وقال : رواه عبد الله وأبو يعلى ، وفيه من لم أعرفه). وانظر تعليق العلامة أحمد شاكر على المسند (٦٠٥) .

[١] - في خ ، ز : « قاضي » .
[٢] - في ز : « كتمته » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ز : « البكري » .
[٥] - سقط من : خ ، ز .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٧] - في خ ، ز : « القرشي » .

ابن عبد الرحمن ، حدثنا أبو عبد الله مسلمة الرازي ، عن أبي عمرو البَجَلي ، عن عبد الملك بن سفيان الثقفي ، عن أبي جعفر محمد بن علي ، عن محمد بن الحنفية ، عن أبيه علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن الله يحب العبد المُفَتَّن التواب** » . لم يخرجوه من هذا الوجه .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا موسىٰ بن إسماعيل ، حدثنا حماد ، أخبرنا ثابت ، وحميد ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ؛ قال : إن إبليس - عليه لعائن الله - قال : يارب ؛ إنك أخرجتني من الجنة من أجل آدم ، و[١]إني لا أستطيعه إلا بسلطانك . قال : فأنت[٢] مسلط . قال : يارب ؛ زدني . قال : لايولد له ولد إلا ولد لك مثله . قال : يارب ؛ زدني . قال : أجعل[٣] صدورهم مساكن لكم ، وتجرون منهم مجرىٰ الدم . قال : يارب ؛ زدني . قال : أجلب عليهم بخيلك ورجلك ، وشاركهم في الأموال والأولاد ، وعدْهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورًا . فقال آدم : يارب ؛ قد سلطته عليّ ، وإني لا أمتنع به[٤] إلا بك . قال : لا يولد لك ولد إلا وَكّلت به من يحفظه من قرناء السوء . قال : يارب ؛ زدني . قال : الحسنة عشر أو أزيد ، والسيئة واحدة أو أمحوها . قال : يارب ؛ زدني . قال : باب التوبة مفتوح ما كان الروح في الجسد . قال : يارب ، زدني . قال : ﴿ **يا عبادي الذين أسرفوا علىٰ أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم** ﴾ .

وقال محمد بن إسحاق : قال نافع ؛ عن عبد الله بن عمر ، عن عمر رضي الله عنه في حديثه ؛ قال : وكنا نقول : ما الله بقابل ممن افتتن صَرْفًا ولا عدلًا ولا توبة ، عرفوا الله ثم رجعوا إلىٰ الكفر لبلاء أصابهم . قال : وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم . قال : فلما قدم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم المدينة[٥] ، أنزل الله فيهم وفي قولنا وقولهم لأنفسهم : ﴿ **يا عبادي الذين أسرفوا علىٰ أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم * وأنيبوا إلي ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون * واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون** ﴾ . قال عمر رضي الله عنه : فكتبتها بيدي في صحيفة ، [وبعثت بها][٦] إلىٰ هشام بن العاص ؛ قال : فقال هشام : لما أتتني جعلت أقرؤها[٧] بذي طُوًى أصعِّد بها فيه وأصوت ولا أفهمها ، حتىٰ قلت : اللهم أفهمنيها . قال : فألقىٰ الله في قلبي أنها إنما أنزلت فينا ، وفيما كنا نقول في أنفسنا ، ويقال فينا . قال : فرجعت إلىٰ بعيري فجلست عليه ، فلحقت برسول الله صلىٰ الله

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ز : « فإنك » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - سقط من : ت .

[٥] - سقط من : خ .

[٦] - في ز : « وبعثها » .

[٧] - سقط من : خ ، ز .

عليه وسلم بالمدينة .

ثم استحث تعالىٰ عباده إلىٰ المسارعة إلىٰ التوبة ، فقال : ﴿ **وأنيبوا إلىٰ ربكم وأسلموا له** ﴾ [أي : ارجعوا إلىٰ اللّٰه واستسلموا له ، ﴿ **من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون** ﴾ أي : بادروا][١] بالتوبة والعمل الصالح قبل حلول النقمة ، ﴿ **واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم** ﴾ وهو القرآن العظيم ، ﴿ **من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون** ﴾ أي : من حيث لا [تعلمون ولاتشعرون][٢] .

ثم قال : ﴿ **أن تقول نفس يا حسرتىٰ علىٰ ما فرطت في جنب الله** ﴾ أي : يوم القيامة يتحسر المجرم المفرط في التوبة والإِنابة ، ويود لو كان من المحسنين المخلصين المطيعين للّٰه عز وجل .

وقوله : ﴿ **وإن كنت لمن الساخرين** ﴾ أي : إنما كان عملي في الدنيا عمل ساخر مستهزئ غير موقن مصدق .

﴿ **أو تقول لو أن اللّٰه هداني لكنت من المتقين * أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرّة فأكون من المحسنين** ﴾ أي : تود أن لو أعيدت إلىٰ الدار الدنيا فتحسن العمل .

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : أخبر الله - سبحانه - ما العباد قائلون قبل أن يقولوه ، وعملهم قبل أن يعملوه . وقال : ﴿ **ولا ينبئك مثل خبير** ﴾ ، ﴿ **أن تقول نفس يا حسرتىٰ علىٰ ما فرطت في جنب اللّٰه وإن كنت لمن الساخرين * أو تقول لو أن اللّٰه هداني لكنت من المتقين * أو تقول حين ترىٰ العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين** ﴾ فأخبر اللّٰه[٣] تعالىٰ أن لو رُدّوا لما قدروا علىٰ الهدىٰ، وقال تعالىٰ: ﴿ **ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون** ﴾.

وقد قال الإِمام أحمد (٣٩) : حدثنا أسود ، حدثنا أبو بكر ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه؛ قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **كل أهل النار يرىٰ مقعده من الجنة فيقول : لو أن اللّٰه هداني ! فتكون عليه حسرة** » . قال : « **وكل أهل الجنة يرىٰ مقعده من النار فيقول : لولا أن اللّٰه هداني ! قال[٤] : فيكون له الشكر** » . ورواه

(٣٩) - المسند (٢/٥١٢) ، وأخرجه النسائي في تفسيره (٤٧٤) ، والحاكم في مستدركه (٢/٤٣٥،٤٣٦) وعنه البيهقي في البعث والنشور (٢٦٩) من طريق أبي بكر بن عياش به نحوه .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « تعلموا أو تشعروا » .

[٣] - سقط من : ز . [٤] - سقط من : ز .

النسائي من حديث أبي بكر بن عياش، به.

ولما تمنىٰ أهل الجرائم العودَ إلىٰ الدنيا، وتحسروا[١] علىٰ تصديق آيات اللّٰه واتباع رسله، قال: ﴿ **بلىٰ قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين** ﴾ أي: قد جاءتك أيها العبد النادم علىٰ ما كان منه - آياتي[٢] في الدار الدنيا، وقامت حججي عليك، فكذبت بها واستكبرت عن اتباعها، وكنت من الكافرين بها، الجاحدين لها.

وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾

يخبر تعالىٰ عن يوم القيامة أنه تسود فيه وجوه، وتبيض فيه وجوه، تسود وجوه أهل الفرقة والاختلاف، وتبيض وجوه أهل السنة والجماعة، قال تعالىٰ هاهنا: ﴿ **ويوم القيامة ترىٰ الذين كذبوا علىٰ الله** ﴾ أي: في دعواهم له شريكًا وولدًا ﴿ **وجوههم مسودة** ﴾ أي: بكذبهم وافترائهم.

وقوله: ﴿ **أليس في جهنم مثوى للمتكبرين**[٣] ﴾ أي: أليست جهنم كافية لهم[٤] سجنًا وموئلًا لهم فيها الخزي والهوان، بسبب تكبرهم وتجبرهم وإبائهم عن الانقياد للحق.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو عبيد اللّٰه ابن أخي ابن وهب، حدثنا عمي، حدثنا عيسىٰ بن أبي عيسىٰ الخياط، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال: « **إن المتكبرين يحشرون يوم القيامة أشباه الذر في صور الناس، يعلوهم كل شيء من الصغار، حتىٰ يدخلوا سجنًا من النار في واد يقال له: بولس**[٥]**، من نار الأنيار**[٦]**، ويسقون عصارة أهل النار، من طينة الخبال** ».

وقوله: ﴿ **وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم** ﴾ أي: بما سبق لهم من السعادة والفوز عند الله، ﴿ **لا يمسهم السوء** ﴾ أي: يوم القيامة، ﴿ **ولا هم يحزنون** ﴾ أي: ولا يحزنهم الفزع الأكبر، بل هم آمنون من كل فَزَع، مزحزحون عن كل شر، مؤمّلون كل خير.

---

[١] - في ز: « ويتحسروا ».
[٢] - في ز: « بلى قد جائك ».
[٣] - في ز: « للكافرين ».
[٤] - في خ: « لها ».
[٥] - في ز: « بلولس ».
[٦] - في ز: « الأيّار ».

﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٢) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٦٣) قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (٦٤) وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ (٦٦) ﴾

يخبر تعالى أنه خالق الأشياء كلها، وربها ومليكها والمتصرف فيها، وكلٌّ تحت تدبيره وقهره وكلاءته.

وقوله: ﴿ **له مقاليد السماوات والأرض** ﴾ قال مجاهد: المقاليد هي المفاتيح بالفارسية، وكذا قال قتادة وابن زيد وسفيان بن عيينة. وقال السدي: ﴿ **له مقاليد السماوات والأرض** ﴾ أي: خزائن السماوات والأرض.

والمعنىٰ علىٰ كلا القولين أن أزِمَّة الأمور بيده، له الملك وله الحمد، وهو علىٰ كل شيء قدير؛ ولهذا قال: ﴿ **والذين كفروا بآيات الله** ﴾ أي: حججه وبراهينه، ﴿ **أولئك هم الخاسرون** ﴾.

وقد روى ابن أبي حاتم هاهنا حديثًا غريبًا جدًّا، في صحته[١] نظر، ولكن نذكره كما ذكره فإنه قال: حدثنا يزيد بن سنان البصري بمصر، حدثنا يحيىٰ بن حماد، حدثنا الأغلب بن تميم، عن مخلد بن هذيل العبدي، عن عبد الرحمن المدني، عن عبد اللَّه بن عمر، عن عثمان بن عفان، رضي اللَّه عنه، أنه سأل رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم عن تفسير: ﴿ **له مقاليد السماوات والأرض** ﴾ فقال: « **ما سألني عنها أحد قبلك ياعثمان** »، قال: « **تفسيرها: لا إله إلا اللَّه، واللَّه أكبر، وسبحان اللَّه وبحمده، أستغفر اللَّه، ولا قوة إلا باللَّه الأول والآخر، والظاهر والباطن، بيده الخير يحيي ويميت، [وهو على كل شيء قدير][٢]. من قالها يا عثمان [إذا أصبح][٣] عشر مرات[٤] أعطى خصالاً ستًّا[٥]، أما أولهن: فيحرس من إبليس وجنوده، وأما الثانية: فيعطى قنطارًا من الأجر، وأما الثالثة: فترفع**

[١] - في ز: « جدته ».
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.
[٤] - في ز: « مرار ».
[٥] - سقط من: خ، ز.

له درجة في الجنة، وأما الرابعة: فيزوج[١] من الحور العين، وأما الخامسة: فيحضره اثنا عشر ملكًا، وأما السادسة: فيعطى من الأجر كمن قرأ القرآن والتوراة والإنجيل والزبور. وله مع هذا يا عثمان من الأجر كمن حج وتقبلت حجته، واعتمر فتقبلت عمرته، فإن مات من يومه طبع بطابع الشهداء».

ورواه أبو يعلىٰ الموصلي(٤٠) من حديث يحيىٰ بن حماد، به مثله. وهو غريب، وفيه نكارة شديدة، والله أعلم.

وقوله: ﴿ **قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون** ﴾، ذكروا في سبب نزولها ما رواه ابن أبي حاتم وغيره، عن ابن عباس؛ أن المشركين بجهلهم دعوا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ عبادة آلهتهم، ويعبدوا معه إلهه، فنزلت: ﴿ **قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون * ولقد أوحي إليك وإلىٰ الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين** ﴾. وهذه كقوله: ﴿ **ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون** ﴾.

وقوله: ﴿ **بل الله فاعبد وكن من الشاكرين** ﴾ أي: أخلص العبادة لله وحده، لا شريك له، أنت ومن معك، أنت ومن اتبعك وصدقك.

وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

يقول تبارك وتعالىٰ ﴿ **وما قدروا الله حق قدره** ﴾ أي[٢] ما قدر المشركون الله حق قدره حين عبدوا معه غيره، وهو العظيم الذي لا أعظم منه، القادر علىٰ كل شيء، المالك لكل شيء، وكل شيء تحت قهره وقدرته.

قال مجاهد: نزلت في قريش. وقال السدي: ما عظموه حق عظمته.

وقال محمد بن كعب: لو قدروه حق قدره ماكذبوه.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿ **وما قدروا الله حق قدره** ﴾، هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم، فمن آمن أن[٣] الله علىٰ كل شيء قدير، فقد قَدَر الله حق قدره، ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره.

(٤٠) - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٦٧/٥) وعزاه إلى: أبي يعلى، ويوسف القاضي في سننه وأبي الحسن القطان في المطولات وابن السني في عمل اليوم والليلة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

[١] - في خ: «فيتزوج».   [٢] - في ز: «و».

[٣] - سقط من: ز.

وقد وردت[١] أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية الكريمة ، والطريق فيها[٢] وفي أمثالها مذهبُ السلف ، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف .

قال البخاري (٤١) : قوله : ﴿ وماقدروا الله حق قدره ﴾ : حدثنا آدم ، حدثنا شيبان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن عبيدة ، عن عبد الله بن مسعود ؛ قال : جاء حبر من الأحبار إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؛ فقال[٣] : يامحمد ؛ إنا نجد أن الله - عز وجل - يجعل السماوات علىٰ إصبع ، والأرضين علىٰ إصبع ، والشجر علىٰ إصبع ، والماء والثرىٰ علىٰ إصبع ، وسائر الخلائق علىٰ إصبع . فيقول : أنا الملك . فضحك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حتىٰ بدت نواجذه ، تصديقًا لقول الحبر ، ثم قرأ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة** ...﴾ الآية .

ورواه البخاري أيضًا في غير هذا الموضع من صحيحه ، والإمام أحمد ، ومسلم ، والترمذي والنسائي في التفسير من سننيهما ، كلهم من حديث سليمان بن مهران الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عَبيدَة[٤] ، [عن ابن مسعود رضي الله عنه] بنحوه .

وقال الإمام أحمد(٤٢) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم][٥] ، عن علقمة ، عن عبد الله رضي الله عنه قال][٦] : جاء رجل إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم من أهل الكتاب ، فقال : ياأبا القاسم ، أبلغك أن الله يحمل الخلائق علىٰ إصبع ، والسماوات علىٰ إصبع ، والأرضين علىٰ إصبع ، والشجر علىٰ إصبع ، والثرىٰ علىٰ إصبع ؟ قال[٧] : فضحك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حتىٰ بدت نواجذه . قال : وأنزل الله -عز وجل- : ﴿ **وماقدروا الله حق قدره** ﴾ إلىٰ آخر الآية . وهكذا رواه البخاري ومسلم والنسائي من طرق عن الأعمش به .

وقال الإمام أحمد (٤٣) : حدثنا حُسَين بن حسن الأشقر ، حدثنا أبو كُدَينة ، عن عطاء ،

(٤١) - صحيح البخاري - كتاب التفسير ، باب : (وما قدروا الله حق قدره) ، حديث (٤٨١١) ، وأطرافه في (٧٤١٤، ٧٤١٥، ٧٤٥١، ٧٥١٣) ، وأخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين ، حديث (٢٧٨٦) ، والترمذي في تفسير القرآن ، باب : « ومن سورة الزمر » حديث (٣٢٣٨، ٣٢٣٩) ، والنسائي في التفسير (٤٧٠، ٤٧١) .

(٤٢) - المسند (١/٣٧٨) ، وانظر السابق .

(٤٣) - المسند (١/٢٥١) ، وأخرجه الترمذي في تفسير القرآن ، باب : (ومن سورة الزمر) ، حديث

[١] - في ز : « ورد » .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ز : « قال » .

[٤] - في خ : « علقمة » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٧] - سقط من : خ .

عن أبي الضحىٰ ، عن ابن عباس؛ قال : مر يهودي برسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وهو جالس فقال[١] : كيف تقول يا أبا القاسم ، يوم يجعل الله السماء علىٰ ذِهْ - وأشار بالسبابة - والأرض علىٰ ذِهْ ، والجبال علىٰ ذِهْ ، وسائر الخلق علىٰ ذِهْ - كل ذلك يشير بإصبعه - قال : فأنزل الله عز وجل : ﴿ وما قدروا الله حق قدره ...﴾ الآية .

وكذا رواه الترمذي في التفسير عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، عن محمد بن الصلت أبي جعفر ، عن أبي كُدَينة يحيىٰ بن المهلب ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي الضحىٰ مسلم بن صُبَيح ، به ، وقال : حسن صحيح غريب[٢] ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

ثم قال البخاري (٤٤) : حدثنا سعيد بن عفير ، حدثنا الليث ، حدثني عبد الرحمن بن خالد ابن مسافر ، عن ابن شهاب ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، أن أبا هريرة -رضي الله عنه- قال : سمعت رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - يقول : « **يقبض الله الأرض ، ويطوي السماء بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك ، أين ملوك الأرض ؟** » تفرد به من هذا الوجه ، ورواه مسلم من وجه آخر .

وقال البخاري في موضع آخر(٤٥) : حدثنا مُقَدَّم بن محمد ، حدثنا عمي القاسم بن يحيىٰ ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ قال : « **إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين علىٰ إصبع وتكون السماوات بيمينه ثم يقول : أنا الملك** » .

تفرد به أيضًا من هذا الوجه .

ورواه مسلم من وجه آخر .

وقد رواه الإمام أحمد من طريق أخرى بلفظ آخر أبسط من هذا السياق وأطول ، فقال(٤٦) :

(٣٢٤٠) ، وقال الترمذي : « حديث حسن غريب صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وأبو كدينة اسمه يحيى بن المهلب » .

(٤٤) - صحيح البخاري في التفسير ، باب : ﴿ والأرض جميعًا قبضته .. ﴾ حديث (٤٨١٢) ، وأخرجه الدارمي رقم (٢٨٠٢) .

(٤٥) - صحيح البخاري في التوحيد ، باب : قول الله تعالى ﴿ لما خلقت بيدي ﴾ ، حديث (٧٤١٢) ، وأخرجه مسلم في صفات المنافقين ، حديث (٢٧٨٨) من طريق سالم بن عبد الله عن أبيه بمعناه .

(٤٦) - المسند (٧٢/٢) (٥٤١٤) ، وأخرجه مسلم في صفات المنافقين ، حديث (٢٧٨٨) (٢٥) ، (٢٦) ، والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (٧٣١٥) ، وابن ماجة في المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية حديث (١٩٨) ، وفي الزهد ، باب : ذكر البعث ، حديث (٤٢٧٥) من حديث عبيد الله بن مقسم عن ابن عمر به .

---

[١] - في ز : « قال » . [٢] - سقط من : ز .

حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن عبيد الله ابن مقسم ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قرأ هذه الآية ذات يوم علىٰ المنبر : ﴿ **وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالىٰ عما يشركون** ﴾ ، ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول هكذا بيده ، يحركها يقبل بها ويدبر : « **يمجد الرب نفسه : أنا الجبار ، أنا المتكبر ، أنا الملك ، أنا العزيز ، أنا الكريم** » . فرجف برسول الله صلىٰ الله عليه وسلم المنبر حتىٰ قلنا : ليخرّن به .

وقد رواه مسلم ، والنسائي ، وابن ماجة من حديث عبد العزيز بن أبي حازم ، زاد مسلم : ويعقوب بن عبد الرحمن ، كلاهما عن أبي حازم ، عن عبيد الله بن مقسم ، عن ابن عمر ، به ، نحوه . ولفظ مسلم عن عبيد الله بن مقسم في هذا الحديث : أنه نظر إلىٰ عبد الله بن عمر كيف يحكي النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **يأخذ الله سماواته وأرضه** » بيده ويقول : أنا الملك ويقبض أصابعه ويبسطها : أنا الملك » حتىٰ نظرت إلىٰ المنبر يتحرك من أسفل شيء منه ، حتىٰ إني لأقول : أساقط هو برسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؟

وقال البزار : حدثنا سليمان بن سيف ، حدثنا أبو علي الحنفي ، حدثنا عَباد المِنْقَري ، حدثني محمد بن المنكدر ؛ قال : حدثنا عبد الله بن عمر ، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قرأ هذه الآية علىٰ المنبر : ﴿ **وما قدروا الله حق قدره** ﴾ حتىٰ بلغ : ﴿ **سبحانه وتعالىٰ عما يشركون** ﴾ ، فقال المنبر هكذا ، فجاء[١] وذهب ثلاث مرات .

ورواه الإمام الحافظ أبو القاسم الطبراني من حديث عبيد بن عمير عن عبد الله بن عمرو وقال : صحيح .

وقال الطبراني في « **المعجم الكبير** »(٤٧) : حدثنا عبد الرحمن بن معاوية العُتْبي ، حدثنا حَيَّان بن نافع بن[٢] صخر بن جويرية، حدثنا سعيد بن سالم القداح ، عن معمر بن الحسن ، عن بكر بن خُنَيس[٣] ، عن أبي شيبة ، عن عبد الملك بن عمير، عن جرير؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لنفر من أصحابه : « **إني قارئ عليكم آيات من آخر سورة الزمَر ، فمن بكىٰ[٤] منكم وجبت له الجنة** » . فقرأها من عند قوله : ﴿ **وماقدروا الله حق قدره** ﴾ ، إلىٰ آخر السورة ، فمنا من بكىٰ ، ومنا من لم يبك ، فقال الذين لم يبكوا : يارسول الله ، لقد جهدنا أن نبكي ، فلم نبك ؟ فقال : « **إني سأقرؤها عليكم ، فمن لم يبك فليتباك** » .

(٤٧) - المعجم الكبير (٢/٢٩٨) (٢٤٥٩) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/١٠٤) : فيه بكر بن خنيس وهو متروك .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « عن » .
[٣] - في ز : « حبيش » .
[٤] - في خ : « يكن » .

هذا حديث غريب جدًّا.

وأغرب منه ما رواه في «**المعجم الكبير**» أيضًا: حدثنا هاشم بن زيد، حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش، حدثني أبي، حدثني ضمضم بن زرعة، عن شُرَيح بن عُبَيد، عن أبي مالك الأشعري؛ قال: قال رسول الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم: «**إن اللّٰه تعالىٰ يقول: ثلاث خلال غَيَّبْتُهُنَّ عن عبادي، لو رآهن رجل ماعمل سوءًا أبدًا: لو كشفت غطائي فرآني حتىٰ**[1] **يستيقن ويعلم كيف أفعل بخلقي إذا أتيتهم، وقبضت السماوات بيدي، ثم قبضت الأرضين، ثم قلت: أنا الملك، من ذا الذي له الملك دوني؟ ثم أريتهم**[2] **الجنة وما أعددت لهم فيها من كل خير، فيستيقنوها. وأريهم النار وما أعددت لهم فيها من كل شر فيستيقنوها، ولكن عمدًا غيبت ذلك عنهم لأعلم كيف يعملون**[3]**، وقد بينته لهم**». وهذا إسناد متقارب وهي نسخة تروى بها أحاديث جمة، واللّٰه أعلم.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن هول يوم القيامة، وما يكون فيه من الآيات العظيمة والزلازل الهائلة، فقوله: ﴿**ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله**﴾، هذه النفخة هي الثانية، وهي نفخة الصعق، وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السماوات والأرض، إلا من شاء اللّٰه كما هو مُصَرَّح به مفسرًا في حديث الصور المشهور ثم يقبض أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت، وينفرد الحي القيوم الذي كان أولًا، وهو الباقي آخرًا بالديمومة والبقاء، ويقول: ﴿**لمن الملك اليوم**﴾ ثلاث مرات. ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول: ﴿**للّٰه الواحد القهار**﴾ أي: الذي هو واحد وقد قهر كل شيء، وحكم بالفناء علىٰ كل شيء. ثم يحيي أول من يحيي إسرافيل، ويأمره أن ينفخ في الصور أخرىٰ، وهي النفخة الثالثة نفخة البعث، قال تعالىٰ: ﴿**ثم نفخ فيه أخرىٰ فإذا هم قيام ينظرون**﴾ أي: أحياء بعد ما كانوا عظامًا ورفاتًا، صاروا أحياء ينظرون إلىٰ أهوال يوم القيامة، كما قال تعالىٰ: ﴿**فإنما هي زجرة واحدة * فإذا هم بالساهرة**﴾ وقال تعالى: ﴿**يوم يدعوكم**

---

[1] - في ز: «حيى».

[2] - في ز: «أريهم».

[3] - في خ: «يعلموني».

فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلًا﴾ وقال تعالى: **﴿ومن آياته ان تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون﴾**.

قال الإمام أحمد(٤٨) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن النعمان بن سالم؛ قال : سمعت يعقوب بن عاصم بن عُرْوة بن مسعود؛ قال : سمعت رجلًا قال لعبد الله بن عمرو : إنك تقول : الساعة تقوم إلىٰ كذا وكذا ؟ قال : لقد هممت أن لا أحدثكم شيئًا ، إنما قلت : سترون بعد قليل أمرًا عظيمًا . ثم قال عبد الله بن عمرو : قال رسول الله صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **يخرج الدجال في أمتي ، فيمكث فيهم أربعين - لا أدري أربعين يومًا أو أربعين عامًا أو أربعين شهرًا أو أربعين ليلة - فيبعث اللَّه عيسىٰ ابن مريم ، كأنه عروة بن مسعود الثقفي ، فيظهر فيهلكه الله ، ثم يلبث الناس بعده سنين سبعًا ليس بين اثنين عداوة ، ثم يرسل اللَّه ريحًا باردة من قبل الشامِ ، فلا يبقىٰ أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته ، حتىٰ [لو أن أحدهم كان][١] في كَبِد جَبَل لدخلت عليه** » . قال : سمعتها من رسول الله صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، « **ويبقىٰ شرار الناس في خفة الطير ، وأحلام السباع ، لا يعرفون معروفًا ، ولاينكرون منكرًا . قال : فيتمثل لهم الشيطان فيقول : ألا تستجيبون ؟ فيأمرهم بالأوثان فيعبدونها ، وهم في ذلك دَارَّة أرزاقهم، حسن عيشهم . ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغىٰ له[٢]، وأول من يسمعه رجل يَلُوط حوضه، فيصعق. ثم لا يبقىٰ أحد إلا صُعق. ثم يرسل الله - أو: ينزل الله - مطرًا كأنه الطَّلُّ - أو : الظل ، شك نعمان - فتنبت منه أجساد الناس ﴿ ثم نفخ فيه أخرىٰ فإذا هم قيام ينظرون ﴾** ، ثم يقال : يا أيها الناس ؛ هلموا إلىٰ ربكم : **﴿ وقفوهم إنهم مسئولون ﴾ ، قال : ثم يقال : أخرجوا بَعْثَ النار . قال : فيقال : كم ؟ فيقال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين[٣] . فيومئذ تبعث الولدان شيبًا ، ويومئذ يكشف عن ساق** » .

تفرد بإخراجه مسلم في صحيحه .

وقال البخاري(٤٩) : حدثنا عمر بن حفص بن غياث ، حدثنا أبي ، حدثنا الأعمش؛ قال : سمعت أبا صالح؛ قال[٤] : سمعت أبا هريرة عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم؛ قال : « **بين**

(٤٨) - المسند (١٦٦/٢) (٦٥٥٥) . وأخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة حديث (٢٩٤٠) ، والنسائي في الكبرى (٥٠١/٦) (١١٦٢٩) من طريق شعبة به .

(٤٩) - صحيح البخاري في التفسير ، باب (ونفخ في الصور ...) الحديث (٤٨١٤) ، وطرفه في (٤٩٣٥) ، وأخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة (٢٩٥٥) والنسائي في الكبرى (١١٤٥٩) ، وفي التفسير (٤٧٩) من حديث الأعمش به .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « أن لو كان أحدهم كان » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في ز : « وتسعون » .

[٤] - سقط من : ز .

النفختين أربعون » . قالوا : يا أبا هريرة ، أربعون يومًا ؟ قال : أبيت . قالوا : أربعون سنة ؟ قال : أبيت . قالوا : أربعون شهرًا ؟ قال : أبيت . « ويبلىٰ كلّ شيء من الإنسان إلا عَجْبُ ذَنَبِه فيه يركب الخلق » .

و[١]قال أبو يعلىٰ : حدثنا يحيىٰ بن معين[٢] ، حدثنا أبو اليمان ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن عمر بن محمد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم؛ قال : « سألت[٣] جبريل عليه السلام عن هذه الآية : ﴿ ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ﴾ : مَن الذين لم يشأ اللَّه أن يصعقهم ؟ قال : هم الشهداء ، [ ][٤] مُقَلَّدون أسيافهم حول عرشه ، تتلقاهم ملائكة يوم القيامة إلىٰ المحشر بنجائب من ياقوت نمارها ألين من الحرير ، مَدُّ خطاها[٥] مد أبصار الرجال ، يسيرون في الجنة يقولون عند طول النزهة : انطلقوا بنا إلىٰ ربنا - عز وجل - لننظر كيف يقضي بين خلقه ، يضحك إليهم إلهي ، وإذا ضحك إلىٰ عبد في موطن فلا حساب عليه[٦] » .

رجاله كلهم ثقات إلا شيخ إسماعيل بن عياش ، فإنه غير معروف ، واللَّه أعلم .

وقوله : ﴿ وأشرقت الأرض بنور ربها ﴾ أي : أضاءت يوم القيامة إذا تجلىٰ الحق تبارك وتعالىٰ للخلائق لفصل القضاء ، ﴿ ووضع الكتاب ﴾ قال قتادة : كتاب الأعمال ، ﴿ وجيء بالنبيين ﴾ ، قال ابن عباس : يشهدون علىٰ الأمم بأنهم بلغوهم رسالات[٧] اللَّه إليهم ﴿ والشهداء ﴾ أي : الشهداء من الملائكة الحفظة علىٰ أعمال العباد من خير وشر ، ﴿ وقضي بينهم بالحق ﴾ أي : بالعدل ، ﴿ وهم لا يظلمون ﴾ . قال الله : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفىٰ بنا حاسبين ﴾ وقال تعالى : ﴿ إن اللَّه لا يظلم مثقال ذرة وإن تكن حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرًا عظيمًا ﴾ ولهذا قال : ﴿ ووفيت كل نفس ما عملت ﴾ أي : من خير أو شر ﴿ وهو أعلم بما يفعلون ﴾

وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « معن » .
[٣] - في ز : « سأل » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « متقلدون » .
[٥] - في ز : « خطامها » .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - في خ : « رسالة » .

لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾
قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾

يخبر تعالىٰ عن حال الأشقياء الكفار كيف يساقون إلىٰ النار ؟ وإنما يساقون سوقًا عنيفًا بزَجْر وتهديد ووعيد ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يوم يُدَعّون إلىٰ نار جهنم دَعًّا** ﴾ أي : يدفعون إليها دفعًا . هذا وهم عطاش ظماء ، كما قال في الآية[١] الأخرىٰ : ﴿ **يوم نحشر المتقين إلىٰ الرحمن وفدًا * ونسوق المجرمين إلىٰ جهنم وردًا** ﴾ ، وهم في تلك الحال صُمّ وبكم وعمي ، منهم من يمشي علىٰ وجهه ، ﴿ **ونحشرهم يوم القيامة علىٰ وجوهم عميًا و[بكمًا وصمًّا]**[٢] **مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **حتىٰ إذا جاءوها فتحت أبوابها** ﴾ أي : بمجرد وصولهم إليها فتحت لهم أبوابها سريعًا ، لتعجل لهم العقوبة ، ثم يقول لهم خزنتها من الزبانية - الذين هم غلاظ الأخلاق ، شداد القُوَىٰ ، علىٰ وجه التقريع والتوبيخ والتنكيل - : ﴿ **ألم يأتكم رسل منكم** ﴾ أي : من جنسكم تتمكنون من مخاطبتهم والأخذ عنهم ، ﴿ **يتلون عليكم آيات ربكم** ﴾ أي : يقيمون عليكم الحجج والبراهين[٣] علىٰ صحة ما دعوكم إليه، ﴿ **وينذرونكم لقاء يومكم هذا** ﴾ أي : ويحذرونكم من شر هذا اليوم ؟ فيقول الكفار لهم : ﴿ **بلىٰ** ﴾ أي : قد جاءونا وأنذرونا ، وأقاموا علينا الحجج والبراهين ، ﴿ **ولكن حقت كلمة العذاب علىٰ الكافرين** ﴾ أي : ولكن كذبناهم وخالفناهم ، لما سبق إلينا من الشقوة التي كنا نستحقها ، حيث عَدَلْنا عن الحق إلىٰ الباطل ، كما قال تعالىٰ مخبرًا عنهم في الآية الأخرىٰ : ﴿ **كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير * قالوا بلىٰ قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير * وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير** ﴾ [أي : رجعوا علىٰ أنفسهم بالملامة والندامة . ﴿ **فاعترفوا بذنبهم فسحقًا لأصحاب السعير** ﴾][٤] أي : بُعدًا لهم وخسارًا .

وقوله هاهنا : ﴿ **قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها** ﴾ أي : كل من رآهم وعَلِم حالهم يشهد عليهم بأنهم مستحقون للعذاب ، ولهذا لم يسند هذا القول إلىٰ قائل معين ، بل أطلقه ليدل علىٰ أن الكون[٥] شاهد عليهم بأنهم مستحقون ما هم فيه بما حكم العدل الخبير عليهم به ؛ ولهذا قال جل وعلا : ﴿ **قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها** ﴾ أي : ماكثين فيها لا

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « صمًا وبكمًا » .
[٣] - في ز : « والبراهان » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٥] - في ز : « القول » .

خروج لكم منها ، ولا زوال لكم عنها ، ﴿ فبئس مثوىٰ المتكبرين ﴾ أي : فبئس المصير وبئس المقيل[١] لكم ، بسبب تكبركم في الدنيا ، وإبائكم عن اتباع الحق ، فهو الذي صيركم إلىٰ ما أنتم فيه ، فبئس الحال وبئس المآل .

وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾

وهذا إخبار عن حال السعداء المؤمنين حين يساقون علىٰ النجائب وفدًا إلىٰ الجنة ﴿ زُمَرًا ﴾ أي : جماعة بعد جماعة : المقربون ، ثم الأبرار ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، كل طائفة مع من يناسبهم : الأنبياء مع الأنبياء ، والصديقون مع أشكالهم ، والشهداء مع أضرابهم[٢] ، والعلماء مع أقرانهم ، وكل صنف مع صنف ، كل زمرة تناسب بعضها بعضًا .

﴿ حتىٰ إذا جاءوها ﴾ أي : وصلوا إلىٰ أبواب الجنة بعد مجاوزة الصراط ، حُبسوا علىٰ قنطرة بين الجنة والنار ، فاقتص لهم مظالم كانت بينهم[٣] في الدنيا ، حتىٰ إذا هُذّبوا ونُقّوا أذن لهم في دخول الجنة ، وقد ورد في حديث الصور : أن المؤمنين إذا انتهوا إلىٰ أبواب الجنة تشاوروا فيمن يستأذن لهم بالدخول[٤] ، فيقصدون آدم ، ثم نوحًا ، ثم إبراهيم ، ثم موسىٰ ، ثم عيسىٰ ، ثم محمدًا - صلوات اللّٰه وسلامه عليهم أجمعين - كما فعلوا في العرصات[٥] عند استشفاعهم إلىٰ الله - عز وجل - أن يأتي لفصل القضاء ، ليظهر شرف محمد صلىٰ اللّٰه عليه وسلم علىٰ سائر البشر في المواطن كلها .

وقد ثبت في صحيح مسلم(٥٠) عن أنس - رضي اللّٰه عنه - قال[٦] : قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم : « **أنا أول شفيع في الجنة** » . وفي لفظ لمسلم : « و[٧]**أنا أول من يقرع باب الجنة** » .

---

(٥٠) - صحيح مسلم في كتاب الإيمان ، حديث (١٩٦) .

---

[١] - في خ ، ز : « المعقل » .
[٢] - في خ ، ز : « أقرانهم » .
[٣] - في ز : « لهم » .
[٤] - في ز : « في الدخول » .
[٥] - في خ ، ز : « الصرخات » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - سقط من : ز .

وقال الإمام أحمد (٥١) : حدثنا هاشم ، حدثنا سليمان ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح ، فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد . قال : يقول : بك أمرتُ أن لا أفتح لأحد قبلك** »

ورواه مسلم عن عَمرو الناقد وزهير بن حرب ، كليهما[١] عن أبي النضر هاشم بن القاسم ، عن سليمان – وهو ابن المغيرة القيسي – عن ثابت ، عن أنس به .

وقال الإمام أحمد(٥٢) : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن همام بن مُنَبِّه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أول زُمْرة تلج الجنة صُورهم علىٰ صورة القمر ليلة البدر ، لا[٢] يبصقون فيها ، ولا يمتخطون فيها ، ولا يتغوطون فيها . آنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة، ومجامرهم [ ][٣] الألُوّة ، ورشْحهم المسك ، ولكل واحد منهم زوجتان ، يرىٰ مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن . لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم علىٰ قلب واحد ، يسبحون الله بكرة وعشيًا** » . رواه البخاري عن محمد بن مقاتل ، عن ابن المبارك .

ورواه مسلم عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق ، كليهما[٤] عن معمر بإسناده نحوه . وكذا رواه أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم(٥٣) .

وقال الحافظ أبو يعلىٰ(٥٤) : حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا جَرير ، عن عُمَارة بن القعقاع ، عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أول زُمْرَة يدخلون الجنة علىٰ صورة القمر ليلة البدر ، والذين يلونهم علىٰ ضوء أشدّ كوكب دُرِّيّ في السماء إضاءة ، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يمتخطون ، أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ،**

(٥١) – المسند (٣/١٣٦) ، وأخرجه عبد بن حميد (١٢٧١) ، ومسلم في كتاب الإيمان ، حديث (١٩٧) من طريق هاشم بن القاسم به .

(٥٢) – المسند (٢/٣١٦) ، وأخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، حديث (٢٨٣٤) (١٧) من طريق عبد الرزاق به ، وأخرجه البخاري في بدء الخلق ، باب : ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة حديث (٣٢٤٥) عن محمد بن مقاتل عن عبد الله عن معمر به .

(٥٣) – أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق ، باب : « ما جاء في صفة الجنة ، وأنها مخلوقة » حديث (٣٢٤٦) من طريق أبي الزناد عن الأعرج به .

(٥٤) – مسند أبي يعلى (٦٠٨٤) .

[١] – في ز : « كلاهما » .
[٢] – في خ : ولا .
[٣] – ما بين المعكوفتين في ز : « من » .
[٤] – في ز : « كلاهما » .

ومجامرهم الألوّة ، وأزواجهم الحور العين ، أخلاقهم علىٰ خلق رجل واحد ، علىٰ صورة أبيهم آدم ، ستون ذراعًا في السماء » .

وأخرجاه(٥٥) أيضًا من حديث جرير .

وقال الزهري ، عن سعيد ، عن أبي هريرة - رضي اللّٰه عنه - عن رسول الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **يدخل الجنة من أمتي زُمْرَة ، هم سبعون ألفًا ، تضيء وجوهم إضاءة القمر ليلة البدر** » . فقام عُكّاشة بن محْصَن فقال : يا رسول الله ، ادع اللّٰه أن يجعلني منهم . فقال : « **اللهم اجعله منهم** » . ثم قام رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله ، ادع اللّٰه أن يجعلني منهم . فقال صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **سبقك بها عُكّاشة** » . أخرجاه .

وقد روىٰ هذا الحديث - في السبعين ألفًا [يدخلون الجنة][١] بغير حساب - البخاري ومسلم ، عن ابن عباس ، وجابر بن عبد اللّٰه ، وعمران بن حصين ، وابن مسعود ، ورفاعة بن عرابة الجهني ، وأم قيس بنت محصن .

ولهما(٥٦) عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد : أن رسول الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفًا - أو : سبعمائة ألف - آخذ بعضهم ببعض ، حتىٰ يدخل أولهم وآخرهم الجنة ، وجوههم علىٰ صورة القمر ليلة البدر** » .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة (٥٧) : حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن محمد بن زياد قال[٢] : سمعت أبا أمامة الباهلي يقول[٣] : سمعت رسول الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « **وعدني ربي - عز وجل - أن يَدخُلَ الجنة من أمتي سبعون[٤] ألفًا ، مع كل ألف سبعون[٥] ألفًا ، ولا حساب عليهم ولا عذاب ، وثلاث حَثَيات من حَثَيات ربي ، عز وجل** » .

وكذا رواه الوليد بن مسلم ، عن صفوان بن عمرو ، عن سليم[٦] بن عامر ، عن أبي اليمان

(٥٥) - أخرجه البخاري في اللباس ، باب البرود والحبر والشملة ، حديث (٥٨١١) ، وطرفه في (٦٥٤٢) ، ومسلم في الإيمان حديث (٢١٦) من طريق ابن شهاب به .

(٥٦) - أخرجه البخاري في بدء الخلق ، باب : ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ، حديث (٣٢٤٧) ، وأطرافه في (٦٥٤٣،٦٥٥٤) ، ومسلم في الإيمان ، حديث (٢١٩) .

(٥٧) - مصنف ابن أبي شيبة (٤٢٧/٧) ، وأخرجه أحمد (٢٦٨/٥) ، والترمذي في صفة القيامة ، حديث (٢٤٣٧) ، وابن ماجة في الزهد ، باب : صفة أمة محمد ﷺ حديث (٤٢٨٦) من طريق إسماعيل بن عياش به .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « سبعين » .
[٥] - في ز : « سبعين » .
[٦] - في خ ، ز : « حكيم » .

عامر بن عبد الله بن لُحَي[١] عن أبي أمامة .

ورواه الطبراني ، عن عُتبَة بن عَبْدٍ السُّلَمِيّ : « **ثم يشفع كل ألف في سبعين ألفًا** » .

وروى مثله عن ثوبان وأبي سعيد الأنماري[٢] . وله شواهد من وجوه كثيرة .

وقوله : ﴿ **حتىٰ إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين** ﴾ : لم يذكر الجواب هاهنا ، وتقديره : حتىٰ إذا جاءوها ، وكانت هذه الأمور من فتح الأبواب لهم إكرامًا وتعظيمًا ، وتلقتهم الملائكة الخَزَنة بالبشارة والسلام والثناء ، لا كما تلقىٰ الزبانيةُ الكفرة بالتثريب[٣] والتأنيب ، فتقديره : إذا كان هذا ، سَعدوا وطابوا ، وسُرّوا وفرحوا ، بقَدْر كل ما يكون لهم فيه نعيم . وإذا حذف الجواب هاهنا ذهب الذهن كلَّ مذهب في الرجاء والأمل .

ومن زعم أن « **الواو** » في قوله : ﴿**وفتحت أبوابها**﴾ واو الثمانية واستدل به على أن أبواب الجنة ثمانية ، فقد أبعد النجعة ، وأغرق في النزع . وإنما يستفاد كون أبواب الجنة ثمانية من الأحاديث الصحيحة :

قال الإمام أحمد(٥٨) : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن حُمَيد بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **من أنفق زوجين [من ماله][٤] في سبيل الله ، دُعِي من أبواب الجنة ، وللجنة أبواب ، فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الجهاد دُعِي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الرّيَّان** » . فقال أبو بكر - رضي الله تعالىٰ عنه - : يارسول الله ، ما عَلىٰ أحد من ضرورة دُعي من أيها دُعي فهل يُدعىٰ منها كلها أحد يا رسول الله ؟ قال : « **نعم ، وأرجو أن تكون منهم** » . رواه البخاري ومسلم من حديث الزهرى بنحوه .

وفيهما(٥٩) من حديث أبي حازم سلمة بن دينار ، عن سهل بن سعد أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **إن في الجنة ثمانية أبواب ، باب منها يسمىٰ الريان ، لا يدخله إلا الصائمون** » .

(٥٨) - المسند (٢/٤٤٩) ، وأخرجه البخاري في الصوم ، باب الريان للصائمين ، حديث (١٨٩٧) ، وأطرافه في (٢٨٤١، ٣٢١٦، ٣٦٦٦) ، ومسلم في الزكاة ، حديث (١٠٢٧) .

(٥٩) - أخرجه البخاري في بدء الخلق ، باب صفة أبواب الجنة حديث (٣٢٥٧) عن أبي حازم ، عن سهل به ، وأخرجه مسلم في الصيام حديث (١١٥٢) من حديث أبي حازم ، عن سهل بن سعد به بنحوه .

[١] - في خ ، ز : « يحيى » .

[٢] - في ت : « الأنبارى » .

[٣] - في ز : « بالريب » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

وفي صحيح مسلم (٦٠) ، عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **مامنكم من أحد يتوضأ فيبلغ - أو : فيسبغ الوضوء - ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا عبده ورسوله ، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية ، يدخل من أيها شاء** » .

وقال الحسن بن عرفة (٦١) : حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حُسَين ، عن شهر بن حوشب ، عن معاذ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **مفتاح الجنة : لا إله إلا الله** » .

ذكر سعة أبواب الجنة

نسأل الله العظيم من فضله أن يجعلنا من أهلها .

في الصحيحين(٦٢) من حديث أبي زُرْعَةَ، عن أبي هريرة في حديث الشفاعة الطويل : « **فيقول الله : يامحمد ، أدْخلْ مَن لا حساب عليه من أمتك من الباب الأيمن ، وهم شركاء الناس في الأبواب الأُخَر . والذي نفس محمد بيده ، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة - ما بين عضادتي الباب - لكما[١] بين مكة وهجر - أو : هجر و[٢] مكة** » . وفي رواية : « **مكة وبصرى** » .

وفي صحيح مسلم (٦٣) ، عن عُتْبَة بن غَزْوَانَ أنه خَطَبهم خطبة[٣] فقال فيها : ولقد ذُكر لنا أن : « **[ما بين][٤] مصراعين من مصاريع الجنة ، مسيرة أربعين سنة ، وليأتين عليه يوم وَهُو كظيظ من الزحام** » .

وفي المسند(٦٤) عن حكيم بن معاوية ، عن أبيه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مثله .

---

(٦٠) - صحيح مسلم في الطهارة ، حديث (٢٣٤) ، وفيه قصة .

(٦١) - أخرجه أيضًا أحمد في المسند (٢٤٢/٥) والبزار كما في كشف الأستار (٩/١) (٢) وابن عدي في الكامل (٦٠/٥) من طريق إسماعيل بن عياش به . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١/١) : رواه أحمد والبزار وفيه انقطاع بين شهر ومعاذ ، وإسماعيل بن عياش روايته عن أهل الحجاز ضعيفة وهذا منها .

(٦٢) - حديث طويل تقدم في الإسراء الآية (٧٩) .

(٦٣) - صحيح مسلم في الزهد والرقائق ، حديث (٢٩٦٧) .

(٦٤) - المسند (٣/٥) .

---

[١] - في ز : « كما » .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

وقال عبد بن حميد : حدثنا الحسن بن موسىٰ ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **إن ما بين مصراعين في الجنة مسيرة أربعين سنة** » .

وقوله : ﴿ **وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم** ﴾ أي : طابت أعمالكم وأقوالكم ، وطاب سعيكم فطاب جزاؤكم ، كما أمر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أن يُنادىٰ بين المسلمين في بعض الغزوات : « **إن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة** » . وفي رواية : « **مؤمنة** » .

وقوله : ﴿ **فادخلوها خالدين** ﴾ أي : ماكثين فيها أبدًا لا يبغون عنها حولا .

﴿ **وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده** ﴾ أي : يقول المؤمنون إذا عاينوا في الجنة ذلك الثواب الوافر ، والعطاء العظيم ، والنعيم المقيم ، والملك الكبير ، يقولون عند ذلك : ﴿ **الحمد لله الذي صدقنا وعده** ﴾ أي : الذي كان وعدنا على ألسنة رسله الكرام ، كما دعَوا في الدنيا : [﴿ **ربنا وآتنا ما وعدتنا علىٰ رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد** ﴾ ، ﴿ **وقالوا الحمد لله الذي هَدَانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رُسُل ربنا بالحق** ﴾][١] ، ﴿ **وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحَزَن إن ربنا لغفور شكور * الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نَصَبٌ ولا يَمَسنا فيها لُغُوب** ﴾ .

وقولهم : ﴿ **وأورَثَنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين** ﴾ ، قال أبو العالية ، وأبو صالح ، وقتادة ، والسدي ، وابن زيد : أي أرض الجنة .

وهذه الآية كقوله : ﴿ **ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون** ﴾ . ولهذا قالوا : ﴿ **نتبوأ من الجنة حيث نشاء** ﴾ أي : أين شئنا حللنا ، فنعم الأجر أجرُنا علىٰ عملنا !

وفي الصحيحين(٦٥) من حديث الزهري ، عن أنس في قصة المعراج ، قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **أدخلت الجنة فإذا فيها جَنابذُ اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك** » .

وقال عبد بن حميد(٦٦) : حدثنا روح بن عبادة ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا الجريري ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم سأل ابن صائد عن تربة الجنة ؟ فقال : دَرْمَكَةٌ بيضاءُ مِسْكٌ خَالِص . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **صدق** » .

---

(٦٥) – ورد ذلك من طرق عن جمع من الصحابة منها حديث أبي بكر عند أحمد في المسند (٣/١) ، وحديث بشر بن سحيم عند أحمد (٤١٥/٣) والنسائي (١٠٤/٨) ، وابن ماجة (١٧٢٠) .

(٦٦) – تقدم في تفسير سورة الإسراء .

---

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

وكذا رواه مسلم(٦٧) من حديث أبي مسلمة[١] عن أبي نضرة عن أبي سعيد به .

ورواه مسلم(٦٨) عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن أبي أسامة ، عن الجُرَيري ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد : أن ابن صائد سأل رسول الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم عن تربة الجنة ، فقال : « **دَرْمَكة بيضاء مسك خالص** » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عاصم بن ضمرة ، عن علي بن أبي طالب -رضي اللّٰه عنه- في قوله تعالىٰ : ﴿ **وسيق الذين اتقوا ربهم إلىٰ الجنة زمرًا** ﴾ ، قال : سيقوا حتىٰ انتهوا إلىٰ باب من أبواب الجنة ، فوجدوا[٢] عندها شجرة يخرج من تحت ساقها عينان ، فعمدوا إلىٰ إحداهما فتطهروا منها ، فجرت عليهم نضرة النعيم ، فلم تُغَير أبشارهم بعدها أبدًا ، ولم تُشْعَث أشعارهم أبدًا بعدها ، كأنما دُهنوا بالدّهان . ثم عَمَدوا إلىٰ الأخرىٰ كأنما أمِرُوا بها ، فشربوا منها ، فأذهبت ما كان في بطونهم من أذى[٣] أو قذى . وتلقتهم الملائكة علىٰ أبواب[٤] الجنة : ﴿ **سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين** ﴾ . ويلقىٰ كل غلمان صاحبهم يُطيفون به ، فعْلَ الولدان بالحميم جاء من الغيبة : أبْشِرْ ، قد أعد اللّٰه لك من الكرامة كذا وكذا ، قد أعد اللّٰه لك من الكرامة كذا وكذا . قال : وينطلق غلام من غلمانه إلىٰ أزواجه من الحور العين ، فيقول : هذا فلانٌ - باسمه في الدنيا - فيقلن : أنت رأيته ؟ فيقول : نعم . فيستخفهن الفَرَح حتىٰ تخرج إلىٰ أُسْكُفَّة الباب . قال : فيجيء فإذا هو بنمارق مصفوفة ، وأكواب موضوعة ، وزرابي مبثوثة . قال : ثم ينظر إلىٰ تأسيس بنيانه ، فإذا هو قد أسس علىٰ جندل اللؤلؤ ، بين أحمر وأخضر وأصفر ، ومن كل لون . ثم يرفع [طرفه إلىٰ سقفه][٥] ، فلولا أن اللّٰه قَدّره[٦] له ، لألَمّ أن يذهب ببصره ، إنه لمثل البرق . ثم ينظر إلىٰ أزواجه من الحور العين ، ثم يتكئ علىٰ أريكة من أرائكه ، ثم يقول : ﴿ **الحمد للّٰه الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا اللّٰه** ﴾ ... الآية .

ثم قال : حدثنا أبي ، حدثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل النهدي ، حدثنا مسلمة[٧] بن جعفر البجلي قال[٨] : سمعت أبا معاذ البصري يقول[٩] : إن عليًا رضي اللّٰه عنه كان ذات يوم

---

(٦٧) - المنتخب (٨٧٦) ، وأخرجه مسلم في الفتن ، حديث (٢٩٢٨) (٩٢) .

(٦٨) - صحيح مسلم في الفتن ، حديث (٢٩٢٨) (٩٣) .

---

[١] - في خ ، ز : « سلمة » .

[٢] - في ز : « وجدوا » .

[٣] - في ز : « الأذى » .

[٤] - في ز : « باب » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٦] - في ز : « قدر » .

[٧] - في خ ، ز : « سلمة » .

[٨] - سقط من : ز .

[٩] - سقط من : ز .

عند رسول الله صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **والذي نفسي بيده ، إنهم إذا خرجوا من قبورهم يُستقبَلون – أو[١] : يُؤْتَونَ – بنُوق لها أجنحة ، وعليها رحال الذهب ، شراك نعالهم نور يتلألأ ، كل خطوة منها مَدّ البصر ، فينتهون إلىٰ شجرة ينبع[٢] من أصلها عينان ، فيشربون من إحداهما فيَغْسَل ما في بطونهم من دنس ، ويغتسلون من الأخرىٰ فلا تشعث أبشارهم ولا أشعارهم بعدها[٣] أبدًا ، وتجري عليهم نضرة النعيم ، فينتهون – أو : فيأتون – باب الجنة ، فإذا حلقة من ياقوتة حمراء علىٰ صفائح الذهب ، فيضربون بالحلقة علىٰ الصفيحة ، فيسمع[٤] لها طنين يا عليّ ، فيبلغ كل حوراء أن زوجها قد أقبل ، فتبعث قَيّمها فيفتح له ، فإذا رآه خرّ له – قال مسلمة[٥] : أراه قال : ساجدًا – فيقول : ارفع رأسك ، فإنما أنا قَيّمك ، وكلت بأمرك . فيتبعه ويقفو أثره ، فتستخف[٦] الحوراءَ العجلةُ ، فتخرج من خيام الدر والياقوت حتىٰ تعتنقه ، ثم تقول : أنت حبي ، وأنا حبّك ، وأنا الخالدة التي لا أموت ، وأنا الناعمة التي لا أبأس ، وأنا الراضية التي لا أسخط ، وأنا المقيمة التي لا أظعن ، فيدخل بيتًا من أسّه إلىٰ سقفه مائة ألف ذراع ، بناؤه علىٰ جندل اللؤلؤ ، طرائق أصفر وأخضر وأحمر ، ليس فيها طريقة تشاكل صاحبتها ، في البيت سبعون سريرًا ، علىٰ كل سرير سبعون حَشِيّة ، علىٰ كل حشية سبعون زوجة ، علىٰ كل زوجة سبعون حلة ، يرىٰ مُخ ساقها من باطن الحُلَل ، يقضي جماعها في مقدار ليلة من لياليكم هذه . الأنهار من تحتهم تَطّرد ، أنهار من ماء غير آسن – قال : صاف ، لا كَدَر فيه – ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه – قال : لم يخرج من ضروع الماشية – ، وأنهار من خمر لذة للشاربين – قال : لم تعصرها الرجال بأقدامهم – ، وأنهار من عسل مصفى – قال : لم يخرج من بطون النحل – . يستجني الثمار ، فإن شاء قائمًا ، وإن شاء قاعدًا ، وإن شاء متكئًا – ثم تلا : ﴿ ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلًا ﴾ فيشتهي الطعام فيأتيه طير أبيض – قال : وربما قال : أخضر . قال : – فترفع أجنحتها ، فيأكل من جنوبها ، أيّ الألوان شاء ، ثم [يطير فيذهب][٧] ، فيدخل الملك فيقول : سلام عليكم ، تلكم الجنة [ ][٨] أورثتموها بما كنتم تعملون . ولو أن شعرة من شعر الحوراء وقعت في[٩] الأرض ، لأضاءت الشمس معها سوادًا[١٠] في نور** » .

هذا حديث غريب . وكأنه مرسل، واللَّه أعلم.

---

[١] – سقط من : ز .

[٢] – في ز : « ينبت » .

[٣] – في ز : « بعده » .

[٤] – في خ ، ز : « فلو تسمع » .

[٥] – في خ : « سلمة » .

[٦] – في ز : « فيستخف » .

[٧] – ما بين المعكوفتين في ز : «تطير فتذهب» .

[٨] – ما بين المعكوفتين في ز : « التي » .

[٩] – في ت : « لأهل » .

[١٠] – في ز : « سوّا » .

وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

لما ذكر تعالى حكمه[١] في أهل الجنة والنار وأنه نزل كلًّا في المحل الذي يليق به ويصلح له ، وهو العادل في ذلك الذي لا يجور ، أخبر عن ملائكته أنهم محدقون من حول عرشه المجيد ، يسبحون بحمد ربهم ، ويمجدونه ويعظمونه ويقدسونه وينزهونه عن النقائص والجور ، وقد[٢] فصل القضية ، وقضىٰ الأمر ، وحكم بالعدل . ولهذا قال : ﴿ **وقُضي بينهم** ﴾ أي : بين الخلائق ﴿ **بالحق** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **وقيل الحمد لله رب العالمين** ﴾ أي : ونطق الكون أجمعه - ناطقه وبهيمه - لله رب العالمين ، بالحمد في حكمه وعدله ، ولهذا لم يسند القول إلىٰ قائل بل أطلقه ، فدل[٣] علىٰ أن جميع المخلوقات شَهِدَت له بالحمد .

قال قتادة : افتتح الخلق بالحمد في قوله : ﴿ **الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض** ﴾ ، واختتم بالحمد في قوله : ﴿ **وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين** ﴾ .

آخر تفسير سورة الزمر ، ولله الحمد.

☆ ☆ ☆

[١] - في خ: « محكمه »، وفي ز: «بحكمه» . [٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - في خ ، ز : « فقال » .

تفسير سورة المؤمن

وهي مكية

قد كره بعض السلف - منهم محمد بن سيرين - أن يقال : « الحواميم » ، وإنما يقال : « آل حم »[(١)] .

قال عبد الله بن مسعود : « آل حم » ديباج القرآن [(٢)] .

وقال ابن عباس : إن لكل شيء لبابًا ، ولُبَاب القرآن : « آل حم » ، أو قال : الحواميم [(٣)] .

قال مسعر بن كدام : كان يقال لهن : « العرائس » .

روىٰ ذلك كله الإمام العَلَمُ أبو عُبَيد القاسم بن سلام رحمه الله ، في كتاب « فضائل القرآن»[(٤)] .

وقال حُمَيد بن زَنْجويه : حدثنا عبيد الله بن موسىٰ ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ؛ قال : إن مثل القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لأهله منزلًا ، فمر بأثر غيث ، فبينما هو يسير فيه ويتعجب ، إذ هبط على روضات دمثات ؛ فقال : عجبت من الغيث الأول فهذا أعجب وأعجب . فقيل له : إن مثل الغيث الأول مثل عظم القرآن ، وإن مثل هؤلاء الروضات الدمثات ، مثل آل حم في القرآن . أورده البغوي[(٥)] .

وقال ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب : إن الجَرّاح بن أبي الجرّاح حَدّثه عن ابن عباس ، قال : لكل شيء لباب ، ولُباب القرآن الحواميم[(٦)] .

---

(١) - رواه أبو عبيد القاسم بن سلاّم فى « فضائل القرآن » (ص٢٥٦) بإسناد صحيح إلى ابن سيرين .

(٢) - رواه أبو عبيد فى « فضائل القرآن » (ص٢٥٥) ثنا الأشجعى ، والحاكم (٤٣٧/٢) وعنه البيهقى فى «الشعب» (٢٤٧١/٢) من طريق الحميدى ، كلاهما (الأشجعى ، والحميدي) ثنا سفيان - مقرونًا به حبيب عند البيهقى - عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد عنه به ، وسكت عنه الحاكم والذهبى ، ومجاهد لم يسمع من ابن مسعود ، كما قال أبو زرعة وغيره . راجع « جامع التحصيل » (ص٢٧٣/ ت : ٧٣٦) والخبر زاد نسبته السيوطى فى « الدر المنثور » (٦٤٣/٥) إلى ابن الضريس وابن المنذر .

(٣) - رواه أبو عبيد (ص٢٥٥) ثنا الأشجعى ، عن مسعر بن كدام قال : بلغنى أنهنَّ كُنّ يسمين العرائس . ورواه الدارمى (٤٥٨/٢) ثنا جعفر بن عون ، عن مسعر ، عن سعد بن إبراهيم به . وهذا إسناد صحيح ، وقد زاد نسبته السيوطى (٦٤٤/٥) إلى محمد بن نصر .

(٤) - إسناده صحيح . وعزاه السيوطى فى « الدر المنثور » (٦٤٣/٥) إلى محمد بن نصر ، وحميد بن زنجويه.

(٥) - رواه أبو عبيد فى « فضائل القرآن » (ص٢٥٤) ثنا أبو الأسود ، عن ابن لهيعة به ، وابن لهيعة سيء الحفظ .

(٦) - رواه أبو عبيد فى « فضائل القرآن » (ص٢٥٥) ثنا حجاج بن المسعودى ، عن أبى إسحاق ، عن =

وقال ابن مسعود: إذا وقعت في «آل حم» فقد[١] وقعت في روضات أتأنق فيهن.

وقال أبو عبيد(٧) : حدثنا الأشجعي، حدثنا مسعر - هو ابن كدَام - عمن حدثه؛ أن رجلًا رأى أبا الدرداء يبني مسجدًا فقال له: ما هذا؟ فقال: أبنيه من أجل «آل حم».

وقد يكون هذا المسجد الذي بناه أبو الدرداء، هو المسجدَ المنسوب إليه داخل قلعة دِمَشق.

وقد يكون صيانتها وحفظها ببركته وبركة ما وُضع له، فإن هذا الكلام يدل على النصر على الأعداء، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه في بعض الغزوات: **«إن بيّتم الليلة فقولوا: حم، لا ينصرون»** وفي رواية: **«لا تنصرون»**(٨).

وقال الحافظ أبو بكر البزار(٩) : حدثنا أحمد بن الحكم [بن ظبيان][٢] بن خلف المازني، ومحمد بن الليث الهمداني؛ قالا: حدثنا موسى بن مسعود، حدثنا عبد الرحمن بن أبي بكر المليكي، عن زرارة بن مصعب، عن أبي سلمة، عن أبي هُرَيرة - رضي الله عنه - قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: **«من قرأ آية الكرسيّ وأولَ حم المؤمن، عُصِمَ ذلك اليوم من كل سوء»**. ثم قال: لا نعلمه يُروَىٰ إلا بهذا الإسناد.

ورواه الترمذي من حديث المليكي، وقال: تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾

أما الكلام على[٣] الحروف المقطعة فقد تقدم في أول **«سورة البقرة»** بما أغنى عن إعادته هاهنا. وقد قيل: إن ﴿ **حم** ﴾ اسم من أسماء الله - عز وجل - وأنشدوا في ذلك بيتًا:

= أبي عبيدة قال: قال عبد الله: فذكره وإسناده ضعيف لاختلاط المسعودي، ولانقطاع بين أبي عبيدة وأبيه عبدالله، وزاد نسبته السيوطي في «الدر المنثور» (٦٤٣/٢) إلى محمد بن نصر، وابن المنذر.

(٧) - في «فضائل القرآن» (ص ٢٥٥) وإسناده منقطع.

(٨) - يأتي تخريجه (رقم: ١٠).

(٩) - وعزاه السيوطي أيضًا في «الدر المنثور» (٦٤٤/٢) إلى محمد بن نصر وابن مرويه، وقد رواه الترمذي، كتاب: فضائل القرآن، باب: ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي (٢٨٧٩) - ومن طريقه أورده المصنف في تفسير سورة البقرة /٢٥٥) - والطبراني ومن طريقه المزي في «تهذيب الكمال» (٩/ت ١٩٧٩) - والدارمي (٢٣٨٩)، والبيهقي في «الشعب» (٢٤٧٤/٢)، والبغوي في «شرح =

---

[١] - سقط من: ز.

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز.

[٣] - في ت: «عن».

يُذَكِّرُني حَاميمَ والرمحُ[١] شَاجرٌ فهلَّا تلا حاميم قبل التقدم

وقد ورد في[٢] الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي(١٠) ، من حديث الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن المهلب بن أبي صُفْرَة ؛ قال[٣] : حدثني من سمع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « **إن بيّتم الليلة فقولوا : حم ، لا ينصرون** » . وهذ إسناد صحيح .

واختار أبو عبيد(١١) أن يُرْوَىٰ : « **فقولوا : حم ، لا ينصروا** » ، أي : إن قلتم ذلك لا ينصروا . جعله جزاء لقوله : « **فقولوا** »[٤] .

وقوله : ﴿ **تنزيل الكتاب من اللّٰه العزيز العليم** ﴾ أي : تنزيل هذا الكتاب - وهو القرآن - من اللّٰه ذي العزة والعلم ، فلا يرام جنابه ، ولا يخفىٰ عليه الذر وإن تكاثف حجَابه .

وقوله : ﴿ **غافر الذنب وقابل التوب** ﴾ أي : يغفر ماسلف من الذنب ، ويقبل التوبة في المستقبل لمن تاب إليه وخَضَع لديه .

وقوله : ﴿ **شديد العقاب** ﴾ أي : لمن تمرد وطغىٰ وآثر الحياة الدنيا ، وعتا عن[٥] أوامر اللّٰه ، وبغىٰ . وهذه كقوله تعالىٰ : ﴿ **نبئ عبادى أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم** ﴾ يقرن هذين الوصفين كثيرًا في مواضع متعددة من القرآن ، ليبقىٰ العبد بين الرجاء

= السنة » (١١٩٨/٤) من طريق عبد الرحمن بن أبى بكر به . وقال الترمذى : « هذا حديث غريب ، وقد تكلّم بعض أهل العلم فى عبد الرحمن بن أبى بكر ابن أبى مُليكة المليكى من قبل حفظه ... فضعفه ابن معين ، وقال أبو حاتم : ليس بقوى فى الحديث ، وقال النسائى : ليس بثقة ، وقال أحمد : منكر الحديث ، وقال ابن عدى : « لا يُتابع فى حديثه ، وهو فى جملة من يكتب حديثه » .

(١٠) - رواه أحمد (٦٥/٤) ، (٣٧٧/٥) ، وأبو داود (٢٥٩٧) ، والترمذى (٢٦٨٢) وأبو عبيد القاسم بن سلاّم فى « فضائل القرآن » (ص٢٥٤) وابن الجارود فى « المنتقى » (١٠٦٣) والحاكم (١٠٧/٢) من طريق سفيان الثورى به . ورواه النسائى فى « الكبرى » (١٠٤٥٣/٦) من طريق شريك بن عبد الله ، والنسائى أيضًا والحاكم من طريق زهير بن معاوية كلاهما (شريك وزهير) عن أبى إسحاق به . وصححه الحاكم على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبى !! ولم يرويا للمهلب بن أبى صفرة وهو ثقة ، ومن دونه ثقات ، والثورى من أثبت الناس فى أبى إسحاق ، فالإسناد صحيح كما قال المصنف ، وقد رواه أحمد (٢٨٩/٤) وغيره من طريق الأجلح الكندى ، عن أبى إسحاق ، عن البراء به ، بلفظ : « **إنكم ستلقون العدو غدًا ، وإن شعاركم حم لا ينصرون** » وأعله النسائى بالأجلح فقال : « الأجلح ليس بالقوى ، وكان مسرفًا فى التشيع » وتابعه شيبان عند النسائى أيضًا (١٠٤٥١/٦) لكن فيه عنعنة الوليد بن مسلم ، وسوء حفظ هشام بن عمار . فالمعوّل على الإسناد الأول ، والله الموفق .

(١١) - فضائل القرآن (ص٢٥٤) .

[١] - في ز : « الريح » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من : خ ، ز .
[٥] - في ز : « على » .

والخوف .

وقوله : ﴿ ذى الطول ﴾ قال ابن عباس : يعنى السعة والغنى . وكذا قال مجاهد وقتادة .

وقال يزيد بن الأصم : ﴿ ذي الطول ﴾ يعني : الخير الكثير .

وقال عكرمة : ﴿ ذى الطول ﴾ : ذى المن : وقال قتادة : ذى النعم والفواضل .

والمعنىٰ : أنه المتفضل علىٰ عباده ، المتطول عليهم بما هم فيه[١] من المنّ والإنعام ، التي لا يطيقون القيام بشكر واحدة منها ، ﴿ **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ...** ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ **لا إله إلا هو** ﴾ أي : لانظير له في جميع صفاته ، فلا إله غيره ، ولا رب سواه ﴿ **إليه المصير** ﴾ أي : إليه المرجع والمآب ، فيجازي كل عامل بعمله ، ﴿ **وهو سريع الحساب** ﴾ .

وقال أبو بكر بن عياش(١٢) : سمعت أبا إسحاق السبيعي ؛ يقول[٢] : جاء رجل إلىٰ عمر ابن الخطاب ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إني قَتَلْتُ ، فهل لي من توبة ؟ فقرأ عليه : ﴿ **حم * تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم * غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب** ﴾ ، وقال : اعمل ولا تيأس . رواه ابن أبي حاتم - واللفظ له - وابن جرير .

وقال ابن أبي حاتم(١٣) : حدثنا أبي ، حدثنا موسىٰ بن مروان الرَّقِّي ، حدثنا عمر - يعني ابن أيوب - أخبرنا جعفر بن بَرْقان ، عن يزيد بن الأصم ؛ قال : كان رجل من أهل الشام ذو بأس ، وكان يفد[٣] إلىٰ عمر بن الخطاب ، ففقده عمر فقال : ما فعل فلان بن فلان ؟ فقالوا : يا أمير المؤمنين ؛ يتابع في هذا الشراب . قال[٤] : فدعا عمر كاتبه ، فقال : اكتب : من عمر ابن الخطاب إلىٰ فلان بن فلان ، سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، غافر الذنب وقابل التوب ، شديد العقاب ، ذي الطول، لا إله إلا هو إليه المصير. ثم قال لأصحابه : ادعوا الله لأخيكم أن يُقْبِلَ بقلبه ، وأن[٥] يتوب عليه . فلما بلغ الرجل كتابُ عمر جعل يقرؤه

---

(١٢) - رواه ابن جرير (٤١/٢٤) وعزاه السيوطى فى « الدر المنثور » (٦٤٥/٥) إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم ، وفى إسناده جهالة .

(١٣) - وروواه أبو نعيم فى « الحلية » (٩٧/٤) - ومن طريقه أورده المصنف فى « مسند الفاروق » (٥١٧/٢) - من طريق كثير بن هشام ، ثنا جعفر بن برقان به ، وقال المصنف فى « مسند الفاروق » : « إسناده جيد ، وفيه انقطاع » يعنى : بين يزيد الأصم ، وعمر بن الخطاب . وذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٦٤٥/٥) وزاد عزوه إلى عبد بن حميد .

---

[١] - سقط من : خ ، ز.
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - في خ، ز : « يوفد » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - سقط من : خ .

ويردده ، ويقول : غافر الذنب ، وقابل التوب ، [شديد العقاب][١] ، قد حذرني عقوبته ، ووعدني أن يغفر لي .

ورواه الحافظ أبو نعيم من حديث جعفر بن برقان ، وزاد : فلم يزل يُرَدِّدها علىٰ نفسه ، ثم بكىٰ ، ثم نَزَع فأحسن النَّزع . فلما بلغ عمرَ خبرُه قال : هكذا فاصنعوا ، إذا رأيتم أخاكم زَلّ زلّة فسددوه ووفقوه ، وادعوا اللّه له[٢] أن يتوب عليه ، ولا تكونوا أعوانًا للشيطان عليه .

وقال ابن أبي حاتم (١٤) : حدثنا عمر بن شَبّة[٣] ، حدثنا حماد بن واقد - أبو عُمَر الصفّار - حدثنا ثابت البناني ، قال : كنت مع مصعب بن الزبير في سواد الكوفة ، فدخلت حائطًا أصلي ركعتين ، فافتتحت : حم المؤمن ، حتىٰ بلغت : ﴿ **لا إله إلا هو إليه المصير** ﴾ فإذا رجل خلفي علىٰ بغلة شهباء عليه مُقَطّعات يمنية ، فقال : إذا قلت : ﴿ **غافر الذنب** ﴾ فقل : يا غافر الذنب ، اغفر لي ذنبي . وإذا قلتَ[٤] : ﴿ **قابل التوب** ﴾ ، فقل: يا قابل التوب ، اقبل توبتي . وإذا قلتَ : ﴿ **شديد العقاب** ﴾ ، فقل : يا شديد العقاب ، لا تعاقبني . قال : فالتفت فلم أر أحدًا ، فخرجت إلىٰ الباب فقلت : مَرّ بكم رجل عليه مقطعات يمنية ؟ قالوا : ما رأينا أحدًا . فكانوا[٥] يُرَوْن أنه إلياس .

ثم رواه من طريق أخرى عن ثابت بنحوه . وليس فيه ذكر إلياس .

مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿٤﴾
كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ
لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ
﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ
﴿٦﴾

يقول تعالىٰ : ما يدفع الحق ويجادل فيه بعد البيان وظهور البرهان ﴿ **إلا الذين كفروا** ﴾ أي : الجاحدون لآيات اللّه وحججه وبراهينه ، ﴿ **فلا يغررك تقلبهم في البلاد** ﴾ أي : في

(١٤) - إسناده ضعيف ، لضعف حمّاد بن واقد ، وزاد نسبته السيوطي في الدر (٦٤٦/٢) إلى ابن أبي شيبة.

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ز : « شعبة » .
[٤] - في خ : « بلغت » .
[٥] - في ز : « فكانوا » .

أموالهم ونعيمها وزهرتها ، كما قال : ﴿ **لايغرنَّك تقلب الذين كفروا في البلاد * متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **نمتعهم قليلًا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ مسليًا لنبيه محمد صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في تكذيب من كذبه من قومه ، بأن له أسوة من سلف من الأنبياء ، فإنه قد كذبتهم[١] أممهم وخالفوهم ، وما آمن بهم منهم إلا قليل ، فقال : ﴿ **كذبت قبلهم قوم نوح** ﴾ ، وهو أول رسول بَعَثه اللّٰه ينهىٰ عن عبادة الأوثان ، ﴿ **والأحزاب من بعدهم** ﴾ أي : من كل أمة ، ﴿ **وهمَّت كل أمة برسولهم ليأخذوه** ﴾ أي : حرصوا علىٰ قتله بكل ممكن ، ومنهم من قتل رسوله ، ﴿ **وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق** ﴾ أي : مَاحَلُوا بالشبهة[٢] ليردوا الحق الواضح الجلي .

وقد قال أبو القاسم الطبراني (١٥) : حدثنا علي بن عبد العزيز ، حدثنا عارم أبو النعمان ، حدثنا معتمر بن سليمان ؛ قال[٣] : سمعت أبي يحدث عن حَنَش[٤] ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ؛ قال : « **من أعان باطلًا ليدحض بباطله حَقًّا ، فقد برئت منه ذمة اللّٰه ، وذمة رسوله** » .

---

(١٥) - « المعجم الكبير » للطبراني (١١٥٣٩/١١) ، ورواه الحاكم فى « المستدرك » (١٠٠/٤) ثنا محمد ابن جعفر الخلدى ، ثنا على بن عبد العزيز به . وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » وتعقبه الذهبى بأن « حنش الرحبى ، ضعيف » وقد رواه الطبرانى فى « الصغير » (٨٢/١) وفى « الأوسط » (٣/ ٢٩٤٤) ، وأبو نعيم فى « الحلية » (٢٤٨/٥) من طريق إبراهيم بن محمد بن الحسن بن متويه ، ثنا سعيد بن رحمة المصيصى ، قال : ثنا محمد بن حِمير ، عن إبراهيم بن أبى عبلة ، عن عكرمة به . وزاد فيه : « ومن أكل درهمًا من ربا فهو مثلُ ثلاث وثلاثين زنيةً ، ومن نبت لحمُه من السُّحت فالنار أولى به » . ورواه ابن حبان فى « المجروحين » (٣٢٤/١) ثنا أحمد بن عمير ثنا سعيد به مفرقًا . وقال الطبرانى : « لم يروه عن إبراهيم إلا محمد ، ولا رواه عن محمد بن حمير إلاّ سعيد » وهو ضعيف ، قال ابن حبان : « لا يجوز الاحتجاج به لمخالفته الأثبات فى الروايات » وبه أعله الهيثمى فى « المجمع » (١٢٠/٤) ، (٢٠٨/٤) ورواه الطبرانى أيضًا (١١٢١٦/١١) من طريق أبى محمد الجزرى - وهو حمزة النصيبى - عن عمرو بن دينار عن ابن عباس به ضمن حديث طويل ، وذكره من هذا الوجه الهيثمى فى « المجمع » (٢١٤/٥ ، ٢١٥) وقال : « رواه الطبرانى وفيه أبو محمد الجزرى - حمزة - ولم أعرفه ، وبقية رجاله رجال الصحيح » والجزرى هذا هو حمزة بن أبى حمزة النصيبى ، تركه النسائى والدارقطنى ، وقال ابن معين : « ليس حديثه بشيء » ،وقال البخارى وأبو حاتم : « منكر الحديث » وقال ابن عدى : « عامة ما يرويه مناكير ، موضوعة ، والبلاء منه » - راجع « التهذيب » وله طريق آخر رواه الخطيب فى « تاريخ بغداد » (٧٦/٦) - ومن طريقه ابن الجوزى فى « العلل المتناهية » (١٢٧٢/٢) - من طريق إبراهيم بن زياد القرشى عن خُصيف عن عكرمة به ، وقال الخطيب: « إبراهيم بن زياد ، فى حديثه نكارة » ، وقال يحيى بن معين : « لا أعرفه » . وقال البخارى فى=

---

[١] - في خ : « كذبهم » .
[٢] - في ز : « بالسنة » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في خ ، ز : « حنيش » .

وقوله : ﴿ فأخذتهم ﴾ أي : أهلكتهم علىٰ ماصنعوا من هذه الآثام والذنوب العظام ، ﴿ فكيف كان عقاب ﴾ أي : فكيف بلغك عذابي لهم ، ونكالي بهم ؟ قد كان شديدًا موجعًا مؤلما .

قال قتادة : كان والله شديدًا .

وقوله : ﴿ وكذلك حقت كلمة ربك علىٰ الذين كفروا أنهم أصحاب النار ﴾ أي : كما حقت كلمةُ العذاب علىٰ الذين كفروا من الأمم السالفة ، كذلك حقت علىٰ المكذبين من هؤلاء الذين كذبوك وخالفوك يامحمد بطريق الأولىٰ والأحرىٰ ؛ لأن من كذبك[١] فلا وثوق له بتصديق غيرك .

﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾

يخبر تعالى عن الملائكة المقربين من حملة العرش الأربعة ومن حوله من[٢] الكروبيين ، بأنهم ﴿ يسبحون بحمد ربهم ﴾ ، أي : يقرنون بين التسبيح الدال علىٰ نفي النقائص ، والتحميد المقتضي لإثبات صفات المدح ، ﴿ ويؤمنون به ﴾ أي : خاشعون له أذلاء بين يديه ، وأنهم ﴿ يستغفرون للذين آمنوا ﴾ أي : من أهل الأرض ممن آمن بالغيب ، فقيض الله سبحانه ملائكته المقربين أن يَدْعُوا للمؤمنين بظهر الغيب ، [ولما كان هذا من سجايا الملائكة - عليهم الصلاة والسلام - كانوا يُؤمِّنون علىٰ دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب][٣] ، كما ثبت في

= « التاريخ الكبير» (٢٨٧/١) عن إسناد آخر من طريق إبراهيم هذا : « لم يصح إسناده » وقد جهله الذهبى في «الميزان» (٣٢/١) فهذه طرق ضعيفة لا يتقوى الحديث بها ، ومع هذا فقد رقم به أبو عبد الرحمن الألبانى حديث رقم (١٠٢٠) من « الصحيحة » !! .

[١] - في ز : « كذّب بك » .

[٢] - سقط من خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

صحيح مسلم : « **إذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب قال الملك : آمين ، ولك بمثل**[١] »(١٦) .

وقد قال الإمام أحمد(١٧) : حدثنا عبد الله بن محمد - هو ابن أبي شيبة - حدثنا عبدة ابن سليمان ، عن محمد بن إسحاق ، عن يعقوب بن عتبة، عن عكرمة، عن ابن عباس؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق أمية في شيء من شعره فقال :

رَجُلٌ[٢] وَثَورٌ تَحْتَ رِجْلِ يَمِينه وَالنَّسْرُ[٣] للأُخْرَىٰ ، وَلَيْثٌ مُرْصَدُ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **صدق** » ، فقال :

وَالشمسُ تَطلعُ كلَّ آخر لَيْلَةٍ حَمْراءَ يُصبحُ لَونُها يَتَوَرَّدُ[٤]
تأبى فما تطلع لنا في رسلها إلا معذبة وإلا تجلد

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « **صدق** » . وهذا إسناد جيد . وهو يقتضي أن حملة العرش اليوم أربعة ، فإذا كان يوم القيامة [كانوا ثمانية][٥] ، كما قال تعالى : ﴿ **ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية** ﴾ .

وهنا سؤال ، وهو أن يقال : ما الجمع بين المفهوم من هذه الآية ودلالة هذا الحديث ؟ وبين الحديث الذي رواه أبو داود (١٨) :

(١٦) - رواه مسلم ، كتاب : الذكر والدعاء ، باب : فضل الدعاء للمسلمين بظهرالغيب (٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧) (٢٧٣٢ ، ٢٧٣٣) من حديث أبي الدرداء .

(١٧) - « المسند » (٢٥٦/١) (رقم : ٢٣١٤) وكذا رواه عبد الله بن أحمد عن عبد الله بن محمد به . وكذا رواه ابن أبي عاصم في « السنة » (١/رقم : ٥٧٩) وأبو يعلى في « مسنده » (٢٤٨٢/٤) عن ابن أبي شيبة به - مقرونًا به عبد الله بن عمر بن أبان عند أبي يعلى - ورواه الدارمي (٢٧٠٦) وابن خزيمة في « التوحيد » (١١١/١/ ص٢٠٤) من طريق محمد بن عيسى ، ثنا عبدة به ، ورواه ابن خزيمة (١١١/١/ ص٢٠٢، ٢٠٣) وعبد الله بن أحمد (١١٦٩/٢) ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » (٧٧١/٢) من طرق عن محمد بن إسحاق به والحديث ذكره المصنف في « البداية والنهاية » (١٣/١) وقال : « حديث صحيح الإسناد ، رجاله ثقات » وجوّد إسناده ههنا ، وأعلّه الهيثمي في « المجمع » (١٣٠/٨) ومن بعده أبو عبد الرحمن الألباني في « تحقيق السنة » بعنعنة ابن إسحاق ، غير أنه متابع فقد رواه ابن خزيمة (١/رقم : ١١٣) ثنا أبو هشام زياد بن أيوب ثنا إسماعيل بن علية ثنا عمارة بن أبي حفصة عن عكرمة عن ابن عباس فذكر القصة ، وهذا إسناد صحيح والله الموفق .

(١٨) - « السنن » لأبي داود ، كتاب : السنة ، باب : الجهمية (٤٧٢٣) - ومن طريقه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٤٧/٢) - ورواه أحمد (٢٠٧/١) وابن ماجه في « السنن » (١٩٣) ،والعقيلي في «الضعفاء» (٢٨٤/٢) واللالكائي في « شرح أصول الاعتقاد)) (٦٥١/٣) من طريق محمد بن الصباح به ورواه =

[١] - في ت : « بمثله » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ز : « واليسر » .
[٤] - في خ ، ز : « يتردد » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

حدثنا محمد بن الصباح البزاز ، حدثنا الوليد بن أبي ثور ، عن سماك ، عن عبد اللَّه بن عَميرة ، عن الأحنف بن قيس ، عن العباس بن عبد المطلب ، قال : كنت بالبطحاء في عصابة فيهم رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فمرت بهم سحابة ، فنظر إليها فقال : **« ماتسمون هذه ؟ »** قالوا : السحاب . قال: **« والمزن »** قالوا: والمزن . قال : **« والعَنَان »** . قالوا : والعنان - قال أبو داود : ولم أتقن العنان جيدًا - قال : **« هل تدرون بُعد ما بين السماء والأرض ؟ »** . قالوا : لا ندري . قال : **« بُعد ما بينهما إما واحدة ، أو اثنتان**[١] **، أو ثلاث**[٢] **وسبعون سنة ، ثم السماء فوقها كذلك - حتىٰ عَدّ سبع سماوات - ثم فوق السماء السابعة بحر ، بين**[٣] **أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلىٰ سماء ، ثم فوق ذلك ثمانية**

= لوين - ومن طريق ابن الجوزى فى « المتناهية » (١/رقم ٦) والآجرى فى « الشريعة » (٧٠٦/٢ ، ٧٠٧) والمزى فى « تهذيب الكمال » (٣٤٦٦/١٥) مقرونا بـ « لوين » عباد بن يعقوب ، ومن طريق الأخير رواه عثمان بن أبى شيبة فى « كتاب العرش » (رقم : ٩) والبزار (١٣١٠/٤/ البحر الزخار) وابن خزيمة فى « التوحيد » (١٤٥/١) كلاهما حدثنا الوليد بن أبى ثور به .

ورواه أحمد (٢٠٧/١) وابن أبى شيبة (رقم : ٩) والدارمى فى « الرد على الجهمية » (رقم ٢٤) من طرق عن الوليد به وأعله ابن الجوزى فقال : « قال ابن نمير ويحيى بن معين ، الوليد ليس بشيء ، وقال ابن نمير - فى رواية - هو كذاب ، وقال أحمد والنسائى : ضعيف » والوليد ضعيف كما قال : لكنه لم ينفرد ، فقد تابعه :

١ - عمرو بن أبى قيس : - وهو صدوق له أوهام - رواه أبو داود (٤٧٢٤) ، والترمذى (٣٣٢٠) ، والبزار (١٣٠٩/٤) وابن خزيمة فى « التوحيد » (١٤٤/١) ، وابن أبى عاصم فى « السنة » (١/ح ٥٧٧) ، والرويانى (١٣٢٩/٢) ، وأبو الشيخ فى « العظمة » (٢/رقم ٢٠٤) (٥٦٨/١٠) واللالكائى (٦٥٠/٣) .

٢ - إبراهيم بن طهمان : وهو ثقة إمام - والحديث فى مشيخته (رقم : ١٨) ومن طريقه رواه أبو داود (٤٧٢٥) والآجرى (٧٠٨/٢) ، والبيهقى (٨٨٢/٢) .

٣ - عمرو بن ثابت : وهو ضعيف عند أبى نعيم فى أخبار أصبهان (٢/٢) والرويانى (١٣٣٠/٢) ثلاثتهم (العَمْران وإبراهيم) عن سماك به وأعله البزار فقال : « هذا الحديث لا نعلمه يروى بهذا الكلام ، وهذا اللفظ إلاَّ من هذا الوجه عن العباس عن النبى - ﷺ - وعبد الله بن عَميرة لا نعلم روى عنه إلاَّ سماك بن حرب» وأعله بجهالة عبد الله الذهبى فقال : « العلو » (ص ٥٠) « تفرد به سماك عن عبد الله ، وعبد الله فيه جهالة» وزاد البخارى : « التاريخ الكبير » (٤٩٤/٥) - « ولا يعلم له سماع من الأحنف)) مع هذا فقد مال ابن القيم فى « تهذيب السنن » (٩٢/٧) ومن قبله شيخه ابن تيمية فى « مجموع الفتاوى » (١٩٢/٣) إلى تصحيحه وحسنه أبو عيسى الترمذى !! ولذلك تعقبهم أبو عبد الرحمن الألبانى ، فانظر « الضعيفة » (٣/ ١٢٤٧) ، ورواه عبد الرزاق - ومن طريقه أحمد (٢٠٦/١) ومحمد بن عثمان بن أبى شيبة (رقم ١٠٠) وأبو يعلى فى « مسنده » (٦٧١٣/١٢) والحاكم (٣٧٨/٢ ، ٥٠١) وابن الجوزى فى « المتناهية » (١/ رقم ٥) عن يحيى بن العلاء عن عمه شعيب بن خالد ، قال : حدثنى سماك بن حرب به ، لكنه أسقط الأحنف ابن قيس وقال فى لفظه : « بينهما مسيرة خمسمائة سنة ... » وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم =

[١] - في ز : « اثنتين » .

[٢] - في ز : « ثلاثة » . [٣] - في خ ، ز : « ماء » .

أوْعَال ، بين أظلافهن ورُكَبهن مثل مابين سماء إلىٰ سماء ، ثم علىٰ ظهورهن العرش بين أسفله وأعلاه مثل مابين سماء إلىٰ سماء ، ثم اللَّه - عز وجل - فوق ذلك » ؟ ثم رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة ، من حديث سماك بن حرب ، به . وقال الترمذي : حسن غريب .

وهذا يقتضي أن حملة العرش ثمانية ، كما قال شهر بن حوشب : حملة العرش ثمانية ، أربعة يقولون : « سبحانك اللَّهم وبحمدك ، لك الحمد علىٰ حلمك بعد علمك » . وأربعة يقولون : [« سبحانك اللَّهم وبحمدك ، لك الحمد علىٰ عفوك بعد قدرتك » .

ولهذا][١] يقولون إذا استغفروا للذين آمنوا: ﴿ ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلمًا ﴾ أي : إن رحمتك تَسَع ذنوبهم وخطاياهم ، وعلمك محيط بجميع أعمالهم وأقوالهم وحركاتهم وسكناتهم ، ﴿ فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك ﴾ أي : فاصفح عن المسيئين إذا تابوا وأنابوا وأقلعوا عما كانوا فيه ، واتبعوا ما أمرتهم به ، من فعل الخيرات وترك المنكرات ، ﴿ وقهم عذاب الجحيم ﴾ أي : وزحزحهم عن عذاب الجحيم ، وهو العذاب الموجع الأليم . ﴿ ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ﴾ أي : اجمع[٢] بينهم وبينهم ، لتقر بذلك أعينهم بالاجتماع في منازل متجاورة ، كما قال : ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم، وما ألتناهم من عملهم من شيء ﴾ أي : ساوينا بين الكل في المنزلة ، لتقر أعينهم ، وما نقصنا العالي حتىٰ يساوي الداني ، بل رفعنا الناقص في العمل ، [فساويناه بكثير العمل][٣] ، تفضلًا منا[٤] ومنة .

قال سعيد بن جبير (١٩) : إن المؤمن إذا دخل الجنة سأل عن أبيه وابنه وأخيه ، وأين هم ؟

= يخرجاه » ووافقه الذهبى !! مع أن يحيى بن العلاء متهم بالوضع ، فقال ابن الجوزى : « هذا حديث لا يصح ، قال بعض الحفاظ : تفرد به يحيى بن العلاء . قال أحمد : هو كذاب يضع الحديث ، وقال يحيى : ليس بثقة ، وقال الفلاس : متروك الحديث . وقال ابن عدى : أحاديثه موضوعات ، وقال ابن حبان : لا يجوز الاحتجاج به » .

ورواه الحاكم (٣٧٨/٢ ، ٥٠١) وأشار إلى هذه الرواية الترمذى - من طريق شريك عن سماك به موقوفًا على العباس مختصرًا جدًا ، ومع ضعف شريك - وهو القاضى - وجهالة ابن عميرة وعدم سماعه من الأحنف ، فقد صححه الحاكم على شرط مسلم ، ووافقه الذهبى !! ورواه أبو الشيخ (٢٠٥/٢) من طريق أبى خالد الدالانى عن سماك عن ابن عميرة عن الأحنف عن النبى صص وهذا مرسل والدالانى : « صدوق يخطئ كثيرًا ويدلس » كذا وصفه ابن حجر فى « التقريب » وعليه فلا يصح الحديث من جميع وجوهه ولله الأمر .

(١٩) - تقدم تخريجه فى سورة الرعد .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ز : « الجمع » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٤] - سقط من : خ ، ز .

فيقال : إنهم لم يبلغوا طبقتك في العمل . فيقول : إني إنما عملت لي ولهم . فَيُلحَقُونَ به في الدرجة ، ثم تلا سعيد بن جبير هذه الآية : ﴿ **ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ .

قال مُطرِّف بن عبد الله بن الشِّخير (٢٠) : أنصَحُ عبادِ اللّه للمؤمنين الملائكةُ ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ **ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم** ﴾ . وأغشُّ عباد اللّه للمؤمنين الشياطينُ .

وقوله : ﴿ **إنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ أي : الذي لا يمانع ولا يغالب ، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، الحكيم في أقوالك وأفعالك ، من شرعك وقَدَرك .

﴿ **وقهم السيئات** ﴾ أي: فعلها أو وَبَالها ممن وقعت منه، ﴿ **ومن تق السيئات يومئذ** ﴾ أي : يوم القيامة ، ﴿ **فقد رَحمته** ﴾ أي : لطفت به ونَجَّيته من العقوبة ، ﴿ **وذلك هو الفوز العظيم** ﴾ .

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن الكفار : إنهم يُنَادَون يوم القيامة وهم في غمرات النيران يتلظون ، وذلك عندما باشروا من عذاب اللّه ما لا قِبَلَ لأحد به ، فمقتوا عند ذلك أنفسهم وأبغضوها غاية البغض ، بسبب ما أسلفوا من الأعمال السيئة ، التي كانت سببَ دخولهم إلىٰ النار : فأخبرتهم الملائكة عند ذلك إخبارًا عاليًا ، نادوهم نداء بأن[١] مقت اللّه لهم في الدنيا - حين كان يُعرَض عليهم[٢] الإيمان ، فيكفرون - أشدُّ من مقتكم أيها المعذبون أنفسكم اليوم في هذه الحالة .

(٢٠) - إسناده صحيح إلى مطرف ، وقد رواه ابن جرير (٤٦/٢٤) .

[١] - سقط من : خ ، ز . [٢] - سقط من : خ ، ز .

قال قتادة في قوله : ﴿ **لمقت اللَّه أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تُدعَون إلىٰ الإيمان فتكفرون** ﴾ يقول : لمقتُ اللَّه أهلَ الضلالة حين عُرِض عليهم الإيمان في الدنيا ، فتركوه وأبواَ أن يقبلوه ، أكبرُ مما مقتوا أنفسهم حين عاينوا عذاب اللَّه يوم القيامة .

وهكذا قال الحسن البصري ، ومجاهد ، والسدي ، وذر بن عبد[١] اللَّه الهَمْداني ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وابن[٢] جرير الطبري ، رحمهم اللَّه .

وقوله : ﴿ **قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين** ﴾ قال الثوري(٢١) : عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن ابن مسعود : هذه الآية كقوله تعالىٰ : ﴿ **كيف تكفرون باللَّه وكنتم أمواتًا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون** ﴾ . وكذا قال ابن عباس ، والضحاك ، وقتادة ، وأبو مالك . وهذا هو الصواب الذي لاشك فيه ولا مرية .

وقال السدي: أميتوا في الدنيا ثم أحيوا في قبورهم فخوطبوا ، ثم أميتوا ثم أحيوا يوم القيامة .

وقال ابن زيد : أحيوا حين أخذ عليهم الميثاق من صلب آدم ، ثم خلقهم في الأرحام ، ثم أماتهم [ثم أحياهم][٣] يوم القيامة .

وهذان القولان - من السدي ، وابن زيد - ضعيفان ، لأنه يلزمهما علىٰ ما قالا ثلاث إحياءات وإماتات . والصحيح قول ابن مسعود ، وابن عباس ومن تابعهما . والمقصود من هذا كله : أن الكفار يسألون الرجعة وهم وقوف بين يدي اللَّه - عز وجل - في عَرَصات القيامة ، كما قال : ﴿ **ولو ترىٰ إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحًا إنا موقنون** ﴾ ، فلا يجابون . ثم إذا رأوا النار وعاينوها ووقفوا عليها ، ونظروا إلىٰ مافيها من العذاب والنَّكال ، سألوا الرجعة أشد مما سألوا أول مرة ، فلا يجابون ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **ولو ترىٰ إذ وقفوا علىٰ النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذبَ بآيات ربنا ونكون من المؤمنين * بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو رُدوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون** ﴾ . فإذا دخلوا النار وذاقوا مَسها وحسيسها ومقامعها وأغلالها ، كان سُؤالهم للرجعة أشد وأعظمَ ، ﴿ **وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحًا غير الذي كنا نعمل أو لم**

(٢١) - رواه ابن جرير (٢٤/٤٧) من طريق عبد الرحمن بن مهدى ثنا سفيان به ، ورواه الفريابى كما فى «الدر المنثور» (٢/٦٥٠) - ومن طريقه الطبرانى فى « المعجم الكبير » (٩/٤٣ ، ٩٠) - والحاكم فى «المستدرك» (٢/٣٤٧) من طريق إسرائيل أنبأ أبو إسحاق به ، وقال الحاكم : « حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » ووافقه الذهبى ، وأعله الهيثمي فى « المجمع » (٧/١٠٥) بشيخ الطبرانى !! وهو متابع من غير واحد والخبر عزاه السيوطى أيضًا فى « الدر المنثور » إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم .

[١] - في خ ، ز : « عبيد » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

نُعمِّركم مايتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ﴾ . ﴿**ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإن ظالمون * قال اخسئوا فيها ولا تكلمون**﴾ وفي هذه الآية الكريمة تلطفوا في السؤال ، وقدموا بين يدي كلامهم مُقدمة ، وهي قولهم : ﴿ **ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين** ﴾ أي : قدرتك عظيمة ، فإنك أحييتنا بعد ما كنا أمواتًا ، ثم أمتنا ثم أحييتنا ، فأنت قادر علىٰ ما تشاء ، وقد[١] اعترفنا بذنوبنا ، وإننا كنا ظالمين لأنفسنا في الدار الدنيا ، ﴿ **فهل إلىٰ خروج من سبيل** ﴾ أي : فهل أنت مجيبنا [إلىٰ أن تعيدنا][٢] إلىٰ الدار الدنيا ؟ فإنك قادر علىٰ ذلك ، لنعمل غير الذي كنا نعمل ، فإن عدنا إلىٰ ما كنا فيه فإنا ظالمون . فأجيبوا : أن لا سبيل إلىٰ عودكم ومرجعكم إلىٰ الدار الدنيا . ثم علل المنع من ذلك بأن سجاياكم لا تقبل الحق ولاتقتضيه بل تجْحَده وتنفيه ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ذلكم بأنه إذا دُعي الله وحده كفرتم وإن يُشرك به تؤمنوا** ﴾ أي : أنتم هكذا تكونون ، وإن رددتم إلىٰ الدنيا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولو رُدُّوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون** ﴾ وقوله : ﴿ **فالحكم لله العلي الكبير** ﴾ أي : هو الحاكم في خلقه ، العادل الذي لايجور ، فيهدي من يشاء ، ويضل من يشاء ، ويرحم[٣] من يشاء ، ويعذب من يشاء ، لا إله إلا هو .

وقوله : ﴿ **هو الذي يريكم آياته** ﴾ أي : يظهر قدرته لخلقه بما يشاهدونه في خلقه العُلوي والسفلي من الآيات العظيمة الدالة علىٰ كمال خالقها و مبدعها ومنشئها ، ﴿ **وينزل لكم من السماء رزقًا** ﴾ ، وهو المطر الذي يخرج به من الزروع والثمار ما هو مشاهد بالحس ، من اختلاف ألوانه وطعومه ، وروائحه وأشكاله وألوانه ، وهو ماء واحد ، فبالقدرة العظيمة فاوت بين هذه الأشياء ، ﴿ **وما يتذكر** ﴾ أي : يعتبر ويتفكر في هذه الأشياء ويستدل بها علىٰ عظمة خالقها ﴿ **إلا من ينيب** ﴾ أي : من[٤] هو بصير منيب إلىٰ الله عز وجل .

وقوله : ﴿ **فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون** ﴾ أي : فأخلصوا لله وحده العبادة والدعاء ، وخالفوا المشركين في مسلكهم ومذهبهم .

قال الإمام أحمد (٢٢) : حدثنا عبد الله بن نمير ، حدثنا هشام - يعني : ابن عروة بن

(٢٢) - « المسند » (٤/٤) ورواه مسلم ، كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، باب : استحباب الذكر بعد الصلاة (١٣٩) (٥٩٤) ثنا محمد بن عبد الله بن نمير ، ثنا أبي به . ورواه مسلم (١٤٠) وأبو داود ، كتاب: الصلاة ، باب : ما يقوله الرجل إذا سلَّم (١٥٠٧) ، والنسائى ، كتاب : الصلاة ، باب : عدد التهليل والذكر بعد التسليم (٧٠/٣) من طريق عبدة ثنا هشام به . ورواه أحمد (٥/٤) ومسلم وأبو داود (١٥٠٦) والنسائى (٦٩/٣) من طريق الحجاج بن أبى عثمان ، ومسلم أيضًا من طريق موسى بن عقبة كلاهما (الحجاج وموسى) عن أبى الزبير به .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ز : « ورحم » .
[٤] - سقط من : ز .

الزبير - عن أبي الزبير محمد بن مسلم بن تدرس المكيّ قال : كان عبد اللَّه بن الزبير يقول في دبر كل صلاة حين يسلم : « **لا إله إلا اللَّه ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو علىٰ كل شيء قدير ، لا حول ولا قوة إلا باللَّه ، لا إله إلا اللَّه ، ولا نعبد إلا إياه ، له النعمة وله الفضل ، وله الثناء الحسن ، لا إله إلا اللَّه ، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون** » . قال : وكان رسولُ اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يُهلّل[١] بهن دبر كل صلاة .

ورواه مسلم وأبو داود والنسائي ، من طرق ، عن هشام بن عروة ، وحجاج بن أبي عثمان ، وموسىٰ بن عقبة ، ثلاثتهم عن أبي الزبير ، عن عبد اللَّه بن الزبير قال : كان رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول في دبر الصلاة : « **لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له** » . وذكر تمامه .

وقد ثبت في الصحيح عن ابن الزبير : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم كان يقول عقب الصلوات المكتوبات : « **لا إله إلا اللَّه ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو علىٰ كل شيء قدير . لا حول ولا قوة إلا باللَّه ، لا إله إلا اللَّه ولا نعبد إلا إياه ، له النعمة وله الفضل ، وله الثناء الحسن ، لا إله إلا اللَّه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون** » .

وقال ابن أبي حاتم(٢٣) : حدثنا الربيع حدثنا الخصيب بن ناصح ، حدثنا صالح - يعني المرّي - عن هشام بن حسان ، عن ابن سيرين ، عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **ادعوا اللَّه وأنتم موقنون بالإجابة ، واعلموا أن اللَّه لا يستجيب دعاءً من قلب غافل لاهٍ** » .

رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ

(٢٣) - ورواه الترمذى (٣٤٧٩) وابن حبان فى « المجروحين » (٣٦٨/١) ، والخطيب البغدادى فى « تاريخ بغداد » (٣٥٦/٤) (٢٣٧/١٤) ، والحاكم فى « المستدرك » (٤٩٣/١) ، وابن عساكر فى « تاريخ دمشق » (١٢٢/٥/ مخطوط) من طرق عن صالح المرى به وقال الحاكم : « حديث مستقيم الإسناد ، تفرد به صالح المرى ، وهو أحد زهاد البصرة » وتعقبه الذهبى فقال : « صالح متروك » تركه النسائى وغيره وقال البخارى : منكر الحديث ، وضعفه ابن معين وابن المدينى وغيرهما ، وبه أعل الحديث أبو عيسى الترمذى فقال : «حديث غريب ، لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه » واستنكره ابن عدى لصالح هذا ، سيسس الكامل » (٤/ ١٣٨٠) وكذا أعله به المنذرى فى « الترغيب والترهيب » (٤٩٣/٢) فقال : « صالح المرى ، لا شك فى زهده ، لكن تركه أبو داود والنسائى » - والعراقى فى « تخريج أحاديث الإحياء (٩٥٢/٢/ المستخرج) لكن له شاهد من حديث عبد الله بن عمرو عند أحمد (١٧٧/٢) ذكره المصنف (سورة البقرة/ ١٨٦) بإسناده وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف - ومن أجل هذا الشاهد رقم به أبو عبد الرحمن الألبانى حديث (٥٩٤) من « الصحيحة » .

[١] في ز : « يهل » .

﴿ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾

يقول تعالىٰ عن عظمته وكبريائه ، وارتفاع عرشه العظيم العالي علىٰ جميع مخلوقاته كالسقف لها ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **من الله ذي المعارج * تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** ﴾ ، وسيأتي بيان أن هذه مسافة ما بين العرش إلىٰ الأرض السابعة ، في قول جماعة من السلف والخلف ، وهو الأرجح إن شاء الله . وقد ذكر غير واحد : أن العرش من ياقوتة حمراء ، اتساع ما بين قطريه مسيرة خمسين ألف سنة . وارتفاعه عن الأرض السابعة مسيرة خمسين ألف سنة . وقد تقدم في حديث « **الأوعال** »(٢٤) ما يدل على ارتفاعه عن[١] السماوات السبع بشيء عظيم .

وقوله : ﴿ **يلقي الروح من أمره علىٰ من يشاء من عباده** ﴾ ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ينزل الملائكة بالروح من أمره علىٰ من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون** ﴾ . وكقوله : ﴿ **وإنه لتنزيل رب العالمين. نزل به لروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين** ﴾ ولهذا قال : ﴿ **لينذر[٢] يوم التلاق** ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس : يوم التلاق : اسم من أسماء يوم القيامة ، حذر منه عباده .

وقال ابن جريج : قال ابن عباس : يلتقى فيه آدم وآخر ولده .

وقال ابن زيد : يلتقي فيه العباد .

وقال قتادة ، والسدي ، وبلال بن سعد ، وسفيان بن عيينة : يلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض .

وقال قتادة أيضًا : يلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض ، والخالق والخلق .

وقال ميمون بن مهران : يلتقي الظالم والمظلوم .

وقد يقال : إن يوم القيامة هو يشمل هذا كله ، ويشمل أن كل عامل سيلقىٰ ما عمله من خير وشر . كما قاله آخرون .

وقوله : ﴿ **يوم هم بارزون** ﴾ أي : ظاهرون بادون كلهم ، لا شيء يكنهم ولا يظلهم ولا

(٢٤) - تقدم تخريجه (رقم ١٨) .

[١] - في ز : « من » . [٢] - في ز : « لتندر » .

يسترهم ؛ ولهذا قال : ﴿ **يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء** ﴾ أي : الجميع في علمه على السواء .

وقوله : ﴿ **لمن الملك اليوم لله الواحد القهار** ﴾ قد تقدم في حديث[١] ابن عمر(٢٥) : « **أنه تعالى يطوي السماوات والأرض بيده ، ثم يقول : أنا الملك ، أنا الجبار ، أنا المتكبر ، أين ملوك الأرض ؟ أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟** » وفي حديث الصور(٢٦) : « **أنه تعالى إذا قبض أرواح جميع خلقه ، فلم يبق سواه ، وحده لا شريك له ، حينئذ يقول : لمن الملك اليوم ؟** - ثلاث مرات - **ثم يجيب نفسه قائلًا** : ﴿**لله الواحد القهار**﴾ » أي : الذي هو وحده قد قهر كل شيء وغلبه .

[وقد قال][٢] ابن أبي حاتم (٢٧) : حدثنا محمد بن غالب الدقاق ، حدثنا عبيد بن عبيدة ، حدثنا معتمر ، عن أبيه ، حدثنا أبو نضرة ، عن ابن عباس قال : ينادي مناد بين يدي الساعة : يا أيها الناس ، أتتكم الساعة . فيسمعها الأحياء والأموات ، قال : وينزل الله إلى سماء الدنيا فيقول[٣] : ﴿ **لمن الملك اليوم لله الواحد القهار** ﴾ .

وقوله : ﴿ **اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب** ﴾ : يخبر تعالى عن عدله في حكمه بين خلقه ، أنه لا يظلم مثقال ذرة من خير ولا من شر ، بل يجزي بالحسنة عشر أمثالها ، وبالسيئة واحدة ، ولهذا قال : ﴿ **لا ظلم اليوم** ﴾ . كما ثبت في صحيح مسلم (٢٨) ، عن أبي ذر ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه - عز وجل - أنه قال : « **يا عبادي ، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا ، فلا تظالموا** » إلى أن قال : « **يا عبادي ، إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم [ثم أوفيكم إياها]**[٤] ، **فمن وجد خيرًا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومَنّ إلا نفسه** » .

وقوله : ﴿ **إن الله سريع الحساب** ﴾ أي : يحاسب الخلائق كلهم ، كما يحاسب نفسًا واحدة ، كما قال : ﴿ **ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة** ﴾ وقال : ﴿**وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر**﴾ .

---

(٢٥) - تقدم تخريجه

(٢٦) - تقدم تخريجه (سورة الأنعام /آية ٨٢) .

(٢٧) - إسناده صحيح ومعتمر هو ابن سليمان التيمى .

(٢٨) - تقدم تخريجه (سورة يونس/ آية ٤٤) .

---

[١] - في ز : « تفسير » .

[٢] - ما بين المعكوفتين بياض في : ز .

[٣] - في خ : « ويقول » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾

يوم الآزفة : هو اسم من أسماء يوم القيامة ، سميت بذلك لاقترابها ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **أزفت الآزفة * ليس لها من دون الله كاشفة** ﴾ وقال : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر** ﴾ وقال : ﴿ **اقترب للناس حسابهم** ﴾ وقال : ﴿ **أتى أمر الله فلا تستعجلوه** ﴾ وقال : ﴿ **فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذي كنتم به تدّعون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إذ القلوب لدىٰ الحناجر كاظمين** ﴾ قال قتادة : وقفت القلوب في الحناجر من الخوف ، فلا تخرج ولا تعود الىٰ أماكنها . وكذا قال عكرمة ، والسدي ، وغير واحد .

ومعنىٰ ﴿ **كاظمين** ﴾ أي : ساكتين ، لايتكلم أحد إلا بإذنه . ﴿ **يوم يقوم الروح والملائكة صفًّا لا يتكلمون إلاّ من أذن له الرحمن وقال صوابًا** ﴾ .

وقال ابن جريج : ﴿ **كاظمين** ﴾ أي : باكين .

وقوله : ﴿ **ماللظالمين من حميم ولا شفيع يطاع** ﴾ أي : ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم ، ولا شفيع يشفع فيهم ، بل قد تقطعت بهم الأسباب من كل خير .

وقوله : ﴿ **يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور** ﴾ يخبر تعالىٰ عن علمه التام المحيط بجميع الأشياء ، جليلها وحقيرها ، صغيرها وكبيرها ، دقيقها ولطيفها ، ليحذر الناس علمه فيهم ، فيستحيوا من الله حق الحياء ويتقوه حق تقواه ، ويراقبوه مراقبة من يعلم أنه يراه ، فإنه تعالىٰ يعلم العين الخائنة وإن أبدت أمانة ، ويعلم ما تنطوي[١] عليه خبايا الصدور من الضمائر والسرائر .

قال ابن عباس في قوله : ﴿ **يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور** ﴾ : وهو الرجل يدخل علىٰ أهل البيت بيتهم ، وفيهم المرأة الحسناء ، أو تمر به وبهم المرأة الحسناء ، فإذا غفلوا لحظ إليها ، فإذا فطنوا غضّ بصره عنها ، فإذا غفلوا لحظ ، فإذا فطنوا غضّ ، وقد اطلع الله من قلبه

[١] - في ز : « ينطوى » .

أنه ود لو اطلع علىٰ فرجها . رواه ابن أبي حاتم (٢٩) .

قال الضحاك : ﴿ **خائنة الأعين** ﴾ : هو الغمز وقول الرجل : رأيت ولم ير ، أو لم أر وقد رأى .

وقال ابن عباس : يعلم تعالىٰ من العين في نظرها ، هل تريد الخيانة أم لا ؟ وكذا قال مجاهد وقتادة .

وقال ابن عباس في قوله : ﴿ **وما تخفي الصدور** ﴾ يعلم إذا أنت قدرت عليها هل تزني بها أم لا ؟

وقال السدي : ﴿ **وما تخفي الصدور** ﴾ أي : من الوسوسة .

وقوله : ﴿ **والله يقضى بالحق** ﴾ أي : يحكم بالعدل .

وقال الأعمش (٣٠) : عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **والله يقضي بالحق** ﴾ : قادر علىٰ أن يجزي بالحسنة الحسنة ، وبالسيئة السيئة ﴿ **إن الله هو السميع البصير** ﴾ .

وهذا الذي فسره ابن عباس في هذه الآية كقوله تعالىٰ : ﴿ **ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنىٰ** ﴾ .

وقوله ﴿ **والذين يدعون من دونه** ﴾ أي : من الأصنام والأوثان والأنداد ، ﴿ **لايقضون بشيء** ﴾ أي : لايملكون شيئًا ولا يحكمون بشيء ، ﴿ **إن الله هو السميع البصير** ﴾ أي : سميع لأقوال خلقه ، بصير بهم ، فيهدي من يشاء ، ويضل من يشاء ، وهو الحاكم العادل في جميع ذلك .

۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ

---

(٢٩) - وعزاه له السيوطى فى « الدر المنثور » (٦٥٣/٥) وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور وابن المنذر ، وابن أبى شيبة . وقد رواه هنا فى « الزهد » (١٤٢٨/٢) بإسناد فيه انقطاع ، وانظر الآتى .

(٣٠) - رواه الطبرانى فى « الأوسط » (١٢٨٣/٢) من طريق الحسين بن واقد نا الأعمش ، حدثنى سعيد بن جبير عن ابن عباس به ، وقال الطبرانى : « لم يرو هذا الحديث عن الأعمش إلاَّ الحسين بن واقد » وهو ثقة إمام » فالإسناد صحيح ، وأعله الهيثمى فى « المجمع » (١٠٥/٧) بمن فوق الحسين ، ولا شك أنه متابع ، - جزء من الخبر السابق وقد تقدم تخريجه .

﴿لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ۝٢١ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٢٢﴾

يقول تعالىٰ : أو لم يَسِرْ هؤلاء المكذبون برسالتك يا محمد ﴿ **في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم** ﴾ أي[١] : من الأمم المكذبة بالأنبياء ، ما حلّ بهم من العذاب والنكال ، مع أنهم كانوا أشد من هؤلاء قوة ، ﴿ **وآثارًا في الأرض** ﴾ أي : أثروا في الأرض من البنايات[٢] والمعالم والديارات ، ما لا يقدر عليه هؤلاء ، كما قال : ﴿ **ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه** ﴾ وقال : ﴿ **وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها** ﴾ أي : ومع هذه القوة العظيمة والبأس الشديد ، أخذهم الله بذنوبهم ، وهي كفرهم برسلهم ، ﴿ **وما كان لهم من الله من واق** ﴾ [أي : وما دفع عنهم عذاب الله أحد ، ولا رده عنهم راد ، ولا وقاهم واق][٣] .

ثم ذكر علة أخذه إياهم وذنوبهم التي ارتكبوها واجترموها ، فقال : ﴿ **ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات** ﴾ أي : بالدلائل الواضحات والبراهين القاطعات ، ﴿ **فكفروا** ﴾ أي : مع هذا البيان والبرهان كفروا وجحدوا ، ﴿ **فأخذهم الله** ﴾ أي : أهلكهم ودمَّر عليهم وللكافرين أمثالها ، ﴿ **إنه قوي شديد العقاب** ﴾ أي : ذو[٤] قوة عظيمة وبطش شديد ، ﴿ **وهو شديد العقاب** ﴾ أي : عقابه أليم شديد وجيع . أعاذنا الله منه .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝٢٣ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٢٤ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ۝٢٥ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ۝٢٦ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ۝٢٧﴾

يقول تعالىٰ مسليًا لنبيه صلىٰ الله عليه وسلم في تكذيب من كذبه من قومه ، ومبشرًا له بأن

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « النباتات » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٤] - في ز : « ذي » .

العاقبة والنصرة له في الدنيا والآخرة ، كما جرىٰ لموسىٰ بن عمران ، فإن اللّٰه تعالىٰ أرسله بالآيات البينات ، والدلائل الواضحات ؛ ولهذا قال : ﴿ **بآياتنا وسلطان مبين** ﴾ ، والسلطان هو : الحجة والبرهان ﴿ **إلىٰ فرعون** ﴾ هو : ملك القبط بالديار المصرية ،﴿ **وهامان** ﴾ وهو : وزيره في مملكته ، ﴿ **وقارون** ﴾ وكان أكثر الناس في زمانه مالًا وتجارة ﴿ **فقالوا ساحر كذاب** ﴾ أي : كذبوه وجعلوه ساحرًا مجنونًا مموهًا كذابًا في أن اللّٰه أرسله ، وهذه كقوله : ﴿ **كذلك ما أتىٰ الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون * أتواصوا به بل هم قوم طاغون** ﴾ .

﴿ **فلما جاءهم بالحق من عندنا** ﴾ أي : بالبرهان القاطع الدال علىٰ أن اللّٰه تعالىٰ أرسله إليهم ، ﴿ **قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم** ﴾ . وهذا أمر ثان من فرعون بقتل ذكور بني إسرائيل ، أما الأول : فكان لأجل الاحتراز من وجود موسىٰ ، أو لإذلال[١] هذا الشعب وتقليل عددهم ، أو لمجموع الأمرين . وأما الأمر الثاني : فللعلة الثانية ، لإهانة هذا الشعب ، ولكي يتشاءموا بموسىٰ - عليه السلام - ؛ ولهذا قالوا : ﴿ **أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسىٰ ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون** ﴾ قال قتادة : هذا أمر بعد أمر .

قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **وما كيد الكافرين إلا في ضلال** ﴾ أي : وما مكرهم وقصدهم الذي هو تقليل عدد بني إسرائيل لئلا يُنصَروا عليهم إلا ذاهب وهالك في ضلال .

﴿ **وقال فرعون ذروني أقتل موسىٰ وليدع ربه** ﴾ : و[٢]هذا عَزْمٌ من فرعون - لعنه اللّٰه - علىٰ قتل موسىٰ - عليه السلام - ، أي : قال لقومه : دعوني حتىٰ[٣] أقتل لكم هذا ، ﴿ **وليدع ربه** ﴾ أي : لا أبالي منه . وهذا في غاية الجحد والتجهرم والعناد .

وقوله قبحه[٤] اللّٰه : ﴿ **إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد** ﴾ يعني : موسى ، يخشىٰ فرعون أن يُضِلَّ موسىٰ الناسَ ويغير رسومهم وعاداتهم . وهذا كما يقال في المثل : صار فرعون مُذَكِّرًا ! [يعني : واعظًا][٥] ، يشفق علىٰ الناس من موسىٰ عليه السلام .

وقرأ الأكثرون : (**أن يبدل دينكم وأن يُظهِرَ في الأرض الفسادَ**) . وقرأ آخرون : (أو أن يُظْهِرَ في الأرض الفسادَ) وقرأ بعضهم : « **يَظْهَرَ في الأرض الفسادُ** » ، بالضم .

وقال موسىٰ : ﴿ **إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لايؤمن بيوم الحساب** ﴾ أي : لما

---

[١] - في ز : « أولاد » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : خ ، ز .
[٤] - في خ : « لعنه » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

بلغه قولُ فرعون : ﴿ **ذروني أقتل موسىٰ** ﴾ ، [قال موسىٰ][١] : استجرتُ بالله وعُذْتُ به من شره وشر أمثاله ؛ ولهذا قال : ﴿ **إني عذت بربي وربكم** ﴾ أيها المخاطَبون ، ﴿ **من كل متكبر** ﴾ أي : عن الحق ، مجرم ، ﴿ **لا يؤمن بيوم الحساب** ﴾ . ولهذا جاء في الحديث عن أبي موسىٰ -رضي الله عنه- : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان إذا خاف قومًا قال : «**اللهم ، إنا نعوذ بك من شرورهم ، وندرأ بك في نحورهم** » (٣١) .

وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾

المشهور أن هذا الرجل المؤمن كان قبطيًا من آل فرعون .

قال السدي : كان ابن عم فرعون ، ويقال : إنه الذي نجا مع موسىٰ . واختاره ابن جرير (٣٢) ، وَرَدَّ قول من ذهب إلىٰ أنه كان إسرائيليًا ؛ لأن فرعون انفعل لكلامه واستمعه، وكفّ عن قتل موسىٰ - عليه السلام - ولو كان إسرائيليًا لأوشك أن يعاجل بالعقوبة ؛ لأنه منهم .

وقال ابن جريج : عن ابن عباس : لم يؤمن من آل فرعون سوىٰ هذا الرجل وامرأة فرعون ، والذي قال : ﴿ **يا موسىٰ إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك** ﴾ . رواه ابن أبي حاتم (٣٣) .

وقد كان هذا الرجلُ يكتم إيمانه عن قومه القبط ، فلم يظهر إلا هذا اليوم حين قال فرعون :

---

(٣١) - رواه أحمد (٤١٤/٣ ، ٤١٥) وأبو داود ، كتاب : الصلاة ، باب : ما يقول إذا خاف قومًا (١٥٣٧) ، والنسائي في « عمل اليوم والليلة » (٦٠١) وغيرهم وصححه ابن حبان (٤٧٦٥/١١) ، والحاكم (١٤٢/٢) على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي .

(٣٢) - تفسير ابن جرير (٥٧/٢٤ ، ٥٨) .

(٣٣) - إسناده منقطع . والخبر ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٦٥٥/٥) وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

﴿ **ذروني أقتل موسىٰ** ﴾ ، فأخذت الرجلَ غضبةٌ للّه عز وجل : « **وأفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر** » كما ثبت بذلك الحديث(٣٤) ولا أعظم من هذه الكلمة عند فرعون وهى قوله : ﴿ **أتقتلون رجلًا أن يقول ربي اللّه** ﴾ ، اللّهم إلا مارواه البخاري في صحيحه(٣٥) حيث قال :

حدثنا علي بن عبد اللّه ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا الأوزاعي ، حدثني يحيىٰ بن أبي كثير ، حدثني محمد بن إبراهيم التيمي ، حدثني عروة بن الزبير قال : قلت لعبد اللّه بن عمرو ابن العاص : أخبرني بأشد شيء مما صنعه المشركون برسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم . قال : بينا رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة ، إذ أقبل عقبة بن أبي مُعَيط ، فأخذ بمَنْكب رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم ولَوىٰ ثوبه في عنقه ، فخنقه خنقًا شديدًا ، فأقبل أبو بكر رضي اللّه عنه - فأخذ بمنكبه[١] ودَفَع عن النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم ، ثم قال : ﴿ **أتقتلون رجلًا أن يقول ربى اللّه وقد جاءكم بالبينات من ربكم** ﴾ .

انفرد به البخاري من حديث الأوزاعي . قال : وتابعه محمد بن إسحاق ، عن يحيىٰ[٢] . عن عروة ، عن أبيه به .

وقال ابن أبي حاتم(٣٦) : حدثنا هارون بن إسحاق الهمداني ، حدثنا عَبْدة ، عن هشام - يعني ابن عروة - ، عن أبيه ، عن عمرو بن العاص أنه سُئل : ما أشد ما رأيت قريشًا بلغوا من

(٣٤) - تقدم تخريجه (سورة المائدة/ آية ٧٩) .

(٣٥) - صحيح البخارى ، كتاب : التفسير ، باب : سورة المؤمن (٤٨١٥) ، ورواه أيضًا ، كتاب : فضائل الصحابة (٣٦٧٨) ثنا محمد بن يزيد الكوفى ، ثنا الوليد به ، وكتاب : مناقب الأنصار (٣٨٥٦) حدثنا عياش بن الوليد ، ثنا الوليد بن مسلم به . وقال فى هذا الموضع الأخير : « تابعه ابن إسحاق حدثنى يحيى بن عروة عن عروة ، قلت لعبد الله بن عمرو ، وقال عبدة عن هشام عن أبيه ، قيل لعمرو بن العاص ، وقال محمد بن عمرو عن أبى سلمة حدثنى عمرو بن العاص » .

(٣٦) - ورواه النسائى فى « التفسير » (رقم ٤٨٢) أخبرنا هناد بن السرى عن عبدة به . ورواه البيهقى فى «الدلائل» (٢/٢٧٧) من طريق خالد بن مخلد عن سليمان بن بلال عن هشام به . ورواه البخارى فى «خلق أفعال العباد» (رقم ٣٠٨) ، وأبو يعلى (٧٣٣٩) - وعنه ابن حبان (١٤/٦٥٦٩/ إحسان) (٥/١٦٨٥/ موارد) - من طريقين عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن عمرو به . قال ابن حجر فى « الفتح » (٧/ ١٦٩): « هكذا خالف هشام بن عروة أخاه يحيى بن عروة فى الصحابى ، فقال يحيى : « عبد الله بن عمرو» ، وقال هشام : « عمرو بن العاص » ويرجح رواية يحيى موافقة محمد بن إبراهيم التيمى عن عروة، على أن قول هشام غير مدفوع . لأن له أصلاً من حديث عمرو بن العاص ، بدليل رواية أبى سلمة عن عمرو، فيحتمل أن يكون عروة سأله مرة ، وسأل أباه أخرى ، ويؤيده اختلاف السياقين ، وقد رواه عبد الله ابن عروة بإسناد آخر عن عثمان ، فلا مانع من التعدد ... » .

[١] - في ز : « بمنكبيه » .
[٢] - في خ ، ز : « كثير » .

رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؟ قال : مر بهم ذات يوم فقالوا له[١] : أنت تنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا ؟ فقال : « أنا ذاك » . فقاموا إليه ، فأخذوا بمجامع ثيابه ، فرأيتُ أبا بكر محتضنه من ورائه ، وهو يصيح بأعلىٰ صوته ، وإن عينيه ليسيلان ، وهو يقول : يا قوم ، ﴿ **أتقتلون رجلًا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم** ﴾ ؟ حتى فرغ من الآية كلها .

وهكذا رواه النسائي من حديث عبدة ، فجعله من مسند عمرو بن العاص ، رضي الله عنه .

وقوله : ﴿ **وقد جاءكم بالبينات من ربكم** ﴾ أي : كيف تقتلون رجلًا لكونه يقول : « **ربي الله** » ، وقد أقام لكم البرهان علىٰ صدق ماجاءكم به من الحق ؟ ثم تَنَزّل معهم في المخاطبة فقال : ﴿ **وإن يك كاذبًا فعليه كذبه وإن يك صادقًا يصبكم بعض الذي يعدكم** ﴾ ، يعني : إذا لم يظهر لكم صحة ما جاءكم به ، فمن العقل والرأي التام والحزم أن تتركوه ونفسه ، فلا تؤذوه ، فإن يك كاذبًا فإن الله سيجازيه علىٰ كذبه بالعقوبة في الدنيا والآخرة ، وإن يك صادقًا وقد آذيتموه يصبكم بعض الذي يعدكم ، فإنه يتوعدكم إن خالفتموه بعذاب في الدنيا والأخرىٰ ، فمنَ الجائز عندكم أن يكون صادقًا ، فينبغي علىٰ هذا أن لاتتعرضوا له ، بل اتركوه وقومه يدعوهم ويتبعونه .

وهكذا أخبر الله عن موسىٰ - عليه السلام - أنه طلب من فرعون وقومه الموادعة في قوله : ﴿ **ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم * أن أدوا إليّ عباد الله إني لكم رسول أمين * وأن لا تعلوا علىٰ الله إني آتيكم بسلطان مبين * وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون * وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون** ﴾ . وهكذا قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لقريش[٢] أن يتركوه يدعو إلىٰ الله عبادَ الله ، ولا يمسوه بسوء ، وأن يصلوا ما بينه وبينهم من القرابة في ترك أذيته ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربىٰ** ﴾ أي : إلا أن لا تؤذوني فيما بيني وبينكم من القرابة ، فلا تؤذوني وتتركوا بيني وبين الناس . وعلىٰ هذا وقعت الهدنة يوم الحديبية وكان فتحًا مبينًا .

وقوله : ﴿ **إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب** ﴾ أي[٣] : لو كان هذا الذي يزعم أن الله أرسله إليكم كاذبًا كما تزعمون ، لكان أمره بيّنًا ، يظهر لكل أحد في أقواله وأفعاله ، كانت تكون في غاية الاختلاف والاضطراب ، وهذا نرىٰ أمره سديدًا ومنهجه مستقيمًا ، ولو كان من المسرفين الكذابين لما هداه الله ، وأرشده إلىٰ ما ترون من انتظام أمره وفعله .

ثم قال المؤمن محذرًا قومه زوال نعمة الله عنهم[٤] ، وحلول نقم[٥] الله بهم : ﴿ **يا قوم**

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - في ز : « عليهم » .

[٥] - في خ : « نقمة » .

لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض ﴾ أي : قد أنعم الله عليكم بهذا الملك والظهور في الأرض بالكلمة النافذة والجاه العريض ، فراعوا هذه النعمة بشكر الله ، وتصديق رسوله صلى الله عليه وسلم ، واحذروا نقمة الله إن كذبتم رسوله ، **﴿ فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا ﴾** أي[١] : لا تغني عنكم هذه الجنود وهذه العساكر ، ولا ترد عنا شيئًا من بأس الله إن أرادنا بسوء .

﴿ قال فرعون ﴾ لقومه ، رادًّا على ما أشار به هذا الرجل الصالح البار الراشد الذي كان[٢] أحق بالملك من فرعون : **﴿ ما أريكم إلا ما أرى ﴾** أي : ما أقول لكم وأشير عليكم إلا ما أراه لنفسي . وقد كذب فرعون ، فإنه كان يتحقق صدق موسى فيما جاءه[٣] به من الرسالة **﴿ قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر ﴾** .

وقال الله تعالى : **﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلمًا وعلوًا ﴾** .

فقوله : **﴿ ما أريكم إلا ما أرى ﴾** : كذب فيه[٤] وافترى ، وخان الله ورسوله ورعيته ، فغشهم وما نصحهم . وكذا قوله : **﴿ وما أهديكم إلا سبيل الرشاد ﴾** أي : وما أدعوكم إلا إلى طريق الحق والصدق والرشد . وقد كذب أيضًا في ذلك ، وإن كان قومه قد أطاعوه واتبعوه ، قال الله تعالى : **﴿ فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد ﴾** . وقال تعالى : **﴿ وأضل فرعون قومه وما هدى ﴾** وفي الحديث(٣٧) : **« ما من إمام يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام »** .

---

(٣٧) - رواه البخاري ، كتاب : الأحكام ، باب : من استُرْعِيَ رعية فلم ينصح (٧١٥٠ ، ٧١٥١) ، ومسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : استحقاق الوالي ، الغاش لرعيته النار (٢٢٧ ، ٢٢٩) (١٤٢) من حديث معقل بن يسار مرفوعًا بلفظ : « ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يُحطها بنصحه لم يجد رائحة الجنة » وفي لفظ آخر : « ما من والٍ يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلاّ حرّم الله عليه الجنة » ، قال الحافظ في « الفتح » (١٢٧/١٣) : « وفي رواية الطبراني من حديث عبد الله بن مغفل : وعرفها يوجد يوم القيامة من مسيرة سبعين عامًا » وفي إسناده هذه الرواية جهالة ، كما قال شيخه الهيثمي في « المجمع » (٢١٦/٥) وقد وردت روايات متعددة في ذكر مسافة ريح الجنة ، أقلها : « أربعون عامًا » وأعلاها « خمسمائة عام » ، وقد ذكر هذه الروايات جميعًا الحافظ ابن حجر في « الفتح » (٢٦٠/١٢) ثم قال : « وهذا اختلاف شديد ، وقد تكلم ابن بطال على ذلك فقال : « الأربعون » هي الأشد فمن بلغها زاد عمله ويقينه وندمه ، فكأنه وجد ريح الجنة التي تبعثه على الطاعة ، قال : والسبعون آخر المعترك ، ويعرض عندها الندم وخشية هجوم الأجل فتزداد الطاع بتوفيق الله فيجد ريحها من المدة المذكورة ، وذكر في الخمسمائة كلامًا متكلفًا حاصله أنها مدة الفترة التي بين كل نبي ونبي فمن جاء في آخرها وآمن بالنبيين يكون أفضل من غيره فيجد ريح الجنة ، وقال الكرماني : يحتمل أن لا يكون العدد بخصوصه مقصودًا بل المقصود المبالغة في =

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - في خ : « جاء » .
[٤] - في ز : « منه » .

وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾

هذا إخبار من اللَّه - عز وجل - عن هذا الرجل الصالح ، مؤمن[١] آل فرعون ؛ أنه حذر قومه بأس اللَّه في الدنيا والآخرة فقال : ﴿ **يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب** ﴾ أي: الذين كذبوا رسل اللَّه في قديم الدهر ، كقوم نوح وعاد وثمود ، والذين من بعدهم من الأمم المكذبة ، كيف حَلّ بهم بأس اللَّه ، وما ردّه عنهم رادّ ، ولا صده عنهم صاد .

﴿ **وما اللَّه يريد ظلمًا للعباد** ﴾ أي : إنما أهلكهم اللَّه بذنوبهم ، وتكذيبهم رسله ، ومخالفتهم أمره ، فأنفذ فيهم قَدَره ، ثم قال : ﴿ **ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد** ﴾ ، يعني : يوم القيامة . وسُمي بذلك ؛ قال بعضهم : لما جاء في حديث الصور (٣٨) : إن الأرض

= التكثير ، ولهذا خص الأربعين والسبعين ، لأن الأربعين يشتمل على جميع أنواع العدد لأن فيه الآحاد ، وآحاده عشرة ، والمائة عشرات ، والألف مئات ، والسبع عدد فوق العدد الكامل وهو ستة إذ أجزاؤه بقدره وهى النصف ، والثلث والسدس بغير زيادة ولا نقصان ، وأما الخمسمائة فهى ما بين السماء والأرض . قلت - ابن حجر : والذى يظهر لى فى الجمع أن يقال : إن الأربعين أقل زمن يدرك به ريح الجنة من فى الموقف ، ويختلف ذلك باختلاف الأشخاص والأعمال ، فمن أدركه من المسافة البعدى أفضل ممن أدركه من المسافة القربى وبين ذلك ، وقد أشار إلى ذلك شيخنا فى « شرح الترمذى » فقال : الجمع بين هذه الروايات أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص بتفاوت منازلهم ودرجاتهم ثم رأيت نحوه فى كلام ابن العربى ، فقال : ريح الجنة لا يدرك بطبيعة ولاعادة وإنما يدرك بما يخلق الله من إدراكه ، فتارة يدركه من شاء الله من مسيرة سبعين ، وتارة من مسيرة خمسمائة » اهـ.

(٣٨) - تقدم تخريجه (سورة الأنعام/ آية ٨٢) .

[١] - في خ : « المؤمن من » .

إذا زلزلت وانشقت من قطر إلىٰ قطر ، وماجت وارتجت ، فنظر الناس إلىٰ ذلك ، ذهبوا هاربين ينادي بعضهم بعضًا .

وقال آخرون - منهم الضحاك - : بل ذلك إذا جيء بجهنم ، ذهب الناس هِرَابا ، فتتلقاهم الملائكة فتردهم إلىٰ مقام المحشر ، وهو قوله تعالىٰ : ﴿ **والملك علىٰ أرجائها** ﴾ ، وقوله : ﴿ **يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان** ﴾ وقد روي عن ابن عباس والحسن والضحاك : أنهم قرءوا : ﴿ **يوم التنادّ** ﴾ بتشديد الدال من ندَّ البعير إذا شرد وذهب . وقيل : لأن الميزانَ عنده مَلَك ، و[١]إذا وُزِنَ عَمَلُ العبد فرجحَ نادىٰ بأعلىٰ صوته : ألا قد سَعِد فلانُ بن فلان سعادة لا يشقىٰ بعدها أبدًا . وإن خَفّ عَمَلُهُ نادىٰ : ألا قد شقي فلانُ بنُ فلان .

وقال قتادة : ينادى كل قوم بأعمالهم ؛ ينادى أهلُ الجنة أهلَ الجنة ، وأهلُ(*) النار أهلَ النار .

وقيل : سُمي بذلك لمناداة أهل الجنة أهلَ النار : ﴿ **أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا قالوا نعم** ﴾ . ومناداة أهل النار أهلَ الجنة : ﴿ **أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما علىٰ الكافرين** ﴾ ولمناداة أصحاب الأعراف أهلَ الجنة وأهلَ النار كما هو مذكور في سورة الأعراف . واختار البغوي وغيره : أنه سمى بذلك لمجموع ذلك . وهو قول حسن جيد ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **يوم تولون مدبرين** ﴾ أي : ذاهبين هاربين ، ﴿ **كلا لا وزر * إلىٰ ربك يومئذ المستقر** ﴾ . ولهذا قال ﴿ **ما لكم من الله من عاصم** ﴾ أي : ما لكم من مانع يمنعكم من بأس الله وعذابه ، ﴿ **ومن يضلل الله فما له من هاد** ﴾ أي : من أضله الله فلا هادي له غيره .

وقوله : ﴿ **ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات** ﴾ يعنى : أهل مصر قد بعث الله فيهم رسولًا من قبل موسىٰ ، وهو يوسف - عليه السلام - كان عزيز أهل مصر ، وكان رسولًا يدعو إلىٰ الله أمته القبط ، فما أطاعوه تلك الطاعة إلا لمجرد الوزارة والجاه الدنيوي ؛ ولهذا قال : ﴿ **فما زلتم في شك مما جاءكم به حتىٰ إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولًا** ﴾ [أي : يئستم فقلتم طامعين : ﴿ **لن يبعث الله من بعده رسولًا** ﴾][٢] وذلك لكفرهم وتكذيبهم ، ﴿ **كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب** ﴾ ، أي : كحالكم[٣] هذا يكون حال من يضله الله لإسرافه في أفعاله وارتياب قلبه .

ثم قال : ﴿ **الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم** ﴾ أي : الذين يدفعون الحق

[١] - سقط من : ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٣] - في خ : « كحاكم » .

بالباطل ، ويجادلون الحجج بغير دليل وحجة معهم من الله ، فإن الله يمقت على ذلك أشد المقت ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ كبر مقتًا عند الله وعند الذين آمنوا ﴾ أي : والمؤمنون أيضًا يُبغضُون من تكون هذه صفته ، فإن من كانت هذه صفته يطبع الله على قلبه ، فلا يعرف بعد ذلك معروفًا ، ولا ينكر منكرًا ؛ ولهذا قال : ﴿ كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر ﴾ أي : على اتباع الحق ﴿ جبار ﴾ .

وروى ابن أبي حاتم عن عكرمة - وحكى عن الشعبي - أنه قال : لا يكون الإنسان جبارًا حتى يقتل نفسين . وقال أبو عمران الجوني وقتادة : آية الجبابرة القتل بغير حق .

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ (٣٦) أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ (٣٧)

يقول تعالى مخبرًا عن فرعون وعتوه وتمرده ، وافترائه في تكذيبه موسى - عليه السلام - : أنه أمر وزيره هامان أن يبني له ﴿صرحًا﴾ ، وهو : القصر العالي المنيف الشاهق . وكان اتخاذه من الآجرّ المضروب من الطين المشوي ، كما قال : ﴿ فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحًا ﴾ ، ولهذا قال إبراهيم النَّخعي : كانوا يكرهون البناء بالآجر ، وأن يجعلوه في قبورهم . رواه ابن أبي حاتم .

وقوله : ﴿ لعلي أبلغ الأسباب * أسباب السموات ﴾ ، قال سعيد بن جبير ، وأبو صالح : أبواب السماوات . وقيل : طرق السماوات ، ﴿ فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبًا ﴾ ، وهذا من كفره وتمرده ، أنه كذب موسى في أن الله - عز وجل - أرسله إليه ، قال الله تعالى : ﴿ وكذلك زُيِّنَ لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل ﴾ أي : بصنيعه هذا الذي أراد أن يوهم به الرعية أنه يعمل شيئًا يتوصل به إلى تكذيب موسى - عليه السلام - ولهذا قال تعالى : ﴿ وما كيد فرعون إلا في تباب ﴾ ، قال ابن عباس ، ومجاهد : يعني : إلا في خسار .

وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ (٣٨) يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ (٣٩) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤٠)

يقول المؤمن لقومه ممن تمرد وطغى وآثر الحياة الدنيا ، ونسي الجبار الأعلى ، فقال لهم :

﴿ **يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد** ﴾ ، لا[١] كما كذب فرعون في قوله : ﴿ **وما أهديكم إلاسبيل الرشاد** ﴾ .

ثم زهدهم في الدنيا التي آثروها على الأخرى ، وصدتهم عن التصديق برسول الله موسى ، فقال : ﴿ **يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع** ﴾ أي : قليلة زائلة فانية عن قريب تذهب وتضمحل[٢] ، ﴿ **وإن الآخرة هي دار القرار** ﴾ [أي : الدار][٣] التي لا زوال لها ، ولا انتقال منها ولا ظعن عنها إلى غيرها ، بل إما نعيم وإما جحيم ؛ ولهذا قال : ﴿ **من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها** ﴾ أي : واحدة مثلها ، ﴿ **ومن عمل صالحًا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب** ﴾ أي : لا[٤] يتقدر بجزاء ، بل[٥] يثيبه الله ثوابًا كثيرًا لا انقضاء له ولا نفاد .

۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾

يقول لهم المؤمن : ما بالي أدعوكم إلى النجاة ، وهي عبادة الله وحده لا شريك له ، وتصديق رسوله الذي بعثه ، ﴿ **وتدعونني إلى النار * تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم** ﴾ أي على : جهل بلا دليل ﴿ **وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار** ﴾ أي : هو في عزته وكبريائه يغفر ذنب من تاب إليه ، ﴿ **لا جرم أنما تدعونني إليه** ﴾ ، يقول : حقًا .

---

[١] - بعده في خ ، ز : « ويضمحل » .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - ما بين المتكوفتين سقط من : ز .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « ثم » .

قال السدي وابن جرير: يعني قوله: ﴿لا جرم﴾: حقًّا[١] . وقال: الضحاك: ﴿لا جرم﴾: لا كذب.

وقال علي بن أبي طلحة (٣٩) ، عن ابن عباس: ﴿ لا جرم ﴾ ، يقول: بلىٰ ، إن الذي تدعونني إليه من الأصنام والأنداد ﴿ **ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة** ﴾ .

قال مجاهد: الوثن ليس بشيء. وقال قتادة: يعني الوثن لا ينفع ولا يضر.

وقال السدي: لا يجيب داعيه ، لا في الدنيا ولا في الآخرة .

وهذا كقوله تعالىٰ: ﴿ **ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلىٰ يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين**﴾ ﴿**إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم**﴾ وقوله: ﴿**وأن مردنا إلىٰ الله** ﴾ أي: في الدار الآخرة ، فيجازي كلًّا بعمله؛ ولهذا قال: ﴿**وأن المسرفين هم أصحاب النار**﴾ أي: خالدين فيها بإسرافهم وهو شركهم بالله ﴿ **فستذكرون ما أقول لكم** ﴾ أي: سوف تعلمون صدق ما أمرتكم به ونهيتكم عنه ، ونصحتكم ووضحت لكم ، وتتذكرونه ، وتندمون حيث لاينفعكم الندم ، ﴿ **وأفوض أمري إلىٰ الله** ﴾ أي: وأتوكل علىٰ الله وأستعينه ، وأقاطعكم وأباعدكم ، ﴿ **إن الله بصير بالعباد** ﴾ أي: هو بصير بهم ، فيهدي من يستحق الهداية ، ويضل من يستحق الإضلال ، وله الحجة البالغة ، والحكمة التامة ، والقدر النافذ .

وقوله: ﴿ **فوقاه الله سيئات ما مكروا** ﴾ أي: في الدنيا والآخرة، أما في[٢] الدنيا فنجاه الله مع موسىٰ - عليه السلام - وأما في الآخرة فبالجنة . ﴿ **وحاق بآل فرعون سوء العذاب** ﴾ وهو: الغرق في اليم ، ثم النقلة منه إلىٰ الجحيم . [فإن أرواحهم][٣] تعرض علىٰ النار صباحًا ومساء إلىٰ قيام الساعة ، فإذا كان يومُ القيامة اجتمعت أرواحُهم وأجسادهم[٤] في النار؛ ولهذا قال: ﴿ **ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب** ﴾ أي: أشدّه ألـمًا وأعظمه نكالًا . وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة علىٰ عذاب البرزخ في القبور ، وهي قوله: ﴿ **النار يعرضون عليها غدوًّا وعشيًّا** ﴾ .

ولكن هاهنا سؤال ، وهو أنه لاشك أن هذه الآية مكية ، وقد استدلوا بها على عذاب القبر في البرزخ ، وقد قال الإمام أحمد (٤٠) :

(٣٩) - إسناده منقطع ، علي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس .

(٤٠) - « المسند » (٨١/٦) وذكره الهيثمي فى « المجمع » (٣/٥٧ ٥٨) وقال: « هو فى الصحيح باختصار، وهذا رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، وصححه المصنف هنا على شرط الشيخين مع أنهما لم يرويا حديثًا =

[١] - في ز: « حق » .
[٢] - سقط من: ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز: « فأرواحهم » .
[٤] - في ز: « وأجسامهم » .

حدثنا هاشم - هو ابن القاسم أبو النضر - ، حدثنا إسحاق بن سعيد - هو ابن عمرو بن سعيد بن العاص - حدثنا سعيد - يعني أباه - عن عائشة : أن يهودية كانت تخدمها ، فلا تصنع عائشة إليها شيئًا من المعروف إلا قالت لها اليهودية : وقاك الله عذاب القبر . قالت : فدخل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عليّ فقلت : يا رسول الله ؛ هل للقبر عذاب قبل يوم القيامة ؟ قال : « **لا ، وعمّ ذلك ؟** » قالت : هذه اليهودية ، لا نصنع إليها شيئًا من المعروف إلا قالت : وقاك الله عذاب القبر . قال : « **كذبت يهودية ، وهم علىٰ الله أكذب ، لا عذاب دون يوم القيامة** » . ثم مكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث ، فخرج ذات يوم نصفَ النهار مشتملًا بثوبه ، محمرَّة عيناه ، وهو ينادي بأعلىٰ صوته : « **[أيها الناس أظلتكم الفتن] كقطع الليل المظلم ، أيها الناس ؛ لو تعلمون ما أعلم بكيتم كثيرًا وضحكتم قليلًا ؛ أيها الناس استعيذوا بالله من عذاب القبر ، فإن[١] عذاب القبر حق** » .

وهذا إسناد صحيح علىٰ شرط البخاري ومسلم ، ولم يخرجاه .

وروىٰ أحمد ومسلم(٤١) حدثنا يزيد ، حدثنا سفيان ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة - قال[٢] : سألتها امرأة يهودية فأعطتها ، فقالت لها[٣] : أعاذك الله من عذاب القبر ! فأنكرت[٤] عائشة ذلك ، فلما رأت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قالت له ، فقال : « **لا** » . [قالت عائشة][٥] : ثم قال لنا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بعد ذلك : « **وإنه أُوحي إليّ أنكم تفتنون في قبوركم** » .

وهذا أيضًا على شرطهما فيقال : فما الجمع بين هذا وبين كون الآية مكية ، وفيها الدليل علىٰ عذاب البرزخ ؟ والجواب أن الآية دلت علىٰ عرض الأرواح علىٰ النار غدوًا وعشيًا في البرزخ ، وليس فيها دلالة علىٰ اتصال تألمها بأجسادها في القبور ، إذ قد يكون ذلك مختصًا بالروح ، فأما حصول ذلك للجسد وتألمه بسببه ، فلم يدل عليه إلا السنة في الأحاديث المرضية الآتي ذكرها .

وقد يقال : إن هذه الآية إنما دلَّت علىٰ عذاب الكفار في البرزخ ، ولا[٦] يلزم من ذلك أن يعذب المؤمن في قبره بذنب . ومما يدل علىٰ هذا ما رواه الإمام أحمد(٤٢) :

= بهذا الإسناد ، وإنما رووا لرجاله جميعًا من طرق أخرى ، فالحديث صحيح الإسناد فحسب ، والله أعلم .

(٤١) - « المسند » (٦/٢٣٨) وسفيان - وهو ابن حسين - ضعيف فى الزهرى ، غير أنه متابع من غير واحد ، فانظر الآتى .

(٤٢) - « المسند » (٦/٢٤٨) . وكذا رواه مسلم ، كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، باب : =

[١] - في خ : « قال » .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ز : « أنكرت » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٦] - في ز : « فلا » .

حدثنا عثمان بن عمر ، حدثنا يونس ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم دخل عليها وعندها امرأة من اليهود ، وهي تقول : أشعرت[١] أنكم تُفتنُون في قبوركم ؟ فارتاع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وقال : « **إنما يُفتنُ يهود** » . قالت عائشة : فلبثنا ليالي ، ثم قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أشعرت أنه أوحيَ إليّ أنكم تفتنون في القبور** ؟ » وقالت عائشة : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بعد يستعيذ من عذاب القبر .

وهكذا رواه مسلم ، عن هارون بن سعيد وحرملة ، كليهما[٢] عن ابن وهب ، عن يونس ابن يزيد الأيلي ، عن الزهري ، به .

وقد يقال : إن هذه الآية دلَّتْ علىٰ عذاب الأرواح في البرزخ ، ولا يلزم من ذلك أن يتصل بالأجساد في قبورها ، فلما أوحي إليه في ذلك بخصوصيته استعاذ منه ، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم .

وقد روىٰ البخاري(٤٣) من حديث شعبة ، عن أشعث بن أبي الشعثاء ، عن أبيه ، عن مسروق ، عن عائشة رضي الله عنها ؛ أن يهودية دخلت عليها فقالت : أعاذك الله من عذاب القبر ! فسألت عائشة رسولَ الله صلىٰ الله عليه وسلم عن عذاب القبر ؟ فقال : « **نعم ، عذابُ القبر حقّ** » . قالت عائشة : فما رأيتُ رسولَ الله صلىٰ الله عليه وسلم بعدُ صلّى صلاةً إلا تَعَوّذ من عذاب القبر .

فهذا يدل علىٰ أنه بادر إلىٰ تصديق اليهودية في هذا الخبر ، وقرر عليه . وفي الأخبار المتقدمة أنه أنكر ذلك حتىٰ جاءه الوحي ، فلعلهما قضيتان ، والله أعلم ، وأحاديث عذاب القبر كثيرة جدًا .

وقال قتادة في قوله : ﴿ **غدوًا وعشيًا** ﴾ : صباحًا ومساء ، ما بقيت الدنيا ، يقال لهم : يا آل فرعون ؛ هذه منازلكم ، توبيخًا ونقمة وصَغَارًا لهم .

= استحباب التعوذ من عذاب القبر (١٢٣) (٥٨٤) ، والنسائى (١٠٤/٤) من طريق يونس بن يزيد به . ورواه أحمد (٨٩/٦ ، ٢٧١) من طريق شعيب وابن أخي الزهرى عن الزهرى به .

(٤٣) - رواه البخارى ، كتاب : الجنائز : باب : ما جاء فى عذاب القبر (١٣٧٢) ، وكذا رواه أحمد (٦/ ١٧٤) ، والنسائى (٥٦/٣) من طريق شعبة به ، ورواه مسلم (١٢٦) (٥٨٦) من طريق أبى الأحوص عن أشعث به ، ورواه أحمد (٤٤/٦ و ٢٠٥) ، والبخارى (٦٣٦٦) ، ومسلم (١٢٥٥) ، والنسائى (١٠٥/٤) من طريقين عن أبى وائل شقيق بن سلمة عن مسروق به مطولاً ومختصرًا .

---

[١] - سقط من : خ ، ز . [٢] - في ز : « كلاهما » .

وقال ابن زيد: هم فيها اليوم يُغدىٰ بهم ويراح إلىٰ أن تقوم الساعة.

وقال ابن أبي حاتم (٤٤): حدثنا أبو سعيد، حدثنا المحاربي، حدثنا ليث، عن عبد الرحمن ابن ثَرْوان، عن هُزَيل، عن عبد الله - هو ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: إن أرواح الشهداء في أجواف طيور خُضْر، تَسرَح بهم في الجنة حيث شاءوا، وإن أرواح ولدان المؤمنين في أجواف عصافير تسرح في الجنة حيث شاءت، فتأوي إلىٰ قناديل معلقة في العرش؛ وإن أرواح آل فرعون في أجواف طير سُود، تغدو علىٰ جهنم وتروح عليها، فذلك عرضها.

وقد رواه الثورى عن أبي قيس عن [الهزيل] بن شرحبيل(٤٥) من كلامه في أرواح آل فرعون، وكذلك قال السدي.

وفي حديث الإسراء من رواية أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ قال فيه: « **ثم انطلق بي إلىٰ خلق كثير من خلق الله، رجالٍ، كلٌّ[١] رجل منهم بطنُه مثلُ البيت الضخم، مصفدون علىٰ سابلة آل فرعون، وآل فرعون يعرضون علىٰ النار غدوًّا وعشيًّا. ﴿ ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾** وآل فرعون كالإِبل المسومة[٢] يخبطون[٣] الحجارة والشجر ولا يعقدون[٤] ».

وقال ابن أبي حاتم (٤٦): حدثنا علي بن الحسين، حدثنا زيد بن أخزم، حدثنا عامر بن مدرك الحارثي، حدثنا عتبة - يعني ابن يقظان[٥] - عن قيس بن مسلم، عن طارق ابن شهاب، عن ابن مسعود، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم؛ قال: « **ما أحسن [من محسن]**[٦]

(٤٤) - وعزاه إلى ابن أبى حاتم السيوطى فى « الدر المنثور » (٦٥٩/٥) وليث - هو ابن أبى سليم - ضعيف غير أنه توبع، فقد رواه عبد الرزاق فى تفسيره (١٨٢/٣) عن الثورى عن أبى قيس عبد الرحمن بن ثروان به كذا رواه عبد الرزاق، ورواه وكيع - عند ابن أبى شيبة فى « المصنف » (٩٨/٨) - وعبد الرحمن بن مهدى - عند ابن جرير فى تفسيره (٧١/٢٤) كلاهما (وكيع وعبد الرحمن) عن الثورى به غير أنهما جعلاه من كلام هزيل لم ينم به إلى ابن مسعود. ورواه اللالكائى فى « شرح أصول الاعتقاد » (٢١٦٥/٦) من طريق سفيان بن عيينة عن مسعر عن أبى قيس به إلى ابن مسعود، وخالفه محمد بن عبيد - كماعند هناد فى « الزهد » (١/رقم ٣٦٦) - فرواه عن مسعر عن أبى قيس لم ينم به إلى ابن مسعود، ويبدو أن الخلاف من هزيل، فكان مرة يوصله إلى ابن مسعود، ومرة يوقفه على نفسه، والله أعلم.

(٤٥) - تقدم تخريجه في سورة الإسراء.

(٤٦) - وعزاه إلى ابن أبى حاتم أيضًا السيوطى فى « الدر المنثور » (٦٦٠/٥) ورواه البزار (١٤٥٤/٤/ البحر الزخار) و (٦٤٦/١/ مختصر زوائد ابن حجر) وابن ماجه فى « التفسير » - كما فى « الميزان » للذهبى =

[١] - سقط من: خ.
[٢] - في ز: « المنسومة ».
[٣] - في خ، ز: « يختطفون ».
[٤] - في ز: « يعقلون ».
[٥] - في خ: « معطان ».
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز: « من محسن ».

مسلم أو كافر إلا أثابه الله » . قال : قلنا : يا رسول الله ؛ ما إثابة الكافر ؟ فقال : « إن كان قد وصل رَحمًا أو تصدّق بصدقة أو عمل حسنة ، أثابه الله المالَ والولدَ والصحة وأشباه ذلك » . قلنا : فما إثابته في الآخرة ؟ قال : « عذابًا دون العذاب » ، وقرأ : ﴿ أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ .

رواه البزار في مسنده عن زيد بن أخزم ثم قال : لا نعلم له إسنادًا غير هذا .

وقال ابن جرير (٤٧) : حدثنا عبد الكريم بن أبي عمير ، حدثنا حماد بن محمد الفزاري البلخي ؛ قال : سمعتُ الأوزاعيّ وسأله رجل فقال : رحمك الله ، رأينا طيورًا تخرج من البحر ، تأخذ ناحية الغرب بيضًا ، فوجًا فوجًا ، لا يعلم عددها إلا الله - عز وجل - فإذا كان العشي رجع مثلها سودًا ؟ قال : وفطنتم إلىٰ ذلك ؟ قال : نعم . قال : إن تلك[١] الطير في حواصلها أرواح آل فرعون ، تُعرض علىٰ النار غدوًّا وعشيًّا ، فترجع إلىٰ وكورها وقد احترقت رِيَاشُها وصارت سودًا ، فينبت عليها من الليل ريش أبيض ، وتتناثر السود ، ثم تغدو علىٰ النار غدوًّا وعشيًّا ، ثم ترجع إلىٰ وكورها . فذلك دأبهم في الدنيا ، فإذا كان يوم القيامة قال الله تعالىٰ : ﴿ أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ ، قال : وكانوا يقولون : إنهم ستمائة ألف مقاتل .

وقال[٢] الإمام أحمد (٤٨) : حدثنا إسحاق ، أخبرنا مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال :

= (٣/٥٤٨٠) - والحاكم فى « المستدرك » (٢/٢٥٣) ، والبيهقى فى « الشعب » (١/رقم ٢٨١) من طريق زيد ابن أخزم به وقال البزار : « هذا الحديث لا نعلمه رواه عن رسول الله - ﷺ - إلا عبد الله بن مسعود ، ولا نعلم له إسنادًا عن عبد الله إلا هذا الإسناد » وصحح إسناده الحاكم !! فتعقبه الذهبى بقوله : « عتبة بن يقطان واهٍ » حيث تركه الدارقطنى ، وقال النسائى : غير ثقة . وقال ابن الجنيد : لا يساوى شيئًا - وقال فى الميزان : « الخبرمنكر » . وقال البيهقى : « فى إسناده من لا يحتج به » وكذا ضعف إسناده ابن حجر فى « الفتح » (١١/٤٣٩ و ٤٣١) وحاول تقويته الهيثمى فقال فى « المجمع » (٣/١١٤) : « رواه البزار وفيه عتبة ابن يقظان ، وفيه كلام وقد وثقه ابن حبان « الثقات » (٧/٢٧١) وبقية رجاله ثقات وتعقبه ابن حجر فى « مختصر الزوائد » فقال : « قد تفرد بهذا ، ولا يحتمل التفرد من مثله ، والمتن شاذ بمرّة » ورواه الطبرانى فى تفسيره (٣٠/٢٧٠) عن كعب القرظى مرفوعًا بنحوه ، وهذا مرسل ، وفى إسناده ضعف والله الموفق .

(٤٧) - تفسير ابن جرير (٢٤/٧١) وحماد بن محمد ضعفه صالح جزرة ، وقال العقيلى : « لم يصح حديثه » راجع « الميزان » للذهبى (٢/٢٢٦٩) ، والخبر ذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٥/٦٦٠) وزاد عزوه إلى ابن أبى الدنيا فى كتاب « من عاش بعد الموت » .

(٤٨) - « المسند » (٢/١١٣) . ورواه البخارى ، كتاب : الجنائز ، باب : الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشى (١٣٧٩) ، ومسلم ، كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (٢٨٦٦) (٦٥) ، والنسائى ،كتاب : الجنائز ، باب : وضع الجريدة على القبر =

---

[١] - في ز : « ذاك » . [٢] - سقط من : خ .

قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ؛ فيقال : هذا مقعدك حتىٰ يبعثك الله - عز وجل - إليه يوم القيامة** » . أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك به .

وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾

يخبر تعالىٰ عن تحاج أهل النار في النار ، وتخاصمهم - وفرعونُ وقومه من جملتهم - فيقول الضعفاء - وهم : الأتباع - للذين استكبروا - وهم : القادة والسادة والكبراء - : ﴿ **إنا كنا لكم تبعًا** ﴾ أي : أطعناكم فيما دعوتمونا إليه في الدنيا من الكفر والضلال ، ﴿ **فهل أنتم مغنون عنا نصيبًا من النار** ﴾ أي : قسطًا تتحملونه[١] عنا . ﴿ **قال الذين استكبروا إنا كل فيها** ﴾ أي : لا نتحمل عنكم شيئًا ، كفىٰ بنا ما عندنا ، وما حملنا من العذاب والنكال . ﴿ **إن الله قد حكم بين العباد** ﴾ أي : يَقسم بيننا العذاب بقدر ما يستحقه كل منا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون** ﴾ .

﴿ **وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يومًا من العذاب** ﴾ : لما علموا أن الله سبحانه لا يستجيب منهم ، ولا يستمع لدعائهم ، بل قد قال : ﴿ **اخسئوا فيها ولا تكلمون** ﴾ سألوا الخزنة - وهم كالبوّابين لأهل النار - أن يدْعُوا لهم الله في أن يخفف عن الكافرين ولو يومًا واحدًا من العذاب ، فقالت لهم الخزنة رادّين عليهم : ﴿ **أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات** ﴾ أي : أو ما قامت عليكم الحججُ في الدنيا علىٰ ألسنة الرسل ؟ ﴿ **قالوا بلىٰ قالوا فادعوا** ﴾ أي : أنتم لأنفسكم ، فنحن لا ندعو لكم ، ولا نسمع منكم ، ولا نود

= (١٠٧/٤ ، ١٠٨) من طرق عن مالك به . ورواه أحمد (١٦/٢ ، ٥٠ ، ٥٩ ، ١٢٣) ، والبخارى (٣٢٤٠ ، ٦٥١٥) ، والترمذى (١٠٧٢) ، والنسائى (١٠٦/٤ ، ١٠٧) من طرق عن نافع به .

[١] - في ز : « تتحملون » .

خلاصكم ، ونحن منكم برآء ، ثم نخبركم أنه[١] سواء دعوتم أو لم تدعوا ، لا يستجاب لكم ولا يخفف عنكم ؛ ولهذا قالوا : ﴿ **وما دعاء الكافرين إلا في ضلال** ﴾ أي : إلا في ذهاب ، لا يتقبل ولا يستجاب .

إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾
يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ
ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ الْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ
لِأُولِى الْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ
بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِىِّ وَالْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ اللَّهِ
بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ
فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾

قد أورد أبو جعفر بن جرير - رحمه الله تعالىٰ - عند قوله تعالىٰ : ﴿ **إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا** ﴾ سؤالًا فقال : قد عُلِم أن بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد[٢] قتله قومه بالكلية كيحيىٰ وزكريا وشعياء ، ومنهم من خرج من بين أظهرهم إما مهاجرًا كإبراهيم ، وإما إلىٰ السماء كعيسىٰ ، فأين النصرة في الدنيا ؟ [ثم أجاب][٣] عن ذلك بجوابين أحدهما : أن يكون الخبر خرج عامًّا ، والمراد به البعض ، قال : وهذا سائغ في اللغة .

الثاني : أن يكون المراد بالنصر الانتصار لهم ممن آذاهم ، وسواء كان ذلك بحضرتهم أو في غيبتهم أو بعد موتهم ، كما فُعِل بقتلة يحيىٰ وزكريا وشعياء ، سلط عليهم من أعدائهم من أهانهم وسفك دماءهم ، وقد ذكر أن النمروذ أخذه الله أخذ عزيز مقتدر ، وأما الذين راموا صلب المسيح عليه السلام ، من اليهود ، فسلط الله عليهم الروم فأهانوهم وأذلوهم ، وأظهرهم الله عليهم ، ثم قبل يوم القيامة سينزل عيسىٰ ابن مريم إمامًا عادلًا ، وحكمًا مقسطًا ، فيقتل المسيح الدجال وجنوده من اليهود ، ويقتل الخنزير ، ويكسر الصليب ، ويضع الجزية فلا يقبل إلا الإسلام ؛ وهذه نصرة عظيمة ، وهذه سنة الله في خلقه في قديم الدهر وحديثه ، أنه ينصر عباده المؤمنين في الدنيا ، ويقر أعينهم ممن آذاهم ، ففي صحيح البخاري(٤٩) عن أبي هريرة -

(٤٩) - تقدم تخريجه (سورة البقرة /آية : ٩٨) .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « فأجاب » .

رضي الله عنه - عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم - أنه قال : « **يقول الله تعالىٰ : من عادىٰ لي وليًا فقد بارزني بالحرب** » . وفي الحديث الآخر : « **إني لأثأر لأوليائي كما يثأر الليث الحرِب** » .

ولهذا أهلك تعالىٰ قوم نوح وعاد وثمود ، وأصحاب الرس ، وقوم لوط ، وأهل مدين ، وأشباههم وأضرابهم ، ممن كذب الرسل وخالف الحق ؛ وأنجىٰ الله من بينهم المؤمنين ، فلم يهلك منهم أحدًا ، وعذب الكافرين ، فلم يفلت منهم أحدًا[١] .

قال السدى : لم يبعث الله رسولًا قط إلىٰ قوم فيقتلونه ، أو قومًا من المؤمنين يدعون إلىٰ الحق فيقتلون ، فيذهب ذلك القرن حتىٰ يبعث الله لهم من ينصرهم ، فيطلب بدمائهم ممن فعل ذلك بهم في الدنيا ، قال : فكانت الأنبياء والمؤمنون يقتلون في الدنيا ، وهم منصورون فيها[٢] .

وهكذا نصر الله نبيه محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم وأصحابه علىٰ من [خالفه وناوأه][٣] ، وكذبه وعاداه ، فجعل[٤] كلمته هي العليا ، ودينه هو الظاهر علىٰ سائر الأديان ؛ وأمره بالهجرة من بين ظهراني قومه إلىٰ المدينة النبوية ، وجعل له فيها أنصارًا وأعوانًا ، ثم منحه أكتاف المشركين يوم بدر ، فنصره عليهم وخذلهم له ، وقتل صناديدهم ، وأسر سراتهم ، فاستاقهم مقرنين في الأصفاد ؛ ثم منّ عليهم بأخذه الفداء منهم ، ثم بعد مدة قريبة فتح مكة ، فقرت عينه ببلده ، وهو البلد المحرم الحرام المشرف المعظم ، فأنقذه الله به مما كان فيه من الشرك والكفر ، وفتح له اليمن ، ودانت له جزيرة العرب بكمالها ، ودخل الناس في دين الله أفواجًا ؛ ثم قبضه الله تعالىٰ إليه ، لما له عنده من الكرامة العظيمة ، فأقام الله أصحابه خلفاء بعده ، فبلّغوا عنه دينَ الله ، ودعوا عباد الله إلىٰ الله . وفتحوا البلاد والرّساتيق والأقاليم والمدائن والقرىٰ والقلوب ، حتىٰ انتشرت الدعوة المحمدية في مشارق الأرض ومغاربها . ثم لا يزال هذا الدين قائمًا منصورًا ظاهرًا إلىٰ قيام الساعة ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد** ﴾ أي : يوم القيامة تكون النصرة أعظم وأكبر وأجلّ .

قال مجاهد : الأشهاد الملائكة .

وقوله : ﴿ **يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم** ﴾ بدَلٌ من قوله : ﴿ **ويوم يقوم الأشهاد** ﴾ .

وقرأ آخرون : (**يومُ**) بالرفع ، كأنه فسره به (**يومَ يقوم الأشهادُ : يومُ لا ينفع الظالمين**) ، وهم المشركون ﴿ **معذرتهم** ﴾ أي : لا يقبل منهم عذر ولا فدية ، ﴿ **ولهم اللعنة** ﴾ أي : الإبعاد والطرد من الرحمة ، ﴿ **ولهم سوء الدار** ﴾ وهي النار . قاله السدي ، بئس المنزل

---

[١] - في ز : « واحدًا » . [٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « خالفهم وناوأهم » .

[٤] - في ز : « جعل » .

والمقيل .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : ﴿ولهم سوء الدار﴾ أي : سوء العاقبة .

وقوله : ﴿ ولقد آتينا موسىٰ الهدىٰ ﴾ ، وهو ما بعثه اللّٰه به من الهدىٰ والنور ، ﴿ وأورثنا بني إسرائيل الكتاب ﴾ أي : جعلنا لهم العاقبة ، وأورثناهم بلادَ فرعونَ وأمواله وحواصله وأرضه ، بما صبروا علىٰ طاعة اللّٰه واتباع رسوله موسىٰ - عليه السلام - وفي الكتاب الذي أورثوه - وهو التوراة - ﴿ هدى وذكرىٰ لأولي الألباب ﴾ وهي : العقول الصحيحة السليمة .

وقوله : ﴿ فاصبر ﴾ أي : يا محمد ، ﴿ إن وعد اللّٰه حق ﴾ ، أي : وعدناك أنا سنعلي كلمتك ، ونجعل العاقبة لك ولمن اتبعك ، واللّٰه لا يخلف الميعاد . وهذا الذي أخبرناك به حق[١] لا مرية فيه ولاشك .

وقوله : ﴿ واستغفر لذنبك ﴾ ، هذا تهييج للأمة علىٰ الاستغفار ، ﴿ وسبح بحمد ربك بالعشي ﴾ أي : في أواخر النهار وأوائل الليل ، ﴿ والإبكار ﴾ ، وهي أوائل النهار وأواخر الليل .

وقوله : ﴿ إن الذين يجادلون في آيات اللّٰه بغير سلطان أتاهم ﴾ أي : يدفعون الحق بالباطل ، ويردون الحجج الصحيحة بالشبه الفاسدة بلا برهان ولا حجة من اللّٰه ، ﴿ إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه ﴾ أي : مافي صدورهم إلا كبر علىٰ اتباع الحق ، واحتقار لمن جاءهم به[٢] ، وليس ما يرومونه من[٣] إخمال الحق وإعلاء الباطل بحاصل لهم ، بل الحق هو المرفوع ، وقولهم وقصدهم هو الموضوع ، ﴿ فاستعذ باللّٰه ﴾ أي : من حال مثل هؤلاء ، ﴿ إنه هو السميع البصير ﴾ أو : من شر مثل هؤلاء المجادلين في آيات اللّٰه بغير سلطان . هذا تفسير ابن جرير .

وقال كعب وأبو العالية : نزلت هذه الآية في اليهود : ﴿ إن الذين يجادلون في آيات اللّٰه بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه ﴾ ، قال أبو العالية : وذلك أنهم ادعوا أن الدجال منهم ، وأنهم يملكون به الأرض . فقال اللّٰه لنبيه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم آمرًا له أن يستعيذ من فتنة الدجال ؛ ولهذا قال : ﴿ فاستعذ باللّٰه إنه هو السميع البصير ﴾ .

وهذا قول غريب ، وفيه تعسف بعيد ، وإن كان قد رواه ابن أبي حاتم في كتابه ، واللّٰه أعلم .

لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « بين » .

لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾

يقول تعالىٰ منبهًا علىٰ أنه يعيد الخلائق يوم القيامة ، وأن ذلك سهل عليه ، يسير لديه بأنه خلق السماوات والأرض ، وخلقُهما أكبرُ من خلق الناسِ بدأةً وإعادة ، فمن قدر علىٰ ذلك فهو قادر علىٰ ما دونه بطريق الأوْلىٰ والأحرىٰ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **أو لم يروا أن اللَّه الذي خلق السموات والأرض [ولم يعيَ بخلقهن]**[١] **بقادر علىٰ أن يحيي الموتىٰ بلىٰ إنه علىٰ كل شيء قدير** ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ **لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ ، فلهذا لا يتدبرون هذه الحجة ولا[٢] يتأملونها ، كما كان كثير من العرب يعترفون بأن اللَّه خلق السماوات والأرض ، وينكرون المعاد ، استبعادًا وكفرًا وعنادًا ، وقد اعترفوا بما هو أولىٰ مما أنكروا .

ثم قال : ﴿ **وما يستوي الأعمىٰ والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء** ﴾ أي : كما لا يستوي الأعمىٰ الذي لا يبصر شيئًا ، والبصير الذي يرىٰ ما انتهىٰ إليه بصره ، بل بينهما فرق عظيم ، كذلك لا يستوي المؤمنون الأبرار والكفرة الفجار ، ﴿ **قليلًا ما يتذكرون** ﴾ أي : ما أقل ما يتذكر كثير من الناس !

ثم قال : ﴿ **إن الساعة لآتية** ﴾ أي : لكائنة وواقعة ، ﴿ **لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون** ﴾ أي : لا يصدقون بها ، بل يكذبون بوجودها .

قال ابن أبي حاتم (٥٠) : حدثنا محمد بن عبد اللَّه بن عبد الحكم ، حدثنا أشهب ، حدثنا مالك ، عن شيخ قديم من أهل اليمن - قدم من ثَمَّ - قال : سمعت أن الساعة إذا دنت اشتد البلاء علىٰ الناس ، واشتد حر الشمس .

وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾

هذا من فضله تبارك وتعالىٰ وكرمه ؛ أنه ندب عباده إلىٰ دعائه ، وتكفل لهم بالإجابة ، كما

---

(٥٠) - إسناده صحيح إلى مالك .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ز .

كان سفيان الثوري يقول : يامَنْ أحبُّ عباده إليه مَنْ سأله فأكثر سؤاله ، ويا مَنْ أبغض عباده إليه مَن لم يسأله ، وليس كذلك غيرك يارب . رواه ابن أبي حاتم .

وفي هذا المعنى يقول الشاعر :

اللَّه يَغْضبُ إنْ تركْتَ سُؤَالهُ وَبُنيُّ آدَمَ حِينَ يُسألُ يَغْضبُ !

وقال قتادة : قال كعب الأحبار : أعطيت هذه الأمة ثلاثًا لم تُعطهُنّ[١] أمة قبلهم إلا نبي : كان إذا أرسل اللَّه نبيًا قيل له : أنت شاهد علىٰ أمتك ، وجعلتكم شهداء علىٰ الناس . وكان يقال له : ليس عليك في الدين من حرج . وقال لهذه الأمة : ﴿ **وما جعل عليكم في الدين من حرج** ﴾ . وكان يقال له : ادعني أستجب لك ، وقال لهذه الأمة : ﴿ **ادعوني أستجب لكم** ﴾ . رواه ابن أبي حاتم .

وقال الإمام الحافظ أبو يعلىٰ أحمد بن علي بن المثنىٰ الموصلي في مسنده (٥١) ، حدثنا أبو إبراهيم الترجماني ، حدثنا صالح المرّي[٢] ؛ قال : سمعت الحسن يحدّث عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فيما يروي عن ربه - عز وجل - قال : « **أربع خصال ، واحدة منهن لي ، وواحدة لك ، وواحدة فيما بيني وبينك ، وواحدة فيما بينك وبين عبادي ؛ فأما التي لي فتعبدني لا تشرك بي شيئًا ، وأما التي لك عليّ فما عملتَ من خير جزيتُك به ، وأما التي بيني وبينك فمنك الدعاء وعليّ الإجابة ، وأما التي بينك وبين عبادي فارضَ لهم ما ترضىٰ لنفسك** » .

وقال الإمام أحمد (٥٢) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن ذَرّ ، عن يُسيع الكنْدي ، عن النعمان بن بشير -رضي اللَّه عنه- قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن الدعاء هو العبادة** » ، ثم قرأ : ﴿ **ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين** ﴾ .

(٥١) - مسند أبي يعلى (٢٧٥٧/٥) ومن طريقه ابن حبان في « المجروحين » (٣٦٨/١ ، ٣٦٩) - ورواه البزار (١/رقم ١٩) من طريق صالح المرى به وقال : « تفرد به صالح المرى » وهو ضعيف واستنكره له ابن عدى في « الكامل » (١٣٨٠/٤) وقال : « لا أعرف يرويه عن الحسن غير صالح » وبه أعله الهيثمي في «المجمع » (٥٦/١) ، فقال : « رواه أبو يعلى والبزار ، وفي إسناده صالح المرى وهو ضعيف - وتدليس الحسن».

(٥٢) - « المسند » (٢٧١/٤) ورواه أيضًا (٢٦٧/٤ ، ٢٧١ ، ٢٧٦) ، والترمذى (٢٩٦٩ ، ٣٢٤٧)، ٣٣٧٢) ، والنسائى في « التفسير » من « الكبرى » (١١٤٦٤/٦) وابن ماجه (٣٨٢٨) ، وابن جرير (٢٤/ ٧٨) من طرق عن الأعمش به ورواه أحمد (٣٧٦/٤) ورواه أبو داود (١٤٧٩) ، والترمذى (٢٩٦٩) والنسائى (١١٦٤/٦) وابن جرير (٧٩/٢٤) ، والبخارى فى « الأدب المفرد » (٧١٤) والحاكم =

[١] - في ز : « يعطهن » . [٢] - في خ : « المدني » .

وهكذا رواه أصحاب السنن : الترمذي ، والنسائي ، وابن ماجة ، وابن أبي حاتم ، وابن جرير ، كلهم من حديث الأعمش به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

ورواه أبو داود والترمذي والنسائي ، وابنُ جرير أيضًا ، من حديث شعبة ، عن منصور ، عن ذَرّ به .

وأخرجه الترمذي أيضًا من حديث الثوري عن منصور والأعمش كليهما[١] عن ذَر به .

ورواه ابن حبان والحاكم في صحيحيهما ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد .

وقال الإمام أحمد(٥٣) : حدثنا وكيع ، حدثنا أبو مليح[٢] المدني - شيخ من أهل المدينة - سمعه عن أبي صالح ، وقال مرة : سمعت أبا صالح يحدث عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **من لم يدع اللّٰه - عز وجل - غضب اللّٰه[٣] عليه** » . تفرد به أحمد(*) ، وهذا إسناد لا بأس به .

وقال الإمام أحمد أيضًا (٥٤) : حدثنا مَرْوان الفزَاري ، حدثنا صُبيح أبو المليح ، سمعتُ أبا صالح يحدث عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **من لا يسأله يغضب عليه** » .

قال ابن معين : أبو المليح هذا اسمه : صُبيح . كذا قيده بالضم عبد الغني بن سعيد ؛ وأما أبو صالح هذا فهو[٤] الخُوزيّ ، سكن شعب الخوز . قاله البزار في مسنده .

وكذا وقع في روايته أبو المليح الفارسي ، عن أبي صالح الخُوزيّ ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **من لا يسأل اللّٰه يغضب عليه** » .

= (٤٩١/١) من طريق شعبة عن منصور به . ورواه الترمذى (٣٢٤٧) وأحمد (٢٦٧/٤ ٢٧٦) والحاكم من طريق سفيان الثورى ورواه ابن حبان (٨٩٠/٣) من طريق جرير عن منصور عن ذر به وقال الترمذى : « حديث حسن صحيح » وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبى .

(٥٣) - « المسند » (٤٤٣/٢ ، ٤٧٧) ورواه ابن أبى شيبة فى « المصنف » (٢٤/٧) - وعنه وعن غيره ابن ماجه فى « السنن » (٣٨٢٧) - وابن عدى فى « الكامل » (٢٧٥٠/٧) والبغوى فى « شرح السنة » (٥/ ١٣٨٩) من طريق وكيع به ، وانظر ما بعده .

(٥٤) - « المسند » (٤٤٢/٢) . ورواه البخارى فى « الأدب المفرد » (٦٥٨) ، والحاكم فى « المستدرك » (٤٩١/١) من طريق مروان بن معاوية به ورواه البخارى والترمذى (٣٣٧٣) من طريق حاتم بن إسماعيل ورواه الترمذى أيضًا والطبرانى فى « الدعاء » (٧٩٦/٢) وفى « الأوسط » (٢٤٣١/٣) ومن طريقه =

---

[١] - في ز : « كلاهما » .
[٢] - في خ ، ز : « صالح » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ز : « هو » .

وقال الحافظ أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي (٥٥) : حدثنا همام ، حدثنا إبراهيم بن الحسن ، حدثنا نائل بن نجيح ، حدثني عائذ بن حبيب ، عن محمد بن سعيد ؛ قال : لما مات محمد بن مسلمة الأنصاري ، وجدنا في ذؤابة سيفه كتابًا : بسم اللّٰه الرحمن الرحيم ، سمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « **إن لربكم في بقية دهركم نفحات ، فتعرضوا له ، لعل دعوة أن تُوافق رحمة فيسعد بها[١] صاحبها سعادة لا يخسر بعدها أبدًا** » .

وقوله : ﴿ **إن الذين يستكبرون عن عبادتي** ﴾ أي : عن دعائي وتوحيدي ، ﴿ **سيدخلون جهنم داخرين** ﴾ أي : صاغرين حقيرين[٢] ، كما قال الإمام أحمد(٥٦) :

حدثنا يحيىٰ بن سعيد ، عن ابن عَجْلان ، حدثني عَمْرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ؛ قال : « **يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذّرّ ، في صُوَر**

= المزى فى « تهذيب الكمال » (٣٣/ت ٧٤٣٨) والبيهقى فى « الشعب » (١٠٩٩/٢) من طريق أبى عاصم الضحاك ابن مخلد . كلاهما (حاتم وأبو عاصم) نا به وقال الطبرانى : « لم يرو هذا الحديث عن أبى صالح إلا أبو المليح » وهو ثقة روى عنه جمع من الثقات ، ووثقه ابن معين وابن حبان واعتمد توثيقه الحافظ فى « التقريب» لكن شيخه ضعفه ابن معين ، وقال أبو زرعة : « لا بأس به » وتوسط ابن حجر فلينه وقد استنكر له ابن عدى هذا الحديث فى « الكامل » ومع هذا فقد قال الحاكم : « حديث صحيح الإسناد ، فإن أبا صالح الخوزى ، وأبا المليح الفارسى لم يذكرا بالجرح ، وإنما هما فى عداد المجهولين لقلة الحديث » !! وهذا عجيب، فإن أبا المليح تقدم توثيقه ، والخوزى الراجح ضعفه ، لكن للحديث شواهد - تقدم منها حديث ابن مسعود (رقم٣٥٧/ فى سورة النساء) وشاهدًا آخر من حديث أنس عند الطبرانى فى « الدعاء » (رقم ٢٤) لكن إسناده ضعيف ، كمايشهد له حديث النعمان بن بشير المتقدم آنفًا ، ولذلك رقم به أبو عبد الرحمن الألبانى (حديث / ٢٦٥٤) من « الصحيحة » فراجعها إن شئت ، وباللّٰه التوفيق .

(٥٥) - فى كتابه « المحدث الفاصل بين الراوى والواعى » (ص٤٩٧/ رقم ٦١٥) ونائل ضعيف ، والراوى عن محمد بن مسلمة لم أجد له ترجمة . وقد رواه الطبرانى فى « المعجم الكبير » (٥٢١٩/١٩) وفى « الأوسط » (٢٨٥٦/٣) ، (٦٢٤٣/٦) من طريق أحمد بن عبدة الضبى نا الحسن بن صالح بن أبى الأسود ، نا عمى منصور بن أبى الأسود ، قال : حدثنى شيخ يكنى أبو محمد حدثنى شيخ يقال له : المهاجر عن محمد بن مسلمة به . وقال الطبرانى : « لا يروى هذا الحديث عن محمد بن مسلمة إلاَّ بهذا الإسناد ، تفرد به أحمد بن عبدة » وهو ثقة إمام ، لكن شيخه زائغ حائد عن الحق ، كما قال الأزدى - راجع « الميزان » و« اللسان » - والإسناد فيه جهالة ، فهو مظلم من جهات متعددة ، و ذكره الهيثمى فى « المجمع » (٢٣٤/١٠) وقال : « رواه الطبرانى فى « الأوسط » و « الكبير » بنحوه ، وفيه من لم أعرفهم ، ومن عرفتهم فقد وثقوا » لكن للحديث شاهدان من حديث أنس وأبى هريرة وبهما رقم أبو عبد الرحمن الألبانى الحديث فى «الصحيحة» (١٨٩٠/٤) .

(٥٦) - تقدم تخريجه (سورة البقرة / آية ٨٩) .

[١] - سقط من : خ . [٢] - في خ : « نفيرين » .

الناس ، يعلوهم كلّ شيء من الصغار ، حتىٰ يدخلوا سجنًا في جهنم يقال له : بولس ، تعلوهم نار الأنيار ، يسقون من طينة الخبال : عصارة أهل النار » .

وقال ابن أبي حاتم(٥٧) : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا أبو بكر بن محمد بن يزيد بن خُنيس ، سمعت أبي يحدث عن وُهيب بن الورد ، حدثني رجل؛ قال : كنت أسير ذات يوم في أرض الروم ، فسمعت هاتفًا من فوق رأس جبل وهو يقول : يارب ؛ عجبتُ لمن عرفك كيف يرجو أحدًا غيرك ! يارب ؛ عجبت لمن عرفك كيف يطلبُ حوائجه إلىٰ أحد غيرك ؛ قال : ثم ذَهبت ، ثم جاءت الطامةُ الكبرىٰ ، قال : ثم عاد الثانية فقال : يارب ؛ عجبت لمن عرفك كيف يتعرض لشيء من سخطك برضى[١] غيركَ . قال وَهيب : وهذه الطامة الكبرىٰ . قال : فناديتُه : أجنيّ أنت أم إنسي ؟ قال : بل إنسي ، اشغلْ نفسك بما يَعْنيك عما لا يَعْنيك .

ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾

يقول تعالىٰ ممتنًا علىٰ خلقه ، بما جعل لهم من الليل الذي يسكنون فيه ، ويستريحون من حركات ترددهم في المعايش بالنهار ، وجعل النهار ﴿مبصرًا﴾ ، أي : مضيئًا ، ليتصرفوا فيه بالأسفار ، وقطع الأقطار ، والتمكن من الصناعات ، **﴿ إن الله لذو فضل علىٰ الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾** أي : لا يقومون بشكر نعم الله عليهم .

(٥٧) - رجاله ثقات معروفون حاشا : « أبابكر بن محمد » فلم أجد فيه جرحًا ولا تعديلاً . وقد أشار له المزى فى ترجمة « أبيه » من « التهذيب » .

[١] - في خ : « يرضى » .

ثم قال : ﴿ **ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو** ﴾ أي : الذي فعل هذه الأشياء هو الله الواحد الأحد ، خالق الأشياء ، الذي لا إله غيره ، ولا رب سواه ، ﴿ **فأنىٰ تؤفكون** ﴾ أي : فكيف تعبدون غيرَه من الأصنام ، التي لا تخلق شيئًا ، بل هي مخلوقة منحوتة .

وقوله : ﴿ **كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون** ﴾ أي : كما ضل هؤلاء بعبادة غير الله ، كذلك أفك الذين من قبلهم ، فعبدوا غيره بلا دليل ولا برهان ، بل بمجرد الجهل والهوىٰ ، وجحدوا حُجج الله وآياته .

وقوله : ﴿ **الله الذي جعل لكم الأرض قرارًا** ﴾ أي : جعلها مستقرًا لكم ، بساطًا مهادًا تعيشون عليها ، وتتصرفون فيها ، وتمشون في مناكبها ، وأرساها بالجبال لئلا تميد بكم ، ﴿ **والسماء بناء** ﴾ أي : سقفًا للعالم محفوظًا ، ﴿ **وصوّركم فأحسن صوركم** ﴾ أي : فخلقكم في أحسن الأشكال ، ومنحكم أكمل الصور في أحسن تقويم ، ﴿ **ورزقكم من الطيبات** ﴾ أي : من المآكل والمشارب في الدنيا . فذكر أنه خلق الدار ، والسكان ، والأرزاق ، فهو الخالق الرازق ، كما قال في سورة البقرة : ﴿ **يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الأرض فراشًا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقًا لكم فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون** ﴾ . وقال هاهنا بعد خلق هذه الأشياء : ﴿ **ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين** ﴾ أي : فتعالىٰ وتقدس وتنزه رب العالمين كلهم .

ثم قال : ﴿ **هو الحي لا إله إلا هو** ﴾ أي : هو الحي أزلًا وأبدًا ، لم يزل ولا يزال[١] ، وهو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، ﴿ **لا إله إلا هو** ﴾ أي : لا نظير له ولا عديل له ، ﴿ **فادعوه مخلصين له الدين** ﴾ أي : موحدين له مقرين بأنه لا إله إلا هو ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ .

قال ابن جرير(٥٨) : كان جماعة من أهل العلم يأمرون من قال : « **لا إله إلا الله** » أن يتبعها بالحمد لله رب العالمين [عملًا][٢] بهذه الآية .

ثم روى(٥٩) عن محمد[٣] بن علي بن الحسن[٤] بن شقيق ، عن أبيه ، عن الحسين بن واقد ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : من قال : « **لا إله إلا الله** » ، فليقل

---

(٥٨) - تفسير ابن جرير (٨١/٢٤) .

(٥٩) - تفسير ابن جرير (٨١/٢٤) حدثني محمد بن علي بن الحسن به ، وصححه الحاكم (٤٣٨/٢) على شرط الشيخين ووافقه الذهبي . وفي إسناده هناك سقط وخطأ يستدرك من هنا . والخبر ذكره السيوطي =

---

[١] - في ز : « لا زال » .

[٢] - سقط من خ ، ت .

[٣] - في ز : « حجر » .

[٤] - في ز : « الحسين » .

على[١] أثرها : « **الحمد لله رب العالمين** » ، [فذلك قوله تعالىٰ : ﴿ **فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين** ﴾][٢].

وقال أبو أسامة وغيره(٦٠) ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن سعيد بن جبير ، قال : إذا قرأت : ﴿ **فادعوا الله مخلصين له الدين** ﴾ ، فقل : « **لا إله إلا الله** » وقل على أثرها : « **الحمد لله رب العالمين** » ، ثم قرأ هذه الآية : ﴿ **فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين** ﴾ .

۞ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾

يقول تعالىٰ : قل يا محمد لهؤلاء المشركين : إن الله ينهىٰ أن يُعْبَد أحد سواه من الأصنام والأنداد والأوثان . وقد بين تعالىٰ أنه لا يستحق العبادة أحد سواه ، في قوله : ﴿ **هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلًا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخًا** ﴾ أي : هو الذي يقلبكم في هذه الأطوار كلها ، وحده لا شريك له ، وعن أمره وتدبيره وتقديره يكون ذلك كله ، ﴿ **ومنكم من يتوفىٰ من قبل** ﴾ أي : من قبل أن يوجد ويخرج إلىٰ هذا العالم ، بل تُسقطه أمه سقْطًا ، ومنهم من يتوفىٰ صغيرًا وشابًا ، وكهلًا قبل الشيخوخة ، كقوله: ﴿ **لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى** ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ **ولعلكم تعقلون** ﴾ ، قال ابن جريج : تتذكرون البعث .

= فى «الدر المنثور» (٥/٦٦٨) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن مردويه والبيهقى فى « الأسماء والصفات » ولم أجده فى مظانه بعد البحث . والله أعلم .

(٦٠) - رواه ابن جرير (٢٤/٨١) من طرق عن إسماعيل به ، وإسناده صحيح ، ولم يعزه السيوطى فى « الدر المنثور » (٥/٦٦٨) لغير عبد بن حميد .

[١] - في ز : « في » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

ثم قال : ﴿ **هو الذي يحيي ويميت** ﴾ أي : هو المتفرد بذلك ، لا يقدر على ذلك أحد سواه ، ﴿ **فإذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون** ﴾ أي : لا يخالف ولا يمانع ، بل ما شاء كان .

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ (٦٩) ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٧٠) إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ (٧٢) ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ (٧٣) مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ (٧٤) ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ (٧٥) ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ (٧٦)

يقول تعالى : ألا تعجَبُ يا محمد من هؤلاء المكذبين بآيات اللّه ، ويجادلون في الحق بالباطل ، كيف تُصرَفُ عقولهم عن الهدى إلى الضلال ، ﴿ **الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا** ﴾ أي : من الهدى والبيان ، ﴿ **فسوف يعلمون** ﴾ : [هذا تهديد شديد ، ووعيد أكيد][١] ، من الرب جل جلاله لهؤلاء ، كما قال تعالى : ﴿ **ويل يومئذ للمكذبين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل** ﴾ أي : متصلة بالأغلال ، بأيدي الزبانية يسحبونهم على وجوههم ، تارة إلى الحميم وتارة إلى الجحيم ؛ ولهذا قال : ﴿ **يسحبون * في الحميم ثم في النار يسجرون** ﴾ ، كما قال تعالى : ﴿ **هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون * يطوفون بينها وبين حميم آن** ﴾ . وقال بعد ذكره[٢] أكلهم الزقوم وشربهم الحميم : ﴿ **ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم** ﴾ وقال : ﴿ **وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال * في سموم وحميم * وظل من يحموم * لا بارد ولا كريم** ﴾ إلى أن قال : ﴿ **ثم إنكم أيها الضالون المكذبون * لآكلون من شجر من زقوم * فمالئون منها البطون * فشاربون عليه من الحميم * فشاربون شرب الهيم * هذا نزلهم يوم الدين** ﴾ ، وقال : ﴿ **إن شجرة الزقوم * طعام الأثيم * كالمهل يغلي في البطون * كغلي الحميم * خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم * ثم**

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « هذا تهديد ووعيد شديد » .

[٢] - سقط من : خ .

صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم * ذق إنك أنت العزيز الكريم * إن هذا ما كنتم به تمترون ﴾ أي : يقال لهم ذلك على وجه التقريع والتوبيخ ، والتحقير والتصغير ، والتهكم والاستهزاء بهم .

قال ابن أبي حاتم(٦١) : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا أحمد بن منيع ، حدثنا منصور بن عمار ، حدثنا بَشير بن طلحة الخزامي[١] ، عن خالد بن دريك ، عن يعلىٰ بن مُنْيَةَ - رفع الحديث إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - قال : « **ينشئ اللّٰه سحابة لأهل النار سوداء مظلمة ، ويقال : يا أهل النار ؛ أيّ شيء تطلبون ؟ فيذكرون بها سحاب الدنيا فيقولون : نسأل بَرْدَ الشراب . فتمطرهم أغلالاً تزيد في أغلالهم، وسلاسل تزيد في سلاسلهم، وجمرًا يلهب النار عليهم** » . هذا حديث غريب .

وقوله : **﴿ ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون اللّٰه ﴾** أي : قيل لهم : أين الأصنام التي كنتم تعبدونها من دون اللّٰه ؟ هل ينصرونكم اليوم ؟ **﴿ قالوا ضلوا عنا ﴾** أي : ذهبوا فلم ينفعونا ، **﴿ بل لم نكن ندعوا من قبل شيئًا ﴾** أي : جحدوا عبادتهم ، كقوله تعالىٰ : **﴿ ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا واللّٰه ربنا ما كنا مشركين ﴾** ولهذا قال: **﴿كذلك يضل اللّٰه الكافرين﴾** وقوله[٢] : **﴿ ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ﴾** أي : تقول لهم الملائكة : هذا الذي أنتم فيه جزاءً علىٰ فَرَحكم في الدنيا بغير الحق ، ومَرَحكم وأشرِكم وبطرِكم ، **﴿ ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوىٰ المتكبرين ﴾** أي : فبئس المنزلُ والمَقِيلُ الذي فيه الهوانُ والعذاب الشديد ، لمن استكبر عن آيات اللّٰه ، واتباع دلائله وحُجَجه !

فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا

(٦١) - وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٦٦٩/٥) أيضًا إلى ابن أبي حاتم . وقد رواه الطبراني في «الأوسط » (٤١٠٣/٤) ثنا علي بن سعيد الرازي نا أحمد بن منيع به . ورواه تمام في « فوائده » (١٧٦٩/٥/ الروض) من طريق محمد بن جعفر العباد نا منصور به . وقال الطبراني : « لا يُروى هذا الحديث عن يعلى إلا بهذا الإسناد ، تفرد به منصور » وهو ضعيف ، فقد قال أبو حاتم : ليس بالقوى . وقال العقيلي : « فيه تجهم»، وقال الدارقطني : « يروى عن ضعفاء أحاديث لا يتابع عليها » راجع « اللسان » لابن حجر (٦/ ٨٦٤٤) واستنكر له ابن عدى في « الكامل » (٢٣٩٠/٦) هذا الحديث بعينه . وقال الهيثمي في « المجمع » (٣٩٢/١٠) : « وفيه من فيه ضعف قليل ، ومن لم أعرفه » !! ورجاله معروفون بعضهم من رجال التهذيب ، وبعضهم في « الميزان » للذهبي و « لسانه » لابن حجر ، وقد رواه ابن أبي الدنيا في « صفة النار » (رقم / ٦٢) ثنا أحمد بن منيع ثنا منصور بن عمار به موقوفًا ، قال المنذري في « الترغيب » (٤/ ٤٧٣) : « وهذا أصح » بل مثل سابقه أيضًا فالخطأ فيه من منصور وهو ضعيف ، ثم إن الحديث منقطع بين خالد ويعلى فإنه لم يسمع منه كما قال السخاوي في « المقاصد » (ص١٦٠) ولذلك استغربه المصنف هنا .

[١] - في خ : « الجذامي » ، وفي ز : « الجزامي » . [٢] - سقط من : ز .

يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾

يقول تعالىٰ آمرًا رسوله صلوات الله وسلامه عليه بالصبر علىٰ تكذيب من كذبه من قومه ، فإن الله سينجز لك ما وعدك من النصر والظفر علىٰ قومك ، وجعل العاقبة لك ولمن اتبعك في الدنيا والآخرة ، ﴿ **فإما نرينك بعض الذي نعدهم** ﴾ أي : في الدنيا . وكذلك وقع ، فإن الله أقر أعينهم من كبرائهم وعظمائهم ، أبيدوا في يوم بدر ، ثم فتح الله عليه مكة وسائر جزيرة العرب في أيام حياته ، صلىٰ الله عليه وسلم .

وقوله : ﴿ **أو نتوفينك فإلينا يرجعون** ﴾ أي : فنذيقهم العذاب الشديد في الآخرة .

ثم قال مسليًا له : ﴿ **ولقد أرسلنا رسلًا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك** ﴾ كما قال في « سورة النساء » . سواء ، أي : منهم من أوحينا إليك خبرهم وقصصهم مع قومهم كيف كذبوهم ثم كانت للرسل العاقبة والنصرة ، ﴿ **ومنهم من لم نقصص عليك** ﴾ ، وهم أكثر ممن ذكر بأضعاف أضعاف ، كما تقدم التنبيه علىٰ ذلك في « **سورة النساء** » ولله الحمد والمنة .

وقوله : ﴿ **وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله** ﴾ أي : ولم يكن لواحد من الرسل أن يأتي قومه بخارق للعادات ، إلا أن يأذن الله له في ذلك ، فيدلّ ذلك علىٰ صدقه فيما جاءهم به ، ﴿ **فإذا جاء أمر الله** ﴾ ، وهو عذابه ونَكاله المحيط بالمكذبين ، ﴿ **قضي بالحق** ﴾ ، فينجو[١] المؤمنون ، ويهلك الكافرون ، ولهذا قال : ﴿ **وخسر هنالك المبطلون** ﴾ .

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾

يقول تعالىٰ ممتنًا علىٰ عباده ، بما خلق لهم من الأنعام ، وهي : الإبل والبقر والغنم ، ﴿ **فمنها ركوبهم ومنها يأكلون** ﴾ ، فالإبل تركب وتؤكل وتحلب ، ويحمل عليها الأثقال في

---

[١] - في ز : « فينجي » .

الأسفار والرحال إلىٰ البلاد النائية ، والأقطار الشاسعة . والبقر تؤكل ، ويشرب لبنها ، وتحرث عليها الأرض . والغنم تؤكل ، ويشرب لبنها . والجميع تجز أصوافها وأشعارها وأوبارها ، فيتخذ منه الأثاث والثياب والأمتعة ، كما فصّل وبيّن في أماكن تقدم ذكرها في « سورة الأنعام » و « سورة النحل » وغير ذلك ، ولهذا قال هاهنا : ﴿ **لتركبوا منها ومنها تأكلون * ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلىٰ الفلك تحملون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ويريكم آياته** ﴾ أي: حججه وبراهينه في الآفاق وفي أنفسكم ، ﴿ **فأي آيات الله تنكرون** ﴾ ، أي : لا تقدرون[١] علىٰ إنكار شيء من آياته ، إلا أن تعاندوا وتكابروا .

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

يخبر تعالىٰ عن الأمم المكذبة بالرسل في قديم الدهر ، وماذا حلّ بهم من العذاب الشديد ، مع شدة قواهم ، وما أثروه في الأرض ، وجمعوه من الأموال ، فما أغنىٰ عنهم ذلك شيئًا ، ولارَدّ عنهم ذَرّةً من بأس الله ؛ وذلك لأنهم لما جاءتهم الرسل بالبينات ، والحجج القاطعات ، والبراهين الدامغات ، لم يلتفتوا إليهم ، ولا أقبلوا عليهم ، واستغنوا بما عندهم من العلم في زعمهم عما جاءتهم به الرسل .

وقال مجاهد : قالوا : نحن أعلم منه ، لن نبعث ولن نعذب .

وقال السدي : فرحوا بما عندهم من العلم بجهالتهم ، فأتاهم من بأس الله مالا قِبَل لهم به ﴿ **وحاق بهم** ﴾ أي : أحاط بهم ﴿ **ما كانوا به يستهزئون** ﴾ أي : يكذبون ويستبعدون وقوعه .

﴿ **فلما رأوا بأسنا** ﴾ أي : عاينوا وقوع العذاب بهم ، ﴿ **قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين** ﴾ أي : وحّدوا الله وكفروا بالطاغوت ، ولكن حيث لا تُقال العثرات ، ولا تنفع المعذرة . وهذا كما قال فرعون حين أدركه الغرق : ﴿ **آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به**

[١] - في ز : « يقدروا » .

بنو إسرائيل وأنا من المسلمين ﴾ ، قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين** ﴾ ، أي ، فلم يقبل اللّٰه منه ؛ لأنه قد استجاب لنبيه موسىٰ دعاءه عليه حين قال : ﴿ **واشدد علىٰ قلوبهم فلا يؤمنوا حتىٰ يروا العذاب الأليم** ﴾ ، وهاهنا قال : ﴿ **فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة اللّٰه التي قد خلت في عباده** ﴾ أي : هذا حكم اللّٰه في جميع مَنْ تاب عند معاينة العذاب : أنه لا يقبل . ولهذا جاء في الحديث : « **إن اللّٰه يقبل توبة العبد ما لم يُغَرْغِرْ** »(٦٢) ، أي : فإذا غرغر وبلغت الروح الحنجرة ، وعاين المَلَكَ ، فلا توبة حينئذ ؛ ولهذا قال : ﴿ **وخسر هنالك الكافرون** ﴾ .

آخر تفسير سورة المؤمن[١] ، ولله الحمد والمنة .

☆ ☆ ☆

---

(٦٢) - تقدم تخريجه في سورة النساء ، آية (١٧) .

[١] - في ت : « غافر » .

[تفسير حم السجدة
وهي مكية][١]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **حم * تنزيل من الرحمن الرحيم** ﴾ يعني : القرآن منزل من الرحمن الرحيم كقوله تعالىٰ : ﴿ **قل نزله روح القدس من ربك بالحق** ﴾ ، وقوله: ﴿ **وإنه لتنزيل رب العالمين* نزل به الروح الأمين* على قلبك لتكون من المنذرين** ﴾ ، وقوله : ﴿ **كتاب فصلت آياته** ﴾ أي : بُيّنت معانيه وأحكمت أحكامه ، ﴿ **قرآنًا عربيًا** ﴾ أي : في حال كونه لفظًا عربيًا ، بيّنًا واضحًا ، فمعانيه مفصلة ، وألفاظه واضحة غير مشكلة ، كقوله : ﴿ **كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير** ﴾ أي : هو معجز من حيث لفظه ومعناه ، ﴿ **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** ﴾ ، وقوله : ﴿ **لقوم يعلمون** ﴾ أي: إنما يعرف هذا البيانَ والوضوحَ العلماءُ الراسخون ، ﴿ **بشيرًا ونذيرًا** ﴾ أي : تارة يبشر المؤمنين ، وتارة ينذر الكافرين ، ﴿ **فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون** ﴾ أي : أكثر قريش ، فهم لايفهمون منه شيئًا مع بيانه ووضوحه ، ﴿ **وقالوا قلوبنا في أكنة** ﴾ أي : في غلف مغطاة ﴿ **مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر** ﴾ أي : صمم عما جئتنا به ، ﴿ **ومن بيننا وبينك حجاب** ﴾ ، فلا يصل إلينا[٢] شيء مما تقول[٣] ، ﴿ **فاعمل إننا عاملون** ﴾ أي : اعمل أنت على طريقتك ، ونحن على طريقتنا لا نتابعك .

قال الإمام العَلَم عبد بن حُمَيد في مسنده (١) : حدثني ابن أبي شيبة ، حدثنا علي بن مسهر ، عن الأجلح ، عن الذّيّال بن حَرْمَلَة الأسدي ، عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- قال : اجتمعت[٤] قريش يومًا فقالوا : انظروا أعلمَكم بالسحر والكهانة والشعر ، فليأت هذا

---

(١) - المنتخب (١١٢٣) .

---

[١] - في ت : « تفسير سورة فصلت » .
[٢] - في ز : « إلى » .
[٣] - في ز : « يقول » .
[٤] - في ز : « اجتمع » .

الرجل الذي قد فَرّق جماعتنا ، وشتَّت أمرنا ، وعاب ديننا ، فَلْيكلمه وَلْنَنْظُرْ ماذا يَرُدّ عليه ؟ فقالوا : ما نعلم أحدًا غير عُتْبَة بن ربيعة . فقالوا : أنت يا أبا الوليد . فأتاه عتبة فقال : يا محمد ، أنت خير أم عبد الله ؟ فسكت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال : أنت خير أم عبد المطلب ؟ فسكت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، قال[١] : فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك ، فقد عبدوا الآلهة التي عِبْتَ ، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكَلَّم حتىٰ نسمع قولك ، إنا والله مارأينا سَخْلةً(*) قطُّ أشأم علىٰ قومك(**) منك ، فَرّقت جماعتنا ، وشتَّت أمرنا ، وعِبْتَ ديننا ، وفضحتنا في العرب ، حتىٰ لقد طار فيهم أن في قريش ساحرًا ، وأن في قريش كاهنًا ! والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبْلىٰ أن يقوم بعضنا إلىٰ بعض بالسيوف ، حتىٰ نتفانىٰ ! أيها الرجل ، إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتىٰ تكون أغنىٰ قريش رجلًا ، وإن كان إنما بك الباءة فاختر أيّ نساء قريش فَلْنُزوجك عشرًا . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: « فرغت ؟ » . قال: نعم . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حم * تنزيل من الرحمن الرحيم ﴾** حتىٰ بلغ : **﴿ فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾** » . فقال عتبة : حسبك ! حسبك ! ما عندك غير هذا ؟ قال : « لا » . فرجع إلىٰ قريش ، فقالوا : ماوراءك ؟ قال : ماتركت شيئًا أرىٰ أنكم تكلمونه به إلا كلمته . قالوا : فهل أجابك ؟ قال : لا ، والذي نصبها بَنِيَّةً(***) ما فهمتُ شيئًا مما قال ، غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود . قالوا : ويلك ! يكلمك[٢] الرجل بالعربية ما تدري ماقال ؟ ! قال : لا ، والله ما فهمت شيئًا مما قال غير ذكر الصاعقة (٢) .

وهكذا رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده(٣) عن أبي بكر بن أبي شيبة بإسناده مثله سواء . وقد ساقه البغوي في تفسيره بسنده عن محمد بن فضيل ، عن الأجلح - وهو ابن عبد الله الكنْدي ، وقد ضُعّف بعض الشيء - عن الذّيّال بن حرملة ، عن جابر ، فذكر الحديث إلىٰ

(*) السخلة : الذكر والأنثى من لد الضأن والمعز ساعة يولد .

(**) في المنتخب : قومه .

(***) يريد الكعبة . وهي بنية إبراهيم عليه السلام لأنه بناها .

(٢) - إسناده ضعيف ؛ الأجلح - وهو ابن عبد الله الكندى - ضعفه غيرواحدٍ ، وقد تفرد ، ولا يحتمل تفرده ، والحديث أخرجه ابن أبي شيبة فى مصنفه ٨/٤٤٠ عن على بن مسهر ، وأخرجه الحاكم من طريق جعفر بن عون - كلاهما - عن الأجلح به .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه اهـ . والحديث عزاه السيوطى أيضًا فى الدر إلى ابن مردويه ، وابن عساكر ، من هذا الوجه .

وانظر بقية تخريجه فيما يلى .

(٣) - المسند (١٨١٨) (٣/٣٤٩).

---

[١] - في ت : ف« قال » . [٢] - في ز : « وكلمك » .

قوله : ﴿ **فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة [مثل صاعقة][١] عاد وثمود** ﴾ فأمسك عتبة على فيه ، وناشده بالرَّحِم ، ورجع إلىٰ أهله ، ولم يخرج إلىٰ قريش واحتبس عنهم . فقال أبو جهل : يامعشر قريش ، والله مانرىٰ عتبة إلا قد صَبَا إلىٰ محمد ، وأعجبه طعامه ، وما ذاك إلا من حاجة أصابته ، فانطلقوا بنا إليه . فانطلقوا إليه فقال أبو جهل : ياعتبة ، ماحَبَسك عنا إلا أنك صبوت إلىٰ محمد وأعجبك طعامه ، فإن كانت لك حاجة جمعنا لك من أموالنا مايغنيك عن طعام محمد . فغضب عتبة ، وأقسم أن لايكلم محمدًا أبدًا ، وقال : والله لقد علمتم أني من أكثر قريش مالًا ، ولكني أتيته وقَصَصتُ عليه القصة[٢] فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ، وقرأ السورة إلىٰ قوله : ﴿ **فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود** ﴾ ، فأمسكت بفيه ، وناشدته بالرحم أن يَكُفَّ ، وقد علمتم أن محمدًا إذا قال شيئًا لم يكذب ، فخشيت أن ينزل بكم العذاب .

وهذا السياق أشبه من سياق البزار وأبي يعلي ، والله أعلم . وقد أورد هذه القصة الإمام محمد بن إسحاق بن يَسَار في كتاب « السيرة »(٤) علىٰ خلاف هذا النمط[٣] ، فقال :

حدثني يزيد[٤] بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي قال : حُدِّثتُ أن عتبة بن ربيعة - وكان سيدًا - قال يومًا وهو جالس في نادي قريش ، ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم جالس في المسجد وحده : يامعشر قريش ، ألا أقوم إلىٰ محمد فأكلِّمه وأعرض عليه أمورًا لعله يقبل بعضها، فنعطيه أيَّها شاء ويكف عنا ؟ وذلك حين أسلم[٥] حمزة ، ورأوا أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون ، فقالوا : بلىٰ يا أبا الوليد ، فقم إليه فكلمه . فقام إليه عتبة حتىٰ جلس إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال : يا ابن أخي ، إنك منا حيث قد علمت من [السِّطَة في][٦] العشيرة ، والمكان في النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرَّقْتَ به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفَّرت به من مضىٰ من آبائهم ، فاسمع مني أعرض عليك أمورًا تنظر فيها لعلك تقبل منا بعضها . قال : فقال له رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **قل يا أبا الوليد أسمع** » . قال : يا ابن أخي ، إن كنتَ إنما تريدُ بما جئتَ به من هذا الأمر مالًا جمعنا لك من أموالنا ؛ حتى تكون من أكثرنا أموالًا . وإن كنت تريد به شرفًا سَوّدناك علينا ، حتىٰ لا نقطع أمرًا دونك . وإن كنت تريد به ملكًا ملكناك علينا . وإن كان هذا[٧] الذي يأتيك رَئِيًّا تراه لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتىٰ نبرئك منه ، فإنه ربما غَلَب التابعُ علىٰ الرجل حتىٰ يُداوىٰ منه - أو كما قال له -

(٤) - السيرة ٣٠٥/١ ، ومن طريق ابن إسحاق أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢٠٤/٢ .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - في خ : « الخط » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « أقبل » .
[٦] - في خ ، ز : « السيطة و » .
[٧] - سقط من : ز .

حتىٰ إذا فرغ عتبة ورسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يستمع منه قال : « **أفرغت يا أبا الوليد ؟** » . قال : نعم . قال : « **فاستمع مني** » . قال : أفعل . قال : « **بسم اللَّه الرحمن الرحيم ﴿ حم * تنزيل من الرحمن الرحيم * كتاب فصلت آياته قرآنًا عربيًا لقوم يعلمون * بشيرًا ونذيرًا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ﴾** » . ثم مضىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فيها يقرؤها عليه . فلما سمع عتبةُ أنصتَ لها[١]، وألقىٰ يديه خلف ظهره معتمدًا عليهما يسمع منه ، ثم انتهىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم إلىٰ السجدة منها[٢] ، فسجد ، ثم قال : « **قد سمعتَ يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك** » . فقام عتبة إلىٰ أصحابه ، فقال بعضهم لبعض : أقسم - يحلف باللَّه - لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به . فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائي أني قد سمعت قولًا واللَّه ما سمعت مثله قط ، واللَّه ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا الكهانة[٣] . يا معشر قريش ، أطيعوني واجعلوها بي[٤] ، خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فواللَّه ليكونَنّ لقوله الذي سمعت نبأ ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر علىٰ العرب فمُلْكه مُلككم ، وعِزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به . قالوا : سحرك واللَّه يا أبا الوليد بلسانه ! قال : هذا رأيي فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم(٥) . وهذا السياق أشبه من الذى قبله ، واللَّه أعلم .

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ ﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهؤلاء[٥] المكذبين المشركين : ﴿ **إنما أنا بشر مثلكم يوحىٰ إليّ أنما إلهكم إله واحد** ﴾ ، لا كما تعبدونه من الأصنام والأنداد والأرباب المتفرقين ، إنما اللَّه إله واحد ، ﴿ **فاستقيموا إليه** ﴾ أي[٦] : أخلصوا له العبادة علىٰ منوال ما أمركم به علىٰ ألسنة الرسل ﴿ **واستغفروه** ﴾ أي : لسالف الذنوب ، ﴿ **وويل للمشركين** ﴾ أي : دَمَارٌ لهم وهلاك

---

(٥) - إسناده ضعيف ؛ فيه من لم يسم . ويشهد له ما أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢٠٦/٢ من حديث عبد الله ابن عمر بلفظ : « لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على عتبة بن ربيعة ﴿ **حم تنزيل من الرحمن الرحيم** ﴾ أتى أصحابه فقال لهم : يا قوم أطيعونى فى هذا الأمر اليوم ، واعصونى فيما بعد ... إلخ » . واستغربه المصنف فى البداية والنهاية بقوله : وهذا حديث غريب جدًّا من هذا الوجه اهـ .

---

[١] - في خ : « إليها » .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - في خ : « بالكهانة » .
[٤] - في ت : « لي » ، وفي ز : « في » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - سقط من : ز .

عليهم ، ﴿ **الذين لا يؤتون الزكاة** ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : يعني الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله . وكذا قال عكرمة .

وهذا كقوله تعالى : ﴿ **قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها** ﴾ . وكقوله : ﴿ **قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى** ﴾ وقوله : ﴿ **فقل هل لك إلىٰ أن تزكىٰ** ﴾ . والمراد بالزكاة هاهنا : طهارة النفس من الأخلاق الرذيلة ، ومن أهم ذلك طهارة النفس من الشرك . وزكاة المال إنما سميت زكاة لأنها تُطَهّره من الحرام ، وتكون سَبَبًا لزيادته وبركته وكثرة نفعه ، وتوفيقًا إلىٰ استعماله في الطاعات .

وقال السدي : ﴿ **وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة** ﴾ أي : الذين لا يدينون بالزكاة .

وقال معاوية بن قرة[١] : ليس هم من أهل[٢] الزكاة .

وقال قتادة : يمنعون زكاة أموالهم .

وهذا هو الظاهر عند كثير من المفسرين ، واختاره ابن جرير . وفيه نظر ؛ لأن إيجاب الزكاة إنما كان في السنة الثانية من الهجرة إلىٰ المدينة ، علىٰ ما ذكره غير واحد ، وهذه الآية مكية ، اللَّهم إلا أن يقال : لا يبعد أن يكون أصل الزكاة والصدقة كان مأمورًا به في ابتداء البعثة ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **وآتوا حقه يوم حصاده** ﴾ ، فأما الزكاة ذات النُّصُب والمقادير فإنما بيّن أمرها بالمدينة ، ويكون هذا جمعًا بين القولين ، كما أن أصل الصلاة كان واجبًا قبل طلوع الشمس وقبل غروبها في ابتداء البعثة ، فلما كان ليلة الإسراء قبل الهجرة بسنة ونصف ، فرض الله علىٰ رسوله الصلوات الخمس ، وفَصّل شروطها وأركانها وما يتعلق بها بعد ذلك ، شيئًا فشيئًا ، والله أعلم .

ثم قال بعد ذلك : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون** ﴾ ، قال مجاهد وغيره : لا مقطوع ولا مجبوب . كقوله : ﴿ **ماكثين فيه أبدًا** ﴾ وكقوله تعالى : ﴿ **عطاء غير مجذوذ** ﴾ .

وقال السدي : ﴿ **غير ممنون** ﴾ عليهم . وقد رد عليه بعض الأئمة هذا التفسير ، فإن المنة لله علىٰ أهل الجنة ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **بل الله يَمُنّ عليكم أن هداكم للإيمان** ﴾ . وقال أهل الجنة : ﴿ **فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم** ﴾ وقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إلا أن يَتَغَمَّدَني الله برحمة منه وفضل** » (٦) .

(٦) - أخرجه البخارى ، فى كتاب المرض . باب : تمنى المريض الموت (٥٦٧٣) ، وفى الرقاق باب : القصد ، والمداومة على العمل (٦٤٦٤) ، ومسلم فى كتاب : صفات المنافقين وأحكامهم ، باب : =

[١] - في خ : « قيس » . [٢] - سقط من : ز .

﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢) ﴾

هذا إنكار من الله علىٰ المشركين الذين عبدوا معه غيره ، وهو الخالق لكل شيء ، القاهر لكل شيء ، المقدِّر لكل شيء ، فقال : ﴿ **قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادًا** ﴾ أي : نظراء وأمثالًا تعبدونها معه ، ﴿**ذلك رب العالمين**﴾ أي: الخالق للأشياء هو رب العالمين كلهم.

وهذا المكان فيه تفصيل لقوله تعالىٰ : ﴿ **خلق السماوات والأرض في ستة أيام** ﴾ ، ففصّل هاهنا ما يختص بالأرض مما اختص بالسماء ، فذكر أنه خلق الأرض أولا لأنها كالأساس ، والأصل أن يُبْدَأ بالأساس ، ثم بعده بالسقف ، كما قال : ﴿ **هو الذي خلق لكم مافي الأرض جميعًا ثم استوىٰ إلىٰ السماء فسواهن سبع سمٰوات** ﴾ الآية . فأما قوله : ﴿ **أأنتم أشد خلقًا أم السماء بناها * رفع سمكها فسواها * وأغطش ليلها وأخرج ضحاها * والأرض بعد ذلك دحاها * أخرج منها ماءها ومرعاها * والجبال أرساها * متاعًا لكم ولأنعامكم** ﴾ ففي هذه الآية أن دَحْيَ الأرض كان بعد خلق السماء فالدَّحْيُ هو مفسر بقوله : ﴿ **أخرج منها ماءها ومرعاها** ﴾ ، وكان هذا بعد خلق السماء ، فأما خلق الأرض فقبل خلق السماء بالنص ، وبهذا أجاب ابن عباس فيما ذكره البخاري عند تفسير هذه الآية من صحيحه ، فإنه قال :

وقال المنهال : عن سعيد بن جبير قال : قال رجل لابن عباس : إني أجدُ في القرآن أشياء تختلف عليّ ، قال : ﴿ **فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون** ﴾ ، ﴿ **وأقبل بعضهم علىٰ بعض يتساءلون** ﴾ ، ﴿ **ولا يكتمون الله حديثا** ﴾ ، ﴿ **والله ربنا ماكنا مشركين** ﴾ ، فقد كتموا في هذه الآية ؟ وقال : ﴿ **أم السماء بناها** ﴾ ، إلىٰ قوله : ﴿ **دحاها** ﴾ ، فذكر خَلْقَ

= لن يدخل أحدٌ الجنة بعمله ، بل برحمة الله تعالى (٢٨١٦) كلاهما من حديث أبي هريرة .

وأخرجه البخارى فى الرقاق من الموضع السابق (٦٤٦٧) ، ومسلم فى الموضع السابق (٢٨١٨) كلاهما من حديث عائشة وأخرجه مسلم فى نفس الموضع (٢٨١٧) من حديث جابر بن عبد الله .

السماء قبل الأرض ، ثم قال : ﴿ **قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين** ﴾ ، إلىٰ قوله : ﴿ **طائعين** ﴾ ، فذكر في هذه خلق الأرض قبل خلق السماء ؟ وقال : ﴿ **وكان الله غفورًا رحيمًا** ﴾ ، ﴿ **عزيزًا حكيمًا** ﴾ ، ﴿ **سميعًا بصيرًا** ﴾ ، فكأنه كان ثُمّ مضىٰ .

قال - يعني ابن عباس - : ﴿ **فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون** ﴾ في النفخة الأولىٰ ، ثم ينفخ في الصور ، ﴿ **فصَعِقَ من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله** ﴾ ، فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون ، ثم[١] في النفخة الأخرى ﴿**وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون**﴾ وأما قوله : ﴿ **ماكنا مشركين** ﴾ ، ﴿ **ولا يكتمون الله حديثًا** ﴾ ، فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم[٢] ، فقال المشركون : تعالوا نقول : لم نكن مشركين ، فيختم علىٰ أفواههم ، فتنطق أيديهم ، فعند ذلك يعرف أن الله لا يُكتَمُ حديثًا ، وعنده ﴿ **يود الذين كفروا** ﴾ الآية . وخلق الأرض في يومين ، ثم خلق السماء ، ثم استوىٰ إلىٰ السماء فسواهن في يومين آخرين ، ثم دَحَىٰ الأرض ، ودَحْيُها : أن أخرج منها الماء والمرعىٰ ، وخلق الجبال والجماد والآكام وما بينهما في يومين آخرين ، فذلك قوله ﴿ **دحاها**[٣] ﴾ ، وقوله : ﴿ **خلق الأرض في يومين** ﴾ فَخُلِقَتِ الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام ، وخُلِقَت[٤] السموات في يومين ﴿ **وكان الله غفورًا رحيمًا** ﴾ : سمىٰ نفسه بذلك ، وذلك قوله ، أي : لم يزل كذلك ، فإن الله لم يُرِد شيئًا إلا أصاب به الذي أراده ، فلا يختلفَنّ عليك القرآن ، فإن كلًّا من عند الله عز وجل ، قال البخاري (٧) : حدثنيه يوسف بن عَدي ، حدثنا عُبَيد الله بن عمرو ، عن زيد بن أبي أنيسة ، عن المنهال - هو ابن عمرو - بالحديث .

فقوله : ﴿ **خلق الأرض في يومين** ﴾ ، يعني : يوم الأحد ويوم الاثنين ، ﴿ **وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها** ﴾ أي : جعلها مباركة قابلة للخير والبذر والغراس ، ﴿**وقَدر فيها أقواتها** ﴾ وهو : ما يحتاج أهلها إليه من الأرزاق والأماكن التي تزدرع[٥] وتغرس ، يعني يوم الثلاثاء والأربعاء ، فهما مع اليومين السابقين أربعة ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **في أربعة أيام سواء للسائلين**﴾ أي : لمن أراد السؤال عن ذلك ليعلمه .

وقال مجاهد وعكرمة في قوله : ﴿**وقدر فيها أقواتها**﴾ : جعل في كل أرض ما[٦] لا يصلح في غيرها ، ومنه ، العصب باليمن ، والسابوري[٧] بسابور ، والطيالسة بالري .

وقال ابن عباس ، وقتادة ، والسدي في قوله تعالىٰ : ﴿ **سواء للسائلين** ﴾ أي : لمن أراد السؤال عن ذلك .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في ز : « ذنبهم » .
[٣] - في ز : « دحيها » .
[٤] - في ز : « وخلق » .
[٥] - في ت : « تزرع » .
[٦] - في ز : « مما » .
[٧] - في ت : « السابري » .

وقال ابن زيد : معناه : ﴿ **وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين** ﴾ أي : على وفق مراد من له حاجة إلى رزق أو حاجة ، فإن اللَّه قدّر له ما هو محتاج إليه .

وهذا القول يشبه ما ذكروه في قوله تعالى : ﴿ **وآتاكم من كل ما سألتموه** ﴾ ، واللَّه أعلم .

وقوله : ﴿ **ثم استوى إلى السماء وهي دخان** ﴾ وهو بخار الماء المتصاعد منه[١] خلقت السماء[٢] ﴿ **فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا وكرهًا** ﴾ أي : استجيبا لأمري وانفعلا لفعلي [طائعتين أو مكرهتين][٣].

قال الثوري : عن ابن جُرَيج ، عن سليمان بن موسى ، عن مجاهد ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ **فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو كرهًا** ﴾ ، قال : قال اللَّه تعالى للسماوات : أطلعي شمسي وقمري ونجومي . وقال للأرض : شققي أنهارك ، وأخرجي ثمارك . فقالتا : ﴿ **أتينا طائعين** ﴾ واختاره ابن جرير رحمه اللَّه .

﴿ **قالتا أتينا طائعين** ﴾ أي : بل نستجيب لك مطيعين بما فينا ، مما تريد خلقه من الملائكة والإنس والجن جميعًا مطيعين لك . حكاه ابن جرير عن بعض أهل العربية . قال : وقيل : تنزيلًا لهن معاملة من يعقل بكلامهما[٤] .

وقيل : إن المتكلم من الأرض بذلك هو مكان الكعبة ، ومن السماء ما يسامته منها ، واللَّه أعلم .

و[٥]قال الحسن البصري : لو أبيا عليه أمره لعذبهما عذابًا يجدان ألمه . رواه ابن أبي حاتم . ﴿ **فقضاهن سبع سموات في يومين** ﴾ أي : ففرغ من تسويتهن سبع سماوات في يومين ، أي : آخرين ، وهما يوم الخميس ويوم الجمعة .

﴿ **وأوحى في كل سماء أمرها** ﴾ أي : ورتب مقررًا في كل سماء ما تحتاج إليه من الملائكة ، وما فيها من الأشياء التي لا يعلمها إلا هو ، ﴿ **وزينا السماء الدنيا بمصابيح** ﴾ ، وهنّ الكواكب النيرة[٦] المشرقة على أهل الأرض ، ﴿ **وحفظًا** ﴾ أي : حرسًا من الشياطين أن تستمع إلى الملأ الأعلى .

﴿ **ذلك تقدير العزيز العليم** ﴾ أي : العزيز الذي قد عزّ كل شيء فغلبه وقهره ، العليم بجميع حركات المخلوقات وسكناتهم .

---

[١] - بعده في ت : حين . [٢] - في ت : « الأرض » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ت : « طائعين أو مكرهين » [٤] - في ز : « لكلامهما » .
[٥] - سقط من : ز . [٦] - في ت : « المنيرة » .

قال ابن جرير(٨) : حدثنا هَنّاد بن السري ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي سعد[١] البقال ، عن عكرمة ، عن ابن عباس - قال هَنَّاد : قرأت سائر الحديث - أن اليهود أتت النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فسألته عن خلق السماوات والأرض ، فقال : « **خلق اللّٰه الأرض يوم[٢] الأحد ويوم الاثنين ، وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع ، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب ، فهذه أربعة ، ﴿ قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ﴾** : لمن سأل . قال : « **وخلق يوم الخميس السماء ، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلىٰ ثلاث ساعات بقيت منه ، [فخلق في أول ساعة من هذه الثلاثة الآجال ، حين يموت من مات][٣] ، وفي الثانية ألقىٰ الآفة علىٰ كل شيء مما ينتفع به الناس ، وفي الثالثة آدم ، وأسكنه الجنة ، وأمر إبليس بالسجود له ، وأخرجه منها في آخر ساعة** » . ثم قالت اليهود : ثم ماذا يا محمد ؟ قال : « **ثم استوىٰ علىٰ العرش** » . قالوا : قد أصبت لو أتممت ! قالوا : ثم استراح .فغضب النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم غضبًا شديدًا ، فنزل : ﴿ **ولقد خلقنا السمٰوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب * فاصبر علىٰ ما يقولون** ﴾ (٩) .

هذا الحديث فيه غرابة .

فأما حديث ابن جريج ، عن إسماعيل بن أمية ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد اللّٰه بن رافع ، عن أبي هريرة قال : أخذ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بيدي فقال : « **خلق اللّٰه التربة يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدوابّ يوم الخميس ، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخَلْق في آخر ساعة من ساعات الجمعة ، فيما بين العصر إلىٰ[٤] الليل** » . فقد[٥] رواه مسلم والنسائي في كتابيهما ، من حديث ابن جريج ، به . وهو من

---

(٧) - فى صحيحه ، كتاب التفسير ، سورة حم السجدة الفتح ٥٥٥/٨ .

(٨) - فى تفسيره ٩٥/٢٤ .

(٩) - إسناده ضعيف ؛ لضعف أبي سعد البقال ، قاله الحافظ فى الفتح ٥٥٨/٨ ، والحديث أخرجه عبد الرزاق - كما فى الفتح (٥٥٨/٨) ، والحاكم فى المستدرك ٥٤٣/٢ من طريق أبى سعد البقال به ، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وتعقبه الذهبى قائلًا : أبو سعد البقال ، قال ابن معين : « لا يكتب حديثه » .

---

[١] - في ت : « سعيد » .

[٢] - في خ ، ز : « و » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - في ت : « وقد » .

غرائب الصحيح ، وقد عَلَّله البخاري في التاريخ فقال : رواه بعضهم عن أبي هريرة ، عن كعب الأحبار ، وهو أصح[١](١٠) .

(١٠) - هذا الحديث أخرجه أحمد ٣٢٧/٢ ، ومسلم فى كتاب صفات المنافقين وأحكامهم من صحيحه ،باب: ابتداء الخلق ، وخلق آدم عليه السلام (٢٧٨٩) ، والنسائى فى الكبرى (١١٠١٠) ، وأبو يعلى (١٠/ ٥١٣، ٥١٤) ، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٨١٢) وغيرهم من طريق ابن جريج عن إسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع عن أبى هريرة به .

قال المصنف فى البداية والنهاية (١٨/١) : وقد تكلم فى هذا الحديث على بن المدينى والبخارى والبيهقى وغيرهم من الحفاظ اهـ .

قلت : حاصل هذا الكلام أن ابن المديني يرى أن إسماعيل بن أمية لم يأخذ هذا الحديث عن شيخه أيوب بن خالد مباشرة ، ولكن بينهما إبراهيم بن أبي يحيى ، وهو متروك ، وقد أجاب البيهقى عن هذا الكلام بقوله : وقد تابع إسماعيل بن أمية موسى بن عبيدة الربذي عن أيوب بن خالد ، إلا أن موسى بن عبيدة ضعيف ، وروي عن بكر بن الشرود عن إبراهيم بن أبي يحيى عن صفوان بن سليم عن أيوب بن خالد به ، وإسناده ضعيف والله أعلم . اهـ . قال الشيخ الألباني ردًّا على كلام ابن المديني : هذه دعوى عارية عن الدليل ، إلا مجرد الرأي ، وبمثله لا ترد رواية إسماعيل بن أمية ، فإنه ثقة ثبت اهـ . الصحيحة (١٨٣٣) .

أما البخاري فيرى أن هذا الحديث من مسند كعب الأحبار حيث قال في التاريخ (٤١٣/١) ، وقال بعضهم: عن أبي هريرة عن كعب وهو أصح . اهـ . قال الشيخ المعلمي في كتابه « الأنوار الكاشفة » ردًّا على كلام البخاري هذا : لم يرتض البخاري قول شيخه ابن المديني ، وأعل الخبر بأمر آخر ..... ومؤدى صنيعه أن يحدس أن أيوب أخطأ وهذا الحدس مبني على ثلاثة أمور : الأول استنكار الخبر لما مر . الثاني : أن أيوب ليس بالقوي ، وهو مقل لم يخرج له مسلم إلا هذا الحديث كما يُعلم من الجمع بين رجال الصحيحين ، وتكلم فيه الأزدي ولم ينقل توثيقه عن أحد من الأئمة إلا ابن حبان ذكره في الثقات ، وشرط ابن حبان في التوثيق فيه تسامح معروف . الثالث : الرواية التي أشار إليها بقوله : « وقال بعضهم » وليته ذكر سندها ومتنها فقد تكون ضعيفة فى نفسها وإنما قويت عنده للأمرين الآخرين . ويدل على ضعفها أن المحفوظ عن كعب وعبد الله بن سلام ووهب بن منبه ومن يأخذ عنهم أن ابتداء الخلق كان يوم الأحد ، وهو قول أهل الكتاب المذكور فى كتبهم وعليه بنوا قولهم فى السبت . انظر الأسماء والصفات ص ٢٧٢ ، ص ٢٧٥ وأوائل تاريخ ابن جرير ، وفى الدر المنثور (٩١/٣) : «أخرجه ابن أبى شيبة عن كعب قال : بدأ الله بخلق السموات والأرض يوم الأحد والإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة وجعل كل يوم ألف سنة »وأسنده ابن جرير فى أوائل التاريخ ٢٢/١ ط - الحسينية » واقتصر على أوله . فهذا يدفع أن يكون ما فى الحديث من قول كعب . اهـ المعلمى الأنوار الكاشفة ص١٨٩ - ١٩٠ وقال الشيخ الألبانى ردًّا على كلام البخارى : وهذا كسابقه فمن هذا البعض ؟ وما حاله فى الضبط والحفظ حتى يُرجح على رواية عبد الله بن رافع ؟ وقد وثقه النسائى وابن حبان ، واحتج به مسلم وروى عنه جمع ، ويكفى فى صحة الحديث أن ابن معين رواه ولم يعله بشيء ! اهـ هذا وقد استظهر المصنف فى البداية والنهاية (١٨/١ - ١٩) قول الإمام البخارى فراجع كلامه هناك . ولابن جريج فى هذا الحديث إسناد آخر . =

[١] - في ت : « الأصح » .

فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَتْهُمُ
الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ
مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ
الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً
وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ
لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ
﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ
الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾

يقول تعالى : قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بما جئتهم به من الحق : إن أعرضتم عما جئتكم به من عند الله ، فإني أنذركم حلولَ نقمة الله بكم ، كما حلت بالأمم الماضين من المكذبين بالمرسلين ، ﴿ **صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود** ﴾ أي : ومن شاكلهما[١] ممّن فعل كفعلهما ، ﴿ **إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم** ﴾ ،كقوله تعالىٰ : ﴿ **واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه** ﴾ أي : في القرىٰ المجاورة لبلادهم ، بعث الله إليهم الرسل يأمرون بعبادة الله وحده لا شريك له ، ومبشرين ومنذرين ، ورأوا ما أحل الله بأعدائه من النقم ، وما ألبس أولياءه من النعم ، ومع هذا ما آمنوا ولا صدقوا ، بل كذبوا وجحدوا ، وقالوا : ﴿ **لو شاء ربنا لأنزل ملائكة** ﴾ أي : لو شاء[٢] أرسل الله رسلًا لكانوا ملائكة من عنده ، ﴿ **فإنا بما أرسلتم به** ﴾ أي : أيها البشر

= فقد أخرجه النسائي فى الكبرى (١١٣٩٢) من طريق الأخضر بن عجلان عن ابن جريج عن عطاء عن أبى هريرة به . وهذه الطريق غير محفوظة تفرد بها الأخضر بن عجلان ، وخالف بها أصحاب ابن جريج ، منهم حجاج بن محمد وهشام بن يوسف ، وحجاج أثبت الناس فى ابن جريج انظر شرح العلل لابن رجب ص ٢٧٢ ويشبه أن يكون الأخضر قد روى هذا الحديث عن ابن جريج على الجادة . فعامة رواية ابن جريج عن عطاء عن أبى هريرة ، فسلكها الأخضر ووهم فيها . قال الذهبى فى العلو (٧٥) بعد أن ذكرهذا الحديث من طريق الأخضر : الأخضر ثقة ، وثقه ابن معين وقال أبو حاتم : يكتب حديثه . ولينه الأزدى ، وحديثه فى السنن الأربعة وهذا الحديث غريبٌ من أفراده اهـ .

[١] - في ز : « شاكلها » . [٢] - سقط من خ .

﴿ **كافرون** ﴾ أي : لا نتبعكم وأنتم بشر مثلنا . قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **فأما عاد فاستكبروا في الأرض** ﴾ أي : بغوا وعَتَوا وعَصَوا ، ﴿ **وقالوا من أشد منا قوة** ﴾ أي : مَنّوا بشدة تركيبهم وقواهم ، واعتقدوا أنهم يمتنعون بها من بأس اللَّه ! ﴿ **أو لم يروا أن اللَّه الذي خلقهم هو أشد منهم قوة** ﴾ أي : أفما يتفكرون فيمن يبارزون بالعداوة ؟ فإنه العظيم الذي خلق الأشياء وركب فيها قواها الحاملة لها ، وإن بطشه شديد ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون** ﴾ ، فبارزوا الجبار بالعداوة ، وجحدوا بآياته وعصوا رسوله ، فلهذا قال : ﴿ **فأرسلنا عليهم ريحًا صرصرًا** ﴾ ، قال بعضهم : وهي الشديدة الهبوب . وقيل : الباردة . وقيل : هي التي لها صوت .

والحق : أنها متصفة بجميع ذلك ، فإنها كانت ريحًا شديدة قوية ؛ لتكون عقوبتهم من جنس ما اغتروا به من قواهم ، وكانت باردة شديدة البرد جدًّا [كقوله تعالىٰ : ﴿ **بريح صرصر عاتية** ﴾ أي : باردة شديدة][١] وكانت ذات صوت مزعج ، ومنه سمى النهر المشهور ببلاد المشرق « **صرصر** » لقوة صوت جريه .

وقوله : ﴿ **في أيام نحسات** ﴾ أي : متتابعات ، ﴿ **سبع ليال وثمانية أيام حسومًا** ﴾ كقوله : ﴿ **في يوم نحس مستمر** ﴾ أي : ابتُدِئوا بهذا العذاب في يوم نحس عليهم ، واستمر بهم هذا النحس سبع ليال وثمانية أيام ، حتىٰ أبادهم عن آخرهم ، واتصل بهم خزي الدنيا بعذاب الآخرة ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزىٰ** ﴾ أي : ، أشد خزيًا لهم[٢] . ﴿ **وهم لا ينصرون** ﴾ أي : في الأخرىٰ كما لم ينصروا في الدنيا ، وما كان لهم من اللَّه من واق يقيهم العذاب ويدرأ[٣] عنهم النكال .

وقوله : ﴿ **وأما ثمود فهديناهم** ﴾ ، قال ابن عباس ، وأبو العالية ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، والسدي ، وابن زيد : بيّنا لهم . وقال الثورى : دعوناهم . ﴿ **فاستحبوا العمىٰ علىٰ الهدىٰ** ﴾ أي : بَصَّرناهم ، وبيَّنا لهم ، ووضَّحنا لهم الحقّ علىٰ لسان نبيهم صالح صلىٰ اللَّه عليه وسلم فخالفوه وكذبوه ، وعقروا ناقة اللَّه التي جعلها آية وعلامة علىٰ صدق نبيهم ، ﴿ **فأخذتهم صاعقة العذاب الهون** ﴾ أي: بعث اللَّه عليهم صيحة ورَجْفَةً وذلًّا وهوانًا وعذابًا ونكالًا ﴿ **بما كانوا يكسبون** ﴾ أي: من التكذيب والجحود ﴿ **ونجينا الذين آمنوا** ﴾ أي : من بين أظهرهم ، لم يَمَسّهم سوء ، ولا نالهم من ذلك ضرر ، بل نجاهم اللَّه مع نبيهم صالح بإيمانهم ، وتقواهم للَّه عز وجل .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ز : « بهم » .

[٣] - في ز : « ويزرأ » .

وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ
عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ
شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ
وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ
ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟
فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **ويوم يُحشَر أعداء الله إلىٰ النار فهم يوزعون** ﴾ أي : اذكر لهؤلاء المشركين يوم يحشرون إلىٰ النار ، ﴿ **يوزعون** ﴾ أي : تجمع الزبانية أولهم علىٰ آخرهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ونسوق المجرمين إلىٰ جهنم وردًا** ﴾ أي : عطاشًا .

وقوله : ﴿ **حتىٰ إذا ما جاءوها** ﴾ أي : وقفوا عليها ، ﴿ **شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون** ﴾ أي : بأعمالهم مما قدموه وأخّروه ، لا يُكتَم[١] منه حرف .

﴿ **وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا** ﴾ ، أي : لاموا أعضاءهم وجلودهم حين شهدوا عليهم ، فعند ذلك أجابتهم الأعضاء : ﴿ **قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة** ﴾ أي : فهو لا يخالف ولا يمانع ، وإليه ترجعون .

قال الحافظ أبو بكر البزار(١١) : حدثنا [محمد بن][٢] عبد الرحيم ، حدثنا علي بن قادم ، حدثنا شريك ، عن عُبَيد المكتب ، عن الشعبي ، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : ضحك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ذات يوم ، أو تبسّم ، فقال : « **ألا تسألوني عن أي شيء ضحكت** ؟ » . قالوا : يا رسول الله ، من أي شيء ضحكت ؟ قال : « **عَجبتُ من مجادلة العبد ربَّه يوم القيامة ، يقول : أي ربي ، أليس وعدتني أن لا تظلمني ؟ قال : بلىٰ .**

(١١) - وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٤٥٤) عن محمد بن عبد الرحيم ، والحاكم (٤/٦٠١) من طريق إبراهيم بن أبي العنبس كلاهما عن علي بن قادم به وقال الحاكم : حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، قلت : قد أخرجه مسلم كما سيأتي .

[١] - في ز : « نكتم » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

فيقول : فإني لا أقبل عليّ شاهدًا إلا من نفسي . فيقول الله تبارك وتعالىٰ : أو ليس كفىٰ بي شهيدًا ، وبالملائكة الكرام الكاتبين ؟ قال : فيردد هذا الكلام مرارًا . قال : فيختم علىٰ فيه ، وتتكلم أركانه بما كان يعمل ، فيقول : بُعدًا لكُنَّ وسُحقًا !! عنكن كنت أجادل » .

ثم رواه هو وابن أبي حاتم من حديث أبي عامر الأسدي ، عن الثوري ، عن عُبَيد المكتب ، عن فُضَيل بن عمرو ، عن[١] الشعبي ، ثم قال : لا نعلم رواه عن أنس غير الشعبي . وقد أخرجه مسلم والنسائي جميعًا عن أبي بكر بن أبي النضر ، [عن أبي النضر][٢] عن عُبَيد الله ابن عبد الرحمن الأشجعي ، عن الثوري ، به . ثم قال النسائي : لا أعلم أحدًا رواه عن الثوري غير الأشجعي . وليس كما قال كما رأيت ، والله أعلم (١٢) .

وقال ابن أبي حاتم (١٣) : حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن إبراهيم ، حدثنا إسماعيل بن عُلَية ، عن يونس بن عُبيد ، عن حُمَيد بن هلال قال : قال أبو بردة : قال أبو موسىٰ : ويدعىٰ الكافر والمنافق للحساب ، فَيَعرض عليه ربه - عز وجل - عمله ، فيجحد ويقول : أيْ ربّ ، وعزتك لقد كتب عليّ هذا الملك ما لم أعمل ! فيقول له الملك : أما عملت كذا ، في يوم كذا ، في مكان كذا ؟ فيقول : لا وعزتك ، أيْ ربّ ما عملته . فإذا فَعَل[٣] ذلك خُتِم علىٰ فيه ، قال الأشعري: فإني لأحسب أول ما ينطق منه فخذه اليمنى .

وقال الحافظ أبو يعلىٰ (١٤) : حدثنا زهير ، حدثنا حسن ، عن ابن لهيعة ، قال دراج عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **إذا كان يوم القيامة ، عُرِّف الكافر بعمله ، فجحد وخاصم ، فيقال : هؤلاء جيرانك يشهدون عليك ؟ فيقول : كذبوا . فيقول : أهلك عشيرتك ؟ فيقول : كذبوا . فيقول : احلفوا . فيحلفون ، ثم يصمتهم الله وتشهد عليهم[٤] ألسنتهم ، ويدخلهم النار** » .

و[٥]قال ابن أبي حاتم (١٥) : وحدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن إبراهيم ، حدثنا عبد الصمد بن

---

(١٢) - صحيح مسلم ، فى آخر كتاب الزهد والرقائق (٢٩٦٩) ، والنسائى فى الكبرى (١١٦٥٣) .
(١٣) - التفسير (١٨٤٥٥) .
(١٤) - المسند (١٣٩٢) ، و إسناده ضعيف ؛ لضعف رواية دراج وهو أبو السمح عن شيخه أبى الهيثم وقد توبع ابن لهيعة عليه . فأخرجه الطبرى فى تفسيره ١٨/١٠٥ من طريق آخر عن دراج به . قال الإمام أحمد كما فى الكامل لابن عدى - ترجمة دراج - أحاديث دراج عن أبى الهيثم فيها ضعف ، وقال الآجرى - كما فى تهذيب الكمال - عن أبى داود : أحاديث دراج مستقيمة إلا ما كان عن أبى الهيثم عن أبى سعيد .
(١٥) - التفسير (١٨٤٥٦) .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في خ : « فيه » .
[٣] - في ز : « تعمل » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - سقط من : ز .

عبد الوارث سمعت أبي ، حدثنا علي بن زيد ، عن مسلم بن صبيح أبي الضُّحىٰ ، عن ابن عباس : أنه قال لابن الأزرق : إن يوم القيامة يأتي على الناس منه حين ، لا ينطقون[١] ولا يعتذرون ولا يتكلمون حتىٰ يؤذن لهم ، ثم يؤذن لهم فيختصمون ، فيجحد الجاحد بشركه باللّٰه ، فيحلفون له كما يحلفون لكم ، فيبعث اللّٰه عليهم حين يجحدون شهداء من أنفسهم ، جلودَهم وأبصارَهم وأيديَهم وأرجلَهم ، ويختم علىٰ أفواههم ، ثم يفتح لهم الأفواه فتخاصم الجوارحَ ، فتقول : ﴿ **أنطقنا اللّٰه الذي أنطق كل شيء، وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون** ﴾ ، فتقر الألسنة بعد الجحود .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عَبْدَة بن سليمان ، حدثنا ابن المبارك ، حدثنا صفوان بن عمرو ، عن عبد الرحمن بن جُبَير الحضرمي ، عن رافع أبي الحسن - وَصف رجلًا جحد - قال : فيشير اللّٰه إلى لسانه ، فيربو في فيه[٢] ، حتى يملأه ، فلا يستطيع أن ينطق بكلمة ، ثم يقول لآرابه كلها : تكلمي واشهدي عليه . فيشهد عليه سمعه وبصره وجلده وفرجه ويداه ورجلاه : صنعنا ، عملنا ، فعلنا .

وقد تقدم أحاديث كثيرة ، وآثار[٣] عند قوله تعالىٰ في سورة يس : ﴿ **اليوم نختم علىٰ أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون** ﴾ ، بما أغنىٰ عن إعادته هاهنا .

وقال ابن أبي حاتم(١٦) رحمه اللّٰه : حدثنا أبي ، حدثنا سُوَيد بن سعيد ، حدثنا يحيىٰ بن سُلَيم الطائفي ، عن ابن خُثَيم ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد اللّٰه قال : لما رَجَعت إلىٰ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم مُهَاجِرَةُ البحر قال : « **ألا تحدثون بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة ؟** » . فقال فتية منهم : بلىٰ يا رسول اللّٰه ، بينا نحن جلوس إذ مرت علينا عجوز من عجائز رهابينهم ، تحمل علىٰ رأسها قلة من ماء ، فمرت بفتى منهم ، فجعل إحدىٰ يديه بين كتفيها ، ثم دفعها فخرت علىٰ ركبتيها ، فانكسرت قلتها . فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت : سوف تعلم يا غُدَر إذا وضع اللّٰه الكرسيّ ، وجمع الأولين والآخرين ، وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون ، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غدًا . قال : يقول رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **صَدَقَتْ ، صدقت ، كيف يُقَدّس اللّٰه[٤] قومًا لا يؤخذ بضعيفهم من شديدهم؟** » . هذا حديث غريب من هذا الوجه .

ورواه ابن أبي الدنيا في « **كتاب الأهوال** » : أخبرنا إسحاق بن إبراهيم قال : أخبرنا يحيىٰ ابن سليم ، به(١٧) .

---

(١٦) - التفسير (١٨٤٥٧) .

(١٧) - الأهوال (٢٤٣) . والحديث أخرجه ابن ماجه (٤٠١٠) ، وابن حبان (٥٠٥٨ ، ٥٠٥٩) =

---

[١] - في ز : « ينطلقون » .

[٢] - في ت : « فمه » .

[٣] - في ز : « آيات » .

[٤] - سقط من : خ ، ز .

وقوله : ﴿ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ﴾ أي: تقول لهم الأعضاء والجلود حين يلومونها علىٰ الشهادة عليهم : ماكنتم تتكتّمون منا[١] الذي كنتم تفعلونه ، بل كنتم تجاهرون اللّٰه بالكفر والمعاصي ، ولا تبالون منه في زعمكم ، لأنكم كنتم لا تعتقدون أنه يعلم جميع أفعالكم ، ولهذا قال : ﴿ ولكن ظننتم أن اللّٰه لا يعلم كثيرًا مما تعملون * وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم ﴾ ، أي : هذا الظن الفاسد - وهو اعتقادكم أن اللّٰه لا يعلم كثيرًا مما تعملون - هو الذي[٢] أتلفكم وأرداكم عند ربكم ، ﴿ فأصبحتم من الخاسرين ﴾ ، أي : في مواقف القيامة خسرتم أنفسكم وأهليكم .

قال الإمام أحمد رحمه اللّٰه (١٨) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن عُمَارة ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد اللّٰه قال : كنت مستترًا بأستار الكعبة فجاء ثلاثة نفر : قرشي ، وخَتَناه ثَقَفيّان[٣] - أو : ثَقَفي[٤] وخَتَناه قُرشيّان - كثير شحم بطونهم ، قليل فقه قلوبهم . فتكلموا بكلام لم أسمعه ، فقال أحدهم : أترَون أن اللّٰه يسمع كلامنا هذا ؟ فقال الآخر : إنا إذا رفعنا أصواتنا سمعه ، وإذا لم نرفعه لم يسمعه . فقال الآخر[٥] : إن سمع منه شيئًا سَمعه كله . قال : فذكرت ذلك للنبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فأنزل اللّٰه عز وجل : ﴿ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ﴾ ، إلىٰ قوله : ﴿ من الخاسرين ﴾ .

وكذا رواه الترمذي عن هناد عن أبي معاوية بإسناده نحوه (١٩) .

وأخرجه أحمد ومسلم والترمذي أيضًا ، من حديث سفيان الثوري ، عن الأعمش ، عن عُمَارة بن عُمَير ، عن وهب بن ربيعة ، عن عبد اللّٰه بن مسعود - رضي اللّٰه عنه - بنحوه (٢٠) .

= والخطيب فى تاريخه ٣٩٦/٧ من طريق مسلم بن خالد ، والفضل بن العلاء - كلاهما - عن ابن خثيم عن أبى الزبير عن جابر به ، وهذا الإسناد حسن ، ابن خثيم من رجال مسلم . وللحديث شواهد من حديث بريدة بن الحصيب ، وابن عباس وعبد الله بن عمرو وغيرهم . أخرجه ابن أبى شيبة ٥٩٢/٦ ، وابن أبى عاصم ٢٥٧/١ ، والطبرانى (١١٢٣٠) ، ٣٨٥/١٩ ، والبيهقى ٩٥/٦ ، وأبو نعيم فى الحلية ١٢٨/٦ .

(١٨) - المسند (٣٨١/١) (٣٦١٤) ، (٤٢٦/١) (٤٠٤٧) ، (٤٤٢/١) (٤٢٢٢) .

(١٩) - أخرجه الترمذى فى كتاب التفسير من جامعه باب : « ومن سورة حم » حديث (٣٢٤٩) .

(٢٠) - أخرجه أحمد (٤٠٨/١) (٣٨٧٥) ، (٤٤٢/١) (٤٢٢١) ، (٤٤٣/١) (٤٢٣٨) ، ومسلم فى كتاب صفات المنافقين وأحكامهم من صحيحه ، حديث (٥/٢٧٧٥) ، والترمذى عقب الحديث رقم (٣٢٤٩) من الموضع السابق .

[١] - في ز : « من » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « ثقيفيان » .

[٤] - في ز : « ثقيفى» .

[٥] - في ز : « الآخران » .

ورواه البخاري ومسلم أيضًا ، من حديث السفيانين ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن أبي معمر عبد اللّه بن سَخْبرة ، عن ابن مسعود ، به [٢١] .

وقال عبد الرزاق[٢٢] : أخبرنا مَعمر ، عن بَهْز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم في قوله : ﴿ **أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم** ﴾ ، قال : « **إنكم تُدعَون مُفَدَّمًا علىٰ أفواهكم بالفِدَام ، فأول شيء يبين عن أحدكم فخذه وكفه** » .

قال معمر : وتلا الحسن : ﴿ **وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم** ﴾ ، ثم قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **قال اللّه : أنا مع عبدي عند ظنه بي ، وأنا معه إذا دعاني** »[٢٣] . ثم افترّ الحسن ينظر في[١] هذا ، فقال : ألا إنما عمل الناس علىٰ قدر ظنونهم بربهم ، فأما المؤمن فأحسنَ الظنَّ بربه فأحسنَ العملَ ، وأما الكافر والمنافق فأساءا[٢] الظنّ باللّه فأساءا[٣] العمل . ثم قال : قال اللّه تعالىٰ : ﴿ **وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم**

---

(٢١) - أخرجه البخارى فى التفسير من صحيحه ، باب : ﴿ **وذلكم ظنكم الذى ظننتم ...** ﴾ الآية حديث (٤٨١٧) فى كتاب التوحيد من صحيحه باب : ﴿ **وما كنتم تستترون ...** ﴾ الآية ، وأخرجه مسلم فى كتاب صفات المنافقين وأحكامهم حديث (٥/٢٧٧٥) من طريق الثورى - وحده - عن منصور به والحديث أخرجه أيضًا الحميدى فى مسنده (٨٧) عن ابن عيينة ، وأحمد ١٤٣/١ (٤٢٣٨) من طريق الثورى ، والنسائى فى الكبرى (١١٤٦٨) من طريق السفيانين - كلاهما - عن منصور به ، ورواه البخارى فى كتاب التفسير باب : ﴿ **وما كنتم تستترون أن يشهد ...** ﴾ الآية حديث (٤٨١٦) من طريق آخر عن منصور به .

(٢٢) - إسناده حسن ؛ أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره (١٨٥/٣) ، وفى المصنف (٢٠١١٥) ١٣٠/١١ ومن طريقه النسائى فى الكبرى (١١٤٦٩) .

وأخرجه أحمد (٤/٥) ، والنسائي في الزكاة ، باب : وجوب الزكاة (٤/٥ - ٥) ، وباب من سأل بوجه الله عز وجل (٨٢/٥ - ٨٣) ، وابن المبارك فى الزهد (٩٨٧) ، والطبرانى فى الكبير (٩٦٩ - ٩٧٧) ١٩/ ٤٠٧ - ٤٠٩ من طرق عن بهز بن حكيم عن أبيه به .

وأخرجه أحمد (٤٤٦/٤) ، (٣/٥) ، والنسائي فى الكبرى (١١٤٣١) ، والطبرانى فى الكبير (١٠٣٦ - ١٠٣٨) (٤٢٦/١٩ - ٤٢٨) من طريق آخر عن حكيم به مطولًا ومختصرًا .

(٢٣) - أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ١٨٥/٣ عن معمر بهذا السياق وهو مرسل وأصله فى الصحيحين وغيرهما من حديث أبى هريرة ، فأخرجه البخارى فى كتاب التوحيد باب ما يذكر فى الذات والنعوت ، حديث رقم (٧٤٠٥) ، ومسلم فى كتاب الذكر والدعاء ، باب : الحث على ذكر الله تعالى حديث رقم (٢٦٧٥) كلاهما من طريق الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة به .

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - في ز : « فأسيا » . [٣] - في ز : « فأسيا » .

ولا أبصاركم ﴾ ، إلىٰ قوله : **﴿ وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين ﴾** (٢٤) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا النضر بن إسماعيل القاص - وهو أبو المغيرة - حدثنا ابن أبي ليلىٰ ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : قال[١] رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لا يموتن أحد منكم إلا وهو يحسن**[٢] **بالله الظن ، فإن قومًا قد**[٣] **أرداهم سوء ظنهم بالله ، فقال الله تعالىٰ : ﴿ وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين ﴾** »(٢٥) .

وقوله : **﴿ فإن يصبروا فالنار مثوىً لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين ﴾** أي : سواء عليهم أصبروا أم لم يصبروا هم في النار ، لا محيد لهم عنها ، ولا خروج لهم منها . وإن طلبوا أن يستعتبوا ويبدوا أعذارًا فما لهم أعذار ، ولا تقال لهم عثرات .

قال ابن جرير : ومعنىٰ قوله : **﴿ وإن يستعتبوا ﴾** أي : يسألوا الرجعة إلىٰ الدنيا ، فلا جواب لهم ، قال: وهذه كقوله تعالىٰ إخبارًا عنهم : **﴿ قالوا ربنا غلبت علينا شِقْوتنا وكنا قومًا ضالين * ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون * قال اخسئوا فيها ولا تكلمون ﴾** .

۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ ۖ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾

(٢٤) - عبد الرزاق فى تفسيره (١٨٥/٣) .

(٢٥) - حديث صحيح وهذا الإسناد ضعيف . النضر ضعفه غير واحد ، وقال ابن حبان : كان ممن فحش خطؤه ، وكثر وهمه . استحق الترك من أجله وقال ابن معين : ليس بشيء . والحديث أخرجه أحمد ٣/ ٣٩٠ ، وابن أبى الدنيا فى حسن الظن بالله حديث رقم (٤) من طريق النضر به وأخرجه أحمد ٣٢٥/٣ ، ٣٣٤/٣ ، ومسلم فى كتاب الجنة وصفة نعيمها باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت ، حديث (٢٨٧٧) (٨٢) ، وعبد بن حميد (١٠٤١) من طريق ابن جريج . وواصل عن أبى الزبير به ، وأخرجه أحمد ٢٩٣/٣ ، ٣١٥ ، ٣٣٠ وعبد بن حميد ١٠١٥ ، ومسلم فى الموضع السابق حديث رقم (٢٨٧٧) (٨١) ، وأبو داود (٣١١٣) ، وابن ماجه (٤١٦٧) من طريق آخر عن جابر به .

[١] - سقط من : ز . [٢] - في ز : « محسن » .

[٣] - سقط من : ز .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

يذكر تعالىٰ أنه هو الذي[١] أضل المشركين ، وأن ذلك بمشيئته وكونه وقدرته ، وهو الحكيم في أفعاله ، بما قيّض لهم من القُرَناء من شياطين الإنس والجن ، ﴿ **فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم** ﴾ أي : حسَّنوا لهم أعمالهم في الماضي[٢] ، وبالنسبة إلىٰ المستقبل فلم يروا أنفسهم إلا محسنين ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانًا فهو له قرين * وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وحق عليهم القول** ﴾ أي : كلمة العذاب كما حَقّ[٣] علىٰ أمم قد خلت من قبلهم ، ممن فعل كفعلهم ، من الجن والإنس ، ﴿ **إنهم كانوا خاسرين** ﴾ أي : استوَوْا هم وإياهم في الخَسَار والدمار .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن** ﴾ أي : تواصوا فيما بينهم أن لا يطيعوا للقرآن ، ولا ينقادوا لأوامره ، ﴿ **والغوا فيه** ﴾ أي : إذا تُلي لا تستمعوا له . كما قال مجاهد : ﴿ **والغوا فيه** ﴾ ، يعني بالمُكاء والصفير والتخليط في المنطق علىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم إذا قرأ القرآن ، قريش تفعله .

وقال الضحاك عن ابن عباس : ﴿ **والغوا فيه** ﴾ : عيبوه .

وقال قتادة : اجحدوا به ، وأنكروه وعادوه .

﴿ **لعلكم تغلبون** ﴾ : هذا حال هؤلاء الجهلة من الكفار ، ومن سلك مسلكهم عند سماع القرآن . وقد أمر اللَّه سبحانه عباده المؤمنين بخلاف ذلك فقال : ﴿ **وإذا قرئَ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون** ﴾ ثم قال تعالىٰ منتصرًا للقرآن ، ومنتقمًا ممن عاداه من أهل الكفران: ﴿ **فلنذيقن الذين كفروا عذابًا شديدًا** ﴾ أي : في مقابلة ما اعتمدوه في القرآن وعند سماعه ، ﴿ **ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون** ﴾ أي : بشر أعمالهم ، وسَيِّئ فعالهم[٤] ﴿ **ذلك جزاء أعداء اللَّه النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون * وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين** ﴾ .

قال سفيان الثوري عن سلَمَة بن كُهَيل، عن مالك بن الحُصَين الفَزَاري، عن أبيه ، عن علي - رضي اللَّه عنه - في قوله : ﴿ **اللذين أضلانا** ﴾ قال : إبليس وابن آدم الذي قتل أخاه .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في خ ، ز : « المعاصي » .

[٣] - في ز : « حقق » .

[٤] - في ت : « أفعالهم » .

وهكذا روى[١] حبة العرني عن عليّ مثل ذلك .

وقال السدي : عن علي : فإبليس يدعو به كلّ صاحب شرك ، وابن آدم يدعو به كل صاحب كبيرة ، فإبليس - لعنه الله - هو الداعي إلىٰ كل شر من شرك فما دونه ، وابن آدم الأول . كما ثبت في الحديث : « **ما قُتِلت نفس ظلمًا إلا كان علىٰ ابن آدم الأول كِفْل من دمها ؛ لأنه أول من سن القتل** »(٢٦) .

وقوله : ﴿ **نجعلهما تحت أقدامنا** ﴾ أي : أسفل منا في العذاب ليكونا أشد عذابًا منا ، ولهذا قالوا : ﴿ **ليكونا من الأسفلين** ﴾ أي : في الدرك الأسفل من النار ، كما تقدم في « **الأعراف** » من سؤال الأتباع من الله أن يعذب قادتهم أضعافَ عذابهم ، قال : ﴿ **لكل ضعف ولكن لا تعلمون** ﴾ أي : إنه تعالى قد أعطى كلًّا منهم ما يستحقه من العذاب والنكال ، بحسب عمله وإفساده ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابًا فوق العذاب بما كانوا يفسدون** ﴾ .

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا** ﴾ أي : أخلصوا العمل لله ، وعملوا بطاعة الله تعالىٰ علىٰ ما شرع الله لهم .

قال الحافظ أبو يعلىٰ الموصلي(٢٧) : حدثنا الجراح ، حدثنا سَلْم[٢] بن قتيبة أبو قتيبة الشّعيري ، حدثنا سُهَيل بن أبي حَزم ، حدثنا ثابت ، عن أنس بن مالك قال : قرأ علينا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم هذه الآية : « ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا** ﴾ ، قد قالها ناس[٣] ثم كفر أكثرهم ، فمن قالها حتىٰ يموت فقد استقام عليها » .

(٢٦) - تقدم تخريجه فى سورة المائدة الآية رقم (٣٠) .

(٢٧) - إسناده ضعيف ؛ فى إسناده سهيل بن أبى حزم القطعى وهو ضعيف . وهو في مسند أبي يعلى (٦/ ٣٤٩٥) ومن طريقه ابن عدي في الكامل (١٢٨٨/٣) وأخرجه الترمذى (٣٢٥٠) فى كتاب التفسير =

[١] - في ت : « رواه » .

[٢] - في ز : « مسلم » . [٣] - في ز : « قوم » .

وكذا رواه النسائي في تفسيره والبزار وابن جرير عن عمرو بن عليّ الفلاس عن سلم[١] بن قتيبة ، به . وكذا رواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن الفلاس ، به[٢] . ثم قال ابن جرير :

حدثنا ابن بشار، حدثنا عبد الرحمن، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عامر ابن سعد[٣] ، عن سعيد بن نمران قال : قرأت عند أبي بكر الصديق هذه الآية : ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا** ﴾ ، قال : هم الذين لم يشركوا بالله شيئًا (٢٨) .

ثم روىٰ من حديث الأسود بن هلال قال : قال أبو بكر رضي الله عنه ماتقولون[٤] في هذه الآية : ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا** ﴾ ؟ قال[٥] : فقالوا : ﴿ **ربنا الله ثم استقاموا** ﴾ من ذنب . فقال : لقد حملتموها علىٰ غير المحمل ، ﴿ **قالوا ربنا الله ثم استقاموا** ﴾ ، فلم يلتفتوا إلىٰ إله غيره ، وكذا قال مجاهد وعكرمة والسدي وغير واحد .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو عبد الله الظّهراني ، أخبرنا حفص بن عمر العَدَنيّ ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة قال : سئل ابن عباس رضي الله عنهما : أيّ آية في كتاب الله أرخص ؟ قال : قوله : ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا** ﴾ علىٰ شهادة أن لا إله إلا الله .

وقال الزهري : تلا عمر هذه الآية علىٰ المنبر ، ثم قال : استقاموا - والله - لله بطاعته ، ولم يروغوا رَوَغَانَ الثعالب .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿**قالوا ربنا الله ثم استقاموا**﴾ على أداء فرائضه . وكذا قال قتادة ، قال : وكان الحسن يقول : اللّهم ، أنت ربنا ، فارزقنا الاستقامة .

وقال أبو العالية : ﴿**ثم استقاموا**﴾ : أخلصوا له العمل والدين .

وقال الإمام أحمد (٢٩) : حدثنا هشيم ، حدثنا يعلىٰ بن عطاء ، عن عبد الله بن سفيان

= باب : ومن سورة حم السجدة ، والنسائى فى الكبرى (١١٤٧٠) ، من طريق عمرو بن علي الفلاس عن سلم بن قتيبة به . قال أبو عيسى : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وزاد السيوطى فى الدر نسبته إلى البزار ، وابن مردويه ، وابن أبى حاتم :

(٢٨) - تفسير الطبرى (١١٤/٢٤) .

(٢٩) - حديث صحيح . أخرجه أحمد (٣٨٤/٤) وأخرجه أيضًا (٤١٣/٣) والدارمي (٢٧١٣) والنسائى فى الكبرى (١١٤٨٩) من طريق يعلى بن عطاء عن عبد الله بن سفيان عن أبيه به .

[١] - في ز : « مسلم » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « سعيد » .

[٤] - في ز : « تقول » .

[٥] - مضبب عليه في : ز .

الثقفي ، عن أبيه ، أن رجلًا قال: يارسول اللّٰه، مرني بأمر في الإسلام لا أسأل عنه أحدًا بعدك. قال: « **قل : آمنت باللّٰه ، ثم استقم** » . قلت : فما أتَّقي ؟ فأومأ إلىٰ لسانه . ورواه النسائي من حديث شعبة عن يعلى بن عطاء به .

ثم قال الإمام أحمد(٣٠) : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا إبراهيم بن سعد ، حدثني ابن شهاب ، عن محمد بن عبد الرحمن بن ماعز العامري[١] ، عن سفيان بن عبد اللّٰه الثقفي قال : قلت : يارسول اللّٰه، حدثني بأمر أعتصم به . قال: « **قل: ربي اللّٰه، ثم استقم** » . قلت: يا رسول اللّٰه ، ما أكثر ما تخاف علي ؟ فأخذ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بطرف لسان نفسه ، ثم قال : « **هذا** » . وهكذا رواه الترمذي وابن ماجه ، من حديث الزهري ، به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقد أخرجه مسلم في صحيحه والنسائي(٣١) ، من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن سفيان بن عبد اللّٰه الثقفي قال : قلت : يا رسول اللّٰه ، قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا بعدك . قال : « **قل : آمنت باللّٰه ، ثم استقم** » . وذكر تمام الحديث .

وقوله : ﴿ **تتنزل عليهم الملائكة** ﴾ قال مجاهد، والسدي ، وزيد بن أسلم ، وابنه : يعني عند الموت قائلين ﴿ **أن لا تخافوا** ﴾ قال مجاهد ، وعكرمة ، وزيد بن أسلم : أي مما تقدمون[٢] عليه من أمر الآخرة ، ﴿ **ولا تحزنوا** ﴾ ، علىٰ ما خلفتموه من أمر الدنيا ، من ولد وأهل ، ومال أو دين ، فإنا نَخْلفكم فيه ، ﴿ **وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون** ﴾ فيبشرونهم بذهاب الشر [وحصول الخير][٣] .

وهذا كما في حديث البراء - رضي اللّٰه عنه - : « **إن الملائكة تقول لروح المؤمن : اخرجي أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمرينه ، اخرجي إلىٰ رَوح وريحان ، ورب غير غضبان** » .

وقيل : إن الملائكة تتنزل عليهم يوم خروجهم من قبورهم . حكاه ابن جرير عن ابن عباس ، والسدي .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة، حدثنا عبد السلام بن مطهر، حدثنا جعفر بن سليمان : سمعت ثابتًا [قرأ سورة « حم .][٤] **السجدة** » ، حتىٰ بلغ : ﴿ **إن الذين قالوا ربنا**

(٣٠) - مسلم فى الإيمان من صحيحه باب جامع أوصاف الإسلام حديث رقم (٦٢) (٣٢)

(٣١) - أخرجه أحمد (٤١٣/٣) ، والدارمى (٢٧١٤) ، والترمذى (٢٤١٠) ، وابن ماجه (٣٩٧٢) ، من طريق الزهرى عن محمد بن عبد الرحمن بن ماعز به .

[١] - في ت : « الغامدي » .
[٢] - في ز : « يقدمون » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين بياض في : ز .

اللَّه ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ﴾ . فوقف فقال : بلغنا أن العبد المؤمن حين[١] يبعثه اللَّه من قبره يتلقاه ملكاه[٢] اللذان كانا معه في الدنيا ، فيقولان له : لا تخف ولا تحزن ، ﴿ **وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون** ﴾ قال : فيؤمن اللَّه خوفه ، ويُقِرّ عينه ، فما عظيمة يَخْشىٰ الناس يوم القيامة إلا هي للمؤمن قُرّة عين ، لما هَدَاه اللَّه ، ولما كان يعمل له في الدنيا (٣٢) .

و[٣]قال زيد بن أسلم : يبشرونه عند موته وفي قبره وحين يبعث . رواه ابن أبي حاتم. وهذا القول يجمع الأقوال كلها ، وهو حسن جدًّا ، وهو الواقع .

وقوله : ﴿ **نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾ أي : [تقول الملائكة للمؤمنين][٤] عند الاحتضار : نحن كنا أولياءكم ، أي : قرناءكم في الحياة الدنيا ، نُسددكم ونوفقكم ، ونحفظكم بأمر اللَّه ، وكذلك نكون معكم في الآخرة ، نُؤنس منكم الوحشة في القبور ، وعند النفخة في الصور ، ونؤمنكم يوم البعث والنشور ، ونجاوز بكم الصراط المستقيم ، ونوصلكم إلىٰ جنات النعيم . ﴿ **ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم** ﴾ أي : في الجنة من جميع ما تختارون مما تشتهيه النفوس ، وتقر به العيون ، ﴿ **ولكم فيها ما تدعون** ﴾ [أي : مهما طلبتم وجدتم ، وحضر بين أيديكم كما اخترتم][٥] ، ﴿ **نزلًا من غفور رحيم** ﴾ [أي : ضيافة وعطاء وإنعاما من غفور لذنوبكم ، رحيم بكم رءوف ، حيث غفر ، وستر ، ورحم ولطف .

وقد ذكر ابن أبي حاتم هاهنا حديث « **سُوق الجنة** » عند قوله تعالىٰ : ﴿ **ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون * نزلًا من غفور رحيم** ﴾][٦] ، فقال :

حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن عَمّار ، حدثنا عبد الحميد بن حَبِيب بن أبي العشْرين أبي سعيد ، حدثنا الأوزاعي ، حدثني حَسّان بن عطية ، عن سعيد بن المسيب : أنه لقي أبا هريرة ، فقال أبو هريرة : نسأل اللَّه أن يجمع بيني وبينك في سُوق الجنة . فقال سعيد : أوَ فيها سوق ؟ قال : نعم ، أخبرني رسول اللَّه - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - : « **أن أهل الجنة إذا دخلوا فيها ، نزلوا بفضل أعمالهم ، فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا ، فيزورون اللَّه - عز وجل - ويبرز لهم عرشه ، ويَتَبدّىٰ لهم في روضة من رياض الجنة ، وتوضع لهم منابر من نور ، ومنابر من لؤلؤ ، ومنابر من ياقوت ، ومنابر من زبرجد ، ومنابر من ذهب ، ومنابر من**

(٣٢) - عزاه السيوطي في الدر (٦٨٣/٥) إلى ابن أبي حاتم ، وابن المنذر . وإسناده حسن ، جعفر بن سليمان تكلم فيه بعضهم من قبل مذهبه في التشيع ، ووثقه جماعة .

[١] - في ز : « حيث » .
[٢] - في خ : « الملكان » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « يقول للمؤمن الملائكة » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

فضة ، ويجلس أدناهم وما فيهم دَنيء على كثبان المسك والكافور ما يرون بأن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسًا » .

قال أبو هريرة : قلت : يارسول اللّه ، وهل نَرَىٰ ربنا ؟ قال : « **نعم ، [هل تمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر ؟** » قلنا : لا . قال صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **فكذلك لا تتمارون في رؤية ربكم تعالىٰ][١] ، ولا يبقىٰ في ذلك المجلس أحد إلا حاضره اللّه محاضرة ، حتىٰ إنه ليقول للرجل منهم : يا فلان بن فلان ، أتذكر يوم عملت كذا وكذا ؟ - يُذكّره ببعض غَدَراته في الدنيا - فيقول : أيْ ربّ ، أفلم تغفر لي ؟ فيقول : بلىٰ ، فَبِسَعَة مغفرتي بلغت منزلتك هذه . قال : فبينما هم علىٰ ذلك ، غَشيتهم سحابة من فوقهم ، فأمطرت عليهم طيبًا لم يجدوا مثل ريحه شيئًا قط . قال : ثم يقول ربنا - عز وجل - : قوموا إلىٰ ما أعددتُ لكم من الكرامة ، وخذوا ما اشتهيتم . قال : فنأتي سوقا قد حَفَّت به الملائكة ، فيها ما لم تنظر العيون إلىٰ مثله ، ولم تسمع الآذانُ ، ولم يخطر علىٰ القلوب . قال : فيحمل لنا ما اشتهينا ، ليس يباع فيه شيء ولا يُشترىٰ ، وفي ذلك السوق يلقىٰ أهل الجنة بعضُهم بعضًا . قال : فيُقبِلُ الرجل ذو المنزلة الرفيعة ، فيلقىٰ من هو دونه - وما فيهم دَنيء فيَرُوعه ما يرىٰ[٢] عليه من اللباس ، فما ينقضي آخر[٣] حديثه حتىٰ يَتَمثَّل عليه أحسن منه ، وذلك لأنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها . ثم ننصرف إلىٰ منازلنا ، فيتلقانا أزواجنا فيقلن : مرحبًا وأهلًا بحبّنا ، لقد جئت وإن بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه . فيقول : إنا جالسنا اليوم [ربنا الجبار][٤] - عز وجل - ويَحِقُّنا أن نَنقَلب بمثل ما انقلبنا به »** .

وقد رواه الترمذي في « **صفة[٥] الجنة** » من جامعه ، عن محمد بن إسماعيل ، عن هشام ابن عمار ، ورواه ابن ماجة عن هشام بن عمار ، به نحوه (٣٣) .

ثم قال الترمذي : « هذا حديث غريب ، لانعرفه إلا من هذا الوجه » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن أبي عدي ، عن حُميد ، عن أنس قال : قال رسول اللّه - صلىٰ اللّه عليه وسلم - : « **من أحب لقاء اللّه أحب اللّه لقاءه ، ومن كره لقاء اللّه كره اللّه**

---

(٣٣) - حديث ضعيف . أخرجه الترمذى (٢٥٤٩) ، وابن ماجه (٤٣٣٦) ، وابن أبى عاصم فى السنة (٥٨٥، ٥٨٧) ، وابن حبان (٧٤٣٨) ، وتمام فى فوائده (١٧٨٧) ، والعقيلى فى الضعفاء ٤١/٣ من طريق هشام ابن عمار به .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « الجبار ربنا » .

[٥] - في خ ، ز : « قصة » .

لقاءه » . قلنا : يارسول الله ، كلنا نكره الموت ؟ قال : « ليس ذلك كراهية الموت[١] ، ولكن المؤمن إذا حُضِر جاءه البشير من الله بما هو صائر إليه ، فليس شيء أحبّ إليه من أن يكون قد لقي الله فأحب الله لقاءه » . قال : « وإن الفاجر - أو الكافر - إذا حُضِر جاءه بما هو صائر إليه من الشر - أو : ما يلقىٰ من الشر - فكره لقاء الله ، فكره الله لقاءه » .

وهذا حديث صحيح وقد ورد في الصحيح من غير هذا الوجه (٣٤) .

وهذا الحديث اختلف فيه على الأوزاعي . فقد رواه عبد الحميد بن حبيب - كما ذكر المصنف - عن الأوزاعي عن حسان بن عطية به ، وعبد الحميد بن حبيب لينه غير واحدٍ ، وقد خالفه الوليد بن مسلم عند ابن عساكر في تاريخه (٤٠/ ٥) ، والهقل بن زياد عند ابن أبي الدنيا في صفة الجنة ، باب : سوق الجنة حديث رقم (٢٥٦) كلاهما عن الأوزاعي قال نبئت أن سعيد بن المسيب لقى أبا هريرة ... الحديث . وهذا أصح . فالهقل بن زياد ، والوليد بن مسلم من أثبت أصحاب الأوزاعي . ولم يذكرا الواسطة بين الأوزاعي وبين سعيد والحديث رواه سويد بن عبد العزيز عن الأوزاعي على ثلاثة أوجه :

الأول : عن الأوزاعي عن حسان بن عطية عن سعيد أنه لقى أبا هريرة الحديث . فوافق بها رواية عبد الحميد ابن حبيب عن الأوزاعي . أخرجه ابن أبي عاصم (٥٨٦) ، والآجرى فى الشريعة ص ٢٦٠ ، والعقيلى فى الضعفاء (٤٢/٣) ، وتمام فى فوائده (١٧٨٨ - الروض) .

الثاني : عن الأوزاعي قال : نبئت أن سعيد ... الحديث ، فوافق بها رواية الوليد بن مسلم ، والهقل بن زياد عن الأوزاعي ، أخرجه ابن عساكر (٤/٤٠) .

الثالث : عن الأوزاعي عن عبد الرحمن بن حرملة عن سعيد بن المسيب به فجعل الواسطة بين الأوزاعي وبين سعيد عبد الرحمن بن حرملة .

والحديث رواه أيضًا عبد القدوس بن حجاج عن الأوزاعي فقال : عن الزهرى عن سعيد بن المسيب فذكره . فجعل الواسطة بين الأوزاعي وسعيد الزهرى . أخرجه تمام فى فوائده (١٧٩٠ - الروض) ، وابن عساكر فى تاريخه (٧/٤٠) .

وحكى الدارقطنى فى العلل (٢٧٦/٧)أن عبد القدوس بن حجاج رواه عن الأوزاعي قال : نبئت عن أبي هريرة . ولم يذكر حتى سعيد بن المسيب ثم رجحها قائلاً : وهذا أشبهها بالصواب اهـ . ورواه محمد بن مصعب القرقسانى عن الأوزاعي فقال : عن الزهرى قال : قال لى سعيد . فجعل الزهرى الواسطة بين الأوزاعي وبين سعيد ، أخرجه ابن عساكر فى تاريخه (٤٠/٧ - ٨) ، قال الدارقطنى فى العلل : وهم فى قوله عن الزهرى اهـ .

فالحاصل : أن هذا الحديث ضعيف لإبهام الواسطة بين الأوزاعي وبين سعيد بن المسيب وكل الطرق التى ذكر فيها اسم الواسطة معلولة للمخالفة والله أعلم . وانظر الضعيفة (١٧٢٢) ، والعلل للدارقطنى (٧/ ٢٧٥).

(٣٤) - حديث صحيح . المسند (٢٣٧/٣) ، وأخرجه أبو يعلى (٣٨٧٧) ، والبزار (٧٨٠ - كشف) وعزاه المزى فى التحفة (٧١٢) إلى النسائى فى الكبرى مستدركه على الحافظ بن عساكر ، وتبعه ابن حجر فى الفتح (٣٠٨/١١) وهذا الحديث يرويه أنس عن عبادة بن الصامت ، أخرجه أحمد ٣٣١/٥ ، والبخارى فى الرقاق ح (٦٥٠٧) ، ومسلم فى الذكر والدعاء حديث (٢٦٨٣) .

[١] - سقط من : خ ، ز .

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلىٰ الله ﴾ ، أي : دعا عبادَ اللَّه إليه ، ﴿ وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾ أي : وهو في نفسه مهتد بما يقوله ، [فنفعُه لنفسه][١] ولغيره لازم ومتعد ، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه ، وينهون عن المنكر ويأتونه ، بل يأتمر بالخير ويترك الشر ، ويدعو الخلق إلىٰ الخالق تبارك وتعالىٰ . وهذه عامة في كل من دعا إلىٰ خير ، وهو في نفسه مهتد ، ورسول اللَّه - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - أولىٰ الناس بذلك ، كما قال محمد بن سيرين ، والسدي ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

وقيل : المراد بها المؤذنون الصلحاء ، كما ثبت في صحيح مسلم : « **المؤذنون أطول الناس أعناقًا يوم القيامة** »(٣٥) .

وفي السنن مرفوعًا : « **الإمام ضامن ، والمؤذن مؤتمن ، فأرشد اللَّه الأئمة ، وغفر للمؤذنين** » (٣٦) .

---

(٣٥) - صحيح مسلم فى كتاب الصلاة ، باب : فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه ، حديث رقم (٣٨٧) .

(٣٦) - حديث صحيح . أخرجه الشافعى فى الأم ١٤١/١ ، والحميدى (٩٩٩) ، والطيالسى (٢٤٠٤) ، وأحمد (٢٨٤/٢ ، ٣٨٢ ، ٤٢٤ ، ٤٦١ ، ٤٧٢) ، وأبو داود (٥١٨) ، والترمذى (٢٠٧) ، والطحاوى فى المشكل ٥٢/٣ ، والطبرانى فى الصغير ص٥٩ ، ١٢٣ ، ١٦٤ ، وأبو نعيم فى الحلية ١١٨/٧ ، والخطيب فى تاريخه (٢٤٢/٣) ، (٣٨٧/٤) ، (٤١٢/٩) ، (٣٠٦/١١) ، والبيهقى (٤٣٠/١) من طريق الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة . وأعل البيهقى هذا الحديث بالانقطاع بين الأعمش وأبى صالح . فقد أخرجه أحمد ٢٣٢/٢ ، وأبو داود (٥١٧) ، ومن طريقه البيهقى ٤٣٠/١ - من طريق الأعمش عن رجل عن أبى صالح به . وأجيب عن ذلك بأجوبة . انظرها فى نيل الأوطار ٣٣٤/١ ، وفى الإرواء ١/ ٢٣٢، وفى الباب عن عائشة عند أحمد ٦٥/٦ ، والطحاوى ٥٣/٣ ، والبيهقى ٤٣١/١ وفى سنده ضعف . ولقوله صلى اللَّه عليه وسلم : « الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن » شواهد انظرها فى الإرواء ٢٣١/١ (٢١٧) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في خ : « فنفسه بنفسه » .

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا محمد بن عروبة الهروي، حدثنا غسان قاضي هراة، وقال أبو زرعة: حدثنا إبراهيم بن طهمان، عن مطر، عن الحسن، عن سعد بن أبي وقاص أنه قال: سهام المؤذنين عند الله يوم القيامة كسهام المجاهدين، وهو بين الأذان والإقامة كالمتشحط في سبيل الله في دمه.

قال: وقال ابن مسعود: لو كنت مؤذنًا ما باليت أن لا أحج ولا أعتمر ولا أجاهد.

قال: وقال عمر بن الخطاب: لو كنت مؤذنًا لكَمُلَ أمري، وما باليت أن لا أنتصب لقيام الليل ولا لصيام النهار[١]، سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول: « **اللَّهم اغفر للمؤذنين** ». ثلاثًا، قال: فقلت: يارسول الله، تركتنا ونحن نَجْتلدُ[٢] علىٰ الأذان بالسيوف. قال: « **كلا يا عمر، إنه يأتي علىٰ الناس زمان يتركون الأذان[٣] علىٰ ضُعَفائهم، وتلك لحوم حرمها الله علىٰ النار، لحوم المؤذنين** » (٣٧).

قال: وقالت عائشة: ولهم هذه الآية: ﴿ **ومن أحسن قولًا ممن دعا إلىٰ الله وعمل صالحًا وقال إنني من المسلمين** ﴾، قالت[٤]: فهو المؤذن إذا قال: « **حي علىٰ الصلاة** ». فقد دعا إلىٰ الله.

وهكذا قال ابن عمر وعكرمة: إنها نزلت في المؤذنين.

وقد ذكر البغوي عن أبي أمامة الباهلي -رضي الله عنه- أنه قال في قوله: ﴿ **وعمل صالحًا** ﴾، قال: يعني صلاة ركعتين بين الأذان والإقامة.

ثم أورد البغوي حديث عبد الله بن المُغَفَّل قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: « **بين كل أذانين صلاة** ». ثم قال في الثالثة: « **لمن شاء** ».

وقد أخرجه الجماعة في كتبهم، من حديث عبد الله بن بُرَيدة، عنه (٣٨).

وَحديث الثوري، عن زَيد[٥] العَمّي، عن [أبي إياس][٦] معاوية بن قرة، عن أنس بن

(٣٧) - أورده المصنف فى مسند الفاروق عن أبى بكر الإسماعيلى بسنده إلى الحسن البصرى عن عمر بن الخطاب عن النبى صلى الله عليه وسلم. وهذا إسنادٌ منقطع بين الحسن وعمر بن الخطاب. انظر مسند الفاروق ١٤٤/١.

(٣٨) - أخرجه أحمد (٨٦/٤)، (٥٤/٥)، (٥٥/٥)، والبخارى فى كتاب الأذان باب كم بين =

[١] - في ز: « نهار ».
[٢] - في خ، ز: « نجتهد ».
[٣] - سقط من: خ، ز.
[٤] - في ز: « قال ».
[٥] - في ز: « يزيد ».
[٦] - ما بين المعكوفتين في خ، ز: « أبي أمامة بن ».

مالك رضي الله عنه ، قال الثوري : لا أراه إلا قد رفعه إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة** »(٣٩) .

ورواه أبو داود ، والترمذي ، والنسائي في « اليوم والليلة » ، كلهم من حديث الثوري ، به . وقال الترمذي : هذا حديث حسن(٤٠) .

ورواه النسائي أيضًا من حديث سليمان التيمي عن قتادة عن أنس به .

والصحيح أن الآية عامة في المؤذنين وفي غيرهم ، فأما حال نزول هذه الآية فإنه لم يكن الأذان مشروعًا بالكلية ؛ لأنها مكية ، والأذان إنما شرع بالمدينة بعد الهجرة ، حين أريَهُ عبد الله ابن زيد بن عبد رَبه الأنصاري في منامه ، فقصَّه علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فأمره أن يلقيه علىٰ بلال فإنه أندىٰ صوتًا ، كما هو مقرر[١] في موضعه ، فالصحيح إذًا أنها عامة ، كما قال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الحسن البصري : أنه تلا هذه الآية : ﴿ **ومن أحسن قولًا**

= الأذان والإقامة ح (٦٢٤) وطرفه فى (٦٢٧) ، ومسلم فى كتاب صلاة المسافرين وقصرها . باب : بين كل أذانين صلاة ، ح (٨٣٨) ، وأبو داود فى الصلاة باب الصلاة قبل المغرب ح رقم (١٢٨٣) ، والترمذى فى كتاب الصلاة ، باب ما جاء فى الصلاة قبل المغرب ، حديث (١٨٥) ، والنسائى فى كتاب الأذان ، باب : الصلاة بين الأذان والإقامة حديث رقم (٦٨١) ، وابن ماجه فى كتاب إقامة الصلاة ... باب : ما جاء فى الركعتين قبل المغرب حديث (١١٦٢) .

(٣٩) - هذا الحديث أخرجه عبد الرزاق فى المصنف (١/٤٩٥) وابن أبى شيبة (١٠/٢٢٥) ، وأحمد ٣/ ١١٩ ، وأبو داود فى الصلاة (٥٢١) ، والترمذى فى الصلاة (٢١٢) ، وفى الدعوات (٣٥٩٥) ، والنسائى فى كتاب عمل اليوم والليلة من الكبرى ، باب : الترغيب فى الدعاء بين الأذان والإقامة (٩٨٩٦ - ٩٨٩٧) ، والطبرانى فى الدعاء باب فضل الدعاء بين الأذان والإقامة ح (٤٨٣) ، والبيهقى (١/٤١٠) من طريق وكيع وأبي نعيم وأبي أحمد الزبيري عن سفيان الثورى عن زيد العمى عن أبى إياس عن أنس بن مالك به . وسقط من مصنف ابن أبى شيبة المطبوع ذكر « سفيان » ، وهذا إسنادٌ ضعيف لحال زيد العمى فإنه كان سيئ الحفظ ، وقال الترمذى : حديث حسن صحيح وقد رواه أبو إسحاق الهمدانى عن بريد بن أبى مريم عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم مثل هذا اهـ . وأخرجه النسائى فى الكبرى (٩٨٩٨) من طريق عبد الرحمن بن مهدى عن سفيان الثورى به موقوفًا ، وكذا رواه قتادة عن أنس من قوله . أخرجه النسائى فى الكبرى (٩٨٩٩ - ٩٩٠٠) . أما حديث بريد بن أبى مريم عن أنس والذى ذكره الترمذى فأخرجه ابن أبى شيبة (١٠/٢٢٦) ، وأحمد (٣/١٥٥ ، ٢٥٤) ، (٣/٢٢٥) ، وابن خزيمة (٤٢٦ - ٤٢٧) ، وابن حبان (١٦٩٥) من طرق عنه به ، وانظر الإرواء (١/٢٦٢) .

(٤٠) - كذا نقل المصنف عن الترمذى أنه قال : «حديث حسن »وسبق فى التعليق على الهامش السابق أنه قال : «حديث حسن صحيح » ، وكذا هى فى النسخة التى بين أيدينا والتى قام الشيخ أحمد شاكر بتحقيقها وأثبت كلمة : «صحيح »ثم علق عليها قائلًا : « زيادة من ع ، و ، م وهى زيادة جيدة اهـ . وهذا يعنى أن بعض النسخ ورد فيها : «حديث حسن »بدون صحيح ، وكذا أثبتها الحافظ المزى فى تحفة الأشراف (١٥٩٤) قائلًا : « ت فى الصلاة ... وقال حسن » اهـ ، وقال ابن حجر فى نتائج الأفكار =

[١] - في ز : « مقدر » .

ممن دعا إلىٰ الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾ ، فقال : هذا حبيب الله ، هذا ولي الله ، هذا صفوة الله ، هذا خِيَرَةُ الله ، هذا أحبّ أهل الأرض إلىٰ الله ، أجاب اللّهَ في دعوته ، ودعا الناسَ إلىٰ ما أجاب الله [فيه من][1] دعوته ، وعمل صالحاً في إجابته ، وقال : إنني من المسلمين ، هذا خليفة الله .

وقوله : ﴿ **ولا تستوي الحسنة ولا السيئة** ﴾ أي : فرق عظيم بين هذه وهذه ، ﴿ **ادفع بالتي هي أحسن** ﴾ أي : من أساء إليك فادفعه عنك بالإحسان إليه ، كما قال عمر : ما عاقبتَ من عَصَىٰ الله فيك بمثل[2] أن تطيع الله فيه .

وقوله : ﴿ **فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم** ﴾ ، وهو الصديق ، أي : إذا أحسنت إلىٰ من أساء إليك قادته تلك الحسنةُ إليه إلىٰ مصافاتك ومحبتك ، والحنوّ عليك ، حتىٰ يصير كأنه وَلِيّ لك حَمِيم ، أي : قريب إليك من الشفقة عليك والإحسان إليك .

ثم قال : ﴿ **وما يلقاها إلا الذين صبروا** ﴾ أي : وما يقبل هذه الوصية ويعمل بها إلا من صبر علىٰ[3] ذلك ، فإنه يشق[4] علىٰ النفوس ، ﴿ **وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم** ﴾ أي : ذو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والأخرىٰ .

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في تفسير هذه الآية : أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب ، والحلم عند الجهل ، والعفو عند الإساءة ، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان ، وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم .

وقوله : ﴿ **وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله** ﴾ أي : إن شيطان الإنس ربما ينخدع بالإحسان إليه ، فأما شيطان الجن فإنه لا حيلةَ فيه إذا وسوس إلا الاستعاذة بخالقه الذي سلطه عليك ، فإذا استعذت بالله ولجأت إليه ، كفه عنك ورد كيده . وقد كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إذا قام إلىٰ الصلاة يقول : « **أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، من همزه ونفخه ونفثه** » (٤١) .

= (٣٤/أ) - كما فى حاشية الدعاء للطبرانى (١٠٢١/٢) - : « ولم أر هذه الزيادة فى النسخ الموثوقة ... وعدَّدها » اهـ ، يعنى كلمة : « صحيح » فاللهُ أعلم .

(٤١) - حديث صحيح بمجموع طرقه . أخرجه ابن أبى شيبة ٢٣١/٢ ، وأبو داود الطيالسى (٩٤٧) ، وأحمد ٨٥/٤ ، وأبو داود فى الصلاة (٧٦٤) ، وابن ماجه فى الصلاة (٨٠٧) ، وابن الجاوود فى المنتقى (١٨٠) ، والحاكم ٢٣٥/١ ، والبيهقى ٣٥/٢ ، وابن حبان فى الثقات ٢٢٢/٢ وغيرهم من طريق عمرو بن مرة عن عاصم العنزى عن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه جبير به . قال الحاكم : «صحيح الإسناد »ووافقه الذهبى . قلت : فى إسناده عاصم العنزى وقد اختلف فى اسمه ، ولم يوثقه أحد . وقال =

[١] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « في » .
[٢] - في ز : « أن بمثل » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « مشق » .

وقد قدمنا أن هذا المقام لانظير له في القرآن إلا في « سورة الأعراف » عند قوله تعالىٰ : ﴿ **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين * وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم** ﴾ ، وفي سورة المؤمنين عند قوله : ﴿ **ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون * وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين * وأعوذ بك رب أن يحضرون** ﴾ .

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾

يقول تعالىٰ منبهًا خَلْقه علىٰ قدرته العظيمة ، وأنه الذي لا نظير له ، وأنه علىٰ ما يشاء قادر ، ﴿ **ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر** ﴾ أي : إنه خلق الليلَ بظلامه ، والنهار بضيائه ، وهما متعاقبان لا يَقرّان ، والشمسَ ونورهَا وإشراقها ، والقمرَ وضياءه وتقديرَ منازله في فَلكه ، واختلاف سيره [في سمائه][1] ، ليعْرَفَ باختلاف سيره وسير الشمس مقاديرُ الليل والنهار ، والجُمَع والشهور والأعوام ، ويتبين بذلك حلولُ الحقوق ، وأوقات العبادات والمعاملات .

ثم لما كان الشمس والقمر أحسن الأجرام المشاهدة في العالم العلوي والسفلي ، نبه تعالىٰ علىٰ أنهما مخلوقان عبدان من عبيده ، تحت قهره وتسخيره ، فقال : ﴿ **لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون** ﴾ أي : ولا تشركوا به ، فما تنفعكم[2] عبادتكم له مع عبادتكم لغيره ، فإنه لا يغفر أن يشرك به . ولهذا قال : ﴿ **فإن استكبروا** ﴾ أي : عن إفراد العبادة له وأبَوا إلا أن يشركوا معه غيره ، ﴿ **فالذين عند ربك** ﴾ ، يعني الملائكة ﴿ **يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون** ﴾ ، كقوله : ﴿ **فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قومًا ليسوا بها بكافرين** ﴾ .

وقال الحافظ أبو يعلىٰ (٤٢) : حدثنا سفيان - يعني ابن وكيع - حدثنا أبي ، عن ابن أبي

= الحافظ : «مقبول » . وللحديث شواهد كثيرة انظر الإرواء ٢/٥٣ (٣٤٢) .

(٤٢) - المسند (٢١٩٤) وأخرجه الطبراني فى الأوسط (٤٦٩٨ ، ٢٧٩٥) ، وفى الدعاء (٢٠٥١) ، =

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « سماءه » . [٢] - في ز : « ينفعكم » .

ليلىٰ ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **لا تسبوا الليل ولا النهار ، ولا الشمس ولا القمر ، ولا الرياح فإنها تُرسَل رحمةً لقوم ، وعذابًا لقوم** » .

وقوله : ﴿ **ومن آياته** ﴾ أي : علىٰ قدرته علىٰ إعادة الموتىٰ ﴿ **أنك ترىٰ الأرض خاشعة** ﴾ أي : هامدة لا نبات فيها ، بل هي ميتة ، ﴿ **فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت** ﴾ ، أي : أخرجت من جميل[١] ألوان الزروع والثمار ، ﴿ **إن الذي أحياها لمحيي الموتىٰ إنه علىٰ كل شيء قدير** ﴾ .

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾

قوله : ﴿ **إن الذين يلحدون في آياتنا** ﴾ قال ابن عباس : الإلحاد وضع الكلام على غير مواضعه . وقال قتادة : وغيره هو الكفر والعناد .

وقوله : ﴿ **لا يخفون علينا** ﴾[٢] : فيه تهديد شديد ، ووعيد أكيد ، أي : إنه تعالىٰ عالم بمن يلحد في آياته وأسمائه وصفاته ، وسيجزيه علىٰ ذلك بالعقوبة والنكال ، ولهذا قال : ﴿ **أفمن يلقىٰ في النار خير أم من يأتي آمنًا يوم القيامة** ﴾ أي : أيستوي هذا وهذا ؟ لا يستويان .

[ثم قال - عز وجل - تهديدًا للكفرة : ﴿ **اعملوا ماشئتم** ﴾ قال مجاهد ، والضحاك ، وعطاء الخراساني : ﴿ **اعملوا ما شئتم** ﴾ : وعيد . أي : من خير أو شر ، إنه عالم بكم وبصير بأعمالكم . ولهذا قال : ﴿ **إنه بما تعملون بصير** ﴾][٣] .

ثم قال : ﴿ **إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم** ﴾ ، قال الضحاك ، والسدي ، وقتادة :

= وتمام في فوائده (١١٣٦ - الروض) من طرق عن سعيد بن بشير . كلاهما - سعيد بن بشير وابن أبي ليلى - عن أبي الزبير عن جابر به مرفوعًا . قال الهيثمي في المجمع ٧/٨ : رواه الطبراني في الأوسط وفيه سعيد بن بشير وثقه جماعة وضعفه جماعة وبقية رجاله ثقات . ورواه أبو يعلى بإسنادٍ ضعيف اهـ .

---

[١] - في ز : « جميع » .

[٢] - بعده في ت : أي .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

وهو القرآن ، ﴿ **وإنه لكتاب عزيز** ﴾ أي : منيع الجناب ، لا يُرام أن يأتي أحد بمثله ، ﴿ **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه** ﴾ أي : ليس للبطلان إليه سبيل ، لأنه منزل من رب العالمين ، ولهذا قال : ﴿ **تنزيل من حكيم حميد** ﴾ أي : حكيم في أقواله وأفعاله ، حميد بمعنىٰ محمود ، أي : في جميع ما يأمر به وينهىٰ عنه الجميع محمودة عواقبه وغاياته .

ثم قال : ﴿ **ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك** ﴾ ، قال قتادة ، والسدي ، وغيرهما : ما يقال لك من التكذيب إلا كما قد قيل للرسل من قبلك فكما قد كُذِّبت فقد كذبوا ، وكما صَبَروا علىٰ أذىٰ قومهم لهم[١] ، فاصبر أنت علىٰ أذىٰ قومك لك . وهذا اختيار ابن جرير ، ولم يحك هو ولا ابن أبي حاتم غيره .

وقوله : ﴿ **إن ربك لذو مغفرة** ﴾ أي : لمن تاب إليه ، ﴿ **وذو عقاب أليم** ﴾ أي : لمن استمر علىٰ كفره ، وطغيانه ، وعناده ، وشقاقه ، ومخالفته .

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي ، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد عن على ابن زيد عن سعيد بن المسيب قال: لما[٢] نزلت هذه الآية: ﴿**إن ربك لذو مغفرة**﴾ قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **لولا غفرُ اللّٰه وتجاوزه ما هَنأَ أحدًا العيشُ ، ولولا وعيده وعقابه لاتّكل كلّ أحد** » .

وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ (٤٤) وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ (٤٥)

لما ذكر تعالىٰ القرآن وفصاحته وبلاغته ، وإحكامه في لفظه ومعناه ، ومع هذا لم يؤمن به المشركون نَبّه علىٰ أن كفرهم به كُفْرُ عناد وتعنت ، كما قال : ﴿ **ولو نزلناه علىٰ بعض الأعجمين * فقرأه عليهم ماكانوا به مؤمنين** ﴾ ، وكذلك لو أنزل القرآن كله بلغه العجم ، لقالوا علىٰ وجه التعنت والعناد[٣] : ﴿ **لولا فصلت آياته أعجمي وعربي** ﴾ أي : لقالوا : هلا أنزل مفصلًا بلغة العرب ولأنكروا ذلك وقالوا : أعجمي وعربي ؟ أي : كيف ينزل كلام أعجمي

---

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في خ ، ز : « والفساد » .

على مخاطب عربي لا يفهمه؟!

هكذا رُوي هذا المعنىٰ عن ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، والسدي ، وغيرهم .

وقيل: المراد بقولهم: ﴿**لولا فصلت آياته أعجمى وعربى**﴾ أي: هلا أنزل بعضهما بالأعجمي وبعضها بالعربي ؛ هذا قول الحسن البصري ، وكان يقرؤها كذلك بلا استفهام في قوله ﴿ **أعجمي** ﴾ وهو رواية عن سعيد بن جبير ، وهو في العناد أبلغ.

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء** ﴾ أي : قل يا محمد : هذا القرآن لمن آمن به هدىً لقلبه ، وشفاء لما في الصدور من الشكوك والريب ، ﴿ **والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر** ﴾ أي : لا يفهمون ما فيه ، ﴿ **وهو عليهم عمى** ﴾ أي : لا يهتدون إلىٰ ما فيه من البيان ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارًا** ﴾ ﴿**أولئك ينادون من مكان بعيد**﴾ قال مجاهد يعني : بعيد من قلوبهم.

قال ابن جرير : معناه كَأَنّ[١] مَن يخاطبهم يناديهم من مكان بعيد ، لا يفهمون ما يقول .

قلت : وهذا كقوله تعالىٰ : ﴿ **ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون** ﴾ وقال الضحاك : ينادون يوم القيامة بأشنع أسمائهم وقال السدي : كان عمر بن الخطاب جالسًا عند رجل من المسلمين يقضي ، إذ قال : ياليبَّيكاه . فقال عمر : لم تُلبّي ؟ هل رأيت أحدًا ، أودعاك أحد ؟ قال : دعاني داع من وراء البحر . فقال عمر : ﴿أولئك ينادون من مكان بعيد﴾ . رواه ابن أبي حاتم .

وقوله : ﴿ **ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه** ﴾ أي : كُذِّب وأوذي[٢] ﴿**فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل**﴾ ﴿**ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى**﴾ بتأخير الحساب إلىٰ يوم المعاد ، ﴿ **لقضي بينهم** ﴾ أي : لعجل لهم العذاب ، بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلًا ، ﴿ **وإنهم لفي شك منه مريب** ﴾ أي : وما كان تكذيبهم له عن بصيرة منهم لما قالوا ، بل كانوا شاكين فيما قالوا ، غير محققين لشيء كانوا فيه . هكذا وجهه[٣] ابن جرير وهو محتمل، والله أعلم.

مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا

[١] - في خ : « مكان » ، وفي ز : « فكأنَّ» . [٢] - في خ ، ت : « وأذي » .
[٣] - في ز : « وجه » .

﴿تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ (٤٧) وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ (٤٨)﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **من عمل صالحًا فلنفسه** ﴾ أي : [إنما يعود نفع ذلك علىٰ نفسه][١] ، ﴿ **ومن أساء فعليها** ﴾ أي : إنما يرجع وبَالُ ذلك عليه ، ﴿ **وما ربك بظلام للعبيد** ﴾ أي : لا يعاقب أحدًا إلا بذنب ، ولا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه ، وإرسال الرسول إليه .

ثم قال : ﴿ **إليه يرد علم الساعة** ﴾ أي : لا يعلم ذلك أحدٌ سواه ، كما قال صلىٰ الله عليه وسلم ، وهو سيد البشر لجبريل وهو من سادات الملائكة ، حين سأله عن الساعة ، فقال : « **ما المسئول عنها بأعلم من السائل** »(٤٣) وكما قال تعالى: ﴿**إلى ربك منتهاها**﴾ وقال : ﴿ **لا يجليها لوقتها إلا هو** ﴾ .

وقوله: ﴿**وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثىٰ ولا تضع إلا بعلمه**﴾ أي: الجميع بعلمه[٢] لا يعزب عن علمه من[٣] مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، وقد قال تعالىٰ : ﴿ **وما تسقط من ورقة إلا يعلمها** ﴾ . وقال [جلت عظمته][٤] : ﴿**يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار**﴾ وقال: ﴿**وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير**﴾ .

وقوله : ﴿ **ويوم يناديهم أين شركائي** ﴾ أي : يوم القيامة ينادي الله المشركين علىٰ رءوس الخلائق : أين شركائي الذين عبدتموهم معي ؟ ﴿ **قالوا آذناك** ﴾ أي : أعلمناك ، ﴿ **ما منا من شهيد** ﴾ أي : ليس أحد منا اليوم يشهد أن معك شريكًا ، ﴿ **وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل** ﴾ أي : ذهبوا فلم ينفعوهم ، ﴿ **وظنوا ما لهم من محيص** ﴾ [أي : وظن المشركون يوم القيامة ، وهذا بمعنىٰ اليقين ﴿ **ما لهم من محيص** ﴾][٥] أي : لا محيد لهم عن عذاب الله ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ورأىٰ المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفًا** ﴾

﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ (٤٩) وَلَئِنْ﴾

---

(٤٣) - أخرجه البخارى فى الإيمان ، باب : سؤال جبريل النبى صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام، حديث (٥٠) ، ومسلم فى الإيمان (١) (٨) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ز : « يعلمه » .

[٣] - سقط من خ ، ت .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً
وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟
وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ
وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾

يقول تعالىٰ : لا يَمَلّ الإنسان من دعائه ربّه بالخير - وهو : المال ، وصحة الجسم ، وغير ذلك ، ﴿ وإن مسه الشر ﴾ ، وهو : البلاء أو الفقر ﴿ فيئوس قنوط ﴾ أي : [يقع في ذهنه][١] أنه لا يتهيأ له بعد هذا خير .

﴿ ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي ﴾ أي : إذا أصابه خير ورزق بعد ما كان في شدة ليقولن : هذا لي ، إني كنت أستحقه عند ربي ، ﴿ وما أظن الساعة قائمة ﴾ أي : يكفر بقيام الساعة ، أي : لأجل أنه خُوّل نعمة يفخر ، ويبطر ، ويكفر ، كما قال تعالىٰ : ﴿ كلا إن الإنسان ليطغىٰ * أن رآه استغنىٰ ﴾ .

﴿ ولئن رجعت إلىٰ ربي إن لي عنده للحسنىٰ ﴾ أي: ولئن كان ثَمّ معاد فليُحسننّ إليّ ربي ، كما أحسن إليّ في هذه الدار، يتمنىٰ علىٰ اللّه -عز وجل- بعد[٢] إساءته العمل وعدم اليقين . قال اللّه تعالىٰ : ﴿ فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ ﴾ يتهدد تعالىٰ من كان هذا عمله واعتقاده ، بالعقاب والنكال .

ثم قال : ﴿ وإذا أنعمنا علىٰ الإنسان أعرض ونأىٰ بجانبه ﴾ أي : أعرض عن الطاعة ، واستكبر عن الانقياد لأوامر اللّه - عز وجل - كقوله تعالىٰ : ﴿ فتولىٰ بركنه ﴾

﴿ وإذا مسه الشر ﴾ أي : الشدة ، ﴿ فذو دعاء عريض ﴾ ، أي : يطيل المسألة في [الشيء الواحد][٣] . فالكلام العريض : ما طال لفظه وقل معناه ، والوجيز : عكسه ، وهو : ما قلّ ودلّ . وقد قال تعالىٰ : ﴿ وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدًا أو قائمًا فلما كشفنا عنه ضره مَرّ كأن لم يدعنا إلىٰ ضر مسه ﴾ ... الآية .

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى
شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٢] - في ت : « مع » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « الذي يؤاخذ » .

أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بالقرآن : ﴿ **أرأيتم إن كان** ﴾ هذا القرآن ﴿ **من عند الله ثم كفرتم به** ﴾ أي : كيف تُرَون حالكم عند الذي أنزله علىٰ رسوله ولهذا قال : ﴿ **من أضل ممن هو في شقاق بعيد** ﴾ أي : في كفر وعناد ومشاقة للحق ، ومسلك بعيد من الهدىٰ .

ثم قال : ﴿ **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم** ﴾ أي : سنظهر لهم دلالاتنا وحججنا على كون القرآن حقًّا منزلًا من عند الله عز وجل - علىٰ رسوله صلىٰ الله عليه وسلم - بدلائل خارجية[١] ﴿ **في الآفاق** ﴾ ، من الفتوحات وظهور الإسلام علىٰ الأقاليم وسائر الأديان .

قال مجاهد ، والحسن ، والسدي : ودلائل في أنفسهم ، قالوا : وقعة بدر ، وفتح مكة ، ونحو ذلك من الوقائع التي حلّت بهم ، نصر الله فيها محمدًا وصحبه ، وخذل فيها الباطل وحِزْبَه

ويحتمل أن يكون المراد من ذلك ما الإنسان مركب منه وفيه وعليه من المواد والأخلاط والهيئات العجيبة ، كما هو مبسوط في علم التشريح الدال علىٰ حكمة الصانع تبارك وتعالىٰ . وكذلك ما هو مجبول عليه من الأخلاق المتباينة ، من حَسَن وقبيح وبين ذلك ، وما هو متصرف فيه تحت الأقدار التي لا يقدر بحوله ، وقوته ، وحيَلِه ، وحذره أن يجوزها ، ولا يتعداها .

كما أنشده ابن أبي الدنيا في كتابه « **التفكر والاعتبار** » ، عن شيخه أبي جعفر القرشي : حيث قال - وأحسن المقالة - :

وَإِذَا نَظَرْتَ تُرِيدُ مُعْتَبَرا فَانظُرْ إِلَيكَ فَفِيكَ مُعْتَبَرُ
أَنتَ الذي يُمْسِي وَيُصْبِحُ في الـ ـدنيَا وكُلّ أُمُورِه عِبَرُ
أَنْتَ المصرّفُ[٢] كانَ في صِغَرٍ ثُمّ استَقَلَّ بِشَخْصِكَ الكِبَرُ
أَنتَ الذي تَنْعاه خلْقَتُه يَنْعاه منه الشَّعْرُ وَالبَشَرُ
أَنتَ الذي تُعْطَىٰ وَتُسْلَبُ لاَ يُنْجِيه مِنْ أَنْ يُسْلَبَ الحَذَرُ
أَنْتَ الذي لاشيْءَ منْه لَهُ وَأَحَقُّ مِنْه بمَاله القَدَرُ

---

[١] - في ز : « خارجة » .

[٢] - في ز : « المتصرف » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ حتىٰ يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه علىٰ كل شيء شهيد ﴾ أي : كفىٰ بالله شهيدًا علىٰ أفعال عباده وأقوالهم ، وهو يشهد أن محمدًا صادق فيما أخبر به عنه ، كما قال : ﴿ لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون ﴾ .

وقوله : ﴿ ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم ﴾ أي : في شك من قيام الساعة ، ولهذا لا يتفكرون فيه ، ولا يعملون له ، ولا يحذرون منه ، بل هو عندهم هَدَرٌ لا يعبأون به ، وهو واقع لا ريب فيه وكائن لا محالة .

قال ابن أبي الدنيا : حدثنا أحمد بن إبراهيم ، حدثنا خلف بن تميم ، حدثنا عبد الله بن محمد بن سعيد الأنصاري : أن عمر بن عبد العزيز صَعد المنبر ، فحمد الله وأثنىٰ عليه ، ثم قال : أما بعد ، أيها الناس ، فإني لم أجمعكم لأمر أحدثته[١] فيكم ، ولكن فكرت في هذا الأمر الذي أنتم إليه صائرون ، فعلمت أن المصدق بهذا الأمر أحمق ، والمكذب به هالك ، ثم نزل .

ومعنىٰ قوله -رضي الله عنه- : «أن المصدق به أحمق »، أي : لأنه لا يعمل له عمل مثله ، ولا يحذر منه ولا يخاف من هوله ، وهو[٢] مع ذلك مصدق به ، موقن بوقوعه ، وهو مع ذلك يتمادىٰ في لعبه وغفلته وشهواته وذنوبه ، فهو أحمق بهذا الاعتبار ، والأحمق في اللغة : ضعيف العقل .

وقوله : ﴿ والمكذب به هالك ﴾ : هذا واضح ، والله أعلم . ثم قال تعالىٰ مقررًا علىٰ أنه علىٰ كل شيء قدير ، وبكل شيء محيط ، وإقامة الساعة لديه يسير سهل عليه تبارك وتعالىٰ : ﴿ ألا إنه بكل شيء محيط ﴾ أي : المخلوقات كلها تحت قهره وفي قبضته ، وتحت طي علمه ، وهو المتصرف فيها كلها بحكمه ، فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن .

[آخر تفسير سورة فصلت][٣] .

☆ ☆ ☆

[١] - في ز : « أحدثه » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .

تفسير سورة الشورى

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ (١) عٓسٓقٓ (٢) كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٣) لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ (٤) تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ (٥) وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ (٦)

وقد تقدم الكلام على الحروف المقطعة . وقد روى ابن جرير(١) هاهنا أثرًا غريبًا عجيبًا منكرًا ، فقال : حدثنا أحمد بن زُهَير ، حدثنا عبد الوهاب بن نَجْدَةَ الحَوْطي ، حدثنا أبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج ، عن أرطاة بن المنذر قال : جاء رجل إلى ابن عباس فقال له - وعنده حُذَيفة بن اليمان - : أخبرني عن تفسير قول الله : ﴿ حم * عسق ﴾ ، قال : فأطرق ثم أعرض عنه ، ثم كرر مقالته فأعرض عنه ، فلم يجبه بشيء وكره مقالته ، ثم كررها الثالثة فلم يُحِرْ إليه شيئًا . فقال حذيفة : أنا أنبئك بها ، قد عرفت لِمَ كرهها[١] ؟ نزلت في رجل من أهل بيته يقال له : عبد الإله - أو : عبد الله - ينزل على نهر من أنهار المشرق [يبتني عليه مدينتين ، شق][٢] النهر بينهما شقًّا ، فإذا أذن الله في زوال ملكهم وانقطاع دولتهم ومدتهم ، بعث الله على إحداهما نارًا ليلًا ، فتصبح سوداء مظلمة قد احترقت ، كأنها لم تكن مكانها ، وتصبح صاحبتها متعجبة : كيف أفلتت ! فما هو إلا بياض يومها ذلك ، حتى يجتمع فيها كل

---

(١) - أخرجه ابن جرير (٦/٢٥) ، وابن أبي حاتم - كما في الدر المنثور - ونعيم بن حماد في الفتن ص ١٣٥ ، ومن طريقه الخطيب في تاريخه (١/٤٠) من طريق أبي المغيرة عبد القدوس بن حجاج ، عن أرطاة ابن المنذر ؛ قال : جاء رجل ... فذكره . وعند نعيم بن حماد ، والخطيب ... عن أرطاة بن المنذر ، عمن حدثه عن ابن عباس . فعندهما واسطة بين أرطاه بن المنذر ، وبين حضور لهذه القصة . وهو الأصوب . وعليه فإن هذا الإسناد ضعيفٌ ، إما لإرساله ، كما أخرجه الطبري من مرسل أرطاة بن المنذر ، وإما لإبهام أحد رواته كما عند نعيم بن حماد « عن أرطاة عمن حدثه عن ابن عباس » وقد استنكره المصنف هاهنا كما ترى.

---

[١] - في ز : « كررها » . [٢] - في ت : « يبني عليه مدينتان يشق » .

جبار عنيد منهم ، ثم[١] يخسف الله بها وبهم جميعًا ، فذلك قوله : ﴿ حم * عسق ﴾ ، يعني : عزيمة من الله تعالىٰ وفتنة وقضاء حُمّ : ﴿ حم ﴾ ، «عين» يعني : عدلًا منه ، «سين» : يعني سيكون ، « ق » : يعني واقع لهاتين المدينتين .

وأغرب منه ما رواه الحافظ أبو يعلىٰ الموصلي(٢) في الجزء الثاني من مسند ابن عباس ، وعن أبي ذر ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم في ذلك ، ولكن إسناده ضعيف جدًّا ومنقطع ، فإنه قال :

حدثنا أبو طالب عبد الجبار بن عاصم ، حدثنا أبو عبد الملك الحسن بن يحيىٰ الخشني الدمشقي ، عن أبي[٢] معاوية قال : صعد عمر بن الخطاب المنبر فقال : أيها الناس ، هل سمع منكم[٣] أحد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يفسر : ﴿ حم * عسق ﴾ ؟ فوثب ابن عباس فقال : أنا . قال : ﴿ حم ﴾ اسم من أسماء الله [تعالىٰ . قال : فعين؟ قال : عاين المولون عذاب يوم بدر . قال : فسين ؟ قال : سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون . قال : فقاف ؟ فسكت ، فقام أبو ذر ففسر كما قال ابن عباس - رضي الله عنهما - وقال : قاف : قارعة من السماء تغشىٰ الناس][٤] .

وقوله : ﴿ كذلك يوحي إليك وإلىٰ الذين من قبلك الله العزيزُ الحكيم ﴾ أي : كما أنزل إليك هذا القرآن ، كذلك أنزل الكتب والصحف علىٰ الأنبياء قبلك . وقوله : ﴿ الله العزيز ﴾ أي في انتقامه ، ﴿ الحكيم ﴾ في أقواله وأفعاله .

قال الإمام مالك(٣) - رحمه الله - : عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة : أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم [فقال : يا رسول الله][٥] ، كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده عليّ فيفصِمُ عني ، وقد وعيت ما قال . وأحيانا يأتيني الملك رجلًا فيكلمني ، فأعي ما يقول** » . قالت عائشة : فلقد رأيتُه ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد ، فَيفصِم عنه ،

(٢) - عزاه في الدر المنثور إلى ابن عساكر ، وأبي يعلى ، وقال : إسناده ضعيف . وهو - كما قال المصنف - ضعيف جدًّا . الحسن بن يحيى ضعفه غير واحدٍ . وقال الدارقطني : متروك ، وقال ابن حبان : استحق الترك . والحديث عزاه في المطالب (٤٠٩٢) إلى أبي يعلى .

(٣) - أخرجه مالك في الموطأ « جامع القراءة » حديث (٢٧٠) ، والبخاري في بدء الوحي من صحيحه حديث (٢) ، ومسلم في الفضائل ، باب : طيب عرق النبي صلى الله عليه وسلم حديث (٢٢٣٣) من طريق هشام بن عروة به .

[١] - في ز : « من » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « أحد منكم » .
[٤] - ما بين المعكوفتين بياض في خ ، ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

وإن جَبِينه ليتفَصَّدُ عَرَقًا .

أخرجاه في الصحيحين ولفظه للبخاري .

وقد رواه الطبراني(٤) عن عبد اللّه ابن الإمام أحمد ، عن أبيه ، عن عامر بن صالح ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، عن الحارث بن هشام : أنه سأل رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : كيف ينزل عليك الوحي ؟ فقال : « **مثل صلصلة الجرس ، فيفصِمُ عني وقد وَعَيتُ ما قال**[١] » . قال: « **وهو أشده عليّ** » . قال : « **وأحيانًا يأتيني الملك فيتمثل لي فيكلمني ، فأعي ما يقول** » .

وقال الإمام أحمد (٥) : حدثنا قتيبة ، حدثنا ابن لَهِيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن عمرو ابن الوليد ، عن عبد اللّه بن عمرو - رضي اللّه عنهما - قال : سألت رسول الله صلىٰ اللّه عليه وسلم فقلت : يارسول الله ، هل تحس بالوحي ؟ فقال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **أسمع صلاصل ثم أسكن**[٢] **عند ذلك ، فما من مرة يوحىٰ إليّ إلا ظننت أن نفسي تُقبَض** » . تفرد به أحمد .

وقد ذكرنا كيفية إتيان الوحي إلىٰ رسول الله صلىٰ اللّه عليه وسلم في أول شرح البخاري بما أغنىٰ عن إعادته هاهنا ، وللّه الحمد والمنة .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **له ما في السماوات وما في الأرض** ﴾ أي : الجميع عبيد له وملك له ، تحت قهره وتصريفه ، ﴿ **وهو العلي العظيم** ﴾ ، [كقوله تعالىٰ][٣] : ﴿ **الكبير المتعال** ﴾ ﴿**وهو العلى الكبير**﴾ والآيات في هذا كثيرة .

---

(٤) - المعجم الكبير (٣٣٤٣) عن عبد الله بن أحمد به . والحديث أخرجه أحمد (٢٥٧/٦) عن عامر بن صالح - من ولد عبد الله بن الزبير ، قال : حدثني هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، عن الحارث بن هشام . فجعله أيضًا من مسند الحارث بن هشام . قال الحافظ فى الفتح (١٩/١) : ويحتمل أن يكون الحارث أخبرها بذلك بعد ، فيكون من مرسل الصحابة - يعنى حديث عائشة السابق - وهو محكوم بوصله عند الجمهور . وقد جاء ما يؤيد ذلك ؛ ففى مسند أحمد من طريق عامر بن صالح ... وساق حديث أحمد ثم عقّب قائلًا : وعامر ضعيف ، لكن وجدت له متابعًا ... والمشهور الأول . اهـ . يعنى أن المشهور الحديث من مسند عائشة لا من مسند هشام .

(٥) - المسند (٢٢٢/٢) . وعزاه فى المجمع (٢٥٦/٨) إلى الطبرانى وقال : إسناده حسن . قلت : فى إسناده ابن لهيعة ، والكلام فيه مشهور ، والحديث صحيح بما سبق من مسند عائشة ، والحارث بن هشام . والله أعلم .

---

[١] - في ت : « قاله » . [٢] - في ت : «أسكت » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

وقوله : ﴿ **تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن** ﴾ ، قال ابن عباس ، والضحاك ، وقتادة ، والسدي ، وكعب الأحبار : أي فَرَقًا من العظمة . ﴿ **والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض** ﴾ ، كقوله : ﴿ **الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلمًا** ﴾ وقوله : ﴿ **ألا إن الله هو الغفور الرحيم** ﴾ إعلام بذلك وتنويه به .

وقوله : ﴿ **والذين اتخذوا من دونه أولياء** ﴾ يعني المشركين ﴿ **الله حفيظ عليهم** ﴾ أي : شهيد علىٰ أعمالهم ، يحصيها ويَعدّها عدًّا ، وسيجزيهم بها أوفر الجزاء . ﴿ **وما أنت عليهم بوكيل** ﴾ أي : إنما أنت نذير ، والله علىٰ كل شيء وكيل .

وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾

يقول تعالىٰ : وكما أوحينا إلىٰ الأنبياء قبلك ، ﴿ **أوحينا إليك قرآنًا عربيًا** ﴾ أي : واضحًا جليًا بينًا ، ﴿ **لتنذر أم القرىٰ** ﴾ وهي مكة ﴿ **ومن حولها** ﴾ أي : من سائر البلاد شرقًا وغربًا . وسُمّيت مكة « أمّ القرىٰ » ؛ لأنها أشرف من سائر[1] البلاد ، لأدلة كثيرة مذكورة في مواضعها . ومن أوجز ذلك وأدله ما قال الإمام أحمد(٦) :

حدثنا أبو اليمان ، حدثنا شعيب ، عن الزهري ، أخبرنا أبو سلمة بنُ عبد الرحمن أن عبد الله ابن عديّ بن الحمراء الزهري أخبره ، أنه سمع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول وهو واقف

(٦) - المسند (٣٠٥/٤) ، وأخرجه عبد بن حميد (٤٩١) ، والدارمى (٢٥١٣) ، والترمذى فى المناقب ، باب : فضل مكة (٣٩٢٥) ، والنسائى فى الكبرى : كتاب الحج ، باب : فضل مكة (٤٢٥٢ - ٤٢٥٣) ، وابن ماجه فى المناسك ، باب فضل مكة (٣١٠٨) ، وابن حبان (٣٧٠٨) ، وابن أبى عاصم فى الآحاد والمثانى (٦٢١) ، والفسوى فى التاريخ (٢٤٤/١) ، والحاكم (٤٣١/٣) ، وابن الأثير فى أسد الغابة (٣/ ٣٣٦) ، وابن حزم فى المحلى (٢٨٩/٧) ، والمزى فى تهذيب الكمال (٢٩١/١٥) ، من طرق عن الزهرى عن أبى سلمة عن عبد الله بن عدى به . ورواه ابن أخى الزهرى عند الحاكم (٢٨٠/٣) عن الزهرى عن محمد بن جبير - بدلاً من أبى سلمة - عن عبد الله بن عدى فذكره ، وابن أخى الزهرى روايته ضعيفة فى الزهرى انظر شرح العلل ص ٢٦٧ - ٢٦٨ . ورواه عبد الرزاق عن معمر - عند أحمد (٣٠٥/٤) =

[١] - سقط من : خ .

بالحَزْوَرَة[١] في سوق مكة: «والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت». وهكذا رواه[٢] الترمذي، والنسائي، وابن ماجه، من حديث الزهري، به. وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقوله: ﴿ وتنذر يوم الجمع ﴾، وهو يوم القيامة، يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد.

وقوله: ﴿لا ريب فيه﴾ أي: لا شك في وقوعه وأنه كائن لا محالة.

وقوله: ﴿ فريق في الجنة وفريق في السعير ﴾، كقوله: ﴿ يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ﴾ أي: يغبن[٣] أهل الجنة أهل النار وكقوله تعالىٰ: ﴿ ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود * وما نؤخره إلا لأجل معدود * يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد ﴾.

قال الإمام أحمد(٧): حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا ليث، حدثني أبو قَبيل[٤]

= والنسائي في الكبرى (٤٢٥٤)، والبزار ٢/ ٤٠ (١١٥٦ - كشف) - عن الزهرى عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة. فجعله من مسند أبي هريرة. وهذه الرواية وهمٌ. قال البزار: لا نعلم رواه عن الزهرى إلا معمر اهـ. يعنى بهذا الإسناد، قال الحافظ فى الإصابة (٦/ ١٦٣): اختلف على الزهرى فيه، فقال الأكثر: عن أبي سلمة عن عبد الله بن عدى بن الحمراء، وقال معمر: عن الزهرى عن أبي سلمة عن أبي هريرة ومرة أرسله، وقال ابن أخي الزهرى: عن محمد بن جبير بن مطعم عن عبد الله بن عدى. والمحفوظ الأول. قال البغوى لا أعلم له غيره. اهـ. وثمَّ خلافٌ آخر على الزهرى فى هذا الحديث انظره فى علل ابن أبي حاتم (١/ ٢٨٢) ورواه البزار برقم (١١٥٧ - كشف) من طريق محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة. وهذه الرواية أيضًا وهمٌ. فقد تفرد بها محمد بن عمرو، قال الترمذى: وحديث الزهرى عن أبي سلمة عن عبد الله بن عدى، أصح. وقال ابن أبي حاتم، وأبو زرعة كما فى العلل (١/ ٢٨٠) عن حديث محمد بن عمرو: هذا خطأ، وهم فيه محمد بن عمرو، ورواه الزهرى عن أبي سلمة عن عبد الله بن عدى وهو الصحيح. اهـ.

(٧) - المسند (٢/ ١٦٧)، وأخرجه الدارمى في الرد على الجهمية (٢٦٣)، والترمذى فى القدر (٢١٤١)، والنسائى فى التفسير من الكبرى (١١٤٧٣)، والطبرى فى التفسير (٢٥/ ٧)، وابن أبي عاصم فى السنة (٣٤٨)، وابن وهب فى القدر (١٣) والفريابى فى القدر (٤٥ - ٤٦)، وأبو نعيم فى الحلية ٥/ ١٦٨ - ١٦٩، والبغوى فى التفسير من طرق عن أبي قبيل عن شُفى عن عبد الله بن عمرو به، وهذا الإسناد جيد قوى. أبو قبيل وثقه غير واحد. وقال الحافظ: صدوق يهم. وشفى: تابعى جليل، وترجم له بعضهم فى كتب الصحابة. وللعلامة أحمد شاكر كلام نفيس على توجيه معنى هذا الحديث، فانظره فى تحقيقه لهذا الحديث على مسند أحمد. والحديث أخرجه البغوى فى تفسيره (٤/ ١٢٠) من وجه آخر عن عبد الله بن عمرو عن النبى، صلى الله عليه وسلم.

[١] - في ز: «بالخزورة».
[٢] - في ت: «رواية».
[٣] - في ت: «يخدم».
[٤] - في ز: «قيل».

المَعَافري[١] ، عن شُفَي الأصبحي ، عن عبد اللَّه بن عمرو -رضي اللَّه عنهما- قال : خرج علينا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم وفي يده كتابان ، فقال : « **أتدرون ما هذان الكتابان؟** » . قال[٢] : قلنا : لا ، إلا أن تخبرنا يارسول الله . قال للذي في يده اليُمني : « **هذا كتاب من رب العالمين ، بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ، ثم أجملَ علىٰ آخرهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدًا** » . ثم قال للذي في يساره : « **هذا كتاب أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم ، ثم أجمل علىٰ آخرهم ، لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدًا** » . فقال أصحاب رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : فلأي شيء إذًا[٣] نعمل إن كان هذا أمرًا[٤] قد فُرغ منه ؟ فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **سَدّدوا وقاربوا ، فإن صاحب الجنة يختم له بعمل الجنة ، وإن عمل أيّ عمل ، وإن صاحب النار ليختم له بعمل النار ، وإن عمل أيّ عمل** » . ثم قال بيديه فقبضهما[٥] ، ثم قال : « **فرغ ربكم - عز وجل - من العباد** » . ثم قال باليمنىٰ فنبذ بها فقال : « **فريق في الجنة** » ، ونبذ باليسرىٰ فقال : « **فريق في السعير** » .

وهكذا رواه الترمذي والنسائي جميعًا ، عن قتيبة ، عن الليث بن سعد وبكر بن مضر ، كلاهما عن أبي قَبيل[٦] ، عن شُفَيّ بن مانع الأصبحي ، عن عبد اللَّه بن عمرو ، به .

وقال الترمذي: «**حسن صحيح غريب**» . وساقه البغوي في تفسيره من طريق بشر بن بكر ، عن سعيد بن عثمان ، عن أبي الزاهرية ، عن عبد اللَّه بن عمرو ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فذكره بنحوه. وعنده زيادات منها؛ ثم قال: « **فريق في الجنة وفريق في السعير، عدل من اللَّه عز وجل** » .

ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن عبد اللَّه بن صالح - كاتب الليث - عن الليث ، به

ورواه ابن جرير(٨) عن يونس ، عن ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن أبي قَبيل ، عن شُفَي ، عن رجل من الصحابة ، فذكره ثم روىٰ عن يونس ، عن ابن وهب ، عن عمرو بن

(٨) - تفسير الطبرى (٢٥/٧) بهذا الإسناد . وأخرجه البيهقى فى الأسماء والصفات (٧١٣) من طريق آخر عن يحيى بن أسيد به . وقول المصنف : (والموقوف أشبه) . يفهم منه أنه جعل حديث عبد الله ابن عمرو المرفوع وحديثه الموقوف حديثًا واحدًا وعليه رجح الموقوف ، والذى يظهر لى أنهما حديثان مختلفان ، والمرفوع فيه زيادات ليست فى الموقوف ، وإن كان الموقوف جزءًا منه والله أعلم . هذا وإسناد الموقوف ضعيفٌ ، يحيى بن أبى أسيد ترجم له البخارى فى التاريخ (٢٦١/٨) ، وابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل (١٢٩/٩) ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلًا وروى عنه جماعة ، ولم يوثقه معتبر فهو مجهول الحال.

[١] - في ز : « المغافري » .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - سقط من : خ ، ز .
[٤] - في ت : « أمر » .
[٥] - في ت : « فقبضها » .
[٦] - في ز : « قيل » .

الحارث وحيوة بن شريح ، عن يحيىٰ بن [أبي أسيد][١] : أن أبا فراس حَدّثه : أنه سمع عبد الله ابن عمرو يقول : إن الله لما خلق آدم نفضه نفض المزْوَد[٢] وأخرج منه كل ذريته فخرج أمثال النغف فقبضهم قبضتين ، ثم قال : شقي وسعيد . ثم ألقاهما ثم قبضهما فقال : فريق في الجنة وفريق في السعير . وهذا الموقوف أشبه بالصواب . والله أعلم .

وقال الإمام أحمد رحمه الله(٩) : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا حماد - يعني ابن سلمة - أخبرنا الجُرَيري ، عن أبي نضرة أن رجلًا من أصحاب النبي صلىٰ الله عليه وسلم يقال له : أبو عبد الله ، دخل عليه أصحابه يعودونه وهو يبكي ، فقالوا له : ما يُبكيك ؟ ألم يقل لك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **خذ من شاربك ثم أقره حتىٰ تلقاني** » . قال : بلىٰ ، ولكن سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **إن الله قبض بيمينه[٣] قبضة ، وأخرىٰ باليد الأخرىٰ ، قال : هذه لهذه ، وهذه لهذه ولا أبالي** » . فلا أدري في أيّ القبضتين أنا .

وأحاديث القدر في الصحاح والسنن والمسانيد كثيرة جدًّا ، منها حديث علي ، وابن مسعود ، وعائشة ، وجماعة جمة .

وقوله : ﴿ **ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة** ﴾ أي : إما علىٰ الهداية أو علىٰ الضلالة ، ولكنه تعالىٰ فاوت بينهم ، فهدىٰ من شاء[٤] إلىٰ الحق ، وأضل من شاء[٥] عنه ، وله الحكمة والحجة البالغة . ولهذا قال : ﴿ **ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من وليّ ولا نصير** ﴾ .

وقال ابن جرير(١٠) : حدثني يونس أخبرنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، عن أبي

---

(٩) - المسند (١٧٦/٤) ، (٦٨/٥) وذكره ابن الأثير فى أسد الغابة (٢١٥/٦) من طريق حماد بن سلمة عن سعيد الجريرى به وهذا الإسناد صحيح على شرط مسلم ، والجريري وإن كان قد اختلط بأخرة إلا أن حماد بن سلمة ممن سمع منه قبل الاختلاط كما ذكر العجلى فى ثقاته (٣٩٤/١) والحديث ذكره الهيثمي فى المجمع (١٨٦/٧) وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح اهـ ، وفى القبضتين أحاديث انظر الأسماء والصفات للبيهقى (٧٠٥ - ٧١٥) ، والصحيحة (٤٧ - ٥٠) .

(١٠) - أخرجه الطبرى فى تفسيره (٩/٢٥) ووقع في المطبوع من التفسير « ... عن عمرو بن الحارث ، عن أبي شبُّويه عن ابن حجيرة » ولا أعرف من سماه بأبي شبويه ، وإنما ترجم له المزى فى تهذيبه باسم أبي سَوِيَّة ، وترجم له ابن حبان باسم أبي سويد كما عند المصنف ، وقال : وقد غلط من سماه أبا سوية ، وقال الحافظ فى التقريب : أبو سويد ويقال : أبو سوية ، فالله أعلم ، قال ابن حجر فى التقريب : صدوق اهـ ، وأثنى عليه ابن يونس ، وابن ماكولا وعلى كل فلا يخفى أن الحديث بهذا السياق ضعيف من حيث =

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « الأسيد » .
[٢] - في ز : « المرود » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ت : « يشاء » .
[٥] - في ت : « يشاء » .

سويد حدثه ، عن ابن حُجَيرة : أنه بلغه أن موسىٰ - عليه السلام - قال : يارب خَلقُك الذين خلقتهم ، جعلت منهم فريقًا في الجنة وفريقًا في النار ، لوما أدخلتهم كلهم الجنة ؟ ! فقال : يا موسىٰ ، ارفع ذَرْعك . فرفع ، قال : قد رفعت . قال : ارفع . فرفع[١] ، فلم يترك شيئًا ، قال : يارب ، قد رفعت . قال : ارفع . قال : قد رفعت ، إلا ما لا خير فيه . قال : كذلك أدخل خلقي كلهم الجنة ، إلا ما لا خير فيه .

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾

يقول تعالىٰ منكرًا علىٰ المشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله ، ومخبرًا أنه الولي الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده ، فإنه القادر علىٰ إحياء الموتىٰ وهو علىٰ كل شيء قدير .

ثم قال : ﴿ **وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلىٰ الله** ﴾ أي : مهما اختلفتم فيه من الأمور ، وهذا عام في جميع الأشياء ، ﴿ **فحكمه إلىٰ الله** ﴾ أي هو الحاكم فيه بكتابه وسنة نبيه صلىٰ الله عليه وسلم ، كقوله : ﴿ **فإن تنازعتم في شيء فردوه إلىٰ الله والرسول** ﴾ ﴿ **ذلكم الله ربي** ﴾ أي : الحاكم في كل شيء ، ﴿ **عليه توكلت وإليه أنيب** ﴾ ، أي : أرجع في جميع الأمور .

وقوله : ﴿ **فاطر السموات والأرض** ﴾ أي : خالقهما وما بينهما ، ﴿ **جعل لكم من أنفسكم أزواجًا** ﴾ أي : من جنسكم وشكلكم ، منَّةً عليكم وتفضلًا ، جعل من جنسكم ذكرًا وأنثى ﴿ **ومن الأنعام أزواجًا** ﴾ أي : خلق لكم في الأنعام ثمانية أزواج .

وقوله : ﴿ **يذرؤكم فيه** ﴾ أي : يخلقكم فيه ، أي : في ذلك الخلق علىٰ هذه الصفة لا

= الإسناد فإنه من بلاغات ابن حجيرة عن موسى عليه السلام ، وقد ورد نحو هذا الأثر عن موسى من بلاغات عمار ابن يسار عن ابن عساكر فى تاريخه ٣٧١/١٧ مخطوط « ترجمة موسى بن عمران عليه السلام » .

[١] - سقط من : خ .

يزال يذرؤكم[١] فيه ذكور وإناث ، خلقًا من بعد خلق ، وجيلًا بعد جيل ونسلًا بعد نسل من الناس والأنعام .

[وقال البغوي رحمه الله : ﴿ **يذرؤكم فيه** ﴾ أي : في الرحم . وقيل : في البطن . وقيل : في[٢] هذا الوجه من الخلقة .

قال مجاهد: ونسلًا بعد نسل في الناس والأنعام][٣]. وقيل : « **في** » بمعنىٰ « **الباء** » ، أي : يذرؤكم به .

﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾ أي : ليس كخالق الأزواج كلها شيء ؛ لأنه الفرد الصمد الذي لا نظير له ، ﴿ **وهو السميع البصير** ﴾ .

وقوله : ﴿ **له مقاليد السموات والأرض** ﴾ تقدم تفسيره في « **سورة الزّمر** » ، وحاصل ذلك أنه المتصرف الحاكم[٤] فيهما ، ﴿ **يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر** ﴾ أي : يوسع علىٰ من يشاء ، ويضيق علىٰ من يشاء ، و[٥]له الحكمة والعدل التام ، ﴿ **إنه بكل شيء عليم** ﴾ .

۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾

يقول تعالىٰ لهذه الأمة : ﴿ **شرع لكم من الدين ما وصىٰ به نوحًا والذي أوحينا إليك** ﴾ ، فذكر أول الرسل بعد آدم وهو نوح - عليه السلام - وآخرهم وهو محمد صلىٰ الله عليه وسلم ثم ذكر من بين ذلك من أولي العزم وهم : إبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ابن مريم عليهم السلام . وهذه الآية انتظمت ذكر الخمسة ، كما اشتملت آية « **الأحزاب** » عليهم في قوله :

---

[١] - بعده في ت : يذرؤكم .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - سقط من : ز .

﴿ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ابن مريم ﴾ الآية . والدين الذي جاءت به الرسل كلهم هو : عبادة الله وحده لا شريك له ، كما قال : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا يُوحىَ إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ . وفي الحديث : « نحن معشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد »[١١] . أي : القدر المشترك بينهم هو عبادة الله وحده لا شريك له ، وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم ؛ كقوله تعالىٰ : ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا ﴾ ، ولهذا قال هاهنا : ﴿ أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ أي : وصىٰ الله سبحانه وتعالىٰ جميع الأنبياء عليهم السلام بالائتلاف والجماعة ، ونهاهم عن الافتراق والاختلاف .

وقوله : ﴿ كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ﴾ أي : شق عليهم وأنكروا ما تدعوهم إليه يا محمد ، من التوحيد .

ثم قال : ﴿ الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب ﴾ أي : هو الذي يُقدّر الهداية لمن يستحقها ، ويكتب الضلالة علىٰ من آثرها علىٰ طريق الرشد ، ولهذا قال : ﴿ وما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم ﴾ أي : إنما كان مخالفتهم للحق بعد بلوغه إليهم ، وقيام الحجة عليهم ، وما حملهم علىٰ ذلك إلا البغيُ والعنادُ والمشاقة .

ثم[١] قال تعالىٰ : ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك إلىٰ أجل مسمى ﴾ أي : لولا الكلمة السابقة من الله بإنظار العباد بإقامة حسابهم إلىٰ يوم المعاد ، لعجل لهم العقوبة في الدنيا سريعًا .

وقوله : ﴿ وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم ﴾ ، يعني : الجيل المتأخر بعد القرن الأول المكذِّب للحق ﴿ لفي شك منه مريب ﴾ أي : ليسوا علىٰ يقين من أمرهم ، وإنما هم مقلدون لآبائهم وأسلافهم ، بلا دليل ولا بُرهان، وهم في حيرة من أمرهم، وشك مريب ، وشقاق بعيد .

﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (١٥)

اشتملت هذه الآية الكريمة علىٰ عشر كلمات مستقلات ، كل منها منفصلة عن التي قبلها ، حكم برأسه ، قالوا : ولا نظير لها سوىٰ آية الكرسي ، فإنها أيضا عشرة فصول كهذه .

فقوله[٢] : ﴿ فلذلك فادع ﴾ أي : فَلِلَّذي أوحينا إليك من الدين الذي وصّينا به جميعَ

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ت : « قوله » .

المرسلين قبلك أصحابَ الشرائع الكبار المتبعة كأولي العزم وغيرهم ، فادعُ الناس إليه .

وقوله : ﴿ **واستقم كما أمرت** ﴾ أي : واستقم أنت ومن اتبعك على عبادة الله كما أمرك الله عز وجل

وقوله : ﴿ **ولا تتبع أهواءهم** ﴾ ، يعني : المشركين فيما اختلقوه ، وكذبوه ، وافتروه من عبادة الأوثان .

وقوله : ﴿ **وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب** ﴾ أي : صَدّقتُ بجميع الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء ، لا نفرق بين أحد منهم .

وقوله : ﴿ **وأمرت لأعدل بينكم** ﴾ أي : في الحكم كما أمرني الله .

وقوله : ﴿ **الله ربنا وربكم** ﴾ أي : هو المعبود ، لا إله غيره ، فنحن نقر بذلك اختيارًا ، وأنتم وإن لم تفعلوه اختيارًا ، فله يسجد من في العالمين طوعًا واختيارًا .

وقوله : ﴿ **لنا أعمالنا ولكم أعمالكم** ﴾ أي : نحن برآء منكم ، كما قال تعالى : ﴿ **وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **لا حجة بيننا وبينكم** ﴾ ، قال مجاهد : أي لا خُصُومة . قال السدي : وذلك قبل نزول آية السيف . وهذا مُتَّجه ؛ لأن هذه الآية مكية ، وآية السيف بعد الهجرة .

وقوله : ﴿ **الله يجمع بيننا** ﴾ أي : يوم القيامة ، كقوله : ﴿ **قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وإليه المصير** ﴾ أي : المرجع والمآب يوم الحساب .

وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ اللَّهُ الَّذِىٓ أَنزَلَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِى السَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾

يقول تعالى متوعدًا الذين يَصُدّون عن سبيل الله مَن آمن به : ﴿ **والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له** ﴾ أي : يجادلون المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله ، ليصدوهم عما سلكوه من طريق الهدى ، ﴿ **حجتهم داحضة عند ربهم** ﴾ أي : باطلة عند الله ، ﴿ **وعليهم**

غضب ﴾ أي : منه ، ﴿ **ولهم عذاب شديد** ﴾ أي يوم القيامة .

قال ابن عباس ، ومجاهد : جادلوا المؤمنين بعدما استجابوا للّٰه ولرسوله ، ليصدوهم عن الهدىٰ ، وطَمعوا أن تعود الجاهلية .

وقال قتادة : هم اليهود والنصارىٰ ، قالوا لهم : ديننا خير من دينكم ، [ونبينا قبل نبيكم ، ونحن خير منكم][١] ، وأولىٰ باللّٰه[٢] منكم . وقد كذبوا في ذلك .

ثم قال : ﴿ **اللّٰه الذي أنزل الكتاب بالحق** ﴾ ، يعني : الكتب المنزلة من عنده علىٰ أنبيائه ﴿ **والميزان** ﴾ ، وهو : العدل والإِنصاف . قاله مجاهد ، وقتادة . وهذه كقوله تعالى : ﴿ **لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط** ﴾ وقوله : ﴿ **والسماء رفعها ووضع الميزان * ألا تطغوا في الميزان * وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وما يدريك لعل الساعة قريب** ﴾ فيه ترغيب فيها وترهيب منها وتزهيد[٣] في الدنيا .

وقوله : ﴿ **يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها** ﴾ أي : يقولون : ﴿ **متىٰ هذا الوعد إن كنتم صادقين** ﴾ ؟ وإنما يقولون ذلك تكذيبًا واستبعادًا ، وكفرًا وعنادًا . ﴿ **والذين آمنوا مشفقون منها** ﴾ أي : خائفون وَجِلُون من وقوعها ، ﴿ **ويعلمون أنها الحق** ﴾ أي : كائنة لا محالة ، فهم مستعدون لها عاملون من أجلها .

وقد روي من طرق تبلغ درجة التواتر في الصحاح والحسان والسنن والمسانيد وفي بعض ألفاظه : أن رجلًا سأل رسول الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بصوت جهوريّ ، وهو في بعض أسفاره ، فناداه فقال : يا محمد . فقال له النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم [نحوًا من صوته][٤] : « **هاؤم** » . فقال : متىٰ الساعة ؟ فقال له رسول الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ويحك ، إنها كائنة ، فما أعددت لها ؟** » . فقال : حُبّ اللّٰه ورسولِه . فقال : « **أنت مع من أحببت** »(١٢) .

(١١) - أخرجه البخارى فى أحاديث الأنبياء برقم (٣٤٤٢ ، ٣٤٤٣) ، ومسلم فى كتاب الفضائل باب فضل عيسى عليه السلام برقم (٢٣٦٥) من حديث أبى هريرة .

(١٢) - أخرجه البخارى فى كتاب الأدب باب علامة الحب في الله حديث رقم (٦١٧١) ، ومسلم فى البر والصلة باب المرء مع من أحب حديث (٢٦٣٩) من حديث أنس بن مالك ، وأخرجه البخارى فى الموضع السابق حديث (٦١٦٨ - ٦١٧٠) ، ومسلم فى الموضع السابق حديث (٢٦٤٠ - ٢٦٤١) من حديث عبد الله بن مسعود .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « تزهد » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

فقوله في الحديث : « **المرء مع من أحب** » . هذا متواتر لا محالة ، والغرض أنه لم يجبه عن وقت الساعة ، بل أمره بالاستعداد لها .

وقوله : ﴿ **ألا إن الذين يمارون في الساعة** ﴾ أي : يحاجّون في وجودها ويدفعون وقوعها ، ﴿ **لفي ضلال بعيد** ﴾ أي : في جهل بيّن ؛ لأن الذي خلق السماوات والأرض قادرٌ علىٰ إحياء الموتىٰ بطريق الأولىٰ والأحرىٰ ، كما قال : ﴿ **وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه** ﴾.

ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ
يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا
وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ
مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ
عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ
عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن لطفه بخلقه في رزقه إياهم عن آخرهم ، لا ينسىٰ أحدًا منهم ، سواء في رزقه البرّ والفاجر ؛ كقوله تعالىٰ : ﴿ **وما من دابة في الأرض إلا علىٰ الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين** ﴾ . ولها نظائر كثيرة .

وقوله : ﴿ **يرزق من يشاء** ﴾ أي : يوسع علىٰ من يشاء ، ﴿ **وهو القوي العزيز** ﴾ أي : لا يعجزه شيء .

ثم قال : ﴿ **من كان يريد حرث الآخرة** ﴾ أي : عمل الآخرة ، ﴿ **نزد له في حرثه** ﴾ أي : نقويه ونعينه علىٰ ما هو بصدده ، ونكثر نماءه ، ونجزيه بالحسنة عشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف ، إلىٰ ما يشاء الله . ﴿ **ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب** ﴾ أي : ومن كان إنما سعيه ليحصل له شيء من الدنيا ، وليس له إلىٰ الآخرة همّة ألبتة[١] بالكلية ، حرَمه الله الآخرة ، والدنيا إن شاء أعطاه منها ، وإن لم يشأ لم يحصل له لا

[١] - سقط من : ز .

هذه ولا هذه ، وفاز هذا الساعي بهذه النية بالصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة .

والدليل علىٰ هذا أن هذه الآية هاهنا مُقيَّدة بالآية التي في « سبحان » وهي قوله تعالىٰ : ﴿ **من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذمومًا مدحورًا * ومن أراد الآخرة وسعىٰ لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورًا * كلًّا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورًا * انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلًا** ﴾ .

وقال[١] الثوري : عن مُغيرَة ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **بشر هذه الأمة بالسناء والرفعة ، والنصرة والتمكين في الأرض ، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا ، لم يكن له في الآخرة من نصيب** » (١٣) .

وقوله : ﴿ **أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله** ﴾ أي : هم لا يتبعون ما شرع اللَّه لك من الدين القويم ، بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس ، من تحريم ما حرموا عليهم ، من البَحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، وتحليل الميتة والدم والقمار ، إلىٰ نحو ذلك من الضلالات والجهالات الباطلة . التي كانوا قد اخترعوها في جاهليتهم ، من التحليل والتحريم ، والعبادات الباطلة ، والأقوال الفاسدة .

وقد ثبت في الصحيح(١٤) أن رسول الله صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **رأيت عَمرو بن لُحَيّ بن قَمَعَة يَجُرّ قصْبه في النار أنه**[٢] **أول من سيب السوائب** » . وكان هذا الرجل أحد

(١٣) - أخرجه أحمد ، وابنه عبد الله فى زوائده (١٣٤/٥)، والحاكم (٣١١/٤ ، ٣١٨) ، والبيهقى فى الدلائل (٣١٨/٦) ، والبغوى فى شرح السنة (٤١٤٥) من طريق المعتمر بن سليمان ، ويحيى بن يمان ، وزيد ابن الحباب وغيرهم عن الثورى عن المغيرة بن مسلم عن الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبى ... فذكره ، ورواه قبيصة عن الثورى - فقال - عن أيوب عن أبى العالية عن أُبَيّ - فجعل أيوب بدلًا من الربيع ابن أنس. وقبيصة ضعفه ابن معين فى حديثه عن الثورى ، والذى يؤيد أن هذا الحديث حديث الربيع بن أنس أن غير الثورى رواه عنه عن أبى العالية . فقد أخرجه أحمد (١٣٤/٥) ، وعبد الله بن أحمد فى زوائده على المسند (١٣٤/٥) من طريق عبد الرحمن بن مهدى ، وعبد الواحد بن غياث - كلاهما - عن عبد العزيز بن مسلم أخى المغيرة بن مسلم عن الربيع به . والحاصل : أن هذا الحديث يرويه المغيرة بن مسلم ، وأخوه عبد العزيز بن مسلم عن الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبى بن كعب . والربيع بن أنس قال الحافظ فى التقريب : صدوق له أوهام ورمى بالتشيع .

قلت : وقد تفرد بهذا الحديث . ومن حسّن إسناده فقد أصاب . والله أعلم .

(١٤) - أخرجه البخارى فى التفسير باب : ﴿ **ما جعل الله من بحيرة ...** ﴾الآية حديث رقم (٤٦٢٣ ، ٤٦٢٤) ، ومسلم فى صفة الجنة حديث رقم (٢٨٥٦) من حديث أبى هريرة .

[١] - في ت : وقال .   [٢] - في ت : « لأنه » .

ملوك خزاعة ، وهو أول من فعل هذه الأشياء ، وهو الذي حَمَل قريشًا علىٰ عبادة الأصنام ، لعنه اللّٰه وقبحه ! ولهذا قال تعالى : ﴿ ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم ﴾ أي : لعوجلوا بالعقوبة ، لولا ما تقدم من الإِنظار إلىٰ يوم المعاد ، ﴿ وإن الظالمين لهم عذاب أليم ﴾ أي : شديد موجع في جهنم وبئس المصير .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ ترىٰ الظالمين مشفقين مما كسبوا ﴾ أي : في عرصات القيامة ، ﴿ وهو واقع بهم ﴾ أي : الذي[١] يخافون منه واقع بهم لا محالة ، هذا حالهم يوم معادهم ، وهم في هذا الخوف والوجل ، ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم ﴾ ، فأين هذا من هذا ؟ أين من هو في العَرَصات في الذل والهوان والخوف المحقق عليه بظلمه ، ممن هو في روضات الجنات ، فيما يشاء من مآكل ومشارب وملابس ومساكن ومناظر ومناكح وملاذ ، فيما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر علىٰ قلب بشر ؟

قال الحسن بن عرفة : حدثنا عُمَر بن عبد الرحمن الأبار ، حدثنا محمد بن سعد الأنصاري ، عن أبي طَيْبَة قال : إن الشَّرْبَ(*) من أهل الجنة لتظلهم السحابة فتقول : ما أمطِرُكم ؟ قال : فما يدعو داع من القوم بشيء إلا أمطرتهم ، حتىٰ إن القائل منهم ليقول : أمطرينا كواعب أترابًا .

رواه ابن جرير(١٥) عن الحسن بن عرفة ، به .

ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ ذلك هو الفضل الكبير ﴾ أي : الفوز العظيم ، والنعمة التامة السابغة الشاملة العامة .

ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾

يقول تعالىٰ لما ذكر روضات الجنات[٢] ، لعباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات : ﴿ ذلك

(*) الشرب : الجماعة من القوم يجتمعون على الشراب .

(١٥) - عزاه أيضًا في الدر إلى ابن جرير . ولم أجده في هذا الموضع من الآية عند قوله : ﴿ لهم ما يشاءون عند ربهم ﴾ فلعله سقط من المطبوع والله أعلم ، وهذا الإسناد رجاله لا بأس بهم ، وقد ترجم الحافظ لكل واحدٍ منهم بقوله : « صدوق » .

[١] - في ز : « الذين » . [٢] - في ت : « الجنة » .

الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ أي : هذا حاصل لهم ، كائن لا محالة ، ببشارة الله لهم به .

وقوله : **﴿ قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربىٰ ﴾** أي : قل يا محمد لهؤلاء المشركين من كفار قريش [ ][١] : لا أسألكم علىٰ هذا البلاغ والنصح لكم مالًا تعطونيه ، وإنما أطلب منكم أن تكفوا شركم عني ، وتذروني أبلغ رسالات ربي ، إن لم تنصروني فلا تؤذوني بما بيني وبينكم من القرابة .

قال البخاري(١٦) : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن عبد الملك بن ميسرة قال[٢] : سمعت طاوسًا عن ابن عباس : أنه سُئِل عن قوله تعالىٰ : **﴿ إلا المودة في القربىٰ ﴾** ، فقال سعيد بن جبير : قربىٰ آل محمد . فقال ابن عباس : عَجِلْتَ ، إن النبي صلىٰ الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة[٣] ، فقال : إلا أن [تصلوا ما][٤] بيني وبينكم من القرابة . انفرد به البخاري .

ورواه الإمام أحمد عن يحيى القطان عن شعبة، به . وهكذا روىٰ عامر الشعبي ، والضحاك ، وعلي بن أبي طلحة ، والعوفي ، ويوسف بن مهران ، وغير واحد ، عن ابن عباس ، مثله . وبه قال مجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، والسدي ، وأبو مالك ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وغيرهم .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني(١٧) حدثنا هاشم بن يزيد الطبراني وجعفر القلانسي قالا : حدثنا آدم بن أبي إياس ، حدثنا شريك ، عن خُصَيف ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال لهم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : **« لا أسألكم عليه أجرًا إلا أن تَوَدّوني[٥] في نفسي لقرابتي منكم ، وتحفظوا القرابة التي بيني وبينكم »** .

(١٦) - أخرجه البخارى فى التفسير باب : **﴿ إلا المودة فى القربى ﴾** حديث رقم (٤٨١٨) ، وأحمد (١/ ٢٢٩، ٢٨٦) ، والترمذى فى التفسير باب : «ومن سورة حم عسق » حديث رقم (٣٢٥١) ، والنسائى فى الكبرى (١١٤٧٤) من طرق عن شعبة به ، وقول المصنف : « انفرد به البخارى » غير صحيح ، فقد رأيت أن الترمذى أخرجه ، وكذلك النسائى فى الكبرى .

(١٧) - أخرجه الطبرانى فى الكبير ١١/(١٢٢٣٣) من هذه الطريق ، وأخرجه في الأوسط عن جعفر بن محمد القلانسي - وحده - به ، ثم أعاده فى الكبير (١١/ ١٢٢٣٨) من طريق آخر عن سعيد بن جبير ، والحديث عزاه السيطوي فى الدر إلى ابن أبى حاتم فى تفسيره ، وابن مردويه .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « قل » .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « لما » .
[٥] - في ز : « تؤذوني » .

وروىٰ الإمام أحمد(١٨) ، عن حسن بن موسىٰ : حدثنا قَزَعة - يعني ابن سويد - وابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن مسلم بن إبراهيم ، عن قَزَعة بن سويد ، عن ابن أبي نَجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **لا أسألكم علىٰ ما آتيتكم من البينات والهدىٰ أجرًا ، إلا أن توَادوا الله ، وأن تقَرّبوا إليه بطاعته** » .

وهكذا روى قتادة(١٩) عن الحسن البصرى، مثله . وهذا كأنه تفسير بقول ثان ، كأنه يقول : ﴿ **إلا المودة في القربىٰ** ﴾ أي : إلا أن تعملوا بالطاعة التي تقربكم عند الله زلفىٰ .

وقول[١] ثالث : وهو ما حكاه البخاري وغيره(٢٠) ، رواية عن سعيد بن جبير - ما معناه - أنه قال : معنىٰ ذلك أن تودوني في قرابتي ، أي : تحسنوا إليهم وتبروهم .

وقال السدي(٢١) : عن أبي الديلم قال : لما جيءِ بعلي بن الحسين أسيرًا ، فأقيم علىٰ دَرَج دمشق ، قام رجل من أهل الشام فقال : الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم ، وقطع قَرني الفتنة . فقال له علي بن الحسين : أقرأت القرآن ؟ قال : نعم . قال : أقرأت آل حم ؟ قال : قرأت القرآن ، ولم أقرأ آل حم . قال : ما قرأت : ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربىٰ** ﴾ ؟ قال : وإنكم أنتم هم ؟ قال : نعم .

وقال [أبو إسحاق][٢] السبيعي : سألت عمرو بن شعيب عن قوله تعالىٰ : ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربىٰ** ﴾ ، فقال : قربىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم . رواهما ابن جرير(٢٢) .

ثم قال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا مالك بن إسماعيل ، حدثنا عبد السلام ،

---

(١٨) - المسند (٢٦٨/١) ، وأخرجه الطبرانى فى الكبير (١١١٤٤/١١) ، والطبرى فى تفسيره ٢٥/٢٥ ، والحاكم (٤٤٣/٢ ، ٤٤٤) وعزاه فى الدر إلى ابن مردويه ، وابن أبى حاتم من هذا الوجه ، وهذا الإسناد ضعيف لضعف قزعة ، وقال فى المجمع (١٠٣/٧) : « رواه أحمد والطبرانى ورجال أحمد فيهم قزعة وثقه ابن معين وغيره وفيه ضعف ، وبقية رجاله ثقات » ، والحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبى .

(١٩) - أخرجه الطبرى فى تفسيره (٢٦/٢٥) من طريق سعيد بن أبى عروبة عن قتادة به .

(٢٠) - تقدم ضمن تخريج حديث ابن عباس فانظر الصفحة السابقة .

(٢١) - أخرجه الطبرى فى تفسيره (٢٥/٢٥) من طريق إسماعيل بن أبان قال ثنا الصباح بن يحيى المرى عن السدى به ، وإسماعيل بن أبان الوراق رمى بالتشيع ، فلا تقبل له الرواية التى تنصر مذهبه وهذا منه .

(٢٢) - أخرجه الطبرى فى المصدر السابق .

---

[١] - في ت : وقول .

[٢] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز: «أبو الحسن» .

حدثني يزيد بن أبي زياد ، عن مقْسم ، عن ابن عباس قال : قالت الأنصار : فعلنا وفعلنا ، وكأنهم فخروا . فقال ابن عباس - أو : العباس ، شك عبد السلام - : لنا الفضل عليكم . فبلغ ذلك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فأتاهم في مجالسهم فقال : « **يامعشر الأنصار ، ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بي ؟** » قالوا : بلىٰ ، يارسول الله . قال : « [**ألم تكونوا ضلالاً فهداكم الله بي؟** » قالوا : بلىٰ ، يا رسول الله][١] . قال : « **أفلا تجيبوني ؟** » قالوا : ما نقول يا رسول الله ؟ قال : « **ألا تقولون : ألَم يخرجك قومك فآويناك ؟ أوَ لم يكذبوك فصدقناك ؟ أولم يخذلوك فنصرناك ؟** » . قال : فما زال يقول حتىٰ جَثوا علىٰ الرُّكَب ، وقالوا : أموالنا وما في أيدينا لله ولرسوله . قال : فنزلت : ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربىٰ** ﴾ .

وهكذا رواه ابن أبي حاتم ، عن علي بن الحسين ، عن عبد المؤمن بن علي ، عن[٢] عبد السلام ، عن يزيد بن أبي زياد - وهو ضعيف - بإسناده مثله ، أو قريبًا منه(٢٣) .

وفي الصحيحين(٢٤) في قسم غنائم حنين قريب من هذا السياق ، ولكن ليس فيه ذكر نزول هذه الآية . وذكْرُ نُزولها في المدينة فيه[٣] نظر ؛ لأن السورة مكية ، وليس يظهر بين هذه الآية الكريمة وبين السياق مناسبة ، والله أعلم .

وقال ابن أبي حاتم(٢٥) : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا رجل سماه ، حدثنا حسين الأشقر ، عن قيس ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه

---

(٢٣) - أخرجه ابن جرير فى تفسيره (٢٥/٥) ، وعزاه فى الدر إلى ابن مردويه وابن أبى حاتم من هذا الوجه، وأعله المصنف هنا بيزيد بن أبى زياد . وضعفه ابن حجر فى الفتح (٥٦٤/٨) وقال : ويبطله أن الآية مكية»اهـ .

(٢٤) - أخرجه البخارى فى المغازى والسير حديث رقم (٤٣٣٠) ، وفى التمنى باب ما يجوز من اللوّ وقوله تعالى : ﴿ **لو أن لي بكم قوة** ﴾ حديث رقم (٧٢٤٥) مختصرًا ، وأخرجه مسلم فى الزكاة حديث رقم (١٠٦١) من مسند عبد الله بن زيد به ، وفى الباب عن أنس بن مالك ، وأبى سعيد الخدرى ، أخرجهما أحمد (٦٧/٣ و ٧٦ ، ١٠٤ ، ٢٥٣) .

(٢٥) - أخرجه الطبرانى ٤٤٤/١١ (١٢٢٥٩) من طريق آخر عن حسين الأشقر به وعزاه السيوطي أيضًا فى الدر إلى ابن المنذر وابن مردويه ، وذكره الهيثمى فى المجمع (١٧١/٩) وقال : رواه الطبرانى وفيه جماعة ضعفاء وقد وثقوا . اهـ . يعنى حسين الأشقر وشيخه قيس بن الربيع ، وعليه فهذا الحديث ضعيف ، من حيث الإسناد ، وأما من حيث المتن ، فهذه الآية نزلت بمكة ولم يكن إذ ذاك لفاطمة أولاد بالكلية ، فإنها لم تتزوج بعلى إلا بعد بدر من السنة الثانية للهجرة كما ذكر المصنف .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ز : « بن » .

[٣] - سقط من : خ .

الآية : ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربىٰ** ﴾ ، قالوا : يارسول الله ، من هؤلاء الذين أمر الله بمودتهم ؟ قال : « **فاطمة وولدها عليهم السلام** » .

وهذا إسناد ضعيف فيه مبهم لا يعرف عن شيخ شيعي متحرق ، وهو حسين الأشقر ، ولا يقبل خبره في هذا المحل . وذكْرُ نزول هذه الآية في المدينة بعيد ، فإنها مكية ولم يكن إذ ذاك لفاطمة أولاد بالكلية ، فإنها لم تتزوج بعلي إلا بعد بدر من السنة الثانية من الهجرة .

والحق تفسير الآية بما فسرها به الإمام حَبْرُ الأمة ، وترجمان القرآن ، عبد الله بن عباس ، كما رواه عنه البخاري ، ولا تنكر الوَصاةُ بأهل البيت ، والأمر بالإحسان إليهم ، واحترامهم وإكرامُهم ، فإنهم من ذُرّية طاهرة ، من أشرف بيت وجد علىٰ وجه الأرض ، فخرًا وحسبًا ونسبًا ، ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية ، كما كان عليه سلفهم ، كالعباس وبنيه ، وعليّ وأهل بيته وذويه[١] ، رضي الله عنهم أجمعين .

وفي الصحيح[٢] (٢٦) : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال في خطبته بغدير خم : « **إني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي ، وإنهما لم يفترقا حتىٰ يردا عليّ الحوض** » .

وقال الإمام أحمد(٢٧) : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن يزيد

---

(٢٦) - أخرجه مسلم فى فضائل الصحابة ، باب : من فضائل على بن أبى طالب حديث رقم (٣٤٠٨) من مسند زيد بن أرقم بنحو السياق التى ذكرها المصنف وليس بلفظه ، ولهذا الحديث شواهد كثيرة . انظرها فى الصحيحة (٣٥٥/٤ ، ٣٦١) ، وسيأتى تخريجه مفصلًا عندما يذكر المصنف طرقه بعد قليل .

(٢٧) - هذا الحديث ضعيف مداره على يزيد بن أبى زياد وهو ضعيف وقد اختلط بأخرةٍ ، وقد اضطرب فى هذا الحديث ، فتارة يجعله من مسند العباس ، وتارة يجعله من مسند عبد المطلب بن ربيعة ، وفى بعض الطرق سماه المطلب بن ربيعة . أخرجه أحمد ٢٠٧/١ ، ١٦٥/٤ ، وفى الفضائل (١٧٥٧) ، والترمذى فى المناقب حديث رقم (٣٧٠٨) ، والنسائى فى المناقب من الكبرى حديث رقم (٨١٧٦) ، والبزار (٣١٦) ، والحاكم (٣٣٢/٣) ، والخطيب فى تاريخه (٣٨٦/٣) من طرق عن يزيد بن أبى زياد عن عبد الله بن الحارث به . قال البزار : لا نعلم رواه إلا يزيد بن أبى زياد عن عبد الله بن الحارث وللحديث طريق أخرى عند ابن ماجه فى المقدمة برقم (١٤٠) من طريق محمد بن كعب القرظى عن العباس ، وهذا الإسناد ضعيف لانقطاعه ، فإن محمد بن كعب لم يدرك العباس بن عبد المطلب كما يعلم من تاريخ وفاتهما ، وله طريق أخرى من مرسل أبى الضحى وهو مسلم بن صبيح قال : قال العباس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ... فذكره مرسلًا . أخرجه أحمد فى الفضائل (١٧٥٦) ، وقد وصله الطبرانى فى الكبير (٤٣٣/١١) (١٢٢٢٨) ، والخطيب فى تاريخه (٣١٦/٥ ، ٣١٧) عن أبى الضحى عن عبد الله بن عباس ، عن العباس ... فذكره . وإسناده ضعيف . ووصله الخطيب من وجه آخر عن أبى الضحى عن مسروق عن عائشة وضعفه أيضًا ، فالحاصل أن هذا الحديث ورد بأسانيد هذا حالها وهى بينة الضعف ، والله أعلم .

---

[١] - في ت : « وذريته » .

[٢] - في ز : « الصحيحين » .

ابن أبي زياد ، عن عبد اللّه بن الحارث ، عن العباس بن عبد المطلب قال : قلت : يارسول اللّه ، إن قريشًا إذا لقي بعضهم بعضًا لَقُوهم ببشر حَسَن ، وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها ؟ قال : فغضب النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم غضبًا شديدًا ، وقال : « **والذي نفسي بيده ، لا يدخل قلبَ الرجل الإيمانُ حتىٰ يحبكم للّه ولرسوله** » .

ثم قال أحمد : حدثنا جرير ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد اللّه بن الحارث ، عن عبد المطلب بن ربيعة قال : دخل العباس علىٰ رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم فقال : إنا لنخرج فنرىٰ قريشًا تَحدَّث ، فإذا رأونا سكتوا . فغضب رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم ودَرّ عِرْق بين عينيه ، ثم قال : « **واللّه لا يدخل قلب امرئ مسلم إيمانٌ حتىٰ يحبكم للّه ولقرابتي** » .

وقال البخاري(٢٨) : حدثنا عبد اللّه بن عبد الوهاب ، حدثنا خالد ، حدثنا شعبة ، عن واقد قال[١] : سمعتُ أبي يحدّث عن ابن عمر ، عن أبي بكر الصديق رضي اللّه عنه قال : ارقبوا محمدًا صلىٰ اللّه عليه وسلم في أهل بيته .

وفي الصحيح(٢٩) : أن الصديق قال لعليّ - رضي اللّه عنهما - : واللّه لقرابة رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم أحبّ إليّ أن أصل من قرابتي .

وقال عمر بن الخطاب للعباس(٣٠) - رضي اللّه عنهما - : واللّه لإسلامك يوم أسلمت كان أحبّ إليّ من إسلام الخطاب لو أسلم ؛ لأن إسلامك كان[٢] أحب إلىٰ رسول اللّه من إسلام الخطاب .

فحال الشيخين - رضي اللّه عنهما - هو الواجب علىٰ كل أحد أن يكون كذلك ، ولهذا كانا أفضل المؤمنين بعد النبيين والمرسلين - رضي اللّه عنهما - وعن سائر الصحابة أجمعين .

وقال الإمام أحمد رحمه الله : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن أبي حَيّان التيمي ، حدثني يزيد بن حَيّان قال : انطلقتُ أنا وحصين بن ميسرة ، وعمر بن مسلم إلىٰ زيد بن أرقم ، فلما جلسنا إليه قال له حصين : لقد لقيت يا زيدُ خيرًا كثيرًا ، رأيتَ رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم ، وسمعت حديثه ، وغزوتَ معه ، وصليتَ معه . لقد رأيتَ يازيد خيرًا كثيرًا . حدثنا

---

(٢٨) - أخرجه البخارى فى المناقب باب مناقب قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث رقم (٣٧١٣)، ثم أعاده فى فضل الحسن والحسين حديث رقم (٣٧٥١) من طريق آخر عن شعبة .

(٢٩) - أخرجه البخارى فى الموضع السابق حديث رقم (٣٧١٢) .

(٣٠) - أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٩١٤/٨ من طريق إبراهيم بن المهاجر عن مجاهد عن ابن عباس قال : قال عمر للعباس ... فذكره .

---

[١] - سقط من : ز . [٢] - سقط من : خ ، ز .

يا زيدُ ما سمعتَ من رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم . فقال : يا ابن أخي ، واللّٰه لقد [كَبُرَت][١] سنّي وقدُم عهدي ، ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فما حدثتكم فاقبلوه ، وما لا فلا تُكلّفونيه . ثم قال : قام رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يومًا[٢] خطيبًا فينا ، بماء يدعىٰ خُمًا - بين مكة والمدينة - فحمد اللّٰه وأثنىٰ عليه ، وذَكّر ووَعَظ ، ثم قال : « **أما بعد ، ألا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسولُ ربي فأجيب ، وإني تارك فيكم الثقلين ، أولهما : كتابُ الله ، فيه الهدىٰ والنور ، فخذوا بكتاب اللّٰه واستمسكوا به** » - فحثَّ علىٰ كتاب اللّٰه ورَغَّب فيه - وقال : « **وأهل بيتي ، أذكركم اللّٰه في أهل بيتي ، أذكركم اللّٰه في أهل بيتي** » . فقال له حصين : ومَن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال : إن نساءه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته من حُرم الصدقة بعده . قال : ومن هم ؟ قال : هم آل علي ، وآل عَقِيل ، وآل جعفر ، وآل العباس . قال : أكلّ هؤلاء حُرمَ الصدقة ؟ قال : نعم .

وهكذا رواه مسلم في الفضائل والنسائي من طرق عن يزيد بن حيان ، به(٣١) .

وقال أبو عيسىٰ الترمذي(٣٢) : حدثنا علي بن المنذر الكوفي ، حدثنا محمد بن فضيل ، حدثنا الأعمش ، عن عطية ، عن أبي سعيد - والأعمشُ ، [عن حبيب بن أبي ثابت][٣] ، عن زيد بن أرقم - قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي ، أحدهما أعظم من الآخر : كتابُ اللّٰه حبل ممدود من السماء إلىٰ الأرض ، والآخر عترتي : أهل بيتي ، ولن يتفرقا حتىٰ يردا عليَّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما** » . تفرد بروايته الترمذي ثم قال : هذا حديث حسن غريب[٤] .

وقال الترمذي أيضًا (٣٣) : حدثنا نصر بن عبد الرحمن الكوفي ، حدثنا زيد بن الحسن ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد اللّٰه قال : رأيت رسول الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم

(٣١) - أخرجه مسلم فى فضائل الصحابة حديث رقم (٣٤٠٨) ، وأبو داود (٤٩٧٣) ، وأحمد ٣٦٦/٤ ، وعبد بن حميد (٢٦٥) ، والدارمى (٣٣١٩) ، وغيرهم من طرق عن يزيد بن حيان به .

(٣٢) - (٣٣) - أخرجهما الترمذى فى المناقب ، باب : مناقب أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث رقم (٣٧٨٦ ، ٣٧٨٨) ، وقد تقدمت الإشارة إلى صحة هذا الحديث بشواهده ومجموع طرقه ، ويستغرب من رواية الترمذى هذه أن النبى صلى الله عليه وسلم ذكر هذه الخطبة فى حجة الوداع . والمشهور أنه ذكرها يوم غد يرخم كما جاء فى صحيح مسلم . لذلك قال الترمذى عقب هذه الرواية : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه . وانظر شواهد هذا الحديث وبعض طرقه فى السلسلة الصحيحة (٤/ ٣٥٥) ، (٣٦١/٤) .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « لقد كبر » . [٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « عن أبي حبيب عن أبي ثابت » .

[٤] - في ت : « صحيح » .

في حجته يوم عرفة ، وهو علىٰ ناقته القَصواء[١] يخطب ، فسمعته يقول : « **يا أيها الناس ، إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا : كتاب الله ، وعترتي : أهل بيتي** » .

تفرد به الترمذي أيضًا، وقال : حسن غريب . وفي الباب عن أبي ذر ، وأبي سعيد ، وزيد ابن أرقم ، وحُذَيفة بن أسيد .

ثم قال الترمذي(٣٤) : حدثنا أبو داود [سليمان بن][٢] الأشعث ، حدثنا يحيىٰ بن مَعِين ، حدثنا هشام بن يوسف ، عن عبد اللّٰه بن سليمان النوفلي ، عن محمد بن علي بن عبد اللّٰه بن عباس ، عن أبيه ، عن جده عبد اللّٰه بن عباس قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **أحبوا اللّٰه لما يَغذُوكم من نِعَمه ، وأحبوني بحب الله ، وأحبوا أهل بيتي بحبي** » .

ثم قال : حسن غريب ، إنما نعرفه من هذا الوجه .

وقد أوردنا أحاديث أخَر عند قوله تعالىٰ : ﴿ **إنما يريد اللّٰه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا** ﴾ بما أغنى عن إعادتها هاهنا ، وللّٰه الحمد والمنة .

وقال الحافظ أبو يعلىٰ (٣٥) : حدثنا سُوَيد بن سَعيد ، حدثنا مُفَضّل بن عبد الله ، عن أبي إسحاق ، عن حَنَش قال : سمعت أبا ذر وهو آخذ بحلقة الباب يقول : يا أيها الناس ، من

(٣٤) - أخرجه أحمد فى فضائل الصحابة (١٩٢٢) ، والبخارى فى التاريخ ١/١٨٣ ، والترمذى فى المناقب باب : مناقب أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث رقم (٣٧٩٠) ، والطبرانى فى الكبير (١/ ٣٨) ، (١٠/٣٤٣) ، والحاكم (٣/١٥٠) ، والبيهقى فى الشعب (١/ ٢٨٨) ، وفى مناقب الشافعى (١/٤٥) ، والذهبى فى الميزان (٢/٤٣٢) ، والمزى فى التهذيب (١٥/٦٤) ، والخطيب فى تاريخه (٤/ ١٦٠) ، وأبو نعيم فى الحلية (٣/٢١١) ، من طريق هشام بن يوسف عن عبد الله بن سليمان النوفلى به . وعبد الله بن سليمان ضعيف . قال الذهبى فى الميزان : فيه جهالة . وقال فى الديوان : مجهول . وقال الحافظ فى التقريب : مقبول . وقد تفرد بهذا الحديث ولم يتابع عليه فإسناده ضعيف لا يثبت .

(٣٥) - أخرجه ابن عدى فى الكامل (٦/٢٤٠٦) عن أبى يعلى به وأخرجه الحاكم (٣/١٥٠ - ١٥١) من طريق آخر عن المفضل بن صالح به . ووقع فى رواية أبى يعلى كما ذكر المصنف : «المفضل بن عبد الله » وإنما هو المفضل بن صالح ، قال ابن عدى فى الكامل : وكان سويد - الراوى عنه - يسميه المفضل بن عبد الله . اهـ . والمفضل ضعيف . قال البخارى : منكر الحديث ، وقال الذهبى فى استدراكه على الحاكم : «المفضل واه » وقال ابن عدى : أنكر ما رأيت له حديث الحسن بن على . قال الذهبى فى الميزان (٥/ ٢٩٢) ، وحديث سفينة نوح أنكر وأنكر . اهـ . يعنى هذا الحديث . والحديث أخرجه الطبرانى فى الكبير (٢٦٣٧) ، وفى الصغير (١/١٣٩ - ١٤٠) من طريق الأعمش ، عن أبى إسحاق به ، وفى إسناده عبد الله ابن داهر وهو متروك . وله طريق أخرى فقد أخرجه الطبرانى فى الكبير (٢٦٣٦) ، والبزار (٣٩٠) من طريق سعيد بن المسيب عن أبى ذر وإسناده واه فيه الحسن بن أبى جعفر وهو متروك ، ورواه الحسن بن أبى جعفر=

[١] - في ز : « القصوى » . [٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « وسليمان » .

عرفني فقد عرفني ، ومن أنكرني[١] فأنا أبو ذر ، سمعتُ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **إنما مثل أهل بيتي فيكم مَثَل سفينة نوح ، من دخلها نجا ، ومن تخلف عنها هلك** » . هذا بهذا الإسناد ضعيف .

وقوله : ﴿ **ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنًا** ﴾ أي : ومن يعمل حسنة ﴿ **نزد له فيها حسنًا** ﴾ أي : أجرًا وثوابا ، كقوله : ﴿ **إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرًا عظيمًا** ﴾ .

وقال بعض السلف : من ثواب الحسنة الحسنةُ بعدها ، ومن جزاء السيئة السيئة بعدها .

وقوله : ﴿ **إن الله غفور شكور** ﴾ أي : يغفر الكثير من السيئات ، ويكثر القليل من الحسنات ، فيستر ويغفر ، ويضاعف فيشكر .

وقوله : ﴿ **أم يقولون افترىٰ علىٰ الله كذبًا فإن يشأ الله يختم علىٰ قلبك** ﴾ أي : لو افتريت عليه كذبًا كما يزعم هؤلاء الجاهلون ﴿ **يختم علىٰ قلبك** ﴾ أي : لطَبَع علىٰ قلبك وسَلَبك ما كان آتاك من القرآن ؛ كقوله تعالىٰ : ﴿ **ولو تقول علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين** ﴾ أي: لانتقمنا منه أشد الانتقام ، وما قدر أحد من الناس أن يحجز عنه .

وقوله : ﴿ **ويمح الله الباطل** ﴾ ، ليس معطوفًا علىٰ قوله : ﴿ **يختم** ﴾ فيكون مجزومًا ، بل هو مرفوع علىٰ الابتداء . قاله ابن جرير ، قال : وحذفت من كتابته « الواو » في رسم المصحف الإمام ، كما حذفت من[٢] قوله : ﴿ **سندع الزبانية** ﴾ ، وقوله : ﴿ **ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ويحق الحق بكلماته** ﴾ معطوف علىٰ ﴿ **ويمح الله الباطل ويحق الحق** ﴾ أي : يحققه ويثبته ويبينه ويوضحه ، ﴿ **بكلماته** ﴾ أي : بحججه وبراهينه ، ﴿ **إنه عليم بذات الصدور** ﴾ أي : بما تكنه الضمائر ، وتنطوي عليه السرائر .

وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾
وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ

= بإسناد آخر أخرجه الطبراني في الكبير (٢٦٣٨) ، من طريقه عن أبي الصهباء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وهذا من تخليط هذا الهالك الحسن بن أبي جعفر . وللحديث شواهد في أسانيدها كلها مقال وانظرها في مجمع الزوائد (١٧١/٩) .

[١] - في ز : « أنكر » . [٢] - في ت : « في » .

﴿ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾

يقول تعالىٰ ممتنًا علىٰ عباده بقبول توبتهم إليه إذا تابوا ورجعوا إليه : إنه من كرمه وحلمه أنه يعفو ويصفح ويستر ويغفر ، كقوله : ﴿ **ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه ثم يستغفر اللّٰه يجد اللّٰه غفورًا رحيمًا** ﴾ وقد ثبت في صحيح مسلم - رحمه اللّٰه - حيث قال(٣٦) :

حدثنا محمد بن الصباح وزهير بن حرب قالا : حدثنا عمر بن يونس ، حدثنا عكرمة بن عمار ، حدثنا إسحاق بن أبي طلحة ، حدثني أنس بن مالك - وهو عمه - قال : قال رسول الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **للّٰه أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه ، من أحدكم كان راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه ، وعليها طعامه وشرابه ، فأيس منها ، فأتىٰ شجرة فاضطجع في ظلها ، قد أيس من راحلته ، فبينما هو كذلك إذا هو[١] بها قائمة عنده ، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح : اللهم ، أنت عبدي وأنا ربك - أخطأ من شدة الفرح** » .

وقد ثبت أيضًا في الصحيح من رواية عبد اللّٰه بن مسعود نحوه (٣٧) .

وقال عبد الرزاق(٣٨) ، عن معمر ، عن الزهري في قوله : ﴿ **وهو الذي يقبل التوبة عن عباده** ﴾ : إن أبا هريرة قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **للّٰه أشد فرحًا بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته في المكان الذي يخاف أن يقتله العطش فيه** » .

وقال همام بن الحارث : سُئل ابن مسعود عن الرجل يفجر بالمرأة ثم يتزوجها ؟ قال : لا بأس به ، وقرأ : ﴿ **وهو الذي يقبل التوبة عن عباده** ﴾ الآية . رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم من حديث شَريك القاضي ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن إبراهيم النخعي ، عن همام ،

---

(٣٦) - أخرجه مسلم فى كتاب التوبة من صحيحه ، حديث رقم (٢٧٤٧) .

(٣٧) - أخرجه مسلم فى كتاب التوبة من صحيحه ، حديث رقم (٢٧٤٤) . وفى الباب عن أبى هريرة ، والنعمان بن بشير ، والبراء بن عازب ، وكلها فى صحيح الإمام مسلم ، انظر كتاب التوبة باب فى الحض على التوبة والفرح بها .

(٣٨) - أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ١٩١/٢ ، وهو فى صحيح مسلم حديث رقم (٢٦٧٥) من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبى هريرة فذكره ، وانظر المصدر السابق .

---

[١] - سقط من : خ .

فذكره (٣٩) .

وقوله : ﴿ **ويعفو عن السيئات** ﴾ أي : يقبل التوبة في المستقبل ، ويعفو عن السيئات في الماضي ، ﴿ **ويعلم ما تفعلون** ﴾ أي : هو عالم بجميع ما فعلتم وصنعتم وقلتم ، ومع هذا يتوب علىٰ من تاب إليه .

وقوله : ﴿ **ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ ، قال السدي : يعني يستجيب لهم . وكذا قال ابن جرير : معناه يستجيب الدعاء لهم ولأصحابهم وإخوانهم . وحكاه عن بعض النحاة ، وأنه جعلها كقوله : ﴿ **فاستجاب لهم ربهم** ﴾ .

ثم روىٰ هو وابن أبي حاتم(٤٠) ، من حديث الأعمش ، عن شقيق بن سلمة ، عن سلمة ابن سبرة قال : خطبنا معاذ بالشام فقال : أنتم المؤمنون ، وأنتم أهل الجنة . والله[١] إني أرجو أن يدخل الله من تَسْبُون من فارس والروم الجنة ، وذلك بأن أحدكم إذا عمل له - يعني أحدُهم عملًا قال : أحسنت - رحمك[٢] الله أحسنت بارك الله فيك - ثم قرأ : ﴿ **ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله** ﴾ .

وحكى ابن جرير عن بعض أهل العربية [أنه جعل][٣] [﴿ **ويستجيب الذين آمنوا** ﴾ كقوله : ﴿ **الذين يستمعون القول** ﴾ ، أي : هم الذين يستجيبون للحق ويتبعونه ، كقوله تبارك وتعالىٰ : ﴿ **إنما يستجيب**][٤] **الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله** ﴾ والمعنىٰ الأول أظهر ، لقوله تعالىٰ : ﴿ **ويزيدهم من فضله** ﴾ أي : يستجيب دعاءهم ويزيدهم فوق ذلك . ولهذا قال ابن أبي حاتم :

حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا محمد بن المصفىٰ ، حدثنا بقية ، حدثنا إسماعيل بن عبدالله الكَندي ، حدثنا الأعمش ، عن شقيق ، عن عبد الله قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في قوله : ﴿ **ويزيدهم من فضله** ﴾ ، قال : « **الشفاعة لمن وجبت له النار ، ممن صنع إليهم معروفًا في الدنيا** »(٤١) .

(٣٩) - أخرجه ابن أبي حاتم - كما في الدر المنثور - والطبرى في تفسيره ٢٥/٢٨ وفي إسناده شريك كان صدوقًا سيئ الحفظ ولا سيما بعد توليه القضاء .

(٤٠) - انظر المصدر السابق .

(٤١) - أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر - وابن أبي عاصم في السنة (٨٤٦) ، والطبراني في الكبير ١٠/ ٢٤٨ ، وفي الأوسط (٥٧٧٠) ، من طرق عن بقية به . وهذا إسنادٌ ضعيفٌ لا يثبت كما قال المصنف فيما سبق ، وعلته إسماعيل الكندى قال الذهبي : روى عن الأعمش ، وعنه بقية بخبر عجيب منكر .=

[١] - سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ز : « يرحمك » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « أن جعله » .
[٤] - مابين المعكوفتين في خ : « جعله قوله » .

و[١]قال قتادة عن إبراهيم النخعي اللخمي في قوله تعالىٰ : ﴿ **ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ ، قال : يشفعون في إخوانهم ، ﴿ **ويزيدهم من فضله** ﴾ ، قال : يشفعون في إخوان إخوانهم

وقوله : ﴿ **والكافرون لهم عذاب شديد** ﴾ ، لما ذكر المؤمنين وما لهم من الثواب الجزيل ، ذكر الكافرين وما لهم عنده يوم القيامة من العذاب الشديد الموجع المؤلم يوم معادهم وحسابهم .

وقوله : ﴿ **ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض** ﴾ أي : لو أعطاهم فوق حاجتهم من الرزق ، لحملهم ذلك علىٰ البغي والطغيان من بعضهم علىٰ بعض ، أشرًا وبطرًا .

وقال قتادة : كان يقال : خير العيش ما لا يُلهيك ولا يُطغيك . وذكر قتادة حديث : « **إنما أخاف عليكم ما يخرج الله من زهرة الحياة الدنيا** » ، و[٢]سؤال السائل : أيأتي الخير بالشر ؟ الحديث (٤٢) .

وقوله : ﴿ **ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير** ﴾ أي : ولكن يرزقهم من الرزق ما يختاره مما فيه صلاحهم ، وهو أعلم بذلك ، فيغني من يستحق الغنىٰ ، ويفقر من يستحق الفقر . كما جاء في الحديث المروي : « **إن من عبادي لمَنْ لا يصلحه إلا الغنىٰ ، ولو أفقرته لأفسدت عليه دينه ، وإن من عبادي لمَنْ لا يصلحه إلا الفقر ، ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه** »(٤٣) .

= قلت : ولهذا الحديث إسنادٌ آخر ، فقد أخرجه أبو نعيم فى الحلية ١٠٨/٤ ، ١٢٨/٧ من طريق ابن حمير عن الثورى عن الأعمش عن شقيق به ، وقال فى الموضع الأول : غريب من حديث الأعمش ، عزيز عجيب من حديث الثورى ، تفرد به إسماعيل الكندى عن الأعمش .وقال فى الموضع الثاني : «غريب من حديث الثورى تفرد به ابن حمير »، ورواه بقية عن إسماعيل بن عبد الله الكندى عن الأعمش مثله . اهـ .

قلت : يعنى أن حديث الثورى غير محفوظ ، والحديث حديث إسماعيل الكندى ، فقد أفحش الخطأ من اعتبر الثورى متابعًا لإسماعيل وصححه لذلك .

(٤٢) - أخرجه ابن جرير الطبرى من طريق سعيد بن أبى عروبة عن قتادة به مرسلًا والحديث فى الصحيحين وغيرهما من حديث أبى سعيد الخدرى فقد أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة ، باب : يستقبل الإمام القوم حديث (٩٢١) ، وأطرافه (١٤٦٥ ، ٢٨٤٢ ، ٦٤٢٧) ، ومسلم فى كتاب الزكاة باب : تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا حديث رقم (١٢٢ ، ١٢٣) - (١٠٥٢) .

(٤٣) - هذا الحديث يروى من مسند عمر بن الخطاب ، ومن مسند أنس بن مالك .

أولًا : حديث عمر ، أخرجه الخطيب فى تاريخه ١٥/٦ ، ومن طريقه ابن الجوزى فى العلل المتناهية ٤٤/١ من طريق يحيى بن عيسى ، عن سفيان الثورى ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن أبى قلابة ، عن كثير ابن أفلح عن عمر بن الخطاب عن النبى صلى الله عليه وسلم عن جبريل فذكره ويحيى بن عيسى =

---

[١] - سقط من : ز . [٢] - سقط من : ز .

وقوله : ﴿ **وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا** ﴾ أي : من بعد إياس الناس من نزول المطر ، ينزله عليهم في وقت حاجتهم وفقرهم إليه ، كقوله : ﴿ **وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين** ﴾

وقوله : ﴿ **وينشر رحمته** ﴾ أي : يعم بها الوجود على أهل ذلك القُطر وتلك الناحية .

قال قتادة : ذُكر لنا أن رجلًا قال لعمر بن الخطاب : يا أمير المؤمنين ، قحط المطر وقَنَط الناس ؟ فقال عمر - رضي الله عنه - : مطرتم ، ثم قرأ : ﴿ **وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد** ﴾(٤٤) . أي : هو المتصرف لخلقه بما ينفعهم في دنياهم وأخراهم ، وهو المحمود العاقبة في جميع ما يقدره ويفعله .

= وهو الرملى . قال ابن معين : ليس بشيء . وقال النسائى : ليس بالقوى . وقال ابن حبان فى المجروحين (٣/١٢٦ - ١٢٧) ، وكان ممن ساء حفظه وكثر وهمه حتى جعل يخالف الأثبات فيما يروى الثقات ، فلما كثر ذلك فى روايته بطل الاحتجاج به . وقال ابن عدى فى الكامل (٧/٢٦٧٣) : « عامة رواياته مما لا يتابع عليه »وقال ابن الجوزى فى العلل المتناهية عقب روايته لهذا الحديث : «هذا حديث لا يصح ... ففيه يحيى ابن عيسى الرملى قال يحيى : ما هو بشيء . وقال ابن حبان : ساء حفظه فكثر وهمه فبطل الاحتجاج به».

ثانيًا : حديث أنس بن مالك . أخرجه ابن الجوزى فى العلل المتناهية (١/٤٤) وأبو نعيم فى الحلية (٨/ ٣١٨) ، والبغوى فى شرح السنة (٥/٢٣) والحكيم الترمذى فى نوادر الأصول ١/٤٢٩ ، وابن أبى الدنيا فى الأولياء (١) وزاد السيوطى فى الدر المنثور نسبته إلى ابن عساكر فى تاريخه ، وزاد ابن حجر فى الفتح (١١/٣٤٢) نسبته إلى البزار وأبى يعلى وزاد الألبانى فى الصحيحة (٤/١٨٩) نسبته إلى محمد بن سليمان الربعى فى جزء من حديثه ، وزاد الهيثمى فى المجمع نسبته إلى الطبرانى فى الأوسط . كلهم من طريق عمر بن سعيد الدمشقى ، والحسن بن يحيى الدمشقى كلاهما عن صدقة بن عبد الله الدمشقى عن هشام الكنانى ، عن أنس مرفوعًا وهذا إسنادٌ ضعيف جدًّا ، صدقة بن عبد الله - وهو أبو معاوية السمين - ضعيف ، وشيخه هشام الكنانى لا يعرف . وقال ابن الجوزى - كما فى العلل المتناهية (١/٤٤) : « هذا حديث لا يصح ففيه الخشنى ، قال يحيى بن معين : ليس بشيء . وقال الدارقطنى : متروك ، وأما صدقة فمجروح».

أما الخشنى وهو الحسن بن يحيى فقد تابعه عمر بن سعيد كما تقدم ، والحديث ذكره الهيثمى فى المجمع وعزاه للطبرانى فى الأوسط ، وأعله بعمر بن سعيد هذا . وعليه فهذا الحديث لا يصح عن النبى صلى الله عليه وسلم فالخشنى ، وصدقة ضعيفان ، وشيخهما ضعيف ، وهشام الكنانى الراوى عن أنس لم أجد من ترجمه ، وقال الشيخ الألبانى فى الصحيحة : لم أعرفه . وانظر كلام الحافظ ابن رجب الحنبلى على هذا الحديث في أثناء كلامه على شرح حديث : « من عادى لى وليًا » الحديث الثامن والثلاثون من جامع العلوم والحكم ، وانظر الصحيحة (٤/١٨٨) .

(٤٤) - أخرجه ابن جرير الطبرى في تفسيره ، وعزاه فى الدر إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر من هذا الوجه ، وقول عمر : «مطرتم »أى ما دام أن الحال أصبح كما تقولون فسيفى الله عز وجل بوعده وينزل الغيث ، وينشر رحمته ، ويؤيد هذا المعنى قول عمر كما فى الدر المنثور : « مطرتم إذًا ».

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ (٢٩) وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ (٣٠) وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٣١)

يقول تعالىٰ : ﴿ **ومن آياته** ﴾ الدالة علىٰ عظمته وقدرته العظيمة وسلطانه القاهر ﴿ **خلق السماوات والأرض وما بث فيهما** ﴾ أي : ذرأ فيهما ، أي : في السماوات والأرض ، ﴿ **من دابة** ﴾ ، وهذا يشمل الملائكة والجن والإنس وسائر الحيوانات ، علىٰ اختلاف أشكالهم وألوانهم ولغاتهم ، وطباعهم وأجناسهم وأنواعهم ، وقد فرقهم في أرجاء أقطار الأرض والسماوات ، ﴿ **وهو** ﴾ ومع هذا كله ﴿ **وهو علىٰ جمعهم إذا يشاء قدير** ﴾ أي : يوم القيامة يجمع الأولين والآخرين وسائر الخلائق في صعيد واحد ، يسمعهم الداعي ، ويَنْفُذهم البصر ، فيحكم فيهم بحكمه العدل الحق .

وقوله : ﴿ **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم** ﴾ أي : مهما أصابكم أيها الناس من المصائب فإنما هو عن سيئات تقدمت لكم ، ﴿ **ويعفو عن كثير** ﴾ أي : من السيئات ، فلا يجازيكم عليها بل يعفو عنها ، ﴿ **ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك علىٰ ظهرها من دابة** ﴾ ، وفي الحديث الصحيح : « **والذي نفسي بيده ، ما يصيب المؤمن من نَصَب ولا وَصَب ولا هَمّ ولا حزن ، إلا كفر الله عنه بها من خطاياه ، حتىٰ الشوكة يشاكها** »(٤٥) .

وقال ابن جرير : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن عُلَيّة ، حدثنا أيوب قال : قرأت في كتاب أبي قلابة ، قال : نزلت : ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره** ﴾ ، وأبو بكر يأكل ، فأمسك وقال : يارسول الله ، إني لَرَاء ما عملت من خير وشر ؟ فقال : « **أرأيت ما رأيت مما تكره ، فهو من مثاقيل ذَرّ الشر ، وتَدّخر مثاقيل الخير حتىٰ تعطاه يوم القيامة** » . قال : قال أبو إدريس : فإني أرىٰ مصداقها في كتاب الله : ﴿ **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير** ﴾ . ثم رواه من وجه آخر عن أبى قلابة عن أنس قال : والأول أصح(٤٦) .

(٤٥) - أخرجه البخارى فى صحيحه - كتاب المرض ، باب : ماجاء فى كفارة المرض (٥٦٤١) ، (٥٦٤٢) ، ومسلم فى صحيحه - كتاب البر والصلة ، والآداب ، باب : « ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن »حديث (٢٥٧٣) ، من حديث أبى سعيد الخدرى ، وفى الباب عن أبى هريرة ، وعائشة وغيرهما .

(٤٦) - هذا الحديث يأتى تخريجه والكلام عليه فى سورة الزلزلة حيث استوعب المصنف هناك طرقه ، ورأيت أن الكلام عليه هناك أنسب ، والله المستعان .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن عيسىٰ بن الطباع ، حدثنا مروان بن معاوية الفَزَاري ، حدثنا الأزهر بن راشد الكاهلي ، عن الخَضْر بن القَوّاس البجلي[١] ، عن[٢] أبي سخيلة ، عن علي - رضي اللّٰه عنه - قال : ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب اللّٰه - عز وجل - وحدثنا به رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال : ﴿ **ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير** ﴾ ، **وسأفسرها**[٣] **لك يا علي : ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا، فبما كسبت أيديكم، واللّٰه تعالىٰ أحلم من أن يُثَنّى عليه العقوبة في الآخرة، وما عفا اللّٰه عنه في الدنيا ، فاللّٰه تعالىٰ أكرم من أن يعود بعد عفوه »**(٤٧) .

وكذا رواه الإمام أحمد عن مروان بن معاوية [وعنده] عن[٤] أبي سخيلة قال: قال عليٌّ ... فذكر نحوه مرفوعًا .

ثم روىٰ ابن أبي حاتم نحوه من وجه آخر موقوفًا فقال : حدثنا أبي ، حدثنا منصور بن أبي مزاحم ، حدثنا أبو سعيد بن أبي الوضاح ، عن أبي الحسن ، عن أبي جُحَيفة قال : دخلت علىٰ علي بن أبي طالب - رضي اللّٰه عنه - فقال : ألا أحدثكم بحديث ينبغي لكل مؤمن أن يَعيَه ؟ قال : فسألناه ، فتلا هذه الآية : ﴿ **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير** ﴾ . قال : ما عاقب اللّٰه به في الدنيا فاللّٰه أحلم من أن يُثَنّي عليه العقوبة يوم القيامة ، وما عفا اللّٰه عنه في الدنيا فاللّٰه أكرم من أن يعود في عفوه يوم القيامة .

وقال الإمام أحمد (٤٨) : حدثنا يعلىٰ بن عبيد ، حدثنا طلحة - يعني ابن يحيىٰ - ، عن أبي بردة، عن معاوية - هو ابن أبي سفيان، رضي اللّٰه عنهما - قال[٥]: سمعت رسول اللّٰه

(٤٧) - وعزاه فى الدر المنثور إلى ابن أبى حاتم من هذا الوجه ، والحديث أخرجه أحمد ٨٥/١ ، وأبو يعلى (٣٥٢/١ ، ٤٥٣) ، والدولابى فى الكنى (١٨٥/١ - ١٨٦) ، وزاد السيوطى نسبته إلى ابن مردويه ، والحكيم الترمذى فى نوادر الأصول ، وإسحاق بن راهويه ، وابن منيع ، وعبد بن حميد من هذا الوجه . وهذا إسنادٌ ضعيف ، أزهر بن راشد الكاهلى ضعفه ابن معين وقال أبو حاتم : مجهول ، وقال الحافظ فى التقريب : ضعيف ، والخضر بن القواس : جهله أبو حاتم وذكره ابن حبان فى الثقات ، وشيخه ؛ قال أبو زرعة : لا أعرف اسمه . وقال الحافظ : مجهول ، وللحديث طريق أخرى فقد أخرجه أحمد (٩٩/١) ، وابن أبى حاتم كما ذكر المصنف ، والسيوطى فى الدر ، والحاكم ٤٤٥/٢ ، وصححه على شرط الشيخين ، وزاد الحاكم نسبته إلى ابن راهويه من طريقين عن أبى جحيفة . به موقوفًا وهذا هو الصحيح عن على ، والمرفوع لا يثبت لما سبق ذكره فى إسناده .

(٤٨) - أخرجه أحمد (٩٨/٤) ، وعبد بن حميد (٤١٥) ، وابن أبى الدنيا فى المرض والكفارات ، والحاكم ٣٤٧/١ من طريق طلحة بن يحيى عن أبى بردة به ، وصححه على شرط البخارى ومسلم ، وفى إسناده=

[١] - في خ : « الجليلى » ، وفي ز : « الجيلى» . [٢] - بعده في خ : « ابنَ » .
[٣] - في ز : « ما فسرها » . [٤] - بعده في خ : « ابن » .
[٥] - سقط من : خ .

صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « **ما من شيء يصيب المؤمن[١] في جسده يؤذيه إلا كفر اللّٰه عنه به من سيئاته** » .

وقال أحمد أيضًا(٤٩) : حدثنا حسين، عن زائدة ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن عائشة قالت : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم: « **إذا كثرت ذنوب العبد، ولم يكن له ما يكفرها ابتلاه اللّٰه بالحزن ليكفرها** » .

وقال ابن أبي حاتم (٥٠) : حدثنا عمرو بن عبد اللّٰه الأودي ، حدثنا أبو أسامة ، عن إسماعيل بن مسلم ، عن الحسن - هو البصري - قال في قوله : ﴿ **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير** ﴾ ، قال[٢] : لما نزلت قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **والذي نفس محمد بيده ، ما من خدش عود ، ولا اختلاج[٣] عرق ولا عثرة قدم إلا بذنب ، وما يعفو اللّٰه عنه[٤] أكثر** » .

وقال أيضًا : حدثنا أبي ، حدثنا عمرو[٥] بن علي ، حدثنا هشيم ، عن منصور ، عن الحسن ، عن عمران بن حصين -رضي اللّٰه عنه - قال : دخل عليه بعض أصحابه وقد كان ابتلي في جسده ، فقال له بعضهم : إنا [لَنَبْتَئِسُ لك لما][٦] نرىٰ فيك . قال : فلا تبتئس بما

= طلحة بن يحيى لم يحتج به البخارى ، وقال الحافظ فى التقريب : صدوق يخطئ . فإسناد الحديث ضعيف ولكن الحديث له شواهد كثيرة يرتقى بها إلى الصحة ، وهو فى الصحيحين وغيرهما ، عن غير واحد من الصحابة ، وقد سبق بعض الشيء من هذه الشواهد كما ذكر المصنف ، وانظر السلسلة الصحيحة (٢٢٧٤).

(٤٩) - إسناده ضعيف ، وأخرجه أحمد (١٥٧/٦) ، والبزار ٨٧/٤ (٢٤٧١١ - كشف) من طريق حسين بن على به . وفيه الليث - وهو ابن أبى سليم - وهو ضعيف ، وقال الهيثمى فى المجمع (٢٩١/٢) : «رواه أحمد وفيه ليث ابن أبى سليم وهو مدلس وبقية رجاله ثقات »، وذكره أيضًا فى ١٩٢/١٠ وقال : «رواه أحمد والبزار وإسناده حسن» ، وانظر شواهده فيما سبق .

(٥٠) - إسناده ضعيف ، فبين الحسن والنبى صلى الله عليه وسلم مفاوز تنقطع فيها أعناق الإبل ، وإسماعيل ابن مسلم - وهو المكى - ضعيف والحديث أخرجه هناد فى الزهد (٤٢٩) ووكيع فى الزهد (٩٣) وعبد بن حميد وابن المنذر - كما فى الدر - من طرق عن إسماعيل بن مسلم به وفى رواية وكيع من طريق سفيان عن رجل عن الحسن به والحديث أخرجه البيهقي في الشعب ١٥٣/٧ ، وابن جرير الطبرى ٢١/٢٥ من طريق قتادة عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلًا أيضًا وفى الباب عن البراء بن عازب عند الطبرانى فى الأوسط - كما فى الجامع الصغير للسيوطى ، وصححه الألبانى (صحيح الجامع الصغير ١٢٠/٥ - ١٢١) ولفظه ما اختلج عرق ولا عين إلا بذنب .

---

[١] - في خ ، ز : « ابن آدم » .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - في خ ، ز : « اختلاف » .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - في ز : « عمرو » .

[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « لنيس لما » .

ترىٰ ، فإن ما ترىٰ بذنب ، وما يعفو اللّه عنه أكثر ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير** ﴾(٥١) .

وحدثنا أبي : حدثنا يحيىٰ بن عبد الحميد الحمّاني ، حدثنا جرير ، عن أبي البلاد قال : قلت للعلاء بن بدر : ﴿ **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم** ﴾ ، وقد ذهب بصري وأنا غلام ؟ قال : فبذنوب والديك (٥٢) .

وحدثنا أبي : حدثنا عليّ بن محمد الطنافسي ، حدثنا وكيع ، عن عبد العزيز بن أبي رَوّاد ، عن الضحاك قال : ما [نعلم أحدًا حفظ][١] القرآن ثم نسيه إلا بذنب ، ثم قرأ الضحاك : ﴿ **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير** ﴾ . ثم يقول الضحاك : وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن (٥٣) ؟

وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾

يقول تعالىٰ : ومن آياته الدالة علىٰ قدرته وسلطانه ، وتسخيره البحر لتجري فيه الفلك

(٥١) - أخرجه ابن أبى الدنيا فى الكفارات - ومن طريقه البيهقى فى الشعب (١٥٣/٧) ، وأخرجه عبد بن حميد - كما فى الدر المنثور - والحاكم ٤٤٥/٢ - ٤٤٦ ، وقال : «حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» والحديث رواه المبارك بن فضالة عن الحسن قال : «دخلنا على عمران بن الحصين ... فذكر نحوه »أخرجه البيهقى فى الشعب ١٩٦/٧ ، وفيه أن الحسن لقى عمران بن الحصين وسمع منه ، وفى ذلك نظر ، فقد قال على بن المدينى : «سمعت يحيى بن القطان وقيل له كان الحسن يقول : سمعت عمران بن حصين ؟ فقال : أما عن ثقة فلا »وهذا طعن صريح فى رواية المبارك هذه ، وذكر صالح بن أحمد أنه أنكر على من يقول عن الحسن حدثنى عمران - وسئل ابن معين عن الحسن هل لقى عمران بن الحصين ؛ فقال : أما فى رواية البصريين فلا وأما فى رواية الكوفيين فنعم ، وانظر ترجمة الحسن من جامع التحصيل .

(٥٢) - وعزاه فى الدر أيضًا إلى ابن المنذر ، وهذا الإسناد صحيح ، أبو البلاد وهو يحيى بن سليمان كذا ترجم له البخارى فى التاريخ الكبير ، وابن حبان فى الثقات ، وقال ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل (٩/ ١٦٠) : « يحيى بن أبى سليمان » واسم أبى سليمان الضحاك الغطفانى ، ثم نقل بإسناده عن ابن معين أنه قال : « ثقة » .

(٥٣) - أخرجه ابن أبى شيبة (١٦٢/٧) عن وكيع به، وعزاه فى الدر إلى ابن أبى حاتم ، وابن المبارك فى الزهد ، وعبد بن حميد وابن المنذر ، والبيهقى فى الشعب من هذا الوجه ، وعبد العزيز بن أبى روّاد صدوق عابد ، ورمى بالإرجاء ، ووقع فى المطبوع من المصنف لابن أبى شيبة : «ابن أبى داود »وهو تصحيف .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « تعلّم أحد » .

بأمره ، وهي الجواري في البحر [كالأعلام ، أي][١] : كالجبال ، [قاله مجاهد ، والحسن ، والسدي ، والضحاك ، أي : هي في البحر كالجبال][٢] في البر ، ﴿ **إن يشأ يسكن الريح** ﴾ أي : التي تسير بالسفن ، لو شاء لسكنها حتىٰ لا تتحرك السفن ، بل تظل راكدة لا تجيء ولا تذهب ، بل واقفة علىٰ ظهره ، أي : علىٰ وجه الماء ، ﴿ **إن في ذلك لآيات لكل صبار** ﴾ أي : في الشدائد ، ﴿ **شكور** ﴾ أي : إن[٣] في تسخيره البحر وإجرائه الهواء بقدر ما يحتاجون إليه لسيرهم ، لدلالات علىٰ نعمه تعالىٰ على خلقه ﴿ **لكل صبار** ﴾ أي : في الشدائد ، ﴿ **شكور** ﴾ في الرخاء .

وقوله : ﴿ **أو يوبقهن بما كسبوا** ﴾ أي : ولو شاء لأهلك السفن وغرّقها بذنوب أهلها الذين هم راكبون عليها ، ﴿ **ويعف عن كثير** ﴾ أي : من ذنوبهم . ولو أخذهم[٤] بجميع ذنوبهم لأهلك كل من ركب في البحر .

وقال بعض علماء التفسير : معنىٰ قوله : ﴿ **أو يوبقهن بما كسبوا** ﴾ أي : لو شاء لأرسل الريح قوية عاتية ، فأخذت السفن وأحالتها عن سيرها المستقيم ، فصرفتها ذات اليمين أو ذات الشمال ، آبقة لا تسير علىٰ طريق ، ولا إلىٰ جهة مقصد .

وهذا القول هو يتضمن هلاكها ، وهو مناسب للأول ، وهو أنه تعالىٰ لو شاء لسكن الريح فوقفت ، أو لقواه فشَرَدت وأبِقَت وهَلكت . ولكن من لطفه ورحمته أنه يرسله بحسب الحاجة ، كما يرسل المطر بقدر الكفاية ، ولو أنزله كثيرًا جدًّا لهدم البنيان ، أو قليلًا لما أنبت الزرع والثمار ، حتىٰ إنه يرسل إلىٰ مثل بلاد مصر سيحًا من أرض أخرىٰ غيرها ، لأنهم لا يحتاجون إلىٰ مطر ، ولو أنزل عليهم لهدم بنيانهم ، وأسقط جدرانهم .

وقوله : ﴿ **ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص** ﴾ ، أي : لا محيد لهم عن بأسنا ونقمتنا ، فإنهم مقهورون بقدرتنا .

فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « واخذهم » .

يقول تعالىٰ مُحَقرًا لشأن الحياة الدنيا وزينتها ، وما فيها من الزهرة والنعيم الفاني ، بقوله : ﴿ **فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا** ﴾ أي : مهما حصلتم وجمعتم فلا تغتروا به ، فإنما هو متاع الحياة الدنيا ، وهي دار دنيئة فانية زائلة لا محالة ، ﴿ **وما عند اللّٰه خير وأبقىٰ** ﴾ أي: وثواب اللّٰه خير من الدنيا ، وهو باق سَرْمَديّ ، فلا تقَدّموا الفاني علىٰ الباقي ، ولهذا قال : ﴿ **للذين آمنوا** ﴾ أي : [للذين صبروا][١] علىٰ ترك الملاذ في الدنيا، ﴿ **وعلىٰ ربهم يتوكلون** ﴾ أي : ليعينهم علىٰ الصبر في أداء الواجبات وترك المحرمات .

ثم قال: ﴿**والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش**﴾ وقد قدمنا الكلام على الإثم والفواحش في « **سورة الأعراف** » .

﴿ **وإذا ما غضبوا هم يغفرون** ﴾ أي : سجيتهم تقتضي الصفح والعفو عن الناس ، ليس سجيتهم الانتقام من الناس .

وقد ثبت في الصحيح(٥٤) : « **أن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم ما انتقم لنفسه قط إلا أن تنتهك[٢] حرمات اللّٰه** » .

وفي حديث آخر(٥٥) : كان يقول لأحدنا عند المعتبة : « **ما له ؟ تَربت[٣] جبينه[٤]** » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان ، عن زائدة ، عن منصور ، عن إبراهيم قال : كان المؤمنون يكرهون أن يستذلوا ، وكانوا إذا قدروا عفوا(٥٦) .

وقوله : ﴿ **والذين استجابوا لربهم** ﴾ أي : اتبعوا رسله وأطاعوا أمره ، واجتنبوا زجره ، ﴿ **وأقاموا الصلاة** ﴾ ، وهي أعظم العبادات للّٰه - عز وجل - ﴿ **وأمرهم شورىٰ بينهم** ﴾ أي : لا يبرمون أمرًا حتىٰ يتشاوروا فيه ، ليتساعدوا بآرائهم في مثل الحروب وما جرىٰ مجراها ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل علىٰ الله** ﴾ ولهذا كان - عليه السلام - يشاورهم في الحروب ونحوها ، ليطيب بذلك[٥] قلوبهم . وهكذا لما حضرت عمر بن

---

(٥٤) - أخرجه البخارى فى الأدب باب قول النبى صلى الله عليه وسلم : « يسروا ولا تعسروا »حديث رقم (٦١٢٦) ، وفى المناقب حديث رقم (٣٥٦٠) ، ومسلم فى الفضائل حديث رقم (٢٣٢٧) ، كلاهما من حديث عائشة به .

(٥٥) - أخرجه البخارى فى الأدب من صحيحه ، باب لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم فاحشًا ولا متفحشًا ، وفى باب ما ينهى عن السباب واللعن حديث رقم (٦٠٣١) ، (٦٠٤٦) .

(٥٦) - وعزاه فى الدر إلى ابن أبى حاتم ، وابن جرير الطبرى ، وابن المنذر ، من هذا الوجه .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٢] - في ز : « انتهكت » .
[٣] - في ز : « برئت » .
[٤] - في خ ، ز : « يمينه » .
[٥] - في ز : « ذلك » .

الخطاب الوفاة حين طُعِن جعل الأمر بعده شورىٰ في ستة نفر، وهم: عثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبد الرحمن بن عوف - رضي اللّٰه عنهم أجمعين[١] - فاجتمع رأي الصحابة كلهم علىٰ تقديم عثمان عليهم رضي اللّٰه عنهم.

﴿ **ومما رزقناهم ينفقون** ﴾، وذلك بالإِحسان[٢] إلىٰ خلق الله، الأقرب إليهم منهم فالأقرب.

وقوله: ﴿ **والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون** ﴾، أي: فيهم قوة الانتصار ممن ظلمهم واعتدىٰ عليهم، ليسوا بعاجزين ولا أذلة، بل يقدرون علىٰ الانتقام ممن بغىٰ عليهم، وإن كانوا مع هذا إذا قدروا عفوا، كما قال يوسف - عليه السلام - لإِخوته: ﴿ **لا تثريب عليكم اليوم يغفر اللّٰه لكم** ﴾، مع قدرته علىٰ مؤاخذتهم ومقابلتهم علىٰ صنيعهم إليه، وكما عفا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم عن أولئك النفر الثمانين الذين قصدوه عام الحديبية، ونزلوا من جبل التنعيم، فلما قدر عليهم [عفا عنهم][٣] مع قدرته علىٰ الانتقام(٥٧).

وكذلك عفوه عن « **غَوْرَث بن الحارث** » لما[٤] أراد الفتك به حين اخترط سيفه وهو نائم، فاستيقظ - عليه السلام - وهو في يده صَلْتًا، فانتهره، فوضعه من يده، وأخذ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم السيف [من يده][٥]، ودعا أصحابه ثم أعلمهم بما كان من أمره وأمر هذا الرجل، وعفا عنه. وكذلك عفا عن لبيد بن الأعصم الذي سحره - عليه السلام - ومع هذا لم يعرض له ولا عاتبه مع قدرته عليه[٦]، وكذلك عفوه - عليه السلام - عن المرأة اليهودية - وهي زينب أخت مرحب اليهودي الخيبري الذي قتله محمد بن مسلمة، التي سمت الذراع يوم خيبر - فأخبره الذراع بذلك، فدعاها فاعترفت، فقال: « **ما حملك علىٰ ذلك ؟** ». قالت: أردت: إن كنت نبيًا لم يضرك، وإن لم تكن نبيًا استرحنا منك. فأطلقها عليه الصلاة والسلام، ولكن لما مات منه[٧] بشر بن البراء قتلها به، والأحاديث والآثار [في هذا][٨] كثيرة جدًا، ولله الحمد.

(٥٧) - ذكر المصنفُ فى هذه الجزئية عدة مواقف لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فسنعرجُ على كل موقف من هذه المواقف ونخرجها من موضعها، سالكين فى ذلك المنهج المتبع من أول الكتاب، وهو باختصار ما كان فى الصحيحين أو أحدهما اكتفينا بتخريج الموضع منهما أو من أحدهما، وإن كان فى غيرهما استقصينا بقدر المستطاع تخريجه والحكم عليه.

أولًا: عفو النبى صلى الله عليه وسلم عن الثمانين فى غزوة الحديبية انظر هذا الخبر عند المصنف =

[١] - في ز: « جميعهم ».

[٢] - في ز: « الإحسان ».

[٣] - ما بين المعكوفتين في ت: « من عليهم ».

[٤] - في ت: « الذي ».

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.

[٦] - سقط من: خ، ز.

[٧] - في ز: « معه ».

[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.

وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾

قوله تعالىٰ : ﴿ **وجزاء سيئة سيئة مثلها** ﴾ ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **فمن اعتدىٰ عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدىٰ عليكم** ﴾ وقوله : ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين** ﴾ فشرع العدل وهو القصاص ، وندب إلىٰ الفضل وهو العفو ، كقوله : ﴿ **والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له** ﴾ ، ولهذا قال هاهنا : ﴿ **فمن عفا وأصلح فأجره علىٰ الله** ﴾ أي : لا يضيع ذلك عند الله ؛ كما صح في الحديث (٥٨) : « **وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا** » .

وقوله : ﴿ **إنه لا يحب الظالمين** ﴾ أي : المعتدين وهو المبتدئ بالسيئة .

ثم قال : ﴿ **ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل** ﴾ أي : ليس عليهم جناح في الانتصار ممن ظلمهم .

قال ابن جرير (٥٩) : حدثنا محمد بن عبد الله بن بَزيع ، حدثنا معاذ بن معاذ ، حدثنا ابن

= في تضاعيف كلامه على غزوة الحديبية في البداية والنهاية ١٩١/٤ .

ثانيًا : قصة غورث بن الحارث انظرها أيضًا في البداية والنهاية للمصنف ٣/٤ - ٤ ، والدلائل للبيهقي ٣/ ١٦٩ وأصل القصة في الصحيحين وغيرهما ، أخرجه البخاري في المغازي باب (٣١) غزوة ذات الرقاع ، الفتح (٤٢٦/٧) ، ومسلم في الفضائل حديث (١٣) ، (١٤) .

ثالثًا قصة لبيد بن الأعصم ، سوف يذكر المصنف قصته وما ورد فيها عند تفسير سورتي المعوذتين ورأينا أن من الأنسب تخريجها هناك .

رابعًا قصة المرأة اليهودية وهي زينب بنت الحارث . وقد عقد المصنف لها فصلاً كاملاً في البداية والنهاية ٤/ ٢٣٧ باب : « قصة الشاة المسمومة والبرهان الذي ظهر » ، وأصل الحديث أخرجه البخاري في كتاب الجزية الفتح (٢٧٢/٦) باب رقم (٥٨) ، وأخرجه في كتاب المغازي باب غزوة خيبر الفتح (٤٠٠/٧) ، وأخرجه في الطب باب (٥٥) ما يذكر في سم النبي صلى الله عليه وسلم .

(٥٨) - سبق تخريج هذا الحديث عند الآية (١٤٩) من سورة النساء وهذا الحديث بلفظ : «ما نقص مال من صدقة ولا زاد الله عبدًا بعفو إلا عزا ، ومن تواضع لله رفعه» .

(٥٩) - إسناده ضعيف . لحال علي بن زيد بن جدعان ، وأم محمد زوجة أبي علي بن زيد بن جدعان مجهولة الحال ترجم لها المزي ، وابن حجر ولم يذكرا فيها جرحًا ولا تعديلًا ، بينما قال الذهبي في الميزان=

عون قال : كنت أسأل عن الانتصار ﴿ ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ﴾ ، فحدثني علي بن زيد بن جدعان ، عن أم محمد - امرأة أبيه ، قال ابن عون : زعموا أنها كانت تدخل علىٰ أم المؤمنين عائشة - قالت : قالت أم المؤمنين : دخل علينا[١] رسول الله صلىٰ اللَّه عليه وسلم وعندنا زينب بنت جحش ، [فجعل يصنع][٢] بيده شيئًا فلم يَفْطِن لها ، فقلت بيده حتى فطنته لها فأمسك ، وأقبلت زينب تقحم[٣] لعائشة ، فنهاها ، فأبت أن تنتهي . فقال لعائشة : « سُبّيها » . فسبّتها فغلبتها ، وانطلقت زينب فأتت عليًّا فقالت : إن عائشة تقع بكم ، وتفعل بكم . فجاءت فاطمة فقال لها : « إنها حبّة أبيك وربّ الكعبة » . فانصرفت وقالت لعلي : إني قلت له كذا وكذا ، فقال لي كذا وكذا . قال[٤] : وجاء عليّ إلىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فكلمه في ذلك .

هكذا ورد هذا السياقُ ، وعلي بن زيد بن جدعان يأتي في رواياته بالمنكرات غالبًا ، وهذا فيه نكارة ، والحديث الصحيح خلاف هذا السياق ، كما رواه النسائي وابن ماجة من حديث خالد بن سلمة الفأفاء ، عن عبد اللَّه البَهِيّ ، عن عروة قال : قالت عائشة رضي اللَّه عنها : ما علمتُ حتىٰ دخلَت عَلَيّ زينبُ بغير إذن وهي غضبىٰ ، ثم قالت لرسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : حسبك إذا قَلَبت لك ابنة أبي بكر ذُرَيِّعَتَيها[٥] .. ثم أقبلت عليّ[٦] فأعرضت عنها ، حتىٰ قال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « دونك فانتصري » . فأقبلت عليها حتىٰ رأيتها قد يَبِس ريقُها في فمها ، ما تَرُدّ عليّ شيئًا . فرأيت النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم يتهلل وجهه . وهذا لفظ النسائي (٦٠) .

= (٤/الترجمة ١٠٩٣٨) : « تفرد عنها على بن زيد بن جدعان قلت : فهذا الإسناد واه والحديث أخرجه أحمد (١٣٠/٦) (٢٥٠٩٨) (٢٥٠٩٩) ، وأبو داود فى الأدب باب فى الانتصار حديث رقم (٤٨٩٨) من طرق عن ابن عون به ، وعزاه فى الدر إلى ابن مردويه ، ووقع عند أحمد «أم سلمة »بدلاً من «زينب بنت جحش »وذلك من رواية سليم بن أخضر عن ابن عون ، قال أحمد « إلا أن سليمًا قال أم سلمة » يعنى جعل الحمل فى هذا على سليم بن أخضر .

(٦٠) - هذا الحديث رواه زكريا بن أبى زائدة . واختلف عليه ، فرواه محمد بن بشر والمعلى بن منصور ويحيى بن زكريا بن أبى زائدة عنه عن خالد بن سلمة عن عبد الله البهى عن عروة عن عائشة به ، أخرجه هكذا أحمد ٩٣/٦ ، وابنه عبد الله ٩٣/٦ ، والبخارى فى الأدب المفرد (٥٥٨) ، والنسائى فى الكبرى كتاب عشرة النساء ، باب : فى الانتصار حديث رقم (٨٩١٤) ، (٨٩١٥) ، وفى التفسير ، سورة الشورى باب : ﴿ ولمن انتصر بعد ظلمه ﴾ حديث رقم (١١٤٧٦) ، وابن ماجه فى النكاح باب حسن معاشرة النساء (٦٣٧/١) حديث رقم (١٩٨١) ، وخالفهم إسحاق بن يوسف فرواه عن زكريا بن أبى زائدة =

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز: «فجعلت تصنع» .

[٣] - في ت : « تقلم » .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - في ز : « درعيها » .

[٦] - في ز : « إلى » .

وقال البزار : حدثنا يوسف بن موسىٰ ، حدثنا أبو غسان ، حدثنا أبو الأحوص ، عن أبي حَمزة ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة - رضي اللَّه عنها - قالت : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **من دعا عَلَىٰ من ظلمه فقد انتصر** » .

ورواه الترمذي(٦١) من حديث أبي الأحوص ، عن أبي حمزة - واسمه ميمون - ، ثم قال : لا نعرفه إلا من حديثه ، وقد تُكلِّم فيه من قبل[١] حِفْظِه .

وقوله : ﴿ **إنما السبيل** ﴾ أي : إنما الحرج والعنت ﴿ **علىٰ الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق** ﴾ أي : يبدءون الناس بالظلم . كما جاء في[٢] الحديث الصحيح : « **المستبَّان ما قالا ، فعلىٰ البادى ما لم يعتد المظلوم** » .

﴿ **أولئك لهم عذاب أليم** ﴾ أي : شديد موجع .

قال أبو بكر بن أبي شيبة(٦٢) : حدثنا الحسن بن موسىٰ ، حدثنا سعيد بن زيد أخو حماد ابن زيد حدثنا عثمان الشحام ، حدثنا محمد بن واسع قال : قدمت مكة فإذا علىٰ الخندق مَنْظَرَة فأُخِذت فانطُلِق بي إلىٰ مروان بن المهلب ، وهو أمير علىٰ البصرة ، فقال : ما حاجتَك يا أبا عبد اللَّه ؟ قلت : حاجتي إن استطعت أن تكون كما قال أخو بني عدي . قال : ومَن أخو بني عدي ؟ قال : العلاء بن زياد ، استعمل صديقًا له مرة علىٰ عمل ، فكتب إليه : أما بعد ، فإن[٣] استطعت أن لا تبيت إلا وظهرك خفيف ، وبطنك خَميص ، وكَفّك نَقية من دماء المسلمين وأموالهم ، فإنك إذا فعلت ذلك لم يكن عليك سبيل ، ﴿ **إنما السبيل علىٰ الذين**

= عن عبد الله البهى عن عائشة ، ولم يذكر عروة ، أخرجه هكذا النسائى فى الكبرى كتاب عشرة النساء باب الانتصار حديث رقم (٨٩١٦) والحديث صححه الشيخ الألبانى على شرط مسلم انظر الصحيحة (١٨٦٢).

(٦١) - هذا الحديث ضعيف وعلته : أبو حمزة هذا ، قال الإمام أحمد : متروك ، والحديث أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف كتاب الدعاء ، باب : الرجل يظلم فيدعو الله على من ظلمه ٩٣/٧ ، والترمذى فى الدعوات من جامعه باب من دعا على من ظلمه فقد انتصر حديث رقم (٣٥٤٧) ، وأبى يعلى حديث رقم (٤٤٥٤ ، ٤٦٣١) وابن عدى فى الكامل ٢٤٠٧/٦ من طريق أبى حمزة به ، قال ابن عدى : « ... وأحاديثه التى يرويها خاصة عن إبراهيم مما لا يتابع عليها »قلت : وهذا منها . والحديث ضعفه الشيخ الألبانى كما فى ضعيف الجامع برقم (٥٥٨٨) .

(٦٢) - إسناده صحيح . الحسن بن موسى - وهو الأشيب - ثقة ثبت ، وسعيد بن زيد قال الحافظ : صدوق له أوهام وهو من رجال مسلم ، وعثمان الشحام قال الحافظ فى التقريب : «لا بأس به »، وهو من رجال مسلم .

[١] - في ز : « قبيل » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « إن » .

يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ﴾ » . فقال : صدق والله ونَصح ، ثم قال : ما [١]حاجتك يا أبا عبد الله ؟ قلت : حاجتي أن تلحقني بأهلي . قال : نعم . رواه ابن أبي حاتم .

ثم إنه تعالىٰ لما ذم الظلم وأهله وشرع القصاص ، قال نادبًا إلىٰ العفو والصفح : **﴿ ولمن صبر وغفر ﴾** أي : صبر علىٰ الأذىٰ وستر السيئة ، **﴿ إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾** .

قال سعيد بن جبير : لمن حق الأمور التي أمر الله بها ، أي : لمن الأمور المشكورة والأفعال الحميدة التي عليها ثواب جزيل وثناء جميل .

و[٢]قال ابن أبي حاتم(٦٣) : حدثنا أبي ، حدثنا عمران بن موسىٰ الطرسوسي[٣] ، حدثنا عبد الصمد بن يزيد - خادم الفُضَيل بن عياض - قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول : إذا أتاك رجل يشكو إليك رجلًا فقل : يا أخي ، اعف عنه ، فإن العفو أقرب للتقوىٰ . فإن قال : لا يحتمل قلبي العفو ، ولكن أنتصر كما أمرني الله عز وجل . [فقل له][٤] : إن كنت تحسن أن تنتصر وإلا فارجع إلىٰ باب العفو ، فإنه باب واسع ، فإنه من عفا وأصلح فأجره علىٰ الله ، وصاحب العفو ينام علىٰ فراشه بالليل ، وصاحب الانتصار يقلب الأمور .

وقال الإمام أحمد (٦٤) : حدثنا يحيىٰ - يعني ابن سعيد القطان - عن ابن عجلان ، حدثنا سعيد بن أبي سعيد ، عن أبي هُرَيرة -رضي الله عنه- : أن رجلًا شتم أبا بكر والنبي صلىٰ الله عليه وسلم جالس ، فجعل النبي صلىٰ الله عليه وسلم يعجب ويتبسم ، فلما أكثر رَدّ عليه بعض قوله ، فغضب النبي صلىٰ الله عليه وسلم وقام ، فلحقه أبو بكر فقال : يا رسول الله ، إنه

---

(٦٣) - صحيح إلى الفضيل ، فقد أخرج أبو نعيم فى حليته (١١٢/٨) هذا الخبر من وجه آخر عن عبد الصمد عن الفضيل به الحلية .

(٦٤) - أخرجه أحمد ٤٣٦/٢ ، وأبو داود فى كتاب الأدب ، باب : فى الانتصار ، حديث رقم (٤٨٩٨) ، والبيهقى فى الشعب ٢٥٨/٦ من طرق عن محمد بن عجلان عن سعيد المقبرى به . ورواية محمد بن عجلان عن سعيد المقبرى مضطربة . وقد اختلطت عليه رواية المقبرى عن رجل عن أبى هريرة ، ورواية المقبرى عن أبى هريرة فجعلها جميعًا عن أبى هريرة . فروايته عن المقبرى مردودة ، ولاسيما إذا خولف عن المقبرى كما فى هذا الحديث فقد رواه الليث بن سعد ، وهو ثقة ثبت ، عن المقبرى عن بشير بن المحرر عن سعيد بن المسيب مرسلاً . أخرجه هكذا أبو داود فى الموضع السابق حديث رقم (٤٨٩٧) والبخارى فى التاريخ الكبير ١٠٢/٢ كلاهما من طريق الليث به وقال البخارى : «وقال ابن عجلان : عن سعيد عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، والأول أصح »يعنى رواية الليث .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « الترسوسي » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « قال له الفضيل » .

كان يشتمني وأنت جالس ، فلما رَدَدت عليه بعض قوله غضبتَ وقمتَ ! قال : « **إنه كان معك مَلَك يرد عنك ، فلما رددت عليه بعض قوله حضَر الشيطان ، فلم أكن لأقعد مع الشيطان** » . ثم قال : « **يا أبا بكر ، ثلاث كلهن حَقّ : ما من عبد ظُلم بمظلمة فيغضي عنها لله ، إلا أعَزّ الله بها نَصْرَه ، وما فتح رجل باب عطية يريد بها صلة ، إلا زاده الله بها كثرة ، وما فتح رجل باب مسألة يريد بها كثرة ، إلا زاده الله بها قلة** » .

وكذا[١] رواه أبو داود ، عن عبد الأعلىٰ بن حماد ، عن سفيان بن عيينة . قال : ورواه صفوان بن عيسىٰ ، كلاهما عن محمد بن عجلان . ورواه من طريق الليث ، عن سعيد المقبري ، عن بشير بن المحرر ، عن سعيد بن المسيب مرسلًا (٦٥) ، وهذا الحديث في غاية الحسن في المعنى وهو سبب سبه للصديق .

وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن نفسه الكريمة : إنه ما شاء كان ولا رَادّ له ، وما لم يشأ لم يكن فلا موجد له ، وأنه من هداه فلا مُضِلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، كما قال : ﴿ **ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا** ﴾ ثم قال مخبرًا عن الظالمين ، وهم المشركون بالله ﴿ **لما رأوا العذاب** ﴾ أي : يوم القيامة يتمنون الرجعة إلىٰ الدنيا ، ﴿ **يقولون هل إلىٰ مَرَدّ من سبيل** ﴾ ، كما قال : ﴿ **ولو ترىٰ إذ وقفوا علىٰ النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين * بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وتراهم يعرضون عليها** ﴾ أي : علىٰ النار ﴿ **خاشعين من الذل** ﴾ أي : الذي

(٦٥) - تقدم تخريجه فى سورة البقرة عند الآية رقم (٢٨٢) .

[١] - سقط من : خ ، ز .

قد اعتراهم بما أسلفوا من عصيان الله ، ﴿ ينظرون من طرف خفي ﴾ ، قال مجاهد : يعني ذليل . أي : ينظرون إليها مُسَارَقَةً خوفًا منها ، والذي يحذرون منه واقع بهم لا محالة ، وما هو أعظم مما في نفوسهم . أجارنا اللّه من ذلك .

﴿ وقال الذين آمنوا ﴾ أي : يقولون يوم القيامة : ﴿ إن الخاسرين ﴾ أي : الخَسَارَ الأكبرَ ﴿ الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ﴾ أي : ذهب بهم إلىٰ النار ، فَعَدموا لذتهم في دار الأبد ، وخسروا أنفسهم ، وفرّق بينهم وبين أصحابهم وأحبابهم وأهاليهم وقراباتهم ، فخسروهم ، ﴿ ألا إن الظالمين في عذاب مقيم ﴾ أي : دائم سرمدي أبدي ، لا خروج لهم منها ولا محيد لهم عنها .

وقوله : ﴿ وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ﴾ أي : ينقذونهم مما هم فيه من العذاب والنكال ، ﴿ ومن يضلل الله فما له من سبيل ﴾ أي : ليس له خلاص .

ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾

لما ذكر تعالىٰ ما يكون في يوم القيامة من الأهوال والأمور العظام الهائلة ، حَذّر منه وأمر بالاستعداد له ، فقال : ﴿ استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ﴾ أي : إذا أمر بكونه فإنه كلمح البصر يكون ، وليس له دافع ولا مانع .

وقوله : ﴿ ما لكم من ملجإ[١] يومئذ وما لكم من نكير ﴾ أي : ليس لكم حصن تتحصنون فيه ، ولا مكان يستركم وتتنكرون[٢] فيه[٣] ، فتغيبوا عن بصره - تبارك وتعالىٰ - بل هو محيط بكم بعلمه وبصره وقدرته ، فلا ملجأ منه إلا إليه ، ﴿ يقول الإنسان يومئذ أين المفر * كلا لا وزر * إلىٰ ربك يومئذ المستقر ﴾ .

وقوله : ﴿ فإن أعرضوا ﴾ ، يعني المشركين ﴿ فما أرسلناك عليهم حفيظًا ﴾ أي : لست عليهم بمصيطر . وقال تعالىٰ : ﴿ ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ قال تعالى: ﴿ فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ﴾ . وقال هاهنا : ﴿ إن عليك إلا البلاغ ﴾ أي :

---

[١] - في ز : « نجاء » .
[٢] - في ز : « تكرون » .
[٣] - سقط من : خ .

إنما كلفناك أن تبلغهم رسالة الله إليهم .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها** ﴾ أي : إذا أصابه رخاء ونعمة فرح بذلك ، ﴿ **وإن تصبهم** ﴾ يعني الناس ﴿ **سيئة** ﴾ أي : جدب ونقمة وبلاء وشدة ، ﴿ **فإن الإنسان كفور** ﴾ أي : يجحد ما تقدم من النعمة ولا يعرف إلا الساعة الراهنة ، فإن أصابته نعمة أشر وبطر ، وإن أصابته محنة يئس وقنط . كما قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم(٦٦) : « **يا معشر النساء ، تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار** » . فقالت امرأة : ولم يا رسول الله ؟ قال : « **لأنكن تُكثرن الشكاية ، وتكفُرن العشير ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم تركت يومًا ، قالت : ما رأيت منك خيرًا قط** » . وهذا حال أكثر الناس إلا من هداه الله وألهمه رشده ، وكان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فالمؤمن كما قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن** »(٦٧) .

لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

يخبر تعالىٰ أنه خالق السماوات والأرض ومالكهما والمتصرف فيهما ، وأنه ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وأنه يعطي من يشاء ، ويمنع من يشاء ، ولا مانع لما أعطىٰ ، ولا معطي لما منع ، وأنه يخلق ما يشاء ، و ﴿ **يهب لمن يشاء إناثًا** ﴾ أي : يرزقه البنات فقط - قال البغوي : ومنهم لوط - عليه السلام - ﴿ **ويهب لمن يشاء الذكور** ﴾ أي : يرزقه البنين فقط . قال البغوي : كإبراهيم الخليل - عليه السلام - لم يولد له أنثىٰ .

﴿ **أو يزوجهم ذكرانًا وإناثًا** ﴾ أي : ويعطي من يشاء من الناس الزوجين الذكر والأنثىٰ ؛ أي : من هذا ومن[١] وهذا ، قال البغوي ، كمحمد عليه الصلاة والسلام . ﴿ **ويجعل من يشاء عقيمًا** ﴾ أي : لا يولد له . قال البغوي : كيحيىٰ وعيسىٰ ، عليهما السلام . فجعل الناس أربعة أقسام : منهم من يعطيه البنات ، ومنهم من يعطيه البنين ، ومنهم من يعطيه من النوعين ذكورًا وإناثًا ، ومنهم من يمنعه هذا وهذا ، فيجعله عقيمًا لا نسل له ولا يولد له . ﴿ **إنه عليم** ﴾ أي : بمن يستحق كل قسم من هذه الأقسام ، ﴿ **قدير** ﴾ أي : علىٰ ما[٢] يشاء ، من

(٦٦) - تقدم هذا الحديث مرارًا . فى سورة البقرة الآية رقم (١٥٣) ، وفى الأعراف رقم (٩٥) ، وفى يونس (١٢) ، وفى الروم رقم (٣٣) ، وفى سبأ الآية (١٩) وسيأتى فى التغابن الآية (١١)

(٦٧) - تقدم هذا الحديث فى سورة البقرة عند الآية رقم (٨٧) .

[١] - سقط من : ت . [٢] - في خ ، ت : « من » .

تفاوت الناس في ذلك .

وهذا المقام شبيه بقوله تعالى عن عيسى : ﴿ **ولنجعله آية للناس** ﴾ ؛ أي : دلالة لهم[١] على قدرته - تعالىٰ وتقدس - حيث خلق الخلق علىٰ أربعة أقسام : فآدم - عليه السلام - مخلوق من تراب ، لا من ذكر ولا أنثىٰ ، وحواء - عليها السلام - من ذكر بلا أنثىٰ ، وسائر الخلق سوىٰ عيسىٰ من ذكر وأنثىٰ ، وعيسىٰ - عليه السلام - من أنثىٰ بلا ذكر . فتمت الدلالة بخلق عيسىٰ ابن مريم ، عليهما السلام ؛ ولهذا قال : ﴿ **ولنجعله آية للناس** ﴾ ، فهذا المقام في الآباء ، والمقام الأول في الأبناء ، وكل منهما أربعة أقسام ، فسبحان العليم القدير! .

۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

هذه مقامات الوحي بالنسبة إلىٰ جناب اللَّه - عز وجل - وهو أنه تعالىٰ تارة يقذف في روع النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم شيئًا لا يتمارىٰ فيه أنه من اللَّه - عز وجل - كما جاء في صحيح ابن حبان ، عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه قال : « **إن روح القدس نفث في رُوعي : أن نفسًا لن تموت حتىٰ تستكمل رزقها وأجلها ، فاتقوا اللَّه وأجملوا في الطلب** »(٦٨) .

وقوله : ﴿ **أو من وراء حجاب** ﴾ كما كلم موسى - عليه السلام - فإنه سأل الرؤية بعد التكليم فحجب عنها . وفي الصحيح أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال لجابر بن عبد اللَّه : « **ما كلم اللَّه أحدًا إلا من وراء حجاب ، وإنه كلم أباك كفاحًا ..** »... الحديث . وكان قد قتل يوم أحد ، ولكن هذا في عالم البرزخ ، والآية إنما هي في الدار الدنيا .

وقوله : ﴿ **أو يرسل رسولًا فيوحي بإذنه ما يشاء** ﴾ ، كما ينزل جبريل وغيره من الملائكة علىٰ الأنبياء عليهم السلام ، ﴿ **إنه عليّ حكيم** ﴾ ، فهو عليّ عليم خبير حكيم .

---

(٦٨) - تقدم تخريجه في سورة آل عمران عند الآية رقم (١٦٩ ، ١٧١) .

---

[١] - سقط من : خ ، ز .

وقوله : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا ﴾ ، يعني القرآن ، ﴿ ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ﴾ أي[١] : على التفصيل الذي شرع لك في القرآن ، ﴿ ولكن جعلناه ﴾ أي القرآن ﴿ نورًا نهدي به من نشاء من عبادنا ﴾ ، كقوله : ﴿ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد ﴾ .

وقوله : ﴿ وإنك ﴾ أي يا محمد ﴿ لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾ ، وهو الحق[٢] القويم ، ثم فسره بقوله : ﴿ صراط الله ﴾ أي : شرعه الذي أمر به الله ، ﴿ الذي له مافي السماوات وما في الأرض ﴾ أي : ربهما ومالكهما والمتصرف فيهما ، الحاكم الذي لا معقب لحكمه ، ﴿ ألا إلى الله تصير الأمور ﴾ أي ترجع الأمور ، فيفصلها ويحكم فيها .

[آخر تفسير سورة « سورة الشورى » والحمد لله رب العالمين] .

☆ ☆ ☆

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ت : « الخلق » .

تفسير سورة الزخرف

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

حمٓ (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣) وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ (٤) أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ (٥) وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ (٦) وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٧) فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ (٨)

يقول تعالىٰ : ﴿ **حم * والكتاب المبين** ﴾ أي : البيّن الواضح ، الجلي المعاني والألفاظ ؛ لأنه نزل بلغة العرب التي هي أفصح اللغات للتخاطب بين الناس ؛ ولهذا قال : ﴿ **إنا جعلناه** ﴾ أي : أنزلناه ﴿ **قرآنًا عربيًّا** ﴾ أي : بلغة العرب ، فصيحًا واضحًا ، ﴿ **لعلكم تعقلون** ﴾ أي : تفهمونه وتتدبرونه ، كما قال ﴿ **بلسان عربي مبين** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وإنه في أم الكتاب [لدينا لعليّ حكيم]**[١] ﴾ ، [بيّن شرفه في الملإ الأعلىٰ ، ليشرفه ويعظمه ويطيعه أهل الأرض ، فقال تعالىٰ : ﴿ **وإنه** ﴾ أي : القرآن ﴿ **في أم الكتاب** ﴾][٢] أي : اللوح المحفوظ ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، ﴿ **لدينا** ﴾ أي : عندنا ، قاله قتادة وغيره ، ﴿ **لعليّ** ﴾ أي : ذو مكانة عظيمة وشرف وفضل ، قاله قتادة ، ﴿ **حكيم** ﴾ أي : محكم بريء من اللبس والزيغ .

وهذا كله تنبيه علىٰ شرفه وفضله ، كما قال : ﴿ **إنه لقرآن كريم * في كتاب مكنون * لا يمسه إلا المطهرون * تنزيل من رب العالمين** ﴾ ، وقال : ﴿ **كلا إنها تذكرة * فمن شاء ذكره * في صحف مكرمة * مرفوعة مطهرة * بأيدي سفرة * كرام بررة** ﴾ ، ولهذا استنبط العلماء، رحمهم الله ، من هاتين الآيتين أن المُحدثَ لا يمس المصحف ، كما ورد به الحديث إن صحَّ(١) ؛ لأن الملائكة يعظمون المصاحف المشتملة علىٰ القرآن في الملإ الأعلىٰ ، فأهل الأرض

(١) - يعني حديث : أنه صلى الله عليه وسلم قال لحكيم بن حزام : « **لا يمس المصحف إلا طاهر** » =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.

= الدارقطني (١/١٢٢، ١٢٣)، الحاكم في المعرفة من مستدركه (٣/٤٨٥)، والبيهقي في الخلافيات، والطبراني (٣/ ٢٠٥/رقم: ٣١٣٥) من حديث حكيم، قال: لما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن، قال: «لا تمس القرآن إلا وأنت طاهر» وفي إسناده سويد أبو حاتم، وهو ضعيف، وذكر الطبراني في الأوسط (٢/ل٣٠) مجمع البحرين (رقم: ٤٣٢): أنه تفرد به، وحسن الحازمي إسناده.

وحديث عمرو بن حزم أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب في كتابه إلى أهل اليمن: «**وأن لا يمس القرآن إلا طاهر** ...»، وهو مشهور قد رواه مالك (٢/ ٨٤٩) والشافعي - كما في معرفة السنن (٦/ ٢٦٦/ رقم: ٤٩٧٩) - عنه، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن أبيه: أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم .... ووصله نعيم بن حماد، عن ابن المبارك، عن معمر، عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم، عن أبيه، عن جده، وجده محمد بن عمرو بن حزم ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لم يسمع منه. وكذا أخرجه عبد الرزاق (٤/ ٤- ٥/ رقم: ٦٧٩٣)، عن معمر، ومن طريقه الدارقطني (١/ ١٢٢). ورواه أبو داود (ص ٢١١- ٢١٢/ رقم: ٢٥٧) والنسائي في كتاب العقول: ذكر حديث عمرو بن حزم في العقول واختلاف الناقلين له (٨/ ٥٩/ رقم: ٤٨٥٥) من طريق ابن وهب، عن يونس، عن الزهري مرسلاً، ورواه أبو داود في المراسيل (ص ٢١١ ٢١٢/ رقم: ٢٥٧) عن ابن شهاب قال: قرأت في كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم حين بعثه إلى نجران ...، وكان الكتاب عند أبي بكر بن حزم. ورواه النسائي في كتاب العقول، ذكر حديث عمرو بن حزم في العقول واختلاف الناقلين له (٨/ ٥٧، ٥٨/ رقم: ٤٨٥٣) وابن حبان (٨/ ١٨٠- ١٨٢/ رقم: ٦٥٢٥)، والحاكم (١/ ٣٩٥ - ٣٩٧)، والبيهقي (٨/ ٢٨) موصولاً مطولاً، من حديث الحكم بن موسى، عن يحيى بن حمزة، عن سليمان بن داود، حدثني الزهري، عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن أبيه، عن جده. وفرقه الدارمي في مسنده (٢/ ٢٤٩) عن الحكم مقطعًا. وقد اختلف أهل الحديث في صحة هذا الحديث فقال أبو داود في المراسيل: قد أسند هذا الحديث ولا يصح، والذي في إسناده سليمان بن داود وهم، إنما هو سليمان ابن أرقم.

وقال في موضع آخر: لا أحدث به، وقد وهم الحكم بن موسى في قوله: سليمان بن داود، وقد حدثني محمد بن الوليد الدمشقي أنه قرأه في أصل يحيى بن حمزة: سليمان بن أرقم. وهكذا قال أبو زرعة الدمشقي: إنه الصواب. وتبعه صالح بن محمد جزرة، وأبو الحسن الهروي وغيرهما. وقال جزرة: نا دحيم قال: قرأت في كتاب يحيى بن حمزة حديث عمرو بن حزم، فإذا هو عن سليمان بن أرقم، قال صالح: كتب هذه الحكاية عني مسلم بن الحجاج. قلت: ويؤكد هذا ما رواه النسائي في كتاب العقول، ذكر حديث عمرو بن حزم في العقول واختلاف الناقلين له (٨/ ٥٨، ٥٩/ رقم: ٤٨٥٤) عن الهيثم بن مروان - مقبول - عن محمد بن بكار - صدوق - عن يحيى بن حمزة، عن سليمان بن أرقم - قال أحمد: لا يروى عنه. وقال عباس وعثمان عن ابن معين: ليس بشيء. وقال الجوزجاني: ساقط. وقال أبو داود والدارقطني: متروك. وقال أبو زرعة: ذاهب الحديث. (الميزان ٢/١٩٦). وقال في التقريب: ضعيف - عن الزهري، وقال: هذا أشبه بالصواب.

وقال ابن حزم: صحيفة عمرو بن حزم منقطعة لا تقوم بها حجة، وسليمان بن داود متفق على تركه. وقال عبد الحق: سليمان بن داود هذا الذي يروي هذه النسخة عن الزهري ضعيف، ويقال: إنه سليمان بن أرقم. وتعقبه ابن عدي فقال: هذا خطأ إنما هو سليمان بن داود، وقد جوده الحكم بن موسى. انتهى. وقال أبو زرعة: عرضته على أحمد، فقال: سليمان بن داود هذا ليس بشيء. وقال ابن حبان: سليمان =

بذلك أولىٰ وأحرىٰ ، لأنه نزل عليهم ، وخطابه متوجه إليهم ، فهو[١] أحق أن يقابلوه بالإكرام والتعظيم ، والانقياد له بالقبول والتسليم ، لقوله : ﴿ **وإنه في أم الكتاب لدينا لعليّ حكيم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **أفنضرب عنكم الذكر صفحًا أن كنتم قومًا مسرفين** ﴾ ، اختلف المفسرون في معناها ، فقيل : معناها : أتحسبون أن نصفح عنكم فلا نعذبكم ولم تفعلوا ما أمرتم به؟ ! قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وأبو صالح [والسدي][٢] واختاره ابن جرير(٢) .

= ابن داود اليمامي ضعيف ، وسليمان بن داود الخولاني ثقة ، وكلاهما يروي عن الزهري ، والذي روى حديث الصدقات هو الخولاني ، فمن ضعفه فإنما ظن أن الراوي له هو اليمامي . قلت : ولولا ما تقدم من أن الحكم ابن موسى وهم في قوله : سليمان بن داود ، وإنما هو سليمان بن أرقم لكان لكلام ابن حبان وجه ، وصححه الحاكم ، وابن حبان كما تقدم والبيهقي ، ونقل عن أحمد بن حنبل أنه قال : أرجو أن يكون صحيحًا ، قال : وقد أثنى على سليمان بن داود الخولاني هذا أبو زرعة ، وأبو حاتم ، وعثمان بن سعيد ، وجماعة من الحفاظ .

قال الحاكم : وحدثني أبو أحمد الحسين بن علي ، عن ابن أبي حاتم ، عن أبيه : أنه سئل عن حديث عمرو ابن حزم؟ فقال : سليمان بن داود عندنا ممن لا بأس به ، وقد صحح الحديث بالكتاب المذكور جماعة من الأئمة . لا من حيث الإسناد ؛ بل من حيث الشهرة ، فقال الشافعي في رسالته : لم يقبلوا هذا الحديث حتى ثبت عندهم أنه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال ابن عبد البر : هذا كتاب مشهور عند أهل السير ، معروف ما فيه عند أهل العلم معرفة يستغنى بشهرتها عن الإسناد ، لأنه أشبه التواتر في مجيئه لتلقي الناس له بالقبول والمعرفة ، قال : ويدل على شهرته ما روى ابن وهب ، عن مالك ، عن الليث بن سعد ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب قال : وجد كتاب عند آل حزم يذكرون أنه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال العقيلي : هذا حديث ثابت محفوظ ؛ إلا أنا نرى أنه كتاب غير مسموع عمن فوق الزهري . وقال يعقوب بن سفيان : لا أعلم في جميع الكتب المنقولة كتابًا أصح من كتاب عمرو بن حزم هذا ، فإن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتابعين يرجعون إليه ويدعون رأيهم . وقال الحاكم : قد شهد عمر بن عبد العزيز ، وإمام عصره الزهري ، لهذا الكتاب بالصحة ، ثم ساق ذلك بسنده إليهما .

قال ابن حجر : حديث عمرو بن حزم أشهر - يعني من حديث حكيم المتقدم سابقًا - والشيخ محيى الدين في الخلاصة ضعف حديث حكيم بن حزام ، وحديث عمرو بن حزم ، جميعًا .

وفي الباب عن ابن عمر : رواه الدارقطني (١٢١/١) ، والطبراني (١٢ / ٣١٣ ، ٣١٤ / رقم : ١٣٢١٧) ، وإسناده لا بأس به ، ذكر الأثرم أن أحمد احتج به .

وعثمان بن أبي العاص ، رواه الطبراني ، وابن أبي داود في المصاحف (ص : ١٨٥) ، وفي إسناده انقطاع ، وفي رواية الطبراني من لا يعرف .

وعن ثوبان ، أورده علي بن عبد العزيز في منتخب مسنده ، وفي إسناده خصيب بن جحدر ، وهو متروك . وروى الدارقطني (١٢٣/١) في قصة إسلام عمر ، أن أخته قالت له قبل أن يسلم : « **إنك رجس ، ولا يمسه إلا المطهرون** » وفي إسناده مقال .

وفيه عن سلمان موقوفًا ، أخرجه الدارقطني (١٢٣/١) ، والحاكم (١٨٣/١) .

[١] - في ت : « فهم » . [٢] - سقط من ت .

وقال قتادة في قوله : ﴿ **أفنضرب عنكم الذكر صفحًا** ﴾ ، والله ، لو أن هذا القرآن رفع حين ردَّته أوائل هذه الأمة لهلكوا ، ولكن الله عاد بعائدته[١] ورحمته ، وكرره[٢] عليهم ودعاهم إليه عشرين سنة ، أو ما شاء الله من ذلك .

وقول قتادة لطيف المعنىٰ جدًّا ، وحاصله أنه يقول في معناه : إنه تعالىٰ من لطفه ورحمته بخلقه لا يترك دعاءهم إلىٰ الخير والذكر الحكيم - وهو القرآن - وإن كانوا مسرفين معرضين عنه ، بل يأمر[٣] به ليهتدي[٤] من قدّر هدايته ، وتقوم الحجة علىٰ من كَتَب شقاوته .

ثم قال تعالىٰ مسليًا لنبيه في تكذيب من كذبه من قومه ، وآمرًا له بالصبر عليهم ، ﴿ **وكم أرسلنا من نبي في الأولين** ﴾ أي : في شيع الأولين ، ﴿ **وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون** ﴾ أي : يكذبونه ويسخرون به .

وقوله : ﴿ **فأهلكنا أشد منهم بطشًا** ﴾ [أي : فأهلكنا المكذبين بالرسل ، وقد كانوا أشد بطشًا][٥] ، من هؤلاء المكذبين لك يا محمد ؛ كقوله : ﴿ **أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة** ﴾ والآيات في ذلك كثيرة .

وقوله : ﴿ **ومضىٰ مثل الأولين** ﴾ ، قال مجاهد : سنتهم . وقال قتادة : عقوبتهم . وقال غيرهما : عبرتهم . أي : جعلناهم عبرة لمن بعدهم من المكذبين أن يصيبهم ما أصابهم ، كقوله في آخر هذه السورة : ﴿ **فجعلناهم سلفًا ومثلًا للآخرين** ﴾ وكقوله : ﴿ **سنة الله التي قد خلت في عباده** ﴾ ، وقال : ﴿ **ولن تجد لسنة الله تبديلًا** ﴾ .

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ
﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ
تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ
كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ
وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ

---

[١] - في ز ، خ : « بعادته » .
[٢] - في ت : « وكررهم » .
[٣] - في ت : « أمر » .
[٤] - في ز : « ليهدى » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾

يقول تعالىٰ: ولئن سألت - يا محمد - هؤلاء المشركين بالله العابدين معه غيره: ﴿ **من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم** ﴾ أي: ليعترفن[١] بأن الخالق لذلك[٢] هو الله وحده لا شريك له، وهم مع هذا يعبدون معه غيره من الأصنام والأنداد.

ثم قال: ﴿ **الذي جعل لكم الأرض مهادًا** ﴾، أي: فراشًا قرارًا ثابتةً، يسيرون عليها ويقومون وينامون ويتصرفون[٣]، مع أنها مخلوقة علىٰ تيار الماء، لكنه أرساها بالجبال لئلا تميد هكذا ولا هكذا، ﴿ **وجعل لكم فيها سبلًا** ﴾ أي: طرقًا بين الجبال والأودية ﴿ **لعلكم تهتدون** ﴾ أي: في سيركم من بلد إلىٰ بلد، وقطر إلىٰ قطر، وإقليم إلىٰ إقليم.

﴿ **والذي نزل من السماء ماء بقدر** ﴾ أي: بحسب[٤] الكفاية؛ لزروعكم وثماركم وشربكم لأنفسكم ولأنعامكم.

وقوله: ﴿ **فأنشرنا به بلدة ميتًا** ﴾ أي: أرضًا ميتة، فلما جاءها الماء اهتزت وربت، وأنبتت من كل زوج بهيج.

ثم نبه بإحياء الأرض على إحياء الأجساد يوم المعاد[٥] بعد موتها، فقال: ﴿ **كذلك تخرجون** ﴾ ثم قال: ﴿ **والذي خلق الأزواج كلها** ﴾ أي[٦]: مما تنبت الأرض من سائر الأصناف، من نبات وزروع وثمار وأزاهير، وغير ذلك من الحيوانات علىٰ اختلاف أجناسها وأصنافها، ﴿ **وجعل لكم من الفلك** ﴾ أي: السفن ﴿ **والأنعام ما تركبون** ﴾ أي: ذلَّلها لكم وسخرها ويَسَّرها لأكلكم لحومها، وشربكم ألبانها، وركوبكم ظهورها، ولهذا قال: ﴿ **لتستووا علىٰ ظهوره** ﴾ أي: لتستووا متمكنين واقفين[٧] ﴿ **علىٰ ظهوره** ﴾ أي: علىٰ[٨] ظهور هذا الجنس، ﴿ **ثم تذكروا نعمة ربكم** ﴾ أي: فيما سخر لكم ﴿ **إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين** ﴾ أي: مقاومين. ولولا تسخير الله لنا هذا ما قدرنا عليه.

قال ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد: ﴿ **مقرنين** ﴾ أي: مطيقين[٩]. ﴿ **وإنا إلىٰ ربنا**

---

[١] - في ز، خ: «ليعرفن».
[٢] - في ز: «كذلك».
[٣] - في ت: «وينصرفون».
[٤] - في ت: «في حسب».
[٥] - في ت: «الميعاد».
[٦] - سقط من: ز، خ.
[٧] - في ت: «مرتفقين».
[٨] - سقط من: ز، خ.
[٩] - في ز، خ: «مطيعين».

لمنقلبون ﴾ أي : لصائرون[١] إليه بعد مماتنا ، وإليه سيرنا الأكبر . وهذا من باب التنبيه بسير الدنيا علىٰ سير الآخرة ، كما نبه بالزاد الدنيوي علىٰ الأخروي في قوله : [﴿ **وتزودوا فإن خير الزاد التقوىٰ** ﴾ وباللباس الدنيوي على الأخروي في قوله تعالى][٢] : ﴿ **وريشًا ولباس التقوى ذلك خير** ﴾

ذكر الأحاديث الواردة عند ركوب الدابة

حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا شَريك بن عبد الله ، عن أبي إسحاق ، عن علي بن ربيعة ؛ قال : رأيت عليًا - رضي الله عنه - أتي بدابة ، فلما وضع رجله في الرِّكاب قال : باسم الله . فلما استوىٰ عليها قال : الحمد لله ، ﴿ **سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وإنا إلىٰ ربنا لمنقلبون** ﴾ ، ثم حمد الله ثلاثًا ، وكبر ثلاثًا ، ثم قال : سبحانك ، لا إله إلا أنت ، قد ظلمت نفسي فاغفر لي . ثم ضحك ، فقلت له : من أي شيء ضحكت يا أمير المؤمنين؟ فقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع كما صنعت ثم ضحك . فقلت : مم ضحكت يا رسول الله ؟ فقال : « **يعجب الرب من عبده إذا قال : رب ، اغفر لي ، ويقول : علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب غيري** » .

وهكذا رواه أبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، من حديث أبي الأحوص - زاد النسائي ومنصور - عن أبي إسحاق السَّبيعي ، عن علي بن ربيعة الأسدي الوالبي ، به . وقال الترمذي : حسن صحيح(٣) .

وقد قال عبد الرحمن بن مهدي عن شعبة : قلت لأبي إسحاق السَّبيعي[٣] : ممن سمعت

---

(٢) - راجع تفسيره (٤٩/٢٥) .

(٣) - «المسند» (٩٧/١) . رواه أبو داود (٢٦٠٢) ، والترمذى (٣٤٤٦) ، والطيالسي في « مسنده » (ص ٢٠ /١٣٢) والنسائي في « عمل اليوم والليلة » (٥٠٢) وابن حبان (٢٦٩٨/٦) والطبراني في « الدعاء » (٧٨٤) ، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ج٩٨١) كلهم من طريق أبي الأحوص به .

والنسائي أيضاً والبزار (٧٧٣/٣/البحر الزخار) ، وأبو يعلى في «مسنده» (١/ج٥٨٦) - ومن طريق الضياء في «المختارة» (٦٧٦/٢) والطبراني (٧٨٥) والحاكم (٩٩/٣) من طريق منصور بن المعتمر ، عن أبي إسحاق به ، وروراه عبدالرزاق فى «المصنف» (٣٩٦/١٠،٣٩٧) - ومن طريقه أحمد (١١٥/١) وعبد بن حميد في «المنتخب» (٨٨) · ومن طريقه الضياء (٦٧٧/٢) - والطبرانى فى «الدعاء» (٧٨٢) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢٥٢/٥) - عن معمر بن راشد ، وأحمد (١٢٨/١) وعبد بن حميد (٨٩) والطبراني (٧٨٣) من طريق إسرائيل بن يونس ، والطبرانى (٧٨١) والدارمي في « الرد على المريسى » (ص ٢٠٢) والدارقطني =

---

[١] - في ز، خ : « صائرون » . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - بعده في خ : « عن على بن ربيعة الأسدي » .

هذا الحديث ؟ قال : من يونس بن خَبّاب . فلقيت يونس بن خَبَّاب فقلت : ممن سمعته ؟ فقال من رجل سمعه من علي بن ربيعة(٤) .

ورواه بعضهم عن يونس بن خباب ، عن شقيق بن عقبة الأسدي، عن علي بن ربيعة الوالبي ، به(٥) .

حديث عبد اللّٰه بن عباس - رضي اللّٰه عنهما - : قال الإمام أحمد : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا أبو بكر بن عبد اللّٰه ، عن علي بن أبي طلحة ، عن عبد اللّٰه بن عباس ؛ أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أردفه علىٰ دابته ، فلما استوىٰ عليها كبر رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ثلاثًا ، وحمد اللّٰه[١] ثلاثًا ، [وسبح ثلاثًا][٢] وهَلَّل اللّٰه واحدة . ثم استلقىٰ عليه فضحك ، ثم أقبل عليه فقال : « **ما من امرئ مسلم يركب دابة فيصنع كما صنعت ، إلا أقبل اللّٰه - عز وجل - عليه ، فضحك إليه كما ضحكت إليك** » . تفرد به أحمد(٦) .

= في «العلل» (٤/س ٤٣٠) عن سفيان الثوري .

والطبراني (٧٨٦) عن أجلح بن عبدالله الكندي ، (٧٨٧) عن عبدالرحمن بن حميد الرؤاسي .

وابن حبان (٦/٢٦٩٧) من طريق علي بن سليمان أبي نوفل الكيساني .

وعمرو بن قيس الملائي كما قال أبو الحسن الدارقطني في «العلل» (٤/س ٤٣٠) .

كلهم (معمر وإسرائيل والثوري والرؤاسي والكيساني والملائي) عن أبي إسحاق وانظر ما بعده : .

(٤) - قال أبو الحسن الدارقطني في «العلل» (٤/س ٤٣٠) : « . . وأبو إسحاق لم يسمع هذا الحديث من علي بن ربيعة ، يبين ذلك ما رواه عبدالرحمن بن مهدي ، عن شعبة ، قال : قلت لأبي إسحاق : سمعته من علي بن ربيعة ؟ فقال : حدثني يونس بن خباب ، عن رجل ، عنه . وروى هذا الحديث شعيب بن صفوان عن يونس بن خباب ، عن شقيق بن عقبة الأسدي ، عن علي بن ربيعة ، ورواه المنهال بن عمرو وإسماعيل ابن عبدالملك بن أبي الصغير ، عن علي بن ربيعة ، فهو من رواية أبي إسحاق مرسلاً ، وأحسنها إسناداً حديث المنهال بن عمرو ، عن علي بن ربيعة .... » ومن هذا الوجه صححه الحاكم على شرط مسلم (٢/ ٩٨،٩٩) ووافقه الذهبي : وإسناده حسن فحسب وكأن لأجل هذا قال الترمذي : « حديث حسن صحيح » وصححه ابن حبان واختاره الضياء ، ورقَّم به أبو عبدالرحمن الألباني (حديث/٢٢٦٧) من «صحيح أبي داود» .

(٥) - رواه من هذا الوجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١/ج١٧٥) وفي «كتاب الدعاء» (رقم٧٧٩) من طريق ابن لهيعة ، حدثني عبد ربه بن سعيد ، عن يونس بن خباب ، عن شقيق الأزدي ، عن علي بن ربيعة به . وقال الطبراني : « لم يرو هذا الحديث عن شقيق الأزدي - وهو : شقيق بن أبي عبدالله - إلا يونس بن خباب ، ولا عن يونس إلا عبد ربه بن سعيد ، تفرد به ابن لهيعة » وهو ضعيف . ويونس بن خباب ضعفه جماعة ، ووثقه آخرون : والضعف إليه أقرب ، لكن الحديث حسن من طريق آخر ، فانظر السابق .

(٦) - «المسند» (١/٣٣١) ، ولم يعزه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٧١٦) لغير أحمد . وذكره الهيثمي في «المجمع» (١٠/١٣٤) وقال : « رواه أحمد ، وفيه أبو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف كما أن في سنده انقطاعاً بين علي =

---

[١] - سقط من ت . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .

حديث عبد اللّٰه بن عمر رضي اللّٰه عنهما ، قال الإمام أحمد : حدثنا أبو كامل ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن أبي الزبير ، عن علي بن عبد اللّٰه البارقي ، عن عبد اللّٰه بن عمر - رضي اللّٰه عنهما - أن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كان إذا ركب راحلته[١] كبر ثلاثًا ثم قال : « ﴿ **سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وإنا إلىٰ ربنا لمنقلبون** ﴾ » ، ثم يقول : « **اللّٰهم ، إني أسألك في سفري هذا البرّ والتقوىٰ ، ومن العمل ما ترضىٰ ؛ اللّٰهم ؛ هوّن علينا السفر واطو لنا البعيدَ ؛ اللّٰهم ؛ أنت الصاحب في السفر ، والخليفة في الأهل ، اللّٰهم ؛ اصحبنا في سفرنا ، واخلفنا في أهلنا** » . وكان إذا رجع إلىٰ أهله قال : « **آيبون تائبون إن شاء اللّٰه ، عابدون ، لربنا حامدون** » .

وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي ، من حديث ابن جريج ، والترمذي من حديث حماد ابن سلمة ، كلاهما عن أبي الزبير ، به(٧) .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عبيد ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن محمد بن إبراهيم ، عن عمرو بن الحكم بن ثوبان ، عن أبي لاس الخزاعي ؛ قال : حملنا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم علىٰ إبل من إبل الصدقة إلىٰ الحج ، فقلنا : يا رسول اللّٰه ، ما نرىٰ أن تحملنا هذه ! فقال : « **ما من بعير إلا في ذِرْوَتِه شيطان ، فاذكروا اسم اللّٰه عليها إذا ركبتموها كما آمركم ، ثم امتهنوها لأنفسكم ، فإنما يحمل اللّٰه ، عز وجل** »(٨) .

أبو لاس اسمه : محمد بن الأسود بن خلف .

ابن أبي طلحة وابن عباس ، ومع هذا فقد أورده المنذري في «الترغيب والترهيب» (٧٣/٤) وسكت عنه !! .

(٧) - «المسند» (١٤٤/٢) ، ورواه الترمذي ، كتاب : الدعوات (٣٤٤٧) والدارمي (٢٦٧٦،٢٦٨٥) وصححه ابن حبان (٢٦٩٥/٦) والحاكم (٢٥٤/٢) من طرق عن حماد بن سلمة به .

ورواه أحمد (١٥٠/٢) ومسلم ، كتاب : الحج (٤٢٥) (١٣٤٢) وأبو داود ، كتاب : الجهاد (٢٥٩٩) والنسائي في « عمل اليوم والليلة » (٥٤٨) وغيرهم من طرق عن ابن جريح عن أبي الزبير به .

(٨) - «المسند» (٢٢١/٤) . ورواه ابن خزيمة (٢٣٧٧،٢٥٤٣) وابن سعد في «الطبقات» (٢٢٢/٤) وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٣٢٨/٤) والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٣٧/٢٢) والحاكم (٤٤٤/١) - وعنه البيهقي في «السنن الكبرى» (٢٥٢/٥) وابن عبدالبر في «التمهيد» (٣٠٢/٥) - ورواه إسحاق بن راهويه وابن منده - كما قال ابن حجر في «تغليق التعليق» (٢٥/٣) - كلهم من طريق محمد بن عبيد به .

وصححه الحاكم على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي ، وعلقه البخاري في صحيحه كتاب : الزكاة ، باب : (٤٩) فقال : « ويذكر عن أبي لاس الخزاعي . . . . » قال ابن حجر في «التغليق» : « وإنما لم يجزم به لعنعنة ابن إسحاق » ، وقال في «الفتح» (٣٣٢/٣) : « رجاله ثقات ، إلا أن فيه عنعنة ابن إسحاق ولهذا توقف ابن المنذر - «الترغيب والترهيب» (٧٢/٤) - في ثبوته « لكن رواه أحمد » والطبراني (٨٣٨/٢٢) من طريق يعقوب بن إبراهيم بن سعد ، ثنا أبي ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني محمد بن إبراهيم به ، بتصريح =

---

[١] - في خ : « دابته » .

حديث آخر في معناه : قال أحمد : حدثنا عَتّاب ، أخبرنا عبد الله (ح) وعلي بن إسحاق ، أخبرنا عبد الله - يعني : ابن المبارك - ، أخبرنا أسامة بن زيد ، أخبرني محمد بن حمزة ؛ أنه سمع أباه يقول : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **علىٰ ظهر كل بعير شيطان ، فإذا ركبتموها فسموا الله - عز وجل - ثم لا تقصروا عن حاجاتكم** »(٩) .

﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ (١٥) أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ (١٦) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (١٧) أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ (١٨) وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ (١٩) وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٢٠) ﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن المشركين فيما افتروه وكذبوه في جعلهم بعض الأنعام لطواغيتهم وبعضها لله ، كما ذكر الله عنهم في سورة الأنعام ، في قوله : ﴿ **وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبًا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلىٰ الله وما كان لله فهو يصل إلىٰ شركائهم ساء ما يحكمون** ﴾ . وكذلك جعلوا له من قسمي البنات والبنين أخسَّهما وأردأهما وهو البنات ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ألكم الذكر وله الأنثىٰ * تلك إذا قسمة ضيزىٰ** ﴾ وقال هاهنا : ﴿**وجعلوا له من عباده جزءًا إن الإنسان لكفور مبين**﴾ .

= ابن إسحاق . وهذا إسناد حسن ، وقد قال الهيثمي في « المجمع » (١٣٤/١٠) : « رواه أحمد والطبراني بأسانيد ، ورجال أحدها رجال الصحيح غير محمد بن إسحاق ، وقد صرح بالسماع في أحدها».

(٩) - «المسند» (٤٩٤/٣) ، وكذا رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة » (٥٠٤) (٢٨٥/٢، ٢٨٦) والطبراني في « المعجم الكبير » (٢٩٩٣/٣) وفي «الأوسط» (١٩٢٤/٢) ابن حبان (١٧٠٣/٤) والحاكم (٤٤٤/١) من طريق أسامة بن زيد به . وقال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن محمد بن حمزة إلا أسامة بن زيد الليثي » وبه أعله أبو عبدالرحمن النسائي فقال عقبه : « أسامة بن زيد ليس بالقوى في الحديث » . لكن وثقه ابن معين . وقال ابن عدي : ليس به بأس . وفي « التقريب » : «صدوق يهم» . فيحتمل تحسين حديثه ، وصححه ابن حبان ، وقال الحاكم : « صحيح على شرط مسلم » ووافقه الذهبي ، والليثى إنما أخرج له مسلم متابعة . والحديث رقم به أبو عبدالرحمن الألباني (٣٩١٩) من «صحيح الجامع» وقد ذكره الهيثمي في «المجمع» (١٣٤/١٠) وقال : «رواه أحمد والطبراني في «الكبير» و «الأوسط» ورجالهما رجال الصحيح غير محمد بن حمزة وهو ثقة » .

ثم قال : ﴿ أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين ﴾ ، وهذا إنكار عليهم غاية الإنكار . ثم ذكر تمام الإنكار فقال : ﴿ وإذا بُشّر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلًا ظل وجهه مسودًا وهو كظيم ﴾ أي : إذا بشر أحد هؤلاء بما جعلوه للّه من البنات يأنف من ذلك غاية الأنفة ، وتعلوه كآبة من سوء ما بُشّر بِه ، ويتوارىٰ من القوم من خَجَله من ذلك ، يقول تعالىٰ : فكيف تأنفون أنتم من ذلك ، وتنسبونه إلىٰ اللّه عز وجل ؟ !

ثم قال : ﴿ أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين ﴾ أي : المرأة ناقصة يكمل نقصها بلبس الحلي منذ تكون طفلة ، وإذا [خاصمت فلا عبارة][١] لها ، بل هي عاجزة عَيِيَّة ، أو من يكون هكذا ينسب إلىٰ جناب اللّه -عز وجل- ؟ ! فالأنثىٰ ناقصة الظاهر والباطن ، في الصورة والمعنىٰ ، فيكمل نقص ظاهرها وصورتها بلبس الحليّ وما في معناه ، ليجبر ما فيها من نقص ، كما قال بعض شعراء العرب :

وَمَا الحَلْي إلّا زينَةٌ مِنْ نَقيصةٍ يُتَمّمُ مِنْ حُسْن إذا الحُسْنُ قَصَّرا
وَأمّـا إذَا كَـانَ الجَمَـالُ مُـوَفَّـرًا كَحُسْنك لَمْ يَحْتَجْ إلى أنْ يُزَوَّرا

وأما نقص معناها فإنها ضعيفة عاجزة عن الانتصار عند الانتصار ، لا عبارة لها ولا همة ، كما قال بعض العرب وقد بُشّر ببنت : « ما هي بنعم الولد : نصرها بكاء[٢] ، وبرها سرقة[٣] » .

وقوله : ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا ﴾ أي : اعتقدوا فيهم ذلك ، فأنكر عليهم تعالىٰ قولهم ذلك ، فقال : ﴿ أشهدوا خلقهم ﴾ أي : شاهدوه وقد خَلَقهم اللّه إناثًا ؟ ! ﴿ ستكتب شهادتهم ﴾ أي : بذلك ، ﴿ ويسألون ﴾ عن ذلك يوم القيامة . وهذا تهديد شديد ، ووعيد أكيد .

﴿ وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ﴾ أي : لو أراد اللّه لحَال بيننا وبين عبادة هذه الأصنام ، التي هي علىٰ صور الملائكة التي هي بنات اللّه ، فإنه[٤] عالم بذلك وهو يقررنا عليه ، فجمعوا بين أنواع كثيرة من الخطأ : أحدها : جعلهم[٥] للّه ولدًا تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علوًا كبيرًا .

الثاني : دعواهم أنه اصطفىٰ البنات علىٰ البنين ، فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا .

الثالث : عبادتهم لهم مع ذلك كله ، بلا دليل ولا برهان ، ولا إذن من اللّه عز وجل ، بل

---

[١] - في ز ، خ : « حاضت فلا عبادة » .
[٢] - في ت : « بالبكاء » .
[٣] - في ز : « لسرقة » ، خ : « تسرق » .
[٤] - في ز، خ : « إنه » .
[٥] - في ت : « جعلوهم » .

بمجرد الآراء والأهواء[١] ، والتقليد للأسلاف والكبراء والآباء ، والخبط في الجاهلية الجهلاء .

الرابع : احتجاجهم بتقريرهم على ذلك قدرًا وقد جهلوا في هذا الاحتجاج جهلًا كبيرًا ، [فإنه تعالىٰ قد أنكر ذلك عليهم أشد الإنكار ، فإنه منذ بعث الرسل][٢] ، وأنزل الكتبَ يأمرُ بعبادته وحده لا شريك له ، وينهىٰ عن عبادة ما سواه ، قال : ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولًا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدىٰ الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين** ﴾ وقال تعالى : ﴿**واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون**﴾ وقال في هذه الآية بعد أن ذكر حجتهم هذه : ﴿ **ما لهم بذلك من علم** ﴾ أي : بصحة ما قالوه واحتجوا به ، ﴿ **إن هم إلا يخرصون** ﴾ أي : يكذبون ويتقولون .

وقال مجاهد في قوله : ﴿**مالهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون**﴾ أي : ما يعلمون قدرة الله على ذلك .

﴿ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ (٢١) بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ (٢٢) وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ (٢٣) ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ (٢٤) فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ (٢٥) ﴾

يقول تعالىٰ منكرًا علىٰ المشركين في عبادتهم غيرَ الله بلا بُرهان ولا دليل ولا حُجَّة : ﴿ **أم آتيناهم كتابًا من قبله** [﴾ ، أي : من قبل شركهم ، ﴿][٣] **فهم به مستمسكون** ﴾ أي : فيما هم فيه . أي : ليس الأمر كذلك ، كقوله : ﴿ **أم أنزلنا عليهم سلطانًا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون** ﴾ أي : لم يكن ذلك .

ثم قال : ﴿ **بل قالوا إنا وجدنا آباءنا علىٰ أمة وإنا علىٰ آثارهم مهتدون** ﴾ أي : ليس لهم مستند فيما هم فيه من الشرك سوىٰ تقليد الآباء والأجداد ، بأنهم كانوا علىٰ أمة ، والمراد بها

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

الدين هاهنا ، وفي قوله : ﴿ **إن هذه أمتكم أمة واحدة** ﴾ .

وقولهم : ﴿ **وإنا علىٰ آثارهم** ﴾ أي : وراءهم ﴿ **مهتدون** ﴾ ، دعوىٰ منهم بلا دليل .

ثم بين تعالىٰ أن مقالة هؤلاء قد سبقهم إليها أشباههم ونظراؤهم من الأمم السالفة المكذبة للرسل ، تشابهت قلوبهم ، فقالوا مثل مقالتهم : ﴿ **كذلك ما أتىٰ الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون * أتواصوا به بل هم قوم طاغون** ﴾ وهكذا قال هاهنا : ﴿ **وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا علىٰ أمة وإنا علىٰ آثارهم مقتدون** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **قل** ﴾ أي : يا محمد لهؤلاء المشركين : ﴿ **أو لو جئتكم بأهدىٰ مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون** ﴾ أي[١] : ولو علموا وتيقنوا صحة ما جئتهم به لما انقادوا لذلك بسوء قصدهم ومكابرتهم للحق وأهله .

قال الله تعالىٰ : ﴿ **فانتقمنا منهم** ﴾ أي : من الأمم المكذبة بأنواع من العذاب ، كما فصله تعالىٰ في قصصهم ، ﴿ **فانظر كيف كان عاقبة المكذبين** ﴾ أي : كيف بادوا وهلكوا ، وكيف نجىٰ الله المؤمنين .

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى
فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ
مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ
قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ
ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ
وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً
لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ
﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ

[١] - سقط من : ز ، خ.

لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن عبده ورسوله وخليله إمام الحنفاء ، ووالد من بعث بعده من الأنبياء ، الذي تنتسب[١] إليه قريش في نسبها ومذهبها : إنه تبرأ من أبيه وقومه في عبادتهم الأوثان ، فقال : ﴿ **إنني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني فإنه سيهدين * وجعلها كلمة باقية في عقبه** ﴾ أي : هذه الكلمة ، وهي عبادة اللَّه تعالىٰ وحده لا شريك له ، وخلع ما سواه من الأوثان ، وهي : « **لا إله إلا اللَّه** » ، أي : جعلها دائمة في ذريته يقتدي [به فيها][٢] من هداه اللَّه[٣] من ذرية إبراهيم - عليه السلام - ﴿ **لعلهم يرجعون** ﴾ أي : إليها .

وقال عكرمة ، ومجاهد ، والضحاك ، وقتادة ، والسدي ، وغيرهم في قوله تعالىٰ : ﴿ **وجعلها كلمة باقية في عقبه** ﴾ ، يعني : لا إله إلا اللَّه ، لا يزال في ذريته من يقولها ، وروي نحوه عن ابن عباس(١٠) ، وقال ابن زيد : كلمة الإسلام . وهو يرجع إلىٰ ما قاله الجماعة .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **بل متعت هؤلاء** ﴾ يعني المشركين ﴿ **وآباءهم** ﴾ أي : فتطاول عليهم العمر في ضلالهم ، ﴿ **حتىٰ جاءهم الحق ورسول مبين** ﴾ أي : بَيّن[٤] الرسالة والنّذارة .

﴿ **ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون** ﴾ أي: كابروه[٥] وعاندوه ودفعوا[٦] بالصدور[٧] والراح[٨] كفرًا وحسدًا وبغيًا ، ﴿ **وقالوا** ﴾ كالمعترضين علىٰ الذي أنزله تعالىٰ وتقدس : ﴿ **لولا نزل هذا القرآن علىٰ رجل من القريتين عظيم** ﴾ أي : هلَّا كان إنزال هذا القرآن علىٰ رجل عظيم كبير في أعينهم من القريتين ؟ يعنون مكة والطائف . قاله ابن عباس ، وعكرمة ، ومحمد بن كعب القُرظي ، وقتادة ، والسديّ ، وابن زيد .

وقد ذكر غير واحد منهم [قتادة][٩] ؛ أنهم أرادوا بذلك الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي . وقال مالك : عن زيد بن أسلم ، والضحاك ، والسدي : يعنون الوليد بن المغيرة ، ومسعود بن عمرو الثقفي .

---

(١٠) - انظر تفسير ابن جرير (٦٢/٢٤،٦٣) .

---

[١] - في ز : « تنسب » ، خ : « ينسب » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « فيه بها » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز ، خ : « من » .
[٥] - في ز ، خ: « كما يروه » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز ، خ : « بالصور » .
[٨] - في خ : « والسراح » .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .

وعن مجاهد: عمير بن عمرو بن مسعود الثقفي. وعنه أيضًا أنهم يعنون عتبة بن ربيعة وعن ابن عباس: جبار من جبابرة قريش. وعنه أنهم يعنون الوليد بن المغيرة، وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفي.

وعن مجاهد: يعنون[١] عتبة بن ربيعة بمكة وابن عبد يا ليل بالطائف.

وقال السديّ: عنوا الوليد بن المغيرة، وكنانة بن عبد عمرو بن عمير الثقفي. والظاهر أن مرادهم رجل كبير من أي البلدتين كان.

قال اللَّه تعالىٰ رادًا عليهم في هذا الاعتراض: ﴿ **أهم يقسمون رحمة ربك** ﴾ أي: ليس الأمر مردودًا إليهم، بل إلىٰ اللَّه - عز وجل - واللَّه أعلم حيث يجعل رسالاته، فإنه لا ينزلها إلا علىٰ أزكىٰ الخلق قلبًا ونفسًا[٢]، وأشرفهم بيتًا، وأطهرهم أصلًا.

ثم قال تعالىٰ مبينًا أنه قد فاوت بين خلقه فيما أعطاهم من الأموال والأرزاق والعقول والفهوم، وغير ذلك من القوىٰ الظاهرة والباطنة، فقال: ﴿ **نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات** ﴾.

وقوله: ﴿ **ليتخذ بعضهم بعضًا سخريًا** ﴾، قيل: معناه ليُسخر بعضهم بعضًا في الأعمال، لاحتياج هذا إلىٰ هذا، وهذا إلىٰ هذا، قاله السدي وغيره. وقال قتادة والضحاك: ليملك بعضهم بعضًا. وهو راجع إلى الأول.

ثم[٣] قال: ﴿ **ورحمة ربك خير مما يجمعون** ﴾ أي: رحمة اللَّه بخلقه خير لهم مما بأيديهم من الأموال ومتاع الحياة الدنيا.

ثم قال تعالىٰ: ﴿ **ولولا أن يكون الناس أمة واحدة** ﴾ أي: لولا أن[٤] يعتقد كثير من الناس الجهلة أن إعطاءنا المال دليل[٥] علىٰ محبتنا لمن أعطيناه[٦]، فيجتمعوا علىٰ الكفر لأجل المال - هذا معنىٰ قول ابن عباس، والحسن، وقتادة، والسدي، وغيرهم ﴿ **لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفًا من فضة ومعارج** ﴾ أي: سلالم ودَرَجًا من فضة قاله[٧] ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي، وابن زيد، وغيرهم - ﴿ **عليها يظهرون** ﴾ أي: يصعدون، ﴿ **ولبيوتهم أبوابًا** ﴾ أي: أغلاقًا علىٰ أبوابهم ﴿ **وسررًا عليها يتكئون** ﴾ أي: جميع ذلك يكون فضة، ﴿ **وزخرفًا** ﴾ أي[٨]: وذهبًا. قاله ابن عباس، وقتادة، والسدي، وابن زيد.

---

[١] - سقط من: ز، خ.
[٢] - في ز، خ: « يقينا ».
[٣] - سقط من: ز، خ.
[٤] - سقط من: ز، خ.
[٥] - في ز، خ: « قليل ».
[٦] - في ز، خ: « أعطينا ».
[٧] - في خ: « قال ».
[٨] - سقط من: ز، خ.

ثم قال : ﴿ وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا ﴾ [أي : إنما ذلك من الدنيا][١] الفانية الزائلة الحقيرة عند الله ، أي : يعجل لهم بحسناتهم التي يعملونها[٢] في الدنيا مآكل ومشارب ، ليوافوا الآخرة وليس لهم عند الله حسنة يجزيهم بها ، كما ورد به الحديث الصحيح .

وورد في حديث آخر : « **لو أن الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ، ما سقىٰ منها كافرًا شَربة ماء** » . أسنده البغوي من رواية زكريا بن منظور ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد[٣] ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، فذكره(١١) .

ورواه الطبراني من طريق زَمعة بن صالح ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **لو عَدَلت الدنيا جناح بعوضة ، ما أعطىٰ كافرًا منها شيئًا** » .

ثم قال : ﴿ **والآخرة عند ربك للمتقين** ﴾ أي : هي لهم خاصة لا يشاركهم فيها غيرهم ؛ ولهذا لما قال عمر بن الخطاب(١٢) لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حين صَعد إليه في تلك المَشْرَبة لما آلىٰ من نسائه ، فرآه علىٰ رُمَال حصِير قد أثر بجنبه ، فابتدرت عيناه بالبكاء ، وقال : يا رسول الله ؛ هذا كسرىٰ وقيصر فيما هما فيه ، وأنت صفوة الله من خلقه . وكان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم متكئًا فجلس وقال : « **أوَ في شكٍّ أنت يا ابن الخطاب ؟ !** » ثم قال : « **أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا** » ، وفي رواية : « **أما ترضىٰ أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ؟ !** » .

وفي الصحيحين أيضًا وغيرهما(١٣) أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **لا تشربوا في آنية الذهب والفضة ، ولا تأكلوا في صحافها ، فإنها لهم في الدنيا ولنا في الآخرة** » .

وإنما خولهم الله تعالىٰ في الدنيا لحقارتها [ ][٤] ، كما روىٰ الترمذي وابن ماجه(١٤) ، من

(١١) - ومن طريق زكريا بن منظور رواه ابن ماجه (٤١١٠) والحاكم (٣٠٦/٤) وصحح إسناده الحاكم فتعقبه الذهبي بأن : « زكريا بن منظور ضعفوه » ورواه الطبراني في «الكبير» (٥٩٢١/٦) من طريق عبيد بن عقيل ، عن زمعة بن صالح به ، وزمعة ضعيف ، وقد رواه الترمذي (٢٣٢٠) وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٥٣) وغيرهما من طريق عبدالحميد بن سليمان ، عن أبي حازم به . وقال الترمذي : «حديث صحيح غريب» !! وعبدالحميد بن سليمان ضعفوه ، لكن الحديث يتقوى بهذه المتابعات لا سيما وأن له شواهداً عن عدد من الصحابة ولذلك رقم به أبو عبدالرحمن الألباني حديث (٦٨٦) من «الصحيحة» فراجعه بشواهده .

(١٢) - رواه البخاري (٢٤٦٨) - وانظره بأطرافه عند رقم (٨٩) - ومسلم (١٤٧٩) وغيرهما .

(١٣) - رواه البخاري (٥٤٢٦) ، ومسلم (٤) (٢٠٦٧) وغيرهما من حديث حذيفة .

(١٤) - تقدم تخريجه انظر رقم (١٥) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز : « تعجلونها » ، خ : « تجعلونها » . [٣] - في ز : « سعيد » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « في الدنيا » .

طريق أبي حازم ، عن سهل بن سعد ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لو كانت الدنيا تَزِنُ عند الله جَناح بعوضة ما سقىٰ منها كافرًا شربة ماء أبدًا** » . قال الترمذي : حسن صحيح .

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **ومن يعش** ﴾ أي : يتعامىٰ ويتغافل ويعرض[١] ﴿ **عن ذكر الرحمن** ﴾ ، والعشا في العين : ضعف بصرها ، والمراد هاهنا عشا البصيرة ، ﴿ **نقيض له شيطانًا فهو له قرين** ﴾ ، كقوله : ﴿ **ومن يُشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدىٰ ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولىٰ ونصله جهنم وساءت مصيرًا** ﴾ ، وكقوله : ﴿ **فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم** ﴾ وكقوله : ﴿ **وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين** ﴾ ، ولهذا قال هاهنا : ﴿ **وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون * حتىٰ إذا جاءنا** ﴾ أي : هذا الذي تَغافل عن الهدىٰ نُقَيّض له من الشياطين من يضله ، ويهديه إلىٰ صراط الجحيم . فإذا وافىٰ الله يوم القيامة يتبرم بالشيطان الذي وكل به ، ﴿ **قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين** ﴾ ، وقرأ بعضهم : ﴿ **حتىٰ إذا جاءانا** ﴾ يعنى القرين والمقارن .

---

[١] - سقط من : خ .

قال عبد الرزاق (١٥) : أخبرنا معمر ، عن سعيد الجُرَيري قال : بَلَغَنا أن الكافر إذا بُعث من قبره يوم القيامة شفع[١] بيده شيطان فلم يفارقه ، حتىٰ يصيرهما[٢] اللَّه تعالىٰ إلىٰ النار ، فذلك حين يقول : ﴿ يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ﴾ .

والمراد بالمشرقين هُنا هو : ما بين المشرق والمغرب . وإنما استعمل هاهنا تغليبًا ، كما قيل[٣] : القَمَران ، والعُمَرَان ، والأبوان . قاله ابن جرير (١٦) وغيره .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون ﴾ أي : لا يغني عنكم اجتماعكم في النار واشتراككم في العذاب الأليم .

وقوله : ﴿ أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين ﴾ أي : ليس ذلك إليك ، إنما عليك البلاغ ، وليس عليك هداهم ، ولكن اللَّه يهدي من يشاء ، ويضل من يشاء ، وهو الحكم العدل في ذلك .

ثم قال : ﴿ فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون ﴾ أي : لابد أن ننتقم[٤] منهم ونعاقبهم ، ولو ذهبت أنت ، ﴿ أو نرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون ﴾ أي : نحن قادرون علىٰ هذا وعلىٰ هذا . ولم يقبض اللَّه رسوله حتىٰ أقرّ عينه من أعدائه ، وحَكَّمه في نواصيهم ، ومَلَّكه ما تضمنته صياصيهم ، هذا معنى قول السدى ، واختاره ابن جرير .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلىٰ ، حدثنا ابن ثور ، عن معمر؛ قال : تلا قتادة : ﴿ فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون ﴾ فقال : ذهب النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم وبقيت النقمة ، ولم يُرِ اللَّه نبيَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم في أمته شيئًا يكرهه حتىٰ مضىٰ ، ولم يكن نبي قط إلا ورأىٰ العقوبة في أمته ، إلا نبيكم صلىٰ اللَّه عليه وسلم . قال : وذُكر لنا أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أُرِيَ ما يصيب أمته من[٥] بعده ، فما رُئِي ضاحكًا منبسطًا حتىٰ قبضه اللَّه عز وجل (١٧) .

(١٥) - «التفسير» لعبد الرزاق (١٩٦/٣) وإسناده صحيح إلى الجريري : وقد رواه ابن جرير (٧٤/٢٤،٧٥) من طريق ابن ثور عن معمر به .

(١٦) - تفسير ابن جرير (٧٤/٢٤) .

(١٧) - تفسير ابن جرير (٧٥/٢٤) ورواه عبدالرزاق (١٩٧/٣) عن معمر به ، وهذا مرسل وقد وصله الحاكم (٤٤٧/٢) من طريق محمد بن عبيد ، عن محمد بن ثور به موصولاً ، من حديث أنس ، لكن فيه عنعنة قتادة ، وقد ذكر السيوطي في «الدر المنثور» (٧٢٤/٥) وزاد عزوه إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

[١] - في ت : « سَفَع » .
[٢] - في خ : « يصيرها » .
[٣] - في ت : « يقال » .
[٤] - في ز : « ينتقم » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .

وذكر من رواية سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة نحوه . ثم روىٰ ابن جرير [عن الحسن][١] نحو ذلك أيضًا .

وفي الحديث : « **النجوم أمنة للسماء**[٢] **فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد ، وأنا أَمَنَة لأصحابي ، فإذا ذهبت أتىٰ أصحابي ما يُوعَدُون** »(١٨) .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك علىٰ صراط مستقيم** ﴾ أي : خذ بالقرآن [المنزل][٣] علىٰ قلبك ، فإنه [ ][٤] الحق ، وما يهدي[٥] إليه هو الحق المُفضِي إلىٰ صراط اللّه المستقيم ، الموصل إلىٰ جنات النعيم ، والخير الدائم المقيم .

ثم قال : ﴿ **وإنه لذكر لك ولقومك** ﴾ ، قيل[٦] : معناه لشرف لك ولقومك ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والسدي ، وابن زيد . واختاره ابن جرير ولم يحك سواه .

وأورد البَغَويّ هاهنا حديثَ الزهري ، عن محمد بن جُبير بن مُطعم ، عن معاوية قال : سمعتُ رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم يقول : « **إن هذا الأمر في قريش لا ينازعهم فيه أحد إلا أكَبّه اللّه علىٰ وجهه ما أقاموا الدين** » . رواه البخاري (١٩) .

ومعناه : أنه شرف لهم من حيث إنه أنزلَ بلغتهم ، فهم أفهم الناس له ، فينبغي أن يكونوا أقوَم الناس به وأعملهم بمقتضاه ، وهكذا كان خيارهم وصفوتهم من الخلّص من المهاجرين السابقين الأولين ، ومن شابههم وتابعهم .

وقيل : معناه : ﴿ **وإنه لذكر لك ولقومك** ﴾ أي : لتذكير لك ولقومك ، وتخصيصهم بالذكر لا ينفي من سواهم ، كقوله : ﴿ **لقد أنزلنا إليكم كتابًا فيه ذكركم أفلا تعقلون** ﴾ وكقوله : ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ .

﴿ **وسوف تسألون** ﴾ أي : عن هذا القرآن وكيف كنتم في العمل به والاستجابة له .

وقوله : ﴿ **واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون** ﴾

---

(١٨) - رواه مسلم ، كتاب : فضائل الصحابة (٢٠٧) (٢٥٣١) من حديث أبي موسى الأشعرى ، وبقية الحديث : « . . . . وأصحابي أمنة لأمتى ، فإذا ذهب أصحابى أتى أمتى ما يوعدون .

(١٩) - رواه البخارى ، كتاب : المناقب قريش (٣٥٠٠) ، وكذا رواه أحمد (٩٤/٤) والنسائي في الكبرى ، كتاب : السير (٨٧٥٠/٥) من طريق شعيب بن أبى حمزة عن الزهري به .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « من السماء » .

[٣] - ما بين المعكوفتين مكرر في ز .

[٤] - في ت : هو .

[٥] - في ز : « يدي » ، خ : « يجدى » .

[٦] - سقط من : خ .

أي : جميع الرسل دَعَوا إلىٰ ما دَعَوت الناسَ إليه من عبادة اللَّه وحده لا شريك له ، ونَهوا عن عبادة الأصنام والأنداد ، كقوله : ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولًا أن اعبدوا اللَّه واجتنبوا الطاغوت** ﴾ ، قال مجاهد : في قراءة عبد اللَّه بن مسعود : (واسأل الذين أرسلنا إليهم قبلك رسلنا) . وهكذا[١] حكاه قتادة والضحاك والسدي عن ابن مسعود . وهذا كأنه تفسير لا تلاوة ، واللَّه أعلم .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : واسألهم ليلة الإسراء فإن الأنبياء جمعوا له . واختار ابن جرير الأول (٢٠) .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِآيَاتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن عبده ورسوله موسىٰ - عليه السلام - : أنه ابتعثه إلىٰ فرعون وملئه من الأمراء والوزراء والقادة ، والأتباع والرعايا ، من القبط وبني إسرائيل ، يدعوهم إلىٰ عبادة اللَّه وحده لا شريك له ، وينهاهم عن عبادة ما سواه ، وأنه بعث معه آيات عظامًا كيده وعصاه ، وما أرسل معه من الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، ومن نقص الزروع والأنفس والثمرات ، ومع هذا كله استكبروا عن اتباعها والانقياد لها ، وكذبوها [وسخروا منها][٢] ، وضحكوا ممن جاءهم بها . ﴿ **وما تأتيهم من آية إلا هي أكبر من أختها** ﴾ ، ومع هذا ما رجعوا عن غيهم وضلالهم ، وجهلهم وخبالهم . وكلما جاءتهم آية من هذه الآيات يضرعون إلىٰ موسىٰ - عليه السلام - ويتلطفون له في العبارة بقولهم : ﴿ **يا أيها الساحر** ﴾ أي : العالم ، قاله ابن جرير (٢١) .

وكان علماء زمانهم هم السحرة . ولم يكن السحر عندهم في زمانهم مذمومًا ، فليس هذا

---

(٢٠) - انظر تفسيره (٧٨/٢٥) .

(٢١) - انظر تفسيره (٨٠/٢٥) .

---

[١] - في ت : « هكذا » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « وسخروها منهما » .

منهم؛ علىٰ سبيل الانتقاص منهم ، لأن الحال حال ضرورة منهم إليه لا تناسب[١] ذلك ، وإنما هو تعظيم في زعمهم ففي كل مرة يَعِدون موسىٰ إن كَشف عنهم هذا أن يؤمنوا ويرسلوا معه بني إسرائيل . وفي كل مرة ينكثون ما عاهدوا عليه ، وهذا كقوله : ﴿ **فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقُمّل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قومًا مجرمين * ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسىٰ ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجزَ لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل * فلما كشفنا عنهم الرجز إلىٰ أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون** ﴾ .

وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوۡلَآ أُلۡقِيَ عَلَيۡهِ أَسۡوِرَةٞ مِّن ذَهَبٍ أَوۡ جَآءَ مَعَهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مُقۡتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا وَمَثَلٗا لِّلۡأٓخِرِينَ ﴿٥٦﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن فرعون وتمرده وعتوه وكفره وعناده : أنه جمع قومه ، فنادىٰ فيهم مُتَبَجحًا مفتخرًا بملك مصر وتصرفه فيها : ﴿ **أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي** ﴾ ، قال قتادة : قد كانت لهم جنانٌ وأنهار ماء ، ﴿ **أفلا تبصرون** ﴾ ؟ أي : أفلا ترون ما أنا فيه من العظمة والملك ، يعني : وموسىٰ وأتباعه فقراء ضعفاء . وهذا كقوله تعالىٰ : ﴿ **فحشر فنادىٰ * فقال أنا ربكم الأعلىٰ * فأخذه اللَّه نَكال الآخرة والأولىٰ** ﴾ .

وقوله : ﴿**أم أنا خير من هذا الذى هو مهين**﴾ قال السدي : يقول : بل أنا خير من هذا . الذي هو مهين . وهكذا قال بعض نحاة البصرة : إن « أم » هاهنا بمعنىٰ « بل » . ويؤيد هذا ما حكاه الفراء عن بعض القراء أنه قرأها : ﴿**أما أنا خير من هذا الذي هو مهين**﴾ . قال ابن جرير : ولو صحت هذه القراءة لكان معناها صحيحًا واضحًا ، ولكنها خلاف قراءة الأمصار ، فإنهم قرأوا : ﴿ **أم أنا خير من هذا الذي هو مهين** ﴾ علىٰ الاستفهام .

قلت : وعلىٰ كل تقدير فإنما يعني فرعون - عليه اللعنة - أنه خير من موسىٰ - عليه السلام - وقد كذب في قوله هذا كذبًا بينًا واضحًا ، فعليه لعائن اللَّه المتتابعة[٢] إلىٰ يوم

[١] - في ز ، خ: « يناسب » .

[٢] - في ز، خ : « التابعة » .

القيامة .

ويعني بقوله ﴿ مهين ﴾ كما قال سفيان : حقير . وقال قتادة ، والسدي : يعني ضعيف . وقال ابن جرير : يعني لا مُلْك له ولا سلطان ولا مال .

﴿ ولا يكاد يبين ﴾ يعني : لا يكاد يفصح عن كلامه ، فهو عيي[١] حصر .

قال السدي : ﴿ لا يكاد يبين ﴾ أي : لا يكاد يفهم . وقال قتادة ، والسدي ، وابن جرير : يعني[٢] عييّ اللسان . وقال سفيان : يعني في لسانه شيء من الجَمْرَة حين وضعها في فيه وهو صغير .

وهذا الذي قاله فرعون - لعنه اللَّه - كذب واختلاق ، وإنما حمله على هذا الكفر والعناد ، وهو ينظر إلى موسى - عليه السلام - بعين كافرة شقية ، وقد كان موسى - عليه السلام - من الجلالة والعظمة والبهاء في صورة يبهر أبصار ذوي الألباب . وقوله : ﴿ مهين ﴾ كذب ، بل هو المهين الحقير خلْقَةً وخلقًا ودينًا . وموسى هو الشريف الرئيس[٣] الصادق البار الراشد . وقوله : ﴿ ولا يكاد يبين ﴾ افتراء أيضًا ، فإنه وإن كان قد أصاب لسانه في حال صغره شيء من جهة تلك الجمرة ، فقد سأل اللَّه - عز وجل - أن يحل عقدة من لسانه ليفقهوا قوله ، وقد استجاب اللَّه له في قوله : ﴿ قد أوتيت سؤلك يا موسى ﴾ ، وبتقدير أن يكون قد بقي شيء لم يسأل إزالته ، كما قاله الحسن البصري ، وإنما سأل زوال ما يحصل معه الإبلاغ والإفهام ، فالأشياء الخَلْقية[٤] التي ليست من فعل العبد لا يعاب بها ولا يذم عليها ، وفرعون وإن كان يفهم وله عقل فهو يدري هذا ، وإنما أراد الترويج على رعيته ، فإنهم كانوا جهلة أغبياء ، وهكذا قوله : ﴿ فلولا ألقي عليه أسْوِرَة من ذهب ﴾ أي[٥] : وهي ما يجعل في الأيدي من الحلي . قاله ابن عباس وقتادة وغير واحد .

﴿ أو جاء معه الملائكة مقترنين ﴾ أي : يكتنفونه خدمة له ويشهدون بتصديقه ، [نظر إلى الشكل][٦] الظاهر ، ولم يفهم السر المعنوي الذي هو أظهر مما نظر إليه ، لو كان يعلم ، ولهذا قال تعالى : ﴿ فاستخف قومه فأطاعوه ﴾ أي : استخف عقولهم ، فدعاهم إلى الضلالة فاستجابوا له ، ﴿ إنهم كانوا قومًا فاسقين ﴾ .

قال اللَّه تعالى : ﴿ فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ آسفونا ﴾ : أسخطونا(٢٢) .

(٢٢) - رواه ابن جرير (٨٤/٢٥) وفيه انقطاع بين علي بن أبي طلحة ، وابن عباس .

[١] - في خ : « غبي » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ز، خ : « الخِلقة » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « نظرًا للشكل » .

وقال الضحاك عنه: أغضبونا. وهكذا قال ابن عباس أيضًا، ومجاهد، وعكرمة، وسعيد ابن جبير، ومحمد بن كعب القرظي، وقتادة، والسدي، وغيرهم من المفسرين.

وقال ابن أبي حاتم(٢٣): حدثنا أبو عبيد[١] الله ابن أخي ابن وهب، حدثنا عمي، حدثنا ابن لهيعة، عن عقبة بن مسلم التجيبي، عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا رأيت الله - عز وجل - يعطي العبد ما شاء وهو مقيم على معاصيه، فإنما ذلك استدراج منه له**[٢]»، ثم تلا: ﴿**فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين**﴾.

وحدثنا أبي(٢٤)، حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني، حدثنا قيس بن الربيع، عن قيس ابن مسلم، عن طارق بن شهاب قال: كنت عند عبد الله فذكر عنده موت الفجأة، فقال: تخفيف على المؤمن، وحسرة على الكافر. ثم قرأ: ﴿**فلما آسفونا انتقمنا منهم**﴾.

وقال عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه-: وجدت النقمة مع الغفلة. يعني قوله: ﴿**فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين**﴾.

وقوله: ﴿**فجعلناهم سلفًا ومثلًا للآخرين**﴾ قال أبو مجلز: ﴿**سلفًا**﴾ لمثل من عمل بعملهم وقال هو ومجاهد: ﴿**ومثلًا**﴾ أي: عبرة لمن عبدهم[٣].

۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم

(٢٣) - تقدم تخريجه (سورة الأنعام/آية ٤٥/ج٥٢).

(٢٤) - وكذا عزاه لابن أبي حاتم السيوطي في «الدر المنثور» (٧٢٨،٧٢٧/٥)، وقد زاد عزوه إلى ابن المنذر وإسناده ضعيف لضعف الحماني وقيس بن الربيع، لكن صح مرفوعاً من وجه آخر [راجع كتاب (الفوائد) بتحقيقنا].

[١] - سقط من: خ. [٢] - سقط من: ز، خ.

[٣] - في خ: «بعدهم».

بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦٤﴾ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾

يقول تعالى مخبرًا عن تعنت قريش في كفرهم وتعمدهم العناد والجدل: ﴿ **ولما ضرب ابن مريم مثلًا إذا قومك منه يصدون** ﴾ ، قال غير واحد ، عن ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والضحاك ، والسدي : يضحكون ، [أي : أعجبوا بذلك .

وقال قتادة : يجزعون ويضحكون][١] . وقال إبراهيم النخعي : يعرضون .

وكان السبب في ذلك ما ذكره محمد بن إسحاق في السيرة حيث قال : وجلس رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم - فيما بلغني - يومًا مع الوليد بن المغيرة في المسجد ، فجاء النضر بن الحارث حتىٰ جلس معهم ، وفي المجلس غير واحد من رجال قريش ، فتكلم رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فعرض له النضر بن الحارث فكلمه رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم حتىٰ أفحمه ، ثم تلا عليه وعليهم : ﴿ **إنكم وما تعبدون من دون اللَّه حصَبُ جهنم أنتم لها واردون** ﴾ ... الآيات . ثم قام رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم وأقبل عبد اللَّه بن الزِّبَعْرىٰ التميمي ، حتىٰ جلس فقال الوليد بن المغيرة له : واللَّه ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب وما قعد ، وقد زعم محمد أنّا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم . فقال عبد اللَّه بن الزبعري : أما واللَّه لو وجدته لخَصَمْتُه ، سلوا محمدًا : أكل ما يعبد من دون اللَّه في جهنم مع من عبده ، فنحن نعبد الملائكة ، واليهود تعبد عزيرًا ، والنصارىٰ تعبد المسيح ابن مريم ؟ فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبد اللَّه بن الزِّبَعْرىٰ ، ورأوا أنه قد احتج وخاصم ، فَذُكِرَ ذلك لرسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال : « **كل من أحَبّ**[٢] **أن يعبد من دون اللَّه ، فهو مع من عبده ، فإنهم إنما يعبدون الشيطان ومن أمرهم بعبادته** » ، فأنزل اللَّه عز وجل : ﴿ **إن الذين سبقت لهم منا الحسنىٰ أولئك عنها مبعدون** ﴾ أي : عيسىٰ [وعزير ومن عبد معهما][٣] من الأحبار والرهبان الذين مضوا علىٰ طاعة اللَّه - عز وجل - فاتخذهم[٤] من يعبدهم من أهل الضلالة أربابًا من دون اللَّه . ونزل فيما يذكرون أنهم يعبدون الملائكة وأنها[٥] بنات اللَّه ، ﴿ **وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا سبحانه بل عباد مكرمون** ﴾ ... الآيات ، ونَزَل فيما يذكر من

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - في ز ، خ : « أراد » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « وعزيرًا ومن عبدوا » . [٤] - في خ : « فاتخذوهم » .

[٥] - في ت : « وأنهم » .

أمر عيسىٰ وأنه يعبد من دون الله . وعَجِب الوليد ومن حضره من حجته وخصومته ﴿ **ولما ضرب ابن مريم مثلًا إذا قومك منه يصدون** ﴾ أي : يصدون عن أمرك بذلك من قوله[١] . ثم ذكر عيسى فقال : ﴿ **إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلًا لبني إسرائيل * ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون * وإنه لعلم للساعة** ﴾ أي : ما وضعت علىٰ يديه من الآيات من إحياء الموتىٰ وإبراء الأسقام ، فكفىٰ به دليلًا على علم الساعة . يقول : ﴿ **فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم** ﴾ .

وذكر ابن جرير(٢٥) من رواية العَوفي ، عن ابن عباس قوله : ﴿ **ولما ضرب ابن مريم مثلًا إذا قومك منه يصدون** ﴾ ، قال : يعني قريشًا ، لما قيل لهم : ﴿ **إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون** ﴾ إلىٰ آخر الآيات ، فقالت له قريش : فما ابن مريم ؟ قال : « **ذاك عبد الله ورسوله** » . فقالوا : والله ما يريد هذا إلا أن نتخذه ربًا ، كما اتخذت النصارىٰ عيسىٰ ابن مريم ربًا . فقال الله تعالىٰ : ﴿ **ما ضربوه لك إلا جدلًا ، بل هم قوم خصمون** ﴾ .

وقال الإمام أحمد(٢٦) : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا شيبان ، عن عاصم بن أبي النَّجود ، عن أبي رَزين ، عن أبي يحيىٰ - مولىٰ ابن عقيل الأنصاري - قال : قال ابن عباس : لقد علمت آية من القرآن ما سألني عنها رجل قط ، فما أدري أعلمها الناس فلم يسألوا عنها ، أم لم يفطنوا لها فيسألوا عنها . قال . ثم طَفق يحدثنا ، فلما قام تَلاوَمْنا أن لا نكون سألناه عنها ؟ . فقلت : أنا لها إذا راح غدًا . فلما راح الغد قلت : يا ابن عباس ؛ ذكرتَ أمس أن آية من القرآن لم يسألك عنها رجل قط ، فلا تدري أعلمها الناس أم لم يفطنوا لها ؟ فقلت : أخبرني عنها وعن اللاتي قرأت قبلها . قال : نعم ، إن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال

(٢٥) - رواه ابن جرير (٨٦/٢٥) بإسناد مسلسل بالضعفاء ، أولهم عطية العوفي .

(٢٦) - «المسند» (٣١٧/١، ٣١٨) وصحح إسناده الشيخ أبو الأشبال أحمد شاكر في «تعليقه على المسند» [١ج رقم ٢٩٢١/ (٣٢٨/٤، ٣٢٩)] وإسناده حسن لكلام في عاصم بن أبي النجود ، وباقي رجاله ثقات ، وقد رواه ابن أبي حاتم - كما قال المصنف هذا - من طريق آدم ثنا شيبان به ، ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٧٤٠/١٢) من طريق الوليد بن مسلم ثنا سفيان ، وشيبان عن عاصم به .

ورواه الطبراني أيضاً (١٢٧٣٩/١٢) من طريق علي بن المديني ، ثنا يحيى بن آدم ، عن أبي بكر بن عياش ، عن عاصم بهدلة ، عن أبي رزين ، عن ابن عباس به ، كذا ليس فيه «أبو يحيى الأنصاري» وأبو بكر بن عياش متكلم في حفظه ، فرواية شيبان وسفيان أصح .

والحديث ذكره الهيثمي في «المجمع» (١٠٧/٧) وقال : « رواه أحمد والطبراني . . . .وفيه عاصم بن بهدلة وثقه أحمد وغيره وهو سيىء الحفظ ، وبقية رجاله رجال الصحيح » .

والخبر ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٧٢٨/٥) وزاد نسبته إلى ابن مردويه .

[١] - في خ : « قولك » .

لقريش : « **يا معشر قريش ، إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير** » . وقد علمت قريش أن النصارىٰ تعبد عيسىٰ ابن مريم وما تقول في محمد ، فقالوا : يا محمد ؛ ألست تزعم أن عيسىٰ كان نبيًّا وعبدًا من عباد الله صالحًا ، فإن كنت صادقًا كان آلهتهم كما[١] تقولون؟ قال: فأنزل الله ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلًا إذا قومك منه يصدون﴾ . [قلت : ما يَصِدّون؟][٢] قال : يضحكون ، ﴿ **وإنه لعلم للساعة** ﴾ ، قال : هو خروج عيسىٰ ابن مريم قبل القيامة(٢٧) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن يعقوب الدمشقي ، حدثنا آدم ، حدثنا شيبان ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن أبي أحمد مولىٰ الأنصار[٣] ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **يا معشر قريش ، إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير** » . فقالوا له : ألست تزعم أن عيسىٰ كان نبيًّا وعبدًا من عباد الله صالحًا ، فقد كان يعبد من دون الله ؟ فأنزل الله عز وجل : ﴿ **ولما ضرب ابن مريم مثلًا إذا قومك منه يصدون** ﴾(٢٨) .

وقال مجاهد في قوله: ﴿**ولما ضرب ابن مريم مثلًا إذا قومك منه يصدون**﴾ ، قالت قريش : إنما يريد محمد أن نعبده كما عبد قوم عيسىٰ عيسىٰ[٤] . ونحو هذا قال قتادة .

وقوله : ﴿ **وقالوا أآلهتنا خير أم هو** ﴾ ، قال قتادة : يقولون[٥] : آلهتنا خير منه . وقال قتادة : قرأ ابن مسعود : (**وقالوا أآلهتنا خير أم هذا**) يعنون محمدًا صلى الله عليه وسلم .

وقوله: ﴿**ما ضربوه لك إلا جدلًا** ﴾ أي : مراء ، وهم يعلمون أنه ليس بوارد علىٰ الآية ، لأنها لما لا يعقل ، وهي قوله : ﴿ **إنكم وما تعبدون من دون الله حَصَب جهنم** ﴾ . ثم هي خطاب لقريش ، وهم إنما كانوا يعبدون الأصنام والأنداد ، ولم يكونوا يعبدون المسيح حتىٰ يوردوه[٦] ، فتعين أن مقالتهم إنما كانت جَدَلًا منهم ليسوا يعتقدون صحتها .

وقد قال الإمام أحمد -رحمه الله تعالىٰ- : حدثنا ابن نمير ، حدثنا حجاج بن دينار ، عن أبي غالب ، عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما ضل قوم بعد هُدىٰ كانوا عليه إلا أورثوا الجدل** » ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ **ما ضربوه لك إلا جدلًا بل هم قوم خصمون** ﴾ .

(٢٧) - المسند (٣١٨/١) .
(٢٨) - الطبراني (١٥٤/١٢) .

[١] - في ز ، خ : « لكما » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ: « الأنصاريين » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : «يقول » .
[٦] - في ز ، خ : « يوردونه » .

وقد رواه الترمذي ، وابن ماجة ، وابن جرير ، من حديث حجاج بن دينار ، به . ثم قال الترمذي : حسن صحيح ، لا نعرفه إلا من حديثه(٢٩) . كذا قال .

وقد روي من وجه آخر عن أبي أمامة بزيادة ، فقال ابن أبي حاتم : حدثنا حميد بن عياش الرملي ، حدثنا مُؤمل ، حدثنا حماد ، أخبرنا ابن مخزوم ، عن القاسم أبي عبد الرحمن الشامي ، عن أبي أمامة - قال حماد : لا أدري رفعه أم[١] لا ؟ قال : ما ضلت أمة بعد نبيها إلا كان أول ضلالها التكذيب بالقدر ، وما ضلت أمة بعد نبيها إلا أعطوا الجدل ، ثم قرأ : ﴿ **ما ضربوه لك إلا جدلًا بل هم قوم خصمون** ﴾(٣٠) .

وقال ابن جرير أيضًا : حدثنا أبو كريب ، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن ، عن عَبَّاد[٢] بن عباد ، عن جعفر ، عن القاسم ، عن أبي أمامة قال[٣] : إن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم خرج علىٰ الناس وهم يتنازعون في القرآن ، فغضب غضبًا شديدًا حتىٰ[٤] كأنما صب علىٰ وجهه الخل ، ثم قال : « **لا تضربوا كتاب اللَّه بعضه ببعض ، فإنه ماضل قوم[٥] قط إلا أوتوا الجدل** » ، ثم تلا : ﴿ **ما ضربوه لك إلا جدلًا بل هم قوم خصمون** ﴾ .

وقوله :﴿ **إن هو إلا عبد أنعمنا عليه** ﴾ ، يعني عيسىٰ - عليه السلام - ماهو إلا عبد أنعم اللَّه عليه بالنبوة والرسالة ، ﴿ **وجعلناه مثلًا لبنى إسرائيل** ﴾ أي: دلالة وحجة وبرهانًا[٦] على قدرتنا على ما نشاء.

وقوله : ﴿ **ولو نشاء لجعلنا منكم** ﴾ أي : بدلكم ﴿ **ملائكة في الأرض يخلفون** ﴾ ، قال السدي : يخلفونكم فيها . وقال ابن عباس ، وقتادة : يخلف بعضهم بعضًا ، كما يخلف بعضكم بعضًا[٧] . وهذا القول يستلزم الأول . وقال مجاهد : يعمرون الأرض بدلكم .

---

(٢٩) - المسند (٢٥٢/٥،٢٥٦) . حجاج بن دينار : قال أحمد ويحيى : ليس به بأس . وقال أبو حاتم : لا يحتج به . وقال الدارقطني : ليس بالقوي . وقد وثقه ابن المبارك ويعقوب بن شيبة والعجلي . (الميزان ١/ ٤٦١) . وشهاب بن خراش : صدوق يخطئ روى له أبو داود .

وأخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الزخرف (٥ / ٣٧٨ ، ٣٧٩ / رقم : ٣٢٥٣) . وقال : هذا حديث حسن صحيح إنما نعرفه من حديث حجاج بن دينار ، وحجاج ثقة مقارب الحديث » . وابن ماجة في المقدمة ، باب : اجتناب الدرع والجدل (١ / ١٩ / رقم : ٤٨) . كلاهما من طريق حجاج بن دينار به .

(٣٠) - تفسير الطبري (٥٣/٢٥) .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في ز ، خ : « عُبادة » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في خ : « أمة » .
[٦] - في ت : « وبرهان » .
[٧] - سقط من : ز ، خ .

وقوله : ﴿ **وإنه لعلم للساعة** ﴾ ، تقدم تفسير ابن إسحاق : أن المراد من ذلك ما بُعث[١] به عيسىٰ - عليه السلام - من إحياء الموتىٰ وإبراء الأكمه والأبرص ، وغير ذلك من الأسقام . وفي هذا نظر . وأبعد منه ما حكاه قتادة ، عن الحسن البصري وسعيد بن جبير : أن[٢] الضمير في ﴿ **وإنه** ﴾ ، عائد علىٰ القرآن ، بل الصحيح أنه عائد علىٰ عيسي ، فإن[٣] السياق في ذكره ، ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة ، [كما قال تبارك وتعالىٰ : ﴿ **وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته** ﴾ قبل موت عيسى -عليه السلام- ثم ﴿**ويوم القيامة**][٤] **يكون عليهم شهيدًا**﴾ ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى : [﴿**وإنه لعلم للساعة**﴾ أي][٥] : [أمارة ودليل علىٰ وقوع الساعة][٦] ، قال مجاهد : ﴿ **وإنه لعلم للساعة** ﴾ أي : آية للساعة خروج عيسي ابن مريم قبل يوم القيامة . وهكذا روي عن أبي هريرة ، وابن عباس ، وأبي العالية ، وأبي مالك ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك ، وغيرهم .

وقد تواترت الأحاديث عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم أنه أخبر بنزول عيسى [بن مريم][٧] -عليه السلام- قبل يوم القيامة إمامًا عادلًا وحكمًا مقسطًا .

وقوله : ﴿ **فلا تمترن بها** ﴾ أي : لا تشكوا فيها ، إنها واقعة وكائنة لا محالة ، ﴿ **واتبعون** ﴾ أي : فيما أخبركم به ﴿ **هذا صراط مستقيم * ولا يصدنكم الشيطان** [﴾ ، أي : عن اتباع الحق ﴾][٨] **إنه لكم عدو مبين * ولما جاءَ عيسىٰ بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة** ﴾ أي : بالنبوة ، ﴿ **ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه** ﴾ .

قال ابن جرير: يعني من الأمور الدينية لا الدنيوية(٣١) . وهذا الذي قاله حسن جيد ، ثم رد قول من زعم أن « **بعض** » هاهنا بمعني « **كل** » ، واستشهد بقول لَبيد الشاعر [حيث قال][٩] :

تَـرَّاكَ أَمْـكِـنَـة إِذَا لَمْ أَرْضَـهَـا أَوْ يَعْتَلِق[١٠] بَعْضَ النفوسِ حمامها

وأولوه علىٰ أنه أراد جميع النفوس[١١] . قال ابن جرير : وإنما أراد نفسه فقط ، وعبر بالبعض عنها . وهذا الذي قاله محتمل .

---

(٣١) - تفسير الطبري (٢٥/٥٥) .

---

[١] - في ز ، خ: « يبعث » .
[٢] - في ت : « أي » .
[٣] - في خ : « لأن » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « آية للساعة » ، وسقط من : خ .
[٧] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .
[١٠] - في ز ، خ: « تعتلق » .
[١١] - سقط من : ز ، خ .

وقوله : ﴿ **فاتقوا الله** ﴾ أي : فيما أمركم به ، ﴿ **وأطيعون** ﴾ ، فيما جئتكم به ، ﴿ **إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم** ﴾ ، [أي : أنا وأنتم عبيد له ، فقراء إليه ، مشتركون في عبادته وحده لا شريك له ، ﴿ **هذا صراط مستقيم** ﴾][١] ، أي : هذا الذي جئتكم به هو الصراط المستقيم ، وهو عبادة الرب - عز وجل - وحده .

وقوله : ﴿ **فاختلف الأحزاب من بينهم** ﴾ أي : اختلفت الفرق وصاروا شيعًا فيه ، منهم من يقر بأنه عبد الله ورسوله - وهو الحق - ومنهم من يدعي أنه ولد الله ، ومنهم من يقول : إنه الله - تعالىٰ الله عن قولهم علوًا كبيرًا - ولهذا قال : ﴿ **فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم** ﴾ .

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾

يقول تعالىٰ : هل ينتظر هؤلاء المشركون المكذبون للرسل﴿ **إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون** ﴾ أي : فإنها كائنة لا محالة وواقعة ، وهؤلاء غافلون عنها غير مستعدين . فإذا جاءت إنما تجيء وهم لا يشعرون بها ، فحينئذ يندمون كل الندم ، حيث لا ينفعهم ولا يدفع عنهم .

وقوله تعالىٰ :﴿ **الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين** ﴾ أي : كل صداقة وصحابة لغير الله فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة ، إلا ما كان لله - عز وجل - فإنه دائم بدوامه . وهذا كما قال إبراهيم - عليه السلام - لقومه : ﴿ **إنما اتخذتم من دون الله أوثانًا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضًا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين** ﴾ .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن علي -رضي الله عنه- : ﴿ **الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين** ﴾ ، قال : خليلان مؤمنان ، وخليلان كافران ، فتوفي[١] أحد المؤمنين وبشر بالجنة فذكر خليله ، فقال : اللَّهم ؛ إن فلانًا خليلي ؛ كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك ، ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر ، وينبئني أني[٢] ملاقيك ، اللَّهم ؛ فلا تضله بعدي حتى تريه مثل ما أريتني ، وترضىٰ عنه كما رضيت عني . فيقال له : اذهب فلو تعلم ماله[٣] عندي لضحكت كثيرًا وبكيت قليلًا . قال : ثم يموت الآخر ، فتجتمع أرواحهما ، فيقال : ليثن أحدكما علىٰ صاحبه ، فيقول كل واحد منهما لصاحبه : نعم الأخ ، ونعم الصاحب ، ونعم الخليل . واذا مات أحد الكافرين فبشر[٤] بالنار ذكر خليله فيقول : اللَّهم ؛ إن خليلي فلانًا كان يأمرني بمعصيتك ومعصية رسولك ، ويأمرني بالشر وينهاني عن الخير ، ويخبرني أني غير ملاقيك ، اللَّهم؛ فلا تهده بعدي حتىٰ تريه مثل ما أريتني ، وتسخط عليه كما سخطت عليّ . قال : فيموت الكافر الآخر[٥] ، فيجمع بين أرواحهما . فيقال : ليثن كل واحد منكما علىٰ صاحبه . فيقول كل واحد منهما لصاحبه : بئس الأخ ، وبئس الصاحب ، وبئس الخليل . رواه ابن أبي حاتم(٣٢) .

وقال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة : صارت كل خلة عداوة يوم القيامة إلا المتقين .

وروىٰ الحافظ ابن عساكر في ترجمة هشام بن أحمد ، عن هشام بن عبد اللَّه بن كثير : حدثنا أبو جعفر محمد بن الخضر بالرقة ، عن معافىٰ ، حدثنا[٦] حكيم بن نافع ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة -رضي اللَّه عنه- قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لو أن رجلين تحابا في اللَّه ، أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب ، لجمع[٧] اللَّه بينهما يوم القيامة ، يقول : هذا الذي أحببته فيّ** »(٣٣) .

وقوله : ﴿ **يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون** ﴾ [ثم بشرهم فقال : ﴿ **الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين** ﴾ ، أي : آمنت قلوبهم وبواطنهم ، وانقادت لشرع اللَّه جوارحهم وظواهرهم .

قال المعتمر بن سليمان ، عن أبيه : إذا كان يوم القيامة فإن الناس حين يبعثون لا يبقىٰ أحد منهم

(٣٢) - تفسير عبد الرزاق (٢/١٦٤) .
(٣٣) - مختصر تاريخ دمشق (٢٧/٧٩) .

[١] - في ت : «فـ توفى» .
[٢] - في خ : « أنه » .
[٣] - في تفسير عبد الرزاق : مالك .
[٤] - في ت : « وبشر » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز ، خ : « بن » .
[٧] - في خ : « يجمع » .

إلا فزع ، فينادي مناد : ﴿ **يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون** ﴾][١] فيرجوها الناس كلهم ، قال : فيتْبِعُها : ﴿ **الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين** ﴾ ، قال : فييأس الناس منها غير المؤمنين .

﴿ **ادخلوا الجنة** ﴾ أي : يقال لهم : ادخلوا الجنة ﴿ **أنتم وأزواجكم** ﴾ أي : نظراؤكم ﴿ **تحبرون** ﴾ أي : تنعمون[٢] وتسعدون ، وقد تقدم تفسيرها في سورة الروم .

﴿ **يطاف عليهم بصحاف من ذهب** ﴾ أي : زبادى آنية الطعام ، ﴿ **وأكواب** ﴾ ، وهي : آنية الشراب ، أي : من ذهب لا خراطيم لها ولا عُرى ، ﴿ **وفيها ماتشتهي الأنفس** ﴾ - وقرأ بعضهم : ﴿ **تشتهيه الأنفس** ﴾ ﴿ **وتلذ الأعين** ﴾ أي : طيب الطعم والريح و[٣]حسن المنظر .

قال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، أخبرني إسماعيل بن أبي سعيد ، عن عكرمة - مولىٰ ابن عباس - أخبره أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **إن أدنىٰ أهل الجنة منزلة وأسفلهم درجة ، لَرَجُلٌ لا يدخل الجنة [بعده][٤] أحد ، يُفْسَح[٥] له في بصره مسيرة مائة عام في قصور من ذهب ، وخيام من[٦] لؤلؤ ، ليس فيها موضع شبر إلا معمور يغدىٰ عليه ويراح بسبعين ألف صحفة[٧] من ذهب ، ليس فيها صحفة إلا فيها لون ليس في الأخرىٰ مثله ، شهوته[٨] في آخرها كشهوته في أولها ، لو نزل به جميع أهل الأرض لوسع عليهم مما أعطي ، لا ينقص ذلك مما أوتي شيئًا** »(٣٤) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد ، حدثنا عمرو بن سوّاد[٩] السّرْحي[١٠] ، حدثنا عبد اللَّه بن وهب ، عن ابن لَهيعَة ، عن عُقَيل بن خالد ، عن الحسن ، عن أبي هريرة ؛ أن أبا أمامة -رضي اللَّه عنه- حدث أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم حدثهم - وذكر الجنة - فقال : « **والذي نفس محمد بيده ، لَيأخُذَنّ أحدكم اللقمة فيجعلها في فيه ثم يخطر علىٰ باله طعام آخر ، فيتحول الطعام الذي في فيه علىٰ الذي اشتهىٰ** » ثم قرأ : ﴿ **وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون** ﴾ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن - هو ابن موسى - حدثنا سكين بن عبد العزيز ، حدثنا

---

(٣٤) - تفسير عبد الرزاق (٢/١٦٥) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : « تتنعمون » .
[٣] - سقط من : ز ، خ.
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من ز ، خ .
[٥] - في ز، خ : « يفتح » .
[٦] - سقط من : ز ، خ.
[٧] - في ز : « صحيفة » .
[٨] - في ز : « فشهوته » ، خ : « فيشهونه » .
[٩] - في ز : « ثوار » .
[١٠] - في ز ، خ : « الرخى » .

[ ][١] الأشعث الضرير، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن أدنى أهل الجنة منزلة إن له لسبع درجات، وهو على السادسة وفوقه السابعة، وإن له ثلاثمائة خادم، ويغدى عليه ويراح كل يوم بثلاثمائة صحفة**[٢] - **ولا أعلمه**[٣] **إلا قال: من ذهب - في كل صحفة**[٤] **لون ليس في الأخرى، وإنه لَيَلَذّ أوله كما يلذ آخره، [ومن الأشربة ثلاثمائة إناء، في كل إناء لون ليس في الآخر، وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره]**[٥] **وإنه ليقول**[٦]: **رب**[٧]**، لو أذنت لي لأطعمت أهل الجنة وسقيتهم، لم ينقص مما عندي شيء، وإن له من الحور العين لاثنين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا وإن الواحدة منهن ليأخذ مقعدها قدر ميل من الأرض**»(٣٥).

﴿**وأنتم فيها**﴾ أي: في الجنة ﴿**خالدون**﴾ أي: لا تخرجون منها ولا تبغون[٨] عنها حولًا. ثم قيل لهم على وجه التفضل والامتنان: ﴿**وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون**﴾ أي: أعمالكم الصالحة كانت سببًا لشمول رحمة الله إياكم، فإنه لا يدخل أحدًا عملُه الجنة، ولكن بفضل من[٩] الله ورحمته. وإنما الدرجات تفاوتها بحسب عمل الصالحات.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا الفضل بن شاذان المقرئ، حدثنا يوسف بن يعقوب - يعني الصفار - حدثنا أبو بكر بن عياش، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**كل أهل النار يرى منزله من الجنة حسرة، فيقول:** ﴿**لو أن الله هداني لكنت من المتقين**﴾. وكل أهل الجنة يرى منزله من النار فيقول: ﴿**وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله**﴾، فيكون[١٠] له شكرًا». قال: و[١١]قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما من أحد إلا وله منزل في الجنة ومنزل في النار، فالكافر يرث المؤمن منزله من**[١٢] **النار. والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة. وذلك قوله تعالى:** ﴿**وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون**﴾»(٣٦).

وقوله: ﴿**لكم فيها فاكهة كثيرة**﴾ أي: من جميع الأنواع، ﴿**منها تأكلون**﴾ أي:

(٣٥) - المسند (٢/٥٣٧).
(٣٦) - ورواه أحمد في المسند (٢/٥١٢).

[١] - ما بين المعكوفتين في ز، خ: «أبو».
[٢] - في ز، خ: «صحيفة».
[٣] - في ز، خ: «أعلم».
[٤] - في ز، خ: «صحيفة».
[٥] - ما بين المعكوفتين في سقط من: ز، خ.
[٦] - في ت: «يقول».
[٧] - في ت: «يا رب».
[٨] - في ز، خ: «يبغون».
[٩] - سقط من: ز، خ.
[١٠] - في ت: «ليكون».
[١١] - سقط من: ز، خ.
[١٢] - في ز، خ: «في».

مهما[١] اخترتم وأردتم . ولما ذكر الطعام والشراب ، ذكر بعده الفاكهة لتتم النعمة والغبطة .

إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾

لما ذكر حال السعداء ، ثنّىٰ بذكر الأشقياء ، فقال : ﴿ **إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون * لا يُفتّر عنهم** ﴾ أي : ساعة واحدة ﴿ **وهم فيه مبلسون** ﴾ أي : آيسون من كل خير ، ﴿ **وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين** ﴾ أي : بأعمالهم السيئة بعد قيام الحجج عليهم وإرسال الرسل إليهم ، فكذبوا وعصوا ، فجوزوا بذلك جزاء وفاقًا ، وما ربك بظلام للعبيد . ﴿ **ونادوا يا مالك** ﴾ وهو: خازن النار.

قال البخاري : حدثنا حجاج بن منهال ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عَمْرو بن عطاء ، عن صفوان بن يعلىٰ ، عن أبيه ؛ قال : سمعت رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم يقرأ علىٰ المنبر : ﴿ **ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك** ﴾(٣٧) . أي : ليَقْبض[٢] أرواحنا فيريحنا مما نحن فيه ، فإنهم كما قال تعالىٰ : ﴿ **لا يقضىٰ عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها** ﴾ وقال : ﴿ **ويتجنبها الأشقى * الذى يصلى النار الكبرى * ثم لا يموت فيها ولا يحيى** ﴾ فلما سألوا أن يموتوا أجابهم مالك : ﴿ **قال إنكم ماكثون** ﴾ ، قال ابن عباس : مكث ألف سنة ، ثم قال : إنكم ماكثون . رواه ابن أبي حاتم .

أي : لا خروج لكم منها ولا محيد لكم عنها .

ثم ذكر سبب شقوتهم وهو مخالفتهم الحق[٣] ومعاندتهم له ، فقال : ﴿ **لقد جئناكم بالحق** ﴾ أي : بيناه لكم ووضحناه وفسرناه ، ﴿ **ولكن أكثركم للحق كارهون** ﴾ أي : ولكن كانت سجاياكم لا تقبله ولا تُقبل عليه ، وإنما تنقاد للباطل وتعظمه ، وتَصُدّ عن الحق وتأباه ، وتُبغضُ أهله . فعودوا علىٰ أنفسكم بالملامة ، واندموا حيث لا تنفعكم الندامة .

---

(٣٧) - صحيح البخاري (٤٨١٩).

---

[١] - في ز ، خ : « مما » .

[٢] - في ز ، خ : « ليقض » .

[٣] - في ت : « للحق » .

ثم قال تعالى: ﴿ **أم أبرموا أمرًا فإنا مبرمون** ﴾ قال مجاهد: أرادوا كيد شر فكدناهم وهذا الذي قاله مجاهد كما قال تعالىٰ: ﴿ **ومكروا مكرًا ومكرنا مكرًا وهم لا يشعرون** ﴾، وذلك لأن المشركين كانوا يتحيلون في رد الحق بالباطل بحيل ومكر يسلكونه، فكادهم الله، ورد وبال ذلك عليهم، ولهذا قال: ﴿ **أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم** ﴾ أي: سرهم وعلانيتهم، ﴿ **بلىٰ ورسلنا لديهم يكتبون** ﴾ أي: نحن نعلم ماهم عليه، والملائكة أيضًا يكتبون أعمالهم، صغيرها وكبيرها.

أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

يقول تعالي: ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين** ﴾ أي: لو فرض هذا لعبدته علىٰ ذلك، لأني عبد من عبيده، مطيع لجميع ما يأمرني به، ليس عندي استكبار ولا إباء عن عبادته، فلو فرض كان هذا، ولكن هذا ممتنع في حقه تعالىٰ، والشرط لا يلزم منه الوقوع ولا الجواز أيضًا، كما قال تعالىٰ: ﴿ **لو أراد الله أن يتخذ ولدًا لاصطفىٰ مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار** ﴾.

قال بعض المفسرين في قوله: ﴿ **فأنا أول العابدين** ﴾ أي: الآنفين. ومنهم سفيان الثوري، والبخاري حكاه فقال: ويقال أول العابدين: الجاحدين من عَبِدَ يَعْبَدُ.

وذكر ابن جرير لهذا القول من الشواهد مارواه عن يونس بن عبد الأعلىٰ، عن ابن وهب:

حدثني ابن أبي ذئب ، عن أبي[١] قسيط ، عن بعجة بن زيد الجهني ؛ أن امرأة منهم دخلت علىٰ زوجها - وهو رجل منهم أيضًا - فولدت له في ستة أشهر ، فذكر ذلك زوجُها لعثمانَ بن عفان ، رضي اللَّه عنه فأمر بها أن ترجم ، فدخل عليه[٢] علي بن أبي طالب - رضي اللَّه عنه - فقال : إن اللَّه يقول في كتابه : ﴿ **وحمله وفصاله ثلاثون شهرًا** ﴾ ، وقال : ﴿ **وفصاله في عامين** ﴾ ، قال : فو اللَّه ما عَبِدَ[٣] عثمان - رضي اللَّه عنه - أن بعث إليها : تردّ ، قال : يونس : قال ابن وهب : عَبِد : استنكف(٣٨) .

قال الشاعر :

مَتَىٰ مَا يَشَأْ ذُو الوُدّ يصْرِمْ خَليله وَيَعْبَدْ عَلَيه لا محالة ظالمًا

وهذا القول فيه نظر ؛ لأنه كيف يلتئم مع الشرط فيكون تقديره : إن كان هذا فأنا ممتنع منه ؟ هذا فيه نظر ، فليتأمل . اللَّهم إلا أن يقال : إنّ « **إن** » ليست شرطًا ، وإنما هي نافية ، كما قال علي بن أبي طلحة - عن ابن عباس في قوله : ﴿ **قل إن كان للرحمن ولد** ﴾ ، يقول : لم يكن للرحمن ولد[٤] فأنا أول الشاهدين .

وقال قتادة : هي كلمة من كلام العرب : ﴿ **إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين** ﴾ أي : إن ذلك لم يكن فلا ينبغي .

وقال أبو صخر : ﴿ **قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين** ﴾ أي : فأنا[٥] أول من عبده بأن لا ولد له ، وأول من وحّده . وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

وقال مجاهد : ﴿ **فأنا أول العابدين** ﴾ أي : أول من عبده ووحده وكذبكم .

وقال البخاري : ﴿ **فأنا أول العابدين** ﴾ أي[٦] : الآنفين(٣٩) . وهما لغتان : رجل[٧] عابد وعَبِدٌ ، والأول أقرب على أنه شرط وجزاء ، ولكن هو ممتنع .

و[٨]قال السدي : ﴿ **قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين** ﴾ ، يقول : لو كان له ولد كنت أول من عبده ، بأن له ولدًا ، لكن لا ولد له ، وهذا[٩] اختيار ابن جرير، ورد قول

(٣٨) - تفسير الطبري (٦١/٢٥) .
(٣٩) - صحيح البخاري - الفتح (٥٦٨/٨) .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز، خ : « عند » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في ز، خ : « أنا » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - سقط من : ز، خ .
[٩] - في ت : «هو » .

من زعم أن « **إن** » نافية؛ ولهذا قال : ﴿ **سبحان رب السمٰوات والأرض رب العرش عما يصفون** ﴾ أي : تعالىٰ وتقدس وتنزه خالق الأشياء عن أن يكون له ولد ، فإنه فرد أحد صمد ، لا نظير له ولا كفء له ، فلا ولد له .

وقوله : ﴿ **فذرهم يخوضوا** ﴾ أي : في جهلهم وضلالهم ﴿ **ويلعبوا** ﴾ في دنياهم ﴿ **حتىٰ يلاقوا يومهم الذي يوعدون** ﴾ ، وهو يوم القيامة ، أي : فسوف يعلمون كيف يكون مصيرهم ، ومآلهم ، وحالهم في ذلك اليوم .

وقوله : ﴿ **وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله** ﴾ أي : هو إله من في السماء ، وإله من في الأرض ، يعبده أهلهما ، وكلهم خاضعون له[١] ، أذلاء بين يديه ، ﴿ **وهو الحكيم العليم** ﴾ .

وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ **وهو الله في السمٰوات و[في]**[٢] **الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون** ﴾ ، أي : هو المدعو الله في السماوات والأرض .

﴿ **وتبارك الذي له ملك السمٰوات والأرض وما بينهما** ﴾ أي : هو خالقهما ومالكهما والمتصرف فيهما ، بلا مدافعة ولا ممانعة ، فسبحانه وتعالىٰ عن الولد ، ﴿ **وتبارك** ﴾ : أي استقر له السلامة من العيوب والنقائص ، لأنه الرب العليّ العظيم ، المالك للأشياء ، الذي بيده أزمّة الأمور نقضًا وإبرامًا ، ﴿ **وعنده علم الساعة** ﴾ أي : لا يجليها لوقتها إلا هو ، ﴿ **وإليه ترجعون** ﴾ أي : فيجازي كلًّا بعمله إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ولا يملك الذين يدعون من دونه** ﴾ أي : من الأصنام والأوثان ﴿ **الشفاعة** ﴾ أي : لا يقدرون علىٰ الشفاعة لهم ، ﴿ **إلا من شهد بالحق وهم يعلمون** ﴾ ، هذا استثناء منقطع ، أي : لكن من شهد بالحق علىٰ بصيرة وعلم ، فإنه تنفع شفاعته عنده بإذنه له .

ثم قال : ﴿ **ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنىٰ يؤفكون** ﴾ أي : ولئن سألت هؤلاء المشركين بالله العابدين معه غيره ﴿ **من خلقهم ليقولن الله** ﴾ أي : هم يعترفون أنه الخالق للأشياء جميعها ، وحده لا شريك له في ذلك ، ومع هذا يعبدون معه غيره ممن لا يملك شيئًا ولا يقدر علىٰ شيء ، فهم في ذلك في غاية الجهل والسفاهة وسخافة العقل ؛ ولهذا قال : ﴿ **فأنىٰ يؤفكون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وقيله يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون** ﴾ أي : وقال محمد قيله ، أي : شكا إلىٰ ربه شكواه من قومه الذين كذبوه ، فقال : يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون ، كما أخبر تعالىٰ في الآية الأخرىٰ : ﴿ **وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورًا** ﴾ وهذا الذي

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - سقط من : ز، خ .

قلناه هو قول ابن مسعود ومجاهد وقتادة ، وعليه فسر ابن جرير (٤٠) .

قال البخاري : وقرأ عبد اللّٰه - يعني ابن مسعود - (**وقال الرسول يا رب**)(٤١) .

وقال مجاهد في قوله : ﴿ **وقيله يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون** ﴾ ، قال : فَأَبرّ اللّٰه قول محمد .

وقال قتادة : هو قول نبيكم صلى اللّٰه عليه وسلم يشكو قومه إلى ربه عز وجل .

ثم حكىٰ ابن جرير في قوله : ﴿ **وقيله يارب** ﴾ قراءتين ، إحداهما النصب ، ولها توجيهان : أحدهما : أنه معطوف علىٰ قوله : ﴿ **نسمع سرهم ونجواهم** ﴾ . والثاني : أن يقدر فعل ، وقال : قيلَه . والثانية : الخفض ، وقيلِه عطفًا علىٰ قوله : ﴿ **وعنده علم الساعة** ﴾ ، تقديره : وعلم قيله .

وقوله : ﴿ **فاصفح عنهم** ﴾ أي : المشركين ، ﴿ **وقل سلام** ﴾ أي : لا تجاوبهم بمثل ما يخاطبونك به من الكلام السيىء ، ولكن تألفهم[١] واصفح عنهم فعلًا وقولًا ، ﴿ **فسوف يعلمون** ﴾ ، هذا تهديد منه تعالىٰ لهم ، ولهذا أحل بهم بأسه الذي لا يُردّ ، وأعلىٰ دينه وكلمته ، وشرع بعد ذلك الجهاد والجلاد ، حتىٰ دخل الناس في دين اللّٰه أفواجًا ، وانتشر الإسلام في المشارق والمغارب .

[آخر تفسير سورة الزخرف] .

☆ ☆ ☆

(٤٠) - تفسير الطبري (٦٢/٢٥) .

(٤١) - صحيح البخاري - الفتح (٥٦٨/٨) .

[١] - في خ : « كالفهم » .

تفسير سورة الدخان

وهي مكية

قال الترمذي : حدثنا سفيان بن وكيع ، حدثنا زيد بن الحُبَاب ، عن عُمَر بن أبي خثعم ، عن يحيىٰ بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة -رضي اللّه عنه- قال : قال رسول الله صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **من قرأ حم الدخان ، في ليلة ، أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك** » .

ثم قال : غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وعمر بن أبي خثعم يضعف ، قال البخاري : « منكر الحديث »(١) .

ثم قال : حدثنا نصر بن عبد الرحمن الكوفي ، حدثنا زيد بن الحباب ، عن [هشام أبي المقدام][١] ، عن الحسن ، عن أبي هريرة -رضي اللّه عنه- قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **من قرأ حم الدّخان ، في ليلة الجمعة ، غفر له** » .

ثم قال : « غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وهشام أبو[٢] المقدام[٣] يضعّف ، والحسن لم يسمع من أبي هريرة . كذا قال أيوب[٤] ، ويونس بن عُبَيد ، وعلي بن زيد »(٢) .

وفي مسند البزار من رواية أبي الطفيل عامر بن واثلة ، عن زيد بن حارثة ؛ أن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم قال لابن صياد : « **إني قد خبأت خبأً فما هو ؟** » وخبأ له رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم سورة الدخان ، **فقال** : هو الدُّخ ، [**فقال** : « **اخسأ**][٥] **ما شاء الله كان** » ثم انصرف(٣) .

---

(١) - **موضوع** ، وهو في سنن الترمذي رقم (٢٨٨٨) .

(٢) - **ضعيف** ، وهو في سنن الترمذي رقم (٢٨٩١) .

(٣) - كشف الأستار (٣٣٩٩) ، ورواه الطبراني في الكبير (٥/٨٨) ، والأوسط (٣٨٧٥) ، وقال البزار : لم يرو هذا الحديث عن فرات القزاز - ثقة - إلا ابنه الحسن - وثقه يحيىٰ بن معين ، وابن حبان ، والدارقطني ، وقال أبو حاتم وحده : منكر الحديث - ولا عن ابنه ؛ إلا ابنه زياد - قال أبو حاتم الرازي : منكر الحديث ، وقال الدارقطني : لا بأس به ، ولا يحتج به - تفرد به إبراهيم بن عيسى التنوخي . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٤) وقال : رواه البزار ، والطبراني في الكبير والأوسط (٣٨٧٥) ، وفيه زياد بن الحسن بن فرات : ضعفه أبو حاتم ، ووثقه ابن حبان .

---

[١] - في ز ، خ : « هشام عن أبي المقدام » .

[٢] - في ز ، خ : « بن » .

[٣] - في ت : « المقداد » .

[٤] - في ز : خ : « أبو زيد » .

[٥] - سقط من ت .

حمٓ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن القرآن العظيم : إنه أنزله في ليلة مباركة ، وهي ليلة القدر ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة القدر** ﴾ وكان ذلك في شهر رمضان ، كما قال تعالى : ﴿ **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن** ﴾ وقد ذكرنا الأحاديث الواردة في ذلك في « سورة البقرة » بما أغنى عن إعادته . ومن قال : إنها ليلة النصف من شعبان - كما رُوي عن عكرمة - فقد أبعد النُّجْعَة ؛ فإن نص القرآن أنها في رمضان . والحديث الذي رواه عبد اللّٰه بن صالح ، عن الليث ، عن عقيل ، عن الزهري ، أخبرني عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس ، أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **تقطع الآجال من شعبان إلىٰ شعبان ، حتىٰ إن الرجل لينكح ويولد له ، وقد أخرج اسمه في الموتىٰ** »(٤) فهو حديث مرسل ومثله لا يعارض به النصوص .

وقوله : ﴿ **إنا كنا منذرين** ﴾ [أي : معلمين][١] الناس ما ينفعهم ويضرهم شرعًا ، لتقوم حُجّة اللّٰه علىٰ عباده .

وقوله : ﴿ **فيها يفرق كل أمر حكيم** ﴾ أي : في ليلة القدر ، يفصل من اللوح المحفوظ إلىٰ الكتَبَة أمر السنة ، وما يكون فيها من الآجال والأرزاق ، وما يكون فيها إلىٰ آخرها . وهكذا

---

(٤) - عبد الله بن صالح - كاتب الليث ، وثقه ابن معين ، وكان أبو حاتم الرازي حسن الرأي فيه ، وقال أبو زرعة الرزاي : حسن الحديث ، وضعفه : النسائي وابن المديني وابن حبان وأبو أحمد الحاكم وغيرهم . وفي التقريب : صدوق كثير الغلط ، ثبت في كتابه ، وكانت فيه غفلة - والحديث رواه ابن الديثي من طريق عبد الله بن صالح به ، وهذا إسناد فيه انقطاع فإن عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس - له مناكير ، وروايته عن طبقة التابعين ، فروايته عن النبي ﷺ مرسلة ، بل معضلة . ورواه الطبري (١٠٩/٢٥) من حديث عبيد ابن آدم بن أبي إياس - صدوق - عن أبيه ، عن الليث ، عن عقيل به مرفوعًا . ورواه البيهقي في شعب الإيمان (٣٨٣٩) من طريق محمد بن علي الوراق ، عن سعيد بن سليمان ، عن الليث ، عن عقيل ، عن الزهري ، عن عثمان [عن] محمد بن المغيرة بن الأخنس به موقوفًا .

---

[١] - ما بين المعكوفتين مكرر في ز .

رُوي عن ابن عمر ، وأبي مالك ، ومجاهد ، والضحاك ، وغير واحد من السلف .

وقوله : ﴿ **حكيم** ﴾ أي : محكم ، لا يبدل ولا يغير ؛ ولهذا قال : ﴿ **أمرًا من عندنا** ﴾ أي : جميع ما يكون ويقدره الله تعالىٰ وما يوحيه فبأمره وإذنه وعلمه ، ﴿ **إنا كنا مرسلين** ﴾ أي : إلىٰ الناس ، رسولًا يتلو عليهم آيات الله مبينات ، فإن الحاجة كانت ماسة إليه ؛ ولهذا قال : ﴿ **رحمة من ربك إنه هو السميع العليم * رب السموات والأرض وما بينهما** ﴾ أي : الذي أنزل هذا القرآن هو رب السموات والأرض وخالقهما ومالكهما وما فيهما ، ﴿ **إن كنتم موقنين** ﴾ أي : إن كنتم متحققين .

ثم قال : ﴿ **لا إله إلا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين** ﴾ ، وهذه الآية كقوله تعالىٰ : ﴿ **قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت** ﴾ الآية .

بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾

يقول تعالىٰ : بل هؤلاء المشركون في شك يلعبون ، أي : قد جاءهم الحق اليقين ، وهم يشكون فيه ويمترون ، ولا يصدقون به ، ثم قال تعالى متوعدًا لهم ومتهددًا : ﴿ **فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين** ﴾ .

قال سليمان بن مهْرَانَ الأعمش ، عن أبي الضحىٰ مسلم بن صبيح ، عن مسروق قال : دخلنا المسجد - يعني مسجد الكوفة - عند أبواب كندة ، فإذا رجل يقص علىٰ أصحابه : ﴿ **يوم تأتي السماء بدخان مبين** ﴾ ، تدرون ما ذلك الدخان ؟ ذلك دخان يأتي يوم القيامة ، فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم ، ويأخذ المؤمنين منه شبه الزكام . قال : فأتينا ابن مسعود فذكرنا ذلك له ، وكان مضطجعًا ففزع فقعد ، وقال : إن الله - عز وجل - قال لنبيكم صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين** ﴾ ، إن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم : الله أعلم . سأحدثكم عن ذلك ، إن قريشًا لما[١] أبطأت عن الإسلام

[١] - سقط من : ز ، خ .

واستعصت علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، دعا عليهم بسنين كسني يوسف ، فأصابهم من الجهد والجوع حتىٰ أكلوا العظام والميتة ، وجعلوا يرفعون أبصارهم إلىٰ السماء فلا يرون إلا الدخان . وفي رواية : فجعل الرجل ينظر إلىٰ السماء ، فيرىٰ ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد . قال الله تعالىٰ : ﴿ **فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين * يغشىٰ الناس هذا عذاب أليم** ﴾ ، فأتي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقيل : يا رسول الله ؛ استسق الله لمضر ، فإنها قد هلكت . فاستسقىٰ لهم فَسُقُوا ، فأنزل الله : ﴿ **إنا كاشفو العذاب قليلاً إنكم عائدون** ﴾ ، قال ابن مسعود : فيكشف العذاب عنهم يوم القيامة ، فلما أصابهم الرفاهية عادوا إلىٰ حالهم ، فأنزل الله : ﴿ **يوم نبطش البطشة الكبرىٰ إنا منتقمون** ﴾ ، قال : يعني يوم بدر . قال ابن مسعود : فقد مضىٰ خمسة : الدخان ، والروم ، والقمر ، والبطشة ، واللِّزام .

وهذا الحديث مخرج في الصحيحين(٥) ورواه الإمام أحمد في مسنده وهو عند الترمذي ، والنسائي في تفسيرهما ، وعند ابن جرير وابن أبي حاتم من طرق متعددة ، عن الأعمش به(٦) . وقد وافق ابن مسعود علىٰ تفسير الآية بهذا ، وأن الدخان مَضَىٰ - جماعةٌ من السلف كمجاهد ، وأبي العالية ، وإبراهيم النخَعي ، والضحاك ، وعطية العوفي ، وهو اختيار ابن جرير .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا جعفر بن مسافر ، حدثنا يحيىٰ بن حَسَّان ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا عبد الرحمن الأعرج في قوله : ﴿ **يوم تأتي السماء بدخان مبين** ﴾ ، قال : كان يوم فتح مكة . وهذا قول غريب جدًّا بل منكر .

وقال آخرون : لم يمض الدخان بعد ، بل هو من أمارات الساعة ، كما تقدم من حديث أبي سَريحة حُذَيفة بن أسيد الغفاري - رضي الله عنه - قال : أشرف علينا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من غرفة ونحن نتذاكر الساعة ، فقال : « **لا تقوم الساعة حتىٰ تروا عشر آيات : طلوع الشمس من مغربها ، والدخان ، والدابة ، وخروج يأجوج ومأجوج ، وخروج عيسىٰ ابن مريم ، والدجال ، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس - أو : تحشر الناس - : تبيت معهم حيث باتوا ، وتقيل معهم حيث قالوا** » . انفرد[١] بإخراجه مسلم في صحيحه(٧) .

وفي الصحيحين أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال لابن الصياد : « **إني خَبأت لك**

---

(٥) - البخاري (٤٨٢٠) ، ومسلم (٢٧٩٨) .

(٦) - المسند (١/٣٨٠ ، ٤٣١) وسنن الترمذي (٣٢٥٤) والنسائي في الكبرى (١١٤٨١) والطبري (٢٥/٦٦)

(٧) - صحيح مسلم (٢٩٠١) .

---

[١] - في ت : « تفرد » .

خَبْأً »، قال: هو الدُّخّ. فقال له: « **اخسأ فلن تعدو قدرك** »، قال: وخبأ له رسول الله صلىٰ اللَّه عليه وسلم: ﴿ **فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين** ﴾(٨).

وهذا فيه إشعار بأنه من المنتظر المرتقب، وابن صياد كاشف علىٰ طريقة الكهان بلسان[١] الجان، وهم يُقَرطمون العبارة؛ ولهذا قال: هو[٢] الدخ، يعني: الدخان. فعندها عرف رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم مادته وأنها شيطانية، فقال له: « **اخسأ فلن تعدو قدرك** ».

ثم قال ابن جرير: وحدثني عصام بن رَوّاد بن الجراح، حدثنا أبي، حدثنا سفيان بن سعيد الثوري، حدثنا منصور بن المعتمر، عن ربعي بن حِرَاش[٣]؛ قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم: « **إن أول الآيات الدخان**[٤]، **ونزول عيسىٰ ابن مريم، ونار تخرج من قعر عدن أبين، تسوق الناس إلىٰ المحشر، تقيل معهم إذا قالوا، والدخان** - قال حذيفة: يارسول الله؛ وما الدخان؟ فتلا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم هذه الآية: ﴿ **فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين * يغشىٰ الناس هذا عذاب أليم** ﴾ - يملأ ما بين المشرق والمغرب، يمكث أربعين يومًا وليلة، أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكمة، وأما الكافر [فيكون بمنزلة][٥] السكران[٦] يخرج من منخريه وأذنيه ودبره »(٩).

قال ابن جرير: لو صح هذا الحديث لكان فاصلًا، وإنما لم أشهد له بالصحة، لأن محمد ابن خلف العسقلاني حدثني أنه سأل روادًا عن هذا الحديث: هل سمعه من سفيان؟ فقال له: لا. قال: فقلت: أقرأته عليه؟ قال: لا. قال: فقلت له: فقُرِئ عليه وأنت حاضر [فأقرّ به][٧]؟ فقال: لا. فقلت له: فمن أين جئت به؟! فقال: جاءني به قوم فعرضوه عليَّ، وقالوا لي: اسمعه منا. فقرءوه عليَّ ثم ذهبوا به[٨]، فحدثوا به عني، أو كما قال(١٠).

وقد أجاد ابن جرير في هذا الحديث هاهنا، فإنه موضوع بهذا السند، وقد أكثر ابن جرير من سياقه في أماكن من هذا التفسير، وفيه منكرات كثيرة جدًّا، ولا سيما في أول سورة « **بني إسرائيل** » في ذكر المسجد الأقصىٰ، واللَّه أعلم.

(٨) - صحيح البخاري (٣٠٥٥) ومسلم (٢٩٣٠) من حديث ابن عمر.

(٩) - تفسير الطبري (٦٨/٢٥) ز

(١٠) - تفسير الطبري (٦٨/٢٥).

[١] - كررت في: خ.
[٢] - سقط من: خ.
[٣] - في ز، خ: « خراش ».
[٤] - في ت: « الدجال ».
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز: « كمنزلة ».
[٦] - سقط من ت.
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.
[٨] - سقط من: ز، خ.

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا صفوان ، حدثنا الوليد ، حدثنا خُليد[١] ، عن الحسن ، عن أبي سعيد الخدري -رضي اللَّه عنه- : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : **« يهيج الدخان بالناس ، فأما المؤمن فيأخذه كالزكمة ، وأما الكافر فينفخه حتىٰ يخرج من كل مسمع منه »** .

ورواه سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن أبي سعيد الخدري موقوفًا. ورواه عوف[٢] عن الحسن قوله .

وقال ابن جرير أيضًا : حدثني محمد بن عوف ، حدثنا محمد بن إسماعيل [بن عياش ، حدثني أبي ، حدثني ضمضم بن زرعة ، عن شريح بن عُبَيد][٣] ، عن أبي مالك الأشعري ؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : **« إن ربكم أنذركم ثلاثًا : الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة ، ويأخذ الكافر فينتفخ حتىٰ يخرج من كل مِسْمَع منه ، والثانية الدابة ، والثالثة الدجال »** .

ورواه الطبراني عن هاشم بن يزيد ، عن محمد بن إسماعيل بن عياش به(١١) . وهذا إسناد جيد .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبد اللَّه بن صالح بن مسلم ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن علي -رضي اللَّه عنه- قال : لم تمض آية الدخان بعد ، يأخذ[٤] المؤمن كهيئة الزكام ، وتنفخ الكافر حتىٰ ينفد[٥] .

وروىٰ ابن جرير من حديث الوليد بن جميع ، عن عبد الملك بن المغيرة ، عن عبد الرحمن ابن البيلماني ، عن ابن عمر ؛ قال : يخرج الدخان فيأخذ المؤمن كهيئة الزكام ، ويدخل في مسامع الكافر والمنافق حتىٰ يكون[٦] كالرأس الحنيذ ، أي : المشوي علىٰ الرَّضف .

ثم قال ابن جرير : حدثني يعقوب ، حدثنا ابن علية ، عن ابن جريج ، عن عبد اللَّه بن أبي مليكة ؛ قال : غدوت علىٰ ابن عباس -رضي اللَّه عنهما- ذات يوم[٧] فقال : ما نمتُ[٨] الليلة حتىٰ أصبحت . قلت : لم ؟ قال[٩] : قالوا : طلع الكوكب ذو الذنب ، فخشيت[١٠] أن يكون الدخان قد طرق ، فما نمت حتىٰ أصبحت(١٢) .

---

(١١) - تفسير الطبري (٦٨/٢٥) والمعجم الكبير (٢٩٢/٣) .

(١٢) - تفسير الطبري (٦٨/٢٥) .

---

[١] - في ت : « خليل » .

[٢] - في ز ، خ : « سعيد بن عوف » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز : « تأخذ » .

[٥] - في ز، خ : « تنفذ » .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

[٧] - سقط من : ز ، خ .

[٨] - في ز، خ : « تمن » .

[٩] - سقط من : ز، خ .

[١٠] - في ز، خ : « فحسبت » .

وهكذا رواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن ابن أبي[١] عمر ، عن سفيان ، عن عبد الله[٢] ابن أبي يزيد ، عن عبد الله بن أبي مليكة ، عن ابن عباس فذكره .

وهذا إسناد صحيح إلىٰ ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن . وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين أجمعين[٣] ، مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرهما ، التي أوردناها مما فيه مقنع ودلالة ظاهرة علىٰ أن الدخان من الآيات المنتظرة ، مع أنه ظاهر القرآن . قال الله تعالىٰ : ﴿ **فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين** ﴾ ، أي : بين واضح يراه كل أحد ، وعلىٰ ما فسر به ابن مسعود -رضي الله عنه- : إنما[٤] هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد . وهكذا قوله : ﴿ **يغشىٰ الناس** ﴾ ، أي : يتغشاهم ويَعُمهم ، ولو كان أمرًا خياليًا يخص أهل مكة المشركين لما قيل فيه : ﴿ **يغشىٰ الناس** ﴾ .

وقوله : ﴿ **هذا عذاب أليم** ﴾ . أي : يقال لهم ذلك تقريعًا وتوبيخًا ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **يوم يُدّعون إلىٰ نار جهنم دعًا * هذه النار التي كنتم بها تكذبون** ﴾ أو يقول بعضهم لبعض ذلك . وقوله : ﴿ **ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون** ﴾ . أي : يقول الكافرون إذا عاينوا عذاب الله وعقابه سائلين رفعه وكشفه عنهم ، كقوله : ﴿ **ولو ترىٰ إذ وقفوا علىٰ النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين** ﴾ . وكذا قوله : ﴿ **وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلىٰ أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال** ﴾ وهكذا قال هاهنا : ﴿ **أنّى لهم الذكرىٰ وقد جاءهم رسول مبين * ثم تولوا عنه وقالوا : معلم مجنون** ﴾ .

[يقول : كيف لهم بالتذكر وقد أرسلنا إليهم رسولًا بين الرسالة والنذارة ، ومع هذا تولوا عنه وما وافقوه ، بل كذبوه وقالوا : معلم مجنون][٥] . وهذا كقوله تعالىٰ : ﴿ **يوم يتذكر الإنسان وأنىٰ له الذكرىٰ * يقول ياليتني قدمت لحياتي** ﴾ ، وقوله تعالىٰ : ﴿ **ولو ترىٰ إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب * وقالوا آمنا به وأنىٰ لهم التناوش من مكان بعيد * وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد * وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل إنهم كانوا في شك مريب** ﴾ وقوله : ﴿ **إنَّا كاشفو العذاب قليلًا إنكم عائدون** ﴾ يحتمل معنيين : أحدهما : أنه يقوله تعالىٰ : ولو كشفنا عنكم[٦] العذاب ورجعناكم إلىٰ الدار الدنيا ، لعدتم إلىٰ ما كنتم فيه من الكفر والتكذيب ، كقوله : ﴿ **ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون** ﴾ . وكقوله : ﴿ **ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم**

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - سقط من : ز، خ .

[٣] - سقط من : ز، خ .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٦] - في ز ، خ : « عنهم » .

لكاذبون﴾ والثاني: أن يكون المراد: إنا مؤخرو العذاب عنكم قليلًا بعد انعقاد أسبابه ووصوله إليكم، وأنتم مستمرون فيما أنتم فيه من الطغيان والضلال[١]، ولا يلزم من[٢] الكشف عنهم أن يكون باشرهم[٣]، [كقوله تعالىٰ: **﴿إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلىٰ حين﴾**، ولم يكن العذاب باشرهم][٤] واتصل بهم، بل كان قد انعقد سببه عليهم، ولا يلزم أيضًا أن يكونوا قد أقلعوا عن كفرهم ثم عادوا إليه.

قال الله تعالىٰ إخبارًا عن شعيب أنه قال لقومه حين قالوا: **﴿لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين * قد افترينا على الله كذبًا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها﴾**. وشعيب لم يكن قط على ملتهم وطريقتهم.

وقال قتادة: **﴿إنكم عائدون﴾** إلىٰ عذاب الله.

وقوله تعالىٰ: **﴿يوم نبطش البطشة الكبرىٰ إنا منتقمون﴾**، فسر ذلك ابن مسعود بيوم بدر. وهذا قول جماعة ممن وافق ابن مسعود علىٰ تفسيره الدخان بما تقدم، وروي أيضًا عن[٥] ابن عباس من رواية العوفي، عنه. وعن أبيّ بن كعب وجماعة[٦]، وهو محتمل.

والظاهر أن ذلك يوم القيامة وإن كان يوم بدْر يوم بطشة أيضًا.

قال ابن جرير: حدثني يعقوب، حدثنا ابن علية، حدثنا خالد الحذاء، عن عكرمة؛ قال: قال ابن عباس: قال ابن مسعود: البطشة الكبرىٰ يوم بدر، وأنا أقول: هي يوم القيامة(١٣). وهذا إسناد صحيح عنه، وبه يقول الحسن البصري، وعكرمة في أصح الروايتين عنه.

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ
عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ
مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾
فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾

(١٣) - تفسير الطبري (٢٥/٧٠).

[١] - سقط من: ز، خ.
[٢] - سقط من: ز، خ.
[٣] - سقط من: ز، خ.
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٥] - في ز، خ: «من رواية».
[٦] - بعده في خ: «عنه».

وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ إِنَّهُمۡ جُندٞ مُّغۡرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٢٥﴾
وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ﴿٢٦﴾ وَنَعۡمَةٖ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا
ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدۡ نَجَّيۡنَا
بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرۡعَوۡنَۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيٗا مِّنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ
﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُم مِّنَ ٱلۡأٓيَٰتِ مَا
فِيهِ بَلَٰٓؤٞاْ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾

يقول تعالىٰ : ولقد اختبرنا قبل هؤلاء المشركين قوم فرعون ، وهم قبط مصر ، ﴿ **وجاءهم رسول كريم** ﴾ ، يعني موسىٰ كليمه - عليه السلام - : ﴿ **أن أدوا إليّ عباد الله** ﴾ ، كقوله : ﴿ **فأرسل[١] معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام علىٰ من اتبع الهدىٰ** ﴾

وقوله : ﴿ **إني لكم رسول أمين** ﴾ أي مأمون على ما أبلغكموه . وقوله : ﴿ **وأن لا تعلوا علىٰ الله** ﴾ ، أي : لا تستكبروا عن اتباع آياته ، والانقياد لحججه والإيمان ببراهينه ، كقوله : ﴿ **إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين** ﴾

﴿ **إني آتيكم بسلطان مبين مبين** ﴾ ، أي : بحجة ظاهرة واضحة ، وهي ما أرسله الله به من الآيات البينات والأدلة القاطعات[٢] .

﴿ **وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون** ﴾ قال ابن عباس وأبو صالح : هو الرجم باللسان وهو الشتم ، وقال قتادة : الرجم[٣] بالحجارة ، أي : أعوذ بالله الذي خلقني وخلقكم أن تصلوا إليّ بسوءٍ من قول أو فعل .

﴿ **وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون** ﴾ ، أي : فلا تتعرضوا[٤] لي ودعوا الأمر بيني وبينكم مسالمة إلىٰ أن يقضي الله بيننا ، فلما طال مقامه بين أظهرهم ، وأقام حجج الله عليهم ، كل ذلك وما زادهم ذلك إلا كفرًا وعِنادًا ، دعا ربه عليهم دعوة نفذت فيهم ، كما قال تعالىٰ :

---

[١] - في ز ، خ: « أن أرسل » .
[٢] - في ت : « القاطعة » .
[٣] - في ز، خ : « بالرجم » .
[٤] - في ز ، خ : « تعرضوا » .

﴿ وقال موسىٰ ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس علىٰ أموالهم واشدد علىٰ قلوبهم فلا يؤمنوا حتىٰ يروا العذاب الأليم * قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ﴾ ، وهكذا قال هاهنا : ﴿ فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون ﴾ ، فعند ذلك أمره الله تعالىٰ أن يخرج بني إسرائيل من بين أظهرهم من غير أمر فرعون ومشاورته واستئذانه ، ولهذا قال : ﴿ فأسر بعبادي ليلًا إنكم متبعون ﴾ ، كما قال : ﴿ ولقد أوحينا إلىٰ موسىٰ أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقًا في البحر يبسًا لا تخاف دركًا ولا تخشىٰ ﴾ وقوله هاهنا : ﴿ واترك البحر رهوًا إنهم جند مغرقون ﴾ ، وذلك أن موسىٰ - عليه السلام - لما جاوز هو وبنو إسرائيل البحر ، أراد موسىٰ أن يضربه بعصاه حتىٰ يعود كما كان ، ليصير حائلًا بينهم وبين فرعون ، فلا يصل إليهم . فأمره الله أن يتركه علىٰ حاله ساكنًا ، وبَشَّره بأنهم جند مغرقون فيه ، وأنه لا يخاف دركًا ولا يخشىٰ .

قال ابن عباس : ﴿ واترك البحر رهوًا ﴾ كهيئته وامضه . وقال مجاهد : ﴿ رهوًا ﴾ طريقًا يبسًا كهيئته ، يقول : لا تأمره يرجع ، اتركه حتىٰ يرجع آخرهم . وكذا قال عكرمة ، والربيع بن أنس ، والضحاك ، وقتادة ، وابن زيد ، وكعب الأحبار ، وسماك بن حرب ، وغير واحد .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ كم تركوا من جنات ﴾ - وهي البساتين - ﴿ وعيون * وزروع ﴾ ، والمراد بها الأنهار والآبار ، ﴿ ومقام كريم ﴾ ، وهي المساكن الأنيقة والأماكن الحسنة .

وقال مجاهد وسعيد بن جبير : ﴿ ومقام كريم ﴾ المنابر .

و[١]قال ابن لهيعة ، عن وهب بن عبد الله المعافري ، عن عبد الله بن عمرو ؛ قال : نيل مصر سيد الأنهار ، سخر الله له كل نهر بين المشرق والمغرب ، وذَلَّله له ، فإذا أراد الله أن يُجري نيل مصر أمر كل نهر أن يَمُدّه ، فأمدته الأنهار بمائها ، وفجر الله له الأرض عيونًا ، فإذا انتهىٰ جريه[٢] إلىٰ ما أراد الله ، أوحىٰ الله إلىٰ كل ماء [أن يرجع][٣] إلىٰ عنصره .

وقال في قوله تعالى : ﴿ كم تركوا من جنات وعيون * وزروع ومقام كريم * ونعمة كانوا فيها فاكهين ﴾ ، قال : كانت الجنان بحافتيْ[٤] هذا النيل من أوله إلىٰ آخره في[٥] الشقين جميعًا ، ما بين أسوان إلىٰ رشيد ، وكان له تسعة خلج : خليج إسكندرية ، وخليج دمياط ، وخليج سَرْدَوس ، وخليج مَنْف ، وخليج الفيوم ، وخليج المَنْهَى ، متصلة لا ينقطع منها شيء عن شيء ، وزروع ما بين الجبلين كله من أول مصر إلىٰ آخر ما يبلغه الماء ، وكانت جميع أرض

---

[١] - سقط من : ز، خ .

[٢] - في ز ، خ : « جريته » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز، خ : « ارجع » .

[٤] - في ز، خ : « حافتي » .

[٥] - في ز، خ : « من » .

مصر تروىٰ من ستة عشر ذراعًا ، لما قدروا ودبروا من قناطرها وجسورها وخلجها[١] ، ﴿ **ونعمة كانوا فيها فاكهين** ﴾ ، أي : عيشة كانوا يتفكهون فيها فيأكلون ما شاءوا ويلبسون ما أحبوا ، مع الأموال والجاهات والحكم في البلاد ، فسلبوا ذلك جميعه في صبيحة واحدة ، و[٢]فارقوا الدنيا وصاروا إلىٰ جهنم وبئس المصير ، واستولىٰ علىٰ البلاد المصرية وتلك الحواصل الفرعونية والممالك القبطية بنو إسرائيل ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **كذلك وأورثناها بني إسرائيل** ﴾ ، وقال في موضع آخر : ﴿ **وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنىٰ علىٰ بني إسرائيل بما صبروا، ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون** ﴾ وقال هاهنا : ﴿ **كذلك وأورثناها قومًا آخرين** ﴾ وهم بنو[٣] إسرائيل كما تقدم .

وقوله : ﴿ **فما بكت عليهم السماء والأرض** ﴾ . أي : لم تكن لهم أعمال صالحة تصعد في أبواب السماء فتبكي علىٰ فقدهم ، ولا لهم في الأرض بقاع عبدوا اللَّه فيها[٤] فقدتهم ، فلهذا استحقوا أن لا ينظروا ولا يؤخروا لكفرهم وإجرامهم ، وعتوهم وعنادهم .

قال الحافظ أبو يعلىٰ الموصلىٰ في مسنده : حدثنا أحمد بن إسحاق البصري ، حدثنا مكي[٥] ابن إبراهيم ، حدثنا موسىٰ بن عبيدة ، حدثني يزيد الرّقاشي ، حدثني أنس بن مالك ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **ما من عبد إلا وله في السماء بابان : باب يخرج منه رزقه ، وباب يدخل فيه**[٦] **عمله وكلامه ، فإذا مات فقداه وبكيا عليه** » ، وتلا هذه الآية : ﴿ **فما بكت عليهم السماء والأرض** ﴾ . وذكر أنهم لم يكونوا عملوا علىٰ الأرض عملًا صالحًا يبكي عليهم ، ولم يصعد لهم إلىٰ السماء من كلامهم ولا من عملهم كلام طيب ، ولا عمل صالح فتفقدهم فتبكي عليهم(١٤) .

ورواه[٧] ابن أبي حاتم من حديث موسى بن عبيدة[٨] ، وهو الربذي .

وقال ابن جرير : حدثني يحيىٰ بن طلحة ، حدثنا عيسىٰ بن يونس ، عن صفوان بن عمرو ، عن شريح بن عُبيد الحضرمي ؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن الإسلام بدأ**

---

(١٤) – مسند أبي يعلى (٧/١٦٠) ورواه الترمذي (٣٢٥٥) مختصرًا .وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، موسى بن عبيدة ويزيد بن أبان الرقاشي يضعفان في الحديث .

---

[١] – في ز، خ : « وخليجها » .
[٢] – سقط من : ز، خ .
[٣] – في ز، خ : « بنى » .
[٤] – سقط من : ز، خ .
[٥] – في خ : « بكر » .
[٦] – في ت : « منه » .
[٧] – في ت : « رواه » .
[٨] – في ز : « عبدة » .

غريبًا وسيعود غريبًا ، ألا لا غربة على مؤمن ، ما مات مؤمن في غربة غابت عنه فيها بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض » . [ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ **فما بكت عليهم السماء والأرض** ﴾][١] . ثم قال : « **إنهما لا يبكيان على الكافر** »(١٥) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن عصام ، حدثنا أبو أحمد - يعني الزبيري - حدثنا العلاء بن صالح ، عن المنهال بن عمرو ، عن عباد بن عبد الله ؛ قال : سأل رجل عليًا - رضي الله عنه - : هل تبكي السماء والأرض على أحد ؟ فقال له : لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك ، إنه ليس عبد إلا له مُصَلى في الأرض ، ومصعد عمله من السماء ، وإن آل فرعون لم يكن لهم عمل صالح في الأرض ، ولا عمل يصعد في السماء ، ثم قرأ عليٌّ - رضي الله عنه - : ﴿ **فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين** ﴾ .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا طلق بن غَنَّام[٢] ، عن زائدة ، عن منصور ، عن منهال ، عن سعيد بن جُبَير قال : أتى ابن عباس رجل فقال : يا أبا عباس ، أرأيت قول الله : ﴿ **فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين** ﴾ . فهل تبكي السماء والأرض على أحد ؟ قال : نعم ، إنه ليس أحد من الخلائق إلا وله باب في السماء منه ينزل رزقه ؛ وفيه يصعد عمله ، فإذا مات المؤمن فأغلق بابه من السماء الذي كان يصعد فيه عمله وينزل منه رزقه [ ][٣] بكى عليه ، وإذا فقده مصلاه من الأرض التي[٤] كان يصلي فيها ويذكر الله فيها بكت عليه ، وإن قوم فرعون لم تكن لهم في الأرض آثار صالحة ، ولم يكن يصعد إلى الله منهم خير ، فلم تبك عليهم السماء والأرض(١٦) . وروى العوفي عن ابن عباس نحو هذا .

وقال سفيان الثوري : عن أبي يحيى القَتَّات ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : كان يُقال : تبكي الأرض على المؤمن أربعين صباحًا . [وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وغير واحد .

وقال مجاهد أيضًا : ما مات مؤمن إلا بكت عليه السماء والأرض أربعين صباحًا][٥] . قال : فقلت له : أتبكي الأرض ؟ فقال : أتعجب ؟ وما للأرض لا تبكي على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود ؟ وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتكبيره وتسبيحه فيها دويٌّ كدوي النحل ؟ .

---

(١٥) - تفسير الطبري (٧٥/٢٥) وعزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن أبي الدنيا في « ذكر الموت » .
(١٦) - تفسير الطبري (٧٤/٢٥) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز، خ : « غشام » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « فقد » .
[٤] - في ز، خ : « الذي » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وقال قتادة: كانوا أهون على الله من أن تبكي عليهم السماء والأرض.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا عبد السلام بن عاصم، حدثنا إسحاق ابن إسماعيل، حدثنا المستورد بن سابق، عن عبيد المُكتب، عن إبراهيم قال: ما بكت السماء منذ كانت الدنيا إلا على اثنين. قلت لعبيد: أليس السماء والأرض تبكي على المؤمن؟ قال: ذاك مقامه حيث يصعد عمله. قال: وتدري ما بكاء السماء؟ قلت[١]: لا. قال: تحمر وتصير وردة كالدّهان، إن يحيىٰ بن زكريا لما قتل احمرت السماء وقطرت دمًا. وإن حسين بن علي لما قتل احمرت السماء.

وحدثنا علي بن الحسين، حدثنا أبو غسان محمد بن عمرو - زُنَيج - حدثنا جرير، عن يزيد بن أبي زياد قال: لما قتل الحسين[٢] بن علي - رضي الله عنهما - احمرت آفاق السماء أربعة أشهر. قال يزيد: واحمرارها بكاؤها. وهكذا قال السدي الكبير.

وقال عطاء الخراساني: بكاؤها أن تحمرّ أطرافها.

وذكروا أيضًا في مقتل الحسين أنه ما قلب حجر يومئذ[٣] إلا وجد تحته دم عَبيط، وأنه كسفت الشمس واحمر الأفق وسقطت حجارة. وفي كل ذلك نظر، والظاهر أنه من سُخْف[٤] الشيعة وكذبهم، ليعظّموا الأمر - ولا شك أنه عظيم - ولكن لم يقع هذا الذي اختلقوه وكذبوه، وقد وقع ماهو أعظم من قتل الحسين - رضي الله عنه - ولم يقع شيء مما ذكروه، فإنه قد قُتل أبوه علي بن أبي طالب، وهو أفضل منه بالإجماع ولم يقع ذلك، وعثمان بن عفان قتل محصورًا مظلومًا، ولم يكن شيء من ذلك، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه قتل في المحراب في صلاة الصبح، وكأن المسلمين لم تطرقهم مصيبة قبل ذلك، ولم يكن شيء من ذلك.

وهذا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وهو سيد البشر في الدنيا والآخرة يوم مات لم يكن شيء مما ذكروه. ويوم مات إبراهيم ابن النبي صلىٰ الله عليه وسلم خسفت الشمس فقال الناس: خسفت لموت إبراهيم، فصلىٰ بهم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم صلاة الكسوف، وخطبهم وبين لهم أنّ الشمس والقمر لا يَنْخَسِفان لموت أحد ولا لحياته(١٧).

وقوله: ﴿ **ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين * من فرعون إنه كان عاليًا من المسرفين** ﴾. يمتن عليهم تعالىٰ بذلك، حيث أنقذهم مما كانوا فيه من إهانة فرعون وإذلاله

(١٧) - رواه البخاري في صحيحه برقم (١٠٤٣) ومسلم في صحيحه (٩١٥).

[١] - في ز، خ: «قال».
[٢] - في ت: «حسين».
[٣] - سقط من: خ.
[٤] - في ز، خ: «خسف».

لهم ، وتسخيره إياهم في الأعمال المهينة الشاقة .

وقوله : ﴿من فرعون إنه كان عاليًا﴾ أي : مستكبرًا جبارًا عنيدًا . وكقوله : ﴿إن فرعون علا في الأرض﴾ وقوله : ﴿فاستكبروا وكانوا قومًا عالين﴾ ، سَرِفًا في أمره ، سخيف الرأي علىٰ نفسه .

وقوله : ﴿ ولقد اخترناهم علىٰ علم علىٰ العالمين ﴾ ، قال مجاهد : ﴿ اخترناهم علىٰ علم علىٰ العالمين ﴾ ، علىٰ مَن هم بين ظَهْرَيه .

وقال قتادة : اختيروا علىٰ أهل زمانهم ذلك . وكان يقال : إن لكل زمان عالمًا وهذه كقوله تعالى : ﴿قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس﴾ أي : أهل زمانه ، وكقوله لمريم : ﴿ واصطفاك علىٰ نساء العالمين ﴾ ، أي : في زمانها ، فإن خديجة أفضل منها وكذا آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، أو[١] مساوية لها في الفضل ، وفضل عائشة علىٰ النساء كفضل الثريد علىٰ سائر الطعام » .

وقوله : ﴿ وآتيناهم من الآيات ﴾ ، أي : الحجج والبراهين وخوارق العادات ﴿ مافيه بلاء مبين ﴾ ، أي : اختبار ظاهر جليّ[٢] لمن اهتدىٰ به .

إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾

يقول تعالىٰ منكرًا علىٰ المشركين في إنكارهم البعث والمعاد ، وأنه ما ثَمَّ إلا هذه الحياة الدنيا ، ولا حياة بعد الممات ، ولا بعث ولا نشور . ويحتجون بآبائهم الماضين الذين ذهبوا فلم يرجعوا ، فإن كان البعث حقًّا ﴿ فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين ﴾ . وهذه حجة باطلة وشبهة فاسدة ، فإن المعاد إنما هو يوم القيامة لا في هذه الدار ، بعد انقضائها وذهابها وفراغها يعيد اللَّه العالمين خلقًا جديدًا ، ويجعل الظالمين لنار جهنم وقودًا ، يوم تكونون[٣] شهداء علىٰ الناس ويكون الرسول عليكم شهيدًا .

ثم قال تعالىٰ متهددًا لهم ، ومتوعدًا ومنذرًا لهم بأسه الذي لا يُرد ، كما حل بأشباههم ونظرائهم من المشركين والمنكرين للبعث ، وكقوم[٤] تبع - وهم سبأ - حيث أهلكهم اللَّه

[١] - في ز ، خ : « إما » . [٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز، خ : « تكونوا » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز، خ :وكقوم .

وخَرّب بلادهم ، وشرّدهم في البلاد ، وفرقهم شَذَر مَذَر ، كما تقدم ذلك في سورة سبأ ، وهي مُصَدّرة بإنكار المشركين للمعاد . وكذلك هاهنا شَبّههم بأولئك ، وقد كانوا عربًا من قحطان [كما أن][١] هؤلاء عرب من عدنان ، وقد كانت حمير - وهم سبأ - كلما مَلكَ فيهم رجل سموه تُبّعًا ، كما يقال : كسرىٰ لمن ملك الفرس ، وقيصر لمن ملك الروم ، وفرعون لمن ملك مصر كافرًا ، والنجاشي لمن ملك الحبشة ، وغير ذلك من أعلام الأجناس .

ولكن اتفق أن بعض تبابعتهم خرج من اليمن وسار في البلاد حتىٰ وصل إلىٰ سمرقند ، واشتد ملكه وعظم سلطانه وجيشه ، واتسعت مملكته وبلاده ، وكثرت رعاياه وهو الذي مَصّر الحيرة فاتفق أنه مَرّ بالمدينة النبوية وذلك في أيام الجاهلية ، فأراد قتال أهلها فمانعوه وقاتلوه بالنهار ، وجعلوا يَقْرُونه بالليل ، فاستحيا منهم وكَفّ عنهم ، واستصحَبَ معه حَبْرين من أحبار يهود كانا قد نصحاه وأخبراه أنه لا سبيل له علىٰ هذه البلدة ، فإنها مُهَاجَرُ نَبيّ يكون في آخر الزمان ، فرجع عنها وأخذهما معه إلىٰ بلاد اليمن ، فلما اجتاز بمكة أراد هدم الكعبة فنهياه أيضًا ، وأخبراه بعظمة هذا البيت ، وأنه من بناية إبراهيم الخليل وأنه سيكون له شأن عظيم علىٰ يدي ذلك النبي المبعوث في آخر الزمان ، فعظمها وطاف بها ، وكساها المُلاء والوصائل والحِبير . ثم كرّ راجعًا إلىٰ اليمن ودعا أهلها إلىٰ التهود معه ، وكان إذ ذاك دين موسىٰ - عليه السلام - فيه من يكون علىٰ الهداية قبل بعثة المسيح - عليه السلام - فتهود معه عامة أهل اليمن . وقد ذكر القصة بطولها الإمام محمد بن إسحاق في كتابه « **السيرة** »(١٨) .

وقد ترجمه الحافظ [ابن عساكر] في تاريخه ترجمة حافلة(١٩) ، أورد فيها أشياء كثيرة مما ذكرنا ومالم نذكر . وذكر أنه ملك دمشق ، وأنه كان إذا استعرض الخيل صُفّت له [الخيل][٢] من دمشق إلىٰ اليمن . ثم ساق من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن ابن أبي ذئب ، عن المقبري ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **ما أدري الحدُودِ طهارة لأهلها أم لا ؟ ولا أدري تُبّع لَعينًا كان أم لا ؟ ولا أدري ذو القرنين نبيًا كان أم ملكا ؟** » وقال غيره : « **أعزيرًا كان نبيًا أم لا ؟** » . و[٣]كذا رواه ابن أبي حاتم ، عن محمد بن حماد الطّهراني ، عن عبد الرزاق(٢٠) .

---

(١٨) - السيرة النبوية (١٩/١) .

(١٩) - تاريخ دمشق مخطوط (٥٠٠/٣) .

(٢٠) - ورواه الحاكم في المستدرك (٣٦/١) من طريق عبد الرزاق به . ورواه أبو داود في سننه (٤٦٧٤) من طريق عبد الرزاق به إلا أنه قال : « عزير » بدل « ذو القرنين » .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز، خ : « فإن » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من ت . [٣] - سقط من : ز، خ .

قال الدارقطني : تفرد به عبد الرزاق ، ثم روىٰ ابن عساكر من طريق محمد بن كريب ، عن أبيه ، عن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - مرفوعًا : « **عُزير لا أدري أنبيًا كان أم لا ؟ ولا أدري [ألعين تُبع][١] أم لا ؟** »(٢١) .

ثم أورد ما جاء في النهي عن سبه ولعنته كما سيأتيٰ . وكأنه - واللَّه أعلم - كان كافرًا ثم أسلم ، وتابع دينَ الكليم[٢] علىٰ يَدَيْ مَن كان من أحبار اليهود في ذلك الزمان علىٰ الحق قبل بعثة المسيح - عليه السلام - وحج البيت في زمن الجُرهُميين ، [وكساه الملاء والوصائل من الحرير والحبر ونحر عنده ست آلاف بدنة وعظمه وأكرمه . ثم عاد إلىٰ][٣] اليمن . وقد ساق قصته بطولها الحافظ ابن عساكر من طرق متعددة مطولة مبسوطة عن أبي بن كعب ، وعبد اللَّه ابن سَلاَم ، وعبد اللَّه بن عباس، وكعب الأحبار . وإليه المرجع في ذلك كله ، وإلىٰ عبد اللَّه ابن سلام أيضًا ، وهو أثبت وأكبر وأعلم .

وكذا روىٰ قصته وهب بن مُنَبِّه ، ومحمد بن إسحاق في « السيرة » كما هو مشهور فيها . وقد اختلط علىٰ الحافظ ابن عساكر في بعض السياقات ترجمة تُبَّع هذا[٤] بترجمة آخر[٥] متأخر عنه بدهر طويل ، فإن تُبَّعًا هذا المشارَ إليه في القرآن أسلم قومه علىٰ يديه ، ثم لما مات عادوا بعده إلىٰ عبادة الأصنام والنيران ، فعاقبهم اللَّه تعالىٰ كما ذكر[٦] في سورة سبأ ، وقد بسطنا قصتهم هنالك ، وللَّه الحمد والمنة .

وقال سعيد بن جبير: كسا تبع الكعبة، وكان سعيد ينهىٰ عن سبه .

وتُبَّع هذا هو تُبَّع الأوسط ، واسمه أسعد أبو كريب بن مَلْكيكَرب اليماني ، ذكروا أنه ملك علىٰ قومه ثلاثمائة سنة وستًّا[٧] وعشرين سنة ، ولم يكن في حمير أطول مُدَّة منه ، وتوفي قبل مبعث رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بنحو من سبعمائة عام . وذكروا أنه لما ذكر له الحَبْران من يهود المدينة أن هذه البلدة[٨] مُهاجَرُ [نبي في آخر الزمان][٩] ، اسمه أحمد ، قال في ذلك شعرًا واستودعه عند أهل المدينة . وكانوا يتوارثونه ويَرْوُونه خلفًا عن سلف . وكان ممن يحفظه

---

(٢١) - تاريخ دمشق (٣/٥٠١) مخطوط .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « ألعن تتبعًا » .

[٢] - في ز ، خ : « الخليل » . وفي هامش ز : لعله الكليم .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - سقط من : ز، خ .

[٥] - سقط من : ز ، خ.

[٦] - في ت : « ذكره » .

[٧] - في ز ، خ : « وستة » .

[٨] - في ز، خ : « المدينة » .

[٩] - ما بين المعكوفتين في ت : « نبي آخر في الزمان » .

أبو أيوب خالد بن زيد الذي نزل رسول الله صلىٰ اللَّه عليه وسلم في داره ، وهو :

شَهِدْتُ عَلَىٰ أحْمَدَ أنَّه رَسُولٌ مِنَ اللَّه بَاري النَّسَمْ
فَلَو مُدّ عُمْري إلَىٰ عُمْره لَكُنْتُ وَزيرًا له وابنَ عَمْ
وَجَاهَدْتُ بالسَّيف أعْدَاءَهُ وَفَرّجتُ عَنْ صَدْره كُلّ غَمْ

وذكر ابن أبي الدنيا ؛ أنه حُفر قبر بصنعاء في الإسلام ، فوجدوا فيه امرأتين صحيحتين ، وعند رءوسهما لوح من فضة مكتوب فيه بالذهب : هذا قبر حبي ولميس - ورُوِي : حبي وتماضر - ابنتي تبع ، ماتتا وهما تشهدان[١] أن لا إله إلا اللَّه ولا تشركان[٢] به شيئًا ، وعلىٰ ذلك مات الصالحون قبلهما .

وقد ذكرنا في سورة « سبأ » شعر سبأ في ذلك أيضًا .

قال قتادة : ذكر لنا أن كعبًا كان يقول في تبع : نُعِتَ نعت الرجل الصالح ، ذم اللَّه تعالىٰ قومه ولم يذمه . قال : وكانت عائشة تقول : لا تسبوا تُبّعًا فإنه قد كان رجلًا صالحًا .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا صفوان ، حدثنا الوليد ، حدثنا عبد اللَّه بن لَهِيعة ، عن أبي زُرْعة - يعنىٰ عمرو بن جابر الحضرمي - قال[٣] : سمعت سهل بن سعد الساعدي يقول : قال رسول الله صلىٰ اللَّه عليه وسلم : **« لا تسبوا تبعًا فإنه قد كان أسلم »** .

ورواه الإمام أحمد في مسنده عن حسن بن موسى ، عن ابن لهيعة به(٢٢) .

وقال الطبراني : حدثنا أحمد بن علي الأبار ، حدثنا أحمد بن محمد بن أبي بَزّة[٤] ، حدثنا مؤمل بن إسماعيل ، حدثنا سفيان ، عن سماك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : **« لا تسبوا تبعًا فإنه قد أسلم »**(٢٣) .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن ابن أبي ذئب ، عن المقبري ، عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : **« ما أدري تبع نبيًا كان أم غير نبي؟ »** .

وتقدم بهذا السند من رواية ابن أبي حاتم ، كما أورده ابن عساكر: **« لا أدري تبع كان لعينًا أم لا ؟ »** . فاللَّه أعلم.

---

(٢٢) - المسند (٣٤٠/٥) .

(٢٣) - المعجم الكبير (٢٩٦/١١) وقال الهيثمي : فيه أحمد بن أبي بزة المكي ، ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات .

---

[١] - في ز ، خ: « يشهدان » .
[٢] - في ز، خ : « يشر كان » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في خ : « برزة » .

ورواه ابن عساكر من طريق زكريا بن يحيىٰ البَدِيّ[١] ، عن عكرمة ، عن ابن عباس موقوفًا .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا عمران أبو الهذيل ، أخبرني تميم بن عبد الرحمن قال : قال عطاء ابن أبي رباح : لا تسبوا تبعًا ، فإن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم نهىٰ عن سبّه (٢٤) .

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن عَدْله وتنزيهه[٢] نَفْسَه[٣] عن اللعب والعبث والباطل ، كقوله : ﴿ **وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلًا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار** ﴾ وقال : ﴿ **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا وأنكم إلينا لا ترجعون * فتعالىٰ اللّٰه الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم** ﴾ . ثم قال : ﴿ **إن يوم الفصل** ﴾ وهو يوم القيامة ، يفصل اللّٰه فيه بين الخلائق ، فيعذب الكافرين ويثيب المؤمنين .

وقوله : ﴿ **ميقاتهم أجمعين** ﴾ ، أي : يجمعهم كلَّهم أولهم وآخرهم ، ﴿ **يوم لا يغني مولى عن مولى شيئًا** ﴾ أي : لا ينفع قريب قريبًا ، كقوله : ﴿ **فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون** ﴾ [وكقوله ﴿ **ولا يسأل حميم حميما يبصرونهم** ﴾][٤] أي : لا يسأل أخًا له عن حاله وهو يراه عيانًا .

وقوله : ﴿ **ولا هم ينصرون** ﴾ أي : لا ينصر القريب قريبه ، ولا يأتيه نصره من الخارج[٥] .

ثم قال : ﴿ **إلا من رحم الله** ﴾ ، أي : لا ينفع يومئذ إلا مَن رَحِمَهُ الله - عز وجل - لخلقه ﴿ **إنه هو العزيز الرحيم** ﴾ ، أي : هو عزيز ذو رحمة واسعة .

إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ

(٢٤) - تفسير عبد الرزاق (١٧١/٢) .

[١] - في ز ، خ : « المدني » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - زيادة من : ز .

[٥] - في ز : « خارج » .

﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عما يعذِّب به الكافرين الجاحدين للقائه : ﴿ **إن شجرة الزقوم * طعام الأثيم** ﴾ ، والأثيم : أي في قوله وفعله ، وهو الكافر ، وذكر غير واحد أنه أبو جهل ، ولا شك في دخوله في هذه الآية ، ولكن ليست خاصة به .

قال ابن جرير : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن هَمَّام بن الحارث : أن أبا الدرداء كان يقرئ رجلًا : [﴿ **إن شجرة الزقوم * طعام**][١] [**الأثيم** ﴾ ، فقال : طعام اليتيم . فقال أبو الدرداء قل][٢] : [إن شجرة الزقوم][٣] طعام الفاجر . أي : ليس له طعام من غيرها . قال مجاهد : ولو وقعت منها قطرة في الأرض لأفسدت علىٰ أهل الأرض معايشهم . وقد تقدم نحوه مرفوعًا .

وقوله : ﴿ **كالمهل** ﴾ قالوا : كعكر[٤] الزيت ، ﴿ **يغلي في البطون * كغلي الحميم** ﴾ ، أي : من حرارتها ورداءتها ، وقوله ﴿ **خذوه** ﴾ ، أي : الكافر ، وقد ورد أنه تعالىٰ إذا قال للزبانية : ﴿ **خذوه** ﴾ ابتدره سبعون ألفًا منهم .

﴿ **فاعتلوه** ﴾ أي : سوقوه سحبًا ودفعًا في ظهره[٥] .

قال مجاهد : ﴿ **خذوه فاعتلوه** ﴾ أي : خذوه فادفعوه .

وقال الفرزدق :

لَيسَ الكِرَامُ بِنَاحِلِيكَ أَبَاهُمُ   حَتَّىٰ تُرَدَّ[٦] إِلَىٰ عَطِيَّة تُعْتَلُ

﴿ **إلىٰ سواء الجحيم** ﴾ ، أي : وسطها ، ﴿ **ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم** ﴾ ، كقوله : ﴿ **يصب من فوق رءوسهم الحميم * يصهر به ما في بطونهم والجلود** ﴾ وقد تقدم أن المَلَكَ يضربه بمقْمعَة من حديد ، فيفتح[٧] دماغه ثم يصب الحميم علىٰ رأسه فينزل في بدنه ،

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - في ت : « كعقر » .
[٥] - في ت : « صدره » .
[٦] - في ز ، خ: « يرَدّ » .
[٧] - في ت : « تفتح » .

فيسلت ما في بطنه من أمعائه ، حتىٰ تمرق من كعبيه - أعاذنا اللّه تعالىٰ من ذلك - ! .

وقوله : ﴿ **ذق إنك أنت العزيز الكريم** ﴾ أي : قولوا[١] له ذلك على وجه التهكم والتوبيخ .

و[٢]قال الضحاك : عن ابن عباس : أي لست بعزيز و[٣]لا كريم .

وقد قال الأموي في « مغازيه » : حدثنا أسباط ، حدثنا أبو بكر الهُذَلي ، عن عكرمة قال : لقي رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم أبا جهل - لعنه الله ! - فقال : « **إن اللّه تعالىٰ أمرني أن أقول لك** : ﴿ **أولىٰ لك فأولىٰ * ثم أولىٰ لك فأولىٰ** ﴾ » . قال : فنزع ثوبه من يده وقال : ما تستطيع لي أنت ولا صاحبك من شيء . ولقد علمت أني أمنعُ أهل البطحاء ، وأنا العزيز الكريم . قال : فقتله اللّه تعالىٰ يوم بدر وأذله وعَيّره بكلمته ، وأنزل : ﴿ **ذق إنك أنت العزيز الكريم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إن هذا ماكنتم به تمترون** ﴾ ، كقوله : ﴿ **يوم يُدعّون إلىٰ نار جهنم دعًا * هذه النار التي كنتم بها تكذبون * أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون** ﴾ . ولهذا[٤] قال هاهنا : ﴿ **إن هذا ما كنتم به تمترون** ﴾ .

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

لما ذكر تعالىٰ حال الأشقياء عطف بذكر السعداء - ولهذا سُمّي القرآن مثاني - فقال : ﴿ **إن المتقين** ﴾ ، أي : للّه في الدنيا ﴿ **في مقام أمين** ﴾ . أي : في الآخرة وهو الجنة ، قد أمنوا فيها من الموت والخروج ، ومن كل هم وحزن وجزع وتعب ونصب ، ومن الشيطان وكيده ، وسائر الآفات والمصائب ﴿ **في جنات وعيون** ﴾ . وهذا في مقابلة ما أولئك فيه من شَجَر الزقوم ، وشرب الحميم .

---

[١] - في ت : « قل » .

[٢] - سقط من : ز ، خ.

[٣] - سقط من : ز، خ .

[٤] - في ت : « وكهذا » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **يلبسون من سندس** ﴾ ، وهو : رفيع الحرير ، كالقمصان ونحوها ، ﴿ **وإستبرق** ﴾ ، وهو : مافيه بريق ولمعان وذلك كالرياش ، وما يلبس علىٰ أعالي القماش . ﴿ **متقابلين** ﴾ ، أي : علىٰ السرر ، لا يجلس أحد منهم وظهره إلىٰ غيره .

وقوله : ﴿ **كذلك وزوجناهم بحور عين** ﴾ ، أي : هذا العطاء مع ما قد منحناهم من الزوجات الحور العين الحسان اللاتي ﴿ **لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان** ﴾ ، ﴿ **كأنهن الياقوت والمرجان** ﴾ ، ﴿ **هل جزاء الإحسان إلا الإحسان** ﴾ .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا نوح بن حبيب ، حدثنا نَصر[١] بن مُزاحم العَطّار ، حدثنا عمر بن سعد ، عن رجل ، عن أنس - رفعه نوح - قال : « **لو أن حوراء بزقت في بحر** لُجيّ ، لعذب ذلك الماء لعذوبة ريقها »(٢٥) .

وقوله : ﴿ **يدعون فيها بكل فاكهة آمنين** ﴾ ، أي : مهما طلبوا من أنواع الثمار أحضر لهم ، وهم آمنون من انقطاعه وامتناعه ، بل يحضر لهم[٢] كلما أرادوا .

وقوله : ﴿ **لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولىٰ** ﴾ ، هذا الاستثناء يؤكد النفى ، فإنه استثناء منقطع ، ومعناه : أنهم لا يذوقون فيها الموت أبدًا . كما ثبت في الصحيحين أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **يؤتىٰ بالموت في صورة كبش أملح ، فيوقف بين الجنة والنار ثم يذبح ، ثم يقال : يا أهل الجنة ؛ خلود فلا موت ، ويا أهل النار ، خلود فلا موت** » .

وقد تقدم الحديث في سورة مريم(٢٦) .

وقال عبد الرزاق : حدثنا سفيان الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن أبي[٣] مسلم الأغر ، عن أبي سعيد وأبي هريرة - رضي اللّٰه عنهما - قالا : قال رسول الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **يقال لأهل الجنة : إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا ، وإن لكم أن تعيشوا فلا تموتوا أبدًا ، وإن لكم أن تنعموا فلا تَبْأسوا أبدًا ، وإن لكم أن تَشِبّوا فلا تهرموا أبدًا** » . رواه مسلم ، عن إسحاق بن راهوية وعبد بن حُمَيد ، كلاهما عن عبد الرزاق به[٤](٢٧) .

---

(٢٥) - ورواه أبو نعيم في صفة الجنة (٣٨٦) من وجه آخر ، فرواه من طريق محمد بن إسماعيل الحساني عن منصور الواسطي عن أبي نصر الآبار عن أنس مرفوعًا بنحوه .

(٢٦) - تقدم عند الآية (٣٩) من سورة مريم .

(٢٧) - مسلم (٢٨٣٧) .

---

[١] - في ز ، خ : « نعمة » .

[٢] - في ت : «إليهم » .

[٣] - في ز، خ : « ابن » .

[٤] - سقط من ت .

هكذا يقول أبو إسحاق وأهل العراق : « **أبو مسلم الأغر** » . وأهل المدينة يقولون : « **أبو عبد الله الأغر** » .

وقال أبو بكر بن أبي داود السجستاني : حدثنا أحمد بن حفص ، عن أبيه ، عن إبراهيم ابن[١] طَهْمَان ، عن الحجاج - هو : ابن حجاج - ، عن عبادة ، عن عبيد الله بن عمرو ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **من اتقىٰ الله دخل الجنة ، ينعم فيها ولا يبأس ، ويحيا فيها فلا يموت ، لا تبلىٰ ثيابه ولا يفنىٰ شبابه** »(٢٨) .

وقال أبو القاسم الطبراني : حدثنا أحمد بن يحيىٰ ، حدثنا عمرو بن محمد[٢] الناقد ، حدثنا سليمان بن عبيد[٣] الله الرقي ، حدثنا مصعب بن إبراهيم ، حدثنا عمران بن الربيع الكوفي ، عن يحيىٰ بن سعيد الأنصاري ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر - رضي الله عنه - قال : سئُل نَبيّ الله صلىٰ الله عليه وسلم : أينام أهل الجنة ؟ فقال : « **النوم أخو الموت ، وأهل الجنة لا ينامون** »(٢٩) .

وهكذا رواه . أبو بكر بن مَرْدُويه في تفسيره : حدثنا أحمد بن القاسم بن صدقة المصري ، حدثنا المقدام بن داود ، حدثنا عبد الله بن المغيرة ، حدثنا سفيان الثوري ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **النوم أخو الموت ، وأهل الجنة لا ينامون** »(٣٠) .

وقال أبو بكر البزار في مسنده : حدثنا الفضل بن يعقوب ، حدثنا محمد بن يوسف الفريابي ، عن سفيان ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر قال : قيل[٤] : يا رسول الله ، هل ينام أهل الجنة ؟ قال : « **لا ، النوم أخو الموت** » . ثم قال : لا نعلم أحدًا أسنده عن ابن المنكدر عن جابر إلا الثوري ، ولا عن الثوري ، إلا الفريابي(٣١) . هكذا قال . وقد تقدم خلاف ذلك ، والله أعلم .

---

(٢٨) - ورواه الطبراني في الأوسط (٤٨٩٥) مجمع البحرين .

(٢٩) - مجمع البحرين (٤٨٧٥) .

(٣٠) - ورواه أبونعيم في الحلية (٧/٩٠) من طريق أحمد بن القاسم ، عن المقدام بن داود به . وقال : غريب من حديث الثوري ، تفرد به عبد الله .

(٣١) -كشف الأستار (٣٥١٧) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٤١٥) : رجال البزار رجال الصحيح .

---

[١] - في ز ، خ : « عن » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : عبد .

[٤] - سقط من : ز، خ .

وقوله : ﴿ **ووقاهم عذاب الجحيم** ﴾ ، أي : مع هذا النعيم العظيم المقيم قَد وَقاهم ، وسلمهم ونجاهم وزحزحهم من العذاب الأليم في دَركات الجحيم ، فحصل لهم المطلوب ، ونجاهم من المرهوب ، ولهذا قال : ﴿ **فضلًا من ربك ذلك هو الفوز العظيم** ﴾ ، أي : إنما كان هذا بفضله عليهم وإحسانه إليهم ، كما ثبت في الصحيح عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أنه قال : « **اعملوا وسددوا وقاربوا ، واعلموا أن أحدًا لن يُدخِلَه عملُه الجنة** » . قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « **ولا أنا ، إلا أن يَتَغمّدني اللّٰه برحمة منه وفضل** »(٣٢) .

وقوله : ﴿ **فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون** ﴾ ، أي : إنما يسرنا هذا القرآن الذي أنزلناه سهلًا واضحًا بينًا جليًا بلسانك الذي هو أفصح اللغات وأجلاها وأحلاها وأعلاها ﴿ **لعلهم يتذكرون** ﴾ ، أي[١] : يتفهمون ويعملون .

ثم لما كان مع هذا البيان والوضوح من الناس مَنْ كفر وخالف وعاند ، قال اللّٰه تعالىٰ لرسوله [مسليًا له وواعدًا][٢] له بالنصر ، ومتوعدًا لمن كذبه بالعطب والهلاك : ﴿ **فارتقب** ﴾ ، أي : انتظر ﴿ **إنهم مرتقبون** ﴾ ، أي : فسيعلمون[٣] لمن يكون النصر[٤] والظفر وعُلُوّ الكلمة في الدنيا والآخرة ، فإنها لك يا محمد ولإخوانك من النبيين والمرسلين ومن اتبعكم من المؤمنين ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **كتب اللّٰه لأغلبن أنا ورسلي. إن اللّٰه قوي عزيز** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد * يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار** ﴾ .

[آخر تفسير سورة الدخان . ولله الحمد والمنة ، وبه التوفيق والعصمة][٥] .

☆ ☆ ☆

(٣٢) - صحيح البخاري (٦٤٦٧) من حديث عائشة .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « ووعدًا » .

[٣] - في ز، خ : « فستعلمون » .

[٤] - في خ : « النصرة » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ .

تفسير سورة الجاثية

وهي مكية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾

يُرشدُ تعالىٰ خَلْقه إلىٰ التفكر في آلائه ونعَمه ، وقدرته العظيمة التي خلق بها السمٰوات والأرض ، وما فيهما من المخلوقات المختلفة الأجناس والأنواع ، من الملائكة والجن والإنس ، والدواب والطيور والوحوش والسباع والحشرات ، وما في البحر من الأصناف المتنوعة ، واختلاف الليل والنهار ، في تعاقبهما دائبين لا يفتران ، هذا بظلامه وهذا بضيائه ، وما أنزل اللّٰه تعالىٰ من السحاب من المطر في وقت الحاجة إليه ، وسماه رزقًا لأن به يحصل الرزق ، ﴿ **فأحيا به الأرض بعد موتها** ﴾ ، أي : بعد ما كانت هامدة لا نَبات فيها ولا شيء .

وقوله : ﴿ **وتصريف الرياح** ﴾ أي : جنوبًا ، وشآمًا[١] ، ودبورًا وصبًا ، بحرية وبرية ، ليلية ونهارية . ومنها ما هو للمطر ، ومنها ما هو للقاح ، ومنها ما هو غذاء الأرواح ، ومنها ما هو عقيم .

وقال أولًا : ﴿ **لآيات للمؤمنين** ﴾ ، ثم ﴿ **يوقنون** ﴾ ثم ﴿ **يعقلون** ﴾ ، وهو تَرَق من حال شريف إلىٰ ما هو أشرف منه وأعلىٰ . وهذه الآيات شبيهة بآية « البقرة » وهي قوله : ﴿ **إن في خلق السمٰوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل اللّٰه من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآياتٍ لقوم يعقلون** ﴾ .

قد أورد ابن أبي حاتم هاهنا عن وهب بن منبه أثرًا طويلًا غريبًا في خلق الإنسان من الأخلاط الأربعة .

تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ

[١] - في خ : « وشمالًا » .

﴿لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٩ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠ هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ۝١١﴾

يقول تعالىٰ : هذه آيات اللّٰه - يعني القرآن بما فيه من الحجج والبينات - ﴿ **نتلوها عليك بالحق** ﴾ ، أي : متضمنة الحق من الحق ، فإذا كانوا لا يؤمنون بها ولا ينقادون لها ، فبأي حديث بعد اللّٰه وآياته يؤمنون ؟ ! ثم قال : ﴿ **ويل لكل أفاك أثيم** ﴾ ، أي : أفاك في قوله كذاب ، حلاف مهين أثيم في فعله وَقيلِهِ كافر بآيات اللّٰه ، ولهذا قال : ﴿ **يسمع آيات اللّٰه تتلىٰ عليه** ﴾ ، أي : تقرأ عليه ﴿ **ثم يصر** ﴾ ، أي : علىٰ كفره وجُحُوده استكبارًا وعنادًا ﴿ **كأن لم يسمعها** ﴾ ، أي : كأنه ما سمعها ، ﴿ **فبشره بعذاب أليم** ﴾ أي[١] فأخبِرْه أن له عند اللّٰه يوم القيامة عذابًا أليمًا موجعًا .

﴿ **وإذا علم من آياتنا شيئًا اتخذها هزوًا** ﴾ . أي : إذا حفظ شيئًا من القرآن كفر به واتخذه سخريًا وهُزُوًا ، ﴿ **أولئك لهم عذاب مهين** ﴾ ، أي : في مقابلة ما استهان بالقرآن واستهزأ به ؛ ولهذا روىٰ مسلم في صحيحه عن ابن عمر(١) قال : نهىٰ[٢] رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أن يُسَافرَ بالقرآن إلىٰ أرض العدو مخافةَ أن يناله العدو .

ثم فسر العذاب الحاصل له يوم معاده فقال : ﴿ **من ورائهم جهنم** ﴾ ، أي : كل من اتصف بذلك سيصيرون إلىٰ جهنم يوم القيامة ، ﴿ **ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئًا** ﴾ ، أي : لا تنفعهم أموالهم ولا أولادهم ، ﴿ **ولا ما اتخذوا من دون اللّٰه أولياء** ﴾ ، أي : ولا تغني عنهم الآلهة التي عبدوها من دون اللّٰه شيئًا ، ﴿ **ولهم عذاب عظيم** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **هذا هدى** ﴾ ، يعني القرآن ، ﴿ **والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم** ﴾ . وهو المؤلم[٣] الموجع .

(١) - صحيح مسلم حديث (١٨٦٩) .

[١] - زيادة من : ز .
[٢] - في خ : « نبئ » .
[٣] - في ز، خ : « المقلق » .

﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٣) قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١٥) ﴾

يذكر تعالىٰ نِعَمه علىٰ عبيده فيما سخر لهم من البحر ﴿ **لتجري الفلك** ﴾ ، وهي السفن فيه بأمره تعالىٰ ، فإنه هو الذي أمر البحر أن يحملها ﴿ **ولتبتغوا من فضله** ﴾ ، أي : في المتاجر والمكاسب ، ﴿ **ولعلكم تشكرون** ﴾ ، أي : علىٰ حصول المنافع المجلوبة إليكم من الأقاليم النائية والآفاق القاصية .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **وسخر لكم ما في السمٰوات وما في الأرض** ﴾ أي : من الكواكب والجبال ، والبحار والأنهار ، وجميع ما تنتفعون به ، أي[١] : الجميع من فضله وإحسانه وامتنانه ؛ ولهذا قال : ﴿ **جميعًا منه** ﴾ أي : من عنده وحده لا شريك له في ذلك ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون** ﴾ .

وروىٰ ابن جرير من طريق العَوفي ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعًا منه** ﴾ : كل شيء هُو من الله ، وذلك الاسم فيه[٢] اسم من أسمائه ، فذلك[٣] جميعًا منه ، ولا ينازعه فيه المنازعون ، واستيقن[٤] أنه كذلك .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن خلف العسقلاني ، حدثنا الفريابي ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن أبي أراكة قال : سأل رجل عبد الله بن عَمرو قال[٥] : ممّ خُلق الخلق ؟ قال : من النور والنار ، والظلمة والثرىٰ . قال : [وأتِ][٦]ابن عباس فاسأله . فأتاه فقال له مثل ذلك ، فقال : ارجع إليه فسله : مم خلق ذلك كله ؟ فرجع إليه فسأله ، فتلا : ﴿ **وسخر لكم ما في السمٰوات وما في الأرض جميعًا منه** ﴾ . هذا أثر غريب ، وفيه نكارة . ﴿ **إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله** ﴾ أي : يصفحوا عنهم

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز ، خ : « منه » .
[٣] - في ز : « وذلك » .
[٤] - في ز ، خ : « واستبين » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز ، خ : ائت .

ويحملوا الأذى منهم . وهذا كان في ابتداء الإسلام ، أمروا أن يصبروا علىٰ أذى المشركين وأهل الكتاب ، ليكون ذلك لتأليف قلوبهم ، [ثم لما][١] أصروا علىٰ العناد شَرَع اللَّه للمؤمنين الجِلاد والجِهَادَ . هكذا رُوِي عن ابن عباس ، وقتادة .

وقال مجاهد : ﴿ **لا يرجون أيام الله** ﴾ : لا ينالون[٢] نعم الله .

وقوله : ﴿ **ليجزي قومًا بما كانوا يكسبون** ﴾ أي[٣] : إذا صفحوا عنهم في الدنيا فإن اللَّه مجازيهم بأعمالهم السيئة في الآخرة ؛ ولهذا قال : ﴿ **من عمل صالحًا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلىٰ ربكم ترجعون** ﴾ أي : تعودون إليه يوم القيامة فتعرضون بأعمالكم ، فيجازيكم[٤] بأعمالكم خيرها وشرها .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾

يذكر تعالىٰ ما أنعم به علىٰ بني إسرائيل من إنزال الكتب عليهم وإرسال الرسل إليهم ، وجَعْله الملك فيهم ؛ ولهذا قال : ﴿ **ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات** ﴾ أي : من المآكل والمشارب ، ﴿ **وفضلناهم علىٰ العالمين** ﴾ أي : في زمانهم ، ﴿ **وآتيناهم بينات من الأمر** ﴾ أي : حُججًا وبَراهين وأدلة قاطعات ، فقامت عليهم الحُجَجُ ، ثم اختلفوا بعد ذلك من بعد قيام الحجة ، وإنما كان ذلك بَغيًا منهم علىٰ بعضهم بعضًا ، ﴿ **إن ربك** ﴾ [يا محمد][٥] ﴿ **يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون** ﴾ أي : سيفصل

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز، خ : « فلما » .
[٢] - في ت : « ينالون » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ت : « فيجزيكم » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ .

بينهم بحكمه العدل .

وهذا فيه تحذير لهذه الأمة أن تسلك مسلكهم ، وأن تقصد منهجهم ، ولهذا قال : ﴿ **ثم جعلناك علىٰ شريعة من الأمر فاتبعها** ﴾ أي : اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو ، وأعرض عن المشركين .

وقال هاهنا : ﴿ **ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون * إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئًا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض** ﴾ أي : وماذا تغني عنهم وَلَايتهم لبعضهم بعضًا ، فإنهم لا يَزيدُونهم إلا خسارًا ودمارًا وهلاكًا ، ﴿ **والله ولي المتقين** ﴾ ، وهو تعالىٰ يخرجهم من الظلمات إلىٰ النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلىٰ الظلمات .

ثم قال : ﴿ **هذا بصائر للناس** ﴾ ، يعني : القرآن ، ﴿ **وهدى ورحمة لقوم يوقنون** ﴾ .

أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾

يقول تعالىٰ : لا يستوي المؤمنون والكافرون ، كما قال : ﴿ **لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون** ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ **أم حسب الذين اجترحوا السيئات** ﴾ أي : عملوها وكسبوها ﴿ **أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم** ﴾ أي : نساويهم بهم في الدنيا والآخرة ! ﴿ **ساء ما يحكمون** ﴾ أي : ساء ما ظنوا بنا وبعدلنا أن نُسَاوِيَ بين الأبرار والفجار في الدار الآخرة ، وفي هذه الدار .

قال الحافظ أبو يعلىٰ : حدثنا مُؤمّل بن إهاب ، حدثنا بكير بن عثمان التنوخي ، حدثنا الوَضِين بن عطاء ، عن يزيد بن مرثد الصنعاني[١] ، عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال : إن الله بنىٰ دينه على أربعة أركان ، فمن صبر عليهن ولم يعمل بهن لقي الله من الفاسقين . قيل : وما هن يا أبا ذر ؟ قال : يسلم[٢] حلال الله لله ، وحرام الله لله ، [وأمر الله لله][٣] ، ونهي

---

[١] - في ز ، خ : « الناجى » . وفي ت : الباجي [٢] - في ز، خ : « تسلم » .

[٣] - ما بين المعكوفتين بسقط من : خ .

الله لله ، لا يؤتمن عليهن إلا الله . قال أبو القاسم صلىٰ الله عليه وسلم : « كما أنه لا يُجتنىٰ[١] من الشوك العنب ، كذلك لا ينال الفجار منازل الأبرار »(٢) .

هذا حديث غريب[٢] من هذا الوجه . وقد ذكر محمد بن إسحاق في كتاب « السيرة »(٣) أنهم وجدوا حجرًا بمكة في أسّ الكعبة مكتوبًا عليه : تعملون السيئات وترجون الحسنات ؟ أجل كما يجتنىٰ من الشوك العنب .

وقد روىٰ الطبراني(٤) من حديث شعبة ، عن عمرو بن مُرّة ، عن أبي الضُّحىٰ ، عن مَسرُوق : أن تميمًا الداريّ قام ليلة حتىٰ أصبح يُردّد هذه الآية : ﴿ **أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ . ولهذا قال تعالىٰ : [﴿ **ساء ما يحكمون** ﴾ ، وقال][٣] : ﴿ **وخلق الله السموات والأرض بالحق** ﴾ أي : بالعدل ، ﴿ **ولتجزىٰ كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **أفرأيت من اتخذ إلهه هواه** ﴾ أي : إنما يأتمر بهواه ، فمهما رآه حسنًا فعله ، ومهما رآه قبيحًا تركه . وهذا قد يستدل به علىٰ المعتزلة في قولهم بالتحسين والتقبيح العقليين . وعن مالك - فيما روي عنه من التفسير - : لايهوىٰ شيئًا إلا عَبَدَهُ .

وقوله : ﴿ **وأضله الله علىٰ علم** ﴾ ، يحتمل قولين :

أحدهما : وأضله الله لعلمه أنه يستحق ذلك . والآخر[٤] : وأضله الله بعد بلوغ العلم إليه ، وقيام الحجة عليه . والثاني يستلزم الأول ، ولا ينعكس .

﴿ **وختم علىٰ سمعه وقلبه وجعل علىٰ بصره غشاوة** ﴾ أي : فلا يسمع ما ينفعه ، ولا يعي شيئًا يهتدي به ، ولا يرىٰ حجة يستضيء بها ، ولهذا قال : ﴿ **فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون** ﴾ ، كقوله : ﴿ **من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون** ﴾ .

وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ

(٢) - ورواه أحمد بن منيع ، انظر المطالب العالية (٣٤٥٦ ، ٣٤٥٧) .
(٣) - السيرة النبوية (١/١٩٦) .
(٤) - المعجم الكبير (٢/٥٠) .

[١] - في ز ، خ : « يخشى » .
[٢] - بياض في ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز، خ .

ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾

يخبر تعالىٰ عن قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد : ﴿ **وقالوا ماهي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا** ﴾ أي : ماثَمّ إلا هذه الدار ، يموت قوم ويعيش آخرون ، وماثَمّ معاد ولا قيامة . وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد ، ويقوله الفلاسفة الإلهيون منهم ، وهم ينكرون البدَاءة والرجعة ، ويقوله الفلاسفة الدهرية الدّورية المنكرون للصانع المعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلىٰ ما كان عليه . وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهىٰ ، فكابروا المعقول وكذبوا المنقول ، ولهذا قالوا : ﴿ **وما يهلكنا إلا الدهر** ﴾ قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون** ﴾ ، أي : يتوهمون ويتخيلون .

فأما الحديث الذي أخرجه صاحبا الصحيح ، وأبو داود ، والنسائي ، من رواية سفيان بن عُيَينة ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هُريرة - رضي اللّٰه عنه - قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « يقول اللّٰه تعالىٰ : يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر وأنا الدهر ، بيدي الأمر ، أقلب ليله ونهاره »(٥) . وفي رواية : « لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر »(٦) .

وقد أورده ابن جرير بسياق غريب جدًّا فقال : حدثنا أبو كريب ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة - رضي اللّٰه عنه - عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « كان أهل الجاهلية يقولون : إنما يهلكنا الليل والنهار ، وهو الذي يهلكنا ، يميتنا ويحيينا ، فقال اللّٰه في كتابه : ﴿ **وقالوا**[١] **ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر** ﴾ » . قال[٢] : « **ويسبون الدهر ، فقال اللّٰه - عز وجل - : يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر وأنا الدهر ، بيدي الأمر أقلب الليل والنهار** »(٧) .

وكذا رواه ابن أبي حاتم ، عن أحمد بن منصور ، عن سُريج بن النعمان ، عن ابن عيينة ، مثله . ثم روى عن يونس ، عن ابن وهب [ ][٣] عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة : سمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « قال اللّٰه تعالىٰ : يسبّ ابن آدم الدهر

---

(٥) - البخاري (٤٨٢٦) ، وصحيح مسلم (٢٢٤٦) وسنن أبي داود (٥٢٧٤) والنسائي في الكبرى (١١٦٨٧) .

(٦) - صحيح مسلم (٢٢٤٦) .

(٧) - تفسير الطبري (٢٥/٩٢) .

---

[١] - سقط من : ز، خ . [٢] - سقط من : ز، خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « عن يونس » .

وأنا الدهر ، بيدي الليل والنهار » .

وأخرجه صاحبا الصحيح والنسائي من حديث يونس بن يزيد[١] به (٨) .

وقال محمد بن إسحاق ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « [يقول الله][٢] : استقرضت عبدي فلم يعطني ، وسبني عبدي يقول : وادهراه وأنا الدهر » (٩) .

قال الشافعي وأبو عبيد[٣] وغيرهما من الأئمة في تفسير قوله عليه الصلاة والسلام : « لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر » : كانت العرب في جاهليتها إذا أصابهم شدة أو بلاء أو نكبة ، قالوا : ياخيبة الدهر . فيسندون تلك الأفعال إلىٰ الدهر ويسبونه ، وإنما فاعلها هو الله ، فكأنهم إنما سبوا الله - عز وجل - لأنه فاعل ذلك في الحقيقة ، فلهذا نُهِيَ عن سب الدهر بهذا الاعتبار ؛ لأن الله هو الدهر الذي يعنونه ويسندون إليه تلك الأفعال .

هذا أحسن ماقيل في تفسيره ، وهو المراد ، والله أعلم . وقد غَلِطَ ابن حزم ومن نحا نحوه من الظاهرية في عدّهم الدهر من الأسماء الحسنىٰ ، أخذًا من هذا الحديث !

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وإذا تتلىٰ عليهم آياتنا بينات** ﴾ أي : إذا استُدِلّ عليهم وبُيّن لهم الحق ، وأن الله قادر علىٰ إعادة الأبدان بعد فنائها وتفرقها ، ﴿ **ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين** ﴾ أي : أحيوهم إن كان ما تقولونه حقًّا . قال الله تعالىٰ : ﴿ **قل الله يحييكم** ﴾ أي : كما تشاهدون ذلك ، يخرجكم[٤] من العدم إلىٰ الوجود ، ﴿ **كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم** ﴾ أي : الذي قدر علىٰ البداءة قادر علىٰ الإعادة بطريق الأوْلَىٰ والأحْرَىٰ . ﴿ **وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه** ﴾ ، ﴿ **ثم يجمعكم إلىٰ يوم القيامة لا ريب فيه** ﴾ أي : إنما يجمعكم ليوم القيامة لا يعيدكم في الدنيا حتىٰ تقولوا : ﴿ **ائتوا بآبائنا [إن كنتم صادقين][٥]** ﴾ ، ﴿ **يوم يجمعكم ليوم الجمع** ﴾ ﴿ **لأي يوم أجلت ليوم الفصل** ﴾ . ﴿ **وما نؤخره إلا لأجل معدود** ﴾ . وقال هاهنا : ﴿ **ثم[٦] يجمعكم إلىٰ يوم القيامة لا ريب فيه** ﴾ أي : لاشك فيه ، ﴿ **ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ أي : فلهذا ينكرون المعاد ، ويستبعدون قيام الأجساد . قال الله تعالىٰ : ﴿ **إنهم**

---

(٨) - صحيح البخاري (٦١٨١) ، وصحيح مسلم (٢٢٤٦) النسائي في الكبرى (١١٦٨٦) .

(٩) - تفسير الطبري (٢٥/٩٢) .

---

[١] - في ت : « زيد » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ت : « عبيدة » .

[٤] - في ز ، خ : « بخروجكم » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٦] - في ز : « يوم » .

يرونه بعيدًا * ونراه قريبًا ﴾ أي : يرون وقوعه بعيدًا والمؤمنون يرون ذلك سهلًا قريبًا .

وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾

يخبر تعالىٰ أنه مالك السملوات والأرض ، الحاكم فيهما في الدنيا والآخرة ؛ ولهذا قال : ﴿ ويوم تقوم الساعة ﴾ أي : يوم القيامة ﴿ يومئذٍ[١] يخسر المبطلون ﴾ ، وهم الكافرون باللَّه الجاحدون ما أنزله علىٰ رسله من الآيات البينات والدلائل الواضحات .

وقال ابن أبي حاتم : قَدِمَ سفيان الثوري المدينة ، فسمع المَعَافريّ يتكلم ببعض ما يضحك به الناس . فقال له : ياشيخ ، أما علمتَ أن للَّه يومًا يخسر فيه المبطلون ؟ قال : فما زالت تعرف في المعافري[٢] حتىٰ لحق باللَّه عز وجل . ذكره ابن أبي حاتم .

ثم قال : ﴿ وترىٰ كل أمة جاثية ﴾ أي : علىٰ ركبها من الشدة والعظمة ، ويقال : إن هذا إذا جيء بجهنم فإنها تزفر زفرة لا يبقىٰ أحد إلا جثا لركبتيه ، حتىٰ إبراهيم الخليل ، ويقول : نفسي ، نفسي ، نفسي ، لا أسألك اليوم إلا نفسي . وحتىٰ إن عيسىٰ ليقول : لا أسألك اليوم إلا نفسي ، لا أسألك مريم التي ولدتني .

قال مجاهد ، وكعب الأحبار ، والحسن البصري : ﴿ كل أمة جاثية ﴾ أي : على الركب .

وقال عكرمة : جاثية متميزة علىٰ ناحيتها ، وليس علىٰ الركب . والأول أولىٰ .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو ، عن عبد اللَّه بن باباه : أن رسول اللَّه قال : « كأني أراكم جاثين بالكوم دون جهنم » (١٠) .

وقال إسماعيل بن رافع المديني عن محمد بن كعب عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - مرفوعًا في حديث الصور[٣] : فيتميز الناس ، وتجثو الأمم »(١١) ، وهي التي يقول اللَّه : ﴿ وترىٰ كل

(١٠) - ورواه نعيم في زوائد زهد ابن المبارك برقم (٣٦٠) ، وابو نعيم في الحلية (٢٩٩/٧) من طريق ابن عيينة به .

(١١) - حديث الصور تقدم عند الآية (٧٣) من سورة الأنعام .

[١] - سقط من : ز، خ .
[٢] - في خ : « القاصرى » .
[٣] - في ت : « الصورة » .

أمة جاثية كل أمة تدعىٰ إلىٰ كتابها ﴾ . وهذا فيه جمع بين القولين ، ولا منافاة ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **كل أمة تدعىٰ إلىٰ كتابها** ﴾ ، يعني كتاب أعمالها . كقوله : ﴿ **ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء** ﴾ ؛ ولهذا قال : ﴿ **اليوم تجزون ما كنتم تعملون** ﴾ أي : تجازون بأعمالكم خيرها وشرها ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر * بل الإنسان علىٰ نفسه بَصِيرةٌ * ولو ألقىٰ معاذيرهُ** ﴾ ثم قال : ﴿ **هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق** ﴾ أي : يستحضر جميع أعمالكم من غير زيادة ولا نقص ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ووضع الكتاب فترىٰ المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ماعملوا حاضرًا ولا يظلم ربك أحدًا** ﴾ . وقوله : ﴿ **إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون** ﴾ أي : إنا كنا نأمر الحَفَظة أن تكتب أعمالكم عليكم .

قال ابن عباس وغيره : تكتب الملائكة أعمال العباد ، ثم تصعد بها إلىٰ السماء ، فيقابلون الملائكة الذين في ديوان الأعمال علىٰ ما بأيديهم مما قد أبرز لهم من اللوح المحفوظ في كل ليلة قدر ، مما [قد][١] كَتَبه الله في القِدَم علىٰ العباد قبل أن يخلقهم ، فلا يزيد حرفًا ولا ينقص حرفًا . ثم قرأ : ﴿ **إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون** ﴾ .

فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

يخبر تعالىٰ عن حكمه في خلقه يوم القيامة ، فقال : ﴿ **فأما الذين آمنوا وعملوا**

[١] - سقط من ت

الصالحات ﴾ أي : آمنت قلوبهم وعملت جوارحهم الأعمال الصالحات ، وهي الخالصة الموافقة للشرع . ﴿ **فيدخلهم ربهم في رحمته** ﴾ ، وهي الجنة . كما ثبت في الصحيح [أن الله][١] قال للجنة : « أنت رحمتي ، أرحم بك من أشاء »(١٢) .

﴿ **ذلك هو الفوز المبين** ﴾ أي : البين الواضح . ثم قال : ﴿ **وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلىٰ عليكم فاستكبرتم** ﴾ أي : يقال لهم ذلك تقريعًا وتوبيخًا : أما قُرئت عليكم آيات الرحمن فاستكبرتم عن اتباعها ، وأعرضتم عند سماعها ؟ ﴿ **وكنتم قومًا مجرمين** ﴾ أي : في أفعالكم ، مع ما اشتملت عليه قلوبكم من التكذيب ؟ .

﴿ **وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لاريب فيها** ﴾ أي : إذا قال لكم المؤمنون ذلك ، ﴿ **قلتم ما ندري ما الساعة** ﴾ أي : لا نعرفها ، ﴿ **إن نظن إلا ظنًا** ﴾ أي : إن[٢] نتوهم وقوعها إلا توهمًا ، أي مرجوحًا ؛ ولهذا قالوا[٣] : ﴿ **وما نحن بمستيقنين** ﴾ أي : بمتحققين ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **وبدا لهم سيئات ما عملوا** ﴾ أي : وظهر لهم عقوبة أعمالهم السيئة ، ﴿ **وحاق بهم** ﴾ أي : أحاط بهم ﴿ **ما كانوا به يستهزئون** ﴾ أي : من العذاب والنكال ، ﴿ **وقيل اليوم ننساكم** ﴾ أي : نعاملكم معاملة الناسي لكم في نار جهنم ، ﴿ **كما نسيتم لقاء يومكم هذا** ﴾ أي : [فلم تعملوا][٤] له لأنكم لم تصدقوا به ، ﴿ **ومأواكم النار وما لكم من ناصرين** ﴾ .

وقد ثبت في الصحيح أن الله تعالىٰ يقول لبعض العبيد يوم القيامة : « ألم أزوجك ، ألم أكرمك ، ألم أسَخِّرْ لك الخيل والإبل ، وأذرك[٥] تَرأس وتَرْبَع ؟! فيقول : بلىٰ ، يارب . فيقول : أفظننت أنك مُلاقيّ . فيقول : لا . فيقول الله تعالىٰ : فاليوم أنساك كما نسيتني »(١٣) .

قال الله تعالىٰ : ﴿ **ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوًا** ﴾ أي : إنما جازيناكم هذا الجزاء لأنكم اتخذتم حُجَج الله عليكم سخريًا ، تسخرون وتستهزئون بها ، ﴿ **وغرتكم الحياة الدنيا** ﴾ أي : خدعتكم فاطمأننتم إليها ، فأصبحتم من الخاسرين ؛ ولهذا قال : ﴿ **فاليوم لا يخرجون منها** ﴾ أي : من النار ﴿ **ولا هم يستعتبون** ﴾ أي : لا[٦] يطلب منهم العُتْبىٰ ، بل

(١٢) - صحيح البخاري (٤٨٥٠) من حديث أبي هريرة .
(١٣) - صحيح مسلم (٢٩٦٨) من حديث أبي هريرة .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « أنه كما » . [٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ت : « قال » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في خ : « فلما لا تعملوا » . [٥] - في ز : « وأردك » .
[٦] - سقط من : ز .

يعذبون بغير حساب ولا عتاب ، كما تدخل طائفة من المؤمنين الجنةَ بغير عذاب ولا حساب .

ثم لما ذكر حكمه في المؤمنين والكافرين قال : ﴿ **فلله الحمد رب السموات ورب الأرض** ﴾ أي : المالك لهما وما فيهما ؛ ولهذا قال : ﴿ **رب العالمين** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **وله الكبرياء في السموات والأرض** ﴾ ، قال مجاهد : يعني السلطان . أي : هو العظيم الممجَّد ، الذي كل شيء خاضع لديه فقير إليه . وقد ورد في الحديث الصحيح : « يقول الله تعالىٰ : العظمة إزاري ، والكبرياء ردائي ، فمن نازعني واحدًا منهما أسكنته ناري » . ورواه[١] مسلم من حديث الأعمش ، عن أبي إسحاق ، عن الأغر أبي[٢] مسلم ، عن أبي هريرة وأبي سعيد -رضي الله عنهما- عن رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - بنحوه(١٤) .

وقوله : ﴿ **وهو العزيز** ﴾ أي : الذي لا يُغالَبُ ولا يمانَعُ ، ﴿ **الحكيم** ﴾ في أقواله وأفعاله ، وشرعه وقدره ، تعالىٰ وتقدس ، لا إله إلا هو .

[آخر تفسير سورة الجاثية ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة].

☆ ☆ ☆

انتهى بحمد الله وحسن توفيقه الجزء الثاني عشر

ويليه إن شاء الله تعالى الجزء الثالث عشر

وأوله تفسير سورة الأحقاف

---

(١٤) - صحيح مسلم (٢٦٢٠) .

---

[١] - في ت : « ورواه » . [٢] - في خ : « بن » .

تفسير
القرآن العظيم

للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء
إسماعيل بن كثير الدمشقي
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

هذه الطبعة أول طبعة مقابلة على النسخة الأزهرية
وكذلك على نسخة كاملة بدار الكتب المصرية

تحقيق

مصطفى السيد محمد — محمد السيد رشاد
محمد فضل العجماوي — علي أحمد عبد الباقي
حسن عباس قطب

المجلد الثالث عشر

مؤسسة قرطبة
طباعة . نشر . توزيع
جيزة - ت : ٥٨١٥٠٢٧

مكتبة أولاد الشيخ للتراث
٣٦ ش اليابان - عمرانية غربية - جيزة
ت : ٥٦٢٨٣١٨ - ٥٦١١٤٤٢

رقم الإيداع : ٢٠٠٠/٩٣٤٩
الترقيم الدولى : I.S.B.N
6 - 33 - 5234 - 977

الطبعة الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر هاتف : ٤٣٠٧٥٢٦ - ٢٠٥٥٦٨٨ القاهرة

تفسير
القرآن العظيم

تفسير سورة الأحقاف

وهي مكية

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ هَـٰذَآ أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾

يخبر تعالىٰ أنه نزّل الكتاب علىٰ عبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلىٰ يوم الدين ووصف نفسه بالعزة التي لا ترام ، والحكمة في الأقوال والأفعال ، ثم قال : ﴿ **ما خلقنا السمٰوات والأرض وما بينهما إلا بالحق** ﴾ أي : لا علىٰ وجه العبث والباطل ، ﴿ **وأجل مسمىٰ** ﴾ أي : وإلىٰ مدة معينة مضروبة لا تزيد ولا تنقص .

وقوله : ﴿ **والذين كفروا عما أنذروا معرضون** ﴾ أي : لاهون[١] عما يراد بهم ، وقد أنزل إليهم كتاب وأرسل إليهم رسول ، وهم معرضون عن ذلك كله ، أي : وسيعلمون غِبَّ(*) ذلك .

ثم قال : ﴿ **قل** ﴾ أي : لهؤلاء المشركين العابدين مع الله غيره : ﴿ **أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض** ﴾ أي : أرشدوني إلىٰ المكان الذي استقلوا بخلقه من الأرض ، ﴿ **أم لهم شرك في السمٰوات** ﴾ أي : ولا شرك لهم في السمٰوات ولا في الأرض ، وما يملكون من قطمير ، إنِ المُلْكُ والتصرّفُ كُلّه إلا لله - عز وجل - فكيف تعبدون معه غيره ، وتشركون به ؟ مَن أرشدكم إلىٰ هذا ؟ مَن دعاكم إليه ؟ أهو

(*) الغِبُّ من كل شيء : عاقبته وآخره .

[١] - في ز ، خ: « لاهين » .

أمركم به ؟ أم هو شيء اقترحتموه من عند أنفسكم ؟ ولهذا قال : ﴿ ائتوني بكتاب من قبل هذا ﴾ أي : هاتوا كتابًا من كتب الله المنزلة على الأنبياء[١] -عليهم الصلاة والسلام- يأمركم بعبادة هذه الأصنام ، ﴿ أو أثارة من علم ﴾ أو[٢] دليل بَيّن على هذا المسلك الذي سلكتموه ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ أذ[٣] : لا دليل لكم نقليًا ولا عقليًا على ذلك . ولهذا قرأ آخرون : (أو أَثَرَة من علم) أي : أو علم صحيح [يَأْثُرونه عن][٤] أحد ممن قبلهم ، كما قال مجاهد في قوله : ﴿ أو أثارة من علم ﴾ : أو أحد يأثر علمًا . وقال العوفي عن ابن عباس : أو بينة من الأمر .

وقال الإمام أحمد(١) : حدثنا يحيى ، عن سفيان ، حدثنا صفوان بن سُلَيم[٥] ، عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن ، عن ابن عباس - قال سفيان : لا أعلم إلا عن النبي صلى الله عليه

(١) - المسند (٢٢٦/١) (١٩٩٢) وإسناده صحيح ، رجاله رجال الشيخين ؛ إلَّا أنه ليس على شرط واحد منهما ؛ فإن رواته صفوان بن سليم عن أبي سلمة لم يخرجها من الستة غير النسائى ، وقد صحح هذا الحديث العلامة أحمد شاكر فى « تعليقه على المسند » .

والحديث رواه أيضًا الطبرانى فى الكبير (٣٦٣/١٠) (١٠٧٢٥) ، وفى الأوسط (٢٦٩) من طريق سعيد بن أبى أيوب ، عن صفوان بن سليم ، عن أبى سلمة ، عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه سئل عن الخط فقال : هو أثارة من علم . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور (٤/٦) لابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٩٧/١) ، (١٠٨/٧) وعزاه لأحمد والطبرانى ثم قال : ورجال أحمد رجال الصحيح .

ورواه الحاكم فى المستدرك (٤٥٤/٢) من طريق محمد بن كثير العبدى ، ثنا سفيان ، عن صفوان به موقوفًا على ابن عباس ثم قال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه وقد أُسنِد عن الثورى من وجه غير معتمد » . وقد أقر الذهبى الحاكم فى تصحيحه هذا الحديث على شرط الشيخين وهو وهم منهما رحمهما الله - فإن رواته صفوان عن أبى سلمة ليست فى الصحيحين ولا فى أحدهما كما سبق بيانه .

وقول الحاكم : « وقد أسند عن الثورى من وجه غير معتمد » لا أراه صحيحًا فإنه من رواية يحيى ، عن سفيان ورفع الحديث لا يعد علة ؛ فإنه رواية ثقة فيه زيادة علم وزيادة الثقة مقبولة . وقد رواه أيضًا ابن جرير فى تفسيره (٢/٢٦) من طريق أبى عاصم النبيل ، عن سفيان بهذا الإسناد موقوفًا .

ورواه الحاكم (٤٥٤/٢) ، والطبرانى فى الصغير (٤٧٢) من طريق عمرو بن الأزهر ، عن ابن عون ، عن الشعبى ، عن ابن عباس فى قوله : « أو أثارة من علم » قال : جودة الخط ، قال الطبرانى : لم يرو هذا الحديث عن ابن عون إلَّا عمرو بن الأزهر .

قلت : عمرو بن الأزهر هو العتكي قاضى جرجان ضعفه ابن معين ، وقال البخارى : يُرمى بالكذب ، وقال النسائى وغيره : متروك ، واتهمه أحمد . له ترجمة فى الميزان (٤/الترجمة ٦٣٢٨) وذكر هذا الحديث من مناكيره .

[١] - في ز ، خ : « أنبيائهم » .
[٢] - في ت : « أي » . [٣] - في ت : « أي » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « مما يروونه عن » [٥] - في ز : « حكيم » .

وسلم - : (أو أَثَرَة من علم) قال : «الخط» .

وقال أبو بكر بن عياش : أو بقية من علم .

وقال الحسن البصري : أو أثارة شيء يستخرجه فيثيره .

وقال ابن عباس ومجاهد وأبو بكر بن عياش أيضًا : ﴿ **أو أثارة من علم** ﴾ يعني : الخط .

وقال قتادة : ﴿ **أو أثارة من علم** ﴾ : خاصة من علم .

وكل هذه الأقوال متقاربة وهي راجعة إلى ما قلناه ، وهو اختيار ابن جرير - رحمه الله - وأكرمه وأحسن مثواه .

وقوله : ﴿ **ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلىٰ يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون** ﴾ أي : لا أضل ممن يدعو أصنامًا ، ويطلب منها مالا تستطيعه إلىٰ يوم القيامة ، وهي غافلة عما يقول[١] ، لا تسمع ولا تبصر ولا تبطش ، لأنها جماد ، حجارة ، صُمّ .

وقوله : ﴿ **وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين** ﴾ ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزًّا * كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدًّا** ﴾ أي : سيخونونهم[٢] أحوج ما يكونون إليهم . وقال الخليل : ﴿ **إنما اتخذتم من دون الله أوثانًا مَوَدّة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضًا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين** ﴾ .

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ
(٧) أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا
تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ (٨) قُلْ مَا كُنتُ
بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠
إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٩)

يقول تعالىٰ مخبرًا عن المشركين في كفرهم وعنادهم : إنهم إذا تتلىٰ عليهم آيات الله

---

[١] - بياض في ز ، خ .   [٢] - غير واضحة في ز .

بينات ، أي : في حال بيانها ووضوحها وجلائها ، يقولون : ﴿ هذا سحر مبين ﴾ أي : سحر واضح ، وقد كَذَبوا وافتروا وضَلّوا وكفروا . ﴿ أم يقولون افتراه ﴾ يعنون محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم . قال الله : ﴿ قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئًا ﴾ أي : لو كذبت عليه وزعمت أنه أرسلني - وليس كذلك - لعاقبني أشد العقوبة ، ولم يَقْدِرْ أحد [من أهل الأرض][١] ، لا أنتم ولا غيركم ، أن يجيرني منه ، كقوله : ﴿ قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه مُلتَحَدًا * إلا بلاغًا من الله ورسالاته ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين ﴾ . ولهذا قال هاهنا : ﴿ قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئًا هو أعلم بما تفيضون فيه كفىٰ به شهيدًا بيني وبينكم ﴾ . هذا تهديد لهم ، ووعيد أكيد ، وترهيب شديد .

وقوله : ﴿ وهو الغفور الرحيم ﴾ : ترغيب لهم إلىٰ التوبة والإنابة ، أي : ومع هذا كله[٢] إن رجعتم وتبتم ، تاب عليكم وعفا عنكم ، وغفر ورحم . وهذه الآية كقوله في سورة الفرقان : ﴿ وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملىٰ عليه بكرة وأصيلًا قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض إنه كان غفورًا رحيمًا ﴾ .

وقوله : ﴿ قل ماكنت بدعًا من الرسل ﴾ أي : لست بأول رسول طرق العالم ، بل قد جاءت الرسل من قبلي ، فما أنا بالأمر الذي لا نظير له حتىٰ تستنكروني وتستبعدوا[٣] بعثتي إليكم ، فإنه قد أرسل الله قبلي جميع الأنبياء إلىٰ الأمم .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة : ﴿ قل ما كنت بدعًا من الرسل ﴾ ما أنا بأول رسول . ولم يحك ابن جرير ولا ابن أبي حاتم غير ذلك .

وقوله : ﴿ وما[٤] أدري ما يفعل بي ولا بكم ﴾ . قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في هذه الآية : نزل بعدها ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ . وهكذا قال عكرمة ، والحسن ، وقتادة : إنها منسوخة بقوله : ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ ، قالوا : ولما نزلت هذه الآية قال رجل من المسلمين : هذا قد بيّن الله ماهو فاعل بك يا رسول الله ، فما هو فاعل بنا ؟ فأنزل الله : ﴿ ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات ﴾ .

هكذا قال ، والذي هو ثابت في الصحيح(٢) أن المؤمنين قالوا : هنيئًا لك يا رسول الله ،

(٢) - سيأتى تخريجه فى أول سورة الفتح / الآية (١) من حديث أنس .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ز ، خ: « وتستبعدون » .
[٤] - في ز ، خ: « ولا » .

فما لنا ؟ فأنزل الله هذه الآية .

وقال الضحاك : ﴿ **وما أدري ما يفعل بي ولا بكم** ﴾ و[١]ما أدري بماذا أومر وبماذا أنهى بعد هذا ؟

وقال أبو بكر الهذلي ، عن الحسن البصري في قوله : ﴿ **وما أدري ما يفعل بي ولا بكم** ﴾ قال : أما في الآخرة فمعاذ الله قد علم أنه في الجنة ، ولكن قال : لا أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا ، أخرج[٢] كما أخرجت الأنبياء قبلي ؟ أم أقتل كما قتلت الأنبياء من قبلي ؟ ولا أدري أيُخسف بكم أو تُرمَون بالحجارة .

وهذا القول هو الذي عَوّل عليه ابن جرير ، وأنه لا يجوز غيره ، ولا شك أن هذا هو اللائق به صلوات الله وسلامه عليه فإنه بالنسبة إلىٰ الآخرة جازم أنه يصير إلىٰ الجنة هو ومن اتبعه ، وأما في الدنيا فلم يدر ما كان يئول إليه أمره وأمر مشركي قريش إلىٰ ماذا ؛ أيؤمنون أم يكفرون فيعذبون فيستأصلون بكفرهم[٣] ؟ فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد(٣) :

حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن ابن شهاب ، عن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أم العلاء - وهي امرأة من نسائهم - أخبرته - وكانت بايعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم - قالت : طار لهم في السّكنىٰ - حين اقترعت[٤] الأنصار علىٰ سكنىٰ المهاجرين - عثمانُ بن مظعون فاشتكىٰ عثمان عندنا فَمرَّضناه ، حتىٰ إذا توفي أدْرَجناه في أثوابه ، فدخل علينا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فقلت : رحمةُ الله عليك أبا السائب ؛ شهادتي عليك ، لقد أكرمك الله . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **وما يدريك أن الله أكرمه ؟** » . فقلت : لا أدري بأبي أنت وأمي ! فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أما هو[٥] فقد[٦] جاءه اليقين من ربه ، وإني لأرجو له الخير ، والله ما[٧] أدري وأنا**

(٣) - المسند (٦/٤٣٦) قال : حدثنا أبو كامل ، قال : حدثنا إبراهيم بن سعد (ح) ويعقوب قال : حدثنا أبي ... فذكر الحديث كما نقله المصنف .

ورواه أحمد أيضًا فقال : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن الزهرى ... فذكر الحديث إلَّا أنه قال : « ما أدرى وأنا رسول الله ما يفعل بى ولا بكم » .

ورواه البخارى فى « صحيحه » فى كتاب الجنائز ، باب : الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج فى أكفانه الحديث (١٢٤٣) من طريق عقيل ، عن الزهرى مثل رواية أحمد الأولى . وكذا رواه فى مناقب الأنصار ، باب : مقدم النبى ﷺ وأصحابه المدينة حديث ٣٩٢٩) وفى كتاب التعبير ، باب : رؤيا النساء =

[١] - سقط من ت .

[٢] - في ز ، خ : « أخرجت » .

[٣] - في ز، خ : « كفرهم » .

[٤] - في ز ، خ: « أقرعت » .

[٥] - سقط من : ز، خ .

[٦] - في ز ، خ : « ذلك » .

[٧] - في ز ، خ: « لا » .

رسول الله ما يفعل بي ! ». قالت : فقلت : والله لا أزكي أحدًا بعده أبدًا . وأحزنني ذلك ، فنمت فرأيت لعثمان عينًا تجري ، فجئت إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فأخبرته بذلك ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ذاك عمله** » .

فقد انفرد بإخراجه البخاري دون مسلم وفي لفظ له : « **ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل به** » . وهذا أشبه أن يكون هو المحفوظ ، بدليل قولها : فأحزنني ذلك . وفي هذا وأمثاله دلالة علىٰ أنه لا يقطع لمعيَّن بالجنة إلا الذي نص الشارع علىٰ تعيينهم ، كالعشرة ، وابن سلام ، والغُميصاء ، وبلال ، وسراقة ، وعبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر ، والقراء السبعين الذين قتلوا ببئر معونة ، وزيد بن حارثة ، وجعفر ، وابن رواحة ، وما أشبه هؤلاء .

وقوله : ﴿ **إن أتبع إلا ما يوحىٰ إليّ** ﴾ أي : إنما أتبع ما ينزله الله عليّ من الوحي ، ﴿ **وما أنا إلا نذير مبين** ﴾ أي : بين النّذارة ، وأمري ظاهر لكل ذي لب وعقل .

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ
مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ
فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا
كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **قل** ﴾ يا محمد؛ لهؤلاء المشركين الكافرين بالقرآن : ﴿ **أرأيتم إن كان** ﴾ هذا القرآن ﴿ **من عند الله وكفرتم به** ﴾ أي : ما ظنكم أن الله صانع بكم إن كان هذا الكتاب الذي جئتكم به قد أنزله عليّ لأبلغكموه وقد كفرتم به وكذبتموه ، ﴿ **وشهد شاهد من بني إسرائيل علىٰ مثله** ﴾ أي : وقد شهدَتْ بصدقه وصحته الكتب المتقدمة المنزلة علىٰ الأنبياء قبلي ، بشرت به وأخبرت بمثل ما أخبر هذا القرآن به .

= حديث (٧٠٠٣) ، ورواه فى كتاب التعبير ، باب : العين الجارية فى المنام حديث (٧٠١٨) من طريق معمر به ، مثل رواية أحمد الثانية . وفى الشهادات ، باب : القرعة فى المشكلات حديث (٢٦٨٧) ، وفى كتاب التعبير ، باب : رؤيا النساء حديث (٧٠٠٤) بلفظ : « ما أدرى ما يفعل به » .

وقوله : ﴿ **فآمن** ﴾ أي : هذا الذي شهد[1] بصدقه من بني إسرائيل لمعرفته بحقيته . ﴿ **واستكبرتم** ﴾ أنتم عن اتباعه .

وقال مسروق : فآمن هذا الشاهد بنبيه وكتابه ، وكفرتم أنتم بنبيكم وكتابكم ﴿ **إن الله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾ . وهذا الشاهد اسم جنس يعم عبد الله بن سَلَام وغيرَه ، فإن هذه الآية مكية نزلت قبل إسلام عبد الله بن سلام ، وهذه كقوله : ﴿ **وإذا يتلىٰ عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين** ﴾ . وقال : ﴿ **إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلىٰ عليهم يخرون للأذقان سجدًا * ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً** ﴾ .

قال مسروق ، والشعبي : ليس بعبد الله بن سلام ، هذه الآية مكية ، وإسلام عبد الله بن سلام كان بالمدينة . رواه عنهما ابن جرير وابن أبي حاتم ، واختاره ابن جرير(٤) .

وقال مالك ، عن أبي النضر ، عن عامر بن سعد ، عن أبيه قال : ما سمعت رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم يقول لأحد يمشي علىٰ وجه الأرض : « **إنه من أهل الجنة** » . إلا لعبد الله بن سلام ، قال : وفيه نزلت : ﴿ **وشهد شاهد من بني إسرائيل علىٰ مثله** ﴾(٥) .

(٤) - أمّا الرواية عن مسروق فرواها ابن جرير فى تفسيره (٩/٢٦) أن داود بن أبى هند سئل عن قوله : ﴿ قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به ﴾ ... الآية . قال داود : قال عامر : قال مسروق : والله ما نزلت فى عبد الله بن سلام ، ما نزلت إلّا بمكة ، وما أسلم عبد الله إلّا بالمدينة ، ولكنها خصومة خاصم محمد ﷺ بها قومه .

والأثر ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٧/٦) وزاد نسبته إلى ابن أبى حاتم .

وأمّا الرواية عن الشعبى : فرواها ابن جرير (٩/٢٦) من طريق داود بن أبى هند ، عن الشعبى قال : إن ناسًا يزعمون أن الشاهد على مثله عبد الله بن سلام وأنا أعلم بذلك ، وإنما أسلم عبد الله بالمدينة وقد أخبرنى مسروق أن آل (حم) إنما أنزلت بمكة وإنما كان محاجة رسول الله ﷺ لقومه .

وقد ذكر السيوطى فى الدر المنثور (٧/٦) عن الشعبى أنه قال : « ما نزلت فى عبد الله بن سلام رضى الله عنه شيء من القرآن » وعزاه لابن المنذر .

(٥) - رواه البخارى فى كتاب مناقب الأنصار ، باب : مناقب عبد الله بن سلام رضى الله عنه ، حديث (٣٨١٢) ، ومسلم فى كتاب فضائل الصحابة ، باب : من فضائل عبد الله بن سلام ، رضى الله عنه ، حديث (٢٤٨٣) (١٤٧) ، والنسائى فى فضائل الصحابة حديث (١٤٨) ، وأحمد فى مسنده (١٦٩/١ ، ١٧٧) من طريق مالك عن أبى النضر به .

[١] - في ز ، خ : « جاء » .

رواه البخاري ومسلم والنسائي ، من حديث مالك ، به . و[١]كذا قال ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، وقتادة ، وعكرمة ، ويوسف بن عبد الله بن سلام ، وهلال بن يَسَاف[٢] ، والسدي ، والثوري ، ومالك بن أنس ، وابن زيد أنهم كلهم قالوا : إنه عبد الله ابن سلام .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرًا ما سبقونا إليه** ﴾ أي : قالوا عن المؤمنين بالقرآن : لو كان القرآن خيرًا ما سبقنا[٣] هؤلاء إليه . يعنون بلالًا وعمارًا وصُهَيبًا[٤] وخبابًا وأشباههم وأقرانهم من المستضعفين والعبيد والإماء ، وما ذاك إلا لأنهم عند أنفسهم يعتقدون أن لهم عند الله وجاهة وله بهم عناية .

وقد غلطوا في ذلك غلطًا فاحشًا ، وأخطئوا خطأ بينًا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منَّ الله عليهم من بيننا** ﴾ أي : يتعجبون : كيف اهتدىٰ هؤلاء دوننا ؛ ولهذا قالوا : ﴿ **لو كان خيرًا ما سبقونا إليه** ﴾ وأما أهل السنة والجماعة فيقولون[٥] في كل فعل وقول لم يثبت عن الصحابة : هو بدعة ؛ لأنه لو كان خيرًا لسبقونا إليه ، لأنهم لم يتركوا خصلة من خصال الخير إلا وقد بادروا إليها .

وقوله : ﴿ **وإذ لم يهتدوا به** ﴾ أي : بالقرآن ﴿ **فسيقولون هذا إفك** ﴾ أي : كذب . ﴿ **قديم** ﴾ أي : مأثور عن الأقدمين ، فينتقصون[٦] القرآن وأهله ، وهذا هو الكبر الذي قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **بَطَر الحق ، وغَمْص[٧] الناس** »(٦) .

ثم قال : ﴿ **ومن قبله كتاب موسىٰ** ﴾ ، وهو التوراة ﴿ **إمامًا ورحمة وهذا كتاب** ﴾ ، يعني القرآن ﴿ **مصدق** ﴾ أي : لما قبله من الكتب ﴿ **لسانًا عربيًا** ﴾ أي : فصيحًا بينًا واضحًا ، ﴿ **لينذر الذين ظلموا وبشرىٰ للمحسنين** ﴾ أي : مشتمل علىٰ النّذارة للكافرين والبشارة للمؤمنين .

= وقوله : (قال : وفيه نزلت : ﴿ وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله ﴾ القائل هو مالك ، كما رجحه الحافظ فى فتح البارى (١٣٠/٧) وهذا الزيادة موجودة عند البخارى وحده ولم يذكرها مسلم ولا أحمد والنسائى .

(٦) - تقدم تخريجه فى تفسير سورة لقمان عند الآية (١٩) .

[١] - سقط من : ز، خ .

[٢] - في ز : « يسار » ، في خ : « بشار » .

[٣] - في ز : « سبقونا » .

[٤] - سقط من : ز ، خ.

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - في خ : « فتنغصوا » .

[٧] - في ت : « وغمط » .

وقوله: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ تقدم تفسيرها في سور (حم السجدة).

وقوله: ﴿ فلا خوف عليهم ﴾ أي: فيما يستقبلون، ﴿ ولا هم يحزنون ﴾، على ما خلفوا، ﴿ أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون ﴾ أي: الأعمال سبب لنيل الرحمة لهم وسُبُوغها[١] عليهم.

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾

لما ذكر تعالى في الآية الأولى التوحيدَ له وإخلاص العبادة والاستقامة إليه - عطف بالوصية بالوالدين، كما هو مقرون في غير ما آية من القرآن، كقوله: ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانًا ﴾ وقال: ﴿أن اشكر لي ولوالديك إليَّ المصير﴾، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة. وقال هاهنا: ﴿ ووَصينا الإِنسانَ بوالديه حُسْنًا ﴾ أي: أمرناه بالإحسان إليهما والحنو عليهما.

وقال[٢] أبو داود الطيالسي(٧) : حدثنا شعبة، أخبرني سماك بن حرب قال[٣] : سمعت مُصْعب بن سعد يحدث عن سعد قال: قالت أم سعد لسعد[٤] : أليس قد أمر الله بطاعة الوالدين، فلا آكل طعامًا، ولا أشرب شرابًا حتى[٥] تكفر بالله. فامتنعتْ من الطعام والشراب، حتى جعلوا يفتحون [فاها بالعصا][٦]، ونزلت هذه الآية ﴿ووصينا الإنسان

(٧) - مسند الطيالسى (٢٠٨) وقد تقدم تخريجه فى سورة النساء (٤٤٧).

[١] - في ز، خ: « وشياعها ».
[٢] - في ت: وقال.
[٣] - سقط من: ز، خ.
[٤] - سقط من: ز، خ.
[٥] - سقط من: خ.
[٦] - ما بين المعكوفتين في ت: « فلها بالعصما ».

بوالديه حسنًا ﴾ . الآية .

ورواه مسلم وأهل السنن إلَّا ابن ماجة من حديث شعبة بإسناده نحوه[١] وأطول منه .

﴿ حملته أمه كرهًا ﴾ أي : قاست بسببه في حال حمله مشقة وتعبًا ، من وِحَام وغشيان وثقل وكرب ، إلىٰ غير ذلك مما تنال الحوامل من التعب والمشقة ، **﴿ ووضعته كرهًا ﴾** أي : بمشقة أيضًا من الطلق وشدته ، **﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهرًا ﴾** .

وقد استدل على -رضي الله عنه- بهذه الآية مع[٢] التي في لقمان : **﴿وفصاله في عامين﴾** ، [وقوله : **﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ﴾** ،][٣] علىٰ أن أقل مدة الحمل ستة أشهر ، وهو استنباط قوي صحيح . ووافقه عليه عثمان وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم .

قال محمد بن إسحاق بن يسار(٨) : عن يزيد بن عبد الله بن قُسَيط ، عن بَعجَةَ[٤] بن عبد الله الجهني قال : تزوج رجل منا امرأة من جُهَينة ، فولدت له لتمام ستة أشهر ، فانطلق زوجها إلىٰ عثمان فذكر ذلك له ، فبعث إليها ، فلما قامت لتلبس ثيابها بكت أختها ، فقالت : ما يبكيك ؟ ! فوالله ما التبس بي أحد من خلق الله غيره قط ، فيقضي الله فيّ ما شاء ، فلما أُتيَ بها عثمان أمر برجمها ، فبلغ ذلك عليًا فأتاه ، فقال له : ما تصنع ؟ قال : ولدتْ تمامًا لستة أشهر ، وهل يكون ذلك ؟ فقال له : أما تقرأ القرآن ؟ قال : بلىٰ . قال : أما سمعت الله يقول : **﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهرًا ﴾** . وقال : **﴿ حولين كاملين ﴾** . فلم نجده بقي إلا ستة أشهر ، قال : فقال عثمان : والله ما[٥] فطنت لهذا ، عليّ بالمرأة . فوجدوها قد فُرِغَ منها ، قال : فقال بَعْجَةُ : فوالله ما الغراب بالغراب ، ولا البيضة بالبيضة بأشبه منه بأبيه [ ][٦] . فلما رآه أبوه قال : ابني ! والله لا أشك فيه . قال : وأبلاه الله بهذه القرحة قرحة الأكلة[٧] فما[٨] زالت تأكله حتى مات . رواه ابن أبي حاتم ،

(٨) - تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ رقم ١٨٥٦٦) وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٩/٦) وزاد نسبته لابن المنذر ، ورجال إسناده ثقات ؛ إلَّا ابن إسحاق فإنه صدوق ؛ لكنه يدلس وقد عنعن هنا فلا تقبل روايته وقد تقدم الخبر من طريق أخرى فى تفسير سورة الزخرف الآية (٨١) .

[١] - سقط من ت .
[٢] - في ت : « على » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من ز ، خ .
[٤] - في ز ، خ : « معمر » .
[٥] - سقط من : ز، خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « على » .
[٧] - في خ : « الأكلمة » .
[٨] - في ز، خ : « ما » .

وقد أوردناه من وجه آخر عند قوله : ﴿ **فأنا أول العابدين** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم(٩) : حدثنا أبي ، حدثنا فروة بن أبي المَغْرَاء[١] ، حدثنا علي بن مُسْهِر ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : إذا وضعت المرأة لتسعة أشهر ، كفاه من الرضاع أحد وعشرون شهرًا ، وإذا وضعته لسبعة أشهر كفاه من الرضاع ثلاثة وعشرون شهرًا ، وإذا وضعته لستة أشهر فحولين كاملين ، لأن الله تعالىٰ يقول : ﴿ **وحمله وفصاله ثلاثون شهرًا** ﴾ .

﴿ **حتىٰ إذا بلغ أشده** ﴾ أي : قوي وشب وارتجل ﴿ **وبلغ أربعين سنة** ﴾ أي : تناهىٰ عقله وكمل فهمه وحلمه . ويقال : إنه لا يتغير غالبًا عما يكون عليه ابن[٢] الأربعين .

قال أبو بكر بن عياش(١٠) : عن الأعمش ، عن القاسم بن عبد الرحمن قال[٣] : قلت لمسروق : متىٰ يؤخذ الرجل بذنوبه ؟ قال : إذا بَلَغْتَ الأربعين ، فَخُذْ حذرك .

وقال الحافظ أبو يعلىٰ الموصلي(١١) : حدثنا عُبَيد[٤] الله القواريري ، حدثنا عزرة بن قيس الأزدي - وكان قد بلغ مائة سنة - حدثنا أبو الحسن السلولي عنه وزادني قال : قال[٥] محمد بن عمرو بن عثمان ، عن عثمان ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **العبد المسلم إذا بلغ أربعين سنة ، خفف الله حسابه ، وإذا بلغ ستين سنة رزقه الله الإنابة إليه ، وإذا بلغ سبعين سنة أحبّه أهل السماء ، وإذا بلغ ثمانين سنة ثبت الله حسناته ومحا سيئاته ، وإذا بلغ تسعين سنة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وشَفَّعه الله في أهل**

(٩) - تفسير ابن أبي حاتم (١٠/حديث ١٨٥٦٧) وإسناده حسن ورجاله ثقات ؛ غير فروة بن أبي المغراء ، فإنه صدوق روى له البخاري والترمذي . والأثر ذكره السيوطي في الدر المنثور (٩/٦) ، وزاد نسبته لسعيد ابن منصور وعبد بن حميد .

(١٠) - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٩/٦) وعزاه لابن أبي حاتم .

(١١) - في إسناده عزرة بن قيس الأزدي وهو ضعيف ، ضعفه ابن معين ، وقال البخاري : لا يتابع على حديثه ترجمته في الميزان (٣/الترجمة ٥٦١٦) والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٢٠٨) وقال : « رواه أبو يعلى في الكبير وفيه عزرة بن قيس الأزدي وهو ضعيف » .

وأيضًا محمد بن عمرو بن عثمان لم أجد له ترجمة ، وعمرو بن عثمان بن عفان لم أجد في الرواة عنه ابنه محمد ولم يذكر أحد ممن ترجمه أن له ابنًا يسمى محمد ولم أجده كذلك في الرواة عن عثمان ولعله يكون محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان وهو صدوق ، روى له ابن ماجة لكن ليست له رواية عن عثمان رضي الله عنه ولا يصح أن يكون سمع منه .

[١] - في ز، خ : « الفداء » .
[٢] - في ز ، خ : « بين » .
[٣] - سقط من : ز، خ .
[٤] - في ز ، خ : « عبد » .
[٥] - سقط من : خ .

بيته ، وكتب في السماء : أسير الله في أرضه » .

وقد روي هذا من غير هذا الوجه ، وهو في مسند الإمام أحمد .

وقد قال الحجاج بن عبد الله الحكمي[١] أحد أمراء بني أمية بدمشق : تركت المعاصي والذنوب [ ][٢] أربعين سنة حياء من الناس ، ثم تركتها حياء من الله عز وجل .

وما أحسن قول الشاعر :

صَبَا مَاصَبَا حَتَّىٰ عَلَا الشَّيْبُ رَأْسَهُ   فَلَمَّا عَلَاهُ قَالَ لِلْبَاطِلِ: ابْطُلِ

﴿ **قال رب أوزعني** ﴾ أي : ألهمني ﴿ **أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلىٰ والدي وأن أعمل صالحًا ترضاه** ﴾ أي : في المستقبل ، ﴿ **وأصلح لي في ذريتي** ﴾ أي : نسلي وعَقبي ، ﴿ **إني تبت إليك وإني من المسلمين** ﴾ . وهذا فيه إرشاد لمن بلغ الأربعين أن يجدد التوبة والإنابة إلىٰ الله - عز وجل - ويعزم[٣] عليها .

وقد روىٰ أبو داود في سننه (١٢) ، عن ابن مسعود - رضي الله عنه - ، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان يعلمهم أن يقولوا في التشهد : « اللهم ، ألّف بين قلوبنا ، وأصلح ذات بيننا ، واهدنا سُبُل السلام ، ونجنا من الظلمات إلىٰ النور ، وجَنّبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وبارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا ، وأزواجنا وذرياتنا ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . واجعلنا شاكرين لنعمتك ، مثنين بها قابليها ، وأتممها علينا [إنك أنت التواب الرحيم][٤] » . قال الله تعالى : ﴿ **أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم** ﴾ [أي : هؤلاء المتصفون بما ذكرنا ، التائبون إلىٰ الله المنيبون إليه ، المستدركون ما فات بالتوبة والاستغفار ، هم الذين يتقبل عنهم أحسن ما عملوا ، ويتجاوز عن سيئاتهم][٥] فيغفر لهم الكثير من الزلل ، ويتقبل منهم اليسير من العمل ، ﴿ **في**

(١٢) - سنن أبى داود ، كتاب الصلاة ، باب : التشهد حديث (٩٦٩) من طريق شريك القاضى ، عن جامع - يعنى ابن شداد - عن أبى وائل ، عن ابن مسعود كذا وقع فى سنن أبى داود « ابن شداد » وهو خطأ والصواب « ابن أبى راشد » كذا قال المزى فى تحفة الأشراف (٧/حديث ٩٢٣٩) وهو حديث ضعيف من هذه الطريق فإن فى إسناده شريكًا القاضى وهو ضعيف . والحديث رواه ابن حبان فى صحيحه (٩٩٦) من طريق شريك ، عن جامع بن شداد ، عن أبى وائل ، عن ابن مسعود . ورواه الحاكم فى المستدرك (١/ ٢٦٥) ، والطبرانى فى الكبير (١٠٤٢٦) ومن طريقه أبو نعيم فى الحلية (٤/١١٠) من طريق شريك عن جامع بن أبى راشد به . وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وله شاهد من حديث =

[١] - في ز ، خ : « الحليمي » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في : ز ، خ « لله » .
[٣] - في خ : « ويقوم » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

أصحاب الجنة ﴾ أي : هم في جملة أصحاب الجنة ، وهذا حكمهم عند الله كما وَعَد الله من تاب إليه وأناب ، ولهذا قال : **﴿ وعد الصدق الذي كانوا يوعدون ﴾** .

قال ابن جرير(١٣) : حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن الحكم ابن أبان ، عن الغطريف ، عن جابر بن زيد ، عن ابن عباس ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، عن الروح الأمين - عليه[١] السلام - قال : « **يؤتىٰ بحسنات العبد وسيئاته ، فيقتص بعضها ببعض ، فإن بقيت حسنة وسع الله له في الجنة** » . قال : فدخلتُ علىٰ يزداد[٢] فَحُدِّث بمثل هذا الحديث[٣] قال : قلت : فإن ذهبت الحسنة؟ قال : ﴿ أولئك الذين يتقبل(*) عنهم أحسن ما عملوا ، ويُتَجَاوَزُ(**) عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون ﴾ .

وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه ، عن محمد بن عبد الأعلىٰ الصنعاني ، عن المعتمر بن سليمان ، بإسناده مثله . وزاد : عن الروح الأمين . قال : « قال الرب جل جلاله : يؤتىٰ بحسنات العبد وسيئاته ... » فذكره ، وهو حديث غريب ، وإسنادٌ جيد لا بأس به .

وقال ابن أبي حاتم (١٤) : حدثنا أبي ، حدثنا سليمان بن معبد[٤] ، حدثنا عمرو بن عاصم الكلابي[٥] ، حدثنا أبو عوانة ، عن [أبي بشر][٦] جعفر بن أبي وَحْشية ، عن

= ابن جريج ، عن جامع . ثم رواه من طريق عبد المجيد عبد العزيز بن أبي رواد ، ثنا ابن جريج ، عن جامع بن أبي راشد ، عن أبي وائل ، عن عبد الله مثل رواية شريك وعبد المجيد صدوق لكنه يخطيء كما قال الحافظ في «التقريب» وابن جريج ثقة لكنه يدلس ولم يصرح هنا بالسماع ، ورواه الطبراني في الأوسط (٥٧٦٩) من طريق الوليد بن القاسم ، عن داود بن يزيد الأزدي ، عن شقيق بن سلمة ، عن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه كان يدعو بهذه الدعوات في أول قوله وبها يختم : « اللهم أصلح ذات بيننا ... » فذكره نحوه ، وداود ابن يزيد الأزدي هو عم عبد الله بن إدريس وهو ضعيف . والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٦٧٩) ونسبه للطبراني في الكبير والأوسط وقال : وإسناده الكبير جيد .

(١٣) - تقدم تخريجه في سورة السجدة الآية /١٧ .

(١٤) - تفسير ابن أبي حاتم (١٠/١٨٥٧١) وإسناده حسن رجاله ثقات إلَّا أن عمرو بن عاصم صدوق في حفظه شيء كما قال الحافظ في « التقريب » .

[١] - في ز ، خ : « عليها » .
[٢] - في خ : « مزداد » .
[٣] - سقط من : خ .
(*) في ز ، خ : "نتقبل ، وهي قراءة نلفع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر .
(**) في ز ، خ : "نتجاوز ، وهي قراءة نلفع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في ت : « الكلائي » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز، خ : « ابن بشر » .

يوسف بن[١] سعد ، عن محمد بن حاطب قال : ونزل في داري حيث ظهر عليٌّ علي أهل البصرة ، فقال لي يومًا : لقد شهدتُ أمير المؤمنين عليًّا وعنده عمار وصعصعة والأشتر ومحمد بن أبي بكر ، فذكروا عثمان فنالوا منه ، وكان [علي - رضي الله عنه -][٢] على السرير ، ومعه عود في يده ، فقال قائل منهم : إن عندكم من يفصل بينكم . فسألوه ، فقال علي : كان عثمان من الذين قال الله : ﴿ **أولئك الذين يُتَقبل**(*) **عنهم أحسن ما عملوا ويُتَجاوز**(**) **عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون** ﴾ . قال : والله عثمان وأصحاب عثمان - قالها ثلاثا - قال يوسف : فقلت لمحمد بن حاطب : آلله لسمعت هذا من عليّ ؟ قال : آلله لسمعت هذا من علي رضي الله عنه .

وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

لما ذكر تعالىٰ حال الداعين للوالدين البارّين بهما ومالهم عنده من الفوز والنجاة ، عطف بحال الأشقياء العاقين للوالدين فقال : ﴿ **والذي قال لوالديه أف لكما** ﴾ - وهذا عام في كل من قال هذا ، ومن زعم أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر فقوله ضعيف ، لأن عبد الرحمن بن أبي بكر أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه ، وكان من خيار أهل زمانه .

وروىٰ ، العوفي ، عن ابن عباس : أنها نزلت في ابن لأبي بكر الصديق . وفي صحة هذا نظر ، والله أعلم .

---

[١] - في ز، خ : « أبو » . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

(*) في ز ، خ : نُتقبل ، وهي قراءة نلفع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر .

(**) في ز ، خ : نُتجاوز ، وهي قراءة نلفع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر .

وقال ابن جريج[١] ، عن مجاهد : نزلت في عبد الله بن أبي بكر . [وهذا أيضًا][٢] قاله ابن جريج . وقال آخرون : عبد الرحمن بن أبي بكر [وهذا أيضًا قاله][٣] السدي . وإنما هذا عام في كل من عق والديه وكذب بالحق ، فقال لوالديه : ﴿ **أف لكما** ﴾ : عقهما .

وقال ابن أبي حاتم (١٥) : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا محمد بن العلاء ، حدثنا يحيىٰ بن أبي زائدة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، أخبرني عبد [الله بن][٤] المديني قال : إني لفي المسجد حين خطب مَرْوان فقال : إن الله أرىٰ أمير المؤمنين في يزيد رأيًا حسنًا ، وإن يستخلفه فقد استخلف أبو بكر وعُمر . فقال عبد الرحمن بن أبي بكر : أهرقلية ؟ ! إن أبا بكر والله ما جعلها في أحد من ولده ، ولا أحد من أهل بيته ، وما[٥] جعلها معاوية [في ولده][٦] إلا رحمة وكرامة لولده . فقال مروان : ألست الذي قال لوالديه : ﴿ **أف لكما** ﴾ ؟ فقال عبد الرحمن : ألست ابن اللعين الذي لعن رسولُ الله صلىٰ الله عليه وسلم أباك . قال : وسمعتهما عائشة فقالت : يا مروان ؛ أنت القائل لعبد الرحمن كذا وكذا ؟ كذبتَ ، ما فيه نزلت ، ولكن نزلت في فلان بن فلان . ثم انتحب مروان ، ثم نزل عن المنبر حتىٰ أتىٰ باب حجرتها ، فجعل يكلمها[٧] حتىٰ[٨] انصرف .

وقد رواه البخاري بإسناد آخر ولفظ آخر ، فقال(١٦) : حدثنا موسىٰ بن إسماعيل ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبي بشْر ، عن يوسف بن مَاهَكَ قال : كان مَرْوانُ علىٰ الحجاز ، استعمله معاوية بن أبي سفيان ، فخطب فجعل[٩] يذكر يزيدَ بن معاوية لكي[١٠] يبايع له

(١٥) - تفسير ابن أبي حاتم (١٠/١٨٥٧٢) وإسناده حسن رجاله ثقات إلَّا أن عبد الله البهى مولى مصعب ابن الزبير ذكره ابن حبان فى الثقات (٥/٣٣ ، ٤٧) وقال ابن سعد فى الطبقات (٦/٢٩٩) : كان ثقة معروفًا قليل الحديث وقال ابن أبى حاتم عن أبيه : (كما فى تهذيب التهذيب ٦/٩٠) : لا يحتج بالبهى وهو مضطرب الحديث . وقال ابن حجر فى « التقريب » : صدوق يخطيء . ورواه البزار (١٦٢٤ - كشف) من طريق إسماعيل بن عبد الله البهى نحوه ، وذكره الهيثمى فى المجمع (٥/٢٤١) وقال : « رواه البزار بإسناد حسن » وزاد السيوطى فى الدر المنثور (٦/١١) نسبته لابن المنذر وعزاه أيضًا ابن حجر فى فتح البارى (٨/ ٥٧٧) لأبى يعلى من هذه الطريق وللخبر طريق أخرى عند البخارى وغيرها عند النسائى وسيأتى تخريجهما (انظر الحديث التالى والذى يليه) .

(١٦) - رواه البخارى فى « صحيحه » كتاب التفسير ، باب : ﴿ والذى قال لوالديه أفٍ لكما أتعداننى أن أخرج ... ﴾ الآية حديث (٤٨٢٧) ، وانظر السابق .

[١] - في خ : « جرير » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز، خ : « وقاله » .
[٤] - ما بين المعكوفتين بياض في : ز ، خ.
[٥] - في ت : « ولا » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز ، خ : « كلما » .
[٨] - في خ : « جئ » .
[٩] - في ت : « وجعل » .
[١٠] - في ز ، خ: « بل » .

بعد أبيه ، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئًا ، فقال : خذوه . فدخل بيت عائشة رضي اللَّه عنها فلم يقدروا عليه ، فقال مروان : إن هذا الذي أنزل فيه : ﴿ **والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي** ﴾ . فقالت عائشة مِن وراء الحجاب : ما أنزل اللَّه فينا شيئًا من القرآن ، إلا أن اللَّه أنزل عُذْري .

(طريق أخرىٰ) قال النسائي(١٧) : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا أمية بن خالد ، حدثنا شعبة ، عن محمد بن زياد قال : لما بايع معاوية لابنه ، قال مروان : سنة أبي بكر وعمر . فقال عبد الرحمن بن أبي بكر : سنة هرقل وقيصر . فقال مروان : هذا الذي أنزل اللَّه فيه : ﴿ **والذي قال لوالديه أف لكما** ﴾ ... الآية . فبلغ ذلك عائشة فقالت : كذب مروان ! واللَّه ما هو به ، ولو شئت أن أسمي الذي أنزلت فيه لسميته ، ولكن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم لعن أبا مروان ، ومروانٌ في صلبه ، فمروان فَضَضٌ[١](*) من لعنة الله .

وقوله : ﴿ **أتعدانني أن أخرج** ﴾ أي : أبعث ﴿ **وقد خلت القرون من قبلي** ﴾ أي : قد مضىٰ الناس فلم يرجع منهم مخبر ، ﴿ **وهما يستغيثان الله** ﴾ . أي : يسألان اللَّه فيه أن يهديه ويقولان لولدهما : ﴿ **ويلك آمن إن وعد اللَّه حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين** ﴾ .

قال الله : ﴿ **أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين** ﴾ أي : دخلوا في زمرة أشباههم وأضرابهم من الكافرين الخاسرين أنفسهم وأهليهم يوم القيامة .

[وقوله : ﴿ **أولئك** ﴾ بعد قوله ﴿ **والذي قال** ﴾ دليل على ما ذكرناه من أنه جنس يعم كل من كان كذلك][٢] .

---

(١٧) - رواه النسائى فى « الكبرى » كتاب التفسير ، باب : قوله : ﴿ والذى قال لوالديه أفٍ لكما ﴾ حديث (١١٤٩١) وهو فى تفسيره رقم (٥١١) والحديث رواه الحاكم فى المستدرك (٤٨١/٤) وصححه على شرط الشيخين وتعقبه الذهبى فقال : محمد لم يسمع من عائشة ، وزاد ابن حجر نسبته فى الفتح (٨/ ٥٧٦) للإسماعيلى . وزاد السيوطى نسبته فى الدر المنثور (١١/٦) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه ومحمد بن زياد هو القرشى الجمحى ثقة ثبت ، ذكر المزى فى ترجمته فى « التهذيب » أنه روى عن عائشة ولم أجد من نص على عدم سماعه من عائشة رضى الله عنها غير الذهبى - رحمه الله - فى تلخيصه للمستدرك .

(*) أي قطعة وطائفة منها .

---

[١] - في ز : « نفيض » ، خ : « يقتض » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .

وقال الحسن ، وقتادة : هو الكافر الفاجر العاق لوالديه ، المكذب بالبعث .

وقد رویٰ الحافظ ابن عساكر(١٨) في ترجمة سهل بن داود ، من طريق هشام بن عمار : حدثنا حماد بن عبد الرحمن ، حدثنا خالد بن[١] الزبرقان الحلبي[٢] ، عن سليمان[٣] بن حبيب المحاربي ، عن أبي أمامة الباهلي ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « أربعة لعنهم اللَّه من فوق عرشه ، وأمّنت عليهم الملائكة : مضل المساكين » . قال خالد : الذي يهوي بيده إلىٰ المسكين[٤] فيقول : هلم أعطيك ، فإذا جاءه قال : ليس معي شيء . « والذي يقول للمكفوف[٥] : اتق[٦] الدابة[٧] وليس بين يديه شيء ، والرجل يسأل عن دار القوم فيدلونه علىٰ غيرها . والذي يضرب الوالدين حتىٰ يستغيثا » . غريب جدًّا .

وقوله : ﴿ **ولكل درجات مما عملوا** ﴾ أي : لكل عذاب بحسب عمله ، ﴿ **وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون** ﴾ أي : لا يظلمهم مثقال ذرة فما دونها [قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : درجات النار تذهب سفالًا ودرجات الجنة تذهب علوًّا][٨] .

وقوله : ﴿ **ويوم يعرض الذين كفروا علىٰ النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها** ﴾ أي : يقال لهم ذلك تقريعًا وتوبيخًا . وقد تورّع عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه عن كثير من طيبات المآكل والمشارب ، وتنزه عنها ، ويقول : أخاف أن أكون

(١٨) - رواه الطبراني في الكبير (٧٤٨٩) من طريق هشام بن عمّار بنفس إسناد ابن عساكر إلى النبي ﷺ بلفظ : « أربعة لعنهم الله فوق عرشه وأمنت عليهم ملائكته الذى يحصن نفسه عن النساء ولا يتزوج ولا يتسرى لأن لا يولد له ولد ، والرجل يتشبه بالنساء وقد خلقه الله ذكرًا ، والمرأة تتشبه بالرجال وقد خلقها الله عز وجل أنثى ، ومضلل المساكين » . قال خالد بن الزبرقان يعنى : الذين يهزأ بهم يقول للمسكين هل أعطيك فإذا جاءه الرجل قال : ليس معي شيء ويقول للمكفوف : اتق البئر ، اتق الدابة . وليس بين يديه شيء . والرجل يسأل عن دار القوم فيرشده إلى غيرها . وإسناده ضعيف حمّاد بن عبد الرحمن هو الكلبى ضعيف قال أبو زرعة الرازى : يروى أحاديث مناكير . وقال أبو حاتم : شيخ مجهول ، منكر الحديث ، ضعيف الحديث كذا فى الجرح والتعديل (١٤٣/٣) وضعفه الحافظ فى « التقريب » وشيخه خالد بن الزبرقان قال أبو حاتم فى الجرح والتعديل (٣٣٢/٣) : منكر الحديث وترجم له الذهبى فى الميزان (١٥٣/٢) ونقل فيه قول أبى حاتم . والحديث من هذه الطريق أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد (٢٥٤/٤) وقال : (رواه الطبرانى فى الكبير من طريق حماد بن عبد الرحمن الكلبى (تحرف فى المطبوع من المجمع إلى العكى) عن خالد بن الزبرقان وكلاهما ضعيف » . =

[١] - سقط من : ز.
[٢] - في ز : « العدني » ، خ : « العديني » .
[٣] - في ز ، خ : « سليم » .
[٤] - في ز ، خ : « المسلمين » .
[٥] - في خ : « للماعون » .
[٦] - بياض في : ز ، خ : « ابن » .
[٧] - بياض في : ز ، خ .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .

كالذين قال الله تعالىٰ لهم وَقرَّعهم : ﴿ **أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها** ﴾ .

وقال أبو مِجْلَز : ليتفقَّدَنّ[١] أقوامٌ حَسَنات كانت لهم في[٢] الدنيا ، فيقال لهم : ﴿ **أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون** ﴾ ، فجوزوا من جنس عملهم ، فكما نَعَّموا أنفسهم واستكبروا عن اتباع الحق ، وتعاطوا الفسق والمعاصي ، جازاهم الله بعذاب الهون ، وهو الإهانة والخزي والآلام الموجعة ، والحسرات المتتابعة ، والمنازل في الدركات المفظعة[٣] ، أجارنا الله من ذلك كله[٤] !

﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٢١) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٢) قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٣) فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤) تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (٢٥) ﴾

يقول تعالىٰ مسليًا لنبيه في تكذيب من كذبه من قومه : ﴿ **واذكر أخا عاد** ﴾ - وهو

= ورواه الطبراني في الكبير (٧٨٢٧) من طريق آخر عن القاسم عن أبي أمامة نحوه ، وفي إسناده علي بن يزيد الألهاني وهو متروك ، وبه أعل الهيثمي الحديث في مجمع الزوائد (١٠٦/٤) وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٢٩/٣) : « رواه الطبراني من طريق علي بن يزيد الألهاني وفي الحديث غرابة » . والحديث من الطريق الأولى ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٤١٣/١) وقال : قال أبي هذا حديث منكر بهذا الإسناد .

[١] - في خ : « ليتفقدون » .
[٢] - في ز، خ : « من » .
[٣] - في خ : « المقطعة » .
[٤] - سقط من : ز، خ .

هود - عليه السلام - بعثه الله إلىٰ عاد الأولىٰ ، وكانوا يسكنون الأحقاف - جمع حِقْف وهو : الجبل من الرمل - قاله ابن زيد .

وقال عكرمة : الأحقاف : الجبل والغار .

وقال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- : الأحقاف : واد بحضرموت ، يدعىٰ بَرَهوت ، تُلقىٰ[١] فيه أرواح الكفار .

وقال قتادة : ذُكر لنا أن عادًا كانوا حيًّا باليمن ، أهل رمل [ ][٢] مشرفين علىٰ البحر بأرض يقال لها : الشّحْر[٣] .

قال ابن ماجة(١٩) : « باب إذا دعا فليبدأ بنفسه » : حدثنا [الحسن بن على الخلال][٤] حدثنا زيد بن الحباب حدثنا [عن أبي إسحاق][٥] عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **يرحمنا الله ، وأخا عاد** » .

وقوله : ﴿ **وقد خلت النذر**[٦] **من بين يديه ومن خلفه** ﴾ يعني : وقد أرسل الله إلىٰ مَن حَول بلادهم من القرىٰ مرسلين ومنذرين ، كقوله : ﴿ **فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها** ﴾ ، وكقوله : ﴿ **فإن أعرضوا**[٧] **فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود * إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم**

(١٩) - رواه ابن ماجة فى « السنن » كتاب الدعاء ، باب : إذا دعا أحدكم فليبدأ بنفسه حديث (٣٨٥٢) كما نقله المصنف هنا . وإسناده ضعيف فإن زيد بن الحباب وإن وثقه ابن معين وغيره إلَّا أنه قال فيه : كان يقلب حديث الثورى . ولذلك قال الحافظ فى « التقريب » : صدوق يخطيء في حديث الثورى . وأبوإسحاق هو السبيعى ثقة لكنه مدلس ولم يصرح هنا بالسماع والحديث ضعفه الألبانى فى « ضعيف الجامع » (٦٤٤٤) وضعيف سنن ابن ماجة (٨٤٠) أمَّا قول البوصيرى فى « الزوائد » (٢٠٤/٣) : « هذا إسناد صحيح » ففيه ما فيه ، والله أعلم .

وقد روى الحديث من وجه آخر عند ابن أبى شيبة فى مصنفه (٢٢٠/١٠) (٩٢٧٧) من طريق سفيان عن إبراهيم بن المهاجر ، عن إبراهيم به مرسلاً ، وهو إسناد مرسل . وإبراهيم بن مهاجر هو البجلى قال الحافظ فى « التقريب » : صدوق لين الحفظ .

[١] - في ز، خ : « يُلْقى » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « وذكرات » . [٣] - في خ : « الشجرة » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « الحسين بن علي ثنا أبي » .

[٥] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « ثنا على بن إسحاق » .

[٦] - في ز ، خ: « القرون » .

[٧] - في ز، خ : « تولوا » .

عظيم ﴾ أي : قال لهم هود ذلك ، فأجابه قومه قائلين : ﴿ **أجئتنا لتأفكنا** ﴾ أي : لتصدنا ﴿ **عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين** ﴾ ، استعجلوا عذاب الله وعقوبته ، استبعادًا منهم وقوعه ، كقوله : ﴿ **يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها** ﴾ .﴿ **قل**[١] **إنما العلم عند الله** ﴾ أي : الله أعلم بكم إن كنتم مستحقين لتعجيل العذاب فيفعل ذلك بكم ، وأما أنا فمن شأني أن أبلغكم ما أرسلت به ، ﴿ **ولكني أراكم قومًا تجهلون** ﴾ أي : لا تعقلون ولا تفهمون .

قال الله تعالىٰ : ﴿ **فلما رأوه عارضًا مستقبل أوديتهم** ﴾ أي : لما رأوا العذاب مستقبلهم ، اعتقدوا أنه عارض ممطر[٢] ، ففرحوا واستبشروا ، وقد كانوا ممحلين محتاجين إلىٰ المطر ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم** ﴾ أي : هو العذاب الذي قلتم : ﴿ **فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين** ﴾ .

﴿ **تدمّر** ﴾ أي : تخرب . ﴿ **كل شيء** ﴾ من بلادهم مما [من شأنه الخراب][٣] .

﴿ **بأمر ربها** ﴾ أي : بإذن الله لها في ذلك ، كقوله : ﴿ **ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم** ﴾ أي : كالشيء البالي ؛ ولهذا قال : ﴿ **فأصبحوا [لا يُرىٰ]**[٤] **إلا مساكنهم** ﴾ أي : قد بادوا كلهم عن آخرهم ولم تبق لهم باقية ، ﴿ **كذلك نجزي القوم المجرمين** ﴾ أي : هذا حكمنا فيمن كذب رسلنا ، وخالف أمرنا .

وقد ورد حديث في قصتهم ، وهو غريبٌ جدًّا من غرائب[٥] الحديث وأفراده . قال الإمام أحمد (٢٠) :

حدثنا زيد بن الحباب ، حدثني أبو[٦] المنذر سلام بن سليمان النحوي قال : حدثنا عاصم ابن أبي النَّجُود ، عن أبي وائل ، عن الحارث البكري قال : خرجت أشكو العلاء بن[٧] الحضرمي إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فمررت بالرَّبذَة ، فإذا عجوز من بني تميم منقطع بها ، فقالت لي : يا عبد الله ، إن لي إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حاجةً ، فهل أنت مبلّغي إليه ؟ قال : فحملتها فأتيت بها المدينة ، فإذا المسجد غاصّ بأهله ، وإذا راية

---

(٢٠) - تقدم فى الأعراف (١٢٢) ، وهو فى المسند (١٦٠٠٠) (٤٨٢/٣) .

---

[١] - في ز ، خ : « قال » .

[٢] - في خ : « مطر » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في خ : « مر به الجواب » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز، خ : « ترى » .

[٥] - في ز، خ : « غريب » .

[٦] - في ز ، خ : « ابن » .

[٧] - سقط من : ز ، خ .

سوداء تخفق ، وإذا بلال مُتَقَلِّدُ السيف بين يدي رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فقلت : ما شأن الناس ؟ قالوا : يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجْهًا . قال : فجلست ، فدخل منزله - أو قال : رحله - فاستأذنت عليه ، فأذن لي ، فدخلت [فسلمت ، فقال : « **هل كان بينكم وبين تميم شيء ؟** » قلت : نعم ، وكانت لنا الدَّبَرَة(*) عليهم ، ومررت بعجوز من بني تميم منقطع بها ، فسألتني أن أحملها إليك ، وها هي بالباب . فأذن لها فدخلَتْ][١] ، فقلت : يا رسول الله ؛ إن رأيت أن تجعل بيننا وبين تميم حاجزًا فاجعل الدهناء . فحَمِيت العجوز واستوفزت ، وقالت : [يا رسول الله][٢] ، فإلىٰ[٣] أين يضطرُ[٤] مُضَرُك ؟ قال : قلت : إن مثلي ما قال الأول : « معْزَىٰ[٥] حَمَلت حَتْفها » ، حَمَلْتُ هذه ولا أشعر أنها كانت لي خصمًا ، أعوذ باللّٰه ورسوله أن أكون كوافد عادٍ . قال : « **هيه ، وما وافد عاد ؟** » - وهو أعلم بالحديث منه ، ولكن يستطعمه - قلت : إن عادًا قُحطوا فبعثوا وافدًا لهم يقال له : قَيل ، فمر بمعاوية بن بكر ، فأقام عنده شهرًا يسقيه الخمر وتغنيه جاريتان - يقال لهما : « الجرادتان » - فلما مضىٰ الشهر خرج إلىٰ جبال مَهْرة فقال : اللهم ؛ إنك تعلم أني لم أجئ إلىٰ مريض فأداويَه ، ولا إلىٰ أسير فأفاديه ، اللهم ؛ اسق عادًا ما كنت تسقيه . فمرت به سحابات سود ، فنودي منها : « اختر » ، فأومأ إلىٰ سحابة منها سوداء ، فنُودي منها : « خذها رمادًا رِمْدَدًا[٦] ، لا تُبقي من عاد أحدًا » . قال : فما بلغني أنه أرسل عليهم من الريح إلا كقدر ما يجري في خاتمي هذا ، حتىٰ هلكوا - قال أبو وائل : وصدق - وكانت المرأة والرجل إذا بعثوا وافدًا لهم قالوا : « لا تكن كوافد عاد » .

و[٧]رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة كما تقدم في سورة « الأعراف » .

وقال الإمام أحمد(٢١) : حدثنا هارون بن معروف ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرنا عمرو : أن أبا النضر حدثه عن سليمان بن يَسَار[٨] ، عن عائشة أنها قالت : ما رأيت رسول اللّٰه

(*) الدبرة : الغلبة والنصر .

(٢١) - المسند (٦٦/٦) وفيه حدثنا هارون بن معروف ومعاوية بن عمرو قالا : حدثنا ابن وهب ... الحديث ورواه البخارى فى « صحيحه » كتاب التفسير ، باب : ﴿ فلما رأوه عارضًا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا ... ﴾ الآية حديث (٤٨٢٨) ، (٤٨٢٩) وفى كتاب الأدب ، باب : التبسم والضحك حديث (٦٠٩٢) مختصرًا ، ومسلم فى صلاة الاستسقاء ، باب : التعوذ عند رؤية الريح والغيم ، والفرح بالمطر حديث (١٦) (٨٩٩) من طرق عن ابن وهب به .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين من : ز .
[٣] - في ز ، « قال » ، سقط من : خ .
[٤] - في خ : « مضطرفه » .
[٥] - في خ : « بعرى » .
[٦] - في خ : « ومددا » .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - في ز : « بشار » .

صلىٰ اللَّه عليه وسلم مستجمعًا ضاحكًا حتىٰ أرىٰ منه لَهوَاته (*) ، إنما كان يتبسم . قالت : وكان إذا رأىٰ غيمًا - أو ريحًا - عُرف ذلك في وجهه ، قالت : يا رسول الله ، الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر ، وأراك إذا رأيته عُرِفَت في وجهك الكراهية ؟ فقال : **« يا عائشة ، ما يُؤْمنني أن يكون فيه عذاب ، قد عُذِّب قوم بالريح ، وقد رأىٰ قوم العذاب فقالوا : هذا عارض ممطرنا »** . وأخرجاه من حديث ابن وهب .

(طريق أخرىٰ) قال أحمد(٢٢) : حدثنا عبد الرحمٰن ، عن سفيان ، عن المقدام بن شريح ، عن أبيه ، عن عائشة أن رسول الله صلىٰ اللَّه عليه وسلم كان إذا رأىٰ ناشئًا(**) في أفق من آفاق[١] السماء ، ترك عمله وإن كان في صلاته ، ثم يقول : « اللهم ، إني أعوذ بك من شر ما فيه » . فإن كشفه اللَّه حمد الله ، وإن أمطرت قال : « اللهم ، صَيِّبًا(***) نافعًا » .

(طريق أخرىٰ) قال مسلم في صحيحه(٢٣) : حدثنا أبو الطاهر ، أخبرنا ابن وهب ،

(*) جمع لَهَاة ، وهي اللَّحمات في أقصى سقف الفم .

(٢٢) - المسند (٦/١٩٠) ورواه فى (٦/١٣٧ - ١٣٨) من طريق وكيع . وأبو داود فى الأدب ، باب : ما يقول إذا هاجت الريح حديث (٥٠٩٩) من طريق عبد الرحمن . ورواه النسائى فى عمل اليوم والليلة (٩١٥) من طريق يحيى . والبخارى فى الأدب المفرد (٦٨٦) من طريق خلاد كلهم (وكيع ، وعبد الرحمن ، ويحيى ، وخلاد) عن سفيان الثورى ، عن المقدام بن شريح به ، ورواه النسائى (١٦٤/٣) وابن حبان فى صحيحه (٩٩٤) من طريق مسعر عن المقدام بن شريح به مختصرًا .

ورواه ابن أبى شيبة (١٠/٢١٨) ومن طريقه ابن ماجة فى الدعاء - والنسائى فى « عمل اليوم والليلة » (٩١٤) عن يزيد بن المقدام بن شريح ، عن أبيه به . ورواه ابن حبان فى صحيحه (١٠٠٦) وأحمد فى المسند (٦/٢٢٢) من طريق شريك ، عن المقدام بن شريح ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ إذا رأى فى السماء غبارًا أو ريحًا تعوذ بالله من شره فإذا أمطرت قال : « اللهم صيبًا نافعًا » وفى إسناده شريك وهو ابن عبد الله القاضى ضعيف . والراوى عنه عند ابن حبان هو يحيى بن طلحة اليربوعى وهو لين الحديث ، وعند أحمد : حجاج بن أرطاه ، وهو ضعيف مدلس . لكن يشهد له الطرق السابقة غير قوله : «غبار» فإنه منكر كما قال أبو عبد الرحمن العلامة الشيخ ناصر الدين الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٧٥٧) .

(**) الناشئ : السحاب الذي لم يتكامل اجتماعه واصطحابه . ومنه نشأ الصبي ينشأ نشأً فهو ناشئ ، إذا كبر وشب ولم يتكامل .

(***) أي مطرًا منهمرًا متدفقًا .

(٢٣) - رواه مسلم فى « صحيحه » كتاب صلاة الاستسقاء ، باب : التعوذ عند رؤية الريح والغيم ، والفرح بالمطر حديث (١٥) (٨٩٩) ورواه النسائى فى « عمل اليوم والليلة » رقم (٩٤٠) قال أخبرنا : أحمد =

---

[١] - في ز، خ : « أفق » .

سمعت ابن جريج يُحدّث عن عطاء بن أبي رباح ، عن عائشة قالت : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إذا عَصَفت الريح قال : « **اللهم ، إني أسألك خيرها ، وخير ما فيها ، وخير ما أُرسِلَتْ به ، وأعوذ بك من شرها ، وشر ما فيها ، وشر ما أُرسِلَتْ به** » . قالت : وإذا تَخيَّلت[١](*) السماء تغير لونه ، وخرج ودخل ، وأقبل وأدبر ، فإذا أمطرت[٢] سري عنه ، فعرفت ذلك عائشة فسألته فقال : « **لعله يا عائشة - كما قال قوم عاد : ﴿ فلما رأوه عارضًا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا ﴾** » .

وقد ذكرنا قصة هلاك عاد في سورتي[٣] « الأعراف » و « هود » ، بما أغنىٰ عن إعادته هاهنا ، ولله الحمد والمنة .

وقال الطبراني(٢٤) : حدثنا عبدان بن أحمد ، حدثنا إسماعيل بن زكريا الكوفي ، حدثنا أبو مالك بن مسلم الملائي ، عن مجاهد وسعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما فتح علىٰ عاد من الريح إلا مثل موضع الخاتم ، ثم أرسلت عليهم البَدْو[٤] إلىٰ الحضر فلما رآها أهل الحضر قالوا : هذا عارض ممطرنا مستقبل أوديتنا . وكان أهل البوادي فيها ، فأُلقي أهل البادية علىٰ أهل الحاضرة حتىٰ هلكوا . قال : عتت علىٰ خزانها حتىٰ خرجت من خلال الأبواب** » .

وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّـٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَـٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ

= ابن عمرو بن السرح ، أخبرنا ابن وهب ، فذكره ورواه برقم (٩٤١) من طريق عثمان بن عمر ، عن ابن جريج به.

(*) تخيلت السماء : تهيأت للمطر ، فأغامت ، ورعدت وبرقت .

(٢٤) - المعجم الكبير للطبراني (١٢٤١٦) وفى إسناده أبو مالك الجنبى ، وهو عمرو بن هاشم ضعيف . ضعفه البخارى فى التاريخ (٦/الترجمة ٢٧٠٢) فقال : فيه نظر . وقال أبو حاتم فى الجرح والتعديل (٦/ الترجمة ١٤٧٨) : لين الحديث يكتب حديثه . وقال الحافظ فى « التقريب » : لين الحديث . وشيخه مسلم الملائى هو مسلم بن كيسان الضبى الملائى روى له الترمذى وابن ماجة وهو ضعيف كما قال الحافظ فى «التقريب » . والحديث ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (١١٦/٧) وقال : رواه الطبرانى وفيه مسلم الملائى وهو ضعيف » . وذكره السيوطى فى الدر المنثور (١٥/٦) وزاد نسبته إلى أبى الشيخ وابن مردويه وروى الطبرانى (١٣٥٥٣) نحوه عن ابن عمر ، وفى إسناده مسلم الملائى أيضًا وهو ضعيف كما تقدم ومن هذا الطريق ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (١١٦/٧) وأعله بمسلم الملائى وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٦/ ١٥) وزاد نسبته إلى ابن أبى الدنيا وأبى يعلى وأبى الشيخ وابن مردويه .

---

[١] - في ز ، خ : « تجلت » .
[٢] - في ز، خ : « مطر » .
[٣] - في خ : « سورة » .
[٤] - في ز : « البدر » ، خ : « النذر » .

أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾

يقول تعالىٰ : ولقد مكنا الأمم السالفة[١] في الدنيا من الأموال والأولاد ، وأعطيناهم منها مالم نعطكم مثله ولا قريبًا منه ، ﴿ **وجعلنا لهم سمعًا وأبصارًا وأفئدة فما أغنىٰ عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون** ﴾ أي : وأحاط بهم العذاب والنكال الذي كانوا يكذبون به ويستبعدون وقوعه ، أي : فاحذروا أيها المخاطبون أن تكونوا مثلهم ، فيصيبكم مثلُ ما أصابهم من العذاب في الدنيا والآخرة .

وقوله : ﴿ **ولقد أهلكنا ما حولكم من القرىٰ** ﴾ يعني : أهل مكة ، قد أهلك الله[٢] الأمم المكذبة بالرسل مما حولها كعاد ، و[٣]كانوا بالأحقاف بحضرموت عند اليمن ، وثمود وكانت منازلهم بينهم وبين الشام ، وكذلك سبأ وهم أهل اليمن ، ومدين وكانت في طريقهم وممرهم إلىٰ غزة ، وكذلك بحيرة قوم لوط ، كانو يمرون بها أيضًا .

وقوله : ﴿ **وصرفنا الآيات** ﴾ أي : بيّناها وَوَضّحناها ﴿ **لعلهم يرجعون * فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانًا آلهة** ﴾ أي : فهلا نصروهم عند احتياجهم إليهم ، ﴿ **بل ضلوا عنهم** ﴾ أي : بل[٤] ذهبوا عنهم أحوجَ ما كانوا إليهم ، ﴿ **وذلك إفكهم** ﴾ أي : كذبهم ، ﴿ **وما كانوا يفترون** ﴾ أي : وافتراؤهم في اتخاذهم إياهم آلهة ، وقد خابوا وخسروا في عبادتهم لها ، واعتمادهم عليها .

وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ

---

[١] - في ز ، خ : « السابقة » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من : ز، خ .

بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٣٠﴾
يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ
أَلِيمٖ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَيۡسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ
أَوۡلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾

قال الإمام أحمد(٢٥) : حدثنا سفيان ، حدثنا عمرو : سمعت عكرمة ، عن الزبير : ﴿ **وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن** ﴾ ، قال : بنخلة ، ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يصلي العشاء الآخرة ، ﴿ **كادوا يكونون عليه لبدًا** ﴾ ، قال سفيان : اللِّبَد : بعضهم علىٰ بعض ، كاللبد بعضه علىٰ بعض. تفرد به أحمد ، وسيأتي من رواية ابن جرير ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أنهم سبعة من جن نَصِيبين.

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا أبو عوانة (ح) . وقال الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه « دلائل النبوة » : أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار ، حدثنا إسماعيل [ ][١] القاضي ، أخبرنا مسدد ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : ما قرأ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ الجن ولا رآهم ، انطلق رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عامدين إلىٰ سوق عكاظ ، وقد حيلَ بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين إلىٰ قومهم فقالوا : ما لكم ؟ فقالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسلت علينا الشهب . قالوا : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث ، فاضربوا مشارق الأرض

(٢٥) - المسند (١/١٦٧) وفيه : حدثنا سفيان قال عمرو : وسمعت عكرمة ﴿ وإذ صرفنا إليك ﴾ ، وقرئ على سفيان : عن الزبير (نفرًا من الجن يستمعون القرآن) قال : بنخلة ورسول الله ﷺ يصلى العشاء الآخرة ... الحديث ، فذكره ابن كثير هنا عن الزبير وذكر فيه الآية كاملة . أما الهيثمي - رحمه الله - فقد ذكر الحديث في مجمع الزوائد (٧/١٣٢) فقال : « عن عكرمة وغيره ﴿ نفرًا من الجن يستمعون القرآن ﴾ قال بنخلة ... رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح » . كذا وقع في « مجمع الزوائد » فلعل كلمة (الزبير) تحرفت على الناسخ إلى (غيره) والحديث منقطع فإن عكرمة لم يسمع من الزبير ، قال العلامة أحمد شاكر في تعليقه على المسند الحديث (١٤٣٥) : إني أرجح أن عكرمة لم يسمع من الزبير ؛ لأن مولاه إنما أهداه لابن عباس حين ولى البصرة من قبل على بن أبى طالب سنة ٣٦هـ ... وذلك بعد وقعة الجمل ومقتل الزبير يقينًا » والحديث ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/١٦) وزاد نسبته لابن أبي حاتم وابن مردويه .

[١] - ما بين المعكوفتين في خ : « بن » .

ومغاربها [وانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء . فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها][١] يبتغون ما هذا الذي حال بينهم وبين خبر السماء ، فانصرف أولئك النفر الذين[٢] توجهوا نحو تهامة إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدًا إلىٰ سوق عكاظ ، وهو يصليٰ بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن استمعوا له ، فقالوا : هذا - والله - الذي حال بينكم وبين خبر السماء . فهنالك حين رَجَعُوا إلىٰ قومهم قالوا : يا قومنا ، ﴿ **إنا سمعنا قرآنًا عَجَبًا * يهدي إلىٰ الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدًا** ﴾ . وأنزل الله علىٰ نبيه : ﴿ **قل أُوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن** ﴾ . وإنما أُوحي إليه قول الجن (٢٦) .

رواه البخاري عن مسدد بنحوه ، وأخرجه مسلم عن شيبان بن فَرّوخ ، عن أبي عوانة ، به . ورواه الترمذي والنسائي في التفسير ، من حديث أبي عوانة .

وقال الإمام أحمد أيضًا(٢٧) : حدثنا أبو أحمد ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان الجنّ يستمعون الوحي ، فيسمعون الكلمة فيزيدون فيها عشرًا ،فيكون ما سمعوا حقًّا وما زادوا باطلًا ، وكانت النجوم لا يُرمىٰ بها قبل ذلك ، فلما بُعث رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان أحدهم لا يأتي مقعده إلا رُمي بشهاب يُحرِقُ ما أصاب ، فَشَكَوا ذلك إلىٰ إبليس فقال : ما هذا إلا من أمر قد حَدَث ، فبثّ جنوده ، فإذا بالنبي صلىٰ الله عليه وسلم يصلي بين جبلي نخلة ، فأتوه فأخبروه ، فقال : هذا الحدث الذي حدث في الأرض. رواه الترمذي والنسائي في كتابي التفسير من سننيهما ، من حديث إسرائيل به .

وقال الترمذي : حسن صحيح. وهكذا رواه أيوب عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . وكذا رواه العوفي ، عن ابن عباس أيضًا بمثل هذا السياق بطوله . وهكذا قال الحسن البصري : إنه - عليه السلام - ما شعر بأمرهم حتىٰ أنزل الله عليه بخبرهم .

---

(٢٦) - رواه أحمد فى مسنده (٢٥٢/١) ورواه البخارى فى « صحيحه » فى الأذان ، باب : الجهر بقراءة صلاة الفجر حديث (٧٧٣) وفى التفسير ، حديث (٤٩٢١) ، ومسلم فى « صحيحه » فى الصلاة ، باب : الجهر بالقراءة فى الصبح ، والقراءة على الجن حديث (٤٤٩) (١٤٩) والترمذى فى « جامعه » كتاب التفسير ، باب : ومن سورة الجن حديث (٣٣٢٣) ، والنسائى فى تفسيره رقم (٦٤٤) من طرق عن أبى عوانة به .

(٢٧) - المسند (٢٧٤/١) (٢٤٨٢) ورواه الترمذى فى كتاب التفسير ، باب : ومن سورة الجن حديث (٣٣٢٤) والنسائى فى التفسير رقم (٦٤٦) من طريق إسرائيل به ، ورواه أحمد (٣٢٣/١) (٢٩٧٩) من طريق إسرائيل ، عن سماك ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - في ز،خ : « الذي » .

وذكر محمد بن إسحاق (٢٨) ، عن يزيد بن رومان ، عن محمد بن كعب القُرَظي قصَّةَ خروج رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ الطائف ودعائه إياهم إلىٰ الله - عز وجل - وإبائهم عليه . فذكر القصة بطولها ، وأورد ذلك الدعاء الحسن : « **اللهم ، إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي ...** » إلىٰ آخره . قال : فلما انصرف عنهم بات بنخلة ، فقرأ تلك الليلة من القرآن فاستمعته[١] الجن من أهل نَصيبين .

وهذا صحيح ، ولكن قوله : « إن الجن كان استماعهم تلك الليلة » . فيه نظر ؛ لأن الجن كان استماعهم في ابتداء الإِيحاء ، كما دل عليه حديث ابن عباس المذكور ، وخروجه - عليه السلام - إلىٰ الطائف كان بعد موت عمه ، وذلك قبل الهجرة بسنة أو سنتين ، كما قرره ابن إسحاق وغيره .

وقال أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ (٢٩) : حدثنا أبو أحمد الزّبيريّ ، حدثنا سفيان ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله بن مسعود قال : هبطوا علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة ، فلما سمعوه قالوا : أنصتوا . قال : صه . وكانوا تسعة أحدهم زوبعة ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قُضي ولوا إلىٰ قومهم منذرين** ﴾ إلىٰ ﴿ **ضلال مبين** ﴾ .

فهذا مع الأول من رواية ابن عباس يقتضي أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لم يشعر بحضورهم في هذه المرة ، وإنما استمعوا قراءته ، ثم رجعوا إلىٰ قومهم ، ثم بعد ذلك وفدوا إليه أرسالًا(*) قومًا بعد قوم ، وفوجًا بعد فوج ، كما ستأتي[٢] بذلك الأخبار في موضعه[٣]

(٢٨) - رواه ابن إسحاق كما فى سيرة ابن هشام (٤٤٤/٢ - ٤٤٥) وإسناده مرسل فإن محمد بن كعب القرظى من ثقات التابعين ولد سنة أربعين على ما رجحه الحافظ فى « التقريب » والحديث رواه الطبرانى كما فى مجمع الزوائد (٣٨/٦) من حديث عبد الله بن جعفر . وقال الهيثمى : فيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة وبقية رجاله ثقات . ولم أقف على إسناده فى المطبوع من معجم الطبرانى الكبير بسبب فقد الجزء الذى يحتوى على مرويات العبادلة من الصحابة عدا ابن مسعود وابن عباس ، وجزء من حديث ابن عمر رضى الله عنهم .

(٢٩) - رواه ابن أبى شيبة ، ومن طريقه الحاكم فى المستدرك (٤٥٦/٢) ، والبيهقى فى دلائل النبوة (٢/ ٢٢٨) وصححه الحاكم ووافقه الذهبى . وفى إسناده أبو أحمد الزبيرى وهو محمد بن عبد الله بن الزبير الأسلمى ثقة ثبت ؛ إلَّا أن الإمام أحمد قال : كان كثير الخطأ فى حديث سفيان . كذا فى « التهذيب » (٤٧٩/٢٥) والحديث ذكره السيوطى فى الدر المنثور (١٦/٦) وزاد نسبته إلى ابن منيع وابن مردويه وأبى نعيم فى « دلائل النبوة » .

(*) يقال : جاء القوم أرسالًا ، أي جماعات متتابعين .

[١] - في ت : « فاستمعه » . [٢] - في ت : « سيأتي » .

[٣] - في ت : « موضعها » .

والآثار ، مما سنوردها هاهنا إن شاء اللّٰه تعالىٰ وبه الثقة .

فأما ما رواه البخاري ومسلم جميعًا(٣٠) ، عن أبي قدامة عبيد اللّٰه بن سعيد السَّرخسي ، عن أبي أسامة حماد بن أسامة ، عن مسعر بن كدام ، عن مَعن بن عبد الرحمن قال : سمعت أبي قال : سألت مسروقًا : من آذَنَ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ليلة استمعوا القرآن ؟ فقال : حدثني أبوك - يعني ابن مسعود - أنه آذنته[١] بهم شجرة - فيحتمل أن يكون هذا في المرة الأولىٰ ، ويكون إثباتًا مقدَّمًا علىٰ نفي ابن عباس ، ويحتمل أن يكون هذا في بعض المرات المتأخرات ، واللّٰه أعلم . ويحتمل أن يكون في الأولىٰ ولكن لم يشعر بهم حال استماعهم حتىٰ آذنته بهم الشجرة[٢] ، أي : أعلمته باستماعهم ، واللّٰه أعلم .

قال الحافظ البيهقي (٣١) : وهذا الذي حكاه ابن عباس -رضي الله عنهما[٣]- إنما هو في أول ما سمعت الجن قراءة رسول الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وعلمت حاله ، وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ولم يرهم ، ثم بعد ذلك أتاه داعي الجن فقرأ عليهم القرآن ، ودعاهم إلىٰ اللّٰه - عز وجل - كما رواه عبد اللّٰه بن مسعود رضي اللّٰه عنه .

[ذكر الرواية عنه بذلك]

قال الإمام أحمد (٣٢) : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا داود ، عن الشعبي - وابن أبي زائدة ، أخبرنا داود ، عن الشعبي ، عن[٤] علقمة قال : قلت لعبد اللّٰه بن مسعود : هل صَحِب رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ليلة الجن منكم أحد ؟ فقال : ما صحبه منا أحد ،

(٣٠) - رواه البخارى فى « صحيحه » كتاب مناقب الأنصار ، باب : ذكر الجن . وقوله الله تعالى : ﴿ قل أوحى إليَّ أنه استمع نفر من الجن ﴾ حديث (٣٨٥٩) ، ومسلم فى « صحيحه » كتاب الصلاة ، باب : الجهر بالقراءة فى الصبح والقراءة على الجن حديث (١٥٣/٤٥٠) من طريق عبيد الله بن سعيد به . ورواه الحميدى كما فى المنتخب من مسنده رقم (١٢٣) قال : حدثنا سفيان ، عن مسعر ، عن عمرو بن مرة ، عن أبى عبيدة قال : قال لى مسروق : أخبرنى أبوك أن شجرة أنذرت النبى ﷺ بالجن .

(٣١) - انظر دلائل النبوة للبيهقى (٢٢٧/٢) مع قليل من التصرف .

(٣٢) - المسند (٤٣٦/١) (٤١٤٩) ومن طريقه رواه البيهقى فى الدلائل (٢٢٩/٢) ورواه مسلم فى «صحيحه» كتاب الصلاة ، باب : الجهر بالقراءة فى الصبح والقراءة على الجن حديث (١٥٠/٤٥٠) والترمذى فى كتاب تفسير القرآن ، باب : « ومن سورة الأحقاف » حديث (٣٢٥٨) من طريق إسماعيل بن إبراهيم ، عن داود بن أبى هند به نحوه . ورواه النسائى فى الكبرى كما فى تحفة الأشراف (٩٤٦٣) وهو فى التفسير برقم (٦٤٣) وابن خزيمة فى صحيحه (٨٢) من طريق يحيى بن زكريا بن أبى زائدة ، عن داود به . ورواه مسلم أيضًا فى نفس الموضع حديث (١٥١/٤٥٠) من طريق عبد الله بن إدريس ، عن =

[١] - في خ : « آذن » .
[٢] - مكانها بياض في : ز ، سقط من : خ .
[٣] - في ز ، خ: « عنه » .
[٤] - بعده في خ : « أبي » .

ولكنا فقدناه ذات ليلة بمكة ، فقلنا : اغتيل ؟ استُطير (*) ؟ ما فعل ؟ قال : فبتنا بشرّ ليلة بات بها قوم ، فلما كان في وجه الصبح - أو قال : في السحر - إذا نحن به يجيء من قِبَل حراء ، فقلنا : يا رسول الله - فذكروا له الذي كانوا فيه - فقال : « **إنه أتاني داعي الجن**[١] **فأتيتهم فقرأت عليهم** » . قال : فانطلق ، فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم - قال : وقال الشعبي : سألوه الزاد - قال عامر : سألوه [ليلتئذٍ الزاد][٢] ، وكانوا من جن الجزيرة ، فقال : « **كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما كان عليه**[٣] **لحمًا ، وكل بعرة أو روثة علف لدوابكم** » **قال** : « **فلا تستنجوا بهما فإنهما زاد إخوانكم من الجن** » .
وهكذا رواه مسلم في صحيحه ، عن علي بن حُجْر ، عن إسماعيل ابن عُلَيَّة ، به نحوه .

وقال مسلم أيضًا(٣٣) : حدثنا محمد بن المثنىٰ ، حدثنا عبد الأعلىٰ ، حدثنا داود - و[٤]هو ابن أبي هند - عن عامر قال : سألتُ علقمةَ : هل كان ابن مسعود - رضي الله عنه - شَهِدَ مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ليلة الجن ؟ قال : فقال علقمة : أنا سألتُ ابنَ مسعود ، فقلت : هل شهد أحدٌ منكم مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ليلة الجن ؟ قال : لا ، ولكنا كنا مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ذات ليلة ، ففقدناه[٥] فالتمسناه في الأودية والشعاب ، فقلنا[٦] : استطير ؟ اغتيل ؟ قال : فبتنا بشرّ ليلة بات بها قوم ، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء قال : فقلنا : يا رسول الله ؛ فقدناك فطلبناك فلم نجدك ، فبتنا بشر ليلة بات بها قوم . فقال : « **أتاني داعي الجن ، فذهبت معهم ، فقرأت عليهم القرآن** » . قال : فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم ، وسألوه الزاد فقال : « **كل عظم ذُكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحمًا ، وكل بَعْرَة أو روثة علف لدوابكم** » . قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **فلا تستنجوا بهما ، فإنهما طعام إخوانكم** » .

= داود بنفس الإسناد مرفوعًا إلى قوله : وآثار نيرانهم . ولم يذكر ما بعده . ورواه أبو داود فى الطهارة ، باب : الوضوء بالنبيذ حديث (٨٥) من طريق وهيب ، عن داود ، عن عامر ، عن علقمة قال : قلت لعبد الله بن مسعود : من كان منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن ؟ فقال : ما كان معه منا أحد .

(*) أي : ذُهِبَ به بسرعة ، كأن الطير حملته ، أو اغتاله أحد .

(٣٣) - « صحيح مسلم » كتاب الصلاة ، باب : الجهر بالقراءة فى الصبح والقراءة على الجن حديث (١٥٠/ ٤٥٠) ورواه ابن خزيمة فى صحيحه رقم (٨٢) قال : حدثنا أبو موسى محمد بن المثنى ... فذكر الحديث .

---

[١] - سقط من : ز، خ .
[٢] - في ز ، خ : بمكة . والمثبت من المسند .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز، خ .
[٥] - في ز ، خ: « فقدناه » .
[٦] - في خ : « فقال » .

(طريق أخرىٰ عن ابن مسعود) قال أبو جعفر بن جرير(٣٤) : حدثني أحمد بن عبد الرحمٰن ، حدثني عمي ، حدثني يونس ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله أن[١] ابن مسعود قال : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **بت الليلة أقرأ علىٰ الجن رُبعًا[٢] بالحَجُون** » .

(طريق أخرىٰ فيها[٣] أنه كان معه ليلة الجن ، قال ابن جرير(٣٥) -رحمه الله- : حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، حدثنا عمي[٤] عبد الله بن وهب ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، عن أبي عثمان بن سَنَّة الخزاعي ، - وكان من أهل الشام - : أن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لأصحابه وهو بمكة : « **من أحب منكم أن يحضر أمر الجن الليلة فليفعل** » . فلم يحضر منهم أحد غيري ، قال : فانطلقنا حتىٰ إذا كنا بأعلىٰ مكة خط لي[٥] برجله خطًا ، ثم أمرني أن أجلس فيه ، ثم انطلق حتىٰ قام ، فافتتح القرآن فغشيته أسوِدةٌ(*) كثيرة حالت بيني وبينه ، حتىٰ ما أسمع صوته ، ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين ، حتىٰ بقي منهم رهط ، ففرغ[٦]

(٣٤) - تفسير ابن جرير الطبرى (٣٣/٢٦) ورواه أحمد فى مسنده (٤١٦/١) (٣٩٥٤) قال : حدثنا عثمان ابن عمر ، حدثنا يونس ، عن الزهرى به ، ووقع فيه (رفقاء بالحجون) ورواه أبو الشيخ فى « العظمة » (١١٠٤) من طريق عقيل ، عن ابن شهاب به ، ووقع عنده (رفقا) بدون همزة والحديث إسناده منقطع كما قال العلامة أحمد شاكر ؛ فإن عبيد الله لم يدرك عم أبيه عبد الله بن مسعود رضى الله عنه . والحديث ذكره السيوطى فى الدر المنثور (١٦/٦ - ١٧) وزاد نسبته لعبد بن حميد .

(٣٥) - تفسير ابن جرير (٣٢/٢٦) ورواه المزى فى « تهذيب الكمال » ترجمة أبى عثمان بن سنة من طريق حرملة بن يحيى قال : أخبرنا عبد الله بن وهب ... فذكره مثل رواية ابن جرير ورواه النسائى فى « المجتبى » كتاب الطهارة ، باب : النهى عن الاستطابة بالعظم (٣٧/١ - ٣٨) وفى « السنن الكبرى » كتاب الطهارة ، باب : نهى النبى ﷺ عن الاستطابة بالعظم والروث حديث (٣٨) قال : أخبرنا أحمد بن عمرو بن السرح قال : أنبأنا ابن وهب فذكره بسنده مختصرًا : أن رسول الله ﷺ نهى أن يستطيب أحدكم بعظم أو روث . وأبو عثمان بن سنة بفتح السين وتشديد النون ترجم له ابن أبى حاتم فى « الجرح والتعديل » (٤٠٨/٩) وقال : سئل أبو زرعة عنه اسمه فقال : لا أعرف اسمه .

قلت : ذكر المزى فى ترجمته من « التهذيب » أن الزهرى قال : حدثنى أبو عثمان بن سنة الخزاعى ثم الكعبى وكان من أهل دمشق وكان ممن بعلى بن أبى طالب فى الذين خرجوا إليه من أهل الشام فكان يخصهم بمجلسه فى حديثه دون أهل العراق فذكر عنه حديثًا . فحسبه أن الزهرى روى عنه وهو من هو فى الاتقان والحفظ وقال فيه الحافظ فى « التقريب » : مقبول . والحديث صححه الألبانى فى صحيح سنن النسائى رقم (٣٨) .

(*) - جمع قلة لسواد ، وهو الشخص .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : « رفعا » .
[٣] - في ز ، خ: « فيه » .
[٤] - بعده في خ : « عن » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز ، خ: « ففزع » .

رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم مع الفجر ، فانطلق فتبرّز ، ثم أتاني فقال : « **ما فعل الرهط ؟** » . فقلت : هم أولئك يا رسول الله ، فأعطاهم عظما وروثًا زادًا ، ثم نهىٰ[١] أن يستطيب أحد بروث أو عظم .

ورواه ابن جرير(٣٦) عن [محمد بن][٢] عبد الله بن عبد الحكم ، عن أبي زرعة وهب الله بن راشد ، عن يونس بن يزيد الأيلي ، به . ورواه البيهقي(٣٧) في « الدلائل » من حديث عبد الله بن صالح كاتب الليث ، عن الليث ، عن يونس ، به .

وقد روىٰ إسحاق ابن راهويه ، عن جرير ، عن قابوس بن أبي ظبيان ، عن أبيه ، عن ابن مسعود ، فذكر نحو ما تقدم .

ورواه الحافظ أبو نعيم ، من طريق موسىٰ بن عبيدة[٣] ، عن سعيد بن الحارث ، عن أبي المعلىٰ ، عن ابن مسعود ، فذكر نحوه أيضًا .

[(طريق أخرىٰ) قال أبو نعيم(٣٨) : حدثنا أبو بكر بن مالك ، حدثنا عبد الله بن

---

(٣٦) - تفسير ابن جرير (٣٢/٢٦) .

(٣٧) - دلائل النبوة (٢/٢٣٠) .

(٣٨) - وهو عند الإمام أحمد فى مسنده (٣٣٩/١) ورجال إسناده ثقات . أبو تميمة : هو الهجيمى اسمه طريف بن مجالد ، من ثقات التابعين والبكالى هو عمرو (البكالي) بكسر الموحدة وتخفيف الكاف عده بعضهم فى الصحابة . ترجمته فى التاريخ الكبير للبخارى (٣١٣/٦) ، والجرح والتعديل (٢٧٠/٦) والثقات لابن حبان (٢٧٨/٣) وذكره ابن الأثير فى أسد الغابة (١٩٩/٤) وقال : له صحبة ونقل عن أبى نعيم أنه سماه : « عمرو بن سفيان البكالى » وانظر ترجمته فى « تعجيل المنفعة » أيضًا (٢/ الترجمة ٨٠٧) . والحديث رواه الترمذى فى « سننه » كتاب الأمثال ، باب : ما جاء فى مثل الله لعباده حديث (٢٨٦١) قال: حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا ابن أبي عدى ، عن جعفر بن ميمون ، عن أبى تميمة الهجيمى ، عن أبى عثمان ، عن ابن مسعود فذكر نحو رواية المسند . وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ، وأبو تميمة هو الهجيمى واسمه طريف بن مجالد ، وأبو عثمان النهدى اسمه عبد الرحمن بن مل ، وسليمان التيمى قد روى هذا الحديث عنه معتمر ... » فلأبى تميمة فى هذا الحديث شيخان هما أبو عثمان النهدى وأبو عثمان البكالى ، والحديث رواه أيضًا الدارمى فى المقدمة (١٢) باب صفة النبى ﷺ فى الكتب قبل مبعثه . من طريق أبى أسامة ، عن جعفر بن ميمون التيمى عن أبى عثمان النهدى مرسلاً ولم يذكر فيه (أبا تميمة) أيضًا ، والحديث ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (٢٦٤/٨) وقال : رواه الترمذى باختصار - ورواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عمرو البكالى وذكره العجلى فى ثقات التابعين وابن حبان وغيره فى الصحابة .

---

[١] - في خ : « نبئ » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ .

[٣] - في ز ، خ: « عبيد » .

أحمد بن حنبل ، حدثني أبي قال : حدثنا عفان [وعارم][١] قالا : حدثنا معتمر قال : قال أبي : حدثني أبو تميمة ، عن عمرو - ولعله قد يكون قال : البكالي - يحدثه عمرو ، عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : استبعثني(*) رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فانطلقنا حتىٰ أتينا مكان كذا وكذا ، فخط لي خِطَّةً[٢] فقال : **« كن بين ظهري هذه لا تخرج منها ؛ فإنك إن خرجت منها هلكت »** ... فذكر الحديث بطوله وفيه غرابة شديدة][٣] .

(طريق أخرىٰ) قال ابن جرير(٣٩) : وحدثنا ابن عبد الأعلىٰ ، حدثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن يحيىٰ بن أبي كثير ، عن عبد الله بن عمرو بن غيلان الثقفي : أنه قال لابن مسعود : حُدِّثتُ[٤] أنك كنت مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ليلة وفد الجن ؟ قال : أجل . قال : فكيف كان ؟ فذكر الحديث كله ، وذكر أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم خط عليه خطًّا ، وقال : **« لا تبرح منها »** ... فذكر مثل العَجَاجة(**) السوداء غشيت رسولَ الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فذعر ثلاث مرات ، حتىٰ إذا كان قريبًا من الصبح ، أتاني النبي صلىٰ الله عليه وسلم [فقال : **« أنمت ؟ »**][٥] فقلت : لا والله ، ولقد هممت مرارًا أن أستغيث بالناس حتىٰ سمعتك تقرعهم بعصاك ، تقول : **« اجلسوا »** فقال : **« لو خرجت لم آمن أن يخطفك بعضهم »** .

ثم قال : **« هل رأيت شيئًا ؟ »** فقلت : نعم ، رأيت رجالًا سودًا [مستشعرين(***) ثيابًا بياضًا][٦] . قال : **« أولئك جن نَصيبين ، سألوني المتاع »** - والمتاع : الزاد - [**فمتعتهم**

(*) من الباعث ، وهو إثارة البارك ، أو الجالس .

(٣٩) - تفسير ابن جرير (٣٢/٢٦) وعبد الله بن عمرو بن غيلان الثقفى روى عنه قتادة وجعفر بن إياس وذكره ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل (١١٧/٥) فلم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً وذكره ابن حبان فى الثقات (٥١/٧) وبقية رجاله ثقات .

(**) العجاجة واحدة العجاج ، وهو الغبار أو الدخان .

(***) استشعر الثوب : لبسه شعاراً ، والشعار : هو ما يلي الجسد من الثياب ؛ لأنه يلي شعره .

[١] - في ت : عكرمة .

[٢] - في ت : خطًّا . والمثبت من المسند ، والخطة : ما يختطه الإنسان لنفسه من الارض ونحوها .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز، خ : « حديث » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٦] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « مستنفرين ثيابًا بيضا » .

بكل]^[١] عظم حائل (*) ، أو بعَرَة ، أو روثة » . فقلت : يا رسول الله ، وما يغني ذلك عنهم ؟ فقَال : « **إنهم لا يجدون عظمًا إلا وجدوا عليه لحمه يوم أكل ، ولا روثًا إلا وجدوا فيها حبها يوم أكلت ، فلا يستنقين أحدٌ منكم إذا خرج من الخلاء بعظم ولا بعرة ولا روثة** » .

(طريق أخرىٰ) قال الحافظ أبو بكر البيهقي (٤٠) : أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي وأبو نصر ابن قتادة قالا : أخبرنا أبو محمد يحيىٰ بن منصور القاضي ، حدثنا أبو عبد اللّٰه محمد بن إبراهيم البُوشَنْجي ، حدثنا روح بن صلاح ، حدثنا موسىٰ بن عُلَيّ بن رباح ، عن أبيه ، عن عبد اللّٰه بن مسعود قال : استتبعني[٢] رسولُ اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقال : « **إن نفرًا من الجن - خمسةَ عشرَ بني إخوة وبني عم - يأتونني[٣] الليلة ، فأقرأ عليهم القرآن**» . فانطلقتُ معه إلىٰ المكان الذي أراد ، فخط لي خطًا وأجلسني فيه ، وقال لي : « **لا تخرج من هذا** » . فبتّ فيه حتىٰ أتاني رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم مع السحر في يده عظم حائل وروثة [حُمَمة(**) فقال لي : « **إذا ذهبت إلىٰ الخلاء فلا تستنج بشيء من هؤلاء** » .

قال : فلما أصبحت قلت : لأعلمن]^[٤] علمي[٥] حيث كان رسول الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم . قال : فذهبت فرأيت موضع مبرك ستين بعيرًا .

(طريق أخرىٰ) قال البيهقي (٤١) : أخبرنا أبو عبد اللّٰه الحافظ ، أخبرنا أبو العباس الأصم ، حدثنا العباس بن محمد الدُّوري[٦] ، حدثنا عثمان بن عمر ، عن المستمر بن الريان ، عن أبي الجوزاء[٧] ، عن عبد اللّٰه بن مسعود قال : انطلقت مع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه

(*) أي متغيّر قد غيّره البِلَي .

(٤٠) - دلائل النبوة (٢٣١/٢) وفى إسناده روح بن صلاح المصرى المعروف بسيابة ، ضعفه ابن عدى لكن وثقه الحاكم ، وذكره ابن حبان فى الثقات . له ترجمة فى الميزان (٢٤٨/٢) ، وفى اللسان (٥٣٩/٢) وشيخه موسى بن على بن رباح من رجال « التهذيب » قال ابن حجر : صدوق ربما أخطأ . فالإسناد حسن فى ظاهره ، والله أعلم .

(**) أي : متفحمة .

(٤١) - رواه البيهقى فى دلائل النبوة (٢٣١/٢ - ٢٣٢) ورجاله ثقات . عثمان بن عمر هو عثمان بن عمر ابن فارس العبدى ثقة ، روى له الجماعة وشيخه المستمر بن الريان ، روى له مسلم وغيره ، وهو ثقة ، وأبوالجوزاء هو أوس بن عبد الله الربعى ، روى له الجماعة ونقل ابن عدى فى الكامل (٤٠٢/١) عن البخارى أنه قال : فى إسناده نظر . وقال ابن عدى : أبو الجوزاء روى عن الصحابة : ابن عباس ، =

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « فمنعتهم كل » .

[٢] - في خ : « استبقني » .

[٣] - في ز، خ : « بابتوني » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ز ، خ : « علم » .

[٦] - في ز ، خ : « المدورى » .

[٧] - في ز ، خ: « الموزاء » .

عليه وسلم ليلة الجن ، حتىٰ أتىٰ الحَجُون . فخط لي خِطًّا ، ثم تقدم إليهم فازدحموا عليه ، فقال سيّد لهم ، يقال له « وَرْدان » : أنا أرَحّلُهم عنك . فقال : إني لن يجيرني من الله أحد .

(طريق أخرىٰ) قال الإمام أحمد(٤٢) : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا سفيان ، عن أبي فزارة العبسي ، حدثنا أبو زيد - مولىٰ عمرو بن حريث - عن ابن مسعود قال : لما كان ليلة الجن قال لي النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **أمعك ماء ؟** » . قلت : ليس معي ماء ، ولكن معي إداوة فيها نبيذ . فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **تمرة طيبة ، وماء طهور** » . فتوضأ[١] . ورواه أبو داود والترمذي، وابن ماجة من حديث أبي[٢] زيد به[٣] .

(طريق أخرىٰ) قال أحمد (٤٣) : حدثنا يحيىٰ بن إسحاق ، أخبرنا ابن لَهيعة ، عن قيس ابن الحجاج ، عن حَنَش[٤] الصَّنعاني ، عن ابن عباس ، عن عبد الله بن مسعود أنه كان مع رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - ليلة الجن ، فقال رسول الله : « **يا عبد الله ، أمعك ماء ؟** » قال : معي نبيذ في إداوة . فقال : « **اصبب عليّ** » . فتوضأ ، فقال النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - : « **يا عبد الله ، شراب وطهور** » . تفرد به أحمد من هذا الوجه، وقد أورده الدارقطني من طريق آخر[٥] عن ابن مسعود .

= وعائشة ، وابن مسعود وغيرهم وأرجو أنه لا بأس به ، ولا يصحح روايته عنهم أنه سمع منهم ، ويقول البخارى : فى إسناده نظر أنه لم يسمع من مثل ابن مسعود وعائشة وغيرهما ، لا لأنه ضعيف عنده ، وأحاديثه مستقيمة مستغنية عن أن أذكر منها شيئًا فى هذا الموضع » .

ويتضح من كلام ابن عدى هذا أن روايته عن عائشة وابن مسعود مرسلة ولذلك قال الحافظ فى : « التقريب : « يرسل كثيرًا ، ثقة » . وعلى ذلك فهذا الحديث إسناده منقطع بين أبى الجوزاء وابن مسعود والله أعلم .

(٤٢) - المسند (٤٤٩/١) وفيه عن ابن مسعود قال : لما كان ليلة الجن تخلف منهم رجلان ، وقالا : نشهد الفجر معك يا رسول الله فقال لى النبى ﷺ : « **أمعك ماء ؟** .... » الحديث ورواه عبد الرزاق فى مصنفه (٦٩٣) .

(٤٣) - المسند (٣٩٨/١) وفى إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف ، ورواه الطبرانى فى الكبير (٩٩٦١) والبزار فى « مسنده » (١٤٣٧) والدارقطنى فى « سننه » (٧٦/١) من طريق يحيى بن بكير ، ثنا ابن لهيعة به . وقال البزار : هذا الحديث لا يثبت لابن لهيعة ، لأن ابن لهيعة كانت قد احترقت كتبه فكان يقرأ من كتب غيره فصار فى أحاديثه أحاديث مناكير ، وهذا منها » . وقال الدارقطنى أيضًا عقب هذا الحديث : ابن لهيعة لا يحتج بحديثه .
=

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « ابن » .

[٣] - سقط من : ز ، خ.

[٤] - في خ : « حسن » .

[٥] - في ت : « آخر » .

(طريق أخرىٰ) قال الإمام أحمد (٤٤) : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرني أبي ، عن ميناء ، عن عبد الله قال : كنت مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ليلة وفد الجن ، فلما انصرف تنفس ، فقلت : ماشأنك ؟ فقال لي[١] : « **نُعيَتْ إليّ نفسي يا بن مسعود** ». هكذا رأيته في المسند مختصرًا[٢] ، وقد رواه الحافظ أبو نعيم في كتابه « دلائل النبوة » فقال : حدثنا سليمان بن أحمد بن أيوب ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم .

وحدثنا أبو بكر بن مالك ، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدثنا أبي قالا : حدثنا عبد الرزاق ، عن أبيه ، عن ميناء ، عن[٣] ابن مسعود قال : كنت مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ليلة وفد الجن ، فتنفس ، فقلت : مالك يا رسول الله ؟ قال : « **نُعيت إليّ نفسي يا بن مسعود** ». قلت : استخلف . قال : « **مَن ؟** » قلت : [أبا بكر][٤] . فسكت ثم مضىٰ ساعة فتنفس[٥] ، فقلت : ما شأنك بأبي أنت وأمي يا رسول الله ؟ قال : « **نُعِيَتْ إليّ نفسي يا بن مسعود** ». قلت : استخلف . قال : « **من ؟** » قلت : عمر . فسكت ثم مضىٰ ساعة ، ثم تنفس فقلت : ما شأنك ؟ قال : « **نُعيَتْ إليّ نفسي** » . قلت : فاستخلف . قال صلىٰ الله عليه وسلم : « **من ؟** » قلت : علي بن أبي طالب . قال صلىٰ الله عليه وسلم : « **أما والذي نفسي بيده ، لئن أطاعوه ليدخلن الجنة أجمعين أكتعين(*)** » .

= والحديث رواه ابن ماجة فى « سننه » كتاب الطهارة ، باب : الوضوء بالنبيذ حديث (٣٨٥) ، والطحاوى فى شرح معانى الآثار (٩٤/١) من طريق ابن لهيعة بنفس الإسناد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال لابن مسعود ليلة الجن : « **معك ماء ؟** » ... الحديث فجعل الحديث من مسند ابن عباس وقد أورد الألبانى هذا الحديث فى « ضعيف سنن ابن ماجة » برقم (٨٥) ، وانظر أيضًا مصباح الزجاجة (١/ ١٦٠) .

(٤٤) - المسند (٤٤٩/١) (٤٢٩٤) ورواه عبد الرزاق فى مصنفه (٢٠٦٤٦) بالإسناد المذكور مطولاً ومن طريق عبد الرزاق رواه الطبرانى فى الكبير (٩٩٧٠) بنفس لفظ (المُصَنَّف) وعن الطبرانى رواه أبو نعيم فى «دلائل النبوة » كما ذكر ابن كثير هنا ، وهو « حديث موضوع » فى إسناده ميناء بن أبى ميناء ، كذبه أبوحاتم فى الجرح والتعديل (٨/الترجمة ١٨١١) وقال أبو زرعة : ليس بالقوى وضعفه الترمذى وغيره ، والحديث ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٨٨/٥) وقال : رواه الطبرانى وفيه ميناء وهو كذاب . وللحديث إسناد آخر عند الطبرانى (٩٩٦٩) من طريق أبى عبد الله الجدلى ، عن عبد الله بن مسعود وفى إسناده يحيى بن يعلى الأسلمى وهو ضعيف . كذا قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٣١٨/٨) .

(*) صيغة من صيغ التوكيد .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - بياض في ز، خ .

[٤] - في ز، خ : « أبو بكر » .

[٥] - في ز ، خ : « ثم تنفس » .

وهو حديث غريب جدًّا وأحرِ به أن لا يكون محفوظًا ، وبتقدير صحته فالظاهر أن هذا بعد وفودهم إليه بالمدينة علىٰ ما سنورده ، فإن في ذلك الوقت في آخر الأمر لما فتحت مكة ، ودخل الناس والجان أيضًا[١] في دين الله أفواجًا ، نزلت سورة : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجًا * فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا** ﴾ . وهي السورة التي نعيت نفسه الكريمة فيها إليه كما قد نص علىٰ ذلك ابن عباس ، ووافقه عمر بن الخطاب عليه . وقد ورد في ذلك حديث سنورده عند تفسيرها ، والله أعلم .

وقد رواه أبو نعيم أيضًا(٤٥) عن الطبراني[٢] ، عن محمد بن عبد الله الحضرمي[٣] ، عن علي بن الحسين بن أبي بردة ، عن يحيىٰ بن سعيد[٤] الأسلمي ، عن حرب بن صبيح ، عن سعيد بن مسلمة ، عن أبي مُرّة الصنعاني ، عن أبي عبد الله الجَدَلي ، عن ابن مسعود ، فذكره وذكر فيه قصة الاستخلاف ، وهذا إسناد غريب ، وسياق عجيب .

(طريق أخرىٰ) قال الإمام أحمد(٤٦) : حدثنا أبو سعيد ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن أبي رافع ، عن ابن مسعود : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم خط حوله ، فكان يجيء أحدهم مثل سواد النخل ، وقال لي : « **لا تبرح مكانك فأقرأهم كتاب الله** » . فلما رأىٰ الزُّطَّ[٥] قال : « **كأنهم هؤلاء** » . وقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **أمعك ماء ؟** » . قلت : لا . قال : « **أمعك نبيذ ؟** » . قلت : نعم . فتوضأ به .

---

(٤٥) - رواه الطبراني في معجمه الكبير (٦٩٦٩) عنه ، ورواه أبو نعيم في « الدلائل » كما ذكر ابن كثير - رحمه الله - هنا وإسناده ضعيف فإن يحيى بن يعلى الأسلمي « ضعيف » روى ابن عدي في الكامل (٧/ ٢٦٨٨) عن ابن معين قال : ليست بشيء . وقال البخاري في التاريخ الصغير (٢٥٤/٢) : مضطرب الحديث ، وضعفه أبو حاتم في الجرح والتعديل (٩/الترجمة ٨٢٠) .

والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣١٧/٨-٣١٨) وعزاه للطبراني ثم قال : فيه يحيى بن يعلى الأسلمي وهو ضعيف » . وانظر الحديث السابق .

(٤٦) - المسند (٤٥٥/١) (٤٣٥٣) ورواه الدارقطني (٧٧/١) من طريق محمد بن عباد المكي ، نا أبو سعيد مولى بني هاشم نا حماد بن سلمة به .

وقال الدارقطني عقبة : على بن زيد ضعيف وأبو رافع لم يثبت سماعه من ابن مسعود وليس هذا الحديث في مصنفات حماد بن سلمة وقد رواه أيضاً عبدالعزيز بن أبي رزمة وليس هو بقوي » .

ثم ذكر الدارقطني الحديث من طريق عبدالعزيز بن أبي رزمة عن حماد به ، وقد صحح العلامة أحمد شاكر=

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - بياض في ز ، خ.

[٣] - في ز، خ : « الحضرى » .

[٤] - بياض في : ز، خ .

[٥] - في ز ، خ : « المزعا » .

(طريق أخرى مرسلة) قال ابن أبي حاتم(٤٧) : حدثنا أبو[١] عبد الله الطهراني ، أخبرنا حفص بن عمر العَدَني[٢] ، حدثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة في قوله تعالىٰ[٣] : ﴿ **وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن** ﴾ ، قال : هم اثنا عشر ألفًا جاءوا من جزيرة الموصل ، فقال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم لابن مسعود : « **أنظرني حتىٰ آتيك** » ، وخط عليه [خِطَّةً][٤] ، وقال : « **لا تبرح حتىٰ آتيك** » . فلما خشيهم ابنُ مسعود كاد أن يذهب ، فذكر قولَ رسول الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فلم يبرح ، فقال له النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **لو ذهبتَ ما التقينا إلىٰ يوم القيامة** » .

(طريق أخرى مرسلة أيضًا) قال سعيد بن أبي عَرُوبة ، عن قتادة في قوله تعالىٰ : ﴿ **وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن** ﴾ ، قال : ذُكر لنا أنهم صُرفوا إليه[٥] من نينوَىٰ ، وأن نبي الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **إني أمرت أن أقرأ علىٰ الجن ، فأيكم يتبعني ؟** » . فأطرقوا ، ثم استتبعهم فأطرقوا ، ثم استتبعهم الثالثة فقال رجل : يا رسول الله ؛ إن ذاك لذو ندبة(*) فأتبعه ابن مسعود أخو هذيل ، قال : فدخل النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم شعبًا يقال له « **شعب الحَجُون** » ، وخط عليه ، وخط علىٰ ابن مسعود ليثبته بذلك ، قال : فجعلت أهال(**) وأرى[٦] أمثال النسور تمشي في رفوفها ، وسمعت لغطًا[٧](***) شديدًا حتىٰ خفت

= هذا الإسناد في تعليقه على المسند فقال بعد نقل كلام الدارقطني : وهو تعليل متهافت ، فإن علي بن زيد قد رجحنا توثيقه ، وأبو رافع الصائغ : تابعي مخضرم ، أدرك الجاهلية ، وهو ثقة مشهور ، روى عن كبار الصحابة الخلفاء الأربعة فمن بعدهم فلا يلتفت إلى التشكيك في سماعه من ابن مسعود .. وأما أن الحديث ليس في مصنفات حماد بن سلمة فهذا من أعجب تعليل سمعناه وأضعفه ! » .

وهذا الكلام يسلم للعلامة أحمد شاكر فيه عدا توثيقه لعلي بن زيد فإنه قد ضعفه أحمد وابن معين والعجلي والجوزجاني والنسائي والدارقطني وغيرهم . وانظر الكلام على هذا الحديث في « نصب الراية » (١٤١/١-١٤٢) .

(٤٧) - تفسير ابن أبي حاتم (٣٢٩٦/١٠) وفي إسناده (حفص بن عمر السعدني) قال أبو حاتم : لين الحديث وقال النسائي : ليس بثقة وقال ابن عدي : عامة حديثه غير محفوظ وأخاف أن يكون ضعيفاً كما ذكره النسائي . وانظر ترجمته في (تهذيب الكمال) (٧/ت١٤٠٥) وشيخه الحكم بن أبان قال عنه الحافظ في (التقريب) : صدوق عابد له أوهام . ومع هذا فالحديث مرسل ، وقد ذكر السيوطي في الدرالمنثور (٦/ ١٧) الجزء الموقوف على عكرمة وعزاه لابن أبي حاتم وحده .

(*) في ابن جرير : بدئة .

(**) أهال : أخاف . وفعله : هال يهول هولًا ، إذا خاف ورُعِبَ .

(***) اللَّغط : الصياح ، والجَلَبَة .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز ، خ : « العبدي » .
[٣] - سقط من : ز، خ .
[٤] - في ت : خطا .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في ز ، خ : « ورأى » .
[٧] - في ز : « لفظا » .

علىٰ نبي الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ثم تلا القرآن ، فلما رجع رسول الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قلت : يا رسول الله ، ما اللغط[١] الذي سمعت ؟ قال : « **اختصموا في قتيل ، فقضي بينهم بالحق** »(٤٨) . رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم .

فهذه الطرق كلها تدل علىٰ أنه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ذهب إلىٰ الجن قصدًا ، فتلا عليهم القرآن ، ودعاهم إلىٰ الله - عز وجل - وشرع اللّٰه لهم علىٰ لسانه ما هم محتاجون إليه في ذلك الوقت .

وقد يحتمل أن أول مرة سمعوه يقرأ القرآن لم يشعر بهم ، كما قاله ابن عباس رضي اللّٰه عنهما .

ثم بعد ذلك وفدوا إليه كما رواه ابن مسعود ، وأما ابن مسعود فإنه لم يكن مع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم حال مخاطبته للجن ودعائه إياهم ، وإنما كان بعيدًا منه ولم يخرج مع النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أحد سواه ، ومع هذا لم يشهد حال المخاطبة ، هذه طريقة البيهقي .

وقد يحتمل أن يكون أول مرة خرج إليهم لم يكن معه ابن مسعود ولا غيره ، كما هو ظاهر سياق الرواية الأولىٰ من طريق الإمام أحمد ، وهي عند مسلم . ثم بعد ذلك خرج معه ليلة أخرىٰ واللّٰه أعلم .

كما روىٰ ابن أبي حاتم في تفسير ﴿ **قل أوحي** ﴾ من حديث ابن جريج قال : قال عبد العزيز ابن عُمَر : أما الجن الذين لقوه بنخلة فجن نينوىٰ ، وأما الجن الذين لقوه بمكة فجن نصيبين . وتأوله البيهقي علىٰ أنه يقول : « **فبتنا بشر ليلة بات بها قوم** » . علىٰ غير ابن مسعود ممن[٢] لم يعلم بخروجه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم إلىٰ الجن ، وهو محتمل علىٰ بُعْد ، واللّٰه أعلم .

وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي(٤٩) : أخبرنا أبو عمرو محمد بن عبد اللّٰه الأديب ، أخبرنا أبو بكر الإسماعيلي ، أخبرنا الحسن بن سفيان ، حدثني سُوَيد بن سعيد ، حدثنا عمرو بن يحيىٰ ، عن جده سعيد بن عمرو قال : كان أبو هريرة يَتْبَع رسولَ الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بإداوة لوضوئه وحاجته ، فأدركه يومًا فقال : « **من هذا ؟** » قال : أنا أبو هريرة . قال : « **ائتني بأحجار أستنجي[٣] بها ، ولا تأتني بعظم ولا رَوْثَة** » . فأتيته بأحجار في

(٤٨) - نفسير ابن جرير (٣١/٢٦) ، وإسناده صحيح لكنه مرسل .
(٤٩) - رواه البيهقي في (دلائل النبوة) (٢٣٣/٢) ورواه في السنن الكبرى (١٠٧/١-١٠٨) قال : =

[١] - في ز : « اللفظ » .
[٢] - في خ : « فمن » .
[٣] - في ت : « أستنج » .

ثوبي، فوضعتها إلىٰ جنبه حتىٰ إذا فرغ وقام اتبعته ، فقلت : يا رسول الله ، ما بال العظم والروثة ؟ قال : « أتاني وَفْدُ جِنّ نصيبين ، فسألوني الزاد ، فدعوت اللّٰه لهم أن لا يمروا بعظم ولا روثة[١] إلا وجدوا طعامًا » . أخرجه البخاري في صحيحه ، عن موسىٰ بن إسماعيل ، عن عمرو بن يحيىٰ ، بإسناده قريبًا منه . فهذا يدل مع ما تقدم على أنهم وفدوا عليه بعد ذلك ، وسنذكر ما يدل على تكرار ذلك .

وقد رُوي عن ابن عباس غير ما ذكر عنه أولًا من وجه جيد فقال ابن جرير(٥٠) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا عبد الحميد الحمّاني ، حدثنا النضر بن عربي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن ﴾ ... الآية ، قال[٢] كانوا سبعة نفر من أهل نصيبين ، فجعلهم رسول الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم رُسُلًا إلى قومهم ، فهذا يدل على أنه قد روىٰ القصتين .

= أخبرنا أبو عبدالله محمد بن عبد الله الحافظ أن أبو بكر محمد بن عبدالله (الأسلمي) فذكره وفيه « أبغني أحجاراً أستنفص بها » والحديث رواه البخاري في (صحيحه) في الوضوء ، باب الاستنجاء بالحجارة ، حديث (١٥٥) وفي كتاب مناقب الأنصار ، باب : إسلام سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، من طريقين عن عمرو بن يحيىٰ بن سعيد بن عمرو المكي عن جده به .

(٥٠) - تفسير ابن جرير الطبري (٣٠/٢٦-٣١) ورواه الطبراني في الكبير (١١٦٦٠) قال : حدثنا محمد بن عبدالله الحضرمي أبو كريب .. فذكره بسنده ومتنه ، وإسناده لا بأس به ، فإن عبد الحميد الحماني صدوق وإن كان له أوهام كما قال ابن حجر في « التقريب » وشيخه النضر أبو عمر ، هو النضر بن عربي الباهلي وثقه أحمد وابن معين وأبو زرعة . وقال أبو حاتم والنسائي وابن عدي : لا بأس به ، ولم يضعفه غير ابن سعد ، وجرحه فيه غير مفسر ، وقد قال ابن حجر في « التقريب » : لا بأس به .

والحديث ذكره الهيثمي في المجمع (١٠٩/٧) وقال : فيه النضر أبو عمر ، وهو متروك وقد تبين ما في كلام الهيثمي - رحمه الله - هذا .

والحديث رواه الطبراني في الأوسط (٦) من طريق عفير بن معوان ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : صرفت الجن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين ، وكان أشراف الحسن بـ «نصيبين» . ورواه البزار كما في مجمع الزوائد (١٠٩/٧) من طريق عفير بن معوان وفيه « كانت أشراف الجن بالموصل » وقال الهيثمي (فيهما - إسنادي الطبراني والبزار - عفير بن معوان وهو متروك) .

وللحديث طريق آخر عند الطبراني في (الأوسط) كما في (مجمع الزوائد) : أن الجن الذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أتوه وهو بنخلة) .

وفي إسناده جابر الجعفي وهو ضعيف وقد أخرجه من هذه الطريق ابن جرير في « تفسيره » (٣٣/٢٦) وزاد السيوطي في الدرالمنثور (١٦/٦) نسبته لابن المنذر وأبي نعيم في « الدلائل » .

[١] - في ت : « بروثة » . [٢] - سقط من ت .

وقال ابن أبي حاتم (٥١) : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا سويد بن عبد العزيز ، حدثنا رجل سماه ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : ﴿ وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن ﴾ ... الآية . قال : كانوا سبعة نفر ، ثلاثة من أهل حران ، وأربعة من أهل نَصيبين ، وكانت أسماؤهم حيي وحسي ومسي ، وشاصر ، وناصر ، والأزد[١] ، وإيبان ، والأحقم .

وذكر [أبو حَمْزَة][٢] الثمالي أن هذا الحي من الجن كان يقال لهم : بنو الشيصبان ، وكانوا أكثر [ ][٣] الجن عددًا وأشرفهم[٤] نسبًا ، وهم كانوا عامة جنود إبليس .

وقال سفيان الثوري ، عن عاصم ، عن زر[٥] ، عن ابن مسعود . كانوا تسعة ، أحدهم ذوبعة[٦] ، أتوه من أصل نخلة(٥٢) .

وتقدم عنه أنهم كانوا خمسة عشر ، وفي رواية : أنهم كانوا علىٰ ستين راحلة . وتقدم عنه أن اسم سيدهم وردان . وقيل : كانوا ثلاثمائة ، وتقدم عن عكرمة أنهم كانوا اثني عشر ألفًا ، فلعل هذا الاختلاف دليل علىٰ تكرر وفادتهم عليه صلوات الله وسلامه عليه ، ومما يدل علىٰ ذلك ما قاله البخاري في صحيحه (٥٣) :

حدثنا يحيىٰ بن سليمان ، حدثني ابن وهب ، حدثني عمر - هو ابن محمد - أن سالمًا حدثه ، عن عبد الله بن عمر قال : ما سمعت عمر يقول لشيء قط[٧] : إني [لأظنه كذا][٨] إلا كان كما يظن ، بينما عمر بن الخطاب جالس ، إذ مَرّ به رجل جميل ، فقال : لقد أخطأ[٩] ظني أو إن هذا علىٰ دينه في الجاهلية ، أو لقد كان كاهنهم - عَلَيّ بالرجل ، فَدُعي له[١٠] ، فقال له ذلك ، فقال : ما رأيت كاليوم استُقبِلَ به رجل مسلم .

---

(٥١) - تفسير ابن أبي حاتم (٣٢٩٧/١٠) وفي إسناده سويد بن عبدالعزيز وهو « ضعيف » كما قال الحافظ في « التقريب » ، وشيخه مجهول ، وابن جريج مدلس معروف بالتدليس . والخبر ذكره السوطي في الدرالمنثور (١٧/٦) ولم يعزه لغير ابن أبي حاتم .

(٥٢) - تقدم تخريجه رقم (٣٠) .

(٥٣) - صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار ، باب : إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، حديث (٣٨٦٦) .

---

[١] - في ت : « والأرد » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز، خ : « ابن حزّة » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في خ : « من » .
[٤] - في ز ، خ: « وأبر لهم » .
[٥] - في ت : « ذر » .
[٦] - في ت : « ذويعة » .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « لأظن لكذا » .
[٩] - في خ : « أخذ » .
[١٠] - في ز ، خ : « به » .

قال : فإني أعزم عليك إلا ما أخبرتني . قال : كنت كاهنَهم في الجاهلية . قال : فما أعجب ما جاءتك[١] به جِنِّيَّتُك . قال : بينما أنا يومًا في السوق جاءتني أعرف فيها الفزع ، فقالت :

ألم تـر الجن وإبـلاسـهـا(*) ويأسـهـا مـن بـعـد إنـكـاسـهـا(**)
ولحوقهـــا بالقـــلاص وأحلاسهـــا(***) .

قال عمر : صدق ، بينما أنا نائم عند آلهتهم ، إذ جاء رجل بعجل فذبحه ، فصرخ به صارخ ، لم أسمع صارخًا قط أشد صوتًا منه ، يقول : يا جَلِيح ، أمرٌ نَجِيح ، رجل فصيح يقول : « لا إله إلا الله » . فوثب القوم فقلت : لا أبرح حتىٰ أعلم ما وراء هذا ؟ ثم نادىٰ : يا جَلِيح ؛ أمر نَجِيح ، رجل فصيح يقول : « لا إله إلا الله » . فقمت ، فما نَشِبنا(****) أن قيل : هذا نبي . هذا سياق البخاري ، وقد رواه البيهقي من حديث ابن وهب ، بنحوه ، ثم قال : وظاهر هذه الرواية يُوهم[٢] أن عمر بنفسه سمع الصارخ يصرخ من العجل الذي ذُبح ، وكذلك هو صريح[٣] في رواية ضعيفة عن عمر [في إسلامه][٤] ، وسائر الروايات تدل على أن هذا الكاهن هو الذي أخبر بذلك عن رؤيته[٥] وسماعه . والله أعلم (٥٤) .

وهذا الذي قاله البيهقي هو المتجه ، وهذا الرجل هو سواد بن قارب ، وقد ذكرت[٦] هذا مُستقصى في « سيرة عمر » - رضي الله عنه - فمن أراده فليأخذه من ثَمَّ ، ولله الحمد .

قال البيهقي (٥٥) : حديث سواد بن قارب ، ويشبه أن يكون هذا : هو[٧] الكاهن الذي لم

(*) الإبلاس : اليأس .

(**) الإنكاس : الانقلاب .قال ابن فارس : معناه أنها يئست من استراق السمع بعد أن كانت قد ألفته .

(***) القلاص : جمع الجمع لقلوص ، وهي الفتية من الإبل . والأحلاس جمع حِلس ، وهو ما يوضع على ظهور الإبل تحت الرحل . وهذا القسيم الأخير غير موزون ز

(****) أي لم تتعلق بشيء ، من الأشياء حتى سمعنا أن النبي ﷺ قد خرج . يريد أن ذلك كان بقرب مبعث النبي ﷺ .

(٥٤) - انظر (دلائل النبوة) للإمام البيهقي (٢/٢٤٥) .

(٥٥) - انظر (دلائل النبوة) (٢/٢٤٨) والحديث رواه البيهقي كما نقله المصنف ، وإسناده ضعيف ؛ أبوإسحاق هو عمرو بن عبدالله السبيعي ثقة ؛ لكنه يدلس وقد عنعن ، والحديث له طريق آخر ، رواه الحسن ابن سفيان وأبو يعلى كما في « الإصابة » (٤/٢٩٥) الطبراني في الكبير (٦٤٧٥) والحاكم في =

[١] - في ز : « حدثتك » .
[٢] - في ز ، خ: « توهم » .
[٣] - في ز، خ : « صريحًا » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز، خ : « ويته » .
[٦] - في خ : « ذكر » .

يذكر اسمه في الحديث الصحيح.

أخبرنا أبو القاسم الحسن بن [محمد بن][١] حبيب المفسر من أصل سماعه، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار الأصبهاني قراءة عليه، حدثنا أبو جعفر[٢] أحمد بن موسىٰ الحمّار الكوفي بالكوفة[٣]، حدثنا زياد بن يزيد بن بادويه أبو بكر القصري، حدثنا محمد بن النواس الكوفي، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن أبي إسحاق، عن البراء قال: بينما عمر بن الخطاب يخطب الناس علىٰ منبر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إذ قال: يا[٤] أيها الناس، أفيكم سواد بن قارب؟ قال: فلم يجبه أحد تلك السنة، فلما كانت السنة المقبلة قال: أيها الناس، أفيكم سواد بن قارب؟ قال: فقلت: يا أمير المؤمنين، وما سواد بن قارب؟ قال: فقال له عمر: إن سواد بن قارب كان بَدْءُ إسلامه شيئًا عجيبًا، قال: فبينا نحن كذلك إذ طلع سواد بن قارب، قال: فقال له عمر: يا سواد، حدِّثنا

= المستدرك (٣/٦٠٨-٦١٠) والبهقي في الدلائل (٢/٢٥٢) وأبو نعيم في الدلائل (ص:٧٣) من طريق على ابن منصور الأنباري، عن عثمان بن عبدالرحمن الوقاصي، عن محمد بن كعب القرظي قال: بينما عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قاعد في المسجد إذ مر رجل في مؤخر المسجد فقال رجل: يا أمير المؤمنين أتعرف هذا المار؟ قال: لا، فمن هو؟ قال: سواد بن قارب وهو رجل من أهل اليمن ... الحديث، وسكت عليه الحاكم فتعقبه الذهبي في تلخيص المستدرك بقوله: «الإسناد منقطع».

وللحديث طريق ثالث: رواه البخاري في التاريخ (٤/٢٠٢) والطبراني في الكبير (٦٤٧٦)، والبغوي كما في «الإصابة» (٤/٢٩٤) والبيهقي في الدلائل (٢/٢٥٣) من طريق عباد بن عبدالصمد قال: سمعت سواد ابن قارب الأزدي يقول: فذكر القصة.

وطريق رابع: رواه ابن أبي خيثمة والروياني كما في الإصابة (٤/٢٩٣) وذكره ابن الأثير في «أسد الغابة» (٢/٢٨٥) عن أبي جعفر الباقر قال: دخل رجل يقال له: سواد بن قارب الدوسي على عمر .... الحديث.

وهو مرسل فإن أبا جعفر الباقر لم يدرك جده عليًا فكيف يدرك عمر قال ابن أبي حاتم في المراسيل (ص١٨٥-١٨٦): سمعت أبا زرعة يقول: محمد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب رضي الله عنهم لم يدرك هو ولا أبوه علياً رضي الله عنه.

وقال الترمذي في «الجامع» عقب الحديث (١٥١٩): أبو جعفر محمد بن على بن الحسين لم يدرك على ابن أبي طالب.

وطريق خامس: رواه ابن شاهين كما في الإصابة (٤/٢٩٤) من طريق الفضل بن عيسى القرشي، عن العلاء ابن ديزل عن أنس بن مالك قال: دخل رجل من دوس يقال له: سواد بن قارب على النبي صلى الله عليه وسلم فذكر القصة بطولها، وإسناده ضعيف جداً (العلاء بن دبزل) متروك قال الذهبي في الميزان (٤/١٩): تالف وقال الحافظ في «التقريب»: متروك ورموا أبو الوليد بالكذب.

وطريق سادس: رواه الحسن بن سفيان كما في «الإصابة» من طريق الحسن بن عمارة عن عبدالله بن

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من ت.
[٢] - في ز، خ: «حنيف».
[٣] - سقط من: ز، خ.
[٤] - سقط من ت.

ببدء[١] إسلامك ، كيف كان ؟ قال سواد : فإني كنت نازلًا بالهند ، وكان[٢] لي رَئِيٌّ (*) من الجن ، قال : فبينا أنا ذات ليلة نائم ، إذ جاءني في منامي ذلك قال : قم فافهم واعقل إن كنت تعقل ، قد بعث رسول من لؤي بن غالب ، ثم أنشأ يقول :

عجبتُ للجنِّ[٣] وأنجاسها[٤] وَشدِّها العِيسَ[٥] بأحلاسها
تَهْوي إلىٰ مَكَّةَ تَبْغي الهُدَىٰ مَا مُؤمنُو الجِنّ كأرْجَاسِها
فانهض إلى الصفوة من هاشم واسمُ بعينيك إلى راسها

قال : ثم أنبهني فأفزعني ، وقال : يا[٦] سواد بن قارب ، إن اللَّه بعث نبيًّا[٧] فانهض إليه تَهْتَد وتَرشُد . فلما كان من الليلة الثانية أتاني فأنبهني ، ثم أنشأ يقول كذلك :

عَجِبْتُ للْجِنّ وَتَطْلابها وشدها العيس بأقتابها
تَهْوي إلىٰ مَكَّةَ تَبْغي الهُدَىٰ لَيس قداماها[٨] كَأذْنَابِها
فَانْهَض إلىٰ الصَّفْوَة مِنْ هَاشِم واسمُ بعينيك إلىٰ نَابِها

فلما كان في الليلة الثالثة أتاني فأنبهني ثم قال :

عجبت للجن وتخبارها وشدها العيس بأكوارها
تَهْوي إلىٰ مَكَّةَ تَبْغي الهُدَىٰ لَيس ذَوُو الشرّ كأخيارهَا
فَانْهَض إلَىٰ الصَّفْوَة منْ هَاشِم ما مُؤمنُو الجِنّ كَكُفَّارها

قال [ ][٩] : فلما سمعته تكرر ليلة بعد ليلة ، وقع في قلبي حب الإِسلام من أمر رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ما شاء الله ، قال : فانطلقت إلىٰ رحلي فشددته علىٰ راحلتي[١٠] ، فما حللت نسعةً ولا عقدت أخرىٰ حتىٰ أتيت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فإذا هو بالمدينة - يعني مكة - والناس عليه كعُرْف الفرس ، فلما رآني النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : **« مرحبًا بك يا سواد بن قارب ، قد علمنا ما جاء بك »** . قال :

عبدالرحمن قال : دخل سواد بن قارب على عمر فذكر الحديث بطوله .
والحسن بن عمارة متروك كما في « التقريب » .

(*) الرَّئِيّ : الجني يعرض للإنسان ويطلعه على ما يزعم من الغيب أو يلهمه الشعر .

---

[١] - في ز ، خ: « ببدو » .
[٢] - في ز ، خ: « فكان » .
[٣] - في خ : « من الجن » .
[٤] - في ز ، خ: « أحاسها » .
[٥] - في ت : « العين » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في ز ، خ: « نبينا » .
[٨] - في ت : « قدامها » .
[٩] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « قلت » .
[١٠] - في ز، خ : « راحلته » .

قلت : يا رسول الله ، قد قلت شعرًا ، فاسمعه مني . قال سواد : فقلت :

أَتَانِي رَئِيٌّ بعد لَيْلٍ وهَجْعَةٍ وَلم يَكُ فِيما قَدْ بَلَوتُ بكَاذبِ
ثَلاثُ لَيَال قَولُه كُلَّ لَيْلَةٍ : أتاك رسولٌ من لُؤَيّ بن غَالب
فَشَمَّرتُ عَنْ سَاقي الإِزَارَ ووسطت بي الزِّعلب الوَجْنَاءُ[١] عند السَّبَاسب
فأشهد أن الله لا شيء غيرُه وأنكَ مأمونٌ على كلِّ غائبِ
وأنكَ أدنى المرسلينَ شفاعةً إلى الله يا بنَ الأكرمينَ الأطايبِ
فَمُرنَا بِمَا يَأتيكَ يا خيرَ مرسلٍ[٢] وإن كان فيما جاء شيب الذوائب
وكن لي شفيعًا يوم لا ذو شفاعةٍ سِوَاكَ بمغن عن سَوَاد بن قَارب

قال : فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال لي : « **أفلحت يا سواد** » : فقال له عمر : هل يأتيك رَئِيُّك الآن ؟ فقال : منذ قرأت القرآن لم يأتني ، ونعم العوضُ كتابُ الله من الجن . ثم أسنده البيهقي من وجهين آخرين .

ومما يدل على وفادتهم إليه - عليه السلام - بعد ما هاجر إلى المدينة الحديث الذي رواه الحافظ أبو نعيم في كتاب « دلائل النبوة »:

حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا محمد بن عبدة[٣] المصيصي ، حدثنا أبو توبة الربيع بن نافع ، حدثنا معاوية بن سلام ، عن زيد بن أسلم : أنه سمع أبا سلام يقول : حَدَّثني من حَدَّثه عَمرو بن غيلان الثقفي قال : أتيت عبد الله بن مسعود فقلت له : حُدِّثت أنك كنتَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة وفد الجن ؟ قال : أجل . قلت : حدثني كيف كان شأنه ؟ فقال : إن أهل الصفة(*) أَخَذَ كلُّ رجلٍ منهم رجلٌ يُعَشِّيه ، وتُركت فلم يأخذني أحد منهم ، فمر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « من هذا ؟ » فقلت : أنا ابن مسعود . فقال : « **ما أخذك أحد يعشّيك ؟** » . فقلت : لا ، قال : « **فانطلق لعلّي أجد لك شيئًا** » . قال[٤] : فانطلقنا حتى أتى حُجْرة أم سلمة فتركني ودخل إلى أهله ، ثم خرجت الجارية فقالت : يا بن مسعود ، إن رسول الله لم يجد لك عشاءً ، فارجع إلى مضجعك . قال : فرجعت إلى المسجد ، فجمعت حصباء المسجد فتوسدته ، والتففت بثوبي ، فلم ألبث إلا قليلًا حتى جاءت الجارية ، فقالت : أجب رسول الله . فاتبعتها وأنا أرجو العَشاء ، حتى إذا[٥] بلغت مقامي ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده

(*) هم فقراء المهاجرين ومن لم يكن له منهم منزل يسكنه فكانوا يأوون إلى موضع مظلل في مسجد المدينة يسكنونه .

[١] - في ز : « الرجا » .
[٢] - في خ : « من مشى » .
[٣] - في ز ، خ : « عبيد » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : ز ، خ .

عَسِيب(*) من نخل فعرض[١] به على صدري فقال[٢] : « أتنطلق أنت معي حيث انطلقت ؟ » . قلت : ما شاء الله . فأعادها علي ثلاث مرات ، كل ذلك أقول : ما شاء الله ، فانطلق وانطلقت معه ، حتىٰ أتينا بقيع الغَرْقد ، فخط بعصاه خِطَّة[٣] ، ثم قال : « اجلس فيها ، ولا تبرح حتىٰ آتيك » . ثم انطلق يمشي وأنا أنظر إليه خلال النخل ، حتىٰ إذا كان من حيث لا أراه ثارت العَجَاجة السوداء ، فَفَرِقْتُ(**) فقلت : ألحق برسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فإني أظن أن هوازن مَكروا برسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ليقتلوه ، فأسعىٰ إلىٰ البيوت ، فأستغيث الناس . فذكرت أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أوصاني : أن لا أبرح مكاني الذي أنا فيه ، فسمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقرعهم بعصاه ويقول : « اجلسوا » . فجلسوا حتىٰ كاد ينشق عمود الصبح ، ثم ثاروا وذهبوا ، فأتاني رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال : « أنمت بعدي ؟ » فقلت : لا ، ولقد فزعت الفزعة الأولىٰ ، حتىٰ رأيت أن آتي البيوت فأستغيثَ الناس حتىٰ سمعتك تقرعهم بعصاك ، وكنت أظنها هوازن ، مكروا برسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ليقتلوه . فقال : « لو أنك خرجت من هذه الحلقة ما آمنهم عليك أن يختطفك بعضهم ، فهل رأيت من شيء منهم ؟ » . فقلت : رأيت رجالًا سودًا مستشعرين[٤] بثياب بيض . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « أولئك وفد جن نَصيبين، أتوني[٥] فسألوني الزاد[٦] والمتاع ، فمتعتهم بكل[٧] عظم حائل أو روثة أو بعرة » . قلت : وما يغني عنهم ذلك ؟ قال : « إنهم لا يجدون عظمًا إلا وجدوا عليه لحمه الذي كان عليه يوم أُكل ، ولا روثة إلا وجدوا فيها حبها الذي كان فيها يوم أُكلت ، فلا يستنقي أحد منكم بعظم ولا بعرة » .

وهذا إسناد غريب جدًّا ، ولكن فيه رجل مبهم لم يسم . وقد روىٰ الحافظ أبو نعيم من حديث بقية بن الوليد ، حدثني [نمير بن زيد القنبر ، حدثنا أبي ، حدثنا قحافة بن ربيعة حدثني الزبير][٨] بن العوام قال : صلىٰ بنا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم صلاة الصبح في مسجد المدينة فلما انصرف ، قال : « أيكم يتبعني إلىٰ وفد الجن الليلة ؟ » . فأسكت القوم ثلاثًا ، فمر بي فأخذ بيدي ، فجعلت أمشي معه حتىٰ حبست عنّا جبال المدينة كلها ، وأفضينا إلىٰ أرض براز فإذا برجال طوال كأنهم الرماح ، [مستشعرين بثيابهم من بين

(*) جريدة من النخل ، وهي الشعفة مما لا ينبت عليه الخوص .

(**) فرق : خاف .

[١] - في ز، خ : « فقبض » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ت : « خطًا » .

[٤] - في ز ، خ : « مستنفرين » .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - في ز، خ : « المزاد » .

[٧] - في ز : « كل » .

[٨] - ما بين المعكوفتين بياض في ز ، خ .

أرجلهم ، فلما رأيتهم غشيتني رعدة شديدة][١] ... ثم ذكر نحو حديث ابن مسعود المتقدم ، وهذا حديث غريب ، والله أعلم .

ومما يتعلق بوفود الجن ما رواه الحافظ أبو نعيم (٥٦) : حدثنا أبو محمد بن حيان ، حدثنا أبو الطيب أحمد بن روح ، حدثنا يعقوب الدورقي ، حدثنا الوليد بن بكير التميمي ، حدثنا حصين بن عمر ، أخبرني عبيد المكتب ، عن إبراهيم قال : خرج نفر من أصحاب عبد الله يريدون الحج ، حتىٰ إذا كانوا في بعض الطريق إذا هم بحية تنثني علىٰ الطريق أبيضَ ، ينفح منه ريح المسك ، فقلت لأصحابي : امضوا ، فلست ببارح حتىٰ أنظر إلىٰ ما يصير إليه أمر هذه الحية .

قال : فما لبثت أن ماتت ، فعمدت إلىٰ خرقة بيضاء فلففتها فيها ثم نحيتها عن الطريق فدفنتها ، وأدركت أصحابي في المتعشىٰ . قال : فو الله إنا لقعود إذ أقبل أربع نسوة من قبل المغرب ، فقالت واحدة منهن : أيكم دفن عمرًا ؟ قلنا : ومن عَمْرو ؟ ، قالت : أيكم دفن الحية ؟ قال : قلت : أنا . قالت : أما والله لقد دفنت صوّامًا قوّامًا ، يأمر بما أنزل الله ، ولقد آمن بنبيكم ، وسمع صفته من السماء قبل أن يبعث بأربعمائة عام . قال الرجل : فحمدنا الله ثم قضينا حجتنا ثم مررت بعمر بن الخطاب في المدينة فأنبأته بأمر الحية ، فقال : صدقت ، سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **لقد آمن بي قبل أن أبعث بأربعمائة سنة** » .

وهذا حديث غريب جدًّا والله أعلم .

قال أبو نعيم : وقد روىٰ الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن الشعبي ، عن رجل من ثقيف ، بنحوه(٥٧) . وروىٰ عبد الله بن أحمد والطهراني ، عن صفوان بن المعطل - هو الذي نزل ودفن تلك الحية من بين الصحابة - وأنهم قالوا : أما[٢] إنه آخر التسعة موتًا الذين أتوا رسول

(٥٦) - « دلائل النبوة » لأبي نعيم (ص ٣٠٦-٣٠٧) وقد رواه أبو محمد بن حيان في كتاب « العظمة » رقم (١٠٩٩) وإسناده ضعيف ؛ فإن في إسناده حصين بن عمرو وهو متروك . كما قال الحافظ في «التقريب» .

(٥٧) - هذه الرواية التي ذكرها أبو نعيم روى نحوها الحكيم الترمذي في (نوادره) كما في (الإصابة) (٢/ ٥٢٧ - ترجمة عمرو بن جابر الجنبي) من طريق سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن ثابت بن قطبة الثقفي قال : جاء رجل إلى عبدالله بن مسعود فقال : إنا كنا في سفر فمررنا بحية مقتولة في دمها فواريناها ... القصة وفي إسناده أبو إسحاق السبيعي وهو مدلس .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - سقط من : خ .

الله صلىٰ الله عليه وسلم يستمعون القرآن(٥٨) .

وروىٰ أبو نعيم(٥٩) من حديث الليث بن سعد عن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون عن عمه عن معاذ بن عبيد[١] الله بن معمر قال : كنت جالسًا عند عثمان بن عفان فجاء رجل فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إني كنت بفلاة من الأرض ، فذكر أنه رأىٰ ثعبانين[٢] اقتتلا ثم قتل أحدهما الآخر ، قال : فذهبت إلىٰ المعترك ، فوجدت حيات كثيرة مقتولة ، وإذا ينفح من بعضها ريح المسك ، فجعلت أشمها واحدة واحدة ، حتىٰ وجدت ذلك من[٣] حية صفراء دقيقة[٤] ، فلففتها في عمامتي ودفنتها . فبينا أنا أمشي إذ ناداني مناد : يا عبد الله ؛ لقد هديت ! هذان[٥] حيان من الجن بنو أشعيبان وبنو أقيش التقوا ، فكان من القتل[٦] ما رأيت ، واستشهد الذي دفنته ، وكان من الذين سمعوا الوحي من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم . قال : فقال عثمان لذلك الرجل : إن كنت صادقًا فقد رأيت عجبًا ، وإن كنت كاذبًا فعليك كذبك .

فقوله تعالىٰ : ﴿ **وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن** ﴾ أي : طائفة من الجن ﴿ **يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا** ﴾ أي : استمعوا وهذا أدب منهم .

---

(٥٨) - رواه عبدالله بن أحمد في « زوائد المسند » (٣١٢/٥) وقد تحرف في المطبوع من المسند فجعل من رواية أحمد وهو خطأ - والطبراني في الكبير (٦٣/٨) رقم (٧٣٤٥) والحاكم في المستدرك (٥١٩/٣) والباردوي ، وابن مردوية في « التفسير » كما في الإصابة (٥٢٧/٢) من طريق مسلم بن قتيبة عمرو بن نبهان عن سلام أبي عيسى ، عن صفوان بن المعطل قال : خرجنا حجاجاً فلما كنا بالعرج إذا نحن بحية تضطرب فلم تلبث أن ماتت ...فذكر القصة وسمى الجنبي « عمرو بن جابر » وإسناده ضعيف عمرو بن نبهان العبدي متروك كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/١٠) .

(٥٩) - دلائل النبوة (ص ٣٠٥) لكن الذي في المطبوع من الدلائل قال أبو نعيم : حدثنا سليمان بن أحمد قال : حدثنا مطلب بن شعيب قال : حدثنا عبدالله بن صالح قال : حدثني عبدالعزيز بن سلمة الماحشون عن معاذ بن عبدالله بن معمر قال : كنت جالساً عند عثمان ... الحديث .

وليس في الإسناد ذكر « عم عبدالعزيز الماجشون » وقد روى هذا الحديث أبو الشيخ ابن حيان في العظمة رقم (١١٠٠) من طريق يحيى بن بكير قال : حدثني الليث عن عبدالعزيز الماجشون عن عمه معاذ بن عبدالله بن معمر قال : كنت عند عثمان فذكره .

ورواه ابن أبي الدنيا في « آكام المرجان » (ص : ٤٣) من طريق آخر عن عبدالعزيز به نحوه ، ومعاذ بن عبيدالله بن معمر ذكره البخاري في التاريخ (٧/ت١٥٦٠) وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل =

---

[١] - في ز ، خ : « عبد » .
[٢] - في ز : « ثعبانات » .
[٣] - في خ : « في » .
[٤] - في ت : « رقيقة » .
[٥] - في ز : « هذا » .
[٦] - في ت : « القتلى » .

وقد قال الحافظ البيهقي(٦٠) : حدثنا الإمام أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان ، أخبرنا أبو الحسن محمد بن عبد الله الدقاق ، حدثنا محمد بن إبراهيم البُوشَنْجي ، حدثنا هشام بن عمار الدمشقي ، حدثنا الوليد بن مسلم ، عن زهير بن محمد ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله قال : قرأ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم « سورة الرحمن » حتىٰ ختمها ، ثم قال : « **مالي أراكم سكوتًا لَلْجنّ كانوا أحسن منكم ردًا ، ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة : ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ . إلا قالوا : ولا بشيء من آلائك أو نعمك -ربنا- نكذب ، فلك الحمد . ورواه الترمذي في التفسير ، عن أبي مسلم عبد الرحمٰن بن واقد، عن الوليد بن مسلم ، به .**

قال : « خرج رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ أصحابه ، فقرأ عليهم سورة الرحمن ...» فذكره ، ثم قال الترمذي : غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد ، عن زهير . كذا قال . وقد رواه[١] البيهقي من حديث مروان بن محمد الطاطري عن زهير بن محمد به مثله .

وقوله : **﴿ فلما قضي ﴾** أي : فرغ . كقوله : **﴿ فإذا قضيت الصلاة ﴾ . ﴿ فقضاهن سبع سموات في يومين ﴾ ﴿ فإذا قضيتم مناسككم ﴾ .**

﴿ ولوا إلىٰ قومهم منذرين ﴾ أي : رجعوا إلىٰ قومهم فأنذروهم ما سمعوه من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، كقوله : **﴿ ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ .**

وقد استُدِلَّ بهذه الآية علىٰ أنه في الجن نُذُرٌ ، وليس فيهم رسل . ولا شك أن الجن لم

= (٨/ت١١٢٠) ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً ، وذكره ابن حبان في الثقات (٤٢٢/٥) ومثل هذا يحسن حديثه خصوصاً أنه قد روى عنه عبدالله بن أبي مليكة كما ذكره البخاري وابن أبي حاتم ولم يتفرد بالرواية عنه عم الماجشون .

«وعم عبدالعزيز الماجشون » هو يعقوب بن أبي سلمة الماجشون وهو صدوق كما في « التقريب » .

(٦٠) - دلائل النبوة (٢٣٢/٢) ورواه الترمذي في « سننه » كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الرحمن حديث (٣٢٩١) قال : حدثنا عبدالرحمن بن واقد أبو مسلم السعدي حدثنا الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد به .

وقال الترمذي : « هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم ، عن زهير بن محمد . قال ابن حنبل : كأن زهير بن محمد الذي وقع بالشام ليس هو الذي يروى عنه بالعراق كأنه رجل آخر قلبوا اسمه يعني لما يروون عنه من المناكير . وسمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول : أهل الشام يروون عن زهير بن محمد مناكير وأهل العراق يروون عنه أحاديث مقاربة » . =

[١] - في ت : « روى » .

يبعث اللَّه منهم رسولًا لقوله: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالًا يوحى إليهم من أهل القرىٰ﴾ . وقال : ﴿ وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ﴾ . وقال عن إبراهيم الخليل : ﴿ وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب ﴾ فكل نبي بعثه اللَّه بعد إبراهيم فمن ذريته وسلالته ، فأما قوله تعالىٰ في الأنعام : ﴿ يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم ﴾ ، فالمراد من مجموع الجنسين ، فيصدق علىٰ أحدهما وهو الإنس ، كقوله : ﴿ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ﴾ ، أي : أحدهما . ثم إنه تعالىٰ فسر[١] إنذار الجن لقومهم فقال مخبرًا عنهم : ﴿ قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابًا أنزل من بعد موسىٰ ﴾ ، ولم يذكروا عيسىٰ لأن عيسىٰ - عليه السلام - أنزل عليه الإنجيل فيه مواعظ وترقيقات وقليل من التحليل والتحريم ، وهو في الحقيقة كالمتمم لشريعة التوراة ، فالعمدة هو التوراة ، فلهذا قالوا : ﴿ أنزل من بعد موسىٰ ﴾ . وهكذا قال ورقة بن نوفل ، حين أخبره النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم بقصة نزول جبريل عليه أول مرة ، فقال : بَخٍ بَخٍ هذا الناموس الذي كان يأتي موسى ، ياليتني أكون فيها جذعًا .

﴿ مصدقًا لما بين يديه ﴾ أي : من الكتب المنزلة قبله علىٰ الأنبياء . وقولهم : ﴿ يهدي إلىٰ الحق ﴾ أي : في الاعتقاد والإخبار ، ﴿ وإلىٰ طريق مستقيم ﴾ ، في الأعمال ، فإن القرآن يشتمل[٢] علىٰ شيئين : خبر ، و[٣]طلب ، فخبره صدق ، وطلبه عدل ، كما قال : ﴿ وتمت كلمات ربك صدقًا وعدلًا ﴾ وقال: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق﴾ . فالهدىٰ هو : العلم النافع ، ودين الحق : هو العمل الصالح . وهكذا قالت الجن : ﴿ يهدي إلىٰ الحق ﴾ في الاعتقادات ، ﴿ وإلىٰ طريق مستقيم ﴾ أي : في العمليات .

﴿ يا قومنا أجيبوا داعي الله ﴾ ، فيه دلالة علىٰ أنه تعالىٰ أرسل محمدًا صلوات اللَّه وسلامه عليه إلىٰ الثقلين الإنس والجن حيث دعاهم إلىٰ الله ، وقرأ عليهم السورة التي فيها خطاب القومين[٤] ، وتكليفهم ووعدهم ووعيدهم ، وهي سورة الرحمن ، ولهذا قال : ﴿ أجيبوا داعي اللَّه وآمنوا به ﴾ .

وقوله : ﴿ يغفر لكم من ذنوبكم ﴾ قيل : إن « من » هاهنا زائدة ، وفيه نظر ، لأن

= ومن هذا الوجه رواه الحاكم في المستدرك (٢/٤٧٣) وصححه على شرط الشيخين وافقه الذهبي ! وهو وهم منهما رحمهما الله .

لكن الحديث صحيحه الألباني في السلسة الصحيحة (٢١٥٠) بشواهد وسيورد ابن كثير رحمه الله الحديث مرة أخرى في تفسير الرحمن .

---

[١] - في ز : « قدر » ، خ : « قرر » .
[٢] - في خ : « مشتمل » .
[٣] - في ز ، خ: « أو » .
[٤] - في ت : « الفريقين » .

زيادتها في الإثبات[١] قليل . وقيل : إنها على بابها للتبعيض ، ﴿ **ويجركم من عذاب أليم** ﴾ أي : ويقيكم من عذابه الأليم .

وقد استدل بهذه الآية من ذهب من العلماء إلى أن الجن المؤمنين لا يدخلون الجنة ، وإنما جزاء صالحيهم أن يجاروا من عذاب النار يوم القيامة ، ولهذا قالوا هذا في هذا المقام ، وهو مقام تبجح[٢] ومبالغة ، فلو كان لهم جزاء على الإيمان أعلى من هذا لأوشك أن يذكروه .

قال ابن أبي حاتم (٦١) : حدثنا أبي قال : حُدِّثت عن جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : لا يدخل مؤمنو الجن الجنة ، لأنهم من ذرية إبليس ، ولا تدخل ذرية إبليس الجنة .

والحق أن مُؤمنَهم كمؤمن[٣] الإنس يدخلون الجنة ، كما هو مذهب جماعة من السلف ، وقد استدل بعضهم لهذا بقوله : ﴿ **لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان** ﴾ وفي هذا الاستدلال نظر . وأحسن منه قوله تعالى : ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان * فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾ . فقد امتن تعالى على الثقلين بأن جعل جزاء محسنهم الجنة ، وقد قابلت الجن هذه الآية بالشكر القولي[٤] أبلغ من الإنس ، فقالوا : « **ولا بِشَيء[٥] من آلائك ربنا نكذب ، فلك الحمد** » .

فلم يكن تعالى ليمتنّ عليهم بجزاء لا يحصل لهم ، وأيضًا فإنه إذا كان يجازى كافرهم بالنار - وهو مقام عدل - فَلأَنْ يجازى[٦] مؤمنهم بالجنة - وهو مقام فَضْل - بطريق الأولى والأحرى .

ومما يدل أيضًا على ذلك عمومُ قوله تعالى : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً** ﴾ ، وما أشبه ذلك من الآيات . وقد أفردت هذه المسألة في جزء على حدة ، ولله الحمد والمنة .

وهذه الجنة لا يزال فيها فضل حتى ينشيء الله لها خلقًا ، أفلا يسكنها من آمن به وعمل له صالحًا ؟ وما ذكروه هاهنا من الجزاء على الإيمان من تكفير الذنوب والإجارة من العذاب الأليم ، هو يستلزم دخول الجنة ، لأنه ليس في الآخرة إلا الجنة أو النار ، فمن أجير من النار

(٦١) - تفسير ابن أبي حاتم (٣٢٩٧/١٠) (١٨٥١٨) وفي إسناده ليث بن أبي سليم وهو ضعيف كما تقدم مراراً .

[١] - في ز ، خ : « الآيات » .
[٢] - في ز ، خ: « تنح » .
[٣] - في ت : « كمؤمني » .
[٤] - في ز : « بياض » ، سقط من : خ .
[٥] - في ز ، خ: « شيء » .
[٦] - في ز ، خ: « يجزى » .

دخل الجنة لا محالة .

ولم يرد معنا نص صريح ولا ظاهر عن الشارع أن مؤمني[١] الجن لا يدخلون الجنة وإن أجيروا من النار ، ولو صح لقلنا به ، والله أعلم .

وهذا نوح - عليه السلام - يقول لقومه : ﴿ **يغفر لكم من ذنوبكم [ويؤخركم إلىٰ أجل مسمىٰ]**[٢] ﴾ . ولا خلاف أن مؤمني قومه في الجنة ، فكذلك هؤلاء .

وقد حُكي فيهم أقوال غريبة ؛ فعن عُمَر بن عبد العزيز : أنهم لا يدخلون بُحْبُوحَةَ[٣](*) الجنة وإنما يكونون في رَبَضِها(**) وحولها وفي أرجائها[٤] . ومن الناس من زعم أنهم في الجنة يراهم بنو آدم ولا يرون هم بني آدم عكس ما كانوا عليه في الدار الدنيا . ومن الناس من قال : لا يأكلون في الجنة ولا يشربون ، وإنما يلهمون التسبيح والتحميد والتقديس ، عِوَضًا عن الطعام والشراب كالملائكة ، لأنهم من جنسهم . وكل هذه الأقوال فيها نظر ، ولا دليل عليها .

ثم قال مخبرًا عنهم : ﴿ **ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض** ﴾ أي : بل قدرة الله شاملة له ومحيطة به ، ﴿ **وليس له من دونه أولياء** ﴾ أي : لا يجيرهم منه أحدٌ ﴿ **أولئك في ضلال مبين** ﴾ وهذا مقامُ تهديد وترهيب ، فَدَعَوا[٥] قومهم بالترغيب والترهيب ، ولهذا نجع في كثير منهم ، وجاءوا إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وفودًا وفودًا ، كما تقدم بيانه [ولله الحمد والمنة][٦] .

أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ

(*) أي وسطها . وبحبوبحة الدار : وسطها . يقال : تبحبح إذا تمكّن وتوسّط المنزل والمقام .

(**) رَبَض الجنة : ما حولها خارجًا عنها ، تشبيهًا بالأبنية التي تكون حول المدن وتحت القلاع .

[١] - في ز، خ : « مؤمنوا » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في خ،ز : « ويجركم من عذاب أليم » .

[٣] - في ز ، خ : « بحبحة » .

[٤] - في خ : « رحابها » .

[٥] - في ز، خ : « يدعوا » .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من ز .

مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌۭ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ أو لم يروا ﴾ أي : هؤلاء المنكرون للبعث يوم القيامة ، المستبعدون لقيام الأجساد يوم المعاد ﴿ أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن ﴾ أي : ولم يَكْرِثْهُ[١] (*) خَلْقُهن ، بل قال لها : « كوني » فكانت ، بلا ممانعة ولا مخالفة ، بل طائعة مجيبة خائفة وَجلة ، أفليس ذلك بقادر علىٰ أن يحيي الموتىٰ ؟ كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ ولهذا قال : ﴿ بلى إنه على كل شيء قدير ﴾ ثم قال متهددًا ومتوعدًا لمن كفر به : ﴿ ويوم يعرض الذين كفروا علىٰ النار أليس هذا بالحق ﴾ أي : يقال لهم : أما هذا حق ؟ أفسحر هذا ؟ أم أنتم لا تبصرون ؟ ﴿ قالوا بلىٰ وربنا ﴾ أي : لا يسعهم إلا الاعتراف ﴿ قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾ .

ثم قال تعالىٰ آمرًا رسوله بالصبر علىٰ تكذيب من كذبه من قومه ، ﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾ أي : [علىٰ تكذيب][٢] قومهم لهم . وقد اختلفوا في تَعداد أولي العزم علىٰ أقوال ، وأشهرها أنهم : نوح ، وإبراهيم ، وموسىٰ ، وعيسىٰ ، وخاتم الأنبياء كلهم محمد ، صلىٰ الله عليه وسلم و[٣]قد نص الله علىٰ[٤] أسمائهم من بين الأنبياء في آيتين من سُورَتَي « الأحزاب » و « الشورىٰ » وقد يحتمل أن يكون المراد بأولي العزم جميعَ الرُّسُل ، وتكون « من» في قوله : ﴿ من الرسل ﴾ لبيان الجنس ، والله أعلم . وقد قال ابن أبي حاتم (٦٢) :

حدثنا محمد بن الحجاج الحضرمي ، حدثنا السري[٥] بن حَيَّان ، حدثنا عباد بن عباد ، حدثنا مجالد بن سعيد ، عن الشعبي ، عن مسروق قال : قالت لي عائشة : ظل رسول الله

(*) كرثه الأمر وغيره : اشتد عليه وبلغ منه المشقة .

(٦٢) - تفسير ابن أبي حاتم (٣٢٩٧/١٠) (١٨٥٨٣) وفي إسناده مجالد بن سعيد وهو ضعيف قال الحافظ في « التقريب » : ليس بالقوي وقد تغير في آخر عمره . والحديث ذكره السيوطي في الدر المنثور (١٧/٦ - ١٨) ولم يعزه لغير ابن أبي حاتم .

[١] - في خ : « يكده » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « بتكذيب » . [٣] - سقط من ت .
[٤] - في ز ، خ: « في » . [٥] - في ز ، خ: « السُّدِّي » .

صلى الله عليه وسلم صائمًا ثم طواه ، ثم ظل صائمًا ثم طواه ، ثم ظل صائمًا . قال : « يا عائشة ، إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد ، يا عائشة إن الله لم يرض من أولي العزم من الرسل إلا بالصبر على مكروهها والصبر عن[١] محبوبها ، ثم لم يرض مني إلا أن يكلفني ما كلفهم ، فقال : ﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾ . وإني - والله - لأصبرنّ كما صبروا جهدي ، ولا قوة إلا بالله » .

﴿ ولا تستعجل لهم ﴾ أي : لا تستعجل لهم حلول العقوبة بهم . كقوله : ﴿ وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلًا ﴾ وكقوله: ﴿فمهل الكافرين أمهلهم رويدًا﴾ ﴿ كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار ﴾ كقوله : ﴿ كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها ﴾ ، وكقوله : ﴿ ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين ﴾ .

وقوله : ﴿ بلاغ ﴾ . قال ابن جرير : يحتمل معنيين ، أحدهما : أن يكون تقديره : وذلك لبث بلاغ .

والآخر : أن يكون تقديره : هذا القرآن بلاغ .

وقوله : ﴿ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون ﴾ أي : لا يهلك على الله إلا هالك ، وهذا من عدله تعالى أنه لا يعذب إلا من يستحق العذاب .

[آخر تفسير سورة الأحقاف] .

☆ ☆ ☆

[١] - في ز ، خ : « على » .

تفسير سورة محمد

وهي مدنية

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ۝٣﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **الذين كفروا** ﴾ أي : بآيات اللّٰه ، ﴿ **وصدوا** ﴾ غيرهم ﴿ **عن سبيل اللّٰه أضل أعمالهم** ﴾ أي : أبطلها وأذهبها ولم يجعل لها جزاءً ولا ثوابًا ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **وقَدمنا إلىٰ ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورًا** ﴾ ثم قال : ﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ أي : آمنت قلوبهم وسرائرهم ، وانقادت جوارحهم وبواطنهم[١] وظواهرهم ، ﴿ **وآمنوا بما نزل علىٰ محمد** ﴾ ، عطف خاص علىٰ عام ، وهو دليل علىٰ أنه شرط في صحة الإيمان بعد بعثته صلوات اللّٰه وسلامه عليه .

وقوله : ﴿ **وهو الحق من ربهم** ﴾ جملة معترضة حسنة ، ولهذا قال : ﴿ **كفَّر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم** ﴾ . قال ابن عباس : أي أَمْرَهم . وقال مجاهد : شأنهم . وقال قتادة وابن[٢] زيد : حالهم . والكل متقارب وقد جاء في حديث تشميت العاطس : « **يهديكم اللّٰه ، ويصلح بالكم** »(١) .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل** ﴾ أي[٣] : [إنما أبطلنا أعمال الكفار . وتجاوزنا عن سيئات الأبرار ، وأصلحنا شئونهم ؛ لأن الذين كفروا اتبعوا الباطل ، أي :][٤] اختاروا الباطل علىٰ الحق ، ﴿ **وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب اللّٰه للناس أمثالهم** ﴾ أي : يبين لهم مآل أعمالهم ، وما يصيرون إليه في معادهم .

---

(١) - ورد من حديث أبي هريرة ، رواه البخاري في كتاب الأدب من صحيحه (٦٢٢٤) ، وأبو داود في كتاب الأدب برقم (٥٠٣٣) .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز، خ : « وأبو » .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز : خ .

فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾

يقول تعالىٰ مرشدًا للمؤمنين إلىٰ ما يعتمدونه في حروبهم مع المشركين : ﴿ **فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب** ﴾ أي : إذا واجهتموهم فاحصدوهم حصدًا بالسيوف ، ﴿ **حتىٰ إذا أثخنتموهم** ﴾ أي : أهلكتموهم قتلًا ﴿ **فشدوا** ﴾ الأسارىٰ الذين تأسرونهم ، ثم أنتم بعد انقضاء الحرب وانفصال المعركة مخيرون في أمرهم ؛ إن شئتم مننتم عليهم فأطلقتم[١] أساراهم مجانًا ، وإن شئتم فاديتموهم بمال تأخذونه منهم وتشارطونهم عليه . والظاهر أن هذه الآية نزلت بعد وقعة بدر ، فإن الله سبحانه عاتب المؤمنين علىٰ الاستكثار من الأسارىٰ يومئذ ليأخذوا منهم الفداء ، والتقلّل من القتل يومئذ فقال : ﴿ **ما كان لنبي أن يكون له أسرىٰ حتىٰ يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم * لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم** ﴾ ثم قد ادعىٰ بعض العلماء أن هذه الآية المخيرة بين مفاداة الأسير والمن عليه منسوخة بقوله تعالىٰ : ﴿ **فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم** ﴾ الآية رواه العوفي عن ابن عباس .

وقاله قتادة ، والضحاك ، والسدي ، وابن جريج .

وقال الآخرون - وهم الأكثرون - : ليست منسوخة .

ثم قال بعضهم : إنما الإمام مُخيّر بين المن علىٰ الأسير ومفاداته فقط ، ولا يجوز له قتله .

وقال آخرون منهم : بل له أن يقتله إن شاء ، لحديث قتل النبي صلىٰ الله عليه وسلم النضر بن الحارث وعقبة بن أبي مُعَيط من أسارىٰ بدر(٢) .

(٢) - نقل ذلك ابن كثير في البداية والنهاية (٣٧٢/٣) عن ابن إسحاق ، وروى الطبراني في الأوسط (٣٨٠١) عن ابن عباس قال : قتل رسول الله ﷺ يوم بدر ثلاثة صبرًا ، قتل النضر بن الحارث من بني =

[١] - في ز ، خ: « فأطلقتموا » .

وقال ثمامة بن أثال[١] لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حين قال له: «**ما[٢] عندك[٣] يا ثمامة؟**» فقال: إن تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذا دَمٍ، وإن تمنن تمنن علىٰ شاكر، وإن كنت تريد المال فَسَلْ[٤] تعطَ منه ما شئت (٣).

وزاد الشافعي رحمه الله فقال: الإمام مخير بين قتله أو المنّ عليه أو مفاداته أو استرقاقه أيضًا. وهذه المسألة مُحرّرة في علم الفروع، وقد دللنا علىٰ ذلك في كتابنا «**الأحكام**»، ولله الحمد والمنة.

وقوله: ﴿**حتى تضع الحرب أوزارها**﴾ قال مجاهد: حتى ينزل عيسى ابن مريم. وكأنه أخذه من قوله صلىٰ الله عليه وسلم: «**لا تزال [طائفة من][٥] أمتي ظاهرين علىٰ الحق حتىٰ يقاتل آخرهم الدجال**»(٤).

وقال الإمام أحمد(٥): حدثنا الحكم بن نافع، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن إبراهيم

= عبد الدار، وقتل طعيم بن عدي من بني نوفل، وقتل عقبة بن أبي معيط، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٣/٦)، وقال: رواه الطبراني في الاوسط وفيه عبد الله بن حماد بن نمير ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.
وروى البزار كما في كشف الأستار (١٧٨١)، قال رسول الله ﷺ: لأقتلن اليوم رجلًا من قريش صبرًا قال: فنادى عقبة بن أبي معيط بأعلى صوته: يا معشر قريش؛ مالي أقتل من بينكم صبرًا؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: بكفرك بالله وافترائك على رسول الله ﷺ. وقال الهيثمي (٩٢/٦): فيه يحيى بن سلمة ابن كهيل، وهو ضعيف ووثقه ابن حبان.
ويحيى بن سلمة بن كهيل شيعي متروك كما في «التقريب» لابن حجر ولكن ذكر الهيثمي في «المجمع» عن ابن عباس قال: نادى رسول الله ﷺ أسارى بدر وكان فداء كل رجل منهم أربعة آلاف وقتل عقبة بن أبي معيط قبل الفداء قام إليه علي بن أبي طالب فقتله صبرًا قال: من للصبية يا رسول الله قال: النار.
وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله رجال الصحيح.

(٣) - حديث ثمامة رواه البخاري في "صحيحه" في كتاب المغازي، باب: وفد بنى حذيفة، الحديث (٤٣٧٢) ومسلم في "صحيحه" "كتاب الجهاد والسير، باب ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه حديث (١٧٦٤) من حديث سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة.
وقد اختصره البخاري في مواضع من صحيحه انظر رقم (٤٦٢،٤٦٩،٢٤٢٢،٢٤٢٣).

(٤) - تقدم في تفسير سورة البقرة الآية (١٢٠)، وانظر أيضًا تفسير سورة النور الآية (٥٥).

(٥) - المسند (١٠٤/٤)، ورواه البخاري في التاريخ الكبير (٧٠/٤)، وابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" (٢٤٦٠)، والطبراني في الكبير (٦٣٥٨)، والبزار كما في كشف الأستار (١٦٨٩) والقسوي في تاريخه

[١] - في ز، خ: «أبان».
[٢] - في خ: «يا».
[٣] - في ز: «عندي»، خ: «عبدي».
[٤] - في ز، خ: فلي.
[٥] - سقط من: ز، خ.

ابن سليمان ، عن الوليد بن عبد الرحمن الجُرَشي ، عن جُبَير بن نُفَير أن سلمة بن نُفَيل أخبرهم : أنه أتىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقال : إني سَيَّبْتُ الخيل ، وألقيت السلاح ، ووضعت الحرب أوزارها ، وقلت : لا قتال . فقال له النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **الآن جاء القتال ، لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الناس يزيغ اللّٰه[١] قلوب أقوام فيقاتلونهم . ويرزقهم[٢] اللّٰه منهم ، حتىٰ يأتي أمر اللّٰه وهم علىٰ ذلك . ألا إن [عُقْرَ دار المؤمنين الشام][٣] . والخيل معقود[٤] في نواصيها الخير إلى يوم القيامة** » وهكذا رواه النسائي من طريقين ، عن جبير بن نُفَير ، عن سلمة بن نُفَيل السكوني[٥] ، به .

وقال أبو القاسم البغوي(٦) : حدثنا داود بن رشيد حدثنا الوليد بن [مسلم عن][٦] محمد بن مهاجر عن الوليد بن عبد الرحمن الجُرَشي ، عن جبير بن نُفَير ، عن النواس بن سمعان قال : لما[٧] فتح علىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فَتْحٌ فقالوا : يا رسول اللّٰه سيبت الخيل ، ووضعت السلاح ، ووضعت الحرب أوزارها ، قالوا : لا قتال ، قال : « **كذبوا ! الآن جاء القتال ، لا يزال اللّٰه يُرَفِّع قلوب قوم يقاتلونهم[٨] ، فيرزقهم منهم ،**

(٣٣٦/١) من طريق إبراهيم بن سليمان الأفطس عن الوليد به ، ورواه النسائي في كتاب الخيل (٢١٤/٦) وفي " الكبرى " كتاب الخيل ، باب : ذكر الخيل حديث (٤٤٠١) من طريق إبراهيم بن أبي علية عن الوليد ابن عبد الرحمن به .

إلّا أن رواية ابن أبي علية فيها عن سلمة بن نفيل قال : كنت جالسًا عند رسول الله ﷺ فقال رجل : يا رسول الله أذال الناس الخيل ووضعوا السلاح ... الحديث .

وإسناد هذا الحديث صحيح على شرط مسلم كذا قال الألباني في الصحيحة (١٩٣٥) ، ورواه النسائي في "الكبرى" كتاب السير ، باب : متى تضع الحرب أوزارها ، حديث (٨٧١٢) والطبراني في الكبير (٣٦٦٠) من طريق يحيى بن حمزة الدمشقي عن نصر بن علقمة ، عن جبير بن نفير ، عن سلمة بن نفيل نحو رواية ابن أبي علية ويشهد له ما رواه ابن حبان في صحيحه (٧٣٠٧) من حديث الوليد بن عبد الرحمن عن جبير ابن نفير عن النواس بن سمعان مثل حديث سلمة وسيأتي تخريجه بعد هذا الحديث .

(٦) - رواه أبو يعلى ، وعنه ابن حبان في صحيحه (٧٣٠٧) قال : حدثنا داود بن رشيد فذكره . ورجال إسناده ثقات إلّا أن الوليد بن مسلم مدلس وقد عنعن .

والحديث رواه ابن سعد (٤٢٨/٤٢٧/٧) والطبراني في الكبير - مختصرًا - (٦٣٥٩) من طريقين عن الوليد ابن مسلم بهذا الإسناد وفيه " سلمة بن نفيل " بدلًا من النواس بن سمعان وقد صرح فيه الوليد بالتحديث وقد صح الحديث عن سلمة من غير هذا الطريق كما تقدم بيانه في التخريج السابق .

---

[١] - في ز ، خ : « له » . [٢] - في ز : « ويرونهم » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « إلا إن عقدوا المؤمنين التام » .
[٤] - في خ : « بعقود » . [٥] - في ز : « السلولي » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - في ز ، خ : « يقاتلون » .

حتىٰ يأتي أمر الله وهم[١] علىٰ ذلك ، [وعُقْر دار المسلمين بالشام »][٢] .

وهكذا رواه الحافظ أبو يعلىٰ الموصلي عن داود بن[٣] رُشيد ، به . والمحفوظ أنه من رواية سلمة بن نُفَيل كما تقدم . وهذا يقوي القول بعدم النسخ ، كأنه شرع هذا الحكم في الحرب إلىٰ أن لا يبقىٰ حرب .

وقال قتادة : ﴿ **حتىٰ تضع الحرب أوزارها** ﴾ حتىٰ لا يبقىٰ شرك . وهذا كقوله تعالىٰ : ﴿ **وقاتلوهم حتىٰ لا تكون فتنة ويكون الدين لله** ﴾ . ثم قال بعضهم : ﴿ **حتىٰ تضع الحرب أوزارها** ﴾ أي : أوزار المحاربين ، وهم المشركون ، بأن يتوبوا إلىٰ الله عز وجل . وقيل : أوزار أهلها بأن يبذلوا الوسع في طاعة الله عز وجل .

وقوله : ﴿ **ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم** ﴾ أي : هذا ولو شاء الله لانتقم من الكافرين بعقوبة ونكال من عنده ، ﴿ **ولكن ليبلو بعضكم ببعض** ﴾ أي : ولكن شرع لكم الجهاد وقتال الأعداء ليختبركم ، ويبلو أخباركم . كما ذكر حكمته في شرعية الجهاد في سورتي « آل عمران » و « براءة » في قوله : ﴿ **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين** ﴾ وقال في سورة براءة : ﴿ **قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين * ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله علىٰ من يشاء والله عليم حكيم** ﴾ ثم لما كان من شأن القتال أن يُقتل كثيرٌ من المؤمنين ، قال : ﴿ **والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم** ﴾ أي : لن يذهبها بل يكثرها وينميها[٤] ويضاعفها . ومنهم من يجري عليه عمله في طول بَرْزَخه ، كما ورد بذلك الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده(٧) ، حيث قال :

(٧) - المسند (٤/٢٠٠) وعنه البخاري في التاريخ (٧/١٤٣،١٤٤) وابن الاثير في أسد الغابة (٤/٤١٥) ورواه ابن أبي عاصم في " الآحاد والمثاني " (٢٧٣٤) قال : حدثنا محمد بن مصفى نابقيه قال : حدثني ابن ثوبان فذكره نحوه . وفي إسناده عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان وقد اختلف فيه فضعفه أحمد ، والنسائي ، وابن خراش ، ووثقه أبو حاتم الرازي ودحيم وعبد الرحمن بن صالح وعمرو بن علي الفلاس وذكره ابن حبان فبي الثقات وقال ابن المديني والعجلي وغيرهما : لا بأس به ، واختلف فيه قول ابن معين .

وقال ابن حجر في " التقريب " : صدوق يخطئ ورمى بالقدر وتغير بأخرة . فمثل ابن ثوبان هذا يحسن حديثه لا سيما إذا كان له شواهد مثل هذا الحديث فإنه يشهد له حديث المقداد الآتي والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/٢٩٦) وقال : رواه أحمد وفيه عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان وثقه أبو حاتم وجماعة وضعفه جماعة .

[١] - سقط من : ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « وعقدوا من المسلمين بالشام .

[٣] - في ز ، خ : « عن » .

[٤] - في ز : « ويتمها » .

حدثنا زيد بن يحيىٰ الدمشقي ، حدثنا ابن ثوبان ، عن أبيه ، عن مكحول ، عن كثير بن مُرّة ، عن قيس الجذامي - رجل كانت له صحبة - قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **يعطىٰ الشهيد ست خصال : عند أول قطرة من دمه يُكفّر عنه كل خطيئة ، ويرىٰ مقعده من الجنة ، ويزوّج من الحور العين ، ويُؤَمَّن من الفزع الأكبر ، ومن عذاب القبر ، ويحلىٰ حُلّة الإيمان** » تفرد به أحمد رحمه الله .

(حديث آخر) قال أحمد أيضًا (٨) : حدثنا الحكم بن نافع ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن [بَحير بن سعد][١] ، عن خالد بن معدان ، عن المقدام بن معد يكرب الكندي قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن للشهيد عند الله ستّ خصال : أن يغفر له في أول دَفْعَة[٢] من دمه ، ويرىٰ مقعده من الجنة ، ويحلىٰ حُلّة[٣] الإيمان ، ويزوج من الحور العين ، ويُجَار من عذاب القبر ، ويأمَن من الفزع الأكبر ، ويوضع علىٰ رأسه تاج الوقار ، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ، ويُشَفَّع في سبعين إنسانًا[٤] من أقاربه** » . وقد أخرجه الترمذي وصححه ، وابن ماجة .

وفي صحيح مسلم (٩) عن عبد الله بن عَمرو ، وعن أبي قتادة أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **يُغفَر للشهيد كل شيء إلا الدَّيْن** » . ورُوي من حديث جماعة من الصحابة (١٠) .

---

(٨) - المسند (١٣١/٤)ومن هذا الطريق رواه ابن ماجة في الجهاد حديث (٢٧٩٩) ، ورواه الترمذي في " صحيحه " كتاب فضائل الجهاد ، باب : ثواب الشهيد حديث (١٦٦٣) من طريق بقية بن الوليد ، عن بحير بن سعد به .

وقال الترمذي : حديث حسن صحيح غريب . لكن رواه عبد الرزاق في مصنفه (٩٥٥٩) عن إسماعيل بن عياش بهذا الإسناد بلفظ : « **إن للشهيد عند الله تسع خصال** ... » الحديث مثل رواية أحمد . والحديث صححه الألباني في " صحيح سنن ابن ماجة " (٢٢٥٧) وانظر أيضًا أحكام الجنائز (ص٣٦) .

(٩) - صحيح مسلم كتاب الإمارة ، باب : من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلّا الدين حديث (١٨٨٦) (١١٩) وهو عند أحمد في المسند (٢٢٠/٢) .

ورواه مسلم (١٨٨٦) (١٢٠) من طريق سعيد بن أبي أيوب قال : حدثني عياش بن عباس القتباني به بلفظ " **القتل في سبيل الله يكفر كل شئ إلّا الدين** " .

(١٠) - ورد ذلك عن جمع من الصحابة ومن ذلك ما رواه مسلم في " صحيحه " في كتاب الإمارة باب :

---

[١] - في ز : « يحيى بن سعيد » ، خ : « يحيى بن سعد » .

[٢] - في ز ، خ : « خفقة » . [٣] - في ز : « حلية » .

[٤] - في ز ، خ : « نفسًا » .

وقال أبو الدرداء : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « [**يشفع الشهيد**][١] **في سبعين من أهل بيته** »(١١) رواه[٢] أبو داود والأحاديث في فضل الشهيد كثيرة جدًا .

وقوله : ﴿ **سيهديهم** ﴾ أي : إلىٰ الجنة ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم** ﴾

وقوله : ﴿ **ويصلح بالهم** ﴾ أي : أمرهم وحالهم ، ﴿ **ويدخلهم الجنة عرفها لهم** ﴾ أي: عرفهم بها وهداهم إليها .

قال مجاهد : يهتدي أهلها[٣] إلىٰ بيوتهم[٤] ومساكنهم ، وحيث قسم الله لهم منها ، لا يخطئون كأنهم ساكنوها منذ خلقوا ، لا يستدلون عليها أحدًا . وروىٰ مالك عن ابن زيد بن أسلم نحو هذا .

من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلّا من الدين حديث (١٨٨٥) (١١٧) من حديث أبي قتادة وفيه قال أبو قتادة : أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **نعم وأنت صابر فحتسب مقبل غير مدبر إلّا الدين فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك** » .

وروى الترمذي في " سننه " كتاب فضائل الجهاد ، باب : ما جاء في ثواب الشهداء حديث (١٦٤٠) من حديث أبي بكر بن عياش عن حميد عن أنس مرفوعًا بلفظ : " **القتل في سبيل الله يكفر كل خطيئة** " فقال جبريل : إلّا الدين فقال النبي : «**إلّا الدين** » .

قال الترمذي : وفي الباب عن كعب بن عجرة وجابر وأبي هريرة وأبي قتادة وهذا حديث غريب لا نعرفه من حديث أبي بكر إلّا من حديث هذا الشيخ قال : وسألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث فلم يعرفه وقال : أرى أنه أراد حديث حميد عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال :« **ليس أحد من أهل الجنة يسره أن يرجع إلى الدنيا إلّا الشهيد** » .

قلت : مراد البخاري أن أبا بكر بن عياش قد أخطأ في هذا الحديث لكن الحديث صححه الألباني - رحمه الله - في " صحيح سنن الترمذي " (١٣٤٠) .

(١١) - رواه أبو داود في " سننه " كتاب الجهاد ، باب : في الشهيد يشفع حديث (٢٥٢٢) ومن طريقه البيهقي (٩/١٦٤) كتاب السير ، باب : الشهيد يشفع ، وابن حبان في " صحيحه " من طريق الوليد بن رباح الذماري ، حدثني عمي نمران بن عتيبة الذماري قال : دخلنا على أم الدرداء ونحن أيتام فقالت : أبشروا فإني سمعت أبا الدرداء يقول : قال رسول الله ﷺ : « **يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته** » قال أبو داود: صوابه رباح بن الوليد .

ورباح بن الوليد بن يزيد بن نمران الذماري قال فيه الحافظ في " التقريب " : صدوق . =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز . [٢] - في ز : « ورواه » .

[٣] - في خ : « بها » .

[٤] - في ز : « يوم متونهم » ، خ : « يوم مثواهم » .

وقال محمد بن كعب : يعرفون بيوتهم إذا دخلوا الجنة ، كما تعرفون بيوتكم إذا انصرفتم من الجمعة .

وقال مقاتل بن حيان : بلغنا أن الملك الذي كان وُكِلَ بحفظ عمله في الدنيا يمشي بين يديه في الجنة ، ويتبعه ابنُ آدم حتىٰ يأتي أقصىٰ منزل هو له ، فيعرّفه كل شيء أعطاه الله في الجنة ، فإذا انتهىٰ إلىٰ أقصىٰ منزله في الجنة دخل [إلى][١] منزله وأزواجه ، وانصرف الملك عنه . ذكرهن ابن أبي حاتم رحمه الله !

وقد ورد الحديث الصحيح بذلك أيضًا ، رواه البخاري(١٢) من حديث قتادة ، عن أبي المتوكل الناجي ، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار يتقاصّون[٢] مظالم كانت بينهم في الدنيا ، حتىٰ إذا هُذِّبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة ، والذي نفسي بيده إن أحدهم بمنزله في الجنة أهدىٰ منه بمنزله [ ][٣] كان في الدنيا** » .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** ﴾ ، كقوله : ﴿ **ولينصرن الله من ينصره** ﴾ ، فإن الجزاء من جنس العمل ، ولهذا قال : ﴿ **ويثبت أقدامكم** ﴾ ، كما جاء في الحديث : « **من بَلَّغ ذا سلطان حاجة من لا يستطيع إبلاغها ، ثبت الله قدمه علىٰ الصراط يوم القيامة** » .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **والذين كفروا فتعسًا لهم** ﴾ ، عكس تثبيت الأقدام للمؤمنين الناصرين لله ولرسوله صلىٰ الله عليه وسلم . وقد ثبت في الحديث عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « **تعس عبد الدينار** ، [**تعس عبد الدرهم**][٤] ، **تعس عبد القطيفة ، تعس وانتكس ، وإذا شِيكَ فلا انتقش**»(١٣) .

= والحديث صححه الألباني في " صحيح سنن أبي داود " (٢٢٠١) .

(١٢) - صحيح البخاري كتاب المظالم ، باب : قصاص المظالم حديث (٢٤٤٠) من طريق هشام الدستوائي عن قتادة به ، ورواه في كتاب الرقاق ، باب : القصاص يوم القيامة وهي الحاقة لأن فيها الثواب وحواق الامور حديث (٦٥٣٥) من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة .

والحديث رواه أحمد (٧٤،٦٣،٥٧،١٣/٣) وعبد بن حميد (٩٣٥) والبخاري في الأدب المفرد (٤٨٦) من طريق قتادة به .

(١٣) - تقدم تخريجه في تفسير سورة آل عمران الآية (٢٠٠) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « إلى » .

[٢] - في ز ، خ : « يتقاضون » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في خ : « الذي » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وقوله : ﴿ وأضل أعمالهم ﴾ أي : أحبطها وأبطلها . ولهذا قال : ﴿ ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله ﴾ [أي : لا يريدونه ولا يحبونه ، ﴿ فأحبط أعمالهم ﴾][١] .

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا (١٠) ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ (١١) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ (١٢) وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ (١٣) ﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ أفلم يسيروا ﴾ يعني المشركين بالله المكذبين لرسوله ﴿ في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم ﴾ أي : عاقبهم بتكذيبهم وكفرهم ، أي : ونجىٰ المؤمنين من بين أظهرهم ؛ ولهذا قال : ﴿ وللكفرين أمثالها ﴾ . ثم قال : ﴿ ذلك بأن الله مولىٰ الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولىٰ لهم ﴾؛ ولهذا قال أبو سفيان صخر بن حرب رئيس المشركين يوم أُحُدٍ حين سأل عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، وعن أبي بكر وعمر فلم يُجَبْ ، وقال : أما هؤلاء فقد هلكوا . وأجابه عمر بن الخطاب فقال : كذبت يا عدو الله ، بل أبقىٰ الله لك ما يسوءك ، وإن الذين[٢] عَدَدت لأحياءٌ . فقال أبو سفيان : يوم بيوم بدر ، والحرب سجال ، أما إنكم ستجدون مُثْلَةً لم آمر بها ولم تسؤني ، ثم ذهب يرتجز ويقول : * اعل هُبَل ، اعل هُبَل * فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « ألا تجيبوه ؟ » قالوا : يا رسول الله ؛ وما نقول ؟ قال : « قولوا : الله أعلىٰ وأجلّ » . ثم قال أبو سفيان : لنا العُزّىٰ ، ولا عُزّىٰ لكم . فقال : « ألا تجيبوه ؟ » قالوا : وما نقول يا رسول الله ؟ قال : « قولوا :الله مولانا ولا مولىٰ لكم »(١٤) .

(١٤) - رواه أحمد (٢٩٣/٤) ، ورواه البخاري في " صحيحه " في المغازي ، باب : غزوة أحد ... حديث (٤٠٤٣) من حديث البراء بن عازب ورواه أيضًا أحمد في مسنده (٢٩٣/٤) والنسائي في " الكبرى " كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ والرسول يدعوكم إلى أخراكم ﴾ حديث (١١٠٧٩) من حديث البراء أيضًا .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « ﴿ فأحبط أعمالهم ﴾ أي : لا يريدونه ولا يحبونه » .

[٢] - في ز : « الذي » .

ثم قال تعالى : ﴿ **إن اللّه يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار** ﴾ أي : يوم القيامة ، ﴿ **والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام** ﴾ أي : في دنياهم ، يتمتعون بها ويأكلون منها كأكل الأنعام ، خَضْمًا وقضمًا ، ليس لهم همة إلا في ذلك . ولهذا ثبت في الصحيح(١٥) : « **المؤمن يأكل في مِعى واحد ، والكافر يأكل في سبعة أمعاء** » . ثم قال : ﴿ **والنار مثوى لهم** ﴾ أي : يوم جزائهم .

وقوله : ﴿ **وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك** ﴾ يعني : مكة ، ﴿ **أهلكناهم فلا ناصر لهم** ﴾ وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد لأهل مكة ، في تكذيبهم لرسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم ، وهو سيد المرسلين وخاتم الأنبياء ، فإذا كان اللّه - عز وجل - قد أهلك الأمم الذين كذبوا الرسل قبله ، بسببهم ، وقد كانوا أشد قوة من هؤلاء ، فماذا ظن هؤلاء أن يفعل اللّه بهم في الدنيا والأخرىٰ ؟ فإن رفع عن كثير منهم العقوبة في الدنيا لبركة وجود الرسول نبي الرحمة ، فإن العذاب يوفر علىٰ الكافرين به في معادهم ، ﴿ **يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون** ﴾

وقوله : ﴿ **من قريتك التي أخرجتك** ﴾ أي : الذين أخرجوك من بين أظهرهم .

قال[١] ابن أبي حاتم(١٦) : ذكر[٢] أبي ، عن محمد بن عبد الأعلىٰ ، عن المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن حَنَش ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم لما خرج من مكة إلىٰ الغار - أراه[٣] قال[٤] : التفت[٥] إلىٰ مكة - وقال : « **أنت أحبّ بلاد اللّه إلىٰ اللّه ، وأنت أحب بلاد اللّه إليّ ، ولو أن المشركين لم يخرجوني لم أخرج منك** » .

(١٥) - رواه البخاري في " صحيحه " في كتاب الأطعمة ، باب : المؤمن يأكل في معي واحد حديث (٥٣٩٣،٥٣٩٤،٥٣٩٥) ومسلم في " صحيحه " كتاب الأشربة من حديث عبد الله بن عمر .
وقد ورد ذلك أيضًا من حديث أبي هريرة وأبي موسى وغيرهما .

(١٦) - ورواه ابن جرير في تفسيره (٤٨/٢٦) قال حدثنا ابن عبد الأعلى قال : ثنا المعتمر بن سليمان به .
ورواه أبو يعلى في مسنده الكبير كما في (المطالب العالية - النسخة المسندة) (٤١٠٣) قال : حدثنا حسن ابن عمر ثنا معتمر فذكره نحوه . وهذا إسناد رجاله ثقات غير أن حنش لا أدري من هو ، ولعله يكون حنش ابن المعتمر وهو مختلف في توثيقه ولا أراه يحتج به إلّا في المتابعات والشواهد .
والحديث ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٤/٦) وزاد نسبته لعبد بن حميد .

[١] - في ت : « وقال » .
[٢] - في ز، خ : « ذكره » .
[٣] - في ز ، خ : « وداراه » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز ، خ : « فالتفت » .

فأعدىٰ الأعداء من عَدَا علىٰ الله في حرمه ، أو قتل غير قاتله ، أو قتل بذُحُول[١] الجاهلية ، فأنزل الله علىٰ نبيه صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم** ﴾ .

أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾

يقول : ﴿ **أفمن كان علىٰ بينة من ربه** ﴾ أي : علىٰ بصيرة ويقين في أمر الله ودينه ، بما أنزل الله في كتابه من الهدىٰ والعلم ، وبما جَبَله الله عليه من الفطرة المستقيمة ، ﴿ **كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم** ﴾ أي : ليس هذا كهذا . كقوله : ﴿ **أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمىٰ** ﴾ ، وكقوله: ﴿**لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون**﴾ .

ثم قال : ﴿ **مثل الجنة التي وعد المتقون** ﴾ . قال عكرمة : ﴿ **مثل الجنة** ﴾ أي : نعتها . ﴿ **فيها أنهار من ماء غير آسن** ﴾ . قال ابن عباس ، والحسن ، وقتادة : يعني غير متغير . وقال قتادة ، والضحاك ، وعطاء الخراساني : غير منتن . والعرب تقول : أَسِنَ الماء إذا تَغَيَّر ريحه .

وفي حديث مرفوع أورده ابن أبي حاتم : ﴿**غير آسن**﴾ يعني : الصافي[٢] الذي لا كدر فيه .

وقال ابن أبي حاتم(١٧) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق قال : قال عبد الله : أنهار الجنة تُفَجَّر من جبل من مسك .

﴿ **وأنهار من لبن لم يتغير طعمه** ﴾ أي : بل في غاية البياض والحلاوة والدسومة . وفي حديث مرفوع : « **لم يخرج من ضُرُوع الماشية** » .

(١٧) - أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٦٧/٨) والبيهقي في البعث والنشور (٢٩٣) من طريق الأعمش به . زأخرجه معمر في جامعه (٤١٦/١١ - المصنف) عن الأعمش عن ابن مرة عن مسروق قوله .

[١] - في ز،خ : « بدخول » .
[٢] - في ز ، خ: « الصان » .

﴿ **وأنهار من خمر لذة للشاربين** ﴾ أي : ليست كريهة الطعم والرائحة كخمر الدنيا ، بل حسنة المنظر والطعم والرائحة والفعل ، ﴿ **لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون** ﴾ ، ﴿ **لا يصدعون عنها ولا يُنزِفُون** ﴾ ، ﴿ **بيضاء لذة للشاربين** ﴾ ، وفي حديث مرفوع : « **لم تعصرها [الرجال بأقدامها** »][1] .

﴿ **وأنهار من عسل مصفًّى** ﴾ أي : وهو في غاية الصفاء ، وحسن اللون والطعم والريح ، وفي حديث مرفوع : « **لم يخرج من بطون النحل** » .

وقال الإمام أحمد(١٨) : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا الجُرَيري ، عن حكيم [بن معاوية][2] ، عن أبيه قال : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **في الجنة بحر اللبن ، وبحر الماء ، وبحر العسل ، وبحر الخمر ، ثم تشقق الأنهار منها بعد** » .

ورواه الترمذي في « **صفة الجنة** » ، عن محمد بن بَشار[3] ، عن يزيد بن هارون ، عن سعيد ابن إياس الجريري ، به . وقال : حسن صحيح .

وقال أبو بكر بن مردويه (١٩) : حدثنا أحمد بن محمد بن عاصم ، حدثنا عبد الله بن محمد بن النعمان ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا الحارث بن عبيد أبو[4] قدامة الإِيادي ، حدثنا أبو عمران الجَوْني ، عن [أبي بكر][5] بن عبد الله بن قيس ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **هذه الأنهار تَشخُبُ من جنة عدن في جوبة[6] ثم تصدع بعد أنهارًا** » .

وفي الصحيح (٢٠) : « **إذا سألتم الله فاسألوه[7] الفردوس ، فإنه أوسط الجنة وأعلىٰ الجنة ، ومنه تُفَجَّر أنهار الجنة ، وفوقه عرش الرحمن** » .

---

(١٨) - المسند (٥/٥) (٢٠١٠٠) وأخرجه عبد بن حميد (٤١٠) والدارمي في الرقاق ، باب في أنهار الجنة (٢٨٣٦) والترمذي في كتاب صفة الجنة ، باب : ما جاء في صفة أنهار الجنة (٢٥٧١) من طريق الجريري به .

(١٩) - أخرجه الطيالسي (٥٣١) ، وأحمد (٤١٦/٤) من طريق الحارث به .

(٢٠) - أخرجه البخارى في كتاب التوحيد ، باب : ﴿ وكان عرشه على الماء ﴾ ، حديث (٧٤٢٣) من حديث أبي هريرة .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ .
[٣] - في ز، خ : « يسار » .
[٤] - في ز، خ : « بن » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز، خ : « يزيد » .
[٦] - في ز : « حربة » .
[٧] - في ز : « فسلوه » .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا مصعب بن إبراهيم بن حمزة الزبيري ، وعبد الله بن الصقر السكري قالا : حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي[١] ، حدثنا عبد الرحمن ابن المغيرة ، حدثني عبد الرحمن بن عياش ، عن دلهم بن الأسود [بن عبد الله بن حاجب ابن عامر بن المنتفق العقيلي ، عن أبيه ، عن عمه لقيط بن عامر][٢] قال دلهم : وحدثنيه أيضًا أبي[٣] الأسودُ عن عاصم بن لقيط أن[٤] لقيط بن عامر خرج وافدًا إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، قلت : يا رسول الله ، فعلام نطلع من الجنة ؟ قال : « **علىٰ أنهار عسل مصفىٰ ، وأنهار من خمر ما بها صداع ولا ندامة[٥] ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه[٦] ، وماء غير آسن ، وفاكهة لعمر إلٰهك ما تعلمون وخير من مثله ، وأزواج مطهرة** » . قلت : يا رسول الله ، أو لنا فيها أزواج مصلحات ؟ قال : « **الصالحات للصالحين ، تلذونهن . مثل لذاتكم في الدنيا ويلذنكم[٧] ، غير أن لا توالد** » .

وقال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا : حدثنا يعقوب بن عبيدة ، عن يزيد بن هارون ، أخبرني الجريري ، عن معاوية بن قرة ، [عن أبيه][٨] عن أنس بن مالك قال : لعلكم تظنون أن أنهار الجنة تجري في أخدود في الأرض ، والله إنها لتجري سائحة علىٰ وجه الأرض ، حافاتها قباب اللؤلؤ ، وطينها المسك الأذفر .

وقد رواه أبو بكر بن مَرْدُويه ، من حديث مهدي بن حكيم ، عن يزيد بن هارون ، به مرفوعًا .

وقوله : ﴿**ولهم فيها من كل الثمرات**﴾ . كقوله : ﴿**يدعون فيها بكل فاكهة آمنين**﴾ وقوله : ﴿ **فيهما من كل فاكهة زوجان** ﴾ .

وقوله[٩] : ﴿**ومغفرة من ربهم**﴾ أي : مع ذلك كله . وقوله : ﴿ **كمن هو خالد في النار** ﴾ [أي : أهؤلاء الذين ذكرنا منزلتهم من الجنة كمن هو خالد في النار ؟][١٠] ليس هؤلاء كهؤلاء ، أي[١١] : ليس من هو في الدرجات كمن هو في الدركات ، ﴿ **وسُقوا ماءً حميمًا** ﴾ أي : حارًّا شديد الحر ، لا يستطاع ﴿ **فقطع أمعاءهم** ﴾ أي : قطع ما في بطونهم من الأمعاء والأحشاء ، عياذًا بالله من ذلك !

---

[١] - في ز : « الحرامي » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٣] - في ز : « أبو » .
[٤] - في ز : « بن » .
[٥] - في ز : « بدلعة » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في ز : « ويلذوا بكم » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.
[٩] - سقط من : ز، خ .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[١١] - سقط من : ز ، خ .

وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن المنافقين في بلادتهم وقلة فهمهم ، حيث كانوا يجلسون إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ويستمعون كلامه ولا يفهمون منه شيئًا ، فإذا خرجوا من عنده ﴿ **قالوا للذين أوتوا العلم** ﴾ من الصحابة : ﴿ **ماذا قال آنفًا** ﴾ أي : الساعة ، لا يعقلون ما يقال ، ولا يكترثون له .

قال اللَّه تعالى : ﴿**أولئك الذين طبع اللَّه على قلوبهم واتبعوا أهواءهم**﴾ أي : فلا فهم صحيح ، ولا قصد صحيح .

ثم قال : ﴿ **والذين اهتدوا زادهم هُدًى** ﴾ أي : والذين[١] قصدوا الهداية وفقهم اللَّه لها فهداهم إليها ، وثبتهم عليها ، وزادهم منها ، ﴿ **وآتاهم تقواهم** ﴾ أي : ألهمهم رُشْدَهم .

وقوله : ﴿ **فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة** ﴾ أي : وهم غافلون عنها ، ﴿ **فقد جاء أشراطها** ﴾ أي : أمارات اقترابها ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **هذا نذير من النذر الأولىٰ * أزفت الآزفة** ﴾ و[٢]كقوله : ﴿**اقتربت الساعة وانشق القمر**﴾ ، وقوله : ﴿ **أتىٰ أمر اللَّه فلا تستعجلوه** ﴾ وقوله : ﴿**اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون**﴾ ، فبعثة رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم من أشراط الساعة ؛ لأنه خاتم الرسل الذي أكمل اللَّه به الدين ، وأقام به[٣] الحجة علىٰ العالمين . وقد أخبر صلوات اللَّه وسلامه عليه بأمارات الساعة وأشراطها ، وأبان عن ذلك وأوضحه بما لم يؤته [نبي قبله][٤] ، كما هو مبسوط في موضعه .

---

[١] - في ز ، خ : « والمؤمنين » . [٢] - سقط من : ز، خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز، خ : « بنى قبله » .

وقال الحسن البصري : بعثة محمد صلىٰ اللّٰه عليه وسلم من أشراط الساعة . وهو كما قال ، ولهذا جاء في أسمائه - عليه السلام - أنه نبي التوبة ، ونبي الملحمة ، والحاشر الذي يُحشَر الناس علىٰ قدميه ، والعاقب الذي ليس بعده نبي .

وقال البخاري(٢١) : حدثنا أحمد بن المقدام، حدثنا فضيل بن سليمان، حدثنا أبو حازم[١] ، حدثنا سهل بن سعد قال: رأيت رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم قال بأصبعيه هكذا - بالوسطىٰ والتي تليها - : « **بعثت أنا والساعة كهاتين** » .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **فأنّىٰ لهم إذا جاءتهم ذكراهم** ﴾ أي : فكيف للكافرين بالتذكر إذا جاءتهم القيامة ، حيث لا ينفعهم ذلك . كقوله تعالىٰ : ﴿ **يومئذ يتذكر الإنسان وأنىٰ له الذكرىٰ** ﴾ ﴿**وقالوا آمنا به وأنّىٰ لهم التناوش من مكان بعيد**﴾ ، وقوله : ﴿ **فاعلم أنه لا إله إلا اللّٰه** ﴾ : هذا إخبار بأنه لا إله إلا اللّٰه ، ولا يتأتىٰ كونه آمرًا بعلم ذلك ؛ ولهذا عطف عليه بقوله : ﴿ **واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات** ﴾ .

وفي الصحيح(٢٢) أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كان يقول : « **اللّٰهم اغفر لي خطيئتي وجهلي ، وإسرافي في أمري ، وما أنت أعلم به مني . اللّٰهم اغفر لي هَزْلي وجدي ، وخَطَئي وعَمْدي ، وكل ذلك عندي** » .

وفي الصحيح(٢٣) أنه كان يقول في آخر الصلاة : « **اللّٰهم؛ اغفر لي ما قدمتُ وما أخرتُ ، وما أسررتُ وما أعلنتُ ، وما أسرفتُ ، وما أنت أعلم به مني ، أنت إلٰهي لا إله إلا أنت** » .

وفي الصحيح(٢٤) أنه قال : « **يا أيها الناس ، توبوا إلىٰ ربكم فإني أستغفر اللّٰه وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة** » .

---

(٢١) - صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، حديث (٤٩٣٦) ، والحديث تقدم تخريجه في تفسير سورة الأعراف الآية (١٨٧) .

(٢٢) - أخرجه البخاري في الدعوات ، باب : قول النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت » حديث (٦٣٩٨،٦٣٩٩) ، ومسلم في الذكر والدعاء ، حديث (٢٧١٩) من حديث أبى موسى الأشعري .

(٢٣) - جزء من حديث أخرجه مسلم في صلاة المسافر وقصرها ، حديث (٧٧١) من حديث على بن أبى طالب .

(٢٤) - أخرجه البخارى في صحيحه في الدعوات ، باب : استغفار النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم والليلة ، حديث (٦٣٠٧) من حديث أبى سلمة عن أبى هريرة ،

---

[١] - في ز ، خ : « رجاء » .

وقال الإمام أحمد(٢٥) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن عاصم الأحول قال : سمعت عبد الله بن سَرْجس قال : أتيتُ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فأكلت معه من طعامه[١] فقلت : غفر الله لك يا رسول الله ؛ [قال : «ولك»][٢] فقلت : أستغفر لك ؟ [فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم][٣] : « نعم ، ولكم » . وقرأ : ﴿ **واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات** ﴾ ثم نظرت إلىٰ نُغْض كتفه الأيمن أو كتفه الأيسر - شعبة الذي شك - فإذا هو كهيئة الجُمع عليه الثآليل .

رواه مسلم ، والترمذي ، والنسائي ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم من طرق عن عاصم الأحول به .

وفي الحديث الآخر الذي رواه أبو يعلىٰ (٢٦) : حدثنا محمد بن عون ، حدثنا عثمان بن مطر ، حدثنا عبد الغفور ، عن أبي نَصِيرَةَ ، عن أبي رجاء ، عن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « **عليكم بلا إله إلا الله والاستغفار ، فأكثروا منهما**[٤] ، **فإن إبليس قال : أهلكتُ الناس بالذنوب ، وأهلكوني بـ : لا إله إلا الله ، والاستغفار . فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء ، فهم يحسبون أنهم مهتدون** » .

وفي الأثر المروي : « **قال إبليس : وعزتك وجلالك**[٥] **لا أزال أغويهم ما دامت أرواحهم في أجسادهم . فقال الله عز وجل : وعزتي وجلالي ولا أزال أغفر لهم ما استغفروني** » والأحاديث في فضل الاستغفار كثيرة جدًّا .

وقوله : ﴿ **والله يعلم متقلبكم ومثواكم** ﴾ أي : يعلم تصرفكم في نهاركم ومستقركم في ليلكم ، كقوله : ﴿ **وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار** ﴾ . وكقوله : ﴿ **وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين** ﴾ وهذا القول ذهب إليه ابن جريج وهو اختيار ابن جرير . وعن ابن عباس : متقلبكم في الدنيا ، ومثواكم في الآخرة .

---

(٢٥) - المسند (٨٢/٥) ، ومسلم في الفضائل ، حديث (٢٣٤٦) ، والترمذي في الشمائل (٢٣) ، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٢٩٥، ٤٢١، ٤٢٢) ، والطبري في تفسيره (٥٤/٢٦) من طرق عن عاصم الأحول به.

(٢٦) - مسند أبي يعلى (١٣٦) .

---

[١] - في ز ، خ : « طعام » .

[٢] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز .

[٤] - في ز ، خ : « منها » .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

وقال السدي: متقلبكم في الدنيا، ومثواكم في قبوركم.

والأول أولىٰ وأظهر، والله أعلم.

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن المؤمنين أنهم تمنوا شرعية الجهاد، فلما فرضه الله - عز وجل - وأمر به نَكَل عنه كثير من الناس، كقوله تعالىٰ: ﴿ **ألم تر إلىٰ الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كُتبَ عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلىٰ أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقىٰ ولا تظلمون فتيلًا** ﴾.

وقال هاهنا: ﴿ **ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة** ﴾ أي: مشتملة علىٰ حُكم القتال، ولهذا قال: ﴿ **فإذا أنزلت سورة محكمة وذُكِرَ فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت** ﴾ أي: من فزعهم ورعبهم وجبنهم من لقاء الأعداء.

ثم قال مشجعًا لهم: ﴿ **فأولىٰ لهم * طاعة وقول معروف** ﴾ أي: وكان الأولىٰ بهم أن يسمعوا ويطيعوا، أي: في الحالة الراهنة، ﴿ **فإذا عزم الأمر** ﴾ أي: جد الحال، وحضر القتال، ﴿ **فلو صدقوا الله** ﴾ أي: أخلصوا له النية، ﴿ **لكان خيرًا لهم** ﴾.

وقوله: ﴿ **فهل عَسَيتم إن توليتم** ﴾ أي: عن الجهاد ونَكَلتم عنه، ﴿ **أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم** ﴾ أي: تعودوا إلىٰ ما كنتم فيه من الجاهلية الجهلاء، تسفكون الدماء، وتقطعون الأرحام، ولهذا قال: ﴿ **أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمىٰ أبصارهم** ﴾. وهذا نهي عن الإفساد في الأرض عمومًا، وعن قطع الأرحام خصوصًا، بل قد أمر تعالىٰ بالإصلاح في الأرض وصلة الأرحام، وهو الإحسان إلىٰ الأقارب في المقال والفعال وبذل الأموال. وقد وردت الأحاديث الصحاح والحسان بذلك عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، من طرق عديدة، ووجوه كثيرة.

قال البخاري(٢٧) : حدثنا خالد بن مَخْلَد ، حدثنا سليمان ، حدثني معاوية بن أبي مُزَرِّد ، عن سعيد بن يَسَار ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **خلق الله الخلق ، فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحَقْو[١] الرحمن – عز وجل – فقال : مه ! فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة . فقال : ألا ترضين أن أصل من وصلك ، وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلىٰ . قال : فذاك . قال أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم : ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ﴾** .

ثم رواه البخاري من طريقين آخرين ، عن معاوية بن أبي مُزَرِّد به . [ ][٢] قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **اقرءوا إن شئتم : ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ﴾** » . ورواه مسلم من حديث معاوية بن أبي مُزَرِّد به .

وقال الإمام أحمد (٢٨) : حدثنا إسماعيل ، أخبرنا[٣] عُيَيْنَة بن عبد الرحمن بن جَوْشَن ، عن أبيه ، عن أبي بَكْرَةَ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما من ذنب أحرىٰ أن يعجل الله عقوبته في الدنيا ، مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة ، من البغي وقطيعة الرحم** » رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة ، من حديث إسماعيل – هو ابن عُلَيَّة – به . وقال الترمذي : هذا حديث صحيح .

وقال الإمام أحمد(٢٩) : حدثنا محمد بن بكر ، حدثنا ميمون أبو محمد المرئي[٤] ، حدثنا محمد ابن عباد المخزومي عن ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **من سرَّه النَّساء في الأجل ، والزيادة في الرزق فليصل رحمه** » . تفرد به أحمد ، وله شاهد في الصحيح .

وقال أحمد أيضًا (٣٠) : حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا حَجَّاج بن أرطاة ، عن عمرو بن

(٢٧) – صحيح البخاري في التفسير ، باب ﴿وتقطعوا أرحامكم ﴾ ، حديث (٤٨٣٠) ، وأطرافه فى (٤٨٣١،٤٨٣٢،٥٩٨٧،٧٥٠٢) وأخرجه مسلم فى البر والصلة والآداب ، حديث (٢٥٥٤) من طريق معاوية بن أبى مزرد به .

(٢٨) – المسند (٣٨/٥) (٢٠٤٥١) ، وأخرجه أحمد (٣٦/٥) (٢٠٤٢٦) والبخارى في الأدب المفرد (٢٩،٦٧) ، وأبو داود في الأدب ، باب : في النهى عن البغي ، حديث (٤٩٠٢) ، والترمذى في صفة القيامة ، حديث (٢٥١١) ، وابن ماجه في الزهد ، باب البغي ، حديث (٤٢١١) من طريق عن عيينة به .

(٢٩) – المسند (٢٧٩/٥) (٢٢٥٠١) .

(٣٠) – المسند (١٨١/٢،٢٠٨) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٧/٨) : رواه أحمد وفيه حجاج =

[١] – بياض في : ز ، خ.

[٢] – ما بين المعكوفتين في خ : « قال » .

[٣] – في ز ، خ : « بن » .

[٤] – في ز ، خ : « المرائى » .

شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال : جاء رجل إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال : يا رسول اللَّه ، إن لي ذوي أرحام ، أصل ويقطعون ، وأعفو ويظلمون ، وأحسن ويسيئون ، أفأكافئهم[١] ؟ قال : **« لا ، إذن تتركون[٢] جميعًا ، ولكن جُدْ بالفضل وصلهم ، فإنه لن يزال معك ظهير من اللَّه -عز وجل- ما كنت على ذلك »** . تفرد به من هذا الوجه ، وله شاهد من وجه آخر .

وقال الإمام أحمد (٣١) : حدثنا يعلىٰ ، حدثنا فطْر[٣] ، عن مجاهد ، عن عبد اللَّه بن عمرو قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : **« إن الرحم معلقة بالعرش ، وليس الواصل بالمكافئ[٤] ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت -رحمه وصلها »** . رواه البخاري .

وقال أحمد (٣٢) : حدثنا بهز ، حدثنا حَمَّاد بن سلمة ، أخبرنا قتادة ، عن أبي ثُمَامَة الثقفي ، عن عبد اللَّه بن عمرو قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : **« تُوضَعُ الرَّحِمُ يوم القيامة لها حُجْنَة[٥] كحُجنَة[٦] المغزل تكلَّم بلسانٍ طُلَقٍ ذُلَقٍ ، فتصل من وصلها وتقطع من قطعها »** .

وقال الإمام أحمد(٣٣) : حدثنا سفيان ، حدثنا عمرو ، عن أبي قابوس ، عن عبد اللَّه بن عمرو - يبلغُ به النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم - قال : **« الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا أهل الأرض يرحمكم أهل السماء ، والرحم شُجْنَة[٧](*) مِنَ الرحمن ، من وصلها وصلته ، ومن قطعها بتته[٨] »** .

= ابن أرطاة وهو مدلس وبقية رجاله ثقات .

(٣١) - المسند (٢/١٦٣) ، وأخرجه أيضاً في (٢/١٩٠) من طريق الحسن بن عمرو عن مجاهد به .
وأخرجه البخارى في الأدب ، باب : ليس الواصل بالمكافىء ، حديث (٥٩٩١) من طريق الحسن ، وفطر عن مجاهد به .

(٣٢) - المسند (٢/١٨٩) وفيه قال أحمد : حدثنا بهز ، وعفان قالا : حدثنا حماد ..... فذكره ، وأخرجه فى (٢/٢٠٩) عن روح ، عن حماد به ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/١٥٣) : رجاله رجال الصحيح غير أبى ثمامة الثقفي وثقه ابن حبان .

(٣٣) - المسند (٢/١٦٠) وأخرجه الحميدي (٥٩١،٥٩٢) ، وأبو داود في الأدب ، باب في الرحمة ، حديث (٤٩٤١) ، والترمذي فى البر والصلة ، باب : ما جاء فى رحمة المسلمين ، حديث (١٩٢٤) من سفيان به .

[١] - في ز ، خ: « أنكافئهم » .
[٢] - في ز ، خ: « يتركون » .
[٣] - في ز : « تطر » .
[٤] - في ز ، خ: « بالمكان » .
[٥] - في خ : « حجبة » .
[٦] - في ز ، خ : « كمحجبة » .
[٧] - في ز : « محة » ، خ : « منتحتة » .
[٨] - في ز، خ : « بتته » .

وقد رواه أبو داود والترمذي ، من حديث سفيان[١] بن عُيَيْنة ، عن عمرو بن دينار ، به[٢] . وهذا هو الذي يروىٰ بتسلسل الأوّلية وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد(٣٤) : حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا هشام الدستوائي ، عن يحيىٰ بن أبي كثير ، عن إبراهيم بن عبد الله بن قارظ[٣] : أن أباه حدثه أنه دخل علىٰ عبد الرحمن بن عوف وهو مريض ، فقال له [عبد الرحمن][٤] : وصلتك رَحِمٌ ، إن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **قال الله -عز وجل- : أنا الرحمن ، خلقت الرحم ، وشققت لها من اسمي ، فمن يصلها[٥] أصله ، ومن يقطعها أقطعه فأبته - أو قال : من يبتها[٦] أبته** » . تفرد به من هذا الوجه .

ورواه أحمد أيضًا من حديث الزهري ، عن أبي سلمة ، عن الرّدّاد[٧] - أو أبي الرّدّاد[٨] - عن عبد الرحمن بن عوف به .

ورواه أبو داود والترمذي ، من رواية أبي سلمة ، عن أبيه .

والأحاديث في هذا كثيرة .

وقال الطبراني[٩] (٣٥) : حدثنا علي بن عبد العزيز ، حدثنا محمد بن عمار الموصلي ، حدثنا عيسىٰ ابن يونس ، عن الحجاج بن يونس ، عن[١٠] الحجاج بن الفُرَافِصَة ، عن أبي عمر البصري ، عن سليمان ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف** » .

---

(٣٤) - المسند (١٩١/١،١٩٤) ، وأخرجه أحمد في المسند (١٩٤/١) والبخارى في الأدب المفرد (٥٣) وأبو داود في الأدب ، باب : في صلة الرحم ، حديث (١٦٩٥) من طرق عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى الدرداء عن عبدالرحمن بن عوف .

وأخرجه الحميدى (٦٥) وأحمد (١٩٤/١) ، وأبو داود في الأدب حديث (١٦٩٤) ، والترمذى في البر والصلة ، باب : في قطيعة الرحم حديث (١٩٠٧) والبيهقي في الآداب (١١) من طرق عن سفيان بن عيينة عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبيه .

(٣٥) - معجم الطبراني الكبير (٦١٦٩) ، وهو في الأوسط (١٥٧٧) .

---

[١] - في ز ، خ : « شقيق » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز، خ : « فارض » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : « وصلها » .
[٦] - في ز ، خ : « سبها » .
[٧] - في ز ، خ : « المرداد » .
[٨] - في ز ، خ : « المرداد » .
[٩] - في ز ، خ : « الظهرانى » .
[١٠] - سقط من : ز،خ .

وبه قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم(٣٦) : « **إذا ظهر القول ، وخزن العمل ، وائتلفت الألسنة ، وتباغضت القلوب ، وقطع كل ذي رحم رحمه ، فعند ذلك لعنهم الله فأصمهم وأعمىٰ أبصارهم** » .

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾

يقول تعالىٰ آمرًا بتدبر القرآن وتفهمه ، وناهيًا عن الإعراض عنه ، فقال : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن أم علىٰ قلوب أقفالها** ﴾ أي : بل علىٰ قلوب أقفالها ، فهي[١] مُطْبَقَةٌ[٢] لا يخلص إليها شيء من معانيه .

قال ابن جرير(٣٧) : حدثنا بشر ؛ [قال : حدثنا يزيد ؛ قال : حدثنا سعيد ؛ قال][٣] : حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا هشام بن عروة ، عن أبيه ؛ قال : تلا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يومًا : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن أم علىٰ قلوب أقفالها** ﴾ فقال شابٌّ من أهل اليمن : بل عليها أقفالها حتىٰ [يكون الله -عز وجل -][٤] يفتحها أو يفرجها . فما زال الشاب في نفس عمر [رضي الله عنه] حتى ولي فاستعان به .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **إن الذين ارتدوا علىٰ أدبارهم** ﴾ أي : فارقوا الإيمان ورجعوا إلىٰ

(٣٦) - أي بنفس إسناد الطبراني ، وهو في المعجم الكبير (٦١٧٠) ، والأوسط (١٥٧٨) وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٠٩/٣) من طريق محمد بن عبدالله بن عمارة به ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٩٠) : فيه جماعة لم أعرفهم .

(٣٧) - تفسير الطبرى (٥٨/٢٦) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٧٣/٦) إلى إسحاق بن راهويه وابن المنذر وابن مردويه .

[١] - في ز ، خ : « أي » .
[٢] - في ز ، خ: « مطبعة » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

الكفر ، ﴿ **من بعد ما تبين لهم الهدىٰ الشيطان سول لهم** ﴾ أي : زين لهم ذلك وَحسّنَه ، ﴿ **وأملىٰ لهم** ﴾ أي : غرّهم وخدعهم ، ﴿ **ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر** ﴾ أي : مالئوهم وناصحوهم في الباطن علىٰ الباطل ، وهذا شأن المنافقين يظهرون خلاف ما يبطنون؛ ولهذا قال الله عز وجل : ﴿ **والله يعلم إسرارهم** ﴾ أي : ما يسرون وما يخفون ، الله مطلع عليه وعالم به ، كقوله : ﴿ **والله يكتب ما يبيتون** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم** ﴾ أي : كيف حالهم إذا جاءتهم الملائكة لقبض[١] أرواحهم ، وتَعَصَّت الأرواح في أجسادهم ، واستخرجتها الملائكة بالعنف والقهر والضرب ، كما قال : ﴿ **ولو ترىٰ إذ يتوفىٰ الذين كفروا الملائكةُ يضربون وجوههم وأدبارهم...** ﴾ الآية . وقال : ﴿ **ولو ترىٰ إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكةُ باسطو أيديهم** ﴾ أي : بالضرب ﴿ **أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون علىٰ الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون** ﴾ . ولهذا قال هاهنا : ﴿ **ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم** ﴾ .

﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ (٢٩) وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ (٣٠) وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ (٣١) ﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم** ﴾ أي : اعتقَدَ المنافقون أن الله لا يكشف أمرهم لعباده المؤمنين ؟ ! بل سيوضح أمرهم ويجليه حتىٰ يفهمهم ذوو البصائر ، وقد أنزل الله[٢] تعالىٰ في ذلك سورة « براءة » ، فبين فيها فضائحهم وما يعتمدونه من الأفعال الدالة علىٰ نفاقهم ؛ ولهذا إنما كانت تسمىٰ الفاضحة . والأضغان : جمع ضغن ، وهو ما في النفوس من الحسد والحقد للإسلام وأهله والقائمين بنصره .

وقوله : ﴿ **ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم** ﴾ يقول تعالىٰ : ولو نشاء - يا محمد - لأريناك أشخاصهم ، فعرفتهم عيانًا ، ولكن لم يفعل تعالىٰ ذلك[٣] في جميع المنافقين سترًا منه علىٰ خلقه ، وحملًا للأمور علىٰ ظاهر السلامة ، وردّ السرائر إلىٰ عالمها ، ﴿ **ولتعرفنهم في لحن القول** ﴾ أي : فيما يبدو من كلامهم الدال علىٰ مقاصدهم ، يفهم

---

[١] - في خ : « لتقيض » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .

المتكلم من أي الحزبين هو بمعاني كلامه وفحواه ، وهو المراد من لحن القول ، كما قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان -رضي اللّٰه عنه- : ما أسَرَّ أحد سريرة إلا أبداها اللّٰه علىٰ صفحات[١] وجهه ، وفلتات لسانه (٣٨) .

وفي الحديث (٣٩) : « **ما أسر أحد سريرة إلا كساه اللّٰه جلبابها ؛ إن خيرًا فخير ، وإن شرًا فشر** » . وقد ذكرنا ما يستدل به علىٰ نفاق الرجل ، وتكلمنا علىٰ نفاق العمل والاعتقاد في أول « **شرح البخاري** » ، بما أغنىٰ عن إعادته هاهنا . [وقد ورد في الحديث تعيين جماعة من المنافقين][٢] .

قال الإمام أحمد(٤٠) : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن سلمة ، عن عياض بن عياض ، عن أبيه ، عن أبي[٣] مسعود عقبة بن عمرو -رضي اللّٰه عنه- قال : خَطَبَنا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم خطبةً فحمد اللّٰه وأثنىٰ عليه ثم قال : « **إن منكم منافقين ، فمن سميت فليقم . ثم قال : قم يا فلان ، قم[٤] يا فلان ، قم[٥] يا فلان - حتىٰ سمىٰ ستة وثلاثين رجلًا - ثم قال : إن فيكم - أو : منكم - فاتقوا اللّٰه** » . قال[٦] : فمر عمر برجل ممن سمىٰ مُقَنَّع قد كان يعرفه ، فقال : مالك ؟ فحدثه بما قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فقال : بعدًا لك سائر اليوم .

وقوله : ﴿ **ولنبلونكم** ﴾ أي : ولنختبرنكم بالأوامر والنواهي ، ﴿ **حتىٰ نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم** ﴾ . وليس في تَقَدّم علم اللّٰه تعالىٰ بما هو كائن أنه سيكون شك ولا ريب ، فالمراد : حتىٰ نعلم وقوعه ؛ ولهذا يقول ابن عباس في مثل هذا : إلا لنعلم ، أي : لنرىٰ .

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ

(٣٨) - انظر سورة الفتح الآية (٢٩) .

(٣٩) - انظر سورة الفتح الآية (٢٩) .

(٤٠) - المسند (٥/٢٧٣)(٢٢٤٤٩، ٢٢٤٥٠) ، وعبد بن حميد (٢٣٧ - منتخب) عن أبي نعيم عن سفيان به . والحديث أخرجه الطبراني في الكبير (١٧ / ٢٤٦ / رقم: ٦٨٧) . من نفس طريق أحمد . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ١١٢) وعزاه لأحمد والطبراني في الكبير وقال: « وفيه عياض بن عياض عن أبيه ، ولم أر من ترجمهما » .

[١] - في خ : « صفحة » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « ابن » .
[٤] - في ز ، خ : « ثم » .
[٥] - في ز ، خ : « ثم » .
[٦] - سقط من : خ .

لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ﴿٣٢﴾ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾

يخبر تعالىٰ عمن كفر وصد عن سبيل اللّٰه ، وخالف الرسول وشاقه ، وارتد عن الإيمان من بعد ما تبين له الهدىٰ أنه لن يضر اللّٰه شيئًا ، وإنما يضر نفسه ويخسرها يوم معادها ، وسيحبط اللّٰه عمله ، فلا يثيبه علىٰ سالف ما تقدم من عمله الذي عَقَّبه بردته مثقال بعوضة من خير ، بل يحبطه ويمحقه بالكلية ، كما أن الحسنات يذهبن السيئات .

وقد قال الإمام محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة(*) : حدثنا أبو قدامة ، حدثنا وكيع ، حدثنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ؛ قال : كان أصحاب رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يظنون أنه لا يضر مع « **لا إله إلا اللّٰه** » ذنب ، كما لا ينفع مع الشرك عمل ، فنزلت : ﴿ **أطيعوا اللّٰه وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم** ﴾ . فخافوا أن يبطل الذنب العمل .

ثم روي من طريق عبد اللّٰه بن المبارك ، أخبرني بُكَير[١] بن معروف ، عن مقاتل بن حيان ، عن نافع ، عن ابن عمر ؛ قال : كنا معشر أصحاب رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم نرىٰ أنه ليس شيء من الحسنات إلا مقبول حتىٰ نزلت : ﴿ **أطيعوا اللّٰه وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم** ﴾ . فقلنا : ما هذا الذي يبطل أعمالنا ؟ فقلنا : الكبائر الموجبات والفواحش ، حتىٰ نزلت : ﴿ **إن اللّٰه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ . فلما نزلت كففنا عن القول في ذلك ، فكنا نخاف علىٰ مَنْ أصاب الكبائر والفواحش ، ونرجو لمن لم يصبها .

ثم أمر تعالىٰ [عباده المؤمنين][٢] بطاعته وطاعة رسوله التي هي سعادتهم في الدنيا والآخرة ، ونهاهم عن الارتداد الذي هو مبطل للأعمال ؛ ولهذا قال : ﴿ **ولا تبطلوا أعمالكم** ﴾ أي : بالردة ؛ ولهذا قال بعدها : ﴿ **إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل اللّٰه ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر اللّٰه لهم** ﴾ كقوله : ﴿ **إن اللّٰه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ...** ﴾ . الآية .

---

[١] - في ز، خ : « بكر » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

ثم قال لعباده المؤمنين : ﴿ **فلا تهنوا** ﴾ أي : لا[١] تضعفوا عن الأعداء ، ﴿ **وتدعوا إلىٰ السلم** ﴾ أي : المهادنة والمسالمة ووضع القتال بينكم وبين الكفار في حال قوتكم وكثرة عَدَدِكم وعُدَدِكُمْ ؛ ولهذا قال : ﴿ **فلا تهنوا وتدعوا إلىٰ السلم وأنتم الأعلون** ﴾ أي : في حال علوكم على عدوكم ، فأما إذا كان الكفار فيهم[٢] قوة[٣] وكثرة بالنسبة إلىٰ جميع المسلمين ، ورأىٰ الإمام في المعاهدة والمهادنة مصلحة ، فله أن يفعل ذلك ، كما فعل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حين صدّه كفار قريش عن مكة ، ودعوه إلىٰ الصلح ووضع الحرب بينهم وبينه عشر سنين ، فأجابهم إلىٰ ذلك .

وقوله : ﴿ **والله معكم** ﴾ : فيه بشارة عظيمة بالنصر[٤] والظفر علىٰ الأعداء ، ﴿ **ولن يتركم أعمالكم** ﴾ أي : ولن يحبطها ويبطلها ويسلبكم[٥] إياها ، بل يوفيكم ثوابها ولا ينقصكم منها شيئًا .

إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾

يقول تعالىٰ تحقيرًا لأمر الدنيا وتهوينًا لشأنها : ﴿ **إنما الحياة الدنيا لعب ولهو** ﴾ أي : حاصلها ذلك إلا ما كان منها[٦] لله - عز وجل - ولهذا قال : ﴿ **وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم** ﴾ أي : هو غني عنكم لا يطلب منكم شيئًا ، وإنما فرض عليكم الصدقات من الأموال مواساةً لإخوانكم الفقراء ، ليعود نفع ذلك عليكم ، ويرجع ثوابه إليكم .

ثم قال : ﴿ **إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا** ﴾ أي : يحوجكم[٧] تبخلوا : ﴿ **ويخرج أضغانكم** ﴾ .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز ، خ: « فيه » .
[٣] - سقط من : ز، خ .
[٤] - في ز ، خ: « في النصر » .
[٥] - في ز، خ : ويسليكم .
[٦] - في خ : « فيها » .
[٧] - في ت : « يخرجكم » .

قال قتادة : قد علم الله أن في إخراج الأموال إخراج الأضغان . وصدق قتادة فإن المال محبوب ، ولا يصرف إلا فيما هو أحب إلىٰ الشخص منه .

وقوله : ﴿ **ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل** ﴾ أي : لا يجيب إلىٰ ذلك ، ﴿ **ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه** ﴾ أي : إنما نَقَص نفسَه من الأجر ، وإنما يعود وبال ذلك عليه ، ﴿ **والله الغني** ﴾ أي : عن كل ما سواه ، وكل شيء فقير إليه[١] دائمًا ؛ ولهذا قال : ﴿ **وأنتم الفقراء** ﴾ أي : بالذات إليه . فوصفُهُ بالغنىٰ وصف لازم له ، ووصف الخلق بالفقر وصف لازم لهم ، لا ينفكون عنه[٢] .

وقوله : ﴿ **وإن تتولوا** ﴾ أي : عن طاعته واتباع شرعه ﴿ **يستبدل قومًا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم** ﴾ أي : ولكن يكونون[٣] سامعين مطيعين له ولأوامره .

وقال ابن أبي حاتم ، وابن جرير (٤١) : حدثنا يونس بن عبد الأعلىٰ ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني مسلم[٤] بن خالد ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم تلا هذه الآية : ﴿ **وإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم** ﴾ . قالوا : يا رسول الله ؛ من هؤلاء الذين إن تولينا استبدل بنا ثم لا يكونوا أمثالنا ؟ قال : فضرب بيده[٥] علىٰ كتف سلمان الفارسي ثم قال : « **هذا وقومه ، ولو كان الدين عند الثريا لتناوله رجال من الفرس** » .

تفرد به مسلم بن خالد الزنجي ، ورواه عنه غير واحد ، وقد تكلّم فيه بعض الأئمة ، والله أعلم .

آخر تفسير سورة القتال[٦] .

☆ ☆ ☆

(٤١) - تفسير الطبرى (٦٦/٢٦، ٦٧) ، وعزاه السيوطى أيضاً في الدر المنثور (٧٤/٦) إلى سعيد بن منصور وابن المنذر وابن مردويه .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « منه » .

[٣] - بياض في : ز .

[٤] - في ز : « مسلمة » .

[٥] - في ز : « يده » .

[٦] - في ت : « محمد » .

تفسير سورة الفتح

وهي مدنية

قال الإمام أحمد(١) : حدثنا وكيع ، حدثنا شعبة ، عن معاوية بن قرة ؛ قال[١] : سمعت عبد الله بن مغفل يقول : قرأ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عام الفتح [في مسيره][٢] سورة الفتح علىٰ راحلته فرجّع فيها . قال معاوية : لولا أني أكره أن يجتمع الناس علينا لحكيت لكم[٣] قراءته . أخرجاه من حديث شعبة به .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾

نزلت هذه السورة الكريمة لما رجع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من الحديبية في ذي القعدة من سنة ست من الهجرة ، حين صدَّه المشركون عن الوصول إلىٰ المسجد الحرام ليقضي عمرته فيه ، وحالوا بينه وبين ذلك ، ثم مالوا إلىٰ المصالحة والمهادنة ، وأن يرجع عامه هذا ثم يأتي من قابل ، فأجابهم إلىٰ ذلك علىٰ تكرُّه من جماعة من الصحابة ، منهم عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كما سيأتي تفصيله في موضعه من تفسير هذه السورة إن شاء الله . فلما نحر هديه حيث أحصر ورجع ، أنزل الله - عز وجل - هذه السورة فيما كان من أمره وأمرهم ، وجعل ذلك الصلح فتحًا باعتبار ما فيه من المصلحة ، وما آل الأمر إليه ، كما رُوي عن ابن مسعود رضي الله عنه وغيره[٤] أنه قال : إنكم تعدون الفتح فتحَ مكة ، ونحن نعد الفتحَ صلحَ الحديبية .

وقال الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر ؛ قال : ما كنّا نعدّ الفتح إلا يوم الحديبية .

وقال البخاري(٢) : حدثنا عبيد الله بن موسىٰ ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن

(١) - المسند (٥٤/٥) ، وأخرجه أحمد أيضًا في (٨٥/٤، ٥٥، ٥٦) ، والبخاري في المغازي ، باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح ؟ حديث (٤٢٨١) ، وأطرافه في (٤٨٣٥، ٥٠٣٤، ٥٠٤٧، ٧٥٤٠) ، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها ، حديث (٧٩٤) من طريق شعبة به .

(٢) - صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب : غزوة الحديبية ، حديث (٤١٥٠) ، والحديث في المسند أيضًا (٢٩٠/٤، ٣٠١) من طريق إسرائيل به .

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ز ، خ: أي .

[٣] - سقط من ز ، خ .

[٤] - في ز ، خ : أو غيره .

البراء؛ قال : تعدون أنتم الفتح فتح مكة ، وقد كان فتح مكة فتحًا ، ونحن نعدُّ الفتح بيعةَ الرضوان يوم الحديبية ، كنا معَ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أربع عَشرةَ مائة ، والحديبيةُ [بئر ، فنزحناها فلم نَتْرُكْ[١]][٢] فيها قطرة ، فبلغ ذلك رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فأتاها فجلس علىٰ شفيرها ، ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ، ثم تمضمض ودعا ، ثم صَبَّه فيها ، فتركناها غير بعيد ، ثم إنها أصدَرَتْنا ما شئنا نحن وركائبنا.

وقال الإمام أحمد(٣) : حدثنا أبو[٣] نوح ، حدثنا مالك بن أنس ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عمر بن الخطاب؛ قال : كنا مع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في سفر ، قال[٤] : فسألته عن شيء - ثلاث مرات - فلم يرد عليّ ، قال : فقلت لنفسي : ثكلتك أمك يا بن الخطاب نَزَرْتَ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ثلاث مرات فلم يرد عليك[٥] ؟ قال : فركبت راحلتي فتقدمت مخافة أن يكون نزل[٦] فيّ شيء ، قال : فإذا أنا بمناد ينادي[٧] : يا عمر ،[أين عمر][٨] ؟ . قال : فرجعت وأنا أظن أنه نزل فيّ شيء ، قال : فقال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **نزلت عليّ الليلة[٩] سورة هي أحب إليّ من الدنيا وما فيها : ﴿ إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا * ليغفر لك اللّٰه ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾** » .

ورواه البخاري ، والترمذي ، والنسائي ، من طرق عن مالك رحمه الله .

وقال عليّ بن المديني : هذا إسناد مديني لم نجده إلا عندهم .

وقال الإمام أحمد(٤) : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك - رضي اللّٰه عنه - قال : نزلت علىٰ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : **﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾** مَرْجِعَه من الحديبية . قال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **لقد أنزلت**

(٣) - المسند (٣١/١) (٢٠٩) ، وأخرجه البخاري في المغازي ، باب : غزوة الحديبية حديث (٤١٧٧) ، وأطرافه في (٤٨٣٣،٥٠١٢) ، والترمذي في تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الفتح ، حديث (٣٢٦٤) ، والنسائي في التفسير (٥١٩) من طريق مالك به .

(٤) - المسند (١٩٧/٣) ، وأخرجه الترمذي في تفسير القرآن ، باب : « ومن سورة الفتح » ، =

[١] - في ز : نقول .

[٢] - ما بين المعكوفين في خ : « هي قبر حساها فلم تقول » .

[٣] - سقط من ز ، خ .

[٤] - في ز : ما . وسقط من خ .

[٥] - في خ : على .

[٦] - سقط من ز ، خ .

[٧] - سقط من ز ، خ .

[٨] - سقط من ز ، خ .

[٩] - في حاشية ز : البارحة . وعليها علامة « خـ » وتعني : نسخة .

عليّ آية أحب إليّ مما على الأرض » ، ثم قرأها عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : هنيئًا[١] مريئًا يا نبي الله ؛ لقد[٢] بين الله - عز وجل - ما ذا يفعل بك ، فماذا يفعل بنا ؟ فنزلت[٣] عليه : ﴿ **ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنّات** ﴾ حتى بلغ ﴿ **فوزًا عظيمًا** ﴾ . أخرجاه في الصحيحين من رواية قتادة به .

وقال الإمام أحمد (٥) : حدثنا إسحاق بن عيسى ، حدثنا مجمع بن يعقوب ؛ قال[٤] : سمعت أبي يحدث ، عن عمه عبد الرحمن بن يزيد الأنصاري ، عن عمه مجمع بن جارية[٥] الأنصاري - وكان أحد القراء الذين قرءوا القرآن - قال : شهدنا الحديبية فلما انصرفنا عنها إذا الناس يُنْفِرُونَ[٦] الأباعر ، فقال الناس بعضهم لبعض : ما للناس ؟ قالوا : أوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرجنا مع الناس نوجفُ[٧] ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته عند[٨] كراع الغَميم ، فاجتمع الناس عليه فقرأ عليهم : ﴿ **إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا** ﴾ قال : فقال رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيْ رسولَ الله ؛ وَفَتْحٌ هو ؟ قال : « **إي والذي نفس محمد بيده ، إنه لفتح** » . فقسمت[٩] خيبر على أهل الحديبية لم يدخل معهم فيها أحد إلا من شهد الحديبية ، فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على[١٠] ثمانية عشر سهمًا ، [وكان الجيش][١١] ألفًا وخمسمائة [منهم ثلاثمائة][١٢] فارس ، فأعطى الفارس سهمين ، وأعطى الراجل سهمًا . ورواه أبو داود [في الجهاد][١٣] عن محمد بن [عيسى عن مُجَمِّع][١٤] بن يعقوب به[١٥] .

= حديث (٣٢٦٣) عن عبد بن حميد ، عن عبد الرزاق به . وأخرجه البخاري في المغازي ، باب : غزوة الحديبية ، حديث (٤١٧٢) ومسلم في كتاب الجهاد والسير ، حديث (١٧٨٦) من طريق قتادة عن أنس به نحوه .

(٥) - المسند (٣/٤٢٠) ، وأخرجه أبو داود في كتاب الجهاد ، باب : فيمن أسهم له سهمًا ، حديث (٢٧٣٦) ، وفي كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب : ما جاء في حكم أرض خيبر ، حديث (٣٠١٥) من حديث مجمع بن يعقوب به .

---

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - في ز : فأنزلت .وسقط من خ .

[٤] - سقط من ز ، خ .

[٥] - في ز : حارثة .

[٦] - في ز ، خ : يتفرقون .

[٧] - في ز : فوجف .

[٨] - سقط من خ .

[٩] - في ز ، خ : فسمت .

[١٠] - سقط من ز ، خ .

[١١] - في ز ، خ : « وجاءوا بجيش » .

[١٢] - سقط من ت .

[١٣] - بياض في ز .

[١٤] - في ز ، خ : عبد الله عن محمد .

[١٥] - سقط من ز ، خ .

وقال ابن جرير(٦) : حدثنا محمد بن عبد اللّٰه بن بزيع ، حدثنا أبو بحر[١] ، حدثنا شعبة[٢] ، حدثنا جامع بن شداد ، عن عبد الرحمن بن أبي علقمة ؛ قال : سمعت عبد اللّٰه ابن مسعود ؛ يقول : لما أقبلنا من الحديبية أعرسنا فنمنا ، فلم نستيقظ إلا بالشمس قد طلعت ، فاستيقظنا ورسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم نائم .

قال : فقلنا : « **امضوا** » . فاستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « **افعلوا كما[٣] كنتم تفعلون ، [وكذلك][٤] من نام أو نسي** » . قال : وفقدنا ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فطلبناها فوجدناها قد تعلق خطامُها بشجرة ، فأتيته بها فركبها ، فبينا نحن[٥] نسير إذ أتاه الوحي ، قال : وكان إذا أتاه اشتد عليه ، فلما سُري عنه أخبرنا أنه أنزل عليه : ﴿ **إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا** ﴾ .

وقد رواه أحمد ، وأبو داود ، والنسائي من غير وجه عن جامع بن شداد به .

وقال الإمام أحمد (٧) : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان ، عن زياد بن علاقة ؛ قال : سمعتُ المغيرةَ بن شعبة ؛ يقول : كان النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، يصلي[٦] حتىٰ تَرِم[٧] قدماه ، فقيل له : أليس قد غَفَر اللّٰه لك ما تقدم من ذنبِك وما تأخر ؟ فقال : « **أفلا أكون عبدًا شكورًا ؟** » .

أخرجاه ، وبقية الجماعة إلا أبا داود ، من حديث زياد به .

وقال الإمام أحمد(٨) : حدثنا هارون بن معروف ، حدثنا ابن وهب ، حدثني أبو صخر ،

(٦) - تفسير الطبري (٦٩/٢٦)

(٧) - المسند (٢٥٥/٤) ، وأخرجه في (٢٥١/٤، ٢٥٥) ، والبخاري في التهجد ، باب : قيام النبي ﷺ ، حديث (١١٣٠) ، وطرفاه في (٤٨٣٦، ٦٤٧١) ، ومسلم في صفات المنافقين ، حديث (٢٨١٩) ، والترمذي في الصلاة ، باب : ما جاء في الاجتهاد في الصلاة ، حديث (٤١٢) ، والنسائي في كتاب قيام الليل وتطوع النهار ، باب : الاختلاف على عائشة في إحياء الليل (٢١٩/٣) ، وفي الكبرى (١٣٢٥، ١١٥٠١) ، وابن ماجة حديث في إقامة الصلاة ، باب : ما جاء في طول القيام في الصلوات حديث (١٤١٩) وابن خزيمة (١١٨٢، ١١٨٣) من طرق عن زياد بن علاقة به .

(٨) - المسند (١١٥/٦) ، وأخرجه مسلم في صفات المنافقين حديث (٢٨٢٠) عن هارون =

[١] - بياض في ز ، خ . [٢] - بياض في ز ، خ .

[٣] - في خ : ما .

[٤] - في ز : « فكذلك يفعل » . وفي خ : « فكذلك يفعل » .

[٥] - سقط من ز ، خ . [٦] - سقط من ز .

[٧] - في ز ، خ : تورم .

عن ابن قسيط ، عن عروة [بن][١] الزبير ، عن عائشة ؛ قالت : كان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم إذا صلىٰ قام حتىٰ تَتَفطر رجلاه ، فقالت له عائشة : يا رسول اللّٰه ، أتصنع[٢] هذا وقد غفر لك اللّٰه ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : « **يا عائشة ؛ أفلا أكون عبدًا شكورًا ؟** » .

أخرجه مسلم في الصحيح من رواية عبد الله بن وهب به.

وقال ابن أبي حاتم(٩) : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا عبد اللّٰه بن عون الخراز - وكان ثقة بمكة - حدثنا محمد[٣] بن بشر ، حدثنا مسعر ، [عن قتادة][٤] ، عن أنس ، قال : قام رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم حتىٰ تورمت قدماه - أو قال : ساقاه - فقيل له : أليس قد غفر اللّٰه لك ما تقدم من ذنْبك وما تأخر ؟ قال : « **أفلا أكون عبدًا شكورًا** » . غريب من هذا الوجه .

فقوله : ﴿ **إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا** ﴾ أي : بيّنًا ظاهرًا ، والمراد به صلح الحديبية ، فإنه حصل بسببه خير جزيل ، وآمن الناس واجتمع بعضهم ببعض[٥] ، وتكلم المؤمن مع الكافر ، وانتشر العلم النافع والإِيمان .

وقوله : ﴿ **ليغفر لك اللّٰه ما تقدم من ذنبك وما تأخر** ﴾ : هذا من خصائصه - صلوات اللّٰه وسلامه عليه - التي لا يشاركه فيها[٦] غيره . وليس في حديث صحيح في ثواب الأعمال لغيره غَفَر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . وهذا فيه تشريف عظيم لرسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وهو - صلوات اللّٰه وسلامه عليه - في جميع أموره علىٰ الطاعة والبر والاستقامة التي لم ينلها بَشَرٌ سواه ، لا من الأولين ولا من الآخرين ، وهو أكمل البشر علىٰ الإِطلاق ، وسيدهم في الدنيا والآخرة .

=ابن معروف ، وهارون بن سعيد الأيلي ، عن ابن وهب به .

وأخرجه البخاري في التفسير ، باب : ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك ، وما تأخر ...﴾ حديث (٤٨٣٧) من طريق أبي الأسود ، عن عروة به بنحوه وفيه زيادة في آخره .

(٩) - أخرجه أبويعلى في مسنده (٢٩٠٠) والطبراني في الأوسط (٥٧٣٧) عن عبد الله بن عون الخراز به .

وأخرجه ابن عدي في الكامل (٣/٢٤٥) من طريق محمد بن بشر به . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٧٤) : رواه أبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح) .

---

[١] - في ز : « عن ابن » . وفي خ : « عن أبي » . [٢] - في ز ، خ : أتفعل .
[٣] - سقط من ز ، خ . [٤] - سقط من خ .
[٥] - في ز : بعضًا . [٦] - سقط من ز ، خ .

ولما كان أطوع خلق الله لله ، وأكثرهم تعظيمًا لأوامره ونواهيه قال حين بركت به الناقة : « **حبسها حابس الفيل** » . ثم قال : « **والذي نفسي بيده ، لا يسألوني اليوم شيئًا يعظمون به حُرمات الله إلا أجبتهم إليها** »(١٠) .

فلما أطاع الله في ذلك وأجاب إلى الصلح ، قال الله له : ﴿ **إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك** ﴾ أي : في الدنيا والآخرة ﴿ **ويهديك صراطًا مستقيمًا** ﴾ أي : بما يشرعه لك من الشرع العظيم والدين القويم ، ﴿ **وينصرك الله نصرًا عزيزًا** ﴾ أي : بسبب خضوعك لأمر الله يرفعُك الله وينصرك على أعدائك . كما جاء في الحديث الصحيح(١١) : « **وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله** » . وعن عمر بن الخطاب أنه قال : ما عاقبت - [أي : في الدنيا والآخرة][١] - أحدًا عصى الله تعالى فيك بمثل أن تطيعَ الله فيه .

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾

يقول تعالى : ﴿ **هو الذي أنزل السكينة** ﴾ أي : جعل الطمأنينة . قاله ابن عباس ، وعنه : الرحمة .

(١٠) - جزء من حديث المسور بن مخرمة ، ومروان في قصة الحديبية ، أخرجه البخاري في كتاب الشروط ، باب : الشروط في الجهاد ، حديث (٢٧٣١،٢٧٣٢) .

(١١) - جزء من حديث أبي هريرة تقدم تخريجه في تفسير سورة الإسراء وأوله : « ما نقص مال من صدقة» .

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

وقال قتادة : الوقار في قلوب المؤمنين . وهم الصحابة يوم الحديبية ، الذين استجابوا لله ولرسوله ، وانقادوا لحكم الله ورسوله ، فلما اطمأنت قلوبهم بذلك ، واستقرت ، زادهم إيمانًا مع إيمانهم .

وقد استدل به البخاري وغيره من الأئمة على تفاضل الإيمان في القلوب .

ثم ذكر تعالىٰ أنه لو شاء لانتصر من الكافرين فقال : ﴿ **ولله جنود السماوات والأرض** ﴾ أي : ولو أرسل عليهم مَلكًا واحدًا لأباد خضْراءهم ، ولكنه تعالىٰ شرع لعباده المؤمنين الجهاد والقتال ، لما له في ذلك من الحكمة البالغة ، والحجة القاطعة ، والبراهين الدامغة ، ولهذا قال : ﴿ **وكان الله عليمًا حكيمًا** ﴾ ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها** ﴾ ، قد تقدم حديث أنس (١٢) : قالوا : هنيئًا لك يا رسول الله ؛ هذا لك فما لنا ؟ فأنزل الله : ﴿ **ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها** ﴾ أي : ماكثين فيها أبدًا ، ﴿ **ويكفر عنهم سيئاتهم** ﴾ أي : خطاياهم وذنوبهم ، فلا يعاقبهم[١] عليها ، بل يعفو ويصفح ويغفر ، ويستر ويرحم ويشكر ، ﴿ **وكان ذلك عند الله فوزًا عظيمًا** ﴾ . كقوله : ﴿ **فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور** ﴾ وقوله : ﴿ **ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء** ﴾ أي : يتهمون الله في حكمه ، ويظنون بالرسول وأصحابه أن يقتلوا ويذهبوا بالكلية ، ولهذا قال : ﴿ **عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم** ﴾ أي : أبعدهم من رحمته ، ﴿ **وأعد لهم جهنم وساءت مصيرًا** ﴾ .

ثم قال مؤكدًا لقدرته علىٰ الانتقام من الأعداء أعداء الإسلام من الكفرة والمنافقين : ﴿ **ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عزيزًا حكيمًا** ﴾ .

إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾

---

(١٢) - تقدم تخريجه برقم (٤) .

---

[١] - في ز : يقابلهم .

يقول تعالىٰ لنبيه محمد - صلوات الله وسلامه عليه - : ﴿ **إنا أرسلناك شاهدًا** ﴾ أي: علىٰ الخلق ، ﴿ **ومبشرًا** ﴾ أي : للمؤمنين ، ﴿ **ونذيرًا** ﴾ أي : للكافرين . وقد تقدم تفسيرها في « **سورة الأحزاب** » .

﴿ **لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه** ﴾ قال ابن عباس وغير واحد: يعظموه . ﴿ **وتوقروه** ﴾ ، من التوقير وهو الاحترام والإجلال والإعظام ﴿ **وتسبحوه** ﴾ أي : يسبحون الله ﴿ **بكرة وأصيلًا** ﴾ أي : أول النهار وآخره .

ثم قال تعالىٰ لرسوله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، تشريفًا له وتعظيمًا وتكريمًا : ﴿ **إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله** ﴾ ، كقوله : ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع الله** ﴾ .

﴿ **يد الله فوق أيديهم** ﴾ أي : هو حاضر معهم يسمع أقوالهم ويرىٰ مكانهم ، ويعلم ضمائرهم وظواهرهم ، فهو تعالىٰ هو المبايع[١] بواسطة رسوله صلىٰ الله عليه وسلم ، كقوله : ﴿ **إن الله اشترىٰ من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدًا عليه حقًا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفىٰ بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم** ﴾ .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا الفضل بن يحيىٰ الأنباري ، حدثنا علي بن بكار ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **من سل سيفه في سبيل الله ، فقد بايع الله** » .

وحدثنا أبي(١٣) ، حدثنا يحيىٰ بن المغيرة ، أخبرنا جرير ، عن عبد الله بن عثمان بن خُثيم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في الحَجَر : « **والله ليبعثنه[٢] الله يوم القيامة له عينان ينظر بهما ، ولسان ينطق به ، ويشهد علىٰ من استلمه بالحق ، فمن استلمه فقد بايع الله** » ، ثم قرأ : ﴿ **إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم** ﴾ .

ولهذا قال هاهنا : ﴿ **فمن نكث فإنما ينكث علىٰ نفسه** ﴾ أي : إنما يعود وَبَالُ ذلك

---

(١٣) - أخرجه الترمذي في الحج ، باب : ما جاء في الحجر الأسود ، حديث (٩٦١) من طريق جرير ، عن ابن خثيم به .

وأخرجه أحمد (٢٤٧/١،٢٦٦،٢٩١،٣٠٧،٣٧١) ، والدارمي (١٨٤٦) ، وابن ماجة (٢٩٤٤) ، وابن خزيمة (٢٧٣٥،٢٧٣٥) من طرق عن ابن خثيم به .

---

[١] - في ز ، خ : البايع . [٢] - في ت : ليبعثه .

علىٰ الناكث ، واللَّه غني عنه ، ﴿ **ومن أوفىٰ بما عاهد عليهُ اللَّه فسيؤتيه أجرًا عظيمًا** ﴾ أي : ثوابًا جزيلًا . وهذه البيعة هي بيعة الرضوان وكانت تحت شجرة سمر بالحديبية ، وكان الصحابة الذين بايعوا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يومئذ قيل : ألف[١] وثلثمائة . وقيل : أربعمائة[٢] . وقيل : وخمسمائة . والأوسط أصح .

ذكر الأحاديث الواردة في ذلك

قال البخاري(١٤) : حدثنا قتيبة ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن جابر؛ قال : كنا يوم الحديبية ألفًا وأربعمائة . ورواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة به . وأخرجاه(١٥) أيضًا من حديث الأعمش ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن جابر؛ قال : كنا يومئذ ألفًا وأربعمائة ، ووضع يده في ذلك الماء فنبع الماء[٣] من بين أصابعه ، حتىٰ رَوَوْا كلهم .

وهذا مختصر من سياق آخر حين ذكر قصة عطشهم يوم الحديبية ، وأن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أعطاهم سهمًا من كنانته فوضعوه في بئر الحديبية ، فجاشت بالماء ، حتىٰ كفتهم ، فقيل لجابر : كم كنتم يومئذ ؟ قال : كنا ألفًا وأربعمائة ، ولو كنا مائة ألف لكفانا . وفي رواية في[٤] الصحيحين(١٦) عن جابر أنهم كانوا خمس عشرة مائة .

وروىٰ البخاري(١٧) من حديث قتادة قلت لسعيد بن المسيب : كم كان الذين شهدوا بيعة الرضوان ؟ قال : خمس عشرة مائة .

[قلت : فإن جابر بن عبد اللَّه - رضي اللَّه عنهما - قال : كانوا أربع عشرة مائة . قال رحمه اللَّه : وَهِمَ ، هو حدثني أنهم كانوا خمس عشرة مائة . قال البيهقي : هذه الرواية تدل علىٰ أنه كان في القديم يقول : خمس عشرة مائة ، ثم ذكر الوهم فقال : أربع عشرة مائة][٥] .

(١٤) - صحيح البخاري في التفسير ، باب : ﴿ إذ يبايعونك تحت الشجرة ﴾ ، حديث (٤٨٤٠) ، وأخرجه مسلم فيالإمارة ، حديث (١٨٥٦) (٧١) من طرق عن سفيان به وعنده زيادة مرفوعة .

(١٥) - أخرجه البخاري في الأشربة ، باب : شرب البركة والماء المبارك حديث (٥٦٣٩) ، ومسلم في كتاب الإمارة ، حديث (١٨٥٦) (٧٤) من طريق الأعمش به .

(١٦) - صحيح البخاري في الأشربة ، باب : شرب البركة والماء المبارك ، حديث (٥٦٣٩) ومسلم في الإمارة حديث (١٨٥٦) (٧٢) من حديث عمرو بن مرة عن سالم عن جابر .

(١٧) - هذا نص رواية البيهقي في الدلائل (٤/٩٧) من طريق قرة بن خالد عن قتادة به. وأخرجه =

[١] - في ز : ألفا .
[٢] - في خ : وأربعمائة .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - سقط من ت ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

وروىٰ العوفي[١] عن ابن عباس ؛ أنهم كانوا ألفًا وخمسمائة وخمسة وعشرين . والمشهور الذي رواه غير واحد عنه أربع عشرة مائة ، وهذا هو الذي رواه البيهقي(١٨) ، عن الحاكم ، عن الأصم ، عن العباس الدوري ، عن يحيىٰ بن معين[٢] ، عن شَبَابَة بن سوار ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبيه ؛ قال : كنا مع رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم تحت الشجرة ألفًا وأربعمائة . وكذلك هو في رواية سلمة بن الأكوع(١٩) ، ومعقل بن يسار(٢٠) ، والبراء بن عازب(٢١) . وبه يقول غير واحد من أصحاب المغازي والسير . وقد أخرج صاحبا الصحيح(٢٢) من حديث شعبة ، عن عمرو بن مرة ؛ قال[٣] : سمعت عبد اللَّه بن أبي أوفىٰ ؛ يقول : كان أصحاب الشجرة ألفًا وأربعمائة[٤] ، وكانت أسْلَمُ يومئذ ثُمُنَ المهاجرين .

وروىٰ محمد بن إسحاق في السيرة(٢٣) ، عن الزهري ، عن عروة بن الزبير ، عن المِسْور [ابن مخرمة][٥] ومَرْوان بن الحكم أنهما حدثاه ؛ قالا : خرج رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم عام الحديبية يريد زيارة البيت ، لا يريد قتالًا ، وساق معه الهدي سبعين بدنة ، وكان الناس سبعمائة رجل ، كل بدنة عن عشرة نفر . وكان جابر بن عبد اللَّه - فيما بلغني عنه - يقول : كنا أصحاب الحديبية أربع عشرة مائة كذا قال ابن إسحاق ، وهو [معدود من أوهامه[٦]][٧] ، فإن المحفوظ في الصحيحين أنهم كانوا بضع عشرة مائة .

= البخاري في المغازي ، باب : غزوة الحديبية ، حديث (٤١٥٣) من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به نحوه .

(١٨) - أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٩٨/٤) .

(١٩) - أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجهاد ، والسير ، حديث (١٨٠٧) من حديث إياس بن مسلمة عن أبيه .

(٢٠) - أخرجه أحمد (٢٥/٥) ، ومسلم في الإمارة ، حديث (١٨٥٨) من حديث الحكم بن عبد الله الأعرج عن معقل بن يسار .

(٢١) - تقدم في رقم (٢) .

(٢٢) - أخرجه البخاري في المغازي ، باب : غزوة الحديبية ، حديث (٤١٥٥) ومسلم في الإمارة ، حديث (١٨٥٧) قال البخاري : قال عبيد الله بن معاذ ، وقال مسلم : حدثنا عبيد الله بن معاذ ، عن أبيه ، عن شعبة به .

(٢٣) - سيرة ابن هشام (٢٦٥/٣) ، وأخرجه أحمد (٣٢٣/٤) ، وابن خزيمة في صحيحه (٢٩٠٦) من طريق ابن إسحاق به . =

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - في خ : المغيرة .

[٣] - سقط من ز ، خ .

[٤] - في ز : وثلثمائة .

[٥] - سقط من ز ، خ .

[٦] - في ز : رواته .

[٧] - ما بين المعكوفين في خ : « معذور ومن رواية » .

ذكر سبب هذه البيعة العظيمة

قال محمد بن إسحاق بن يَسَار في السيرة(٢٤) : ثم دعا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم عمر ابن الخطاب ليبعثه إلىٰ مكة ، ليبلّغ عنه أشراف قريش ما جاء له ، فقال : يا رسول اللّٰه ؛ إني أخاف قريشًا علىٰ نفسي ، وليس بمكة من بني عَديّ بن كعب من يمنعني ، وقد عرفت قريش عداوتي إياها ، وغِلَظي عليها ، ولكني أدلك علىٰ رجل أعَزّ بها مني ، عثمان بن عفان ، فبعثه إلىٰ أبي سفيان وأشراف قريش ، يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وأنه إنما جاء زائرًا لهذا البيت ، ومعظّمًا لحرمته .

فخرج عثمان إلىٰ مكة ، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة ، أو قبل أن يدخلها ، فحمله بين يديه ، ثم أجاره حتىٰ بَلّغ رسالة رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فانطلق عثمان حتىٰ أتىٰ[١] أبا سفيان وعظماء قريش ، فبلغهم عن رسول اللّٰه ما أرسله به ، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم إليهم : إن شئت أن تطوف بالبيت فطُفْ . فقال : ما كنت لأفعل حتىٰ يطوف به[٢] رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم . واحتبسته قريش عندها ، فبلغ رسولَ اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم والمسلمين أن عثمان قد قُتل .

قال ابن إسحاق (٢٥) : فحدثني عبد اللّٰه بن أبي بكر ؛ أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال حين بلغه أن عثمان قد قتل : **« لا نبرح حتىٰ نناجز القوم »** . ودعا رسول اللّٰه - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - الناسَ إلىٰ البيعة ، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ، فكان الناس يقولون : بايعهم[٣] رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، علىٰ الموت . وكان جابر بن عبد اللّٰه ؛ يقول : إن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم لم يبايعهم علىٰ الموت ، ولكن بايعنا علىٰ أن لا نفرّ .

فبايع الناس ولم يتخلف أحد من المسلمين حضرها إلا الجدّ بن قيس أخو بني سلمة[٤] ، فكان جابر يقول : واللّٰه لكأني[٥] أنظر إليه لاصقًا بإبط ناقته ، قد ضبأ إليها[٦] يستتر[٧]

= وأصل الحديث في صحيح البخاري في الحج ، باب من أشعر وقلد بذي الحليفة ثم أحرم ، حديث (١٦٩٤،١٦٩٥) وانظر أطرافه هناك .

(٢٤) - سيرة ابن هشام (٢٧١/٣) .

(٢٥) - المصدر السابق (٢٧٢/٣) .

[١] - في ز ، خ : بلغ .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - في ز : بايعتم .

[٤] - في ز ، خ : مسلم .

[٥] - في ز : فكأني .

[٦] - سقط من خ .

[٧] - في ز : يستر .

بها من الناس ثم أتى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أن الذى كان من أمر عثمان باطل .

وذكر ابن لَهِيعة (٢٦) ، عن الأسود ، عن عروة بن الزبير قريبًا من هذا السياق ، وزاد في سياقه : أن قريشًا بعثوا وعندهم عثمان [ ][١] سهيلَ بن عمرو ، وحُويطب بن عبد العُزَّىٰ ، ومكرز بن حفص إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فبينما هم عندهم[٢] إذ وقع كلام بين بعض المسلمين وبعض المشركين ، وتراموا بالنَّبْل والحجارة ، وصاح الفريقان كلاهما ، وارتهن كل من الفريقين مَنْ عنده من الرسل ، ونادىٰ منادي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : ألا إن[٣] روح القدس قد نزل علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فأمر[٤] بالبيعة ، فاخرجوا علىٰ اسم الله فبايعوا . فسار المسلمون إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وهو تحت الشجرة ، فبايعوه علىٰ أن لا يفروا أبدًا ، فأرعب ذلك المشركين ، وأرسلوا من كان عندهم من المسلمين ، ودعوا إلىٰ الموادعة والصلح .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي : أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد[٥] الصفار ، حدثنا تمتام[٦] ، حدثنا الحسن بن بشر ، حدثنا الحكم بن عبد الملك ، عن قتادة ، عن أنس ابن مالك ؛ قال : لما أمر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ببيعة الرضوان كان عثمان بن عفان رسولَ رسولِ الله صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ أهل مكة ، فبايع الناس ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **اللهم ؛ إن عثمان في حاجة الله وحاجة رسوله** » . فضرب بإحدىٰ يديه علىٰ الأخرىٰ ، فكانت يد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لعثمان خيرًا من أيديهم لأنفسهم .

قال ابن هشام(٢٧) : وحدثني من أثق به عمن حدثه بإسناد له ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عمر ؛ قال[٧] : بايع [رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم][٨] لعثمان ، فضرب بإحدىٰ يديه علىٰ الأخرىٰ .

وقال عبد الملك بن هشام النحوي(٢٨) : فذكر وكيع ، عن إسماعيل بن[٩] أبي خالد ،

(٢٦) - أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١١٢/٤) بسنده إلى ابن لهيعة به .

(٢٧) - سيرة ابن هشام (٢٧٢/٣) ، ونقله المصنف في تاريخه (٢١٥/٦، ٢١٢٦، هجر) .

(٢٨) - سيرة ابن هشام (٢٧٢/٣) .

[١] - في ز ، خ : بن .

[٢] - في خ : عنده .

[٣] - في ز : وإن .

[٤] - في ت : وأمر .

[٥] - في ز ، خ : عبد .

[٦] - في ز ، خ : تمام .

[٧] - سقط من ز ، خ .

[٨] - ما بين المعكوفين سقط من ز .

[٩] - في ز : عن .

عن الشعبي أن أول من بايع رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بيعة الرضوان أبو سنَان الأسدي. وقال أبو بكر عبد اللَّه بن الزبير الحميدي (٢٩) : حدثنا سفيان ، حدثنا ابن أبي خالد ، عن الشعبي؛ قال : لما دعا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم الناس إلىٰ البيعة ، كان أول من انتهىٰ إليه أبو سنان ، فقال : ابسط يدك أبايعك . فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **علام تبايعني ؟** » . فقال أبو سنان : علىٰ ما في نفسك . هذا أبو سنان وَهبُ الأسدي ، رضي الله عنه .

وقال البخاري(٣٠) : حدثنا شجاع بن الوليد ، سمع النضر[١] بن محمد ، حدثنا صخر[٢] ، عن نافع؛ قال : إن الناس يتحدثون أن ابن عُمَر أسلم قبل عُمَر ، وليس كذلك ، ولكن عمر يوم الحديبية أرسل عبد اللَّه إلىٰ فرس له عند رجل من الأنصار أن يأتي به ليقاتل عليه ، ورسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يبايع عند الشجرة ، وعمر لا يدري بذلك ، فبايعه عبد اللَّه ، ثم ذهب إلىٰ الفرس فجاء به إلىٰ عمر ، وعمر يستلئم[٣] للقتال ، فأخبره أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يُبايع تحت الشجرة ، فانطلق فذهب معه حتىٰ بايع رسولَ اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وهي التي يتحدث الناس أن ابن عمر أسلم قبل عمر .

ثم قال البخاري (٣١) : وقال هشام بن عمار : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا عُمَر بن محمد العُمَري ، أخبرني نافع ، عن ابن عمر ؛ أن الناس كانوا مع رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم [يوم الحديبية][٤] قد تفرقوا في ظلال الشجر ، فإذا الناس مُحدقونَ[٥] بالنبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال - يعني عمر - : يا عبد اللَّه ؛ انظر ما شأن الناس قد أحدقوا برسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم . فوجدهم يبايعون ، فبايع ثم رجع إلىٰ عمر فخرج فبايع .

وقد أسنده البيهقي عن أبي[٦] عمرو الأديب ، عن أبي بكر الإِسماعيلي ، عن الحسن بن سفيان ، عن دحيم : حدثني الوليد بن مسلم ، فذكره .

---

(٢٩) - أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١٣٧/٤) بسنده إلى الحميدي به .

(٣٠) - صحيح البخاري في المغازي ، باب : غزوة الحديبية (٤١٨٦) .

(٣١) - صحيح البخاري في المغازي ، باب : غزوة الحديبية حديث (٤١٨٧) قال الحافظ في الفتح : كذا وقع بصيغة التعليق ، وفي بعض النسخ " قال لي " وقد وصله الاسماعيلي عن الحسن بن سفيان عن دحيم وهو ابن عبد الرحمن بن إبراهيم عن الوليد بن مسلم بالإسناد المذكور .

---

[١] - في ز ، خ : المنصور .

[٢] - في خ : صخر بن الربيع .

[٣] - في خ : مسلم .

[٤] - سقط من خ .

[٥] - في خ : سحدثون .

[٦] - في ز ، خ : ابن .

وقال الليث ، عن أبي الزبير ، عن جابر؛ قال : كنا يوم الحديبية ألفًا وأربعمائة فبايعناه ، وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهي سَمُرة ، وقال : بايعناه علىٰ أن لا نفرَّ ، ولم نبايعه علىٰ الموت . رواه مسلم(٣٢) ، عن قتيبة ، عنه .

وروىٰ مسلم(٣٣) عن يحيىٰ بن يحيىٰ ، عن يزيد بن زُرَيع ، عن خالد ، عن الحكم بن عبد الله بن[١] الأعرج ، عن معقل بن يَسَار؛ قال : لقد رأيتني يوم الشجرة والنبي صلىٰ الله عليه وسلم يبايع الناس ، وأنا رافع غصنًا من أغصانها عن رأسه ، ونحن أربع عشرة مائة ، قال : ولم نبايعه علىٰ الموت ، ولكن بايعناه علىٰ أن لا نفرَّ .

وقال البخاري(٣٤) : حدثنا المكي بن إبراهيم ، عن يزيد بن أبي عبيد ، عن سلمة بن الأكوع؛ قال : بايعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم تحت الشجرة . قال يزيد : قلت : يا أبا مسلم ، علىٰ أي شيء كنتم تبايعون يومئذ ؟ قال : علىٰ الموت .

وقال البخاري أيضًا(٣٥) : حدثنا أبو عاصم ، حدثنا يزيد بن أبي عُبَيد ، عن سَلَمة؛ قال : بايعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يوم الحديبية ثم تنحيت ، فقال : « **يا سلمة؛ ألا تبايع ؟** » قلت : قد بايعت . قال : « **أقبل فبايع** » . فدنوت فبايعته ، قلت : علام بايعته يا سلمة ؟ قال : علىٰ الموت .

وأخرجه مسلم من وجه أخر عن يزيد بن أبي عبيد . وكذا روىٰ البخاري(٣٦) عن عباد ابن تميم : أنهم بايعوه علىٰ الموت .

وقال البيهقي(٣٧) : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو الفضل بن إبراهيم ؛ حدثنا أحمد بن سلمة ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا أبو عامر العَقَدي عبد الملك بن عمرو ، حدثنا عكرمة ابن عمار اليمامي ، عن إياس بن سلمة ، عن أبيه سلمة بن الأكوع؛ قال : قَدمنا

(٣٢) - صحيح مسلم في كتاب الإمارة ، حديث (١٨٥٦) .

(٣٣) - تقدم تخريجه برقم (٢٢) .

(٣٤) - صحيح البخاري في الجهاد والسير ، باب : البيعة في الحرب ، حديث (٢٩٦٠) .

(٣٥) - صحيح البخاري في الأحكام ، باب : من بايع مرتين ، حديث (٧٢٠٨) وأخرجه مسلم في الإمارة ، حديث (١٨٦٠) من طريق يزيد بن أبي عبيد به .

(٣٦) - أخرجه البخاري في المغازي ، باب : غزوة الحديبية ، حديث (٤١٦٧) من حديث عياد بن تميم ، عن ابن زيد به .

(٣٧) - دلائل النبوة (١٣٩/٤،١٤٠) ، وأخرجه مسلم في الجهاد والسير ، حديث (١٨٠٧) عن إسحاق بن إبراهيم به .

[١] - سقط من خ .

الحديبية مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ونحن أربع عشرة مائة ، وعليها خمسون شاة لا تُرْويها[١] ، فقعد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ جَبَاها - يعني الرَّكي - فإما دعا وإما بَصَق[٢] فيها ، فجاشت فسقينا واستقينا . قال : ثم إن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم دعا إلىٰ البيعة في أصل الشجرة ، فبايعتُه أول الناس ، ثم بايع وبايع ، حتىٰ إذا كان في وسط الناس قال [صلىٰ الله عليه وسلم : « **بايعني يا سلمة** » . قال : قلت : يا رسول الله ، قد بايعتك في أول الناس][٣] . قال : « **وأيضًا** » . قال[٤] : ورآني رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، عَزِلًا فأعطاني حجفة - أو دَرَقَة - ثم بايع حتىٰ إذا كان في آخر الناس قال صلىٰ الله عليه وسلم : « **ألا تبايع يا سلمة ؟** » . قال : قلت : يا رسول الله ؛ قد بايعتك في أول الناس وأوسطهم . قال : « **وأيضًا** » . فبايعته الثالثة ، فقال : « **يا سلمة ؛ أين حَجَفَتك أو دَرَقَتك التي أعطيتك ؟** » . قال : قلت : يا رسول الله ؛ لقيني عامر عزلًا فأعطيتها أياه ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « **إنك كالذي قال الأول : اللّهم ؛ أبغني حبيبًا هو أحب إليّ من نفسي** » . قال : ثم إن المشركين من أهل مكة راسلونا في الصلح حتىٰ مشىٰ بعضنا في بعض فاصطلحنا . قال : وكنت خادمًا لطلحة بن عُبَيد الله -رضي الله عنه- أسقي فرسه وأحُسّهُ[٥] وآكل من طعامه ، وتركت أهلي ومالي مُهَاجرًا إلىٰ الله ورسوله . فلما اصطلحنا نحن وأهلُ مكة ، واختلط بعضنا ببعض ، أتيت شجرة فَكَسَحْتُ[٦] شوكها[٧] ، ثم اضطجعت في أصلها في ظلها ، فأتاني أربعة من مشركي أهل مكة ، فجعلوا يقعون في رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فأبغضتهم ، وتحولت إلىٰ[٨] شجرة أخرىٰ فَعلّقوا سلاحهم واضطجعوا ، فبينما هم كذلك إذ نادىٰ مناد من أسفل الوادي : [يا للمهاجرين][٩] ، قُتل ابن زُنَيم . فاخترطت سيفي فشددت على أولئك الأربعة وهم رقود فأخذت سلاحهم وجعلته ضغثًا في يدي ، ثم قلت : والذي كَرّم وجهَ محمد صلىٰ الله عليه وسلم لا يرفع أحد منكم رأسه إلا ضربت الذي فيه عيناه . قال : ثم جئت بهم أسوقهم إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم . قال : وجاء عمي عامر برجُل من العَبَلات يقال له : « مكرَز[١٠] » من المشركين يقوده ، حتىٰ وقفنا بهم علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في سبعين من المشركين ، فنظر إليهم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وقال : « **دعوهم يكن لهم بَدْءُ الفجور وثناه** » . فعفا عنهم رسول الله صلىٰ

---

[١] - في ز ، خ : يرونها .
[٢] - في ز : بسق .
[٣] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : وأجنبه .
[٦] - في ز ، خ : فكشحت .
[٧] - في خ : بشوكها .
[٨] - سقط من خ .
[٩] - في خ : « يا آل المهاجرين » .
[١٠] - في ز ، خ : مشكور .

الله عليه وسلم وأنزل الله : ﴿ **وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم** ﴾ ... الآية .

وهكذا رواه مسلم عن إسحاق بن إبراهيم بن راهوية بسنده نحوه أو قريبًا منه .

وثبت في الصحيحين(٣٨) من حديث أبي عوانة ، عن طارق ، عن سعيد بن المسيب ؛ قال : كان أبي ممن بايع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم تحت الشجرة . قال : فانطلقنا من قابل حاجين ، فخفي علينا مكانها ، فإن كان تَبَيّنتْ[١] لكم فأنتم أعلم .

وقال أبو بكر الحميدي(٣٩) : حدثنا سفيان ، حدثنا أبو الزبير ، حدثنا جابر ؛ قال : لما دعا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم الناس إلىٰ البيعة ، وجدنا رجلًا منا يقال له : « **الجد ابن قيس** » مختبئًا تحت إبط بعيره[٢] .

رواه مسلم من حديث ابن جُرَيج ، عن ابن الزبير به .

وقال الحميدي أيضًا(٤٠) : حدثنا سفيان ، عن عمرو ، سمع جابرًا قال : كنا يوم الحديبية ألفًا وأربعمائة ، فقال لنا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أنتم خير أهل[٣] الأرض اليوم** » . قال جابر : لو كنت أبصرُ لأريتكم موضع الشجرة . قال سفيان : إنهم اختلفوا في موضعها . أخرجاه من حديث سفيان .

وقال الإمام أحمد (٤١) : حدثنا يونس ، حدثنا الليث ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، أنه قال : « **لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة** » .

وقال ابن أبي حاتم (٤٢) : حدثنا محمد بن هارون الفلاس المخرمي ، حدثنا سَعيدُ[٤] بن

(٣٨) - أخرجه البخاري في المغازي ، باب : غزوة الحديبية ، حديث (٤١٦٣،٤١٦٤،٤١٦٥) ، ومسلم في الإمارة ، حديث (١٨٥٩) ، من طريق طارق بن عبد الرحمن به .

(٣٩) - مسند الحميدي (١٢٧٧) ، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة ، حديث (١٨٥٦) (٦٩) من طريق ابن جريج عن أبي الزبير به مطولًا بمعناه .

(٤٠) - مسند الحميدي (١٢٢٥) ، وأخرجه البخاري في المغازي ، باب : غزوة الحديبية ، حديث (٤١٥٤) ، ومسلم في الإمارة ، حديث (١٨٥٦)(٧١) من طريق سفيان به .

(٤١) - المسند (٣/٣٥٠) ، وفيه قال أحمد : حدثنا حجين ، ويونس عن الليث به .

وأخرجه أبوداود في السنة ، باب : في الخلفاء ، حديث (٤٦٥٣) والترمذي في المناقب ـ باب : في فضل=

[١] - في ز : ثبت .
[٢] - في ز : بعير .
[٣] - سقط من خ .
[٤] - في ز ، خ : معتمر .

عمرو الأشعثي ، حدثنا محمد بن ثابت العبدي ، عن خداش بن عياش ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **يدخل من بايع تحت الشجرة كلهم الجنة إلا صاحبُ الجمل الأحمر** » . قال : فانطلقنا نبتدره فإذا رجل قد أضل بعيره ، فقلنا : تعال فبايع . فقال : أصيبُ بعيري أحبَّ إليّ من أن أبايع .

وقال عبد اللّٰه بن أحمد(٤٣) : حدثنا عبيد اللّٰه بن معاذ ، حدثنا أبي ، حدثنا قُرّة ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، عن النبي - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - أنه قال : « **من يصعد الثنية ثَنيّة المُرَار[١] فإنه يُحطّ عنه ما حُطّ[٢] عن بني إسرائيل** » . فكان أول من صَعد خيل[٣] بني[٤] الخزرج ، ثم تبادر الناس بعد فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **كلكم مغفور له[٥] إلا صاحب الجمل الأحمر** » . فقلنا : تعال يستغفر لك رسول اللّٰه . فقال : واللّٰه لأن أجد ضالتي أحبّ إليّ من أن يستغفر لي صاحبكم . فإذا هو رجل يَنْشُدُ ضالة . رواه مسلم عن عُبَيد اللّٰه به .

وقال ابن جُرَيج : أخبرني أبو الزبير ، أنه سمع جابرًا؛ يقول : أخبرتني أم مبشر، أنها سمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم؛ يقول عند حفصة : « **لا يدخل النار - إن شاء اللّٰه - من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها أحد** » . قالت : بلىٰ يا رسول اللّٰه . فانتهرها . فقالت لحفصة : ﴿ **وإن منكم إلا واردها** ﴾ ، فقال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **قد قال اللّٰه : ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيًا ﴾** » . رواه مسلم(٤٤) .

وفيه أيضًا عن قتيبة(٤٥) ، عن الليث ، عن أبي الزبير ، عن جابر؛ أن [عبدًا لحاطب][٦] بن أبي بلتعة جاء يشكو حاطبًا ، فقال : يا رسول اللّٰه ؛ ليدخلن حاطب النار ، فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **كذبت : لا يدخلها ؛ فإنه قد شهد بدرًا والحديبية** » .

= من بايع تحت الشجرة ، حديث (٣٨٦٠) ، والنسائي في تفسيره (٥٢٨) من طرق عن الليث به .

(٤٢) - أخرجه الترمذي في المناقب ، حديث (٣٨٦٣) من طريق سليمان التيمي عن خداش به نحوه ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب .

(٤٣) - لم أقف عليه في المسند ، والحديث أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، حديث (٢٨٨٠) عن عبيد الله بن معاذ العنبري به .

(٤٤) - تقدم تخريجه في تفسير سورةمريم الآية (٧١)

(٤٥) - صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة حديث (٢١٩٥)

---

[١] - في ز ، خ : الدار .

[٢] - في ز : يحط .

[٣] - في خ : جبل .

[٤] - في ز ، خ : من .

[٥] - سقط من خ .

[٦] - في ز ، خ : عبد حاطب .

ولهذا قال تعالىٰ في الثناء عليهم : ﴿ **إن الذين يبايعونك إنما يبايعون اللَّه يد اللَّه فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث علىٰ نفسه ومن أوفىٰ بما عاهد عليهُ اللَّه فسيؤتيه أجرًا عظيمًا** ﴾ ، كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **لقد رضي اللَّه عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحًا قريبًا** ﴾ .

سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَاۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢاۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا رسوله[١] - صلوات اللَّه وسلامه عليه - بما يعتذر به المخلفون من الأعراب الذين اختاروا المُقام في أهليهم وشغلهم ، وتركوا المسير مع رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فاعتذروا بشغلهم بذلك ، وسألوا أن يستغفر لهم الرسول صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وذلك قول منهم لا علىٰ سبيل الاعتقاد ، بل علىٰ وجه التقية والمصانعة ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من اللَّه شيئًا إن أراد بكم ضرًا أو أراد بكم نفعًا** ﴾ أي : لا يقدر أحد أن يرد ما أراده فيكم - تعالىٰ وتقدس - وهو العليم بسرائركم وضمائركم ، وإن صانعتمونا وتابعتمونا ؛ ولهذا قال : ﴿ **بل كان اللَّه بما تعملون**[٢] **خبيرًا** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلىٰ أهليهم أبدًا** ﴾ أي : لم يكن تخلفكم تخلف معذور ولا عاص ، بل تخلف نفاق ، ﴿ **بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلىٰ أهليهم أبدًا** ﴾ أي : اعتقدتم أنهم يُقتلون وتُستأصل شأفتهم ، وتستباد خَضراؤهم ، ولا يرجع منهم مخبر ، ﴿ **وظننتم ظن السوء وكنتم قومًا بورًا** ﴾ أي :

---

[١] - في ز : لرسوله . [٢] - في ز : يعملون .

هلكىٰ . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وغير واحد . وقال قتادة : فاسدين . وقيل : هي بلغة عمّان .

ثم قال : ﴿ **ومن لم يؤمن بالله ورسوله** ﴾ أي : من لم يخلص العمل في الظاهر والباطن لله فإن الله تعالىٰ سيعذبه في السعير ، وإن أظهر للناس ما يعتقدون خلاف ما هو عليه في نفس الأمر .

ثم بين تعالىٰ أنه الحاكم المالك المتصرف في أهل السماوات والأرض : ﴿ **يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورًا رحيمًا** ﴾ أي : لمن تاب إليه وأناب ، وخضع لديه .

سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن الأعراب الذين تخلفوا عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم في غزوة الحديبية ، إذ ذهب النبي صلىٰ الله عليه وسلم وأصحابه إلىٰ خيبر يفتتحونها : إنهم يسألون أن يخرجوا معهم إلىٰ المغنم ، وقد تخلفوا عن وقت محاربة الأعداء ومجالدتهم[١] ومصابرتهم ، فأمر الله رسوله صلىٰ الله عليه وسلم أن لا يأذن لهم في ذلك ، معاقبة لهم من جنس ذنبهم ، فإن الله تعالىٰ وعد أهل الحديبية بمغانم خيبر وحدهم لا يشركهم فيها[٢] غيرهم من الأعراب المتخلفين ، فلا يقع غير ذلك شرعًا وقدرًا ؛ ولهذا قال : ﴿ **يريدون أن يبدلوا كلام الله** ﴾ . قال مجاهد ، وقتادة ، وجويبر : وهو الوعد الذي وعد به أهل الحديبية . واختاره ابن جرير .

وقال ابن زيد : هو قوله : ﴿ **فإن رجعك الله إلىٰ طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدًا ولن تقاتلوا معي عدوًّا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين** ﴾.

وهذا الذي قاله ابن زيد فيه نظر ؛ لأن هذه الآية التي في « براءة » نزلت في غزوة تبوك ، وهي متأخرة عن غزوة الحديبية .

وقال ابن جريج : ﴿ **يريدون أن يبدلوا كلام الله** ﴾ يعني : بتثبيطهم[٣] المسلمين عن

---

[١] - في ز ، خ : ومجادلتهم .
[٢] - سقط من خ .
[٣] - في ز : تثبطهم .

الجهاد .

﴿ قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل ﴾ أي : وعد الله أهل الحديبية [قبل سؤالكم][١] الخروج معهم ، ﴿ فسيقولون بل تحسدوننا ﴾ أي : أن نشرككم في المغانم ، ﴿ بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا ﴾ أي : ليس الأمر كما زعموا ولكن لا فهم لهم .

قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾

اختلف المفسرون في هؤلاء القوم الذين يدعون إليهم ، الذين هم أولو بأس شديد على أقوال :

أحدها : أنهم هَوَازن ؛ رواه شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير - أو عكرمة ، أو جميعًا - ورواه هشيم عن أبي بشر ، عنهما . وبه يقول قتادة في رواية عنه .

الثاني : ثقيف . قاله الضحاك :

الثالث : بنو حنيفة ، قاله جويبر ، ورواه محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، ورُوي مثله عن سعيد وعكرمة .

الرابع : هم أهل فارس . رواه علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، وبه يقول عطاء ، ومجاهد ، وعكرمة [٢] - في إحدىٰ الروايات عنه .

وقال كعب الأحبار : هم الروم . وعن ابن أبي ليلىٰ ، وعطاء ، والحسن ، وقتادة : هم فارس والروم . وعن مجاهد : هم أهل الأوثان . وعنه أيضًا : هم رجال أولو بأس شديد ، ولم يعين فرقة . وبه يقول ابن جريج ، وهو اختيار ابن جرير .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الأشج ، حدثنا عبد الرحمن بن الحسن القواريري ، عن معمر ، عن الزهري في قوله : ﴿ ستدعون إلىٰ قوم أولي بأس شديد ﴾ ، قال : لم يأت أولئك بعد .

وحدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبي خالد ، عن أبيه ، عن

---

[١] - بياض في ز ، خ .
[٢] - سقط من ز ، خ .

أبي هريرة في قوله : ﴿ **ستدعون إلىٰ قوم أولي بأس شديد** ﴾ ، قال : هم البارزون .

قال(٤٦) : وحدثنا سفيان ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم؛ قال : « **لا تقوم الساعة حتىٰ تقاتلوا قومًا صغار الأعين ذُلْفَ[١] الآنف ، كأن وجوههم المجان المطرقة** » . قال سفيان : هم الترك .

قال ابن أبي عمر[٢] : وجدت في مكان آخر : ابن أبي خالد عن أبيه قال : نزل علينا أبو هريرة ففسر قول رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **تقاتلون قومًا نعالهم[٣] الشعر** » . قال : هم البارزون ؛ يعني : الأكراد .

وقوله : ﴿ **تقاتلونهم أو يُسلمون** ﴾ ، يعني يشرع لكم جهادهم وقتالهم ، فلا يزال ذلك مستمرًا عليهم ، ولكم النصرة عليهم ، أو يسلمون فيدخلون في دينكم بلا قتال بل باختيار .

ثم قال : ﴿ **فإن تطيعوا** ﴾ أي : تستجيبوا وتنفروا[٤] في الجهاد وتؤدوا الذي عليكم فيه ، ﴿ **يؤتكم اللّٰه أجرًا حسنًا وإن تتولوا كما توليتم من قبل** ﴾ ، يعني زمن الحديبية حيث دعيتم فتخلفتم ، ﴿ **يعذبكم عذابًا أليمًا** ﴾ .

ثم ذكر تعالىٰ الأعذار في ترك الجهاد ، فمنها لازم كالعمىٰ والعَرَج المستمر ، وعارض كالمرض الذي يطرأ أيامًا ثم يزول ، فهو في حال مرضه مُلحَقٌ بذوي الأعذار اللازمة حتىٰ يبرأ .

ثم قال تعالىٰ مرغبًا في الجهاد وطاعة اللّٰه ورسوله : ﴿ **ومن يطع اللّٰه ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتول** ﴾ أي : ينكلُ[٥] عن الجهاد ، ويُقبل علىٰ المعاش ﴿ **يعذبه عذابًا أليمًا** ﴾ ، في الدنيا بالمذلة ، وفي الآخرة بالنار .

لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾

(٤٦) - أخرجه الحميدي (١١٠٠) ، وأحمد (٢/٢٣٩) ، والبخاري في الجهاد والسير ، باب : قتال اللذين ينتعلون الشعر ، حديث (٢٩٢٩) ومسلم في الفتن وأشراط الساعة ، حديث (٢٩١٢) ، من طريق سفيان به.

[١] - في ز : دلف .
[٢] - في ز : عمرو .
[٣] - في ز ، خ : يقال لهم .
[٤] - في خ : وتستقروا .
[٥] - في ز : نكل .

﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٩) ﴾

يخبر تعالىٰ عن رضاه عن المؤمنين الذين بايعوا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم تحت الشجرة ، وقد تقدم ذكر عدتهم وأنهم كانوا ألفًا وأربعمائة ، وأن الشجرة كانت سَمُرةً بأرض الحديبية .

قال البخاري(٤٧) : حدثنا محمود ، حدثنا عبيد[١] الله ، عن إسرائيل ، عن طارق بن[٢] عبد الرحمن؛ قال : انطلقت حاجًا فمررت بقوم يصلون ، فقلت[٣] : ما هذا المسجد ؟ قالوا : هذه الشجرة ، حيث بايع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بيعة الرضوان .فأتيتُ سعيد بن المسيب فأخبرته ، فقال سعيد : حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم تحت الشجرة . قال : فلما خرجنا من العام المقبل نَسيناها فلم نَقدِر عليها ، فقال سعيد : إن أصحاب محمد صلىٰ الله عليه وسلم لم يعلموها وعُلّمتموها[٤] أنتم ، فأنتم أعلم .

وقوله : ﴿ **فعلم ما في قلوبهم** ﴾ أي : من الصدق والوفاء ، والسمع والطاعة ، ﴿ **فأنزل [ ][٥] السكينة** ﴾ ، وهي الطمأنينة ، ﴿ **عليهم وأثابهم فتحًا قريبًا** ﴾ ، وهو ما أجرىٰ الله علىٰ أيديهم من الصلح بينهم وبين أعدائهم ، وما حصل بذلك من الخير العام المستمر المتصل بفتح خيبر وفتح مكة ، ثم فتح سائر البلاد والأقاليم عليهم ، وما حصل لهم من العز والنصر والرفعة في الدنيا والآخرة ؛ ولهذا قال : ﴿ **ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزًا حكيمًا** ﴾ .

قال ابن أبي حاتم(٤٨) : حدثنا [أحمد بن محمد][٦] بن يحيىٰ بن سعيد القطان ، حدثنا عبيد الله بن موسىٰ ، أخبرنا موسىٰ - يعني ابن عبيدة - حدثني إياس بن سلمة ، عن

(٤٧) - صحيح البخاري في المغازي ، باب : غزوة الحديبية ، حديث (٤١٦٣) وقد تقدم قريباً .

(٤٨) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (٨٦/٢٦) عن محمد بن عمارة الأسدي عن عبيدالله بن موسى به وعزاه السيوطي أيضاً في الدرالمنثور (٨١/٦) إلى ابن مردويه .

[١] - في خ : عبد .
[٢] - في ز ، خ : أبي .
[٣] - في ز : قلت .
[٤] - في ز : علمتوها .
[٥] - في ز : الله .
[٦] - في خ : « محمد بن أحمد » .

أبيه؛ قال: بينما نحن قائلون إذ نادىٰ منادي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: [أيها الناس؛ البيعةَ البيعةَ، نزل روح القدس. قال: فثُرنا إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم][١] وهو تحت شجرة سَمُرة فبايعناه[٢]، فذلك قول الله تعالىٰ: ﴿ **لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة** ﴾، فبايع لعثمان بإحدىٰ[٣] يديه علىٰ الأخرىٰ، فقال الناس: هنيئًا لابن عفان، يطوف بالبيت ونحن هاهنا. فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: « **لو مكث كذا كذا سنةً ما طاف حتىٰ أطوف** ».

وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾

قال مجاهد في قوله: ﴿ **وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها** ﴾، هي جميع المغانم إلىٰ اليوم، ﴿ **فعجل لكم هذه** ﴾، يعني فتح خيبر.

ورویٰ العوفي، عن ابن عباس: ﴿ **فعجل لكم هذه** ﴾، يعني صلح الحديبية.

﴿ **وكف أيدي الناس عنكم** ﴾ أي: لم ينلكم سوء مما كان أعداؤكم أضمروه لكم من المحاربة والقتال. وكذلك كف أيدي الناس الذين خلفتموهم وراء أظهركم عن عيالكم وحريمكم، ﴿ **ولتكون آية للمؤمنين** ﴾ أي: يعتبرون بذلك، فإن الله حافظهم وناصرهم علىٰ سائر الأعداء، مع قلة عددهم، وليعلموا بصنيع الله هذا بهم أنه العليم بعواقب الأمور، وأن الخيرَة فيما يختاره لعباده المؤمنين وإن كرهوه في الظاهر، كما قال: ﴿ **وعسىٰ أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم** ﴾.

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من خ.
[٢] - في ز: فبايعنا.
[٣] - في ز: إحدى.

﴿ ويهديكم صراطًا مستقيمًا ﴾ أي : بسبب انقيادكم لأمره واتباعكم طاعته ، وموافقتكم رسوله .

وقوله : ﴿ وأخرىٰ لم تقدروا عليها قد أحاط اللَّه بها وكان اللَّه علىٰ كل شيء قديرًا ﴾ أي : وغنيمة أخرىٰ وفتحًا آخر معينًا لم تكونوا تقدرون عليها ، قد يَسَّرها اللَّه عليكم ، وأحاط بها لكم ؛ فإنه تعالىٰ يرزق عباده المتقين له من حيث لا يحتسبون .

وقد اختلف المفسرون في هذه الغنيمة ، ما المراد بها ؟ فقال العوفي ، عن ابن عباس : هي خيبر . وهذا علىٰ قوله في قوله تعالىٰ : ﴿ فعجل لكم هذه ﴾ : إنها صلح الحديبية . وقاله الضحاك ، وابن إسحاق ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

وقال قتادة : هي مكة . واختاره ابن جرير .

وقال ابن أبي ليلىٰ ، والحسن البصري : هي فارس والروم .

وقال مجاهد : هي كل فتح وغنيمة إلىٰ يوم القيامة .

وقال أبو داود الطيالسي(٤٩) : حدثنا شعبة ، عن سماك الحَنَفي ، عن ابن عباس : ﴿ وأخرىٰ لم تقدروا عليها قد أحاط اللَّه بها ﴾ ، قال : هذه الفتوح التي[١] تفتح إلىٰ اليوم .

وقوله : ﴿ ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليًا ولا نصيرًا ﴾ يقول تعالى مبشرًا لعباده المؤمنين بأنه لو ناجزهم المشركون لنصر اللَّه رسوله وعباده المؤمنين عليهم ، ولانهزم جيش الكفار[٢] فارًا مدبرًا لا يجدون وليًا ولا نصيرًا ؛ لأنهم محاربون للَّه ولرسوله ولحزبه المؤمنين .

ثم قال : ﴿ سنة اللَّه التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة اللَّه تبديلًا[٣] ﴾ أي : هذه سنة اللَّه وعادته في خلقه ، ما تقابل الكفر والإيمان في موطن فيصل إلا نصر اللَّه الإيمان علىٰ الكفر ، فرفع الحق ووضع الباطل ، كما فعل تعالىٰ يوم بدر بأوليائه[٤] المؤمنين نصرهم علىٰ

(٤٩) - أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١٦٣/٤) من طريق يحيى بن أبي زائدة عن شعبة به بلفظ هو ما أصبتم بعده .

وعزاه السيوطي في الدرالمنثور (٨٣/٦) إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم ، وابن المنذر وابن مردوية والبيهقي في الدلائل باللفظ الذي ذكره المصنف .

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - في ز : الكفر .
[٣] - في ز : تحويلًا .
[٤] - في ز ، خ : بأولئك .

أعدائه من المشركين ، مع قلة عدد المسلمين وعُدَدهم ، وكثرة المشركين وعُددهم .

وقوله : ﴿ **وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرًا** ﴾ : هذا امتنان من الله علىٰ عباده المؤمنين حين كف أيدي المشركين عنهم ، فلم يصل إليهم منهم سوء ، وكفّ أيدي المؤمنين عن[١] المشركين فلم يقاتلوهم عند المسجد الحرام ، بل صان كلًا من الفريقين ، وأوجد بينهم صلحًا فيه خِيَرَةٌ للمؤمنين ، وعاقبة لهم في الدنيا والآخرة . وقد تقدم في حديث سلمة بن الأكوع حين جاءوا بأولئك السبعين الأسارىٰ فأوثقوهم بين يدي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فنظر إليهم وقال : « **أرسلوهم يكن لهم بدء الفجور وثِنَاه**[٢] » . قال : وفي ذلك أنزل الله : ﴿ **وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم** ﴾ ... الآية .

وقال الإمام أحمد(٥٠) : حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا حماد ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك؛ قال : لما[٣] كان يوم الحديبية هبط علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وأصحابه ثمانون رجلًا من أهل مكة في السلاح من قبل جبل التنعيم يريدون غِرّة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فدعا عليهم فأخذوا - قال عفان : فعفا عنهم - ونزلت هذه الآية : ﴿ **وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم** ﴾ .

ورواه مسلم وأبو داود في سننه ، والترمذي والنسائي في التفسير من سننيهما ، من طرق ، عن حماد بن سلمة به .

وقال أحمد أيضًا[٤] (٥١) : حدثنا زيد[٥] بن الحباب ، حدثنا الحسين بن واقد ، حدثنا ثابت البُناني ، عن عبد الله بن [مغفل المزني][٦] ؛ قال : كنا مع رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، في أصل الشجرة التي قال الله تعالىٰ في القرآن ، وكان يقع من أغصان تلك

(٥٠) - المسند (٣/١٢٢،١٢٤) ، وأخرجه أيضاً في (٣/٢٩٠) ، وعبد بن حميد (١٢٠٨) ومسلم في الجهاد والسير ، حيدث (١٨٠٨) وأبو داود في الجهاد ، باب في المن على الأسير بغير نداء حديث (٢٦٨٨) ، والترمذي في تفسير القرآن ، باب ومن سورة الفتح حديث (٣٢٦٤) والنسائي في التفسير (٥٣٠) من طرق عن حماد بن سلمة به .

(٥١) - المسند (٤/٨٦) ، وأخرجه النسائي في التفسير (٥٣١) عن محمد بن عقيل عن علي بن الحسين بن واقد عن أبيه به .
وأخرجه أيضاً الطبري في تفسيره (٢٦/٩٣-٩٤) ، والحاكم في المستدرك (٣/٤٦٠-٤٦١) ، والبيهقي (٦/٣١٩) من طريق الحسين بن واقد به .

[١] - في ت : من .
[٢] - في ز : وثناؤه .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - في خ : يزيد .
[٦] - في ز ، خ : المغفل الذي .

الشجرة علىٰ ظهر رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم وعليّ بن أبي طالب ، وسهيلُ بن عمرو بين يديه - فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم لعليّ : « **اكتب : بسم اللَّه الرحمن الرحيم** » . فأخذ سهيل بيده وقال : ما نعرف الرحمن الرحيم . اكتب في قضيتنا ما نعرف . [قال : « **اكتب باسمك اللَّهم** » . وكتب : « **هذا ما صالح عليه محمد رسول اللَّه أهل مكة** » . فأمسك سهيل بن عمرو بيده وقال : لقد ظلمناك إن كنت رسوله ، اكتب في قضيتنا ما نعرف][١] . فقال : « **اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد اللَّه** » . فبينا نحن كذلك إذ خرج علينا ثلاثون شابًا عليهم السلاح ، فثاروا في وجوهنا ، فدعا عليهم رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فأخذ اللَّه بأسماعهم ، فقمنا إليهم فأخذناهم ، فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **هل جئتم في عهد أحد ؟** » أو : « **هل جعل لكم أحد أمانا ؟** » . فقالوا : لا . فخلىٰ سبيلهم ، فأنزل اللَّه : ﴿ **وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان اللَّه بما تعملون بصيرًا** ﴾ . رواه النسائي من حديث حسين بن واقد به .

وقال ابن جرير(٥٢) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يعقوب القُمّي ، حدثنا[٢] جعفر ، عن ابن أبزىٰ ؛ قال : لما خرج النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم بالهدي وانتهىٰ إلىٰ ذي الحليفة قال له عمر : يا نبي اللَّه ؛ تدخلُ[٣] علىٰ قوم لك حَرْب بغير سلاح ولا كُراع ؟ قال : فبعث إلىٰ المدينة ، فلم يدع فيها كُراعًا ولا سلاحًا إلا حمله ، فلما دنا من مكة منعوه أن يدخل ، فسار حتىٰ أتىٰ منىٰ ، فنزل بمنىٰ [فأتاه عينه][٤] أن عكرمة بن أبي جهل قد خرج عليك في خمسمائة ، فقال لخالد بن الوليد : « **يا خالد ؛ هذا [ ][٥] ابن عمك أتاك في الخيل** » . فقال خالد : أنا سيف اللَّه ، وسيف رسوله - فيومئذ سُمي سيف اللَّه - يا رسول اللَّه ؛ ارم بي أين شئت . فبعثه علىٰ خيل ، فلقي عكرمة في الشعب فهزمه حتىٰ أدخله حيطان مكة ، ثم عاد في الثانية فهزمه حتىٰ أدخله حيطان مكة ، ثم عاد في الثالثة فهزمه حتىٰ أدخله حيطان مكة ، فأنزل اللَّه : ﴿ **وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة** ﴾ إلىٰ ﴿ **عذابًا أليمًا** ﴾ . قال : فكف اللَّه النبي عنهم من بعد أن أظفره عليهم لبقايا[٦] من المسلمين كانوا بقوا[٧] فيها كراهية أن تطأهم الخيل .

---

(٥٢) - تفسير الطبري (٢٦،٩٥) ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدر المنثور (٨٧/٦) إلى ابن أبي حاتم وابن المنذر .

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من خ .
[٢] - في ز ، خ : عن .
[٣] - في ز : ندخل .
[٤] - بياض في ز ، خ .
[٥] - في ت : ابن .
[٦] - بياض في ز ، خ .
[٧] - بياض في ز ، خ .

ورواه ابن أبي حاتم(٥٣) عن ابن أبزىٰ[١] بنحوه . وهذا السياق فيه نظر ، فإنه لا يجوز أن يكون عام الحديبية ؛ لأن خالدًا لم يكن أسلم ، بل قد كان طليعة المشركين يومئذ ، كما ثبت في الصحيح . ولا يجوز أن يكون [في عمرة القضاء][٢] ؛ لأنهم قاضوه علىٰ أن يأتي من العام المقبل[٣] فيعتمر ويقيم بمكة ثلاثة أيام ، فلما قدم لم يمانعوه[٤] ولا حاربوه ولا قاتلوه . فإن قيل : فيكون يوم الفتح ؟ فالجواب : ولا يجوز أن يكون يوم الفتح ؛ لأنه لم يسق عام الفتح هَدْيًا[٥] وإنما جاء محاربًا مقاتلًا في جيش عَرَمْرَم ، فهذا السياق فيه خلل ، وقد وقع فيه شيء فليتأمل ، والله أعلم .

وقال ابن إسحاق : حدثني من لا أتهم ، عن عكرمة مولىٰ ابن عباس؛ أن قريشًا بعثوا أربعين رجلًا منهم أو خمسين ، وأمروهم أن يُطيفُوا بعسكر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ليصيبوا من أصحابه أحدًا ، فأخِذُوا أخذًا ، فأُتي بهم رسولَ الله صلىٰ الله عليه وسلم فعفا عنهم وخلّىٰ سبيلهم ، وقد كانوا رَموا إلىٰ عسكر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بالحجارة والنبل . قال ابن إسحاق : وفي ذلك أنزل الله : ﴿ **وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم** ﴾ ... الآية .

وقال قتادة(٥٤) : ذُكر لنا أن رجلًا يقال له : « ابن زُنيم » اطلع علىٰ الثنية من الحديبية ، فرماه المشركون بسهم فقتلوه ، فبعث رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم خيلًا فأتوه باثني عشر فارسًا من الكفار ، فقال لهم : « **هل لكم عليّ عهد ؟ هل لكم علي ذمة ؟** » . قالوا : لا . فأرسلهم ، وأنزل الله في ذلك : ﴿ **وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم** ﴾ ... الآية .

هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ

(٥٣) - سيرة ابن هشام (٣/٢٧١) ، ومن طريق ابن إسحاق أخرجه الطبري في تفسيره (٢٦/٩٤) .
(٥٤) - أخرجه الطبري في تفسيره (٢٦/٨٣) ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدرالمنثور (٦/٨٣)

[١] - في ز : بزى . وفي خ : ندى .
[٢] - بياض في ز ، خ . وقبله : ابن .
[٣] - في ز : القابل .
[٤] - في ز ،خ : يتابعوه .
[٥] - في ز ، خ : هذا .

﴿ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ ﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن الكفار من مشركي العرب من قريش ومَن مالأهم علىٰ نصرتهم علىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **هم الذين كفروا** ﴾ أي : هم الكفار دون غيرهم ، ﴿ **وصدوكم عن المسجد الحرام** ﴾ أي : وأنتم أحق به ، وأنتم أهله في نفس الأمر ، ﴿ **والهدي معكوفًا أن يبلغ محله** ﴾ أي : وصدوا الهدي أن يصل إلىٰ محله ، وهذا [من بغيهم][١] وعنادهم ، وكان الهديُ سبعين بدنة كما سيأتي بيانه .

وقوله : ﴿ **ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات** ﴾ أي : بين أظهرهم ممن يكتم إيمانه ويخفيه منهم خيفة علىٰ أنفسهم من قومهم ، لكنا سَلَّطناكم عليهم فقتلتموهم وأبدتم خَضْراءهم ، ولكن بين أفنائهم من المؤمنين والمؤمنات أقوام لا تعرفونهم حالة القتل ، ولهذا قال : ﴿ **لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرة** ﴾ أي : إثم وغرامة ﴿ **بغير علم ليدخل اللَّه في رحمته من يشاء** ﴾ أي : يؤخر عقوبتهم ليخلّص من بين أظهرهم المؤمنين ، وليرجع كثير منهم إلىٰ الإسلام .

ثم قال : ﴿ **لو تزيلوا** ﴾ أي : لو تميز الكفار من المؤمنين الذين بين أظهرهم ﴿ **لعذبنا الذين كفروا منهم عذابًا أليمًا** ﴾ أي : لسلطناكم عليهم فلقتلتموهم قتلًا ذريعًا .

قال الحافظ أبو القاسم الطبراني(٥٥) : حدثنا أبو الزنباع[٢] روح بن الفرج ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي عباد المكي ، حدثنا عبد الرحمن بن عبد اللَّه أبو[٣] سعيد - مولىٰ بني هاشم - حدثنا حجر بن خلف : سمعت عبد اللَّه بن عوف[٤] ؛ يقول[٥] : سمعت جُنَيْدَ بن سَبُع ؛ يقول : قاتلت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أول النهار كافرًا وقاتلت معه آخر النهار مسلمًا ، وفينا نزلت : ﴿ **ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات** ﴾ . قال : كنا تسعة نفر : سبعة رجال وامرأتين .

---

(٥٥) - ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٠/٧) وقال : (رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما ثقات) . والحديث أخرجه أوبو يعلى في مسنده (١٥٦٠) من طريق أبي سعيد مولى بني هاشم به .

---

[١] - بياض في خ .
[٢] - في خ : الدباع .
[٣] - في ز ، خ : ابن .
[٤] - في ز ، خ : عمر .
[٥] - سقط من ز ، خ .

ثم رواه من طريق أخرىٰ عن محمد بن عباد المكي به ، وقال فيه : عن أبي[١] جمعة جُنيد بن سبع ... فذكره ، والصواب أبو جعفر : حبيب بن سباع . ورواه ابن أبي حاتم من حديث حجر ابن خلف به . وقال : كنا ثلاثة رجال وتسع نسوة ، وفينا نزلت : ﴿ **ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم (٥٦) : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري ، حدثنا عبد الله بن عثمان[٢] بن جَبَلَة ، عن أبي حمزة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ **لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابًا أليمًا** ﴾ ، يقول : لو تزيل الكفار من المؤمنين ، لعذبهم الله عذابًا أليمًا بقتلهم إياهم .

وقوله : ﴿ **إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية** ﴾ ، وذلك حين أبوا أن يكتبوا « **بسم الله الرحمن الرحيم** » ، وأبوا أن يكتبوا : « **هذا ما قاضىٰ عليه محمد رسول الله** » ، ﴿ **فأنزل الله سكينته علىٰ رسوله وعلىٰ المؤمنين وألزمهم كلمة التقوىٰ** ﴾ ، وهي قول « **لا إله إلا الله** » ، كما قال ابن جرير ، وعبد الله بن الإمام أحمد (٥٧) : حدثنا الحسن بن قَزَعة أبو علي البصري ، حدثنا سفيان بن حبيب ، حدثنا شعبة ، عن ثُوَيْر ، عن أبيه ، عن الطفيل[٣] - يعني ابن أُبيّ بن كعب - عن أبيه : سمع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : ﴿ **وألزمهم كلمة التقوىٰ** ﴾ ، قال : « **لا إله إلا الله** » .

وكذا رواه الترمذي عن الحسن بن قزعة ، وقال : « **غريب لا نعرفه إلا من حديثه ، وسألت أبا زرعة عنه فلم يعرفه إلا من هذا الوجه** » .

وقال ابن أبي حاتم (٥٨) : حدثنا أحمد بن منصور الرمادي ، حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثني الليث ، حدثني عبد الرحمن بن خالد ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ؛ أن أبا هريرة أخبره ؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يقولوا : لا إله إلا الله ، فمن قال : لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه ، وحسابه علىٰ الله** » . وأنزل الله في كتابه ، وذكر قومًا فقال : ﴿ **إنهم كانوا إذا قيل لهم**

---

(٥٦) - ذكره السيوطي في الدرالمنثور (٨٧/٦) وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وابن المنذر .

(٥٧) - أخرجه الطبري في تفسيره (١٠٤/٢٦) ، وعبدالله بن أحمد في زوائد المسند (١٣٨/٥) ، والترمذي في تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الفتح حديث (٣٢٦٥) عن الحسن بن قزعة به .

(٥٨) - تقدم تخريجه ، وانظر تفسير سورة الصافات الآية (٣٥) .

---

[١] - في ز ، خ : ابن .

[٢] - في ز : عيار . كذا بلا نقط . وفي خ : عباد .

[٣] - في ز : الطفيلي .

لا إله إلا اللّٰه يستكبرون ﴾ . وقال اللّٰه جل ثناؤه : ﴿ وألزمهم كلمة التقوىٰ وكانوا أحق بها وأهلها ﴾ ، وهي : « لا إله إلا اللّٰه ، محمد رسول اللّٰه » ، فاستكبروا عنها واستكبر عنها المشركون يوم الحديبية ، وكاتبهم رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم علىٰ قضية المدة .

وكذا رواه بهذه الزيادات ابن جرير من حديث الزهري . والظاهر أنها مُدرجة[١] من كلام الزهري ، واللّٰه أعلم .

وقال مجاهد : ﴿ كلمة التقوىٰ ﴾ : الإخلاص . وقال عطاء بن أبي رباح : هي لا إله إلا اللّٰه وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو علىٰ كل شيء قدير .

وقال يونس بن بكير(٥٩) ، عن ابن إسحاق ، عن الزهري ، عن عروة ، عن المسور : ﴿ وألزمهم كلمة التقوىٰ ﴾ ، قال : لا إله إلا اللّٰه ، وحده لا شريك له .

وقال الثوري (٦٠) ، عن سلمة بن كهيل ، عن عَبَاية بن ربعي ، عن عليّ : ﴿ وألزمهم كلمة التقوى ﴾ ، قال : لا إله إلا اللّٰه ، واللّٰه أكبر . وكذا [قال ابن عمر - رضي اللّٰه عنهما -][٢] وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وألزمهم كلمة التقوىٰ ﴾ ، قال : يقول : شهادة أن لا إله إلا اللّٰه ، وهي رأس كل تقوىٰ .

وقال سعيد بن جبير : ﴿ وألزمهم كلمة التقوىٰ ﴾ ، قال : لا إله إلا اللّٰه ، والجهاد في سبيله .

وقال عطاء الخراساني : هي لا إله إلا اللّٰه ، محمد رسول اللّٰه .

وقال عبد اللّٰه بن المبارك(٦١) ، عن معمر ، عن الزهري : ﴿ وألزمهم كلمة التقوىٰ ﴾ ، قال : بسم اللّٰه الرحمن الرحيم .

وقال قتادة : ﴿ وألزمهم كلمة التقوىٰ ﴾ ، قال : لا إله إلا اللّٰه .

[﴿ وكانوا أحق بها وأهلها ﴾ ،][٣] كان المسلمون أحق بها وكانوا[٤] أهلها .

(٥٩) - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/٨٨) عن السور ، ومروان وعزاه إلى ابن أبي حاتم والدارقطني في الأفراد .

(٦٠) - تفسير الطبري (٢٦/١٠٤) وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/٨٨) إلى ابن أبي الحسن بن مروان في فوائده .

(٦١) - أخرجه الطبري في تفسيره (٢٦/١٠٦) عن محمد بن عيسى عن ابن المبارك به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/٨٩) إلى عبدالرزاق ، وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

[١] - في ز : مندرجة .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - سقط من خ .
[٤] - سقط من ز ، خ .

﴿ وكان اللّه بكل شيء عليمًا ﴾ أي : هو عليم بمن يستحق الخير ممن يستحق الشر .

وقد قال النسائي(٦٢) : حدثنا إبراهيم بن سعيد[١] ، حدثنا شبابة بن سوار ، عن أبي رزين ، عن[٢] عبد اللّه بن العلاء بن زَبْر ، عن [بُشر بن عُبيد اللّه][٣] ، عن أبي إدريس ، عن أبيّ بن كعب ؛ أنه كان يقرأ : **﴿ إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية ﴾** ، ولو حميتم كما حموا لفسد المسجد الحرام . فبلغ ذلك عمر فأغلظ له ، فقال : إنك لتعلم أني كنت أدخل علىٰ رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم فيعلمني مما علمه اللّه . فقال عمر : بل أنت رجل عندك[٤] علم وقرآن ، فاقرأ وعلم مما علمك اللّه ورسوله .

(وهذا ذكر الأحاديث الواردة في قصة الحديبية وقضية الصلح)

قال الإمام أحمد (٦٣) : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا محمد بن إسحاق بن يسار ، عن الزهري ، عن عروة بن الزبير ، عن المسور بن مَخْرَمة ومَروان بن الحكم ؛ قالا : خرج رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم [عام الحديبية][٥] يريد زيارة البيت لا يريد قتالًا ، وساق معه الهَدي سبعين بَدنة ، وكان الناس سبعمائة رجل ، فكانت كل بَدنة عن عشرة ، وخرج رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم حتىٰ إذا كان بعُسْفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي ، فقال : يا رسول اللّه ؛ هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجت معها العوذ المطافيل ، قد لبست جلود النمور ، يعاهدون اللّه أن لا تدخلها عليهم عَنوة أبدًا ، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قَدّموه إلي كُرَاع الغميم ، فقال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **يا ويح قريش ! قد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خَلّوا بيني وبين سائر الناس ؟ فإن أصابوني كان الذي أرادوا ، وإن أظهرني اللّه دخلوا في الإسلام وهم وافرون ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فماذا تظن قريش ؟ فواللّه لا أزال أجاهدهم علىٰ الذي بعثني اللّه به[٦] حتي يظهرني اللّه أو تنفرد هذه السالفة** » .

ثم أمر الناس فسلكوا ذات اليمين بين[٧] ظهري الحمض علىٰ طريق تخرجه علىٰ ثنية المرار[٨] والحديبية من أسفل مكة . قال : فسلك بالجيش تلك الطريق ، فلما رأت خيل

---

(٦٢) - أخرجه النسائي في تفسيره (٥٢٥) ، وأخرجه الحاكم في مستدركه (٢/٢٢٥-٢٢٦) من طريق أبي زيد به ، وصححه على شرط الشيخين .

(٦٣) - المسند (٤/٣٢٣) ، والحديث رواه الشيخان من غير طريق ابن إسحاق ، وقد تقدم تخريجه .

---

[١] - في ز ، خ : شهيد .
[٢] - سقط من خ .
[٣] - في ز : « بشر بن عبد الله » .
[٤] - في ز ، خ : عندي .
[٥] - سقط من ز ، خ .
[٦] - في ز : له .
[٧] - في ز ، خ : من .
[٨] - في ز : المدار .

قريش قُتْرَة الجيش قد خالفوا عن طريقهم ، ركضوا راجعين الي قريش ، فخرج رسول صلىٰ الله عليه وسلم - حتي إذا سلك ثنية المرار[١] ، بركت ناقته ، فقال الناس : خلأت . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : **« ما خلأت ، وما ذلك لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة ، والله لا تدعوني[٢] قريش اليوم إلىٰ خطة يسألوني[٣] فيها صلة الرحم ، إلا أعطيتهم إياها »** .

ثم [٤] قال للناس : **« انزلوا »** . قالوا : يا رسول الله ؛ ما بالوادي من ماء ينزل عليه الناس . فأخرج رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم سهمًا من كنانته ، فأعطاه رجلًا من أصحابه ، فنزل في قَليب من تلك القُلُب ، فغرزه[٥] فيه فجاش بالماء حتىٰ ضرب الناس عنه بعَطَن . فلما اطمأن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إذا بُديل بن ورقاء في رجال من خزاعة ، فقال لهم كقوله لبشر بن سفيان ، فرجعوا إلىٰ قريش فقالوا : يا معشر قريش ؛ إنكم تَعجَلون علىٰ محمد ، وإن[٦] محمدًا لم يأت لقتال ، إنما جاء زائرًا لهذا البيت معظمًا لحقه ، فاتهموهم .

قال محمد بن إسحاق : قال الزهري : كانت[٧] خزاعة في عَيْبة[٨] [ ][٩] رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم مشركها ومسلمها ، لا يخفون علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم شيئًا كان[١٠] بمكة ، فقالوا : وإن كان إنما جاء لذلك فوالله لا يدخلها أبدًا علينا عَنوة ، ولا يتحدث بذلك العرب . ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص أحد بني عامر بن لؤي ، فلما رآه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : **« هذا رجل غادر »** . فلما انتهىٰ إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كلّمه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بنحو مما كَلَّم به أصحابه ، ثم رجع إلىٰ قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله ، فبعثوا إليه الحليس[١١] بن علقمة الكناني ، وهو يومئذ سيد الأحابيش ، فلما رآه رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - قال : **« هذا من قوم يتألهون[١٢] ، فابعثوا الهَدْي [في وجهه »][١٣]** ، فبعثوا الهدي][١٤] ، فلما رأىٰ الهدي يسيل عليه من عُرْض الوادي في قلائده قد أكل أوتاره[١٥] من طول الحبس عن

---

[١] - في ز : المدار .

[٢] - في ز ، خ : تعصوني . كذا .

[٣] - في ز : فسألوني .

[٤] - سقط من ت .

[٥] - في ز : فغرسه .

[٦] - في ز : إن .

[٧] - في ز : وكانت .

[٨] - في ز ، خ : غيبة .

[٩] - في ت : في .

[١٠] - سقط من خ .

[١١] - في ز : الجليس .

[١٢] - في ز ، خ : يباهلون .

[١٣] - سقط من ز .

[١٤] - سقط من ز ، خ .

[١٥] - في ز ، خ : أوباره .

محله ، رجع ولم يصل إلىٰ رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم إعظامًا لما رأىٰ ، فقال : يا معشر قريش ، قد رأيت ما لا يحل صَده ، الهدي في قلائده قد أكل أوتاره[١] من طول الحبس عن محله . قالوا : اجلس ، إنما أنت أعرابي لا علم لك . فبعثوا إليه عروة بن مسعود الثقفي ، فقال : يا معشر قريش ، إني قد رأيت ما يلقىٰ منكم من تبعثون إلىٰ محمد إذا جاءكم ، من التعنيف وسوء اللفظ ، وقد عرفتم أنكم والد وأني ولد ، وقد سمعت بالذي نابكم ، فجمعت من أطاعني[٢] من قومي ، [ثم جئت][٣] حتىٰ آسيتكم[٤] بنفسي . قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتهم . فخرج حتىٰ أتىٰ رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم فجلس بين يديه ، فقال : يا محمد ، جمعت أوباش الناس ، ثم جئت بهم لبيضتك لتفضّها ، إنها قريش قد خرجت معها العُوذ المطافيل ، قد لبسوا جلُود النمور ، يعاهدون اللّه أن لا تدخلها عليهم عنوة أبدًا . وايم اللّه لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدًا . قال : وأبو بكر قاعد خلف رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم ، فقال : امصص بَظر اللات ! أنحن ننكشف عنه ؟ ! قال : من هذا يا محمد ؟ قال : « **هذا ابن أبي قُحافة** » . قال : أما واللّه لولا يد كانت لك عندي لكافأتك بها ، ولكن هذه بها . ثم تناول لحية رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم والمغيرة بن شعبة واقف علىٰ رأس رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم [في الحديد][٥] ، قال : فقَرع يده . ثم قال : أمسك يدك عن لحية رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم [قبل - واللّه - لا تصل إليك[٦] . قال : ويحك ! ما أفظك[٧] وأغلظك ! فتبسم رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ،][٨] قال : من هذا يا محمد ؟ قال صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة** » قال : أغُدَرُ ، وهل غسلت[٩] سوأتك إلا بالأمس ؟ ! قال : فكلمه رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم بمثل ما كلم به أصحابه ، وأخبره أنه لم يأت يريد حربًا . قال[١٠] : فقام من عند رسول اللّه و قد رأىٰ ما يصنع به أصحابه ، لا يتوضأ وضوءًا إلا ابتدروه ، ولا يبصق بصاقا إلا ابتدروه ، ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه . فرجع إلىٰ قريش فقال : يا معشر قريش ، إني جئتُ كسرىٰ في ملكه ، وجئت قيصر والنجاشي في ملكهما ، واللّه ما رأيت مَلكا قط مثل محمد في أصحابه ، ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشيء أبدًا ، فَرَوا رأيكم . قال : وقد كان رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم قبل ذلك قد بعث خراش بن أمية الخزاعي إلىٰ مكة ، وحمله علىٰ جمل له يقال له :

---

[١] - في ز ، خ : أوباره .
[٢] - في ز : طاعني .
[٣] - في ز : فجئت .
[٤] - في ز : آسيكم .
[٥] - في ز : بالحديد .
[٦] - في ز : إليه .
[٧] - في ت : أفظعك .
[٨] - ما بين المعكوفين سقط من خ .
[٩] - في خ : علمت .
[١٠] - في ز : فقال .

« **الثعلب** » ، فلما دخل مكة عقرت به قريش ، وأرادوا قتل خراش ، فمنعتهم الأحابيش حتىٰ أتىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فدعا عمر ليبعثه إلىٰ مكة ، فقال : يا رسول اللَّه ، إني أخاف قريشًا علىٰ نفسي ، وليس بها من بني عَدي أحد يمنعني . وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي[١] عليها ، ولكن أدلّك على رجل هو أعز مني : عثمان بن عفان . قال : فدعاه رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم [فبعثه إلىٰ قريش][٢] يخبرهم أنه لم يأت لحرب أحد ، وإنما[٣] جاء زائرًا لهذا البيت ، معظمًا لحرمته . فخرج عثمان حتىٰ أتىٰ مكة ، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص ، فنزل عن دابته وحمله[٤] بين يديه ورَدِف خلفه ، وأجاره حتىٰ بَلّغَ رسالة رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فانطلق عثمان حتىٰ أتىٰ أبا سفيان وعظماء قريش ، فبلّغهم عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ما أرسله به ، فقالوا لعثمان : إن شئت أن تطوف بالبيت فطُفْ به . فقال : ما كنت لأفعل حتىٰ يطوف به[٥] رسول اللَّه قال : واحتبسته قريش عندها ، قال : وبلغ رسول اللَّه أن عثمان قد قُتل .

قال محمد : فحدثني الزهري : أن قريشًا بعثوا سهيل بن عمرو وقالوا : ائت محمدًا فصالحه ولا تكن[٦] في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فواللَّه لا تَحَدّثُ العرب أنه دخلها علينا عنوة أبدًا . فأتاه سهيل بن عمرو ، فلما رآه رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم؛ قال : « **قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل** » . فلما انتهىٰ إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم تكلما وأطالا الكلام ، وتراجعا حتىٰ جرىٰ بينهما الصلح ، فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب ، وثب عمر بن الخطاب فأتىٰ أبا بكر فقال : يا أبا بكر ؛ أو ليس برسول اللَّه ؟ أوَ لسنا بالمسلمين ؟ أوَ ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلىٰ . قال : فعلام نعطي الذلة في ديننا ؟ فقال أبو بكر : [يا عمر][٧] ؛ الزم غَرْزَه حيث كان فإني أشهد أنه رسول اللَّه . قال عمر : وأنا أشهد . ثم أتىٰ رسول اللَّه فقال : يا رسول اللَّه ، أوَ لسنا بالمسلمين ؟ أوَ ليسوا بالمشركين ؟ قال : « **بلىٰ** » . قال : فعلام نعطي الذلة في ديننا ؟ فقال : « **أنا عبد اللَّه ورسوله ، لن أخالف أمره ولن يضيعني** » . ثم قال عمر : ما زلت أصوم وأصلي وأتصدق وأعتق من الذي صنعت مخافة كلامي الذي تكلمت به يومئذ حتىٰ رجوت أن يكون خيرًا . قال : ثم دعا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم علي بن أبي طالب فقال : « **اكتب بسم اللَّه الرحمن الرحيم** » . [فقال سهيل بن عمرو][٨] : ولا أعرف هذا ، ولكن اكتب : باسمك اللَّهم . فقال رسول اللَّه : « **اكتب باسمك اللَّهم . هذا ما صالح**[٩] **عليه محمد**

---

[١] - في ز : غلظي .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز : وإنه .
[٤] - في ز : وحمل .
[٥] - سقط من خ .
[٦] - في ت : يكون .
[٧] - سقط من خ .
[٨] - سقط من ز ، خ .
[٩] - في ت : صلح .

رسول الله [**سهيل بن عمرو** » ،][١] فقال سهيل بن عمرو : ولو[٢] شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب هذا ما صالح [٣] عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو ، علىٰ وضع الحرب عشر سنين ، يأمن فيها الناس ، ويكف بعضهم عن بعض ، علىٰ أنه من أتىٰ رسول الله من أصحابه بغير إذن وليه ، رده عليهم ، ومن أتىٰ قريشًا ممن مع رسول الله لم يردوه عليه ، وأن بيننا عيبة مكفوفة[٤] ، وأنه لا أسلال ولا أغلال ، وكان في شرطهم حين كتبوا الكتاب : أنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه . فتواثبت خزاعة فقالوا : نحن في عقد رسول الله وعهده . وتواثبت بنو بكر فقالوا : نحن في عقد قريش وعهدهم . وأنك ترجع عنا عامنا هذا فلا تدخل علينا مكة ، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فتدخلها بأصحابك ، وأقمت بها ثلاثًا معك سلاح الراكب لا تدخلها بغير[٥] السيوف في القرب ، فبينا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يكتب الكتاب إذ جاءه أبو جندل بن سهيل بن عمرو في الحديد قد انفلت إلىٰ رسول الله ،قال : وقد كان أصحاب رسول الله خرجوا وهم لا يشكون في الفتح ، لرؤيا رآها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع ، وما تحمل رسول الله علىٰ نفسه ، دخل الناس من ذلك أمر عظيم ، حتىٰ كادوا أن يهلكوا . فلما رأىٰ سهيل أبا جندل قام إليه [فضرب وجهه][٦] وقال : يا محمد ، قد لجّت[٧] القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا . قال : « **صدقت** » . فقام إليه فأخذ بتلابيبه[٨] . قال : وصرخ أبو جندل بأعلىٰ صوته : يا معاشر المسلمين ، أتردونني إلىٰ أهل الشرك فيفتنوني في ديني ؟ قال : فزاد الناس شرًّا إلىٰ ما بهم ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **يا أبا جندل [اصبر و][٩] احتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجًا ، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحًا فأعطيناهم [علىٰ ذلك وأعطونا عليه][١٠] عهدًا ، وإنا لن نغدر بهم** » . قال : فوثب إليه عمر بن الخطاب فجعل يمشي مع أبي جندل إلىٰ جنبه و هو[١١] يقول : اصبر أبا جندل ، فإنما هم المشركون ، وإنما دم أحدهم دم كلب . قال : ويدني[١٢] قائم السيف منه ، قال : يقول : رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه .

---

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - في ز : إن .
[٣] - في ث : اصطلح .
[٤] - في ز ، خ : مكتوبة .
[٥] - في ز ، خ : معي .
[٦] - في خ : « فضربه » .
[٧] - في ز : تمت .
[٨] - في ز : بتلبيبه .
[٩] - سقط من ز ، خ .
[١٠] - ما بين المعكوفين في ز : « وأعطونا على ذلك » .
[١١] - سقط من ز .
[١٢] - في ز ، خ : وبدا .

قال : فضنّ الرجل بأبيه . قال[١] : ونفذت القضية ، فلما فرغا من الكتاب ، وكان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يصلي في الحرم ، وهو مضطرب في الحل ، قال : فقام رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال : « **يا أيها الناس ، انحروا واحلقوا** » . قال : فما قام أحد . قال : ثم عاد بمثلها ، فما قام رجل [حتىٰ عاد صلىٰ الله عليه وسلم بمثلها ، فما قام رجل][٢] .

فرجع رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فدخل علىٰ أم سلمة فقال : « **يا أم سلمة ، ما شأن الناس ؟** » . قالت : يا رسول الله قد دخلهم ما رأيت ، فلا تُكلِّمنَّ منهم إنسانًا ، واعمد إلىٰ هديك حيث كان فانحره واحلق ، فلو قد فعلت ذلك فعل الناس ذلك ، فخرج رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لا يكلم أحدًا حتىٰ أتىٰ هديه فنحره ، ثم جلس فحلق ، قال : فقام الناس ينحرون ويحلقون . قال : حتىٰ إذا كان بين مكة والمدينة في وسط الطريق نزلت سورة الفتح .

هكذا ساقه أحمد من هذا الوجه ، وهكذا رواه يونس بن بكير وزياد البكائي عن ابن إسحاق بنحوه وفيه إغراب . وقد رواه أيضًا عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، به نحوه ، وخالفه في أشياء . وقد رواه البخاري رحمه الله في صحيحه ، فساقه سياقة حسنة مطولة بزيادات جيدة ، فقال في كتاب الشروط من صحيحه(٦٤) :

حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، أخبرني الزهري، أخبرني عروة بن الزبير ، عن المسور بن مخرمة ومَروان بن الحكم ، يصدّق كل واحد منهما حديث صاحبه ، قالا : خرج رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم زَمَن الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه ، فلما أتىٰ ذا الحليفة قَلَّدَ الهدي وأشعره ، وأحرم منها بعُمرة وبعث عينًا له من خزاعة[٣] ، وسار حتىٰ إذا كان بغدير الأشطاط[٤] أتاه عينه فقال : إن قريشًا قد جَمَعوا لك جموعًا ، وقد جمعوا لك الأحابيش وهم مقاتلوك وصادوك ومانعوك . فقال : « **أشيروا – أيها الناس – عليّ ، أترون أن نميل علىٰ عيالهم . وذراريّ هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت ؟** » – وفي لفظ : « **أترون أن نميل علىٰ ذراري هؤلاء الذين أعانوهم . [فإن يأتونا كان الله قد قطع عُنقًا من المشركين وإلا تركناهم محزونين** » . وفي

(٦٤) – صحيح البخاري في الشروط ، ، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكناية الشروط ، حديث (٢٧٣١،٢٧٣٢) وانظر التخريج السابق .

[١] – سقط من خ .
[٢] – ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .
[٣] – في خ : جماعة .
[٤] – في ز : الأشظاظ .

لفظ][١]: « **فإن قعدوا قعدوا موتورين مجهودين[٢] محرُوبين[٣] وإن نجوا[٤] يكن عُنُقًا قطعها اللّه ، أم تَرَون أن نَؤُمّ البيت فمن صَدّنا عنه قاتلناه[٥]** ؟ » . فقال أبو بكر : يا رسول اللّه ؛ خرجت عامدًا لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حربًا . فتوجه له ، فمن صدنا عنه قاتلناه – وفي لفظ : فقال أبو بكر رضي اللّه عنه : اللّه ورسوله أعلم[٦] إنما جئنا معتمرين ، ولم نجئ لقتال أحد ، ولكن مَن حال بيننا وبين البيت قاتلناه . فقال النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **فروحوا إذن** » . وفي لفظ : « **فامضوا علىٰ اسم اللّه** » .

حتىٰ إذا كانوا ببعض الطريق ، قال النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **إن[٧] خالد بن الوليد في خيل لقريش طليعة ، فخذوا ذات اليمين** » . فواللّه ما شعر بهم خالد حتىٰ إذا هم بقَتَرة الجيش ، فانطلق يركض نذيرًا لقريش ، وسار النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم حتىٰ إذا كان بالثنية التي يُهبَطُ عليهم منها ، بَرَكت به راحلته ، فقال الناس : حَلْ حَلْ ، فَأَلَحّت ، فقالوا : خلأت القصواء ، خلأت القصواء ، فقال النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **ما خلأت القصواء ، وما ذاك لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل** » . ثم قال : « **والذي نفسي بيده ، لا يسألوني خُطّة يعظمون فيها حرمات اللّه ، إلا أعطيتهم إياها** » . ثم زجرها فوثبت ، فعدل عنهم حتىٰ نزل بأقصىٰ الحُديبية علىٰ ثَمَدٍ قليل الماء يتبرّضه الناس تَبَرّضًا ، فلم يلبث[٨] الناس حتىٰ نزحوه ، وشُكي إلىٰ رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم العطش ، فانتزع من كنانته سهمًا ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، فواللّه ما زال يجيش لهم بالرّي حتىٰ صدروا عنه . فبينما هم كذلك إذ جاء بُديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة ، وكانوا عَيْبَة[٩] نصح رسول اللّه من أهل تهامة ، فقال : إني تركت كعب بن لؤي وعامر ابن لؤي ، نزلوا أعدادًا[١٠] مياه الحديبية معهم العُوذ المطافيل ، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت . فقال النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **إنا لم نجئ لقتال أحد ، ولكن جئنا معتمرين ، وإن قريشًا قد نَهَكَتْهُم الحرب فأضرت بهم ، فإن شاءوا ماددتهم[١١] مُدة ويُخَلّوا بيني وبين الناس ، فإن أظهر ، فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا ، وإلاّ فقد جَمّوا[١٢] ، وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم علىٰ أمري هذا حتىٰ تنفرد سالفتي ، و[١٣] لينفذن اللّه أمره** » . قال بُديل : سأبلغهم[١٤] ما تقول . فانطلق حتىٰ أتىٰ

[١] – ما بين المعكوفين بياض في ز . وسقط من خ .

[٢] – في ز : مجهورين .

[٣] – سقط من خ .

[٤] – في ز : بياض . وسقط من خ .

[٥] – في ز : قاتلنا .

[٦] – في ت ، خ : علم .

[٧] – في خ : أتى .

[٨] – في ز : يلبثه .

[٩] – في ز ، خ : عبيد .

[١٠] – في ت : أعداد .

[١١] – في ز : مادوتهم .

[١٢] – في ز : حموا .

[١٣] – في خ : أو .

[١٤] – في ز : سأسمعهم .

قريشًا فقال : إنا قد جئنا من عند هذا الرجل ، وسمعناه يقول قولًا ، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا . فقال سفهاؤهم : لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء . وقال ذوو الرأي منهم : هات ما سمعته يقول . قال : سمعته يقول كذا وكذا ، فحدثهم بما قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فقام عروة بن مسعود فقال : أيْ قوم ، ألستم بالوالد ؟ قالوا : بلىٰ . قال : أو لست بالولد ؟ قالوا : بلىٰ . قال : فهل تتهموني ؟ قالوا : لا . قال : ألستم تعلمون أني استنفَرْتُ أهل عكاظ ، فلما بَلَّحوا عليّ جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني ؟ قالوا : بلىٰ . قال : فإن هذا قد عَرض عليكم خُطة رُشد فاقبلوها ودعوني آته . قالوا : ائته . فأتاه فجعل يكلم رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فقال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم له نحوًا من قوله لبُديل بن ورقاء . فقال عروة عند ذلك : أيْ محمد ، أرأيت إن استأصلت أمر قومك ، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك ؟ وإن تك الأخرىٰ فإني واللّٰه لأرىٰ وجوهًا ، وإني لأرىٰ أشوابًا من الناس خليقًا أن يفروا ويَدَعوك . فقال له أبو بكر رضي اللّٰه عنه : امصص بَظْر اللات ! أنحن نفرّ وندعه ؟! قال : من ذا ؟ قالوا : أبو بكر . قال : أما والذي نفسي بيده لولا يَد كانت[١] لك عندي لم أجزك بها ، لأجبتك . قال : وجعل يكلم النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فكلما كلمه أخذ بلحيته ، والمغيرة بن شعبة رضي اللّٰه عنه قائم على رأس النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ومعه السيف وعليه المِغْفَر ، فكلما أهوىٰ عروة بيده إلى لحية النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف ، وقال له[٢] : أخِّرْ يدك عن لحية النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم . فرفع عروة رأسه وقال : من هذا ؟ قال : المغيرة بن شعبة . فقال : أي غُدر ، ألست أسعىٰ في غَدْرتك ؟ ! وكان المغيرة بن شعبة صحب قومًا في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ، ثم جاء فأسلم . فقال : النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **أما الإسلام فأقبل ، وأما المالُ فلست منه في شيء** » . ثم إن عروة جعل يَرمُق أصحاب[٣] النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بعينيه ، قال : فواللّٰه ما تنخم رسول اللّٰه نُخامة إلا وقعت في كف رجل منهم ، فَدلَك بها وجهه وجلْده ، وإذا أمَرَهم ابتدَرُوا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون علي وَضُوئه ، وإذا تكلم خَفَّضوا أصواتهم عنده ، وما يُحدون النظر إليه ، تعظيمًا له صلىٰ اللّٰه عليه وسلم . فرجع عروة إلى أصحابه فقال : أيْ قوم ، واللّٰه لقد وفدت علىٰ الملوك ، ووفدت[٤] علىٰ كسرىٰ وقيصر والنجاشي ، واللّٰه إنْ رأيت مَلِكًا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدًا ، واللّٰه إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم ، فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون علي وَضُوئه ، وإذا تكلم خفَّضوا أصواتهم عنده ، وما يُحدون النظر إليه تعظيمًا له . وإنه قد عَرَض عليكم خُطة

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - سقط من خ .
[٤] - في ز : وفدت .

رشْد فاقبلوها . فقال رجل منهم من بني كنانة : دعوني آته . فقالوا :ائته . فلما أشرف علىٰ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وأصحابه قال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **هذا فلان ، وهو من قوم يعظمون البُدْن ، فابعثوها له** » ، فبُعثَتْ له ، واستقبله الناس يُلَبّون ، فلما رأىٰ ذلك قال : سبحان اللّٰه ! ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت . فلما رجع إلىٰ أصحابه قال : رأيت البُدْن قد قُلِّدت وأُشْعِرَت ، فما أرىٰ أن يُصَدُّوا عن البيت . فقام[١] رجل منهم يقال له : « **مكْرَز بن حفص** » ، فقال : دعوني آته . فقالوا : ائته . فلما أشرف عليهم قال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **هذا مكرز ، وهو رجل فاجر[٢]** » . فجعل يكلم النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو .

وقال معمر : أخبرني أيوب ، عن عكرمة أنه قال : لما جاء سهيل بن عمرو قال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **قد سَهُل لكم من أمركم** » .

قال معمر : قال الزهري في حديثه : فجاء سهيل بن عمرو فقال : هات اكتب بيننا و بينك كتابًا . فدعا النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم الكاتب فقال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **اكتب[٣] بسم اللّٰه الرحمن الرحيم** » . فقال سهيل : أما « **الرحمن** » فواللّٰه ما أدري ما هو ؟ ، ولكن اكتب : باسمك اللّٰهم ، كما كنت تكتب . فقال المسلمون : واللّٰه لا[٤] نكتبها إلا : « **بسم اللّٰه الرحمن الرحيم** » . فقال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **اكتب : باسمك اللّٰهم** » . ثم قال :هذا ما قاضىٰ عليه محمد رسول اللّٰه » . فقال سهيل : واللّٰه لو كنا نعلم أنك رسول اللّٰه ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ، ولكن اكتب : محمد بن عبد اللّٰه » . فقال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **واللّٰه إني لرسول اللّٰه وإن كذبتموني . اكتب محمد بن عبد اللّٰه** » . قال الزهري : وذلك لقوله : « **واللّٰه لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات اللّٰه إلا أعطيتهم إياها** » . فقال له النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **علىٰ أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به** » . فقال سهيل : واللّٰه لا تتحدث العرب أنا أخذنَا ضُغْطَة ، ولكن ذلك من العام المقبل . فكتب ، فقال سهيل : وعلىٰ أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان علىٰ دينك إلا رددتَه إلينا . فقال المسلمون : سبحان اللّٰه ! كيف يُرَد إلىٰ المشركين وقد جاء مسلمًا ؟ ! فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسُفُ في قيوده ، قد خرج من أسفل مكة حتىٰ رمىٰ بنفسه بين أظهر[٥] المسلمين ، فقال سهيل : هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن تَرُدّه إليّ . فقال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم « **إنا لم نَقْضِ الكتاب بعد** » . قال : فواللّٰه إذا لا أصالحك علىٰ شيء أبدًا . فقال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم :

---

[١] - في ت : فقال .
[٢] - في خ : تاجر .
[٣] - سقط من ت .
[٤] - في ز : ما .
[٥] - سقط من خ .

« **فَأجزْه لي** » . فقال : ما أنا بمجيز ذلك لك . قال : « **بل**[١] **فافعل** » . قال : ما أنا بفاعل . قال مكْرَز : بلىٰ قد أجزناه لك . قال أبو جندل : أي معشر المسلمين ، أُرَدّ إلىٰ المشركين وقد جئت مسلمًا ؟ ألا ترون ما قد لقيت ؟ ! وكان قد عُذِّب عذابًا شديدًا في الله عز وجل . قال عمر رضي الله عنه : فأتيت نبي الله صلىٰ الله عليه وسلم فقلتُ : ألستَ نبي الله حقًّا ؟ قال صلىٰ الله عليه وسلم : « **بلىٰ** » . قلت : ألسنا علىٰ الحق وعدونا علىٰ الباطل ؟ قال : « **بلىٰ** » . قلت : فلم نعطي الدنية في ديننا إذًا ؟ قال : إني رسول الله ؛ ولستُ أعصيه ، وهو ناصري . قلت : أولست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال : « **بلىٰ ، أفأخبرتك**[٢] **أنا نأتيه العام ؟** » . قلت : لا . قال : « **فإنك آتيه ومُطَّوِّف به** » . قال : فأتيت أبا بكر فقلت : يا أبا بكر ؛ أليس هذا نبي الله حقًّا ؟ قال : بلىٰ . قلت : ألسنا علىٰ الحق وعدونا علىٰ الباطل ؟ قال : بلىٰ . قلت : فلم نعطي الدنية في ديننا إذًا ؟ قال : أيها الرجل ؛ إنه رسول الله ، وليس يعصي ربه ، وهو ناصره ، فاستمسك بغَرْزه ، فو الله إنه علىٰ الحق . قلت : أو ليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال : بلىٰ . قال : [أفأخبرك أنك تأتيه][٣] العام ؟ قلت : لا . قال : فإنك تأتيه وتطوف به .

قال الزهري : قال عمر : فعملت لذلك أعمالًا . قال : فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لأصحابه : « **قوموا فانحروا ثم احلقوا** » . قال : فوالله ما قام منهم رجل حتىٰ قال ذلك ثلاث مرات ! ! فلما لم يقم منهم أحد دخل علىٰ أم سلمة ، فذكر لها ما لقي من الناس ، قالت له أم سلمة : يا نبي الله ؛ أتحب ذلك ؟ اخرج ثم لا تكلم أحدًا منهم كلمة حتىٰ تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك . فخرج فلم يكلم أحدًا منهم حتىٰ فعل ذلك ، نحر بدنه ، ودعا حالقه فحلقه ، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضًا ، حتىٰ كاد بعضهم يقتل بعضا غمًّا ، ثم جاءه نسوة مؤمنات ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات** ﴾ حتىٰ بلغ : ﴿**بعِصَم الكوافر** ﴾ . فطلّق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك ، فتزوج إحداهما معاوية ابن أبي سفيان ، والأخرىٰ صفوان بن أمية . ثم رجع النبي صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ المدينة فجاءه أبو بصير - رجل من قريش - وهو مسلم ، فأرسلوا في طلبه رجلين ، فقالوا : العهدَ الذي جعلت لنا ؟ . فدفعه إلىٰ الرجلين فخرجا به حتىٰ بلغا ذا الحليفة ، فنزلوا يأكلون من تمر لهم ، فقال أبو بصير لأحد الرجلين : والله إني لأرىٰ سيفك هذا يا فلان جيدًا . فاستلّه الآخر . فقال : أجَل والله إنه لجيد ، لقد جَرّبت منه ثم جربت . فقال أبو بصير : أرني أنظر

---

[١] - في ز : بلى .

[٢] - في ز : فأخبرتك .

[٣] - في ز : فأخبرك أنه يأتيه » .

إليه . فأمكنه منه فضربه حتىٰ بَرَد ، وفرّ الآخر حتىٰ أتىٰ المدينة ، فدخل المسجد يعدو ، فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم حين رآه : « **لقد رأىٰ هذا ذُعْرًا** » . فلما انتهىٰ إلىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : قُتل واللَّه صاحبي ، وإني لمقتول . فجاء أبو بصير فقال : يا رسول اللَّه ؛ قد - واللَّه - أوفىٰ اللَّه ذمتك ، قد رددتني إليهم ثم نجاني اللَّه منهم . فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **ويل أمّه مِسْعَرُ حرب ! لو كان له أحد** » . فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم ، فخرج حتىٰ أتىٰ سِيفَ البحر : قال : وتفلت منهم أبو جندل بن سهيل ، فلحق بأبي بصير ، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير ، حتىٰ اجتمعت منهم عصابة ، فواللَّه ما يسمعون بعِيْرٍ خرجت لقريش إلىٰ الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم ، وأخذوا أموالهم . فأرسلت قريش إلىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم تناشده اللَّه والرحم لمَّا أرسل إليهم : « **فمن أتاه منهم فهو آمن** » . فأرسل النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم إليهم وأنزل اللَّه عز وجل : ﴿ **وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة** ﴾ حتىٰ بلغ : ﴿ **حمية الجاهلية** ﴾ ، وكانت حميتهم أنهم لم يُقروا أنه رسول اللَّه ، ولم يقروا بسم اللَّه الرحمن الرحيم ، وحالوا بينهم وبين البيت .

هكذا ساقه البخاري هاهنا . وقد أخرجه في التفسير . وفي عُمرة الحديبية ، وفي الحج ، وغير ذلك من حديث معمر وسفيان بن عيينة ، كليهما[١] عن الزهري به . ووقع في بعض الأماكن عن الزهري ، عن عروة ، عن[٢] مروان والمسور ، عن رجال من أصحاب النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم بذلك . وهذا أشبه واللَّه أعلم . ولم يسقه أبسط من هاهنا ، وبينه وبين سياق ابن إسحاق تباين في مواضع ، وهناك فوائد ينبغي إضافتها إلىٰ ما هاهنا ، ولذلك سقنا تلك الرواية وهذه ، واللَّه المستعان وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العزيز الحكيم .

وقال البخاري في التفسير(٦٥) : حدثنا أحمد بن إسحاق السّلمي ، حدثنا يعلىٰ ، حدثنا عبد العزيز بن سياه ، عن حبيب بن أبي ثابت ؛ قال : أتيت أبا وائل أسأله فقال : كنا بصفين فقال رجل : ألم تر إلىٰ الذين يُدعون إلىٰ كتاب اللَّه ؟ فقال علي بن أبي طالب : نعم . فقال سهل بن حُنَيف : اتّهمُوا[٣] أنفسكم ، فلقد رأيتنا يوم الحديبية - يعني الصلح الذي كان بين النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم و[بين][٤] المشركين - ولو نرىٰ قتالًا لقاتلنا ،

---

(٦٥) - صحيح البخاري كتاب التفسير ، باب : (إذ يبايعونك تحت الشجرة) حديث (٤٨٤٤) ، وأخرجه البخاري أيضاً في الجزية والموادعة ، حديث (٣١٨٢) ومسلم في الجهاد والسير ، حديث (١٧٨٥) والنسائي في التفسير (٥٢٤) من طريق عبد العزيز بن سيارة به وأخرجه البخاري في (٤١٨٩-٧٣٠٨) ، ومسلم في (١٧٨٥) من طرق عن أبي وائل به .

---

[١] - في ز : كلاهما .
[٢] - في ز : بن .
[٣] - في ز : إنهم .
[٤] - سقط من ت .

فجاء عمر فقال : ألسنا علىٰ الحق وهم علىٰ الباطل ؟ أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار ؟ فقال : « بلىٰ » . قال : ففيم نُعطي الدنية في ديننا ونرجع ولمَّا يحكم اللَّه بيننا ؟ فقال : « **يا بن الخطاب ؛ إني رسول اللَّه ، ولن يضيعني اللَّه أبدًا** » . فرجع مُتَغَيِّظًا فلم يصبر حتىٰ جاء[١] أبا بكر فقال : يا أبا بكر ؛ ألسنا علىٰ الحق وهم علىٰ الباطل ؟ فقال : يا بن الخطاب ؛ إنه رسول اللَّه ، ولن يضيعه اللَّه[٢] أبدًا . فنزلت سورة الفتح .

وقد رواه البخاري أيضًا في مواضع أخر ، ومسلم والنسائي من طرق أخر عن أبي وائل سفيان[٣] بن سلمة ، عن سهيل[٤] بن حنيف به . وفي بعض ألفاظه : يا أيها الناس ؛ اتهموا الرأي ، فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أقدر علىٰ أن أرد علىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أمره لرددته . وفي رواية : فنزلت سورة الفتح ، فدعا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم عمر بن الخطاب فقرأها عليه .

وقال الإمام أحمد(٦٦) : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، عن ثابت ، عن أنس أن قريشا صالحوا النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فيهم سهيل[٥] بن عمرو ، فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم لعليّ : « **اكتب : بسم اللَّه الرحمن الرحيم** » . فقال سهيل : لا ندري ما بسم اللَّه الرحمن الرحيم ، ولكن اكتب ما نعرف : باسمك اللَّهم . فقال : « **اكتب من محمد رسول اللَّه** » . قال : لو نعلم[٦] أنك رسول اللَّه لاتبعناك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك . فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **اكتب من محمد بن عبد اللَّه** » . واشترطوا علىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم أن من جاء منكم لا[٧] نرده عليكم ، ومن جاءكم[٨] منا رددتموه علينا . فقال : يا رسول اللَّه ؛ أنكتب[٩] هذا ؟ قال : « **نعم ، إنه من ذهب منا إليهم فأبعده اللَّه** » . رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة به[١٠] .

وقال أحمد أيضًا(٦٧) : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا عكرمة بن عمار

---

(٦٦) - المسند (٣/٢٦٨) ، وأخرجه مسلم في الجهاد والسير ، حديث (١٧٨٤) عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عفان به .

(٦٧) - المسند (١/٣٤٢) ، وأخرجه النسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (٥٦٨٠) عن عمرو بن على الفلاس عن عبدالرحمن بن مهدي به .

---

[١] - في ز : أتى .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - كذا في كل الأصول سفيان ، ولعل الصواب : شقيق .
[٤] - في ز ، خ : سهل .
[٥] - في خ : سهل .
[٦] - في ز : علمنا .
[٧] - في ز : لم .
[٨] - في خ : جاء .
[٩] - في ت : أتكتب .
[١٠] - سقط من خ .

قال[١] : حدثني سماك ، عن عبد الله بن عباس قال : لما خرجت الحرورية اعتزلوا[٢] ، فقلت لهم : إن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يوم الحديبية صالح المشركين ، فقال لعليّ : « **اكتب يا عليّ ؛ هذا ما صالح عليه محمد رسول الله** » . قالوا : لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك . فقال رسول الله : « **امح يا علي ؛ اللهم ؛ إنك تعلم أني رسولك ، امح يا عليّ واكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله** » . والله لرسول الله خير من علي ، وقد محا نفسه ، ولم يكن محوه ذلك يمحاه من النبوة ، أخرجت من هذه ؟ قالوا : نعم .

ورواه أبو داود من حديث عكرمة بن عمار اليمامي ، بنحوه .

وروىٰ الإمام أحمد(٦٨) ، عن يحيىٰ بن آدم : [حدثنا زهير][٣] ، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ ، عن الحكم ، عن مقْسم ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ؛ قال : نحر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يوم الحديبية سبعين بدنة فيها جمل لأبي جهل ، فلما صُدّت عن البيت حَنّت كما تَحِنّ إلىٰ أولادها .

لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾

كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قد أُرِيَ في المنام أنه دخل مكة وطاف [ ][٤] بالبيت ، فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة ، فلما ساروا عام الحديبية لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تتفسر هذا العام ، فلما وقع ما وقع من قضية الصلح ، ورجعوا عامهم ذلك علىٰ أن يعودوا من قابل ، وقع في نفوس بعض الصحابة من ذلك شيء ، حتىٰ سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك ، فقال له فيما قال : أفلم تكن تخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال : « **بلىٰ** ، [ ][٥] **أفأخبرتك أنك تأتيه[٦] عامك هذا ؟** » . قال : لا ، قال : « **فإنك آتيه ومُطَّوِّف به** » . وبهذا أجاب الصديق ، رضي الله عنه ، أيضا حَذْو [القُذّة

(٦٨) - المسند (٣١٤/١) وقد حسن إسناده العلامة أحمد شاكر في تعليقه على المسند .

[١] - سقط من خ .
[٢] - في ز : اعزلوا .
[٣] - في ز ، خ : عن ابن نمير .
[٤] - في ز : بها .
[٥] - في ز : قال .
[٦] - في ز : آتيه .

بالقُذَّة][١] . ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **لقد صدق اللّٰه رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء اللّٰه** ﴾ : هذا لتحقيق الخبر وتوكيده ، وليس هذا من الاستثناء في شيء ، ﴿ **آمنين** ﴾ أي : في حال دخولكم . وقوله : ﴿ **محلقين رءوسكم ومقصرين** ﴾ ، حال مقدرة ، لأنهم في حال حرمهم لم يكونوا محلقين ومقصرين ، وإنما كان هذا في ثاني الحال ، كان منهم من حلق رأسه ومنهم من قصره .

وثبت في الصحيحين(٦٩) أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **رحم اللّٰه المحلقين** » . قالوا : والمقصرين يا رسول اللّٰه ؟ قال : « **رحم اللّٰه المحلقين** » . قالوا : والمقصرين يا رسول اللّٰه ؟ قال : « **رحم اللّٰه المحلقين** » . قالوا : والمقصرين يا رسول اللّٰه ؟ قال : « **والمقصرين** » في الثالثة أو الرابعة .

وقوله : ﴿ **لا تخافون** ﴾ : حال مؤكدة في المعنىٰ ، فأثبت لهم الأمن حال الدخول ، ونفى عنهم الخوف حال استقرارهم في البلد لا يخافون من أحد . وهذا كان في عمرة القضاء في ذي القعدة سنة سبع ، فإن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم لما رجع من الحديبية في ذي القعدة رجع إلىٰ المدينة فأقام بها ذا الحجة والمحرم ، وخرج في صفر إلىٰ خيبر ففتحها اللّٰه عليه بعضها عَنوة وبعضها صلحًا ، وهي إقليم عظيم كثير النخيل[٢] والزروع ، فاستخدم من فيها من اليهود عليها علىٰ الشطر ، وقسمها بين أهل الحديبية وحدهم ، ولم يشهدها أحد غيرهم إلا الذين قدموا من الحبشة ، جعفر ابن أبي طالب وأصحابه ، وأبو موسىٰ الأشعري وأصحابه ، ولم يغب منهم أحد - قال ابن زيد : إلا أبا دجانة [سماك بن خرشة][٣] ، كما هو مقرر في موضعه - ثم رجع إلىٰ المدينة . فلما كان في ذي القعدة سنة سبع خرج إلىٰ مكة معتمرًا هو وأهل الحديبية ، فأحرم من ذي الحُلَيفة ، وساق معه الهَدْي ، قيل : كان ستين بدنة . فَلَبَّىٰ وسار وأصحابه يُلَبّون . فلما كان قريبا من مَرّ الظهران بعث محمد بن مسلمة بالخيل والسلاح أمامه . فلما رآه المشركون رُعبوا رعبًا شديدًا وظنوا[٤] أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يغزوهم ، وأنه قد نكث العهد الذي بينه وبينهم من وضع القتال عشر سنين ، وذهبوا فأخبروا أهل مكة ، فلما جاء رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فنزل بمر[٥] الظهران حيث ينظر إلىٰ أنصاب الحرم بعث السلاح من[٦] القسي والنبل والرماح إلىٰ بطن يَأجج ، وسار إلىٰ مكة بالسيوف مغمدة في قربها ، كما شارطهم عليه . فلما كان في أثناء

(٦٩) - تقدم في تفسير سورة البقرة عن الآية (١٩٦) .

[١] - في خ : بعده .
[٢] - في ت : النخل .
[٣] - بياض في ز ، خ .
[٤] - في ز : فظنوا .
[٥] - في ز : مر .
[٦] - في ز : مع .

الطريق بعثت قريش مكرز بن حفص فقال : يا مُحمد ، ما عرفناك تنقض العهد . قال : « وما ذاك ؟ » قال : دخلت علينا بالسلاح والقسي والرماح . فقال : « **لم يكن**[١] **ذلك ، وقد بعثنا به إلىٰ يأجج** » . فقال : بهذا عرفناك ، بالبر والوفاء . وخرجت رءوس الكفار من مكة لئلا ينظروا إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم وإلىٰ أصحابه غيظًا وحنقًا . وأما بقية أهل مكة من الرجال والنساء والولدان فجلسوا في الطرق وعلىٰ البيوت ينظرون إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم وأصحابه ، فدخلها عليه الصلاة والسلام وبين يديه أصحابه يُلبّون ، والهدي قد بعثه إلىٰ ذي طُوَىٰ وهو راكب ناقته القصواء[٢] التي كان راكبها يوم الحديبية ، وعبد اللَّه بن رَوَاحة الأنصاري آخذ بزمام ناقة رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقودها ، وهو يقول :

باسْم الذي لا دينَ إلا دينُهُ باسْم الذي محمدٌ رَسُولُه
خَلّوا بَني الكُفَّار عَنْ سَبِيله اليَوْمَ نَضْرِبكُم عَلَىٰ تَأْوِيله
كَمَا ضَرَبْنَاكُم عَلىٰ تَنْزِيله ضَرْبًا يُزِيلُ الهَام عَنْ مَقِيله
وَيُذْهِلُ الخَلِيلَ عَن خليله قَدْ أَنْزَلَ الرّحْمَنُ في تَنْزِيله
في صُحُف تُتْلَىٰ عَلىٰ رَسُوله بِأَن خَير القَتْل في سَبِيله
يارَب إني مُؤْمنٌ بِقِيله

فهذا مجموع من روايات متفرقة .

قال يونس بن بكير (٧٠) ، عن محمد بن إسحاق : حدثني عبد اللَّه بن أبي بكر بن حزم قال : لما دخل رسول اللَّه - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - مكة في عُمرة القضاء ، دخلها وعبد اللَّه بن رواحة آخذ بخطام ناقته صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وهو يقول :

خَلّوا بَني الكُفّار عَنْ سَبِيله إنّي شَهِيدٌ أنه رَسُولُه
خَلّوا فَكلّ الخَيْر في رَسُوله يَارَبّ إنّي مُؤْمنٌ بقيله
نَحن قَتَلْنَاكم عَلىٰ تَأويله كَمَا قَتَلْنَاكُمْ عَلَىٰ تَنْزِيله
ضَربًا يُزِيل الهَام عَنْ مَقيله وَيُذهلُ الخَليلَ عَن خَلِيله

وقال عبد الرزاق(٧١) : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن أنس بن مالك ؛ قال : لما دخل رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم مكة في عمرة[٣] القضاء ، مشىٰ عبد اللَّه بن رواحة بين

(٧٠) - سيرة ابن هشام (٣/٣٢٠-٣٢١) ، ومن طريقه أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٤/٣٢٣) .
(٧١) - أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٤/٣٢٢) بسنده إلى عبدالرزاق به .

[١] - سقط من ز ، خ . [٢] - في ز : القصوى .
[٣] - في ز ، خ : غزوة .

يديه ، وفي رواية : وابن رواحة آخذ بغرْزه ، وهو يقول :

خَلّوا بَنِي الكُفَّار عَن سَبيله قَدْ نَزّل الرّحْمَنُ في تنزِيله
بأنّ خَيْر القَتْل في سَبيله يارَبّ إنّي مُؤمِنٌ بقيله
نَحن قَتَلْنَاكمْ عَلىٰ تَأْوِيله كَمَا قَتَلْنَاكُم عَلىٰ تَنزِيله
ضَربًا يُزِيل الهَام عَنْ مَقيله ويُذْهِل الخَليل عَنْ خَليله

وقال الإمام أحمد (٧٢) : حدثنا محمد بن الصباح ، حدثنا إسماعيل - يعني ابن زكريا - عن عبد الله - يعني ابن عثمان - عن أبي الطفيل ، عن ابن عباس ؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لما نزل مَرّ الظهران في عمرته ، بلغ أصحابَ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أن قريشًا ما يتباعثون من العَجَف ، فقال أصحابه : لو انتحرنا[١] من ظهرنا فأكلنا من لحمه ، وحَسَونا من مَرَقه ، أصبحنا غدًا حين ندخل علىٰ القوم وبنا جَمَامَة . قال : « **لا تفعلوا ولكن اجمعوا لي من أزوادكم** » . فجمعوا له وبسطوا الأنطاع ، فأكلوا حتىٰ تركوا ، وحثا[٢] كل واحد منهم في جرَابه . ثم أقبل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حتىٰ دخل المسجد وقعدت قريش نحو الحجر ، فاضطبع[٣] بردائه ، ثم قال : « **لا يرىٰ القوم فيكم غميزة** » . فاستلم الركن ثم رمل حتىٰ إذا تغيب بالركن اليماني مشىٰ إلىٰ الركن الأسود ، فقالت قريش : ما ترضون بالمشي أما إنكم [لتنقُزُون نَقْزَ][٤] الظباء ، [ففعل ذلك ثلاثة أشواط][٥] ، فكانتْ سُنَّة . قال أبو الطفيل : فأخبرني ابن عباس أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فعل ذلك في حجة الوداع .

وقال أحمد أيضًا(٧٣) : حدثنا يونس ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا أيوب ، عن سعيد [][٦] بن جبير ، عن ابن عباس قال : قدم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وأصحابه مكة

(٧٢) - المسند (٣٠٥/١) ، وأخرجه أيضاً في (٣١٤،٣٠٦،٢٩٥،٢٤٧/١) ، وأبو داود في المناسك ، باب في الرمل حديث (١٨٩٠،١٨٨٩) - مختصراً - ، وابن ماجه في المناسك باب : الرمل حول البيت ، حديث (٢٩٥٣) - مختصراً - من طريق عبدالله بن عثمان بن خيثم به .

(٧٣) - المسند (٢٩٤/١) ، وأخرجه أحمد في (٢٩٠/١) والبخاري في كتاب الحج ، باب : كيف كان بدء الرمل ؟ حديث (١٦٠٢) ومسلم في كتاب الحج ، حديث (١٢٦٦) وأبو داود في كتاب المناسك ، باب : في الرمل ، حديث (١٨٨٦) والنسائي في مناسك الحج ، باب العلة التي من أجلها سعى النبي صلى الله عليه وسلم بالبيت (٢٣٠/٥-٢٣١) من حديث حماد بن زيد به .

[١] - في خ : استخرنا .
[٢] - في ز : وحسا .
[٣] - في ز : فاضطجع .
[٤] - في ز ، خ : لتنقرون نقر .
[٥] - في ز ، خ : « يفعل ذلك ثلاثة أطواف » .
[٦] - في ز : عن .

وقد وَهَنتهم حُمَّىٰ يثرب ، ولقوا منها سوءًا ، فقال المشركون : إنه يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمىٰ يثرب ولقوا منها شرًا . وجلس المشركون من الناحية التي تلي الحجر ، فأطلع الله نبيه صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ ما قالوا ، فأمر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أن يَرمُلوا الأشواط الثلاثة ليرىٰ المشركون جَلَدهم ، قال : فرملوا ثلاثة أشواط ، وأمرهم أن يمشوا بين الركنين حيث لا يراهم المشركون ، ولم يمنع النبي صلىٰ الله عليه وسلم أن يرملوا الأشواط كلها إلا إبقاء عليهم ، فقال المشركون : أهؤلاء الذين زعمتم أن الحمىٰ قد[١] وهنتهم ؟ هؤلاء أجلد من كذا وكذا .

أخرجاه في الصحيحين من حديث حماد بن زيد ، به . وفي لفظ : قدم النبي صلىٰ الله عليه وسلم وأصحابه صبيحة رابعة ، أي من ذي القعدة ، فقال المشركون : إنه يقدم عليكم و[فد][٢] قد وهنتهم حمىٰ يثرب . فأمرهم النبي صلىٰ الله عليه وسلم أن يرملوا الأشواط الثلاثة ، ولم يمنعهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم .

قال البخاري (٧٤) : وزاد ابن[٣] سلمة - يعني حماد بن سلمة - عن أيوب ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ؛ قال : لما قدم النبي صلىٰ الله عليه وسلم لعامه الذي استأمن قال : « ارملوا » . ليُرِيَ المشركين[٤] قوتهم ، والمشركون من قبل قُعَيقعَان[٥] .

وحدثنا محمد(٧٥) ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عطاء ، عن ابن عباس ؛ قال : إنما سعىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم بالبيت وبالصفا والمروة ، ليرىٰ المشركون[٦] قوته .

ورواه في مواضع أخر ، ومسلم والنسائي ، من طرق ، عن سفيان بن عيينة به .

وقال أيضًا(٧٦) : حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد سمع ابن أبي أوفىٰ ؛ يقول : لما اعتمر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم سترناه من غلمان المشركين . ومنهم ؛ أن يؤذوا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم . انفرد به البخاري دون مسلم .

---

(٧٤) - صحيح البخاري في المغازي ، باب : عمرة القضاء حديث (٤٢٥٦) ، وانظر السابق .

(٧٥) - صحيح البخاري في المغازي ، باب : عمرة القضاء ، حديث (٤٢٥٧) ، انظر الحديث (٢٨) .

(٧٦) - صحيح البخاري كتاب المغازي ، باب : عمرة القضاء ، حديث (٤٢٥٥) وأطراف الحديث عند البخاري في (١٦٠٠،١٧٩١،٤١٨٨) .

---

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - في ز : أبو .

[٤] - في ز : المشركون .

[٥] - في ز ، خ : قيقعان .

[٦] - في ز : المشركين .

وقال البخاري أيضًا (٧٧) : حدثنا محمد بن رافع ، حدثنا سُرَيج بن النعمان ، حدثنا فُلَيح (ح)[١] وحدثني محمد بن الحسين بن إبراهيم ، حدثنا أبي ، حدثنا فُليح بن سليمان ، عن نافع ، عن ابن عمر ؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم خرج معتمرا ، فحال كفار قريش بينه وبين البيت ، فنحر هديه وحلق رأسه بالحديبية ، وقاضاهم علىٰ أن يعتمر العام المقبل ، ولا يحمل سلاحًا عليهم إلا سيوفًا ، ولا يقيم بها إلا ما أحبوا . فاعتمر من العام المقبل ، فدخلها كما كان صالحهم ، فلما أن أقام بها ثلاثًا[٢] أمروه أن يخرج ، فخرج .

وهو في صحيح مسلم أيضًا .

وقال البخاري أيضًا(٧٨) : حدثنا عبيد الله بن موسىٰ ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ؛ قال : اعتمر النبي صلىٰ الله عليه وسلم في ذي القعدة ، فأبىٰ أهل مكة أن يَدعوه يدخل مكة حتىٰ قاضاهم علىٰ أن يُقيم[٣] بها ثلاثة أيام ، فلما كتبوا الكتاب كتبوا : « **هذا ما قاضانا عليه محمد رسول الله** » . قالوا : لا نقر بهذا ، ولو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئًا ، ولكن أنت محمد بن عبد الله . قال : « **أنا رسول الله ، وأنا محمد بن عبد الله** » . ثم قال لعلي بن أبي طالب : « **امحُ رسول الله** » . قال : لا ، والله لا أمحوك أبدًا ؛ فأخذ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم الكتاب ، وليس يحسن يكتبُ ، فكتب : « **هذا ما قاضىٰ عليه محمد بن عبد الله : لا يُدْخِلُ مكة السلاحَ إلا السيف في القِرَاب ، وأن لا يخرج من أهلها بأحد أراد أن يتبعه ، وأن لا يمنع من أصحابه أحدًا إن أراد أن يقيم بها** » . فلما دخلها ومضىٰ الأجل ، أتوا عليًا فقالوا : قل لصاحبك : اخرج عنا فقد مضىٰ الأجل . فخرج النبي صلىٰ الله عليه وسلم فتبعته ابنة حمزة تنادي : يا عمّ يا عمّ . فتناولها عليّ فأخذ بيدها ، وقال لفاطمة : دونك ابنةَ عمك . فحملتها[٤] ، فاختصم فيها علي وزيد وجعفر ، فقال عليّ : أنا أخذتها وهي ابنة عمي . وقال جعفر : ابنة عمي وخالتها تحتي . وقال زيد : ابنة أخي . فقضىٰ بها النبي صلىٰ الله عليه وسلم لخالتها ، وقال : « **الخالة بمنزلة الأم** » . وقال لعلي : « **أنت مني وأنا منك** » . وقال لجعفر : « **أشبهت خَلقي وخُلُقي** » . وقال لزيد : « **أنت أخونا ومولانا** » . قال علي : ألا تتزوج ابنة حمزة ؟

(٧٧) - صحيح البخاري كتاب الصلح ، باب : الصلح مع المشركين ، حديث (٢٠٧١) ، وفي المغازي ، باب عمرة القضاء ، حديث (٤٢٥٢) وأخرجه مسلم في الحج ، حديث (١٢٢٧) من طريق سالم عن ابن عمر به .

(٧٨) - صحيح البخاري في المغازي ، باب عمرة القضاء ، حديث (٤٢٥١) .

[١] - سقط من خ .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : يقيموا .
[٤] - في ز : فاحتملتها .

قال : « **إنها ابنة أخي من الرضاعة** » . انفرد به من هذا الوجه .

وقوله : ﴿ **فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحًا قريبًا** ﴾ أي فعلم[١] اللّٰه تعالىٰ من الخيرة والمصلحة في صَرْفكم عن مكة ودخولكم إليها عامكم ذلك ما لم تعلموه أنتم ، ﴿ **فجعل من دون ذلك** ﴾ أي : قبل دخولكم الذي وعدتم به في رؤيا النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فتحًا قريبًا ، وهو الصلح الذي كان بينكم وبين أعدائكم من المشركين .

ثم قال تعالىٰ مبشرًا للمؤمنين بنصرة الرسول صلوات اللّٰه عليه علىٰ عدوه وعلىٰ سائر أهل الأرض : ﴿ **هو الذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق** ﴾ ، أي : بالعلم النافع والعمل الصالح ، فإن الشريعة تشتمل علىٰ شيئين : علم وعمل ، فالعلم الشرعي صحيح ، والعمل الشرعي مقبول ، فإخباراتها حق وإنشاءاتها عدل ، ﴿ **ليظهره علىٰ الدين كله** ﴾ ، أي : علىٰ أهل جميع الأديان من سائر أهل الأرض ، من عرب وعجم ، ومليين[٢] ومشركين ، ﴿ **وكفىٰ باللّٰه شهيدًا** ﴾ ، أي : أنه رسوله ، وهو ناصره .

مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾

يخبر تعالىٰ عن محمد – صلوات اللّٰه وسلامه عليه – أنه رسوله حقًّا بلا شك ولا ريب ، فقال : ﴿ **محمد رسول اللّٰه** ﴾ ، وهذا مبتدأ وخبر[٣] ، وهو مشتمل علىٰ كل وصف جميل . ثم ثنىٰ بالثناء علىٰ أصحابه فقال : ﴿ **والذين معه أشداء علىٰ الكفار رحماء بينهم** ﴾ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فسوف يأتي اللّٰه بقوم يحبهم ويحبونه أذلة علىٰ المؤمنين أعزة علىٰ الكافرين** ﴾ . وهذه صفة المؤمنين أن يكون أحدهم شديدًا عنيفًا علىٰ الكفار ، رحيمًا برًّا بالأخيار ، غضوبًا عبوسًا في وجه الكافر ، ضحوكًا بشوشًا في وجه أخيه المؤمن ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ، قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة** ﴾ . وقال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم**

---

[١] – في ز : يعلم . [٢] – في خ : مسلمين .

[٣] – في خ : وخبره .

كمثل الجسد الواحد إذا اشتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائر الجسد بالحمىٰ والسهر » . وقال : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا » . وشبك بين أصابعه . كلا الحديثين في الصحيح .

وقوله : ﴿ تراهم ركعًا سجدًا يبتغون فضلًا من اللّٰه ورضوانًا ﴾ ، وصفهم بكثرة العمل وكثرة الصلاة ، وهي خير الأعمال ، ووصفهم بالإخلاص فيها للّٰه - عز وجل - والاحتساب عند اللّٰه جزيل الثواب ، وهو الجنة المشتملة علىٰ فضل اللّٰه ، وهو سعة الرزق عليهم ، ورضاه تعالىٰ عنهم وهو أكبر من الأول[١] ، كما قال : ﴿ ورضوان من اللّٰه أكبر ﴾ .

وقوله : ﴿ سيماهم في وجوههم من أثر السجود ﴾ : قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : سيماهم في وجوههم يعني : السمت الحسن .

وقال مجاهد وغير واحد : يعني الخشوع والتواضع .

وقال ابن أبي حاتم (٧٩) : حدثنا أبي ، حدثنا علي بن محمد الطنافسي ، حدثنا حسين الجعفي ، عن زائدة ، عن منصور ، عن مجاهد : ﴿ سيماهم في وجوههم من أثر السجود ﴾ ، قال : الخشوع . قلت : ما كنت أراه إلا هذا الأثر في الوجه . فقال : ربما كان بين عيني من هو أقسىٰ قلبًا من فرعون .

وقال السدي : الصلاة تحسن وجوههم .

وقال بعض السلف : من كثرت صلاته بالليل حَسُن وجهه بالنهار .

وقد أسنده ابن ماجة في سننه (٨٠) ، عن إسماعيل بن محمد الطّلْحي[٢] ، عن ثابت بن موسىٰ ، عن شريك ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار » . والصحيح أنه[٣] موقوف .

وقال بعضهم : إن للحسنة نورًا[٤] في القلب ، وضياء في الوجه ، وسعة في الرزق ، ومحبة في قلوب الناس .

---

(٧٩) - أخرجه أيضاً الطبري في تفسيره (١١١/٢٦) ، وانظر الدرالمنثور (٩١/٦) .

(٨٠) - سنن ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : ما جاء في قيام الليل ، حديث (١٣٣٣)،

---

[١] - في ز : الأولى .
[٢] - في ز : الصالحي .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - في ز ، خ : لنورًا .

وقال أمير المؤمنين عثمان[١] : ما أسر أحد سريرة إلا أبداها اللّٰه علىٰ صفحات وجهه ، وفلتات لسانه .

والغرض أن الشيء الكامن في النفس يظهر علىٰ صفحات الوجه ، فالمؤمن إذا كانت سريرته صحيحة مع اللّٰه أصلح اللّٰه ظاهره للناس ، كما روي عن عمر بن الخطاب رضي اللّٰه عنه أنه قال : من أصلح سريرته أصلح اللّٰه علانيته .

وقال[٢] أبو القاسم الطبراني : حدثنا محمود بن محمد المروزي ، حدثنا حامد بن آدم المروزي ، حدثنا الفضل بن موسىٰ ، عن محمد بن عبيد اللّٰه العَرْزَمي ، عن سلمة بن كُهَيل ، عن جندَب بن سفيان البجلي ؛ قال : قال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ما أسر أحد سريرة إلا ألبسه اللّٰه رداءها ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًّا فشر** » . العرزمي متروك .

وقال الإمام أحمد(٨١) : حدثنا حسن بن موسىٰ ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أنه قال : « **لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة ، لخرج عمله للناس كائنًا ما كان** » .

وقال الإمام أحمد(٨٢) : حدثنا حسن ، حدثنا زُهير ، حدثنا قابوس بن أبي ظبيان ؛ أن أباه حدثه عن ابن عباس ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم؛ قال : « **إن الهدي الصالح ، والسمت الصالح ، والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءًا من النبوة** » . ورواه أبو داود عن عبد اللّٰه بن محمد النفيلي ، عن زهير به .

فالصحابة ، رضي الله عنهم ، خلصت نياتهم وحسنت أعمالهم ، فكل من نظر إليهم أعجبوه في سمتهم وهديهم .

وقال[٣] مالك –رحمه اللّٰه– : بلغني أن النصارىٰ كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون : « **واللّٰه لهؤلاء[٤] خير من الحواريين فيما بلغنا[٥]** » . وصدقوا في ذلك ،

وأخرجه العقيلي في الضعفاء (١٧٦/١) وابن عدي في الكامل (٣٠٤/٢) ، (٢٠١/٣) ، والخطيب في التاريخ (٣٤١/١) من طريق شريك به وهو حديث لا أصل له ، انظر الفوائد الحيدعة (ص٣٥) .

(٨١) – المسند (٢٨/٣)

(٨٢) – المسند (٢٩٦/١) ، واخرجه في (٢٩٦/١) ، والبخاري في الأدب المفرد (٤٦٨،٧١٩) ، وأبو داود في الأدب ، باب : في الوقار حديث (٤٧٧٦) من طرق عن قابوس بن أبي ظبيان به .

---

[١] – سقط من ز ، خ .

[٢] – في ز : قال .

[٣] – في ز : قال .

[٤] – في ز : هؤلاء .

[٥] – في خ : بلغوا .

فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة ، وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم وقد نوه اللّه بذكرهم في الكتب المنزلة والأخبار المتداولة ؛ ولهذا قال هاهنا : ﴿ **ذٰلك مثلهم في التوراة** ﴾ ، ثم قال : ﴿ **ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه** ﴾ أي : فراخه ، ﴿ **فآزره** ﴾ أي : شده ﴿ **فاستغلظ** ﴾ أي : شب وطال ﴿ **فاستوىٰ علىٰ سوقه يعجب الزراع** ﴾ أي : فكذلك أصحاب محمد صلىٰ اللّه عليه وسلم آزروه وأيدوه ونصروه فهم معه كالشطء مع الزرع ، ﴿ **ليغيظ بهم الكفار** ﴾ .

ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك - رحمه اللّه في رواية عنه - بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة ، قال : لأنهم يغيظونهم ، ومن غاظ الصحابة فهو كافر لهذه الآية . ووافقه طائفة من العلماء علىٰ ذلك . والأحاديث في فضائل الصحابة والنهي عن التعرض لهم[١] بمساءة كثيرة ، ويكفيهم ثناء اللّه عليهم ، ورضاه عنهم .

ثم قال : ﴿ **وعد اللّه الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم** ﴾ ، « **من** » هذه لبيان الجنس ﴿ **مغفرة** ﴾ أي : لذنوبهم ، ﴿ **وأجرًا عظيمًا** ﴾ أي : ثوابًا جزيلًا ورزقًا كريمًا ، ووعد اللّه حق وصدق ، لا يُخْلَف ولا يبدل ، وكل من اقتفى أثر الصحابة فهو في حكمهم[٢] ، ولهم[٣] الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة ، رضي اللّه عنهم وأرضاهم ، وجعل جنات الفردوس مأواهم ، وقد فعل .

قال مسلم في صحيحه(٨٣) : حدثنا يحيىٰ بن يحيىٰ ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **لا تسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ، ما أدرك مُدّ أحدهم ولا نَصِيفه** » .

آخر تفسير سورة الفتح ، وللّه الحمد والمنة .

☆ ☆ ☆

(٨٣) - صحيح مسلم في فضائل الصحابة ، حديث (٢٥٤٠) ، وأخرجه أيضاً النسائي في فضائل الصحابة (٢٠٤) وابن ماجه في المقدمة ، فضل أهل بدر ، حديث (١٦١) من طريق أبي صالح به .

[١] - سقط من خ .

[٢] - في ز ، خ : جملتهم .

[٣] - في ز : وله .

تفسير سورة الحجرات

وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣) ﴾

هذه آدابٌ أدّب الله بها عباده المؤمنين فيما يعاملون به الرسول صلىٰ الله عليه وسلم من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام، فقال: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله** ﴾ أي: لا تتسرعوا[١] في الأشياء بين يديه، أي قبله، بل كونوا تبعًا له في جميع الأمور، حتىٰ يدخل في عموم هذا الأدب الشرعي حديثُ معاذ (١)، قال له النبي صلىٰ الله عليه وسلم حين بعثه إلىٰ اليمن: « **بم تحكم ؟** » قال: بكتاب الله. قال: « **فإن لم تجد ؟** ». قال: بسنة رسول الله. قال: « **فإن لم تجد ؟** ». قال: أجتهد رأيي. فضرب

(١) - أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٠، ٢٤٢) برقم (٢٢١٠٥، ٢٢١٩٩) . وأبو داود في كتاب الأقضية (٣/ ٣٠٣) . والترمذي في كتاب الأحكام برقم (١٣٢٨) (٥/٨) ، والبيهقي في السنن (١٠/١١٤) . وأبو داود الطيالسي في مسنده - كما في منحة المعبود (١/٢٨٦) - وابن سعد في الطبقات (٢/٢٦٤ - ٢٦٥) ، (٣/٤٣٨) . والعقيلي في الضعفاء الكبير (١/٢١٥) في ترجمة الحارث بن عمرو بن أخي المغيرة الثقفي . كلهم من طريق شعبة ، عن أبي عون ، عن الحارث بن عمرو ، عن أصحاب معاذ ، عن معاذ .

وأخرجه أبو داود (٣٥٩٢) ، والترمذي (١٣٢٧) ، وأحمد (٥/٢٣٦) برقم (٢٢١٦٠) من طريق شعبة ولم يذكرا معاذًا . قال البخاري في تاريخه الكبير (٢/٢٧٧) : الحارث بن عمرو بن أخي المغيرة بن شعبة الثقفي ، عن أصحاب معاذ ، عن معاذ ، روى عنه أبو عون ولا يصح ، ولا يعرف إلا بهذا الإسناد ، وهو مرسل . وقال الترمذي : هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وليس إسناده عندي بمتصل .

وعلى هذا ففيه ثلاث علل كما ذكر ذلك الحافظ العراقي ونقل ذلك الألباني في الضعيفة برقم (٨٨١) وهي : الأولى : الإرسال . الثانية : جهالة الحارث . الثالثة : جهالة أصحاب معاذ .

[١] - في ت : لا تسرعوا

في صدره وقال : « الحمد للّه الذي وفق رسول رسول اللّه ، لما يرضي رسول اللّه » . وقد رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه . فالغرض منه أنه أخر رأيه ونظره واجتهاده إلىٰ ما بعد الكتاب والسنة ، ولو قدمه قبل البحث عنهما لكان من باب التقديم بين يدي اللّه ورسوله .

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ لا تقدموا بين يدي اللّه ورسوله ﴾ ، لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة(٢) .

وقال العوفي عنه : نهى أن يتكلموا بين يدي كلامه (٣) .

وقال مجاهد : لا تفتاتوا علىٰ رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم بشيء حتىٰ يقضي اللّه علىٰ لسانه (٤) .

وقال الضحاك : لا تقضوا أمرًا دون اللّه ورسوله في[١] شرائع دينكم (٥) .

وقال سفيان الثوري : ﴿ لا تقدموا بين يدي اللّه ورسوله ﴾ بقول ولا فعل (٦) .

وقال الحسن البصري : ﴿ لا تقدموا بين يدي اللّه ورسوله ﴾ ، قال : لا تدعوا قبل الإمام .

---

(٢) -أخرجه الطبري (١١٦/٢٦) ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، وأبو نعيم في الحلية كما في الدر المنثور للسيوطي (٨٥/٦) من طريق علي أبي طلحة ، عن ابن عباس .

قال العلائي في جامع التحصيل : علي بن أبي طلحة ؛ قال دحيم : لم يسمع التفسير من ابن عباس .

وقال أبو حاتم : علي بن أبي طلحة عن ابن عباس مرسل ؛ إنما يروى عن مجاهد والقاسم بن محمد .

(٣) - أخرجه الطبرى (١١٦/٢٦) قال : حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه عن ابن عباس . ومحمد بن سعد لينه الخطيب كما في المغني في الضعفاء (٥٨٤/٢) . وعطية بن سعد العوفي ، قال في التقريب : صدوق يخطئ كثيرًا ، وكان شيعيًا مدلسًا وبقية الإسناد مجاهيل . والحديث ذكره السيوطي في الدر (٨٥/٦) وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس - رضي الله عنه .

(٤) - أخرجه الطبري (١١٦/٢٦) . والبيهقي في شعب الإيمان (١٩٥/٢) (١٥١٦) كلاهما من طريق ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد . وزاد السيوطي في الدر نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه (٨٦/٦).

(٥) - أخرجه الطبري (١١٧/٢٦) بنحوه .

(٦) - أخرجه الطبري (١١٧/٢٦) بنحوه .

---

[١] - في ت : من .

وقال قتادة : ذكر لنا أن ناسًا كانوا يقولون : لو أنزل في كذا كذا . وكذا لو صنع كذا ، فكره الله ذلك وتقدم فيه (٧) .

﴿ واتقوا الله ﴾ أي : فيما أمركم به ، ﴿ إن الله سميع ﴾ أي : لأقوالكم ، ﴿ عليم ﴾ بنياتكم .

وقوله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي** ﴾ : هذا أدب ثانٍ أدّب الله به المؤمنين أن لا يرفعوا أصواتهم بين يدي النبي صلىٰ الله عليه وسلم وقد روي [أنها نزلت][١] في الشيخين أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - .

وقال البخاري(٨) : حدثنا بَسْرَة بن صفوان اللخمي ، حدثنا نافع بن عمر ، عن ابن أبي مليكة ؛ قال : كاد الخيِّران أن يَهْلكا ، أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - رفعا أصواتهما عند النبي صلىٰ الله عليه وسلم حين قدم عليه ركب بني تميم ، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع ، وأشار الآخر برجل آخر - قال نافع : لا أحفظ اسمه - فقال أبو بكر لعمر : ما أردتَ إلا خلافي . قال : ما أردتُ خلافك[٢] . فارتفعت أصواتهما في ذلك ، فأنزل الله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض** ﴾ ، الآية . قال ابن الزبير : فما كان عمر يُسمعُ رسولَ الله صلىٰ الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتىٰ يستفهمه[٣] ، ولم يذكر ذلك عن أبيه ؛ يعني أبا بكر رضي الله عنه . انفرد به دون مسلم .

ثم قال البخاري (٩) : حدثنا الحسن بن محمد ، حدثنا حجاج ، عن ابن جرَيج ، حدثني ابن أبي مليكة ؛ أن عبد الله بن الزبير أخبره ؛ أنه قَدم ركب من بني تميم علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم فقال أبو بكر : أمِّر القعقاع بن معبد . وقال عمر : بل أمِّر الأقرع بن حابس . فقال أبو بكر : ما أردت إلىٰ - أو : إلا - خلافي . فقال عمر : ما أردتُ خلافَك . فتماريا حتىٰ ارتفعت أصواتهما ، فنزلت في ذلك : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا**

(٧) - أخرجه الطبري (٢٦/١١٦ - ١١٧) .

(٨) - أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، في تفسير سورة الحجرات ، باب : ﴿ **لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي** ﴾ برقم (٤٨٤٥) (٨/٥٩٠) .

(٩) - أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ **إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون** ﴾ برقم (٤٨٤٧) (٨/٥٩٢) .

[١] - في ز : أنه أنزلت .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - في ز : يستفهم .

تقدموا بين يدي الله ورسوله ﴾ ، حتىٰ انقضت الآية ، **﴿ ولو أنهم صبروا حتىٰ تخرج إليهم ﴾** الآية .

وهكذا رواه هاهنا منفردًا به أيضًا .

وقال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده(١٠) : حدثنا الفضل بن سهل[١] ، حدثنا إسحاق ابن منصور ، حدثنا حصين بن عُمَر ، عن مُخارق ، عن طارق بن شهاب ، عن أبي بكر الصديق قال : لما نزلت هذه الآية : **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ﴾** ، قلت : يا رسول الله ، والله ؛ لا أكلمك إلا كأخي السّرار .

حصين بن عمر هذا - وإن كان ضعيفًا - لكن قد رويناه من حديث عبد الرحمن بن عوف ، وأبي هريرة ، بنحو ذلك ، والله أعلم .

وقال البخاري : حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا أزهر بن سعد ، أخبرنا ابن عون ، أنبأني موسىٰ بن أنس ، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم افتقد ثابت ابن قيس ، فقال رجل : يا رسول الله ؛ أنا أعلم لك علْمه . فأتاه فوجده في بيته مُنَكِّسًا رأسه ، فقال له : ما شأنك ؟ فقال : شرّ ، كان يَرْفَعُ صوته فوق صوت النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، فقد حبط عمله ، فهو من أهل النار . فأتىٰ الرجل النبي صلىٰ الله عليه وسلم فأخبره أنه قال كذا وكذا . قال موسىٰ : فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة فقال : « **اذهب إليه فقل له : إنك لست من أهل النار ، ولكنك من أهل الجنة** » . تفرد به البخاري من هذا الوجه(١١) .

وقال الإمام أحمد(١٢) : حدثنا هاشم ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس قال : لما نزلت هذه الآية : **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ﴾** إلىٰ : **﴿ وأنتم لا تشعرون ﴾** : وكان ثابت بن قيس بن الشماس رفيع الصوت فقال : أنا

(١٠) - أخرجه البزار (١٠٦/٢ مختصر زوائد مسند البزار) برقم (١٥٠٥) من طريق حصين بن عمر ، وحصين هذا متروك كما في التقريب . والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١١١/٧) ، وقال : رواه البزار ، وفيه حصين بن عمر الأحمسي ، وهو متروك ، وقد وثقه العجلي ، وبقيه رجاله رجال الصحيح .

(١١) - أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، في تفسير سورة الحجرات ، باب : **﴿ لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ﴾** برقم (٤٨٤٦) (٥٩٠/٨) .

(١٢) - رجاله رجال الشيخين ؛ غير هاشم بن القاسم فمن رجال مسلم . والحديث أخرجه أحمد (١٣٧/٣) برقم (١٢٤٢١) .

[١] -

الذي كنت أرفع صوتي علىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، حبط عملي ، أنا من أهل النار ، وجلس في أهله حزينًا ففقده رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فانطلق بعض القوم إليه فقالوا له : تفقدك رسول اللَّه - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - مالك ؟ قال : أنا الذي أرفع صوتي فوق صوت النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم وأجهر له بالقول ، حبط عملي ، أنا من أهل النار . فأتوا النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم، فأخبروه بما قال.. فقال : « **لا ، بل هو من أهل الجنة** » . قال أنس : فكنا نراه يمشي بين أظهرنا ونحن نعلم أنه من أهل الجنة . فلما كان يوم اليمامة كان فينا بعض الانكشاف ، فجاء ثابت بن قيس ابن شماس وقد تحنط ولبس كفنه ، فقال : بئسما تُعوّدون أقرانكم . فقاتلهم حتىٰ قُتل .

وقال مسلم : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا الحسن بن موسىٰ ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت البُناني ، عن أنس بن مالك ، قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي** ﴾ .. إلىٰ آخر الآية جلس ثابت في بيته ، قال : أنا من أهل النار ، واحتبس عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم لسعد بن معاذ : « **يا أبا عمرو ، ما شأن ثابت ؟ أشتكىٰ ؟** » فقال سعد : إنه لجاري ، وما علمت له بشكوىٰ . قال : فأتاه سعد فذكر له قولَ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقال ثابت : أُنزلَت هذه الآية ، ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتًا علىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فأنا من أهل النار ، فذكر ذلك سعد للنبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم؛ فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **بل هو**[١] **من أهل الجنة** »(١٣) .

ثم رواه مسلم عن أحمد بن سعيد الدارمي ، عن حَبَّان بن هلال ، عن سليمان بن المغيرة ، به قال : ولم يذكر سعدَ بن معاذ . وعن [قطن بن نُسير][٢] عن جعفر بن سليمان ، عن ثابت ، عن أنس ، بنحوه . وقال : ليس فيه ذكر سعد بن معاذ(١٤) .

حدثنا هُرَيم بن عبد الأعلىٰ الأسدي ، حدثنا المعتمر[٣] بن سليمان ، سمعت أبي يذكر [عن ثابت][٤] عن أنس قال : لما نزلت هذه الآية ... واقتص[٥] الحديث ، ولم يذكر سعدَ ابن معاذ وزاد : فكنا نراه يمشي بين أظهرنا رجلٌ من أهل الجنة (١٥) .

(١٣) - أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب : ومخافة المؤمن أن يحبط عمله ، حديث (١١٩/١٨٧) (١٧٥/٢ - ١٧٦) .

(١٤) - أخرجه مسلم في الموضع السابق (١٨٨م/١١٩) (١٧٦/٢) .

(١٥) - أخرجه مسلم (١١٩/١٨٨) (١٧٧/٢) .

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ز : مطر بن بشير .

[٣] - في ز : زهير .

[٤] - سقط من ز .

[٥] - في ز : فاقتص .

فهذه الطرق الثلاث مُعَلّلة لرواية حماد بن سلمة فيما تفرد به من ذكر سعد بن معاذ . والصحيح أن حال نزول هذه الآية لم يكن سعد بن معاذ موجودًا ، لأنه كان قد مات بعد بني قريظة بأيام قلائل [سنة خمس][١] ، وهذه الآية نزلت في وفد بني تميم ، والوفود إنما تواتروا في سنة تسع من الهجرة ، والله أعلم .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا زيد بن الحباب ، حدثنا أبو ثابت بن ثابت بن قيس بن شَمَّاس ، حدثني عمي إسماعيل بن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس ، عن أبيه قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ **لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول** ﴾ ، قال : قعد ثابت بن قيس في الطريق يبكي ، قال : فمر به عاصم بن عدي من بني العجلان فقال : ما يبكيك يا ثابت ؟ قال : هذه الآية أتخوف أن تكون نزلت فيّ وأنا صَيِّتٌ رفيع الصوت . قال : فمضىٰ عاصم بن عدي إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : وغلبه البكاء ، فأتىٰ امرأته جميلة ابنة[٢] عبد الله بن أبي بن سلول فقال لها : إذا دخلت بين فَرَسي فشدّي عَليّ الضبَّة بمسمار ، فضربته بمسمار حتىٰ إذا خرج عطفه ، وقال : لا أخرج حتىٰ يتوفاني الله – عز وجل – أو يرضى عني رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم . قال : وأتىٰ عاصم رسولَ الله صلىٰ الله عليه وسلم فأخبره خبره ، فقال : « **اذهب فادعه لي** » . فجاء عاصم إلىٰ المكان فلم يجده ، فجاء إلىٰ أهله فوجده في بيت الفَرَس ، فقال له : إن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يدعوك . فقال : اكسر الضبة . قال : فخرجا فأتيا النبي صلىٰ الله عليه وسلم، فقال له رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما يبكيك يا ثابت ؟** » فقال : أنا صيّت وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت فيّ : ﴿ **لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول** ﴾ . فقال له النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **أما ترضى أن تعيش حميدًا ، وتقتل شهيدًا ، وتدخل الجنة ؟** » فقال : رضيت ببشرىٰ[٣] الله ورسوله صلىٰ الله عليه وسلم ، ولا أرفع صوتي أبدًا علىٰ صوت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم . قال : وأنزل الله : ﴿ **إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوىٰ** ﴾ الآية(١٦) .

(١٦) – في إسناده إسماعيل بن محمد بن ثابت بن قيس بن الشماس ؛ ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (١٩٥/٢) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا .

وأبو ثابت من ولد ثابت بن قيس بن شماس ذكره ابن أبي حاتم أيضًا في الجرح والتعديل (٣٥١/٩) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا وبقية رجاله ثقات .

والحديث أخرجه الطبري (١١٨/٢٦) .

[١] – سقط من ز . [٢] – في ز : ابن .

[٣] – في ز : بشير .

وقد ذكر هذه القصة غير واحد من التابعين كذلك ، فقد نهىٰ الله - عز وجل - عن رفع الأصوات بحضرة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه سمع صَوتَ رجلين في مسجد رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - قد ارتفعت أصواتهما، فجاء فقال : أتدريان أين أنتما ؟ ثم قال : مِن أين أنتما ؟ قالا : من أهل الطائف . فقال : لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضربًا .

وقال العلماء : يكره رفع الصوت عند قبره ، كما كان يكره في حياته ، لأنه محترم حيًا وفي قبره صلوات الله وسلامه عليه دائمًا . ثم نهى عن الجهر له بالقول كما يجهر الرجل لمخاطبه ممن عداه ، بل يخاطب بسكينة ووقار وتعظيم ؛ ولهذا قال : ﴿ **ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض** ﴾ ، كما قال : ﴿ **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون** ﴾ ، أي : إنما نهيناكم عن رفع الصوت عنده خشية أن يغضب من ذلك ، فيغضب الله لغضبه ، فيحبط الله عمل من أغضبه وهو لا يدري ، كما جاء في الصحيح : « **إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يُلقي لها بالاً يكتب له بها الجنة، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يُلقي لها بالاً يهوي بها في النار أبعد ما بين السماوات والأرض** »(١٧) .

ثم ندب الله - عز وجل - إلىٰ خفض الصوت عنده ، وحَثّ علىٰ ذلك وأرشد إليه ورغّب فيه ، فقال : ﴿ **إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوىٰ** ﴾ أي : أخلصها لها وجَعَلَها أهلًا ومحلًا ، ﴿ **لهم مغفرة وأجر عظيم** ﴾ .

و[قد][١] قال الإمام أحمد في كتاب الزهد : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد قال : كُتب إلىٰ عمر : يا أمير المؤمنين ، رجل لا يشتهي المعصية ولا يعمل بها أفضل ، أم رجل يشتهي المعصية ولا يعمل بها ؟ فكتب عمر رضي الله عنه : إن الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها ﴿ **أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوىٰ لهم مغفرة وأجر عظيم** ﴾ (١٨) .

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ

(١٧) - أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب : حفظ اللسان ، برقم (٦٤٧٨) (٣٠٨/١١) .

(١٨) - إسناده صحيح إلى مجاهد .

[١] - سقط من ز .

﴿ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥ ﴾

ثم إنه تعالىٰ ذَمّ الذين ينادونه من وراء الحجرات ، وهي بيوت نسائه ، كما يصنع أجلاف الأعراب ، فقال : ﴿ **أكثرهم لا يعقلون** ﴾ .

ثم أرشد إلىٰ الأدب في ذلك فقال : ﴿ **ولو أنهم صبروا حتىٰ تخرج إليهم لكان خيرًا لهم** ﴾ ، أي : لكان لهم في ذلك الخِيرَةُ والمصلحة في الدنيا والآخرة .

ثم قال داعيًا لهم[١] إلىٰ التوبة والإنابة : ﴿ **والله غفور رحيم** ﴾ .

وقد ذُكر أنها نزلت في الأقرع بن حابس التميمي فيما أورده غير واحد ، قال الإمام أحمد :

حدثنا عفان ، حدثنا وُهَيب ، حدثنا موسىٰ بن عقبة ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن الأقرع بن حابس أنه نادىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم [من وراء الحجرات][٢] فقال : يا محمد ؛ يا محمد - وفي رواية : يا رسول الله - فلم يجبه . فقال : يا رسول الله ؛ إن حمدي لزين ، وإن ذمي لشين ، فقال[٣] : « **ذاك الله عز وجل** »(١٩) .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو عمار[٤] الحسين بن حريث المروزي ، حدثنا الفضل بن موسىٰ ، عن الحسين بن واقد ، عن أبي إسحاق ، عن البراء في قوله : ﴿ **إن الذين ينادونك من وراء الحجرات** ﴾ قال : جاء رجل إلىٰ رسول الله فقال : يا محمد ؛ إن حمدي زين وذمي شين . فقال : « **ذاك الله - عز وجل** » (٢٠) .

وهكذا ذكره الحسن البصري ، وقتادة مرسلًا .

---

(١٩) - صحيح لغيره ، أخرجه أحمد (٤٨٨/٣) ، والطبراني (١/ ٣٠٠) (٨٧٨) . كلاهما من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن عن الأقرع بن حابس به . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١١١/٧) : رواه أحمد والطبراني وأحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح ؛ إن كان أبو سلمة سمع من الأقرع وإلا فهو مرسل كإسناد أحمد الآخر . ويشهد له حديث البراء بن عازب الآتي بعده .

(٢٠) - أخرجه الطبري (١١٢١/٢٦) . والترمذي في كتاب التفسير ، باب : ومن سورة الحجرات ، برقم (٣٢٦٣) (١٩/٩) ، والنسائي في الكبرى ، في كتاب التفسير باب : قوله تعالى ﴿ **إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون**﴾ برقم (١١٥١٥) (٤٦٦/٦) . وأبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (٢٩٦/٢) كلهم من طريق الحسين بن واقد عن أبي إسحاق عن البراء به . والحسين ثقة له أوهام ، وأبو إسحاق ثقة اختلط بأخرة . والحديث صححه الألباني في صحيح الترمذي برقم (٢٦٠٥) .

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ز : قال .
[٤] - في ز : عار . كذا .

وقال سفيان الثوري ، عن حبيب بن أبي عَمْرَة ؛ قال : كان بشر بن غالب ولَبِيد بن عطارد - أو بشر بن عطارد ولبيد بن غالب - وهما عند الحجاج جالسان - فقال بشر بن غالب للبيد بن عُطارد : نزلت في قومك بني تميم : ﴿ **إن الذين ينادونك من وراء الحجرات** ﴾ ، قال : فذكرت ذلك لسعيد بن جبير فقال : أما إنه لو علم بآخر الآية أجابه : ﴿ **يمنون عليك أن أسلموا** ﴾ ، قالوا : أسلمنا ، ولم يقاتلك[١] بنو أسد .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عمرو بن علي الباهلي ، حدثنا المعتمر بن سليمان : سمعت داود الطفاوي[٢] يحدّث عن أبي مسلم البجلي ، عن زيد بن أرقم ؛ قال : اجتمع أناس من العرب فقالوا : انطلقوا بنا إلىٰ هذا الرجل ، فإن يك نبيًّا فنحن أسعد [الناس به][٣] ، وإن يك مَلِكًا نَعشْ بجناحه . قال : فأتيت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فأخبرته بما قالوا ، فجاءوا إلىٰ حجرته فجعلوا ينادونه وهو في حجرته : يا محمد ؛ يا محمد ؛ فأنزل اللَّه : ﴿ **إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون** ﴾ . قال : فأخذ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم [بأذني فَمَدَّها فجعل][٤] يقول : « **لقد صدق اللَّه قولك يا زيد ؛ لقد صدق اللَّه قولك يا زيد** »(٢١) .

ورواه ابن جرير ، عن الحسن بن عرفة ، عن المعتمر بن سليمان ، به (٢٢) .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾

يأمر تعالىٰ بالتثبت في خبر[٥] الفاسق ليُحتَاطَ له ، لئلا يحكم بقوله فيكون - في نفس الأمر - كاذبًا أو مخطئًا فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى وراءه . وقد نهى اللَّه عن اتباع سبيل

(٢١) - داود الطفاوي ، وهو داود بن راشد بن بحر الطفاوي : لين الحديث . وأبو مسلم البجلي ، قال الحافظ في التقريب : مقبول .

(٢٢) - أخرجه الطبري (١٢١/٢٦) .

[١] - في ز : يناطك . بلا نقط في ز .

[٢] - في ز : الطائي .

[٣] - سقط من ز .

[٤] - سقط من ز .

[٥] - في ز : أمر .

المفسدين ، ومن هاهنا امتنع طوائف من العلماء من قبول[١] رواية مجهول الحال لاحتمال فسقه في نفس الأمر ، وقبلها آخرون لأنا إنما أمرنا بالتثبت عند خبر الفاسق ، وهذا ليس بمحقق الفسق لأنه مجهول الحال . وقد قررنا هذه المسألة في كتاب العلم من شرح البخاري ، ولله الحمد والمنة .

وقد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط ، حين بعثه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ صدقات بني المصطلق . وقد روي ذلك من طرق ، ومن أحسنها ما رواه الإمام أحمد في مسنده من رواية ملك[٢] بني المصطلق ؛ وهو الحارث بن ضِرَار [ ][٣] ، والد جُوَيرية[٤] بنت الحارث أم المؤمنين رضي الله عنها ، قال الإمام أحمد :

حدثنا محمد بن سابق ، حدثنا عيسىٰ بن دينار ، حدثني أبي أنه سمع الحارث بن ضرار الخزاعي، يقول : قدمت علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فدعاني إلىٰ الإسلام ، فدخلت فيه وأقررت به . ودعاني إلىٰ الزكاة فأقررت بها ، وقلت : يا رسول الله ؛ أرجع إليهم[٥] فأدعوهم إلىٰ الإسلام وأداء الزكاة ، فمن استجاب لي جمعت زكاته . ويُرسل إليّ رسول الله رسولًا لإبّان[٦] كذا وكذا ليأتيك ما جمعتُ من الزكاة . فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له ، وبلغ الإبّان[٧] الذي أراد رسولُ الله صلىٰ الله عليه وسلم أن يبعث إليه ، احتبس عليه الرسول فلم يأته ، فظن الحارث أنه قد حدث فيه سخْطَةٌ من الله ورسوله ، فدعا بسَرَوات قومه فقال لهم : إن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان وَقّت لي وقتًا يرسل إليّ رسوله ليقبض[٨] ما كان عندي من الزكاة ، وليس من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم الخُلف ، ولا أرىٰ حبس رسوله إلا من سَخطة كانت[٩] ، فانطلقوا فنأتي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وبعث رسولُ الله صلىٰ الله عليه وسلم الوليد بن عقبة إلىٰ الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة ، فلما أن سار الوليد حتىٰ بلغ بعض الطريق فَرق - [أي : خاف][١٠] - فرجع فأتىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ؛ إن الحارث منعني الزكاة وأراد قتلي . فَضَرَب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم البعث إلىٰ

---

[١] - في ز : قول .
[٢] - في ز : مالك .
[٣] - في ز : بن أبي ضرار .
[٤] - في ز : ميمونة .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - في ز : لاتيان . كذا .
[٧] - في ز : الاتيان . كذا .
[٨] - في ز : فيقبض .
[٩] - سقط من ز .
[١٠] - سقط من ز .

الحارث ، وأقبل الحارث بأصحابه حتىٰ إذا استقبل البعث وفَصَل عن المدينة لقيهم الحارث ، فقالوا : هذا الحارث . فلما غشيهم قال لهم : إلىٰ من بُعثتم ؟ قالوا : إليك . قال : ولم ؟ قالوا : إن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان[١] بعث إليك الوليد بن عقبة ، فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله . قال : لا ، والذي بعث محمدًا بالحق ما رأيته بَتَّةً ولا أتاني . فلما دخل الحارث علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **منعت الزكاة وأردت قتلَ رسولي ؟** » . قال : لا . والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني ، وما أقبلت إلا حين احتبس عليّ رسولُ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، خشيت أن يكون كانت سخطة من الله ورسوله . قال : فنزلت الحجرات : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ؛ إن جاءكم فاسق بنبأ** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **حكيم** ﴾ (٢٣) .

ورواه ابن أبي حاتم ، عن المنذر[٢] بن شاذان التمار ، عن محمد بن سابق ، به . ورواه الطبراني من حديث محمد بن سابق ، به ، غير أنه سماه الحارث بن سرار ، والصواب : الحارث ابن ضرار ، كما تقدم(٢٤) .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا جعفر بن عون ، عن موسىٰ بن عُبيدة ، عن ثابت مولىٰ أم سلمة ، عن أم سلمة قالت : بعث رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم رجلًا في صدقات بني المصطلق بعد الوقيعة ، فسمع بذلك القوم ، فتلقوه يعظمون أمر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، قالت : فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله ، قالت[٣] : فرجع إلىٰ رسول الله فقال : إن بني المصطلق قد منعوني صدقاتهم . فَغَضب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم والمسلمون ، قالت : فبلغ القومَ رجوعُه ، فأتوا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فصفوا له حين صلىٰ الظهر ، فقالوا : نعوذ بالله من سَخَط الله وسَخَط رسوله ، بعثت إلينا رجلًا مُصَدِّقًا فسررنا بذلك ، وقَرت به أعيننا . ثم إنه رجع من بعض الطريق ، فخشينا أن يكون ذلك غضبًا من الله ومن رسوله ، فلم يزالوا يكلمونه حتىٰ جاء بلال فأذن بصلاة العصر ، قالت : ونزلت : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ؛ إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قومًا بجهالة فتصبحوا علىٰ ما فعلتم نادمين** ﴾(٢٥) .

---

(٢٣) - دينار الكوفي ، قال عنه الحافظ في التقريب مقبول . والحديث أخرجه أحمد (٢٧٩/٤) برقم (١٨٥١٠) ، والطبراني في الكبير (٣١٠/٣ - ٣١١) برقم (٣٣٩٥) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١١٢/٧) : رواه أحمد والطبراني - إلا أنه قال : الحارث بن سرار بدل ضرار ، ورجال أحمد ثقات .

(٢٤) - ينظر تخريج الحديث السابق .

(٢٥) - موسى بن عبيدة : ضعيف كما في التقريب . وثابت مولى أم سلمة ، ذكره ابن أبي حاتم في =

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ز : البدر .

[٣] - في ز : قال .

وروىٰ ابن جرير أيضًا من طريق العَوفي ، عن ابن عباس في هذه الآية ؛ قال : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بعث الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيط إلىٰ بني المصطلق ليأخذ منهم الصدقات ، وإنهم لما أتاهم الخبر فَرِحُوا وخرجوا يتلقون رسولَ رسولِ الله صلىٰ الله عليه وسلم وإنه لما حُدِّث الوليد أنهم خرجوا يتلقونه ، رجع الوليد إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ فقال : يا رسول الله ؛ إن بني المصطلق قد منعوا الصدقة . فغضب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من ذلك غضبًا شديدًا ، فبينا هو يحدث نفسه أن يغزوهم إذ أتاه الوفد فقالوا : يا رسول الله ، إنا[١] حُدِّثنا أن رسولك رجع من نصف الطريق ، وإنا خشينا أن ما رَدَّه كتاب جاء منك لغضب غضبته علينا ، وإنا نعوذ بالله من غَضَبه وغضب رسوله . وإن النبي صلىٰ الله عليه وسلم استغشهم وهَمّ بهم ، فأنزل الله عذرهم في الكتاب ، فقال : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ؛ إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ...**﴾ إلىٰ آخر الآية(٢٦) .

وقال مجاهد وقتادة : أرسل رسول الله الوليد بن عقبة إلىٰ بني المصطلق ليُصَدِّقهم ، فتلقوه بالصدقة ، فرجع فقال : إن بني المصطلق قد جمعت لك لتقاتلك - زاد قتادة : وإنهم قد ارتدوا عن الإسلام - فبعث رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم خالد بن الوليد إليهم ، وأمره أن يتثبت ولا يعجل . فانطلق حتىٰ أتاهم ليلًا ، فبعث عيونه ، فلما جاءوا أخبروا خالدًا أنهم مستمسكون بالإسلام ، وسمعوا أذانهم وصلاتهم ، فلما أصبحوا أتاهم خالد فرأىٰ الذي يعجبه ، فرجع إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فأخبره الخبر ، فأنزل الله هذه الآية . قال قتادة : فكان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **التبين[٢] من الله ، والعجلة من الشيطان** »(٢٧) .

وكذا ذكر غير واحد من السلف ، منهم : ابن أبي ليلىٰ ، ويزيد[٣] بن رومان ، والضحاك ، ومقاتل بن حيّان ، وغيرهم في هذه الآية : أنها نزلت في الوليد بن عقبة ، والله أعلم .

= الجرح والتعديل (٢/٤٦١) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا . والحديث أخرجه الطبري (٢٦/١٢٣) .

(٢٦) - وأخرجه الطبري (١٦/١٢٣ - ١٢٤) من طريق محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه عن ابن عباس . وقد تقدم الكلام على هذا الإسناد .

(٢٧) - وأخرجه الطبري (٢٦/١٢٤) والمرفوع منه ضعفه الألباني في ضعيف الجامع وعزاه إلى الخرائطى في مكارم الأخلاق وابن أبي الدنيا في ذم الغضب . وللحديث شاهد من حديث أنس أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « التأني من الرحمن والعجلة من الشيطان » أخرجه أبو يعلى (٧/٢٤٨) برقم (١٥٠١) . والبيهقي (١٠/١٠٤) . كلاهما من طريق سعد بن سنان عن أنس ، وهو ضعيف .

[١] - في ز : إنما . [٢] - في ز : التبيين .

[٣] - في ز : زيد .

وقوله : ﴿ **واعلموا أن فيكم رسول الله** ﴾ أي : اعلموا أن بين أظهركم رسولَ الله فعظِّموه ووقروه ، وتأدبوا معه ، وانقادوا لأمره ، فإنه أعلم بمصالحكم ، وأشفق عليكم منكم ، ورأيه فيكم أتمّ من رأيكم لأنفسكم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **النبي أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم** ﴾ .

ثم بَيَّن أن رأيهم سخيف بالنسبة إلىٰ مراعاة مصالحهم فقال : ﴿ **لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم** ﴾ ، أي : لو أطاعكم في جميع ما تختارونه لأدّىٰ ذلك إلىٰ عنتكم وحَرَجكم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم ، فهم عن ذكرهم معرضون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم** ﴾ أي : حببه إلىٰ نفوسكم وحَسّنه في قلوبكم .

قال الإمام أحمد (٢٨) : حدثنا بهز ، حدثنا علي بن مسعدة ، حدثنا قتادة ، عن أنس قال : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **الإسلام علانية ، والإيمان في القلب** » . قال : ثم يشير بيده إلىٰ صدره ثلاث مرات ، ثم يقول : « **التقوىٰ هاهنا التقوىٰ هاهنا** » .

﴿ **وكره إليكم الكفر والفسوق** [**والعصيان** ﴾ أي : وبَغَّض إليكم الكفر والفسوق وهي][١] الذنوب الكبار والعصيان ، وهي جميع المعاصي . وهذا تدريج لكمال النعمة .

وقوله : ﴿ **أولئك هم الراشدون** ﴾ أي : المتصفون بهذه الصفة هم الراشدون الذين قد آتاهم الله رشدهم .

قال الإمام أحمد(٢٩) : حدثنا مروان بن معاوية الفَزَاري ، حدثنا عبد الواحد بن أيمن[٢]

(٢٨) - إسناده ضعيف ؛ لعنعنة قتادة ، وفيه أيضًا على بن مسعدة ؛ ضعفه أبو داود وقال النسائي ليس بالقول وقال البخاري فيه نظر ، ووثقه الطيالسي وقال يحيى بن معين : صالح ، وضعف به الألباني هذا الحديث . والحديث أخرجه أحمد (١٣٥/٣) (١٢٤٠٣) ، وأبو يعلى (٣٠١/٥ - ٣٠٢) (٢٩٢٣) ، والعقيلي (٢٥٠/٣) في ترجمة علي بن مسعدة . كلهم من طريق علي بن مسعدة عن قتادة عن أنس .

قال الهيثمي في المجمع (٥٧/١) : رواه أحمد وأبو يعلى بتمامه والبزار باختصار ، ورجاله رجال الصحيح ، ما خلا علي بن مسعدة وقد وثقه ابن حبان ، وأبو داود ، وأبو حاتم ، وابن معين ، وضعفه آخرون .اهـ .

(٢٩) - أخرجه أحمد (٤٢٤/٣) ، والنسائي في الكبرى في كتاب عمل اليوم والليلة ، باب : الاستنصار عند اللقاء ، حديث (١٠٤٤٥) (١٥٦/٦) ، والطبراني (٤٧/٥) (٤٥٤٩)، والحاكم (٥٠٦/١ - ٥٠٧) ، وأبو نعيم في الحلية (١٢٧/١٠) . =

[١] - ما بين المعكوفين في ز : وهو . [٢] - في ز : أنس .

المكي ، عن أبي[١] رفاعة الزرقي ، عن أبيه قال : لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « استووا حتى أثني على ربي عز وجل » . فصاروا خلفه صفوفًا ، فقال : « **اللهم ، لك الحمد[٢] كله . اللهم ، لا قابض لما بسطت ، ولا باسط لما قبضت ، ولا هاديَ لمن أضللتَ ، ولا مُضِلّ لمن هَدَيتَ ، ولا مُعطِيَ لما منعت ، ولا مانع لما أعطيت ، ولا مقرب لما باعدت ، ولا مباعد لما قربت . اللهم ؛ ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك . اللهم ؛ إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يَحول ولا يَزُول . اللهم ؛ إني أسألك النعيم يوم العَيلة ، والأمن يوم الخوف . اللهم ، إني[٣] عائذ بك من شر ما أعطيتنا ، ومن شر ما منعتنا . اللهم ؛ حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا ، وكرّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين . اللهم ، توفنا مسلمين ، وأحينا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين . اللهم ، قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك ، واجعل عليهم رجْزَك وعذابك . اللهم ، قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب ، إلهَ الحق** » .

ورواه النسائي في اليوم والليلة عن زياد بن أيوب ، عن مَروان بن معاوية ، عن عبد الواحد ابن أيمن ، عن عُبيد بن رفاعة ، عن أبيه ، به(٣٠) .

وفي الحديث المرفوع : « **من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن** »(٣١) .

ثم قال : ﴿ **فضلًا من الله ونعمة** ﴾ أي : هذا العطاء الذي منحكموه هو فضل منه عليكم ونعمة من لدنه .

﴿ **والله عليم حكيم** ﴾ أي : عليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية ، حكيم في

= كلهم من طريق عبد الواحد بن أيمن عن عبيد بن رفاعة - في الحلية بن دفيعة - ولعله تصحيف - عن أبيه به . قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وتعقبه الذهبي ؛ بأنهما لم يخرجا لعبيد ، وهو ثقة ، والحديث مع نظافة إسناده منكر أخاف ألَّا يكون موضوعًا رواه عن خلاد بن أبي سبرة .

قال الألباني في تعليقه على فقه السيرة (٢٧٥) : ولم أعرف لقوله وجهًا .

قال الهيثمي في المجمع (١٢٥/٦) : رواه أحمد والبزار ، ورجال أحمد رجال الصحيح .

(٣٠) - ينظر تخريج الحديث السابق .

(٣١) - أخرجه أحمد (٢٦/١) قال : ثنا جرير - وهو ابن عبد الحميد عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة ، قال : خطب عمر الناس بالجابية ... فذكر حديثًا طويلًا وفي آخره « ومن كان منكم تسره حسنته ....» إلخ ، ورجاله كلهم ثقات . =

[١] - في ت : ابن . [٢] - سقط من ز .

[٣] - سقط من ز .

أقواله وأفعاله ، وشرعه وقدره .

﴿ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

يقول تعالىٰ آمرًا بالإصلاح بين المسلمين الباغين بعضهم علىٰ بعض : ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما** ﴾ فسماهم مؤمنين مع الاقتتال . وبهذا استدل البخاري وغيره علىٰ أنه لا يخرج من الإيمان بالمعصية وإن عظمت ، لا[١] كما يقوله الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم . وهكذا ثبت في صحيح البخاري من حديث الحسن ، عن أبي بكرة أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم خطب يومًا ومعه علىٰ المنبر الحسن بن علي ، فجعل ينظر إليه مرة وإلىٰ الناس أخرىٰ ويقول : « **إن ابني هذا سيّد ولعل اللّٰه أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين** »(٣٢) . فكان كما قال صلوات اللّٰه وسلامه عليه ، أصلح اللّٰه به بين أهل الشام وأهل العراق بعد الحروب الطويلة والواقعات[٢] المهولة .

وقوله : ﴿ **فإن بغت إحداهما علىٰ الأخرىٰ فقاتلوا التي تبغي حتىٰ تفيء إلىٰ أمر اللّٰه** ﴾ أي : حتىٰ ترجع إلىٰ أمر اللّٰه وتسمع للحق وتطيعه ، كما ثبت في الصحيح عن أنس؛ أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم؛ قال : « **انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا** » . قلت : يا رسول اللّٰه ، هذا نصرته مظلومًا فكيف أنصره ظالمًا ؟ قال : « **تمنعه من الظلم ؛ فذاك نصرك**

= والحديث أخرجه الترمذي ، في كتاب الفتن ، باب : ما جاء في لزوم الجماعة ، حديث (٢١٦٦)(٦/ ٣٣٣) ، والحاكم (١/ ١١٤) ، والطيالسي (ص ٧) ، والحميدي (١/ ١٩، ٢٠) (٣٢) .

قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

وصحح الشيخ أحمد شاكر إسناد هذا الحديث في تعليقه على المسند .

(٣٢) - أخرجه البخاري في كتاب : الصلح ، باب : قول النبي - صلى الله عليه وسلم - للحسن بن علي - رضي الله عنهما - : « **إن ابني هذا سيد ...** » حديث (٢٧٠٤) (٥/ ٣٠٦ - ٣٠٧) .

---

[١] - في ز : إلا .

[٢] - في ز : والوقعات .

إياه »(٣٣) .

قال[١] الإمام أحمد : حدثنا عارم ، حدثنا معتمر ؛ قال[٢] : سمعت أبي يحدث أن أنسًا قال : قيل للنبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : لو أتيت عبد اللَّه بن أبيّ ؟ فانطلق إليه نبي اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم وركب حمارًا ، وانطلق المسلمون يمشون ، وهي أرض سَبخَةٌ ، فلما انطلق إليه النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **إليك عني ، فواللَّه لقد آذاني ريح حمارك . فقال رجل من الأنصار : واللَّه لحمار رسول اللَّه أطيب ريحًا منك . قال : فغضب لعبد اللَّه رجال من قومه ، فغضب لكل واحد منهما أصحابه ، قال : فكان بينهم ضرب بالجريد والأيدي والنعال ، فبلغنا أنه أنزلت فيهم : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما »** (٣٤) .

ورواه البخاري في « **الصلح** » عن مسدد(٣٥) ، ومسلم(٣٦) في المغازي عن محمد بن عبد الأعلىٰ ، كلاهما عن المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، به نحوه .

وذكر سعيد بن جبير ؛ أن الأوس والخزرج كان بينهما قتال بالسعف والنعال ، فأنزل اللَّه هذه الآية ، فأمر بالصلح بينهما .

وقال السدي : كان رجل من الأنصار يقال له « **عمران** » ، كانت له امرأة تدعىٰ أم زيد ، وإن المرأة أرادت أن تزور أهلها فحبسها زوجها ، وجعلها في عُلّيّة له لا يدخل عليها أحد من أهلها ، وإن المرأة بعثت إلى أهلها فجاء قومها [وأنزلوها لينطلقوا][٣] بها ، وإن الرجل قد كان خرج ، فاستعان أهل الرجل ، فجاء بنو عمه ليحولوا[٤] بين المرأة وبين أهلها ، فتدافعوا واجتلدوا بالنعال ، فنزلت فيهم هذه الآية . فبعث إليهم رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم وأصلح بينهم ، وفاءوا إلىٰ أمر اللَّه .

---

(٣٣) - أخرجه البخاري في كتاب : المظالم ، باب : انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا حديث (٢٤٤٣) (٥/ ٩٨) ، وأطرافه في (٢٤٤٤، ٦٩٥٢) .

(٣٤) - أخرجه أحمد (١٥٧/٣) برقم (١٢٦٢٨) .

(٣٥) - أخرجه البخاري في كتاب : الصلح ، باب : ما جاء في الإصلاح بين الناس ، حديث (٢٦٩١) (٢٩٧/٥) .

(٣٦) - أخرجه مسلم في كتاب : الجهاد والسير ، باب : في دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - وصبره على أذى المنافقين ، حديث (١٧٩٩/١١٧) (٢٢٠/١٢ - ٢٢١) .

---

[١] - في ت : وقال .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - في ز : وأهلوها ينطلبوا .

[٤] - في ز : ليموموا . كذا .

وقوله : ﴿ **فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين** ﴾ أي : اعدلوا بينهم فيما كان أصاب بعضهم لبعض ، بالقسط ، وهو العدل ، ﴿ **إن الله يحب المقسطين** ﴾ .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي ، حدثنا عبد الأعلىٰ ، عن معمر ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن عبد الله بن عمرو؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ قال : « **إن المقسطين في الدنيا علىٰ منابر من لؤلؤ بين يدي الرحمن ، بما أقسطوا في الدنيا** »(٣٧) .

ورواه النسائي عن محمد بن المثنىٰ عن عبد الأعلىٰ به(٣٨) . وهذا إسناد جيد قوي رجاله على شرط الصحيح.

وحدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عمرو بن أوس ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم، قال : « **المقسطون عند الله يوم القيامة علىٰ منابر من نور علىٰ يمين العرش ، الذين يعدلون في حكمهم وأهاليهم وما وَلُوا** » .

ورواه مسلم والنسائي من حديث سفيان بن عيينة به(٣٩) .

وقوله : ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ أي : الجميع إخوة في الدين ، كما قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه** »(٤٠) .

---

(٣٧) - أخرجه أحمد (١٥٩/٢) ، وابن أبي شيبة في مصنفه في كتاب الجنة ، باب : ما ذكر في الجنة وما فيها مما أعد لأهلها ، حديث (٨٣) (٨١/٨) ومن طريقه الحاكم (٨٨/٤) .
وصححه ووافقه الذهبي .
كلهم يرونه من طريق عبد الأعلى عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنه - به .
والحديث صححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند .
وللحديث طريق آخر عن عبد الله بن عمرو عند مسلم في كتاب الإمارة ، باب : فضيلة الإمام العادل ، حديث (١٨٢٧/١٨) (٢٩١/١٢) بلفظ « إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن - عز وجل - وكلتا يديه يمين ؛ الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا » .

(٣٨) - أخرجه النسائي في الكبرى في كتاب القضاء ، باب : ذكر الاختلاف على الزهري في هذا الحديث ، حديث (٥٩١٧) (٤٦٠/٣) بنحو رواية مسلم السالفة في الحديث السابق .

(٣٩) - أخرجه مسلم ١٨٢٧/١٨) ، والنسائي (٢٢١/٨) كلاهما من طريق سفيان بن عيينة بالإسناد السابق .

(٤٠) - متفق عليه ، أخرجه البخاري في كتاب المظالم ، باب : لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه ، =

وفي الصحيح: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»(٤١) .

وفي الصحيح أيضًا: «إذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب قال الملك: آمين، ولك بمثله»(٤٢) .

والأحاديث في هذا كثيرة، وفي الصحيح: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتواصلهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائر الجسد بالحمىٰ والسهر»(٤٣) .

وفي الصحيح أيضًا: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا- وشبك بين أصابعه»(٤٤) .

وقال أحمد: حدثنا أحمد بن الحجاج، حدثنا عبد الله، أخبرنا مصعب بن[١] ثابت، حدثني أبو [حازم، قال][٢]: سمعت سهل بن سعد الساعدي يُحدّث عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، قال: «إن المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد لما في الرأس» تفرد به(٤٥) ، ولا بأس بإسناده.

= حديث (٢٤٤٢) (٩٧/٥) وطرفه في (٦٩٥١)، ومسلم في البر والصلة، باب: «تحريم الظلم»، حديث (٢٥٨٠/٥٨) (٢٠٣/١٦) .

(٤١) - أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، حديث (٢٦٩٩/٣٨) (٣٤/١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤٢) - أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب، حديث (٨٥، ٢٧٣٢/٨٦) (١٧/ ٧٧، ٧٨) عن أبي الدرداء - رضي الله عنه، (٢٧٣٣/٨٧) (٧٨/١٧ - ٧٩) من حديث أم الدرداء - رضي الله عنها .

(٤٣) - أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم، حديث (٦٠١١) . ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب: «تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث (٦٦ و ٢٥٨٦/٦٧) (١٦/ ٢١٠، ٢١١) . كلاهما من حديث النعمان بن بشير - رضي الله عنه .

(٤٤) - أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب: تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، حديث (٤٨١) (٥٦٥/١) وطرفاه في (٢٤٤٦، ٦٠٢٦) . ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث (٢٥٨٥/٦٥) (٢١٠/١٦) . كلاهما من حديث أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه .

(٤٥) - رجاله رجال الصحيح عدا مصعب بن ثابت لين الحديث كما في التقريب . والحديث أخرجه أحمد (٣٤٠/٥)، والطبراني في الكبير (١٣١/٦) (٥٧٤٣) كلاهما من طريق أحمد بن الحجاج بهذا الإسناد .

---

[١] - في ز: عن . [٢] - ما بين المعكوفين في ز: حاتم .

وقوله : ﴿ **فأصلحوا بين أخويكم** ﴾ ، يعني : الفئتين المقتتلتين ، ﴿ **واتقوا الله** ﴾ أي : في جميع أموركم ﴿ **لعلكم ترحمون** ﴾ ، وهذا تحقيق منه تعالىٰ للرحمة لمن اتقاه .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (١١)

ينهى تعالىٰ عن السخرية بالناس ، وهو احتقارهم[١] والاستهزاء بهم ، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « **الكبر بَطَر الحق وغمص الناس** »(٤٦) ويروىٰ « **وغمط الناس** » . والمراد من ذلك احتقارهم واستصغارهم ، وهذا حرام ، فإنه قد يكون المحتقر أعظم قدرًا عند الله وأحب إليه من الساخر منه المحتقر له ، ولهذا قال : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ؛ لا يسخر قوم من قوم عسىٰ أن يكونوا خيرًا منهم ولا نساء من نساء عسىٰ أن يكن خيرًا منهن** ﴾ ، فنص علىٰ نهي الرجال وعطف بنهي النساء .

وقوله : ﴿ **ولا تلمزوا أنفسكم** ﴾ أي : لا تلمزوا الناس . والهماز اللماز من الرجال مذموم ملعون ، كما قال : ﴿ **ويل لكل همزة لمزة** ﴾ فالهمز بالفعل واللمز بالقول ، كما قال : ﴿**همّاز مشّاء بنميم**﴾ أي : يحتقر الناس ويهمزهم طاعنًا عليهم ، ويمشي بينهم بالنميمة وهي[٢] : اللمز بالمقال ، ولهذا قال هاهنا : ﴿ **ولا تلمزوا أنفسكم** ﴾ ، كما قال : ﴿ **ولا تقتلوا أنفسكم** ﴾ أي : لا يقتل بعضكم بعضًا .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جُبَير ، وقتادة ، ومقاتل بن حيان : ﴿ **ولا تلمزوا أنفسكم** ﴾ أي[٣] : لا يطعنُ[٤] بعضكم علىٰ بعض .

وقوله : ﴿ **ولا تنابزوا بالألقاب** ﴾ أي : لا تتداعوا بالألقاب ، وهي التي يسوء الشخصَ

= وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٩٠/٨) وقال : رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ورجال أحمد رجال الصحيح وهو وهم .

(٤٦) - أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب : تحريم الكبر وبيانه ، حديث (٩١/١٤٧) (١١٧/٢ - ١١٨) بلفظ « وغمط » . وأخرجه الترمذي في كتاب « البر والصلة » باب : ما جاء في الكبر ، حديث (٢٠٠٠) (٢١١/٦) بلفظ « وغمص » .

---

[١] - في ز : استحقارهم .
[٢] - في ز : وهو .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ز : يطفر . كذا .

سماعُها .

قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، حدثنا داود بن أبي هند ، عن الشعبي ؛ قال[١] : حدثني أبو جَبيرة بن الضحاك قال : فينا نزلت في بني سَلمة : ﴿ ولا تنابزوا بالألقاب ﴾ ، قال : قدم رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - المدينة وليس فينا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة ، فكان إذا دُعِيَ أحدٌ منهم باسم من تلك الأسماء قالوا : يا رسول الله ، إنه يغضب من هذا . فنزلت : ﴿ ولا تنابزوا بالألقاب ﴾(٤٧) .

ورواه أبو داود عن موسى بن إسماعيل عن وهيب عن داود ، به(٤٨) .

وقوله : ﴿ بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ﴾ أي : بئس الصفةُ والاسم الفسوقُ وهو : التنابز بالألقاب ، كما كان أهل الجاهلية يتناعتون[٢] بعد ما دخلتم في الإسلام وعَقَلتموه .

﴿ ومن لم يتب ﴾ أي : من هذا ﴿ فأولئك هم الظالمون ﴾ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢ ﴾

يقول تعالىٰ ناهيًا عباده المؤمنين عن كثير من الظن ، وهو التهمة والتخون[٣] للأهل والأقارب والناس في غير محله ؛ لأن بعض ذلك يكون إثمًا محضًا ، فليجتنب كثير منه احتياطًا ، وروينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قال : ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك[٤] المسلم إلا خيرًا ، وأنت تجد لها في الخير محملًا .

وقال أبو عبد الله بن ماجه : حدثنا أبو القاسم بن أبي ضَمْرة نصر بن محمد بن سليمان الحمصي ، حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن أبي قيس النصري[٥] ، حدثنا عبد الله بن عمر ، قال : رأيت النبي صلىٰ الله عليه وسلم يطوف بالكعبة ويقول : « **ما أطيبك وأطيب**

(٤٧) - إسناده صحيح ، أخرجه أحمد (٦٩/٤) برقم (١٦٦٩٧) .

(٤٨) - أخرجه أبو داود في كتاب : الأدب ، باب : في الألقاب ، حديث (٤٩٦٢) (٢٩٠/٤ - ٢٩١) . وانظر السابق .

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز : يتعانون .
[٣] - في ز : والتمرن . كذا . بلا نقط .
[٤] - في ز : أصل .
[٥] - في ز : النضري .

ويحك ! ما أعظمك وأعظم حرمتك ! والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند اللَّه حرمةً منك ، ماله ودمه ، وأن يظن به إلا خيرًا »(٤٩) . تفرد به ابن ماجة [من هذا الوجه][١] .

وقال مالك : عن أبي[٢] الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إياكم والظنّ ، فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تجسسوا [ولا تحسسوا][٣] ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد اللَّه إخوانًا** »(٥٠) .

رواه البخاري عن عبد اللَّه بن يوسف ، ومسلم عن يحيىٰ بن يحيىٰ ، وأبو داود [عن العتبي][٤] ، عن مالك به(٥١) .

وقال سفيان بن عُيَيْنَة ، عن الزهري ، عن أنس، قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ، وكونوا عباد اللَّه إخوانًا . ولا يحل للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام** » .

رواه مسلم والترمذي - وصححه - من حديث سفيان بن عيينة به(٥٢) .

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن عبد اللَّه القرمطي العدوي ، حدثنا بكر بن عبد الوهاب

(٤٩) - إسناده ضعيف ؛ لضعف نصر بن محمد بن أبي سليمان بن أبي ضمرة . أخرجه ابن ماجة في كتاب : الفتن ، باب : حرمة دم المؤمن وماله ، حديث (٣٩٣٢) (١٢٩٧/٢) ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٠٠٨) .

(٥٠) - أخرجه مالك في كتاب حسن الخلق ، باب : ما جاء في المهاجرة ، حديث (١٥) (٦٩٢/٢ - ٦٩٣) .

(٥١) - أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب : ﴿ يأيها الذين أمنوا اجتنبوا كثيرًا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ﴾ ، حديث (٦٠٦٦) (٤٨٤/١٠) . ومسلم في كتاب البر والصلة ، باب : تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوهما ، حديث (٢٥٦٣/٢٨) (١٧٩/١٦) . وأبو داود في كتاب الأدب ، باب : في الظن ، حديث (٤٩١٧) (٢٨٠/٤) كلهم من طريق مالك ، لكن رواه عن مالك عند أبي داود عبد الله بن مسلمة .

(٥٢) - أخرجه مسلم في كتاب : البر والصلة ، باب : تحريم التحاسد والتباغض والتدابر ، حديث (٢٣/ ٢٥٥٩) (١٧٥/١٦) . والترمذي في كتاب : البر والصلة ، باب : ما جاء في الحسد ، حديث (١٩٣٦) (١٧٨/٦) ، وقال : حسن صحيح . =

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز : ابن .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ز : وغيره والعنسي ثلاثتهم .

المدني ، حدثنا إسماعيل بن قيس الأنصاري ، حدثني عبد الرحمن بن محمد بن أبي الرجال ، عن أبيه ، عن جده حارثة بن النعمان ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ثلاث لازمات لأمتي : الطيرة ، والحسد ، وسوء الظن** » . فقال رجل : ما يذهبهن يا رسول الله ممن هُنّ فيه ؟ قال : « **إذا حَسَدت فاستغفر الله ، وإذا ظننت فلا تحقق ، وإذا تَطَيّرت فَأمض**[١] » (٥٣) .

وقال أبو داود : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن زيد قال : أتي ابن مسعود -رضي الله عنه- برجل ، فقيل له : هذا فلان تقطر لحيته خمرًا ، فقال عبد الله : إنا قد نُهينا عن التجسس ، ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به سماه ابن أبي حاتم في روايته الوليد بن عقبة بن أبي معيط(٥٤) .

قال[٢] الإمام أحمد : حدثنا هاشم ، حدثنا ليث ، عن إبراهيم بن نشيط[٣] الخَوْلاني ، عن كعب بن علقمة ، عن أبي الهيثم ، عن دخين[٤] كاتب عقبة ؛ قال : قلت لعقبة : إن لنا جيرانًا يشربون الخمر ، وأنا داع لهم الشُّرطَ فيأخذونهم . قال : لا تفعل ، ولكن عظهم وتهددهم . قال : ففعل فلم ينتهوا . قال : فجاءه دُخَين[٥] فقال : إني قد[٦] نهيتهم فلم ينتهوا ، وإني داع لهم الشرط فتأخذهم . فقال له عقبة : ويحك لا تفعل ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **من ستر عورة مؤمن فكأنما استحيا موءودة من قبرها** »(٥٥) ورواه أبو داود والنسائي من حديث الليث بن سعد به نحوه(٥٦) .

= والحديث أخرجه البخاري (٦٠٧٦) ، ومسلم (٢٥٥٩/٢٣) كلاهما من طريق مالك عن الزهري عن أنس بنحوه .

(٥٣) - أخرجه الطبراني (٢٥٨/٣) برقم (٣٢٢٧) . قال الهيثمي في « المجمع » (٨١/٨) : رواه الطبراني وفيه : إسماعيل بن قيس الأنصاري وهو ضعيف .

(٥٤) - إسناده صحيح ، رجاله ثقات رجال الشيخين ، وأخرجه أبو داود في كتاب الأدب ، باب : النهي عن التجسس ، حديث (٤٨٩٠) (٢٧٢/٤ - ٢٧٣) . وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم (٤٠٩٠) .

(٥٥) - إسناده ضعيف ؛ من أجل أبي الهيثم ؛ قال ابن حجر في التهذيب (٦٨١/٢) : مقبول ، أي عند المتابعة وإلا فلين . والحديث أخرجه أحمد (١٥٣/٤) (١٧٤٤٤) ، وانظر التالي .

(٥٦) - إسناده ضعيف كسابقه ، وأخرجه أبو داود في كتاب الأدب ، باب : في الستر عن المسلم ، حديث (٤٨٩٢) (٢٧٣/٤) . والنسائي في الكبرى في كتاب : الرجم ، باب : الترغيب في ستر العورة ، حديث (٧٢٨٣) (٣٠٧/٤ - ٣٠٨) . وضعفه الألباني في الضعيفة برقم (١٢٦٥) .

---

[١] - في ز : فأغض .
[٢] - في ز : وقال .
[٣] - في ز : مشيط .
[٤] - في ز : دحين .
[٥] - في ز : دحين .
[٦] - سقط من ز .

وقال سفيان الثوري ، عن ثور ، عن راشد بن سعد ، عن معاوية ؛ قال : سمعت النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم؛ يقول : « **إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم ، أو : كدت أن تفسدهم** » . فقال أبو الدرداء : كلمة سمعها معاوية من رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم نفعه اللّٰه بها . رواه أبو داود منفردًا[١] به من حديث الثوري ، به (٥٧) .

وقال أبو داود أيضًا : حدثنا سعيد بن عَمْرو الحضرمي ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، حدثنا ضمضم بن زرعة ، عن شريح بن عبيد ، عن جبير بن نفير ، وكَثِير بن مرة ، وعمرو ابن الأسود ، والمقدام بن معد يكرب ، وأبي أمامة ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم؛ قال : « **إن الأمير[٢] إذا ابتغىٰ الريبة[٣] في الناس ، أفسدهم** »(٥٨) .

﴿ **ولا تجسسوا** ﴾ أي : علىٰ بعضكم بعضًا . والتجسس غالبًا يطلق في الشر ، ومنه الجاسوس . وأما التحسس فيكون غالبًا في الخير ، كما قال تعالىٰ إخبارًا عن يعقوب أنه قال : ﴿ **يا بني ؛ اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح اللّٰه** ﴾ ، وقد يستعمل كل منهما في الشر ، كما ثبت في الصحيح أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **لا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد اللّٰه إخوانًا** »(٥٩).

وقال الأوزاعي : التجسس : البحث عن الشيء . والتحسس : الاستماع إلىٰ حديث القوم وهم له كارهون ، [أن يستمع على أدبارهم][٤] . والتدابر : الصَّرْم .رواه ابن أبي حاتم [عنه][٥] .

وقوله : ﴿ **ولا يغتب بعضكم بعضًا** ﴾ : فيه نهي عن الغيبة ، وقد فسرها الشارع كما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود : حدثنا القعنبي ، حدثنا عبد العزيز بن محمد ، عن

---

(٥٧) - إسناده صحيح ، وأخرجه أبو داود في كتاب الأدب ، باب : في النهي عن التجسس حديث (٤٨٨٨) (٢٧٢/٤) . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (٤٠٨٨) .

(٥٨) - أخرجه أبو داود في الموضع السابق برقم (٤٨٨٩) ، وفيه سعيد بن عمرو الحضرمي ، قال عنه الحافظ في التقريب : مقبول : أي عند المتابعة وإلا فلين . لكن يشهد له الحديث الذي قبله . والحديث صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (٤٠٨٩) بما قبله .

(٥٩) - أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب : ما ينهى عن التحاسد والتدابر » ، حديث (٦٠٦٤) (٤٨١/١٠) . ومسلم في كتاب : البر والصلة ، باب : تحريم الظن والتجسس ، حديث (٢٥٦٣/٢٨) (١٧٩/١٦) . كلاهما من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - .

---

[١] - في ز : متفردًا .

[٢] - في ز : الأمر .

[٣] - في ز : القرينة .

[٤] - في ت : أو يتسمع على أبوابهم .

[٥] - سقط من ت .

العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ؛ قال : قيل : يا رسول الله ، ما الغيبة ؟ قال : « **ذكرك أخاك بما يكره** » . قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : « **إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بَهَتَّه** » (٦٠) .

ورواه الترمذي عن قتيبة عن الدراوردي ، به (٦١) . وقال : « **حسن صحيح** » . ورواه ابن جرير عن بندار عن غندر عن شعبة عن العلاء (٦٢) . وهكذا قال ابن عمر ، ومسروق ، وقتادة ، وأبو إسحاق ، ومعاوية بن قرة .

وقال أبو داود : حدثنا مسدد ، حدثنا يحيىٰ ، عن سفيان[١] حدثني علي بن الأقمر[٢] ، عن أبي حذيفة ، عن عائشة ؛ قالت : قلت[٣] للنبي صلىٰ الله عليه وسلم : حسبك من صفية كذا وكذا ! - قال غير مسدد : تعني قصيرة - فقال : « **لقد قلت كلمة لو مُزجت بماء البحر لمَزَجَتْه** » . قالت : وحكيت له إنسانًا فقال صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما أحب أني حكيت إنسانًا وإن لي كذا وكذا** » (٦٣) .

ورواه الترمذي من حديث يحيىٰ القطان ، وعبد الرحمن بن مهدي ، ووكيع ، ثلاثتهم عن سفيان الثوري ، عن علي بن الأقمر ، عن أبي حذيفة سلمة بن صُهَيبة الأرحبي ، عن عائشة به . وقال : « **حسن صحيح** » (٦٤) .

وقال ابن جرير : حدثني ابن أبي الشوارب : حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا سليمان الشيباني ، حدثنا حسان بن المخارق أن امرأة دخلت علىٰ عائشة ، فلما قامت لتخرج أشارت عائشة بيدها إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم أي : إنها قصيرة - فقال النبي صلىٰ الله عليه

(٦٠) - صحيح ، أخرجه أبو داود في كتاب الأدب ، باب : في الغيبة ، حديث (٤٨٧٤) (٤/٢٦٩) .
والحديث بنحوه عند مسلم في كتاب البر والصلة ، باب : تحريم الغيبة ، حديث (٧٠/٢٥٨٩) (١٦/ ٢١٤) من طريق إسماعيل عن العلاء عن ابيه عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٦١) - أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة ، باب : ما جاء في الغيبة ، حديث (١٩٣٥) (٦/١٧٨) .
قال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(٦٢) - أخرجه الطبري (٢٦/١٣٦) .

(٦٣) - إسناده صحيح ، وأخرجه أبو داود في كتاب الأدب ، باب : في الغيبة ، حديث (٤٨٧٥) (٤/ ٢٦٩)

(٦٤) - إسناده صحيح ، وأخرجه الترمذي في كتاب : صفة القيامة ، باب : تحريم الغيبة ، حديث (٢٤٠٥) (٧/١٩٢ - ١٩٤) .

[١] - في ز : بياض .
[٢] - في ز : الأحمر .
[٣] - سقط من ز .

وسلم : « **اغتبتيها** »(٦٥).

والغيبة محرمة بالإجماع ، ولا يستثنىٰ من ذلك إلا ما رَجحت مصلحته ، كما في الجرح والتعديل والنصيحة ، كقوله صلىٰ الله عليه وسلم لما استأذن عليه ذلك الرجل الفاجر : « **ائذنوا له ، بئس أخو العشيرة** »(٦٦) . وكقوله لفاطمة بنت قيس وقد خطبها معاوية وأبو الجهم : « **أما معاوية فصُعلوك ، وأما أبو الجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه** »(٦٧) . وكذا ما جَرَىٰ مجرىٰ ذلك . ثم بقيتها علىٰ التحريم الشديد ، وقد ورد فيها الزجر الأكيد ، ولهذا شبهها تعالىٰ بأكل اللحم من الإنسان الميت ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا فكرهتموه** ﴾ أي : كما تكرهون هذا طبعًا[١] ، فاكرهوا ذاك شرعًا ، فإن عقوبته أشد من هذا . وهذا من التنفير عنها والتحذير منها ، كما قال - عليه السلام - في العائد في هبته : « **كالكلب يقيء ثم يرجع في قيئه** »(٦٨) ، وقد قال : « **ليس لنا مثل السوء** »(٦٩) . وثبت في الصحاح والحسان والمسانيد من غير وجه أنه - عليه السلام - قال في خطبة الوداع : « **إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا** »(٧٠) .

---

(٦٥) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » (١٣٦/١٦) وفيه حسان بن مخارق ذكره ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٢٣٥/٣) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلا ، وبقية رجاله ثقات .

(٦٦) - أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب : ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب ، حديث (٦٠٥٤) (٤٧١/١٠) ، ومسلم في كتاب : البر والصلة ، باب : مداراة من يتقى فحشه ، حديث (٧٣/ ٢٥٩١) (٢١٧/١٦) .

كلاهما من حديث عائشة - رضي الله عنها .

(٦٧) - أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب : الطلاق ، باب : المطلقة ثلاثًا لا نفقة لها ، حديث (٣٦/ ١٤٨٠) (١٣٤/١٠ - ١٣٨) ، (٤٧، ٤٨/١٤٨٠) (١٠/ ١٤٧، ١٤٨) .

(٦٨) - أخرجه البخاري في كتاب : الهبة ، باب : لا يحل لأحد أن يرجع في هبته وصدقته ، حديث (٢٦٢٢) (٢٣٥/٥) ، ومسلم في كتاب « الهبات » ، باب : تحريم الرجوع في الصدقة والهبة ، حديث (١٦٢٢/٥ وما بعده) (٩٢/١١ - ٩٤) . كلاهما من حديث ابن عباس .

(٦٩) - أخرجه البخاري وهو جزء من الحديث السابق .

(٧٠) - متفق عليه من حديث أبي بكرة - رضي الله عنه - أخرجه البخاري في كتاب : العلم ، باب : قول النبي - صلى الله عليه وسلم - « رب مبلغ أوعى من سامع » حديث (٦٧) (١٥٧/١ - ١٥٨) ، وأطرافه في [١٠٥، ١٧٤١، ٣١٩٧، ٤٤٠٦، ٤٦٦٢، ٥٥٥٠، ٧٠٧٨، ٧٤٤٧] . ومسلم في كتاب : القسامة والمحاربين والقصاص والديات ، باب : تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال ، حديث (٢٩، ٣٠/١٦٧٩) (٢٤١/١١ - ٢٤٧) .

---

[١] - سقط من ز .

وقال أبو داود : حدثنا واصل بن عبد الأعلىٰ ، حدثنا أسباط بن محمد ، عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **كل المسلم علىٰ المسلم حرام : ماله وعرضه ودمه ، حسب امرئٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم** »(٧١) .

ورواه الترمذي عن عُبَيد بن أسباط بن محمد ، عن أبيه ، به (٧٢) . وقال : « **حسن غريب** » .

وحدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا الأسود بن عامر ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن الأعمش ، عن سعيد بن عبد اللّٰه بن جُرَيج[١] ، عن أبي بَرْزَةَ الأسلمي ؛ قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه ، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من يتبع عوراتهم يتبع اللّٰه عورته ، ومن يتبع اللّٰه عورته يفضحه في بيته** » . تفرد به أبو داود(٧٣) .

وقد روي من حديث البراء بن عازب ، فقال الحافظ أبو يعلىٰ في مسنده : حدثنا إبراهيم ابن دينار ، حدثنا مصعب بن سلام ، عن حمزة بن حبيب[٢] الزيات ، عن أبي إسحاق السبيعي ، [ ][٣] عن البراء بن عازب ؛ قال : خطبنا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم حتىٰ أسمع العواتق في بيوتها - أو قال : في خدورها[٤] - فقال : « **يا معشر من آمن بلسانه ، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من يتبع عورة أخيه يتبع اللّٰه عورته ، ومن يتبع اللّٰه عورته يفضحه في جوف بيته** » (٧٤) .

---

(٧١) - إسناده صحيح ، وأخرجه أبو داود في كتاب الأدب ، باب : في الغيبة ، حديث (٤٨٨٢) (٤/ ٢٧٠) .

(٧٢) - والترمذي في كتاب : البر والصلة ، باب : « ما جاء في شفقة المسلم على المسلم ، حديث (١٩٢٨) (٦/١٧٤) . والحديث بنحوه عند مسلم في كتاب : البر ، باب : تحريم ظلم المسلم وخذله ، حديث (٣٢/٢٥٦٤) (١٦/١٨٢) .

(٧٣) - إسناده حسن ، سعيد بن عبد الله بن جريج صدوق ربما وهم . والحديث أخرجه أبو داود في كتاب الأدب باب : في الغيبة ، حديث (٤٨٨٠)

وذكره الألباني في صحيح أبي داود ، وقال : حسن صحيح .

(٧٤) - أخرجه أبو يعلى (٣/٢٣٧ - ٢٣٨) برقم (١٦٧٥) ، وهو شاهد لما قبله .

قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٨/٩٦) ، رواه أبو يعلى ورجاله ثقات .

---

[١] - في ز : خديج .

[٢] - في ز : حنيف .

[٣] - في ز : الزيات .

[٤] - في ز : خدرها .

(طريق أخرىٰ) ، عن ابن عمر ، قال أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإِسماعيلي : أخبرنا عبد اللَّه بن ناجية ، حدثنا يحيىٰ بن أكثم ، حدثنا الفضل بن موسىٰ الشيباني ، عن الحسين بن واقد ، عن [أوفىٰ بن دلهم][١] ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم؛ قال : « **يا معشر من آمن بلسانه ولم يُفْضِ الإِيمانُ إلىٰ قلبه ، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ؛ فإنه من يتبع عورات المسلمين يتبع اللَّه عورته ، ومن يتبع اللَّه عورته يفضحه ولو في جوف رحله** » . قال : ونظر ابن عمر يومًا إلىٰ الكعبة فقال : ما أعظمك وأعظم حرمتك ، ولَلمؤمن أعظمُ حرمة عند اللَّه منك .

قال أبو داود : وحدثنا حيوة بن شريح ، حدثنا بقية ، عن ابن[٢] ثوبان ، عن أبيه ، عن مكحول ، عن وقاص بن ربيعة ، عن المستورد أنه حدثه : أن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم؛ قال : « **من أكل برجل مسلم أكلة فإن اللَّه يطعمه مثلها في جهنم ، ومن كُسي ثوبًا برجل مسلم فإن اللَّه يكسوه مثله في جهنم . ومن قام برجل مقام سمعة ورياء فإن اللَّه يقوم به مقام سمعة ورياء يوم القيامة** » . تفرد به أبو داود(٧٥)

وحدثنا ابن مصفى ، حدثنا بقية وأبو المغيرة ، قالا[٣] : حدثنا صفوان ، حدثني راشد بن سعد وعبد الرحمن بن جبير ، عن أنس بن مالك؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لما عُرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم ، قلت : من هؤلاء يا جبريل[٤] ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ، ويقعون في أعراضهم** » .

تفرد به أبو داود (٧٦) ، وهكذا رواه الإِمام أحمد ، عن أبي المغيرة عبد القدوس بن الحجاج الشامي به (٧٧) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن عبدة ، حدثنا أبو عبد الصمد عبد

(٧٥) – أخرجه أبو داود في كتاب : الأدب ، باب : في الغيبة ، حديث (٤٨٨١) وفيه مكحول وقد أطلق الذهبي أنه كان يدلس ، وبقية بن الوليد مدلس أيضًا وقد عنعنا ، إلا أن الشيخ الألباني صححه بطرقه في السلسلة الصحيحة برقم (٩٣٤) .

(٧٦) – إسناده حسن ، من أجل ابن مصفى فإنه صدوق له أوهام ، وقد صرح بالتحديث ، وأبو المغيرة تابع بقية ، وعبد الرحمن بن جبير تابع راشد بن سعد .

والحديث أخرجه أبو داود في كتاب : الأدب ، باب : في الغيبة ، حديث (٤٨٧٨) (٢٦٩/٤ – ٢٧٠) .

(٧٧) – أخرجه أحمد (٢٢٤/٣) برقم (١٣٣٦٤) .

[١] – في ز : أول بن وهم .
[٢] – سقط من ز .
[٣] – سقط من ز .
[٤] – في ت : جبرائيل .

العزيز ابن عبد الصمد العمي ، حدثنا أبو هارون العَبْديّ ، عن أبي سعيد الخدري؛ قال : قلنا : يا رسول الله ، حَدّثنا ما رأيت ليلةَ أسريَ بك ؟ ... قال : « **ثم انطلق بي إلىٰ خلق من خلق الله كثير ، رجال ونساء مُوَكّل بهم رجال يعمدون إلىٰ عُرْض جَنب أحدهم فَيَحْذُون منه الحُذْوَة من مثل النعل ثم يضعونه في فِيّ أحدهم ، فيقال له : كل كما أكلت . وهو يجد من أكله الموت - يا محمد - لو**[١] **يجد الموت وهو يكره عليه . فقلت : يا جبريل**[٢] **، من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الهمازون اللمازون أصحاب النميمة . فيقال : ﴿ أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا فكرهتموه ﴾** وهو يكره علىٰ أكل لحمه ...(٧٨)

هكذا أورد هذا الحديث ، وقد سقناه بطوله في أول تفسير « **سورة سبحان** » ولله الحمد .

وقال أبو داود الطيالسي في مسنده : حدثنا الربيع ، عن يزيد ، عن أنس ؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أمر الناس أن يصوموا يومًا ولا يُفطِرَنّ أحد حتىٰ آذن له . فصام الناس فلما أمسوا[٣] جعل الرجل يجيء إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فيقول : ظللت[٤] منذ اليوم صائما ، فائذن لي فأفطرَ . فيأذن له ، ويجيء الرجل فيقول ذلك ، فيأذن له ، حتىٰ جاء رجل فقال : يا رسول الله ، إن فتاتين من أهلك ظلتا منذ اليوم صائمتين ، فائذن لهما فَلْيفطرا . فأعرض عنه ، ثم أعاد ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما صامتا ، وكيف صام من ظل يأكل لحوم الناس ؟ ! اذهب فمرهما إن كانتا صائمتين أن يستقيئا** » . ففعلتا ، فقاءت كل واحدة منهما عَلَقة علقةً[٥] فأتىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم فأخبره ،فقال رسول الله -صلىٰ الله عليه وسلم - : « **لو ماتتا وهما فيهما لأكلتهما النار** »(٧٩) .

إسناد ضعيف ، ومتن غريب . وقد رواه الحافظ البيهقي من حديث يزيد بن هارون : حدثنا سليمان التيمي؛ قال : سمعت رجلا يحدث في مجلس أبي عثمان النهدي عن عبيد مولى رسول الله أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم - وأن رجلًا أتىٰ رسول الله فقال : يا رسول الله ، إن هاهنا امرأتين صامتا ، وإنهما كادتا تموتان من

---

(٧٨) - إسناده ضعيف ؛ أبو هارون العبدي متروك ومنهم من كذبه .

(٧٩) - إسناده ضعيف ؛ يزيد وهو بن أبان الرقاشي زاهد ضعيف .

وأخرجه الطيالسي في مسنده (ص ٢٨٢) برقم (٢١٠٧) .

---

[١] - في ز : وهو .

[٢] - في ت : جبرائيل .

[٣] - في ز : أمنوا .

[٤] - سقط من ز .

[٥] - سقط من ز .

العطش - أراهُ قال : بالهاجرة - فأعرض عنه - أو : سكت عنه - فقال : يا نبي الله ؛ إنهما - والله - قد ماتتا أو كادتا تموتان. فقال : « **ادعهما** » . فجاءتا ، قال : فجيء بقدح - أو عُسّ - فقال لإحداهما : « **قيئي** » . فقاءت من قيح ودم وصديد ، حتى قاءت نصف القدح .ثم قال للأخرى : قيئي . فقاءت قيحًا ودمًا وصديدًا ولحمًا ودمًا عَبيطًا وغيره حتى ملأت القدح . فقال : « **إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما ، وأفطرتا علىٰ ما حرم الله عليهما ، جلست إحداهما إلىٰ**[١] **الأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس** »(٨٠) .

وهكذا قد رواه الإمام أحمد عن يزيد بن هارون ، وابن أبي عدي كليهما[٢] عن سليمان ابن طرخان[٣] التيمي به مثله أو نحوه(٨١) .

ثم رواه أيضًا من حديث مسدد ، عن يحيىٰ القطان ، عن عثمان بن غياث ، حدثني رجل أظنه في حلقة أبي عثمان ،عن سعد مولىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؛ أنهم أمروا بصيام ، فجاء رجل في نصف النهار فقال : يا رسول الله؛ فلانة وفلانة قد بلغتا الجهد .فأعرض عنه مرتين أو ثلاثًا ، ثم قال : « **ادعهما** » . فجاء بعُسٍّ - أو : قَدَحٍ - فقال لإحداهما : « **قيئي** » . فقاءت لحمًا ودَمًا عبيطًا وقيحًا ، وقال للأخرىٰ مثل ذلك ، فقال : « **إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما ، وأفطرتا علىٰ ما حرم الله عليهما ، أتت إحداهما للأخرىٰ فلم تزالا تأكلان لحوم الناس حتىٰ امتلأت أجوافهما قيحًا** »(٨٢) .

قال البيهقي : كذا قال عن سعد ، والأول - وهو عبيد - أصح .

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا عمرو بن الضحاك بن مخلد ، حدثنا أبي أبو عاصم ، حدثنا ابن جريج ، أخبرني أبو الزبير عن ابن عَمّ لأبي هريرة أن ماعزًا جاء إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ؛ إني قد زنيت . فأعرض عنه - قالها أربعا - فلما كان في الخامسة قال : « **زنيت ؟** » . قال : نعم . قال : « **وتدري ما الزنا** » ؟ قال : نعم ، أتيت منها حراما ما يأتي الرجل من امرأته حلالًا . قال : « **ما تريد إلىٰ هذا**

(٨٠) - إسناده ضعيف ؛ لجهالة الرجل الذي يحدث في مجلس أبي عثمان . وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ١٨٦، ١٨٧) .

(٨١) - وأحمد (٥/٤٣١) برقم (٢٣٧٦٥) . قال الهيثمي في « المجمع » (٣/١٧٤) : رواه أحمد كله ورواه أبو يعلى نحوه (٣/١٤٦ - ١٤٧) وفيه رجل لم يسم .

(٨٢) - وأخرجه أحمد (٥/٤٣١) برقم (٢٣٧٦٧) ، (٥/٤٣٢) برقم (٢٣٧٧٤) من طريقين آخرين إلا أن مدار الحديث على هذا الرجل المجهول .

[١] - في ز : على .

[٢] - في ز : كلاهما .

[٣] - في ز : طوعان .

القول » ؟ قال : أريد أن تطهرني . قال : فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أدخلتَ ذلك منك في ذلك منها كما يغيب الميل في المكحلة والعصا**[١] **في البئر** ؟ » . قال : نعم ، يا رسول الله . قال : فأمر برجمه فرُجِمَ ، فسمع النبي صلىٰ الله عليه وسلم رجلين يقول أحدهما لصاحبه : ألم تر إلىٰ هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتىٰ رُجِم رجم الكلب . ثم سار النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - حتىٰ مَرّ بجيفة حمار فقال : « **أين فلان وفلان ؟ انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار** » . قالا : غفر الله لك يا رسول الله ، وهل يُؤكل هذا ؟ قال : « **فما نلتما من أخيكما آنفًا أشد أكلًا منه ، والذى نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها** »(٨٣) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثني أبي ، حدثنا واصل مولى ابن عيينة حدثني خالد بن عرفطة ، عن طلحة بن نافع ، عن جابر بن عبد الله ؛ قال : كنا مع النبي صلىٰ الله عليه وسلم فارتفعت ريح جيفة منتنة ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أتدرون ما هذه الريح ؟هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين**[٢] »(٨٤) .

طريق أخرىٰ ، قال عَبْد بن حُمَيد في مسنده : حدثنا إبراهيم بن الأشعث ، حدثنا الفُضَيل ابن عياض ، عن سليمان ، عن[٣] أبي سفيان - وهو طلحة بن نافع - عن جابر ؛ قال : كنا مع النبي صلىٰ الله عليه وسلم في سفر فهاجت ريح منتنة ، فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن نفرًا من المنافقين اغتابوا ناسًا من المسلمين ، فلذلك بعثت هذه الريح** » . وربما قال : « **فلذلك هاجت هذه الريح** »(٨٥) .

---

(٨٣) - إسناده ضعيف ، من أجل عبد الرحمن بن الصامت ، وهو ابن عم أبي هريرة - رضي الله عنه - قال عنه الحافظ في التقريب : مقبول ، أي عند المتابعة وإلا فلين . والحديث أخرجه من طريق ابن جريج أيضًا : أبو داود في كتاب « الحدود » باب : رجم ماعز بن مالك ، حديث (٤٤٢٨) (١٤٨/٤) . والنسائي في الكبرى في : الرجم ، باب : ذكر استقصاء الإمام على المعترف عنده بالزنا ، حديث (٧١٦٤) ، (٧١٦٥) (٢٧٦/٤ - ٢٧٧) . وابن حبان (٤٣٩٩) (٢٤٤/١٠ - ٢٤٥) ، والدارقطني (٣/ ١٩٦، ١٩٧) في كتاب الحدود (٣٣٩) ، والبيهقي (٢٢٧/٨) في كتاب الحدود ، باب : من قال : لا يقام عليه الحد حتى يعترف أربع مرات . والحديث ذكره الزيلعي في « نصب الراية » (٣٠٨/٣ - ٣٠٩) ، وأعله بعبد الرحمن هذا ، وقال : قال البخاري : وعبد الرحمن بن الصامت لا أراه محفوظًا . وضعفه الألباني في الإرواء برقم (٢٣٥٤) .

(٨٤) - أخرجه أحمد (٣٥٠/٣) برقم (١٤٨٢٧) .

وفيه خالد بن عرفطة وهو : مجهول ، لكنه لم يتفرد به بل تابعه أبو سفيان كما في الحديث التالي .

(٨٥) - حديث حسن .

---

[١] - في ت : والرشاء .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - في ز : بن .

وقال السدي في قوله : ﴿ أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا ﴾ : زعم أن سلمان[١] الفارسي كان مع رجلين من أصحاب النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم [في سفر][٢] يخدمهما ويخف لهما ، وينال من طعامهما ، وأن سلمان لما سار الناس ذات يوم وبقي سلمان نائمًا ، لم يسر معهم ، فجعل صاحباه يكلمانه[٣] فلم يجداه ، فضربا الخباء فقالا : ما يريد سلمان - أو[٤] : هذا العبد - شيئًا غير هذا : أن يجيء إلىٰ طعام مقدور ، وخباء مضروب ! فلما جاء سلمان أرسلاه إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يطلب لهما إدامًا ، فانطلق فأتىٰ رسول اللّٰه ومعه قَدَح له ، فقال : يا رسول اللّٰه ؛ بعثني أصحابي لتؤدمهم إن كان عندك ؟ قال : « **ما يصنع أصحابك بالأدم ؟ قد ائتدموا** » . فرجع سلمان يخبرهما بقول رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فانطلقا حتىٰ أتيا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقالا : لا ، والذي بعثك بالحق ما أصبنا طعامًا منذ نزلنا . قال : « **إنكما قد ائتدمتما بسلمان بقولكما** » . قال : ونزلت : ﴿ أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا ﴾ ، إنه كان نائمًا(٨٦) .

وروى الحافظ الضياء المقدسي[٥] في كتابه « **المختارة** »[٦] من طريق حَبَّان[٧] بن هلال ، عن حماد[٨] بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ؛ قال : كانت العرب تخدم بعضها بعضًا في الأسفار ، وكان مع أبي بكر وعمر رجل يخدمهما ، فناما فاستيقظا ولم يهيئ لهما طعامًا ، فقالا : إن هذا لنئوم[٩] ؛ فأيقظاه فقالا له : ائت رسول اللّٰه فقل له : إن أبا بكر وعمر يقرئانك السلام ، ويستأدمانك . فقال : « **إنهما قد ائتدما** » . فجاءا فقالا : يا رسول اللّٰه ، بأي شيء ائتدمنا ؟ فقال : « **بلحم أخيكما ، والذي نفسي بيده إني لأرىٰ لحمه بين ثناياكما** » . فقالا : استغفر لنا يا رسول اللّٰه . فقال : « **مرَاه فليستغفر لكما** » .

وقال الحافظ أبو يعلىٰ : حدثنا الحكم[١٠] بن موسىٰ ، حدثنا محمد بن مسلم ، عن

= أخرجه عبد بن حميد كما في « المنتخب » (ص ٣١٥) برقم (١٠٢٨) .
وقد تابع فيه أبو سفيان وهو : طلحة بن نافع خالد بن عرفطة وهو صدوق ، غير أنه من طريق إبراهيم بن الأشعث البخاري ، إلا أن إبراهيم لم يتفرد به بل تابعه مسدد عند البخاري في الأدب المفرد (٧٣٣) .
والحديث حسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد ، وفي غاية المرام برقم (٤٢٩) .

[١] - في ز : سليمان .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ز : يكلماه .
[٤] - في ز : أن .
[٥] - في ز : الذي .
[٦] - في ز : المختار .
[٧] - في ز : حسان .
[٨] - بياض في ز .
[٩] - في ز : « ليواتيهم يوم بينكم » .
[١٠] - في ز : الحاكم .

محمد بن إسحاق ، عن عمه موسىٰ بن يسار ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **من أكل من لحم أخيه في الدنيا ، قرب له لحمه في الآخرة ، فيقال له : كله ميتًا كما أكلته حيًا** » . قال : « **فيأكله ويَكْلَح ويصيح** »(٨٧) غريب جدًا .

وقوله : ﴿ **واتقوا اللَّه** ﴾ أي : فيما أمركم به ونهاكم عنه ، فراقبوه في ذلك واخشوا منه ، ﴿ **إن اللَّه تواب رحيم** ﴾ ، أي : تواب علىٰ من تاب إليه ، رحيم بمن رجع إليه ، واعتمد عليه .

قال الجمهور من العلماء : طريق المغتاب للناس في توبته أن يقلع عن ذلك ، ويعزم علىٰ أن لا يعود . وهل يشترط الندم علىٰ ما فات ؟ فيه نزاع ، وأن يتحلل من الذي اغتابه . وقال آخرون : لا يشترط أن يتحلله فإنه إذا أعلمه بذلك ربما تأذىٰ أشد مما إذا لم يعلم بما كان منه ، فطريقه إذًا أن يثني عليه بما فيه في المجالس التي كان يذمه فيها ، وأن يرد عنه الغيبة بحسبه وطاقته ، فتكون تلك بتلك ، كما قال الإمام أحمد :

حدثنا أحمد بن الحجاج ، أخبرنا[١] عبد اللَّه ، أخبرنا [يحيىٰ بن][٢] أيوب ، عن عبد اللَّه بن سليمان ؛ أن إسماعيل بن يحيىٰ المعافري أخبره أن سهل بن معاذ بن أنس الجهني أخبره ، عن أبيه ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ؛ قال : « **من حمى مؤمنًا من منافق يعيبه[٣] ، بعث اللَّه إليه[٤] ملكًا يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم . ومن رمىٰ مؤمنًا بشيء يريد شينه[٥] ، حبسه اللَّه علىٰ جسر جهنم حتىٰ يخرج مما[٦] قال** »(٨٨) .

وكذا رواه أبو داود من حديث عبد اللَّه – وهو ابن المبارك – به بنحوه(٨٩) .

---

(٨٦) – أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في الدر المنثور للسيوطي (١٠٢/٦) .

(٨٧) – إسناده ضعيف ؛ لعنعنة ابن إسحاق وأخرجه الطبراني في « الأوسط » (١٨٢/٢) (١٦٥٦) من طريق محمد بن مسلمة بهذا الإسناد . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٩٥/٨) : رواه الطبراني في الأوسط وفيه ابن إسحاق وهو مدلس .

(٨٨) – إسناده ضعيف ؛ من أجل إسماعيل بن يحيى المعافري فإنه مجهول كما في التقريب . والحديث أخرجه أحمد (٤٤١/٣) برقم (١٥٦٩١) .

(٨٩) – سنن أبي داود كتاب : الأدب ، باب : من رد عن مسلم غيبة ، حديث (٤٨٨٣) (٢٧٠/٤ – ٢٧١) . وحسنه الألباني في صحيح أبي داود برقم (٤٠٨٦) .

---

[١] – في ز : حدثنا .

[٢] – بياض في ز .

[٣] – في ز : يغتبه .

[٤] – بياض في ز .

[٥] – في ز : سبته .

[٦] – في ز : بما .

وقال أبو داود أيضًا : حدثنا إسحاق بن الصباح ، حدثنا ابن أبي مريم ، أخبرنا الليث : حدثني يحيىٰ بن سليم أنه سمع إسماعيل بن بَشِير ؛ يقول : سمعت جابر بن عبد اللّٰه ، وأبا طلحة ابن سهل الأنصاري ؛ يقولان : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ما من امرئ يخذل امرءًا مسلمًا في موضع تُنتَهك فيه حُرمته ويُنتقص فيه من عرضه ، إلا خذله اللّٰه في مواطن يحب فيها نصرته . وما من امرئ ينصر امرءًا[١] مسلمًا في موضع ينتقص فيه من عرضه ، [وينتهك فيه من حرمته][٢] ، إلا نصره اللّٰه في مواطن يحب فيها نصرته** » . تفرد به أبو داود (٩٠) .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا للناس أنه خلقهم من نفس واحدة ، وجعل منها زوجها ، وهما آدم وحواء ، وجعلهم شعوبًا وهي أعم من القبائل ، وبعد[٣] القبائل مراتب أُخر كالفصائل والعشائر [والعمائر والأفخاذ][٤] وغير ذلك .

وقيل : المراد بالشعوب بطون العجم ، وبالقبائل بطون العرب ، كما أن الأسباط بطون بني إسرائيل . وقد لخصت هذا في مقدمة مفردة جمعتها من كتاب « **الإنباه** »[٥] لأبىٰ عمر بن عبد البر ، ومن كتاب « **القَصْد والأمم ، في معرفة أنساب العرب والعَجم** » . فجميع الناس في الشرف بالنسبة الطينية[٦] إلىٰ آدم وحواء سواء ، وإنما يتفاضلون بالأمور الدينية ، وهي طاعة اللّٰه ومتابعة رسوله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ؛ ولهذا قال تعالىٰ بعد النهي عن الغيبة واحتقار بعض الناس بعضًا ، منبهًا علىٰ تساويهم في البشرية : ﴿ **يا أيها الناس ؛ إنا خلقناكم من ذكر وأنثىٰ وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا** ﴾ أي : ليحصل التعارفُ بينهم ، كل يرجع إلىٰ قبيلته .

---

(٩٠) - إسناده ضعيف .
أخرجه أبو داود في كتاب : الأدب ، باب : من رد عن مؤمن غيبة ، حديث (٤٨٨٤) (٢٧١/٤) .
وفيه إسماعيل بن بشير ، وهو مولى بني مَغَالة ، والراوي عنه يحيى بن سليم - وهو ابن زيد - كلاهما مجهولان .

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ز : ويعرفه .
[٤] - في ز : والعماء والاتخاذ .
[٥] - في ز : الأشباه .
[٦] - في ز : اللطيفة .

وقال مجاهد في قوله: ﴿لتعارفوا﴾ كما يقال فلان بن فلان من كذا وكذا. أي: من قبيلة كذا وكذا.

وقال سفيان الثوري: كانت حمير ينتسبون إلى مخاليفها[١]، وكانت عرب الحجاز ينتسبون إلى قبائلها.

وقد قال أبو عيسى الترمذي: حدثنا أحمد بن[٢] محمد، حدثنا عبد الله بن المبارك عن عبد الملك بن عيسى الثقفي، عن يزيد[٣] مولى المنبعث عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**تَعَلَّموا من أنسابكم ما تصلون به[٤] أرحامكم، فإن صلة الرحم مَحَبَّةٌ في الأهل، مَثْرَاة في المال، مَنْسَأة في الأثر**». ثم قال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه(٩١).

وقوله: ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ أي: إنما تتفاضلون عند الله بالتقوى لا بالأحساب. وقد وردت الأحاديث بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

قال البخاري -رحمه الله-: حدثنا محمد بن سلام، حدثنا عبدة، عن عبيد الله، عن سعيد بن أبي سعيد، عن أبي هريرة؛ قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيّ الناس أكرم؟ قال: «**أكرمهم عند الله أتقاهم**». قالوا: ليس عن هذا نسألك. [قال: «**فأكرم الناس يوسف نبي الله، ابن نبي الله، ابن خليل الله**». قالوا: ليس عن هذا نسألك!][٥]. قال: «**فعن معادن العرب تسألوني؟**» قالوا: نعم. قال: «**فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا**»(٩٢).

(٩١) - أخرجه الترمذي في كتاب: البر والصلة باب: ما جاء في تعليم النسب، حديث (١٩٨٠) (٦/ ٣٠٠). وفيه عبد الملك بن عيسى الثقفي، قال فيه الحافظ: مقبول - أي عند المتابعة. وضعف الترمذي هذا الحديث بقوله: غريب. ولعجز الحديث شاهد في الصحيح من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «**من سره أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه**». أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: من بسط له في الرزق بصلة الرحم، حديث (٥٩٨٥) (١٠/٤١٥).

(٩٢) - أخرجه البخاري في كتاب: التفسير، باب: ﴿**لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين**﴾، حديث (٤٦٨٩) (٨/٣٦٢).

[١] - في ز: محاليفها.
[٢] - في ز: حدثنا.
[٣] - في ز: زيد.
[٤] - سقط من ز.
[٥] - ما بين المعكوفين سقط من ز.

وقد رواه البخاري في غير موضع من طرق عن عَبْدَة[١] بن سليمان(٩٣) . ورواه النسائي في التفسير من حديث عُبيد الله - وهو ابن عُمَر العُمَري -به(٩٤) .

(حديث آخر) ، قال مسلم -رحمه الله- : حدثنا عَمْرو[٢] الناقد، حدثنا كثير بن هشام ، حدثنا جعفر بن بُرْقان ، عن يزيد بن الأصَمّ ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن الله لا ينظر إلىٰ صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر إلىٰ قلوبكم وأعمالكم** »(٩٥) . ورواه ابن ماجة عن أحمد بن سنان عن كثير بن هشام به(٩٦) .

(حديث آخر) ، وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، عن أبي هلال ، عن بكر ، عن أبي [ذر؛ قال][٣] : إن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال [ ][٤] : « **انظر ، فإنك لست بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوىٰ** »(٩٧) . تفرد به أحمد .

(حديث آخر) ، وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا أبو عُبَيدة عبد الوارث بن إبراهيم العسكري ، حدثنا عبد الرحمن بن عمرو بن جَبَلة ، حدثنا عُبيد بن حُنَين الطائي ، سمعت محمد ابن حَبيب بن خَرَاش العَصري[٥] يحدث عن أبيه ؛ أنه سمع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ يقول : « **المسلمون إخوة ، لا فضل لأحد علىٰ أحد إلا بالتقوىٰ** »(٩٨) .

---

(٩٣) - أخرجه البخاري في كتاب : أحاديث الأنبياء ، باب : قول الله تعالى : ﴿ **واتخذ الله إبراهيم خليلًا** ﴾ ، حديث (٣٣٥٣) (٣٨٧/٦) قال : حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا عبيد الله ، قال : حدثني سعيد بن أبي سعيد ، عن أبيه عن أبي هريرة .. فذكره . وأطرافه في [٣٣٧٤، ٣٣٨٣، ٣٤٩٠] .

(٩٤) - وأخرجه النسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، تفسير سورة يوسف ، باب : قوله تعالى : ﴿ **لقد كان في يوسف وإخوته** ﴾ ، حديث (١١٢٤٩) (٣٦٧/٦) .

(٩٥) - أخرجه مسلم في كتاب : البر والصلة ، باب : تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ..، حديث (٢٥٦٤/٣٤) .

(٩٦) - وابن ماجة في كتاب « الزهد » ، باب : القناعة ، حديث (٤١٤٣) (١٣٨٨/٢) .

(٩٧) - مرسل . أخرجه أحمد في مسنده (١٥٨/٥) برقم (٢١٤٨٧) . قال في جامع التحصيل (١٥٠) : بكر بن عبد الله المزني عن أبي ذر ، قال أبو حاتم : هو مرسل . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٨/ ٨٧) : رواه أحمد ورجاله ثقات ، إلا أن بكر بن عبد الله المزني لم يسمع من أبي ذر .

(٩٨) - ضعيف جدًّا .

---

[١] - في ز : عبيدة .

[٢] - في ز : عمر .

[٣] - في ز : ذكر .

[٤] - في ت : له .

[٥] - في ز : المعصري .

(حديث آخر) ، قال أبو بكر البزار في مسنده : حدثنا أحمد بن يحيىٰ الكوفي ، حدثنا الحسن بن الحسين ، حدثنا قيس - يعني ابن الربيع - عن شبيب بن غرقدة ، عن المستظل ابن حُصين ، عن حذيفة قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **كلكم بنو آدم ، وآدم خلق من تراب ، ولَيَنتَهِينّ قوم يفخرون بآبائهم أو ليكونُنّ أهونَ علىٰ اللَّه من الجِعْلان**»(٩٩) . ثم قال : لا نعرفه عن حذيفة إلا من هذا الوجه .

(حديث آخر) ؛ قال ابن أبي حاتم : حدثنا الربيع بن سليمان ، حدثنا أسد بن موسىٰ ، حدثنا يحيىٰ بن زكريا القطان[١] ، حدثنا موسىٰ بن عُبيدة ، عن عبد اللَّه بن دينار ، عن ابن عمر ؛ قال : طاف رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يوم فتح مكة علىٰ ناقته القَصواء يستلم الأركان بِمِحْجَن في يده ، فما وجد لها مُنَاخًا في المسجد حتىٰ نزل صلىٰ اللَّه عليه وسلم علىٰ أيدي الرجال ، فخرج بها إلىٰ بطن المسيل فأُنيخَت . ثم إن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم خَطَبهم علىٰ راحلته ، فحمد اللَّه وأثنىٰ عليه بما هو له أهل ثم قال : « **يا أيها الناس ؛ إن اللَّه قد أذهب عنكم عُبّيّة[٢] الجاهلية وتعظمها بآبائها ، فالناس رجلان : رجل بَرّ تقي كريم علىٰ اللَّه . وفاجر شقي[٣] هين علىٰ اللَّه ، إن اللَّه يقول : ﴿ يا أيها الناس ؛ إنا خلقناكم من ذكر وأنثىٰ وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند اللَّه أتقاكم إن اللَّه عليم خبير ﴾** » . ثم قال : « **أقول قولي هذا وأستغفر اللَّه لي ولكم** »(١٠٠) .

وهكذا رواه عبد بن حميد عن أبي عاصم الضحاك بن مخلد عن موسى بن عبيد به(١٠١) .

= أخرجه الطبراني في « الكبير » (٢٥/٤) برقم (٣٥٤٧) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٨٧/٨) : رواه الطبراني وفيه عبد الحميد بن عمرو بن جبله ، وهو متروك . قال ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٢٦٧/٥) : كتبت عنه بالبصرة ، وكان يكذب فضربت على حديثه .

(٩٩) - إسناده ضعيف . أخرجه البزار - كما في مختصر زوائد المسند (٢٢٤/١ - ٢٢٥) (١٧٤٦) . وقال : الحسن هو العرني : ضعيف . قال الحافظ : وشيخه لين .

(١٠٠) - إسناده ضعيف ؛ من أجل موسى بن عبيدة قال عنه الحافظ في التقريب : ضعيف ولا سيما في عبد الله بن دينار (٥٥٢/٢) .

(١٠١) - وأخرجه عبد بن حميد في مسنده (ص ٢٥٣ - منتخب) (٧٩٥) . ويشهد لبعض معاني الحديث ما رواه أبو داود في كتاب الأدب ، باب : في التفاخر بالأحساب ، حديث (٥١١٦) (٣٣١/٤) . والترمذي في كتاب : المناقب ، باب : فضل الشام واليمن ، حديث (٣٩٥٠) . =

[١] - في ز : لفظا .

[٢] - في ز : عتبة . [٣] - في ز : يتقى .

(حديث آخر) ، قال الإمام أحمد : حدثنا يحيىٰ بن إسحاق ، حدثنا ابن لهيعة ، عن الحارث ابن يزيد ، عن علي بن رَبَاح ، عن عقبة[١] بن عامر ؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؛ قال [٢] : « **إن أنسابكم هذه ليست بِمَسبّة علىٰ أحد ، كلكم بنو آدم طَفُّ الصاع لم يملؤه ، ليس لأحد على أحد فضل إلا بدين[٣] وتقوى وكفى بالرجل أن يكون بذيًّا[٤] بخيلًا فاحشًا** »(١٠٢) .

وقد رواه ابن جرير ، عن يونس ، عن ابن وهب ، عن ابن لهيعة به . ولفظه : « **الناس لآدم وحواء ، طَفُّ الصاع لم يملؤه ، إن الله لا يسألكم عن أحسابكم ولا عن أنسابكم يوم القيامة ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم** »(١٠٣) . وليس هو في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه .

(حديث آخر) ، قال الإمام أحمد : حدثنا أحمد بن عبد الملك ، حدثنا شريك ، عن سماك ، عن عبد الله بن عَميرة زوج دُرة بنة أبي لهب عن درة بنة أبي لهب ؛ قالت : قام رجل إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم وهو علىٰ المنبر فقال : يا رسول الله ؛ أي الناس خير ؟ فقال صلىٰ الله عليه وسلم : « **خير الناس أقرؤهم ، وأتقاهم لله - عز وجل - وآمرهم بالمعروف ، وأنهاهم عن المنكر ، وأوصلهم للرحم** »(١٠٤) .

(حديث آخر) ، قال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا أبو الأسود ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة ؛ قالت : ما أعجب رسول الله صلىٰ الله عليه

= وكلاهما حسنه الألباني في صحيح السنن من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه.

(١٠٢) - حسن إسناده ضعيف ؛ لضعف ابن لهيعة . أخرجه أحمد (١٥٨/٤) برقم (١٧٤٩٤) ، وأخرجه أيضًا (١٤٥/٤) برقم (١٧٣٦١) . والطبراني في الكبير (٢٩٥/١٧) برقم (٨١٤) من طريقين عن ابن لهيعة . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٨٧/٨) : رواه أحمد والطبراني ، وفيه ابن لهيعة وفيه لين ، وبقية رجاله وثقوا .

(١٠٣) - إسناده حسن ؛ لأن ابن وهب لم يرو عن ابن لهيعة بعد الاختلاط . أخرجه الطبري (٢٦/ ١٤٠) .

(١٠٤) - إسناده ضعيف . أخرجه أحمد (٤٣٢/٦) ، والطبراني (٢٥٧/٢٤ - ٢٥٨) برقم (٦٥٧) . كلاهما من طريق شريك . وفيه شريك بن عبد الله النخعي ضُعِّف في الحديث . وعبد الله بن عميرة ذكره ابن حجر في التعجيل ، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا .

وزوج درة لعله دحية بن خليفة الكلبي ، فقد ذكر الحافظ في الإصابة أنه تزوجها بعد مقتل زوجها =

---

[١] - في ز : عيينة .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ت : بلين .
[٤] - في ز : بدنا .

وسلم شيء من الدنيا ، ولا أعجبه أحد قط ، إلا ذو تقىٰ. تفرد به أحمد، رحمه الله (١٠٥) .

وقوله : ﴿ إن الله عليم خبير ﴾ أي : عليم بكم ، خبير بأموركم ، فيهدي من يشاء ، ويضل من يشاء ، ويرحم من يشاء ، ويعذب من يشاء ، ويفضل من يشاء علىٰ من يشاء ، وهو الحكيم العليم الخبير في ذلك كله . وقد استدل بهذه الآية الكريمة، وهذه الأحاديث الشريفة ، من ذهب من العلماء إلىٰ أن الكفاءة في النكاح لا تشترط ، ولا يشترط سوىٰ الدين ، لقوله : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ . وذهب الآخرون إلىٰ أدلة أخرىٰ مذكورة في كتب الفقه، و[قد ذكرنا][١] طرفًا من ذلك في « كتاب الأحكام » ، ولله الحمد والمنة . وقد[٢] روىٰ الطبراني عن عبد الرحمن أنه سمع رجلًا من بني هاشم يقول : أنا أولى الناس برسول الله. فقال: غيرك أولى به منك ولك منه نسبه[٣] (١٠٦) .

﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ

= يبدر كافرًا .

قال ابن الأثير في « أسد الغابة » (١٠٤/٧) : وقد روى عن شريك ، عن عبد الله بن عميرة ، عن رجل عن زوج درة بنت أبي لهب عن بنت أبي جهل وهو وهم .

أخرجه الثلاثة .اهـ .

قال الهيثمي في « المجمع » (٢٦٦/٧) : رواه أحمد ، والطبراني ورجالهما ثقات وفي بعضهم كلام لا يضر .

(١٠٥) - إسناده ضعيف ؛ لضعف ابن لهيعة ، أخرجه أحمد (٦٩/٦) برقم (٢٤٥١١) .

قال الهيثمي في « المجمع » (٨٧/٨) : رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وهو لين ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(١٠٦) - إسناده ضعيف . أخرجه الطبراني في « الكبير » (١/ ١٣٤ - ١٣٥) برقم (٢٨٣) .

قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٨٧/٨) : رواه الطبراني عن شيخه المقدام بن داود وهو ضعيف .

[١] - سقط من ز . [٢] - سقط من ز .

[٣] - سقط من ز .

﴿ ... ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

يقول تعالىٰ منكرًا علىٰ الأعراب الذين أول ما دخلوا في الإسلام ادّعوا لأنفسهم مقام الإيمان ، ولم يتمكن الإيمان في قلوبهم بعد : ﴿ **قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا : أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم** ﴾ .وقد استفيد من هذه الآية الكريمة أن الإيمان أخص من الإسلام كما هو مذهب أهل السنة والجماعة ، ويدل عليه حديث جبريل - عليه السلام - حين سأل عن الإسلام ، ثم عن الإيمان ، ثم عن الإحسان(١٠٧) ، فترقىٰ من الأعم إلىٰ الأخص ، ثم للأخص منه .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن عامر بن سعد ابن أبي وقاص ، عن أبيه قال : أعطىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم رجالًا ولم يعط رجلًا منهم شيئًا ، فقال سعد : يا رسول الله ، أعطيت فلانًا وفلانًا ولم تُعط فلانًا شيئًا ، وهو مؤمن ؟ فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **أوْ مُسْلم** » . حتىٰ أعادها سعد ثلاثًا ، والنبي صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **أوْ مسلم** » . ثم قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **إني لأعطي رجالًا وأدع من هو أحب إليّ منهم فلا أعطيه شيئًا مخافة أن يكبوا في النار على وجوههم** »(١٠٨) .

أخرجاه في الصحيحين من حديث الزهري به(١٠٩) .

فقد فرق النبي صلىٰ الله عليه وسلم بين المسلم والمؤمن فَدَلّ علىٰ أن الإيمان أخص من الإسلام . وقد قررنا ذلك بأدلته في أول شرح كتاب الإيمان من « **صحيح البخاري** » ولله الحمد والمنة . ودَلّ ذلك علىٰ أن ذاك الرجل كان مسلمًا ليس منافقًا ؛ لأنه تركه من العطاء،

(١٠٧) - أخرجه بطوله مسلم في الصحيح في كتاب الإيمان ، باب : بيان الإسلام والإيمان والإحسان ، حديث (٨) (٢١٣/١ - ٢٢٥) .

(١٠٨) - صحيح . أخرجه أحمد (١٧٦/١) .

(١٠٩) - والبخاري في كتاب : الإيمان ، باب : إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة ، حديث (٢٧) (٧٩/١) وطرفه في [١٤٧٨] . ومسلم في كتاب : الإيمان ، باب : تأليف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه ، برقم (٢٣٦، ٢٣٧ /١٥٠) (٢٣٧/٢ - ٢٣٨) .

ووكله إلىٰ ما هو فيه من الإسلام ، فدل هذا علىٰ أن هؤلاء الأعراب المذكورين في هذه الآية ليسوا بمنافقين ، وإنما هم مسلمون لم يستحكم الإيمان في قلوبهم ، فادعوا لأنفسهم مقامًا أعلىٰ مما وصلوا إليه ، فأدبوا في ذلك . وهذا معنىٰ قول ابن عباس وإبراهيم النَخْعي ، وقتادة ، واختاره ابن جرير . وإنما قلنا هذا لأن البخاري - رحمه الله - ذهب إلىٰ أن هؤلاء كانوا منافقين يُظهرون الإيمان وليسوا كذلك . وقد رُوي عن سعيد بن جُبير ، ومجاهد ، وابن زيد أنهم قالوا في قوله : ﴿ **ولكن قولوا أسلمنا** ﴾ أي : استسلمنا خوف القتل والسّباء . قال مجاهد : نزلت في بني أسد بن خزيمة . وقال قتادة : نزلت في قوم امتنوا[١] بإيمانهم علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والصحيح الأول : أنهم قوم ادعوا لأنفسهم مقام الإيمان ، ولم يحصُل لهم بعد ، فأدّبوا وأعلموا أن ذلك لم يصلوا إليه بعد ، ولو كانوا منافقين لعنّفوا وفُضِحوا ، كما ذكر المنافقون[٢] في سورة براءة . وإنما قيل لهؤلاء تأديبًا : ﴿ **قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم** ﴾ أي : لم تصلوا إلىٰ حقيقة الإيمان بعد .

ثم قال : ﴿ **وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم[٣] من أعمالكم** ﴾ أي : لا ينقصكم من أجوركم[٤] ﴿ **شيئًا** ﴾ ، كقوله : ﴿ **وما ألتناهم من عملهم من شيء** ﴾ وقوله : ﴿ **إن الله غفور رحيم** ﴾ أي : لمن تاب إليه وأناب .

وقوله : ﴿ **إنما المؤمنون** ﴾ أي : إنما المؤمنون الكُمل ﴿ **الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا** ﴾ أي : لم يشكوا ولا تزلزلوا بل ثبتوا علىٰ حال واحدة ، وهي التصديق المحض ، ﴿ **وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله** ﴾ أي : وبذلوا مهجهم[٥] ونفائس أموالهم في طاعة الله ورضوانه ، ﴿ **أولئك هم الصادقون** ﴾ أي : في قولهم إذا قالوا : إنهم مؤمنون ، لا كبعض الأعراب الذين ليس معهم من الدين إلا الكلمة الظاهرة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيىٰ بن غَيلان ، حدثنا رشدين ، حدثني عمرو بن الحارث ، عن أبي السَّمح ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ؛ قال[٦] : إن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ؛ قال : « **المؤمنون في الدنيا علىٰ ثلاثة أجزاء : [الذين][٧] آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله . والذي يأمنه الناس علىٰ أموالهم وأنفسهم . ثم الذي إذا أشرف علىٰ طمع تركه[٨] لله عز وجل** »(١١٠) .

(١١٠) - إسناده ضعيف . أخرجه أحمد (٨/٣) برقم (١١٠٦٤) وفيه رشدين بن سعد وهو ضعيف .

[١] - في ز : أمنوا .
[٢] - في ز : المنافقين .
[٣] - في ز : يالتكم .
[٤] - في ز : أجورها .
[٥] - في ز : مهجتهم .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - سقط من ت .
[٨] - في ز : يذكر .

وقوله : ﴿ **قل أتعلمون الله بدينكم** ﴾ أي أتخبرونه بما في ضمائركم ، ﴿ **والله يعلم ما في السموات وما في الأرض** ﴾ أي : لا يخفىٰ عليه من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ، ﴿ **والله بكل شيء عليم** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **يمنون عليك أن أسلموا** ﴾ ، يعني الأعراب يمنون بإسلامهم ومتابعتهم ونصرتهم علىٰ الرسول ، يقول الله ردًّا[١] عليهم : ﴿ **قل لا تمنوا عليّ إسلامكم** ﴾ . فإن نفع ذلك إنما يعود عليكم ، ولله المنة عليكم فيه ، ﴿ **بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين** ﴾ أي : في دعواكم ذلك ، كما قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم للأنصار يوم حنين : « **يا معشر الأنصار ، ألم أجدكم ضُلالًا فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي** » . **كلما قال شيئًا قالوا : الله ورسوله أمن**(١١١) .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، حدثنا يحيىٰ بن سعيد الأموي ، عن محمد بن قيس ، عن أبي عون ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس؛ قال : جاءت بنو أسد إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ؛ أسلمنا وقاتلتك العرب ، ولم نقاتلك ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن فقههم قليل ، وإن الشيطان ينطق**[٢] **علىٰ ألسنتهم** » . ونزلت هذه الآية : ﴿ **يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا عليّ إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين** ﴾(١١٢) .

ثم قال : لا نعلمه يروىٰ إلا من هذا الوجه ، ولا نعلم روىٰ أبو عون محمد بن عبيد الله ، عن سعيد بن جبير ، غير هذا الحديث .

ثم كرر الإخبار بعلمه بجميع الكائنات ، وبَصَره بأعمال المخلوقات فقال : ﴿ **إن الله يعلم غيب السموات والأرض والله بصير بما تعملون** ﴾ .

آخر تفسير سورة الحجرات ، ولله الحمد والمنة .

☆ ☆ ☆

= وأبو السمح - دراج - في روايته عن أبي الهيثم ضعف . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٥٧/١ - ٥٨) ، رواه أحمد وفيه دراج وقد وثق وضعفه غير واحد .

(١١١) - متفق عليه من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم - رضي الله عنه - أخرجه البخاري في كتاب : المغازي ، باب : غزوة الطائف ، حديث (٤٣٣٠) (٤٧/٨) . ومسلم في كتاب « الزكاة » ، باب : إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام ، وتصبر من قوى إيمانه ، برقم (١٠٦١/١٣٩) (٢٢٠/٧ - ٢٢١) .

(١١٢) - إسناده صحيح رجاله ثقات .

[١] - في ز : رادًا . [٢] - في ت : ينطلق .

تفسير سورة ق

وهي مكية

وهذه السورة هي أول الحزب المُفصَّل علىٰ الصحيح ، وقيل : من الحجرات . وأما ما يقوله العامة : إنه من ﴿ عَمّ ﴾ فلا أصل له ، ولم يقله أحد من العلماء المعتبرين فيما نعلم . والدليل علىٰ أن هذه السورة هي أول المفصَّل ما رواه أبو داود(١) في سُننه ، باب « تحزيب القرآن » ثم قال :

حدثنا مسدد ، حدثنا قرّان[١] بن تمام ، (ح) وحدثنا عبد اللّٰه بن سعيد أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو خالد سليمان بن حَيّان - وهذا لفظه - عن عبد اللّٰه بن عبد الرحمن بن يعلىٰ ، عن عثمان بن عبد اللّٰه بن أوس ، عن جده - قال عبد اللّٰه بن سعيد : [حدثنيه][٢] أوس[٣] بن حذيفة - ثم اتفقا قال : قَدمنا علىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في وفد ثقيف ، قال : فنزلت الأحلاف علىٰ المغيرة بن شعبة ، وأنزل رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بني مالك في قُبَّة له . - قال مسدد : وكان في الوفد الذين قدموا علىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم من ثقيف - قال : كان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يأتينا كل ليلة بعد العشاء يحدثنا . قال أبو سعيد : قائمًا علىٰ رجليه حتىٰ يُراوح بين رجليه من طول القيام ، فأكثر ما يحدثنا ما لقي من قومه[٤] قريش ثم يقول : [لا سواء][٥] ، وكنا مستضعفين مستذلين - قال مسدد : بمكة - فلما خرجنا إلى المدينة كانت سجال الحرب بيننا وبينهم ، نُدَال عليهم ويدالون علينا » . فلما كانت ليلة أبطأ [عنا][٦] الوقت الذي كان يأتينا فيه ، فقلنا : لقد أبطأت عنا الليلة ! قال : « **إنه طَرأ عليّ جزئي[٧] من القرآن ، فكرهت أن أجيء حتىٰ أتمه** » . قال أوس : سألتُ أصحاب رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : كيف تحزبون[٨] القرآن ؟ فقالوا : ثلاث ، وخمس ، وسبع ، وتسع ، وإحدىٰ عشرة ، وثلاث عشرة ، وحزب المفصل وحده .

---

(١) - أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب : تحزيب القرآن ، حديث (١٣٩٣) (٥٥/٢ - ٥٦) ، وابن ماجة في كتاب : الإقامة ، باب : في كم يستحب يختم القرآن ، حديث (١٣٤٥) (٤٢٧/١) ، وأحمد في مسنده (٤/ ٩، ٣٤٣) برقم (١٦٢١٤، ١٩٠٧٥) . وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود برقم (٢٩٧) .

---

[١] - في ز : فرات .
[٢] - في ت : « في حديثه » .
[٣] - في خ : أويس .
[٤] - سقط من خ .
[٥] - في ز : لا أساء .
[٦] - في ت : عن .
[٧] - في خ : حزبي .
[٨] - في ز : تجزئون .

ورواه ابن ماجة عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن أبي خالد الأحمر به . ورواه الإمام أحمد ، عن عبد الرحمن بن مهدي ، عن عبد الله بن عبد الرحمن ، هو ابن يعلىٰ الطائفي به .

إذا علم هذا فإذا عَدَدتَ ثمانيًا وأربعين سورة فالتي بعدهن سورة « ق » . بيانه

ثلاث : البقرة ، وآل عمران ، والنساء .

وخمس : المائدة ، والأنعام ، والأعراف ، والأنفال ، وبراءة . وسبع : يونس ، وهود ، ويوسف ، والرعد ، وإبراهيم ، والحجر ، والنحل .

وتسع : سبحان ، والكهف ، ومريم ، وطه ، والأنبياء ، والحج ، والمؤمنون ، والنور ، والفرقان .

وإحدىٰ عشرة : الشعراء ، والنمل ، والقصص ، والعنكبوت ، والروم ، ولقمان ، وألم السجدة ، والأحزاب ، وسبأ ، وفاطر ، ويس .

وثلاث عشرة : الصافات ، وص ، والزمر ، وغافر ، وحم السجدة ، وعسق ، والزخرف ، والدخان ، والجاثية ، والأحقاف ، والقتال ، والفتح ، والحجرات . ثم بعد ذلك الحزب المفصل كما قاله الصحابة رضي الله عنهم . فتعين أن أوله سورة « ق » وهو الذي قلناه ، ولله الحمد والمنة .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا مالك ، عن ضَمرَة بن سعيد عن عُبيد[١] الله بن عبد الله ؛ أن عمر بن الخطاب سأل أبا واقد الليثي : ما كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقرأ في العيد ؟ قال : بقاف .

واقتربت(٢) . ورواه مسلم وأهل السنن الأربعة من حديث مالك به . وفي رواية لمسلم عن

(٢) - المسند (٢١٧/٥ - ٢١٨) برقم (٢١٩٩١) . وأخرجه مسلم في كتاب : صلاة العيدين ، باب : ما يقرأ به في صلاة العيدين ، حديث (٨٩١/١٤) (٢٥٨/٦) . وأبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : ما يقرأ في الأضحى والفطر ، حديث (١١٥٤) ، والترمذي في كتاب : الصلاة ، باب : ما جاء في القراءة في العيدين ، حديث (٥٣٤) (١٥١/٢) ، والنسائي في الكبرى في كتاب « التفسير » ، باب : سورة القمر ، حديث (١١٥٥٠) (٤٧٥/٦) ، وأخرجه النسائي في الصغرى (١٨٣/١ - ١٨٤) كتاب : صلاة العيدين ، باب : القراءة في العيدين بقاف واقتربت . وابن ماجة في كتاب الإقامة ، باب : القراءة في صلاة العيدين ، حديث (١٢٨٢) (٤٠٨/١) .

[١] - في ز ، خ : عبد .

فليح[١] عن ضمرة عن عبيد[٢] الله عن أبي واقد؛ قال: سألني عمر، فذكره (٣).

(حديث آخر) وقال أحمد: حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، عن ابن[٣] إسحاق: حدثني عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن عمرو[٤] بن حزم، عن يحيىٰ[٥] بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد[٦] بن زرارة، عن أم هشام بنت حارثة؛ قالت: لقد كان تَنُّورنا وتَنورُ النبي صلىٰ الله عليه وسلم واحدًا سنتين، أو سنة وبعض سنة، وما أخذت ﴿ **ق والقرآن المجيد** ﴾ إلا علىٰ لسان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، كان يقرؤها كل يوم جمعة علىٰ المنبر إذا خطب الناس (٤). [رواه مسلم][٧] [من حديث ابن إسحاق به][٨].

وقال أبو داود: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن [خُبَيب، عن][٩] عبد الله بن محمد بن مَعْن، عن ابنة الحارث بن النعمان؛ قالت: ما حفظت « ق » إلا من في رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يخطب بها كل جمعة. قالت: وكان تَنُّورنا وتنور رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم واحدًا (٥).

و[١٠] كذا رواه مسلم والنسائي وابن ماجة من حديث شعبة به.

والقصد أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان يقرأ بهذه السورة في المجامع الكبار، كالعيد والجمع، لاشتمالها علىٰ ابتداء الخلق والبعث والنشور، والمعاد والقيام، والحساب، والجنة والنار، والثواب والعقاب، والترغيب والترهيب.

---

(٣) - صحيح مسلم في الموضع السابق برقم (٨٩١/١٥) (٢٥٨/٦ - ٢٥٩).

(٤) - أخرجه أحمد (٤٣٥/٦) برقم (٢٧٥٦٣). ومسلم في كتاب الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة، حديث (٨٧٣/٥٢).

(٥) - سنن أبي داود كتاب: الصلاة، باب: الرجل يخطب على قوس، حديث (١١٠٠) (٢٨٨/١). وأخرجه مسلم في كتاب: الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة، حديث (٨٧٣/٥١).
وأخرجه النسائي (٧/٣) كتاب: الجمعة، باب: القراءة في الخطبة، من طريق ابن المبارك عن يحيى عن محمد بن عبد الرحمن عن ابنة حارثة به.

---

[١] - في ز، خ: مالك.
[٢] - في ز: عبد.
[٣] - في ز، خ: أبي.
[٤] - في خ: عمر.
[٥] - في ز، خ: أبي. كذا.
[٦] - في ت: سعد.
[٧] - ما بين المعكوفين سقط من ز.
[٨] - ما بين المعكوفين سقط من ز، خ.
[٩] - في ز: حبيب بن.
[١٠] - سقط من ز.

﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾﴾

﴿ق﴾ حرف من حروف الهجاء المذكورة في أوائل السور ، كقوله : (ص ، ن [وألم وحم ،][١] طس) ونحو ذلك[٢] ، قاله مجاهد وغيره . وقد أسلفنا الكلام عليها ، في أول « سورة البقرة » بما أغنىٰ عن إعادته .

وقد روي عن بعض السلف أنهم قالوا : ﴿ق﴾ : جبل محيط بجميع الأرض ، يقال له: جبل قاف . وكأن هذا - واللّٰه أعلم - من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس ، لما رأىٰ من جواز الرواية عنهم فيما لا يصدق ولا يكذب . وعندي أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم ، يُلبِسون به علىٰ الناس أمر دينهم ، كما افتري في هذه الأمة - مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأئمتها - أحاديث ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وما بالعهد من قدم ، فكيف بأمة بني إسرائيل مع طول المدىٰ ، وقلة الحفاظ النقاد فيهم ، وشربهم الخمور ، وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعه ، وتبديل كتب اللّٰه وآياته ! وإنما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله : « **وحَدثوا عن بني إسرائيل ، ولا حَرَجَ** »(٦) فيما قد يجوزه العقل ، فأما فيما [تحيله العقول][٣] ويُحكم عليه بالبطلان . ويغلب علىٰ الظنون كذبه ، فليس من هذا القبيل ، واللّٰه أعلم .

وقد أكثر كثير من السلف من المفسرين ، وكذا طائفة كثيرة من الخلف ، من الحكاية عن كتب أهل الكتاب في تفسير القرآن المجيد ، وليس بهم احتياج إلىٰ أخبارهم ، وللّٰه الحمد والمنة ، حتىٰ إن الإمام أبا محمد [ ][٤] عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي رحمه اللّٰه أورد هاهنا أثرًا غريبًا لا يصح سنده عن ابن عباس فقال :

حدثنا أبي ، قال : حدثت عن محمد بن إسماعيل المخزومي ، حدثنا ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : خلق اللّٰه من وراء هذه الأرض بحرًا محيطًا ، ثم خلق من وراء ذلك [البحر][٥] جبلًا يقال له : « ق » ، السماء الدنيا مرفوفة عليه ، ثم خلق اللّٰه

---

[١] - في خ ، ت : ألم حم .
[٢] - سقط من خ .
[٣] - في ز : « يحيله المعقول » .
[٤] - في ز ، خ : بن .
[٥] - سقط من ز ، ت .

من وراء ذلك الجبل أرضًا مثل تلك الأرض سبع مرات . ثم خلق من وراء ذلك بحرًا محيطًا بها ، ثم خلق من[١] وراء ذلك [ ][٢] جبلًا يقال له « ق » ، السماء الثانية مَرْفُوفة عليه ، حتىٰ عد سبع أرضين ، [وسبعة أبحر][٣] ، وسبعة أجبل ، وسبع سماوات . قال : وذلك قوله : ﴿ **والبحر يمده من بعده سبعة أبحر** ﴾ .

فإسناد هذا الأثر فيه انقطاع(٧) ، والذي رواه ابن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ ق ﴾ قال : هو اسم من أسماء اللَّه ، عز وجل(٨) .

والذي ثبت من مجاهد ، أنه حرف من حروف الهجاء ، كقوله : (ص - ن - حم - طس - [طسم][٤] - ألم) ونحو ذلك . فهذه تبعد ما تقدم عن ابن عباس .

وقيل : المراد

« قُضي الأمر واللَّهِ »

وأن قوله : ﴿ ق ﴾ دلت علىٰ المحذوف من بقية الكلم كقول الشاعر :

قلت لها : قفي فقالت قاف

وفي هذا التفسير نظر ؛ لأن الحذف في الكلام إنما يكون إذا دلّ دليل عليه ، ومن أين يفهم هذا من ذكر هذا الحرف ؟

وقوله : ﴿ **والقرآن المجيد** ﴾ أي : الكريم العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .

واختلفوا في جواب القسم ما هو ؟ فحكىٰ ابن جرير عن بعض النحاة أنه قوله : ﴿ **قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ** ﴾ .

(٦) - أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء ، باب : ما ذكر عن بني إسرائيل ، حديث (٣٤٦١) (٦/ ٤٩٦) .

(٧) - في إسناده أيضًا ليث بن أبي سليم : اختلط جدًّا ولم يتميز حديثه فترك .

(٨) - أخرجه ابن جرير (١٤٧/٢٦) من طريق علي بن داود ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس به . والحديث أخرجه الحاكم (٥٥٢/١) من طريق زيد بن المبارك الصنعاني ، ثنا سلام بن وهب الجندي ، حدثني أبي ، عن طاوس ، عن ابن عباس . وصححه ووافقه الذهبي . وقال عنه ابن أبي حاتم في العلل (١٨٧/٢) (٢٠٢٩) : حديث منكر .

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - في ز : بها .

[٣] - سقط من ز ، خ .

[٤] - سقط من ت .

وفي هذا نظر ؛ بل الجواب هو مضمون الكلام بعد القسم ، وهو إثبات النبوة ، وإثبات المعاد ، وتقريره وتحقيقه وإن لم يكن القسم مُتلقًّى لفظًا ، وهذا كثير في أقسام القرآن كما تقدم في قوله : ﴿ ص والقرآن ذي الذكر * بل الذين كفروا في عزة وشقاق ﴾ وهكذا قال هاهنا : ﴿ ق والقرآن المجيد * بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب ﴾ أي : تعجبوا من إرسال رسول إليهم من البشر ، كقوله تعالىٰ : ﴿ أكان للناس عجبًا أن أوحينا إلىٰ رجل منهم أن أنذر الناس ﴾ أي : وليس هذا بعجيب فإن اللّٰه يصطفي من الملائكة رسلًا ومن الناس .

ثم قال مخبرًا عنهم في تعجبهم أيضًا من المعاد واستبعادهم لوقوعه[١] : ﴿ أئذا متنا وكنا ترابًا ذلك رجع بعيد ﴾ أي يقولون : أئذا متنا وبَلينا ، وتقطعت الأوصال منا ، وصرنا ترابًا كيف يمكن الرجوع بعد ذلك إلىٰ هذه البنية والتركيب ؟ ﴿ ذلك رجع بعيد ﴾ أي : بعيد الوقوع . ومعنىٰ هذا أنهم يعتقدون استحالته وعدم إمكانه ، قال اللّٰه تعالىٰ رادًّا عليهم : ﴿ قد علمنا ما تنقص الأرض منهم ﴾ أي : ما تأكل من أجسادهم في البلىٰ ، نعلم[٢] ذلك ولا يخفىٰ علينا أين تفرقت الأبدان ، وأين ذهبت ، وإلىٰ أين صارت ؟ ﴿ وعندنا كتاب حفيظ ﴾ أي : حافظ لذلك ، فالعلم شامل ، والكتاب أيضًا فيه كل الأشياء مضبوطة .

قال العوفي ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ قد علمنا ما تنقص الأرض منهم ﴾ أي : ما تأكل من لحومهم وأبشارهم ، وعظامهم وأشعارهم، وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وغيرهم .

ثم بين تعالىٰ سبب كفرهم وعنادهم واستبعادهم ما ليس ببعيد ؛ فقال : ﴿ بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج ﴾ أي : وهذا حال كل من خرج عن الحق ، مهما قال بعد ذلك فهو باطل . والمريج : المختلف المضطرب الملتبس المنكر[٣] خلاله ، كقوله : ﴿ إنكم لفي قول مختلف * يؤفك عنه من أفك ﴾ .

أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾
وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً
وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ

---

[١] - في ز : بوقوعه . [٢] - في ز : لعلم .
[٣] - في ز : منكر .

﴿وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ۝١٠ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ۝١١﴾

يقول تعالىٰ منبهًا للعباد علىٰ قدرته العظيمة التي أظهر بها ما هو أعظم مما تعجبوا مستبعدين لوقوعه : ﴿ **أفلم ينظروا إلىٰ السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها** ﴾ أي : بالمصابيح ، ﴿ **وما لها من فروج** ﴾ . قال مجاهد : يعني من شقوق . وقال غيره : فتوق . وقال غيره : من[١] صدوع . والمعنىٰ متقارب ؛ كقوله تعالىٰ : ﴿ **الذي خلق سبع سمٰوات طباقًا ما ترىٰ في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترىٰ من فطور * ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئًا وهو حسير** ﴾ أي : كليل ، أي : عن [أن يرى][٢] عيبًا أو نقصًا .

وقوله : ﴿ **والأرض مددناها** ﴾ أي : وسعناها وفرشناها ، ﴿ **وألقينا فيها رواسي** ﴾ ، وهي الجبال ، لئلا تميد بأهلها وتضطرب ، فإنها مُقَرة علىٰ تيار الماء المحيط بها من جميع جوانبها ، ﴿ **وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج** ﴾ أي : من جميع الزروع والثمار والنبات والأنواع ، ﴿ **ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون** ﴾ . وقوله : ﴿ **بهيج** ﴾ أي : حسن نَضِر ﴿ **تبصرة وذكرىٰ لكل عبد منيب** ﴾ أي : ومشاهدة خلق السماوات والأرض[٣] وما جُعل فيهما من الآيات العظيمة تبصرة ودلالة وذكرىٰ ﴿**لكل عبد منيب**﴾ أي: خاضع خائف وَجِل رَجّاع إلىٰ الله عز وجل .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ونزلنا من السماء ماء مباركًا** ﴾ ، أي : نافعًا ﴿ **فأنبتنا به جنات** ﴾ ، أي : حدائق من بساتين ونحوها ﴿ **وحب الحصيد** ﴾ ، وهو : الزرع الذي يُرادُ لحبّه وادخاره .

﴿ **والنخل باسقات** ﴾ أي: طوالًا شاهقات . وقال ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة ، والسدي ، وغيرهم : الباسقات الطوال ﴿ **لها طلع نضيد** ﴾ ، أي : منضود ﴿ **رزقًا للعباد** ﴾ أي : للخلق ، ﴿ **وأحيينا به بلدة ميتًا** ﴾ ، وهي الأرض التي كانت هامدة ، فلما نزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، من أزاهير وغير ذلك ، مما يحار الطَّرْفُ في حسنها ، وذلك بعد ما كانت لا نباتَ بها[٤] ، فأصبحت تهتز خضراء ، فهذا مثال للبعث بعد الموت والهلاك ، كذلك يحيي الله الموتىٰ . وهذا

---

[١] - سقط من خ .

[٢] - في ز : ترى .

[٣] - سقط من ت .

[٤] - سقط من ز ، خ .

المُشَاهَدُ من عظيم قدرته بالحس أعظمُ مما أنكره الجاحدون للبعث ، كقوله تعالىٰ : ﴿ لخلق السمٰوات والأرض أكبر من خلق الناس ﴾ . وقوله : ﴿ [أو لم يروا أن اللَّه الذي خلق السمٰوات والأرض ولم يعي بخلقهن][١] بقادر علىٰ أن يحيي الموتىٰ بلىٰ إنه علىٰ كل شيء قدير ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ ومن آياته أنك ترىٰ الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتىٰ إنه علىٰ كل شيء قدير ﴾ .

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾
وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ
بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾

يقول تعالىٰ متهددًا لكفار قريش بما[٢] أحله بأشباههم ونظرائهم وأمثالهم من المكذبين قبله ، من النقمات والعذاب الأليم في الدنيا ، كقوم نوح وما عذبهم اللَّه به[٣] من الغرق العام لجميع أهل الأرض ، وأصحاب الرس وقد تقدمت قصتهم في « **سورة الفرقان** » ﴿ **وثمود * وعاد وفرعون وإخوان لوط** ﴾ ، وهم أمته الذين بعث إليهم من أهل سَدُوم ومعاملتها من الغور ، وكيف خسف اللَّه بهم الأرض ، وأحال أرضهم بحيرة منتنة خبيثة ؛ بكفرهم وطغيانهم ومخالفتهم الحق ، ﴿ **وأصحاب الأيكة** ﴾ وهم قوم شعيب - عليه السلام - ﴿ **وقوم تبع** ﴾ ، وهو اليماني . وقد ذكرنا من شأنه في « **سورة الدخان** » بما أغنى عن إعادته هاهنا ، وللَّه الحمد .

﴿ **كل كذب الرسل** ﴾ أي : كل من هذه الأمم وهؤلاء القرون كذب رسوله ، ومن كذب برسول[٤] فكأنما كذب بجميع[٥] الرسل ، كقوله : ﴿ **كذبت قوم نوح المرسلين** ﴾ ، وإنما جاءهم رسول واحد ، فهم في نفس الأمر لو جاءهم جميع الرسل كذبوهم ، ﴿ **فحق وعيد** ﴾ أي : فحق عليهم ما أوعدهم اللَّه علىٰ التكذيب من العذاب والنكال . فليحذر المخاطبون أن يصيبهم ما أصابهم ؛ فإنهم قد كذبوا رسولهم كما كذب أولئك .

وقوله : ﴿ **أفعيينا بالخلق الأول** ﴾ أي : **أفأعْجزنا** ابتداء الخلق حتىٰ هم في شك من الإعادة ، ﴿ **بل هم في لبس من خلق جديد** ﴾ : والمعنىٰ أن ابتداء الخلق لم يعجزنا

---

[١] - ما بين المعكوفين في ز : « أوليس الذي خلق السماوات والأرض » . وهو خطأ .
[٢] - في ز : مما .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في خ : رسولًا .
[٥] - في خ : جميع .

والإعادة أسهل منه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه** ﴾ وقال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيى العظام وهي رميم * قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم** ﴾ . وقد تقدم في الصحيح : « **يقول اللَّه تعالىٰ : يؤذيني ابن آدم ، يقول : لن يعيدني كما بدأني . وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته** »(٩).

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾

يخبر تعالىٰ عن قدرته علىٰ الإنسان بأنه خالقه ، وعلْمهُ محيط بجميع أموره ، حتىٰ إنه تعالىٰ يعلم ما توسوس به نفوس بني آدم من الخير والشر . وقد ثبت في الصحيح عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه قال : « **إن اللَّه تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تقل أو تعمل** »(١٠).

وقوله : ﴿ **ونحن أقرب إليه من حبل الوريد** ﴾ ، يعني ملائكته تعالىٰ أقربُ إلىٰ الإنسان من حبل وريده إليه . ومن تأوله علىٰ العلم فإنما فرّ لئلا يلزم حلول[١] أو اتحاد ، وهما منفيان بالإجماع ، تعالىٰ اللَّه وتقدس ، ولكن اللفظ لا يقتضيه فإنه لم يقل : وأنا أقرب إليه من حبل الوريد ، وإنما قال : ﴿ **ونحن أقرب إليه من حبل الوريد** ﴾ ، كما قال في المحتَضِر : ﴿ **ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون** ﴾ يعني : ملائكته ؛ وكما قال : ﴿ **إنَّا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ فالملائكة نزلت بالذكر - وهو القرآن - بإذن اللَّه عز وجل . وكذلك الملائكة أقرب إلىٰ الإنسان من حبل وريده إليه بإقدار[٢] اللَّه لهم علىٰ ذلك ،

(٩) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : في تفسير سورة : ﴿ **قل هو اللَّه أحد** ﴾ ، حديث (٤٩٧٤) (٧٣٩/٨) ، وأخرجه بنحوه برقم (٤٩٧٥) .

(١٠) - أخرجه البخاري في كتاب : العتق ، باب : الخطأ والنسيان في العتاقة والطلاق ونحوه ، حديث (٢٥٢٨) (١٦٠/٥) من حديث أبي هريرة .

[١] - في خ : طول .

[٢] - في ز ، خ : باقتدار .

فللملك لَمَّةٌ في الإنسان كما أن للشيطان لمة ، وكذلك : « **الشيطان يجري من ابن آدم مجرىٰ الدم** »(١١). كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ؛ ولهذا قال هاهنا : ﴿ **إذ يتلقىٰ المتلقيان** ﴾ ، يعني الملكين اللذين يكتبان عمل الإنسان . ﴿ **عن اليمين وعن الشمال قعيد** ﴾ أي مترصد ﴿ **ما يلفظ** ﴾ أي[١] : ابن آدم ﴿ **من قول** ﴾ أي : ما يتكلم بكلمة ﴿ **إلا لديه رقيب عتيد** ﴾ أي : إلا ولها من يراقبها مُعْتَدٌّ لذلك يكتبها ، لا يترك كلمة ولا حركة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإن عليكم لحافظين * كرامًا كاتبين * يعلمون ما تفعلون** ﴾ .

وقد اختلف العلماء : هل يكتب الملك كل شيء من الكلام ، وهو قول الحسن وقتادة ، أو إنما يكتب ما فيه ثواب وعقاب كما هو قول ابن عباس ؟ علىٰ قولين ، وظاهر الآية الأول ؛ لعموم قوله : ﴿ **ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد** ﴾ .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أبو[٢] معاوية ، حدثنا محمد بن عمرو بن علقمة الليثي ، عن أبيه ، عن جَدِّه علقمة ، عن بلال بن الحارث المزني ؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان اللَّه تعالىٰ ما يظن أن تبلغ ما بلغت ، يكتب اللَّه له بها رضوانه إلىٰ يوم يلقاه . وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سَخَط اللَّه ما يظن أن تبلغ ما بلغت ، يكتب اللَّه عليه بها سَخَطه إلىٰ يوم يلقاه** »(١٢). قال : فكان علقمة يقول : كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحارث .

ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجة ، من حديث محمد بن عمرو ، به(١٣) . وقال

(١١) - أخرجه البخاري في كتاب : الاعتكاف ، باب : هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد ؟ حديث (٢٠٣٥) (٢٧٨/٤) .
وأطرافه في : [٢٠٣٨، ٢٠٣٩، ٣١٠١، ٣٢٨١، ٦٢١٩، ٧١٧١] .
ومسلم في كتاب : السلام ، باب : بيان أنه يستحب لمن رُئي خاليًا بامرأة ، وكانت زوجته ، أو محرمًا له ، أن يقول : هذه فلانة ؛ ليدفع ظن السوء به ، حديث (٢٤، ٢٥/٢١٧٥) (٢٢٤/٤ - ٢٢٥) .
(١٢) - أخرجه أحمد (٤٦٩/٣) برقم (١٥٨٩٥) وفيه عمرو بن علقمة الليثي ، قال فيه الحافظ : مقبول . لكن للحديث شاهد صحيح من حديث أبي هريرة .
أخرجه البخاري في كتاب : الرقاق ، باب : حفظ اللسان ، حديث (٦٤٧٧) (٣٠٨/١١) وطرفه في [٦٤٧٨] . ومسلم في كتاب الزهد والرقائق ، باب : التكلم بالكلمة يهوي بها في النار ، حديث (٤٩، ٢٩٨٨/٥٠) .
(١٣) - أخرجه الترمذي في كتاب « الزهد » ، باب : في قلة الكلام ، حديث (٢٣٢٠) (٧٨/٧) . والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (٥٥٥/٢) (٢٠٢٨) ، وابن ماجة في كتاب : الفتن ، باب : كف اللسان في الفتنة ، حديث (٣٩٦٩) (١٣١٢/٢ - ١٣١٣) . وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (١٨٨٨ - ٢٤٣٥) .

[١] - سقط من خ . [٢] - في ز ، خ : ابن .

الترمذي : « حسن صحيح » . وله شاهد في الصحيح(١٤).

وقال الأحنف بن قيس : صاحب اليمين يكتب الخير ، وهو أمير علىٰ صاحب الشمال ، فإن أصاب العبد خطيئة[١] قال له : أمسك فإن استغفر اللّٰه تعالىٰ نهاه أن يكتبها ، وإن أبىٰ كتبها(١٥) . رواه ابن أبي حاتم .

وقال الحسن البصري - وتلا هذه الآية : ﴿ **عن اليمين وعن الشمال قعيد** ﴾ : يا بن آدم ، بُسطت لك صحيفة ، ووكل[٢] بك ملكان كريمان ، أحدهما عن يمينك ، والآخر عن شمالك ، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك ، وأما الذي عن يسارك فيحفظ سيئاتك ، [فاعمل][٣] ما شئت ، أقلل أو أكثر حتىٰ إذا مت طُويت صحيفتك ، وجُعلت في عنقك معك في قبرك ، حتىٰ تخرج يوم القيامة ، فعند ذلك يقول : ﴿ **وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونُخرج له يوم القيامة كتابًا يلقاه منشورًا * اقرأ كتابك كفىٰ بنفسك اليوم عليك حسيبًا** ﴾ . ثم يقول : عَدَل - واللّٰه - فيك مَنْ جعلك حسيبَ نفسك .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ **ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد** ﴾ ، قال : يكتب كل ما تكلم به من خير أو شر ، حتىٰ إنه ليكتب قوله : « **أكلت** ، **شربت** ، **ذهبت** ، **جئت** ، **رأيت** » ، حتىٰ إذا كان يوم الخميس عُرض قوله وعمله ، فأقر منه ما كان فيه من خير أو شر ، وألقي سائره ، وذلك قوله : ﴿ **يمحو اللّٰه ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب** ﴾ . وذكر عن الإمام أحمد أنه كان يئن في مرضه ، فبلغه عن طاووس

---

(١٤) - أخرجه البخاري (٦٤٧٧) ، ومسلم (٤٩، ٥٠ /٢٩٨٨) ، كلاهما من حديث أبي هريرة وقد تقدم قريبًا .

(١٥) - أخرجه الطبراني (٢١٧/٨ - ٢١٨) برقم (٧٧٦٥) ، (٢٢٥/٨) برقم (٧٧٨٧) . والبيهقي في الشعب (٣٩٠/٥ - ٣٩١) برقم (٧٠٤٩، ٧٠٥٠) . كلاهما من طريق القاسم بن عبد الرحمن أبو عبد الرحمن الأموى ، عن أبي أمامة مرفوعًا به ، نحوه . والقاسم قال عنه الحافظ : صدوق يغرب كثيرًا . وفي إسناد الطبراني الأول إسماعيل بن عياش ، وقد رواه عن عاصم بن رجاء بن حيوة ، وفي روايته عن الحجازيين ضعف . وفي إسناده الثاني : الوليد بن مسلم وهو مدلس ويسوي . وفي إسناد البيهقي الأول : جعفر بن الزبير وهو متروك . وفي إسناده الثاني بشر بن نمير متروك . فهذا الحديث رغم تعدد طرقه عن القاسم ؛ إلا أن أحدها لا يخلو من مقال . قال الهيثمي في المجمع (٢١١/١٠) : رواه الطبراني وفيه جعفر ابن الزبير ، وهو كذاب ، ولكنه موافق لما قبله وليس فيه شيء زائد غير أن الحسنة يكتبها بعشر أمثالها وقد دل القرآن والسنة على ذلك .اهـ . وقد ذكر الهيثمي حديثًا قبله بنحوه وقال : رواه الطبراني بأسانيد رجال أحدها وثقوا .

---

[١] - سقط من خ .
[٢] - في خ : ووكلت .
[٣] - في ز ، خ : فاملك .

أنه قال : يكتب الملك كل شيء حتىٰ الأنين . فلم يئن أحمد حتىٰ مات رحمه اللّٰه .

وقوله : ﴿ **وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد** ﴾ ، يقول تعالىٰ وجاءت - أيها الإِنسان - سكرة الموت بالحق ، أي : كَشَفَت لك عن اليقين الذي كنت تمتري فيه ﴿ **ذلك ما كنت منه تحيد** ﴾ أي : هذا هو الذي كنت تفر منه قد جاءك ، فلا محيد ولا مناص ، ولا فكاك ولا خلاص .

وقد اختلف المفسرون في المخاطب بقوله : ﴿ **وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد** ﴾ ، فالصحيح أن المخاطب بذلك الإِنسان من حيث هو . وقيل : الكافر ، وقيل غير ذلك .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثنا إبراهيم بن زياد - سَبَلان - أخبرنا عَبَّاد بن عَبَّاد عن محمد بن عمرو بن علقمة ، عن أبيه ، عن جده علقمة بن وقاص ؛ أن عائشة - رضي اللّٰه عنها - قالت : حضرت أبي وهو يموت وأنا جالسة عند رأسه ، فأخذته غشية فتمثلت ببيت من الشعر :

من لا يزال دمعه مقنعًا فإنه لا بد مرة مدفوق[١]

قالت : فرفع رأسه فقال : يا بنية[٢] ؛ ليس كذلك ، ولكن كما قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد** ﴾ (١٦).

وحدثنا خَلَف بن هشام ، حدثنا أبو شهاب ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن البَهِيّ قال : لما أن ثقل أبو بكر - رضي اللّٰه عنه - جاءت عائشة - رضي اللّٰه عنها - فتمثلت بهذا البيت :

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتىٰ إذا حشرجت يومًا وضاق بها الصدر

فكشف عن وجهه وقال : ليس كذلك ، ولكن قولي : ﴿ **وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد** ﴾ (١٧). وقد أوردت لهذا الأثر طُرقًا في سيرة الصديق عند ذكر وفاته رضي اللّٰه عنه .

وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أنه[٣] لما تغشاه الموت جعل يمسح

---

(١٦) - في إسناده عمرو بن علقمة قال عنه الحافظ : مقبول .

(١٧) - في إسناده البهي ، وقد ذكره ابن حبان في الثقات .

---

[١] - في ز ، خ : مدفون . [٢] - في ز : بني .

[٣] - سقط من ت .

العرق عن وجهه ويقول : « **سبحان اللّٰه ! إن للموت لَسَكَرَات** »(١٨).

وفي قوله : ﴿**ذلك ما كنت منه تحيد**﴾ قولان :

أحدهما : أن « ما » هاهنا موصولة ، أي : الذي كنت منه تحيد - بمعنىٰ : تبتعد وتنأىٰ وتفر - قد حَلَّ بك ونزل بساحتك .

والقول الثاني : أن «ما» نافية بمعنى ذلك ما كنت تقدر على الفرار منه ولا [الحيد عنه][١] .

وقد قال الطبراني في « المعجم الكبير » : حدثنا محمد بن علي الصائغ المكي ، حدثنا حفص [ ][٢] بن عُمر الحدي ، حدثنا معاذ بن محمد الهذلي ، عن يونس بن عبيد ، عن الحسن ، عن سمرة قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **مثل الذي يفر من الموت مثل الثعلب ، تطلبه الأرض بدين ، فجاء يسعىٰ حتىٰ إذا أعيى وأسهر دخل جُحره ، فقالت له الأرض : يا ثعلب ؛ ديني . فخرج وله حُصَاص(*) فلم يزل كذلك حتى تقطعت عنقه ومات** »(١٩).

ومضمون هذا المثل : كما لا انفكاك له ولا محيد عن الأرض كذلك الإِنسان لا محيد له عن الموت .

وقوله : ﴿ **ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد** ﴾ . قد تقدم الكلام علىٰ حديث النفخ في الصور [والفَزَع][٣] والصعق والبعث ، وذلك يوم القيامة . وفي الحديث أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **كيف أنعم وصاحب القَرْن قد التقم القرن وحنىٰ جبهته ، وانتظر أن يؤذن له** » . قالوا : يا رسول اللّٰه ؛ كيف نقول ؟ قال : « **قولوا : حسبنا اللّٰه ونعم الوكيل** » . فقال القوم : حسبنا اللّٰه ونعم الوكيل(٢٠) .

---

(١٨) - أخرجه البخاري في كتاب : الرقائق ، باب : سكرات الموت ، حديث (٦٥١٠) (٣٦١/١١) .

(*) الحُصاص : شدة العدو وحدته . وقيل : هو أن يمصع بذنبه ويصر بأذنيه ويعدو . وقيل : هو الضراط . النهاية (٣٩٦/١) .

(١٩) - أخرجه الطبراني في الكبير (٢٦٨/٧) (٦٩٢٢) . قال الهيثمي في « المجمع » (٣٢٣/٢) : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، وفيه معاذ بن محمد الهذلي ؛ قال العقيلي : لايتابع على رفع حديثه .

(٢٠) - أخرجه أبو يعلى في مسنده (٣٣٩/٢ - ٣٤٠) (١٠٨٤) . وابن حبان في صحيحه (١٠٥/٣) كتاب : الرقائق ، باب : « الأذكار » ، حديث (٨٢٣) . كلاهما من طريق ابن أبي شيبة ، عن جرير=

---

[١] - في ت : تحيد . وفي ز : الحيد .

[٢] - في ز : عن . [٣] - في ز : للفزع .

﴿ **وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد** ﴾ ، أي : ملك يسوقه إلىٰ المحشر ، وملك يشهد عليه بأعماله . هذا هو الظاهر من الآية الكريمة . وهو اختيار ابن جرير ثم روىٰ من حديث إسماعيل بن أبي خالد ، عن يحيىٰ بن رافع - مولىٰ لثقيف - قال : سمعت عثمان ابن عفان يخطب ، فقرأ هذه الآية : ﴿ **وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد** ﴾ ، فقال : سائق يسوقها إلىٰ الله، وشاهد يشهد عليها بما عملت(٢١) . وكذا قال مجاهد وقتادة وابن زيد .

وقال مُطَرِّف ، عن[١] أبي جعفر - مولىٰ أشجع - عن أبي هُريرة : السائق الملك ، والشهيد العمل . وكذا قال الضحاك والسدي .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : السائق من الملائكة ، والشهيد الإنسان نفسه يشهد على نفسه . وبه قال الضحاك بن مزاحم أيضًا .

وحكىٰ ابن جرير ثلاثة أقوال في المراد بهذا الخطاب في قوله : ﴿ **لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد** ﴾ ، أحدها أن المراد بذلك الكافر . رواه علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس . وبه يقول الضحاك بن مُزاحم وصالح بن كيسان .

والثاني : أن المراد بذلك كل أحد من برّ وفاجر ؛ لأن الآخرة بالنسبة إلىٰ الدنيا كاليقظة والدنيا كالمنام[٢] . وهذا اختيار ابن جرير ، ونقله عن حُسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس .

والثالث : أن المخاطب بذلك النبي صلىٰ الله عليه وسلم . وبه يقول زيد بن أسلم وابنه . والمعنىٰ علىٰ قولهما : لقد كنت في غفلة من هذا الشأن قبل أن يُوحىٰ إليك ، فكشفنا عنك غطاءك بإنزاله إليك ، فبصرك اليوم حديد .

والظاهر من السياق خلاف هذا ، بل الخطاب مع الإنسان من حيث هو ، والمراد بقوله : ﴿ **لقد كنت في غفلة من هذا** ﴾ ، يعني من هذا اليوم ، ﴿ **فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد** ﴾ ، أي : قوي ؛ لأن كل واحد يوم القيامة يكون مستبصرًا ، حتىٰ الكفار في الدنيا يكونون[٣] يوم القيامة علىٰ الاستقامة ، لكن لا ينفعهم ذلك ، قال الله تعالىٰ :

= عن الأعمش ، عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري به ، وهو إسناد صحيح . وللحديث طرق أخرى عند أحمد وغيره .

(٢١) - أخرجه الطبري في تفسيره (٢٦/١٦١) . ومهران : صدوق له أوهام .

[١] - في ز ، خ : و . [٢] - في ز ، خ : كمنام .

[٣] - في ز ، خ : يدركون .

﴿ أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا ﴾ . وقال تعالىٰ : **﴿ ولو ترىٰ إذ المجرمون ناكسو رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون ﴾** .

وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ
لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ
﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا
تَخْتَصِمُوا۟ لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ
لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا[١] عن الملك الموكل بعمل ابن آدم : إنه يشهد عليه يوم القيامة بما فعل ، ويقول : **﴿ هذا ما لدي عتيد ﴾** أي : مُعتَدّ محضر بلا زيادة ولا نقصان .

وقال مجاهد : هذا كلام الملك السائق يقول : هذا ابن آدم الذي وكلتني به قد أحضرته .

وقد اختار ابن جرير أنه يعم السائق والشهيد ، وله اتجاه[٢] وقوة .

فعند ذلك يحكم اللّٰه سبحانه وتعالى في الخليقة بالعدل فيقول : **﴿ ألقيا في جهنم كل كفار عنيد ﴾** .

وقد اختلف النحاة في قوله : **﴿ ألقيا ﴾** ، فقال بعضهم : هي لغة لبعض العرب يخاطبون المفرد بالتثنية ، كما روي عن الحجاج أنه كان يقول : يا حرسي ، اضربا عنقه . ومما[٣] أنشد ابن جرير علىٰ هذه اللغة قول الشاعر :

فإن تزجراني – يا بن عفان – أنزجر وإن تتركاني أحم عرضًا ممنعًا

وقيل : بل هي نون التوكيد ، سهلت إلىٰ الألف . وهذا بعيد ؛ لأن هذا إنما يكون في الوقف ، والظاهر أنها مخاطبة مع السائق والشهيد ، فالسائق أحضره إلىٰ عرصة الحساب ، فلما أدىٰ الشهيد عليه ، أمرهما اللّٰه تعالىٰ بإلقائه في نار جهنم وبئس المصير .

﴿ ألقيا في جهنم كل كفار عنيد ﴾ أي : كثير الكفر والتكذيب بالحق ، **﴿ عنيد ﴾** :

---

[١] – سقط من ز ، خ .
[٢] – في ز : الحياة .
[٣] – في ز ، خ : وفيما .

معاند للحق ، معارض له بالباطل مع علمه بذلك . ﴿ مناع للخير ﴾ أي : لا يؤدي ما عليه من الحقوق ، ولا بر فيه ولا صِلة ولا صدقة ، ﴿ معتد ﴾ أي فيما ينفقه ويصرفه ، يتجاوز فيه الحد .

وقال قتادة : معتد في منطقه وسيرته وأمره .

﴿ مريب ﴾ أي : شاك في[١] أمره ، مريب لمن نظر في أمره . ﴿ الذي جعل مع الله إلهًا آخر ﴾ أي : أشرك بالله فعبد معه غيره ، ﴿ فألقياه في العذاب الشديد ﴾ . وقد تقدم في الحديث أن[٢] عُنُقًا من النار يبرز للخلائق فينادي بصوت يسمع الخلائق : إني وكلت بثلاثة ؛ بكل جبار عنيد ، ومن جعل مع الله إلهًا آخر ، وبالمصورين . ثم تلوىٰ عليهم (٢٢) .

قال الإمام أحمد : حدثنا معاوية - هو ابن هشام - حدثنا شيبان ، عن فِرَاس ، عن عطية ، عن أبي سعيد الخدري ، عن نبي الله صلىٰ الله عليه وسلم ؛ أنه قال : « **يخرج عُنُق من النار يتكلم ، يقول : وكلت اليوم بثلاثة : بكل جبار ، ومن جعل مع الله إلهًا آخر ، ومن قتل نفسًا بغير نفس . فتنطوي عليهم ، فتقذفهم في غمرات جهنم** » (٢٣) .

﴿ قال قرينه ﴾ . قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، وغيرهم : هو الشيطان الذي وُكِّل به . ﴿ ربنا ما أطغيته ﴾ أي : يقول عن الإنسان الذي قد وافىٰ القيامة كافرًا ، يتبرأ منه شيطانه ، فيقول : ﴿ ربنا ما أطغيته ﴾ أي : ما أضللته ، ﴿ ولكن كان في ضلال بعيد ﴾ أي : بل كان هو في نفسه ضالًا قابلًا للباطل معاندًا للحق . كما أخبر تعالىٰ في

(٢٢) - أخرجه الترمذي في كتاب : صفة جهنم ، باب : ما جاء في صفة النار ، حديث (٢٥٧٧) (٧/ ٢٤٧ - ٢٤٨) . وأحمد (٢/ ٣٣٦) . كلاهما من طريق عبد العزيز بن مسلم عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة بإسناد صحيح . والحديث مخرج في الصحيحة برقم (٥١٢) .

(٢٣) - أخرجه أحمد (٣/ ٤٠) (١١٣٧٠) . وأخرجه عبد بن حميد في « المنتخب » (٨٩٦) ، وابن أبي شيبة في المصنف ، كتاب ذكر النار ، باب : ما ذكر فيما أعد لأهل النار وشدته (٢٥) (٨/ ٩٥) ، وأبو يعلى في مسنده (١١٣٨ ، ١١٤٦) ، والطبراني في « الأوسط » (٣٩٨١) (٤/ ٢٠٣) ، والبزار (٣٥٠٠) (٤/ ١٨٥) . من طرق عن عطية به .

وأخرجه الطبراني (٣١٨) (١٠٣/٦) من طريق موسى بن أعين عن الأعمش عن سعد بن عبيدة عن أبي سعيد به . وهذا إسناد صحيح لو كان سعد بن عبيدة سمع من أبي سعيد ، فإني لم أجد من صرح أنه روى عنه غير أنه روى عن البراء بن عازب والمغيرة بن شعبة .

وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٠/ ٣٩٥) وقال : رواه البزار .. وأحمد باختصار وأبو يعلى بنحوه ، والطبراني في الأوسط ، وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح .

[١] - سقط من ز ، خ .   [٢] - في ز : أي .

الآية الأخرىٰ في قوله : ﴿ **وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **قال لا تختصموا لدي** ﴾ ، يقول الرب - عز وجل - للإنسي وقرينه من الجن ، وذلك أنهما يختصمان بين يدي الحق ، فيقول الإنسي : يارب ، هذا أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني . ويقول الشيطان : ﴿ **ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد** ﴾ ، أي[١] : عن منهج الحق . فيقول الرب - عز وجل - لهما : ﴿ **لا تختصموا لدي** ﴾ أي : عندي ﴿ **وقد قدمت إليكم بالوعيد** ﴾ أي : قد أعذرت إليكم علىٰ ألسنة الرسل ، وأنزلت الكتب ، وقامت عليكم الحجج والبينات والبراهين .

﴿ **ما يبدل القول لدي** ﴾ . قال مجاهد : يعني قد قضيتُ ما أنا قاض ، ﴿ **وما أنا بظلام للعبيد** ﴾ أي[٢] : لست أعذب أحدًا بذنب أحد ، ولكن لا أعذب أحدًا إلا بذنبه ، بعد قيام الحجة عليه .

يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾

يخبر تعالىٰ أنه يقول لجهنم يوم القيامة : ﴿ **هل امتلأت** ﴾ ؟ وذلك أنه وعدها أن سيملؤها من الجِنَّة والناس أجمعين ، فهو سبحانه يأمر بمن يأمر به إليها ، ويلقىٰ وهي تقول : ﴿ **هل من مزيد** ﴾ أي : هل بقي شيء تزيدوني ؟ هذا هو الظاهر من سياق الآية ، وعليه تدل الأحاديث :

قال البخاري عند تفسير هذه الآية : حدثنا عبد الله بن أبي الأسود ، حدثنا [حَرَمي بن

= وقال المنذري في « الترغيب والترهيب » (٢٩٨/٣) ... ورواه الطبراني بإسنادين رواة أحدهما رواة الصحيح، وقد روي عن أبي سعيد من قوله موقوفًا .
وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (١٣٨/٤) إلى ابن مردويه .

[١] - في ز ، خ : نهى . [٢] - سقط من ت .

عُمَارة][١] ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم؛ قال : « **يُلقَىٰ في النار وتقول : هل من مزيد ؟ حتىٰ يضع قدمه فيها ، فتقول : قَطْ قَطْ** »(٢٤).

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لا تزال جهنم يلقىٰ فيها وتقول : هل من مزيد ؟ حتىٰ يضع رب العزة فيها قدمه ، فينزوي بعضها إلىٰ بعض ، وتقول : قَطْ قَطْ ، وعزتك وكرمك . ولا يزال في الجنة فضل حتىٰ ينشئ الله لها خلقًا آخر ، فيسكنهم**[٢] **في فضول الجنة**»(٢٥) .

ثم رواه مسلم من حديث قتادة بنحوه(٢٦) . و[قد][٣]رواه أبان العطار وسليمان التيمي ، عن قتادة ، بنحوه (٢٧).

(حديث آخر) قال البخاري : حدثنا محمد بن موسىٰ القَطّان ، حدثنا أبو سفيان الحِميري سَعيد بن يحيىٰ بن مهدي ، حدثنا عوف ، عن محمد ، عن أبي هريرة - رفعه ، وأكثر ما كان يوقفه أبو سفيان - : « **يقال لجهنم : هل امتلأت ، وتقول : هل من مزيد ، فيضع الرب - عز وجل - قدمه عليها ، فتقول : قَطْ قَطْ** » (٢٨).

[ورواه أيوب][٤] ، وهشام بن حسان[٥] ، عن محمد بن سيرين به .

(طريق أخرىٰ) قال البخاري : وحدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا

---

(٢٤) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **وتقول هل من مزيد** ﴾ ، حديث (٤٨٤٨) (٨/ ٥٩٤) .

(٢٥) - أخرجه أحمد (٣/٢٣٤) (١٣٤٨٢) بهذا الإسناد ، وسعيد هو ابن أبي عروبة وهو من أثبت الناس في قتادة . وعبد الوهاب : هو ابن عطاء ، صدوق ربما أخطأ . وانظر التالى .

(٢٦) - وأخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **وتقول هل من مزيد** ﴾ ، حديث (٤٨٤٨) (٨/ ٥٩٤) . ومسلم في كتاب : الجنة ، باب : النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء ، حديث (٢٨٤٨/٣٧) (٢٦٨/١٧) . كلاهما من طريق قتادة بنحو حديث أحمد .

(٢٧) - أخرجه مسلم عقب الحديث السابق .

(٢٨) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **وتقول هل من مزيد** ﴾ ، حديث (٤٨٤٩) (٨/ ٥٩٥) ، وطرفاه في [٤٨٥٠ ، ٧٤٤٩] .

---

[١] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : حربي .
[٢] - في ز : فيسكنه .
[٣] - سقط من ت .
[٤] - في خ : ورواه أبو أيوب .
[٥] - في ز ، خ : عيان .

معمر عن همّام[١] ، عن أبي هريرة؛ قال : قال النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **تحاجَّت الجنة والنار ، فقالت النار : أوثِرْتُ بالمتكبرين والمتجبرين . وقالت الجنة : مالي[٢] لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسَقَطُهم . قال اللّه - عز وجل - للجنة : أنت رحمتي ، أرحم بك من أشاء من عبادي . وقال للنار : إنما أنت عذابي ، أعذب بك من أشاء من عبادي ، ولكل واحدة منكما ملؤها ، فأما النار فلا تمتلئ حتىٰ يضع رجله ، فتقول : قَطْ قَطْ[٣] ، فهنالك تمتلئ [ويُزوَىٰ بعضها إلىٰ بعض][٤] ، ولا يظلم اللّه من خلقه أحدًا ، وأما الجنة فإن اللّه ينشئ لها خلقًا[٥]** »(٢٩) .

(حديث آخر) قال مسلم في صحيحه : حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي[٦] سعيد؛ قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **احتجت الجنة والنار ، فقالت النار : فيّ الجبارون والمتكبرون . وقالت الجنة : في ضعفاء الناس ومساكينهم . فقضى بينهما ، فقال للجنة : إنما[٧] أنت رحمتي ، أرحم بك من أشاء من عبادي . وقال للنار : إنما أنت عذابي ، أعذب بك من أشاء من عبادي ، ولكل واحدة منكما ملؤها** »(٣٠) .

انفرد به مسلم دون البخاري ، من هذا الوجه ، واللّه سبحانه وتعالىٰ أعلم . وقد رواه الإمام أحمد من طريق أخرىٰ ، عن أبي سعيد بأبسط من هذا السياق؛ فقال :

حدثنا حسن وروح؛ قالا : حدثنا حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن عبيد اللّه ابن عبد اللّه بن عُتْبة[٨] ، عن أبي سعيد الخُدري؛ أن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم؛ قال : « **افتخرت الجنة والنار ، فقالت النار : يارب ؛ يدخلني الجبابرة والمتكبرون والملوك والأشراف . وقالت الجنة : أي رب ؛ يدخلني الضعفاء والفقراء والمساكين . فيقول اللّه عز وجل للنار : أنت عذابي ، أصيب بك من أشاء . وقال للجنة : أنت رحمتي ، وسعت كل شيء ، ولكل واحدة منكما ملؤها ، فيلقىٰ في النار أهلها فتقول : هل من**

(٢٩) - أخرجه البخاري (٤٨٥٠) .

(٣٠) - أخرجه مسلم في كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء ، حديث (٢٨٤٧) (١٧/٢٦٧ - ٢٦٨) .

[١] - في ز : تمام .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من ت .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - بعده في ت : آخر .
[٦] - سقط من خ .
[٧] - سقط من ز ، خ .
[٨] - في ز ، خ : عقبة .

مزيد ؟ » قال : « **ويلقى فيها**[١] **وتقول : هل من مزيد ؟ ويلقىٰ فيها وتقول : هل من مزيد حتىٰ يأتيها - عز وجل - فيضع قدمه عليها ، فتُزْوَىٰ وتقول : قَدْني ، قَدْني ! وأما الجنة فيبقى فيها ما شاء اللَّه أن يبقى، فينشئ اللَّه لها خلقًا ما يشاء** » (٣١).

حديث آخر ، وقال الحافظ أبو يعلىٰ في مسنده : حدثنا عقبة بن مُكْرم ، حدثنا يونس ، حدثنا عبد الغفار بن القاسم ، عن عدي بن ثابت ، عن زرّ بن حُبَيش ، عن أبي بن كعب ؛ أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم؛ قال : « **يعرّفني**[٢] **اللَّه - عز وجل - نفسه يوم القيامة ، فأسجد سجدة يرضىٰ بها عني ، ثم أمدحه مِدْحَة يرضىٰ بها عني، ثم يؤذن لي في الكلام ، ثم تمر أمتي علىٰ الصراط - مضروب بين ظهراني جهنم - فيمرون أسرع من الطرف والسهم ، وأسرع من أجود الخيل ، حتىٰ يخرج الرجل منها يحبو ، وهي الأعمال . وجهنم تسأل المزيد ، حتىٰ يضع فيها قدمه ، فينزوي بعضها إلىٰ بعض وتقول : قَطْ قَطْ ! وأنا علىٰ الحوض** » . قيل : وما الحوض يا رسول اللَّه ؟ قال : « **والذي نفسي بيده ، إن شرابه أبيض من اللبن ، وأحلىٰ من العسل ، وأبرد من الثلج ، وأطيب ريحًا من المسك ، وآنيته أكثر من عدد النجوم ، لا يشرب منه إنسان فيظمأ أبدًا ، ولا يصرف فَيَرْوَىٰ أبدًا** » (٣٢). وهذا القول هو اختيار ابن جرير.

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو يحيىٰ[٣] الحمَّاني عن [نَضْر الخزّاز][٤] ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ﴿ **يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد** ﴾ ؟ ، قال : ما امتلأت ، قال : تقول : وهل فيّ من مكان يزاد في .

وكذا روىٰ الحكم[٥] بن أبان عن عكرمة : ﴿**وتقول هل من مزيد**﴾ : وهل فيّ مدخل واحد ؟ قد امتلأت .

قال الوليد بن مسلم ، عن يزيد بن أبي مريم : أنه سمع مجاهدًا يقول : لا يزال يُقذف فيها حتىٰ تقول : قد امتلأت فتقول : هل من مزيد. وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم

(٣١) - أخرجه أحمد (١٣/٣) (١١١١٣) وإسناده ثقات .

قال الهيثمي في « المجمع » (١١٥/٧) : رواه أحمد ورجاله ثقات ؛ لأن حماد بن سلمة روى عن عطاء بن السائب قبل الاختلاط .

(٣٢) - ذكره ابن حجر في المطالب العالية (٣٨٣/٤) (٤٦٣٥) وعزاه لأبي يعلى من حديث أبي بن كعب .

[١] - سقط من خ .

[٢] - في ز ، خ : بعثني .

[٣] - في ز ، خ : بكر .

[٤] - في ز : نصر الجزار .

[٥] - في ز : الحاكم .

نحو هذا(٣٣).

فعند هؤلاء أن قوله تعالىٰ : ﴿ **هل امتلأت** ﴾ إنما هو بعد ما يضع عليها قدمه ، فتنزوي وتقول حينئذ : هل بقي فيّ [مزيد يسع][١] شيئًا ؟ قال العوفي ، عن ابن عباس : وذلك حين لا يبقىٰ فيها موضع يسع[٢] إبرة . فالله أعلم .

وقوله : ﴿ **وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد** ﴾ ، قال قتادة ، وأبو مالك ، والسدي : ﴿ **أزلفت** ﴾ أدنيت وقُرّبت من المتقين ﴿ **غير بعيد** ﴾ ، وذلك يوم القيامة ، وليس ببعيد لأنه واقع لا محالة ، وكل ما هو آت آت .

﴿ **هذا ما توعدون لكل أواب** ﴾ أي : رجّاع ، تائب مقلع ﴿ **حفيظ** ﴾ أي : يحفظ العهد فلا ينقضه وينكثه[٣] .

وقال عبيد بن عمير : الأواب الحفيظ الذي لا يجلس مجلسًا حتىٰ يستغفر الله عز وجل .

﴿ **من خشي الرحمن بالغيب** ﴾ أي : من خاف الله[٤] في سره حيث لا يراه أحد إلا الله ؛ كقوله - عليه السلام - : « **ورجل ذكر الله خاليًا ، ففاضت عيناه** » (٣٤).

﴿ **وجاء بقلب منيب** ﴾ أي : ولقي الله يوم القيامة بقلب سليم منيب إليه خاضع لديه .

﴿ **ادخلوها** ﴾ أي : الجنة ﴿ **بسلام** ﴾ . قال قتادة : سَلموا من عذاب الله ، وسلم عليهم ملائكة الله .

وقوله : ﴿ **ذلك يوم الخلود** ﴾ أي : يخلدون في الجنة فلا يموتون أبدًا ، ولا يظعنون أبدًا ، ولا يبغون عنها حولًا .

وقوله : ﴿ **لهم ما يشاءون فيها** ﴾ أي : مهما اختاروا وجدوا ، من أيّ أصناف الملاذ طلَبوا أحضِر لهم .

---

(٣٣) - الوليد بن مسلم يدلس ويسوي ، وقد عنعن .

(٣٤) - أخرجه البخاري في كتاب : الأذان ، باب : من جلس في المسجد ينتظر الصلاة ، وفضل المساجد ، حديث (٦٦٠) (١٤٣/٢) . وأطرافه في : [١٤٢٣، ٦٤٧٩، ٦٨٠٦] . ومسلم في كتاب : الزكاة ، باب : فضل إخفاء الصدقة ، حديث (١٠٣١/٩١) (١٦٩/٧ - ١٧٠) .

---

[١] - في ز ، خ : من ولع .

[٢] - سقط من ت .

[٣] - في خ : يجليه .

[٤] - في خ : الرحمن .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا عمرو بن عثمان ، حدثنا بقية ، عن بَحير[١] ابن سعد[٢] ، عن خالد بن معدان ، عن كثير بن مرة؛ قال : [من المزيد][٣] أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول : ماذا تريدون فأمطره لكم ؟ فلا يدعون بشيء إلا أمطرتهم . قال كثير : لئن[٤] أشهدني الله ذلك لأقولن : أمطرينا جواري مزينات(٣٥) .

وفي الحديث عن ابن مسعود أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال له : « **إنك لتشتهي الطير في الجنة ، فيخر بين يديك مشويًا** »(٣٦).

وقال الإمام أحمد: حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثني أبي ، عن عامر الأحول ، عن أبي الصديق ، عن أبي سعيد الخدري؛ أن رسول صلىٰ الله عليه وسلم؛ قال : « **إذا اشتهىٰ المؤمن الولد في الجنة ، كان حمله ووضعه وسِنّه في ساعة واحدة** »(٣٧) .

ورواه الترمذي وابن ماجة عن بندار ، عن معاذ بن هشام به (٣٨). وقال الترمذي : « حسن غريب » . وزاد : « **كما[٥] يشتهي** » .

---

(٣٥) - في إسناده بقية بن الوليد وهو مدلس وقد عنعن .

(٣٦) - أخرجه البزار في مسنده (٤٠١/٥) برقم (٢٠٣٢) . والعقيلي في « الضعفاء الكبير » (٢٦٨/١) (٣٣١) في ترجمة حميد الأعرج . وابن عدي في « الكامل » (٦٨٧/٢) . كلهم من طريق حميد الأعرج عن عبد الله بن الحارث عن ابن مسعود مرفوعًا . وحميد بن علي الأعرج قال العقيلي : سمعت يحيى ابن معين يقول : حميد بن عطاء ليس بشيء . وقال أحمد بن حنبل : ضعيف ا.هـ « الكامل » . والحديث ذكره الهيثمي في « المجمع » (٤١٧/١٠) وقال : رواه البزار وفيه حميد بن عطاء الأعرج ، وهو ضعيف . وذكره ابن حجر في المطالب العالية (٤٠٤/٤) (٤٦٩١) وعزاه لأبي يعلى والبزار .

(٣٧) - أخرجه أحمد (٩/٣) برقم (١١٠٧٧) ، وفي إسناده عامر بن عبد الواحد الأحول . وضعفه أحمد حنبل والنسائي . وقال ابن معين : ليس به بأس . وقال أبو حاتم : ثقة ، لا بأس به . وذكره ابن حبان في الثقات . تهذيب الكمال (٦٦/١٤ - ٦٧) . وبقية رجاله ثقات .

(٣٨) - وأخرجه الترمذي في كتاب : صفة الجنة ، باب : ما جاء ما لأدنى أهل الجنة من الكرامة ، حديث (٢٥٦٦) (٢٤٠/٧) من طريق عامر الأحول . قال الترمذي : وقد اختلف أهل العلم في هذا ؛ فقال بعضهم : في الجنة جماع ولا يكون ولد ؛ هكذا روى عن طاوس ومجاهد وإبراهيم النخعي . وقال محمد : قال إسحاق بن إبراهيم : في حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - : « **إذا اشتهى المؤمن الولد في الجنة كان في ساعة واحدة كما يشتهي** » ولكن لا يشتهي » . قال محمد : وقد روي عن =

---

[١] - في ز ، خ : يحيى . [٢] - في خ : سعيد .

[٣] - في ز : مر الزيد . بلا نقط . وفي خ : « مر الرمد » .

[٤] - في ز : لا . [٥] - بياض في ز ، خ .

وقوله: ﴿**ولدينا مزيد**﴾ كقوله تعالى: ﴿**للذين أحسنوا [الحسنى][١] وزيادة**﴾. وقد تقدم في صحيح مسلم عن صهيب بن سنان الرومي: أنها النظر إلى وجه ا الكريم(٣٩).

وقد روىٰ البزار وابن أبي حاتم، من حديث شريك القاضي[٢]، عن عثمان بن عمير[٣] أبي اليقظان، عن أنس بن مالك في قوله عز وجل: ﴿ **ولدينا مزيد** ﴾، قال: يظهر لهم الرب عز وجل في كل جمعة (٤٠).

وقد رواه الإمام أبو عبد اللّٰه الشافعي مرفوعًا فقال في مسنده: أخبرنا إبراهيم بن محمد، حدثني موسىٰ بن عبيدة، حدثني أبو الأزهر معاوية بن إسحاق بن طلحة، عن [عبيد بن عمير][٤] أنه سمع أنس بن مالك يقول: [أتىٰ جبرائيل][٥] بمرآة بيضاء فيها نكتة إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم، [فقال النبي، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم][٦] : « **ما هذه ؟** ». فقال: هذه الجمعة، فُضّلت بها أنت وأمتك، فالناس [لكم فيها تبع][٧]، اليهود والنصارىٰ، ولكم[٨] فيها خير، ولكم فيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو [ ][٩] اللّٰه بخير إلا استجيب له، وهو عندنا يوم المزيد. قال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم: « **يا جبريل؛ وما يوم المزيد ؟** ». قال إن: ربك اتخذ في الفردوس واديًا أفيح فيه كُثُب المسك، فإذا كان يوم الجمعة أنزل اللّٰه ما شاء من ملائكته، وحوله منابر من نور، عليها

= أبي رزين العقيلي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : « **إن أهل الجنة لا يكون لهم فيها ولد** ».

وأبو الصديق الناجي: اسمه بكر بن عمرو، ويقال: بكر بن قيس .اهـ.

قال ابن القيم في « حادي الأرواح » (٣٤٨): إسناد حديث أبي سعيد على شرط الصحيح؛ فرجاله محتج بهم فيه، ولكنه غريب جدًا، وتأويل إسحاق فيه نظر، فإنه قال: « إذا اشتهى المؤمن الولد »، فـ «إذا» للمتحقق الوقوع، ولو أريد ما ذكره من المعنى لقال: لو اشتهى المؤمن الولد لكان حمله في ساعة؛ فإن ما لا يكون - أحقُ بأداة لو، كما أن المحقق الوقوع أحق بأداة إذا .اهـ.

والحديث صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٠٧٧ - ٢٧٠١).

(٣٩) - أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم - سبحانه وتعالى- حديث (٢٩٧، ٢٩٨/١٨١) (٢١/٣ - ٢٢).

(٤٠) - ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١١٥/٧)، وقال: رواه البزار، وفيه عثمان بن عمير وهو ضعيف.

[١] - في ت: الحسنة.
[٢] - في ز، خ: والقاضي.
[٣] - في ز: عمر.
[٤] - في ز: « عبيد الله بن عمير ».
[٥] - في ز، خ: أتانا جبريل.
[٦] - ما بين المعكوفين سقط من ز، خ.
[٧] - ما بين المعكوفين في ز: « نعم فيها مع ». وفي خ: « لكم فيها مع ».
[٨] - سقط من خ.
[٩] - في خ: فيها.

مقاعد النبيين ، وَحَفّ تلك[١] المنابر بمنابر[٢] من ذهب ، مكللة بالياقوت والزبرجد ، عليها الشهداء والصديقون، فجلسوا من ورائهم علىٰ تلك الكثُب ، فيقول اللَّه -عز وجل- : أنا ربكم ، قد صَدَقْتُكُمْ وعدي ، فسلوني أعطكم . فيقولون : ربنا ؛ نسألك رضوانك ، فيقول : قد رَضِيتُ عنكم ، ولكم عَلَيّ ما تمنّيتم ، ولديّ مزيد . فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه[٣] ربهم من الخير ، وهو اليوم الذي استوىٰ فيه ربكم علىٰ العرش ، وفيه خلق آدم ، وفيه تقوم الساعة (٤١).

هكذا أورده الإمام الشافعي في كتاب الجمعة من « الأم » ، وله طرق عن[٤] أنس بن مالك رضي اللَّه عنه : وقد أورد ابن جرير هذا من رواية عثمان بن عمير ، عن أنس بأبسط من هذا(٤٢) ، وذكر هاهنا أثرًا مطولاً عن أنس بن مالك موقوفًا وفيه غرائب كثيرة(٤٣) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا دَرّاج عن [أبي الهيثم][٥] ، عن أبي سعيد ، عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم؛ قال : « **إن الرجل في الجنة ليتكئ[٦] في الجنة سبعين سنة [قبل أن يتحول][٧] ثم تأتيه امرأة فتضرب علىٰ منكِبه ، فينظر وجْهَه في خَدّها أصفى من المرآة ، وإن أدنىٰ لؤلؤة عليها تضيء ما بين المشرق والمغرب ؛ فتسلم عليه ، فيرد السلام ، فيسألها : من أنت ؟ فتقول : أنا من المزيد . وإنه ليكون عليها سبعون حلة ، أدناها مثل النعمان ، من طوبىٰ ، فَيَنفذها بَصَره حتىٰ يرىٰ مخ ساقها من وراء ذلك ، وإن عليها من التيجان ، إن أدنىٰ لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب** »(٤٤) .

وهكذا رواه عبد اللَّه بن وهب عن عمرو بن الحارث[٨] عن دراج به .

(٤١) - أخرجه الشافعي في مسنده (ص ٧٠ - ٧١) ، وفيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف .

(٤٢) - أخرجه الطبرى في تفسيره (١٧٥/٢٦) وفيه عثمان بن عمير وهو ضعيف .

(٤٣) - أخرجه الطبرى (١٧٣/٢٦ - ١٧٤) .

(٤٤) - أخرجه أحمد (٧٥/٣) (١١٧٣٢) وفي إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف ، وفي رواية دراج عن أبي الهيثم أيضًا ضعف . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٤٢٢/١٠) : رواه أحمد ، وأبو يعلى (١٣٨٦) وإسنادهما حسن .

[١] - في خ : بتلك .

[٢] - بياض في ز ، وسقط من خ .

[٣] - سقط من ز ، خ .

[٤] - في ت : على .

[٥] - في ز ، خ : إبراهيم .

[٦] - في ز : ليسل . كذا بلا نقط .

[٧] - بياض في ز ، خ .

[٨] - في ز ، خ : قطرب .

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **وكم أهلكنا** ﴾ قبل هؤلاء المنكرين : ﴿ **من قرن هم أشد منهم بطشًا** ﴾ أي : كانوا أكثر منهم وأشد قوة ، وأثاروا الأرض وعَمَرُوها أكثر مما عمروها ؛ ولهذا قال هاهنا : ﴿ **فنقبوا في البلاد** ﴾ . قال ابن عباس : أثَّروا فيها . وقال مجاهد : ﴿ **فنقبوا في البلاد** ﴾ : ضربوا[١] في الأرض . وقال قتادة : فساروا في البلاد : أي ساروا فيها يبتغون الأرزاق والمتاجر والمكاسب أكثر مما طفتم أنتم فيها . ويقال لمن[٢] طوف في البلاد : نقب فيها . قال امرؤ القيس :

لَقَدْ نَقَّبْتُ فِي الْآفَاقِ حَتَّىٰ رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ

وقوله : ﴿ **هل من محيص** ﴾ أي : هل من مفر كان لهم من قضاء الله وقدره ؟ وهل نفعهم ما جمعوه وردّ عنهم عذاب الله إذ جاءهم لما كذبوا الرسل ؟ فأنتم أيضًا لا مفر لكم ولا محيد ولا مناص ولا محيص .

وقوله : ﴿ **إن في ذلك لذكرى** ﴾ أي : لعبرة ﴿ **لمن كان له قلب** ﴾ أي : لب يعي به . وقال مجاهد : عقل . ﴿ **أو ألقىٰ السمع وهو شهيد** ﴾ أي استمع الكلام فوعاه ، وتعقله بقلبه وتفهمه بلبه .

وقال مجاهد : ﴿ **أو ألقى السمع** ﴾ يعنى : لا يحدث نفسه [بغيره ، ﴿ **وهو شهيد** ﴾ وقال : شاهد بالقلب][٣] . وقال الضحاك : العرب تقول : ألقى فلان سمعه : إذا استمع بأذنيه وهو شاهد ، يقول[٤] : غير غائب . وهكذا قال الثوري وغير واحد .

[١] - في ز ، خ : خربوا .
[٢] - في ز : إن .
[٣] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : « في هذا بقلب » .
[٤] - في ز ، خ : لقول .

وقوله : ﴿ **ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب** ﴾ فيه تقرير المعاد ، لأن من قدر علىٰ خلق السماوات والأرض ولم يعي بخلقهن ، قادر على أن يحيي الموتىٰ بطريق الأولىٰ والأحرىٰ .

وقال قتادة : قالت اليهود - عليهم لعائن اللّٰه - خلق اللّٰه السماوات والأرض في ستة أيام ، ثم استراح في اليوم السابع ، وهو يوم السبت ، وهم يسمونه يوم الراحة ، فأنزل اللّٰه تكذيبهم فيما قالوه وتأولوه : ﴿ **وما مسنا من لغوب** ﴾ أي : من إعياء ولا نصب ولا تعب ، كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **أو لم يروا أن اللّٰه الذي خلق السماوات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر علىٰ أن يحيي الموتىٰ بلىٰ إنه علىٰ كل شيء قدير** ﴾ وكما[١] قال : ﴿ **لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس** ﴾ وقال : ﴿ **أأنتم أشد خلقًا أم السماء بناها** ﴾ .

وقوله : ﴿ **فاصبر على ما يقولون** ﴾ يعني : المكذبين ، اصبر عليهم ، واهجرهم هجرًا جميلًا ، ﴿ **وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس [وقبل الغروب** ﴾ ، وكانت الصلاة المفروضة قبل الإسراء ، ثنتان قبل طلوع الشمس][٢] في وقت الفجر ، وقبل الغروب في وقت العصر ، وقيام الليل كان واجبًا علىٰ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم [وعلىٰ أمته][٣] حولًا ، ثم نسخ في حق الأمة وجوبُه . ثم بعد ذلك نسخ اللّٰه ذلك كله ليلة الإسراء بخمس صلوات ، ولكن منهن صلاة الصبح والعصر ، فهما قبل طلوع الشمس وقبل الغروب .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن جرير بن عبد اللّٰه ؛ قال : كنا جلوسًا عند النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فنظر إلىٰ القمر ليلة البدر[٤] فقال : « **أما إنكم ستعرضون علىٰ ربكم فترونه كما ترون هذا القمر ، لا تُضارون[٥] فيه ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا علىٰ صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ، فافعلوا** » . ثم قرأ :﴿ **وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب** ﴾(٤٥).

ورواه البخاري ومسلم وبقية الجماعة ، من حديث إسماعيل به (٤٦).

(٤٥) - أخرجه أحمد (٣٦٥/٤) .

(٤٦) - البخاري في كتاب : مواقيت الصلاة ، باب : فضل صلاة العصر ، حديث (٥٥٤) (٣٣/٢) . وأطرافه في : [٥٧٣، ٤٨٥١، ٧٤٣٤، ٧٤٣٥، ٧٤٣٦] . ومسلم في كتاب : المساجد ،=

[١] - في ز : كما .

[٢] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

[٣] - سقط من ز ، خ .

[٤] - سقط من ز ، خ .

[٥] - في خ : تضامون .

وقوله : ﴿ **ومن الليل فسبحه** ﴾ أي : فصلِّ له ، كقوله : ﴿ **ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسىٰ أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا** ﴾ .

﴿ **وأدبار السجود** ﴾ قال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : هو التسبيح بعد الصلاة .

ويؤيد هذا ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أنه قال : جاء فقراء[١] المهاجرين فقالوا : يا رسول اللَّه ؛ ذهب أهل الدثور بالدرجات العلىٰ والنعيم المقيم . فقال : « **وما ذاك ؟** » قالوا : يصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون ولا نتصدق ، ويعتقون ولا نعتق ! قال : « **أفلا أعلمكم شيئًا إذا فعلتموه سبقتم من بعدكم ، ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من فعل مثل ما فعلتم ؟ تسبحون وتحمدون وتكبرون دبر[٢] كل صلاة ثلاثًا وثلاثين** » . قال : فقالوا : يا رسول اللَّه ، سمع إخواننا أهل الأموال [بما[٣] فعلنا][٤] ، ففعلوا مثله[٥] . قال : « **ذلك فضل اللَّه يؤتيه من يشاء** » (٤٧) .

والقول الثاني : أن المراد بقوله : ﴿ **وأدبارالسجود** ﴾ ، هما الركعتان بعد المغرب ، روي ذلك عن عمر وعليّ ، وابنه الحسن ، وابن عباس ، وأبي هريرة ، وأبي أمامة ، وبه يقول مجاهد ، وعكرمة ، والشعبي ، والنخَعي ، والحسن ، وقتادة ، وغيرهم .

= باب : فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما ، حديث (٢١١/٦٣٣) (١٨٧/٥) . وأبو داود في كتاب : السنة ، باب : في الرؤية ، حديث (٤٧٢٩) (٢٣٣/٤) . والترمذي في كتاب : صفة الجنة ، باب : ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى ، حديث (٢٥٥٤) (٢٢٩/٧ - ٢٣٠) . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب قوله تعالى : ﴿ **وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها** ﴾ ، حديث (١١٣٣٠) (٤٠٧/٦) . وابن ماجة في المقدمة ، باب : فيما أنكرت الجهمية ، حديث (١٧٧) (٦٣/١) . قال الترمذي : حديث حسن صحيح .

فائدة : ما جاء في الحديث هنا من كون المؤمنين يرون ربهم هو عقيدة أهل السنة ، ومعنى تشبيه ذلك بالقمر هو من قبيل تشبيه الرؤية بالرؤية لا من قبيل تشبيه المرئي بالمرئي ، فإنه تعالى ليس كمثله شيء ، فيكون المعنى أنهم يرون الله بأعينهم كما يرون القمر بأعينهم بدون إحاطة فإنه تعالى لا يحيط به شيء فانتبه ، والله أعلم بالصواب .

(٤٧) - أخرجه البخاري في كتاب : الأذان ، باب : الذكر بعد الصلاة ، حديث (٨٤٣) (٣٢٥/٢) ، وطرفه في [٦٣٢٩] . ومسلم في كتاب : المساجد ، باب : استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته ، حديث (١٤٢/٥٩٥) .

[١] - في ز : نفر من .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز : ما .
[٤] - سقط من خ .
[٥] - في خ : « مثل مفعلنا » .

قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع وعبد الرحمٰن ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عاصم ابن ضمرة ، عن علي ؛ قال : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يصلي علىٰ أثر كل صلاة مكتوبة ركعتين إلا الفجر والعصر . وقال عبد الرحمن : دُبُر كل صلاة (٤٨).

ورواه أبو داود والنسائي ، من حديث سفيان الثوري به . زاد النسائي : ومطرف ، عن أبي إسحاق ، به (٤٩).

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا هارون بن إسحاق الهمداني ، حدثنا ابن[١] فضيل ، عن رشدين بن كريب ، عن أبيه عن ابن[٢] عباس ؛ قال : بت ليلة عند رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فصلىٰ ركعتين خفيفتين ، اللتين قبل الفجر . ثم خرج إلىٰ الصلاة فقال : « **يا بن عباس ؛ ركعتين قبل صلاة الفجر إدبار النجوم ، وركعتين بعد المغرب أدبار السجود** » .

ورواه الترمذي عن أبي[٣] هشام الرّفاعي ، عن محمد بن فضيل به . وقال : غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه(٥٠) .

وحديث ابن عباس وأنه بات في بيت خالته ميمونة ، وصلىٰ تلك الليلة مع النبي صلىٰ الله عليه وسلم ثلاث عشرة ركعة - ثابت في الصحيحين وغيرهما(٥١) . فأما هذه الزيادة فغريبة لا تعرف إلا من هذا الوجه ، ورشدين بن كريب ضعيف ، ولعله من كلام ابن عباس موقوفًا عليه ، والله أعلم .

---

(٤٨) - أخرجه أحمد (١/١٢٤) . وقد صححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند .

(٤٩) - وأخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب : الصلاة بعد العصر ، حديث (١٢٧٥) (٢/٢٤) . والنسائي في الكبرى في كتاب : الصلاة الأول ، باب : ذكر اختلاف الناقلين لخبر أبي إسحاق عن عاصم ابن ضمرة عن علي في ذلك ، حديث (٣٤١) (١/١٤٨) . وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود برقم (٢٧٧) .

(٥٠) - وأخرجه الترمذي في كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الطور ، حديث (٣٢٧١) . وقد أخرج ابن عدي هذا الحديث من طريق رشدين هذا في الكامل (٣/١٠٠٨) ونقل تضعيف رشدين عن يحيى بن معين وغيره . وضعف الحديث أيضًا ابن حجر في الفتح (٨/٥٩٨) بعد أن عزاه للطبري (٢٦/ ١٨١) .

(٥١) - أخرجه البخاري في : الوضوء ، باب : التخفيف في الوضوء ، حديث (١٣٨) (١/٢٣٨ - ٢٣٩) . ومسلم في كتاب : صلاة المسافرين ، باب : الدعاء في صلاة الليل وقيامه ، حديث (٧٦٣) (٦/ ٦٤ وما بعدها) .

---

[١] - سقط من خ . [٢] - سقط من ز .

[٣] - سقط من ز ، خ .

﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **واستمع** ﴾ يا محمد ﴿ **يوم يناد المناد من مكان قريب** ﴾ قال قتادة : قال كعب الأحبار : يأمر اللّه ملكًا أن ينادي علىٰ صخرة بيت المقدس : أيتها[١] العظام البالية ، والأوصال المتقطعة ، إن اللّه يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء ﴿ **يوم يسمعون الصيحة بالحق** ﴾ ، يعني النفخة في الصور التي تأتي بالحق الذي[٢] كان أكثرهم فيه[٣] يمترون .

﴿ **ذلك يوم الخروج** ﴾ أي : من الأجداث ، ﴿ **إنا نحن نحي ونميت وإلينا المصير** ﴾ أي : هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ، وهو أهون عليه ، وإليه مصير الخلائق كلهم ، فيجازي كلًّا بعمله ، إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر .

وقوله : ﴿ **يوم تشقق الأرض عنهم سراعا** ﴾ ، وذلك أن اللّه تعالىٰ ينزل مطرًا من السماء تنبت به أجساد الخلائق في قبورها ، كما ينبت الحب في الثرىٰ بالماء ، فإذا تكاملت الأجساد أمر اللّه إسرافيل [فينفخ في الصور ، وقد أودعت الأرواح في ثقب في الصور ، فإذا نفخ إسرافيل][٤] فيه خرجت الأرواح تتوهج بين[٥] السماء والأرض ، فيقول اللّه عز وجل : وعزتي وجلالي ، لترجعَن كل روح إلىٰ الجسد الذي كانت تعمره ، فترجع كل روح إلىٰ جسدها ، فتدب فيه كما يدب السم في اللديغ [وتنشق الأرض عنهم فيقومون إلىٰ موقف الحساب سراعًا مبادرين إلىٰ أمر اللّه - عز وجل - ﴿ **مهطعين إلىٰ الداع**][٦] **يقول الكافرون هذا يوم عسر** ﴾ .

وقال اللّه تعالى : ﴿**يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلًا**﴾ وفي صحيح مسلم عن أنس قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : « **أنا أول من تنشق عنه**

---

[١] - في ز ، خ : أيها .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : به .

[٤] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

[٥] - في ز ، خ : من .

[٦] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

الأرض »(٥٢).

وقوله : ﴿ **ذلك حشر علينا يسير** ﴾ أي تلك إعادة سهلة علينا ، يسيرة لدينا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿**ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير**﴾ .

وقوله : ﴿**نحن أعلم بما يقولون**﴾ أي : نحن علمنا محيط بما يقول لك المشركون من التكذيب فلا يهيدنك[١] ذلك ، كقوله : ﴿ **ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون * فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين * واعبد ربك حتىٰ يأتيك اليقين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وما أنت عليهم بجبار** ﴾ أي : ولست بالذي تجبر هؤلاء علىٰ الهدىٰ ، وليس ذلك مما كلفت به .

وقال قتادة ، ومجاهد ، والضحاك : ﴿**وما أنت عليهم بجبار**﴾ أي : لا تتجبر عليهم . والقول الأول أولىٰ ، ولو أراد ما قالوه لقال : ولا تكن جبارًا عليهم ، وإنما قال : ﴿ **وما أنت عليهم بجبار** ﴾ ، بمعنىٰ : وما أنت بمجبرهم علىٰ الإيمان إنما أنت مبلغ .

قال الفراء : سمعت العرب تقول : جبر فلان فلانًا على كذا بمعنى أجبره .

ثم قال تعالىٰ ﴿ **فذكر بالقرآن من يخاف وعيد** ﴾ أي : بلغ أنت رسالة ربك ، فإنما يتذكر من يخاف الله ووعيده ويرجو وعده ، كقوله : ﴿ **فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب** ﴾ ، وقوله : ﴿**فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر**﴾ ﴿**ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء** ﴾ ﴿**إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء**﴾ ولهذا قال هاهنا : ﴿ **وما أنت عليهم بجبار ، فذكر بالقرآن من يخاف وعيد** ﴾ . كان قتادة يقول : اللهم اجعلنا ممن يخاف وعيدك ، [ويرجو موعودك][٢] ، يا بار يا رحيم .

آخر تفسير سورة (ق) ، والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل ».

☆ ☆ ☆

(٥٢) - أخرجه مسلم في كتاب الفضائل ، باب : تفضيل نبينا - صلى الله عليه وسلم - على جميع الخلائق ، حديث (٢٢٧٨) (١٥/٥٤) بلفظ : « **ينشق عنه القبر** » .

[١] - في خ : يهدينك .

[٢] - في ز ، : « المدحر عن عودك » . كذا .

تفسير سورة الذاريات

وهي مكية

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (١) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (٢) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (٣) فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا (٤) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (٥) وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ (٦) وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ (٧) إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ (٨) يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ (٩) قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ (١٠) الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ (١١) يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ (١٢) يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ (١٣) ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (١٤)﴾

قال شعبة بن الحجاج عن سماك ، عن خالد بن عَرْعَرَة أنه سمع عليًا .

وشعبة أيضًا ، عن القاسم بن أبي بَزّة ، عن أبي الطفيل ، سمع عليًا .

وثبت أيضًا من غير وجه ، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؛ أنه صعد منبر الكوفة فقال : لا تسألوني عن آية في كتاب الله ، ولا عن سنة [عن][١] رسول الله ، إلا أنبأتكم بذلك . فقام إليه ابن الكواء فقال : يا أمير المؤمنين؛ ما معنى قوله تعالى : ﴿ **والذاريات ذروًا** ﴾ ؟ قال : الريح . ﴿ **فالحاملات وقرًا** ﴾ ؟ قال : السحاب . ﴿ **فالجاريات يسرًا** ﴾ ؟ قال : السفن . ﴿ **فالمقسمات أمرًا** ﴾ ؟ قال : الملائكة(١) .

وقد رُوِيَ في ذلك حديث مرفوع، فقال الحافظ أبو بكر البزار(٢) : حدثنا إبراهيم بن هانئ، حدثنا سعيد بن سلام العطار ، حدثنا أبو بكر بن أبي سبرة ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ؛ قال : جاء صَبِيغ[٢] التميمي[٣] إلى عمر بن الخطاب ؛ فقال : يا

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨٦/٢٦) ، والحاكم (٤٦٦/٢ - ٤٦٧) . وصححه ووافقه الذهبي .
وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (١٣٣/٦) إلى عبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور والحارث بن أبي أسامة وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف والبيهقي في شعب الإيمان .

(٢) - **ضعيف جدًا** ، أخرجه البزار (٤٢٣/١ - ٤٢٤) (٢٩٩) . وقال الهيثمي في « المجمع » =

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ز ، خ : « صنيع » ، وهو صبيغ بن عسل . انظر ترجمته في الإصابة (١٩٨/٢)

[٣] - في ز ، خ : اليمني .

أمير المؤمنين؛ أخبرني عن « الذاريات ذروًا » ؟ فقال : هي الرياح ، ولولا أني سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقوله ما قلته . قال : فأخبرني عن « المقسّمات أمرًا » ؟ قال : هي الملائكة ، ولولا أني سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقوله ما قلته . قال : فأخبرني عن « الجاريات يسرًا » ؟ قال : هي السفن ، ولولا أني سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقوله ما قلته . ثم أمر به فضرب مائة ، وجعل في بيت ، فلما برَأ ضربه مائة أخرىٰ ، وحمله علىٰ قَتَب وكتب إلىٰ أبي موسىٰ الأشعري : امنع الناس من مجالسته . فلم يزل كذلك حتىٰ أتىٰ أبا موسىٰ فحلف بالأيمان الغليظة ما يجد في نفسه مما كان يجد شيئًا . فكتب في ذلك إلىٰ عمر ، فكتب عمر : ما إخاله إلا صدق ، فخلِّ بينه وبين مجالسة الناس.

قال أبو بكر البزار: فأبو بكر بن أبي[١] سبرة لين، وسعيد بن سلام ليس من أصحاب الحديث .

قلت : فهذا الحديث ضعيف رفعه ، وأقرب ما فيه أنه موقوف علىٰ عمر ، فإن قصة صَبيغ[٢] بن عسل مشهورة مع عمر ، وإنما ضربه لأنه ظهر له من أمره فيما يسأل تعنتًا وعنادًا ، والله أعلم .

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر هذه القصة في ترجمة صبيغ مطولة ، وهكذا فسرها ابن عباس ، وابن عمر ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، وقتادة ، والسدي ، وغير واحد . ولم يحك ابن جرير وابن أبي حاتم غير ذلك .

وقد قيل : إن المراد بالذاريات : الريح ، كما تقدم ، وبالحاملات وقرًا : السحاب ، كما تقدم ، لأنها تحمل الماء كما قال زيد بن عمرو بن نُفَيل :

وَأَسْلَمْتُ نَفْسِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ   لَهُ الْمُزْنُ تَحْمِلُ عَذْبًا زُلَالًا

فأما الجاريات يسرًا [فالمشهور عن الجمهور - كما تقدم - أنها السفن تجري ميسرة في الماء جريًا سهلًا . وقال بعضهم : هي النجوم تجري يسرًا][٣] في أفلاكها ، ليكون ذلك ترقيًا من الأدنىٰ إلىٰ الأعلىٰ ، إلىٰ ما هو أعلىٰ منه ، فالرياح فوقها السحاب ، والنجوم فوق ذلك ، والمقسمات أمرًا الملائكة فوق ذلك ، تنزل بأوامر الله الشرعية والكونية . وهذا قسم من الله

= (١١٦/٧) : رواه البزار ، وفيه أبو بكر بن أبي سبرة وهو متروك . وأخرجه الدارقطني في الأفراد وقال : غريب من حديث يحيى الأنصاري عنه . تفرد به أبو بكر بن أبي سبرة .

[١] - سقط من ز . [٢] - في ز : صنيع .

[٣] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

- عز وجل - علىٰ وقوع المعاد ؛ ولهذا قال : ﴿ إنما توعدون لصادق ﴾ أي : لخبر صدق ، ﴿ وإن الدين ﴾ وهو : الحساب ﴿ لواقع ﴾ أي : لكائن لا محالة .

ثم قال : ﴿ والسماء ذات الحبك ﴾ . قال ابن عباس : ذات البهاء والجمال والحسن والاستواء . وكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جُبَير ، وأبو مالك ، وأبو صالح ، والسدي وقتادة ، وعطية العوفي ، والربيع بن أنس ، وغيرهم .

و[١] قال الضحاك ، والمنهال بن عمرو ، وغيرهما : مثل تجعد الماء والرمل والزرع إذا ضربته الريح ، فينسج بعضه بعضًا طرائق ، فذلك الحبك .

قال ابن جرير : حدثني يعقوب بن إبراهيم ، [حدثنا ابن عُلّية][٢] ، حدثنا أيوب ، عن أبي قلابة ، عن رجل من أصحاب النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه قال : « إن من ورائكم الكذاب المضل ، وإن رأسه من ورائه [حُبُكٌ حُبُك][٣]» . يعنىٰ بالحبك : الجعودة(٣) .

وعن أبي صالح ﴿ ذات الحبك ﴾ : الشدة . وقال خُصيف : ﴿ ذات الحبك ﴾ : ذات الصفاقة . وقال الحسن بن أبي الحسن البصري : ﴿ ذات الحبك ﴾ : حبكت بالنجوم .

وقال قتادة : عن سالم بن أبي الجعد ، عن معدان بن أبي طلحة ، عن عمرو البَكَالي ، عن عبد اللَّه بن عمرو[٤] : ﴿ والسماء ذات الحبك ﴾ ، يعني : السماء السابعة . وكأنه ، واللَّه وأعلم - أراد بذلك السماء التي فيها الكواكب الثابتة ، وهي عند كثير من علماء الهيئة في الفلك الثامن الذي فوق السابع ، واللَّه أعلم . وكل هذه الأقوال ترجع إلىٰ شيء واحد ، وهو الحسن والبهاء ، كما قال ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - فإنها من حسنها مرتفعة شفافة صفيقة ، شديدة البناء ، متسعة الأرجاء ، أنيقة البهاء ، مكللة بالنجوم الثوابت والسيارات ، موشحة بالشمس والقمر والكواكب الزاهرات .

وقوله : ﴿ إنكم لفي قول مختلف ﴾ أي : إنكم أيها المشركون المكذبون للرسل لفي قول مختلف مضطرب ، لا يلتئم ولا يجتمع .

وقال قتادة : إنكم لفي قول مختلف ، ما بين مصدق بالقرآن ومكذب به .

---

(٣) - أخرجه الطبري (١٩٠/٢٦) وفيه عبد الله بن زيد بن عمرو وهو أبو قلابة ، ثقة فاضل ، كثير الإرسال ، وبقية رجاله ثقات ، وجهالة الصحابي لا تضر .

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : حبكًا حبكًا .
[٤] - في ز : عمر .

﴿ يؤفك عنه من أفك ﴾ أي : إنما يروج على من هو ضال في نفسه ؛ لأنه قول باطل، إنما ينقاد له ويضل بسببه ويؤفك عنه من هو مأفوك ضال غُمْر، لا فهم له، كما قال تعالىٰ : ﴿ فإنكم وما تعبدون * ما أنتم عليه بفاتنين * إلا من هو صال الجحيم ﴾ قال ابن عباس، والسدي : ﴿ يؤفك عنه من أفك ﴾ : يضل عنه من ضل . وقال مجاهد : ﴿ يؤفك عنه من أفك ﴾ : يُؤفَن عنه من أُفِنَ. وقال الحسن البصري: يصرف عن هذا القرآن من كذب به .

وقوله : ﴿ قتل الخرّاصون ﴾ . قال مجاهد : الكذابون . قال : وهي مثل التي في عبس : ﴿ قتل الإنسان ما أكفره ﴾ والخراصون الذين يقولون : لا نبعث . ولا يوقنون . وقال عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس : ﴿ قتل الخراصون ﴾ ، أي : لعن المرتابون .

وهكذا كان معاذ -رضي الله عنه- يقول في خطبه: هلك المرتابون. وقال قتادة: ﴿ الخراصون ﴾ أهل الغرة[١] والظنون .

وقوله : ﴿ الذين هم في غمرة ساهون ﴾ . قال ابن عباس وغير واحد : في[٢] الكفر والشك غافلون لاهون .

﴿ يسألون أيان يوم الدين ﴾ وإنما يقولون هذا تكذيبًا وعنادًا وشكًّا واستبعادًا . قال الله تعالىٰ : ﴿ يوم هم على النار يفتنون ﴾ .

قال ابن عباس، ومجاهد، والحسن وغير واحد : ﴿ يفتنون ﴾ : يعذبون كما يفتن الذهب على النار .

وقال جماعة[٣] آخرون كمجاهد أيضًا ، وعكرمة ، وإبراهيم النخعي ، وزيد بن أسلم ، وسفيان الثوري : ﴿ يفتنون ﴾ يحرقون .

﴿ ذوقوا فتنتكم ﴾ ، قال مجاهد : حريقكم . وقال غيره : عذابكم . ﴿ هذا الذي كنتم به تستعجلون ﴾ أي : يقال لهم ذلك تقريعًا وتوبيخًا وتحقيرًا وتصغيرًا .

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾

---

[١] - بياض في ز ، خ . [٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز : جماعات .

﴿ وَفِىٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ١٩ وَفِى ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٌ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِىٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ٢٣ ﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن المتقين للّٰه عز وجل : إنهم يوم معادهم يكونون في جنات وعيون، بخلاف ما أولئك الأشقياء فيه من العذاب والنكال والحريق والأغلال .

وقوله : ﴿ **آخذين ما آتاهم ربهم** ﴾ . قال ابن جرير : أي[١] عاملين بما آتاهم اللّٰه من الفرائض : ﴿ **إنهم كانوا قبل ذلك محسنين** ﴾ أي : قبل أن يفرض عليهم الفرائض كانوا محسنين في الأعمال أيضًا . ثم روي عن ابن حميد ، حدثنا مِهْرَان ، عن سفيان ، عن أبي[٢] عمر ، عن مسلم البطين ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **آخذين ما آتاهم ربهم** ﴾ ، قال : من الفرائض ، ﴿ **إنهم كانوا قبل ذلك محسنين** ﴾ : قبل الفرائض يعملون (٤). وهذا الإسناد ضعيف ، ولا يصح عن ابن عباس . وقد رواه عثمان بن أبي شيبة ، عن معاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن أبي عمر البزار ، عن مسلم البَطِين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، فذكره(٥) . والذي فسر به ابن جرير فيه نظر ؛ لأن قوله : ﴿ **آخذين** ﴾ حال من قوله : ﴿ **في جنات وعيون** ﴾ ، فالمتقون في حال كونهم في الجنات والعيون آخذون ما آتاهم ربهم ، أي[٣] : من النعيم والسرور والغبطة .

وقوله : ﴿ **إنهم كانوا قبل ذلك** ﴾ أي : في الدار الدنيا ﴿ **محسنين** ﴾ ، كقوله : ﴿ **كلوا واشربوا هنيئًا بما أسلفتم في الأيام الخالية** ﴾ . ثم إنه تعالىٰ بَيَّنَ إحسانهم في العمل فقال : ﴿ **كانوا قليلًا من الليل ما يهجعون** ﴾ ، اختلف المفسرون في ذلك علىٰ قولين :

أحدهما : أن « ما » نافية تقديره : كانوا قليلًا من الليل لا يهجعونه . قال ابن عباس : لم تكن تمضي عليهم ليلة إلا يأخذون منها ولو شيئًا .

وقال قتادة ، عن مطرف بن عبد اللّٰه : قَلَّ ليلة [ ][٤] تأتي عليهم لا يصلون فيها للّٰه -

---

(٤) - أخرجه الطبري (٢٦/١٩٦) وفي إسناده : أبو عمر وهو حفص بن سليمان : متروك الحديث مع إمامته في القراءة .

(٥) - في إسناده أبو عمر البزار متروك .

---

[١] - سقط من خ .
[٢] - في خ : ابن .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ز : لا .

عز وجل - إما من أولها وإما من أوسطها .

وقال مجاهد : قَل ما يرقدون ليلة حتىٰ الصباح لا يتهجدون . وكذا قال قتادة .

وقال أنس بن مالك ، وأبو العالية : كانوا يصلون بين المغرب والعشاء .

وقال أبو جعفر الباقر : كانوا لا ينامون حتىٰ يصلوا العتمة .

و[١] القول الثاني : أن « ما » مصدرية ، تقديره : كانوا قليلًا من الليل هجوعهم ونومهم . واختاره ابن جرير .

وقال الحسن البصري : ﴿ **كانوا قليلًا من الليل ما يهجعون** ﴾ ، كابدوا قيام الليل ، فلا ينامون من الليل إلا أقله ، ونشطوا فمدّوا[٢] إلىٰ السحر ، حتىٰ كان الاستغفار بسحر .

وقال قتادة : قال الأحنف بن قيس : ﴿ **كانوا قليلًا من الليل ما يهجعون** ﴾ ، كانوا لا ينامون إلا قليلًا . ثم يقول : لست من أهل هذه الآية !

وقال الحسن البصري : كان الأحنف بن قيس يقول[٣] : عرضت عملي علىٰ عمل أهل الجنة ، [فإذا قوم][٤] قد باينونا بَونًا بعيدًا ، إذا قوم لا نبلغ أعمالهم ، كانوا قليلًا من الليل ما يهجعون . وعرضت عملي علىٰ عمل أهل النار فإذا قوم لا خير فيهم ، يكذبون[٥] بكتاب اللَّه وبرسل اللَّه ، يكذبون بالبعث بعد الموت ، فوجَدتُ من خيرنا منزلة قومًا خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : قال رجل من بني تميم لأبي : يا أبا أسامة ؛ صفة لا أجدها فينا ، ذكَرَ اللَّه قومًا فقال : ﴿ **كانوا قليلًا من الليل ما يهجعون** ﴾ [ونحن واللَّه قليلًا من الليل][٦] ما نقوم . فقال له أبي : طوبىٰ لمن رقد إذا نَعَس ، واتقىٰ اللَّه إذا استيقظ.

وقال عبد الله بن سلام : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس إليه ، فكنت فيمن انجفل . فلما رأيت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه رَجُل كذاب ، فكان أول ما سمعته يقول : « يا أيها الناس ؛ أطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وأفشوا السلام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام »(٦) .

(٦) - أخرجه أحمد (٤٥١/٥) (٢٣٨٩٧) ، والترمذي في كتاب : صفة الكتاب ، باب : « أفشوا=

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز ، خ : عدوا .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - في ز : فيكذبون .
[٦] - ما بين المعكوفين سقط من ت .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسىٰ ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثني حُيَيّ بن عبد الله ، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي ، عن عبد الله بن عَمْرو ؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « إن في الجنة غرفًا يرىٰ ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها » . فقال أبو موسىٰ الأشعري : لمن هي يا رسول الله ؟ قال : « لمن ألان الكلام ، وأطعم الطعام ، وبات لله قائمًا ، والناس نيام »(٧) .

وقال معمر في قوله : ﴿ **كانوا قليلًا من الليل ما يهجعون** ﴾ : كان الزهري والحسن يقولان : كانوا كثيرًا من الليل ما يصلون .

وقال ابن عباس ، وإبراهيم النخعي : ﴿ **كانوا قليلًا من الليل ما يهجعون** ﴾ : ما ينامون .

وقال الضحاك : ﴿ **إنهم كانوا قبل ذلك محسنين* كانوا قليلًا** ﴾ . ثم ابتدأ فقال : ﴿ **من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون** ﴾ .

[وقوله عز وجل : ﴿ **وبالأسحار هم يستغفرون** ﴾][١] . قال مجاهد ، وغير واحد : يصلون . وقال آخرون : قاموا الليل ، وأخروا الاستغفار إلي الأسحار . كما قال تعالي : ﴿ **والمستغفرين بالأسحار** ﴾ ، فإن كان الاستغفار في صلاة فهو أحسن . وقد ثبت في الصحاح(٨) وغيرها عن جماعة من الصحابة ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؛ أنه قال : « إن الله ينزل كل ليلة إلىٰ سماء الدنيا حين يبقىٰ ثلث الليل الآخر[٢] ، فيقول : هل من

= **السلام ، وأطعموا الطعام ...** » ، حديث (٢٤٨٧) (١٨٢/٧ - ١٨٣) ، وابن ماجة في كتاب : الإقامة ، باب : ما جاء في قيام الليل ، حديث (١٣٣٤) (٤٢٣/١) . والدارمي في كتاب : الصلاة ، باب : فضل صلاة الليل ، حديث (١٤٦٨) (٢٨٠/١) ، والبغوي في « شرح السنة » (٤٠/٤) (٩٢٦) ، قال الترمذي : حديث صحيح . وهو كما قال ، وقد صححه الألباني في الصحيحة برقم (٥٦٩) .

(٧) - أخرجه أحمد (١٧٣/٢) وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٠/ ٤٢٣) : رواه أحمد ورجاله وثقوا على ضعف في بعضهم . لكن يشهد له حديث أبي مالك الأشعري أخرجه أحمد (٣٤٣/٥) (٢٣٠١٢) ، والطبراني في « الكبير » (٣٤٢/٣) (٣٤٦٦) ، وابن حبان (٢/ ٢٦٢) (٥٠٩) .

كلهم من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن ابن معانق عن أبي مالك الأشعري بنحو حديث ابن عمرو ، وإسناده رجاله كلهم ثقات غير ابن معانق ، وهو عبد الله ، قال أبو بكر البرقاني : قلت لأبي الحسن الدارقطني : ابن معانق أو أبو معانق عن أبي مالك الأشعري ؟ فقال : لا شيء ، مجهول . [التهذيب (١٦١/١٦)] . ووثقه العجلي وابن حبان . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٠/ ٤٢٣) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، غير عبد الله بن معانق ووثقه ابن حبان .

(٨) - أخرجه البخاري في كتاب : التهجد ، باب : الدعاء والصلاة من آخر الليل ، حديث =

[١] - سقط من ز ، خ . [٢] - في خ ، ت : الأخير .

تائب فأتوب عليه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ هل من سائل فَيُعطىٰ سؤله ؟ حتىٰ يطلع الفجر » .

وقال كثير من المفسرين في قوله تعالي إخبارًا عن يعقوب : إنه قال لبنيه : ﴿ **سوف أستغفر لكم ربي** ﴾ ، قالوا : أخَّرَهُم إلى وقت السحر .

وقوله : ﴿ **وفي أموالهم حق للسائل والمحروم** ﴾ : لما وصفهم بالصلاة ثَنَّىٰ بوصفهم بالزكاة والبر والصلة ، فقال : ﴿ **وفي أموالهم حق** ﴾ أي : جزء مقسوم قد أفرزوه للسائل والمحروم ، أما السائل فمعروف ، وهو الذي يبتدئ بالسؤال وله حق ؛ كما قال الإمام أحمد :

حدثنا وكيع وعبد الرحمن؛ قالا : حدثنا سفيان ، عن مصعب بن محمد ، عن يعلىٰ ابن[١] أبي يحيىٰ ، عن فاطمة بنت الحسين ، عن أبيها الحسين بن علي ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « للسائل حق وإن جاء علىٰ فرس »(٩) . ورواه أبو داود من حديث سفيان الثوري به(١٠) . ثم أسنده من وجه آخر عن علي بن أبي طالب(١١) . وروي من حديث الهرماس بن زياد مرفوعًا(١٢) .

= (١١٤٥) (٢٩/٣) . وطرفاه في [٦٣٢١، ٧٤٩٤] . ومسلم في كتاب : صلاة المسافرين ، باب : الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه ، حديث (٧٥٨/١٦٨) . وأبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : أي الليل أفضل ، حديث (١٣١٥) (٣٤/٢) ، وفي كتاب : السنة (٤٧٣٣) (٤/ ٣٣٤) . والترمذي في كتاب : الدعوات ، باب : استحباب الدعاء في الثلث الأخير من الليل ، حديث (٣٤٩٣) (١٦٧/٩) . والنسائي في الكبرى في كتاب النعوت ، باب : المعافاة والعقوبة ، حديث (٧٧٦٨) (٤٢٠/٤) . وفي كتاب : عمل اليوم والليلة ، باب : الوقت الذي يستحب فيه الاستغفار ، حديث (١٠٣٦٣) (١٢٣/٦) . وابن ماجة في كتاب : الإقامة ، باب : ما جاء في أي ساعات الليل أفضل ، حديث (١٣٦٦) . كلهم من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه . قال الترمذي : حديث حسن صحيح ، وفي الباب عن علي ، وعبد الله بن مسعود ، وأبي سعيد ، وجبير بن مطعم ، ورفاعة الجهني ، وأبي الدرداء ، وعثمان بن أبي العاص .

(٩) - أخرجه أحمد (٢٠١/١) ، وفي إسناده يعلى بن أبي يحيى وهو مجهول . ومصعب بن محمد وثقه ابن معين . وقال أبو حاتم : صالح ، يكتب حديثه ولا يحتج به . وذكره ابن حبان في كتاب الثقات .

(١٠) - سنن أبي داود ، كتاب : الزكاة ، باب : حق السائل ، حديث (١٦٦٥) (١٢٦/٢) .

(١١) - سنن أبي داود في الموضع السابق برقم (١٦٦٦) (١٢٦/٢) من طريق زهير ، عن شيخ ، قال : رأيت سفيان عنده ، عن فاطمة بنت حسين ، عن أبيها عن علي ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - مثله . وهو إسناد ضعيف لجهالة هذا الشيخ .

(١٢) - أخرجه الطبراني في « الكبير » (٢٠٣/٢٢ - ٢٠٤) (٥٣٥) . =

---

[١] - في خ : عن .

وأما المحروم فقال ابن عباس ، ومجاهد : هو المحارَف[١] الذي ليس له في الإِسلام سهم . يعني لا سهم له في بيت المال ، ولا كسب له ، ولا حرفة يتقوت منها .

وقالت أم المؤمنين عائشة : هو المحارف[٢] الذي لا يكاد يتيسر له مكسبه .

وقال الضحاك : هو الذي لا يكون له مال إلا ذهبَ ، قضىٰ اللّٰه له ذلك .

وقال أبو قلابة : جاء سيل باليمامة فذهب بمال رجل ، فقال رجل من الصحابة : هذا المحروم .

وقال ابن عباس أيضًا ، وسعيد بن المسيب ، وإبراهيم النخعي ، ونافع مولي ابن عمر ، وعطاء بن أبي رباح : المحروم : المحَارَف .

وقال قتادة ، والزهري : المحروم : الذي لا يسأل الناس شيئًا . قال الزهري : وقد قال رسول اللّٰه ، صلي اللّٰه عليه وسلم : « **ليس المسكين بالطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان ، والتمرة والتمرتان ، ولكن المسكين الذي لا يجد غنىٰ يغنيه ، ولا يُفطَن له فَيُتصدَّقَ عليه** »(١٣).

وهذا الحديث قد أسنده الشيخان في صحيحيهما من وجه آخر(١٤) .

وقال سعيد بن جبير : هو الذي يجيء وقد قسم المغنم فيرضخ[٣] له .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني بعض أصحابنا ؛ قال : كنا مع عمر بن عبد العزيز في طريق مكة [فجاء كلب][٤] فانتزع عمر كتف شاة فرمىٰ بها إليه ، وقال : يقولون : إنه المحروم .

وقال الشعبي : أعياني أن أعلم ما المحروم ؟

= من طريق عثمان بن فايد عن عكرمة بن عمار عن الهرماس بن زياد مرفوعًا به . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٠٤/٣) : رواه الطبراني في الصغير والأوسط ، وفيه عثمان بن فايد وهو ضعيف . وقد ضعف الألباني طرق هذا الحديث في السلسلة الضعيفة (١٣٧٨/٣) وفيها زيادة فائدة فارجع إليها .

(١٣) - أخرجه الطبرى (٢٠٢/٢٦) من حديث الزهري هكذا مرفوعًا ، وقد وصله الشيخان من حديث أبي هريرة من طريق آخر ، ويأتي في الحديث التالى .

(١٤) - أخرجه البخاري في كتاب : الزكاة ، باب : قول الله تعالى : ﴿ **لا يسألون الناس إلحافا** ﴾ وكم الغنى ... ، حديث (١٤٧٦) (٣٤٠/٣) . وطرفاه في : [١٤٧٩، ٤٥٣٩] . ومسلم في كتاب : الزكاة ، باب : المسكين الذي لا يجد غنى ، ولا يفطن له فيتصدق عليه ، حديث (١٠١، ١٠٢/ ١٠٣٩) . كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

[١] - في ز ، خ : المحارب .
[٢] - في ز ، خ : المحارب .
[٣] - في ز ، خ : فرضخ .
[٤] - بياض في ز ، خ .

واختار ابن جرير أن المحروم الذي لا مال له بأي سبب كان قد ذهب ماله ، سواء كان لا يقدر علىٰ الكسب ، أو قد هلك ماله أو نحوه بآفة أو نحوها .

وقال الثوري ، عن قيس بن مسلم ، عن الحسن بن محمد ؛ أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بعث سرية فغنموا ، فجاء قوم لم يشهدوا الغنيمة فنزلت هذه الآية : ﴿ **وفي أموالهم حق للسائل والمحروم** ﴾(١٥) وهذا يقتضي أن هذه مدنية ، وليس كذلك ، بل هي مكية شاملة لما بعدها .

وقوله : ﴿ **وفي الأرض آيات للموقنين** ﴾ ، أي : فيها من الآيات الدالة علىٰ عَظَمة خالقها وقدرته الباهرة ، مما قد ذرأ فيها من صنوف النبات والحيوانات ، والمهاد والجبال ، والقفار[١] والأنهار والبحار ، واختلاف ألسنة الناس وألوانهم ، وما جبلوا عليه من الإرادات والقُوَىٰ ، وما بينهم من التفاوت في العقول والفهوم والحركات ، والسعادة والشقاوة ، وما في تركيبهم من الحكم في وضع كل عضو من أعضائهم في المحَلّ الذي هو محتاج إليه فيه ، ولهذا قال : ﴿ **وفي أنفسكم أفلا تبصرون** ﴾ . قال قتادة : من تفكر في خلق نفسه عَرَف أنه إنما خلق ولينت مفاصله للعبادة .

ثم قال : ﴿ **وفي السماء رزقكم** ﴾ ، يعني المطر ، ﴿ **وما توعدون** ﴾ ، يعني الجنة . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وغير واحد .

وقال سفيان الثوري : قرأ واصل الأحدب هذه الآية : ﴿ **وفي السماء رزقكم وما توعدون** ﴾ ، فقال[٢] : ألا إني[٣] أرىٰ رزقي[٤] في السماء وأنا أطلبه في الأرض ؟ فدخل خَربة فمكث ثلاثًا لا يصيب شيئًا ، فلما أن كان في اليوم الثالث إذا هو بدَوخَلَة(*) من رطب ، وكان له أخ أحسن نية منه ، [فدخل معه][٥] فصارتا دَوخلَتَين ، فلم يزل ذلك دأبهما حتى فرق الموت بينهما .

وقوله : ﴿ **فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون** ﴾ ، يقسم تعالىٰ بنفسه الكريمة أنّ ما وعدهم به من أمر القيامة والبعث والجزاء ، كائن لا محالة ، وهو حق لا مرية فيه ، فلا[٦] تشكوا فيه كما لا تشكوا في نطقكم حين تنطقون . وكان معاذ - رضي اللَّه عنه - إذا حَدَّث بالشيء يقول لصاحبه : إن هذا لحق كما أنك هاهنا .

---

(١٥) - أخرجه الطبري (٢٠٢/٢٦ - ٢٠٣) .

(*) الدوخلة : سقيفة من خوص كالزنبيل والقوصرة ، يترك فيها التمر وغيره . النهاية (١٣٨/٢) .

---

[١] - سقط من خ .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - سقط من خ .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - في ز : ولا .

قال مسدد ، عن ابن أبي عدي ، عن عوف ، عن الحسن البصري ؛ قال : بلغني أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **قاتل الله أقوامًا أقسم لهم ربهم ثم لم يصدقوا** » .

ورواه ابن جرير عن بندار عن ابن أبي عدي[١] عن عوف عن الحسن فذكره مرسلًا(١٦) .

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

هذه القصة قد تقدمت في سورة « هود » والحجر أيضًا . وقوله : ﴿ **هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين** ﴾ أي : الذين أرصد لهم الكرامة . وقد ذهب الإمام أحمد وطائفة من العلماء إلىٰ وجوب الضيافة للنزيل ، وقد وردت السنة بذلك كما هو ظاهر التنزيل .

وقوله : ﴿ **قالوا سلامًا قال سلام** ﴾ ، الرفع أقوىٰ وأثبت من النصب ، فردُّه أفضل من التسليم ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وإذا حُيّيتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها** ﴾ فالخليل اختار الأفضل .

وقوله : ﴿ **قوم منكرون** ﴾ ، وذلك أن الملائكة وهم : جبريل وإسرافيل وميكائيل قَدموا عليه في صُور شباب حسان ، عليهم مهابة عظيمة ؛ ولهذا قال : ﴿ **قوم منكرون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **فراغ إلى أهله** ﴾ أي : انسل خفية في سرعة ، ﴿ **فجاء بعجل سمين** ﴾ أي: من خيار ماله . وفي الآية الأخرىٰ ﴿ **فما لبث أن جاء بعجل حنيذ** ﴾ أي : مشويّ على الرَّضْف ، ﴿ **فقربه إليهم** ﴾ أي : أدناه منهم ، ﴿ **قال ألا تأكون** ﴾ ؟ : تَلَطّفٌ[٢] في العبارة وعَرْضٌ حسن .

---

(١٦) - تفسير الطبري (٢٠٦/٢٦) .
والحديث ذكره السيوطي في الدر (١٣٨/٦) وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

---

[١] - في ز : علي . [٢] - في ز : بلطف .

وهذه الآية انتظمت آداب الضيافة ، فإنه جاء بطعامه من حيث لا يشعرون بسرعة ، ولم يمتن عليهم أولا فقال : « نأتيكم بطعام ؟ » بل جاء به بسرعة وخفاء ، وأتىٰ بأفضل ما وجد من ماله ، وهو عجل فتي سمين مشوي ،فقربه إليهم ، لم يضعه . وقال : اقتربوا ، بل وضعه بين أيديهم ، ولم يأمرهم أمرًا يشق علىٰ سامعه بصيغة الجزم ، بل قال : ﴿ **ألا تأكلون** ﴾ ؟ علي سبيل العرض و التلطف ، كما يقول القائل اليوم : إن رأيت أن تتفضل وتحسن وتتصدق ، فافعل .

وقوله : ﴿ **فأوجس منهم خيفة** ﴾ ، هذا محال علىٰ ما تقدم في القصة في السورة الأخرىٰ[١] ، وهو قوله : ﴿ **فلما رأىٰ أيديهم لا تصل إليه نكِرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكت** ﴾ ، أي : استبشرت بهلاكهم ، لتمَردهم وعتوهم علىٰ اللّه . فعند ذلك بشرتها الملائكة بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب . ﴿ **قالت يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخًا إن هذا لشيء عجيب * قالوا أتعجبين من أمر اللّه رحمة اللّه وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد** ﴾ . ولهذا قال هاهنا : ﴿ **وبشروه بغلام عليم** ﴾ ، فالبشارة له هي بشارة لها ؛ لأن الولد [منهما ، فكل منهام][٢] بُشّر به .

وقوله : ﴿ **فأقبلت امراته في صَرّة** ﴾ أي : في صرخة عظيمة ورَنّة . قاله ابن عباس ، ومجاهد وعكرمة ، وأبو صالح ، والضحاك ، وزيد بن أسلم ، والثوري ، والسُّدي . وهي قولها : ﴿ **يا ويلتا** ﴾ . ﴿ **فصكت وجهها** ﴾ أي : ضربت بيدها علي جبينها . قاله مجاهد وابن سابط .

وقال ابن عباس : لطمت ، أي تعجبًا كما تتعجب النساء من الأمر الغريب ، ﴿ **وقالت عجوز عقيم** ﴾ ، أي كيف ألد وأنا عجوز ، وقد كنت في حال الصبا عقيمًا لا أحبل ؟ ﴿ **قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم** ﴾ ، أي : عليم بما تستحقون من الكرامة ، حكيم في أقواله و أفعاله .

۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ

[١] - في خ : الأولى .

[٢] - في ز : « منها ، فكل منهم » .

ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾

قال الله مخبرًا عن إبراهيم - عليه السلام - : ﴿ **فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرىٰ يجادلنا في قوم لوط * إن إبراهيم لحليم أواه منيب * يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود** ﴾ . وقال هاهنا : ﴿ **قال فما خطبكم أيها المرسلون** ﴾ ؟ ، أي ماشأنكم وفيم جئتم ؟ ﴿ **قالوا إنا أرسلنا إلي قوم مجرمين** ﴾ ، يعنون قوم لوط ، ﴿ **لنرسل عليهم حجارة من طين * مسومة** ﴾ أي : مُعْلمة ﴿ **عند ربك للمسرفين** ﴾ أي : مكتتبة عنده بأسمائهم ، كل حجر عليه اسم صاحبه ، فقال في سورة العنكبوت : ﴿ **قال إن فيها لوطًا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين** ﴾ . وقال هاهنا : ﴿ **فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين** ﴾ ، وهم لوط وأهل بيته إلا امرأته ، ﴿ **فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين** ﴾ . احتج بهذه من ذهب إلىٰ رأي المعتزلة ، ممن لا يفرق بين[١] مسمىٰ الإيمان والإسلام ، لأنه أطلق عليهم المؤمنين والمسلمين . وهذا الاستدلال ضعيف ، لأن هؤلاء كانوا قومًا مؤمنين ، وعندنا أن كل مؤمن مسلم ولا ينعكس ، فاتفق الاسمان هاهنا لخصوصية الحال ، ولا يلزم ذلك في كل حال .

وقوله : ﴿ **وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم** ﴾ أي :جعلناها عبرة ، لما أنزلنا بهم من العذاب و النكال وحجارة السجيل ، وجعل[٢] محلتهم بحيرة منتنة خبيثة ، ففي ذلك عبرة للمومنين ، ﴿ **الذين يخافون العذاب الأليم** ﴾ .

وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾

يقول تعالى : ﴿ **وفي موسىٰ إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين** ﴾ أي : بدليل باهر

[١] - في ز : من . [٢] - في ت : وجعلنا .

وحجة قاطعة ، ﴿ **فتولىٰ بركنه** ﴾ أي : فأعرض فرعون عما جاءه به موسىٰ من الحق المبين استكبارًا وعنادًا .

وقال مجاهد : تعزز بأصحابه . وقال قتادة : غلب عَدُوّ اللّه على قومه . وقال ابن زيد : ﴿ **فتولىٰ بركنه** ﴾ أي : بجموعه التي معه ، ثم قرأ : ﴿ **لو أن لي بكم قوة أو آوي إلىٰ ركن شديد** ﴾ .

والمعنى الأول قوي كقوله: ﴿**ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله**﴾ أي : معرض عن الحق مستكبر . ﴿ **وقال ساحر أو مجنون** ﴾ ، أي : لايخلو أمرك فيما جئتني به من أن تكون ساحرًا أو مجنونًا ، قال اللّه تعالى : ﴿ **فأخذناه وجنوده فنبذناهم** ﴾ أي ألقيناهم ﴿ **في اليم**﴾ وهو البحر ، ﴿ **وهو مليم** ﴾ أي : وهو ملوم كافر جاحد[١] فاجر معاند .

ثم قال : ﴿ **وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم** ﴾ أي : المفسدة التي لا تنتج شيئًا . قاله الضحاك ، وقتادة ، وغيرهما .

ولهذا قال : ﴿ **ما تذر من شيء أتت عليه** ﴾ أي : مما تفسده الريح ﴿ **إلا جعلته كالرميم** ﴾ ، أي : كالشيء الهالك البالي .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو عبيد اللّه [ابن أخي ابن وهب ، حدثنا عمي عبد اللّه ابن وهب ، حدثني عبد اللّه][٢] - يعني ابن عياش القتْباني[٣] حدثني عبد اللّه بن سليمان ، عن دَرّاج ، عن عيسىٰ بن هلال الصدَفي ، عن عبد اللّه بن عمرو قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **الريح مسخرة من الثانية** - يعني من الأرض الثانية - **فلما أراد اللّه أن يهلك عادًا أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحًا تهلك عادًا ، قال : أي رَبّ ، أرسل عليهم من[٤] الريح قدر منخر الثور ؟ قال له الجبار : لا إذًا تكفأ الأرض ومن عليها ولكن أرسل بقدر خاتم . فهي التي يقول اللّه في كتابه : ﴿ ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم ﴾** » .

هذا الحديث رفعه منكر ، والأقرب أن يكون موقوفًا على عبد الله بن عمرو من زاملتيه اللتين أصابهما يوم اليرموك . واللّه أعلم .

قال سعيد بن المسيب وغيره في قوله: ﴿[**إذ أرسلنا**][٥] **عليهم الريح العقيم**﴾ قالوا:

---

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز : القتبان . وفي خ : العنان .
[٤] - سقط من ت .
[٥] - في ز : فأرسلنا .

هي الجنوب . وقد ثبت في الصحيح من رواية شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **نصرت بالصبا ، وأهلكت عاد بالدَّبُور** »(١٧) .

﴿ **وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين** ﴾ ، قال ابن جرير : يعني إلىٰ وقت فناء آجالكم . والظاهر أن هذه كقوله : ﴿ **وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمىٰ علىٰ الهدىٰ فأخذتهم صاعقة العذاب الهون** ﴾ وهكذا قال هاهنا : ﴿ **وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين * فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون** ﴾ ، وذلك أنهم انتظروا العذاب ثلاثة أيام ، وجاءهم في صبيحة اليوم الرابع بُكرَةَ النهار ، ﴿ **فما استطاعوا من قيام** ﴾ أي : من هَرَب ولا نهوض ، ﴿ **وما كانوا منتصرين** ﴾ أي : ولا يقدرون علىٰ أن ينتصروا[١] مما هم فيه .

وقوله : ﴿ **وقوم نوح من قبل** ﴾ أي : وأهلكنا قوم نوح من قبل هؤلاء ﴿ **إنهم كانوا قومًا فاسقين** ﴾ . وكل هذه القصص قد تقدمت مبسوطة في أماكن كثيرة ، من سور متعددة .

وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾

يقول تعالىٰ منبهًا علىٰ خلق العالم العلوي والسفلي : ﴿ **والسماء بنيناها** ﴾ أي : جعلناها سقفًا رفيعًا ﴿ **بأيدٍ** ﴾ أي : بقوة . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والثوري ، وغير واحد . ﴿ **وإنا لموسعون** ﴾ أي : و[٢] قد وسعنا أرجاءها ورفعناها بغير عَمَد ، حتىٰ استقلت كما هي ، ﴿ **والأرض فرشناها** ﴾ أي : جعلناها فراشًا للمخلوقات ، ﴿ **فنعم الماهدون** ﴾ أي : وجعلناها مهدًا لأهلها ، ﴿ **ومن كل شيء خلقنا زوجين** ﴾ ، أي : جميع المخلوقات أزواجٌ : سماء وأرض ، وليل ونهار ، وشمس وقمر ، وبر وبحر ، وضياء وظلام ، وإيمان وكفر ، وموت وحياة ، وشقاء وسعادة ، وجنة ونار ، حتىٰ الحيوانات والنباتات ؛ ولهذا قال : ﴿ **لعلكم تذكرون** ﴾ ، أي : لتعلموا أن الخالق واحدٌ لا شريك

(١٧) - أخرجه البخاري في كتاب : الاستسقاء ، باب : قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : « **نصرت بالصبا** » ، حديث (١٠٣٥) (٢/٥٢٠) . وأطرافه في : [٣٢٠٥، ٣٣٤٣، ٤١٠٥] .

[١] - في ز : ينصروا . [٢] - سقط من خ .

له ، ﴿ ففروا إلىٰ اللَّه ﴾ ، أي : الجئوا إليه ، واعتمدوا في أموركم عليه ، ﴿ إني لكم منه نذير مبين [﴿ ولا تجعلوا مع اللَّه إلهًا آخر ﴾ ، أي : لا تشركوا به شيئًا ، ﴿ إني لكم منه نذير مبين ﴾][١] .

﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

يقول تعالىٰ مسليًا نبيه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : وكما قال لك[٢] هؤلاء المشركون ، قال المكذبون الأولون لرسلهم : ﴿ كذلك ما أتىٰ الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون ﴾ ! . قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ أتواصوا به ﴾ ؟ أي : أوَصَّىٰ بعضهم بعضًا بهذه المقالة ؟ ﴿ بل هم قوم طاغون ﴾ أي : لكن هم قوم طغاة ، تشابهت قلوبهم ، فقال متأخرهم كما قال متقدمهم . قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ فتول عنهم ﴾ أي : فأعرض عنهم يا محمد ، ﴿ فما أنت بملوم ﴾ ، يعني : فما نلومك علىٰ ذلك ، ﴿ وذكر فإن الذكرىٰ تنفع المؤمنين ﴾ ، أي : إنما تنتفع بها القلوب المؤمنة .

ثم قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ أي : إنما خلقتهم لآمرهم بعبادتي لا لاحتياجي إليهم .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ إلا ليعبدون ﴾ أي : إلا ليقروا بعبادتي طوعًا أو كرهًا . وهذا اختيار ابن جرير .

وقال ابن جريج : إلا ليعرفون . وقال الربيع بن أنس : ﴿ إلا ليعبدون ﴾ أي : إلا للعبادة . وقال السدي : من العبادة ما ينفع ومنها مالا ينفع ، ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن اللَّه ﴾ ، هذا منهم عبادة ، وليس ينفعهم مع الشرك . وقال

[١] - سقط من ز .
[٢] - سقط من خ .

الضحاك : المراد بذلك المؤمنون .

وقوله : ﴿ **ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين** ﴾ . قال الإمام أحمد :

حدثنا يحيىٰ بن آدم وأبو سعيد ؛ قالا : حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله بن مسعود ؛ قال : أقرأني رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : (إني أنا[١] الرزاق ذو القوة المتين)(١٨) .

ورواه أبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، من حديث إسرائيل(١٩) ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

ومعنىٰ الآية أنه تعالىٰ خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له ، فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء ، ومن عصاه عذبه أشد العذاب . وأخبر أنه غير محتاج إليهم ، بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم ؛ فهو خالقهم ورازقهم .

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عبد الله ، حدثنا عمران - يعنى ابن زائدة بن نشيط - عن أبيه ، عن أبي خالد - هو الوالبي[٢] - عن أبي هُرَيرة ؛ قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : [ ][٣] «**قال الله : [يا بن][٤] آدم ؛ تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنىٰ ، وأسدّ فقرك ، وإلا تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم أسد فقرك**»(٢٠) .

ورواه الترمذي وابن ماجة ، من حديث عمران بن زائدة(٢١)، وقال الترمذي : حسن

(١٨) - أخرجه أحمد (١/٣٩٤) ، وفيه أبو إسحاق السبيعي ثقة إلا أنه اختلط بأخرة وكان يدلس ، وقد عنعن .

(١٩) - سنن أبي داود في كتاب : الحروف والقراءات ، حديث (٣٩٩٣) (٣/٣٥) . والترمذي في كتاب : القراءات ، باب : ومن سورة الذاريات ، حديث (٢٩٤١) (٨/١٣٧ - ١٣٨) . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ **وفي عاد إذا أرسلنا عليهم الريح العقيم** ﴾ ، حديث (١١٥٢٧) . كلهم من طريق أبي إسحاق . قال الترمذي : حسن صحيح . والحديث صححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقاته على المسند . وصحح متنه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٣٤٣ - ٣١٢٢) .

(٢٠) - أخرجه أحمد (٢/٣٥٨) . وفي إسناده أبو خالد الوالبي والراوي عنه زائدة بن نشيط كلاهما قال عنه الحافظ : مقبول .

(٢١) - أخرجه الترمذي في كتاب : صفة القيامة ، باب : من كانت الآخرة همه جاءته الدنيا راغمة ، حديث (٢٤٦٨) (٧/١٧١) . =

[١] - في خ : لأنا .
[٢] - في ز ، خ : النواي . كذا .
[٣] - في ز ، خ : يعني .
[٤] - في ز ، خ : ابن .

غريب .

وقد روىٰ الإمام أحمد عن وكيع وأبي معاوية ، عن الأعمش ، عن سلام أبي[١] شرحبيل ، سمعت حَبّة[٢] وسواء ابني خالد يقولان : أتينا رسول اللّٰه - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وهو يعمل عملًا - أو[٣] يبني بناء - وقال أبو معاوية : يصلح شيئًا - فأعناه عليه ، فلما فرغ دعا لنا وقال : « لا تيأسا من الرزق ما تَهَزّزت[٤] رءوسكما ، فإن الإنسان تلده[٥] أمه أحمر ليس عليه قشْرة[٦] ، ثم يعطيه اللّٰه ويرزقه »(٢٢) .

وفي بعض الكتب الإلهية[٧] يقول اللّٰه تعالىٰ : « ابن آدم ؛ خلقتك لعبادتي فلا تلعب . وتكفلت[٨] برزقك فلا تتعب . فاطلبني[٩] تجدني ، فإن وجدتني وجدت كل شيء ، وإن فُتّك فاتك كل شيء ، وأنا أحب إليك من كل شيء » .

وقوله : ﴿ **فإن للذين ظلموا ذنوبًا** ﴾ أي : نصيبًا من العذاب ، ﴿ **مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون** ﴾ أي : فلا يستعجلوا ذلك ، فإنه واقع بهم[١٠] لا محالة ﴿ **فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون** ﴾ يعني : يوم القيامة .

[آخر تفسير سورة الذاريات] .

☆ ☆ ☆

= وابن ماجة في كتاب : الزهد ، باب : الهم بالدنيا ، حديث (٤١٠٧) (١٣٧٦/٢) . وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٥٩) .

(٢٢) - أخرجه أحمد (٤٦٩/٣) برقم (١٥٨٩٨، ١٥٨٩٩) .
وفيه سلام أبو شرحبيل ، قال فيه الحافظ : مقبول .

[١] - في ز ، خ : ابن .
[٢] - في ز : حية .
[٣] - في ز ، خ : و .
[٤] - في ز ، خ : تهزهزت .
[٥] - في ز ، خ : هذه .
[٦] - في ز : بُرّة . وفي خ : بسرة .
[٧] - بياض في ز . وسقط في خ .
[٨] - في خ : وتكلفت .
[٩] - في ز : واطلبني .
[١٠] - سقط من ت ، خ .

تفسير سورة الطور

وهي مكية

قال مالك (١) : عن الزهري ، عن محمد بن جُبَير بن مطعم ، عن أبيه : سمعت النبي صلىٰ الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور ، فما سمعت أحدًا أحسن صوتًا - أو : قراءة - منه . أخرجاه من طريق مالك .

وقال البخاري(٢) : حدثنا عبد الله بن يوسف ، أخبرنا مالك ، عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل ، عن عروة ، عن زينب بنت أبي[١] سلمة ، عن أم سلمة قالت : شكوت إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أني أشتكي ، فقال : **« طوفي من وراء الناس وأنت راكبة »** . فطفت ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يصلي إلىٰ جنب البيت يقرأ بالطور وكتاب مسطور.

وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوٓا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ ، كتاب : الصلاة ، باب : القراءة في المغرب والعشاء ، حديث (٢٣) (١/ ٨٨) . ومن طريقه البخاري في كتاب الأذان ، باب : الجهر في المغرب ، حديث (٧٦٥) . وأطرافه في : (٣٠٥٠، ٤٠٢٣، ٤٨٥٤) . ومسلم في كتاب الصلاة ، حديث ١٦٤ - (٤٦٣) (٤/ ٢٣٩) بنحوه .

(٢) - أخرجه البخاري في كتاب الصلاة ، باب : إدخال البعير في المسجد للعلة ، حديث (٤٦٤) . وأطرافه في : (١٦١٩، ١٦٢٦، ١٦٣٣، ٤٨٥٣) . ومسلم في كتاب الحج ، باب : جواز الطواف على بعير وغيره ، واستلام الحجر بمحجن ونحوه للراكب . حديث ٢٥٨ - (١٢٧٦) .

---

[١] - في خ : أم .

مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

يقسم تعالىٰ بمخلوقاته الدالة علىٰ قدرته العظيمة ، أن عذابه واقع بأعدائه ، وأنه لا دافع له عنهم . فالطور هو : الجبل الذي يكون فيه أشجار ، مثل الذي كلم اللَّه عليه موسىٰ ، وأرسل منه عيسىٰ . وما لم يكن فيه شجر لا يسمىٰ طورًا ، إنما يقال له : جبل .

﴿ وكتاب مسطور ﴾ قيل : هو اللوح المحفوظ . وقيل : الكتب المنزلة المكتوبة التي تقرأ علىٰ الناس جهارًا ؛ ولهذا قال : ﴿ في رق منشور * والبيت المعمور ﴾ . و[١] ثبت في الصحيحين أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال في حديث الإسراء بعد مجاوزته إلىٰ السماء السابعة : « ثم رفع بي إلىٰ البيت المعمور ، وإذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألفًا لا يعودون إليه آخر ما عليهم »(٣) . يعني : يتعبدون فيه ويطوفون به ، كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم . كذلك ذاك البيت ، هو كعبة أهل السماء السابعة ؛ ولهذا وجد إبراهيم الخليل - عليه السلام - مسندًا ظهره إلىٰ البيت المعمور ؛ لأنه باني الكعبة الأرضية ، والجزاء من جنس العمل ، وهو بحيال الكعبة ، وفي كل سماء بيت يتعبد فيه أهلها ، ويصلون إليه ، والذي في السماء الدنيا يقال له : بيت العزة . واللَّه أعلم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا الوليد [بن مسلم][٢]، حدثنا روح بن جَنَاح[٣] ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم؛ قال : « في السماء السابعة[٤] بيت يقال له: المعمور ، بحيال الكعبة ، وفي السماء الرابعة نهر يقال له : الحيوان ، يدخله جبريل كل يوم ، فينغمس فيه انغماسة ، ثم يخرج فينتفض انتفاضة يخرّ عنه سبعون ألف قطرة ، يخلق اللَّه من كل قطرة ملكًا يؤمرون أن يأتوا البيت المعمور ، فيصلوا فيه فيفعلون ، ثم يخرجون فلا يعودون إليه أبدًا ، ويولى عليهم أحدهم ، يؤمر أن يقف بهم من السماء موقفا يسبحون اللَّه فيه إلىٰ أن تقوم الساعة »(٤).

(٣) - أخرجه البخاري في كتاب : بدء الخلق ، باب : ذكر الملائكة ، حديث (٣٢٠٧) (٣٠٢/٦ - ٣٠٣) . وأطرافه في : [٣٣٩٣، ٣٤٣٠، ٣٨٨٧] . ومسلم في كتاب : الإيمان ، باب : الإسراء برسول الله - صلى الله عليه وسلم - حديث (١٦٤/٢٦٤) (٢٩٠/٢ - ٢٩٢) .
من حديث مالك بن صعصعة .

(٤) - أخرجه العقيلي (٥٩/٢ - ٦٠) في ترجمة روح بن جناح . وابن عدي في الكامل (١٠٠٤/٣) في ترجمة روح أيضًا . كلاهما من طريق الوليد بن مسلم - زاد ابن عدي ثنا أبو سعد - ثنا روح ... بهذا=

[١] - سقط من ز .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : حاج . كذا .
[٤] - سقط من ز ، خ .

هذا حديث غريب جدًّا تفرد به روح بن جناح[١] هذا ، وهو القرشي الأموي مولاهم أبو سعد[٢] الدمشقي ، وقد أنكر هذا الحديث عليه جماعة من الحفاظ منهم : الجَوْزَجَاني ، والعقيلي ، والحاكم أبو عبد الله النيسابوري ، وغيرهم . قال الحاكم : لا أصل له من حديث أبي هريرة ، ولا سعيد ، ولا الزهري[ ][٣] .

وقال ابن جرير : حدثنا هناد بن السري ، حدثنا أبو الأحوص ، عن سماك بن حرب ، عن خالد بن عرعرة ؛ أن رجلًا قال لعليٍّ : ما البيت المعمور ؟ قال : بيت في السماء يقال له « الضّراح » ، وهو بحيال الكعبة من فوقها ، حرمته في السماء كحرمة البيت في الأرض ، يصلي فيه كل يوم سبعون ألفًا من الملائكة ، لا يعودون فيه أبدًا (٥).

وكذا رواه شعبة وسفيان الثوري ، عن سماك . وعندهما أن ابن الكواء هو السائل عن ذلك . ثم رواه ابن جرير عن أبي كريب ، عن طلق بن غنام ، عن زائدة ، عن عاصم ، عن علي بن ربيعة ؛ قال : سأل ابن الكواء عليًا عن البيت المعمور ؟ قال : مسجد في السماء يقال له « الضّراح » ، يدخله كل يوم سبعون ألفًا من الملائكة ، ثم لا يعودون فيه أبدًا . ورواه من حديث أبي الطفيل ، عن علي بمثله (٦).

وقال العوفي عن ابن[٤] عباس : هو بيت حذاء العرش تعمره الملائكة ويصلي فيه كل ليلة[٥] سبعون ألفًا من الملائكة ثم لا يعودون إليه . وكذا قال عكرمة ، ومجاهد ، والربيع ابن أنس ، والسدي ، وغير واحد من السلف .

وقال قتادة : ذكر لنا أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال يومًا لأصحابه : « هل

= الإسناد . قال العقيلي : لا يحفظ من حديث الزهري إلا عن روح بن جناح هذا ، وفيه رواية من غير هذا الوجه بإسناد صالح في ذكر البيت المعمور . قال ابن عدي : ولا يعرف هذا الحديث إلا بروح بن جناح عن الزهري . ونقل عن السعدي أنه قال : روح بن جناح ذكر عن الزهري حديثًا معضلًا في البيت المعمور . قال الحافظ في التقريب : روح بن جناح : ضعيف اتهمه ابن حبان . والحديث فيه الوليد بن مسلم أيضًا وهو يدلس ويسوي .

(٥) - أخرجه الطبري (١٦/٢٧) . وفي إسناده خالد بن عرعرة ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٣/ ٣٤٣) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا .

(٦) - أخرجه الطبري (١٧/٢٧) وفيه عاصم بن بهدلة وهو ابن أبي النجود قال عنه الحافظ : صدوق له أوهام .

[١] - في خ : حاج .
[٢] - في ز ، خ : سعيد .
[٣] - في ز ، خ : به .
[٤] - سقط من ت .
[٥] - في خ : يوم .

تدرون ما البيت المعمور ؟ » . قالوا : اللّٰه ورسوله أعلم . قال : « فإنه مسجد في السماء بحيال الكعبة[١] ، لو خرّ لخر عليها ، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك ، إذا خرجوا منه لم يعودوا آخر ما عليهم »(٧) .

وزعم الضحاك أنه يعمره طائفة من الملائكة يقال لهم الحن[٢] من قبيلة إبليس، فالله أعلم.

وقوله : ﴿ والسقف المرفوع ﴾ قال سفيان الثوري ، وشعبة ، وأبو الأحوص ، عن سماك ، عن خالد بن عرعرة ، عن علي : ﴿ والسقف المرفوع ﴾ يعني : السماء . قال سفيان : ثم تلا : ﴿ وجعلنا السماء سقفًا محفوظًا وهم عن آياتها معرضون ﴾ . وكذا قال مجاهد ، وقتادة ، والسدي ، وابن جريج ، وابن زيد ، واختاره ابن جرير .

وقال الربيع بن أنس : هو العرش . يعني : أنه سقف لجميع المخلوقات ، وله اتجاه ، وهو يُراد مع غيره كما قاله الجمهور .

وقوله : ﴿ والبحر المسجور ﴾ . قال الربيع بن أنس : هو الماء الذي تحت العرش ، الذي ينزل الله[٣] منه المطر الذي يحيي به الأجساد في قبورها يوم معادها . وقال الجمهور : هو هذا البحر . واختلف في معنىٰ قوله : ﴿ المسجور ﴾ فقال بعضهم : المراد أنه يوقد يوم القيامة نارًا كقوله : ﴿ وإذا البحار سجرت ﴾ ، أي : أضرمت فتصير نارًا تتأجج ، محيطة بأهل الموقف . رواه سعيد بن المسيب ، عن علي بن أبي طالب ، ورُوي عن ابن عباس . وبه يقول سعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعبد اللّٰه بن عُبيد بن عُمَير ، وغيرهم .

وقال العلاء بن بدر : إنما سمي البحر المسجور ؛ لأنه لا يُشرب منه ماء ، ولا يسقىٰ به زرع ، وكذلك البحار يوم القيامة . كذا رواه عنه ابن أبي حاتم .

وعن سعيد بن جبير : ﴿ والبحر المسجور ﴾ يعني : المرسل وقال قتادة : المسجور : المملوء واختاره ابن جرير، ووجهه بأنه ليس موقدًا[٤] اليوم فهو مملوء. وقيل : المراد به الفارغ[٥] ، قال الأصمعي ، عن أبي[٦] عمرو بن العلاء ، عن ذي الرمة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ والبحر المسجور ﴾ قال : الفارغ ؛ خرجت أَمَة تستسقي فرجعت فقالت : إن الحوض مسجور . تعني : فارغًا . رواه ابن مردويه في مسانيد الشعراء .

(٧) - أخرجه الطبرى (١٧/٢٧) . وقتادة مدلس وقد أرسل هذا الحديث أيضًا .

[١] - في ز : البيت .
[٢] - في ز : الجن .
[٣] - سقط من ت .
[٤] - في ت : موجودًا .
[٥] - في ت : الفراغ .
[٦] - في خ : ابن .

وقيل : المراد بالمسجور الممنوع المكفوف عن الأرض ؛ لئلا[١] يغمرها فيغرق أهلها . قاله علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس . وبه يقول السدي وغيره ، وعليه يدل الحديث الذي رواه الإِمام أحمد رحمه الله في مسنده ، فإنه قال :

حدثنا يزيد ، حدثنا العوام ، حدثني شيخ كان مرابطًا بالساحل ؛ قال : لقيت أبا صالح مولىٰ عمر بن الخطاب فقال : حدثنا عمر بن الخطاب ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « ليس من ليلة إلا والبحر يشرف فيها ثلاث مرات ، يستأذن الله أن ينفضخ عليهم فيكفه[٢] الله عز وجل »(٨).

وقال الحافظ أبو بكر الإِسماعيلي : حدثنا الحسن بن سفيان ، عن إسحاق بن راهويه ، عن يزيد - وهو ابن هارون - عن العوام بن حوشب ، حدثني شيخ مرابط ؛ قال : خرجت ليلة لحرسي لم يخرج أحد من الحرس غيري ، فأتيت الميناء فصعدت ، فجعل يخيل إليَّ أن البحر يشرف يحاذي رءوس[٣] الجبال ، فعل ذلك مرارًا وأنا مستيقظ ، فلقيت أبا صالح فقال : حدثنا عمر بن الخطاب ؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؛ قال : « ما من ليلة إلا والبحر يشرف ثلاث مرات يستأذن الله أن ينفضخ عليهم ، فيكفه الله عز وجل »(٩) . فيه رجل مُبهم لم يسم .

وقوله : ﴿ إن عذاب ربك لواقع ﴾ هذا هو المقسم عليه ، أي : واقع[٤] بالكافرين ، كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ ماله من دافع ﴾ أي : ليس له دافع يدفعه عنهم إذا أراد الله بهم ذلك .

قال الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثنا أبي ، حدثنا موسى بن داود ، عن صالح المُرّي[٥] ، عن جعفر بن زيد العبدي ؛ قال : خرج عمر يعسُّ المدينة ذات ليلة ، فمر بدار رجل من المسلمين ، فوافقه قائمًا يصلي ، فوقف يستمع قراءته فقرأ : ﴿ والطور ﴾ حتىٰ بلغ : ﴿ إن عذاب ربك لواقع * ماله من دافع ﴾ ، قال : قَسَمٌ - ورب الكعبة - حَقٌّ . فنزل عن حماره ، واستند إلىٰ حائط ، فمكث مليًا ثم رجع إلىٰ منزله ، فمكث شهرًا يعوده

(٨) - أخرجه أحمد (٤٣/١) . وإسناده ضعيف لجهالة هذا الشيخ ، . وقد ضعف هذا الحديث أحمد شاكر في تعليقه على المسند .
(٩) - إسناده كسابقه .

[١] - في ز ، خ : لا .
[٢] - في ت : فيكفيه .
[٣] - في ز ، خ : برءوس .
[٤] - في ت : الواقع .
[٥] - في ز : المزي . وفي خ : المزني .

الناس لا يدرون ما مرضه رضي الله عنه(١٠) .

وقال الإمام أبو عُبَيد في « فضائل القرآن » : حدثنا محمد بن صالح ، حدثنا هشام بن حسان ، عن الحسن ؛ أن عمر قرأ : ﴿ إن عذاب ربك لواقع ﴾ ، فرتا لها رتوة عِيدَ منها عشرين يومًا(١١) .

وقوله : ﴿ يوم تمور السماء مورًا ﴾ قال ابن عباس وقتادة : تتحرك تحريكًا . وعن ابن عباس : هو تشققها ، وقال مجاهد : تدور دورًا . وقال الضحاك : استدارتها وتحريكها لأمر الله ، وموج بعضها في بعض . وهذا اختيار ابن جرير أنه التحرك في استدارة . قال : وأنشد أبو عبيدة[١] معمر بن المثنىٰ بيت الأعشىٰ[٢] .

كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا مَوْرُ[٣] السَّحَابَةِ لَا رَيْثٌ وَلَا عَجَلُ

﴿ وتسير الجبال سيرًا ﴾ أي : تذهب فتصير هباء منبثًا ، وتنسف نسفًا ، ﴿ فويل يومئذ للمكذبين ﴾ أي : ويل لهم ذلك اليوم من عذاب الله ونكاله بهم ، وعقابه لهم ، ﴿ الذين هم في خوض يلعبون ﴾ أي : هم في الدنيا يخوضون في الباطل ، ويتخذون دينهم هزوًا ولعبًا ، ﴿ يوم يُدَعّون ﴾ أي : يدفعون ويساقون ﴿ إلىٰ نار جهنم دَعًا ﴾ . وقال مجاهد ، والشعبي ، ومحمد بن كعب ، والضحاك ، والسدي ، والثوري : يدفعون فيها دفعًا : ﴿ هذه النار التي كنتم بها تكذبون ﴾ أي : تقول لهم الزبانية ذلك تقريعًا وتوبيخًا ، ﴿ أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون * اصلوها ﴾ أي : ادخلوها دخول من تغمره من جميع جهاته ، ﴿ فاصبروا أو لا تصبروا [ ][٤] سواء عليكم ﴾ أي : سواء صبرتم علىٰ عذابها ونكالها أم لم تصبروا ، لا محيد لكم عنها ولا خلاص لكم منها ، ﴿ إنما تجزون ما كنتم تعملون ﴾ أي : ولا يظلم الله أحدًا ، بل يجازي كلًّا بعمله .

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ (١٧) فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ (١٨) كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٩) مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ

(١٠) - في إسناده صالح المري وهو ضعيف .

(١١) - أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (١٣٦ - ١٣٧) . والحسن لم يسمع من عمر بن الخطاب ولم يره .

[١] - في ز ، خ : عبيد .

[٢] - في ز ، خ : الأعمش .

[٣] - في ز ، خ : مرُّ .

[٤] - في ز : أي .

سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ (٢٠)

يخبر تعالىٰ عن حال السعداء فقال : ﴿ إن المتقين في جنات ونعيم ﴾ ، وذلك بضد ما أولئك فيه من العذاب والنكال ، ﴿ فاكهين بما آتاهم ربهم ﴾ أي : يتفكهون بما آتاهم الله من النعيم ، من أصناف الملاذ ؛ من مآكل ومشارب وملابس ومساكنَ ومراكب وغير ذلك ، ﴿ ووقاهم ربهم عذاب الجحيم ﴾ أي : وقد نجاهم من عذاب النار ، وتلك نعمة مستقلة بذاتها علىٰ حِدَتها مع ما أُضيف إليها من دخول الجنة ، التي فيها من السرور ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خَطَر علىٰ قلب بشر .

وقوله : ﴿ كلوا واشربوا هنيئًا بما كنتم تعملون ﴾ ، كقوله : ﴿ كلوا واشربوا هنيئًا بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾ أي : هذا بذاك ، تفضلًا منه وإحسانًا .

وقوله : ﴿ متكئين علىٰ سرر مصفوفة ﴾ ، قال الثوري ، عن حصين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : السرر[١] في الحجَال .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو[٢] اليمان ، حدثنا صفوان بن عمرو ؛ أنه سمع الهيثم بن مالك الطائي يقول : إن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول[٣] : « **إن الرجل ليتكئ[٤] المتكأ مقدار أربعين سنة ما يتحول عنه[٥] [ولا يمله][٦] يأتيه ما اشتهت نفسه ولذت عينه** »(١٢) .

وحدثنا أبي ، حدثنا هُدْبَة بن خالد ، عن سليمان بن المغيرة ، عن ثابت قال : بلغنا أن الرجل ليتكئ[٧] في الجنة سبعين سنة ، عنده من أزواجه وخَدمه وما أعطاه الله من الكرامة والنعيم ، فإذا حانت منه نظرة فإذا أزواج له لم يكن رَآهُنّ[٨] قبل ذلك ، فيقلن : قد آن[٩] لك أن تجعل لنا منك نصيبًا .

ومعنى ﴿ مصفوفة ﴾ أي : وجوه بعضهم إلى بعض ؛ كقوله : ﴿ على سرر متقابلين ﴾ . ﴿ وزوجناهم بحور عين ﴾ أي : وجعلنا لهم قرينات صالحات ، وزوجات حسانًا[١٠] من

(١٢) - إسناده مرسل ؛ فالهيثم بن مالك الطائي تابعي .

[١] - في خ : السرور .
[٢] - في ز ، خ : ابن .
[٣] - في خ : قال .
[٤] - في ز : ليلى .
[٥] - في ت : عنها .
[٦] - سقط من خ .
[٧] - في ز : ليلى .
[٨] - في ز ، خ : رآهم .
[٩] - في ز : أنا .
[١٠] - في ز : حسان .

الحور العين .

وقال مجاهد : ﴿ وزوجناهم ﴾ أنكحناهم بحور عين . وقد تقدم [ ][١] وصفهن في غير موضع بما أغنى عن إعادته .

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾

يخبر تعالىٰ عن فضله وكرمه ، وامتنانه ولطفه بخلقه وإحسانه ؛ أن المؤمنين إذا اتبعتهم ذرياتهم في الإيمان يُلحقهم بآبائهم[٢] في المنزلة وإن لم يبلغوا عملَهم ، لتقرّ أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم ، فيجمع بينهم علىٰ أحسن الوجوه ، بأن يرفع الناقص العمل بكامل العمل ، ولا ينقص ذلك من عمله ومنزلته ، للتساوي بينه وبين ذلك ؛ ولهذا قال : ﴿ [ألحقنا بهم ذريتهم][٣] وما ألتناهم من عملهم من شيء ﴾ قال الثوري ، عن عمرو بن مرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ؛ قال : إن الله ليرفع ذرية المؤمن في درجته ، وإن كانوا دونه في العمل ، لتقرّ بهم[٤] عينه . ثم قرأ : ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء ﴾ رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث سفيان الثوري به(١٣) . وكذا رواه ابن جرير من حديث شعبة ، عن عمرو بن مُرّة به(١٤) . ورواه البزار ، عن سهل[٥] بن بحر ، عن الحسن بن حماد الوراق ، عن قيس بن

---

(١٣) - أخرجه الطبري (٢٤/٢٧) . وفي إسناده مؤمل وهو ابن إسماعيل البصري قال عنه الحافظ : صدوق سيئ الحفظ . وبقية رجاله ثقات .

(١٤) - أخرجه الطبري (٢٤/٢٧) .

---

[١] - في ز : في .

[٢] - في خ : بإيمانهم .

[٣] - في ز : « ألحقناهم ذرياتهم » .

[٤] - في ز ، خ : به .

[٥] - في خ : سهيل .

الربيع ، عن[١] عمرو[٢] بن مُرّة ، عن سعيد ، عن ابن عباس مرفوعًا ، فذكره(١٥) ، ثم قال : وقد رواه الثوري ، عن عمرو بن مُرّة ، عن سعيد ، عن ابن عباس موقوفًا .

وقال ابن أبي حاتم، حدثنا العباس بن الوليد بن مزيد[٣] البيروتي ، أخبرني محمد بن شُعَيب[٤] ، أخبرني شيبان ، أخبرني ليث ، عن[٥] حبيب بن أبي ثابت الأسدي ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قول الله عز وجل : ﴿ **والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم**[٦] ﴾ قال : هم ذرية المؤمن ، يموتون على الإيمان ، فإن كانت منازل آبائهم أرفع من منازلهم ألحقوا بآبائهم ، ولم ينقصوا من أعمالهم التي عملوا شيئًا(١٦) .

وقال الحافظ الطبراني : حدثنا الحسين بن إسحاق التُّستري ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن غزوان ، حدثنا شريك ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس - أظنه عن النبي صلى الله عليه وسلم - قال : « إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده ، فيقال : إنهم لم يبلغوا درجتك . فيقول : يارب ؛ قد عملتُ لي ولهم . فيؤمر بإلحاقهم به ، وقرأ ابن عباس : ﴿ **والذين آمنوا [واتبعتهم ذريتهم] بإيمان** ... ﴾ الآية(١٧) .

وقال العوفي ، عن ابن عباس في هذه الآية : يقول : والذين أدرك ذريتهم الإيمان فعملوا بطاعتي ، ألحقتهم بإيمانهم إلى الجنة ، وأولادهم الصغار تلحق بهم . وهذا راجع إلى التفسير الأول ، فإن ذاك مفسر أصرح من هذا . وهكذا يقول الشعبي ، وسعيد بن جبير ، وإبراهيم ، وقتادة ، وأبو صالح ، والربيع بن أنس ، والضحاك ، وابن زيد . وهو اختيار ابن

---

(١٥) - أخرجه البزار كما في مختصر الزوائد (٢/١٠٨) (١٥٠٨) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٧/ ١١٧) : رواه البزار وفيه قيس بن الربيع ؛ وثقه شعبة والثوري وفيه ضعف . قال ابن حجر بعد عبارة البزار التي ذكرها ابن كثير : وهو أحفظ من قيس وأوثق.

(١٦) - ليث : هو ابن أبي سليم : اختلط حديثه جدًّا ولم يتميز فترك ، وبقية إسناده ثقات .

(١٧) - أخرجه الطبراني في الكبير (١١/٤٤٠ - ٤٤١) (١٢٢٤٨) ، وفي الصغير (١/٢٢٩) . كلاهما من طريق محمد بن عبد الرحمن بن غزوان به . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٧/١١٧) : رواه في الصغير والكبير ، وفيه محمد بن عبد الرحمن بن غزوان وهو ضعيف .اهـ . قلت : وشريك تكلم فيه من قبل حفظه .

---

[١] - في ز : بن .

[٢] - في ت : عمر .

[٣] - في ز : يزيد .

[٤] - في ز ، خ : شعبة .

[٥] - في ز ، خ : بن .

[٦] - في ز في هذا الموضع وما سيأتي من مواضع [وأتبعناهم ذرياتهم ألحقنا بهم ذرياتهم] وهي قراءة ابن عامر انظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٦١٢.

جرير . وقد قال عبد الله ابن الإِمام أحمد :

حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا محمد بن فُضَيل[١] ، عن محمد بن عثمان ، عن زاذان ، عن علي ؛ قال : سألتْ خديجةُ النبيَّ صلىٰ اللّه عليه وسلم عن ولدين ماتا لها في الجاهلية ؟ فقال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « هما في النار » . فلما رأىٰ الكراهة في وجهها قال : « لو رأيت مكانهما لأبغضتهما » . قالت : يا رسول اللّه ؛ فولدي منك ؟ قال : « في الجنة » . قال : ثم قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « إن المؤمنين وأولادهم في الجنة ، وإن المشركين وأولادهم في النار » . ثم قرأ رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : ﴿ **والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم** ﴾ الآية(١٨) .. هذا فضله تعالىٰ علىٰ الأبناء ببركة عمل الآباء ، وأما فضله علىٰ الآباء ببركة دعاء الأبناء ، فقد قال الإِمام أحمد :

حدثنا يزيد ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن عاصم بن أبي النّجُود ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « إن اللّه ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول : يارب ؛ أنىٰ لي هذه ؟ فيقول : باستغفار ولدك لك »(١٩) .

إسناده صحيح ولم يخرجوه من هذا الوجه ، ولكن له شاهد في صحيح مسلم ، عن أبي هريرة ، عن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له »(٢٠) .

وقوله : ﴿ **كل امرئ بما كسب رهين** ﴾ ، لما أخبر عن مقام الفضل ، وهو رفع درجة الذرية إلىٰ منزلة الآباء من غير عمل يقتضي ذلك ، أخبر عن مقام العدل ، وهو أنه لا يؤاخذ

(١٨) - أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (١/١٣٤ - ١٣٥) . والحديث ذكره ابن حجر في التعجيل في ترجمته لمحمد بن عثمان ثم قال : قال الذهبي في الميزان : لا يدرى من هو ؛ فتشت عليه في أماكن وخبره منكر . قال شيخنا الهيثمي : ذكره ابن حبان في الثقات وأغفله الحسيني .

قلت : وذكره الأزدي في الضعفاء ، والخبر الذي أشار إليه الذهبي ساقه في الميزان ، وهو المذكور في زيادات عبد الله في المسند .اهـ .

قال الهيثمي في « المجمع (٧/٢٢٠) : رواه عبد الله بن أحمد ، وفيه محمد بن عثمان ولم أعرفه ، وبقية رجاله رجال الصحيح .اهـ .

(١٩) - أخرجه أحمد (٢/٥٠٩) وفي إسناده عاصم بن بهدلة وهو ضعيف لكن يشهد له ما بعده .

(٢٠) - أخرجه مسلم في كتاب : الوصية ، باب : ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ، حديث (٤/١٦٣١) (١١/١٢٢) .

[١] - في ز : فضل .

أحدًا بذنب أحد ، بل ﴿ كل امرئ بما كسب رهين ﴾ أي : مرتهن بعمله ، لا يحمل عليه ذنب غيره من الناس ، سواء كان أبًا أو ابنًا ، كما قال : ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة * إلا أصحاب اليمين * في جنات يتساءلون * عن المجرمين ﴾ .

وقوله : ﴿ وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون ﴾ أي : وألحقناهم بفواكه ولحوم من أنواع شتّىٰ ، مما يستطاب ويشتهىٰ .

وقوله : ﴿ يتنازعون فيها كأسًا ﴾ أي : يتعاطون فيها كأسًا أي : من الخمر ؛ قاله الضحاك ﴿ لا لغو فيها ولا تأثيم ﴾ أي : لا يتكلمون عنها[١] بكلام لاغ ، أي : هَذيان وإثم[٢] أي : فُحْش ، كما[٣] تتكلم به الشربة من أهل الدنيا .

وقال ابن عباس : اللغو : الباطل ، والتأثيم : الكذب . وقال مجاهد : لا يستبون ولا يؤثمون . وقال قتادة : كان ذلك في الدنيا مع الشيطان .

فنزه اللَّه خمر الآخرة عن قاذورات خمر الدنيا وأذاها ، فنفي عنها - كما تقدم - صداع الرأس ، ووجع البطن وإزالة العقل بالكلية ، وأخبر أنها لا تحملهم علىٰ الكلام السيئ الفارغ عن الفائدة المتضمن هَذَيانًا وفُحشًا ، وأخبر بحسن منظرها وطيب طعمها ومخبرها فقال : ﴿ بيضاء لذة للشاربين * لا فيها غول ولا هم عنها يُنزَفون ﴾ وقال : ﴿ لا يصدعون عنها ولا يُنزِفون ﴾ وقال هاهنا : ﴿ يتنازعون فيها كأسًا لا لغو فيها ولا تأثيم ﴾ .

وقوله : ﴿ ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون ﴾ : إخبار عن خَدَمهم وحَشَمهم في الجنة كأنهم اللؤلؤ الرطب ، المكنون في حُسنهم وبهائهم ونظافتهم[٤] وحسن ملابسهم ؛ كما قال : ﴿ يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين ﴾ .

وقوله : ﴿ وأقبل بعضهم علىٰ بعض يتساءلون ﴾ أي : أقبلوا يتحادثون ويتساءلون عن أعمالهم وأحوالهم في الدنيا ، وهذا كما يتحادث أهل الشراب علىٰ شرابهم إذا أخذ فيهم الشراب بما كان من أمرهم ، ﴿ قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين ﴾ أي قد كنا في الدار الدنيا ونحن بين أهلنا خائفين من ربنا مشفقين من عذابه وعقابه ، ﴿ فمن اللَّه علينا ووقانا عذاب السموم ﴾ أي : فتصدق علينا وأجارنا مما نخاف ، ﴿ إنا كنا من قبل ندعوه ﴾ ، أي : نتضرع إليه ، فاستجاب لنا وأعطانا سؤلنا ، ﴿ إنه هو البر الرحيم ﴾ .

---

[١] - في خ : فيها .
[٢] - في ز ، خ : ولا إثم .
[٣] - سقط من خ .
[٤] - في ز ، خ : وتصافيهم .

وقد ورد في هذا المقام حديث ، رواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده فقال : حدثنا سلمة ابن شَبيب ، حدثنا سعيد بن دينار ، حدثنا الربيع بن صبيح ، عن الحسن ، عن أنس ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « إذا دخل أهل الجنة الجنة اشتاقوا إلىٰ الإخوان ، فيجيء سرير هذا[١] حتى يحاذي سرير هذا فيتحدثان فيتكئ هذا ويتكئ هذا فيتحدثان بما كان في الدنيا ، فيقول أحدهما لصاحبه : يا فلان ؛ تدري أي يوم غفر الله لنا ؟ يوم كنا في موضع كذا وكذا ، فدعونا الله - عز وجل - فغفر لنا »(٢١) .

ثم قال البزار : لا نعرفه يروى[٢] إلا بهذا الإسناد .

قلت : وسعيد بن دينار الدمشقي ، قال أبو حاتم : هو مجهول وشيخه الربيع بن صبيح قد تكلم فيه غير واحد من جهة حفظه ، وهو رجل صالح ثقة في نفسه .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عمرو بن عبد الله الأودي ، حدثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن أبي الضحىٰ ، عن مسروق ، عن عائشة ؛ أنها قرأت هذه الآية : ﴿ **فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم * إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم** ﴾ ، فقالت : اللهم ؛ مُنّ علينا وقنا عذاب السموم ، إنك أنت البر الرحيم . قيل للأعمش : في الصلاة ؟ قال : نعم(٢٢) .

فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾

يقول تعالىٰ آمرًا رسوله صلوات الله وسلامه عليه بأن يبلغ رسالته إلىٰ عباده ، وأن

(٢١) - أخرجه البزار كما في : « مختصر الزوائد » (٢/٤٨٦ - ٤٨٧) (٢٢٧٠) ثم قال : تفرد به أنس بهذا الإسناد الضعيف .

قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٠/٤٢٤) : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح ، غير سعيد بن دينار والربيع بن صبيح وهما ضعيفان وقد وثقا .اهـ . وأخرجه العقيلي (٢/١٠٣) في ترجمة سعيد بن دينار التمار ، وقال : لا يتابع عليه ولا يعرف إلا به .

(٢٢) - إسناده صحيح .

[١] - سقط من خ . [٢] - في ز ، خ : مروي .

يذكرهم بما أنزل اللّٰه عليه . ثم نفىٰ عنه ما يرميه[١] به أهل البهتان والفجور فقال : ﴿ فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ﴾ أي : لست بحمد اللّٰه بكاهن كما تقوّله الجهلة من كفار قريش . والكاهن : الذي يأتيه الرَّئِيّ من الجان بالكلمة يتلقاها من خبر السماء ، ﴿ ولا مجنون ﴾ وهو الذي يتخبطه الشيطان من المس .

ثم قال تعالىٰ منكرًا عليهم [في قولهم][٢] في الرسول - صلوات اللّٰه وسلامه عليه : ﴿ أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ﴾ أي : قوارع الدهر . والمنون : الموت . يقولون: ننظره[٣] ونصبر عليه حتىٰ يأتيه الموت فنستريح منه ومن شأنه ، قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ قل تربصوا فإني معكم من المتربصين ﴾ أي : انتظروا فإني منتظر معكم ، وستعلمون لمن تكون العاقبة والنّصرة في الدنيا والآخرة .

قال محمد بن إسحاق ، عن عبد اللّٰه بن أبي نَجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : إن قريشًا لما اجتمعوا في دار الندوة في أمر النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم، قال قائل منهم : احتبسوه في وثاق ، ثم[٤] تربصوا به ريب المنون حتىٰ يهلك ، كما هلك من هلك قبله من الشعراء : زهير والنابغة ، إنما هو كأحدهم . فأنزل اللّٰه في[٥] ذلك من قولهم : ﴿ أم[٦] يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ﴾ ثم قال تعالىٰ : ﴿ أم تأمرهم أحلامهم بهذا ﴾ أي : عقولهم تأمرهم بهذا الذي يقولونه فيك من الأقوال الباطلة التي يعلمون في أنفسهم أنها كَذب وزور ﴿ أم هم قوم طاغون ﴾ أي : ولكن هم قوم ضلال معاندون ، فهذا هو الذي يحملهم علىٰ ما قالوه فيك(٢٣) .

وقوله : ﴿ أم يقولون تقوله ﴾ أي : اختلقه وافتراه من عند نفسه ، يعنون القرآن . قال اللّٰه : ﴿ بل لا يؤمنون ﴾ أي : كفرهم هو الذي يحملهم علىٰ هذه المقالة ، ﴿ فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾ أي : إن كانوا صادقين في قولهم : تَقَوّله وافتراه ، فليأتوا بمثل ما جاء به محمد من هذا القرآن ، فإنهم لو اجتمعوا هم[٧] وجميع أهل الأرض من الجن والإنس ، ما جاءوا بمثله ، ولا بعشر سور مثله ، ولا بسورة من مثله .

أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا

(٢٣) - سيرة ابن هشام (٢/٣٣١ - ٣٣٢) .

[١] - في ز ، خ : يريبه .
[٢] - سقط من خ .
[٣] - في خ : ننتظره .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - سقط من ز ، خ .
[٦] - في ز : بل .
[٧] - سقط من خ .

يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾

هذا المقام في إثبات الربوبية وتوحيد الألوهية[١] ، فقال تعالىٰ : ﴿ **أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون** ﴾ أي : أوجدوا من غير موجد ؟ أم هم أوجدوا أنفسهم ؟ أي : لا هذا ولا هذا ، بل الله هو الذي خلقهم وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئًا مذكورًا .

قال البخاري : حدثنا الحُميدي ، حدثنا سفيان ؛ قال : حدثوني عن الزهري ، عن محمد ابن جبير بن مُطعم ، عن أبيه ؛ قال : سمعت النبي صلىٰ الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور[٢] ، فلما بلغ هذه الآية : ﴿ **أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون * أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون** ﴾ كاد قلبي أن يطير(٢٤) .

وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من طرق ، عن الزهري به(٢٥) . وجبير بن مطعم كان قد[٣] قدم علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم بعد وقعة بدر في فداء الأسارىٰ ، وكان إذ ذاك مشركًا ، وكان سماعه هذه[٤] الآية من هذه السورة من جملة ما حمله علىٰ الدخول في الإسلام بعد ذلك .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون** ﴾ ؟ أي : أهم خلقوا

(٢٤) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، تفسير سورة الطور ، باب : (١) ، حديث (٤٨٥٤) (٨/ ٦٠٣) . وزاد : قال سفيان : فأما أنا فإنما سمعت الزهري يحدث عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه : سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقرأ في المغرب بالطور لم أسمعه زاد الذي قالوا لي .

(٢٥) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسر ، باب : سورة الطور ، حديث (٤٨٥٤) (٨/٤٦٩) . وأطرافه في [٧٦٥ ، ٣٠٥٠، ٤٠٢٣] . ومسلم في كتاب : الصلاة ، باب : القراءة في الصبح ، حديث (٤٦٣/١٧٤) (٤/٢٣٩) .

[١] - في ز : الإلهية .
[٢] - في ز : والطور .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - سقط من خ .

السماوات والأرض ؟ ، وهذا إنكار عليهم في شركهم بالله ، وهم يعلمون أنه الخالق وحده ، لا شريك له . ولكن عدم إيقانهم هو الذي[١] يحملهم على ذلك ، ﴿ **أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون** ﴾ ؟ أي[٢] : أهم يتصرفون في الملك وبيدهم مفاتيح الخزائن ، ﴿ **أم هم المسيطرون** ﴾ ؟ أي : المحاسبون للخلائق ، ليس الأمر كذلك ، بل الله - عز وجل - هو المالك المتصرف الفعال لما يريد .

وقوله : ﴿ **أم لهم سُلَّم يستمعون فيه** ﴾ أي : مرقاة إلى الملأ الأعلى ، ﴿ **فليأت مستمعهم بسلطان مبين** ﴾ أي : فليأت الذي يستمع لهم بحجة ظاهرة على صحة ما هم فيه من الفعال والمقال ، أي : وليس لهم سبيل إلى ذلك ، فليسوا على شيء ، ولا لهم دليل .

ثم قال منكرًا عليهم فيما نسبوه إليه من البنات ، وجَعلهم الملائكة إناثًا ، واختيارهم لأنفسهم الذكور على الإناث ، بحيث إذا بُشّر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودًا وهو كظيم . هذا وقد جعلوا الملائكة بنات الله ، وعبدوهم[٣] مع الله ، فقال : ﴿ **أم له البنات ولكم البنون** ﴾ ؟ . وهذا تهديد شديد[٤] ووعيد أكيد[٥] ، ﴿ **أم تسألهم أجرًا** ﴾ ؟ أي : أجرة على إبلاغك إياهم رسالة الله ؟ أي : لست تسألهم على ذلك شيئًا ، ﴿ **فهم من مغرم مثقلون** ﴾ أي : فإنهم[٦] من أدنى شيء يتبرمون منه ، ويثقلهم ويشق عليهم ، ﴿ **أم عندهم الغيب فهم يكتبون** ﴾ ، أي : ليس الأمر كذلك ، فإنه لا يعلم أحد من أهل السماوات والأرض الغيب إلا الله ، ﴿ **أم يريدون كيدًا فالذين كفروا هم المكيدون** ﴾ يقول تعالى : أم يريدُ هؤلاء بقولهم هذا في الرسول وفي الدين غرور الناس وكيد الرسول وأصحابه ، فكيدُهم إنما يرجع وباله على أنفسهم ، فالذين كفروا هم المكيدون ، ﴿ **أم لهم إله غير الله سبحانَ الله عما يشركون** ﴾ . وهذا إنكار شديد على المشركين في عبادتهم الأصنام والأنداد مع الله . ثم نزه نفسه الكريمة عما يقولون ويفترون ويشركون ، فقال : ﴿ **سبحان الله عما يشركون** ﴾ .

وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ز ، خ : وعنادهم .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - سقط من ز ، خ .
[٦] - في ت : فهم .

(٤٦) وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٧) وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (٤٨) وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ (٤٩)

يقول تعالىٰ مخبرًا عن المشركين بالعناد والمكابرة للمحسوس : ﴿ **وإن يروا كسفًا من السماء ساقطًا** ﴾ أي : عليهم يعذبون به ، لَمَا صدقوا ، ولَمَا أيقنوا ، بل يقولون : هذا ﴿ **سحاب مركوم** ﴾ أي : متراكم . وهذا كقوله تعالىٰ : ﴿ **ولو فتحنا عليهم بابًا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون** ﴾ . قال الله تعالىٰ : ﴿ **فذرهم** ﴾ أي : دعهم يامحمد ﴿ **حتىٰ يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون** ﴾ ، وذلك يوم القيامة ، ﴿ **يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئًا** ﴾ أي : لا ينفعهم كيدهم ولا[١] مكرهم الذي استعملوه في الدنيا ، لا يجدي[٢] عنهم يوم القيامة شيئًا ، ﴿ **ولا هم ينصرون** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **وإن للذين ظلموا عذابًا دون ذلك** ﴾ أي : قبل ذلك في الدار الدنيا ، كقوله : ﴿ **ولنذيقنهم من العذاب الأدنىٰ دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون** ﴾ ؛ ولهذا قال : ﴿ **ولكن أكثرهم لا يعلمون** ﴾ أي : نعذبهم في الدنيا ، ونبتليهم فيها بالمصائب ، لعلهم يرجعون وينيبون ، فلا يفهمون ما يُرَاد بهم ، بل إذَا جَلَّىٰ عنهم مما كانوا فيه ، عادوا إلىٰ أسوأ ما كانوا عليه ، كما جاء في بعض الأحاديث : « إن المنافق إذا مرض وعُوفي مَثَلُه في ذلك كمثل البعير ، لا يدري فيما عَقَلوه[٣] ولا فيما أرسلوه »(٢٦) . وفي الأثر الإلهى : كم أعصيك ولا تعاقبنى؟ قال الله : يا عبدي كم أعافيك وأنت لا تدري؟

(٢٦) - أخرجه أبو داود في كتاب الجنائز ، باب : الأمراض المكفرة للذنوب ، حديث (٣٠٨٩) (٣/١٨٢ - ١٨٣) .

والبغوي في شرح السنة (٥/٢٥٠ - ٢٥١) (١٤٤٠) . كلاهما من طريق محمد بن إسحاق قال : حدثني رجل من أهل الشام يقال له : أبو منظور عن عمه ، قال : حدثني عمي ، عن عامر الرامي أخى الخضر ... فذكره مرفوعًا في حديث طويل .

وأبو منظور هذا مجهول كما في التقريب . والحديث ذكره المنذري في الترغيب والترهيب ، وقال : رواه أبو داود وفي إسناده رجل لم يسم . وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود برقم (٦٧٩) .

[١] - سقط من ت . [٢] - في خ : يجزي .

[٣] - في ز : أعقلوه .

وقوله : ﴿ **فاصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا** ﴾ ، أي : اصبر علىٰ أذاهم ولا تُبالهم ، فإنك بمرأىٰ منا وتحت كَلاءتنا ، واللَّه يعصمك من الناس .

وقوله : ﴿ **وسبح بحمد ربك حين تقوم** ﴾ قال الضحاك : أي إلىٰ الصلاة : سبحانك اللَّهم وبحمدك ، وتبارك اسمك ، وتعالىٰ جدك ، ولا إله غيرك . فقد روى مثله عن الربيع ابن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهما .

ورویٰ مسلم في صحيحه ، عن عمر أنه كان يقول هذا في ابتداء الصلاة(٢٧) . ورواه أحمد وأهل السنن ، عن أبي سعيد وغيره ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه كان يقول ذلك(٢٨) .

وقال أبو الجوزاء : ﴿ **وسَبّح بحمد ربك حين تقوم** ﴾ أي : من نومك من فراشك . واختاره ابن جرير . ويتأيد هذا القولُ بما رواه الإمام أحمد :

حدثنا الوليد بن[١] مسلم؛ حدثنا الأوزاعي، حدثني عمير[٢] بن هانئ ، حدثني جنادة ابن أبي أمية ،حدثنا عبادة بن الصامت؛ أن[٣] رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم؛ قال : « **من تَعَارّ من الليل فقال : لا إله إلا اللَّه ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو علىٰ كل شيء قدير ، سبحان اللَّه ، والحمد للَّه ، ولا إله إلا اللَّه ، واللَّه أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه ، ثم قال : رَب اغفر لي - أو قال - : ثم دعا استُجيب له ، فإن عزم فتوضأ[٤] ثم صلىٰ تُقبّلت صلاته** »(٢٩) . وأخرجه البخاري في صحيحه وأهل السنن

---

(٢٧) - أخرجه مسلم في كتاب : الصلاة ، باب : حجة من قال : لا يجهر بالبسملة ، حديث (٥٢/ ٣٩٩) (١٤٦/٤) .

(٢٨) - أخرجه أحمد (٥٠/٣) (١١٤٨٩) وأبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : من رأى الاستفتاح بسبحانك اللهم وبحمدك ، حديث (٧٧٥) (٢٠٦/١) . والترمذي في كتاب : الصلاة ، باب : ما يقول عند افتتاح الصلاة ، حديث (٢٤٢) (٣٢٤/١) . والنسائي في كتاب : الافتتاح ، باب : نوع آخر من الذكر بين افتتاح الصلاة وبين القراءة . وابن ماجة في كتاب : الإقامة ، باب : افتتاح الصلاة ، حديث (٨٠٤) (٢٦٤/١) . كلهم من طريق جعفر بن سليمان الضبعي ، حدثني علي بن علي الرفاعي عن أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد - رضي الله عنه - فذكره . قال أبو داود : وهذا الحديث يقولون هو عن علي بن علي عن الحسن مرسلًا . الوهم من جعفر .اهـ . قال الترمذي : وقد تكلم في إسناد حديث أبي سعيد ، كان يحيى بن سعيد يتكلم في علي بن علي الرفاعي . وقال أحمد : لا يصح هذا الحديث .

(٢٩) - أخرجه أحمد (٣١٣/٥) (٢٢٧٧٦) ورجاله كلهم ثقات ، والوليد بن مسلم قد صرح بالتحديث في كل الإسناد .

---

[١] - في خ : أبو .
[٢] - في ز ، خ : عمر .
[٣] - في ز : عن .
[٤] - في ز ، خ : ثم توضأ .

من حديث الوليد بن مسلم به[١] (٣٠).

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد: ﴿**وسبح بحمد ربك حين تقوم**﴾ قال: من كل مجلس. وقال الثوري، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص: ﴿**وسبح بحمد ربك حين تقوم**﴾، قال: إذا أراد الرجل أن يقوم من مجلسه قال: سبحانك اللَّهم وبحمدك.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو النضر إسحاق بن إبراهيم الدمشقي، حدثنا محمد بن شعيب، أخبرني طلحة بن عمرو الحضرمي، عن عطاء بن أبي رباح؛ أنه حدثه عن قول اللَّه: ﴿**وسبح بحمد ربك حين تقوم**﴾ يقول: حين تقوم من كل مجلس، إن كنت أحسنت ازددت خيرًا، وإن كان[٢] غير ذلك كان هذا كفارة له(٣١).

وقد قال عبد الرزاق في «جامعه»: أخبرنا معمر، عن عبد الكريم الجَزَري، عن أبي عثمان الفقير؛ أن جبريل علَّم النبي صلى اللَّه عليه وسلم إذا قام من مجلسه أن يقول: سبحانك اللَّهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك. قال معمر: وسمعت غيره يقول: هذا القول كفارة المجالس(٣٢).

وهذا مرسل، وقد وردت أحاديث مسندة من طرق يقوي بعضها بعضًا بذلك، فمن ذلك حديث ابن جريج، عن سُهَيل[٣] بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم؛ أنه قال: «من جلس في مجلس فكثر فيه لَغَطُه فقال قبل أن يقوم من مجلسه: سبحانك اللَّهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، إلا غُفر له ما كان في مجلسه ذلك[٤]»(٣٣).

(٣٠) - وأخرجه البخاري في كتاب: التهجد، باب: فضل من تعار من الليل فصلى، حديث (١١٥٤) (٣/٣٩).
وأبو داود في كتاب الأدب، باب: ما يقول الرجل إذا تعار من الليل، حديث (٥٠٦٠) (٤/٣١٤).
والترمذي في كتاب: الدعوات، باب: ما جاء في الدعاء إذا انتبه من الليل، حديث (٣٤١١) (٩/١١٥ - ١١٦).
وابن ماجة في كتاب: الدعاء، باب: ما يدعو به إذا انتبه من الليل، حديث (٣٨٧٨) (٢/١٣٧٦).

(٣١) - في إسناده طلحة بن عمرو بن عثمان الحضرمي المكي: متروك.

(٣٢) - أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١١/٢٤) (١٩٧٩٦) وهو حديث معضل؛ فأبو عثمان الفقير هو: يزيد بن صهيب وهو ثقة من الرابعة دون الطبقة الوسطى من التابعين.

(٣٣) - أخرجه الترمذي في كتاب: الدعوات، باب: ما يقول إذا قام من مجلسه، حديث (٣٤٢٩) (٩/١٣١).

[١] - سقط من ز، خ.
[٢] - في خ: كنت.
[٣] - في ز: سهل.
[٤] - سقط من ت.

رواه الترمذي - وهذا لفظه - والنسائي في اليوم والليلة من حديث ابن جريج[١] . وقال الترمذي : « حسن صحيح » . وأخرجه الحاكم في مستدركه وقال : « إسناد على شرط مسلم إلا أن البخاري علله » .

قلت : علله الإمام أحمد ، والبخاري ، ومسلم ، وأبو حاتم ، وأبو زرعة ، والدارقطني ، وغيرهم . ونسبوا الوهم فيه إلىٰ ابن جُرَيج ، علىٰ أن أبا داود قد رواه في سننه من طريق غير ابن جريج إلىٰ أبي هُرَيرة - رضي الله عنه - عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم بنحوه(٣٤) . ورواه أبو داود - واللفظ له - والنسائي ، والحاكم في المستدرك ، من طريق الحجاج بن دينار ، عن أبي [٢] هاشم ، عن أبي العالية ، عن أبي بَرْزَةَ الأسلمي ؛ قال : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول بأَخَرَة إذا أراد أن يقوم من المجلس : « سبحانك اللّهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك » . فقال رجل : يا رسول الله ؛ إنك لتقول قولًا ما كنت تقوله فيما مضى ؟ ! قال : « كفارة لما يكون في المجلس »(٣٥) .

وقد روي مرسلًا عن أبي العالية(٣٦) ، والله أعلم . وهكذا رواه النسائي والحاكم ، من

والنسائي في الكبرى في كتاب : عمل اليوم والليلة ، باب : ما يقول إذا جلس في مجلس كثر فيه لغطه ، حديث (١٠٢٣٠) (٦/١٠٥ - ١٠٦) . والحاكم في مستدركه (١/٥٣٦ - ٥٣٧) . كلهم من طريق حجاج بن محمد عن ابن جريج به . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ، لا نعرفه من حديث سهيل إلا من هذا الوجه . قال الحاكم : صحيح على شرط مسلم إلا أن البخاري قد علله بحديث وهيب بن موسى بن عقبة عن سهيل عن أبيه عن كعب الأحبار من قوله ، فالله أعلم . ولهذا الحديث شواهد عن جبير بن مطعم وأبي برزة الأسلمي ورافع بن خديج .اهـ . والحديث صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (٢٧٣٠ - ٣٦٧٤) .

(٣٤) - أخرجه أبو داود في كتاب : الأدب ، باب : في كفارة المجلس ، حديث (٤٨٥٨) (٤/٢٦٥) . وفي إسناده عبد الرحمن بن أبي عمرو ، قال فيه الحافظ : مقبول . وبقية إسناده ثقات . وقد صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (٤٠٦٧) .

(٣٥) - أخرجه أبو داود في كتاب : الأدب ، باب : في كفارة المجلس ، حديث (٤٨٥٩) (٤/٢٦٥) . والنسائي في الكبرى في كتاب : عمل اليوم والليلة ، باب : كفارة ما يكون في المجلس ، حديث (١٠٢٥٩) (٦/١١٢ - ١١٣) ، والحاكم (١/٥٣٧) . كلهم من طريق حجاج بن دينار عن أبي هاشم ، عن أبي العالية ، عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه به . وإسناده حسن من أجل الحجاج بن دينار فقد قال عنه الحافظ في التقريب : لا بأس به ، وله ذكر في مقدمة مسلم .اهـ . وقال الشيخ الألباني في صحيح أبي داود : حسن صحيح .

(٣٦) - أخرجه النسائي في الكبرى في كتاب : عمل اليوم والليلة ، باب : كفارة ما يكون في المجلس ، حديث (١٠٢٦١، ١٠٢٦٢) (٦/١١٣) ، (١٠٢٦٤) (٦/١١٣ - ١١٤) .

---

[١] - في ت : جرير . [٢] - سقط من ت.

حديث الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن رافع بن خَديج ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم مثله سواء[٣٧] . وروى مرسلًا أيضًا ، واللّٰه أعلم . وكذا رواه أبو داود عن عبد اللّٰه بن عمرو أنه قال : « كلمات لا يتكلم بهن أحد في مجلسه عند قيامه ثلاث مرات إلا كُفر بهن عنه ، ولا يقولهن في مجلس خير ومجلس ذكر إلا خُتم له بهن كما يختم بالخاتم [علىٰ الصحيفة][١] : سبحانك اللّهم وبحمدك لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك »[٣٨] . وأخرجه الحاكم من حديث أم المؤمنين عائشة ، وصححه[٣٩] ، ومن رواية جُبَير بن مطعم[٤٠] . ورواه أبو بكر الإسماعيلي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، كلهم عن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم . وقد أفردت لذلك جزءًا علىٰ حِدَة بذكر طُرقه وألفاظه وعلله ، وما يتعلق به ، وللّٰه الحمد والمنة .

وقوله : ﴿ ومن الليل فسبحه ﴾ أي : اذكره واعبده بالتلاوة والصلاة في الليل ، كما قال تعالى : ﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسىٰ أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا ﴾ .

وقوله : ﴿ وإدبار النجوم ﴾ قد تقدم في حديث ابن عباس أنهما الركعتان اللتان قبل صلاة الفجر[٤١] ، فإنهما مشروعتان عند إدبار النجوم ، أي :عند جنوحها[٢] للغيبوبة . وقد روىٰ ابن سِيلانَ[٣] ، عن أبي هريرة مرفوعًا : « لا تَدَعوهما ، وإن طردتكم الخيل »[٤٢] ، يعني : ركعتي الفجر . رواه أبو داود . ومن هذا الحديث حكي عن بعض أصحاب الإمام أحمد القولُ بوجوبهما ، وهو ضعيف لحديث : « خمس صلوات في اليوم والليلة » . قال : هل

---

(٣٧) - أخرجه النسائي في الكبرى في كتاب : عمل اليوم والليلة ، باب : كفارة ما يكون في المجلس ، حديث (١٠٢٦٣) (١١٣/٦) . والحاكم (٥٣٧/١) .

(٣٨) - أخرجه أبو داود في كتاب : الأدب ، باب : في كفارة المجلس ، حديث (٤٨٥٧) (٢٦٤/٤ - ٢٦٥) . وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود دون لفظة : ثلاث مرات .

(٣٩) - أخرجه الحاكم (٤٩٦/١ - ٤٩٧) . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

(٤٠) - أخرجه الحاكم (٥٣٧/١) وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

(٤١) - تقدم تخريجه في آخر سورة (ق) .

(٤٢) - أخرجه أحمد (٤٠٥/٢) ، وأبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : في تخفيفهما ، حديث (١٢٥٨) (٢٠/٢) .

كلاهما من طريق ابن سيلان وهو جابر ، وقيل : عبد ربه بن سيلان قال عنه الحافظ : مقبول . وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود برقم (٢٧٢) .

---

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : خروجها .

[٣] - في ز : سبلان .

علي غيرها ؟ قال : « لا ، إلا أن تطوع »(٤٣) . وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة - رضي اللَّه عنها - أنها قالت : لم يكن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم علىٰ شيء من النوافل أشد تَعاهُدًا منه علىٰ ركعتي الفجر(٤٤) وفي لفظ لمسلم: **« ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها »**(٤٥) .

[آخر تفسير سورة الطور ولله الحمد والمنة] .

☆ ☆ ☆

(٤٣) - أخرجه البخاري في كتاب : الإيمان ، باب : الزكاة من الإسلام ، حديث (٤٦) (١/١٠٦) .
وأطرافه في : [١٨٩١، ٢٦٧٨، ٦٩٥٦] .
ومسلم في كتاب : الإيمان ، باب : بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام ، حديث (١١/٨) (١/ ٢٣٣ - ٢٣٤) .
كلاهما من حديث طلحة بن عبيد الله أن رجلًا من أهل نجد أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - وسأل عن الإسلام ، الحديث .

(٤٤) - أخرجه البخاري في كتاب : التهجد ، باب : تعاهد ركعتي الفجر ومن سماهما تطوعًا ، حديث (١١٦٩) (٣/٤٥) .
ومسلم في كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ، باب : استحباب ركعتي سنة الفجر ، والحث عليهما وتخفيفهما ، حديث (٧٢٤/٩٤) .

(٤٥) - أخرجه مسلم في كتاب : صلاة المسافرين ، في الباب السابق ، حديث (٧٢٥/٢٦) (٦/٧ - ٨) .

تفسير سورة النجم

وهي مكية

قال البخاري(١) : حدثنا نصر بن علي ، أخبرني أبو أحمد ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن الأسود بن يزيد ، عن عبد الله قال : أولُ سورة أنزلت فيها سجدة ﴿ والنجم ﴾ ، قال[١] : فسجد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وسجد من خلفه ، إلا رجلًا رأيته أخذ كفًّا من تراب فسجد عليه ، فرأيته بعد ذلك قُتل كافرًا ، وهو أمية بن خلف .

وقد رواه البخاري أيضًا(٢) في مواضع ، ومسلم وأبو داود والنسائي ، من طرق ، عن أبي إسحاق ، به . وقوله في الممتنع : إنه أمية بن خلف في هذه الرواية - مشكل ، فإنه قد جاء من غير هذه الطريق أنه عتبة بن ربيعة[٢] .

﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾

قال الشعبي وغيره : الخالق يُقسم بما شاء من خلْقه ، والمخلوق لا ينبغي له أن يقسم إلا بالخالق . رواه ابن أبي حاتم .

واختلف المفسرون في معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ والنجم إذا هوىٰ ﴾ فقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : يعني بالنجم : الثريا إذا سقطت مع الفجر . وكذا رُوي عن ابن عباس وسفيان الثوري . واختاره ابن جرير . وزعم السدي أنها الزهرة .

وقال الضحاك : ﴿ والنجم إذا هوىٰ ﴾ إذا رمي به[٣] الشياطين ، وهذا القول له اتجاه .

(١) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ فاسجدوا لله واعبدوا ﴾ ، حديث (٤٨٦٣) .

(٢) - أخرجه البخاري في كتاب : سجود القرآن ، باب : ما جاء في سجود القرآن وسنتها ، حديث (١٠٦٧) . وأطرافه في (١٠٧٠، ٣٨٥٣، ٣٩٧٢، ٤٨٦٣) . ومسلم في كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، حديث ١٠٥ - (٥٧٦) . وأبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : من رأى فيها السجود ، حديث (١٤٠٦) . والنسائي في الكبرى ، في كتاب : التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿فاسجدوا لله واعبدوا﴾ ، حديث (١١٥٤٩) . كلهم من طريق شعبة عن أبي إسحاق .

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : شيبة .

[٣] - في ز : بها .

وروىٰ الأعمش ، عن مجاهد في قوله : ﴿ **والنجم إذا هوىٰ** ﴾ ، يعني : القرآن إذا نزل . وهذه الآية[١] كقوله تعالىٰ : ﴿ **فلا أقسم بمواقع النجوم * وإنه لقسم لو تعلمون عظيم * إنه لقرآن كريم * في كتاب مكنون * لا يمسه إلا المطهرون * تنزيل من رب العالمين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ما ضل صاحبكم وما غوىٰ** ﴾ : هذا هو المقسم عليه ، وهو الشهادة للرسول - صلوات الله وسلامه عليه - بأنه بارّ راشد تابع للحق ليس بضال ، وهو : الجاهل الذي يسلك على غير طريق بغير علم . والغاوي : هو العالم بالحق العادل عنه قصدًا إلىٰ غيره ، فنزه الله رسوله وشرعَه عن مشابهة أهل الضلال كالنصارىٰ وطرائق اليهود ، وعن علم الشيء وكتمانه والعمل بخلافه ، بل هو صلوات الله وسلامه عليه ، وما بعثه الله به من الشرع العظيم في غاية الاستقامة والاعتدال والسداد ؛ ولهذا قال : ﴿ **وما ينطق عن الهوىٰ** ﴾ ، أي : ما يقول قولًا عن هوى وغرض ﴿ **إن هو إلّا وحي يوحىٰ** ﴾ أي : إنما يقول ما أمر به ، يبلغه إلى الناس كاملًا موفّرًا من غير زيادة ولا نقصان ، كما رواه الإمام أحمد(٣) :

حدثنا يزيد ، حدثنا حَريز[٢] بن عثمان ، عن عبد الرحمن بن ميسرة ، عن أبي أمامة ؛ أنه سمع رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - يقول : « **ليدخلن[٣] الجنة بشفاعة رجلٍ ليس بنبي مثلُ الحيين - أو مثل أحد الحيين - : ربيعة ومضر** » . فقال رجل : يا رسول الله ؛ أوَ مَا ربيعة من مضر ؟ قال : « **إنما أقول ما أقول** » .

وقال الإمام أحمد (٤) :حدثنا يحيىٰ بن سعيد ، عن عُبيَد الله بن الأخنس ، أخبرنا الوليد ابن عبد الله ، عن يوسف بن مَاهَك ، عن عبد الله بن عمرو ؛ قال : كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أريد حفظه ، فنهتني قريش فقالوا : إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ، ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بشر[٤] ، يتكلم في الغضب .

(٣) - أخرجه أحمد (٥/٢٥٧) (٥/٢٢٣) والطبراني (٨/١٦٩)(٧٦٣٨) وفي إسناده : عبد الرحمن بن ميسرة وهو الحضرمي ، قال الحافظ : مقبول . وأخرجه أحمد أيضًا (٥/٢٥٧) (٢٢٣١٦) ، (٥/٢٦٧) (٢٢٣٩٦) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٠/٣٨٤) : رواه أحمد والطبراني بأسانيد ورجال أحمد وأحد أسانيد الطبراني رجالهم رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن ميسرة وهو ثقة . وأخرجه الطبراني بنحوه من طرق أخرى (٨/ ٢٨٠، ٣٣٠) (٧٩١٩، ٨٠٥٨) .

(٤) - أخرجه أحمد (٥/ ١٦٢، ١٩٢) . وصحح إسناد هذا الحديث أحمد شاكر في تعليقاته على المسند .

[١] - في ز ، خ : اللام .
[٢] - في ز : جرير .
[٣] - في ز : ليدخل .
[٤] - سقط من ز .

فأمسكت عن الكتاب .

[فذكرت ذلك لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : « **اكتب ؛ فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا الحق** » . ورواه أبو داود عن مسدد وأبي بكر بن أبي شيبة كلاهما عن يحيى بن سعيد القطان][١] .

وقال الحافظ أبو بكر البزار(٥) : حدثنا أحمد بن منصور ، حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا الليث ، عن ابن عجلان ، عن زيد بن أسلم ، عن أبي صالح ، عن أبي هُريرة ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **ما أخبرتكم أنه الذي من عند الله ، فهو الذي لا شَكَّ فيه** » . ثم قال : لا نعلمه يُروىٰ إلا بهذا الإسناد .

وقال الإمام أحمد (٦) : حدثنا يونس ، حدثنا ليث ، عن بحر[٢] ، عن سعيد بن أبي سعيد[٣] ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم؛ أنه قال : « **لا أقول إلا حقًا** » . قال بعض أصحابه : فإنك تداعبنا يا رسول الله ؟ قال : « **إني لا أقول إلا حقًا** » .

عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾

(٥) - أخرجه البزار كما في مختصر الزوائد (١٣٩/١) (١٢١) وقال : لا نعلمه يروى عن أبي هريرة - رضي الله عنه - إلا بهذا الإسناد .

قال الشيخ : رجاله رجال الصحيح . قلت - أي ابن حجر - : عادة الشيخ يتكلم في عبد الله بن صالح .اهـ . وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٧٩/١) : رواه البزار وفيه أحمد بن منصور الرمادي ، وهو ثقة وفيه كلام لا يضر ، وبقية رجاله رجال الصحيح ، وعبد الله بن صالح مختلف فيه . والحديث في كشف الأستار (١١٢/١) حديث (٢٠٣) ، ومجمع الزوائد (١٧٩/١) .

(٦) - أخرجه أحمد (٣٤٠/٢) وإسناده حسن .

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ت .

[٢] - في ت : محمد . [٣] - في ز : سعد .

يقول تعالى مخبرًا عن عبده ورسوله محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه عَلّمه الذي جاء به إلىٰ الناس ﴿ **شديد القوىٰ** ﴾ ، وهو جبريل - عليه السلام - كما قال : ﴿ **إنه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين * مطاع ثَم أمين** ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ **ذو مرة** ﴾ ، أي : ذو قوة . قاله مجاهد ، والحسن ، وابن زيد . وقال ابن عباس : ذو منظر[١] حسن ، [وقال قتادة : ذو خلق طويل حسن .

ولا منافاة بين القولين ، فإنه - عليه السلام - ذو منظر حسن][٢] وقوة شديدة . وقد ورد الحديث الصحيح من رواية أبي هريرة وابن عمر أن رسول الله - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - قال : « **لا تحل الصدقة لغني ، ولا لذي مرّة سوي** »(٧) .

وقوله : ﴿ **فاستوىٰ** ﴾ يعني : جبريل - عليه السلام - . قاله مجاهد والحسن وقتادة ، والربيع بن أنس . ﴿ **وهو بالأفق الأعلىٰ** ﴾ ، يعني : جبريل ، استوىٰ في الأفق الأعلىٰ .

---

(٧) - أما حديث أبي هريرة :

فأخرجه النسائي (٩٩/٥) كتاب : الزكاة ، باب : إذا لم يكن له دراهم وله عدلها . وابن ماجة في كتاب : الزكاة ، باب : من سأل عن ظهر غني ، حديث (١٨٣٩) (٥٨٩/١) . وابن حبان (٨٤/٨) (٣٢٩٠) كلهم من طريق أبي بكر بن عياش عن أبي حصين عن سالم بن أبي الجعد عن أبي هريرة . قال الزيلعي في : « نصب الراية » (٣٩٩/٢) : قال صاحب التنقيح : رواته ثقات إلا أن أحمد بن حنبل قال : سالم بن أبي الجعد لم يسمع من أبي هريرة . اهـ . لكن قال الشيخ الألباني في الإرواء (٣٨٣/٣) : وقول أحمد هذا لم يذكر في ترجمة سالم من التهذيب ، وقد جاء فيه نقول كثيرة عن الأئمة تبين أسماء الصحابة الذين لم يلقهم سالم أو لم يسمع منهم وليس فيهم أبو هريرة ، بل جاء ذكره في الصحابة الذين روى عنهم سالم ، ولم يعل بالانقطاع . فالله أعلم . والحديث أخرجه الحاكم (٤٠٧/١) عن ابن عيينة عن منصور عن أبي حازم عن أبي هريرة فذكره . قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي . وساق شاهدًا له حديث ابن عمر الآتي بإذن الله .

وللحديث طريق آخر أخرجه البزار كما في « نصب الراية » عن إسرائيل عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن أبي هريرة . ثم قال : قال البزار : وهذا الحديث رواه ابن عيينة عن منصور عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، والصواب حديث إسرائيل ، وقد تابع إسرائيل على روايته أبو حصين ، فرواه عن سالم عن أبي هريرة ، ثم أخرجه كذلك ، وهذا مخالف لكلام الحاكم . اهـ .

وقد صحح هذا الحديث الشيخ الألباني في الإرواء .

وأما حديث ابن عمرو : فأخرجه أبو داود في كتاب : الزكاة ، باب : من يعطى من الصدقة وحد الغنى ، حديث (١٦٣٤) (١١٨/٢) . والترمذي في كتاب : الزكاة ، باب : ما جاء من لا تحل له الصدقة ، حديث (٦٥٢) (١٣/٣ - ١٤) . كلاهما من طريق سعد بن إبراهيم عن ريحان بن يزيد عن عبد الله بن عمرو .

قال الترمذي : حديث حسن ، وقد روى شعبة عن سعد بن إبراهيم هذا الحديث بهذا الإسناد =

---

[١] - في ز ، خ : منطق . [٢] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

قاله عكرمة وغير واحد . قال عكرمة : والأفق الأعلىٰ : الذي يأتي منه الصبح . وقال مجاهد : هو مطلع الشمس . وقال قتادة : هو الذي يأتي منه النهار . وكذا قال ابن زيد ، وغيرهم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا مُصَرِّف بن عمرو اليامي[١] أبو القاسم ، حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن طلحة بن مصرف ، حدثني أبي ، عن الوليد - هو ابن قيس - عن إسحاق ابن أبي الكَهْتلَة - أظنه ذكره عن عبد الله بن مسعود - أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، لم ير جبريل في صورته إلا مرتين ، أما واحدة فإنه سأله أن يراه في صورته فسد الأفق . وأما الثانية فإنه كان معه حيث صعد ، فذلك قوله : ﴿ **وهو بالأفق الأعلى** ﴾(٨) .

وقد قال ابن جرير هاهنا قولًا لم أره لغيره ، ولا حكاه هو عن أحد ، وحاصله : أنه ذهب إلى أن المعنىٰ : ﴿ **فاستوىٰ** ﴾ ، أي : هذا الشديد القوي ذو المرة هو ومحمد صلىٰ الله عليهما وسلم بالأفق الأعلىٰ ، أي : استويا جميعًا بالأفق ، وذلك ليلة الإسراء . كذا قال ، ولم يوافقه أحد على ذلك . ثم شرع يوجه[٢] ما قال من حيث العربية فقال : وهذا كقوله تعالىٰ : ﴿ **أئذا[٣] كنا ترابًا وآباؤنا** ﴾ ، فعطف بالآباء علىٰ المكنى في ﴿ **كنا** ﴾ من غير إظهار « **نحن** » ، فكذلك قوله : ﴿ **فاستوىٰ وهو** ﴾ . قال : وذكر الفراء عن بعض العرب أنه أنشده

ألم تر أن النبع[٤] يصلب عودُه ولا يستوي والخروع[٥] المتقصّف

وهذا الذي قاله من جهة العربية متجه ، ولكن لا يساعده المعنىٰ علىٰ ذلك ، فإن هذه الرؤية لجبريل لم تكن ليلة الإسراء ، بل قبلها ورسولُ الله صلىٰ الله عليه وسلم في الأرض ، فهبط عليه جبريل - عليه السلام - وتدلىٰ إليه ، فاقترب[٦] منه وهو علي الصورة التي خلقه

= ولم يرفعه .اهـ . قال الزيلعي (٢/٣٩٩) : قال صاحب التنقيح : وريحان بن يزيد ، قال أبو حاتم : شيخ مجهول . ووثقه ابن معين . وقال ابن حبان : كان أعرابيًا صدوقًا . اهـ . وصححه الألباني في الإرواء (٣/ ٣٨٢) بشواهده . ومن أراد زيادة فائدة فليراجع الإرواء فقد فصل الشيخ فيه تفصيلًا مفيدًا .

(٨) - في إسناده مصرف بن عمرو اليامي : مجهول . ومحمد بن طلحة بن مصرف اليامي : صدوق له أوهام ، وأنكروا سماعه من أبيه لصغره كما في التقريب . وإسحاق بن أبي الكهتلة ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢/٢٣٢) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا .

---

[١] - في ز ، خ : اليمامي .
[٢] - في ز ، خ : فوجه .
[٣] - في ز : إذا .
[٤] - في ز ،خ : البتع .
[٥] - في ز : والخردع .
[٦] - في ز : فأقرب .

اللَّه عليها ، له ستمائة جناح ، ثم رآه بعد ذلك نزلة أخرىٰ عند سدرة المنتهىٰ - يعني ليلة الإسراء - وكانت هذه الرؤية[١] الأولىٰ في أوائل البعثة بعد ما جاءه جبريل - عليه السلام - أول مرة ، فأوحىٰ اللَّه إليه صدر « سورة اقرأ » ، ثم فتر الوحي فترة ذهب النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم - فيها مرارًا ليتردىٰ من رءوس الجبال ، فكلما هَمّ بذلك ناداه جبريل من الهواء : « **يا محمد ، أنت رسول اللَّه حقًا ، وأنا جبريل** » . فيسكن لذلك جأشه ، وتقر عينه ، وكلما طال عليه الأمر عاد لمثلها(٩) ، حتىٰ تَبَدّىٰ له جبريل ورسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، في الأبطح في صورته التي خلقه اللَّه عليها ، له ستمائة جناح قد سد عُظْم[٢] خلقه الأفق ، فاقترب[٣] منه وأوحىٰ إليه عن اللَّه - عز وجل - ما أمره به ، فعرف عند ذلك

(٩) - وردت قصة محاولة تردي النبي - صلى الله عليه وسلم - في صحيح البخاري في كتاب : التعبير ، باب : أول ما بدء به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الوحي الرؤيا الصادقة ، حديث (٦٩٨٢) (٣٥١/٢ - ٣٥٢) . قال ابن حجر في الفتح (٣٦٠/١٢) : قال الإسماعيلي : موه بعض الطاعنين على المحدثين ، فقال : كيف يجوز للنبي أن يرتاب في نبوته حتى يرجع إلى ورقة ويشكو لخديجة ما يخشاه ، وحتى يوفى بذروة جبل ليلقى منها نفسه على ما جاء في رواية معمر ؟!.

قال : ولئن جاز أن يرتاب مع معاينة النازل عليه من ربه فكيف ينكر على من ارتاب فيما جاء به مع عدم المعاينة ؟ قال : والجواب أن عادة الله جرت بأن الأمر الجليل إذا قضي بإيصاله إلى الخلق ؛ أن يَقْدُمَه ترشيح وتأسيس ؛ فكان ما يراه النبي - صلى الله عليه وسلم - من الرؤية الصادقة ومحبة الخلوة والتعبد من ذلك ؛ فلما فجئه الملك فجئه بغتة أمرٌ خالف العادة والمألوف فنفر طبعه البشرى منه وهاله ذلك ، ولم يتمكن من التأمل في تلك الحال ؛ لأن النبوة لا تزيل طباع البشرية كلها ؛ فلا يتعجب أن يجزع مما لم يألفه وينفر طبعه منه ، حتى إذا تدرج عليه وألفه استمر عليه ؛ فلذلك رجع إلى أهله التى ألف تأنيسها له فأعلمها بما وقع له ؛ فهونت عليه خشيته بما عرفته من أخلاقه الكريمة وطريقته الحسنة ؛ فأرادت الاستظهار بمسيرها به إلى ورقة ؛ لمعرفتها بصدقه ومعرفته وقراءته الكتب القديمة ؛ فلما سمع كلامه أيقن بالحق واعترف به ، ثم كان من مقدمات تأسيس النبوة فترةُ الوحى ليتدرج فيه ويمرن عليه ؛ فشق عليه فتوره إذ لم يكن خوطب عن الله بعد : أنك رسول من الله ومبعوث إلى عباده ، فأشفق أن يكون ذلك أمر بدئ به ثم لم يرد استفهامه فحزن لذلك ، حتى تدرج على احتمال أعباء النبوة ، والصبر على ثقل ما يرد عليه فتح الله له من أمره بما فتح .

قال : ومثال ما وقع له أول ما خوطب ولم يتحقق الحال على جليتها مثل رجل سمع آخر يقول : « الحمد لله » فلم يتحقق أنه يقرأ حتى إذا وصلها بما بعدها من الآيات تحقق أنه يقرأ ، وكذا لو سمع قائلًا يقول : « خلت الديار » لم يتحقق أنه ينشد شعرًا حتى يقول : « محلها فمقامها » انتهى ملخصًا .

ثم قال : وأما إرادته إلقاء نفسه من رءوس الجبال بعد ما نبئ فلضعف قوته عن تحمل ما حمله من أعباء النبوة ، وخوفًا مما يحصل له من القيام بها من مباينة الخلق جميعًا ؛ كما يطلب الرجل الراحة من غم يناله في العاجل بما يكون فيه زواله عنه ، ولو أفضى إلى إهلاك نفسه عاجلًا ، حتى إذا تفكر فيما فيه صبره على ذلك من العقبى المحمودة صبر ، واستقرت نفسه . =

[١] - في ت : الرؤيا .
[٢] - بياض في ز ، خ .
[٣] - في ز : واقترب .

عظمة المَلَك الذي جاءه بالرسالة ، وجلالة قَدْره وعلوّ مكانته عند خالقه الذي بعثه إليه . فأما الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حيث قال :

حدثنا سلمة بن شبيب ، حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا الحارث بن عبيد ، عن أبي عمران الجَوْني ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم « **بينا أنا قاعد إذ جاء جبريل - عليه السلام - فوكز بين كتفي ، فقمت إلىٰ شجرة فيها كَوَكْرَي الطير ، فقعد في أحدهما[١] وقعدت في الآخر . فَسَمَت[٢] وارتفعت حتىٰ سَدّت الخافقين وأنا أقلب طرفي ، ولو شئت أن أمس السماء لمسست ، فالتفت إليّ جبريل كأنه حلْس لاطٍ فعرفتُ فضلَ علْمه باللّٰه عليّ ، وفُتح لي باب من أبواب السماء ورأيت النور الأعظم ، وإذا دون الحجاب رفرفة[٣] الدرّ والياقوت . وأوحىٰ إلي ما شاء اللّٰه أن يوحي** »(١٠) .

ثم[٤] قال البزار: لا يرويه إلا الحارث بن عبيد ، وكان رجلًا مشهورًا[٥] من أهل البصرة .

قلت : الحارث بن عُبَيد هذا هو أبو قدامة الإِيادي ، أخرج له مسلم في صحيحه إلا أن ابن[٦] معين ضعّفه ، وقال : ليس هو بشيء . وقال الإِمام أحمد : مضطرب الحديث . وقال أبو حاتم الرازي : يكتب حديثه ولا يحتج به . وقال ابن حبان : كَثُر وهمه فلا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد . فهذا الحديث من غرائب رواياته ، فإن فيه نكارة وغرابة ألفاظ وسياقًا عجيبًا ، ولعله منام ، واللّٰه أعلم .

وقال الإِمام أحمد(١١) : حدثنا حجاج ، حدثنا شريك ، عن عاصم ، عن أبي وائل ، عن

= قلت - أي ابن حجر - : أما الإِرادة المذكورة في الزيادة الأولى ففي صريح الخبر أنها كانت حزنا على ما فاته من الأمر الذي بشره به ورقة ، وأما الإِرادة الثانية بعد أن تبدى له جبريل ، وقال له : إنك رسول الله حقًّا فيحتمل ما قاله ، والذي يظهر لى أنه بمعنى الذي قبله ، وأما المعنى الذي ذكره الإِسماعيلي فوقع قبل ذلك في ابتداء مجيء جبريل .اهـ من الفتح .

(١٠) - أخرجه البزار كما في : « مختصر الزوائد » (١/٩٤ - ٩٥) (٣٥) . : وقال ابن حجر عن الحارث : أخرج له الشيخان ، وهو مع ذاك له مناكير ، هذا منها . والحديث في كشف الأستار (٥٨) ومجمع الزوائد (١/٧٥) وقال : رواه البزار والطبراني في الأوسط ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(١١) - المسند (١/٣٩٥) . وفي إسناده شريك بن عبد الله النخعي تغير حفظه بعد أن ولي القضاء .=

---

[١] - في خ : أحدها .
[٢] - بياض في ز ، خ .
[٣] - في ز : رعرعة . وفي خ : زعزعة .
[٤] - سقط من ت ، خ .
[٥] - في ز : مشهودًا .
[٦] - سقط من ز ، خ .

عبد الله قال : رأىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم جبريلَ في صورته وله[١] ستمائة جناح ، كل جناح منها قد سَدّ الأفق ، يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم ، انفرد به أحمد .

وقال أحمد(١٢) : حدثنا يحيىٰ بن آدم ، حدثنا أبو بكر بن عياش عن إدريس بن منبه عن وهب بن منبه ، عن ابن عباس قال : سأل النبي صلىٰ الله عليه وسلم جبريل أن يراه في صورته ، فقال : ادع ربك . فدعا ربه - عز وجل - فطلع عليه سواد من قبل المشرق ، فجعل يرتفع وينتشر ، فلما رآه النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - صعِق ، فأتاه فبعشه[٢] ، ومسح البزاق عن شدقه . انفرد به أحمد .

وقد رواه ابن عساكر في ترجمة « **عتبة بن أبي لهب** » من طريق محمد بن إسحاق عن عثمان بن عروة بن الزبير عن أبيه عن هبار[٣] بن الأسود قال : كان أبو لهب وابنه عتبة قد تجهزا إلىٰ الشام ، فتجهزت معهما ، فقال ابنه عتبة : والله لأنطلقن إلىٰ محمد ولأوذينّه في ربه - سبحانه - فانطلق حتىٰ أتىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، هو يكفر بالذي دنىٰ فتدلىٰ ، فكان قاب قوسين أوأدنىٰ . فقال النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - : « **اللّهم ابعث إليه كلبًا من كلابك** » . ثم انصرف عنه فرجع إلىٰ أبيه فقال : يا بني ، ما قلت له ؟ فذكر له ما قال له ، قال : فما قال لك ؟ قال : قال : « **اللّهم سلط عليه كلبًا من كلابك** » . قال : يا بني ، والله ما آمنُ عليك دُعاءه . فسرنا حتىٰ نزلنا [الشراة - وهي مأسدة -][٤]ونزلنا إلىٰ صومعة راهب ، فقال الراهب : يا معشر العرب ، ما أنزلكم هذه البلاد ، فإنما[٥] تسرح الأُسدُ فيها كما تسرح الغنم ؟ فقال لنا أبو لهب : إنكم قد عرفتم كبر سني وحقي ، وإن هذا الرجل قد دعا علىٰ ابني دعوةً - والله - ما آمنها عليه ، فاجمعوا

= وعاصم بن بهدلة صدوق له أوهام . وصحح إسناد هذا الحديث العلامة أحمد شاكر في تعليقه على المسند(٥/٢٨٢) .

وأخرجه (١/٤٠٧) من طريق عاصم بن بهدلة .

ولكن له شاهد في الصحيح من طريق ذر : أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ **فكان قاب قوسين أو أدنى** ﴾ ، باب : ﴿ **فأوحى إلى عبده ما أوحى** ﴾ حديث (٤٨٥٦، ٤٨٥٧) (٨/٦١٠) . ومسلم (٢٨٠ - ١٧٤/٢٨٢) (٣/٤ - ٨) فذكر بعضه .

(١٢) - المسند (١/٣٢٢) (٢٩٦٧) قال الهيثمي في « المجمع » (٨/٢٦٠) : رواه أحمد والطبراني ورجالهما ثقات . وفي إسناده إدريس بن سنان : أبو إلياس الصنعاني ابن بنت وهب بن منبه : ضعيف .

[١] - في ز : له .
[٢] - في . ، خ : فبعثه .
[٣] - في ز ، خ : هناد .
[٤] - في ز : « أسراه وهي بأسدة » .
[٥] - في ت : فإنها .

متاعكم إلىٰ هذه الصومعة ، وافرشوا لابني عليها ثم افرشوا حولها . ففعلنا ، فجاء الأسد فَشَمّ وجوهنا ، فلما لم يجد [ما يريد][١] تَقَبّض ، فوثب وثبة[٢] ، فإذا هو فوق المتاع ، فشم وجهه ثم هزمه هَزْمة ففتح[٣] رأسه . فقال أبو لهب : قد عرفت أنه لا ينفلت عن دعوة محمد (١٣) .

وقوله : ﴿ **فكان قاب قوسين أو أدنىٰ** ﴾ ، أي[٤] : فاقترب جبريل إلىٰ محمد لما هبط عليه إلىٰ الأرض ، حتىٰ كان بينه وبين محمد صلىٰ الله عليه وسلم قاب قوسين ، أي : بقدرهما إذا مُدّا . قاله مجاهد ، وقتادة .

وقد قيل : إن المراد بذلك بُعد ما بين وتد القوس إلى كبدها .

وقوله : ﴿ **أو أدنىٰ** ﴾ ، قد تقدم أن هذه الصيغة تستعمل في اللغة لإثبات المخبر عنه و نفي ما زاد عليه ، كقوله : ﴿ **ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة** ﴾ ، أي : ما هي بألين[٥] من الحجارة ، بل هي مثلها أو تزيد عليها في الشدة والقسوة . وكذا قوله : ﴿ **يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية** ﴾ وقوله : ﴿ **وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون** ﴾ أي : ليسوا أقل منها بل هم مائة ألف حقيقة ، أو يزيدون عليها . فهذا تحقيق للمخبر به لا شك و[لا][٦] تردد[٧] ، فإن هذا ممتنع هاهنا ، وهكذا هذه الآية : ﴿ **فكان قاب قوسين أو أدنىٰ** ﴾ .

وهذا الذي قلناه من أن هذا المقترب[٨] الداني الذي صار بينه وبين محمد صلىٰ الله عليه وسلم إنما هو جبريل - عليه السلام - هو قول أم المؤمنين عائشة ، وابن مسعود ، وأبي ذر ، وأبي هريرة ، كما سنورد أحاديثهم قريبًا إن شاء الله .

وروىٰ مسلم في صحيحه ، عن ابن عباس أنه قال : « **رأىٰ محمد ربه بفؤاده مرتين** »(١٤) .

---

(١٣) - أخرجه الحاكم (٥٣٩/٢) . وأبو نعيم في دلائل النبوة (٣٨٩ - ٣٩٢) . قال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي . وحسنه الحافظ ابن حجر في الفتح (٣٩/٤) .

(١٤) - أخرجه مسلم في كتاب : الإيمان ، باب : معنى قول الله - عز وجل - : ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى** ﴾ ، حديث (١٧٦/٢٨٥) .

---

[١] - سقط من خ .
[٢] - سقط من ت .
[٣] - في ت ، خ : ففضخ .
[٤] - في ز : أو .
[٥] - في ز ، خ : بأكثر .
[٦] - بياض في ز .
[٧] - في ز ، خ : ترديد .
[٨] - في ز ، خ : القرب .

فجعل هذه إحداهما[١] . وجاء في حديث شريك بن أبي نمر ، عن أنس في حديث الإسراء : « ثم دنا الجبار رب العزة فتدلىٰ »(١٥) . ولهذا تكلم كثير[٢] من الناس في متن هذه الرواية ، وذكروا أشياء فيها من الغرابة ، فإن صح فهو محمول علىٰ وقت آخر وقصة أخرىٰ ، لا أنها تفسير لهذه الآية ، فإن هذه كانت ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في الأرض لا ليلة الإسراء ، ولهذا قال بعده : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرىٰ * عند سدرة المنتهىٰ ﴾ ، فهذه هي ليلة الإسراء ، والأولىٰ كانت في الأرض .

وقد قال ابن جرير : حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ، حدثنا عبد الواحد ابن زياد ، حدثنا سليمان الشيباني ، حدثنا زر بن حبيش قال : قال عبد الله بن مسعود في هذه الآية : ﴿ فكان قاب قوسين أو أدنىٰ ﴾ ، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « رأيت جبريل له ستمائة جناح »(١٦) .

وقال ابن وهب : حدثنا ابن لَهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة ، عن عائشة قالت : كان أولَ شأن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أنه رأىٰ في منامه جبريل بأجياد ، ثم إنه خرج ليقضي حاجته فصرخ به جبريل : يا محمد . يا محمد ، فنظر رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يمينًا وشمالاً فلم ير شيئًا - ثلاثًا - ثم رفع بصره فإذا هو ثان[٣] إحدىٰ رجليه مع الأخرىٰ علىٰ أفق السماء فقال : يا محمد ، جبريل جبريلُ - يُسَكنه - فهرب النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، حتىٰ دخل في الناس ، فنظر فلم ير شيئًا ، ثم خرج من الناس ، ثم نظر فرآه ، فدخل في الناس فلم ير شيئًا ، ثم خرج فنظر فرآه ، فذلك قول الله عز وجل : ﴿ والنجم إذا هوىٰ ﴾ . إلىٰ قوله : ﴿ ثم دنا فتدلىٰ ﴾ ؛ يعني جبريل إلىٰ محمد ، ﴿ فكان قاب قوسين أو أدنىٰ ﴾ . ويقولون القاب نصف الأصبع . وقال بعضهم : ذراعين كان بينهما(١٧) . رواه ابن جرير . وابن أبي حاتم ، من حديث ابن وهب . وفي حديث الزهري ، عن أبي سلمة ، عن جابر شاهد لهذا .

---

(١٥) - تقدم تخريجه في أوائل سورة الإسراء .

(١٦) - أخرجه الطبري (٤٥/٢٧) . وإسناده صحيح . وقد تقدم تخريجه من طريق عبد الواحد بن زياد في الصحيحين قبل هذا الحديث بأربعة أحاديث .

(١٧) - أخرجه الطبرى (٤٩/٢٧) .

وعبد الله بن وهب قد روى عن ابن لهيعة قبل الاختلاط ، غير أن سفيان بن وكيع لا يعتد بروايته وهو شيخ الطبرى .

---

[١] - في ز : أحدهما . [٢] - في خ : بعض .

[٣] - في ز : ثاني رجليه .

[وروىٰ البخاري عن طلق بن غنام ، عن زائدة ، عن الشيباني قال : سألت زرًّا عن قوله : ﴿ **فكان قاب قوسين أو أدنىٰ * فأوحىٰ إلىٰ عبده ما أوحىٰ** ﴾ ، قال : حدثنا عبد الله أن محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم رأىٰ جبريل له ستمائة جناح(١٨) .

وقال ابن جرير : حدثني ابن بزيع البغدادي ، حدثنا إسحاق بن منصور ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله : ﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأىٰ** ﴾ ، قال : رأىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، جبريل عليه حلتا رفرفٍ قد ملأ ما بين السماء والأرض][١](١٩) . فعلىٰ ما ذكرناه يكون قوله : ﴿ **فأوحىٰ إلىٰ عبده [ما أوحىٰ** ﴾ ، معناه : فأوحىٰ جبريل إلىٰ عبد الله محمد ما أوحىٰ ، أو : فأوحىٰ الله إلىٰ عبده][٢] محمد ما أوحىٰ بواسطة جبريل . وكلا المعنيين صحيح . وقد ذكر عن سعيد بن جبير في قوله : ﴿ **فأوحىٰ إلىٰ عبده ما أوحىٰ** ﴾ ، قال : أوحى إليه : (ألم أجدك يتيمًا) ، ﴿ **ورفعنا لك ذكرك** ﴾ .

وقال غيره : أوحىٰ إليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها ، وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك .

وقوله : ﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأىٰ * أفتمارونه علىٰ ما يرىٰ** ﴾ . قال مسلم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا وكيع ، حدثنا الأعمش ، عن زياد بن حُصَين ، عن أبي العالية ، عن ابن عباس : ﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأىٰ** ﴾ ، ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرىٰ** ﴾ ، قال : رآه بفؤاده مرتين(٢٠) .

وكذا رواه سماك عن عكرمة عن ابن عباس مثله . وكذا قال أبو صالح والسدي وغيرهما : إنه رآه بفؤاده مرتين . [وقد خالفه ابن مسعود وغيره][٣] ، وفي رواية عنه أنه أطلق الرؤية ، وهي محمولة علىٰ المقيدة بالفؤاد . ومن روىٰ عنه بالبصر فقد أغرب ، فإنه لايصح في ذلك شيء عن الصحابة رضي الله عنهم . وقول البغوي في تفسيره : وذهب

(١٨) - أخرجه البخاري (٤٨٥٦، ٤٨٥٧) ، ومسلم (٢٨٠ - ١٧٤/٢٨٢) .

(١٩) - أخرجه الطبرى (٤٩/٢٧) ، وابن بزيع هو محمد بن عبد الله ، وأخرجه البخاري من طريق آخر بنحوه في التفسير برقم (٤٨٥٨) .

(٢٠) - أخرجه مسلم في كتاب : الإيمان ، باب : قوله تعالى : ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى** ﴾ حديث (٢٨٥/ ١٧٦) (١٠/٣) .

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ . [٢] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

[٣] - ما بين المعكوفين سقط من ز . وبياض في خ .

جماعة إلىٰ آنه رآه بعينه - وهو قول أنس والحسن وعكرمة - فيه نظر ، والله أعلم .

وقال الترمذي : حدثنا محمد بن عمرو بن نَبْهان[١] بن صفوان ، حدثنا يحيىٰ بن كثير العنبري ، عن سَلْم[٢] بن جعفر ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : رأىٰ محمد ربه ! قلت : أليس الله يَقول : ﴿ **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار** ﴾ ؟ قال : ويحك ! ذاك إذا تجلّىٰ بنوره الذي هو نوره وقد رأى ربه مرتين(٢١) .

ثم قال : « **حسن غريب** » .

وقال أيضًا : حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان ، عن مجالد ، عن الشعبي قال : لقي ابن عباس كعبًا بعرفة[٣] ، فسأله عن شيء فكَبّر[٤] حتىٰ جاوبته الجبال ، فقال ابن عباس : إنا بنو هاشم . فقال كعب : إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسىٰ ، فكلم موسىٰ مرتين ورآه محمد مرتين .

وقال مسروق : دخلتُ علىٰ عائشة فقلت : هل رأىٰ محمد ربه ؟ فقالت : لقد تكلمت بشيء قَفّ له شعري . فقلت : رُوَيدًا ! ثم قرأتُ : ﴿ **لقد رأىٰ من آيات ربه الكبرىٰ** ﴾ . فقالت : أين يُذهَبُ بك ؟ إنما هو جبريل ، من أخبرك أن محمدًا رأىٰ ربه أو[٥] كتم شيئًا مما [أمر به][٦] ، [أو يعلم الخمس التي][٧] [ ][٨] قال الله تعالى : ﴿ **إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ...** ﴾ الآيات[٩] . فقد أعظم الفرية ، [ولكنه رأىٰ][١٠] [ ][١١]جبريل ، لم يره في صورته إلا مرتين ، مرة عند سدرة المنتهىٰ ومرة في جيّاد ، وله ستمائة جناح قد سد الأفق(٢٢) .

---

(٢١) - أخرجه الترمذي في كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة النجم ، حديث (٣٢٧٥) (٩/٢٩) .
قال الترمذي : حديث حسن غريب ، قلت : في إسناده محمد بن عمرو بن نبهان ، قال الحافظ : مقبول . والحديث ضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (٦٤٧ - ٣٥١٠) .

(٢٢) - أخرجه الترمذي في كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة النجم ، حديث (٣٢٧٤) (٩/٢٨) . وفي إسناده مجالد ليس بالقوي وقد تغير في آخر عمره . وابن أبي عمر هو محمد بن يحيى بن أبي عمر قال الحافظ : صدوق لازم ابن عيينة لكن قال أبو حاتم : كانت فيه غفلة . وقد ورد عن عائشة في الصحيح نحو عجز هذا الحديث ، وسيأتي بإذن الله .

---

[١] - في ز ، خ : منهال .
[٢] - في ز ، خ : مسلم .
[٣] - في ز ، خ : فعرفه .
[٤] - في ز : قلت .
[٥] - في ز ، خ : و .
[٦] - في خ : أمره .
[٧] - ما بين المعكوفين بياض في ز ، خ .
[٨] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : لكن .
[٩] - سقط من ز ، خ .
[١٠] - بياض في ز ، خ .
[١١] - في ز ، خ : التي .

وقال النسائي : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثني أبي ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : أتعجبون أن تكون الخلّة[١] لإبراهيم ، والكلام لموسىٰ ، والرؤية لمحمد عليهم السلام ؟ !(٢٣) .

وفي صحيح مسلم ، عن أبي ذر قال : سألت رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم : هل رأيتَ ربك ؟ فقال : « **نور أنّىٰ أراه** »(٢٤) . وفي رواية : « **رأيت نورًا** »(٢٥) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو[٢] خالد ، عن موسىٰ بن عبيدة ، عن محمد بن كعب قال : قالوا : يا رسول الله ، رأيت ربك ؟ قال : « **رأيته بفؤادي مرتين** » ثم قرأ : ﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأىٰ** ﴾(٢٦) .

ورواه ابن جرير عن ابن حميد عن مهران عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب ، عن بعض أصحاب النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : قلنا : يا رسول الله ، هل رأيت ربك ؟ قال : « **لم أره بعيني ، ورأيته بفؤادي مرتين** » . ثم تلا : ﴿ **ثم دنا فتدلىٰ** ﴾(٢٧) .

ثم قال ابن أبي حاتم : وحدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري ، أخبرني عَبّاد بن منصور قال : سألت عكرمة : ﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأىٰ** ﴾ ؟ فقال عكرمة : تريد أن أخبرك أنه قد رآه ؟ قلت : نعم . قال : قد رآه ، ثم قد رآه . قال[٣] : فسألت عنه الحسن فقال : قد[٤] رأىٰ جلاله وعظمته ورداءه(٢٨) .

(٢٣) - أخرجه النسائي في « الكبرى » في كتاب : التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأى** ﴾ حديث (١١٥٣٩) (٤٧٢/٦) ، وابن أبي عاصم في السنة (٤٤٢/١٩٢/١) ، وابن خزيمة في التوحيد (١٩٧) ، وعبد الله بن أحمد في السنة . والآجرى في الشريعة ، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٦٩) ، وابن منده (٧٦٢) واللالكائي (٩٠٥) .

(٢٤) - أخرجه مسلم في كتاب : الإيمان ، باب : قوله عليه السلام : « **نور أنى أراه** » حديث (٢٩١/ ١٧٨) (١٥/٣) .

(٢٥) - أخرجه مسلم في الموضع السابق (١٧٨/٢٩٢) (١٦/٣) .

(٢٦) - في إسناده موسى بن عبيدة وهو ضعيف .

(٢٧) - وأخرجه الطبرى (٤٩/٢٧ - ٥٠) .

(٢٨) - إن كان محمد بن عبد الله الأنصاري هو ابن زيد فقد كذبوه وإلا فإسناده صحيح إلى عكرمة .
ورواه ابن جرير الطبري من حديث خلاد بن أسلم قال : أخبرني النضر بن شميل قال : أخبرني عباد بن منصور ... فذكره دون ذكر الحسن .

[١] - في ز ، خ : الحكمة .
[٢] - في ز : ابن .
[٣] - سقط من خ .
[٤] - سقط من ز ، ت .

وحدثنا أبي ، حدثنا محمد بن مجاهد ، حدثنا أبو عامر العَقَدي ، أخبرنا أبو خلدة ، عن أبي العالية قال : سُئِل رسولُ اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : هل رأيت ربك ؟ قال : **« رأيت نهرًا ، ورأيت وراء النهر حجابًا ، ورأيت وراء الحجاب نورًا لم أر غير ذلك[١] »** .

وذلك[٢] غريب جدًّا ، فأمَّا الحديث الذي رواه الإمام أحمد :

حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : **« رأيت ربي عز وجل »**(٢٩) . فإنه حديث إسناده علىٰ شرط الصحيح ، لكنه مختصر من حديث المنام ، كما رواه الإمام أحمد أيضًا :

حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن ابن عباس أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : **« أتاني ربي الليلة في أحسن صورة - أحسبه يعني في النوم - فقال : يا محمد ، أتدري فيم يختصم الملأ الأعلىٰ ؟ قال : قلت : لا . فوضع يده بين كتفي حتىٰ وجدت بَرْدَها بين ثديَيّ - أو قال : نحري - فعلمت ما في السماوات وما في الأرض ، ثم قال : يا محمد ، هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قال : قلت : نعم ، يختصمون في الكفارات والدرجات[٣] . قال : وما الكفارات والدرجات قال : قلت : المكث[٤] في المساجد بعد الصلوات ، والمشي علىٰ الأقدام إلىٰ الجمعات[٥] ، وإبلاغ الوضوء في المكاره . من فعل ذلك عاش بخير ومات بخير ، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه . وقال : قل يا محمد إذا صليت : اللَّهم ، إني أسألك الخيرات ، وترك المنكرات ، وحبّ المساكين ، وإذا أردت بعبادك فتنة أن تقبضني إليك غير مفتون . قال : والدرجات بذلُ الطعام ، وإفشاء السلام ، والصلاة بالليل والناس نيام »**(٣٠) . وقد تقدم في آخر سورة « ص » عن معاذ نحوه . وقد رواه ابن جرير من وجه آخر عن ابن عباس ، وفيه سياق آخر وزيادة غريبة فقال :

حدثني أحمد بن عيسىٰ التميمي ، حدثني سليمان بن عمر بن سيار[٦] ، حدثني أبي ،

---

(٢٩) - أخرجه أحمد (٢٨٥/١) (٢٥٨٠) وصححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقاته على المسند ، والشيخ الألباني في كتاب السنة لابن أبي عاصم (٤٦٩) .

(٣٠) - أخرجه أحمد (٣٦٨/١) (٣٤٨٤) وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند ، والشيخ الألباني في تعليقاته على السنة برقم (٣٨٨) .

---

[١] - سقط من ت ، خ .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - سقط من ز ، خ .

[٤] - في ز ، خ : الكثرة .

[٥] - في ز ، خ : الجماعات .

[٦] - في خ : يسار .

عن سعيد بن زربي[١] ، عن عمر بن سليمان ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : قال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **رأيت ربي في أحسن صورة فقال لي : يا محمد ، هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلىٰ ؟ فقلت : لا ، يا رب . فوضع يده بين كتفي فوجدت بَرْدَها بين ثدييّ ، فعلمت ما في السماوات والأرض ، فقلت : يا رب ، في الدرجات والكفارات ، ونقل الأقدام إلىٰ الجماعات[٢] وانتظار الصلاة بعد الصلاة . فقلت : يا رب ؛ إنك اتخذت إبراهيم خليلًا ، وكلمتَ موسىٰ تكليمًا ، وفعلت وفعلت . فقال : ألم أشرح لك صدرك ؟ ألم أضع عنك وزرك ؟ ألم أفعل بك ؟ ألم أفعل ؟ قال : فأفضىٰ إليّ بأشياء لم يؤذن لي أن أحدثكموها . قال : فذاك قوله في كتابه : ﴿ ثم دنا فتدلىٰ * فكان قاب قوسين أو أدنىٰ * فأوحىٰ إلىٰ عبده ما أوحىٰ * ما كذب الفؤاد ما رأىٰ ﴾ ، فجُعل نور بصري في فؤادي ، فنظرت إليه بفؤادي** »(٣١) . إسناده[٣] ضعيف .

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر بسنده إلى هبار بن الأسود - رضي اللّٰه عنه - : أن عتبة[٤] ابن أبي لهب لما خرج في تجارة إلىٰ الشام قال لأهل مكة : اعلموا أني كافر بالذي دنا فتدلىٰ . فبلغ قولُه رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فقال : « **سَلَّطَ اللّٰه عليه كلبًا من كلابه** » . قال هبار : فكنت معهم ، فنزلنا بأرض كثيرة الأسد ، قال : فلقد رأيت الأسد جاء فجعل يَشَمّ رءوس القوم واحدًا واحدًا ، حتىٰ تخطىٰ إلىٰ عتبة فاقتطع رأسه من بينهم (٣٢) .

وذكر ابن[٥] إسحاق وغيره في السيرة : أن ذلك كان بأرض الزرقاء ، وقيل بالشراة ، وأنه خاف[٦] ليلتئذ ، وأنهم جعلوه بينهم وناموا من حوله ، فجاء الأسد فجعل يزأر ، ثم تخطاهم إليه فضغم رأسه ، لعنه الله .

وقوله : ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرىٰ * عند سدرة المنتهىٰ * عندها جنة المأوىٰ** ﴾ ، هذه هي المرة الثانية التي رأىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فيها جبريل علىٰ صورته التي خلقه اللّٰه عليها ، وكانت ليلة الإسراء . [وقد][٧] قدمنا الأحاديث الواردة في الإسراء بطرقها وألفاظها في أول سورة « **سبحان** » بما أغنىٰ عن إعادته هاهنا ، وتقدم أن ابن عباس رضي اللّٰه عنهما

(٣١) - أخرجه الطبرى (٤٨/٢٧) ، وفي إسناده سعيد بن زربي ، منكر الحديث .

(٣٢) - تقدم تخريجه قريبًا وهو حديث حسن ؛ حسنه الحافظ ابن حجر في الفتح .

[١] - في ز ، خ : زرعي .

[٢] - في ت : الجمعات .

[٣] - في ت : إسناد .

[٤] - في ز : عيينة .

[٥] - في خ : ابن أبي .

[٦] - في ز ، خ : كان .

[٧] - في خ : و .

كان يثبت الرؤية ليلة الإسراء ، ويستشهد بهذه الآية . وتابعه جماعة من السلف والخلف ، وقد خالفه جماعات من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وغيرهم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسىٰ ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن عاصم بن[١] بهدلة ، عن زرّ بن حُبَيش ، عن ابن مسعود في هذه الآية : ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرىٰ * عند سدرة المنتهي** ﴾ ، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **رأيت جبريل وله ستمائة جناح ، ينتثر من ريشه التهاويل: الدر والياقوت** »(٣٣) . وهذا إسناد جيد قوي .

وقال أحمد أيضًا : حدثنا يحيىٰ بن آدم ، حدثنا شريك ، عن جامع بن أبي راشد ، عن أبي وائل ، عن عبد الله قال : رأىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم جبريل في صورته وله ستمائة جناح ، كل جناح منها قد سد الأفق ، يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم(٣٤) . إسناده حسن أيضًا .

وقال أحمد أيضًا : حدثنا زيد بن الحباب ، حدثني حسين ، حدثني عاصم بن بهدلة قال : سمعت شقيق[٢] بن سلمة يقول : سمعت ابن مسعود يقول : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **رأيت جبريل علىٰ سدرة[٣] المنتهىٰ ، وله ستمائة جناح** » . سألت عاصمًا عن الأجنحة ؟ فأبىٰ أن يخبرني . قال : فأخبرني بعض أصحابه أن الجناح ما بين المشرق والمغرب(٣٥) . وهذا أيضًا إسناد جيد .

وقال أحمد : حدثنا زيد بن الحباب ، حدثني حسين ، حدثني حصين[٤] حدثني شقيق[٥] قال : سمعت ابن مسعود يقول : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أتاني جبريل - عليه السلام - في خُضر[٦] معلق به الدر** »(٣٦) . إسناده جيد أيضًا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيىٰ ، عن إسماعيل ، حدثنا عامر قال : أتىٰ مسروقٌ عائشة فقال : يا أم المؤمنين ، هل رأى محمد - صلىٰ الله عليه وسلم - ربه عز وجل؟ قالت : سبحان الله ! لقد قَفّ شعري لما قلت ، أين أنت من ثلاث من حَدّثكهُنّ فقد كذب : من

(٣٣) - أخرجه أحمد (٤٦١/١) (٤٣٩٦) . وصححه أحمد شاكر في المسند .
(٣٤) - ذكره ابن حجر في « أطراف المسند » (١٥٨/٤) .
(٣٥) - أخرجه أحمد (٤٠٧/١) (٣٨٦٢) وصححه أحمد شاكر .
(٣٦) - أخرجه أحمد (٤٠٧/١) وصححه أحمد شاكر أيضًا .

[١] - في خ : عن .
[٢] - في ز ، خ : منصور .
[٣] - في ز : السدرة .
[٤] - في ت : عاصم بن بهداة .
[٥] - في ز ، خ : سفيان .
[٦] - في ز : حصر .

حدثك أن محمدًا رأىٰ ربه فقد كذب ، ثم قرأت : ﴿ **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار** ﴾ ، ﴿ **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا أو من وراء حجاب** ﴾ ، ومن أخبرك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ، ثم قرأت : ﴿ **إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام** ﴾ .. الآية . ومن أخبرك أن محمدًا قد كتم ، فقد كذب ، ثم قرأت : ﴿ **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك** ﴾ . ولكنه رأىٰ جبريل [في صورته][١] مرتين(٣٧) .

وقال أحمد أيضًا : حدثنا محمد بن أبي عدي ، عن داود ، عن الشعبي ، عن مسروق قال : كنت عند عائشة فقلت : أليس الله يقول : ﴿ **ولقد رآه بالأفق المبين** ﴾ ، ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرىٰ** ﴾ ؟ فقالت : أنا أول هذه الأمة[٢] سأل[٣] رسولَ الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، عنها ، فقال : « **إنما ذاك جبريل** » . لم يره في صورته التي خلق عليها إلا مرتين ، رآه منهبطًا من السماء إلىٰ الأرض ، سادًّا عُظْمُ خلقه ما بين السماء والأرض(٣٨) . أخرجاه في الصحيحين من حديث الشعبي به(٣٩) .

(رواية أبي ذر) قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا همام ، حدثنا قتادة ، عن عبد الله بن شقيق قال : قلت لأبي ذر : لو رأيتُ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لسألته . قال : وما كنت تسأله ؟ قال : كنت أسأله : هل رأىٰ ربه عز وجل ؟ فقال : إني قد سألته فقال : « **قد رأيته نورًا أنَّىٰ أراه** »(٤٠) .

هكذا وقع في رواية الإمام أحمد ، وقد أخرجه مسلم من طريقين بلفظين فقال : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا وكيع ، عن يزيد بن إبراهيم ، عن قتادة ، عن عبد الله بن شقيق ، عن أبي ذر قال : سألت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : هل رأيت ربك ؟ فقال :

---

(٣٧) - أخرجه أحمد (٦/٤٩) برقم (٢٤٣٣٨) ، وهو عند البخاري برقم (٤٨٥٥) (٦/٦٠٦) .

(٣٨) - أخرجه أحمد (٦/٢٤٠) برقم (٢٦١٤٩) .

(٣٩) - أخرجه البخاري في كتاب : التوحيد ، باب : قول الله تعالى : ﴿ **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدًا** ﴾ حديث (٧٣٨٠) (١٣/٣٦١) . وباب : قول الله تعالى : ﴿ **يأيها النبي بلغ ما أنزل إليك من ربك** ﴾ حديث (٧٥٣١) (١٣/٥٠٣) مقطعًا . ومسلم في كتاب : الإيمان ، باب : معنى قول الله - عز وجل - : ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى** ﴾ حديث (١٧٧/٢٨٧) (٣/١١ - ١٢) .

(٤٠) - أخرجه أحمد (٥/١٤٧) (٢١٣٩٣) وهو عند مسلم من طريق عفان بهذا الإسناد بلفظ : « رأيت نورًا » ولم يزد (١٧٨/٢٩٢) .

---

[١] - سقط من خ .

[٢] - في ز ، خ : الآية .

[٣] - في خ : سألت .

« نور أنَّىٰ أراه »(٤١) .

وقال : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثنا أبي ، عن قتادة ، عن عبد اللّٰه بن شقيق قال : قلت لأبي ذر : لو رأيت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم لسألته . فقال : عن أي شيء كنت تسأله ؟ قال : قلت : كنت أسأله : هل رأيت ربك ؟ قال أبو ذر : قد سألت ؛ فقال : « رأيت نورًا »(٤٢) .

وقد حكىٰ الخلال في علله أن الإمام أحمد سئل عن هذا الحديث ؟ فقال : ما زلتُ منكرًا له ، وما أدري ما وجهه .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عمرو بن عون الواسطي ، أخبرنا هشيم ، عن منصور ، عن الحكم ، عن إبراهيم ، عن أبيه ، عن أبي ذر قال : رآه بقلبه ، ولم يره بعينه(٤٣) .

وحاول ابن خزَيمة أن يدعي انقطاعه بين عبد اللّٰه بن شقيق وبين أبي ذر ، وأما ابن الجوزي فتأوله علىٰ أن أبا ذر لعله سأل رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قبل الإِسراء ، فأجابه بما أجابه به ، ولو سأله بعد الإِسراء لأجابه بالإِثبات . وهذا ضعيف جدًّا ، فإن[١] عائشة أم المؤمنين رضي اللّٰه عنها قد سألت عن ذلك بعد الإِسراء ، ولم يثبت لها الرؤية .

ومن قال : إنه خاطبها علىٰ قدر عقلها ، أو حاول تخطئتها فيما ذهبت إليه - كابن خُزيمة في « كتاب التوحيد » - فإنه هو المخطئ، واللّٰه أعلم.

وقال النسائي : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا هشام ، عن منصور ، عن الحكم ، عن يزيد بن شريك ، عن أبي ذر قال : رأىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ربه بقلبه ، ولم يره ببصره (٤٤) .

وقد ثبت في صحيح مسلم ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن علي بن مُسْهر ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن أبي هريرة - رضي اللّٰه عنه - أنه قال

---

(٤١) - أخرجه مسلم (١٧٨/٢٩١) (١٥/٣) .

(٤٢) - أخرجه مسلم (١٧٨/٢٩٢) (٩٦/٣) .

(٤٣) - في إسناده هشيم وهو ثقة إلا أنه كثير التدليس وقد عنعن .

(٤٤) - أخرجه النسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ ما كذب الفؤاد ما رأى ﴾ حديث (١١٥٣٦) (٤٧٢/٦) . وفي إسناده هشيم ذكره ابن حجر في الطبقة الثالثة من المدلسين وقد عنعن ، وبقية رجال الإسناد ثقات .

---

[١] - في ز ، خ : قالت .

في قوله : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرىٰ ﴾ ، قال : رأىٰ جبريل عليه السلام (٤٥) .

وقال مجاهد في قوله : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرىٰ ﴾ ، قال : رأىٰ رسول اللَّه - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - جبريل في صورته مرتين . وكذا قال قتادة والربيع بن أنس وغيرهم .

وقوله تعالىٰ : ﴿ إذ يغشىٰ السدرة ما يغشىٰ ﴾ ، قد تقدم في أحاديث الإسراء أنه غشيتها الملائكة مثل الغِرْبان ، وغشيها نور الرب ، وغشيها ألوان ما أدري ما هي ؟

وقال الإمام أحمد : حدثنا مالك بن مغْوَل ، حدثنا الزبير بن عدي ، عن طلحة ، عن مرة ، عن عبد اللَّه - هو ابن مسعود - قال : لما أسري برسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم انتهي به إلىٰ سدرة المنتهىٰ ، وهي في السماء السابعة[١] ، إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض[٢] منها ، وإليها ينتهي ما يهبط[٣] به من فوقها فيقبض منها ، ﴿ إذ يغشىٰ السدرة ما يغشىٰ ﴾ ، قال : فراش من ذهب . قال : وأعطي رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ثلاثًا[٤] : أعطي الصلوات الخمسَ ، وأُعطيَ خواتيم سورة البقرة ، وغُفر لمن لا يشرك باللَّه شيئًا من أمته المقحمات (٤٦) . انفرد به مسلم .

وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، عن أبي هريرة أو غيره - شك أبو جعفر - قال : لما أسري برسول اللَّه انتهىٰ إلىٰ السدرة ، فقيل له : هذه السدرة ، فغشيها نور الخلاق وغشيتها الملائكة مثل الغربان حين يقعن على الشجر[٥] ، قال : فكلمه عند ذلك فقال له : سل ... إلخ[٦] (٤٧) .

وقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ إذ يغشىٰ السدرة ما يغشىٰ ﴾ ، قال : كان أغصان السدرة لؤلؤًا وياقوتًا وزبرجدًا ، فرآها محمد ، ورأىٰ ربه بقلبه .

وقال ابن زيد : قيل : يا رسول اللَّه ، أي شيء رأيت يغشىٰ تلكِ السدرة ؟ قال : « رأيت يغشاها فَرَاش من ذهب ، ورأيت علىٰ كل ورقة من ورقها مَلَكًا قائمًا يسبح اللَّه

(٤٥) - أخرجه مسلم في كتاب : الإيمان ، باب : معنى قول الله - عز وجل - : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ ، حديث (١٧٥/٢٨٣) (٩/٣) .

(٤٦) - أخرجه أحمد (٤٢٢/١) ، ومسلم في كتاب : الإيمان ، باب : في ذكر سدرة المنتهى ، حديث (١٧٣/٢٧٩) (٣/٣ -٤) .

(٤٧) - أبو جعفر الرازي : سيئ الحفظ .

[١] - في خ : السادسة .
[٢] - في خ : فتفيض .
[٣] - في خ : يقبض .
[٤] - في خ : صلبا .
[٥] - في خ : الشجرة .
[٦] - سقط من ز ، خ .

عز وجل»(٤٨) .

وقوله : ﴿ **ما زاغ البصر وما طغىٰ** ﴾ ، قال ابن عباس : ما ذهب يمينًا ولا شمالًا ، ﴿ **وما طغىٰ** ﴾ : ما جاوز ما أمر به .

وهذه صفة عظيمة في الثبات والطاعة ، فإنه ما فعل إلا ما أمر به ، ولا سأل فوق ما أعطي . وما أحسن ما قال الناظم :

رأى جنة المأوى وما فوقها ولو رأى غيره ما قد رآه لتاها

وقوله : ﴿ **لقد رأىٰ من آيات ربه الكبرىٰ** ﴾ ، كقوله : ﴿ **لنريه**[١] **من آياتنا** ﴾ ، أي : الدالة علىٰ قدرتنا وعظمتنا . وبهاتين الآيتين استدل من ذهب من أهل السنة أن الرؤية تلك الليلة لم تقع ، لأنه قال : ﴿ **لقد رأىٰ من آيات ربه الكبرىٰ** ﴾ ، ولو كان رأىٰ ربه لأخبر بذلك ولقال ذلك للناس ، وقد تقدم تقرير ذلك في سورة « **سبحان** » . و[قد][٢] قال الإمام أحمد :

حدثنا أبو النضر ، حدثنا محمد بن طلحة ، عن الوليد بن قيس ، عن إسحاق بن أبي الكَهْتَلَة[٣] - قال محمد : أظنه عن ابن مسعود - أنه قال : إن محمدًا لم ير جبريل في صورته إلا مرتين ، أما مرة فإنه سأله أن يُريه نفسه في صورته ، فأراه صورته فسد الأفق . وأما الأخرىٰ فإنه صَعد معه حين صعد به .

وقوله : ﴿ **وهو بالأفق الأعلىٰ * ثم دنا فتدلىٰ * فكان قاب قوسين أو أدنىٰ * فأوحىٰ إلىٰ عبده ما أوحىٰ** ﴾ . قال[٤] : فلما أحس[٥] جبريل ربه - عز وجل - عاد في صورته وسجد ، فقوله : ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرىٰ * عند سدرة المنتهىٰ * عندها جنة المأوىٰ * إذ يغشىٰ السدرة ما يغشىٰ * ما زاغ البصر وما طغىٰ * لقد رأىٰ من آيات ربه الكبرىٰ** ﴾ ، قال : خَلْقَ جبريل عليه السلام(٤٩) . هكذا رواه الإمام أحمد وهو غريب .

---

(٤٨) - تقدم تخريج أحاديث المعراج في أول سورة الإسراء .

(٤٩) - أخرجه أحمد (٤٠٧/١) (٣٨٦٤) وفي إسناده إسحاق بن أبي الكهتلة ، قال ابن حجر في التعجيل (٢٩) : قال البخاري : حديثه في الكوفيين ، ولم يذكر فيه جرحًا ، وتبعه ابن أبي حاتم ، وذكره ابن حبان في الثقات .

---

[١] - في ت ، خ : لنريك .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز : الكهيلة .
[٤] - سقط من خ .
[٥] - في ز ، خ : أخبر .

أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ
﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ
أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن
رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم
مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ
وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾

يقول تعالىٰ مُقَرِّعًا للمشركين في عبادتهم الأصنام والأنداد والأوثان ، واتخاذهم لها البيوت مضاهاة[١] للكعبة التي بناها خليل الرحمٰن - عليه السلام - : ﴿ **أفرأيتم اللات** ﴾ ، وكانت « **اللات** » صخرةً بيضاء منقوشة وعليها بيت بالطائف له أستار وسَدَنة ، وحوله فناء معظّم عند أهل الطائف ، وهم ثقيف ومن تابعها يفتخرون بها علىٰ من عداهم من أحياء العرب بعد قريش .

قال ابن جرير : وكانوا قد اشتقوا اسمها من اسم اللّٰه ، فقالوا : اللات ، يعنون مؤنثة منه ، تعالىٰ اللّٰه عن قولهم علوًّا كبيرًا . وحكي عن ابن عباس ، ومجاهد ، والربيع بن أنس : أنهم قرءوا : (**اللاتّ**) بتشديد التاء ، وفسروه بأنه كان رجلًا يلت للحجيج في الجاهلية السويق ، فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه .

وقال البخاري : حدثنا مسلم - هو ابن إبراهيم - حدثنا أبو الأشهب ، حدثنا أبو الجوزاء ، عن ابن عباس [عن][٢]: ﴿ **اللات والعزىٰ** ﴾ ، قال : كان اللات رجلًا يلت السويق سويق الحاج (٥٠) .

قال ابن جرير : وكذا العُزَّىٰ من العزيز . وكانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة ، وهي بين مكة والطائف ، كانت قريش يعظمونها كما قال أبو سفيان يوم أحد : لنا العزىٰ ولا عزّىٰ لكم . فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **قولوا : اللّٰه[٣] مولانا ولا مولىٰ**

(٥٠) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **أفرأيتم اللات والعزى** ﴾ ، حديث (٤٨٥٩) (٦١١/٨) .

[١] - في ز : مطاهاو . كذا .
[٢] - سقط من ت . [٣] - سقط من ز .

لكم »(٥١) .

وروىٰ البخاري من حديث الزهري ، عن حُمَيد بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **من حلف فقال في حلفه : واللات والعزىٰ فليقل : لا إله إلا اللّه . ومن قال لصاحبه : تعال أقامِرْك فليتصدق** »(٥٢) .

وهذا محمول علىٰ من سبق لسانه إلىٰ[١] ذلك ، كما كانت ألسنتهم قد اعتادته في زمن الجاهلية ، كما قال النسائي : أخبرنا أحمد بن بكار وعبد الحميد بن محمد قالا : حدثنا مَخْلد ، حدثنا يونس[٢] ، عن أبيه : حدثني مصعب بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه قال : حلفت باللات والعزىٰ ، فقال لي أصحابي : بئس ما قلت ! قلت هجرًا . فأتيت رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم فذكرت ذلك له ، فقال : « **قل : لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو علىٰ كل شيء قدير . وانفث عن شمالك ثلاثًا ، وتعوَّذ باللّه من الشيطان الرجيم ، ثم لا تعد** »(٥٣) .

وأما مناة فكانت بالمُشَلَّل[٣] - عند قُدَيد ، بين مكة والمدينة - وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتها يعظمونها ، و[٤]يهلون منها للحج إلى الكعبة . وروى البخاري عن عائشة نحوه(٥٤) . وقد كانت بجزيرة العرب وغيرها طواغيت أُخَر تعظمها العرب كتعظيم الكعبة غير[٥] هذه الثلاثة التي نص عليها في كتابه العزيز ، وإنما أفرد هذه بالذكر لأنها أشهر

---

(٥١) - أخرجه البخاري بطوله في كتاب المغازي باب : غزوة أحد ، حديث (٤٠٤٣) (٣٤٩/٧ - ٣٥٠) .

(٥٢) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **أفرأيتم اللات والعزى** ﴾ حديث (٤٨٦٠) (٨/ ٦١١) .

(٥٣) - أخرجه النسائي (٨/٧) في كتاب : الأيمان والنذور ، باب : الحلف باللات والعزى ، من طريق عبد الحميد بن محمد . وفي الكبرى في كتاب : عمل اليوم والليلة ، باب : ما يقول من حلف باللات والعزى ، حديث (١٠٨٢٦) (٢٤٥/٦ - ٢٤٦) . وفيه يونس بن أبي إسحاق . قال الذهبي : قال ابن مهدي : لم يكن به بأس . وقال أبو حاتم : صدوق ، لا يحتج به . وقال النسائي : ليس به بأس . وقال ابن خراش : في حديثه لين . وقال ابن حزم : ضعفه يحيى بن القطان وأحمد بن حنبل جدًّا . قلت - أي الذهبي - : بل هو صدوق ما به بأس ، ما هو في قوة مسعر ولا شعبة. وعن يحيى بن سعيد : فيه غفلة . وقال أحمد : حديثه مضطرب . وعن ابن معين : ثقة . (ميزان الاعتدال ١٥٦/٦ - ١٥٧) .

(٥٤) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **ومناة الثالثة الأخرى** ﴾ ، حديث (٤٨٦١) (٨/ ٦١٣) .

---

[١] - في ت : في .
[٢] - في ز : قريش .
[٣] - في ز : بالسلل . وفي خ : بالسكك .
[٤] - سقط من ت .
[٥] - في ز ، خ : عن .

من غيرها .

قال ابن إسحاق في السيرة : وقد كانت العرب اتخذت مع الكعبة طواغيت ، وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة ، لها[١] سدنة وحجاب ، وتهدي لها كما يهدىٰ للكعبة ، وتطوف بها كطَوفَانِها بها ، وتنحر عندها ، وهي تعرف فضل الكعبة عليها ، لأنها كانت قد عرفت أنها بيت إبراهيم - عليه السلام - ومسجده . فكانت لقريش وبني كنانة العُزَّىٰ بنخلة ، وكانت سدنتها وحجابها بني شيبان من سليم حلفاء بني هاشم .

قلت : بعث إليها رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، خالد بن الوليد فهدمها ، وجعل يقول :

يا عز، كفرانك لاسبحانك إني رأيت الله قد أهانك.

وقال النسائي : أخبرنا علي بن المنذر ، أخبرنا ابن فُضيل ، حدثنا الوليد بن جُمَيع ، عن أبي الطفيل قال : لما فتح رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم مكة بعث خالد بن الوليد إلىٰ نخلة ، وكانت بها العزىٰ ، فأتاها خالد وكانت علىٰ ثلاث سَمُرات ، فقطع السَّمرات ، وهدم البيت الذي كان عليها . ثم أتىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم فأخبره ، فقال : « ارجع فإنك لم تصنع شيئًا » . فرجع خالد ، فلما أبصرته السدنة - وهم حَجَبتها - أمعنوا في الحيَل[٢] وهم يقولون : يا عزىٰ ، يا عزىٰ . فأتاها[٣] خالد فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحفن التراب علىٰ رأسها ، فغمسها بالسيف حتىٰ قتلها . ثم رجع إلىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فأخبره ، فقال : « تلك العزىٰ »(٥٥) .

قال ابن إسحاق : وكانت اللات لثقيف بالطائف ، وكان سدنتها وحجابها بني معتِّب .

قلت : وقد بعث إليها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم المغيرة بن شعبة وأبا سفيان صخر ابن حرب ، فهدماها وجعلا مكانها مسجد الطائف .

قال ابن إسحاق : وكانت مناة للأوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل يثرب علىٰ ساحل البحر من ناحية المُشَلّل بقديد ، فبعث رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أبا سفيان صخر[٤] بن حرب فهدمها . ويقال : علي بن أبي طالب. قال : وكانت ذو الخلصة[٥]

(٥٥) - أخرجه النسائي في الكبرى في كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ أفرأيتم اللات والعزى﴾ ، حديث (١١٥٤٧) (٤٧٤/٦) ورجاله وثقوا .

[١] - في ت : بها .
[٢] - في خ : الجبل .
[٣] - في ز : فأتاه .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - في خ : لحصة .

لدوس، وخثعم، وبجيلة، ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة. قلت: وكان يقال لها: الكعبة اليمانية، وللكعبة التي بمكة: الكعبة الشامية.

فبعث إليه رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، جرير بن عبد الله البجلي فهدمه.

قال: وكانت فلس[١] لطيئ ولمن يليها بجبلي[٢] طيئ من سلمى وأجاء.

قال ابن هشام: فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بعث إليه علي ابن أبي طالب فهدمه، واصطفىٰ منه سيفين: [الرسُوب][٣]والمِخْذَم، فنفَّله إياهما رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فهما[٤] سيفا علي.

قال ابن إسحاق: وكان لحمير وأهل اليمن بيت بصنعاء يقال له: رئام، وذكر أنه كان به كلب أسود، وأن الحبرين اللذين ذهبا مع تبع[٥] استخرجاه وقتلاه، وهدما البيت.

قال ابن إسحاق: وكانت «رُضَاء» بيتًا لبني ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، ولها يقول المستوغر[٦] بن ربيعة بن كعب بن سعد حين هدمها في الإسلام:

ولقد شددت على رضاء شدة   فتركتها قفرًا بقاع أسحما

قال ابن هشام: يقال[٧]: إنه عاش ثلاثمائة وثلاثين سنة، وهو القائل:

وَلَقَدْ سَئِمْتُ مِنَ الحَيَاةِ وَطُولِهَا   وَعُمِّرْتُ مِنْ عَدَدِ السِّنِينَ مِئِينَا
مائَةً حَدَتْها بَعْدَها مِئَتَان لي   وازْدَدتُ[٨] من عدد الشهور سنينًا
هل ما بقي إلا كَمَا قَدْ فَاتَنَا   يَومٌ يَمُرّ وَلَيْلَةٌ تَحْدُونَا

قال ابن إسحاق: وكان ذو الكعبات لبكر وتغلب ابني وائل، وإياد بسنداد وله يقول أعشىٰ بني قيس بن ثعلبة:

بين الخورنق والسدير وبارق   والبيت ذي الكعبات من[٩] سنداد

ولهذا قال: ﴿ أفرأيتم اللات والعزىٰ * ومناة الثالثة الأخرىٰ ﴾؟.

ثم قال: ﴿ ألكم الذكر وله الأنثىٰ ﴾؟، أي: أتجعلون له ولدًا، وتجعلون ولده أنثىٰ،

---

[١] - في خ: قلس. وكذا في البداية [٢/٢٤٢].
[٢] - في خ: بجبل.
[٣] - في ز، خ: الرسوف.
[٤] - في ز: لهما.
[٥] - بياض في ز، خ.
[٦] - في ز، خ: المستوعد.
[٧] - سقط من ت.
[٨] - في ز، خ: وعمرت.
[٩] - في ز: في.

وتختارون لأنفسكم الذكور ، فلو اقتسمتم أنتم ومخلوق مثلكم هذه القسمة لكانت ﴿ **قسمة ضيزىٰ** ﴾ ، أي : جورًا باطلة ، فكيف تقاسمون ربكم هذه القسمة التي لو كانت بين مخلوقين كانت جورًا وسفهًا .

ثم قال منكرًا عليهم فيما ابتدعوه وأحدثوه من الكذب والافتراء والكفر ، من عبادة الأصنام وتسميتها آلهة : ﴿ **إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم** ﴾ ، أي : من تلقاء أنفسكم ، ﴿ **ما أنزل اللّٰه بها من سلطان** ﴾ ، أي : من حجة ، ﴿ **إن يتبعون إلا الظن ، وما تهوىٰ الأنفس** ﴾ ، أي : ليس لهم مستند إلا حسن ظنهم بآبائهم الذين سلكوا هذا المسلك الباطل قبلهم ، وإلا حظ نفوسهم في رياستهم وتعظيم آبائهم الأقدمين ، ﴿ **ولقد جاءهم من ربهم الهدىٰ** ﴾ ، أي : ولقد أرسل اللّٰه إليهم الرسل بالحق المنير والحجة القاطعة ، ومع هذا ما اتبعوا ما جاءوهم به ، ولا انقادوا له .

ثم قال : ﴿**أم للإنسان ما تمنى**﴾ أي : ليس كل من تمنى خيرًا حصل له ، ﴿**ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب**﴾ ما كل من زعم أنه مهتد يكون كما قال ، ولا كل من ودَّ شيئًا يحصل له .

قال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق ، حدثنا أبو عَوَانة ، عن عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إذا تمنىٰ أحدكم فلينظر ما تمنىٰ**[١] **، فإنه لا يدري ما يكتب له من أمنيته** »(٥٦) تفرد به أحمد .

وقوله : ﴿ **فللّٰه الآخرة والأولىٰ** ﴾ ، أي : إنما الأمر كله للّٰه ، مالك الدنيا والآخرة ، والمتصرف في الدنيا والآخرة ، فهو الذي ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن .

وقوله : ﴿ **وكم من ملك في السمٰوات لا تغني شفاعتهم شيئًا إلا من بعد أن يأذن اللّٰه لمن يشاء ويرضىٰ** ﴾ ، كقوله : ﴿ **من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه** ﴾ ﴿**ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له**﴾ ، فإذا كان هذا في حق الملائكة المقربين ، فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعة هذه الأصنام والأنداد عند اللّٰه ، وهو لم يشرع عبادتها ولا أذن فيها ، بل قد نهىٰ عنها علىٰ ألسنة جميع رسله ، وأنزل بالنهي عن ذلك جميع كتبه ؟ !

---

(٥٦) - أخرجه أحمد (٣٥٧/٢) . وفي إسناده عمر بن أبي سلمة ، وهو ابن عبد الرحمن ، قال : ابن الجوزي في « الضعفاء والمتروكين » (٢١٠/٢) : ضعفه شعبة ويحيى . وقال الرازي : لا يحتج به . وقال النسائي : ليس بالقوي . والحديث ضعفه الشيخ الألباني في الضعيفة برقم (٢٢٥٥) .

---

[١] - في ت : يتمنى .

﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۝٢٨ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٢٩ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ۝٣٠﴾

يقول تعالىٰ منكرًا علىٰ المشركين في تسميتهم الملائكة تسمية الأنثىٰ ، وجعلهم لها أنها بنات اللَّه كما قال : **﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون ﴾** . ولهذا قال : **﴿ وما لهم به من علم ﴾** أي : ليس لهم علم صحيح يُصَدِّق ما قالوه ، بل هو كذب وزور وافتراء وكفر شنيع . **﴿ إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئًا ﴾** ، أي : لا يجدي شيئًا ، ولا يقوم أبدًا مقام الحق . وقد ثبت في الصحيح أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : **« إياكم والظن ! فإن الظن أكذب الحديث »**(٥٧) .

وقوله : **﴿ فأعرض عمَّن تولىٰ عن ذكرنا ﴾** ، أي : أعرض عن الذي أعرض[١] عن الحق واهجره .

وقوله : **﴿ ولم يرد إلا الحياة الدنيا ﴾** ، أي : وإنما أكثر همه ومبلغ علمه الدنيا ، فذلك[٢] هو غاية ما لا خير فيه . ولذلك قال : **﴿ ذلك مبلغهم من العلم ﴾** ، أي : طلب الدنيا والسعي لها هو غاية ما وصلوا إليه . وقد روىٰ الإمام أحمد عن أم المؤمنين عائشة قالت : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : **« الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له »**(٥٨) . وفي الدعاء المأثور : **« اللَّهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا »**(٥٩) .

---

(٥٧) - أخرجه البخاري في كتاب : الأدب ، باب : **﴿ يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرًا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ﴾** حديث (٦٠٦٦) . ومسلم في كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها ، حديث (٢٥٦٣/٢٨) (١٧٩/١٦) . كلاهما من حديث أبي هريرة .

(٥٨) - أخرجه أحمد (٧١/٦) . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٩١/١٠) وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير دويد وهو ثقة . وضعفه الألباني في الضعيفة (١٩٣٣)، ونقل عن ابن قدامة في المنتخب أنه قال : هذا حديث منكر . ونقل العراقي في تخريج الإحياء (١٨٥٨/٤) قول المنذري بأن إسناده جيد .

(٥٩) - أخرجه الترمذي في كتاب : الدعوات ، باب : الدعاء حين يقوم من مجلسه ، حديث (٣٤٩٧) (١٦٩/٩ - ١٧٠) . وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٧٨٨ - ٣٧٥٨) .

---

[١] - في خ : تولى . [٢] - في ز : فذاك .

وقوله : ﴿ إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدىٰ ﴾ ، أي : هو الخالق لجميع المخلوقات ، والعالم بمصالح عباده ، وهو الذي يهدي من يشاء ، ويضل من يشاء ، وذلك كله عن قدرته وعلمه وحكمته ، وهو العادل الذي لا يجور أبدًا ، لا في شرعه ولا في قَدَره .

وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾

يخبر تعالىٰ أنه مالك السماوات والأرض ، وأنه الغني عما سواه ، الحاكم في خلقه بالعدل ، وخَلَق الخلق بالحق ، ﴿ ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنىٰ ﴾ ، أي : يجازي كلًّا بعمله ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًّا فشر ، ثم فسر المحسنين بأنهم ﴿ الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش ﴾ أي : لا يتعاطون المحرمات والكبائر وإن وقع منهم بعض الصغائر فإنه يغفر لهم ويستر عليهم ، كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلًا كريمًا ﴾ . وقال هاهنا : ﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم ﴾ . وهذا استثناء منقطع ؛ لأن اللمم من صغائر الذنوب ومحقرات الأعمال .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن ابن طاوس ، [عن أبيه ، عن ابن عباس قال : ما رأيت شيئًا أشبَهَ باللمَم مما قال أبو هريرة عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم][١] قال : « إن اللَّه تعالىٰ كتب علىٰ ابن آدم حظه من الزنا ، أدرك ذلك لا محالة ، فزنا العين النظر ، وزنا اللسان النطق ، والنفس تَمَنّىٰ وتشتهي ، والفرج يُصَدِّق ذلك أو يكذبه »(٦٠) .

أخرجاه في الصحيحين من حديث عبد الرزاق به(٦١) .

---

(٦٠) - أخرجه أحمد (٣١٧/٢ - ٣٧٩) .

(٦١) - أخرجه البخاري في كتاب : الاستئذان ، باب : زنا الجوارح دون الفرج ، (٦٣٤٣) (٢٦/١١) . ومسلم في كتاب : القدر ، باب : قدر على ابن آدم حظه من الزنى وغيره (٢٦٥٧/٢٠) (٣١٥/١٦) .

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن عبد الأعلىٰ ، أخبرنا ابن ثور ، حدثنا معمر ، عن الأعمش ، عن أبي الضحىٰ : أن ابن مسعود قال : « **زنا العينين النظر ، وزنا الشفتين التقبيل ، وزنا اليدين البطش ، وزنا الرجلين المشي ، ويُصدّق ذلك الفرجُ أو يُكذبه ، فإن تقدم بفرجه كان زانيًا ، وإلا فهو اللّمم** »(٦٢) وكذا قال مسروق والشعبي ، وقال عبد الرحمن بن نافع - الذي يقال له[١] : ابن لبابة[٢] الطائفي - قال : سألت أبا هريرة عن قول الله : ﴿ **إلا اللمم** ﴾ ؟ قال : القبلة ، والغمزة ، والنظرة ، والمباشرة ، فإذا مس الختان الختان فقد وجب الغسل ، وهو الزنا .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ **إلا اللمم** ﴾ إلا ما سلف . وكذا قال زيد ابن أسلم .

وقال ابن جرير: حدثنا ابن المثنى[٣] ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن منصور ، عن مجاهد أنه قال : في هذه الآية : ﴿ **إلا اللمم** ﴾ ، قال : الذي يلم بالذنب ثم يَدعُه ، قال الشاعر :

إن تغفر اللّهم تغفر جمّا وأي عبد لك ما ألمّا(٦٣)

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد في قول الله : ﴿ **إلا اللمم** ﴾ ، قال : الرجل يلمّ بالذنب ثم ينزع عنه . قال : وكان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت وهم يقولون :

إن [تغفر اللّهم تغفر][٤] جمّا وأي عبد لك ما ألمّا(٦٤)

وقد رواه ابن جرير وغيره مرفوعًا . قال ابن جرير : حدثني سليمان بن عبد الجبار ، حدثنا أبو عاصم ، حدثنا زكريا بن إسحاق ، عن عمرو بن دينار ، عن عطاء ، عن ابن عباس : ﴿ **الذين يجتنبون كبائر الإِثم والفواحش إلا اللمم** ﴾ ، قال : هو الرجل يلم بالفاحشة ثم يتوب .

وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(٦٢) - تفسير الطبرى (٦٥/٢٧) .
(٦٣) - تفسير الطبرى (٦٦/٢٧) .
(٦٤) - تفسير الطبرى (٦٧/٢٧) .

---

[١] - سقط من ت . [٢] - في ز : لبانة .
[٣] - في ز : عيسى . وبعده في خ : ثنا ابن عيسى .
[٤] - في ز : « يغفر الله يغفر » .

إن تغفر اللَّهم تغفر جمًّا وأي عبد لك ما ألمَّا(٦٥)

وهكذا رواه الترمذي ، عن أحمد بن عثمان أبي عثمان البصري ، عن أبي عاصم النبيل(٦٦) . ثم قال : هذا حديث حسن صحيح غريب ، لا نعرفه إلا من حديث زكريا بن إسحاق . وكذا قال البزار : لا نعلمه يُروىٰ متصلًا إلا من هذا الوجه . وساقه ابن أبي حاتم والبغوي من حديث أبي عاصم النبيل . وإنما ذكره البغوي في تفسير[١] « **سورة تنزيل** » ، وفي صحته مرفوعًا - نظر .

ثم قال ابن جرير : حدثنا محمد بن عبد اللَّه بن بزيع ، حدثنا يزيد بن زُرَيع ، حدثنا يونس ، عن الحسن ، عن أبي هريرة - أراه رفعه - : [ ][٢]﴿ **الذين يجتنبون كبائر الإِثم والفواحش إلا اللمم** ﴾ ، قال : اللمَّةُ[٣] من الزنا ثم[٤] يتوب ولا يعود ، واللمة من السرقة ثم يتوب ولا يعود ، واللمة من شرب الخمر ثم يتوب ولا يعود ، قال : ذلك الإِلمام(٦٧) .

وحدثنا ابن بشار ، حدثنا ابن أبي عَديّ ، عن عوف ، عن الحسن في قول اللَّه : ﴿**الذين يجتنبون كبائر الإِثم والفواحش إلا اللمم** ﴾ ، قال : اللمم من الزنا أو السرقة أو شرب الخمر ، ثم لا يعود(٦٨) .

وحدثني يعقوب ، حدثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن في قول اللَّه : ﴿ **الذين يجتنبون كبائر الإِثم والفواحش إلا اللمم** ﴾ ، قال : كان أصحاب رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقولون : هو الرجل يصيب اللمة من الزنا ، واللمة من شرب الخمر ، فيجتنبها ويتوب منها(٦٩) .

وقال ابن جرير[٥] ، عن عطاء ، عن ابن عباس : ﴿ **إلا اللمم** ﴾ : يلم بها في الحين .

---

(٦٥) - تفسير الطبرى (٦٦/٢٧) .

(٦٦) - أخرجه الترمذي في كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة النجم ، حديث (٣٢٨٠) (٩/ ٣١) . وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (٢٦١٨) .

(٦٧) - تفسير الطبرى (٦٦/٢٧ - ٦٧) وفيه انقطاع بين الحسن وأبي هريرة . وقد ورد في الطبرى : حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا يونس ، وقد أثبت ابن كثير هنا يزيد بن زريع بين ابن بزيع ويونس .

(٦٨) - تفسير الطبرى (٦٧/٢٧) .

(٦٩) - تفسير الطبرى (٦٧/٢٧) .

---

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - في ز : إن .

[٣] - في خ : اللمم .

[٤] - سقط من خ . وفي ز : من .

[٥] - في ز ، خ : جريج .

قلت : الزنا ؟ قال : الزنا ثم يتوب .

وقال ابن جرير أيضًا : حدثنا أبو كريب ، حدثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : اللمم : الذي يلم المرّة(٧٠) .

وقال السدي : قال أبو صالح : سُئِلتُ عن اللمم ؟ فقلت : هو الرجل يصيب الذنب ثم يتوب . وأخبرتُ بذلك ابن عباس فقال : لقد أعانك عليها مَلَك كريم . حكاه البغوي .

وروىٰ ابن جرير من طريق المثنىٰ بن الصباح - وهو ضعيف - عن عمرو بن شعيب : أن عبد الله بن عمرو[١] قال : اللمم : ما دون الشرك (٧١) .

وقال سفيان الثوري ، عن جابر الجُعفي ، عن عطاء ، عن ابن الزبير : ﴿ إلا اللمم ﴾ ، قال : ما بين الحدين : حد الدنيا[٢] وعذاب الآخرة ، وكذا رواه شعبة عن الحكم عن ابن عباس مثله سواء .

وقال العوفي ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ إلا اللمم ﴾ : كل شيء بين الحدين : حد الدنيا وحد الآخرة ، تكفره[٣] الصلوات ، وهو اللمم ، وهو دون كل موجب ، فأما حد الدنيا فكل حد فرض الله عقوبته في الدنيا ، وأما حد الآخرة فكل شيء ختمه الله بالنار ، وأخر عقوبته إلىٰ الآخرة . وكذا قال عكرمة وقتادة والضحاك .

وقوله : ﴿ إن ربك واسع المغفرة ﴾ ، أي رحمته وَسِعَت كل شيء ، ومغفرته تَسَع الذنوب كلها لمن تاب منها ، كقوله : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا علىٰ أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هوالغفور الرحيم ﴾ .

وقوله : ﴿ هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض ﴾ ، أي : هو بصير بكم ، عليم بأحوالكم وأفعالكم وأقوالكم [التي تصدر][٤] عنكم[٥] وتقع منكم ، حين أنشأ أباكم آدم من الأرض ، واستخرج ذريته من صلبه أمثال الذرّ ، ثم قسمهم فريقين : فريقًا للجنة ، وفريقًا للسعير . وكذا قوله : ﴿ وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم ﴾ : قد كتب الملك الذي يُوكّل به رزقَه وأجلَه وعمله ، وشقي أم سعيد .

---

(٧٠) - تفسير الطبرى (٦٧/٢٧) .

(٧١) - تفسير الطبرى (٦٧/٢٧) والمثنى بن الصباح ضعيف اختلط بأخره وكان عائدًا كما في التقريب .

---

[١] - في خ : عمر .

[٢] - في ز ، خ : الزنا .

[٣] - في ز : تكفرها .

[٤] - في ز ، خ : الذي يقدر .

[٥] - في خ : منكم .

قال مكحول : كنا أجنة في بطون أمهاتنا ، فسقط منا من سقط ، وكنا فيمن بقي ، ثم كنا مراضع فهلك منا من هلك ، وكنا فيمن بقي ، ثم صرنا يَفَعة ، فهلك منا من هلك . وكنا فيمن بقي ثم صرنا شبابًا فهلك منا من هلك . وكنا فيمن بقي ثم صرنا شيوخًا - لا أبا لك - فماذا بعد هذا ننتظر[١] ؟ رواه ابن أبي حاتم عنه .

وقوله : ﴿ **فلا تزكوا أنفسكم** ﴾ ، أي : تمدحوها وتشكروها و[٢]تمنوا بأعمالكم ، ﴿ **هو أعلم بمن اتقىٰ** ﴾ . كما قال : ﴿ **ألم تر إلىٰ الذين يزكون أنفسهم بل اللّه يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلًا** ﴾ .

وقال مسلم في صحيحه : حدثنا عَمْرو الناقد ، حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا الليث ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن محمد بن عمرو بن عطاء قال : سميتُ ابنتي بَرّةَ ، فقالت لي زينب بنت أبي سلمة : إن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم نهىٰ عن هذا الاسم ، وسُميت بَرّة فقال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **لا تزكوا أنفسكم ، إن اللّه أعلم بأهل البر منكم** » . فقالوا : بم نسميها ؟ قال : « **سموها زينب** »(٧٢) وقد ثبت أيضًا في الحديث الذي رواه الإمام أحمد حيث قال : حدثنا عفان ، حدثنا وُهيب[٣] ، حدثنا خالد الحذاء ، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة ، عن أبيه قال : مدح رجل رجلًا عند النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم فقال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم :« **ويلك[٤] ! قطعتَ عنق صاحبك - مرارًا - إذا كان أحدكم مادحًا صاحبه لا محالة فليقل : أحسب فلانًا واللّه حسيبه ، ولا أزكي علىٰ اللّه أحدًا ، أحسبه كذا وكذا ، إن كان يعلم ذلك** » (٧٣) .

ثم رواه عن [غندر عن][٥]شعبة عن خالد الحذاء به(٧٤) . [وكذا رواه البخاري ، وأبو داود ، وابن ماجة ، من طرق ، عن خالد الحذاء ، به][٦](٧٥) .

(٧٢) - صحيح مسلم في كتاب : الأداب ، باب : استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن ، حديث (١٩/ ٢١٤٢) (١٧١/١٤) .

(٧٣) - مسند أحمد (٤٦/٥) (٢٠٥١٧) .

(٧٤) - المسند (٤١/٥) (٢٠٤٧٥) .

(٧٥) - صحيح البخاري في كتاب : الشهادات ، باب : إذا زكى رجل رجلًا كفاه ، حديث (٢٦٦٢) (٢٧٤/٥) . ومسلم في كتاب : الزهد والرقائق ، باب : النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط ، حديث=

[١] - في خ : أنتظر .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ز ، خ : وهب .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفين في خ : « عبيد عن » .وفي ز : « عبيد وعن » .
[٦] - سقط من ز ، خ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، وعبد الرحمن قالا : حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن همام بن الحارث قال : جاء رجل إلىٰ عثمانَ فأثنىٰ عليه في وجهه ، قال : فجعل المقداد بن الأسود يحثو في وجهه التراب ويقول : أمَرَنا رسولُ اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم إذا لقينا المداحين أن نحثوَ في وجوههم التراب (٧٦) .

ورواه مسلم وأبو داود من حديث الثوري عن منصور به(٧٧) .

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾

يقول تعالى ذامًّا لمن تولّىٰ عن طاعة الله : ﴿ **فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولّىٰ** ﴾ ، ﴿ **وأعطىٰ قليلًا وأكدىٰ** ﴾ قال ابن عباس: أطاع قليلًا ثم قطعه . وكذا قال مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، وقتادة ، وغير واحد .

قال عكرمة ، وسعيد : كمثل القوم إذا كانوا يحفرون بئرًا ، فيجدون في أثناء الحَفْر صخرةً تمنعهم من تمام العمل ، فيقولون : أكدينا ، ويتركون العمل .

وقوله : ﴿ **أعنده علم الغيب فهو يرىٰ** ﴾ أي : أعند هذا الذي قد أمسك يده خشية الإنفاق ، وقطع معروفه ، أعنده علم الغيب أنه سينفد ما في يده ، حتىٰ قد أمسك عن معروفه ، فهو يرىٰ ذلك عيانًا ؟ ! أي : ليس الأمر كذلك ، وإنما أمسك عن الصدقة والمعروف والبر والصلة بخلًا وشحًا وهلعًا؛ ولهذا جاء في الحديث: « **أنفق بلال**[١] **ولا**

= (٦٥، ٦٦/٣٠٠٠) (١٧١/١٨ - ١٧٢) . وأبو داود في كتاب : الأدب ، باب : في كراهية التمادح ، حديث (٤٨٠٥) (٢٥٤/٤) . وابن ماجة في كتاب : الأدب ، باب : المدح ، حديث (٣٧٤٤) (٢/ ١٢٣٢) .

(٧٦) - المسند (٥/٦) (٢٣٩٣٩) . وإسناده رجاله ثقات .

(٧٧) - صحيح مسلم في كتاب : الزهد والرقائق ، باب : النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط ، حديث (٦٩م/ ٣٠٠٢) (١٧٣/١٨ - ١٧٤) . وأبو داود في كتاب : الأدب ، باب : في كراهية التمادح ، حديث (٤٨٠٤) (٢٥٤/٤) .

[١] - في ت ، خ : بلالًا .

تخش[١] **من ذي العرش إقلالًا**»(٧٨) وقد قال الله تعالىٰ: ﴿ **وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين** ﴾.

وقوله: ﴿ **أم لم ينبأ بما في صحف موسىٰ * وإبراهيم الذي وفىٰ** ﴾، قال سعيد بن جبير، والثوري: أي بَلّغ جميع ما أمر به.

وقال ابن عباس: ﴿ **وفىٰ** ﴾ لله[٢] بالبلاغ. وقال سعيد بن جُبيَر: ﴿ **وفىٰ** ﴾ ما أمر به. وقال قتادة: ﴿ **وفىٰ** ﴾ طاعة الله، وأدىٰ رسالته إلىٰ خلقه. وهذا القول هو اختيار ابن جرير، وهو يشمل الذي قبله، ويشهد له قوله تعالىٰ: ﴿ **وإذ ابتلىٰ إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إمامًا** ﴾، فقام بجميع الأوامر، وترك جميع النواهي، وبَلّغ الرسالة علىٰ التمام والكمال، فاستحق بهذا أن يكون للناس إمامًا يُقْتَدىٰ به في جميع أحواله وأفعاله وأقواله؛ قال الله تعالىٰ: ﴿ **ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين** ﴾.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عوف الحمصي، حدثنا[ ][٣] حدثنا آدم بن أبي إياس العسقلاني، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبي أمامة قال: تلا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم هذه الآية: ﴿ **وإبراهيم الذي وفىٰ** ﴾، قال: «**أتدري**[٤]**ما وفىٰ؟**» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**وَفّىٰ عمل يومه بأربع ركعات من أول النهار**».

ورواه ابن جرير من حديث جعفر بن الزبير وهو ضعيف(٧٩).

---

(٧٨) أخرجه الطبراني في: الكبير (٣٤٠/١) (١٠٢٠)، والبزار كما في المختصر (٤٩٣/٢) (٢٢٧٨). كلاهما من طريق قيس بن الربيع عن أبي حصين عن يحيى بن وثاب عن مسروق عن عبد الله ... فذكر الحديث. قال الهيثمي في «المجمع» (١٢٩/٣): رواه كله الطبراني في الكبير، وفيه قيس بن الربيع وثقه شعبة والثوري وفيه كلام .اهـ. قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٥١/١): رواه البزار بإسناد حسن.

وأخرجه الطبراني في الكبير (٣٤١/١ - ٣٤٢) (١٠٢٤)، وأبو يعلى (٤٢٩/١٠) (٦٠٤٠)، والبزار (٢/ ٤٩٤) (٢٢٨٠). كلهم من طريق محمد بن سيرين عن أبي هريرة. قال البزار: تفرد به مبارك وإسناده حسن. قال الهيثمي في «المجمع» (٢٤٤/١٠): رواه البزار وأبو يعلى والطبراني في الكبير والأوسط وإسناده حسن.

(٧٩) - تفسير الطبري (٧٣/٢٧).

---

[١] - في ت: تخف.

[٢] - في ز، خ: بينه.

[٣] - بياض في ز، خ.

[٤] - في ز، خ: أتدرون.

وقال الترمذي في جامعه : حدثنا أبو جعفر السِّمناني ، حدثنا أبو مسهر ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن بَحير[١] بن سعد ، عن خالد بن معدان ، عن جبير بن نُفَير ، عن أبي الدرداء و[٢]أبي ذر ، عن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، عن الله - عز وجل - أنه قال : « **ابن آدم ، اركع لي أربع ركعات من أول النهار ، أكفك آخره** » (٨٠) .

قال ابن أبي حاتم رحمه الله : حدثنا أبي ، حدثنا الربيع بن سليمان ، حدثنا أسد بن موسىٰ ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا زبان[٣] بن فائد ، عن سهل بن معاذ بن أنس ، عن أبيه ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « **ألا أخبركم لم سمىٰ الله إبراهيم خليله الذي وفىٰ ؟ إنه كان يقول كلما أصبح وأمسىٰ : ﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ﴾** » . حتىٰ ختم الآية(٨١) . ورواه ابن جرير عن أبي كريب [عن رشدين بن سعد ، عن زَبَّان به][٤] (٨٢) .

ثم شرع تعالىٰ يبين ما كان أوحاه في صحف إبراهيم وموسىٰ فقال : **﴿ ألَّا تزر وازرة وزر أخرىٰ ﴾** ، أي : كل نفس ظلمت نفسها بكفر أو شيء من الذنوب فإنما عليها وزرها ، لا يحمله عنها أحد ، كما قال : **﴿ وإن تدع مثقلة إلىٰ حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربىٰ ﴾** ، **﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعىٰ ﴾** أي : كما لا يحمل عليه وزر غيره ، كذلك لا يحصل من الأجر إلَا ما كسب هو لنفسه .

ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعي رحمه الله ومن اتبعه أن القراءة لا يصل إهداء ثوابها إلىٰ الموتىٰ ، لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم . ولهذا لم يندب إليه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أمته ولا حَثَّهم عليه ، ولا أرشدهم إليه بنص ولا إيماء ، ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة - رضي الله عنهم - ولو كان خيرًا لسبقونا إليه ، وباب القربات يقتصر فيه علىٰ النصوص ، ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء ، فأما الدعاء والصدقة فذاك مجمع علىٰ وصولهما ، ومنصوص من الشارع عليهما .

---

(٨٠) - أخرجه الترمذي في كتاب : الصلاة ، باب : ما جاء في صلاة الضحى ، حديث (٤٧٥) (٢/ ١١٥) . وإسناده رجاله ثقات . وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (٣٩٥ - ٤٧٨) .

(٨١) - في إسناده زبان بن فائد وهو ضعيف وكذا ابن لهيعة . وأسد بن موسى : صدوق يغرب وفيه نصب .

(٨٢) - تفسير الطبري (٢٧/٧٣) وفي إسناده رشدين بن سعد وهو ضعيف في زبان ، وزبان ضعيف .

---

[١] - في ز ، خ : يحيى .
[٢] - في ز : أو .
[٣] - في ز ، خ : زياد .
[٤] - بياض في ز ، خ .

وأما الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : من ولد صالح يدعو له ، أو صدقة جارية من بعده ، أو علم ينتفع به** »(٨٣) فهذه الثلاثة في الحقيقة هي من سعيه وكده وعمله ، كما جاء في الحديث : « **إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه ، وإن ولده من كسبه** »(٨٤) . والصدقة الجارية كالوقف ونحوه هي من آثار عمله ووقفه ، وقد قال تعالىٰ : ﴿ **إنا نحن نحيي الموتىٰ ونكتب ما قدموا وآثارهم** ﴾ ... الآية . والعلم الذي نشره في الناس فاقتدىٰ به الناس بعده ، هو أيضًا من سعيه وعمله ، وثبت في الصحيح : « **من دعا إلىٰ هدىً كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه ، من غير أن ينقُص من أجورهم شيئًا** »(٨٥)

وقوله : ﴿ **وأن سعيه سوف يرىٰ** ﴾ ، أي : يوم القيامة كما قال تعالىٰ : ﴿ **وقل اعملوا فسيرىٰ اللّٰه عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلىٰ عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** ﴾ ، أي : فيخبركم به ، ويجزيكم عليه أتم الجزاء ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًّا فشر . وهكذا[١] قال هاهنا : ﴿ **ثم يجزاه الجزاء الأوفىٰ** ﴾ ، أي : الأوفر .

وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ

---

(٨٣) - صحيح مسلم كتاب : الوصية ، باب : ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ، حديث (١٤/ ١٦٣١) (١١/١٢٢) .

(٨٤) - أخرجه أبو داود في كتاب : البيوع ، باب : في الرجل يأكل من مال ولده ، حديث (٣٥٢٨، ٣٥٢٩) (٣/٢٨٨ - ٢٨٩) . والترمذي في كتاب الأحكام ، باب : ما جاء أن الوالد يأخذ من مال ولده ، حديث (١٣٥٨) (٥/٣٩) . والنسائي (٧/٢٤١) كتاب : البيوع ، باب : الحث على الكسب . وابن ماجة في كتاب : التجارات ، باب : ما للرجل من مال ولده ، حديث (٢٢٩٠) (٢/٧٦٩) . كلهم من طريق عمارة بن عمير ، عن عمته ، عن عائشة - رضي الله عنها . وأخرجه النسائي (٧/٢٤١) كتاب : البيوع ، باب : الحث على الكسب . وابن ماجة في كتاب : التجارات ، باب : الحث على المكاسب ، حديث (٢١٣٧) (٢/٧٢٣) . وأحمد (٦/٤٢) . كلهم من طريق الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة - رضي الله عنها - به . وصححه الشيخ الألباني في الإرواء برقم (١٦٢٦) .

(٨٥) - أخرجه مسلم في كتاب : العلم ، باب : من سن سنة حسنة أو سيئة ، حديث (١٦/٢٦٧٤) (١٦/٣٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

---

[١] - في خ : كما .

﴿ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾﴾

يقول تعالىٰ: ﴿وأن إلى ربك المنتهىٰ﴾ أي: المعاد يوم القيامة.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا سُويد بن سَعيد، حدثنا مسلم بن خالد، عن عبد الرحمن بن سابط، عن عمرو بن ميمون الأَوْدِيّ قال: قام فينا معاذ بن جبل فقال: يا بني أود، إني رسول رسول الله إليكم، تعلمون أن المعاد إلىٰ الله، إلىٰ الجنة أو إلىٰ النار(٨٦).

وذكر البغوي من رواية أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي ابن كعب، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم في قوله: ﴿وأن إلىٰ ربك المنتهىٰ﴾، قال: «**لا فكرةَ في الرب**»(٨٧).

قال البغوي: وهذا مثلُ ما رُوي عن أبي هُرَيرة مرفوعًا: «**تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق، فإنه لا تحيط به الفكرة**»(٨٨).

كذا أورده وليس بمحفوظ بهذا اللفظ، وإنما الذي في الصحيح: «**يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتىٰ يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغ أحدكم ذلك فليستعذ بالله ولينته**». وفي الحديث الآخر الذي في السنن[١]: «**تفكروا في**

---

(٨٦) - في إسناده سويد بن سعيد الهروي، صدوق في نفسه إلا أنه عمي فصار يتلقن ما ليس من حديثه فأفحش فيه ابن معين القول.

(٨٧) - أخرجه الدارقطني في الأفراد كما في فتح القدير (١٣٩/٥)، وأبو جعفر الرازي صدوق إلا أنه سيئ الحفظ، والربيع بن أنس صدوق له أوهام.

(٨٨) - ذكره العراقي في تخريج الإحياء (٢٤٥٨/٦) بنحو هذا في حديث طويل دون قوله: «فإنه لا تحيط به الفكرة» وعزاه إلى أبي الشيخ عن أبي هريرة - رضي الله عنه - وبنحو ذلك أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٢٠٩/١ - ٢١٦) من حديث ابن عمر وابن عباس وأبي ذر. قال السخاوي في المقاصد الحسنة: وهذه الأخبار أسانيدها ضعيفة لكن اجتماعها يكتسب قوة، والمعنى صحيح، وفي صحيح مسلم من حديث =

---

[١] - بياض في ز، خ.

مخلوقات اللّه ، ولا تفكروا في ذات اللّه ، فإن اللّه خلق ملكًا ما بين شحمة أذنه إلىٰ عاتقه مسيرةُ ثلاثمائة سنة » ، أو كما قال(٨٩) .

وقوله : ﴿ وأنه هو أضحك وأبكىٰ ﴾ ، أي : خلق في عباده الضحك والبكاء وسببهما وهما مختلفان ، ﴿ وأنه هو أمات وأحيا ﴾ ، كقوله : ﴿ الذي خلق الموت والحياة ﴾ . ﴿ وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثىٰ * من نطفة إذا تُمْنَىٰ ﴾ ، كقوله : ﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى * ألم يك نطفة من مني يمنىٰ * ثم كان علقة فخلق فسوىٰ * فجعل منه الزوجين الذكر والأنثىٰ * أليس ذلك بقادر علىٰ أن يحيي الموتىٰ ﴾ .

وقوله : ﴿ وأن عليه النشأة الأخرىٰ ﴾ ، أي : كما خلق البداءة هو قادر علىٰ الإِعادة ، وهي النشأة الآخرة يوم القيامة ﴿ وأنه هو أغنىٰ وأقنىٰ ﴾ ، أي : مَلّك عباده المال ، وجعله لهم قُنْيَةً مقيمًا عندهم ، لا يحتاجون إلىٰ بيعه ، فهذا تمام النعمة عليهم . وعلىٰ هذا يدور كلام كثير من المفسرين ، منهم أبو صالح ، وابن جرير ، وغيرهما .

وعن مجاهد : ﴿ أغنىٰ ﴾ : مَوّل ، ﴿ وأقنىٰ ﴾ : أخدم . وكذا قال قتادة .

وقال ابن عباس ، ومجاهد أيضًا : ﴿ أغنىٰ ﴾ أعطىٰ ﴿ وأقنىٰ ﴾ رضىٰ .

وقيل : معناه أغنىٰ نفسه وأفقر الخلائق إليه . قاله الحضرمي بن لاحق .

وقيل : ﴿ أغنىٰ ﴾ من شاء من خلقه و ﴿ أقنىٰ ﴾ : أفقر من شاء منهم . قاله ابن زيد . حكاهما ابن جرير ، وهما بعيدان من حيث اللفظ .

وقوله : ﴿ وأنه هو رب الشعرىٰ ﴾ ، قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، وابن زيد وغيرهم : هو هذا النجم الوقاد الذي يقال له : « مِرْزَم الجوزاء » ، كانت طائفة من العرب يعبدونه .

﴿ وأنه أهلك عادًا الأولىٰ ﴾ ، وهم : قوم هود . ويقال لهم : عاد بن إرم بن سام بن نوح ، كما قال تعالىٰ : ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد * التي لم يخلق مثلها في البلاد ﴾ ، فكانوا من أشد الناس وأقواهم وأعتاهم علىٰ اللّه وعلىٰ رسوله ، فأهلكهم اللّه ﴿ بريح صرصر عاتية * سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسومًا ﴾ .

= أبي هريرة - رضي الله عنه - لا يزال الناس يتساءلون ... فذكر الحديث التالى . وقد أورد الألباني في الصحيحة برقم (١٧٨٨) بلفظ : « تفكروا في آلاء الله ، ولا تفكروا في الله عز وجل » .

(٨٩) - أخرجه مسلم في كتاب : الإيمان ، باب : الوسوسة من الإيمان وما يقوله من وجدها ، حديث (٢١٢ - ١٣٤/٢١٤) (٢/ ٢٠٢، ٢٠٣) .

وقوله : ﴿ وثمود فما أبقىٰ ﴾ ، أي : دمرهم فلم يبق منهم أحدًا ، ﴿ وقوم نوح من قبل ﴾ ، أي : من قبل هؤلاء ﴿ إنهم كانوا هم أظلم وأطغىٰ ﴾ ، أي : أشد تمردًا من الذين من بعدهم ، ﴿ والمؤتفكة أهوىٰ ﴾ ، يعني : مدائن لوط ، قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها ، وأمطر عليها[١] حجارة من سجيل منضود ؛ ولهذا قال : ﴿ فغشاها ما غشىٰ ﴾ ، يعني من الحجارة التي أرسلها عليهم ﴿ وأمطرنا عليهم مطرًا فساء مطر المنذرين ﴾ .

قال قتادة : كان في مدائن لوط أربعة آلاف ألف إنسان فانضرم عليهم الوادي شيئًا من نار ونِفْط وقَطران كفم الأتون . رواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن محمد بن وهب بن عطية ، عن الوليد بن مسلم ، عن خليد ، عنه ، به .وهو غريب جدًّا .

﴿فبأي آلاء ربك تتمارىٰ﴾ أي: ففي أي نعم الله عليك أيها الإنسان تمتري؟ قاله قتادة .

وقال ابن جريج[٢] : ﴿ فبأي آلاء ربك تتمارىٰ ﴾ ؟ يا محمد . والأول[٣] أولىٰ ، وهو اختيار ابن جرير .

هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾

﴿ هذا نذير ﴾ . يعني : محمدًا صلىٰ اللّه عليه وسلم ﴿ من النذر الأولىٰ ﴾ ، أي : من جنسهم ، أرسل كما أرسلوا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ قل ما كنت بدعًا من الرسل ﴾ ﴿ أزفت الآزفة ﴾ ، أي : اقتربت القريبة ، وهي القيامة ، ﴿ ليس لها من دون الله كاشفة ﴾ ، أي : لا يدفعها إذًا [من دون][٤] اللّه أحد ، ولا يطلع علىٰ علمها سواه .

ثم[٥] قال تعالىٰ منكرًا علىٰ المشركين في استماعهم القرآن وإعراضهم عنه وتلهيهم : ﴿ تعجبون ﴾ من أن يكون صحيحًا ، ﴿ وتضحكون ﴾ منه استهزاء وسخرية ، ﴿ ولا تبكون ﴾ ، أي :كما يفعل الموقنون به ، كما أخبر عنهم[٦] : ﴿ ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعًا ﴾ .

---

[١] - في خ : عليهم .
[٢] - في ز ، خ : جرير .
[٣] - في ز : والأولى .
[٤] - بياض في ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : كما .
[٦] - في ز : عنه .

وقوله : ﴿ وأنتم سامدون ﴾ قال سفيان الثوري عن أبيه عن ابن عباس قال : الغناء هي [يمانية اسمد لنا : غنّ لنا][١] . وكذا قال عكرمة .

وفي رواية عن ابن عباس : ﴿ سامدون ﴾ : معرضون . وكذا قال مجاهد ، وعكرمة . وقال الحسن : غافلون . وهو رواية عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب . وفي رواية عن ابن عباس : تستكبرون . وبه يقول السدي[٢] .

ثم قال آمرًا لعباده بالسجود له ، والعبادة [والمتابعة][٣] لرسوله ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، والتوحيد والإخلاص : ﴿ فاسجدوا للّٰه واعبدوا ﴾ ، أي : فاخضعوا له وأخلصوا ووحدوا .

قال البخاري : حدثنا أبو معمر ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : سجد النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بالنجم ، وسَجَد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس(٩٠) . انفرد به دون مسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم بن خالد ، حدثنا رباح ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن عكرمة بن خالد ، عن جعفر بن المطلب بن أبي وَدَاعة ، عن أبيه قال : قرأ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بمكة سورة النجم ، فسجد وسَجَد من عنده ، فرفعتُ رأسي وأبيتُ أن أسجد ، ولم يكن أسلم يومئذ المطلب ، فكان بعد ذلك لا يسمع أحدًا يقرؤها إلا سجد معه(٩١) .

وقد رواه النسائي في الصلاة، عن عبد الملك بن عبد الحميد، عن أحمد بن حنبل به(٩٢) .

[آخر سورة النجم، وللّٰه الحمد والمنة].

ذكر حديث له مناسبة بما تقدم من قوله تعالىٰ : ﴿ هذا نذير من النذر الأولىٰ * أزفت

(٩٠) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ فاسجدوا لله واعبدوا ﴾ ، حديث (٤٨٦٢) (٦١٤/٨) .

(٩١) - المسند (٣٩٩/٦) (٢٧٣٥٣) وإسناده رجاله ثقات ، غير جعفر بن المطلب بن أبي وداعة قال الحافظ : مقبول ، لكن رواه الإمام أحمد في الحديث الذي يلي هذا عن المطلب دون ذكر جعفر ، وانظر الحديث التالي .

(٩٢) - وأخرجه النسائي (١٦٠/٢) في سجود القرآن، باب : السجود في ﴿ والنجم ﴾ من طريق جعفر، وحسنه الألباني في صحيح سنن النسائي برقم (٩١٨) .

[١] - في ز ، خ : « ثمانية اشهر لنا يغن لنا » .

[٢] - سقط من ز ، خ . [٣] - في ز ، خ : التابعة .

الآزفة ﴾ ، فإن النذير هو : الحذرُ لما يعاين[١] من الشر ، الذي يخشىٰ وقوعه فيمن[٢] أنذرهم ، كما قال : **﴿ [إن هو إلا][٣] نذير لكم بين يدي عذاب شديد ﴾** .

وفي الحديث : « **أنا النذير العريان** »(٩٣) . أي : الذي أعجله شدةُ ما عاين من الشر عن أن يلبس عليه شيئًا ، بل بادر ، إلىٰ إنذار قومه قبل ذلك ، فجاءهم عُريانًا مسرعًا ، مناسب لقوله : **﴿ أزفت الآزفة ﴾** ، أي : اقتربت القريبة . يعني يوم القيامة ، كما قال في أول السورة التي بعدها : **﴿ اقتربت الساعة ﴾** قال الإمام أحمد :

حدثنا أنس بن عياض ، حدثني أبو حازم[٤] - لا أعلم إلا عن سهل بن سعد - قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إياكم ومحقرات الذنوب ! فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد ، فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود ،حتىٰ أنضجوا خُبَزتهم ، وإن محقرات الذنوب متىٰ يؤخذ بها صاحبها تهلكه** »(٩٤) .

وقال أبو حازم : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال أبو ضَمْرَةَ : لا أعلم إلا عن سهل بن سعد قال : « **مثلي ومثل الساعة كهاتين** » - وفرق[٥] بين إصبعيه الوسطىٰ والتي تلي الإبهام - ثم قال : « **مثلي ومثل الساعة كمثل فَرَسي رِهَان** » ، ثم قال : « **مثلي ومثل الساعة كمثل رجل بعثه قومه طَليعةً ، فلما خشي أن يسبقَ ألاح بثوبه : أُتيتم أُتيتم** » . ثم يقول رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم « **أنا ذلك** »(٩٥) . [وله شواهد][٦] من وجوه أخر من صحاح وحسان ، ولله الحمد والمنة ، وبه الثقة والعصمة .

☆ ☆ ☆

(٩٣) - أخرجه البخاري في كتاب : الرقاق ، باب : الانتهاء عن المعاصي ، حديث (٦٤٨٢) (١١/ ٣١٦) . وطرفه في [٧٢٨٣] . ومسلم في كتاب : الفضائل ، باب : شفقته - صلى الله عليه وسلم - على أمته ، ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم ، حديث (٢٢٨٣/١٦) (١٥/٧٠) .

(٩٤) - أخرجه أحمد (٣٣١/٥) (٢٢٩١٦) وإسناده صحيح رجاله رجال الشيخين .

(٩٥) - هو تتمة الحديث السابق عند أحمد ، ولفظ « **ومثلي ومثل الساعة كهاتين** » أخرجه البخاري من طريق أبي حازم في كتاب : الطلاق ، باب : اللعان ، حديث (٥٣٠١) (٤٣٩/١١) .

[١] - في ز ، خ : عاين .

[٢] - في ز ، خ : ممن .

[٣] - في ز : إني .

[٤] - في ز ، خ : حاتم .

[٥] - في ز : قرن .

[٦] - في ز ، خ : له شاهد .

تفسير سورة اقتربت

وهي مكية

قد تقدم في حديث أبي واقد[(١)] : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان يقرأ بقاف واقتربت الساعة ، في الأضحىٰ والفطر ، وكان يقرأ بهما في المحافل الكبار ، لاشتمالهما علىٰ ذكر الوعد والوعيد ، وبدء الخلق وإعادته ، والتوحيد وإثبات النبوات ، وغير ذلك من المقاصد العظيمة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴿٥﴾

يخبر تعالىٰ عن اقتراب الساعة وفراغ الدنيا وانقضائها ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **أتىٰ أمر الله فلا تستعجلوه** ﴾ ، وقال : ﴿ **اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون** ﴾ . وقد وردت الأحاديث بذلك ، قال الحافظ أبو بكر البزار [(٢)] : حدثنا محمد بن المثنىٰ وعمرو بن علي قالا : حدثنا خلف بن موسىٰ ، حدثني أبي ، عن قتادة ، عن أنس أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم خَطَب أصحابَه ذات يوم ، وقد كادت الشمس أن تَغْرُبَ فلم يبق منها إلا شفٌ يسير ، فقال : « **والذي نفسي بيده ، ما بقي من الدنيا فيما مضىٰ منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضىٰ منه** » وما نرىٰ من الشمس إلا يسيرًا » .

قلت : هذا حديث مداره علىٰ خلف بن موسىٰ بن خلف العَمِّي ، عن أبيه . وقد ذكره

---

(١) تقدم تخريجه في أوائل سورة « ق » .

(٢) – خلف بن موسى : وثقه العجلي وابن خلفون ، وقال الذهبي : صدوق . وموسى بن خلف العمي : وثقه العجلي ويعقوب بن شيبة ، وقال أبو حاتم : صالح الحديث . واختلف فيه قول يحيى ، فرُوي عنه أنه قال : ليس به بأس . وفي رواية : ضعيف . وقال أبو داود : ليس به بأس . ليس بذاك القوي . وقال الدارقطني : ليس بالقوي ، يعتبر به . وضعفه ابن حبان . وقال ابن عدي : لا أرى بروايته بأسًا .

والحديث ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٣١٤/١٠) ، وقال : رواه البزار من طريق خلف بن موسى ، عن أبيه ، وقد وثق ، وبقية رجاله ثقات .اهـ .

ابن حِبّان في الثقات ، وقال : ربما أخطأ .

حديث آخر يعضد الذي قبله ويفسره ، قال[١] الإمام أحمد : حدثنا الفضل بن دكين ، حدثنا شريك ، حدثنا سَلَمة بن كهيل ، عن مجاهد ، عن ابن عمر قال : كنا جلوسًا عند النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم والشمس علىٰ قُعَيْقِعان[٢] بعد العصر فقال : « **ما أعماركم في أعمار من مضىٰ إلا كما بقي من نهاري فيما مضى** »(٣) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسين ، حدثنا محمد بن مُطَرِّف ، عن أبي حازم ، عن سهل ابن سعد قال : سمعت رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، يقول : « **بُعِثْتُ والساعة هكذا** »(٤) . وأشار بأصبعيه : السبابة والوسطىٰ . أخرجاه من حديث أبي حازم سلمة بن دينار(٥) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عُبَيد[٣] ، حدثنا الأعمش ، عن أبي خالد ، عن وهب السُّوَائي قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **بعثت أنا والساعة كهذه من هذه ، إن [كادت لتسبقها[٤]** »][٥]وجمع الأعمش بين السبابة والوسطىٰ(٦) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا الأوزاعي ، حدثني إسماعيل بن عبيد[٦] اللّٰه قال : قدم أنس بن مالك علىٰ الوليد بن عبد الملك ، فسأله : ماذا سمعت من رسول اللّٰه

(٣) - أخرجه أحمد (١١٥/٢ - ١١٦) وحسن هذا الإسناد ابن حجر في الفتح (٣٥٠/١١) ، وصححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند . وأخرج البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب : ما ذكر عن بني إسرائيل ، حديث (٣٤٥٩) من حديث نافع عن ابن عمر : « **إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم ما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس ، وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل** .... » الحديث .

(٤) - أخرجه أحمد (٣٣٨/٥) (٢٢٩٦٩) .

(٥) - البخاري في كتاب : الطلاق ، باب : اللعان ، حديث (٥٣٠١) (٤٣٩/٩) ، وطرفاه في [٤٩٣٦، ٦٥٠٣] . ومسلم في كتاب : الفتن وأشراط الساعة ، باب : قرب الساعة ، حديث (٢٩٥٠/١٣٢) (١١٨/١٨) .

(٦) - أخرجه أحمد (٣٠٩/٤) (١٨٨٢٤) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٣١٥/١٠) : رواه أحمد والطبراني ، ورجالهما رجال الصحيح غير أبي خالد الوالبي وهو ثقة .اهـ .

قلت : قال الحافظ في التقريب : مقبول ؛ لكن يشهد لهذا الحديث الذي قبله فيكون به صحيحًا إن شاء اللّٰه .

[١] - في ز : وقال .

[٢] - في ز ، خ : قيقعان . وقيقعان : جبل بمكة . [٣] - في ز : عبد .

[٤] - بياض في ز .

[٥] - ما بين المعكوفين في خ : كانت . [٦] - في ز ، خ : عبد .

صلىٰ الله عليه وسلم يذكر به الساعة ؟ فقال : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **أنتم والساعة كهاتين**[١] » . تفرد به أحمد(٧) - رحمه الله - وشاهد ذلك أيضًا في الصحيح في أسماء رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : أنه الحاشر الذي يُحشَر الناس علىٰ قدمه[٢] (٨) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا بهز بن أسد ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، حدثنا حميد بن هلال ، عن خالد بن عمير[٣] قال : خطب عتبة بن غزوان - قال بهز : وقال قبل[٤] هذه المرة : خَطَبَنا رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : فحمد الله وأثنىٰ عليه ، ثم قال : « **أما بعد ، فإن الدنيا قد آذنت بصَرْم[٥] وولت حَذّاء ، ولم يبق منها إلا صُبَابة كصُبَابة الإناء يَتَصَابُّها صاحبها ، وإنكم منتقلون[٦] منها إلىٰ دار لا زوال لها ، فانتقلوا بخير ما بحَضْرَتكم ، فإنه قد ذكر لنا أن الحجر يُلقَىٰ من شَفِير جهنم فيهوي فيها سبعين عامًا ما يدرك لها قعرًا ، والله لتملؤنه ، أفعجبتم ! والله لقد ذكر لنا أن ما بين مصراعي الجنة مسيرة أربعين عامًا ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ الزحام ...**»(٩) وذكر تمام الحديث انفرد به مسلم(١٠) .

وقال أبو جعفر بن جرير : حدثني يعقوب ، حدثني ابن علية ، أخبرنا عطاء بن السائب ، عن أبي عبد الرحمن السلمي قال : نزلنا المدائن فكنا منها علىٰ فرسخ ، فجاءت الجمعة ، فحضر أبي وحضرت معه ، فخَطَبنا حذيفة فقال : ألا إن الله يقول : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر** ﴾ ، ألا وإن الساعة قد اقتربت ، ألا وإن القمر قد انشق ، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق ، ألا وإن اليوم المضمار وغدًا السباق . فقلت لأبي : أيستبق[٧] الناس غدًا ؟

---

(٧) - أخرجه أحمد (٣/٢٢٣) (١٣٣٦٠) .
وفيه إسماعيل بن عبيد الله ؛ قال العلائي في « جامع التحصيل » لم يسمع من الصحابة إلا من السائب بن يزيد ، لكن يشهد له ما قبله .

(٨) - ويشهد له أيضًا حديث البخاري : « **لي خمسة أسماء ... وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب** » ، أخرجه البخاري في كتاب المناقب ، باب : ما جاء في أسماء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حديث (٣٥٣٢) (٧/٥٥٤) وطرفه في [٤٨٩٦] .

(٩) - أخرجه أحمد (٤/١٧٤) (١٧٦٢٥) .

(١٠) - مسلم في كتاب الزهد والرقائق ، حديث (٢٩٦٧/١٤) (١٨/١٣٥ - ١٣٦) .

---

[١] - في ز : كتين .
[٢] - في ت : قدميه .
[٣] - في ز ، خ : عمر .
[٤] - في ز ، خ : مثل .
[٥] - في ز : بصرمة . وفي خ : مصرمة .
[٦] - في ز : منقلون .
[٧] - في ز ، خ : ليستبق .

فقال : يا بني ، إنك لجاهل ، إنما هو السباق بالأعمال . ثم جاءت الجمعة الأخرىٰ فحضرنا فَخَطب حذيفة فقال : ألا إن الله - عز وجل - يقول : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر** ﴾ ، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق ، ألا وإن اليوم المضمار وغدًا السباق ، ألا وإن الغاية النار ، والسابق من سبق إلىٰ الجنة(١١) .

وقوله : ﴿ **وانشق القمر** ﴾ : قد كان هذا[١] في زمان رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، كما ثبت ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة . وقد ثبت في الصحيح عن ابن مسعود أنه قال : « **خمس قد مضين : الروم ، والدخان ، واللزام ، والبطشة ، والقمر** »(١٢) . وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي صلىٰ الله عليه وسلم وأنه كان إحدى[٢] المعجزات الباهرات .

ذكر الأحاديث الواردة في ذلك

رواية أنس بن مالك :

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك قال : سأل أهل مكة النبي صلىٰ الله عليه وسلم آية ، فانشق القمر بمكة مرتين ، فقال : ﴿**اقتربت الساعة وانشق القمر**﴾(١٣) . ورواه[٣] مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق(١٤) .

وقال البخاري : حدثني عبد الله بن عبد الوهاب ، حدثنا بشر بن المفضل ، حدثنا سعيد ابن أبي عَروبة ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ؛ أن أهل مكة سألوا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أن يُرِيَهم آية ، فأراهم القمر شِقَّين ،حتىٰ رأوا حراء بينهما(١٥) .

---

(١١) - أخرجه الطبري (٨٦/٢٧) وفي إسناده عطاء بن السائب كان قد اختلط .

(١٢) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **فسوف يكون لزامًا** ﴾ ، حديث (٤٧٦٧) (٨/ ٤٩٦) . وفي باب : ﴿ **فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين** ﴾ ، حديث (٤٨٢٠) (٥٧١/٨) .

(١٣) - أخرجه أحمد (١٦٠/٣) (١٢٧١١) .

(١٤) - صحيح مسلم كتاب : صفات المنافقين وأحكامهم ، باب : انشقاق القمر ، حديث (٤٦/٢٨٠٢م) (٢١١/١٧) .

(١٥) - أخرجه البخاري في كتاب : مناقب الأنصار ، باب : انشقاق القمر ، حديث (٣٨٦٨) (١٨٢/٧) .

---

[١] - في خ : ذلك .

[٢] - في ز : أحد . [٣] - في ت : رواه .

وأخرجاه أيضًا من حديث يونس بن محمد المؤدب، عن شيبان، عن قتادة(١٦). ورواه مسلم أيضًا من حديث أبي داود الطيالسي ويحيىٰ القطان وغيرهما عن شعبة عن قتادة به(١٧).

رواية جبير بن مطعم، رضي الله عنه:

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن كثير، حدثنا سليمان بن كثير، عن حُصَين بن عبد الرحمن، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه قال: انشق القمر علىٰ عهد رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فصار فرقتين: فرقة علىٰ هذا الجبل، وفرقة علىٰ هذا الجبل، فقالوا: سحرنا[١] محمد. فقالوا: إن كان سحرنا[٢] فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم. تفرد به الإمام أحمد من هذا الوجه(١٨). وأسنده البيهقي في «**الدلائل**» من طريق محمد ابن كثير، عن أخيه سليمان بن كثير، عن حصين بن عبد الرحمن(١٩).

وهكذا رواه ابن جرير من حديث محمد بن فضيل[٣] وغيره، عن حصين، به(٢٠).

ورواه البيهقي[٤] أيضًا من طريق إبراهيم بن طهمان وهشيم، كلاهما[٥] عن حُصَين، عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن جده فذكره(٢١).

(١٦) - أخرجه البخاري في كتاب: المناقب، باب: سؤال المشركين أن يريهم النبي صلى الله عليه وسلم آية، فأراهم انشقاق القمر، حديث (٣٦٣٧) (٦/٦٣١).

ومسلم في كتاب: صفات المنافقين، باب: انشقاق القمر، حديث (٤٦/٢٨٠٢) (١٧/٢١١).

(١٧) - أخرجه مسلم في كتاب: صفات المنافقين، باب: انشقاق القمر، حديث (٤٧/٢٨٠٢) (١٧/ ٢١١ - ٢١٢).

(١٨) - أخرجه أحمد (٤/٨١ - ٨٢) (١٦٨٠٠).

وحصين بن عبد الرحمن هو السلمي؛ ثقة تغير حفظه في الآخر، وبقية رجاله ثقات.

والحديث أخرجه الترمذي في كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة القمر، حديث (٣٢٨٥) (٩/٣٢) من طريق محمد بن كثير بهذا الإسناد.

وصحح إسناده الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (٢٦٢٢ - ٣٥٢٠).

(١٩) - الدلائل (٢/٢٦٨).

(٢٠) - تفسير الطبري (٢٧/٨٦) من طريق أبي كريب قال: ثنا ابن فضيل به مختصرًا.

(٢١) - الدلائل (٢/٢٦٨).

[١] - في ز، خ: سحره.
[٢] - في ز: سحره.
[٣] - في ز: فضل.
[٤] - سقط من ز، خ.
[٥] - في خ: كليهما.

رواية عبد الله بن عباس :

قال البخاري : حدثنا يحيىٰ بن بكير ، حدثنا بكر ، عن جعفر ، عن عِرَاك بن مالك ، عن عبيد[١] الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس قال : انشق القمر في زمان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم(٢٢) .

ورواه البخاري أيضًا ومسلم ، من حديث بكر بن مضر ، عن جعفر بن ربيعة ، عن عِراك ، به مثله(٢٣) .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن مثنىٰ[٢] ، حدثنا عبد الأعلىٰ ، حدثنا داود بن أبي هند[٣] ، عن عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر * وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر** ﴾ ، قال : قد مضىٰ ذلك ، كان قبل الهجرة ، انشق القمر حتىٰ رأوا شقيه[٤](٢٤) . وروىٰ العوفي عن ابن عباس نحو هذا .

وقال الطبراني : حدثنا أحمد[٥] بن عمرو البزّار[٦] ، حدثنا محمد بن يحيىٰ القُطَعي ، حدثنا محمد بن بكر ، حدثنا ابن جُرَيج ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كُسِفَ القمر علىٰ عهد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقالوا : سُحر القمر . فنزلت : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **مستمر** ﴾ (٢٥) .

رواية عبد الله بن عمر :

قال الحافظ أبو بكر البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قالا : حدثنا أبو العباس الأصم ، حدثنا العباس بن محمد الدوري ، حدثنا وَهْب بن

(٢٢) - أخرجه البخاري في « الصحيح » في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا** ﴾ ، حديث (٤٨٦٦) (٨/٦١٧) .

(٢٣) - أخرجه البخاري في كتاب : مناقب الأنصار ، باب : وانشقاق القمر ، حديث (٣٨٧٠) (٧/١٨٢) .

ومسلم في كتاب : صفات المنافقين وأحكامهم ، باب : وانشقاق القمر ، حديث (٤٨/٢٨٠٣) (١٧/٢١٢) .

(٢٤) - تفسير الطبري (٢٧/٨٦) .

(٢٥) - المعجم الكبير (١١/٢٥٠) (١١٦٤٢) وفي إسناده عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ، =

[١] - في ز ، خ : عبد .
[٢] - في ز ، خ : عيسى .
[٣] - في ز ، خ : عبيد .
[٤] - في خ : سببه .
[٥] - في خ : محمد .
[٦] - في ز ، خ : الزوار .

جَرير ، عن شُعْبة ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن عبد اللَّه بن عُمَرَ في قوله تعالىٰ : ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ قال : وقد كان ذلك علىٰ عهد رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم انشق فلقتين : فلقة من دون الجبل ، وفلقة من خلف الجبل ، فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **اللَّهمّ اشهد** »(٢٦) .

وهكذا رواه مسلم والترمذي ، من طُرُق عن شعبة ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، به(٢٧) . قال مسلم كرواية مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود . وقال الترمذي : حسن صحيح .

رواية عبد الله بن مسعود :

قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن أبي معمر ، عن ابن مسعود قال : انشق القمر علىٰ عهد رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم شِقَّتين[١] حتىٰ نظروا إليه ، فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **اشهدوا** »(٢٨) .

وهكذا رواه البخاري ومسلم ، من حديث سفيان بن عُيَينة ، به(٢٩) . وأخرجاه من حديث الأعمش ، عن إبراهيم ، عن أبي معمر عبد اللَّه بن سَخْبَرَة ، عن ابن مسعود به[٢](٣٠) .

وقال ابن جرير : حدثني عيسىٰ بن عثمان بن عيسىٰ الرملي ، حدثنا عمي يحيىٰ بن

=وصفه النسائي وغيره بالتدليس .

قال الدارقطني : شر التدليس تدليس ابن جريج ، فإنه قبيح التدليس ، لا يدلس إلا فيما سمعه من مجروح . « طبقات المدلسين » وبقية رجاله ثقات .

(٢٦) - أخرجه البيهقي في « الدلائل » (٢/٢٦٧) .

(٢٧) - صحيح مسلم ، كتاب : صفات المنافقين وأحكامهم ، باب : انشقاق القمر ، حديث (٢٨٠١) (١٧/٢١٠ - ٢١١) .

والترمذي في كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة القمر ، حديث (٣٢٨٤) (٩/٣٢) .

(٢٨) - أخرجه أحمد (١/٣٧٧) (٣٥٨٤) .

(٢٩) - البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا** ﴾ ، حديث (٤٨٦٥) (٨/٦١٧) .

ومسلم في كتاب : صفات المنافقين ، باب : انشقاق القمر ، حديث (٢٨٠٠/٤٣) (١٧/٢٠٩) .

(٣٠) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا** ﴾ ، =

[١] - في ز : شقين . [٢] - سقط من ز ، خ .

عيسىٰ ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن رجل ، عن عبد الله قال : كنا مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بمنىٰ فانشق القمر ، فأخذت فرقة خلف الجبل ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **اشهدوا ، اشهدوا** »(٣١) . قال البخاري : وقال أبو الضحىٰ ، عن مسروق ، عن عبد الله : بمكة(٣٢) .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا أبو عَوَانة ، عن المغيرة ، عن أبي الضحىٰ ، عن مسروق ، عن عبد الله بن مسعود قال : انشق القمر علىٰ عهد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقالت قريش : هذا سِحْرُ ابن أبي كبشة . قال : فقالوا : انظروا ما يأتيكم به السفار ، فإنّ محمدًا لا يستطيع أن يسحرَ الناس كلَّهم . قال : فجاء السُّفَّار فقالوا ذلك(٣٣) .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا العباس بن محمد الدوري ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا هُشَيم[١] ، حدثنا مغيرة ، عن أبي الضحىٰ ، عن مسروق ، عن عبد الله قال : انشق القمر بمكة حتىٰ صار فرقتين ، فقال كفار قريش أهل مكة : هذا سحر سحركم به ابن أبي كبشة ، انظروا السُّفَّار ؛ فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق ، وإن كانوا لم يروا مثل ما رأيتم فهو سحر سحركم به . قال : فسُئل السُّفَّار ، قال : وقدموا من كل وجهة ، فقالوا : رأينا[٢](٣٤) .

رواه ابن جرير من حديث المغيرة ، به[٣] وزاد : فأنزل الله عز وجل : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر** ﴾(٣٥) . ثم قال ابن جرير :

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن[٤] علية ، أخبرنا أيوب ، عن محمد - هو ابن

= حديث (٤٨٦٤) (٨/٦١٧) .

ومسلم في كتاب : صفات المنافقين ، باب : انشاق القمر ، حديث (٤٤، ٤٥/٢٨٠٠) (١٧/٢١٠) .

كلاهما من طريق سفيان .

(٣١) - تفسير الطبري (٢٧/٨٥) .

وفي إسناده رجل مجهول ، لكن يشهد له ما قبله وما بعده .

(٣٢) - أخرجه البخاري في كتاب : مناقب الأنصار ، باب : انشقاق القمر ، حديث (٣٨٦٩) (٧/١٨٢) .

(٣٣) - أخرجه الطيالسي (٣٨) برقم (٢٩٥) . وإسناده رجاله ثقات .

(٣٤) - الدلائل (٢/٢٦٦ - ٢٦٧) وهشيم صرح بالتحديث ، وبقية إسناده موثقون .

(٣٥) - تفسير الطبري (٢٧/٨٥) من طريق الحسن بن يحيى المقدسي عن يحيى بن حماد عن أبي عوانة عن المغيرة .

[١] - في ز ، خ : هشام .

[٢] - في خ ، ت : رأيناه .

[٣] - سقط من ز ، خ .

[٤] - في ز : أبو .

سيرين - قال : نبئت أن ابن مسعود - رضي الله عنه - كان يقول : لقد انشق القمر(٣٦) .

وقال ابن جرير أيضًا : حدثني محمد بن عمارة ، حدثنا عمرو بن حماد ، حدثنا أسباط ، عن سماك ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عبد الله قال : لقد رأيت الجبل من فَرْج القمر حين انشق(٣٧) .

ورواه الإِمام أحمد عن مُؤمل[١] ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عبد الله قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حتىٰ رأيت الجبل من بين فرجتي القمر(٣٨) .

وقال ليث ، عن مجاهد : انشق القمر علىٰ عهد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فصار فرقتين ، فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم لأبي بكر : « **اشهد يا أبا بكر** » . فقال المشركون : سُحر القمر حتىٰ انشق(٣٩) .

وقوله : ﴿**وإن يروا آية**﴾ أي : دليلًا وحجة وبرهانًا ﴿ **يعرضوا** ﴾ . أي : لا ينقادون له ، بل يعرضون عنه ويتركونه وراء ظهورهم ، ﴿ **ويقولوا سحر مستمر** ﴾ ، أي : ويقولون : هذا الذي شاهدنا[٢] من الحجج ، سحر سحرنا به .

ومعنى ﴿**مستمر**﴾ أي : ذاهب . قاله مجاهد وقتادة وغيرهما . أي : باطل مضمحل لا دوام له .

﴿ **وكذبوا واتبعوا أهواءهم** ﴾ ، أي : كذبوا بالحق إذ جاءهم ، واتبعوا ما أمرتهم به آراؤهم وأهواؤهم من جهلهم وسخافة عقلهم .

وقوله : ﴿**وكل أمر مستقر**﴾ قال قتادة : معناه أن الخير واقع بأهل الخير ، والشر واقع بأهل الشر .

وقال ابن جُرَيج : مستقر بأهله .

---

(٣٦) - تفسير الطبري (٨٦/٢٧) .

(٣٧) - أخرجه الطبري (٨٥/٢٧) .

(٣٨) - أخرجه أحمد (٤١٣/١) (٣٩٢٤) . وصححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند .

(٣٩) - أخرجه الطبري (٨٧/٢٧) وإسناده مرسل .

---

[١] - في ز : مويل .

[٢] - في خ ، ت : شاهدناه .

وقال مجاهد : ﴿ **وكل أمر مستقر** ﴾ ، أي : يوم القيامة .

وقال السدي : ﴿ **مستقر** ﴾ أي : واقع .

وقوله : ﴿ **ولقد جاءهم من الأنباء** ﴾ ، أي : من الأخبار عن قصص الأمم المكذبين بالرسل ، وما حل بهم من العقاب والنكال والعذاب ، مما يتلىٰ عليهم في هذا القرآن ، ﴿ **ما فيه مزدجر** ﴾ ، أي : ما فيه واعظ لهم عن الشرك والتمادي علىٰ التكذيب .

وقوله : ﴿ **حكمة بالغة** ﴾ ، أي : في هدايته تعالىٰ لمن هداه وإضلاله لمن أضله ، ﴿ **فما تغني النذر** ﴾ يعني أي شيء تغني النذر عمن كتب الله عليه الشقاوة ، وختم علىٰ قلبه ؟ فمن الذي يهديه من بعد الله ؟ وهذه الآية كقوله تعالىٰ : ﴿ **قل فللّه**[١] **الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين** ﴾ . وكذلك قوله تعالى : ﴿ **وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون** ﴾ .

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾

يقول تعالىٰ : فتولّ يا محمد عن هؤلاء الذين إذا رأوا آية يعرضون ويقولون : هذا سحر مستمر ، أعرض عنهم وانتظرهم ﴿ **يوم يدع الداع إلىٰ شيء نكر** ﴾ ، أي : إلىٰ شيء منكر فظيع ، وهو موقف الحساب ، وما فيه من [البلاء ، بل][٢]والزلازل والأهوال ، ﴿ **خشعًا أبصارهم** ﴾ ، أي : ذليلة أبصارهم ، ﴿ **يخرجون من الأجداث** ﴾ ، وهي القبور ، ﴿ **كأنهم جراد منتشر** ﴾ ، أي : كأنهم في انتشارهم وسرعة سيرهم إلىٰ موقف الحساب إجابة للداعي[٣] ﴿ **جراد منتشر** ﴾ في الآفاق ، ولهذا قال : ﴿ **مهطعين** ﴾ ، أي : مسرعين ﴿ **إلىٰ الداع** ﴾ ، لا يخالفون ولا يتأخرون ، ﴿ **يقول الكافرون هذا يوم عسر** ﴾ ، أي : يوم شديد الهول عبوس قمطرير ﴿ **فذلك يومئذ يوم عسير * علىٰ الكافرين غير يسير** ﴾ .

۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي

---

[١] - في ز : لله .

[٢] - في خ : والتلاتل .

[٣] - في ز : الداعي .

مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **كذبت** ﴾ قبل قومك يا محمد ﴿ **قوم نوح فكذبوا عبدنا** ﴾ ، أي : صرحوا له بالتكذيب واتهموه بالجنون ، ﴿ [**وقالوا مجنون**][١]**وازدجر** ﴾ . قال مجاهد : ﴿ **وازدجر** ﴾ ، أي : استطير جنونًا . وقيل : ﴿ **وازدجر** ﴾ ، أي : انتهروه وزجروه وأوعدوه ؛ ﴿ **لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين** ﴾ . قاله ابن زيد ، وهذا متوجه حسن . ﴿ **فدعا ربه أني مغلوب فانتصر** ﴾ ، أي : إني ضعيف عن هؤلاء وعن مقاومتهم ﴿ **فانتصر** ﴾ أنت لدينك . قال اللّه تعالىٰ : ﴿ **ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر** ﴾ . قال السدي : هو الكثير . ﴿ **وفجرنا الأرض عيونًا** ﴾ ، أي : نبعت جميع أرجاء الأرض ، حتىٰ التنانير التي هي محال[٢] النيران نبعت عيونًا ، ﴿ **فالتقىٰ الماء** ﴾ أي : من السماء ومن الأرض ﴿ **علىٰ أمر قد قدر** ﴾ ، أي : أمر مقدر .

قال ابن جريج ، عن ابن عباس : ﴿ **ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر** ﴾ كثير ، لم تمطر السماء قبل ذلك اليوم ولا بعده ، ولا من السحاب ، فتحت أبواب السماء بالماء من غير سحاب ذلك اليوم ، فالتقىٰ الماءان علي أمر قد قدر .

وروىٰ ابن أبي حاتم أن ابن الكواء سأل عليًا عن المجرة ؟ فقال : هي شرج[٣] السماء ، ومنها فتحت السماء بماء منهمر .

﴿ **وحملناه علىٰ ذات ألواح ودسر** ﴾ ، قال ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، والقرظي ، وقتادة ، وابن زيد : هي المسامير . واختاره ابن جرير ، قال : وواحدها دسار ، ويقال : دسير كما يقال : حَبِيك[٤] وحباك ، والجمع حُبك .

وقال مجاهد : الدُّسر : أضلاع السفينة . وقال عكرمة والحسن : هو صدرها الذي

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز : محل .
[٣] - في ز : شرخ .
[٤] - في ز ، خ : حبك .

تضربُ[١] به الموج .

وقال الضحاك : الدسر: طرفاها وأصلها .

وقال العوفي عن ابن عباس : هو كلكلها .

وقوله : ﴿ **تجري بأعيننا** ﴾ ، أي : بأمرنا بمرأىٰ منا وتحت حفظنا وكلاءتنا ، ﴿ **جزاء لمن كان كفر** ﴾ ، أي : جزاء لهم علىٰ كفرهم باللَّه وانتصارًا لنوح عليه السلام .

وقوله : ﴿ **ولقد تركناها آية** ﴾ ، قال قتادة : أبقىٰ اللَّه سفينة نوح حتىٰ أدركها أول هذه الأمة . والظاهر أن المراد من ذلك جنس السفن ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون * وخلقنا لهم من مثله ما يركبون** ﴾ . وقال : ﴿ **إنا لما طغىٰ الماء حملناكم في الجارية * لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية** ﴾ . ولهذا قال هاهنا : ﴿ **فهل من مُدّكر** ﴾ ، أي : فهل من يتذكر ويتعظ ؟

قال الإمام أحمد : حدثنا حجاج ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن الأسود ، عن ابن مسعود قال : أقرأني رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **فهل من مُدّكر** ﴾ .

[فقال رجل: يا أبا عبد الرحمن؛ مدّكر أو مذّكر؟ قال: أقراني رسول الله صلى الله عليه وسلم مدّكر][٢] (٤٠) .

وهكذا رواه البخاري : حدثنا يحيىٰ ، حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن الأسود بن يزيد ، عن عبد اللَّه قال : قرأت علىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : (فهل من مُذّكر[٣]) . فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **فهل من مُدّكر** ﴾(٤١) .

وروىٰ البخاري أيضًا من حديث شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن الأسود ، عن عبد اللَّه قال : كان رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقرأ : ﴿ **فهل من مُدّكر** ﴾(٤٢) .

وقال : حدثنا أبو نعيم حدثنا زهير، عن أبي إسحاق : أنه سمع رجلًا يسأل[٤] الأسود :

---

(٤٠) - أخرجه أحمد (٣٩٥/١) (٣٧٥٥) .

(٤١) - صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر ...** ﴾ ، حديث (٤٨٧٤) (٦١٨/٨) .

(٤٢) - أخرجه في الموضع السابق برقم (٤٨٧٣) . وفي الباب الذي قبله برقم (٤٨٧٢) من طريق شعبة .

---

[١] - في ت : يضرب .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - في ز : مدكر .

[٤] - في ز ، خ : سأل .

﴿ **فهل من مُدكر** ﴾ ، أو : (مُذكر) ؟ قال : سمعت عبد اللَّه يقرأ : ﴿ **فهل من مُدّكر** ﴾ . وقال سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقرؤها : ﴿ **فهل من مُدّكر** ﴾ دالًا[٤٣] .

وقد أخرج مسلم هذا الحديث وأهل السنن إلّا ابن ماجة ،من حديث أبي إسحاق[٤٤] .

وقوله : ﴿ **فكيف كان عذابي ونذر** ﴾ ، أي : كيف كان عذابي لمن كفر بي وكذب رسلي ولم يتعظ بما جاءت به نُذُري ، وكيف انتصرت لهم ، وأخذت لهم بالثأر ؟

﴿ **ولقد يسرنا القرآن للذكر** ﴾ ، أي : سهلنا لفظه ، ويسرنا معناه لمن أراده ، ليتذكر الناس . كما قال : ﴿ **كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قومًا لدًا** ﴾ .

قال مجاهد : ﴿ **ولقد يسرنا القرآن للذكر** ﴾ يعني : هونًا قراءته .

وقال السدي : يسرنا تلاوته على الألسن .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس : لولا أن اللَّه يسره علىٰ لسان الآدميين ، ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام اللَّه عز وجل .

قلت : ومن تيسيره تعالىٰ علىٰ الناس تلاوة القرآن ما تَقدّم عن النبي - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - أنه قال : « **إن هذا القرآن أنزل علىٰ سبعة أحرف** »[٤٥] . وأوردنا الحديث بطرقه وألفاظه بما أغنىٰ عن إعادته هاهنا ، ولله الحمد والمنة .

وقوله : ﴿ **فهل من مدكر** ﴾ ، أي : فهل من متذكر بهذا القرآن الذي قد يَسَّر اللَّه حفظه ومعناه ؟

وقال محمد بن كعب القرظي : فهل من منزجر عن المعاصي ؟

---

(٤٣) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **أعجاز نخل منقعر فكيف كان عذابي ونذر** ﴾ ، حديث (٤٨٧١) (٨/٦١٨) .

(٤٤) - أخرجه مسلم في كتاب : صلاة المسافرين ، باب : ما يتعلق بالقراءات ، حديث (٢٨٠، ٢٨١/ ٨٢٣) . وأبو داود في كتاب : الحروف والقراءات ، حديث (٣٩٩٤) (٤/٣٥) . والترمذي في كتاب : القراءات ، باب : ومن سورة الروم ، حديث (٢٩٣٨) (٨/١٣٥) . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مُدَّكِر** ﴾ ، حديث (١١٥٥٥) (٦/٤٧٦) . قال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(٤٥) - أخرجه البخاري في كتاب : فضائل القرآن ، باب : أنزل القرآن على سبعة أحرف ، حديث=

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا الحسن بن رافع ، حدثنا ضمرة ، عن ابن شَوذب ، عن مطر - هو الورّاق - في قوله تعالىٰ : ﴿ **فهل من مدكر** ﴾ : هل من طالب علم فيعان عليه ؟

وكذا علقه البخاري بصيغة الجزم عن مطر الوراق (٤٦) . ورواه ابن جرير (٤٧) ، وروي عن قتادة مثله .

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن عاد قوم هود أنهم كذبوا رسولهم أيضًا ، كما صنع قوم نوح ، وأنه تعالىٰ أرسل ﴿ **عليهم ريحًا صرصرًا** ﴾ ، وهي الباردة الشديدة البرد ، ﴿ **في يوم نحس** ﴾ ، أي : عليهم . قاله الضحاك ، وقتادة ، والسدي ، ﴿ **مستمر** ﴾ عليهم نحسه ودماره[١] ، لأنه يوم اتصل فيه عذابهم الدنيوي بالأخروي .

وقوله : ﴿ **تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر** ﴾ ، وذلك أن الريح كانت تأتي أحدهم فترفعه حتىٰ تغيبه عن الأبصار ، ثم تنكسه علىٰ أم رأسه ، فيسقط إلىٰ الأرض ، فتثلغ رأسه فيبقىٰ جثة بلا رأس ، ولهذا قال : ﴿ **كأنهم أعجاز نخل منقعر * فكيف كان عذابي ونذر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر** ﴾ .

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ

= (٤٩٩١) (٢٣/٩) .

ومسلم في كتاب : صلاة المسافرين ، باب : بيان أن القرآن على سبعة أحرف ، حديث (٨١٩/٢٧٢) (٦/ ١٤٦) كلاهما من حديث عبد الله بن عباس .

(٤٦) - أخرجه البخاري في كتاب : التوحيد ، باب : قول الله تعالى : ﴿ **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر** ﴾ .

(٤٧) - تفسير الطبري (٩٧/٢٧) .

---

[١] - في ز : ودمارهم .

ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾

وهذا إخبار عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم صالحاً ، ﴿ **فقالوا أبشرًا منا واحدًا نتبعه إنا إذًا لفي ضلال وسعر** ﴾ ، يقولون : لقد خبنا وخسرنا إن سلمنا كُلنا قيادنا لواحد منا ! ثم تعجبوا من إلقاء الوحي عليه خاصة من دونهم ، ثم رموه بالكذب فقالوا : ﴿ **بل هو كذاب أشر** ﴾ ، أي : متجاوز في حد الكذب . قال اللّه تعالىٰ : ﴿ **سيعلمون غدًا من الكذاب الأشر** ﴾ . وهذا تهديد لهم شديد ووعيد أكيد .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **إنا مرسلو الناقة فتنة لهم** ﴾ ، أي : اختبارًا لهم ، أخرج اللّه لهم ناقة عظيمة عُشراء من صخرة صَمّاء طبق ما سألوا ، لتكون حجة اللّه عليهم في تصديق صالح عليه السلام فيما جاءهم به .

ثم قال آمرًا لعبده ورسوله صالح : ﴿ **فارتقبهم واصطبر** ﴾ ، أي : انتظر ما يئول إليه أمرهم ، واصبر عليهم ، فإن العاقبة والنصر لك في الدنيا والآخرة . ﴿ **ونبئهم أن الماء قسمة بينهم** ﴾ ، أي[١] : يوم لهم ويوم للناقة ؛ كقوله : ﴿ **قال هذه ناقة لها شربٌ ولكم شرب يوم معلوم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **كل شرب محتضر** ﴾ . قال مجاهد : إذا غابت حضروا الماء ، وإذا جاءت حضروا اللبن .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **فنادوا صاحبهم فتعاطىٰ فعقر** ﴾ . قال المفسرون : هو عاقر الناقة ، واسمه قُدَار بن سالف ، وكان أشقىٰ قومه ؛ كقوله : ﴿ **إذ انبعث أشقاها** ﴾ ، ﴿ **فتعاطىٰ** ﴾ أي : فجسر[٢] ﴿ **فعقر * فكيف كان عذابي ونذر** ﴾ ؟ أي : فعاقبتهم فكيف كان عقابي علىٰ كفرهم بي وتكذيبهم رسولي ؟ ﴿ **إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر** ﴾ ، أي : فبادوا عن آخرهم لم تبق منهم باقية ، وخَمَدوا وهَمَدوا كما يهمد يَبِيس الزرع والنبات . قاله غير واحد من المفسرين . والمحتظر - قال السدي - : هو المرعىٰ

---

[١] - في ز : يعني . [٢] - سقط من خ .

بالصحراء حين ييس وتحرّق ونسفته الريح .

وقال ابن زيد : كانت العرب يجعلون حِظارًا علىٰ الإِبل [والمواشي من][١] يَبِيس الشّوك ، فهو المراد من قوله : ﴿ كهشيم المحتظر ﴾ .

وقال سعيد بن جُبَير : هشيم المحتظر : هو التراب المتناثر من الحائط . وهذا قول غريب ، والأول أقوىٰ ، والله أعلم .

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (٣٣) إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ (٣٤) نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ (٣٥) وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ (٣٦) وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِى وَنُذُرِ (٣٧) وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ (٣٨) فَذُوقُوا عَذَابِى وَنُذُرِ (٣٩) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٤٠) ﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن قوم لوط كيف كذبوا رسولهم وخالفوه ، وارتكبوا المكروه من إتيان الذكور ، وهي الفاحشة التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين . ولهذا أهلكهم الله هلاكًا لم يُهلكه أمةً من الأمم . فإنه تعالىٰ أمر جبريل - عليه السلام - فحمل مدائنهم حتىٰ وصل بها إلىٰ عَنَان السماء ، ثم قلبها عليهم وأرسلها ، وأتبعت بحجارة من سجيل منضود ، ولهذا قال هاهنا . ﴿ إنا أرسلنا عليهم حاصبًا ﴾ ، وهي : الحجارة ، ﴿ إلا آل لوط نجيناهم بسحر ﴾ ، أي : خرجوا من آخر الليل فنجوا مما أصاب قومهم ، ولم يؤمن بلوط من قومه أحد ولا رجل واحد ، حتىٰ ولا امرأته ، أصابها ما أصاب قومها ، وخرج نبي الله لوط وبنات له من بين أظهرهم سالمًا لم يمسَسْه سوء .

ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ كذلك نجزي من شكر * ولقد أنذرهم بطشتنا ﴾ ، أي : ولقد كان قبل حلول العذاب بهم قد أنذرهم بأس الله وعذابه ، فما التفتوا إلىٰ ذلك ، ولا أصغوا إليه ، بل شكوا فيه وتماروا به ، ﴿ ولقد راودوه عن ضيفه ﴾ ، وذلك ليلة وَرَد عليه الملائكة : جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل في صورة شباب مُرد حسان محنةً[٢] من الله بهم ،

---

[١] - في ز : الرابي ثم . وفي خ : الداني ثم .

[٢] - في ز ، خ : حجية . بلا نقط .

فأضافهم لوط [وبعثت امرأته العجوزُ السوءُ إلىٰ قومها ، فأعلمتهم بأضياف لوط][١] فأقبلوا يُهْرَعُون إليه من كل مكان ، فأغلق لوط دونهم الباب ، فجعلوا يحاولون كسر الباب ، وذلك عشية ، ولوط - عليه السلام - يدافعهم ويمانعهم دون أضيافه ، ويقول لهم : ﴿ **هؤلاء بناتي** ﴾ يعني : نساءهم ، ﴿ **إن كنتم فاعلين * قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق** ﴾ ، أي : ليس لنا فيهن أَرَبٌ ، ﴿ **وإنك لتعلم ما نريد** ﴾ : فلما اشتد الحال وأبوا إلا الدخول ، خرج عليهم جبريل - عليه السلام - فضرب أعينهم بطرف جناحه ، فانطمست أعينهم . يقال : إنها غارت من وجوههم . وقيل : إنه لم تبق لهم عيون بالكلية ، فرجعوا علىٰ أدبارهم يتحسسون بالحيطان ، ويتوعدون لوطًا عليه السلام إلىٰ الصباح .

قال الله تعالىٰ : ﴿ **ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر** ﴾ ، أي : لا محيد لهم عنه ، ولا انفكاك لهم منه ، ﴿ **فذوقوا عذابي ونذر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر** ﴾ .

وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَـٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن فرعون وقومه أنهم جاءهم رسول الله موسىٰ وأخوه هارون بالبشارة إن آمنوا ، والنذارة إن كفروا ، وأيدهما بمعجزات عظيمة وآيات متعددة ، فكذبوا بها كلها ، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر ، أي : فأبادهم الله ولم يُبق منهم مخبرًا ولا عينًا ولا أثرًا .

ثم قال : ﴿ **أكفاركم** ﴾ ، أي : أيها المشركون من كفار قريش ﴿ **خير من أولئكم** ﴾ يعني من الذين تقدم ذكرهم ممن أهلكوا بسبب تكذيبهم الرسل ، وكفرهم بالكتب : أأنتم خير أم أولئك ؟ ﴿ **أم لكم براءة في الزبر** ﴾ ، أي : أم معكم[٢] من الله براءة أن لا ينالكم عذاب ولا نكال[٣] ؟ .

ثم قال تعالى مخبرًا عنهم : ﴿ **أم يقولون نحن جميع منتصر** ﴾ ، أي : يعتقدون أنهم مناصرون بعضهم بعضًا ، وأن جمعهم يغني عنهم مَن أرادهم بسوء ، قال الله تعالىٰ :

---

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : معهم .

[٣] - سقط من خ .

﴿ **سيهزم الجمع ويولون الدبر** ﴾ ، أي : سيتفرق شملهم ويغلبون .

قال البخاري : حدثنا إسحاق ، حدثنا خالد ، عن خالد . وقال أيضًا : حدثنا [محمد ، حدثنا عفان بن مسلم][١] ، عن وُهَيب ، عن خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : وهو في قُبَّة له يوم بدر : « **أنشدك عهدك ووعدك ، اللَّهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبدًا** » . فأخذ أبو بكر رضي اللَّه عنه بيده وقال : حسبك يا رسول اللَّه ، ألححت علىٰ ربك . فخرج وهو يثب في الدرع وهو يقول : « ﴿ **سيهزم الجمع ويولون الدبر * بل الساعة موعدهم والساعة أدهىٰ وأمر** ﴾(٤٨) » . وكذا رواه البخاري والنسائي في غير موضع ، من حديث خالد - وهو ابن[٢] مهران - الحذاء به .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو الربيع الزّهراني ، حدثنا حماد ، عن أيوب[٣] ، عن عكرمة قال : لما نزلت : ﴿ **سيهزم الجمع ويولون الدبر** ﴾ ، قال[٤] عمر : أيّ جَمْع يهزم ؟ أيّ جَمْع يغلب ؟ قال عمر : فلما كان يوم بدر رأيت رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يثب في الدرع ، وهو يقول : « ﴿ **سيهزم الجمع ويولون الدبر** ﴾ » . فعرفت تأويلها يومئذ (٤٩) .

وقال البخاري : حدثنا إبراهيم بن موسىٰ ، حدثنا هشام بن يوسف ؛ أن ابن جُرَيج أخبرهم ، أخبرني يوسف بن ماهَكَ قال : إني عند عائشة أم المؤمنين ، قالت : نزل علىٰ محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم بمكة وإني لجارية ألعب : ﴿ **بل الساعة موعدهم ، والساعة أدهىٰ وأمر** ﴾(٥٠) هكذا رواه هاهنا مختصرًا ، ورواه في فضائل القرآن مطولًا(٥١) ، ولم يخرجه مسلم .

---

(٤٨) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر** ﴾ حديث (٤٨٧٧) (٨/٦١٩) . وباب : ﴿ **سيهزم الجمع ويولون الدبر** ﴾ ، حديث (٤٨٧٥) (٨/ ٦١٩) . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **سيهزم الجمع ويولون الدبر** ﴾ ، حديث (١١٥٥٧) (٦/٤٧٧) .

(٤٩) - تفسير الطبري (٢٧/١٠٨) .

(٥٠) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر** ﴾ ، حديث (٤٨٧٦) (٨/٦١٩) .

(٥١) - أخرجه البخاري في كتاب : فضائل القرآن ، باب : تأليف القرآن ، حديث (٤٩٩٣) (٩/٣٨ - ٣٩) .

---

[١] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : « محمد بن عفان » .

[٢] - سقط من ز ، خ ، ت .

[٣] - في خ ، ت : أبي أيوب .

[٤] - في ز : قال : قال .

إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ
سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ
﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى
ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾
فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾

يخبر[١] تعالىٰ عن المجرمين أنهم في ضلال عن الحق، وسُعُر مما هم فيه من الشكوك والاضطراب في الآراء، وهذا يشمل كل من اتصف بذلك من كافر ومبتدع[٢] من سائر الفرق .

ثم قال : ﴿ يوم يسحبون في النار علىٰ وجوههم ﴾ ، أي : كما كانوا في سُعُر وشك وتردد أورثهم ذلك النار ، وكما كانوا ضلالًا سحبوا[٣] فيها على وجوهم، لا يدرون أين يذهبون ، ويقال لهم تقريعًا وتوبيخًا : ﴿ذوقوا مس سقر﴾ .

وقوله : ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ ، كقوله : ﴿ وخلق كل شيء فقدره تقديرًا ﴾ وكقوله : ﴿سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوّى والذي قدر فهدىٰ﴾ أي : قدَّر قدرًا ، وهدىٰ الخلائق إليه . ولهذا يستدل بهذه الآية الكريمة أئمةُ السنة علىٰ إثبات قَدَر الله السابق لخلقه ، وهو علمه الأشياء قبل[٤] كونها ، وكتابته لها قبل برئها[٥] ، وردوا بهذه الآية وبما شاكلها من الآيات ، وما ورد في معناها من الأحاديث الثابتات علىٰ الفرْقة القَدَرية الذين نبغوا في أواخر عصر الصحابة، وقد تكلمنا على هذا المقام مفصلًا ، وما ورد فيه من الأحاديث في شرح « **كتاب الإيمان** » من « **صحيح البخاري** » رحمه الله ولنذكر هاهنا الأحاديث المتعلقة بهذه الآية الكريمة .

قال أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان[٦] الثوري ، عن زياد بن[٧] إسماعيل السهمي ، عن محمد بن عباد بن جعفر ، عن أبي هُرَيرة قال : جاء مشركو قريش إلىٰ النبي صلىٰ الله

---

[١] - في ت : يخبرنا .
[٢] - في ز : مبتدع .
[٣] - في خ : يسحبون .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - في خ تبرمها .
[٦] - سقط من خ .
[٧] - في ز ، خ : عن .

عليه وسلم يخاصمونه في القدر ، فنزلت : ﴿ **يوم يسحبون في النار علىٰ وجوههم ذوقوا مس سقر * إنا كل شيء خلقناه بقدر** ﴾(٥٢) .

[وهكذا رواه مسلم والترمذي وابن ماجة من حديث وكيع عن سفيان الثوري به][١] .

وقال البزار : حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا الضحاك بن مخلد ، حدثنا يونس بن الحارث ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال : ما[٢] نزلت هذه الآيات[٣] : ﴿ **إن المجرمين في ضلال وسعر * يوم يسحبون في النار علىٰ وجوههم ذوقوا مس سقر * إنا كل شيء خلقناه بقدر** ﴾ ، إلا في أهل القدر(٥٣) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا سهل بن صالح الأنطاكي ، حدثني قرة بن حبيب ، عن كنانة ، حدثنا جرير بن حازم ، عن سعيد[٤] بن عمرو بن جَعدَةَ ، عن ابن[٥] زُرارة ، عن أبيه ، عن النبي - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - أنه تلا هذه الآية : ﴿ **ذوقوا مس سقر * إنا كل شيء خلقناه بقدر** ﴾ . قال : « **نزلت في أناس من أمتي يكونون[٦] في آخر الزمان ، يكذبون بقدر اللَّه** » (٥٤) .

وحدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا مَرْوان بن شجاع الجَزَري ، عن عبد الملك بن جُرَيج ، عن عطاء بن أبي رَبَاح قال : أتيت ابن عباس ، وهو يَنْزِع من زمزم ، وقد ابتلت أسافل ثيابه ، فقلت له : قد تُكلِّم في القدر . فقال : أو فعلوها ؟ قلت : نعم . قال : فواللَّه ما نزلت هذه الآية إلا فيهم : ﴿ **ذوقوا مس سقر * إنا كل شيء خلقناه بقدر** ﴾ ، أولئك شرار هذه الأمة ، فلا تعودوا مرضاهم ، ولا تُصَلّوا علىٰ موتاهم ، إن رأيت أحدًا منهم فقأت عينيه بأصبعي هاتين (٥٥) .

(٥٢) - أخرجه أحمد (٢/٤٤٤) . ومسلم في كتاب : القدر ، باب : كل شيء بقدر ، حديث (١٩/ ٢٦٥٦) (١٦/٣١٣ - ٣١٤) كلاهما من طريق وكيع .

(٥٣) - أخرجه البزار (٢/١١٠) (١٥١٣) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٧/١٢٠) : رواه البزار وفيه يونس بن الحارث وثقه ابن معين وابن حبان وفيه ضعف ، وبقية رجاله ثقات .

(٥٤) - أخرجه الطبراني في « الكبير » (٥/٢٧٦) (٥٣١٦) من طريق جرير بن حازم .

قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٧/١٢٠) : رواه الطبراني وفيه من لم أعرفه .

والحديث صححه الألباني بالذي قبله في الصحيحة برقم (١٥٣٩) .

(٥٥) - في إسناده ابن جريج وهو مدلس .

[١] - سقط من ت .
[٢] - في ز : لما .
[٣] - في ز : الآية .
[٤] - في ز ، خ : سعد .
[٥] - في ز ، خ : أبي .
[٦] - في ز : يكذبون .

وقد رواه الإمام أحمد من وجه آخر، وفيه مرفوع فقال:

حدثنا أبو المغيرة، حدثنا الأوزاعي، عن بعض إخوته عن محمد بن عبيد المكي، عن عبدالله ابن عباس قال: قيل له: إن رجلًا قدم علينا يُكَذِّب بالقدر. فقال: دلوني عليه - وهو أعمىٰ - قالوا: وما تصنع به يا أبا عباس. قال: والذي نفسي بيده، لئن استمكنت منه لأعضنَّ أنفه حتىٰ أقطعه، ولئن وقعت رقبته في يدي لأدُقنَّها، فإني سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول: « **كأني بنساء بني فِهْر يَطُفْنَ بالخزرج، تصطفق ألياتهن مشركات، هذا أول شرك هذه الأمة، والذي نفسي بيده لينتهين بهم سوء رأيهم حتىٰ يخرجوا الله من أن يكون قَدّر خيرًا، كما أخرجوه من أن يكون قَدّر شرًّا** »(٥٦).

ثم رواه أحمد عن أبي المغيرة، عن الأوزاعي، عن العلاء بن الحجاج، عن محمد بن عبيد، فذكر مثله(٥٧). لم يخرجوه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن يزيد، حدثنا سعيد بن[١] أبي أيوب، حدثني أبو صخر، عن نافع قال: كان لابن عمر صديق من أهل الشام يكاتبه، فكتب إليه عبد الله بن عمر: إنه بلغني أنك تكلمت في شيء من القدر، فإياك أن تكتب إليَّ، فإني سمعتُ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول: « **سيكون في أمتي أقوام يكذبون بالقدر** »(٥٨). [رواه أبو داود(٥٩) عن أحمد بن حنبل، به][٢].

وقال أحمد: حدثنا أنس بن عياض، حدثنا عمر بن عبد الله مولىٰ غُفْرَة[٣]، عن عبد الله بن عمر، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: « **لكل أمة مجوس، ومجوس**

---

(٥٦) - أخرجه أحمد (١/٣٣٠) (٣٠٥٥).
وإسناده ضعيف لجهالة من روى عنهم الأوزاعي لكن يشهد له ما بعده.

(٥٧) - أخرجه أحمد (١/٣٣٠) (٣٠٥٦). وفي إسناده العلاء بن الحجاج؛ ضعفه الأزدي كما في ميزان الاعتدال (٤/١٨) وكذا ذكر ابن حجر في التعجيل.

(٥٨) - أخرجه أحمد (٢/٩٠) (٥٦٣٩). وإسناده حسن من أجل أبي صخر وهو حميد بن زياد، صدوق يهم، وبقية رجاله ثقات. وصححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند.

(٥٩) - أخرجه أبو داود في كتاب: السنة، باب: في القدر، حديث (٤٧١٠) (٤/٢٢٨) بلفظ: « **لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم** » من طريق سعيد بن أبي أيوب، قال: حدثني عطاء بن دينار، عن حكيم بن شريك الهذلي، عن يحيى بن ميمون الحضرمي، عن ربيعة الجرشي، عن أبي هريرة عن عمر بن الخطاب، به.

---

[١] - في ز، خ: عن.
[٢] - سقط من ت.
[٣] - في ز: غفر. وفي خ: غفار.

أمتي الذين يقولون : لا قدر . إن مرضوا فلا تعودوهم ، وإن ماتوا فلا تشهدوهم »(٦٠) . لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة من هذا الوجه .

وقال أحمد : حدثنا قتيبة ، حدثنا رشْدين ، عن أبي[١] صخر حُميد بن زياد ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : سمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : **« سيكون في هذه الأمة مَسْخٌ ، ألا وذاك في المكذبين بالقدر والزنديقية »**(٦١) .

ورواه الترمذي وابن ماجه ، من حديث أبي صخر حميد بن زياد ، به(٦٢) . وقال الترمذي : حسن صحيح غريب .

وقال أحمد : حدثنا إسحاق بن الطباع ، أخبرني مالك ، عن زياد بن سعد ، عن عمرو ابن مسلم ، عن طاوس اليماني قال : سمعت ابن عمر قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : **« كل شيء بقدر ، حتىٰ العجز والكيس »**(٦٣) . ورواه مسلم منفردًا به ، من حديث مالك(٦٤) .

وفي الحديث الصحيح : **« استعن باللّٰه ولا تَعجز ، فإن أصابك أمر فقل : قَدّر اللّٰه وما شاء فعل ، ولا تقل : لو أني فعلت لكان كذا**[٢] ، **فإن « لو تفتح عمل الشيطان»**(٦٥) .

وفي حديث ابن عباس أن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال له : **« واعلم أن الأمة لو اجتمعوا علىٰ أن ينفعوك بشيء ، لم يكتبه اللّٰه لك ، لم ينفعوك . ولو اجتمعوا**

(٦٠) - أخرجه أحمد (٨٦/٢) . وفي إسناده عمر بن عبد الله مولى غفرة ؛ قال العلائي في « جامع التحصيل » : قال أبو حاتم : لم يلق أنس بن مالك ، وحديثه عن ابن عباس مرسل . وقال ابن معين : لم يسمع من صحابي .اهـ .

(٦١) - أخرجه أحمد (١٠٨/٢) (٥٨٦٧) وفي إسناده رشدين بن سعد وهو ضعيف .

(٦٢) - أخرجه الترمذي في كتاب : القدر ، باب (١٦) ، حديث (٢١٥٤) (٣٢٤/٦) من طريق رشدين . وأخرجه الترمذي برقم (٢١٥٣) ، وابن ماجة في كتاب : الفتن ، باب : الخسوف ، حديث (٤٠٦١) (١٣٥٠/٢) .

كلاهما من طريق حيوة بن شريح عن حميد بن زياد بنحو حديث رشدين .

وحسن هذا الحديث الألباني في صحيح سنن ابن ماجة (٣٢٨٢) .

(٦٣) - أخرجه أحمد (١١٠/٢) (٥٨٩٣) .

(٦٤) - مسلم في كتاب : القدر ، باب : كل شيء بقدر ، حديث (٢٦٥٥/١٨) (٣١٣/١٦) .

(٦٥) - أخرجه مسلم في كتاب : القدر ، باب : في الأمر بالقوة وترك العجز ، والاستعانة بالله ، وتفويض المقادير لله ، حديث (٢٦٦٤/٣٤) (٣٢٩/١٦) .

---

[١] - في خ : ابن . [٢] - في ز ، خ : هكذا .

علىٰ أن يضروك بشيء ، لم يكتبه اللَّه عليك ، لم يضروك . جفّت الأقلام وطويت الصحف »(٦٦) .

وقال الإِمام أحمد : حدثنا الحسن بن سوار ، حدثنا الليث ، عن معاوية ، عن أيوب بن زياد ، حدثني عُبَادة بن الوليد بن عُبَادة ، حدثني أبي قال : دخلتُ علىٰ عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت ، فقلت : يا أبتاه ، أوصني واجتهد لي . فقال : أجلسوني . فلما أجلسوه قال : يا بني ، إنك لم تَطْعَم طَعْم الإِيمان ، ولم تبلغ حَقّ حقيقة العلم باللَّه ، حتىٰ تؤمن بالقدر خيره وشره . قلت : يا أبتاه ، وكيف لي أن أعلم ما خيرُ القدر وشره ؟ قال : تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئَك . يا بني ، إني سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « **إن أول ما خلق اللَّه القلم . ثم قال له : اكتب . فجرىٰ في تلك الساعة بما هو كائن إلىٰ يوم القيامة** » . يا بني ، إن متّ ولستَ علىٰ ذلك دخلتَ النار (٦٧) .

ورواه الترمذي عن يحيىٰ بن موسىٰ البلخي ، عن أبي داود الطيالسي ، عن عبد الواحد ابن سليم ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن الوليد بن عبادة ، عن أبيه(٦٨) . [و][١]قال : حسن صحيح غريب .

وقال سفيان الثوري ، عن منصور ، عن ربعي بن خراش ، عن رجل ، عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لا يؤمن عبد**[٢] **حتىٰ يؤمن بأربع : يشهد أن لا إله إلا اللَّه ، وأني رسول اللَّه ، بعثني بالحق [ويؤمن بالموت]**[٣]**، ويؤمن بالبعث بعد الموت ، ويؤمن بالقدر خيره وشره** » . وكذا رواه الترمذي من حديث النضر بن شميل ، عن شعبة ، عن منصور ، به . ورواه من حديث أبي داود الطيالسي ، عن شعبة ، عن منصور ، عن ربعي ، عن علي فذكره(٦٩) وقال : هذا عندي أصح .

---

(٦٦) - أخرجه أحمد (٢٣٣/٤) (٢٦٦٩) . والترمذي في كتاب : صفة القيامة ، باب : ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ، حديث (٢٥١٨) (٢٠٣/٧ - ٢٠٤) . كلاهما من طريق ليث بن سعد عن قيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني عن ابن عباس - رضي الله عنه - به .

(٦٧) - أخرجه أحمد (٣١٧/٥) (٢٢٨٠٨) . وهو حديث حسن .

(٦٨) - أخرجه الترمذي في كتاب : القدر ، باب : (١٧) ، حديث (٢١٥٦) . وفي إسناده عبد الواحد ابن سليم : ضعيف . قال الترمذي : وهذا حديث غريب . وقد أخرجه أبو داود مختصرًا برقم (٤٧٠٠) من طريق آخر ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (٣٩٣٣) .

(٦٩) - أخرجه الترمذي في كتاب : القدر ، باب : ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره ، حديث =

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - في خ : أحد .

[٣] - سقط من ز ، خ .

وكذا رواه ابن ماجة من حديث شريك، عن منصور، عن ربعي، عن علي به (٧٠).

وقد ثبت في صحيح مسلم، من رواية عبد الله بن [وهب وغيره، عن أبي هانيء الخَوْلاني، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلى، عن عبد اللَّه بن][١] عمرو قال: قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم: « **إن اللَّه كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة** ». زاد ابن وهب: ﴿ **وكان عرشه علىٰ الماء** ﴾(٧١). ورواه الترمذي وقال: حسن صحيح غريب (٧٢).

وقوله: ﴿ **وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر** ﴾. وهذا إخبار عن نفوذ مشيئته في خلقه كما أخبر بنفوذ قَدره فيهم، فقال: ﴿ **وما أمرنا إلا واحدة** ﴾، أي: إنما نأمر بالشيء مرة واحدة، لا نحتاج إلىٰ تأكيد بثانية، فيكون ذلك الذي نأمر به حاصلًا موجودًا كلمح البصر، لا يتأخر طرفة عين، وما أحسن ما قال بعض الشعراء:

إِذَا مَا أَرَادَ اللَّـه أَمْـرًا فَـإِنَّمَا يَقُـولُ لَـهُ: كُـنْ، قَـولَـةً فَيَكُـونُ

وقوله: ﴿ **ولقد أهلكنا أشياعكم** ﴾، يعني: أمثالكم وسلفكم من الأمم السالفة المكذبين بالرسل، ﴿ **فهل من مدكر** ﴾، أي: فهل من متعظ بما أخزىٰ اللَّه أولئك، وقدر لهم من العذاب. كما قال تعالى: ﴿ **وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل** ﴾.

وقوله: ﴿ **وكل شيء فعلوه في الزبر** ﴾، أي: مكتوب عليهم في الكتب التي بأيدي الملائكة عليهم السلام ﴿ **وكل صغير وكبير** ﴾، أي[٢]: من أعمالهم ﴿ **مستطر** ﴾، أي: مجموع عليهم ومسطر في صحائفهم، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

وقد قال الإِمام أحمد: حدثنا أبو عامر، حدثنا سعيد بن [مسلم بن بَانَكَ[٣]][٤]:

= (٢١٤٦) من طريق أبي داود والنضر كلاهما عن شعبة. وإسناده صحيح. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٧٤٤ - ٢٢٤٦).

(٧٠) - أخرجه ابن ماجة في المقدمة برقم (٨١) من طريق شريك عن منصور (٣٢/١).

(٧١) - أخرجه مسلم في كتاب: القدر، باب: حجاج آدم وموسى - عليهما السلام - حديث (١٦/ ٢٦٥٣) (٣١٠/١٦ - ٣١١).

(٧٢) - أخرجه الترمذي في كتاب: القدر، باب: (١٨)، حديث (٢١٥٧) (٣٢٦/٦) من طريق حيوة ابن شريح عن أبي هانئ - بنحو حديث مسلم.

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز، خ.
[٢] - سقط من ز.
[٣] - في خ: ماهك.
[٤] - ما بين المعكوفين في ز: « سلم بن ماهك».

سمعت عامر بن عبد الله بن الزبير ، حدثني عوف بن الحارث - وهو ابن أخي عائشة لأمها - عن عائشة أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، كان يقول : « **يا عائشة ، إياك ومحقرات الذنوب ؛ فإن لها من الله طالبًا** »(٧٣) . ورواه النسائي وابن ماجة من طريق سعيد بن مسلم بن بانك[١] المدني(٧٤) . وثقه أحمد وابن معين، وأبو حاتم وغيرهم .

وقد رواه الحافظ ابن عساكر في ترجمة سعيد بن مسلم هذا من وجه آخر ، ثم قال سعيد : فحدثت بهذا الحديث عامر بن هشام فقال لي : ويحك يا سعيد بن مسلم ! لقد حدثني سليمان بن المغيرة أنه عمل ذنبا فاستصغره ، فأتاه آت في منامه فقال له : يا سليمان:

لا تَحْقِرَنَّ من الذنوب صغيرًا ... إنّ الصغيرَ غدًا يَعُودُ كبيرًا
إن الصّغيرَ وَلَو تَقَادَمَ عَهْدُهُ ... عندَ الإلَه مُسَطَّرٌ تَسْطيرًا
فَازْجُرْ هَوَاكَ عَن البطَالَة ، لا تَكنْ ... صَعْبَ القيَاد ، وَشَمِّرَنْ تَشْميرًا
إنّ المُحِبَّ إذَا أحبَّ إلهَهُ ... طَارَ الفُؤادُ وَأُلهِم التَّفْكِيرًا
فَاسْأَلْ هدَايَتَكَ الإله بِنِيَّة ... فَكَفَىٰ بِرَبّكَ هَاديًا وَنَصِيرًا(٧٥)

وقوله : ﴿ **إن المتقين في جنات ونهر** ﴾ ، أي : بعكس ما الأشقياء فيه من الضلال والسعر ، والسحب في النار علىٰ وجوههم ، مع التوبيخ والتقريع والتهديد .

وقوله : ﴿ **في مقعد صدق** ﴾ ، أي : في دار كرامة الله ورضوانه وفضله ، وامتنانه وجوده وإحسانه ، ﴿ **عند مليك مقتدر** ﴾ ، أي : عند الملك العظيم الخالق للأشياء كلها ومقدرها ، وهو مقتدر علىٰ ما يشاء مما يطلبون ويريدون ، وقد قال الإمام أحمد :

حدثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن عمرو بن أوس ، عن عبد الله بن عَمْرو - يَبْلُغُ به النبي صلىٰ الله عليه وسلم - قال : « **المقسطون عند الله [يوم القيامة][٢]علىٰ منابر من نور ، عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين ، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا** »(٧٦) .

---

(٧٣) - أخرجه أحمد (١٥١/٦) . وفي إسناده عوف بن الحارث بن الطفيل ، قال الحافظ : مقبول .

(٧٤) - أخرجه النسائي في الكبرى في كتاب الرقائق كما في تحفة الأشراف للمزي (٢٥٠/١٢) .

وابن ماجة في كتاب : الزهد ، باب : ذكر الذنوب ، حديث (٤٢٤٣) (١٤١٧/٢) .

قال في الزوائد : إسناده صحيح ، رجاله ثقات . وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥١٣) .

(٧٥) - أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٥٣/٧) وانظر السابق .

(٧٦) - أخرجه أحمد (١٦٠/٢) .

---

[١] - في خ : ماهك .

[٢] - سقط من ز ، خ .

انفرد بإخراجه مسلم والنسائي من حديث سفيان بن عيينة بإسناده مثله(٧٧) .

آخر تفسير سورة « اقتربت » ولله الحمد والمنة ، وبه التوفيق والعصمة .

[ ][١]

☆ ☆ ☆

(٧٧) - مسلم في كتاب : الإمارة ، باب : فضيلة الإمام العادل ، وعقوبة الجائر ، حديث (١٨٢٧/١٨) (٢٩١/١٢) .

والنسائي في الكبرى في كتاب القضاء ، باب : فضل الحاكم العادل ، حديث (٥٩١٦) (٣/٤٦٠) .

[١] - ما بين المعكوفين في ز : « وصل الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، يتلوه إن شاء الله تعالى في أول السابع تفسير سورة الرحمن - عز وجل - والحمد لله رب العالمين » .

وفي خ : « وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وصلي الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، وهذا آخر الجزء السادس من تفسير الإمام ابن كثير ويتلوه إن شاء الله الجزء السابع من أول تفسير سورة الرحمن ، والحمد لله رب العالمين - آمين » .

[بسم الله الرحمن الرحيم
رب أعن على إتمامه]
تفسير سورة الرحمٰن
[وهي مدنية][١]

قال الإمام أحمد(١) : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، عن عاصم ، عن زرّ ؛ أن رجلًا قال [لابن مسعود][٢] : كيف تعرف هذا الحرف : (ماء غير ياسن) أو آسن؟ فقال : كل القرآن قد قرأتُ . قال : إني لأقرأ المفصل أجمعُ[٣] في ركعة واحدة . فقال : أهذًا كهذ الشعر . لا أبا لك ؟ قد علمت قرائن النبي صلىٰ الله عليه وسلم التي كان يَقْرنُ قرينتين قرينتين من أول المفصل ، وكان أول مفصل ابن مسعود ﴿ الرحمن ﴾ .

وقال أبو عيسىٰ الترمذي(٢) : حدثنا [عبد الرحمن بن واقد أبو مسلم][٤] ، حدثنا الوليد بن مسلم ، عن زهير بن محمد ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر؛ قال : خرج رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم علىٰ أصحابه فقرأ عليهم « **سورة الرحمن** » ، من أولها إلىٰ آخرها ، فسكتوا فقال : « **لقد قرأتها علىٰ الجن ليلة الجن ، فكانوا أحسن مَردُودًا منكم ، كنت كلما أتيت علىٰ قوله : ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ ، قالوا : لا بشيء من نعمك - رَبَّنا - نكذب ، فلك الحمد** » .

ثم قال : هذا حديث غريب ، لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم ، عن زهير بن محمد . ثم حكي عن الإمام أحمد أنه كان لا يعرفه ، ينكر رواية أهل الشام عن زهير بن محمد هذا .

---

(١) - **إسناده حسن** ، أخرجه أحمد (٤١٢/١) برقم (٣٩١٠) . وقد صححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند .

(٢) - **حسن** ، أخرجه الترمذي في كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الرحمن ، حديث (٣٢٨٧) ، وأخرجه الحاكم (٤٧٣/٣) ، والبيهقي في الدلائل (٢٣٢/٢) من طريق عبد الرحمن بن واقد به ، وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين . وقال أبو عيسى الترمذي : وسمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول : أهل الشام يروون عن زهير بن محمد مناكير ، وأهل العراق يروون عنه أحاديث مقاربة . والحديث حسنه الشيخ الألباني في الصحيحة (٢١٥٠) بطرقه .

---

[١] - في ز، خ : وهي مكية . [٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - سقط من ز ، خ .

[٤] - ما بين المعكوفين في خ : « واقد حدثنا عبد الرحمن بن مسلم » .

ورواه الحافظ أبو بكر البزار ، عن عمرو بن مالك ، عن الوليد بن مسلم . وعن عبد الله بن أحمد بن شَبويه ، عن هشام بن عمار[١] كلاهما[٢] عن الوليد بن مسلم به . ثم قال : لا نعرفه يروىٰ إلا من هذا الوجه .

وقال أبو جعفر بن جرير (٣) : [حدثنا محمد بن عباد بن موسى وعمرو بن مالك البصري قالا][٣] حدثنا يحيىٰ بن سليم ، عن إسماعيل بن أمية ، عن نافع ، عن ابن عمر ؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قرأ « **سورة الرحمن** » - أو : قُرِئَت عنده - فقال : « **ما لي أسمع الجن أحسن جوابًا لربها منكم ؟** » . قالوا : وما ذاك يا رسول الله ؟ قال : « **ما أتيت علىٰ قول الله : ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ ﴾ إلا قالت الجن : لا بشيء [من نعمة][٤] ربنا نكذّب** ./

ورواه الحافظ البزار ، عن عمرو بن مالك به . ثم قال : « لا نعلمه يروىٰ عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم إلا من هذا الوجه ، بهذا الإسناد .

ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْاْ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾

يخبر تعالىٰ عن فضله ورحمته بخلقه ؛ أنه أنزل علىٰ عباده القرآن ، ويسّر حفظه وفهمه علىٰ من رحمه ، فقال : ﴿ **الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان** ﴾ . قال الحسن : يعني النطق . وقال الضحاك ، وقتادة ، وغيرهما : يعني الخير والشر . وقول الحسن هاهنا أحسن وأقوىٰ ؛ لأن السياق في تعليمه تعالىٰ القرآن ، وهو أداء تلاوته ، وإنما يكون ذلك بتيسير النطق علىٰ الخلق ، وتسهيل خروج الحروف من مواضعها ، من الحلق واللسان

(٣) - تفسير الطبري (٢٧/١٢٣ - ١٢٤) . وأخرجه البزار كما في مجمع الزوائد (٧/١٢٠) ، وهو حديث حسن بالذي قبله .

[١] - في ت : « عمارة » .
[٢] - في ت : « كليهما » .
[٣] - ما بين المعكوفين سقط من : ت .
[٤] - سقط من ز ، خ .

والشفتين ، على اختلاف مخارجها وأنواعها .

وقوله : ﴿ **الشمس والقمر بحسبان** ﴾ ، أي : يجريان متعاقبين بحساب مُقَنَّن لا يختلف ولا يضطرب ، ﴿ **لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار، وكل في فلك يسبحون** ﴾ وقال تعالى : ﴿**فالق الإصباح وجاعل**[١] **الليل سكنًا والشمس والقمر حسبانًا ذلك تقدير العزيز العليم** ﴾ .

وعن عكرمة أنه قال : لو جعل الله نور جميع أبصار الإنس والجن والدواب والطير في عيني عبد ، ثم كشف حجابًا واحدًا من سبعين حجابًا دون الشمس ، لما استطاع أن ينظر إليها . و[نور][٢]الشمس جزء من سبعين جزءًا من نور الكرسي ، ونور الكرسي جزء من سبعين جزءًا من نور العرش ، ونور العرش جزء من سبعين جزءًا من نور الستر . فانظر ماذا أعطى الله عبده من النور / في عينيه [وقت][٣] النظر إلى وجه ربه الكريم عيانًا . رواه ابن أبي حاتم .

وقوله : ﴿ **والنجم والشجر يسجدان** ﴾ . قال ابن جرير : اختلف المفسرون في معنى قوله : ﴿ **والنجم** ﴾ بعد إجماعهم على أن الشجر ما قام على ساق ، فروى علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ؛ قال : النجم ما انبسط على وجه الأرض - يعني من النبات . وكذا قال سعيد بن جبير والسدي ، وسفيان الثوري ، وقد اختاره ابن جرير رحمه الله .

وقال مجاهد : النجم الذي في السماء . وكذا قال الحسن ، وقتادة . وهذا القول هو الأظهر ، والله أعلم ، لقوله تعالى : ﴿ **ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض، والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب ، وكثير من الناس** ...﴾ الآية .

وقوله : ﴿ **والسماء رفعها ووضع الميزان** ﴾ ، يعني العدل ، كما قال : ﴿ **لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان؛ ليقوم الناس بالقسط** ﴾ . وهكذا قال هاهنا : ﴿ **ألا تطغوا في الميزان** ﴾ ، أي : خلق السماوات والأرض بالحق والعدل ، لتكون الأشياء كلها بالحق والعدل .

ولهذا قال : ﴿ **وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان** ﴾ ، أي : لا تبخسوا الوزن ، بل زنوا بالحق والقسط ، كما قال : ﴿ **وزنوا بالقسطاس المستقيم** ﴾ .

---

[١] - في ت : « وجاعل » .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - سقط من ز ، خ .

وقوله : ﴿ **والأرض وضعها للأنام** ﴾ ، أي : كما رفع السماء وضع الأرض ومَهَدها ، وأرساها بالجبال الراسيات الشامخات ، لتستقر لما علىٰ وجهها من الأنام ، وهم : الخلائق المختلفة أنواعهم وأشكالهم وألوانهم وألسنتهم ، في سائر أقطارها وأرجائها .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، وابن زيد : الأنام : الخلق . ﴿ **فيها فاكهة** ﴾ ، أي : مختلفة الألوان والطعوم والروائح ، ﴿ **والنخل ذات الأكمام** ﴾ : أفرده بالذكر لشرفه ونفعه[١] ، رطبًا ويابسًا . والأكمام قال ابن جريج ، عن ابن عباس - : هي[٢] أوعية الطلع . وهكذا قال غير واحد من المفسرين ، وهو الذي يطلع فيه القنو ثم ينشق عن العنقود ، فيكون بسرًا ، ثم رطبًا ، ثم ينضج ويتناهىٰ نفعه[٣] واستواؤه .

قال ابن أبي حاتم : ذُكرَ عن عمرو بن علي الصيرفي ؛ حدثنا أبو قتيبة ، حدثنا يونس بن الحارث الطائفي ، عن الشعبي قال : كتب قيصر إلىٰ عمر بن الخطاب ، أخبرك أن رسلي أتتني من قبلك ، فزعمت أن قبلكم شجرة ليست بخليقة لشيء من الخير ، تخرج / مثل آذان الحمير ، ثم تشقق مثل اللؤلؤ ، ثم تخضر فتكون مثل الزمرد الأخضر ، ثم تحمر فتكون كالياقوت الأحمر ، ثم تينع وتنضُج فتكون كأطيب فالوذج أكل ، ثم تيبس فتكون عصْمَةً للمقيم وزادًا للمسافر ، فإن تكن رسلي صدقتني فلا أرىٰ هذه الشجرة إلا من شجر الجنة . فكتب إليه عمر بن الخطاب : من عمر أمير المؤمنين إلىٰ قيصر ملك الروم : إن رسلك قد صَدَقُوكَ ، هذه الشجرة عندنا ، وهي الشجرة التي أنبتها الله علىٰ مريم حين نفست بعيسىٰ ابنها ، فاتق الله ولا تتخذ عيسىٰ إلهًا من دون الله فإن ﴿ **مثل عيسىٰ عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له : كن فيكون . الحق من ربك فلا تكن من الممترين** ﴾(٤) .

وقيل : الأكمام : رفاتها ، وهو الليف الذي على عنق النخلة . وهو قول الحسن وقتادة .

﴿ **والحب ذو العصف والريحان** ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ **والحب ذو العصف** ﴾ ، يعني : التبن .

وقال العوفي عن ابن عباس : ﴿ **العصف** ﴾ : ورق الزرع الأخضر الذي قطع رءوسه ، فهو يسمَّى العصف ، إذا يبس . وكذا قال قتادة والضحاك . وأبو مالك : عصفه : تبنه .

وقال ابن عباس ، ومجاهد ، وغير واحد : ﴿ **والريحان** ﴾ ، يعني : الورق .

---

(٤) - في إسناده يونس بن الحارث الطائفي وهو ضعيف .

---

[١] - في ز : « ونعه » . [٢] - في ز : « هو » .

[٣] - في ت : « ينعه » .

وقال الحسن: هو ريحانكم هذا. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿والريحان﴾: خضر الزرع.

ومعنىٰ هذا - والله أعلم - أن الحب كالقمح والشعير ونحوهما له في حال نباته عصف، وهو: ما علىٰ السنبلة، وريحان، وهو: الورق الملتف علىٰ ساقها.

وقيل: العصف: الورق أول ما ينبت الزرع بقلًا. والريحان: الورق، يعني: إذا أدجن وانعقد فيه الحب. كما قال زيد بن عمرو بن نفيل في قصيدته المشهورة:

[وقولا له: مَنْ يُنْبِتُ الحَبّ في الثَّرىٰ فيُصْبِحَ منه البقلُ يَهْتَزّ رَابيا ؟][١]
وَيُخْرِجُ منه حَبَّه في رُءُوسه ؟ فَفي ذَاك آياتٌ لِمَنْ كَانَ وَاعيا

وقوله: ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾، أي: فبأي الآلاء - يا معشر الثقلين، من الإنس والجن - تكذبان ؟ قاله مجاهد، وغير واحد. ويدل عليه السياق بعده، أي: النِّعَمُ ظاهرة عليكم وأنتم مغمورون بها، لا تستطيعون إنكارها ولا جحودها، فنحن نقول كما قالت الجن المؤمنون: اللَّهم؛ ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد. وكان[٢] ابن عباس يقول: لا، بأيها[٣] يا رب. أي: لا نكذب بشيء منها.

قال الإمام أحمد: / حدثنا يحيىٰ بن إسحاق، حدثنا ابن لَهِيعة، عن أبي الأسود، عن عروة، عن أسماء بنت أبي بكر؛ قالت: سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وهو يقرأ، وهو يصلي نحو الركن قبل أن يَصْدَع بما يؤمر، والمشركون يستمعون[٤]: ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ (٥).

خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ

(٥) - المسند (٦/٣٤٩) (٢٧٠٦٧)، قال الهيثمي في «المجمع» (٧/١٢٠): رواه أحمد وفيه ابن لهيعة، وفيه ضعف وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح.

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز، خ.
[٢] - في خ: وقال.
[٣] - في ز: «ما بها» هكذا بدون نقط.
[٤] - في ز: «يسمعون».

رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾

يذكر تعالىٰ خَلْقَه الإنسان من صلصال كالفخار، وخلقه الجان من مارج من نار، وهو: طرف لهبها. قاله الضحاك، عن ابن عباس. وبه يقول عكرمة ومجاهد، والحسن وابن زيد.

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿ **من مارج من نار** ﴾: من لهب النار، من أحسنها.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿ **من مارج من نار** ﴾: من خالص النار. وكذا قال عكرمة، ومجاهد، والضحاك، وغيرهم.

وقال الإمام أحمد (٦): حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة؛ قالت: قال رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم: « **خُلقت الملائكة من نور، وخُلق الجان من مارج [من نار]**[١] **، وخلق آدم مما وصف لكم** ».

ورواه مسلم عن محمد بن رافع وعبد بن حميد كلاهما[٢] عن عبد الرزاق به(٧).

وقوله: ﴿ **فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾، تقدم تفسيره. ﴿ **رب المشرقين ورب المغربين** ﴾، يعني مشرقي الصيف والشتاء، ومغربي الصيف والشتاء. وقال في الآية الأخرىٰ: ﴿ **فلا أقسم برب المشارق والمغارب** ﴾، وذلك باختلاف مطالع الشمس وتنقلها في كل يوم، وبروزها منه إلىٰ الناس. وقال في الآية الأخرىٰ: ﴿ **رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا** ﴾، وهذا المراد منه جنس المشارق والمغارب، [ولما كان في اختلاف هذه المشارق والمغارب][٣]مصالح للخلق من الجن والإنس قال: ﴿ **فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾.

وقوله: ﴿ **مرج البحرين يلتقيان** ﴾ قال ابن عباس: أي: أرسلهما.

---

(٦) - المسند أحمد (١٥٣/٦) (٢٥٣٠٣).

(٧) - مسلم في كتاب: الزهد، باب: في أحاديث متفرقة، حديث (٢٩٩٦/٦٠) (١٦٧/١٨). وعبد ابن حميد (١٤٧٩ - منتخب).

---

[١] - سقط من ز، خ.

[٢] - في ت: « كليهما ».

[٣] - ما بين المعكوفين سقط من خ.

[وقوله : ﴿ **يلتقيان** ﴾ قال ابن زيد : أي منعهما أن يلتقيا ، بما جعل بينهما من البرزخ الحاجز الفاصل بينهما][١] .

والمراد بقوله : ﴿ **البحرين** ﴾ : الملح والحلو ، فالحلو[٢] هذه الأنهار السارحة بين / الناس . وقد قدمنا الكلام على ذلك في « **سورة الفرقان** » عند قوله تعالىٰ : ﴿ **وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخًا وحجرًا محجورًا** ﴾ . وقد اختار ابن جرير هاهنا أن المراد بالبحرين : بحر السماء وبحر الأرض . وهو يروى[٣] عن مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعطية ، وابن أبزىٰ .

قال ابن جرير : لأن اللؤلؤ يتولد من ماء السماء وأصداف بحر الأرض .

وهذا وإن كان هكذا ليس المراد ما ذهب إليه ؛ فإنه لا يساعده اللفظ ، فإنه تعالىٰ قد قال : ﴿ **بينهما برزخ لا يبغيان** ﴾ ، أي : وجعل بينهما برزخًا ، وهو : الحاجز من الأرض ، لئلا يبغي هذا علىٰ هذا ، [وهذا علىٰ هذا][٤] ، فيُفسد كل واحد منهما الآخر ، ويزيله عن صفته التي هي مقصودة منه . وما بين السماء والأرض لا يسمىٰ برزخًا وحجرًا محجورًا .

وقوله : ﴿ **يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان** ﴾ ، أي : من مجموعهما ، فإذا وُجدَ ذلك لأحدهما كفىٰ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يا معشر الجن والإنس ؛ ألم يأتكم رسل منكم** ﴾ . والرسل إنما كانوا في الإنس خاصة دون الجن ، وقد صح هذا الإطلاق .

واللؤلؤ [معروف[٥] ، وأما المرجان فقيل : هو][٦]صغار اللؤلؤ .

قاله مجاهد [وقتادة][٧] ، وأبو رزين والضحاك . وروي عن علي .

وقيل : كباره وجَيّده . حكاه ابن جرير عن بعض السلف . ورواه ابن أبي حاتم عن الربيع ابن أنس ، وحكاه عن السدي ، عمن حدثه ، عن ابن عباس . وروى مثله عن علي ، ومجاهد أيضًا ، ومرة[٨] الهمداني .

وقيل : هو نوع من الجواهر أحمر اللون .

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .
[٢] - سقط من خ .
[٣] - في ت : « مروي » .
[٤] - سقط من خ .
[٥] - في ز : « فردق » .
[٦] - ما بين المعكوفين في خ : « ورق والمرجان يقبل هذا » .
[٧] - سقط من ز ، خ .
[٨] - بياض في ز . وفي خ : وقال .

قال [السدي][١] : عن أبي مالك ، عن مسروق ، عن عبد الله قال : المرجان : الخرز الأحمر . قال السدي : وهو البسَّذ[٢] بالفارسية .

وأما قوله : ﴿ومن كل تأكلون لحمًا طريًّا وتستخرجون [ ][٣] حلية تلبسونها﴾ فاللحم من كلٍّ من[٤] الأجاج والعذب ، والحلية إنما هي من الملح دون العذب .

قال ابن عباس : ما سقطت قط قطرة من السماء في البحر ، فوقعت في صدفة إلا صار منها لؤلؤة . وكذا قال عكرمة ، وزاد : فإذا لم تقع في صَدَفة نبتت بها عَنْبَرة . ورُوي من غير وجه عن ابن عباس نحوه .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش عن عبد الله بن عبد الله ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس؛ قال : إذا أمطرت / السماء ، فتحت الأصداف في البحر أفواهها ، فما وقع فيها - يعني من قطر - فهو اللؤلؤ .

إسناده صحيح ، ولما كان اتخاذ هذه الحلية نعمة على أهل الأرض ، امتن بها عليهم فقال : ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ .

[وقوله : ﴿ وله الجوار المنشآت ﴾ يعني : السفن التي تجري في البحر ، قال مجاهد : ما رفع قلعه من السفن فهي مُنْشأة ، وما لم يرفع قلعه فليس بمنشأة . وقال قتادة : ﴿المنشآت ﴾ : يعني المخلوقات . وقال غيره : المنشِآت - بكسر الشين - : يعني البادئات .

﴿ كالأعلام ﴾ ، أي : كالجبال في كبرها ، وما فيها من المتاجر والمكاسب المنقولة من قطر إلى قطر ، وإقليم إلى إقليم ، مما فيه صلاح للناس في جَلْب ما يحتاجون إليه من سائر أنواع البضائع ، ولهذا قال : ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾][٥] .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا العَرَار[٦] بن سُوَيد ، عن عميرة بن سعد[٧] ؛ قال : كنت مع علي بن أبي طالب - رضي الله عنه على شاطئ الفرات ، إذ أقبلت سفينة مرفوع شراعها ، فبسط عليٌّ يديه ثم قال : يقول الله عز وجل : ﴿ وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام ﴾ . والذي أنشأها

---

[١] - في ز ، خ : « ابن عياش » .
[٢] - في ز : « الكسد » . وفي خ : « الكسر» .
[٣] - في ز : منه .
[٤] - سقط من خ .
[٥] - ما بين المعكوفين سقط من خ .
[٦] - في خ : الفزار .
[٧] - في ز : « سويد » .

تجري في بحوره ما قتلتُ عثمان ، ولا مالأت[١] علىٰ قتله .

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٨) يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (٢٩) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٠) ﴾

يخبر تعالىٰ أن جميع أهل الأرض سيذهبون ويموتون أجمعون ، وكذلك أهل السماوات ، إلا من شاء اللَّه ، ولا يبقىٰ أحد سوىٰ وجهه الكريم ، فإن الرب تعالىٰ وتقدس لا يموت ، بل هو الحي الذي لا يموت أبدًا .

قال قتادة : أنبأ بما خلق ، ثم أنبأ أن ذلك كله فان[٢] .

وفي الدعاء المأثور : يا حي ، يا قيوم ، يا بديع السماوات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام ، لا إله إلا أنت ، برحمتك نستغيث ، أصلح لنا شأننا كله ، ولا تكلنا إلىٰ [أنفسنا طرفة عين ، ولا إلىٰ][٣] أحد من خلقك .

وقال الشعبي : إذا قرأت : ﴿ **كل من عليها فان** ﴾ فلا تسكن[٤] حتى تقرأ : ﴿ **ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾ .

وهذه الآية كقوله تعالىٰ : ﴿ **كل شيء هالك إلا وجهه** ﴾ . وقد نعت تعالىٰ وجهه الكريم في هذه الآية الكريمة بأنه ﴿ **ذو الجلال والإكرام** ﴾ ، أي : هو أهل أن يجل فلا يعصىٰ ، وأن يطاع فلا يخالف ، كقوله : ﴿ **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة / والعشي يريدون وجهه** ﴾ . وكقوله إخبارًا عن المتصدقين: ﴿ **إنما نطعمكم لوجه الله** ﴾ .

قال ابن عباس : ﴿ **ذو الجلال والإكرام** ﴾ : ذو العظمة والكبرياء .

ولما أخبر عن تساوي أهل الأرض كلهم في الوفاة ، وأنهم سيصيرون إلىٰ الدار الآخرة ، فيحكم فيهم ذو الجلال والإكرام بحكمه[٥] العدل قال : ﴿ **فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾ .

وقوله : ﴿ **يسأله من في السماوات والأرض كل يوم هو في شأن** ﴾ ، وهذا إخبار عن

---

[١] - في ز : « ساءلت » .
[٢] - في ت : كان .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - في خ : تسكت .
[٥] - في ز ، خ : « بعلمه » .

غناه عما سواه ، وافتقار الخلائق إليه في جميع الآنات ، وأنهم يسألونه بلسان حالهم وقالهم ، وأنه كل يوم هو في شأن .

قال الأعمش عن مجاهد ، عن عبيد بن عُمير : ﴿ **كل يوم هو في شأن** ﴾ قال : من شأنه أن يجيب داعيًا ، أو[١] يعطي سائلًا أو يفك عانيًا ، أو يشْفي سَقيمًا .

وقال ابن أبي نَجيح ، عن مجاهد ؛ قال : كل يوم هو يجيب داعيًا ، ويكشف كربًا ، ويجيب مضطرًا ، ويغفر ذنبًا .

وقال قتادة : لا يستغني عنه أهل السماوات والأرض ، يُحيي حَيًّا ، ويميت ميتًا ، ويربي صغيرًا ، ويفك أسيرًا ، وهو مُنتَهَىٰ حاجات الصالحين وصريخهم ، ومنتهىٰ شكواهم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا[٢] أبو اليمان الحمصي ، حدثنا حريز[٣] بن عثمان ، عن سويد بن جَبَلة - هو الفزاري - قال : إن ربكم كل يوم هو في شأن ، فيعتق رقابًا ، ويُعطي رغابًا ، ويقحم عقابًا (٨) .

وقال ابن جرير : حدثني عبد الله بن محمد بن عمرو[٤] الغَزّي[٥] ، حدثني إبراهيم بن محمد بن يوسف الفريابي ، حدثني عمرو بن بكر السكسكي ، حدثنا الحارث بن عبدة بن رباح الغساني ، عن أبيه ، عن مُنيب بن عبد الله بن مُنيت الأزدي ، عن أبيه ؛ قال : تلا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم هذه الآية : ﴿ **كل يوم هو في شأن** ﴾ ، فقلنا : يا رسول الله ؛ وما ذاك الشأن ؟ قال : « **أن يغفر ذنبًا ، ويفرج كربًا ، ويرفع قومًا ، ويضع آخرين** »(٩) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن عمار ، وسليمان بن أحمد الواسطي ؛ قالا : حدثنا الوزير بن صَبيح الثقفي أبو روح الدمشقي - والسياق لهشام - قال : سمعت يونس[٦] ابن ميسرة بن حَلْبَس يحدث عن أم الدرداء ، عن أبي الدرداء ، عن النبي صلىٰ الله

---

(٨) - عزاه السيوطي في الدر (١٥٩/٦) إلى عبد بن حميد .

(٩) - أخرجه الطبري (١٣٥/٢٧) . وأخرجه البزار كما في مختصر ابن حجر (١١١/٢) (١٥١٦) من طريق عمرو ، وقال : في الإسناد مجاهيل . قال الهيثمي في « المجمع » (١٢٠/٧) : رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبزار ، وفيه من لم أعرفهم .

---

[١] - في ز ، خ : « و » .

[٢] - سقط من خ .

[٣] - في ز : « جرير » .

[٤] - في ز : « عمر » .

[٥] - في ز ، خ : « العبدي » .

[٦] - في ز : « يوسف » .

عليه وسلم؛ قال: «قال الله عز وجل: ﴿كل يوم هو في شأن﴾، قال: من شأنه أن يغفر ذنبًا، ويفرج كربًا، ويرفع قومًا، ويضع آخرين» (١٠).

وقد رواه ابن عساكر من طرق متعددة، عن / [٧ز / ٦و] هشام بن عمار به. ثم ساقه من حديث أبي [همام][١] الوليد بن شجاع عن الوزير بن صبيح؛ قال: [ودلّنا][٢] عليه الوليد بن مسلم، عن مُطرف، عن الشعبي، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ... فذكره(١١). قال: والصحيح الأول. يعني: إسناده الأول.

قلت: وقد روي موقوفًا كما [ ][٣] علقه البخاري بصيغة الجزم، فجعله من كلام أبي الدرداء، فالله أعلم (١٢).

وقال البزار: حدثنا محمد بن المثنىٰ، حدثنا محمد بن الحارث، حدثنا محمد بن عبد الرحمن ابن البيلماني[٤]، عن أبيه، عن ابن عمر، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم: ﴿كل يوم هو في شأن﴾، قال: «يغفر ذنبًا، ويكشف كربًا»(١٣).

ثم قال ابن جرير: وحدثنا أبو كريب، حدثنا عبيد[٥] الله بن موسىٰ، عن أبي حمزة[٦] الثمالي[٧]، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس؛ أن الله خلق لوحًا محفوظًا من درة بيضاء، دفتاه ياقوتة حمراء، قلمه نور، وكتابته[٨] نور، عرضه ما بين السماء والأرض،

---

(١٠) - والحديث أخرجه ابن ماجة برقم (٢٠٢)، وفي الزوائد: إسناده حسن. والطبراني الأوسط (٣١٤٠). والوزير فيه ضعف. وانظر تغليق التعليق (٤/٣٣٣).

(١١) - تاريخ ابن عساكر (١٨/٧٧١ - مخطوط).

(١٢) - أخرجه البخاري في الصحيح في تفسير سورة الرحمن (٨/٦٢٠).

ووصله البيهقي في الشعب (٢/٣٦) (١١٠٢) قال: أخبرنا أبو نصر بن قتادة، أنا أبو عمرو بن مطر، قال: أنا جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض، ثنا إبراهيم بن المستفاض، ثنا إبراهيم بن هشام، ثنا سعيد بن عبد العزيز التنوخي، عن إسماعيل بن عبيد الله، عن أم الدرداء قالت: قال أبو الدرداء ... فذكره، وإبراهيم بن هشام هو ابن يحيى الغسان، قال أبو حاتم: كذاب. «الجرح والتعديل» (٢/ ١٤٣).

(١٣) - أخرجه البزار كما في مختصر ابن حجر (٢/١١١) (٥/١٥) وقال: البيلماني ضعيف. وكذا ضعفه ابن حجر كما في التقريب.

---

[١] - سقط من ز، خ.

[٢] - بياض في ز. وسقط من خ.

[٣] - في ز، خ.

[٤] - في ز: «السلماني».

[٥] - في ز، خ: «عبد».

[٦] - في ز: «حزة».

[٧] - في ز، خ: «اليماني».

[٨] - في ت: «وكتابه».

ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة ، يخلق في كل نظرة ويحي ويميت ، ويعز ويذل ، ويفعل ما يشاء (١٤) .

سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **سنفرغ لكم أيها الثقلان** ﴾ ، قال : وعيد من الله للعباد ، وليس بالله شغل وهو فارغ[١] . وكذا قال الضحاك : هذا وعيد . وقال قتادة : قَدْ دَنَا من الله فراغ لخلقه . وقال ابن جريج : ﴿ **سنفرغ لكم** ﴾ ، أي : سنقضي[٢] لكم (١٥) .

وقال البخاري : سيحاسبكم[٣] ، لا يشغله شيء عن شيء ، وهو معروف في كلام العرب ، يقال : لأتفرغَنّ لك وما به شُغْل ، يقول : لآخذنك[٤] على غرّتك .

وقوله : ﴿ **أيها الثقلان** ﴾ الثقلان : الإنس والجن ، كما جاء في الصحيح : « **يسمعها[٥] كل شيء إلا الثقلين** » (١٦) . وفي رواية : « **إلا الجن والإنس** » . وفي حديث [الصور : «**الثقلان الإنس والجن**][٦] ﴿ **فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾ (١٧) .

ثم قال : ﴿ **يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض**

---

(١٤) - أخرجه الطبري (١٣٥/٢٧) . وفي إسناده أبو حمزة الثمالي وهو ثابت بن أبي صفية : ضعيف .
(١٥) - البخاري في الصحيح (٦٢١/٨) .
(١٦) - أخرجه البخاري في كتاب : الجنائز ، باب : الميت يسمع قرع النعال ، حديث (١٣٣٨) (٣/ ٢٠٥) ، وطرفه في : [١٣٧٤] .
(١٧) - في حديث فضل الجمعة من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « .... وفيه تقوم الساعة والخلائق فيه مصيخة إلا الثقلين : الجن والإنس » . أخرجه أحمد (٤٥٣/٥) (٢٣٩٠٤) .

---

[١] - في ز : « فاغ » .
[٢] - في ز : « سنفضى » .
[٣] - في ت : « سنحاسبكم » .
[٤] - في خ : « لآخذ » .
[٥] - في ز ، خ : « يسمعه » .
[٦] - ما بين المعكوفين بياض في ز ، خ .

فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان ﴾ ، أي : لا تستطيعون هربًا من أمر اللَّه وقدره ، بل هو محيط بكم ، لا تقدرون على التخلص من حكمه ، ولا النفوذ / عن حكمه فيكم ، أينما ذهبتم أحيط بكم .

وهذا في مقام المحشر ؛ الملائكة مُحدقَةٌ بالخلائق ، سبع صفوف من كل جانب ، فلا يقدر أحد على الذهاب . ﴿ **إلا بسلطان** ﴾ ، أي : إلا بأمر اللَّه ، ﴿ **يقول الإنسان يومئذ أين المفر * كلا لا وزر * إلىٰ ربك يومئذ المستقر** ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ **والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من اللَّه من عاصم ، كأنما أغشيت وُجُوههم قطَعًا من الليل مظلمًا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ ؛ ولهذا قال : ﴿ **يرسل عليكما شواظٌ من نار ونحاس فلا تنتصران** ﴾ .

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : الشواظ : هو لهب النار . وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس : الشواظ : الدخان . وقال مجاهد : هو اللَّهيب الأخضر المنقطع . وقال أبو صالح : الشواظ : هو اللَّهيب الذي فوق النار ودون الدخان . وقال الضحاك : ﴿ **شواظ من نار** ﴾ : سيل من نار .

وقوله : ﴿ **ونحاس** ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ **ونحاس** ﴾ : دخان النار ، ورُوي مثله عن أبي صالح ، وسعيد بن جبير ، وأبي سنان .

قال ابن جرير : والعرب تسمي الدخان نُحَاسًا - بضم النون وكسرها - ، والقراء[١] مجمعة على الضم ، ومن النحاس [بمعنى][٢] الدخان قول نابغة بني[٣] جعدة :

يضيء كضوء سراج السليـ ـطِ لم يجعلِ اللَّهُ فيه نحاسا

يعني دخانًا ، هكذا قال .

وقد روىٰ الطبراني من طريق جويبر ، عن الضحاك : أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس عن الشواظ فقال : هو اللَّهب[٤] الذي لا دخان معه . فسأله شاهدًا على ذلك من اللغة ، فأنشده قول أمية بن أبي الصلت في حسّان :

= وأخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب : فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة ، حديث (١٠٤٦) .
ولفظه : « وما من دابة إلا وهي مسيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة إلا الجن والإنس .... » . وإسناده صحيح .

[١] - في ز : « والقراءة » .
[٢] - في ز : « يعني الرجال » .
[٣] - سقط من ت .
[٤] - في خ : اللهيب .

ألا من مبلّغٌ حسّان عنّي مُغلْغلةً تَدُبُّ إلىٰ عُكاظِ
أَلَيْسَ أبوكَ فِينَا كَانَ فينا[١] إلى[٢] القَيْنَاتِ فلا[٣] بي[٤] الحفاظِ
يَمَانِيًّا يَظَلُّ يشب[٥] كِيرًا وَيَنْفُخُ دَائِبًا لَهَبَ الشُّواظ

قال : صدقت ، فما النحاس ؟ قال : هو الدخان الذي لا لهب له . قال : فهل تعرفه العرب ؟ قال : نعم ، أما سمعت نابغة بني ذبيان يقول :

يضيء كضوء سراج السليـ ـط لم يجعل اللَّهُ فيه نحاسا

وقال مجاهد : النحاس : الصفر ، يذاب فيصب علىٰ رءوسهم . وكذا قال قتادة . [وقال][٦] الضحاك : ﴿ **ونحاس** ﴾ : سيل من نحاس .

والمعنىٰ علىٰ كل قول : لو ذهبتم هاربين يوم القيامة لردتكم الملائكة والزبانية بإرسال اللّهب من النار والنحاس المذاب عليكم لترجعوا ، ولهذا قال : ﴿ **فلا تنتصران * فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾ .

فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾

يقول : ﴿ **فإذا انشقت السماء** ﴾ يوم القيامة ، كما دلت عليه هذه الآية مع ما شاكلها من الآيات الواردة في معناها ؛ كقوله : ﴿ **وانشقت السماء فهي يومئذ واهية** ﴾ ، وقوله : ﴿ **ويوم تشقّق السماء بالغمام ونُزّل الملائكة تنزيلًا** ﴾ . وقوله : ﴿ **إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت** ﴾ .

وقوله : ﴿ **فكانت وردة كالدهان** ﴾ ، أي : تذوب كما يذوب الدّرْدي والفضة في

---

[١] - في ت : « قينا » .
[٢] - في ت : « لدى » .
[٣] - في ت : « فسلا » .
[٤] - في ت : « في » .
[٥] - في ت : « يشد » .
[٦] - بياض في ز . وسقط من خ .

السبك ، وتتلون[١] كما تتلون الأصباغ التي يدهن بها ، فتارة حمراء وصفراء وزرقاء وخضراء ، وذلك من شدّة الأمر وهول يوم القيامة العظيم . وقد قال الإمام أحمد :

حدثنا أحمد بن عبد الملك ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الصهباء ، حدثنا نافع أبو غالب الباهلي ، حدثنا أنس بن مالك قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **يبعث الناس يوم القيامة والسماء تَطِشّ عليهم** »(١٨) .

قال الجوهري : الطش : المطر الضعيف .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وردة كالدهان** ﴾ ، قال : هو الأديم الأحمر . وقال أبو كُرَيب[٢] ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ﴿ **فكانت وردة كالدهان**﴾ : كالفرس[٣] الورد . وقال العوفي ، عن ابن عباس : تغير[٤] لونها . وقال أبو صالح : كالبِرْذَون الورد ، ثم كانت بعد كالدهان .

وحكىٰ البَغَوي وغيره أن الفرس الورد تكون في الربيع صفراء ، وفي الشتاء حمراء ، فإذا اشتد البرد اغبرّ لونها .

وقال الحسن البصري : تكون ألوانًا . وقال السدي : تكون كلون البغلة الوردة ، وتكون كالمهل / كدرِديّ الزيت . وقال مجاهد : ﴿ **كالدهان** ﴾ : كألوان الدهان . وقال عطاء الخراساني : كلون دُهْن الوَرْد في الصفرة . وقال قتادة : هي اليوم خضراء ، ويومئذ لونها إلىٰ الحمرة ، يوم ذي ألوان . وقال أبو الجوزاء : في صفاء الدهن . وقال ابن جريج : تصير السماء كالدّهن الذائب ، وذلك حين يُصِيبها حَرّ جهنم .

وقوله : ﴿ **فيومئذٍ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان**﴾ وهذه كقوله : ﴿ **هذا يوم لا ينطقون ، ولا يؤذن لهم فيعتذرون**﴾ فهذا في حال ، وثم حال يسأل الخلائق [فيها][٥] عن جميع أعمالهم ، قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **فوربك لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون** ﴾ . ولهذا قال قتادة : ﴿ **فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان** ﴾ ، قال : قد كانت مسألة ، ثم ختم علىٰ أفواه القوم ، وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون .

---

(١٨) - أخرجه أحمد (٣/٢٦٦ - ٢٦٧) (١٣٨٤٢) وعبد الرحمن بن أبي الصهباء ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا . وبقية رجاله ثقات .

---

[١] - في ز : « وتلون » .
[٢] - في ت : « كدينة » .
[٣] - في خ : كالغرس .
[٤] - في خ : « غير » . وفي ت : اغبر .
[٥] - سقط من ز ، خ .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : لا يسألهم : هل عملتم كذا وكذا ؟ لأنه أعلم بذلك منهم ، ولكن يقول : لم عملتم كذا وكذا ؟ فهذا قول ثان .

وقال مجاهد في هذه الآية : لا يسأل الملائكة عن المجرم ، يعرفون بسيماهم .

[وهذا قول ثالث . وكأن هذا بعدما يؤمر بهم إلىٰ النار ، فذلك الوقت لا يسألون عن ذنوبهم ، بل يقادون إليها ويلقون فيها ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يعرف المجرمون بسيماهم** ﴾][1] ، أي بعلاماتٍ تظهر عليهم .

و[2] قال الحسن وقتادة : يعرفونهم باسوداد الوجوه وزرقة العيون .

قلت : وهذا كما يعرف المؤمنون بالغرة والتحجيل من آثار الوضوء .

وقوله : ﴿ **فيؤخذ بالنواصي والأقدام** ﴾ أي : تجمع الزبانية ناصيته مع قدميه ، ويلقونه في النار كذلك .

و[3] قال الأعمش ، عن ابن عباس : يؤخذ بناصيته وقدمه ، فيكسر كما يكسر الحطب في التنور .

وقال الضحاك : يجمع بين ناصيته وقدميه في سلسلة من وراء ظهره .

وقال السدي : يجمع بين ناصية الكافر وقدميه ، فتربط ناصيته بقدمه ، ويفتل ظهره .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو توبة الربيع بن نافع ، حدثنا معاوية بن سلام ، عن أخيه زيد بن سلام : أنه سمع أبا سلام - يعني جده - أخبرني عبد الرحمن ، حدثني رجل من كندة قال : أتيت عائشة فدخلت عليها ، وبيني وبينها حجاب ، فقلت : حدثك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه يأتي عليه ساعة لا يملك لأحد فيها شفاعة ؟ قالت : نعم ، لقد سألته عن هذا وأنا وهو في شِعَار واحد ، قال : « **نعم ، حين يوضع الصراط ، لا أملك لأحد فيها شفاعة ، حتىٰ أعلم أين يسلك بي ؟ ويوم / تبيض وجوه وتسود وجوه ، حتىٰ أنظر ماذا يفعل بي - أو**[4] قال : **يوحي - وعند الجسر حين**[5] **يستحد ويستحر** » فقالت : وما يستحد وما يستحر ؟ قال : « **يستحد حتىٰ يكون مثل شفرة السيف ، ويستحر حتىٰ يكون مثل الجمرة ، فأما المؤمن فَيُجيزُه لا يضره ، وأما**

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - في ز : « و » .

[٥] - في ز : « حتى » .

المنافق فيتعلق حتىٰ إذا بلغ أوسطه خرّ من قدمه فيهوي بيده إلىٰ قدميه » . قالت : فهل رأيت من يسعىٰ حافيًا فتأخذه شوكة حتىٰ تكاد تنفذ قدميه ، فإنها كذلك ، يهوي بيده ورأسه إلىٰ قدميه ، فتضربه الزبانية بخطاف في ناصيته وقدمه ، فتقذفه في جهنم ، فيهوي فيها مقدار خمسين عامًا . قلت : ما ثقل الرجل ؟ قالت : ثقل عشر خَلِفات سمان[١] ، فيومئذٍ يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والأقدام(١٩) .

هذا حديث غريب ، وفيه ألفاظ منكر رفعها ، وفي الإسناد من لم يسم ، ومثله لا يحتج به ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون** ﴾ ، أي : هذه النار التي كنتم تكذبون بوجودها ها هي حاضرة تشاهدونها عيانًا ؛ يقال لهم ذلك تقريعًا وتوبيخًا وتصغيرًا وتحقيرًا .

وقوله : ﴿ **يطوفون بينها وبين حميم آن** ﴾ ، أي : تارة يُعَذَّبون في الجحيم ، وتارة يسقون من الحميم ، وهو الشراب الذي هو كالنحاس المذاب يقطع الأمعاء والأحشاء . وهذه كقوله تعالىٰ : ﴿ **إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون * في الحميم ثم في النار يسجرون** ﴾ وقوله : ﴿ **آن** ﴾ ، أي : حار قد[٢] بلغ الغاية في الحرارة ، لا يستطاع من شدة ذلك .

قال ابن عباس في قوله : ﴿ **يطوفون بينها وبين حميم آن** ﴾ أي : قد انتهىٰ غليه واشتدَّ حرّه .. وكذا قال مجاهد ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، والحسن ، والثوري ، والسدي .

وقال قتادة : قد أنى[٣] طبخه منذ خلق [الله][٤] السماوات والأرض . وقال محمد بن كعب القرظي : يؤخذ العبد فيحرّكُ بناصيته في ذلك الحميم ، حتىٰ يذوب اللحمُ ويبقىٰ العظمُ والعينان في الرأس ، وهي كالتي يقول الله تعالىٰ : ﴿ **في الحميم ثم في النار يسجرون** ﴾ . والحميم الآن : يعني الحار . وعن القرظي رواية أخرىٰ : ﴿ **حميم آن** ﴾ ، أي : حاضر . وهو قول ابن زيد أيضًا ، والحاضر ، لا ينافي ما روي عن القرظي أولًا أنه الحار ، كقوله تعالى : ﴿ **تسقىٰ من عين آنية** ﴾ ، أي : حارّة شديدة الحر لا تستطاع ، وكقوله : ﴿ **غير ناظرين / إناه** ﴾ ؛ يعني استواءه ونضجه . فقوله : ﴿ **حميم آن** ﴾ ، أي : حميم حار جدًّا . ولما كان معاقبة العصاة المجرمين وتنعيم المتقين من فضله ورحمته وعدله ولطفه بخلقه ، وكان إنذاره لهم عذابَه وبأسَه مما[٥] يزجرهم عما هم فيه من الشرك

---

(١٩) - إسناده ضعيف لجهالة الراوي عن عائشة .

---

[١] - في ز : « ساني » .

[٢] - في ز : وقد .

[٣] - في ز : « أنا » .

[٤] - سقط من ز ، خ .

[٥] - في ز : « فيما » .

والمعاصي وغير ذلك ، قال ممتنًا بذلك على بريّته[١] : ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ .

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ ﴾

قال ابن شوذب[٢] وعطاء الخراساني : نزلت هذه الآية : ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ في أبي بكر الصديق .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن مصفىٰ ، [حدثنا بقية][٣] ، عن أبي بكر بن أبي مريم ، عن عطية بن قيس في قوله : ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ : نزلت في الذي قال : أحرقوني بالنار لعلي أضل[٤] الله ، قال : تاب يومًا وليلة بعد أن تكلم بهذا ، فقبل الله منه ، وأدخله الجنة (٢٠) .

والصحيح أن هذه الآية عامة كما قاله ابن عباس وغيره ، يقول تعالىٰ : ولمن خاف مقامه بين يدي الله - عز وجل - يوم القيامة ، ﴿ ونهىٰ النفس عن الهوىٰ ﴾ ، ولم يطغ ولا آثر الحياة الدنيا ، وعلم أن الآخرة خير وأبقىٰ ، فأدىٰ فرائض الله ، واجتنب محارمه ، فله يوم القيامة عند ربه جنتان ، كما قال البخاري - رحمه الله :

حدثنا عبد الله بن أبي الأسود ، حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد العَمّي ، حدثنا أبو عمران الجَوْني ، عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس ، عن أبيه : أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **جَنّتان من فضة ، آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلىٰ ربهم - عز وجل - إلا رداء الكبرياء علىٰ وجهه في جنة عدن** » (٢١) .

(٢٠) - أبو بكر بن أبي مريم ضعيف ، وكان قد سرق بيته فاختلط . وبقية هو ابن الوليد وهو مدلس . ومحمد بن مصفى : صدوق له أوهام .

(٢١) - صحيح البخاري كتاب : التفسير ، باب : ﴿ ومن دونهما جنتان ﴾ ، حديث (٤٨٧٨) (٦٢٣/٨ - ٦٢٤) .

[١] - في ز : « تربيته » .
[٢] - في خ : سوزن .
[٣] - غير واضحة في خ .
[٤] - في ز : « أصل » .

وأخرجه بقية الجماعة إلا أبا داود من حديث عبد العزيز به(٢٢) .

[وقال حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أبي بكر بن أبي موسىٰ ، عن أبيه - قال حماد : ولا أعلمه إلا قد رفعه - في قوله تعالىٰ : ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾ ، وفي قوله : ﴿ **ومن دونهما جنتان** ﴾ : جنتان من ذهب للمقربين ، وجنتان من وَرِق لأصحاب اليمين][١].(٢٣)

وقال ابن جرير: حدثنا زكريا بن يحيىٰ بن أبان [المصري][٢] ، حدثنا ابن أبي مريم ، أخبرنا محمد بن جعفر ، عن محمد بن [أبي][٣] حرملة ، عن عطاء بن يَسَار ، أخبرني أبو الدرداء : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قرأ يومًا هذه الآية : ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾ ، فقلت : وإن زنىٰ وإن سرق ؟ فقال : ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾ ، [فقلت : وإن زنى وإن سرق ؟][٤] [فقال : ﴿ **ولمن خالف مقام ربه جنتان** ﴾][٥] [فقلت][٦] : وإن زنىٰ وإن سرق] [٧]يا رسول اللَّه ؟ فقال : « **وإن رَغمَ أنف أبي الدرداء** » (٢٤) .

ورواه النسائي من حديث محمد بن [أبي][٨] حرملة ، به(٢٥) . ورواه النسائي أيضًا عن مؤمّل بن هشام ، عن إسماعيل ، عن الجَرَيري ، عن موسىٰ ، عن محمد بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبي الدرداء ، به(٢٦) . [وقد روي موقوفًا علىٰ أبي الدرداء][٩]. ورُوي

---

(٢٢) - مسلم في كتاب : الإيمان ، باب : إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم - سبحانه وتعالى - حديث (٢٩٦ - ١٨٠) (٣/٢٠ - ٢١) . والترمذي في كتاب : صفة الجنة ، باب : ما جاء في صفة غرف الجنة ، حديث (٢٥٣٠) (٧/٢١٢) . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿**جنات عدن** ﴾ ، حديث (١١٤٤١) (٦/٤٤٣) . وابن ماجة في « المقدمة » ، باب : فيما أنكرت الجهمية ، حديث (١٨٦) (١/٦٦ - ٦٧) .

(٢٣) - تفسير الطبري (٢٧/١٤٦) .

(٢٤) - تفسير الطبري (٢٧/١٤٦) .

(٢٥) - والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : سورة الرحمن ، حديث (١١٥٦٠) (٦/ ٤٧٨) . وإسناده ثقات .

(٢٦) - أخرجه النسائي في الكبرى في الموضع السابق حديث (١١٥٦١) (٦/٤٧٨) . وفي إسناده موسى شيخ لسعيد الجريري وهو مجهول ، لكن يقويه ما قبله .

---

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفين بياض في ز ، خ .

[٣] - سقط من ز ، خ .

[٤] - سقط من ز .

[٥] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

[٦] - في ز : « قلت » .

[٧] - ما بين المعكوفين سقط من خ .

[٨] - سقط من ز .

[٩] - ما بين المعكوفين سقط من خ .

عنه أنه قال : إن [من][١] خاف مقام ربه لم يزن ولم يسرق .

وهذه الآية[٢] عامة في الإنس والجن ، فهي من أدلّ دليل على أن الجن يدخلون الجنة إذا آمنوا واتقوا ، ولهذا امتن الله تعالى على الثقلين بهذا الجزاء فقال : ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان * فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾ .

ثم نعت هاتين الجنتين فقال : ﴿ **ذواتا أفنان** ﴾ ، أي : أغصان نَضِرة حسنة ، تحمل من كل ثمرة نضيجة فائقة ، ﴿ **فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾ . هكذا قال عطاء الخراساني وجماعة : إن الأفنان أغصانُ الشجَر ، يمس بعضُها بعضًا .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا مسلم بن قتيبة ، حدثنا عبد الله ابن النعمان ، سمعت عكرمة يقول : ﴿ **ذواتا أفنان** ﴾ ، يقول : ظل الأغصان على الحيطان ، ألم تسمع قول الشاعر حيث يقول :

ما هاجَ شَوقَكَ من هَديل حَمَامَةٍ تَدْعُو على فَنَن الغُصُون حَمَاما
تَدْعُو أبا فَرخين[٣] صادف طاويا[٤] ذا مخلبين من الصقور قطاما[٥]

وحكى البغوي عن مجاهد ، وعكرمة ، [والضحاك][٦] والكلبي : إنه [الغصن المستقيم][٧] .

قال[٨] : وحدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا عبد السلام بن حرب ، حدثنا عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبَير عن ابن عباس : ﴿ **ذواتا أفنان** ﴾ : ذواتا ألوان .

قال : وروي عن سعيد بن جبير ، والحسن ، والسدي [وخُصيف][٩] ، والنضر بن عربي[١٠] ، وأبي سنان مثلُ ذلك . ومعنى هذا القول أن فيهما فنونًا من الملاذ ، واختاره ابن جرير .

وقال عطاء : كل غصن يجمع فنونًا من الفاكهة . وقال الربيع بن أنس : ﴿ **ذواتا أفنان**﴾ [واسعتا الفناء .

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز ، خ : « للأمة » .
[٣] - في ز : « فرص » بدون نقط .
[٤] - في ز ، خ : « طارقا » .
[٥] - في ز ، خ : « فطاما » .
[٦] - بياض في ز ، خ .
[٧] - بياض في ز ، خ .
[٨] - بياض في خ .
[٩] - بياض في : ز .
[١٠] - في ز ، خ : « عدي » .

وكل هذه الأقوال صحيحة، ولا منافات بينها، والله أعلم. وقال قتادة: ﴿ذواتا أفنان﴾ [١] [٢] ينبئ بفضلها وسعتها ومزيتها علىٰ ما سواها.

وقال محمد بن إسحاق، عن يحيىٰ بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن أسماء قالت: سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم - وذكر سدرة المنتهى - فقال: / «**يسير في ظل الفنن منها الراكب مائة سنة - أو قال: يستظل في ظل الفنن منها مائة راكب، فيها فراش الذهب، كأن ثمرها** [القلال][٣]».

و[٤] رواه الترمذي من حديث يونس بن بكير[٥] به (٢٧).

[وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه قال حماد: ولا أعلمه إلا قد رفعه في قوله: ﴿**ولمن خاف مقام ربه جنتان**﴾ وفي قوله: ﴿**ومن دونهما جنتان**﴾ قال: جنتان من ذهب للمقربين وجنتان من ورق لأصحاب اليمين][٦].(٢٨)

﴿**فيهما عينان تجريان**﴾ أي: تسرحان لسقي تلك الأشجار والأغصان فتثمر[٧] من جميع الألوان، ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾، قال الحسن البصري[٨]: إحداهما يقال لها: «**تسنيم**»، والأخرىٰ: «**السلسبيل**».

وقال عطية: إحداهما من ماء غير آسن، والأخرىٰ [من خمر][٩] لذة للشاربين.

ولهذا قال بعد هذا: ﴿**فيهما من كل فاكهة زوجان**﴾، أي: من جميع أنواع الثمار مما يعلمون وخير مما يعلمون، ومما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر، ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾.

قال إبراهيم بن الحكم بن أبان، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس: ما في الدنيا

---

(٢٧) - أخرجه الترمذي في كتاب: صفة الجنة، باب: ما جاء في صفة ثمار أهل الجنة، حديث (٢٥٤٤) (٧/٢٢٠ - ٢٢١). والحديث ضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي برقم (٤٥٨ - ٢٦٧٧).

(٢٨) - تقدم تخريجه قبل أربعة أحاديث.

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز، خ.

[٢] - في خ: يعني.

[٣] - بياض في ز، خ.

[٤] - سقط من: ز.

[٥] - في ز: «بكر».

[٦] - ما بين المعكوفين سقط من ت.

[٧] - في ز، خ: «لتنمو».

[٨] - سقط من ز.

[٩] - سقط من ز، خ.

ثمرة حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة حتىٰ الحنظلة (٢٩) .

وقال ابن عباس : ليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء . يعني أن بين ذلك بَونًا عظيمًا وفرقًا بينًا في التفاضل[١] .

مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (٥٤) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٥) فِيهِنَّ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ (٥٦) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٧) كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ (٥٨) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٩) هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ (٦٠) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦١)

يقول تعالىٰ : ﴿ **متكئين** ﴾ ، يعني أهل الجنة . والمراد بالاتكاء هاهنا : الاضطجاع . ويقال : الجلوس علىٰ صفة التربع ، ﴿ **علىٰ فرش بطائنها من إستبرق** ﴾ ، وهو : ما غلظ من الديباج . قاله عكرمة ، والضحاك ، وقتادة .

وقال أبو عمران الجوني : هو الديباج المغرىٰ بالذهب . فنبه علىٰ شرف الظهارة بشرف البطانة . وهذا من التنبيه بالأدنىٰ علىٰ الأعلىٰ .

قال أبو إسحاق عن هبيرة بن ريم[٢] ، عن عبد الله بن مسعود قال : هذه البطائن ، فكيف لو رأيتم الظواهر؟ وقال مالك بن دينار : / بطائنها من إستبرق ، وظواهرها من نور .

وقال سفيان الثوري - أو شريك - : بطائنها من إستبرق ، وظواهرها من نور جامد .

وقال القاسم بن [محمد][٣] : بطائنها من إستبرق ، وظواهرها من الرحمة .

وقال ابن شوذب ، عن أبي عبد الله الشامي : ذكر الله البطائن ولم يذكر الظواهر ، وعلىٰ الظواهر المحابس[٤] ، و[٥]لا يعلم ما تحت المحابس[٦] إلا الله . ذكر ذلك كله الإمام ابن

(٢٩) - في إسناده الحكم بن أبان : ضعيف ، والحديث ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٦/٢٠٤) وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

[١] - سقط من خ .
[٢] - في ز : « مريم » .
[٣] - بياض في ز ، خ .
[٤] - في ز ، خ : « المحاسن » .
[٥] - سقط من ت ، خ .
[٦] - في ز ، خ : « المحاسن » .

أبي حاتم .

﴿ **وجنىٰ الجنتين دان** ﴾ ، أي : ثمرهما[١] قريب إليهم ، متىٰ شاءوا تناولوه[٢] ، علىٰ أي صفة كانوا ، كما قال : ﴿ **قطوفها دانية** ﴾ وقال : ﴿**ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلًا**﴾ أي : لا تمتنع ممن[٣] تناولها ، بل تنحط إليه من أغصانها ، ﴿ **فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾ .

ولما ذكر الفرش وعظمتها قال بعد ذلك : ﴿ **فيهن** ﴾ ، أي : في الفرش ﴿ **قاصرات الطرف** ﴾ ، أي : غضيضات عن غير أزواجهن ، فلا يرين شيئًا أحسن في الجنة من أزواجهن . قاله ابن عباس ، وقتادة ، وعطاء الخراساني ، وابن زيد .

وقد ورد أن الواحدة منهن تقول لبعلها : واللَّه ما أرىٰ في الجنة شيئًا أحسن منك ، ولا في الجنة شيء أحب إليَّ منك ، فالحمد للَّه الذي جعلك لي وجعلني لك (٣٠) .

﴿ **لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان** ﴾ ، أي : بل هن أبكار عُرُبٌ أتراب ، لم يطأهن [أحد][٤] قبل أزواجهن من الإِنس والجن . وهذه أيضًا من الأدلة علىٰ دخول مؤمني الجن الجنة .

قال أرطاة بن المنذر: سئل ضمُرة بن حبيب: هل يدخل الجن الجنة؟ قال: نعم وينكحون ، للجن جنيات ،وللإنس إنسيات . وذلك قوله : ﴿**لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾ .

ثم قال ينعتهن للخطاب : ﴿ **كأنهن الياقوت والمرجان** ﴾ ، [قال مجاهد ، والحسن ، وابن زيد ، وغيرهم : في صفات الياقوت وبياض المرجان][٥]. فجعلوا المرجان هاهنا اللؤلؤ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن حاتم ، حدثنا عَبيدة بن حُميد ، عن عطاء بن السائب ، عن عمرو بن ميمون الأودي ، عن عبد اللَّه بن مسعود ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **إن المرأة من [نساء][٦] أهل الجنة ليرىٰ بياض ساقها من وراء سبعين حُلَّة من الحَرير**[٧] ، [**حتىٰ يرىٰ مخّها**][٨] **وذلك أن اللَّه تعالىٰ يقول** : ﴿ **كأنهن**

---

(٣٠) - هو جزء من حديث ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤/٤٤٢ -٤٤٣) وعزاه إلى أبي يعلى والبيهقي من رواية إسماعيل بن رافع أبي رافع ، انفرد به عن محمد بن يزيد بن أبي زياد عن محمد =

---

[١] - في ز : « ثمرها » .
[٢] - في ز : « يتناولوه » .
[٣] - في ز : « من » .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .
[٦] - سقط من ز ، خ .
[٧] - في ز : « حرير » .
[٨] - سقط من : ز . وبياض في خ .

الياقوت والمرجان ﴾ ، فأما الياقوت فإنه حَجَرٌ لو أدخلت فيه سلكًا ثم استصفيته لرأيته من ورائه .

وهكذا رواه الترمذي من حديث عَبِيدةَ بن حميد وأبي / [٧ز / ١٠ظ] الأحوص ، عن عطاء بن السائب ، به(٣١) . ورواه موقوفًا (٣٢) ، ثم قال : وهو أصح (٣٣) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان[١] ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا يونس ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين ، علىٰ كل واحدة سبعون حلة ، يرىٰ مخ ساقها من وراء الثياب** » (٣٤) .

تفرد به الإمام أحمد من هذا الوجه . وقد رواه مسلم من حديث إسماعيل ابن عُلَيَّة ، عن أيوب ، عن محمد بن سيرين [قال][٢] : إما تفاخروا وإما[٣] تذاكروا ، الرجال أكثر في الجنة أم النساء ؟ فقال أبو هريرة : أو لم يقل أبو القاسم صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إن أول زمرة تدخل الجنة علىٰ صورة القمر ليلة البدر ، والتي تليها علىٰ أضوء كوكب دُرِّي في السماء ، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان ، يرىٰ مخ سوقهما[٤] من وراء اللحم ، وما في الجنة أعزب** »(٣٥) .

وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث همام بن منبه وأبي زرعة ؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه (٣٦) .

= ابن كعب عن رجل من الأنصار عن أبي هريرة . وإسماعيل هذا ضعيف الحفظ .

(٣١) - سنن الترمذي في كتاب : صفة الجنة ، باب : في صفة أهل الجنة ، حديث (٢٥٣٦) (٧/ ٢١٦) .

(٣٢) - سنن الترمذي في كتاب : صفة الجنة ، باب : في صفة أهل الجنة ، حديث (٢٥٣٥) (٧/ ٢١٦) .

(٣٣) - وأخرجه برقم (٢٥٣٦) من طريق جرير موقوفًا .

(٣٤) - المسند (٢/ ٣٤٥) . وإسناده صحيح وقد رواه مسلم من طرق أخرى بمعناه ، انظر التالي .

(٣٥) - صحيح مسلم ، كتاب : صفة الجنة ، باب : أول زمرة تدخل الجنة ، حديث (٢٨٣٤/١٤) (١٧/ ٢٥٠) .

(٣٦) - صحيح البخاري ، كتاب : أحاديث الأنبياء ، باب : خلق آدم وذريته ، حديث (٣٣٢٧) (٦/ ٣٦٢) ، ومسلم في كتاب : الجنة ، باب : أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر .....، حديث (٢٨٣٤/١٥) (١٧/ ٢٥١) . كلاهما من حديث أبي زرعة عنه ، به . وأخرجه مسلم برقم (١٧/ ٢٨٣٤) (١٧/ ٢٥٣) من حديث همام عنه ، به .

---

[١] - في ز ، خ : « عثمان » .

[٢] - بياض في : ز .

[٣] - في ز : « إما » .

[٤] - في خ : ساقها .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر ، حدثنا محمد بن طلحة ، عن حميد ، عن أنس أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **لغدوة في سبيل اللَّه أو رَوحةٌ خيرٌ من الدنيا وما فيها ، ولقاب قوس أحدكم - أو موضع قيده ؛ يعني سوطه - من الجنة خير من الدنيا وما فيها ، ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلىٰ الأرض لملأت ما بينهما ريحًا ، ولطاب ما بينهما ، ولنَصِيفها على رأسها خيرٌ من الدنيا وما فيها** »(٣٧) .

ورواه البخاري من حديث أبي إسحاق ، عن حُمَيد ، عن أنس بنحوه وقوله : ﴿ **هل جزاء الإحسان إلا الإحسان** ﴾ ، أي : ما لمن أحسن في الدنيا العمل إلا الإحسان إليه في الدار الآخرة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **للذين أحسنوا الحسنىٰ وزيادة** ﴾(٣٨) .

وقال البغوي : أخبرنا أبو سعيد الشَريحِيّ ، حدثنا أبو إسحاق الثعلبي ، أخبرني ابن فَنجوَيه[١] ، حدثنا ابن شيبة ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن بهرام ، حدثنا الحجاج بن يوسف المكتب ، حدثنا بشر بن الحسين ، عن الزبير بن عَدي ، عن أنس بن مالك قال : قرأ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **هل جزاء الإحسان إلا الإحسان** ﴾ ، وقال : « **هل تدرون ما قال ربكم ؟** » قالوا : اللَّه ورسوله أعلم . قال : « **يقول : هل جزاء من أنعمتُ عليه بالتوحيد إلا الجنة** » .

ولما كان في الذي ذُكِرَ نعمٌ عظيمة لا يقاومها عمل ، / بل مجرد تفضل وامتنان ، قال بعد ذلك كله : ﴿ **فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾ ؟ .

ومما يتعلق بقوله تعالىٰ : ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾ ، ما رواه الترمذي والبغوي ، من حديث أبي النضر[٢] هاشم بن القاسم ، عن أبي عَقيل الثقفي ، عن أبي فروة يزيد بن سنَان الرّهاوي ، عن بكير بن فيروز ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إن سلعة اللَّه غالية ، ألا إن سلعة اللَّه الجنة** » (٣٩) .

ثم قال الترمذي : غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي النضر .

(٣٧) - المسند (١٤١/٣) (١٢٤٥٨) .

(٣٨) - صحيح البخاري ، كتاب : الجهاد ، باب : الحور العين وصفتهن ، حديث (٢٧٩٦) (١٥/٦) .

(٣٩) - سنن الترمذي ، كتاب : صفة القيامة ، باب : من خاف أدلج وسلعة الله غالية ، حديث (٢٤٥٢) (١٦٠/٧) . وأبو فروة : يزيد بن سنان : ضعيف . وبكير بن فيروز ؛ قال الحافظ : مقبول . وصحح هذا الحديث الشيخ الألباني بشواهده في الصحيحة (٢٣٣٥) .

[١] - في ز : « فتحويه » . [٢] - في ز ، خ : « النضر بن » .

وروىٰ البغوي من حديث علي بن حجر ، عن إسماعيل بن جعفر ، عن محمد بن أبي حرملة - مولىٰ حويطب بن عبد العزىٰ - عن عطاء بن يسار ، عن أبي الدرداء أنه سمع رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقص علىٰ المنبر وهو يقول : « ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان**﴾ » . قلت : وإن زنىٰ وإن سرق يا رسول اللَّه ؟ فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾ » . [فقلت الثانية : وإن زنىٰ وإن سرق يا رسول اللَّه ؟ فقال : ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾][١] . فقلت الثالثة : وإن زنىٰ وإن سرق يا رسول اللَّه ؟ [فقال][٢]: « **وإن رَغِم أنف أبي الدرداء** »(٤٠) .

وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

هاتان الجنتان دون اللتين قبلهما في المرتبة والفضيلة والمنزلة بنص القرآن ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **ومن دونهما جنتان** ﴾ ، وقد تقدم في الحديث : « **جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما** » . فالأوليان[٣] للمقربين ، والأخريان[٤] لأصحاب اليمين .

وقال أبو موسىٰ : جنتان من ذهب [للمقربين][٥] ، وجنتان من فضة لأصحاب اليمين .

وقال ابن عباس : ﴿ **ومن دونهما جنتان** ﴾ ، من دونهما في الدرج[٦] . وقال ابن زيد :

---

(٤٠) - تقدم تخريجه قريبًا من طريق محمد بن أبي حرملة عند النسائي في الكبرى .

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من خ .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز : « فالأولتان » .
[٤] - في ز : « والأخيرتان » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « المدرج » .

من دونهما في الفضل .

والدليل على شرف الأولين على الأخريين وجوه :

أحدها : أنه نعت الأولين[١] قبل هاتين ، والتقديم يدل على الاعتناء . / ثم قال : ﴿ ومن دونهما جنتان ﴾ وهذا ظاهر في شرف التقدم[٢] وعلوه [على الثاني][٣] .

وقال هناك : ﴿ ذواتا أفنان ﴾ ، وهي الأغصان أو[٤] الفنون في الملاذ ، وقال هاهنا : ﴿ مدهامتان ﴾ ، أي : سوداوان من شدة [الري .

قال ابن عباس في قوله : ﴿ مدهامتان ﴾ : قد اسودتا من الخضرة من شدة الري][٥] من الماء .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا ابن فضيل ، حدثنا عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : ﴿ مدهامتان ﴾ ، قال : خضراوان . وروي عن أبي أيوب الأنصاري ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن أبي أوفى ، وعكرمة ، وسعيد ابن جُبَير ، ومجاهد - في إحدى الروايات - وعطاء ، وعطية العوفي ، والحسن البصري ، ويحيى بن رافع ، وسفيان الثوري ، نحو ذلك .

وقال محمد بن كعب : ﴿ مدهامتان ﴾ : ممتلئتان من الخضرة . وقال قتادة : خضراوان من الري ناعمتان . ولا شك في نضارة الأغصان على الأشجار المشتبكة بعضها في بعض . وقال هناك : ﴿ فيهما عينان تجريان ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ نضاختان ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : أي فياضتان[٦] . والجري أقوى من النضخ .

وقال الضحاك : ﴿ نضاختان ﴾ أي : ممتلئتان لا ينقطعان .

وقال هناك : ﴿ فيهما من كل فاكهة [زوجان ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ فيهما فاكهة][٧] ونخل ورمان ﴾ ، ولا شك أنّ الأولى[٨] أعم وأكثر في الأفراد والتنويع على فاكهة ، وهي نكرة في سياق الإثبات لا تعم . ولهذا فُسّر قوله : ﴿ ونخل ورمان ﴾ من باب عطف الخاص على العام ، كما قرره البخاري وغيره ، وإنما أفرد النخل والرمان بالذكر لشرفهما على غيرهما .

---

[١] - في ز : « الأولتين » .
[٢] - في خ : التقدم .
[٣] - في خ : في الأواني .
[٤] - في خ : و .
[٥] - في خ : الذي .
[٦] - في خ : نضاختان .
[٧] - ما بين المعكوفين سقط من خ .
[٨] - في ز ، خ : « الأول » .

قال عبد بن حميد : حدثنا يحيىٰ بن عبد الحميد ، حدثنا حصين بن عمر ، حدثنا [مخارق][١] ، عن طارق بن[٢] شهاب ، عن عمر بن الخطاب قال : جاء أناس من [اليهود][٣] إلىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد ، أفي الجنة فاكهة ؟ قال : « **نعم ، فيها فاكهة ونخل ورمان** » . قالوا : أفيأكلون كما يأكلون في الدنيا ؟ قال : « **نعم وأضعاف** » . قالوا : فيقضون الحوائج ؟ قال : « **لا ، ولكنهم يَعرقُون ويرشَحُون ، فيذهب الله ما في بطونهم من أذىٰ** » (٤١) .

و[٤]قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا الفضل بن دكين ، حدثنا سفيان ، عن حماد ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس قال : / نخل الجنة سعفها كسوة[٥] لأهل الجنة ، منها مُقَطَّعَاتهم ، ومنها حُلَلهم وكرَبُها[٦] ذهب أحمر ، وجذوعها زمرّد أخضر ، وثمرها أحلىٰ من العسل ، وألين من الزبد ، وليس له عجم (٤٢) .

وحدثنا أبي : حدثنا موسىٰ بن إسماعيل ، حدثنا حماد - هو ابن سلمة[٧] - عن أبي هارون ، عن أبي سعيد الخدري ، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **نظرت إلىٰ الجنة فإذا الرّمانة من رمانها كمثل البعير المقتَب** » (٤٣) .

ثم قال : ﴿ **فيهن خيرات حسان** ﴾ . قيل : المراد خيرات كثيرة حسنة في الجنة . قاله قتادة . وقيل : خيرات ، جمع خيرة ، وهي المرأة الصالحة الحسنة الخُلُق الحسنة الوجه . قاله الجمهور . ورُوي مرفوعًا عن أم سلمة (٤٤) . وفي الحديث الآخر الذي سنورده في « **سورة**

---

(٤١) - أخرجه عبد بن حميد والحارث كما في المطالب العالية لابن حجر (٤٠١/٤) (٤٦٧٧) . والحصين بن عمر الأحمسي متروك ، وبقية إسناده ثقات .

(٤٢) - إسناده صحيح ، رجاله ثقات .

(٤٣) - في إسناده أبو هارون العبدي ، وهو عمارة بن جوين متروك ومنهم من كذبه .

(٤٤) - أخرجه الطبري (١٥٨/٢٧) . والطبراني في الكبير (٣٦٧/٢٣ - ٣٦٨) (٨٧٠) .

كلاهما من طريق سليمان بن أبي كريمة عن هشام بن حسان عن الحسن عن أمه ، عن أم سلمة - رضي الله عنها - مرفوعًا .

قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٢٢/٧) : رواه الطبراني وفيه سليمان بن أبي كريمة ضعفه أبو حاتم وابن عدي .

---

[١] - في ز ، خ : طارق .

[٢] - في ز ، خ : عن .

[٣] - بياض في ز ، خ .

[٤] - سقط في : ز .

[٥] - في خ : « أكسوة » .

[٦] - في ز : « كونها » .

[٧] - في ز ، خ : « أسلم » .

الواقعة » : أن الحور العين يغنين : نحن الخيرات الحسان ، خلقنا لأزواج كرام . ولهذا قرأ بعضهم : ﴿ **فيهن خيّرات حسان**﴾ بالتشديد . ﴿ **فبأي الاء ربكما تكذبان** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **حور مقصورات في الخيام** ﴾ ، وهناك قال : ﴿ **فيهن قاصرات الطرف** ﴾ ، ولا شك أن التي قد قَصرت طرفها بنفسها أفضل ممن قُصرت ، وإن كان الجميع مخدرات .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا عمرو بن عبد اللّه الأودي ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن جابر ، عن القاسم بن أبي بَزة ، عن أبي عبيدة ، عن مسروق ، عن عبد اللّه قال : [إن][١] لكل مسلم خَيرة ، ولكل[٢] خَيّرة خيمة ، ولكل خيمة أربعة أبواب ، يدخل عليه كل يوم تحفة وكرامة وهدية لم تكن قبل ذلك ، لا مرّحات[٣] ولا طماحات[٤] ولا بخرات ولا ذفرات[٥] ، حور عين ، كأنهن بيض مكنون(٤٥) . وقوله : ﴿ **في الخيام** ﴾ ، قال البخاري :

حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد ، حدثنا أبو عمران الجوني ، عن أبي بكر بن عبد اللّه بن قيس ، عن أبيه أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال : « **إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة ، عرضها ستون ميلًا ، في كل زاوية منها أهلٌ ما يَرون الآخرين ، يطوف عليهم المؤمنون** »(٤٦) . ورواه أيضًا من حديث أبي[٦] عمران به ، وقال : « **ثلاثون ميلًا** »(٤٧) . وأخرجه مسلم من حديث أبي عمران به ولفظه : « **إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة ، طولها ستون ميلًا ، للمؤمن[٧] فيها أهله[٨] ، يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضًا** »(٤٨) .

---

(٤٥) - في إسناده جابر وهو ابن يزيد الجعفي : ضعيف .

(٤٦) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **حور مقصورات في الخيام** ﴾ حديث (٤٨٧٩) (٦٢٤/٨) .

(٤٧) - أخرجه البخاري في كتاب : بدء الخلق ، باب : ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ، حديث (٣٢٤٣) (٣١٨/٦) .

(٤٨) - أخرجه مسلم في كتاب : الجنة وصفة نعيمها ، باب : في صفة خيام الجنة ، (٢٨٣٨/٢٣) (١٧/ ٢٥٦) .

---

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - في ز : « ولعل » .

[٣] - في ز ، خ : مرجان .

[٤] - في ز : « لحماحار » . وغير واضحة في خ .

[٥] - في خ : فرات .

[٦] - سقط من ز ، خ .

[٧] - في ت : « للمؤمن » .

[٨] - في ت : « أهله » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن أبي الربيع ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن قتادة ، أخبرني / خُليد العَصري ، عن أبي الدرداء قال : الخيمة لؤلؤة واحدة ، فيها سبعون بابًا من در .

وحدثنا أبي ، حدثنا عيسىٰ بن أبي فاطمة ، حدثنا جرير ، عن هشام ، عن محمد بن المثنىٰ ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **حور مقصورات في الخيام** ﴾ ، قال في خيام اللؤلؤ ، وفي الجنة خيمة واحدة من لؤلؤة ، أربعة فراسخ في أربعة فراسخ ، عليها أربعة آلاف مصراع من الذهب (٤٩) .

وقال عبد اللَّه بن وهب : أخبرنا عمرو أن درّاجًا أبا السَّمْح حدثه ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **أدنىٰ أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم ، واثنتان وسبعون زوجة ، وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت ، كما بين الجابية وصنعاء** » .

ورواه الترمذي من حديث عمرو بن الحارث به (٥٠) .

وقوله : ﴿ **لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان** ﴾ : تقدم مثله سواء ، إلا أنه زاد في وصف الأوائل بقوله : ﴿ **كأنهن الياقوت والمرجان * فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾ .

وقوله : ﴿ **متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان** ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : الرفرف : المحابس . وكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك ، وغيرهم : هي المحابس . وقال العلاء بن بدر : الرفرف علىٰ السرير ، كهيئة المحابس المتدلي .

وقال عاصم الجَحْدَري : ﴿ **متكئين علىٰ رفرف خضر** ﴾ ، يعني : الوسائد . وهو قول الحسن البصري في رواية عنه . وقال أبو داود الطيالسي ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير في قوله : ﴿ **متكئين علىٰ رفرف خضر** ﴾ قال : الرفرف رياض الجنة .

وقوله : ﴿ **وعبقري حسان** ﴾ ، قال ابن عباس ، وقتادة ، والضحاك ، والسدي : العبقري : الزرابي . وقال سعيد بن جبير : هي عتاق الزرابي ، يعني : جيادها وقال مجاهد :

---

(٤٩) - أخرجه الطبري (١٦١/٢٧) عن شيخه يحيى بن طلحة اليربوعي عن فضيل بن عياش عن هشام به ، ويحيى هذا لين .

(٥٠) - أخرجه الترمذي في كتاب : صفة الجنة ، باب : ما جاء ما لأهل الجنة من الكرامة ، حديث (٢٥٦٥) (٢٣٩/٧) . وفي إسناده رشدين بن سعد وهو ضعيف ، ودراج أبو السمح ضعيف في أبي الهيثم .

العبقري : الديباج وسُئل الحسن البصري عن قوله : ﴿ وعبقري حسان ﴾ ، فقال : هي بُسُط أهل الجنة - لا أبا لكم - فاطلبوها .

وعن الحسن رواية : أنها المرافق . وقال زيد بن أسلم : العبقري : أحمر وأصفر وأخضر . وسئل العلاء بن زيد عن العبقري فقال : البسط أسفل من ذلك . وقال أبو حَزْرَة[١] يَعقوب ابن مجاهد : العبقري : من ثياب أهل الجنة ، لا يعرفه أحد . وقال أبو العالية : العبقري : الطنافس المُخملَة ، / إلىٰ الرّقة ما هي .

وقال القُتيبي : كل ثوب مُوشي عند العرب عبقري . وقال أبو عُبيدة : هو منسوب إلىٰ أرض يعمل بها الوشي وقال الخليل بن أحمد : كل شيء يُسر من الرجال وغير ذلك يسمىٰ عند العرب عبقريًا . ومنه قول النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم في عمر : « **فلم أر عبقريًا يَفْري فَرْيه** » (٥١) .

وعلىٰ كل تقدير فصفة [مرافق][٢] أهل الجنتين الأولين أرفعُ وأعلىٰ من هذه الصفة ، فإنه قد قال هناك : ﴿ **متكئين علىٰ فرش بطائنها من إستبرق** ﴾ ، فنعت بطائن فرشهم وسكت عن ظهائرها ، اكتفاءً بما مَدَح به البطائن بطريق الأولىٰ والأحرىٰ .

وتمام الخاتمة أنه قال بعد الصفات المتقدمة : ﴿ **هل جزاء الإحسان إلا الإحسان** ﴾ فوصف أهلها بالإحسان وهو أعلىٰ المراتب والنهايات . كما في حديث جبريل لمَّا سأل عن الإسلام ، ثم الإيمان ، ثم الإحسان (٥٢) . فهذه وجوه عديدة في تفضيل الجنتين الأولين علىٰ هاتين الأخريين ، ونسأل اللّه الكريم الوهاب أن يجعلنا من [أهل][٣] الأولين .

ثم قال : ﴿ **تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام** ﴾ ، أي : هو أهل أن يجل فلا يعصىٰ ، وأن يكرم فيعبد ، ويشكر فلا يكفر ، وأن يذكر فلا ينسىٰ .

وقال ابن عباس : ﴿ **ذي الجلال والإكرام** ﴾ : ذو العظمة والكبرياء .

---

(٥١) - أخرجه البخاري في كتاب المناقب ، باب : علامات النبوة في الإسلام ، حديث (٣٦٣٣) (٦/ ٦٣٠) وأطرافه في [٣٦٧٦، ٣٦٨٢، ٧٠١٩، ٧٠٢٠] . ومسلم في كتاب : فضائل الصحابة ، باب : فضائل عمر ، حديث (٢٣٩٣/١٩) (٢٣١/١٥) .

(٥٢) - تقدم تخريجه في تفسير قول الله - عز وجل - من سورة الحجرات : ﴿ **قالت الأعراب آمنا ...** ﴾ الآية .

---

[١] - في ت : « أبو حرزة » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - سقط من : ز .

وقال الإمام أحمد : حدثنا موسىٰ بن داود ، حدثنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان ، عن عمر[١] بن هانىء .

عن أبي العزراء ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أجلوا الله يغفر لكم** » (٥٣) .

وفي الحديث الآخر : « **إن من إجلال اللّٰه إكرام ذي الشيبة المسلم ، وذي السلطان ، وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه** » (٥٤) .

وقال الحافظ أبو يعلىٰ : حدثنا أبو يوسف الحيري[٢] ، حدثنا مُؤمل بن إسماعيل ، حدثنا حماد ، حدثنا حميد الطويل ، عن أنس أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم [قال][٣] « **ألظّوا بيا ذا الجلال والإكرام** » (٥٥) . وكذا رواه الترمذي ، عن محمود بن غَيلان ، عن مُؤمل بن إسماعيل ، عن حماد بن سلمة ، به . ثم قال : « **غلط المؤمل فيه ، وهو غريب وليس بمحفوظ ، وإنما يروىٰ هذا غير[٤] حماد بن سلمة ، عن حميد ، عن الحسن ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم** » (٥٦) .

---

(٥٣) - أخرجه أحمد (١٩٩/٥) (٢١٨٢٥) وفي إسناده أبو العذراء ، قال ابن حجر في « التعجيل » قال أبوحاتم : مجهول .

وذكر الحديث الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٣٦/١) وقال : رواه أحمد وفيه أبو العذراء وهو مجهول .

(٥٤) - أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٢١/٧ - ٢٢) (٦٧٣٦) من طريق عبد الرحمن بن سليمان بن أبي الجون عن محمد بن صالح المدني عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - مرفوعًا .

قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٢١٨/٥) : وفي إسناده عبد الرحمن بن سليمان بن أبي الجون : وثقه ابن حبان ودحيم وضعفه أبو داود وغيره ، وبقية رجاله ثقات .

(٥٥) - أخرجه أبو يعلى (٤٤٥/٦) (٣٧٣٣) وفي إسناده مؤمل وهو وإن كان صدوقًا - سيئ الحفظ . وانظر التالي .

(٥٦) - أخرجه الترمذي في كتاب : الدعوات ، باب : (٩٩) ، حديث (٣٥٢٣) (١٨٦/٩) وضعفه . وأخرجه من طريق آخر عن أنس قبل هذا الحديث وضعفه أيضًا .

قال أبو حاتم : هذا خطأ ؛ أخطأ المؤمل .اهـ علل الحديث (١٩٢/٢) لكن له شاهد من حديث ربيعة بن عامر سيأتي بعد هذا الحديث .

---

[١] - في ت : « عمير » .

[٢] - في ت : « الحربي » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - في ت : « عن » .

وقال الإِمام أحمد : حدثنا [إبراهيم][١] بن إسحاق ، حدثنا عبد اللَّه بن المبارك ، عن يحيىٰ بن حسان المقدسي ، عن ربيعة بن عامر قال : سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم / يقول : « **أَلِظُّوا بذي الجلال والإكرام** »(٥٧) . ورواه النسائي من حديث عبد اللَّه ابن المبارك ، به (٥٨) .

قال الجوهري : ألظ فلان بفلان : إذا لزمه .

وقول ابن مسعود : ألظوا بيا ذا الجلال والإِكرام . أي : الزموا . ويقال : الإِلظاظ هو الإِلحاح .

قلت : وكلاهما قريب من الآخر - واللَّه أعلم - وهو المداومة واللزوم والإِلحاح . وفي صحيح مسلم والسنن الأربعة ، من حديث عبد اللَّه بن الحارث ، عن عائشة قالت : كان رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم إذا سَلّم لا يقعد - يعني بعد الصلاة - إلا قدر ما يقول : « **اللَّهم أنت السلام ومنك السلام ، تباركت ذا الجلال والإِكرام** »(٥٩)

[آخر تفسير سورة الرحمن ، وللَّه الحمد]

☆ ☆ ☆

(٥٧) - أخرجه أحمد (١٧٧/٤) (١٧٦٤٦) وإسناده حسن .

(٥٨) - سنن النسائي الكبرى ، كتاب : النعوت ، باب : ذو الجلال والإكرام ، حديث (٧٧١٦) (٤/ ٤٠٩) . وفي « التفسير » ، باب : ذي الجلال والإكرام ، حديث (١١٥٦٣) . والحديث صححه الألباني في الصحيحة (١٥٣٦) .

(٥٩) - أخرجه مسلم في كتاب : المساجد ، باب : استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته ، حديث (٥٩١/١٣٥) (١٢٥/٥) .

[١] - سقط من : ز .

تفسير سورة الواقعة

وهي مكية

قال أبو إسحاق ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال أبو بكر : يا رسول الله ، قد شبتَ ! قال : « **شيبتني هود ، والواقعة ، والمرسلات ، وعَمّ يتساءلون ، وإذا الشمس كورت** » . رواه الترمذي(١) وقال : حسن غريب .

وقال الحافظ ابن عساكر(٢) في ترجمة عبد الله بن مسعود بسنده إلىٰ عمرو بن الربيع بن طارق المصري : حدثنا السري بن يحيىٰ الشيباني ، عن أبي شجاع ، عن أبي ظبية قال : مرض عبد الله مَرضَه الذي توفي فيه ، فعاده عثمان بن عفان فقال : ما تشتكي ؟ قال : ذنوبي . قال : فما تشتهي ؟ قال : رحمة ربي . قال : ألا آمر لك بطبيب ؟ قال : الطبيب أمرضني . قال : ألا آمر لك بعطاء ؟ قال : لا حاجة لي فيه . قال : يكون [لبناتك][١] من بعدك ؟ قال : أتخشىٰ علىٰ بناتي الفقر؟ إني أمرت[٢] بناتي [يقرأن][٣] كل ليلة سورة الواقعة ، إني سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدًا** » .

ثم قال ابن عساكر : كذا قال ، والصواب عن « شجاع » ، كما رواه عبد الله بن وهب ، عن السري .

وقال عبد الله بن وهب : أخبرني السري بن يحيىٰ أن شجاعًا حدثه ، عن أبي ظبية ، عن عبد الله بن مسعود قال : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **من قرأ**

---

(١) تقدم تخريجه في سورة هود .

(٢) - **ضعيف** ، تاريخ دمشق (ل ٢٩٤) ، ورواه ابن عبد البر في التمهيد (٢٦٩/٥) من طريق حبشي بن عمرو بن الربيع ، عن أبيه عمرو بن الربيع المصري ، به .

ورواه ابن الجوزي في العلل المتناهية (١١٣/١) من طريق خالد بن خداش ، عن عبد الله بن وهب ، به .

ورواه عن أبي يعلى أبو بكر بن السني في عمل اليوم والليلة برقم (٦٧٤) . وذكره ابن حجر في المطالب العالية ، المرفوع منه (٣٨٣/٣) (٣٧٦٥) وعزاه للحارث .

وقال ابن عراق في تنزيه الشريعة (٣٠١/١) : حديث ابن مسعود أخرجه الحارث في مسنده . وأورده ابن الجوزي في الواهيات ، وقال : قال أحمد بن حنبل : هذا حديث منكر والله أعلم . اهـ وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٢٨٩) .

---

[١] - في ز : « لسانك » .

[٢] - في ز : « آمر » .

[٣] - في ز : « لله أن » .

سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدًا » . فكان أبو ظبية لا يدعها .

وكذا رواه أبو يعلىٰ ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن محمد بن منيب ، عن السري[١] بن يحيىٰ ، عن شجاع ، عن أبي ظبية ، عن ابن مسعود به . ثم رواه عن إسحاق بن أبي إسرائيل ، عن محمد بن [منيب العَدَني][٢] ، عن السري بن يحيىٰ ، عن أبي ظبية ، عن ابن مسعود : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبدًا** » لم يذكر في سنده « شجاعًا » ، قال : وقد أمرت بناتي أن يقرأنها كل ليلة(٣) .

وقد رواه ابن عساكر أيضًا من حديث حجاج بن نصير وعثمان [بن][٣] اليمان ، عن السري بن يحيىٰ ، [عن شجاع][٤] ، عن أبي فاطمة قال : مرض عبد اللَّه فأتاه عثمان بن عفان يعوده ، فذكر الحديث بطوله .

قال عثمان بن اليمان : كان أبو فاطمة هذا مولىٰ لعلي بن أبي طالب :

وقال أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا إسرائيل ويحيىٰ بن آدم ، حدثنا إسرائيل ، عن سماك بن حرب : أنه سمع جابر بن سمُرة يقول : كان رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يصلي الصلوات كنحو من صلاتكم التي تصلون اليوم ، ولكنه كان يخفف ، كانت صلاته أخف من صلاتكم ، وكان يقرأ في الفجر « **الواقعة** » ونحوها من السور(٤) .

إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾

(٣) - ينظر تخريج الحديث السابق .
(٤) - أخرجه أحمد (١٠٤/٥) (٢١٠٧١) . وفي إسناده سماك بن حرب صدوق وروايته عن عكرمة خاصة مضطربة - وليست هذه منها - وقد تغير بأخرة فكان ربما تلقن . وبقية إسناده ثقات .

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز : « المنيب العبدي » .
[٣] - في ز : « بن أبي » .
[٤] - سقط من ز .

الواقعة : اسم[١] من أسماء يوم القيامة ، سميت بذلك لتحقق كونها ووجودها ، كما قال : ﴿ **فيومئذٍ وقعت الواقعة** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ليس لوقعتها كاذبة** ﴾ أي : [ليس][٢] لوقوعها إذا أراد الله كونَها صارفٌ يصرفها ولا دافع يدفعها ، كما قال : ﴿ **استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله** ﴾ ، وقال : ﴿ **سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير** ﴾ .

ومعنىٰ ﴿ **كاذبة** ﴾ - كما قال محمد بن كعب - : لابد أن تكون . وقال قتادة : ليس فيها [مثنوية][٣] ولا ارتداد ولا رجعة .

قال ابن جرير : والكاذبة : / مصدر كالعاقبة والعافية .

وقوله : ﴿ **خافضة رافعة** ﴾ ، أي : تخفض أقوامًا إلىٰ أسفل السافلين إلىٰ الجحيم ، وإن كانوا في الدنيا أعزاء ، وترفع آخرين إلىٰ أعلىٰ علّيين إلىٰ النعيم المقيم[٤] ، وإن كانوا في الدنيا وُضَعَاء . وهكذا قال الحسن ، وقتادة وغيرهما .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا يزيد بن عبد الرحمن بن مصعب المعنى ، حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي ، عن أبيه ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ **خافضة رافعة** ﴾ : تخفض أناسًا وترفع آخرين (٥).

وقال عبيد الله العَتَكي ، عن عثمان بن سراقة ابن خالة عمر بن الخطاب : ﴿ **خافضة رافعة** ﴾ الساعة خفضت أعداء الله إلىٰ النار ، ورفعت أولياء الله إلىٰ الجنة .

وقال محمد بن كعب : تخفض رجالًا كانوا في الدنيا مرتفعين ، وترفع رجالًا كانوا في الدنيا مخفوضين .

وقال السدي : خفضت المتكبرين ورفعت المتواضعين .

وقال العَوفي ، عن ابن عباس : ﴿ **خافضة رافعة** ﴾ : أسمعت القريب والبعيد .

وقال عكرمة : خفضت فأسمعت الأدنىٰ ، ورفعت فأسمعت الأقصىٰ . وكذا قال

(٥) - في إسناده سماك بن حرب وفي روايته عن عكرمة اضطراب .

[١] - سقط من ت .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز : « تنويه » .
[٤] - سقط من ز ، خ .

الضحاك وقتادة .

وقوله : ﴿ إذا رجت الأرض رجًا ﴾ ، أي : حركت تحريكًا فاهتزت واضطربت بطولها وعرضها ؛ ولهذا قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، وغير واحد في قوله : ﴿ إذا رجت الأرض رجًا ﴾ ، أي : زلزلت زلزالًا .

وقال الربيع بن أنس: ترج بما فيها كرج الغربال بما فيه .

وهذه كقوله تعالىٰ : ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها ﴾ ، وقال تعالى : ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ .

وقوله : ﴿ وبست الجبال بسًا ﴾ ، أي : فُتِّتت فَتًا . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، وغيرهم . وقال[١] ابن زيد : صارت الجبال كما قال تعالىٰ : ﴿ كثيبًا مهيلًا ﴾ .

وقوله : ﴿ فكانت هباءً منبثًا ﴾ ، قال أبو إسحاق ، عن الحارث ، عن علي رضي الله عنه : ﴿ هباء منبثًا ﴾ كرهَج الغبار يسطع ثم يذهب ، فلا يبقىٰ منه شيء .

وقال العوفي ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ فكانت هباء منبثًا ﴾ : الهباء الذي يطير من النار إذا اضطرمت[٢] يطير منه الشرر ، فإذا وقع لم يكن شيئًا .

وقال عكرمة : المنبث : الذي قد ذرته الريح وبثته .وقال / قتادة : ﴿ هباء منبثًا ﴾ كيبيس الشجر الذي تذروه[٣] الرياح .

وهذه الآية كأخواتها الدالة علىٰ زوال الجبال عن أماكنها يوم القيامة ، وذهابها وتسييرها ونسفها[٤] وصيرورتها كالعهن المنفوش .

وقوله : ﴿ وكنتم أزواجًا ثلاثة ﴾ ، أي : ينقسم الناس يوم القيامة إلىٰ ثلاثة أصناف : قوم عن يمين العرش ، وهم [ ][٥] الذين خرجوا من شق آدم الأيمن ، ويؤتَون كتبهم[٦] بأيمانهم، ويؤخذ بهم ذات اليمين . قال السدي : وهم جمهور أهل الجنة . وآخرون عن يسار العرش ، وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيسر ويؤتون كتبهم بشمائلهم ، ويؤخذ بهم ذات الشمال ، وهم عامة أهل النار - عياذًا بالله من صنيعهم - وطائفة سابقون[٧] بين يديه

[١] - في ز : « وقاله » .
[٢] - في خ : « اضطربت » .
[٣] - في ز : « تذراه » .
[٤] - بعده في ت : أي قلعها .
[٥] - في ز : من .
[٦] - في ت ، خ : كتابهم .
[٧] - في خ : منافقون .

وهم أخص وأحظىٰ وأقرب من أصحاب اليمين الذين[١] هم ساداتهم[٢] ، فيهم الرسل والأنبياء والصديقون والشهداء، وهم أقل عددًا من أصحاب اليمين ؛ ولهذا قال : ﴿ **فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة * وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة * والسابقون السابقون** ﴾ . وهكذا قسمهم إلىٰ هذه الأنواع الثلاثة في آخر السورة وقت احتضارهم ، وهكذا ذكرهم في قوله تعالىٰ : ﴿ **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله** ...﴾ الآية. وذلك على أحد القولين في الظالم لنفسه كما تقدم بيانه .

قال سفيان الثوري ، عن جابر الجعفي ، عن مجاهد ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وكنتم أزواجًا ثلاثة** ﴾ ، قال : هي التي في سورة الملائكة : ﴿ **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات** ﴾ .

وقال ابن جريج ، عن ابن عباس: هذه الأزواج الثلاثة هم المذكورون في آخر السورة و[٣]في سورة الملائكة .

وقال يزيد الرقاشي : سألت ابن عباس عن قوله : ﴿ **وكنتم أزواجًا ثلاثة** ﴾ ، قال : أصنافًا ثلاثة .

وقال مجاهد : ﴿ **وكنتم أزواجًا ثلاثة** ﴾ ، يعني : فرقًا ثلاثة . وقال ميمون بن مهران : أفواجًا ثلاثة . وقال عُبيد الله العَتَكي[٤] ، عن عثمان بن سُراقة ابن خالة عمر بن الخطاب : ﴿ **وكنتم أزواجًا ثلاثة** ﴾ : اثنان في الجنة ، وواحد في النار .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد / بن الصباح ، حدثنا الوليد بن أبي ثَور ، عن سماك ، عن النعمان بن بشير ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **وإذا النفوس زوجت** ﴾ ، قال : الضرَباء ، [ ][٥] كل رجل من كل قوم كانوا يعملون عمله ، وذلك بأن الله يقول : ﴿ **وكنتم أزواجًا ثلاثة * فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة * وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة * والسابقون السابقون** ﴾ ، قال : هم الضرَباء(٦) .

وقال الإِمام أحمد : حدثنا محمد بن عبد الله بن المثنىٰ ، حدثنا البراء الغنوي[٦] ، حدثنا

(٦) - في إسناده الوليد بن أبي ثور : ضعيف .

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ز : « سادتهم » .

[٣] - سقط من ت ، خ .

[٤] - في ز : « بن المعلى » .

[٥] - في ز : « قال » .

[٦] - في ز : « المعنوي » .

الحسن ، عن معاذ بن جبل : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم تلا هذه الآية : ﴿ **وأصحاب اليمين** ﴾ ، ﴿ **وأصحاب الشمال** ﴾ ، فقبض بيديه[١] قبضتين فقال : « **هذه للجنة ولا أبالي ، وهذه للنار ولا أبالي** »(٧) .

وقال أحمد أيضًا : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا خالد بن أبي عمران ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة ، عن رسول اللَّه - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - أنه قال : « **أتدرون من السابقون إلىٰ ظل اللَّه يوم القيامة ؟** » قالوا : اللَّه ورسوله أعلم . قال : « **الذين إذا أُعطوا الحق قَبِلُوه ، وإذا سئلوه[٢] بذلوه ، وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم** »(٨) .

وقال محمد بن كعب وأبو حَزْرَة يعقوب بن مجاهد : ﴿ **والسابقون السابقون** ﴾ : هم الأنبياء عليهم السلام . وقال السدي : هم أهل[٣] عليين . وقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : ﴿ **والسابقون السابقون** ﴾ ، قال : يوشع بن نون سبق إلىٰ موسىٰ ، [ومؤمن][٤] آل « **يس** » سبق إلىٰ عيسىٰ ، وعلي بن أبي طالب سبق إلىٰ محمد رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم . رواه ابن أبي حاتم ، عن محمد بن هارون الفلاس ، عن عبد اللَّه بن إسماعيل المدائني البزاز[٥] ، عن شعيب[٦] بن الضحاك المدائني ، عن سفيان بن عيينة ، عن ابن أبي نجيح به .

وقال ابن أبي حاتم : وذَكَر محمد بن أبي حماد ، حدثنا مهران ، عن خارجة ، عن قرة[٧] ، عن ابن سيرين : ﴿ **والسابقون السابقون** ﴾ ، الذين صلوا القبلتين[٨] .

ورواه ابن جرير من حديث خارجة[٩] به .

وقال الحسن وقتادة : ﴿ **والسابقون السابقون** ﴾ ، أي : من كل أمة .

وقال الأوزاعي ، عن عثمان بن أبي سودة أنه قرأ هذه الآية : ﴿ **والسابقون السابقون * أولئك المقربون** ﴾ ، ثم قال : أولهم رَوَاحًا إلىٰ المسجد ، وأولهم خروجًا في سبيل اللَّه /.

---

(٧) - أخرجه أحمد (٢٣٩/٥) (٢٢١٧٦) . وفي إسناده انقطاع بين الحسن ومعاذ ، والبراء ضعيف .
(٨) - أخرجه أحمد (٦٧/٦) (٢٤٤٩٠) . وفي إسناده ابن لهيعة وهو سيئ الحفظ .

---

[١] - في ت : « بيده » .
[٢] - في ز ، خ : « سئلوا » .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - في ز : « ومن » .
[٥] - في ز ، خ : « البزار » .
[٦] - في ز ، خ : « سفيان » .
[٧] - في خ : مرة .
[٨] - في ت : « للقبلتين » .
[٩] - في ز : « الخارجة » .

وهذه الأقوال كلها صحيحة ؛ فإن المرادَ بالسابقين هم المبادرون إلىٰ فعل الخيرات كما أمروا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وسارعوا إلىٰ مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض** ﴾ ، وقال : ﴿ **سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض** ﴾ . فمن سابق في هذه الدنيا وسَبَقَ إلىٰ الخير ، كان في الآخرة من السابقين إلىٰ الكرامة ، فإن الجزاء من جنس العمل ، وكما تدين تدان ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **أولئك المقربون * في جنات النعيم** ﴾(٩) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا يحيىٰ بن زكريا القزاز[١] الرازي ، حدثنا خارجة بن مُصعب ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن عبد اللَّه بن عمرو قال : قالت الملائكة : يا رب ، جعلت لبني آدم الدنيا فهم يأكلون ويشربون ويتزوجون ، فاجعل لنا الآخرة . فقال : لا أفعل . فراجعوا ثلاثًا ، فقال : لا أجعل من خلقت بيدي كمن قلت له : كن ، فكان ، ثم قرأ عبد اللَّه : ﴿ **والسابقون السابقون * أولئك المقربون * في جنات النعيم** ﴾ .

وقد روىٰ هذا الأثر الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه « **الرد علىٰ الجهمية** » ، ولفظه : فقال اللَّه عز وجل : « **لن أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي ، كمن قلت له : كن ، فكان** » .

ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوۡضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكۡوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحۡمِ طَيۡرٍ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِ ٱلۡمَكۡنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا وَلَا تَأۡثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾

(٩) - في إسناده خارجة بن مصعب : متروك . وكان يدلس عن الكذابين . وأخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية » (٤٨/١) من طريق آخر عن ابن عمر - رضي الله عنه - مرفوعًا . وقال : هذا حديث لا يصح ، وكان الحميدي يتكلم في عبد المجيد . وقال ابن حبان : يقلب الأخبار ويروي المنكرات عن المشاهير ؛ فاستحق الترك . قال الدارقطني : وقد رواه سريج بن يونس عن عبد المجيد فوقفه ، والموقوف أصح .

[١] - في ز ، خ : الفزاري .

يقول تعالىٰ مخبرًا عن هؤلاء السابقين المقربين : إنهم ﴿ثُلَّة﴾ ، أي : جماعة من الأولين وقليل من الآخرين . وقد اختلفوا في المراد بقوله ﴿ **الأولين** ﴾ و ﴿ **الآخرين** ﴾ . فقيل : المراد بالأولين الأمم الماضية ، وبالآخرين هذه الأمة . هذا رواية عن مجاهد ، والحسن البصري ، رواها[١] عنهما ابن أبي حاتم . وهو اختيار ابن جرير ، واستأنس بقوله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **نحن الآخرون السابقون يوم القيامة** »(١٠) . ولم يحك غيره ، ولا عزاه إلىٰ أحد /.

ومما يستأنس به لهذا القول ما رواه الإمام أبو محمد بن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن عيسىٰ بن الطباع ، حدثنا شريك ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : لما نزلت ﴿ **ثلة من الأولين * [وقليل من الآخرين** ﴾ ، شق ذلك علىٰ أصحاب النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فنزلت : ﴿ **ثلة من الأولين]**[٢] * **وثلة من الآخرين** ﴾ فقال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة ، ثلث أهل الجنة ، بل أنتم نصف أهل الجنة – أو : شَطر أهل الجنة – وتقاسمونهم النصف الثاني** »(١١) .

ورواه الإمام أحمد ، عن أسود بن عامر ، عن شريك ، عن محمد بياع الملاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ... فذكره(١٢) .

وقد روي من حديث جابر نحو هذا ، ورواه الحافظ ابن عساكر من طريق هشام بن عمار : حدثنا عبد ربه بن صالح ، عن عروة[٣] بن رُويم ، عن جابر بن عبد اللّٰه ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : [ ][٤] لما نزلت : ﴿ **إذا وقعت الواقعة** ﴾ ، ذكر [فيها][٥] ثلة من الأولين وقليل من الآخرين . قال عمر : يا رسول اللّٰه ، ثلة من الأولين وقليل منا ؟ [قال : فأمسك][٦] آخر السورة سنة ، ثم نزل : ﴿ **ثلة من الأولين * وثلة من الآخرين** ﴾ ، فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : [« **يا عمر**][٧] ، **تعال فاسمع ما قد**[٨] **أنزل اللّٰه : ﴿ ثلة من الأولين وثلة من الآخرين ﴾ ، ألا وإن من**[٩] **آدم إليَّ ثلة ، وأمتي ثلة** ، [ولن

(١٠) – تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية رقم (٢٢٤) .

(١١) – في إسناده محمد بن عبد الرحمن بن خالد بن ميسرة ، وأبوه ، وكلاهما قال عنه الحافظ في التقريب : مقبول . وشريك وهو ابن عبد الله النخعي وهو ضعيف من قبل حفظه .

(١٢) – أخرجه أحمد (٣٩١/٢) وإسناده كسابقه .

[١] – في ز : « رواه » .

[٢] – ما بين المعكوفين سقط من خ .

[٣] – في ز : « هروة » .

[٤] – في ز : « قال » .

[٥] – في ز ، خ : منها .

[٦] – بياض في ز .

[٧] – سقط من ز .

[٨] – سقط من ز .

[٩] – في ز ، خ : « بني » .

نستكمل ثلثنا حتىٰ نستعين بالسودان][١] **من رعاة الإبل ممن شهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له »**(١٣) .

هكذا أورده في ترجمة « عُرْوة بن رُوَيم » ، إسنادًا ومتنًا[٢] ، ولكن في إسناده نظر . وقد وردت طرق كثيرة متعددة بقوله صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة** ...»(١٤) الحديث بتمامه ، وهو مفرد في « **صفة الجنة** » وللَّه الحمد والمنة .

وهذا الذي اختاره ابن جرير هاهنا فيه نظر ، بل هو قول ضعيف ، لأن هذه الأمة هي خير الأمم بنص القرآن ، فيبعد أن يكون المقربون في غيرها أكثر منها[٣] ، اللَّهم إلا أن يقابل مجموع الأمم بهذه الأمة ، / والظاهر أن المقربين من هؤلاء أكثر من سائر الأمم ، واللَّه أعلم . فالقول الثاني في هذا المقام هو الراجح ، وهو أن يكون المراد بقوله : ﴿ **ثلة من الأولين** ﴾ ، أي : من[٤] صدر هذه الأمة ، ﴿ **وقليل من الآخرين** ﴾ ، أي : من هذه الأمة .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن محمد بن[٥] الصباح ، حدثنا عفان ، حدثنا عبد اللَّه بن بكر المزني[٦] ، سمعت الحسن أتىٰ علىٰ هذه الآية : ﴿ **والسابقون السابقون * أولئك المقربون** ﴾ ، فقال : أما السابقون فقد مضوا ، ولكن ، اللَّهم اجعلنا من أهل اليمين .

ثم قال : حدثنا أبي ، حدثنا أبو الوليد ، حدثنا السري بن يحيىٰ قال : قرأ الحسن : ﴿ **والسابقون السابقون * أولئك المقربون * [في جنات النعيم]**[٧] *** ثلة من الأولين** ﴾ قال : ثلة ممن مضىٰ من هذه الأمة .

---

(١٣) - أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١١/٥٥٥ - مخطوط) . وهشام بن عمار صدوق مقرئ كبر فصار يتلقن فحديثه القديم أصح . وعبد ربه بن صالح ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٦/٤٤) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا . وعروة بن رويم روايته عن جابر مرسلة كما في جامع التحصيل للعلائي (٢٣٦) .

(١٤) - أخرجه البخاري في كتاب : الأنبياء ، باب : قصة يأجوج ومأجوج ، حديث (٣٣٤٨) (٦/ ٣٨٢) .

ومسلم في كتاب : الإيمان ، باب : قوله : « يقول الله لآدم : أخرج بعث النار ... » ، حديث (٣٧٩ - ٢٢٢) (٣/١٢١ - ١٢٣) .

---

[١] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : « وإن يستعمل حتى نستعين بالسروان » .

[٢] - بياض في ز ، وسقط من خ .

[٣] - سقط من ز ، خ .

[٤] - سقط من ز ، خ .

[٥] - سقط من خ .

[٦] - في ز : المزي .

[٧] - سقط من ز ، خ .

وحدثنا أبي ، حدثنا عبد العزيز بن المغيرة المنقري ، حدثنا أبو هلال ، عن محمد بن سيرين أنه قال في هذه الآية : ﴿ **ثلة من الأولين * وقليل من الآخرين** ﴾ ، قال : كانوا يقولون أو يرجون أن يكونوا كلهم من هذه الأمة . فهذا قول الحسن وابن سيرين أن الجميع من هذه الأمة . ولا شك أن أول كل أمة خير من آخرها ، فيحتمل أن يعم الأمر جميع الأمم كل أمة بحسبها ؛ ولهذا ثبت في الصحاح وغيرها من غير وجه أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم** » [الحديث بتمامه (١٥) .

أما الحديث الذي رواه الإمام أحمد][١] حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا زياد أبو عمر ، عن الحسن ، عن عمار بن ياسر قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **مثل أمتي مثل المطر ، لا يدرىٰ أوله خير أم آخره** »(١٦) . فهذا الحديثُ - بعد[٢] الحكم بصحة إسناده - محمول علىٰ أن الدين كما هو محتاج إلىٰ أول الأمة في إبلاغه إلىٰ من بعدهم ، كذلك هو محتاج إلىٰ القائمين به في أواخرها ، وتثبيت الناس علىٰ السنة وروايتها وإظهارها ، والفضل للمتقدم[٣] ، وكذلك الزرع الذي يحتاج إلىٰ المطر الأول وإلىٰ المطر الثاني ، ولكن العمدة الكبرىٰ علىٰ الأول ، واحتياج الزرع إليه آكد ، فإنه لولاه ما نبت في الأرض [ولا تعلق][٤] أساسه فيها ، ولهذا قال - عليه السلام - : « **لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلىٰ قيام الساعة** » / - وفي لفظ : « **حتىٰ يأتي أمر اللّٰه وهم كذلك** »(١٧) .

والغرض أن هذه الأمة أشرف من سائر الأمم ، والمقربون فيها أكثر من غيرها وأعلىٰ منزلة ، لشرف دينها وعظَم نبيها ، ولهذا ثبت بالتواتر عن رسول اللّٰه - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - أنه أخبر أن في هذه الأمة سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ، وفي لفظ : « مع

---

(١٥) - أخرجه البخاري في كتاب : فضائل أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ، باب : (١) ، حديث (٣٦٥١) .

ومسلم في كتاب : فضائل الصحابة ، باب : فضل الصحابة ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، حديث (٢٥٣٣) (١٦/١٢٧ وما بعدها) . كلاهما من حديث عبد الله بن مسعود بنحو هذا اللفظ .

(١٦) - أخرجه أحمد (٤/٣١٩) (١٨٩٣٤) والحسن يدلس ويرسل . لكن حسن ابن حجر هذا الحديث بطرقه في فتح الباري (٧/٦) .

(١٧) - تقدم تخريجه في سورة البقرة آية : (١٢٩) . وهو حديث صحيح متفق عليه .

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ت .

[٢] - في ز : يبعد .

[٣] - في ز : متقدم .

[٤] - سقط من ز ، خ .

كل ألف سبعون ألفًا » ، وفي آخر : « **مع كل واحد سبعون ألفًا** »(١٨) .

وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا هشام[١] بن يزيد الطبراني ، حدثنا محمد – هو ابن إسماعيل بن عياش – حدثني أبي ، حدثني [ ][٢] ضمضم – يعني ابن زُرعة – عن شُريح – هو ابن عبيد – عن أبي مالك قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أما والذي نفسي بيده ، ليبعثن منكم يوم القيامة مثل الليل الأسود زُمرة جميعُها يحيطون الأرض ، تقول الملائكة : لَمّا جاء مع[٣] محمد ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أكثرُ مما جاء مع الأنبياء عليهم السلام** »(١٩).

وحسن أن يذكر هاهنا الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في « **دلائل النبوة** » حيث قال : أخبرنا أبو نصر بن قتادة ، أخبرنا أبو عمرو بن مطر ، حدثنا جعفر بن محمد بن المستفاض الفريابي ، حدثني أبو وهب الوليد بن عبد الملك بن عبد[٤] الله بن مسرح الحراني ، حدثنا سليمان بن عطاء القرشي الحراني ، عن مسلمة[٥] بن عبد الله الجُهني ، عن عمه أبي مَشْجَعَة بن ربعي ، عن ابن زمْل الجُهني – رضي الله عنه – قال : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إذا صلىٰ الصبح قال – وهو ثَانٍ [رجليه][٦] – : « **سبحان الله وبحمده ، أستغفر الله ، إن الله كان توابًا** » – سبعين مرة – ثم يقول : « **سبعين بسبعمائة ، لا خير لمن كانت ذنوبه في يوم واحد أكثر من سبعمائة** » . ثم يقول ذلك مرتين ، ثم يستقبل الناس بوجهه ، وكان يعجبه الرؤيا ، ثم يقول : « **هل رأى أحد منكم شيئًا ؟** » . قال [ابن زمل][٧] : فقلت : أنا يا رسول الله . فقال : « **خير تلقاه ، وشر توقاه ، وخير لنا ، وشر علىٰ أعدائنا ، والحمد لله رب العالمين ، اقصص رؤياك** » .

فقلت : رأيت جميع الناس علىٰ طريق رَحب سهل لاحب(*) ، والناس على الجادة منطلقين ، فبينما هم كذلك إذ أشفىٰ(**) ذلك الطريق على مرج لم تر عيني مثله ، يرف

(١٨) – تقدم تخريج هذه الروايات في تفسير سورة آل عمران آية : (١١٠) .

(١٩) – إسناده ضعيف ؛ شريح عن أبي مالك مرسل كما في جامع التحصيل (١٩٥) . وضمضم : صدوق يهم . ومحمد بن إسماعيل عابوا عليه أنه حدث عن أبيه بغير سماع .

(*) اللاحب : الطريق الواسع المنقاد الذي لا ينقطع . النهاية (٤/٢٣٥) .

(**) أي : أشرف عليه . انظر النهاية (٢/٤٨٩) .

[١] – في ز ، خ : هاشم .
[٢] – في ز : ابن .
[٣] – سقط من خ .
[٤] – في ت : عبيد .
[٥] – في ز ، خ : مسلم .
[٦] – في ت : رجله .
[٧] – في ز : « أبو رتل » . بلا نقط .

رفيقًا ، / يقطر ماؤه ، فيه من أنواع الكلأ ، قال : [وكأني][١] بالرعلة الأولىٰ حين أشفوا على المرج كبروا ، ثم أكبوا رواحلهم في الطريق ، فلم يظلموه[٢] يمينًا ولا شمالاً ، قال : فكأني أنظر إليهم منطلقين . ثم جاءت الرّعلة الثانية وهم أكثر منهم أضعافًا ، فلما أشفوا علىٰ المرج كبروا ثم أكبوا رواحلهم في الطريق [فمنهم المرتع][٣] ، ومنهم الآخذ الضغث . ومضوا علىٰ ذلك . قال : ثم قَدم عُظم الناس ، فلما أشفوا على المرج كبروا وقالوا : هذا خير المنزل . كأني أنظر إليهم يميلون يمينًا وشمالاً ، فلما رأيت ذلك لزمت الطريق حتىٰ آتي أقصىٰ المرج ، فإذا أنا بك يا رسول اللّه علىٰ منبر فيه سبع درجات وأنت في أعلاها درجة ، وإذا عن يمينك رجل آدم شثل[٤] أقنىٰ ، إذا هو تكلم يسمو فيفرع الرجال طولًا ، وإذا عن يسارك[٥] رجل ، ربعة باذّ كثير خيلان الوجه ، كأنما حُمّم شَعْره بالماء ، إذا هو تكلم أصغيتم إكرامًا له ، وإذا أمام ذلك رجل شيخ أشبه الناس بك خلقًا ووجهًا ، كلكم تؤمّونه تريدونه ، وإذا أمام ذلك ناقة عجفاء شارف ، وإذا أنت يا رسول اللّه كأنك تبعثها . قال : فامتقع لونُ رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم ساعة ثم سرّي عنه ، وقال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **أمّا ما رأيت من الطريق السهل الرحب اللاحب ، فذاك ما حُملتم عليه من الهدىٰ وأنتم عليه . وأما المرج الذي رأيت فالدنيا [وغضارة عيشها][٦] ، مضيت[٧] أنا وأصحابي لم نتعلق منها بشيء ، ولم تتعلق منا ، ولم نردها ولم تردنا . ثم جاءت الرّعلة الثانية من بعدنا وهم أكثر منا أضعافًا ، فمنهم المرتع[٨] ومنهم الآخذ الضغث ، ونجوا علىٰ ذلك . ثم جاء عُظْمُ الناس فمالوا في المَرْج يمينًا وشمالاً ، فإنا للّه وإنا إليه راجعون ، وأما أنت فمضيت علىٰ طريقة صالحة فلن تزال عليها حتىٰ تلقاني ، وأما المنبر الذي رأيت فيه سبع درجات وأنا في أعلاها درجة ، فالدنيا سبعة آلاف سنة ، أنا في آخرها [ألفًا . و][٩] أما الرجل الذي رأيتَ علىٰ يميني الآدَم الشّثل ، فذاك موسىٰ - عليه السلام - ، إذا تكلم يعلو الرجال بفضل كلام اللّه إياه ، والذي / رأيت عن يساري الباذّ الربعة الكثير خيلان الوجه كأنما حُمّم شعره بالماء ، فذاك عيسىٰ ابن مريم ، نكرمه لإكرام اللّه إياه . وأما الشيخ الذي رأيت أشبه الناس بي خلقًا ووجهًا فذاك أبونا إبراهيم ، كلنا نؤمّه ونقتدي به . وأما الناقة التي رأيت ورأيتني أبعثها ، فهي الساعة ، علينا تقوم ، لا نبي بعدي ، ولا أمة بعد أمتي**» . قال : فما سأل رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم عن رؤيا بعد هذا إلا أن يجيء

---

[١] - في ز ، خ : وكانوا .
[٢] - في خ : يكلموه .
[٣] - في ز : منهم المريع .
[٤] - في ز : شتل . وفي الدلائل : شعث .
[٥] - في الدلائل : يساره .
[٦] - في ز ، خ : وعصاك نصيب .
[٧] - سقط من ز ، خ .
[٨] - في ز : المرقع .
[٩] - سقط من ز .

الرجل فيحدثه بها متبرعًا(٢٠).

وقوله: ﴿ علىٰ سرر موضونة ﴾. قال ابن عباس: أي مرمولة[١] بالذهب؛ يعني: منسوجة به. وكذا قال مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وزيد بن أسلم، وقتادة، والضحاك، وغيره.

وقال السدي: مرمولة[٢] بالذهب واللؤلؤ. وقال عكرمة: مشبكة بالدر والياقوت. وقال ابن جرير: ومنه سمي وَضِين الناقة الذي تحت بطنها، وهو فعيل بمعنىٰ مفعول، لأنه مضفور، وكذلك السرر في الجنة مضفورة بالذهب واللآلئ.

وقوله[٣]: ﴿ متكئين عليها متقابلين ﴾، أي: وجوه بعضهم إلىٰ بعض، ليس أحد وراء أحد. ﴿ يطوف عليهم ولدان مخلدون ﴾، أي: مخلدون علىٰ صفة واحدة، لا يكبرون عنها ولا يشيبون ولا يتغيرون، ﴿ بأكواب وأباريق وكأس من معين ﴾، أما الأكواب فهي: الكيزان التي لا خراطيم لها ولا آذان، والأباريق: التي جمعت الوصفين. والكئوس: الهنابات، والجميع من خمر من عين جارية معين[٤]، ليس من أوعية تنقطع وتفرغ، بل من عيون سارحة.

وقوله: ﴿ لا يصدعون عنها ولا ينزفون ﴾، أي: لا تصدع رءوسهم ولا تنزف عقولهم، بل هي ثابتة مع الشدة المطربة واللذة الحاصلة.

وروىٰ الضحاك، عن ابن عباس أنه قال: في الخمر أربع خصال: السكر، والصداع، والقيء، والبول. فذكر اللّه خمر الجنة ونزهها عن هذه الخصال.

وقال مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وعطية، وقتادة، والسدّي: ﴿ لا يصدعون عنها ﴾، يقول: ليس لهم فيها صداع رأس.

وقالوا في قوله: ﴿ولا ينزفون﴾ أي: لا تذهب بعقولهم.

---

(٢٠) - أخرجه البيهقي في الدلائل (٣٦/٧ - ٣٨) وفي إسناده سليمان بن عطاء شيخ يروى عن مسلمة بن عبد الله الجهني عن عمه أبي شجعة بن ربعي بأشياء موضوعة، لا تشبه حديث الثقات فلست أدرى التخليط فيها منه أو من مسلمة .اهـ من المجروحين لابن حبان (٣٢٥/١) وقد روى له هذا الحديث شاهدًا على ذلك.

---

[١] - في ز: مزمولة. [٢] - في ز: مزمولة.

[٣] - في ز: التي.

[٤] - في خ: يعني. وفي ت، ز: معني.

وقوله : ﴿ **وفاكهة مما يتخيرون** ﴾ ، أي : ويطوفون عليهم بما[١] يتخيرون / من الثمار .

وهذه الآية دليل على جواز أكل الفاكهة على صفة التخير لها ، ويدل على ذلك حديث [عِكرَاش بن ذُؤيب][٢] الذي رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي رحمه الله في مسنده : حدثنا العباس بن الوليد النرسي[٣] ، حدثنا العلاء بن [الفضل][٤] بن عبد الملك بن أبي سَوِيَّة ، حدثنا عبيد[٥] الله بن [عكراش ، عن أبيه][٦]عكراش بن ذؤيب قال : بعثني بنو[٧] مرة في صدقات أموالهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدمت المدينة فإذا هو جالس بين[٨] المهاجرين والأنصار ، وقدمت عليه بإبل كأنها عُروق الأرْطَى ، قال : « **من الرجل ؟** » . قلت : عكراش بن ذُؤيب . قال : « **ارفع في[٩] النسب** » . فانتسبت له إلى مُرة بن عُبيد ، وهذه صدقة مرة بن عبيد . فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : « **هذه إبل قومي ، هذه صدقات قومي** » . ثم أمر بها أن تُوسم بِميسَم إبل الصدقة وتضم إليها . ثم أخذ بيدي فانطلقنا إلى منزل أم سلمة ، فقال : « **هل من طعام ؟** » فأُتينا بجفنة كثيرة الثريد والوَذر ، فجعل يأكل منها(*) ، فأقبلت أخبط بيدي في جوانبها ، فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده اليسرى على يدي اليمنى ، فقال : « **يا عكرَاش ، كل من موضع واحد ، فإنه طعام واحد** » . ثم أتينا بطبق فيه تمر أو رطب - شك عبيد الله رطبًا كان أو تمرًا[١٠] - فجعلت آكل من بين يدي ، وجالت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطبق ، وقال : « **يا[١١] عكراش ، كُل من حيث شئت ، فإنه غير لون واحد** » . ثم أتينا بماء فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يده[١٢] ومسح ببلل[١٣] كفيه وَجْهه وذراعيه ورأسه ثلاثًا ، ثم قال : « **يا عكراش ، هذا الوضوء مما غيرت[١٤] النار** »(٢١) .

(*) أي كثيرة قطع اللحم .

(٢١) - في إسناده عبيد الله بن عكراش ، قال البخاري : لا يثبت حديثه . والعلاء بن الفضل : ضعيف . وقد أخرجه ابن حبان في المجروحين ، بإسناد أبي يعلى (١٨٣/٢ - ١٨٤) ، وقال : العلاء بن الفضل كان ممن ينفرد بأشياء مناكير عن أقوام مشاهير ، لا يعجبني الاحتجاج بأخباره التي انفرد بها ، فأما ما وافق فيها الثقات ، فإن اعتبر بذلك معتبر لم أر بذلك بأسًا .

---

[١] - في ز ، خ : مما .
[٢] - في ز ، خ : « علي بن أنس بن ذؤيب » .
[٣] - في ز : المرسي .
[٤] - في ز ، خ : المفضل .
[٥] - في ز ، خ : عبد .
[٦] - سقط من ز ، خ .
[٧] - سقط من ز ، خ .
[٨] - في ز : في .
[٩] - في ز ، خ : من .
[١٠] - في ز : هذا .
[١١] - سقط من ز ، خ .
[١٢] - سقط من ز ، خ .
[١٣] - في ز ، خ : بتلك .
[١٤] - في ز : عوت .

وهكذا رواه الترمذي مطولًا وابن ماجة جميعًا، عن محمد بن بشار، عن أبي الهُذيل العلاء بن الفضل، به(٢٢). وقال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من حديثه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا بَهز بن أسد وعفان - وقال الحافظ أبو يعلىٰ: حدثنا شيبان - قالوا: حدثنا سليمان بن المغيرة، حدثنا ثابت قال: قال أنس: كان رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، تعجبه الرؤيا، فربما رأىٰ الرجل الرؤيا فسأل / عنه إذا لم يكن يعرفه، فإذا أُثني عليه معروف كان أعجب لرؤياه إليه[١]، فأتته امرأة فقالت: يا رسول الله، رأيت كأني أتيت فأخرجت من المدينة فأدخلت الجنة، فسمعت وَجْبة انتحبت[٢] لها الجنة، فنظرت فإذا فلان بن فلان، وفلان بن فلان، فسمت اثني عشر رجلًا، كان النبي، صلىٰ الله عليه وسلم، قد بعث سرية قبل[٣] ذلك، فجيء بهم عليهم ثياب طُلْس تشخب أوداجُهم، فقيل: اذهبوا بهم إلى نهر [البيدخ، أو: البيذخ][٤] - قال: فغمسوا فيه، فخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر، فأتوا بصحفة من ذهب فيها بُسر فأكلوا من بُسره ما شاءوا، فما يقلبونها من وجه إلا أكلوا من الفاكهة ما أرادوا، وأكلتُ معهم، فجاء البشير من تلك السرية، فقال: [كان من أمرنا][٥] كذا وكذا، وأصيب فلان وفلان. حتى عد اثني عشر رجلًا، فدعا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم المرأة[٦] فقال: قصي رؤياك. فقصتها. وجعلت تقول: فجيء بفلان وفلان كما قال(٢٣).

وهذا لفظ أبي يعلىٰ، قال الحافظ الضياء: وهذا على شرط مسلم.

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا معاذ بن المثنىٰ، حدثنا علي بن المديني، حدثنا ريحان بن سعيد، عن عباد بن منصور، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء، عن[٧] ثوبان قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: « **إن[٨] الرجل إذا نزع ثمرة في الجنة**،

---

(٢٢) - أخرجه الترمذي في كتاب: الأطعمة، باب: ما جاء في التسمية في الطعام، حديث (١٨٤٩) (١٣٠/٦). وابن ماجة في كتاب: الأطعمة، باب: الأكل مما يليك، حديث (٣٢٧٤) (١٠٨٩/٢ - ١٠٩٠).

(٢٣) - أخرجه أحمد (٣/ ١٣٥، ٢٥٧). وأبو يعلى (٤٤/٦ - ٤٥) (٣٢٨٩). قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٧٩/٧): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

---

[١] - في أبي يعلى: عليه.
[٢] - في أبي يعلى: انتحت. وفي مسند أحمد: ارتجت.
[٣] - في أبي يعلى: بمثل.
[٤] - في خ: « التياح أو السدح ».
[٥] - في ز، خ: « ما كان من رؤيا ».
[٦] - سقط من خ.
[٧] - في ز: هو.
[٨] - سقط من خ.

عادت مكانها أخرىٰ » (٢٤).

وقوله : ﴿ **وَلحم طَير مما يشتهون** ﴾ قال[١] الإمام أحمد :

حدثنا سيار بن حاتم ، حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي[٢] ، حدثنا ثابت ، عن أنس قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن طير الجنة كأمثال البُخْت ترعىٰ في شجر الجنة** » . فقال أبو بكر : يا رسول اللَّه ، إن هذه لطير ناعمة . فقال : « **أَكَلَتُها**[٣] **أنعم منها - قالها ثلاثًا - وإني لأرجو أن تكون ممن يأكل منها** »(٢٥) . تَفَرّد به أحمد من هذا الوجه. ورویٰ الحافظ أبو عبد اللَّه المقدسي في كتابه « **صفة الجنة** » من حديث إسماعيل بن علي الخُطبي[٤] ، عن أحمد بن علي الخَيُوطي ، عن عبد الجبار بن عاصم ، عن عبد اللَّه بن زياد ، عن زرعة ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : ذكرت عند النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم طوبىٰ ، فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **يا أبا بكر هل بلغك ما طوبىٰ ؟** » . قال : اللَّه ورسوله أعلم . قال : « **طوبىٰ شجرة في الجنة ، ما يعلم طولها إلا اللَّه ، يسير الراكب تحت غصن من أغصانها سبعين خريفًا ، ورقها**[٥] **الحُلَل ، يقع عليها الطير كأمثال البخت** » . / فقال أبو بكر : يا رسول اللَّه ، إن هناك لطيرًا ناعمًا ؟ قال : « **أنعم منه من يأكله ، وأنت منهم إن شاء اللَّه** » (٢٦).

وقال قتادة في قوله : ﴿ **وَلحم طير مما يشتهون** ﴾ : ذكر لنا أن أبا بكر قال : يا رسول للَّه ، إني أرىٰ طيرها ناعمة كما أهلها ناعمون . قال : « **من يأكلها - واللَّه يا أبا بكر - أنعم منها ، وإنها لأمثال البُخْت ، وإني لأحتسب علىٰ اللَّه أن تأكل منها يا أبا بكر** » .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثني مجاهد بن موسىٰ ، حدثنا معن بن عيسىٰ ، حدثني

---

(٢٤) - أخرجه الطبراني في الكبير (١٠٢/٢) (١٤٤٩) وفي إسناده عباد بن منصور وهو مدلس وقد تغير بأخرة ، وقد ذكره ابن حجر في الطبقة الرابعة من طبقات المدلسين . وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٤١٧/١٠) وقال : رواه الطبراني والبزار ، ورجال الطبراني وأحد إسنادى البزار ثقات .

(٢٥) - أخرجه أحمد (٢٢١/٣) (١٣٣٣٥) . وفي إسناده سيار بن حاتم صدوق له أوهام وبقية رجاله ثقات . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٤١٧/١٠) : رواه الترمذي باختصار ، ورواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير سيار بن حاتم وهو ثقة .

(٢٦) - عزاه الألباني في الصحيحة (٢٥١٤) للمقدسي وأعله بعبد الله بن زياد ، وقال تكلم فيه ابن حبان .

---

[١] - في ز : وقال .

[٢] - في ز : الطبيعي .

[٣] - في ز : أكلها .

[٤] - في ز : الخطي .

[٥] - في ز : وورقها .

ابنُ أخي ابن شهاب ، عن أبيه ، عن أنس بن مالك : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم سُئل عن الكوثر ؟ فقال : « **نهر أعطانيه ربي - عز وجل - في الجنة ، أشد بياضًا من اللبن ، وأحلىٰ من العسل ، فيه طيور أعناقها يعني كأعناق الجُزُر** » . فقال عمر : إنها لناعمة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **آكلها أنعم منها** » .

وكذا رواه الترمذي عن عبد بن حميد ، عن القعنبي ، عن محمد بن عبد اللّٰه بن مسلم بن شهاب ، عن أبيه ، عن أنس(٢٧) ، وقال : حسن .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا علي بن محمد الطنافسي ، حدثنا أبو معاوية ، عن عبيد اللّٰه بن الوليد الوصافي[١] ، عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إن في الجنة لطيرًا فيه سبعون ألف ريشة ، فيقع علىٰ[٢] صحفة الرجل من أهل الجنة فينتفض ، فيخرج من كل ريشة ؛ يعني لونًا أبيض من اللبن ، [وألين من الزبد][٣] ، وأعذب من الشهد ، ليس منها لون يشبه صاحبه ، ثم يطير** » .

هذا حديث غريب جدًّا ، والوصافي[٤] وشيخه ضعيفان . ثم قال ابن أبي حاتم :

حدثنا أبي ، حدثنا عبد اللّٰه بن صالح كاتب الليث ، حدثني الليث ، حدثنا خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن أبي حازم ، عن عطاء ، عن كعب قال : إن طائر الجنة كأمثال[٥] البُخْت ، يأكل[٦] مما خُلق من ثمرات الجنة ، ويشرب من أنهار الجنة ، فيصطففن[٧] له ، فإذا اشتهىٰ منها شيئًا أتاه حتىٰ يقع بين يديه ، فيأكل من خارجه وداخله ، ثم يطير[٨] لم ينقص منه شيء(٢٨) . صحيح إلىٰ[٩] كعب .

وقال الحسن بن عرفة : حدثنا خلف بن خليفة ، عن حميد الأعرج ، عن عبد اللّٰه بن الحارث ، عن عبد اللّٰه بن مسعود قال : قال لي رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إنك**

---

(٢٧) - أخرجه الترمذي في كتاب : الجنة ، باب : ما جاء في صفة طير أهل الجنة ، حديث (٢٥٤٥) (٧/ ٢٢١) . وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٥١٤) .

(٢٨) - في إسناده عبد الله بن صالح كاتب الليث ، وهو صدوق كثير الغلط ، وبقية رجاله ثقات .

---

[١] - في ز : الرصافي .
[٢] - في خ : كل .
[٣] - سقط من خ .
[٤] - في ز : الرصافي .
[٥] - في ت : أمثال .
[٦] - بياض في ز ، خ .
[٧] - في ز : فيصطفين .
[٨] - في ز : نظر .
[٩] - في خ : أبي .

لتنظر إلىٰ الطير في الجنة فتشتهيه ، فيخر بين يديك مشويًا »(٢٩) .

وقوله : ﴿ **وحُور عين * كأمثال اللؤلؤ المكنون** ﴾ : قرأ بعضهم بالرفع ، وتقديره : ولهم فيها حور عين . وقراءة الجر تحتمل معنين : أحدهما : / أن يكون الإعراب علىٰ الإتباع بما قبله ، كقوله : ﴿ **يطوف عليهم ولدان مخلدون * بأكواب وأباريق وكأس من معين * لا يُصَدعون عنها ولا ينزفون * وفاكهة مما يتخيرون * ولحم طير مما يشتهون * وحور عين**﴾ ، كما قال : ﴿**وامسحوا برءوسكم وأرجلكم**﴾ وكما قال : ﴿ **عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق** ﴾ . والاحتمال الثاني : أن يكون مما يطوف به الولدان المخلدون عليهم الحور العين ، ولكن يكون ذلك في القصور ، لا بين بعضهم بعضًا ، بل في الخيام يطوف عليهم الخدام بالحور العين ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **كأمثال اللؤلؤ المكنون** ﴾ ، أي : كأنهن اللؤلؤ الرطب في بياضه و صفائه ، كما تقدم في سورة الصافات : ﴿ **كأنهن بيض مكنون** ﴾ . وقد تقدم في سورة الرحمن وصفهن أيضًا ، ولهذا قال : ﴿ **جزاء بما كانوا يعملون** ﴾ ، أي : هذا الذي أتحفناهم[١] به مجازاة لهم علىٰ ما أحسنوا من العمل .

ثم قال: ﴿**لا يسمعون فيها لغوًا ولا تأثيمًا . إلّا قيلًا سلامًا سلامًا**﴾ ، أي : لا يسمعون في الجنة كلامًا لاغيًا ، أي : غثًّا خاليًا عن المعنى ، أو مشتملًا على معنى [حقير أو ضعيف][٢] ، كما قال: ﴿**لا تسمع فيها لاغية**﴾ أي: كلمة لاغية ﴿**ولا تأثيما**﴾ أي: ولا كلامًا فيه قبح[٣] ، ﴿**إلّا قيلًا سلامًا سلامًا**﴾ أي: إلا التسليم منهم بعضهم على بعض ، كما قال: ﴿**تحيتهم فيها سلام**﴾ وكلامهم أيضًا سالم من اللغو والإثم .

وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ (٢٧) فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ (٣٠) وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ (٣١) وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ (٣٤) إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً (٣٥) فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧) لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ (٣٨) ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ (٤٠)

(٢٩) - في إسناده حميد الأعرج ضعيف وخلف بن خليفة : صدوق اختلط في الآخر .

[١] - في ز : ألحقناهم . [٢] - في ز : حقيرًا وضعيفًا » .

[٣] - في ز : قبيحًا .

لما ذكر تعالىٰ مآل السابقين - وهم المقربون - عطف عليهم بذكر أصحاب اليمين - وهم الأبرار - كما قال ميمون بن مهران : أصحاب اليمين منزلة دون المقربين ، فقال : ﴿ **وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين** ﴾ . أي : أي شيءٍ أصحاب اليمين ؟ وما حالهم ؟ وكيف مآلهم ؟ ثم فسر ذلك فقال : ﴿ **في سدر مخضود** ﴾ . قال ابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد ، وأبو الأحوص ، وقَسامة بن زُهَير ، والسَّفر بن بشير[١] ، والحسن ، وقتادة ، وعبد اللَّه بن كثير ، والسدي ، وأبو حزرة[٢] ، وغيرهم : هو الذي لاشوك فيه ، وعن ابن عباس : هو المُوقر بالثمر . وهو رواية عن عكرمة ، / ومجاهد . وكذا قال قتادة أيضًا : كنا نُحدّث أنه المُوقر الذي لا شوك فيه .

والظاهر أن المراد هذا وهذا ؛ فإن سدر الدنيا كثير الشوك قليل الثمر ، وفي الآخرة علىٰ العكس[٣] من هذا ، لاشوك فيه ، وفيه الثمر الكثير الذي قد أثقل أصله . كما قال الحافظ أبو بكر أحمد بن سلمان النجّاد[٤] :

[حدثنا عبد الله[٥] بن محمد - هو البغوي - حدثني حمزة بن العباس ، حدثنا عبد اللَّه بن عثمان][٦] ، حدثنا عبد اللَّه بن المبارك ، أخبرنا صفوان بن عمرو ، عن سليم بن عامر ، قال : كان أصحاب رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقولون : إن اللَّه لينفعنا بالأعراب ومسائلهم . قال : أقبل أعرابي يومًا ؛ فقال : يا رسول اللَّه ؛ ذَكَرَ اللَّه في الجنة شجرةً تؤذي صاحبها . فقال[٧] رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **وما هي ؟** » : قال السّدر ، فإن له شوكًا مؤذيًا . فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أليس اللَّه يقول : ﴿ في سدر مخضود ﴾** ، خَضَد اللَّه شوكه ، فجعل مكان كل شوكة ثمرة ، فإنها لتنبت ثمرًا تَفَتّق الثمرةُ منها عن اثنين وسبعين لونًا من طعام ، مافيها لون يشبه الآخر »(٣٠) .

طريق أخرىٰ ، قال أبو بكر بن أبي داود : حدثنا محمد بن المصفىٰ ، حدثنا محمد بن المبارك ، حدثنا يحيى بن حمزة ، حدثني ثور بن يزيد ، حدثني حَبيب بن عبيد ، عن عُتْبة بن عبد السلمي ؛ قال : كنت جالسًا مع رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فجاء أعرابي ؛ فقال : يا رسول اللَّه ؛ أسمعك تذكر في الجنة شجرة لا أعلم شجرة أكثر شوكًا منها ؟ -

(٣٠) - أخرجه ابن أبي الدنيا كما في « الترغيب والترهيب » (٤٣٤/٤) وقال : إسناده حسن . وأخرجه الحاكم (٤٧٦/٢) وصححه ، ووافقه الذهبي .

[١] - في ز ، خ : بشر .
[٢] - في ز : حرزة .
[٣] - في ت : عكس .
[٤] - في خ : النجار .
[٥] - في ت : محمد .
[٦] - ما بين المعكوفين سقط من خ .
[٧] - في ز : قال .

يعني : الطلح - فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن الله يجعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خُصوة**[١] **التيس الملبود ، فيها سبعون لونًا من الطعام ، لا يشبه لون آخر** »(٣١) .

وقوله : ﴿ **وطلح منضود** ﴾ ، الطلح : شجر عظام يكون بأرض الحجاز ، من شجر العضَاه ، واحدته طلحة ، وهو شجر كثير الشوك ، وأنشد ابن جرير لبعض الحداة

بَشَّرَها دَليلُها وقالا : غدًا تَرينَ الطَّلحَ والجبالا

[ ][٢] .

قال مجاهد : ﴿ **منضود** ﴾ ، أي متراكم الثمر ، يذكر بذلك قريشًا ؛ لأنهم كانوا يعجبون من وَجّ[٣] وظلاله من طلح وسدر . وقال السدي : ﴿ **منضود** ﴾ مصفوف . قال ابن عباس : يشبه طلح الدنيا ، ولكن له ثمر أحلىٰ من العسل . قال الجوهري : والطلح لغةٌ في الطلع .

قلت : وقد روىٰ ابن / أبي حاتم من حديث الحسن بن سعد ، عن شيخ من همدان ؛ قال : سمعت عليًا يقول هذا الحرف في ﴿ **طلح منضود** ﴾ ، قال : ﴿طلع منضود﴾(٣٢) ، فعلىٰ هذا يكون هذا من صفة السدر ، فكأنه وصفه بأنه مخضود ، وهو الذي لا شوك له ، وأن طلعه منضود ، وهو كثرة ثمره ، والله أعلم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو معاوية ، عن إدريس ، عن جعفر ابن إياس ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد ﴿ **وطلح منضود** ﴾ ، قال : الموز . قال وروي عن ابن عباس ، وأبي هريرة ، والحسن ، وعكرمة ، وقسامة بن زُهَير ، وقتادة ، وأبي حزرة[٤] ، مثل ذلك . وبه قال مجاهد ، وابن زيد ، وزاد فقال : أهل اليمن يسمون الموز الطلح . ولم يحك ابن جرير غير هذا القول .

---

(٣١) - محمد بن المصفى صدوق له أوهام . لكن أخرجه الطبراني ومن طريقه أبو نعيم في الحلية (١٠٣/٦) من طريق أبي زرعة الدمشقي ثنا أبو مسهر ثنا يحيى بن حمزة ، به . قال الهيثمي في المجمع (٤١٧/١٠) : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

(٣٢) - إسناده ضعيف لجهالة الشيخ الذي من همدان .

---

[١] - في ز : حضرة .

[٢] - ما بين المعكوفين في ز : « كما قال ميمون بن مهران : أصحاب اليمين منزلة دون المقربين » .

[٣] - وَجٌّ : اسم وادٍ بالطائف . القاموس صـ (٢٦٦) .

[٤] - في ز : حرزة .

وقوله : ﴿ وظل ممدود ﴾ ، قال البخاري : حدثنا عليّ بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة - يبلُغُ به النبيّ صلىٰ اللّه عليه وسلم - قال : « **إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، اقرءوا إن شئتم : ﴿ وظل ممدود ﴾** »(٣٣) . ورواه مسلم من حديث الأعرج به (٣٤).

وقال الإمام أحمد : حدثنا سُرَيج ، حدثنا فُلَيح ، عن هلال بن عليّ ، عن عبد الرحمن بن أبي عَمْرة ، عن أبي هُرَيرة ؛ قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **إن[١] في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة ، اقرءوا إن شئتم : ﴿ وظل ممدود ﴾** »(٣٥) . وكذا رواه البخاري عن محمد بن سنان[٢] عن فليح به(٣٦) . وكذا رواه عبد الرزاق ، عن معمر ، عن[٣] هَمام ، عن أبي هريرة(٣٧) . وكذا رواه حماد بن سلمة ، عن محمد بن زياد ، عن أبي هريرة(٣٨) ، والليث بن سعد ، عن سعيد المقبري ، عن أبيه ، عن أبي هريرة(٣٩) وعوف عن ابن سيرين عن أبي هريرة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر وحجاج؛ قالا : حدثنا شعبة ، سمعت أبا الضحاك يحدث عن أبي هُرَيرة ، عن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم أنه قال : « **إن[٤] في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين - أو مائة - سنة ، هي شجرة الخلد** »(٤٠) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا يزيد بن هارون ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن رسول اللّه؛ قال : « **في الجنة شجرة يسير**

(٣٣) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ وظل ممدود ﴾ ، حديث (٤٨٨١) (٦٢٧/٨) .
(٣٤) - أخرجه مسلم في كتاب : الجنة ، باب : إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، حديث (٢٨٢٦/٧) (٢٤٤/١٧) .
(٣٥) - أخرجه أحمد (٤٨٢/٢) .
(٣٦) - البخاري في كتاب : بدء الخلق ، باب : ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ، حديث (٣٢٥٢) (٣١٩/٦) .
(٣٧) - عبد الرزاق في « مصنفه » (٤١٧/١١) (٢٠٨٧٧) .
(٣٨) - أحمد (٤٦٩/٢) .
(٣٩) - مسلم في كتاب : الجنة ، باب : إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، حديث (٢٨٢٦/٦) (٢٤٤/١٧) .
(٤٠) - أخرجه أحمد (٤٥٤/٢) . وفي إسناده أبو الضحاك : مقبول .

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز : شيبان .
[٣] - في ز : بن .
[٤] - سقط من ز .

الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها ، واقرءوا إن شئتم : ﴿ وظل ممدود ﴾ » . إسناد جيد ، ولم يخرجوه .

وهكذا رواه ابن جرير / [٢٢/٧و] عن أبي كريب عن[١] عبدة وعبد الرحيم ، عن محمد بن [عمرو به][٢] (٤١).

وقد رواه الترمذي ، من حديث عبد الرحيم بن سليمان به (٤٢).

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا مهران ، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن زياد - مولىٰ بني مخزوم - عن أبي هُرَيرة ؛ قال : إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة ، اقرءوا إن شئتم : **﴿ وظل ممدود ﴾** . فبلغ ذلك كعبًا فقال : صدق ، والذي أنزل التوراة علىٰ موسىٰ ، والفرقان علىٰ محمد ، لو أن رجلًا ركب حقة أو جذعة ثم دارحول تلك الشجرة ما بلغها حتىٰ يسقط هَرَمًا[٣] ، إن اللّٰه غرسها بيده ، ونفخ فيها من روحه ، وإن أفنانها لمن وراء سور[٤] الجنة ، وما في الجنة نهر إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة (٤٣).

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي : حدثنا محمد بن منهال الضرير ، حدثنا يزيد بن زُرَيع ، عن سعيد[٥] بن أبي عَرُوبة ، عن قتادة ، عن أنس ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في قول اللّٰه عز وجل : **﴿ وظل ممدود ﴾** ، قال : « **في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها** »(٤٤) .

وكذا رواه البخاري عن روح بن عبد المؤمن عن يزيد بن زريع(٤٥) . وهكذا رواه أبو داود

(٤١) - أخرجه الطبري (١٨٣/٢٧) .

(٤٢) - الترمذي في كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الواقعة ، حديث (٣٢٨٨) (٣٤/٩) . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(٤٣) - أخرجه الطبري في « تفسيره » (١٨٢/٢٧) ، وفي إسناده زياد مولى بنى مخزوم ، قال يحيى بن معين : لاشيء . الجرح والتعديل (٥٤٩/٣) لكن يشهد لصدر الحديث الأحاديث السابقة .

(٤٤) - أخرجه أبو يعلى (٥/ ٣٤٨، ٣٨٠) (٢٩٩١، ٣٠٣٨) من طريقين عن قتادة بنحو هذا الحديث في ذكر الشجرة .

(٤٥) - أخرجه البخاري في كتاب : بدء الخلق ، باب : ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ، حديث (٣٢٥١) (٣١٩/٦) .

[١] - في ز : و .

[٢] - في ز : عبد ربه .

[٣] - بياض في ز .

[٤] - في ز : ستور .

[٥] - في ز : حميد .

الطيالسي ، عن عمران بن[١] دَاوَر القطان ، عن قتادة ، به(٤٦) . وكذا رواه معمر ، وأبو[٢] هلال ، عن قتادة به(٤٧) .

وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد وسَهل بن سَعد ، عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم؛ قال : « **إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المُضَمَّر السريع مائة عام ما يقطعها** »(٤٨) .

فهذا حديث ثابت عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، بل متواتر مقطوع بصحته عند أئمة الحديث النقاد ، لتعدد طرقه ، وقوة أسانيده ، وثقة رجاله .

وقد قال الإمام أبو جعفر بن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا أبو بكر ، حدثنا أبو حُصَين؛ قال : كنا علىٰ باب في موضع ، ومعنا أبو صالح وشقيق - يعني الضبي - فحدّث أبو صالح؛ قال : حدثني أبو هُرَيرة؛ قال : إنَّ في الجنة شجرةً يسير الراكب في ظلها سبعين عامًا . قال أبو صالح : أتكَذّب أبا هريرة ؟ قال : ما أكذّب أبا هريرة ، ولكني أكذّبك أنت . فشق ذلك علىٰ القراء يومئذ[٣] (٤٩) .

قلت : فقد أبطل من يكذب بهذا الحديث ، مع ثبوته وصحته ورفعه إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم .

وقال الترمذي : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا زياد / بن الحسن بن الفُرَات القَزّاز ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبي حازم ، عن أبي هُرَيرة ؛ قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه

---

(٤٦) - والطبري (١٨٣/٢٧) من طريق أبي داود .

(٤٧) - أخرجه الترمذي في كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الواقعة ، حديث (٣٢٨٩) (٩/٣٤ - ٣٥) من طريق معمر عن قتادة .

قال الترمذي : حسن صحيح . وأخرجه الطبري (١٨٤/٢٧) من طريق معمر وأبي هلال عنه .

(٤٨) - أخرجه البخاري في كتاب : الرقاق ، باب : صفة الجنة والنار ، حديث (٦٥٥٣) (١١/٤١٦) .

ومسلم في كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، حديث (٢٨٢٨) (١٧/٢٤٥) كلاهما من حديث أبي سعيد .

وأخرجه البخاري رقم (٦٥٥٢) (١١/٤١٥) . ومسلم برقم (٨/٢٨٢٧) كلاهما من طريق سهل بن سعد .

(٤٩) - أخرجه الطبري (١٨٤/٢٧) .

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ز : وابن .

[٣] - سقط من ز .

وسلم : « **مافي الجنة شجرة إلا ساقها من ذهب** » (٥٠). ثم قال : حسن غريب .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن أبي الربيع ، حدثنا أبو عامر العَقَدي ، عن زمعة[١] بن صالح ، عن سلمة بن وهرام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس؛ قال : الظل الممدود شجرة في الجنة علىٰ ساق ظلها قدر مايسير الراكب في نواحيها مائة عام .

قال : فيخرج إليها أهل الجنة - أهل الغرف وغيرهم - فيتحدثون في ظلها . قال : فيشتهي بعضهم ويذكر لهو الدنيا ، فيرسل اللّٰه ريحًا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو في الدنيا (٥١). هذا أثر غريب ، وإسناده جيد قوي حسن.

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا ابن يمان ، حدثنا سفيان ، حدثنا أبو إسحاق ، عن عمرو بن ميمون في قوله : ﴿ **وظل ممدود** ﴾ ، قال : سبعون ألف سنة . وكذا رواه ابن جرير عن بندار ، عن ابن مهدي ، عن سفيان ، مثله . ثم قال ابن جرير :

حدثنا ابن حميد ، حدثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبي أسحاق ، عن عمرو بن ميمون ﴿ **وظل ممدود** ﴾ ، قال : [خمسمائة ألف سنة .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو الوليد الطيالسي ، حدثنا حُصَين بن نافع ، عن الحسن في قول اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **وظل ممدود** ﴾ قال][٢] : في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة [ألف][٣] سنة لايقطعها .

وقال عوف عن الحسن : بلغني أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم؛ قال : « **إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ، لايقطعها** » . رواه ابن جرير (٥٢).

وقال شبيب : عن عكرمة ، عن ابن عباس : في الجنة شجر[٤] لا يحمل ، يُستظَلّ به . رواه ابن أبي حاتم .

وقال الضحاك ، والسدي ، وأبو حَزْرَةَ في قوله : ﴿ **وظل ممدود** ﴾ : لاينقطع ، ليس

---

(٥٠) - أخرجه الترمذي في كتاب : صفة الجنة ، باب : ما جاء في صفة شجر الجنة ، حديث (٢٥٢٧) (٧/٢١٠) . وزياد بن الحسن بن فرات : صدوق يخطئ ، وأبوه صدوق يهم ، وبقية إسناده ثقات . والحديث صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٠٤٩ - ٢٦٥٨) .

(٥١) - في إسناده زمعة بن صالح ضعيف .

(٥٢) - أخرجه الطبري (٢٧/١٨٤) وهو ظاهر الانقطاع ، لكن يشهد له ما سبق من أحاديث صحيحة .

---

[١] - في ز : ربيعة .

[٢] - ما بين المعكوفين سقط من ز .

[٣] - سقط من خ .

[٤] - في ز : شجرة .

فيها شمس ولا حر ، مثل قبل طلوع الفجر .

وقال ابن مسعود : الجنة سجسج كما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس .

وقد تقدمت الآيات كقوله : ﴿ **وندخلهم ظلًّا ظليلًا** ﴾ وقوله : ﴿ **أكلها دائم وظلها** ﴾ وقوله : ﴿ **في ظلال وعيون** ﴾ إلى غير ذلك من الآيات .

وقوله : ﴿ **وماء مسكوب** ﴾ ، قال الثوري : [يعني][١] يجري في غير أخدود .

وقد تقدم الكلام عند[٢] تفسير قوله تعالى : ﴿ **فيها أنهار من ماءٍ غير آسن** ...﴾ . الآية . بما أغنىٰ عن إعادته هاهنا .

وقوله : ﴿ **وفاكهة كثيرة * لامقطوعة ولاممنوعة** ﴾ . أي : وعندهم من الفواكه الكثيرة المتنوعة في الألوان ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولاخطر علىٰ قلب بشر : ﴿ **كلما رزقوا / منها من ثمرة رزقًا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهًا** ﴾ . أي : يشبه الشكلُ الشكلَ ، ولكن الطعمَ غيرُ الطعم . وفي الصحيحين في ذكر سدرة المنتهى قال : « **فإذا ورقها كآذان الفيلة ، ونبقها[٣] مثل قلال هجر** »(٥٣) . وفيهما أيضًا ، من حديث مالك ، عن زيد ، عن عطاء بن يَسَار ، عن ابن عباس قال : خُسفَت الشمس ، فصلىٰ رسولُ اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم والناس معه ، فذكر الصلاة . وفيه : « **قالوا : يا رسول اللَّه ، رأيناك تناولت شيئًا في مقامك هذا ثم رأيناك تكعكعت**(*) **! قال : إني رأيت الجنة ، فتناولت منها عنقودًا ، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا** »(٥٤).

وقال الحافظ أبو يعلىٰ : حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا عبد اللَّه بن جعفر ، حدثنا عبيد اللَّه ، حدثنا ابن عقيل ، عن جابر قال : بينا نحن في صلاة الظهر ، إذ تقدم رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فتقدمنا معه ، ثم تناول شيئًا ليأخذه ثم تأخر ، فلما قضىٰ الصلاة قال له أُبيّ بن كعب : يارسول اللَّه ، صنعتَ اليومَ في الصلاة شيئًا ما كنت تصنعه ! قال : « **إنه عُرِضَتْ عليّ الجنة ، وما فيها من الزهرة والنضرة ، فتناولت منها قِطْفًا من عنب لآتيكم به ، فحيل**

---

(٥٣) - تقدم تخريجه في أول سورة الإسراء في أحاديث المعراج .

(*) أي أحجمت وتراجعت إلى الوراء . (النهاية ٤/١٨٠)

(٥٤) - أخرجه البخاري في كتاب : الأذان ، باب : رفع البصر إلى الإمام في الصلاة ، حديث (٧٤٨) (٢/٢٣٢) . ومسلم في كتاب : الكسوف ، باب : ما عرض على النبي - صلى الله عليه وسلم - في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار ، حديث (١٧/٩٠٧ م) (٦/٣٠٢).

---

[١] - سقط من ت ، خ . [٢] - في ز : على .

[٣] - في ز : وسعفها .

بيني وبينه ، ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لاينقصونه » .

وروىٰ مسلم من حديث أبي الزبير عن جابر نحوه (٥٥).

وقال الإمام أحمد : حدثنا عليّ بن بحر ، حدثنا هشام بن يوسف ، أخبرنا معمر ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن عامر بن زيد البَكَالي : أنه سمع عُتبةَ بن عَبْد السلمي يقول : جاء أعرابي إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فسأله عن الحوض وذكر الجنة ، ثم قال الأعرابي : فيها فاكهة ؟ قال : « **نعم ، وفيها شجرة تدعىٰ طوبىٰ** » ، فذكر شيئًا لا أدري ما هو ، قال : أي[١] شجر أرضنا تشبه ؟ قال : « **ليست تشبه شيئًا من شجر أرضك** » ، فقال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **أتيتَ الشام ؟** » قال : لا . قال : « **تشبه شجرة بالشام تدعىٰ الجَوزة ، تنبت علىٰ ساق واحد ، وينفرش أعلاها** » . قال : ما عظم أصلها ؟ قال : « **لو ارتحلت جَذَعة من إبل أهلك ما أحاطت[٢] بأصلها حتىٰ تنكسر ترقوتها هرمًا[٣]** » . قال : فيها عنب ؟ قال : « **نعم** » . قال : فما[٤] عظم العنقود ؟ قال : « **مسيرة شهر للغراب الأبقع ، ولا يفتر** » . قال : فما عظَم الحبة[٥] ؟ قال : « **هل ذبح أبوك تيسًا من غنمه قط عظيمًا ؟** » قال : نعم . قال : « **فسلخ إهابه فأعطاه أمك / فقال : اتخذي لنا منه دلوًا ؟** » قال : نعم . قال الأعرابي : فإن تلك الحبة[٦] لتشبعني وأهل بيتي ؟ قال : « **نعم وعامَّة عشيرتك** » (٥٦).

وقوله : ﴿ **لا مقطوعة ولا ممنوعة** ﴾ ، أي : لا تنقطع شتاء ولا صيفًا ، بل أكلها دائم مستمر أبدًا ، مهما طلبوا وجدوا ، لايمتنع عليهم بقدرة اللّٰه شيء .

قال قتادة : لا يَمنعهم من تَناولها عودٌ ولا شوك ولا بُعدٌ . وقد تقدم في الحديث : إذا تناول الرجل الثمرة عادت مكانها أخرىٰ .

(٥٥) - أخرجه مسلم في كتاب : الكسوف ، باب : ما عرض على النبي - صلى الله عليه وسلم - في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار ، حديث (٩٠٤/٩) (٢٩٣/٦ وما بعدها) .

(٥٦) - أخرجه أحمد (١٨٣/٤) (١٧٦٩٣) . وعامر بن زيد البكالى ، قال الحسيني : ليس بالمشهور ، وتعقبه ابن حجر بقوله : بل معروف ؛ ذكره البخاري فقال : سمع عتبة بن عبدي ، روى عنه أبو سلام ، حديثه في الشاميين ، ولم يذكر فيه جرحًا . وتبعه ابن أبي حاتم ؛ وأخرج ابن حبان في صحيحه من طريق أبي سلام عنه أحاديث صرح فيها بالتحديث ، ومقتضاه أنه عنده ثقة ، ولم أر له ذكرًا في النسخة التى عندي من الثقات له ، فما أدرى هل أغفله أو سقط من نسختي ، ولاترجم له ابن عساكر في تاريخ =

[١] - في ز : لهي .
[٢] - في ز : أحطت .
[٣] - في ز : هربًا .
[٤] - في ز : ما .
[٥] - في ز : الجنة .
[٦] - في ز : الجنة .

وقوله : ﴿ **وفرش مرفوعة** ﴾ أي : عالية وطيئة ناعمة .

قال النسائي وأبو عيسىٰ الترمذي : حدثنا أبو كريب ، حدثنا رشدين بن سعد ، عن عَمرو بن الحارث ، عن دَرّاج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في قوله : ﴿ **وفرش مرفوعة** ﴾ ، قال : « **ارتفاعها كما بين السماء والأرض ، ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام**(٥٧) » .

ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب لانعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد . قال : وقال بعض أهل العلم[١] : معنىٰ هذا الحديث : ارتفاع الفرش في الدرجات ، وبعد ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض . هكذا قال : إنه لايعرف هذا إلا من رواية رشدين بن سعد ، وهو المصري ، وهو ضعيف .

وهكذا رواه أبو جعفر بن جرير ، عن أبي كريب ، عن رشدين ، به (٥٨) .

ثم رواه هو وابن أبي حاتم ، كلاهما عن يونس بن عبد الأعلىٰ ، عن ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، فذكره(٥٩) .

وكذا رواه ابن أبي حاتم أيضًا عن نُعَيم بن حماد ، عن ابن وهب ، وأخرجه الضياء في صفة الجنة من حديث حرملة ، عن ابن وهب ، به مثله .

ورواه الإمام أحمد عن حسن بن موسىٰ ، عن ابن لهيعة ، حدثنا دراج ، فذكره (٦٠) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو معاوية ، عن جويبر[٢] ، عن أبي سهل - يعني كثير بن زياد - عن الحسن : ﴿ **وفرش مرفوعة** ﴾ ، قال : ارتفاع فراش الرجل من أهل الجنة مسيرة ثمانين سنة (٦١) .

= دمشق . اهـ من التعجيل (٢٠٤ - ٢٠٥) وبقية إسناده ثقات .

(٥٧) - أخرجه الترمذي في صفة الجنة ، باب : ما جاء في صفة ثياب أهل الجنة ، حديث (٢٥٤٠) . وفي تفسير سورة الواقعة برقم (٣٢٩٠) . وفي إسناده دراج في روايته عن أبي الهيثم ضعف ، ورشدين ضعيف .

(٥٨) - أخرجه الطبري (١٨٥/٢٧) .

(٥٩) - أخرجه (١٨٥/٢٧) من رواية دراج عن أبي الهيثم .

(٦٠) - أخرجه أحمد (٧٥/٣) (١١٧٣٦) وإسناده كسابقه .

(٦١) - في إسناده جويبر ، وهو ضعيف جدًا .

---

[١] - في ز : المعاني .   [٢] - في ز : جوهر .

وقوله : ﴿ **إنا أنشأناهن إنشاء * فجعلناهن أبكارًا * عربًا أترابًا * لأصحاب اليمين** ﴾ ، جرىٰ الضمير علىٰ غير مذكور . لكن لما دل السياق - وهو ذكر الفرش علىٰ النساء اللاتي يضاجعن فيها - اكتفي بذلك عن ذكرهن ، وعاد الضمير عليهن ، كما في قوله : ﴿ **إذ عُرض عليه بالعشيّ الصافناتُ الجياد * فقال إني / أحببت حُبّ الخير عن ذكر ربي حتي توارت بالحجاب** ﴾ يعني الشمس على المشهور من قول المفسرين .

قال الأخفش في قوله : ﴿ **إنا أنشأناهن إنشاءً** ﴾ : أضمرهن ولم يذكرهن[١] قبل ذلك .

وقال أبو عبيدة : ذكرن[٢] في قوله : ﴿ **وحور عين * كأمثال اللؤلؤ المكنون** ﴾ .

فقوله : ﴿ **إنا أنشأناهن** ﴾ أي أعدناهن في النشأة الآخرة بعدما كن عجائز رمصا ، صرن أبكارًا عربًا ، أي : بعد الثيوبة عدن أبكارًا عُرُبًا ، أي : متحببات إلىٰ أزواجهن بالحلاوة والظرافة والملاحة . وقال بعضهم : ﴿ **عُرُبًا** ﴾ أي : غنِجات .

قال موسىٰ بن عُبَيدة الرّبَذيّ[٣] : عن يزيد الرّقاشي ، عن أنس بن مالك قال : قال : رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : ﴿ **إنا أنشأناهن إنشاءً** ﴾ ، قال : « **نساءَ عجائزَ كُنّ في الدنيا عُمْشًا رُمْصًا**(٦٢) » . رواه الترمذي ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم . ثم قال الترمذي : غريب ، وموسىٰ ويزيد ضعيفان .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عوف الحمصي ، حدثنا آدم - يعني ابن أبي إياس - حدثنا شيبان ، عن جابر ، عن يزيد بن مُرّة ، عن سلمة بن يزيد قال : سمعتُ رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم يقول في قوله : ﴿ **إنا أنشأناهن إنشاءً** ﴾ يعني : الثيب والأبكار اللاتي كُنّ في الدنيا (٦٣) .

وقال عبد بن حُمَيد : حدثنا مصعب بن المقدام ، حدثنا المبارك بن فضالة ، عن الحسن قال : أتت عجوز فقالت : يارسول اللّه ؛ ادع اللّه أن يدخلني الجنة . فقال : « **ياأم فلان ، إن الجنة لا يدخلها عجوز** » . قال : فولت تبكي ، قال : « **أخبروها أنها لاتدخلها وهي عجوز ، إن اللّه تعالىٰ يقول** : ﴿ **إنا أنشأناهن إنشاءً * فجعلناهن أبكارًا** ﴾ » .

---

(٦٢) - أخرجه الترمذي كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الواقعة ، حديث (٣٢٩٢) (٣٦/٩) . والطبري (١٨٥/٢٧) .

(٦٣) - في إسناده جابر - وهو بن يزيد الجعفي - : ضعيف .

---

[١] - في ز : يذكر . [٢] - في ز : ذكر .

[٣] - في ز : البريدي .

وهكذا رواه الترمذي في الشمائل عن عبد بن حميد(٦٤) .

وقال أبو القاسم الطبراني : حدثنا بكر بن سهل الدمياطي ، حدثنا عمرو بن هاشم البيروتي ، حدثنا سليمان بن أبي كريمة ، عن هشام بن حسان ، عن الحسن ، عن أمه ، عن أم سلمة قالت : قلت : يارسول الله ، أخبرني عن قول الله : ﴿ حور عين ﴾ ، قال : « حور : بيض . عين : ضخام العيون ، شُفْر(*) الحوراء بمنزلة جناح النسر » . قلت : أخبرني عن قوله : ﴿ كأمثال اللؤلؤ المكنون ﴾ ، قال : « صفاؤهن صفاءُ الدر الذي في الأصداف الذي لم تَمَسّه الأيدي » . قلت : أخبرني عن قوله : ﴿ فيهن خيرات حسان ﴾ . قال : « خَيّراتُ الأخلاق ، حسان الوجوه » . قلت : أخبرني / عن قوله : ﴿ كأنهن بيض مكنون ﴾ . قال : « رقتهن كرقة الجلد الذي رأيت في داخل البيضة مما يلي القشر ، وهو : الغِرْقِئُ[١] » . « قلت : يارسول الله ، أخبرني عن قوله : ﴿ عربًا أترابًا ﴾ . قال : « هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز رُمْصًا شمطًا ، خلقهن الله بعد الكبر ، فجعلهن عذارىٰ عُرُبًا متعشقات محببات[٢] ، أترابًا علىٰ ميلاد واحد » . قلت : يا رسول الله ، نساء الدنيا أفضل أم الحور العين ؟ قال : « بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين ، كفضل الظِّهارة علىٰ البِطانة » . قلت : يا رسول الله ، وبم ذاك ؟ قال : « بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله – عز وجل – ألبس الله وجوهَهن النور ، وأجسادهن الحرير ، بيض الألوان ، خضر الثياب ، صفر الحلي ، مجامرهن الدر[٣] ، وأمشاطهن الذهب ، يقلن : نحن الخالدات فلا نموت[٤] ، ونحن الناعمات فلا نبأس أبدًا ، ونحن المقيمات فلا نظعن أبدًا ، ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبدًا ، طوبىٰ لمن كُنّا له وكان لنا » . قلت : يا رسول الله ؛ المرأة منا تتزوج الزوجين[٥] والثلاثة والأربعة ، ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها ، من[٦] يكون زوجها ؟ قال « يا أم سلمة ، إنها تُخَيَّر فتختار أحسنهم خلقًا ، فتقول : يارب ، إن هذا كان أحسن خلقًا معي فزوجنيه ، يا أم سلمة ؛ ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة »(٦٥) .

---

(٦٤) – أخرجه الترمذي في الشمائل كما في مختصر الألباني برقم (٢٠٥) . والحديث مرسل ؛ فالحسن يرسل ويدلس والراوي عنه وهو المبارك بن فضالة يدلس ويسوي . والحديث حسنه الشيخ الألباني لشواهده في غاية المرام .

(*) الشفر : بالضم وقد يفتح – حرف جفن العين الذي ينبت عليه الشعر . (النهاية ٤٨٤/٢)

(٦٥) – أخرجه الطبراني (٣٦٧/٢٣ – ٣٦٨) حديث (٨٧٠) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٢٢/٧) : رواه الطبراني وفيه سليمان بن أبي كريمة ضعفه أبو حاتم وابن عدي .

---

[١] – في ز : الغري .
[٢] – في خ : متحببات .
[٣] – في ز : الدرر .
[٤] – بعده في خ : أبدًا .
[٥] – في ز : زوجين .
[٦] – في خ : فمن .

وفي حديث الصور الطويل المشهور : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يشفع للمؤمنين كلهم في دخول الجنة ، فيقول الله : قد شفعتك وأذنت لهم في دخولها . فكان[١] رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **والذي بعثني بالحق ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم ، فيدخل الرجل منهم علىٰ ثنتين وسبعين زوجة ، [سبعين][٢] مما ينشئ الله ، وثنتين من ولد آدم ، لهما فضل علىٰ من أنشأ الله ، بعبادتهما[٣] الله في الدنيا ، يدخل علىٰ الأولىٰ منهما في غرفة من ياقوتة ، علىٰ سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ ، عليه سبعون زوجًا من سندس وإستبرق ، وإنه ليضع يده بين كتفيها ، ثم ينظر إلىٰ يده من صدرها من وراء ثيابها وجلدها ولحمها ، وإنه لينظر إلىٰ مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلىٰ السلك في قصبة الياقوت ، كبده لها مرآة – يعني : وكبدها له مرآة – فبينما هو / [٢٥/٧و] عندها لا يملها ولا تمله ، ولا يأتيها من مرة إلا وجدها عذراء ، ما يفتر ذكره ولا تشتكي قبلها إلا أنه لا [منيّ ولا مَنيّة][٤] ، فبينما هو كذلك إذ نودي : إنا قد عرفنا أنك لا تَمَلُّ ولا تُمَلُّ ، إلا أن لك أزواجًا غيرها . فيخرج[٥] ، فيأتيهن واحدة واحدة ، كلما جاء واحدة قالت : والله ما في الجنة شيء[٦] أحسن منك ، وما في الجنة شيء أحب إليّ منك**(٦٦) .

وقال عبد الله بن وهب : أخبرني عمرو بن الحارث ، عن دَرّاج ، عن ابن حُجيرة ، عن أبي هُرَيرة ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال له : أَنطأُ في الجنة ؟ قال : « **نعم والذي نفسي بيده ، دَحْمًا دَحْمًا ، فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكرًا**[٧] »(٦٧) .

وقال الطبراني : حدثنا إبراهيم بن جابر الفقيه البغدادي ، حدثنا محمد بن عبد الملك الدقيقي الواسطي ، حدثنا معلىٰ بن عبد الرحمن الواسطي ، حدثنا شريك ، عن عاصم الأحول ، عن أبي المتوكل ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عدن أبكارًا** »(٦٨) .

(٦٦) - تقدم تخريجه في تفسير سورة إبراهيم آية ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض** ....﴾ (٤٨) وإسناده ضعيف ، وهو عند البيهقي في البعث .

(٦٧) - أخرجه ابن حبان (٣٥٩/٨ - موارد) (٢٦٣٣) وفي إسناده دراج وهو ضعيف .

(٦٨) - أخرجه الطبراني في الصغير (٩١/١) وقال : لم يروه عن عاصم إلا شريك . تفرد به معلى بن عبد الرحمن .

[١] - في ز : وكان .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - في ز : بعبادتهم .

[٤] - في ز : « بني ولا صبية » . بلا نقط .

[٥] - سقط من ز .

[٦] - سقط من ز .

[٧] - في ز : بكذا .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا عِمْران ، عن قتادة ، عن أنس قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **يعطىٰ المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا في النساء** » . قلت : يا رسول اللَّه ، ويطيق[١] ذلك ؟ ! قال : « **يعطىٰ قوة مائة** » (٦٩).

ورواه الترمذي من حديث أبي داود وقال : صحيح غريب(٧٠) .

ورَوىٰ أبو القاسم الطبراني من حديث حُسَين بن عليّ الجعفي ، عن زائدة ، عن هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هُرَيرة قال : قيل : يا رسول اللَّه ، هل نصل إلىٰ نسائنا في الجنة ؟ قال : « **إن الرجل ليصل في اليوم إلىٰ مائة عذراء** » (٧١).

قال الحافظ أبو عبد الله المقدسي : هذا الحديث عندي على شرط الصحيح ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **عُرُبًا** ﴾ ، قال سعيد بن جبير عن ابن عباس : يعني متحببات إلىٰ أزواجهن ، ألم تر إلىٰ الناقة الضبِعة ، هي كذلك .

وقال الضحاك عن ابن عباس : العُرُب : العواشق لأزواجهن ، وأزواجهن لهن عاشقون . وكذا قال عبد اللَّه بن سرجس[٢] ، ومجاهد ، وعكرمة ، وأبو العالية ، ويحيى بن أبي كثير ، وعطية ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك ، وغيرهم .

وقال [ثور بن][٣] زيد عن عكرمة ؛ قال : سئل ابن عباس عن قوله : ﴿ **عُرُبًا** ﴾ قال : هي الملقة لزوجها . وقال شعبة عن سماك عن عكرمة : هي الغنجة / .

وقال الأجلح بن عبد اللَّه ، عن عكرمة : هي الشَّكلة. وقال صالح بن حَيَّان ، عن عبد اللَّه بن بريدة في قوله : ﴿ **عُرُبا** ﴾ ، قال : الشكلة بلغة أهل مكة ، والغنجة بلغة أهل المدينة . وقال تميم بن حذلم : هي حسن التبعل . وقال زيد بن أسلم ، وابنه عبد الرحمن :

= قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٤٢٠/١٠) : رواه البزار والطبراني في الصغير وفيه معلى بن عبد الرحمن الواسطي وهو كذاب .

(٦٩) - أخرجه الطيالسي في « مسنده » ص (٢٦٩) برقم (٢٠١٢) .

(٧٠) - ومن طريقه الترمذي في كتاب : صفة الجنة ، باب : ما جاء في صفة جماع أهل الجنة ، حديث (٢٥٣٩) (٢١٨/٧) . وفي إسناده قتادة مشهور بالتدليس ، وعمران - وهو ابن داود القطان ، صدوق يهم .

(٧١) - أخرجه الطبراني في الأوسط (٢١٩/١) (٧١٨) . وإسناده رجاله ثقات .

[١] - في ز : ونطيق . [٢] - في ز : سرخس .

[٣] - ما بين المعكوفين في ز : أبو .

العُرُب : حسنات الكلام .

وقال ابن أبي حاتم : ذكر عن سهل بن عثمان العسكري : حدثنا أبو عليّ ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : [﴿ عُرُبًا ﴾][١] قال : « كلامهن عربيّ » .

وقوله : ﴿ أترابًا ﴾ قال الضحاك عن ابن عباس : يعني في سن واحدة ؛ ثلاث وثلاثين سنة .

وقال مجاهد : الأتراب : المستويات . وفي رواية عنه : الأمثال . وقال عطية : الأقران . وقال السدي : ﴿ أترابًا ﴾ ، أي : في الأخلاق المتواخيات بينهن ، ليس بينهن تباغض ولا تحاسد ، يعني لا كما كن ضرائر متعاديات .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة عن عبد الله بن الكهف ، عن الحسن ومحمد : ﴿ عُرُبًا أترابًا ﴾ ، قالا : المستويات الأسنان ، يأتلفن جميعًا ، ويلعبن جميعًا .

وقد روىٰ أبو عيسىٰ الترمذي ، عن أحمد بن منيع ، عن أبي معاوية ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن النعمان بن سعد ، عن عليّ - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن في الجنة لمجتمعًا للحور العين ، يرفعن أصواتًا لم تسمع الخلائق بمثلها ، يقلن : نحن الخالدات فلا نبيد ، ونحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الراضيات فلا نسخط ، طوبىٰ لمن كان لنا وكُنّا له** » (٧٢). ثم قال : هذا حديث غريب .

وقال الحافظ أبو يعلىٰ : حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا إسماعيل بن عمر ، حدثنا ابن أبي ذئب ، عن فلان بن عبد الله بن رافع ، عن بعض ولد أنس بن مالك ، عن أنس ، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ قال : « **إن الحور العين ليغنين في الجنة ، يقلن : نحن خَيِّرات حسان ، خبئنا[٢] لأزواج كرام** » (٧٣).

قلت : إسماعيل بن عُمَر هذا هو أبو المنذر الواسطي أحد الثقات الأثبات . وقد روىٰ هذا

(٧٢) - أخرجه الترمذي في كتاب : صفة الجنة ، باب : ما جاء في كلام الحور العين ، حديث (٢٥٦٧) (٢٤٠/٧ - ٢٤١) . وفي إسناده عبد الرحمن بن إسحاق ضعيف . والنعمان بن سعد ؛ قال الحافظ : مقبول .

(٧٣) - أخرجه أبو يعلى كما في المطالب العالية لابن حجر (٤٠٢/٤) (٤٦٨٤) .

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ز : حيينا .

الحديث الإمام عبد الرحيم بن إبراهيم الملقب بدُحيم ، عن ابن أبي فديك ، عن ابن أبي ذئب ، عن عون بن الخطاب بن عبد الله بن رافع ، عن ابن لأنس ، عن أنس ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : / « **إن الحور العين يغنين في الجنة : نحن الجوار الحسان ، خلقنا لأزواج كرام** » (٧٤).

وقوله : ﴿ **لأصحاب اليمين** ﴾ ، أي : خلقن لأصحاب اليمين [أو : ادّخرن لأصحاب اليمين][١] أو : زوجن لأصحاب اليمين . والأظهر أنه متعلق بقوله : ﴿ **إنا أنشأناهن إنشاء * فجعلناهن أبكارًا . عربًا أترابًا * لأصحاب اليمين** ﴾ ، فتقديره : أنشأناهن لأصحاب اليمين . وهذا توجيه ابن جرير .

روُي عن أبي سليمان الدّاراني - رحمه الله - قال : صليتُ ليلة ، ثم جلست أدعو ، وكان البردُ شديدًا ، فجعلت أدعو بيد واحدة ، فأخذتني عيني فنمت ، فرأيت حوراء لم ير مثلها وهي تقول : يا أبا سليمان ، أتدعو بيد واحدة وأنا أغذىٰ[٢] لك في النعيم من خمسمائة سنة !

قلت : ويحتمل أن يكون قوله : ﴿ **لأصحاب اليمين** ﴾ متعلقًا بما قبله ، وهو قوله : ﴿ **أترابًا * لأصحاب اليمين** ﴾ ، أي : في أسنانهم[٣] . كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم ، من حديث جَرير ، عن عُمَارة بن القعقاع ، عن أبي زُرعَةَ ، عن أبي هُرَيرة ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أول زمرة يدخلون الجنة علىٰ صورة القمر ليلة البدر ، والذين يلونهم علىٰ ضَوء أشدّ كوكب دُرّيّ في السماء إضاءة ، لا يبولون ولا يتغوطون ، ولا يتفلون ولا يتمخطون ، أمشاطهم الذهب ، ورشحهم المسك ، ومجامرهم الألُوّة[٤] ، وأزواجهم الحور العين ، أخلاقهم علىٰ خَلْق رجل واحد ، علىٰ صورة أبيهم آدم ، ستون ذراعًا في السماء** » (٧٥).

(٧٤) - أخرجه أبو نعيم في صفة الجنة (٢/٢٨٠) (٤٣٢) . وفي إسناده عون بن الخطاب ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا . والحديث أخرجه الطبراني في الأوسط (٦/٣١٢) (٦٤٩٧) وفيه الحسن بن داود المنكدري . قال البخاري : يتكلمون فيه . وقال ابن عدي أرجو أنه لا بأس به . قال الهيثمي في « المجمع » (١٠/٤٢٢) : رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورجاله وثقوا .

(٧٥) - أخرجه البخاري في كتاب : أحاديث الأنبياء ، باب : خلق آدم وذريته ، حديث (٣٣٢٧) (٦/٣٦٢) . =

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز .

[٢] - في ز : أعدني . [٣] - في ز : أشباههم .

[٤] - الألُوَّة : عود يتبخر به . الوسيط [١/٢٦] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون وعفان ؛ قالا : حدثنا حماد بن سلمة - وروىٰ الطبراني واللفظ له ، من حديث حماد بن سلمة - عن عليّ بن زيد بن جدعان ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **يدخل أهل الجنة الجنةَ جُردًا مُردًا بيضًا جِعَادًا مكحلين ، أبناء ثلاث وثلاثين ، وهم علىٰ خَلْق آدم ستون ذراعًا في**[١] **عرض سبعة أذرع** » (٧٦).

وروىٰ الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي ، عن عمران القطان ، عن قتادة ، عن شهر بن حوشب ، عن عبد الرحمن بن غنم ، عن مُعَاذ بن جَبَل ؛ أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **يدخل أهل الجنة الجنة جردًا مردًا مكحلين أبناء [ثلاثين ، أو]**[٢] **ثلاث وثلاثين سنة** » (٧٧). ثم قال : « **حسن غريب** » .

وقال ابن وهب : أخبرنا عمرو بن الحارث أنّ دَرّاجًا أبا السمح حَدّثه عن أبي[٣] الهيثم ، عن أبي سعيد ؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **من مات / من أهل الجنة من صغير أو كبير ، يُرَدّون بني ثلاث وثلاثين في الجنة ، لا يزيدون عليها أبدًا ، وكذلك أهل النار** »(٧٨) .

ورواه الترمذي عن سويد بن نصر عن ابن المبارك عن رشدين[٤] بن سعد عن عمرو بن الحارث به (٧٩).

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثنا القاسم بن هاشم ، حدثنا صفوان بن صالح ، حدثني

= ومسلم في كتاب : الجنة وصفة نعيمها ، باب : أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، حديث (٢٨٣٤/١٥) (٢٥١/١٧) .

(٧٦) - أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٥، ٣٤٣، ٤١٥) . والطبراني في الأوسط (٣١٨/٥) (٥٤٢٢) وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف .

(٧٧) - أخرجه الترمذي في كتاب : صفة الجنة ، باب : ما جاء في سن أهل الجنة ، حديث (٢٠٤٨) (٧/ ٢٢٤) وفي إسناده شهر بن حوشب : ضعيف .
وقتادة مدلس ، والراوى عنه عمران بن داود صدوق يهم .

(٧٨) - أخرجه أبو نعيم في صفة الجنة (١٠٨/٢) (٢٥٩) وفي إسناده دراج ، في روايته عن أبي الهيثم ضعف .

(٧٩) - أخرجه الترمذي في كتاب : صفة الجنة ، باب : ما جاء ما لأهل الجنة من الكرامة ، حديث (٢٥٦٥) (٢٣٩/٧) . وفي إسناده رشدين أيضًا وهو ضعيف .

---

[١] - سقط من ز . [٢] - سقط من ز .
[٣] - في ز : ابن . [٤] - في ز : رشد .

رَوَّاد بن الجراح العسقلاني ، حدثنا الأوزاعي ، عن هارون بن رئاب ، عن أنس؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **يدخل أهل الجنة الجنةَ علىٰ طول آدم ، ستين ذراعًا بذراع الملك ! علىٰ حُسْن يوسف ، وعلىٰ ميلاد عيسىٰ ثلاث وثلاثين سنة ، وعلىٰ لسان محمد ، جُرْدٌ مُرْدٌ مُكَحَّلون** » (٨٠).

وقال أبو بكر بن أبي داود : حدثنا محمود بن خالد وعباس بن الوليد؛ قالا : حدثنا عمر ، عن الأوزاعي ، عن هارون بن رئاب ، عن أنس بن مالك؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **يبعث أهل الجنة علىٰ صورة آدم في ميلاد [عيسىٰ][١] ثلاث وثلاثين ، جُردًا مردًا مكحلين . ثم يذهب بهم إلىٰ شجرة في الجنة فيكسون منها لا تبلىٰ ثيابهم ولا يفنىٰ شبابهم** » (٨١).

[وقوله : ﴿ **ثلة من الأولين** ﴾ أي : جماعة من الأولين ، وجماعة من الآخرين][٢] .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا المنذر بن شاذان ، حدثنا محمد بن بكار ، حدثنا سعيد بن بَشِير ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن عمران بن حُصَين ، عن عبد اللَّه بن مسعود - قال : وكان بعضهم يأخذ عن بعض - قال : أكرينا ذات ليلة عند رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ثم غدونا عليه ، فقال : « **عُرضت عليَّ الأنبياء وأتباعها بأممها ، فيمر عليَّ النبيّ ، والنبي في العصابة ، والنبي في الثلاثة ، والنبي ليس معه أحد** » . وتلا قتادة هذه الآية : ﴿ **أليس منكم رجل رشيد** ﴾ - قال : « **حتىٰ مَرّ عليّ موسىٰ بن عمران في كُبْكُبَة**(*) **من بني إسرائيل** » . قال : « **قلتُ : ربِّ ، من هذا ؟ قال : هذا أخوك موسىٰ بن عمران ومن معه من بني إسرائيل** » . قال : « **قلتُ : ربِّ ، فأين أمتي ؟ قال : انظر عن يمينك في الظِّراب** » . قال : « **فإذا وجوه الرجال** » . قال : « **قال : أرضيتَ ؟** » قال : « **قلت : قد رضيت ، رب . قال : انظر إلىٰ الأفق عن يسارك . فإذا وجوه الرجال . قال : أرضيت ؟ قلت : رضيت ، رب . قال : فإن مع هؤلاء سبعين ألفًا ، يدخلون الجنة بغير حساب** » . قال : وأنشأ عُكَّاشة بن مِحْصَن من بني أسد - قال سعيد : وكان بَدْرِيًّا -

(٨٠) - ذكره ابن القيم في حادى الأرواح (٢١٨) من حديث ابن أبي الدنيا بهذا الإسناد ، وفيه رواد بن الجراح صدوق اختلط بأخرة فترك .

وصفوان بن صالح يدلس تدليس التسوية .

(٨١) - أخرجه أبو نعيم في صفة الجنة (١٠٤/٢) (٢٥٥) . وفي الحلية (٥٦/٣) ، وقال الهيثمي في المجمع (٤٠٢/١٠) : رواه الطبراني في الأوسط وإسناده جيد .

(*) الجماعة المتضامة من الناس وغيرهم . النهاية (١٤٤/٤) .

[١] - سقط من ز . [٢] - ما بين المعكوفين سقط من ز .

قال : / يانبي الله ؛ ادع الله أن يجعلني منهم . قال : فقال : « **اللّهم ؛ اجعله منهم** » . [قال : أنشأ رجل آخر][١] ؛ قال : يا نبي الله ؛ ادع الله أن يجعلني منهم . فقال : « **سبقك بها عُكّاشة** » . قال : فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **فإن استطعتم - فداكم أبي وأمي - أن تكونوا من أصحاب السبعين فافعلوا ، وإلا فكونوا من أصحاب الظّراب ، وإلا فكونوا من أصحاب الأفق ، فإني قد رأيت ناسًا كثيرًا قد تأشّبوا(*) حوله**[٢] » . ثم قال : « **إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة** » . فكبرنا ، ثم قال : « **إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة** » . قال : فكبرنا ، قال : « **إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة** » . قال : فكبرنا . ثم تلا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم هذه الآية : ﴿ **ثلة من الأولين * وثلة من الآخرين** ﴾ . قال : فقلنا بيننا : من هؤلاء السبعون[٣] ألفًا ؟ فقلنا[٤] : هم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا . قال : [فبلغه][٥] ذلك ، فقال : « **بل هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون ، وعلىٰ ربهم يتوكلون** » .

وكذا رواه ابن جرير من طريقين آخرين عن قتادة به نحوه(٨٢) . وهذا الحديث له طرق كثيرة من غير هذا الوجه [في][٦] الصحاح وغيرها .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا مهران ، حدثنا سفيان ، عن أبان بن أبي عياش ، [عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس][٧] : ﴿ **ثلة من الأولين * وثلة من الآخرين** ﴾ ، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **هُمَا جميعًا من أمتي** » (٨٣).

وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ

(*) أي : اجتمعوا عليه وأطافوا به . (النهاية ١/ ٥٠)

(٨٢) - أخرجه الطبري (٢٧/ ١٩٠) ، و(١٩١/٢٧) وفي إسناده الحسن وقتادة وكلاهما عرف بالتدليس لكن يشهد لبعضه الحديث التالي .

(٨٣) - أخرجه البخاري في كتاب : الطب ، باب : من اكتوى أو كوى غيره ، وفضل من لم يكتو ، حديث (٥٧٠٥) (١٠/ ١٥٥) . وفي باب : ومن لم يرق ، حديث (٥٧٥٢) (١٠/ ٢١١) . ومسلم في كتاب : الإيمان ، باب : الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ، حديث (٣٧٤/ ٢٢٠) (٣/ ١١٦ - ١١٨) . كلاهما من حديث عبد الله بن عباس ، رضي الله عنه .

---

[١] - بياض في ز .
[٢] - في ز : اخوا . كذا .
[٣] - في ز : فإن . كذا .
[٤] - في ز : قبلنا .
[٥] - بياض في ز .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - ما بين المعكوفين سقط من ز .

﴿ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾

لما ذكر تعالىٰ حال أصحاب اليمين، عطف عليهم بذكر أصحاب الشمال، فقال: ﴿ **وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال** ﴾. أي: أيّ شيء هم أصحاب الشمال؟ ثم فسّر ذلك فقال: ﴿ **في سموم** ﴾، وهو: الهواء الحار، ﴿ **وحميم** ﴾، وهو: الماء الحار، ﴿ **وظل من يحموم** ﴾، قال ابن عباس: ظل الدخان. وكذا قال مجاهد، وعكرمة، وأبو صالح، وقتادة، والسدي، وغيرهم.

وهذه كقوله تعالىٰ: ﴿ **انطلقوا إلىٰ / ما كنتم به تكذبون * انطلقوا إلىٰ ظل ذي ثلاث شعَب * لا ظليل ولا يغني من اللهب * إنها ترمي بشرر كالقصر * كأنه جمالات**[١] **صُفر * ويل يومئذ للمكذبين** ﴾، ولهذا قال هاهنا: ﴿ **وظل من يحموم** ﴾، وهو: الدخان الأسود، ﴿ **لابارد ولا كريم** ﴾، أي: ليس طَيّبَ الهبوب ولا حَسَن المنظر، كما قال الحسن وقتادة: ﴿ **ولا كريم** ﴾. أي: ولا كريم المنظر. وقال الضحاك: كل شراب ليس بعذب فليس[٢] بكريم.

وقال ابن جرير: العرب تتبع هذه اللفظة في النفي، فيقولون: هذا الطعام ليس بطيب ولا كريم، هذا اللحم ليس بسمين ولا كريم، وهذه الدار ليست بنظيفة ولا كريمة.

ثم ذكر تعالىٰ استحقاقهم لذلك فقال تعالىٰ: ﴿ **إنهم كانوا قبل ذلك مترفين** ﴾. أي: كانوا في الدار الدنيا منعمين مقبلين علىٰ لذات أنفسهم، لا يلوون علىٰ ما جاءتهم به الرسل.

﴿ **وكانوا يصرون** ﴾ أي: يُصَمّمون ولا ينوون[٣] توبة، ﴿ **علىٰ الحنث العظيم** ﴾.

---

[١] - كذا في ز.
[٢] - في ز: وليس.
[٣] - في ز: يتوبون.

وهو الكفر بالله ، وجعل الأوثان والأنداد أربابًا من دون الله .

قال ابن عباس : ﴿ **الحنث العظيم** ﴾ : الشرك . وكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، والضحاك ، وقتادة ، والسدي ، وغيرهم . وقال الشعبي : هو اليمين الغموس .

﴿ **وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابًا وعظامًا أئنا لمبعوثون * أو آباؤنا الأولون**[١] ﴾ يعني أنهم يقولون [مثل][٢] ذلك مكذبين به مستبعدين لوقوعه ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **قل إن الأولين والآخرين * لمجموعون إلىٰ ميقات يوم معلوم** ﴾ . أي : أخبرهم يامحمد أن الأولين والآخرين من بني آدم سيجمعون إلىٰ عَرَصات القيامة ، لا نغادر منهم أحدًا . كما قال : ﴿ **ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود * وما نؤخره إلا لأجل معدود * يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد** ﴾ ؛ ولهذا قال هاهنا : ﴿ **لمجموعون إلىٰ ميقات يوم معلوم** ﴾ ، أي : هو موقت بوقت مُحَدّد ، لا يتقدم ولا يتأخر ، ولا يزيد ولا ينقص .

﴿ **ثم إنكم أيها الضالون المكذبون * لآكلون من شجر من زقوم * فمالئون منها البطون** ﴾ ، وذلك أنهم يقبضون ويُسجَرون حتىٰ يأكلوا من شجر الزقوم[٣] ، حتىٰ يملئوا منها بطونهم ، ﴿ **فشاربون عليه من الحميم * فشاربون شرب الهيم** ﴾ . وهي الإبل العطاش ، واحدها أهيم والأنثىٰ هيماء ، ويقال : هائم وهائمة .

قال ابن عباس ومجاهد ، وسعيد بن جبير وعكرمة : / الهيم : الإبل العطاش الظماء .

وعن عكرمة أنه قال : الهيم : الإبل المراض ، تمص الماء مصًّا ولا تَرْوَىٰ .

وقال السدي : الهيم : داء يأخذ الإبل فلا تَروىٰ أبدًا حتىٰ تموت ، فكذلك أهل جهنم لا يَرْوَون من الحميم أبدًا .

وعن خالد بن معدان : أنه كان يكره أن يشرب شرب الهيم عبة[٤] واحدة من غير أن يتنفس ثلاثًا .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **هذا نزلهم يوم الدين** ﴾ ، أي : هذا الذي وصفنا هو ضيافتهم عند ربهم يوم حسابهم ، كما قال في حق المؤمنين : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلًا** ﴾ أي : ضيافة وكرامة .

---

[١] - في ز : الأولين .
[٢] - سقط من خ .
[٣] - في ز : من زقوم .
[٤] - في ز : غبة .

نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾

يقول تعالىٰ مُقرّرًا للمعاد، وردًّا علىٰ المكذبين به من أهل الزيغ والإلحاد، من الذين قالوا: ﴿ **أئذا** [متنا و][١] **كنا ترابًا وعظامًا أئنا لمبعوثون** ﴾ . وقولُهم ذلك صَدَرَ منهم علىٰ وجه التكذيب والاستبعاد، فقال: ﴿ **نحن خلقناكم** ﴾ ، أي نحن ابتدأنا خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئًا مذكورًا، أفليس الذي قدر علىٰ البَداءَة بقادر علىٰ الإعادة بطريق الأولىٰ [والأحرىٰ][٢] ؛ فلهذا قال: ﴿ **فلولا تصدقون** ﴾ ، أي: فهلا تصدقون بالبعث! ثم قال مستدلًا عليهم بقوله: ﴿ **أفرأيتم ما تمنون * أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون** ﴾ ، أي: أنتم تقرونه في الأرحام وتخلقونه فيها، أم الله الخالق لذلك؟ ثم قال: ﴿ **نحن قدرنا بينكم الموت** ﴾ . أي: صرفناه بينكم. وقال الضحاك: ساوىٰ فيه بين أهل السماء والأرض.

﴿ **وما نحن بمسبوقين** ﴾ أي: وما نحن بعاجزين ﴿ **علىٰ أن نبدِّل أمثالكم** ﴾ ، أي: نغير خلقكم يوم القيامة، ﴿ **وننشئكم فيما لا تعلمون** ﴾ ، أي: من الصفات والأحوال.

ثم قال: ﴿ **ولقد علمتم النشأة الأولىٰ فلولا تذكرون** ﴾ . أي: قد علمتم أن الله أنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئًا مذكورًا، فخلقكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة، فهلا تتذكرون وتعرفون أن الذي قدر علىٰ هذه النشأة - وهي البَدَاءة - قادر علىٰ النشأة الأخرىٰ - / وهي الإعادة - بطريق الأولىٰ والأحرىٰ؟ كما قال: ﴿ **وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه** ﴾ ، وقال: [﴿ **أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئًا** ﴾ وقال][٣] : ﴿ **أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين * وضرب لنا مثلًا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم * قل يحيها الذي أنشأها أوَّلَ مَرَّةٍ وهو بكل خلق عليم** ﴾ . وقال تعالىٰ: ﴿ **أيحسب الإنسان أن يترك سدى * ألم يك نطفة من مني يمنىٰ * ثم كان علقة فخلق فسوىٰ * فجعل منه الزوجين الذكر والأنثىٰ * أليس ذلك بقادر علىٰ أن يحيي الموتى** ﴾ .

---

[١] - سقط من ز. [٢] - سقط من ز.

[٣] - ما بين المعكوفين سقط من ز.

أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٦٣) ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ
حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧) أَفَرَءَيْتُمُ
ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ (٦٨) ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَآءُ
جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (٧٠) أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ (٧١) ءَأَنتُمْ
أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ (٧٢) نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ
(٧٣) فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ (٧٤)

يقول : ﴿ **أفرأيتم ما تحرثون** ﴾ ، وهو شق الأرض وإثارتها والبذر فيها ، ﴿ **أأنتم تزرعونه** ﴾ ، أي : تنبتونه في الأرض ﴿ **أم نحن الزارعون** ﴾ أي : بلى[١] نحن الذين نقره قراره ونُنبته في الأرض .

قال ابن جرير : وقد حدثني أحمد بن الوليد القرشي ، حدثنا مسلم بن أبي مسلم الجَرْمي ، حدثنا مخلد بن الحسين ، عن هشام ، عن محمد ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لا تقولن : زرعت ، ولكن قل : حرثت** » . قال أبو هريرة : ألم تسمع إلىٰ قوله : ﴿ **أفرأيتم ما تحرثون * أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون** ﴾(٨٤) [و][٢] رواه البزار عن محمد بن عبد الرحيم عن مسلم[٣] الجرمي [به][٤] .

[وقال][٥] ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا موسىٰ بن إسماعيل ، حدثنا حماد ، عن عطاء عن أبي عبد الرحمن ، لا تقولوا : زرعنا ، ولكن قولوا : حرثنا .

وروي عن حجر المدري أنه كان إذا قرأ : ﴿ **أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون** ﴾ : وأمثالها يقول : بل أنت يا رب .

وقوله : ﴿ **لو نشاء لجعلناه حطامًا** ﴾ . أي : نحن أنبتناه بلطفنا ورحمتنا ، وأبقيناه لكم

(٨٣) - أخرجه الطبري (١٩١/٢٧) . وفي إسناده أبان بن أبي عياش : متروك .
(٨٤) - أخرجه الطبري (١٩٨/٢٧) .

[١] - في ز : بلى .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - بعده في ت : عن .
[٤] - بياض في ز .
[٥] - سقط من ز .

رحمة بكم ، ولو نشاء لجعلناه حطامًا ، أي : لأيبسناه قبل استوائه واستحصاده ، ﴿ **فظلتم تفكهون** ﴾ . ثم فسر ذلك بقوله : ﴿ **إنا لمغرمون * بل نحن محرومون** ﴾ ، أي : لو جعلناه حطامًا لظَلْتم / تفكهون في المقالة ، تنوعون كلامكم ، فتقولون تارة : ﴿ **إنا لمغرمون** ﴾ أي : لَمُلْقَوْن[١] ، وقال مجاهد ، وعكرمة : إنا لَمُولَع بنا . وقال قتادة : معذبون . وتارة تقولون : بل نحن محرمون .

وقال مجاهد أيضًا : ﴿ **إنا لمغرمون** ﴾ : ملقون للشر ، أي : بل نحن مُحَارَفون . قاله قتادة ، أي : لا يثبت لنا مال ، ولا ينتج لنا ربح .

وقال مجاهد : ﴿ **بل نحن محرومون** ﴾ [أي]:[٢] محدودون ، يعني : لاحظ لنا .

قال ابن عباس ، ومجاهد : ﴿ **فظلتم تفكهون** ﴾ : تعجبون . وقال مجاهد أيضًا : ﴿ **فظلتم تفكهون** ﴾ : تفجعون وتحزنون علىٰ ما فاتكم من زرعكم . وهذا يرجع إلىٰ الأول ، وهو التعجب من السبب الذي من أجله أصيبوا في مالهم . وهذا اختيار ابن جرير .

وقال عكرمة : ﴿ **فظلتم تفكهون** ﴾ : تلاومون . وقال الحسن ، وقتادة ، والسدي : ﴿ **فظلتم تفكهون** ﴾ ، تندمون . ومعناه إما علىٰ ما أنفقتم أو علىٰ ما أسلفتم من الذنوب . قال [الكسائي][٣] : تفكّه من الأضداد ، تقول العرب : تفكهت[٤] بمعنىٰ تنعمت ، وتفكهت بمعنى حزنت .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **أفرأيتم الماء الذي تشربون * أأنتم أنزلتموه من المزن** ﴾ ، يعني : السحاب . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وغير واحد . ﴿ **أم نحن المنزلون** ﴾ ، يقول : بل نحن المنزلون . ﴿ **لو نشاء جعلناه أجاجًا** ﴾ ، أي : زُعاقًا[٥] مرًا لا يصلح لشرب[٦] ولا زرع ، ﴿ **فلولا تشكرون** ﴾ ، أي : فهلا تشكرون نعمة اللَّه عليكم في إنزاله المطر عليكم عذبًا زلالًا ؟! ﴿ **لكم منه شراب ومنه شجر فيه تُسِيمون * ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عثمان بن سعيد بن مرة ، حدثنا فُضَيل[٧] بن مرزوق ، عن جابر ، عن أبي جعفر ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : أنه كان[٨] إذا

---

[١] - في ز : لمعلون .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - بياض في ز .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - الزُّعاق من الماء : المرُّ الغليظ لا يطاق شربه . الوسيط [١/٤٠٨] .
[٦] - في ز : لشراب .
[٧] - في ز : فضل .
[٨] - سقط من ت .

شرب الماء قال : « **الحمد لله الذي سقاناه عذبًا فراتًا برحمته ، ولم يجعله ملحًا أجاجًا بذنوبنا** »(٨٥) .

ثم قال : ﴿ **أفرأيتم النار التي تورون** ﴾ ، أي : تقدحون من الزناد ، وتستخرجونها من أصلها ، ﴿ **أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون** ﴾ . أي : بل نحن الذين جعلناها مودعة في موضعها ، وللعرب شجرتان ، إحداهما : المرخ[١] ، والأخرىٰ : العَفار[٢] ، إذا أخِذَ منهما غصنان أخضران ، فحُكَّ أحدهما بالآخر ، تناثر من بينهما شرر النار .

وقوله : ﴿ **نحن جعلناها تذكرة** ﴾ قال مجاهد وقتادة : أي تذكر النار الكبرىٰ .

قال قتادة : ذكر لنا أن / رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ قال : « **يا قوم ؛ ناركم[٣] هذه التي توقدون جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم** » . قالوا : يارسول الله ؛ إن كانت لكافية ! قال : « **قد ضُربت بالماء ضربتين - أو : مرتين - حتىٰ يستنفع بها بنو آدم ويدنوا منها** »(٨٦) .

وهذا الذي أرسله قتادة قد رواه الإمام أحمد في مسنده ؛ فقال :

حدثنا سفيان ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم ، وضربت بالبحر مرتين ، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد** » (٨٧).

وقال الإمام مالك عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **نار بني آدم التي يوقدون جزءٌ من سبعين جزءًا من نار جهنم** » . فقالوا : يارسول الله ؛ إن كانت لكافية . فقال : « **إنها فُضّلت عليها بتسعة وستين جزءًا** »(٨٨) .

---

(٨٥) - في إسناده عثمان بن سعيد بن مرة ، قال الحافظ : مقبول . وفضيل بن مرزوق وثقه الثوري وابن معين ، وقال ابن أبي حاتم : سألت أبي عن فضيل بن مرزوق ؟ فقال : هو صدوق ، صالح الحديث يهم كثيرًا يكتب حديثه . قلت : يحتج به ؟ قال : لا . الجرح والتعديل (٧٥/٧) . وجابر هو ابن يزيد بن رفاعة العجلي ذكره ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٤٩٨/٢) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا .

(٨٦) - أخرجه الطبري (٢٠١/٢٧) .

(٨٧) - أخرجه أحمد (٢٤٤/٢) وإسناده صحيح .

(٨٨) - وأخرجه مالك في كتاب : جهنم ، باب : ما جاء في صفة جهنم ، حديث (١) (٧٥٩/٢) .

---

[١] - في ز : المدح . [٢] - في ز : العيار .

[٣] - سقط من ز .

رواه البخاري من حديث مالك(٨٩) ، ومسلم من حديث أبي الزناد(٩٠) . ورواه مسلم ، من حديث عبد الرزاق ، عن معمر عن همام ، عن أبي هريرة به (٩١). وفي لفظ « **والذي نفسي بيده ، لقد فضّلت [عليها][١] بتسعة وستين جزءًا كلهن مثل حرّها** » .

وقال أبو القاسم الطبراني : حدثنا أحمد بن عمرو الخلال ، حدثنا إبراهيم بن المنذر الحرامي ، حدثنا معن بن عيسىٰ القزاز ، عن مالك ، عن عمه أبي السهيل[٢] ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أتدرون ما مثل ناركم هذه من نار جهنم ؟ لهي أشد سوادًا من ناركم هذه بسبعين[٣] ضعفًا** » (٩٢).

قال الضياء المقدسي : وقد رواه ابن مصعب عن مالك ولم يرفعه ، وهو عندي علىٰ شرط الصحيح .

وقوله : ﴿ **ومتاعًا للمقوين** ﴾ . قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، والنضر ابن عربي[٤] : معنىٰ ﴿ **المقوين** ﴾ : المسافرين . واختاره ابن جرير ، وقال : ومنه قولهم : أقوت الدار إذا رحل أهلها . وقال غيره : القي والقَوَاء : القفر الخالي البعيد من العمران .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : المقوي هٰهنا : الجائع .

وقال ليث بن أبي سليم : عن مجاهد : ﴿ **ومتاعًا للمقوين** ﴾ : للحاضر والمسافر ، لكل طعام لا يصلحه إلا النار . وكذا روىٰ سفيان ، عن جابر الجعفي ، عن مجاهد .

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله : ﴿ **للمقوين** ﴾ المستمتعين ، الناس أجمعين . وكذا ذكر عن عكرمة .

وهذا / التفسير أعم من غيره ، فإن الحاضر والبادي من غني وفقير ، الكل محتاجون للطبخ والاصطلاء والإضاءة وغير ذلك من المنافع . ثم من لطف الله تعالىٰ أن أودعها في الأحجار وخالص الحديد ، بحيث يتمكن المسافر من حمل ذلك في متاعه وبين ثيابه ، فإذا

---

(٨٩) - ومن طريقه البخاري في كتاب : بدء الخلق ، باب : صفة النار وأنها مخلوقة ، حديث (٣٢٦٥) (٦/٣٣٠) .

(٩٠) - مسلم في كتاب : الجنة وصفة نعيمها ، باب : في شدة حر نار جهنم ، وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين ، حديث (٣٠/٢٨٤٣) (١٧/٢٦١) .

(٩١) - أخرجه في الموضع السابق برقم (٣٠/٢٨٤٣م) (١٧/٢٦٢) .

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ز : سهل .

[٣] - في ز : بستين .

[٤] - في ز : عدي .

احتاج إلىٰ ذلك في منزله أخرج زنده وأورىٰ ، وأوقد ناره فاطبخ بها واصطلى ، واشتوى واستأنس بها ، وانتفع بها سائر الانتفاعات .

فلهذا أفردَ المسافرون وإن كان[١] ذلك عامًّا في حق الناس كلهم . وقد يستدل له بما رواه الإمام أحمد وأبو داود من حديث أبي خدَاش حِبَّانَ بن زَيد الشَّرعبي الشَّامي ، عن رجل من المهاجرين من قرن[٢] ، أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم؛ قال : « **المسلمون شركاء في ثلاثة : النار ، والكلإ ، والماء** » (٩٣).

وروىٰ ابن ماجة بإسناد جيد عن أبي هريرة؛ قال : قال : رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ثلاث لا يُمنعن : الماء ، والكلأ ، والنار** » (٩٤). وله من حديث ابن عباس مرفوعًا مثل هذا وزيادة : « **وثمنه حرام** »(٩٥) . ولكن في إسناده عبد اللّٰه بن خِرَاش بن حَوْشب ، وهو ضعيف ، واللّٰه أعلم .

وقوله : ﴿ **فسبح باسم ربك العظيم** ﴾ ، أي : الذي بقدرته خلق هذه الأشياء المختلفة المتضادة : الماء العذب الزلال البارد ، ولو شاء لجعله ملحًا أجاجًا كالبحار المغرقة . وخَلَق النار المحرقة ، وجعل ذلك مصلحة للعباد ، وجعل هذه منفعة لهم في معاش دنياهم ، وزاجرًا لهم في المعاد .

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

(٩٢) - أخرجه الطبراني في الأوسط (١/١٥٥) (٤٨٥) .

(٩٣) - أخرجه أحمد (٥/٣٦٤) (٢٣١٨٨) .
وأبو داود في كتاب : البيوع ، باب : في منع الماء ، حديث (٣٤٧٧) (٣/٢٧٨) .
قال الزيلعي في « نصب الراية » (٤/٢٩٤) : وأسند ابن عدي في الكامل عن أحمد وابن معين أنهما قالا في حريز : ثقة . وذكره عبد الحق في أحكامه - يعني الحديث - من جهة أبي داود ، قال : لا أعلم روى عن أبي خداش إلا حريز بن عثمان ، وقد قيل فيه : مجهول .اهـ .
قال البيهقي في المعرفة : وأصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - كلهم ثقات ، وترك ذكر أسمائهم في الإسناد لا يضر إن لم يعارضه ما هو أصح منه . انتهى . من النصب . والحديث صححه الشيخ الألباني في الإرواء (٦/٧-٨) .

(٩٤) - أخرجه ابن ماجة في كتاب : الرهون ، باب : المسلمون شركاء في ثلاث ، حديث (٢٤٧٣) (٢/٨٢٦) . قال في الزوائد : هذا إسناد صحيح رجاله موثقون ؛ لأن محمد بن عبد الله بن يزيد أبا يحيى المكى وثقه النسائي وابن أبي حاتم وغيرهما ، وباقي رجال الإسناد على شرط الشيخين .

(٩٥) - أخرجه ابن ماجة في الموضع السابق برقم (٢٤٧٢) (٢/٨٢٦) . وفي الزوائد : عبد الله بن خراش قد ضعفه أبو زرعة والبخاري وغيرهما ، وقال محمد بن عمار الموصلي : كذاب . اهـ . =

[١] - سقط من ز . [٢] - في ز : قرر .

إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ (٧٨) لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٨٠) أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ (٨١) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ (٨٢)

قال جويبر عن الضحاك : إن الله لا يقسم بشيء من خلقه ، ولكنه استفتاح يستفتح به كلامه . وهذا القول ضعيف . والذي عليه الجمهور أنه قسم من الله - عز وجل - يقسم بما شاء من خلقه ، وهو دليل علىٰ عظمته . ثم قال بعض المفسرين : « لا » هاهنا زائدة ، وتقديره : أقسم بمواقع النجوم . ورواه ابن جرير ، عن سعيد بن جبير . ويكون جوابه : ﴿ **إنه لقرآن كريم** ﴾ .

وقال آخرون : ليست « لا » زائدة لا معنىٰ لها ، بل يؤتىٰ بها في أول القسم إذا كان مقسمًا به علىٰ منفي ، كقول عائشة - رضي الله عنها - : لا ، والله مَا مست يد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يد امرأة قطُّ(٩٦) . وهكذا هاهنا تقدير الكلام : لا أقسم بمواقع النجوم : ليس الأمر كما زعمتم / في القرآن أنه سحر أو كهانة ، بل هو قرآن كريم .

وقال ابن جرير : وقال بعض أهل العربية : معنىٰ قوله : ﴿ **فلا أقسم** ﴾ ، فليس الأمر كما تقولون ، ثم استأنف القسم بعد فقيل : أقسم .

واختلفوا في معنىٰ قوله : ﴿ **بمواقع النجوم** ﴾ فقال حكيم بن جُبَير عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : يعني نجوم القرآن ، فإنه نزل جملة ليلة القدر من السماء العليا إلىٰ السماء الدنيا ، ثم نزل مُفرقًا في السنين بعد . ثم قرأ ابن عباس هذه الآية .

وقال الضحاك عن ابن عباس : نزل القرآنُ جملة من عند الله من اللوح المحفوظ إلىٰ السَّفَرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا ، فنجَّمته السفرة علىٰ جبريل عشرين ليلة ، ونجمه جبريل علىٰ محمد صلىٰ الله عليه وسلم عشرين سنة ، فهو قوله : ﴿ **فلا أقسم بمواقع النجوم** ﴾ : نجوم القرآن . وكذا قال عكرمة ومجاهد ، والسدي وأبو حزرة .

وقال مجاهد أيضًا : ﴿ **بمواقع النجوم** ﴾ في السماء ، ويقال : مطالعها ومشارقها . وكذا قال الحسن ، وقتادة ، وهو اختيار ابن جرير . وعن قتادة : مواقعها : منازلها . وعن الحسن أيضًا : أن المراد بذلك انتشارها يوم القيامة .

= وقال البخاري : منكر الحديث . وقال أبو حاتم : ذاهب الحديث . كذا في نصب الراية (٤/٢٩٤) .

(٩٦) - أخرجه البخاري في كتاب : الشروط ، باب : (٥٤) ، حديث (٢٧١٣) (٥/٣١٢) . =

وقال الضحاك : ﴿ **فلا أقسم بمواقع النجوم** ﴾ . يعني بذلك الأنواء التي كان أهل الجاهلية إذا مُطِروا قالوا : مطرنا بنَوء كذا وكذا .

وقوله : ﴿ **وإنه لقسم لو تعلمون عظيم** ﴾ . أي : وإن هذا القسم الذي أقسمت به لقسم عظيم ، لو تعلمون عظمته لعظمتم المقسم به عليه ، ﴿ **إنه لقرآن كريم** ﴾ . أي : إن هذا القرآن الذي نَزَل علىٰ محمد لكتاب عظيم . ﴿ **في كتاب مكنون** ﴾ أي : معظم في كتاب معظم محفوظ موقر .

قال ابن جرير : حدثني إسماعيل بن موسىٰ [ ][١] ، أخبرنا شريك ، عن حكيم - هو ابن جبير - عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، ﴿ **لا يمسه إلا المطهرون** ﴾ قال : الكتاب الذي في السماء .

وقال العَوفي : عن ابن عباس : ﴿ **إلا المطهرون** ﴾ ، يعني الملائكة . وكذا قال أنس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جُبَير ، والضحاك ، وأبو الشعثاء جابر بن زيد ، وأبو نَهِيك ، والسدي ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وغيرهم .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلىٰ ، حدثنا ابن ثور ، حدثنا معمر ، عن قتادة : ﴿ **لا يمسه إلا المطهرون** ﴾ ، قال : لا يمسه عند الله إلا المطهرون ، فأما في الدنيا فإنه يمسه المجوسي النجس ، والمنافق الرجس . و[٢]قال : وهي في قراءة ابن مسعود : (**ما يمسه إلا المطهرون**) . وقال أبو العالية : ﴿ **لا يمسّه إلا المطهرون** ﴾ ليس أنتم ، [أنتم][٣] أصحاب / الذنوب .

وقال ابن زيد : زعمت كفار قريش أن هذا القرآن تنزلت به الشياطين ، فأخبر الله تعالىٰ أنه لا يمسه إلا المطهرون، كما قال : ﴿ **وما تنزلت به الشياطين * وما ينبغي لهم وما يستطيعون * إنهم عن السمع لمعزولون** ﴾ .

وهذا القول قولٌ جيد ، وهو لا يخرج عن الأقوال التي قبله . وقال الفراء : لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن به .

وقال آخرون : ﴿ **لا يمسه إلا المطهرون** ﴾ ، أي : من الجنابة والحدث . قالوا : ولفظ الآية خبر ومعناها الطلب . قالوا : والمراد بالقرآن هاهنا المصحف ، كما روىٰ مسلم ، عن ابن عمر أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم نهى أن يسافر بالقرآن إلىٰ أرض العدو ، مخافة

---

[١] - ما بين المعكوفين في ز : « بن إسماعيل » .

[٢] - سقط من ز . [٣] - سقط من ت .

أن يناله العدو [٩٧]. واحتجوا في ذلك بما رواه الإمام مالك في موطئه ، عن عبد اللَّه بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزم ، أن في الكتاب الذي كتبه رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم لعمرو بن حزم ؛ أن لا يمس القرآن إلا طاهر[٩٨] . وروىٰ أبو داود في المراسيل ، من حديث الزهري ؛ قال : قرأت في صحيفة عند أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزم ؛ أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم، قال : « **ولا يمس القرآن إلا طاهر** » [٩٩].

وهذه وجادة جيدة . قد قرأها الزهري وغيره ، ومثل هذا ينبغي الأخذ به . وقد أسنده الدارقطني عن عمرو بن حزم[١٠٠] ، وعبد اللَّه بن عمر[١٠١] ، وعثمان بن أبي العاص[١٠٢] ، وفي إسناد كل منها نظر ، واللَّه أعلم .

وقوله ﴿ **تنزيل من رب العالمين** ﴾ . أي : هذا القرآن منزل من رب العالمين ، وليس هو كما يقولون : إنه سحر ، أو كهانة ، أو شعر ، بل هو الحق الذي لامِرْية فيه ، وليس وراءه حق نافع .

= وأطرافه في [٢٧٣٣، ٤١٨٢، ٤٨٩١، ٥٢٨٨، ٧٢١٤] .

(٩٧) - أخرجه مسلم في كتاب : الإمارة ، باب : النهي أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار إذا خيف وقوعه بأيديهم ، حديث (٩٢ - ١٨٦٩/٩٤) (١٣/١٩ - ٢٠) .

(٩٨) - أخرجه مالك في كتاب : القرآن ، باب : الأمر بالوضوء لمن مس القرآن ، حديث (١) (١٧٧/١) .

قال ابن عبد البر : لاخلاف عن مالك في إرسال هذا الحديث ، وقد روى مسندًا من وجه صالح ، وهو كتاب مشهور عند أهل السير معروف عند أهل العلم معرفة يستغنى بها في شهرتها عن الإسناد .

(٩٩) - أخرجه أبو داود في المراسيل (١٢٢) حديث (٩٤) قال أبو داود : روى هذا الحديث مسندًا ولا يصح . يعنى لا يصح مسندًا .

(١٠٠) - أخرجه الدارقطني كتاب : الطهارة ، باب : في نهى المحدث عن مس القرآن ، حديث (٥) (١/ ١٢٢) من طريق سليمان بن داود عن الزهري عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده .

وضعف الألباني هذا الإسناد بسليمان بن أرقم هذا ورجحه على سليمان بن داود في الإرواء (١٥٨/١) .

(١٠١) - أخرجه الدارقطني (١٢١/١) في الموضع السابق برقم (٣) ومن طريقه البيهقي في الكبرى (٨٨/١) من طريق ابن جريج عن سليمان بن موسى عن سالم عن أبيه به .

قال الزيلعي في « نصب الراية » (١٩٨/١) : وسليمان بن موسى الأشدق مختلف فيه ؛ فوثقه بعضهم وقال البخاري : عنده مناكير . وقال النسائي : ليس بالقوي . اهـ .

قال الهيثمي في « المجمع » (٢٨١/١) : رواه الطبراني في الكبير (١٣٢١٧) ، والصغير ، ورجاله موثقون .

(١٠٢) - أخرجه الطبراني في الكبير (٣٣/٩) (٨٣٣٦) .

قال الهيثمي في « المجمع » (٢٨٢/١) : رواه الطبراني في الكبير ، وفيه إسماعيل بن رافع ، ضعفه يحيى = ابن معين والنسائي ، وقال البخاري : ثقة مقارب الحديث . =

وقوله : ﴿ أفبهذا الحديث أنتم مدهنون ﴾ ، قال العَوفي : عن ابن عباس : أي : مكذبون غير مصدقين . وكذا قال الضحاك ، وأبو حَزْرَة ، والسُدّي . وقال مجاهد : ﴿ مدهنون ﴾ أي : تريدون أن تمالئوهم فيه ، وتركنوا إليهم .

﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾ ، قال بعضهم : يعني وتجعلون رزقكم بمعنىٰ شكركم ﴿ أنكم تكذبون﴾ أي : تكذبون [بدل الشكر . وقد روي عن علي وابن عباس أنهما قرآها : (وتجعلون شكركم أنكم تكذبون)][١] كما سيأتي .

وقال ابن جرير : وقد ذكر عن الهيثم[٢] بن عدي؛ أن من لغة أزد شَنُوءَةَ : ما رزق فلان، بمعنىٰ : ماشكر فلان .

وقال الإِمام أحمد : حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا إسرائيل ، عن عبد الأعلىٰ ، عن أبي عبد الرحمن ، عن عليّ - رضي اللّٰه عنه - قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « ﴿ وتجعلون رزقكم ﴾ ، يقول : شكركم ، ﴿ أنكم تكذبون ﴾ ، تقولون : مطرنا بنوء كذا وكذا ، بنجم كذا وكذا » (١٠٣).

وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه ، / عن مُخَوّل بن إبراهيم النهدي ، وابن جرير ، عن محمد بن المثنىٰ ، عن عبيد اللّٰه بن موسىٰ ، وعن يعقوب بن إبراهيم ، عن يحيى بن أبي بكير ، ثلاثتهم عن إسرائيل ، به مرفوعًا (١٠٤).

وكذا رواه الترمذي عن أحمد بن مَنيع ، عن حسين بن محمد - وهو المروزي - به(١٠٥) . وقال : حسن غريب . وقد رواه سفيان [الثوري][٣] ، عن عبد الأعلىٰ ، ولم يرفعه . وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ،

= قال الألباني في الإرواء (١/١٦٠ - ١٦١) : وجملة القول : أن الحديث طرقه كلها لا تخلو من ضعف ، ولكنه ضعف يسير ؛ إذ ليس في شيء منها من اتهم بكذب ، وإنما العلة الإرسال أو سوء الحفظ ، ومن المقرر في علم المصطلح أن الطرق يقوى بعضها بعضًا إذ لم يكن فيها متهم كما قرره النووي في تقريبه ثم السيوطي في شرحه ، وعليه فالنفس تطمئن لصحة هذا الحديث ، لا سيما وقد احتج به إمام السنة أحمد بن حنبل كما سبق ، وصححه أيضًا صاحبه الإمام إسحاق بن راهويه .اهـ .

(١٠٣) - أخرجه أحمد (١/١٠٨) (٨٤٩) . وفي إسناده عبد الأعلى وهو ابن عامر الثعلبي : ضعيف .

(١٠٤) - أخرجه الطبري (٢٧/٢٠٧ - ٢٠٨) .

(١٠٥) - الترمذي في كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الواقعة ، حديث (٣٢٩١) (٩/٨ - ٩) .

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز . [٢] - في ز : القاسم .

[٣] - سقط من ت .

عن أبي بشر، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس قال: ما مُطِر قوم قط إلا أصبح بعضهم كافرًا، يقولون: مُطِرْنا بنَوء كذا وكذا.

وقرأ ابن عباس: (وتجعلون شكركم أنكم تكذبون)(١٠٦). وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس.

وقال مالك في الموطأ: عن صالح بن كيسان، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، [ ][١] عن زيد بن خالد الجهني؛ أنه قال: صلىٰ لنا[٢] رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية في أثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل علىٰ الناس، فقال: « **هل تدرون ماذا قال ربكم ؟** » . قالوا: الله ورسوله أعلم. « **قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب**[٣] . **وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب**[٤] »(١٠٧) . أخرجاه في الصحيحين، وأبو داود والنسائي كلهم من حديث مالك به(١٠٨).

وقال مسلم: حدثنا محمد بن سلمة المرادي وعَمْرو بن سَوّاد، حدثنا عبد الله بن وهب، عن عمرو بن الحارث: أنَّ أبا يونس حَدّثه عن أبي هريرة، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ أنه قال: « **ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين، ينزلُ الغيث فيقولون: بكوكب كذا وكذا** »(١٠٩). تفرد به مسلم من هذا الوجه.

---

(١٠٦) - أخرجه الطبري (٢٠٨/٢٧) .

(١٠٧) - أخرجه مالك كتاب الاستسقاء، باب: الاستمطار بالنجوم، حديث (٤) (١٧٠/١) .

(١٠٨) - ومن طريقه البخاري في كتاب: الأذان، باب: يستقبل الإمام الناس إذا سلم، حديث (٨٤٦) (٣٣٣/٢) وأطرافه [١٠٣٨، ٤١٤٧، ٧٥٠٣] . ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء حديث (٧١/١٢٥) (٧٩/٢ - ٨٠) . وأبو داود في كتاب: الطب، باب: في النجوم، حديث (٣٩٠٦) (١٦/٤) . والنسائي في الكبرى في كتاب: الاستسقاء، باب: القول عند المطر، حديث (١٨٣٣) (٥٦٢/١ - ٥٦٣) .

(١٠٩) - أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: الإيمان، باب: بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء، حديث (٧٢/١٢٦م) (٨١/٢) .

---

[١] - في ز: و.

[٢] - في ت: بنا.

[٣] - في ت: بالكواكب.

[٤] - في ت: بالكواكب.

وقال ابن جرير : حدثني يونس ، أخبرنا سفيان ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **إن اللَّه لَيُصْبِحُ القوم بالنعمة أو يمسيهم[١] بها ، فيصبح بها قوم كافرين ، يقولون : مُطِرنا بنوء كذا وكذا** » (١١٠).

قال محمد - هو ابن إبراهيم - : فذكرت هذا الحديث لسعيد بن المسيب ، فقال : ونحن قد سمعنا من أبي هُرَيرة ، وقد أخبرني من شهد عمر بن الخطاب - رضي اللَّه عنه - وهو يستسقي ، فلما استسقىٰ التفت إلىٰ العباس؛ فقال : يا عباس ، ياعم رسول اللَّه ، كم بقي من نوء الثريا ؟ فقال : العلماء يزعمون أنها تعترض في الأفق بعد سقوطها سبعًا (١١١).

قال : فما / مضت سابعة حتىٰ مُطِروا . وهذا مَحمول علىٰ السؤال عن الوقت الذي أجرىٰ اللَّه فيه العادة بإنزال المطر ، لا أن ذلك النوء يؤثر بنفسه في نزول المطر ، فإن هذا هو المنهي عن اعتقاده . وقد تقدم شيء من هذه الأحاديث عند قوله : ﴿ **ما يفتح اللَّه للناس من رحمة فلا ممسك لها** ﴾ .

وقال ابن جرير : حدثني يونس ، أخبرنا سفيان ، عن إسماعيل بن أمية - أحسبه أو غيره - أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم سمع رجلًا - ومطروا - يقول : مطرنا ببعض عثانين[٢] الأسد ، فقال : « **كذبت ! بل هو رزق الله** » (١١٢).

ثم قال ابن جرير : حدثني أبو صالح الصراوي[٣] ، حدثنا أبو جابر محمد بن عبد الملك الأزدي ، حدثنا جعفر بن الزبير ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : ما مُطِر قوم من ليلة إلا أصبح قوم بها كافرين .

ثم قال : ﴿ **وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون** ﴾ . يقول قائل : مطرنا بنجم كذا وكذا(١١٣).

---

(١١٠) - أخرجه الطبري (٢٠٨/٢٧) وفيه محمد بن إسحاق مدلس وقد عنعن ، إلا أن الحديث له شواهد تقويه كما مر .

(١١١) - أخرجه الطبري في الموضع السابق .

(١١٢) - أخرجه الطبري في الموضع السابق ، وهو ظاهر الانقطاع .

(١١٣) - أخرجه الطبري (٢٠٩/٢٧) . وفي إسناده محمد بن عبد الملك الأزدي ، قال في الجرح والتعديل(٥/٨) : ليس بالقوي .

---

[١] - في ز : يمسهم . [٢] - في ز : عانين .

[٣] - في ز : الصراري .

وفي حديث عن أبي سعيد مرفوعًا : « **لو قُحِط الناس سبع سنين ثم مطروا لقالوا : مطرنا بنوء المِجْدَح** »(١١٤).

وقال مجاهد : ﴿ **وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون** ﴾ قال : قولهم في الأنواء : مطرنا بنوء كذا ، وبنوء كذا ، يقول : قولوا : هو من عند الله ، وهو رزقه . وهكذا قال الضحاك وغير واحد .

وقال قتادة : أما الحسن فكان يقول : بئس ما أخذ قوم لأنفسهم ! لم يرزقوا من كتاب الله إلا التكذيب . فمعنى[١] قول الحسن هذا : وتجعلون حظكم من كتاب الله أنكم تكذبون به ؛ ولهذا قال قبله : ﴿ **أفبهذا الحديث أنتم مدهنون * وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون** ﴾ .

فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾

يقول تعالى : ﴿ **فلولا إذا بلغت** ﴾ أي الروح ﴿ **الحلقوم** ﴾ [أي : الحلق][٢] وذلك حين الاحتضار . كما قال تعالى : ﴿ **كلا إذا بلغت التراقي وقيل من راق . وظن أنه الفراق ، والتفت الساق بالساق ، إلى ربك يومئذ المساق** ﴾ ؛ ولهذا قال هاهنا ﴿ **وأنتم حينئذ تنظرون** ﴾ أي : إلى المحتضر[٣] وما يكابده من سكرات الموت ، ﴿ **ونحن أقرب إليه منكم** ﴾ أي : بملائكتنا ﴿ **ولكن لا تبصرون** ﴾ أي : ولكن لا ترونهم كما قال تعالى في الآية الأخرى : ﴿ **وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون * ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين** ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ **فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها** ﴾ معناه / فهلا ترجعون هذه النفس التي قد بلغت الحلقوم إلى مكانها الأول ومقرها من[٤] الجسد إن كنتم ﴿ **غير**

---

(١١٤) - أخرجه أحمد (٧/٣) (١١٠٥٦) . والنسائي في الكبرى في كتاب : عمل اليوم والليلة ، باب : ما يقول إذا رأى المطر ، حديث (١٠٧٦٢) (٢٣٠/٦) وغيرهما من طريق عتاب بن حنين عن أبي سعيد بنحو هذا اللفظ . وعتاب بن حنين ، قال الحافظ : مقبول .

---

[١] - في ز : يعني .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ز : المحضر .
[٤] - في ز : في .

مدينين ﴾ . قال ابن عباس يعني : محاسبين . وروي عن مجاهد وعكرمة ، والحسن وقتادة ، والضحاك والسدي ، وأبي حزرة مثله .

وقال سعيد بن جبير والحسن البصري : ﴿ **فلولا إن كنتم غير مدينين** ﴾ غير مصدقين أنكم تدانون وتبعثون وتجزون فردوا هذه النفس . وعن مجاهد : ﴿ **[غير]**[١] **مدينين** ﴾ غير موقنين ، وقال ميمون بن مهران : غير معذبين مقهورين .

فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَـٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

هذه الأحوال الثلاثة هي أحوال الناس عند احتضارهم، إما أن يكون من المقربين، أو يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين ، وإما أن يكون من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى الجاهلين بأمر الله ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ **فأما إن كان** ﴾ أي : المحتضر ﴿ **من المقربين** ﴾ وهم الذين فعلوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات وبعض المباحات ﴿ **فروح وريحان وجنة نعيم** ﴾ أي: فلهم روح وريحان ، وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت . كما تقدم في حديث البراء أن ملائكة الرحمة؛ تقول : أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمرينه ، اخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان .

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : ﴿ **فروح** ﴾ يقول راحة ﴿ وريحان ﴾ يقول مستراحة ، وكذا قال مجاهد: إن الروح الاستراحة . وقال أبو حزرة : الراحة من الدنيا ، وقال سعيد بن جبير والسدي : الروح : الفرح . وعن مجاهد : ﴿ **فروح وريحان** ﴾ : جنة ورخاء . وقال قتادة : فروح ورحمة . وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير : ﴿**وريحان** ﴾ ورزق .

وكل هذه الأقوال متقاربة صحيحة، فإن من مات مقربًا حصل له جميع ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة ، والفرح والسرور ، والرزق الحسن ﴿ **وجنة نعيم**[٢] ﴾ . وقال أبو العالية : لا يفارق أحد من المقربين حتى يؤتى بغصن من ريحان [الجنة فيقبض][٣]

---

[١] - سقط من ز . [٢] - في ز : النعيم .

[٣] - في ز : « لكنه فينفس » . كذا .

روحه فيه .

وقال محمد بن كعب : لا يموت أحد من الناس حتى يعلم أمن أهل الجنة هو أم من أهل النار ؟ وقد قدمنا أحاديث الاحتضار عند / قوله تعالى فى سورة إبراهيم : ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت** ﴾ ولو كتبت هاهنا لكان حسنًا ، ومن جملتها حديث تميم الداري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ يقول : « **يقول الله تعالى لملك الموت : انطلق إلىٰ [فلان فأتنى به ، فإنه قد جربته بالسراء والضراء]**[١] **فوجدته حيث أحب ، ائتنى به فلأريحنَّه ، قال : فينطلق إليه ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة ، معهم أكفان وحنوط من الجنة ومعهم ضبائر الريحان أصل الريحانة [واحد]**[٢] **، وفي رأسها عشرون لونًا ، لكل لون منها ريح سوى ريح صاحبه ، ومعهم الحرير الأبيض فيه المسك** »(١١٥) . وذكر تمام الحديث بطوله كما تقدم ، وقد وردت أحاديث تتعلق بهذه الآية .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا هارون عن بديل بن ميسرة ، عن عبد الله بن شقيق[٣] عن عائشة أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ « **فرُوح وريحان** » برفع الراء .(١١٦) وكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث هارون ، وهو ابن موسى الأعور به (١١٧). وقال الترمذي : لا نعرفه إلا من حديثه ، وهذه القراءة هي قراءة يعقوب وحده ، وخالفه الباقون فقرءوا : ﴿ **فرَوح وريحان** ﴾ بفتح الراء .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن ابن نوفل ؛ أنه سمع درة بنت معاذ تحدث عن أم هانئ ؛ أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنتزاور إذا متنا ويرى بعضنا بعضًا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **تكون النسم طيرًا يعلق بالشجر ، حتى إذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس في جسدها** »(١١٨) .

---

(١١٥) - ذكره ابن حجر في « المطالب العالية » (٣٦٢/٤) (٤٦٠٢) ، (٣٧٥/٤ - ٣٧٩) (٤٦٣٠) في الأول مختصرًا والثاني مطولًا جدًّا ، وعزاه لأبي يعلى .

وقال البوصيري : رواه أبو يعلى بسند ضعيف لضعف يزيد الرقاشي .

(١١٦) - أخرجه أحمد (٦٤/٦) (٢٤٤٦٣) وإسناده ثقات .

(١١٧) - وأخرجه أبو داود في كتاب : الحروف والقراءات ، حديث (٣٩٩١) (٣٥/٤) . والترمذي في كتاب : القراءات ، باب : ومن سورة الروم ، حديث (٢٩٣٩) (١٣٦/٨) . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **فروح وريحان** ﴾ ، حديث (١١٥٦٦) (٤٨٠/٦) .

(١١٨) - أخرجه أحمد (٤٢٤/٦) وفي إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف من قبل حفظه ، لكن يشهد له ما بعده .

---

[١] - بياض في ز . [٢] - سقط من ز .

[٣] - في ز : سفيان .

هذا الحديث فيه بشارة لكل مؤمن ؛ ومعنى يعلق : يأكل ، ويشهد له بالصحة أيضًا ما رواه الإمام أحمد ، عن الإمام محمد بن إدريس الشافعي ، عن الإمام مالك بن أنس ، عن الزهري ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، عن أبيه عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ؛ قال : « **إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة ، حتى يرجعه اللَّه إلى جسده يوم يبعثه** »(١١٩) . وهذا إسناد عظيم ومتن قويم .

وفي الصحيح [أن رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ؛ قال][١] : « **إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في [رياض][٢] الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلى قناديل معلقةٍ بالعرش** ... » الحديث(١٢٠) .

وقال الإمام أحمد : [حدثنا عفان][٣] حدثنا همام ، حدثنا عطاء بن السائب ؛ قال : كان أول يوم عرفت فيه عبد الرحمن بن أبي ليلى رأيت شيخًا أبيض الرأس واللحية على حمار ، / وهو يتبع[٤] جنازة ، فسمعته يقول : حدثني فلان بن فلان سمع رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ؛ يقول : « **من أحب لقاء اللَّه أحب اللَّه لقاءه ، ومن كره لقاء اللَّه كره اللَّه لقاءه** » . قال : فأكب القوم يبكون ؛ فقال[٥] : « **ما يبكيكم ؟** » فقالوا : إنا نكره الموت . قال : « **ليس ذاك ولكنه إذا احتضر[٦] ﴿ فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم ﴾ فإذا بشر بذلك أحب لقاء اللَّه - عز وجل - واللَّه - عز وجل - للقائه أحب ﴿ وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ﴾ فإذا بشر بذلك كره لقاء اللَّه . واللَّه تعالى للقائه أكره** »(١٢١) . هكذا رواه الإمام أحمد [وفي الصحيح][٧] عن عائشة - رضي اللَّه عنها - شاهد لمعناه(١٢٢) .

وقوله تعالى : **﴿ وأما إن كان من أصحاب اليمين ﴾** أى وأما إن كان المحتضر من

(١١٩) - أخرجه أحمد (٣/٤٥٥) (١٥٨٢٠) .

(١٢٠) - أخرجه مسلم في كتاب : الإمارة ، باب : بيان أن أرواح الشهداء في الجنة ، حديث (١٢١/ ١٨٨٧) (١٣/٤٦ - ٤٧) من حديث عبد الله بن مسعود مطولاً بنحو ذلك .

(١٢١) - أخرجه أحمد (٤/٢٥٩ - ٢٦٠) (١٨٣٣٦) وفي إسناده عطاء بن السائب وكان اختلط ، لكن للحديث طريق آخر عن عائشة عند مسلم سيأتي بعد هذا .

(١٢٢) - أخرجه مسلم في كتاب : الذكر والدعاء ، باب : من أحب لقاء الله ، أحب الله لقاءه ، حديث (٢٦٨٤/١٥) (١٨/١٥ - ١٦) .

[١] - في ز : من .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من ت .
[٤] - في ز : تبع .
[٥] - في ز : قال .
[٦] - في ز : حضر .
[٧] - سقط من ت .

أصحاب اليمين ﴿ **فسلام لك من أصحاب اليمين** ﴾ أي : تبشرهم الملائكة بذلك تقول لأحدهم : سلام لك . أي : لا بأس عليك أنت إلى سلامة ، أنت من أصحاب اليمين .

وقال قتادة وابن زيد : سلم من عذاب اللَّه ، وسلّمت عليه ملائكة اللَّه . كما قال عكرمة تسلم عليه الملائكة ، وتخبره أنه من أصحاب اليمين ، وهذا معنى حسن . ويكون ذلك [كقول الله][١] تعالى : ﴿ **إن الذين قالوا ربنا اللَّه ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا ، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون * نزلًا من غفور رحيم** ﴾ .

وقال البخاري : ﴿ **فسلام لك** ﴾ أي : مسلم لك أنك من أصحاب اليمين ، وألغيت [إن وهو][٢] معناها . كما تقول : أنت [مصدق][٣] مسافر عن قليل إذا كان [قد][٤] قال : إني مسافر عن قليل .

وقد يكون كالدعاء له كقولك : سقيًا لك من الرجال إن رفعت السلام فهو من الدعاء . وقد حكاه ابن جرير هكذا عن بعض أهل العربية ومال إليه ، واللَّه أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ **وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم** ﴾ أي : وأما إن كان المحتضر من المكذبين بالحق الضالين عن الهدىٰ ﴿ **فنزل** ﴾ أي : فضيافة ﴿ **من حميم** ﴾ وهو [المذاب][٥] الذي يصهر به ما في بطونهم والجلود ﴿ **وتصلية جحيم** ﴾ أي : وتقرير له في النار التي تغمره من جميع جهاته .

ثم قال تعالى : ﴿ **إن هذا لهو حق اليقين** ﴾ أي : إن هذا الخبر لهو حق اليقين الذي لا مرية فيه ، ولا محيد لأحد عنه ﴿ **فسبح باسم ربك / العظيم** ﴾ .

قال الإمام[٦] أحمد (١٢٣) : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا موسى بن أيوب الغافقي ،

---

(١٢٣) - أخرجه أحمد (١٥٥/٤) (١٧٤٦١) . وموسى بن أيوب الغافقي قال الحافظ : مقبول . وإياس بن عامر ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢٨١/٢) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا . قال العجلي : لا بأس به . وذكره ابن حبان في الثقات ، وصحح له ابن خزيمة ، وقال الذهبي في تعليقه على مستدرك الحاكم : ليس بالقوي .

---

[١] - في ز : كقوله .
[٢] - في ز : من وهي .
[٣] - في ز : وقال . كذا .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - سقط من ز .

حدثني عمي إياس بن عامر عن عقبة بن عامر الجهني؛ قال: لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ فسبح باسم ربك العظيم ﴾ قال: « **اجعلوها في ركوعكم** ». ولما نزلت ﴿ **سبح اسم ربك الأعلى** ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **اجعلوها في سجودكم** ». وكذا رواه أبو داود وابن ماجة من حديث عبد الله بن المبارك عن موسى بن أيوب به (١٢٤).

وقال روح بن عبادة: حدثنا حجاج الصواف عن أبي الزبير عن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **من قال: سبحان الله العظيم وبحمده - غُرِسَت له نخلة في الجنة** ». هكذا رواه الترمذي من حديث روح، ورواه هو والنسائي أيضًا من حديث حمّاد بن سلمة [من حديث أبي الزبير][١] عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم به(١٢٥).

وقال الترمذي: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي[٢] الزبير.

وقال البخاري في آخر كتابه: حدثنا أحمد بن إشكاب، حدثنا محمد بن فضيل، حدثنا عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم** » (١٢٦). ورواه بقية الجماعة إلا أبا داود من حديث محمد بن فضيل بإسناده مثله(١٢٧).

[آخر تفسير سورة الواقعة، ولله الحمد والمنّة].

(١٢٤) - الحديث أخرجه أبو داود في كتاب: الصلاة، باب: ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، حديث (٨٦٩) (١/٢٣٠). وابن ماجة في كتاب: الإقامة، باب: التسبيح في الركوع والسجود، حديث (٨٨٧) (١/٢٨٧).

(١٢٥) - أخرجه الترمذي في كتاب: الدعوات، باب: فضل سبحان الله، حديث (٣٤٦٠) (٩/١٤٩ - ١٥٠). والنسائي في الكبرى في كتاب: عمل اليوم والليلة، باب: ثواب من قال: سبحان الله العظيم، حديث (١٠٦٦٣) (٦/٢٠٧). وإسناده صحيح. وقد صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٧٥٧ - ٣٧١١).

(١٢٦) - أخرجه البخاري في كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿ **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة** ﴾. حديث (٧٥٦٣).

(١٢٧) - مسلم في كتاب: الذكر والدعاء، باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء، حديث (١١/٢٦٩٤) (١٧/٣١). والترمذي في كتاب: الدعوات، باب: فضل سبحان الله، حديث (٣٤٦٠) (٩/١٥٠). والنسائي في الكبرى في كتاب: عمل اليوم والليلة، باب: ما يثقل الميزان، حديث (١٠٦٦٦) (٦/٢٠٧ - ٢٠٨). وابن ماجة في كتاب: الأدب، باب: فضل التسبيح، حديث (٣٨٠٦) (٢/١٢٥١)، وأحمد (٢/٢٣٢).

[١] - سقط من ز. [٢] - في ز: ابن.

تفسير سورة الحديد

وهي مدنية

قال الإمام أحمد(١) : حدثنا يزيد بن عبد ربه ، حدثنا بقية بن الوليد ، حدثني بَحير[١] بن سعد ، عن خالد بن معدان ، عن ابن أبي بلال ، عن عرباض بن سارية ؛ أنه حدثهم أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد . وقال : « **إن فيهن آية أفضل من ألف آية** » .

وهكذا رواه أبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، من طرق[٢] عن بقية به . وقال الترمذي : « **حسن غريب** » .

ورواه النسائي(٢) عن ابن [أبي السرح][٣] ، عن ابن وهب ، عن معاوية بن صالح ، عن بَحير بن سعد ، عن خالد بن معدان ؛ قال : كان رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم .... فذكره[٤] مرسلًا ، لم يذكر عبد الله بن أبي بلال ، ولا العرباض بن سارية ، والآية المشار إليها في الحديث هي - واللَّه أعلم - قوله : ﴿ **هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم** ﴾ ، كما سيأتي بيانه إن شاء اللَّه وبه الثقة .

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

يخبر تعالىٰ أنه يسبح له ﴿ **ما في السماوات والأرض** ﴾ أي : من الحيوانات والنبات ،

(١) أخرجه أحمد (١٢٨/٤) برقم (١٧٢١٠) ، وأبو داود في كتاب : الأدب ، باب : ما يقال عند النوم ، حديث (٥٠٥٧) ، والترمذي في كتاب : ثواب القرآن ، باب (٢١) ، حديث (٢٩٢٢) . والنسائي في الكبرى في كتاب : عمل اليوم والليلة ، باب : الفضل في قراءة ﴿ **تبارك الذي بيده الملك** ﴾ ، حديث (١٠٥٤٩) . وأخرجه الطبراني في الكبير (٢٥٠/١٨) .وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف أبي داود حديث ١٠٧٣ .

(٢) - السنن الكبرى في الموضع السابق برقم (١٠٥٥١) .

[١] - في خ : بجير .
[٢] - في ز : طريق .
[٣] - ما بين المعكوفين في ز : المرح .
[٤] - في ز ، خ : يذكره .

كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليمًا غفورًا** ﴾

وقوله : ﴿ **وهو العزيز** ﴾ ، أي : الذي قد خضع له كل شيء ﴿ **الحكيم** ﴾ ، في خلقه وأمره وشرعه . ﴿ **له ملك السماوات والأرض يحي ويميت** ﴾ . أي : هو المالك المتصرف في خلقه ، فيحيي ويميت ، ويعطي من يشاء ما يشاء ، ﴿ **وهو علىٰ كل شيء قدير** ﴾ . أي : ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن .

وقوله : ﴿ **هو الأول والآخر والظاهر والباطن** ﴾ ، وهذه الآية هي المشار إليها في حديث عرباض بن سارية ، أنها أفضل من ألف آية .

وقال أبو داود : حدثنا عباس بن عبد العظيم ، حدثنا النضر بن محمد ، حدثنا عكرمة - يعني ابن عمار - حدثنا أبو زُمَيل ؛ قال : سألت ابن عباس فقلت : ما شيء أجده في صدري ؟ قال : ما هو ؟ قلت : والله لا أتكلم به . قال : فقال لي : أشيء من شك ؟ قال : وضحك ، قال : ما نجا من ذلك أحد ، قال : حتىٰ أنزل الله : ﴿ **فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك ، فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك** ... ﴾ . الآية . قال : وقال لي : إذا وجدت في نفسك شيئًا فقل : ﴿ **هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم** ﴾ (٣).

وقد اختلفت عبارات المفسرين في هذه الآية ، وأقوالهم على نحو من بضعة عشر قولًا . وقال البخاري : قال يحيىٰ : الظاهر على كل شيء علمًا ، والباطن على كل شيء علمًا .

قال شيخنا الحافظ المزّي[١] : يحيىٰ هذا هو ابن زياد الفراء ، له كتاب سماه « **معاني القرآن** » .

وقد ورد في ذلك أحاديث ، فمن ذلك ما قال الإمام أحمد : حدثنا خلف بن الوليد ، حدثنا ابن عياش[٢] ، عن سُهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان يدعو عند النوم : « **اللّهم ؛ رب السماوات السبع ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء ، منزل التوراة والإنجيل والفرقان ، فالق الحب والنوىٰ ، لا إله إلا أنت ، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته ، أنت الأول ليس[٣] قبلك**

---

(٣) - أخرجه أبو داود في كتاب : الأدب ، باب : في رد الوسوسة ، حديث (٥١١٠) (٣٢٩/٤) . وحسن إسناده الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٢٦٢) .

---

[١] - في خ : المزني .
[٢] - في خ : عباس .
[٣] - في ز ، خ : فليس .

شيء وأنت الآخر ليس[١] بعدك / شيء ، وأنت الظاهر ليس [ ][٢] فوقك شيء ، وأنت الباطن ليس دونك شيء . اقض عنا الدين ، وأغننا من الفقر » (٤).

ورواه مسلم في صحيحه : حدثني زهير بن حرب ، [حدثنا جرير][٣] عن سهيل ؛ قال : كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن ، ثم يقول : « **اللَّهم ؛ رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء ، فالق الحب والنوىٰ ، ومنزل التوراة والإِنجيل والفرقان ، أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته . اللَّهم ؛ أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عنا الدين ، وأغننا من الفقر** » .

وكان يروي ذلك عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم (٥).

وقد روىٰ الحافظ أبو يعلي الموصلي في مسنده عن عائشة أم المؤمنين نحو هذا ، فقال : حدثنا عقبة ، حدثنا يونس ، حدثنا السري بن إسماعيل ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة أنها قالت : كان رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يأمر بفراشه فيفرش له مستقبل القبلة ، فإذا أوىٰ إليه توسد كفه اليمنىٰ ، ثم همس - ما يُدرَىٰ ما يقول - فإذا كان في آخر الليل رفع صوته فقال : « **اللَّهم ؛ رب السماوات السبع ورب العرش العظيم ، إله كل شيء ، ورب كل شيء ، [و][٤] منزل التوراة والإِنجيل والفرقان ، فالق الحب والنوىٰ . أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته . اللَّهم ؛ أنت الأول الذي ليس قبلك شيء ، وأنت الآخر الذي ليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس [فوقك][٥] شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عنا الدين ، وأغننا من الفقر** » (٦). السري بن إسماعيل هذا ابن عم الشعبي ، وهو ضعيف جدًّا ، واللَّه أعلم .

---

(٤) - المسند (٢/٤٠٤) .

(٥) - صحيح مسلم في كتاب : الذكر ، باب : ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ، حديث (٢٧١٣/٦١) (٥٦/١٧) .

(٦) - مسند أبي يعلى (٨/٢١٠ - ٢١١) (٤٧٤٤) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٠/١٢٤) : رواه الطبراني وأبو يعلى وفيه السرى بن إسماعيل وهو متروك . قلت : لكن يشهد له الحديث الذي قبله .

---

[١] - في ز ، خ : فليس .

[٢] - في ز : يعني .

[٣] - سقط من ز .

[٤] - سقط من ز .

[٥] - في ز : فوق .

وقال أبو عيسىٰ الترمذي عند تفسير هذه الآية : حدثنا عبدُ بن حميد وغير واحد - المعنىٰ واحد - قالوا : حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا شيبان بن عبد الرحمن ، عن قتادة ؛ قال : حدث الحسن ، عن أبي هريرة ؛ قال : بينما رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم جالس وأصحابه ، إذ أتىٰ عليهم سحاب ، فقال نبي اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **هل تدرون ما هذا ؟** » قالوا : اللّٰه ورسوله أعلم . قال : « **هذا العَنَان ، هذه روايا الأرض تسوقه إلى قوم لا يشكرونه ، / ولا يدعونه** » . ثم قال : « **هل**[١] **تدرون ما فوقكم ؟** » قالوا : اللّٰه ورسوله أعلم . قال : « **فإنها الرقيع سقف محفوظ ، وموج مكفوف** » . ثم قال : « **هل تدرون كم بينكم وبينها ؟** » قالوا : اللّٰه ورسوله أعلم . قال : « **بينكم وبينها خمسمائة سنة** » . ثم قال : « **هل تدرون ما فوق ذلك ؟** » قالوا : اللّٰه ورسوله أعلم . قال : « **فإن فوق ذلك سماءين**[٢] **بُعدُ ما بينهما مسيرة خمسمائة سنة** » ، حتىٰ عد سبع سماوات ما بين كل سماءين كما بين السماء والأرض ، ثم قال : « **هل تدرون ما فوق ذلك ؟** » قالوا : اللّٰه ورسوله أعلم . قال : « **فإن فوق ذلك العرش ، وبينه وبين السماء [ ]**[٣] **بعدُ ما بين السماءين** » ، ثم قال : « **هل تدرون ما الذي تحتكم ؟** » قالوا : اللّٰه ورسوله أعلم . قال : « **فإنها الأرض** » . ثم قال : « **هل تدرون ما الذي تحت ذلك ؟** » قالوا : اللّٰه ورسوله أعلم . قال : « **فإن تحتها أرضًا أخرىٰ بينهما مسيرة خمسمائة سنة** » ، حتىٰ عد سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة سنة ، ثم قال : « **والذي نفس محمد بيده ، لو أنكم دليتم رجلًا**[٤] **بحبل إلىٰ الأرض السفلىٰ لهبط علىٰ اللّٰه** » ، ثم قرأ : ﴿ **هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم** ﴾(٧) .

ثم قال الترمذي : هذا حديث غريب من هذا الوجه ، ويروىٰ عن أيوب ويونس - يعني ابن عبيد - وعليّ بن زيد ، قالوا : لم يسمع الحسن من أبي هريرة . وفسر بعض أهل العلم هذا الحديث فقالوا : إنما هبط علىٰ علم اللّٰه وقدرته وسلطانه ، وعلم اللّٰه وقدرته وسلطانه في كل مكان ، وهو علىٰ العرش ، كما وصف في كتابه . انتهىٰ كلامه .

وقد روىٰ الإمام أحمد هذا الحديث عن سُريج ، عن الحكم بن عبد الملك ، [ ][٥] عن قتادة ، عن الحسن ، عن أبي هريرة عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ... فذكره ، وعنده : « **بعد ما بين الأرْضَيْنِ مسيرة سبعمائة عام** » . وقال : لو دليتم أحدكم بحبل إلى الأرض

(٧) - أخرجه الترمذي في كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الحديد حديث (٣٢٩٤) (٩/٣٧ - ٣٨) .

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ ، ت : سماء ، والمثبت من الترمذي. [٣] - في ز : من .

[٤] - مثبت من سنن الترمذي . [٥] - في ز : و .

السفلىٰ السابعة لهبط على الله ، ثم قرأ : ﴿ **هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم** ﴾ (٨).

ورواه ابن أبي حاتم والبزار من حديث أبي جعفر الرازي ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن أبي هريرة ... فذكر الحديث ، ولم يذكر ابن أبي حاتم آخره[١] وهو قوله : « **لو دليتم بحبل** » . وإنما قال : حتىٰ عد سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة عام . ثم تلا : ﴿ **هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم** ﴾ (٩).

وقال البزار : لم يروه عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا أبو هريرة / .

ورواه ابن جرير ، عن بشر ، عن يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة : ﴿ **هو الأول والآخر والظاهر والباطن** ﴾ ، ذكر لنا أن نبي اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بينما هو جالس في أصحابه إذ ثار عليهم سحاب ، فقال : « **هل تدرون ما هذا ؟** . . . »(١٠) . وذكر الحديث مثل سياق الترمذي سواء ، إلا أنه مرسل من هذا الوجه ، ولعل هذا هو المحفوظ ، و اللّٰه أعلم .

وقد روي من حديث أبي ذر الغفاري - رضي اللّٰه عنه - وأرضاه ، رواه البزار في مسنده ، والبيهقي في كتاب الأسماء والصفات(١١) ، ولكن في إسناده نظر ، وفي متنه غرابة ونكارة ، و اللّٰه سبحانه وتعالىٰ أعلم .

---

(٨) - المسند (٢/٣٧٠) .

(٩) - أخرجه ابن الجوزي في العلل (١/٢٧-٢٨) (٨) من طريق الحكم بن عبد الملك عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة به .

وقال : هذا حديث لا يصح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والحسن لم يسمع من أبي هريرة ، وقيل له : من أين تحدث هذه الأحاديث ؟ فقال : من كتاب عندنا سمعته من رجل ، وكان الحسن يروى عن الضعفاء ، وقد روى هذا الحديث أبو جعفر الرازي عن قتادة عن الحسن .

قال أحمد بن حنبل : أبو جعفر مضطرب الحديث ؛ يروى أبو جعفر عن قتادة عن الحسن عن الأحنف بن قيس عن العباس عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « **والذي نفسي بيده لو دليتم أحدكم بحبل إلى الأرض السابعة لقدم على ربه عز وجل** » ثم تلا : ﴿ **هو الأول والآخر والظاهر والباطن** ﴾ .

(١٠) - تفسير الطبري (٢٧/٢١٦) .

(١١) - أخرجه البزار كما في الكشف (٢/٤٥٠) .

والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/٢٨٩) (٨٥٠) ، قال ابن الجوزي في العلل (١/٢٧) : هذا حديث منكر ، رواه عن الأعمش محاضر فخالف فيه أبا معاوية ؛ فقال : عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي نصر ، وكان الأعمش يروى عن الضعفاء ويدلس .اهـ . قال الذهبي في تذكرة الحفاظ (٢/٧٤٨) : وأبو نصر لا يعرف والخبر منكر .

---

[١] - سقط من ز .

وقال ابن جرير عند قوله تعالىٰ : ﴿ **ومن الأرض مثلهن** ﴾: حدثنا ابن عبد الأعلىٰ ، حدثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ؛ قال : التقىٰ أربعة من الملائكة بين السماء والأرض ، فقال بعضهم لبعض : من أين جئت ؟ قال أحدهم : أرسلني ربي - عز وجل - من السماء السابعة وتركته ثَمَّ . قال الآخر : أرسلني ربي عز وجل - من الأرض السابعة وتركته ثَمَّ . قال الآخر : أرسلني ربي من المشرق وتركته ثَمَّ . قال الآخر : أرسلني ربي من المغرب وتركته ثَمَّ (١٢).

وهذا غريب جدًّا ، وقد يكون الحديث الأول موقوفًا علىٰ قتادة كما روي هاهنا من قوله ، و اللَّه أعلم .

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾

يخبر تعالىٰ عن خلقه السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، ثم أخبر باستوائه علىٰ العرش بعد خلقهن . وقد تقدم الكلام علىٰ هذه الآية وأشباهها في « **سورة الأعراف** » [بما أغنى عن إعادته هاهنا][١] .

﴿ **يعلم ما يلج في الأرض** ﴾ . أي : يعلم عدد ما يدخل فيها من حب وقطر ، ﴿ **وما يخرج منها** ﴾ . من زرع ونبات وثمار ، كما قال : ﴿ **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وما ينزل من السماء** ﴾ ، أي : من / الأمطار ، والثلوج والبرد[٢] ، والأقدار والأحكام مع الملائكة الكرام ، وقد تقدم في « **سورة البقرة** » أنه ما ينزل [من][٣] قطرة من

(١٢) - تفسير الطبري (١٥٤/٢٧) . وإسناده مرسل ، وقتادة من المشهورين بالتدليس .

[١] - سقط من ت .
[٢] - في خ : البرود .
[٣] - سقط من ز .

السماء إلا ومعها ملك يقررها في المكان الذي يأمره[١] اللّٰه به حيث يشاء تعالىٰ .

وقوله : ﴿ **وما يعرج فيها** ﴾ ، أي : من الملائكة والأعمال ، كما جاء في الصحيح : « **يرفع إليه عمل الليل قبل النهار ، وعمل النهار قبل الليل** » (١٣).

وقوله : ﴿ **وهو معكم أينما كنتم و اللّٰه بما تعملون بصير** ﴾ . أي : رقيب عليكم ، شهيد علىٰ أعمالكم حيث أنتم ، وأين كنتم ، من بر أو بحر ، في ليل أو نهار ، في البيوت أو القفار ، الجميع في علمه علىٰ السواء ، وتحت بصره وسمعه ، فيسمع كلامكم ويرىٰ مكانكم ، ويعلم سركم ونجواكم .

كما قال : ﴿ **ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور** ﴾ . وقال : ﴿ **سواء منكم من أسر القول ومن جهر به . ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار** ﴾ فلا إله غيره ولا رب سواه .

وقد ثبت في الصحيح أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال لجبريل - لما سأله عن الإِحسان - : « **أن تعبد اللّٰه كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك** » (١٤).

وروىٰ الحافظ أبو بكر الإِسماعيلي من حديث نصر بن خزيمة بن جنادة بن محفوظ بن علقمة ، حدثني أبي ، عن نصر بن علقمة ، عن أخيه ، عن عبد الرحمن بن عائذ ؛ قال : قال عمر : جاء رجل إلىٰ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ؛ فقال : زودني كلمة أعيش بها . قال[٢] : « **استح اللّٰه كما تستحي رجلًا من صالح عشيرتك لا يفارقك** » (١٥). هذا حديث غريب .

وروىٰ أبو نعيم من حديث عبد اللّٰه بن معاوية الغاضري[٣] مرفوعًا : « **ثلاث من فعلهن**

---

(١٣) - أخرجه مسلم في كتاب : الإيمان ، باب : في قوله عليه السلام : « إن الله لا ينام ... » ، حديث (١٧٩/٢٩٥) (١٨/٣) .

(١٤) - هو جزء من حديث جبريل الطويل عند مسلم في بداية كتاب الإيمان وغيره وقد تقدم تخريجه كثيرًا .

(١٥) - أخرجه البيهقي في الشعب من حديث أبي الخير (٦/١٤٥ - ١٤٦) (٧٧٣٨) .

وأحمد في الزهد (٥٩) وأورده الألباني في الصحيحة (٧٤١) وعزاه إلى أبي عروبة الحراني في الطبقات ، والسلمى في آداب الصحبة ، والخرائطي في مكارم الأخلاق من طريقين عن الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير سمع سعيد بن يزيد الأنصارى .

---

[١] - في ت ، خ : يأمر . [٢] - في ز : قال .

[٣] - في ز ، خ : العامري .

فقد طَعِم الإيمان : من عبد اللَّه وحده ، وأعطىٰ زكاة ماله طيبة بها نفسه في كل عام ، ولم يعط الهَرِمة ولا الدرنة[١] **، ولا الشَّرَط اللئيمة**(*) **، ولا المريضة ، ولكن من أوسط أموالكم ، وزكى نفسه »** . وقال رجل : يا رسول الله ؛ ما تزكية المرء نفسه ؟ فقال : « **يعلم أن الله معه حيث كان** »(١٦) .

وقال نُعيم بن حماد - رحمه اللَّه - : حدثنا عثمان [بن سعيد][٢] بن كثير بن دينار الحمصي ، / عن محمد بن مهاجر ، عن عروة بن رويم ، عن عبد الرحمن بن غنم ، عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن أفضل الإيمان أن تعلم أن اللَّه معك حيثما كنت** »(١٧) . غريب .

وكان الإمام أحمد ينشد هذين البيتين :

إذا ما خَلوتَ الدهرَ يومًا فلا تَقُلْ : خَلَوتُ ، ولكن قُل : عَليّ رقيبُ
ولَا تَحْسَبَنّ اللَّه يَغفَلُ سَاعَةً ولا أن ما يَخْفىٰ عليه يغيبُ

وقوله : ﴿ **له ملك السماوات والأرض وإلىٰ اللَّه ترجع الأمور** ﴾ . أي : هو المالك للدنيا والآخرة . كما قال : ﴿ **وإن لنا للآخرة والأولىٰ** ﴾ وهو المحمود على ذلك كما قال : ﴿ **وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولىٰ والآخرة** ﴾ وقال : ﴿ **الحمد لله الذي له ما في السمٰوات و[ما في]**[٣] **الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير** ﴾ فجميع ما في السماوات والأرض ملك له[٤] ، وأهلهما عبيد أرقاء أذلاء بين يديه . كما قال : ﴿ **إن كل من في السماوات والأرض إلا آت الرحمن عبدًا * لقد أحصاهم وعدهم عدًا * وكلهم آتيه يوم القيامة فردًا** ﴾ .

(*)أي رذال المال . وقيل صغاره وشراره . النهاية (٢/٤٦٠) .

(١٦) - أخرجه أبو داود في كتاب : الزكاة ، باب : في زكاة السائمة ، حديث (١٥٨٢) (٢/١٠٣ - ١٠٤) ، والبيهقي (٤/٩٥ - ٩٦) ، والطبراني في الصغير (١/٢٠١) . كلهم من حديث عبد الله بن معاوية الغاضري به . والحديث صححه الألباني في الصحيحة (١٠٤٦) .

(١٧) - أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٦/١٢٤) ، والطبراني في الأوسط (٨/٣٣٦) (٨٧٩٦) كلاهما من طريق نعيم بن حماد . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١/٦٥) : رواه الطبراني في الأوسط والكبير ، وقال : تفرد به عثمان بن كثير .

---

[١] - في ز : الرزنة . والدرنة : الجرباء .

[٢] - سقط من خ .

[٣] - سقط من ز .

[٤] - سقط من ز ، خ .

ولهذا قال : ﴿ وإلىٰ اللّه ترجع الأمور ﴾ . أي : إليه المرجع يوم القيامة ، فيحكم في خلقه بما يشاء ، وهو العادل الذي لا يجور ولا يظلم مثقال ذرة ، بل إن يكن أحدهم عمل حسنة واحدة يضاعفها إلىٰ عشر أمثالها ، ﴿ ويؤت من لدنه أجرًا عظيمًا ﴾ .

وكما قال تعالىٰ : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ .

وقوله : ﴿ يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ﴾ ، أي : هو المتصرف في الخلق ، يقلب الليل والنهار ويقدرهما بحكمته كما يشاء ، فتارة يطول الليل ويقصر النهار ، وتارة بالعكس ، وتارة يتركهما معتدلين . وتارة يكون الفصل شتاء ثم ربيعًا ثم قيظًا ثم خريفًا ، وكل ذلك بحكمته وتقديره لما يريده بخلقه ، ﴿ وهو عليم بذات الصدور ﴾ ، أي : يعلم السرائر وإن دقت ، و[١] خفيت .

ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَـٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾

أمر تعالىٰ بالإيمان به وبرسوله علىٰ الوجه الأكمل ، والدوام والثبات علىٰ ذلك والاستمرار ، وحثَّ علىٰ الإنفاق ﴿ مما جعلكم مستخلفين فيه ﴾ أي : [مما][٢] هو معكم علىٰ سبيل العاريّة ، فإنه قد كان في أيدي من قبلكم ثم صار إليكم ، فأرشد تعالىٰ [إلىٰ][٣]

---

[١] - في ت : وإن .

[٢] - في ز : ما .

[٣] - سقط من ز .

استعمال ما [استخلفهم][١] فيه من المال في طاعته ، [فإن][٢] يفعلوا وإلا حاسبهم عليه وعاقبهم لتركهم الواجبات فيه .

وقوله : ﴿ مما جعلكم مستخلفين فيه ﴾ : إشارة إلىٰ أنه سيكون مخلفًا عنك ، فلعل وارثك أن يطيع اللَّه فيه ، فيكون أسعد بما أنعم اللَّه به عليك منك ، أو يعصي اللَّه [به][٣] فتكون قد سعيت في معاونته علىٰ الإثم والعدوان .

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، سمعت قتادة يحدث ، عن مطرف - يعني ابن عبد اللَّه بن الشخير - عن أبيه ؛ قال : انتهيت إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم وهو يقول : « ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾ . يقول ابن آدم : مالي مالي ! وهل لك من [مالك][٤] إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت ؟ ! »(١٨) .

ورواه مسلم من حديث شعبة به(١٩) ، وزاد : « **وما سوىٰ ذلك فذاهب وتاركه للناس** »(٢٠) .

وقوله : ﴿ **فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير** ﴾ . ترغيب في الإيمان والإنفاق في الطاعة . ثم قال : ﴿ **ومالكم لا تؤمنون باللَّه والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم** ﴾ . أي : وأي شيء يمنعكم من الإيمان ، والرسول بين أظهركم ، يدعوكم إلىٰ ذلك ، ويبين لكم الحجج والبراهين علىٰ صحة ما جاءكم به ؟

وقد روينا في الحديث من طرق في أوائل شرح « **كتاب الإيمان** » من صحيح البخاري : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال يومًا لأصحابه : « **أي المؤمنين / أعجب إليكم إيمانًا ؟** » قالوا : الملائكة . قال : « **وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم ؟** » . قالوا : فالأنبياء . قال : « **وما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم** » . قالوا : فنحن ؟ قال : « **وما لكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم ؟ ولكن أعجب المؤمنين إيمانًا قوم يجيئون بعدكم يجدون صحفًا يؤمنون بما فيها** »(٢١) .

(١٨) - المسند أحمد (٢٤/٤) .

(١٩) - صحيح مسلم ، كتاب : الزهد والرقائق ، حديث (٢٩٥٨/٣م) (١٢٦/١٨) .

(٢٠) - صحيح مسلم في الموضع السابق برقم (٢٩٥٩/٤) من حديث أبي هريرة .

(٢١) - تقدم تخريجه في سورة البقرة آية (٣) .

[١] - في ز : استخلفكم .

[٢] - في ز : وإن لم .

[٣] - في ت : فيه .

[٤] - في ز : مال .

وقد ذكرنا طرفًا من هذا في أول سورة البقرة عند قوله : ﴿ **الذين يؤمنون بالغيب** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وقد أخذ ميثاقكم** ﴾ كما قال : ﴿ **واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا** ﴾ ويعني بذلك بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم .

وزعم ابن جرير : أن المراد بذلك الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب آدم . وهو مذهب مجاهد ، فالله أعلم .

وقوله : ﴿ **هو الذي ينزل علىٰ عبده آيات بينات** ﴾ . أي : حججًا واضحات ، ودلائل باهرات ، وبراهين قاطعات ، ﴿ **ليخرجكم من الظلمات إلىٰ النور** ﴾ . أي : من ظلمات الجهل والكفر والآراء المتضادة ، إلىٰ نور الهدىٰ واليقين والإيمان ، ﴿ **وإن اللّه بكم لرءوف رحيم** ﴾ . أي : في إنزاله الكتب وإرساله الرسل لهداية الناس ، وإزاحة العلل وإزالة الشبه .

ولما أمرهم أولًا بالإيمان والإنفاق ، ثم حثّهم علىٰ الإيمان ، وبين أنه قد أزال عنهم موانعه ، [ ][١] حثّهم أيضًا علىٰ الإنفاق فقال : ﴿ **ومالكم ألا تنفقوا في سبيل اللّه و للّه ميراث السماوات والأرض** ﴾ ، [أي : أنفقوا ولا تخشوا فقرًا وإقلالًا ، فإن الذي أنفقتم في سبيله هو مالك السماوات والأرض][٢] وبيده مقاليدهما ، وعنده خزائنهما[٣] ، وهو مالك العرش بما حوىٰ ، وهو القائل : ﴿ **وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين** ﴾ وقال : ﴿ **ما عندكم ينفد وما عند الله باق** ﴾ فمن توكل علىٰ اللّه أنفق ، ولم يخش من ذي العرش إقلالًا ، وعلم أن الله سيخلفه عليه .

وقوله : ﴿ **لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل** ﴾ . أي : لا يستوي هذا ومن لم يفعل كفعله ، وذلك [ ][٤] قبل فتح مكة كان الحال شديدًا ، فلم يكن يؤمن حينئذ إلا الصديقون ، وأما بعد الفتح فإنه ظهر الإسلام ظهورًا عظيمًا ، ودخل الناس في دين اللّه أفواجًا ، ولهذا قال : ﴿ **أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وَكلًا وَعَدَ اللّهُ الحُسْنَىٰ** ﴾ .

والجمهور علىٰ أن المراد بالفتح هاهنا فتح مكة . وعن الشعبي وغيره أن المراد بالفتح هاهنا : صلح الحديبية ، وقد يستدل لهذا القول بما قال الإمام أحمد :

حدثنا أحمد بن عبد الملك ، حدثنا زهير ، حدثنا حُميد الطويل ، عن أنس ؛ قال : كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام ، فقال خالد لعبد الرحمن : تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها ؟ فبلغنا أن ذلك ذكر للنبي صلىٰ اللّه عليه وسلم فقال : « **دعوا لي**

---

[١] - في ز : ثم .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز : خزائنها .
[٤] - في ز : أن .

أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أحد - [أو][١] : مثل الجبال - ذهبًا ، ما بلغتم أعمالهم » (٢٢).

ومعلوم أن إسلام خالد بن الوليد المواجه بهذا الخطاب كان بين صلح الحديبية وفتح مكة ، وكانت هذه المشاجرة بينهما في بني جذيمة الذين بعث إليهم رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم خالد ابن الوليد بعد الفتح ، فجعلوا يقولون : « **صبأنا صبأنا** » . فلم يحسنوا أن يقولوا : « **أسلمنا** » . فأمر خالد بقتلهم وقتل من أسر منهم ، فخالفه عبد الرحمن بن عوف ، وعبد اللّٰه بن عمر وغيرهما ، فاختصم خالد وعبد الرحمن بسبب ذلك .

والذي في الصحيح عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أنه قال : « **لا تسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ، ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه** » (٢٣).

وروىٰ ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، من حديث ابن وهب : أخبرنا هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري أنه قال : خرجنا مع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم عام الحديبية ، حتىٰ إذا كنا بعسفان قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **يوشك أن يأتي قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم** » . فقلنا : من هم يارسول اللّٰه ؟ أقريش ؟ قال : « **لا ، ولكن أهل اليمن ، هم أرق أفئدَةً وألين قلوبًا** » . فقلنا : هم خير منا يا رسول اللّٰه ؟ قال : « **لو كان لأحدهم جبل من ذهب فأنفقه ، ما أدرك مُدَّ أحدكم ولا نصيفه ، ألا إن هذا فضل ما بيننا وبين الناس . ﴿ لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلًا وعد الله الحسنىٰ ، والله بما تعملون خبير ﴾** (٢٤)[وهذا الحديث غريب بهذا السياق ، والذي في الصحيحين من رواية جماعة ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد - ذكر الخوارج - : « **تحقرون صلاتكم مع صلاتهم ، وصيامكم مع صيامهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرَّمية** » (٢٥). الحديث .

---

(٢٢) - المسند (٣/٢٦٦) (١٣٨٤٠) . قال الهيثمي في « المجمع » (١٩/١٠) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(٢٣) - أخرجه البخاري في كتاب : فضائل الصحابة ، باب : قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : « لو كنت متخذًا خليلًا » حديث (٣٦٧٣) (٢١/٧) . ومسلم في كتاب : فضائل الصحابة ، باب : تحريم سب الصحابة - رضي الله عنهم ، حديث (٢٥٤١/٢٢٢) (١٣٩/١٦) .

(٢٤) - تفسير الطبري (٢٢١/٢٧) . وهشام بن سعد صدوق له أوهام - كذا قال الحافظ . وبقية رجاله ثقات .

(٢٥) - أخرجه مسلم في كتاب : الزكاة ، باب : إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام ، وتصبر من =

---

[١] - في ز : و .

ولكن روى ابن جرير هذا الحديث من وجه آخر فقال : حدثني ابن البرقي ، حدثنا ابن أبي مريم ، أخبرنا محمد بن جعفر ، أخبرني زيد بن أسلم ، عن أبي سعيد التمار ، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **يوشك أن يأتي قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم** » . قلنا : من هم يا رسول الله ؟ قريش ؟ قال : « **لا ، ولكن أهل اليمن ؛ لأنهم أرق أفئدة ، وألين قلوبًا** » . وأشار بيده إلىٰ اليمن ، فقال : « **هم أهل اليمن ، ألا إن الإيمان يمان ، والحكمة يمانية** » . فقلنا : يا رسول الله ؛ هم خير منا ؟ قال : « **والذي نفسي بيده ، لو كان لأحدهم جبل من ذهب ينفقه ما أدىٰ مدَّ أحدكم ولا نصيفه** » . ثم جمع أصابعه ومد خنصره ، وقال : « **ألا ، إن هذا فضل ما بيننا وبين الناس** ، ﴿ **لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلًا وعد الله الحسنى ، والله بما تعملون خبير** ﴾][1] (٢٦) . فهذا السياق ليس فيه ذكر الحديبية ، فإن كان ذاك محفوظًا كما تقدم ، فيحتمل أنه أنزل قبل الفتح إخبارًا عما بعده ، كما في قوله تعالىٰ في « سورة المزمل » - وهي مكية ، من أوائل ما نزل - : ﴿ **وآخرون يقاتلون في سبيل الله** ﴾ . الآية . فهي بشارة بما يستقبل ، وهكذا هذه ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **وكلًا وعد اللهُ الحسنىٰ** ﴾ يعني المنفقين قبل الفتح وبعده ، كلهم لهم ثواب علىٰ ما عملوا ، وإن كان بينهم تفاوت في تفاضل الجزاء ، كما قال : ﴿ **لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم علىٰ القاعدين درجة وكلًا وعد الله الحسنىٰ ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرًا عظيمًا** ﴾ . وهكذا الحديث الذي في الصحيح : «**المؤمن القوي خير وأحب إلىٰ الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير** » (٢٧) . وإنما نَبّه بهذا لئلا يهدر جانب الآخر بمدح الأول دون الآخر ، فيتوهم متوهم ذمه ، فلهذا عطف بمدح الآخر والثناء عليه ؛ مع تفضيل الأول عليه ، ولهذا قال : ﴿ **و الله بما تعملون خبير** ﴾ ، أي : فلخبرته

= قوى إيمانه ، حديث (١٠٦٤/١٤٧) (٢٣٠/٧ - ٢٣١) . من طريق عطاء عن أبي سعيد .

وأخرجه البخاري في كتاب المناقب برقم (٣٦١٠) ، وفي فضائل القرآن برقم (٥٠٥٨) ، وفي استتابة المرتدين برقم (٦٩٣٣) . ومسلم في كتاب الزكاة (١٠٦٤) كلاهما من طرق أخرى عن أبي سعيد الخدري به .

(٢٦) - تفسير الطبري (٢٢١/٢٧) وليس في الإسناد أبو سعيد الخدري .

(٢٧) - أخرجه مسلم في كتاب : القدر ، باب : في الأمر بالقوة وترك العجز ، والاستعانة بالله ، وتفويض المقادير لله ، حديث (٢٦٦٤/٣٤) (٣٢٩/١٦) .

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

فاوت بين ثواب من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، ومن فعل ذلك بعد ذلك ، وما ذاك إلا لعلمه بقصد الأول وإخلاصه التام ، وإنفاقه في حال الجهد والقلة والضيق .

وفي الحديث : « **سبق درهم مائة ألف** » (٢٨). ولا شك عند أهل الإيمان أن الصديق أبا بكر رضي اللّه عنه له الحظ الأوفر من هذه الآية ، فإنه سيد من عمل بها من سائر أمم الأنبياء ، فإنه أنفق ماله كله ابتغاء وجه اللّه - عز وجل - ولم يكن لأحد عنده نعمة يجزيه بها .

وقد قال أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي عند تفسير هذه الآية : أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي ، أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، أخبرنا عبد اللّه بن حامد بن محمد ، أخبرنا أحمد بن إسحاق بن أيوب ، أخبرنا محمد بن يونس ، حدثنا العلاء بن عمرو الشيباني ، حدثنا أبو إسحاق الفزاري ، حدثنا سفيان بن سعيد ، عن آدم بن عليّ ، عن ابن عمر قال : كنت عند النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم وعنده أبو بكر الصديق ، وعليه عباءة قد خلها في صدره بخلال ، [فنزل جبريل فقال : مالي أرىٰ أبا بكر عليه عباءة قد خلها في صدره بخلال ؟][١] فقال : « **أنفق ماله عليّ قبل الفتح** » . قال : فإن اللّه يقول : اقرأ - عليه السلام - وقل له : أراض أنت عني في فقرك هذا [أم][٢] ساخط ؟ فقال رسول اللّه : « **يا أبا بكر ، إن اللّه يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : أراض أنت [عني][٣] في فقرك هذا أو ساخط ؟** » . فقال أبو بكر - رضي اللّه عنه : أسخط علىٰ ربي عز وجل ! إني عن ربي راض . هذا الحديث ضعيف الإسناد من هذا الوجه (٢٩).

وقوله : ﴿ **من ذا الذي يقرض اللّه قرضًا حسنًا** ﴾ . قال عمر بن الخطاب : هو الإنفاق في سبيل اللّه . وقيل : هو النفقة على العيال . والصحيح أنه أعم من ذلك ، فكل من أنفق في سبيل اللّه بنية خالصة ، وعزيمة صادقة ، دخل في عموم هذه الآية ؛ ولهذا قال : ﴿ **من ذا الذي يقرض اللّه قرضًا حسنًا فيضاعفه له** ﴾ . كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **أضعافًا**

(٢٨) - أخرجه النسائي (٥٩/٥) كتاب : الزكاة ، باب : جهد المقل ، من طريق عبيد الله بن سعيد عن صفوان بن عيسى عن ابن عجلان عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة .
وهذا إسناد رجاله رجال الصحيح كلهم ثقات ، وقد صححه ابن خزيمة (٢٤٤٣) ، وابن حبان (٣٣٤٧) ، والحاكم (٤١٦/١) على شرط مسلم ووافقه الذهبي .

(٢٩) - أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٠٥/٢ - ١٠٦) في ترجمة محمد بن بابشاذ وقال : في حديثه غرائب ومناكير ، وساق هذا الحديث عنه .

[١] - سقط من ز ، خ . [٢] - في ز : أو .
[٣] - سقط من ز .

كثيرة ﴾ ﴿ **وله أجر كريم** ﴾ أي : جزاءٌ جميلٌ ، ورزق باهرٌ - وهو الجنة - يوم القيامة .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا خلف بن خليفة ، عن حميد الأعرج ، عن عبد الله بن الحارث ، عن عبد الله بن مسعود قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ **من ذا الذي يقرض الله قرضًا حسنًا فيضاعفه له** ﴾ . قال أبو الدحداح الأنصاري : يا رسول الله ؛ وإن الله ليريد منا القرض ؟ قال : « **نعم ، يا أبا الدحداح** » . قال : أرني يدك يا رسول الله . قال : فناوله يده ، قال : فإني قد أقرضت ربي حائطي - وله حائط فيه ستمائة نخلة ، وأم الدحداح فيه وعيالها قال : فجاء أبو الدحداح فناداها : يا أم الدحداح . قالت : لبيك . فقال : اخرجي ، فقد أقرضته ربي - عز وجل - وفي رواية أنها قالت له : ربح بيعك يا أبا الدحداح . ونقلت منه متاعها وصبيانها ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **كم من عذق رداح في الجنة لأبي الدحداح** » . وفي لفظ : « **رب نخلة مدلاة ، عروقها در وياقوت ، لأبي الدحداح في الجنة** »[٣٠] .

﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (١٤) فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ مَأْوَاكُمُ النَّارُ ۖ هِيَ مَوْلَاكُمْ ۖ وَبِئْسَ

---

(٣٠) - أخرجه البزار (٤٠٢/٥) (٢٠٣٣) وفي إسناده حميد الأعرج وهو ضعيف . وخلف بن خليفة : صدوق اختلط في الآخر . قال الهيثمي في « المجمع » (٣٢٧/٩) : رواه أبو يعلى والطبراني ورجالهما ثقات ، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح . ولبعض لفظه شاهد في صحيح ابن حبان (١١٣/١٦ - ١١٤) حديث (٧١٥٩) من حديث أنس أن رجلًا أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله ، إن لفلان نخلة وأنا أقيم حائطي بها ، فمره يعطيني بها حائطي ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أعطه إياها بنخلة في الجنة » فأبى فأتاه أبو الدحداح ، فقال : بعنى نخلتك بحائطى ، ففعل فأتى أبو الدحداح النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله إني ابتعت النخلة بحائطي فاجعله له ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « كم من عذق رداح لأبي الدحداح في الجنة » مرارًا ، فأتى أبو الدحداح امرأته فقالت : ربح السعر .

ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن المؤمنين المتصدقين : إنهم يوم القيامة يسعىٰ نورهم بين أيديهم في عرَصَات القيامة ، بحسب أعمالهم ، كما قال عبد الله بن مسعود في قوله : ﴿ **يسعىٰ نورهم بين أيديهم** ﴾ ، قال : علىٰ قدر أعمالهم يمرون علىٰ الصراط ، منهم من نوره مثل الجبل ، ومنهم من نوره مثل النخلة ، ومنهم من نوره مثل الرجل القائم ، وأدناهم نورًا من نوره في إبهامه يتّقد مرة ويطفأ مرة .

رواه[١] ابن أبي حاتم ، وابن جرير (٣١).

وقال قتادة : ذكر لنا أن نبي الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، كان يقول : « **من المؤمنين من يضيء نُوره من المدينة إلىٰ عَدَن أبين وصنعاء ، فدون ذلك ، حتىٰ إن من المؤمنين من يضيء نوره موضع قدميه** » (٣٢).

وقال سفيان الثوري : عن حُصَين ، عن مجاهد ، عن جُنَادة بن أبي أمية قال : إنكم مكتوبون عند الله بأسمائكم ، وسيماكم وحُلاكم ، ونجواكم ومجالسكم ، فإذا كان يوم القيامة قيل : يا فلان ، هذا نورك . يا فلان ، لا نور لك . وقرأ : ﴿ **يسعىٰ نورهم بين أيديهم** ﴾ (٣٣).

وقال الضحاك : ليس أحد إلا يعطى نورًا يوم القيامة ، فإذا انتهوا إلىٰ الصراط طفىء نور المنافقين ، فلما رأى ذلك المؤمنون أشفقوا أن يطفأ نورهم كما طفىء نور المنافقين ، فقالوا : ﴿ **ربنا أتمم لنا نورنا** ﴾ .

وقال الحسن : ﴿ **يسعىٰ نورهم بين أيديهم** ﴾ : يعني على الصراط .

وقد قال ابن أبي حاتم - رحمه الله - : حدثنا أبو عبيد[٢] الله ابن أخي ابن وهب ، أخبرنا عمي ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن سعد بن مسعود ؛ أنه سمع عبد الرحمن بن جُبَير يحدث ؛ أنه سمع أبا الدرداء وأبا ذر يُخبران عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **أنا أول من يؤذن له يوم القيامة بالسجود ، وأول من يؤذن له برفع رأسه ، فأنظر من**

(٣١) - تفسير الطبري (٢٢٣/٢٧)

(٣٢) - تفسير الطبري (٢٢٢/٢٧) وفي إسناده انقطاع .

(٣٣) - حصين هو ابن عبد الرحمن وهو ثقة تغير حفظه بأخرة ، وبقية إسناده ثقات .

[١] - في ت : ورواه .
[٢] - في خ : عبد .

بين يدي ومن خلفي ، وعن يميني وعن شمالي ، فأعرف أمتي من بين الأمم » . فقال له رجل : يا نبي الله ؛ كيف تعرف أمتك من بين الأمم ، مابين نوح إلىٰ أمتك ؟ ! قال : « **أعرفهم ، مُحَجَّلون من أثر الوضوء ، ولا يكون لأحد[١] من الأمم غيرهم ، وأعرفهم يؤتون كتبهم بأيمانهم ، وأعرفهم بسيماهم في وجوههم ، وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم وذريتهم** » (٣٤).

وقوله : ﴿ **وبأيمانهم** ﴾ قال الضحاك : أي : وبأيمانهم كتبهم . كما قال : ﴿ **فمن أوتي كتابه بيمينه** ﴾ .

وقوله : ﴿ **بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار** ﴾ . [أي : يقال لهم : بشراكم اليوم جنات . أي : لكم البشارة بجنات تجري من تحتها الأنهار][٢] ، ﴿ **خالدين فيها** ﴾ ، أي : ماكثين فيها أبدًا ، ﴿ **ذلك هو الفوز العظيم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم** ﴾ . وهذا إخبار منه تعالىٰ عما يقع يوم القيامة في العَرَصات من الأهوال المزعجة ، والزلازل العظيمة ، والأمور الفظيعة ، وأنه لاينجو يومئذ إلا من آمن بالله ورسوله ، وعمل بما أمر الله ، وترك ما عنه زجر .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبدة بن سليمان ، حدثنا ابن المبارك ، حدثنا صفوان بن عمرو ، حدثني سليم بن عامر قال : خرجنا علىٰ جنازة في باب دمشق ، ومعنا أبو أمامة الباهلي ، فلما صلّى علىٰ الجنازة وأخذوا في دفنها ، قال أبو أمامة : أيها الناس ؛ إنكم قد أصبحتم وأمسيتم في منزل تقتسمون فيه الحسنات والسيئات ، وتوشكون[٣] أن تظعنوا منه إلىٰ منزل آخر ، وهو[٤] هذا - يشير إلىٰ القبر - بيت الوحدة ، وبيت الظلمة ، [وبيت الدود][٥] ، وبيت الضيق ، إلا ما وسع الله ، ثم تنتقلون منه إلىٰ مواطن يوم القيامة ، فإنكم في بعض تلك المواطن [حتىٰ][٦] يغشى الناس أمر من الله ، فتبيض وجوه وتسود وجوه ، ثم تنتقلون منه إلىٰ منزل آخر فتغشى الناس ظلمة شديدة ، ثم يقسم النور فيعطىٰ

(٣٤) - أخرجه الحاكم (٤٧٨/٢) . وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وسكت عنه الذهبي في التلخيص ، وقال في الميزان : عبد الله بن صالح بن محمد بن مسلم الجهني المصري : هو صاحب حديث وعلم مكثر ، وله مناكير .

[١] - في ز : أحد .
[٢] - ما بين المعكوفين سقط من ز .
[٣] - في ز : أتوشكون .
[٤] - في ز ، خ : وهن .
[٥] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .
[٦] - في ز ، خ : يوم .

المؤمن نورًا ، ويترك الكافر والمنافق فلا يعطيان شيئًا ، وهو المثل الذي ضربه الله في كتابه ، قال : ﴿ **أو كظلمات في بحر لجي** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **فما له من نور** ﴾ ، فلا يستضيء الكافر والمنافق بنور المؤمن كما لايستضيء الأعمى بنور البصير ، ويقول المنافقون للذين آمنوا : ﴿ **انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورًا** [ ][١] ﴾ . وهي خدعة الله التي خدع بها المنافقين حيث قال : ﴿ **يخادعون الله وهو خادعهم** ﴾ . فيرجعون إلىٰ المكان الذي قسم فيه النور ، فلا يجدون شيئًا ، [فينصرفون][٢] إليهم وقد ضرب بينهم بسور له باب ، ﴿ **باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ...** ﴾ ... الآية . يقول سليم بن عامر : فما يزال المنافق مغترًا حتي يقسم النور ، ويميز الله بين المؤمن والمنافق (٣٥) .

ثم قال : حدثنا أبي ، حدثنا يحيىٰ بن عثمان ، حدثنا ابن حيوة ، حدثنا أرطاة بن المنذر ، حدثنا يوسف بن الحجاج عن أبي أمامة قال : تُبعَثُ ظلمة يوم القيامة ، فما من مؤمن ولا[٣] كافر يرىٰ [كفه][٤] ، حتي يبعثَ الله بالنور إلىٰ المؤمنين بقدر أعمالهم ، فيتبعهم المنافقون فيقولون : ﴿ **انظرونا نقتبس من نوركم** ﴾ .

وقال العوفي ، والضحاك ، وغيرهما ، عن ابن عباس : بينما الناس في ظلمة إذ بعث الله نورًا ، فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه ، وكان النور لهم[٥] دليلًا من الله إلىٰ الجنة ، فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا اتبعوهم ، فأظلم الله علىٰ المنافقين ، فقالوا حينئذ : ﴿ **انظرونا نقتبس من نوركم** ﴾ ، فإنا كنا معكم في الدنيا . قال المؤمنون : ﴿ **ارجعوا** ﴾ من حيث جئتم من الظلمة ، فالتمسوا هنالك النور (٣٦) .

وقال أبو القاسم الطبراني : حدثنا الحسن[٦] بن علوية القطان[٧] ، حدثنا إسماعيل بن عيسىٰ العطار ، حدثنا إسحاق بن بشر بن حذيفة ، حدثنا ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : إن الله يدعو الناس يوم القيامة بأسمائهم سترًا منه علىٰ عباده . وأما عند الصراط فإن الله يعطي كل مؤمن نورًا ، وكل

(٣٥) - أخرجه ابن المبارك في الزهد (٢/١٠٨ - ١٠٩) (٣٦٨) ، والحاكم (٢/٤٠٠) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/٤٣٥ - ٤٣٦) (١٠١٥) . وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي

(٣٦) - أخرجه الطبري (٢٧/٢٢٤) من طريق العوفي وهو ضعيف .

[١] - في ز ، خ : فضرب .

[٢] - في ز : فيصرفون .

[٣] - سقط من خ .

[٤] - في ز : فيه .

[٥] - سقط من ت .

[٦] - في خ : الحسين .

[٧] - في ز ، خ : العطار .

منافق نورًا ، فإذا استووا علىٰ الصراط سلب اللَّه نور المنافقين[١] والمنافقات ، فقال المنافقون : ﴿ **انظرونا نقتبس من نوركم** ﴾ . وقال المؤمنون : ﴿ **ربنا أتمم لنا نورنا** ﴾ . فلا يذكر عند ذلك أحد أحدًا(٣٧) .

وقوله : ﴿ **فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب** ﴾ ، قال الحسن ، وقتادة : هو حائط بين الجنة والنار .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هو الذي قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **وبينهما حجاب** ﴾ . وهكذا روي عن مجاهد - رحمه اللَّه - وغير واحد ، وهو الصحيح .

﴿ **باطنه فيه الرحمة** ﴾ ، أي : الجنة ومافيها ، ﴿ **وظاهره من قبله العذابُ** ﴾ ، أي النار . قاله قتادة وابن زيد ، وغيرهما .

قال ابن جرير : وقد قيل : إن ذلك السور سور بيت المقدس عند وادي جهنم ، ثم قال :

حدثنا ابن [ ][٢] البرقي ، حدثنا عمرو بن أبي سلمة ، عن سعيد بن عطية بن قيس ، عن أبي العوام - مؤذن بيت المقدس - قال : سمعت عبد اللَّه بن عمرو[٣] ؛ يقول : / إن السور الذي ذَكَر اللَّه في القرآن : ﴿ **فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذابُ** ﴾ ، هو السور الشرقي [باطنه][٤] المسجد وما يليه ، وظاهره وادي جهنم(٣٨) .

ثم روي عن عبادة بن الصامت وكعب الأحبار، وعلي بن الحسين زين العابدين نحو ذلك، وهذا محمول منهم على أنهم أرادوا بهذا تقريب المعنى [ ][٥] مثالًا لذلك ، لا أن هذا هو الذي أريد من القرآن هذا الجدار المعين ونفس المسجد وما وراءه من الوادي المعروف بوادي جهنم ، فإن الجنة في السماوات في أعلىٰ عليين ، والنار في الدركات أسفل سافلين ،

(٣٧) - أخرجه الطبراني في الكبير (١٢٢/١١) (١١٢٤٢) .

قال الهيثمي في « المجمع » (٣٦٢/١٠) : رواه الطبراني وفيه إسحاق بن بشر أبو حذيفة وهو متروك .

(٣٨) - تفسير الطبري (٢٢٥/٢٧) . والحديث أخرجه الحاكم (٤٧٨/٢) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . قال الذهبي : بل منكر وآخره باطل ؛ لأنه ما اجتمع عبادة برسول الله - صلى الله عليه وسلم - هناك .

[١] - في ز : المنافق .

[٢] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : أبي .

[٣] - في خ : عمر .

[٤] - في ز ، خ : في باطن .

[٥] - في ز : و .

وقول كعب الأحبار : إن الباب المذكور في القرآن هو باب الرحمة الذي هو أحد أبواب المسجد ، فهذا من إسرائيلياته وتُرَّهاتِه . وإنما المراد بذلك سور يُضرَب يوم القيامة ليحجز بين المؤمنين والمنافقين ، فإذا انتهى إليه المؤمنون دخلوه من بابه ، فإذا استكملوا دُخولهم أغلق الباب ، وبقي المنافقون من ورائه في الحيرة والظلمة والعذاب ، كما كانوا في الدار الدنيا في كفر وجهل وشك وحيرة ، ﴿ ينادونهم ألم نكن معكم ﴾ أي : ينادي المنافقون المؤمنين : أما[١] كنا معكم في الدار الدنيا ، نشهد معكم الجمعات ، ونصلي معكم الجماعات ، ونقف معكم بعرفات ، ونحضر معكم الغزوات ، ونؤدي معكم سائر الواجبات ؟ ﴿ قالوا بلىٰ ﴾ ، أي : فأجاب المؤمنون المنافقين قائلين : ﴿ بلى ﴾ ، قد كنتم معنا ، ﴿ ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني ﴾ ، قال بعض السلف : أي فتنتم أنفسكم باللذات والمعاصي والشهوات ، ﴿ وتربصتم ﴾ ، أي : أخرتم التوبة من وقت إلىٰ وقت .

وقال قتادة : ﴿ تربصتم ﴾ بالحق وأهله . ﴿ وارتبتم ﴾ ، أي : بالبعث بعد الموت ، ﴿ وغرتكم الأماني ﴾ ، أي : قلتم : سيغفر لنا . وقيل : غرتكم الدنيا . ﴿ حتىٰ جاء أمر الله ﴾ ، أي : مازلتم في هذا حتىٰ جاء الموت ، ﴿ وغركم بالله الغرور ﴾ ، أي : الشيطان .

قال قتادة : كانوا على خدعة من الشيطان ، والله ما زالوا عليها حتى قذفهم الله في النار .

ومعنىٰ هذا الكلام من المؤمنين للمنافقين : أنكم كنتم معنا بأبدان / لا نية لها ولا قلوب معها ، وإنما كنتم في حيرة وشك ، فكنتم تراءون الناس ولا تذكرون الله إلا قليلًا . قال مجاهد : كان المنافقون مع المؤمنين أحياء يناكحونهم [ويعينونهم][٢] ويعاشرونهم ، وكانوا معهم أمواتًا ، ويعطون النور جميعًا يوم القيامة ، ويطفأ النور من المنافقين إذا بلغوا السور ، ويُماز[٣] بينهم حينئذ .

وهذا القول من المؤمنين لاينافي قولهم الذي أخبر الله به عنهم ، حيث يقول - وهو أصدق القائلين - : ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة * إلا أصحاب اليمين * في جنات يتساءلون * عن المجرمين * ماسلككم في سقر * قالوا : لم نك من المصلين * ولم نك نطعم المسكين * وكنا نخوض مع الخائضين * وكنا نكذب بيوم الدين * حتىٰ أتانا اليقين ﴾ . فهذا إنما خرج منهم علىٰ وجه التقريع لهم والتوبيخ ، ثم قال تعالىٰ : ﴿ فما

[١] - في ز ، خ : إنا .
[٢] - في ت : ويغشونهم .
[٣] - في خ : يمتاز .

تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾ . كما قال تعالىٰ هاهنا : ﴿ **فاليوم لايؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا** ﴾ . أي : لو جاء أحدكم اليوم بملء الأرض ذهبًا ومثله معه ليفتدي به من عذاب الله ، ما قبل منه .

و[١] قوله : ﴿ **مأواكم النار** ﴾ أي : هي مصيركم ، وإليها منقلبكم .

وقوله : ﴿ **هي مولاكم** ﴾ ، أي : هي أولىٰ بكم من كل منزل علىٰ كفركم وارتيابكم ، وبئس المصير .

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ (١٦) ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٧) ﴾

يقول تعالىٰ : أما آنَ للمؤمنين ﴿ **أن تخشع قلوبهم لذكر الله** ﴾ ، أي : تلين عند الذكر والموعظة وسماع القرآن ، فتفهمه وتنقاد له وتسمع له وتطيعه .

قال عبد الله بن المبارك : حدثنا صالح المرّي[٢] ، عن قتادة ، عن ابن عباس أنه قال : إن الله استبطأ قلوب المهاجرين فعاتبهم علىٰ رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن ، فقال : ﴿ **ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ...** ﴾ الآية . رواه ابن أبي حاتم ، عن الحسن بن محمد بن الصباح ، عن حسين المروزي ، عن ابن المبارك . به .

ثم قال هو ومسلم : حدثنا يونس بن عبد الأعلىٰ ، [أخبرنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلال - يعني الليثي - عن عون بن عبد الله][٣] عن أبيه ، عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : ماكان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية : ﴿ **ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله** ﴾ إلا أربع سنين . كذا رواه مسلم في آخر الكتاب (٣٩) .

---

(٣٩) - صحيح مسلم ، كتاب : التفسير ، باب : في قوله تعالى : ﴿ **ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله** ﴾ حديث (٣٠٢٧/٢٤) (٢١٤/١٨) .

---

[١] - سقط من ت ، خ . [٢] - في ز ، خ : المدني .
[٣] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

وأخرجه النسائي عند تفسير هذه الآية عن هارون بن سعيد الأيلي ، عن ابن وهب به(٤٠) .

وقد رواه ابن ماجة من حديث موسى بن يعقوب الزّمعي ، عن أبي حازم ، عن عامر بن عبد اللّه بن الزبير ، عن أبيه ، مثله(٤١) . فجعله من مسند ابن الزبير . لكن رواه البزار في مسنده من طريق موسي بن يعقوب ، عن أبي حازم ، عن عامر ، عن ابن الزبير ، عن ابن مسعود ، فذكره (٤٢) .

وقال سفيان الثوري عن المسعودي ، عن القاسم ؛ قال : ملّ[١] أصحاب رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم ملة[٢] ، فقالوا : حدثنا يا رسول اللّه ، [فأنزل اللّه تعالىٰ : ﴿ **نحن نقص عليك أحسن القصص** ﴾ ، قال : ثم مَلّوا مَلة ؛ فقالوا : حدثْنا يا رسول اللّه ، فأنزل اللّه تعالىٰ][٣] : ﴿ **اللّه نزل أحسن الحديث** ﴾ . ثم ملوا [ملة][٤] ؛ فقالوا : حدثْنا يا رسول اللّه . فأنزل اللّه : ﴿ **ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر اللّه** ﴾ (٤٣) .

وقال قتادة : ﴿ **ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر اللّه** ﴾ :ذُكر لنا أن شَداد بن أوس كان يروي عن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم ؛ قال : « **إن أول ما يرفع من الناس الخشوع** » (٤٤) .

وقوله : ﴿ **ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست**

---

(٤٠) - السنن الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : قوله تعالى ﴿ **ألم يأن للذين آمنوا** ﴾ ، حديث (١١٥٦٨) (٤٨١/٦) .

(٤١) - سنن ابن ماجة في كتاب : الزهد ، باب : الحزن والبكاء ، حديث (٤١٩٢) (١٤٠٢/٢) . قال في الزوائد : إسناده صحيح ، رجاله ثقات . وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة برقم (٣٣٨٠) .

(٤٢) - أخرجه البزار (٢٧٥/٤) (١٤٤٣) ، قال الهيثمي في « المجمع » (١٢٤/٧) : رواه الطبراني وفيه موسى بن يعقوب الزمعي وثقه ابن معين وغيره وضعفه ابن المديني ، وبقية رجاله رجال الصحيح . اهـ . والحديث صححه الحاكم (٤٧٩/٢) ووافقه الذهبي . ويشهد له الأحاديث قبله .

(٤٣) - أخرجه الطبري (١٥٠/٢٢) فذكر صدره من طريق وكيع عن المسعودي عن عون بن عبد الله وفي إسناده والإسناد الذي ذكره ابن كثير انقطاع ظاهر . وأخرجه الطبري (١٥٠/٢٢) بنحوه من حديث سعد ابن أبي وقاص بإسناد رجاله ثقات .

(٤٤) - أخرجه الطبري (٢٢٨/٢٧) . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٥٤/٦) وزاد نسبته لعبد بن حميد .

---

[١] - في خ : ملأ .
[٢] - في ز ، خ : مكة .
[٣] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : « فنزلت » .
[٤] - في ز ، خ : مكة .

قلوبهم ﴾ : نهى الله المؤمنين أن يتشبهوا بالذين حُمّلوا الكتاب قبلهم من اليهود والنصارىٰ ، لما تطاول عليهم الأمد بَدلوا كتاب الله الذي بأيديهم ، واشتروا به ثمنًا قليلًا ، ونبذوه وراء ظهورهم ، وأقبلوا علىٰ الآراء المختلفة والأقوال المؤتفكة ، وقلدوا الرجال في دين الله ، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله ، فعند ذلك قست قلوبهم ، فلا يقبلون موعظة ، ولا تلين قلوبهم بوعد ولا وعيد .

﴿ وكثير منهم فاسقون ﴾ أي : في الأعمال ، فقلوبهم فاسدة ، وأعمالهم باطلة ؛ كما قال : ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظًا مما ذكروا به ﴾ ، أي : فسدت قلوبهم فقست وصار من سجيتهم تحريف الكلم عن مواضعه ، وتركوا الأعمال التي أمروا بها ، وارتكبوا ما نهوا عنه ؛ ولهذا نهى الله المؤمنين أن يتشبهوا بهم في شيء من الأمور الأصلية والفرعية .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا هشام [ابن عمار][١] ، حدثنا شهاب بن خرَاش ، حدثنا حجاج بن دينار ، عن منصور بن المعتمر ، عن الربيع بن عَميلة الفزاري ؛ قال : حدثنا عبد الله بن مسعود حديثًا ما سمعت أعجب إليّ منه ، إلا شيئًا من كتاب الله ، أو شيئًا قاله[٢] النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : إن بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد [فقست][٣] قلوبهم ، اخترعوا كتابًا من عند أنفسهم ، استهوته قلوبهم ، واستحلَّته ألسنتهم واستلذته ، وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم ، فقالوا : تعالوا ندع بني إسرائيل إلىٰ كتابنا هذا ، فمن تابعنا عليه تركناه ، ومن كره أن يتابعنا قتلناه . ففعلوا ذلك ، وكان فيهم رجل فقيه ، فلما رأى مايصنعون عَمَدَ إلىٰ ما يعرف من كتاب الله فكتبه في شيء لطيف ، ثم أدرجه ، فجعله في قرن ثم علق ذلك القرن في عنقه ، فلما أكثروا القتل قال بعضهم لبعض : يا هؤلاء ، إنكم قد أفشيتم القتل في بني إسرائيل ، فادعوا فلانًا فاعرضوا عليه كتابكم ، فإنه إن تابعكم فسيتابعكم بقية الناس ، وإن أبى فاقتلوه . فدعَوا فلانًا ذلك الفقيه ؛ فقالوا : تؤمن بما في كتابنا ؟ قال : وما فيه ؟ اعرضوه عليّ . فعرضوه عليه إلىٰ آخره ، ثم قالوا : أتؤمن بهذا ؟ قال : نعم ، آمنت بما في هذا - [وأشار بيده إلى القرن - فتركوه ، فلما مات][٤] نبشوه فوجدوه مُتَعلّقًا ذلك القرن ، فوجدوا فيه ما يعرف من كتاب الله ، فقال بعضهم لبعض : يا هؤلاء ، ما كنا نسمع هذا أصابه فتنة . فافترقت بنو إسرائيل علىٰ ثنتين وسبعين ملة ، وخير مللهم ملة أصحاب ذي[٥] القرن[٦] .

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - في خ : قال .
[٣] - في ز : قست .
[٤] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : فذكره .
[٥] - في خ : ذلك .
[٦] - في ز : الفرق .

قال ابن مسعود : أوشك بكم إن بقيتم - أو بقي من بقي منكم - أن تروا أمورًا تنكرونها ، لا تستطيعون لها غيرًا ، فبحسب المرء منكم أن يعلم الله من قلبه أنه [لها][١] كاره (٤٥).

وقال أبو جعفر الطبري : حدثنا [ابن][٢] حُمَيد ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن أبي معشر ، عن إبراهيم؛ قال : جاء عِتْرِيس بن عُرقوب إلىٰ ابن مسعود؛ فقال : يا[٣] عبد الله ؛ هلك من لم يأمر بالمعروف وينه عن المنكر . فقال عبد الله : هلك من لم يعرف قلبُه معروفًا ولم ينكر قلبه منكرًا ؛ إن بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد وقست قلوبهم ، اخترعوا كتابًا من بين أيديهم وأرجلهم ، استهوته قلوبهم ، واستحلته / ألسنتهم ، وقالوا : نعرض بني إسرائيل علىٰ هذا الكتاب [فمن][٤] آمن به تركناه ، ومن كفر به قتلناه . قال : فجعل رجل منهم كتاب الله في قَرْن ، ثم جعل القرن بين ثَنْدُوتَيه فلما قيل له : أتؤمن بهذا ؟ قال : آمنت به - ويومئ إلىٰ القرن بين ثندوتيه - ومالي لا أومن بهذا الكتاب ؟ فمن [خير][٥] مللهم اليوم ملّة صاحب القرن (٤٦).

وقوله : ﴿ اعلموا أن الله يحي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون ﴾ : فيه إشارة إلىٰ أنه تعالىٰ يلين القلوب بعد قسوتها ، ويهدي الحيارى بعد ضَلتها ، ويفرج الكروب بعد شدتها ، فكما يحيي الأرض الميتة المجدبة الهامدة [بالغيث][٦] الهتَّان ، كذلك يهدي القلوب القاسية ببراهين القرآن والدلائل ، ويولج إليها النور بعد ما كانت مقفلة لايصل إليها الواصل ، فسبحان الهادي لمن يشاء بعد الإضلال ، والمضل لمن أراد بعد الكمال ، الذي هو لما يشاء فعال ، وهو الحكم العدل في جميع الفعال ، اللطيف الخبير الكبير المتعال .

إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ

(٤٥) - أخرجه البيهقي (٦/٩٥ - ٩٦) (٧٥٨٩) من طريق عمارة بن الربيع بن عميلة عن عبد الله بن مسعود بنحوه .

(٤٦) - تفسير الطبري (٢٧/٢٢٩) .

[١] - في ت ، خ : له .

[٢] - في ز : أبو .

[٣] - في خ : يا أبا .

[٤] - في ز : من .

[٥] - في ز : خين .

[٦] - في ز : بالبعث .

رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾

يخبر تعالىٰ عما يثيب به المُصَّدِّقين [والمصَّدِّقات][١] بأموالهم علىٰ أهل الحاجة والفقر والمسكنة ، ﴿ **وأقرضوا الله قرضًا حسنًا** ﴾ أي : دفعوه بنية خالصة ابتغاء وجه الله ، لايريدون جزاء ممن أعطوه ولاشكورًا ؛ ولهذا قال : ﴿ **يضاعف لهم** ﴾ أي : يقابل لهم الحسنة بعشر أمثالها ، ويزاد علىٰ ذلك إلىٰ سبعمائة ضعف وفوق ذلك ، ﴿ **ولهم أجر كريم** ﴾ ، أي : ثواب جزيل حسن ، ومرجع صالح ومآب ﴿ **كريم**[٢] ﴾ .

وقوله : ﴿ **والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون** ﴾ : هذا تمام الجملة ، وصف المؤمنين بالله ورسله بأنهم صديقون .

قال العوفي عن ابن عباس : قوله : ﴿ **والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون** ﴾ : هذه مفصولة ، ﴿ **والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم** ﴾ وقال أبو الضحىٰ : ﴿ **أولئك هم الصديقون** ﴾ ، ثم استأنف الكلام فقال : ﴿ **والشهداء عند ربهم** ﴾ - وهكذا قال مسروق ، والضحاك ، ومقاتل بن حيان ، وغيرهم .

وقال الأعمش عن أبي الضّحىٰ ، عن مسروق ، عن عبد الله في قوله : ﴿ **أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم** ﴾ قال : هم ثلاثة أصناف : يعني المصَّدقين ، والصدّيقين[٣] ، والشهداء . كما قال تعالىٰ : ﴿ **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين** ﴾ ففرق بين الصديقين والشهداء ، فدل علىٰ أنهما صنفان . ولاشك أن الصّدّيق أعلىٰ مقامًا من الشهيد ، كما رواه الإمام مالك بن أنس - رحمه الله - في كتابه الموطأ ، عن صفوان بن سليم ، عن عطاء بن يَسَار ، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ قال : « **إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدريّ الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب ، لتفاضل ما بينهم** » . قالوا : يا رسول الله ؛ تلك منازل الأنبياء لايبلغها غيرهم ؟ قال : « **بلىٰ ، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين** » .

اتفق البخاري ومسلم على إخراجه من حديث مالك به (٤٧).

(٤٧) - أخرجه البخاري في كتاب : بدء الخلق ، باب : ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ، حديث=

[١] - في ز : والمصدقين . كذا .
[٢] - سقط من خ .
[٣] - في خ : المصدقات .

وقال آخرون : بل المراد من قوله : ﴿ **أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم** ﴾ فأخبر عن المؤمنين بالله ورسله بأنهم صديقون وشهداء . حكاه ابن جرير عن مجاهد ، ثم قال ابن جرير :

حدثني صالح بن حرب - أبو معمر - حدثنا إسماعيل بن يحيىٰ ، حدثنا ابن عجلان ، عن زيد بن أسلم ، عن البراء بن عازب؛ قال : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ يقول : « **مؤمنو أمتي شهداء** » . قال : ثم تلا النبي صلىٰ الله عليه وسلم هذه الآية : ﴿ **والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم** ﴾ (٤٨)هذا حديث غريب .

وقال أبو إسحاق : عن عَمْرو بن ميمون في قوله : ﴿ **والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم** ﴾ ، قال : يجيئون يوم القيامة معًا كالإصبعين .

وقوله :﴿ **والشهداء عند ربهم** ﴾ أي : في جنات النعيم كما جاء في الصحيحين . « **إن أرواح الشهداء في حواصل طيرٍ خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلىٰ تلك القناديل ، فاطلع عليهم ربك اطلاعة فقال : ماذا تريدون ؟ فقالوا : نحب أن تردنا إلىٰ الدار الدنيا فنقاتلَ فيك فنقتل كما قُتلنا أول مرة . فقال : إني قضيت أنهم إليها لايرجعون** »(٤٩) .

وقوله : ﴿ **لهم أجرهم ونورهم** ﴾ ، أي : لهم عند ربهم أجر جزيل ونور عظيم يسعىٰ بين أيديهم ، وهم في ذلك يتفاوتون بحسب ماكانوا في الدار الدنيا من الأعمال ، كما قال الإمام أحمد :

حدثنا يحيى بن إسحاق ، حدثنا ابن لهيعة ، عن عطاء بن دينار ، عن أبي يزيد الخَولاني؛ قال : سمعت فضالة بن عبيد ، يقول : سمعت عمر بن الخطاب ، يقول : سمعت النبي صلىٰ الله عليه وسلم؛ يقول : « **الشهداء أربعة : رجل مؤمن جيد الإيمان ، لقي العدو فصدق الله فقتل ، فذلك الذي ينظر الناس إليه هكذا** » - ورفع رأسه حتىٰ سقطت قَلنسُوة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أو[١] قلنسوة عمر « **والثاني : مؤمن لقي العدو**

= (٣٢٥٦) (٦/٣٢٠) . ومسلم في كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : ترائى أهل الجنة أهل الغرف كما يرى الكوكب في السماء ، حديث (٢٨٣١/١١) (١٧/٢٤٧ - ٢٤٨) .

(٤٨) - تفسير الطبري (٢٧/٢٣١) وفي إسناده إسماعيل بن يحيى متهم بالكذب .

(٤٩) - تقدم تخريجه في سورة الواقعة آية (٨٩) .

[١] - في خ : و .

فكأنما يضرب ظهره بشوك الطَّلح جاءه سهم غرب فقتله ، فذاك في الدرجة الثانية . والثالث : رجل مؤمن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئًا لقي العدو فصدق الله حتىٰ قتل ، فذاك في الدرجة الثالثة . والرابع : رجل مؤمن أسرف علىٰ نفسه إسرافًا كثيرًا ، لقي العدو فصدق الله حتىٰ قتل ، فذاك في الدرجة الرابعة » (٥٠).

وهكذا رواه عليّ بن المديني ، عن أبي داود الطيالسي ، عن ابن المبارك ، عن ابن لهيعة(٥١) ، وقال : هذا إسناد مصري صالح ، ورواه الترمذي من حديث ابن لهيعة وقال : حسن غريب (٥٢).

وقوله : ﴿ **والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم** ﴾ : لما ذكر السعداء ومآلهم ، عطف بذكر الأشقياء وبيَّن حالهم ؛ فقال[١] :

﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ (٢٠) سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ (٢١) ﴾

يقول تعالىٰ مُوهِّنًا أمر الحياة الدنيا ، ومحقِّرًا لها : ﴿ **إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد** ﴾ . أي : إنما حاصل أمرها عند أهلها هذا ، كما قال : ﴿ **زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب** ﴾

(٥٠) - المسند (٢٣/١) . وفي إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف . وأبو يزيد الخولاني : مجهول . وضعفه الألباني في الضعيفة (٢٠٠٤) .

(٥١) - مسند الطيالسي (٢٠) برقم (١٣٣) .

(٥٢) - سنن الترمذي في كتاب : فضائل الجهاد ، باب : ما جاء في الشهداء عند الله ، حديث (١٦٤٤) (٣٦٠/٥ - ٣٦١) . كلاهما من طريق أبي يزيد الخولاني وقد تقدم الكلام عليه في الذي قبله .

[١] - سقط من ت ، ز .

ثم ضرب تعالىٰ مثل الحياة الدنيا في أنها زهرة فانية ونعمة زائلة؛ فقال: ﴿ **كمثل غيث** ﴾، وهو: المطر الذي يأتي بعد قنوط الناس، كما قال: ﴿ **وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا** ﴾.

وقوله: ﴿ **أعجب الكفار نباته** ﴾. أي: يعجب الزراع نبات ذلك الزرع الذي نبت بالغيث، وكما يعجب الزراع ذلك كذلك تعجب الحياة الدنيا الكفار، فإنهم أحرص شيء عليها [وأميل][1] الناس إليها، ﴿ **ثم يهيج فتراه مصفرًا ثم يكون حطامًا** ﴾، أي: يهيج ذلك الزرع فتراه مصفرًّا بعدما كان [خضرًا][2] نَضرًا، ﴿ **ثم يكون** ﴾ بعد ذلك كله [إلى أن][3]: يصير يَبَسًا متحطمًا، هكذا الحياة الدنيا تكون أولًا شابة، ثم تكتهل، ثم تكون عجوزًا شوهاء، والإنسان كذلك يكون في أول عمره وعنفوان شبابه غضًّا طريًّا لين الأعطاف، بهي المنظر، ثم إنه يشرع في الكهولة فتتغير طباعه ويَنْفَدُ بعض قواه، ثم يكبر فيصير شيخًا كبيرًا ضعيف القوى قليل الحركة، يعجزه الشيء اليسير، كما قال تعالىٰ: ﴿**الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفًا وشيبة يخلق مايشاء وهو العليم القدير**﴾. ولما كان هذا المثل دالًّا علىٰ زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة، وأن الآخرة كائنة لا محالة، حذَّر من أمرها، ورغَّب فيما فيها من الخير، فقال: ﴿ **وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور** ﴾، أي: وليس في الآخرة الآتية القريبة إلا إما هذا وإما هذا؛ إما عذاب شديد، وإما مغفرة من الله ورضوان.

وقوله: ﴿ **وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور** ﴾، أي: هي متاع فانٍ غارٌ لمن ركن إليه، فإنه يغتر بها، وتعجبه حتى يعتقد أنه لا دار سواها، ولا معاد وراءها، وهي [حقيرة][4] قليلة بالنسبة إلىٰ الدار الآخرة.

قال ابن جرير: حدثنا عليّ بن حرب الموصلي، حدثنا المحاربي، حدثنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها. اقرءوا ﴿ **وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور** ﴾ (٥٣). وهذا الحديث ثابت في الصحيح بدون هذه الزيادة(٥٤)، والله أعلم.

---

(٥٣) - تفسير الطبري (٢٧/ ٢٣٢).

(٥٤) - أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: مثل الدنيا في الآخرة، حديث (٦٤١٥) (١١/ ٢٣٢). ومسلم في كتاب الإمارة، باب: فضل الغدوة والروحة في سبيل الله، حديث (١١٣/ ١٨١) (١٣/ ٣٩). كلاهما من طريق عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن سهل بن سعد الساعدي مرفوعًا به.

---

[١] - في ز، خ: أقبل.
[٢] - في ز: أخضرا. كذا.
[٣] - في ت: حطامًا.
[٤] - في ز: جضرة.

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن نمير ووكيع ، كلاهما عن الأعمش ، عن شقيق ، عن عبد الله ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **للجنة أقرب إلىٰ أحدكم من شراك نعله ، والنار مثل ذلك** »(٥٥).

انفرد بإخراجه البخاري في الرقاق من حديث الثوري عن الأعمش به(٥٦) .

ففي هذا الحديث دليل علىٰ اقتراب الخير والشر من الإنسان ، وإذا كان الأمر كذلك ، فلهذا حثه الله علىٰ المبادرة إلىٰ الخيرات ، من[١] فعل الطاعات ، وترك المحرمات ، التي تكفر عنه الذنوب والزلات ، وتحصل له الثواب والدرجات ، فقال تعالىٰ : ﴿ **سابقوا إلىٰ مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض** ﴾ : والمراد جنس السماء والأرض ، كما قال في الآية الأخري : ﴿ **وسارعوا إلىٰ مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين** ﴾ . وقال هاهنا : ﴿ **أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم** ﴾ ، أي : هذا الذي أهلهم الله له هو من فضله ومنه عليهم وإحسانه إليهم ، كما قدمنا في الصحيح أن فقراء المهاجرين قالوا : يا رسول الله ، ذهب أهل الدثور بالدرجات العلىٰ والنعيم المقيم . قال : « **وما ذاك ؟** » قالوا : يصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون ولا نتصدق ، ويُعتقون ولا نُعتق . قال : « **أفلا أدلكم علىٰ شيء إذا فعلتموه سبقتم من بعدكم ، ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ماصنعتم : تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين** » . قال : فرجعوا فقالوا : سمع إخواننا أهل الأموال ما فَعَلْنا ، ففعلوا مثله ! فقال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء** »(٥٧).

مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ

(٥٥) - المسند (١/٤٤٢) (٤٢١٦) .

(٥٦) - صحيح البخاري ، كتاب : الرقاق ، باب : الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله ، والنار مثل ذلك ، حديث (٦٤٨٨) (١١/٣٢١) .

(٥٧) - أخرجه البخاري في كتاب : الأذان ، باب : الذكر بعد الصلاة ، حديث (٨٤٣) (٢/٣٢٥) وطرفه في [٦٣٢٩] . ومسلم في كتاب : المساجد ، باب : استحباب الذكر بعد الصلاة ، حديث (٥٩٥/١٤٢) (٥/١٢٩ - ١٣١) .

[١] - في ز : و .

وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾

يخبر تعالىٰ عن قدره السابق في خلقه قبل أن يبرأ البرية ، فقال : ﴿ **ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم** ﴾ ، أي : في الآفاق وفي نفوسكم ، ﴿ **إلا في كتاب من قبل أن نبرأها** ﴾ ، أي : من قبل أن نخلق الخليقة ونبرأ النسمة .

وقال بعضهم : ﴿ **من قبل أن نبرأها** ﴾ ، عائد علىٰ النفوس . وقيل : عائد علىٰ المصيبة . والأحسن عوده علىٰ الخليقة والبرية ، لدلالة الكلام عليها ، كما قال ابن جرير :

حدثني يعقوب ، حدثنا ابن عُلَيّة ، عن منصور بن عبد الرحمن ؛ قال : كنت جالسًا مع الحسن فقال رجل : سله عن قوله : ﴿ **ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها** ﴾ فسألته عنها ، فقال : سبحان اللَّه ! ومن يشك في هذا ؟ كل مصيبة بين السماء والأرض ففي كتاب اللَّه من قبل أن يبرأ النسمة (٥٨).

وقال قتادة : ما أصاب من مصيبة في الأرض . قال : هي السنون . يعني : الجَدْب ، ﴿ **ولا في أنفسكم** ﴾ ، يقول : الأوجاع والأمراض . قال : وبلغنا أنه ليس أحد يصيبه خدش عود ولا نَكْبَةُ قَدَم ، ولا خلجان عرق إلا بذنب ، وما يعفو اللَّه عنه أكثر .

وهذه الآية الكريمة من أدل دليل على القدرية نفاة العلم السابق قبّحهم الله . وقال الإمام أحمد :

حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا حيوة وابن لهيعة ؛ قالا[١] : حدثنا أبو هانئ الخولاني ؛ أنه سمع أبا عبد الرحمن الحُبُلي ؛ يقول : سمعت عبد اللَّه بن عمرو بن العاص ؛ يقول : سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ؛ يقول : « **قَدَّر اللَّه المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة** » (٥٩).

ورواه مسلم في صحيحه ، من حديث عبد اللَّه بن وَهب وحَيوة بن شُرَيح ونافع بن يزيد ، ثلاثتهم عن أبي هانئ به . وزاد ابن وهب : « **وكان عرشه علىٰ الماء** »(٦٠).

---

(٥٨) - تفسير الطبري (٢٧/٢٣٤) .

(٥٩) - المسند (٢/١٦٩) (٦٥٧٩) .

(٦٠) - صحيح مسلم ، كتاب : القدر ، باب : حجاج آدم وموسى عليهما السلام ، حديث (١٦/٢٦٥٣) (١٦/٣١٠) .

---

[١] - في خ : قالوا .

ورواه الترمذي وقال: حسن صحيح (٦١).

وقوله: ﴿ إن ذلك على الله يسير ﴾، أي: إن علمه تعالى الأشياء قبل كونها وكتابته لها طبق ما يوجد في حينها، سهل على الله - عز وجل - لأنه يعلم ماكان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون.

وقوله: ﴿ لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ﴾، أي: أعلمناكم بتقدم علمنا وسبق كتابتنا للأشياء قبل كونها، وتقديرنا الكائنات قبل وجودها، لتعلموا أن ما أصابكم لم يكن ليخطئكم، وما أخطأكم لم يكن ليصيبكم، فلا تأسوا على مافاتكم، فإنه لو قدر شيء لكان ﴿ ولاتفرحوا بما أتاكم ﴾، [أي][١]: جاءكم، ويقرأ ﴿ آتاكم ﴾، أي أعطاكم. وكلاهما متلازم، أي: لاتفخروا على الناس بما أنعم الله به عليكم، فإن ذلك ليس بسعيكم ولا كدكم، وإنما هو عن قدر [الله ورزقه لكم، فلا تتخذوا نعم الله أشرًا وبطرًا، تفخرون بها على الناس، ولهذا][٢] قال: ﴿ والله لا يحب كل مختال فخور ﴾، أي: مختال في نفسه، متكبر ﴿فخور﴾، أي: على غيره.

وقال عكرمة: ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن، ولكن اجعلوا الفرح شكرًا، والحزن صبرًا.

ثم قال: ﴿ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ﴾، أي: يفعلون المنكر ويحضّون الناس عليه، ﴿ ومن يتول ﴾، أي: عن أمر الله وطاعته، ﴿ فإن الله هو الغني الحميد ﴾، كما قال موسى عليه السلام: ﴿ إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعًا فإن الله لغني حميد ﴾.

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾

يقول تعالى: ﴿ لقد أرسلنا رُسُلنا بالبينات ﴾، أي: بالمعجزات، والحجج الباهرات،

(٦١) - سنن الترمذي، كتاب: القدر، باب: (١٨)، حديث (٢١٥٧) (٦/٣٢٦).

[١] - في ز، خ: إن.

[٢] - ما بين المعكوفين سقط من ز، خ.

والدلائل القاطعات ، ﴿ **وأنزلنا معهم الكتاب** ﴾ ، وهو : النقل المصدق ﴿ **والميزان** ﴾ ، وهو : العدل . قاله مجاهد ، وقتادة ، وغيرهما ، وهو الحق الذي تشهد به العقول الصحيحة المستقيمة المخالفة للآراء السقيمة ، كما قال : ﴿ **أفمن كان علىٰ بينة من ربه ويتلوه شاهد منه** ﴾ ، وقال : ﴿ **فطرت اللّٰه التي فطر الناس عليها** ﴾ وقال : ﴿ **والسماء رفعها ووضع الميزان** ﴾ . ولهذا قال في هذه الآية : ﴿ **ليقوم الناس بالقسط** ﴾ ، أي : بالحق والعدل ، وهو اتباع الرسل فيما أخبروا به ، وطاعتهم فيما أمروا به ، فإن الذي جاءوا به هو الحق الذي ليس وراءه حق ، كما قال : ﴿ **وتمت كلمة**[١] **ربك صدقًا وعدلًا** ﴾ . أي : صدقًا في الإخبار ، وعدلًا في الأوامر والنواهي ؛ ولهذا يقول المؤمنون إذا تبوءوا غرف الجنات ، والمنازل العاليات ، والسرر المصفوفات : ﴿ **الحمد للّٰه الذي هدانا لهذا وماكنا لنهتدي لولا أن هدانا اللّٰه لقد جاءت رسل ربنا بالحق** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد** ﴾ ، أي : وجعلنا الحديد رَادعًا لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه ؛ ولهذا أقام رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بمكة بعد النبوة [ثلاث عشرة][٢] سنة توحىٰ إليه السور المكية ، وكلها جدال مع المشركين ، وبيان وإيضاح للتوحيد ، وتبيان ودلائل ، فلما قامت الحجة علىٰ من خالف[٣] منهم[٤] ، شرع اللّٰه الهجرة ، وأمرهم بالقتال بالسيوف ، وضرب الرقاب والهام لمن خالف القرآن وكذب به وعانده .

وقد روى الإمام أحمد وأبو داود ، من حديث عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان ، عن حسان بن عطية ، عن [أبي المنيب][٥] الجرشي الشامي ، عن ابن عمر ؛ قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتىٰ يعبد اللّٰه وحده لاشريك له ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعل الذلة والصغار علىٰ من خالف أمري ، ومن تشبه بقوم فهو منهم** »(٦٢) .

ولهذا قال تعالى : ﴿ **فيه بأس شديد** ﴾ يعني : السلاح ، كالسيوف والحراب[٦] ، والسنان

(٦٢) - أخرجه أحمد (٢/ ٥٠، ٩٢) (٥١١٤، ٥١١٥، ٥٦٦٧) . وأبو داود في كتاب : اللباس ، باب : في لبس الشهرة ، حديث (٤٠٣١) (٤/٤٤) . وفي إسناده عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان : صدوق يخطئ وتغير بأخرة . لكن للحديث طرق صحح بها الألباني هذا الحديث في الارواء برقم (١٢٦٩) فراجعه . وقد صححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند .

[١] - في ز ، خ : كلمات .

[٢] - في خ : ثلاثة عشر .

[٣] - في ز : تخلف .

[٤] - سقط من ت .

[٥] - في ز ، خ : ابن المسيب .

[٦] - في ز : والجعاب .

والنصال، والدروع ونحوها. ﴿ ومنافع للناس ﴾، أي: في معايشهم كالسكة والفأس والقدوم، والمنشار، والإزميل، والمجرفة، والآلات التي يستعان بها في الحراثة والحياكة والطبخ والخبز، وما لا قوام للناس بدونه، وغير ذلك.

قال علباء بن أحمد عن عكرمة، عن ابن عباس؛ قال: ثلاثة أشياء نزلت مع آدم: السندان والكلبتان والميقعة[١]، يعني المطرقة. رواه ابن جرير وابن أبي حاتم (٦٣).

وقوله: ﴿ وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ﴾، أي: من نيته في حمل السلاح نصرة الله ورسله، ﴿ إن الله قوي عزيز ﴾، أي: هو قوي عزيز، ينصر من نصره[٢] من غير احتياج منه إلى الناس، وإنما شرع الجهاد ليبلو بعضكم ببعض[٣].

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ (٢٦) ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ۖ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ (٢٧)

يخبر تعالى أنه منذ بعث نوحًا -عليه السلام- لم يرسل بعده رسولًا ولا نبيًّا إلا من ذريته، وكذلك إبراهيم - عليه السلام - خليل الرحمن، لم ينزل من السماء كتابًا، ولا أرسل رسو لًا ولا أوحى إلى بشر من بعده إلا وهو من سلالته، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب ﴾، حتى كان آخر أنبياء بني إسرائيل عيسى ابن مريم الذي بشر بعده بمحمد - صلوات الله وسلامه عليهما - ولهذا قال تعالى: ﴿ ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل ﴾، وهو الكتاب الذي أوحاه الله إليه، ﴿ وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه ﴾ وهم الحواريون ﴿ رأفة ورحمة ﴾، أي: رأفة

(٦٣) - تفسير الطبري (٢٧/٢٣٧).

[١] - في ز: المنفعة.

[٢] - في ز: نصر.

[٣] - في ز: بعضًا.

وهي الخشية ﴿ **ورحمة** ﴾ بالخلق .

وقوله : ﴿ **ورهبانية ابتدعوها** ﴾ ، أي : ابتدعها أمة النصارى ، ﴿ **ما كتبناها عليهم** ﴾ ، أي : ماشرعناها لهم ، وإنما هم التزموها من تلقاء أنفسهم .

وقوله : ﴿ **إلا ابتغاء رضوان الله** ﴾ فيه قولان أحدهما : أنهم قصدوا بذلك رضوان الله ، قاله سعيد بن جبير وقتادة . والآخر : ما كتبنا عليهم ذلك إنما كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله .

وقوله : ﴿ **فما رعوها حق رعايتها** ﴾ ، أي : فما قاموا بما[١] التزموه حق القيام . وهذا ذم لهم من وجهين ؛ أحدهما : في الابتداع في دين الله مالم يأمر به الله . والثاني : في عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنه قربة يقربهم إلىٰ الله ، عز وجل .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثني إسحاق بن أبي حمزة أبو يعقوب الرازي ، حدثنا السندي[٢] ابن [عبدويه][٣] ، حدثنا بكير[٤] بن معروف ، عن مقاتل بن حيان ، عن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، عن أبيه ، عن جده ابن مسعود ؛ قال : قال لي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **يا ابن مسعود** » قلت : لبيك يا رسول الله ؛ قال : هل علمت أن بني إسرائيل افترقوا علىٰ ثنتين وسبعين فرقة لم ينج منها إلا ثلاث فرق ، قامت بين الملوك والجبابرة بعد عيسىٰ ابن مريم - عليه السلام - فدعت إلىٰ دين الله ودين عيسىٰ ابن مريم ، فقاتلت الجبابرة فقُتلت فصبرت ونجت ، ثم قامت طائفة أخرىٰ لم يكن لها قوة بالقتال ، فقامت بين الملوك والجبابرة ، فدعوا إلىٰ دين الله ودين عيسىٰ ابن مريم ، فقتلت ، وقطعت [بالمياشير][٥] ، وحرقت بالنيران ، فصبرت ونجت ، ثم قامت طائفة أخرىٰ لم يكن لها قوة بالقتال ، ولم تطق القيام بالقسط ، فلحقت بالجبال ، [فتعبدت][٦] وترهبت ، وهم الذين ذكر الله عز وجل : ﴿ **ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم** ﴾ .

وقد رواه ابن جرير بلفظ آخر من طريق أخرىٰ ، فقال : حدثنا يحيىٰ بن أبي طالب ، حدثنا داود بن المحبر ، حدثنا الصَّعق بن حزن ، حدثنا عقيل الجعدي ، عن أبي إسحاق الهمداني ، عن سويد بن غفلة ، عن عبد الله بن مسعود ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **اختلف من كان قبلنا علىٰ ثلاث وسبعين فرقة ، نجا منهم ثلاث وهلك سائرهم** . ..» وذكر نحو ما تقدم ، وفيه : ﴿ **فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم** ﴾ :

---

[١] - في خ : بها .
[٢] - في ز ، خ : السري .
[٣] - في ز ، خ : عبد ربه .
[٤] - في ز : بكر .
[٥] - في ز : بالمناشير .
[٦] - في ز : فعبدت .

[هم][١] الذين آمنوا بي وصدقوني ، ﴿ وكثير منهم فاسقون ﴾ ، وهم الذين كذبوني وخالفوني (٦٤) .

ولا [يقدح في هذه المتابعة][٢] لحال داود بن المحبر ، فإنه أحد الوضاعين للحديث ، لكن قد أسنده أبو يعلىٰ ، وسنده عن شيبان بن فروخ ، عن الصعق بن حَزْن ، به مثل ذلك . فقوي الحديث من هذا الوجه (٦٥) .

وقال ابن جرير ، وأبو عبد الرحمن النسائي - [واللفظ له][٣] - : أخبرنا الحسين بن حُرَيث ، حدثنا الفضل بن موسى ، عن سفيان بن سعيد ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، رضي الله عنه ؛ قال : كان ملوك بعد عيسىٰ - عليه السلام - بدلت التوراة والإِنجيل ، فكان منهم مؤمنون يقرءون التوراة والإِنجيل ، فقيل لملوكهم : ما نجد شيئًا أشد من شتم يشتمونا هؤلاء ، إنهم يقرءون : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ [هؤلاء][٤] الآيات ، مع ما يعيبوننا [به][٥] من أعمالنا في قراءتهم ، فادعهم فليقرءوا كما نقرأ ، وليؤمنوا كما آمنا ؛ فدعاهم فجمعهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإِنجيل ، إلا مابدلوا منها ، فقالوا : ماتريدون إلىٰ ذلك ؟ دعونا ، فقالت طائفة منهم : ابنوا لنا أسطوانة ، ثم ارفعونا إليها ، ثم أعطونا شيئًا نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم . وقالت طائفة : دعونا نسيح في الأرض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش ، فإن قدرتم علينا في أرضكم فاقتلونا . وقالت طائفة : ابنوا لنا دورًا في الفيافي ، ونحتفر الآبار [ونحترث البقول][٦] فلا نَرد عليكم ولا نمر بكم . وليس أحد من القبائل إلا له حميم [فيهم ، ففعلوا][٧] ذلك ، فأنزل الله -عز وجل- : ﴿ ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها ﴾ . والآخرون

---

(٦٤) - أخرجه الطبري (٢٧/٢٣٩ - ٢٤٠) .

(٦٥) - أخرجه الطبراني في الكبير (١٠/٢٧١ - ٢٧٢) (١٠٥٣١) . والصغير (١/٢٢٣ - ٢٢٤) . من طريق شيبان بن فروخ عن الصعق بن حزن . وأخرجه الحاكم (٢/٤٨٠) من طريق الصعق وقال : صحيح . وتعقبه الذهبي بقوله : ليس بصحيح فإن فيه الصعق بن حزن عن عقيل بن يحيى ، فإن الصعق وإن كان موثقًا ، فإن شيخه قال البخاري فيه : منكر الحديث . وقال الهيثمي (١/٩٥) : رواه الطبراني في الصغير ، وفيه عقيل بن الجعد ، قال البخاري : منكر الحديث .

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - ما بين المعكوفين في ز : « يفرح بهذه المبالغة » .

[٣] - سقط من ز ، خ .

[٤] - في خ ، ت : هذه .

[٥] - في ز ، خ : فيه .

[٦] - سقط من ز ، خ .

[٧] - في ز : « فهم يفعلوا » .

قالوا : نتعبد كما تعبد فلان ، ونسيح كما ساح فلان ، ونتخذ دورًا كما اتخذ فلان ، وهم علىٰ شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم ، فلما بُعث النبي صلىٰ الله عليه وسلم ولم يبق منهم إلا القليل ، انحط منهم رجل من صومعته ، وجاء سائح من سياحته ، وصاحب الدير من ديره ، فآمنوا به وصدقوه ، فقال[١] الله -عز وجل- : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا [الله]**[٢] **وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته** ﴾ ، أجرين : بإيمانهم بعيسىٰ ابن مريم ، [نصب أنفسهم][٣] [بالتوراة][٤] والإنجيل ، وبإيمانهم بمحمد ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وتصديقهم[٥] ، قال : ﴿ **ويجعل لكم نورًا تمشون به** ﴾ : القرآن ، واتباعهم النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : ﴿ **لئلا يعلم أهل الكتاب** ﴾ الذين يتشبهون بكم ﴿ **أن لايقدرون علىٰ شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم** ﴾(٦٦).

هذا السياق فيه غرابة وسيأتي تفسير هاتين [الآيتين][٦] الأخريين علىٰ غير هذا ، والله أعلم .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي : حدثنا أحمد بن عيسىٰ ، حدثنا عبد الله بن وهب ، حدثني سعيد بن عبد الرحمن بن أبي العَمياء ؛ أن سهل بن أبي أمامة حدثه ؛ أنه دخل هو وأبوه علىٰ أنس بن مالك بالمدينة زمان عمر بن عبد العزيز وهو أمير ، وهو يصلي صلاة خفيفة ، [ ][٧] كأنها صلاة مسافر أو قريبًا منها ، فلما سلم قال : يرحمك الله ! أرأيت هذه الصلاة المكتوبة ، أم شيء تنفلته ؟ قال : إنها المكتوبة ، وإنها صلاة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ما أخطأت إلا شيئًا سهوت عنه ، إن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان يقول : « **لا تشددوا علىٰ أنفسكم فيشدد عليكم ، فإن قومًا شددوا علىٰ أنفسهم فشدد عليهم ، فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات ، رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم** » . ثم غدوا من الغد فقالوا : نركب فننظر ونعتبر . قال : نعم ، فركبوا جميعًا ، فإذا هم بديار قفر قد باد أهلها وانقرضوا وفنوا ، خاوية علىٰ عروشها ، فقالوا : تعرف هذه الديار ؟ قال : ما أعرفني بها وبأهلها . هؤلاء [أهل][٨] الديار ، أهلكهم البغي والحسد ، إن الحسد يطفيء

---

(٦٦) - أخرجه الطبري (٢٧/٢٣٩) ، والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : سورة الحديد ، حديث (١١٥٦٧) (٦/٤٨٠ - ٤٨١) . وفي إسناده عطاء بن السائب وكان قد اختلط .

---

[١] - في خ : فأنزل .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ت : « وتصديقهم » .
[٤] - في ز : والتوراة .
[٥] - سقط من خ .
[٦] - سقط من ز ، خ .
[٧] - في ز ، خ : وقعة .
[٨] - في ز ، خ : على .

نور الحسنات ، والبغي يصدق ذلك أو يكذبه ، والعين تزني والكف والقدم والجسد واللسان ، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه (٦٧).

وقال الإمام أحمد : حدثنا [معمر][١] ، حدثنا عبد الله ، أخبرنا سفيان ، عن زيد العمّي ، عن أبي إياس ، عن أنس بن مالك ؛ أن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **لكل نبي رهبانية ، ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله عز وجل** »(٦٨) . ورواه الحافظ أبو يعلى عن عبد الله بن محمد بن أسماء ، عن عبد الله بن المبارك به ، ولفظه : « **لكل أمة رهبانية ، ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله** » (٦٩).

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسين - هو ابن محمد - حدثنا [ابن عياش][٢] - يعني إسماعيل - عن الحجاج [بن مروان الكلاعي ، وعقيل بن مدرك السلمي][٣] عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن رجلًا جاءه فقال : أوصني . فقال : سألت عما سألت عنه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من قبلك ؛ أوصيك بتقوىٰ الله ، فإنه رأس كل شيء ، وعليك بالجهاد ، فإنه رهبانية الإسلام ، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن ، فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض »(٧٠) . تفرد به أحمد .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

(٦٧) - مسند أبي يعلى (٣٦٥/٦) (٣٦٩٤) . وفي إسناده سعيد بن عبد الرحمن بن أبي العمياء قال الحافظ : مقبول . والحديث أخرجه أبو داود (٤٩٠٤) . وضعفه الألباني في الضعيفة (٣٤٦٨) .

(٦٨) - المسند أحمد (٢٦٦/٣) (١٣٨٣٥) وفي إسناده زيد العمى وهو ضعيف .

(٦٩) - مسند أبي يعلى (٢١٠/٧) (١٤٤٩) . قال الهيثمي في « المجمع » (٢٨١/٥) : رواه أبو يعلى وأحمد وفيه زيد العمى ؛ وثقه أحمد وغيره ، وضعفه أبو زرعة وغيره ، وبقية رجاله رجال الصحيح .
والحديث أخرجه ابن عدي في الكامل في ترجمة زيد هذا (١٠٥٦/٣) ونقل عن يحيى بن معين والنسائي تضعيفه .

(٧٠) - المسند (٨٢/٣) (١١٧٩٠) وفي إسناده حجاج بن مروان الكلاعى ؛ قال الحسيني : ليس بالمشهور .

[١] - في ت : يعمر .

[٢] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : عياض .

[٣] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

قد تقدم في رواية النسائي عن ابن عباس أنه حمل هذه الآية على مؤمني أهل الكتاب ، وأنهم يؤتون أجرهم مرتين(٧١) ، كما في الآية التي في القصص ، وكما في حديث الشعبي عن أبي بُرْدة ، [ ][١] عن أبي موسىٰ الأشعري؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي فله أجران ، وعبد مملوك أدىٰ حق اللَّه وحق [مواليه][٢] فله أجران ، ورجل أدب أمته فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران** » . أخرجاه في الصحيحين(٧٢)، ووافق ابن عباس علىٰ هذا التفسير الضحاك وعتبة بن أبي حكيم ، وغيرهما ، وهو اختيار ابن جرير .

وقال سعيد بن جبير : لما افتخر أهلُ الكتاب بأنهم يؤتون أجرهم مرتين، أنزل اللَّه هذه الآية في حق هذه الأمة : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللَّه وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته** ﴾ ، أي : ضعفين ، وزادهم : ﴿ **ويجعل لكم نورًا تمشون به** ﴾ ، يعني هدًى يُتبصَّر به من العمىٰ والجهالة ، ﴿ **ويغفر لكم** ﴾ ففضلهم بالنور والمغفرة . ورواه ابن جرير [عنه][٣] .

وهذه الآية كقوله تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا اللَّه يجعل لكم فرقانًا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم واللَّه ذو الفضل العظيم** ﴾ وقال سعيد بن عبد العزيز : سأل عمر بن الخطاب حَبرًا من أحبار يهود : [كم][٤] أفضل ما [ضعف][٥] لكم حسنة ؟ قال : كفل ثلاثمائة [وخمسون][٦] حسنة . قال : فحمد اللَّه عمر علىٰ أنه أعطانا كفلين . [ثم][٧] ذكر سعيد قول اللَّه عز وجل : ﴿ **يؤتكم كفلين من رحمته** ﴾ ، قال

= قال ابن حجر ، حديثه في المسند مقرون بعقيل بن مدرك . كذا في التعجيل (٨٧) ، وقد تابع عقيل بن مدرك حجاج ، وعقيل بن مدرك ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢١٩/٦) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا . وقال الحافظ في التقريب : مقبول .

والحديث عند أبي يعلى (٢٨٣/٢ - ٢٨٤) (١٠٠٠) ، وابن الضريس (٦٨) كلاهما من طريق ليث بن أبي سليم .

قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٢١٨/٤) : رواه أحمد وأبو يعلى .... ورجال أحمد ثقات ، وفي إسناد أبي يعلى ليث بن أبي سليم وهو مدلس .اهـ .

(٧١) - تقدم قبل أربعة أحاديث .

(٧٢) - أخرجه البخاري في كتاب : العلم ، باب : تعليم الرجل أمته وأهله ، حديث (٩٧) (١٩٠/١) وأطرافه [٢٥٤٤، ٢٥٤٧، ٢٥٥١، ٣٠١١، ٣٤٤٦، ٥٠٨٣] . =

[١] - في ز ، خ : عن أبيه .
[٢] - في ز : مولاه .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - في ت : ضعفت .
[٦] - في ز : وخمسين .
[٧] - سقط من ت .

سعيد : والكفلان في الجمعة مثل ذلك . رواه ابن جرير .

ومما يؤيد هذا القول ما رواه الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، حدثنا أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم « **مثلكم ومثل اليهود والنصارىٰ كمثل رجل استعمل عمالاً ، فقال : من يعمل لي من صلاة الصبح إلىٰ نصف النهار علىٰ قيراط قيراط ؟ ألا فعملت اليهود . ثم قال : من يعمل لي من نصف النهار إلىٰ** [صلاة][١] **العصر علىٰ قيراط قيراط ؟ ألا فعملت النصارىٰ . ثم قال : من يعمل لي من صلاة العصر إلىٰ غروب الشمس علىٰ قيراطين قيراطين ؟ ألا فأنتم الذين عملتم . فغضبت النصارىٰ واليهود ، وقالوا : نحن أكثر عملاً وأقل عطاء . قال : هل ظلمتكم من أجركم شيئًا ؟ قالوا : لا . قال : فإنما هو فضلي أوتيه من أشاء** »(٧٣) . قال أحمد : وحدثناه مؤمل ، عن سفيان ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، نحو حديث نافع ، عنه (٧٤)انفرد بإخراجه البخاري فرواه عن سليمان بن حرب ، عن حماد ، [عن أيوب][٢] عن نافع به ، وعن قتيبة عن الليث عن نافع بمثله (٧٥).

وقال البخاري : حدثني محمد بن العلاء ، حدثنا أبو أسامة ، [عن بريد][٣] ، عن أبي بردة ، عن أبي موسىٰ ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم؛ قال : « **مثل المسلمين واليهود والنصارىٰ كمثل رجل استأجر قومًا يعملون له عملاً يومًا إلىٰ الليل علىٰ أجر معلوم ، فعملوا إلىٰ نصف النهار، فقالوا : لا حاجة لنا إلىٰ أجرك الذي شرطت لنا ، وما عملنا باطل . فقال لهم : لا تفعلوا ، أكملوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملاً ، فأبوا وتَرَكوا ، واستأجر آخرين بعدهم فقال : أكملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت لهم من الأجر . فعملوا حتىٰ إذا كان حين صلوا العصر قالوا : ما عملنا باطل ، ولك الأجر الذي جعلت لنا فيه . فقال : أكملوا بقية عملكم ؛ فإن ما بقي من النهار شيء يسير . فأبوا ، فأستأجر قومًا أن يعملوا له بقية يومهم ، فعملوا بقية يومهم حتىٰ غابت الشمس ، فاستكملوا أجر**

= ومسلم في كتاب الإيمان ، باب : وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته ، حديث (١٥٤/٢٤١) (٢/٢٤٥ - ٢٤٦) .

(٧٣) - المسند (٢/٦) (٤٥٠٨) .

(٧٤) - المسند (٢/١١١) (٥٩٠٢) .

(٧٥) - صحيح البخاري ، كتاب : الإجارة ، باب : الإجارة إلى نصف النهار ، حديث (٢٢٦٨) (٤/٤٤٥) .

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - سقط من خ ، ز .

[٣] - سقط من خ . وفي ز : « عن يزيد » .

الفريقين [كليهما][١] **فذلك مثلهم ومثل ما قَبلُوا من هذا النور »**(٧٦). انفرد به البخاري؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون علىٰ شيء من فضل الله** ﴾ ، أي : ليتحققوا أنهم لا يقدرون علىٰ رد ما أعطاه الله ، ولا إعطاء ما منع الله ، ﴿ **وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم** ﴾ .

قال ابن جرير : ﴿ **لئلا يعلم** ﴾ أي : ليعلم . وقد ذكر عن ابن مسعود أنه قرأها : ﴿ **لكي يعلم** ﴾ . وكذا حطّان[٢] بن عبد الله ، وسعيد بن جبير ، قال ابن جرير : لأن العرب تجعل « لا » صلة في كل كلام دخل في أوله أو آخره جحد غير[٣] مصرح ، فالسابق كقوله : ﴿ **ما منعك ألا تسجد** ﴾ ، ﴿ **وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون** ﴾ ، ﴿ **وحرام علىٰ قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون** ﴾ .

آخر تفسير سورة الحديد .

[ولله الحمد والمنة][٤]

☆ ☆ ☆

(٧٦) - أخرجه البخاري في كتاب : الإجارة ، باب : الإجارة من العصر إلى الليل ، حديث (٢٢٧١) (٤/ ٤٤٧ - ٤٤٨) .

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - في خ : عطاء .
[٣] - في ز : عن .
[٤] - سقط من ز ، ت .

تفسير سورة المجادلة

وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾

قال الإمام أحمد (١) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن تميم[١] بن سلمة ، عن عروة ، عن عائشة قالت : الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات ، لقد جاءت المجادلةُ إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم تكلمه وأنا في ناحية البيت ، ما أسمع ما تقول ، فأنزل الله - عز وجل - : ﴿ **قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها** ﴾ ... إلىٰ آخر الآية .

وهكذا رواه البخاري في كتاب التوحيد تعليقًا ، فقال : وقال الأعمش : عن [تميم بن سلمة][٢] ، عن عروة ، عن عائشة .. فذكره .

وأخرجه النسائي وابن ماجة ، وابن أبي حاتم ، وابن جرير من غير وجه ، عن الأعمش ، به .

وفي رواية لابن أبي حاتم عن الأعمش ، عن [تميم بن سلمة][٣] ، عن عروة ، عن عائشة أنها قالت : تبارك الذي أوعىٰ سمعه كل شيء ، إني لأسمع[٤] كلام خولة بنت ثعلبة ، ويخفى علي بعضه ، وهي تشتكي زوجها إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وهي تقول : يا رسول الله ؛ أكل شبابي ، ونثرت[٥] له بطني ، حتىٰ إذا كبرت سني ، وانقطع

(١) **صحيح** ، أخرجه أحمد (٤٦/٦) برقم (٢٤٣٠٦) ، والبخاري تعليقًا بصيغة الجزم في كتاب : التوحيد ، باب : ﴿ **وكان الله سميعًا بصيرًا** ﴾ (٣٧٢/١٣) ، والنسائي (١٦٨/٨) كتاب الطلاق ، باب : الظهار ، وابن ماجة في المقدمة ، باب : فيما أنكرت الجهمية ، حديث (١٨٨) ، وفي كتاب الطلاق ، باب : الظهار ، حديث (٢٠٦٣) ، والطبري (٢٨/ ٥، ٦) ، والحاكم (٤٨١/٢) وصححه . والبيهقي (٣٨٢/٧) ، وأبو يعلى في مسنده (٢١٤/٨) ، وسعيد بن منصور في سننه بأطول منه (١٣/٢) ، وعبد بن حميد في مسنده (٢٣٥/٣) .

[١] - في ز ، خ: « سهم » .
[٢] - في ز، خ : « عبدة » .
[٣] - في ز، خ : « سهم » . بن مسلمة .
[٤] - في ز، خ : « أسمع » .
[٥] - في ز ، خ : « مرت » .

ولدي ، ظاهر مني ، اللَّهم إني أشكو إليك . قالت : فما برحت حتىٰ نزل جبريل بهذه الآية : ﴿ **قد سمع اللَّه قول التي تجادلك في زوجها** ﴾ . وقال : وزوجها أوس بن الصامت .

وقال ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة : هو[١] أوس بن الصامت . وكان أوس امرءًا[٢] به لمم ، فكان إذا أخذه لممه واشتد به يظاهر من امرأته ، وإذا ذهب لم يقل شيئًا ، فأتت رسول اللَّه تستفتيه في ذلك وتشتكي إلىٰ اللَّه . ...، فأنزل اللَّه : ﴿ **قد سمع اللَّه قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلىٰ اللَّه** ﴾ .. الآية .

وهكذا [رواه هشام][٣] بن عروة ، عن أبيه : أن رجلًا كان به لمم ، فذكر مثله (٢) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا موسىٰ بن إسماعيل - أبو سلمة - حدثنا جرير - يعني : ابن حازم - قال : سمعت أبا يزيد يحدث قال : لَقِيَتْ امرأةٌ عُمَرَ - يقال لها : خولة بنت ثعلبة - وهو يسير مع الناس ، فاستوقفته فوقف لها ودنا منها وأصغىٰ إليها رأسه ، ووضع يديه علىٰ منكبيها حتىٰ قضت حاجتها وانصرفت . فقال له رجل : يا أمير المؤمنين حبست رجالات قريش علىٰ هذه العجوز ؟ ! قال : ويحك ! وتدري من هذه ؟ قال : لا . قال : هذه امرأة سمع اللَّه شكواها من فوق سبع سماوات ، هذه خولة بنت ثعلبة ، واللَّه لو لم تنصرف عني إلى الليل ما انصرفت حتي تقضي حاجتها إلا أن تحضر صلاة فأصليها ثم أرجع إليها حتى تقضي حاجتها .

هذا منقطع بين أبي يزيد وعمر بن الخطاب . وقد روي من غير هذا الوجه .

وقال ابن أبي حاتم أيضًا : حدثنا المنذر بن شاذان ، حدثنا يعلى ، حدثنا زكريا ، عن عامر قال : المرأة التي جادلت في زوجها : خولة بنت الصامت ، وأمها معاذة التي أنزل اللَّه فيها : ﴿ **ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنًا** ﴾ . صوابه : خولة امرأة أوس بن الصامت .

ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي

(٢) - أخرجه الطبري (٢٨/٦) من طريق هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة : أن جميلة كانت امرأة أوس ابن الصامت ... الحديث فذكر نحوه . وصححه الحاكم (٤٨١/٢) على شرط مسلم ووافقه الذهبي .

[١] - في ز، خ : « من » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « روى همام » .

وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾

قال الإمام أحمد (٣) : حدثنا سعد بن إبراهيم ويعقوب قالا : حدثنا أبي ، حدثنا محمد ابن إسحاق ، حدثني معمر بن عبد الله بن حنظلة ، عن[يوسف][١] ابن عبد الله بن سلام ، عن خُويلة بنت ثعلبة قالت : فيّ - والله - وفي أوس بن الصامت أنزل الله صَدْرَ سورة « المجادلة » ، قالت : كنت عنده وكان شيخًا كبيرًا قد ساء خلقه ، قالت : فدَخل عليّ يومًا فراجعته بشيء فغضب فقال : أنت عليّ كظهر أمي . قالت : ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة ، ثم دخل عليّ فإذا هو يريدني عن نفسي ، قالت : قلت : كلا ، والذي نفس خويلة بيده لا تخلصُ إليّ وقد قلتَ ما قلت حتىٰ يحكم الله ورسوله فينا بحكمه ، قالت : فواثبني وامتنعت منه ، فغلبته [بما تغلب][٢] به المرأة الشيخ الضعيف ، فألقيته عني ، قالت : ثم خرجتُ إلىٰ بعض جاراتي ، فاستعرت منها ثيابًا ، ثم خرجتُ حتىٰ جئت رسولَ الله صلىٰ الله عليه وسلم فجلست بين يديه ، فذكرت له ما لقيتُ منه ، وجعلت أشكو إليه ما ألقىٰ من سوء خلقه . قالت : فجعل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **يا خويلة ، ابنُ عمك شيخ كبير ، فاتقي الله فيه** » . قالت : فوالله ما بَرحت حتىٰ نزل فيّ القرآن ، فتغشىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ما كان يتغشاه ، ثم سُري عنه ، فقال : « **يا خويلة ، قد أنزل الله فيك وفي صاحبك** » ، ثم قرأ عليّ[٣] : ﴿ **قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلىٰ الله والله يسمع تحاوركما إنَّ الله سميع بصير** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **وللكافرين عذاب أليم** ﴾ . قالت : فقال لي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **مُريه فليعتق رقبة** » . قالت : فقلت : يا رسول الله ؛ ما عنده ما يعتق . قال : « **فليصم شهرين متتابعين** » . قالت : فقلت : والله إنه شيخ كبير ، ما به من صيام . قال : « **فليطعم ستين مسكينًا ، وَسْقًا من تمر** » . قالت : فقلت: يا رسول الله ؛ ما ذاك عنده.

(٣) - أخرجه أحمد (٦/٤١٠ - ٤١١) (٢٧٤٢٧) .

[١] - سقط من ت .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز، خ : « مما فعلت».

[٣] - سقط من : ز، خ .

قالت : فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **فإنا سنعينه بعَرَقٍ من تمر** » . قالت : فقلت : يا رسول الله ، وأنا سأعينه بعَرَقٍ آخر . قال : « **فقد أصبت وأحسَنْت ، فاذهبي فتصدقي به عنه ، ثم استوصي بابن عمك خيرًا** » . قالت : ففعلت.

ورواه أبو داود في كتاب الطلاق من سننه من طريقين ، عن محمد بن إسحاق بن[١] يسار ، به(٤) . وعنده : خولة بنت ثعلبة ، ويقال فيها : خولة بنت مالك بن ثعلبة . وقد تصغر فيقال : خُوَيلة . ولا منافاة بين هذه الأقوال ، فالأمر فيها قريب ، والله أعلم .

هذا هو الصحيح في سبب نزول صدر هذه السورة ، فأما حديث سلَمَة بن صَخْر فليس فيه أنه كان سببَ النزول ، ولكن أمر بما أنزل الله في هذه السورة ، من العتق أو الصيام أو الإِطعام ، كما قال الإِمام أحمد :

حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا محمد بن إسحاق ، عن محمد بن عمرو بن عطاء ، عن سليمان بن يَسَار ، عن سلمة بن صخر الأنصاري قال : كنتُ امرءًا قد أوتيت من جماع النساء ما لم يؤت غيري ، فلما دخل رمضان تظهَّرت من امرأتي حتىٰ ينسلخ رمضان ، فَرَقًا من أن أصيب في ليلتي شيئًا فأتابع في ذلك إلىٰ أن يدركني النهار ، وأنا لا أقدر أن أنزع ، فبينما[٢] هي تخدمني[٣] من الليل إذ تكشف لي منها شيء ، فوثبت عليها ، فلما أصبحتُ غدوتُ علىٰ قومي فأخبرتهم خبري وقلت : انطلقوا معي إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم فأخبره بأمري . فقالوا : لا ، والله لا نفعل ، نتخوف أن ينزل فينا - أو : يقول فينا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم مقالة يبقىٰ علينا عارها ، ولكن اذهب أنت فاصنع ما بدا لك . قال : فخرجت حتىٰ أتيتُ النبي صلىٰ الله عليه وسلم فأخبرته خبري . فقال لي : « **أنت بذاك؟** » . فقلت : أنا بذاك . فقال : « **أنت بذاك؟** » . فقلت : أنا بذاك » . قال : « **أنت بذاك ؟** » . قلت : نعم ، هأنذا فامض فيّ حكم الله تعالىٰ فإني صابر له . قال : « **أعتق رقبة** » قال : فضربت صفحة رقبتي بيدي وقلت : لا ، والذي بعثك بالحق ما أصبحت أملك غيرها . قال : « **فصم شهرين** » . قلت : يا رسول الله ، وهل أصابني ما أصابني إلا في الصيام ؟ ! قال : « **فتصدق** » . فقلت : والذي بعثك بالحق لقد بتنا ليلتنا هذه وَحْشَىٰ ما لنا عشاء . قال : « **اذهب إلىٰ صاحب صدقة بني زُريق فقل له فليدفعها إليك ، فأطعم**

(٤) أبو داود في كتاب : الطلاق ، باب : في الظهار ، حديث (٢٢١٤، ٢٢١٥) (٢٦٦/٢ - ٢٦٧) ، والطبراني في الكبير (٢٤٧/٢٤) (٦٣٣) والمزي في ترجمة معمر بن عبد الله بن حنظلة (٣١٢/٢٨) كلهم من طريق معمر بن عبد الله بن حنظلة بهذا الإسناد . ومعمر هذا قال الحافظ فيه : مقبول . والحديث حسنه الألباني في صحيح أبي داود (١٩٣٤ - ١٩٣٥) .

[١] - سقط من : ز،خ .
[٢] - في ت : « فبينا » .
[٣] - في ز،خ : « تحدثني » .

عنك منها وسقًا من تمر ستين مسكينًا ، ثم استعن بسائره عليك وعلىٰ عيالك » . قال : فرجعت إلىٰ قومي فقلت : وجدت عندكم الضيقَ وسوءَ الرأي ، ووجدت عندَ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم السَّعة والبرَكة ، قد أمر لي بصدقتكم ، فادفعوها إليّ . فدفعوها إليّ (٥) .

وهكذا رواه أبو داود وابن ماجة واختصره الترمذي وحسنه (٦) .

وظاهر السياق أن هذه القصة كانت بعد قصة أوس بن الصامت وزوجته خُويلة بنت ثعلبة ، كما دلّ عليه سياق تلك وهذه بعد التأمل .

قال خصيف : عن مجاهد ، عن ابن عباس : أول من ظاهر من امرأته أوس بن الصامت ، أخو عبادة بن الصامت ، وامرأته خولة بنت ثعلبة بن مالك ، فلما ظاهر منها خَشِيَت أن يكون ذلك طلاقًا ، فأتت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقالت : **« يا رسول اللَّه ، إن أوسًا ظاهر مني، وإنا إن افترقنا هلكنا ، وقد نثرت بطني منه وقدمت صحبته »** - وهي تشكو ذلك وتبكي، ولم يكن جاء في ذلك شيء - فأنزل اللَّه : **﴿ قد سمع اللَّه قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلىٰ اللَّه ﴾** إلىٰ قوله : **﴿ وللكافرين عذاب أليم ﴾** فدعاه رسولُ اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال : **« أتقدر علىٰ رقبة تعتقها ؟ »** قال : لا واللَّه يا رسول اللَّه ما أقدر عليها . قال : فجمع له رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم حتىٰ أعتق عنه ، ثم راجع أهله .

رواه ابن جرير (٧) . ولهذا ذهب ابن عباس والأكثرون إلى ما قلناه واللَّه أعلم.

فقوله تعالىٰ : **﴿ الذين يظاهرون منكم من نسائهم ﴾** : أصل الظهار مشتق من الظهر ،

---

(٥) - أخرجه أحمد (٣٧/٤) .

(٦) - أبو داود في كتاب : الطلاق ، باب : في الظهار ، حديث (٢٢١٣) (٢٦٥/٢ - ٢٦٦) ، وابن ماجة في كتاب : الطلاق ، باب : في الظهار ، حديث (٢٠٦٢) (٦٦٥/١) .

وفي إسناده إرسال بين سليمان بن يسار وسلمة بن صخر ؛ قال الترمذي : لم يسمع عندي من سلمة بن صخر . راجع سنن الترمذي (٣٢٩٥) ، وجامع التحصيل (١٩٠ - ١٩١) . وفي الإسناد أيضًا محمد بن إسحاق وهو مدلس ، وقد أخرجه الترمذي مطولاً في التفسير ، ومن سورة المجادلة برقم (٣٢٩٥) (٣٨/٩ - ٤٠) من طريق يزيد بن هارون بالإسناد السابق . وأخرجه مختصرًا في كتاب : الطلاق ، باب : ما جاء في كفارة الظهار ، حديث (١٢٠٠) (١٨٨/٤ - ١٨٩) قال الترمذي : حديث حسن . وتبعه الألباني في صحيح أبي داود (١٩٣٣) . وصححه بطرقه في الإرواء (٢٠٩١) .

(٧) - أخرجه الطبري (٦/٢٨) . وفي إسناده عبد العزيز بن عبد الرحمن الأموي قال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٣٨٨/٥) : اضرب على أحاديثه ؛ هي كذب ، أو قال : موضوعة . وخصيف : صدوق سيئ الحفظ . راجع تهذيب الكمال (٢٥٧/٨) وما بعدها .

وذلك أن الجاهلية كانوا إذا تظاهر أحد من امرأته قال لها : أنت عليّ كظهر أمي . ثم في الشرع كان الظهار في سائر الأعضاء قياسًا علىٰ الظهر ، وكان الظهار عند الجاهلية طلاقًا ، فأرخص الله لهذه الأمة وجعل فيه كفارة ، ولم يجعله طلاقًا كما كانوا يعتمدونه في جاهليتهم . هكذا قال غير واحد من السلف .

قال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا عبيد الله بن موسىٰ ، عن أبي حمزة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان الرجل إذا قال لامرأته في الجاهلية : أنت عليّ كظهر أمي ، حرمت عليه ، فكان أول من ظاهر في الإسلام أوس ، وكانت تحته ابنة عم له يقال لها « **خويلة بنت خويلد**[١] » فظاهر منها ، فأسقط في يديه ، وقال : ما أراك إلا قد حَرُمت عليّ . وقالت له مثل ذلك ، قال : فانطلقي إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم . فأتت رسول الله فوجدت عنده ماشطة تمشط رأسه ، فقال : « **يا خويلة ، ما أمرنا في أمرك بشيء** » . فأنزل الله علىٰ رسوله صلىٰ الله عليه وسلم، فقال: « **يا خويلة أبشري** » . قالت : خيرًا . فقرأ عليها : ﴿ **قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلىٰ الله والله يسمع تحاوركما** ﴾ ... إلىٰ قوله : ﴿ **والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا** ﴾ . قالت : وأي رقبة لنا ؟ والله ما يجد[٢] رقبة غيري . قال : ﴿ **فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين** ﴾ ، قالت : والله لولا أنه يشرب في اليوم ثلاث مرات لذهب بصره ! قال : ﴿ **فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينًا** ﴾ . قالت : من أين ؟ ما هي إلا أكلة إلىٰ مثلها ! قال : فدعا بشطر وَسْق - ثلاثين صاعًا ، والوسق : ستون صاعا - فقال : « **ليطعم ستين مسكينًا وليراجعك** »(٨) .

وهذا إسناد جيد قوي ، وسياق غريب ، وقد روي عن أبي العالية نحو هذا ، فقال ابن أبي حاتم .

حدثنا محمد بن عبد الرحمن الهروي[٣] ، حدثنا عليّ بن عاصم ، عن داود بن أبي هند ، عن أبي العالية قال : كانت خولة بنت دُليج تحت رجل من الأنصار ، وكان ضرير البصر فقيرًا سيئ الخلق ، وكان طلاق أهل الجاهلية إذا أراد الرجل أن يطلق امرأته ، قال : أنت عليّ كظهر أمي . وكان لها[٤] منه عَيِّل أو عَيِّلان ، فنازعته يومًا في شيء فقال : أنت عليّ كظهر أمي . فاحتملت عليها ثيابها حتىٰ دخلت علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، وهو في بيت عائشة ، وعائشة تغسل شق رأسه ، فقدمت عليه ومعها عَيِّلها ، فقالت : يا رسول الله ، إن زوجي ضرير

(٨) - أخرجه الطبري (٣/٢٨) . وفي إسناده أبو حمزة الثمالي وهو ضعيف .

[١] - في ت : « ثعلبة » .
[٢] - في ز ، خ: « نجد » .
[٣] - سقط من : ز ، خ.
[٤] - سقط من : ز،خ .

البصر ، فقير لا شيء له ، سيئ الخلق ، وإني نازعته في شيء فغضب ، فقال : أنت عليّ كظهر أمي ، ولم يرد به الطلاق ، ولي منه عَيّل أو عَيّلان ، فقال : « **ما أعلمك إلا قد حَرُمت عليه** » . فقالت : أشكو إلىٰ اللَّه ما نزل بي وأبا صبيتي قال: ودارت عائشة فغسلت شق رأسه الآخر ، فدارت معها ، فقالت : يا رسول اللَّه ، زوجي[١] ضرير البصر ، فقير سيئ الخلق ، وإن لي منه [عَيّلا أو عيلين][٢] ، وإني نازعته في شيء فغضب وقال : أنت علي كظهر أمي ، ولم يرد به الطلاق ! قالت : فرفع إليّ رأسه وقال : « **ما أعلمك إلا قد حرمت عليه** » . فقالت : أشكو إلىٰ اللَّه ما نزل بي وأبا صبيتي قال : ورأت[٣] عائشة وجه النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم تغير، فقالت لها: وراءك وراءك . فتنحت ، فمكث رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم في غشيانه ذلك ما شاء اللَّه ، فلما انقطع الوحي قال : « **يا عائشة ، أين المرأة ؟** » فدعتها ، فقال لها رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **اذهبي فأتيني بزوجك** » . فانطلقت تسعىٰ فجاءت به ، فإذا هو [كما قالت][٤] ضرير البصر ، فقير ، سيئ الخلق . فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم « **أستعيذ باللَّه السميع العليم بسم اللَّه الرحمن الرحيم * قد سمع اللَّه قول التي تجادلك في زوجها ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا ﴾** » ، قال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أتجد رقبة تعتقها من قبل أن تمسها ؟** » قال : لا . قال : « **أتستطيع أن تصوم شهرين متتابعين** » ؟ قال : والذي بعثك بالحق ، إني إذا لم آكل المرتين والثلاث يكاد أن يعشو بصري . وقال : « **أفتستطيع أن تطعم ستين مسكينًا ؟** » . قال : لا ، إلا أن تعينني . قال: فأعانه رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال: « **أطعم ستين مسكينًا** » . قال: وحول اللَّه الطلاق ، فجعله ظهارًا (٩) .

ورواه ابن جرير ، عن ابن المثنىٰ ، عن عبد الأعلىٰ ، عن داود ، سمعت أبا العالية ، فذكره نحوه ، بأخصر من هذا السياق (١٠) .

وقال سعيد بن جبير : كان الإيلاء والظهار من طلاق الجاهلية ، فوقت اللَّه الإيلاء أربعة أشهر ، وجعل في الظهار الكفارة . رواه ابن أبي حاتم ، بنحوه .

وقد استدلّ الإمام مالك[٥] علىٰ أن الكافر لا يدخل في هذه الآية بقوله : ﴿ **منكم** ﴾

---

(٩) - في إسناده علي بن عاصم وهو صدوق يخطئ ويصر ، ورمي بالتشيع . وأبو العالية مرسل .

(١٠) - أخرجه الطبري (٢٨/١ -٢) ، وهو مرسل .

---

[١] - في ز،خ : « زوجها » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز،خ : « عيل أو عيلان» .

[٣] - في ز،خ : « ودارت » .

[٤] - سقط من ت .

[٥] - في ز ، خ: « بذلك » .

فالخطاب للمؤمنين ، وأجاب الجمهور بأن هذا خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له ، واستدل الجمهور عليه بقوله : ﴿ **من نسائهم** ﴾ ، علىٰ أن [الأَمَة لا ظهار منها][١] ، ولا تدخل في هذا الخطاب .

وقوله : ﴿ **ما هنَّ أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم** ﴾ أي : لا تصير المرأة بقول الرجل : « **أنت علي كأمي** » ، أو : « **مثل أمي** » ، أو : « **كظهر أمي** » ، وما أشبه ذلك ، لا تصير أمّه بذلك ، إنما أمه التي ولدته ؛ ولهذا قال : ﴿ **وإنهم ليقولون منكرًا من القول وزورًا** ﴾ ، أي : كلامًا فاحشًاباطلًا ، ﴿ **وإن اللّه لعفو غفور** ﴾ أي : عما كان منكم في حال الجاهلية . وهكذا أيضًا عما خرج من سبق اللسان ، ولم يقصد إليه المتكلم ، كما رواه أبو داود : أن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم سمع رجلًا يقول لامرأته : يا أختي . فقال : « **أختك هي ؟!** » (١١) فهذا إنكار ، ولكن لم يحرمها عليه بمجرد ذلك ؛ لأنه لم يقصده ، ولو قصده لحرمت عليه لأنه لا فرق علىٰ الصحيح بين الأم وبين غيرها من سائر المحارم من أخت وعمة وخالة وما أشبه ذلك .

وقوله : ﴿ **والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا** ﴾ اختلف السلف والأئمة في المراد بقوله : ﴿ **ثم يعودون لما قالوا** ﴾ فقال بعض الناس : العود هو أن يعود إلىٰ لفظ الظهار فيكرره ، وهذا القول باطل ، وهو اختيار ابن حزم[٢] ، وقول داود ، وحكاه أبو عمر[٣] بن عبد البر عن بكير[٤] بن الأشج ، والفراء وفرقة من أهل الكلام .

وقال الشافعي : هو أن يمسكها بعد الظهار زمانًا[٥] يمكنه أن يطلق فيه فلا يطلق .

وقال أحمد بن حنبل : هو أن يعود إلى الجماع ، أو يعزم عليه فلا يحل له حتى يكفر بهذه الكفارة .

وقد حكي عن مالك أنه العزم علىٰ الجماع والإمساك ، وعنه أنه الجماع .

وقال أبو حنيفة : هو أن يعود إلىٰ الظهار بعد تحريمه ، ورفع ما كان عليه أمر الجاهلية ، فمتىٰ تظاهر الرجل من امرأته فقد حرمها تحريمًا لا يرفعه إلا الكفارة . وإليه ذهب أصحابه ، والليث بن سعد .

(١١) - أخرجه أبو داود في كتاب : الطلاق ، باب : في الرجل يقول لامرأته : يا أختي ، حديث (٢٢١٠) (٢٦٤/٢) . من حديث أبي تميمة الهجيمي مرسلًا .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز، خ : « الآية لا ظهار فيها » .

[٢] - في ز،خ : « جرير » .

[٣] - في ز،خ : « عمرو » .

[٤] - في ز : « بكر » .

[٥] - في ز : « ما » .

وقال ابن لهيعة : حدثني عطاء ، عن سعيد بن جبير ﴿ **ثم يعودون لما قالوا** ﴾ ، يعني : يريدون أن يعودوا في الجماع الذي حرموه علىٰ أنفسهم .

وقال الحسن البصري: يعني : الغشيان في الفرج . وكان لا يرى بأسًا أن يغشى فيما دون الفرج قبل أن يكفر.

وقال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس : ﴿ **من قبل أن يتماسا** ﴾ . والمس : النكاح . وكذا قال عطاء ، والزهري ، وقتادة ، ومقاتل بن حيان .

وقال الزهري: ليس له أن يقبلها ولا يمسها حتى يكفر.

وقد رَوَىٰ أهل السنن من حديث عكرمة ، عن ابن عباس؛ أن رجلًا قال : يا رسول اللَّه ، إني ظاهرت من امرأتي فوقعت عليها قبل أن أكفر . فقال : « **ما حملك علىٰ هذا يرحمك اللَّه ؟** » قال : رأيت خلخالها في ضوء القمر . قال : « **فلا تقربها حتىٰ تفعل ما أمرك اللَّه عز وجل** » [١٢] .

وقال الترمذي: حسن غريب صحيح، ورواه أبو داود، والنسائي من حديث عكرمة مرسلًا . قال النسائي : وهو أولىٰ بالصواب[١٣] .

وقوله : ﴿ **فتحرير رقبة** ﴾ ، أي : فإعتاق رقبة كاملة من قبل أن يتماسا ، فهاهنا الرقبة مطلقة غير مقيدة بالإيمان ، وفي كفارة القتل مقيدة بالإيمان ، فحمل الشافعي رحمه اللَّه ما أطلق هاهنا علىٰ ما قيد هناك لاتحاد الموجب ، وهو عتق الرقبة ، واعتضد في ذلك بما رواه عن مالك بسنده ، عن معاوية بن الحكم السلمي ، في قصة الجارية السوداء ، وأن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **أعتقها فإنها مؤمنة** »[١٤] .

---

(١٢) - أخرجه أبو داود في كتاب : الطلاق ، باب : في الظهار ، حديث (٢٢٢٣) (٢/٢٦٨) ، والترمذي في كتاب : الطلاق ، باب : ما جاء في المظاهر يواقع قبل أن يكفر ، حديث (١١٩٩) (٤/١٨٨) . والنسائي (٦/١٦٧) كتاب الطلاق ، باب الظهار ، وابن ماجة في كتاب : الطلاق ، باب : المجامع يظاهر قبل أن يكفر ، حديث (٢٠٦٥) (١/٦٦٦ - ٦٦٧) . كلهم من طرق عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس . والحكم بن أبان صدوق له أوهام . والحديث حسن الحافظ أسانيده في فتح الباري (٩/٤٣٣) ، وتبعه الألباني في الإرواء (٧/١٧٩) . وانظر التالي .

(١٣) - وأخرجه أبو داود في كتاب : الطلاق ، باب : في الظهار ، حديث (٢٢٢٢) (٢/٢٦٨) ، والنسائي (٢/١٦٧ - ١٦٨) . كلاهما من طريق الحكم عن عكرمة مرسلًا . قال الزيلعي في «نصب الراية» (٣/٢٤٦) : قال المنذري في « مختصره » : قال أبو بكر المعافري : ليس هذا الحديث صحيحًا يعول عليه . قال : وفيما قال نظر ؛ فقد صححه الترمذي ، ورجاله ثقات مشهور سماع بعضهم من بعض .اهـ .

(١٤) - أخرجه مالك في كتاب : العتق والولاء ، باب : ما يجوز من العتق في الرقاب الواجبة ، حديث (٨) (٢/٥٩٥) . ومن طريقه الشافعي في الرسالة فقرة (٢٤٢) .

وقد رواه أحمد في مسنده ، ومسلم في صحيحه(١٥) .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا يوسف بن موسىٰ ، حدثنا عبد اللّٰه بن نمير ، عن إسماعيل ابن مسلم ، عن عمرو بن دينار ، عن طاوس ، عن ابن عباس؛ قال : أتىٰ رسولَ اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم رجلٌ فقال: إني تظاهرت من امرأتي ثم وقعت عليها قبل أن أكفر. فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ألم يقل اللّٰه ﴿ من قبل أن يتماسا ﴾ ؟** » . قال : أعجبتني . قال : « **أمسك حتىٰ تكفر** »(١٦) .

ثم قال البزار : لا يروى عن ابن عباس [بأحسن من][١] هذا ، وإسماعيل بن مسلم تكلم فيه ، وروىٰ عنه جماعة كثيرة من أهل العلم .

وفيه من الفقه أنه لم يأمره إلا بكفارة واحدة .

وقوله : ﴿ **ذلكم توعظون به** ﴾ أي : تزجرون به ، ﴿ **واللّٰه بما تعملون خبير** ﴾ ، أي : خبير بما يصلحكم ، عليم بأحوالكم .

وقوله : ﴿ **فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينًا** ﴾ . وقد تقدمت الأحاديث الواردة بهذا علىٰ الترتيب ، كما ثبت في الصحيحين في قصة الذي جامع امرأته في رمضان(١٧) .

﴿ **ذلك لتؤمنوا باللّٰه ورسوله** ﴾ أي : شرعنا هذا لهذا .

وقوله : ﴿ **وتلك حدود اللّٰه** ﴾ ، أي : محارمه فلا تنتهكوها .

وقوله ﴿ **وللكافرين عذاب أليم** ﴾ ، أي : الذين لم يؤمنوا ولا التزموا بأحكام هذه

---

(١٥) - وأخرجه أحمد (٤٤٧/٥) (٢٣٨٧٥) ، ومسلم في كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، باب : تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته ، حديث (٥٣٧/٣٣) (٣٢/٥ - ٣٣) . كلاهما من طريق يحيى بن أبي كثير ، عن هلال بن أبي ميمونة ، عن عطاء بن يسار عن معاوية بن الحكم السلمي .

(١٦) - أخرجه البزار كما في نصب الراية (٢٤٦/٣) ، والحاكم (٢٠٤/٢) وقال : ولم يحتج الشيخان بإسماعيل . وقال الذهبي : واهٍ .

(١٧) - أخرجه البخاري في كتاب الصوم ، باب : إذا جامع في رمضان ولم يكن له شيء وتصدق عليه فليكفر ، حديث (١٩٣٦) (١٦٣/٤) وانظر أطرافه هناك . ومسلم في كتاب : الصيام ، باب : تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان على الصائم ، حديث (٨١ - ١١١١/٨٤) (٣١٧/٧) وما بعدها . كلاهما من حديث أبي هريرة .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز،خ : « فأخبرني » .

الشريعة ، لا تعتقدوا أنهم ناجون من البلاء ، كلا ، ليس الأمر كما زعموا ، بل لهم عذاب أليم ، أي في الدنيا والآخرة .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٥ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٦ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾

يخبر تعالىٰ عمن شاقوا اللّٰه ورسوله وعاندوا شرعه ، ﴿ **كبتوا كما كبت الذين من قبلهم** ﴾ ، أي : أهينوا ولعنوا وأخزوا ، كما فعل بمن أشبههم ممن قبلهم ، ﴿ **وقد أنزلنا آيات بينات** ﴾ ، أي : واضحات لا يخالفها ويعاندها إلا كافر فاجر مكابر ، ﴿ **وللكافرين عذاب مهين** ﴾ أي : في قبالة[١] ما استكبروا عن اتباع شرع اللّٰه ، والانقياد له ، والخضوع لديه .

ثم قال : ﴿ **يوم يبعثهم اللّٰه جميعًا** ﴾ ، وذلك يوم القيامة ، يجمع اللّٰه الأولين والآخرين في صعيد واحد ، ﴿ **فينبئهم بما عملوا** ﴾ ، أي : فيخبرهم[٢] بالذي صنعوا من خير وشر ، ﴿ **أحصاه اللّٰه ونسوه** ﴾ أي : ضبطه اللّٰه وحفظه عليهم ، وهم قد[٣] نسوا ما كانوا عملوا ﴿ **واللّٰه علىٰ كل شيء شهيد** ﴾ ، أي : لا يغيب عنه شيء ، ولا يخفى ، ولا ينسىٰ شيئًا .

ثم قال تعالىٰ مخبرًا عن إحاطة علمه بخلقه واطلاعه عليهم ، وسماعه كلامهم ، ورؤيته مكانهم حيث كانوا وأين كانوا ، فقال : ﴿ **ألم تر أن اللّٰه يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوىٰ ثلاثة** ﴾ ، أي : من سر ثلاثة ﴿ **إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنىٰ من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا** ﴾ ، أي : يطلع عليهم ويسمع كلامهم وسرهم ونجواهم ، ورسله أيضًا مع ذلك تكتب ما يتناجون به ، مع علم اللّٰه

---

[١] - في ت : « مقبالة » .

[٢] - في ت : « يخبرهم » .

[٣] - سقط من : ز،خ .

به وسمعه لهم ، كما قال : ﴿ **ألم يعلموا أن اللّه يعلم سرهم ونجواهم وأن اللّه علام الغيوب** ﴾ . وقال : ﴿ **أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون** ﴾ ؛ ولهذا حكىٰ غير واحد الإجماع علىٰ أن المراد بهذه الآية معية علم اللّه تعالىٰ ، ولا شك في إرادة ذلك ، ولكن سمعه[١] أيضًا مع علمه محيط بهم ، وبصره نافذ فيهم ، فهو سبحانه مطلع علىٰ خلقه ، لا يغيب عنه من أمورهم شيء .

ثم قال : ﴿ **ثم[٢] ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن اللّه بكل شيء عليم** ﴾ ، قال الإمام أحمد : افتتح الآية بالعلم ، واختتمها بالعلم .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ (٨) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩) إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ (١٠) ﴾

قال ابن أبي نجيح عن مجاهد : ﴿ **ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى** ﴾ قال : اليهود . وكذا قال مقاتل بن حيان ، وزاد : كان بين النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم وبين اليهود موادعة ، وكانوا إذا مر بهم رجل من أصحاب النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم جلسوا يتناجون بينهم ، حتىٰ يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله - أو : بما يكره المؤمن - فإذا رأى المؤمن ذلك خشيهم ، فترك طريقه عليهم . فنهاهم النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم عن النجوىٰ ، فلم ينتهوا وعادوا إلىٰ النجوىٰ ، فأنزل اللّه : ﴿ **ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوىٰ ثم يعودون لما نهوا عنه** ﴾ (١٨) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي ، حدثني سفيان بن حمزة[٣] ، عن كثير بن زيد ، عن رُبَيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري ، عن أبيه ،

(١٨) - أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٢٦٩/٦) .

[١] - في ز ،خ : « وسمعه » .
[٢] - سقط من : ز،خ .
[٣] - في ز ، خ: « حرة » .

عن جده قال : كنا نتناوب رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - نبيت عنده ؛ يطرقه من الليل أمر ، وتبدو له حاجة ؛ فلما كانت ذات ليلة كَثُر أهل النّوب والمحتسبون ، حتىٰ كنا أندية نتحدث ، فخرج علينا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؛ فقال : « **ما هذا النجوىٰ ؟ ألم تُنهَوا عن النجوى ؟** » قلنا : تبنا إلىٰ الله يا رسول الله ؛ إنا كنا في ذكر المسيح ، فَرَقًا منه . فقال : « **ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي منه !** » . قلنا : بلىٰ يا رسول الله ؟ قال « **الشرك الخفي أن يقوم الرجل يعمل لمكان رجل** »(١٩) .

هذا إسناد غريب ، وفيه بعض الضعفاء .

وقوله تعالى : ﴿ **ويتناجون بالإثم والعدوان** [**ومعصية الرسول** ﴾ . أي : يتحدثون فيما بينهم بالإثم وهو ما يختص بهم ﴿ **والعدوان** ﴾ .][١] وهو ما يتعلق بغيرهم ومنه معصية الرسول ومخالفته يصرون عليها ويتواصون بها .

وقوله تعالى : ﴿ **وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله** ﴾ **قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا ابن نمير عن الأعمش [عن مسلم][٢] عن مسروق عن عائشة ؛ قالت : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يهود فقالوا : السام عليك يا أبا القاسم ، فقالت عائشة : وعليكم السام ، قالت : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عائشة ؛ إن الله لا يحب الفحش ولا التفحش »** قلت : ألا تسمعهم يقولون السام عليك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أو ما سمعت أقول : وعليكم** » ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ **وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله** ﴾(٢٠) **وفي رواية في الصحيح أنها قالت لهم : عليكم السام والذام واللعنة ، وأن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « إنه يستجاب لنا فيهم ، ولا يستجاب لهم فينا »** (٢١) .

---

(١٩) - في إسناده ربيح بن عبد الرحمن ، قال الحافظ : مقبول . والراوي عنه كثير بن زيد صدوق يخطئ كثيرًا .

(٢٠) - أخرجه مسلم في كتاب : السلام ، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام ، وكيف يرد عليهم ، حديث(١١/ ٢١٦٥) من طريق مسروق بنحوه ، وإسناد ابن أبي حاتم صحيح . والحديث في الصحيح من طرق عن عائشة : أخرجه البخاري في كتاب : الجهاد ، باب : الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة ، حديث (٢٩٣٥) (١٠٦/٦) . وأطرافه في [٦٠٢٤، ٦٠٣٠، ٦٢٥٦، ٦٣٩٥، ٦٤٠١، ٦٩٢٧] . ومسلم في كتاب : السلام ، باب : النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام ، وكيف يرد عليهم ، حديث (١٠/ ١١، ٢١٦٥) (٢٠٧/١٤ - ٢٠٨) . كلاهما من حديث عائشة .

(٢١) - ينظر أطراف الحديث السابق في البخاري .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز،خ . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

وقال ابن جرير : حدثنا بشر ، حدثنا يزيد ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ؛ أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بينما هو جالس مع أصحابه ، إذ أتىٰ عليهم يهودي فسلّم عليهم ، فردوا عليه ، فقال نبي اللَّه - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - : « **هل تدرون ما قال ؟** » قالوا : سلم يا رسول اللَّه . قال : « **بل قال : سام عليكم** » أي : تسامون دينكم . قال رسول اللَّه : « **ردوه** ». فردوه عليه ، فقال نبي اللَّه : « **أقلت : سأم عليكم ؟** » قال : نعم . فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا : عليك** » أي عليك ما قلت . وأصل حديث أنس مخرج في الصحيح(٢٢) ، وهذا الحديث في الصحيح عن عائشة نحوه[١] (٢٣) .

وقوله : ﴿ **ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا اللَّه بما نقول** ﴾ ، أي : يفعلون هذا ، ويقولون ما يحرفون من الكلام وإيهام السلام ، وإنما هو شتم في الباطن ، ومع هذا يقولون في أنفسهم : لو كان هذا نبيًّا لعذبنا اللَّه بما نقول له في الباطن ، لأن اللَّه يعلم ما نسره ، فلو كان هذا نبيًّا حقًّا لأوشك أن يعاجلنا اللَّه بالعقوبة في الدنيا ، فقال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **حسبهم جهنم** ﴾ ، أي : جهنم كفايتهم في الدار[٢] الآخرة ﴿ **يصلونها فبئس المصير** ﴾ (٢٤) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا حماد ، عن عطاء بن السائب ، عن أبيه ، عن عبد اللَّه بن عمرو ؛ أن اليهود كانوا يقولون لرسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : سام عليك ، ثم يقولون في أنفسهم : ﴿ **لولا يعذبنا اللَّه بما نقول** ﴾ ؟ فنزلت هذه الآية : ﴿ **وإذا جاءوك حيّوك بما لم يحيك به اللَّه ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا اللَّه بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس[٣] المصير** ﴾ . إسناد حسن ولم يخرجوه (٢٥) .

وقال العوفي عن ابن عباس : ﴿ **وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به اللَّه** ﴾ ، قال : كان المنافقون يقولون لرسول اللَّه إذا حيّوه : سام عليك ، قال اللَّه : ﴿ **حسبهم جهنم يصلونها فبئس[٤] المصير** ﴾ ثم قال اللَّه مؤدبًا عباده المؤمنين أن لا يكونوا مثل الكفرة

---

(٢٢) - أخرجه الطبري (٢٨/١٥) .

(٢٣) - وأصله في البخاري في كتاب : استتابة المرتدين ، باب : إذا عرّض الذمي أو غيره بسب النبي - صلى الله عليه وسلم - ولم يصرح ، حديث (٦٩٢٦) (١٢/٢٨٠) .

(٢٤) - تقدم قبل ذلك بثلاثة أحاديث .

(٢٥) - أخرجه أحمد (٢/١٧٠) (٦٥٨٩) . قال الهيثمي في « المجمع » (٧/١٢٥) : رواه أحمد والبزار والطبراني وإسناده جيد ؛ لأن حمادًا سمع من عطاء بن السائب في حالة الصحة .

---

[١] - في ت : « بنحوه » .

[٢] - في ز ، خ: « الدنيا و» .

[٣] - في ز ، خ: « وبئس » .

[٤] - في ز،خ : « وبئس » .

والمنافقين : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول** ﴾ ، أي : كما يتناجىٰ به الجهلة من كفرة أهل الكتاب ومن مالأهم علىٰ ضلالهم من المنافقين ، ﴿ **وتناجوا بالبر والتقوىٰ واتقوا الله الذي إليه تحشرون** ﴾ ، أي : فيخبركم بجميع أعمالكم وأقوالكم التي قد أحصاها عليكم ، وسيجزيكم بها .

وقال الإمام أحمد : حدثنا بَهز وعفان؛ قالا : أخبرنا همام ، حدثنا قتادة ، عن صفوان بن محرز؛ قال : كنت آخذًا بيد ابن عمر ، إذ عرض له رجل ، فقال : كيف سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول في النجوىٰ يوم القيامة ؟ قال : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ يقول : « **إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كَنَفه ويستره من الناس ، ويقرّره بذنوبه ، ويقول له : أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ حتىٰ إذا قَرّره بذنوبه ، ورأى في نفسه أنه قد هلك ، قال : فإني قد سترتها عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم . ثم يُعطَىٰ كتابَ حسناته ، وأما الكفار والمنافقون فيقول الأشهاد : ﴿ هؤلاء الذين كذبوا علىٰ ربهم ألا لعنة الله علىٰ الظالمين ﴾** »(٢٦) . أخرجاه في الصحيحين من حديث قتادة(٢٧) .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **إنما النجوىٰ من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئًا إلا بإذن الله وعلىٰ الله فليتوكل المؤمنون** ﴾ أي : إنما النجوىٰ - وهي المُسَارّة - حيث [يتوهم منها مؤمن][١] سوءًا ﴿ **من الشيطان ليحزن الذين آمنوا** ﴾ ، يعني : إنما يصدر هذا من المتناجين[٢] عن تسويل الشيطان وتزيينه ، ﴿ **ليحزن الذين آمنوا** ﴾ ، أي : ليسوءهم ، وليس ذلك بضارهم شيئًا إلا بإذن الله، ومن أحس من ذلك شيئًا فليستعذ بالله ، وليتوكل علىٰ الله؛ فإنه لا يضره شيء ، بإذن الله .

وقد وردت السنة بالنهي عن التناجي ، حيث يكون في ذلك تأذٍ[٣] على مؤمن . كما قال الإمام أحمد :

حدثنا وكيع وأبو معاوية؛ قالا : حدثنا الأعمش ، عن أبي وائل ، عن عبد الله بن

---

(٢٦) - أخرجه أحمد (٢/ ٧٤) (٥٤٣٦) .

(٢٧) - البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ **ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين** ﴾ حديث (٤٦٨٥) (٨/ ٣٥٣) ، وفي كتاب الأدب (٦٠٧٠) (١٠/ ٤٨٦) . ومسلم في كتاب : التوبة ، باب : قبول توبة القاتل ، وإن كثر قتله ، حديث (٥٢/ ٢٧٦٨) (١٧/ ١٣٥) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « يتوهم مؤمن بها » .

[٢] - في ز ، خ: « المنافقين » .

[٣] - في ز ، خ: « تأذيًا » .

مسعود ؛ قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجَيَن اثنان دون صاحبهما ، فإن ذلك يحزنه** »(٢٨) . أخرجاه من حديث الأعمش(٢٩) .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ؛ قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجىٰ اثنان دون الثالث إلا بإذنه ، فإن ذلك يحزنه** »(٣٠) . انفرد بإخراجه مسلم عن أبي الربيع وأبي كامل ، كلاهما عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، به(٣١) .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾

يقول تعالىٰ مؤدبًا عباده المؤمنين ، وآمرًا لهم أن يحسن بعضهم إلىٰ بعض في المجالس : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجلس** ﴾ ، وقريء : ﴿ **في**[١] **المجالس** ﴾ ، ﴿ **فافسحوا يفسح اللّٰه لكم** ﴾ وذلك أن الجزاء من جنس العمل .

كما جاء في الحديث الصحيح : « **من بنىٰ للّٰه مسجدًا بنىٰ اللّٰه له بيتًا في الجنة** »(٣٢) . وفي الحديث الآخر : « **ومن يَسَّر علىٰ معسر يَسَّر اللّٰه عليه في الدنيا والآخرة ، [ومن ستر مسلمًا ستره اللّٰه في الدنيا والآخرة]**[٢] **، واللّٰه في عون العبد ما كان العبد في عون**

(٢٨) - أخرجه أحمد (١/٤٣١ - ٤٣٢، ٤٢٥) (٤١٠٦، ٤٠٣٩) .

(٢٩) - أخرجه مسلم في كتاب : السلام ، باب : تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بغير رضاه ، حديث (٢١٨٤/٣٨) (١٤/٢٤١ - ٢٤٢) ، والبخاري في الأدب المفرد (١١٧١) .
كلاهما من طريق الأعمش .
وأخرجه البخاري (٦٢٩٠) (١١/٨٢) ، ومسلم (٢١٨٤/٣٧) كلاهما من طريق جرير عن منصور عن أبي وائل عنه به .

(٣٠) - أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١١/٢٦) (١٩٨٠٦) .

(٣١) - ومسلم في كتاب : السلام ، باب : تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بغير رضاه ، حديث (٣٦/ ٢١٨٣) (١٤/٢٤١) .

(٣٢) - أخرجه البخاري في كتاب : الصلاة ، باب : من بنى لله مسجدًا ، حديث (٤٥٠) (١/٥٤٤) ، ومسلم في كتاب : المساجد ، باب : فضل بناء المساجد والحث عليها ، حديث (٢٤، ٥٣٣/٢٥) (٥/٢٠) . وفي الزهد (٤٣، ٥٣٣/٤٤) ١٨/ ١٥٢ - ١٥٣) كلاهما من حديث عثمان - رضي الله عنه .

[١] - في ت : في .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز،خ .

أخيه »(٣٣) . ولهذا أشباه كثيرة ، ولهذا قال : ﴿ **فافسحوا يفسح الله لكم** ﴾ .

قال قتادة : نزلت هذه الآية في مجالس الذكر ، وذلك أنهم كانوا إذا رأوا أحدهم مقبلًا ضَنوا بمجالسهم عند رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض.

وقال مقاتل ابن حيان : أنزلت هذه الآية يوم جُمُعة وكان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يومئذ في الصفة ، وفي المكان ضيق ، وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار ، فجاء أناس من أهل بدر وقد سبقوا إلىٰ المجالس ، فقاموا حيال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فقالوا : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته . فرد النبي صلىٰ الله عليه وسلم عليهم ، ثم سلموا علىٰ القوم بعد ذلك ، فردوا عليهم ، فقاموا علىٰ أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم ، فعرف النبي صلىٰ الله عليه وسلم ما يحملهم علىٰ القيام ، فلم يُفسَح لهم ، فشق ذلك علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم فقال لمن حوله من المهاجرين والأنصار ، من غير أهل بدر : « **قم يا فلان ، وأنت يا فلان** » . فلم يزل يقيمهم بعدّة النفر الذين هم قيام بين يديه من المهاجرين والأنصار أهل بدر ، فشق ذلك علىٰ من أُقيم من مجلسه ، وعرف النبي صلىٰ الله عليه وسلم الكراهة في وجوههم ، فقال المنافقون : ألستم تزعمون أن صاحبكم هذا يعدل بين الناس ؟ والله ما رأيناه قبلُ عدلَ علىٰ هؤلاء ، إن قومًا أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب لنبيهم ، فأقامهم وأجلس من أبطأ عنه . فبلغنا أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **رحم الله رجلًا فَسَح لأخيه** » . فجعلوا يقومون بعد ذلك سراعًا ، فَتَفَسَّحَ القومُ لإخوانهم ، ونزلت هذه الآية يوم الجمعة . رواه ابن أبي حاتم .

وقد قال الإمام أحمد والشافعي : حدثنا سفيان ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه فيجلس فيه ، ولكن تفسحوا وتوسعوا** »(٣٤) . وأخرجاه في الصحيحين من حديث نافع به(٣٥) .

وقال الشافعي : أخبرنا عبد المجيد ، عن ابن جريج قال : قال سليمان بن موسىٰ ، عن جابر بن عبد الله : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **لا يقيمن أحدكم أخاه يوم**

---

(٣٣) - أخرجه مسلم في كتاب : الذكر ، باب : فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ، حديث (٢٦٩٩/٣٨) (٣٤/١٧ - ٣٦) .

(٣٤) - أخرجه أحمد (٢/ ١٦، ٢٢، ٣٢، ٤٥، ١٠٢، ١٢١، ١٢٤، ١٢٦، ١٤٩) ، والشافعي (٦٦٣) . كلاهما من طرق عن نافع به نحوه ومثله .

(٣٥) - وأخرجه البخاري في كتاب الاستئذان ، باب : (٣٢) ، حديث (٦٢٧٠) (٦٢/١١) .

وأخرجه مسلم في كتاب : السلام ، باب : تحريم إقامة الإنسان من موضعه المباح الذي سبق إليه ، حديث (٢٧، ٢١٧٧/٢٨) (٢٢٩/١٤ - ٢٣١) كلاهما من طريق نافع عن ابن عمر أيضًا نحوه ومثله .

الجمعة ، ولكن ليقل : افسحوا »(٣٦) على شرط السنن ، ولم[١] يخرجوه .

وقال الإمام أحمد(٣٧) : حدثنا عبد الملك بن عمرو ، حدثنا فليح ، عن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة ، عن يعقوب بن أبي يعقوب ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : **« لا يقم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ، ولكن افسحوا يفسح الله لكم »** .

ورواه أيضًا عن سُريج[٢] بن يونس ، ويونس[٣] بن محمد المؤدب ، عن فليح ، به . ولفظه : **« لا يقوم الرجل للرجل من مجلسه ، ولكن افسحوا يفسح الله لكم »** (٣٨) . تفرد به أحمد .

وقد اختلف الفقهاء في جواز القيام للوارد إذا جاء علىٰ أقوال : فمنهم من رخّص في ذلك محتجًا بحديث : **« قوموا إلىٰ سيدكم »**(٣٩) . ومنهم من منع من ذلك محتجًا بحديث : **« من أحب أن يتمثل له الرجال قيامًا ، فليتبوأ مقعده من النار »** (٤٠) .

---

(٣٦) - وأخرجه الشافعي (٦٦٥) ، وابن جريج مدلس ، وسليمان بن موسى : صدوق فقيه في حديثه بعض لين وخولط قبل موته بقليل . والحديث تقدم تخريجه في الصحيحين دون تقيده بالجمعة .

(٣٧) - أخرجه أحمد (٥٢٣/٢) من طريق عبد الملك .

(٣٨) - وأخرجه (٣٣٨/٢) من طريق يونس ، (٤٨٣/٢) من طريق سريج ثلاثتهم عن فليح به .
قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٦٣/٨) : رواه أحمد ورجاله ثقات .

(٣٩) - أخرجه البخاري في كتاب : الجهاد ، باب : إذا نزل العدو على حكم رجل ، حديث (٣٠٤٣) (٦/ ١٦٥) . وأطرافه في [٣٨٠٤، ٤١٢١، ٦٢٦٢] . ومسلم في كتاب : الجهاد ، باب : جواز قتال من نقض العهد ، حديث (١٧٦٨/٦٤) (١٣٢/١٢ وما بعدها) . كلاهما من حديث أبي سعيد .
قال النووي : « قوموا إلى سيدكم أو خيركم » فيه إكرام أهل الفضل وتلقيهم بالقيام لهم إذا أقبلوا ، هذا احتج به جماهير العلماء لاستحباب القيام . قال القاضي : وليس هذا من القيام المنهى عنه ، وإنما ذلك فيمن يقومون عليه وهو جالس ، ويمثلون قيامًا طول جلوسه . قلت : القيام للقادم من أهل الفضل مستحب ، وقد جاء فيه أحاديث ، ولم يصح في النهي عنه شيء صريح ، وقد جمعت كل ذلك مع كلام العلماء عليه في جزء ، وأجبت فيه عما توهم النهي عنه ، والله أعلم . انتهى من شرح مسلم .

(٤٠) - أخرجه أحمد (٤/ ٩١، ٩٣، ١٠٠) ، وأبو داود في كتاب : الأدب ، باب : في قيام الرجل للرجل ، حديث (٥٢٢٩) (٣٥٨/٤) ، والترمذي في كتاب : الأدب ، باب : ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل ، حديث (٢٧٥٦) (٦/٨) . والبخاري في الأدب كما في صحيح الأدب المفرد للألباني (٩٧٧) . كلهم من طريق حبيب بن الشهيد ، عن أبي مجلز ، قال خرج معاوية على ابن الزبير وابن عامر ؛ فقام ابن عامر وجلس ابن الزبير ، فقال معاوية لابن عامر : اجلس فإني سمعت رسول الله - صلى

---

[١] - في ز ، خ: « فلم » . [٢] - في ز، خ : « شريح » .
[٣] - سقط من : ز .

ومنهم من فصّل فقال : يجوز عند القدوم من سفر ، وللحاكم في محل ولايته ، كما دل عليه قصة سعد بن معاذ ، فإنه لما استقدمه النبي صلىٰ الله عليه وسلم حاكمًا في بني قريظة فرآه مقبلًا قال للمسلمين : « **قوموا إلىٰ سيدكم** » . وما ذاك إلا ليكون أنفذ لحكمه ، والله أعلم .

فأما اتخاذه ديدنًا فإنه من شعار العجم . وقد جاء في السنن أنه لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وكان إذا جاء لا يقومون له ، لما يعلمون من كراهته لذلك (٤١) .

وفي الحديث المروي في السنن أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان يجلس حيث انتهى به المجلس ، ولكن حيث يجلس يكون صدر ذلك المجلس ، وكان الصحابة رضى الله عنهم يجلسون منه علىٰ مراتبهم ، فالصّديق يجلسه عن يمينه ، وعمر عن يساره ، وبين يديه غالبًا عثمان وعليّ ، لأنهما كانا ممن يكتب الوحي ، وكان يأمرهم بذلك ، كما رواه مسلم من حديث الأعمش ، عن عمارة بن عمير[١] ، عن أبي معمر ، عن أبي مسعود : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان يقول : « **ليليني منكم أولو الأحلام والنهىٰ ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم** » . وما ذاك إلا ليعقلوا عنه ما يقوله - صلوات الله وسلامه عليه - ولهذا أمر أولئك النفر بالقيام ليجلس الذين وردوا من أهل بدر ، إما لتقصير أولئك في حق البدريين ، أو ليأخذ البدريون من العلم بنصيبهم ، كما أخذ أولئك قبلهم ، أو تعليمًا بتقديم الأفاضل إلى الأمام (٤٢) .

وقال الإمام أحمد(٤٣) : حدثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن عُمارة[٢] بن عمير التيمي[٣] ، عن أبي معمر ، عن أبي مسعود قال : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول : « **استووا ، ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ، ليليني منكم**

الله عليه وسلم - يقول : .... فذكر الحديث . قال الترمذي : حديث حسن . وتعقبه الألباني فحكم بصحة الحديث في الصحيحة (٣٥٧) .

(٤١) - أخرجه أحمد (١٣٢/٣) (١٢٣٦٦) ، والترمذي في كتاب الأدب ، باب : ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل ، حديث (٢٧٥٦) (٦/٨) ، والبغوي في شرح السنة (٢٩٤/١٢) (٣٣٢٩) . كلهم من حديث أنس . قال الترمذي : حسن . وقال البغوي : حسن صحيح .

(٤٢) - أخرجه مسلم في كتاب : الصلاة ، باب : تسوية الصفوف وإقامتها ، حديث (٤٣٢/١٢٢) (٤/ ٢٠٣ - ٢٠٤) .

(٤٣) - وأحمد (١٢٢/٤) (١٧١٥٣) .

---

[١] - في ز ، خ: « عمر » .

[٢] - في ز ، خ: « عمار » .

[٣] - في ز ، خ: « الليثي » .

أولو الأحلام والنهىٰ ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » . قال أبو مسعود : فأنتم اليوم أشد اختلافًا .

وكذا[١] رواه مسلم وأهل السنن - إلّا الترمذي - من طرق عن الأعمش به(٤٤) . وإذا كان هذا أمره لهم في الصلاة أن يليه العقلاء ثم العلماء ، فبطريق الأولىٰ أن يكون ذلك في غير الصلاة .

وروىٰ أبو داود من حديث معاوية بن صالح ، عن أبي الزاهرية ، عن كثير بن مرة ، عن عبد الله بن عمر ، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : **« أقيموا الصفوف ، وحاذوا بين المناكب ، وسدوا الخلل ، ولينوا بأيدي إخوانكم ، ولا تذروا فرجات الشيطان ، ومن وصل صفًا وصله الله ، ومن قطع صفًا قطعه الله »**(٤٥) . ولهذا كان أبي بن كعب سيد القراء إذا انتهىٰ إلىٰ الصفّ الأول انتزع منه رجلًا يكون من أفناء[٢] الناس ، ويدخل هو في الصف المقدم ، ويحتج بهذا الحديث : **« ليليني منكم أولو الأحلام والنهىٰ »** .

وأما عبد الله بن عمر فكان لا يجلس في المكان الذي يقوم له صاحبه عنه ، عملًا بمقتضىٰ ما تقدم من روايته الحديث الذي أوردناه . ولنقتصر علىٰ هذا المقدار من الأنموذج المتعلق بهذه الآية ، وإلا فبسطه يحتاج إلىٰ غير هذا الموضع .

وفي الحديث الصحيح : بينا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم جالس ، إذ أقبل ثلاثة نفر ، فأما أحدهم فوجد فرجة في الحلقة فدخل فيها ، وأما الآخر فجلس وراء الناس ، وأدبر الثالث ذاهبًا . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : **« ألا أنبئكم بخبر[٣] الثلاثة ، أما الأول فأوىٰ إلىٰ الله فآواه الله ، وأما الثاني فاستحيا فاستحيا الله منه . وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه »**(٤٦)

(٤٤) - وأخرجه مسلم كما مر ، وأبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : من يستحب أن يلي الإمام في الصف وكراهية التأخر ، حديث (٦٧٤) (١/١٨٠) ، والنسائي (٢/٨٧ - ٨٨) ، وابن ماجة في كتاب : الإقامة ، باب : من يستحب أن يلي الإمام ، حديث (١٧٦) (١/٣١٢ - ٣١٣) .

(٤٥) - أخرجه أبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : تسوية الصفوف ، حديث (٦٦٦) (١/١٧٨ - ١٧٩) ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٦٢٠) .

(٤٦) - أخرجه البخاري في كتاب العلم ، باب : من قعد حيث ينتهي به المجلس ، حديث (٦٦) (١/١٥٦) وطرفه في [٤٧٤] . ومسلم في كتاب : السلام ، باب : من أتى مجلسًا فوجد فرجة فجلس فيها ، حديث (٢٦/٢١٧٦) (١٤/٢٢٦) كلاهما من حديث أبي واقد الليثي - رضي الله عنه .

[١] - في ت : « هكذا » .

[٢] - في ز ، خ: « أفناد » . [٣] - في ز ، خ: « بخير » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عَتّاب[١] بن زياد ، [أخبرنا عبد اللّه][٢] ، أخبرنا أسامة بن زيد ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن عبد اللّه بن عمرو أن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم قال :« **لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما** »(٤٧) .

ورواه أبو داود والترمذي من حديث أسامة بن زيد الليثي به(٤٨) . وحسّنه الترمذي .

وقد رُوي عن ابن عباس والحسن البصري وغيرهما أنهم قالوا في قوله تعالىٰ : ﴿ **إذا قيل لكم تفسحوا في المجلس فافسحوا** ﴾ ، يعني : في مجالس الحرب . قالوا : ومعنى قوله : ﴿ **وإذا قيل [ ][٣] انشزوا فانشزوا** ﴾ أي : انهضوا للقتال . وقال قتادة : ﴿ **وإذا قيل انشزوا فانشزوا** ﴾ ، أي : إذا دعيتم إلىٰ خير فأجيبوا . وقال مقاتل : إذا دعيتم إلى الصلاة فارتفعوا إليها .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : كانوا إذا كانوا عند النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم في بيته فأرادوا الانصراف ، أحب كل منهم أن يكون هو آخرهم خروجًا من عنده ، فربما يشق ذلك عليه - عليه السلام - وقد تكون له الحاجة ، فأمروا أنهم إذا أمروا بالانصراف أن ينصرفوا ، كقوله : ﴿ **[وإن قيل لكم][٤] ارجعوا فارجعوا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **يرفع اللّه الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات . واللّه بما تعملون خبير** ﴾ أي : لا تعتقدوا أنه إذا فَسَح أحد منكم لأخيه إذا أقبل ، أو إذا أمر بالخروج فخرج ، أن يكون ذلك نقصًا في حقه ، بل هو رفعة ومزية عند اللّه ، واللّه تعالىٰ لا يضيع ذلك له ، بل يجزيه بها في الدنيا والآخرة ، فإن من تواضع لأمر اللّه رَفَع اللّه قدره ، ونشَرَ ذكره ؛ ولهذا قال : ﴿ **يرفع اللّه الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات . واللّه [بما تعملون خبير** ﴾ ، أي :][٥] خبير بمن يستحق ذلك وبمن لا يستحقه .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو كامل ، حدثنا إبراهيم ، حدثنا ابن شهاب ، عن أبي الطفيل

---

(٤٧) - أخرجه أحمد (٢/٢١٣) (٦٩٩٩) .

(٤٨) - وأبو داود في كتاب : الأدب ، باب : في تنزيل الناس منازلهم ، حديث (٤٨٤٥) (٤/٢٦٢) ، والترمذي في كتاب : الأدب ، باب : ما جاء في كراهية الجلوس بين الرجلين بغير إذنهما ، حديث (٢٧٥٣) (٥/٨) . قال الترمذي : حسن صحيح ، وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند . وقال الألباني : حسن صحيح في صحيح أبي داود .

---

[١] - في ز ، خ: « عثمان » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز،خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « لكم » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « وإذا قيل » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ،خ.

عامر بن واثلة أن نافع بن عبد الحارث لقي[١] عمر بن الخطاب بعُسفان ، وكان عمر استعمله علىٰ مكة ، فقال له عمر : من استخلفت علىٰ أهل الوادي ؟ قال : استخلفت عليهم ابن أبزىٰ . قال : [وما ابن أبزى ؟ فقال][٢] : رجل من موالينا . فقال عمر : استخلفت عليهم مولىٰ ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنه قارئ لكتاب الله ، عالم بالفرائض ، قاضٍ . فقال عمر -رضي الله عنه- : أما إن نبيكم صلىٰ الله عليه وسلم قد قال : « **إن الله يرفع بهذا الكتاب قومًا ويضع به آخرين** »(٤٩) . وهكذا رواه مسلم من غير وجه عن الزهري به(٥٠) .

ورُوِي من غير وجه عن عمر بنحوه . وقد ذكرت فضل العلم وأهله وما ورد في ذلك من الأحاديث مستقصاة في شرح كتاب العلم من صحيح البخاري ، فللّٰه[٣] الحمد والمنة .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٣﴾

يقول تعالىٰ آمرًا عباده المؤمنين إذا أراد أحدهم أن يناجي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أي : يسارّه فيما بينه وبينه أن يقدم بين يدي ذلك صدقة تطهره وتزكيه وتؤهله لأن يصلح لهذا المقام ، ولهذا قال : ﴿ **ذلك خير لكم وأطهر** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **فإن لم تجدوا** ﴾ ، أي : إلا من عجز عن ذلك لفقده ﴿ **فإن الله غفور رحيم** ﴾ ، فما أمر بها إلا من قدر عليها .

ثم قال : ﴿ **أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات** ﴾ ، أي : أخفتم من استمرار هذا الحكم عليكم من وجوب الصدقة قبل مناجاة الرسول ، ﴿ **فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون** ﴾ ، فنسخ وجوب ذلك عنهم . وقد قيل : إنه لم يعمل بهذه الآية قبل نسخها سوىٰ علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - .

(٤٩) - أخرجه أحمد (٣٥/١) (٢٣٢) .

(٥٠) - ومسلم في كتاب : صلاة المسافرين ، باب : فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه ، حديث (٨١٧/٢٦٩) (١٤٢/٦) .

[١] - في ز ،خ: « أتى » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز،خ .

[٣] - في ت : « ولله » .

قال ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : نهوا عن مناجاة النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم حتىٰ يتصدقوا ، فلم يناجه إلا عليّ بن أبي طالب ، قدم دينارًا صدقة تصدق به ، ثم ناجىٰ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فسأله عن عشر خصال ، ثم أنزلت الرخصة .

وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد : قال عليّ - رضي اللّٰه عنه - : آية في كتاب اللّٰه - عز وجل - لم يعمل بها أحد قبلي ، ولا يعمل بها أحد بعدي ، كان عندي دينار فصرفته بعشرة[١] دراهم ، فكنت إذا ناجيت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم تصدقت بدرهم ، فنسخت ولم يعمل بها أحد قبلي ، ولا يعمل بها أحد بعدي ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ...**﴾ الآية(٥١) .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا مهران ، عن سفيان ، عن عثمان بن المغيرة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن عليّ بن علقمة الأنماري ، عن عليّ - رضي اللّٰه عنه - قال : قال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ما ترىٰ ؟ دينار ؟** » قال : [لا يطيقون][٢] . قال : « **نصف دينار ؟** » قال : لا يطيقون[٣] . قال : « **ما ترىٰ ؟** » ؟ قال : شَعيرَة . فقال له النبي صلى اللّٰه عليه وسلم : « **إنك زهيد[٤]** » . قال[٥] : قال علي : فبي خفف اللّٰه عن هذه الأمة . وقوله : ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة**﴾ . فنزلت : ﴿**أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات[٦]**﴾(٥٢) .

ورواه الترمذي عن سفيان بن وكيع ، عن يحيىٰ بن آدم ، عن عبيد اللّٰه الأشجعي ، عن سفيان الثوري ، عن عثمان بن المغيرة الثقفي ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن عليّ بن علقمة الأنماري ، عن عليّ بن أبي طالب قال : لما نزلت : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة** ﴾ . قال لي[٧] النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ما ترىٰ ؟ دينار ؟** » قلت[٨] : لا يطيقونه[٩] . وذكره بتمامه ، مثله(٥٣) ، ثم قال : هذا

(٥١) - أخرجه الطبري (٢٠/٢٨) . وفي إسناده ليث بن أبي سليم صدوق قد اختلط جدًا ، ولم يتميز حديثه فترك . والحديث أخرجه الحاكم من طريق آخر عن علي وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

(٥٢) - أخرجه الطبري (٢١/٢٨) . وفي إسناده علي بن علقمة الأنماري ، قال الحافظ : مقبول .

(٥٣) - وأخرجه الترمذي في كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة المجادلة ، حديث (٣٢٩٧) (٤١/٩)=

---

[١] - في ز،خ : « بعشر » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ،خ: « ما تطيقون » .

[٣] - في ز،خ : « تطيقون » .

[٤] - في ز : « لن تميد » .

[٥] - سقط من : ز،خ .

[٦] - في ز ،خ: « صدقة » .

[٧] - سقط من : ز،خ .

[٨] - في ز،خ : « قال » .

[٩] - في ز ،خ: « لا تطيقونه » .

حديث حسن غريب ، إنما نعرفه من هذا الوجه . ثم قال : ومعنىٰ قوله « **شعيرة** » : يعني وزن شعيرة من ذهب .

ورواه أبو يعلىٰ عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يحيىٰ بن آدم به(٥٤) .

وقال العوفي : عن ابن عباس في قوله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة** ﴾ إلىٰ : ﴿ **فإن الله غفور رحيم** ﴾. كان المسلمون يقدمون بين يدي النجوىٰ صدقة ، فلما نزلت الزكاة نسخ هذا .

وقال عليّ بن أبي طلحة : عن ابن عباس قوله : ﴿ **فقدموا بين يدي نجواكم صدقة** ﴾ ، وذلك أن المسلمين أكثروا المسائل علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حتىٰ شقوا عليه ، فأراد الله أن يخفف عن نبيه - عليه السلام - فلما قال ذلك [صبر كثير][١] من الناس وكفوا عن المسألة ، فأنزل الله بعد هذا : ﴿ **أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات[٢] فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** ﴾ ، فوسع الله عليهم ولم يضيق .

وقال عكرمة والحسن البصري في قوله : ﴿ **فقدموا بين يدي نجواكم صدقة** ﴾ : نسختها الآية التي بعدها : ﴿ **أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات[٣]** ﴾ إلىٰ آخرها .

وقال سعيد عن قتادة ومقاتل بن حيان : سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحفوه بالمسألة ، فقطعهم الله بهذه الآية ، فكان الرجل منهم[٤] إذا كانت له الحاجة إلىٰ[٥] نبي الله صلىٰ الله عليه وسلم فلا يستطيع أن يقضيها حتىٰ يقدم بين يديه صدقة ، فاشتد ذلك عليهم ، فأنزل الله الرخصة بعد ذلك : ﴿ **فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم** ﴾ .

وقال معمر : عن قتادة : ﴿ **إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة** ﴾ : إنها منسوخة ، ما كانت إلا ساعة من نهار . وهكذا روىٰ عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن مجاهد ، قال عليّ : ما عمل بها أحد غيري حتىٰ نسخت ، وأحسبه قال : وما كانت إلا ساعة.

= وضعف إسناده الألباني في ضعيف سنن الترمذي (٦٥٢ - ٣٥٣٢) .

(٥٤) - وأخرجه وأبو يعلى (٣٢٢/١ - ٣٢٣) (٤٠٠) من طريق علي بن علقمة ، قال البخاري : في حديثه نظر ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال الحافظ : مقبول .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ،خ: « حين كثر » .

[٢] - في ز ، خ: « صدقة » .

[٣] - في ز ، خ: « صدقة » .

[٤] - سقط من : ز،خ .

[٥] - في ز،خ : « أتى » .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٥) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٦) لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٧) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٨) اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٩) ﴾

يقول تعالىٰ منكرًا علىٰ المنافقين في موالاتهم الكفار في الباطن ، وهم في نفس الأمر لا معهم ولا مع المؤمنين ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **مذبذبين بين ذلك لا إلىٰ هؤلاء ولا إلىٰ هؤلاء ومن يضلل اللَّه فلن تجد له سبيلًا** ﴾ . وقال هاهنا : ﴿ **ألم تر إلىٰ الذين تولوا قومًا غضب اللَّه عليهم** ﴾ ، يعني اليهود ، الذين كان المنافقون يمالئونهم ويوالونهم في الباطن . ثم قال : ﴿ **ما**[١] **هم منكم ولا منهم** ﴾ ، أي : هؤلاء المنافقون ، ليسوا في الحقيقة لا منكم أيها المؤمنون ، ولا من الذين تولوهم وهم اليهود .

ثم قال : ﴿ **ويحلفون علىٰ الكذب وهم يعلمون** ﴾ يعني : المنافقين يحلفون علىٰ الكذب وهم عالمون بأنهم كاذبون فيما حلفوا ، وهي اليمين الغموس ، ولا سيما في مثل حالهم اللعين - عياذًا باللَّه منه - فإنهم كانوا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا : آمنا ، وإذا جاءوا الرسول حلفوا باللَّه أنهم مؤمنون ، وهم في ذلك يعلمون أنهم يكذبون فيما حلفوا به ، لأنهم لا يعتقدون صدق ما قالوه ، وإن كان في نفس الأمر مطابقًا . ولهذا شهد اللَّه بكذبهم في إيمانهم وشهادتهم لذلك .

ثم قال : ﴿ **أعد اللَّه لهم عذابًا شديدًا إنهم ساء ما كانوا يعملون** ﴾ ، أي : أرصد اللَّه لهم علىٰ هذا الصنيع العذاب الأليم علىٰ أعمالهم السيئة ، وهي موالاة الكافرين ونصحهم[٢] ، ومعاداة المؤمنين وغشهم ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل اللَّه** ﴾ ، أي : أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر ، واتقوا بالأيمان الكاذبة ، فظن كثير ممن لا يعرف حقيقة أمرهم صدقهم فاغتر بهم ، فحصل بهذا صد عن سبيل اللَّه لبعض

---

[١] - في ز ،خ: « لا »

[٢] - سقط من : ز،خ .

الناس ، ﴿ **فلهم عذاب مهين** ﴾ ، أي : في مقابلة ما امتهنوا من الحلف باسم اللّٰه العظيم في الأيمان الكاذبة الحانثة .

ثم قال : ﴿ **لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من اللّٰه شيئًا** ﴾ ، أي : لن يدفع ذلك عنهم بأسًا إذا جاءهم ، ﴿ **أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ .

ثم قال : ﴿**يوم يبعثهم اللّٰه جميعًا**﴾ أي : يحشرهم يوم القيامة عن آخرهم فلا يغادر منهم أحدًا ﴿**فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء**﴾ أي : يحلفون للّٰه[١] -عز وجل- أنهم كانوا على الهدى والاستقامة كما كانوا يحلفون للناس في الدنيا : لأن من عاش على شيء مات عليه وبعث عليه ويعتقدون أن ذلك ينفعهم عند اللّٰه كما كان ينفعهم عند الناس فيجرون عليهم الأحكام الظاهرة ؛ ولهذا قال ﴿**ويحسبون أنهم على شيء**﴾ أي : حلفهم ذلك لربهم -عز وجل- ثم قال منكرًا عليهم حسبانهم[ذلك][٢] : ﴿**ألا إنهم هم الكاذبون**﴾ فأكد الخبر عنهم بالكذب .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا ابن نفيل ، حدثنا زهير ، حدثنا[٣] سماك بن حرب ، حدثني سعيد بن جُبَير : أن ابن عباس حَدثه : أن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كان في ظل حجرة من حُجَره ، وعنده نفر من المسلمين قد كاد يقلص عنهم الظل ، قال : « **إنه سيأتيكم إنسان**[٤] **ينظر بعيني شيطان ، فإذا أتاكم فلا تكلموه** » . فجاء رجل أزرق ، فدعاه رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فكلمه ، فقال : « **علام تشتمني أنت وفلان وفلان ؟** » - نفر دعاهم بأسمائهم - قال : فانطلق الرجل فدعاهم ، فحلفوا له واعتذروا إليه ، قال : فأنزل اللّٰه عز وجل : ﴿ **فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم علىٰ شيء ألا إنهم هم الكاذبون** ﴾ .

وهكذا رواه الإمام أحمد من طريقين عن سماك ، به(٥٥) .

ورواه ابن جرير ، عن محمد بن المثنىٰ ، عن غندر ، عن شعبة ، عن سماك ، به نحوه(٥٦) .

وأخرجه أيضًا من حديث سفيان الثوري عن سماك بنحوه إسناد جيد ولم يخرجوه(٥٧) .

---

(٥٥) - أخرجه أحمد (٢٤٠/١) (٢١٤٧) .

(٥٦) - والطبري (٢٣/٢٨) وشعبة روى عن سماك قبل الاختلاط وقد صحح إسناد هذا الحديث الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند .

(٥٧) - وأخرجه الطبري (٢٥/٢٨) من طريق سفيان عن سماك ، والحاكم (٤٨٢/٢) من طريق =

---

[١] - في ت : « باللّٰه » .
[٢] - سقط من ت .
[٣] - في ت : « عن » .
[٤] - في ز،خ : « البيان » .

وحال هؤلاء كما أخبر تعالىٰ عن المشركين حيث يقول : ﴿ **ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين * انظر كيف كذبوا علىٰ أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون** ﴾ . ثم قال : ﴿ **استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله** ﴾ ، أي : استحوذ علىٰ قلوبهم الشيطان حتىٰ أنساهم أن يذكروا الله - عز وجل - وكذلك يصنع بمن استحوذ عليه . ولهذا قال أبو داود :

حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا زائدة ، حدثنا السائب بن حُبَيش ، عن معدان بن أبي طلحة اليَعْمُري ، عن أبي الدرداء قال[١] : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **ما من ثلاثة في قرية ولا بدو ، لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان ، فعليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب القاصية** » ، قال زائدة : قال السائب : يعني الصلاة في الجماعة(٥٨) .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **أولئك حزب الشيطان** ﴾ ، يعني الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله . ثم قال : ﴿ **ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون** ﴾ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ (٢٠) كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ (٢١) لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ (٢٢) ﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن الكفار المعاندين المحادين لله ورسوله ، يعني : الذين هم في حد

= إسرائيل عنه . وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وأورده الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٧/ ١٢٥) وعزاه إلى الطبراني وأحمد والبزار ، وقال : رجال الجميع رجال الصحيح .

(٥٨) - أخرجه أبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : في التشديد في ترك الجماعة ، حديث (٥٤٧) (١/ ١٥٠) . قال الزيلعي في « نصب الراية » (٢/ ٢٤) : قال النووي : إسناده صحيح ، ذكره في الخلاصة . وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٥١١) .

---

[١] - سقط من ت .

والشرع في حد ، أي : مجانبون للحق مشاقون له ، هم في ناحية والهدى في ناحية ، ﴿ **أولئك في الأذلين** ﴾ ، أي : في الأشقياء المبعَدين المطرودين عن الصواب ، الأذلّين في الدنيا والآخرة .

﴿ **كتب اللّه لأغلبن أنا ورسلي** ﴾ ، أي : قد حكم وكتب في كتابه الأول وقَدَره الذي لا يُخالف ولا يمانع ولا يبدل ، بأن النصرة له ولكتابه ورسله وعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة ، وأن العاقبة للمتقين ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد * يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار** ﴾ . وقال هاهنا : ﴿ **كتب اللّه لأغلبن أنا ورسلي إن اللّه قوي عزيز** ﴾ ، أي : كتب القوي العزيز أنه الغالب لأعدائه ، وهذا قدر محكم وأمر مبرم ، أن العاقبة والنصرة للمؤمنين في الدنيا والآخرة .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **لا تجد قومًا يؤمنون باللّه واليوم الآخر يوادون من حاد اللّه ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم** ﴾ ، أي لا يوادون المحادين ولو كانوا من الأقربين ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من اللّه في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم اللّه نفسه** ﴾ ... الآية . وقال تعالىٰ : ﴿ **قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من اللّه ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتىٰ يأتي اللّه بأمره واللّه لا يهدي القوم الفاسقين** ﴾ .

وقد قال سعيد بن عبد العزيز وغيره : أنزلت هذه الآية : ﴿ **لا تجد قومًا يؤمنون باللّه واليوم الآخر** ﴾ إلىٰ آخرها في أبي عبيدة عامر بن عبد اللّه بن الجراح ، حين قتل أباه يوم بدر . ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه حين جعل الأمر شورىٰ بعده في أولئك الستة - رضي اللّه عنهم - : ولو كان أبو عبيدة حيًا لاستخلفته .

وقيل في قوله : ﴿ **ولو كانوا آباءهم** ﴾ : نزلت في أبي عبيدة ، قتل أباه يوم بدر . ﴿ **أو أبناءهم** ﴾ : في الصديق ، هَمَّ يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن ، ﴿ **أو إخوانهم** ﴾ : في مصعب ابن عمير ، قتل أخاه عبيد بن عمير يومئذ . ﴿ **أو عشيرتهم** ﴾ : في عمر ، قتل قريبًا له يومئذ أيضًا ، وفي حمزة وعليّ وعبيدة بن الحارث ، قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ ، واللّه أعلم .

قلت: ومن هذا القبيل حين استشار رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم المسلمين[١] في أسارى بدر فأشار الصديق بأن يفادوا فيكون ما يؤخذ منهم قوة للمسلمين وهم بنو العم

---

[١] - في ز ، خ: « المؤمنين » .

والعشيرة، ولعل الله أن يهديهم، وقال عمر: لا أرى ما رأى يا رسول الله، هل تمكنني من فلان - قريب لعمر - فأقتله، وتُمكن[١] عليًا من عقيل، وتُمكن[٢] فلانًا من فلان ليعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين ... القصة بكمالها(٥٩).

وقوله: ﴿ **أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه** ﴾ ، أي: من اتصف بأنه لا يواد من حاد الله ورسوله ولو كان أباه أو أخاه، فهذا ممن كتب الله في قلبه الإيمان، أي كتب له السعادة وقررها في قلبه وزين الإيمان في بصيرته.

قال السدي: ﴿ **كتب في قلوبهم الإيمان** ﴾ أي[٣]: جعل في قلوبهم الإيمان.

وقال ابن عباس: ﴿ **وأيدهم بروح منه** ﴾ ، أي: قواهم.

وقوله: ﴿ **ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه** ﴾ : كل هذا تقدم تفسيره غير مرة.

وفي قوله: ﴿ **رضي الله عنهم ورضوا عنه** ﴾ : سر بديع، وهو أنه لما سخطوا على القرائب والعشائر في الله عوّضهم الله بالرضا عنهم، وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم، والفوز العظيم، والفضل العميم.

وقوله: ﴿ **أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون** ﴾ . أي: هؤلاء حزب الله أي: عباد الله وأهل كرامته.

وقوله: ﴿ **ألا إن حزب الله هم المفلحون** ﴾ : تنويه بفلاحهم وسعادتهم ونصرهم في الدنيا والآخرة، في مقابلة ما أخبر عن أولئك بأنهم حزب الشيطان، ثم قال: ﴿ **ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون** ﴾ .

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا هارون بن حميد الواسطي، حدثنا الفضل بن عنبسة، عن رجل قد سماه - يقال: هو عبد الحميد بن سليمان، انقطع من كتابي -، عن الذيال بن عباد قال: كتب أبو[٤] حازم الأعرج إلى الزهري: اعلم أن الجاه جاهان، جاه يجريه الله على أيدي أوليائه لأوليائه. وإنهم الخامل ذكرهم، الخفية شخوصهم، ولقد جاءت صفتهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **إن الله يحب الأخفياء الأتقياء، الأبرياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإذا حضروا لم يُدْعَوا، قلوبهم مصابيح الهدى،**

(٥٩) - تقدم تخريج القصة بكاملها في تفسير سورة الأنفال، آية (٦٧).

[١] - في ز،خ: « يمكن ».
[٢] - في ز، خ: « يمكن ».
[٣] - سقط من: ز، خ.
[٤] - في ز، خ: « ابن ».

يخرجون من كل فتنة سوداء مظلمة . فهؤلاء أولياء اللَّه الذين قال اللَّه : ﴿ أولئك حزب اللَّه ألا إن حزب اللَّه هم المفلحون ﴾» (٦٠) .

وقال نُعيم بن حماد : حدثنا محمد بن ثور ، عن يونس ، عن الحسن قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : **« اللَّهم ، لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي يدًا ولا نعمة ، فإني وجدت فيما أوحيته**[١] **إلي : ﴿ لا تجد قومًا يؤمنون باللَّه واليوم الآخر يوادُّون من حاد اللَّه ورسوله ﴾ »** . قال سفيان: يرون أنها نزلت فيمن يخالط السلطان (٦١) . ورواه أبو أحمد العسكري.

[آخر تفسير سورة المجادلة . وللَّه الحمد] .

☆ ☆ ☆

(٦٠) - المرفوع منه أخرجه ابن ماجة في كتاب الفتن ، باب : من ترجى له السلامة من الفتن ، حديث (٣٩٨٩) (٢/١٣٢٠ - ١٣٢١) بنحوه من حديث معاذ بن جبل - رضي الله عنه . قال في الزوائد : في إسناده عبد الله بن لهيعة ، وهو ضعيف . ولبعض ألفاظ الحديث شاهد عند مسلم (٢٩٦٥/١١) من حديث سعد بن أبي وقاص أنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : **« إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي »** .

(٦١) - في إسناده انقطاع ظاهر .

[١] - في ز، خ : « أوحاه » .

تفسير سورة الحشر

وهي مدنية

قال سعيد بن منصور : حدثنا هُشيم ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس : سورة الحشر ؟ قال : أنزلت في بني النضير . ورواه البخاري ومسلم من وجه آخر ، عن هشيم ، به(١) .

ورواه البخاري(٢) من حديث أبي عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس : سورة الحشر ؟ قال : قل[١] : سورة النَّضير .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾

يخبر تعالىٰ أن جميع ما في السموات وما في الأرض من شيء يسبح له ويمجده ويقدسه ، ويصلي له ويوحده ، كقوله : ﴿ **تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن**

(١) - أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : سورة الحشر ، حديث (٤٨٨٢) ، ومسلم في كتاب التفسير ، حديث ٣١ - (٣٠٣١) (٢١٩/١٨) .

(٢) - أخرجه البخاري في الموضع السابق (٤٨٨٣) .

[١] - سقط من : ز ، خ.

وإن من شيء إلا يسبح بحمده ﴾ وقوله: **﴿وهو العزيز﴾** أي منيع الجناب **﴿الحكيم﴾** في قدره وشرعه.

وقوله: **﴿ هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب ﴾**، يعني: يهود بني النضير. قاله ابن عباس، ومجاهد والزهري، وغير واحد. كان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم لما قدم المدينة هادنهم وأعطاهم عهدًا وذمة علىٰ أن لا يقاتلهم ولا يقاتلوه، فنقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه، فأحل اللّٰه بهم بأسه الذي لا مَرَدّ له، وأنزل عليهم قضاءه الذي لا يُصَدّ، فأجلاهم النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وأخرجهم من حصونهم الحصينة التي ما طمع فيها[١] المسلمون، وظنوا هم أنها مانعتهم من بأس اللّٰه، فما أغنىٰ عنهم من اللّٰه شيئًا، وجاءهم ما لم يكن ببالهم، وسيّرهم رسول اللّٰه وأجلاهم من المدينة، فكان منهم طائفة ذهبوا إلىٰ أذرعات من أعالي الشام، وهي أرض المحشر والمنشر، ومنهم طائفة ذهبوا إلىٰ خيبر. وكان قد أنزلهم منها علىٰ أن لهم ما حملت إبلهم، فكانوا يخربون ما في بيوتهم من المنقولات التي يمكن أن تحمل معهم ولهذا قال: **﴿ يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴾**، أي: تفكروا في عاقبة من خالف أمر اللّٰه وخالف رسوله، وكذب كتابه، كيف يحل به من بأسه المخزي له في الدنيا، مع ما يدخره له في الآخرة من العذاب الأليم.

قال أبو داود: حدثنا محمد بن داود بن[٢] سفيان، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن رجل من أصحاب النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم: أن كفار قريش كتبوا إلىٰ ابن [أبيّ ومن][٣] كان معه يعبد معه الأوثان من الأوس والخزرج، ورسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يومئذ بالمدينة قبل وقعة بدر: إنكم آويتم[٤] صاحبنا، وإنا[٥] نقسم باللّٰه لتقاتلنه [أو لتخرجنه][٦]، أو لنسيرن إليكم بأجمعنا، حتى نقتل مقاتلتكم ونستبيح نساءكم، فلما بلغ ذلك [ ][٧] عبد اللّٰه بن أبيّ ومن كان معه من عبدة الأوثان، اجتمعوا[٨] لقتال النبي صلى اللّٰه عليه وسلم فلما بلغ ذلك النبي صلى اللّٰه عليه وسلم لقيهم فقال: « **لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ، ما كانت تكيدكم بأكثر مما تريد أن تكيدوا به أنفسكم، تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم ؟** » فلما سمعوا ذلك

---

[١] - في ز، خ: « بها ».
[٢] - في ز، خ: « و ».
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز، خ: « أم رب ».
[٤] - في ز، خ: « أدنيتم ».
[٥] - في ز، خ: « وإنما ».
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز، خ: « ولنخرجنكم ».
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز، خ: « ولد ».
[٨] - في ز، خ: « أحملوا ».

من النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم تفرقوا ، فبلغ ذلك كفارَ قريش ، فكتبت كفار قريش بعد وقعة بدر إلىٰ اليهود : إنكم أهل الحلقة والحصون ، وإنكم لتقاتلن مع صاحبنا أو لنفعلن كذا وكذا ، ولا يحول بيننا وبين خدَم نسائكم شيء - [وهي الخلاخيل][١] - فلما بلغ كتابهم النبي صلى اللَّه عليه وسلم أجمعت[٢] بنو النضير بالغدر ، فأرسلوا إلى النبي صلى اللَّه عليه وسلم - أخرج إلينا في[٣] ثلاثين رجلًا من أصحابك وليخرج منا ثلاثون [حبرًا ، حتىٰ نلتقي بمكان المنصف فيسمعوا منك ، فإن صدقوك وآمنوا بك آمنا بك ،][٤] فلما كان الغد غدا عليهم رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بالكتائب[٥] فحصرهم ، فقال لهم : « **إنكم واللَّه لا تأمنون[٦] عندي إلا بعهد تُعاهدُني[٧] عليه** » . فأبوا أن يعطوه عهدًا ، فقاتلهم يومهم ذلك ، ثم غدا الغدَ علىٰ بني قريظة بالكتائب ، وترك[٨] بني النضير ، ودعاهم إلىٰ أن يعاهدوه ، فعاهدوه ، فانصرف[٩] عنهم . وغدا إلىٰ بني النضير بالكتائب فقاتلهم ، حتىٰ نزلوا علىٰ الجلاء ، فجلت بنو النضير ، واحتملوا ما أقلّت الإبل من أمتعتهم وأبواب بيوتهم وخشبها ، وكان نخل بني النضير لرسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم خاصة ، أعطاه اللَّه إياها وخصه بها ، فقال : ﴿ **ما أفاء اللَّه علىٰ رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب** ﴾، [يقول : بغير قتال][١٠]. فأعطىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم أكثرها للمهاجرين ، قسمها بينهم ، وقسم منها لرجلين من الأنصار وكانا ذوي حاجة ، ولم يقسم من الأنصار غيرهما ، وبقي منها صدقة رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم التي في أيدي بني فاطمة(٣) ولنذكر ملخص غزوة بني النضير على وجه الاختصار وباللَّه المستعان .

وكان سبب ذلك فيما ذكره أصحاب المغازي والسيَر - أنه لما قُتِل أصحابُ بئر[١١] معونة من أصحاب رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم وكانوا سبعين - ، وأفلت منهم عمرو بن أمية الضمري ، فلما كان في أثناء الطريق راجعًا إلىٰ المدينة قتل رجلين من بني عامر ، وكان معهما

(٣) - أخرجه أبو داود في كتاب : الخراج والإمارة والفيء ، باب : في خبر النضير ، حديث (٣٠٠٤) (٣/ ١٥٦) ، ومحمد بن داود بن سفيان ، قال الحافظ : مقبول . والحديث صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٥٩٥) .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « وهو الخلاخل » .

[٢] - في ز ، خ: « أيقنت » . والمثبت من سنن أبي داود .

[٣] - سقط من : ز ، خ.

[٤] - ما بين المعكوفتين بياض في : ز ، خ.

[٥] - سقط من : ز ، خ.

[٦] - في ت : « تأمنوا » .

[٧] - في ت : « تعاهدوني » .

[٨] - في ز ، خ : « فنزل » .

[٩] - في ز ، خ: « فصرف » .

[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.

[١١] - في ز ، خ: « بنو » .

عهد من رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم، وأمان لم يعلم به عمرو ، فلما رجع أخبر رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقال له رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **لقد قتلت رجلين لأدينَّهما** » (٤) ، وكان بين بني النضير وبني عامر حلف وعهد ، فخرج رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم إلىٰ بني النضير يستعينهم في دية ذينك الرجلين ، وكانت منازل بني النضير ظاهر المدينة علىٰ أميال منها شرقيها .

قال محمد بن إسحاق بن يسار في كتابه السيرة (٥) : ثم خرج رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم إلىٰ بني النضير يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر ، اللذين قتل عمرو بن أمية الضمري ، للجوار الذي كان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم عقد لهما ، فيما حدثني يزيد بن رومان ، وكان بين بني النضير وبني عامر عَقد وحلف ؛ فلما أتاهم رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يستعينهم في دية ذينك القتيلين ؛ قالوا : نعم ، يا أبا القاسم ، نعينك علىٰ ما أحببت ، مما استعنت بنا عليه ، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل علىٰ مثل حاله هذه - ورسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم إلىٰ جنب جدار من بيوتهم - فَمَن رجل يعلو علىٰ هذا البيت ، فيلقي عليه صخرة ، فيريحنا منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش ابن كعب - أحدهم - فقال : أنا لذلك ، فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال ، ورسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في نفر من أصحابه ، فيهم أبو بكر وعمر وعليّ رضي اللّٰه عنهم، فأتىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم الخبر من السماء بما أراد القوم ، فقام وخرج راجعًا إلىٰ المدينة ، فلما استلبثَ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أصحابه قاموا في طلبه ، فلقوا رجلًا مقبلًا من المدينة فسألوه عنه فقال : رأيته داخلًا المدينة ، فأقبل أصحاب رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم حتىٰ انتهوا إليه ، فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر به ، وأمر رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم والمسير إليهم ، ثم سار حتىٰ نزل بهم فتحصنوا منه في الحصون ، فأمر رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بقطع النخل والتَّحريق فيها ، فنادوه : أن[١] يا محمد ؛ قد كنت تنهىٰ عن الفساد وتعيبه علىٰ من صنعه ، فما بال قطع النخل وتحريقها ؟

وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج منهم عبد اللّٰه بن أبيّ ابن سلول ، ووديعة ، ومالك ابن أبي قوقل[٢] ، وسُوَيد ، وداعس ، قد بعثوا إلىٰ بني النضير : أن اثبتوا وتَمنَّعوا فإنا لن نسلمكم ، إن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن أخرجتُم خرَجنا[٣] معكم فتربصوا ذلك من

---

(٤) - السيرة النبوية لابن هشام (٣/٦٨٠) .

(٥) - سيرة ابن هشام (٣/٦٨٢ - ٦٨٤) بأتم من ذلك .

---

[١] - في ز ، خ: « أي » .
[٢] - في ز ، خ: « نوفل » .
[٣] - في ز ، خ: « أخرجنا » .

نصرهم ، فلم يفعلوا ، وقذف الله في قلوبهم الرعب ، فسألوا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أن يجليهم ويكف عن دمائهم ، علىٰ أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة ، ففعل ، فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل ، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نِجاف[١] بابه ، فيضعه علىٰ ظهر بعيره فينطلق به، فخرجوا إلىٰ خيبر، ومنهم من سار إلىٰ الشام، وخَلّوا الأموال لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فكانت لرسول الله خاصة يضعها حيث يشاء ، فقسمها علىٰ المهاجرين الأولين دون الأنصار ، إلا أن سهل بن حُنَيف وأبا دُجانة سماك بن خَرشَة ذكرا فقرًا ، فأعطاهما رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم .

قال : ولم يسلم من بني النضير إلا رجلان : يامين بن عمير[٢] بن كعب ابن [عم][٣] عمرو ابن جحاش ، وأبو سعد بن وهب ، أسلما علىٰ أموالهما فأحرزاها .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني بعض آل يامين ؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، قال ليامين : « **ألم تر ما لقيتُ من ابن عمك ، وما هَم به من شأني** » . فجعل يامين بن عمَير لرجل جعلًا علىٰ أن يقتل عمرو بن جحاش ، فقتله فيما يزعمون .

قال ابن إسحاق : ونزل في بني النضير سورة الحشر بأسرها .

وهكذا روىٰ يونس بن بُكَير[٤] عن ابن إسحاق ، بنحو ماتقدم .

فقوله : ﴿**هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب**﴾ يعنى : بني النضير ﴿**من ديارهم لأول الحشر**﴾ .

قال ابن أبي حاتم(٦) : حدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان ، عن أبي سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : من شك في أن أرض المحشر هاهنا - يعني الشام - فَلْيتْل هذه الآية : ﴿ **هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر** ﴾ ، قال لهم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **اخرجوا** » . قالوا : إلىٰ أين ؟ قال : « **إلىٰ أرض المحشر** » .

وحدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو أسامة، عن عوف، عن الحسن؛ قال : لما أجلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بني النضير ، قال : « **هذا أول الحشر ، وأنا علىٰ الأثر** » .

(٦) - أخرجه ابن أبي حاتم والبزار (٤٧٢/٢ - مختصر) (٢٢٣٧) من طريق سفيان . قال الهيثمي في «المجمع » (٣٤٦/١٠) : رواه البزار وفيه أبو سعد البقال ، والغالب فيه الضعف . وزاد السيوطي نسبته إلى ابن المنذر ، وابن مردويه ، والبيهقي في البعث .

[١] - في ز ، خ: « إنجاف » .
[٢] - في ز : « عمرو » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .
[٤] - في ز ، خ: « بكر » .

ورواه ابن جرير(٧) عن بندار عن ابن أبي عدي عن عوف عن الحسن به.

وقوله: ﴿ **ما ظننتم أن يخرجوا** ﴾ أي: في مدة حصاركم لهم وقصَرها، وكانت ستة أيام، مع شدة حصونهم ومنعتها؛ ولهذا قال: ﴿ **وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم[١] الله من حيث لم يحتسبوا** ﴾، أي: جاءهم من أمر الله ما لم يكن لهم في بال، كما قال في الآية الأخرىٰ: ﴿ **قد مكر الذين من قبلهم فأتىٰ الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون** ﴾ وقوله: ﴿ **وقذف في قلوبهم الرعب** ﴾، أي: الخوف و الهلع والجزع، وكيف لا يحصل لهم ذلك وقد حاصرهم الذي نُصر بالرعب مسيرةَ شهر، صلوات الله وسلامه عليه.

وقوله: ﴿ **يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين** ﴾، قد تقدم تفسير ابن إسحاق لذلك، وهو نقض ما استحسنوه من سقوفهم وأبوابهم، وتَحَمُّلها علىٰ الإبل. وكذا قال عروة بن الزبير، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وغير واحد.

وقال مقاتل بن حيان(٨): كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقاتلهم، فإذا ظهر علىٰ دَرب أو دار، هدم حيطانها ليتسع المكان للقتال، وكان اليهود إذا عَلَوا مكانًا أو غلبوا علىٰ دَرْب أو دار نقبوا من أدبارها[٢] ثم حصنوها ودَرّبوها[٣]، يقول الله تعالى: ﴿ **فاعتبروا يا أولي الأبصار** ﴾.

وقوله: ﴿ **ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا** ﴾، أي: لولا أن كتب الله عليهم هذا الجلاء، وهو النفي من ديارهم وأموالهم، لكان[٤] لهم عند الله عذاب آخر من القتل والسبي، ونحو ذلك، قاله الزهري عن عروة، والسديُّ وابن[٥] زيد، لأن الله قد كتب عليهم أنه سيعذبهم في الدار الدنيا مع ما أعد لهم في الآخرة من العذاب في نار جهنم.

قال ابن أبي حاتم (٩): حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن صالح - كاتب الليث - حدثني الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب؛ قال: أخبرني عروة بن الزبير؛ قال: ثم كانت وقعة

---

(٧) - أخرجه الطبري (٢٨/٢٩) وإسناده مرسل.

(٨) - صدوق من السادسة فحديثه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - منقطع.

(٩) - في إسناده عبد الله بن صالح كاتب الليث، وهو ضعيف من قبل حفظه.

---

[١] - في ز، خ: «وأتاهم».

[٢] - في ز، خ: «أديارها».

[٣] - في ز، خ: «ودبروها».

[٤] - في ز، خ: «فكان».

[٥] - في ز، خ: «وأبي».

بني النضير ، وهم طائفة من اليهود ، علىٰ رأس ستة أشهر من وقعة بدر ، وكان منزلهم بناحية من المدينة ، فحاصرهم رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم حتىٰ نزلوا علىٰ الجلاء ، وأن لهم ما أَقَلت الإِبل من الأموال والأمتعة إلا الحلقة ، وهي السلاح ، فأجلاهم رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قِبَل الشام . قال : والجلاء أنه كُتب عليهم في آي من التوراة ، وكانوا من سبط لم يصبهم الجلاء قبلما سلط عليهم رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وأنزل اللَّه فيهم : ﴿ **سبح للَّه ما في السموات وما في الأرض** ﴾ ، إلىٰ قوله : ﴿ **وليخزي الفاسقين** ﴾ .

وقال عكرمة : الجلاء : القتل ، وفي رواية عنه الفناء .

وقال قتادة : الجلاء : خروج الناس من البلد إلىٰ البلد .

وقال الضحاك : أجلاهم إلى الشام وأعطى كل ثلاثة بعيرًا وسقاء ، فهذا الجلاء .

وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي (١٠) : أخبرنا أبو عبد اللَّه الحافظ ، أخبرنا أحمد بن كامل القاضي، حدثنا محمد بن سعد[١] العوفي ، حدثني أبي ، عن عمي ، حدثني أبي ، عن جدي ، عن ابن عباس؛ قال كان النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قد حاصرهم حتىٰ بلغ منهم كل مبلغ ، فأعطوه ما أراد منهم ، فصالحهم علىٰ أن يحقن لهم دماءهم ، وأن يخرجهم من أرضهم ومن ديارهم وأوطانهم ، وأن يسيرهم إلىٰ أذرعات الشام ، وجعل لكل ثلاثة منهم بعيرًا وسقاء ، والجلاء : إخراجهم من أرضهم إلىٰ أرض أخرىٰ .

وروى أيضًا(١١) من حديث يعقوب بن محمد الزهري[٢] ، عن إبراهيم بن جعفر بن محمود بن محمد بن مسلمة[٣]، عن أبيه ، عن جده، عن محمد بن مسلمة[٤]؛ أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بعثه إلىٰ بني النضير ، وأمره أن يؤجلهم[٥] في الجلاء ثلاث ليال .

وقوله: ﴿ **ولهم في الآخرة عذاب النار** ﴾ أي: حتم لازم لابد لهم منه .

وقوله : ﴿ **ذلك بأنهم شاقوا اللَّه ورسوله** ﴾ ، أي : إنما فَعَل اللَّه بهم ذلك وسَلَّط

---

(١٠) - أخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣٥٩/٣) وإسناده مسلسل بالضعفاء والمجاهيل .

(١١) - أخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣٦٠/٣) ، وفي إسناده محمود بن محمد بن مسلمة ذكره ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٢٩٠/٨) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا . ومحمود بن محمد صدوق كثير الوهم والرواية عن الضعفاء .

---

[١] - في ت : « سعيد » .

[٢] - في ز ، خ: « الزبيري » .

[٣] - في ز ، خ: « مسلم » .

[٤] - في ز ، خ: « سلمة » .

[٥] - في ز ، خ: « يوصلهم » .

عليهم رسوله وعباده المؤمنين ؛ لأنهم خالفوا اللَّه ورسوله ، وكذبوا بما أنزل اللَّه علىٰ رسله المتقدمين في البشارة بمحمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وهم يعرفون ذلك كما يعرفون أبناءهم . ثم قال : ﴿ **ومن يشاق اللَّه فإن اللَّه شديد العقاب** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة علىٰ أصولها فبإذن اللَّه وليخزي الفاسقين** ﴾ ، اللين : نوع من التمر ، وهو جيد .

قال أبو عبيدة : وهو ما خالف العجوة والبَرْنِيّ من التمر .

وقال كثيرون من المفسرين : اللينة : ألوان التمر سوىٰ العجوة .

قال ابن جرير : هو جميع النخل ، ونقله عن مجاهد : وهو البويرة . أيضًا ، وذلك أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم لما حاصرهم أمر بقطع نخيلهم إهانة لهم ، وإرهابًا وإرعابًا لقلوبهم . فروىٰ محمد بن إسحاق (١٢) ، عن يزيد بن رومان ، وقتادة ، ومقاتل بن حيان أنهم قالوا : [فبعث بنو النضير][١] يقولون لرسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : إنك تنهىٰ عن الفساد ، فما بالك تأمر بقطع الأشجار . فأنزل اللَّه هذه الآية الكريمة ، أي : ماقطعتم وما تركتم من الأشجار فالجميع بإذن اللَّه ومشيئته وقدرته ورضاه ، وفيه نكاية العدو ، وخزي لهم ، وإرغام لأنوفهم .

[وقال الحافظ أبو يعلىٰ في مسنده (١٣) : حدثنا سفيان بن وكيع ، حدثنا حفص ، عن ابن جريج ، عن سليمان بن موسىٰ ، عن جابر ، وعن أبي الزبير ، عن جابر ، قال : رخص لهم في قطع النخل ، ثم شدد عليهم ، [فأتوا النبي][٢] صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقالوا[٣]: يارسول اللَّه ، علينا إثم فيما قطعنا ؟ أو علينا وزر فيما تركنا ؟ فأنزل اللَّه عز وجل : ﴿ **ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة علىٰ أصولها فبإذن اللَّه** ﴾ .][٤]

وقال مجاهد : نهىٰ بعض المهاجرين بعضًا عن قطع النخل ، وقالوا : إنما هي مغانم المسلمين . فنزل القرآن بتصديق من نهىٰ عن قطعه ، وتحليل من قطعه من الإثم ، وإنما قطعه وتركه بإذنه .

---

(١٢) - أخرجه الطبري (٣٢/٢٨) وفيه عنعنة ابن إسحاق .

(١٣) - أخرجه أبو يعلى (١٣٥/٤) (٢١٨٩) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٢٥/٧) : رواه أبويعلى عن شيخه سفيان بن وكيع وهو ضعيف .اهـ . وفي إسناده سليمان بن موسى في حديثه لين . وفيه عنعنة ابن جريج ، وأبي الزبير .

---

[١] - ما بين المعكوفتين بياض في : ز .

[٢] - في ت : « فاحك » .

[٣] - في ز،خ : « فقالوا للنبي » .

[٤] - سقط من : ز،خ .

وقد روي نحو هذا مرفوعًا ، فقال النسائي (١٤) : أخبرنا الحسن بن محمد ، عن عفان ، حدثنا حفص بن غياث ، حدثنا حبيب بن أبي عمرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله : ﴿ **ماقطعتم من لينةٍ أو تركتموها قائمة علىٰ أصولها فبإذن اللَّه وليخزي الفاسقين** ﴾ ، قال : يستنزلونهم من حصونهم وأمروا بقطع النخل ، فحكَّ[١] في صدورهم ، فقال المسلمون : قطعنا بعضًا وتركنا بعضًا ، فلنسألن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : هل لنا فيما قطعنا من أجر ؟ وهل علينا فيما تركنا من وزر ؟ فأنزل اللَّه : ﴿ **ماقطعتم من لينة** ﴾ .

وقال الإمام أحمد(١٥) : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان ، عن موسىٰ بن عقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر ؛ أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قطع نخل بني النضير وحرّق . وأخرجه صاحبا الصحيح(١٦) من رواية موسىٰ بن عقبة ، بنحوه ، ولفظ البخاري(١٧) من طريق عبد الرزاق عن ابن جريج ، عن موسىٰ بن عقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر ؛ قال : حاربَت النضيرُ وقريظة ، فأجلىٰ بني النضير وأقر قريظة ومَنّ عليهم حتىٰ حاربت قريظة فقتل رجالهم وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين ، إلا بعضهم لَحقوا بالنبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فأمَّنهم وأسلموا ، وأجلىٰ يهود المدينة كلهم ، بني قينقاع ، وهم رهط عبد اللَّه ابن سلام ، ويهود بني حارثة ، وكل يهود المدينة .

ولهما(١٨) أيضًا عن قتيبة ، عن الليث بن سعد ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم حَرق نخل بني النضير وقطع - وهي[٢] البُوَيْرَةُ - فأنزل اللَّه - عز

---

(١٤) - أخرجه النسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **وليخزي الفاسقين** ﴾ ، حديث (١١٥٧٤) (٤٨٣/٦) . وإسناده ثقات .

(١٥) - أخرجه أحمد (٧/٢ - ٨) .

(١٦) - أخرجه البخاري في كتاب : الجهاد ، باب : حرق الدور والنخيل ، حديث (٣٠٢١) (١٥٤/٦) ، ومسلم في كتاب : الجهاد والسير ، باب : جواز قطع أشجار الكفار وتحريقها ، حديث (١٧٤٦/٣٠) (٧٧/١٢) .

(١٧) - أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب حديث بني النضير ، حديث (٤٠٢٨) (٣٢٩/٧) .

(١٨) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **ما قطعتم من لينة** ﴾ ، حديث (٤٨٨٤) (٨/ ٦٢٩) .

ومسلم في كتاب : الجهاد والسير ، باب : جواز قطع أشجار الكفار وتحريقها ، حديث (١٧٤٦/٢٩) (٧٦/١٢) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في : ت مكتبوبة بعد قوله : وقد روي نحو هذا مرفوعًا - في الفقرة الآتية .

[٢] - في ز ، خ: « وهو » .

وجل - فيه : ﴿ **ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة علىٰ أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين** ﴾ وللبخاري(١٩) رحمه الله من رواية جُوَيْرِيَة[١] بن أسماء ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر ، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حرق نخل بني النضير وقطع البويرة ولها يقول حسان [ابن ثابت][٢] - رضي الله عنه - :

وهَانَ عَلىٰ سَراة بني لُؤيِّ حَريق بالبُوَيرة مستطير

فأجابه أبو سفيان بنُ الحارث[٣] يقول :

أَدَام اللَّه ذَلكَ من صَنيع وَحرّقَ في نَوَاحيها السَّعير
سَتَعلم[٤] أيُّنا منها بنُزْهٍ[٥] وتعلم أي أرضينا نضيرُ

كذا رواه البخاري ، ولم يذكره ابن إسحاق ، وقال محمد بن إسحاق(٢٠) : وقال كعب ابن مالك يذكر إجلاء بني النضير وقتل ابن الأشرف :

لَقَد خَزيت بغَدْرَتها الحُبُور كَذَاكَ الدهرُ ذو صَرْف يَدُورُ
وَذَلكَ أنَّهم كَفَرُوا برَبٍّ عَظيم أمرُهُ أمْرٌ كَبيرُ
وقَد أُوتوا معًا فَهمًا وعلمًا وجَاءَهُمُ مِنَ اللَّه النَّذيرُ
نَذير صَادق أدّىٰ كتابًا وَآيات مُبَيَّنَةً تُنيرُ
فقالوا[٦] : مَا أتيتَ بأمرِ صدقٍ وأنت بمنكر منا جَدير
فَقَال[٧] : بَلى ، لَقَد أديتُ حقًّا يُصدّقني به الفَهمُ الخَبيرُ
فَمن يتبَعه يُهد لكُلِّ رُشدٍ وَمَن يَكفُرْ به يُجزَ الكَفُور
فَلَمَّا أشْرِبُوا غَدْرًا وكُفْرًا وَجَدّ بهم عَنِ الحَقّ النّفور
أرَىٰ اللَّهُ النبيّ بِرأي صدْق وَكَان اللَّه يَحكُم لا يَجُورُ
فَأيَّدَه وَسَلَّطَه عَليهم وَكَان نَصيرَه نعْمَ النَّصيرُ
فَغُودرَ مِنْهمُو كَعب صريعًا فَذَلَّتْ بعدَ مَصْرَعه النَّضيرُ

---

(١٩) - أخرجه البخاري في كتاب : الحرث والمزارعة ، باب : قطع الشجر والنخل ، حديث (٢٣٢٦) (٥/ ٩) . وطرفه في [٤٠٣٢] .
(٢٠) - السيرة النبوية (٣/٦٨٨ - ٦٨٩) .

---

[١] - في ز ، خ: « جويرة » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.
[٣] - في ز ، خ: « حرب » .
[٤] - في ز : « سيعلم » .
[٥] - في ز ، خ: « سن » .
[٦] - في ت : « فقال » .
[٧] - في ز ، خ: « قال » .

عَلى الكَفَّين ثمَّ وقَدْ عَلَتْهُ ... بأيدِينَا مُشَهَّرَة ذكُورُ
بأمرِ محمَّدٍ إِذْ دَسَّ لَيْلًا ... إلىٰ كَعْبٍ أخَا كَعْبٍ يَسِيرُ
فَمَاكَرَه فَأنزَلَه بمَكْر ... ومحمودٌ أخُو ثقَة جَسُورُ
فَتلْكَ بَنُو النَّضير بدار سَوء ... أبَارَهُمُ بما اجترموا المُبِيرُ
غَداةَ أتَاهُمُ فِي الزَّحْفِ رَهْوًا[١] ... رَسُولُ اللَّه ، وَهْوَ [بهم بَصيرُ][٢]
وَغَسَّانُ الحماةُ مُوازرُوه ... عَلَى الأعدَاءِ ، وَهْوَ لَهم وَزيرُ
فَقَالَ : السّلم[٣] ، ويحكمُ فَصَدُّوا ... وَحَالَفَ أمْرَهَم كَذبٌ وَزُورُ
فَذَاقُوا غبَّ أمْرِهِمُ دَبَالا ... لِكلِّ ثَلاثَةٍ مِنْهُمْ بَعِيرُ
وَأُجْلُوا عامدين لقينُقَاعٍ ... وغُودِرَ مِنْهُمُ نَخْلٌ ودُورُ

قال : وكان مما قيل من الأشعار في بني النضير قول ابن لُقَيم العَبْسيّ - ويقال : قالها قيس بن بحر بن طريف ، قال ابن هشام (٢١) : الأشجعي - :

أهلي فداءٌ لامرئٍ غيرِ هالكٍ ... أحلَّ اليهودَ بالحسيِّ المُزَنَّم
يَقيلُونَ[٤] في جَمْر الغَضَاة وبُدِّلوا ... أُهَيْضِبَ عودًا بالوادي المكمم
فإن يَكُ ظني صَادقًا بمُحَمد ... يَروا خيلَه بينَ الصّلا وَيَرَمْرَم
يَؤمّ بها عَمرو بنُ بُهثَةَ ، إنَّهمْ ... عَدُوّ ، و[٥]ماحيّ صَديق كمُجْرم
عَلَيهنّ أبطالٌ مَساعيرُ في الوغى ... يهزون أطراف الوشيج المُقَوّم
وكُلّ رَقيق الشَّفرتَين مُهَنَّدٍ ... تُوُرِّثْنَ من[٦] أزْمان عاد وَجُرْهُم
فَمَن مُبلغٌ عني قُرَيشًا رسَالَة ... فَهَلْ بَعدَهُم في المجْد من مُتَكرّم
بأنّ أخاكم فاعلَمُنّ مُحَمَّدًا ... تَلِيدُ النَّدَىٰ بينَ الحَجُون وزَمْزَم
فَدينُوا له بالحقّ تَجْسُمْ[٧] أمُورُكم ... وتَسْمُوا منَ الدنْيا إلى كُلّ مُعْظَم
نبي تلافته[٨] من اللَّه رحمة ... ولا تَسْألُوهُ أمْرَ غَيب مُرَجَّم
فَقَدْ كانَ في بَدْرٍ لَعَمْريَ عِبرَةٌ ... لَكُم يا قُرَيش والقَليب المُلَمَّم
غَدَاةَ أتَىٰ في الخَزْرَجِيَّةِ عامِدًا ... إليكم مُطِيعًا للعَظِيم المُكَرّم

---

(٢١) - السيرة النبوية (٣/٦٨٦ - ٦٨٧) .

---

[١] - في ز ، خ: « زهوًا » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « لهم نصير».
[٣] - في ز ، خ: « السلام » .
[٤] - في ز : « يقولون » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « في » .
[٧] - في ز : « تجثم » .
[٨] - في ز : « تلاقيه » .

مُعَانًا بِرُوحِ القُدْسِ يَنْكِي عدوه رسولًا من الرحمن حقًّا بمَعْلم.
رسولًا من الرحمن يتلو كتابه فَلَمّا أنارَ الحَقّ لم يَتَلَعْثَم
أرَى أمْرَهُ يَزْدَادُ في كُلّ مَوْطن عُلُوًّا لأمْر حَمَّه اللّهُ محكم

وقد أورد ابن إسحاق - رحمه الله - هَاهنا أشعارًا كثيرة ، فيها آداب ومواعظ وحكم ، وتفاصيل للقصة ، تركنا باقيها اختصارًا واكتفاء بما ذكرناه ، ولله الحمد والمنة .

قال ابن إسحاق : كانت وقعة بني النضير بعد [وقعة أحد وبعد بئر معونة . وحكىٰ البخاري(٢٢) عن الزهري ، عن عروة ؛ أنه قال : كانت وقعة بني النضير بعد][١] بدر بستة أشهر.

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾

يقول تعالىٰ مبينًا لمال الفيء ، وما صفته ؟ وما حكمه ؟ فالفيء : كل مال أخذ من الكفار بغير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب ، كأموال بني النضير هذه ، فإنها مما لم يُوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، أي : لم يقاتلوا الأعداء فيها بالمبارزة والمصاولة ، بل نَزَل أولئك من الرعب الذي ألقىٰ الله في قلوبهم من هَيبَة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فأفاءه الله علىٰ رسوله ، ولهذا تصرف فيه كما شاء ، فردّه علىٰ المسلمين في وجوه البر والمصالح التي ذكرها الله - عز وجل - في هذه الآيات ، فقال : **﴿ وما أفاء الله علىٰ رسوله منهم ﴾** ، أي : من بني النضير ، **﴿ فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ﴾**، يعني : الإبل ، **﴿ ولكن الله يسلط رسله علىٰ من يشاء . والله علىٰ كل شيء قدير ﴾** ، أي : هو قدير لايُغالَب ولا يُمانع ، بل هو القاهر لكل شيء .

ثم قال : **﴿ ما أفاء الله علىٰ رسوله من أهل القرىٰ ﴾** ، أي : جميع البلدان التي تُفتح

(٢٢) - أخرجه البخاري في كتاب : المغازي ، باب : حديث بني النضير معلقًا .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ .

هكذا ، فحكمها حكم أموال بني النضير؛ ولهذا قال: ﴿فلله وللرسول ولذي القربىٰ واليتامىٰ والمساكين﴾ إلى آخرها والتي بعدها، فهذه مصارف أموال الفيء ووجوهه.

قال الإمام أحمد (٢٣) : حدثنا سفيان ، عن عمرو ، ومعمر ، عن الزهري ، عن مالك بن أوس بن الحَدَثان ، عن عمر - رضي الله عنه - قال : كانت أموال بني النضير مما أفاء الله علىٰ رسوله ، مما لم يُوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، فكانت لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم خاصة[١] ، فكان ينفق علىٰ أهله منها نفقة سنته - وقال مَرّة : قوت سنته - وما بقي جعله في الكُرَاع والسلاح في سبيل الله عز وجل .

هكذا أخرجه أحمد هاهنا مختصرًا ، وقد أخرجه الجماعة(٢٤) في كتبهم - إلا ابن ماجة - من حديث سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن الزهري ، به. وقد رويناه مطوّلًا فقال[٢] أبو داود(٢٥) - رحمه الله - :

حدثنا الحسن بن عليّ ، ومحمد بن يحيىٰ بن فارس - المعنىٰ واحد - قالا : حدثنا بشر ابن عُمر الزهراني ، حدثني مالك بن أنس ، عن ابن شهاب ، عن مالك بن أوس قال : أرسل إليّ عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حين تعالىٰ النهار ، فجئته فوجدته جالسًا علىٰ سرير مُفضيًا إلىٰ رُماله ، فقال حين دخلت عليه : يا مالِ ؛ إنه قد دفّ أهل أبيات من قومك ، وقد أمرت فيهم بشيء ، فاقسم فيهم . قلت : لو أمرت غيري بذلك ؟ فقال : خذه . فجاءه يرفأ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ هل لك في عثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ؟ فقال : نعم . فأذن لهم فدخلوا ، ثم جاءه يرفأ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ هل لك في العباس وعليّ ؟ قال : نعم . فأذن لهم ، فدخلوا ، فقال العباس : يا أمير المؤمنين ؛ اقض بيني وبين هذا - يعني عليًا - فقال بعضهم : أجل يا أمير المؤمنين ؛ اقض بينهما وأرحهما ، قال مالك ابن أوس : خُيِّل إليّ أنهما قَدّما أولئك النفر

(٢٣) - أخرجه أحمد (٢٥/١) .

(٢٤) - البخاري في كتاب : الجهاد ، باب : المجن ومن يتّرس بترس صاحبه ، حديث (٢٩٠٤) (٩٣/٦) . وأطرافه في [٣٠٩٤، ٤٠٣٣، ٤٨٨٥، ٥٣٥٧، ٥٣٥٨، ٦٧٢٨، ٧٣٠٥] . ومسلم في كتاب الجهاد والسير باب حكم الفئ حديث (١٧٥٧/٤٨) (١٠٣/١٣) . وأبو داود في كتاب : الخراج والإمارة والفئ ، باب : في صفايا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الأموال ، حديث (٢٩٦٥) (١٤١/٣) . والترمذي في كتاب : الجهاد ، باب : ما جاء في الفئ ، حديث (١٧١٩) (٣٩/٦) . والنسائي (١٣٢/٧) في كتاب قسم الفئ .

(٢٥) - أخرجه أبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفئ ، باب : صفايا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث (٢٩٦٣) (١٣٩/٣ - ١٤٠) ورجال إسناده ثقات .

[١] - في ت : « خالصة » . [٢] - في ز ، خ: « وقال » .

لذلك . فقال عمر -رضي الله عنه- : اتئدا[١] ، ثم أقبل علىٰ أولئك الرهط فقال : أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض ، هل تعلمون أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلّم قال : « **لا نُورث ، ماتركنا صدقة** » ؟ قالوا : نعم . ثم أقبل علىٰ عليّ والعباس فقال : أنشدُكما بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض ، هل[٢] تعلمان أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: « **لانورث ، ماتركنا صدقة** » ؟ فقالا: نعم . فقال: فإن الله خَصَّ رسوله بخاصة لم يخص بها أحدًا من الناس ، فقال : ﴿ **وما أفاء الله علىٰ رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكنّ الله يسلّط رُسُلَه علىٰ من يشاء، والله علىٰ كل شيء قدير** ﴾ . فكان الله أفاء علىٰ رسوله أموال[٣] بني النضير ، فوالله ما استأثر بها عليكم ولا أحرزها دونكم ، فكان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يأخذ منها نفقة سنة - أو : نفقته ونفقة أهله سنة - ويجعل ما بقي أسوة المال ، ثم أقبل عَلَى أولئك الرهط فقال : أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض : هل تعلمون ذلك ؟ قالوا : نعم . ثم أقبل علىٰ عليّ والعباس فقال : أنشدُكما بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض : هل تعلمان ذلك ؟ قالا : نعم . فلما تُوفي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ قال أبو بكر : أنا وليّ رسول الله ، فجئت أنت وهذا إلىٰ أبي بكر ، تطلب أنت ميراثك من ابن أخيك ، ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها ، فقال أبو بكر -رضي الله عنه- : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لانورث ، ماتركنا صدقة** » . والله يعلم إنه لصادق بار راشد متابع[٤] للحق . فوليها أبو بكر ، فلما توفي قلتُ : أنا وَليّ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ووليّ أبي بكر ، فَوليتها ما شاء الله أن أليها ، فجئتَ أنت وهذا ، وأنتما جميع وأمركما واحد ، فسألتمانيها ، فقلت : إن شئتما فأنا أدفعها إليكما علىٰ أن عليكما عهد الله أن تلياها بالذي كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يليها ، فأخذتماها مني علىٰ ذلك ، ثم جئتماني لأقضي بينكما بغير ذلك ، والله لا أقضي بينكما بغير ذلك حتىٰ تقوم الساعة ، فإن عَجَزتُما عنها فرُدّاها إليّ .

أخرجوه(٢٦) من حديث الزهري[٥] به .

(٢٦) - أخرجه البخاري في كتاب : فرض الخمس ، باب : فرض الخمس ، حديث (٣٠٩٤) (٦/١٩٧ - ١٩٨) . وأطرافه في [٤٠٣٣، ٥٣٥٨، ٦٧٢٨، ٧٣٠٥] . ومسلم في كتاب : الجهاد والسير ، باب : حكم الفيء ، حديث (٤٩، ١٧٥٧/٥٠) (١٢/١٠٤ - ١٠٩) ، وأبو داود (٢٩٦٣، ٢٩٦٤) . والترمذي مختصرًا في كتاب : السير ، باب : ما جاء في تركة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حديث (١٦١٠) (٥/٣٣٢ - ٣٣٣) . وكذا النسائي في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **ما أفاء الله على رسوله** ﴾ ، حديث (١١٥٧٥) (٦/٤٨٣ - ٤٨٤) . قال الترمذي : حسن صحيح غريب .

[١] - في ز ، خ: « اتئد » .

[٢] - سقط من : ز، خ .

[٣] - سقط من : ز ، خ.

[٤] - في ت : « تابع » .

[٥] - في ز ،خ: « الترمذي » .

وقال الإمام أحمد(٢٧) :

حدثنا عارم وعفان؛ قالا : حدثنا معتمر ، سمعت أبي يقول : حدثنا أنس بن مالك ، عن نبي الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ أن الرجل كان يجعل له من ماله النخلات ، أو كما شاء الله ، حتىٰ فُتحت عليه قريظة والنضير . قال : فجعل يَرُدّ بعد ذلك ، قال : وإن أهلي أمروني أن آتي النبي صلىٰ الله عليه وسلم فأسأله الذي كان أهله أعطوه أو بعضه ، وكان نبي الله صلىٰ الله عليه وسلم قد أعطاه أم أيمن ، أو كما شاء الله ، قال : فسألتُ النبي صلىٰ الله عليه وسلم فأعطانيهن ، فجاءت أم أيمن فجعلت الثوبَ في عنقي ، وجعلت تقول : كلا ، والله الذي لا إله إلا هو لا يُعطيكهن وقد أعطانيهن[١] - أو كما قالت - فقال نبي الله : « **لك كذا وكذا** » . قال : وتقول : كلا ، والله . قال : ويقول : « **لك كذا وكذا** » . قال : وتقول : كلا والله . قال : ويقول : « **لك كذا وكذا** » . قال : حتىٰ أعطاها ، حسبت أنه قال : عشرة أمثاله ، أو قال : قريبًا من عشرة أمثاله ، أو كما قال .

رواه البخاري ومسلم(٢٨) من طرق[٢] عن معتمر ، به .

وهذه المصارف المذكورة في هذه الآية هي المصارف المذكورة في خُمس الغَنيمة . وقد قدمنا الكلام عليها في « **سورة الأنفال** » بما أغنىٰ عن إعادته هاهنا ، ولله الحمد .

وقوله : ﴿ **كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم** ﴾ أي : جعلنا هذه المصارف لمال الفيء لئلا يبقىٰ مأكلة يتغلب عليها الأغنياء ويتصرفون فيها ، بمحض الشهوات والآراء ، ولا يصرفون منه شيئًا إلىٰ الفقراء .

وقوله : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ . أي : مهما أمركم به فافعلوه ، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه ، فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهىٰ عن شر .

قال ابن أبي حاتم (٢٩) : حدثنا يحيىٰ بن أبي طالب ، حدثنا عبد الوهاب ، حدثنا سعيد[٣] ، عن قتادة ، عن الحسن العُرني[٤] ، عن يحيىٰ بن الجزار ، عن مسروق؛ قال :

(٢٧) - أخرجه أحمد (٢١٩/٣) (١٣٥٨) .

(٢٨) - البخاري في كتاب : المغازي ، باب : مرجع النبي - صلى الله عليه وسلم - من الأحزاب ، حديث (٤١٢٠) (٤١٠/٧ - ٤١١) . ومسلم في كتاب : الجهاد والسير ، باب : رد المهاجرين إلى الأنصار منائحهم من الشجر والثمر حين استغنوا عنها بالفتوح ، حديث (١٧٧١/٧١) (١٤٤/١٢) .

[١] - في ز ،خ : « فأعطاني » .

[٢] - في ز ، خ: « طريق » .

[٣] - في ز ، خ: « معبد » .

[٤] - في ز ، خ: « العوى » . وفي ت : العوفي .

جاءت امرأة إلىٰ ابن مسعود فقالت : بلغني أنك تنهىٰ عن الواشمة والواصلة ، أشيء وجدته في كتاب اللّٰه أو عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ؟ [قال : بلىٰ ، شيء وجدته في كتاب اللّٰه وعن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم][١]. قالت : واللّٰه لقد تصفحتُ مابين دفتي المصحف فما وجدت الذي تقول ! قال : فما وجدتِ فيه : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ ؟ قالت : بلىٰ . قال : فإني سمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ينهىٰ عن الواصلة والواشمة والنامصة . قالت : فلعله في بعض أهلك ؛ قال : فادخلي فانظري . فدخلَت فنَظَرت[٢] ثم خرجت ، قالت : مارأيت بأسًا . فقال لها : أما حفظت وصية العبد الصالح : ﴿ **وما أريد أن أخالفكم إلىٰ ما أنهاكم عنه** ﴾.

وقال الإمام أحمد(٣٠) : حدثنا عبد الرحمن، حدثنا سفيان عن منصور عن [إبراهيم عن][٣] علقمة ، عن عبد اللّٰه - هو ابن مسعود - قال : لعن اللّٰه الواشمات والمستوشمات ، والمتنمصات ، والمتَفَلجات للحُسْن ، المغَيِّرات خلق اللّٰه عز وجل . قال : فبلغ امرأة في البيت يقال لها « **أم يعقوب** » فجاءت إليه فقالت : بلغني أنك قلت كيتَ وكيتَ . قال : مالي لا ألعن مَن لعن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وفي كتاب اللّٰه . فقالت : إني لأقرأ ما بين لوحَيه فما وجدته . فقال : إن كنت قرأتيه فقد وجدتيه ، أما قرأت : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا** ﴾ ؟ قالت : بلىٰ . قال : فإن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم نهىٰ عنه . قالت : إني لأظن أهلك يفعلونه . قال : اذهبي فانظري ، فذَهَبتْ فلم تر من حاجتها شيئًا ، فجاءت فقالت : ما رأيتُ شيئًا . قال : لو كانت كذلك لم تُجامعنا . أخرجاه في الصحيحين(٣١) من حديث سفيان الثوري.

وقد ثبت في الصحيحين(٣٢) أيضًا عن أبي هُرَيَرة أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم، قال : « **إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه** ».

---

(٢٩) - في إسناده الحسن العوفي : ضعيف لكن يشهد له ما بعده .

(٣٠) - أخرجه أحمد (١/٤٣٣ - ٤٣٤) (٤١٢٩) .

(٣١) - البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه** ﴾ ، حديث (٤٨٨٦) (٨/ ٦٣٠) . وأطرافه في [٤٨٨٧، ٥٩٣١، ٥٩٣٩، ٥٩٤٣، ٥٩٤٨] . ومسلم في كتاب : اللباس والزينة ، باب : تحريم فعل الواصلة والمستوصلة ، حديث (٢١٢٥/١٢٠) (١٤/١٥٠ - ١٥٢) .

(٣٢) - أخرجه البخاري في كتاب : الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب : الاقتداء بسنن رسول الله ، حديث (٧٢٨٨) (١٣/٢٥١) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ،، خ [٢] - سقط من : ز، خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

وقال النسائي (٣٣) : أخبرنا أحمد بن سعيد ، حدثنا يزيد ، حدثنا منصور بن حيان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عُمَر ، وابن عباس ؛ أنهما شهدا علىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ؛ أنه نهىٰ عن الدُّباء والحَنْتَم والنَّقير والمزَفَّت ، ثم تلا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه ، ومانهاكم عنه فانتهوا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **واتقوا اللّٰه إن اللّٰه شديد العقاب** ﴾ ، أي : اتقوه في امتثال أوامره وترك زواجره ؛ فإنه شديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره وأباه ، وارتكب ما عنه زَجَره ونهاه .

لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾

يقول تعالى مبيّنًا حال الفقراء المستحقين لمال الفيء إنهم ﴿ **الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلًا من اللّٰه ورضوانًا** ﴾ ، أي : خرجوا من ديارهم وخالفوا قومهم ابتغاءَ مرضاة اللّٰه ورضوانه ، ﴿ **وينصرون اللّٰه ورسوله أولئك هم الصادقون** ﴾ ، أي : هؤلاء الذين صَدَّقوا قولهم بفعلهم ، وهؤلاء هم سادات المهاجرين .

ثم قال تعالىٰ مادحًا للأنصار ، ومبينًا فضلهم وشرفهم وكرمهم وعدم حَسَدهم ، وإيثارهم مع الحاجة ، فقال : ﴿ **والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم** ﴾ ، أي : سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين، وآمنوا قبلَ كثير منهم .

= ومسلم في كتاب : الفضائل ، باب : توقير رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، حديث (١٣٠، ١٣٧/١٣١) (١٥٩/١٥ – ١٦٠) بنحو هذا اللفظ .

(٣٣) – أخرجه النسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه** ﴾ ، حديث (١١٥٧٨) وإسناده رجاله ثقات .

قال عمر : وأوصي الخليفة بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ، ويحفظ لهم كرامتهم . وأوصيه بالأنصار خيرًا ، الذين تَبوّءوا الدار والإيمان من قبل ، أن يقبل من محسنهم ، وأن يعفو عن مسيئهم . رواه البخاري هاهنا أيضًا(٣٤) .

وقوله : ﴿ **يحبون من هاجر إليهم** ﴾ ، أي : مِنْ كَرَمهم وشرف أنفسهم ، يحُبّون المهاجرين ويواسونهم بأموالهم .

قال الإمام أحمد(٣٥) : حدثنا يزيد ، أخبرنا حميد، عن أنس؛ قال : قال المهاجرون : يا رسول اللهَ، ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسنَ مواساةً في قليل ولا أحسنِ بذلًا في كثير، لقد كفونا المُؤْنَةَ، وأشركونا في المهنأ[١] ، حتىٰ لقد خَشينا أن يذهبوا بالأجر كله ! قال : « **لا ، ما أثنيتم عليهم، ودعوتم الله لهم** ». لم أره في الكتب من هذا الوجه .

وقال البخاري (٣٦) : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا سفيان ، عن يحيىٰ بن سعيد ، سمع أنس بن مالك حين خرج معه إلىٰ الوليد؛ قال : دعا النبي صلىٰ الله عليه وسلم الأنصار أن يُقطِعَ لهم البحرين ، قالوا : لا ، إلا أن تُقطع لإخواننا من[٢] المهاجرين مثلها .

قال : « **إما لا ، فاصبروا حتى تلقوني، فإنه سيصيبكم بعدي[٣] أثرة** ». تفرد به البخاري من هذا الوجه .

وقال البخاري(٣٧) : حدثنا الحكم بن نافع ، أخبرنا شعيب ، حدثنا أبو الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هُرَيرة؛ قال : قالت الأنصار : اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل . قال : لا . فقالوا : تكفونا المؤنَةَونَشرَكْكم في الثمرة ؟ قالوا : سمعنا وأطعنا . تفرد به دون مسلم .

---

(٣٤) - أخرجه البخاري في « فضائل الصحابة » ، باب : قصة البيعة ، حديث (٣٧٠٠) (٧/٥٩ - ٦٣) في حديث طويل .

(٣٥) - أخرجه أحمد (٣/٢٠٠) (١٣٠٩٨) . وإسناده ثقات ، رجال الصحيح . وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٢١٧) . وأخرجه أبو داود (٤٨١٢) ، والترمذي (٢٤٨٩) وغيرهما عن أنس من طرق بنحوه .

(٣٦) - أخرجه البخاري في كتاب : مناقب الأنصار ، باب : قول النبي - صلى الله عليه وسلم - للأنصار : « **اصبروا حتى تلقوني على الحوض** » ، حديث (٣٧٩٤) (٧/١١٧) .

(٣٧) - أخرجه البخاري في كتاب : الحرث والمزارعة ، باب : إذا قال : اكفنى مؤونة النخل وغيره وتشركنى في التمر ، حديث (٢٣٢٥) (٥/٨) .

---

[١] - في ز ، خ: « الهنا » .

[٢] - سقط من : ز ، خ.

[٣] - سقط من : ز، خ .

﴿ ولايجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ﴾ ، أي : ولايجدون في أنفسهم حسَدًا للمهاجرين فيما فضلهم اللّٰه به من المنزلة والشرف ، والتقديم في الذكر والرتبة .

قال الحسن البصري : ﴿ولا يجدون في صدورهم حاجة﴾ يعني الحسد .

﴿ مما أوتوا ﴾ قال قتادة : يعني فيما أعطي إخوانهم . وكذا قال ابن زيد . ومما يستدل به علىٰ هذا المعنىٰ مارواه الإمام أحمد حيث قال :

حدثنا عبد الرزاق (٣٨) ، حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن أنس ؛ قال : كنا جُلوسًا مع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ؛ فقال : « يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة » . فطلع رجل من الأنصار تَنطُف لحيته من وضوئه ، قد تَعَلَّق نعليه بيده الشمال ، فلما كان الغد قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم مثل ذلك ، فطلع ذلك الرجل مثل[١] المرة الأولىٰ ، فلما كان في اليوم الثالث قال رسول اللّٰه – صلىٰ اللّٰه عليه وسلم – مثل مقالته أيضًا ، فطلع ذلك الرجل علىٰ مثل حاله الأولىٰ ، فلما قام رسولُ اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم تبعه عبد اللّٰه بن عمرو بن العاص ، فقال : إني لاحيت أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثًا ، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتىٰ تمضي فعلتُ[٢] . قال : نعم . قال أنس : فكان عبد اللّٰه يحدث أنه بات معه تلك الثلاث الليالي ، فلم يره يقوم من الليل شيئًا ، غير أنه إذا تَعار وتقلب علىٰ فراشه ، ذكر اللّٰه وكبر ، حتىٰ يقوم لصلاة الفجر . قال عبد اللّٰه : غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرًا ، فلما مضت الثلاث ليال وكدت أن أحتقر عمله ، قلت : يا عبد اللّٰه ، لم يكن بيني وبين أبي غَضَب ولا هَجْر[٣] ، ولكن سمعت رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم – يقول لك ثلاث مرات : « يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة » . فطلعت أنت الثلاث المرات[٤] ، فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملكَ فأقتديَ به ، فلم أرك تعمل كثير عمل ، فما الذي بلغ بك ما قال رسولُ اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ؟ قال : ماهو إلا ما رأيت . فلما وليت دعاني فقال : ماهو إلا ما رأيت ، غير أني لا[٥] أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشًا ، ولا أحسُد أحدًا علىٰ خير أعطاه اللّٰه إياه . قال عبد اللّٰه : هذه التي بلغت بك وهي التي لا تطاق .

ورواه النسائي (٣٩) في اليوم والليلة عن سُوَيد بن نصر ، عن ابن المبارك ، عن معمر ، به .

(٣٨) – أخرجه أحمد (٣/١٦٦) (١٢٧٢٠) وإسناده صحيح .

(٣٩) – أخرجه النسائي في الكبرى في « عمل اليوم والليلة ، باب : ما يقول إذا انتبه من منامه ، =

[١] – في ز ، خ: « قبل » .

[٢] – بياض في : ز .

[٣] – في ز ، خ: « هجرة » .

[٤] – في ت : « المرار » .

[٥] – في ز ، خ: « لم » .

وهذا إسناد صحيح علىٰ شرط الصحيحين ، لكن رواه عقيل وغيره عن الزهري ، عن رجل ، عن أنس[٤٠] ، فالله أعلم .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم[٤١] في قوله : ﴿ **ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا** ﴾ . يعني مما أوتوا : المهاجرون . قال : وتكلم في أموال بني النضير بعض من تكلم في الأنصار ، فعاتبهم الله في ذلك ، فقال : ﴿ **وما أفاء الله علىٰ رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله علىٰ من يشاء . والله علىٰ كل شيء قدير** ﴾ . قال : وقال رسول الله : « **إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد، وخرجوا إليكم** » . فقالوا : أموالنا بيننا قطائع . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أو غير ذلك ؟** » . قالوا : وما ذاك يا رسول الله ؟ قال : « **هم قوم لايعرفون العمل ، فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر** » . فقالوا : نعم يا رسول الله .

وقوله : ﴿ **ويؤثرون علىٰ أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** ﴾ ، يعني : حاجة ، أي : يقدمون المحاويج علىٰ حاجة أنفسهم ، ويبدءون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلىٰ ذلك .

وقد ثبت في الصحيح[٤٢] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **أفضل الصدقة جهد المقل** » . وهذا المقام أعلىٰ من حال الذين وَصَفَ الله بقوله : ﴿ **ويطعمون الطعام علىٰ حُبّه** ﴾ . وقوله : ﴿ **وآتىٰ المال على حبه** ﴾ فإن هؤلاء يتصدقون وهم يحبون ما تصدقوا به ، وقد لايكون لهم حاجة إليه ولا ضرورة به ، وهؤلاء آثروا علىٰ أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم إلىٰ ما أنفقوه . ومن هذا المقام تصدق الصديق - رضي الله عنه - بجميع ماله ، فقال له رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما أبقيت لأهلك ؟** » فقال : أبقيت لهم الله ورسوله . وهذا الماء الذي عُرض علىٰ عكرمة وأصحابه يوم اليرموك ، فكل منهم يأمر بدفعه إلىٰ صاحبه ، وهو جريح مثقل أحوج مايكون إلىٰ الماء ، فرده الآخر إلىٰ الثالث ، فما وصل إلىٰ الثالث حتىٰ ماتوا عن آخرهم ولم يشربه أحد منهم ، رضي الله عنهم وأرضاهم .

= حديث (١٠٦٩٩) (٢١٥/٦ - ٢١٦) .

(٤٠) - أورده المصنف في « البداية والنهاية » (٨٠/٨ - ٨١) وعزاه إلى أبي يعلى من طريق حرملة عن ابن وهب عن حيوة عن عقيل عن ابن شهاب قال : حدثني من لا أتهم عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - فذكر نحوه ، وفيه راوٍ لم يسم لكن يشهد له ما قبله .

(٤١) - أخرجه الطبري (٤١/٢٨ - ٤٢) .

(٤٢) - أخرجه أحمد (٤١١/٣ - ٤١٢) ، وأبو داود في كتاب : الصلاة ، حديث (١٤٤٩) (٦٩/٢) . والنسائي (٥٨/٥) كتاب : الزكاة ، باب : جهد المقل ، والدارمي في كتاب : الصلاة ، باب : أي الصلاة أفضل ، حديث (١٤٣١) (٢٧١/١ - ٢٧٢) كلهم من حديث عبد الله بن جحش .

وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٢٨٦) . والحديث أخرجه أحمد (٣٥٨/٢) ، وأبو داود (١٦٧٧) (١٢٩/٢) كلاهما من حديث أبي هريرة وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٤٧١) .

وقال البخاري (٤٣) : حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن كثير ، حدثنا أبو أسامة ، حدثنا فُضَيل ابن غَزوان ، حدثنا أبو حازم الأشجعي ، عن أبي هُرَيرة قال : أتىٰ رجل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ، أصابني الجهدُ ، فأرسل إلىٰ نسائه فلم يجد عندهنَّ شيئًا ، فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **ألا رجل يُضَيِّفُ هذا الليلة ، رحمه الله ؟** » فقام رجل من الأنصار فقال : أنا يا رسول الله ؛ فذهب إلىٰ أهله فقال لامرأته : ضيفُ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لا تدخريه شيئًا . فقالت : والله ما عندي إلا قوتُ الصِّبية . قال : فإذا أراد الصبيةُ العَشاءَ فنوّميهم وتعالي فأطفئي السراج ونطوي بطوننا الليلة. ففعلت، ثم غدا الرجل علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم - فقال : « **لقد عجب الله - عز وجل - أو : ضحك من فلان وفلانة** ». وأنزل الله - عز وجل - : ﴿ **ويؤثرون علىٰ أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** ﴾. وكذا رواه البخاري في موضع آخر(٤٤) ، ومسلم(٤٥) والترمذي(٤٦) والنسائي(٤٧) من طرق ، عن فضيل بن غزوان ، به ، نحوه . وفي رواية لمسلم(٤٨) تسمية هذا الأنصاري بأبي طلحة ، رضي الله عنه .

وقوله : ﴿ **ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾ ، أي : من سلم من الشح فقد أفلح وأنجح .

قال أحمد(٤٩) : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا داود بن قيس الفراء عن[١] عبيد الله بن مقسم ، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **إياكم والظّلم، فإن الظلم ظلماتٌ يوم القيامة ، واتقوا الشح ، فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم علىٰ أن سفكوا[٢] دماءهم واستحلوا محارمهم** ». انفرد بإخراجه مسلم(٥٠) ، فرواه عن

---

(٤٣) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **ويؤثرون على أنفسهم** ﴾ ، حديث (٤٨٨٩) (٨/ ٦٣١) .

(٤٤) - أخرجه البخاري في كتاب : مناقب الأنصار ، باب (١٠) ، حديث (٣٧٩٨) (١١٩/٧) .

(٤٥) - مسلم في كتاب : الأشربة ، باب : إكرام الضيف وفضل إيثاره ، حديث (١٧٢، ١٧٣/ ٢٠٥٤) (١٧/١٤ - ١٩) .

(٤٦) - الترمذي في كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الحشر ، حديث (٣٣٠١) (٤٣/٩) وقال : حسن صحيح .

(٤٧) - النسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **ويؤثرون على أنفسهم** ﴾ ، حديث (١١٥٨٢) (٤٨٦/٦) .

(٤٨) - أخرجه مسلم في الموضع السابق برقم (١٧٣م/٢٠٥٤) (١٩/٧) .

(٤٩) - أخرجه أحمد (٣٢٣/٣) (١٤٥٠٣) .

---

[١] - في ز ، خ: « و » . [٢] - في ز ، خ: « يسفكوا » .

القعنبي عن داود بن قيس ، به .

وقال الأعمش وشعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد اللَّه بن الحارث ، عن زهير بن الأقمر ، عن عبد اللَّه بن عمرو ؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **اتقوا الظلم ؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الفحش ، فإن اللَّه لا يحب الفحش ولا التفحش ، وإياكم والشح ؛ فإنه أهلَكَ من كان قبلكم ، أمرهم بالظلم فظلموا ، وأمرهم بالفجور ففجروا ، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا** » .

ورواه أحمد(٥١) وأبو داود(٥٢) ، من طريق شعبة . والنسائي(٥٣) من طريق الأعمش كلاهما عن عمرو بن مرة ، به .

وقال الليث(٥٤) عن يزيد [ابن الهاد][١] عن سهيل بن أبي صالح عن صفوان بن أبي يزيد عن القعقاع بن اللجلاج[٢] ، عن أبي هُريرة أنه سمع رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « **لا يجتمع غبار في سبيل اللَّه ودُخانُ جهنم في جوف عبد أبدًا ، ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدًا** » .

وقال ابن أبي حاتم (٥٥) : حدثنا أبي ، حدثنا عبدة بن سليمان ، أخبرنا ابن المبارك ،

---

(٥٠) - مسلم في كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : تحريم الظلم ، حديث (٢٥٧٨/٥٦) .

(٥١) - أخرجه أحمد (١٥٩/٢ - ١٦٠) .

(٥٢) - أبو داود في كتاب : الزكاة ، باب : في الشح ، حديث (١٦٩٨) (١٣٣/٢) مختصرًا .

(٥٣) - النسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **ومن يوق شح نفسه** ﴾ ، حديث (١١٥٨٣) (٤٨٦/٦) . وفي إسناده أبو كثير الزبيدي ، قال الحافظ : مقبول . لكن يشهد له ما قبله . وقد صححه العلامة أحمد شاكر في تعليقه على المسند ، والألباني في صحيح سنن أبي داود (١٤٨٩) .

(٥٤) - أخرجه النسائي في الكبرى : كتاب الجهاد ، باب : فضل من عمل في سبيل الله على قدميه ، حديث (٤٣٢٠) (١٠/٣) ، وفي الصغرى (١٣/٦ - ١٤) كتاب : الجهاد ، باب : فضل من عمل في سبيل الله على قدميه . وفي إسناده القعقاع بن اللجلاج وهو مجهول . وللحديث طريق آخر عند أحمد (٣٤٠/٢) ، والنسائي (١٢/٦ - ١٣) من طريق الليث وهو ابن سعد عن ابن عجلان عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعًا بنحوه . وإسناده حسن من أجل محمد بن عجلان فهو صدوق اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة . والحديث صححه ابن حبان (٣٢٥١) . وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٢٩١٠ - ٢٩١٨) .

(٥٥) - إسناده ثقات غير المسعودي فإنه كان اختلط . وأخرجه الطبري (٤٣/٢٨) أيضًا من طريق المسعودي . وذكره الهيثمي في المجمع (١٢٥/٧ - ١٢٦) وقال : رواه الطبراني عن شيخه عبد الله بن محمد بن أبي مريم وهو ضعيف .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من ت . [٢] - في ز، خ : « الجلاح » .

حدثنا المسعودي ، عن جامع بن شداد[١] ، عن الأسود بن هلال ؛ قال : جاء رجل إلىٰ عبد الله فقال : يا أبا عبد الرحمن ؛ إني أخاف أن أكون قد هلكت ! فقال له عبد الله : وما ذاك ؟ قال : سمعت الله يقول : ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ وأنا رجل شحيح ، لا أكاد أن أخرج من يدي شيئًا ! فقال عبد الله : ليس ذلك بالشح الذي ذكر الله في القرآن ، إنما الشح الذي ذكر الله في القرآن أن تأكل مال أخيك ظلمًا ، ولكن ذلك البخل ، وبئس الشيء البخل .

وقال سفيان الثوري : عن طارق بن عبد الرحمن ، عن سعيد بن جبير ، عن أبي الهياج الأسدي ؛ قال : كنت أطوف بالبيت ، فرأيت رجلاً يقول : اللَّهم ؛ قني شح نفسي . لا يزيد علىٰ ذلك ، فقلت له ، فقال : إني إذا وقيت شح نفسي لم أسرق ولم أزن ولم أفعل - وإذا الرجل عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - . ورواه ابن جرير(٥٦) .

وقال ابن جرير (٥٧) : حدثني محمد بن إسحاق ، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي ، حدثنا إسماعيل بن عَياش[٢] ، حدثنا مُجمع بن جارية[٣] الأنصاري ، عن [عمه يزيد بن جارية][٤] ، عن أنس بن مالك ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « بَرِئَ من الشح مَن أدّىٰ الزكاة وقَرَىٰ الضيف ، وأعطىٰ في النائبة » .

وقوله : ﴿ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولاتجعل في قلوبنا غلًا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم ﴾ : هؤلاء هم القسم الثالث ممن يستحق فقراؤهم من مال الفيء ، وهم المهاجرون ، ثم الأنصار ، ثم التابعون بإحسان ، كما قال في آية براءة : ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ﴾ ، فالتابعون لهم بإحسان هم : المتبعون لآثارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة ، الداعون لهم في السر والعلانية . ولهذا قال في هذه الآية الكريمة : ﴿ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ﴾ ، أي : قائلين : ﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلًا ﴾ ، أي : بغضًا وحسدًا ﴿ للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم ﴾ . وما أحسن ما استنبط الإمام مالك من هذه الآية الكريمة : أن الرافضي الذي

(٥٦) - أخرجه الطبري (٤٣/٢٨) وإسناده حسن من أجل طارق بن عبد الرحمن فهو صدوق له أوهام ، وروى له الجماعة .

(٥٧) - أخرجه الطبري (٤٣/٢٨ - ٤٤) . وفي إسناده إسماعيل بن عياش وفي روايته عن الحجازيين ضعف .

[١] - في ز ،خ: « سواد » . [٢] - في ز ، خ: « عباس » .

[٣] - في ز ، خ : « حارثة » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « عمر بن زيد بن حارثة » .

يسبّ الصحابة ليس له في مال الفيء نصيب لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء في قولهم : ﴿ **ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولاتجعل في قلوبنا غلًّا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم** ﴾ وقال ابن أبي حاتم (٥٨) : حدثنا موسىٰ ابن عبد الرحمن المسروقي ، حدثنا محمد بن بشر ، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر ، عن أبيه ، عن عائشة أنها قالت : أمروا أن يستغفروا لهم ، فسبوهم ! ثم قرأت هذه الآية : ﴿ **والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإِخواننا الذين سبقونا بالإِيمان** ﴾ ... الآية .

وقال إسماعيل بن عليّة (٥٩) : عن عبد الملك بن عمير ، عن مسروق ، عن عائشة ؛ قالت : أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد صلىٰ الله عليه وسلم ، فسببتموهم . سمعتُ نبيكم صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **لاتذهب هذه الأمة حتىٰ يلعن آخرها أولها** » . ورواه البغوي .

وقال أبو داود (٦٠) : حدثنا مُسَدَّد ، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا أيوب ، عن الزهري قال : قال عمر - رضي الله عنه - : ﴿ **و**[١]**ما أفاء الله علىٰ رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب** ﴾ - قال الزهري - : قال عمر : هذه لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم خاصة ، قُرىٰ[٢] عربية : فدك[٣] وكذا فما أفاء الله علىٰ رسوله من أهل القرىٰ فلله وللرسول ولذي القربى واليتامىٰ والمساكين وابن السبيل ، وللفقراء الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، ﴿ **والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم** ﴾ ، ﴿ **والذين جاءوا من بعدهم** ﴾ ، فاستوعبت هذه الآية الناس ، فلم يبق أحد من المسلمين إلا له فيها حق - قال أيوب : أو قال : حظ - إلا بعض من تملكون من أرقائكم . كذا رواه أبو داود ، وفيه انقطاع .

وقال ابن جرير (٦١) : حدثنا ابن عبد الأعلىٰ ، حدثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن أيوب ، عن عكرمة بن خالد ، عن مالك بن أوس بن الحَدَثَان قال : قرأ عمر بن الخطاب : ﴿ **إنما**

(٥٨) - في إسناده إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر : ضعيف .

(٥٩) - عبد الملك بن عمير ثقة ، إلا أنه مدلس . ذكره ابن حجر في الطبقة الثالثة من طبقات المدلسين ، وبقية إسناده ثقات .

(٦٠) - أخرجه أبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب : في تدوين العطاء ، حديث (٢٩٦٦) (٣/ ١٤١) ، والزهري لم يسمع من عمر - رضي الله عنه - .

(٦١) - أخرجه الطبري (٢٨/ ٣٧) وإسناده ثقات .

[١] - سقط من : ز ، خ.

[٢] - في ز : « قراى » .

[٣] - سقط من : ز ، خ.

الصدقات للفقراء والمساكين ﴾ حتىٰ بلغ ﴿ **عليم حكيم** ﴾ ، ثم قال : هذه لهؤلاء ، ثم قرأ : ﴿ **واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربىٰ** ﴾ الآية[١] ، ثم قال[٢] : هذه لهؤلاء ، ثم قرأ : ﴿ **ما أفاء الله علىٰ رسوله من أهل القرىٰ** ﴾ حتىٰ بلغ : ﴿ **للفقراء** ﴾ ، ﴿ **والذين تبوءوا الدار والإيمان** ﴾ ، ﴿ **والذين جاءوا من بعدهم** ﴾ ثم قال : استوعبت هذه الآية[٣] المسلمين عامة ، وليس أحد إلا له فيها حق ، ثم قال : لئن عشت ليأتين الراعي - وهو [بسير حُمُره][٤] حِميَر نصيبه فيها ، لم يعرق فيها جبينه .

۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ۖ ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾

يخبر تعالىٰ عن المنافقين كعبد الله بن أبيّ وأضرابه ، حين بعثوا إلىٰ يهود بني النضير يعدُونهم النصر من أنفسهم ، فقال تعالىٰ : ﴿ **ألم تر إلىٰ الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولانطيع فيكم أحدًا أبدًا وإن**

[١] - في ز ، خ: « هذه الآية » .
[٢] - سقط من : ز ، خ.
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز ، خ : « بسرر » . والمثبت من الطبري .

قوتلتم لننصرنكم ﴾ ، قال الله تعالىٰ : **﴿ والله يشهد إنهم لكاذبون ﴾** ، أي : لكاذبون فيما وعدوهم به إما أنهم قالوا لهم قولًا ومن نيتهم أن لايفوا لهم به ، وإما أنهم لايقع منهم الذي قالوه . ولهذا قال : **﴿ ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ﴾** ، أي : لايقاتلون معهم ، **﴿ ولئن نصروهم ﴾** أي : قاتلوا معهم **﴿ ليولن الأدبار ثم لاينصرون ﴾** ، وهذه بشارة مستقلة بنفسها .

ثم قال تعالىٰ : **﴿ لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ﴾** ، أي : يخافون منكم أكثر من خوفهم من الله ، كقوله : **﴿ إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية ﴾** ؛ ولهذا قال : **﴿ ذلك بأنهم قوم لا يفقهون ﴾** .

ثم قال : **﴿ لايقاتلونكم جميعًا إلا في قرًى مُحَصَّنة أو من وراء جُدُر[١] ﴾** ، يعني أنهم من جُبنهم وهَلَعهم لا يقدرون علىٰ مواجهة جيش الإسلام بالمبارزة والمقابلة ، بل إما في حصون أو من وراء جدار[٢] محاصرين ، فيقاتلون للدفع عنهم ضرورة .

ثم قال: **﴿ بأسهم بينهم شديد ﴾** أي: عداوتهم بينهم شديدة، كما قال: **﴿ ويذيق بعضكم بأس بعض ﴾**؛ ولهذا قال: **﴿ تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى ﴾** أي: تراهم مجتمعين فتحسبهم مؤتلفين، وهم مختلفون غاية الاختلاف[٣] .

قال إبراهيم النخعي : يعني : أهل الكتاب والمنافقين : **﴿ ذلك بأنهم قوم لايعقلون ﴾** .

ثم قال : **﴿ كمثل الذين من قبلهم قريبًا ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم ﴾** ، قال مجاهد ، والسدي ، ومقاتل بن حيان : كمثل ما أصاب كفار قريش يوم بدر وقال ابن عباس : **﴿ كمثل الذين من قبلهم ﴾** ، يعني : يهود بني قينقاع . وكذا قال قتادة ، ومحمد بن إسحاق .

وهذا القول أشبه بالصواب ، فإن يهود بني قينقاع كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أجلاهم قبل هذا .

وقوله : **﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك ﴾** يعني : مثل هؤلاء اليهود في اغترارهم [بالذين وعدوهم][٤] النصر من المنافقين ، وقول المنافقين لهم : **﴿ لئن قوتلتم لننصرنكم ﴾** ، ثم لما حقت الحقائق وجَدّ بهم الحصار والقتال ، تخلوا[٥] عنهم وأسلموهم للهلكة ، مثالهم في هذا كمثل الشيطان إذ سول

[١] - في ز ، خ: « جدار » . وهي قراءة عبد الله بن كثير ، وابي عمرو .
[٢] - في ت : « جدر » . [٣] - في ز ، خ: « الائتلاف » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « بالدين ووعدهم » [٥] - في ز : « تخلفوا » .

للإنسان - والعياذ بالله - الكفر ، فإذا دخل فيما سوله له[١] تبرأ منه وتنصل ، وقال : ﴿ إني أخاف الله رب العالمين ﴾ .

وقد ذكر بعضهم هاهنا قصة لبعض عباد بني إسرائيل هي كالمثال لهذا المثل ، لا أنها المرادة وحدها بالمثل ، بل هي منه مع غيرها من الوقائع المشاكلة لها ، فقال ابن جرير (٦٢) :

حدثنا خلاد بن أسلم ، أخبرنا النضر بن شُمَيل ، أخبرنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، سمعت عبد الله بن نَهيك ؛ قال : سمعت عليًا - رضي الله عنه - يقول : إن راهبًا تعبد ستين سنة ، وإن الشيطان أراده فأعياه ، فعمد إلى امرأة فأجَنَّها ولها إخوة ، فقال لإخوتها : عليكم بهذا القس فيداويها . قال : فجاءوا بها إليه فداواها ، وكانت عنده ، فبينما هو يومًا عندها إذ أعجبته ، فأتاها فحبلت[٢] ، فعمد إليها فقتلها ، فجاء إخوتها ، فقال الشيطان للراهب : أنا صاحبك ، إنك[٣] أعييتني ، أنا صنعت هذا بك فأطعني أنجك مما صنعت بك ، اسجد لي سجدة فسجد له ، فلما سجد له قال : إني بريء منك ، إني أخاف الله رب العالمين ، فذلك قوله : ﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين ﴾ .

وقال ابن جرير(٦٣) : حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي ، حدثنا أبي ، عن أبيه ، عن جده ، عن الأعمش ، عن عمارة ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية : ﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين ﴾ . قال : كانت امرأة ترعى الغنم ، وكان لها أربعة إخوة ، وكانت تأوي بالليل إلى صومعة راهب قال : فنزل الراهب ففجر بها ، فحملت ، فأتاه الشيطان فقال له : اقتلها ثم ادفنها ، فإنك رجل مصدق[٤] يسمع قولك . فقتلها ثم دفنها ، قال : فأتى الشيطان إخوتها في المنام فقال لهم : إن الراهب صاحب[٥] الصومعة فجر بأختكم ، فلما أحبلها قتلها ثم دفنها في مكان كذا وكذا . فلما أصبحوا قال رجل منهم : والله لقد رأيت البارحة رؤيا ما أدري أقصها عليكم أم أترك ؟ قالوا : لا بل قصها علينا ، قال : فقصها . فقال الآخر : وأنا والله لقد رأيت ذلك ! فقال الآخر : وأنا والله لقد رأيت ذلك ! فقالوا : والله[٦] ماهذا إلا لشيء ، قال : فانطلقوا فاستعدوا ملكهم على ذلك الراهب ، فأتوه

(٦٢) - أخرجه الطبري (٢٨/٤٩) وإسناده صحيح إلى عليّ - رضي الله عنه - وأبو إسحاق قد صرح بالسماع .

(٦٣) - أخرجه الطبري (٢٨/ ٤٩ - ٥٠) .

[١] - سقط من ت .

[٢] - في ت : « فحملت » .

[٣] - سقط من : ز ، خ.

[٤] - في ز ، خ: « تصدق » .

[٥] - مكررة في : ز .

[٦] - في ت : « فوالله » .

فأنزلوه ، ثم انطلقوا به فلقيه الشيطان فقال : إني أنا الذي أوقعتك في هذا ، ولن ينجيك منه غيري ، فاسجد لي سجدة واحدة وأنجيك مما أوقعتك فيه . قال : فسجد له ، فلما أتوا به ملكهم تَبَرأ منه ، وأخِذَ فقتل .

وكذا روي عن ابن عباس ، وطاوس ، ومقاتل بن حيان ، نحو ذلك . واشتهر عند كثير من الناس أن هذا العابد هو برصيصا ، والله أعلم . وهذه القصة مخالفة لقصة جُريَج العابد ، فإن جريجًا اتهمته[١] امرأة بَغِيٌّ بنفسها ، وادعت أن حملَها منه ، ورفعت أمره إلىٰ وليّ الأمر ، فأمر به فأنزل [من صومعته][٢] وخُربت صومعته وهو يقول : مالكم ؟ مالكم ؟ فقالوا : ياعدو الله فعلت بهذه المرأة كذا وكذا . فقال جريج : اصبروا . ثم أخذ ابنها وهو صغير جدًا ثم قال : ياغلام ، من أبوك ؟ فقال[٣] : أبي الراعي - وكانت قد أمكنته من نفسها فحملت منه ، فلما رأىٰ بنو إسرائيل ذلك عظموه كلهم تعظيمًا بليغًا وقالوا : نعيد صومعتك من ذهب . قال : لا ، بل أعيدوها من طين كما كانت .

وقوله : ﴿ **فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها** ﴾ ، أي : فكان عاقبة الآمر بالكفر والفاعل له ، ومصيرهما[٤] إلىٰ نار جهنم خالدين فيها ، ﴿ **وذلك جزاء الظالمين** ﴾ ، أي : جزاء كل ظالم .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ نَسُوا ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾

قال الإمام أحمد (٦٤) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن عون بن أبي جُحَيفة ، عن المنذر بن جرير ، عن أبيه ؛ قال : كنا[٥] عند رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في صدر النهار ، قال : فجاءه قوم حفاة عُرَاة محتابي النمار - أو : العَبَاء[٦] - متقلدي

(٦٤) - القصة أوردها البخاري في صحيحه بإسناده من حديث أبي هريرة في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب : قول الله : ﴿ **واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها** ﴾ ، حديث (٣٤٣٦) (٤٧٦/٦) .

[١] - في ز ، خ: « أتته » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.
[٣] - في ت : « قال » .
[٤] - في ت : « تصيرهما » .
[٥] - في ز ، خ: « كان » .
[٦] - في ز ، خ: « الغبار » .

السيوف ، عامتهم من مضر ، بل كلهم من مضر ، فتغير وجه رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم لما رأىٰ بهم من الفاقة ، قال : فدخل ثم خرج ، فأمر بلالًا فأذن وأقام الصلاة ، فصلىٰ ثم خطب ، فقال : « ﴿ يا أيها الناس؛ اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ﴾ إلىٰ آخر الآية : ﴿ إن اللّٰه كان عليكم رقيبًا ﴾ ، وقرأ الآية التي في الحشر : ﴿ ولتنظر نفس ماقدمت لغد ﴾ ، **تصدقٰ رجل من ديناره ، من درهمه ، من ثوبه ، من صاع بره ، من صاع تمره ،** » حتىٰ قال : « **ولو بشق تمرة** » .

قال : فجاء رجل من الأنصار بصُرة كادت كفه تَعجز عنها ، بل قد عجزت ، ثم تتابع الناس حتىٰ رأيت كومين من طعام وثياب ، حتىٰ رأيت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يتهلل وجهه كأنه مُذْهَبَة فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **مَن سنّ في الإِسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقُص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإِسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء** » .

انفرد بإخراجه مسلم(٦٥) ، من حديث شعبة بإسناده مثله .

فقوله تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللّٰه** ﴾ : أمر بتقواه ، وهي تشمل فعل ما أمر ، وترك ما عنه زجر .

وقوله : ﴿ **ولتنظر نفس ما قدمت لغد** ﴾ ، أي : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعَرضكم علىٰ ربكم ، ﴿ **واتقوا اللّٰه** ﴾ : تأكيد ثان ، ﴿ **إن اللّٰه خبير بما تعملون** ﴾ ، أي : اعلموا أنه عالم بجميع أعمالكم وأحوالكم ، لاتخفىٰ[١] عليه منكم خافية ، ولا يغيب عنه[٢] من أموركم جليل ولا حقير .

وقال : ﴿ **ولا تكونوا كالذين نسوا اللّٰه فأنساهم أنفسهم** ﴾ أي : لا تنسوا ذكر اللّٰه فينسيكم العمل لمصالح[٣] أنفسكم التي[٤] تنفعكم في معادكم ، فإن الجزاء من جنس العمل ؛ ولهذا قال : ﴿ **أولئك هم الفاسقون** ﴾ ، أي : الخارجون من[٥] طاعة اللّٰه ، الهالكون يوم القيامة ، الخاسرون يوم معادهم ، كما قال : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ؛ لا تلهكم**

(٦٥) - أخرجه أحمد (٣٥٨/٤ - ٣٥٩) (١٩٢٣٠) .

[١] - في ز ، خ: « يخفى » .
[٢] - في ز ، خ: « عليه » .
[٣] - في ز ، خ: « الصالح » .
[٤] - في ز، خ : « الذي » .
[٥] - في ت : « عن » .

أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون ﴾ .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني (٦٦) : حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نَجدة الحوطي ، حدثنا [أبو المغيرة] ، حدثنا حَريز[١] بن عثمان، عن نعيم بن نَمحة قال : كان في خطبة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - : أما تعلمون أنكم تغدون وتروحون لأجل معلوم ؟ فمن استطاع أن ينقضي[٢] الأجل وهو في عمل الله - عز وجل - فليفعل ، ولن تنالوا ذلك إلا بالله - عز وجل - إن قومًا جعلوا آجالهم لغيرهم ، فنهاكم الله أن تكونوا أمثالهم : ﴿ **ولاتكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم** ﴾ . أين من تعرفون من إخوانكم ؟ قدموا علىٰ ماقدموا في أيام سلفهم ، وخلوا بالشقوة والسعادة ، أين الجبارون الأولون الذين بنوا المدائن وحصونها بالحوائط ؟ قد صاروا تحت الصخر والآبار ، هذا كتاب الله لاتفنىٰ عجائبه فاستضيئوا منه ليوم ظلمة ، واستنصحوا كتابه وبيانه[٣] . إن الله أثنىٰ علىٰ زكريا وأهل بيته فقال : ﴿ **إنهم[٤] كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبًا ورهبًا وكانوا لنا خاشعين** ﴾ ، لاخير في قول لا يراد به وجه الله ولاخير في مال لاينفق في سبيل الله . ولا خير فيمن يغلب جهله حلمه ، ولا خير فيمن يخاف في الله لومة لائم .

هذا إسناد جيد ، و[٥]رجاله كلهم[٦] ثقات ، وشيخ حريز[٧] بن عثمان[٨] - وهو نعيم بن نمحة - . لا أعرفه بنفي ولا إثبات ، غير[٩] أن أبا داود السجستاني قد حكم بأن شيوخ حَريز[١٠] كلهم ثقات . وقد روي لهذه الخطبة شواهد من وجوه أخر ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة** ﴾ ، أي : لا يستوي هؤلاء وهؤلاء في حكم الله يوم القيامة ، كما قال : ﴿ **أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواءً محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون** ﴾ . وقال : ﴿ **وما يستوي الأعمىٰ والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيءُ** ﴾ . الآية . وقال : ﴿ **أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار** ﴾ . في آيات أخر دالات علىٰ أن الله سبحانه يكرم الأبرار ، ويهين الفجار ، ولهذا قال هاهنا :

(٦٦) - مسلم في كتاب الزكاة ، باب : الحث على الصدقة ولو بشق تمرة ، أو كلمة طيبة ، وأنها حجاب من النار ، حديث (١٠١٧/٦٩) (١٤٢/٧ - ١٤٥) .

[١] - في ز ، خ: « جرير » .
[٢] - في ز ، خ: « ينقص » .
[٣] - في ت : « تبيانه » .
[٤] - سقط من : ز ، خ.
[٥] - سقط من : ز، خ .
[٦] - سقط من : ز ، خ.
[٧] - في ز ، خ: « جرير » .
[٨] - في ت : « سفيان » .
[٩] - في ز ، خ: « يخبر » .
[١٠] - في ز : « جرير » .

﴿ **أصحاب الجنة هم الفائزون** ﴾ . أي : الناجون المسلمون من عذاب الله -عز وجل- .

لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

يقول تعالىٰ معظِّمًا لأمر القرآن ومبينًا علوَّ قدره ، وأنه ينبغي أن تخشع له القلوب ، وتتصدع عند سماعه لما فيه من الوعد الحق والوعيد الأكيد : ﴿ **لو أنزلنا هذا القرآن علىٰ جبل لرأيته خاشعًا متصدعًا من خشية الله** ﴾ . أي : فإذا كان الجبل في غلظه وقساوته لو أفهم[١] هذا القرآن فتدبر ما فيه ، لخشع وتصدع من خوف الله - عز وجل - فكيف يليق بكم أيها البشر أن لا تلين قلوبكم وتخشع ، وتتصدع من خشية الله ، وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه ؟ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون** ﴾ .

قال العوفي : عن ابن عباس في قوله : ﴿ **لو أنزلنا هذا القرآن علىٰ جبل...** ﴾ إلىٰ آخرها ، يقول: لو أني أنزلت هذا القرآن علىٰ جبل حمّلته إياه، لتصدع وخشع من ثقله ، ومن خشية الله . فأمر الله الناس إذا نزل عليهم القرآنُ أن يأخذوه بالخشية الشديدة والتخشع . ثم قال : كذلك يضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتفكرون . وكذا قال قتادة وابن جرير .

وقد ثبت في الحديث المتواتر(٦٧) أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لما عمل له المنبر ، وقد كان يوم الخطبة يقف إلىٰ جانب جذع من جذوع المسجد ، فلما وضع المنبر أول ما

(٦٧) - أخرجه الطبراني في الكبير (١/٦٠ - ٦١) (٣٩) .

[١] - في ت : « فهم » .

وضع ، وجاء النبي صلىٰ الله عليه وسلم ليخطب فجاوز الجذع إلىٰ نحو المنبر ، فعند ذلك حنّ الجذع وجعل يئن كما يئن الصبي الذي يُسَكَّنُ[١] ، لما كان يُسمع من الذكر والوحي عنده . ففي بعض روايات هذا الحديث : قال الحسن البصري بعد إيراده : فأنتم أحق أن تشتاقوا إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من الجذع .

وهكذا هذه الآية الكريمة ، إذا كانت الجبال الصم لو سمعت كلام الله وفهمته ، لخشعت وتصدعت من خشيته ، فكيف بكم وقد سمعتم وفهمتم ؟ وقد قال تعالىٰ : ﴿ **ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتىٰ** ﴾ . الآية. وقد تَقَدم أن معنىٰ ذلك : أي لكان هذا القرآن . وقال تعالىٰ : ﴿ **وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم** ﴾ أخبر تعالىٰ أنه الذي لا إله إلا هو فلا رب غيره ، ولا إله للوجود سواه ، وكل ما يعبد من دونه فباطل ، وأنه عالم الغيب والشهادة ، أي : يعلم جميع الكائنات المشاهَدات لنا والغائبات عنا فلا يخفىٰ عليه شيء في الأرض ولا في السماء من جليل وحقير وصغير وكبير ، حتىٰ الذر في الظلمات .

وقوله : ﴿ **هو الرحمن الرحيم** ﴾ : قد تقدم الكلام علىٰ ذلك في أول التفسير ، بما أغنىٰ عن إعادته هاهنا . والمراد : أنه ذو الرحمة الواسعة الشاملة لجميع المخلوقات ، فهو رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما ، وقد قال تعالىٰ : ﴿ **ورحمتي وسعت كل شيء** ﴾ وقال : ﴿ **كتب ربكم على نفسه الرحمة** ﴾ وقال : ﴿ **قل بفضل الله وبرحمته** [**فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون** ﴾ .

وقال : ﴿ **هو الله الذي لا إله إلّا هو الملك** ﴾ أي : المالك لجميع الأشياء، المتصرف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة.

وقوله : ﴿ **القدوس** ﴾][٢] قال وهب بن منبه : أي الطاهر . وقال مجاهد ، وقتادة : أي المبارك . وقال ابن جريج : تقدسه الملائكة الكرام .

﴿ **السلام** ﴾[٣] أي : من جميع العيوب والنقائص ؛ بكماله في ذاته وصفاته وأفعاله .

---

[١] - في ز ، خ: « سلب » .

[٢] - ما بين المعكوفتين كذا في ز، خ : « أي المالك لجميع الأشياء ، المتصريف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة . وقوله : ﴿ **هو خير مما يجمعون** ﴾ وقال : ﴿ **هو الله الذي لا إله إلا هو المالك القدوس** ﴾ .

[٣] - سقط من : ز، خ .

وقوله : ﴿ المؤمن ﴾ ، قال الضحاك ، عن ابن عباس : أمن [خلقه من][١] أن يظلمهم . وقال قتادة : أمَّن بقوله إنه حق . وقال ابن زيد : صدَّق عبادَه المؤمنين في إيمانهم به .

وقوله : ﴿ المهيمن ﴾ ، قال ابن عباس وغير واحد : أي : الشاهد علىٰ خلقه بأعمالهم ، بمعنىٰ هو رقيب عليهم ، كقوله : ﴿ والله علىٰ كل شيء شهيد ﴾ وقوله : ﴿ ثم اللَّهُ شهيد على ما يفعلون[٢] ﴾ .

وقوله : ﴿ أفمن[٣] هو قائم علىٰ كل نفس بما كسبت ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ العزيز ﴾ ، أي : الذي قد عَزّ كل شيء فقهره ، وغلب الأشياء فلا ينال جنابه ، لعزته وعظمته وجبروته وكبريائه ، ولهذا قال : ﴿ الجبار المتكبر ﴾ ، أي[٤] : الذي لا تليق الجَبَرِيّة إلا له ، ولا التكبر إلا لعظمته ، كما تقدم في الصحيح(٦٨) : « **العظمة إزاري ، والكبرياء ردائي ، فمن نازعني واحدًا منهما عذبته** » .

وقال قتادة : الجبار : الذي جبر خلقه علىٰ ما يشاء . وقال ابن جرير : الجبار : المصلح أمورَ خلقه ، المتصرف فيهم بما فيه صلاحهم .

وقال قتادة : المتكبر ، يعني : عن كل سوء. ثم قال : ﴿ سبحان اللَّه عما يشركون ﴾ .

وقوله : ﴿ هو اللَّه الخالق البارئ المصور ﴾ الخلق : التقدير ، والبَراء[٥] : هو الفري ، وهو : التنفيذ وإبراز ما قدره وقرره إلىٰ الوجود ، وليس كل من قدر شيئًا ورتبه يقدر علىٰ تنفيذه وإيجاده سوىٰ اللّه عز وجل . قال الشاعر يمدح آخر :

ولأنت تَفري ما خَلَقتَ وبعـ ـضُ القوم يَخلق ثم لا يَفْري

أي : أنت تنفذ ما خلقت ، أي : قدرت ، بخلاف غيرك فإنه لايستطيع ما يريد . فالخلق : التقدير ، والفري : التنفيذ . ومنه يقال : قدر الجلاد ثم فَرَىٰ ، أي : قطع علىٰ ما قدره بحسب ما يريده .

وقوله تعالىٰ : ﴿ الخالق البارئ المصور ﴾ ، أي : الذي إذا أراد شيئًا قال له : كن ،

---

(٦٨) - قصة حنين الجذع أخرجها البخاري في كتاب المناقب ، باب : علامات النبوة ، حديث (٣٥٨٣ - ٣٥٨٥) من حديث ابن عمر وجابر بن عبد الله - رضي الله عنهم -. وهي قصة مشهورة .

---

[١] - ما بين المعكوفتين بياض في : ز .
[٢] - في ز ، خ: « تعملون » .
[٣] - في ز : « أمَّن » .
[٤] - سقط من : ز، خ .
[٥] - في ز ، خ: « البر » .

فيكون علىٰ الصفة التي يريد ، والصورة التي يختار ، كقوله : ﴿ **في أي صورة ما شاء ركبك** ﴾، ولهذا قال : ﴿ **المصور** ﴾ ، أي : الذي ينفذ ما يريد إيجاده علىٰ الصفة التي يريدها .

وقوله : ﴿ **له الأسماء الحسنىٰ** ﴾ ، قد تقدم الكلام علىٰ ذلك في « **سورة الأعراف** » ، وذكر الحديث المروي في الصحيحين(٦٩) عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن لله تسعة وتسعين اسمًا ، مائة إلا واحدًا ، من أحصاها دخل الجنة ، وهو وتر يحب الوتر** » .. وتقدم سياق الترمذي(٧٠) وابن ماجة له(٧١) ، عن أبي هريرة أيضًا ، وزاد بعد قوله : « **وهو وتر يحب الوتر** » - واللفظ للترمذي - : « **هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن ، الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، الباريء[١] ، المصور ، الغفار ، القهار ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح ، العليم ، القابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، السميع ، البصير ، الحكم ، العدل ، اللطيف ، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العلي ، الكبير ، الحفيظ ، المقيت ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ،الرقيب ، المجيب ، الواسع ، الحكيم ، الودود ، المجيد ، الباعث ، الشهيد ، الحق ، الوكيل ، القوي ، المتين ، الولي ، الحميد ، المحصي ، المبدي ، المعيد ، المحيي ، المميت ، الحي ، القيوم ، الواجد ، الماجد ، الواحد ، الصمد ، القادر ، المقتدر ، المقدم ، المؤخر ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الوالي، المتعالي ، البر ، التواب ، المنتقم ، العفو ، الرءوف ، مالك الملك ، ذو الجلال والإكرام ، المقسط ، الجامع ، الغني ، المغني ، المانع[٢] ، الضار ، النافع ، النور ، الهادي ، البديع ، الباقي ، الوارث ، الرشيد ، الصبور** .

وسياق ابن ماجة بزيادة ونقصان ، وتقديم وتأخير ، وقد قدمنا ذلك مبسوطًا مطولًا بطرقه وألفاظه ، بما أغنىٰ عن إعادته هنا وقوله : ﴿ **[يسبح له ما في السمٰوات][٣] والأرض** ﴾ كقوله : ﴿ **تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليمًا غفورًا** ﴾ .وقوله : ﴿ **وهو العزيز** ﴾ ، أي : فلا

(٦٩) - أخرجة مسلم في كتاب : البر والصلة ، باب : « تحريم الكبر » ، حديث (٢٦٢٠/١٣٦) (١٦/ ٢٦٤) من حديث أبي سعيد وأبي هريرة بنحوه .

(٧٠) - تقدم تخريجه في تفسير سورة الأعراف ، آية (١٨٠) .

(٧١) - إسناده ضعيف وقد تقدم في الموضع السابق .

[١] - في ز ، خ : « الرازق » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : « تسبح له السموات » .

يرام جَنَابه ﴿ الحكيم ﴾ في شرعه وقدره . وقد قال الإمام أحمد (٧٢) :

حدثنا أبو أحمد الزبيري ، حدثنا خالد - يعني : ابن طهمان ، أبو العلاء[١] الخَفَّاف - حدثنا نافع بن أبي نافع ، عن مَعقل بن يسار ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **من قال حين يصبح ثلاث مرات : أعوذ باللَّه السميع العليم ، من الشيطان الرجيم ، ثم قرأ الثلاث[٢] آيات من آخر سورة الحشر ، وَكَّل اللَّه به سبعين[٣] ألف ملك يصلون عليه حتىٰ يمسي ، وإن مات في ذلك اليوم مات شهيدًا . ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة** » ورواه الترمذي(٧٣) عن محمود بن غيلان ، عن أبي أحمد الزبيري ، به ، وقال : غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه .

[آخر تفسير سورة الحشر] .

☆ ☆ ☆

(٧٢) - أخرجه أحمد (٢٦/٥) (٢٠٣٥٧) .

(٧٣) - الترمذي في كتاب : ثواب القرآن ، باب : فضل آخر سورة الحشر ، حديث (٢٩٢٣) (١٢٢/٨) . وفي إسناده خالد بن طهمان صدوق إلا أنه اختلط وضعفه الترمذي بقوله : غريب .

[١] - في ز ، خ: « المعلى » . [٢] - في ت : « ثلاث » .

[٣] - في ز ، خ: « سبعون » .

تفسير سورة الممتحنة

وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (٢) لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣)

كان سبب نزول صدر هذه السورة[١] الكريمة قصة حاطب بن أبي بلتعة ، وذلك أن حاطبًا هذا كان رجلًا من المهاجرين ، وكان من أهل بدر أيضًا ، وكان له بمكة أولاد ومال ، ولم يكن من قريش أنفسهم ، بل كان حليفًا لعثمان . فلما عزم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ فتح مكة لما نقض أهلها العهد ، فأمر النبي صلىٰ الله عليه وسلم المسلمين [بالتجهز لعدوهم][٢] ، وقال : « **اللَّهم عَمِّ عليهم خبرنا** »(١) . فعمد حاطب هذا فكتب كتابًا ، وبعثه مع امرأة من قريش إلىٰ أهل مكة ، يعلمهم بما عزم عليه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ليتخذ بذلك عندهم يدًا ، فأطلع الله رسوله علىٰ ذلك ؛ استجابة لدعائه . فبعث في أثر المرأة فأخذ الكتاب منها ، وهذا بين في الحديث المتفق علىٰ صحته ؛ قال الإمام أحمد (٢) :

(١) - أخرجه الطبراني في « الكبير » (٤٣٥/٢٣) رقم (١٠٥٢) في قصة طويلة من حديث ميمونة ، وفي الصغير (٧٣/٢ - ٧٥) . وقال الهيثمي في المجمع (١٦٧/٦) : رواه الطبراني في الصغير والكبير ، وفيه يحيى بن سليمان بن نضلة وهو ضعيف . والقصة أوردها ابن هشام في السيرة من طريق ابن إسحاق في ذكر الأسباب الموجبة المسير إلى مكة (٨٥٢/٤ وما بعدها) .

(٢) - أخرجه أحمد (٧٩/١ - ٨٠) (٦٠٠) .

[١] - في ز ، خ: « الآية » .

[٢] - في ت : « بالتجهيز لغزوهم ».

حدثنا سفيان ، عن عَمْرو[١] ، أخبرني حَسَن بن محمد بن عليّ ، أخبرني عُبيد[٢] الله ابن أبي رافع ، وقال مرة : إن عبيد الله بن أبي رافع أخبره : أنه سمع عليًا رضي الله عنه يقول : بعثني رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد ، فقال : « **انطلقوا حتىٰ تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها** »، فانطلقنا تعادي بنا خيلنا حتىٰ أتينا الروضة ، فإذا نحن بالظعينة ، قلنا : أخرجي الكتاب . قالت : ما معي كتاب . قلنا لتخرجنّ الكتاب أو ، لنلقين الثياب . قال : فأخرجت الكتاب من عقاصها ، فأخذنا الكتاب فأتينا به رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم . فإذا فيه : من حاطب بن أبي بلتعة إلىٰ ناس من المشركين بمكة ، يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ياحاطب ، ماهذا ؟** » قال : لا تعجل عليّ ، إني كنت امرأً مُلصَقًا في قريش ، ولم أكن من أنفسهم ، وكان من كان معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم بمكة ، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يدًا يحمون بها قرابتي ، وما فعلت ذلك كفرًا ولا ارتدادًا عن ديني ولا رضى[٣] بالكفر بعد الإسلام . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إنه صَدَقكم** » فقال عمر : دعني أضرب عنق هذا المنافق . فقال : « **إنه قد شهد بدرًا ، وما يدريك لَعَلّ[٤] الله اطلع إلىٰ أهل بدر فقال : اعملوا ماشئتم ، فقد غفرت لكم** » .

وكذا أخرجه الجماعة إلا ابن ماجة(٣) من غير وجه عن سفيان بن عيينة ، به .

وزاد البخاري(٤) في كتاب المغازي: فأنزل الله السورة ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء** ﴾ .

(٣) - أخرجه البخاري في كتاب الجهاد ، باب : الجاسوس ، حديث (٣٠٠٧) (١٤٣/٦) ، وأطرافه في [٣٠٨١، ٣٩٨٣، ٤٢٧٤، ٤٨٩٠، ٦٢٥٩، ٦٩٣٩] . ومسلم في كتاب : فضائل الصحابة ، باب : من فضائل أهل بدر - رضي الله عنهم - وقصة حاطب بن أبي بلتعة ، حديث (٢٤٩٤/١٦١) (٨٠/١٦ - ٨٢) . وأبو داود في كتاب : الجهاد ، باب : في حكم الجاسوس إذا كان مسلمًا ، حديث (٢٦٥٠) (٤٧/٣ - ٤٨) . والترمذي في كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الممتحنة ، حديث (٣٣٠٢) (٤٣/٩ - ٤٤) . والنسائي في الكبرى في كتاب : تفسير القرآن ، باب : قوله تعالى : ﴿ **لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء** ﴾ ، حديث (١١٥٨٥) (٤٨٧/٦) .

(٤) - أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب : غزوة الفتح ، حديث (٤٢٧٤) (٥١٩/٧) .

[١] - في ز ، خ: « عمه و» .
[٢] - في ز ، خ: « عبد » .
[٣] - في ز، خ : « أرضى » .
[٤] - في ز ، خ : « أن » .

و[١]قال في كتاب التفسير (٥) : قال عمرو : ونزلت فيه : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء** ﴾ ، قال : لا أدري الآية في الحديث أو قال عمرو . قال البخاري (٦) : قال عليّ - يعني : ابن المديني - : قيل لسفيان : في هذا نزلت : ﴿ **لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء** ﴾ ؟ فقال سفيان : هذا في حديث الناس ، حفظته من عمرو ، ما تركت منه حرفًا ، وما أرىٰ أحدًا حفظه غيري . وقد أخرجاه في الصحيحين(٧) من حديث حُصَين بن عبد[٢] الرحمن ، عن سعد بن عُبَيدة ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، عن عليّ ؛ قال : بعثني رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وأبا مَرْثد ، والزبير بن العوام ، وكلنا فارس ، وقال : « **انطلقوا حتىٰ تأتوا روضة خاخ ، فإن بها امرأة من المشركين معها كتاب من حاطب إلىٰ المشركين** » . فأدركناها تسير علىٰ بعير لها حيث قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فقلنا : الكتابُ ؟ فقالت : ما معي كتاب . فأنخناها فالتمسنا فلم نر كتابًا ، فقلنا : ما كذب رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ! لتخرجن الكتاب أو لنجردنك . فلما رأت الجد أهوت إلىٰ حجزتها وهي محتجزة[٣] بكساء فأخرجته. فانطلقنا بها إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقال عمر : يا رسول اللّٰه ؛ قد خان اللّٰه ورسوله والمؤمنين فدعني فَلأضرِبْ عنقه . فقال : « **ما حملك علىٰ ما صنعت ؟** » قال : واللّٰه مابي إلا أن أكون مؤمنًا باللّٰه ورسوله ، أردت أن تكون لي عند القوم يَدٌ[٤] يدفع اللّٰه بها عن أهلي ومالي ، وليس أحد من أصحابك إلا له هنالك من عشيرته من يدفع اللّٰه به عن أهله وماله . فقال : « **صَدَق ، لا تقولوا له إلا خيرًا** » . فقال عمر : إنه قد[٥] خان اللّٰه ورسوله والمؤمنين ، فدعني فَلأضربْ عنقه . فقال : « **أليس [ ][٦] من أهل بدر ؟** » فقال : « **لعل اللّٰه قد اطلع إلىٰ أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة** » ، أو : « **قد غفرت لكم** » فدمِعَت عينا عمر وقال : اللّٰه ورسوله أعلم. هذا لفظ البخاري في « **المغازي** » في غزوة بدر ، وقد روي من وجه آخر عن عليّ ، قال ابن أبي حاتم(٨) :

---

(٥) - أخرجه البخاري برقم (٤٨٩٠) ، باب : ﴿ **لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء** ﴾ .

(٦) - أخرجه البخاري رقم (٨/٦٣٤) .

(٧) - أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب : فضل من شهد بدرًا ، حديث (٣٩٨٣) (٧/٣٠٤ - ٣٠٥) ، ومسلم في كتاب : فضائل الصحابة ، باب : من فضائل أهل بدر ، حديث (١٦١/٢٤٩٤ م) (١٦/٨٣) .

(٨) - ينظر الحديث التالي .

---

[١] - سقط من : ز ، خ.

[٢] - مكررة في : ز .

[٣] - في ز ، خ: « محتجرة »

[٤] - سقط من : ز، خ .

[٥] - سقط من : ز، خ .

[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « أنه » .

حدثنا عليّ بن الحسن[١] الهسنجاني، حدثنا عبيد[٢] بن يعيش، حدثنا إسحاق بن سليمان الرازي، عن أبي سنان - هو : سعيد بن سنان - عن عمرو بن مُرّة الجَمَلي، عن أبي [ ][٣] البختري الطائي، عن الحارث، عن عليّ؛ قال : لما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يأتي مكة، أسر إلى أناس من أصحابه أنه يريد مكة، فيهم حاطب بن أبي بلتعة، وأفشى في الناس أنه يريد خيبر قال : فكتب حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم. فأخبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، قال : فبعثني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبا مَرْثد، وليس منا رجل إلا وعنده فرس، فقال : « **ائتوا روضة خاخ، فإنكم ستلقون بها امرأة معها كتاب، فخذوه منها** ». فانطلقنا حتى رأيناها بالمكان الذي ذَكَر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا لها : هات الكتاب. فقالت : ما معي كتاب. فوضعنا متاعها وفتشناها فلم نجده في متاعها، فقال أبو مرثد: لعله أن لايكون معها. فقلت : ماكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذبنا. فقلنا لها : لتخرجِنّه أو لنُعرينّك. فقالت : أما تتقون الله ؟ ! ألستم مسلمين ؟ ! فقلنا : لتخرجنه أو لنعرينك، قال عمرو بن مرة : فأخرجته من حُجْزتها، وقال حبيب بن أبي ثابت : أخرجته من قُبُلها. فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا الكتاب من حاطب بن أبي بلتعة، فقام عمر فقال : يا رسول الله، خان الله ورسوله، فَأْذَنْ لي فلأضرب عنقه. فقال رسول الله : « **أليس قد شهد بدرًا ؟** » قالوا : بلى. قال عمر : بلى، ولكنه قد نكث وظاهر أعداءك عليك. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « **فلعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، إني بما تعملون بصير** ». ففاضت عينا عمر وقال : الله ورسوله أعلم. فأرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى حاطب فقال : « **ياحاطب، ما حملك على ما صنعت ؟** ». فقال : يا رسول الله، إني كنت امرأ مُلصَقًا في قريش، وكان لي بها مال وأهل، ولم يكن من أصحابك أحد إلا وله بمكة من يمنع أهله وماله، فكتبت إليهم بذلك ووالله - يا رسول الله - إني لمؤمن بالله ورسوله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **صدق حاطب، فلا تقولوا لحاطب إلا خيرًا** » - قال حبيب بن أبي ثابت : فأنزل الله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ...** ﴾ الآية.

هكذا رواه ابن جرير(٩) عن ابن حميد عن مهران عن أبي سنان سعيد بن سنان بإسناده[٤]

(٩) - أخرجه الطبري (٥٩/٢٨). وفي إسناده مهران، وهو ابن أبي عمر العطار : صدوق له أوهام سيئ الحفظ، لكن تابعة عند أبي حاتم إسحاق بن سليمان الرازي وهو ثقة، إلا أن مدار الحديث على سعيد =

[١] - في ز : « الحسين ». [٢] - في ز، خ: « عبد ».

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « إسحاق ». وهي زيادة مقحمة.

[٤] - في ت : « بإسناد ».

مثله. وقد ذكر ذلك أصحاب المغازي والسير، فقال محمد بن إسحاق بن يَسَار في السيرة (١٠) :

حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا قال: لما أجمع رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - المسير[١] إلىٰ مكة، كتب حاطب بن أبي بلتعة كتابًا إلىٰ قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - من الأمر في السير إليهم، ثم أعطاه إلىٰ امرأة - زعم محمد بن جعفر أنها من مزينة، وزعم غيره أنها. سارة، مولاة لبني عبد المطلب - وجعل لها جُعلًا علىٰ أن تبلغه قُريشًا فجعلته في رأسها، ثم فتلت عليه قرونها، ثم خرجت به، وأتى رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - الخبر من السماء بما صنع حاطب، فبعث عليّ بن أبي طالب والزبير بن العوام فقال: « **أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بكتاب إلىٰ قريش يحذرهم ما قد أجمعنا له من أمرهم** ». فخرجا حتىٰ أدركاها بالخُلَيْقَة - خليفة بني[٢] أبي أحمد - فاستنزلاها بالخليفة، فالتمسا في رحلها فلم يجدا شيئًا فقال لها علي بن أبي طالب: إني أحلف بالله ماكذب رسول الله وما كذبنا ولتُخرجِنَّ لنا هذا الكتاب أو لنكشفنَّك. فلما رأت الجدّ منه قالت: أعرض. فأعرض، فحلت قُرون رأسها، فاستخرجت الكتاب منها، فدفعته إليه، فأتى به رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - فدعا رسول الله حاطبًا فقال: « **ياحاطب؛ ما حملك علىٰ هذا ؟** ». فقال: يارسول الله، أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله، ماغَيَّرت ولا بَدَّلت، ولكني كنت امرأً ليس لي في القوم من أهل ولا عشيرة، وكان لي بين أظهرهم ولَدٌ وأهل فصانعتهم عليهم. فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، دعني فلأضربْ عنقه، فإن الرجل قد نافق. فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: « **وما يدريك يا عمر! لعل الله قد اطلع إلىٰ أصحاب بدر يوم بدر فقال: اعملوا ماشئتم، فقد غفرت لكم** ». فأنزل الله - عز وجل - في حاطب: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة** ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ **قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة**

ابن سنان؛ قال أحمد: ليس بالقوي. وقال مرة: كان رجلًا صالحًا، ولم يكن يقيم الحديث. وقال النسائي: ليس به بأس، ووثقه الدارقطني ومن قبله ابن معين. وقال ابن عدي: له أفراد، وأرجو أنه ممن لا يتعمد الكذب « ميزان الاعتدال » (٢/٣٣٣). وقال ابن حجر في التقريب: صدوق له أوهام. والحارث هو ابن عبد الله الأعور كذبه الشعبي في رواية، ورمي بالرفض وفي حديثه ضعف.

(١٠) - السيرة النبوية لابن هشام (٤/٨٥٨ - ٨٥٩). ورواته ثقات وابن إسحاق صرح بالتحديث إلا أنه مرسل.

[١] - في ز: « السير ». [٢] - في ز: « ابن ».

والبغضاء أبدًا حتىٰ تؤمنوا بالله وحده ...﴾ . إلىٰ آخر القصة .

ورویٰ معمر(١١) ، عن الزهري ، عن عروة نحو ذلك . وهكذا ذكر مقاتل بن حيان : أن هذه الآيات نزلت في حاطب بن أبي بلتعة : أنه بعث سارة مولاة بني هاشم ، وأنه أعطاها عشرة دراهم ، وأن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم - بعث في أثرها عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - فأدركاها بالجحفة ... وذكر تمام القصة كنحو ما تقدم . وعن السدي قريب منه . وهكذا قال العوفي ، عن ابن عباس ومجاهد ، وقتادة ، وغير واحد : إن هذه الآيات نزلت في حاطب بن أبي[١] بلتعة .

فقوله تعالىٰ : **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق ﴾** . يعني : المشركين والكفار الذين هم محاربون لله ولرسوله والمؤمنين[٢] الذين شرع الله عداوتهم ومصارمتهم[٣] ، ونهى أن يتخذوا أولياء وأصدقاء وأخلاء ، كما قال : **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارىٰ أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾** . وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد ، وقال تعالىٰ : **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوًا ولعبًا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين ﴾** . وقال تعالىٰ : **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانًا مبينًا ﴾** ؟ . وقال تعالىٰ : [**﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء**][٤] **إلا أن تتقوا منهم تقاة ، ويحذركم الله نفسه ﴾** ؛ ولهذا قَبِل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عُذْرَ حاطب لما ذكر أنه إنما فعل ذلك مصانعة لقريش ، لأجل ما كان له عندهم من الأموال والأولاد .

ويذكر هاهنا الحديث الذي رواه الإمام أحمد(١٢) .

حدثنا مصعب بن سلام ، حدثنا الأجلح ، عن قيس بن أبي مسلم ، عن ربعي بن حراش[٥] ، سمعت حُذيفة يقول : ضَرَب لنا رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - أمثالًا :

---

(١١) - أخرجه الطبري (٢٨/٦٠) وانظر السابق .

(١٢) - أخرجه أحمد (٥/٤٠٧) (٢٣٥٦٩) . وفي إسناده قيس بن أبي مسلم ذكره البخاري في التاريخ (٧/ ١٥٤ - ١٥٥) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا . وذكره ابن حبان ، وابن خلفون في الثقات كما في التعجيل . والحديث ذكره الهيثمي في « المجمع » (٥/٢٣٥) وقال : رواه أحمد وفيه الأجلح (في =

---

[١] - سقط من : ز ، خ.

[٢] - في ت : « والمؤمنين » .

[٣] - في ز ، خ: « ومضاربتهم » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ .

[٥] - في ز ، خ: « خراش » .

واحدًا وثلاثة، وخمسة وسبعة، وتسعة، وأحد عشر - قال: فضرب لنا منها مثلًا وترك سائرها، قال: « **إن قومًا كانوا أهل ضعف ومسكنة، قاتلهم أهل تجبر وعداء، فأظهر اللَّه أهل الضعف عليهم، فعَمَدوا إلىٰ عَدوهم فاستعملوهم وسلّطوهم، فأسخطوا اللَّه عليهم إلىٰ يوم يلقونه** ».

وقوله: ﴿ **يخرجون الرسول وإياكم** ﴾: هذا مع ما قبله من التهييج علىٰ عداوتهم وعدم موالاتهم، لأنهم أخرجوا الرسول وأصحابه من بين أظهرهم، كراهة لما هم عليه من التوحيد وإخلاص العبادة للَّه وحده، ولهذا قال: ﴿ **أن تؤمنوا باللَّه ربكم** ﴾ أي: لم يكن لكم[١] عندهم ذنب إلا إيمانكم[٢] باللَّه رب العالمين، كقوله: ﴿ **وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا باللَّه العزيز الحميد** ﴾. وكقوله: ﴿ **الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا: ربنا اللَّه** ﴾.

وقوله: ﴿ **إن كنتم خرجتم جهادًا في سبيلي وابتغاء مرضاتي** ﴾، أي: إن كنتم كذلك فلا تتخذوهم أولياء، إن كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلي باغين لمرضاتي عنكم فلا توالوا أعدائي وأعداءكم، وقد أخرجوكم من دياركم وأموالكم حَنَقًا عليكم وسخطًا لدينكم.

وقوله: ﴿ **تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم** ﴾ أي: تفعلون ذلك وأنا العالم بالسرائر والضمائر والظواهر ﴿ **ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل * إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء** ﴾ أي: لو قدروا عليكم لما اتقوا[٣] فيكم من أذىٰ ينالونكم به بالمقال والفعال، ﴿ **وودوا لو تكفرون** ﴾، أي: ويحرصون علىٰ أن لا تنالوا خيرًا، فهم عداوتهم لكم كامنة وظاهرة، فكيف توالون مثل هؤلاء؟ وهذا تهييج علىٰ عداوتهم أيضًا.

وقوله: ﴿ **لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم واللَّه بما تعملون بصير** ﴾، أي: قراباتكم[٤] لا تنفعكم عند اللَّه إذا أراد اللَّه بكم سوءًا، ونفعهم لا يصل إليكم إذا أرضيتموهم بما يسخط اللَّه، ومن وافق أهله علىٰ الكفر ليرضيهم فقد خاب وخَسِر وضَل عمله، ولا ينفعه عند اللَّه قرابته من أحد، ولو كان قريبًا إلىٰ نبي من الأنبياء، قال الإمام أحمد (١٣):

=المطبوع الأحلج ولعله تصحيف) الكندي وهو ثقة وقد ضعف، وبقية رجاله ثقات.

(١٣) - أخرجه أحمد (٣/٢٦٨) (١٣٨٦٢).

[١] - في ز، خ: « لهم ».

[٢] - في ز، خ: « إيمانهم ».

[٣] - في ز، خ: « أبقوا ».

[٤] - في ت: « قرابتكم ».

حدثنا عفان، حدثنا حمّاد عن ثابت[١] عن أنس أن رجلًا قال: يا رسول الله؛ أين أبي؟ قال: «في النار» فلما قفَّى[٢] دعاه فقال: «إن أبي وأباك في النار». ورواه مسلم(١٤) وأبو داود من حديث حماد بن سلمة به.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾﴾

يقول تعالىٰ لعباده المؤمنين الذين أمرهم بمصارمة الكافرين وعداوتهم ومجانبتهم والتبري منهم: ﴿**قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه**﴾، أي: وأتباعه الذين آمنوا معه، ﴿**إذ قالوا لقومهم[٣] إنا برآء منكم**﴾، أي: تبرأنا منكم ﴿**ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم**﴾ أي: بدينكم وطريقتكم[٤]، ﴿**وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا**﴾، يعني: وقد شُرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم، ما دمتم علىٰ كفركم فنحن أبدًا نتبرأ منكم ونبغضكم، ﴿**حتىٰ تؤمنوا بالله وحده**﴾، أي: إلىٰ أن تُوحدوا الله فتعبدوه وحده لا شريك له، وتخلعوا ما تعبدون معه من الأنداد والأوثان.

و[٥]قوله تعالى: ﴿**إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك**﴾ أي: لكم في إبراهيم وقومه

---

(١٤) - مسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان أن من مات على الكفر فهو في النار، حديث (٢٠٣/٣٤٧) (٩٧/٣). وأبو داود في كتاب السنة، باب: في ذراري المشركين، حديث (٤٧١٨) (٢٣٠/٤).
قال النووي: ومعنى قفى: ولى قفاه منصرفًا.

---

[١] - في ز، خ: «أبيه».
[٢] - في ز، خ: «بقى».
[٣] - في ز، خ: «أمر مبهم».
[٤] - في ز، خ: «وطريقكم».
[٥] - سقط من: ت.

أسوة حسنة تتأسون بها، إلا في استغفار إبراهيم لأبيه فإنه إنما كان عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، وذلك أن بعض المؤمنين كانوا يدعون لآبائهم الذين ماتوا على الشرك ويستغفرون لهم ويقولون إن إبراهيم كان يستغفر لأبيه فأنزل الله -عز وجل- ﴿**ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم * وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم**﴾. وقال تعالى في هذه الآية الكريمة ﴿**قد كانت[١] لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه [إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم][٢]**﴾ - إلى قوله تعالى- ﴿**إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء**﴾. أي: ليس لكم في ذلك أسوة أي في الاستغفار للمشركين هكذا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة ومقاتل [بن حيان][٣] والضحاك وغير واحد.

ثم قال تعالى مخبرًا عن قول إبراهيم والذين معه حين فارقوا قومهم وتبرءوا منهم فلجئوا إلى الله وتضرعوا إليه فقالوا ﴿**ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير**﴾ [أي توكلنا عليك في جميع الأمور وسلمنا أمورنا إليك وفوضناها إليك، وإليك المصير:][٤] أي المعاد في الدار الآخرة ﴿**ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا**﴾ قال مجاهد: معناه لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا، وكذا قال الضحاك.

وقال قتادة: لا تظهرهم علينا فيفتتنوا بذلك يرون أنهم إنما ظهروا علينا لحق هم عليه واختاره ابن جرير.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لا تسلطهم علينا فيفتنونا.

وقوله تعالى: ﴿**واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم**﴾ أي واستر ذنوبنا عن غيرك واعف عنها فيما بيننا وبينك ﴿**إنك أنت العزيز**﴾ أي[٥]: الذي لا يضام من لاذ بجنابك ﴿**الحكيم**﴾ في أقوالك وأفعالك وشرعك وقدرك،

ثم قال تعالى: ﴿**لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر**﴾ وهذا تأكيد لما تقدم ومستثنى منه ما تقدم أيضًا لأن هذه الأسوة المثبتة[٦] هاهنا هي الأولى بعينها. وقوله تعالى: ﴿**لمن كان يرجو الله واليوم الآخر**﴾. تهييج إلى ذلك [لكل مؤمن][٧] بالله والمعاد، وقوله تعالى: ﴿**ومن يتول**﴾ أي: عما أمر الله به ﴿**فإن الله هو**

---

[١] - في ز: «كان».
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٥] - سقط من: ز، خ.
[٦] - في ز، خ: «المبنية».
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز، خ: «كل مقر».

الغني الحميد﴾ كقوله تعالى: **﴿إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعًا فإن الله لغني حميد﴾** وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: الغني الذي قد كمل في غناه وهو الله هذه صفته لا تنبغي إلا له ليس له كفء وليس كمثله شيء سبحان الله الواحد القهار، والحميد المستحمد إلى خلقه أي هو المحمود في جميع أقواله وأفعاله لا إله[١] غيره ولا رب سواه.

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾

يقول تعالىٰ لعباده المؤمنين بعد أن أمرهم بعداوة الكافرين: **﴿عسىٰ اللَّه أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة﴾**، أي: محبه بعد البِغْضَة، ومودة بعد النُّفرة، وألفة بعد الفرقة. **﴿واللَّه قدير﴾**، أي: علىٰ ما يشاء من الجمع بين الأشياء المتنافرة والمتباينة والمختلفة، فيؤلف بين القلوب بعد العداوة والقَساوة، فتصبح مجتمعة متفقة، كما قال تعالىٰ ممتنًا علىٰ الأنصار: **﴿واذكروا نعمة اللَّه عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانًا وكنتم علىٰ شفا حفرة من النارفأنقذكم منها ...﴾** الآية. وكذا قال لهم النبي صلى اللَّه عليه وسلم: **«ألم أجدكم ضلالًا فهداكم اللَّه بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم اللَّه بي؟»**(١٥). وقال اللَّه تعالىٰ: **﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعًا ما ألفت بين قلوبهم ولكن اللَّه ألَّفَ بينهم إنه عزيز حكيم﴾** وفي الحديث **«أحبِبْ حَبيبَكَ هونًا مَا، فعسىٰ أن يكونَ بغيضَكَ يومًا ما. وأبغِض بغيضَكَ هونًا ما، فعسىٰ أن يكون حبيبك يومًا مَا»**(١٦).

(١٥) - أخرجه البخاري في كتاب: المغازي، باب: غزوة الطائف، حديث (٤٣٣٠) (٤٧/٨) وطرفه في [٧٢٤٥]. ومسلم في كتاب الزكاة، باب: إعطاء المؤلفة قلوبهم وتصبر من قوي إيمانه، حديث (١٣٩/١٠٦١) (٢٢٠/٧ - ٢٢١). كلاهما من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم.

(١٦) - أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة، باب: ما جاء في المداراة، حديث (١٩٩٨) =

[١] - في ز، خ: «رب».

[وقال الشاعر :][١]

وقَد يجمعُ اللَّه الشتِيتَين بعدما يظنان كلَّ الظنّ أن لا تلاقيا

وقوله تعالىٰ : ﴿ واللَّه غفور رحيم ﴾ ، أي : يغفر للكافرين كفرهم إذا تابوا منه وأنابوا إلىٰ ربهم وأسلموا له ، وهو الغفور الرحيم بكل من تاب إليه ، من أيِّ ذنب كان .

وقد قال مقاتل بن حيان : إن هذه الآية نزلت في أبي سفيان صخر بن حرب ، فإن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم تزوج ابنته ، فكانت هذه مودة ما بينه وبينه .

وفي هذا الذي قاله مقاتل نظر ، فإن رسول اللَّه تزوج بأم حبيبة بنت أبي سفيان قبل الفتح ، وأبو سفيان إنما أسلم ليلة الفتح بلا خلاف . وأحسن من هذا ما رواه ابن أبي حاتم(١٧) حيث قال :

قُرئَ علىٰ محمد بن عَزيز : حدثني سلامة ، حدثني عقيل، حدثني ابن شهاب: أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم استعمل أبا سفيان بن حرب علىٰ بعض اليمن ، فلما قبض رسول اللَّه - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - أقبل فلقي ذا الخمار مرتدًا ، فقاتله ، فكان أول من قاتل في الردة وجاهد عن الدين - قال ابن شهاب : وهو ممَّن[٢] أنزل اللَّه فيه : ﴿ **عسىٰ اللَّه أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة واللَّه قدير ، واللَّه غفور رحيم** ﴾ .

وفي صحيح مسلم(١٨) ، عن ابن عباس أن أبا سفيان قال : يا رسول اللَّه ؛ ثلاث

= (٦/٢٠٩ - ٢١٠) وغيره من طريق سويد بن عمرو الكلبي ، عن حماد بن سلمة ، عن أيوب ، عن محمد ابن سيرين ، عن أبي هريرة - أراه رفعه - . قال الترمذي : حديث غريب لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من هذا الوجه . وقد روي هذا الحديث عن أيوب بإسناد غير هذا ؛ رواه الحسن بن أبي جعفر بإسناده عن علي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - والصحيح عن علي موقوف قوله . اهـ .

قال الألباني في « غاية المرام » (٤٧٢) : واستغراب الترمذي له لا وجه له ، ولذلك قال المناوي : وقد استدرك الحافظ العراقي على الترمذي دعواه غرابته وضعفه ؛ فقال : قلت : رجاله رجال مسلم ، لكن الراوي تردد في رفعه . انتهى . والمصنف - يعني السيوطي - رمز لحسنه . والتردد الذي ذكره في رفعه لم أره في شيء من طرقه عن أبي هريرة ثم بدا لي أنه يشير إلى قوله « أراه رفعه » والله أعلم .اهـ كلام الشيخ الألباني .

وقد ورد الحديث من طرق أخرى ضعيفة في العلل المتناهية (١٢٢٥) وابن عدي في الكامل وغيرهما وراجع غاية المرام للشيخ الألباني إن أردت زيادة فائدة .

(١٧) - في إسناده إرسال ظاهر .

(١٨) - أخرجه مسلم في كتاب : فضائل الصحابة ، باب : من فضائل أبي سفيات بن حرب ، =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت . [٢] - في ت : « من » .

أعطِنيهنّ[١] قال : « نعم » قال : تُؤمّرني حتىٰ أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين قال : « نعم » . قال : ومعاوية تجعله كاتبًا بين يديك قال : « نعم » [ ][٢]. قال : وعندي أحسن العرب وأجمله[٣] ، أمّ حبيبة بنت أبي سفيان أزوجكها ... الحديث ، وقد تقدم الكلام عليه .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **لا ينهاكم اللَّه عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم** ﴾ ، أي : لا ينهاكم عن الإحسان إلىٰ الكفرة الذين لا يقاتلونكم في الدين ، كالنساء والضعفة منهم ، ﴿ **أن تبروهم** ﴾ ، أي : تحسنوا إليهم ﴿ **وتقسطوا إليهم** ﴾ ، أي : تعدلوا ﴿ **إن اللَّه يحب المقسطين** ﴾ .

قال الإمام أحمد (١٩) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا هشام بن عروة ، عن فاطمة بنت

=حديث (٢٥٠١/١٦٨) (٩٠/١٦) بنحو هذا اللفظ .

قال الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث :

واعلم أن هذا الحديث من الأحاديث المشهورة بالإشكال ووجه الإشكال أن أبا سفيان إنما أسلم يوم فتح مكة سنة ثمان من الهجرة وهذا مشهور لا خلاف فيه وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - قد تزوج أم حبيبة قبل ذلك بزمان طويل . قال أبو عبيدة وخليفة بن خياط وابن البرقي والجمهور : تزوجها سنة ست وقيل سنة سبع . قال القاضي عياض : واختلفوا أين تزوجها فقيل بالمدينة بعد قدومها من الحبشة . وقال الجمهور : بأرض الحبشة . قال : واختلفوا فيمن عقد له عليها هناك . فقيل عثمان وقيل خالد بن سعيد بن العاصي بإذنها وقيل النجاشي : لأنه كان أمير الموضع وسلطانه . قال القاضي : والذي في مسلم هنا أنه زوجها أبو سفيان غريب جدًّا وخبرها مع أبي سفيان حين ورد المدينة في حال كفره مشهور ، ولم يزد القاضي على هذا . وقال ابن حزم : هذا الحديث وهم من بعض الرواة لأنه لاخلاف بين الناس أن النبي - صلى الله عليه وسلم - تزوج أم حبيبة قبل الفتح بدهر ، وهي بأرض الحبشة وأبوها كافر وفي رواية عن ابن حزم أيضًا أنه قال : موضوع . قال : والآفة فيه من عكرمة بن عمار الراوى عن أبي زميل . وأنكر الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله . هذا على ابن حزم ، وبالغ في الشناعة عليه . قال : وهذا القول من جسارته فإنه كان هجومًا على تخطئه الأئمة الكبار وإطلاق اللسان فيهم . قال : ولا نعلم أحدًا من أئمة الحديث نسب عكرمة ابن عمار إلى وضع الحديث وقد وثقه وكيع ويحيى بن معين وغيرهما . وكان مستجاب الدعوة قال : وما توهمه ابن حزم من منافاة هذا الحديث لتقدم زواجها غلط منه وغفلة ، لأنه سأله تجديد عقد النكاح تطييبًا لقلبه ، لأنه كان ربما يرى عليها غضاضة من رياسته ونسبة أن تزوج بنته بغير رضاه ، أو أنه ظن أن إسلام الأب في مثل هذا يقتضي تجديد العقد وقد خفي أوضح من هذا على أكبر مرتبة من أبي سفيان ممن كثر علمه وطالت صحبته . هذا كلام أبي عمرو رحمه الله . وليس في الحديث أن النبي - صلى الله عليه وسلم - جدد العقد ولا قال ابي سفيان أنه يحتاج إلى تجديده فلعله - صلى الله عليه وسلم - أراد بقوله أن مقصودك يحصل وإن لم يكن بحقيقة عقد . والله أعلم .

(١٩) - لم أجده من هذا الطريق عند أحمد ، وقد أخرجه من طرق أخرى (٦/ ٣٤٤، ٣٤٧، ٣٥٥) =

[١] - في ز ، خ: « أعطيتهن » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « وقد تقدم الكلام عليه » .

[٣] - في ز، خ : « وأكمله » .

المنذر ، عن أسماء - هي بنت أبي بكر -رضي الله عنهما - قالت : قَدمَت أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا ، فأتيتُ النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - فقلت : يا رسول الله ، إنَّ أمي قدمت وهي راغبة ، أفأصلها ؟ قال : « **نعم ، صلي أمك** » . أخرجاه(٢٠) .

وقال الإمام أحمد (٢١) : حدثنا عارم ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، حدثنا مصعب بن ثابت ، حدثنا عامر بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه قال : قدمت قُتَيلة علىٰ ابنتها أسماء بنة أبي بكر بهدايا : [صِنَاب وأقط][١] وسمن ، وهي مشركة ، فأبت أسماء أن تقبل هديتها ، وتدخلها بيتها فسألت عائشة النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - فأنزل الله -عز وجل- : ﴿ **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين** ...﴾ . إلىٰ آخر الآية ، فأمرها أن تقبل هديتها ، وأن تدخلها بيتها .

وهكذا رواه ابن جرير(٢٢) وابن أبي حاتم ، من حديث مصعب بن ثابت ، به .

وفي رواية لأحمد وابن جرير(٢٣) : « **قُتَيلة بنت عبد[٢] العزىٰ بن عبد[٣] أسعد ، من بني مالك بن حسل** » .

وزاد ابن أبي حاتم : « في المدة التي كانت بين قريش ، ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم » .

وقال أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار (٢٤) : حدثنا عبد الله بن شبيب ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا أبو قتادة العدوي ، عن ابن أخي الزهري ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة وأسماء أنهما قالتا : قَدِمَتْ علينا أُمُّنا المدينة ، وهي مشركة ، في الهدنة التي كانت بين قريش وبين رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - فقلنا :

= عن هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء به مرفوعًا مثله ونحوه .

(٢٠) - أخرجه البخاري في كتاب : الهبة ، باب : الهدية للمشركين ، حديث (٢٦٢٠) (٣٣٣/٥) ، وأطرافه في [٣١٨٣، ٥٩٧٨، ٥٩٧٩] . ومسلم في كتاب : الزكاة ، باب : فضل النفقة والصدقة على الأقربين ، حديث (٤٩، ٥٠ /١٠٠٣) (٧/ ١٢٣، ١٢٤) كلاهما من طريق هشام بن عروة أيضًا .

(٢١) - أخرجه أحمد (٤/٤) وفي إسناده مصعب بن ثابت وهو : لين الحديث ، وانظر السابق .

(٢٢) - أخرجه الطبري (٦٩/٢٨) من طريق مصعب .

(٢٣) - يراجع الموضع السابق .

(٢٤) - أخرجه البزار في مسنده (٢٤١/٢ - زوائد) (١٧٨٤) . قال ابن حجر : إسناده ضعيف . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٨/٨) : رواه البزار عن شيخه عبد الله بن شبيب وهو ضعيف . اهـ .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز، خ : « ضباب وقرط».

[٢] - سقط من : ز ، خ.

[٣] - سقط من : ز، خ .

يا رسول اللّٰه ؛ إن أمنا قدمت علينا المدينة[١] راغبةً ، أفنصلها . قال : « **نعم ، فَصِلاها** » .

ثم قال : وهذا الحديث لا نعلمه[٢] يروى عن الزهري عن عروة عن عائشة إلا من هذا الوجه .

قلت : وهو منكر بهذا السياق ، لأن أم عائشة هي أم رومان ، وكانت مسلمة مهاجرة ، وأم أسماء غيرها ، كما هو مصرح باسمها في هذه الأحاديث المتقدمة ، واللّٰه أعلم .

وقوله : ﴿ **إن اللّٰه يحب المقسطين** ﴾ : تقدم تفسير ذلك في « **سورة الحجرات** » . وأورد الحديث الصحيح : « **المقسطون علىٰ منابر من نور عن يمين العرش : الذين [يعدلون في حكمهم]**[٣] **، وأهاليهم ، وما وَلُوا** »(٢٥) .

وقوله : ﴿ **إنما ينهاكم اللّٰه عن الذين قاتلوكم في الدين، وأخرجوكم من دياركم، وظاهروا علىٰ إخراجكم أن تولوهم** ﴾ ، أي : إنما ينهاكم عن موالاة هؤلاء الذين ناصبوكم بالعداوة ، فقاتلوكم وأخرجوكم ، وعاونوا علىٰ إخراجكم ، ينهاكم اللّٰه عن موالاتهم ويأمركم بمعاداتهم ثم أكد الوعيد علىٰ موالاتهم فقال : ﴿ **ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون** ﴾ ، كقوله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارىٰ أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن اللّٰه لا يهدي القوم الظالمين** ﴾

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

تقدم في « **سورة الفتح** » ذكر صلح الحديبية الذي وقع بين رسول اللّٰه – صلىٰ اللّٰه عليه

(٢٥) – تقدم تخريجه في تفسير سورة الحجرات ، آية : (٩) وهو حديث صحيح .

[١] – سقط من : ت . [٢] – في ز : « نعلم » .

[٣] – ما بين المعكوفتين مكررة في : ز .

وسلم - وبين كفار قريش ، فكان فيه : « **على أن لا يأتيك منا رجل**[١] **- وإن كان على دينك - إلا رددته إلينا** » . وفي رواية : « **على أنه لا يأتيك منا أحد - وإن كان على دينك - إلا رددته إلينا** » . وهذا قول عروة ، والضحاك ، وعبد الرحمن بن زيد ، والزهري ، ومقاتل ، والسدي ، فعلى هذه الرواية تكون هذه الآية مخصصة للسنة ، وهذا من أحسن أمثلة ذلك ، وعلى طريقة بعض السلف ناسخة ، فإن الله - عز وجل - أمر عباده المؤمنين إذا جاءهم النساء مهاجرات أن يمتحنوهن ، فإن عَلِموهن مؤمنات فلا يرجعوهن إلى الكفار ، لا هن حل لهم ، ولا هم يحلون لهن .

وقد ذكرنا في ترجمة عبد الله بن أبي[٢] أحمد بن جحش ، من المسند الكبير(٢٦) ، من طريق أبي بكر بن أبي عاصم ، عن محمد بن يحيى الذهلي ، عن يعقوب بن محمد ، عن عبد العزيز بن عمران ، عن مُجمَع بن يعقوب ، عن [حسين بن السائب بن أبي لُبابة][٣] ، عن عبد الله بن أبي أحمد قال : هاجرت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعيط في الهجرة ، فخرج أخواها عمارة والوليد حتى قدما على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكلماه فيها أن يردها إليهما ، فنقض الله العهد بينه وبين المشركين في النساء خاصة ، ومنعهن ان يُرْدَدْنَ[٤] إلى المشركين ، وأنزل الله آية الامتحان .

قال ابن جرير(٢٧) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا يونس بن بكير ، عن قيس بن الربيع ، عن الأغر بن الصباح ، عن خليفة بن حُصَين ، عن أبي نصر الأسدي قال : سُئِل ابنُ عباس : كيف كان امتحانُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - النساء ؟ قال : كان يمتحنهن : بالله ما خَرجت من بُغض زوج ؟ وبالله ما خَرجت رَغبةً عن أرض إلى أرض ؟ وبالله ما خرجت التماس دنيا ؟ وبالله ما خرجت إلا حبًا لله ولرسوله .

ثم رواه من وجه آخر ، عن الأغر بن الصباح ، به(٢٨) .

وكذا رواه البزار(٢٩) من طريقه ، وذكر فيه[٥] أن الذي كان يحلفهن عن أمر رسول

---

(٢٦) - في إسناده عبد العزيز بن عمران متروك ، احترقت كتبه فحدث من حفظه فاشتد غلطه .

(٢٧) - أخرجه الطبري (٦٧/٢٨) . وفي إسناده أبو نصر وهو مجهول . وانظر التالى .

(٢٨) - أخرجه الطبري (٢٨ - ٦٧) من طريق الحسن بن عطية عن قيس عن الأغر ، وانظر التالي .

(٢٩) - أخرجه البزار (٢ - ١١٢ - زوائد) (١٥١٧) قال البزار : لا نعلمه يروى عن ابن عباس إلا =

---

[١] - في ز ، خ: « أحد » .

[٢] - سقط من : ز، خ .

[٣] - في ز ، خ : « حنين بن أبي لبانة » .

[٤] - في ز ، خ: « ابانة » .

[٥] - في ز ، خ: « يردون » .

الله - صلىٰ الله عليه وسلم - له عمر بن الخطاب .

وقال العوفي ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن** ﴾ : كان امتحانهن أن يَشْهدن أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا عبد الله ورسوله . وقال مجاهد : ﴿ **فامتحنوهن** ﴾ : فاسألوهن : ما جاء بهن ؟ فإن كان جاء بهن غضبٌ علىٰ أزواجهن أو سَخطة أو غيره ، ولم يؤمن فأرجعوهن إلىٰ أزواجهن .

وقال عكرمة : يقال لها : ما جاء بك إلا حب الله ورسوله ؟ وما جاء بك عشق رجل منا ، ولا فرار من زوجك ؟ فذلك قوله : ﴿ **فامتحنوهن** ﴾ .

وقال قتادة : كانت محنتهن أن يستحلفن بالله : ما أخرجكن النشوز ؟ وما أخرجكن إلا حب الإسلام وأهله وحِرص عليه ؟ فإذا قلن ذلك قُبِل ذلك منهن .

وقوله : ﴿ **فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلىٰ الكفار** ﴾ : فيه دلالة علىٰ أن الإيمان يمكن الاطلاع عليه يقينًا .

وقوله : ﴿ **لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن** ﴾ : هذه الآية هي التي حَرَّمَت المسلمات علىٰ المشركين ، وقد كان جائزًا في ابتداء الإسلام أن يتزوج المشرك المؤمنة ، ولهذا كان أبو[١] العاص بن الربيع زوج ابنة النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - زينب - رضي الله عنها - وقد كانت مسلمة وهو علىٰ دين قومه ، فلما وقع في الأسارىٰ يوم بدر بعثت امرأته زينب في فدائه بقلادة لها كانت لأمها خديجة ، فلما رآها رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - رَقّ لها رقّةً شديدة وقال للمسلمين : « **إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها فافعلوا** » ففعلوا[٢]» ، فأطلقه رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - علىٰ أن يبعث ابنته إليه، فوفى له بذلك وصدقه فيما وعده ، وبعثها إلىٰ رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - مع زيد بن حارثة - رضي الله عنه - فأقامت بالمدينة من بعد وقعة بدر ، وكانت سنة اثنتين[٣] إلىٰ أن أسلم زوجها أبو العاص بن الربيع سنة ثمان [فردها عليه][٤] بالنكاح الأول ، ولم يحدث لها صداقًا (٣٠) .

= بهذا الإسناد ، ولا روى عن أبي نصر إلا خليفة . قلت - أي ابن حجر - : أعله الشيخ بقيس ، وقد ذكر البخاري أن أبا نصر لم يسمع من ابن عباس ؛ فهي العلة . قال الهيثمي في « المجمع » (١٢٦/٧) : رواه البزار وفيه قيس بن الربيع وثقه شعبة ، والثوري وضعفه غيرهما وبقية رجاله ثقات .

(٣٠) - أخرجه أحمد (٢٧٦/٦) (٢٦٤٧٢) ، وأبو داود في كتاب الجهاد ، باب : في فداء الأسير بالمال ، حديث (٢٦٩٢) (٦٢/٣) ، والحاكم (٢٣/٣) . كلهم من طريق ابن إسحاق عن يحيى بن عباد عن =

[١] - في ز ، خ: « منه » .

[٢] - سقط من ت . .

[٣] - في ز ، خ: « اثنين » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ .

كما قال الإمام أحمد (٣١) :

حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، حدثنا ابن إسحاق ، حدثني داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن رسول اللّٰه - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - رد ابنته زينب علىٰ أبي العاص بن الربيع، وكانت هجرتها قبل إسلامه بست سنين علىٰ النكاح الأول ، ولم يحدث شهادة ولا صَدَاقًا .

ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجة . ومنهم من يقول : « بعد سنتين » . وهو صحيح ؛ لأن إسلامه كان بعد تحريم المسلمات علىٰ المشركين بسنتين.

وقال الترمذي (٣٢) : « ليس بإسناده بأس ، ولا نعرف وجه هذا الحديث ، و[١]لعله جاء من حفظ داود بن الحصين ... وسمعت عبد ابن حميد يقول : سمعت زيد[٢] بن هارون يذكر عن ابن إسحاق هذا الحديث ، وحديثَ الحجاج - يعني ابن أرطأة - عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم رد ابنته علىٰ أبي العاص بن الربيع بمهر جديد ونكاح جديد فقال يزيد : حديث ابن عباس أجودُ إسنادًا ، والعمل علىٰ حديث عمرو بن شعيب .

قلت : وقد رَوَىٰ حديث الحجاج بن أرطأة ، عن عمرو بن شعيب الإمامُ أحمدُ(٣٣) والترمذي وابن ماجة . وضعفه الإمام أحمد وغير واحد، واللّٰه أعلم.

= أبيه عن عائشة - رضي الله عنها - به . وإسناده حسن وابن إسحاق صرح بالتحديث عند أحمد . قال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٣٤١) .

(٣١) - أخرجه أحمد (١/٢٦١) (٢٣٦٦) . وأبو داود في كتاب الطلاق ، باب : إلى متى ترد عليه امرأته إذا أسلم بعدها ، حديث (٢٢٤٠) (٢/٢٧٢) . والترمذي في كتاب النكاح ، باب : ما جاء في الزوجين المشركين يسلم أحدهما ، حديث (١١٤٣) (٤/١٠٩) . وابن ماجة في كتاب النكاح ، باب : الزوجين يسلم أحدهما قبل الآخر ، حديث (٢٠٠٩) (١/٦٤٧) .

كلهم من طرق عن ابن إسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس - رضي الله عنه - به .

وداود بن حصين ، قال ابن حجر في التقريب : ثقة إلا في عكرمة .

وقال علي بن المديني : ما روى عن عكرمة فمنكر . تهذيب التهذيب (٣/١٥٧) .

وصححه الألباني في الإرواء (١٩٢١) بشواهده .

(٣٢) - ذكره الترمذي بعد حديث (١١٤٤) . والحجاج بن أرطأة كثير الخطأ والتدليس .

(٣٣) - أخرجه أحمد (٢/٢٠٧ - ٢٠٨) . والترمذي في آخر حديث (١١٤٤) في الموضع السابق . =

[١] - سقط من : ز ، خ.

[٢] - في ت : « زيد » .

وأجاب الجمهور عن حديث ابن عباس بأن ذلك كان قضية عين يحتمل أنه لم تنقض عِدَتُها منه ؛ لأن الذي عليه الأكثرون أنها متىٰ انقضت العدة ولم يسلم ؛ انفسخ نِكاحُها منه .

وقال آخرون : بل إذا انقضت العدّة هي بالخيار ، إن شاءت أقامت علىٰ النكاح واستمرت ، وإن شاءت فسخته وذهبت فتزوجت ، وحملوا عليه حديث ابن عباس ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ وآتوهم ما أنفقوا ﴾ ، يعني : أزواجَ المهاجرات من المشركين ، ادفعوا إليهم الذي غرموه عليهن[١] من الأصدقة . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والزهري ، وغير واحد .

وقوله : ﴿ ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن ﴾ : يعني إذا أعطيتموهن أصدقتهن فانكحوهن ، أي : تزوجوهن بشرطه من انقضاء العدة والولي وغير ذلك .

وقوله : ﴿ ولا تمسكوا بعصم الكوافر ﴾ : تحريم من الله - عز وجل - علىٰ عباده المؤمنين نكاحَ المشركات ، والاستمرارَ معهن .

وفي الصحيح (٣٤) ، عن الزهري، عن عروة ، عن المسور و[٢]مَرْوان بن الحكم: أن رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية جاء نساءٌ من المؤمنات ، فأنزل الله -عز وجل- : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ ولا تمسكوا بعصم الكوافر ﴾ . فطلق عمر بن الخطاب يومئذ امرأتين ، تزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان ، والأخرىٰ صفوانُ بن أمية .

= وابن ماجة في كتاب النكاح ، باب : الزوجين يسلم أحدهما قبل الآخر ، حديث (٢١٠) (٦٤٧/١) . كلهم من طريق الحجاج عن عمرو بن شعيب .

قال أحمد بن حنبل : هذا حديث ضعيف أو قال : واه . ولم يسمعه الحجاج من عمرو بن شعيب ، إنما سمعه من محمد بن عبيد الله العرزمي ، والعرزمي لا يساوى حديثه شيئًا ، والحديث الصحيح الذي روي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أقرهما على النكاح الأول .

(٣٤) - أخرجه البخاري في كتاب الشروط ، باب الشروط في الجهاد ، حديث (٢٧٣١، ٢٧٣٢) (٥/ ٣٢٩ - ٣٣٣) في حديث طويل .

[١] - في ز ، خ: « عليهم » . [٢] - في ز ، خ: « بن » .

وقال ابن ثَور (٣٥) ، عن معمر ، عن الزهري : أنزلت هذه الآية على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو بأسفل الحديبية ، حين صالحهم على أنه من أتاه منهم رده إليهم ، فلما جاءه النساء نزلت هذه الآية ، وأمره أن يرد الصداق إلى أزواجهن ، وحكم على المشركين مثل ذلك إذا جاءتهم امرأة من المسلمين أن يردوا الصداق إلى زوجها ، وقال : ﴿ **ولا تمسكوا بعصم الكوافر** ﴾ . وهكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وقال : وإنما حكم الله بينهم بذلك ، لأجل ما كان بينهم وبينهم[١] من العهد .

وقال محمد بن إسحاق (٣٦) ، عن الزهري : طلق عمر يومئذ قريبة بنت أبي أمية بن المغيرة ، فتزوجها معاوية - وأمّ كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية ، وهي أم عبيد الله ، فتزوجها أبو جهم بن حذيفة بن غانم ، رجل من قومه ، وهما على شركهما . وطلق طلحةُ بن عبيد الله أروى بنتَ ربيعة[٢] بن الحارث بن عبد المطلب ، فتزوجها بعده خالد بن سعيد بن العاص .

وقوله : ﴿ **واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا** ﴾ ، أي : وطالبوا بما أنفقتم على أزواجكم اللاتي يذهبن إلى الكفار ، إن ذهبن ، وليطالبوا بما أنفقوا على أزواجهم اللاتي هاجرن إلى المسلمين .

وقوله : ﴿ **ذلكم حكم الله يحكم بينكم** ﴾ ، أي : في الصلح واستثناء النساء منه ، والأمر بهذا كله هو حكم الله يحكم به[٣] بين خلقه ، ﴿ **والله عليم حكيم** ﴾ ، أي : عليم بما يصلح عباده ، حكيم في ذلك .

ثم قال : ﴿ **وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا** ﴾ - قال مجاهد ، وقتادة : هذا في الكفار الذين ليس لهم عهد ، إذا فرت[٤] إليهم امرأة ولم يدفعوا إلى زوجها شيئًا ، فإذا جاءت منهم امرأة لا يدفع إلى زوجها شيء ، حتى يدفع إلى زوج الذاهبة إليهم مثل نفقته عليها .

وقال ابن جرير(٣٧) : حدثنا يونس ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني يونس ، عن الزهري قال : أقر المؤمنون بحكم الله ، فأدوا ما أمروا به من نفقات المشركين التي أنفقوا على

(٣٥) - أخرجه الطبري (٧٠/٢٨) وهو مرسل .
(٣٦) - ذكره ابن هشام في السيرة النبوة (٧٩٠/٣ - ٧٩١) من طريق ابن إسحاق .
(٣٧) - أخرجه الطبري (٧٥/٢٨) هكذا مرسلًا .

[١] - سقط من : ت .
[٢] - في ز ، خ: « النضر » .
[٣] - سقط من : ز، خ .
[٤] - في ز ، خ: « قرب » .

نسائهم ، وأبىٰ المشركون أن يقروا بحكم الله فيما فرض عليهم من أداء نفقات المسلمين ، فقال الله للمؤمنين به : ﴿ **وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلىٰ الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون** ﴾ . فلو أنها ذهبت بعد هذه الآية امرأةٌ من أزواج المؤمنين إلىٰ المشركين ، رَدّ المؤمنون إلىٰ زوجها النفقة التي أنفق عليها من العَقِب الذي بأيديهم ، الذي[١] أمروا أن يردوه علىٰ المشركين من نفقاتهم التي أنفقوا علىٰ أزواجهم اللاتي آمنّ وهاجرنَ ، ثم ردوا إلىٰ المشركين فضلًا [إن كان بقي لهم][٢] . والعقب : ما كان [بأيدي المؤمنين][٣] من صداق نساء[٤] الكفار حين[٥] آمنّ وهاجرنَ .

وقال العوفي ، عن ابن عباس في هذه الآية : يعني إن لحقت[٦] امرأة رجلٍ من المهاجرين بالكفار ، أمر له رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - أنه يعطىٰ من الغنيمة مثل ما أنفق .

وهكذا قال مجاهد : ﴿ **فعاقبتم** ﴾ : أصبتم غنيمة من قريش أو غيرهم ، ﴿ **فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا** ﴾ ، يعني : مهر مثلها . وهكذا قال مسروق ، وإبراهيم ، وقتادة ، ومقاتل ، والضحاك ، وسفيان بن حسين ، والزهري أيضًا .

وهذا لا ينافي الأول ؛ لأنه إن أمكن الأول فهو أولىٰ ، وإلا فمن الغنائم اللاتي تؤخذ من أيدي الكفار . وهذا أوسع ، وهو اختيار ابن جرير ، ولله الحمد والمنة .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾

قال البخاري(٣٨) : حدثنا إسحاق ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن أخي ابن شهاب ، عن عمه قال : أخبرني عروة أن عائشة زوج النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - أخبرته : أن رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية :

---

(٣٨) - أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب ﴿ **إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات** ﴾ ، حديث (٤٨٩١) (٦٣٦/٨) .

---

[١] - في ز ، خ: « الذين » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « منزلهم » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز :، خ « علی » .

[٤] - سقط من : ز ، خ.

[٥] - في ز ، خ : « من » .

[٦] - في ز، خ : « تجنب » .

﴿ يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ غفور رحيم ﴾ - قال عروة : قالت عائشة : فمن أقرّ بهذا الشرط من المؤمنات ، قال لها رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « قد بايعتك » . كلامًا ، ولا واللَّه ما مست يده يد امرأة قَطُّ في المبايعة ، ما يبايعهن إلا بقوله : « قد بايعتك علىٰ ذلك » . هذا لفظ البخاري. وقال الإمام أحمد (٣٩):

حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا سفيان ، عن محمد بن المنكدر ، عن أميّمة بنت رُقَيقة[١] قالت : أتيت رسول اللَّه - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - في نساء لنبايعه ، فأخذ علينا ما في القرآن : أن لا نشرك باللَّه شيئًا ... الآية . وقال : « فيما استطعتن وأطقتن » . قلنا : اللَّه ورسوله أرحم بنا من أنفسنا ، قلنا : يا رسول اللَّه ؛ ألا تصافحنا ؟ قال : « إني لا أصافح النساء ، إنما قولي لامرأة واحدة كقولي لمائة امرأة » . هذا إسناد صحيح ، وقد رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة ، من حديث سفيان بن عيينة - والنسائي أيضًا من حديث الثوري - ومالك بن أنس كلهم ، عن محمد بن المنكدر به. وقال الترمذي : « حسن صحيح ، لا نعرفه إلا من حديث محمد بن المنكدر » .

وقد رواه أحمد أيضًا(٤٠) من حديث محمد بن إسحاق ، عن محمد بن المنكدر ، عن أميمة ، به . وزاد : « ولم يصافح منا امرأة » .

وكذا رواه ابن جرير(٤١) من طريق موسى بن عقبة عن محمد ابن المنكدر به.

ورواه ابن أبي حاتم(٤٢) من حديث أبي جعفر الرازي ، عن محمد بن المنكدر[٢] حدثتني أميمة بنت رقيقة - وكانت أخت خديجة خالة فاطمة ، من فيها إلى فيَّ ... فذكره .

وقال الإمام أحمد (٤٣) : حدثنا يعقوب ، حدثني أبي ، عن ابن إسحاق ، حدثني سليط

---

(٣٩) - أخرجه أحمد (٣٥٧/٦) (٢٧١٢١) . والترمذي في كتاب السير ، باب : ما جاء في بيعة النساء ، حديث (١٥٩٧) (٣٢٢/٥) . والنسائي (١٤٩/٧) كتاب : البيعة ، باب : بيعة النساء . وابن ماجة في كتاب الجهاد ، باب : بيعة النساء ، حديث (٢٨٧٤) (٩٥٩/٢) . والنسائي في الكبرى في كتاب السير ، باب : بيعة النساء ، حديث (٨٧١٣) (٢١٨/٥) ، وفي التفسير (١٥٨٩) من طريق مالك .

(٤٠) - أخرجه أحمد (٣٥٧/٦) (٢٧١١٩) .

(٤١) - الطبري (٨٠/٢٨) .

(٤٢) - في إسناده أبو جعفر الرازي ، هو : صدوق سيئ الحفظ .

(٤٣) - أخرجه أحمد (٣٧٩/٦ - ٣٨٠) (٢٧٢٤٤) . وفي إسناده سليط بن أيوب ، قال الحافظ : مقبول . وأمه ذكرها ابن حجر في « التعجيل » (ص ٣٦٥) فيمن روى عن سلمى بنت قيس ولم أجد =

---

[١] - في ز : ، خ « رقية » . [٢] - في ز ، خبعده « و » .

ابن أيوب بن الحكم بن سُلَيم ، عن أمه سلمىٰ بنت قيس - وكانت إحدىٰ خالات رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - قد صلت معه القبلتين ، وكانت إحدىٰ نساء بني عدي بن النجار- قالت : جئت رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - نبايعه في نسوة من الأنصار ، فلما شرط علينا : ألا نشرك بالله شيئًا ، ولا نسرق ، ولا نزني ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معروف - قال : **« ولا تغشُشْنَ أزواجكن »** . قالت : فبايعناه ، ثم انصرفنا ، فقلت لامرأة منهن : ارجعي فسلي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : ما غش أزواجنا ؟ قال : فسألته فقال[١] : **« تأخذ ماله ، فتحابي به غيره »** .

وقال الإمام أحمد (٤٤) : حدثنا إبراهيم بن أبي العباس ، حدثنا عبد الرحمن بن عثمان بن إبراهيم بن محمد بن حاطب ، حدثني أبي ، عن أمه عائشة بنت قُدامة - يعني ابن مظعون - قالت : أنا مع أمي رائطة [بنت سفيان][٢] الخزاعية ، والنبي - صلىٰ الله عليه وسلم - يبايع النسوة ويقول : **« أبايعكنّ علىٰ أن لا تشركن بالله شيئًا ، ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن أولادكن ، ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن ، ولا تعصينني في معروف »** . [قالت : فأطرقن . فقال لهن النبي - صلىٰ الله عليه وسلم :][٣] **« قلن نعم فيما استطعتن »** . [فكنَّ يقلن][٤] وأقول معهن ، وأمي [تلقنني : قولي][٥] - أيْ بنية ؛ نعم [فيما استطعتُ][٦] ، فكنت أقول كما يقلن .

وقال البخاري (٤٥) : حدثنا أبو[٧] معمر ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا أيوب ، عن حفصة بنت سيرين ، عن أم عطية قالت : بايَعْنا رسولَ الله - صلىٰ الله عليه وسلم - فقرأ علينا :

= فيها جرحًا ولا تعديلًا ، إلا ما كان من توثيق الهيثمي في المجمع (٤١/٦) بعد أن عزا الحديث لأحمد وأبي يعلى والطبراني ، فقال : رجاله ثقات . والحديث في مسند أبي يعلى (٧٠٧٠) . والطبراني (٢٩٦/٢٤) (٧٥١، ٧٥٢) .

(٤٤) - أخرجه أحمد (٣٦٥/٦) (٢٧١٧٤) . وفي إسناده عبد الرحمن بن عثمان بن محمد بن إبراهيم ، قال أبو حاتم الرازي : يهولني كثرة ما يسند . وذكر الذهبي في الميزان أن أبا حاتم ضعفه . وقال البخاري : حديثه في الكوفيين . وذكره ابن حبان في الثقات في الطبقة الثالثة . اهـ . كذا في « تعجيل المنفعة » (٢٥٤) . قال الهيثمي في « المجمع » (٤١/٦) : رواه أحمد والطبراني . وفيه عبد الرحمن بن عثمان بن إبراهيم وهو ضعيف .

(٤٥) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب ﴿ **إذا جاءك المؤمنات يبايعنك** ﴾ ، حديث (٤٨٩٢) (٦٣٧/٨) .

[١] - في ز : ، خ« قال » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « لكن فقلن» .

[٥] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « تقول » .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ .

[٧] - سقط من : ز ، خ.

﴿ [أن لا يشركن][١] بالله شيئًا ﴾ ، ونهانا عن النياحة ، فقبضت امرأة يدها فقالت[٢] : أسعدتني فلانة أريد أن أجزيها . فما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا ، فانطلقت ورجعت فبايعها .

ورواه مسلم (٤٦) . وفي رواية : « فما وفَّىٰ منهن امرأة غيرها ، وغير أم سليم بنة ملحان » .

وللبخاري(٤٧) عن أم عطية قالت : أخذ علينا رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - عند[٣] البيعة أن لا ننوح ، فما وَفَت منا امرأة غير خمس نسوة : أم سليم ، وأم العلاء ، وابنة أبي سَبرة امرأة معاذ ، وامرأتان - أو : ابنة أبي سَبرة ، وامرأة معاذ ، وامرأة أخرىٰ .

وقد كان رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - يتعاهدُ النساءَ بهذه البيعة يومَ العيد ، كما قال البخاري (٤٨) :

حدثنا محمد بن عبد الرحيم ، حدثنا هارون بن معروف ، حدثنا عبد الله بن وهب ، أخبرني ابن جُريج أن الحسن بن مسلم أخبره ، عن طاوس ، عن ابن عباس قال : شهدت الصلاة يوم الفطر مع رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - وأبي بكر وعمر وعثمان ، فكلهم يصليها قبل الخطبة ثم يخطب بعدُ ، فنزل نبي الله - صلىٰ الله عليه وسلم - فكأني أنظر إليه حين يُجَلِّس الرجالَ بيده ، ثم أقبل يَشقّهم حتىٰ أتىٰ النساء ، مع بلال فقال : ﴿ يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك علىٰ أن لا يشركن بالله شيئًا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ﴾ . حتىٰ فرغ من الآية كلها . ثم قال حين فرغ : « أنتن علىٰ ذلك » ؟ فقالت امرأة واحدة : لم يجبه غيرها : نعم يا

(٤٦) - أخرجه مسلم في كتاب : الجنائز ، باب : التشديد في النياحة ، حديث (٣١، ٣٢/٩٣٦) (٦/ ٣٣٦ - ٣٣٧) ، لكن في رواية مسلم فما وفت منا امرأة إلا خمس : أم سليم ، وأم العلاء ، وابنة أبي سبرة امرأة معاذ ، أو ابنة أبي سبرة وامرأة معاذ ، وهو عند البخاري بنحوه (٧٢١٥) . فعلى هذا يكون المجموع أربع نسوة ، ولعل الخامسة هي أم عطية - رضي الله عنهم أجمعين .

قال النووي في شرح قولها : فما وفت منا امرأة إلا خمس ، : قال القاضي : معناه لم يف ممن بايع مع أم عطية في الوقت الذي بايعت فيه من النسوة إلا خمس ، لا أنه لم يترك النياحة من المسلمات غير خمس .

(٤٧) - أخرجه البخاري في كتاب : الجنائز ، باب : ما ينهى من النوح والبكاء والزجر عن ذلك ، حديث (١٣٠٦) (١٧٦/٣) . وطرفاه في [٤٨٩٢، ٧٢١٥] .

(٤٨) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ إذا جاءك المؤمنات يبايعنك ﴾ ، حديث (٤٨٩٥) (٦٣٨/٨) .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « ولا تشركن ».

[٢] - سقط من : ز ، خ. [٣] - سقط من : ز .

رسول الله - لا يدري حسن من هي - قال : فتصدقن ، قال : وبسط بلال ثوبه فجعلن يلقين الفتخ[١] والخواتيم في ثوب بلال.

وقال الإمام أحمد (٤٩) : حدثنا خلف بن الوليد ، حدثنا [ابن عياش][٢] عن سليمان بن سُليم ، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: جاءت أميمة بنت رقيقة إلىٰ رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - تبايعه علىٰ الإسلام ، فقال : « **أبايعك علىٰ أن لا تشركي بالله شيئًا ، ولا تسرقي ولا تزني ولا تقتلي ولدك ، ولا تأتي ببهتان تفترينه بين يديك ورجليك ، ولا تنوحي ، ولا تبرجي تبرج الجاهلية الأولىٰ** » .

وقال الإمام أحمد (٥٠) : حدثنا سفيان ، عن الزهري ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن عبادة بن الصامت قال : كنا عند رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - في مجلس فقال : « **تبايعوني علىٰ ألا تشركوا بالله شيئًا ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم** » - قرأ الآية التي أخذت علىٰ النساء : ﴿ **إذا جاءك المؤمنات** ﴾- **فمن وفَّى منكم فأجره علىٰ الله ، [ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب به، فهو كفارة له]**[٣]. **ومن أصاب من ذلك شيئًا فستره الله عليه، فهو إلىٰ الله، إن شاء غفر له ، وإن شاء عذبه** » . أخرجاه في الصحيحين(٥١) .

وقال محمد بن إسحاق(٥٢) ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن مرثد بن عبد الله اليَزَني ، عن أبي عبد الله عبد الرحمن بن عُسَيلة الصنابحي[٤] ، عن عبادة بن الصامت قال : كنت فيمن حضر العقبة الأولىٰ ، وكنا اثني عشر رجلًا ، فبايعنا رسول الله - صلىٰ الله عليه

(٤٩) - أخرجه أحمد (١٩٦/٢) (٦٨٥٠) . وإسناده حسن للخلاف في رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، وابن عباس هنا روى عن سليمان بن سليم وهو شامي ، وروايته عن الشاميين مستقيمة ، وقد صححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند .

(٥٠) - أخرجه أحمد (٣١٤/٥) (٢٢٧٨١) .

(٥١) - البخاري في كتاب الإيمان ، باب : (١٨) ، حديث (١٨) (٦٤/١) . وأطرافه في [٣٨٩٢، ٣٨٩٣، ٣٩٩٩، ٤٨٩٤، ٦٧٨٤، ٦٨٠١، ٦٨٧٣، ٧٠٥٠، ٧١٩٩، ٧٢١٣، ٧٤٦٨] .
ومسلم في كتاب : الحدود ، باب : الحدود كفارات لأهلها ، حديث (٤١ - ١٧٠٩/٤٤) (٣١٦/١١ - ٣١٨) .

(٥٢) - السيرة النبوية لابن هشام (٢٩٥/٢) وإسناده ثقات وابن إسحاق صرح بالتحديث . والحديث أصله في الصحيحين وقد تقدم قريبًا .

[١] - في ت : « الفتح » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « عباس » . [٣] - ما بين المعكوفتين مكررة في : ز .

[٤] - في ز ، خ: « الصالحي » .

وسلم - على بيعة النساء ، وذلك قبل أن يفرض الحرب ، على ألا نشرك بالله شيئًا ، ولا نسرق ، ولا نزني ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معروف . وقال[١] : « **فإن وَفَيتم فلكم الجنة** » . رواه ابن أبي حاتم .

وقد روى ابن جرير(٥٣) من طريق العوفي ، عن ابن عباس : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمر عمر بن الخطاب فقال: « **قل لهن : إن رسول الله يبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئا** » . وكانت هند بنة عتبة بن ربيعة التي شقت بطن حمزة مُنَكِرة في النساء ، فقالت : إني[٢] إن أتكلم يعرفني ، وإن عرفني قتلني . وإنما تنكرت فرقًا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسكت النسوة اللاتي مع هند[٣] ، وأبَيْنَ أن يتكلمن فقالت[٤] هند وهي مُنكِرة : كيف يقبل من النساء شيئًا لم يقبله من الرجال ؟ ففطن إليها رسول الله وقال لعمر : « **قل لهن : ولا تسرقن** » . قالت هند : والله إني لأصيب من أبي سفيان الهَنَات ، ما أدري أيحلهن لي أم لا ؟ قال أبو سفيان: ما أصبت من شيء مضى أو قد بقي، فهو لك حلال. فضحك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعرفها ، فدعاها فأخذت بيده[٥] ، فعاذت به ، فقال : « **أنت هند** » ؟ فقالت[٦] : عفا الله عما سلف فصرف عنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : « **ولا تزنين** » ، فقالت : يا رسول الله ، وهل تزني الحرة ؟ قال : « **لا ، والله ما تزني الحرة** » . فقال : « **ولا يقتلن أولادهن** » . قالت هند : أنت قتلتهم يوم بدر ، فأنت وهم أبصر قال : ﴿ **ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن** ﴾ قال : ﴿ **ولا يعصينك في معروف** ﴾ . قال : منعهن أن يَنُحنَ ، وكان أهل الجاهلية يمزقن الثياب ويخدشن الوجوه ، ويقطعن الشعور ، ويدعون بالثبور . والثبور : الويل .

وهذا أثر غريب ، وفي بعضه نكارة ، والله أعلم . فإن أبا سفيان وامرأته لما أسلما لم يكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يخيفهما ، بل أظهرا الصفاء والود له ، وكذلك كان الأمر من جانبه - عليه السلام - لهما .

وقال مقاتل بن حيان : أنزلت هذه الآية يوم الفتح ، فبايع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الرجال[٧] على الصفا ، وعمر يبايع النساء[٨] تحتها عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فذكر بقيته كما تقدم وزاد : فلما قال : ﴿ **ولا تقتلن أولادكن** ﴾ قالت هند :

(٥٣) - أخرجه الطبري (٢٨/٧٨) وإسناده لاتقوم به حجة .

[١] - سقط من : ز، خ .
[٢] - في ز ، خ: « أي » .
[٣] - في ز ، خ: « هذا » .
[٤] - في ز ، خ: « فقال » .
[٥] - في ز : « به » .
[٦] - في ت : « قالت » .
[٧] - سقط من : ز، خ .
[٨] - سقط من : ز، خ .

ربيناهم صغارًا فقتلتموهم كبارًا ، فضحك عمر بن الخطاب حتىٰ استلقىٰ . رواه ابن أبي حاتم .

وقال ابن أبي حاتم (٥٤) : حدثنا أبي ، حدثنا نصر بن علي ، حدثتني غبطة بنت [عمرو] ، [حدثتني عمتي ، عن جدتها][١] ، عن عائشة قالت : جاءت هند بنت عتبة إلىٰ رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - لتبايعه ، فنظر إلىٰ يدها فقال : « **اذهبي فغيري يدك** » . فذهبت فغيرتها[٢] [بحناء ، ثم][٣] جاءت فقال : « **أبايعك علىٰ أن لا تشركي بالله شيئًا** » . فبايعها وفي يدها سواران من ذهب ، فقالت : ما تقول في هذين السوارين ؟ فقال : « **جمرتان من جمر جهنم** » .

فقوله : ﴿ **يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك** ﴾ ، أي : من جاءك منهن يبايع علىٰ هذه الشروط ، فبايعها ، ﴿ **علىٰ أن لا يشركن بالله شيئًا ولا يسرقن** ﴾ ، أي : أموال الناس الأجانب ، فأما إذا كان الزوج مقصرًا في نفقتها ، فلها أن تأكل من ماله بالمعروف ، ما جرت به عادة أمثالها ، وإن كان بغير علمه ، عملًا بحديث هند بنت عتبة أنها قالت : « يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل شحيح ، لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بني ، فهل علي جناح إن أخذت من ماله بغير علمه ؟ فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: « **خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك** »(٥٥) . أخرجاه في الصحيحين .

وقوله : ﴿ **ولا يزنين** ﴾ ، كقوله : ﴿ **ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلًا** ﴾ وفي حديث سمرة(٥٦) ذكر عقوبة الزناة بالعذاب الأليم في نار الجحيم .

---

(٥٤) - أخرجه أبو يعلى (٨/١٩٤ - ١٩٥) (٤٧٥٤) من طريق نصر بن علي عن غبطة أم عمرو - عجوز من بني مجاشع عن عمتها عن جدتها عن عائشة به مطولًا . ومن طريقه المزي في تهذيب الكمال (٣٥/ ٢٤٥ - ٢٤٦) . وأخرجه أبو داود (٤١٦٥) من طريق مسلم إبراهيم عن غبطة فذكر طرفًا منه .
قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٦/٤٠) : رواه أبو يعلى وفيه من لم أعرفهن .اهـ . وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٨٩٤) .

(٥٥) - أخرجه البخاري في كتاب : البيوع ، باب : من أجرى أمر الأمصار على ما يتعارفون بينهم ، حديث (٢٢١١) (٤/٤٠٥) . وأطرافه في [٢٤٦٠، ٣٨٢٥، ٥٣٥٩، ٥٣٦٤، ٥٣٧٠، ٦٦٤١، ٧١٦١، ٧١٨٠] . ومسلم في كتاب : الأقضية ، باب : قضية هند ، حديث (٧ - ١٧١٤/٩) (١٢/ ١١ - ١٤) .

(٥٦) - وهو حديث رؤيا النبي - صلى الله عليه وسلم - في آخر كتاب التعبير من صحيح البخاري ، =

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « حدثني عمي عن جدي » .
[٢] - في ز ، خ: « فقيرتها » . [٣] - ما بين المعكوفتين بياض في : ز .

وقال الإمام أحمد (٥٧) : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت : جاءت فاطمة بنت عتبة تبايع النبي - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - فأخذ عليها : ﴿ **أن لا يشركن باللّٰه شيئًا ولا يسرقن ولا يزنين** ﴾ . الآية . قال : فوضعت يدها علىٰ رأسها حياء ، فأعجبه ما رأى منها ، فقالت عائشة : أقرّي أيتها المرأة ، فو اللّٰه ما بايعنا إلا علىٰ هذا . قالت : فنعم إذًا . فبايعها[١] بالآية .

وقال ابن أبي حاتم (٥٨) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا ابن فضيل ، عن حصين ، عن عامر - هو الشعبي - قال بايع رسول اللّٰه - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - النساء ، وعلىٰ يده ثوب قد وضعه علىٰ كفّه ، ثم قال : ولا تقتلن أولادكن . فقالت امرأة : تقتل آباءهم وتوصينا بأولادهم ؟ قال : وكان بعد ذلك إذا جاءه النساء يبايعنه ، جمعهن فعرض عليهن . فإذا أقررن رجعن .

وقوله : ﴿ **ولا يقتلن أولادهن** ﴾ : وهذا يشمل قتله بعد[٢] وجوده ، كما كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الإملاق ، ويعم قتله وهو جنين ، كما قد يفعله بعض الجهلة من النساء ، تطرح نفسها لئلا تحبل إما لغرض فاسد أو ما أشبهه .

وقوله : ﴿ **ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن** ﴾ - قال ابن عباس : يعني لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهم . وكذا قال مقاتل : ويؤيد هذا الحديث الذي رواه أبو داود(٥٩) :

حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن وهب ، حدثنا عمرو - يعني ابن الحارث - عن ابن الهاد ، عن عبد اللّٰه بن يونس ، عن سعيد المقْبُري ، عن أبي هريرة أنه سمع رسول اللّٰه - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - يقول حين نزلت آية الملاعنة : « **أيما امرأة أدخلت علىٰ قوم من ليس منهم ، فليست من اللّٰه في شيء ، ولن يدخلها اللّٰه جَنَّته ، وأيما رجل جَحَدَ ولده وهو**

= في باب : تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح ، حديث (٧٠٤٧) ، وفيه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - رأى مثل التنور وفيه لغط وأصوات . قال : « **فاطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة ، وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم ، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا** » . وكان هذا حال من زنا في الدنيا - نسأل الله العافية .

(٥٧) - أخرجه أحمد (١٥١/٦) (٢٥٢٨٤) وإسناده صحيح .

(٥٨) - في إسناده انقطاع ظاهر .

(٥٩) - أخرجه أبو داود في كتاب : الطلاق ، حديث (٢٢٦٣) (٢٧٩/٢) . وفي إسناده عبد الله بن يونس : مجهول . وضعف الحديث الشيخ الألباني في ضعيف سنن أبي داود برقم (٤٩٧) .

---

[١] - في ز ، خ: « يبايعها » . [٢] - في ز ، خ: « قبل » .

ينظر إليه ، احتجب اللَّه منه ، وفضحه علىٰ رءوس الأولين والآخرين » .

وقوله : ﴿ **ولا يعصينك في معروف** ﴾ ، يعني : فيما أمرتهن به من معروف ، ونهيتهن عنه من منكر .

قال البخاري(٦٠) : حدثنا عبد اللَّه بن محمد ، حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبي قال : سمعت الزبير ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **ولا يعصينك في معروف** ﴾ ، قال : إنما هو شرط شَرَطه اللَّه للنساء. وقال ميمون بن مهران : لم يجعل اللَّه لنبيّه طاعة إلا لمعروف. والمعروف طاعة. وقال ابن زيد : أمر اللَّه بطاعة رسوله ، وهو خيَرَة اللَّه من خلقه في المعروف .

وقد[١]قال غيره عن ابن عباس وأنس بن مالك وسالم بن أبي [الجعد وأبي][٢] صالح وغير واحد: نهاهن يومئذٍ عن النوح ، وقد تقدم حديث أم عطية في ذلك أيضًا .

وقال ابن جرير (٦١) : حدثنا بشر ، حدثنا يزيد ، حدثنا سعيد ، عن قتادة في [ ][٣] هذه الآية : ذكر لنا أن نبي اللَّه - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - أخذ عليهن النياحة ، ولا تحدثن[٤] الرجال إلا رجلًا منكن محرمًا. فقال عبد الرحمن بن عوف : يا نبي اللَّه ؛ إنَّ لنا أضيافًا ، وإنا نغيب عن نسائنا . فقال رسول اللَّه - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - : « **ليس أولئك عَنَيتُ . ليس أولئك عَنَيتُ** » .

وقال ابن أبي حاتم(٦٢) : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا إبراهيم بن موسىٰ الفراء ، أخبرنا ابن أبي زائدة ، حدثني مبارك ، عن الحسن قال : كان فيما أخذ النبي - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - : « **ألا يحدثن الرجال إلا أن تكون ذات محرم ، فإن الرجل لا يزال يحدث المرأة حتىٰ يَمذي[٥] بين فخذيه** » .

وقال ابن جرير (٦٣) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا هارون ، عن عمرو ، عن عاصم ، عن

---

(٦٠) - أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ **إذا جاءك المؤمنات يبايعنك** ﴾ ، حديث (٤٨٩٣) (٦٣٧/٨) .

(٦١) - أخرجه الطبري (٧٨/٢٨ - ٧٩) وإسناده منقطع .

(٦٢) - في إسناده انقطاع بين الحسن والنبي - صلى الله عليه وسلم .

(٦٣) - أخبرجه الطبري (٢٨/ ٧٩) وأصله في الصحيحين وقد تقدم قريبًا ، وانظر التالي .

---

[١] - في ت : « و » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « أسعد وأبو».

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « قوله » .

[٤] - في ز، خ : « يحدثن » .

[٥] - في ز ، خ: « تهدى » .

ابن سيرين ، عن أم عطية الأنصارية قالت : كان فيما اشتُرط علينا من المعروف حين بايعنا : أن لا ننوح فقالت امرأة من بني فلان : إن بني فلان أسعدوني ، فلا حتىٰ أجزيهم ! فانطلقت فأسعَدَتهم ، ثم جاءت فبايعت ، قالت : فما وفى منهن غيرها ، وغير أم سليم بنة ملحان أم أنس ابن مالك .

وقد روىٰ البخاري(٦٤) هذا الحديث من طريق حفصة بنت سيرين ، عن أم عطية نسيبة الأنصارية -رضي الله عنها - وقد روىٰ نحوه من وجه آخر أيضًا .

وقال ابن جرير(٦٥) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا عمر بن فروخ القَتَّاب ، حدثني مصعب بن نوح الأنصاري قال : أدركت عجوزًا لنا كانت فيمن بايع رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - قالت[١] : فأتيته لأبايعه ، فأخذ علينا فيما أخذ أن لا تنحن . فقالت عجوز : يا رسول الله ، إن ناسًا قد كانوا أسعدوني علىٰ مصائب أصابتني ، وإنهم قد أصابتهم مصيبة ، فأنا أريد أن أسعدهم . قال : « **فانطلقي فكافئيهم** » . فانطلقت فكافأتهم ، ثم إنها أتته فبايعته ، وقال : هو المعروف الذي قال الله عز وجل : ﴿ **ولا يعصينك في معروف** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم (٦٦) : حدثنا أحمد بن منصور الرمادي ، حدثنا القعنبي ، حدثنا الحجاج بن صفوان عن أسيد بن أبي أسيد البراد[٢] ، عن امرأة من المبايعات قالت : كان مما[٣] أخذ علينا رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - أن لا نعصيه في معروف : أن لا نخمش وجوهًا ، ولا ننشر شعرًا ، ولا نشق جيبًا ، [ولا ندعو ويلًا][٤] .

وقال ابن جرير (٦٧) : حدثنا أبو كُريب ، حدثنا وكيع ، عن يزيد مولىٰ الصهباء ، عن شهر بن حوشب ، عن أم سلمة ، عن رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - في قوله : ﴿ **ولا يعصينك في معروف** ﴾ ، قال : النوح .

---

(٦٤) - أخرجه البخاري في كتاب الأحكام ، باب : بيعة النساء ، حديث (٧٢١٥) (٢٠٣/١٣ - ٢٠٤) . وطرفاه في [١٣٠٦، ٤٨٩٢] .

(٦٥) - أخرجه الطبري (٧٩/٢٨) . وفي إسناده مصعب بن نوح الأنصاري وهو مجهول . الجرح والتعديل (٣٠٧/٨) .

(٦٦) - إسناده رجاله موثقون .

(٦٧) - أخرجه الطبري (٨٠/٢٨) وفيه شهر بن حوشب وهو ضعيف .

---

[١] - في ت : « قال » .

[٢] - في ز ، خ: « البزار » .

[٣] - في ت : « فيما » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ .

ورواه الترمذي في التفسير (٦٨) ، عن عبد بن حُميد ، عن أبي نُعَيم - وابن ماجة (٦٩) ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن وكيع - كلاهما عن يزيد بن عبد الله الشيباني مولىٰ الصهباء ، به . وقال الترمذي : « حسن غريب » .

وقال ابن جرير(٧٠) : حدثنا محمد بن سنان[١] القزاز ، حدثنا إسحاق بن إدريس ، حدثنا إسحاق [بن] عثمان بن[٢] يعقوب ، حدثني إسماعيل بن عبد الرحمن بن عطية ، عن جدته أم عطية قالت : لما قدم رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - جمع نساء الأنصار في بيت ، ثم أرسل إلينا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقام علىٰ الباب وسلم علينا ، فرددن - أو : فرددنا - عليه السلام - ثم قال : أنا رسولُ رسولِ الله - صلىٰ الله عليه وسلم - إليكن . قالت : فقلنا : مرحبًا برسول الله ، وبرسول رسول الله . فقال : تبايعن علىٰ أن لا تشركن بالله شيئًا ، ولا تسرقن ولا تزنين ؟ قالت : قلنا : نعم . قالت : فمد يده من خارج الباب - أو : البيت - ومددنا أيدينا من داخل البيت ، ثم قال : اللّهم اشهد . قالت وأمرنا[٣] في العيدين أن نخرج فيه الحُيَّض والعواتق ، ولا جمعة علينا ، ونهانا عن اتباع الجنائز قال إسماعيل : فسألت جدتي عن قوله : ﴿ **ولا يعصينك في معروف** ﴾ . قالت : النياحة .

وفي الصحيحين(٧١) من طريق الأعمش ، عن عبد الله بن مُرة ، عن مسروق ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - : « **ليس منا من ضرب الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوىٰ الجاهلية** » .وفي الصحيحين(٧٢) أيضًا عن أبي موسىٰ

---

(٦٨) - وأخرجه الترمذي في باب : ومن سورة الممتحنة ، حديث (٣٣٠٤) (٤٦/٩) .

(٦٩) - وابن ماجة في كتاب الجنائز ، باب : في النهي عن النياحة ، حديث (١٥٧٩) (٥٠٣/١) كلهم من طريق شهر وهو ضعيف .

(٧٠) - أخرجه الطبري (٨٠/٢٨ - ٨١) . وفي إسناده محمد بن سنان القزاز : ضعيف . وإسماعيل بن عبد الرحمن بن عطية ؛ قال الحافظ : مقبول .

وقد استدل البعض على حل المصافحة بهذا الحديث ، وهو ضعيف كما ترى ، وعلى فرض صحته فإنه ليس فيه دليل على ذلك القول ؛ لأن الحديث ليس فيه أن يده مست يد النساء ، بل إن الظاهر من نص الحديث خلاف ذلك .

(٧١) - أخرجه البخاري في كتاب الجنائز ، باب : ليس منا من ضرب الخدود ، حديث (١٢٩٧، ١٢٩٨) (١٦٦/٣) ، ومسلم في كتاب « الإيمان » ، باب : تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب ، والدعاء بدعوى الجاهلية ، حديث (١٦٥، ١٦٦/١٠٣) (١٤٤/٢) .

---

[١] - في ز ، خ: « يسار » .

[٢] - في ز ، خ: « بن » .

[٣] - في ز ، خ: « فأمرنا » .

أن رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - بريء من الصالقة والحالقة والشاقة.

وقال الحافظ أبو يعلي(٧٣) : حدثنا هُدبة بن خالد، حدثنا أبان بن يزيد، حدثنا يحيىٰ ابن أبي[١] كثير أن زيدًا حدثه أنَّ أبا سلام حدثه أن أبا مالك الأشعري حدثه أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «**أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن[٢] : الفخر في[٣] الأحساب. والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة، وقال: النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قَطِران، ودرع من جرب**».

ورواه مسلم(٧٤) في صحيحه منفردًا به من حديث أبان بن يزيد العطار به.

وعن أبي سعيد: أن رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - لعن النائحة والمستمعة، رواه أبو داود(٧٥).

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾

ينهى تبارك وتعالىٰ عن موالاة الكافرين في آخر هذه السورة كما نهى عنها[٤] في أولها فقال: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قومًا غضب الله عليهم**﴾ يعني اليهود والنصارىٰ وسائر الكفار، ممن[٥] غضب الله عليه ولعنه واستحق من الله الطرد والإبعاد، فكيف توالونهم وتتخذونهم أصدقاء وأخلاء، وقد يئسوا من الآخرة. أي: من ثواب الآخرة ونعيمها في حكم الله - عز وجل -.

وقوله: ﴿**كما يئس الكفار من أصحاب القبور**﴾، فيه قولان:

(٧٢) - أخرجه البخاري في الموضع السابق، باب: ما ينهى عن الحلق عند المصيبة، حديث (١٢٩٦) (٣/ ١٦٥)، ومسلم في الموضع السابق أيضًا، حديث (١٠٤/١٦٧) (٢/١٤٥ - ١٤٧).

(٧٣) - أخرجه أبو يعلى (١٤٨/٣) (١٥٧٧).

(٧٤) - ومسلم في كتاب: الجنائز، باب: التشديد في النياحة، حديث (٩٣٤/٢٩).

(٧٥) - أخرجه أبو داود في كتاب: الجنائز، باب: في النوح، حديث (٣١٢٨) (١٩٣/٣ - ١٩٤) وفي إسناده الحسن بن عطية، وعطية العوفي وكلاهما ضعيف.

[١] - سقط من: ز، خ.

[٢] - في ز، خ: «يتركوهن».

[٣] - في ز، خ: «من».

[٤] - في ز، خ: «عنه».

[٥] - في ت: «من».

أحدهما : كما يئس الكفار الأحياء من قراباتهم الذين في القبور أن يجتمعوا بهم بعد ذلك ؛ لأنهم لا يعتقدون بعثًا ولا نشورًا ، فقد انقطع رجاؤهم منهم فيما يعتقدونه .

قال[١] العوفي عن ابن عباس : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قومًا غضب الله عليهم** ...﴾ إلىٰ آخر السورة . يعني : من مات من الذين كفروا فقد يئس الأحياء من الذين كفروا أن يرجعوا إليهم أو يبعثهم الله -عز وجل- .

قال الحسن البصري : ﴿**كما يئس الكفار من أصحاب القبور**﴾ قال : الكفار الأحياء قد يئسوا من الأموات .

وقال قتادة : كما يئس الكفار أن يرجع إليهم أصحاب القبور الذين ماتوا . وكذا قال الضحاك . رواهن ابن جرير . والقول الثاني معناه كما يئس الكفار الذين هم في القبور من كل خير .

قال الأعمش ، عن أبي الضحىٰ ، عن مسروق ، عن ابن مسعود : ﴿ **كما يئس الكفار من أصحاب القبور** ﴾ ، قال : كما يئس هذا الكافر إذا مات وعاين ثوابه واطلع عليه وهذا قول مجاهد ، وعكرمة ، ومقاتل ، وابن زيد ، والكلبي ، ومنصور . وهو اختيار ابن جرير .

[**آخر تفسير سورة الممتحنة ولله الحمد**] .

☆ ☆ ☆

---

[١] - بياض في : ز .

تفسير سورة الصف

وهي مدنية

قال الإمام أحمد(١) - رحمه الله - : حدثنا يحيىٰ بن آدم ، حدثنا ابن المبارك ، عن الأوزاعي ، عن يحيىٰ بن أبي كثير ، عن أبي سلمة - و[١]عن عطاء بن يسار ، عن أبي سلمة ، عن عبد الله بن سلام قال : تذاكرنا : أيكم يأتي رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - فيسأله : أي الأعمال أحب إلىٰ الله ؟ فلم يقم منا أحد ، فأرسل رسولُ الله - صلىٰ الله عليه وسلم - إلينا رجلًا ، فجمعنا فقرأ علينا هذه السورة ، يعني سورة الصف كلها . هكذا رواه الإمام أحمد .

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا العباس بن الوليد بن مَزْيد البيروتي قراءة قال : أخبرني أبي ، سمعت الأوزاعي ، حدثني يحيىٰ بن أبي كثير ، حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن ، حدثني عبد الله بن سلام أن أناسًا من أصحاب رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - قالوا : لو أرسلنا إلىٰ رسول الله نسأله عن أحب الأعمال إلىٰ الله -عز وجل- ؟ فلم يذهب إليه أحد منَّا ، وهبْنَا أن نسأله عن ذلك ، قال : فدعا رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - أولئك النفر رجلًا رجلًا حتىٰ جمعهم ، ونزلتْ فيهم هذه السورة : (سبح) الصف - قال عبد الله بن سلام : فقرأها علينا رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - كلها . [قال أبو سلمة : وقرأها علينا عبد الله بن سلام كلها][٢] . قال يحيىٰ بن أبي كثير : وقرأها علينا أبو سلمة كلها[٣] . قال الأوزاعي : وقرأها علينا يحيىٰ بن أبي كثير كلها قال أبي : وقرأها علينا الأوزاعي كلها .

وقد رواه الترمذي(٢) عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي : حدثنا محمد بن كثير ، عن الأوزاعي ، عن يحيىٰ بن أبي[٤] كثير ، عن أبي سلمة ، عن عبد الله بن سلام قال : قعدنا نفرًا من أصحاب رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - فتذاكرنا ، فقلنا : لو نعلم أي الأعمال أحب إلىٰ الله - عز وجل - لعملناه . فأنزل الله : **﴿ سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ﴾** - قال عبد الله بن سلام : فقرأها علينا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم . قال أبو سلمة : فقرأها

---

(١) - **صحيح** ، أخرجه أحمد (٥/٤٥٢) (٢٣٩٠١) .

(٢) - **صحيح** ، أخرجه الترمذي في كتاب التفسير ، باب : ومن سورة الصف ، حديث (٣٣٠٦) . وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٦٣٦) .

---

[١] - سقط من : ز، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.

[٣] - سقط من : ز ، خ.

[٤] - سقط من : ز، خ .

علينا ابن سلام. قال يحيىٰ: فقرأها علينا أبو سلمة. قال ابن كثير: فقرأها علينا الأوزاعي. قال عبد الله: فقرأها علينا ابن كثير.

ثم قال الترمذي(٣): وقد خولف محمد بن كثير في إسناد هذا الحديث عن الأوزاعي، فرویٰ ابن المبارك، عن الأوزاعي، عن يحيىٰ بن أبي كثير، عن هلال بن أبي ميمونة، عن عطاء بن يسار، عن عبد الله بن سلام - أو: عن أبي سلمة، عن عبد الله بن سلام.

قلت: وهكذا رواه الإمام أحمد عن يعمر[١] عن ابن المبارك به.

قال الترمذي: وروىٰ الوليد بن مسلم هذا الحديث عن الأوزاعي نحو رواية محمد بن كثير.

قلت: وكذا رواه الوليد بن يزيد عن الأوزاعي، كما رواه ابن كثير.

قلت: وقد أخبرني بهذا الحديث الشيخ المسند أبو العباس أحمد بن أبي طالب الحجار قراءةً عليه، وأنا أسمع، أخبرنا أبو المُنَجَّا عبد الله بن عمر بن اللَّتيّ، أخبرنا أبو الوقت عبدالأول بن عيسىٰ بن شعيب السجزي قال: أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن المظفر بن محمد بن داود الداودي أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي أخبرنا عيسىٰ بن عُمَر بن عمران السمرقندي، أخبرنا الإمام الحافظ أبو محمد عبد الله بن عبدالرحمن الدارمي(٤) بجميع مسنده، أخبرنا محمد بن كثير، عن الأوزاعي ... فذكر بإسناده مثله، وتسلسل لنا[٢] قراءتها إلىٰ[٣] شيخنا أبي العباس الحجار، ولم يقرأها لأنه كان أميًّا، وضاق الوقت عن تلقينها إياه. ولكن أخبرني الحافظ الكبير أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - رحمه الله -: أخبرنا القاضي تقي الدين سليمان ابن الشيخ أبي عمر، أخبرنا أبو المُنَجَّا بن اللَّتيّ ... فذكره بإسناده، وتَسلل لي من طريقه، وقرأها عليَّ بكمالها، ولله الحمد والمنة.

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣) إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم

(٣) - أخرجه أحمد (٤٥٢/٥) (٢٣٩٠٢) بنحو رواية الترمذي السابقة.

(٤) - أخرجه الدارمي في كتاب الجهاد، باب: الجهاد في سبيل الله أفضل الأعمال، حديث (٢٣٩٥) (٢/ ١٢٠) وانظر ما سبق.

[١] - في ز، خ: «معمر».

[٢] - في ز، خ: «إلى».

[٣] - في ز: «أي».

بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾

تقدم الكلام علىٰ قوله : ﴿ سبح للّه ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ غير مرة ، بما أغنىٰ عن إعادته .

وقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾ إنكار على من يَعِدُ عِدَةً، أو يقول قولًا لا يفي به ، ولهذا استدل بهذه الآية الكريمة [من ذهب][١] من علماء السلف إلىٰ أنه يجب الوفاء بالوعد مطلقًا ، سواء ترتب عليه غُرم للموعود أم[٢] لا . واحتجوا أيضًا من السنة بما ثبت في الصحيحين(٥) أن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم؛ قال : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤْتُمِنَ خان » . وفي الحديث الآخر في الصحيح(٦) : « أربع من كنَّ فيه كان منافقًا خالصًا ، ومن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتىٰ يدعها » . فذكر منهن إخلاف الوعد . وقد استقصينا الكلام علىٰ هذين الحديثين في أول « شرح البخاري » ، وللّه الحمد والمنة ؛ ولهذا أكد تعالىٰ هذا الإنكار عليهم بقوله : ﴿ كَبُرَ مقتًا عند اللّه أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ .

وقد روىٰ الإمام أحمد(٧) وأبو داود عن عبد الله بن عامر بن ربيعة؛ قال: أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم [في بيتنا][٣] وأنا صبي، قال : فذهبت لأخرج ولألعب ، فقالت أمي : يا عبد اللّه ؛ تعال أعطك . فقال لها رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « وما أردت أن تُعطيه ؟ » قالت : تمرًا . فقال : « أما إنك لو لم تفعلي كُتبت عليك كذبة » .

وذهب الإمام مالك رحمه اللّه إلىٰ أنه إذا تعلق بالوعد غُرم علىٰ الموعود وجب الوفاء به ، كما لو قال لغيره : « تزوج ولك عليَّ كل يوم كذا » فتزوج ، وجب عليه أن يعطيه ما دام

(٥) - أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب : علامة المنافق ، حديث (٣٣) (٨٩/١) وأطرافه في [٢٦٨٢، ٢٧٤٩، ٦٠٩٥] ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب : بيان خصال المنافق ، حديث (١٠٧ - ٥٩/١١٠) (٦٢/٢ - ٦٤) .

(٦) - أخرجه البخاري في الموضع السابق برقم (٣٤) ، ومسلم في الموضع السابق عنده أيضًا برقم (١٠٦/ ٥٨) (٦١/٢ - ٦٢) .

(٧) - أخرجه أحمد (٤٤٧/٣) (١٥٧٤٤) . وأبو داود في باب : التشديد في الكذب ، حديث (٤٩٩١) (٢٩٨/٤) . كلاهما من طريق مولى من موالي عبد الله بن عامر عن عبد الله بن عامر - رضي الله عنه - به . وإسناده ضعيف لجهالة هذا المولى ؛ إلا أن الشيخ الألباني أورده في الصحيحة (٧٤٨) لشواهده .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.

[٢] - في ز ، خ: « أو » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.

كذلك ؛ لأنه تعلق به حق آدمي ، وهو مبنيٌّ على المضايقة .

وذهب الجمهور إلى[١] أنه لا يجب مطلقًا ، وحملوا الآية على أنها نزلت حين تمنوا فَرضيَّة الجهاد عليهم ، فلما فرض نكل عنه بعضهم ، كقوله تعالى : ﴿ **ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلًا أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **ويقول الذين آمنوا لولا نُزّلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت ...** ﴾ الآية . وهكذا هذه الآية معناها ، كما قال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون** ﴾ ، قال : كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون : لَوَددْنا أن الله - عز وجل - دلنا على أحب الأعمال إليه ، فنعمل به ، فأخبر الله نبيه أن أحب الأعمال : إيمانٌ بالله[٢] لا شك فيه ، وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقروا به .

فلما نزل الجهاد كره ذلك أناس من المؤمنين ، وشق عليهم أمره ، فقال الله سبحانه : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون** ﴾ . وهذا اختيار ابن جرير .

وقال مقاتل بن حَيّان : قال المؤمنون : لو نعلم أحبّ الأعمال إلى الله لعملنا به . فدلهم الله على أحب الأعمال إليه ، فقال : ﴿ **إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفًّا** ﴾ ، فبين لهم ، فابتلوا يوم أحد بذلك ، فولوا عن النبي صلى الله عليه وسلم مدبرين ، فأنزل الله في ذلك : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون** ﴾ ؟ وقال : أحبكم إليّ من قاتل في سبيلي .

ومنهم من يقول : أنزلت في شأن القتال . يقول الرجل : قاتلت ، ولم يقاتل . وطعنت ، ولم يطعن . وضربت ، ولم يضرب . وصبرت ، ولم يصبر .

وقال قتادة والضحاك : نزلت توبيخًا لقوم كانوا يقولون : قتلنا ، ضربنا ، طعنا ، وفعلنا . ولم يكونوا فعلوا ذلك .

وقال ابن زيد : نزلت في قوم من المنافقين كانوا يعدون المسلمين النصر ، ولا يوفون لهم بذلك .

وقال مالك عن زيد بن أسلم : ﴿ **لم تقولون ما لا تفعلون ؟** ﴾ قال : في الجهاد .

---

[١] - في ز ، خ: « على » . [٢] - في ت : « به » .

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد : ﴿ **لم تقولون ما لا تفعلون** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **كأنهم بنيان مرصوص** ﴾ [فما بين ذلك][١] في نفر من الأنصار ، فيهم عبد الله بن رواحة ، قالوا في مجلس : لو نعلم أيّ الأعمال أحبّ إلىٰ الله ، لعملنا بها حتىٰ نموت . فأنزل الله هذا فيهم . فقال عبد الله بن رواحة : لا أبرح حبيسًا في سبيل الله حتىٰ أموت . فقتل شهيدًا .

وقال ابن أبي حاتم(٨) : حدثنا أبي ، حدثنا فروة بن أبي المغراء ، حدثنا عليّ بن مسهر ، عن داود بن أبي هند ، عن أبي حَرْب بن[٢] أبي الأسود الدّيلي ، عن أبيه؛ قال : بعث أبو موسىٰ إلىٰ قراء أهل البصرة ، فدخل عليه منهم ثلاثمائة رجل ، كلهم قد قرأ القرآن ، فقال : أنتم قراء أهل البصرة وخيارهم . وقال : كنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدىٰ المسبحات ، فأنسيناها ، غير أني قد حفظت منها : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون** ﴾ . فتكتب شهادة في أعناقكم ، فتسألون عنها يوم القيامة .

ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفًا كأنهم بنيان مرصوص** ﴾ . فهذا إخبار منه تعالىٰ بمحبة عباده المؤمنين إذا اصطفوا مواجهين لأعداء الله في حومة الوغىٰ ، يقاتلون في سبيل الله مَن كفر بالله ، لتكون كلمة الله هي العليا ، ودينه هو الظاهر العالي علىٰ سائر الأديان .

قال الإمام أحمد (٩) : حدثنا عليّ بن عبد الله ، حدثنا هشيم ، قال : مجالد أخبرنا عن أبي الودّاك ، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ثلاثة يضحك الله إليهم : الرجل يقوم من الليل ، والقوم إذا صفوا للصلاة ، والقوم إذا صفوا للقتال** » .

ورواه ابن ماجة من حديث مجالد عن أبي الوداك جبر بن نوف به .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، حدثنا الأسود - يعني : ابن شيبان - حدثني يزيد بن عبد الله بن الشخير ، قال : قال مُطَرّف : كان يبلغني

(٨) - إسناده رجاله ثقات .

(٩) - أخرجه أحمد (٣/٨٠) (١١٧٧٧) . وابن ماجة في « المقدمة » ، باب : فيما أنكرت الجهمية ، حديث (٢٠٠) (١/٧٣) . وفي إسناده مجالد وهو ابن سعيد : ليس بالقوي . قال البوصيري في الزوائد (١/٨٧) : هذا إسناد فيه مقال : مجالد بن سعيد وإن أخرج له مسلم ، فإنما روى له مقرونًا بغيره . قال ابن عدي : عامة ما يرويه غير محفوظ . وعبد الله بن إسماعيل ، قال أبو حاتم : مجهول ، وذكره في الميزان . انتهى .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.

[٢] - في ز ، خ: « عن ابن » .

عن أبي ذر حديث كنت أشتهي لقاءه ، فلقيته فقلت : يا أبا ذر ، كان يبلغني عنك حديث ، فكنت أشتهي لقاءك. فقال: لله أبوك ! فقد لقيت ، فهات . فقلت : كان يبلغني عنك أنك تزعم أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حدثكم أن الله يحب ثلاثة ويبغض ثلاثة ؟ قال : أجل ، فلا إخالني أكذب علىٰ خليلي صلىٰ الله عليه وسلم ! قلت : فمن هؤلاء الثلاثة الذين يحبهم الله ؟ قال : رجل غزا في سبيل الله ، خرج محتسبًا مجاهدًا فلقي العدو فقتل ، وأنتم تجدونه في كتاب الله المنزل ، ثم قرأ : ﴿ **إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفًا كأنهم بنيان مرصوص** ﴾ ... وذكر الحديث .

هكذا أورد هذا الحديث من هذا الوجه بهذا السياق ، وبهذا اللفظ ، واختصره .

وقد أخرجه الترمذي(١٠) والنسائي من حديث شعبة ، عن منصور بن المعتمر ، عن ربعي ابن حِرَاش[١] ، عن زيد بن ظَبْيان ، عن أبي ذَر بأبسط من هذا السياق وأتم . وقد أوردناه في مواضع أخر ، ولله الحمد .

وعن كعب الأحبار أنه قال : يقول الله تعالىٰ لمحمد صلىٰ الله عليه وسلم : عبدي المتوكل المختار ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، مولده بمكة ، وهجرته بطابة ، وملكه بالشام ، وأمته الحمادون[٢] يحمدُون الله علىٰ كلّ حال ، وفي كل منزلة ، لهم دويّ كدويّ النحل في جو السماء بالسحَر ، يُوَضّون أطرافهم ، ويأتزرون علىٰ أنصافهم ، صفهم في القتال مثل صفهم في الصلاة ، ثم قرأ : ﴿ **إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفًا كأنهم بنيان مرصوص** ﴾ ، رعاة الشمس ، يصلون الصلاة حيث أدركتهم ، ولو علىٰ ظهر دابة[٣] . رواه ابن أبي حاتم .

---

(١٠) - أخرجه الترمذي في كتاب صفة الجنة ، باب : ثلاثة يحبهم الله ، حديث (٢٥٧٠) (٢٤٢/٧) من طريق الأعمش عن منصور ، وحديث (٢٥٧١) من طريق شعبة . والنسائي (٢٠٧/٣) ، (٨٤/٥) من طريق شعبة . وفي إسناده زيد بن ظبيان ، قال الحافظ : مقبول . قال الترمذي : هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وهو غير محفوظ - يعني طريق ابن عياش عن الأعمش - والصحيح ما روى شعبة وغيره عن منصور عن ربعي بن خراش عن زيد بن ظبيان عن أبي ذر عن النبي - صلى الله عليه وسلم .

وأبو بكر بن عياش كثير الغلط .

وقال بعد الثاني : حسن صحيح .

والحديث ضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (٤٧١ - ٢٧٠٦) ، (٤٧٢ - ٢٧٠٩) .

---

[١] - في ز ، خ: « خراش » .

[٢] - في ز ، خ: « الحامدون » . [٣] - في ز ، خ: « دابته » .

وقال سعيد بن جبير في قوله : ﴿ **إن اللّه يحب الذين يقاتلون في سبيله صفًّا** ﴾ ، قال : كان رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم لا يقاتل العدو إلا أن يصافهم ، وهذا تعليم من اللّه للمؤمنين . قال : وقوله : ﴿ **كأنهم بنيان مرصوص** ﴾ : ملتصق بعضه في بعض ، من الصف في القتال .

وقال مقاتل بن حيان : ملتصق بعضه إلى بعض .

وقال ابن عباس : ﴿ **كأنهم بنيان مرصوص** ﴾ : مُثبَّت ، لا يزول ، ملصق بعضه ببعض .

وقال قتادة : ﴿ **كأنهم بنيان مرصوص** ﴾ : ألم تر إلىٰ صاحب[١] البنيان ، كيف لا يحب أن يختلف بنيانه ؟ فكذلك اللّه - عز وجل - لا[٢] يختلف أمره ، وإن اللّه صف المؤمنين في قتالهم وصفَّهم في صلاتهم ، فعليكم بأمر اللّه ، فإنه عصمة لمن أخذ به . أورد ذلك كله ابن أبي حاتم .

وقال ابن جرير (١١) : حدثني سعيد بن عَمرو السكوني ، حدثنا بقية بن الوليد ، عن أبي بكر بن أبي مريم ، عن يحيىٰ بن جابر الطائي ، عن أبي بحريَّة ؛ قال : كانوا يكرهون القتال علىٰ الخيل ، ويستحبون القتال علىٰ الأرض ، لقول اللّه -عز وجل- : ﴿ **إن اللّه يحب الذين يقاتلون في سبيله صفًّا كأنهم بنيان مرصوص** ﴾ ، قال : وكان أبو بحرية يقول : إذا رأيتموني التفتُّ في الصف فَجَئُوا في لَحْيي .

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن عبده ورسوله وكليمه موسىٰ بن عمران - عليه السلام - : إنه قال لقومه : ﴿ **لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول اللّه إليكم** ﴾ ، أي : لم توصلون الأذىٰ إليّ ، وأنتم تعلمون صدقي فيما جئتكم به من الرسالة ؟ وفي هذا تسلية لرسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم فيما أصاب من الكفار من قومه وغيرهم ، وأمرٌ له بالصبر ؛ ولهذا قال : « **رحمة**

(١١) - أخرجه الطبري (٢٨/٨٦) وفي إسناده بقية بن الوليد وهو مدلس .

[١] - في ز، خ : « أصحاب » . [٢] - في ز ، خ: « أن » .

اللّه علىٰ موسى ، لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر »(١٢) .

وفيه نهي للمؤمنين أن ينالوا من النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم أو يُوَصِّلوا إليه أذى ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسىٰ فبرأه اللّه مما قالوا وكان عند اللّه وجيهًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **فلما زاغوا أزاغ اللّه قلوبهم** ﴾ ، أي : فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به ، أزاغ اللّه قلوبهم عن الهدىٰ ، وأسكنها الشك والحيرة والخذلان ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون** ﴾ . وقال : ﴿ **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدىٰ [ويتبع غير سبيل المؤمنين]**[١] **نوله ما تولىٰ ونصله جهنم وساءت مصيرًا** ﴾ ؛ ولهذا قال تعالىٰ في هذه الآية : ﴿ **واللّه لا يهدي القوم الفاسقين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وإذ قال عيسىٰ ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول اللّه إليكم مصدقًا لما بين يدي من التوراة ومبشرًا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد** ﴾ . يعني : التوراة قد بَشَّرت بي ، وأنا مصداقُ ما أخبرت عنه ، وأنا مُبَشر بمن بعدي ، وهو الرسول النبي الأمي العربي المكي أحمد . فعيسىٰ - عليه السلام - هو خاتم أنبياء بني إسرائيل ، وقد أقام في ملإ بني إسرائيل مبشرًا بمحمد ، وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، الذي لا رسالة بعده ولا نبوة . وما أحسن ما أورد البخاري(١٣) الحديث الذي قال فيه :

حدثنا أبو اليمان ، حدثنا شعيب ، عن الزهري؛ قال : أخبرني محمد بن جُبَير بن مُطعم ، عن أبيه؛ قال : سمعت رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم؛ يقول : « **إن لي أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذي يَمْحو اللّه به الكفر ، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس علىٰ قدمي ، وأنا العاقب** » .

ورواه مسلم من حديث الزهري به نحوه .

وقال أبو داود الطيالسي(١٤) : حدثنا المسعودي ، عن عمرو بن مُرّة ، عن أبي عُبَيدة ،

(١٢) - أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب : غزوة الطائف ، حديث (٤٣٣٥، ٤٣٣٦) (٨/٥٥) .

(١٣) - أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ **يأتي من بعدى اسمه أحمد** ﴾ ، حديث (٤٨٩٦) (٨/ ٦٤٠، ٦٤١) . ومسلم في كتاب الفضائل ، باب : في أسمائه - صلى الله عليه وسلم - حديث (١٢٤، ١٢٥/ ٢٣٥٤) (١٥/١٥٢ - ١٥٤) .

(١٤) - أخرجه الطيالسي في مسنده (٦٧) برقم (٤٩٢) وليس عند الطيالسي « نبي الرحمة » ، وهى =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ .

عن أبي موسىٰ؛ قال: سمىٰ لنا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم نفسه أسماء، منها ما حفظنا، فقال: «**أنا محمد، و[ ][١] أحمد، والحاشر، والمقفي، ونبي الرحمة، والتوبة، والملحمة**». ورواه مسلم(١٥) من حديث الأعمش عن عمرو بن مرة به.

وقد قال اللَّه تعالىٰ: ﴿ **الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل** ﴾ .. الآية. وقال تعالىٰ: ﴿ **وإذ أخذ اللَّه ميثاق النبيين لَمَا آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم علىٰ ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين** ﴾. قال ابن عباس: ما بعث اللَّه نبيًّا إلا أخذ عليه العهد: لئن بعث محمد وهو حي ليتبعنه، وأخذ عليه أن يأخذ علىٰ أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليتبعنه وينصرنه.

وقال محمد بن إسحاق (١٦): حدثني ثور بن يَزِيد، عن خالد بن مَعْدَان، عن أصحاب رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنهم قالوا: يا رسول اللَّه؛ أخبرنا عن نفسك. قال: «**دعوة أبي إبراهيم، وبشرىٰ عيسىٰ، ورأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرىٰ من أرض الشام**». وهذا إسناد جيد، وروي له شواهد من وجوه أخر، فقال الإمام أحمد(١٧):

حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا معاوية بن صالح، عن سعيد بن سُوَيد الكلبي، عن عبد الأعلىٰ بن هلال السلمي، عن العرباض بن سارية؛ قال: قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم: «**إني عند اللَّه لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بأول ذلك: دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسىٰ بي، ورؤيا أمي التي رأت، وكذلك أمهات النبيين يَرَين**».

= عند مسلم وليس عنده «نبي الملحمة».

(١٥) - هو عند مسلم في كتاب الفضائل، باب: في أسمائه - صلى الله عليه وسلم - حديث (١٢٦/ ٢٣٥٥) (١٥/١٥٤).

(١٦) - سيرة ابن هشام (١/١٠٧ وما بعدها) وإسناده ثقات وابن إسحاق صرح بالتحديث إلا أن خالد بن معدان يرسل كثيرًا.

(١٧) - أخرجه أحمد (٤/١٢٧) (١٧٢٠٠). وفي إسناده سعيد بن سويد؛ ذكره ابن حبان في الثقات، وقال البخاري: لم يصح حديثه - يعني هذا الحديث -، وخالفه ابن حبان والحاكم فصححاه. «التعجيل» (١٥٢). وعبد الأعلى بن هلال: ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٦/٢٥) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا.

---

[١] - في ز، خ: «أنا».

وقال أحمد أيضًا(١٨) : حدثنا أبو النضر ، حدثنا الفرج بن فضالة ، حدثنا لقمان بن عامر؛ قال : سمعت أبا أمامة؛ قال : قلت : يا نبيّ اللَّه ، ما كان بدء أمرك ؟ قال : **« دعوة أبي إبراهيم ، وبشرىٰ عيسىٰ ، ورأت أمي أنه يخرجُ منها نورٌ أضاءت له قصورُ الشام »** .

وقال أحمد أيضًا(١٩) : حدثنا حسن بن موسىٰ ، سمعت حُدَيجًا[١] أخا زهير بن معاوية ، عن أبي إسحاق ، عن عبد اللَّه بن عتبة ، عن عبد اللَّه بن مسعود؛ قال : بعثنا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم إلىٰ النجاشي ونحن نحوٌ من ثمانين رجلًا ، منهم : عبد اللَّه بن مسعود ، وجعفر ، وعبد اللَّه بن عرفطة[٢] ، وعثمان بن مظعون ، وأبو موسىٰ . فأتوا النجاشي ، وبعَثت قريش عَمرو بن العاص ، وعمارة بن الوليد بهدية ، فلما دخلا على النجاشي سَجَدا له ، ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله ، ثم قالا له : إن نفرًا من بني عمنا نزلوا أرضك ، ورغبوا عنا وعن ملتنا . قال : فأين هم ؟ قالا : هم في أرضك ، فابعث إليهم . فبعث إليهم ، فقال جعفر : أنا خطيبكم اليوم . فاتبعوه فسلّم ولم يسجد ، فقالوا له : مالك لا تسجد للملك ؟ قال : إنا لا نسجد إلا للَّه -عز وجل- قال : وما ذاك ؟ قال : إن اللَّه بعث إلينا رسوله فأمرنا أن لا نسجد لأحد إلا للَّه - عز وجل - وأمرنا بالصلاة والزكاة . قال عمرو بن العاص : فإنهم يخالفونك في عيسىٰ ابن مريم . قال : ما تقولون في عيسىٰ ابن مريم وأمه ؟ قالوا : نقول كما قال اللَّه عز وجل : هو كلمة اللَّه وروحه ألقاها إلىٰ العذراء البَتُول التي لم يمسها بشر ، ولم يفرضها ولد . قال : فرفع عودًا من الأرض ثم قال : يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان ؛ واللَّه ما يزيدون علىٰ الذي نقول فيه ما يساوي هذا ، مرحبًا بكم وبمن جئتم من عنده ، أشهد أنه رسول اللَّه ، وأنه الذي نجد في الإنجيل ، وأنه الذي بشر به عيسىٰ ابن مريم . انزلوا حيث شئتم ، واللَّه لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتىٰ أكون أنا أحمل

(١٨) - أخرجه أحمد (٢٦٢/٥) (٢٢٣٦١) . وفي إسناده فرج بن فضالة وهو ضعيف . قال الهيثمي في «مجمع الزوائد » (٢٢٥/٨) : رواه أحمد وإسناده حسن وله شواهد تقويه .اهـ .

(١٩) - أخرجه أحمد (٤٦٠/١) (٤٤٠٠) . وفي إسناده خديج بن معاوية ، قال أبو حاتم : محله الصدق ، وليس مثل أوخويه ، في بعض حديثه ضعف ، يكتب حديثه . وقال البخاري يتكلمون في بعض حديثه . وقال النسائي : ضعيف . اهـ من تهذيب الكمال . وقال الحافظ : صدوق يخطئ . وأبو إسحاق السبيعي مدلس وقد عنعن . قال ابن كثير في البداية والنهاية (٨٨/٣) بعد إيراده لهذا الحديث : وهذا إسناد جيد قوي ، وسياق حسن ، وفيه ما يقتضي أن أبا موسى كان ممن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة ، إن لم يكن ذكره مدرجًا من بعض الرواة ، والله أعلم ، وقد روي عن أبي إسحاق السبيعي من وجه آخر .اهـ . راجع البداية والنهاية للمصنف (٨٤/٣ وما بعدها) .

[١] - في ز ، خ: « خديجًا » . [٢] - بياض في : ز ، خ.

نعليه وأوضئه . وأمَرَ بهدية الآخرَين فردّت إليهما ، ثم تعجل عبد الله بن مسعود حتىٰ أدرك بدرًا ، وزعم أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم استغفر له حين بلغَه موته .

وقد رُويت هذه القصةُ عن جعفر وأم سلمة -رضي الله عنهما- وموضع ذلك كتاب السيرة . والقصد[١] أن الأنبياء - عليهم السلام - لم تزل تنعته وتحكيه في كتبها علىٰ أممها ، وتأمرهم باتباعه ونصره وموازرته إذا بعث ، وكان ما اشتهر الأمر في أهل الأرض علىٰ لسان إبراهيم الخليل والد[٢] الأنبياء بعده ، حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولًا منهم ، وكذا علىٰ لسان عيسىٰ ابن مريم ؛ ولهذا قالوا : « **أخبِرنا عن بَدْء أمرك** » . يعني في الأرض ، قال : « **دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسىٰ ابن مريم ، ورؤيا أمي التي رأت** » . أي : ظهر في أهل مكة أثر ذلك ، والإرهاص[٣] بذكره صلوات الله وسلامه عليه .

وقوله : ﴿ **فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين** ﴾ ، قال ابن جريج وابن جرير : ﴿ **فلما جاءهم** ﴾ أحمد ، أي : المبشر به في الأعصار المتقادمة ، المنوه بذكره في القرون السالفة ، لما ظهر أمره وجاء بالبينات قال الكفرة المخالفون : ﴿ **هذا سحر مبين** ﴾ .

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **ومن أظلم ممن افترىٰ علىٰ الله الكذب وهو يدعىٰ إلىٰ الإسلام** ﴾ ، أي : لا أحد أظلم ممن يفتري الكذب علىٰ الله ، ويجعل له أندادًا وشركاء ، وهو يدعىٰ إلىٰ التوحيد والإخلاص ؛ ولهذا قال : ﴿ **والله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم** ﴾ ، أي : يحاولون أن يَرُدوا الحق بالباطل ، ومثلهم في ذلك كمثل من [يريد أن][٤] يطفئ شعاع الشمس بفيه ، وكما أن هذا مستحيل كذلك[٥] ذاك مستحيل ؛ ولهذا قال : ﴿ **والله متم نوره ولو كره الكافرون * هو الذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره علىٰ الدين كله ولو كره المشركون** ﴾ ،

---

[١] - في ت : « المقصد » .
[٢] - في ز ، خ: « و » .
[٣] - بياض في : ز، خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ .
[٥] - في ت : « كذاك » .

وقد تقدم الكلام علىٰ هاتين الآيتين في « سورة براءة » بما فيه كفاية، ولله الحمد والمنّة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣﴾

تقدم في حديث عبد الله بن سلام أن الصحابة - رضي الله عنهم - أرادوا أن يسألوا عن أحب الأعمال إلىٰ الله - عز وجل - ليفعلوه فأنزل الله هذه السورة، ومن جملتها هذه الآية: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم علىٰ تجارة تنجيكم من عذاب أليم** ﴾ ثم فسر هذه التجارة العظيمة التي لا تبور، التي هي [متحصل الموجود][١] ومزيلة للمحذور، فقال: ﴿ **تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون** ﴾، أي: من تجارة الدنيا، والكد لها والتصدي لها وحدها.

ثم قال: ﴿ **يغفر لكم ذنوبكم** ﴾، أي: إن فعلتم ما أمرتكم به ودللتكم عليه، غفرت لكم الزلات، وأدخلتكم الجنات، والمساكن الطيبات، والدرجات العاليات؛ ولهذا قال: ﴿ **ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم** ﴾.

ثم قال: ﴿ **وأخرىٰ تحبونها** ﴾ [أي: وأزيدكم علىٰ ذلك زيادة تحبونها][٢]، وهي: ﴿ **نصر من الله وفتح قريب** ﴾ أي: إذا قاتلتم في سبيله ونصرتم دينه، تكفل الله بنصركم، قال الله تعالىٰ: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز** ﴾ وقوله: ﴿ **وفتح قريب** ﴾، أي: عاجل. فهذه الزيادة هي خير الدنيا موصول بنعيم الآخرة، لمن أطاع الله ورسوله ونصر الله ودينه؛ ولهذا قال: ﴿ **وبشر المؤمنين** ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ت: « محصلة للمقصود ».

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

﴿ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ (١٤)

يقول تعالىٰ آمرًا عبادَه المؤمنين أن يكونوا أنصار اللَّه في جميع أحوالهم، بأقوالهم وأفعالهم وأنفسهم وأموالهم، وأن يستجيبوا للَّه ولرسوله، كما استجاب الحواريون لعيسىٰ حين قال: ﴿ من أنصاري إلىٰ اللَّه ﴾؟ أي: من مُعيني في الدعوة إلىٰ اللَّه عز وجل؟ ﴿ قال الحواريون ﴾ - وهم أتباع عيسىٰ عليه السلام -: ﴿ نحن أنصار اللَّه ﴾، أي: نحن أنصارك علىٰ ما أرسلتَ به ومُوَازِروك علىٰ ذلك؛ ولهذا بعثهم دعاةً إلىٰ الناس في بلاد الشام في الإسرائيليين واليونانيين. وهكذا كان رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول في أيام الحج: «من رجل يُؤويني حتىٰ أبلغ رسالة ربي، [فإن قريشًا قد منعوني أن أبلغ رسالة ربي»][1](٢٠) حتىٰ قيض اللَّه - عز وجل - له الأوس والخزرج من أهل المدينة، فبايعوه ووازروه، وشارطوه أن يمنعوه من الأسود والأحمر إن هو هاجر إليهم، فلما هاجر إليهم بمن معه من أصحابه وَفَوا له بما عاهدوا اللَّه عليه، ولهذا سماهم اللَّه ورسوله الأنصارَ، وصار ذلك علمًا عليهم، رضي اللَّه عنهم وأرضاهم.

وقوله: ﴿ فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة ﴾ أي: لما بلغ عيسىٰ ابن مريم - عليه السلام - رسالة ربه إلىٰ قومه، و[2]وازره مَن وازره من الحواريين، اهتدت طائفة من بني إسرائيل بما جاءهم به، وضلت طائفة فخرجت عما جاءهم به، وجحدوا بنبوته[3]، ورموه وأمه بالعظائم، وهم اليهود عليهم لعائن اللَّه المتتابعة إلىٰ يوم القيامة!! وغلت فيه طائفة ممن اتبعه، حتىٰ رفعوه فوق ما أعطاه اللَّه من النبوة، وافترقوا فِرَقًا وشِيَعًا، فمن قائل منهم: إنه ابن اللَّه، وقائل: إنه ثالث ثلاثة: الأب، والابن، وروح القدس، ومن قائل: إنه اللَّه. وكل هذه الأقوال مفصلة في سورة النساء.

وقوله: ﴿ فأيدنا الذين آمنوا علىٰ عدوهم ﴾، أي: نصرناهم علىٰ من عاداهم من فِرق

(٢٠) - أخرجه أحمد (٣/٣٢٢ - ٣٢٣) (١٤٤٩٨)، والبيهقي (٨/١٤٦) كتاب: قتال أهل البغي، باب: كيفية البيعة، من طريق أبي الزبير عن جابر مطولًا. وإسناده صحيح، وصححه ابن حبان (٦٢٧٤)، والحاكم (٢/٦٢٤ - ٦٢٥) ووافقه الذهبي. وحسنه الحافظ ابن حجر في الفتح (٧/٦٣). وقد أخرجه أبو داود (٤٧٣٤)، والترمذي (٢٩٢٦)، والنسائي في الكبرى (٧٧٢٧)، وابن ماجة (٢٠١) مختصرًا من طريق سالم عن جابر نحو هذا اللفظ.

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز،خ.

[٢] - سقط من: ز، خ.

[٣] - في ت: «نبوته».

النصارىٰ ، ﴿ **فأصبحوا ظاهرين** ﴾ أي : عليهم ، وذلك ببعثة محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير(٢١) رحمه اللَّه :

حدثني أبو السائب ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المنهال - يعني ابن عمرو - عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - قال : لما أراد اللَّه - عز وجل - أن يرفع عيسىٰ إلىٰ السماء ، خرج إلىٰ أصحابه ، وهم في بيت اثنا عشر رجلًا ، من عين في البيت ، ورأسه يقطر ماء ، فقال : إن منكم من يكفر بي اثنتي عشرة مرةً بعد أن آمن بي . قال : ثم قال : أيكم يلقىٰ عليه شبهي فيقتل مكاني ، ويكون معي في درجتي ؟ قال : فقام شاب من أحدثهم سنًّا فقال : أنا . قال : فقال له[١] : اجلس . ثم أعاد عليهم ، فقام الشاب فقال : أنا . فقال له : اجلس . ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال : أنا . فقال : نعم ، أنت ذاك . قال : فألقي عليه شبه عيسىٰ ، ورُفع عيسىٰ - عليه السلام - من روْزنة في البيت إلىٰ السماء ، قال : وجاء الطلَبُ من اليهود ، فأخذوا شِبْهه فقتلوه وصلبوه ، وكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن به ، فتفرقوا ثلاث فرق ، قالت فرقة : كان اللَّه فينا ما شاء ، ثم صعد إلىٰ السماء ، وهؤلاء اليعقوبية ، وقالت فرقة : كان فينا ابن اللَّه ما شاء ، ثم رفعه إليه - وهؤلاء النسطورية - وقالت فرقة : كان فينا عبد اللَّه ورسوله ما شاء اللَّه ثم رفعه إليه - وهؤلاء المسلمون - فتظاهرت الكافرتان علىٰ المسلمة ، فقتلوها ، فلم يزل الإسلام طامسًا حتىٰ بعث اللَّه محمدًا صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، ﴿ **فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة** ﴾ ، يعني : الطائفة التي كفرت من بني إسرائيل في زمن عيسىٰ ، والطائفة التي آمنت في زمن عيسىٰ ، ﴿ **فأيدنا الذين آمنوا علىٰ عدوهم فأصبحوا ظاهرين** ﴾ ، بإظهار محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم دينهم علىٰ دين الكفار ، ﴿ **فأصبحوا ظاهرين** ﴾ .

هذا لفظه في كتابه عند تفسير هذه الآية الكريمة . وهكذا رواه النسائي عند تفسير هذه الآية من سننه ، عن أبي كريب محمد بن العلاء[٢] ، عن أبي معاوية ، بمثله سواء فأمة محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم لا يزالون ظاهرين علىٰ الحق ، حتىٰ يأتي أمر اللَّه وهم كذلك ، وحتىٰ يقاتل آخرهم الدجال مع المسيح عيسىٰ ابن مريم - عليه السلام - كما وردت

(٢١) - أخرجه الطبري في تفسيره (٢٨/٩٢) . (٢٢) - والنسائي في الكبرى في كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ **فآمنت طائفة من بنى إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم** ﴾ ، حديث (١١٥٩١) (٦/٤٨٩ - ٤٩٠) . والحديث عزاه المصنف في « البداية والنهاية » (٢/١٠٨ - ١٠٩) لأبي حاتم من طريق أحمد بن سنان عن أبي معاويه بهذا الإسناد ثم قال : وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس على شرط مسلم . اهـ .

[١] - سقط من : ز ، خ. [٢] - في ز ، خ: « المعلى » .

الأحاديث الصحاح ، والله أعلم .

[**أخر تفسير سورة « الصفّ »** ولله الحمد والمنّة][١] .

☆ ☆ ☆

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.

تفسير سورة الجمعة

وهي مدنية

عن ابن عباس ، وأبي هريرة : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة « الجمعة » و« المنافقون[١] » . رواه مسلم في صحيحه (١) .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾

يخبر تعالىٰ أنَّه يُسَبح له ما في السموات وما في الأرض ، أي : من جميع المخلوقات ناطقها وجامدها ، كما قال : ﴿ **وإن من شيء إلا يسبح بحمده** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **الملك القدوس** ﴾ ، أي : هو مالك السموات والأرض ، المتصرف فيهما بحكمه ، وهو ﴿ **القدوس** ﴾ ، أي[٢] : المنزه عن النقائص ، الموصوف بصفات الكمال . ﴿ **العزيز الحكيم** ﴾ تقدم تفسيره غير مرة .

وقوله تعالى : ﴿ **هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم** ﴾ ، الأميون هم : العرب كما قال تعالىٰ : ﴿ **وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد** ﴾ وتخصيص الأميين بالذكر لا ينفي من عداهم ، ولكن المنة عليهم أبلغ وآكد ، كما في قوله : ﴿ **وإنه لذكر لك ولقومك** ﴾ وهو ذكر لغيرهم[٣] يتذكرون به ، وكذا قوله : ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ وهذا وأمثاله لا ينافي

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجمعة ، حديث (٨٧٧/٦١) (٢٣٦/٦) من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه . وحديث (٨٧٩/٦٤) (٢٣٨/٦ - ٢٣٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنه .

[١] - في ز ، خ: « المنافقين » .
[٢] - سقط من : ز، خ .
[٣] - في ت : « لقومهم » .

قوله تعالىٰ : ﴿ **قل يا أيها الناس إني رسول اللّٰه إليكم جميعًا** ﴾ . وقوله : ﴿**لأنذركم به ومن بلغ**﴾ وقوله إخبارًا عن القرآن : ﴿ **ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده** ﴾ ، إلىٰ غير ذلك من الآيات الدالة علىٰ عموم بعثته - صلوات اللّٰه وسلامه عليه - إلىٰ جميع الخلق ، أحمرهم وأسودهم ، وقد قدمنا تفسير ذلك في سورة الأنعام ، بالآيات والأحاديث الصحيحة ، وللّٰه الحمد والمنة .

وهذه الآية هي مصداق إجابة الله لخليله[١] إبراهيم حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولًا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة . فبعثه اللّٰه - سبحانه وتعالىٰ، وله الحمد والمنة - علىٰ حين فترة من الرسل ، وطُمُوس من السبل ، وقد اشتدت الحاجة إليه ، وقد مقت اللّٰه أهل الأرض عربهم وعجمهم ، إلا بقايا من أهل الكتاب - أي : نزرًا يسيرًا - [ممن تمسك][٢] بما بعث الله به عيسىٰ ابن مريم -عليه السلام- ولهذا قال تعالى : ﴿**هو الذي بعث في الأميين رسولًا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين** ﴾ . وذلك أن العرب كانوا متمسكين بدين إبراهيم - عليه السلام - فبدلوه وغيروه ، وقلبوه[٣] وخالفوه ، واستبدلوا بالتوحيد شركًا ، وباليقين شكًا ، وابتدعوا أشياء لم يأذن بها اللّٰه ، وكذلك أهل الكتابين قد بدلوا كتبهم وحرفوها وغيروها[٤] وأولوها ، فبعث اللّٰه محمدًا - صلوات اللّٰه وسلامه عليه - بشرع عظيم كامل شامل لجميع الخلق ، فيه هدايتهم ، والبيان لجميع ما يحتاجون إليه من أمر معاشهم ومعادهم ، والدعوة لهم إلىٰ ما يقربهم إلىٰ الجنة ، ورضا اللّٰه عنهم ، والنهي عما يقربهم إلىٰ النار وسخط اللّٰه ، حاكم فاصل لجميع الشبهات والشكوك والريب في الأصول والفروع . وجَمَع له تعالىٰ - وله الحمد والمنة - جميع المحاسن ممن كان قبله ، وأعطاه ما لم يُعطِ أحدًا من الأولين ، ولا يعطيه أحدًا من الآخرين ، فصلوات اللّٰه وسلامه عليه إلىٰ يوم الدين .

وقوله : ﴿**وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم**﴾ قال الإمام أبو عبد الله البخاري(٢) - رحمه الله - :

حدثنا عبد العزيز بن عبد اللّٰه ، حدثنا سليمان بن بلال ، عن ثور ، عن أبي الغَيث ، عن أبي هريرة -رضي اللّٰه عنه - قال : كنا جلوسًا عند النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فأنزلت عليه

(٢) - أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : سورة الجمعة ، حديث (٤٨٩٧) (٦٤١/٨) وطرفه في [٤٨٩٨] . ومسلم في كتاب : فضائل الصحابة ، باب : في فضل فارس ، حديث =

[١] - في ت : « خليله » .
[٢] - ما بين المعكوفتين بياض في : ز . وسقط من خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ.
[٤] - سقط من : ز، خ .

سورةُ الجمعة : ﴿ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ﴾ ، قالوا : من هم يا رسول اللَّه ؟ فلم يراجعهم حتىٰ سئل ثلاثًا ، وفينا سلمان الفارسي ، فوضع رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يده علىٰ سلمان ثم[1] قال : « لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال - أو : رَجُلٌ - من هؤلاء » .

ورواه مسلم ، والترمذي ، والنسائي ، وابن أبي حاتم ، وابن جرير ، من طرق عن ثور بن زيد الدّيلي ، عن سالم أبي الغيث ، عن أبي هريرة ، به .

ففي هذا الحديث دليل علىٰ أن هذه السورة مدنية ، وعلىٰ عموم بعثته صلىٰ اللَّه عليه وسلم إلىٰ جميع الناس ، لأنه فسر قوله : ﴿ وآخرين منهم ﴾ بفارس ، ولهذا كتب كتبه إلىٰ فارس والروم وغيرهم من الأمم ، يدعوهم إلىٰ اللَّه - عز وجل - وإلىٰ اتباع ما جاء به ؛ ولهذا قال مجاهد وغير واحد في قوله : ﴿ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ﴾ ، قال : هم الأعاجم ، وكل من صدق النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم من غير العرب .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا إبراهيم بن العلاء الزبيدي ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا أبو محمد عيسىٰ بن موسىٰ ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد الساعدي ؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « إنَّ في أصلاب أصلاب أصلاب رجال [من أصحابي ، رجالًا ونساء][2] من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب » . ثم قرأ : ﴿ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ﴾ يعني بقية من بقي من أمة محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم .

وقوله : ﴿ وهو العزيز الحكيم ﴾ أي : ذو العزة والحكمة في شرعه وقدره .

وقوله : ﴿ ذلك فضل اللَّه يؤتيه من يشاء . واللَّه ذو الفضل العظيم ﴾ ، يعني ما أعطاه اللَّه محمدًا صلىٰ اللَّه عليه وسلم من النبوة العظيمة ، وما خص به أمته من بعثته صلىٰ اللَّه عليه وسلم إليهم .

مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟

= (٢٠٤٦/٢٣١) (١٥١/١٦) . والترمذي في كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة الجمعة ، حديث (٣٣٠٧) (٤٨/٩) . والطبري (٩٦/٢٨) .

[١] - في ز ، خ: « و » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ .

ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٦) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ (٧) قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٨)

يقول تعالىٰ ذامًّا لليهود الذين أعطوا التوراة وحمّلوها للعمل بها ، فلم يعملوا بها ، مثلهم في ذلك ﴿ **كمثل الحمار يحمل أسفارًا** ﴾ ، أي : كمثل الحمار إذا حمل كتبًا لا يدري ما فيها ، فهو يحملها حملًا حسيًّا ولا يدري ما عليه ، وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه ، حفظوه لفظًا ولم يفهموه ، ولا عملوا بمقتضاه ، بل أوّلوه وحرّفوه وبدّلوه ، فهم أسوأ حالًا من الحمير ؛ لأن الحمار لا فهمَ له ، وهؤلاء لهم فهوم لم يستعملوها ؛ ولهذا قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون** ﴾ وقال هاهنا : ﴿ **بئس مثل**[١] **القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين** ﴾ .

وقال الإمام أحمد رحمه الله (٣) : حدثنا ابن نُمَير ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن ابن عباس ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفارًا ، والذي يقول له أنصت ليس له جمعة** » .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت [إن كنتم صادقين** ﴾ أي][٢] : إن كنتم تزعمون أنكم علىٰ هدى ، وأن محمدًا وأصحابه علىٰ ضلالة ، فادعوا بالموت علىٰ الضال من الفئتين ﴿ **إن كنتم صادقين** ﴾ فيما تزعمونه . قال الله تعالىٰ : ﴿ **ولا يتمنونه أبدًا بما قدمت أيديهم** ﴾ ، أي : بما يعملون لهم من الكفر والظلم والفجور ، ﴿ **والله عليم بالظالمين** ﴾ .

وقد قدمنا في « سورة البقرة » الكلام علىٰ هذه المباهلة لليهود ، حيث قال تعالىٰ : ﴿ **قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين * ولن يتمنوه أبدًا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين * ولتجدنهم أحرص الناس علىٰ حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يُعَمرُ ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون** ﴾ . وقد أسلفنا الكلام هناك ، وبينا أن المراد أن يدعوا علىٰ

(٣) - أخرجه أحمد (٢٣٠/١) (٢٠٣٣) . وفي إسناده مجالد بن سعيد وهو ضعيف . قال الهيثمي في المجمع (١٨٧/٢) : رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير وفيه مجالد بن سعيد ، وقد ضعفه الناس ، ووثقه النسائي في رواية .

[١] - في ز : « مثلًا » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.

الضال من أنفسهم أو خصومهم ، كما تقدمت مباهلة النصارىٰ في آل عمران : ﴿ **فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة اللّٰه علىٰ الكاذبين** ﴾ ومباهلة المشركين في سورة مريم ﴿ **قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمٰن مدًّا** ﴾ .

وقد قال الإمام أحمد(٤) : حدثنا إسماعيل بن يزيد الرقي [ ][١] أبو يزيد حدثنا فرات ، عن عبد الكريم بن مالك الجزري ، عن عكرمة ، عن ابن عباس؛ قال : قال أبو جهل لعنه اللّٰه : إن رأيتُ محمدًا عند الكعبة لآتينَّه حتىٰ أطأ علىٰ عُنُقه . قال : فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **لو فعل لأخذته الملائكة عيانًا ، ولو أن اليهود تمنَّوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار ، ولو خرج الذين يُباهلون رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم لرجعوا لا[٢] يجدون مالًا ولا أهلًا** » .

رواه البخاري والترمذي والنسائي ، من حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، [عن عبد الكريم . قال البخاري : « وتبعه عمرو][٣] بن خالد عن عبيد اللّٰه بن عمرو عن عبد الكريم .

ورواه النسائي أيضًا عن عبد الرحمن بن عبيد اللّٰه الحلبي ، عن عبيد اللّٰه بن عمرو الرقي ، به أتم .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلىٰ عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** ﴾ ، كقوله تعالىٰ في سورة النساء : ﴿ **أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة** ﴾ .

وفي معجم الطبراني(٥) من حديث معاذ بن محمد الهذلي ، عن يونس ، عن الحسن ، عن سمرة مرفوعًا : « **مثل الذي يفر من الموت كمثل الثعلب تطلبه الأرض بدين ، فجاء**

---

(٤) - أخرجه أحمد (٢٤٨/١) (٢٢٢٥) وصححه أحمد شاكر . وأخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ **كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية ناصية كاذبة خاطئة** ﴾ ، حديث (٤٩٥٨) (٧٢٤/٨) . والترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة ﴿ **اقرأ باسم ربك** ﴾ ، حديث (٣٣٤٥) (٩/ ٧٨) . والنسائي في الكبرى في كتاب التفسير ، باب : سورة العلق ، حديث (١١٦٨٥) (٥١٨/٦) . كلهم من طريق عبد الرزاق فأخرجوا صدره . وأخرجه النسائي في الكبرى في كتاب التفسير ، باب : ﴿ **ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين** ﴾ ، حديث (١١٠٦١) (٣٠٨/٦) نحو رواية أحمد الأولى .

(٥) - أخرجه الطبراني (٢٦٨/٧) (٦٩٢٢) . قال الهيثمي في « المجمع » (٣٢٣/٢) : رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه معاذ بن محمد الهذلي ، قال العقيلي : لا يتابع على رفع حديثه .اهـ .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « حدثنا » . [٢] - في ز ، خ: « ما » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ .

يسعىٰ حتىٰ إذا أعيا وانبهر دخل جحره ، فقالت له الأرض : يا ثعلب ديني . فخرج له حُصَاص فلم يزل كذلك حتى تقطعت عنقه فمات».

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾

إنما سميت الجمعة جمعة؛ لأنها مشتقة من الجمع ، فإن أهل الإسلام يجتمعون فيه في كل أسبوع مَرةً بالمعابد الكبار ، وفيه كَمُل جميع الخلائق ، فإنه اليوم السادس من الستة التي خلق الله فيها السماوات والأرض ، وفيه خُلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها ، وفيه تقوم الساعة ، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله فيها خيرًا إلا أعطاه إياه ، كما ثبتت[١] بذلك الأحاديث الصحاح .

وقال ابن أبي حاتم(٦) : حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا عبيدة بن حميد[٢] عن منصور ، عن أبي معشر ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن قَرْثَع الضبي ، حدثنا سلمان؛ قال : قال أبو القاسم صلىٰ الله عليه وسلم : **« يا سلمان ؛ ما يوم الجمعة ؟ »** قلت : الله ورسوله أعلم . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : **« يوم جُمع فيه أبواك – أو : أبوكم – »** . وقد روي عن أبي هريرة من كلامه نحو هذا ، فالله أعلم .

وقد كان يقال له في اللغة القديمة : يوم العروبة ، وثبت أن الأمم قبلنا أمروا به فَضَلوا عنه ، واختار اليهود يوم السبت الذي لم يقع فيه خلقٌ ، واختار النصارىٰ يومَ الأحد الذي ابتدىء فيه الخلق ، واختار الله لهذه الأمة الجمعة الذي أكمل الله فيه الخَلِيقَة ، كما أخرجه البخاري(٧) ومسلم من حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام بن منبه؛ قال : هذا ما

(٦) – أخرجه الطبراني في الأوسط (٢٥٠/١) (٨٢١) بنحو رواية أبي حاتم وهو عنده مطولًا . والحديث أخرجه أحمد (٤٤٠/٥) ، والنسائي (١٠٤/٣) . كلاهما من طريق القرثع عن سلمان بنحو لفظ الزيادة عند الطبراني .

(٧) – أخرجه البخاري في كتاب التعبير ، باب : النفخ في المنام ، حديث (٧٠٣٦) (٤٢٣/١٢) . ومسلم في كتاب الجمعة ، باب : هداية هذه الأمة ليوم الجمعة ، حديث (٨٥٥/٢١) (٢٠٥/٦) .

[١] – في ز ، خ: « ثبت » . [٢] – في ز ، خ: « حماد » .

حدثنا أبو هُرَيرة؛ قال: قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم: «**نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم هذا يَومُهم الذي فرَض اللّه عليهم، فاختلفوا فيه، فهدانا اللّه له، فالناس لنا فيه تَبَعٌ، اليهود غدًا، والنصارىٰ بعد غد**». لفظ البخاري.

وفي لفظ لمسلم[(٨)]: «**أضل اللّه عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارىٰ يوم الأحد، فجاء اللّه بنا فهدانا ليوم الجمعة، فجعل الجمعة والسبت والأحد، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة، المقضيّ بينهم قبل الخلائق**».

وقد أمر اللّه المؤمنين بالاجتماع لعبادته يوم الجمعة، فقال: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلىٰ ذكر اللّه**﴾، أي: اقصدوا واعمدوا[١] واهتموا في مَسيركم إليها، وليس المراد بالسعي هاهنا المشي السريع، وإنما هو الاهتمام بها، كقوله تعالىٰ: ﴿**ومن أراد الآخرة وسعىٰ لها سعيها وهو مؤمن**﴾ وكان عمر بن الخطاب، وابن مسعود -رضي الله عنهما- يقرآنها ﴿**فامضوا إلى ذكر الله**﴾. فأما المشي السريع إلىٰ الصلاة فقد نهي عنه، لما أخرجاه في الصحيحين[(٩)] عن أبي هُريرة، عن النبي - صلىٰ اللّه عليه وسلم. قال: «**إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلىٰ الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا**». لفظ البخاري.

وعن أبي قتادة قال: بينما نحن نصلي مع النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم إذ سمع جَلبة رجال، فلما صلىٰ قال: «**ما شأنكم؟**» قالوا: استعجلنا إلىٰ الصلاة. قال: «**فلا تفعلوا، إذا أتيتم الصلاة [فامشوا وعليكم بالسكينة][٢]، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا**». أخرجاه[(١٠)].

وقال عبد الرزاق[(١١)]: أخبرنا مَعمر، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة

(٨) - أخرجه مسلم في الموضع السابق برقم (٢٢/٨٥٦) (٦/٢٠٦) من حديث حذيفة.

(٩) - أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب: لا يسعى إلى الصلاة، وليأت بالسكينة والوقار، حديث (٦٣٦) (٢/١١٧). وطرفه في [٩٠٨]. ومسلم في كتاب المساجد، باب: استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة، حديث (٦٠٢) (٥/١٣٨ - ١٤١).

(١٠) - أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب: قول الرجل: فاتتنا الصلاة، حديث (٦٣٥) (٢/١١٦). ومسلم في الموضع السابق، حديث (١٥٥/٦٠٣) (٥/١٤١).

(١١) - أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢/٢٨٨) (٣٤٠٤).

[١] - في ز، خ: «واعتمدوا».

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز، خ: «فعليكم السكينة والوقار».

- رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون ، ولكن ائتوها تمشون ، وعليكم السكينة والوقار ، فما أدركتم فصلوا ، وما فاتكم فأتموا** » .

رواه الترمذي[١٢] من حديث عبد الرزاق كذلك ، وأخرجه[١٣] من طريق يزيد بن زُرَيع ، عن معمر ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، بمثله .

قال الحسن : أما والله ما هو بالسعي علىٰ الأقدام ، ولقد نُهُوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينةُ والوقار ، ولكن بالقلوب والنية والخشوع .

وقال قتادة في قوله : ﴿ **فاسعوا إلىٰ ذكر الله** ﴾ ، يعني أن تسعىٰ بقلبك وعملك ، وهو المشي إليها ، وكان يتأول قوله تعالىٰ : ﴿ **فلما بلغ معه السعي** ﴾ ، أي : المشي معه . وروي عن محمد بن كعب ، وزيد بن أسلم ، وغيرهما ، نحو ذلك .

ويستحَبّ لمن جاء إلىٰ الجمعة أن يغتسل قبل مجيئه إليها ، لما ثبت في الصحيحين[١٤] عن عبد الله بن عُمَر أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ قال : « **إذا جاء أحدُكم الجمعةَ فَلْيغتسل** » .

ولهما عن أبي سعيد[١٥] - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم [ ][١] « [**غُسل يوم الجمعة واجب علىٰ كل مُحتلِم** » .

وعن أبي هُريرة؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم :][٢] « **حق لله علىٰ كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام ، يغسل رأسه وجسده** » . رواه مسلم[١٦] .

وعن جابر - رضي الله عنه - قال : قال رسول صلىٰ الله عليه وسلم : « **علىٰ كل رجل**

(١٢) - سنن الترمذي في كتاب الصلاة ، باب : ما جاء في المشي إلى المسجد ، حديث (٣٢٨) (٢/١٠) .

(١٣) - سنن الترمذي في الموضع السابق ، حديث (٣٢٧) (٢/٩ - ١٠) .

(١٤) - أخرجه البخاري في كتاب الجمعة ، باب : فضل الغسل يوم الجمعة ، حديث (٨٧٧) (٢/٣٥٦) ، ومسلم في كتاب الجمعة (١/٨٤٤) (٦/١٨٦) .

(١٥) - صحيح البخاري ، الموضع السابق ، حديث (٨٧٩) (٢/٣٥٧) ، ومسلم في كتاب الجمعة ، باب : وجوب غسل الجمعة على كل بالغ من الرجال ، حديث (٥/٨٤٦) (٦/١٨٨) .

(١٦) - صحيح مسلم في كتاب الجمعة ، باب : الطيب والسواك يوم الجمعة ، حديث (٩/٨٤٩) (٦/١٩٢ - ١٩٣) .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « قال » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.

مسلم في كل سبعة أيام غسل يوم ، وهو يوم الجمعة » . رواه أحمد(١٧) ، والنسائي ، وابن حبّان .

وقال الإمام أحمد(١٨) : حدثنا يحيىٰ بن آدم ، حدثنا ابن المبارك ، عن الأوزاعي ، عن حسان بن عطية، عن أبي الأشعث الصنعاني ، عن أوس بن أوس الثقفي؛ قال : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ يقول : « **من غَسَّلَ واغتسل يوم الجمعة ، وبكر وابتكر ، ومشىٰ ولم يركب ، ودنا من الإمام واستمع ولم يَلْغُ كان له بكل خطوة أجر سنة ، أجر صيامها وقيامها** » .

وهذا الحديث له طرق وألفاظ، وقد أخرجه أهل السنن الأربعة وحسنه الترمذي .

وعن أبي هُريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ قال : « **من اغتسل يوم الجمعة غُسل الجنابة ، ثم راح فكأنما قرب بدنة ، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشًا أقرن ، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة ، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر** » . أخرجاه[١] (١٩) .

ويستحب له أن يلبس أحسن ثيابه ، ويتطيب ويتسوك ، ويتنظف ويتطهر . وفي حديث أبي سعيد(٢٠) المتقدم : « **غسلُ يوم الجمعة واجب علىٰ كل محتلم ، والسواكُ ، وأن يَمَس من طيب أهله** » .

وقال الإمام أحمد (٢١) : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني

---

(١٧) - أخرجه أحمد (٣٠٤/٣) (١٤٣٠٧) . والنسائي (٩٣/٣) كتاب الجمعة ، باب : إيجاب الغسل يوم الجمعة . وابن حبان (٢١/٤) (١٢١٩) .

(١٨) - أخرجه أحمد (٩/٤) . وأبو داود في كتاب الطهارة ، باب : في الغسل يوم الجمعة ، حديث (٣٤٥) (٩٥/١) . والترمذي في كتاب الصلاة ، باب : ما جاء في فضل الغسل يوم الجمعة ، حديث (٤٩٦) (١٢٨/٢ - ١٢٩) ، والنسائي (٩٥/٣ - ٩٦) كتاب الجمعة ، باب : فضل غسل يوم الجمعة . وابن ماجة في كتاب : الإقامة ، باب : ما جاء في الغسل يوم الجمعة ، حديث (١٠٨٧) (٣٤٦/١) . قال الترمذي : حديث حسن . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٣٣، ٣٣٤) .

(١٩) - أخرجه البخاري في كتاب الجمعة ، باب : فضل الجمعة ، حديث (٨٨١) (٣٦٦/٢) . ومسلم في كتاب الجمعة ، باب : الطيب والسواك يوم الجمعة ، حديث (١٠/٨٥٠) (١٩٣/٦) .

(٢٠) - تقدم تخريجه برقم (٢٤) .

(٢١) - أخرجه أحمد (٤٢٠/٥) (٢٣٦٧٩) . =

---

[١] - سقط من : ز، خ .

محمد بن إبراهيم التيمي ، عن عمران بن أبي يحيىٰ ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، عن أبي أيوب الأنصاري سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ يقول : « **من اغتسل يوم الجمعة ومَس من طيب أهله**[١] **- إن كان عنده - ولبس من أحسن ثيابه ، ثم خرج حتىٰ يأتي المسجد فيركع - إن بدا له - ولم يؤذِ أحدًا ، ثم أنصت إذا خرج إمامه حتىٰ يصلي، كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة الأخرىٰ** » .

وفي سنن أبي داود(٢٢) ، وابن ماجة ، عن عبد الله بن سلام - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول علىٰ المنبر : « **ما علىٰ أحدكم لو اشترىٰ ثوبين ليوم الجمعة سوىٰ ثوبي مَهْنَتِه** » .

وعن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم خطب الناس يوم الجمعة ، فرأىٰ عليهم ثياب النّمار؛ فقال : «**ما على أحدكم إن وجد سعة أن يتخذ ثوبين لجمعته سوى ثوبي مهنته**». رواه ابن ماجة(٢٣) .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **إذا نودي للصلاة** ﴾ : المراد بهذا النداء هو النداء الثاني الذي كان يفعل بين يدي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إذا خرج فجلس علىٰ المنبر ، فإنه كان حينئذ يؤذن بين يديه ، فهذا هو المراد ، فأما النداء الأول الذي زاده أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه فإنما كان هذا لكثرة الناس ، كما رواه البخاري(٢٤) رحمه الله حيث قال : حدثنا آدم - هو ابن أبي إياس - حدثنا ابن أبي ذئب ، عن الزهري ، عن السائب بن[٢] يزيد؛ قال : «كان النداء يوم الجمعة أولهُ إذا جلس الإمام علىٰ المنبر علىٰ عهد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر ، فلما كان عثمان بعد زمن وكثر الناس زاد النداء الثاني على الزوراء» يعني: يؤذن به على الدار التي تسمى بالزوراء[٣] ، وكانت أرفعَ دار[٤]

= قال الهيثمي في « المجمع » (١٧٤/٢) : رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله ثقات .

(٢٢) - أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب : اللبس للجمعة ، حديث (١٠٧٨) (٢٨٣/١) . وابن ماجة في كتاب الإقامة ، باب : ما جاء في الزينة يوم الجمعة ، حديث (١٠٩٥) (٣٤٨/١) . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩٥٣) .

(٢٣) - أخرجه ابن ماجة في كتاب الإقامة ، باب : ما جاء في الزينة يوم الجمعة ، حديث (١٠٩٦) . وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة (٨٩٩) .

(٢٤) - أخرجه البخاري في كتاب الجمعة ، باب : الأذان يوم الجمعة ، حديث (٩١٢) (٣٩٣/٢) . وأطرافه في [٩١٣، ٩١٥، ٩١٦] .

[١] - سقط من : ز، خ .

[٢] - في ز ، خ: « عن » .

[٣] - في ت : « الزوراء » .

[٤] - في ز ، خ: « دارًا » .

بالمدينة بقرب المسجد .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا محمد بن راشد المكحولي[١] ، عن مكحول ؛ أن النداء كان في يوم[٢] الجمعة مؤذن واحد حين يخرج الإمام ، ثم تقام الصلاة ، وذلك النداء الذي يحرم عنده[٣] البيع والشراء إذا نودي به ، فأمر عثمان - رضي الله عنه - أن ينادىٰ قبل خروج الإمام حتىٰ يجتمع الناس .

وإنما يؤمر بحضور الجمعة الأحرار دون النساء والعبيد والصبيان ، ويعذر المسافر والمريض ، وقيّم المريض ، وما أشبه ذلك من الأعذار ، كما هو مقرر في كتب الفروع .

وقوله : ﴿ **وذروا البيع** ﴾ ، أي : اسعوا إلىٰ ذكر الله واتركوا البيع إذا نودي للصلاة ، ولهذا اتفق العلماء علىٰ تحريم البيع بعد النداء الثاني . واختلفوا ، هل يصح إذا تعاطاه متعاط أم لا ؟ علىٰ قولين ، وظاهر الآية عدم الصحة كما هو مقرر في موضعه ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون** ﴾ ، أي : ترككم البيع وإقبالكم إلىٰ ذكر الله وإلىٰ الصلاة - خير لكم ، أي : في الدنيا والآخرة إن كنتم تعلمون .

وقوله : ﴿ **فإذا قضيت الصلاة** ﴾ ، أي : فُرغ منها ، ﴿ **فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله** ﴾ : لمَّا حَجَر عليهم في التصرف بعد النداء وأمرهم بالاجتماع ، أذن لهم بعد الفراغ في الانتشار في الأرض والابتغاء من فضل الله . كان عِرَاك بن مالك رضي الله عنه إذا صلىٰ الجمعة انصرف فوقف علىٰ باب المسجد ، فقال : اللّهم ؛ أجبتُ دعوتَك ، وصليتُ فريضتك ، وانتشرت كما أمرتني ، فارزقني من فضلك ، وأنت خير الرازقين . رواه ابن أبي حاتم .

ورُوي أيضًا[٤] عن بعض السلف أنه قال : من باع واشترىٰ في يوم الجمعة بعد الصلاة ، بارك الله له سبعين مرة ، لقول الله تعالىٰ : ﴿ **فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله** ﴾ .

وقوله : ﴿ **واذكروا الله كثيرًا لعلكم تفلحون** ﴾ ، أي : في حال بيعكم وشرائكم ، وأخذكم وعَطَائكم ، اذكروا الله ذكرًا كثيرًا ، ولا تشغلكم الدنيا عن الذي ينفعكم في الدار الآخرة ؛ ولهذا جاء في الحديث : « **من دخل سوقًا من الأسواق فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،** [**له الملك**][٥] ، **وله الحمد ، وهو علىٰ كل شيء قدير - كُتِبَتْ له**

[١] - في ز ، خ: « المكحول »

[٢] - سقط من : ز ، خ.

[٣] - في ز ، خ: « عند » .

[٤] - سقط من : ت .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ .

ألفُ ألف حَسنة ، ومُحي عنه ألفُ ألف سَيئة » (٢٥) .

وقال مجاهد : لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرًا حتىٰ يذكر الله [قائمًا و][١] قاعدًا ومضطجعًا .

﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوٓا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾

يعاتب تبارك وتعالىٰ علىٰ ما كان وقع من الانصراف عن الخطبة يوم الجمعة إلىٰ التجارة التي قدمت المدينة يومئذ ، فقال تعالىٰ : ﴿ **وإذا رأوا تجارة أو لهوًا انفضوا إليها وتركوك قائمًا** ﴾ ، أي : علىٰ المنبر تخطب . هكذا ذكره غير واحد من التابعين ، منهم : أبو العالية ، والحسن ، وزيد بن أسلم ، وقتادة .

وزعم مقاتل بن حيان أن التجارة كانت لدحية بن خليفة قبل أن يسلم ، وكان معها طبل ، فانصرفوا إليها وتركوا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قائمًا علىٰ المنبر إلا القليل منهم . وقد صَحّ بذلك الخبر ، فقال الإمام أحمد (٢٦) :

حدثنا ابن إدريس ، عن حُصَين ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن جابر؛ قال : قَدمت عِيرٌ المدينةَ ، ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يخطب ، فخرج الناس وبقي اثنا عشر رجلًا؛

(٢٥) - أخرجه أحمد (٤٧/١) (٣٢٧) ، والترمذي في كتاب الدعوات ، باب : ما يقول إذا دخل السوق ، حديث (٣٤٢٤، ٣٤٢٥) (١٢٧/٩ - ١٢٨) . وابن ماجة في كتاب التجارات ، باب : الأسواق ودخولها ، حديث (٢٢٣٥) (٧٥٢/٢) . والدارمي في كتاب الاستئذان ، باب : ما يقول إذا دخل السوق ، حديث (٢٦٩٥) (٢٠٣/٢ - ٢٠٤) ، وعبد بن حميد (٢٨) كلهم من حديث عمر - رضي الله عنه - قال الترمذي : هذا حديث غريب . وقد رواه عمرو بن دينار وهو قهرمان آل الزبير عن سالم عن عبد الله هذا الحديث نحوه .

وعمرو بن دينار هذا هو شيخ بصري ، تكلم فيه بعض أصحاب الحديث من غير هذا الوجه ، ورواه يحيى ابن سليم الطائفي عن عمران بن مسلم عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ولم يذكر فيه عن عمر .اهـ .

والحدث أخرجه الحاكم (٥٣٨/١) وصححه .

قال المنذري في الترغيب والترهيب (٥١٨/٢) : قال المحلي : ورواه الحاكم أيضًا من حديث عبد الله بن عمر مرفوعًا أيضًا ، وقال : صحيح الإسناد كذا قال . وفي إسناده مرزوق بن المرزبان يأتي الكلام عليه . اهـ . والحديث ضعفه أحمد شاكر في تعليقه على المسند .

(٢٦) - أخرجه أحمد (٣١٣/٣) (١٤٣٩٧) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

فنزلت ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهوًا انفضوا إليها﴾ أخرجاه في الصحيحين(٢٧) ، من حديث سالم به .

وقال الحافظ أبو يعلىٰ(٢٨) : حدثنا زكريا بن يحيىٰ ، حدثنا هُشَيم ، عن حُصَين عن سالم بن أبي الجعد ، وأبي سفيان عن جابر بن عبد اللّٰه؛ قال : بينا النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يخطب يوم الجمعة ، فقدمت عِيرٌ إلىٰ المدينة ، فابتدرها أصحابُ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم حتىٰ لم يبق مع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - إلا اثنا[١] عشر رجلًا ، فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **والذي نفسي بيده ، لو تتابعتم حتىٰ لم يبق منكم أحد ، لسال بكم الوادي نارًا** » . ونزلت هذه الآية : ﴿ **وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائمًا** ﴾، وقال : كان[٢] في الاثني عشر الذين ثَبَتُوا مع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم: أبو بكر وعمر، رضي اللّٰه عنهما .

وفي قوله تعالى : ﴿ **وتركوك قائمًا** ﴾ ، دليل علىٰ أن الإمام يخطب يوم[٣] الجمعة قائمًا . وقد رَوَىٰ مسلم(٢٩) في صحيحه عن جابر بن سَمُرَةَ؛ قال : كانت للنبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما ، يقرأ القرآن ويذكر الناس .

لكن هاهنا شيئ[٤] ينبغي أن يُعلَم ، وهو أن هذه القصة قد قيل : إنها كانت لما كان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقدّم الصلاة يوم الجمعة علىٰ الخطبة ، كما رواه أبو داود(٣٠) في كتاب المراسيل حدثنا محمود بن خالد ، عن الوليد ، أخبرني أبو معاذ بُكير بن معروف ، أنه سمع مُقاتل بن حَيّان؛ يقول : كان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يصلي يوم الجمعة قبل الخطبة مثل العيدين ، حتىٰ إذا كان يومٌ والنبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يخطب ، وقد صلىٰ الجمعة ، فدخل رجل فقال : إن دحيةَ بن خليفةَ قد قَدمَ بتجارة . يعني : فانفضوا[٥] ولم يبق[٦] معه إلا نفر يسير.

---

(٢٧) - والبخاري في كتاب البيوع ، باب : قول الله عز وجل : ﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهوًا انفضوا إليها ﴾ ، حديث (٢٠٥٨) (٢٩٦/٤) وطرفه في [٤٨٩٩] . ومسلم في كتاب الجمعة ، باب : في قوله تعالى : ﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهوًا انفضوا إليها ﴾ ، حديث (٨٦٣/٣٦) (٢١٥/٦) .

(٢٨) - وأبو يعلى (٤٦٨/٣ - ٤٦٩) (١٩٧٩) .

(٢٩) - أخرجه مسلم في كتاب الجمعة ، باب : ذكر الخطبتين قبل الصلاة ، وما فيهما من الجلسة ، حديث (٨٦٢/٣٤) (٢١٣/٦) .

(٣٠) - أخرجه أبو داود في المراسيل (١٠٤ - ١٠٥) (٦٢) .

---

[١] - في ز ، خ: « اثنى » .

[٢] - سقط من : ز، خ .

[٣] - سقط من : ز ، خ.

[٤] - سقط من : ز ، خ.

[٥] - في ز ، خ: « فانقضوا » .

[٦] - في ت : « يبقى » .

وقوله : ﴿ **قل ما عند الله** ﴾ ، أي : الذي عند الله من الثواب في الدار الآخرة ﴿ **خير من اللهو ومن التجارة ، والله خير الرازقين** ﴾ ، أي : لمن توكل عليه ، وطلب الرزق في وقته .

[آخر تفسير سورة الجمعة ، ولله الحمد والمنة] .

☆ ☆ ☆

انتهى بحمد الله تعالىٰ وحسن توفيقه المجلد الثالث عشر

ويليه بعون الله تعالىٰ المجلد الرابع عشر

وأوله سورة المنافقون

تفسير القرآن العظيم

للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء
إسماعيل بن كثير الدمشقي
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

هذه الطبعة أول طبعة مقابلة على النسخة الأزهرية
وكذلك على نسخة كاملة بدار الكتب المصرية

تحقيق

مصطفى السيد محمد — محمد السيد رشاد
محمد فضل العجماوي — علي أحمد عبد الباقي
حسن عباس قطب

المجلد الرابع عشر

مكتبة أولاد الشيخ للتراث
٣٦ ش اليابان - عمرانية غربية - جيزة
ت : ٥٦٢٨٣١٨ - ٥٦١١٤٤٢

مؤسسة قرطبة
طباعة . نشر . توزيع
جيزة - ت : ٥٨١٥٠٢٧

رقم الإيداع : ٩٣٤٩/ ٢٠٠٠

الترقيم الدولى : I.S.B.N
6 - 33 - 5234 - 977

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر هاتف: ٤٣٠٧٥٢٦-٢٠٥٥٦٨٨ القاهرة

تفسير

القرآن العظيم

تفسير سورة المنافقون

وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٣) ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٤) ﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن المنافقين : إنهم إنما يتفوهون بالإسلام إذا جاءوا النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، فأما في باطن الأمر فليسوا كذلك ، بل علىٰ الضدّ من ذلك ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله** ﴾ ، أي : إذا حَضَروا عندك واجهوك بذلك ، وأظهروا لك ذلك ، وليسوا كما يقولون ؛ ولهذا اعترض بجملة مخبرة أنه رسول الله ، فقال : ﴿ **والله يعلم إنك لرسوله** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **والله يشهد إن المنافقين لكاذبون** ﴾ ، أي : فيما أخبروا به ، وإن كان مطابقًا للخارج ، لأنهم لم يكونوا يعتقدون صحة ما يقولون ولا صدقه ، ولهذا كذبهم بالنسبة إلىٰ اعتقادهم .

وقوله : ﴿ **اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله** ﴾ أي : اتقوا الناس بالأيمان الكاذبة والحلَفَات[١] الآثمة ، ليصدقوا فيما يقولون [فاغتر بهم من لا يعرف جلية أمرهم ، فاعتقدوا أنهم مسلمون ، فربما اقتدىٰ بهم فيما يفعلون][٢] وصدقهم فيما يقولون ، وهم من شأنهم أنهم كانوا في الباطن لا يألون الإسلام وأهله خبالاً ، فحصل بهذا القدر ضرر كبير علىٰ كثير من الناس ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون** ﴾ ؛ و[لهذا][٣] كان الضحاك بن مُزاحم يقرؤها : (**اتخذوا إيمانهم جنة**) ، أي : تصديقهم الظاهر

[١] - في خ : الحلفان .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - سقط من ز ، خ .

جُنَّة ، أي : تقية يتقون به القتل . والجمهور يقرؤها : ﴿ أيمانهم ﴾ جمع يمين .

﴿ ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع علىٰ قلوبهم فهم لا يفقهون ﴾ ، [أي : إنما قُدّر عليهم النفاق لرجوعهم عن الإيمان إلىٰ الكفران ، واستبدالهم الضلالة بالهدىٰ ﴿ فطبع اللّه علىٰ قلوبهم فهم لا يفقهون ﴾][١] أي : فلا يصل إلى قلوبهم هدى ، ولا يخلص إليها خير ، فلا تعي ولا تهتدي .

﴿ وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم ﴾ ، أي : كانوا أشكالًا حسنة وذوي فصاحة وألسنة ، إذا سمعهم السامع يصغي إلىٰ قولهم لبلاغتهم ، وهم مع ذلك في غاية الضعف والخَوَر والهلع والجزع والجبن ، ولهذا قال : ﴿ يحسبون كل صيحة عليهم ﴾ ، أي : كلما وقع أمر[٢] أو كائنة أو خوف ، يعتقدون لجبنهم أنه نازل بهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشىٰ عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة علىٰ الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط اللّه أعمالهم وكان ذلك علىٰ اللّه يسيرًا ﴾ فهم جهامات وصور بلا معاني . ولهذا قال : ﴿ هم العدو فاحذرهم قاتلهم اللّه أنىٰ يؤفكون ﴾ ، أي : كيف يُصرفون عن الهدىٰ إلىٰ الضلال .

وقد قال الإمام أحمد(١) : حدثنا يزيد ، حدثنا عبد الملك بن قدامة الجُمَحي ، عن إسحاق ابن بكر بن أبي الفرات ، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، رضي اللّه عنه ، عن النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم؛ قال : « إن للمنافقين علامات يعرفون بها : تحيتهم لعنة ، وطعامهم نُهبَة ، وغنيمتهم غلول ، ولا يقربون المساجد إلَّا هُجرًا ، ولا يأتون الصلاة إلا دَبْرًا مستكبرين لا يألفون ولا يُؤلفون خشب بالليل ، صُخُب بالنهار » . وقال يزيد مَرة : « سُخُبٌ بالنهار » .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

(١) المسند (٢/٢٩٣) (٧٩١٣) . وقال الهيثمي في « المجمع » (١/١١٢) : رواه أحمد والبزار وفيه عبد الملك ابن قدامة الجمحي وثقه يحيى بن معين وغيره ، وضعفه الدارقطني وغيره .

[١] - سقط من ز ، خ . [٢] - في ز : أمرًا .

وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن المنافقين - عليهم لعائن الله -: إنهم ﴿ **إذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوّوا رءوسهم** ﴾ أي: صدوا وأعرضوا عما قيل لهم، استكبارًا عن ذلك، واحتقارًا لما قيل لهم. ولهذا قال: ﴿ **ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون** ﴾. ثم جازاهم علىٰ ذلك فقال: ﴿ **سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين** ﴾. كما قال في سورة « براءة » وقد تقدم الكلام على ذلك، وإيراد الأحاديث المروية هنالك.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا ابنُ أبي عُمر العَدَني؛ قال: قال سفيان: ﴿ **لوّوا رءوسهم** ﴾، قال ابن أبي عمر: حوّلَ سفيان وجهه علىٰ يمينه، ونظر بعينيه[١] شزْرًا، ثم قال: هُمْ هذا.

وقد ذكر غير واحد من السلف؛ أن هذا السياق كله نزل في عبد الله بن أبيّ بن سلول، كما سنورده قريبًا إن شاء الله تعالىٰ، وبه الثقة وعليه التكلان.

وقد قال محمد بن إسحاق في السيرة(٢): ولما قدم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم المدينة[٢] - يعني مَرْجعَه من أحد - وكان عبد الله بن أبيّ بن سلول - كما حدثني ابن شهاب الزهري - له مقام يَقُومه كل جُمعَة لا ينكر، شَرَفًا له من نفسه ومن قومه، وكان فيهم شريفًا، إذا جلس النبي صلىٰ الله عليه وسلم يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام، فقال: أيها[٣] الناس، هذا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بين أظهركم، أكرمكم الله به وأعزّكم به، فانصروه وعَزروه، واسمعوا له وأطيعوا. ثم يجلس، حتىٰ إذا صَنَع يوم أحد ما صنع - يعني مرجعه بثلث الجيش - ورجع الناس، قام يفعل ذلك كما كان يفعله، فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا: اجلس، أيْ عدو الله، لست لذلك بأهل، وقد صنعتَ ما صنعتَ. فخرج يتخطىٰ رقاب الناس وهو يقول: والله لكأنما قلت بَجْرًا، أن[٤] قُمت أشدّد أمره. فلقيه رجال من الأنصار بباب المسجد فقالوا: ويلك، مالك؟ قال: [قمتُ أشدّد][٥] أمره، فوثب عليّ

(٢) - السيرة النبوية لابن هشام (٣/٦١٨ - ٦١٩).

[١] - في ت: بعينه.
[٢] - سقط من خ.
[٣] - في ز: يا أيها.
[٤] - في ز: الآن.
[٥] - في ز، خ: قمنا نشد.

رجال من أصحابه يجذبونني ويعنفونني ، لكأنما قلت بَجْرًا ، أن[١] قمت أشدد أمره . قالوا : ويلك ، ارجع يستغفر لك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم . فقال : والله ما أبتغي أن يستغفر لي .

وقال قتادة والسدي : أنزلت هذه الآية في عبد الله بن أُبيّ ، وذلك أن غلامًا من قرابته انطلق إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فحدثه بحديث عنه وأمر شديد ، فدعاه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فإذا هو يحلف بالله ويتبرأ من ذلك ، وأقبلت الأنصار علىٰ ذلك الغلام فلاموه وعَذَموه ، وأنزل الله فيه ما تسمعون ، وقيل لعدو الله : لو أتيت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فجعل يلوي رأسه ، أي : لست فاعلًا .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو الربيع الزّهراني ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا أيوب ، عن سعيد بن جبير ؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان إذا نزل منزلًا لم يرتحل حتىٰ يصلي فيه ، فلما كانت غزوة تبوك، بلغه أن عبد الله بن أبيّ بن سلول؛ قال : ﴿ **ليخرجنّ الأعز منها الأذل** ﴾ . فارتحل قبل أن ينزل آخر النهار ، وقيل لعبد الله بن أبيّ : إيت النبي صلىٰ الله عليه وسلم حتىٰ يستغفر لك . فأنزل الله : ﴿ **إذا جاءك المنافقون** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم** ﴾ .

وهذا إسناد صحيح إلىٰ سعيد بن جبير . وقوله : إن ذلك كان في غزوة تبوك - فيه نظر ، بل ليس بجيد ، فإنّ عبد الله بن أبيّ بن سلول لم يكن ممن خرج في غزوة تبوك ، بل رجع بطائفة من الجيش ، وإنما المشهور عند أصحاب المغازي والسير أن ذلك كان[٢] في غزوة المُرَيسيع ، وهي غزوة بني المصطلق :

قال يونس بن بكير عن ابن[٣] إسحاق(٣) : حدثني محمد بن يحيىٰ بن حَبّان ، وعبد الله ابن أبي بكر ، وعاصم بن عُمَر بن قتادة ، في قصة بني المصطلق ، فبينا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم مقيم هناك ، اقتتل علىٰ الماء جَهجاه بن سعيد الغفاري[٤] وكان أجيرًا لعمر بن الخطاب - وسنان بن وبر[٥] . قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن يحيىٰ بن حَبّان ؛ قال : ازدحما علىٰ الماء فاقتتلا ، فقال سنان : يا معشر الأنصار . وقال الجهجاه : يا معشر المهاجرين - وزيد بن أرقم ونفر من الأنصار عند عبد الله بن أبيّ - فلما سمعها قال : قد

(٣) - السيرة النبوية (٧٥٨/٣ - ٧٦٠) . وأخرجه البيهقي في الدلائل (٥٢/٤ - ٥٣) من طريق ابن إسحاق عن محمد بن يحيى .

[١] - في خ : الآن .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ز ، خ : أبي .
[٤] - في ز ، خ : المعافري .
[٥] - في ز ، خ : يزيد .

ثاوَرُونا في بلادنا، والله ما مثلنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال القائل : سَمّن كلبك يأكلك ، والله لئن رجعنا إلىٰ المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . ثم أقبل علىٰ من عنده من قومه وقال : هذا ما صنعتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو كففتم عنهم لتحولوا عنكم من بلادكم إلىٰ غيرها . فسمعها زيد بن أرقم ، فذهب بها إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وهو غُلَيِّمٌ و[١] عنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه - فأخبره الخبر ، فقال عمر - رضي الله عنه - : يا رسول الله مُر عَبّاد بن بِشْر فليضرب عنقه . فقال صلىٰ الله عليه وسلم : « فكيف إذا تحدّث الناس يا عمر أن محمدًا يقتل أصحابه ؟ لا ، ولكن ناد يا عمر في الرحيل » .

فلما بلغ عبدَ الله بن أبيّ أن ذلك قد بلغ رسولَ الله صلىٰ الله عليه وسلم ، أتاه فاعتذر إليه ، وحلف بالله ما قال ما قال عليه زيد بن أرقم - وكان عند قومه بمكان - فقالوا : يا رسول الله ، عسىٰ أن يكون هذا الغلام أوهم ولم يثبت ما قال الرجل .

وراح رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم مُهَجرًا في ساعة كان لا يروح فيها ، فلقيه أسيد بن الحضير ، فسلم عليه بتحية النبوة ، ثم قال : والله لقد رحت في ساعة مُنكَرَة ما كنت تروح فيها . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « أما بلغك ما قال صاحبك ابن أبيّ ؟ زعم أنه إذا قدم المدينة أنه سيخرج الأعز منها الأذل » . قال : فأنت يا رسول الله العزيز وهو الذليل . ثم قال : يا[٢] رسولَ الله ، ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وإنا لننظم له الخرزَ لنتوّجه ، فإنه ليرىٰ أن[٣] قد [استلبتَه ملكًا][٤] .

فسار رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بالناس[٥] حتىٰ أمسوا ، وليلته حتىٰ أصبحوا ، وصَدر يومه حتىٰ اشتد الضحىٰ ، ثم نزل بالناس ليشغلهم عما كان من الحديث ، فلم يأمن الناس أن وجدوا مسّ الأرض فناموا ، ونزلت سورة المنافقين .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي(٤) : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو بكر بن إسحاق ، أخبرنا بشر بن موسىٰ ، حدثنا الحُمَيدي ، حدثنا سفيان ، حدثنا عمرو بن دينار ، سمعت جابر ابن عبد الله ؛ يقول : كنا مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم [في غَزاة][٦] فكسع رجل من المهاجرين رجلًا من الأنصار ، فقال الأنصاري : يا للأنصار . وقال المهاجري : يا للمهاجرين . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « ما بال دعوىٰ الجاهلية ؟ دعوها فإنها منتنة » . وقال

---

(٤) - دلائل النبوة (٤/٥٣ - ٥٤) .

---

[١] - في خ : وهو .
[٢] - سقط من خ .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في خ : استلبسته .
[٥] - سقط من خ .
[٦] - في خ : فمر عروة .

عبد اللَّه بن أبيّ ابن سلول : وقد فعلوها ، واللَّه لئن رجعنا إلىٰ المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . قال جابر : وكان الأنصار بالمدينة أكثرَ من المهاجرين حين قدم رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ثم كثر المهاجرون بعد ذلك ، فقال عمر : دعني أضرب عنق هذا المنافق . فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم « دعه ؛ لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه » .

ورواه الإمام أحمد(٥) ، عن حسين بن محمد المروزي عن سفيان بن عيينة . ورواه البخاري ، عن الحميدي ، ومسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة ، وغيره عن سفيان ، به نحوه.

وقال الإمام أحمد(٦) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن محمد بن كعب القُرَظي ، عن زيد بن أرقم؛ قال : كنت مع رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم في غزوة تبوك ، فقال عبد اللَّه بن أبيّ : لئن رجعنا إلىٰ المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . قال : فأتيت النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فأخبرته ، قال : فحلف عبد اللَّه بن أبيّ أنه لم يكن شيء من ذلك . قال : فلامني قومي وقالوا : ما أردتَ إلىٰ هذا ؟ قال : فانطلقت فنمتُ كئيبًا حزينًا ، قال : فأرسل إليّ نبي اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم؛ فقال : « إنَّ اللَّه قد أنزل عُذرك وصَدّقك » . قال : فنزلت هذه الآية : ﴿ **هم الذين يقولون لا تنفقوا علىٰ من عند رسول اللَّه حتىٰ ينفضوا** ﴾ حتىٰ بلغ : ﴿ **لئن رجعنا إلىٰ المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل** ﴾ .

ورواه البخاري عند هذه الآية ، عن آدم بن أبي إياس ، عن شعبة ، ثم قال : وقال ابن أبي زائدة ، عن الأعمش ، عن عمرو ، عن ابن أبي ليلىٰ ، عن زيد ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم.

[ورواه الترمذي والنسائي عندها أيضًا من حديث شعبة به][١] .

(طريقٍ أخرىٰ) عن زيد ، قال الإمام أحمد(٧) رحمه اللَّه : حدثنا يحيىٰ بن آدم ، ويحيىٰ ابن أبي بُكير[٢] ، قالا : حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ؛ قال : سمعت زيد بن أرقم ، وقال [ابن أبي بكير[٣]][٤] عن زيد بن أرقم؛ قال : خرجت مع عمي في غزاة ، فسمعت عبد اللَّه

---

(٥) - المسند (٣/٣٩٢ - ٣٩٣) (١٥٢٦٥) . والبخاري في كتاب التفسير ، باب (٧) ، حديث (٤٩٠٧) (٨/٦٥٢) . ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب : نصر الأخ ظالمًا أو مظلومًا ، حديث (٦٢ - ٢٥٨٤/٦٤) (١٦/٢٠٧ - ٢٠٩) .

(٦) - أخرجه أحمد (٤/٣٦٨ - ٣٦٩) (١٩٣٤٠) . والبخاري في التفسير ، باب : ﴿ **ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا ....** ﴾ ، حديث (٤٩٠١) (٨/٦٤٦) .

(٧) - المسند (٤/٣٧٣) (١٩٣٨٨) .

---

[١] - سقط من ت .

[٢] - في ز ، خ : بكر .

[٣] - في خ : بكر .

[٤] - ما بين المعكوفين في ز : أبو بكر .

ابن أبيّ [ابن سلول][١] يقول لأصحابه : لا تنفقوا علىٰ من عند رسول الله ، ولئن رجعنا إلىٰ المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . فذكرت ذلك لعمي ، فذكره عمي لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فأرسل إليّ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فحدثته ، فأرسل إلىٰ عبد الله بن أبيّ بن سلول وأصحابه[٢] فحلفوا ما قالوا ، فكذّبني رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وصدّقه ، فأصابني همّ لم يصبني مثله قط ، وجلست في البيت ، فقال عمي : ما أردت إلا أن كذبك[٣] رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ومقتك . قال : حتىٰ أنزل الله : ﴿ **إذا جاءك المنافقون** ﴾ ، قال : فبعث إليّ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقرأها رسول الله عليّ[٤] ، ثم قال : « إن الله قد صدقك » .

ثم قال أحمد(٨) أيضًا : حدثنا حسن بن موسىٰ ، حدثنا زهير ، حدثنا أبو إسحاق ؛ أنه سمع زيد بن أرقم ؛ يقول : خرجنا مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في سفر ، فأصاب الناس شدةٌ ، فقال عبد الله بن أبيّ لأصحابه[٥] : لا تنفقوا علىٰ من عند رسول الله حتىٰ ينفضوا من حوله ، وقال : لئن رجعنا إلىٰ المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . فأتيت النبي صلىٰ الله عليه وسلم فأخبرته بذلك ، فأرسل إلىٰ عبد الله بن أبيّ فسأله ، فاجتهد يمينَه ما فعل ، فقالوا : كذب زيد يا رسول الله . فوقع في نفسي مما قالوا ، حتىٰ أنزل الله تصديقي : ﴿ **إذا جاءك المنافقون** ﴾ . قال : ودعاهم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ليستغفر لهم ، فلووا رءوسهم . وقوله تعالىٰ : ﴿ **كأنهم خشب مسندة** ﴾ ، قال : كانوا رجالًا أجمل شيء .

وقد رواه البخاري ومسلم والنسائي ، من حديث زهير .

ورواه البخاري(٩) أيضًا والترمذي من حديث إسرائيل ، كلاهما عن أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السَّبيعيّ الهَمْداني الكوفي ، عن زيد به .

(طريق أخرىٰ) عن زيد ، قال أبو عيسىٰ الترمذي(١٠) : حدثنا عبد بن حُميد ، حدثنا عبيد

---

(٨) - المسند (٤/٣٧٣) (١٩٣٨٩) . وأخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ **وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ...** ﴾ ، حديث (٤٩٠٣) (٨/٦٤٧) . ومسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، حديث (٢٧٧٢/١) (١٧/١٧٦ - ١٧٧) والنسائي في الكبرى كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل** ﴾ ، حديث (١١٥٩٨) (٦/٤٩٢) .

(٩) - وأخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : اتخذوا أيمانهم جنة يجتنون بها ، حديث (٤٩٠١) . والترمذي في ك « التفسير » ، باب : « ومن سورة المنافقين » ، حديث (٣٣٠٩) (٩/٥٠) . قال الترمذي : حسن صحيح .

(١٠) - أخرجه الترمذي في الموضع السابق (٣٣١٠) (٩/٥٠ - ٥٢) .

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : يكذبك .

[٤] - سقط من ز .

[٥] - سقط من ز .

الله بن موسىٰ ، عن إسرائيل ، عن السدي ، عن أبي سعد[١] الأزدي؛ قال : حدثنا زيد بن أرقم؛ قال : غزونا مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، وكان معنا أناس من الأعراب ، فكنا نَبتَدِرُ الماء، وكان الأعراب يسبقوننا ، يسبق الأعرابي أصحابه يملأ الحوض ، ويجعل حوله حجارة ، ويجعل النّطع عليه[٢] حتى يجيء أصحابه. قال[٣] : فأتى رجل من الأنصار الأعرابي ، فأرخىٰ زمام ناقته لتشرب ، فأبىٰ أن يدعه ، فانتزع حجرًا ففاض الماء ، فرفع الأعرابي خشبة ، فضرب بها رأس الأنصاري فشجّه ، فأتىٰ عبد الله بن أبيّ رأسَ المنافقين، فأخبره وكان من أصحابه ، فغضب عبد الله بن أبيّ ، ثم قال : لا تنفقوا علىٰ من عند رسول الله حتىٰ ينفضوا من حوله - يعني الأعراب - وكانوا يحضرون رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عند الطعام . فقال عبد الله لأصحابه : إذا انفضوا من عند محمد فائتوا محمدًا بالطعام ، فليأكل هو ومن عنده ، ثم قال لأصحابه : إذا رجعتم إلى المدينة فليخرج الأعز منها الأذل. قال زيد: وأنا ردف عمي فسمعتُ عبد الله فأخبرت عَمّي ، فانطلق فأخبر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فأرسل إليه رسول الله ، فحلف وجَحَد ، قال[٤] : فصدقه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وكذبني ، فجاء إليّ عمي؛ فقال : ما أردت إلا[٥] أن مقتك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وكذبَك والمسلمون . فوقع عليّ من الغم ما لم يقع علىٰ أحد قط ، فبينما أنا أسير مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في سفر وقد خَفَقْتُ برأسي من الهم ، إذ أتاني رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فعَرَك أذني ، وضحك في وجهي ، فما كان يسرني أن لي بها الخلد في الدنيا[٦] ، ثم إن أبا بكر لحقني وقال : ما قال لك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؟ قلت : ما قال لي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم شيئًا غير أنْ عرك أذني ، وضحك في وجهي . فقال : « أبشر » . ثم لحقني عمر فقلت له مثل قولي لأبي بكر . فلما أن أصبحنا قرأ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم سورة المنافقين .

انفرد بإخراجه الترمذي ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وهكذا رواه الحافظ البيهقي(١١) عن الحاكم ، عن [أبي العباس محمد بن أحمد المحبوبي ، عن سعيد بن مسعود ، عن][٧] عبيد الله بن موسىٰ به . وزاد بعد قوله « سورة المنافقين » ﴿ **إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله** ﴾ حتىٰ بلغ : ﴿ **هم الذين يقولون لا تنفقوا علىٰ من عند رسول الله حتىٰ ينفضوا** ﴾ حتىٰ بلغ : ﴿ **ليخرجن الأعز منها الأذل** ﴾ .

(١١) - الدلائل (٤/٥٤ - ٥٥) .

[١] - في ز ، خ : سعيد .
[٢] - سقط من خ .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - سقط من ز ، خ .
[٧] - ما بين المعكوفين بياض في خ ، وسقط من ز .

وقد روىٰ عبد الله بن لهيعة(١٢) ، عن أبي الأسود ، عن عُروَةَ بن الزبير في المغازي ، وكذا ذكر موسىٰ بن عقبة في مغازيه أيضًا هذه القصة بهذا السياق ، ولكن جعلا الذي بَلّغ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كلام عبد الله بن أبيّ ابن سلول إنما هو أوس بن أرقم[١] من بني الحارث ابن الخزرج ، فلعله مبلغ آخر ، أو تصحيف من جهة السمع ، والله أعلم .

وقد قال ابن أبي حاتم -رحمه الله- : حدثنا محمد بن عزيز الأيلي ، حدثني سلامة ، حدثني عقيل ، أخبرني محمد بن مسلم ؛ أن عروة بن الزبير وعمرو بن ثابت الأنصاري[٢] أخبراه ؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم غزا غزوة المريسيع ، وهي التي هدم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فيها مناة الطاغية التي كانت بين قفا المُشَلّل وبين البحر ، فبعث رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم خالد بن الوليد فكسر مناة ، فاقتتل رجلان في غزوة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم تلك ، أحدهما من المهاجرين ، والآخر من بَهْز ، وهم حلفاء الأنصار ، فاستعلىٰ الرجل الذي من المهاجرين علىٰ البهزي ، فقال البهزي : يا معشر الأنصار ، فنصره رجال من الأنصار ، وقال المهاجري : يا معشر المهاجرين ، فنصره رجال من المهاجرين ، حتىٰ كان بين أولئك الرجال من المهاجرين والرجال من الأنصار شيء من القتال ، ثم حُجز بينهم فانكفأ كل منافق - أو رجل في قلبه مرض - إلىٰ عبد الله بن أبيّ ابن سلول ، فقال : قد كنت تُرْجَىٰ وتدفع ، فأصبحت لا تضر ولا تنفع ، قد تناصرت علينا الجلابيب - وكانوا يَدعُون كُل حديث هجرة[٣] : الجلابيب - فقال عبد الله بن أبيّ عدو الله : لئن رجعنا إلىٰ المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . قال مالك بن الدخْشُم[٤] - وكان من المنافقين : أو لم أقل لكم لا تنفقوا علىٰ من عند رسول الله حتىٰ ينفضوا . فسمع بذلك عُمر بن الخطاب ، فأقبل يمشي حتىٰ جاء رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؛ فقال : يا رسول الله ، ائذن لي في هذا الرجل الذي قد أفتن الناس أضربْ عنقه - يريد عمرُ عبد الله بن أبيّ - فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لعمر : « أو قاتله أنتَ إن أمرتُك بقتله ؟ » قال عمر : نعم[٥] والله لئن أمرتني بقتله لأضربَنّ[٦] عنقه . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم « اجلس » . فأقبل أُسَيدُ بن الحُضَير - وهو أحد الأنصار ، ثم أحد بني عبد الأشهل - حتىٰ أتىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؛ فقال : يا رسول الله ، ائذن لي في هذا الرجل الذي قد أفتنَ الناس أضربْ عنقه . فقال رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - : « أو قاتله أنتَ إن أمرتك بقتله ؟ » قال : نعم ، والله لئن أمرتني بقتله لأضربن[٧]

(١٢) - أخرجه البيهقي (٥٦/٤) .

[١] - في ز ، خ : أقرم .

[٢] - سقط من خ .

[٣] - في ز ، خ : أهجرة .

[٤] - في ز ، خ : الدخشن .

[٥] - سقط من ت .

[٦] - في ز : لأضرب .

[٧] - في ز ، خ : لأضرب .

بالسيف تحت قُرط أذنيه . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « اجلس » . ثم قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « آذنوا بالرحيل » . فَهجَّرَ بالناس ، فسار يومه وليلته والغد حتىٰ مَتَعَ النهار ثم نزل . ثم هَجَّر بالناس مثلها ، فَصبَّح بالمدينة في ثلاث سارها من قفا المُشَلَّل، فلما قدم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم المدينة أرسل إلىٰ عمر فدعاه ، فقال له رسول الله : « أيْ عمر ؛ أكنت قاتلَه لو أمرتك بقتله ؟ » قال عمر : نعم . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « والله لو قتلته يومئذ لأرغمت أنوف رجال لو أمرتهم اليومَ بقتله امتثلوه فيتحدث الناسُ أني قد[١] وقعت علىٰ أصحابي فأقتلهم صبرًا » . وأنزل الله -عز وجل- : ﴿ **هم الذين يقولون لا تنفقوا علىٰ من عند رسول الله حتىٰ ينفضوا** ﴾ ... إلىٰ قوله : ﴿ **لئن رجعنا إلىٰ المدينة** ...﴾ الآية .

وهذا سياق غريب وفيه أشياء نفيسة لا توجد إلا فيه .

وقال محمد بن إسحاق بن يَسار(١٣) : حدثني عاصم بن عُمر بن قتادة ؛ أن عبدَ الله بن عبد الله ابن أبيّ - يعني لما بلغه ما كان من أمر أبيه - أتىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ فقال : يا رسول الله ؛ إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبَيّ فيما بلغك عنه ، فإن كنت فاعلًا فمرني به ، فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمَتِ الخزرج ما كان لها من رجل أبرّ بوالده مني ، إني أخشىٰ أن تأمر به غيري فيقتله ، فلا تدعني نفسي أنظر إلىٰ قاتل عبد الله بن أبيّ يمشي في الناس ، فأقتله فأقتل مؤمنًا بكافر فأدخل النار . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « بل نترفق به ونحسن صحبته ، ما بقي معنا » .

وذكر عكرمةُ وابن زيد وغيرهما ؛ أن الناس لما قفلوا راجعين إلىٰ المدينة ، وقف عبدُ الله بن عبد الله هذا علىٰ باب المدينة ، واستل سيفه ، فجعل الناس يمرون عليه ، فلما جاء أبوه عبد الله بن أبيّ قال له ابنه : وراءك . فقال : مالك ؟ ويلك . فقال : والله لا تجوز من هاهنا حتىٰ يأذن لك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فإنه العزيز وأنت الذليل . فلما جاء رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وكان إنما يسير ساقة ، فشكا إليه عبدُ الله بن أبيّ ابنَه ، فقال ابنُه عبد الله : والله يا رسول الله ؛ لا يدخلها حتىٰ تأذن له . فأذن له رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ فقال : أما إذ أذن لك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فَجُز الآن .

وقال أبو بكر عبد الله بن الزبير الحُمَيدي(١٤) في مسنده : حدثنا سفيان بن عُيَينة ، حدثنا أبو هارون المدني[٢] ؛ قال : قال عبد الله بن عبد الله ابن أبيّ ابن سلول لأبيه : والله لا تدخل المدينة أبدًا حتىٰ تقول : رسولُ الله صلىٰ الله عليه وسلم الأعزُ وأنا الأذل ، قال : وجاء النّبي

(١٣) - السيرة النبوية لابن هشام (٣/٧٦٠) .

(١٤) - أخرجه الحميدي (٢/٥٢٠ - ٥٢١) (١٢٤٠) .

[١] - سقط من ز . [٢] - في ز : المديني .

صلى الله عليه وسلم؛ فقال : يا رسول الله ، إنه بلغني أنك تريد أن تقتل أبي ، فوالذي بعثك بالحق ما تأملت وجهه قط هيبة له ، ولئن شئت أن آتيك برأسه لآتينك[١] ، فإني أكره أن أرى قاتل أبي .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١١﴾

يقول تعالى آمرًا لعباده المؤمنين بكثرة ذكره، وناهيًا لهم عن أن تشغلهم الأموال والأولاد عن ذلك ، ومخبرًا لهم بأنه مَنِ التَهَىٰ بمتاع الحياة الدنيا وزينتها عما خُلِقَ له[٢] من طاعة ربه وذكره ، فإنه من الخاسرين الذين يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ، ثم حثهم على الإنفاق في طاعته فقال : ﴿ **وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموتُ فيقول رب لولا أخرتني إلىٰ أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين** ﴾ فكل مُفرّط يندم عند الاحتضار ، ويسأل طول المدة ولو شيئًا يسيرًا ، ليستعتب ويستدرك ما فاته ، وهيهات ! كان ما كان ، وأتى ما هو آت ، وكل بحسب تفريطه ، أما الكفار فكما قال تعالى : [﴿ **وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلىٰ أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال** ﴾ وقال تعالى][٣] : ﴿ **حتىٰ إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون * لعلي أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلىٰ يوم يبعثون** ﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿ **ولن يؤخر الله نفسًا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون** ﴾ ، أي لا ينظر أحدًا بعد حلول أجله ، وهو أعلم وأخبر بمن يكون صادقًا في قوله وسؤاله ممن لو رُد لعاد إلىٰ شر مما كان عليه ؛ ولهذا قال : ﴿ **والله خبير بما تعملون** ﴾ .

وقال أبو عيسىٰ الترمذي (١٥) : حدثنا عبد بن حميد، حدثنا جعفر بن عون ، حدثنا

---

(١٥) - سنن الترمذي ، كتاب « التفسير ، باب : ومن سورة المنافقين ، حديث (٣٣١٣) (٩/٥٣ - ٥٤) .=

---

[١] - في خ : لأتيتك .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من ز ، خ .

أبو جَنَاب الكلبي ، عن الضحاك بن مُزَاحم ، عن ابن عباس؛ قال : من كان له مال يبلغه حجّ بيت ربه ، أو تجب فيه عليه زكاة ، فلم يفعل ، سأل الرجعة عند الموت . فقال رجل : يا بن عباس ، اتق الله ، فإنما يسأل الرجعة الكفار . فقال : سأتلو عليك بذلك قرآنًا : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون * [وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلىٰ أجل قريب فأصدق** ﴾][١] إلىٰ قوله : ﴿ **والله خبير بما تعملون** ﴾ ، قال : فما يوجب الزكاة ؟ قال : إذا بلغ المال مائتين فصاعدًا . قال : فما يوجب الحج ؟ قال : الزاد والبعير ثم قال : حدثنا عبد بن حُمَيد ، حدثنا عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن يحيىٰ بن أبي حَيَّة - وهو أبو جناب الكلبي - عن الضحاك ، عن ابن عباس ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم بنحوه .

ثم قال : وقد رواه سفيان بن عيينة وغيره ، عن أبي [جَنَاب ، عن ابن][٢] الضحاك ، عن ابن عباس ، من قوله . وهو أصح وضعف أبا جناب الكلبي .

قلت : ورواية الضحاك عن ابن عباس فيها انقطاع ، والله أعلم .

وقال ابن أبي حاتم(١٦) : حدثنا أبي ، حدثنا ابن نُفيل ، حدثنا سليمان بن عَطاء ، عن مسلمة الجهني ، عن عمه - يعني أبا مشجعة بن ربعي - عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : ذكرنا عند رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم الزيادة في العمر [فقال : « إن الله لا يؤخر نفسًا إذا جاء أجلها ، وإنما الزيادة في العمر][٣] أن يرزق الله العبد ذرية صالحة يدعون له ، فيلحقه دعاؤهم في قبره » .

[آخر تفسير سورة « المنافقون[٤] » ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة] .

☆ ☆ ☆

= قال الترمذي ، وأبو جناب القصاب اسمه يحيى بن أبي حية وليس هو بالقوي في الحديث . وأخرجه العقيلي (١٣٤/٢) ، وابن عدي (١١٣٣/٣) . كلاهما من طريق سليمان بن عطاء بهذا الإسناد قال العقيلي : لا يتابع عليه بهذا اللفظ ، وقد روى بمتن هذا الإسناد بلفظ « الولد الصالح يتركه الرجل فيدعوا له فيلحقه دعاؤه » من طريق صالح الإسناد ، والكلام الأول في الحديث ليس بمحفوظ . قال ابن عدي : قال البخاري : سليمان بن عطاء في حديثه بعض المناكير . والحديث عزاه ابن حجر في الفتح للطبراني الصغير (٤١٦/١٠) وضعفه .

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز : الحباب عن .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - في ز : المنافقين .

تفسير سورة التغابن

وهي مدنية

قال الطبراني (١) : حدثنا محمد بن هارون بن محمد بن بكار الدمشقي ، حدثنا العباس بن الوليد الخلال ، حدثنا الوليد بن الوليد ، حدثنا ابن[١] ثوبان ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن عبد الله ابن عَمرو -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما من مولود يولد إلا مكتوب في تشبيك رأسه خمس آيات من سورة التغابن** » . أورده ابن عساكر في ترجمة الوليد بن صالح ، وهو غريب جدًّا ، بل منكر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾

هذه السورة هي آخر المسبحات ، وقد تقدم الكلام على تسبيح المخلوقات لبادئها ومالكها ، ولهذا قال : ﴿ **له الملك وله الحمد** ﴾ ، أي : هو المتصرف في جميع الكائنات ، المحمود علىٰ جميع ما يخلقه ويقدره . [وقوله : ﴿**وهو على كل شيء قدير**﴾ أي : مهما أراد كان بلا ممانع ولا مدافع وما لم يشأ لم يكن][٢] . وقوله : ﴿ **هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن** ﴾ ، أي : هو الخالق لكم علىٰ هذه الصفة ، وأراد منكم ذلك ، فلابد من وجود مؤمن وكافر ، وهو البصير بمن يستحق الهداية ممن يستحق الإضلال ، وهو شهيد علىٰ أعمال عباده ، وسيجزيهم بها أتم الجزاء . ولهذا قال : ﴿ **والله بما تعملون بصير** ﴾ .

(١) الوليد بن الوليد : قال ابن حبان : يروي عن ابن ثوبان العجائب . قال : وقد روى عن ابن ثوبان ، عن عمرو بن دبنار نسخة أكثرها مقلوبة ، يطول الكتاب بذكرها ، لا يجوز الاحتجاج به فيما يروي . وقال الدارقطني : متروك . والحديث أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق من طريق الطبراني بهذا الإسناد (١٧/ ٨٣١ - مخطوط) . وأخرجه ابن حبان في الضعفاء (٣/٨١) ، وعنده « ... **خمس آيات من فاتحة سورة التغابن** » . وعزاه السيوطي في الدر (٦/٣٤٢) لابن مردويه . =

[١] - في ز ، خ : أبو . [٢] - سقط من ز ، خ .

ثم قال : ﴿ **خلق السموات والأرض بالحق** ﴾ ، أي : بالعدل والحكمة ، ﴿ **وصوركم فأحسن صوركم** ﴾ ، أي : أحسن أشكالكم ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ۔ الذي خلقك فسواك فعدلك ۔ في أيِّ صورة ما شاء ركبك** ﴾ وكقوله : ﴿ **الله الذي جعل لكم الأرض قرارًا[١] والسماء بناءً وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات** ﴾ الآية وقوله : ﴿ **وإليه المصير** ﴾ أي : المرجع والمآب .

ثم أخبر تعالىٰ عن علمه بجميع الكائنات السمائية والأرضية والنفسية ، فقال : ﴿ **يعلم ما في السمٰوات و[٢] الأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور** ﴾ .

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن الأمم الماضين ، وما حل بهم من العذاب والنكال ؛ في[٣] مخالفة الرسل والتكذيب بالحق ، فقال :﴿ **ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل** ﴾ ، أي : خبرهم وما كان من أمرهم ، ﴿ **فذاقوا وبال أمرهم** ﴾ ، أي : وخيم تكذيبهم ورديء أفعالهم ، وهو ما حل بهم في الدنيا من العقوبة والخزي ، ﴿ **ولهم عذاب أليم** ﴾ ، أي : في الدار الآخرة مضاف إلىٰ هذا[٤] الدنيوي . ثم علل ذلك فقال : ﴿ **ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات** ﴾ ، أي : بالحجج والدلائل والبراهين ، ﴿ **فقالوا أبشر يهدوننا** ﴾ ، أي : استبعدوا أن تكون الرسالة في البشر ، وأن يكون هداهم علىٰ يدي بشر مثلهم ، ﴿ **فكفروا وتولوا** ﴾ ، أي : كذبوا بالحق ونكلوا عن العمل ، ﴿ **واستغنىٰ الله** ﴾ ، أي : عنهم ، ﴿ **والله غني حميد** ﴾ .

زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ

= وقد أخرج الحديث الطبراني في الأوسط (٢/٢١٢) (١٧٦٣) من طريق الوليد بن الوليد بهذا الإسناد لكن الذي فيه : « **خمس آيات من فاتحة الكتاب** » . وبهذا اللفظ الأخير ذكره الهيثمي في المجمع (٦/٣١٤) ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه الوليد بن الوليد، وثقه أبو حاتم وابن حبان وتركه جماعة ، وبقية رجاله ثقات .

[١] - في ز : فراشًا .
[٢] - في ز : وما في .
[٣] - في ز : و .
[٤] - سقط من ز .

يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾
يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَـٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ
سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ
ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ
ٱلنَّارِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن المشركين والكفار والملحدين: إنهم يزعمون أنهم لا يبعثون ، ﴿ **قل بلىٰ وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم** ﴾ ، أي لتُخْبَرُنّ[١] بجميع أعمالكم ، جليلها وحقيرها ، صغيرها وكبيرها ، ﴿ **وذلك علىٰ الله يسير** ﴾ ، أي : بعثكم ومجازاتكم .

وهذه هي الآية الثالثة التي أمر الله رسوله صلىٰ الله عليه وسلم أن يقسم بربه - عز وجل - علىٰ وقوع المعاد ووجوده ، فالأولىٰ في سورة يونس : ﴿ **ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين** ﴾ والثانية في سورة سبأ : ﴿ **وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم** ﴾ الآية ، والثالثة هي هذه .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا** ﴾ ، يعني : القرآن ، ﴿ **والله بما تعملون خبير** ﴾ ، أي : فلا تخفىٰ عليه من أعمالكم خافية .

وقوله : ﴿ **يوم يجمعكم ليوم الجمع** ﴾ ، وهو يوم القيامة ، سمي بذلك لأنه يُجمع فيه الأولون والآخرون في صعيد واحد ، يسمعهم الداعي ويَنفُذُهم البصر ، كما قال تعالى : ﴿ **ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **قل إن الأولين والآخرين * لمجموعون إلىٰ ميقات يوم معلوم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ذلك يوم التغابن** ﴾ قال ابن عباس : هو اسم من أسماء يوم القيامة ، وذلك أن أهل الجنة يغبنون أهل النار ، وكذا قال قتادة ومجاهد .

وقال مقاتل بن حيان : لا غبن أعظمُ من أن يدخل هؤلاء إلىٰ الجنة ، ويُذْهَب بأولئك إلىٰ النار .

قلت : وقد فسر ذلك بقوله تعالىٰ : ﴿ **ومن يؤمن بالله ويعمل صالحًا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا ذلك الفوز العظيم * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير** ﴾ . وقد تقدم تفسير مثل

[١] - في ز : لتجزن .

هذه[١] غير مرة .

مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا بما أخبر به في سورة الحديد : ﴿ **ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها** ﴾ ، وهكذا قال ها هنا : ﴿ **ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله** ﴾ ، قال ابن عباس : بأمر الله . يعني عن قدره ومشيئته .

﴿ **ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم** ﴾ ، أي : ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره ، فصبر واحتسب ، واستسلم لقضاء الله ، هدى الله قلبه ، وعوّضه عما فاته من الدنيا هُدىً في قلبه ، ويقينًا صادقًا ، وقد يخلف عليه ما كان أخذ [منه ، أو][٢] خيرًا منه .

قال عليّ بن أبي طلحة : عن ابن عباس : ﴿ **ومن يؤمن بالله يهد قلبه** ﴾ ، يعني : يهد قلبه لليقين ، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه .

وقال الأعمش : عن أبي ظبيان ؛ قال : كنا عند علقمة فقُرئ عنده هذه الآية : ﴿ **ومن يؤمن بالله يهد قلبه** ﴾ ، فسُئل عن ذلك فقال : هو الرجل تصيبه المصيبة ، فيعلم أنها من عند الله ، فيرضىٰ ويسلم . رواه ابن جرير وابن أبي حاتم .

وقال سعيد بن جبير ، ومقاتل بن حيان : ﴿ **ومن يؤمن بالله يهد قلبه** ﴾ ، يعني : يسترجع ، يقول : ﴿ **إنا لله وإنا إليه راجعون** ﴾ .

وفي الحديث المتفق عليه(٢) : « عجبًا للمؤمن ! لا يقضي الله له قضاءً إلا كان خيرًا له ، إن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له ، وإن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن » .

وقال أحمد(٣) : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا الحارث بن يزيد ، عن عليّ بن

(٢) - تقدم تخريجه في سورة يونس آية:(١٢) ، وسورة إبراهيم آية (٥) . ولم أجد الحديث في البخاري ، وقد تقدم هناك عند مسلم وغيره .

(٣) - المسند (٣١٨/٥ - ٣١٩) (٢٢٨٢٠) ، وقال الهيثمي (٦٤/١) : رواه أحمد وفي إسناده ابن لهيعة .

[١] - في ز : هذا . [٢] - سقط من ز .

رَبَاح : أنه سمع جنادة بن أبي أمية يقول : سمعت عبادة بن الصامت يقول : إن رجلًا أتىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال : يا رسول اللَّه ؛ أي العمل أفضل ؟ قال : « إيمان[١] باللَّه ، وتصديق به ، وجهاد في سبيله » . قال : أريد أهونَ من هذا يا رسول اللَّه . قال : [«السماحة والصبر » . قال : أريد أهون من ذلك يا رسول اللَّه][٢] . قال : « لا تتهم الله في شيء قضا لك به ». لم يخرجوه .

وقوله : ﴿ **وأطيعوا اللَّه وأطيعوا الرسول** ﴾ : أمرٌ بطاعة اللَّه ورسوله فيما شرع ، وفعل ما به[٣] أمر وترك ما عنه [نهىٰ و][٤] زجر ، ثم قال : ﴿ **فإن توليتم فإنما علىٰ رسولنا البلاغ المبين** ﴾ أي : إن نكلتم عن العمل فإنما عليه ما حُمِّل من البلاغ ، وعليكم ما حُمّلتم من السمع والطاعة .

قال الزهري : من الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا التسليم .

ثم قال تعالىٰ مخبرًا أنه الأحد الصمد ، الذي لا إله غيره ، فقال : ﴿ **اللَّه لا إله إلا هو وعلىٰ اللَّه فليتوكل المؤمنون** ﴾ ، فالأول خَبَرٌ عن التوحيد ، ومعناه معنىٰ[٥] الطلب ، أي : وحدوا الإلٰهية له ، وأخلصوها لديه ، وتوكلوا عليه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلًا** ﴾ .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْۚ
وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ
وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ
وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ
شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن الأزواج والأولاد : إن منهم من هو عدو الزوج والوالد ، بمعنىٰ أنه[٦]

---

[١] - في ز : الإيمان .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - في ز : مضي .
[٦] - في ز : أن .

يلتهي به عن العمل الصالح ، كقوله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون** ﴾ ولهذا قال هاهنا : ﴿**فاحذروهم**﴾ . قال ابن زيد : يعني على دينكم .

وقال مجاهد : ﴿ **إن من أزواجكم وأولادكم عدوًا لكم** ﴾ ، قال : يحملُ[١] الرجل على قطيعة الرحم أو معصية ربه ، فلا يستطيع الرجل مع حبه إلا أن يطيعه .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا محمد بن خلف العسقلاني[٢] حدثنا الفريابي ، حدثنا إسرائيل ، حدثنا سماك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس - وسأله رجل عن هذه الآية : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوًا لكم فاحذروهم** ﴾ - قال : فهؤلاء رجال أسلموا من مكة ، فأرادوا أن يأتوا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فأبىٰ أزواجهم وأولادهم أن يَدَعوهم ، فلما أتوا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم رأوا الناس قد فقهوا في الدين ، فَهَموا أن يعاقبوهم ، فأنزل الله هذه الآية : ﴿ **وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم** ﴾ .

وكذا رواه الترمذي(٤) عن محمد بن يحيى عن الفريابي - وهو محمد بن يوسف - به ، وقال : « حسن صحيح » ورواه ابن جرير والطبراني ، من حديث إسرائيل ، به ، ورُوي من طريق العوفي ، عن ابن عباس ، نحوه ، وهكذا قال عكرمة مولاه سواء .

وقوله : ﴿ **إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم** ﴾ ، يقول تعالىٰ : إنما الأموال والأولاد فتنة ، أي اختبار وابتلاء من الله لخلقه . ليعلم من يطيعه ممن يعصيه .

وقوله : ﴿ **والله عنده** ﴾ ، أي : يوم القيامة ﴿ **أجر عظيم** ﴾ ، كما قال : ﴿ **زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث** ﴾ ... الآية .

وقال الإمام أحمد(٥) : حدثنا زيد بن الحباب ، حدثني حُسين بن واقد ، حدثني عبد الله بن بُرَيدة ، سمعت أبي - بريدة يقول : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يخطب ، فجاء الحسن والحسين رضي الله عنهما عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران ، فنزل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ، ثم قال : « صدق الله ورسوله : ﴿ **إنما أموالكم وأولادكم فتنة** ﴾ ، نظرت إلىٰ هذين الصبيين يمشيان ويعثران ، فلم أصبر حتىٰ قطعت حديثي ورفعتهما » .

(٤) - أخرجه الترمذي في كتاب « تفسير القرآن » ، باب : « ومن سورة التغابن » ، حديث (٣٣١٤) (٩/ ٥٥) . والطبري (١٢٤/٢٨) . والطبراني (٢٧٥/١١ - ٢٧٦) (١١٧٢٠) .

(٥) - المسند (٣٥٤/٥) (٢٣١٠١) . وأبو داود في كتاب : « الصلاة » ، باب : « الإمام يقطع الخطبة =

[١] - في خ : عمل . [٢] - في ز : الصيدلاني .

ورواه أهل السنن من حديث حسين بن واقد، به وقال الترمذي : « حسن غريب ، إنما نعرفه من حديثه » .

وقال الإمام أحمد(٦) : حدثنا سُرَيج بن النعمان ، حدثنا هشيم ، أخبرنا مجالد ، عن الشعبي ، حدثنا الأشعث بن قيس قال : قدمت علىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في وفد كندة[١] ، فقال لي : « هل لك من ولد ؟ » قلت : غلام ولد لي في مَخرَجي إليك من ابنة جَمْد ، وَ[٢]لَوَددت أن بمكانه شبع القوم . قال : « لا[٣] تقولن ذلك ، فإن فيهم قرةَ عين ، وأجرًا إذا قبضوا » ، ثم قال[٤] : « ولئن قلت ذاك : إنهم لمجبنة مَحْزنة إنهم لمجبنة[٥] مَحزنة » تفرد به الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - .

وقال الحافظ أبو بكر البزار(٧) :حدثنا محمود بن بكر ، حدثنا أبي ، عن عيسىٰ ، عن ابن أبي ليلىٰ ، عن عطية ، عن أبي سعيد قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « الولد ثمرة القلوب ، وإنهم مَجبنة مَبْخلة محزنة » ثم قال : لا يعرف إلا بهذا الإسناد .

وقال الطبراني(٨) : حدثنا هاشم بن مزيد[٦] ، حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش ، حدثني أبي ، حدثني ضَمْضَمُ بنُ زُرعَةَ ، عن شريح بن عبيد ، عن أبي مالك الأشعري ، أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « ليس عدوك الذي إن قتلته كان فوزًا[٧] لك وإن قتلك دخلت الجنة ، ولكن الذي لعله عدو لك ولدك الذي خرج من صلبك ، ثم أعدىٰ عدو لك مالُك الذي ملكت يمينك » .

= للأمر يحدث » ، حديث (١١٠٩) (٢٩٠/١) . والترمذي في كتاب : « المناقب » ، باب : « مناقب الحسن والحسين » حديث (٣٧٧٦) (٣٣٤/٩) . والنسائي (١٠٨/٣) كتاب : « الجمعة » ، باب : « نزول الإمام عن المنبر قبل فراغه من الخطبة ...» ، (١٩٢/٣) كتاب « صلاة العيدين » ، باب : « نزول الإمام عن المنبر قبل فراغه من الخطبة » . وابن ماجه في كتاب : اللباس ، باب : لبس الأحمر للرجال ، حديث (٣٦٠٠) (١١٩٠/٢) . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩٨١) .

(٦) - أخرجه أحمد (٢١١/٥) (٢١٩٣٣) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٥٨/٨) : رواه أحمد والطبراني وفيه مجالد بن سعيد ، وهو ضعيف وقد وثق ، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح . اهـ .

(٧) - أخرجه البزار (٢٤٧/٢) (١٧٩٧) . قال ابن حجر : عطية ضعيف ، ومحمد سيئ الحفظ . قال الهيثمي في « المجمع » (١٥٨/٨) : رواه أبو يعلى والبزار وفيه عطية العوفي وهو ضعيف .

(٨) - أخرجه الطبراني (٣٣٣/٣) (٣٤٤٥) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٢٤٨/١٠) : رواه الطبراني وفيه محمد بن إسماعيل بن عياش وهو ضعيف .

---

[١] - في خ : كثير . وفي ز : كبير .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - في ز : مجبنة .
[٦] - في ز ، خ : مرثد .
[٧] - في ز ، خ : نورًا .

وقوله تعالىٰ : ﴿ فاتقوا اللّٰه ما استطعتم ﴾ ، أي : جهدكم وطاقتكم . كما ثبت في الصحيحين(٩) عن أبي هريرة - رضي اللّٰه عنه - قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « إذا أمرتكم بأمر فائتوا منه ما استطعتم ، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه » .

وقد قال بعض المفسرين - كما رواه مالك عن زيد بن أسلم - إن هذه الآية العظيمة[١] ناسخة للتي في « آل عمران » وهي قوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللّٰه حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثني يحيىٰ بن عبد اللّٰه بن بكير ، حدثني ابن لهيعة ، حدثني عطاء - هو ابن دينار - ، عن سعيد بن جبير في قوله : ﴿ اتقوا اللّٰه حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ ، قال : لما نزلت هذه[٢] الآية اشتد علىٰ القوم العمل ، فقاموا حتىٰ ورمت عراقيبهم وتقرحت جباههم ، فأنزل اللّٰه تخفيفًا علىٰ المسلمين : ﴿ فاتقوا اللّٰه ما استطعتم ﴾ ، فنسخت الآية الأولىٰ .

وروي عن أبي العالية ، وزيد بن أسلم ، وقتادة ، والربيع بن أنس ، والسدي[٣] ومقاتل بن حيان نحو ذلك .

وقوله : ﴿ واسمعوا وأطيعوا ﴾ ، أي : كونوا منقادين لما يأمركم اللّٰه به ورسوله لا تحيدوا عنه يمنة ولا يسرة ، ولا تقدموا بين يدي اللّٰه ورسوله ، ولا تتخلفوا عما به[٤] أمرتم ، ولا تركبوا ما عنه زُجرتم .

وقوله تعالىٰ : ﴿ وأنفقوا خيرًا لأنفسكم ﴾ ، أي : وابذلوا مما رزقكم اللّٰه علىٰ الأقارب والفقراء والمساكين وذوي الحاجات ، وأحسنوا إلىٰ خلق اللّٰه كما أحسن إليكم ، يكن خيرًا لكم في الدنيا والآخرة ، وإن لا تفعلوا يكن شرًا لكم في الدنيا والآخرة .

وقوله : ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ ، تقدم تفسيره في « سورة الحشر » وذكر الأحاديث الواردة في معنىٰ هذه الآية بما أغنىٰ عن إعادته هاهنا ولله الحمد والمنة .

وقوله : ﴿ إن تقرضوا اللّٰه قرضًا حسنًا يضاعفه لكم ويغفر لكم ﴾ ، أي : مهما أنفقتم من

(٩) - أخرجه البخاري في كتاب : الاعتصام ، باب : الاقتداء بسنن رسول الله ، صلى اللّٰه عليه وسلم ، حديث (٧٢٨٨) (٢٥١/١٣) . ومسلم في كتاب الحج باب فرض الحج مرة في العمر حديث (٤١٢/ ١٣٣٧) (١٤٤/٩) .

[١] - في ز ، خ : الكريمة .
[٢] - سقط من ت .
[٣] - سقط من خ .
[٤] - سقط من ز ، خ .

شيء فهو يخلفه ، ومهما تصدقتم من شيء فعليه جزاؤه ، ونزل ذلك منزلة القرض له ، كما ثبت في الصحيح(١٠) أن اللَّه تعالىٰ يقول : « من يقرض غير ظلوم ولا عديم » ولهذا قال : يضاعفه لكم ، كما تقدم في سورة البقرة : ﴿**فيضاعفه له أضعافًا كثيرة**﴾ .

﴿ **ويغفر لكم** ﴾ ، أي : ويكفر عنكم السيئات . ولهذا قال : ﴿ **واللَّه شكور** ﴾ ، أي : يجزي علىٰ القليل بالكثير[١] ، ﴿ **حليم** ﴾ أي : يصفح ويغفر ويستر ، ويتجاوز عن الذنوب والزلات والخطايا والسيئات .

﴿**عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم**﴾ تقدم تفسيره غير مرة .

[آخر تفسير « سورة التغابن » وللَّه الحمد والمنة ، وبه التوفيق والعصمة] .

☆ ☆ ☆

(١٠) - أخرجه مسلم في كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ، باب : الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه ، حديث (٧٥٨/١٧١) (٥٦/٦) .

[١] - في ز : والكثير .

تفسير سورة الطلاق

وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (١) ﴾

خوطب النبي صلى الله عليه وسلم أولًا[1] تشريفًا وتكريمًا ، ثم خاطب الأمة تبعًا فقال : **﴿ يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن ﴾** .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن ثواب بن سعيد الهباري ، حدثنا أسباط بن محمد ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ؛ قال : طلّق رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم حفصة ، فأتت أهلها ، فأنزل اللّه -عزّ وجل- : **﴿ يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن ﴾** ، فقيل له : راجعها فإنها صوامة قوامة ، وهي من أزواجك ونسائك في الجنة .

ورواه ابن جرير(١) ، عن ابن بشار ، عن عبد الأعلى ، عن سعيد ، عن قتادة فذكره مرسلًا . وقد ورد من غير وجه أن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم طلّق حفصة ثم راجعها .

وقال البخاري(٢) : حدثنا يحيىٰ بن بكير، حدثنا الليث [حدثني][2] عقيل ، عن ابن شهاب ، أخبرني سالم ، أن عبد اللّه بن عمر أخبره أنه طلق امرأة له وهي حائض ، فذكر عمرُ لرسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم، فتغيظ رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم [ ][3] ثم قال له :

(١) - تفسير الطبري (١٣٢/٢٨) .

(٢) - صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : سورة الطلاق ، حديث (٤٩٠٨) (٦٥٣/٨) وأطرافه في (٥٢٥١، ٥٢٥٢، ٥٢٥٣، ٥٢٥٨، ٥٢٦٤، ٥٣٣٢، ٥٣٣٣، ٧١٦٠) . ومسلم في كتاب : الطلاق ، حديث (١٤٧١) (٨٨/١٠) وما بعدها ، وأحمد (٤١١/٦) (٢٧٤٢٨) من حديث فاطمة بنت قيس - رضي الله عنها .

[١] - سقط من خ .

[٢] - في ت : و .

[٣] - في ز ، خ : فيه .

« [ليراجعها ، ثم يمسكها][١] حتىٰ تطهر ، ثم تحيض فتطهرَ ، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهرًا قبل أن يمسها ، فتلك العدة التي أمر اللّٰه عز وجل » .

هكذا رواه البخاري هاهنا، وقد رواه في مواضع من كتابه ، ومسلم ، ولفظه : « فتلك العدة التي أمر اللّٰه أن يطلق لها النساء » . ورواه أصحاب الكتب والمسانيد من طرق متعددة وألفاظ كثيرة ، ومواضع استقصائها كتب الأحكام .

وأَمَسُّ لفظ يورَد هاهنا ما رواه مسلم(٣) في صحيحه ، من طريق ابن جريج ، أخبرني أبو الزبير ، أنه سمع عبد الرحمن بن أيمن - مولىٰ عَزّة - يسأل ابن عمر ، وأبو الزبير [يسمع ذلك][٢] : كيف ترىٰ في رجلٍ طلق امرأته حائضًا[٣] ؟ فقال : طَلَّق ابن عُمر امرأتهُ حائضًا علىٰ عهد رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، [فسأل عمر رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم][٤] ؛ [فقال : إن عبد اللّٰه بن عمر طلق امرأته وهي حائض ؟][٥] فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « ليراجعها » . فَرَدها ، وقال : « إذا طهرت فليطلق أو يمسك » . قال ابن عمر : وقرأ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن في قُبُل عدتهن » .

وقال الأعمش عن مالك بن الحارث ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد اللّٰه في قوله : ﴿ فطلقوهن لعدتهن ﴾ قال : الطهر من غير جماع . وروي عن ابن عمر ، وعطاء ، ومجاهد ، والحسن ، وابن سيرين ، وقتادة ، وميمون بن مهران ، ومقاتل بن حيان مثل ذلك ، وهو رواية عن عكرمة ، والضحاك .

وقال عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله تعالىٰ : ﴿ فطلقوهن لعدتهن ﴾ قال : لا يطلقها [٦] وهي حائض ولا في طهر قد جامعها [٧] فيه ، ولكن : تتركها حتىٰ إذا حاضت وطهرت طلقها تطليقة .

وقال عكرمة : ﴿ فطلقوهن لعدتهن ﴾ ، العدة : الطهر ، والقرء الحيضة ، أن يطلقها حبلىٰ مستبينًا حملها ، ولا يطلقها وقد طاف عليها ، ولا يدري حبلىٰ هي أم لا .

---

(٣) صحيح مسلم في كتاب : الطلاق ، باب : المطلقة ثلاثًا لا نفقة لها ، حديث (١٤٨٠/٤٤) (١٠/١٤٥) والقصة بطولها في الموضع السابق (١٤٨٠) (١٣٤/١٠) وما بعدها .

---

[١] - في ز ، خ : « راجعها ثم أمسكها » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من ز ، خ .
[٣] - سقط من خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفين سقط من خ .
[٦] - في ز : تطلقها :
[٧] - في ز : جامعتها .

ومن هاهنا أخذ الفقهاء أحكام الطلاق وقسموه إلىٰ طلاق سنة وطلاق بدعة ، فطلاق السنة أن يطلقها طاهرًا من غير جماع ، أو حاملًا قد استبان حملها . والبدْعي : هو أن يطلقها في حال الحيض ، أو في طهر قد جامعها فيه ، ولا يدري أحملت أم لا ؟ وطلاق ثالث لا سنة فيه ولا بدعة ، وهو طلاق الصغيرة والآيسة وغير المدخول بها ، وتحرير الكلام في ذلك وما يتعلق به مستقصى في كتب الفروع[١] ، واللَّه سبحانه وتعالىٰ أعلم .

وقوله : ﴿ **وأحصوا العدة** ﴾ ، أي : احفظوها واعرفوا ابتداءها وانتهاءها ، لئلا تطول العدة علىٰ المرأة فتمتنع من الأزواج . ﴿ **واتقوا اللَّه ربكم** ﴾ ، أي : في ذلك .

وقوله : ﴿ [ ][٢] **لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن** ﴾ أي : في مدة العدة لها حق السكنىٰ علىٰ الزوج ما دامت معتدة منه ، فليس للرجل أن يخرجها ، ولا يجوز لها أيضًا الخروج ؛ لأنها [معتقلة لحق][٣] الزوج أيضًا .

وقوله : ﴿ **إلا أن يأتين بفاحشة مبينة** ﴾ ، أي : لا يخرجن من بيوتهن إلا أن ترتكب المرأة فاحشة مبينة ، فتخرج من المنزل ، والفاحشة المبينة تشمل[٤] الزنا ، كما قاله ابن مسعود ، وابن عباس ، وسعيد بن المسيب ، والشعبي ، والحسن ، وابن سيرين ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد ابن جبير ، وأبو قلابة ، وأبو صالح ، والضحاك ، وزيد بن أسلم ، وعطاء الخراساني ، والسدي ، وسعيد بن أبي هلال ، وغيرهم . وتشمل ما إذا نشزت المرأة أو بَذَت على أهل الرجل وآذتهم في الكلام والفعال ، كما قاله أُبيّ بن كعب ، وابن عباس وعكرمة وغيرهم .

وقوله : ﴿ **وتلك حدود اللَّه** ﴾ ، [أي : شرائعه ومحارمه ، ﴿ **ومن يتعد حدود اللَّه** ﴾][٥] ، أي : يخرج عنها ويتجاوزها إلىٰ غيرها ولا يأتمر بها ، ﴿ **فقد ظلم نفسه** ﴾ ، أي : بفعل ذلك .

وقوله : ﴿ **لا تدري لعل اللَّه يحدث بعد ذلك أمرًا** ﴾ ، أي : إنما أبقينا المطلقة في منزل الزوج في مدة العدة ، لعل الزوج يندم علىٰ طلاقها ، ويخلق اللَّه في قلبه رَجْعَتَهَا ، فيكون ذلك أيسر وأسهل .

قال الزهري عن عبيد اللَّه بن عبد اللَّه ، عن فاطمة بنت قيس في قوله : ﴿[**لا تدري**][٦] **لعل اللَّه يحدث بعد ذلك أمرًا** ﴾ ، قالت : هي الرجعة ، وكذا قال الشعبي ، وعطاء ، وقتادة ، والضحاك ، ومقاتل بن حيان ، والثوري . ومن هاهنا ذهب من السلف ومن

---

[١] - سقط من خ .
[٢] - ما بين العكوفتين في ز : « و » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « متعلقة بحق » .
[٤] - في ز ، خ : كمثل .
[٥] - ما بين المعكوفتين مكرر في ز ، خ .
[٦] - ما بين العكوفتين سقط من ز .

تابعهم ، كالإمام أحمد بن حنبل رحمه الله إلىٰ أنه لا تجب السكنىٰ للمبتوتة ، وكذا المتوفىٰ عنها زوجها ، واعتمدوا أيضًا علىٰ حديث فاطمة بنت قيس الفهرية ، حين طلقها زوجها أبو عمرو بن حفص آخر ثلاث تطليقات ، وكان غائبًا عنها باليمن ، فأرسل إليها بذلك ، فأرسل إليها وكيله بشعير - نفقة - فتَسَخَّطته فقال : والله ليس لك علينا نفقة . فأتت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ فقال : « ليس لك عليه نفقة »(٤) . ولمسلم(٥) : « ولا سكنىٰ » ، وأمرها أن تعتد في بيت أم شريك ، ثم قال : « تلك امرأة يغشاها أصحابي ، اعتدي عند ابن أم مكتوم ، فإنه رجل أعمىٰ تضعين ثيابك » ... الحديث .

وقد رواه الإمام أحمد(٦) من طريق أخرى؛ بلفظ آخر فقال : حدثنا يحيىٰ بن سعيد ، حدثنا مجالد ، حدثنا عامر؛ قال : قدمت المدينة فأتيت فاطمة بنت قيس ، فحدثتني أن زوجها طلقها علىٰ عهد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ فبعثه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في سَرِيّة ، قالت : فقال لي أخوه : اخرجي من الدار . فقلت : إن لي نفقة وسكنىٰ حتىٰ يحل الأجل . قال : لا . [قالت][١] : فأتيت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ فقلت : إن فلانًا طلقني ، وإن أخاه أخرجني ومنعني السكنىٰ والنفقة . [فأرسل إليه] [٢] فقال : « مالك ولابنة آل قيس[٣] ؟ » ، قال : يا رسول الله ، إن أخي طلقها ثلاثًا جميعًا . قالت : فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « انظري يا بنت آل قيس ، إنما النفقة والسكنىٰ للمرأة علىٰ زوجها ما كانت له عليها رجعة ، فإذا لم يكن له عليها رجعة فلا نفقة ولا سكنىٰ ، اخرجي فانزلي علىٰ فلانة » . ثم قال : « إنه يُتحدَّث إليها ، انزلي علىٰ ابن أم مكتوم ، فإنه أعمىٰ لا يراك » ... وذكر تمام الحديث .

وقال أبو القاسم الطبراني(٧) : حدثنا أحمد بن عبد الله البزار التُّسْتَرِيّ ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم الصواف ، حدثنا بكر بن بكار ، حدثنا سعيد بن يزيد البَجلي ، حدثنا عامر الشعبي؛ أنه دخل علىٰ فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس القرشي ، وزوجها أبو عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي ، فقالت : إن أبا عمرو بن حفص أرسل إليّ وهو منطلق في جيش إلىٰ اليمن بطلاقي ، فسألت أولياءه النفقة عليّ والسكنىٰ ، فقالوا : ما أرسل إلينا في ذلك شيئًا ، ولا أوصانا به . فانطلقت إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله؛ إن أبا عمرو ابن حفص أرسل إليّ بطلاقي ، فطلبت السكنىٰ والنفقة عليّ ، فقال أولياؤه : لم يرسل إلينا في

---

(٤) - مسلم في الطلاق حديث (١٤٨٠) من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن فاطمة بنت قيس به .

(٥) - مسلم في الطلاق حديث (١٤٨٠) من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن فاطمة بنت قيس به .

(٦) المسند (٣٧٣/٦) (٢٧٢١٢) .

(٧) المعجم الكبير (٣٨٢/٢٤ - ٣٨٣) (٩٤٨) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من ز ، خ .

[٣] - في خ : قريش .

ذلك بشيء [١] . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « إنما النفقة والسكنىٰ للمرأة إذا كان لزوجها عليها رجعة ، فإذا كانت لا تحل له حتىٰ تنكح زوجًا غيره ، فلا نفقة لها ولا سكنىٰ » .

وكذا رواه النسائي(٨) ، عن أحمد بن يحيىٰ الصوفي ، عن أبي نعيم الفضل بن دُكَين ، عن سعيد بن يزيد - وهو الأحمسي البَجَلي الكوفي - قال أبو حاتم الرازي : هو شيخ يروىٰ عنه .

فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾

يقول تعالىٰ : فإذا بلغت المعتدات ﴿ **أجلهن** ﴾ ، أي : شارفن [٢] علىٰ انقضاء العدة وقاربن ذلك ، ولكن لم تفرغ العدة بالكلية ، فحينئذ إما أن يعزم الزوج علىٰ إمساكها ، وهو رجعتها إلىٰ عصمة نكاحه ، والاستمرار بها علىٰ ما كانت عليه عنده ﴿ **بمعروف** ﴾ ، أي : محسنًا إليها في صحبتها ، وإما أن يعزم علىٰ مفارقتها ، ﴿ **بمعروف** ﴾ أي : من غير مقابحة ولا مشاتمة ولا تعنيف ، بل يطلقها علىٰ وجه جميل وسبيل حسن .

وقوله : ﴿ **وأشهدوا ذوي عدل منكم** ﴾ ، أي : علىٰ الرجعة إذا عَزَمتم عليها ، كما رواه أبو داود وابن ماجة(٩) ، عن عمران بن حُصين ، أنه سُئل عن الرجل يطلق امرأته ثم يقع بها ولم يشهد علىٰ طلاقها ولا علىٰ رجعتها ؟فقال : طَلَّقتَ لغير سنة ، ورجعتَ لغير سنة ، أَشهِدْ علىٰ طلاقها وعلىٰ رجعتها ، ولا تَعُدْ .

وقال ابن جريج : كان عطاء يقول : ﴿ **وأشهدوا ذوي عدل منكم** ﴾ قال : لا يجوز في نكاح ولا طلاق ولا رجاع إلا شاهدَا عدل ، كما قال الله - عز وجل - إلا أن يكون من

---

(٨) سنن النسائي (١٤٤/٦) كتاب : الطلاق ، باب : الرخصة في ذلك .

(٩) أخرجه أبو داود في كتاب : الطلاق ، باب : الرجل يراجع ولا يشهد ، حديث (٢١٨٦) (٢٥٧/٢) . وابن ماجة في كتاب : الطلاق ، باب : الرجعة ، حديث (٢٠٢٥) (٦٥٢/١) . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٩١٥) .

---

[١] - في ز ، خ : شيء .   [٢] - في ز : سافرن .

عذر .

وقوله : ﴿ **ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر** ﴾ ، أي : هذا الذي أمرناكم به من الإشهاد وإقامة الشهادة ، إنما يأتمر به من يؤمن بالله وأنه شرع هذا ، ويخاف عقاب الله في الدار الآخرة .

ومن هاهنا ذهب الشافعي - في أحد قوليه - إلىٰ وجوب الإشهاد في الرجعة ، كما يجب عنده[١] في ابتداء النكاح . وقد قال بهذا طائفة من العلماء ، ومن قال بهذا يقول : إن الرجعة لا تصح إلا بالقول ليقع الإشهاد عليها .

وقوله : ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجًا * ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾ ، أي : ومن يتق الله فيما أمره[٢] به وتَرَك ما نهاه عنه ، يجعل له من أمره مخرجًا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ، أي : من جهة لا تخطر بباله .

قال الإمام أحمد(١٠) : حدثنا يزيد ، أخبرنا كهمس بن الحسن ، حدثنا أبو السليل ، عن أبي ذر قال : جعل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يتلو عَليَّ هذه الآية : ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجًا * ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾ ، حتىٰ فرغ من الآية ، ثم قال : « يا أبا ذر ؛ لو أن الناس كلهم أخذوا بها كفتهم » . قال : فجعل يتلوها ويُرددها عليَّ حتىٰ نَعَست ، ثم قال : « يا أبا ذر ؛ كيف تصنع إن أخرجت من المدينة ؟ » . قال[٣] : قلت : إلىٰ السعة والدّعة أنطلق ، فأكون حمامة من حمام مكة . قال : « كيف تصنع إن أخرجت من مكة ؟ » قال : قلت : إلىٰ السعة والدّعة ، إلىٰ الشام والأرض المقدسة . قال : « وكيف تصنع إن أُخرجتَ من الشّام ؟ » . قلت : إذًا - والذي بعثك بالحق - أضع سيفي علىٰ عاتقي . قال : « أوخير من ذلك ؟ » . قلت : أوخير من ذلك ؟ ! قال : « تسمع وتطيع ، وإن كان عبدًا حبشيًّا » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن منصور الرمادي[٤] ، حدثنا يعلىٰ بن عبيد ، حدثنا زكريا ، عن عامر ، عن شُتَير[٥] بن شَكَل ؛ قال : سمعت عبد الله بن مسعود ؛ يقول : إن أجمع آية في القرآن : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان** ﴾ ، وإن أكثر آية في القرآن فرجًا : ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجًا** ﴾ .

---

(١٠) المسند (٥/١٧٨ - ١٧٩) (٢١٦٣٤) قال الهيثمي في « المجمع » (٥/٢٢٦) : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ، إلا أن أبا السليل : ضريب بن نفير لم يدرك أبا ذر .

---

[١] - سقط من خ .

[٢] - في ز : أمر .

[٣] - سقط من ز .

[٤] - في ز : الريادي . وفي خ : الدياري .

[٥] - في ز : شتيل .

وفي المسند(١١) حدثني مهدي بن جعفر ، حدثنا الوليد بن مسلم ، عن الحكم بن مصعب ، عن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس ، عن أبيه ، عن جده عبد الله بن عباس ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « من أكثر من الاستغفار جعل الله له [١] من كل هم فرجًا ، ومن كل ضيق مخرجًا ، ورزقه من حيث لا يحتسب » .

وقال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ﴾ ، يقول : ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة ، ﴿ ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ وقال الربيع بن خثيم : ﴿ يجعل له مخرجًا ﴾ أي : من كل شيء ضاق على الناس ، [وقال عكرمة : من طلق كما أمره الله يجعل له مخرجًا ، وكذا روي عن ابن عباس ، والضحاك] [٢] .

وقال ابن مسعود ، ومسروق : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ﴾ ، يعلم أن الله إن شاء منع ، وإن شاء أعطىٰ ﴿ من حيث لا يحتسب ﴾ ، أي : من حيث لا يدري .

وقال قتادة : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ﴾ ، أي : من شبهات الأمور والكرب عند الموت ، ﴿ ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ ، [ومن][٣] حيث لا يرجو أو لا يأمل .

وقال السدي : ﴿ومن يتق الله﴾ يطلق للسنة ويراجع للسنة ، وزعم أن رجلًا من أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقال له : عوف بن مالك الأشجعي ، كان له ابن ، وأن المشركين أسروه ، فكان فيهم ، وكان أبوه يأتي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فيشكو إليه مكان ابنه وحاله التي هو بها وحاجته ، فكان[٤] رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يأمره بالصبر ، ويقول له [٥] : « إن الله سيجعل لك فرجًا » . فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيرًا أن انفلت ابنه من أيدي العدو ، فمر بغنم من أغنام العدو ، فاستاقها فجاء بها إلىٰ أبيه ، وجاء معه [بغنى] [٦] قد أصابه من الغنم ، فنزلت هذه الآية : ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ رواه ابن جرير(١٢) ، وروي أيضًا من طريق سالم بن أبي الجعد(١٣) مرسلًا نحوه .

وقال الإمام أحمد(١٤) : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن[٧] عبد الله بن عيسىٰ ، عن

(١١) المسند (٢٤٨/١) (٢٢٣٤) وانظر ما تقدم (سورة هود/ آية ٥٢) .
(١٢) تفسير الطبري (١٣٨/٢٨) .
(١٣) التفسير (١٣٨/٢٨ - ١٣٩) .
(١٤) المسند (٢٧٧/٥) (٢٢٤٨٧) .

[١] - سقط من ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من ز ،خ .
[٣] - في ز : من .
[٤] - في ز : وكان .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - ما بين المعكوفتين بياض في ز ، خ .
[٧] - في ز ، خ : بن .

عبد اللّٰه بن أبي الجعد ، عن ثوبان قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « إن العبد لَيُحْرَمُ الرزقَ بالذنب يصيبُه ، ولا يرد القدَر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر » . [من حديث سفيان - وهو الثوري - به] [١] .

وقال محمد بن إسحاق(١٥) : جاء مالك الأشجعي إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقال له : أسر ابني عوف . فقال له رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « أرسل إليه أن رسول اللّٰه يأمرك أن تكثر من قول : لا حول ولا قوة إلا باللّٰه » . وكانوا قد شدوه بالقدّ فسقط القِدُّ عنه فخرج فإذا هو بناقة لهم، فركبها وأقبل، فإذا بسرح القوم الذين كانوا[٢] شدوه فصاح بهم ، فاتبع أولها آخرها ، فلم يفجأ أبويه إلا وهو ينادي بالباب ، فقال أبوه : عَوفٌ ورب الكعبة . فقالت أمه : وا سوأتاه ، وعوف [كيف يقدم] [٣] لما هو فيه من القد، فاستبقا الباب والخادم فإذا عوف قد ملأ الفناء إبلًا ، فقص علىٰ أبيه أمره وأمر الإبل ، فقال أبوه : قفا حتىٰ آتي رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فأسأله عنها . فأتىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فأخبره بخبر عوف وخبر الإبل ، فقال له رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « اصنع بها ما أحببت ، وما كنت صانعًا بمالك » . ونزل : ﴿ **ومن يتق اللّٰه يجعل له مخرجًا * ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾ .رواه ابن أبي حاتم.

وقال ابن أبي حاتم(١٦) : حدثنا عليّ بن الحسين ، حدثنا محمد بن عليّ بن الحسن بن شقيق [٤] ، حدثنا إبراهيم بن الأشعث، حدثنا الفضيل بن عياض عن هشام بن الحسن عن عمران بن حُصَين، قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « من انقطع إلىٰ اللّٰه كفاه اللّٰه كل مَئُونة ، ورزقه من حيث لا يحتسب ، ومن انقطع إلىٰ الدنيا وَكَله إليها » .

وقوله : ﴿ **ومن يتوكل على الله فهو حسبه** ﴾ قال الإمام أحمد(١٧) : حدثنا يونس ، حدثنا ليث ، حدثنا قيس بن الحجاج ، عن حَنَش الصنعاني ، عن عبد اللّٰه بن عباس ، أنه حدثه أنه ركب خلف رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يومًا ، فقال له[٥] رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه

(١٥) ذكره المنذري في « الترغيب والترهيب » (٤٣٦/٢) (٢٣٥٢) ثم قال : رواه آدم بن أبي إياس في تفسيره ، ومحمد بن إسحاق لم يدرك مالكًا .

(١٦) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٤٦/٣) (٣٣٥٩) من طريق محمد بن علي بن الحسن بهذا الإسناد . قال الهيثمي في « المجمع » (٣٠٦/١٠ - ٣٠٧) : وفيه إبراهيم بن الأشعث صاحب الفضيل وهو ضعيف ، وقد ذكره ابن حبان في الثقات وقال : يغرب ويخطئ ويخالف . وبقيه رجاله ثقات . اهـ .

(١٧) المسند (٢٩٣/١) (٢٦٦٩) . والترمذي في كتاب : صفة القيامة ، باب : ولكن يا حنظلة =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من ز ، خ .
[٢] - سقط من خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين بياض في ز ، خ .
[٤] - في ز ، خ : سفيان .
[٥] - سقط من ز ، خ .

وسلم : « يا غلام ، إني معلمك كلمات : احفظ اللَّه [يحفظك ، احفظ اللَّه][١] تجده تجاهك ، وإذا سألت فاسأل اللَّه ، وإذا استعنت فاستعن باللَّه ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا علىٰ أن ينفعوك ، لم ينفعوك إلا بشيء [قد كتبه اللَّه لك][٢] ، ولو اجتمعوا علىٰ أن يضروك ، لم يضروك إلا بشيء [قد كتبه اللَّه عليك][٣] ، رفعت الأقلام ، وجفت الصحف » . وقد رواه الترمذي من حديث الليث بن سعد ، وابن لهيعة به[٤] ، وقال : « حسن صحيح » .

وقال الإمام أحمد(١٨) : حدثنا وكيع ، حدثنا بشير بن سلمان ، عن سيار أبي الحكم ، عن طارق بن شهاب ، عن عبد اللَّه - هو ابن مسعود - قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « من نزل به حاجة فأنزلها بالناس كان قَمِنًا أن لا تُسَهَّلَ حاجته ، ومن أنزلها باللَّه أتاه اللَّه برزق عاجل ، أو بموت آجل » .

ثم رواه(١٩) عن عبد الرزاق ، عن سفيان ، عن بشير ، عن سيار أبي حمزة ، ثم قال : وهو الصواب ، وسيار أبو الحكم لم يحدث عن طارق .

وقوله : ﴿ **إن اللَّه بالغ أمره** ﴾ ، أي : منفذ قضاياه وأحكامه في خلقه بما يريده ويشاؤه ، ﴿ **قد جعل اللَّه لكل شيء قدرًا** ﴾ ، كقوله : ﴿ **وكل شيء عنده بمقدار** ﴾ .

وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ٤ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ٥

يقول تعالىٰ مبينًا لعدة الآيسة - وهي التي قد انقطع عنها الحيض لكبرها - : إنها ثلاثة

= ساعة وساعة ، حديث (٢٥١٨) (٢٠٣/٩ - ٢٠٤) . وحسَّن ابن رجب طريق الترمذي في جامع العلوم والحكم (١٧٤) . وصحح إسناده أحمد شاكر في تعليقه على المسند وكذا الألباني في صحيح الترمذي .

(١٨) المسند (٤٤٢/١) (٤٢١٩) وقَمَنٌ وقَمِنٌ وقَمِين : أي خليق وجدير . كذا في النهاية (١١١/٤) .

(١٩) المسند (٤٤٢/١) (٤٢٢٠) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « كتبه الله عليك » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « كتبه الله لك » .

[٤] - سقط من ز .

أشهر ، عوضًا عن الثلاثة قروء في حق من تحيض ، كما دلت على ذلك آية « البقرة » ، وكذا الصغار اللائي لم يبلغن سن[١] الحيض : إن عدتهن كعدة الآيسة ثلاثة أشهر ؛ ولهذا قال : ﴿ **واللائي لم يحضن** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إن ارتبتم** ﴾ فيه قولان :

أحدهما - وهو قول طائفة من السلف ، كمجاهد ، والزهري ، وابن زيد - أي : إن رأين دمًا وشككتم في كونه حيضًا أو استحاضة ، وارتبتم فيه .

والقول الثاني : إن ارتبتم في حكم عدتهن ، ولم تعرفوه فهو ثلاثة أشهر . وهذا مروي عن سعيد بن جبير ، و[هو][٢] اختيار ابن جرير ، وهو أظهر في المعنىٰ ، وَاحتَجّ عليه بما رواه(٢٠) عن أبي كريب وأبي السائب ؛ قالا : حدثنا ابن إدريس ، أخبرنا مطرف ، عن عمرو بن سالم ؛ قال : قال أُبَيّ بن كعب : يا رسول اللّه ، إن عِدَدًا من عدد النساء لم تذكر في الكتاب : الصغار والكبار وأولات الأحمال . قال : فأنزل اللّه عز وجل : ﴿ **واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن** ﴾ .

ورواه ابن أبي حاتم بأبسط من هذا السياق ؛ فقال : حدثنا أبي ، حدثنا يحيىٰ بن المغيرة ، أخبرنا جرير ، عن مُطَرِّف ، عن عمر بن سالم ، عن أبي بن كعب ؛ قال : قلت لرسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : إن ناسًا من أهل المدينة لما أنزلت هذه الآية التي في « البقرة » في عدة النساء ؛ قالوا : لقد بقي من عدة النساء عَدَدٌ لم يُذكَرنَ في القرآن : الصغار والكبار اللائي قد انقطع عنهن الحيض وذوات الحمل . قال : فأنزلت التي في النساء القصرىٰ : ﴿ **واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم** [**فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن**][٣] ﴾ .

وقوله : ﴿ **وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن** ﴾ يقول تعالى : ومن كانت حاملًا فعدتها بوضعه ، ولو كان بعد الطلاق أو الموت [بفُواق ناقة][٤] ، في قول جمهور العلماء من السلف والخلف ، كما هو نص هذه الآية الكريمة ، [و][٥] كما وردت به السنة النبوية . وقد رُوي عن علي ، وابن عباس - رضي اللّه عنهم - أنهما ذهبا في المتوفىٰ عنها زوجها أنها تعتد بأبعد الأجلين من الوضع أو الأشهر ، عملًا بهذه الآية الكريمة والتي في سورة البقرة ، وقد قال

(٢٠) أخرجه الطبري (١٤١/٢٨) .

[١] - في ز : من .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « إلى قد يئست ثلاثة أشهر » .

[٤] - في خ : بفراق . [٥] - سقط من ز .

البخاري(٢١) :

حدثنا سعد[١] بن حفص ، حدثنا شيبان ، عن يحيىٰ ؛ قال : أخبرني أبو سلمة ؛ قال : جاء رجل إلىٰ ابن عباس - وأبو[٢] هريرة جالس - فقال : أفتني في امرأة ولدت بعد زوجها بأربعين ليلة . فقال ابن عباس : آخر الأجلين . قلت أنا : ﴿ **وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن** ﴾ . قال أبو هريرة : أنا مع ابن أخي - يعني أبا سلمة - فأرسل ابن عباس غلامه كريبًا [إلىٰ أم سلمة][٣] يسألها ، فقالت : قُتِل زوج سُبيعة الأسلمية وهي حبلىٰ ، فوضعت بعد موته بأربعين ليلة ، فخطبت ، فأنكحها رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وكان أبو السنابل فيمن خطبها .

هكذا أورد البخاري هذا الحديث هاهنا مختصرًا ، وقد رواه هو ومسلم ، وأصحاب الكتب مطولًا من وجوه أخر . وقال الإمام أحمد(٢٢) :

حدثنا حماد بن أسامة ، أخبرنا هشام ، عن أبيه ، عن المسور بن مَخْرَمَة ؛ أن سُبَيْعَة الأسلمية تُوُفي عنها زوجها وهي حامل ، فلم تمكث إلا ليالي حتىٰ وضعت ، فلما تَعَلَّت من نفاسها خُطبت ، فاستأذنت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم في النكاح ، فأذن لها أن تُنْكَح ، فنُكحت . ورواه البخاري(٢٣) في صحيحه ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجة من طرق عنها ، كما قال مسلم بن الحجاج :

حدثني أبو الطاهر ، أخبرنا ابن وهب ، حدثني يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، حدثني عبيد اللَّه بن عبد اللَّه بن عُتبة ؛ أن أباه كتب إلى عمر بن عبد اللَّه بن الأرقم الزهري يأمره أن يدخل على سُبَيعة بنت الحارث الأسلمية ، فيسألها عن حديثها ، وعمَّا قال لها رسول اللَّه صلىٰ

(٢١) أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ...** ﴾ ، حديث (٤٩٠٩) (٨/٦٥٣) .

(٢٢) أخرجه أحمد (٤/٣٢٧) (١٨٩٧١) .

(٢٣) صحيح البخاري ، كتاب : الطلاق ، باب : ﴿ **وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ...** ﴾ ، حديث (٥٣٢٠) (٩/٤٧٠) . وأخرجه مسلم في كتاب : الطلاق ، باب : انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها ، حديث (٥٦/١٤٨٤) (١٠/١٥٣ - ١٥٥) من طريق أبي الطاهر الآتي . وأبو داود في كتاب : الطلاق ، باب : في عدة الحامل ، حديث (٢٣٠٦) (٢/٢٩٣) من طريق ابن وهب بنحو حديث مسلم . وأخرجه النسائي (٦/١٩٦ - ١٩٧) من حديث محمد بن سيرين ، وأخرجه (٦/١٩٠) هو . وابن ماجة في كتاب : الطلاق ، باب : الحامل المتوفى عنها زوجها ، إذا وضعت حلت للأزواج ، حديث (٢٠٢٩) (١/٦٥٤) .

[١] - في ز ، خ : سعيد .
[٢] - في ز : وأبي .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من ز ، خ .

اللَّه عليه وسلم حين استفتته . فكتب عُمر بن عبد اللَّه يخبره أن سبيعة [أخبرته][١] ؛ أنها كانت تحت سَعد[٢] بن خَولة - وكان ممن شهد بدرًا - فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل ، فلم تَنشَب أن وضعت حملها بعد وفاته ، فلما تَعَلَّت من نفاسها تجمّلت للخطاب ، فدخل عليها أبو السنابل بن بَعكك فقال لها : مالي أراك متجملة ؟ لعلك تَرجين النكاح ، إنك واللَّه ما أنت بناكح حتىٰ تَمرّ عليك أربعة أشهر وعشرٌ [٣] . قالت سُبَيعة : فلما قال لي ذلك جَمعتُ عليّ ثيابي حين أمسيتُ فأتيتُ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فسألته عن ذلك ، فأفتاني بأني قد حلَلْت حين وضعتُ حملي ، وأمرني بالتزوج[٤] إن بدا لي .

هذا لفظ مسلم، ورواه البخاري(٢٤) مختصرًا ، ثم قال البخاري(٢٥) بعد رواية الحديث الأول عند هذه الآية :

وقال سليمان بن حرب ، وأبو النعمان : حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن محمد ، هو ابن سيرين ، قال : كنت في حلقة فيها عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ، رحمه اللَّه، وكان أصحابه يعظمونه ، فذكر آخر الأُجلين ، فحدّثتُ بحديث سُبَيعة بنت الحارث عن عبد اللَّه بن عتبة ، قال : [فَضَمَّزَلي][٥] بعض أصحابه ، قال محمد : ففطنت له فقلت : إني لجريءٌ أن أكذب علىٰ عبد اللَّه وهو في ناحية الكوفة؛ قال : فاستحيا [و][٦] قال : لكن عَمّه لم يقل ذلك ، فلقيت أبا عطية مالك بن عامر فسألته ، فذهب يحدثني بحديث سبيعة ، فقلت : هل سمعت عن عبد اللَّه فيها شيئًا ؟ فقال : كنا عند عبد اللَّه فقال : أتجعلون عليها التغليظ ، ولا تجعلون عليها الرخصة ؟ نزلت سورة النساء القصرىٰ بعد الطولىٰ : ﴿ **وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن** ﴾ .

[ورواه ابن جرير(٢٦) ، من طريق سفيان بن عيينة وإسماعيل بن علية ، عن أيوب به مختصرًا][٧] .

---

(٢٤) صحيح البخاري ، كتاب : الطلاق ، باب : ﴿ **وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ...** ﴾ ، حديث (٥٣١٩) (٩/٤٧٠) .

(٢٥) صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ...** ﴾ ، حديث (٤٩١٠) (٨/٦٥٤) .

(٢٦) تفسير الطبرى (٢٨/ ١٤٢، ١٤٣) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : سعيد .

[٣] - في ز : وعشرًا .

[٤] - في ز ، خ : بالتزويج .

[٥] - في ز : فضمر لي .

[٦] - سقط من ز .

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .

ورواه النسائي(٢٧) في التفسير ، عن محمد بن عبد الأعلىٰ ، عن خالد بن الحارث ، عن ابن[١] عون ، عن محمد بن سيرين ، فذكره .

وقال ابن جرير(٢٨) : حدثني زكريا بن يحيىٰ بن أبان المصري ، حدثنا سعيد بن أبي مريم ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثني ابن شَبْرَمة الكوفي ، عن إبراهيم ، عن علقمة[٢] بن قيس أن عبد الله بن مسعود ؛ قال : من شاء لاعنتُه ، ما نزلت ﴿ **وأولاتُ الأحمال أجلهنّ أن يضعن حملهن** ﴾ إلا بعد آية المتوفى عنها زوجها . قال : وإذا وضعت المتوفى عنها زوجها فقد حلت . يريد بآية المتوفى عنها زوجها : ﴿ **والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرًا** ﴾ . وقد رواه النسائي من حديث سعيد بن أبي مريم به ، ثم قال ابن جرير(٢٩) :

حدثنا أحمد بن منيع ، حدثنا محمد بن عبيد ، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي ؛ قال[٣] : ذُكرَ عند ابن مسعود آخر الأجلين ، فقال : من شاء قاسمته بالله أن هذه الآية التي في النساء القصرىٰ نزلت بعد الأربعة الأشهر[٤] والعشر ، ثم قال : أجل الحامل أن تضع ما في بطنها .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان الواسطي ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحىٰ ، عن مسروق ؛ قال : بلغ ابن مسعود أن عليًا - رضي الله عنه - يقول : آخر الأجلين . فقال : من شاء لاعنته ، إن التي في النساء القصرىٰ نزلت بعد البقرة : ﴿ **وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن** ﴾ .

ورواه أبو داود وابن ماجة(٣٠) من حديث أبي معاوية عن الأعمش .

وقال عبد الله بن الإمام أحمد(٣١) : حدثني محمد بن أبي بكر المقدّمي ، أخبرنا عبد الوهاب

---

(٢٧) سنن النسائي الكبرى في التفسير ، باب : ﴿ **والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا** ﴾ ، حديث (١١٠٤٣) (٣٠٣/٦) .

(٢٨) تفسير الطبري (١٤٢/٢٨) . والنسائي (١٩٧/٦) .

(٢٩) تفسير (١٤٣/٢٨) .

(٣٠) أخرجه أبو داود في كتاب : الطلاق ، باب : في عدة الحامل ، حديث (٢٣٠٧) (٢٩٣/٢) . وابن ماجة في كتاب : الطلاق ، باب : الحامل إذا توفي عنها زوجها ، إذا وضعت حلت للأزواج ، حديث (٢٠٣٠) (٦٥٤/١) . وقد تقدم من طريق ابن سيرين عند البخاري نحوه برقم (٣٢) .

(٣١) أخرجه عبد الله بن أحمد في « زوائد المسند » (١١٦/٥) (٢١١٨٥) . قال الهيثمي في « المجمع » (٥/٥) =

---

[١] - في ز : أبي .

[٢] - في خ : عن إبراهيم .

[٣] - في خ : قال قال .

[٤] - في ز : أشهر .

الثقفي ، حدثني المثنىٰ ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو ، عن أبي بن كعب ؛ قال : قلت للنبي صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن** ﴾ : المطلقة ثلاثًا أو المتوفىٰ عنها زوجها[١] ؟ فقال : هي المطلقة ثلاثًا والمتوفى عنها .

هذا حديث غريب جدًا ، بل منكر ؛ لأن في إسناده المثنىٰ بن الصباح ، وهو متروك الحديث بمرة ، ولكن رواه ابن أبي حاتم بسند آخر ، فقال :

حدثنا محمد بن داود السمناني ، حدثنا عمرو بن خالد - يعني الحراني - حدثنا ابن لهيعة ، عن عمرو بن شعيب ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبيّ بن كعب ؛ أنه لما نزلت هذه الآية قال لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : لا أدري أمشتركة أم مبهمة ؟ قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « أية آية ؟ » قال : ﴿ **أجلهن أن يضعن حملهن** ﴾ ، المتوفىٰ عنها والمطلقة ؟ قال : « نعم » .

وكذا رواه ابن جرير(٣٢) ، عن أبي كريب ، عن موسىٰ بن داود ، عن ابن لهيعة به . ثم رواه عن أبي كريب أيضًا ، عن مالك بن إسماعيل ، عن ابن عيينة ، عن عبد الكريم بن أبي المخارق ؛ أنه حدث عن أبي بن كعب ؛ قال : سألت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن : ﴿ **وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن** ﴾ ، قال : « أجل كل حامل أن تضع ما في بطنها » .

عبد الكريم هذا ضعيف ولم يدرك أبيًا .

وقوله : ﴿ **ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرًا** ﴾ ، أي : يسهل له أمره ، وييسره عليه ، ويجعل له فرجًا قريبًا ومخرجًا عاجلًا .

ثم قال : ﴿ **ذلك أمر الله أنزله إليكم** ﴾ ، أي : حكمه وشرعه أنزله إليكم بواسطة رسوله صلىٰ الله عليه وسلم ، ﴿ **ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرًا** ﴾ ، أي : يذهب عنه المحذور ، ويجزل له الثواب علىٰ العمل اليسير .

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ

= رواه عبد الله بن أحمد ، وفيه المثنى بن الصباح ؛ وثقه ابن معين وضعفه الجمهور .

(٣٢) - تفسير الطبري (١٤٣/٢٨) .

[١] - سقط من ت ، ز .

وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾

يقول تعالىٰ آمرًا عباده إذا طلَّق أحدُهم المرأة أن يُسكنها في منزل حتىٰ تنقضي عدتها ، فقال : ﴿ **أسكنوهن من حيث سكنتم** ﴾ ، أي : عندكم ، ﴿ **من وجدكم** ﴾ ، قال ابن عباس ، ومجاهد ، وغير واحد : يعني : سَعَتكم حتى قال قتادة : وإن لم تجد إلا جنب بيتك فأسكنها فيه .

وقوله : ﴿ **ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن** ﴾ ، قال مقاتل بن حيان : يعني يضاجرها لتفتدي منه بمالها أو تخرج من مسكنه .

وقال الثوري : عن منصور ، عن أبي الضحىٰ : ﴿ **ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن** ﴾ ، قال : يطلقها فإذا بقي يومان راجعها .

وقوله : ﴿ **وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتىٰ يضعن حملهن** ﴾ ، قال كثير من العلماء منهم ابن عباس ، وطائفة من السلف ، وجماعات من الخلف : هذه في البائن ، إن كانت حاملًا أنفق عليها حتى تضع حملها . قالوا : بدليل أن الرجعية تجب نفقتها سواء كانت حاملًا أو حائلًا .

وقال آخرون : بل السياق كله في الرجعيات ، وإنما نص علىٰ الإنفاق [علىٰ الحامل][١] وإن كانت رجعية ؛ لأن الحمل تطول مدته غالبًا ، فاحتيج إلىٰ النص علىٰ وجوب الإنفاق إلىٰ الوضع ، لئلا يتوهم أنه[٢] إنما تجب النفقة بمقدار مدة العدة .

واختلف العلماء : هل النفقة لها بواسطة الحمل ، أو للحمل وحده ؟ علىٰ قولين منصوصين عن الشافعي وغيره ، ويتفرع عليها [٣] مسائل مذكورة في علم الفروع .

وقوله : ﴿ **فإن أرضعن لكم** ﴾ ، أي : إذا وضعن حملهن وهن طوالق ، فقد بِنّ بانقضاء عدتهنّ ، ولها حينئذ أن ترضع الولد ، ولها أن تمتنع منه ، ولكن بعد أن تغذيه باللِّبَأ - وهو باكورة اللبن الذي لا قوام للولد غالبًا إلا به - فإن أرضعت استحقت أجرة مثلها ، ولها أن تعاقد [أباه أو] [٤] وليه علىٰ ما يتفقان عليه من أجرة ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن** ﴾ .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من ز .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ز : عليهما .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « إياه أي »

وقوله : ﴿ **وائتمروا بينكم بمعروف** ﴾ ، أي : ولتكن أموركم فيما بينكم بالمعروف ، من غير إضرار ولا مضارة[١] كما قال في سورة البقرة : ﴿ **لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وإن تعاسرتم فسترضع له أخرىٰ** ﴾ ، أي : وإن اختلف الرجل والمرأة ، فطلبت المرأة في أجرة الرضاع كثيرًا ولم يجبها الرجل إلىٰ ذلك ، أو بذل الرجل قليلًا ولم توافقه عليه فليسترضع [٢] له غيرَها . فلو رَضيت الأم بما استؤجرت عليه الأجنبية فهي أحق بولدها .

وقوله : ﴿ **لينفق ذو سعة من سعته** ﴾ ، أي : لينفق علىٰ المولود والده ، أو وليه ، بحسب قدرته : ﴿ **ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسًا إلا ما آتاها** ﴾ ، كقوله : ﴿ **لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها** ﴾ .

قال[٣] ابن جرير(٣٣) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا حكام ، عن أبي سنان ؛ قال : سأل عمر ابن الخطاب عن أبي[٤] عبيدة ، فقيل : إنه يلبس الغليظ من الثياب ، ويأكل أخشن الطعام . فبعث إليه بألف دينار ، وقال للرسول : انظر ما يصنع بها إذا هو أخذها : فما لبث أن لبس اللين من الثياب ، وأكل أطيب الطعام ، فجاء الرسول فأخبره ، فقال : رحمه الله ، تأول هذه الآية : ﴿ **لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله** ﴾ .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني(٣٤) في معجمه الكبير: حدثنا هاشم بن مرثد الطبراني، حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش، أخبرني أبي أخبرني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن [٥] أبي مالك الأشعري - واسمه الحارث - قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « ثلاثة نفر ، كان لأحدهم عشرة دنانير ، فتصدق منها بدينار . وكان لآخر عشر أواق ، فتصدق منها بأوقية [٦] . وكان لآخر مائة أوقية ، فتصدق منها بعشر أواق » . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « هم في الأجر [٧] سواء كلٌّ تصدق بعشر ماله ، قال الله تعالى: ﴿**لينفق ذو سعة من سعته**﴾ هذا حديث غريب من هذا الوجه .

---

(٣٣) تفسير الطبري (١٤٩/٢٨) .

(٣٤) المعجم الكبير (٣٣١/٣) (٣٤٣٩) . قال الهيثمي في « المجمع » (١١٤/٣) ، وفيه محمد بن إسماعيل ابن عياش وفيه ضعف .

---

[١] - في ز : مضاررة .
[٢] - في ز : فلترضع .
[٣] - في ت : روىٰ .
[٤] - سقط من خ .
[٥] - في ز : بن .
[٦] - في ز : بوقية .
[٧] - في ز : الآخرة .

وقوله : ﴿ سيجعل الله بعد عسر يسرًا ﴾ : وعدٌ منه تعالىٰ ، ووعده حق ، وهو لا يخلفه ، وهذه كقوله تعالىٰ : ﴿ فإن مع العسر يسرًا * [إن مع العسر يسرًا] [١] ﴾ .

وقد روىٰ الإمام أحمد(٣٥) حديثًا يحسن أن نذكره هاهنا ، فقال : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا عبد الحميد بن بهرام ، حدثنا شهر بن حوشب؛ قال : قال أبو هريرة : بينا رجل وامرأة له في السلف الخالي لا يقدران علىٰ شيء ، فجاء الرجل من سفره ، فدخل علىٰ امرأته جائعًا قد أصاب مَسْغَبَة[٢] شديدة فقال لامرأته : عندك شيء؟ قالت : نعم، أبشر أتاك[٣] رزق الله . فاستحثها ، فقال : ويحك ، ابتغي إن كان عندك شيء . قالت : نعم ، هُنَيهة[٤] - ترجو رحمة الله - حتىٰ إذا طال عليه الطوىٰ[٥] قال : ويحك؟ قومي فابتغي إن كان عندك شيء فأتيني به ، فإني قد بلغت وجَهِدتُ . فقالت : نعم ، الآن يُنضج التنور فلا تعجل . فلما أن سكت عنها ساعة وتحيّنت أن يقول لها ، قالت من عند نفسها : لو قمتُ فنظرت إلىٰ تَنوري ؟ فقامَتْ فنظرت إلىٰ تَنورها ملآن جُنوبَ الغنم ، [ورَحييها تطحَنان] [٦] . فقامت إلىٰ الرحىٰ فنفَضتها ، واستخرجت ما في تنورها من جنوب الغنم .

قال أبو هريرة : فوالذي نفس أبي القاسم بيده هو قول محمد صلىٰ الله عليه وسلم : « لو أخذت ما في رَحْيَيها[٧] ولم تنفضها لطحنتها إلىٰ يوم القيامة » .

وقال في موضع آخر(٣٦) : حدثنا أبو عامر ، حدثنا أبو بكر ، عن هشام ، عن[٨] محمد - هو ابن سيرين - عن أبي هريرة؛ قال : دخل رجل علىٰ أهله ، فلما رأىٰ ما بهم من الحاجة خرج إلىٰ البَرية ، فلما رأت امرأته قامت إلىٰ الرحىٰ فوضعتها ، وإلىٰ التنور فسَجَرته ، ثم قالت : اللّهم ارزقنا . فنظرت ، فإذا الجفنة قد امتلأت ، قال[٩] : وذهبت إلىٰ التنور فوجدته ممتلئًا ، قال : فرجع الزوج ، قال : أصبتم بعدي شيئًا ؟ قالت امرأته : نعم ، من ربنا . قام إلىٰ الرحىٰ ، فذكر ذلك للنبي صلىٰ الله عليه وسلم فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « أما إنه لو لم ترفعها ، لم تزل تدور إلىٰ يوم القيامة » .

(٣٥) المسند (٤٢١/٢) . قال الهيثمي في « المجمع » (٢٦٠/١٠) : رواه أحمد ورجاله وثقوا .

(٣٦) المسند (٥١٣/٢) . قال الهيثمي (٢٦٠/١٠) : رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط بنحوه ، ورجالهم رجال الصحيح غير شيخ البزار وشيخ الطبراني وهما ثقتان .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من ز .

[٢] - في ت : « مصبغة » ، وفي ز : « مسبغة » ، والمثبت من المسند .

[٣] - في ز : أتالي . [٤] - في خ : هنية .

[٥] - في ز : الطول .

[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « ورحبتها يطحنان » . [٧] - في ز : رحيها .

[٨] - في ز : بن . [٩] - في ز : قالت .

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾

يقول تعالىٰ متوعدًا لمن خالف أمره ، وكذب رسله ، وسلك غير ما شرعه ، ومخبرًا عما حل بالأمم السالفة بسبب ذلك ، فقال : ﴿ **وكأين من قرية عتت عن أمر ربها [ورسله]**[١] ﴾ ، أي : تمردت وطغت واستكبرت عن اتباع أمر اللّٰه ومتابعة رسله ، ﴿ **فحاسبناها حسابًا شديدًا وعذبناها عذابًا نكرًا** ﴾ ، أي : منكرًا فظيعًا .

﴿ **فذاقت وبال أمرها** ﴾ ، أي : غبّ مخالفتها ، وندموا حيث لا ينفع الندم ، ﴿ **وكان عاقبة أمرها خسرًا * أعد اللّٰه لهم عذابًا شديدًا** ﴾ ، أي : في الدار الآخرة ، مع ما عَجّل لهم في الدنيا .

ثم قال بعد ما قَص من خبر هؤلاء : ﴿ **فاتقوا اللّٰه يا أولي الألباب** ﴾ ، أي : الأفهام المستقيمة ، لا تكونوا مثلهم فيصيبكم ما أصابهم يا أولي الألباب ، ﴿ **الذين آمنوا** ﴾ ، أي : صدقوا باللّٰه ورسله ، ﴿ **قد أنزل اللّٰه إليكم ذكرًا** ﴾ ، يعني القرآن . كقوله : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر [وإنا له لحافظون]**[٢] ﴾ وقوله: ﴿ **رسولًا يتلو عليكم آيات اللّٰه مبينات** ﴾ قال بعضهم: ﴿ **رسولًا** ﴾ منصوب علىٰ أنه بدل اشتمال وملابسة؛ لأن الرسول هو الذي بلغ الذكر.

وقال ابن جرير: الصواب أن الرسول ترجمة عن الذكر يعني تفسيرًا له؛ ولهذا قال: ﴿ **رسولًا يتلو عليكم آيات اللّٰه مبينات** ﴾ ، أي : في حال كونها بينة واضحة جلية ﴿ **ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلىٰ النور** ﴾ ، كقوله : ﴿ **كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلىٰ النور** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **اللّٰه وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور** ﴾ [. أي : من ظلمات الكفر والجهل إلىٰ نور الإيمان والعلم . وقد سمىٰ

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من ز .

الله تعالىٰ الوحي الذي أنزله نورًا ؛ لما يحصل به من الهدىٰ ، كما سماه روحًا ؛ لما يحصل به من حياة القلوب ، فقال تعالىٰ : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورًا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلىٰ صراط مستقيم ﴾][١] .

وقوله : ﴿ ومن يؤمن بالله ويعمل صالحًا يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا قد أحسن الله له رزقًا ﴾ . قد تقدم تفسير مثل هذا غير مرّة ، بما أغنىٰ عن إعادته .

ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن قدرته التامة وسلطانه العظيم ، ليكون ذلك باعثًا علىٰ تعظيم ما شرع من الدين القويم : ﴿ الله الذي خلق سبع سموات ﴾ ، كقوله إخبارًا عن نوح : إنه قال لقومه : ﴿ ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقًا ﴾ . وقال تعالى : ﴿تسبح له السمٰوات السبع [والأرض ومن فيهن][٢] ﴾ .

وقوله : ﴿ ومن الأرض مثلهن ﴾ ، أي : سبعًا أيضًا ، كما ثبت في الصحيحين(٣٧) : « من ظلم قيدَ شِبر من الأرض طوّقه من سبع أرضين » ، وفي صحيح البخاري(٣٨) : « خُسِف به إلىٰ سبع أرضين » ، وقد ذَكرتُ طرقه وألفاظه وعزوه في أول « البداية والنهاية » عند ذكر خلق الأرض ولله الحمد والمنة .

ومن حمل ذلك علىٰ سبعة أقاليم ، فقد أبعد النّجعة ، وأغرق في النزع [٣] ، وخالف القرآن والحديث بلا مستند . وقد تقدم في « سورة الحديد » عند قوله : ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن ﴾ ذكر الأرضين السبع ، وبعد ما بينهن ، وكثافة كل واحدة منهن [خمسمائة عام][٤] . وهكذا قال ابن مسعود وغيره ، وكذا الحديث الآخر : « ما السماوات السبع وما

(٣٧) أخرجه البخاري في كتاب : المظالم ، باب : إثم من ظلم شيئا من الأرض ، حديث (٢٤٥٣) (٥/ ١٠٣) ، وطرفه في (٣١٩٥) . ومسلم في كتاب : البيوع ، باب : تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها ، حديث (١٦١٢/١٤٢) (٧١/١١) كلاهما من حديث عائشه - رضي الله عنها - وفي الصحيحين في نفس الموضع عن غيرها من الصحابة .

(٣٨) أخرجه البخاري في كتاب : بدء الخلق ، باب : ما جاء في سبع أرضين ، حديث (٣١٩٦) (٢٩٢/٦ - ٢٩٣) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من ز .

[٣] - في ز : الشرع .

[٤] - ما بين المعكوفتين مكرر في ز .

فيهن وما بينهن والأرضون[١] السبع وما فيهن وما بينهن في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة »(٣٩) .

وقال ابن جرير(٤٠) : حدثنا عمرو بن عليّ ، حدثنا وكيع ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم بن مُهاجِر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **سبع سموٰات ومن الأرض مثلهن** ﴾ ، قال : لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم ، وكفركم[٢] تكذيبكم بها .

وحدثنا ابن حميد(٤١) ، حدثنا يعقوب بن عبد الله بن سعد القُمّي[٣] الأشعري ، عن جعفر بن أبي المغيرة الخزاعي ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال رجل لابن عباس : ﴿ **الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن** ...﴾ الآية ، فقال ابن عباس : ما يؤمنك إن أخبرتك بها فتكفر .

وقال ابن جرير(٤٢) : حدثنا عمرو بن عليّ ، ومحمد بن المثنىٰ ؛ قالا : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مُرَّة ، عن أبي الضحىٰ ، عن ابن عباس في هذه الآية : ﴿ **الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن** ﴾ ، قال عمرو : قال : في كل أرض مثل إبراهيم ، ونحو ما علىٰ الأرض من الخلق . وقال ابن المثنىٰ في حديثه : في كل سماء إبراهيم .

وقد روىٰ البيهقي(٤٣) في كتاب « الأسماء والصفات » هذا الأثر عن ابن عباس بأبسط من هذا ، فقال : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، وحدثنا أحمد بن يعقوب ، حدثنا عبيد بن غنام النخعي ، أخبرنا عليّ بن حكيم ، حدثنا شريك ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي الضحىٰ ، عن ابن عباس أنه قال : ﴿ **الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن** ﴾ ، قال : سبع أرضين ، في كل أرض نبي كنبيكم ، وآدم كآدم ، ونوح كنوح ، وإبراهيم كإبراهيم ، وعيسىٰ كعيسىٰ .

---

(٣٩) أورده المصنف في البداية والنهاية (١٤/١ - ١٥) وعزاه إلى ابن مردويه من طريق الطبراني بنحو ذلك من حديث أبي ذر . وأخرجه أبو الشيخ في « العظمة » (٥٨٧/٢) (٢٢٠) من حديث أبي ذر أيضًا بنحو حديث ابن مردويه .

(٤٠) تفسير الطبري (١٥٣/٢٨) .

(٤١) تفسير الطبري (١٥٣/٢٨) .

(٤٢) تفسير الطبري (١٥٣/٢٨) .

(٤٣) الأسماء والصفات (٢٦٧/٢) (٨٣١) .

---

[١] - في ز : والأرضين .

[٢] - في ز : وكفرتم .

[٣] - في . : اللّمي .

ثم رواه البيهقي من حديث شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي الضحىٰ ، عن ابن عباس في قول اللّٰه عز وجل : ﴿ **اللّٰه الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن** ﴾ ، قال : في كل أرض نحو إبراهيم عليه السلام .

ثم قال البيهقي : إسناد هذا عن ابن عباس صحيح وهو شاذ بمرة ، لا أعلم لأبي الضحى عليه متابعًا ، والله أعلم .

قال الإمام أبو بكر عبد اللّٰه بن محمد بن أبي الدنيا القرشي في كتابه « التفكر[١] والاعتبار » : حدثني إسحاق بن حاتم المدائني ، حدثنا يحيىٰ بن سليمان ، عن عثمان بن أبي دهرش ؛ قال : بلغني أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم انتهى إلىٰ أصحابه وهم سكوت لا يتكلمون ، فقال : « ما لكم لا تتكلمون ؟ » فقالوا : نتفكر في خلق اللّٰه عز وجل . قال : « فكذلك فافعلوا ، تفكروا في خلقه ولا تفكروا فيه ، فإن بهذا المغرب أرضًا بيضاء ، نورها ساحتها - أو قال : ساحتها نورها - مسيرة الشمس أربعين يومًا ، بها [خلقٌ من خلقِ][٢] اللّٰه لم يعصُوا اللّٰه طَرفة عين قطّ » . قالوا : فأين الشيطان عنهم ؟ قال : « ما يدرون خلق الشيطان أم لم يخلق » . قالوا : أمن ولد آدم ؟ قال : « ما يدرون خلق آدم أم لم يخلق » .

وهذا حديث مرسل ، وهو منكر جدًّا ، وعثمان بن أبي دهرش ذكره ابن أبي حاتم في كتابه فقال : روىٰ عن رجل من آل الحكم بن أبي العاص ، وعنه سفيان بن عيينة ، ويحيىٰ بن سليم الطائفي ، وابن المبارك ، سمعت أبي يقول ذلك .

[آخر [تفسير سورة][٣] الطلاق] .

☆ ☆ ☆

---

[١] - في ز ، خ : التفكير .
[٢] - في ت : « خلق » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من ز .

تفسير سورة التحريم

وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١)
قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢) وَإِذْ أَسَرَّ
النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ
وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ
(٣) إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ
وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (٤) عَسَى رَبُّهُ إِنْ
طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ
سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا (٥)

اختُلف في سبب نزول صدر هذه السورة ، فقيل : نزلت في شأن مارية ، وكان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قد حرمها ، فنزل قوله : ﴿ **يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك** ...﴾ الآية . قال أبو عبد الرحمن النسائي[1] : أخبرنا إبراهيم بن يونس بن محمد ، حدثنا أبي ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كانت له أمة يطؤها ، فلم تزل به عائشة وحفصة حتىٰ حرّمها ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك** ﴾ إلىٰ آخر الآية .

وقال ابن جرير[2] : حدثني ابن عبد الرحيم البرقي ، حدثنا ابن أبي مريم ، حدثنا أبو غسان ، حدثني زيد بن أسلم : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أصاب أم إبراهيم في بيت بعض نسائه ، فقالت : أيْ رسول الله ، في بيتي وعلىٰ فراشي ؟ ! فجعلها عليه حرامًا .

(١) **صحيح** ، أخرجه النسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ **يأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك** ﴾ ، حديث (١١٦٠٧) (٤٩٥/٦) . وأخرجه الحاكم (٤٩٣/٢) وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وصححه الحافظ في الفتح (٣٧٦/٩) . وزاد السيوطي في الدر نسبته غلى ابن مردويه .

(٢) تفسير الطبري (١٥٥/٢٨) .

فقالت : أيْ رسول اللّه ، كيف يَحْرُم عليك الحلال[١] ؟ فحلف لها باللّه لا يصيبها . فأنزل اللّه : ﴿ **يا أيها النبي لم تحرم ما أحل اللّه لك** ﴾ . قال زيد : فقوله : « **أنت عليَّ حرام** » لغوٌ . وهكذا روى عبد الرحمن بن زيد ، عن أبيه .

وقال ابن جرير أيضًا : حدثنا يونس ، أخبرنا ابن وهب ، عن مالك ، عن زيد بن أسلم قال : قال لها : « **أنت عليّ حرام وواللّه لا أطؤك** » . وقال سفيان الثوري(٣) وابن عُلَيَّة [٢] (٤)، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، عن مسروق قال : آلىٰ رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم وحَرّم فعُوتبَ في التحريم ، وأمر بالكفارة في اليمين . رواه ابن جرير . وكذا روي عن قتادة ، وغيره ، عن الشعبي ، نفسُه . وكذا قال غير واحد من السلف ، منهم الضحاك ، والحسن ، وقتادة ، ومقاتل بن حيان ، وروىٰ العوفي عن ابن عباس القصة مطولة .

وقال ابن جرير(٥) : حدثنا سعيد بن يحيىٰ ، حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن عُبيد اللّه بن عبد اللّه ، عن ابن عباس قال : قلت لعمر بن الخطاب : من المرأتان ؟ قال : عائشة وحفصة . وكان بدء الحديث في شأن أم إبراهيم القبطية ، أصابها النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم في بيت حفصة في نوبتها ، فَوَجدت حفصة ، فقالت : يا نبي اللّه ، لقد جئت إليّ شيئًا ما جئت إلىٰ أحد من أزواجك في يومي ، وفي دوري ، وعلىٰ فراشي . قال : « ألا ترضين أن أحرّمها فلا أقربها ؟ » قالت : بلىٰ . فحرّمها ، وقال : « لا تذكري ذلك لأحد » . فذكرته لعائشة ، فأظهره اللّه عليه ، فأنزل اللّه : ﴿ **يا أيها النبي لم تحرم ما أحل اللّه لك تبتغي مرضات أزواجك** ...﴾ الآيات ، فبلغنا : أن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم كفر يمينه ، وأصاب [٣] جاريته .

وقال الهيثم بن كليب في مسنده : حدثنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشي ، حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا جرير بن حازم ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن عمر قال : قال النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم لحفصة : « لا تخبري أحدًا ، وإن أم إبراهيم ، عليّ حرام » . فقالت : أتحرم ما أحل اللّه لك ؟ قال : « فواللّه لا أقربها » . قال : فلم يقربها حتىٰ أخبرت عائشة . قال : فأنزل اللّه : ﴿ **قد فرض اللّه لكم تحلة أيمانكم** ﴾ .

وهذا إسناد صحيح ، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة ، وقد اختاره الحافظ

---

(٣) تفسير الطبري (١٥٦/٢٨) .

(٤) تفسير الطبري (١٥٦/٢٨) .

(٥) تفسير الطبري (١٥٨/٢٨) .

---

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : عيينة .

[٣] - في ز : واحتاب .

الضياء المقدسي في كتابه المستخرج .

وقال ابن جرير(٦) : حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن علية ، حدثنا هشام الدستوائي قال : كتب إلي يحيىٰ يحدّث عن يعلىٰ [١] بن حكيم ، عن سعيد بن جبير : أن ابن عباس كان يقول في الحرام : يمين تكفرها ، وقال ابن عباس : ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة** ﴾ ، يعني : أن رسول الله حرم جاريته فقال الله : ﴿ **يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم** ﴾ ، فكفر يمينه ، فصير الحرام يمينًا .

ورواه البخاري(٧) عن معاذ بن فضالة ، عن هشَام - هو الدستوائي - ، عن يحيىٰ - هو ابن أبي كَثير - ، عن ابن حكيم - وهو يَعلىٰ - ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في الحرام : يمين تُكفر .قال ابن عباس : ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة** ﴾ .

ورواه مسلم(٨) من حديث هشام الدّستوائي به ، وقال النسائي(٩) : أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد ابن عليّ ، حدثنا مخلد - هو ابن يزيد - ، حدثنا سفيان ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : أتاه رجل فقال : إني جعلت امرأتي عليّ حَرَامًا ؟ قال : كذبتَ ليست عليك بحرام ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ **يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك** ﴾ عليك[٢] أغلظ الكفارات ، عتق رقبة .

تفرد به النسائي من هذا الوجه بهذا اللفظ . وقال الطبراني(١٠) : حدثنا محمد بن زكرّيا ، حدثنا عبد الله بن رجاء ، حدثنا إسرائيل ، عن مسلم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك** ﴾ قال : حرم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم سُرّيّته .

ومن هاهنا ذهب من ذهب من الفقهاء ممن قال بوجوب الكفارة علىٰ من حَرّم جاريته أو زوجته ، أو طعامًا أو شرابًا ، أو ملبسًا ، أو شيئًا من المباحات . وهو مذهب الإمام أحمد

---

(٦) تفسير الطبري (١٥٧/٢٨) .

(٧) صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : سورة التحريم (١) ، حديث (٤٩١١) (٦٥٦/٨) .

(٨) صحيح مسلم ، كتاب : الطلاق ، باب : وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينوِ الطلاق (١٨/ ١٤٧٣) (١٠٦/١٠) .

(٩) سنن النسائي (١٥١/٦) كتاب : الطلاق ، باب : تأويل قوله - عز وجل : ﴿ **لم تحرم ما أحل الله لك** ﴾ .

(١٠) المعجم الكبير (٨٦/١١) (١١١٣٠) . قال الهيثمي في « المجمع » (١٢٩/٧) : رواه البزار بإسنادين والطبراني ، ورجال البزار رجال الصحيح غير بشر بن آدم الأصغر وهو ثقة .

---

[١] - في ز : يحيىٰ . [٢] - في ز : « و » . سقط من خ .

وطائفة . وذهب الشافعي إلىٰ أنه لا تجب الكفارة فيما عدا الزوجة والجارية ، إذا حرّم عينيهما أو أطلق التحريم فيهما في قوله ، فأما إن نوىٰ بالتحريم طلاقَ الزوجة أو عتق الأمة ، نفذ فيهما .

وقال ابن أبي حاتم : حدثني أبو عبد اللّٰه الظهراني ، أخبرنا حفص بن عمر العدني ، أخبرنا الحكم بن أبان ، حدثنا عكرمة ، عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية : ﴿ **يا أيها النبي لم تحرم ما أحل اللّٰه لك** ﴾ في المرأة التي وهبت نفسها للنبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم . وهذا قول غريب والصحيح : أن ذلك كان في تحريمه العسل كما قال البخاري(١١) عند هذه الآية :

حدثنا إبراهيم بن موسىٰ ، أخبرنا هشام بن يوسف ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن عبيد ابن عمير ، عن عائشة قالت : كان النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يشرب عسلًا عند زينب بنت جَحش ، ويمكث عندها ، فتواطأت أنا وحفصة على أيتنا دخل عليها ، فلتقل[١] له : أكلت مغافير؟ إني أجد منك ريح مغافير قال : « لا ، ولكنى كنت أشرب عسلًا عند زينب بنت جحش فلن أعود له ، وقد حلفت ، لا تخبري بذلك أحدًا [٢] » ، ﴿ **تبتغي مرضات أزواجك** ﴾ هكذا أورد هذا الحديث هاهنا بهذا اللفظ ، وقال في كتاب الأيمان والنذور(١٢) : حدثنا الحسن بن محمد ، حدثنا الحجاج ، عن ابن جريج قال : زعم عطاء أنه سمع عُبَيد بن عمير يقول : سمعتُ عائشة تزعم : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جَحش ويشرب عندها عَسَلًا ، فتواصيتُ[٣] أنا وحفصة أن أيتُنا دخل عليها النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فَلْتَقُلْ : إني أجد منك ريح مغافير ؛ أكلت مغافير ؟ فدخل علىٰ إحداهما النبي - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - فقالت ذلك له ، فقال : « لا ، بل شربت عسلًا عند زينب بنت جَحش ، ولن أعود له » ، فنزلت : ﴿ **يا أيها النبي لم تحرم ما أحل اللّٰه لك** ﴾ إلىٰ : ﴿ **إن تتوبا إلىٰ اللّٰه فقد صَغت قلوبكما** ﴾ لعائشة وحفصة ﴿ **وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثًا** ﴾ لقوله : « بل شربت عسلًا » . وقال إبراهيم ابن موسىٰ ، عن هشام : « ولن أعود له ، وقد حلفت ، فلا تخبري[٤] بذلك أحدًا » .

وهكذا رواه في كتاب الطلاق(١٣) بهذا الإسناد ولفظه قريب منه . ثم قال : المغافير : « شبيه بالصمغ ، يكون في الرمث فيه حلاوة ، أغفر الرِّمث : إذا ظهر فيه . واحدها مُغفور ، ويقال :

---

(١١) صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : (٦٦ - ١) ، حديث (٤٩١٢) (٦٥٦/٨) وأطرافه في : [٥٢١٦ ، ٥٢٦٧ ، ٥٢٦٨ ، ٥٤٣١ ، ٥٥٩٩ ، ٥٦١٤ ، ٥٦٨٢ ، ٦٦٩١ ، ٦٩٧٢] .
(١٢) صحيح البخاري ، كتاب : الأيمان والنذور ، باب : إذا حرم طعامًا ، حديث (٦٦٩١) (٥٧٤/١١) .
(١٣) صحيح البخاري ، كتاب : الطلاق ، باب : ﴿ **لم تحرم ما أحل اللّٰه لك** ﴾ ، حديث (٥٢٦٧) .

---

[١] - في ت : فلنقل .
[٢] - في ز ، خ : واحدًا .
[٣] - في خ : فتواطأت .
[٤] - في ز ، خ : تخبرين .

مغاثير[١] » . وهكذا قال الجوهري ، قال : « وقد يكون المغفور أيضًا للعُشر والثُّمام والسَّلَم والطلح » قال : والرِّمْث ، بالكسر : مرعىً من مراعي الإِبل ، وهو من الحَمْض . قال : والعرفط : شجر من العضاه ينضَح المغفُور منه[٢] .

وقد روىٰ مسلم(١٤) هذا الحديث في كتاب « الطلاق » من صحيحه ، عن محمد بن حاتم ، عن حجاج بن محمد ، عن ابن[٣] جريج ، أخبرني عطاء ، عن عُبيد بن عمير ، عن عائشة ، به . ولفظه كما أورده البخاري في الأيمان والنذور .

ثم قال البخاري(١٥) في كتاب الطلاق : حدثنا فروة بن أبي المغراء ، حدثنا عليّ بن مُسهر ، عن هشام بن عُروة ، عن أبيه عن عائشة قالت : كان رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يحب الحَلوىٰ والعَسل ، وكان إذا انصرف من العصر دخل علىٰ نسائه ، فيدنو من إحداهن . فدخل علىٰ حفصة بنت عمر فاحتبس أكثر ما كان يحتبس ، فَغِرْتُ فسألت عن ذلك ، فقيل لي : أهدت لها امرأة من قومها عُكَّة عَسَل ، فسقت النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم منه شربة ، فقلت : أما واللَّه لنحتالَن له . فقلت لسودة بنت زَمْعَة : إنه سيدنو منك ، فإذا دنا منك فقولي : أكلت مغَافير ؟ ، فإنه سيقول لك : لا . فقولي له : ما هذه الريح التي أجد ؟ فإنه سيقول لك : سقتني حفصة شربة عسل . فقولي : جَرَسَتْ نحلُه العُرفُطَ . وسأقول ذلك ، وقولي أنت له يا صفية ذلك[٤] ، قالت : تقول سودة : فواللَّه[٥] ما هو إلا أن قام علىٰ الباب ، فأردت أن أناديه بما أمرتني فرقًا منك ، فلما دنا منها قالت له سودة : يا رسول اللَّه ، أكلت مغافير ؟ قال : « لا » . قالت : فما هذه الريح التي أجد منك ؟ قال « سقتني حفصة شَربة عسل » . قالت : جَرَسَت نَحلُه العرفطَ . فلما دار إليّ قلت نحو ذلك ، فلما دار إلىٰ صفية قالت له مثل ذلك ، فلما دار إلىٰ حفصة قالت له : يا رسول اللَّه ، ألا أسقيك منه ؟ قال : « لا حاجة لي فيه » . قالت تقول سودة : واللَّه لقد حَرَمْنَاه . قلت لها : اسكتي .

هذا لفظ البخاري . وقد رواه مسلم(١٦) عن سُويد بن سَعيد ، عن عليّ بن مسهر[٦] ، به .

---

(١٤) صحيح مسلم في كتاب : الطلاق ، باب : وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق ، حديث (٢٠/١٤٧٤) (١٠/١٠٨ - ١٠٩) .

(١٥) صحيح البخاري في كتاب : الطلاق ، باب : ﴿ لم تحرم ما أحل اللَّه لك ﴾ ، حديث (٥٢٦٨) (٩/ ٣٧٤ - ٣٧٥) .

(١٦) صحيح مسلم في كتاب : الطلاق ، باب : وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينوِ الطلاق ، حديث (٢١م/ ١٤٧٤) (١٠/١١٢) .

---

[١] - في ت : مغافير . والمثبت من ز .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - في ز ذاك .
[٥] - في ز : والله .
[٦] - في خ : بهز .

وعن أبي كريب وهارون بن عبد الله والحسن بن بشر(١٧) ، ثلاثتهم عن أبي أسامة حماد بن أسامة ، عن هشام بن عروة ، به . وعنده : قالت : وكان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يشتد عليه أن يوجد منه الريح - يعني : الريح الخبيثة - ولهذا قلن له : أكلت مغافير ، لأن ريحها فيه شيء . فلما قال : « بل شربت عسلًا » . قلن : جَرَسَت نحلُه العرفطَ . أي : رَعَت نحلُه شَجَر العرفط الذي صَمغه المغافير ، فلهذا ظهر ريحُه في العسل الذي شربته .

قال الجوهري: جرست النحل العرفط تجرس[١] : إذا أكلته ومنه قيل للنحل: جوارس، قال الشاعر:

* تَظَلّ عَلَىٰ الثَّمْرَاء مِنها جَوَارِسُ *

وقال : الجَرْس والجِرْس : الصوت الخفي . ويقال : سمعت جرس [الطير : إذا سمعتَ صوت مناقيرها علىٰ شيء تأكله ، وفي الحديث : « فيسمعون جَرْس][٢] طير الجنة » . قال الأصمعي : كنت في مجلس شُعبة قال : « فيسمعون جَرْش طير الجنة » بالشين ، فقلت : « جرس » فنظر إليّ وقال[٣] : خذوها عنه ، فإنه أعلم بهذا منا .

والغرض أن هذا السياق فيه[٤] : أن حفصة هي الساقية للعسل ، وهو من طريق هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن خالته عائشة . وفي طريق ابن جريج ، عن عطاء ، عن عبيد بن عمير ، عن عائشة: أن زينب بنت جحش هي التي سقت العسل ، وأن عائشة وحفصة تواطأتا[٥] وتظاهرتا عليه ، فالله أعلم . وقد يقال : إنهما واقعتان ، ولا بُعدَ في ذلك ، إلا أن كونَهما سببًا لنزول هذه الآية فيه نظر ، والله أعلم .

ومما يدل علىٰ أن عائشة وحفصة رضي الله عنهما هما المتظاهرتان الحديث الذي رواه الإمام أحمد(١٨) في مسنده حيث قال : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن عُبَيد الله بن عبد الله بن أبي ثور ، عن ابن عباس قال : لم أزل حريصًا علىٰ أن أسأل عمر عن المرأتين من[٦] أزواج النبي صلىٰ الله عليه وسلم اللتين قال الله تعالىٰ : ﴿ **إن تتوبا إلىٰ الله فقد صغت قلوبكما** ﴾ ، حتىٰ حج عمر وحججت معه ، فلما كان ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالإداوة ، فتبرّز ثم أتاني ، فسكبت علىٰ يديه فتوضأ ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، من المرأتان من أزواج النبي صلىٰ الله عليه وسلم اللتان قال الله تعالىٰ : ﴿ **إن تتوبا إلىٰ الله فقد صغت**

(١٧) صحيح مسلم في الموضع السابق (٢١/١٤٧٤) (١٠/١٠٩ - ١١٢) .
(١٨) المسند (١/٣٣ - ٣٤) (٢٢٢) .

[١] - سقط من خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من ز ، خ .
[٣] - في ت : وقال . والمثبت من ز .
[٤] - سقط من خ .
[٥] - في ز : تواصّتا .
[٦] - في ز ، خ : في .

قلوبكما ﴾ ؟ فقال عمر : واعجبًا لك يا ابن عباس - قال الزهري : كره والله ما سأله[١] عنه ولم يكتمه - قال : هي حفصة وعائشة . قال : ثم أخذ يسوق الحديث قال : كنا مَعشر قريش قومًا نغلبُ النساء ، فلما قدمنا المدينة وجدنا قومًا تَغلبهم نساؤهم ، فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم ، قال : وكان منزلي في دار بني[٢] أمية بن زيد بالعَوَالي ، قال[٣] : فغضِبَت يومًا[٤] عليّ امرأتي فإذا[٥] هي تراجعني ، فأنكرت أن تُراجِعني ، فقالت : ما تنكر أن أراجعك ؟ فوالله إن أزواج النبي صلىٰ الله عليه وسلم ليراجعنه ، وتهجره إحداهن اليوم إلىٰ الليل . قال : فانطلقت فدخلت علىٰ حفصة فقلت : أتراجعين رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؟ ! قالت : نعم . قلت : وتهجره إحداكن اليوم إلىٰ الليل ؟ ! قالت : نعم . قلت : قد خاب من فعل ذلك منكن وخَسر ، أفتأمنُ إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله ، فإذا هي قد هلكت ؟ ! لا تراجعي رسول الله ولا تسأليه شيئًا ، وسليني من مالي ما بدا لك ، ولا يغرنك أن كانت جارتك هي أوسمُ وأحبّ إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم منك - يريد عائشة - قال : وكان لي جار من الأنصار ، وكنا نتناوب النزول إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ينزل يومًا وأنزل يومًا ، فيأتيني بخبر الوحي وغيره ، وآتيه بمثل ذلك . قال : وكنا نتحدث أن غَسَّان تُنعِل الخيل لتغزونا ، فنزل صاحبي يومًا ثم أتىٰ عشاءً ، فضرب بابي ثم ناداني ، فخرجت إليه فقال : حدث أمر عظيم ! فقلت : وما ذاك ؟ أجاءت غسان ؟ قال : لا ، بل أعظم من ذلك وأطول ! طلّق رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم نساءه . فقلت : قد خابت حفصةُ وخَسِرت ، قد كنت أظن هذا كائنًا . حتىٰ إذا صليتُ الصبح شددتُ عليّ ثيابي ثم نزلت ، فدخلت علىٰ حفصة وهي تبكي فقلت : أطلقَكُن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؟ فقالت : لا أدري ، هو هذا معتزل في هذه المشْرَبة . فأتيت غلامًا له أسودَ فقلت : استأذن لعمر . فدخل الغلام ثم خرج إليّ فقال : ذكرتك له فصمت . فانطلقت حتىٰ أتيت المنبر ، فإذا عنده رهط جلوس يبكي بعضهم ، فجلست عنده[٦] قليلًا ، ثم غلبني ما أجد ، فأتيت الغلام فقلت : استأذن لعمر . فدخل ثم خرج فقال : [ ][٧] ذكرتك له فصمت . فخرجت فجلست إلىٰ المنبر ، ثم غلبني ما أجد فأتيت الغلام فقلت : استأذن لعمر . فدخل ثم خرج إليّ فقال : قد ذكرتك له فصمت . فوليت مدبرًا ، فإذا الغلام يدعوني فقال : ادخل ، قد أذن لك . فدخلتُ فسلمتُ علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؛ فإذا هو متكيء علىٰ رمال حصير .

قال الإمام أحمد : وحدثناه يعقوب في حديث صالح قال[٨] : رُمَال حصير قد أثر في جنبه ، فقلت : أطلَّقت يارسول الله نساءك ؟ فرفع رأسه إليّ [وقال : « لا »][٩] . فقلت :

---

[١] - في ت : سألته . والمثبت من ز ، خ .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - سقط من خ .
[٤] - سقط من خ .
[٥] - في ز ، خ : فلما .
[٦] - سقط من ت ، ز .
[٧] - في ت : فقد .
[٨] - سقط من ت .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من ز .

الله أكبر ، لو رأيتنا يا رسول الله وكنا معشر قريش قومًا نغلب النساء ، فلما قدمنا المدينة وجدنا قومًا تغلبهم نساؤهم ، فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم ، فغضبت عليّ امرأتي يومًا فإذا هي تراجعني ، فأنكرت أن تراجعني ، فقالت : ما تنكر أن أراجعك ؟ فوالله إن أزواج النبي صلىٰ الله عليه وسلم ليراجعنه ، وتهجره إحداهن اليوم إلىٰ الليل . فقلت : قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر [١] ، أفتأمنُ إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله ، فإذا هي قد هلكت . فتبسم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، فَدَخلت[٢] علىٰ حفصة فقلت : لا يغُرَّنَّك أن كانت جارتُك هي أوسَم - أو[٣] : أحب - إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم منك[٤] . فتبسم أخرىٰ .

فقلت : أستأنس يا رسول الله ؟ قال : « نعم » . فجلست فرفعت رأسي في البيت ، فوالله ما رأيت في البيت شيئًا يرد البصر إلا أَهَبَةٌ ثلاثة فقلت : ادع الله يا رسول الله أن يوسع علىٰ أمتك ، فقد وسَّع علىٰ فارس والروم ، وهم لا يعبدون الله . فاستوىٰ جالسًا وقال : « أفي شك أنت يا ابن الخطاب ؟ ! أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا » . فقلت : استغفر لي يا رسول الله . وكان أقسم أن لا يدخل عليهن شهرًا من شدة موجدته عليهن حتىٰ عاتبه الله عز وجل .

وقد رواه البخاري(١٩) ومسلم والترمذي والنسائي ، من طرق ، عن الزهري به .

وأخرجه الشيخان(٢٠) من حديث يحيىٰ بن سعيد الأنصاري ، عن عُبيد بن حُنَين ، عن ابن عباس ، قال : مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية ، فما أستطيع أن أسأله هيبةً له ، حتىٰ خرج حاجًّا فخرجت معه ، فلما رجعنا وكنا ببعض الطريق ، عدل إلىٰ الآرَاك لحاجة له ، قال : فوقفت حتىٰ فرغ ، ثم سرت معه ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، من المرأتان[٥] اللتان تظاهرتا علىٰ[٦] النبي صلىٰ الله عليه وسلم ؟ .

---

(١٩) صحيح البخاري ، كتاب : المظالم ، باب : (٢٥) ، حديث (٢٤٦٨) (١١٦/٥) وأطرافه في [٨٩، ٤٩١٣، ٤٩١٤، ٤٩١٥، ٥١٩١، ٥٢١٨، ٥٨٤٣، ٧٢٥٦، ٧٢٦٣] . ومسلم في كتاب : الطلاق ، باب : في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن ، حديث (١٤٧٩/٣٤) (١٢٨/١٠ - ١٣١) . والترمذي في كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة التحريم ، حديث (٣٣١٥) (٥٥/٩ - ٥٨) . والنسائي (١٣٧/٤ - ١٣٨) .

(٢٠) صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : تبتغي مرضاة أزواجك ....، حديث (٤٩١٣) (٦٥٧/٨ - ٦٥٨) . وأطرافه في [٤٩١٤، ٤٩١٥، ٥٢١٨، ٥٨٤٣، ٧٢٥٦، ٧٢٦٣] . ومسلم في كتاب : الطلاق ، حديث (٣١، ٣٢، ١٤٧٩/٣٣) (١٢٢/١٠) وما بعدها .

---

[١] - في ز ، خ : وخسرت .
[٢] - في خ : قد دخلت .
[٣] - في ز : و .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - سقط من ت ، ز .
[٦] - في ز : من .

هذا لفظ البخاري ، ولمسلم : من المرأتان اللتان قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **وإن تظاهرا عليه** ﴾ ؟ قال : عائشة وحفصة . ثم ساق الحديث بطوله ، ومنهم من اختصره .

وقال مسلم(٢١) أيضًا : حدثني زهير بن حرب ، حدثنا عمر بن يونس الحنفي ، حدثنا عكرمة ابن عمار ، عن سماك بن الوليد - أبي زميل - ، حدثني عبد اللّٰه بن عباس ، حدثني عمر بن الخطاب قال : لما اعتزل نبي اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم نساءه ، دخلت المسجد فإذا الناس يَنكُتُون بالحصىٰ ، ويقولون : طلق رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم نساءه ! وذلك قبل أن يُؤمرَ بالحجاب . فقلت : لأعلمن ذلك اليوم ... فذكر الحديث في دخوله علىٰ عائشة وحفصة ، ووعظه إياهما ، إلىٰ أن قال : فدخلت فإذا أنا برباح غلام رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم علىٰ أسكُفَّة المشربة ، فناديت فقلت : يا رباح ، استأذن لي علىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ... فذكر نحو ما تقدم ، إلىٰ أن قال : فقلت : يا رسول اللّٰه ، ما يَشُقّ عليك من أمر النساء ، فإن كنت طلقتهن فإن اللّٰه معك وملائكته وجبريل وميكائيل ، وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك ، وقلما تكلمتُ - وأحمد اللّٰه - بكلام إلا رجوتُ أن يكون اللّٰه يصدق قولي ، ونزلت هذه الآية ، آية التخيير : ﴿ **عسىٰ ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن** ﴾ ، ﴿ **وإن تظاهرا عليه فإن اللّٰه هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير** ﴾ . فقلت : أطلقتهن ؟ قال : « لا » ... فقمت علىٰ باب المسجد فناديت بأعلىٰ صوتي : لم يطلق نساءه ، ونزلت هذه الآية : ﴿ **وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلىٰ الرسول وإلىٰ أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم** ﴾ ، فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر .

وكذا قال سعيد بن جبير ، وعكرمة ، ومقاتل بن حيان ، والضحاك ، وغيرهم ﴿ **وصالح المؤمنين** ﴾ : أبو بكر وعمر ، زاد الحسن البصري وعثمان : وقال [ليث بن أبي][١] سليم ، عن مجاهد : ﴿ **وصالح المؤمنين** ﴾ ، قال : عليّ بن أبي طالب .

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن أبي [٢] عمر حدثنا محمد بن جعفر بن محمد [بن على][٣] بن الحسين قال : أخبرني رجل ثقة يرفعه إلىٰ عليّ قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : قوله : ﴿ **وصالح المؤمنين** ﴾ ، قال : « هو عليّ بن أبي طالب » . إسناده ضعيف ، وهو منكر جدًا .

---

(٢١) صحيح مسلم ، الموضع السابق (١٤٧٩/٣٠) (١٠/١١٨ - ١٢١) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين بياض في ز . وسقط من خ . [٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من ز ، خ .

وقال البخاري(٢٢) : حدثنا عمرو بن عون ، حدثنا هُشيم ، عن حُميد ، عن أنس ، قال : قال عمر : اجتمع نساء النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في الغيرة عليه ، فقلت لهن : ﴿ **عسىٰ ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن** ﴾ فنزلت هذه الآية وقد تقدم أنه وافق القرآن في أماكنَ ، منها في نزول الحجاب ، ومنها في أسارىٰ بدر ، ومنها قوله : لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلىٰ ؟ فأنزل اللّٰه : ﴿ **واتخذوا من مقام إبراهيم مصلىٰ** ﴾(٢٣) .

وقال ابن أبي حاتم : [حدثنا أبي][١] حدثنا الأنصاري ، حدثنا حُمَيد ، عن أنس قال : قال عمر بن الخطاب : بلغني شيء كان بين أمهات المؤمنين وبين النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فاستقريتهن أقول : لتكفن عن رسول اللّٰه أو ليبدلنّه اللّٰه أزواجًا خيرًا منكن ، حتىٰ أتيت علىٰ آخر أمهات المؤمنين ، فقالت : ياعمر ، أما لي برسول اللّٰه ما يعظ نساءه ، حتىٰ تعظهن ؟ !

فأمسكت ، فأنزل اللّٰه عز وجل : ﴿ **عسىٰ ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن مسلماتٍ مؤمناتٍ قانتاتٍ تائباتٍ عابداتٍ سائحاتٍ ثيباتٍ وأبكارًا** ﴾ .

وهذه المرأة التي ردته عما كان فيه من وعظ النساء: هي أم سلمة، كما ثبت ذلك في صحيح البخاري(٢٤) .

وقال الطبراني(٢٥) : حدثنا إبراهيم بن نائلة الأصبهاني ، حدثنا إسماعيل البجلي ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبي سنان ، عن الضحاك ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وإذ أسر النبي إلىٰ بعض أزواجه حديثًا** ﴾ ، قال : دخلت حفصة علىٰ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في بيتها وهو يَطَأ مارية ، فقال لها رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « لاتخبري عائشة حتىٰ أبشرك[٢] ببشارة ، فإن أباك يَلي الأمرَ من بعد أبي بكر إذا أنا مِت » . فذهبت حفصة فأخبرَتْ عائشة ، فقالت عائشة لرسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : من أنبأك هذا ؟ قال : ﴿ **نبأني العليم الخبير** ﴾ . فقالت عائشة : لا أنظر إليك حتىٰ تحرم مارية . فحرمها ، فأنزل اللّٰه : ﴿ **يا أيها النبي لم تحرم** ﴾ .

---

(٢٢) صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن** ﴾ ، حديث (٤٩١٦) (٨/٦٦٠) .

(٢٣) صحيح البخاري ، كتاب : الصلاة ، باب : ما جاء في القبلة حديث (٤٠٢) (١/٥٠٤) . وأطرافه في [٤٤٨٣، ٤٧٩٠، ٤٩١٦] .

(٢٤) تقدم تخريجه قريبًا .

(٢٥) المعجم الكبير (١٢/١١٧) (١٢٦٤٠) . قال الهيثمي (٥/١٨١) : وفيه إسماعيل بن عمرو البجلي ، وهو ضعيف ، وقد وثقه ابن حبان ، والضحاك بن مزاحم لم يسمع من ابن عباس ، وبقية رجاله ثقات .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من ت . والمثبت من ز . [٢] - في ز ، خ : أنزل .

إسناده فيه نظر، وقد تبين مما أوردناه تفسير هذه الآيات الكريمات.

ومعنىٰ قوله: ﴿ **مسلماتٍ مؤمناتٍ قانتاتٍ تائباتٍ عابدات** ﴾ ظاهر.

وقوله ﴿ **سائحاتٍ** ﴾، أي: صائمات، قاله أبو هريرة، وعائشة، وابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعطاء، ومحمد بن كعب القرظي، وأبو عبد الرحمن السلمي، وأبو مالك، وإبراهيم النخعي، والحسن، وقتادة والضحاك، والربيع بن أنس، والسُّدِّي، وغيرهم، وتقدم فيه حديث مرفوع عند قوله ﴿ **السائحون** ﴾ من سورة «براءة»، ولفظه: «سياحةُ هذه الأمة الصيامُ»(٢٦) وقال زيد بن أسلم، وابنه عبد الرحمن: ﴿ **سائحات** ﴾، أي: مهاجرات: وتلا عبد الرحمن: ﴿ **السائحون** ﴾، أي المهاجرون، والقول الأول أولىٰ، والله أعلم.

وقوله: ﴿ **ثيبات وأبكارًا** ﴾، أي: منهن ثيبات، ومنهن أبكارًا، ليكون ذلك أشهىٰ إلىٰ النفوس، فإن التنوع يبسط النفسَ، ولهذا قال: ﴿ **ثيبات وأبكارًا** ﴾.

وقال أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير: حدثنا أبو بكر بن صدقة، حدثنا محمد بن محمد [ ][١] بن مرزوق، حدثنا عبد الله بن أمية[٢]، حدثنا عبد القدوس، عن صالح بن حَيَّان، عن ابن بُرَيدة، عن أبيه: ﴿ **ثيبات وأبكارًا** ﴾، قال: وعد الله نبيه صلىٰ الله عليه وسلم في هذه الآية أن يزوجه، فالثيب آسية امرأة فرعون، وبالأبكار مريم بنت عمران.

وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة «مريم عليها السلام»(٢٧)، من طريق سُوَيد بن سعيد[٣]: حدثنا محمد بن صالح بن عمر، عن الضحاك ومجاهد، عن ابن عمر قال: جاء جبريل إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بموت خديجة فقال: إن الله يقرئها السلام، ويبشرها ببيت في الجنة من قصب، بعيد من اللهب، لا نصب فيه ولا صخب، من لؤلؤة [جوفاء][٤] بين بيت مريم بنت عمران وبيت آسية بنت مزاحم.

ومن حديث أبي بكر الهذلي(٢٨)، عن عكرمة، عن ابن عباس: أن النبي صلىٰ الله عليه

(٢٦) راجع تفسير سورة التوبة، آية: (١٠٢).
(٢٧) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٤٣/١٩ - مخطوط).
(٢٨) أخرجه ابن عساكر في الموضع السابق.

[١] - ما بين المعكوفتين في ز، خ: «بن محمد».
[٢] - في ز: أبي.
[٣] - في خ: سعد.
[٤] - بياض في ز، خ.

وسلم دخل علىٰ خديجة وهي في الموت ، فقال : « يا خديجة ، إذا لقيت ضرائرك فأقرئيهن مني السلام » . فقالت : يا رسول اللّه ، وهل تزوجت قبلي ؟ ! قال : « لا ، ولكن اللّه زوجني مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وكلثم أخت موسىٰ » . ضعيف أيضًا .

وقال أبو يعلىٰ(٣٠) : حدثنا إبراهيم بن[١] عرعرة . حدثنا عبد النور بن عبداللّه ، حدثنا يوسف[٢] بن شعيب ، عن أبي أمامة قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « أعلمت أن اللّه زوجني في الجنة مريم بنت عمران ، وكلثم أخت موسىٰ ، وآسية امرأة فرعون ؟ » فقلت : هنيئًا لك يارسول اللّه .

وهذا أيضًا ضعيف ، وروي مرسلًا عن ابن أبي داود[٣] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٨﴾ ﴾

قال سفيان الثوري : عن منصور ، عن رجل ، عن عليّ رضي اللّه عنه في قوله تعالىٰ : ﴿ **قُوا أنفسكم وأهليكم نارًا** ﴾ ، يقول : أدبوهم ، علموهم .

وقال عليّ بن أبي طلحة : عن ابن عباس : ﴿ **قوا أنفسكم وأهليكم نارًا** ﴾ ، يقول : اعملوا بطاعة اللّه ، واتقوا معاصي[٤] اللّه ، ومُروا أهليكم بالذكر ، ينجيكم اللّه من النار .

---

(٣٠) أخرجه ابن عساكر في الموضع السابق من طريق أبي يعلى بهذا الإسناد .

---

[١] - في ز ، خ : عن .

[٢] - في ز ، خ : يونس . وكذا في تاريخ دمشق لابن عساكر .

[٣] - في ز : رواد . [٤] - في خ : معصية .

وقال مجاهد: ﴿قوا أنفسكم وأهليكم نارًا﴾ قال: اتقوا الله وأوصوا أهليكم بتقوى الله.

وقال قتادة: يأمرهم بطاعة الله، وينهاهم عن معصية الله، وأن يقوم عليهم بأمر الله ويأمرهم به ويساعدهم عليه، فإذا رأيت لله معصية، قَدَعتَهم[١] عنها وزجرتهم عنها.

وهكذا قال الضحاك ومقاتل: حق على المسلم أن يعلم أهله من قرابته وإمائه وعبيده ما فرض الله عليهم وما نهاهم الله[٢] عنه.

وفي معنى هذه الآية الحديثُ الذي رواه الإمام أحمد(٣١)، وأبو داود، والترمذي، من حديث عبد الملك بن الربيع ابن سَبْرَة، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين، فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها».

هذا لفظ أبي داود، قال الترمذي: هذا حديث حسن.

وروى أبو داود(٣٢)، من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك.

قال الفقهاء: وهكذا في الصوم؛ ليكون ذلك تمرينًا له على العبادة، لكي يبلغ وهو مستمر على العبادة والطاعة ومجانبة المعصية وترك المنكر، والله الموفق.

وقوله: ﴿وقودها الناس والحجارة﴾، وقودها: أي حطبها الذي يلقى فيها جُثث بني آدم، ﴿والحجارة﴾ قيل: المراد بذلك الأصنام التي كانت تعبد لقوله: **﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حَصَبُ جهنم﴾**.

وقال ابن مسعود، ومجاهد، وأبو جعفر الباقر، والسدي: هي حجارة من كبريت. زاد مجاهد: أنتن من الجيفة، [وروى ذلك ابن أبي حاتم رحمه الله، ثم قال: حدثنا أبي، حدثنا عبدالرحمن بن سنان المنقري][٣] حدثنا عبد العزيز - يعني: ابن أبي رَوَّاد - قال: بلغني أن

---

(٣١) المسند (٣/٤٠٤) (١٥٣٧٧). وأبو داود في كتاب: الصلاة، باب: متى يؤمر الغلام بالصلاة، حديث (٤٩٤) (١/١٣٣). والترمذي في كتاب: الصلاة، باب: ما جاء متى يؤمر الصبي بالصلاة، حديث (٤٠٧) (٢/٧٤). قال الترمذي: حديث حسن صحيح. وتبعه الألباني في هذا الحكم في صحيح سنن أبي داود (٤٦٥).

(٣٢) سنن أبي داود، الموضع السابق برقم (٤٩٥).

---

[١] - في الطبراني (٢٨/ ١٦٦): ردعتهم. وأصل القدع الكف والمنع، كما في النهاية (٤/ ٢٤).

[٢] - سقط من خ.

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من ز، خ.

رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم تلا هذه الآية : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارًا وقودها الناس والحجارة** ﴾ ، وعنده بعض أصحابه ، وفيهم شيخ ، فقال الشيخ : يارسول اللّٰه ، حجارة جهنم كحجارة الدنيا ؟ فقال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « والذي نفسي بيده ، لَصَخرة من صخر جهنم أعظمُ من جبال الدنيا كلها » . قال : فوقع الشيخُ مغشيًّا عليه ، فوضع النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يده علىٰ فؤاده [فإذا هُوَ حَيّ] [١] فناداه ، قال[٢] : « ياشيخ ، قل : لا إله إلا اللّٰه » . فقالها ، فبشره بالجنة ، قال : فقال أصحابه : يارسول اللّٰه، أمن بيننا ؟ قال « نعم ، يقول اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد** ﴾ » . هذا حديث مرسل غريب .

وقوله : ﴿ **عليها ملائكة غلاظ شداد** ﴾، أي : طباعهم غليظة ، قد نُزعت من قلوبهم الرحمة بالكافرين باللّٰه ، ﴿ **شداد** ﴾ أي تركيبهم في غاية الشدة والكثافة والمنظر المزعج .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا سلمة بن شبيب ، حدثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان ، حدثنا أبي ، عن عكرمة أنه قال : إذا وصل أول أهل النار إلىٰ النار ، وَجَدوا[٣] علىٰ الباب أربعمائة ألف من خَزَنة جهنم ، سود وجوههم ، كالحة أنيابهم قد نزع اللّٰه من قلوبهم الرحمة ليس في قلب واحد منهم مثقال ذَرّة من الرحمة ، لو طُيّر الطير من منكب أحدهم لطار شهرين قبل أن يبلغ منكبه الآخر، ثم يجدون علىٰ الباب التسعة عشر ، عرض صدر أحدهم سبعون خريفًا ، ثم يهوون من باب إلىٰ باب خمسمائة سنة ، ثم يجدون علىٰ كل باب منها مثل ما وجدوا علىٰ الباب الأول ، حتىٰ ينتهوا إلىٰ آخرها .

وقوله : ﴿ **لايعصون اللّٰه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون** ﴾ ، أي : مهما أمرهم به تعالىٰ يبادروا إليه ، لا يتأخرون عنه طرفة عين ، وهم قادرون علىٰ فعله[٤] ليس بهم عجز عنه ، وهؤلاء هم الزبانية - عياذًا باللّٰه منهم - . وقوله : ﴿ **يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كُنتم تعملون** ﴾ ، أي : يقال للكفرة يوم القيامة : لا تعتذروا فإنه لا يقبل منكم ، وإنما تجزون اليوم بأعمالكم .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا توبوا إلىٰ اللّٰه توبة نصوحًا** ﴾، أي : توبة صادقة جازمة ، تمحو ما قبلها من السيئات وتلم شعث التائب وتجمعه ، وتكفه عما كان يتعاطاه من الدناءات .

قال ابن جرير(٣٣) : حدثنا ابن مثنىٰ ، حدثنا محمد، حدثنا شعبة، عن سمَاك بن حَرب ،

(٣٣) تفسير الطبري (١٦٧/٢٨) .

[١] - في ز : « فإذاه » .

[٢] - في ز : فقال .

[٣] - في ز : ووجدوا .

[٤] - في خ : ذلك .

سمعت النعمان بن بشير يخطب : سمعت عمر بن الخطاب رضي اللّٰه عنه يقول : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا توبوا إلىٰ اللّٰه توبة نصوحًا** ﴾ ، قال : يذنب الذنب ثم لا يرجع فيه .

وقال الثوري : عن سماك ، عن النعمان ، عن عمر قال : التوبة النصوح : أن يتوب من الذنب ثم لا يعود فيه ، أو لا يريد أن يعود فيه .

وقال أبو الأحوص وغيره : عن سماك ، عن النعمان : سُئِل عمر عن التوبة النصوح ، فقال : أن يتوب الرجل من العمل السّيء ، ثم لا يعود إليه أبدًا .

وقال الأعمش : عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد اللّٰه : ﴿ **توبة نصوحًا** ﴾ ، قال : يتوب ثم لا يعود ، وقد روي هذا مرفوعًا ، فقال الإمام أحمد(٣٤) : حدثنا عليّ ابن عاصم ، عن إبراهيم الهَجَري ، عن أبي الأحوص ، عن عبد اللّٰه بن مسعود قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « التوبة من الذنب أن يتوب منه ، ثم لا يعود فيه » تفرد به أحمد من طريق إبراهيم بن مسلم الهَجَري ، وهو ضعيف ، والموقوف أصح ، واللّٰه أعلم .

ولهذا قال العلماء[١] : التوبة النصوح : هو أن يُقلعَ عن الذنب في الحاضر ، ويندم علىٰ ما سلف منه في الماضي ، ويعزم علىٰ أن لا يفعل في المستقبل ، ثم إن كان الحق لآدمي ردّه إليه بطريقه .

قال الإمام أحمد(٣٥) : حدثنا سفيان ، عن عبد الكريم ، أخبرني زياد بن أبي مريم ، عن عبد اللّٰه ابن مَعقل قال : دخلت مع أبي علىٰ عبد اللّٰه بن مسعود فقال : أنت سمعت [ ][٢] النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « الندم توبة ؟ » قال : نعم . وقال مَرّة : نعم سمعته يقول : «الندم توبة » .

ورواه ابن ماجة ، عن هشام بن عَمار ، عن سفيان بن عُيينة ، عن عبد الكريم -وهو ابن مالك الجزَريّ - به .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثني الوليد بن بكير - أبو خباب[٣] عن عبد اللّٰه بن محمد العَدَوي[٤] ، عن أبي سنان البصري ، عن أبي قلابة ، عن زرّ بن حُبَيش ، عن أبيّ بن كعب قال : قيل لنا أشياء تكون في آخر[٥] هذه الأمة عند اقتراب الساعة ، منها :

(٣٤) المسند (٤٤٦/١) . قال الهيثمي في « المجمع » (٢٠٣/١٠) : رواه أحمد وإسناده ضعيف .

(٣٥) المسند (٣٧٦/١) . وابن ماجة في كتاب : الزهد ، باب : ذكر التوبة ، حديث (٤٢٥٢) (١٤٢٠/٢) . قال البوصيري في « الزوائد » : (٣٠٨/٣) : هذا إسناد صحيح ، رجاله ثقات .

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : من .

[٣] - في ز : هباب .بلا نقط .

[٤] - في ز ، خ : العبدي .

[٥] - سقط من خ .

نكاح الرجل امرأته أو أمته في دبرها ، وذلك مما حرم اللَّه ورسوله ، ويمقت اللَّه عليه ورسوله . ومنها نكاح الرجل الرجل ، وذلك مما حرم اللَّه ورسوله ، ويمقت اللَّه عليه ورسوله . ومنها نكاح المرأة المرأة ، وذلك مما حرم اللَّه ورسوله ، ويمقت اللَّه عليه ورسوله . وليس لهؤلاء صلاة ما أقاموا علىٰ هذا ، حتىٰ يتوبوا إلىٰ اللَّه توبة نصوحًا . قال زر : فقلت لأبيّ بن كعب : فما التوبة النصوح ؟ فقال : سألت عن ذلك رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال : « هو الندم علىٰ الذنب حينَ يَفرُط منك ، فتستغفرُ اللَّه بندامتك منه[١] عند الحاضر ، ثم لا تعود إليه أبدًا » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عمرو بن عليّ ، حدثنا عباد بن عمرو[٢] ، حدثنا أبو عمرو بن العلاء ، سمعت الحسن يقول التوبة النصوح : أن تُبْغِض الذنب كما أحببته ، وتستغفر منه إذا ذكرته .

فأما إذا جَزَم بالتوبة وصمم عليها فإنها تَجُبّ ما قبلها من الخطيئات ، كما ثبت في الصحيح(٣٦) : « الإِسلام يَجُب ما قبله، والتوبة تجبّ ما قبلها » .

وهل من شرط التوبة النصوح الاستمرارُ علىٰ ذلك إلىٰ الممات ، كما تقدم في الحديث وفي الأثر : « لايعود فيه أبدًا » ، أو يكفي العزم علىٰ أن لا يعود في تكفير الماضي ، بحيث لو وقع منه ذلك الذنب بعد ذلك لا يكون ذلك ضارًّا في تكفير ما تقدم ، لعموم قوله عليه السلام : « التوبة تجب ماقبلها » ؟ وللأول أن يحتج بما ثبت في الصحيح(٣٧) أيضًا : « من أحسنَ في الإِسلام لم يُؤاخَذ بما عمل في الجاهلية، ومن أساء في الإِسلام أخذ بالأول والآخر » فإذا كان هذا في الإسلام الذي هو أقوى من التوبة ، فالتوبة بطريق الأولى ، واللَّه أعلم.

وقوله : ﴿ عسىٰ ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها

(٣٦) صحيح مسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج ، حديث (١٩٢ - ١٢١) (١٧٩/٢ - ١٨١) من حديث عمرو بن العاص بلفظ : « أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله ؟ وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله ؟ » .

(٣٧) صحيح مسلم في كتاب : الإيمان ، باب : هل يؤاخذ بأعمال الجاهلية ، حديث (١٢٠) (١٧٨/٢) .
قال الإمام النووي : وأما معنى الحديث فالصحيح فيه ما قاله جماعة من المحققين : أن المراد بالإحسان في الإسلام هنا : الدخول في الإسلام بالظاهر والباطن جميعًا ، وأن يكون مسلمًا حقيقيًّا ، فهذا يغفر له ما سلف في الكفر بنص القرآن العزيز والحديث الصحيح : الإسلام يهد ما قبله ، وبإجماع المسلمين والمراد بالاساءة عدم الدخول في الإسلام بقلبه ؛ بل يكون منقادًا في الظاهر مظهرًا للشهادتين غير معتقد الإسلام بقلبه فهذا منافق باق على كفره بإجماع المسلمين ؛ فيؤاخذ بما عمل في الجاهلية قبل إظهار صورة الإسلام ، وبما عمل بعد إظهارها ؛ لأنه مستمر على كفره ، وهذا معروف في استعمال الشرع ، يقولون : حسن إسلام فلان إذا دخل فيه حقيقة بإخلاص ، وساء إسلامه أو لم يحسن إسلامه إذا لم يكن كذلك . والله أعلم . اهـ .

[١] - سقط من خ . [٢] - في ز : عمر .

الأنهار ﴾ ، « وعسىٰ » من اللَّه موجبة ، ﴿ **يوم لا يخزي اللَّه النبي والذين آمنوا معه** ﴾ ، أي : ولا يخزيهم معه يعني يوم القيامة ، ﴿ **نورهم يسعىٰ بين أيديهم وبأيمانهم** ﴾ كما تقدم في سورة الحديد ﴿ **يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك علىٰ كل شيء قدير** ﴾ : قال مجاهد ، والضحاك ، والحسن البصري ، وغيرهم : [هذا يقوله][١] المؤمنون حين يَرَون يوم القيامة نورَ المنافقين قد طفيء .

وقال محمد بن نصر المروزي : حدثنا محمد بن مقاتل المروزي ، حدثنا ابن المبارك ، أخبرنا ابن لهيعة ، حدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، أنه سمع أبا ذر وأبا الدرداء قالا : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « أنا أول من يؤذن له في السجود يوم القيامة ، وأول من يؤذن له برفع رأسه ، فأنظرُ بين يَدَيّ فأعرف أمتي من بين الأمم ، وأنظر عن يميني فأعرف أمتي من بين الأمم ، وأنظر عن شمالي فأعرف أمتي من بين الأمم » ، فقال رجل : يا رسول اللَّه ؛ وكيف تعرف أمتك من بين الأمم ؟ قال : « غر محجلون من آثار الطهور ، ولا يكون أحد من الأمم كذلك غيرهم ، وأعرفهم أنهم يؤتَون كتبهم بأيمانهم ، وأعرفهم بسيماهم في وجوههم من أثر السجود ، وأعرفهم بنورهم يسعىٰ بين أيديهم »(٣٨) .

وقال الإمام أحمد(٣٩) : حدثنا إبراهيم بن إسحاق الطالقاني ، حدثنا ابن المبارك ، عن يحيىٰ بن حسان ، عن رجل من بني كنانة قال : صليت خلف النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم عام الفتح ، فسمعته يقول : « اللّهم لا تخزني يوم القيامة »

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾

يقول تعالىٰ آمرًا رسوله صلىٰ اللَّه عليه وسلم بجهاد الكفار والمنافقين ، هؤلاء بالسلاح

---

(٣٨) مسند أحمد (١٩٩/٥) (٢١٨٢٨) من طريق ابن لهيعة بهذا الإسناد من حديث أبي الدرداء رضي اللَّه عنه . قال المنذري في « الترغيب والترهيب » (٢٩٠) : رواه أحمد وفي إسناده ابن لهيعة ، وهو حديث حسن في المتابعات .

(٣٩) المسند (٢٣٤/٤) (١٨١١١) قال الهيثمي في « المجمع » (١١٢/١٠) : رواه أحمد ورجاله ثقات .

---

[١] - ما بين المعكوفتين بياض في ز .

والقتال ، وهؤلاء بإقامة الحدود عليهم ، ﴿ **واغلظ عليهم** ﴾ ، أي : في الدنيا ، ﴿ **ومأواهم جهنم وبئس المصير** ﴾ ، أي : في الآخرة .

ثم قال : ﴿ **ضرب الله مثلًا للذين كفروا** ﴾ ، أي : في مخالطتهم المسلمين ومعاشرتهم لهم ، أن ذلك لا يجدي عنهم شيئًا ولا ينفعهم عند اللّٰه ، إن لم يكن الإيمان حاصلًا في قلوبهم ، ثم ذكر المثل فقال : ﴿ **امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين** ﴾ ، أي : نبيين رسولين عندهما في صحبتهما ليلًا ونهارًا ، يؤاكلانهما ويضاجعانهما ويعاشرانهما أشد العشرة والاختلاط ، ﴿ **فخانتاهما** ﴾ أي : في الإيمان ، لم يوافقاهما على الإيمان ، ولا صدقاهما في الرسالة ، فلم يُجْد ذلك كلّه شيئًا ، ولا دفع عنهما محذورًا ؛ ولهذا قال : ﴿ **فلم يغنيا عنهما من الله شيئًا** ﴾ أي لكفرهما[١] ، ﴿ **وقيل** ﴾ أي : للمرأتين ﴿ **ادخلا النار مع الداخلين** ﴾ .

وليس المراد ﴿ **فخانتاهما** ﴾ في فاحشة ، بل في الدين ، فإن نساء الأنبياء معصوماتٌ عن الوقوع في الفاحشة ، لحرمة الأنبياء ، كما قدمنا في سورة النور .

قال سفيان الثوري(٤٠) عن موسى بن أبي عائشة ، عن سليمان بن قتة : سمعتُ ابن عباس يقولُ في هذه الآية : ﴿ **فخانتاهما** ﴾ قال : ما زنتا ، أما امرأة نوح فكانت تخبر أنه مجنون ، وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل قومها على أضيافه .

وقال العَوفي(٤١) : عن ابن عباس قال : كانت خيانتهما أنهما كانتا على عَورتيهما ، فكانت امرأة نُوح تَطّلع على سر نوح ، فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به ، وأما امرأة لوط فكانت إذا أضاف لوط أحدًا أخبرت به أهل المدينة ممن يعمل السوء .

وهكذا قال عكرمة ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، وغيرهم .

وقد استدل بهذه الآية الكريمة بعضُ العلماء على ضعف الحديث الذي يأثره كثير من الناس : « من أكل مع مغفور له غفر له »(٤٢) . وهذا الحديث لا أصل له ، وإنما[٢] يروى هذا عن بعض الصالحين أنه رأي النبي صلى اللّٰه عليه وسلم في المنام فقال : يارسول اللّٰه ؛ أنت قلت : من أكل مع مغفور له [غفر له][٣] ؟ قال : لا ، ولكني الآن أقوله .

(٤٠) تفسير الطبري (١٦٩/٢٨ - ١٧٠) .

(٤١) تفسير الطبري (١٧٠/٢٨) .

(٤٢) موضوع ، انظر الأسرار المرفوعة (٣٣١، ٤٩٦) والمقاصد الحسنة للسخاوى . وقال الألباني في الضعيفة (٣١٥) : كذب لا أصل له . ونقل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية أنه قال : هذا ليس له إسناد عند =

[١] - في ز : بكفرهما . [٢] - في خ : ولا .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من ز ، خ .

وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾

وهذا مَثَلٌ ضربه اللَّه للمؤمنين أنهم لا تضرهم مخالطة الكافرين إذا كانوا محتاجين إليهم ، كما قال تعالىٰ : **﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من اللَّه في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ﴾** .

قال قتادة : كان فرعون أعتىٰ أهل الأرض وأكفره[١] .

فواللَّه ما ضر امرأته كُفر زوجها حين[٢] أطاعت ربها لتعلموا أن اللَّه حَكَمٌ عدل ، لا يؤاخذ أحدًا إلا بذنبه .

وقال ابن جرير(٤٣) : حدثنا إسماعيل بن حفص الأُبُلّيّ ، حدثنا محمد بن جعفر ، عن سليمان التيمي ، عن أبي عثمان النهدي ، عن سلمان قال : كانت امرأة فرعون تُعَذَّب في الشمس ، فإذا انصرف عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها ، وكانت ترىٰ بيتها في الجنة .

ثم رواه(٤٤) عن [محمد بن عبيد][٣] المحاربي ، عن أسباط بن محمد ، عن سليمان التيمي به .

ثم قال ابن جرير(٤٥) : حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن عُلَيّة ، عن هشام الدّستوائي ، حدثنا القاسم بن أبي بزة قال : كانت امرأة فرعون تسأل : من غلب ؟ فيقال : غلب موسىٰ وهارون . فتقول : آمنت برب موسىٰ وهارون ، فأرسل إليها فرعون فقال : انظروا أعظم صخرة

= أهل العلم ، ولا هو في شيء من كتب المسلمين ، إنما يروونه عن سنان وليس معناه صحيحًا على الإطلاق ؛ فقد يأكل مع المسلمين الكفار والمنافقون . اهـ .

(٤٣) تفسير الطبري (١٧١/٢٨) .

(٤٤) تفسير الطبري في الموضع السابق .

(٤٥) تفسير الطبري ، الموضع السابق .

---

[١] - في ش ، خ : وأبعده . [٢] - في ز ، خ : حتى .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « عبيد بن محمد » .

تجدونها ، فإن مضت على قولها فألقوها عليها ، وإن رجعت عن قولها فهي امرأته فلما أتوها رفعت [١] بصرها إلىٰ السماء فأبصرت بيتها[٢] في الجنة ، فمضت علىٰ قولها ، وانتزع اللّٰه[٣] روحها وألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح .

فقولها : ﴿ **رب ابن لي عندك بيتًا في الجنة** ﴾ قال العلماء : اختارت الجار قبل الدار . وقد ورد شيء من ذلك[٤] في حديث مرفوع : ﴿ **ونجني من فرعون وعمله** ﴾ ، أي : خلصني منه ، فإني أبرأ [إليك][٥] من عمله ، ﴿ **ونجني من القوم الظالمين** ﴾ . وهذه المرأة هي آسية بنت مزاحم رضي اللّٰه عنها .

وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية قال : كان إيمانُ امرأة فرعونَ من قبل إيمان امرأة خازن فرعون : وذلك أنها جلست تمشط ابنة فرعون ، فوقع المشط من يدها ، فقالت : تعس من كفر باللّٰه . فقالت لها ابنة فرعون : ولك رب غير أبي ؟ قالت : [نعم][٦] ربي ورب أبيك ورب كلِّ شيء اللّٰه . فلطمتها بنتُ فرعونَ وضربتها ، وأخبرت أباها ، فأرسل إليها فرعون فقال : تعبدين ربًا غيري ؟ قالت : نعم ، ربي وربك ورب كل شيء اللّٰه ، وإياه أعبد . فعذبها فرعون وأوتد لها أوتادًا ، فشد رجليها ويديها وأرسل عليها الحيات ، وكانت كذلك ، فأتىٰ عليها يومًا فقال لها : ما أنت منتهية ؟ فقالت له : ربي وربك وربُ كل شيء اللّٰه . فقال لها : إني ذابح ابنك في فيك إن لم تفعلي . فقالت له : اقض ما أنت قاض . فذبح ابنها في فيها ، وإن روح ابنها بشرها فقال لها : أبشري يا أمه ، فإن لك عند اللّٰه من الثواب كذا وكذا ، فصبرت .

ثم أتىٰ [عليها] [٧] فرعون يومًا آخر فقال لها مثل ذلك ، فقالت له مثل ذلك ، فذبح ابنها الآخر[٨] في فيها ، فبشرها روحه أيضًا ، وقال لها : اصبري يا أمه ، فإن لك عند اللّٰه من الثواب كذا وكذا . قال : وسمعت امرأة فرعون كلام روح[٩] ابنها الأكبر ثم الأصغر فآمنت امرأةُ فرعونَ ، وقبض اللّٰه روح امرأة خازن فرعون ، وكشف الغطاء عن ثوبها ومنزلتها وكرامتها في الجنة لامرأة فرعون حتىٰ رأت فازدادت إيمانًا ويقينًا وتصديقًا ، فاطّلع فرعونُ علىٰ إيمانها ، فقال للملإ : ما تعلمون من آسية بنت مزاحم ؟ فأثنوا عليها ، فقال لهم : إنها تعبد غيري . فقالوا له : اقتلها . فأوتد لها أوتادًا ، فشد يديها ورجليها ، فدعت آسية ربها فقالت : ﴿ **رب ابن لي عندك بيتًا في الجنة** ﴾ فوافق ذلك أن حضرها فرعون ، فضحكت حين رأت بيتها في الجنة فقال فرعون : ألا تعجبون من جنونها ، إنا نعذبها وهي تضحك ، فقبض اللّٰه روحها -

[١] - في ز : وقع .

[٢] - في ز ، خ : بيتًا .

[٣] - سقط من ز ، خ .

[٤] - في ز : هذا .

[٥] - سقط من ت .

[٦] - سقط من ت .

[٧] - سقط من ت .

[٨] - سقط من ز .

[٩] - سقط من خ .

رضي اللَّه عنها . وقوله ﴿ **ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها** ﴾ ، أي [حفظته و][١] صانته .

[و][٢] الإحصان : هو العفاف والحرية ، ﴿ **فنفخنا فيه من روحنا** ﴾ ، أي : بواسطة الملك ، وهو جبريل ، فإن اللَّه بعثه إليها[٣] فتمثل لها في صورة بشر سَويّ ، وأمره اللَّه تعالىٰ أن ينفخ بفيه في جيب[٤] درعها ، فنزلت النفخة فولجت في فرجها ، فكان منه الحمل بعيسىٰ عليه السلام ؛ ولهذا قال : ﴿ **فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه** ﴾ ، أي : بقدره وشرعه ، ﴿ **وكانت من القانتين** ﴾ . قال الإمام أحمد(٤٦) : حدثنا يونس ، حدثنا داود بن أبي الفرات ، عن علباء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : خط رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم في الأرض أربعة خطوط ، وقال : « أتدرون ما هذا ؟ » قالوا : اللَّه ورسوله أعلم . فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « أفضل نساء أهل الجنة : خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، ومريم ابنة عمران ، وآسية ابنة مزاحم امرأة فرعون » .

وثبت في الصحيحين(٤٧) من حديث شعبة ، عن عمرو بن مُرّة ، عن مُرّة الهَمْداني ، عن أبي موسىٰ الأشعري ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم - أنه قال : « كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وإن فضل عائشة علىٰ النساء كفضل الثريد علىٰ سائر الطعام » .

وقد ذكرنا طرق هذه الأحاديث وألفاظها، والكلام عليها في قصة عيسىٰ ابن مريم عليهما السلام في كتابنا « البداية والنهاية » ، وللَّه الحمد والمنة ، وذكرنا ما ورد من الحديث من أنها تكون هي وآسية بنت مزاحم من أزواجه - عليه السلام - في الجنة عند قوله : ﴿ **ثيبات وأبكارًا** ﴾ .

آخر تفسير سورة التحريم ، ولله الحمد [والمنة][٥] .

☆ ☆ ☆

(٤٦) المسند (٢٩٣/١) (٢٦٦٨) قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٢٢٦/٩) : رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجالهم رجال الصحيح . اهـ .

(٤٧) صحيح البخاري ، كتاب : أحاديث الأنبياء ، باب : ﴿ **وضرب اللَّه مثلًا للذين آمنوا امرأة فرعون** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وكانت من القانتين** ﴾ ، حديث (٣٤١١) (٤٤٦/٦) . وأطرافه في [٣٤٣٣، ٣٧٦٩، ٥٤١٨] . ومسلم في كتاب : فضائل الصحابة ، باب : فضائل خديجة أم المؤمنين - رضي اللَّه تعالى عنها - حديث (٢٤٣١/٧٠) (٢٨٥/١٥) .

[١] - سقط من خ .
[٢] - سقط من ت .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - في ز : جنب .
[٥] - سقط من ز .

تفسير سورة الملك

وهي مكية

قال أحمد(١) : حدثنا حجاج بن محمد وابن جعفر؛ قالا : حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن عباس الجُشَمي[١] ، عن أبي هُرَيرة ، عن رَسُول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم؛ قال : « **إن سورة في القرآن ثلاثين آية شَفَعت لصاحبها حتىٰ غُفر له : تبارك الذي بيده الملك** » . ورواه أهل السنن الأربعة من حديث شعبة به . وقال الترمذي : هذا حديث حسن .

وقد روىٰ الطبراني(٢) والحافظ الضياء المقدسي ، من طريق سَلام بن مسكين ، عن ثابت ، عن أنس؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **سورة في القرآن خَاصَمت عن صاحبها حتىٰ أدخلته الجنة : تبارك الذي بيده الملك** » .

وقال الترمذي(٣) : حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ، حدثنا يحيىٰ بن عمرو بن مالك النُكري[٢] ، عن أبيه ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس؛ قال : ضرب بعض أصحاب النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم خباءه علىٰ قبر ، وهو لا يحسب أنه قبر [فإذا قبر][٣] إنسان يقرأ سورة الملك حتىٰ ختمها ، فأتىٰ النبيَّ صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال : يا رسول اللَّه ؛ ضربت خبائي

(١) المسند (٨٢٥٩ - ط شاكر) ، وأبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : في عد الآي ، حديث (١٤٠٠) ، والترمذي في كتاب : ثواب القرآن ، باب : ما جاء في فضل سورة الملك ، حديث (٢٨٩٣) ، والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : سورة الملك ، حديث (١١٦١٢) (٦/ ٤٩٦) ، وفي كتاب : عمل اليوم والليلة ، باب : الفضل في قراءة ﴿ **تبارك الذي بيده الملك** ﴾ ، حديث (١٠٥٤٦) (١٧٨/٦) . وابن ماجة في كتاب : الأدب ، باب : ثواب القرآن ، حديث (٣٧٨٦) (٢/ ١٢٤٤) . ورواه الحاكم وصححه (٤٩٧/٢ - ٤٩٨) ، وعزاه السيوطي في الدر لابن الضريس وابن مردويه . وصححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند ، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود .

(٢) المعجم الأوسط (٧٦/٤) (٣٦٥٤) ، والصغير (١٧٦/١) ، والضياء في المختارة حديث (١٧٣٨ ، ١٧٣٩) ، وعزاه السيوطي لا بن مردويه . وقال الهيثمي في « المجمع » (١٣٠/٧) : رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورجاله رجال الصحيح .

(٣) **ضعيف** ، يحيى بن مالك النكري : ضعيف ، والحديث أخرجه الترمذي في كتاب : ثواب القرآن ، باب : ما جاء في فضل سورة الملك ، حديث (٢٨٩٢) (١٠٣/٨) قال الترمذي : حسن غريب . وقال السيوطي : رواه الحاكم ، وابن مردويه ، وابن نصر ، والبيهقي في الدلائل (٤١/٧) . وقال البيهقي : تفرد به يحيى بن عمرو النكري ، وهو ضعيف ؛ إلا أن لمعناه شاهدًا عن ابن مسعود . ثم ذكر حديث ابن مسعود . والحديث ضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (٥٤٦ - ٣٠٦٤) قال : وإنما يصح منه قوله : « هي المانعة » .

[١] - في خ : عياش الحسمي .
[٢] - في ز ، خ : المنكري .
[٣] - زيادة من ز .

علىٰ قبر وأنا لا أحسب أنه قبر ، فإذا إنسان يقرأ سورة الملك : ﴿ **تبارك** ﴾ ، حتىٰ ختمها ، فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **هي المانعة ، هي المنجية ، تنجيه من عذاب القبر** » . ثم قال : هذا حديث غريب من هذا الوجه . وفي الباب عن أبي هريرة .

ثم رویٰ الترمذي[١] أيضًا(٤) من طريق ليث بن أبي سليم ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم كان لا ينام حتىٰ يقرأ : ﴿ **الم * تنزيل** ﴾ ، و﴿ **تبارك الذي بيده الملك** ﴾ . وقال ليث(٥) عن طاوس : يفضلان كل سورة في القرآن بسبعين حسنة .

وقال الطبراني(٦): حدثنا محمد بن الحسن بن علّاف الأصبهاني ، حدثنا سلمة بن شبيب ، حدثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه ، عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « لوددت أنها في قلب كل إنسان من أمتي » . يعني : ﴿ **تبارك الذي بيده الملك** ﴾ .

هذا حديث غريب ، وإبراهيم ضعيف ، وقد تقدم مثله في سورة « يس » .

وقد رویٰ هذا الحديث عبدُ بن حُمَيد في مسنده بأبسط من هذا ، فقال (٧) :

حدثنا إبراهيم بن الحكم ، عن أبيه ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال لرجل : ألا أتحفك بحديث تفرح به ؟ قال : بلىٰ . قال : اقرأ : ﴿ **تبارك الذي بيده الملك** ﴾ ، وعلمها أهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك ، فإنها المنجية والمجادلة ، تجادل - أو تخاصم - يوم القيامة عند ربها لقارئها ، وتطلب له [أن ينجيه][٢] من عذاب النار ، وينجىٰ بها صاحبها من عذاب القبر ، قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « لَوددتُ أنها في قلب كل إنسان من أمتي » .

---

(٤) سنن الترمذي ، الموضع السابق (٢٨٩٤) (١٠٤/٨) . قال الترمذي : هذا حديث رواه غير واحد عن ليث بن أبي سليم مثل هذا . ورواه مغيرة بن مسلم عن أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ نحو هذا . وروى زهير قال : قلت لأبي الزبير سمعت من جابر فذكر هذا الحديث ، فقال أبو الزبير : إنما أخبرنيه صفوان أو ابن صفوان ، وكأن زهيرًا أنكر أن يكون هذا الحديث عن أبي الزبير عن جابر . اهـ .

(٥) سنن الترمذي في الموضع السابق وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (٥٤٧ - ٣٠٦٨) وقال بأنه مقطوع .

(٦) المعجم الكبير (٢٤١/١١ - ٢٤٢) (١١٦١٦) وذكره الهيثمي في «المجمع» (١٣٠/٧) وأعله بإبراهيم ابن الحكم بن أبان أيضًا .

(٧) أخرجه عبد بن حميد (ص ٢٠٦) (٦٠٣) .

---

[١] - في خ : الفهري .

[٢] - بياض في ز ، خ .

وقد روىٰ الحافظ ابن عساكر(٨) في تاريخه ، في ترجمة أحمد بن نصر بن زياد ، أبي عبد الله القرشي النيسابوري ، المقرئ الزاهد الفقيه ، أحد الثقات الذين روىٰ عنهم البخاري ومسلم ، لكن في غير الصحيحين ، وروىٰ عنه الترمذي وابن ماجة وابن خزيمة ، وعليه تفقه في مذهب أبي عُبَيد بن حَرْبَوَيه ، وخلق سواهم ، ساق بسنده من حديثه عن فرات بن السائب ، عن الزهري ، عن أنس بن مالك؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « إن رجلًا ممن كان قبلكم مات وليس معه شيء من كتاب الله إلا « تبارك » ، فلما وضع في حفرته أتاه المَلَك فثارت السورة في وجهه ، فقال لها : إنك من كتاب الله ، وأنا أكره مساءتك ، وإني لا أملك [لك ولا][١] له ولا لنفسي ضرًا ولا نفعًا ، فإن أردت هذا به فانطلقي إلىٰ الرب تبارك وتعالىٰ فاشفعي له . فتنطلق إلىٰ الرب فتقول : يا رب ، إن فلانًا عَمَد إليَّ من بين كتابك فتعلَّمني وتلاني ، أفتحرقه أنت بالنار وتعذبه وأنا في جوفه ؟ فإن كنت فاعلًا ذاك به فامحني من كتابك . فيقول : ألا أراك غضبت ؟ فتقول : وحُقّ لي أن أغضب . فيقول : اذهبي فقد وهبته لك ، وشَفَّعتك فيه » . قال : « فتجيء فيخرج[٢] الملك ، فيخرج كاسف البال ، لم يحل منه بشيء » . قال : « فتجيء فتضع فاها علىٰ فيه ، فتقول : مرحبًا بهذا الفم ، فربما تلاني ، ومرحبًا بهذا الصدر ، فربما وعاني ، ومرحبًا بهاتين القدمين ، فربما قامتا بي؛ وتؤنسه في قبره مخافة الوحشة عليه » . قال : فلما حَدّث بهذا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لم يبق صغير ولا كبير ولا حُرّ ولا عَبد إلا تعلمها ، وسماها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم المنجية .

قلت : وهذا حديث منكر جدًا ، وفرات بن السائب هذا ضعفه الإمام أحمد ، ويحيىٰ بن معين ، والبخاري ، وأبو حاتم ، والدارقطني وغير واحد . وقد ذكره ابن عساكر من وجه آخر ، عن الزهري ، من قوله مختصرًا . وروىٰ البيهقي في كتاب « إثبات عذاب القبر » عن ابن مسعود موقوفًا ومرفوعًا ما يشهد لهذا ، وقد كتبناه في كتاب الجنائز[٣] من الأحكام الكبرىٰ ، ولله الحمد والمنة .

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ
لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا
مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ
ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ

(٨) أخرجه ابن عساكر في « تاريخه » (٢/٢٥٦ - مخطوط) .

[١] - سقط من ز ، خ . [٢] - بياض في ز .
[٣] - في ز : المنابر .

﴿ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ٥ وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٦﴾

يمجد تعالىٰ نفسه الكريمة ، ويخبر أنه بيده الملك[١] ، أي : هو المتصرف في جميع المخلوقات بما يشاء لا معقب لحكمه ، ولا يسأل عما يفعل لقهره وحكمته وعدله ؛ ولهذا قال : ﴿ وهو علىٰ كل شيء قدير ﴾ .

ثم قال : ﴿ الذي خلق الموت والحياة ﴾ ، [واستدل بهذه الآية][٢] من قال : إن الموت أمر وجودي لأنه مخلوق . ومعنىٰ الآية أنه أوجد الخلائق من العدم ، ليبلوهم ويختبرهم أيهم أحسن عملًا ؟ كما قال : ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم ﴾ ، فسمىٰ الحال الأول - وهو العدم - موتًا[٣] ، وسمىٰ هذه النشأة حياة . ولهذا قال : ﴿ ثم يميتكم ثم يحييكم ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا[٤] صفوان ، حدثنا الوليد ، حدثنا خُلَيد ، عن قتادة في قوله : ﴿ الذي خلق الموت والحياة ﴾ ، قال : كان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « إن اللّٰه أذل بني آدم بالموت ، وجعل الدنيا دار حياة ، ثم دار موت ، وجعل الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء » .

ورواه معمر عن قتادة [ ][٥] .

وقوله : ﴿ ليبلوكم أيكم أحسن عملًا ﴾ أي : خير عملًا ، كما قال محمد بن عجلان : ولم يقل أكثر عملًا .

ثم قال : ﴿ وهو العزيز الغفور ﴾ ، أي : هو[٦] العزيز العظيم المنيع الجناب ، وهو مع ذلك غفور لمن تاب إليه وأناب ، بعدما عصاه وخالف أمره ، وإن كان تعالىٰ عزيزًا هو [مع ذلك][٧] يغفر ويرحم ويصفح ويتجاوز .

ثم قال تعالى : ﴿ الذي خلق سبع سموات طباقًا ﴾ ، أي : طبقة بعد طبقة ، وهل هن متواصلات بمعنىٰ أنهن علويات بعضهن علىٰ بعض ، أو متفاصلات بينهن خلاء ؟ فيه قولان : أصحهما الثاني ، كما دل علىٰ ذلك حديث الإسراء وغيره .

---

[١] - سقط من خ .
[٢] - في ز : « استدل هذا الأمر » .
[٣] - سقط من خ .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - في ز : قوله .
[٦] - سقط من خ .
[٧] - سقط من خ .

وقوله : ﴿ **ما ترىٰ في خلق الرحمن من تفاوت** ﴾ ، أي : بل هو مصطحب مستو ، ليس فيه اختلاف ولا تنافر ولا مخالفة ، ولا نقص ولا عيب ولا خلل ، ولهذا قال : ﴿ **فارجع البصر هل ترىٰ من فطور** ﴾ ، أي : انظر إلىٰ السماء فتأملها ، هل ترىٰ فيها عيبًا أو نقصًا أو خللًا أو فطورًا ؟

قال ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، والثوري ، وغيرهم ، في قوله : ﴿ **فارجع البصر هل ترىٰ من فطور** ﴾ ، أي : شقوق وقال السدي : ﴿ **هل ترىٰ من فطور** ﴾ ، أي : من خرُوق . وقال ابن عباس في رواية : ﴿ **من فطور** ﴾ ، أي : من وُهِيّ[١] .

وقال قتادة : ﴿ **هل ترىٰ من فطور** ﴾ أي[٢] : هل ترىٰ خللًا يا بن آدم؟

وقوله : ﴿ **ثم ارجع البصر كرتين** ﴾ ، قال قتادة[٣] : مرتين . ﴿ **ينقلب إليك البصر خاسئًا** ﴾ ، قال ابن عباس : ذليلًا . وقال مجاهد وقتادة : صاغرًا . ﴿ **وهو حسير** ﴾ ، قال ابن عباس : يعني وهو كليل . وقال مجاهد وقتادة والسدي : الحسير : المنقطع[٤] من الإعياء .

ومعنىٰ الآية أنك لو كررت البصر - مهما كررت - لا نقلب إليك[٥] ، أي : لرجع إليك البصر ، ﴿ **خاسئًا** ﴾ أي[٦] : عن أن يرىٰ عيبًا أو خللًا ، ﴿ **وهو حسير** ﴾ أي : كليل ، وقد انقطع من الإعياء من كثرة التكرر ولا يرى نقصًا ، ولما نفىٰ عنها في خلقها النقص بين كمالها وزينتها فقال : ﴿ **ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح** ﴾ ، وهي الكواكب التي وضعت فيها من السيارات والثوابت[٧] .

وقوله : ﴿ **وجعلناها رجومًا للشياطين** ﴾ ، عاد الضمير في قوله ﴿ **وجعلناها** ﴾ علىٰ جنس المصابيح لا علىٰ عينها ، لأنه لا يرمي بالكواكب التي في السماء ، بل بشهب من دونها ، وقد تكون مستمدة منها ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **وأعتدنا لهم عذاب السعير** ﴾ ، أي : جعلنا للشياطين هذا الخزي في الدنيا ، وأعتدنا لهم عذاب السعير في الأخرىٰ ، كما قال في أول الصافات : ﴿ **إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب * وحفظًا من كل شيطان مارد * لا يَسَّمعون إلىٰ الملإ الأعلىٰ ويقذفون من كل جانب * دحورًا ولهم عذاب واصب * إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهابٌ ثاقب** ﴾ .

---

[١] - في ز ، خ : وهاء .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من خ ، ت .
[٤] - في ز : المنقع .
[٥] - سقط من خ .
[٦] - سقط من ت .
[٧] - في خ : والكواكب .

قال قتادة : إنما خلقت هذه النجوم لثلاث خصال : خلقها زينة للسماء ، ورجومًا للشياطين ، وعلامات يهتدىٰ بها . فمن تأول فيها غير ذلك فقد قال برأيه ، وأخطأ حظه ، وأضاع[١] نصيبه ، وتكلف ما لا علم له به . رواه ابن جرير وابن أبي حاتم .

﴿ إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ (٧) تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ (٩) وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ (١٠) فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ (١١) ﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ و ﴾ أعتدنا ﴿ للذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير ﴾ ، أي : بئس المآل والمنقلب . ﴿ إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقًا ﴾ ، قال ابن جرير : يعني الصياح ﴿ وهي تفور ﴾ ، قال الثوري : تغلي بهم كما يغلي الحَبّ القليل في الماء الكثير .

وقوله : ﴿ تكاد تميز من الغيظ ﴾ ، أي : تكاد ينفصل بعضها من بعض ، من شدة غيظها عليهم وحنقها بهم ، ﴿ كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير * قالوا بلىٰ قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير ﴾ : يذكر تعالىٰ عدله في خلقه ، وأنه لا يعذّب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه ، وإرسال الرسول إليه ، كما قال : ﴿ وما كنا مُعَذّبين حتىٰ نبعث رسولاً ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ حتىٰ إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلىٰ ، ولكن حقت كلمة العذاب علىٰ الكافرين ﴾ . وهكذا عادوا علىٰ أنفسهم بالملامة ، وندموا حيث لا تنفعهم الندامة ، فقالوا : ﴿ لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ﴾ ، أي : لو كانت لنا عقول ننتفع بها أو نسمع ما أنزل الله من الحق ، لما كنا علىٰ ما كنا عليه من الكفر بالله والاغترار به ، ولكن لم يكن لنا فهم نعي به ما جاءت به الرسل ، ولا كان لنا عقل يرشدنا إلىٰ اتباعهم ، قال الله تعالىٰ : ﴿ فاعترفوا بذنبهم فسحقًا لأصحاب السعير ﴾ .

قال الإمام أحمد(٩) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البَخْتَرِيّ الطائي ؛ قال : أخبرني من سمعه من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « لن

---

(٩) المسند (٤/٢٦٠) (١٨٣٤٢) . وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٦٥٣ ، ٤٣٤٧) .

---

[١] - سقط من ز ، خ .

يهلك الناسُ حتىٰ يُعذروا من أنفسهم ».

وفي [حديث آخر][١] : « لا يدخل أحد النار إلّا وهو يعلم أن النار أولىٰ به من الجنة ».

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عمن يخاف مقام ربه فيما بينه وبينه إذا كان غائبًا عن الناس، فينكف عن المعاصي ويقوم بالطاعات، حيث لا يراه أحد إلا الله : بأنه له مغفرة وأجر كبير، أي[٢] : يكفر عنه ذنوبه، ويجازىٰ بالثواب الجزيل، كما ثبت في الصحيحين(١٠) : « سبعة يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ». فذكر منهم رجلًا دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال : إني أخاف الله، ورجلًا تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه.

وقال الحافظ أبو بكر البزار(١١) في مسنده : حدثنا طالوت بن عباد، حدثنا الحارث بن عبيد، عن ثابت، عن أنس؛ قال : قالوا : يا رسول الله؛ إنا نكون عندك علىٰ حال، فإذا فارقناك كنا علىٰ غيره ؟ قال : « كيف أنتم وربكم ؟ » قالوا : الله ربنا في السر والعلانية. قال : « ليس ذلكم النفاق ».

لم يروه عن ثابت إلا الحارث بن عبيد فيما نعلمه.

ثم قال تعالىٰ منبهًا علىٰ أنه مطلع علىٰ الضمائر والسرائر : **﴿ وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ﴾**، أي : بما خطر في القلوب، **﴿ ألا يعلم من خلق ﴾**، أي : ألا يعلم الخالق. وقيل : معناه : ألا[٣] يعلم الله مخلوقه ؟ والأول أولىٰ، لقوله، **﴿ وهو اللطيف**

(١٠) أخرجه البخاري في كتاب : الأذان، باب : من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، وفضل المساجد، حديث (٦٦٠) (١٤٣/٢). وأطرافه في [١٤٢٣، ٦٤٧٩، ٦٨٠٦]. ومسلم في كتاب : الزكاة، باب : فضل إخفاء الصدقة، حديث (١٠٣١/٩١) (١٦٩/٧) وما بعدها.

(١١) أخرجه البزار (٦٦/١ - مختصر) (١٠) قال الهيثمي في « المجمع » (٣٩/١) : رواه أبو يعلى [٣٣٦٩ - إلا أنه قال ونبيكم] والبزار ورجال أبي يعلى رجال الصحيح.

[١] - في خ : الحديث الآخر.
[٢] - سقط من ز، خ.
[٣] - سقط من ز، خ.

الخبير ﴾ .

ثم ذكر نعمته علىٰ خلقه في تسخيره لهم الأرض وتذليله إياها لهم ، بأن جعلها قارة ساكنة لا تميد[١] ولا تضطرب ، بما جعل فيها من الجبال ، وأنبع فيها من العيون ، وسلك فيها من السبل ، وهَيأها[٢] فيها من المنافع ومواضع الزروع[٣] والثمار ، فقال : ﴿ **هو الذي جعل لكم الأرض ذلولًا فامشوا في مناكبها** ﴾ ، أي : فسافروا حيث شئتم من أقطارها ، وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات ، واعلموا أن سعيكم لا يجدي عليكم شيئًا ، إلا أن ييسره اللَّه لكم ؛ ولهذا قال : ﴿ **وكلوا من رزقه** ﴾ ، فالسعي في السبب لا ينافي التوكل ، كما قال الإمام أحمد(١٢) :

حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا حيوة ، أخبرني بكر بن عمرو : أنه سمع عبد اللَّه بن هُبَيرة ؛ يقول : إنه سمع أبا تميم[٤] الجَيشَاني ؛ يقول : إنه سمع عمر بن الخطاب يقول : إنه سمع رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « لو أنكم تتوكلون[٥] علىٰ اللَّه حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصًا وتروح بطانًا » .

رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة ، من[٦] حديث ابن هبيرة ، وقال الترمذي : « حسن صحيح » . فأثبت لها رواحًا وغدوًّا لطلب الرزق ، مع توكلها علىٰ اللَّه - عز وجل - وهو المسخر المسير المسبب . ﴿ **وإليه النشور** ﴾ ، أي : المرجع يوم القيامة .

قال ابن عباس ومجاهد ، وقتادة والسدي : ﴿ **مناكبها** ﴾ أطرافها وفجاجها ونواحيها . وقال ابن عباس وقتادة : ﴿ **مناكبها** ﴾ الجبال .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عمرو بن حكام[٧] الأزدي ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن يونس بن جبير ، عن بشير بن كعب : أنه قرأ هذه الآية : ﴿ **فامشوا في مناكبها** ﴾ فقال لأم ولد له : إن علمت ما[٨] ﴿ **مناكبها** ﴾ فأنت عتيقة . فقالت : هي

---

(١٢) المسند (١/٣٠) (٢٠٥) . والترمذي في كتاب : الزهد ، باب : في التوكل على اللَّه ، حديث (٢٣٤٥) (٧/٩٢) . والنسائي في الكبرى في كتاب : الرقائق كما في تحفة الأشراف للمزى (٨/٧٩) (١٠٥٨٦) . وابن ماجة في كتاب : الزهد ، باب : التوكل واليقين ، حديث (٤١٦٤) (٢/١٣٩٤) . وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣١٠) .

---

[١] - في ت : تمتد .
[٢] - في ز : وهيأ .
[٣] - في ز : الزرع .
[٤] - في ز : سهل .
[٥] - في ز : توكلون .
[٦] - في ز ، خ : في .
[٧] - في ز : حجام .
[٨] - سقط من ت .

الجبال . فسأل أبا الدرداء فقال : هي الجبال .

ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾

وهذا أيضًا من لطفه ورحمته بخلقه أنه قادر علىٰ تعذيبهم ، بسبب كفر بعضهم به ، وعبادتهم معه غيره ، وهو مع هذا يحلم ويصفح ، ويؤجل ولايعجل ، كما قال : ﴿ **ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك علىٰ ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلىٰ أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرًا** ﴾ وقال هاهنا : ﴿ **أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور** ﴾ ، أي : تذهب وتجيء وتضطرب ، ﴿ **أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبًا** ﴾ ، أي : [ريحًا فيها حصباء تدمغكم][١] ، كما قال: ﴿ **أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبًا ثم لا تجدوا لكم وكيلًا** ﴾ . وهكذا توعدهم هاهنا بقوله : ﴿ **فستعلمون كيف نذير** ﴾ أي: كيف يكون إنذاري وعاقبة من تخلف عنه ، وكذّب به .

ثم قال : ﴿ **ولقد كذّب الذين من قبلهم** ﴾ أي: من الأمم السالفة ، والقرون الخالية ، ﴿ **فكيف كان نكير** ﴾ أي : فكيف كان إنكاري عليهم ، ومعاقبتي لهم ؟ أي : عظيمًا شديدًا أليمًا .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **أو لم يروا إلىٰ الطير فوقهم صافات ويقبضن** ﴾ أي : تارة يصففن أجنحتهن في الهواء ، وتارة تجمع جناحًا ، وتنشر جناحًا ، ﴿ **ما يمسكهن** ﴾ ، أي : في الجو ﴿ **إلا الرحمن** ﴾ ، أي : بما سخر لهن[٢] من الهواء ، [ ][٣] من رحمته ولطفه ، ﴿ **إنه بكل شيء بصير** ﴾ ، أي : بما يصلح كل شيء من مخلوقاته . وهذه كقوله : ﴿ **ألم يروا إلىٰ الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله . إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون** ﴾ .

أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥۚ بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوّٖ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن

---

[١] - في ت ، خ : « ريحًا حصباء تدمغهم » .

[٢] - في ز : لهم . [٣] - في ز : لهن .

﴿ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٢) قُلْ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٢٣) قُلْ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٢٥) قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٦) فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ (٢٧) ﴾

يقول تعالىٰ للمشركين الذين عبدوا غيره ، يبتغون عندهم نصرًا ورزقًا منْكرًا عليهم فيما اعتقدوه ، ومُخبرًا لهم أنه لايحصل لهم ما أملوه ، فقال : ﴿ **أمّن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن** ﴾ ، أي : ليس لكم من دونه من ولي [ولا واق][1] ، ولا ناصر لكم غيره ؛ ولهذا قال : ﴿ **إن الكافرون إلا في غرور** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه** ﴾ ، أي : من هذا الذي إذا قطع الله رزقه عنكم يرزقكم بعده ؟ ! أي : لا أحد يعطي ويمنع ويخلق ويرزق وينصر إلا الله - عز وجل - وحده لا شريك له ، أي : وهم يعلمون ذلك ، ومع هذا يعبدون غيره ؛ ولهذا قال : ﴿ **بل لجوا** ﴾ أي : استمروا في طغيانهم وإفكهم[2] وضلالهم ، ﴿ **في عتو ونفور** ﴾ ، أي : معاندة واستكبارًا ونفورًا علىٰ أدبارهم عن الحق لا يسمعون له ولا يتبعونه .

ثم قال : ﴿ **أفمن يمشي مكبًا علىٰ وجهه أهدىٰ أمن يمشي سويًّا علىٰ صراط مستقيم** ﴾ ، وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر ، فالكافر مثله فيما هو فيه كمثل من يمشي مُكبًّا علىٰ وجهه ، أي يمشي منحنيًا لامستويًا علىٰ وجهه ، أي : لا يدري أين يسلك ولا كيف يذهب ، بل تائه حائر ضال ، أهذا أهدىٰ ﴿ **أمن يمشي سويًّا** ﴾ ، أي : منتصب القامة ﴿ **علىٰ صراط مستقيم** ﴾ ، أي : علىٰ طريق واضح بين ، وهو في نفسه مستقيم ، وطريقه مستقيمة ، هذا مثلهم في الدنيا ، وكذلك يكونون في الآخرة ، فالمؤمن يحشر يمشي سويًّا علىٰ صراط مستقيم ، مُفْضَىٰ به إلىٰ الجنة الفيحاء ، وأما الكافر فإنه يحشر يمشي علىٰ وجهه إلىٰ نار جهنم ، ﴿ **احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون * من دون الله فاهدوهم إلىٰ صراط الجحيم * وقفوهم إنهم مسئولون * مالكم لا تناصرون * بل هم اليوم مستسلمون** ﴾ .

قال الإمام أحمد(١٣) رحمه الله : حدثنا ابن نمير ، حدثنا إسماعيل ، عن نفيع ؛ قال :

(١٣) المسند (٣/١٦٧) (١٢٧٣١) .

[١] - سقط من ز ، خ . [٢] - في ز : وإثمهم .

سمعت أنس بن مالك؛ يقول : قيل : يارسول الله ؛ كيف يحشر الناس علىٰ وجوههم ؟ فقال : « أليس[١] الذي أمشاهم علىٰ أرجلهم قادرًا[٢] علىٰ أن يمشيهم علىٰ وجوههم ؟ ! » .

وهذا الحديث مخرج في الصحيحين(١٤) من طريق [يونس بن محمد ، عن شيبان ، عن قتادة ، عن أنس ، به نحوه][٣] .

وقوله : ﴿ **قل هو الذي أنشأكم** ﴾ ، أي : ابتدأ خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئًا مذكورًا ، ﴿ **وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة** ﴾ ، أي : العقول والإدراك ، ﴿ **قليلًا ما تشكرون** ﴾ أي : ما أقلَّ ما تستعملون هذه القوىٰ التي أنعم الله بها عليكم ، في طاعته وامتثال أوامره ، وترك زواجره .

﴿ **قل هو الذي ذرأكم في الأرض** ﴾ ، أي[٤] : بثكم ونشركم في أقطار الأرض وأرجائها ، مع اختلاف ألسنتكم في لغاتكم وألوانكم ، و[٥] حلاكم وأشكالكم وصوركم ، ﴿ **وإليه تحشرون** ﴾ ، أي : تجمعُون بعد هذا التفرق والشتات ، يجمعكم كما فرقكم ، ويعيدكم كما بدأكم .

ثم قال مخبرًا عن الكفار المنكرين المعاد المستبعدين وقوعه : ﴿ **ويقولون متىٰ هذا الوعد إن كنتم صادقين** ﴾ ، أي : متىٰ هذا الذي تخبرنا بكونه من[٦] الاجتماع بعد هذا التفرق ؟ ﴿ **قل إنما العلم عند الله** ﴾ ، أي : لا يعلم وقت ذلك علىٰ التعيين إلا الله - عز وجل - لكنه أمرني أن أخبركم أن هذا كائن وواقع لا محالة فاحذروه ، ﴿ **وإنما أنا نذير مبين** ﴾ : وإنما عليَّ البلاغ ، وقد أديته إليكم .

قال الله تعالىٰ : ﴿ **فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا** ﴾ ، أي : لما قامت القيامة وشاهدها الكفار ، ورأوا أن الأمر كان قريبًا ؛ لأن كل ماهو آت آت وإن طال زمنه[٧] ، فلما وقع ما كذبوا به ساءهم ذلك ، لما يعلمون مالهم هناك من الشر ، أي : فأحاط بهم ذلك ، وجاءهم من أمر الله مالم يكن لهم في بال ولاحساب ، ﴿ [**وبدا لهم من الله ما لم يكونوا**

---

(١٤) صحيح البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم ...** ﴾ ، حديث (٤٧٦٠) (٤٧٦٠/٨) . وطرفه في [٦٥٢٣] . ومسلم في كتاب : صفات المنافقين ، باب : يحشر الكافر على وجهه ، حديث (٢٨٦/٥٤) (٢١٧/١٧) .

---

[١] - سقط من ز ، خ . [٢] - في خ : قادرٌ .
[٣] - بياض في ز ، خ .
[٤] - سقط من ز . [٥] - سقط من ز .
[٦] - في ز : في . [٧] - في ز : زمانه .

يحتسبون][١] * وبدا لهم سيئات ما كسبوا[٢] وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ﴾ ؛ ولهذا يقال لهم على وجه التقريع والتوبيخ : ﴿ هذا الذي كنتم به تدّعون ﴾ ، أي : تستعجلون .

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٨) قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٢٩) قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ (٣٠)

يقول تعالى : ﴿ قل ﴾ : يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الجاحدين لنعمه : ﴿ أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي أو رحمنا ، فمن يجير الكافرين من عذاب أليم؟ ﴾ . أي : خلّصوا أنفسكم ، فإنه لا منقذ لكم من الله إلا التوبة والإنابة ، والرجوع إلى دينه ، ولا ينفعكم وقوع ما تتمنون لنا من العذاب والنكال ، فسواء عذبنا الله أو رحمنا ، فلا مناص لكم من نكاله وعذابه الأليم الواقع بكم .

ثم قال : ﴿ قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا ﴾ ، أي : آمنا برب العالمين الرحمن الرحيم ، وعليه توكلنا في جميع أمورنا ، كما قال : ﴿ فاعبده وتوكل عليه ﴾ ، ولهذا قال : ﴿ فستعلمون من هو في ضلال مبين ﴾ ، أي : منا ومنكم ، ولمن تكون العاقبة في الدنيا والآخرة .

ثم قال : ﴿ قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورًا ﴾ ، أي : ذاهبًا في الأرض إلى أسفل ، فلا يُنال بالفئوس الحداد ، ولا السواعد الشداد .

والغائر : عكس النابع ؛ ولهذا قال : ﴿ فمن يأتيكم بماء معين ﴾ ، أي : نابع سائح[٣] جار على وجه الأرض ، لا يقدر على ذلك إلا الله - عز وجل - فمن فضله وكرمه أنبع لكم المياه ، وأجراها في سائر أقطار الأرض ، بحسب ما يحتاج العباد إليه من القلة والكثرة ، فله الحمد والمنة .

[آخر تفسير سورة الملك ، ولله الحمد والمنة] .

☆ ☆ ☆

---

[١] - سقط من ز ، خ . [٢] - في ز : عملوا .

[٣] - في ز ، خ : صالح .

تفسير سورة « ن »

وهي مكية

﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ (١) مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ (٤) فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ (٥) بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ (٦) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ (٧) ﴾

قد تقدم الكلام على حروف الهجاء في أول « سورة البقرة » ، وأن قوله : ﴿ ن ﴾ كقوله : ﴿ ص ﴾ ، ﴿ ق ﴾ ، ونحو ذلك من الحروف المقطعة في أوائل السور ، وتحرير القول في ذلك بما أغنىٰ عن إعادته . وقيل : المراد بقوله : ﴿ ن ﴾ : حوت عظيم علىٰ تيار الماء العظيم المحيط ، وهو حامل للأرضين السبع ، كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير(١) : حدثنا ابن بشار ، حدثنا يحيىٰ ، حدثنا سفيان - هو الثوري - حدثنا سليمان - هو الأعمش - عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس قال : أول ما خلق الله القلم قال : اكتب . قال : وما أكتب ؟ قال : اكتب القَدرَ . فجرىٰ[١] بما يكون من ذلك اليوم إلىٰ يوم قيام الساعة . ثم خلق « النون » ورفع بخار الماء ، ففُتقت منه السماء ، وبسطت الأرض علىٰ ظهر النون ، فاضطرب النون فمادت الأرض ، فأثبتت[٢] بالجبال ، فإنها لتفخر[٣] علىٰ الأرض .

وكذا رواه ابن أبي حاتم ، عن أحمد بن سنان ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، به[٤] . وهكذا رواه شعبة ، ومحمد بن فُضَيل[٥] ، ووكيع ، عن الأعمش ، به . وزاد شعبة في روايته : ثم قرأ : ﴿ **ن والقلم وما يسطرون** ﴾ . وقد رواه شريك ، عن الأعمش ؛ عن أبي ظبيان[٦] - أو مجاهد - عن ابن عباس ، فذكر نحوه . ورواه معمر ، عن الأعمش : أن ابن عباس [قال .... فذكره][٧] ، ثم قرأ : ﴿ **ن والقلم وما يسطرون** ﴾ . ثم قال ابن

(١) تفسير الطبري (١٤/٢٩) ، وفي التاريخ (١٧/١) ، والحاكم وصححه (٤٩٨/٢) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (حديث ٨٠٤) ، وفي السنن (٣/٩) ، والآجري في الشريعة (١٧٨ ، ١٧٩) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٨٧/٦) . لعبد الرزاق ، والفريابي ، وسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر =

[١] - في خ : يجري .
[٢] - في ت : فأنبتت .
[٣] - في ز ، خ: لتفجر .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : فضل .
[٦] - تقرأ في ز : حليان . أو : حلبان .
[٧] - في خ : فذكر نحوه .

جرير(٢) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا جرير ، عن عطاء ، عن أبي الضحىٰ ، عن ابن عباس ؛ قال : إن أول شيء خلق ربي - عز وجل - القلم ، [فقال له][١] : اكتب . فكتب ما هو كائن إلىٰ أن تقوم الساعة ، ثم خلق « النون » فوق الماء ، ثم كبس الأرض عليه .

وقد روىٰ الطبراني ذلك مرفوعًا فقال(٣) : حدثنا أبو حبيب [زيد بن][٢] المهتدي المَرْوذي[٣] ، حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقاني ، حدثنا مؤمل بن إسماعيل[٤] ، حدثنا حماد بن زيد ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي الضحىٰ - مسلم بن صبيح - عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن أول ماخلق الله القلم والحوت ، [قال للقلم : اكتب][٥] . قال : ما أكتب ؟ قال : كل شيءٍ كائن إلىٰ يوم القيامة** » . ثم قرأ : ﴿ **ن والقلم وما يسطرون** ﴾ ، فالنون : الحوت . والقلم : القلم .

حديث آخر في ذلك رواه [ابن عساكر][٦] (٤) عن أبي عبد الله مولىٰ بني أمية ، عن أبي صالح ، عن أبي هُريرة : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **إن أول شيء خلقه الله القلم ، ثم خلق « النون » وهي : الدواة . ثم قال له : اكتب . قال : وما أكتب ؟ [قال : اكتب][٧] ما يكون - أو : ما هو كائن - من عمل أو رزق أو أثر أو أجل . فكتب ذلك إلىٰ يوم القيامة ، فذلك قوله : ﴿ ن والقلم وما يسطرون ﴾، ثم ختم علىٰ القلم فلم يتكلم إلىٰ يوم القيامة ، ثم خلق العقل ، وقال : وعزتي لأكملنك[٨] [فيمن أحببت ، ولأنقصنك ممن أبغضت** »][٩] .

= وابن مردويه ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ في العظمة ، والخطيب في تاريخه ، والضياء في المختارة .

(٢) تفسير الطبري (١٥/٢٩) .

(٣) المعجم الكبير (٤٣٣/١١) رقم (١٢٢٢٧) . وقال الطبراني : لم يرفعه عن حماد بن زيد إلا مؤمل بن إسماعيل . قال الهيثمي في : « المجمع » (١٣١/٧) : ومؤمل ثقة كثير الخطأ ، وقد وثقه ابن معين وغيره ، وضعفه البخاري وغيره ، وبقية رجاله ثقات . اهـ . وفي إسناده عطاء بن السائب وقد اختلط .

(٤) - تاريخ دمشق (٤٩٢/١٧ مخطوط) ، و(٩٥/١٦ مخطوط) ، ورواه ابن عدي في الكامل (٦/ ٢٢٧٢) من طريق محمد بن وهب ، عن الوليد بن مسلم ، عن مالك ، عن سمي ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة مرفوعًا به نحوه ، وقال : هذا بهذا الإسناد باطل منكر ، وآفته محمد بن وهب . قال الذهبي في الميزان (٦١/٤) : صدق ابن عدي في أن هذا الحديث باطل . وقال ابن القيم في المنار المنيف (٩٦) : « أحاديث العقل كلها كذب » .

[١] - في ت ، خ : ثم قال له .
[٢] - بياض في ز ، خ .
[٣] - في ز ، : المبرود . وفي المطبوع من الطبراني : المروذي .
[٤] - في ز : إسحاق .
[٥] - سقط من ز ، خ .
[٦] - سقط من خ .
[٧] - سقط من ز .
[٨] - في ز ، خ : لاكلمنك .
[٩] - بياض في ز .

وقال ابن أبي نجيح : إن إبراهيم بن أبي بكر أخبره ، عن مجاهد قال : كان يقال : النون : الحوت الذي تحت الأرض السابعة .

وقد ذكر البغوي وجماعة من المفسرين ؛ أن علىٰ ظهر هذا الحوت صخرة سمكها كغلظ السمٰوات والأرض ، وعلىٰ ظهرها ثور له أربعون ألف قرن ، وعلىٰ متنه الأرضون السبع وما فيهن وما بينهن ، فالله أعلم . ومن العجيب أن بعضهم حمل على[١] هذا المعنىٰ الحديث الذي رواه الإمام أحمد (٥) : حدثنا إسماعيل ، حدثنا حُميد ، عن أنس : أن عبد الله بن سلام بَلَغه مَقدَم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم المدينة فأتاه فسأله عن أشياء ، قال : إني سائلك عن أشياء لا يعلمها إلا نبي ، قال : ما أول أشراط الساعة ؟ و[٢] ما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ وما بال الولد ينزع إلىٰ أبيه ؟ والولد ينزع إلىٰ أمه ؟ قال : « **أخبرني بهن جبريل آنفًا** » . قال ابن سلام : فذاك عدو اليهود من الملائكة . قال : « **أما أول أشراط الساعة فنار تَحشرهم من المشرق إلىٰ المغرب . وأول طعام يأكله أهل الجنة زيادةُ كبد حوت . وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نَزَع الولد ، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت** » .

ورواه البخاري من طرق ، عن حميد ، ورواه مسلم أيضًا . وله من حديث ثوبان مولىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم نحو[٣] هذا .

وفي صحيح مسلم(٦) من حديث أبي أسماء الرحبي ، عن ثوبان : أن حَبرًا سأل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن مسائل ، فكان منها : قال : فما تحفتهم ؟ - يعني أهل الجنة حين يدخلون الجنة - قال : « **زيادة كبد الحوت** » ، قال : فما غذاؤهم علىٰ إثرها ؟ قال : « **ينحر لهم[٤] ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها** » . قال : فما شرابهم عليه ؟ قال : « **من عين فيها[٥] تسمىٰ سلسبيلًا** » . وقيل : المراد بقوله : ﴿ ن ﴾ لوح من نور .

قال ابن جرير(٧) : حدثنا الحسن بن شبيب المكتب ، حدثنا محمد بن زياد الجزري ، عن فرات بن أبي الفرات ، عن معاوية بن قُرّة ، عن أبيه ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه

---

(٥) المسند (١٨٩/٣) (١٢٩٩٣) . والبخاري في كتاب : أحاديث الأنبياء ، باب : خلق آدم وذريته ، حديث (٣٣٢٩) (٣٦٢/٦ - ٣٦٣) ، وأطرافه في [٣٩١١، ٣٩٣٨، ٤٤٨٠] . ولم أجده في مسلم .

(٦) صحيح مسلم في كتاب : الحيض ، باب : بيان صفة مني الرجل والمرأة ، وأن الولد مخلوق من مائهما ، حديث (٣١٥/٣٤) (٢٩١/٣ - ٢٩٣) .

(٧) تفسير الطبري (١٥/٢٩ - ١٦) .

---

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ز : عن .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - سقط من ز .

وسلم : « ﴿ ن والقلم وما يسطرون ﴾ : لوح من نور ، وقلم من نور يجري بما هو كائن إلى يوم القيامة » . وهذا مرسل غريب .

وقال ابن جريج[١] : أخبرت أن ذلك القلم من نور طوله مائة عام .

وقيل : المراد بقوله : ﴿ ن ﴾ دواة ، والقلم : القلم . قال ابن جرير :

حدثنا [ ][٢] عبد الأعلىٰ ، حدثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن وقتادة في قوله : ﴿ ن ﴾ ، قالا : هي الدواة . وقد روي في هذا حديث مرفوع غريب جدًّا ، فقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن خالد ، حدثنا الحسن بن يحيىٰ ، حدثنا أبو عبد الله مولىٰ بني[٣] أمية ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ؛ قال : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « خلق الله النون ، وهي الدواة » .

وقال ابن جرير(٨) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يعقوب ، حدثنا أخي عيسى بن عبد الله ، حدثنا ثابت [البناني][٤] عن ابن عباس ؛ قال : إن الله خلق النون - وهي الدواة - وخلق القلم ، فقال : اكتب . قال : وما أكتب ؟ قال[٥] : اكتب ما هو كائن إلىٰ يوم القيامة من عمل معمول ، بر[٦] أو فجور ، أو رزق مقسوم حلال أو حرام . ثم ألزم كل شيء من ذلك شأنه : دخوله في الدنيا ، ومقامه فيها كم[٧] ؟ وخروجه منها كيف ؟ ثم جعل علىٰ العباد حفظة ، وللكتاب خزانًا ، فالحفظة ينسخون كل يوم من الخزان عمل ذلك اليوم ، فإذا فني الرزق وانقطع الأثر وانقضىٰ الأجل ؛ أتت الحفظة الخزنة يطلبون عمل ذلك اليوم ، فتقول لهم الخزنة : ما نجد لصاحبكم عندنا شيئًا . فترجع الحفظة فيجدونهم قد ماتوا . قال : فقال ابن عباس : ألستم قومًا عَرَبًا تسمعون الحفظة يقولون : ﴿ إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴾ ؟ وهل يكون الاستنساخ إلا من أصل ؟ !

وقوله : ﴿ والقلم ﴾ : الظاهر أنه جنس القلم الذي يكتب به[٨] كقوله : ﴿ اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ . فهو قسم منه تعالىٰ ، وتنبيه لخلقه علىٰ ما أنعم به عليهم من تعليم الكتابة التي بها تنال العلوم ؛ ولهذا قال : ﴿ وما يسطرون ﴾ ، قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة : يعني وما [يكتبون .

---

(٨) تفسير الطبري (١٥/٢٩) .

[١] - في ز ، خ : جرير .
[٢] - ما بين المعكوفين في ز : ابن .
[٣] - في ز : ابن .
[٤] - في . ، خ : الشمالي .
[٥] - في ز : فقال .
[٦] - في ز ، خ : به .
[٧] - سقط من ز ، خ .
[٨] - سقط من ز ، خ .

وقال أبو الضحىٰ، عن ابن عباس: ﴿وما يسطرون﴾ أي: وما يعملون][١] .

[وقال السدي: ﴿وما يسطرون﴾ يعني: الملائكة، وما][٢] تكتب من عمل العباد .

وقال آخرون: بل المراد هاهنا بالقلم الذي أجراه الله بالقدر حين كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرضين بخمسين ألف سنة . وأوردوا في[٣] ذلك الأحاديث الواردة في ذكر القلم، فقال ابن أبي حاتم:

حدثنا أبو سعيد بن يحيىٰ بن سعيد القطان، ويونس بن حبيب؛ قالا: حدثنا أبو داود الطيالسي(٩)، حدثنا عبد الواحد بن سُليم السلمي، عن عطاء - هو ابن أبي رباح - حدثني الوليد بن عبادة بن الصامت قال: دعاني أبي حين حضره الموت فقال: إني سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول: « إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب. قال: يارب، ما أكتب؟ قال: اكتب القدر [ما كان][٤] وما هو كائن إلى الأبد .

وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد من طرق، عن الوليد بن عبادة، عن أبيه به[٥] . وأخرجه الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي به. وقال: حسن صحيح غريب. ورواه أبو داود في « كتاب السنة » من سننه، عن جعفر بن مسافر، عن يحيىٰ بن حسان، عن ابن رباح، عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن أبي[٦] حفصة - واسمه حُبَيش بن شُريح الحَبشي الشامي - عن عبادة، فذكره .

وقال ابن جرير(١٠): حدثنا محمد بن عبد الله الطوسي، حدثنا عليّ بن الحسن بن شقيق، أنبأنا عبد الله بن المبارك، حدثنا رباح بن زيد، عن عمر بن حبيب، عن القاسم بن أبي بَزة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس؛ أنه كان يحدث أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: « إن أول شيء خلقه الله القلم، فأمره فكتب كل شيء » . غريب من هذا الوجه، ولم يخرجوه .

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿ والقلم ﴾ يعني: الذي كتب به الذكر .

(٩) أخرجه الطيالسي (ص ٧٩) (٥٧٧) . وأخرجه أحمد (٣١٧/٥) . والترمذي في كتاب: القدر، باب: (١٧)، حديث (٢١٥٦) (٣٢٥/٦ - ٣٢٦) . وأبو داود في كتاب: السنة، باب: في القدر، حديث (٤٧٠٠) (٢٢٥/٤ - ٢٢٦) . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٩٣٣) .

(١٠) تفسير الطبري (١٦/٢٩) .

[١] - سقط من ز، خ .

[٢] - سقط من ز، خ .

[٣] - في ز: إلى .

[٤] - سقط من ز، خ .

[٥] - سقط من خ .

[٦] - في ز: ابن .

وقوله : ﴿ وما يسطرون ﴾ ، أي : يكتبون ، كما تقدم .

وقوله : ﴿ ما أنت بنعمة ربك بمجنون ﴾ ، أي : لست - ولله الحمد - بمجنون كما قد[١] يقوله الجهلة من قومك ، والمكذبون بما جئتهم به من الهدىٰ والحق المبين ، فنسبوك فيه إلىٰ الجنون ، ﴿ وإن لك لأجرًا غير ممنون ﴾ ، أي : بل لك الأجر العظيم ، والثواب الجزيل الذي لا ينقطع ولا يبيد ، علىٰ إبلاغك رسالة ربك إلىٰ الخلق ، وصبرك علىٰ أذاهم .

ومعنىٰ ﴿غير ممنون﴾ أي : غير مقطوع كقوله : ﴿عطاء غير مجذوذ﴾ .

[﴿ فلهم أجر غير ممنون ﴾ أي غير مقطوع عنهم . وقال مجاهد : ﴿غير ممنون﴾][٢] أي غير محسوب وهو يرجع إلىٰ ما قلناه .

وقوله : ﴿ وإنك لعلىٰ خلق عظيم ﴾ ، قال العوفي ، عن ابن عباس : أي وإنك لعلىٰ دين عظيم ، وهو الإسلام . وكذلك قال مجاهد ، وأبو مالك ، والسدي ، والربيع بن أنس ، والضحاك ، وابن زيد .

وقال عطية : لعلىٰ أدب عظيم . وقال معمر ، عن قتادة : سُئلت عائشةُ عن خلق رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قالت : كان خلقه القرآن ، تقول[٣] : كما هو في القرآن . وقال سعيد بن أبي عَرُوبة عن قتادة قوله : ﴿ وإنك لعلىٰ خلق عظيم ﴾ ، ذُكر لنا أن سعد[٤] بن هشام سأل عائشة عن خلق رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقالت : ألست تقرأ القرآن ؟ قال : بلىٰ . قالت : فإن خلق رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان القرآن(١١) .

وقال عبد الرزاق(١٢) عن معمر ، عن قتادة ، عن زرارة بن أوفىٰ ، عن سعد بن هشام ؛ قال : سألت عائشة فقلت : أخبريني يا أم المؤمنين ؛ عن خُلُق رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم . فقالت : أتقرأ القرآن ؟ قلت : نعم . فقالت : كان خلقه القرآن .

هذا حديث طويل ، وقد رواه الإمام مسلم(١٣) في صحيحه ، من حديث قتادة بطوله ، وسيأتي في « سورة المزمل » إن شاء الله تعالىٰ .

---

(١١) تفسير الطبري (١٩/٢٩) ، وأحمد (٩٤/٦) (٢٤٧٤٨) كلاهما من طريق قتادة ، وهو عند مسلم وسيأتى قريبا بإذن الله .

(١٢) وأخرجه أحمد (١٦٣/٦) (٢٥٤٠٩) من طريق عبد الرزاق .

(١٣) صحيح مسلم في كتاب : صلاة المسافرين ، باب : جامع صلاة الليل ، ومن نام عنه أو مرض ، حديث (١٣٩ - ٧٤٦/١٤٢) (٣٧/٦ - ٤٢) .

---

[١] - سقط من خ .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : يقول سعيد .
[٤] - في ز ، خ : سعيد .

وقال الإمام أحمد(١٤) : حدثنا إسماعيل، حدثنا يونس، عن الحسن ؛ قال : سألت[١] عائشة عن خلق رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقالت : كان خلقه القرآن .

وقال الإمام أحمد(١٥) : حدثنا أسود ، حدثنا شريك ، عن قيس بن وهب ، عن رجل من بني سواد ؛ قال : سألت عائشة عن خلق رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقالت : أما تقرأ[٢] القرآن : ﴿ وإنك لعلىٰ خلق عظيم ﴾ ؟ قال : قلت : حدثيني عن ذاك . قالت : صنعت له طعامًا ، وصنعت له حفصة طعامًا ، فقلت لجاريتي : اذهبي فإن جاءت هي بالطعام فوضعته قبلُ فاطرحي الطعام ! قالت : فجاءت بالطعام ، قالت : فألقت الجارية فوقعت القصعة فانكسرت - وكان نطْعٌ - قالت : فجمعه[٣] رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم وقال : « اقتصوا - أو : [اقتصي ، شك][٤] أسود - ظَرفًا مكان ظَرفِك » . قالت : فما قال شيئًا .

وقال ابن جرير(١٦) : حدثنا عبيد بن آدم بن أبي أياس ، حدثنا أبي ، حدثنا المبارك بن فضالة ، عن الحسن ، عن سعد[٥] بن هشام ؛ قال : أتيت عائشة أم المؤمنين فقلت لها : أخبريني بخُلق النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم . فقالت : كان خلقه القرآن ، أما تقرأ : ﴿ وإنك لعلىٰ خُلق عظيم ﴾ ؟

وقد روى أبو داود والنسائي من حديث الحسن نحوه .

وقال ابن جرير(١٧) : حدثني يونس ، أنبأنا ابن وهب ، أخبرني معاوية بن صالح ، عن أبي الزاهرية ، عن جبير بن نُفير ؛ قال : حججتُ فدخلتُ علىٰ عائشة - رضي اللَّه عنها - فسألتها عن خُلُق رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقالت : كان خُلُق رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم القرآن .

هكذا رواه [أحمد(١٨) عن][٦] عبد الرحمن بن مهدي. ورواه النسائي في التفسير ، عن

(١٤) المسند (٦/٢١٦) (٢٥٩٢٢) .
(١٥) المسند (٦/١١١) (٢٤٩١٢) .
(١٦) تفسير الطبري (٢٩/١٩) .
(١٧) تفسير الطبري (٢٩/١٩) .
(١٨) المسند (٦/١٨٨) (٢٥٦٥٥) . والنسائي في الكبرى (٦/٣٣٣) (١١١٣٨) في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم﴾ .

[١] - في خ : سئلت .
[٢] - في ز ، خ : هذا .
[٣] - في ز ، خ : فحفه .
[٤] - في ز ، خ : « اقتفي بيد » .
[٥] - في ز ، خ : سعيد .
[٦] - سقط من خ .

إسحاق بن منصور ، عن عبد الرحمن بن مهدي ، عن معاوية بن صالح به .

ومعنىٰ هذا أنه - عليه السلام - صار امتثالُ القرآن ، أمرًا ونهيًا - سجيةً له[١] ، وخلقًا تَطَبَّعَه ، وترك طبعه الجِبِلّي ، فمهما أمره القرآن فعله ، ومهما نهاه عنه تركه ، هذا مع ما جَبَله اللَّه عليه من الخلق العظيم ، من الحياء والكرم ، والشجاعة والصفح ، والحلم ، وكل خلق جميل ، كما ثبت في الصحيحين(١٩) عن أنس قال : خدمتُ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم عشر سنين فما قال لي : أفٍّ قطّ ، ولا قال لشيء فعلته : لم فعلتَه ؟ ولا لشيء لم أفعله : ألا فعلته ؟ وكان رسول الله صلىٰ اللَّه عليه وسلم [ ][٢] أحسن الناس خلقًا ، ولا مَسستُ خزًّا ولا حريرًا ولا شيئًا كان ألين من كف رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، ولا [شَممْتُ مسكًا][٣] ولا عطرًا كان أطيب من عَرَق رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم.

وقال البخاري(٢٠) : [حدثنا أحمد بن سعيد أبو عبد الله][٤] ، حدثنا إسحاق بن منصور ، حدثنا إبراهيم بن يوسف عن أبيه ، عن أبي إسحاق ؛ قال : سمعت البراء يقول : كان رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أحسن الناس وجهًا وأحسن الناس خلقًا ، ليس بالطويل البائن[٥] ولا بالقصير .

والأحاديث في هذا كثيرة ، ولأبي عيسىٰ الترمذي في هذا كتاب[٦] « الشمائل » .

وقال الإمام أحمد(٢١) : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن عُرْوة ، عن عائشة ؛ قالت : ما ضرب رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بيده خادمًا له قط ، ولا امرأة ، ولا ضرب بيده شيئًا قط ، إلا أن يجاهد في سبيل اللَّه ، ولا خُير بين شيئين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما حتىٰ يكون إثمًا ، فإذا كان إثمًا كان أبعد الناس من الإثم ، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتىٰ[٧] إليه إلا أن تنتهك حرمات اللَّه ، فيكون هو ينتقم للَّه عز وجل .

وقال الإمام أحمد(٢٢) : حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا [عبد العزيز][٨] بن محمد ، عن

(١٩) صحيح البخاري في كتاب : النكاح ، باب : الوليمة حق ، حديث (٥١٦٦) (٣/٣٧٩ - متن) ومسلم في كتاب : الفضائل ، باب : كان رسول اللَّه ﷺ أحسن الناس خلقًا (٥١ - ٢٣٠٩/٥٣) (١٥/ ١٠٠ - ١٠٢) .

(٢٠) صحيح البخاري في كتاب : المناقب ، باب : صفة النبي ﷺ ، حديث (٣٥٤٩) (٦/٥٦٤) .

(٢١) المسند (٦/٢٣٢) (٢٦٠٦٥) .

(٢٢) المسند (٢/٣٨١) . وصححه الألباني في الصحيحة (٤٥) .

[١] - سقط من خ .
[٢] - في ز ، خ : من .
[٣] - في خ : تيممت .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - في ت خ : الكتاب .
[٧] - في ز : يعني .
[٨] - في ز : عبد الله .

محمد بن عجلان ، عن القعقاع بن حكيم ، عن أبي صالح ، عن أبي هُرَيرة ؛ قال : قال رسولُ اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « إنما بُعثتُ لأُتمِّم صالح الأخلاق ...» تفرد به .

وقوله : ﴿ **فستبصر ويُبصِرُون * بأيكم المفتون** ﴾ ، أي : فستعلم يامحمد ، وسيعلم مخالفوك ومكذبوك من المفتون الضال منك ومنهم ، وهذه كقوله تعالىٰ : ﴿ **سيعلمون غدًا من الكذاب الأشر** ﴾ ، وكقوله : ﴿ **وإنا أو إياكم لعلىٰ هدًى أو في ضلال مبين** ﴾ .

قال ابن جريج : قال ابن عباس في هذه الآية : ستعلم ويعلمون يوم القيامة .

وقال العوفي عن ابن عباس : ﴿ **بأيكم المفتون** ﴾ أي : الجنون وكذا قال مجاهد ، وغيره .

وقال قتادة وغيره : ﴿ **بأيكم المفتون** ﴾ أي : أولىٰ بالشيطان .

ومعنىٰ المفتون ظاهر ، أي : الذي قد افتتن عن الحق وضل عنه ، وإنما دخلت الباء في قوله : ﴿ **بأيكم المفتون** ﴾ لتدل علىٰ تضمين الفعل في قوله : ﴿ **فستبصر ويبصرون** ﴾ ، وتقديره فستعلم ويعلمون ، أو[١] : فستُخبَر ويُخبَرون بأيكم المفتون ، واللَّه أعلم .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين** ﴾ ، أي : هو يعلم تعالىٰ أي الفريقين منكم ومنهم هو المهتدي ، ويعلم الحزب الضال عن الحق .

فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ (٨) وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (٩) وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ (١١) مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ (١٣) أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (١٤) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ (١٥) سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ (١٦)

يقول تعالىٰ : كما أنعمنا عليك وأعطيناك الشرع المستقيم والخلق العظيم ، ﴿ **فلا تطع المكذبين** ﴾ . ﴿ **وَدُّوا لو تدهن فيدهنون** ﴾ . قال ابن عباس : لو ترخص لهم فيرخصون . وقال مجاهد : ودوا لو تركن إلىٰ آلهتهم ، وتترك ما أنت عليه من الحق .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ولا تطع كل حلاف مهين** ﴾ ، وذلك أن الكاذب لضعفه ومهانته إنما يتقي بأيمانه الكاذبة التي يجترئُ بها علىٰ أسماء اللَّه تعالىٰ ، واستعمالها في كل وقت في غير محلها .

قال ابن عباس : المهين : الكاذب . وقال مجاهد : هو الضعيف القلب . و[٢] قال الحسن :

[١] - سقط من خ . [٢] - سقط من ت .

كل حلاف مكابر مهين ضعيف . وقوله : ﴿ هماز ﴾ . قال ابن عباس وقتادة : يعني الاغتياب .

﴿ مشاء بنميم ﴾ ، يعني : الذي يمشي بين الناس ، ويحرش بينهم ، وينقل الحديث لفساد ذات البين ، وهي الحالقة ، وقد ثبت في الصحيحين(٢٣) من حديث مجاهد ، عن طاوس ، عن ابن عباس ؛ قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال : « إنهما ليعذبان ، وما يعذبان في كبير ، أما أحدهما فكان لا يستتر[١] من البول ، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة » . الحديث . وأخرجه بقية الجماعة في كتبهم ، من طرق عن مجاهد به .

وقال أحمد(٢٤) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن همام ، أن حذيفة ؛ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لايدخل الجنة قتّات » . رواه الجماعة إلا ابن ماجة من طرق عن إبراهيم[٢] به .

وحدثنا عبد الرزاق(٢٥) ، حدثنا الثوري ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن همام ، عن حذيفة ؛ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لايدخل الجنة قتات » . يعني نمامًا .

وحدثنا يحيى بن سعيد القطان(٢٦) - أبو سعيد الأحول - عن الأعمش ، حدثني إبراهيم منذ نحو ستين سنة ، عن همام بن الحارث[٣] قال : مر رجل على حذيفة فقيل : إن هذا يرفع الحديث إلى الأمراء . فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول - أو : قال :

---

(٢٣) صحيح البخاري في كتاب : الوضوء ، باب : ما جاء في غسل البول ، حديث (٢١٨) (٣٢٢/١) . وأطرافه في : [١٣٦١ ، ١٣٧٨ ، ٦٠٥٢] . ومسلم في كتاب : الطهارة ، باب : الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه ، حديث (٢٩٢/١١١) (٢٥٧/٣ - ٢٥٨) . وأبو داود في كتاب : الطهارة ، باب : الاستبراء من البول ، حديث (٢٠) (٢٠/١) . والترمذي في كتاب : الطهارة ، باب : ما جاء في التشديد في البول ، حديث (٧٠) (٧٥/١ - ٧٦) . والنسائي (٢٨/١ - ٣٠) ، (١٠٦/٦) . وابن ماجة في كتاب : الطهارة ، باب : التشديد في البول ، حديث (٣٤٧) (١٢٥/١) . قال الترمذي : حسن صحيح .

(٢٤) أخرجه أحمد (٣٨٢/٥) . والبخاري في كتاب : الأدب ، باب : ما يكره من النميمة ، حديث (٦٠٦٥) (٤٧٢/١٠) . ومسلم في كتاب : الإيمان ، باب : بيان غلظ تحريم النميمة ، حديث (١٦٨ - ١٠٥/١٧٠) . وأبو داود في كتاب : الأدب ، باب : في القتات ، حديث (٤٨٧١) (٢٦٨/٤) . والترمذي في كتاب : البر والصلة ، باب : ما جاء في النمام ، حديث (٢٠٢٧) (٢٢٩/٦) . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : سورة القلم ، حديث (١١٦١٤) (٤٩٦/٦) .

(٢٥) المسند (٣٨٩/٥) .

(٢٦) المسند (٣٨٩/٥) .

---

[١] - في خ : يستبرئ .

[٢] - في ز : ابن ماجة . كذا .

[٣] - في ز : حرب .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة قتات » .

وقال أحمد(٢٧) : حدثنا هاشم [١] ، حدثنا مهدي ، عن واصل الأحدب ، عن أبي وائل ؛ قال : بلغ حذيفة عن رجل أنه ينم الحديث ، فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لايدخل الجنة نمام » .

وقال الإمام أحمد(٢٨) : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر، عن ابن خثيم ، عن شهر بن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد بن السكن ؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أخبركم بخياركم ؟ » . قالوا : بلى يا رسول الله . قال[٢] : « الذين إذا رُءُوا ذُكرَ الله عز وجل » . ثم قال : « ألا أخبركم بشراركم ؟ المشاءون بالنميمة ، المفسدون بين الأحبة ، الباغون للبرآء العَنَت».

ورواه ابن ماجة عن سويد بن سعيد ، عن يحيى بن سليم ، عن ابن خثيم به .

وقال الإمام أحمد(٢٩) : حدثنا سفيان ، عن ابن أبي حُسَين ، عن شهر بن حوشب ، عن عبد الرحمن بن غَنْم - يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم - : « خيار عباد الله الذين إذا رُءُوا ذكر الله ، وشرار عباد الله المشاءون بالنميمة ، المفرقون بين الأحبة ، الباغون للبرآء العنت ».

وقوله : ﴿ **مناع للخير معتد أثيم** ﴾ أي : يمنع ما عليه وما لديه من الخير ، ﴿ **معتد** ﴾ في تناول ما أحل الله له[٣] ، يتجاوز فيها الحد المشروع ﴿ **أثيم** ﴾ ، أي يتناول المحرمات .

وقوله : ﴿**عتل بعد ذلك زنيم**﴾ أما العتل فهو : الفظ الغليظ الصحيح ، الجموع المنوع .

قال الإمام أحمد(٣٠) : حدثنا وكيع وعبد الرحمن ، عن سفيان ، عن مَعْبَد بن خالد ، عن حارثة[٤] بن وهب ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بأهل الجنة ؟

(٢٧) المسند (٣٩١/٥) وليس في الإسناد أبو وائل . وأخرجه (٣٩٩/٥) عن حماد بن خالد عن مهدي بهذا الإسناد .

(٢٨) المسند (٤٥٩/٦) (٢٧٧٠٧) . وابن ماجة في كتاب : الزهد ، باب : من لايؤبه له ، حديث (٤١١٩) (١٣٧٩/٢) . قال البوصيري في « الزوائد » (٢٧٣/٣) : هذا إسناد حسن ؛ شهر وسويد مختلف فيهما وباقى رجال الإسناد ثقات .

(٢٩) المسند (٢٢٧/٤) (١٨٠٥٣) قال الهيثمي في « المجمع » (٩٦/٨) : رواه أحمد وفيه شهر بن حوشب وبقية رجاله رجال الصحيح .

(٣٠) المسند (٣٠٦/٤) (١٨٧٨٢، ١٨٧٨٤) .

[١] - في ز ، خ : هشام .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ز ، خ : جارية .

كل ضعيف مُتَضَعّف لو أقسم علىٰ اللّٰه لأبره ، ألا أنبئكم بأهل النار ؟ كل عُتلّ جَوّاظ مستكبر » . وقال وكيع : كل جواظ جعظري مستكبر .

أخرجاه في الصحيحين(٣١) وبقية الجماعة إلا أبا داود ، من حديث سفيان الثوري وشعبة ، كليهما عن معبد[١] بن خالد به .

وقال الإمام أحمد أيضًا(٣٢) : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا موسىٰ بن عليّ ؛ قال : سمعت أبي يحدّث عن عبد اللّٰه بن عمرو بن العاص ، أن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال عند ذكر أهل النار : « كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع » . تفرد به أحمد .

قال أهل اللغة : الجعظري : الفظ الغليظ ، والجواظ : الجموع المنوع .

وقال الإمام أحمد(٣٣) : حدثنا وكيع ، حدثنا عبد الحَميد ، عن شهر بن حَوشب ، عن عبد الرحمن بن غَنْم ، قال : سُئل رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم عن العُتلّ الزنيم ، فقال : « هو الشديد الخَلْق المصحح الأكول الشروب الواجد للطعام والشراب ، الظلوم للناس ، رحيب الجوف » .

وبهذا الإسناد قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم : « لا يدخل الجنة الجواظ الجعظري ؛ والعتل الزنيم »(٣٤) . وقد أرسله أيضًا غير واحد من التابعين .

وقال ابن جرير(٣٥) : حدثنا ابن عبد الأعلىٰ ، حدثنا ابن[٢] ثور ، عن معمر ، عن زيد بن

(٣١) صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ عتل بعد ذلك زنيم ﴾ ، حديث (٤٩١٨) (٨/ ٦٦٢) . وطرفاه في : [٦٠٧١ ، ٦٦٥٧] . ومسلم في كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ، حديث (٤٦ ، ٢٨٥٣/٤٧) . والترمذي في كتاب : صفة جهنم ، باب : أهل الجنة كل ضعيف ، وأهل النار كل متكبر ، حديث (٢٦٠٨) (٢٦٦/٧) . والنسائي في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ عتل بعد ذلك زنيم ﴾ حديث (١١٦١٥) (٤٩٧/٦) . وابن ماجة في كتاب : الزهد، باب : من لا يؤبه له ، حديث (٤١١٦) (١٣٧٨/٢) .

(٣٢) المسند (١٦٩/١) (٦٥٨٠) . قال الهيثمي في « المجمع » (٣٩٦/١٠) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح . اهـ . وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند .

(٣٣) المسند (٢٢٧/٤) (١٨٠٤٦) . قال الهيثمي في « المجمع » (٣٩٦/١٠) : رواه أحمد وإسناده حسن إلا أن ابن غنم لم يسمع من النبي ﷺ . اهـ .

(٣٤) المسند (٢٢٧/٤) (١٨٠٤٨) . وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٤٠١٦ - ٤٨٠١) .

(٣٥) تفسير الطبري (٢٤/٢٩) .

[١] - في ز : سعيد .

[٢] - في خ : أبو .

أسلم ؛ قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « تبكي السماء من عبد أصح اللّٰه جسمه ، وأرحب جوفه ، وأعطاه [من الدنيا][١] مِقْضَمًا ، فكان للناس ظلومًا » قال : « فذلك العُتُلّ[٢] الزنيم » .

وهكذا رواه ابن أبي حاتم من طريقين مرسلين ، ونص عليه غير واحد من السلف ، منهم مجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة ، وغيرهم : أن العتل هو : المُصَحَّح الخَلْق ، الشديد القوي في المأكل والمشرب والمنكح وغير ذلك ، وأما الزنيم فقال البخاري(٣٦) :

حدثنا محمود ، حدثنا عُبَيد[٣] اللّٰه ، عن إسرائيل ، عن أبي حَصِين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : ﴿ **عتل بعد ذلك زنيم** ﴾ ، قال : رجلٌ من قريش له زَنَمة مثل زنمة الشاة .

ومعنىٰ هذا أنه كان مشهورًا بالشر كشهرة الشاة ذات الزنمة من بين أخواتها . وإنما الزنيم في لغة العرب : هو الدَّعِيّ في القوم . قاله ابن جرير وغير واحد من الأئمة ، قال : ومنه قول حسان ابن ثابت ، يعني يذم بعض كفار قريش :

وأنت زنيم نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

وقال آخر :

زنيم ليس يعرف من أبوه بغي الأم ذو حسب لئيم

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عمار بن خالد الواسطي ، حدثنا أسباط ، عن هشام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **زنيم** ﴾ ، قال : الدعيّ[٤] الفاحش اللئيم . ثم قال ابن عباس :

زنيم تداعاه الرجال زيادة كما زيد في عرض الأديم الأكارع[٥]

وقال العوفي عن ابن عباس : الزنيم : الدعيّ . ويقال : الزنيم : رجل كانت به زنمة ، يعرف بها . ويقال : هو الأخنس بن شَريق الثقفي ، حليف بني زهرة . وزعم أناس من بني زهرة أن الزنيم الأسودُ بن عبد يغوث الزهري ، وليس به .

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد ، عن ابن عباس : إنه زعم أن الزنيم المُلْحَق النسب .

وقال ابن أبي حاتم : حدثني يونس ، حدثنا ابن وهب ، حدثني سليمان بن بلال ، عن عبد

---

(٣٦) صحيح البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ عتل بعد ذلك زنيم ﴾ ، حديث (٤٩١٧) (٨/ ٦٦٢) .

---

[١] - سقط من خ .
[٢] - في ز ، خ : العبد .
[٣] - في ز : عبد .
[٤] - في ز : المدعي .
[٥] - في ز ، خ : أكارعه .

الرحمن بن حرملة ، عن سعيد بن المسيب ، أنه سمعه يقول في هذه الآية : ﴿ **عتل بعد ذلك زنيم** ﴾ ، قال سعيد : هو الملصق في القوم ، ليس منهم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا عقبة بن خالد ، عن عامر بن قدامة قال : سئل عكرمة [عن الزنيم قال : هو ولد الزنا .

وقال الحكم بن أبان عن عكرمة][١] في قوله تعالىٰ : ﴿ **عتل بعد ذلك زنيم** ﴾ ، قال : يعرف المؤمن من الكافر مثل الشاة الزنماء ، [والزنماء من الشياه][٢] : التي في عنقها [هَنَتَان معلقتان في حلقها][٣] .

وقال الثوري ، عن جابر ، عن الحسن ، عن سعيد بن جبير ؛ قال : الزنيم : الذي يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها . والزنيم : الملصق . رواه ابن جرير .

وروىٰ أيضًا من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال في الزنيم : قال : نُعتَ فلم يعرف حتىٰ قيل : زنيم . قال : وكانت له زَنَمَة في عنقه يُعرَف بها . [ ][٤] وقال آخرون : كان دَعيًّا .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن أصحاب التفسير قالوا : هو الذي تكون له زَنمة مثل زَنمة الشاة .

وقال الضحاك : كانت له زنَمة في أصل أذنه ، ويقال : هو اللئيم الملصق في النسب .

وقال أبو إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : هو المريب الذي يعرف بالشر .

وقال مجاهد : الزنيم يعرف بهذا الوصف كما تعرف الشاة . وقال أبو رَزين : الزنيم علامة الكفر . وقال عكرمة : الزنيم الذي يعرف باللؤم كما تعرف الشاة[٥] بزنمتها .

والأقوال في هذا كثيرة ، وترجع إلىٰ ما قلناه ، وهو أن الزنيم هو المشهور بالشر ، الذي يعرف به من بين الناس ، وغالبًا يكون دعيًّا ولد زنا ، فإنه في الغالب يتسلط الشيطان عليه ما لا يتسلط علىٰ غيره ، كما جاء في الحديث : « لا يدخل الجنة ولد زنا »(٣٧) وفي الحديث الآخر :

(٣٧) المسند (٢/ ٢٠١، ٢٠٣) (٦٨٨٢، ٦٨٩٣) . والبخاري في « التاريخ الصغير » (١/ ٢٩٨) . وابن خزيمة (٣٦٥)، والطيالسي (٣٠٣) برقم (٢٢٩٥)، وابن حبان (٣٣٨٣) . وأخرجه النسائي (٨/ ٣١٨) دون ذكر ولد الزنا . كلهم من طريق جابان عن عبد الله بن عمرو به . قال البخاري : ولا يعلم لجابان سماع من عبد الله ، ولا لسالم سماع من جابان ولا نبيط . اهـ . وقال ابن خزيمة : ليس هذا الخبر =

[١] - سقط من ز ، خ . [٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « المتعلقتين في حلق الشاة » . [٤] - في ز : قال .
[٥] - سقط من ز .

« ولد الزنا شر الثلاثة إذا عمل بعمل أبويه »(٣٨) .

وقوله : ﴿ **أن كان ذا مال وبنين * إذا تتلىٰ عليه آياتنا قال أساطير الأولين** ﴾ ، يقول تعالىٰ : هذا مقابلة ما أنعم اللّه عليه من المال والبنين ، كفر بآيات اللّه وأعرض عنها ، وزعم أنها كَذب مأخوذ من أساطير الأولين ، كقوله : ﴿ **ذرني ومن خلقت وحيدًا * وجعلت له مالًا ممدودًا * وبنين شهودًا * ومهدت له تمهيدًا * ثم يطمع أن أزيد * كلا إنه كان لآياتنا عنيدًا * سأرهقه صعودًا إنه فكر وقدر * فقتل كيف قدر * ثم قتل كيف قدر ثم نظر * ثم عبس وبسر * ثم أدبر واستكبر * فقال إن هذا إلا سحر يؤثر * إن هذا إلا قول البشر** ﴾ قال اللّه تعالىٰ : ﴿ **سأصليه سقر** ﴾ . وقال تعالى هاهنا : ﴿ **سنسمه على الخرطوم** ﴾ .

قال ابن جرير : سنبين أمره بيانًا واضحًا حتىٰ يعرفوه ولا يخفىٰ عليهم ، كما لا تخفىٰ السمة علىٰ الخراطيم . وهكذا قال قتادة : ﴿ **سنسمه علىٰ الخرطوم** ﴾ : شين[١] لا يُفارقه آخر ما عليه . وفي رواية عنه : سيما علىٰ أنفه . وكذا قال السدي .

وقال العوفي عن ابن عباس : ﴿ **سنسمه علي الخرطوم** ﴾ [يقاتل يوم بدر ، فيُخطم بالسيف في القتال . وقال آخرون : ﴿ **سنسمه** ﴾][٢] : سمة أهل النار ، يعني نسود وجهه يوم القيامة ، وعبر عن الوجه بالخرطوم . و[٣] حكىٰ ذلك كله أبو جعفر بن جرير ، ومال إلىٰ أنه لا مانع من[٤] اجتماع الجميع عليه في الدنيا والآخرة ، وهو مُتّجه .

وقد قال ابن أبي حاتم في سورة ﴿ **عم يتساءلون** ﴾ : حدثنا أبي ، حدثنا أبو صالح كاتب الليث ، [حدثني الليث][٥] ، حدثني خالد بن سعيد ، عن عبد الملك بن عبد اللّه ، عن عيسىٰ بن هلال الصدفي ، عن عبد اللّه بن عمرو ، عن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم أنه

= من شرطنا ، ولا خبر نبيط عن جابان لأن جابان مجهول . اهـ .

وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري أخرجه أبو يعلى (٣٩٤/٢) (١١٦٨) . وأخرجه أحمد (٢٨/٣) دون ذكر ولد الزنا . كلاهما من طريق يزيد بن أبي زياد وهو ضعيف وقد حسن الألباني الحديث بطرقه في الصحيحة (٦٧٣) وفيه بحث جيد فليراجعه من شاء الاستزادة .

(٣٨) أخرجه الطبراني (٣٤٦/١٠) (١٠٦٧٤) وابن عدي في الكامل (٩٥٨/٣) . والبيهقي (٥٨/١٠) كتاب الأيمان ، باب : ما جاء في ولد الزنا . كلهم من طريق ابن أبي ليلى عن داود بن علي عن جده ابن عباس - رضي اللّه عنه - به . قال البيهقي : هذا إسناد ضعيف . قال الهيثمي (٢٦٠/٦) : فيه محمد بن أبي ليلى وهو سيئ الحفظ . وقد صحح الألباني « ولد الزنا شر الثلاثة » في الصحيحة برقم (٦٧٢) بشواهده.

---

[١] - في خ : سن .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ز : في .
[٥] - سقط من ز .

قال : « إن العبد يكتب مؤمنًا [أحقابًا ثم أحقابًا][١] ثم يموت والله عليه ساخط . وإن العبد يكتب كافرًا [أحقابًا ثم أحقابًا][٢] ثم يموت والله عنه[٣] راض . ومن مات همَّازًا لمَّازًا مُلقِّبًا للناس ، كان علامته يوم القيامة أن يسمه الله على الخرطوم ، من كلا الشفتين » .

﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

هذا مَثَلٌ ضَرَبَه الله تعالى لكفار قريش فيما أهدى إليهم من الرحمة العظيمة ، وأعطاهم من النعم الجسيمة ، وهو بَعْثُهُ محمدًا صلى الله عليه وسلم إليهم ، فقابلوه بالتكذيب والرد والمحاربة ، ولهذا قال : ﴿ **إنا بلوناهم** ﴾ ، أي : اختبرناهم ، ﴿ **كما بلونا أصحاب الجنة** ﴾ ، وهي البستان المشتمل على أنواع الثمار والفواكه ، ﴿ **إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين** ﴾ ، أي : حلفوا فيما بينهم ليَجُذُّنَّ ثمرها ليلًا ، لئلا يعلم بهم فقير ولاسائل ، ليتوفر ثمرُها عليهم ولا يتصدقوا منه بشيء ، ﴿ **ولا يستثنون** ﴾ أي : فيما حلفوا به . ولهذا حَنَّثهم الله في أيمانهم ، فقال : ﴿ **فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون** ﴾ ، أي : أصابتها آفةٌ سماوية ، ﴿ **فأصبحت كالصريم** ﴾ ، قال ابن عباس : أي كالليل الأسود . وقال الثوري ، والسدّي : مثل الزرع إذا حُصِد ، أي : هشيمًا يبسًا .

وقال ابن أبي حاتم : ذكر عن أحمد بن الصباح : أنبأنا بَشِير[٤] بن زاذان ، عن عمر بن صبح ، عن ليث بن أبي سليم ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن ابن مسعود ؛ قال : قال رسول

---

[١] - في ز ، خ : « أحيانًا ثم أحيانًا » .
[٢] - في خ : « أحيانًا ثم أحيانًا » .
[٣] - في ت ، خ : عليه .
[٤] - في ز : بشر .

اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « إياكم والمعاصي ، إن العبد ليذنب الذنبَ فيحرم به رزقًا قد كان هُيِّء له » ، ثم تلا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون * فأصبحت كالصَّريم** ﴾ ، قد حُرموا خَير جنَّتهم بذنبهم(٣٩) .

﴿ **فتنادوا مصبحين** ﴾ ، أي : لما كان وقت الصبح نادىٰ بعضهم بعضًا ليذهبوا إلىٰ الجَذاذ ، ﴿ **أن اغدوا علىٰ حرثكم إن كنتم صارمين** ﴾ ، أي : تريدون الصرام . قال مجاهد : كان حرثهم عِنَبًا ﴿ **فانطلقوا وهم يتخافتون** ﴾ ، أي : يتناجون فيما بينهم بحيث لا يُسمعون أحدًا كلامهم . ثم فسر اللَّه عالم السر والنجوىٰ ما كانوا يتخافتون به ، فقال : ﴿ **فانطلقوا وهم يتخافتون * أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين** ﴾ ، أي : [يقول بعضهم لبعض][١] : لا تمكنوا اليوم فقيرًا يدخلها عليكم ! قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **وغدوا علىٰ حرد** ﴾ ، أي : قوة وشدة . وقال مجاهد : ﴿ **وغدوا علىٰ حرد** ﴾، أي جِد . وقال عكرمة : غيظ . وقال الشعبي : ﴿ **علىٰ حرد** ﴾ : علىٰ المساكين . وقال السدي : ﴿ **علىٰ حرد** ﴾ ، أي : كان اسم قريتهم « حرد » . فأبعد السدي في قوله هذا !

﴿ **قادرين** ﴾ ، أي : عليها فيما يزعمون ويَرومون . ﴿ **فلما رأوها قالوا إنا لضالون** ﴾ ، أي : فلما وصلوا إليها وأشرفوا عليها ، وهي علىٰ[٢] الحالة التي قال اللَّه - عز وجل - قد استحالت عن تلك النضارة والزهرة وكثرة الثمار إلىٰ أن صارت سوداء مُدْلَهِمة ، لا يُنتفع بشيء منها ، فاعتقدوا أنهم قد أخطئوا الطريق . ولهذا قالوا : ﴿ **إنا لضالون** ﴾ ، أي : قد سلكنا إليها غير الطريق فتهنا عنها . قاله ابن عباس وغيره . ثم رجعوا عما كانوا فيه ، وتيقنوا أنها هي فقالوا : ﴿ **بل نحن محرومون** ﴾ ، أي : بل هذه هي ، ولكن نحن لا حَظّ لنا ولا نصيب .

﴿ **قال أوسطهم** ﴾ ، قال ابن عباس، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، ومحمد ابن كعب ، والربيع بن أنس ، والضحاك ، وقتادة : أي أعدلهم وخيرهم : ﴿ **ألم أقل لكم لولا تسبحون** ﴾ ، قال مجاهد ، والسدي ، وابن جريج : ﴿ **لولا تسبحون** ﴾ ، أي : لولا تستثنون ، قال السدي : وكان استثناؤهم في ذلك الزمان تسبيحًا .

وقال ابن جريج : هو قول القائل : إن شاء الله .

وقيل : معناه : ﴿ **قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون** ﴾ ، أي : هلا تسبحون اللَّه وتشكرونه علىٰ ما أعطاكم وأنعم به عليكم ، ﴿ **قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين** ﴾ ، أتوا

---

(٣٩) ذكره السيوطي في « الدر » (٣٩٥/٦) وزاد نسبته إلى ابن مردويه من حديث ابن مسعود .

---

[١] - في ز ، خ : « يقولون لبعضهم بعضًا » .

[٢] - سقط من ز ، خ .

بالطاعة حيث لا تنفع ، وندموا واعترفوا حيث لا ينجع ، ولهذا قالوا : ﴿ **إنا كنا ظالمين * فأقبل بعضهم علىٰ بعض يتلاومون** ﴾ ، أي : يلوم بعضهم بعضًا علىٰ ما كانوا أصروا عليه من منع المساكين من حق الجذاذ ، فما كان جواب بعضهم لبعض إلا الاعتراف بالخطيئة والذنب ، ﴿ **قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين** ﴾ ، أي : اعتدينا وبَغَينا وطغينا وجاوزنا الحد حتىٰ أصابنا ما أصابنا ، ﴿ **عسىٰ ربنا أن يبدلنا خيرًا منها إنا إلىٰ ربنا راغبون** ﴾ ، قيل : رغبوا في بدلها لهم في الدنيا . وقيل : احتسبوا ثوابها في الدار الآخرة، والله أعلم .

ثم قد ذكر بعض السلف أن هؤلاء قد[١] كانوا من أهل اليمن ، قال سعيد بن جبير : كانوا من قرية يقال لها : ضروان ، علىٰ ستة أميال من صنعاء . وقيل: كانوا من أهل الحبشة ، وكان أبوهم قد خلف لهم هذه الجنة ، وكانوا من أهل الكتاب ، وقد كان أبوهم يسير فيها سيرة حسنة ، فكان ما استغله[٢] منها يرد فيها ما يحتاج إليه ويدّخر لعياله قوت سنتهم ، ويتصدق بالفاضل . فلما مات وورثه بنوه، قالوا : لقد كان أبونا أحمق إذ كان يصرف من هذه شيئًا للفقراء ، ولو أنّا منعناهم لتوفر ذلك علينا . فلما عزموا علىٰ ذلك عُوقِبوا بنقيض قصدهم ، فأذهب الله ما بأيديهم بالكلية ، و[٣] رأس المال والربح والصدقة ، فلم يبق لهم شيء .

قال الله تعالىٰ : ﴿ **كذلك العذاب** ﴾ ، أي : هكذا عذاب من خالف أمر الله ، وبخل بما آتاه الله وأنعم به عليه ، ومنع حق المساكين والفقراء وذوي الحاجات ، وبدل نعمة الله كفرًا ﴿ **ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون** ﴾ ، أي : هذه عقوبة الدنيا كما سمعتم ، وعذاب الآخرة أشق . وقد ورد في حديث رواه الحافظ البيهقي[٤] (٤٠) من طريق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، عن أبيه ، عن جده : أن[٥] رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم نهى عن الجذاذ بالليل ، والحصاد بالليل .

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾

(٤٠) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٣٣/٤) .

[١] - سقط من ز .
[٢] - في خ : استقله .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ز ، خ : السهيلي .
[٥] - في ز : إلى .

لما ذكر تعالىٰ حال أهل الجنة الدنيوية ، وما أصابهم فيها من النقمة حين عصوا اللَّه - عز وجل - وخالفوا أمره ، بين أن لمن اتقاه وأطاعه في الدار الآخرة جنات النعيم التي لا تَبِيد ولا تفرغ ولا ينقضي نعيمها .

ثم قال : ﴿ **أفنجعل المسلمين كالمجرمين** ﴾ ، أي : أفنساوي بين هؤلاء وهؤلاء في الجزاء ؟ كلا ورب الأرض والسماء ، ولهذا قال : ﴿ **ما لكم كيف تحكمون** ﴾ أي كيف تظنون[١] ذلك ؟

ثم قال : ﴿ **أم لكم كتاب فيه تدرسون * إن لكم فيه لما تخيرون** ﴾ ، يقول : أفبأيديكم كتاب منزل من السماء تدرسونه وتحفظونه وتتداولونه بنقل[٢] الخلف عن السلف ، مُتضمّن حكمًا مؤكدًا كما تدعونه ؟ ﴿ **إن لكم فيه لما تخيرون * أم لكم أيمان علينا بالغة إلىٰ يوم القيامة إن لكم لما تحكمون** ﴾ أي : أمعكم عهود منا ومواثيق مؤكدة ، ﴿ **إن لكم لما تحكمون** ﴾ ، أي : إنه سيحصل لكم ما تريدون وتشتهون ، ﴿ **سلهم أيهم بذلك زعيم** ﴾ أي : قل لهم : من هو المتضمن المتكفل بهذا ؟ ﴿ **أم لهم شركاء** ﴾ ، أي : من الأصنام والأنداد ، ﴿ **فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين** ﴾ .

يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾

لما ذكر تعالىٰ أن للمتقين عنده جنات النعيم ، بين متىٰ ذلك كائن وواقع ، فقال : ﴿ **يوم يكشف عن ساق ويدعون إلىٰ السجود فلا يستطيعون** ﴾ ، يعني يوم القيامة وما يكون فيه من الأهوال والزلازل والبلابل والامتحان والأمور العظام ، وقد قال البخاري(٤١) هاهنا :

حدثنا آدم ، حدثنا الليث ، عن خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يَسَار ، عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول[٣] : « يَكشِفُ رَبّنا عن ساقه ، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ، ويبقىٰ من كان يسجد في

(٤١) صحيح البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ يوم يكشف عن ساق ﴾ ، حديث (٤٩١٩) (٨/ ٦٦٣ - ٦٦٤) .

[١] - بياض في ز ، خ . [٢] - في ز : نقل .
[٣] - سقط من خ .

الدنيا رياء وسمعة ، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طَبَقًا واحدًا » .

وهذا الحديث مخرج في الصحيحين(٤٢) وفي غيرهما من طرق ، وله ألفاظ ، وهو حديث طويل مشهور .

وقد قال عبد اللَّه بن المبارك : عن أسامة بن زيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ **يوم يكشف عن ساق** ﴾ قال : هو يوم كرب وشدة . رواه ابن جرير(٤٣) ثم قال :

حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن المغيرة عن[١] إبراهيم عن ابن مسعود ، أو ابن عباس – الشك من ابن جرير : ﴿ **يوم يكشف عن ساق** ﴾ قال : عن أمر عظيم كقول الشاعر :

* [وقامت الحرب بنا على ساق] [٢] *

وقال ابن أبي نجيح : [عن مجاهد][٣] : ﴿ **يوم يكشف عن ساق** ﴾ ، قال : شدة الأمر .

وقال ابن عباس : هي أول ساعة تكون في يوم القيامة .

وقال عليّ بن أبي طلحة : عن ابن عباس : قوله : ﴿ **يوم يكشف عن ساق** ﴾ ، هو : الأمر الشديد المُفظع من الهول يوم القيامة .

وقال العوفي : عن ابن عباس قوله : ﴿ **يوم يكشف عن ساق** ﴾ ، يقول : حين يكشف الأمر وتبدو الأعمال وكشفه[٤] دخول الآخرة ، وكشف الأمر عنه . وكذا روىٰ الضحاك عن ابن عباس .

أورد ذلك كله أبو جعفر بن جرير(٤٤) ثم قال : حدثني أبو زيد عمر بن شبة[٥] ، حدثنا هارون بن عمر المخزومي ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا أبو سعيد روح بن جناح ، عن مولى لعمر بن عبد العزيز ، عن أبي بردة بن أبي موسىٰ ، عن أبيه ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : ﴿ **يوم يكشف عن ساق** ﴾ ، قال[٦] : عن نور عظيم ، يخرون له سجدًا .

(٤٢) سيأتي تخريجه بإذن اللَّه عند تفسير آية (٢٣) من سورة القيامة .

(٤٣) أخرجه الطبري (٣٨/٢٩) من حديث ابن عباس من غير شك فيه .

(٤٤) أخرجه الطبري (٤٢/٢٩) .

[١] – في ز ، خ : بن .

[٢] – في ز ، خ : « سالت الحرب عن ساق » .

[٣] – سقط من خ .

[٤] – في ز : يكشفه .

[٥] – في ز : شيبة .

[٦] – في خ : يعني .

ورواه أبو يعلىٰ(٤٥) ، عن القاسم بن يحيىٰ ، عن الوليد بن مسلم ، به ، وفيه رجل مبهم ، فالله أعلم .

وقوله : ﴿ **خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة** ﴾ ، أي : في الدار الآخرة بإجرامهم وتكبرهم في الدنيا ، فعوقبوا بنقيض ما كانوا عليه ، ولما دعوا إلىٰ السجود في الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم ، كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة ، إذا تجلىٰ الرب - عز وجل - فسجد له المؤمنون ، لا يستطيع أحد من الكافرين ولا المنافقين أن يسجدَ ، بل يعود ظهر أحدهم طبقًا واحدًا ، كلما أراد أحدهم أن يسجد خَرَّ لقفاه، عكس السجود ، كما كانوا في الدنيا ، بخلاف ما عليه المؤمنون .

ثم قال تعالى : ﴿ **فذرني ومن يكذب بهذا الحديث** ﴾ يعني : القرآن ، وهذا تهديد شديد أي : دعني وإياه مني ومنه . أنا أعلم به كيف أستدرجه ، وأمده في غيه وأنظره[١] ، ثم آخذه أخذ عزيز مقتدر . ولهذا قال : ﴿ **سنستدرجهم من حيث لا يعلمون** ﴾ ، أي : وهم لا يشعرون ، بل يعتقدون أن ذلك من الله كرامة ، وهو في نفس الأمر إهانة ، كما قال : ﴿ **أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين * نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون** ﴾ وقال : ﴿ **فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كلّ شيء حتىٰ إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون** ﴾ . ولهذا قال هاهنا : ﴿ **وأملي لهم إن كيدي متين** ﴾ ، [أي : وأؤخرهم وأنظرهم وأمدهم ، وذلك من كيدي ومكري بهم ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **إن كيدي متين** ﴾][٢] أي : عظيم لمن خالف أمري ، وكذب رسلي ، واجترأ علىٰ معصيتي .

وفي الصحيحين(٤٦) عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله ليملي للظالم ، حتىٰ إذا أخذه لم يفلته » ثم قرأ : ﴿ **وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرىٰ وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد** ﴾ .

وقوله : ﴿ **أم تسألهم أجرًا فهم من مغرم مثقلون * أم عندهم الغيب فهم يكتبون** ﴾ ، تقدم تفسيرهما في سورة الطور . والمعنىٰ في ذلك : أنك يا محمد تدعوهم إلىٰ الله - عز وجل - بلا أجر تأخذه منهم ، بل ترجو ثواب ذلك عند الله - عز وجل - وهم يكذبون بما جئتهم به ، بمجرد الجهل والكفر والعناد .

---

(٤٥) أخرجه أبو يعلى (١٣/٢٦٩) (٧٢٨٣) .

(٤٦) أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد ﴾ ، حديث (٤٦٨٦) (٨/٣٥٤) . ومسلم في كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : تحريم الظلم ، حديث (٦١/٢٥٨٣) (١٦/٢٠٥ - ٢٠٦) . كلاهما من حديث أبي موسى الأشعرى - رضي الله عنه .

---

[١] - في ت : وأنظر . [٢] - سقط من ز ، خ .

﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ فاصبر ﴾ يا محمد علىٰ أذىٰ قومك لك وتكذيبهم ، فإن اللّٰه سيحكم لك عليهم ، ويجعل العاقبة لك ولأتباعك في الدنيا والآخرة ، ﴿ ولا تكن كصاحب الحوت ﴾ ، يعني : ذا النون ، وهو يونس بن متىٰ - عليه السلام - حين ذهب مُغَاضِبًا علىٰ قومه ، فكان من أمره ما كان من ركوبه في البحر والتقام الحوت له ، وشرود الحوت به في البحار وظلمات غمرات اليم ، وسماعه تسبيح البحر بما فيه للعلي القدير، الذي لا يُرَدّ ما أنفذَه من التقدير ، فحينئذ نادىٰ في الظلمات : ﴿ أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ قال الله تعالى : ﴿فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ فلولا أنه كان من المسبحين * للبث في بطنه إلىٰ يوم يبعثون ﴾ . وقال هاهنا : ﴿إذ نادى وهو مكظوم﴾ قال ابن عباس، ومجاهد، والسدي: مغموم وقال عطاء الخراساني ، وأبو مالك : مكروب . وقد قدمنا في الحديث أنه لما قال : ﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ ، خرجت [الكلمة تَحُفّ[١]][٢] حول العرش ، فقالت الملائكة : يارب ، هذا صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة ! فقال اللّٰه تعالى : أماتعرفون هذا . قالوا : لا ! قال : هذا يونس . قالوا : يارب ، عبدك الذي لا يزال يرفع له عمل صالح ودعوة مجابة ؟ قال : نعم . قالوا : أفلا ترحم ما كان يعمله في الرخاء فتنجيه من البلاء ؟ فأمر اللّٰه الحوت فألقاه بالعراء ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ فاجتباه ربه فجعله من الصالحين ﴾ .

وقد قال الإمام أحمد(٤٧) : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن عبد اللّٰه قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « لا ينبغي لأحد أن يقول : أنا خير من يونس بن متىٰ » ورواه البخاري من حديث سفيان الثوري ، وهو في الصحيحين(٤٨) من حديث أبي هريرة .

(٤٧) المسند (١/٣٩٠) (٣٧٠٣) . والبخاري في كتاب : أحاديث الأنبياء ، باب : قول اللّٰه تعالى : ﴿ وإن يونس لمن المرسلين ... ﴾ حديث (٣٤١٢) (٦/٤٥٠) .

(٤٨) صحيح البخاري في الموضع السابق (٣٤١٦) (٦/٤٥١) وطرفه في [٤٦٣١] . ومسلم في كتاب : الفضائل ، باب : في ذكر يونس عليه السلام ، حديث (٢٣٧٦/١٦٦) (١٥/١٩٢ - ١٩٣) وهو عنده من كلام رب العزة تبارك وتعالى .

[١] - في ز : عن .

[٢] - في خ : الظلمة .

وقوله : ﴿ وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم ﴾ ، قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما : ﴿ ليزلقونك ﴾ : لَيَنْفُذونك بأبصارهم . [أي : لَيَعينُوك][١] بأبصارهم ، بمعنىٰ يحسدونك لبغضهم[٢] إياك لولا وقاية اللّٰه لك ، وحمايته إياك منهم . وفي هذه الآية دليل علىٰ أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر اللّٰه - عز وجل - كما وردت بذلك الأحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة .

(حديث أنس بن مالك) - رضي اللّٰه عنه - : قال أبو داود(٤٩) : حدثنا سليمان بن داود العَتَكي ، حدثنا شريك ح وحدثنا العباس العنبري ، حدثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا شريك ، عن العباس بن ذَريح ، عن الشعبي - قال العباس : عن أنس - قال : قال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « لا رقية إلا من عين أو حُمة أو دم لا يرقأ » لم يذكر العباس العين ، وهذا لفظ سليمان .

(حديث بُرَيدة بن الحُصَيب) - رضي اللّٰه عنه - : قال أبو عبد اللّٰه بن ماجة(٥٠) : حدثنا محمد ابن عبد اللّٰه بن نُمَير، حدثنا إسحاق بن سليمان ، عن أبي جعفر الرازي ، عن حُصَين ، عن الشعبي ، عن بريدة بن الحصيب قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « لا رقية إلا من عين أو حُمة » .

هكذا رواه ابن ماجة ، وقد أخرجه مسلم(٥١) في صحيحه ، عن سعيد بن منصور، عن هشيم ، عن حُصَين بن عبد الرحمن ، عن عامر الشعبي ، عن بريدة موقوفًا ، وفيه قصة .

وقد رواه شعبة عن حصين عن الشعبي عن بريدة . قاله الترمذي(٥٢) .

وروىٰ هذا الحديث الإمام البخاري(٥٣) من حديث محمد بن فضيل ، وأبو داود من حديث مالك بن مِغْول ، والترمذيُ من حديث سفيان ابن عيينة ، ثلاثتهم عن حصين ، عن عامر الشعبي ، عن عمران بن حُصَين موقوفًا .

---

(٤٩) سنن أبي داود في كتاب : الطب ، باب : ما جاء في الرقى ، حديث (٣٨٨٩) (١١/٤) . وضعفه الألباني في « ضعيف سنن أبي داود » (٨٣٨) .

(٥٠) سنن ابن ماجة في كتاب : الطب ، باب : ما رخص فيه من الرقى ، حديث (٣٥١٣) (١١٦١/٢) .

(٥١) صحيح مسلم في كتاب : الإيمان ، باب : الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ، حديث (٣٧٤/٢٢٠) (١١٦/٣) ومابعدها في حديث طويل .

(٥٢) السنن ، كتاب : الطب ، باب : ما جاء في الرخصة في ذلك ، حديث (٢٠٥٨) (٢٥٢/٦) .

(٥٣) صحيح البخاري في كتاب : الطب ، باب : من اكتوى أو كوى غيره ، حديث (٥٧٠٥) =

---

[١] - في ز : ليعنونك . [٢] - في ز : لبغضتهم .

(حديث أبي ذر جندب بن جنادة)(٥٤) : قال الحافظ أبو يعلىٰ الموصلي رحمه الله :- حدثنا إبراهيم بن محمد [بن عرعرة بن البرند][١] السامي[٢] ، حدثنا ديلم بن[٣] غزوان ، حدثنا وهْب بن أبي دبي ، عن أبي حرب [ ][٤] عن أبي ذر قال : قال رسول رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « إن العين لتولع الرجل بإذن الله فيتصاعد حالقًا ثم يتردى منه » إسناده غريب ولم يخرجوه .

(حديث حابس التميمي) : قال الإمام أحمد(٥٥) : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا حرب ، حدثنا يحيىٰ بن أبي كثير، حدثني حَيَّة بن حابس التميمي : أن أباه أخبره : أنه سمع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « لا شيء في الهام والعين حق وأصدق الطيرة الفأل » . وقد رواه الترمذي عن عمرو بن علي ، عن أبي غسان يحيىٰ بن كثير ، عن علي بن المبارك ، عن يحيىٰ بن أبي كثير ، به ثم قال : «غريب » ، قال : وروىٰ شيبان ، عن يحيىٰ بن أبي كثير ، عن حية[٥] بن حابس ، عن أبيه ، عن أبي هريرة عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم .

[قلت : كذلك رواه الإمام أحمد(٥٦) عن حسن بن موسىٰ ، وحُسَين بن محمد ، عن شيبان ، عن يحيىٰ بن أبي كثير ، عن حية حدثه ، عن أبيه ، عن أبي هريرة : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « لا بأس في الهام ، والعين حق ، وأصدق الطيرة الفأل »][٦] .

حديث ابن عباس : قال الإمام أحمد(٥٧) : حدثنا عبد الله بن الوليد ، عن سفيان ، عن دُوَيد ، حدثني إسماعيل بن[٧] ثوبان عن جابر بن زيد ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « العين حق ، العين حق، تستنزل الحالق » . غريب

= (١٥٥/١٠) . وسنن أبي داود ، كتاب : الطب ، باب : ما جاء في الرقى ، حديث (٣٨٨٤) (١٠/٤) . والترمذي في كتاب : الطب ، باب : ما جاء في الرخصة في ذلك ، حديث (٢٠٥٨) (٢٥٢/٦) .

(٥٤) المسند (١٤٦/٥) (٢١٣٨٢) ، (٢١٥٥٢) والبزار كما في المجمع (١٠٩/٥) كلاهما من حديث أبي ذر - رضي الله عنه . قال الهيثمي : ورجال أحمد ثقات . والحديث صححه الألباني في الصحيحة (٨٨٩) . ولم أجده في المطبوع من أبي يعلى .

(٥٥) المسند (٧٠/٥) (٢٠٧٣٧) . والترمذي في كتاب : الطب ، باب : ما جاء أن العين حق ، حديث (٢٠٦٢) (٢٥٤/٦ - ٢٥٥) .

(٥٦) المسند (٧٠/٥) (٢٠٧٣٨) والحديث ضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٣٥٨ - ٢١٥٥) وعزاه إلى الضعيفة (٤٨٠٤) دون قوله : « العين حق » فقد عزاه للصحيحة (١٢٤٨) .

(٥٧) المسند (٢٩٤/١) (٢٦٨١) .

[١] - في ز : « عن عروة بن الزبير » .
[٢] - في خ : الشامي .
[٣] - في ز : عن .
[٤] - في ز : عن محجن .
[٥] - في خ : حنة .
[٦] - سقط من ز ، خ .
[٧] - في ز : عن .

طريق أخرىٰ قال مسلم(٥٨) في صحيحه : حدثنا عبد اللَّه بن عبد الرحمن الدارمي ، أخبرنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا وُهَيب ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، عن النبي - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - قال : « العين حق ، ولوكان شيء سَابَقَ القَدَرَ سَبَقَت العين وإذا استغسلتم[١] فاغسلوا » . انفرد به دون البخاري . وقال عبد الرزاق(٥٩) : عن سفيان الثوري ، عن منصور ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس قال : كان رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يُعَوِّذ الحسن والحسين ، يقول : « أعيذكما بكلمات اللَّه التامة ، من كل شيطان وهَامَّة ومن كل عين لامة » ويقول : « هكذا كان[٢] إبراهيم يعوذ إسحاق وإسماعيل عليهم السلام » .

أخرجه البخاري(٦٠) [وأهل السنن][٣] من حديث المنهال به . حديث أبي أمامة أسعد ابن سهل بن حنيف رضي اللَّه عنه : قال ابن ماجة : حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا سفيان ، عن الزهري ، عن أبي أمامة بن سهل بن حُنَيف [قال : مر عامر بن ربيعة بسهل بن حُنَيف][٤] وهو يغتسل ، فقال : لم أر كاليوم ولا جلد مخبأة . فما لبث أن لُبِطَ به ، فأتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل له : أدرك [سهلًا صريعًا][٥] . قال : « من تتهمون به ؟ » قالوا : عامر بن ربيعة . قال : « علام يقتل أحدكم أخاه ؟ إذا رأى أحدكم من أخيه ما يُعجبه فَليَدْعُ له[٦] بالبركة » . ثُمّ دعا بماء فأمر عامرًا أن يتوضأ فيغسل وجهه ويديه إلىٰ المرفقين ، وركبتيه ، وداخلة إزاره وأمره أن يصب عليه .

قال سفيان : قال معمر ؛ عن الزهري : وأمر أن يكفأ إناء[٧] من خلفه .

(٥٨) صحيح مسلم في كتاب : السلام ، باب : الطب والمرض والرقى ، حديث (٤٢/٢١٨٨) (١٤/ ٢٤٥) .

(٥٩) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٣٣٧/٤) (٧٩٨٨) .

(٦٠) صحيح البخاري في كتاب : الأنبياء ، باب : (١٠) ، حديث (٣٣٧١) (٤٠٨/٦) وأبو داود في كتاب : السنة ، باب : في الرد على الجهمية ، حديث (٤٧٣٧) (٢٣٥/٤) . والترمذي في كتاب : الطب، باب : «١٨»، حديث (٢٠٦١) (٢٥٣/٦ - ٢٥٤) . والنسائي في الكبرى في كتاب : النعوت ، باب : كلمات اللَّه - سبحانه وتعالى - حديث (٧٧٢٦) (٤١١/٤) ، وفي التفسير (١٠٨٤٤، ١٠٨٤٥) . وابن ماجة في كتاب : الطب ، باب : رقية الحية والعقرب ، حديث (٣٥١٩) (٢/ ١١٦٣) .

[١] - في ت : اغْتُسلتم .
[٢] - سقط من ت .
[٣] - بياض في ز ، خ .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - بياض في ز ، خ .
[٦] - سقط من ز ، خ .
[٧] - في ز : الإناء .

وقد رواه النسائي(٦١) ، من حديث سفيان بن عيينة ومالك بن أنس، كليهما عن الزهري ، به . ومن حديث سفيان بن عيينة أيضًا عن معمر ، عن الزهري ، عن أبي أمامة : ويكفأ الإناء من خلفه . ومن حديث ابن أبي ذئب عن الزهري ، عن أبي أمامة [ ][١] أسعد بن سهل بن [ ][٢] حُنَيف ، عن أبيه ، به . ومن حديث مالك أيضًا ، عن محمد بن أبي أمامة بن سهل ، عن أبيه به .

(حديث أبي سعيد الخدري) : قال ابن ماجة(٦٢) : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا سعيد[٣] بن سليمان ، حدثنا عباد ، عن الجريري ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد قال : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يتعوذ من أعين الجان وأعين الإنس . فلما نزل المعوذتان أخذهما وترَك ما سوىٰ ذلك .

ورواه الترمذي والنسائي ، من حديث سعيد بن [ ][٤] إياس أبي مسعود الجُرَيري به . وقال الترمذي : « حسن » .

(حديث آخر) عنه : قال الإمام أحمد(٦٣) : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، حدثني أبي ، حدثني عبد العزيز بن صُهَيب ، حدثني أبو نضرة ، عن أبي سعيد : أن جبريل أتىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال : اشتكيت يا محمد ؟ قال : « نعم » . قال : باسم الله أرقيك ، من كل شيء يؤذيك ، من شر كل نفس وعين يشفيك ، باسم الله أرقيك .

ورواه عن عفان(٦٤) عن عبد الوارث مثله ، ورواه مسلم وأهل السنن - إلا أبا داود - من حديث عبد الوارث به .

---

(٦١) سنن النسائي في الكبرى في كتاب : الطب ، باب : وضوء العائن ، حديث (٧٦١٧ - ٧٦١٩) .

(٦٢) سنن ابن ماجة في كتاب : الطب ، باب : من استرقى من العين ، حديث (٣٥١١) (١١٦١/٢) .
والترمذي في كتاب : الطب ، باب : « ما جاء في الرقية بالمعوذتين » حديث (٢٠٥٩) (٢٥٢/٦) .
والنسائي (٢٧١/٨) كتاب الاستعاذة باب : الاستعاذة من عين الجان .

(٦٣) المسند (٢٨/٣) (١١٢٣٩) .

(٦٤) المسند (٥٦/٣) (١١٥٥٠) . ومسلم في كتاب : السلام ، باب : الطب والمرض والرقى ، حديث (٢١٨٦/٤٠) (٢٤٤/١٤) . والترمذي في كتاب : الجنائز ، باب : ما جاء في التعوذ للمريض ، حديث (٩٧٢) (٣٥٣/٣) . والنسائي في الكبرى في كتاب : عمل اليوم والليلة ، باب : ذكر ما كان جبريل يعوذ به النبي ﷺ حديث (١٠٨٤٣) (٢٤٩/٦) . وابن ماجة في كتاب : الطب ، باب : ما عَوَّذَ به النبي ﷺ وما عُوِّذَ به ، حديث (٣٥٢٣) (١١٦٤/٢) .

---

[١] - في ز : عن .
[٢] - في ز ، خ : أبي .
[٣] - في ز ، خ : معبد .
[٤] - في ز ، خ : أبي .

وقال الإمام أحمد(٦٥) أيضًا : حدثنا عفان ، حدثنا وهيب ، حدثنا داود ، عن أبي نَضرَة ، عن أبي سعيد - أو عن جابر بن عبد الله - : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم اشتكىٰ ، فأتاه جبريل فقال : باسم الله أرقيك ، من كل شيء يؤذيك ، من كل حاسد وعين الله يشفيك .

ورواه أيضًا(٦٦) ، عن محمد بن عبدالرحمن الطفاوي ، عن داود ، عن أبي نَضرَة ، عن أبي سعيد ، به .

قال أبو زرعة الرازي : روىٰ عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن أبيه ، عن عبد العزيز [عن أبي نَضْرَة ، وعن عبد العزيز][١] عن أنس في معناه وكلاهما صحيح .

حديث أبي هُرَيرة : قال الإمام أحمد(٦٧) : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر ، عن هَمَّام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هُرَيرة عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال[٢] : « إن العين حق » .

أخرجاه(٦٨) من حديث عبد الرزاق . وقال ابن ماجة(٦٩) : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا إسماعيل ابن عُليَّة ، عن الجُرَيري ، عن مُضَارب بن حَزن ، عن أبي هُرَيرة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « العين حق » تفرد به . ورواه أحمد(٧٠) عن إسماعيل بن علية عن سعيد الجريري به .

وقال الإمام أحمد(٧١) : حدثنا ابن نمير ، حدثنا ثور - يعني ابن يزيد - ، عن مكحول ، عن أبي هُرَيرة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « العين حق ، ويحضُرها[٣] الشيطانُ وحسد ابن آدم » .

---

(٦٥) المسند (٧٥/٣) (١١٧٢٧) .
(٦٦) المسند (٥٨/٣) (١١٥٧٣) .
(٦٧) المسند (٣١٩/٢) .
(٦٨) صحيح البخاري في كتاب : الطب ، باب : العين حق ، حديث (٥٧٤٠) (٢٠٣/١٠) وطرفه في [٥٩٤٤] ، ومسلم في كتاب : السلام ، باب : الطب والمرض والرقى ، حديث (٢١٨٧/٤١) (١٤/ ٢٤٥) .
(٦٩) سنن ابن ماجة في كتاب : الطب ، باب : العين ، حديث (٣٥٠٧) (١١٥٩/٢) .
(٧٠) المسند (٤٨٧/٢) .
(٧١) أخرجه أحمد (٤٣٩/٢) . قال الهيثمي (١١٠/٥) : رجاله رجال الصحيح .

---

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - سقط من ت .
[٣] - في ز : ومحضرها .

وقال أحمد(٧٢) : حدثنا خلف بن الوليد ، حدثنا أبو[١] معشر ، عن محمد بن قيس : سُئل أبو هُرَيرة : هل سمعت رسول الله يقول : الطيرة في ثلاث : في المسكن والفرس والمرأة ؟ قال : قلت : إذًا أقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل ! ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم [يقول : « أصدق[٢]][٣] الطيرة الفأْلُ ، والعين حق » .

حديث أسماء بنت عُمَيس : قال الإمام أحمد(٧٣) : حدثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن عُروةَ بن عامر ، عن عُبيد بن رفاعة الزُرقي قال : قالت أسماء : يارسول الله ، إن بني جعفر تصيبهم العين ، أفأسترقي لهم ؟ قال : «نعم ، فلو كان شيء يسبق القدرَ لسبقته العين » .

وكذا رواه الترمذي وابن ماجة ، من حديث سفيان بن عيينة ، به ، ورواه الترمذي(٧٤) أيضًا والنسائي ، من حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن أيوب ، عن عمرو بن دينار ، عن عروة بن عامر ، عن عُبيَد بن رفاعة ، عن أسماء بنت عميس ، به[٤] ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

حديث عائشة - رضي الله عنها - : قال ابن ماجة(٧٥) : حدثنا علي بن أبي الخَصِيب[٥] ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، ومسعر ، عن معبد بن خالد ، عن عبد الله بن شَداد ، عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرها أن تسترقي من العين ، ورواه البخاري(٧٦) عن محمد بن كثير ، عن سفيان ، عن معبد [بن خالد ، به . وأخرجه مسلم(٧٧) من حديث سُفيان ومِسعر ، كليهما عن معبد ، به][٦] ثم قال ابن ماجة(٧٨) :

(٧٢) المسند (٢/٢٨٩) .

(٧٣) المسند (٦/٤٣٨) (٢٧٥٧٧) . والترمذي في كتاب : الطب ، باب : ما جاء في الرقية من العين ، حديث (٢٠٥٩) (٦/٢٥٣) . وابن ماجة في كتاب : الطب ، باب : من استرقى من العين ، حديث (٣٥١٠) (٢/١١٦٠) .

(٧٤) أخرجه الترمذي في الموضع السابق بهذا الإسناد . وأخرجه النسائي في الكبرى في كتاب : الطب ، باب : رقية العين ، حديث (٧٥٣٧) (٤/٣٦٥) من طريق أحمد بن الأزهر عن عبد الرحمن عن معمر بالإسناد السابق . وصححه الألباني في الصحيحة (١٢٥٢) .

(٧٥) سنن ابن ماجة في كتاب : الطب ، باب : من استرقى من العين ، حديث (٣٥١٢) (٢/١١٦١) .

(٧٦) صحيح البخاري في كتاب : الطب ، باب : رقية العين ، حديث (٥٧٣٨) (١٠/١٩٩) .

(٧٧) صحيح مسلم في كتاب : السلام ، باب : استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة ، حديث (٢١٩٥/٥٥،٥٦) (١٤/٢٦٤) .

(٧٨) سنن ابن ماجة في كتاب : الطب ، باب : العين ، حديث (٣٥٠٨) (٢/١١٥٩) . وصححه الألباني في الصحيحة (٧٣٧) .

[١] - في ز ، خ : ابن .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من خ .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - في ز : الحصيب .
[٦] - سقط من ز ، خ .

حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا أبو[١] هشام المخزومي ، حدثنا وُهَيب ، عن أبي واقد ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن عائشة قالت : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : «استعيذوا باللّٰه ، فإن العين[٢] حق » . تفرد به [خالد وأخرجه مسلم من حديث سفيان ومسعر كلاهما عن معبد به][٣] وقال أبوداود(٧٩) : حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة قالت : كان يؤمر العائن فيتوضأ ويغسل[٤] منه المَعِين .

[قلت : كذلك رواه أحمد عن حسن بن موسى وحسين بن محمد عن سنان أن ابن حية حدثه عن أبيه ، عن أبي هريرة عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « لا [...][٥] إلهام والعين حق وأصدق طيرة الفأل][٦] .

حديث سهل بن حُنَيف : قال الإمام أحمد(٨٠) : حدثنا حُسَين بن محمد ، حدثنا أبو أويس ، حدثنا الزّهري ، عن أبي أمامة بن سَهل بن حُنَيف : أن أباه حدثه : أن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم خرج وساروا معه نحو مكة ، حتىٰ إذا كانوا بشعب الخَرّار - من الجحفة - اغتسل سهلُ بن حُنَيف - وكان رجلًا أبيض حَسن الجسم والجلد - فنظر إليه عامر بن ربيعة أخو[٧] بني عدي بن كعب وهو يغتسل ، فقال : ما رأيت كاليوم ولا جلد مُخبَّأة . فلُبِطَ سهل ، فأتي رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقيل له : يارسول اللّٰه ، هل لك في سهل !. واللّٰه مايرفع رأسه ولا يُفيق . قال : « هل تتهمون فيه من أحد ؟ » قالوا : نظر إليه عامر بن ربيعة . فدعا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم عامرًا فتغيظ عليه ، وقال : « علام يقتل أحدكم أخاه ، هلا إذا رأيت ما يعجبك بَرّكت ؟ » ثم قال له : « اغتسل له[٨] » . فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وَداخلَة إزاره في قَدح ، ثم صُبَّ ذلك الماء عليه ، يَصُبّه[٩] رجل علىٰ رأسه وظهره من خلفه ، ثم يكفأ القدح وراءه . ففعل[١٠] ذلك ، فراح سهل مع الناس ، ليس

(٧٩) سنن أبي داود في كتاب : الطب ، باب : ما جاء في العين ، حديث (٣٨٨٠) (٩/٤) . وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٢٨٦) .

(٨٠) أخرجه أحمد (٤٨٦/٣ - ٤٨٧) (١٦٠٢٧) قال الهيثمي في « المجمع » (١١٠/٥) : رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح ، وفي أسانيد الطبراني ضعف .

[١] - في ز : ابن .
[٢] - في ز : النفس .
[٣] - سقط من ت .
[٤] - في ز : يغتسل .
[٥] - بياض في ز .
[٦] - سقط من ت .
[٧] - في ز : أحد .
[٨] - سقط من خ .
[٩] - في ز : فصبه .
[١٠] - في ز : يفعل .

به بأس .

(حديث عامر بن ربيعة) : قال الإمام أحمد(٨١) في مسند عامر : حدثنا وكيع ، حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن عيسى عن أميه بن هند بن سهل بن حُنيف ، عن عبد الله بن عامر قال : انطلق عامر ابن ربيعة ، وسهل بن حنيف يريدان الغسل ، قال : فانطلقا يلتمسان الخَمَر ، قال : فوضع عامر جُبّة كانت عليه من صوف ، فنظرت إليه فأصبته بعيني ، فنزل الماء يغتسل ، قال : فسمعت له في الماء فرقعة ، فأتيته فناديته ثلاثًا فلم يجبني . فأتيت النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فأخبرته ، قال : فجاء يمشي فخاض الماء كأني أنظر إلىٰ بياض ساقيه ، قال : فضرب صدره بيده ثم قال : « اللّٰهم اصرف عنه حرها وبردها ووصبها » . قال : فقام . فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « إذا رأى أحدكم من أخيه أو من نفسه أو من ماله ، ما يعجبه، فليبرّك ، فإن العين حق » .

(حديث جابر) : قال الحافظ أبو بكر البزار(٨٢) في مسنده : حدثنا محمد بن معمر ، حدثنا أبو داود ، حدثنا طالب بن حبيب بن عمرو[١] بن سهل الأنصاري - ويقال له : ابن الضَجيع ، ضجيع حمزة - رضي اللّٰه عنه - حدثني عبد الرحمن بن جابر بن عبد اللّٰه ، عن أبيه قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « أكثر من يموت من أمتي بعد كتاب اللّٰه وقضائه وقدره بالأنفس » .

قال البزار : يعني : العين . قال : ولا نعلم يروى هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا بهذا الإسناد .

قلت : بل قد روي من وجه آخر عن جابر، قال الحافظ أبو عبدالرحمن محمد بن المنذر الهروي - المعروف بشَكر - في كتاب العجائب ، وهو مشتمل علىٰ فوائد جليلة وغريبة : حدثنا الرهاوي ، حدثنا يعقوب بن محمد ، حدثنا علي بن أبي علي الهاشمي ، حدثنا محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد اللّٰه أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « العين حق لتورد الرجل القبر ، والجمل القدر ، وإن أكثر هلاك أمتي في[٢] العين » .

ثم رواه عن شعيب بن أيوب ، عن معاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « قد تُدخل الرجلَ العينُ في القبر ،

---

(٨١) المسند (٤٤٧/٣) (١٥٧٤١) . قال الهيثمي في « المجمع » (١١١/٥) : رواه الطبراني وفيه أمية بن هند ، وهو مستور ولم يضعفه أحد ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(٨٢) أخرجه البزار (٦٤٣/١ - مختصر) (١١٦٤) . قال الهيثمي في « المجمع » (١٠٩/٥) : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا طالب بن حبيب بن عمرو وهو ثقة .

---

[١] - في خ : عمر .

[٢] - سقط من ز ، خ .

وتدخل الجمَل القدر » .

(حديث عبد اللَّه بن عمرو) : قال الإمام أحمد(٨٣) : حدثنا قتيبة ، حدثنا رشدين[١] بن سعد ، عن الحسن بن ثوبان ، عن هشام بن أبي رُقية ، عن عبد اللَّه بن عمرو قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « لا عدوىٰ ولاطيرة ، ولا هَامة ولاحَسَد ، والعين حق » تفرد به أحمد .

حديث عن عليّ : روىٰ الحافظ ابن عساكر(٨٤) من طريق خَيْثمة بن سليمان الحافظ : حدثنا عبيد بن محمد الكشُوري ، حدثنا عبد اللَّه بن عبد اللَّه بن عبد ربه البصري ، عن أبي رجاء ، عن شعبة ، عن[٢] أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن[٣] علي : أن جبريل أتىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فوافقه مغتمًا ، فقال له[٤] : يا محمد ؛ ما هذا الغم الذي أراه في وجهك ؟ قال : « الحسن والحسين أصابتهما عين » قال : صَدّق بالعين ، فإن العين حق ، أفلا عوذتهما بهؤلاء الكلمات ؟ قال : « وماهن ياجبريل ؟ » . قال : قل : اللَّهم ذا السلطان العظيم ، [ذا المن][٥] القديم ، ذا الوجه الكريم ، ولي الكلمات التامات ، والدعوات المستجابات ، عاف الحسن والحسين من أنفس الجن ، وأعين الإنس . فقالها النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقاما يلعبان بين يديه . فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « عَوّذوا أنفسكم ونساءكم وأولادكم بهذا التعويذ ، فإنه لم يتعوذ المتعوذون بمثله » .

قال الخطيب البغدادي : تفرد بروايته أبو رجاء محمد بن عبيد[٦] اللَّه الحَبَطي من أهل تُسْتَر ، ذكره ابن عساكر في ترجمة طراد بن الحسين ، من تاريخه .

وقوله ﴿ **ويقولون إنه لمجنون** ﴾ ، أي : يزدرونه بأعينهم ويؤذونه بألسنتهم ، ويقولون : ﴿ **إنه لمجنون** ﴾ ، أي : لمجيئه بالقرآن . قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **وما هو إلا ذكر للعالمين** ﴾ .

[آخر تفسير سورة « ن » وللَّه الحمد] .

☆ ☆ ☆

(٨٣) أخرجه أحمد (٢٢٢/٢) (٧٠٧٠) قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٠٤/٥) : رواه أحمد وفيه رشدين بن سعد وهو ضعيف وقد وثق ، وبقية رجاله ثقات .اهـ .

(٨٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٥٠٣/٨ - مخطوط) .

[١] - في خ : رشيد .
[٢] - في ز ، خ : ابن .
[٣] - في ز : ابن .
[٤] - سقط من ت .
[٥] - بياض في ز ، خ .
[٦] - في خ : عبد .

تفسير سورة الحاقة

وهي مكية

﴿ٱلْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَـٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾

الحاقةُ من أسماء يوم القيامة؛ لأن فيها يَتحقَّقُ الوَعدُ والوَعيد؛ ولهذا عَظّم تعالىٰ أمرَها فقال: ﴿**وما أدراك ما الحاقة**﴾.

ثم ذكر تعالىٰ إهلاكه الأمم المكذبين بها فقال تعالىٰ: ﴿**فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية**﴾، وهي الصيحة التي [أسكتتهم][١]، والزلزلة التي [أسكنتهم][٢]. هكذا قال قتادة: الطاغية الصيحة. [وهو اختيار ابن جرير][٣]. وقال مجاهد: الطاغية: الذنوب. وكذا قال الربيع بن أنس، وابن زيد: إنها الطغيان، وقرأ ابن زيد: ﴿**كذبت ثمود بطغواها**﴾. وقال السدي: ﴿**فأهلكوا بالطاغية**﴾ [ ][٤] يعني: عاقر الناقة.

﴿**وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر**﴾، أي: باردة. قال قتادة، والربيع، والسدي، والثوري: ﴿**عاتية**﴾، أي: شديدة الهبوب. قال قتادة: عتت عليهم حتىٰ نَقَّبت عن أفئدتهم. وقال الضحاك: ﴿**صرصر**﴾: باردة، ﴿**عاتية**﴾: عتت عليهم بغير رحمة ولا بركة. وقال [علي وغيره: عتت][٥] على الخزنة فخرجت بغير حساب.

﴿**سخرها عليهم**﴾ أي: سلطها عليهم ﴿**سبع ليالٍ وثمانية أيام حسومًا**﴾ أي: كوامل متتابعات مشائيم. قال ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والثوري، وغيرهم:

---

[١] - ز، خ: أسكنتهم.
[٢] - في ز، خ: أسكتتهم.
[٣] - سقط من ز، خ.
[٤] - في ز، خ: قال.
[٥] - سقط من خ.

﴿ **حسومًا** ﴾ متتابعات . وعن عكرمة ، والربيع بن خثيم : مشائيم عليهم ، كقوله : ﴿ **في أيامٍ نحساتٍ** ﴾ قال الربيع : كان أولها الجمعة . وقال غيره : الأربعاء . ويقال : إنها التي تسمِّيها الناس : الأعجاز ، كأن الناس أخذوا ذلك من قوله تعالى : ﴿ **فترى القوم فيها صرعى * كأنهم أعجاز نخلٍ خاوية** ﴾ . وقيل : لأنها تكون في عجز الشتاء ، ويقال : أيام العجوز ؛ لأن من قوم عادٍ دخلت سربًا فقتلها الريح في اليوم الثامن . حكاه البغوي والله أعلم . قال ابن عباس : ﴿**خاوية**﴾ : خربة . وقال غيره : بالية . أي جعلت الريح تضرب بأحدهم الأرض فيخر ميتًا على أم رأسه ، فينشدخ رأسه ، وتبقى جثته ، كأنها قائمة النخلة إذا خرت بلا أغصان ، وقد ثبت في الصحيحين : « **نصرت بالصبا ، وأهلكت عاد بالدبور** » .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن يحيى بن الضريس العبدي ، ثنا بن فضيل عن مسلم ، عن مجاهد ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما فتح الله على عادٍ من الريح التي أهلكوا فيها إلا مثل موضع الخاتم ، فمرت بأهل البادية فحملتهم بين السماء والأرض ، فلما رأى ذلك أهل الحاضرة من عادٍ من الريح وما فيها قالوا : هذا عارض ممطرنا . فالقت أهل البادية ومواشيهم على أهل الحاضرة** » . وقال الثوري : عن ليث ، عن مجاهد : الريح لها جناحان وذنب .

﴿**فهل ترى لهم من باقية** ﴾ أي هل تحس منهم من أحدٍ من بقاياهم أو ممن ينتسب إليهم؟ بل بادوا عن آخرهم ، ولم يجعل الله لهم خلفًا .

ثم قال تعالى : ﴿**وجاء فرعون ومن قبله**﴾ قرئ بكسر القاف . أي : ومن عنده ممن في زمانه من أتباعه من كفار القبط . وقرأ آخرون بفتحها أي : ومن قبله من الأمم المشبهين له . وقوله : ﴿ **والمؤتفكات** ﴾ وهم الأمم المكذبةن بالرسل .

﴿**بالخاطئة**﴾ أي بالفعلة الخاطئة وهي التكذيب بما أنزل الله .

[قال الربيع : ﴿ **بالخاطئة** ﴾ ، أي : بالمعصية . وقال مجاهد : بالخطايا ؛ ولهذا قال : ﴿ **فعصوا رسول ربهم**﴾ : وهذا جنس ، أي : كُلٌّ كذَّبَ رسول الله إليهم ، كما قال : ﴿ **إن كل إلا كذب الرسل**﴾ فحق وعيد ، ومن كذب رسول الله فقد كذب بالجميع ، كما قال : ﴿ **كذبت قوم نوح المرسلين**﴾ ﴿ **كذبت عاد المرسلين**﴾ ، ﴿ **كذبت ثمود المرسلين**﴾ وإنما جاء إلىٰ كل أمة رسول واحد ؛ ولهذا قال هاهنا : ﴿ **فعصوا رسول ربهم فأخذَهم أخذة رابية**﴾ ، أي : عظيمة شديدة أليمة .

قال مجاهد : ﴿**رابية**﴾ شديد . وقال السدي : مهلكة ، ثم قال الله تعالىٰ : ﴿ **إنا لما طغىٰ الماء** ﴾ ،أي : زاد علىٰ الحد بإذن الله ، وارتفع علىٰ الوجود ، قال ابن عباس وغيره : ﴿ **طغىٰ الماء** ﴾ : كثر ، وذلك بسبب دعوة نوح - عليه السلام - علىٰ قومه حين كذبوه وخالفوه ، فعبدوا غير الله ، فاستجاب الله له وعَمّ أهل الأرض بالطوفان إلا من كان مع نوح في السفينة ،

فالناس كلهم من سلالة نوح وذريته .

قال ابن جرير(١) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا مهران ، عن أبي سنان سعيد بن سنان ، عن غير واحد ، عن علي بن أبي طالب ؛ قال : لم تنزل قطرة من ماء إلا بكيل على يدي ملك . فلما كان يوم نوح أذن للماء دون الخزان ، فطغى الماء على الخزان فخرج ، فذلك قول الله : ﴿ **إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية** ﴾ ، ولم ينزل شيء من الريح إلا بكيل على يدي[١] ملك ، إلا يوم عاد ، فإنه أذن لها دون الخزان ، فخرجت ، فذلك قوله : ﴿ **بريح صرصر عاتية** ﴾ : عتت على الخزان .

ولهذا قال تعالى ممتنًا على الناس : ﴿ **إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية** ﴾ ، وهي السفينة الجارية على وجه الماء ﴿ **لنجعلها لكم تذكرة** ﴾ عاد الضمير على الجنس لدلالة المعنى[٢] عليه ، أي : وأبقينا[٣] لكم من جنسها ما تركبون على تيار الماء في البحار ، كما قال : ﴿ **وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون * لتستووا على ظهوره ثم[٤] تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وخلقنا[٥] لهم من مثله ما يركبون** ﴾ وقال قتادة : أبقى الله السفينة حتى أدركها أوائل هذه الأمة ، والأول أظهر ؛ ولهذا قال : ﴿[و][٦]**تعيها أذن واعية** ﴾ أي : وتفهم[٧] هذه النعمة وتذكرها[٨] أذن واعية .

قال ابن عباس : حافظة سامعة . وقال قتادة : ﴿ **أذن واعية** ﴾ : عقلت[٩] عن الله فانتفعت بما سمعت من كتاب الله . وقال الضحاك : ﴿ **وتعيها أذن واعية** ﴾ : سمعتها أذن ووعت أي : من له سمع صحيح وعقل رجيح ، وهذا عام في من فهم ووعى .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة الدمشقي ، حدثنا العباس بن الوليد [بن صبح][١٠] الدمشقي ، حدثنا زيد بن يحيى ، حدثنا علي بن حوشب ، سمعت مكحولاً ؛ يقول : لما نزلت[١١] على رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ **وتعيها أذن واعية** ﴾ ، قال رسول الله : « سألت ربي أن يجعلها أُذُنَ عَليّ » . فكان عَليّ يقول : ما سمعت من رسول الله ﷺ شيئًا قط فنسيته .

(١) أسنده الطبري (٢٩/٥٤) من حديث سعيد بن جبير بنحوه .

[١] - في ز ، خ : يد .
[٢] - في ز ، خ : المعين .
[٣] - في ز ، خ : وأنبتنا .
[٤] - في ز : و .
[٥] - في ز : وجعلنا .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - في ز : ويفهم .
[٨] - في ز : ويتذكرها .
[٩] - في ز ، خ : تحفظت .
[١٠] - في ز ، خ : عن صبيح .
[١١] - في ت : نزل .

وهكذا رواه ابن جرير(٢) عن علي بن سهل عن الوليد بن مسلم عن علي بن حوشب عن مكحول به ، وهو حديث مرسل .

وقال ابن أبي حاتم أيضًا : حدثنا جعفر بن محمد بن عامر ، حدثنا بشر بن آدم ، حدثنا عبد الله بن الزبير أبو محمد - يعني : والد أبي أحمد الزبيري - حدثني صالح بن الهيثم[١] ، سمعت بريدة الأسلمي ؛ يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعليّ : « إني أمرت أن أدنيك ولا أقصيك ، [وأن أعلمك وأن تعي ، وحُقّ لك أن تعي][٢] » . قال : فنزلت هذه الآية : ﴿ وتعيها أذن واعية ﴾ .

ورواه ابن جرير(٣) عن محمد بن خلف عن بشر بن آدم به . ثم رواه ابن جرير(٤) من طريق آخر عن أبي[٣] داود الأعمى ، عن بُرَيدة به . ولا يصحُّ أيضًا .

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ (١٣) وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ (١٥) وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٦) وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ (١٧) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ (١٨) ﴾

يقول [تعالى مخبرًا][٤] عن أهوال يوم القيامة ، وأول ذلك نفخة الفزع ، ثم يعقبها نفخة الصعق حين يُصعَق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ، ثم بعدها نفخة القيام لرب العالمين والبعث والنشور ، وهي هذه[٥] النفخة . وقد أكدها هاهنا بأنها واحدة ؛ لأن أمر الله لا يخالف ولا يمانع ، ولا يحتاج إلى تكرار وتأكيد .

وقال الربيع : هي النفخة الأخيرة . والظاهر ما قلناه ؛ ولهذا قال هاهنا : ﴿ **وحملت الأرض والجبال فدُكَّتا دكة واحدة** ﴾ أي : فمدت مَدّ الأديم العُكاظي ، وتَبَدَّلت الأرض غير الأرض ،

---

(٢) تفسير الطبري (٢٩/٥٥) .

(٣) ، (٤) تفسير الطبري (٢٩/٥٦) .

---

[١] - في ز ، خ : هشيم . وفي الطبري : عبد الله بن رستم .

[٢] - في خ : [وأن أملك درائعي ، وحولك أربعي] . وفي ز : [وأن أعلمك ، وأن أملك دار تعي ، وحولك أربعي] .

[٣] - سقط من ز .

[٤] - سقط من ز ، خ .

[٥] - سقط من ز ، خ .

﴿ فيومئذ وقعت الواقعة ﴾ ، أي : قامت القيامة : ﴿ وانشقت السماء فهي يومئذ واهية ﴾ ، قال سماك : عن شيخ من بني أسد ، عن عليّ ؛ قال : تنشق السماء من المجرة[١] . رواه ابن أبي حاتم .

وقال ابن جريج : هي كقوله : ﴿ وفتحت السماء فكانت أبوابًا ﴾ وقال ابن عباس : متخرقة والعرش بحذائها ﴿ والملك علىٰ أرجائها ﴾ ، الملك : اسم جنس ، أي : الملائكة علىٰ أرجاء السماء .

قال ابن عباس : على ما لم يَهِ[٢] منها [أي : حافتها][٣] . وكذا قال سعيد بن جبير ، والأوزاعي . وقال الضحاك : أطرافها . وقال الحسن البصري : أبوابها . وقال الربيع بن أنس في قوله : ﴿ والملك علىٰ أرجائها ﴾ ، يقول : علىٰ ما استدقّ من السماء ، ينظرون إلىٰ أهل الأرض .

وقوله : ﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ﴾ ، أي : يوم القيامة يحمل العرش ثمانية من الملائكة . ويحتمل أن يكون المراد بهذا [العرشِ العرشَ][٤] العظيم ، أو : العرش الذي يوضع في الأرض يوم القيامة لفصل القضاء ، والله أعلم بالصواب . وفي حديث عبدالله بن عَمِيرة[٥] ، عن الأحنف بن قيس ، عن العباس بن عبد المُطلب ، في ذكر حَمَلة العرش أنهم ثمانية أوعال(٥) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد [يحيىٰ][٦] بن سعيد ، حدثنا زيد بن الحباب ، حدثني أبو السمح البصري ، حدثنا أبو قبيل حيي بن هانئ ، أنه سمع عبد الله بن عمرو ؛ يقول : حملة العرش ثمانية[٧] ، ما بين موق أحدهم إلى مؤخر عينه مسيرة مائة عام .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ؛ قال : كتب إليّ أحمد بن حفص بن عبد الله النيسابوري : حدثني أبي ، حدثنا إبراهيم بن طهمان ، عن موسىٰ بن عقبة ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « أذن لي أن أحدثكم عن

---

(٥) أخرجه أبو يعلى (٧٤/١٢) (٦٧١٢) ، والحاكم (٥٠٠/٢) وصححه على شرط مسلم . وابن أبي شيبة في العرش (٢٨) ، وابن خزيمة في التوحيد (١٠٩) . وذكره السيوطي في الدر (٤٠٨/٦ - ٤٠٩) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد ، وعثمان بن سعيد الدارمي في الرد على الجهمية وابن المنذر وابن مردويه والخطيب في تالي التلخيص .

---

[١] - في ز ، خ : المحد . والعبارة فيها تقديم وتأخير في ز ، خ .

[٢] - في ز : يهي .

[٣] - في ز : وقال .

[٤] - سقط من ز ، خ .

[٥] - في خ : عمرة ز .

[٦] - في ز ، خ : ابن نمر .

[٧] - سقط من خ .

ملك من حملة العرش ، بُعدُ ما بين شحمة أذنه وعنقه مَخفق[١] الطير سبعمائة عام » .

وهذا إسناد جيد ، رجاله كلهم ثقات . وقد رواه أبو داود(٦) في « كتاب السنة » من سُنَنه : حدثنا أحمد بن حفص بن عبد الله ، حدثنا أبي ، حدثنا إبراهيم بن طهمان عن موسىٰ ابن عقبة ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « أذنَ لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حَمَلة العرش ؛ أن ما بين شحمة أذنه إلىٰ عاتقه مسيرة سبعمائة عام » . هذا لفظ أبي داود .

وقال ابن أبي حاتم(٧) : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا يحيىٰ بن المغيرة ، حدثنا جرير ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير في قوله : ﴿ **ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية** ﴾ ، قال : ثمانية صفوف من الملائكة . قال : ورُوى عن الشعبي ، والضحاك ، وابن جريج ، مثل ذلك . وكذا روىٰ السُّدي عن أبي[٢] مالك ، عن ابن عباس : ثمانية صفوف . وكذا روىٰ العوفي[٣] عنه .

وقال الضحاك عن ابن عباس : الكروبيون ثمانية أجزاء ، كل جنس منهم بقدر الإِنس والجن والشياطين والملائكة .

وقوله : ﴿ **يومئذ تُعرضُون لا تخفى منكم خافية** ﴾ ، أي : تعرضون علىٰ عالم السر والنجوىٰ ، الذي لا يخفى عليه شيء من أموركم ، بل هو عالم بالظواهر والسرائر والضمائر ؛ ولهذا قال : ﴿ **لا تخفى منكم خافية** ﴾ .

وقد قال ابن أبي الدنيا : أخبرنا إسحاق بن إسماعيل ، أخبرنا سفيان بن عيينة ، عن جعفر ابن بُرْقان ، عن ثابت بن الحجاج ؛ قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أنفسكم قبل أن تُوزنَوا ، فإنه أخف عليكم في الحساب غدًا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم ، وتَزَيَّنُوا للعرض الأكبر : ﴿ **يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية** ﴾ .

وقال الإمام أحمد(٨) : حدثنا وكيع ، حدثنا علي بن علي بن رفاعة ، عن الحسن ، عن أبي موسى ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « يعرض الناس يوم القيامة ثلاث

---

(٦) سنن أبي داود في كتاب : السنة ، باب : في الجهمية ، حديث (٤٧٢٧) (٢٣٢/٤) . وصححه الألباني في الصحيحة (١٥١) .

(٧) رواه ابن جرير عن ابن عباس (٥٨/٢٩) بنحوه .

(٨) المسند (٤١٤/٤) (١٩٧٦٩) .

---

[١] - في خ : يخفق .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - في ز و خ : المعري .

عرضات ، فأما عرضتان فجدالٌ[١] ومعاذيرُ[٢] ، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف [في الأيدي][٣] ، فآخذ بيمينه وآخذ بشماله » . ورواه ابن ماجة(٩) عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع به . وقد رواه الترمذي(١٠) عن أبي[٤] كريب ، عن وكيع ، عن علي بن علي ، عن الحسن ، عن أبي هريرة ، به .

وقد روىٰ ابنُ جرير(١١) عن مجاهد بن موسىٰ ، عن يزيد ، عن [سليمان بن حيّان][٥]، عن مروان الأصغر ، عن أبي وائل ، عن عبد الله ؛ قال : يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات : [عرضتان ، معاذير][٦] وخصومات ، والعرضة الثالثة تطير الصحف في الأيدي . ورواه سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة مرسلًا مثله .

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾

يخبر تعالىٰ عن سعادة من أوتي كتابه يوم القيامة بيمينه ، وفرحه بذلك ، وأنه من شدة فرحه يقول لكل من لقيه : ﴿ **هاؤم اقرءوا كتابيه** ﴾ ، أي : خذوا اقرءوا كتابيه ؛ لأنه يعلم أن الذي فيه خير وحسنات محضة ؛ لأنه ممَّنْ بَدَّل الله سيئاته حسنات .

قال عبد الرحمن بن زيد : معنىٰ ﴿ **هاؤم اقرءوا كتابيه** ﴾ ، أي : ها اقرءوا كتابيه ، و« ؤم » زائدة . كذا قال ، والظاهر أنها بمعنىٰ[٧] : هاكم .

(٩) سنن ابن ماجة في كتاب : الزهد ، باب : ذكر البعث ، حديث (٤٢٧٧) (١٤٣٠/٢) . قال الترمذي : ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي موسى . وفي الزوائد : رجال الإسناد ثقات ؛ إلا أنه منقطع ، والحسن لم يسمع من أبي موسى . قاله علي بن المديني وأبو حاتم وأبو زرعة . اهـ . انظر التالي .

(١٠) سنن الترمذي ، كتاب صفة القيامة ، باب : ما جاء في العرض ، حديث (٢٤٢٧) (١٤١/٧) . قال الترمذي : ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة .

(١١) أخرجه الطبري (٥٩/٢٩) .

[١] - في ز : وجداي .
[٢] - في ز ، خ : ومقادير .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - في خ : ابن .
[٥] - في ز ، خ : وسليم بن حبان .
[٦] - في ز : معادية .
[٧] - في ز : هي .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا بشر بن مطر الواسطي ، حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا عاصم الأحول ، عن أبي عثمان ؛ قال : المؤمن يعطىٰ كتابه في ستر من الله ، فيقرأ سيئاته ، فكلما قرأ سيئةً تغير لونه حتىٰ يمر بحسناته فيقرؤها ، فيرجع إليه لونه . ثم ينظر فإذا سيئاته قد بُدلت حسنات ، قال : فعند ذلك يقول : ﴿ **هاؤم اقرءوا كتابيه** ﴾ .

وحدثنا أبي ، حدثنا إبراهيم بن الوليد بن سلمة ، حدثنا روح بن عبادة[١] ، حدثنا موسىٰ بن عبيدة ، أخبرني عبد الله بن عبد الله بن حنظلة - غسيل الملائكة - قال : إن الله يوقف[٢] عبده يوم القيامة فيبدي سيئاته في ظهر صحيفته[٣] ، فيقول له : أنت عملت هذا . فيقول : نعم ، أي رب . فيقول له : إني لم أفضحك به ، وإني قد غفرت لك . فيقول عند ذلك : ﴿ **هاؤم اقرءوا كتابيه * إني ظننت أني ملاق حسابيه** ﴾ ، حين نجا من فَضْحة يوم القيامة .

وقد تقدم في الصحيح(١٢) حديث ابن عمر حين سئل عن النجوىٰ ، فقال : سمعت النبي صلىٰ الله عليه وسلم ؛ يقول : « يدني الله العبد يوم القيامة ، فيقرره بذنوبه كلها ، حتىٰ إذا رأىٰ أنه قد هلك قال الله : إني سترتها عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم . ثم يُعطىٰ كتاب حسناته بيمينه . وأما الكافر والمنافق ﴿ **ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله علىٰ الظالمين** ﴾ » .

وقوله : ﴿ **إني ظننت أني ملاق حسابيه** ﴾ ، أي : قد كنت موقنًا في الدنيا أن هذا اليوم كائن لا محالة ، كما قال : ﴿ **الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم**﴾ قال الله تعالى : ﴿ **فهو في عيشة راضية** ﴾ ، أي[٤] : مرضية ، ﴿ **في جنة عالية** ﴾ ، أي : رفيعة قصورها ، حسان حورها ، نعيمة دورها ، دائم حبورها .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو عُتبَة الحسن بن علي بن مسلم السَّكُوني[٥] ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن سعيد بن يوسف ، عن يحيىٰ بن أبي كثير ، عن أبي سلام الأسود ؛ قال : سمعت أبا أمامةَ ؛ قال : سأل رجلٌ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : هل يتزاور أهل الجنة ؟ قال : « نعم ، إنه ليهبط أهل الدرجة العليا إلىٰ أهل الدرجة السفلىٰ ، فيحيونهم[٦] ويسلمون عليهم ، ولا يستطيع أهل الدرجة السفلىٰ يصعدون إلىٰ الأعلين ، تقصر بهم

(١٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة هود ، آية : ١٨.

[١] - في ز ، خ : عباد .
[٢] - في ز ، خ : يقف .
[٣] - في ز ، خ : فضيحة .
[٤] - في ز : يعني .
[٥] - في ز ، خ : السكري .
[٦] - في خ : فيجيئونهم .

أعمالهم » . وقد ثبت في الصحيح[١٣] : « إن الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض » .

وقوله : ﴿ **قطوفها دانية** ﴾ ، قال البراء بن عازب : أي قريبة ، يتناولها أحدهم ، وهو نائم على سريره . وكذا قال غير واحد . قال الطبراني[١٤] : عن عبد الرزاق ، عن سفيان الثوري ، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، عن عطاء بن يسار ، عن سلمان الفارسي ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة أحد إلا بجواز : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ هذا كتاب من الله لفلان بن فلان ، أدخلوه جنة عالية ، قطوفها دانية » .

وكذا رواه الضياء في « صفة الجنة » من طريق سعدان بن سعيد ، عن سليمان التيمي ، عن أبي عثمان النهدي ، عن سلمان ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : « يعطى المؤمن جوازًا على الصراط : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ ، هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان ، أدخلوه جنة عالية ، قطوفها دانية » .

وقوله : ﴿ **كلوا واشربوا هنيئًا بما أسلفتم في الأيام الخالية** ﴾ أي : يقال لهم ذلك تفضلًا عليهم ، وامتنانًا وإنعامًا وإحسانًا ، وإلا فقد ثبت في الصحيح[١٥] ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اعملوا وسدِّدوا وقارِبوا ، واعلموا أن أحدًا منكم لن يدخله عملُه الجنةَ » . قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا أنا ، إلا أن يتغمَّدَني الله برحمة منه وفضل » .

وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ
﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾
خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ
﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ

---

(١٣) أخرجه البخاري في كتاب : الجهاد ، باب : درجات المجاهدين في سبيل الله .. حديث (٢٧٩٠) (٢/ ٣٠٣ - ٣٠٤ - متن) وطرفه في [٧٤٢٣] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(١٤) أخرجه الطبراني (٦/٢٧٢) (٦١٩١) . من طريق إسحاق بن إبراهيم الدبري عن عبد الرزاق بهذا الإسناد . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٠/٤٠١) : رواه الطبراني في الكبير والأوسط . ولم يذكر شيئًا . وفيه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم : ضعيف في حفظه .

(١٥) أخرجه البخاري في كتاب : الرقاق ، باب : القصد والمداومة على العمل ، حديث (٦٤٦٧، ٦٤٦٤) (١١/٢٩٤) ومسلم في كتاب : صفات المنافقين وأحكامهم ، باب : لن يدخل أحد الجنة بعمله ، بل برحمة الله تعالى ، حديث (٧٨/٢٨١٨) (١٧/٢٣٦) . كلاهما من حديث عائشة - رضي الله عنها .

لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾

وهذا إخبار عن حال الأشقياء إذا أعطي أحدهم[١] كتابه في العَرَصات بشماله ، فحينئذ يندم غاية الندم ، فيقول : ﴿ **يا ليتني لم أوت كتابيه * ولم أدر ما حسابيه * يا ليتها كانت القاضية** ﴾ .

قال الضحاك : يعني موتة لا حياة بعدها . وكذا قال محمد بن كعب ، والربيع ، والسدي .

وقال قتادة : تمنىٰ الموت ، ولم يكن شيء في الدنيا أكره إليه منه .

﴿ **ما أغنىٰ عني ماليه * هلك عني سلطانيه** ﴾ ، أي : لم يدفع عني مالي ولا جاهي عذاب الله وبَأسه ، بل خَلَص الأمر إليَّ وحدي ، فلا معين لي[٢] ولا مجير . فعندها يقول الله - عز وجل - : ﴿ **خذوه فغلوه * ثم الجحيم صلوه** ﴾ ، أي : يأمر الزبانية أن تأخذه عُنُقًا من المحشر ، فتَغُله ، أي : تضع الأغلال في عنقه ، ثم تورده إلىٰ جهنم فتصليه إياها ، أي : تغمره فيها .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو خالد ، عن عمرو بن قيس ، و[٣] عن المنهال بن عمرو ؛ قال : إذا قال الله عز وجل : خذوه ، ابتدره سبعون ألف ملك ، إن الملك منهم ليقول هكذا فيلقي سبعين ألفًا في النار .

وروىٰ ابن أبي الدنيا في « الأهوال » : إنه يبتدره أربعمائة ألف ، ولا يبقى شيء إلا دَقّه ، فيقول : ما لي ولك ؟ فيقول : إن الرب عليك غضبان ، فكل شيء غضبان عليك .

وقال الفضيل - هو ابن عياض - : إذا قال الرب عز وجل : ﴿ **خذوه فغلوه** ﴾ ، ابتدره سبعون ألف ملك ، أيهم يجعل الغل في عنقه . ﴿ **ثم الجحيم صلوه** ﴾ أي : اغمروه فيها .

وقوله : ﴿ **ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعًا فاسلكوه** ﴾ ، قال كعب الأحبار : كل حلقة منها قدر حديد الدنيا ، وقال العَوفي عن ابن عباس ، وابن جريج : بذراع الملك . وقال ابن جريج ، قال ابن عباس : ﴿ **فاسلكوه** ﴾ : تدخل في استه ثم تخرج من فيه ، ثم ينظمون فيها كما ينظم الجراد في العود حين يشوىٰ . وقال العَوفي عن ابن عباس : يسلك في دبره حتىٰ يخرج من منخريه ، حتىٰ لا يقوم[٤] علىٰ رجليه .

---

(١٦) أخرجه أحمد (٢/١٩٧) (٦٨٥٦) .

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ز : يقو .

وقال الإمام أحمد(١٦) : حدثنا علي بن إسحاق ، أخبرنا عبد الله ، أخبرنا سعيد بن يزيد ، عن أبي السمح ، عن عيسىٰ بن هلال الصَّدَفي [١]، عن عبد الله بن عمرو ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « لو أن رَصَاصةً مثل هذه - وأشار إلى مثل[٢] جُمْجُمة - أرسلت من السماء إلىٰ الأرض ، وهي مسيرة خمسمائة سنة ، لبلغت الأرض قبل الليل . ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة ، لسارت أربعين خريفًا الليلَ والنهارَ ، قبل أن تبلغ قعرها أو أصلها » .

وأخرجه الترمذي(١٧) ، عن سُوَيْد [بن نصر][٣] ، عن عبد الله بن المبارك به . وقال : هذا حديث حسن .

وقوله : ﴿ **إنه كان لا يؤمن بالله العظيم * ولا يحض علىٰ طعام المسكين** ﴾ ، أي : لا يقوم بحق الله عليه من طاعته وعبادته ، ولا ينفع خلقه ويؤدي حقهم ، فإن لله علىٰ العباد أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئًا ، وللعباد بعضهم علىٰ بعض حق الإحسان والمعاونة علىٰ البر والتقوىٰ ؛ ولهذا أمر الله بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وقبض النبي صلىٰ الله عليه وسلم وهو يقول : « الصلاة ، وما ملكت أيمانكم »(١٨) .

وقوله : ﴿ **فليس له اليوم هاهنا حميم * ولا طعام إلا من غسلين * لا يأكله إلا الخاطئون** ﴾ ، أي : ليس له اليوم من ينقذه من عذاب الله ، لا حميم ، وهو القريب ، ولا شفيع يطاع ، ولا طعام له هاهنا إلا من غسلين . قال قتادة : هو شر طعام أهل النار ، وقال الربيع والضحاك : هو شجرة في جهنم . وقال ابن أبي حاتم(١٩) : حدثنا أبي ، حدثنا منصور ابن أبي مزاحم ، حدثنا أبو سعيد المؤدب ، عن خصَيف ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ؛ قال : ما أدري ما الغسلين ؟ ولكني أظنه الزقوم . وقال شبيب بن بشر عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ قال : الغسلين : الدم والماء يسيل من لحومهم . وقال علي بن أبي طلحة عنه : الغسلين : صديد أهل النار .

---

(١٧) والترمذي في كتاب : صفة الجنة ، باب : ذكر السلسلة بالنار ، حديث (٢٥٩١) (٧/ ٢٥٦، ٢٥٧) . قال الترمذي : إسناده حسن وفي بعض النسخ قال : حسن صحيح .

(١٨) أخرجه أحمد (١١٧/٣) (١٢١٨٩) . والنسائي في الكبرى (٢٥٨/٤) في كتاب : الوفاة ، باب : ذكر ما كان يقوله النبي ﷺ في مرضه ، حديث (٧٠٩٤، ٧٠٩٥) . وابن ماجة في كتاب : الوصايا ، باب : هل أوصى رسول الله ﷺ ، حديث (٢٦٩٧) (٩٠٠/٢- ٩٠١) ، والحاكم (٥٧/٣) وعزاه للصحيحين ، وأقره الذهبي ، ولم يعزه المزي في التحفة لهما . وصححه الألباني في الإرواء (٢٣٧/٧) (٢١٧٨) .

(١٩) ذكره السيوطي في « الدر » (٤١٢/٦) وزاد نسبته إلى أبي القاسم الزجاجي النحوى في أماليه .

---

[١] - في ز : الصيدلي .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - في ز : ابن سعيد . وهي سقط من خ .

فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾

يقول تعالىٰ مقسمًا لخلقه بما يشاهدونه من آياته في مخلوقاته الدالة علىٰ كماله في أسمائه وصفاته ، وما غاب عنهم مما لايشاهدونه من المغيبات عنهم : إن القرآن كلامُه ووحيه وتنزيلُه علىٰ عبده ورسوله ، الذي اصطفاه لتبليغ الرسالة وأداء الأمانة ، فقال : ﴿ **فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون * إنه لقول رسول كريم** ﴾ ، يعني محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم أضافه إليه علىٰ معنىٰ التبليغ ؛ لأن الرسول من شأنه أن يبلغ عن المرسل ؛ ولهذا أضافه في سورة التكوير إلىٰ الرسول الملكي : ﴿ **إنه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين * مطاع ثم أمين** ﴾ وهذا جبريل ، عليه السلام .

ثم قال : ﴿ **وما صاحبكم بمجنون** ﴾ يعني محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم ﴿ **ولقد رآه بالأفق المبين** ﴾ ، يعني أن محمدًا رأى جبريل علىٰ صورته التي خلقه الله عليها ، ﴿ **وما هو علىٰ الغيب بضنين** ﴾ ، أي : بمتهم ، ﴿ **وما هو بقول شيطان رجيم** ﴾ وهكذا قال هاهنا ﴿ **وما هو بقول شاعر قليلًا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلًا ما تذكرون** ﴾ ، فأضافه تارة إلىٰ قول الرسول الملكي ، وتارة إلىٰ الرسول البشري ؛ لأن كلًّا منهما مبلغ[١] عن الله ما استأمنه عليه من وحيه وكلامه ؛ ولهذا قال : ﴿ **تنزيل من رب العالمين** ﴾ .

قال الإمام أحمد (٢٠) : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا صفوان ، حدثنا شُريح بن عبيد ؛ قال : قال عمر بن الخطاب : خرجت أتعرّض رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قبل أن أسلم ، فوجدته قد سبقني إلىٰ المسجد ، فقمت خلفه ، فاستفتح سورة الحاقة ، فجعلت أعجب من تأليف القرآن ، قال : فقلت : هذا والله شاعر كما قالت قريش . قال : فقرأ : ﴿ **إنه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر قليلًا ما تؤمنون** ﴾ قال : فقلت : كاهن . قال : فقرأ ﴿ **ولا بقول كاهن قليلًا ما تذكرون * تنزيل من رب العالمين * ولو تقول علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين** ﴾ ... إلىٰ آخر السورة ، قال : فوقع الإسلام في قلبي كل موقع .

(٢٠) أخرجه أحمد (١٧/١) (١٠٧) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٦٥/٩) : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات إلا أن شريح بن عبيد لم يدرك عمر . اهـ . وضعفه أحمد شاكر في تعليقه على المسند .

[١] - في خ : يبلغ .

فهذا من جملة الأسباب التي جعلها الله مؤثرة في هداية عمر بن الخطاب ، كما أوردنا كيفية إسلامه في سيرته المفردة ، [ولله الحمد][١] .

وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ (٤٩) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥١) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٥٢)

يقول تعالىٰ : ﴿ **ولو تقول علينا** ﴾، أي : محمد صلىٰ الله عليه وسلم لو كان كما يزعمون مفتريًا علينا فزاد في الرسالة أو نقص منها ، أو قال شيئًا من عنده فنسبه إلينا ، وليس كذلك : لعاجلناه بالعقوبة ؛ ولهذا قال : ﴿ **لأخذنا منه باليمين** ﴾ ، قيل ، معناه لا نتقمنا منه باليمين ؛ لأنها أشد في البطش . وقيل : لأخذنا بيمينه .

﴿ **ثم لقطعنا منه الوتين** ﴾ ، قال ابن عباس : وهو نياط القلب ، وهو العِرْقُ الذي القلب معلق فيه . وكذا قال عكرمة ، وسعيد بن جبير ، والحكم ، وقتادة ، والضحاك ، ومسلم البَطِين ، وأبو صخر حُمَيد بن زياد . وقال محمد بن كعب : هو القلب ومراقه وما يليه .

وقوله : ﴿ **فما منكم من أحد عنه حاجزين** ﴾ ، أي : فما يقدر أحد منكم علىٰ أن يحجز بيننا وبينه إذا أردنا به شيئًا من ذلك ، والمعنىٰ في هذا : بل هو صادق بار راشد ؛ لأن الله - عز وجل - مقرر له ما يبلغه عنه ، مؤيد له بالمعجزات الباهرات والدلالات القاطعات .

ثم قال : ﴿ **وإنه لتذكرة للمتقين** ﴾ ، يعني : القرآن ، كما قال : ﴿ **قل هو للذين آمنوا هدًى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمًى** ﴾ ثم قال : ﴿ **وإنا لنعلم أن منكم مكذبين** ﴾ ، أي : مع هذا البيان والوضوح سيوجد منكم من يكذب بالقرآن .

ثم قال : ﴿ **وإنه لحسرة على الكافرين** ﴾ - قال ابن جرير : وإن التكذيب لحسرة على الكافرين يوم القيامة وحكاه عن قتادة بمثله . وروىٰ ابن أبي حاتم ، من طريق السدي ، عن أبي مالك : ﴿ **وإنه لحسرة علىٰ الكافرين** ﴾ ، يقول : لَنَدَامة[٢] . ويحتمل عود الضمير علىٰ القرآن ، أي : وإن القرآن والإيمان به لحسرة في نفس الأمر علىٰ الكافرين ، كما قال : ﴿ **كذلك سلكناه في قلوب المجرمين * لا يؤمنون به** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وحيل بينهم وبين ما يشتهون** ﴾ ؛ ولهذا قال هاهنا : ﴿ **وإنه لحق اليقين** ﴾ ، أي : الخبر الصدق الحق الذي لا مرية

---

[١] - سقط من خ .

[٢] - في ز : الندامة .

فيه ، ولا شك ، ولا ريب .

ثم قال : ﴿ فسبح باسم ربك العظيم ﴾ : أي الذي أنزل هذا القرآن العظيم .

آخر تفسير سورة[١] الحاقة ، ولله الحمد والمنة[٢] .

☆ ☆ ☆

[١] - سقط من ز .

[٢] - زيادة من خ .

تفسير سورة المعارج

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾

﴿ **سأل سائل بعذاب واقع** ﴾ : فيه تضمين دل عليه حرف « الباء » ، كأنه مُقدّر : استعجل سائل بعذاب واقع ، كقوله : ﴿ **ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده** ﴾ . أي : وعذابه واقع لا محالة .

قال النسائي(١) : حدثنا بشر بن خالد حدثنا[١] أبو أسامة ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **سأل سائل بعذاب واقع** ﴾ ، قال : النضر بن الحارث بن كَلَدَة ، وقال العوفي : عن ابن عباس : ﴿ **سأل سائل بعذاب واقع** ﴾ ، قال : ذلك سؤال الكفار عن عذاب الله وهو واقع . وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله : ﴿ **سأل سائل** ﴾ : دعا داع بعذاب واقع يقع في الآخرة ، قال[٢] : وهو قولهم : ﴿ **اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم** ﴾ .

وقال ابن زيد وغيره : ﴿ **سأل سائل بعذاب واقع** ﴾ ، أي : واد في جهنم ، يسيل يوم القيامة بالعذاب . وهذا القول ضعيف ، بعيد عن المراد ، والصحيح الأول لدلالة السياق عليه .

وقوله : ﴿ **واقع * للكافرين** ﴾ أي : مرصد معد[٣] للكافرين .

---

(١) **رجاله ثقات ؛ إلا أن الأعمش مدلس** ، والأثر أخرجه النسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : سورة المعارج ، حديث (١١٦٢٠) (٤٩٨/٦) . ورواه الحاكم من حديث الأعمش عن سعيد بن جبير قوله . وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ورمز له الذهبي في التلخيص أنه على شرط البخاري . وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور إلى الفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، عن ابن عباس .

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ز : معه .

وقال ابن عباس : ﴿ واقع ﴾ : جاء ﴿ ليس له دافع ﴾ ، أي : لادافع له إذا أراد اللّه كونه ، ولهذا قال : ﴿ من اللّه ذي المعارج ﴾ ، قال الثوري : عن الأعمش ، عن رجل ، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله : ﴿ ذي المعارج ﴾ ، قال : ذو الدرجات .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿ذي المعارج﴾ يعني: العلو والفواضل. وقال مجاهد : ﴿ ذي المعارج ﴾ : معارج السماء . وقال قتادة : ذي الفواضل والنعم .

وقوله : ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه ﴾ ، قال عبد الرزاق : عن معمر ، عن قتادة : ﴿ تعرج ﴾ : تصعد . وأما الروح فقال أبو صالح : هم خلق من خلق اللّه يشبهون الناس ، وليسوا ناسًا .

قلت : ويحتمل أن يكون المراد به جبريل ، ويكون من باب عطف الخاص علىٰ العام . ويحتمل أن يكون اسم جنس لأرواح بني آدم ، فإنها إذا قبضت يُصعَد بها إلىٰ السماء ، كما دل عليه حديث البراء ، وفي[١] الحديث الذي رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والنسائي، وابن ماجة ، من حديث المنهال ، عن زاذان ، عن البراء مرفوعًا(٢) الحديث بطوله في قبض الروح الطيبة ، قال فيه : « **فلا يزال يصعد بها من سماء إلىٰ سماء حتىٰ ينتهي بها إلىٰ السماء السابعة** » . واللّه أعلم بصحته ، فقد تكلم في بعض رواته ، ولكنه مشهور ، وله شاهد في حديث أبي هريرة(٣) فيما تقدم من رواية الإمام أحمد والترمذي وابن ماجة ، من طريق ابن أبي ذئب [٢]، عن محمد بن عمرو بن عطاء ، عن سعيد بن يسار ، عنه . وهذا إسناد رجاله علىٰ شرط الجماعة ، وقد بسطنا لفظه عند قوله تعالىٰ : ﴿ يثبت اللّه الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل اللّه الظالمين ويفعل اللّه ما يشاء ﴾

وقوله: ﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ فيه أربعة أقوال. أحدها : أن المراد بذلك مسافة ما بين العرش العظيم إلىٰ أسفل السافلين ، وهو قرار الأرض السابعة ، وذلك مسيرة خمسين ألف سنة ، هذا ارتفاع العرش عن المركز[٣] الذي في وسط الأرض السابعة . وذلك اتساع العرش من قطر [إلىٰ قطر][٤] مسيرة خمسين ألف سنة ، وأنه من ياقوتة حمراء ، كما ذكره ابن أبي شيبة في كتاب « **صفة العرش** » . وقد قال ابن أبي حاتم عند هذه الآية :

حدثنا أحمد بن سلمة ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، أخبرنا حكام ، عن عُمَر بن معروف ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قوله : ﴿ في يوم كان مقداره خمسين ألف

(٢) تقدم تخريجه في سورة إبراهيم آية : (٢٧) ﴿ يثبت اللّه الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا ...﴾ الآية .

[١] - في ز : كما في .
[٢] - في ز : الدنيا .
[٣] - في ز : الذكر .
[٤] - في ز : قطره .

سنة ﴾ ، قال : منتهى أمره من أسفل الأرضين إلىٰ منتهى أمره من فوق السماوات مقدار خمسين ألف سنة ويوم كان مقداره ألف سنة . يعني بذلك تَنَزّل الأمر من السماء إلىٰ الأرض ، ومن الأرض إلىٰ السماء في يوم واحد ، فذلك مقداره ألف سنة ، لأن مابين السماء والأرض مقدار[١] مسيرة خمسمائة سنة .

وقد رواه ابن جرير(٤) عن ابن حميد ، عن حكام بن سَلم ، عن عُمر بن معروف ، عن ليث ، عن مجاهد قوله ، لم يذكر ابن عباس .

قال ابن أبي حاتم : وحدثنا أبي ، حدثنا علي بن محمد الطنافسي ، حدثنا إسحاق[٢] بن منصور ، حدثنا [روح المؤدب] [٣] عن عبد الوهاب بن مجاهد ، عن أبيه، عن ابن عباس قال : غلظ كل أرض خمسمائة عام ، وبين كل أرض إلىٰ أرض خمسمائة عام ، وذلك سبعة آلاف عام : وغلظ كل سماء خمسمائة عام ، وبين السماء إلىٰ السماء خمسمائة عام ، وذلك أربعة عشر ألف عام ، وبين السماء السابعة وبين العرش مسيرة ستّة وثلاثين ألف عام ، فذلك قوله : **﴿ في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾** .

القول الثاني : أن المراد بذلك مدة بقاء الدنيا منذ خلق اللّٰه هذا العالم إلىٰ قيام الساعة ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبوزرعة ، أخبرنا إبراهيم بن موسىٰ ، أخبرنا ابن أبي زائدة ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : **﴿ في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾** ، قال : الدنيا عمرها خمسون ألف سنة . وذلك عمرها يوم سماها اللّٰه تعالىٰ يوم ، **﴿ تعرج الملائكة والروح إليه في يوم ﴾** ، قال : اليوم : الدنيا .

وقال عبدالرزاق : أخبرنا معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، وعن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، **﴿ في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾** ، قال : الدنيا من أولها إلىٰ آخرها مقدار خمسين ألف سنة، لا يدري أحدٌ كم مضىٰ ، ولا كم بقي إلا اللّٰه عز وجل .

القول الثالث : أنه اليوم الفاصل بين الدنيا والآخرة ، وهو قول غريب جدًّا ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن محمد بن يحيىٰ بن سعيد القطان ، حدثنا بُهلول بن المورق ، حدثنا موسىٰ بن عبيدة ، أخبرني محمد بن كعب : **﴿ في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾** ، قال : هو يوم الفصل بين الدنيا والآخرة .

---

(٣) تقدم تخريجه في الموضع السابق .

(٤) تفسير الطبري (٢٩/٧١) .

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ز : إبراهيم .

[٣] - في ز ، خ : نوح المعروف

القول الرابع : أن المراد بذلك يوم القيامة ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان الواسطي ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ **في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** ﴾ ، قال : يوم القيامة . وهذا إسناد صحيح . [ورواه الثوري][١] عن سماك بن حرب، عن عكرمة : ﴿ **في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** ﴾ : يوم القيامة . وكذا قال الضحاك ، وابن زيد .

وقال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس في قوله : ﴿ **تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** ﴾ ، قال : فهذا[٢] . يوم القيامة جعله الله على الكافرين مقدار[٣] خمسين ألف سنة . وقد وردت أحاديث في معنىٰ ذلك ، قال الإمام أحمد (٥) : حدثنا الحسن بن موسىٰ ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا دَرَّاج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد قال : قيل لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** ﴾ ، ما أطول هذا اليوم ! فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **والذي نفسي بيده إنه ليخفف علىٰ المؤمن حتىٰ يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا** » . ورواه ابن جرير(٦) عن يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج به إلا أن دراج وشيخه ضعيفان ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد(٧) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن قتادة، عن أبي عمر الغُدَّاني قال : كنت عند أبي هُرَيرة فمرّ رجل من بني عامر بن صعصعة ، فقيل له : هذا أكثر عامري مالًا . فقال أبو هريرة : رُدّوه [إليَّ فردوه][٤]. فقال : نبئت أنك ذو مال كثير ؟ فقال العامري : إي والله ، إن لي لمائةً حُمْرًا ومائةً أدمًا - حتىٰ عد من ألوان الإبل ، وأفنان الرقيق ورباط الخيل - فقال أبو هريرة : إياك وأخفاف الإبل وأظلاف النعم - يُرَدّد ذلك عليه - حتىٰ جعل لونُ العامريّ يتغير - فقال : ما ذاك يا أبا هُرَيرة ؟ قال : سمعتُ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **من كانت له إبلٌ لا يعطي حَقها في نَجدتها ورِسْلها** » ، قلنا : يا رسول الله : ما نجدتُها ورِسْلها ؟ قال : « **في عُسرها ويسرها ، فإنها تأتي يوم القيامة كأغذّ ما كانت ، وأكثره ، وأسمنه ، وآشره حتى يبطح لها بقاع قَرقَر[٥] ، فتطؤه بأخفافها ، فإذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتىٰ يقضى بين الناس فيرىٰ**

---

(٥) المسند (٣/٧٥) (١١٧٣٤) . قال الترمذي (١٠/٣٤٠) : رواه أحمد وأبو يعلى ، وإسناده حسن على ضعف في راويه .

(٦) تفسير الطبري (٢٩/٧٢) .

(٧) المسند (٢/٤٨٩ - ٤٩٠) .

---

[١] - في ز : رواه الترمذي .

[٢] - في ز ، خ : فهو .

[٣] - في ز : مقداره .

[٤] - زيادة من ز .

[٥] - في ز : قرقرة .

سبيله ، وإذا كانت له بقر لا يعطي حقها في نجدتها ورسلها ، فإنها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأكثره وأسمنه وآشره ثم يبطح لها بقاع قَرقَر فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها ، وتنطحه كل ذات قرن بقرنها، إذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتىٰ يقضى بين الناس فيرىٰ سبيله . وإذا كانت له غنم لا يعطي حقها في نجدتها ورسلها ، فإنها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأسمنه وآشره ، حتىٰ يبطح لها بقاع قَرقَر ، فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها وتنطحه كل ذات قرن بقرنها ، ليس فيها عَقصاء ولاعَضباء ، إذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتىٰ يقضىٰ بين الناس ، فيرىٰ سبيله » . فقال العامري : وما حق الإبل يا أبا هريرة ؟ قال : أن تعطيَ الكريمة وتمنح الغزيرة[١] وتفقر الظهر وتسقي اللبن[٢] ، وتطرق الفحل . وقد رواه أبو داود(٨) من حديث شعبة ، والنسائي من حديث سعيد بن أبي عَرُوبة ، كلاهما عن قتادة ، به .

طريق أخرىٰ لهذا الحديث : قال الإمام أحمد(٩) : حدثنا أبو كامل ، حدثنا حماد ، عن سُهَيل [٣] بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « ما من صاحب كنز لا يؤدي حقه إلا جعل صفائح يحمىٰ[٤] عليها في نار جهنم، فتكوىٰ بها جبهته وجنبه[٥] وظهره ، حتىٰ يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ، ثم يرىٰ سبيله إما إلىٰ الجنة وإما إلىٰ النار » ... وذكر بقية الحديث في الغنم والإبل كما تقدم ، وفيه ، « الخيل لثلاثة : [لرجل أجر ، ولرجل ستر ، وعلىٰ رجل وزر][٦]» إلىٰ آخره .

ورواه مسلم(١٠) في صحيحه بتمامه منفردًا به دون البخاري ، من حديث سُهَيل ، عن أبيه ، عن أبي هُرَيرة وموضع استقصاء طرقه وألفاظه في كتاب الزكاة في « الأحكام » ، والغرض من إيراده هاهنا قوله : « حتىٰ يحكم الله بين عباده ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » .

وقد روىٰ ابن جرير(١١) عن يعقوب ، عن [ابن عُلَيّة][٧] ، وعبد الوهاب ، عن أيوب ،

---

(٨) سنن أبي داود في كتاب : الزكاة ، باب : في حقوق المال ، حديث (١٦٦٠) (١٢٥/٢) مختصرًا . والنسائي (١٢/٥) كتاب الزكاة ، باب : التغليظ في حبس الزكاة بنحو حديث أحمد .

(٩) أخرجه أحمد (٢٦٢/٢) .

(١٠) ومسلم في كتاب : الزكاة ، باب : إثم مانع الزكاة ، حديث (٩٨٧/٢٦) (٩٤/٧ - ٩٦) .

(١١) أخرجه الطبري (٧٢/٢٩) .

---

[١] - في ز : العزيزة .

[٢] - في ز ، خ : الإبل .

[٣] - في ز : سهل .

[٤] - في ز : فحمي .

[٥] - في ز : وجبينه .

[٦] - سقط من ز .

[٧] - في ز : ابن عيينة .

عن ابن أبي مليكة قال : سأل رجل ابن عباس عن قوله : ﴿ **في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** ﴾ ، قال : فاتهمه[١] ، [فقيل له فيه][٢] ، فقال : ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ؟ فقال : إنما سألتك لتحدثني . قال : هما يومان ذكرهما الله ، الله أعلم بهما ، وأكره أن أقول في كتاب الله بمالا أعلم .

وقوله : ﴿ **فاصبر صبرًا جميلًا** ﴾ ، أي : اصبر يا محمد علىٰ تكذيب قومك لك[٣] ، واستعجالهم العذاب استبعادًا لوقوعه ، كقوله : ﴿ **يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق** ﴾ ، ولهذا قال : ﴿ **إنهم يرونه بعيدًا** ﴾ ، أي : وقوع العذاب وقيام الساعة يراه الكفرة بعيد الوقوع ، بمعنىٰ مستحيل الوقوع ، ﴿ **ونراه قريبًا** ﴾ ، أي : المؤمنون يعتقدون كونه قريبًا ، وإن كان له أمد لا يعلمه إلا الله - عز وجل - لكن كل ما هو آت فهو قريب وواقع لا محالة .

يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾

يقول تعالىٰ : العذابُ واقع بالكافرين ، ﴿ **يوم تكون السماء كالمهل** ﴾ ، قال ابن عباس، ومجاهد ، وعطاء ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، والسدي ، وغير واحد : كدرديّ الزيت ، [﴿ **وتكون الجبال كالعهن** ﴾ ، أي : كالصوف المنفوش ، قاله مجاهد ، وقتادة ، والسدي . وهذه الآية كقوله تعالىٰ :][٤] ﴿ **وتكون الجبال كالعهن المنفوش** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ولا يسأل حميم حميمًا * يبصرونهم** ﴾ ، أي : لا يسأل القريب قريبه[٥] عن حاله ، وهو يراه في أسوأ الأحوال ، فتشغله نفسه عن غيره .

قال العوفي : عن ابن عباس : يعرف بعضهم بعضًا، ويتعارفون بينهم، ثم يفر بعضهم من

---

[١] - في ز : فاتهم .
[٢] - سقط من .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - في ز : قريب .

بعض بعد ذلك ، يقول : ﴿ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ وهذه الآية الكريمة كقوله : ﴿ يا أيها الناس[١] اتقوا ربكم واخشوا يومًا لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئًا إن وعد الله حق ﴾ ، وكقوله : ﴿وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى﴾ وكقوله: ﴿فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ وكقوله . ﴿ يوم يفر المرء من أخيه * وأمه وأبيه * وصاحبته وبنيه * لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ .

وقوله : ﴿ يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه * وصاحبته وأخيه * وفصيلته التي تؤويه * ومن في الأرض جميعًا ثم ينجيه * كلا ﴾ ، أي : لا يقبل منه فداء ولوجاء بأهل الأرض وبأعز ما يجده من المال[٢] ، ولو بملء الأرض ذهبًا ، أو من ولده الذي كان في الدنيا حُشَاشة كبده ، يودّ يوم القيامة إذا رأىٰ الأهوال أن يفتدي من عذاب الله به ولا يقبل منه . قال مجاهد والسدي : ﴿ فصيلته ﴾ : قبيلته وعشيرته . وقال عكرمة : فَخذه الذي هو منهم . وقال أشهب : عن مالك : ﴿ فصيلته ﴾ : أمه .

وقوله : ﴿ إنها لظىٰ ﴾ ، يصف النار وشدة حرها ، ﴿ نزاعة للشوىٰ ﴾ ، قال ابن عباس، ومجاهد : جلدة الرأس . وقال العوفي : عن ابن عباس : ﴿ نزاعة للشوىٰ ﴾ : الجلود والهام . وقال مجاهد : ما دون العظم من اللحم . وقال سعيد بن جبير : العصب . وقال أبو[٣] صالح : ﴿ نزاعة للشوىٰ ﴾، يعني: أطراف اليدين والرجلين، وقال أيضًا : نزاعة لحم الساقين . وقال الحسن البصري ، وثابت البناني : ﴿ نزاعة للشوىٰ ﴾ ، أي: مكارم وجهه . وقال الحسن أيضًا : تحرق كل شيء فيه ، ويبقىٰ فؤاده يصيح . وقال قتادة : ﴿ نزاعة للشوىٰ ﴾ ، أي : نزاعة لهامته ومكارم وَجْهه وخَلْقه وأطرافه . وقال الضحاك : تبري اللحم والجلد عن العظم ، حتىٰ لا تترك منه شيئًا . وقال ابن زيد : الشوىٰ : الآراب العظام .

فقوله : ﴿نزاعة﴾ قال : تقطع [عظامه ثم يجدد خلقهم وتبدل جلودهم][٤] .

وقوله : ﴿ تدعو من أدبر وتولىٰ * وجمع فأوعىٰ ﴾ ، أي : تدعو النار إليها أبناءها الذين خلقهم الله لها ، وقدر لهم أنهم في الدار الدنيا يعملون عملها ، فتدعوهم يوم القيامة بلسان طَلق ذَلق ، ثم تلتقطهم من بين أهل المحشر كما يلتقط الطير الحب ، وذلك أنهم كما قال الله عزوجل : كانوا ممن ﴿ أدبر وتولىٰ ﴾ ، أي : كذب بقلبه ، وترك العمل بجوارحه ﴿ وجمع فأوعىٰ ﴾ ، أي : جمع المال بعضه علىٰ بعض فأوعاه ، أي : أوكاه ومنع حق الله منه من

---

[١] - في ز : الذين آمنوا . [٢] - في ز : مال .
[٣] - في ز ، خ : ابن .
[٤] - في ز : عظامهم ثم تبدل جلودهم وخلقهم وتبدل جلودهم .

الواجب عليه في النفقات ومن إخراج الزكاة. وقد ورد في الحديث(١٢): « **ولا تُوعي فيوعي الله عليك** » وكان عبد الله بن عكيم[١] لا يربط له كيسًا ويقول: سمعت اللّٰه يقول: ﴿ **وجمع فأوعىٰ** ﴾.

وقال الحسن البصري: يا بن آدم، سمعت وعيد الله ثم أوعيت الدنيا. وقال قتادة في قوله: ﴿ **وجمع فأوعىٰ** ﴾، قال: كان جَمُوعًا قَمُومًا[٢] للخَبيث[٣].

۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ
مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ
أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾
وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ
لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ
﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ
﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى
جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن الإنسان وما هو مجبول عليه من الأخلاق الدنيئة: ﴿[**إن الإنسان خلق**][٤] **هلوعًا** ﴾، ثم فسره بقوله: ﴿ **إذا مسه الشر جزوعًا** ﴾، أي: إذا أصابه الضر فزع وجزع وانخلع قلبه من شدة الرعب، وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير، ﴿ **وإذا مسه الخير منوعًا** ﴾، أي: إذا حصلت له نعمة من الله بخل بها علىٰ غيره، ومنع حق اللّٰه فيها.

قال الإمام أحمد(١٣): حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا موسىٰ بن عُلَيّ بن رَبَاح، سمعت

---

(١٢) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: الصدقة فيما استطاع، حديث (١٤٣٤) (٣٠١/٣)، وطرفه في [٢٥٩١]. ومسلم في كتاب: الزكاة، باب: الحث في الإنفاق وكراهة الإحصاء، حديث (١٠٢٩/٨٩) (١٦٦/٧ - ١٦٧). كلاهما من حديث أسماء - رضي اللّٰه عنها.

(١٣) المسند (٣٢٠/٢) (٨٢٤٦). وأخرجه أبو داود في كتاب: الجهاد، باب: في الجرأة والجبن، حديث (٢٥١١) (١٢/٣). وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢١٩٢).

---

[١] - في خ: عليم.
[٢] - يباض في ز.
[٣] - في ز: الحديث.
[٤] - في ز: لخلق.

أبي يحدث عن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم قال : سمعت أبا هُرَيرة يقول : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **شر ما في رجل : شح هالع ، وجبن خالع** » .

ورواه أبو داود عن عبد اللّٰه بن الجراح ، عن أبي عبد الرحمن المقري، به . وليس لعبد العزيز عنده سواه[١] .

ثم قال : ﴿ **إلا المصلين** ﴾ ، أي : الإنسان من حيث هو متصف بصفات الذم إلا من عصمه[٢] اللّٰه ووفَّقَهُ[٣]، وهداه إلىٰ الخير ويسر له أسبابه ، وهم المصلون : ﴿ **الذين هم علىٰ صلاتهم دائمون** ﴾ . قيل : معناه يحافظون علىٰ أوقاتها وواجباتها ، قاله ابن مسعود ، ومسروق ، وإبراهيم النخعي .

وقيل : المراد بالدوام هاهنا : السكون والخشوع ، كقوله : ﴿ **قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون** ﴾ قاله عتبة[٤] بن عامر ، ومنه الماء الدائم أي : الساكن الراكد . وقيل : المراد بذلك الذين إذا عملوا عملًا داوموا عليه وأثبتوه ، كما جاء في الصحيح عن عائشة(١٤) ، عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أنه قال : « **أحب الأعمال إلىٰ اللّٰه أدومها وإن قَلّ** » ، وفي لفظ : « **ما داوم عليه صاحبه** »(١٥) ، قالت : وكان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم إذا عمل عملًا داوم عليه(١٦) . وفي لفظ : أثبته(١٧) .

وقال قتادة في قوله : ﴿ **الذين هم علىٰ صلاتهم دائمون** ﴾ : ذُكر لنا أن دانيال - عليه السلام - نعت أمة محمد صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقال : يصلون صلاة لوصلاها قوم نوح ما غرقوا ، أو قوم عاد ما أرسلت عليهم الريح العقيم ، أو ثمود ما أخذتهم الصيحة . فعليكم بالصلاة فإنها خلق للمؤمنين[٥] حسن .

---

(١٤) صحيح البخاري ، كتاب : اللباس ، باب : الجلوس على الحصير ونحوه ، حديث (٥٨٦١) (١٠/ ٣١٤) .

(١٥) صحيح البخاري ، كتاب : الإيمان ، باب : أحب الدين إلى اللّٰه أدومه ، حديث (٤٣) (١/١٠١) . ومسلم في كتاب : صلاة المسافرين ، باب : أمر من نعس في صلاته ....، حديث (٢٢١/٧٨٥) (٦/ ١٠٥) .

(١٦) صحيح البخاري في كتاب : الصوم ، باب : صوم شعبان ، حديث (١٩٧٠) (٤/٢١٣) بلفظ : « إذا صلى صلاة » .

(١٧) صحيح مسلم في كتاب : صلاة المسافرين ، باب : جامع صلاة الليل ، ومن نام عنه أو مرض ، حديث (١٤١/٧٤٦) .

---

[١] - في ز ، خ : بياض .

[٢] - في ز : عصم .

[٣] - في ز : وفق .

[٤] - في ز ، خ : عقبة .

[٥] - في ز : المؤمنين .

وقوله : ﴿ **والذين في أموالهم حق معلوم * للسائل والمحروم** ﴾ ، أي : في أموالهم نصيب مقرر لذوي الحاجات . وقد تقدم الكلام علىٰ ذلك في « **سورة الذاريات** » .

وقوله : ﴿ **والذين يصدقون بيوم الدين** ﴾ ، أي : يوقنون بالمعاد والحساب والجزاء ، فهم يعملون عمل من يرجو الثواب ويخاف العقاب . ولهذا قال : ﴿ **والذين هم من عذاب ربهم مشفقون** ﴾ ، أي : خائفون وجلون ، ﴿ **إن عذاب ربهم غير مأمون** ﴾ ، أي : لا يأمنه أحد ممن عَقل عن اللّٰه أمره إلا بأمان من اللّٰه تبارك وتعالىٰ .

وقوله : ﴿ **والذين هم لفروجهم حافظون** ﴾ ، أي : يكفونها عن الحرام ويمنعونها أن توضع في غير ما أذن اللّٰه . ولهذا قال : ﴿ **إلا علىٰ أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم** ﴾ ، أي : من الإماء ، ﴿ **فإنهم غير ملومين * فمن ابتغىٰ وراء ذلك فأولئك هم العادون** ﴾ . وقد تقدم تفسير هذا[١] في أول سورة : ﴿ **قد أفلح المؤمنون** ﴾ بما أغنىٰ عن إعادته هاهنا .

وقوله : ﴿ **والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون** ﴾ أي : إذا اؤتمنوا لم يخونوا ، وإذا عاهدوا لم يغدروا . وهذه صفات المؤمنين ، وضدها صفات المنافقين ، كما ورد [في الحديث][٢] الصحيح (١٨) : « **آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد[٣] أخلف ، وإذا اؤتمن خان** » ، وفي رواية : « **إذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر** » وقوله : ﴿ **والذين هم بشهاداتهم[٤] قائمون** ﴾ ، أي : محافظون عليها لا يزيدون فيها[٥]، ولا ينقصون منها[٦] ، ولا يكتمونها ، ﴿ **ومن يكتمها فإنه آثم قلبه** ﴾ .

ثم قال : ﴿**والذين هم على صلواتهم يحافظون**﴾ أي : علىٰ مواقيتها وأركانها وواجباتها ومستحباتها ، فافتتح الكلام بذكر الصلاة واختتمه بذكرها ، فدل علىٰ الاعتناء بها والتنويه بشرفها ، كما تقدم في أول[٧] سورة : ﴿ **قد أفلح المؤمنون** ﴾ ، سواء . ولهذا قال هناك : ﴿ **أولئك هم الوارثون * الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون** ﴾

وقال هاهنا : ﴿**أولئك في جنات مكرمون**﴾ أي : مكرمون بأنواع الملاذ والمسار .

فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ

(١٨) تقدم تخريجه في أول سورة الصف .

[١] - في ز ، خ : هذه .
[٢] - في ز ، خ : به الحديث في .
[٣] - في خ : أوعد .
[٤] - في ز : بشهادتهم .
[٥] - سقط من ز ، خ .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - سقط من ز .

أَمْرِيٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ
أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ
﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ
ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ
ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

يقول تعالىٰ منكرًا علىٰ الكفار الذين كانوا في زمن[١] النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وهم مشاهدون[٢] له ، ولما أرسله اللّٰه به من الهدىٰ وأيده به من المعجزات الباهرة ، ثم هم مع هذا كله فارّون منه ، متفرقون عنه ، شاردون[٣] يمينًا وشمالًا ، فرقًا فرقًا ، وشيَعًا شيَعًا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فمالهم عن التذكرة معرضين * كأنهم حمر مستنفرة * فرت من قسورة** ﴾ ، الآية . وهذه مثلها ، فإنه قال تعالىٰ : ﴿ **فماللذين كفروا قبلك مهطعين** ﴾ ، أي : [فمال هؤلاء][٤] الكفار الذين عندك يا محمد ﴿ **مهطعين** ﴾ ، أي : مسرعين نافرين منك ، كما قال الحسن البصري : ﴿ **مهطعين** ﴾ ، أي : منطلقين ، ﴿ **عن اليمين وعن الشمال عزين** ﴾ ، واحدها عِزَةٌ ، أي : متفرقين . وهو حال من مهطعين ، أي : في حال تفرقهم واختلافهم ، كما قال الإمام أحمد في[٥] أهل الأهواء : فهم مخالفون للكتاب ، مختلفون في الكتاب ، متفقون علىٰ مخالفة الكتاب .

وقال العوفي : عن ابن عباس : ﴿ **فماللذين كفروا قبلك مهطعين** ﴾ ، قال : قبلك ينظرون ، ﴿ **عن اليمين وعن الشمال عزين** ﴾ ، قال : العزين : العُصَب من الناس ، عن يمين وشمال معرضين يستهزئون به .

وقال ابن جرير(١٩) : حدثنا ابن بشار ، حدثنا أبو عامر ، حدثنا قُرة ، عن الحسن في قوله : ﴿ **عن اليمين وعن الشمال عزين** ﴾ ، متفرقين ، يأخذون يمينًا وشمالًا يقولون : ما قال هذا الرجل؟ . وقال قتادة : ﴿ **مهطعين** ﴾ : عامدين ، ﴿ **عن اليمين وعن الشمال عزين** ﴾ ، أي : فِرَقًا حول النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم لايرغبون في كتاب اللّٰه ، ولا في نبيه صلىٰ اللّٰه عليه

(١٩) أخرجه الطبري (٢٩/٨٥) .

---

[١] - في ز ، خ : زمان .
[٢] - في ز : يشاهدون .
[٣] - في ز : شاردين .
[٤] - في ز : ما لهؤلاء .
[٥] - سقط من ز ، خ .

وسلم . وقال الثوري ، وشعبة ، وعيسىٰ بن يونس ، وعبثر[١] بن القاسم ، ومحمد بن فضيل ، ووكيع ، ويحيىٰ القطان ، وأبو معاوية ، كلهم عن الأعمش ، عن المسيب بن رافع ، عن تميم بن طرفة، ، عن جابر بن سمرة : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم خرج عليهم وهم حلق ، فقال : « **مالي أراكم عزين ؟** »

رواه أحمد(٢٠) ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائي وابن جرير من[٢] حديث الأعمش به .

وقال ابن جرير(٢١) : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا مؤمل ، حدثنا سفيان[٣] ، عن عبدالملك بن عمير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم خرج علىٰ أصحابه وهم حِلَق حِلق ، فقال : « **مالي أراكم عزين ؟** » وهذا إسناد جيد ولم أره في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه .

وقوله : ﴿ **أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم * كلا** ﴾ ، أي : أيطمع هؤلاء - والحالة هذه - من فرارهم عن الرسول ونفارهم عن الحق - أن يدخلوا جنات النعيم ؟ لا[٤] بل مأواهم نار الجحيم .

ثم قال تعالى مقررًا لوقوع المعاد والعذاب بهم الذي أنكروا كونه واستبعدوا وجوده مستدلًا عليهم بالبداءة التي الإعادة أهون منها وهم معترفون بها ، فقال : ﴿ **إنا خلقناهم مما يعلمون** ﴾ ، أي : من[٥] المني الضعيف ، كما قال : ﴿ **ألم نخلقكم من ماء مهين** ﴾ ، وقال : ﴿ **فلينظر الإنسان مم خلق * خلق من ماء دافق * يخرج من بين الصلب والترائب * إنه علىٰ رجعه لقادر * يوم تبلىٰ السرائر * فما له من قوة ولا ناصر** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **فلا أقسم برب المشارق والمغارب** ﴾ ، أي : الذي خلق السماوات والأرض ، وجعل مشرقًا ومغربًا ، وسخر الكواكب تبدو من مشارقها وتغيب في[٦] مغاربها ، وتقرير[٧] الكلام : ليس الأمر كما تزعمون أن لا معاد ولاحساب ولا بعث ولا نشور، بل كل ذلك واقع

(٢٠) أخرجه أحمد (٩٣/٥) (٢٠٩٤١) . ومسلم في كتاب : الصلاة ، باب : الأمر بالسكون في الصلاة ...، حديث (٤٣٠/١١٩) (٢٠٠/٤ - ٢٠١) . وأبو داود في كتاب : الأدب ، باب : التحلق ، حديث (٤٨٢٣) (٢٥٨/٤) . والنسائي في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **إن الإنسان خلق هلوعًا** ﴾ ، حديث (١١٦٢٢) (٤٩٨/٦) . والطبري (٨٦/٢٩) .

(٢١) أخرجه الطبري (٨٥/٢٩ - ٨٦) .

[١] - في خ : عنبر .
[٢] - في ز ، خ : في .
[٣] - في الطبري : شقيق .
[٤] - زيادة من خ .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - في ز : من .
[٧] - في ز : وتقدير .

وكائن لا محالة . ولهذا أتىٰ بـ « لا » في ابتداء القسم ليدل علىٰ أن المقسم عليه نفي ، وهو مضمون الكلام ، وهو الرد علىٰ زعمهم الفاسد في نفي يوم القيامة، وقد شاهدوا من عظيم قدرة اللّٰه تعالىٰ ما هو أبلغ من إقامة القيامة ، وهو خلق السماوات والأرض ، وتسخير ما فيهما من المخلوقات من الحيوانات والجمادات ، وسائر صنوف الموجودات ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **لَخَلْقُ السموات والأرض أكبر من خلق الناس** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **أولم يروا أن اللّٰه الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر علىٰ أن يحيي الموتىٰ بلىٰ إنه علىٰ كل شيء قدير** ﴾ ، وقال تعالىٰ في الآية الأخرىٰ : ﴿ **أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر علىٰ أن يخلق مثلهم بلىٰ وهو الخلاق العليم * إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون** ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ **فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون * علىٰ أن نبدل خيرًا منهم** ﴾ ، أي : يوم القيامة [ ][١] نعيدهم بأبدان خير من هذه، فإن قدرته صالحة لذلك ، ﴿ **وما نحن بمسبوقين** ﴾ ، أي : بعاجزين . كما قال تعالىٰ : ﴿ **أيحسب الإنسان ألّن نجمع عظامه * بلىٰ قادرين علىٰ أن نسوي بنانه** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين علىٰ أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون** ﴾ واختار ابن جرير ﴿ **علىٰ أن نبدل خيرًا منهم** ﴾ ، أي : أمة تطيعنا ، ولا تعصينا وجعلها كقوله: ﴿ **وإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم** ﴾ . والمعنىٰ الأول أظهر لدلالة الآيات الأخر عليه ، واللّٰه أعلم .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **فذرهم** ﴾ ، أي : يامحمد ﴿ **يخوضوا ويلعبوا** ﴾ ، أي : دعهم في تكذيبهم وكفرهم وعنادهم ، ﴿ **حتىٰ يلاقوا يومهم الذي يوعدون** ﴾ ، أي : فسيعلمون غِب ذلك ويذوقون وباله ، ﴿ **يوم يخرجون من الأجداث سراعًا كأنهم إلىٰ نصب يوفضون** ﴾ ، أي : يقومون من القبور إذا دعاهم الرب تبارك وتعالىٰ لموقف[٢] الحساب ، ينهضون سراعًا كأنهم إلىٰ نصب يوفضون . قال ابن عباس ومجاهد والضحاك: إلى علم يسعون . وقال أبو العالية ، ويحيى بن أبي كثير : إلىٰ غاية يسعون إليها .

وقد قرأ الجمهور : ﴿ **نَصْب** ﴾ ، بفتح النون وإسكان الصاد ، وهو مصدر بمعنىٰ المنصوب . وقرأ الحسن البصري : ﴿ **نُصُب** ﴾ بضم النون والصاد ، وهو الصنم ، أي : كأنهم في إسراعهم إلىٰ الموقف كما كانوا في الدنيا يهرولون إلىٰ النصب إذا عاينوه يوفضون ، يبتدرون أيهم يستلمه أول ؟ وهذا مروي عن مجاهد ، ويحيى بن أبي كثير ، ومسلم البَطِين ، وقتادة ، والضحاك ، والربيع بن أنس، وأبي صالح ، وعاصم بن بهدلة ، وابن زيد ، وغيرهم .

وقوله : ﴿ **خاشعة أبصارهم** ﴾ ، أي : خاضعة ﴿ **ترهقهم ذلة** ﴾ ، أي : في مقابلة ما استكبروا في الدنيا عن الطاعة ، ﴿ **ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون** ﴾ .

[**آخر تفسير سورة « سأل سائل »**][٣] [وللّٰه الحمد والمنة][٤] .

---

[١] - في ز : أي . [٢] - في ز : لوقت .

[٣] - سقط من ز . [٤] - سقط من ز ، خ .

تفسير سورة نوح

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن نوح - عليه السلام -: إنه أرسله إلىٰ قومه آمرًا له أن ينذرهم بأس الله قبل حلوله بهم ، فإن تابوا وأنابوا رفع عنهم ؛ ولهذا قال : ﴿ **أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم * قال يا قوم إني لكم نذير مبين** ﴾ أي : بَيِّن النّذارة ، ظاهر الأمر واضحه ، ﴿ **أن اعبدوا الله واتقوه** ﴾ ، أي اتركوا محارمه واجتنبوا مآثمه ، ﴿ **وأطيعون** ﴾ فيما آمركم به وأنهاكم عنه . ﴿ **يغفر لكم من ذنوبكم** ﴾ ، أي : إذا فعلتم ما أمرتكم به ، وصدقتم ما أرسلت به إليكم ، غفر الله لكم ذنوبكم .

« ومن » هاهنا قيل : إنها زائدة . ولكن القول بزيادتها في الإثبات قليل . ومنه قول بعض العرب : « قد كان من مطر » . وقيل : إنها بمعنىٰ « عن » ، تقديره يصفح لكم عن ذنوبكم . واختاره[١] ابن جرير . وقيل : إنها للتبعيض ، أي يغفر لكم الذنوب العظام التي[٢] وعدكم علىٰ ارتكابكم إياها الانتقام .

﴿ **ويؤخركم إلىٰ أجل مسمى** ﴾ ، أي : يمد في أعماركم ويدرأ عنكم العذاب الذي إن لم تنزجروا عما نهاكم عنه : أوقعه بكم .

وقد يستدل بهذه الآية من يقول : إن الطاعة والبر وصلة الرحم ، يزاد بها في العمر حقيقة ، كما ورد به[٣] الحديث : « **صلة الرحم تزيد في العمر** »(١) .

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣١٢/٨) (٨٠١٤) من حديث أبي أمامة - رضي الله عنه - وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (٦٧٩/١) ، وقال الهيثمي في « المجمع » (١١٨/٣) : إسناده حسن . اهـ =

[١] - في ز ، خ : وأجازه . [٢] - في ز : الذي .
[٣] - في ز : بها .

وقوله : ﴿ **إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون** ﴾ ، أي : بادروا بالطاعة قبل حلول النقمة، فإنه إذا أمر تعالىٰ بكون ذلك لا يرد ولا يمانع ، فإنه العظيم الذي قهر كل شيء ، العزيز الذي دانت لعزته جميع المخلوقات .

قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَٱسْتَكْبَرُوا ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾

يخبر تعالىٰ عن عبده ورسوله نوح - عليه السلام - أنه اشتكىٰ إلىٰ ربه عز وجل [ ][١] مالقي من قومه ، وما صبر عليهم في تلك المدة الطويلة التي هي ألف سنة إلا خمسين عامًا ، وما بيَّن لقومه و[٢] وضَّح لهم ودعاهم إلىٰ الرشد والسبيل الأقوم ، فقال : ﴿ **رب إني دعوت قومي ليلا ونهارًا** ﴾ : أي: لم أترك دعاءهم في ليل ولا نهار، امتثالًا[٣] لأمرك وابتغاءً لطاعتك ، ﴿ **فلم يزدهم دعائي إلا فرارًا** ﴾ ، أي كلما دعوتهم ليقتربوا من الحق فرّوا منه وحادُوا عنه ، ﴿ **وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم** ﴾ ، أي : سدوا آذانهم لئلا يسمعوا ما أدعوهم إليه ، كما أخبر تعالىٰ عن كفار قريش : ﴿ **وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون** ﴾ .

= وفي الباب عن عبد الله بن عباس ، وعمر بن الخطاب ، وابن مسعود ، وأم سلمة ، ومعاوية بن حيدة - رضي الله عنهم - راجع الصحيحة للشيخ الألباني (١٩٠٨) .

[١] - في ز : و .

[٢] - في ز ، خ : وما . [٣] - في ز : اتباعًا .

﴿ **واستغشوا ثيابهم** ﴾ : قال ابن جريج عن ابن عباس : تنكروا له لئلا يعرفهم . وقال سعيد بن جبير والسدي : غطوا رءوسهم لئلا يسمعوا ما يقول .

﴿ **وأصروا** ﴾ ، أي : استمروا علىٰ ماهم فيه من الشرك والكفر العظيم الفظيع ، ﴿ **واستكبروا استكبارًا** ﴾ ، أي : واستنكفوا[١] عن اتباع الحق والانقياد له .

﴿ **ثم إني دعوتهم جهارًا** ﴾ ، أي : جهرة بين[٢] الناس . ﴿ **ثم إني أعلنت لهم** ﴾ ، أي: كلامًا ظاهرًا بصوت عال ، ﴿ **وأسررت لهم إسرارًا** ﴾ ، أي : فيما بيني وبينهم ، فنوّع عليهم الدعوة لتكون أنجع فيهم . ﴿ **فقلت : استغفروا ربكم إنه كان غفارًا** ﴾ ، أي : ارجعوا إليه ، وارجعوا عما أنتم فيه ، وتوبوا إليه من قريب ، فإنه من تاب إليه تاب عليه ، ولو كانت ذنوبه مهما كان في الكفر والشرك ؛ ولهذا قال : ﴿ **فقلت : استغفروا ربكم إنه كان غفارًا * يرسل السماء عليكم مدرارًا** ﴾ ، أي : متواصلة الأمطار ، ولهذا يستحب قراءة هذه السورة في صلاة الاستسقاء ؛ لأجل هذه الآية . وهكذا روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب(٢) أنه صعد المنبر ليستسقي ، فلم يزد علىٰ الاستغفار ، وقرأ الآيات في الاستغفار ، ومنها هذه الآية : ﴿ **فقلت : استغفروا ربكم إنه كان غفارًا * يرسل السماء عليكم مدرارًا** ﴾ ثم قال : لقد طلبت الغيث بمجاديح[٣] السماء التي يستنزل بها المطر. وقال ابن عباس وغيره : يتبع بعضه بعضًا .

وقوله : ﴿ **ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارًا** ﴾ ، أي : إذا تبتم إلىٰ الله واستغفرتموه وأطعتموه ، كثر الرزق عليكم ، وأسقاكم من بركات السماء ، وأنبت لكم من بركات الأرض ، وأنبت لكم الزرع ، وأدرّ لكم[٤] الضرع ، وأمدكم بأموال وبنين ، أي : أعطاكم الأموال والأولاد ، وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار ، وخللها بالأنهار الجارية بينها .

هذا مقام الدعوة بالترغيب . ثم عدل بهم إلىٰ دعوتهم بالترهيب فقال : ﴿ **مالكم لا ترجون لله وقارًا** ﴾ ، أي : عظمة . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك . وقال ابن عباس : لا تعظمون الله حق عظمته . أي : لاتخافون من بأسه ونقمته، ﴿ **وقد خلقكم أطوارًا** ﴾ ، قيل : معناه من نطفة، ثم من علقة ، ثم من مضغة . قاله ابن عباس ، وعكرمة ، وقتادة ، ويحيىٰ ابن رافع ، والسدي ، وابن زيد .

وقوله : ﴿ **ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقًا** ﴾ ، أي : واحدة فوق واحدة ، وهل هذا يتلقىٰ من جهة السمع فقط ؟ أو هو من الأمور المدركة بالحس ، مما علم من التسيير

---

[١] - في ز ، خ : واستكبروا .
[٢] - في ز : من .
[٣] - في ز ، خ : بمجادح .
[٤] - سقط من ز .

والكسوفات ، فإن الكواكب السبعة السيارة يكسف بعضها بعضًا ، فأدناها القمر في السماء[١] الدنيا وهو يكسف ما فوقه ، وعطارد في الثانية ، والزهرة في الثالثة ، والشمس في الرابعة ، والمريخ في الخامسة ، والمشترىٰ في السادسة ، وزُحَل في السابعة ، وأما بقية الكواكب - وهي الثوابت - ففي فَلَك ثامن يسمونه فَلَك الثوابت . والمتشرعون منهم يقولون : هو الكرسي ، والفلك التاسع ، وهو الأطلس ، والأثير عندهم الذي حركته علىٰ خلاف حركة سائر الأفلاك ، [وذلك أن حركته مبدأ الحركات ، وهي من المغرب إلىٰ المشرق ، وسائر الأفلاك ،][٢] عكسه من المشرق إلىٰ المغرب ، ومعها يدور سائر الكواكب تبعًا ، ولكن للسيارة حركة معاكسة لحركة أفلاكها ، فإنها تسير من المغرب إلىٰ المشرق . وكل يقطع فلكه بحسبه ، فالقمر يقطع فلكه في كل شهر مرة ، والشمس في كل سنة مرة ، وزحل في كل ثلاثين سنة مرة ، وذلك بحسب اتساع أفلاكها ، وإن كانت حركة الجميع في السرعة متناسبة .

هذا ملخص ما يقولونه في هذا المقام ، علىٰ اختلاف بينهم في مواضع كثيرة ، لسنا بصدد بيانها ، وإنما المقصود أن اللّٰه سبحانه خلق سبع سموات طباقًا . ﴿ **وجعل القمر فيهن نورًا وجعل الشمس سراجًا** ﴾ ، أي : فاوت بينهما في الاستنارة ، فجعل كلا منهما أنموذجًا علىٰ حدة ، ليعرف الليل والنهار بمطلع الشمس ومغيبها ، وقدر القمر منازل وبروجًا ، وفاوت نوره ، فتارة يزداد حتىٰ يتناهىٰ ثم يشرع في النقص حتىٰ يستسر ليدل علىٰ مضي الشهور والأعوام ، كما قال : ﴿ **هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورًا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق اللّٰه ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون** ﴾

وقوله : ﴿ **واللّٰه أنبتكم من الأرض نباتًا** ﴾ : هذا اسم مصدر ، والإتيان به هاهنا أحسن ، ﴿ **ثم يعيدكم فيها** ﴾ ، أي : إذا متم ﴿ **ويخرجكم إخراجًا** ﴾ ، أي : يوم القيامة يعيدكم كما بدأكم أول مرة ، ﴿ **واللّٰه جعل لكم الأرض بساطًا** ﴾ ، أي : بسطها ومهدها وقررها وثَبتها بالجبال الراسيات الشم الشامخات ، ﴿ **لتسلكوا منها سبلًا فجاجًا** ﴾ ، أي : خلقها لكم لتستقروا عليها وتسلكوا فيها أين شئتم ، من[٣] نواحيها وأرجائها وأقطارها ، وكل هذا مما ينبههم[٤] به نوح - عليه السلام - علىٰ قدرة اللّٰه وعظمته في خلق السماوات والأرض ، ونعمه عليهم فيما جعل لهم من المنافع السماوية والأرضية ، فهو الخالق الرازق ، جعل السماء بناءً ، والأرض مهادًا ، وأوسع علىٰ خلقه من رزقه ، فهو الذي يجب أن يعبد ويوحد ولا يشرك به أحد ، لأنه لانظير له ولا عَديل[٥] له ، ولا نِدَّ ولا كفء ، ولا صاحبة ولا ولد ، ولا وزير ولا مشير ، بل هو العلي الكبير .

---

[١] - في ز : سماء .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ز ، خ : في .
[٤] - في ز : ينبئهم .
[٥] - في ز : عدل .

قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن نوح - عليه السلام -: إنه أنهىٰ إليه - وهو العليم الذي لا يعزب عنه شيء - أنه مع البيان المتقدم ذكره، والدعوة المتنوعة المشتملة علىٰ الترغيب تارة والترهيب أخرىٰ: أنهم عصوه وكذبوه وخالفوه، واتبعوا أبناء الدنيا ممن غَفَل عن أمر الله، ومتع بمال وأولاد، وهي في نفس الأمر استدراج وإنظار لا إكرام؛ ولهذا قال: ﴿ **واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارًا** ﴾، قُرئ: ﴿ **ووُلْده** ﴾ بالضم وبالفتح، وكلاهما متقارب.

وقوله: ﴿ **ومكروا مكرًا كبارًا** ﴾، قال مجاهد: ﴿ **كبارًا** ﴾، أي: عظيمًا. وقال ابن زيد: ﴿ **كبارًا** ﴾، أي: كبيرًا. والعرب تقول: أمر عجيب وعُجَاب وعُجّاب، ورجل حُسَان وحُسَّان، وجُمَال وجُمَّال، بالتخفيف والتشديد، بمعنى واحد. والمعنىٰ في قوله: ﴿ **ومكروا مكرًا كبارًا** ﴾، أي: بأتباعهم في تسويلهم لهم أنهم علىٰ الحق والهدىٰ، كما يقولون لهم يوم القيامة: ﴿ **بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادًا** ﴾، ولهذا قال هاهنا: ﴿ **ومكروا مكرًا كبارًا * وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودًّا ولا سواعًا ولا يغوث ويعوق ونسرًا** ﴾، وهذه أسماء أصنامهم التي كانوا يعبدونها من دون الله.

قال البخاري(٣): حدثنا إبراهيم، حدثنا هشام، عن ابن جريج، و[١] قال عطاء، عن ابن عباس: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد: أما وَدّ فكانت لكلب بدَومة الجندل؛ وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد، ثم لبني غُطَيف بالجُرُف[٢] عند سبأ، وأما يَعوقُ فكانت لهَمْدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي كَلاع، وهي[٣] أسماء رجال صالحين من قوم نوح - عليه السلام - فلما هلكوا أوحىٰ الشيطان إلىٰ قومهم أن انصبوا

---

(٢) ذكره المصنف في «البداية والنهاية» (١٠٥/٧) وعزاه لابن أبي الدنيا من طريق إسحاق بن إسماعيل عن سفيان عن مطرف بن طريف عن الشعبي قال: خرج عمر يستسقى ... فذكره.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير، باب: ﴿ **ودًّا ولا سواعًا ولا يغوث ويعوق ونسرًا** ﴾، حديث (٤٩٢٠) (٦٦٧/٨).

---

[١] - سقط من ز.

[٢] - في ز، خ: بالحوف.

[٣] - في ز، خ: نسرًا.

إلىٰ مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، فلم تعبد حتىٰ إذا[١] هلك أولئك وتَنَسَّخَ العلم عبدت .

وكذا روي عن عكرمة ، والضحاك ، وقتادة وابن إسحاق نحو هذا .

وقال عليّ بن أبي طلحة : عن ابن عباس : هذه أصنام كانت تعبد في زمن[٢] نوح .

وقال ابن جرير(٤) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا مهران ، عن سفيان ، عن موسىٰ ، عن [٣] محمد ابن قيس ﴿ ويعوق ونسرًا ﴾ ، قال : كانوا قومًا صالحين بين[٤] آدم ونوح ، وكان لهم أتباع[٥] يقتدون بهم ، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم : لو صَوّرناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم ، فصوروهم ، فلما ماتوا وجاء آخرون دَبّ إليهم إبليس فقال : إنما كانوا يعبدونهم وبهم يُسقَوْن المطر . فعبدوهم .

وروىٰ الحافظ ابن عساكر(٥) في ترجمة شيث - عليه السلام - من طريق إسحاق بن بشر قال : وأخبرني جُوَيبر ومقاتل ، عن الضحاك ، عن ابن عباس أنه قال : ولد لأدم - عليه السلام - أربعون ولدًا ، عشرون غلامًا وعشرون جارية ، فكان ممن عاش منهم : هابيل ، وقابيل ، وصالح ، وعبد الرحمن - والذي كان سماه[٦] عبدالحارث - ووَدّ ، وكان وَدّ يقال له « شيث » ، ويقال له « هبة الله » ، وكان إخوته قد سَوّدوه ، وولد له سُواع ويغوث ويعوق ونسر .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو عُمَر الدّوريّ ، حدثني أبو إسماعيلَ المؤدّب ، عن عبد الله بن مسلم بن هُرمز ، عن أبي حزْرَة ، عن عروة بن الزّبير قال : اشتكىٰ آدم - عليه السلام - وعنده بنوه : ود ، ويغوث ، ويعوق ، وسواع ، ونسر ، وكان وَدّ أكبرَهم وأبرّهم به .

وقال ابن أبي حاتم(٦) : حدثنا أحمد بن منصور ، حدثنا الحسن بن موسىٰ ، حدثنا يعقوب ، عن أبي المطهر[٧] قال : ذكروا عند أبي جعفر - وهو قائم يصلي - [يزيد بن][٨]

(٤) أخرجه الطبري (٩٨/٢٩ - ٩٩) .

(٥) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٦٥/٨ مخطوط) .

(٦) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٤٢٨/٦) وعزاه إلى عبد بن حميد من طريق أبي مطهر .

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - في ز : زمان .
[٣] - في خ : ابن .
[٤] - في ز : عن .
[٥] - في خ : الذين .
[٦] - في ز ، خ : سماهم .
[٧] - في خ : الطهر .
[٨] - في ز : بين يدي .

المهلب ، قال : فلما انفتل من صلاته قال : ذكرتم يزيدَ بن المهلب ، أما إنه قتل في أول أرض عُبد فيها غير الله ، قال : ثم [ذكر ودًّا ،][١] [قال : وكان ودّ][٢] رجلًا مسلمًا ، وكان محببًا في قومه ، فلما مات عسكروا حول قبره في أرض بابل وجزعوا عليه ، فلما رأىٰ إبليس جَزَعهم عليه ، تشبه في صورة إنسان ، ثم قال : إني أرىٰ جزعكم علىٰ هذا الرجل ، فهل لكم أن أصوّر لكم مثله ، فيكون في ناديكم فتذكرونه ؟ قالوا : نعم . فصوّر لهم مثله ، قال : ووضعوه في ناديهم وجعلوا يذكرونه . فلما رأىٰ ما بهم من ذكره قال : هل لكم أن أجعل في منزل كل واحد منكم تمثالًا مثله ، فيكون له في بيته ، فتذكرونه؟ قالوا : نعم. قال: فمثل لكل أهل بيت تمثالًا مثله. فأقبلوا فجعلوا يذكرونه به ، قال : وأدرك أبناؤهم فجعلوا يرون ما يصنعون به ، وتناسلوا ودَرَس أمر ذكرهم إياه حتى اتخذوه إلٰهًا يعبدونه من دون الله أولاد أولادهم ، فكان أول ما عبد غير الله : الصنم الذي سموه وَدًّا .

وقوله : ﴿ **وقد أضلوا كثيرًا** ﴾ ، يعني الأصنام التي اتخذوها أضلوا بها خلقًا كثيرًا فإنه استمرت[٣] عبادتها في القرون إلىٰ زماننا هذا في العرب والعجم وسائر صنوف بني آدم . وقد قال الخليل – عليه السلام – في دعائه : ﴿ **واجنبني وبني أن نعبد الأصنام * رب إنهن أضللن كثيرًا من الناس** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ولا تزد الظالمين إلا ضلالًا** ﴾ : دعاء منه علىٰ قومه لتمردهم وكفرهم وعنادهم ، كما دعا موسىٰ علىٰ فرعون وملئه في قوله : ﴿ **ربنا اطمس علىٰ أموالهم واشدد علىٰ قلوبهم فلا يؤمنوا حتىٰ يروا العذاب الأليم** ﴾. وقد استجاب الله لكل من النبيين في قومه، وأغرق أمته بتكذيبهم لما جاءهم به .

مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾

يقول تعالى : ﴿ **مما خطاياهم** ﴾ وقرئ : ﴿ **خطيئاتهم** ﴾ .

﴿ **أغرقوا** ﴾ ، أي : من كثرة ذنوبهم وعتوهم وإصرارهم علىٰ كفرهم ومخالفتهم رسولهم ، ﴿ **أغرقوا فأدخلوا نارًا** ﴾ ، أي : نقلوا من تيار البحار إلىٰ حرارة النار ، ﴿ **فلم يجدوا لهم من**

---

[١] - في ز : ذكروا . [٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - في ز : استمر .

دون الله أنصارًا ﴾ ، أي : لم يكن لهم معين ولا مُغيث ولا مُجير ينقذهم من عذاب الله كقوله : **﴿ قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم ﴾**

﴿ وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارًا ﴾ ، أي : لا تترك على الأرض منهم أحدًا ولا تُومُريًّا[١] ، وهذه من صيغ توكيد[٢] النفي . قال الضحاك : **﴿ ديارًا ﴾** : واحدًا . وقال السدي : الديار الذي يسكن الدار .

فاستجاب الله له ، فأهلك جميع[٣] من على وجه الأرض من الكافرين ، حتى ولد نوح لصلبه الذي اعتزل عن أبيه ، و : **﴿ قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ﴾** .

وقال ابن أبي حاتم(٧) : [ ][٤] قرئ على يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني شَبيب ابن سعيد ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« لو رحم الله من قوم نوح أحدًا لرحم امرأة لما رأت الماء حملت ولدها ثم صعدت الجبل ، فلما بلغها الماء صعدت به منكبها ، فلما بلغ الماء منكبها وضعت ولدها على رأسها، فلما بلغ الماء رأسها رفعت ولدها بيدها . فلو رحم الله منهم أحدًا لرحم هذه المرأة »** .

هذا حديث غريب ، ورجاله ثقات . ونجى الله أصحاب السفينة الذين آمنوا مع نوح -عليه السلام - وهم الذين أمره الله بحملهم معه .

وقوله : **﴿ إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ﴾**، أي : إنك[٥] إن أبقيت منهم أحدًا أضلوا عبادك ، [أي : الذين][٦] تخلفهم بعدهم ، **﴿ ولا يلدوا إلا فاجرًا كفارًا ﴾** ، أي : فاجرًا في الأعمال كافر القلب ، وذلك لخبرته بهم ومكثه بين أظهرهم ألف سنة إلا خمسين عامًا .

ثم قال : **﴿ رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنًا ﴾** ، قال الضحاك : يعني مسجدي . ولا مانع من حمل الآية على ظاهرها ، وهو أنه دعا لكل من دخل منزله وهو مؤمن ، وقد قال الإمام أحمد(٨) :

حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا حيوة ، أنبأنا سالم بن غيلان : أن الوليد بن قيس التّجيبيّ

(٧) أخرجه الحاكم (٣٤٢/٢) من حديث عائشة - رضي الله عنها - مرفوعًا بنحو حديث ابن عباس . قال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وتعقبه الذهبي بأن إسناده مظلم ، وموسى ليس بذاك .

(٨) المسند (٣٨/٣) (١١٣٥٣) . وأخرجه أبو داود في كتاب : الأدب ، باب : من يؤمر أن يجالس =

[١] - في ز : دومريًّا .
[٢] - في ز ، خ : تأكيد .
[٣] - سقط من خ .
[٤] - في ز : لما .
[٥] - سقط من ز، خ .
[٦] - سقط من ز ، خ .

أخبره : أنه سمع أبا سعيد الخدري - أو : عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد -: أنه سمع رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « **لا تصحب إلا مؤمنًا ، ولا يأكل طعامك إلا تقي** » .

ورواه أبو داود والترمذي ، من حديث عبد اللَّه بن المبارك ، عن حيوة بن شريح ، به . ثم قال الترمذي : « إنما نعرفه من هذا الوجه » .

وقوله : ﴿ **وللمؤمنين والمؤمنات** ﴾ : دعاء لجميع المؤمنين والمؤمنات ، وذلك يَعُمّ الأحياءَ منهم والأموات؛ ولهذا يستحب مثل هذا الدعاء ، اقتداءً بنوح - عليه السلام - وبما جاء في الآثار والأدعية المشروعة .

وقوله: ﴿**ولا تزد الظالمين إلا تبارا**﴾ قال السدي: إلا [١] هلاكًا. وقال مجاهد: إلا خسارًا . أي : في الدنيا والآخرة .

آخر تفسير سورة نوح [عليه السلام ، ولله الحمد والمنة ، وبه التوفيق والعصمة][٢] .

☆ ☆ ☆

= حديث (٤٨٣٢) (٢٥٩/٤) . والترمذي في كتاب : الزهد ، باب : ما جاء في صحبة المؤمن ، حديث (٢٣٩٧) (١٢٣/٧) . قال الترمذي : هذا حديث حسن . وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٤٠٤٥) .

[١] - سقط من ز ، خ . [٢] - من ز .

تفسير سورة الجن

وهي مكية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾

يقول تعالىٰ آمرًا رسوله صلىٰ اللَّه عليه وسلم أن يخبر قومه : إن الجن استمعوا القرآن فآمنوا به وصدقوه وانقادوا له فقال تعالىٰ : ﴿ **قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنًا عجبًا * يهدي إلىٰ الرشد** ﴾ ، أي : إلىٰ السداد والنجاح ، ﴿ **فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدًا** ﴾ . وهذا المقام شبيه بقوله تعالىٰ : ﴿ **وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن** ﴾ . وقد قدمنا الأحاديث الواردة في ذلك بما أغنى عن إعادتها هاهنا .

وقوله : ﴿ **وأنه تعالىٰ جد ربنا** ﴾ : قال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالىٰ : ﴿ **جد ربنا** ﴾ ، أي : فعلُه وأمره وقدرته . وقال الضحاك عن ابن عباس : جد اللَّه : آلاؤه وقدرته ونعمته على خلقه . وروي عن مجاهد وعكرمة : جلال ربنا . وقال قتادة : تعالىٰ جلاله وعظمته وأمره . وقال السدي : تعالىٰ أمر ربنا . وعن أبي الدرداء ومجاهد أيضًا وابن جريج : تعالىٰ ذكره . وقال سعيد بن جبير : ﴿ **تعالىٰ جد ربنا** ﴾ أي : تعالىٰ ربنا .

فأما ما رواه ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عبد اللَّه بن يزيد المقرئ ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن[١] عطاء ، عن ابن عباس قال : الجد أب ، ولو علمت الجن أن في الإنس[٢] جدًّا[٣] ما قالوا : ﴿ **تعالىٰ جَدّ ربنا** ﴾ .

فهذا إسناد جيد ، ولكن لست أفهم ما معنى هذا الكلام ، ولعله قد سقط شيء ، واللَّه أعلم .

---

[١] - في ز ، خ : ابن .
[٢] - في ز : الأرض .
[٣] - في ز : جد .

وقوله : ﴿ ما اتخذ صاحبة ولا ولدًا ﴾ ، أي : تعالىٰ عن اتخاذ الصاحبة والأولاد [أي : قالت][١] الجن : تنزه الرب تعالىٰ جلاله وعظمته حين أسلموا وآمنوا بالقرآن ، عن اتخاذ الصاحبة والولد .

ثم قالوا : ﴿ وأنه كان يقول سفيهنا علىٰ اللَّه شططًا ﴾ ، قال مجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، والسدي : ﴿ سفيهنا ﴾ يعنون إبليس ﴿ شططًا ﴾ ، قال السدي : عن أبي[٢] مالك : ﴿ شططًا ﴾ ، أي : جورًا . وقال ابن زيد : ظلمًا كبيرًا[٣].

ويحتمل أن يكون المراد بقولهم ﴿ سفيهنا ﴾ : اسم جنس لكل من زعم أن للَّه صاحبة أو ولدًا ، ولهذا قالوا : ﴿ وأنه كان يقول سفيهنا ﴾ ، أي : قبل إسلامه ﴿ علىٰ اللَّه شططًا ﴾ ، أي : باطلًا وزورًا ؛ ولهذا قالوا : ﴿ وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن علىٰ اللَّه كذبًا ﴾ ، أي : ما حسبنا أن الإنس والجن يتمالئون علىٰ الكذب علىٰ اللَّه في نسبة الصاحبة والولد إليه ، فلما سمعنا هذا القرآن وآمنا به ، علمنا أنهم كانوا يكذبون علىٰ اللَّه في ذلك .

وقوله : ﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقًا﴾ أي : كنا نرىٰ أن لنا فضلًا علىٰ الإنس ، لأنهم كانوا يعوذون بنا ، أي : إذا نزلوا واديًا أو مكانًا موحشًا من البراري وغيرها كما كان عادة العرب في جاهليتها يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان ، أن يصيبهم بشيء[٤] يسوؤهم ، كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه وخفارته ، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم ﴿ زادوهم رهقًا ﴾ ، أي : خوفًا وإرهابًا وذعرًا ، حتىٰ تبقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذًا بهم ، كما قال قتادة : ﴿ فزادوهم رهقًا ﴾ ، أي : إثمًا ، وازدادت الجن عليهم بذلك جراءة .

وقال الثوري : عن منصور ، عن إبراهيم : ﴿ فزادوهم رهقًا ﴾ ، أي : ازدادت الجن عليهم جرأة . وقال السدي : كان الرجل يخرج بأهله فيأتي الأرض فينزلها فيقول : أعوذ بسيد هذا الوادي من الجن أن أضر أنا فيه أو مالي أو ولدي أو ماشيتي ، قال : فإذا عاذ بهم من دون اللَّه ، رَهَقتهم الجنّ الأذىٰ عند ذلك .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد [ ][٥] يحيىٰ بن سعيد القطان ، حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبي ، حدثنا الزبير بن الخرّيت[٦] ، عن عكرمة قال : كان الجن يَفْرَقُون من الإنس كما يفرق الإنس منهم أو أشد ، وكان الإنس إذا نزلوا واديًا هرب الجن ، فيقول سيد القوم : نعوذ [بسيد أهل][٧] هذا الوادي . فقال الجن : نراهم يفرقون منا كما نفرق منهم . فدنوا من

---

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - في ز : ابن .
[٣] - في خ : كثيرًا .
[٤] - في ز : شيء .
[٥] - في ز ، خ : ابن .
[٦] - في ز ، خ : حرب .
[٧] - في ز ، خ : بأهل .

الإِنس فأصابوهم بالخَبَل والجنون ، فذلك قول اللَّه : ﴿ وأنه كان رجال من الإِنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقًا ﴾ .

وقال أبو العالية ، والربيع ، وزيد بن أسلم : ﴿ رهقًا ﴾ ، أي : خوفًا . وقال العوفي : عن ابن عباس : ﴿ فزادوهم رهقًا ﴾ ، أي : إثمًا . وكذا قال قتادة . وقال مجاهد : زاد الكفار طغيانًا .

وقال ابن أبي حاتم (١) : حدثنا أبي ، حدثنا فروة بن أبي المغراء الكندي ، حدثنا القاسم بن مالك - يعني المزني[١] - عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن أبيه ، عن كَردم بن أبي السائب الأنصاري قال : خرجت مع أبي من المدينة في حاجة ، وذلك أول ما ذكر رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بمكة ، فآوانا المبيت إلىٰ راعي غنم . فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حَملا من الغنم، فوثب الراعي فقال: يا عامر الوادي، جارك. فنادى مناد [لا نراه، يقول:][٢] يا سرحان ، أرسله . فأتىٰ الحمل يشتد ، حتىٰ دخل في الغنم لم تصبه كدمة . وأنزل اللَّه تعالىٰ علىٰ رسوله بمكة : ﴿ وأنه كان رجال من الإِنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقًا ﴾ .

ثم قال : ورُوي عن عبيد بن عمير ، ومجاهد ، وأبي العالية ، والحسن ، وسعيد بن جبير ، وإبراهيم النخعي ، نحوه . وقد يكون هذا الذئب الذي أخذ الحمل - وهو ولد الشاة - كان جنيًّا حتىٰ يُرهب الإِنسي ويخاف منه ، ثم رَدّه عليه لما استجار به ، ليضله ويهينه ، ويخرجه عن دينه ، واللَّه أعلم .

وقوله : ﴿ وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث اللَّه أحدًا ﴾ أي : لن يبعث اللَّه [ ][٣] بعد هذه المدة رسولًا . قاله الكلبي ، وابن جرير .

وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾

يخبر تعالىٰ عن الجن حين بعث اللَّه رسوله محمدًا صلىٰ اللَّه عليه وسلم، وأنزل عليه القرآن ، وكان من[٤] حفظه له أن السماء مُلِئَت حرسًا شديدًا ، وحفظت من سائر أرجائها ، وطردت

(١) **ضعيف** ، أخرجه العقيلي في « الضعفاء الكبير » (١٠١/١) في ترجمة إسحاق بن الحارث الكوفي . والطبراني (١٩١/١٩ - ١٩٢) (٤٣٠) . وأبو الشيخ في « العظمة » (١٦٦٤/٥ - ١٦٦٦) (١١٠٥) . كلهم من طريق القاسم بن مالك ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن أبيه ، عن كردم بن أبي السائب=

[١] - في ز ، خ : المدني .
[٢] - في خ : يقول وهو لا يراه .
[٣] - في ز : أحدًا أي لن يبعث .
[٤] - في ز ، خ : في .

الشياطين عن مقاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك ، لئلا يسترقوا شيئًا من القرآن فيلقوه علىٰ ألسنة الكهنة ، فيلتبس الأمر ويختلط ولا يدرىٰ من الصادق ، و[١] هذا من لطف اللّٰه بخلقه ، ورحمته بعباده ، وحفظه لكتابه العزيز ؛ ولهذا قالت الجن : ﴿ **وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسًا شديدًا وشهبًا * وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابًا رصدًا** ﴾ ، [أي : من يروم أن يسترق السمع اليوم يجد له شهابًا مرصدًا][٢] له ، لا يتخطاه ولا يتعداه ، بل يمحقه ويهلكه ، ﴿ **وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدًا** ﴾ ، أي : ما ندري[٣] هذا الأمر الذي قد حدث في السماء ، لا ندري أشر أريد بمن في الأرض ، أم أراد بهم ربهم رشدًا ؟ وهذا من أدبهم في العبارة حيث أسندوا الشر إلىٰ غير فاعل ، والخير أضافوه إلىٰ اللّٰه عز وجل .

وقد ورد في الصحيح(٢) : « **والشر ليس إليك** » . وقد كانت الكواكب يُرمىٰ بها قبل ذلك ، ولكن ليس بكثير بل في الأحيان بعد الأحيان ، كما في حديث [ابن عباس][٤] (٣) : بينما نحن جلوس مع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم إذا رمي بنجم فاستنار ، فقال : « **ما كنتم تقولون في هذا ؟** » فقلنا : كنا نقول : يولد عظيم ، يموت عظيم . فقال : « **ليس كذلك ، ولكن اللّٰه إذا قضىٰ الأمر في السماء ...** » . وذكر تمام الحديث .

وقد أوردناه في « **سورة سبأ** » بتمامه . وهذا هو السبب الذي حَمَلهم علىٰ تطلب السبب في ذلك ، فأخذوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها ، فوجدوا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقرأ بأصحابه في الصلاة فعرفوا أن هذا هو الذي حُفظت من أجله السماء ، فآمن من آمن منهم ، وتمرد في طغيانه من بقي ، كما تقدم في[٥] حديث ابن عباس في ذلك ، عند قوله في « **سورة الأحقاف** » : ﴿ **وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن ...** ﴾ . الآية ،

ولا شك أنه لما حدث هذا الأمر ، وهو كثرة الشهب في السماء والرمي بها ، هال ذلك الإنس والجن ، وانزعجوا له وارتاعوا لذلك ، وظنوا أن ذلك لخراب العالم ، كما قال السدي : لم تكن السماء تحرس إلا أن يكون في الأرض نبي أو دين للّٰه ظاهر ، وكانت الشياطين قبل

= فذكره ، قال ابن عدي : إسحاق بن الحارث الكوفي ، قال البخاري يتكلمون فيه ، وفيه نظر . قال : وضعف أحمدُ عبدَ الرحمن بن إسحاق . اهـ . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٣٢/٧) : وفيه عبدالرحمن بن إسحاق الكوفي وهو ضعيف .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين ، حديث (٧٧١/٢٠١) (٨٢/٦ - ٨٦) .

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة سبأ آية : ٢٣.

---

[١] - في ز ، خ : وكان .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : تدرون .

[٤] - في ز ، خ : العباس .

[٥] - سقط من ز .

محمد صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قد اتخذت المقاعد في السماء الدنيا ، يستمعون ما يحدث في السماء من أمر ، فلما بعث اللّٰه محمدًا نبيًّا ، رُجموا ليلة من الليالي ، ففزع لذلك أهل الطائف ، فقالوا : هلك أهل السماء ؛ لما رأوا من شدة النار في السماء واختلاف الشهب ، فجعلوا يعتقون أرقاءهم ويُسَيِّبون مواشيهم ، فقال لهم عبد ياليل بن عمرو بن عمير : ويحكم يا معشر أهل الطائف ، أمسكوا عن أموالكم ، وانظروا إلىٰ معالم النجوم ، فإن رأيتموها مستقرة في أمكنتها فلم يهلك أهل السماء ، إنما هذا من أجل ابن أبي كبشة - يعني محمدًا صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - وإن أنتم لم تروها فقد هلك أهل السماء . فنظروا فرأوها ، فكفوا عن أموالهم . وفزعت الشياطين في تلك الليلة ، فأتوا إبليس فحدثوه بالذي كان من أمرهم ، فقال : ائتوني من كل أرض بقبضة من تراب أشمها . فأتوه فشمَّ فقال : صاحبكم بمكة . فبعث سبعة نفر من جن نصيبين ، فقدموا مكة فوجدوا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قائمًا يصلي في المسجد الحرام يقرأ[١] القرآن ، فدنوا[٢] منه حرصًا علىٰ القرآن حتىٰ كادت كَلاكِلهم تصيبه ، ثم أسلموا . فأنزل اللّٰه تعالىٰ أمرهم علىٰ نبيه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وقد ذكرنا هذا الفصل مستقصى في أول البعث من[٣] كتاب السيرة المطول ، واللّٰه أعلم ، وللّٰه الحمد والمنة .

وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسٗا وَلَا رَهَقٗا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ﴿١٦﴾ لِّنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ يَسۡلُكۡهُ عَذَابٗا صَعَدٗا ﴿١٧﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن الجن : إنهم قالوا مخبرين عن أنفسهم : ﴿ **وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك** ﴾ [أي : غير ذلك][٤] ﴿ **كنا طرائق قددًا** ﴾ ، أي : طرائق متعددة مختلفة وآراء متفرقة .

قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد : ﴿ **كنا طرائق قِدَدًا** ﴾ أي : منا المؤمن ومنا الكافر .

وقال أحمد بن سليمان النَّجاد في أماليه : حدثنا أسلم بن سَهل بحشل حدثنا عليّ بن

---

[١] - في ز : يقرأن .
[٢] - في خ : فقدموا .
[٣] - في ز ، خ : في .
[٤] - سقط من ز ، خ .

الحسن[١] بن سليمان - وهو أبو الشعثاء الحضرمي ، شيخ مسلم - ، حدثنا أبو معاوية قال : سمعتُ الأعمش يقول : تروح إلينا جني ، فقلت له : ما أحب الطعام إليكم ؟ فقال : الأرز . قال : فأتيناهم به ، فجعلت أرىٰ اللقم ترفع ولا أرىٰ أحدًا . فقلت : فيكم من هذه الأهواء التي فينا ؟ قال : نعم . قلت : فما الرافضة فيكم ؟ قال : شرنا . عرضت هذا الإسناد على شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزي فقال : هذا إسناد صحيح إلى الأعمش .

وذكر الحافظ ابن عساكر(٤) في ترجمة العباس بن[٢] أحمد الدمشقي قال : سمعتُ بعض الجنّ ، [وأنا في منزلي][٣] بالليل ينشد :

قُلوبٌ بَرَاها الحبّ حَتىٰ تعلَّقت مَذَاهِبُها في كُلّ غَربٍ وشَارِقِ
تَهيم بحب اللَّه ، واللَّه رَبُّها مُعَلَّقة باللَّه دُونَ الخَلائقِ

وقوله : ﴿ **وأنا ظننا أن لن نعجز اللّه في الأرض ولن نعجزه هربًا** ﴾ ، أي : نعلم أن قدرة اللّه حاكمة علينا ، وأنا لا نعجزه في الأرض ، ولو أمعنا في الهرب ، فإنه علينا قادر ، لا يعجزه أحد منا .

﴿ **وأنا لما سمعنا الهدىٰ آمنا به** ﴾ : يفتخرون بذلك ، وهو مفخرٌ لهم ، وشرفٌ رفيعٌ ، وصفةٌ حسنةٌ .

وقولهم : ﴿ **فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسًا ولا رهقًا** ﴾ ، قال ابن عباس ، وقتادة ، وغيرهما : فلا يخاف أن يُنقَص من حسناته ، أو يحمل عليه غير[٤] سيئاته ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فلا يخاف ظلمًا ولا هضمًا** ﴾ .

﴿ **وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون** ﴾ ، أي : منا المسلم ومنا القاسط ، وهو : الجائر عن الحق الناكب عنه ، بخلاف المقسط فإنه العادل ، ﴿ **فمن أسلم فأولئك تحروا رشدًا** ﴾ ، أي : طلبوا[٥] لأنفسهم النجاة . ﴿ **وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبًا** ﴾ أي : وقودًا تُسعر بهم .

وقوله : ﴿ **وألّو استقاموا علىٰ الطريقة لأسقيناهم ماء غدقًا * لنفتنهم فيه** ﴾ : اختلف المفسرون في معنىٰ هذا علىٰ قولين :

أحدِهما : وأن لو استقام القاسطون علىٰ طريقة الإسلام وعدلوا إليها واستمروا عليها ،

(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٨/٨٨٧ مخطوط) .

[١] - في ز ، خ : الحسين .
[٢] - في ز : أن .
[٣] - في ز ، خ : زارنا في منزل .
[٤] - في ز : عن .
[٥] - في ز : ظنوا .

﴿ **لأسقيناهم ماء غدقًا** ﴾ ، أي : كثيرًا . والمراد بذلك سَعَة الرزق ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم** ﴾ ، وكقوله : ﴿**ولو أن أهل القرىٰ آمنوا واتقوا ، لفتحنا عليهم بركاتٍ من السماء والأرض**﴾ . وعلىٰ هذا يكون معنىٰ قوله : ﴿ **لنفتنهم فيه** ﴾ ، أي : لنختبرهم ، كما قال مالك : عن زيد ابن أسلم : ﴿ **لنفتنهم** ﴾ : لنبتليهم ، مَن يستمر علىٰ الهداية ممن يرتد إلىٰ الغواية ؟

ذكر من قال بهذا القول

قال العوفي عن ابن عباس : ﴿**وألو استقاموا على الطريقة**﴾ : يعني بالاستقامة : الطاعة . وقال مجاهد : ﴿ **وألو استقاموا علىٰ الطريقة** ﴾ ، قال : الإسلام . وكذا قال سعيد بن جُبير ، وسعيد بن المسيب ، وعطاء ، والسدي ، ومحمد بن كعب القرظي .

وقال قتادة : ﴿**وألو استقاموا على الطريقة**﴾ يقول : لو آمنوا كلهم لأوسعنا عليهم من الدنيا .

وقال مجاهد : ﴿ **وألّو استقاموا علىٰ الطريقة** ﴾ ، أي : طريقة الحق . وكذا قال الضحاك ، واستشهد علىٰ ذلك بالآيتين اللتين ذكرناهما ، وكل هؤلاء أو أكثرهم قالوا في قوله : ﴿ **لنفتنهم فيه** ﴾ ، أي : لنبتليهم به . وقال مقاتل[١]: نزلت في كفار قريش حين منعوا المطر سبع سنين .

والقول الثاني : ﴿ **وألّو استقاموا علىٰ الطريقة** ﴾ : الضلالة ﴿ **لأسقيناهم ماء غدقًا** ﴾ ، أي : لأوسعنا عليهم في الرزق استدراجًا ، كما قال : ﴿ **فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيءٍ حتىٰ إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون** ﴾ . وكقوله : ﴿**أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين . نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون**﴾ وهذا قول أبي مِجلز لاحق بن حُميد ، فإنه قال في قوله : ﴿ **وألّو استقاموا علىٰ الطريقة** ﴾ ، أي : طريقة الضلالة . رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وحكاه البغوي عن الربيع بن أنس ، وزيد بن أسلم ، والكلبي ، وابن كيسان . وله[٢] اتجاه ، ويتأيد بقوله : ﴿ **لنفتنهم فيه** ﴾ .

وقوله : ﴿**ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه**[٣] **عذابًا صعدًا** ﴾ ، أي : عذابًا شاقًّا[٤] شديدًا موجعًا مؤلمًا . قال ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، وابن زيد : ﴿**عذابًا صعدًا**﴾ أي : مشقة لا راحة معها . وعن ابن عباس : جبل في جهنم ، وعن سعيد بن جبير : بئر[٥] فيها .

---

[١] - في خ : مجاهد .
[٢] - في ز : لا .
[٣] - في ز : نسلكه .
[٤] - في ز : مشقا .
[٥] - سقط من ز .

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾﴾

يقول تعالىٰ آمرًا عباده أن يُوحِّدوه في محال عبادته ، ولا يدْعىٰ معه أحد ولا يشرك به ، كما قال قتادة في قوله : ﴿ **وأن المساجد للّٰه فلا تدعوا مع اللّٰه أحدًا** ﴾ ، قال : كانت اليهود والنصارىٰ إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم ، أشركوا باللّٰه ، فأمر اللّٰه نبيه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أن يوحدوه وحده .

وقال ابن أبي حاتم : ذكر علي بن الحسين : حدثنا إسماعيل ابن بنت السدي ، أخبرنا رجل سماه ، عن السدي ، عن أبي مالك - أو : أبي صالح - ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وأن المساجد للّٰه فلا تدعوا مع اللّٰه أحدًا** ﴾ ، قال : لم يكن يوم نزلت هذه الآية في الأرض مسجد إلا المسجد الحرام ، ومسجد إليا : بيت المقدس . وقال الأعمش : قالت الجن : يا رسول اللّٰه ، ائذن لنا نشهد معك الصلوات في مسجدك ، فأنزل اللّٰه : ﴿ **وأن المساجد للّٰه فلا تدعوا مع اللّٰه أحدًا** ﴾ ، يقول : صلوا ، و[١] لا تخالطوا الناس .

وقال ابن جرير(٥) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا مهران ، حدثنا سفيان ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن محمود [٢] ، عن سعيد بن جبير : ﴿ **وأن المساجد للّٰه** ﴾ قال : قالت الجن لنبي اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : كيف لنا أن نأتي المسجد [ونحن ناءون ؟ وكيف نشهد الصلاة][٣]ونحن ناءون عنك ؟ فنزلت : ﴿ **وأن المساجد للّٰه فلا تدعوا مع اللّٰه أحدًا** ﴾ .

وقال سفيان عن خُصيف عن عكرمة : نزلت في المساجد كلها .

---

(٥) أخرجه الطبري (١١٧/٢٩) .

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ز : محمول .

[٣] - سقط من خ .

[قال سعيد بن جبير : نزلت في أعضاء السجود ، أي : هي للَّه فلا تسجدوا بها لغيره . وذكروا عند هذا القول الحديث الصحيح ، من رواية عبد اللَّه بن طاووس عن أبيه ، عن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم (٦) : « **أمرت أن أسجد علىٰ سبعة أعظم : علىٰ الجبهة - أشار بيده إلىٰ أنفه - واليدين والركبتين وأطراف القدمين** » .][١]

وقوله : ﴿ **وأنه لما قام عبد اللَّه يدعوه كادوا يكونون عليه لبدًا** ﴾ ، قال العوفي(٧) : عن ابن عباس يقول : لما سمعوا النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم يتلو القرآن كادوا يركبونه من الحرص لما سمعوه يتلو القرآن ، ودنوا منه فلم يعلم بهم حتّىٰ أتاه الرسول فجعل يقرئه : ﴿ **قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن** ﴾ ، يستمعون القرآن .

هذا قوله[٢]، وهو مروي عن الزبير بن العوام رضي اللَّه عنه .

وقال ابن جرير (٨) : حدثني محمد بن معمر ، حدثنا [أبو مسلم][٣] ، عن أبي عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال الجن لقومهم : ﴿ **لما قام عبد اللَّه يدعوه كادوا يكونون عليه لبدًا** ﴾ ، قال : لما رأوه يصلي وأصحابه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده ، قال : عجبوا من طواعية أصحابه له ، قال : فقالوا لقومهم : ﴿ **لما قام عبد اللَّه يدعوه كادوا يكونون عليه لبدًا** ﴾ . وهذا قول ثان ، وهو مروي عن سعيد بن جبير أيضًا . وقال الحسن(٩) : [لما قام][٤] رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « **لا إله إلا اللَّه** » ، ويدعو الناس إلىٰ ربهم ، كادت العرب تَلبَّد عليه جميعًا . وقال قتادة(١٠) في قوله : ﴿ **وأنه لما قام عبد اللَّه يدعوه كادوا يكونون عليه لبدًا** ﴾ ، قال : تَلَبَّدت[٥] الإنس والجنّ علىٰ هذا الأمر ليطفئوه ، فأبىٰ اللَّه إلا أن ينصره ويُمضيَه ويظهره علىٰ من ناوأه .

---

(٦) أخرجه البخاري في كتاب : الأذان ، باب : السجود على الأنف ، حديث (٨١٢) (٢٩٧/٢) ، ومسلم في كتاب : الصلاة ، باب : أعضاء السجود والنهي عن كف الشعر والثوب ....، حديث (٤٩٠/٢٣٠) (٢٧٦/٤) .

(٧) أخرجه الطبري (١١٨/٢٩) .

(٨) أخرجه الطبري (١١٨/٢٩) .

(٩) أخرجه الطبري (١١٩/٢٩) .

(١٠) أخرجه الطبري (١١٨/٢٩) .

---

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - في ز : قول .

[٣] - في ز ، خ : ابن هشام .

[٤] - في ز : فأقام .

[٥] - في ز ، خ : يلبدون .

وهذا قول ثالث ، وهو مَروي عن ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وقول ابن زيد ، واختيار ابن جرير ، وهو الأظهر لقوله بعده : ﴿ **قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحدًا** ﴾ ، أي : قال لهم الرسول ، لما آذوه وخالفوه وكذبوه وتظاهروا عليه ، ليبطلوا ما جاء به من الحق ، واجتمعوا علىٰ عداوته : ﴿ **إنما أدعو ربي** ﴾ ، أي : إنما أعبد ربي وحده لا شريك له ، وأستجير به وأتوكل عليه ، ﴿ **ولا أشرك به أحدًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **قل إني لا أملك لكم ضرًا ولا رشدًا** ﴾ ، أي : إنما أنا بشر مثلكم يوحىٰ إلي وعبد من عباد الله ليس إليّ من الأمر شيء في هدايتكم ولا غوايتكم ، بل المرجع في ذلك كله إلىٰ الله -عز وجل- .

ثم أخبر عن نفسه أيضًا أنه لا يجيره من الله أحد ، أي : لو عصيته فإنه لا يقدر أحد علىٰ إنقاذي من عذابه ، ﴿ **ولن أجد من دونه ملتحدًا** ﴾ ، [قال مجاهد ، وقتادة ، والسدي : لا ملجأ . وقال قتادة أيضًا : ﴿ **قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدًا** ﴾ ،][١] أي : لا نصير ولا ملجأ . وفي رواية : لا وليّ ولا مَوْئِلَ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **إلا بلاغًا من الله ورسالاته** ﴾ ، قال بعضهم : هو مستثنى من قوله : ﴿ **لا أملك لكم ضرًا ولا رشدًا... إلا بلاغًا** ﴾ ، ويحتمل أن يكون استثناء من قوله : ﴿ **لن يجيرني من الله أحد** ﴾ ، أي : لا يجيرني منه ويخلصني إلا إبلاغي الرسالة التي أوجب أداءها عليّ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدًا** ﴾ أي : إنما أبلغكم رسالة الله فمن يعص بعد ذلك فله جزاء علىٰ ذلك نارُ جهنم خالدين فيها أبدًا ، لا محيد لهم عنها ، ولا خروج لهم منها .

وقوله : ﴿ **حتىٰ إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرًا وأقل عددًا** ﴾ ، أي : حتىٰ إذا رأى هؤلاء المشركون من الجن والإنس ما يوعدون يوم القيامة ، فسيعلمون يومئذ من أضعف ناصرًا وأقل عددًا ، هم أم المؤمنون الموحدون لله- عز وجل - أي : بل المشركون لا ناصر لهم بالكلية ، وهم أقل عددًا من جنود الله عز وجل .

قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ

[١] - سقط من ز ، خ .

يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ﴿٢٨﴾

يقول تعالىٰ آمرًا رسوله صلىٰ اللَّه عليه وسلم أن يقول للناس: إنه لا علم له بوقت الساعة، ولا يدري أقريب وقتها أم بعيد، ﴿ **قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدًا** ﴾، أي: مدة طويلة.

وفي هذه الآية الكريمة دليل علىٰ أن الحديث الذي يتداوله كثير من الجهلة من أنه - عليه السلام - لا يؤلّف تحت الأرض، كذب لا أصل له، ولم نره في شيء من الكتب. وقد كان صلىٰ اللَّه عليه وسلم يُسأل عن وقت الساعة فلا يجيب عنها، ولما تبدىٰ له جبريل في صورة أعرابي، كان فيما سأله أن قال له[١]: يا محمد، فأخبرني عن الساعة؟ قال: « **ما المسئول عنها بأعلم من السائل** »(١١). ولما ناداه ذلك الأعرابي بصوت جَهوريّ فقال: يا محمد، متىٰ الساعة؟ قال: « **ويحك! إنها كائنة، فما أعددت لها؟** » قال: أما إني لم أعد لها كثير صلاة ولا صيام، ولكني أحب اللَّه ورسوله. قال: « **فأنت مع من أحببت** ».

قال أنس: فَمَا فرح المسلمون بشيء فرحهم بهذا الحديث(١٢).

وقال ابن أبي حاتم(١٣): حدثنا أبي، حدثنا محمد بن مصفّىٰ، حدثنا محمد بن حمير[٢]، حدثني أبو بكر بن أبي مريم، عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي سعيد الخُدْريّ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال: « **يابني آدم، إن كنتم تعقلون[٣] فعدوا أنفسكم من الموتىٰ، والذي نفسي بيده، إنما توعدون لآت**.

(١١) تقدم تخريجه في سورة الأعراف، آية ١٨٧.

(١٢) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: علامة الحب في اللَّه، حديث (٦١٧١) (١٠/٥٥٧)، وطرفه في [٧١٥٣]. ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب: المرء مع من أحب، حديث (١٦١ - ٢٦٣٩/١٦٤) (٢٨٥/١٦ - ٢٨٨). كلاهما من حديث أنس بنحو هذا اللفظ من طريق سالم بن أبي الجعد دون قول أنس. وأخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب: ما جاء أن المرء مع من أحب، حديث (٢٣٨٦) (١١٦/٧ - ١١٧). وأحمد (٣/ ١٠٤) (١٢٠٣١)، كلاهما من طريق حميد عن أنس بنحو حديث البخاري ومسلم وفيه إيراد قول أنس.

(١٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل (ص ٢٨ - ٢٩) حديث (٦). وأبو نعيم في الحلية (٩١/٦). والبيهقي في « شعب » الإيمان (٣٥٥/٧) (١٠٥٦٤) كلهم من حديث أبي سعيد. قال أبو نعيم: غريب من حديث عطاء وأبي بكر، تفرد به محمد.
=

[١] - سقط من ت. [٢] - في ز: جبير.

[٣] - في ز: تعلمون.

وقد قال أبو داود(١٤) في آخر « كتاب الملاحم » : حدثنا موسىٰ بن سهل ، حدثنا حجاج بن إبراهيم ، حدثنا ابن وهب ، حدثني معاوية بن صالح ، عن عبدالرحمن بن جُبَير ، عن أبيه ، عن أبي ثَعلبة الخُشني قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **لن يعجز[١] اللّٰه هذه الأمة[٢] من نصف يوم** » . انفرد به أبو داود .

ثم قال أبو داود(١٥) : حدثنا عمرو بن عثمان ، حدثنا أبو المغيرة ، حدثني صفوان ، عن شُريح بن عبيد ، عن سعد بن أبي وقاص عن النبي -صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - أنه قال : « **إني لأرجو أن لا تعجز أمتي عند ربها أن يؤخرهم نصف يوم** » . قيل لسعد : وكم نصف يوم ؟ قال : خمسمائة عام . انفرد به أبو داود .

وقوله : ﴿ **عالم الغيب فلا يظهر علىٰ غيبه أحدًا * إلا من ارتضىٰ من رسول** ﴾ ، هذه كقوله تعالىٰ : ﴿ **ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء** ﴾ ، وهكذا قال هاهنا : إنه يعلم الغيب والشهادة ، وإنه لا يطلع أحد من خلقه علىٰ شيء من علمه إلا مما[٣] أطلعه تعالىٰ عليه ، ولهذا قال : ﴿ **فلا يظهر علىٰ غيبه أحدًا * إلا من ارتضىٰ من رسول** ﴾، وهذا يعم الرسول الملكي والبشري .

ثم قال : ﴿ **فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدًا** ﴾ ، أي [٤]: يَخْتَصّه بمزيد معقبات من الملائكة يحفظونه من أمر اللّٰه . ويساوقونه علىٰ ما معه من وحي اللّٰه ؛ ولهذا قال : ﴿ **ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصىٰ كل شيء عددًا** ﴾ .

وقد اختلف المفسرون في الضمير الذي في قوله : ﴿ **ليعلم** ﴾ : إلىٰ من يعود ؟ فقيل : إنه عائد علىٰ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم .

قال ابن جرير(١٦) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يعقوب القُمّي[٥] ، عن جعفر ، عن سعيد بن

= وقال في تخريج أحاديث الإحياء (٢٤٨٢/٦) (٣٩٠٥) : رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل والطبراني في مسند الشاميين وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب بسند ضعيف .

(١٤) أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم ، باب : قيام الساعة ، حديث (٤٣٤٩) (١٢٥/٤) . وصححه الألباني في الصحيحة (١٦٤٣) .

(١٥) أخرجه أبو داود في الموضع السابق حديث (٤٣٥٠) . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٦٥٦) .

(١٦) أخرجه الطبري (١٢٣/٢٩) بهذا الإسناد عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، به .

[١] - في ز : نعجز .
[٢] - في ز : الآية .
[٣] - في ز : بما .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - في خ : القيمي .

جبير في قوله : ﴿ **عالم الغيب فلا يظهر علىٰ غيبه أحدًا * إلا من ارتضىٰ من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدًا** ﴾ ، قال : أربعة حفظة من الملائكة مع جبريل ، ﴿ **ليعلم** ﴾ محمد صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ﴿ **أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصىٰ كل شيء عددًا** ﴾ .

ورواه ابن أبي حاتم من حديث يعقوب القمي[١] ، به . وهكذا رواه الضحاك ، والسدي ، ويزيد بن أبي حبيب . وقال عبدالرزاق عن معمر ، عن قتادة : ﴿ **ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم** ﴾ ، قال : ليعلم نبي اللّٰه أن الرسل قد بلغت عن اللّٰه ، وأن الملائكة حفظتها ودفعت[٢] عنها[٣] .

وكذا رواه سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة . واختاره ابن جرير . وقيل غير ذلك ، كما رواه العوفي عن ابن عباس(١٧) في قوله : ﴿ **إلا من ارتضىٰ من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدًا** ﴾ ، قال : هي معقبات من الملائكة يحفظون النبي من الشيطان ، حتىٰ يتبين الذي[٤] أرسل به[٥] إليهم ، وذلك حين يقول ليعلم أهل الشرك أن قد أبلغوا رسالات ربهم .

وكذا قال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ **ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم** ﴾ ، قال : ليعلم من كذب الرسل أن قد أبلغوا رسالات ربهم . وفي هذا نظر .

وقال البغوي : قرأ يعقوب : ﴿ **لِيُعْلَم** ﴾ بالضم ، أي : ليعلم الناس أن الرسل قد بَلَّغُوا .

ويحتمل أن يكون الضمير عائدًا إلىٰ اللّٰه - عز وجل - وهو قول حكاه ابن الجوزي في « **زاد المسير** » ويكون المعنىٰ في ذلك أنه يحفظ رسله بملائكته ؛ ليتمكنوا من أداء رسالاته ، ويحفظ ما يُنزِّل إليهم من الوحي ، ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ، ويكون ذلك كقوله : ﴿ **وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب علىٰ عقبيه** ﴾ وكقوله : ﴿ **وليعلمن[٦] اللّٰه الذين آمنوا وليعلمن المنافقين** ﴾ ، إلىٰ أمثال ذلك ، مع العلم بأنه تعالىٰ يعلم الأشياء قبل كونها قطعًا لا محالة ولهذا قال بعد هذا : ﴿ **وأحاط بما لديهم وأحصىٰ كل شيء عددًا** ﴾ .

آخر تفسير سورة الجن ، ولله الحمد والمنة .

☆ ☆ ☆

---

(١٧) أخرجه الطبري (١٢٢/٢٩) .

[١] - في خ : القيمي .
[٢] - في ز : ودفعتها .
[٣] - في خ : عن الله .
[٤] - في ز ، خ : الذين .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - في ز : وليعلم .

تفسير سورة المزمل

وهي مكية

قال الحافظ أبو بكر بن عمرو بن عبد الخالق البزار(١) : حدثنا محمد بن موسىٰ القطان الواسطي ، حدثنا معلىٰ بن عبد الرحمن ، حدثنا شريك ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر قال : اجتمعت قريش في دار الندوة فقالوا : سموا هذا الرجل اسمًا يصدر الناس عنه . فقالوا : كاهن . قالوا : ليس بكاهن . قالوا : مجنون . قالوا : ليس بمجنون . قالوا : ساحر . قالوا : ليس بساحر . فتفرق المشركون علىٰ ذلك ، فبلغ ذلك النبي صلىٰ الله عليه وسلم فتزمل في ثيابه وتدثر فيها . فأتاه جبريل - عليه السلام - فقال : ﴿ يا أيها المزمل ﴾ ، ﴿ يا أيها المدثر ﴾ .

ثم قال البزار : معلىٰ بن عبد الرحمن : قد حدَّث عنه جماعة من أهل العلم ، واحتملوا حديثه ، لكنه تفرد بأحاديث لا يتابع عليها .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾

يأمر تعالىٰ رسوله صلىٰ الله عليه وسلم أن يترك التزمل ، وهو : التغطي في الليل ، وينهض إلىٰ القيام لربه - عز وجل - كما قال تعالىٰ : ﴿ تتجافىٰ جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفًا وطمعًا ومما رزقناهم ينفقون ﴾ وكذلك[١] كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ممتثلًا ما أمره الله تعالىٰ به من قيام الليل ، وقد كان واجبًا عليه وحده ، كما قال تعالىٰ : ﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسىٰ أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا ﴾ وهاهنا بيَّن له مقدار ما يقوم ، فقال تعالىٰ : ﴿يأيها المزمل قم الليل إلا قليلاً﴾ .

(١) أخرجه البزار (١١٣/٢ - ١١٤ مختصر) (١٥٢١) . قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٣٣/٧) : رواه البزار والطبراني في الأوسط . وفيه معلى بن عبد الرحمن الواسطى وهو كذاب .اهـ .

[١] - في ز : ولذلك .

قال ابن عباس ، والضحاك ، والسدي : ﴿ يأيها المزمل ﴾ ، يعني : يا أيها النائم . وقال قتادة : المزمل في ثيابه . وقال إبراهيم النخعيّ : نَزَلت وهو مُتزمّل بقطيفة . وقال شبيب بن بشر عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ يأيها المزمل ﴾ قال : يا محمد ، زملت القرآن .

وقوله : ﴿ نصفه ﴾ : بدل من الليل ، ﴿ أو انقص منه قليلًا أو زد عليه ﴾ أي : أمرناك أن تقوم نصف الليل بزيادة قليلة أو نقصان قليل ، لا حرج عليك في ذلك .

وقوله : ﴿ ورتل القرآن ترتيلًا ﴾ ، أي : اقرأه علىٰ تمهل ، فإنه يكون عونًا علىٰ فهم القرآن وتدبره . وكذلك كان يقرأ ، صلوات الله وسلامه عليه ، قالت عائشة : كان يقرأ السورة فيرتلها ، حتىٰ تكون أطول من أطول منها . وفي صحيح البخاري[(٢)] ، عن أنس أنه سُئِل عن قراءة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال : كانت مدًّا ، ثم قرأ : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ، يمد بسم الله ، ويمد الرحمن ، ويمد الرحيم .

وقال ابن جريج . عن ابن أبي مليكة عن أم سلمة : أنها سُئلت عن قراءة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقالت : كان يقَطِّع قراءته آية آية ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين ﴾ . رواه أحمد[(٣)] ، وأبو داود ، والترمذي .

وقال الإمام أحمد[(٤)] : حدثنا عبد الرحمن ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله ابن عمرو ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارق ، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها » .

ورواه أبو داود والترمذي ، والنسائي من حديث سفيان الثوري به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقد قدمنا في أول التفسير الأحاديث الدالة علىٰ استحباب الترتيل وتحسين الصوت بالقراءة ، كما جاء في الحديث : « زينوا القرآن بأصواتكم »[(٥)] .

---

(٢) أخرجه البخاري في كتاب : فضائل القرآن ، باب : مد القراءة ، حديث (٥٠٤٦) (٩١/٩) .

(٣) أخرجه أحمد (٣٠٢/٦) (٢٦٦٩٢) . وأبو داود في كتاب : الحروف والقراءات ، حديث (٤٠٠١) . والترمذي في كتاب : القراءات ، باب : في فاتحة الكتاب ، حديث (٢٩٢٨) (١٢٦/٨ - ١٢٧) . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٣٧٩) .

(٤) أخرجه أحمد (١٩٢/٢) (٦٧٩٩) . وأبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : استحباب الترتيل في القراءة ، حديث (١٤٦٤) (٧٣/٢) . والترمذي في كتاب : ثواب القرآن ، باب : الذي ليس في بيته قرآن كالبيت الخرب ، حديث (٢٩١٥) (١١٧/٨) . والنسائي في الكبرى في كتاب : فضائل القرآن ، باب : الترتيل ، حديث (٨٠٥٦) (٢٢/٥) . وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند .

(٥) أخرجه البخاري معلقا في كتاب : التوحيد ، باب : (٥٢) ، حديث (٧٥٤٤) (٥١٨/١٣) . وأخرجه مسندًا في خلق أفعال العباد (٢٥٠ ، ٢٥١) . وأخرجه أحمد (٢٨٣/٤) (١٨٥٤٥) . وأبو داود في=

و« **ليس منا من لم يتغن بالقرآن** »[(٦)] . و« **لقد أوتي هذا مزمارًا من مزامير آل داود** » يعني : أبا موسى . فقال أبو موسى : لو كنت أعلم أنك كنت تسمع قراءتي لحبرته لك تحبيرًا[(٧)] .

وعن ابن مسعود أنه قال : لا تنثروه نثر الرمل ، ولا تهذوه هذّ الشعر ، قفوا عند عجائبه ، وحركوا به القلوب ، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة رواه البغوي .

وقال البخاري[(٨)] : حدثنا آدم ، حدثنا شعبة ، حدثنا عمرو بن مرة : سمعت أبا وائل قال : جاء رجل إلىٰ ابن مسعود فقال : قرأت المفصل الليلة في ركعة . فقال : هَذًّا كهذّ الشعر ، لقد عرفت النظائر التي كان رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقرن بينهن . فذكر عشرين سورة من المُفَصّل ، سورتين [من آل حم] في ركعة .

وقوله : ﴿ **إنا سنلقي عليك قولًا ثقيلًا** ﴾ ، قال الحسن ، وقتادة : أي العمل به .

وقيل : ثقيل وقت نزوله، من عظمته . كما قال زيد بن ثابت : أنزل علىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم وفَخذُه علىٰ فخذي ، فكادت تُرض فَخذي .

وقال الإمام أحمد[(٩)] : حدثنا قتيبة ، حدثنا ابن لَهيعة ، عن يزيد بن أبي حَبيب ، عن عَمرو ابن الوليد ، عن عبد اللَّه بن عمرو قال : سألتُ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : فقلت : يا رسول اللَّه ، هل تحس بالوحي ؟ فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أسمع صَلاصلَ ، ثم أسكتُ عند ذلك ، فما من مرة يوحىٰ إليّ إلا ظننت أن نفسي تَفِيض** . **تفرد به أحمد** .

وفي أول صحيح البخاري[(١٠)] عن عبد اللَّه بن يوسف ، عن مالك ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة : أن الحارث بن هشام سأل رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : كيف يأتيك الوحي ؟ فقال : « **أحيانا يأتيني في مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده عَلَيّ فيفصم عني**[١]، **وقد وعيت**

= كتاب : الصلاة ، باب : استحباب الترتيل في القراءة ، حديث (١٤٦٨) (٢/٧٤) . والنسائي (١٧٩ - ١٨٠) . وابن ماجة في كتاب : الإقامة ، باب : في حسن الصوت بالقرآن ، حديث (١٣٤٢) (١/٤٢٦). وصححه ابن حبان (٣/٢٥) (٧٤٩) .

(٦) تقدم تخريجه في سورة الحجر آية (٨٧) .

(٧) تقدم تخريجه في سورة سبأ ، آية : (١٠) .

(٨) صحيح البخاري ، كتاب : الأذان ، باب : الجمع بين السورتين في الركعة ، حيث (٧٧٥) (٢/٢٥٥) ، وطرفاه في [٤٩٩٦ ، ٥٠٤٣] .

(٩) أخرجه أحمد (٢/٢٢٢) (٧٠٧١) . وصححه أحمد شاكر في المسند وله شاهد من حديث عائشة يأتي قريبًا .

(١٠) صحيح البخاري ، كتاب : بدء الوحي ، باب : (٢) ، حديث (٢) (١/١٨) .

[١] - في ز : عنه .

عنه ما قال، وأحيانًا يتمثل لي الملك رجلًا فيكلمني فأعي ما يقول».

قالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي صلىٰ الله عليه وسلم في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقًا. هذا لفظه.

وقال الإمام أحمد(١١) : حدثنا سليمان بن داود، أخبرنا عبد الرحمن، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: إن كان ليوحَىٰ إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وهو علىٰ راحلته، فتضرب بجرانها.

وقال ابن جرير(١٢) : حدثنا ابن عبد الأعلىٰ، حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن هشام بن عروة، عن أبيه: أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم كان إذا أوحي إليه وهو علىٰ ناقته، وضعت جرَانها، فما تستطيع أن تحرك حتىٰ يُسَرّى عنه. وهذا مرسل. الجران، وهو باطن العنق.

واختار ابن جرير أنه ثقيل من الوجهين معًا، كما قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: كما ثقل في الدنيا ثقل يوم القيامة في الموازين:

وقوله: ﴿**إن ناشئة الليل هي أشد وطئًا وأقوم قيلًا**﴾: قال أبو إسحاق عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: نشأ: قام بالحبشة

وقال عمر، وابن عباس، وابن الزبير: الليل كله ناشئة. وكذا قال مجاهد، وغير واحد يقال: نشأ: إذا قام من الليل. وفي رواية عن مجاهد: بعد العشاء. وكذا قال أبو[١] مِجْلَز وقتادة، وسالم و أبو حازم، ومحمد بن[٢] المنكدر.

والغرض أن ناشئة الليل هي: ساعاته وأوقاته، وكل ساعة منه تسمىٰ ناشئة، وهي الآنات[٣]. والمقصود أن قيام الليل هو أشدّ مواطأة بين القلب واللسان، وأجمع علىٰ التلاوة؛ ولهذا قال: ﴿**هي أشد وطئًا وأقوم قيلًا**﴾، أي: أجمع للخاطر في أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار؛ لأنه وقتُ انتشار الناس، ولَغَط الأصوات، وأوقات المعاش.

و[٤]قال الحافظ أبو[٥] يعلىٰ الموصلي(١٣) : حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، حدثنا

(١١) أخرجه أحمد (١١٨/٦) (٢٤٩٨٠). قال الهيثمي في «المجمع» (٢٦٠/٨): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(١٢) أخرجه الطبري (١٢٧/٢٩).

(١٣) أخرجه أبو يعلى (٨٨/٧) (٤٠٢٣). قال البزار: لا نعلم رواه عن الأعمش إلا الحماني، وإنما =

[١] - في ز: ابن،

[٢] - في ز: وابن.

[٣] - في ز: الآيات.

[٤] - في ز: وقد.

[٥] - في ز: ابن.

أبو أسامة ، حدثنا الأعمش : أن أنس بن مالك قرأ هذه الآية : ﴿ **إن ناشئة الليل هي أشد وطئًا وأصوب قيلا** ﴾ . فقال له رجل: إنما نقرؤها ﴿ **وأقوم قيلا** ﴾ فقال له : إن أصوب وأقوم وأهيأ وأشباه هذا واحد .

ولهذا قال : ﴿ **إن لك في النهار سبحًا طويلًا** ﴾ ، قال ابن عباس ، وعكرمة ، وعطاء ابن أبي مُسلم : الفراغ والنوم . وقال أبو العالية ، ومجاهد ، وأبو مالك ، والضحاك ، والحسن ، وقتادة ،والربيع بن أنس ، وسفيان الثوري : فراغًا طويلا . وقال قتادة : فراغًا وبغيةً ومنقلبًا . وقال السدي : ﴿ **سبحًا طويلًا** ﴾ : تطوعًا كثيرًا .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله : ﴿ **سبحًا طويلًا** ﴾ ، قال : لحوائجك ، فأفرغ لدينك الليل . قال : وهذا حين كانت صلاة الليل فريضة ، ثم إن اللَّه من علىٰ العباد فخففها ووضعها ، وقرأ : ﴿ **قم الليل إلا قليلًا** ﴾ إلىٰ آخر الآية ، ثم قال : ﴿ **إن ربك يعلم أنك تقوم أدنىٰ من ثلثي الليل** ﴾ حتىٰ بلغ : ﴿ **فاقرءوا ما تيسر منه** ﴾ [الليل نصفه أو ثلثه . ثم جاء أمر أوسع وأفسح وضع الفريضة عنه وعن أمته فقال :][1] وقال : ﴿ **ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسىٰ أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا** ﴾ . وهذا الذي قاله كما قاله .

والدليل عليه ماروواه الإمام أحمد(١٤) في مسنده حيث قال : حدثنا يحيىٰ ، حدثنا سعيد بن أبي عَرُوبة ، عن قتادة ، عن زرارة بن أوفى ، عن سعد[2] بن هشام: أنه طلق امرأته ثم ارتحل إلى المدينة ليبيع عقارًا له بها ويجعله في الكراع والسلاح ، ثم يجاهد الروم حتىٰ يموت ، فلقي رهطًا من قومه فحدثوه أن رهطًا من قومه ستةً أرادوا ذلك علىٰ عهد رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال : « **أليس لكم في أسوة ؟** » فنهاهم عن ذلك ، فأشهدهم علىٰ رَجعتها، ثم رجع إلينا فأخبرنا أنه أتىٰ ابن عباس فسأله عن الوتر فقال : ألا أنبئك بأعلم أهل الأرض بوتر رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ؟ قال : نعم . قال : ائت عائشة فاسألها ثم ارجع إليّ فأخبرني بردّها عليك . قال : فأتيت علىٰ حَكيم بن أفلحَ فاستلحقتُه إليها ، فقال : ما أنا بقاربها . إني نهيتها أن تقول في هاتين الشّيعَتَين شيئًا ، فأبت فيهما إلا مُضِيًّا . فأقسمتُ عليه ، فجاء معي، فدخلنا عليها فقالت : حكيم ؟ - وعرفته - قال : نعم . قالت : من هذا معك ؟ قال : سعد[3] بن هشام . قالت : من هشام ؟ قال : ابن عامر . قال[4] : فترحمت[5] عليه وقالت : نعم المرء

= ذكرت ذلك لأبين أن الأعمش سمع من أنس . اهـ . قال الهيثمي في « المجمع » (١٥٩/٧) : رواه البزار (١٥٦٠ - مختصر) ، وأبو يعلى ... ورجال أبي يعلى رجال الصحيح ورجال البزار ثقات . اهـ .

(١٤) أخرجه أحمد (٥٣/٦ - ٥٤) (٢٤٣٨٠) . وأخرجه مسلم في كتاب : صلاة المسافرين وقصرها =

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز : سعيد .
[٣] - في ز : سعيد .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - في ز : فرحبت .

كان عامر . قلت : يا أم المؤمنين ، أنبئيني عن خلق رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قالت : ألست تقرأ القرآن ؟ قلت : بلىٰ . قالت : فإن خلق رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كان القرآن . فهمَمتُ أن أقوم ، ثم بدا لي قيامُ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم . قلت : يا أم المؤمنين ، أنبئيني عن قيام رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم . قالت : ألست تقرأ هذه السورة : ﴿ يأيها المزمل ﴾ ؟ قلت : بلىٰ . فقالت : فإن اللّٰه افترض[١] قيام الليل في أول هذه السورة ، فقام رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وأصحابه حولًا حتىٰ انتفخت أقدامهم ، وأمسك اللّٰه خاتمتها في السماء اثني عشر شهرًا ، ثم أنزل اللّٰه التخفيف في آخر هذه السورة ، فصار قيام الليل تطوعًا من بعد فريضة . فهمَمتُ أن أقومَ ، ثم بدا لي وتر رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قلت : يا أم المؤمنين ، أنبئيني عن وتر رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم . قالت : كنا نعد له سواكه وطَهُوره ، فيبعثه اللّٰه لما شاء أن يبعثه من الليل ، فيتسوك ثم يتوضأ ثم يصلي ثماني ركعات لا يجلس فيهن إلا عند الثامنة ، فيجلس ويذكر ربه [ويدعو ويستغفر ثم ينهض ولا يسلم ، ثم يصلي التاسعة فيقعد فيحمد ربه ويذكره ويدعو ،][٢] ثم يسلم تسليمًا يسمعنا ، ثم يصلي ركعتين وهو جالس بعد ما يسلم . فتلك[٣] إحدىٰ عشرة ركعة[٤] يابني . فلما أسن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وأخذ اللحم ، أوتر بسبع ، ثم صلىٰ ركعتين وهو جالس بعد ما يسلم ، فتلك تسع يابني . وكان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم إذا صلىٰ صلاة أحب أن يداوم عليها ، وكان إذا شَغَله عن قيام الليل نوم أو وَجَعٌ أو مرض ، صلىٰ من النهار ثنتي عشرة ركعة ، ولا أعلم نبي اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قرأ القرآن كله في ليلة ، [ولا قام ليلة][٥] حتى أصبح ، ولا صام شهرًا كاملًا غير رمضان . فأتيت ابن عباس فحدثته بحديثها ، فقال[٦] : صدقت[٧] ، أما لو كنت أدخل عليها[٨] لأتيتها حتىٰ تشافهني مشافهة .

هكذا رواه الإمام أحمد بتمامه . وقد أخرجه مسلم في صحيحه من حديث قتادة بنحوه[٩] .

طريق أخرىٰ عن عائشة في هذا المعنى ، قال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا زيد بن الحباب ، وحدثنا ابن حميد ، حدثنا مهران ، قالا جميعًا ، واللفظ لابن وكيع : عن موسىٰ بن عُبيدَة ، حدثني محمد بن طحلاء ، عن أبي سلمة ، عن عائشة قالت : كنت أجعل لرسول اللّٰه

= باب: جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض ، حديث (٧٤٦/١٣٩) (٣٧/٦ - ٤٠) . والطبري (٢٩/ ١٢٥) .

[١] - في ز : أفرض .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ز : لذلك .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - في ز : فصدقت .
[٨] - في ز : إليها .
[٩] - في ز : نحوه .

صلىٰ اللَّه عليه وسلم حصيرًا يُصَلي عليه من الليل ، فتسامع الناس به[١] فاجتمعوا ، فخرج كالمغضَب - وكان بهم رحيمًا ، فخشي أن يكتب عليهم قيام الليل - فقال : « **أيها الناس ، اكلَفُوا من الأعمال ما تطيقون ، فإن اللَّه لا يَمَلّ من الثواب حتى تملوا من العمل ، وخير الأعمالِ مادِيمَ عليه** » ، ونزل القرآن : ﴿ **يا أيها المزمل * قم الليل إلا قليلًا * نصفه أو انقص منه قليلًا * أو زد عليه** ﴾ ، حتى كان الرجل يربط الحبل ويتعلق ، فمكثوا بذلك ثمانية أشهر ، فرأى اللَّه ما يبتغون من رضوانه ، فرحمهم فردهم إلى الفريضة ، وترك قيام الليل .

ورواه ابن أبي حاتم من طريق موسىٰ بن عبيدة الربذي[٢] ، وهو ضعيف . والحديث في الصحيح(١٥) . بدون زيادة نزول هذه السورة ، وهذا السياق قد يُوهم أن نزول هذه السورة بالمدينة ، وليس كذلك ، وإنما هي مكية . وقوله في هذا السياق : إن بين نزول أولها وآخرها ثمانية أشهر غريب ؛ فقد تقدم في رواية أحمد أنه كان بينهما سنة .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة ، عن مسعر ، عن سماك الحنفي ، سمعت ابن عباس يقول : أول ما نزل أول المزمل ، كانوا يقومون نحوًا من قيامهم في شهر رمضان ، وكان بين أولها وآخرها قريب من سنة .

وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب ، عن أبي أسامة به(١٦) .

وقال الثوري ومحمد بن بشر العَبدي(١٧) ، كلاهما عن مسعر ، عن سماك ، عن ابن عباس : كان بينهما سنة . وروىٰ ابن جرير(١٨) ، عن أبي كريب ، عن وكيع ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس مثله .

وقال ابن جرير(١٩) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا[٣] مهران ، عن سفيان ، عن قيس بن وهب ، عن أبي عبد الرحمن قال : لما نزلت : ﴿ **يأيها المزمل** ﴾ ، قاموا حولًا حتى ورمت أقدامهم وسوقهم ، حتى نزلت : ﴿ **فاقرءوا ما تيسر منه** ﴾ قال : فاستراح الناس .

---

(١٥) أخرجه البخاري في كتاب : الأذان ، باب : صلاة الليل ، حديث (٧٣٠) (٢/٢١٤) ، وطرفه في [٥٨٦١] . ومسلم في كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ، باب : فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره ، حديث (٧٨٢/٢١٥) (٦/١٠٠) . كلاهما من طريق أبي سلمة عن عائشة - رضي الله عنها - .

(١٦) تفسير الطبري (٢٩/١٢٤) .

(١٧) تفسير الطبري (٢٩/١٢٥) من طريق محمد بن بشر .

(١٨) تفسير الطبري (٢٩/١٢٦) .

(١٩) تفسير الطبري (٢٩/١٢٦) .

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ز : الزبدي .

[٣] - في ز : عن .

وكذا قال الحسن البصري .

وقال ابن أبي حاتم : [حدثنا أبو زرعة ، حدثنا عُبَيد اللَّه بن عمر القواريري ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثنا أبي][١] عن قتادة ، عن زُرارة بن أوفي ، عن سعد[٢] بن هشام قال : فقلت - يعني لعائشة - : أخبرينا عن قيام رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم . قالت : ألست تقرأ : ﴿ يأيها المزمل ﴾ ؟ قلت : بلىٰ . قالت : فإنها كانت قيام رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم وأصحابه حتىٰ انتفخت أقدامهم ، وحُبس آخرها في السماء ستةَ عشرَ شهرًا ، ثم نزل .

وقال معمر عن قتادة : ﴿قم الليل إلا قليلًا﴾ قاموا حولًا أو حولين ، حتىٰ انتفخت سُوقهم وأقدامهم ، فأنزل اللَّه تخفيفها بعد في آخر السورة .

وقال ابن جرير(٢٠) : حدثنا ابن حُميد ، حدثنا يعقوب القمي ، عن جعفر ، عن سعيد - هو ابن جبير - قال : لما أنزل اللَّه علىٰ نبيه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ يأيها المزمل ﴾ ، قال ، مكث النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم علىٰ هذه الحال عشر سنين يقوم الليل كما أمره ، وكانت طائفة من أصحابه يقومون معه ، فأنزل اللَّه عليه بعد عشر سنين : ﴿ إن ربك يعلم أنك تقوم أدنىٰ من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ وأقيموا[٣] الصلاة ﴾ ، فخفف اللَّه تعالىٰ عنهم بعد عشر سنين ورواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن عمرو بن رافع ، عن يعقوب القمّي به .

وقال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس في قوله : ﴿ قم الليل إلا قليلًا * نصفه أو انقص منه قليلًا * [أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلًا ﴾ فأمر اللَّه نبيه والمؤمنين بقيام الليل إلّا قليلًا][٤] ، فشق ذلك علىٰ المؤمنين ، ثم خفف اللَّه عنهم ورحمهم ، فأنزل بعد هذا : ﴿ علم أن سيكون منكم مرضىٰ وآخرون يضربون في الأرض ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ فاقرءوا ما تيسر منه ﴾ ، فوسع اللَّه - وله الحمد - ولم يضيق .

وقوله : ﴿واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلًا ﴾ ، أي : أكثر من ذكره ، وانقطع إليه ، وتفرغ لعبادته إذا فرغت من أشغالك ، وما تحتاج إليه من أمور دنياك ، كما قال : ﴿ فإذا فرغت فانصب ﴾ أي : إذا فرغت[٥] من مهامك[٦] فانصب في طاعته وعبادته ، لتكونَ فارغَ البال . قاله ابن زيد بمعناه أو قريب منه .

---

(٢٠) تفسير الطبري (١٢٥/٢٩) .

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز : سعيد .
[٣] - في ز : فأقيموا .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - في ز : تفرغت .
[٦] - في ز : مهامتك .

قال ابن عباس ومجاهد، وأبو[١] صالح وعطية، والضحاك والسدي: ﴿وتبتل إليه تبتيلًا﴾ ، أي: أخلص له العبادة.

وقال الحسن: اجتهد وبتل[٢] إليه نفسك.

وقال ابن جرير: يقال للعابد: متبتل، ومنه الحديث المروي أنه[٣] نهىٰ عن التبتل(٢١). يعني الانقطاع إلى العبادة، وترك التزوج[٤]. وقوله: ﴿رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا﴾ ، أي: هو المالك المتصرف في المشارق والمغارب، الذي لا إله إلا هو، وكما أفردته بالعبادة[٥] [فأفرده بالتوكل][٦] ﴿فاتخذه وكيلا﴾ ، كما قال في الآية الأخرىٰ: ﴿فاعبده وتوكل عليه﴾ ، وكقوله: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾، و[٧] آيات كثيرة في هذا المعنىٰ، فيها الأمر بإفراد العبادة والطاعة لله، وتخصيصه بالتوكل عليه.

وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُولِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾

يقول تعالى آمرًا رسوله صلى الله عليه وسلم بالصبر على ما يقوله مَن كذبه مِن سفهاء قومه، وأن يهجرهم هجرًا جميلًا، وهو الذي لا عتاب معه. ثم قال له متوعدًا لكفار قومه ومتهددًا - وهو العظيم الذي لا يقوم لغضبه شيء - : ﴿وذرني والمكذبين أولي النعمة﴾ ، أي: دعني والمكذبين المترفين أصحاب الأموال، فإنهم أقدر علىٰ الطاعة من غيرهم، وهم يطالبون من

(٢١) أخرجه أحمد (١٥٨/٣) (١٢٦٣٤) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٦١/٤): رواه أحمد، والطبراني في الأوسط وإسناده حسن .اهـ. وصححه ابن حبان (٤٠٢٨).

[١] - في ز: ابن.
[٢] - في ز: وأبتل.
[٣] - سقط من ز.
[٤] - في ز: التزويج.
[٥] - في ز: في العبادة.
[٦] - في ز: وأفردته في التوكل.
[٧] - في ز: في.

الحقوق بما ليس عند غيرهم ، ﴿ **ومهلهم قليلًا** ﴾ أي : رويدًا ، كما قال : ﴿ **نمتعهم قليلًا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ** ﴾ ؛ ولهذاقال هاهنا : ﴿ **إن لدينا أنكالًا** ﴾ ، وهي : القيود . قاله ابن عباس، وعكرمة ، وطاووس ، ومحمد بن كعب ، وعبد الله بن بُرَيدة ، وأبو عمران الجوني ، وأبو مجلز ، والضحاك ، وحماد بن أبي سليمان ، وقتادة ، والسدي ، وابن المبارك ، والثوري ، وغير واحد ﴿ **وجحيمًا** ﴾ ، وهي السعير المضطرمة [١] . ﴿ **وطعامًا ذا غصة** ﴾ : قال ابن عباس : ينشب في الحلق فلا يدخل ولا يخرج ، ﴿ **وعذابًا أليمًا * يوم ترجف الأرض والجبال** ﴾ ، أي: تزلزل ، ﴿ **وكانت الجبال كثيبًا مهيلًا** ﴾ ، أي : تصير ككثبان الرمل بعد ما كانت حجارة صماء ، ثم إنها تنسف نسفًا فلا يبقىٰ منها شيء إلا ذهب ، حتىٰ تصير الأرض قاعًا صفصفًا ، لا ترى فيها عوجًا ، أي : واديًا، ولا أمتًا ، أي : رابية ، ومعناه : لا شيء ينخفض ولا شيء يرتفع .

ثم قال مخاطبًا لكفار قريش - والمراد سائر الناس: ﴿ **إنا أرسلنا إليكم رسولًا شاهدًا عليكم** ﴾ ، أي : بأعمالكم ، ﴿ **كما أرسلنا إلىٰ فرعون رسولًا. فعصىٰ فرعون الرسول؛ فأخذناه أخذًا وبيلًا** ﴾ قال ابن عباس ومجاهد، وقتادة والسدي، والثوري: ﴿ **أخذًا وبيلًا** ﴾ ، أي : شديدًا . أي : فاحذروا أنتم أن تكذبوا هذا الرسول ، فيصيبَكم ما أصابَ فرعونَ ، حيث أخذه الله أخذ عزيز مقتدر ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فأخذه الله نكال الآخرة والأولىٰ** ﴾ ، وأنتم أولىٰ بالهلاك والدمار إن كذبتم ، لأن رسولكم أشرف وأعظم من موسىٰ بن عمران . ويُروَىٰ عن ابن عباس ، ومجاهد .

وقوله : ﴿ **فكيف تتقون إن كفرتم يومًا يجعل الولدان شيبًا** ﴾، يحتمل أن يكون ﴿ **يومًا** ﴾[٢] معمولًا لتتقون ، كما حكاه ابن جرير عن قراءة ابن مسعود : « **فكيف تخافون أيها الناس يومًا يجعل الولدان شيبًا إن كفرتم بالله ولم تصدقوا به؟** » ويحتمل أن يكون معمولًا[٣] لكفرتم ، فعلىٰ الأول : كيفَ يحصلُ لكم أمان من يوم هذا الفزع العظيم إن كفرتم ؟ وعلىٰ الثاني: كيف يحصل لكم تقوىٰ إن كفرتم يوم القيامة وجحدتموه ؟ وكلاهما معنىً حسن ، ولكن الأول أولىٰ ، والله أعلم .

ومعنىٰ قوله : ﴿ **يومًا يجعل الولدان شيبًا** ﴾ أي : من شدة أهواله وزلازله وبلابله، وذلك حين يقول الله لآدم : ابعَثْ بعثَ النار . فيقول : مِن كم ؟ فيقول : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلىٰ النار ، وواحد إلىٰ الجنة .

قال الطبراني(٢٢) : حدثنا يحيىٰ بن أيوب العلاف ، حدثنا سعيد بن أبي مريم[٤] ، حدثنا

(٢٢) المعجم الكبير (٣٦٦/١١) (١٢٠٣٤) . قال الهيثمي في « المجمع » (١٣٣/٧) : رواه الطبراني =

[١] - في ز : المضطربة
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ز : هريم .

نافع بن يزيد، حدثنا عثمان بن عطاء الخراساني، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس: أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قرأ: ﴿ **يومًا يجعل الولدان شيبا** ﴾، قال: « **ذلك يوم القيامة، وذلك يوم يقول اللّٰه لآدم: قم فابعث من ذريتك بعثًا إلىٰ النار. قال: من كم يارب؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون**[١]**، وينجو واحد** ». فاشتد ذلك علىٰ المسلمين، وعرف ذلك رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ثم قال حين أبصر ذلك في وجوههم: « **إن بني آدم كثير، وإن يأجوج ومأجوج من**[٢] **ولد آدم، وإنه لا يموت منهم رجل [حتىٰ ينتشر]**[٣] **لصلبه ألف رجل ففيهم**[٤] **وفي أشباههم جنة لكم** ».

هذا حديث غريب، وقد تقدم في أول سورة الحج ذكر هذه الأحاديث[٥].

وقوله: ﴿ **السماء منفطر به** ﴾: قال الحسن، وقتادة: أي بسببه من شدته وهوله[٦]. ومنهم من يعيد الضمير علىٰ اللّٰه عز وجل. [وروي عن ابن عباس ومجاهد،][٧]وليس بقوي: لأنه لم يجر له ذكر هاهنا.

وقوله تعالى: ﴿ **كان وعده مفعولًا** ﴾: أي. كان وعد هذا اليوم مفعولًا، أي: واقعا لا محالة، وكائنًا لا محيد عنه.

إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾

= وفيه عثمان بن عطاء الخراساني وهو ضعيف.

[١] - في ز: تسعين.
[٢] - في ز: في.
[٣] - بياض في ز.
[٤] - في ز: ومنهم.
[٥] - بياض في ز.
[٦] - سقط في ز.
[٧] - سقط في ز.

يقول تعالىٰ : ﴿ إن هذه ﴾ ، أي : السورة ﴿ تذكرة ﴾ ، أي : يتذكر[١] بها أولو الألباب ، ولهذا قال : ﴿ فمن شاء اتخذ إلىٰ ربه سبيلًا ﴾ أي : ممن شاء الله هدايته ، كما قيده في السورة الأخرىٰ : ﴿ وما تشاءون إلّا أن يشاء الله ، إنّ الله كان عليمًا حكيمًا ﴾ .

ثم قال : ﴿ إن ربك يعلم أنك تقوم أدنىٰ من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك ﴾ ، أي : تارة هكذا وتارة هكذا ، وذلك كله من غير قصد منكم ، ولكن لا تقدرون علىٰ المواظبة علىٰ ما أمركم به من قيام الليل ، لأنه يشق عليكم ؛ ولهذا قال : ﴿ والله يقدر الليل والنهار ﴾ ، أي : تارة يعتدلان ، وتارة يأخذ هذا من هذا ، أو هذا من هذا ، ﴿ علم أن لن تحصوه ﴾ ، أي : الفرض الذي أوجبه عليكم ﴿ فاقرءوا ما تيسر من القرآن ﴾ ، أي : من غير تحديد بوقت ، أي : ولكن قوموا من الليل ما تيسر ، وعبر عن الصلاة بالقراءة ، كما قال في سورة سبحان : ﴿ ولا تجهر بصلاتك ﴾ ، أي : بقراءتك ، ﴿ ولا تخافت بها ﴾ .

وقد استدل أصحاب الإمام أبي حنيفة رحمه الله بهذه الآية - وهي قوله : ﴿ فاقرءوا ما تيسر من القرآن ﴾ - علىٰ أنه لا يتعين قراءة الفاتحة في الصلاة ، بل لو قرأ بها أو بغيرها من القرآن ، ولو بآية ، أجزأه ، واعتضدوا بحديث المسيء [ ][٢] صلاته الذي في الصحيحين (٢٣) : « ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن » .

وقد أجابهم الجمهور بحديث عبادة بن الصامت ، وهو في الصحيحين أيضًا : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « لا صلاة [لمن لم][٣] يقرأ بفاتحة الكتاب »(٢٤) ، وفي صحيح مسلم ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « كل صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ، فهي خداج ، فهي خداج ، غير تمام »(٢٥) . [يقرأ بأم القرآن][٤] وفي صحيح ابن خزيمة عن أبي هريرة مرفوعًا : « لا تجزئ صلاة من لم يقرأ بأم القرآن »(٢٦) .

(٢٣) صحيح البخاري في كتاب : الأذان ، باب : أمر النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا يتم ركوعه بالإعادة ، حديث (٧٩٣) (٢٧٦/٢ - ٢٧٧) . ومسلم في كتاب : الأذان ، باب : وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ، حديث (٣٩٧/٤٥) .

(٢٤) صحيح البخاري في كتاب : الأذان ، باب : وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات الخمس كلها في الحضر والسفر وما يجهر فيها وما يخافت ، حديث (٧٥٦) (٢٣٧/٢) . ومسلم في كتاب : الصلاة ، باب : وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ... ، حديث (٣٩٤) (١٣٢/٤ - ١٣٣) .

(٢٥) صحيح مسلم في كتاب : الصلاة ، باب : وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة . حديث (٣٩٥/٣٨) (١٣٤/٤) .

(٢٦) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٢٤٨/١) (٤٩٠) .

[١] - في ز : ليذكر .
[٢] - في ز : في .
[٣] - في ز : إلا أن .
[٤] - سقط من ز .

وقوله : ﴿ **علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله** ﴾ ، أي : علم أن سيكون من هذه الأمة ذوو أعذار في ترك قيام الليل ، من مرضىٰ لا يستطيعون ذلك ، ومسافرين في الأرض يبتغون من فضل الله في المكاسب والمتاجر ، وآخرين مشغولين بما هو الأهم في حقهم من الغزو في سبيل الله ، وهذه الآية - بل السورة كلها - مكية ، ولم يكن القتال شُرع بَعدُ ، فهي من أكبر دلائل النبوة ، لأنه من باب الإِخبار[١] بالمغيبات المستقبلة ؛ ولهذا قال : ﴿ **فاقرءوا ما تيسر منه** ﴾ ، أي : قوموا بما[٢] تيسر عليكم منه .

قال ابن جرير(٢٧) : حدثنا يعقوب ، حدثنا ابن علية ، عن أبي رجاء - محمد - قال : قلت للحسن : يا أبا سعيد ، ما تقول في رجل قد استظهر القرآن كله عن ظهر قلبه ، ولا يقوم به ، إنما يصلي المكتوبة ؟ قال : يتوسَّد القرآن ، لعن الله ذاك ، قال الله تعالىٰ للعبد الصالح : ﴿ **وإنه لذو علم لما علمناه** ﴾ ، ﴿ **وعلمتم**[٣] **ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم** ﴾ . قلت : يا أبا سعيد ، قال الله : ﴿ **فاقرءوا ما تيسر من القرآن** ﴾ ؟ قال : نعم ، ولو خمس آيات .

وهذا ظاهر من مذهب الحسن البصري ، أنه كان يرىٰ حقًّا واجبًا علىٰ حَمَلة القرآن أن يقوموا ولو بشيء منه في الليل ؛ ولهذا جاء في الحديث : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم شُئل عن رجل نام حتىٰ أصبح ، فقال : « **ذاك رجل بال الشيطان في أذنه** »(٢٨) . فقيل : معناه : نام عن المكتوبة . وقيل : عن قيام الليل ، وفي السنن : « **أوتِرُوا يا أهل القرآن** »(٢٩) . وفي الحديث الآخر : « **من لم يوتر فليس منا** »(٣٠) .

(٢٧) أخرجه الطبري (١٤١/٢٩) .

(٢٨) أخرجه البخاري في كتاب : التهجد ، باب : إذا نام ولم يصل بال الشيطان في أذنه ، حديث (١١٤٤) (٢٨/٣) ، وطرفه في [٣٢٧٠] . ومسلم في كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ، باب : ما روى فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح ، حديث (٧٧٤/٢٠٥) (٩١/٦) .

(٢٩) أخرجه أبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : استحباب الوتر ، حديث (١٤١٦) (٦١/٢) . والترمذي في كتاب : الوتر ، باب : ما جاء أن الوتر ليس بحتم ، حديث (٤٥٣) (١٠٣/٢) . والنسائي (٢٢٨/٣ - ٢٢٩) كتاب قيام الليل وتطوع النهار ، باب : الأمر بالوتر . وابن ماجة في كتاب : الإقامة ، باب : ما جاء في الوتر ، حديث (١١٦٩) (٣٧٠/١) . كلهم من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه . قال الترمذي : وفي الباب عن ابن عمر وابن مسعود وابن عباس . ثم قال : حديث عليٍّ حديث حسن . وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٢٥٦) .

(٣٠) أخرجه أحمد (٣٥٧/٥) (٢٣١٢٥) . وأبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : فيمن لم يوتر ، حديث (١٤١٩) (٦٢/٢) . كلهم من حديث بريدة . وصححه الحاكم (٣٠٥/١ - ٣٠٦) وقال : أبو المنيب العتكي مروزي ثقة يجمع حديثه ، ولم يخرجاه . وتعقبه الذهبي بأن البخاري قال : عنده مناكير . =

[١] - في ز : إخبار . [٢] - في ز : ما .

[٣] - في ز : علمكم .

وأغرب من هذا ما حكي عن أبي بكر عبد العزيز، من الحنابلة، من إيجابه قيام شهر رمضان، فالله أعلم.

وقال الطبراني (٣١) : حدثنا أحمد بن سعيد بن فرقد الجُدّي، حدثنا [أبو محمد][١] بن يوسف الزّبيدي، حدثنا عبد الرحمن. عن محمد بن عبد الله بن طاوس - ، من ولد طاووس - عن أبيه، عن طاووس، عن ابن عباس، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم: ﴿ **فاقرءوا ما تيسر منه** ﴾، قال: « **مائة آية** ».

وهذا حديث غريب جدًّا، لم أره إلّا في معجم الطبراني رحمه الله.

وقوله: ﴿ **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** ﴾، أي: أقيموا صلاتكم الواجبة عليكم، وآتوا الزكاة المفروضة، وهذا يدل لمن قال: إن[٢] فرض الزكاة نزل بمكة، لكن مقادير النّصب والمخرَج لم تُبين إلا بالمدينة، والله أعلم.

وقد قال ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، والحسن، وقتادة، وغير واحد من السلف: إن هذه الآية نَسخت الذي كان الله قد أوجبه علىٰ المسلمين أولًا من قيام الليل. واختلفوا في المدة التي بينهما علىٰ أقوال كما تقدم.

وقد ثبت في الصحيحين(٣٢) أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال لذلك الرجل: « **خمس صلوات في اليوم والليلة** ». قال: هل عليّ غيرها ؟ قال: « **لا ، إلا أن تَطَوّع** ».

[وقوله تعالىٰ] [٣] : ﴿ **وأقرضوا الله قرضًا حسنًا** ﴾، يعني من الصدقات، فإن الله يجازي علىٰ ذلك أحسن الجزاء وأوفره، كما قال: ﴿ **من ذا الذي يقرض الله قرضًا حسنًا فيضاعفَه له أضعافًا كثيرة** ﴾.

= وضعفه الألباني في الإرواء (٤١٧). وله شاهد من حديث أبي هريرة عند أحمد (٤٤٣/٢). قال الزيلعي في «نصب الراية» (١١٣/٢): وهو منقطع، قال أحمد: لم يسمع معاوية بن قرة من أبي هريرة شيئًا، ولا لقيه، والخليل بن مرة ضعفه يحيى والنسائي، وقال البخاري: منكر الحديث.

(٣١) أخرجه الطبراني (٢٩/١١) (١٠٩٤٠). قال الهيثمي في « المجمع » (١٣٣/٧): رواه الطبراني وفيه عبد الرحمن بن طاوس، ولم أعرفه، وبقية رجاله وثقوا .اهـ.

(٣٢) صحيح البخاري، كتاب: الإيمان، باب: الزكاة من الإسلام، حديث (٤٦) (١٠٦/١). وأطرافه في [١٨٩١، ٢٦٧٨، ٦٩٥٦]. وصحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان الصلوات التى هى أحد أركان الإسلام، حديث (١١/٨) (٢٣٣/١ - ٢٣٤). كلاهما من حديث أنس - رضي الله عنه - به.

---

[١] - في ز: أبو أحمد محمد.
[٢] - في ز: بأن.
[٣] - سقط من ز.

وقوله : ﴿ **وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرًا وأعظم أجرًا** ﴾ ، أي : جميع ما تقدموه بين أيديكم فهو لكم حاصل ، وهو خير مما أبقيتموه لأنفسكم في الدنيا .

وقال الحافظ أبو يعلىٰ الموصلي(٣٣) : حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا جرير ، عن[١] الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الحارث بن سُوَيد قال : قال عبد الله : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أيكم ماله أحب إليه من مال وارثه ؟** » قالوا : يارسول الله ، ما منا من أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه ! قال : « **اعلموا ما تقولون** » . قالوا : ما نعلم إلا ذلك يارسول الله ؟ ! قال : « **إنما مال أحدكم ما قَدّم ومال وارثه ما أخر** » .

ورواه البخاري(٣٤) من حديث حفص بن غياث ، والنسائي من حديث [ ][٢] أبي معاوية ، كلاهما عن الأعمش به .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **واستغفروا الله إن الله غفور رحيم** ﴾ ، أي : أكثروا من ذكره واستغفاره في أموركم كلها، فإنه غفور رحيم لمن استغفره .

[آخر تفسير سورة المزمل، ولله الحمد] .

☆ ☆ ☆

(٣٣) مسند أبي يعلى (٩/ ٩٧ - ٩٨) (٥١٦٣) .

(٣٤) صحيح البخاري ، كتاب : الرقاق ، باب : ما قدم من ماله فهو له ، حديث (٦٤٤٢) (١١/ ٢٦٠) . والنسائي (٦/ ٢٣٧ - ٢٣٨) كتاب الوصايا ، باب : الكراهية في تأخير الوصية .

[١] - في ز : ابن . [٢] - في ز : ابن .

تفسير سورة المدثر

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧) فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (١٠)

ثبت في صحيح البخاري عن جابر أنه كان يقول: أول شيء نزل من القرآن: ﴿**يأيها المدثر**﴾. وخالفه الجمهور فذهبوا إلىٰ أن أول القرآن نزولًا قوله تعالى: ﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق**﴾، كما سيأتي بيان ذلك هنالك.

قال البخاري(١): حدثنا يحيىٰ، حدثنا وكيع، عن علي بن المبارك، عن يحيىٰ بن أبي كثير قال: سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن، قال: ﴿**يأيها المدثر**﴾. قلت: يقولون: ﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق**﴾؟ فقال أبو[١] سلمة: سألت جابر بن عبد الله عن ذلك، و[٢] قلت له مثل ما قلتَ لي [٣]، فقال جابر: لا أحدثك إلا ما[٤] حدثنا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، قال: «**جاورت بحراء، فلما قضيت جواري هبطتُ فنُوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئًا، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئًا، ونظرت أمامي فلم أر شيئًا، ونظرت خلفي فلم أر شيئًا، فرفعت رأسي فرأيت شيئًا، فأتيت خديجة فقلت: دَثّروني، وصُبّوا عليّ ماء باردًا**» قال: «**فدثّروني وصَبّوا عليّ ماءً باردًا**»، قال: فنزلت ﴿**يأيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر**﴾.

هكذا ساقه من هذا الوجه، وقد رواه مسلم(٢) [٥] من طريق عُقيل، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة قال: أخبرني جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي: «**فبينا أنا أمشي إذ[٦] سمعت صوتًا من السماء، فرفعت بصري قبَلَ السماء،**

(١) - صحيح البخاري، كتاب: التفسير، حديث (٤٩٢٢) (٨/٦٧٦).

(٢) - صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ حديث (١٦١/٢٥٦).

[١] - في ز، خ: ابن.

[٢] - سقط من ز.

[٣] - سقط من ز، خ.

[٤] - في ز: مثلما.

[٥] - في ز: ومسلم.

[٦] - سقط من ز، خ.

فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد علىٰ كرسي بين السماء والأرض ، فَجَئِثْتُ [١]**منه حتىٰ هَوَيتُ إلىٰ الأرض ، فجئت إلىٰ أهلي ، فقلت : زملوني زملوني . فزملوني ، فأنزل اللَّه : ﴿ يا أيها المدثر * قم فأنذر ﴾ إلىٰ : ﴿ فاهجر ﴾** - قال أبو سلمة : والرجز : الأوثان - ثم حَميَ الوحيُ وتَتَابع » .

هذا لفظ البخاري(٣) ، وهذا السياق هو المحفوظ ، وهو يقتضي أنه قد نزل الوحي قبل هذا ، لقوله : « **فإذا الملك الذي جاءني بحراء** » ، وهو جبريل حين أتاه بقوله : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم** ﴾ . ثم إنه حصل بعد هذا فترة ، ثم نزل الملك بعد هذا ووجه الجمع أن أولَ شيء نزل بعد فترة الوحي هذه السورة ، كما قال الإمام أحمد(٤) :

حدثنا حجاج ، حدثنا ليث ، حدثنا عُقَيل ، عن ابن شهاب قال : سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يقول : أخبرني جابر بن عبد اللَّه : أنه سمع رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « **ثم فتر الوحي عني فترة ، فبينا أنا أمشي سمعتُ صوتًا من السماء ، فرفعت بصري قِبَلَ السماء ، فإذا الملك الذي جاءني [بحراء الآن]**[٢] **قاعد علىٰ كرسي بين السماء والأرض ، فجئثتُ**[٣] **منه فرقًا ، حتىٰ هَوَيت إلىٰ الأرض ، فجئت أهلي فقلت لهم : زملوني زملوني . فزملوني ، فأنزل اللَّه : ﴿ يا أيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر ﴾** ، ثم حمي الوحي بعدُ[٤] وتتابع . أخرجاه(٥) من حديث الزهري به .

وقال الطبراني(٦) : حدثنا محمد بن علي بن شعيب السمسار ، حدثنا الحسن بن بِشر البَجَلي ، حدثنا المعافىٰ بن عمران ، عن إبراهيم بن يزيد ، سمعت ابن أبي مليكة يقول : سمعت ابن عباس يقول : إن الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعامًا ، فلما أكلوا قال : ما تقولون في هذا الرجل ؟ فقال بعضهم : ساحر . وقال بعضهم : ليس بساحر . وقال بعضهم : كاهن . وقال بعضهم : ليس بكاهن . وقال بعضهم : شاعر . وقال بعضهم : ليس بشاعر . وقال بعضهم : سحر يؤثر . فأجمع رأيهم على أنه سحر يؤثر . فبلغ ذلك النبي صلى اللَّه عليه وسلم ، فحزن

(٣) - صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ والرجز فاهجر ﴾ ، حديث (٤٩٢٦) (٦٧٩/٨) . وأطرافه في : [٤ ، ٣٢٣٨ ، ٤٩٢٢ ، ٤٩٢٣ ، ٤٩٢٤ ، ٤٩٢٥ ، ٤٩٢٦ ، ٤٩٥٤ ، ٦٢١٤] .

(٤) - المسند (٣٢٥/٣) (١٤٥٢٥) .

(٥) - راجع أطراف الأحاديث رقم (٢ ، ٣) .

(٦) - المعجم الكبير (١٢٥/١١ - ١٢٦) (١١٢٥٠) . وقال الهيثمي في المجمع (١٣٤/٧) : وفيه إبراهيم ابن يزيد الخوزي وهو متروك .

---

[١] - في ز : فجثيت .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - في ز : فجثيت .

[٤] - سقط من ز .

وقنع رأسه ، وَتَدثّر ، فأنزل اللّه : ﴿ **يأيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر * ولا تمنن تستكثر * ولربك فاصبر** ﴾ .

فقوله : ﴿ **قم فأنذر** ﴾ ، أي : شمر عن ساق العزم ، وأنذر الناس . وبهذا حصل الإرسال ، كما حصل بالأول النبوة . ﴿ **وربك فكبر** ﴾ أي : عظم .

وقوله : ﴿ **وثيابك فطهر** ﴾ ، قال الأجلح الكندي عن عكرمة ، عن ابن عباس : إنه أتاه رجل فسأله عن هذه الآية : ﴿ **وثيابك فطهر** ﴾ ، قال : لا تلبسها علىٰ معصية ولا علىٰ غَدْرة[١] . ثم قال : أما سمعت قول غيلان بن سلمة[٢] الثقفي :

فإني[٣] بحمد اللّه لا ثَوبَ فَاجر لبستُ ، ولا من غَدْرَة[٤] أتَقَنّع

وقال ابن جريج[٥] عن عطاء ، عن ابن عباس : ﴿ **وثيابك فطهر** ﴾ ، قال : في كلام العرب : نَقِيّ الثياب . وفي رواية بهذا الإسناد : فطهر من الذنوب . وكذا قال إبراهيم ، والشعبي، وعطاء .

وقال الثوري[٦] عن رجل، عن عطاء ، عن ابن عباس في هذه الآية : ﴿ **وثيابك فطهر** ﴾ ، قال : من الإثم .وكذا قال إبراهيم النخعي . وقال مجاهد : ﴿ **وثيابك فطهر** ﴾ ، قال : [نفسك ، ليس ثيابه] [٧] . وفي رواية عنه : ﴿ **وثيابك فطهر** ﴾ : عملك فأصلح . وكذا قال أبو رزين، وقال في رواية أخرىٰ : ﴿ **وثيابك فطهر** ﴾ ، أي : لست بكاهن ولا ساحر ، فأعرض عما قالوا . وقال قتادة : ﴿ **وثيابك فطهر** ﴾ ، أي : طهرها من المعاصي ، وكانت العرب تسمي الرجل إذا نكث[٨] ولم يَف بعهد اللّه إنه لَمُدَنّس الثياب ، وإذا وفىٰ وأصلح إنه لمطهر الثياب . وقال عكرمة والضحاك : لا تلبسها على معصية .

وقال الشاعر :

إذا المرءُ لم يَدْنَس منَ اللُؤم عِرْضُه فَكُلّ رِدَاء يَرْتَديه جَميلُ

وقال العوفي : عن ابن عباس : ﴿ **وثيابك فطهر** ﴾ : لا تكُ ثيابك التي تلبس من مكسب[٩] غير طائب[١٠] ، ويقال : لا تلبس ثيابك علىٰ معصية . وقال محمد بن سيرين: ﴿ **وثيابك فطهر** ﴾ أي : اغسلها بالماء. وقال ابن زيد : كان المشركون لا يتطهرون ، فأمره اللّه أن يتطهر وأن يطهر ثيابه . وهذا القول اختاره ابن جرير ، وقد تشمل الآية جميع ذلك مع

---

[١] - في ز : عذرة .
[٢] - في ز ، خ : مسلمة .
[٣] - في ز ، خ : إني .
[٤] - في ز : عذرة .
[٥] - في خ : جرير .
[٦] - في ز ، خ : البردي .
[٧] - في خ : يغسل لبس ثيابه .
[٨] - في ز : سكت .
[٩] - في ز ، خ : مليسة .
[١٠] - في ز ، خ : طايل .

طهارة القلب ، فإن العرب تطلق الثياب عليه ، كما قال امرؤ القيس

أفاطمَ مَهْلًا بَعْضَ[١] هذا التدللِ[٢] وإنْ كُنتِ قَدْ أَزْمَعْتِ[٣] هجري فَأَجْمِلي
وإنْ تَكُ[٤] قَدْ سَاءَتْكِ مِنِّي خَلِيقَةٌ فَسُلِّي[٥] ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكِ تَنْسَلِ

وقال سعيد بن جبير: ﴿وثيابك فطهر﴾: وقلبك ونيتك فطهر. وقال محمد بن كعب القرظي ، والحسن البصري : وخُلقك فحسّن .

وقوله: ﴿والرجز فاهجر﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿والرجز﴾ وهو الأصنام، فاهجر. وكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، والزهري ، وابن[٦] زيد : إنها الأوثان . وقال إبراهيم والضحاك: ﴿والرجز فاهجر﴾ أي: اترك المعصية. وعلىٰ كل تقدير فلا يلزم تلبسه بشيء من ذلك ، كقوله : ﴿ يا أيها النبي؛ اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ﴾ .

﴿وقال موسىٰ لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾ .

وقوله: ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ قال ابن عباس: لا تعط العطية تلتمس [أكثر منها][٧] . وكذا قال عكرمة ، ومجاهد ، وعطاء ، وطاوس ، وأبو الأحوص ، وإبراهيم النخعي ، والضحاك ، وقتادة ، والسدي ، وغيرهم . وروي عن ابن مسعود أنه قرأ: ولا تمنن أن تستكثر.

وقال الحسن البصري : لا تمنن بعملك علىٰ ربك تستكثره . وكذا قال الربيع بن أنس ، واختاره ابن جرير . وقال خُصَيف عن مجاهد في قوله : ﴿ ولا تمنن تستكثر ﴾ ، قال : لا تضعف أن تستكثر من الخير، قال : تمنن في كلام العرب : تضعف . وقال ابن زيد : لا تمنن بالنبوة علىٰ الناس، تستكثرهم بها ، تأخذ عليه عوضًا من الدنيا . فهذه أربعة أقوال، والأظهر القول الأول، والله أعلم .

وقوله : ﴿ ولربك فاصبر ﴾ ، أي : اجعل صبرك علىٰ أذاهم لوجه الله - عز وجل - قاله مجاهد . وقال إبراهيم النخعي : اصبر علىٰ[٨] عطيتك لله تعالى .

وقوله : ﴿ فإذا نقر في الناقور * فذلك يومئذ يوم عسير * علىٰ الكافرين غير يسير ﴾ ، قال ابن عباس ، ومجاهد ، والشعبي ، وزيد بن أسلم ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك ، والربيع

---

[١] - في ز ، خ : بعد .
[٢] - في ز : التذلل .
[٣] - في خ : أرمقت .
[٤] - في ز : بك .
[٥] - في خ : فتبلى .
[٦] - في ز ، خ : وأبو .
[٧] - في ز ، خ : المن معها .
[٨] - سقط من ز .

ابن أنس ، والسدي ، وابن زيد : ﴿ **الناقور** ﴾ : الصور . قال مجاهد : وهو كهيئة القرن .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أسباط بن محمد ، عن مُطَرِّف ، عن عطية العوفي ، عن ابن عباس : ﴿ **فإذا نقر في الناقور** ﴾ ، فقال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنىٰ جبهته ، ينتظر متىٰ يؤمر فينفخ ؟** » فقال أصحاب رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : فما تأمرنا يا رسول اللَّه ؟ قال : « **قولوا : حسبنا اللَّه ونعم الوكيل ، علىٰ اللَّه توكلنا** » .

وهكذا رواه الإمام أحمد(٧) عن أسباط به .

ورواه ابن جرير(٨) عن أبي كريب ، عن ابن فضيل[١] وأسباط ، كلاهما عن مطرف به .

ورواه من طريق أخرىٰ ، عن العوفي ، عن ابن عباس ، به .

وقوله : ﴿ **فذلك يومئذ يوم عسير** ﴾، أي : شديد ، ﴿ **علىٰ الكافرين : غير يسير** ﴾ ، أي : غير سهل عليهم . كما قال تعالىٰ : ﴿ **يقول الكافرون هذا يوم عَسر** ﴾ وقد روينا عن زُرَارة بن أوفىٰ قاضي البصرة ، أنه صلىٰ بهم الصبح ، فقرأ هذه السورة ، فلما وصل إلىٰ قوله : ﴿ **فإذا نقر في الناقور * فذلك يومئذ يوم عسير * علىٰ الكافرين غير يسير** ﴾ : شَهِقَ شهقة ، ثم خر ميتًا رحمه اللَّه(٩) .

ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ

---

(٧) - المسند (٣٢٦/١) (٣٠١٠) . وأخرجه الطبري (١٥٠/٢٩ - ١٥١) . وقال الهيثمي في « المجمع » (١٣٤/٧) : وفيه عطية وهو ضعيف .

(٨) - تفسير الطبري (١٥١/٢٩) .

(٩) - أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (١١٠/٧) ، والحاكم (٥٠٧/٢) .

---

[١] - في ز : فضل .

﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾

يقول تعالىٰ متوعدًا لهذا الخبيث الذي أنعم اللَّه عليه بنعم الدنيا ، فكفر بأنعم اللَّه ، وبدلها كفرًا ، وقابلها بالجحود بآيات اللَّه والافتراء عليها ، وجعلها من قول البشر ، وقد عدد اللَّه عليه نعَمه حيث قال : ﴿ **ذرني ومن خلقت وحيدًا** ﴾ ، أي : خرج من بطن أمه وحده لا مال له ولا ولد ، ثم رزقه اللَّه ﴿ **مالًا ممدودًا** ﴾ ، أي : واسعًا كثيرًا . قيل : ألف دينار . وقيل : مائة ألف دينار . وقيل : أرضًا يستغلها . وقيل غير ذلك . وجعل له ﴿ **بنين شهودًا** ﴾ ، قال مجاهد : لا يغيبون . أي : حضورًا عنده لا يسافرون في التجارات ، بل مَواليهم وأجراؤهم يتولون ذلك عنهم وهم قعود عند أبيهم، يتمتع بهم ويَتَملَّىٰ بهم . وكانوا - فيما ذكره السدي ، وأبو مالك ، وعاصم بن عمر بن قتادة - ثلاثة عشر ، وقال ابن عباس ، ومجاهد : كانوا عشرة . وهذا أبلغ في النعمة [وهو إقامتهم عنده][١]. ﴿ **ومهدت له تمهيدًا** ﴾ ، أي : مكنته من صنوف المال والأثاث وغير ذلك ، ﴿ **ثم يطمع أن أزيد * كلا إنه كان لآياتنا عنيدًا** ﴾ ، أي : معاندًا ، وهو : الكفر علىٰ نعمه بعد العلم . قال اللَّه : ﴿ **سأرهقه صعودًا** ﴾ ، قال الإمام أحمد(١٠) :

[حدثنا حسن] [٢] ، حدثنا ابن لهيعة ، عن دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **ويل : [وادٍ] في جهنم ، يهوي فيه الكافر أربعين خريفًا قبل أن يبلغ قعره ، والصَّعُود : جبل من نار يصعد[٣] فيه سبعين خريفًا ، ثم يهوي به كذلك فيه أبدًا** » .

وقد رواه الترمذي عن عبد [بن حُمَيد][٤] ، عن الحسن بن موسىٰ الأشيب ، به . ثم قال : « **غريب ، لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة عن دراج** » كذا قال .

وقد رواه ابن جرير ، عن يونس ، عن[٥] عبد اللَّه بن وهب ، عن عمرو[٦] بن الحارث ، عن دَرّاج . وفيه غرابة ونكارة : وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة وعلي بن عبد الرحمن - المعروف بعلان المصرى[٧] - قال[٨] : حدثنا منجاب ، أخبرنا شريك ، عن عمار الدُّهنيّ [٩]،

(١٠) - المسند (٣/٧٥) (١١٧٢٩) . والترمذي في كتاب : صفة جهنم ، باب : ما جاء في صفة قعر جهنم ، حديث (٢٥٧٩) (٧/٢٤٩) . والطبري (٢٩/١٥٥) .

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز : فيصعد .
[٤] - في ز ، خ : الرحمن .
[٥] - في ز : بن .
[٦] - في ز : عمر .
[٧] - في ز ، خ : البصري .
[٨] - في ز : قالا .
[٩] - في ز ، خ : الذهبي .

عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **سأرهقه صعودًا** ﴾ ، قال : « **هو جبل في النار من نار يكلف أن يصعده**[١] ، **فإذا وضع يده ذابت ، وإذا**[٢] **رفعها عادت ، وإذا وضع رجله ذابت ، وإذا رفعها عادت** » .

ورواه البزار(١١) وابن جرير من حديث شريك به . وقال قتادة عن ابن عباس : صعود : صخرة عظيمة يسحب عليها الكافر علىٰ وجهه . وقال السدي : صعود : صخرة ملساء في جهنم يكلف أن يصعدها . وقال مجاهد : ﴿ **سأرهقه صعودًا** ﴾ ، أي : مشقة من العذاب . وقال قتادة : عذابًا لا راحة فيه . واختاره ابن جرير .

وقوله : ﴿ **إنه فكر وقدر** ﴾ ، أي : إنما أرهقناه صعودًا ، أي : قربناه من العذاب الشاق لبعده عن الإيمان ، لأنه فكر وقدر ، أي : تَرَوّىٰ ماذا يقول في القرآن حين سُئل عن القرآن ، ففكر ماذا يختلق[٣] من المقال ، ﴿ **وقدر** ﴾ ، أي : تروىٰ ، ﴿ **فقتل كيف قدر * ثم قتل كيف قدر** ﴾ : دعاء عليه ، ﴿ **ثم نظر** ﴾ ، أي : أعاد النظر[٤] والتروي ، ﴿ **ثم عبس** ﴾ ، أي : قبض بين[٥] عينيه وقطب ﴿ **وبسر** ﴾ ، أي : كلح وكره ، ومنه قول توبة بن الحُمَير الشاعر :

وَقَد رَابَنىٰ منها صُدُودٌ رَأيتُهُ وَإعرَاضُها عَن حاجَتي وبُسُوْرُهَا

وقوله : ﴿ **ثم أدبر واستكبر** ﴾ ، أي : صُرف عن الحق ورجع القهقرىٰ مستكبرًا عن الانقياد للقرآن ، ﴿ **فقال : إن هذا إلا سحر يؤثر** ﴾ ، أي : هذا سحر ينقله محمد عن غيره ممن[٦] قبله ويحكيه عنهم ؛ ولهذا قال : ﴿ **إن هذا إلا قول البشر** ﴾ ، أي : ليس بكلام اللَّه .

وهذا المذكور في هذا السياق هو : الوليد بن المغيرة المخزومي ، أحد رؤساء قريش - لعنه اللَّه - وكان من خبره في هذا ما رواه العوفي ، عن ابن عباس(١٢) قال : دخل الوليد بن المغيرة علىٰ أبي بكر بن أبي قحافة فسأله عن القرآن ، فلما أخبره خرج علىٰ قريش فقال : يا عجبًا لما يقول ابن أبي كبشة ، فواللَّه ما هو بشعر ولا بسحر ولا بهَذْيٍ من الجنون ، وإن قوله لمن كلام

---

(١١) أخرجه الطبري (١٥٥/٢٩) . والطبراني في الأوسط (٣٦٦/٥) (٥٥٧٣) . قال الهيثمي في « المجمع » (١٣٤/٧) : وفيه عطية وهو ضعيف .

(١٢) - أخرجه الحاكم (٥٠٦/٢ - ٥٠٧) . والبيهقي في الدلائل (١٩٨/٢ - ١٩٨) كلاهما من طريق عكرمة عن ابن عباس بنحو هذا الحديث . قال الحاكم : حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

---

[١] - في ز : يصعد .
[٢] - في ز : فإذا .
[٣] - في ز ، خ: يخلق .
[٤] - في ت : النظرة .
[٥] - في ز : من .
[٦] - في ز : عمن .

اللّه . فلما سمع بذلك النفرُ من قريش ائتمروا فقالوا : واللّه لئن صبا الوليد لتصْبُوَنَّ قريش . فلما سمع بذلك أبو جهل بن هشام قال : أنا واللّه أكفيكم شأنه . فانطلق حتىٰ دخل عليه بيته فقال الوليد : ألم تر قومك قد جمعوا لك الصدقة ؟ فقال : ألستُ أكثرهم مالًا وولدًا ؟ ! فقال له أبو جهل : يتحدثون أنك إنما تدخل علىٰ ابن أبي قحافة لتصيب من طعامه . فقال الوليد : أقد تحدث به عشيرتي ؟ ! فلا واللّه لا أقرب ابن أبي قحافة ، ولا عمر ، ولا ابن أبي كبشة ، وما قوله إلا سحر يؤثر . فأنزل اللّه علىٰ رسوله صلىٰ اللّه عليه وسلم : ﴿ **ذرني ومن خلقت وحيدًا** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **لا تبقي ولا تذر** ﴾ .

وقال قتادة : زعموا أنه قال : واللّه لقد نظرت فيما قال الرجل فإذا هو ليس بشعر ، وإن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه ليعلو وما يُعلَىٰ ، وما أشك أنه سحر . فأنزل اللّه : ﴿ **فقتل كيف قدر** ...﴾ الآية ... ﴿ **ثم عبس وبسر** ﴾ : قبض ما بين عينيه وكلح .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلىٰ ، أخبرنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن عَبّاد[١] ابن منصور ، عن عكرمة أن الوليد بن المغيرة جاء إلىٰ النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم فقرأ عليه القرآن ، فكأنه رق له . فبلغ ذلك أبا جهل بن هشام ، فأتاه فقال : أي عم ، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالًا . قال : لِمَ؟ قال : يعطونكه ، فإنك أتيت محمدًا تتعرض لما قبله . قال : قد علمت قريش أني أكثرها مالًا . قال : فقل فيه قولًا يعلم قومك أنك منكر لما قال ، وأنك كاره له .قال : فماذا أقول فيه ؟ فواللّه ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني ، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن ، واللّه ما يشبه الذي يقول شيئًا من ذلك ، واللّه إن لقوله الذي يقول لحلاوة ، وإنه ليحطم[٢] ما تحته ، وإنه ليعلو وما يُعلَىٰ . قال : واللّه لا يرضى قومك حتىٰ تقول فيه . قال : فدعني حتىٰ أفكر فيه . فلما فكر قال : هذا سحر يأثُره عن غيره . فنزلت : ﴿ **ذرني ومن خلقت وحيدًا** ﴾ [ ][٣] حتى بلغ : ﴿ **تسعة عشر** ﴾ .

وقد ذكر محمد بن إسحاق وغير واحد نحوًا من هذا . وقد زعم السدي أنهم لما اجتمعوا في دار الندوة ليجمعوا رأيهم علىٰ قول يقولونه فيه ، قبل أن يقدم عليهم وفودُ العرب للحج ليصدّوهم عنه ، فقال قائلون : شاعر . وقال آخرون : ساحر . وقال آخرون : كاهن . وقال آخرون : مجنون . كما قال تعالىٰ : ﴿ **انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلًا** ﴾ ، كل هذا والوليد يفكر فيما يقوله فيه ، ففكر وقدر ، ونظر وعبس وبسر ، فقال : ﴿ **إن هذا إلا سحر يؤثر * إن هذا إلا قول البشر** ﴾ ، قال اللّه عز وجل : ﴿ **سأصليه سقر** ﴾ ، أي : سأغمره فيها من جميع جهاته ، ثم قال : ﴿ **وما أدراك ما سقر** ﴾ وهذا

---

[١] - في ز : عبادة .   [٢] - في ز : أعظم .

[٣] - في ت : قال قتادة : خرج من بطن أمه وحيدًا .

تهويل لأمرها وتفخيم، ثم فسر ذلك بقوله: ﴿ **لا تبقي ولا تذر** ﴾، أي: تأكل لحومهم وعروقهم وعَصَبهم وجلودهم، ثم تبدل غير ذلك، وهم في ذلك لا يموتون ولا يحيون، قاله ابن بريدة وأبو سنان وغيرهما.

وقوله: ﴿**لواحة للبشر**﴾، قال مجاهد: للجلد، وقال أبو[١] رزين: تلفح الجلد لفحة فتدعه أسود من الليل. وقال زيد بن أسلم: تلوح أجسادهم عليها.

وقال قتادة: ﴿**لواحة للبشر**﴾، أي: حراقة للجلد. وقال ابن عباس: تحرق بشرة الإنسان.

وقوله: ﴿**عليها تسعة عشر**﴾، أي: [من مقدّمي][٢] الزبانية، عَظِيم خَلْقهم، غليظ خُلُقُهم.

وقد قال ابن أبي حاتم(١٣): حدثنا أبو زرعة، حدثنا إبراهيم بن موسى، حدثنا ابن أبي زائدة، أخبرني [حارث عن][٣] عامر عن البراء في قوله: ﴿**عليها تسعة عشر**﴾، قال: إن رهطا من اليهود سألوا رجلًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خزنة جهنم، فقال: الله ورسوله أعلم. فجاء رجل فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فنزل عليه ساعتئذ: ﴿**عليها تسعة عشر**﴾. فأخبر أصحابه وقال: «**ادعهم، أما إني سائلهم عن تُرْبة الجنة إن أتوني، أما إنها دَرْمَكَة بيضاء**». فجاءوه فسألوه عن خزنة جهنم، فأهوى بأصابع كفيه مرتين وأمسك الإبهام في الثانية، ثم قال: «**أخبروني عن تربة الجنة**». فقالوا: أخبرهم يا بن سلام. فقال: كأنها خبْزَة بيضاء. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أما إن الخبز إنما يكون من الدَرمَك**».

هكذا وقع عند ابن أبي حاتم عن البراء، والمشهور عن جابر بن عبد الله، كما قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا مندة[٤]، حدثنا أحمد بن عَبدَة، أخبرنا سفيان ويحيىٰ بن حكيم، حدثنا سفيان، عن مجالد، عن الشعبي، عن جابر بن عبد الله، قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقال: يا محمد؛ غُلِب أصحابك اليوم. فقال: «**بأي شيء**»؟ قال: سألتهم يَهودُ هل أعلمكم نبيكم عدة خزنة أهل النار؟ قالوا: لا نعلم حتى نسأل نبينا صلى الله عليه وسلم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أفغلب قوم سئلوا عما لا يدرون فقالوا: لا ندرى حتى نسأل نبينا؟ عليّ بأعداء الله؟ لكن سألوا نبيهم أن يريهم الله جهرة**». فأرسل إليهم فدعاهم

(١٣) أخرجه البيهقي في البعث والنشور (٤٦٢) من طريق ابن أبي زائدة بإسناد ابن أبي حاتم فذكر إلى قوله ... : ﴿ عليها تسعة عشر ﴾.

[١] - في ز: ابن.
[٢] - في ز، خ: يعد من.
[٣] - في ز: مرثب بن.
[٤] - في ز: مسندة.

قالوا: يا أبا القاسم، كم عدة خزنة أهل النار؟ قال: «**هكذا**»، وطبق كفيه، ثم طبق كفيه، مرتين، وعقد واحدة، وقال لأصحابه: «**إن سُئلتم عن تُربة الجنة فهي الدَّرمك**». فلما سألوه فأخبرهم بعدة خزنة أهل النار، قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما تربة الجنة؟**» فنظر بعضهم إلى بعض، فقالوا: خبزة يا أبا القاسم. فقال: «**الخبز من الدَّرمَك**».

وهكذا رواه الترمذي(١٤) عند هذه الآية عن ابن أبي عمر، عن سفيان، به. وقال هو والبزار: «**لا نعرفه إلا من حديث مجالد**».

وقد رواه الإمام أحمد(١٥)، عن علي بن المديني، عن سفيان، فقص الدرمك فقط.

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ (٣١) كَلَّا وَٱلْقَمَرِ (٣٢) وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ (٣٥) نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ (٣٦) لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧)﴾

يقول تعالى: ﴿**وما جعلنا أصحاب النار**﴾، أي: خُزّانها ﴿**إلا ملائكة**﴾، أي: غلاظًا شدادًا. وذلك ردٌّ على مشركي قريش حين ذكر[١] عدد الخزنة، فقال أبو جهل: يا معشر قريش؛ أما يستطيع كل عشرة منكم لواحد منهم فتغلبونهم؟، فقال الله: ﴿**وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة**﴾، أي: شديدي الخَلْق لا يقاومون ولا يغالبون. وقد قيل: إن أبا الأشدين - واسمه: كَلَدة بن أسيد بن خلف - قال: يا معشر قريش؛ اكفوني منهم اثنين وأنا أكفيكم[٢] سبعة عشر، إعجابًا منه بنفسه، وكان قد بلغ من القوة فيما يزعمون أنه كان يقف على جلد البقرة ويجاذبه عشرة لينتزعوه من تحت قدميه، فيتمزق الجلد ولا يتزحزح عنه. قال السهيلي: وهو الذي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مصارعته، وقال: إن صرعتني آمنت بك.

(١٤) سنن الترمذي، كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة المدثر، حديث (٣٣٢٤) (٩/٦٤ - ٦٥).
(١٥) المسند (٣/٣٦١) (١٤٩٢٧).

[١] - في خ: ذكروا.
[٢] - في خ: اكفيكم منهم.

فصرعه النبي صلى اللّٰه عليه وسلم مرارًا، فلم يؤمن. قال: وقد نَسَب ابن إسحاق خبر المصارعة إلى ركانة بن عبد يزيد ابن هاشم[١] بن المطلب.

قلت: ولا منافاة بين ما ذكراه، واللّٰه أعلم.

﴿وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا﴾، أي: إنما ذكرنا عدتهم أنهم تسعة عشر اختبارًا منّا للناس، **﴿ليستيقن الذين أوتوا الكتاب﴾**، أي: يعلمون أن هذا الرسول حق؛ فإنه نطق بمطابقة ما بأيديهم من الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء قبله.

﴿ويزداد الذين آمنوا إيمانًا﴾، أي: إلى إيمانهم، أي: بما يشهدون من صدق إخبار نبيهم محمد صلى اللّٰه عليه وسلم **﴿ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون، وليقول الذين في قلوبهم مرض﴾**، أي: من المنافقين **﴿والكافرون: ماذا أراد اللّٰه بهذا مثلا﴾**؟ أي يقولون: ما الحكمة في ذكر هذا هاهنا؟ قال اللّٰه تعالى: **﴿كذلك يضل اللّٰه من يشاء ويهدي من يشاء﴾**، أي: من مثل هذا وأشباهه يتأكد الإيمان في قلوب أقوام، ويتزلزل عند[٢] آخرين، وله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة.

وقوله: **﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾**، أي: ما يعلم عددهم وكثرتهم إلا هو تعالى، لئلا يتوهم متوهم أنما هم تسعة عشر فقط، كما قد قاله طائفة من أهل الضلَالة والجهالة من الفلاسفة اليونانيين، ومن تابعهم من الملتين الذين سمعوا هذه الآية، فأرادوا تنزيلها على العقول العشرة والنفوس التسعة، التي اخترعوا دعواها، وعجزوا عن إقامة الدلالة على مقتضاها، فأفهِمُوا صدر الآية وقد كفروا بآخرها، وهو قوله: **﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾**.

وقد ثبت في حديث الإسراء المروي في الصحيحين وغيرهما(١٦)، عن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم أنه قال في صفة البيت المعمور الذي في السماء السابعة: «**فإذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه آخرَ ما عليهم**».

وقال الإمام أحمد(١٧): حدثنا أسود، حدثنا إسرائيل، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، عن مورق، عن أبي ذر؛ قال: قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم: «**إني أرى مالا ترون، وأسمع مالا تسمعون، أطَت السماء وحُقَّ لها أن تَئِطَ، ما فيها موضع أربع[٣] أصابع إلا عليه ملك ساجد، لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا، ولا تَلَذّذتم بالنساء على**

(١٦) تقدم تخريج كل هذه الروايات في أول سورة الإسراء.

(١٧) المسند (١٧٣/٥). والترمذي في كتاب: الزهد، باب: في قول النبي ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم=

[١] - في ز، خ: هشام.

[٢] - في ز: عنه. [٣] - سقط من ز.

الفُرشات، ولخرجتم إلى الصُّعُدَات تجأرون إلى الله، عز وجل». فقال أبو ذر: والله لوددت أني شجرة تُعضَد.

ورواه الترمذي وابن ماجة، من حديث إسرائيل، وقال الترمذي: «**حسن غريب، ويروى عن أبي ذر موقوفًا**».

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني(١٨): حدثنا خير[١] بن عرفة المصري، حدثنا عروة بن مروان الرقي، حدثنا عبيد الله بن عمرو، عن عبد الكريم بن مالك، عن عطاء بن أبي رباح، عن جابر ابن عبد الله؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما في السماوات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف إلا وفيه ملك قائم، أو ملك ساجد، أو ملك راكع، فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعًا: سبحانك! ما عبدناك حَقَّ عبادتك، إلا أنا لم نشرك بك شيئًا**».

وقال محمد بن نصر المروزي (١٩) في «كتاب الصلاة»: حدثنا عمرو بن زرارة، أخبرنا عبد الوهاب بن[٢] عطاء، عن سعيد، عن قتادة، عن صفوان بن محرز، عن حكيم بن حزام؛ قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه إذ قال لهم: «**هل تسمعون ما أسمع؟**» قالوا: ما نسمع من شيء. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**أسمع[٣] أطيط السماء، وما تلام أن تَئِط، وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك راكع أو ساجد**».

وقال أيضًا(٢٠): حدثنا محمد بن عبد الله بن قهزاذ[٤]، حدثنا أبو معاذ الفضل بن خالد النحوي، حدثنا عبيد بن سليمان الباهلي، سمعت الضحاك بن مزاحم، يحدث عن مسروق بن الأجدع، عن عائشة أنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما في السماء الدنيا موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم، وذلك قول الملائكة: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم. وإنا لنحن الصافون. وإنا لنحن المسبحون﴾**».

= لضحكتم قليلًا». وابن ماجة في كتاب: الزهد، باب: الحزن والبكاء، حديث (٤١٩٠) (١٤٠٢/٢). وأورده الألباني في الصحيحة (١٧٢٢)، وحسنه في صحيح سنن ابن ماجة دون قوله: «والله لوددت .. إلخ» فإنه مدرج.

(١٨) المعجم الكبير (١٨٤/٢) (١٧٥١). وقال الهيثمي (٥٧/١): وفيه عروة بن مروان.

(١٩) تعظيم قدر الصلاة، (٢٥٨/١ - ٢٥٩) (٢٥٠). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٦٠).

(٢٠) تعظيم قدر الصلاة (٢٦٠/١) (٢٥٣). وحسنه الألباني في المصدر السابق.

---

[١] - في ز، خ: حسين.
[٢] - في ز: عن.
[٣] - سقط من ز.
[٤] - في ز، خ: مهراء.

وهذا مرفوع غريب جدًّا، ثم رواه(٢١) عن محمود بن آدم، عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي الضُّحىٰ، عن مسروق، عن ابن مسعود؛ أنه قال: إن من السماوات سماءً ما فيها موضع شبر إلا وعليه جبهة ملك أو قدماه قائمًا، ثم قرأ: ﴿**وإنا لنحن الصافون. وإنا لنحن المسبحون**﴾.

ثم قال(٢٢): حدثنا أحمد بن سيار[١]: حدثنا أبو جعفر بن[٢] محمد بن خالد الدمشقي المعروف بابن أمه، حدثنا المغيرة بن عمر[٣] بن عَطية من بني عمرو بن عوف، حدثني سليمان بن أيوب، عن[٤] سالم بن عوف، حدثني عطاء بن زيد[٥] بن مسعود من بني الحبلى[٦]، حدثني سليمان بن عمرو ابن الربيع، من بني سالم، حدثني عبد الرحمن بن العلاء من بني ساعدة، عن أبيه العلاء بن سعد - وقد شهد الفتح وما بعده - أن النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال يومًا لجلسائه: «**هل تسمعون ما أسمع؟**»: قالوا: وما تسمع يا رسول الله؟ قال: «**أطّت السماء وحُقّ لها أن تَئط، إنه ليس فيها موضع قَدَم إلا وعليه ملك قائم أو راكع أو ساجد، وقال الملائكة: ﴿وإنّا لنحن الصافون. وإنا لنحن المسبحون﴾**». وهذا إسناد غريب جدًّا.

ثم قال(٢٣): [حدثنا محمد بن يحيى][٧] حدثنا إسحاق بن محمد بن إسماعيل الفرَوي، حدثنا عبد الملك[٨] بن قدامة، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، عن أبيه، عن عبد الله ابن عمر؛ أن عمر جاء والصلاة قائمة، ونفر ثلاثة[٩] جلوس، أحدهم أبو جحش الليثي، فقال: قوموا فصلوا مع رسول الله. فقام اثنان وأبَى أبو جحش أن يقوم، وقال: لا أقوم حتى يأتي رجل هو أقوى مني ذراعين، وأشد مني بطشًا فيصرعني، ثم يَدس وجهي في التراب. قال عمر: فصرعتُه ودسستُ وجهه في التراب، فأتى عثمان بن عفان فحجزني عنه، فخرج عمر مغضبًا، حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال: «**ما رأيك يا أبا حفص؟**». فذكر له ما كان منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن[١٠] [رضي عمر رحمه][١١]**» والله لوددتُ أنك جئتني برأس الخبيث، فقام عمر يُوَجّهُ نحوه، فلما أبعد ناداه

(٢١) تعظيم قدر الصلاة (١/٢٦٠ - ٢٦١) (٢٥٤).
(٢٢) تعظيم قدر الصلاة (١/٢٦١) (٢٢٥).
(٢٣) تعظيم قدر الصلاة (١/٢٦٢ - ٢٦٤) (٢٥٦).

[١] - في ز، خ تقرأ: بشار. لكنها بغير نقط.
[٢] - سقط من ز.
[٣] - في تعظيم قدر الصلاة: عثمان.
[٤] - في تعظيم قدر الصلاة: من سني.
[٥] - في تعظيم قدر الصلاة: يزيد.
[٦] - في ز، خ: الحكم.
[٧] - زيادة من كتاب تعظيم قدر الصلاة.
[٨] - في تعظيم قدر الصلاة: عبد الله.
[٩] - في خ: يليه.
[١٠] - في ز، خ: إني.
[١١] - بياض في ز.

فقال: «اجلس حتى أخبرك بغنى الرب -عز وجل- عن صلاة أبي جحش، إن للَّه في السماء الدنيا ملائكة خشوعًا[١]، لا يرفعون رءوسهم حتى تقوم الساعة. فإذا قامت رفعوا رءوسهم، ثم قالوا: ربنا، ما عبدناك حق عبادتك، وإن للَّه في السماء الثانية ملائكة سجودًا[٢]، لا يرفعون رءوسهم حتى تقوم الساعة، فإذا قامت الساعة رفعوا رءوسهم، وقالوا: سبحانك! ما عبدناك حق عبادتك». فقال له عمر: وما يقولون يا رسول اللَّه؟ فقال: «أما أهل السماء الدنيا فيقولون: سبحان ذي الملك والملكوت، وأما أهل السماء الثانية فيقولون: سبحان ذي العزة والجبروت، وأما أهل السماء الثالثة فيقولون: سبحان الحي الذي لا يموت؛ فقلها يا عمر في صلاتك».

فقال عمر: يا رسول اللَّه؛ فكيف بالذي كنت علمتني وأمرتني أن أقوله في صلاتي؟ فقال: «قل هذا مرة وهذا مرة».

وكان الذي أمره به أن يقوله: «أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سَخَطك[٣]، وأعوذ بك منك، جل وجهك».

هذا حديث غريب جدًّا، بل منكر نكارة شديدة، وإسحاق الفَروى روىٰ عنه البخاري، وذكره ابن حبان في الثقات وضعفه أبو داود والنسائي والعقيلي والدارقطني. وقال أبو حاتم الرازي: «كان صدوقًا إلا أنه ذهب بصره، فربما لقن[٤] وكتبه صحيحة». وقال مرة: هو مضطرب، وشيخه عبد الملك بن قدامة أبو قتادة الجمحي: تكلم فيه أيضًا.

والعجب من الإمام محمد بن نصر، كيف رواه ولم يتكلم عليه، ولا عَرّف بحاله، ولا تعرض لضعف بعض رجاله؟! غير أنه رواه من وجه آخر عن سعيد بن جبير مرسلًا بنحوه. ومن طريق أخرى عن الحسن البصرى مرسلًا(٢٤)، قريبًا منه، ثم قال محمد بن نصر(٢٥):

حدثنا محمد بن عبد اللَّه بن قهزاذ[٥] أخبرنا النضر، أخبرنا عباد بن منصور، قال: سمعت عدي بن أرطاة، وهو يخطبنا على منبر المدائن؛ قال: سمعت رجلًا من أصحاب النبي صلى اللَّه عليه وسلم، عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم؛ قال: «إن للَّه تعالى ملائكة تَرعدُ فرائصهم من خيفته، ما منهم ملك تقطر منه دمعة من عينه إلا وقعت على ملك يصلي، وإن منهم ملائكة سجودًا منذ خلق اللَّه السماوات والأرض لم يرفعوا رءوسهم، ولا يرفعونها إلى يوم

---

(٢٤) تعظيم قدر الصلاة (١/٢٦٣ - ٢٦٥) (٢٥٧).
(٢٥) تعظيم قدر الصلاة (١/٢٦٦ - ٢٦٧) (٢٥٨).

---

[١] - في ز: خشوع.
[٢] - في ز: سجود.
[٣] - في ت: سخطتك.
[٤] - بياض في ز.
[٥] - في ز: مهراد.

القيامة. وإن منهم ملائكة ركوعًا لم يرفعوا رءوسهم منذ خلق الله السموات والأرض، ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، فإذا رفعوا رءوسهم نظروا إلى وجه الله - عز وجل - قالوا: سبحانك! ما عبدناك حق عبادتك». وهذا إسناد لا بأس به.

وقوله: ﴿وما هي إلا ذكرى للبشر﴾، قال مجاهد وغير واحد: ﴿وما هي﴾، أي: النار التي وصفت، ﴿إلا ذكرى للبشر﴾.

ثم قال: ﴿كلا والقمر * والليل إذ أدبر﴾، أي: ولى، ﴿والصبح إذا أسفر﴾، أي: أشرق، ﴿إنها لإحدى الكبر﴾، أي: العظائم، يعني النار. قاله ابن عباس، ومجاهد. وقتادة، والضحاك، وغير واحد من السلف: ﴿نذيرًا للبشر. لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر﴾، أي: لمن شاء أن يقبل النّذارة ويهتدي للحق، أو يتأخر عنها ويولي ويردها.

كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

يقول تعالى مخبرًا أن ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾، أي: معتقلة بعملها يوم القيامة. قاله ابن عباس وغيره ﴿إلا أصحاب اليمين﴾ فإنهم في جنات يتساءلون عن المجرمين، أي: يسألون المجرمين وهم في الغرفات وأولئك في الدركات قائلين لهم: ﴿ما سلككم في سقر؟ قالوا: لم نك من المصلين. ولم نك نطعم المسكين﴾، أي: ما عبدنا ربنا ولا أحسنًا إلى خلقه من جنسنا، ﴿وكنا نخوض مع الخائضين﴾، أي: نتكلم فيما لا نعلم. وقال قتادة: كلما غوى غاو[١] غوينا معه، ﴿وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين﴾، يعني الموت. كقوله:

[١] - في ز: عاد

﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أما هو -يعني عثمان بن مظعون- فقد جاءه اليقين من ربه**»(٢٦).

قال الله تعالى: **﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾**، أي: من كان متصفًا بهذه الصفات، فإنه لا تنفعه[١] يوم القيامة شفاعة شافع فيه؛ لأن الشفاعة إنما تنجع إذا كان المحل قابلًا، فأم من وافى الله كافرًا يوم القيامة، فإنه[٢] له النار لا محالة، خالدًا فيها.

ثم قال تعالى: **﴿فما لهم عن التذكرة معرضين﴾** [أي: فما لهؤلاء الكفرة الذين قبلَك عما تدعوهم إليه وتذكرهم به معرضين][٣] **﴿كأنهم حمر مستنفرة. فرت من قسورة﴾**، أي: كأنهم في نفارهم عن الحق وإعراضهم عنه حُمُر من حمر الوحش، إذا فرت ممن يريد صيدها من أسد. قاله أبو هريرة، وابن عباس- في رواية عنه- وزيد بن أسلم، وابنه عبد الرحمن. أو: رام، وهو رواية عن ابن عباس، وهو قول الجمهور.

وقال حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن يوسف بن مهران[٤]، عن ابن عباس: الأسد بالعربية، ويقال له بالحبشية قسورة، وبالفارسية شير[٥]، وبالنبطية أويا.

وقوله: **﴿بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفًا منشرة﴾**، أي: بل يريد كل واحد من هؤلاء المشركين أن ينزل عليه كتابًا[٦] كما أنزل على النبي.

قاله مجاهد وغيره، كقوله: **﴿وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته[٧]﴾**. وفي رواية عن قتادة: يريدون أن يؤتوا براءة بغير عمل.

فقوله **﴿كلا بل لا يخافون الآخرة﴾**، أي: إنما أفسدهم عدم إيمانهم بها، وتكذيبهم بوقوعها. ثم قال تعالى: **﴿كلا إنه تذكرة﴾**، أي: حقًّا إن القرآن تذكرة **﴿فمن شاء ذكره. وما يذكرون إلا أن يشاء الله﴾ كقوله: ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾**.

وقوله: **﴿هو أهل التقوى وأهل المغفرة﴾**، أي: هو أهل أن يُخاف منه، وهو أهل أن يَغفر ذنب من تاب إليه وأناب. قاله قتادة.

---

(٢٦) تعظيم قدر الصلاة (١/٢٦٧ - ٢٦٨) (٢٦٠).

---

[١] - في ز: ينفعه.
[٢] - في ز: فإن.
[٣] - سقط من ز، خ.
[٤] - في ز، خ: ماهك.
[٥] - في ز، خ: سار.
[٦] - في ز: كتاب.
[٧] - في ز: رسالاته.

وقال الإمام أحمد(٢٧) : حدثنا زيد بن الحباب، أخبرنى سهيل أخو حزم، حدثنا ثابت البناني، عن أنس بن مالك؛ قال: قرأ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم هذه الآية: **﴿هو أهل التقوى وأهل المغفرة﴾**، وقال: **«قال ربكم: أنا أهل أن أتقى، فلا يجعل معي إله، فمن اتقى أن يجعل معي إلهًا كان أهلًا أن أغفر له»**.

ورواه الترمذي وابن ماجة من حديث زيد بن الحباب، والنسائي من حديث المعافى بن عمران، كلاهما عن سهيل بن عبد اللَّه القُطَعي به.

وقال الترمذي: حسن غريب، وسهيل ليس بالقوى. ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه، عن هُدَبَة بن خالد، عن سُهَيل، به. وهكذا رواه أبو يعلى والبزّار والبَغَوي، وغيرهم، من حديث سُهَيل القُطَعي، به.

[آخر تفسير سورة المدثر، وللَّه الحمد والمنة][١]

☆ ☆ ☆

(٢٧) أخرجه أحمد (١٤٢/٣) (١٢٤٦٤). والترمذي في كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة المدثر، حديث (٣٣٢٥) (٦٥/٩ - ٦٦). وابن ماجة في كتاب: الزهد، باب: ما يرجى من رحمة اللَّه يوم القيامة، حديث (٤٢٩٩) (١٤٣٧/٢). والنسائي في الكبرى في كتاب: التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿هو أهل التقوى وأهل المغفرة﴾، حديث (١١٦٣٠) (٥٠١/٦). وأبو يعلى (٦٦/٦) (٣٣١٧). وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. سهيل ليس بالقوى في الحديث، وقد تفرد سهيل بهذا الحديث عن ثابت. اهـ.

[١] - سقط من ز.

تفسير سورة القيامة

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾

قد تقدم غير مرة أن المقسم عليه متى كان منتفيًا، جاز الإتيان بـ «لا» قبل القسم لتأكيد النفي. والمقسوم عليه هاهنا هو إثبات المعاد، والردّ على ما يزعمه الجهلة من العباد من عدم بَعث الأجساد، ولهذا قال تعالى: ﴿**لا أقسم بيوم القيامة * ولا أقسم بالنفس اللوامة**﴾ قال الحسن: أقسم بيوم القيامة، ولم يقسم بالنفس اللوامة. وقال قتادة: بل أقسم بهما جميعًا. هكذا حكاه ابن أبي حاتم. وقد حكى ابن جرير، عن الحسن والأعرج أنهما قرأا: ﴿**لأقسم**﴾ [١] وهذا يوجه قول الحسن؛ لأنه أثبت القسم بيوم القيامة، ونفى القسم بالنفس اللوامة. والصحيح أنه أقسم بهما جميعًا، كما قاله قتادة، رحمه الله، وهو المروي عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، واختاره ابن جرير. فأما يوم القيامة فمعروف، وأما النفس اللوامة؛ فقال قرة بن خالد، عن الحسن البصري في هذه الآية: إن المؤمن- والله- ما نراه إلا يلوم نفسه: ما أردت بكلمتي؟ ما أردت بأكلتي؟ ما أردت بحديث نفسي؟ وإن الفاجر يمضي قُدُمًا قُدُمًا ما يعاتب نفسه.

وقال جويبر: بلغنا عن الحسن أنه قال في قوله: ﴿**ولا أقسم بالنفس اللوامة**﴾، قال: ليس أحد من أهل السماوات والأرض إلا يلوم نفسه يوم القيامة.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن صالح بن مسلم، عن إسرائيل، عن سماك؛ أنه سأل عكرمة عن قوله: ﴿**ولا أقسم بالنفس اللوامة**﴾، قال: يلوم على الخير

---

[١] - في حاشية ز، وحاشية خ: «لعله: (ولأُقسِمَ بالنفس) على أحد الوجهين عن ابن كثير.

والشر: لو فعلت كذا وكذا.

ورواه ابن جرير(١)، عن أبي كُرَيب، عن وكيع عن إسرائيل به.

وقال ابن جرير(٢): حدثنا محمد بن بشار، حدثنا مؤمل، حدثنا سفيان، عن ابن جُرَيج، عن الحسن بن مسلم، عن سعيد بن جبير في: ﴿ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾، قال: تلوم على الخير والشر.

ثم رواه من وجه آخر(٣) عن سعيد أنه سأل ابن عباس عن ذلك؛ فقال: هي النفس اللئوم.

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد: تندم على ما فات وتلوم عليه. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿اللوامة﴾: المذمومة[١]. وقال قتادة: ﴿اللوامة﴾: الفاجرة.

قال ابن جرير: وكل هذه الأقوال متقاربة بالمعنى، والأشبة بظاهر التنزيل أنها التي تلوم صاحبها على الخير والشر، وتندم على ما فات.

وقوله: ﴿أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه﴾، أي: يوم القيامة، أيظن أنا لا نقدر على إعادة عظامه وجمعها من أماكنها المتفرقة؟ ﴿بلى قادرين على أن نسوي بنانه﴾ - قال سعيد ابن جُبَير والعَوفي، عن ابن عباس: أن نجعله خفًّا أوحافرًا[٢].

وكذا قال مجاهد، وعكرمة، والحسن، وقتادة، والضحاك،وابن جرير. ووجَّهه ابنُ جرير بأنه تعالى لو شاء لجعل ذلك في الدنيا.

والظاهر من الآية أن قوله ﴿قادرين﴾ حال من قوله: ﴿نجمع﴾، أي: أيظن الإنسان أنا لا نجمع عظامه؟ بلى سنجمعها قادرين على أن نُسَوِّي بنانه، أي: قدرتنا صالحة لجمعها، ولو شئنا لبعثناه أزيد مما كان، فنجعل بنانه - وهي أطراف أصابعه - مستوية. وهذا معنى قول ابن قتيبة، والزجاج.

وقوله: ﴿بل يريد الإنسان ليفجر أمامه﴾ - قال سعيد، عن ابن عباس: يعنى يمضي قُدُمًا.

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿ليفجر أمامه﴾ يعنى الأمل[٣]، يقول الإنسان. أعمل ثم أتوب قبل يوم القيامة، ويقال: هو الكفر بالحق بين يدي القيامة.

---

(٢) تفسير الطبري (١٧٤/٢٩).

(٣) تفسير الطبري في الموضع السابق.

---

[١] - في ز: مذمومة.

[٢] - في ز: حايفًا.

[٣] - في ز: الإبل.

وقال مجاهد: ﴿ليفجر أمامه﴾: يمضي أمامه راكبًا رأسه. وقال الحسن: لا يلقى[١] ابنُ آدم إلا تنزع نفسه إلى معصية اللّه قُدُمًا قُدُمًا، إلا من عصمه اللّه.

وروي عن عكرمة، وسعيد بن جبير، والضحاك، والسدي، وغير واحد من السلف: هو الذي يُعجِّل الذنوبَ ويُسوِّف التوبة. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: هو الكافر يكذِّب بيوم الحساب.

وكذا قال ابن زيد، وهذا هو الأظهر من المراد، ولهذا قال بعده: ﴿يسأل أيان يوم القيامة﴾، أي: يقول متى يكون يوم القيامة؟ وإنما سؤاله سؤال استبعاد لوقوعه وتكذيب لوجوده، كما قال تعالى: ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون﴾.

وقال تعالى هاهنا: ﴿فإذا برق البصر﴾ - قال أبو عمرو بن العلاء: (بَرِق) - بكسر الراء - أي: حار. وهذا الذي قاله شبيه بقوله تعالى: ﴿لا يرتد إليهم طرفهم﴾، بل ينظرون من الفزع هكذا وهكذا، لا يستقر لهم بصر على شيء، من شدة الرعب.

وقرأ آخرون: (بَرَق) بالفتح، وهو قريب في المعنى من الأول. والمقصود أن الأبصار تنبهر يوم القيامة، وتخشعُ وتحار وتذل من شدّة الأهوال، ومن عِظم ما يشاهده يوم القيامة من الأمور.

وقوله: ﴿وخَسَف القمر﴾، أي: ذهب ضوؤه، ﴿وجمع الشمس والقمر﴾. قال مجاهد: كُورا. وقرأ ابن زيد عند تفسير هذه الآية: ﴿إذا الشمس كورت * وإذا النجوم انكدرت﴾. وروي عن ابن مسعود أنه قرأ: (وجُمع بين الشمس والقمر).

وقوله: ﴿يقول الإنسان يومئذ أين المفر﴾، أي: إذا عاين ابنُ آدمَ هذه الأهوال يوم القيامة حينئذ [يريد أن][٢] يفر ويقول: أين المفر؟ أي: هل من ملجأ أو موئل؟ قال اللّه تعالى: ﴿كلا لا وزر * إلى ربك يومئذ المستقر﴾.

قال ابن مسعود، وابن عباس، وسعيد بن جبير، وغير واحد من السلف: أي لا نجاة.

وهذه كقوله: ﴿ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير﴾، أي: ليس لكم مكان تتنكرون[٣] فيه، [وكذا قال هاهنا: ﴿لا وَزَر﴾، أي: ليس لكم مكان تعتصمون فيه][٤]

---

[١] - في ز: لا يكف. وفي خ: لا يكفي.
[٢] - سقط من ز، خ.
[٣] - في ز، خ: تعتصمون،
[٤] - سقط من ز، خ.

ولهذا قال: ﴿إلى ربك يومئذ المستقر﴾، أي: المرجع والمصير.

ثم قال تعالى: ﴿ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر﴾، أي: يخبر بجميع أعماله قديمها وحديثها، أولها وآخرها، [صغيرها وكبيرها، كما قال تعالى: ﴿ووجدوا ما عملوا حاضرًا ولا يظلم ربك أحدًا﴾][١].

وهكذا قال هاهنا: ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة. ولو ألقى معاذيره﴾، أي: هو شهيد على نفسه، عالم بما فعله ولو اعتذر وأنكر، كما قال تعالى: ﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾. قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة﴾، يقول: سمعهُ وبصرهُ [ويداه ورجلاه][٢] وجوارحُه. وقال قتادة: شاهد على نفسه. وفي رواية قال: إذا شئت والله رأيته بصيرًا بعيوب الناس وذنوبهم، غافلًا عن ذنوبه[٣]، وكان يقال: إن في الإنجيل مكتوبًا: يا بن آدم، تُبصر القَذَاة في عين أخيك، وتترك الجِذْل[٤] في عينك لا تبصره.

وقال مجاهد: ﴿ولو ألقى معاذيره﴾: ولو جادل عنها فهو بصير عليها. وقال قتادة: ﴿ولو ألقى معاذيره﴾: ولو اعتذر يومئذ بباطل لا يقبل منه. وقال السدي: ﴿ولو ألقى معاذيره﴾: حجته. وكذا قال ابن[٥] زيد، والحسن البصري، وغيرهم. واختاره ابن جرير.

وقال قتادة، عن زرارة، عن ابن عباس: ﴿ولو ألقى معاذيره﴾، يقول: لو ألقى ثيابه[٦].

وقال الضحاك: ولو أرخى ستوره، وأهل اليمن يسمون الستر: المعذار[٧].

والصحيح قول مجاهد وأصحابه، كقوله: ﴿ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾، وكقوله: ﴿يوم يبعثهم الله جميعًا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون﴾.

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿ولو ألقى معاذيره﴾، هي: الاعتذار، ألم تسمع أنه قال: ﴿لا ينفع الظالمين معذرتهم﴾، وقال: ﴿وألقوا إلى الله يومئذ السلم﴾، ﴿[فألقوا السلم][٨] ما كنا نعمل من سوء﴾ وقولهم: ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾.

---

[١] - سقط من ز، خ.
[٢] - في ز، خ: ويديه ورجليه.
[٣] - في ز: ذنبه.
[٤] - في ز: الجدح. وفي خ: الجذع.
[٥] - في ز: أبو.
[٦] - في ز: بهتانه.
[٧] - في ز: العذار.
[٨] - سقط من خ.

لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾

هذا تعليم من اللَّه -عز وجل- لرسوله صلى اللَّه عليه وسلم في كيفية تلقيه الوحي من الملك، فإنه كان يبادر إلى أخذه ويسابق[١] المَلَكَ في قراءته، فأمره اللَّه -عز وجل- إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له، وتكفل له أن يجمعه في صدره، وأن ييسره لأدائه على الوجه الذى ألقاه إليه، وأن يبينه له ويفسره ويوضحه.

فالحالة الأولى: جمعه في صدره، والثانية: تلاوته، والثالثة: تفسيره وإيضاح معناه.

ولهذا قال: **﴿لا تحرك به لسانك لتعجلَ به﴾**، أي: بالقرآن، كما قال: **﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علمًا﴾**.

ثم قال: **﴿إن علينا جمعه﴾**، أي: في صدرك، **﴿وقرآنه﴾**، أي: أن[٢] تقرأه، **﴿فإذا قرأناه﴾**، أي: إذا تلاه عليك الملك عن اللَّه عز وجل **﴿فاتبع قرآنه﴾**، أي: فاستمع له ثم اقرأه كما أقرأك، **﴿ثم إن علينا بيانه﴾**، أي: بعد حفظه وتلاوته نبينه لك ونوضحه، ونلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا.

وقال الإمام أحمد(٤): حدثنا عبد الرحمن، عن أبي عوانة، عن موسى بن أبي عائشة، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس؛ قال: كان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة، فكان[٣] يحرك شفتيه، قال: فقال لي ابن عباس: أنا أحرك شفتي كما كان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم يحرك شفتيه.

وقال لي سعيد: وأنا أحرك شفتي كما رأيت ابن عباس يحرك شفتيه، فأنزل اللَّه عز وجل: **﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه﴾**، قال: جمعه في صدرك، ثم تقرؤه، **﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾**: فاستمع[٤] له وأنصت، **﴿ثم إن علينا بيانه﴾**. فكان بعد ذلك

(٤) المسند (٣٤٣/١) (٣١٩١).

[١] - في ز: ويسارق. وفي خ: ويساوق.
[٢] - سقط من ز.
[٣] - في ز: وكان.
[٤] - في ز: فاسمع.

إذا انطلق جبريل قرأه كما أقرأه .

وقد رواه البخاري ومسلم(٥) ، من غير وجه، عن موسى بن أبي عائشة به .

ولفظ البخاري : فكان إذا أتاه جبريل أطرق ، فإذا ذهب قرأه كما وعده[١] الله عز وجل .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو يحيى التيمي ، حدثنا موسى بن أبي عائشة ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس؛ قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي يلقى منه شدة ، وكان إذا نزل عليه عُرف في تحريكه شفتيه ، يتلقى أوله ويحرك شفتيه خشية أن ينسى أوله قبل أن يفرغ من آخره ، فأنزل الله : ﴿**لا تحرك به لسانك لتعجل به**﴾ .

وهكذا قال الشعبي ، والحسن البصري ، وقتادة ، ومجاهد ، والضحاك ، وغير واحد : إن هذه الآية نزلت في ذلك .

وقد روى ابن جرير (٦) من طريق العوَفي ، عن ابن عباس : ﴿**لا تحرك به لسانك لتعجل به**﴾ ، قال : كان لا يفتر من القراءة مخافة أن ينساه ، فقال الله : ﴿**لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا**﴾ [أن نجمعه لك][٢] ﴿**وقرآنه**﴾ ، أن نقرئك فلا تنسى .

وقال ابن عباس وعطية العوفي : ﴿**ثم إن علينا بيانه**﴾: تبين [٣] حلاله وحرامه . وكذا قال قتادة .

وقوله : ﴿**كلا بل تحبون[٤] العاجلة * وتذرون[٥] الآخرة**﴾ ، أي : إنما يحملهم على التكذيب بيوم القيامة ومخالفة ما أنزل الله -عز وجل- على رسوله صلى الله عليه وسلم من الوحي الحق والقرآن العظيم- أنهم إنما همتهم إلى الدار الدنيا العاجلة ، وهم لاهون متشاغلون عن الآخرة .

ثم قال تعالى : ﴿**وجوه يومئذ ناضرة**﴾ ، من النضارة ، أي : حسنة بَهِيَّة مشرقة مسرورة ،

---

(٥) - صحيح البخاري ، كتاب : بدء الوحى ، باب : (٤) ، حديث (٥) (٢٩/١) . وأطرافه في [٤٩٢٧ ، ٤٩٢٨ ، ٤٩٢٩ ، ٥٠٤٤ ، ٧٥٢٤] . ومسلم في كتاب : الصلاة، باب : الاستماع للقراءة، حديث (١٤٧ ، ١٤٨/٤٤٨).

(٦) تفسير الطبري (١٨٨/٢٩) .

---

[١] - في ز : وعد .

[٢] - في ز ، خ : جمعه .

[٣] - سقط من ز .

[٤] - في ز : يحبون .

[٥] - في ز : ويذرون .

﴿إلى ربها ناظرة﴾، أي: تراه عيانًا، كما رواه البخاري(٧) رحمه الله في صحيحه: «**إنكم سترون ربكم عيانًا**».

وقد ثبت رؤية المؤمنين لله -عز وجل- في الدار الآخرة في[١] الأحاديث الصحاح، من طرق متواترة عند أئمة الحديث، لا يمكن دفعها ولا منعها؛ لحديث أبي سعيد وأبي هريرة - وهما في الصحيحين(٨) -: أن ناسًا قالوا: يا رسول الله؛ هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: «**هل تضارون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحاب؟**» قالوا: لا. قال: «**فإنكم تَرَون ربكم كذلك**». وفي الصحيحين(٩) عن جرير قال: نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القمر ليلة البدر؛ فقال: «**إنكم تَرَون ربكم كما تَرَون هذا القمر، فإن استطعتم أن لا تُغلَبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها فافعلوا**».

وفي الصحيحين(١٠) عن أبي موسى؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى الله إلّا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن**».

وفي أفراد مسلم(١١)، عن صهيب، عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال: «**إذا دخل أهلُ الجنة الجنة؛ قال: يقول الله تعالى: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تُبَيّض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئًا أحبّ إليهم من النظر إلى ربهم، وهي الزيادة**». ثم تلا هذه الآية: **﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾**.

(٧) صحيح البخاري كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾، حديث (٧٤٣٥) (١٣/٤١٩).

(٨) أخرجه البخاري في كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾، حديث (٧٤٣٧، ٧٤٣٨) (١٣/٤١٩ - ٤٢٠). ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية، حديث (٢٩٩/١٨٢) (٣/٢٢ - ٣١).

(٩) أخرجه البخاري في كتاب: مواقيت الصلاة، باب: فضل صلاة العصر، حديث (٥٥٤) (٢/٣٣). وأطرافه في [٥٧٣، ٤٨٥١، ٧٣٤٣، ٧٤٣٥، ٧٤٣٦]. ومسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، حديث (٢١١، ٢١٢/٦٣٣) (٥/١٨٧ - ١٨٨).

(١٠) أخرجه البخاري في كتاب: التوحيد في الموضع السابق، حديث (٧٤٤٤) (١٣/٤٢٣). وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم - سبحانه وتعالى - حديث (٢٩٦/١٨٠).

(١١) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم - سبحانه وتعالى - حديث (٢٩٧، ٢٩٨/١٨١) (٣/٢١ - ٢٢).

[١] - سقط من ز.

وفي أفراد مسلم(١٢)، عن جابر في حديثه: **«إن الله يَتجلّى للمؤمنين يضحك»** يعني في عرصات القيامة ففي هذه الأحاديث أن المؤمنين ينظرون إلى ربهم -عز وجل- في العرصات، وفي روضات الجنات.

وقال الإمام أحمد(١٣): حدثنا أبو معاوية، حدثنا عبد الملك بن أبجر، حدثنا [ثُوير][١] بن أبي [فاختة][٢]، عن ابن عمر؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إن أدنى أهل الجنة منزلة لينظر في ملكه ألفي سنة، يرى أقصاه كما يرى أدناه، ينظر إلى أزواجه وخدمه، وإن أفضلهم منزلة لينظر في وجه الله كل يوم مرتين»**.

ورواه الترمذي عن عبد بن حميد، عن شبابة، عن إسرائيل، عن ثوير قال: **«سمعت ابن عمر ...»**. فذكره، قال: **«رواه عبد الملك بن أبجر، عن ثُوَير، عن مجاهد، عن ابن عمر، قوله»**. وكذلك رواه الثوري، عن ثُوَير، عن مجاهد، عن ابن عمر، ولم يرفعه. ولولا خشية الإطالة لأوردنا الأحاديث بطرقها وألفاظها من الصحاح والحسان والمسانيد والسنن، ولكن ذكرنا ذلك مفرقًا في مواضعَ من[٣] هذا التفسير، وبالله التوفيق.

وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة، كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام، وهدُاة الأنام.

ومن تأول[٤] ذلك بأن المراد: (إلى[٥]) مفرد الآلاء، وهي النعم، كما قال الثوري، عن منصور، عن مجاهد: ﴿**إلى ربها ناظرة**﴾، فقال: تنتظر الثواب من ربها.

رواه ابن جرير (١٤) من غير وجه عن مجاهد.

وكذا قال أبو صالح أيضًا فقد[٦] أبعد هذا القائل النجعة، وأبطل فيما ذهب إليه. وأين هو من قوله تعالى: ﴿**كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون**﴾؟ قال الشافعي؛ رحمه الله: ما حَجَب الفجار إلا وقد عَلِم أن الأبرار يرونه، عز وجل. ثم قد تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما دل عليه سياق الآية الكريمة، وهي قوله: ﴿**إلى ربها ناظرة**﴾. قال

---

(١٢) صحيح مسلم في كتاب: الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث (٣١٤/١٩٠) (٣/٥٧ - ٥٨).

(١٣) المسند (٢/١٣) (٤٦٢٣). والترمذي في تفسير القرآن، باب: ومن سورة القيامة، حديث (٣٣٢٧) (٩/٦٧) وضعفه أحمد شاكر في تعليقه على المسند.

(١٤) تفسير الطبري (٢٩/١٩٢).

---

[١] - في ز، خ: يزيد.
[٢] - في خ: باحتة. وفي ز لا نقط.
[٣] - في ز: في.
[٤] - في ز: تأمل.
[٥] - في ز: يإلى.
[٦] - في ز: وقد.

ابن جرير(١٥) : حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا آدم، حدثنا المبارك، عن الحسن: « ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾، قال: حسنة، ﴿إلى ربها ناظرة﴾، قال: تنظر إلى الخالق، وحُق[١] لها أن تَنضُر وهي تنظر إلى الخالق.

وقوله: ﴿ووجوه يومئذ باسرة. تظن أن يفعل بها فاقرة﴾: هذه وجوه الفجار تكون يوم القيامة باسرة* قال قتادة: كالحة. وقال السدى: تغير ألوانها. وقال ابن زيد ﴿باسرة﴾، أي: عابسة.

﴿تظن﴾، أي: تستيقن ﴿أن يفعل بها فاقرة﴾، قال مجاهد: داهية[٢]. وقال قتادة: شر. وقال السدي: تستيقن أنها هالكة. وقال ابن زيد: تظن أن ستدخل النار. وهذا المقام كقوله: ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾. وكقوله: ﴿وجوه يومئذ مسفرة* ضاحكة مستبشرة* ووجوه يومئذ عليها غبرة* ترهقها قترة* أولئك هم الكفرة الفجرة﴾. وكقوله: ﴿وجوه يومئذ خاشعة * عاملة ناصبة * تصلى نارًا حامية﴾ إلى قوله: ﴿وجوه[٣] يومئذ ناعمة* لسعيها راضية* في جنة عالية﴾، في أشباه ذلك من الآيات والسياقات.

كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ (٢٨) وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ (٢٩) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ (٣٠) فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ (٣١) وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ (٣٣) أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٤) ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ (٣٥) أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ (٣٩) أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ (٤٠)

يخبر تعالى عن حالة الاحتضار وما عنده من الأهوال - ثبتنا الله هناك بالقول الثابت - فقال تعالى: ﴿كلا إذا بلغت التراقي﴾، إن جعلنا ﴿كلا﴾ رادعة فمعناها: لست يا بن آدم تكذب هناك بما أخبرت به، بل صار ذلك عندك عيانًا. وإن جعلناها بمعنى (حقًا) فظاهر، أي: حقًا إذا بلغت التراقي، أي: انتزعت روحك من جسدك وبلغت تراقيك. والتراقي: جمع

(١٥) تفسير الطبري (١٩٢/٢٩).

[١] - في ز، خ: وعن.
[٢] - في خ: ذاهبة.
[٣] - في ز: ووجوه.

ترقوة، وهي العظام التي بين ثغرة النحر والعاتق، كقوله: ﴿**فلولا[١] إذا بلغت الحلقوم * وأنتم حينئذ تنظرون * ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون * فلولا إن كنتم غير مدينين * ترجعونها إن كنتم صادقين**﴾.

وهكذا قال هاهنا: ﴿**كلا إذا بلغت التراقي**﴾، ونذكر هاهنا حديث بُسْر بن جِحَاش[٢](١٦) الذي تقدم في سورة «يس». والتراقي: جمع ترقوة، وهي قريبة من الحلقوم.

﴿**وقيل من راق؟**﴾ قال: عكرمة، عن ابن عباس: أى مَن راق يرقي؟ وكذا قال أبو قلابة ﴿**وقيل من راق**﴾، أي: من طبيب شاف. وكذا قال قتادة، والضحاك، وابن زيد.

وقال ابن أبي حاتم(١٧): حدثنا أبي، حدثنا نصر بن علي، حدثنا روح بن المسيب أبو رجاء الكلبي، حدثنا عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس: ﴿**وقيل: من راق**﴾، قال: قيل: من يرقى بروحه ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟ فعلى هذا يكون من كلام الملائكة.

وبهذا الإسناد(١٨)، عن ابن عباس في قوله: ﴿**والتفت الساق بالساق**﴾، [قال: التفت عليه الدنيا والآخرة.

وكذا قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿**والتفت الساق بالساق**﴾،][٣] يقول: آخر يوم من أيام الدنيا، وأول يوم من أيام الآخرة، فتلتقى الشدة بالشدة إلا من رحم الله.

وقال عكرمة: ﴿**والتفت الساق بالساق**﴾. الأمر العظيم بالأمر العظيم. وقال مجاهد: بلاء ببلاء. وقال الحسن البصري في قوله: ﴿**والتفت الساق بالساق**﴾: هما ساقاك إذا التفتا. وفي رواية عنه: ماتت[٤] رجلاه فلم تحملاه، وقد كان عليهما جوالًا. وكذا قال السدي، عن أبي مالك. وفي رواية عن الحسن: هو لفهما في الكفن. وقال الضحاك: ﴿**والتفت الساق بالساق**﴾، اجتمع عليه أمران: الناس يجهزون جسده، والملائكة يجهزون روحه.

وقوله: ﴿**إلى ربك يومئذ المساق**﴾، أي: المرجع والمآب، وذلك أن الروح ترفع إلى السماوات، فيقول الله -عز وجل-: ردّوا عبدي إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى. كما ورد في حديث البراء الطويل.

---

(١٦) تقدم في سورة يس، آية: (٧٧)، وفي سورة النحل، آية: (٤) أن النبي ﷺ بصق يومًا في كفه فوضع عليه أصبعه، ثم قال ﷺ - «قال الله تعالى: بنى آدم تعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه ... الحديث.

(١٧) أخرجه الطبري (١٩٥/٢٩) من طريق عمرو بن مالك به نحوه.

(١٨) أخرجه الطبري من طريق عمرو بن مالك (١٩٥/٢٩).

---

[١] - في ز: كلا.
[٢] - في ز، خ: حجاج.
[٣] - سقط من ز.
[٤] - في ز: ما ثبت.

وقد قال اللَّه تعالى: ﴿**وهو القاهر فوق عباده* ويرسل عليكم حفظة* حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون* ثم ردوا إلى اللَّه مولاهم الحق* ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين**﴾.

وقوله: ﴿**فلا صدق ولا صلى* ولكن كذب وتولى**﴾: هذا إخبار عن الكافر الذي كان في الدار الدنيا مكذبًا للحق بقلبه، متوليا عن العمل بقالبه، فلا خير فيه باطنًا ولاظاهرًا؛ ولهذا قال: ﴿**فلا صدق ولا صلى، ولكن كذب وتولى؛ ثم ذهب إلى أهله يتمطى**﴾، أي: جَذلًا أشرًا بَطرًا كسلانًا، لا همة له ولا عمل، كما قال: ﴿**وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين**[١]﴾.

وقال: ﴿**إنه كان في أهله مسرورًا* إنه ظن أن لن يحور**﴾، أي: يرجع، ﴿**بلى إن ربه كان به بصيرًا**﴾. وقال الضحاك، عن ابن عباس: ﴿**ثم ذهب إلى أهله يتمطى**﴾: يختال. وقال قتادة، وزيد ابن أسلم: يتبختر.

قال اللَّه تعالى: ﴿**أولى لك فأولى* ثم أولى لك فأولى**﴾. وهذا تهديد ووعيد أكيد منه تعالى للكافر به المتبختر في مشيته، أي: يحق لك أن تمشي هكذا وقد كفرت بخالقك وبارئك، كما يقال في مثل هذا على سبيل التهكم والتهديد.

كقوله: ﴿**ذق إنك أنت العزيز الكريم**﴾. وكقوله: ﴿**كلوا وتمتعوا قليلًا إنكم مجرمون**﴾. وكقوله: ﴿**فاعبدوا ما شئتم من دونه**﴾. وكقوله: ﴿**واعملوا**[٢] **ما شئتم**﴾. إلى غير ذلك.

وقد قال ابن أبي حاتم(١٩): حدثنا أحمد بن سنان الواسطي، حدثنا عبد الرحمن - يعني: ابن مهدي، عن إسرائيل، عن موسى بن أبي عائشة؛ قال: سألت سعيد بن جبير، قلت: ﴿**أولى لك فأولى* ثم أولى لك فأولى**﴾؟ قال: قال النبي صلى اللَّه عليه وسلم لأبي جهل، ثم نزل به القرآن.

وقال أبو عبد الرحمن النسائي(٢٠): حدثنا [يعقوب بن إبراهيم][٣]، حدثنا أبو النعمان، حدثنا أبو عوانة (ح) وحدثنا أبو داود: حدثنا محمد بن سليمان، حدثنا أبو عوانة، عن

---

(١٩) أخرجه الطبري (٢٩/٢٠٠) من طريق موسى بن أبي عائشة بنحوه.

(٢٠) أخرجه النسائي في الكبرى في كتاب: التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾، حديث (١١٦٣٨) (٦/٥٠٤).

---

[١] - في ز: فاكهين.

[٢] - في ز: اعملوا.

[٣] - عند النسائي: إبراهيم بن يعقوب.

موسى ابن أبي عائشة، عن سعيد بن جبير؛ قال: قلت لابن عباس: ﴿**أولىٰ لك فأولى * ثم أولى لك فأولى**﴾؟ قال: قاله رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ثم أنزله اللّه عز وجل.

قال ابن أبي حاتم(٢١): وحدثنا أبي، حدثنا، هشام بن خالد، حدثنا شعيب بن إسحاق، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿**أولى لك فأولى * ثم أولى لك فأولى**﴾، وعيد على إثر وعيد، كما تسمعون[ ][١]، وزعموا أن عدو اللّه أبا جهل أخذ نبيّ اللّه بمجامع ثيابه، ثم قال: ﴿**أولى لك فأولى. ثم أولى لك فأولى**﴾. فقال عدو اللّه أبو [٢]جهل: أتوعدني يا[٣] محمد؟ واللّه لا تستطيع أنت ولا ربك شيئًا، وإني لأعز من مشى بين جبليها.

وقوله: ﴿**أيحسب الإنسان أن يترك سدى**﴾، قال السدي: يعنى لا يبعث.

وقال مجاهد، والشافعي، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يعني لا يؤمر ولا ينهى.

والظاهر أن الآية تعم الحالين، [أي: ليس يترك في هذه الدنيا مهملًا لا يؤمر ولا ينهى][٤]، ولا يترك في قبره سدى لا يبعث، بل هو مأمور منهي في الدنيا، محشور إلى اللّه في دار الآخرة.

والمقصود هنا إثبات المعاد، والرد على من أنكره من أهل الزيغ والجهل والعناد؛ ولهذا قال مستدلًا على الإعادة بالبداءة فقال: ﴿**ألم يك نطفة من مني يمنى**﴾؟ أي: أما كان الإنسان نطفة ضعيفة من ماء مهين، يمنى يراق من الأصلاب في الأرحام. ﴿**ثم كان علقة فخلق فسوى**﴾، أي: فصار علقة، ثم مضغة،ثم شُكّل ونفخ فيه الروح، فصار خلقًا آخر سَويًّا سليم الأعضاء، ذكرًا أو أنثى بإذن اللّه وتقديره؛ ولهذا قال: ﴿**فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى**﴾.

ثم قال: ﴿**أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى؟**﴾، أي: أما هذا الذي أنشا هذا الخلق السوي من هذه النطفة الضعيفة بقادر على أن يعيده كما بدأه؟ وتناولُ القدرة للإعادة إما بطريق الأولى بالنسبة إلى البداءة، وإما مساوية على القولين في قوله: ﴿**وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده، وهو أهون عليه**﴾. والأول أشهر كما تقدم في «**سورة الروم**» بيانه وتقريره، واللّه اعلم.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن محمد بن[٥] الصباح، حدثنا شبابة، عن شعبة، عن

(٢١) ذكره السيوطي بنحوه في الدر المنثور (٤٧٨/٦) وعزاه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة به.

[١] - في خ: وتزعمون.
[٢] - في ز: أبا.
[٣] - سقط من ز.
[٤] - سقط من خ.
[٥] - بياض في ز، خ.

موسى بن أبي عائشة، عن آخر: أنه كان فوق سطح يقرأ ويرفع صوته بالقرآن، فإذا قرأ: ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى؟﴾ قال؛ سبحانك اللّهم؛ فبلى[١]. فسئل عن ذلك فقال: سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقول ذلك.

وقال أبو داود رحمه اللّه(٢٢): حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن موسى بن أبي عائشة، قال: كان رجل يصلي فوق بيته، فكان إذا قرأ: ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى؟﴾. قال: سبحانك، فبلى. فسألوه عن ذلك فقال: سمعته من رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم.

تفرد به أبو داود، ولم يسم هذا الصحابي، ولا يضر ذلك.

وقال أبو داود (٢٣) أيضًا: حدثنا عبد اللّه بن محمد الزهري، حدثنا سفيان، حدثني إسماعيل ابن أمية: سمعت أعرابيًا يقول: سمعت أبا هُرَيرة يقول: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: «من قرأ منكم بالتين والزيتون فانتهى إلى آخرها: ﴿أليس اللّه بأحكم الحاكمين؟﴾ فليقل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين. ومن قرأ: ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾ فانتهى إلى: ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى؟﴾ فليقل: بلى. ومن قرأ: ﴿والمرسلات﴾ فبلغ: ﴿فبأي حديث بعده يؤمنون؟﴾ فليقل: آمنا باللّه».

ورواه أحمد، عن سفيان بن عيينة.

ورواه الترمذي عن ابن أبي[٢] عمر، عن سفيان بن عيينة.

وقد رواه شعبة، عن إسماعيل بن أمية؛ قال: قلت له: من حدثك؟ قال رجل صدق، عن أبي هريرة.

وقال ابن جرير(٢٤): حدثنا بشر، حدثنا يزيد، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾؟: ذُكِرَ لنا أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم كان إذا قرأها قال: «سبحانك، وبلى[٣]».

---

(٢٢) سنن أبي داود في كتاب: الصلاة، باب: الدعاء في الصلاة، حديث (٨٨٤) (١/٢٣٣ - ٢٣٤). وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٧٨٦).

(٢٣) سنن أبي داود في كتاب: الصلاة، باب: مقدار الركوع والسجود، حديث (٨٨٧) (١/٢٣٤). والمسند (٢/٢٤٩) (٧٣٨٥). وسنن الترمذي في كتاب: التفسير، باب: ومن سورة التين، حديث (٣٣٤٤) (٩/٧٧ - ٧٨). وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (١٨٨).

(٢٤) تفسير الطبري (٢٩/٢٠١).

---

[١] - في ز، خ: فبكى.
[٢] - سقط من ز، خ.
[٣] - سقط من خ.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان الواسطي، حدثنا أبو أحمد الزبيري[١]، حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس؛ أنه مرَّ بهذه الآية: ﴿**أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى؟**﴾، قال: سبحانك، فبلى[٢].

[آخر تفسير سورة القيامة، ولله الحمد والمنة]

☆ ☆ ☆

[١] - في ز: الزهري. [٢] - في خ: فبكى.

تفسير سورة الإنسان

وهي مكية

قد تقدم في صحيح مسلم[١] ، عن ابن عباس- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الصبح يومَ الجمعة ﴿الم. تنزيل﴾ السجدة، و ﴿هل أتى على الإنسان﴾.

وقال عبد الله بن وهب ، أخبرنا ابن زيد، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه السورة: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر﴾، وقد أنزلت عليه وعنده رجل أسود، فلما بلغ صفة الجنان، زفر زفرة فخرجت نفسه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أخرج نفس صاحبكم- أو قال: أخيكم- الشوقُ إلى الجنة**». مرسل غريب.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾

يقول تعالى مخبرًا عن الإنسان أنه أوجده بعد أن لم يكن شيئًا يذكر، لحقارته، وضعفه، فقال: ﴿**هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا**﴾.

ثم بين ذلك فقال: ﴿**إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج**﴾، أي: أخلاط. والمشج والمشيج :الشيء الخَليط، بعضه في بعض.

قال ابن عباس في قوله: ﴿**من نطفة أمشاج**﴾، يعنى: ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتمعا واختلطا، ثم ينتقل بعدُ من طور إلى طور، وحال إلى حال، ولون إلى لون. وهكذا قال عكرمة، ومجاهد، والحسن، والربيع بن أنس: الأمشاج هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة.

وقوله: ﴿**نبتليه**﴾، أي: نختبره، كقوله: ﴿**ليبلوكم أيكم أحسن عملاً**﴾. ﴿**فجعلناه سميعًا بصيرًا**﴾، أي: جعلنا له سمعًا وبصرًا يتمكن بهما من الطاعة والمعصية.

وقوله: ﴿**إنا هديناه السبيل**﴾، أي: بيناه له ووضحناه وبصرناه به، كقوله: ﴿**وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى**﴾. وكقوله: ﴿**وهديناه النجدين**﴾، أي: بينا له طريق الخير وطريق الشر. وهذا قول عكرمة، وعطية، وابن زيد، ومجاهد -في المشهور عنه-

(١) تقدم تخريجه في أول سورة السجدة.

والجمهور.

ورُوى عن مجاهد، وأبي صالح، والضحاك، والسدي أنهم قالوا في قوله: ﴿**إنا هديناه السبيل**﴾: يعني خروجه من الرحم. وهذا قول غريب، والصحيح المشهور الأول.

وقوله: ﴿**إما شاكرًا وإما كفورا**﴾ منصوب على الحال من «**الهاء**» في قوله: ﴿**إنا هديناه السبيل**﴾: تقديره فهو في ذلك إما شقى وإما سعيد، كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم(٢)، عن أبي مالك الأشعري؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**كل الناس يغدو، فبائع نفسه فموبقها أو معتقها**». وتقدم في «سورة الروم»، عند قوله: ﴿**فطرت الله التي فطر الناس عليها**﴾ من رواية جابر بن عبد الله؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**كل مولود يولد على الفطرة حتى يُعرب عنه لسانه [فإذا أعرب عنه لسانه]**[١]، **فإما شاكرًا وإما كفورًا**»(٣).

وقال الإمام أحمد(٤): حدثنا أبو عامر، حدثنا عبد الله بن جعفر، عن عثمان بن محمد، عن المقبري، عن أبي هُرَيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال: «**ما من خارج يخرج إلا ببابه رايتان: رايةٌ بيد مَلَك، وراية بيد شَيطان، فإن خرج لما يُحِبّ الله اتبعَه الملَك برايته، فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيته. وإن خرج لما يُسخِط الله اتبعه الشيطان برايته، فلم يزل تحت راية الشيطان، حتى يرجع إلى بيته**».

وقال الإمام أحمد(٥): حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن ابن خُثَيم، عن عبد الرحمن ابن سابط، عن جابر بن عبد الله؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن عُجْرة: «**أعاذك الله من إمارة السفهاء**». قال: وما إمارة السفهاء؟ قال: «**أمراء يكونون من بعدي، لا يهتدون بهداي، ولا يستنون بسنتي، فمن صَدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم، فأولئك ليسوا مني ولست منهم، ولا يَرِدُون على حوضي، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يُعنِهم على ظلمهم، فأولئك مني وأنا منهم، وسيردون على حوضي، يا كعب بن عُجرة: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة، والصلاة قُربان- أو قال: برهان. يا كعب بن عُجرةَ: إنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت، النار أولى به، يا كعب: الناس غَاديان، فمبتاعٌ**[٢] **نفسه فمعتقها، وبائع نفسه فموبقها**».

(٢) صحيح مسلم، كتاب: الطهارة، باب: فضل الوضوء، حديث (٢٢٣/١) (١٢٥/٣ - ١٢٦).
(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة الروم آية: ٣٠.
(٤) المسند (٨٢٦٩)، وصححه أحمد شاكر.
(٥) المسند (٣٢١/٣) (١٤٤٨٣).

[١] - سقط من ز. [٢] - في ز: فبائع.

ورواه عن عفّان(٦)، عن وُهَيب، عن عبد الله بن عثمان بن خثَيم به.

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾

يخبر تعالى عما أرصده للكافرين من خَلقه به من السلاسل والأغلال والسعير، وهو اللّهيب والحريق في نار جهنم، كما قال: ﴿**إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون * في الحميم ثم في النار يُسجرون**﴾.

ولما ذكر ما أعدّه لهؤلاء الأشقياء من السعير قال بعده: ﴿**إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا**﴾، وقد علم ما في الكافور من التبريد والرائحة الطيبة، مع ما يضاف إلى ذلك من اللذاذة في الجنة.

قال الحسن: برد الكافور في طيب الزنجبيل؛ ولهذا قال: ﴿**عينا يشرب بها عباد الله، يفجّرونها تفجيرًا**﴾، أي: هذا الذي مُزج لهؤلاء الأبرار من الكافور هو عين يشرب بها المقربون من عباد الله صِرفًا بلا مزج وَيُرْوون[١] بها؛ ولهذا[٢] ضمن يشرَب «**يروى**» حتى عداه بالباء، ونصب ﴿**عينًا**﴾ على التمييز.

قال بعضهم: هذا الشراب في طيبه كالكافور. وقال بعضهم: هو من عين كافور. وقال بعضهم: يجوز أن يكون منصوبًا بـ﴿**يشرب**﴾. حكى هذه الأقوال الثلاثة ابن جرير.

وقوله: ﴿**يفجرونها تفجيرًا**﴾، أي[٣]: يتصرفون فيها حيث شاءوا وأين شاءوا، من قصورهم ودورهم ومجالسهم ومحالهم. والتفجير هو الإنباع، كما قال تعالى: ﴿**وقالوا لن**

(٦) المسند (٣/٣٩٩) (١٥٣٢٤).

[١] - في ز: ويسون.
[٢] - في ز: هذا.
[٣] - سقط من ز.

نؤمن لك حتى تفجُر لنا من الأرض ينبوعًا﴾. وقال: **﴿وفجرنا خلالهما[١] نهرًا﴾**. قال مجاهد: **﴿يفجرونها تفجيرًا﴾** يقودونها حيث شاءوا. وكذا قال عكرمة، وقتادة: وقال الثوري: يصرفونها حيث شاءوا.

وقوله: **﴿يوفون بالنذر ويخافون يومًا كان شره مستطيرا﴾**، أي: يتعبدون للّٰه فيما أوجبه عليهم من الطاعات الواجبة بأصل الشرع، وما أوجبوه على أنفسهم بطريق النذر.

قال الإمام مالك(٧)، عن طلحة بن عبد الملك الأيلي، عن القاسم بن مالك، عن عائشة رضي اللّٰه عنها أن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم؛ قال: «**من نذر أن يطيع اللّٰه فليطعه، ومن نذر أن يعصى اللّٰه فلا يَعصِه**». رواه البخاري، من حديث مالك.

ويتركون المحرمات التي نهاهم عنها خيفة من سوء الحساب يوم المعاد، وهو اليوم الذي شره مستطير، أي: منتشر عام على الناس إلا من رَحِمَ اللّٰه.

قال ابن عباس: فاشيًا. وقال قتادة: استطار -واللّٰه- شرّ ذلك اليوم حتى مَلأَ السماوات والأرض. قال ابن جرير: ومنه قولهم: استطار الصَدع في الزجاجة واستطال. ومنه قول الأعشى:

فَبَانَتْ[٢] وَقَد أسْأرت في الفُؤا   د صَدْعًا على نَأيها مُستَطيرًا

يعني: ممتدًّا فاشيًا.

وقوله: **﴿ويطعمون الطعام على حبه﴾**، قيل: على حب اللّٰه تعالى. وجعلوا الضمير عائدًا إلى اللّٰه -عز وجل- لدلالة السياق[٣] عليه. والأظهر أن الضمير عائد على الطعام، أي: ويطعمون الطعام في حال محبتهم وشهوتهم له. قاله مجاهد، ومقاتل، واختاره ابن جرير، [كقوله تعالى: **﴿وآتى المال على حبه﴾**.

وكقوله تعالى: **﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾**.][٤]

وروى البيهقي(٨)، من طريق الأعمش، عن نافع؛ قال: مرض ابن عمر فاشتهى عنبًا أول ما

(٧) «الموطأ» كتاب: النذور والأيمان، باب: ما لا يجوز من النذور في معصية الله، حديث (٨) (١/ ٣٧٩). والبخاري في كتاب: الأيمان والنذر، باب: النذر في الطاعة، حديث (٦٦٩٦) (١١/٥٨١). وطرفه في [٦٧٠٠].

(٨) أخرجه البيهقي في السنن (٤/١٨٥) كتاب الزكاة، باب: ما ورد في قوله تعالى: ﴿ ويؤثرون =

[١] - في ز: خلالها.   [٢] - في ز: فباتت.

[٣] - في ز: الضمير.

[٤] - هذه العبارة مكانها في ز، خ بعد الفقرة القادمة.

جاء العنب فأرسلت صفية - يعني امرأته - فاشترت عنقودًا بدرهم، فاتبع الرسولَ السائل[١]، فلما دخل به قال[٢] السائل: السائل. فقال ابن عمر أعطوه إياه. فأعطوه إياه. ثم أرسلت بدرهم آخر فاشترت عنقودًا فاتبع الرسول السائلُ: فلما دخل قال السائل: السائل. فقال ابن عمر: أعطوه إياه. فأعطوه إياه. فأرسلت صفية إلى السائل فقالت: واللَّه إن عُدتَ لا تصيبُ منه خيرًا أبدًا. ثم أرسلت بدرهم آخر فاشترت به.

وفي الصحيح(٩) : «**أفضل الصدقة أن تَصَدّقَ وأنت صحيح، شحيح، تأمل الغنى وتخشى الفقر**»، أي: في حال محبتك للمال وحرصك عليه وحاجتك إليه ولهذا قال تعالى: «**ويطعمون الطعام على حبه مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا**» أما المسكين واليتيم فقد تقدم بيانهما وصفتهما. وأما الأسير فقال سعيد بن جبير، والحسن، والضحاك: الأسير: من أهل القبلة.

وقال ابن عباس(١٠) : كان أسراؤهم يومئذ مشركين. ويشهد لهذا أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى، فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء.

وهكذا قال سعيد بن جبير، وعطاء، والحسن، وقتادة.

وقد وصى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم بالإحسان إلى الأرقاء في غير ما حديث، حتى إنه كان آخر ما أوصى أن جعل يقول: «**الصلاةَ وما ملكت أيمانكم**»(١١).

وقال عكرمة: هم العبيد - واختاره ابن جرير - لعموم الآية للمسلم والمشرك.

وقال مجاهد: هو المحبوس. أي: يطعمون لهؤلاء الطعام وهم يشتهونه ويحبونه، قائلين بلسان الحال: ﴿**إنما نطعمكم لوجه اللَّه**﴾، أي: رجاءَ ثواب اللَّه ورضاه، ﴿**لا نريد منكم جزاء ولا شكورًا**﴾، أي: لا نطلب منكم مجازاة تكافئونا بها ولا أن تشكرونا[٣] عند الناس.

= على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾.

(٩) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: فضل صدقة الشحيح الصحيح، حديث (١٤١٩) (٣/ ٢٨٤ - ٢٨٥). ومسلم في كتاب: الزكاة، باب: بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح، حديث (٩٢،٩٣/١٠٣٢) (١٧٣/٧ - ١٧٤). كلاهما من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - به.

(١٠) أخرجه الطبراني في الكبير (٣٩٣/٢٢) (٩٧٧) والصغير (١٤٦/١) من حديث أبي عزيز بن عمير أخي مصعب بن عمير فذكر قصة في معنى ذلك. قال الهيثمي في «المجمع» (٨٩/٦): رواه الطبراني في الصغير والكبير وإسناده حسن.

(١١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الحاقة، آية: (٣٤) برقم (٢٠).

---

[١] - في ز، خ: سائل.
[٢] - في ز: فقال.
[٣] - في ز: تشكروا منا.

قال مجاهد وسعيد بن جبير: أما والله ما قالوه بألسنتهم، ولكن علم الله به من قلوبهم، فأثنى عليهم به ليرغب في ذلك راغب.

﴿إنا نخاف من ربنا يومًا عبوسًا قمطريرًا﴾، أي: إنما نفعل هذا لعل الله أن يرحمنا ويتلقانا بلطفه، في اليوم العبوس القمطرير. قال عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿عبوسًا﴾: ضيقًا، ﴿قمطريرًا﴾: طويلًا. وقال عكرمة وغيره، عنه، في قوله: ﴿يومًا عبوسًا قمطريرًا﴾، أي[١]: يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عَرَق مثل القَطِرَان.

وقال مجاهد: ﴿عبوسًا﴾، العابس الشفتين ﴿قمطريرًا﴾، قال: تقبيض الوجه بالبُسُور.

وقال سعيد بن جبير، وقتادة: تعبس فيه الوجوه من الهول، ﴿قمطريرًا﴾: تقليص الجبين وما بين العينين، من الهول.

وقال ابن زيد: العبوس: الشر. والقمطرير: الشديد.

وأوضح العبارات وأجلاها وأحلاها، وأعلاها وأولاها - قولُ ابن عباس رضي الله عنه.

قال ابن جرير: والقمطرير هو: الشديد؛ يقال: هو يوم قمطرير ويوم قُمَاطِر، ويوم عَصِيب وعَصَبْصَب، وقد اقمطرّ اليومُ يقمطرّ اقمطرارًا، وذلك أشد الأيام وأطولها[٢] في البلاء والشدة، ومنه قول بعضهم.

بَني عَمّنا هل تَذكُرونَ بَلاءَنَا عَلَيكم إِذَا ما كَانَ يَومُ قُمَاطِرُ

قال الله تعالى: ﴿فوقاهم الله شر ذلك اليو، ولقاهم نضرة وسرورًا﴾، وهذا من باب التجانس البليغ، ﴿فوقاهم الله شر ذلك اليوم﴾، أي: آمنهم مما خافوا منه، ﴿ولقاهم نضرة﴾، أي: في وجوههم، ﴿وسرورًا﴾، أي: في قلوبهم. قاله الحسن البصري، وقتادة، وأبو العالية، والربيع بن أنس.

وهذه كقوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ مسفرة * ضاحكة مستبشرة﴾ وذلك أن القلب إذا سر استنار الوجه، قال كعب بن مالك في حديثه الطويل: «وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُرّ، استنار وجهه حتى كأنه قطعة[٣] قَمَر»(١٢).

وقالت عائشةُ: «دخل عَلَيّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرورًا تَبرُقُ أسَاريرُ

(١٢) أخرجه البخاري في كتاب: المناقب، باب: صفة النبي ﷺ حديث (٣٥٥٦) (٥٦٥/٦). ومسلم في كتاب: التوبة، باب: حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، حديث (٢٧٦٩/٥٣) (١٤٧/١٧).

[١] - في ز :قال.
[٢] - في ز: أطوله.
[٣] - في ز: فلقة.

وَجْهه ...»(١٣) الحديث .

وقوله: ﴿وجزاهم بما صبروا﴾ ، أي: بسبب صبرهم أعطاهم ونَولهم وبَوأهم ﴿جنةً وحريرًا﴾ ، أي: منزلًا رحبًا، وعيشًا رَغَدًا، ولباسًا حَسَنًا.

وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة هشام بن سليمان الدَّارَاني قال: قرئ على أبي[١] سليمان الداراني سورة: ﴿هل أتى على الإنسان﴾ ، فلما بلغ القارئ إلى قوله: ﴿وجزاهم بما صبروا جنة وحريرًا﴾ ، قال: بما[٢] صبروا على ترك الشهوات في الدنيا، ثم أنشد:

كَـم قَـتِـيـل بـشَـهـوةٍ وأسـيـر أفٍّ مِنْ مُشتهى خِلَافِ الجَمِيل
شَـهـوَاتُ الإِنْـسـان تورثـه الـذُّلّ وَتُـلْـقـيـه في الـبَـلَاء الـطَّـويـل

﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾

يخبر تعالى عن أهل الجنة وما هم فيه من النعيم المقيم، وما أسبغ عليهم من الفضل العَمِيم فقال: ﴿متكئين فيها على الأرائك﴾ . وقد تقدم الكلام على ذلك في «سورة الصافات» وذكر الخلاف في الاتكاء: هل هو الاضطجاع، أو التمرفق، أو التربع، أو التمكن في الجلوس؟ وأن الأرائك هي السرر تحت الحجال.

وقوله: ﴿لا يرون فيها شمسًا ولا زمهريرًا﴾ ، أي: ليس عندهم حَر مزعج، ولا برد مؤلم، بل هي مزاج واحد دائم سَرْمَديّ، ﴿لا يبغون عنها حولًا﴾ .

(١٣) أخرجه البخاري في الموضع السابق برقم (٣٥٥٥) . وأطرافه في [٣٧٣١ ، ٦٧٧٠ ، ٦٧٧١] . ومسلم في كتاب: الرضاع، باب: العمل بإلحاق القائف الولد، حديث (١٤٥٩/٣٨) (١٠/٥٩ - ٦٠) .

[١] - في ز: ابن . [٢] - في ز: لما .

﴿ودانية عليهم ظلالها﴾، أي: قريبة إليهم أغصانها، ﴿وذللت قطوفها تذليلًا﴾، أي: متى تعاطاه دنا القطْفُ إليه وتدلى من أعلى غصنه، كأنه سامع طائع، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وجنى الجنتين دان﴾. وقال تعالى: ﴿قطوفها دانية﴾.

قال مجاهد: ﴿وذللت قطوفها تذليلًا﴾: إن قام ارتفعت بقَدْره[١]، وإن قعد تَدَلَّتْ له[٢] حتى ينالها، وإن اضطجع تَدَلَّت له[٣] حتى ينالها، فذلك قوله: ﴿تذليلًا﴾.

وقال قتادة: لا يرد أيديَهم عنها شوك ولا بُعدُ.

وقال مجاهد: أرض الجنة من وَرق، وترابها المسك، وأصول شجرها من ذهب وفضة، وأفنانها من اللؤلؤ الرطب[٤] والزبرجد والياقوت، والوَرَق والثمر بين ذلك. فمن أكل منها قائمًا لم يؤذه، ومن أكل منها قاعدًا لم يؤذه، ومن أكل منها مضطجعًا لم يؤذه.

وقوله: ﴿ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب﴾، أي: يطوف عليهم الخدمُ بأواني الطعام، وهي من[٥] فضة، وأكواب الشراب وهي الكيزان التي لا عرى لها ولا خراطيم.

وقوله[٦]: ﴿كانت[٧] قواريرَ قوارير من فضة﴾، فالأول منصوب بخبر كان؛ أي[٨]: كانت قوارير. والثاني منصوب إما على البدلية، أو تمييز؛ لأنه بينه بقوله: ﴿قوارير من فضة﴾.

قال ابن عباس، ومجاهد، والحسن البصري، وغير واحد: بياض الفضة في صفاء الزجاج، والقوارير لا تكون إلا من زجاج. فهذه الأكواب هي من فضة، وهي مع هذا شفافة يرى ما في باطنها من ظاهرها، وهذا مما لا نظير له في الدنيا.

قال ابن المبارك، عن إسماعيل، عن رجل، عن ابن عباس: ليس في الجنة شيء إلا قد أعطيتم في الدنيا شبهه إلا قوارير من فضة. رواه ابن أبي حاتم.

وقوله: ﴿قدروها تقديرًا﴾، أي: على قدر ريّهم، لا تزيد عنه ولاتنقص[٩]، بل هي مُعَدّة لذلك، مقدرة بحسب ريّ صاحبها. هذا معنى قول ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وأبي صالح، وقتادة، وابن أبزى، وعبد الله بن عبيد بن عمير، وقتادة، والشعبي، وابن زيد.

---

[١] - في ز: بقدر.
[٢] - في ز: تذللت.
[٣] - في ز: تذللت.
[٤] - سقط من ز.
[٥] - سقط من ز.
[٦] - في ز، خ: وهذه.
[٧] - سقط من ز.
[٨] - سقط من ز.
[٩] - في ز: ينقص منه.

وقاله ابن جرير وغير واحد. وهذا أبلغ في الاعتناء والشرف والكرامة. وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿قدروها تقديرًا﴾، قدرت للكف.

وهكذا قال الربيع بن أنس. وقال الضحاك على قدر أُكُفّ الخُدام. وهذا لا ينافي القول الأول، فإنها مقدرة في القَدْر والرّي[١].

وقوله: ﴿ويُسْقَون فيها كأسًا كان مِزَاجُها زَنجبيلًا﴾ أي: ويسقون - يعني الأبرار أيضًا - في هذه الأكواب ﴿كأسًا﴾، أي: خمرًا، ﴿كان مزاجها زنجبيلا﴾، فتارة يمزَج لهم الشراب بالكافور وهو بارد، وتارة بالزنجبيل وهو حار، ليعتدل الأمر، وهؤلاء يمزج لهم من هذا تارة ومن هذا تارة.

وأما المقربون فإنهم يشربون من كل منهما صِرفًا، كما قاله قتادة وغير واحد. وقد تقدم قوله: ﴿عينًا يشرب بها عباد الله﴾، وقال هاهنا: ﴿عينًا فيها تسمى سلسبيلًا﴾ أي: الزنجبيل عين في الجنة تسمى سلسبيلًا.

قال عكرمة: اسم عين في الجنة. وقال مجاهد: سميت بذلك لسلاسة سيلها وحِدّة جَريها.

وقال قتادة: ﴿عينًا فيها تسمى سلسبيلًا﴾: عين سَلِسَة مُستَقِيد ماؤها.

وحكى ابنُ جرير عن بعضهم أنها سميت بذلك لسلاستها في الحلْق. واختار هو أنها تَعُمّ ذلك كلّه، وهو كما قال.

وقوله تعالى: ﴿ويطوف عليهم ولدان مخلدون. إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤًا منثورًا﴾، أي: يطوف على أهل الجنة للخدْمَة ولدانٌ من ولدان الجنة ﴿مخلدون﴾، أي: على حالة واحدة مُخَلَّدون عليها، لا يتغيرون عنها، لا تزيد أعمارهم عن تلك السن. ومن فسرهم بأنهم مُخَرّصُونَ في آذانهم الأقرطة، فإنما عبر عن المعنى بذلك، لأن الصغير هو الذي يليق له ذلك دون الكبير.

وقوله: ﴿إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤًا منثورًا﴾، أي: إذا رأيتهم في انتشارهم في قضاء حوائج السادة، وكثرتهم، وصباحة وجوههم، وحُسن ألوانهم وثيابهم وحليهم، حسبتهم لؤلؤا منثورًا. ولا يكون في التشبيه أحسن من هذا، ولا في المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن.

قال قتادة، عن أبي أيوب، عن عبد الله بن عمرو: ما من أهل الجنة من أحد إلا يسعى عليه ألف خادم، كل خادم على عمل ما عليه صاحبه.

---

[١] - في ز: والذي.

وقوله: ﴿وإذا رأيت﴾، أي: وإذا رأيت يا محمد ﴿ثَمَّ﴾، أي: هناك، يعني في الجنة ونعيمها وَسَعَتها وارتفاعها وما فيها من الحَبْرَة والسرور، ﴿رأيت نعيمًا وملكًا كبيرًا﴾، أي: مملكةً لله هُناك عظيمةً وسلطانًا باهرًا.

وثبت في الصحيح (١٤) أن الله تعالى يقول لآخر أهل النار خروجًا منها، وآخر أهل الجنة دخولًا إليها: إن لك مثلَ الدنيا وعشرة أمثالها.

وقد قَدْمنا في الحديث المَرويّ من طريق ثُوَير بن أبي فاختة، عن ابن عمر (١٥) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن[١] ينظر في ملكة مسيرة ألفي سنة ينظر إلى[٢] أقصاه كما ينظر إلى[٣] أدناه**» فإذا كان هذا عطاؤه تعالى لأدنى من يكون في الجنة، فما ظنك بما هو أعلى منزلة، وأحظى عنده تعالى.

وقد روى الطبراني(١٦) هاهنا حديثًا غَريبًا جدًّا فقال: حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا محمد بن عمار الموصلي، حدثنا عقبة[٤] بن سالم، عن أيوب بن عتبة، عن عطاء، عن ابن عمر قال: جاء رجل من الحبشة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله: «**سل واستفهم**». فقال: يا رسول الله، فُضّلْتُم علينا بالصور والألوان والنبوة، أفرأيتَ إن آمنتُ بما آمنت به وعملتُ بمثل ما عملتَ به، إني لكائن معكَ في الجنة؟ قال: «**نعم والذي نفسي بيده إنه لَيُرَى بياض الأسود في الجنة من مسيرة ألف عام**» ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من قال: لا إله إلا الله، كان له بها عَهدٌ عند الله، ومن قال: سبحان الله وبحمده، كتب له مائة ألف حسنة، وأربعة وعشرون ألف حسنة**». فقال رجل: كيف نهلك بعد هذا يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الرجل ليأتي يوم القيامة بالعمل لو وُضِعَ على جبل لأثقله، فتقوم النعمة - أو: نعَم الله فتكاد تستنفد ذلك كله، إلا أن يَتَغَمَّده الله برحمته**». ونزلت هذه السورة: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر﴾ إلى قوله: ﴿ملكًا كبيرًا﴾ فقال الحبشي: وإن عيني لترى ما ترى عيناك في الجنة؟ قال: «**نعم**». فاستبكى حتى فاضت نفسه. قال ابن عمر: فَلَقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدْليه في

(١٤) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث (١٨٨/٣١١) (٣/٥٣ - ٥٤). من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه.

(١٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة القيامة، آية: ٢٣، برقم (١٣).

(١٦) المعجم الكبير (١٢/٤٣٦ - ٤٣٧) (١٣٥٩٥). قال الهيثمي في «المجمع» (١٠/٤٢٣): وفيه أيوب ابن عتبة وهو ضعيف. اهـ.

[١] - في ز: أن. [٢] - [٣] - سقط من خ.

[٤] - عند الطبراني: عفيف.

حُفرَته بيده .

وقوله : ﴿ **عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق** ﴾ ، أي : لباس أهل الجنة فيها الحرير ، ومنه سندس ، وهو رفيع الحرير كالقمصان ونحوها مما يلي أبدانهم ، والإستبرق منه ما فيه بريق ولمعان ، وهو مما يلي الظاهر ، كما هو المعهود في اللباس ، ﴿ **وحلوا أساور من فضة** ﴾ وهذه صفة الأبرار ، وأما المقربون فكما قال : ﴿ **يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ، ولباسهم فيها حرير** ﴾ .

ولما ذكر تعالى زينةَ الظاهِر بالحرير والحلي قال بعده : ﴿ **وسقاهم ربهم شرابًا طهورًا** ﴾ ، أي : طهر بواطنهم من الحَسَد والحقد[١] والغل والأذى وسائر الأخلاق الرّديَّة ، كما روينا عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب أنه قال : إذا انتهى أهلُ الجنة إلى باب الجنة وَجَدوا هنالك عينين فكأنما ألهموا ذلك فشربوا من إحداهما [فأذهب اللّه][٢] ما في بطونهم من أذى ، ثم اغتسلوا من الأخرى فَجَرت عليهم نضرةُ النعيم .

وقوله : ﴿ **إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورًا** ﴾ ، أي : يقال لهم ذلك تكريمًا لهم وإحسانًا إليهم كقوله : ﴿ **كلوا واشربوا هنيئًا بما أسلفتم في الأيام الخالية** ﴾ .

وكقوله : ﴿ **ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وكان سعيكم مشكورًا** ﴾ ، أي : جزاكم اللّه على القليل بالكثير .

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ
كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ
لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾
نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ
تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا
أَلِيمًا ﴿٣١﴾

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ز : قال : يذهب .

يقول تعالى ممتنًا على رسوله صلى الله عليه وسلم بما نَزّله[١] عليه من القرآن العظيم تنزيلًا: ﴿**فاصبر لحكم ربك**﴾، أي: كما أكرمتُكَ بما أنزلتُ عليك، فاصبر على قضائه وقَدَره، واعلم أنه سيدبرك بحسن تدبيره، ﴿**ولا تطع منهم آثما أو كفورًا**﴾، أي: لا تطع الكافرين والمنافقين إن أرادوا صَدّك عما أنزل إليك، بل بَلّغ ما أنزل إليك من ربك، وتوكل على الله؛ فإن الله يعصمك من الناس. فالآثم هو الفاجر في أفعاله، والكفور هو الكافر بقلبه.

﴿**واذكر اسم ربك بكرة وأصيلًا**﴾، أي: أولَ النهار وآخره. ﴿**ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلًا طويلًا**﴾.

كقوله: ﴿**ومن الليل فتهجد به نافلة لك، عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا**﴾.

وكقوله: ﴿**يا أيها المزمل. قم الليل إلا قليلًا. نصفه أو انقص منه قليلًا. أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلًا**﴾.

ثم قال تعالى منكرًا على الكفار ومن أشبههم في حُبّ الدنيا والإقبال عليها والانصباب إليها، وترك الدار الآخرة وراء ظهورهم: ﴿ **إن هؤلاء يحبون العاجلة. ويذرون وراءهم يومًا ثقيلًا**﴾، يعني يوم القيامة.

ثم قال: ﴿**نحن خلقناهم وشددنا أسرهم**﴾ قال ابن عباس، ومجاهد، وغير واحد: يعني خَلْقَهم.

﴿**وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلًا**﴾، أي: وإذا شئنا بعثناهم يوم القيامة، وبدّلناهم فأعدناهم خلقًا جديدًا. وهذا استدلال بالبداءة على الرجعة.

وقال ابن[٢] زيد، وابن جرير: ﴿**وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلًا**﴾: وإذا شئنا أتينا بقوم آخرين غيرهم. [كقوله: ﴿**إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين، وكان الله على ذلك قديرًا**﴾.][٣]

وكقوله: ﴿**إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد * وما ذلك على الله بعزيز**﴾.

ثم قال تعالى: ﴿**إن هذه**﴾ - يعني هذه السورة ﴿**تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلًا**﴾، أي: طريقًا ومسلكًا، أي: من شاء اهتدى بالقرآن كقوله: ﴿**وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليمًا**﴾.

ثم قال: ﴿**وما تشاءون إلا أن يشاء الله**﴾، أي: لا يقدر أحد أن يَهديَ نفسه، ولا

---

[١] - في ز: أنزله.

[٢] - في ز: أبو.

[٣] - سقط من ز، خ.

يدخل في الإيمان[١] **ولا يجر لنفسه نفعًا ، ﴿إلا أن يشاء الله إن الله كان عليمًا حكيمًا﴾** ، [أي : عليم بمن يستحق الهداية فَيُيَسّرها له ، ويقيض له أسبابها ، ومن يستحق الغَوَاية فيصرفه عن الهدى ، وله الحكمة البالغة ، والحجة الدامغة ، ولهذا قال تعالى : **﴿إن الله كان عليمًا حكيمًا﴾**.][٢]

ثم قال : **﴿يدخل من يشاء في رحمته ، والظالمين أعد لهم عذابًا أليمًا﴾** ، أي : يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، ومن يهده فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هاديَ له .

آخر سورة الإنسان

☆ ☆ ☆

[١] - في ز : إيمان .

[٢] - سقط من ز ، خ .

تفسير سورة المرسلات

وهي مكية

قال البخاري(١) ، [ ][١] حدثنا عمر بن حفص بن غياث ، [حدثنا أبي][٢] ، حدثنا الأعمش ، حدثني إبراهيم ، عن الأسود عن عبد الله هو ابن مسعود قال : بينما نحن مع النبي صلى الله عليه وسلم في غار بمنى ، إذ نَزَلت عليه : ﴿ **والمرسلات** ﴾ ، فإنه ليتلوها وإني لأتلقاها من فيه ، وإن فاه لرطب بها ، إذ وثَبَت علينا حَيَّة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « **اقتلوها** » . فابتدرناها فذهبت ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « **وُقِيَتْ شركم كما وُقِيتُم شَرّها** » . وأخرجه مسلم أيضًا ، من طريق الأعمش .

وقال الإمام أحمد(٢) : حدثنا سفيان بن عُيَينة ، عن الزّهريّ ، عن عُبيد الله ، عن ابن عباس ، عن أمه : أنها سَمِعَت النبيّ صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالمرسلات عُرفًا .

وفي رواية مالك(٣) ، عن الزهرى ، عن عبيد الله ، عن ابن عباس : أن أم الفضل سمعته يقرأ : ﴿ **والمرسلات عرفًا** ﴾ . فقالت : يا بنى ، ذكّرتني بقراءتك هذه السورة ، إنها لآخر ما سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها في المغرب . أخرجاه في الصحيحين ، من طريق مالك ، بهم[٣] .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ

(١) أخرجه البخاري في كتاب : جزاء الصيد ، باب : ما يقتل المحرم من الدواب ، حديث (١٨٣٠) (٤/ ٣٥) . وأطرافه [٣٣١٧ ، ٤٩٣٠ ، ٤٩٣١ ، ٤٩٣٤] . ومسلم في كتاب : السلام ، باب : قتل الحيات وغيرها ، حديث (٢٢٣٤/١٣٧) (١٤/٣٣٤ - ٣٣٥) .

(٢) المسند (٣٣٨/٦) (٢٦٩٧٧) .

(٣) الموطأ كتاب : الصلاة ، باب : القراءة في المغرب والعشاء ، حديث (٢٤) (٨٨/١) . ومن طريقه البخاري

[١] - في ز ، خ : حدثنا أحمد . [٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - في خ : به .

أُقِّتَتۡ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ﴿١٢﴾ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٤﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا زكريا بن سهل المروزي، حدثنا علي بن الحسن بن شقيق، أخبرنا الحسين بن واقد، حدثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هُرَيرة: ﴿**والمرسلات عرفًا**﴾، قال: الملائكة.

قال: ورُوي عن مسروق، وأبي الضحى، ومجاهد - في إحدى الروايات - والسدّي، والربيع بن أنس، مثل ذلك.

ورُوىَ عن أبي صالح أنه قال: هي الرسل. وفي رواية عنه: هي الملائكة. وهكذا قال أبو[١] صالح في ﴿**العاصفات**﴾ و﴿**الناشرات**﴾، و﴿**الفارقات**﴾، و﴿**الملقيات**﴾: إنها الملائكة.

قال الثوري، عن سلمة بن كُهَيل، عن مُسلم البَطين، عن أبي العُبَيدَين قال: سألت ابنَ مسعود عن ﴿**المرسلات عرفًا**﴾، قال: الريح.

وكذا قال في: ﴿**فالعاصفات عصفًا والناشرات نشرًا**﴾: إنها الريح.

وكذا قال ابن عباس: ومجاهد، وقتادة، وأبو صالح - في رواية عنه - وتوقف ابن جرير في ﴿**المرسلات عُرفًا**﴾: هل هي الملائكة أرسلت بالعُرْف، أو كَعُرْف الفَرَس يتبع بعضهم بعضًا؟ أو: هي الريح إذا هَبَّت شيئًا فشيئًا وقطع بأن ﴿ **العاصفات عصفًا**[٢] ﴾ هى الرياح، كما قاله ابن مسعود ومن تابعه. وممن قال ذلك في العاصفات أيضًا: عليّ بن أبي طالب، والسدي. وتوقف في ﴿**الناشرات نشرًا**﴾، هل هي الملائكة أو الريح؟ كما تقدم.

وعن أبي صالح: أن الناشرات نشرًا: المطر.

والأظهر أن ﴿**المرسلات**﴾ هي الرياح، كما قال تعالى: ﴿**وأرسلنا الرياح لواقح**﴾.

وقال تعالى: ﴿**وهو الذي يرسل الرياح بشرًا بين يدي رحمته**﴾.

وهكذا العاصفات هي: الرياح، يقال: عصفت الريح إذا هَبَّت بتصويت.

في كتاب: الأذان، باب: القراءة في المغرب، حديث (٧٦٣) (٢/٢٤٦). وطرفه في [٤٤٢٩]. ومسلم في كتاب: الصلاة، باب: القراءة في الصبح، حديث (٤٦٢/١٧٣) (٤/٢٣٨).

---

[١] - في ز، خ: ابن. [٢] - سقط من خ.

وكذا الناشرات هي: الرياح التي تنشر السحاب في آفاق السماء، كما يشاء الرب عز وجل.

وقوله: ﴿فالفارقات فرقًا * فالملقيات ذكرًا * عذرًا أو نذرًا﴾، يعني: الملائكة. قاله ابن مسعود، وابن عباس، ومسروق، ومجاهد، وقتادة، والربيع بن أنس، والسدّي، والثوري. ولا خلاف هاهنا؛ فإنها تنزل بأمر الله على الرسل، تفرق بين الحق والباطل، والهدى والغي، والحلال والحرام، وتلقى إلى الرسل وحيًا فيه إعذار إلى الخلق، وإنذارٌ لهم عقابَ الله إن خالفوا أمره.

وقوله: ﴿إنما توعدون لواقع﴾: هذا هو المقسم عليه بهذه الأقسام، أي[١]: ما وعدتم به من قيام الساعة، والنفخ في الصور، وبعث الأجساد، وجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد، ومجازاة كل عامل بعمله، إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر، إن هذا كله - ﴿لواقع﴾، أي: لكائن لا محالة.

ثم قال: ﴿فإذا النجوم طمست﴾، أي: ذهب ضوؤها، كقوله: ﴿وإذا النجوم انكدرت﴾.

وكقوله: ﴿وإذا الكواكب انتثرت﴾.

﴿وإذا السماء فرجت﴾، أي: انفطرت وانشقت، وتدلت[٢] أرجاؤها، وَوَهَت أطرافها.

﴿وإذا الجبالُ نُسِفت﴾، أي: ذُهِب بها، فلا يبقى لها عين ولا أثر، كقوله: ﴿ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعًا صَفصفًا لا ترى فيها عِوَجًا ولا أمتًا﴾.

وقال تعالى: ﴿ويوم نُسَيِّر الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدًا﴾.

وقوله: ﴿وإذا الرسلُ أُقِّتَتْ﴾ قال العوفي، عن ابن عباس: جمعت.

وقال ابن زيد: وهذه كقوله تعالى: ﴿يوم يجمع الله الرسل﴾.

وقال مجاهد: ﴿أُقِّتَتْ﴾: أجلت.

وقال الثوري، عن منصور، عن إبراهيم: ﴿أُقِّتَتْ﴾: أوعدت. وكأنه يجعلها كقوله: ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها ووُضع الكتاب وجِيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون﴾.

ثم قال: ﴿لأي يوم أجلت ليوم الفصل* وما أدراك ما يوم الفصل * ويل يومئذ للمكذبين﴾، يقول تعالى: لأي يوم أجلت الرسل وأرجئ أمرها؟ حتى تقوم الساعة، كما قال

---

[١] - في ز: أن. [٢] - في ز: بدلت.

تعالى: ﴿فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار﴾. وهو يوم الفصل، كما قال: ﴿ليوم الفصل﴾.

ثم قال معظمًا لشأنه: ﴿وما أدراك ما يوم الفصل؟ ويل يومئذ للمكذبين﴾ أي: ويل لهم من عذاب الله غدًا.

وقد قدمنا في الحديث أن «ويل» واد في جهنم. ولا يصح.

أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ (١٦) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْـَٔاخِرِينَ (١٧) كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ (١٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٩) أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ (٢١) إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ (٢٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٢٤) أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥) أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا (٢٦) وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا (٢٧) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٢٨)

يقول تعالى: ﴿ألم نهلك الأولين﴾ يعني من المكذبين للرسل المخالفين لما جاءوهم به، ﴿ثم نتبعهم الآخرين﴾، أي: ممن أشبههم.

ولهذا قال: ﴿كذلك نفعل بالمجرمين ويل يومئذ للمكذبين﴾. قاله ابن جرير.

ثم قال ممتنًا على خلقه ومحتجًا على الإعادة بالبَدَاءة: ﴿ألم نخلقكم من ماء مهين﴾ أي: ضعيف حقير بالنسبة إلى قُدرَة الباري عز وجل، كما تقدم في سورة ﴿يس﴾ في حديث بُسر ابن جحاش: «ابنَ آدم، [أنَّى تُعجزُني][١] وقد خلقتك من مثل هذه؟!»(٤).

﴿فجعلناه في قرار مكين﴾، يعني: جمعناه في الرَّحِم، وهو قرار الماء من الرجل والمرأة، والرحم معد لذلك[٢]، حافظ لما أودع فيه من الماء.

وقوله: ﴿إلى قدر معلوم﴾، يعني إلى مدة معينة من ستة أشهر أو تسعة أشهر.

ولهذا قال: ﴿فقدرنا فنعم القادرون ويل يومئذ للمكذبين﴾.

(٤) تقدم تخريجه في سورة يس، آية: (٧٧).

[١] - في ز: أي معجزين.   [٢] - في ز: الملك.

ثم قال: ﴿ألم نجعل الأرض كفاتًا. أحياء وأمواتًا﴾ قال ابن عباس: ﴿كفاتًا﴾: كنًّا[١]. وقال مجاهد: يُكفت الميّت فلا يُرى منه شيء. وقال الشعبي: بطنها لأمواتكم، وظهرها لأحيائكم. وكذا قال مجاهد وقتادة.

﴿وجعلنا فيها رواسي شامخات﴾، يعني: الجبال أرسى[٢] بها الأرض لئلا تميد وتضطرب.

﴿وأسقيناكم ماء فراتًا﴾: عذبًا زُلالًا من السحاب، أو مما أنبعه الله من عيون الأرض.

﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾، أي: ويل لمن تأمل هذه المخلوقات الدالة على عظمة خالقها، ثم بعد هذا يستمر على تكذيبه وكفره.

انطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ انطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾

يقول تعالى مخاطبًا للكفار المكذبين بالمعاد والجزاء والجنة والنار، أنهم يقال لهم يوم القيامة: ﴿انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب﴾، يعني لَهَبَ النار إذا ارتفع وصَعِدَ معه دخان، فمن شدته وقوته أن له ثلاث شعب، ﴿لا ظليل ولا يغني من اللّهب﴾، أي: ظل الدخان المقابل للّهب لا ظليل هو في نفسه، ولا يغني من اللّهب، يعني ولا يقيهم حر اللّهب.

وقوله: ﴿إنها ترمي بشرر كالقصر﴾، أي: يتطاير الشرر[٣] من لهبها كالقصر.

قال ابن مسعود: كالحصون.

وقال ابن عباس وقتادة، ومجاهد، ومالك عن زيد بن أسلم، وغيرهم: يعني أصول الشجر.

﴿كأنه جمالت[٤] صفر﴾، أي: كالإبل السود. قاله مجاهد، والحسن، وقتادة،

---

[١] - سقط من خ. [٢] - في ز: رسى.
[٣] - سقط من ت.
[٤] - في ز: جمالات. وكذلك تكررت في المواضع الآتية.

والضحاك. واختاره ابن جرير.

وعن ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير: ﴿**جمالت صفر**﴾، يعني: حبال السفن. وعنه أعني ابن عباس: ﴿**جمالت صفر**﴾: قطع نحاس.

وقال البخاري(٥): حدثنا عمرو بن علي، حدثنا يحيى، أخبرنا سفيان، عن عبد الرحمن ابن عابس قال: سمعت ابن عباس: ﴿**إنها ترمي بشرر كالقصر**﴾، قال: كنا نعمد إلى الخشبة ثلاثة أذرع وفوقَ ذلك، فنرفعه للشتاء[١]، فنسميه القَصَرَ، ﴿**كأنه جمالت صفر**﴾: حبال السفن، تجمع حتى تكون كأوساط الرجال.

﴿**ويل يومئذ للمكذبين**﴾. ثم قال تعالى: ﴿**هذا يوم لا ينطقون**﴾، أي: لا يتكلمون. ﴿**ولا يؤذن لهم فيعتذرون**﴾، أي: لا يقدرون على الكلام، ولا يؤذن لهم فيه ليعتذروا، بل قد قامت عليهم الحجة ووقع القولُ عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون. وعرصات القيامة حالات، والرب تعالى يخبر عن هذه الحالة تارة، وعن هذه الحالة تارة؛ ليدل على شِدّة الأهوال والزلازل يومئذ.

ولهذا يقول بعد كل فصل من هذا الكلام: ﴿**ويل يومئذ للمكذبين**﴾.

وقوله: ﴿**هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين. فإن كان لكم كيد فكيدون**﴾: وهذه مخاطبة من الخالق لعباده يقول لهم: ﴿**هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين**﴾، يعني: أنه جمعهم بقدرته في صعيد واحد، يُسمعهم الداعي ويَنفُذُهم البصر.

وقوله: ﴿**فإن كان لكم كيد فكيدون**﴾: تهديد شديد ووعيد أكيد، أي: إن قدرتم على أن تتخلصوا من قبضتي، وتَنجُوا من حكمي فافعلوا، فإنكم لا تقدرون على ذلك، كما قال تعالى: ﴿**يا معشر الجن والإنس، إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا، لا تنفذون إلا بسلطان**﴾.

وقد قال تعالى: ﴿**ولا تضرونه[٢] شيئًا**﴾.

وفي الحديث(٦): «**يا عبادي، إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني، ولن تبلغوا ضَرّي فتضروني**».

---

(٥) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير، باب: قوله: ﴿كأنه جمالات صفر﴾، حديث (٤٩٣٣) (٨/ ٦٨٨) وطرفه في (٤٩٣٢).

(٦) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب: تحريم الظلم، حديث (٥٥/٢٥٧٧) (١٦/١٩٩ - ٢٠٠).

---

[١] - في ز، خ: للنساء.   [٢] - في ز: يضرونه.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن المنذر الطريقي[١] الأودي، حدثنا محمد بن فضيل، حدثنا حُصَين بن عبد الرحمن، عن حسان بن أبي المخارق، عن أبي عبد الله الجدَلَي قال: أتيت بيت المقدس، [فإذا عُبادة بن الصامت وعبد الله بن عمرو، وكعب الأحبار يتحدثون في بيت المقدس][٢] ، فقال عبادة: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين بصعيد واحد، ينفذهم البصر ويُسمعهم الداعي، ويقول الله: ﴿**هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين. فإن كان لكم كيد فكيدون**﴾، اليوم لا ينجو مني جبار عنيد، ولا شيطان مريد. فقال عبد الله بن عمرو: [فإنا، نحدث][٣] يومئذ أنه[٤] يخرج عنُقٌ من النار فتنطلق حتى إذا كانت بين ظهراني الناس نادت: أيها الناس، إني بُعثتُ إلىَ ثَلاثَة أنا أعرف بهم من الأب بولده ومن الأخ بأخيه، لا يُغَيِّبهم[٥] عني وَزَر، ولا تُخفِيهم عني خَافية: الذي جعل مع الله إلها آخر، وكل جبار عنيد، وكلَ[٦] شيطان مريد. فتنطوي عليهم فتقذف بهم في النار قبل الحساب بأربعين سنة(٧).

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَـٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

يقول تعالى مخبرًا عن عباده المتقين الذين عبدوه بأداء الواجبات، وترك المحرمات: أنهم يوم القيامة يكونون في جنات وعيون، أي: بخلاف ما أولئك الأشقياء فيه، من ظل اليحموم، وهو: الدخان الأسود المنتن.

﴿**وفواكه مما يشتهون**﴾، أي: ومن سائر أنواع الثمار، مهما[٧] طلبوا وجدوا. ﴿**كلوا واشربوا هنيئًا بما كنتم تعملون**﴾، أي: يقال لهم ذلك على سبيل الإحسان إليهم.

ثم قال تعالى مخبرًا خبرًا مستأنفًا: ﴿**إنا كذلك نجزي المحسنين**﴾، أي: هذا جزاؤنا لمن

(٧) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٩٦/٦) وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر عن أبي عبد الله الجبلي به.

[١] - في ز: الطريفي.
[٢] - سقط من ز، خ.
[٣] - في ز، خ: «كأنها تحدث».
[٤] - سقط من ز.
[٥] - في ز، خ: يغنيهم.
[٦] - سقط من ز.
[٧] - في ز: مما.

أحسن العمل، ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾.

وقوله: [﴿كلوا وتمتعوا قليلًا إنكم مجرمون﴾ خطاب للمكذبين بيوم الدين، وأمَرَهم آمر تهديد ووعيد فقال تعالى][١] : ﴿كلوا وتمتعوا قليلًا﴾، أي: مدة قليلة قريبة قصيرة، ﴿إنكم مجرمون﴾، أي: [ثم تساقون][٢] إلى نار جهنم التي تقدم ذكرها، ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾، كما قال تعالى: ﴿نمتعهم قليلًا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ﴾، وقال تعالى: ﴿إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا، ثم إلينا مرجعهم، ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون﴾.

وقوله: ﴿وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون﴾، أي: إذا أمر هؤلاء الجهلة من الكفار أن يكونوا من المصلين مع الجماعة، امتنعوا من ذلك واستكبروا عنه. ولهذا قال: ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾.

ثم قال: ﴿فبأي حديث بعده يؤمنون﴾، أي: إذا لم يؤمنوا بهذا القرآن فبأي كلام يؤمنون به؟ كقوله تعالى: ﴿فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون﴾.

قال ابن أبي حاتم(٨) : [ ][٣] حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا سفيان، عن إسماعيل بن أمية: سمعت رجلًا أعرابيًا بَدَويًّا يقول: سمعت أبا هريرة يرويه إذا قرأ: ﴿والمرسلات عرفًا﴾، فقرأ[٤] : ﴿فبأي حديث بعده يؤمنون﴾ فليقل: آمنت بالله وبما أنزل.

وقد تقدم هذا الحديث في «سورة القيامة».

[آخر تفسير سورة «والمرسلات» ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة]

☆ ☆ ☆

(٨) تقدم في آخر سورة القيامه.

[١] - سقط من ز، خ.
[٢] - في ز، خ: هم يساقون.
[٣] - في ز، خ: «حدثنا أبي».
[٤] - في ز: يقرأ.

تفسير سورة النبأ

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (١٦)

يقول تعالى منكرًا على المشركين في تساؤلهم عن يوم القيامة إنكارًا لوقوعها: ﴿**عم يتساءلون** [**عن النبأ العظيم**﴾، أي: عن أي شيء يتساءلون؟][١] عن أمر القيامة، وهو النبأ العظيم، يعني: الخبر الهائل المفظع الباهر. قال قتادة، وابن زيد: النبأ العظيم: البعث بعد الموت. وقال مجاهد: هو القرآن. والأظهر الأول لقوله: ﴿**الذي هم فيه مختلفون**﴾، يعني الناس فيه على قولين مؤمن به وكافر. ثم قال تعالى متوعدًا لمنكري القيامة: ﴿**كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون**﴾، وهذا تهديدٌ شديد ووعيد أكيد. ثم شرع تعالى يُبَيِّن قدرته العظيمة على خلق الأشياء[٢] الغريبة والأمور العجيبة، الدالة على قدرته على ما يشاء من أمر المعاد وغيره، فقال: ﴿**ألم نجعل الأرض مهادًا**﴾؟ أي: ممهدة للخلائق ذَلُولًا لهم، قارّةً ساكنة ثابتة، ﴿**والجبال أوتادًا**﴾، أي: جعلها لها أوتادًا أرساها[٣] بها وثبتها وقرّرها حتى سكنت ولم تضطرب بمن عليها. ثم قال: ﴿**وخلقناكم أزواجًا**﴾، يعني: ذكرًا وأنثى يستمتع كل منهما بالآخر، ويحصل التناسل بذلك، كقوله: ﴿**ومن آياته أن خلق**[٤] **لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة**﴾. وقوله: ﴿**وجعلنا نومكم سباتًا**﴾، أي: قَطعًا للحركة لتحصل[٥] الراحة من كثرة الترداد والسعي. في [المعايش في عرض][٦] النهار. وقد

---

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - في ز : الإنسان .
[٣] - في ز : رساها .
[٤] - في ز : جعل .
[٥] - في ز : فتحصل .
[٦] - في ز ، خ : أرض .

تقدم مثل هذه الآية في «سورة الفرقان».

﴿ وجعلنا[١] الليل لباسًا ﴾ ، أي : يغشىٰ الناس ظلامه وسواده ، كما قال : ﴿ والليل إذا يغشاها ﴾ ، وقال الشاعر :

فلمَّا لَبِسْنَ الليلَ أو حِينَ نَصَّبَتْ لَهُ مِن خَذَا آذانِها وَهْوَ جَانِحُ

وقال قتادة في قوله : ﴿ وجعلنا الليل لباسًا ﴾ ، أي : سكنًا .

وقوله : ﴿ وجعلنا النهار معاشًا ﴾ ، أي : جعلناه مشرقًا مُنِيرًا مضيئًا ، ليتمكن الناس من التصرف فيه والذهاب والمجيء للمعاش والتكسب والتجارات ، وغير ذلك .

وقوله : ﴿ وبنينا فوقكم سبعًا شدادًا ﴾ ، يعني : السمٰوات السبع ، في اتساعها وارتفاعها وإحكامها وإتقانها ، وتزيينها بالكواكب الثوابت[٢] والسيارات ؛ ولهذا قال : ﴿ وجعلنا سراجًا وهاجًا ﴾ ، يعني : الشمس المنيرة علىٰ جميع العالم التي يتوهج ضوؤها لأهل الأرض كلهم .

وقوله : ﴿ وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجًا ﴾ قال العوفي عن ابن عباس : ﴿ المعصرات ﴾ : الريح .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد ، حدثنا أبو داود الحَفَري ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ وأنزلنا من المعصرات ﴾ ، قال : الرياح ، وكذا قال عكرمة ، ومجاهد ، وقتادة ، ومقاتل ، والكلبي ، وزيد بن أسلم ، وابنه عبد الرحمن : إنها الرياح . ومعنىٰ هذا القول أنها تستدر المطر من السحاب . وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ من المعصرات ﴾ ، أي : من السحاب . وكذا قال عكرمة أيضًا ، وأبو العالية ، والضحاك ، والحسن ، والربيع بن أنس ، والثوري . واختاره ابن جرير .

وقال الفراء : هي السحاب التي تَتَحلَّب بالمطر [ولم تُمطر][٣] بعدُ ، كما يقال[٤] : امرأة معصر : إذا دنا حيضها ولم تحض .

وعن الحسن وقتادة : ﴿ من المعصرات ﴾ يعني السماوات . وهذا قول غريب .

والأظهر أن المراد بالمعصرات : السحاب ، كما قال تعالىٰ : ﴿ الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابًا فيبسطه في السماء كيف يشاء و[٥] يجعله كسفًا فترىٰ الودق يخرج من خلاله ﴾ ، أي : من بينه .

---

[١] - سقط من ز . [٢] - سقط من ز .
[٣] - في ز ، خ : يوم المطر . [٤] - في ز : قال .
[٥] - في ز : ثم .

وقوله :﴿ ماءً ثجاجًا ﴾ - قال مجاهد وقتادة ، والربيع بن أنس : ﴿ ثجاجًا ﴾ : منصبًّا ، وقال الثوري : متتابعًا . وقال ابن زيد : كثيرًا .

قال ابن جرير : ولا يعرف في كلام العرب في صفة الكثرة : الثج ، وإنما الثج : الصب المتتابع ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : « أفضلُ الحجّ العجّ والثجّ »[(١)] . يعني : صَبّ دماء البُدْن . هكذا قال . قلت : وفي حديث المستحاضة[(٢)] حين قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنعتُ لك الكُرسُفَ » - يعني : أن تحتشي بالقطن - قالت : يا رسول الله ، هو أكثر من ذلك ، إنما أثج ثجًا . وهذا فيه دلالة على استعمال الثج في الصبّ المتتابع الكثير ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ لنخرج به حبًا ونباتًا وجناتٍ ألفافًا ﴾ ، أي : لنخرج بهذا الماء الكثير الطيب النافع المُبارَك ﴿ حبًا ﴾ يدخر للأناسي والأنعام ، ﴿ ونباتًا ﴾ ، أي : خضرا يؤكل رطبًا ، ﴿ وجنات ﴾ ، أي : بساتين وحدائقَ من ثمرات متنوعة ، وألوان مختلفة ، وطعوم وروائح متفاوتة ، وإن كان ذلك في بقعة واحدة من[١] الأرض مجتمعًا ؛ ولهذا قال : ﴿ وجنات ألفافًا ﴾ ؛ قال ابن عباس ، وغيره : ﴿ ألفافًا ﴾ : مجتمعة . وهذه كقوله تعالى : ﴿ **وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماءٍ واحد ونفضّل بعضها على بعض في الأكل** ...﴾ الآية .

إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّـٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا

(١) أخرجه الترمذي في كتاب : الحج ، باب : ما جاء في فضل التلبية والنحر ، حديث (٨٢٧) (١٧٥/٣) ، والدارمي (٣١/٢) كتاب المناسك ، باب : أي الحج أفضل . وصححه ابن خزيمة (١٧٥/٤) (٢٦٣١) . والحاكم (٤٥٠/١ - ٤٥١) كلهم من حديث أبي بكر الصديق ﷺ . وصححه الألباني في الصحيحة (١٥٠٠) بشواهده .

(٢) أخرجه أحمد (٤٣٩/٦) (٢٧٥٨١) . وأبو داود في كتاب : الطهارة ، باب : من قال : إذا أقبلت الحيضة تدع الصلاة ، حديث (٢٨٧) (٧٦/١ - ٧٧) . والترمذي في كتاب : الطهارة ، باب : ما جاء في المستحاضة ، حديث (١٢٨) (١٤٨/١ - ١٥٠) . وابن ماجة في كتاب : الطهارة ، باب : ما جاء في البكر إذا ابتدأت مستحاضة أو كان لها أيام حيض فنسيتها ، حديث (٦٢٧) (٢٠٥/١ - ٢٠٦) . كلهم من حديث حمنة بنت جحش - رضي الله عنها - قال الترمذي : حسن صحيح . وقال : وسألت محمدًا عن هذا الحديث ؟ فقال : هو حديث حسن صحيح . اهـ . وحسنه الألباني في الإرواء (١٨٨) .

[١] - في ز : في .

شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَآءً وِفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ
حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩)
فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠)

يقول تعالىٰ مخبرًا عن يوم الفصل ، وهو يوم القيامة ، أنه مؤقت بأجل معدود ، لا يزاد عليه ولا ينقص منه ، ولا يعلم وقته علىٰ التعيين إلا اللّٰه - عز وجل - كما قال : ﴿ **وما نؤخره إلا لأجل معدود** ﴾ .

﴿ **يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجًا** ﴾ ؛ قال مجاهد : زُمَرًا زمرًا[١] . قال ابن جرير : يعني تأتي كل أمة مع رسولها ، كقوله : ﴿ **يوم ندعو كل أناس بإمامهم** ﴾ .

وقال[٢] البخاري(٣) : ﴿ **يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجًا** ﴾ ، حدثنا محمد ، حدثنا أبو[٣] معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « ما بين النفختين أربعون » . قالوا : أربعون يومًا ؟ قال : « أبيتُ » . قالوا : أربعون شهرًا ؟ قال : « أبيتُ » . قالوا : أربعون سنة ؟ قال : « أبيتُ » . قال : « ثم يُنزلُ اللّٰه من السماء ماءً فينبُتُونَ كما ينبتُ البقلُ ، ليس من الإنسان شيءٌ إلا يَبْلَىٰ ، إلا عظمًا واحدًا ، وهو عَجْبُ الذنَب ، و[٤] منه يُرَكَّبُ الخلْقُ يوم القيامة » .

﴿ **وفتحت السماء فكانت أبوابًا** ﴾ ، أي : طرقًا ومسالك لنزول الملائكة ، ﴿ **وسيرت الجبال فكانت سرابًا** ﴾ كقوله : ﴿ **وترىٰ الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب** ﴾ ، وكقوله : ﴿ **وتكون الجبال كالعهن المنفوش** ﴾ .

وقال هاهنا : ﴿ **فكانت سرابًا** ﴾ ، أي : يخيل إلىٰ الناظر أنها شيءٌ ، وليست بشيء ، وبعد هذا تَذهب بالكلية ، فلا عين ولا أثر ، كما قال : ﴿ **ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفًا فيذرها قاعًا صفصفًا لا ترىٰ فيها عوجًا ولا أمتًا** ﴾ ، وقال : ﴿ **ويوم نسيّر[٥] الجبال وترىٰ الأرض بارزة** ﴾ .

---

(٣) أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجًا** ﴾ زمرًا ، حديث (٤٩٣٥) (٨/٦٨٩ - ٦٩٠) .

---

[١] - سقط من ت . [٢] - في ز : وقوله .
[٣] - في ز : ابن .
[٤] - سقط من ز . [٥] - في ز : تسير .

وقوله : ﴿ إن جهنم كانت مرصادًا ﴾ ، أي : مرصدة مُعَدّة ﴿ للطاغين ﴾ ، وهم : المَرَدة العصاة المخالفون[١] للرسل ، ﴿ مآبًا ﴾ ، أي : مرجعًا ومنقلبًا ومصيرًا ونُزُلًا . وقال[٢] الحسن ، وقتادة في قوله : ﴿ إن جهنم كانت مرصادًا ﴾ : يعني : أنه لا يدخل أحد[٣] الجنة حتىٰ يجتاز بالنار، فإن كان معه جواز نجا وإلا احتبس . وقال سفيان الثوري : عليها ثلاث قناطر .

وقوله : ﴿ لابثين فيها أحقابًا ﴾ ، أي : ماكثين فيها أحقابًا ، وهي جمع « حُقب » ، وهو : المدة من الزمان وقد اختلفوا في مقداره ، فقال ابن جرير(٤) ، عن ابن حميد ، عن مهران ، عن سفيان الثوري ، عن عَمّار الدّهنيّ ، عن سالم بن أبي الجعد قال : قال علي بن أبي طالب لهلال الهَجَري : ما تجدونَ الحُقُبَ في كتاب اللّٰه المنزل ؟ قال : نجده ثمانين سنة ، كل سنة اثنا عشر شهرًا ، كل شهر ثلاثون يومًا ، كل يوم ألف سنة .

وهكذا رُوي عن أبي هُرَيرة(٥) ، وعبد اللّٰه بن عَمرو(٦) ، وابن عباس(٧) ، وسعيد بن جُبَير ، وعَمرو ابن ميمون ، والحسن ، وقتادة ، والربيع بن أنس ، والضحاك . وعن الحسن(٨) ، والسّدّي أيضًا : سبعون سنة كذلك . وعن عبد اللّٰه بن عمرو : الحُقُبُ أربعون سنة ، كل يوم منها كألف سنة مما تعدون . رواهما ابن أبي حاتم .

وقال بشير بنُ كعب : ذُكِر لي أن الحُقُب الواحد ثلاثمائة سنة ، كل سنة ثلاثمائة وستون يومًا ، كل يوم ألف سنة . رواه ابن جرير(٩) وابن أبي حاتم .

ثم قال ابن أبي حاتم(١٠) : ذكر عن عُمَر بن علي بن أبي بكر الأسْفَذْنِيّ ، حدثنا مروان بن معاوية الفَزَاري ، عن جعفر بن الزبير ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في قوله : ﴿ لابثين فيها أحقابًا ﴾ ، قال : فالحقب شهر ، الشهر ثلاثون يومًا ، والسنة

(٤) أخرجه الطبري (١١/٣٠) ، وهناد في الزهد (٢٢٠) من طريق سفيان به .
(٥) أخرجه الطبري (١١/٣٠) . وهناد في الزهد (٢١٩) كلاهما من حديث أبي هريرة بنحوه . وزاد السيوطي (٥٠٢/٦) نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .
(٦) ذكره السيوطي في الدر المنثور وعزاه إلى سعيد بن منصور وابن المنذر (٥٠٣/٦).
(٧) أخرجه الطبري (١١/٣٠) .
(٨) أخرجه الطبري (١١/٣٠- ١٢) .
(٩) تفسير الطبري (١١/٣٠) .
(١٠) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٥٠٢/٦) ، والطبراني وابن مردويه بسند ضعيف وزاد نسبته إلى ابن عمر العدني في مسنده ، وعزاه الهيثمي (١٣٦/٧) للطبراني مختصرًا وقال : فيه جعفر بن الزبير وهو ضعيف .

[١] - في ز : المخالفين .
[٢] - في ز : وقوله .
[٣] - سقط من ز ، خ .

اثنا عشر شهرًا ، والسنة ثلاثمائة وستون يومًا ، كل يوم منها ألف سنة مما تعدون ، فالحقب ثلاثون ألف ألف سنة : وهذا حديثُ منكر جدًّا ، والقاسم والراوي عنه وهو جعفر بن الزبير كلاهما متروك .

وقال البزار(١١) : حدثنا محمد بن مِرْدَاس ، حدثنا سليمان بن[١] مسلم أبو المُعَلَّىٰ قال : سألت سليمان التيمي : هل يخرج من النار أحد ؟ فقال : حدثني نافع ، عن ابن عمر ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « والله لا يخرج من النار أحد حتىٰ يمكث فيها أحقابًا » . قال : والحُقُب : بضع وثمانون سنة ، والسنة ثلاثمائة وستون يومًا مما تعدون » .

ثم قال : سليمان بن مسلم بصري مشهور .

وقال السّدّي : ﴿ **لابثين فيها أحقابًا** ﴾ : سبعمائة حُقب ، كل حُقب سبعون سنة ، كل سنة ثلاثمائة وستون يومًا ، كل يوم كألف سنة مما تعدون .

وقد قال مقاتل بن حيان : إن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى : ﴿ **فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابًا** ﴾ .

وقال خالد بن معدان : هذه الآية . وقوله : ﴿ **إلا ما شاء ربك** ﴾ في أهل التوحيد . رواهما ابن جرير . ثم قال : ويحتمل أن يكون قوله : ﴿ **لابثين فيها أحقابًا** ﴾ متعلقا بقوله : ﴿ **لا يذوقون فيها بردًا ولا شرابًا** ﴾ ثم يحدث الله لهم بعد ذلك عذابًا من شكل آخر ونوع آخر . ثم قال : والصحيح أنها لا انقضاء لها ، كما قال قتادة والربيع بن أنس . وقد قال قبل ذلك :

حدثني محمد بن عبد الرحيم البَرْقي ، حدثنا عمرو بن أبي سلمة ، عن زهير ، عن سالم : سمعت الحسن يسأل عن قوله : ﴿ **لابثين فيها أحقابًا** ﴾ ، قال : أما الأحقاب فليس لها عِدّة إلا الخلود في النار ، ولكن ذكروا أن الحُقُب سبعون سنة ، كل يوم منها[٢] كألف سنة مما تعدون .

وقال سعيد عن قتادة : قال الله تعالىٰ : ﴿ **لابثين فيها أحقابًا** ﴾ ، وهو : ما لا انقطاع له ، وكلما مضىٰ حُقب جاء حقب بعده ، وذكر لنا أن الحُقُب ثمانون سنة .

[وقال الربيع بن أنس : ﴿ **لابثين فيها أحقابًا** ﴾ : لا يعلم عدة هذه الأحقاب إلا الله ، ولكن الحقب الواحد ثمانون سنة][٣] ، والسنة ثلاثمائة وستون يومًا ، كل يوم كألف سنة مما تعدون .

(١١) أخرجه البزار في كتاب : صفة جهنم ، باب : متى يخرج من النار من دخلها ، حديث (٣٥٠٣) (٤/ ١٨٦ - كشف) . وقال الهيثمي في « المجمع » (١٠/٣٩٨) : رواه البزار وفيه سليمان بن مسلم الخشاب وهو ضعيف جدًّا . اهـ .

[١] - في خ : أبو .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من ز ، خ .

رواهما أيضًا ابن جرير(١٢).

وقوله : ﴿ لا يذوقون فيها بردًا ولا شرابًا ﴾ ، أي : لا يجدون في جَهنَّم بردًا لقلوبهم ، ولا شرابًا طيبًا يتغذون به ؛ ولهذا قال : ﴿ إلا حميمًا وغساقًا ﴾ . قال أبو العالية : استثنىٰ من البرد الحميم ومن الشراب الغساق . وكذا قال الربيع بن أنس .

فأما الحميم : فهو الحار الذي قد انتهى حره وحُموه . والغَسَّاق : هو ما اجتمع من صديد أهل النار وعرقهم ودموعهم وجروحهم ، فهو بارد لا يستطاع من برده ولا يواجه من نتنه . وقد قدمنا الكلام علىٰ الغساق في سورة « ص » بما أغنىٰ عن إعادته ، أجارنا الله من ذلك بمنّه وكرمه .

قال ابن جرير : وقيل : المراد بقوله : ﴿ لا يذوقون فيها بردًا ﴾ ، يعني : النوم ، كما قال الكنديّ :

بَرَدَت مَرَاشفها عَلَيّ فصدّني عنها وَعَنْ قُبلاتها البرد

يعني بالبرد : النعاس والنوم . هكذا ذكره ولم يَعزه إلىٰ أحد .

وقد رواه ابن أبي حاتم ، من طريق السدي ، عن مرة الطيب . ونقله عن مجاهد أيضًا . وحكاه البغوي عن أبي عُبَيدة والكسائي أيضًا . وقوله : ﴿ جزاءً وفاقًا ﴾ ، أي : هذا الذي صاروا إليه من هذه العقوبة وَفق أعمالهم الفاسدة التي كانوا يعملونها في الدنيا . قاله مجاهد ، وقتادة ، وغير واحد .

ثم قال : ﴿ إنهم كانوا لا يرجون حسابًا ﴾ ، أي : لم يكونوا يعتقدون أن ثَم دارًا يجازون فيها ويحاسبون ، ﴿ وكذبوا بآياتنا كذابًا ﴾ ، أي : وكانوا يكذبون بحجج اللّه ودلائله علىٰ خلقه التي أنزلها علىٰ رسله ، فيقابلونها بالتكذيب والمعاندة .

وقوله : ﴿ كذابًا ﴾ ، أي : تكذيبًا ، وهو مصدر من غير الفعل . قالوا : وقد سُمع أعرابي يستفتي الفَرّاءَ علىٰ المروة : الحلقُ أحبّ إليك أو القِصّار ؟ وأنشد بعضهم :

لَقَد طالَ ما ثَبّطْتني عَن صَحَابَتي وعن حوَج قضّاؤها[١] من شفَائيا

وقوله تعالىٰ : ﴿ وكل شيء أحصيناه كتابًا ﴾ ، أي : وقد عَلِمنا أعمالَ العباد كلهم ، وكتبناها عليهم ، وسنجزيهم علىٰ ذلك ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًّا فشر .

وقوله : ﴿ فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابًا ﴾ ، أي : يقال لأهل النار : ذوقوا ما أنتم فيه ،

(١٢) تقدم تخريجه برقم (٨) .

[١] - في ز : قصارها .

فلن نزيدكم إلا عذابًا من جنسه وآخر من شكله أزواج .

قال قتادة ، عن أبي أيوب الأزدي ، عن عبد الله بن عمرو قال : لم ينزل على أهل النار آية أشد من هذه : ﴿ **فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابًا** ﴾ . قال : فهم في مزيد من العذاب أبدًا .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن محمد بن مصعب الصّوري ، حدثنا خالد بن عبد الرحمن ، حدثنا[١] جَسر بن فَرقد ، عن الحسن قال : سألت أبا برزة الأسلمي عن أشد آية في كتاب الله على أهل النار . قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قرأ : ﴿ **فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابًا** ﴾ ، فقال : « هلك القوم بمعاصيهم الله عزّ وجل »(١٣) .

جسر بن فرقد ضعيف الحديث بالكلية .

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾

يقول تعالى مخبرًا عن السعداء وما أعد لهم تعالى من الكرامة والنعيم المقيم ، فقال : ﴿ **إن للمتقين مفازًا** ﴾ . قال ابن عباس والضحاك : متنزهًا . وقال مجاهد ، وقتادة : فازوا فنجوا من النار . والأظهر هاهنا قول ابن عباس ؛ لأنه قال بعده : ﴿ **حدائق** ﴾ ، وهي البساتين من النخيل وغيرها ﴿ **وأعنابًا . وكواعب أترابًا** ﴾ ، أي : وحورًا كواعب . قال ابن عباس ومجاهد ، وغير واحد : ﴿ **كواعب** ﴾ ، أي : نواهد ، يعنون أن [ثُدُيَّهن نواهد][٢] لم يتدلين لأنهن أبكار عرب أتراب ، أي : في سن واحدة ، كما تقدم بيانه في سورة الواقعة .

قال ابن أبي حاتم(١٤) : حدثنا عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن الدَّشتَكيّ ، حدثني أبي ، عن أبي سفيان عبد الرحمن بن عبد الله بن تيم ، حدثنا عطية بن سليمان أبو الغيث ، عن أبي عبد الرحمن القاسم بن أبي القاسم الدمشقي ، عن أبي أمامة ، أنه سمعه يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن قُمُص أهل الجنة لتبدو من رضوان الله ، وإن السحابة لتمر بهم فتناديهم : يا أهل الجنة ، ماذا تريدون أن أمطركم ؟ حتى إنها لتمطرهم الكواعب الأتراب » .

وقوله : ﴿ **وكأسًا دهاقًا** ﴾ - قال ابن عباس : مملوءة متتابعة . وقال عكرمة : صافية .

(١٣) أخرجه الطبري (٣٠/١١) .

(١٤) أخرجه البيهقي في « البعث والنشور » (ص ٣١٨) حديث (٥٧٩) . وقال الهيثمي في « المجمع » (٧/ ١٣٦) : رواه الطبراني وفيه شعيب بن بيان وهو ضعيف .

[١] - سقط من خ .

[٢] - في ز ، خ : « بدنهن كواعب » .

وقال مجاهد ، والحسن ، وقتادة ، وابن زيد : ﴿ **دهاقًا** ﴾ : الملأىٰ المترعة . وقال مجاهد ، وسعيد بن جبير : هي المتتابعة .

وقوله : ﴿**لا يسمعون فيها لغوًا ولا كذابا**﴾ ، كقوله : ﴿**لا لغو فيها ولا تأثيم**﴾ ، أي : ليس فيها كلام لاغ عار عن الفائدة ، ولا إثم كذب ، بل هي دار السلام ، وكل كلام فيها سالم من النقص .

وقوله : ﴿ **جزاءً من ربك عطاءً حسابًا** ﴾ ، أي : هذا الذي ذكرناه جازاهم الله به وأعطاهموه ، بفضله ومَنّه وإحسانه ورحمته ، ﴿ **عطاءً حسابًا** ﴾ ، أي : كافيًا وافرًا شاملًا كثيرًا ، تقول العرب : أعطاني فأحسبني ، أي : كفاني . ومنه : حسبي الله ، أي : الله كافي .

رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾

يخبر تعالىٰ عن عظمته وجلاله ، وأنه رب السموات والأرض وما فيهما وما بينهما ، وأنه الرحمن الذي شملت رحمته كل شيء .

وقوله : ﴿ **لا يملكون منه خطابًا** ﴾ ، أي : لا يقدر أحد علىٰ ابتداء مخاطبته إلا بإذنه ، كقوله : ﴿**من ذا الذي يشفع عنده إلّا بإذنه**﴾ ، وكقوله : ﴿ **يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه** ﴾ .

وقوله : ﴿ **يوم يقوم الروح والملائكة صفًا لا يتكلمون** ﴾ : اختلف المفسرون في المراد بالروح ها هنا ، ما هو ؟ علىٰ أقوال :

أحدها : رواه العوفي ، عن ابن عباس : أنهم أرواح بني آدم .

الثاني : هم بنو آدم . قاله الحسن وقتادة [ ][١] : هذا مما كان ابن عباس يكتمه .

الثالث : أنهم خَلق من خَلق الله ، علىٰ صُوَر بني آدم ، وليسوا بملائكة ولا ببشر ، وهم يأكلون ويشربون . قاله ابن عباس، ومجاهد ، وأبو صالح ، والأعمش .

---

[١] - في خ : وقال قتادة .

والرابع : هو جبريل . قاله الشعبي ، وسعيد بن جبير ، والضحاك . ويستشهد لهذا القول بقوله : ﴿ نزل به الروح الأمين علىٰ قلبك لتكون من المنذرين ﴾ وقال مقاتل بن حيان : الروح : أشرف الملائكة ، وأقرب إلىٰ الرب - عز وجل - وصاحب الوحي .

والخامس : أنه القرآن . قاله ابن زيد ، كقوله : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا ...﴾ الآية .

والسادس : أنه ملك من الملائكة بقدر جميع المخلوقات ؛ قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : قوله : ﴿ يوم يقوم الروح ﴾ ، قال : هو ملك من أعظم الملائكة خلقًا .

وقال ابن جرير(١٥) : حدثني محمد بن خلف العسقلاني ، حدثنا رَوّاد بن الجراح ، عن أبي حمزة ، عن الشعبي ، عن علقمة ، عن ابن مسعود قال : « الروح : في السماء الرابعة هو أعظم من السماوات ومن الجبال ومن الملائكة ، يسبح كل يوم اثنى عشر ألف تسبيحة ، يخلق اللَّه من كل تسبيحة مَلَكًا من الملائكة يجيء يوم القيامة صفًّا وحده » .وهذا قول غريب جدًّا .

وقد قال الطبراني(١٦) : حدثنا محمد بن عبد اللَّه [بن عرْس][١] المصري ، حدثنا وهب [اللَّه ابن روق بن هُبَيرة ، حدثنا بشر بن بكر][٢] ، حدثنا الأوزاعي ، حدثني عطاء ، عن عبد اللَّه بن عباس : سمعت رسول الله صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « إن للَّه ملكًا لو قيل له : التقم السماوات السبع والأرضين بلقمة واحدة ، لفعل ؛ تسبيحه : سبحانك حيث كنت » .

وهذا حديث غريب جدًّا ، وفي رفعه نظر ، وقد يكون موقوفًا علىٰ ابن عباس ، ويكون مما تلقاه من الإِسرائيليات ، واللَّه أعلم .

وتَوَقَّفَ ابنُ جرير فلم يقطَع بواحد[٣] من هذه الأقوال كلها ، والأشبه - واللَّه أعلم - أنهم بنو آدم .

وقوله : ﴿ إلا من أذن له الرحمٰن ﴾ ، كقوله : ﴿ لا تكلم نفس إلا بإذنه ﴾ كما[٤] ثبت في الصحيح : «ولا يتكلم يومئذٍ إلا الرسل». وقوله : ﴿ وقال صوابًا ﴾ ، أي : حقًّا ، ومن الحق : « لا إله إلا الله » ، كما قاله أبو صالح ، وعكرمة .

---

(١٥) تفسير الطبري (٣٠/٢٢) .

(١٦) - المعجم الكبير (١١/١٩٥) (١١٤٧٦) . وقال الهيثمي (١/٨٥) : رواه الطبراني في الأوسط والكبير ، وتفرد به وهب بن رزق ، ولم أر من ذكر له ترجمة اهـ.

---

[١] - في ز ، خ : عوس .

[٢] - ما بين المعكوفين بياض في ز ، خ .

[٣] - في ز : بواحدة .

[٤] - في ز : وكما .

وقوله : ﴿ **ذلك اليوم الحق** ﴾ ، أي : الكائن لا محالة ، ﴿ **فمن شاء اتخذ إلىٰ ربه مآبًا** ﴾ ، أي : مرجعًا وطريقًا يهتدي إليه ومنهجًا يمر به عليه .

وقوله : ﴿ **إنا أنذرناكم عذابًا قريبًا** ﴾ يعني : يوم القيامة لتأكد وقوعه صار قريبًا ، لأن كل ما هو آت آت .

﴿ **يوم ينظر المرء ما قدمت يداه** ﴾ ، أي : يعرض عليه جميع أعماله ، خيرها وشرها ، قديمها وحديثها ، كقوله : ﴿ **ووجدوا ما عملوا حاضرًا** ﴾ ، وكقوله : ﴿ **ينبأ الإنسان يومئذٍ بما قدم وأخر** ﴾ .

﴿ **ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابًا** ﴾ ، أي : يود الكافر يومئذ أنه كان في الدار الدنيا ترابًا ، ولم يكن خُلِقَ ، ولا خرج إلىٰ الوجود ، وذلك [حين عاين][١] عذابَ الله ، ونظر إلىٰ أعماله الفاسدة ، قد سُطِّرت عليه بأيدي الملائكة السَّفَرة الكرام البَرَرة .

وقيل : إنما يود ذلك حين يحكم اللَّه بين الحيوانات التي كانت في الدنيا ، فيفصل بينها بحكمه[٢] العدل الذي لا يجور ، حتىٰ إنه ليقتص للشاة الجمَّاء من القرناء . فإذا فرغ من الحكم بينها قال لها : كوني ترابًا ؛ فتصير ترابًا ، فعند ذلك يقول الكافر : ﴿ **يا ليتني كنت ترابًا** ﴾ ، أي : كنت حيوانًا فأرجع إلىٰ التراب . وقد ورد معنىٰ هذا في حديث الصّور المشهور(١٧) ، وورد فيه آثار عن أبي هريرة و[عن][٣] عبد الله بن عمرو وغيرهم .

[آخر تفسير سورة « عم »] .

☆ ☆ ☆

---

(١٧) أخرجه البيهقي في « البعث والنشور » (ص ٣٣٦ - ٣٤٤) (٦٠٩) وقد تقدم تخريجه مطولًا .

---

[١] - في ز ، خ : « جزعًا من » . [٢] - في ز : بحكم .

[٣] - سقط من ز .

تفسير سورة النازعات

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (٩) يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (١٠) أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً (١١) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (١٢) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ (١٤)

قال ابن مسعود ، وابن عباس ، ومسروق ، وسعيد بن جبير ، وأبو صالح ، وأبو الضحى ، والسّدّي : ﴿ **والنازعات غرقًا** ﴾ : الملائكة ، يعنون حين تنزع أرواح بني آدم ، فمنهم من تأخذ روحه بعُنف فتغرق[١] في[٢] نزعها ، ومَن تأخذ روحه بسهولة وكأنما حَلَّته من نشاط ، وهو قوله : ﴿**والناشطات نشطًا**﴾ قاله ابن عباس. وعن ابن عباس : ﴿ **والنازعات** ﴾ : هي أنفس الكفار ، تُنزَع ثم تُنشط ، ثم تغرق في النار .

رواه ابن أبي حاتم .

وقال مجاهد : ﴿ **والنازعات غرقًا** ﴾ : الموت . وقال الحسن ، وقتادة : ﴿ **والنازعات غرقًا والناشطات نشطًا** ﴾ : هي النجوم . وقال عَطَاءُ بنُ أبي رَباح في قوله : ﴿ **والنازعات** ﴾ و﴿**الناشطات** ﴾ : هي القِسِيّ في القتال .

والصحيح الأول ، وعليه الأكثرون .

وأما قوله : ﴿ **والسابحات سبحًا** ﴾ فقال ابن مسعود : هي الملائكة .

ورُوي عن علي ، ومجاهد ، وسعيد بن جُبَير ، وأبي صالح مثلُ ذلك .

وعن مجاهد : ﴿**والسابحات سبحًا**﴾ : الموت.

---

[١] - في ز : فيغرق .

[٢] - في خ : من .

وقال قتادة: هي النجوم. وقال عطاء بن أبي رباح: هي السفن. وقوله: ﴿ فالسابقات[١] سبقًا ﴾ رُوي عن علي، ومسروق، ومجاهد، وأبي صالح، والحسن البصري: يعني الملائكة؛ قال الحسن: سبقت إلىٰ الإيمان والتصديق به. وعن مجاهد: الموت. وقال قتادة: هي النجوم. وقال عطاء: هي الخيلُ في سبيل الله.

وقوله: ﴿ فالمدبرات أمرًا ﴾، قال علي، ومجاهد، وعطاء، وأبو صالح، والحسن، وقتادة، والربيع بن أنس، والسدي: هي الملائكة - زاد الحسن: تدبر الأمر من السماء إلىٰ الأرض - يعني بأمر ربها عز وجل. ولم يختلفوا في هذا، ولم يقطع ابن جرير بالمراد في شيء من ذلك، إلا أنه حكىٰ في ﴿ المدبرات أمرًا ﴾ أنها الملائكة، ولا أثبت ولا نفى.

وقوله: ﴿ يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة ﴾ قال ابن عباس: هما النفختان الأولىٰ والثانية. وهكذا قال مجاهد، والحسن، وقتادة، والضحاك، وغير واحد.

وعن مجاهد: أما الأولىٰ - وهي قوله -: ﴿ يوم ترجف الراجفة ﴾، [فكقوله جلت عظمته: ﴿ يوم ترجف الأرض والجبال ﴾، والثانية - وهي الرادفة -][٢] فهي كقوله: ﴿ وحُملَت الأرض والجبالُ فَدُكَّتا دكةً واحدةً ﴾.

وقد قال الإمام أحمد(١): حدثنا وكيع، حدثنا سفيان، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن الطفيل بن أبي بن كعب، عن أبيه قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: « جاءت الراجفة، تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه ». فقال رجل: يا رسول الله، أرأيت إن جعلت صلاتي كلها عليك؟ قال: « إذًا يكفيك الله ما أهَمَّك[٣] من دنياك وآخرتك ».

وقد رواه الترمذي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، من حديث سفيان الثوري، بإسناده مثله، ولفظ الترمذي وابن أبي حاتم: كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إذا ذهب ثلثا[٤] الليل قام فقال: « **يا أيها الناس، اذكروا الله، جاءت الراجفة، تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه** ».

وقوله: ﴿ قلوب يومئذ واجفة ﴾ قال ابن عباس: يعني خائفة. وكذا قال مجاهد، وقتادة.

---

(١) أخرجه أحمد (١٣٦/٥). والترمذي في كتاب: صفة القيامة، باب: (٢٤)، حديث (٢٤٥٩) (٧/ ١٦٤). وقال الترمذي: حسن صحيح. وحسنه الألباني في الصحيحة (٩٥٤). والطبري (٣٢/٣٠).

---

[١] - في ز: والسابقات.
[٢] - ما بين المعكوفين مكانه في ز، خ: « تتبعها الرادفة » قال ابن عباس: هما النفختان الأولى ».
[٣] - في ز: همك.
[٤] - في حاشية ز: ثلث. وعليها علامة « نسخة ».

﴿ أبصارها خاشعة ﴾ ، أي : أبصار أصحابها ، وإنما أضيف إليها ، للملابسة . أي : ذليلة حقيرة ؛ مما عاينت من الأهوال .

وقوله : ﴿ يقولون أئنا لمردودون في الحافرة ﴾ ؟ يعني مشركي قريش ، ومن قال بقولهم في إنكار المعاد ، يستبعدون وقوع البعث بعد المصير إلىٰ الحافرة وهي القبور . قاله مجاهد . وبعد تمزق أجسادهم وتفتت عظامهم ونخورها ؛ ولهذا قالوا : ﴿ أئذا كنا عظامًا نخرة ﴾ وقرئ : (ناخرة) .

و[١] قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة : أي بالية . قال ابن عباس : وهو العظم إذا بلىٰ ودَخَلت الريح فيه ﴿ قالوا تلك إذًا كرة خاسرة ﴾ .

وعن ابن عباس ، ومحمد بن كعب ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وأبي مالك ، والسدي ، وقتادة : الحافرة الحياة بعد الموت . وقال ابن زيد : الحافرة : النار وما أكثر أسماءها ! هي النار ، والجحيم، وسقر ، وجهنم ، والهاوية ، والحافرة ، ولظىٰ ، والحُطَمة .

وأما قولهم : ﴿ تلك إذًا كرة خاسرة ﴾ ، فقال محمد بن كعب : قالت قريش : لئن أحيانا الله بعد أن نموت لنخسرن .

قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة ﴾ ، أي : فإنما هو أمر من اللّٰه لا مثنوية فيه ولا تأكيد ، فإذا الناس قيام ينظرون ، وهو أن يأمر تعالىٰ إسرافيلَ فينفخ في الصّور نفخةَ البعث ، فإذا الأولون والآخرون قيامٌ بين يَدَي الربّ - عز وجل - ينظرون . كما قال : ﴿ يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلًا ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب ﴾ .

قال مجاهد : ﴿ فإنما هي زجرة واحدة ﴾ : صيحة واحدة .

وقال إبراهيم التيمي : أشد ما يكون الرب غَضَبًا علىٰ خلقه يوم يبعثهم .

وقال الحسن البصري : زجرة من الغضب . وقال أبو مالك والربيع بن أنس : زجرة واحدة : هي النفخة الآخرة .

وقوله : ﴿ فإذا هم بالساهرة ﴾ قال ابن عباس : ﴿ الساهرة ﴾ الأرض كلها . وكذا قال سعيد بن جُبَير ، وقتادة ، وأبو صالح .

---

[١] - سقط من ز .

وقال عكرمة ، والحسن ، والضحاك ، وابن[١] زيد : ﴿ الساهرة ﴾ وجه الأرض .

وقال مجاهد : كانوا بأسفلها فأخرجوا إلىٰ أعلاها - قال : و﴿ الساهرة ﴾ : المكان المستوي .

وقال الثوري : ﴿ الساهرة ﴾ أرض الشام ، وقال عثمان بن أبي العاتكة[٢] : ﴿ الساهرة ﴾ : أرض بيت المقدس . وقال وهب بن مُنَبه : ﴿ الساهرة ﴾ : جبل إلىٰ جانب بيت المقدس . وقال قتادة أيضًا : ﴿ الساهرة ﴾ : جهنم .

وهذه أقوال كلها غريبة ، والصحيح أنها الأرض وجهها الأعلىٰ .

وقال ابن أبي حاتم(٢) : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا خَزَر[٣] بن المبارك الشيخ الصالح ، حدثنا بشر بن السرى ، حدثنا مصعب بن ثابت ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد الساعدي : ﴿ فإذا هم بالساهرة ﴾ ، قال : أرض بيضاء عفراء كالخُبزَة النقِيِّ .

وقال الربيع بن أنس : ﴿ فإذا هم بالساهرة ﴾ ، يقول الله -عز وجل- : ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار** ﴾ . ويقول : ﴿ **ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفًا فيذرها قاعًا صفصفًا لا ترىٰ فيها عوجًا ولا أمتًا** ﴾ ، وقال : ﴿ **ويوم نسير[٤] الجبال وترَىٰ الأرض بارزة** ﴾ : وبرزت الأرض التي عليها الجبال ، وهي لا تعد من هذه الأرض ، وهي أرض لم يعمل عليها خطيئة ، ولم يُهَراق عليها دم .

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ (١٥) إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦) ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ (١٧) فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ (١٩) فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ (٢١) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَىٰ (٢٣) فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ (٢٤) فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ (٢٥) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ (٢٦)

يخبر تعالىٰ رسوله محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم عن عبده ورسوله موسىٰ - عليه السلام -

---

(٢) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٥١٢/٦) وزاد نسبته إلى ابن المنذر .

---

[١] - في ز ، خ : وأبو .
[٢] - في ز ، خ : العالية .
[٣] - في ز بلا نقط .
[٤] - في ز : تسير .

أنه ابتعثه إلىٰ فرعون ، وأيده بالمعجزات ، ومع هذا استمر علىٰ كفره وطغيانه ، حتىٰ أخذه اللَّه أخذ عزيز مقتدر . وكذلك عاقبة من خالفك وكذب بما جئت به ، ولهذا قال في آخر القصة : ﴿ **إن في ذلك لعبرة لمن يخشىٰ** ﴾ .

فقوله : ﴿ **هل أتاك حديث موسىٰ** ﴾ أي : هل سمعت بخبره ؟ ﴿ **إذ ناداه ربه** ﴾ ، أي : كلمه نداءً ، ﴿ **بالواد المقدس** ﴾، أي : المطهر ، ﴿ **طوىٰ** ﴾ ، وهو اسم الوادي علىٰ الصحيح ، كما تقدم في سورة « طه » . فقال له : ﴿ **اذهب إلىٰ فرعون إنه طغىٰ** ﴾ ، أي تجبر وتمرد وعتا ، ﴿ **فقل هل لك إلىٰ أن تزكىٰ** ﴾ أي : قل له : هل لك أن تجيب إلىٰ طريقة ومسلك تَزَكّىٰ به . أي : تسلم وتطيع . ﴿ **وأهديك إلىٰ ربك** ﴾ ، أي : أدلك إلىٰ عبادة ربك ، ﴿ **فتخشىٰ** ﴾ ، أي : فيصير قلبك خاضعًا له مطيعًا خاشيًا بعد ما كان قاسيًا خبيثًا بعيدًا من الخير . ﴿ **فأراه الآية الكبرىٰ** ﴾ ، يعني : فأظهر له موسىٰ مع هذه الدعوة الحقّ حجة قوية ، ودليلًا واضحًا علىٰ صدق ما جاءه به من عند الله ، ﴿ **فكذب وعصىٰ** ﴾ ، أي : فكذب بالحق[١] وخالف ما أمره به من الطاعة . وحاصِلُه أنه كَفَر قلبُه فلم ينفعل لموسىٰ بباطنه ولا بظاهره ، وعلمُهُ بأن ما جاء به أنه حق لا يلزم منه أنه مؤمن به ؛ لأن المعرفة علمُ القلب ، والإِيمان عمله ، وهو الانقياد للحق والخضوع له .

وقوله : ﴿ **ثم أدبر يسعىٰ** ﴾ ، أي : في مقابلة الحق بالباطل ، وهو جَمعُهُ السحرةَ ليقابلوا ما جاء به موسىٰ - عليه السلام - من المعجزة الباهرة ، ﴿ **فحشر فنادىٰ** ﴾ ، أي : في قومه ﴿ **فقال أنا ربكم الأعلىٰ** ﴾ .

قال ابن عباس ومجاهد : وهذه الكلمة قالها فرعون بعد قوله : ﴿**ما علمت لكم من إلٰه غيري**﴾ بأربعين سنة .

قال الله تعالى : ﴿**فأخذه الله نكال الآخرة والأولىٰ**﴾ أي : انتقم الله منه انتقامًا جعله به عبرة ونكالًا لأمثاله من المتمردين في الدنيا ﴿ **ويوم القيامة ، بئس الرفد المرفود** ﴾ كما قال تعالى : ﴿**وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون**﴾ ، هذا هو الصحيح في معنىٰ الآية أن المراد بقوله : ﴿ **نكال الآخرة والأولىٰ** ﴾ ، أي : الدنيا والآخرة . وقيل : المراد بذلك كلمتاه[٢] الأولىٰ والثانية . وقيل : كفره وعصيانه . والصحيح الذي لا شك فيه الأول .

وقوله : ﴿**إنَّ في ذلك لعبرة لمن يخشىٰ**﴾ أي : لمن يتعظ وينزجر .

ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾

---

[١] - في ز : الحق .

[٢] - في ز : كلمتيه .

﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٣)﴾

يقول تعالىٰ محتجًا علىٰ منكري البعث في إعادة الخلق بعد بدئه : ﴿ **أأنتم** ﴾ أيها الناس ﴿ **أشدّ خلقًا أم السماء** ﴾ يعني بل السماءُ أشدّ خلقًا منكم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس** ﴾ ، وقال : ﴿ **أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ، بلى ، وهو الخلاق العليم** ﴾ . فقوله : ﴿ **بناها** ﴾ فسره بقوله : ﴿ **رفع سمكها فسواها** ﴾ ، أي : جعلها عالية البناء ، بعيدة الفناء ، مستوية الأرجاء ، مكللة بالكواكب في الليلة الظلماء .

وقوله : ﴿ **وأغطش ليلها وأخرج ضحاها** ﴾ ، أي : جعل ليلها مظلمًا أسود حالكًا ، ونهارها مضيئًا مشرقًا نيرًا واضحًا .

قال ابن عباس : أغطش ليلها : أظلمه . وكذا قال مجاهد وعكرمة ، وسعيد بن جبير وجماعة كثيرون .

﴿ **وأخرج ضحاها** ﴾ ، أي : أنار نهارها .

وقوله : ﴿ **والأرض بعد ذلك دحاها** ﴾ فسره بقوله : ﴿ **أخرج منها ماءها ومرعاها** ﴾ ، وقد تقدم في سورة « حم السجدة » أن الأرض خلقت قبل السماء ، ولكن إنما دُحيت بعد خلق السماء ، بمعنىٰ أنه أخرج ما كان فيها بالقوة إلىٰ الفعل . وهذا معنىٰ قول ابن عباس ، وغير واحد ، واختاره ابن جرير .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبد اللَّه بن جعفر الرقي ، حدثنا عبيد الله - يعني ابن عَمرو[١] - عن زيد بن أبي أنيسة ، عن المنهال بن عَمْرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ **دحاها** ﴾ : وَدَحْيها أن أخرج منها الماء والمرعىٰ ، وشقق الأنهار ، وجعل فيها الجبال والرمال والسبل والآكام ، فذلك قوله : ﴿ **والأرض بعد ذلك دحاها** ﴾ . وقد تقدم تقرير ذلك هنالك .

وقوله : ﴿ **والجبال أرساها** ﴾ ، أي : قررها وأثبتها[٢] وأكَّدها في أماكنها ، وهو الحكيم العليم : الرءوف بخلقه الرحيم .

قال الإمام أحمد(٣) : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا العوام بن حَوشب ، عن سليمان بن أبي

(٣) المسند (١٢٤/٣) (١٢٢٧٤) . وسليمان بن أبي سليمان لم يوثقه غير ابن حبان ، وقال الحافظ في التقريب « مقبول » وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح . والحديث رواه الترمذي في التفسير ٣٣٦٩ عن =

[١] - في ز : عمر . [٢] - في ز : وثبتها .

سليمان ، عن أنس بن مالك عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « لما خلق اللّٰه الأرض جعلت تميد ، فخلق الجبال فألقاها عليها ، فاستقرت ، فتعجبت الملائكةُ من خَلق الجبال فقالت : يا رب ؛ فهل من خلقك شيء أشد من الجبال ؟ قال : نعم ، الحديد ، قالت : يا رب ؛ فهل من خلقك شيء أشد من الحديد ؟ قال : نعم ، النار . قالت : يا رب ؛ فهل من خلقك شيء أشد من النار ؟ قال : نعم ، الماء . قالت : يا رب ؛ فهل من خلقك شيء أشد من الماء ؟ قال : نعم ، الريح ، قالت : يا رب ؛ فهل من خلقك شيء أشد من الريح ؟ قال : نعم ، ابن آدم ، يتصدق بيمينه يخفيها من[١] شماله » .

وقال أبو جعفر بن جرير(٤) : حدثنا ابنُ حميد ، حدثنا جرير ، عن عطاء ، عن أبي عبد الرحمن السُلَمي ، عن علي قال : لما خلق اللّٰه الأرض قمصت[٢] وقالت : تخلق عَلَي آدم وذريته ، يلقون عليّ نتنهم ويعملون عَلَيّ بالخطايا ، فأرساها اللّٰه بالجبال ، فمنها ما ترون ، ومنها ما لا ترون ، وكان أول قَرَار الأرض كلحم الجزور إذا نُحِر ، يختلج لحمه . غريب .

وقوله : ﴿ متاعًا لكم ولأنعامكم ﴾ ، أي : دحا الأرض فأنبع عيونها ، وأظهر مكنونها ، وأجرىٰ أنهارها[٣] ، وأنبت زروعها وأشجارها وثمارها ، وثبت جبالها لتستقر بأهلها ويقر قرارها ، كل ذلك متاعًا لخلقه ولما يحتاجون إليه من الأنعام التي يأكلونها ويركبونها مدّةَ احتياجهم إليها في هذه الدار إلىٰ أن ينتهي الأمد ، وينقضي الأجل .

فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾

= ابن بشار ، عن يزيد بن هارون ، عن العوام بن حوشب عنه به . وقال : غريب لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه . ورواه عبد بن حميد ١٢١٥ . وأبو يعلى (٤٣١٠) (٧/٢٨٦-٢٨٧) حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا يزيد بن هارون به . والحديث صححه الضياء في « المختارة » (١/١٢٥/ب) .

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/٤٧) .

[١] - في خ : عن .
[٢] - بياض في ز ، خ .
[٣] - في ز : أنهارًا .

يقول تعالىٰ : ﴿ **فإذا جاءت الطامة الكبرىٰ** ﴾ ، وهو يوم القيامة . قاله ابن عباس ، سميت بذلك لأنها تَطُمّ علىٰ كل أمرٍ هائل مفظع ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **والساعة أدهى وأمر** ﴾ .

﴿ **يوم يتذكر الإنسان ماسعىٰ** ﴾ ، أي : حينئذٍ يتذكرُ ابنُ آدم جميع عمله[١] خيره وشره ، كما قال : ﴿ **يومئذ يتذكر الإنسان وأنىٰ له الذكرىٰ** ﴾ . ﴿ **وبرزت الجحيم لمن يرىٰ** ﴾ ، أي : أظهرت للناظرين فرآها الناس عيانًا . ﴿ **فأما من طغىٰ** ﴾ ، أي : تَمَرّد وعتا ، ﴿ **وآثر الحياة الدنيا** ﴾ ، أي : قدمها علىٰ أمر دينه وأخراه ، ﴿ **فإن الجحيم هي المأوىٰ** ﴾ ، أي : فإن مصيرَه إلىٰ الجحيم ، وإن مطعمه من الزقوم ومشربه من الحميم . ﴿ **وأما من خاف مقام ربه ونهي النفس عن الهوىٰ** ﴾ ، أي : خاف القيامَ بين يدي الله - عز وجل - وحكمَ اللّٰه فيه ، ونهىٰ نفسه عن هواها ، ورَدّها إلىٰ طاعة مولاها ، ﴿ **فإن الجنة هي المأوىٰ** ﴾ أي : منقلبه ومصيره ومرجعه إلىٰ الجنة الفيحاء .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **يسألونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها إلىٰ ربك منتهاها** ﴾ ، أي : ليس علمها إليك ولا إلىٰ أحد من الخلق ، بل مَرَدّها ومَرجعها إلىٰ اللّٰه - عز وجل - فهو الذي يعلم وقتها علىٰ التعيين ؛ ﴿ **ثَقُلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة ، يسألونك كأنك حَفيٌّ عنها قل إنما علمها عند الله** ﴾ . وقال هاهنا : ﴿ **إلىٰ ربك منتهاها** ﴾ ؛ ولهذا[٢] لما سأل جبريلُ رسولَ الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم عن وقت الساعة قال : « **ما المسئول عنها بأعلم من السائل** » .

وقوله : ﴿ **إنما أنت منذر من يخشاها** ﴾ ، أي : إنما بعثتك لتنذر الناس وتحذرهم من بأس اللّٰه وعذابه ، فمن خشي اللّٰه وخاف مقامه ووعيده ، اتبعك فأفلح وأنجح ، والخيبة والخسار علىٰ من كذبك وخالفك .

وقوله : ﴿ **كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها** ﴾ ، أي : إذا قاموا من قبورهم إلىٰ المحشر يستقصرون مُدّة الحياة الدنيا ، حتىٰ كأنها عندهم كانت عشية من يوم أو ضُحىٰ من يوم .

قال جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : ﴿ **كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها** ﴾ ، أما عَشِيّة فما بين الظهر إلىٰ غروب الشمس ، ﴿ **أو ضحاها** ﴾ ، ما بين طلوع الشمس إلىٰ نصف النهار .

وقال قتادة : وقت الدنيا في أعين القوم حين عاينوا الآخرة .

[آخر تفسير سورة النازعات ولله الحمد والمنة] .

---

[١] - سقط من ز ، خ . [٢] - في ز : وهذا .

تفسير سورة عبس

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١﴾ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾

ذكر غيرُ واحدٍ من المفسرين أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كان يومًا يخاطبُ بعض عظماء قريش ، وقد طَمع في إسلامه ، فبينما هو يخاطبه ويناجيه إذ أقبل ابنُ أم مكتوم - وكان ممن أسلم قديمًا - فجعل يسأل رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم عن شيء ويلح عليه ، ووَدّ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أن لو كف ساعته تلك ؛ ليتمكن من مخاطبة ذلك الرجل ؛ طمعًا ورغبة في هدايته ؛ وعَبَس في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه ، وأقبل علىٰ الآخر ، فأنزل اللّٰه - عز وجل - : ﴿ **عبس وتولىٰ أن جاءه الأعمىٰ وما يدريك لعله يزكىٰ** ﴾ أي : يحصل له زكاة[١] وطهارة في نفسه ، ﴿ **أو يذكر فتنفعه الذكرىٰ** ﴾ ، أي : يحصل له اتعاظ وانزجار عن المحارم ، ﴿ **أما من استغنىٰ فأنت له تصدىٰ** ﴾ ، أي : أما الغنيّ فأنت تتعرض له لعله يهتدي ﴿ **وما عليك ألا يزكىٰ** ﴾ أي : ما أنت بمطالب به إذا لم يحصل له زكاة[٢] . ﴿ **وأما من جاءك يسعىٰ وهو يخشىٰ** ﴾ أي : يقصدك ويؤمك ليهتدي بما تقول له ﴿ **فأنت عنه تلهى** ﴾ ، أي : تتشاغل . ومن ها هنا أمر اللّٰه - عز وجل - رسوله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أن لا يخص بالإنذار أحدًا ، بل يساوي فيه بين الشريف والضعيف ، والفقير والغني ، والسادة والعبيد ، والرجال والنساء ، والصغار والكبار . ثم اللّٰه يهدي من يشاء إلىٰ صراط مستقيم ، وله الحكمة البالغة[٣] ، والحجة الدامغة[٤] .

قال الحافظ أبو يعلىٰ في مسنده(١) : حدثنا محمد - هو ابن مهدي - حدثنا عبد الرزاق ،

(١) مسند أبي يعلى (٥/٤٣١ - ٤٣٢) (٣١٢٣) .

[١] - في ز : زكاء .
[٢] - في ز : زكاء .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - سقط من ز ، خ .

أخبرنا معمر ، عن قتادة عن أنس في قوله : ﴿ عبس وتولىٰ ﴾ ، جاء ابن أم مكتوم إلىٰ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وهو يكلم أبي بن خلف ، فأعرض عنه ، فأنزل اللّٰه : ﴿ عبس وتولىٰ أن جاءه الأعمىٰ ﴾ ، فكان النبيّ صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بعد ذلك يكرمه .

وقال قتادة : وأخبرني أنس بن مالك ؛ قال : رأيته يوم القادسية وعليه درع ، ومعه راية سوداء ، يعني ابن أم مكتوم .

وقال أبو يعلى(٢) وابن جرير(٣) : حدثنا سعيد بن يحيىٰ الأموي ، حدثني أبي ، عن هشام بن عروة [مما عرضه][١] عليه عن عروة ، عن عائشة ؛ قالت : أنزلت : ﴿ عبس وتولىٰ ﴾ في ابن أم مكتوم الأعمىٰ ، أتىٰ إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فجعل يقول : أرشدني - قالت : وعند رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم من عظماء المشركين - قالت : فجعل النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يُعرض عنه ويقبل علىٰ الآخر ، ويقول : « أترىٰ بما أقول بأسًا ؟ ». فيقول : لا . ففي هذا أنزلت : ﴿ عبس وتولىٰ ﴾ .

وقد روىٰ الترمذي(٤) هذا الحديثَ ، عن سعيد بن يحيىٰ الأموي ، بإسناده مثله ، ثم قال : « وقد رواه بعضهم عن هشام بن عروة ، عن أبيه ؛ قال : أنزلَت ﴿ عبس وتولىٰ ﴾ في ابن أم مكتوم ، ولم يذكر فيه عن عائشة » . قلت : كذلك هو في الموطأ .

ثم روىٰ ابن جرير(٥) وابن أبي حاتم أيضًا من طريق العوفي ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ عبس وتولىٰ أن جاءه الأعمىٰ ﴾ ، قال : بينا رسولُ اللّٰه - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - يناجي عتبة بن ربيعة ، وأبا جهل بنَ هشام ، والعباس بن عبد المطلب - وكان يتصدىٰ لهم كثيرًا ، ويحرص عليهم أن يؤمنوا - فأقبل إليه رجل أعمىٰ - يقال له عبد اللّٰه بن أم مكتوم - يمشي وهو يناجيهم ، فجعل عبد اللّٰه يستقرئُ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم آية من القرآن ، وقال : يا رسول اللّٰه ؛ علّمني مما علمك اللّٰه ، فأعرض عنه رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وعبس في وجهه ، وتولىٰ وكره كَلامَه ، وأقبل علىٰ الآخرين ، فلما قضىٰ رسولُ اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم نجواه ، وأخذ ينقلب إلىٰ أهله ، أمسك اللّٰه بعض بصره ، ثم خَفَقَ برأسه ، ثم أنزل اللّٰه : ﴿ عبس وتولىٰ أن جاءه الأعمىٰ وما يدريك لعله يزكىٰ أو يذكر فتنفعه الذكرىٰ ﴾ . فلما نزل فيه ما

(٢) مسند يعلى (٨/٢٦١) (٤٨٤٨) .

(٣) تفسير الطبري (٣٠/٥٠) .

(٤) سنن الترمذي ، كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة عبس ، حديث (٣٣٢٨) (٩/٦٧ - ٦٨) . وقال الترمذي : حسن غريب . وصحح إسناده الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٦٥١ ، ٣٥٦٦) .

(٥) تفسير الطبري (٣٠/٥١) .

[١] - بياض في ز ، خ .

نزل ، أكرمه رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وكلمه ، وقال له النبي - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - « ما حاجتك ؟ هل تريد من شيء ؟ » وإذا ذهب من عنده قال : « هل لك حاجة في شيء ؟ » . وذلك لما أنزل اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **أما من استغنىٰ فأنت له تصدىٰ وما عليك ألا يزكىٰ** ﴾ فيه غرابة ونكارة ، وقد تكلم في إسناده .

وقال ابن أبي حاتم(٦) : حدثنا أحمد بن منصور الرمادي ، حدثنا عبد اللّٰه بن صالح ، حدثني الليث ، حدثني يونس ، عن ابن شهاب ؛ قال : قال سالم بن عبد اللّٰه ، عن عبد اللّٰه ابن عمر : سمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم؛ يقول : « إن بلالًا يؤذن بليل ، فكلوا واشربوا حتىٰ تسمعوا أذان ابن أم مكتوم » . وهو الأعمىٰ الذي أنزل اللّٰه فيه : ﴿ **عبس وتولىٰ أن جاءه الأعمىٰ** ﴾ ، وكان يؤذن مع بلال . قال سالم : وكان رجلًا ضرير البصر ، فلم يك يؤذن حتى يقول له الناس - حين ينظرون إلى بزوغ[١] الفجر - : أذن .

وهكذا ذكر عروة بن الزبير ، ومجاهد ، وأبو مالك ، وقتادة ، والضحاك ، وابن زيد ، وغير واحد من السلف والخلف ؛ أنها نزلت في ابن أم مكتوم . والمشهور أن اسمه عبد اللّٰه ، ويقال : عمرو ، واللّٰه أعلم .

وقوله : ﴿ **كلا إنها تذكرة** ﴾ ، أي : هذه السورة ، أو الوصية بالمساواة بين الناس في إبلاغ العلم من شريفهم ووضيعهم .

وقال قتادة والسدي : ﴿ **كلا إنها تذكرة** ﴾ ؛ يعني القرآن . ﴿ **فمن شاء ذكره** ﴾ ، أي : فمن شاء ذكر اللّٰه في جميع أموره . ويحتمل عود الضمير علىٰ الوحي ؛ لدلالة الكلام عليه .

وقوله : ﴿ **في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة** ﴾ ، [أي : هذه السورة أو العظة ، وكلاهما متلازم ، بل جميع القرآن ﴿ **في صحف مكرمة** ﴾][٢] ، أي : معظمة موقرة . ﴿ **مرفوعة** ﴾ ، أي : عالية القدر ، ﴿ **مطهرة** ﴾ أي : من الدنس والزيادة والنقص .

وقوله : ﴿ **بأيدي سفرة** ﴾ قال ابن عباس ومجاهد ، والضحاك وابن[٣] زيد : هي الملائكة .

وقال وهب بن منبه : هم أصحاب محمد صلىٰ اللّٰه عليه وسلم . وقال قتادة : هم القراء .

(٦) وأصله في الصحيحين دون ذكر أنه هو الذي أنزل الله فيه : ﴿ **عبس وتولى ٭ أن جاءه الأعمى** ﴾ . أخرجه البخاري في كتاب : الأذان ، باب : أذان الأعمى إذا كان له من يخبره ، حديث (٦١٧) (٩٩/٢) . وأطرافه في [٦٢٠ ، ٦٢٣ ، ١٩١٨ ، ٢٦٥٦ ، ٧٢٤٨] . ومسلم في كتاب : الصيام ، باب : بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر . حديث (٣٦ ، ١٠٩٢/٣٧) (٢٨٤/٧ - ٢٨٥) . كلاهما من طريق ابن شهاب بهذا الإسناد وقد ورد الحديث عن عدة من الصحابة ، راجع الإرواء (٢١٩) .

[١] - في ز : فروع .
[٢] - سقط من خ .
[٣] - في ز : وأبو .

وقال ابن جرير ، عن ابن عباس : السفرة بالنبطية : القراء .

وقال ابن جرير : الصحيح أن السفرة الملائكةُ ، [والسفرة][١] يعني بين الله وبين خلقه ، ومنه يقال : السفير : الذي يسعىٰ بين الناس في الصلح والخير ، كما قال الشاعر :

وما أدع السفارة بين قومي وما أمشي بغشٍ إن مشيت

وقال البخاري(٧) : « سَفَرَة : الملائكة . سفرت : أصلحت بينهم . وجعلت الملائكةُ إذا نَزَلت بوحْي الله وتأديته[٢] كالسفير الذي يصلح بين القوم[٣] » .

وقوله : ﴿ كرام بررة ﴾ ، أي : خُلقهم كريم حَسَن شريف ، وأخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة كاملة . ومن ها هنا ينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله علىٰ السداد والرشاد .

قال الإمام أحمد (٨): حدثنا إسماعيل ، حدثنا[٤] هشام ، عن قتادة ، عن زُرَارة بن أوفي ، عن سعد بن هشام ، عن عائشة ؛ قالت : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم « الذي يقرأ القرآن - وهو ماهر به - مع السَفَرَة الكرام البَرَرَة ، والذي يقرؤه - وهو عليه شاق - له أجران » .

أخرجه الجماعة من طريق قتادة به .

﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا

(٧) في كتاب : التفسير ، باب : سورة عبس (٨/٦٩١) .

(٨) المسند (٦/٤٨) (٢٤٣٢٢) . وأخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : سورة عبس ، حديث (٤٩٣٧) (٨/٦٩١) . ومسلم في كتاب : صلاة المسافرين ، باب : فضل الماهر بالقرآن والذي يتتعتع فيه ، حديث (٢٤٤/٧٩٨) (٦/١٢١) . وأبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : في ثواب قراءة القرآن ، حديث (١٤٥٤) (٢/٧٠ - ٧١) . والترمذي في كتاب : ثواب القرآن ، باب : ما جاء في فضل قارئ القرآن ، حديث (٢٩٠٦) (٨/١١١ - ١١٢) . والنسائي في الكبرى في كتاب : فضائل القرآن ، باب : الماهر بالقرآن ، حديث (٨٠٤٥) (٥/٢٠) باب : المتتعتع في القرآن ، حديث (٨٠٤٦ ، ٨٠٤٧) (٥/٢١) . وابن ماجة في كتاب : الأدب ، باب : ثواب القرآن ، حديث (٣٧٧٩) (٢/١٢٤٢) . قال الترمذي : حسن صحيح .

[١] - سقط من ت .

[٢] - في ز : تأديبه .

[٣] - في ز : الناس .

[٤] - في خ : أخبرنا .

﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٢)﴾

يقول تعالىٰ ذامًّا لمن أنكر البعث والنشور من بني آدم : ﴿ **قتل الإنسان ما أكفره** ﴾ . قال الضحاك ، عن ابن عباس : ﴿ **قتل الإنسان** ﴾ : لعن الإنسان . وكذا قال أبو مالك . وهذا لجنس الإنسان المكذب ؛ لكثرة تكذيبه بلا مستند ، بل بمجرد الاستبعاد وعدم العلم .

قال ابن جرير : ﴿ **ما أكفره** ﴾ : ما أشد كفره ! وقال ابن جرير : ويحتمل أن يكون المراد أي شيء جعله كافرًا ؟ أي : ما حمله علىٰ التكذيب بالمعاد .

وقال قتادة - وقد حكاه البغوي عن مقاتل والكلبي - : ﴿ **ما أكفره** ﴾ ما ألعنه .

ثم بين تعالىٰ له كيف خَلَقَه اللَّه من الشيء الحقير ، وأنه قادر علىٰ إعادته كما بدأه ، فقال : ﴿ **من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره** ﴾ ، أي : قدر أجله ورزقه وعمله وشقي أو سعيد . ﴿ **ثم السبيل يسره** ﴾ قال العوفي ، عن ابن عباس : ثم يسر عليه خروجه من بطن أمه . وكذا قال عكرمة ، والضحاك ، وأبو صالح ، وقتادة ، والسدي ، واختاره ابن جرير .

وقال مجاهد : هذه كقوله : ﴿ **إنا هديناه السبيل إما شاكرًا وإما كفورًا** ﴾ . أي : بيّنا له ووضّحناه وسَهلنا عليه علمه ، وهكذا قال الحسن ، وابن زيد . وهذا هو الأرجح ، واللَّه أعلم .

وقوله : ﴿ **ثم أماته فأقبره** ﴾ أي : إنه بعد خلقه له ﴿ **أماته فأقبره** ﴾ أي : جعله ذا قبر . والعرب تقول : « قبرتُ الرجل » : إذا ولّىٰ ذلك منه ، وأقبره اللَّه . « وعَضَبتُ[١] قرن الثور ، وأعضبه[٢] اللَّه ، وبترت ذنب البعير وأبتره اللَّه : وطردت عني فلانًا ، وأطرده اللَّه . أي : جعله طريدًا ، قال الأعشى :

لو أَسْنَدَتْ مَيْتًا إلى نحرها[٣] عَاش ولَم يُنقَل إلىٰ قابر

وقوله : ﴿ **ثم إذا شاء أنشره** ﴾ ، أي : بعثه بعد موته ، ومنه يقال : البعث والنشور ، ﴿ **ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون** ﴾ .

﴿ **وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحمًا** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم(٩) : حدثنا أبي ، حدثنا أصبغ بن الفَرَج ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني

---

(٩) في رواية دراج عن أبي السمح ضعف لكن يشهد لبعضه ما بعده .

---

[١] - في ز : عصبت . [٢] - في ز : وأعصبه .

[٣] - في ز : خدرها .

عمرو ابن الحارث : أن دراجًا أبا السمح أخبره ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ؛ قال : « يأكل الترابُ كلّ شيء من الإِنسان إلا عَجْبَ ذَنبِه[١] » . قيل : وما هو يا رسول اللّٰه ؟ قال : « مثل حبة خردل منه ينشئون » .

وهذا الحديث ثابت في الصحيح(١٠) من رواية الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، بدون هذه الزيادة ، ولفظه : « كل ابن آدم يبلىٰ إلا عَجْبُ الذنب ، منه خلق وفيه يركب » .
وقوله : ﴿ **كلا ، لمَّا يقض ما أمره** ﴾ - قال ابن جرير : يقول : كلا ، ليس الأمر كما يقول هذا الإِنسان الكافر ؛ من أنه قد[٢] أدىٰ حق اللّٰه عليه في نفسه وماله ، ﴿ **لما يقض ما أمره** ﴾ ، يقول : لم يُؤَدِّ ما فرض عليه من الفرائض لربه عز وجل .

ثم روىٰ هو وابن أبي حاتم من طريق ابن أبي نَجيح ، عن مجاهد قوله : ﴿ **كلا[٣] لما يقض ما أمره** ﴾ ، قال : لا يقضي أحد أبدًا كل ما افترض عليه . وحكاه البغوي ، عن الحسن البصري ، بنحو من هذا . ولم أجد للمتقدمين فيه كَلامًا سوىٰ هذا . والذي يقع لي في معنىٰ ذلك - واللّٰه أعلم - أن المعنىٰ : ﴿ **ثم إذا شاء أنشره** ﴾ ، أي : بعثه ، ﴿ **كلا لما يقض ما أمره** ﴾ : لا يفعله الآن حتىٰ تنقضي المدة ، ويفرغ القدرمن بني آدم ممن كتب تعالىٰ له أن[٤] سيُوجَدُ منهم ، ويخرج إلىٰ الدنيا ، وقد أمر[٥] به تعالىٰ كونًا وقدرًا ، فإذا تناهى ذلك عند اللّٰه أنشر اللّٰه الخلائق وأعادهم كما بدأهم .

وقد روىٰ ابنُ أبي حاتم ، عن وهب بن مُنَبِّه ؛ قال : قال عُزَير عليه السلام : قال الملك الذي جاءني : فإن القبور[٦] هي بطنُ الأرض ، وإن الأرض هي أم الخلق ، فإذا خلق اللّٰه ما أراد أن يخلق ، وتمت هذه القبور التي مَدّ اللّٰه لها ، انقطعت الدنيا ومات من عليها ، ولفظت الأرض ما في جوفها ، وأخرجت القبورُ ما فيها . وهذا شبيه بما قلناه من معنىٰ الآية ، واللّٰه - سبحانه وتعالىٰ - أعلم بالصواب .

وقال : ﴿ **فلينظر الإنسان إلىٰ طعامه** ﴾ : فيه [امتنان وفيه][٧] استدلال بإحياء النبات من الأرض الهامدة علىٰ إحياء الأجسام بعد ما كانت عظامًا بالية وترابًا ممزقًا[٨] : ﴿ **أنا صببنا الماء**

(١٠) أخرجه البخارى في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء اللّٰه ....** ﴾ ، حديث (٤٨١٤) (٨/٥٥١ - ٥٥٢) وطرفه في [٤٩٣٥] . ومسلم في كتاب : الفتن ، باب : ما بين النفختين ، حديث (٢٩٥٥/١٤١) . كلاهما من رواية الأعمش بمعناه .

[١] - في خ : الذنب .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - في ز : أمره .
[٦] - في ز : الصور .
[٧] - سقط من ز .
[٨] - في ز : متمزقًا .

صبًّا ﴾ ، أي : أنزلناه من السماء علىٰ الأرض ، ﴿ ثم شققنا الأرض شقًّا ﴾ ، أي : أسكناه فيها فَدَخَلَ[١] في تُخُومها ، وتخَلّل[٢] في أجزاء الحب المودَع فيها ، فنبت[٣] وارتفع ، وظهر علىٰ وجه الأرض ، ﴿ فأنبتنا فيها حبًّا وعنبًا وقضبًا ﴾ ، فالحب : كل ما يذكر من الحبوب ، والعنب معروف ، والقضب هو : الفصفصة التي تأكلها الدواب رطبة . ويقال لها : القت أيضًا . قال ذلك ابن عباس ، وقتادة ، والضحاك والسدي .

وقال الحسن البصري : القضب : العلف .

﴿ وزيتونًا ﴾ ، وهو معروف ، وهو أدْمٌ وعصيره أدم ، ويستصبح به ، ويدهن به[٤] ، ﴿ ونخلًا ﴾ يؤكل بلحًا بسرًا[٥] ورطبًا ، وتمرًا ، ونيئًا ، ومطبوخًا ، ويعتصر منه رُبٌّ وخل . ﴿ وحدائق غلبًا ﴾ : أي بساتين . قال الحسن ، وقتادة : ﴿ غلبًا ﴾ : نخل غلاظ كرام . وقال ابن عباس ، ومجاهد : الحدائق : كل ما التف[٦] واجتمع . وقال ابن عباس أيضًا : ﴿ غلبًا ﴾ : الشجر الذي يستظل به . وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ وحدائق غلبًا ﴾ ، أي : طوال . وقال عكرمة : ﴿ غلبًا ﴾ أي : غلاظ الأوساط . وفي رواية : غلاظ الرقاب ، ألم تر إلىٰ الرجل إذا كان غليظ الرقبة قيل : واللّٰه إنه لأغلب . رواه ابن أبي حاتم ، وأنشد ابن جرير للفرزدق :

عوىٰ فأثار أغلب ضيغميًّا فويل ابن المراغة[٧] ما استثارا

وقوله : ﴿ وفاكهة وأبًّا ﴾ ، أما الفاكهة فهو كل[٨] ما يتفكه به من الثمار . قال ابن عباس : الفاكهة : كل ما أكل رطبًا ، والأب ما أنبتت الأرض ، مما تأكله الدواب ولا يأكله الناس - وفي رواية عنه : هو الحشيش للبهائم . وقال مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وأبو مالك : الأب : الكلأ . وعن مجاهد ، والحسن ، وقتادة ، وابن زيد : الأب للبهائم كالفاكهة لبني آدم . وعن عطاء : كل شيء نبت علىٰ وجه الأرض فهو أبٌّ . وقال الضحاك : كل شيء أنبتته الأرض سوىٰ الفاكهة فهو أبٌّ .

وقال ابن إدريس ، عن عاصم بن كليب ، عن أبيه ، عن ابن عباس : الأب : نبت الأرض مما [ ][٩] تأكله الدواب ولا يأكله الناس . ورواه ابن جرير(١١) من ثلاث طرق ، عن ابن

(١١) أخرجه الطبري (٣٠/٦٠) .

[١] - في ز : فيدخل .
[٢] - في ز : وتحلل .
[٣] - في ز : فينبت .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - سقط من خ .
[٦] - في ز : ملتف .
[٧] - في ز : المراعة .
[٨] - سقط من ت .
[٩] - في ز : لا .

إدريس ، ثم قال :

حدثنا[١] أبو كريب وأبو السائب ؛ قالا : حدثنا ابن إدريس ، حدثنا عبد الملك ، عن سعيد بن جبير ؛ قال : عدَّ[٢] ابن عباس وقال : الأب : ما أنبتت الأرض للأنعام . هذا لفظ أبي كريب وقال أبو السائب : ما أنبتت الأرض مما يأكل الناس وتأكل الأنعام .

وقال العوفي عن ابن عباس : الأب : الكلأ والمرعىٰ . وكذا قال مجاهد والحسن ، وقتادة وابن زيد وغير واحد .

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام(١٢) : حدثنا محمد بن يزيد ، حدثنا العوام بن حَوشب ، عن إبراهيم التَّيمي ؛ قال : سُئِل أبو بكر الصديق رضي اللّٰه عنه عن قوله تعالىٰ : ﴿ **وفاكهة وأبًّا** ﴾ فقال : أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إن قلتُ في كتاب اللّٰه ما لا أعلم .

وهذا منقطع بين إبراهيم التيمي والصديق . فأمَّا ما رواه ابن جرير(١٣) حيث قال :

حدثنا ابن بشار ، حدثنا ابن أبي عَدي ، حدثنا حُمَيد ، عن أنس ؛ قال : قرأ عمر بن الخطاب ﴿ **عبس وتولىٰ** ﴾ فلما أتىٰ علىٰ هذه الآية : ﴿ **وفاكهة وأبًّا** ﴾ قال : قد[٣] عرفنا ما الفاكهة ؟ فما الأب ؟ فقال : لعمرك يا بن الخطاب إن هذا لهو التكلف .

فهو إسناد صحيح ، وقد رواه غير واحد عن أنس(١٤) ، به . وهو محمول علىٰ أنه أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه ، وإلا فهو وكل من قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض ، لقوله : ﴿ **فأنبتنا فيها حبًّا وعنبًا وقضبًا وزيتونًا ونخلًا ، وحدائق غلبًا ، وفاكهة وأبًّا** ﴾ وقوله : ﴿ **متاعًا لكم ولأنعامكم** ﴾ ، أي : عيشة لكم ولأنعامكم في هذه الدار إلىٰ يوم القيامة .

فَإِذَا جَاءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ

---

(١٢) أخرجه أبو عبيد في « فضائل القرآن » (ص ٣٧٥) .

(١٣) أخرجه الطبري (٣٠/٥٩) .

(١٤) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص ٣٧٥) من طريق حميد . وأخرجه البخاري في كتاب : الاعتصام ، باب : ما يكره من كثرة السؤال ...، حديث (٧٢٩٣) (١٣/٢٦٤ - ٢٦٥) من طريق حماد ابن زيد ، عن ثابت ، عن أنس ، فأخرج منه قول عمر - رضي الله عنه : « نهينا عن التكلف » . قال الحافظ في الفتح (١٣/٢٧٠ - ٢٧١) : هكذا أورده مختصرًا ، وذكر الحميدي أنه جاء في رواية أخرى عن ثابت عن أنس أن عمر - رضي الله عنه - قرأ ﴿ فاكهة وأبا ﴾... الحديث - نحو حديث الطبري وأبي عبيد - ثم قال : وهذا أولى أن يكمل به الحديث الذي أخرجه البخاري . اهـ .

---

[١] - سقط من خ . [٢] - في ز : عدا .

[٣] - سقط من ت .

وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

قال ابن عباس : ﴿ **الصاخة** ﴾ اسم من أسماء يوم القيامة ، عظمه الله وحذره عباده .

قال ابن جرير : لعله اسم للنفخة[١] في الصور . وقال البغويّ : ﴿ **الصاخة** ﴾ . يعني صيحة القيامة ، سميت بذلك لأنها تَصُخّ الأسماع ، أي : تبالغ في إسماعها حتىٰ تكاد تُصمّها .

﴿ **يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه** ﴾ ، أي : يراهم ، ويفر منهم ، ويبتعد[٢] عنهم ؛ لأن الهول عظيم ، والخطب جليل .

قال عكرمة : يلقىٰ الرجل زوجته فيقول لها : يا هذه ، أيّ بعل كنتُ لك ؟ فتقول : نعم البعل كنتَ ! وتثني بخير ما استطاعت ، فيقول لها : فإني أطلب إليك اليومَ حسنةً واحدةً تهبينها[٣] لي لعلي أنجو مما ترين[٤] . فتقول له : ما أيسر ما طلبتَ ، ولكني لا أطيق أن أعطيك شيئًا أتخوف مثل الذي تخاف . قال : وإن الرجل ليلقى ابنه فيتعلق[٥] به فيقول : يا بني ، أيّ والد كنتُ لك ؟ فيثني بخير . فيقول له : يا بني ؛ إني احتجت إلىٰ مثقال ذرة من حسناتك لعلي أنجو بها مما ترىٰ . فيقول ولده : يا أبت ، ما أيسر ما طلبت ، ولكني أتخوف مثل الذي تتخوف ، فلا أستطيع أن أعطيك شيئًا . يقول الله تعالىٰ : ﴿ **يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه** ﴾ .

وفي الحديث الصحيح(١٥) - في أمر الشفاعة - أنه إذا طلب إلىٰ كل من أولي العزم أن يشفع عند الله في الخلائق ، يقول : نفسي نفسي ، لا أسأله اليوم إلا نفسي ، حتىٰ إن عيسىٰ ابن مريم يقول : لا أسأله اليومَ إلا نفسي ، لا أسأله مريم التي ولدتني ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه** ﴾ .

---

(١٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة الإسراء آية : ٧٩ .

---

[١] - في ز : النفخة .

[٢] - في ز : يتبعد .

[٣] - في ز : تهبيها .

[٤] - في ز : تري .

[٥] - في ز : فيعلق .

قال قتادة : الأحب فالأحب ، والأقرب فالأقرب ، من هول ذلك اليوم .

وقوله : ﴿ **لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه** ﴾ ، أي : هو في شُغُل شاغل عن غيره .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عمار بن الحارث ، حدثنا الوليد بن صالح ، حدثنا ثابت أبو زيد العباداني ، عن هلال بن خَبَّاب[١] ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « تحشرون حفاة عراة مشاة غُرلًا » . قال : فقالت زوجته : يا رسول الله ، أوَ يرىٰ بعضنا عورة بعض ؟ قال : « ﴿ **لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه** ﴾ » . أو قال : « ما أشغله عن النظر » .

وقد رواه النسائي(١٦) منفردًا به ، عن أبي داود ، عن[٢] عارم ، عن ثابت بن يزيد - وهو أبو زيد الأحول البصري ، أحد الثقات - عن هلال بن خَبَّاب[٣] ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، به . وقد رواه الترمذي عن عَبد[٤] بن حُميد ، عن محمد بن الفضل ، عن ثابت ابن يزيد[٥] ، عن هلال بن خَبَّاب[٦] ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ؛ قال : « تحشرون حفاة عراة غُرلًا » . فقالت امرأة : أيبصر - أو : يرىٰ - بعضنا عورة بعض ؟ قال : « يا فلانة ؛ ﴿ **لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه** ﴾ » . ثم قال الترمذي : « وهذا حديث حسن صحيح ، وقد روي من غير وجه عن ابن عباس رضي الله عنه .

وقال النسائي(١٧) : أخبرني عمرو بن عثمان ، حدثنا بقية ، حدثنا الزبيدي ، أخبرني الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؛ قال : « يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غُرلًا » . فقالت عائشة : يا رسول الله ؛ فكيف بالعورات ؟ فقال : « ﴿ **لكل امرئ منهم يومئذٍ شأن يغنيه** ﴾ » . انفرد به النسائي من هذا الوجه .

ثم قال ابن أبي حاتم أيضًا[٧] : حدثنا أبي ، حدثنا أزهر بن حاتم ، حدثنا الفضل بن موسىٰ ، عن عائذ[٨] بن شَرَيح ، عن أنس بن مالك ؛ قال : سألَتْ عائشة - رضي الله عنها - رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ؛ بأبي أنتَ وأمي ، إني سائلتك عن

(١٦) سنن النسائي الكبرى ، كتاب : التفسير ، باب : سورة عبس ، حديث (١١٦٤٧) (٦/٥٠٦ - ٥٠٧) . وأخرجه الترمذي في كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة عبس ، حديث (٣٣٢٩) (٩/٦٨ - ٦٩) .

(١٧) سنن النسائي الكبرى ، كتاب : التفسير ، باب : سورة عبس ، حديث (١١٦٤٨) (٦/٥٠٧) .

[١] - في ز : حباب .
[٢] - في ز : وعن .
[٣] - في ز : حباب .
[٤] - في ز : عبد الله .
[٥] - في ز ، خ : زيد .
[٦] - في ز : حباب .
[٧] - سقط من ت .
[٨] - في ز ، ت : عائد . والمثبت من الجرح والتعديل .

حديث فتخبرني أنتَ به . قال : « إن كان عندي منه علم » . قالت : يا نبي اللَّه ؛ كيف يُحشر الرجال ؟ قال : « حفاة عراة » . ثم انتظرتْ ساعة فقالت : يا نبي اللَّه ؛ كيف يحشر النساء ؟ قال : « كذلك حفاة عراة » . قالت : وا سوأتاه من[١] يوم القيامة ! قال : « وعن أي ذلك تسألين ، إنه قد نزل علي آية لا يضرك كان عليك ثياب أو لا يكون » . قالت : أيةُ آية هي يا رسول اللَّه ؟ قال : « ﴿ **لكل امرئ منهم يومئذ[٢] شأن يغنيه** ﴾ » .

وقال البغوي في تفسيره : أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشّريحي ، أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، أخبرني الحسين بن عبد اللَّه ، حدثنا عبد اللَّه بن عبد الرحمن ، حدثنا محمد ابن عبد العزيز ، حدثنا ابن أبي أويس ، حدثنا أبي ، عن محمد بن أبي عياش ، عن عطاء بن يسار ، عن سودة زوج النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم؛ قالت : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « يبعث الناس حفاة عراة غُرلًا قد ألجمهم العرق ، وبلغ شحوم الآذان » . فقلت : يا رسول اللَّه ، وا سوأتاه ينظر بعضنا إلىٰ بعض ؟ فقال : « **قد شُغل الناس** ﴿ **لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه** ﴾ » . هذا حديث غريب من هذا الوجه جدًّا ، وهكذا رواه ابن جرير(١٨) عن أبي عمار الحسين بن حريث المروزي ، عن الفضل بن موسىٰ ، به . ولكن قال أبو حاتم الرازي : عائذ[٣] بن شريح ضعيف ، في حديثه ضعف .

وقوله : ﴿ **وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة** ﴾ ، [أي : يكون الناس هنالك فريقين ﴿ **وجوه مسفرة** ﴾ ، أي : مستنيرة ﴿ **ضاحكة مستبشرة** ﴾][٤] ، أي : مسرورة فرحة من سرور قلوبهم ، قد ظهر البشر علىٰ وجوههم ، وهؤلاء أهل الجنة . ﴿ **ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة** ﴾ ، أي : يعلوها ويغشاها قترة ، أي : سواد .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا سهل بن عثمان العسكري ، حدثنا أبو علي محمد مولىٰ جعفر بن محمد ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جده؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « يلجم الكافر العرق ثم تقع الغبرة علىٰ وجوههم » . قال : « فهو قوله : ﴿ **ووجوه يومئذ عليها غبرة** ﴾ » .

وقال ابن عباس : ﴿ **ترهقها قترة** ﴾ أي : يغشاها سواد الوجوه .

وقوله : ﴿ **أولئك هم الكفرة الفجرة** ﴾ ، أي : الكفرة قلوبهم ، الفجرة في أعمالهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولا يلدوا إلا فاجرًا كفارًا** ﴾

[آخر تفسير سورة عبس ، وللَّه الحمد والمنة] .

(١٨) تفسير الطبري (٣٠/٦١ - ٦٢) .

[١] - في ز ، خ : في .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ز : عائد . وفي خ : عابد .
[٤] - سقط من ز ، خ .

تفسير سورة التكوير

وهي مكية

قال الإمام أحمد(١) : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا عبد الله بن بحير القاص ، أن عبد الرحمن ابن يزيد الصنعاني أخبره أنه سمع ابن عمر؛ يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سرّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ : ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ و﴿ إذا السماء انفطرت ﴾ و﴿ إذا السماء انشقت ﴾ وهكذا رواه الترمذي(٢) عن العباس بن عبد العظيم العنبري عن عبد الرزاق ، به .

إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ يعنى أظلمت . وقال العوفي عنه : ذهبت . وقال مجاهد : اضمحلت وذهبت . وكذا قال الضحاك . وقال قتادة : ذهب ضوؤها . وقال سعيد بن جبير: كورت : غورت . وقال الربيع بن خُثيم : كورت يعنى رمي بها . وقال أبو صالح : كورت : ألقيت ، وعنه أيضًا نكست . وقال زيد بن أسلم : تقع في الأرض .

قال ابن جرير : والصواب من القول عندنا في ذلك أن التكوير جمع الشيء بعضه على[١] بعض ، ومنه تكوير العمامة ، [وهو لفها على الرأس ، وكتكوير الكاره وهي][٢] وجمع الثياب بعضها إلى[٣] بعض ، فمعنى قوله تعالى : ﴿ كورت ﴾ جمع بعضها إلى بعض ، ثم لفت فرمي بها ، وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوؤها .

(١) أخرجه أحمد (٢/٢٧) (٤٨٠٦) .

(٢) والترمذي في كتاب : التفسير ، باب : « ومن سورة إذا الشمس كورت » ، حديث (٣٣٣٠) (٦٩/٩). وصححه الألباني في الصحيحة (١٠٨١) .

[١] - في ز : إلى .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز : على .

وقال ابن أبي حاتم(٣) : حدثنا أبو سعيد الأشج، وعمرو بن عبد الله الأودي ، حدثنا أبو أسامة ، عن مجالد ، عن شيخ من بجيلة ، عن ابن عباس : ﴿ **إذا الشمس كورت** ﴾ ، قال : يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ، ويبعث الله ريحًا دبورًا فتضرمها[١] نارًا . وكذا قال عامر الشعبي . ثم قال ابن أبي حاتم(٤) :

حدثنا أبي ، حدثنا أبو صالح ، حدثني معاوية بن صالح ، عن ابن يزيد بن أبي مريم ، عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قول الله : ﴿ **إذا الشمس كورت** ﴾ ، قال : « **كورت في جهنم** » .

وقال الحافظ أبو يعلى(٥) في مسنده : حدثنا موسى بن محمد بن حيان[٢] ، حدثنا دُرُسْتُ[٣] بن زياد ، حدثنا يزيد الرقاشي ، حدثنا أنس؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **الشمس والقمر ثوران[٤] عقيران في النار** » .

هذا حديث ضعيف ؛ لأن يزيد الرقاشي ضعيف ، والذي رواه البخاري في الصحيح بدون هذه الزيادة ، ثم قال البخاري(٦) :

حدثنا مسدد ، حدثنا عبد العزيز بن المختار ، حدثنا عبد الله الداناج ، حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم - : « **الشمس والقمر يكوران يوم القيامة** » . انفرد به البخاري وهذا لفظه ، وإنما أخرجه في كتاب « **بدء الخلق** » ، وكان جديرًا أن يذكره هاهنا أو يكرره ، كما هي عادته في أمثاله ! وقد رواه البزار فجود إيراده ، فقال :

حدثنا إبراهيم بن زياد البغدادي ، حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا عبد العزيز بن المختار ، عن عبد الله الداناج؛ قال : سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن خالد بن [عبد الله][٥] القسريَّ في هذا المسجد مسجد الكوفة ، وجاء الحسن فجلس إليه فحدث؛ قال : حدثنا أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال : « **إن الشمس والقمر نوران في النار يوم القيامة** » . فقال الحسن : وما ذنبهما ؟ فقال : أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول -

(٣) تفسير الطبري (٦٨/٣٠) من طريق أبي أسامة بهذا الإسناد بنحوه .

(٤) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٥٢٥/٦) وزاد نسبته إلى الديلمي .

(٥) مسند أبي يعلى (١٤٨/٧) (٤١١٦) .

(٦) صحيح البخاري ، كتاب : بدء الخلق ، باب : صفة الشمس والقمر ، حديث (٣٢٠٠) (٢٩٧/٦) .

[١] - في ز : فيضرمها .

[٢] - في ز : حبان .

[٣] - في ز ، خ : درسب .

[٤] - في ت : نوران .

[٥] - في ز : « عبد لقوم » . وغير واضحة في خ .

أحسبه قال[١] - : وما ذنبهما .

ثم قال : لا يروىٰ عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه ، ولم يرو عبد اللَّه الداناج عن أبي سلمة سوىٰ هذا الحديث .

وقوله : ﴿ **وإذا النجوم انكدرت** ﴾ ، أي : انتثرت ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإذا الكواكب انتثرت** ﴾ . وأصل الانكدار[٢] : الانصباب .

قال الربيع بن أنس(٧) ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب ؛ قال : ست آيات قبل يوم القيامة ، بينا الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس ، فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم ، فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال علىٰ وجه الأرض فتحركت واضطربت واختلطت ، ففزعت الجن إلىٰ الإنس والإنس إلىٰ الجن ، واختلطت الدواب والطير والوحوش ، فماجوا بعضهم في بعض . ﴿ **وإذا الوحوش حشرت** ﴾ ، قال : اختلطت ، ﴿ **وإذا العشار عطلت** ﴾ ، قال : أهملها أهلها ، ﴿ **وإذا البحار سجرت** ﴾ ، قال : قالت الجن : نحن نأتيكم بالخبر . قال : فانطلقوا إلىٰ البحر فإذا هو نار تأجج ، قال : فبينما هم كذلك إذ تصدعت الأرض صدعة واحدة إلىٰ الأرض السابعة السفلىٰ وإلىٰ السماء السابعة العليا ، قال : فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الريح فأماتتهم .

رواه ابن جرير(٨) - وهذا لفظه - وابن أبي حاتم ، ببعضه ، وهكذا قال مجاهد والربيع بن خثيم ، والحسن البصري وأبو صالح ، وحماد بن أبي سليمان ، والضحاك في قوله : ﴿ **وإذا النجوم انكدرت** ﴾ ، أي : تناثرت .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ **وإذا النجوم انكدرت** ﴾ ، أي : تغيرت . وقال يزيد بن أبي مريم(٩) ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **وإذا النجوم انكدرت** ﴾ ، قال : « **انكدرت في جهنم ، وكل من عبد من دون اللَّه فهو في جهنم ، إلا ما كان من عيسىٰ وأمه ، ولو رضيا أن يُعْبَدَا لدخلاها** » . رواه ابن أبي حاتم بالإسناد المتقدم .

وقوله : ﴿ **وإذا الجبال سيرت** ﴾ أي : زالت عن أماكنها ونسفت ، فتركت الأرض قائعًا صفصفًا .

وقوله : ﴿ **وإذا العشار عطلت** ﴾ ، قال عكرمة ، ومجاهد : عشار الإبل . قال مجاهد :

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في الأهوال (ص ٨٥) (٢٣) .

(٨) والطبري (٣٠/٦٣ - ٦٤) .

(٩) تقدم تخريجه قريبًا .

[١] - سقط من ز ، خ . [٢] - في ز : الانكباب .

﴿ **عطلت** ﴾ : تركت و[١] سُيِّبت .

وقال أبي بن كعب والضحاك : أهملها أهلها . وقال الربيع بن خثيم : لم تحلب ولم تصرّ ، تخلىٰ منها أربابها . وقال الضحاك أيضًا[٢] : تركت لا راعي لها .

والمعنىٰ في هذا كله متقارب . والمقصود أن العشار من الإبل - وهي : خيارها والحوامل منها التي قد وصلت في حملها إلىٰ الشهر العاشر ، واحدها : عشراء ، ولا يزال ذلك اسمها حتىٰ تضع - قد اشتغل الناس عنها وعن كفالتها والانتفاع بها ، بعد ما كانوا أرغب شيء فيها ، بما دهمهم من الأمر العظيم المفظع الهائل ، وهو أمر القيامة وانعقاد أسبابها ، ووقوع مقدماتها .

وقيل : بل[٣] يكون ذلك يوم القيامة يراها أصحابها كذلك ولا سبيل لهم إليها ، وقد قيل في العشار : إنها السحاب يعطل عن المسير بين السماء والأرض ، لخراب الدنيا ، وقيل : إنها الأرض التي تعشر . وقيل : إنها الديار التي كانت[٤] تسكن تعطل لذهاب أهلها ، حكىٰ هذه الأقوال كلها الإمام أبو عبد الله القرطبي في كتابه « **التذكرة** » ، ورجح أنها الإبل ، وعزاه إلىٰ أكثر الناس . قلت : بل لا يعرف عن السلف والأئمة سواه ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **وإذا الوحوش حشرت** ﴾ ، أي : جمعت . كما قال تعالىٰ : ﴿ **وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ، ما فرطنا في الكتاب من شيء ، ثم إلىٰ ربهم يحشرون** ﴾ - قال ابن عباس : يحشر كل شيء حتىٰ الذباب[٥] . رواه ابن أبي حاتم . وكذا قال الربيع بن خثيم والسدي ، وغير واحد . وكذا قال قتادة في تفسير هذه الآية : إن هذه [الخلائق موافية[٦] فيقضي][٧] الله فيها ما يشاء .

وقال عكرمة : حشرها موتها .

وقال ابن جرير(١٠) : حدثني علي [بن مسلم][٨] الطوسي ، حدثنا عباد بن العوام ، أخبرنا حصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وإذا الوحوش حشرت** ﴾ ، قال : حشر البهائم موتها ، وحشر كل شيء الموت غير الجن والإنس ؛ فإنهما يوقفان يوم القيامة .

حدثنا أبو كريب(١١) ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبي يعلىٰ ، عن الربيع بن

(١٠) تفسير الطبري (٣٠/٦٧) .
(١١) تفسير الطبري (٣٠/٦٧) .

[١] - سقط من ز .
[٢] - سقط من ت .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - سقط من خ .
[٥] - في ز ، خ : الدواب .
[٦] - سقط من خ .
[٧] - في ز : « يقضي » .
[٨] - سقط من ز ، خ .

خثيم : ﴿ **وإذا الوحوش حشرت** ﴾ ، قال : أتىٰ عليها أمر اللَّه . قال سفيان : قال أبي : فذكرته لعكرمة ، فقال : قال ابن عباس : حشرها موتها .

وقد تقدم عن أبي بن كعب أنه قال : ﴿ **إذا الوحوش حشرت** ﴾ : اختلطت .

قال ابن جرير : والأولىٰ قول من قال : ﴿ **حشرت** ﴾ : جمعت ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **والطير محشورة** ﴾ ، أي : مجموعة .

وقوله : ﴿ **وإذا البحار سجرت** ﴾ ، قال ابن جرير(١٢) : حدثني يعقوب ، حدثنا ابن عُليَّة ، عن داود ، عن سعيد بن المسيب ؛ قال : قال علي رضي اللَّه عنه لرجل من اليهود : أين جهنم ؟ قال : البحر . فقال[١] : ما أراه إلا صادقًا . ﴿ **والبحر المسجور** ﴾ ، ﴿ **وإذا البحار سجرت** ﴾ مخففة[٢] .

وقال ابن عباس وغير واحد : يرسل اللَّه عليها الدبور فتسعرها ، وتصير[٣] نارًا تأجج . وقد تقدم الكلام علىٰ ذلك عند قوله : ﴿ **والبحر المسجور** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد ، حدثنا أبو طاهر ، حدثني عبد الجبار ابن سليمان أبو سليمان النفاط - شيخ صالح يشبه بمالك[٤] بن أنس - عن معاوية بن سعيد ؛ قال : إن هذا البحر بركة - يعني بحر الروم - وسط الأرض ، والأنهار كلها تصب فيه ، والبحر الكبير[٥] يصب فيه ، وأسفله آبار مطبقة بالنحاس ، فإذا كان يوم القيامة أسجر .

وهذا أثر غريب عجيب . وفي سنن أبي داود(١٣) : « **لا يركب البحر إلا حاج أو معتمر أو غاز ، فإن تحت البحر نارًا ، وتحت النار بحرًا** » . الحديث . وقد تقدم الكلام عليه في « **سورة فاطر** » .

وقال مجاهد ، والحسن بن مسلم : ﴿ **سجرت** ﴾ أوقدت . وقال الحسن : يبست . وقال الضحاك ، وقتادة : غاض ماؤها فذهب ولم يبق فيها قطرة . وقال الضحاك أيضًا : ﴿ **سجرت** ﴾ فجرت . وقال السدي : فتحت وسيرت . وقال الربيع بن خثيم : ﴿ **سجرت** ﴾ : فاضت .

---

(١٢) تفسير الطبري (٣٠/٦٧) .

(١٣) تقدم تخريجه في سورة إبراهيم ، آية : ٤٨ .

---

[١] - في ز : قال .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - في ز : فتصير .

[٤] - في ت : مالك .

[٥] - سقط من ز ، خ .

وقوله: ﴿ **وإذا النفوس زوجت** ﴾ [أي: جمع كل شكل إلى نظيره، كقوله: ﴿ **احشروا الذين ظلموا وأزواجهم** ﴾.

وقال ابن أبي حاتم(١٤) : حدثنا أبي، حدثنا محمد بن الصباح البزار، حدثنا الوليد بن أبي ثور، عن سماك، عن النعمان بن بشير أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ﴿ **وإذا النفوس زوجت** ﴾][١]، قال: الضرباء، كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله ». وذلك بأن الله - عز وجل - يقول: ﴿ **وكنتم أزواجًا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون** ﴾، قال: « **هم الضرباء** ».

ثم[٢] رواه ابن أبي حاتم من طرق أخر، عن سماك بن حرب، عن النعمان بن بشير أن عمر خطب الناس فقرأ: ﴿ **وإذا النفوس زوجت** ﴾، فقال: تزوجها أن تؤلف كل شيعة إلى شيعتهم. وفي رواية: هما الرجلان يعملان العمل فيدخلان به[٣] الجنة أو النار.

وفي رواية عن النعمان(١٥) قال: سئل عمر عن قوله تعالى: ﴿ **وإذا النفوس زوجت** ﴾، فقال: يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح، ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار، فذلك تزويج الأنفس.

وفي رواية عن النعمان أن عمر قال للناس: ما تقولون في تفسير هذه الآية: ﴿ **وإذا النفوس زوجت** ﴾؟ فسكتوا. قال: ولكن هو الرجل يزوج نظيره من أهل الجنة، والرجل يزوج نظيره من أهل النار، ثم قرأ: ﴿ **احشروا الذين ظلموا وأزواجهم** ﴾.

وقال العوفي عن ابن عباس في قوله: ﴿ **وإذا النفوس زوجت** ﴾ قال: ذلك حين يكون الناس أزواجًا ثلاثة.

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿ **وإذا النفوس زوجت** ﴾، قال: الأمثال من الناس جمع بينهم. وكذا قال الربيع بن خثيم والحسن، وقتادة. واختاره ابن جرير، وهو الصحيح.

(قول آخر) في قوله: ﴿ **وإذا النفوس زوجت** ﴾ قال ابن أبي حاتم:

حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن، حدثني أبي، عن أبيه، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: يسيل [ ][٤] واد من أصل

---

(١٤) وأخرجه ابن مردويه كما في « الدر المنثور » (٥٢٧/٦) من حديث النعمان بن بشير بنحوه.

(١٥) أخرجه الطبري (٦٩/٣٠). والحاكم (٥١٦/٢) وصححه ووافقه الذهبي، كلاهما من طريق سفيان=

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز، خ.
[٢] - سقط من خ.
[٣] - سقط من ز، خ.
[٤] - في خ: « كماء ».

العرش من ماء فيما بين الصيحتين ، ومقدار ما بينهما أربعون عامًا ، فينبت منه كل خلق بلي ، من الإنسان أو طير أو دابة ، ولو مر عليهم مار قد عرفهم قبل ذلك لعرفهم على الأرض قد نبتوا ، ثم ترسل الأرواح فتزوج الأجساد ، فذلك قول الله تعالىٰ : ﴿ **وإذا النفوس زوجت** ﴾ .

وكذا قال أبو العالية ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، والشعبي ، والحسن البصري أيضًا في قوله : ﴿ **وإذا النفوس زوجت** ﴾ ، أي : زوجت بالأبدان . وقيل : زوج المؤمنون بالحور العين ، وزوج الكافرون بالشياطين . حكاه القرطبي في « **التذكرة** » .

وقوله : ﴿ **وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت** ﴾ هكذا قراءة[١] الجمهور ﴿ **سئلت** ﴾ . والموءودة هي التي كان أهل الجاهلية يدسونها في التراب كراهية البنات ، فيوم القيامة تسأل الموءودة علىٰ أي ذنب قتلت ، ليكون ذلك تهديدًا لقاتلها ، فإذا سئل المظلوم فما ظن الظالم إذًا ؟ !

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : ﴿ **وإذا الموءودة سئلت** ﴾ ، أي : سألت . وكذا قال أبو الضحىٰ (سألت[٢]) ، أي : طلبت بدمها . وعن السدي ، وقتادة ، مثله .

وقد وردت أحاديث تتعلق بالموءودة ، فقال الإمام أحمد(١٦) :

حدثنا عبد الله بن يزيد[٣] ، [حدثنا سعيد][٤] بن أبي أيوب ، حدثني أبو الأسود - وهو : محمد ابن عبد الرحمن بن نوفل - عن عروة ، عن عائشة ، عن جدامة[٥] بنت وهب - أخت عكاشة ؛ قالت : حضرت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في ناس وهو يقول : « **لقد هممت أن أنهى عن الغيلة ، فنظرت في الروم وفارس فإذا هم يغيلون أولادهم ، ولا يضر أولادهم ذلك شيئًا** » . ثم سألوه عن العزل ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ذلك[٦] الوأد الخفي ، وهو[٧] الموءودة سئلت** » .

ورواه مسلم من حديث أبي عبد الرحمن المقرئ - وهو عبد الله بن يزيد - عن سعيد بن[٨]

= عن سماك عن النعمان بن بشير - رضي الله عنه - والحديث ذكره السيوطي في « الدر » (٥٢٧/٦) وزاد نسبته لعبد الرزاق وابن أبي شيبة وسعيد بن منصور والفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في البعث والنشور وأبي نعيم في الحلية .

(١٦) أخرجه أحمد (٤٣٤/٦) (٢٧٥٥٤) . ومسلم في كتاب : النكاح ، باب : جواز الغيلة وهي =

[١] - في ز : قرأه .

[٢] - في ز : سئلت .

[٣] - في ز ، خ : زيد .

[٤] - سقط من ز ، خ .

[٥] - في خ : خزامة .

[٦] - في ز : ذاك .

[٧] - في ز : وهي .

[٨] - في ز ، خ : عن .

أبي أيوب . ورواه أيضًا ابن[١] ماجة ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن يحيىٰ بن إسحاق السيلحيني ، عن يحيىٰ بن أيوب .

ورواه مسلم(١٧) أيضًا وأبو داود والترمذي والنسائي ، من حديث مالك بن أنس ، ثلاثتهم عن أبي الأسود ، به .

وقال الإمام أحمد(١٨) : حدثنا ابن أبي عدي ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، عن علقمة ، عن سلمة بن يزيد الجعفي ؛ قال : انطلقت أنا وأخي إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقلنا : يا رسول اللَّه ؛ إن أمنا مليكة كانت تصل الرحم وتقري الضيف ، وتفعل [وتفعل][٢] ، هلكت في الجاهلية ، فهل ذلك نافعها شيئًا ؟ قال : « **لا** » . قلنا : فإنها كانت وأدت أختًا لنا[٣] في الجاهلية ، فهل ذلك نافعها شيئًا ؟ قال : « **الوائدة والموءودة في النار ، إلا أن يدرك الوائدة الإسلام ، فيعفو اللَّه عنها** » .رواه النسائي من حديث داود بن أبي هند ، به .

وقال ابن أبي حاتم(١٩) : حدثنا أحمد بن سنان الواسطي ، حدثنا أبو أحمد الزبيري ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن علقمة وأبي الأحوص ، عن ابن مسعود ؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **الوائدة والموءودة في النار** » .

وقال أحمد(٢٠) أيضًا : حدثنا إسحاق الأزرق ، أخبرنا عوف ، حدثتني حسناء[٤] ابنة معاوية الصريمية ، عن عمها[٥] .

= وطئ المرضع ، وكراهة العزل ، حديث (١٤٤٢/١٤١) (٢٥/١٠) . وابن ماجة في كتاب : النكاح ، باب : الغيل ، حديث (٢٠١١) (٦٤٨/١) .

(١٧) صحيح مسلم في الموضع السابق (١٤٤٢/١٤٠) (٢٣/١٠ - ٢٤) . وأخرجه أبو داود في كتاب : الطب ، باب : في الغيل ، حديث (٣٨٨٢) (٩/٤) . والترمذي في كتاب : الطب ، باب : ما جاء في الغيلة ، حديث (٢٠٧٨) (٢٦٦/٦) . والنسائي في الكبرى في كتاب : النكاح ، باب : الغيلة والعزل ، حديث (٥٤٨٥) (٣٠٦/٣ - ٣٠٧) . قال الترمذي : حسن غريب صحيح .

(١٨) أخرجه أحمد (٤٧٨/٣) (١٥٩٦٩) . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : سورة التكوير ، حديث (١١٦٤٩) (٥٠٧/٦) . قال الهيثمي في « المجمع » (١٢٤/١) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح والطبراني في الكبير بنحوه . اهـ .

(١٩) وأخرجه أبو داود في كتاب : السنة ، باب : في ذراري المشركين ، حديث (٤٧١٧) (٢٣٠/٤) من طريق علقمة به . وصححه الألباني من حديث عامر (٣٩٤٨) .

(٢٠) أخرجه أحمد (٥٨/٥) (٢٠٦٤٢) . وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٢٠٠ - ٢٠٢١) .

---

[١] - في ز : وابن .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : لها .

[٤] - في ز : خنساء .

[٥] - في ز ، خ : عمتها .

قال[١] : قلت : يا رسول اللّٰه ، من في الجنة ؟ قال : « **النبي في الجنة ، والشهيد في الجنة ، والمولود في الجنة ، والموءودة في الجنة** » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا قرة ؛ قال : سمعت الحسن ؛ يقول : قيل : يا رسول اللّٰه ، من في الجنة ؟ قال : « **الموءودة[٢] في الجنة** » .

هذا حديث مرسل من مراسيل الحسن ، ومنهم من قبله .

وقال ابن أبي حاتم : حدثني[٣] أبو عبد اللّٰه الظهراني ، حدثنا حفص بن عمر العدني ، حدثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة ؛ قال : قال ابن عباس : أطفال المشركين في الجنة ، فمن زعم أنهم في النار فقد كذب ، يقول اللّٰه عز وجل : ﴿ **وإذا الموءودة سئلت . بأي ذنب قتلت** ﴾ ، قال ابن عباس : هي المدفونة .

وقال عبد الرزاق(٢١) : أخبرنا إسرائيل ، عن سماك بن حرب ، عن النعمان بن بشير ، عن عمر بن الخطاب في قوله : ﴿ **وإذا الموءودة سئلت** ﴾ ، قال : جاء قيس بن عاصم إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ؛ فقال : يا رسول اللّٰه ، إني وأدت بنات لي في الجاهلية ، فقال : « **أعتق عن كل واحدة منهن رقبة** » . قال : يا رسول اللّٰه ؛ إني صاحب إبل ؟ قال : « **فانحر عن كل واحدة منهن بدنة** » .

قال الحافظ أبو بكر البزار : خولف فيه عبد الرزاق ، ولم يكتبه إلا عن الحسين بن مهدي عنه .

وقد رواه ابن أبي حاتم فقال : أخبرنا أبو عبد اللّٰه الظهراني - فيما كتب إليّ - قال : حدثنا عبد الرزاق ... فذكره بإسناده مثله ، إلا أنه قال : وأدت ثمان بنات لي في الجاهلية . وقال في آخره : « **فأهد إن شئت عن كل واحدة بدنة** » . ثم قال :

حدثنا أبي ، حدثنا عبد اللّٰه بن رجاء ، حدثنا قيس بن الربيع ، عن الأغر بن الصباح ، عن خليفة بن حصين ؛ قال : قدم قيس بن عاصم علىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ؛ فقال : يا رسول اللّٰه ، إني وأدت اثنتي عشرة ابنة لي في الجاهلية - أو : ثلاث عشرة - قال : « **أعتق عددهن نسمًا** » . قال : فأعتق عددهن نسمًا ، فلما كان في العام المقبل جاء بمائة ناقة ، فقال : يا رسول اللّٰه ، هذه صدقة قومي علىٰ أثر ما صنعت بالمسلمين . قال علي بن أبي

---

(٢١) أخرجه البزار (٢/١١٥ - مختصر) (١٥٢٥) . والبيهقي (٨/١١٦) كتاب : الديات ، باب : ما جاء في الكفارة في الجنين ، وغير ذلك . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/١٣٧) : رواه البزار والطبراني ورجال البزار رجال الصحيح غير حسين بن مهدي الأيلي وهو ثقة .اهـ .

---

[١] - في ز ، خ : قالت . [٢] - في ز : والموءودة .

[٣] - سقط من ز .

طالب : فكنا[١] نريحها ، ونسميها القيسية .

وقوله : ﴿**وإذا الصحف نشرت**﴾ قال الضحاك : أعطي كل إنسان صحيفته[٢] بيمينه أو بشماله .

وقال قتادة : صحيفتك[٣] يا بن آدم ، تملي فيها ، ثم تطوىٰ ، ثم تنشر عليك يوم القيامة ، فلينظر[٤] رجل ماذا يملي في صحيفته .

وقوله : ﴿**وإذا السماء كشطت**﴾ قال مجاهد : اجتذبت . وقال السدي : كشفت . وقال الضحاك : تنكشط فتذهب .

وقوله : ﴿ **وإذا الجحيم سعرت** ﴾ ، قال السدي : أحميت . وقال قتادة : أوقدت . قال : وإنما يسعرها غضب الله وخطايا بني آدم .

وقوله : ﴿**وإذا الجنة أزلفت**﴾ قال الضحاك وأبو مالك ، وقتادة والربيع بن خثيم : أي : قربت إلى أهلها .

وقوله : ﴿ **علمت نفس ما أحضرت** ﴾ : هذا هو الجواب ، أي : إذا وقعت هذه الأمور حينئذ تعلم كل نفس ما عملت وأحضر ذلك[٥] لها ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرًا ، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدًا بعيدًا** ﴾ . وقال تعالى : ﴿**ينبأ الإنسان يومئذٍ بما قدم وأخر**﴾ .

قال ابن أبي حاتم(٢٢) : حدثنا أبي ، حدثنا عبدة ، حدثنا ابن المبارك ، أخبرنا محمد بن مطرف ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ؛ قال : لما نزلت : ﴿ **إذا الشمس كورت** ﴾ ، قال عمر : لما بلغ ﴿ **علمت نفس ما أحضرت** ﴾ ، قال : لهذا أجري[٦] الحديث .

فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا
تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ
ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى

---

(٢٢) زاد السيوطي نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه (٦/٥٢٨) .

---

[١] - في ز : كنا .
[٢] - في ز : صحيفة .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - في ز : فينظر .
[٥] - سقط من خ .
[٦] - في ز : حرى .

ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾

روىٰ مسلم(٢٣) في صحيحه ، والنسائي في تفسيره عند هذه الآية ، من حديث مسعر بن كدام ، عن الوليد بن سريع ، عن عمرو بن حريث ؛ قال : صليت خلف النبي صلىٰ الله عليه وسلم الصبح ، فسمعته يقرأ : ﴿ **فلا أقسم بالخنس . الجوار الكنس . والليل إذا عسعس . والصبح إذا تنفس** ﴾ .

ورواه النسائي(٢٤) عن بندار[١] ، عن غندر ، عن شعبة ، عن الحجاج بن عاصم ، عن أبي الأسود ، عن عمرو بن حريث ، به نحوه .

قال ابن أبي حاتم وابن جرير(٢٥) ، من طريق الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن رجل من مراد ، عن علي : ﴿ **فلا أقسم بالخنس [الجوار الكنس]**[٢] ﴾ ، قال : هي النجوم تخنس بالنهار ، وتظهر بالليل .

وقال ابن جرير(٢٦) : حدثنا ابن المثنىٰ ، حدثنا محمد بن [جعفر ؛ قال : حدثنا][٣] شعبة ، عن سماك بن حرب ، سمعت خالد بن عرعرة ، سمعت عليًا وسئل عن ﴿ **لا أقسم بالخنس . الجوار الكنس** ﴾ ، فقال : هي النجوم ، تَخنس بالنهار وتكنس بالليل .

وحدثنا أبو كريب(٢٧) ، حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن خالد ، عن علي ؛ قال : هي النجوم .

---

(٢٣) أخرجه مسلم في كتاب : الصلاة : باب : متابعة الإمام والعمل بعده ، حديث (٢٠١/٤٧٥) (٤/٢٥٥ - ٢٥٦) من طريق خلف بن خليفة الأشجعى عن الوليد بن سريع . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **والليل إذا عسعس** ﴾ ، حديث (١١٦٥١) (٦/٥٠٧ - ٥٠٨) مختصرًا .

(٢٤) سنن النسائي ، الكبرى ، الموضع السابق برقم (١١٦٥٠) (٦/٥٠٧).

(٢٥) أخرجه الطبري (٣٠/٧٥) .

(٢٦) أخرجه الطبري (٣٠/٧٤) .

(٢٧) أخرجه الطبري (٣٠/٧٤) . وليس فيه إسرائيل ، إنما أخرجه من طريق وكيع عن سماك .

---

[١] - في ز ، خ : سرار .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - سقط من ز ، خ .

وهذا إسناد جيد صحيح إلىٰ[١] خالد بن عرعرة ، وهو السهمي الكوفي ، قال أبو حاتم الرازي : روىٰ عن علي ، وروىٰ عنه سماك والقاسم بن عوف الشيباني ، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا ، والله أعلم .

وروىٰ يونس ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن علي ، أنها النجوم . رواه ابن أبي حاتم . وكذا رُوي عن ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن ، وقتادة ، والسدي ، وغيرهم ، أنها النجوم .

وقال ابن جرير(٢٨) : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا هوذة بن خليفة ، حدثنا عوف ، عن بكر ابن عبد الله في قوله : ﴿ **فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس** ﴾ ، قال : هي النجوم الدراري ، التي تجري تستقبل المشرق .

وقال بعض الأئمة : إنما قيل للنجوم « **الخنس** » ، أي : في حال طلوعها ، ثم هي جوار في فلكها ، وفي حال غيبوبتها يقال لها « **كُنَّس** » ، من قول العرب : أوىٰ الظبي إلىٰ كناسة ، إذا تغيب فيه .

وقال الأعمش ، عن إبراهيم قال : قال عبد الله ﴿ **فلا أقسم بالخنس** ﴾ ، [قال : بقر الوحش .

وكذا قال الثوري(٢٩) ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة ، عن عبد الله : ﴿ **فلا أقسم بالخنس**][٢] **الجوار الكنس** ﴾ ، ما هي يا عمرو[٣] ؟ قلت : البقر . قال : وأنا أرىٰ ذلك .

وكذا روىٰ يونس بن أبي[٤] إسحاق عن أبيه .

وقال أبو داود الطيالسي ، عن عمرو ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : [﴿ **الجوار الكنس** ﴾ ، قال : البقر تكنس إلىٰ الظل . وكذا قال سعيد بن جبير .

وقال العوفي عن ابن عباس][٥] : هي الظباء . وكذا قال سعيد أيضًا ، ومجاهد والضحاك .

وقال أبو الشعثاء جابر بن زيد : هي الظباء والبقر .

وقال ابن جرير(٣٠) : حدثنا يعقوب ، حدثنا هشيم ، أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم ومجاهد :

---

(٢٨) أخرجه الطبري (٣٠/٧٥) .

(٢٩) أخرجه الطبري (٣٠/٧٥) .

(٣٠) أخرجه الطبري (٣٠/٧٦) مختصرًا .

---

[١] - في خ : عن .

[٢] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

[٣] - في خ : عمر .

[٤] - سقط من ز .

[٥] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

أنهما تذاكرا هذه الآية : ﴿ فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس ﴾ ، فقال إبراهيم لمجاهد : قل فيها بما سمعت . قال : فقال مجاهد : كنا[١] نسمع فيها شيئًا ، وناس يقولون : إنها النجوم . قال : فقال إبراهيم : قل فيها بما سمعت . قال : فقال مجاهد : كنا نسمع أنها بقر الوحش حين تكنس في حجرتها . قال : فقال إبراهيم : إنهم يكذبون على عليّ ، هذا كما رووا عن علي أنه ضمن الأسفل الأعلىٰ ، والأعلىٰ الأسفل .

وتوقف ابن جرير في قوله : ﴿ الخنس الجوار الكنس ﴾ : هل هو النجوم ، أو الظباء وبقر الوحش ؟ قال : ويحتمل أن يكون الجميع مرادًا .

وقوله : ﴿والليل إذا عسعس﴾ فيه قولان :

أحدهما : إقباله بظلامه . قال مجاهد : أظلم . وقال سعيد بن جبير : إذا نشأ . وقال الحسن البصري : إذا غشي[٢] الناس . وكذا قال عطية العوفي .

وقال علي بن أبي طلحة ، والعوفي عن ابن عباس : ﴿ إذا عسعس ﴾ : إذا أدبر . وكذا قال مجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، وكذا قال زيد بن أسلم ، وابنه عبد الرحمن : ﴿ إذا عسعس ﴾ ، أي : إذا ذهب فتولىٰ .

وقال أبو داود الطيالسي(٣١) : حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البَخْتَري سمع أبا عبد الرحمن السلمي؛ قال : خرج علينا علي رضي الله عنه حين ثَوَّب المثوِّبُ بصلاة الصبح فقال : أين السائلون عن الوتر : ﴿ والليل إذا عسعس ، والصبح إذا تنفس ﴾ هذا حين أدبر[٣] حسن . وقد اختار ابن جرير أن المراد بقوله : ﴿ إذا عسعس ﴾ : إذا أدبر . قال : لقوله : ﴿ والصبح إذا تنفس ﴾ ، أي : أضاء ، واستشهد بقول الشاعر أيضًا :

حتى إذا الصبح له تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا

أي : أدبر . وعندي أن المراد بقوله . ﴿ عسعس ﴾ : إذا أقبل ، وإن كان يصح استعماله في الإدبار ، لكن الإقبال هاهنا[٤] أنسب ، كأنه أقسم تعالىٰ بالليل وظلامه إذا أقبل ، وبالفجر وضيائه إذا أشرق ، كما قال : ﴿ والليل إذا يغشىٰ والنهار إذا تجلىٰ ﴾ ، وقال : [﴿والضحىٰ والليل إذا][٥] سجىٰ﴾ ، وقال : ﴿ فالق الإصباح وجعل[٦] الليل سكنًا ﴾ ، وغير ذلك من

(٣١) أخرجه أبو داود الطيالسي (ص ٢٥) (١٧٤) من طريق شعبة ، عن أبي التياح ، عن رجل من عنزة ، عن رجل من بنى أسد قال : خرج علينا على ... الحديث . فذكره بنحوه .

[١] - في ز ، خ : ما .
[٢] - في ز : عشي .
[٣] - في ز : دبر .
[٤] - في ز : هنا .
[٥] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : « الضحاك : ﴿ والليل إذا ﴾ .
[٦] - في ز : جاعل .

الآيات .

وقال كثير من علماء الأصول : إن لفظة ﴿ عسعس ﴾ تستعمل في الإِقبال والإِدبار على وجه الاشتراك ، فعلى هذا يصح أن يراد كل منهما ، والله أعلم .

قال ابن جرير : وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب يزعم أن ﴿ عسعس ﴾ : دنا من أوله وأظلم ، وقال الفراء : كان أبو البلاد النحوي ينشد بيتًا :

عسعس حتى لو يشاء ادّنا كان له من ضوئه مقبس

يريد : لو يشاء إذ دنا ، أدغم الذال في الدال . وقال الفراء : وكانوا يَرَون أن هذا البيت مصنوع .

وقوله : ﴿ **والصبح إذا تنفس** ﴾ ، قال الضحاك : إذا طلع . وقال قتادة : إذا أضاء وأقبل . وقال سعيد بن جبير : إذا نشأ . وهو المروي عن علي ، رضي الله عنه .

وقال ابن جرير: يعني: وضوء النهار إذا أقبل وتبين.

وقوله : ﴿ **إنه لقول رسول كريم** ﴾ ، يعني : إن هذا القرآن لتبليغ رسول كريم ، أي : ملك شريف حَسَن الخلق ، بهي المنظر ، وهو جبريل عليه الصلاة والسلام .قاله ابن عباس ، والشعبي ، وميمون بن مهران ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك ، والربيع بن أنس ، وغيرهم .

﴿ **ذي قوة** ﴾ كقوله: ﴿ **علّمه شديد القوى* ذو مرة** ﴾ ، أي : شديد الخَلْق ، شديد البطش والفعل ، ﴿ **عند ذي العرش مكين** ﴾ ، أي : له مكانة عند الله - عز وجل - ومنزلة رفيعة .

قال أبو صالح في قوله: ﴿ **عند ذي العرش مكين** ﴾ قال: جبريل يدخل في سبعين حجابًا من نور بغير إذن.

﴿ **مطاع ثم** ﴾ أي: له وجاهة، وهو مسموع القول مطاع في الملإ الأعلى.

قال قتادة : ﴿ **مطاع ثم** ﴾ ، أي : في السماوات ، يعني : ليس هو من أفناء[١] الملائكة ، بل هو من السادة والأشراف ، معتنى به ، انتخب لهذه الرسالة العظيمة[٢] .

وقوله : ﴿ **أمين** ﴾ : صفة لجبريل بالأمانة ، وهذا عظيم جدًا أن الرب - عز وجل - يزكي عبده ورسوله الملكي جبريل ، كما زكى عبده ورسوله البشري محمدًا صلى الله عليه وسلم بقوله : ﴿ **وما صاحبكم بمجنون** ﴾ .

---

[١] - في ز : أفناد . [٢] - سقط من ت .

قال الشعبي ، وميمون بن مهران ، وأبو صالح ، ومن تقدم[١] ذكرهم : المراد بقوله : ﴿ **وما صاحبكم بمجنون** ﴾ ، يعني : محمدًا ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ولقد رآه بالأفق المبين** ﴾ ، يعني : ولقد رأىٰ محمدٌ جبريلَ الذي يأتيه بالرسالة عن اللّٰه - عز وجل - علىٰ الصورة التي خلقه اللّٰه عليها له ستمائة جناح ، ﴿ **بالأفق المبين** ﴾ ، أي : البين ، وهي الرؤية الأولىٰ التي كانت بالبطحاء ، وهي المذكورة في قوله : ﴿ **علّمه شديد القوىٰ * ذو مرة فاستوىٰ * وهو بالأفق الأعلىٰ * ثم دنا فتدلىٰ * فكان قاب قوسين أو أدنىٰ * فأوحىٰ إلىٰ عبده ما أوحىٰ** ﴾ ، كما تقدم تفسير ذلك وتقريره .

والدليل أن المرادَ بذلك جبريل عليه السلام . والظاهر - واللّٰه أعلم - أن هذه السورة نزلت قبل ليلة الإسراء ، لأنه لم يذكر فيها إلا هذه الرؤية وهي الأولىٰ ، وأما الثانية وهي المذكورة في قوله : ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرىٰ * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوىٰ * إذ يغشىٰ السدرة ما يغشىٰ** ﴾ ، فتلك إنما ذكرت في سورة النجم ، وقد نزلت بعد الإسراء .

وقوله : ﴿ **وما هو علىٰ الغيب بظنين** ﴾ [أي : وما محمد علىٰ ما أنزله اللّٰه إليه بظنين][٢] ، أي : بمتهم . ومنهم من قرأ[٣] ذلك بالضاد ، أي : ببخيل ، بل يبذله لكل أحد .

قال سفيان بن عُيَينة : ظنين وضنين سواء ، أي : ما هو بكاذب ، وما هو بفاجر . والظنين : المتهم ، والضنين : البخيل .

وقال قتادة : كان القرآن غيبًا ، فأنزله اللّٰه علىٰ محمد ، فما[٤] ضَنَّ به علىٰ[٥] الناس ، [بل بَلغَه ونشره وبذله لكل من أراده][٦] . وكذا قال عكرمة ، وابن[٧] زيد ، وغير واحد . واختار ابن جرير قراءة الضاد .

قلت : وكلاهما متواتر ، ومعناه صحيح كما تقدم .

وقوله : ﴿ **وما هو بقول شيطان رجيم** ﴾ ، أي : وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم ، أي : لا يقدر علىٰ حمله ، ولا يريده[٨] ، ولا ينبغي له ، كما قال : ﴿ **وما تنزلت به الشياطين . وما ينبغي لهم وما يستطيعون . إنهم عن السمع لمعزولون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **فأين تذهبون** ﴾ أي : فأين تذهب عقولكم في تكذيبكم بهذا القرآن ، مع ظهوره

---

[١] - في ز : بعدهم .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز : فر .
[٤] - في ز : لما .
[٥] - في ز : عن .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - في ز : وأبو .
[٨] - في ز : يدبره .

ووضوحه ، وبيان كونه جاء من عند اللَّه - عز وجل - كما قال الصديق رضي اللَّه عنه لوفد بني حنيفة حين قدموا مسلمين ، وأمرهم فتلوا عليه شيئًا من قرآن مسيلمة الذي هو في غاية الهذيان والركاكة ، فقال : ويحكم . أين يُذهب بعقولكم ؟ واللَّه إن هذا الكلام لم يخرج من إل ، أي : من إله(٣٢) .

وقال قتادة : [﴿ **فأين تذهبون** ﴾][١] أي : عن كتاب اللَّه وعن طاعته .

وقوله : ﴿ **إن هو**[٢] **إلا ذكر للعالمين** ﴾ ، أي : هذا القرآن ذكر لجميع الناس ، يتذكرون به ويتعظون ، ﴿ **لمن شاء منكم أن يستقيم** ﴾ ، أي : من أراد الهداية فعليه بهذا القرآن ، فإنه منجاةٌ له وهداية ، ولا هداية فيما سواه ، ﴿ **وما تشاءون إلا أن يشاء اللَّه رب العالمين** ﴾ ، أي : ليست المشيئة موكولة إليكم ، فمن شاء اهتدىٰ ومن شاء ضل ، بل ذلك كله تابع لمشيئة اللَّه - عز وجل - ربِّ العالمين .

قال سفيان الثوري(٣٣) ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن سليمان بن موسىٰ : لما نزلت هذه الآية : ﴿ **لمن شاء منكم أن يستقيم** ﴾ ، قال أبو جهل : الأمر إلينا ، إن شئنا استقمنا ، وإن شئنا لم نستقم . فأنزل اللَّه : ﴿ **وما تشاءون إلا أن يشاء اللَّه ربُّ العالمين** ﴾

[آخر تفسير سورة التكوير ، وللَّه الحمد والمنة] .

☆ ☆ ☆

(٣٢) تقدم مطولًا في سورة يونس ، آية : (١٦) .
(٣٣) أخرجه الطبري (٣٠/٨٤) .

[١] - سقط من ز . [٢] - في ز : هذا .

تفسير سورة الانفطار

وهي مكية

قال النسائي(١) : أخبرنا محمد بن قدامة ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن محارب بن دثار ، عن جابر؛ قال : قام معاذ فصلىٰ العشاء الآخرة فطول ، فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أفتان يامعاذ ؟ [أفتان يامعاذ ؟]**[١] **أين كنت عن سبح اسم ربك الأعلىٰ ، والضحىٰ ، وإذا السماء انفطرت ؟ !** » . و[٢] أصل الحديث مخرج في الصحيحين(٢) .

ولكن ذُكرَ ﴿ **إذا السماء انفطرت** ﴾ في أفراد النسائي : وتقدم من رواية عبد اللَّه بن عمر(٣) ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **من سَرّه أن يَنْظرَ إلىٰ القيامة رأيَ عين فليقرأ : ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ و ﴿ إذا السماء انفطرت ﴾ و ﴿ إذا السماء انشقت ﴾** » .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ﴿٤﴾ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ﴿١٣﴾

يقول تعالى : ﴿ **إذا السماء انفطرت** ﴾ أي : انشقت . كما قال تعالى : ﴿ **السماء منفطر به** ﴾ .

(١) سنن النسائي الكبرى ، كتاب : التفسير ، باب : سورة الانفطار ، حديث (١١٦٥٢) (٦/٥٠٨).

(٢) صحيح البخاري ، كتاب : الأدب ، باب : من لم ير إكفار من قال ذلك متأولًا وجاهلًا ... ، حديث (٦١٠٦) (١٠/٥١٥ - ٥١٦) . ومسلم في كتاب : الصلاة ، باب : القراءة في العشاء ، حديث (١٧٨ ، ٤٦٥/١٧٩) (٤/٢٤٠ - ٢٤٢) . كلاهما من حديث جابر - رضي الله عنه - في قصة طويلة .

(٣) تقدم تخريجه في أول سورة التكوير .

[١] - سقط من ز . [٢] - سقط من ز .

﴿وإذا الكواكب انتثرت﴾ أي: تساقطت.

﴿وإذا البحار فجرت﴾، قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: فجر الله بعضها في بعض. وقال الحسن: فجر الله بعضها في بعض، فذهب ماؤها. وقال قتادة: اختلط مالحها بعذبها، وقال الكلبي: ملئت.

﴿وإذا القبور بعثرت﴾، قال ابن عباس: بحثت. وقال السدي: تبعثر: تحرك فيخرج من فيها.

﴿علمت نفس ما قدمت وأخرت﴾ أي: إذا كان هذا حصل هذا.

وقوله: ﴿يا أيها الإنسان * ما غرك بربك الكريم﴾: هذا تهديد، لا كما يتوهمه بعض الناس من أنه إرشاد إلى الجواب، حيث قال ﴿الكريم﴾، حتى يقول قائلهم: غره كرمه. بل المعنى في هذه الآية: ما غرك يا بن آدم بربك الكريم - أي: العظيم - حتى أقدمت على معصيته، وقابلته بما لا يليق؟ كما جاء في الحديث: «**يقول الله يوم القيامة: ابن آدم، ما غرك بي؟ ابن آدم، ماذا أجبتَ المرسلين؟**»(٤).

قال ابن أبي حاتم(٥): حدثنا أبي، حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا سفيان [أن عمر][١] سمع رجلًا يقرأ[٢]: ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم﴾، فقال عمر: الجهل.

وقال أيضًا: حدثنا عمر بن شَبَّة[٣]، حدثنا أبو خلف، حدثنا يحيى[٤] البكاء، سمعت ابن عمر يقول وقرأ هذه الآية: ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم﴾، قال ابن عمر: غره - والله - جهله.

قال: وري عن ابن عباس والربيع بن خثيم، والحسن مثل ذلك.

وقال قتادة: ﴿ما غرك بربك الكريم﴾: شيءٌ ما غَرَّ ابن آدم [ ][٥]، وهذا العدو الشيطان.

وقال الفضيل بن عياض: لو قال لي: ما غرك بي؟ لقلت: ستورك المرخاة. وقال أبو بكر

---

(٤) تقدم تخريجه في الحجر، رقم (٧١).

(٥) ورواه سعيد بن منصور كما في «الدر المنثور» (٦/٥٣٤) بنحوه.

---

[١] - سقط من ز، خ.
[٢] - في ز، خ: يقول.
[٣] - في ز، خ: شيبة.
[٤] - في خ: عن. كذا.
[٥] - في ت: غير.

الوراق : لو قال لي ﴿ **ما غرك بربك الكريم** ﴾ ، لقلت : غرني كرم الكريم .

قال البغوي: وقال بعض أهل الإشارة: إنما قال: ﴿**بربك الكريم**﴾ دون سائر أسمائه وصفاته ، كأنه لقنه الإجابة .

وهذا الذي تخيله هذا القائل ليس بطائل ؛ لأنه إنما أتىٰ باسمه ﴿ **الكريم** ﴾ ، لينبه علىٰ أنه لا ينبغي أن يُقَابل الكريم بالأفعال القبيحة ، وأعمال السوء .

وحكىٰ البغوي عن الكلبي ومقاتل أنهما قالا : نزلت هذه الآية في الأخنس[١] بن شَريق ، ضرب النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ولم يعاقب في الحالة الراهنة[٢] ، فأنزل اللّٰه : ﴿ **ما غرك بربك الكريم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **الذي خلقك فسواك فعدلك** ﴾ ، أي : ما غرك بالرب الكريم ﴿ **الذي خلقك فسواك فعدلك** ﴾ ، أي : جعلك سَوِيًّا معتدل القامة منتصبها ، في أحسن الهيئات[٣] والأشكال .

قال الإمام أحمد(٦): حدثنا أبو النضر[٤] ، حدثنا حَريز[٥] ، حدثني عبد الرحمن بن مَيسرة ، عن جُبَير بن نُفير ، عن بُسْر[٦] بن جحَاش القرشي ، : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بصق يومًا في كفه ، فوضع عليها إصبعه ، ثم قال : « **قال اللّٰه عز وجل : ابنَ[٧] آدم ، أنَّى تُعجزِني وقد خلقتك من مثل هذه ؟ حتىٰ إذا سَوّيتك وعدلتك ، مشيت بين بردين وللأرض منك وَئِيدٌ ، فجَمَعت ومَنعت ، حتىٰ إذا بلغت التراقي قلتَ : أتصدقُ ، وأنَّى أوان الصدقة** » .

وكذا رواه ابن ماجة(٧) ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن يزيد بن هارون ، عن حَريز[٨] بن عثمان به .

قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزّي : وتابعه يحيىٰ بن حمزة ، عن ثور بن يزيد ، عن عبد الرحمن ابن ميسرة .

---

(٦) تقدم تخريجه في سورة النحل ، آية : (٤) .
(٧) ينظر الموضع السابق .

---

[١] - في ز : الأسود .
[٢] - بياض في ز . وسقط من خ .
[٣] - في ز : الهبات .
[٤] - في ز ، خ : المغيرة .
[٥] - في ز ، خ : جرير .
[٦] - في ز : بشر .
[٧] - في ز : بني .
[٨] - في ز ، خ : جرير .

وقوله: ﴿ **في أي صورة ما شاء ركبك** ﴾ قال مجاهد: في أي شبه أبٍ أو أم، أو خالٍ أو عمٍ.

وقال ابن جرير(٨): حدثني [محمد بن سنان القزاز، حدثنا مُطَهَّر بن الهيثم، حدثنا موسىٰ بن عُلَيّ بن رَبَاح، حدثني][١] أبي، عن جدي؛ أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال له: « **ما ولد لك** ؟ » قال: يا رسول الله، ما عسىٰ أن يولَد لي؟ إما غلام وإما جارية. قال: « **فمن يشبه** ؟ ». قال: يا رسول الله، من عسى أن يشبه؟ إما أباه وإما أمه. فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم عندها: « مه. **لا تقولَنّ هكذا، إن النطفة إذا استقرت في الرحم أحضرها الله كل نسب بينها وبين آدم أما قرأت هذه الآية في كتاب الله**: ﴿ **في أي صورة ما شاء ركبك** ﴾، قال: سَلَكَكَ.

وهكذا رواه ابن أبي حاتم والطبراني(٩) من حديث مطهر بن الهيثم به[٢]. وهذا الحديث لو صح لكان فيصلًا في هذه الآية، ولكن إسناده ليس بالثابت، لأن « **مُطَهَّر بن الهيثم** » قال فيه أبو سعيد بن يونس: كان متروك الحديث، وقال ابن حبان: يَرْوي عن موسىٰ بن عُلَيّ وغيره ما لا يُشبهُ[٣] حَديثَ الأثبات. ولكن في الصحيحين(١٠) عن أبي هُرَيرة أن رَجُلًا قال: يا رسولَ الله، إن امرأتي وَلَدت غُلامًا أسودَ؟. قال: « **هل لك من[٤] إبل** ؟ ». قال: نعم. قال: « **فما ألوانها** ؟ ». قال: حُمر. قال: « **فهل فيها من أورَق** ؟ ». قال: نعم. قال: « **فأنّىٰ أتاها ذلك** ؟ ». قال: عسىٰ أن يكون نَزَعه عِرْق. قال: « **وهذا عسىٰ أن يكون نزعه عرق** ».

وقد قال عكرمة في قوله: ﴿ **في أي صورة ما شاء ركبك** ﴾: إن شاء في صورة قرد، وإن شاء في صورة خنزير. وكذا قال أبو صالح: إن شاء في صورة كلب، وإن شاء في صورة حمار، وإن شاء في صورة خنزير.

وقال قتادة: ﴿ **في أي صورة ما شاء ركبك** ﴾، قال: قادر - والله - ربنا علىٰ ذلك. ومعنىٰ هذا القول عند هؤلاء: أن الله - عز وجل - قادر علىٰ خلق النطفة علىٰ شكل قبيح من

---

(٨) تفسير الطبري (٣٠/٨٧).

(٩) المعجم الكبير (٥/٧٤) (٤٦٢٤). قال الهيثمي في « المجمع » (٧/١٣٨): رواه الطبراني وفيه مطر بن الهيثم وهو متروك.

(١٠) أخرجه البخاري في كتاب: الطلاق، باب: إذا عرَّض بنفي الولد، حديث (٥٣٠٥) (٩/٤٤٢). وطرفاه في [٦٨٤٧، ٧٣١٤]. ومسلم في كتاب: اللعان، حديث (١٨ - ١٥٠٠/٢٠) (١٠/١٨٧ - ١٨٩).

---

[١] - سقط من ز، خ.
[٢] - سقط من ز.
[٣] - في ز: به.
[٤] - سقط من ز.

الحيوانات المنكرة الخلق ، ولكن بقدرته ولطفه وحلمه يخلقه علىٰ شكل حسن مستقيم معتدل تام ، حَسَن المنظر والهيئة .

وقوله : ﴿ **كلا بل تكذبون بالدين** ﴾ ، أي : بل إنما يحملكم علىٰ مواجهة الكريم ومقابلته بالمعاصي ، تكذيب في قلوبكم بالمعاد والجزاء والحساب .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وإن عليكم لحافظين * كرامًا كاتبين * يعلمون ما تفعلون** ﴾ ، يعني : وإن عليكم لملائكة حفَظَة كرامًا كاتبين[١] فلا تقابلوهم بالقبائح ، فإنهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا علي بن محمد الطنافسي ، حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ومسعر ، عن علقمة بن مرثد[٢] ، عن مجاهد قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدىٰ حالتين : الجنابة والغائط . فإذا اغتسل أحدكم فليستتر بجرم حائط أو ببعيره ، أو ليستره أخوه** » .

وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار(١١) ، فوصله بلفظٍ آخر ، فقال : حدثنا محمد بن عثمان بن كرامة ، حدثنا عبيد اللَّه بن موسىٰ ، عن حفص بن سليمان ، عن علقمة بن مرثد ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن اللَّه ينهاكم عن التعرّي ، فاستحيوا من ملائكة اللَّه الذين معكم ، الكرام الكاتبين ، الذين لا يُفارقونكم إلا عند إحدىٰ ثلاث حالات : الغائط ، والجنابة ، والغسل . فإذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بثوبه ، أو جرم حائط ، أو ببعيره** » .

ثم قال : حفص بن سليمان لين الحديث ، وقد روي عنه واحتمل حديثه .

وقال الحافظ أبو بكر البزار(١٢) : حدثنا زياد بن أيوب ، حدثنا مُبَشر بن إسماعيل الحلبي ، حدثنا تمام[٣] بن نجيح ، عن الحسن - يعني البصري - عن أنس ؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **ما من حافظين يرفعان إلىٰ اللَّه - عز وجل - ما حفظا في يوم فيرىٰ في أول الصحيفة وفي آخرها استغفارًا إلا قال اللَّه تعالىٰ : « قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة** » .

ثم قال : تفرد به تمام بن نجيح ، وهو صالح الحديث .

(١١) مختصر زوائد البزار (١٨١/١) (٢٠٥) بنحوه .

(١٢) مختصر زوائد البزار (٤٦٢/٢) (٢٢١٧) .

[١] - سقط من ت .

[٢] - في ز ، خ : يزيد .

[٣] - في ز ، خ : هشام .

قلت : وثقه ابن معين وضعفه البخاري ، وأبو زرعة ، وابن أبي[١] حاتم ، والنسائي ، وابن عدي . ورماه ابن حبان بالوضع . وقال الإمام أحمد : لا أعرف حقيقة أمره .

وقال الحافظ أبو بكر البزار(١٣) : حدثنا إسحاق بن سليمان البغدادي المعروف بالقُلوسي ، حدثنا بيان بن حمران ، حدثنا سلام ، عن منصور [بن زاذان][٢] ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن [للَّه ملائكة][٣] يعرفون بني آدم - وأحسبه قال : ويعرفون أعمالهم - فإذا نظروا إلىٰ عبد يعمل بطاعة اللَّه ذكروه بينهم وسموه ، وقالوا : أفلح الليلة فلان ، نجا الليلة فلان . وإذا نظروا إلىٰ عبد يعمل بمعصية اللَّه ذكروه بينهم وسموه ، وقالوا : هلك الليلة فلان** » .

ثم قال البزار : سلام هذا أحسبه سلامًا المدائني ، وهو لين الحديث .

وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ (١٤) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ (١٥) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ (١٦) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ (١٨) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ (١٩)

يخبر تعالىٰ عما يصير الأبرار إليه من النعيم ، وهم الذين أطاعوا اللَّه ، عز وجل ، ولم يقابلوه بالمعاصي .

وقد روىٰ ابن عساكر(١٤) في ترجمة « **موسىٰ بن محمد** » . عن هشام بن عمار ، عن عيسىٰ ابن يونس بن أبي إسحاق ، عن عبيد اللَّه ، عن محارب ، عن ابن عمر ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **إنما سماهم اللَّه الأبرار لأنهم بروا الآباء والأبناء** » .

ثم[٤] ذكر ما يصير إليه الفجار من الجحيم والعذاب المقيم ، ولهذا قال : ﴿ **يصلونها يوم الدين** ﴾ ، أي : يوم الحساب والجزاء والقيامة ، ﴿ **وما هم عنها بغائبين** ﴾ ، أي : لا يغيبون عن العذاب ساعة واحدة ، ولا يخفف عنهم من عذابها ، ولا يجابون إلىٰ ما يسألون من الموت أو الراحة ، ولو يومًا واحدًا .

---

(١٣) مختصر زوائد البزار (٢/٤٥١) (٢١٩٥) بنحوه . قال ابن حجر : سلام متروك .
(١٤) تاريخ دمشق (١٧/٤٠٠ مخطوط) .

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - سقط من خ .
[٣] - في ز : ملائكة الله .
[٤] - في ز : و .

وقوله : ﴿ **وما أدراك ما يوم الدين** ﴾ تعظيم لشأن يوم القيامة ، ثم أكده بقوله : ﴿ **ثم ما أدراك ما يوم الدين** ﴾ . ثم فسره بقوله : ﴿ **يوم لا تملك نفس لنفس شيئًا** ﴾ ، أي : لا يقدر واحد علىٰ نفع أحد ولا خَلاصه مما[١] هو فيه ، إلا أن يأذن اللّٰه لمن يشاء ويرضىٰ .

ونذكر هاهنا حديث : « **يا بني هاشم ، أنقذوا أنفسكم [من النار]**[٢] ، **لا أملك لكم من اللّٰه شيئًا** »(١٥). وقد تقدم في آخر تفسير سورة الشعراء؛ ولهذا قال: ﴿ **والأمر يومئذٍ للّٰه** ﴾ ، كقوله: ﴿ **لمن الملك اليوم للّٰه الواحد القهار** ﴾ ، وكقوله: ﴿ **الملك يومئذ الحق للرحمٰن** ﴾ ، وكقوله: ﴿ **مالك يوم الدين** ﴾ .

قال قتادة : ﴿ **يوم لا تملك نفس لنفس شيئًا والأمر يومئذ للّٰه** ﴾ ، والأمر - واللّٰه - اليوم للّٰه ، ولكنه يومئذ لا ينازعه فيه[٣] أحد .

[آخر تفسير سورة الانفطار، وللّٰه الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة] .

☆ ☆ ☆

(١٥) تقدم تخريجه في سورة الإسراء .

[١] - في ز : عما .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - سقط من ت .

[تفسير] سورة المطففين

[وهي مدنية]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾

قال النسائي وابن ماجة [١] : أخبرنا محمد بن عقيل - زاد ابن ماجة : وعبد الرحمن بن بشر - قالا : حدثنا علي بن الحسين بن واقد ، حدثني أبي ، عن يزيد - هو ابن أبي سعيد النحوي ، مولىٰ قريش - عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما قدم نبي الله صلىٰ الله عايه وسلم المدينة كانوا من أخبث الناس كيلًا فأنزل الله : ﴿ **ويل للمطففين** ﴾ فحسنوا الكيل بعد ذلك .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا جعفر بن النضر بن حماد ، حدثنا محمد بن عبيد ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن الحارث ، عن هلال بن طلق قال : بينا أنا أسير مع ابن عمر ، فقلت : من أحسن الناس هيئة وأوفاه كيلًا ؟ أهل مكة أو المدينة ؟ قال : حق لهم ، أما سمعت الله يقول : ﴿ **ويل للمطففين** ﴾ .

وقال ابن جرير [٢] : حدثنا أبو السائب ، حدثنا ابن فضيل ، عن ضرار ، عن عبد الله المكتب ، عن رجل ، عن عبد الله قال : قال له رجل : يا أبا عبد الرحمن ، إن أهل المدينة ليوفون الكيل . قال : وما يمنعهم أن يوفوا الكيل وقد قال الله عز وجل : ﴿ **ويل للمطففين** ﴾ ، حتىٰ بلغ : ﴿ **يوم يقوم الناس لرب العالمين** ﴾ .

فالمراد بالتطفيف هاهنا : البخس في المكيال والميزان ، إما بالازدياد إن اقتضىٰ من الناس ، وإما بالنقصان إن قضاهم . ولهذا فسر تعالىٰ المطففين الذين وعدهم بالخسار والهلاك وهو الويل ، بقوله : ﴿ **الذين إذا اكتالوا علىٰ الناس** ﴾ ، أي : من الناس ﴿ **يستوفون** ﴾ ، أي : يأخذون

---

(١) سنن النسائي الكبرى ، كتاب : التفسير ، باب : سورة المطففين ، حديث (١١٦٥٤) (٥٠٨/٦) . وابن ماجة في كتاب : التجارات ، باب : التوقي في الكيل والوزن ، حديث (٢٢٢٣) (٧٤٨/٢) .

(٢) تفسير الطبري (٩٠/٣٠-٩١) بهذا الإسناد لكنه قال : عن ضرار عن عبد الله دون ذكر المكتب عن رجل .

حقهم بالوافي والزائد ، ﴿ وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ﴾ ، أي : ينقصون . والأحسن أن يجعل « كالوا » و « وزنوا » متعديًا ، ويكون هم في محل نصب : ومنهم من يجعلها ضميرًا مؤكدًا للمستتر في قوله « كالوا » و « وزنوا » ، ويحذف المفعول لدلالة الكلام عليه ، وكلاهما متقارب .

وقد أمر اللَّه تعالىٰ بالوفاء في الكيل والميزان ، فقال : ﴿ وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ، ذلك خير وأحسن تأويلًا ﴾ وقال : ﴿ وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسًا إلا وسعها ﴾ ، وقال : ﴿ وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ﴾ وأهلك اللَّه قوم شعيب ودمرهم علىٰ ما كانوا يبخسون الناس في المكيال والميزان .

ثم قال تعالىٰ متوعدًا لهم : ﴿ ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم ﴾ ، أي : أما يخاف أولئك من البعث والقيام بين يدي من يعلم السرائر والضمائر ، في يوم عظيم الهول ، كثير الفزع ، جليل الخطب ، من خسر فيه أدخل نارًا حامية !

وقوله : ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ أي : يقومون حفاة عراة غرلًا ، في[١] موقف صعب[٢] حرج ضيق ضنك علىٰ المجرم ، ويغشاهم من أمر اللَّه ما تعجز[٣] القوىٰ والحواس عنه .

قال الإمام مالك : عن نافع ، عن ابن عمر أن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ حتىٰ يغيب أحدهم في رشحه إلىٰ أنصاف أذنيه » .

رواه البخاري(٣) من حديث مالك ، و[٤] عبد اللَّه بن عون كليهما عن نافع به . ورواه مسلم من الطريقين أيضًا . وكذلك رواه صالح وأيوب بن يحيىٰ ، وعبد اللَّه وعبيد اللَّه ابنا عمر ، ومحمد ابن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر به .

ولفظ الإمام أحمد(٤) : حدثنا يزيد ، أخبرنا ابن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر : سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ : لعظمة الرحمن - عز وجل - يوم القيامة ، حتىٰ إن العرق ليلجم الرجال إلىٰ أنصاف آذانهم » .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد(٥) : حدثنا إبراهيم بن إسحاق ، حدثنا ابن المبارك ،

---

(٣) أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : يوم يقوم الناس لرب العاليمن ، حديث (٤٩٣٨) من طريق مالك ، وفي كتاب : الرقاق حديث (٦٥٣١) من طريق ابن عون . ومسلم في كتاب : الجنة ، باب : في صفة يوم القيامة ، حديث (٢٨٦٢/٦٠) (٢٨٤/١٧ - ٢٨٥) .

(٤) أخرجه أحمد (٣١/٢) (٤٨٦٢) . وصححه أحمد شاكر .

---

[١] - في ز ، خ : أي .
[٢] - في ز ، خ : ضعيف .
[٣] - في ز : يعجز .
[٤] - في ز ، خ : ابن .

عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، حدثني سليم بن عامر، حدثني المقداد - يعني ابن الأسود الكندي - قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد، حتى تكون قيد ميل**[١] **أو ميلين، قال: فتصهرهم الشمس، فيكونون في العرق كقدر أعمالهم، منهم من يأخذه إلى عقبيه، ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من يأخذه إلى حقويه، ومنهم من يلجمه إلجامًا**».

رواه مسلم، عن الحكم بن موسى، عن يحيى بن حمزة - والترمذي، عن سويد، عن ابن المبارك - كلاهما عن ابن جابر، به.

حديث آخر، قال الإمام أحمد(٦): حدثنا الحسن بن سوار، حدثنا الليث بن سعد، عن معاوية بن صالح: أن أبا عبد الرحمن حدثه، عن أبي أمامة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**تدنو الشمس يوم القيامة على قدر ميل، ويزاد في حرها كذا وكذا، تغلي**[٢] **منها الهوام كما تغلي**[٣] **القدور، يعرقون فيها على قدر خطاياهم، منهم من يبلغ إلى كعبيه، ومنهم من يبلغ إلى ساقيه، ومنهم من يبلغ إلى وسطه، ومنهم من يلجمه العرق**». انفرد به أحمد.

حديث آخر، قال الإمام أحمد(٧): حدثنا حسن، حدثنا[٤] ابن لهيعة، حدثنا أبو عشَّانة حيّ ابن يؤمن، أنه سمع عقبة بن عامر يقول: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «**تدنو الشمس من الأرض فيعرق الناس، فمن الناس من يبلغ عرقه عقبيه، ومنهم من يبلغ إلى نصف الساق، ومنهم من يبلغ إلى ركبتيه، ومنهم من يبلغ [العجز، ومنهم من يبلغ الخاصرة، ومنهم من يبلغ منكبيه، ومنهم من يبلغ]**[٥] **وسط فيه**» وأشار بيده فألجمها فاه - رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير[٦] هكذا - «**ومنهم من يغطيه عرقه**». وضرب بيده إشارة. انفرد به أحمد.

وفي حديث: أنهم يقومون سبعين سنة لا يتكلمون. وقيل: يقومون ثلاثمائة سنة. وقيل: يقومون أربعين ألف سنة. ويقضى بينهم في مقدار عشرة آلاف سنة، كما في صحيح مسلم

---

(٥) أخرجه أحمد (٦/٣-٤) (٢٣٩٢٥). ومسلم في كتاب: الجنة، باب: في صفة يوم القيامة، حديث (٢٨٦٤/٦٢) (١٧/٢٨٥ - ٢٨٦). والترمذي في كتاب: صفة القيامة، باب: قرب الشمس من العباد يوم القيامة، حديث (٢٤٢٣) (١٣٨/٧).

(٦) أخرجه أحمد (٢٥٤/٥) (٢٢٢٨٦).

(٧) أخرجه أحمد (١٥٧/٤) (١٧٤٨٧).

---

[١] - سقط من ز، خ.

[٢] - في ز: يغل.

[٣] - في ز: تغل.

[٤] - سقط من ز، خ.

[٥] - سقط من ز، خ.

[٦] - في خ: يشير بيده.

عن أبي هريرة مرفوعًا[٨] : ﴿ في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو عون الزيادي ، أخبرنا عبد السلام بن عجلان ، سمعت أبا يزيد المدني ، عن أبي هريرة قال : قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم لبشير الغفاري : « **كيف أنت صانع في يوم يقوم الناس فيه ثلاثمائة سنة لرب العالمين ، من أيام الدنيا ، لا يأتيهم فيه خبر من السماء ولا يؤمر فيه بأمر** » . قال بشير : المستعان الله . قال : « **فإذا أويت إلىٰ فراشك فتعوذ بالله من كرب يوم القيامة ، وسوء الحساب** » . ورواه ابن جرير من طريق عبد السلام به[٩] .

وفي سنن أبي داود[١٠] : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان يتعوذ بالله من ضيق المقام يوم القيامة وعن ابن مسعود : يقومون أربعين سنة رافعي رءوسهم إلىٰ السماء ، لا يكلمهم أحد ، قد ألجم العرق برهم وفاجرهم . وعن ابن عمر: يقومون مائة سنة. رواهما ابن جرير[١١] .

وفي سنن أبي داود[١٢] ، والنسائي ، وابن ماجة ، من[1] حديث زيد بن الحباب ، عن معاوية ابن صالح ، عن أزهر بن سعيد الحواري ، عن عاصم بن حميد ، عن عائشة ؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان يفتتح قيام الليل : يكبر عشرًا ، ويحمد عشرًا ، ويسبح عشرًا ، ويستغفر عشرًا ، ويقول : « **اللهم؛ اغفر لي واهدني ، وارزقني وعافني** » . ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة .

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ

(٨) تقدم تخريجه في تفسير سورة المعارج ، آية (٤) .

(٩) أخرجه الطبري (٣٠/٩٣) .

(١٠) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب : ما يستفتح به الصلاة بعد الدعاء (٧٦٦) .

(١١) أخرجه الطبري (٣٠/٩٢ ، ٩٣) .

(١٢) سنن أبي داود في كتاب : الصلاة ، باب : ما يستفتح به الصلاة من الدعاء ، حديث (٧٦٦) (١/٢٠٣ - ٢٠٤) . والنسائي (٣/٢٠٨ - ٢٠٩) كتاب : قيام الليل ، باب : ذكر ما يستفتح به القيام . وابن ماجة في كتاب : الإقامة ، باب : ما جاء في الدعاء إذا قام الرجل من الليل ، حديث (١٣٥٦) (١/٤٣١) وابن كثير أورده بالمعنى .

[١] - في ز ، خ : في .

أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾

يقول : حقًّا ﴿ **إن كتاب الفجار لفي سجين** ﴾ ، أي : إن مصيرهم ومأواهم لفي سجين - فعيل من السجن ، وهو الضيق - كما يقال : فسيق وشريب وخمير وسكير ، ونحو ذلك ؛ ولهذا عظم أمره فقال : ﴿ **وما أدراك ما سجين ؟** ﴾ ، أي : هو أمر عظيم ، وسجن مقيم وعذاب أليم .

ثم قد قال قائلون : هي تحت الأرض السابعة . وقد تقدم في حديث البراء بن عازب(١٣) ، في حديثه الطويل : يقول الله - عز وجل - في روح الكافر : اكتبوا كتابه في سجين . وسجين : هي تحت الأرض السابعة . وقيل : صخرة[١] تحت السابعة خضراء . وقيل : بئر في جهنم .

وقد روىٰ ابن جرير(١٤) في ذلك حديثًا غريبًا منكرًا لا يصح فقال : حدثنا إسحاق بن وهب الواسطي ، حدثنا مسعود بن موسىٰ بن مشكان الواسطىٰ ، حدثنا نصر بن خزيمة الواسطي ، عن شعيب بن صفوان ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **الفلق** [٢] : **جب في جهنم مغطى ، وأما سجين فمفتوح** » .

والصحيح أن « **سجينًا** » مأخوذ من السجن ، وهو الضيق ، فإن المخلوقات كل ما تسافل منها ضاق ، [وكل ما تعالىٰ منها اتسع ، فإن الأفلاك السبعة كل واحد منها][٣] أوسع وأعلىٰ من الذي دونه ، وكذلك الأرضون كل واحدة أوسع من التي دونها ، حتىٰ ينتهي السفول المطلق والمحل الأضيق إلىٰ المركز في وسط الأرض السابعة ، ولما كان مصير الفجار إلىٰ جهنم وهي أسفل السافلين ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ثم رددناه أسفل سافلين . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ .

---

(١٣) تقدم تخرجه في سورة إبراهيم في تفسير قول الله عز وجل : ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾ آية (٢٧) .

(١٤) أخرجه الطبري (٣٤٩/٣٠) فذكر أوله . وأخرجه (٣٠/٩٥ - ٩٦) .

---

[١] - في خ : حجرة .

[٢] - في ز : العلق .

[٣] - سقط من ز .

وقال هاهنا : ﴿ **كلا إن كتاب الفجار لفي سجين وما أدراك ما سجين** ﴾ ، وهو يجمع الضيق والسفول ، كما قال : ﴿ **وإذا ألقوا منها مكانًا ضيقًا مقرنين دعوا هنالك ثبورًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **كتاب مرقوم** ﴾ ليس تفسيرًا لقوله ، ﴿ **وما أدراك ما سجين** ﴾ ، وإنما هو تفسير لما كتب لهم من المصير إلىٰ سجين ، أي : مرقوم مكتوب مفروغ منه ، لا يزاد[١] فيه أحد ولا ينقص منه أحد ، قاله محمد بن كعب القرظي .

ثم قال : ﴿ **ويل يومئذ للمكذبين** ﴾ ، أي : إذا صاروا يوم القيامة إلىٰ ما أوعدهم الله من السجن والعذاب المهين . وقد تقدم الكلام علىٰ قوله ﴿ **ويل** ﴾ بما أغنىٰ عن إعادته ، وأن المراد من ذلك [ ][٢] الهلاك والدمار ، كما يقال : ويل لفلان . وكما جاء في المسند(١٥) والسنن من رواية بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة[٣] ، عن أبيه ، عن جده ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ويل للذي يحدث فيكذب ، ليضحك الناس ، ويل له ، ويل له** » .

ثم قال تعالىٰ مفسرًا للمكذبين الفجار الكفرة : ﴿ **الذين**[٤] **يكذبون بيوم الدين** ﴾ ، أي : لا يصدقون بوقوعه ، ولا يعتقدون كونه ويستبعدون أمره . قال الله تعالىٰ : ﴿ **وما يكذب به إلا كل معتد أثيم** ﴾ ، أي : معتد في أفعاله ، من تعاطي الحرام والمجاوزة في تناول المباح والأثيم في أقواله : إن حدث كذب ، وإن وعد أخلف ، وإن خاصم فجر .

وقوله : ﴿ **إذا تتلىٰ عليه آياتنا قال أساطير الأولين** ﴾ ، أي : إذا سمع كلام الله من الرسول ، يكذب به ، ويظن به ظن السوء ، فيعتقد أنه مفتعل مجموع من كتب الأوائل ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين** ﴾ . وقال : ﴿**وقالوا أساطير الأولين اكتتبها . فهي تملى عليه بكرة وأصيلًا**﴾ .

قال الله تعالىٰ : ﴿ **كلا ، بل ران علىٰ قلوبهم ما كانوا يكسبون** ﴾ ، أي : ليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا ، إن هذا القرآن أساطير الأولين ، بل هو كلام الله ووحيه وتنزيله علىٰ رسوله صلىٰ الله عليه وسلم ، وإنما حجب قلوبهم عن الإيمان به[٥] ما عليها من الرين الذي قد

(١٥) أخرجه أحمد (٣/٥ ، ٥ ، ٧) (٢٠٠٧١ ، ٢٠٠٩٤ ، ٢٠١٠٣ ، ٢٠١٢١). وأبو داود في كتاب : الأدب ، باب : في التشديد في الكذب ، حديث (٤٩٩٠) (٢٩٧/٤ - ٢٩٨) . والترمذي في كتاب : الزهد ، باب : فيمن تكلم بكلمة ليضحك بها الناس ، حديث (٢٣١٦) (٧٦/٧) . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره** ﴾ ، حديث (١١١٢٦) (٣٢٩/٦) . ولم يعزه المزي في تحفة الأشراف (١١٣٨١) إلى ابن ماجة . قال الترمذي : حديث حسن . وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤١٧٥) .

[١] - في ز : يزد . وفي خ : يزيد .
[٢] - في ز : أن .
[٣] - في ز ، خ : خلدة .
[٤] - في ز : الذي .
[٥] - سقط من خ .

لبس قلوبهم من كثرة الذنوب والخطايا ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **كلا ، بل ران علىٰ قلوبهم ما كانوا يكسبون** ﴾ . والرين يعتري قلوب الكافرين ، والغيم للأبرار ، والغين للمقربين .

وقد روىٰ ابن جرير(١٦) والترمذي والنسائي وابن ماجة . من طرق ، عن محمد بن عجلان ، عن القعقاع بن حكيم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ؛ قال : « **إن العبد إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه ، فإن تاب منها صقل[١] قلبه ، وإن[٢] زاد زادت ؛ فذلك قول الله : ﴿ كلا ، بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾** » .

وقال الترمذي : « **حسن صحيح** » . ولفظ النسائي : « **إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكت في قلبه نكتة ، فإن هو نزع واستغفر وتاب صقل[٣] قلبه ، فإن عاد زيد فيها حتىٰ يعلو قلبه ، فهو الران الذي قال الله : ﴿ كلا ، بل ران علىٰ قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾** » .

وقال أحمد(١٧) : حدثنا صفوان بن عيسىٰ[٤] ، أخبرنا ابن عجلان ، عن القعقاع بن حكيم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه ، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه ، فإن زاد زادت حتىٰ يعلو قلبه ، وذاك الران الذي ذكر الله في القرآن : ﴿ كلا ، بل ران علىٰ قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾** » .

وقال الحسن البصري : هو الذنب علىٰ الذنب ، حتىٰ يعمىٰ القلب ، فيموت . وكذا قال مجاهد [بن جبر][٥] وقتادة ، وابن[٦] زيد ، وغيرهم .

وقوله : ﴿ **كلا ، إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون** ﴾ ، أي : لهم يوم القيامة منزل ونزل سجين ، ثم هم [يوم القيامة][٧] [مع ذلك][٨] محجوبون عن رؤية ربهم وخالقهم .

---

(١٦) أخرجه الطبري (٩٨/٣٠) . والترمذي في كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة ويل للمطففين ، حديث (٣٣٣١) (٦٩/٩) . وقال : حسن صحيح . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : قوله : تعالى : ﴿ **كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون** ﴾ ، حديث (١١٦٥٨) (٥٠٩/٦) . وفي كتاب : عمل اليوم والليلة ، باب : ما يفعل من بلى بذنب وما يقول ، حديث (١٠٢٥١) (١١٠/٦) . وابن ماجة في كتاب : الزهد ، باب : ذكر الذنوب ، حديث (٤٢٤٤) (١٤١٨/٢) . وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجة (٣٤٢٢) .

(١٧) أخرجه أحمد (٢٩٧/٢) .

---

[١] - في ز : سقل .
[٢] - في ز : فإن .
[٣] - عند النسائي : صقلت .
[٤] - في ز ، خ : علية .
[٥] - في ز ، خ : وابن جبير .
[٦] - في ز ، خ : وأبو .
[٧] - سقط من ز .
[٨] - سقط من خ .

قال الإمام أبو عبد الله الشافعي : هذه الآية دليلٌ على أن المؤمنين يرونه عزَّ وجلَّ يومئذ .

وهذا الذي قاله الإمام الشافعي رحمه اللّٰه في غاية الحسن ، وهو استدلال بمفهوم هذه الآية ، كما دل عليه منطوق قوله : ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة . إلىٰ ربها ناظرة** ﴾ . وكما دلت علىٰ ذلك الأحاديث الصحاح المتواترة في رؤية المؤمنين ربهم - عز وجل - في الدار الآخرة ، رؤية بالأبصار في عرصات القيامة ، وفي روضات الجنان[١] الفاخرة .

وقد قال ابن جرير(١٨) : [حدثني محمد بن عمار الرازي][٢] : حدثنا أبو معمر المنقري ، حدثنا عبد الوارث[٣] بن سعيد ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن في قوله : ﴿ **كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون** ﴾ ، قال : يكشف الحجاب ، فينظر إليه المؤمنون والكافرون ، ثم يحجب عنه الكافرون ، وينظر إليه المؤمنون كل يوم غدوة وعشية . أو كلامًا هذا معناه .

قوله : ﴿ **ثم إنهم لصالوا الجحيم** ﴾ ، أي : ثم هم مع هذا الحرمان عن رؤية الرحمن من أهل النيران ، ﴿ **ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون** ﴾ ، أي : يقال لهم ذلك[٤] علىٰ وجه التقريع والتوبيخ ، والتصغير والتحقير .

كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾

يقول تعالىٰ : حقًّا ﴿ **إن كتاب الأبرار** ﴾ ، وهم بخلاف الفجار ، ﴿ **لفي عليين** ﴾ ، أي : مصيرهم إلىٰ عليين ، وهو بخلاف سجين .

قال الأعمش(١٩) عن شمر بن عطية ، عن هلال بن يساف ؛ قال : سأل ابن عباس كعبًا وأنا

(١٨) أخرجه الطبري (١٠٠/٣٠) بأخصر من هذا .
(١٩) أخرجه الطبري (١٠١/٣٠) .

[١] - في ز : الجنات .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : عبد الرزاق .
[٤] - سقط من ز ، خ .

حاضر عن سجين ، قال : هي الأرض السابعة ، وفيها أرواح الكفار . وسأله عن عليين فقال : هي السماء السابعة ، وفيها أرواح المؤمنين . وهكذا قال غير واحد : إنها السماء السابعة .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله : ﴿ **كلا ؛ إن كتاب الأبرار لفي عليين** ﴾ يعني : الجنة .

وفي رواية العوفي ، عنه : أعمالهم في السماء عند الله . وكذا قال الضحاك .

وقال قتادة : عليون : ساق العرش اليمنى ، وقال غيره : عليون : عند سدرة المنتهى .

والظاهر : أن عليين مأخوذ من العلو ، وكلما علا الشيء وارتفع عظم واتسع[١] ، ولهذا قال معظمًا أمره ومفخمًا شأنه : ﴿ **وما أدراك ما عليون** ﴾ . ثم قال مؤكدًا لما كتب لهم : ﴿ **كتاب مرقوم . يشهده المقربون** ﴾ ، وهم الملائكة ، قاله قتادة .

وقال العوفي عن ابن عباس : يشهد من كل سماء مقربوها .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **إن الأبرار لفي نعيم** ﴾ ، أي : يوم القيامة هم في نعيم مقيم ، وجنات فيها فضل عميم . ﴿ **علىٰ الأرائك** ﴾ ، وهي : السرر تحت الحجال ، ﴿ **ينظرون** ﴾ ، قيل : معناه ينظرون في ملكهم ، وما أعطاهم الله من الخير والفضل الذي لا ينقضي ولا يبيد . وقيل : معناه ﴿ **علىٰ الأرائك ينظرون** ﴾ إلىٰ الله عز وجل . وهذا مقابلة لما وصف به أولئك الفجار : ﴿ **كلا ، إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون** ﴾ ، فذكر عن هؤلاء أنهم يباحون النظر إلىٰ الله - عز وجل - وهم علىٰ سررهم وفرشهم ، كما تقدم في حديث ابن عمر : « **إن أدنىٰ أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه مسيرة ألفي سنة ، يرىٰ أقصاه كما يرىٰ أدناه ، وإن أعلاه لمن ينظر إلىٰ الله في اليوم مرتين** » .

وقوله : ﴿ **تعرف في وجوههم نضرة النعيم** ﴾ ، أي : تعرف إذا نظرت إليهم في وجوههم نضرة النعيم ، أي : صفة الترافة والحشمة والسرور والدعة والرياسة ، مما هم فيه من النعيم العظيم .

وقوله : ﴿ **يسقون من رحيق مختوم** ﴾ ، أي : يسقون من خمر من الجنة . والرحيق : من أسماء الخمر . قاله ابن مسعود ، وابن عباس ، ومجاهد ، والحسن ، وقتادة ، وابن زيد .

قال الإمام أحمد(٢٠) : حدثنا حسن ، حدثنا زهير ، عن سعد أبي المجاهد الطائي ، عن عطية ابن سعد العوفي ، عن أبي سعيد الخدري - أراه قد رفعه إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم - قال : « **أيما مؤمن سقىٰ مؤمنًا شربة علىٰ ظمإ ، سقاه الله يوم القيامة من الرحيق**

(٢٠) المسند (١٣/٣ - ١٤) (١١١١٥) . وضعفه الترمذي (٢٤٥١) وقد أخرجه من طريق عن عطية ، ثم

[١] - في ز : وارتفع . هي سقط من خ .

المختوم . وأيما مؤمن أطعم مؤمنًا علىٰ جوع ، أطعمه الله من ثمار الجنة . وأيما مؤمن كسا مؤمنًا ثوبًا علىٰ عري كساه الله من خُضْرِ الجنة » .

وقال ابن مسعود في قوله: ﴿ **ختامه مسك** ﴾ أي: خلطه مسك. وقال العوفي ، عن ابن عباس : طيب الله لهم الخمر ، فكان آخر شيء جعل فيها مسك ، ختم بمسك . وكذا قال قتادة والضحاك .

وقال إبراهيم والحسن : ﴿ **ختامه مسك** ﴾ أي : عاقبته مسك .

وقال ابن جرير(٢١) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يحيىٰ بن واضح ، حدثنا أبو حمزة [١] ، عن جابر ، عن عبد الرحمن بن سابط[٢] ، عن أبي الدرداء : ﴿ **ختامه مسك** ﴾ ، قال : شراب أبيض مثل الفضة ، يختمون به شرابهم . ولو أن رجلًا من أهل الدنيا أدخل أصبعه فيه ثم أخرجها لم يبقى ذو روح إلا وجد طيبها .

وقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ **ختامه مسك** ﴾ ، قال : طيبه مسك .

وقوله : ﴿ **وفي ذلك فليتنافس المتنافسون** ﴾ ، أي : وفي مثل هذا الحال فليتفاخر المتفاخرون ، وليتباهى ويكاثر ويستبق إلىٰ مثله المستبقون . كقوله : ﴿ **لمثل هذا فليعمل العاملون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ومزاجه من تسنيم** ﴾ ، أي : ومزاج هذا الرحيق الموصوف من تسنيم ، أي : من شراب يقال له: تسنيم ، وهو أشرف شراب أهل الجنة وأعلاه[٣] . قاله أبو[٤] صالح والضحاك ، ولهذا قال : ﴿ **عينًا يشرب بها المقربون** ﴾ ، أي : يشربها المقربون صرفًا ، وتمزج لأصحاب اليمين [مزجًا][٥] . [قاله ابن مسعود ، وابن عباس ، ومسروق ، وقتادة ، وغيرهم][٦] .

إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ

= قال : قد روى هذا عن عطية عن أبي سعيد موقوفًا وهو أصح عندنا وأشبه . وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (٣٧١ - ١٦٨٢) .

(٢١) تفسير الطبري (١٠٧/٣٠) .

[١] - في ز ، خ : مرة .

[٢] - في ز : ساقط .

[٣] - في ز : أعلاها .

[٤] - في ز : ابن .

[٥] - سقط من ز ، خ .

[٦] - سقط من ز .

﴿ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

يخبر تعالىٰ عن المجرمين؛ أنهم كانوا في الدار الدنيا يضحكون من المؤمنين ، أي : يستهزئون بهم ويحتقرونهم ، وإذا مروا بالمؤمنين يتغامزون عليهم ، أي : محتقرين لهم ، ﴿ **وإذا انقلبوا إلىٰ أهلهم انقلبوا فكهين**[١] ﴾ ، أي : إذا انقلب ، أي : رجع هؤلاء المجرمون إلىٰ منازلهم ، انقلبوا إليها فاكهين ، أي : مهما طلبوا وجدوا ، ومع هذا ما شكروا نعمة اللّٰه عليهم ، بل اشتغلوا بالقوم المؤمنين يحتقرونهم ويحسدونهم[٢] ، ﴿ **وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون** ﴾ ، أي : لكونهم علىٰ غير دينهم ، قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **وما أرسلوا عليهم حافظين** ﴾ ، أي : وما بعث هؤلاء المجرمون حافظين علىٰ هؤلاء المؤمنين ما يصدر من أعمالهم وأقوالهم ، ولا كلفوا بهم فلم اشتغلوا[٣] بهم ، وجعلوهم نصب أعينهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **قال اخسئوا فيها ولا تكلمون إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين . فاتخذتموهم سخريًّا حتىٰ أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون . إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون** ﴾ ؛ ولهذا قال هاهنا : ﴿ **فاليوم** ﴾ يعني يوم القيامة ﴿ **الذين آمنوا من الكفار يضحكون** ﴾ ، أي : في مقابلة ما ضحك بهم أولئك ، ﴿ **علىٰ الأرائك ينظرون** ﴾ ، أي : إلىٰ اللّٰه - عز وجل - في مقابلة من زعم فيهم أنهم ضالون ، ليسوا[٤] بضالين ، بل هم من أولياء اللّٰه المقربين ، ينظرون إلىٰ ربهم في دار كرامته .

وقوله : ﴿ **هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ؟** ﴾ ، أي : هل جوزي الكفار علىٰ ما كانوا يقابلون به المؤمنين من الاستهزاء والتنقص أم لا ؟ يعني : قد جوزوا أوفر الجزاء وأتمه وأكمله .

[آخر [تفسير سورة][٥] المطففين] .

☆ ☆ ☆

---

[١] - في ز : فاكهين .
[٢] - في ز : يحسدوهم .
[٣] - في ز : استقلوا .
[٤] - في ز : ليس .
[٥] - سقط من ز .

[تفسير] سورة الانشقاق

[وهي مكية]

قال مالك(١) ، عن عبد الله بن يزيد ، عن أبي سلمة : إن أبا هريرة قرأ بهم : ﴿ **إذا السماء انشقت** ﴾ ، فسجد فيها ، فلما انصرف أخبرهم أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم سجد فيها . رواه مسلم والنسائي ، من طريق مالك به .

وقال البخاري (٢) : حدثنا أبو النعمان ، حدثنا معتمر ، عن أبيه ، عن بكر ، عن أبي رافع قال : صليت مع أبي هريرة العتمة فقرأ : ﴿ **إذا السماء انشقت** ﴾ ، فسجد ، فقلت له ، قال : سجدت خلف أبي القاسم صلىٰ الله عليه وسلم فلا أزال أسجد بها حتىٰ ألقاه .

ورواه أيضًا(٣) عن مسدد ، عن معتمر به . ثم رواه عن مسدد(٤) ، عن يزيد بن زريع ، عن التيمي ، عن بكر ، عن أبي رافع ، فذكره . وأخرجه مسلم وأبو داود والنسائي من طرق ، عن سليمان بن طرخان التيمي به .

وقد روىٰ مسلم(٥) وأهل السنن من حديث سفيان بن عيينة - زاد النسائي (٦) : وسفيان

(١) أخرجه مالك في الموطأ في كتاب : القرآن ، باب : ما جاء في سجود القرآن ، حديث (١٢) (١/١٨١) . ومن طريقه مسلم في كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، باب : سجود التلاوة ، حديث (٥٧٨/١٠٧) (٥/١٠٦) . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : سورة الانشقاق ، حديث (١١٦٦٠) (٦/٥١٠) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب : الأذان ، باب : الجهر في العشاء ، حديث (٧٦٦) (٢/٢٥٠) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب : سجود القرآن ، باب : من قرأ السجدة في الصلاة فسجد بها ، حديث (١٠٧٨) (٢/٥٥٩) .

(٤) صحيح البخاري كتاب : الأذان ، باب : القراءة في العشاء بالسجدة ، حديث (٧٦٨) (٢/٢٥٠ - ٢٥١) . ومسلم في كتاب : المساجد ، باب : سجود التلاوة ، حديث (١١٠م/٥٧٨) (٥/١٠٨) . وأبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : السجود في ﴿ **إذا السماء انشقت** ﴾ و﴿ **اقرأ** ﴾ ، حديث (١٤٠٨) (٢/٥٩) . والنسائي (٢/١٦٢) كتاب الافتتاح ، باب : السجود في الفريضة .

(٥) أخرجه مسلم في كتاب : المساجد ، باب : سجود التلاوة ، حديث (٥٧٨/١٠٨) (٥/١٠٧) . وأبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : السجود في ﴿ **إذا السماء انشقت** ﴾ و ﴿ **اقرأ** ﴾ ، حديث (١٤٠٧) . والترمذي في كتاب : الصلاة ، باب : ما جاء في السجدة في ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾ و﴿ **إذا السماء انشقت** ﴾ والنسائي (٢/١٦٢) كتاب الافتتاح ، باب : والسجود في ﴿ **اقرأ باسم ربك** ﴾ . وابن ماجة في كتاب : الإقامة ، باب : عدد سجود القرآن ، حديث (١٠٥٨) .

(٦) في الموضع السابق - كذا قال المزي في تحفة الأشراف (١٤٢٠٦) . والحديث عنده في الكبرى أيضًا في كتاب الافتتاح . باب السجود في ﴿ **اقرأ باسم ربك** ﴾ ، حديث (١٠٣٩) (١/٣٣٣) من طريق السفيانين

الثوري - كلاهما - عن أيوب بن موسىٰ ، عن عطاء بن ميناء ، عن أبي هريرة قال : سجدنا مع رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم في ﴿ إذا السماء انشقت ﴾ ، و﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ .

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ (١) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٢) وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ (٤) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٥) يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ (٦) فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا (١٢) إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا (١٣) إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ (١٤) بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا (١٥) ﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ إذا السماء انشقت ﴾ ، وذلك يوم القيامة ، ﴿ وأذنت لربها ﴾ ، أي : استمعت لربها وأطاعت أمره فيما أمرها به من الانشقاق ﴿ وحقت ﴾ ، أي : وحق لها أن تطيع أمره ؛ لأنه العظيم الذي لا يمانع ولا يغالب ، بل قد قهر كل شيء ، وذل له كل شيء .

ثم قال : ﴿ وإذا الأرض مدت ﴾ . أي : بسطت ، وفرشت ووسعت .

قال ابن جرير[٧] رحمه اللَّه : حدثنا ابن عبد الأعلىٰ ، حدثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، عن علي بن الحسين ؛ أن النبيَّ صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « **إذا كان يوم القيامة مد اللَّه الأرض مد الأديم ، حتىٰ لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه ، فأكون أول من يدعىٰ ، وجبريل عن يمين الرحمن ، واللَّه ما رآه قبلها ، فأقول : يا رب ؛ إن هذا أخبرني أنك أرسلته إليّ ؟ فيقول اللَّه عز وجل : صدق . ثم أشفع فأقول : يا رب ؛ عبادك عبدوك في أطراف الأرض** » . قال : « **وهو المقام المحمود** » .

وقوله : ﴿ وألقت ما فيها وتخلت ﴾ ، أي : ألقت ما في بطنها من الأموات ، وتخلت منهم . قاله مجاهد ، وسعيد ، وقتادة ، ﴿ وأذنت لربها وحقت ﴾ كما تقدم .

وقوله : ﴿ يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحًا ﴾ أي : ساع إلى ربك سعيًا ، وعامل عملًا ، ﴿ فملاقيه ﴾ ، ثم إنك ستلقىٰ ما عملتَ من خير أو شر . ويشهد له ما رواه أبو داود الطيالسي[٨] ، عن الحسن بن أبي جعفر ، عن أبي الزبير ، عن جابر ؛ قال : قال رسول اللَّه

(٧) تفسير الطبري (١٥/١٤٢) دون قوله : « فأقول : يا رب ، عبادك عبدوك في أطراف الأرض » .

(٨) مسند الطيالسي (ص ٢٤٢) حديث (١٧٥٦) .

صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **قال جبريل : يا محمد ، عش ما شئت فإنك ميت ، وأحبب ما شئت فإنك مفارقه . واعمل ما شئت فإنك ملاقيه** » .

ومن الناس من يعيد الضمير علىٰ قوله ﴿ **ربك** ﴾ ، أي : فملاق[١] ربك ، ومعناه : فيجازيك بعملك ويكافئك علىٰ سعيك . وعلىٰ هذا فكلا القولين متلازم .

قال العوفي عن ابن عباس : ﴿ **يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحًا** ﴾ . يقول : تعمل عملًا تلقىٰ اللّٰه[٢] به ، خيرًا كان أو شرًّا .

وقال قتادة : ﴿ **يا أيها الإنسان ، إنك كادح إلىٰ ربك كدحًا** ﴾ : إن كدحك - يا بن آدم - لضعيف ، فمن استطاع أن يكون كدحه في طاعة اللّٰه فليفعل ، ولا قوة إلا باللّٰه .

ثم قال : ﴿ **فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا** ﴾ أي : سهلًا . بلا تعسير ، أي : لا تحقق عليه جميع دقائق أعماله ، فإن من حوسب كذلك يهلك لا محالة .

قال الإمام أحمد(٩) : حدثنا إسماعيل ، أخبرنا أيوب ، عن عبد اللّٰه بن أبي مليكة ، عن عائشة ؛ قالت : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **من نوقش الحساب عذب** » . قالت : فقلت : أليس قال اللّٰه : ﴿ **فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا** ﴾ ؟ ، قال : « **ليس ذاك بالحساب ، ولكن ذلك العرض ، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب** » .

وهكذا رواه البخاري(١٠) ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير ، من حديث أيوب السختياني به .

وقال ابن جرير(١١) : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا روح بن عبادة ، حدثنا أبو[٣] عامر الخزاز[٤] ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة ؛ قالت : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم :

---

(٩) المسند (٦/٤٧) (٢٤٣١١) . وابن كثير أورده هنا بالمعنى .

(١٠) صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا** ﴾ ، حديث (٤٩٣٩) (٨/٦٩٧) . وفي كتاب : الرقاق ، باب : من نوقش الحساب عذب ، حديث (٦٥٣٦) (١١/٤٠٠) . ومسلم في كتاب : الجنة ، باب : إثبات الحساب ، حديث (٧٩/٢٨٧٦) (١٧/٣٠٢) . والترمذي في كتاب : صفة القيامة ، باب : من نوقش الحساب عذب ، حديث (٢٤٢٨) (٧/١٤٢) . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : سورة الانشقاق ، حديث (١١٦٥٩) (٦/٥١٠) . والطبري (٣٠/ ١١٦) .

(١١) تفسير الطبري (٣٠/١١٦) بنحو هذا اللفظ .

---

[١] - في ز : فلاق .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - في ز : ابن .

[٤] - في خ : الجزار .

« **إنه ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا معذبًا** » . فقلت : أليس الله يقول : ﴿ **فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا** ﴾ ؟ . قال : « **ذاك العرض ، إنه من نوقش الحساب عذب** » . وقال بيده على إصبعه كأنه[١] ينكت .

وقد رواه أيضًا(١٢) عن عمرو بن عليّ عن ابن أبي عدي ، عن أبي يونس القشيري ، عن ابن أبي مليكة ، عن القاسم ، عن عائشة .. فذكر الحديث . أخرجاه من طريق أبي يونس القشيري ، واسمه حاتم بن أبي صغيرة ، به .

و[٢] قال ابن جرير(١٣) : وحدثنا نصر بن عليّ الجهضمي ، حدثنا مسلم ، عن الحريش بن الخريت أخي الزبير ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة ؛ قالت : من نوقش الحساب أو : من حوسب عذب . قال : ثم قالت : إنما الحساب اليسير عرض على الله - عز وجل - وهو يراهم .

وقال أحمد(١٤) : حدثنا إسماعيل ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثني عبد الواحد بن حمزة ابن عبد الله بن الزبير ، [عن عباد بن عبد الله بن الزبير][٣] ، عن عائشة ؛ قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ يقول في بعض صلاته : « **اللهم ؛ حاسبني حسابًا يسيرًا** » . فلما انصرف قلت : يا رسول الله ؛ ما الحساب اليسير ؟ قال : « **أن ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه ، إنه من نوقش الحساب يا عائشة يومئذ هلك** » . صحيح على شرط مسلم .

[وقوله تعالى][٤] : ﴿ **وينقلب إلى أهله مسرورًا** ﴾ ، أي : ويرجع إلى أهله في الجنة . قاله قتادة ، والضحاك : ﴿ **مسرورًا** ﴾ أي : فرحان مغتبطًا بما أعطاه الله عز وجل .

وقد روى الطبراني(١٥) عن ثوبان - مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **إنكم**

---

(١٢) تفسير الطبري (٣٠/١١٦ - ١١٧) . وأخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا** ﴾ حديث (٤٩٣٩) (٨/٦٩٧) . وفي كتاب : الرقاق ، باب : من نوقش الحساب عذب ، حديث (٦٥٣٧) (١١/٤٠٠) . ومسلم في كتاب : الجنة ، باب : إثبات الحساب ، حديث (٨٠/٢٨٧٦) (١٧/٣٠٣) .

(١٣) تفسير الطبري (٣٠/١١٦) .

(١٤) المسند (٦/٤٨) (٢٤٣٢٥) .

(١٥) معجم الطبراني (٢/٩٤) (١٤١٦) . قال الهيثمي في « المجمع » (١٠/٢٣٤) : رواه الطبراني وفيه يحيى ابن عبد الحميد الحماني وهو ضعيف .اهـ .

---

[١] - في ز : فإنه .

[٢] - سقط من ت .

[٣] - سقط من ز ، خ .

[٤] - بياض في ز .

تعملون أعمالًا [لا تعرف][١] ويوشك العارف[٢] أن يثوب إلى أهله فمسرور[٣] ومكظوم » .

وقوله : ﴿ **وأما من أوتي كتابه وراء ظهره** ﴾ ، أي : بشماله من وراء ظهره ، تثنى يده إلى ورائه ويعطى كتابه بها كذلك ، ﴿ **فسوف يدعو ثبورًا** ﴾ ، أي : خسارًا وهلاكًا ، ﴿ **ويصلى سعيرًا . إنه كان في أهله مسرورًا** ﴾ ، أي : فرحًا لا يفكر في العواقب ، ولا يخاف مما أمامه ، فأعقبه ذلك الفرح اليسير الحزن الطويل ، ﴿ **إنه ظن أن لن يحور** ﴾ ، أي : كان يعتقد أنه لا يرجع إلى الله ولا يعيده بعد موته . قاله ابن عباس ، وقتادة ، وغيرهما . والحور : هو الرجوع . قال الله : ﴿ **بلى [إن ربه][٤] كان به بصيرًا** ﴾ ، يعني : بلى[٥] سيعيده الله كما بدأه ، ويجازيه على أعماله خيرها وشرها ، فإنه كان به[٦] بصيرًا ، أي : عليمًا خبيرًا .

فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَۤ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ ﴿٢٥﴾

روي عن عليّ ، وابن عباس ، وعبادة بن الصامت ، وأبي هريرة ، وشداد بن أوس ، وابن عمر ، ومحمد بن عليّ بن الحسين ، ومكحول[٧] ، وبكر بن عبد الله المزني[٨] ، وبكير[٩] ابن الأشج ، ومالك ، وابن أبي ذئب ، وعبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون أنهم قالوا : الشفق : الحمرة .

وقال عبد الرزاق عن معمر عن ابن خثيم عن ابن لبيبة[١٠] عن أبي هريرة ؛ قال : الشفق

---

[١] - سقط من ت .

[٢] - كذا في ز ، ت . وفي بعض النسخ المطبوعة : الغائب . وفي الطبراني : العازب .

[٣] - في ز : لمسرور .

[٤] - في ز : إنه .

[٥] - في ز : بل .

[٦] - في ز : بها .

[٧] - سقط من ز ، خ .

[٨] - في ز : الدني .

[٩] - في ز ، خ : وبكر .

[١٠] - في ز ، خ : أمية .

فالشفق هو حمرة الأفق إما قبل[١] طلوع الشمس، كما قاله مجاهد، وإما بعد غروبها، كما هو معروف عند أهل اللغة.

قال الخليل بن أحمد: الشفق: الحمرة من غروب الشمس إلى وقت العشاء الآخرة، فإذا ذهب قيل: غاب الشفق.

وقال الجوهري: الشفق: بقية ضوء الشمس وحمرتها[٢] في أول الليل[٣] إلى قريب[٤] من العتمة.

وكذا قال عكرمة: الشفق الذي يكون بين المغرب والعشاء.

وفي صحيح مسلم(١٦) عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**وقت المغرب ما لم يغب[٥] الشفق**».

ففي هذا كله دليل على أن الشفق هو كما قاله الجوهري والخليل. ولكن صح عن مجاهد أنه قال في هذه الآية: ﴿ **فلا أقسم بالشفق** ﴾: هو النهار كله. وفي رواية عنه أيضًا أنه قال: الشفق الشمس. رواهما ابن أبي حاتم.

وإنما حمله على هذا قرنه بقوله تعالى: ﴿**والليل وما وسق**﴾ أي: جمع. كأنه أقسم بالضياء والظلام.

وقال ابن جرير: أقسم الله بالنهار مدبرًا، وبالليل مقبلًا. قال ابن جرير: وقال آخرون: الشفق اسم للحمرة والبياض. وقالوا: هو[٦] من الأضداد.

قال ابن عباس، ومجاهد، والحسن، وقتادة: ﴿ **وما وسق** ﴾: وما جمع - قال قتادة: وما جمع من نجم ودابة. واستشهد ابن عباس بقول الشاعر:

.... * مستوسقات لو تجدن سائقًا *

و[٧] قال عكرمة: ﴿ **والليل وما وسق** ﴾، يقول: ما ساق من ظلمة، إذا كان الليل

(١٦) صحيح مسلم في كتاب: المساجد، باب: أوقات الصلوات الخمس، حديث (١٧٣/٦١٢) (٥/١٥٧).

[١] - في خ: بعد.
[٢] - في ز: وجرها.
[٣] - في ز: النهار.
[٤] - في ت: قليل.
[٥] - في خ: يغرب.
[٦] - سقط من خ.
[٧] - في ت: قد.

ذهب كل شيء إلىٰ مأواه .

وقوله : ﴿ والقمر إذا اتسق ﴾ ، قال ابن عباس : إذا اجتمع واستوىٰ . وكذا قال عكرمة ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ومسروق ، وأبو صالح ، والضحاك ، وابن زيد .

﴿والقمر إذا اتسق﴾ : إذا استوى ، وقال الحسن : إذا اجتمع ، إذا امتلأ . وقال قتادة إذا استدار .

ومعنىٰ كلامهم أنه إذا تكامل نوره وأبدر ، جعله مقابلًا للّيل وما وسق .

وقوله : ﴿ لتركبن طبقًا عن طبق ﴾ ، قال البخاري(١٧) : أخبرنا سعيد بن النضر ، أخبرنا هشيم ، أخبرنا أبو بشر ، عن مجاهد قال : قال ابن عباس : ﴿ لتركبن طبقًا عن طبق ﴾ : حالا بعد حال - قال هذا نبيكم صلىٰ اللّٰه عليه وسلم .

هكذا رواه البخاري بهذا اللفظ ، وهو محتمل أن يكون ابن عباس أسند هذا التفسير عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كأنه قال : سمعت هذا من نبيكم صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فيكون قوله « نبيكم » مرفوعًا علىٰ الفاعلية من « قال » وهو الأظهر ، واللّٰه أعلم ، كما قال أنس(١٨) : لا يأتي عام إلا والذي بعده شر منه ، سمعته من نبيكم صلىٰ اللّٰه عليه وسلم .

وقال ابن جرير(١٩) : حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا هشيم ، أخبرنا أبو بشر ، عن مجاهد : أن ابن عباس كان يقول : ﴿ لتركبن طبقًا عن طبق ﴾ ، قال : يعني نبيكم صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، يقول : حالًا بعد حال . هذا لفظه .

وقال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿طبقًا عن طبق﴾ حالًا بعد حال وكذا قال عكرمة ومرة الطيب ، ومجاهد ، والحسن ، والضحاك .

ويحتمل أن يكون المراد : ﴿لتركبن طبقًا عن طبق﴾ حالًا بعد حال : قال هذا .

يعني المراد بهذا نبيكم صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فيكون مرفوعًا علىٰ أن « هذا » و « نبيكم » يكونان مبتدأ وخبرًا[١] . واللّٰه أعلم ، ولعل هذا قد يكون هو المتبادر إلىٰ كثير من الرواة ، كما

(١٧) صحيح البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ لتركبن طبقًا عن طبق ﴾ ، حديث (٤٩٤٠) (٨/ ٦٩٨) .

(١٨) صحيح البخاري في كتاب : الفتن، باب : لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه ، حديث (٧٠٦٨) (١٣/١٩ - ٢٠) .

(١٩) تفسير الطبري (١٢٢/٣٠) .

[١] - في ز : وخبر .

قال أبو داود الطيالسي(٢٠) وغندر : حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ **لتركبن طبقًا عن طبق** ﴾ قال : محمد صلىٰ اللّٰه عليه وسلم .

ويؤيد هذا المعنى قراءة عمر ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وعامة أهل مكة والكوفة ﴿ **لتَركبن طبقًا** ﴾ بفتح التاء والباء .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة ، عن إسماعيل ، عن الشعبي : ﴿ **لتركبن طبقًا عن طبق** ﴾ ، قال : لتركبن يا محمد سماء بعد سماء . وهكذا روي عن ابن مسعود ، ومسروق[١] ، وأبي العالية : ﴿ **طبقًا عن طبق** ﴾ : سماء بعد سماء .

قلت : يعنون ليلة الإسراء . وقال أبو إسحاق ، والسدي ، عن رجل ، عن ابن عباس : ﴿ **طبقًا عن طبق** ﴾ : منزلًا على منزل : وكذا رواه العوفي ، عن ابن عباس مثله - وزاد : « **ويقال[٢] : أمرًا بعد أمر وحالًا بعد حال** » .

وقال السدي نفسه : ﴿ **لتركبن طبقًا عن طبق** ﴾ : أعمال من قبلكم ، منزلًا عن منزل .

قلت : كأنه أراد معنىٰ الحديث الصحيح (٢١) : « **لتركبن سنن من كان قبلكم ، حذو القذة بالقذة ، حتىٰ لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه** » . قالوا : يا رسول اللّٰه ، اليهود والنصارىٰ ؟ قال : « **فمن ؟** » وهذا محتمل .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا صدقة ، حدثنا ابن جابر ؛ أنه سمع مكحولًا يقول في قول اللّٰه : ﴿ **لتركبن طبقًا عن طبق** ﴾ . قال : في كل عشرين سنة تحدثون أمرًا لم[٣] تكونوا عليه .

وقال الأعمش : حدثني إبراهيم ؛ قال : قال عبد اللّٰه : ﴿ **لتركبن طبقًا عن طبق** ﴾ ، قال : السماء تنشق ثم تحمر ، ثم تكون لونًا بعد لون .

وقال الثوري عن قيس بن وهب عن مرة عن ابن مسعود : ﴿ **طبقًا عن طبق** ﴾ قال : و[٤] السماء مرة كالدهان ومرة تنشق .

وروىٰ البزار(٢٢) من طريق جابر الجعفي ، عن الشعبي ، عن علقمة ، عن عبد اللّٰه بن

---

(٢٠) تفسير الطبري (١٢٣/٣٠) من طريق غندر ، إلا أنه فيه مجاهد عن ابن عباس .

(٢١) تقدم تخريجه في سورة التوبة آية : (٣٤) .

(٢٢) مختصر زوائد البزار (١١٦/٢) (١٥٢٧) . قال ابن حجر ، وجابر ضعيف .

---

[١] - في ز : وابن مسروق .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : ثم .

[٤] - سقط من ز .

مسعود : ﴿ لتركبن طبقًا عن طبق ﴾ ، يا محمد ؛ يعني حالًا بعد حال . ثم قال : ورواه جابر عن مجاهد ، عن ابن عباس .

وقال سعيد بن جبير : ﴿ لتركبن طبقًا عن طبق ﴾ ، قال : قوم كانوا في الدنيا خسيس أمرهم ، فارتفعوا في[١] الآخرة . وآخرون كانوا أشرافًا[٢] في الدنيا ، فاتضعوا[٣] في الآخرة .

وقال عكرمة : ﴿طبقًا عن طبق﴾ حالًا [بعد حال][٤] فطيمًا بعد ما كان رضيعًا وشيخًا بعد ما كان شابًا .

وقال الحسن البصري : ﴿ طبقًا عن طبق ﴾ ، يقول : حالًا بعد حال رخاءً بعد شدة ، وشدة بعد رخاء ، وغنى بعد فقر ، وفقرًا بعد غنى ، وصحة بعد سقم ، وسقم بعد صحة .

وقال ابن أبي حاتم : ذكر عن عبد الله بن زاهر ، حدثني أبي ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر - هو الجعفي - عن محمد بن علي ، عن جابر بن عبد الله ؛ قال : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؛ يقول : « **إن ابن آدم لفي غفلة مما خلق له ، إن الله إذا أراد خلقه قال للملك : اكتب رزقه ، اكتب أجله ، اكتب أثره ، اكتب شقيًا أو سعيدًا . ثم يرتفع ذلك الملك ويبعث الله إليه ملكًا فيحفظه حتىٰ يدرك ، ثم يرتفع ذلك الملك . ثم يوكل الله به ملكين يكتبان حسناته وسيئاته ، فإذا حضره[٥] الموت ارتفع ذانك الملكان . وجاءه ملك الموت فقبض روحه ، فإذا دخل قبره رد الروح في جسده . ثم ارتفع ملك الموت وجاءه ، ملكا القبر فامتحناه . ثم يرتفعان ، فإذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات ، فانتشطا كتابًا معقودًا في عنقه ، ثم حضرا معه : واحد سائقًا وآخر شهيدًا ، ثم قال الله عز وجل : ﴿ لقد كنت في غفلة من هذا ﴾** . قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **﴿ لتركبن طبقًا عن طبق ﴾** » . قال : « **حالًا بعد حال** » . ثم قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن قدامكم لأمرًا عظيمًا لا تقدرونه ، فاستعينوا بالله العظيم** » .

هذا حديث منكر ، وإسناده فيه ضعفاء ، ولكن معناه صحيح ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ثم قال ابن جرير بعد ما حكىٰ أقوال الناس في هذه الآية من القراء والمفسرين[٦] : والصواب من التأويل قول من قال : لتركبن أنت - يا محمد - حالًا بعد حال ، وأمرًا بعد أمر من الشدائد ، والمراد بذلك - وإن كان الخطاب[٧] إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم موجهًا - جميع الناس ، و[٨] أنهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأهواله أحوالًا .

---

[١] - في ز ، خ : إلى .
[٢] - في ز ، خ : أسرا . كذا .
[٣] - في ز ، خ : فارتفعوا .
[٤] - سقط من ت .
[٥] - في ز : حضر .
[٦] - في ز : والمقربين .
[٧] - سقط من ز ، خ .
[٨] - سقط من ز .

وقوله : ﴿ **فما لهم لا يؤمنون * وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون** ﴾ ، أي : فماذا يمنعهم من الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر ؟ . وما لهم إذا قرئت عليهم آيات الرحمن وكلامه - وهو هذا القرآن ، لا يسجدون إعظامًا وإكرامًا واحترامًا ؟ وقوله : ﴿ **بل الذين كفروا يكذبون** ﴾ أي : من سجيتهم التكذيب ، والعناد والمخالفة للحق .

﴿ **والله أعلم بما يوعون** ﴾ ، قال مجاهد وقتادة : يكتمون في صدورهم ﴿ **فبشرهم بعذاب أليم** ﴾ ، أي : فأخبرهم - يا محمد - بأن الله - عز وجل - قد أعد لهم عذابًا أليمًا .

وقوله : ﴿ **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ : هذا استثناء منقطع ، يعني لكن الذين آمنوا - أي : بقلوبهم - وعملوا الصالحات بجوارحهم ، ﴿ **لهم أجر** ﴾ ، أي : في الدار الآخرة .

﴿ **غير ممنون** ﴾ - قال ابن عباس : غير منقوص ، وقال مجاهد والضحاك : غير محسوب .

وحاصل قولهما أنه غير مقطوع ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **عطاء غير مجذوذ** ﴾ . وقال السدي : قال بعضهم : ﴿ **غير ممنون** ﴾ : غير منقوص . وقال بعضهم : ﴿ **غير ممنون** ﴾ عليهم .

وهذا القول الآخر عن بعضهم قد أنكره غير واحد ، فإن[١] الله - عز وجل - له المنة علىٰ أهل الجنة في كل حال وآن ولحظة ، وإنما دخولها بفضله ورحمته لا بأعمالهم ، فله عليهم المنة دائمًا سرمدًا ، والحمد لله وحده أبدًا ، ولهذا يلهمون تسبيحه وتحميده كما يلهمون النفس : ﴿ **وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين** ﴾ .

[آخر تفسير سورة الانشقاق ، ولله الحمد والمنه وبه التوفيق والعصمة] .

☆ ☆ ☆

---

[١] - في ز : قال .

[تفسير] سورة البروج

[وهي مكية]

قال الإمام أحمد(١) : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا رزيق[١] بن أبي سلمىٰ ، حدثنا أبو المهزم ، عن أبي هريرة : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان يقرأ في العشاء[٢] الآخرة بالسماء ذات البروج ، والسماء والطارق .

وقال أحمد(٢) : حدثنا أبو سعيد - مولىٰ بني هاشم - حدثنا حماد بن عباد السدوسي ، سمعت أبا المهزم يحدث عن أبي هريرة : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أمر أن يقرأ بالسموات في العشاء . تفرد به أحمد .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩) إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠)

يقسم تعالىٰ بالسماء وبروجها ، وهي : النجوم العظام . كما تقدم بيان ذلك في قوله : ﴿ **تبارك الذي جعل في السماء بروجًا وجعل فيها سراجًا وقمرًا منيرًا** ﴾ .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، والحسن ، وقتادة ، والسدي : البروج : النجوم . وعن مجاهد أيضًا : البروج التي فيها الحرس .

وقال يحيى بن رافع : البروج[٣] : قصور في السماء . وقال المنهال بن عمرو : ﴿ **والسماء**

(١) المسند (٢/٣٢٦ - ٣٢٧) .

(٢) المسند (٢/٣٢٧) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٢/١٢١) : رواهما أحمد وفيهما أبو مهزم ضعفه شعبة ، وابن المديني ، وأبو زرعة ، وأبو حاتم ، والنسائي ، وقال أحمد : ما أقرب حديثه .

[١] - في ز : زريق .
[٢] - في ز : عشاء .
[٣] - سقط من ز .

ذات البروج ﴾ : الخلق الحسن .

واختار ابن جرير[١] أنها : منازل الشمس والقمر ، وهي اثنا عشر برجًا ، تسير الشمس في كل واحد منها شهرًا ، ويسير القمر في كل واحد يومين وثلثًا ، فذلك ثمانية وعشرون منزلة ويستسر ليلتين .

وقوله ﴿ واليوم الموعود وشاهد ومشهود ﴾ : اختلف المفسرون في ذلك ، وقد قال ابن أبي حاتم :

حدثنا عبد[٢] اللّٰه بن محمد بن عمرو الغزي ، حدثنا عبيد[٣] اللّٰه - يعني ابن موسىٰ - حدثنا موسىٰ بن عبيدة ، عن أيوب بن خالد بن صفوان بن أوس الأنصاري ، عن عبد[٤] اللّٰه ابن رافع ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ﴿ واليوم الموعود ﴾ يوم القيامة ، ﴿ وشاهد ﴾ يوم الجمعة . وما طلعت شمس ولا[٥] غربت علىٰ يوم أفضل من يوم الجمعة ، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم[٦] يسأل اللّٰه فيها خيرًا إلا أعطاه إياه ، ولا يستعيذ فيها من شر إلا أعاذه ، ﴿ ومشهود ﴾ يوم عرفة .

وهكذا روى هذا الحديث ابن خزيمة[٧] من طرق عن موسىٰ بن عبيدة الربذي - وهو ضعيف الحديث - وقد روي موقوفًا[٨] - على أبي هريرة وهو أشبه .

وقال الإمام أحمد(٣) : حدثنا محمد ، حدثنا شعبة ، سمعت علي بن زيد ويونس بن عبيد يحدثان عن عمار - مولىٰ بني هاشم - عن أبي هريرة - أما علي فرفعه إلىٰ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وأما يونس فلم يعد أبا هريرة - أنه قال في هذه الآية : ﴿ وشاهد ومشهود ﴾ ، قال : يعني الشاهد يوم الجمعة ، ويوم مشهود يوم القيامة .

---

(٣) المسند (٢/٢٩٨) (٧٩٥٩) . وفيه أن الشاهد : يوم عرفة ، والموعود : يوم القيامة . وأخرجه الحاكم (٢/ ٥١٩) ، والبيهقي (٣/١٧) . كلاهما من طريق أحمد ولفظهما : الشاهد : يوم عرفة ويوم الجمعة ، والمشهود : هو اليوم الموعود يوم القيامة . وأورده السيوطي في الجامع الصغير وعزاه إلى الحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع ، وفي الضعيفة (٣٧٥٤) . وصحح الحاكم الموقوف منه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

---

[١] - في ز : خثيمة . وغير واضحة في خ .
[٢] - في خ : عبيد .
[٣] - في ز ، خ : عبد .
[٤] - في ز ، خ : عبيد .
[٥] - في خ : وما .
[٦] - في خ : مؤمن .
[٧] - في ز : حزم .
[٨] - في خ : مرفوعًا .

وقال أحمد أيضًا(٤) : حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة عن يونس سمعت عمارًا مولىٰ بني هاشم يحدث عن أبي هريرة وأنه قال في هذه الآية ﴿ **وشاهد ومشهود** ﴾ ، قال : الشاهد يوم الجمعة ، والمشهود يوم عرفة ، والموعود يوم القيامة .

وقد روي عن أبي هريرة أنه قال : اليوم الموعود يوم القيامة . وكذلك قال الحسن ، وقتادة ، وابن زيد . ولم أرهم يختلفون في ذلك ولله الحمد .

[ثم قال ابن جرير(٥) : حدثنا محمد بن عوف ، حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش ، حدثني أبي ، حدثنا ضمضم بن زرعة ، عن شريح بن عبيد ، عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **اليوم الموعود يوم القيامة ، وإن الشاهد يوم الجمعة ، وإن المشهود يوم عرفة ، ويوم الجمعة ذخره الله لنا** »][١] .

ثم قال ابن جرير(٦) : حدثنا سهل بن موسىٰ الرازي ، حدثنا ابن أبي فديك ، عن ابن حرملة ، عن سعيد بن المسيب أنه قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن سيد الأيام يوم الجمعة ، وهو الشاهد ، والمشهود يوم عرفة** » .

وهذا مرسل من مراسيل سعيد بن المسيب . ثم قال ابن جرير(٧) :

حدثنا أبو كريب ، حدثنا وكيع ، عن شعبة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف المكي ، عن ابن عباس قال : الشاهد هو محمد صلىٰ الله عليه وسلم ، والمشهود يوم القيامة ، ثم قرأ : ﴿ **ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود** ﴾ .

وحدثنا ابن حميد(٨) ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن شباك[٢] قال : سأل رجل الحسن بن علي عن : ﴿ **وشاهد ومشهود** ﴾ ، قال : سألت أحدًا قبلي ؟ قال : نعم ، سألت ابن عمر وابن الزبير ، فقالا : يوم الذبح ويوم الجمعة . فقال : لا ، ولكن الشاهد محمد صلىٰ الله عليه

---

(٤) المسند (٢٩٨/٢ - ٢٩٩) (٧٩٦٠) . والذي في المسند ... سمعت عمارًا مولى بني هاشم ، يحدث أنه قال في هذه الآية . ولعل الضمير هنا في (أنه) عائد على أبي هريرة كما يدل عليه الحديث السابق - كذا قال أحمد شاكر نحوًا من ذلك في تعليقه على المسند - ولعل ابن كثير أثبت أبا هريرة من نسخة أخرى للمسند أو توضيحًا لما أبهم في الإسناد .

(٥) تفسير الطبري (١٢٨/٣٠) فذكر صدره ، (١٢٩/٣٠) فذكر بقيته .

(٦) تفسير الطبري (١٢٩/٣٠) .

(٧) تفسير الطبري (١٣٠/٣٠) .

(٨) تفسير الطبري (١٣٠/٣٠) .

---

[١] - سقط من ز ، خ . [٢] - في ز : سيال .

وسلم . ثم قرأ : ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك علىٰ هؤلاء شهيدًا ﴾ ، والمشهود يوم القيامة ، ثم قرأ : ﴿ ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ﴾ .

وهكذا قال الحسن البصري . وقال سفيان الثوري ، عن ابن حرملة ، عن سعيد بن المسيب : ﴿ ومشهود ﴾ يوم القيامة .

وقال مجاهد وعكرمة ، والضحاك : الشاهد ابن آدم ، والمشهود يوم القيامة .

وعن عكرمة أيضًا : الشاهد محمد صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، والمشهود يوم الجمعة .

[وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس : الشاهد اللّٰه ، والمشهود يوم القيامة][١] .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، حدثنا سفيان ، عن أبي يحيىٰ القتات ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : ﴿ وشاهد ومشهود ﴾ قال : الشاهد الإنسان . والمشهود يوم الجمعة . هكذا رواه ابن أبي حاتم .

وقال ابن جرير(٩) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا مهران ، عن سفيان ، عن [ابن أبي نجيح][٢] ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : ﴿ وشاهد ومشهود ﴾ ، الشاهد : يوم عرفة ، والمشهود يوم القيامة .

وبه عن سفيان - هو الثوري - عن مغيرة ، عن إبراهيم قال : يوم الذبح ، ويوم عرفة يعني الشاهد والمشهود .

قال ابن جرير : وقال آخرون : المشهود يوم الجمعة . ورووا في ذلك ما حدثنا أحمد بن عبد الرحمن(١٠) ، حدثني عمي عبد اللّٰه بن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن زيد بن أيمن ، عن عبادة بن نسي ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **أكثروا عليَّ من الصلاة يوم الجمعة ، فإنه يوم مشهود ، تشهده[٣] الملائكة** » .

وعن سعيد بن جبير : الشاهد اللّٰه ، وتلا ﴿ وكفىٰ باللّٰه شهيدًا ﴾ ، والمشهود نحن . حكاه البغوي ، وقال : الأكثرون علىٰ أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة .

(٩) تفسير الطبري (١٣١/٣٠) .
(١٠) تفسير الطبري (١٣١/٣٠) .

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - في ز ، خ : « أبي يحيى القتات » . [٣] - في ز ، خ : وتشهده .

وقوله : ﴿ **قتل أصحاب الأخدود** ﴾ ، أي : لعن أصحاب الأخدود ، وجمعه أخاديد ، وهي الحفير في الأرض . وهذا خبر عن قوم من الكفار عمدوا إلىٰ من عندهم من المؤمنين بالله - عز وجل - فقهروهم وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم ، فأبوا عليهم ، فحفروا لهم في الأرض أخدودًا وأججوا فيه نارًا ، وأعدوا لها وقودًا يسعرونها به ، ثم أرادوهم فلم يقبلوا منهم ، فقذفوهم فيها ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **قتل أصحاب الأخدود . النار ذات الوقود . إذ هم عليها قعود . وهم علىٰ ما يفعلون بالمؤمنين شهود** ﴾ ، أي : مشاهدون[١] لما يفعل بأولئك المؤمنين .

قال الله تعالىٰ : ﴿ **وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد** ﴾ ، أي : وما كان لهم عندهم ذنب إلا إيمانهم بالله العزيز الذي لا يضام من لاذ بجنابه ، المنيع الحميد في جميع أفعاله وأقواله وشرعه وقدره ، وإن كان قد قدر علىٰ عباده هؤلاء هذا الذي وقع بهم بأيدي الكفار به ، فهو العزيز الحميد ، وإن خفي سبب ذلك علىٰ كثير من الناس .

ثم قال : ﴿ **الذي له ملك السموات والأرض** ﴾ ، من تمام الصفة أنه المالك لجميع السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما ، ﴿ **والله علىٰ كل شيء شهيد** ﴾ ، أي : لا يغيب عنه شيء في جميع السماوات والأرض ، ولا تخفىٰ عليه خافية .

وقد اختلف أهل التفسير في أهل هذه القصة . من هم ؟ فعن علي رضي الله عنه أنهم أهل فارس حين أراد ملكهم تحليل تزويج المحارم ، فامتنع عليه علماؤهم ، فعمد إلىٰ حفر أخدود فقذف فيه من أنكر عليه منهم ، واستمر فيهم تحليل المحارم إلىٰ اليوم .

وعنه أنهم كانوا قومًا باليمن اقتتل مؤمنوهم ومشركوهم ، فغلب مؤمنوهم علىٰ كفارهم ، ثم اقتتلوا فغلب الكفار المؤمنين ، فخدوا لهم الأخاديد ، وأحرقوهم فيها .

وعنه أنهم كانوا من أهل الحبشة واحدهم حبشي .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : ﴿ **قتل أصحاب الأخدود . النار ذات الوقود** ﴾ ، قال : ناس من بني إسرائيل ، خدوا أخدودًا في الأرض ، ثم أوقدوا فيه نارًا ، ثم أقاموا علىٰ ذلك الأخدود رجالًا ونساء ، فعرضوا عليها ، وزعموا أنه دانيال وأصحابه .

وهكذا قال الضحاك بن مزاحم ، وقيل غير ذلك . وقد قال الإمام أحمد(١١) :

حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ ، عن

(١١) المسند (١٧/٦) (٢٤٠٣٧) .

[١] - في ز : مشاهدين .

صهيب : أن رسول اللّٰه - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - قال : « **كان ملك[١] فيمن كان قبلكم ، وكان له ساحر ، فلما كبر الساحر قال للملك : إني قد كبرت[٢] سني وحضر أجلي ، فادفع إليّ غلامًا لأعلمه السحر . فدفع إليه غلامًا فكان[٣] يعلمه السحر ، وكان بين الساحر و[بين][٤] الملك راهب ، فأتىٰ الغلام علىٰ الراهب فسمع من كلامه ، فأعجبه نحوه وكلامه ، وكان إذا أتىٰ الساحر ضربه وقال : ما حبسك ؟ وإذا أتىٰ أهله ضربوه وقالوا : ما حبسك ؟ فشكا ذلك إلىٰ الراهب ، فقال : إذا أراد الساحر أن يضربك فقل : حبسني أهلي . وإذا أراد أهلك أن يضربوك فقل : حبسني الساحر .**

قال : فبينما هو ذات يوم ، إذ أتىٰ علىٰ دابة فظيعة عظيمة ، قد حبست الناس فلا يستطيعون أن يجوزوا ، فقال : اليوم أعلم أمر الراهب أحب إلىٰ اللّٰه[٥] أم أمر الساحر ؟ قال : فأخذ حجرًا فقال : اللّٰهم إن كان أمر الراهب أحب إليك وأرضىٰ من أمر الساحر ، فاقتل هذه الدابة حتىٰ يجوز الناس . ورماها فقتلها ، ومضىٰ الناس . فأخبر الراهب بذلك ، فقال : أي بني ، أنت أفضل مني ، وإنك ستبتلىٰ ، فإن ابتليت فلا تدل عليّ . فكان[٦] الغلام يبرئ الأكمه والأبرص وسائر الأدواء ويشفيهم[٧] ، وكان جليس للملك فعمي ، فسمع به ، فأتاه بهدايا كثيرة فقال : اشفني ولك ما هاهنا أجمع . فقال : ما أنا أشفي أحدًا ، إنما يشفي اللّٰه - عز وجل - فإن آمنت به دعوت اللّٰه فشفاك . فآمن فدعا اللّٰه فشفاه . ثم أتىٰ الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس ، فقال له الملك : يا فلان ، من رد عليك بصرك ؟ فقال : ربي ؟ فقال : أنا ؟ قال : لا ، ربي وربك اللّٰه . قال : ولك رب غيري ؟ قال : نعم ، ربي وربك اللّٰه . فلم يزل يعذبه حتىٰ دل علىٰ الغلام ، فبعث إليه فقال : أي بُني ، بلغ من سحرك أن تبرئ الأكمه والأبرص وهذه الأدواء ؟ . قال : ما أشفي أنا أحدًا ، إنما يشفي اللّٰه -عز وجل- . قال : أنا ؟ قال : لا . قال : أولك رب غيري ؟ قال : ربي وربك اللّٰه . فأخذه أيضًا بالعذاب ، فلم يزل به حتىٰ دل علىٰ الراهب ، فأتىٰ بالراهب[٨] فقال : ارجع عن دينك . فأبىٰ ، فوضع المنشار في مفرق رأسه حتىٰ وقع شقاه ، وقال للأعمىٰ : ارجع عن دينك . فأبىٰ ، فوضع المنشار في مفرق رأسه حتىٰ وقع شقاه إلىٰ الأرض . وقال للغلام : ارجع عن دينك . فأبىٰ ، فبعث به مع نفر إلىٰ جبل كذا وكذا ، وقال : إذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فدهدهوه فذهبوا به ، فلما علوا به[٩] الجبل قال : اللّٰهم ، اكفنيهم بما شئت . فرجف بهم الجبل فدهدهوا أجمعون . وجاء الغلام يتلمس حتىٰ دخل علىٰ الملك فقال : ما فعل أصحابك ؟ فقال[١٠] : كفانيهم اللّٰه .

---

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - في ز : كبر .

[٣] - في ز : كان .

[٤] - سقط من ز .

[٥] - سقط من ز ، خ .

[٦] - في ز : وكان .

[٧] - في خ : وكان يشفيهم .

[٨] - في ز : الراهب .

[٩] - سقط من ز ، خ .

[١٠] - في ز : قال .

فبعث به مع نفر في قرقور فقال : إذا لججتم به[١] البحر فإن رجع عن دينه وإلا فغرقوه في البحر . فلججوا به البحر فقال الغلام : اللّهم ، اكفنيهم بما شئت . فغرقوا أجمعون ، وجاء الغلام حتىٰ دخل علىٰ الملك فقال : ما فعل أصحابك ؟ فقال : كفانيهم اللّه . ثم قال للملك : إنك لست بقاتلي حتىٰ تفعل ما آمرك به ، فإن أنت فعلت ما آمرك به قتلتني ، وإلا فإنك لا تستطيع قتلي . قال : وما هو ؟ قال : تجمع الناس في صعيد واحد ثم تصلبني علىٰ جذع ، و[٢] تأخذ سهمًا من كنانتي ثم قل : باسم اللّه رب الغلام ، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني . ففعل ، ووضع السهم في كبد قوسه ثم رماه ، وقال : باسم اللّه رب الغلام . فوقع السهم في صدغه ، فوضع الغلام يده علىٰ موضع السهم ومات ، فقال الناس : آمنا برب الغلام . فقيل للملك : أرأيت ما كنت تحذر ؟ فقد - واللّه - نزل بك ، قد آمن الناس كلهم . فأمر بأفواه السكك فخدت فيها الأخاديد ، وأضرمت فيها النيران ، وقال : من رجع عن دينه فدعوه وإلا فأقحموه فيها . قال : فكانوا يتعادون فيها ويتدافعون[٣] ، فجاءت امرأة بابن لها ترضعه ، فكأنها تقاعست أن تقع في النار ، فقال الصبي : اصبري يا أماه ، فإنك علىٰ الحق .

وهكذا رواه مسلم(١٢) في آخر الصحيح عن هدبة بن خالد ، عن حماد بن سلمة [به نحوه . ورواه النسائي عن أحمد بن سلمان ، عن عفان ، عن حماد بن سلمة][٤] ومن طريق حماد بن زيد ، كلاهما عن ثابت به ، واختصروا أوله .

وقد جوده الإمام أبو عيسىٰ الترمذي ، فرواه(١٣) في تفسير هذه السورة عن محمود بن غيلان[٥] وعبد بن حميد - [المعنىٰ واحد][٦] - قالا : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن ثابت البناني ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ ، عن صهيب قال : كان رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم إذا صلىٰ العصر همس - والهمس في [قول بعضهم][٧] : تحريك شفتيه كأنه يتكلم - فقيل له : إنك[٨] - يا رسول اللّه - إذا صليت العصر همست ؟ قال : « **إن نبيًا من الأنبياء كان أعجب بأمته فقال : من يقوم لهؤلاء ؟ فأوحىٰ اللّه إليه أن خيرهم بين أن أنتقم منهم[٩] ، وبين أن أسلط عليهم عدوهم . فاختاروا النقمة ، فسلط عليهم الموت ، فمات**

---

(١٢) صحيح مسلم في كتاب : الزهد ، باب : قصة أصحاب الأخدود . حديث (٣٠٠٥/٧٣) (١٧٧/١٨ - ١٨٠) . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : قتل أصحاب الأخدود ، حديث (١١٦٦١) (٥١٠/٦ - ٥١٢) من طريق حماد بن سلمة .

(١٣) سنن الترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة البروج ، حديث (٣٣٣٧) (٧١/٩ - ٧٤) .

---

[١] - سقط من خ .
[٢] - في خ : ثم .
[٣] - في ز : ويدافعون .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : عبدان .
[٦] - سقط من ز ، خ .
[٧] - في ز ، خ : بعض قولهم .
[٨] - سقط من ز ، خ .
[٩] - سقط من ز ، خ .

منهم في يوم سبعون ألفًا » . قال : وكان إذا حدث بهذا الحديث ، [حدث بهذا الحديث][١] الآخر قال : كان ملك من الملوك ، وكان لذلك الملك كاهن يتكهن له ، فقال الكاهن : انظروا لي غلامًا فهمًا - [أو قال : فطنًا لقنًا][٢] - فأعلمه علمي هذا .. فذكر القصة بتمامها ، وقال في آخره : « يقول الله عز وجل : ﴿ قتل أصحاب الأخدود . النار ذات الوقود ﴾ حتىٰ بلغ : ﴿ العزيز الحميد ﴾ . قال : فأما الغلام فإنه دفن قال[٣] : فيذكر أنه أخرج في زمان عمر بن الخطاب ، وإصبعه علىٰ صدغه كما وضعها حين قتل » . ثم قال الترمذي : « حسن غريب » .

وهذا السياق ليس فيه صراحة أن سياق هذه القصة من كلام النبي صلىٰ الله عليه وسلم . قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي : فيحتمل أن يكون من كلام صهيب الرومي ، فإنه كان عنده علم من أخبار النصارىٰ ، والله أعلم .

وقد أورد محمد بن إسحاق(١٤) بن يسار هذه القصة في السيرة بسياق آخر فيها مخالفة لما تقدم ، فقال :

حدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي - وحدثني أيضًا بعض أهل نجران ، عن أهلها أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان ، وكان في قرية من قراها قريبًا من نجران - ونجران هي القرية العظمىٰ التي إليها جماع أهل تلك البلاد - ساحرٌ يعلم غلمان أهل نجران السحر ، فلما نزلها فيمون - ولم يسموه لي بالاسم الذي سماه ابن منبه ، قالوا : رجل نزلها - ابتنىٰ خيمة بين نجران وبين تلك القرية التي فيها الساحر ، وجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم[٤] إلىٰ ذلك الساحر يعلمهم السحر ، فبعث الثامر ابنه عبد الله بن الثامر مع غلمان أهل نجران ، فكان[٥] إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرىٰ من عبادته وصلاته ، فجعل يجلس إليه ويسمع منه ، حتىٰ أسلم فوحد الله وعبده ، وجعل يسأله عن شرائع الإسلام حتىٰ إذا فقه فيه جعل يسأله عن الاسم الأعظم ، وكان يعلمه ، فكتمه[٦] إياه وقال له : يا بن أخي ، إنك لن تحمله ، أخشىٰ ضعفك عنه . والثامر أبو عبد الله لا يظن إلا أن[٧] ابنه يختلف إلىٰ الساحر كما يختلف الغلمان ، فلما رأىٰ عبد الله أن صاحبه قد ضن به عنه ، وتخوف ضعفه فيه ، عمد إلىٰ أقداح فجمعها ، ثم لم يبق لله اسمًا يعلمه إلا كتبه في قدح ، وكل اسم في قدح ، حتىٰ إذا أحصاها أوقد نارًا ثم جعل يقذفها فيها قدحًا قدحًا ، حتىٰ إذا مر بالاسم الأعظم قذف فيها بقدحه ،

(١٤) سيرة ابن هشام (٢١/١) وما بعدها .

[١] - سقط من خ .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - في ز : وكان .
[٦] - في ز : فيكتمه .
[٧] - سقط من خ .

فوثب القدح حتىٰ خرج منها لم يضره شيء ، فأخذه ثم أتىٰ به صاحبه ، فأخبره أنه قد علم الاسم الأعظم الذي كتمه فقال : وما هو ؟ قال : هو كذا وكذا . قال : وكيف علمته ؟ فأخبره بما صنع . قال : أي ابن أخي ، قد أصبته فأمسك علىٰ نفسك ، وما أظن أن تفعل .

فجعل عبد الله بن الثامر إذا دخل نجران لم يلق أحدًا به ضر إلا قال : يا عبد الله ، أتوحد الله وتدخل في ديني وأدعو الله لك فيعافيك مما أنت فيه من البلاء ؟ فيقول : نعم . فيوحد الله ويسلم ، فيدعو الله له فيشفىٰ ، حتىٰ لم يبق بنجران أحد به ضر إلا أتاه ، فاتبعه علىٰ أمره ودعا الله[١] له فعوفي ، حتىٰ رفع شأنه إلىٰ ملك نجران ، فدعاه فقال له : أفسدت عليَّ أهل قريتي ، وخالفت ديني ودين آبائي ، لأمثلن بك . قال : لا تقدر علىٰ ذلك . قال : فجعل يرسل به إلىٰ الجبل الطويل ، فيطرح علىٰ رأسه ، فيقع إلىٰ الأرض ما به بأس ، وجعل يبعث به إلىٰ مياه بنجران ، بحور لا يلقىٰ فيها شيء إلا هلك ، فيلقىٰ به فيها ، فيخرج ليس به بأس . فلما غلبه قال له عبد الله بن الثامر : إنك - والله - لا تقدر علىٰ قتلي حتىٰ توحد الله فتؤمن بما آمنت به ، فإنك إن فعلت سلطت عليَّ فقتلتني . قال : فوحد الله ذلك الملك ، وشهد شهادة عبد الله بن الثامر ، ثم ضربه بعصًا في يده فشجه شجة غير كبيرة ، فقتله ، وهلك الملك مكانه . واستجمع أهل نجران علىٰ دين عبد الله بن الثامر - وكان علىٰ ما جاء به عيسىٰ ابن مريم - عليه السلام - من الإنجيل وحكمه - ثم أصابهم ما أصاب أهل دينهم من الأحداث ، فمن هنالك كان أصل دين النصرانية بنجران .

قال ابن إسحاق : فهذا حديث محمد بن كعب القرظي وبعضُ أهل نجران عن عبد الله بن الثامر ، والله أعلم أي ذلك كان .

قال : فسار إليهم ذو نواس بجنده ، فدعاهم إلىٰ اليهودية ، وخيرهم بين ذلك أو القتل ، فاختاروا القتل ، فخد الأخدود ، فحرق بالنار وقتل بالسيف ومثل بهم ، حتىٰ قتل منهم قريبًا من عشرين ألفًا . ففي ذي نواس وجنده أنزل الله - عز وجل - علىٰ رسوله صلىٰ الله عليه وسلم ﴿ **قتل أصحاب الأخدود * النار ذات الوقود * إذ هم عليها قعود * وهم علىٰ ما يفعلون بالمؤمنين شهود * وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد * الذي له ملك السمٰوات والأرض والله علىٰ كل شيء شهيد** ﴾ .

هكذا ذكر محمد بن إسحاق في السيرة أن الذي قتل أصحاب الأخدود هو[٢] ذو نواس ، واسمه : زرعة ، وتسمىٰ في زمان مملكته بيوسف ، وهو ابن [تبان أسعد أبي كرب][٣] ، وهو تبع الذي غزا المدينة وكسىٰ الكعبة ، واستصحب معه حبرين من يهود المدينة ، وكان[٤]

---

[١] - سقط من ت .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز : « قبا أسعد بن كريب » .
[٤] - في ت : فكان .

تهود [من تهود][١] من أهل اليمن على يديهما ، كما ذكره ابن إسحاق مبسوطًا ، فقتل ذو نواس في غداة واحدة في الأخدود عشرين ألفًا ، ولم ينج منهم سوىٰ رجل واحد يقال له دوس ذو ثعلبان[٢] ، ذهب فارسًا ، وطردوا وراءه فلم يقدروا عليه[٣] ، فذهب إلىٰ قيصر ملك الشام ، فكتب إلىٰ النجاشي ملك الحبشة ، فأرسل معه جيشًا من نصارىٰ الحبشة يقدمهم أرياط وأبرهة ، فاستنقذوا[٤] اليمن من أيدي اليهود ، وذهب ذو نواس هاربًا فلجج في البحر ؛ فغرق . واستمر مُلكُ الحبشة في أيدي النصارىٰ سبعين سنة ، ثم استنقذه سيف بن ذي يزن الحميري من أيدي النصارىٰ ، لما استجاش بكسرىٰ ملك الفرس ، فأرسل معه من في السجون ، وكانوا قريبًا من سبعمائة ، ففتح بهم اليمن ، ورجع الملك إلىٰ حمير . وسنذكر طرفًا من ذلك - إن شاء الله - في تفسير سورة : ﴿ **ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل** ﴾ .

وقال ابن إسحاق(١٥) : وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو[٥] بن حزم ؛ أنه حُدِّث أن رجلًا من أهل نجران كان في زمان عمر بن الخطاب ، حفر خربة من خرب نجران لبعض حاجته ، فوجد عبد الله بن الثامر تحت دفن فيها قاعدًا ، واضعًا يده علىٰ ضربة في رأسه ، ممسكًا[٦] عليها بيده ، فإذا أخذت يده عنها ثعبت[٧] دمًا ، وإذا أرسلت[٨] يده ردت عليها ، فأمسكت دمها ، وفي يده خاتم مكتوب فيه : ربيَ الله . فكتب فيه إلىٰ عمر بن الخطاب يخبره بأمره ، فكتب عمر إليهم : أن أقروه علىٰ حاله ، وردوا عليه الدفن[٩] الذي كان عليه ؛ ففعلوا .

وقد قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا رحمه الله : حدثنا أبو بلال الأشعري ، حدثنا إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، حدثني بعض أهل العلم ، أن أبا موسىٰ لما افتتح أصبهان وجد حائطًا من حيطان المدينة قد سقط ، فبناه فسقط[١٠] ، ثم بناه فسقط ، فقيل له : إن تحته رجلًا صالحًا . فحفر الأساس فوجد فيه رجلًا قائمًا معه سيف ، مكتوب فيه أنا الحارث بن مضاض ، نقمت علىٰ أصحاب الأخدود . فاستخرجه أبو موسىٰ ، وبنىٰ الحائط ، فثبت .

قلت : هو الحارث بن مضاض بن عمرو بن مضاض بن عمرو الجرهمي ، أحد ملوك جرهم الذين ولوا أمر الكعبة بعد ولد نبت[١١] بن إسماعيل بن إبراهيم ، وولد الحارث هذا هو عمرو

(١٥) سيرة ابن هشام (١/٢٣ - ٢٤) .

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - في ز : تغلبان .
[٣] - سقط من خ .
[٤] - في ز : فاستنقذا .
[٥] - في ز ، خ : هارون .
[٦] - في ز : ممسط .
[٧] - في خ : نبعت .
[٨] - في خ : أرسل .
[٩] - سقط من ز ، خ .
[١٠] - في خ : ثم سقط .
[١١] - في ز : بانت . وفي خ : ثابت .

ابن الحارث بن مضاض هو آخر ملوك جرهم بمكة ، لما أخرجتهم خزاعة وأجلوهم إلىٰ اليمن ، وهو القائل في شعره الذي قال ابن هشام : إنه أول شعر قاله العرب :

كَأن لَم يَكُن بين الحجون إلىٰ الصّفا أنيس ، ولم يَسْمُر بمكّةَ سَامرُ
بَلَىٰ[١] ، نَحنُ كُنَّا أهلَها فَأبادَنَا صُروفُ اللّيَالىٰ والجُدُود العَوَاثِرُ[٢]

وهذا يقتضي أن هذه القصة كانت قديمًا بعد زمان إسماعيل - عليه السلام - بقرب[٣] من خمسمائة سنة أو نحوها ، وما ذكره ابن إسحاق يقتضي أن قصتهم[٤] كانت في زمان الفترة التي بين عيسىٰ ومحمد - عليهما من الله السلام - وهو أشبه ، والله أعلم .

وقد يحتمل أن ذلك قد[٥] وقع في العالم كثيرًا ، كما قال ابن أبي حاتم :

حدثنا أبي ، حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا صفوان ، عن عبد الرحمن بن جبير ؛ قال : كانت الأخدود في اليمن زمان تبع ، وفي القسطنطينية زمان قسطنطين حين صرف النصارىٰ قبلتهم عن دين المسيح والتوحيد ، فاتخذوا أتونًا[٦] ، وألقي فيه النصارىٰ الذين كانوا علىٰ دين المسيح والتوحيد . وفي العراق في أرض بابل بُخْتَنَصّر ، الذي وضع الصنم وأمر الناس أن يسجدوا له ، فامتنع دانيال وصاحباه : عزريا وميشائيل ، فأوقد لهم أتونًا وألقىٰ فيه[٧] الحطب والنار ، ثم ألقاهما فيه ، فجعلها الله عليهما بردًا وسلامًا ، وأنقذهما منها ، وألقىٰ فيها الذين بغوا عليه وهم تسعة رهط ، فأكلتهم النار .

وقال أسباط ، عن السدي في قوله : ﴿ **قتل أصحاب الأخدود** ﴾ ، قال : كانت[٨] الأخدود ثلاثة[٩] : خد بالعراق ، وخد بالشام ، وخد باليمن . رواه ابن أبي حاتم .

وعن مقاتل قال : كانت الأخدود ثلاثة : واحدة بنجران باليمن ، والأخرىٰ بالشام ، والأخرىٰ بفارس ، أما التي بالشام فهو انطنانوس الرومي ، وأما التي بفارس فهو بختنصر ، وأما التي بأرض العرب فهو يوسف ذو نواس . فأما التي بفارس والشام فلم ينزل الله فيهم قرآنًا ، وأنزل في التي كانت بنجران .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الدشتكي ، حدثنا عبد الله ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع - هو ابن أنس - في قوله : ﴿ **قتل أصحاب**

[١] - في ز : بل .
[٢] - في ز : الغواثر .
[٣] - في خ : بقريب .
[٤] - في ز : قضيتهم .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - في ز : اتونا . كذا .
[٧] - في ز : فيها .
[٨] - في ز : كان .
[٩] - في ز ، خ : ثلاثة عشر .

الأخدود ﴾ ، قال : سمعنا أنهم كانوا قومًا في زمان الفترة ، فلما رأوا ما وقع في الناس من الفتنة والشر وصاروا أحزابًا ، ﴿ **كل حزب بما لديهم فرحون** ﴾ ، اعتزلوا إلىٰ قرية سكنوها ، وأقاموا علىٰ عبادة اللَّه ﴿ **مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة** ﴾ ، وكان هذا أمرهم حتىٰ سمع بهم جبار من الجبارين ، وحدث حديثهم ، فأرسل إليهم فأمرهم أن يعبدوا الأوثان التي اتخذوا ، وأنهم أبوا عليه كلهم ، وقالوا : لا نعبد إلا اللَّه وحده ، لا شريك له . فقال لهم : إن لم تعبدوا هذه الآلهة التي عبدت فإني قاتلكم . فأبوا عليه ، فخد أخدودًا من نار ، وقال لهم الجبار - ووقفهم عليها - فقال[١] : اختاروا هذه أو[٢] الذي نحن فيه . فقالوا : هذه أحب إلينا . وفيهم نساء وذرية ، ففزعت الذرية ، فقالوا لهم : لا نار من بعد اليوم . فوقعوا فيها ، فقبضت أرواحهم من قبل أن يمسهم حرها ، وخرجت النار من مكانها فأحاطت بالجبارين ، فأحرقهم اللَّه بها ، ففي ذلك أنزل اللَّه عز وجل : ﴿ **قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود إذ هم عليها قعود وهم علىٰ ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا باللَّه العزيز الحميد الذي له ملك السماوات والأرض واللَّه علىٰ كل شيء شهيد** ﴾ .

ورواه ابن جرير(١٦) : حُدِّثت عن عمار ، عن عبد اللَّه بن أبي جعفر به نحوه .

وقوله : ﴿ **إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات** ﴾ ، أي : حرقوا . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، وابن أبزىٰ .

﴿ **ثم لم يتوبوا** ﴾ أي : لم يقلعوا عمَّا فعلوا ، ويندموا علىٰ ما أسلفوا .

﴿ **فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق** ﴾ ، وذلك أن الجزاء من جنس العمل . قال الحسن البصري : انظروا إلىٰ هذا الكرم والجود ، قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلىٰ التوبة والمغفرة .

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ

(١٦) أخرجه الطبري (١٣٤/٣٠ - ١٣٥) مختصرًا .

[١] - سقط من ت .
[٢] - في ز : و .

﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ ﴿٢٠﴾

يخبر تعالىٰ عن عباده المؤمنين أن ﴿ لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ ، بخلاف ما أعد لأعدائه من الحريق والجحيم ؛ ولهذا قال : ﴿ ذلك الفوز الكبير ﴾ .

ثم قال : ﴿ إن بطش ربك لشديد ﴾ ، أي : إن بطشه وانتقامه من أعدائه الذين كذبوا رسله وخالفوا أمره ، لشديد عظيم قوي ، فإنه تعالىٰ ذو القوة المتين ، الذي ما شاء كان كما يشاء في مثل لمح البصر ، أو هو أقرب ؛ ولهذا قال : ﴿ إنه هو يبدئ ويعيد ﴾ ، أي : من قوته وقدرته التامة يبدئ الخلق ثم يعيده كما بدأه ، بلا ممانع ولا مدافع . ﴿ وهو الغفور الودود ﴾ ، أي : يغفر ذنب من تاب إليه وخضع لديه ، ولو كان الذنب من أي شيء كان .

والودود - قال ابن عباس وغيره - : هو الحبيب ﴿ ذو العرش ﴾ ، أي : [صاحب العرش][١] المعظم العالي علىٰ جميع الخلائق .

و﴿ المجيد ﴾ : فيه قراءتان : الرفع على أنه صفة للرب عز وجل ؛ والجر على أنه صفة للعرش ، وكلاهما معنى صحيح .

﴿ فعال لما يريد ﴾ ، أي : مهما أراد فعله ، لا معقب لحكمه ، ولا يسأل عما يفعل ، لعظمته وقهره وحكمته وعدله ، كما روينا عن أبي بكر الصديق أنه قيل له - وهو في مرض الموت - : هل نظر إليك الطبيب ؟ قال : نعم . قالوا : فما قال لك ؟ قال[٢] : قال لي : إني فعال لما أريد(١٧) .

وقوله تعالىٰ : ﴿ هل أتاك حديث الجنود . فرعون وثمود ﴾ ، أي : هل بلغك ما أحل الله[٣] بهم من البأس ، وأنزل عليهم من النقمة التي لم يردها عنهم أحد ؟ . وهذا تقرير لقوله : ﴿ إن بطش ربك لشديد ﴾ أي : إذا أخذ الظالم أخذه أخذًا أليمًا شديدًا ، أخذ عزيز مقتدر .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا علي بن محمد الطنافسي ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ؛ قال : مر النبي صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ امرأة تقرأ : ﴿ هل أتاك حديث الجنود ﴾ ، فقام يسمع ، فقال : « نعم ، قد جاءني » .

وقوله : ﴿ بل الذين كفروا في تكذيب ﴾ ، أي : هم في شك وريب وكفر وعناد ، ﴿ والله من ورائهم محيط ﴾ ، أي : هو قادر عليهم ، قاهر لا يفوتونه ولا يعجزونه ، ﴿ بل

(١٧) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣٤/١) .

[١] - سقط من ز . [٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من ز .

هو قرآن مجيد ﴾ ، أي : عظيم كريم ، ﴿ **في لوح محفوظ** ﴾ ، أي : هو في الملإ الأعلىٰ محفوظ من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل .

قال ابن جرير(١٨) : حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا قرة بن سليمان ، حدثنا حرب بن سريج ، حدثنا عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس بن مالك في قوله : ﴿ **بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ** ﴾ قال : إن اللوح المحفوظ الذي ذكر الله : ﴿ **بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ** ﴾ ، في جبهة إسرافيل .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو صالح ، حدثنا معاوية بن صالح : أن أبا الأعبس - هو عبد الرحمن بن سلمان - قال : ما من شيء قضىٰ الله - القرآن مما[١] قبله وما بعده - إلا وهو في اللوح المحفوظ . واللوح المحفوظ بين عيني إسرافيل ، لا يؤذن له بالنظر فيه .

وقال الحسن البصري : إن هذا القرآن المجيد عند الله في لوح محفوظ ، ينزل منه ما يشاء على من يشاء من خلقه .

وقد روىٰ البغوي من طريق إسحاق بن بشر ، أخبرني مقاتل وابن جريج[٢] ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ؛ قال : إن في صدر اللوح لا إله إلا الله وحده ، دينه الإسلام ، ومحمد عبده ورسوله ، فمن آمن بالله وصدق بوعده واتبع رسله . أدخله الجنة - قال : واللوح لوح من درة بيضاء ، طوله ما بين السماء والأرض ، وعرضه ما بين المشرق والمغرب ، وحافتاه الدر والياقوت ، ودفتاه ياقوتة حمراء ، وقلمه نور ، وكلامه معقود بالعرش ، وأصله في حجر ملك .

قال مقاتل : اللوح المحفوظ عن يمين العرش .

وقال الطبراني(١٩) : حدثنا محمد بن عثمان [بن أبي شيبة ، حدثنا منجاب بن الحارث][٣] ، حدثنا إبراهيم بن يوسف ، حدثنا زياد بن عبد الله ، عن ليث ، عن[٤] عبد الملك ابن سعيد بن جبير ، عن أبيه ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **إن الله خلق لوحًا محفوظًا من درة بيضاء ، صفحاتها من ياقوتة حمراء ، قلمه نور وكتابه نور ، لله فيه في كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة ، يخلق ويرزق ، ويميت ويحيي ، ويعز ويذل ، ويفعل ما يشاء** » .

[آخر تفسير سورة البروج ، ولله الحمد] .

(١٨) أخرجه الطبري (٣٠/١٤٠) .
(١٩) معجم الطبراني الكبير(١٢/٧٢) (١٢٥١١) .

[١] - في ت : فما .
[٢] - في خ : جرير .
[٣] - بياض في ز ، خ .
[٤] - سقط من خ .

[تفسير] سورة الطارق

[وهي مكية]

قال عبد الله بن الإمام أحمد[١] : حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن محمد - قال : عبد الله وسمعته أنا منه - حدثنا مروان بن معاوية الفزاري ، عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي ، عن عبد الرحمن بن خالد بن أبي جبل العدواني ، عن أبيه ، أنه أبصر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في مشرق ثقيف وهو قائم علىٰ قوس - أو : عصىً - حين أتاهم يبتغي عندهم النصر ، فسمعته يقول : ﴿ والسماء والطارق ﴾ ، حتىٰ ختمها - قال : فوعيتها في الجاهلية وأنا مشرك ، ثم قرأتها في الإسلام - قال : فدعتني ثقيف فقالوا : ماذا سمعت من هذا الرجل ؟ فقرأتها عليهم ، فقال من معهم من قريش : نحن أعلم بصاحبنا ، لو كنا نعلم ما يقول حقًّا لاتبعناه .

وقال النسائي[٢] : حدثنا عمرو بن منصور ، حدثنا أبو نعيم ، عن مسعر ، عن محارب بن دثار ، عن جابر قال : صلىٰ معاذ المغرب ، فقرأ البقرة والنساء ، فقال النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - : « **أفتان يا معاذ ؟ ! ما كان يكفيك أن تقرأ بالسماء والطارق ، والشمس وضحاها ، ونحو هذا !** » .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾

يقسم تعالىٰ بالسماء وما جعل فيها من الكواكب النيرة ؛ ولهذا قال : ﴿ **والسماء والطارق** ﴾ ، ثم قال : ﴿ **وما أدراك ما الطارق** ﴾ ، ثم فسره بقوله : ﴿ **النجم الثاقب** ﴾ .

قال قتادة وغيره : إنما سمىٰ النجم طارقًا ، لأنه إنما يرىٰ بالليل ويختفي بالنهار . ويؤيده ما جاء في الحديث الصحيح : نهي أن يطرق الرجل أهله طروقًا[٣] . أي : يأتيهم فجأة بالليل .

---

(١) زوائد المسند (٤/٣٣٥) (١٩٠١١) .

(٢) سنن النسائي ، كتاب : التفسير ، باب : سورة الطارق ، حديث (١١٦٦٤) (٦/٥١٢) .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب : النكاح ، باب : لا يطرق أهله ليلًا إذا أطال الغيبة ...، حديث (٥٢٤٣) (٩/

وفي الحديث الآخر المشتمل على الدعاء : « **إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمن** »(٤) . وقوله : ﴿ **الثاقب** ﴾ ، قال ابن عباس : المضيء . وقال السدي : يثقب الشياطين إذا أرسل عليها . وقال عكرمة : هو مضيء ومحرق للشيطان .

وقوله : ﴿ **إن كل نفس لما عليها حافظ** ﴾ ، أي : كل نفس عليها من الله حافظ يحرسها من الآفات ، كما قال تعالى : ﴿ **له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله** ...﴾ الآية .

وقوله : ﴿ **فلينظر الإنسان مم خلق** ﴾ : تنبيه للإنسان على ضعف أصله الذي خلق منه ، وإرشاد له إلى الاعتراف بالمعاد ؛ لأن من قدر على البداءة فهو قادر على الإعادة بطريق الأولى ، كما قال : ﴿ **وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه** ﴾ .

وقوله : ﴿ **خلق من ماء دافق** ﴾ ، يعني المني ، يخرج دفقًا من الرجل ومن المرأة ، فيتولد منهما الولد بإذن الله - عز وجل - ولهذا قال : ﴿ **يخرج من بين الصلب والترائب** ﴾ ، يعني صلب الرجل وترائب المرأة ، وهو صدرها .

قال شبيب بن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ **يخرج من بين الصلب والترائب** ﴾ : صلب الرجل وترائب المرأة ، أصفر رقيق ، لا يكون الولد إلا منهما . وكذا قال سعيد بن جبير ، وعكرمة ، وقتادة والسدي ، وغيرهم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة ، عن مسعر : سمعت الحكم ذكر عن ابن عباس : ﴿ **يخرج من بين الصلب والترائب** ﴾ ، قال : هذه الترائب . ووضع يده علي صدره .

وقال الضحاك وعطية ، عن ابن عباس : تريبة[١] المرأة : موضع القلادة . وكذا قال عكرمة

---

٣٣٩) . وطرفه في [١٨٠١] . ومسلم في كتاب : الإمارة ، باب : كراهية الطروق ، حديث (١٨٢ ، ٧١٥/١٨٣) (١٠٦/١٣ ، ١٠٧) . كلاهما من حديث جابر - رضي الله عنه - .

(٤) أخرجه أحمد (٤١٩/٣) (١٥٥٠١) . وأبو يعلى (٢٣٧/١٢ - ٢٣٨) (٦٨٤٤) . كلاهما من حديث عبد الرحمن بن خنبش في حديث طويل . وأخرجه مالك في كتاب : الشعر ، باب : ما يؤمر به من التعوذ ، حديث (١٠) (٧٢٥/٢) عن يحيى بن سعيد مرسلًا بنحو حديث عبد الرحمن . قال البخاري : في إسناده نظر ، وقال البزار بعد تخريجه : لم يرو عبد الرحمن غيره فيما أعلم . وقال ابن حبان : له صحبة ، وأخرج الحديث المذكور ابن أبي شيبة ، والحسن بن سفيان ، وأبو زرعة الرازي في مسانيدهم من طريق أبي التياح . وقال البغوي : سكن البصرة . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني بنحوه ، ورجال أحد إسنادي أحمد وأبي يعلى وبعض أسانيد الطبراني رجال الصحيح .

---

[١] - في خ : تربية .

وسعيد بن جبير.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: الترائب: بين ثدييها.

وعن مجاهد: الترائب ما بين المنكبين إلى الصدر. وعنه أيضًا. الترائب أسفل من التراقي.

وقال سفيان الثوري: فوق الثديين. وعن سعيد بن جبير: الترائب أربعة أضلاع من هذا الجانب الأسفل.

وعن الضحاك: الترائب بين الثديين والرجلين والعينين.

وقال الليث بن سعد، عن معمر بن أبي حبيبة المدني: أنه بلغه في قول الله عز وجل: ﴿ **يخرج من بين الصلب والترائب** ﴾، [قال: هو عصارة القلب، من هناك يكون الولد.

وعن قتادة: ﴿ **يخرج من بين الصلب والترائب** ﴾][١] من بين صلبه ونحره.

وقوله: ﴿**إنه على رجعه لقادر**﴾ فيه قولان:

أحدهما: علىٰ رجع هذا الماء الدافق إلىٰ مقره الذي خرج منه لقادر علىٰ ذلك. قاله مجاهد، وعكرمة، وغيرهما.

والقول الثاني: إنه علىٰ رجع هذا الإنسان المخلوق من ماء دافق، أي: إعادته وبعثه إلىٰ الدار الآخرة لقادر؛ لأن من قدر علىٰ البداءة قدر علىٰ الإعادة.

وقد ذكر الله - عز وجل - هذا الدليل في القرآن في غير ما موضع، وهذا القول قال به الضحاك، واختاره ابن جرير، ولهذا قال: ﴿ **يوم تبلىٰ السرائر** ﴾، أي: يوم القيامة تبلىٰ فيه السرائر، أي: تظهر وتبدو، ويبقىٰ السر علانية والمكنون مشهورًا.

وقد ثبت في الصحيحين(٥)؛ عن ابن عمر: أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: « **يرفع لكل غادر لواء عند استه، يقال: هذه غدرة فلان بن فلان** ».

وقوله: ﴿ **فما له** ﴾ أي: الإنسان يوم القيامة ﴿ **من قوة** ﴾، أي: في نفسه، ﴿ **ولا ناصر** ﴾، أي: من خارج منه، أي: لا يقدر علىٰ أن ينقذ نفسه من عذاب الله[٢]، ولا يستطيع له أحد ذلك.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: ما يدعى الناس بآبائهم، حديث (٦١٧٧، ٦١٧٨) (١٠/ ٥٦٣). ومسلم في كتاب: الجهاد والسير، باب: تحريم الغدر، حديث (١٧٣٥) (١٢/٦٢ - ٦٤).

[١] - سقط من ز. [٢] - سقط من ز.

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ (١١) وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ (١٢) إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ (١٣) وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ (١٤) إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا (١٥) وَأَكِيدُ كَيۡدٗا (١٦) فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا (١٧)

قال ابن عباس: الرجع: المطر. وعنه هو السحاب فيه المطر. وعنه: ﴿**والسماء ذات الرجع**﴾ تمطر ثم تمطر.

وقال قتادة: ترجع رزق العباد كل عام، ولولا ذلك لهلكوا وهلكت مواشيهم وقال ابن زيد: ترجع نجومها وشمسها وقمرها، يأتين[١] من هاهنا. ﴿ **والأرض ذات الصدع** ﴾، قال ابن عباس: هو انصداعها عن النبات. وكذا قال سعيد بن جبير، وعكرمة، وأبو مالك، والضحاك، والحسن، وقتادة، والسدي، وغير واحد.

وقوله: ﴿**إنه لقول فصل**﴾ قال ابن عباس: حق. وكذا قال قتادة. وقال آخر: حكم عدل.

﴿ **وما هو بالهزل** ﴾، أي: بل هو حق جد.

ثم أخبر عن الكافرين بأنهم يكذبون به ويصدون عن سبيله، فقال: ﴿ **إنهم يكيدون كيدًا** ﴾، أي: يمكرون بالناس في دعوتهم إلىٰ خلاف القرآن.

ثم قال: ﴿**فمهل الكافرين**﴾ أي أنظرهم ولا تستعجل لهم، ﴿**أمهلهم رويدًا**﴾ أي: قليلًا. أي: وترىٰ ماذا أحل بهم من العذاب والنكال والعقوبة والهلاك، كما قال: ﴿ **نمتعهم قليلًا ثم نضطرهم إلى عذابٍ غليظ**﴾.

[آخر تفسير سورة الطارق، ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة].

☆ ☆ ☆

[١] - في خ: نابتين.

[تفسير] سورة « سبح »

[وهي مكية]

والدليل على ذلك ما رواه البخاري(١) ، حدثنا عبدان : أخبرني[١] أبي ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب قال : أول من قدم علينا من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير ، وابن أم مكتوم ، فجعلا يقرئاننا القرآن . ثم جاء عمار وبلال وسعد . ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين . ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به ، حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون : هذا رسول الله قد جاء ، فما جاء حتى قرأت : ﴿ **سبح اسم ربك الأعلى** ﴾ في سور مثلها .

وقال الإمام أحمد(٢) : حدثنا وكيع ، حدثنا إسرائيل ، عن ثوير[٢] بن أبي فاختة ، عن أبيه ، عن علي ؛ قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب هذه السورة : ﴿ **سبح اسم ربك الأعلى** ﴾ . تفرد به أحمد ، وثبت في الصحيحين(٣) : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ : « **هلا صليت بسبح اسم ربك الأعلى . والشمس وضحاها . والليل إذا يغشى** » .

وقال الإمام أحمد(٤) : حدثنا سفيان ، عن إبراهيم ، عن محمد بن المنتشر ، عن أبيه ، عن حبيب بن سالم ، عن أبيه ، عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في العيدين : بـ ﴿ **سبح اسم ربك الأعلى** ﴾ ، و ﴿ **هل أتاك حديث الغاشية** ﴾ ، وإن وافق يوم الجمعة قرأهما جميعًا .

هكذا وقع في مسند الإمام أحمد إسناد هذا الحديث . وقد رواه مسلم(٥) - في صحيحه - وأبو داود والترمذي والنسائي ، من حديث أبي عوانة وجرير وشعبة ، ثلاثتهم عن [إبراهيم

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب : التفسير، باب : سورة ﴿ **سبح اسم ربك الأعلى** ﴾ ، حديث (٤٩٤١) (٨/ ٦٩٩ - ٧٠٠) .

(٢) المسند (٩٦/١) (٧٤٢) . قال الهيثمي في « المجمع » (١٣٩/٧) : رواه أحمد وفيه ثوير بن أبي فاختة وهو متروك .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب : الأذان ، باب : من شكا إمامه إذا طول ، حديث (٧٠٥) (٢٠٠/٢) . ومسلم في كتاب : الصلاة ، باب : القراءة في العشاء ، حديث (١٧٨ ، ٤٦٥/١٧٩) (٢٤٠/٤ - ٢٤٢). كلاهما من حديث جابر - رضي الله عنه - بنحوه .

(٤) المسند (٢٧١/٤) (١٨٤٣٤) .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب : الجمعة ، باب : ما يقرأ في صلاة الجمعة ، حديث (٨٧٨/٦٢) (٢٣٧/٦) . وأبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : ما يقرأ به في الجمعة ، حديث (١١٢٢) (٢٩٣/١) . والترمذي =

---

[١] - في ز ، خ : ثنا . [٢] - في ز : ثور .

ابن[١] محمد بن المنتشر ، عن أبيه ، عن حبيب بن سالم ، عن النعمان بن بشير ، به .

قال الترمذي : « **وكذا رواه الثوري ومسعر ، عن إبراهيم – قال : ورواه سفيان بن عيينة عن إبراهيم – عن أبيه ، عن حبيب بن سالم ، عن أبيه ، عن النعمان . ولا يعرف لحبيب رواية عن[٢] أبيه** » .

وقد رواه ابن ماجة(٦) عن محمد بن الصباح ، عن سفيان بن عيينة ، عن إبراهيم بن المنتشر ، عن أبيه ، عن حبيب بن سالم ، عن النعمان به . كما رواه الجماعة ، والله أعلم. ولفظ مسلم وأهل السنن : كان يقرأ في العيدين ويوم الجمعة ، بـ ﴿ **سبح اسم ربك الأعلىٰ** ﴾ ، و ﴿ **هل أتاك حديث الغاشية** ﴾ ، وربما اجتمعا في يوم واحد فقرأهما .

وقد روىٰ الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي بن كعب(٧) ، وعبد اللّه بن عباس(٨) ، وعبد الرحمن بن أبزىٰ(٩) ، وعائشة أم المؤمنين(١٠) : أن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم كان يقرأ في الوتر بـ : ﴿ **سبح اسم ربك الأعلىٰ** ﴾ ، و ﴿ **قل يا أيها الكافرون** ﴾ ، و ﴿ **قل هو اللّه أحد** ﴾ . زادت عائشة : والمعوذتين .

وهكذا روي هذا الحديث من طريق جابر وأبي أمامة صدي بن عجلان ، وعبد اللّه بن مسعود ، وعمران بن حصين ، وعلي بن أبي طالب رضي اللّه عنهم . ولولا خشية الإطالة لأوردنا ما تيسر لنا من أسانيد ذلك ومتونه ولكن في الإرشاد بهذا الاختصار كفاية ، والله أعلم .

سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ

= في كتاب : الصلاة ، باب : ما جاء في القراءة في العيدين ، حديث (٥٣٣) (١٥٠/٢) . والنسائي (١١٢/٣) كتاب الجمعة ، باب : ذكر الاختلاف على النعمان بن بشير في القراءة في صلاة الجمعة .

(٦) سنن ابن ماجة ، كتاب : الإقامة ، باب : ما جاء في القراءة في صلاة العيدين ، حديث (١٢٨١) (٤٠٨/١).

(٧) المسند (١٢٣/٥) (٢١٢٢٢) من طريق عبد الرحمن بن أبزى عنه به .

(٨) المسند (٢٩٩/١ ، ٣٠٠) (٢٧٢٠ ، ٢٧٢٥) وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند .

(٩) المسند (٤٠٦/٣) (١٥٣٩٣ ، ١٥٣٩٤) .

(١٠) المسند (٢٢٧/٦) (٢٦٠١٥) .

---

[١] - سقط من ز . [٢] - في ز : من .

﴿ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٨ فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى ۝١١ ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ۝١٣ ﴾

قال الإمام أحمد(١١) : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا موسىٰ - يعني ابن أيوب الغافقي - حدثنا عمي إياس بن عامر ، سمعت عقبة بن عامر الجهني لما نزلت : ﴿ **فسبح باسم ربك العظيم** ﴾ ، قال لنا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **اجعلوها في ركوعكم** » . فلما نزلت : ﴿ **سبح اسم ربك الأعلىٰ** ﴾ ، قال : « **اجعلوها في سجودكم** » ورواه أبو داود ، وابن ماجة من حديث ابن المبارك ، عن موسى بن أيوب به .

وقال الإمام أحمد(١٢) : حدثنا وكيع ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان إذا قرأ : ﴿ **سبح اسم ربك الأعلىٰ** ﴾ ، قال : « **سبحان ربي الأعلىٰ** » .

وهكذا رواه أبو داود(١٣) عن زهير بن حرب ، عن وكيع به . وقال : خولف فيه وكيع ، رواه أبو وكيع وشعبة ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، موقوفًا .

وقال الثوري(١٤) ، عن السدي ، عن عبد خير قال : سمعت عليًا قرأ : ﴿ **سبح اسم ربك الأعلىٰ** ﴾ ، فقال : سبحان ربي الأعلىٰ .

وقال ابن جرير(١٥) : حدثنا ابن[١] حميد ، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن أبي إسحاق الهمداني : أن ابن عباس كان إذا قرأ : ﴿ **سبح اسم ربك الأعلىٰ** ﴾ ، يقول : سبحان ربي الأعلىٰ ، وإذا قرأ : ﴿ **لا أقسم بيوم القيامة** ﴾ فأتىٰ علىٰ آخرها : ﴿ **أليس ذلك بقادر علىٰ أن**

---

(١١) المسند (٤/١٥٥) (١٧٤٦١) . وأخرجه أبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده ، حديث (٨٦٩) (١/٢٣٠) . وابن ماجة في كتاب : الإقامة ، باب : التسبيح في الركوع والسجود ، حديث (٨٨٧) (١/٢٨٧) . وضعفه الألباني في الإرواء (٢/٤٠) (٣٣٤) .

(١٢) المسند (١/٢٣٢) (٢٠٦٦) .

(١٣) سنن أبي داود في كتاب : الصلاة ، باب : الدعاء في الصلاة ، حديث (٨٨٣) (١/٢٣٣) . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٧٨٥) .

(١٤) أخرجه الطبري (٣٠/١٥١) .

(١٥) تفسير الطبري (٣٠/١٥١) .

---

[١] - في ز : أبو .

يحيي الموتىٰ ﴾ ، يقول : سبحانك وبلىٰ .

وقال قتادة(١٦) : ﴿ **سبح اسم ربك الأعلىٰ** ﴾ : ذكر لنا أن نبىٰ اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كان إذا قرأها ، قال : « **سبحان ربي الأعلىٰ** » .

وقوله : ﴿ **الذي خلق فسوىٰ** ﴾ ، أي : خلق الخليقة وسوىٰ كل مخلوق في أحسن الهيئات .

وقوله : ﴿ **والذي قدر فهدىٰ** ﴾ قال مجاهد : هدىٰ الإنسان للشقاوة[١] والسعادة ، وهدىٰ الأنعام لمراتعها .

وهذه الآية كقوله تعالىٰ إخبارًا عن موسىٰ أنه قال لفرعون : ﴿ **ربنا الذي أعطىٰ كل شيء خلقه ثم هدىٰ** ﴾ ، أي : قدر قدرًا ، وهدىٰ الخلائق إليه ، كما ثبت في صحيح مسلم ، عن عبد اللّٰه بن عمرو : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **إن اللّٰه قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه علىٰ الماء** » .

وقوله : ﴿ **والذي أخرج المرعىٰ** ﴾ ، أي : من جميع صنوف النباتات والزروع ، ﴿ **فجعله غثاءً أحوىٰ** ﴾ ، قال ابن عباس : هشيمًا متغيرًا . وعن مجاهد ، وقتادة ، وابن زيد ، نحوه .

قال ابن جرير : وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يرىٰ أن ذلك من المؤخر الذي معناه التقديم ، وأن معنىٰ الكلام : والذي أخرج المرعىٰ ، أحوىٰ ، أي : أخضر إلىٰ السواد ، فجعله غثاء بعد ذلك . ثم قال ابن جرير : وهذا وإن كان محتملًا إلا أنه غير صواب ؛ لمخالفته أقوال أهل التأويل .

وقوله : ﴿ **سنقرئك** ﴾ - أي : يا محمد - ﴿ **فلا تنسىٰ** ﴾ . وهذا إخبار من اللّٰه - عز وجل - ووعد منه له . بأنه سيقرئه قراءة لا ينساها ، ﴿ **إلا ما شاء اللّٰه** ﴾ . وهذا اختيار ابن جرير .

وقال قتادة(١٧) : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينسىٰ شيئًا إلّا ما شاء الله .

وقيل : المراد بقوله : ﴿ **فلا تنسىٰ** ﴾ طلب ، وجعلوا معنىٰ الاستثناء علىٰ هذا ما يقع من النسخ ، أي : لا تنسىٰ ما نقرئك إلا ما يشاء اللّٰه رفعه ، فلا عليك أن تتركه .

---

(١٦) أخرجه الطبري (١٥١/٣٠) .

(١٧) أخرجه مسلم في كتاب : القدر ، باب : حجاج آدم وموسى - عليهما السلام - حديث (٢٦٥٣/١٦) (٣١٠/١٦) .

---

[١] - في ز : للشقوة .

وقوله : ﴿ **إنه يعلم الجهر وما يخفىٰ** ﴾ أي : يعلم ما يجهر به العباد وما يخفونه من أقوالهم وأفعالهم ، لا يخفىٰ عليه من ذلك شيء .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ونيسرك لليسرىٰ** ﴾ أي : نسهّل عليك أفعال الخير وأقواله ، ونشرع لك شرعًا سهلًا سمحًا مستقيمًا عدلًا ، لا اعوجاج فيه ولا حرج ، ولا عسر .

وقوله : ﴿ **فذكر إن نفعت الذكرىٰ** ﴾ ، أي : ذكر حيث تنفع التذكرة . ومن هاهنا يؤخذ الأدب في نشر العلم فلا يضعه عند غير أهله ، كما قال أمير المؤمنين علي(١٨) - رضي الله عنه - : ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم . وقال(١٩) : حدث الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله .

وقوله : ﴿ **سيذكر من يخشىٰ** ﴾ ، أي : سيتعظ بما تبلغه - يا محمد - من قلبه يخشىٰ الله ويعلم أنه ملاقيه ، ﴿ **ويتجنبها الأشقىٰ . الذي يصلىٰ النار الكبرىٰ . ثم لا يموت فيها ولا يحيىٰ** ﴾ ، أي : لا يموت فيستريح ولا يحيىٰ حياة تنفعه[١] ، بل هي مضرة عليه ، لأن بسببها يشعر ما يعاقب به من أليم العذاب ، وأنواع النكال .

قال الإمام أحمد(٢٠) : حدثنا ابن أبي عدي ، عن سليمان - يعني التيمي - عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أما أهل النار الذين هم أهلها لا يموتون ولا يحيون ، وأما أناس يريد الله بهم الرحمة فيميتهم في النار فيدخل عليهم الشفعاء ، فيأخذ الرجل أنصاره**[٢] **فينبتهم - أو قال : ينبتون - في نهر [الحياء - أو قال]**[٣] **: الحياة - أو قال : الحيوان - أو قال : نهر الجنة فينبتون - نبات الحبة في حميل السيل** » - قال : وقال : النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **أما ترون الشجرة تكون خضراء ، ثم تكون صفراء ، [أو قال : تكون صفراء]**[٤] **، ثم تكون خضراء ؟** » - قال : فقال

(١٨) أخرجه مسلم في « مقدمة الصحيح » (١١٣/١) لكن الذي في مسلم من حديث ابن مسعود وليس من حديث علي - رضي الله عنهما - .

(١٩) أخرجه البخاري في كتاب : العلم ، باب : من خص بالعلم قومًا دون قوم كراهية أن لا يفهموا ، حديث (١٢٧) (٢٢٥/١) من حديث علي .

(٢٠) أخرجه أحمد (٥/٣) (١١٠٢٩) . وأخرجه ابن منده في « الإيمان » (٨٢٦) من طريق محمد بن بشار ثنا محمد بن إبراهيم بن أبي عدى به . وأخرجه أيضًا - (٨٢٤ ، ٨٢٥) . وعبد بن حميد في المنتخب (٨٦٥) . من طرق ثلاثة عن سليمان التيمي به .

وأخرجه مسلم - كتاب الإيمان ، باب : إثبات الشفاعة ... (٣٠٦،٣٠٧) - (١٨٥) . وابن ماجه - كتاب الزهد ، باب : ذكر الشفاعة - (٤٣٠٩) .

[١] - في ز : فتنفعه .
[٢] - في ز : الصارة .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - سقط من ز ، خ .

بعضهم : كأن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كان بالبادية .

وقال أحمد أيضًا(٢١) : حدثنا إسماعيل ، حدثنا سعيد بن يزيد ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **أما أهل النار الذين هم أهلها ، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن أناس - أو كما قال - تصيبهم النار بذنوبهم - أو قال : بخطاياهم - فيميتهم إماتة ، حتىٰ إذا صاروا فحمًا أذن في الشفاعة ، فجيء بهم ضبائر ضبائر ، فنبتوا[١] علىٰ أنهار الجنة ، فيقال : يا أهل الجنة ، أفيضوا عليهم . فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل** » . قال : فقال رجل من القوم حينئذ : كأن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كان [في البادية][٢] .

ورواه مسلم من حديث بشر بن[٣] المفضل وشعبة ، كلاهما[٤] عن أبي مسلمة[٥] سعيد بن يزيد ، به مثله .

ورواه أحمد[٦] (٢٢) أيضًا عن يزيد ، عن سعيد بن إياس الجريري ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **إن أهل النار الذين لا يريد اللّٰه إخراجهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، وإن أهل النار الذين يريد اللّٰه إخراجهم يميتهم فيها إماتة ، حتىٰ يصيروا فحمًا ، ثم يخرجون ضبائر فيلقون علىٰ أنهار الجنة ، [أو : يرش عليهم من أنهار الجنة][٧] ؛ فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل** .

وقد قال الله إخبارًا عن أهل النار: ﴿**ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون**﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **لا يقضىٰ عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها** ...﴾ .

إلىٰ غير ذلك من الآيات في هذا المعنىٰ .

قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ

(٢١) المسند (٣/١١) (١١٠٩١) . ومسلم في كتاب : الإيمان ، باب : إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار ، حديث (٣٠٦ ، ١٨٥/٣٠٧) (٣/٤٦ - ٤٨) .
(٢٢) المسند (٣/٢٠) (١١١٦٥) .

[١] - في خ : فينبتون .
[٢] - في ت : بالبادية .
[٣] - في ز : أبو .
[٤] - في ت : كليهما .
[٥] - في ز ، خ : مسلم .
[٦] - سقط من ز ، خ .
[٧] - سقط من ز ، خ .

وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ قد أفلح من تزكىٰ ﴾ ، أي : طهر نفسه من الأخلاق الرذيلة ، وتابع ما أنزل اللَّه علىٰ الرسول صلوات اللَّه وسلامه عليه ﴿ وذكر اسم ربه فصلىٰ ﴾ ، أي : أقام الصلاة في أوقاتها ، ابتغاء رضوان اللَّه وطاعة لأمر اللَّه وامتثالًا لشرع الله . وقد قال الحافظ أبو بكر البزّار(٢٣):

حدثنا عباد بن أحمد العرزمي ، حدثنا عمي محمد بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن عطاء ابن السائب ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن جابر بن عبد اللَّه ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ قد أفلح من تزكىٰ ﴾ ، قال : « **من شهد أن لا إله إلا اللَّه ، وخلع الأنداد ، وشهد أني رسول اللَّه** » ، ﴿ وذكر اسم ربه فصلىٰ ﴾ ، قال : « **هي الصلوات الخمس والمحافظة عليها والاهتمام بها** » .

ثم قال : لا يروىٰ عن جابر إلّا من هذا الوجه .

وكذا قال ابن عباس : إن المراد بذلك الصلوات الخمس . واختاره ابن جرير .

وقال ابن جرير : حدثني عمرو بن عبد الحميد الآملي[١] ، حدثنا مروان بن معاوية ، عن أبي خلدة قال : دخلت علىٰ أبي العالية فقال لي : إذا غدوت غدًا إلىٰ العيد فمر بي . قال : فمررت به فقال : هل طعمت شيئًا ؟ قلت : نعم . قال : أفضت علىٰ نفسك من الماء ؟ قلت : نعم . قال : فأخبرني ما فعلت [بزكاتك ؟ قلت][٢] : وكأنك قلت : قد وجهتها ؟ قال : إنما أردتك لهذا . ثم قرأ : ﴿ قد أفلح من تزكىٰ * وذكر اسم ربه فصلىٰ ﴾ . وقال : إن أهل المدينة لا يرون صدقة أفضل منها ومن سقاية الماء .

قلت : وكذلك[٣] روينا عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه كان يأمر الناس بإخراج صدقة الفطر ، ويتلو هذه الآية ﴿ قد أفلح من تزكىٰ * وذكر اسم ربه فصلىٰ ﴾ .

وقال أبو الأحوص : إذا أتىٰ أحدكم سائل وهو يريد الصلاة ، فليقدم بين يدي صلاته زكاته ، فإن اللَّه يقول : ﴿ قد أفلح من تزكىٰ * وذكر اسم ربه فصلىٰ ﴾ .

وقال قتادة في هذه الآية : ﴿قد أفلح من تزكىٰ ، وذكر اسم ربه فصلى﴾ : زكىٰ ماله ،

(٢٣) كشف الأستار (٢/١١٧) (١٥٢٩) . قال الهيثمي في « المجمع » (٧/١٤٠) : رواه البزار عن شيخه عباد ابن أحمد العرزمي وهو متروك .

[١] - في ز ، خ : الأيلي .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في خ : وقد .

وأرضىٰ خالقه .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **بل تؤثرون الحياة الدنيا** ﴾ ، أي : تقدمونها علىٰ أمر الآخرة ، وتبدونها علىٰ ما فيه نفعهم وصلاحهم في معاشهم ومعادهم ، ﴿ **والآخرة خير وأبقىٰ** ﴾ ، أي : ثواب اللَّه في الدار الآخرة خير من الدنيا وأبقىٰ ، [فإن الدنيا][١] دنية فانية ، والآخرة شريفة باقية ، فكيف يؤثر عاقل ما يفنىٰ علىٰ ما يبقىٰ ، ويهتم بما يزول عنه قريبًا ، ويترك الاهتمام بدار البقاء والخلد .

قال الإمام أحمد(٢٤): حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا ذويد عن أبي إسحاق ، عن عروة ، عن عائشة قالت : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له** » .

وقال ابن جرير (٢٥): حدثنا ابن حميد ، حدثنا يحيىٰ بن واضح ، حدثنا[٢] أبو حمزة ، عن عطاء ، عن عرفجة الثقفي قال : استقرأت ابن مسعود : ﴿ **سبح اسم ربك الأعلىٰ** ﴾ فلما بلغ : ﴿ **بل تؤثرون الحياة الدنيا** ﴾ ترك القراءة ، وأقبل علىٰ أصحابه وقال[٣] : آثرنا الدنيا علىٰ الآخرة . فسكت القوم ، فقال : آثرنا الدنيا لأنا رأينا زينتها ونساءها وطعامها وشرابها ، وزويت عنا الآخرة فاخترنا هذا العاجل وتركنا الآجل .

وهذا منه علىٰ وجه التواضع والهضم ، أو هو إخبار عن الجنس من حيث هو ، واللَّه أعلم .

و[قد][٤] قال الإمام أحمد(٢٦) : حدثنا سليمان بن داود الهاشمي ، حدثنا إسماعيل بن جعفر ، أخبرني عمرو بن أبي عمرو ، عن المطلب بن عبد اللَّه ، عن أبي موسىٰ الأشعري : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **من أحب دنياه أضر بآخرته ، ومن أحب آخرته أضر بدنياه ، فآثروا ما يبقىٰ[٥] علىٰ ما يفنىٰ** » تفرد به أحمد .

---

(٢٤) تقدم تخريجه في سورة الإسراء ، آية (١٨) . وفي سورة النجم ، آية (٢٩) .

(٢٥) أخرجه الطبري (١٥٧/٣٠) .

(٢٦) أخرجه أحمد (٤١٢/٤) (١٩٧٥١) . والحاكم (٣٠٨/٤، ٣١٩) . والبغوي في شرح السنة (١٤/ ٢٣٨-١٣٩) حديث (٤٠٣٨) . وابن حبان (٤٨٦/٢) حديث (٧٠٩) . والبيهقي في الشعب (٧/ ٢٨٨) حديث (١٠٣٣٧) . والقضاعي في مسند الشهاب (٢٥٨/١-٢٥٩) . حديث (٤١٨) . والبيهقي في الكبرى (٣٧٠/٣) كتاب الجنائز ، باب : ما ينبغي لكل مسلم أن يستعمله من قصر الأمل والاستعداد للموت فإن الأمر قريب . كلهم من طريق عمرو بن أبي عمرو عن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن أبي موسى - رضي الله عنه - ... فذكره . قال الحاكم : حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه=

---

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز : فقال .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - في ز : بقي .

وقد رواه أيضًا(٢٧) عن أبي سلمة[١] الخزاعي ، عن الدراوردي ، عن عمرو بن أبي عمرو ، به مثله سواء .

وقوله : ﴿ **إن هذا لفي الصحف الأولىٰ * صحف إبراهيم وموسىٰ** ﴾ قال الحافظ أبو بكر البزار (٢٨):

حدثنا نصر بن علي ، حدثنا معتمر بن سليمان ، عن أبيه عن عطاء بن السائب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : ﴿ **إن هذا لفي الصحف الأولىٰ صحف إبراهيم وموسىٰ** ﴾ - قال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **كان كل هذا - أو : كان هذا - في صحف إبراهيم وموسىٰ** » .

ثم قال : لا نعلم أسند الثقات عن عطاء بن السائب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس غير هذا ، وحديثًا آخر أورده قبل هذا .

وقال النسائي(٢٩) : أخبرنا زكريا بن يحيىٰ ، أخبرنا نصر بن علي ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن عطاء بن السائب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : ﴿ **سبح اسم ربك الأعلىٰ** ﴾ ، قال : كلها في صحف إبراهيم وموسىٰ . فلما نزلت : ﴿ **وإبراهيم الذي وفىٰ** ﴾ قال : وفَّى ﴿ **ألا تزر وازرة وزر أخرىٰ** ﴾ .

يعني أن هذه الآية كقوله في « **سورة النجم** » ﴿ **أم لم ينبأ بما في صحف موسىٰ * وإبراهيم الذي وفى * ألا تزر وازرة وزر أخرىٰ * وأن ليس للإنسان إلا ما سعىٰ * وأن سعيه سوف يرىٰ * ثم يجزاه الجزاء الأوفىٰ * وأن إلىٰ ربك المنتهىٰ ...** ﴾ الآيات إلىٰ آخرهن .

وهكذا قال عكرمة - فيما رواه ابن جرير(٣٠) ، عن ابن حميد ، عن مهران ، عن سفيان الثوري ، عن أبيه ، عن عكرمة - في قوله : ﴿ **إن هذا لفي الصحف الأولىٰ * صحف**

= وتعقبه الذهبي بأن فيه انقطاع . قال الهيثمي في « المجمع » (١٠/٢٥٢) : رواه أحمد والبزار والطبراني ورجالهم ثقات . وقال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٤/١٨٥٣) (٢٩٣٨) : وهو منقطع بين المطلب ابن عبد الله وبين أبي موسى .

قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٠/٢٥٢) : رواه أحمد والبزار والطبراني ورجالهم ثقات .

(٢٧) المسند (٤/٤١٢) (١٩٧٥٢) .

(٢٨) كشف الأستار (٢/١١٧) (١٥٣٠) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٧/١٤٠) : رواه البزار وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(٢٩) سنن النسائي الكبرى ، كتاب : التفسير ، باب : سورة الأعلى ، حديث (١١٦٦٨) (٦/٥١٣).

(٣٠) تفسير الطبري (٣٠/١٥٨) .

---

[١] - في ز ، خ : مسلم .

إبراهيم وموسىٰ ﴾ ، يقول : الآيات التي في سبح اسم ربك الأعلىٰ .

وقال أبو العالية : قصة هذه السورة في الصحف الأولىٰ. واختار ابن جرير أن المراد بقوله : **﴿ إن هذا ﴾** إشارة إلىٰ قوله : **﴿ قد أفلح من تزكىٰ وذكر اسم ربه فصلىٰ بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقىٰ ﴾** ، ثم قال : **﴿ إن هذا ﴾** ، أي : مضمون هذا الكلام **﴿ لفي الصحف الأولىٰ . صحف إبراهيم وموسىٰ ﴾**

وهذا اختيارٌ حسن قوي ، وقد روي عن قتادة وابن زيد نحوه ، والله أعلم .

[آخر تفسير سورة « سبح » ، ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة] .

[تفسير] سورة الغاشية

[وهي مكية]

قد تقدم عن النعمان بن بشير(١) : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كان يقرأ بـ ﴿ سبح اسم ربك الأعلىٰ ﴾ ، والغاشية في صلاة العيد ويوم الجمعة .

وقال الإمام مالك(٢) ، عن ضمرة بن سعيد ، عن عبيد[١] اللّٰه بن عبد اللّٰه : أن الضحاك بن قيس سأل النعمان بن بشير : بم كان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقرأ في الجمعة مع سورة الجمعة ؟ قال : ﴿ هل أتاك حديث الغاشية ﴾ .

رواه أبو داود عن القعنبي ، والنسائي عن قتيبة ، كلاهما عن مالك ، به .

ورواه مسلم(٣) وابن ماجة ، من حديث سفيان بن عيينة ، عن ضمرة بن سعيد به .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾

الغاشية : من أسماء يوم القيامة . قاله ابن عباس ، وقتادة ، وابن زيد ، لأنها تغشىٰ الناس وتعمهم . وقد قال ابن أبي حاتم :

حدثنا أبي ، حدثنا علي بن محمد الطنافسي ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون قال : مر النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم علىٰ امرأة تقرأ : ﴿ هل أتاك حديث

(١) تقدم تخريجه في أول سورة الأعلى .

(٢) أخرجه مالك في كتاب : الجمعة ، باب : القراءة في صلاة الجمعة ، حديث (١٩) (١/١١٢) بنحو هذا اللفظ . وأبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : ما يقرأ به في الجمعة ، حديث (١١٢٣) (١/٢٩٣) . والنسائي (٣/١١٢) كتاب الجمعة ، باب : ذكر الاختلاف على النعمان بن بشير في القراءة .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب : الجمعة ، باب : ما يقرأ في صلاة الجمعة ، حديث (٦٣/٨٧٨) (٦/٢٣٨) . وأخرجه ابن ماجة في كتاب : الإقامة ، باب : ما جاء في القراءة في الصلاة يوم الجمعة ، حديث (١١١٩) (١/٣٥٥) .

[١] - في ز ، خ : عبد .

الغاشية ﴾ ، فقام يستمع ويقول : « **نعم قد جاءني** » .

وقوله : ﴿ **وجوه يومئذٍ خاشعة** ﴾ أي : ذليلة . قاله قتادة .

وقال ابن عباس : تخشع ولا ينفعها عملها .

وقوله : ﴿ **عاملة ناصبة** ﴾ ، أي : قد عملت عملًا كثيرًا ، ونصبت فيه ، وصليت يوم القيامة نارًا حامية .

وقال الحافظ أبو بكر البرقاني(٤) : حدثنا إبراهيم بن محمد المزكىٰ[١] ، حدثنا محمد بن إسحاق السراج ، حدثنا هارون بن عبد اللّه ، حدثنا سيار[٢] ، حدثنا جعفر قال : سمعت أبا عمران الجوني يقول : مر عمر بن الخطاب - رضي اللّه عنه - بدير راهب ، قال : فناداه : يا راهب [يا راهب][٣] . فأشرف ، قال[٤] : فجعل عمر ينظر إليه ويبكي . فقيل له : يا أمير المؤمنين ، ما يبكيك من هذا ؟ قال : ذكرت قول اللّه - عز وجل - في كتابه ﴿ **عاملة ناصبة * تصلىٰ نارًا حامية** ﴾ ، فذاك الذي أبكاني .

وقال البخاري(٥) : قال ابن عباس : ﴿ **عاملة ناصبة** ﴾ : النصارىٰ .

وعن عكرمة ، والسدي : ﴿ **عاملة** ﴾ في الدنيا بالمعاصي ، ﴿ **ناصبة** ﴾ في النار بالعذاب والأغلال .

قال ابن عباس ، والحسن ، وقتادة : ﴿ **تصلىٰ نارًا حامية** ﴾ ، أي : حارة شديدة الحر . ﴿ **تسقىٰ من عين آنية** ﴾ ، أي : قد انتهى حرها وغليانها . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن ، والسدي .

وقوله : ﴿ **ليس لهم طعام إلّا من ضريع** ﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : شجر من النار .

وقال سعيد بن جبير : هو الزقوم . وعنه : أنها الحجارة .

وقال ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وأبو الجوزاء ، وقتادة : هو الشبرق - قال قتادة :

---

(٤) أخرجه الحاكم (٥٢١/٢ - ٥٢٢) من طريق سياد بن حاتم نحوه . قال الحاكم : هذه حكاية في وقتها فإن أبا عمران الجوني لم يدرك زمان عمر .

(٥) أخرجه البخاري في : التفسير ، باب : سورة ﴿ **هل أتاك حديث الغاشية** ﴾ (١٤٨/١) معلقًا ووصله ابن أبي حاتم كما في « الفتح » .

---

[١] - في ز : المري . وفي خ : المدني .
[٢] - في خ : بشار .
[٣] - سقط من ت .
[٤] - سقط من خ .

قريش تسميه في الربيع الشبرق ، وفي الصيف الضريع - قال عكرمة : وهو شجرة ذات شوك لاطئة بالأرض .

وقال البخاري[٦] : قال مجاهد : الضريع نبت يقال له الشبرق ، يسميه أهل الحجاز الضريع إذا يبس ، وهو سم .

وقال معمر عن قتادة : ﴿ **إلّا من ضريع** ﴾ هو الشبرق إذا يبس سُمّيَ الضريع .

وقال سعيد ، عن قتادة : ﴿ **ليس لهم طعام إلا من ضريع** ﴾ : من شر الطعام وأبشعه وأخبثه .

وقوله : ﴿ **لا يسمن ولا يغني من جوع** ﴾ يعني : لا يحصل به مقصود ، ولا يندفع به محذور .

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾

لما ذكر حال الأشقياء ، ثنىٰ بذكر السعداء فقال : ﴿ **وجوه يومئذ** ﴾ ، أي : يوم القيامة ﴿ **ناعمة** ﴾ ، أي : يعرف النعيم فيها . وإنما حصل لها ذلك بسعيها .

وقال سفيان : ﴿ **لسعيها راضية** ﴾ : قد رضيت عملها .

وقوله : ﴿ **في جنة عالية** ﴾ ، أي : رفيعة بهية في الغرفات آمنون ، ﴿ **لا تسمع فيها لاغية** ﴾ ، أي : لا يسمع في الجنة التي هم فيها كلمة لغو . كما قال : ﴿ **لا يسمعون فيها لغوًا إلا سلامًا** ﴾ وقال : ﴿ **لا لغو فيها ولا تأثيم** ﴾ ، وقال : ﴿ **لا يسمعون فيها لغوًا ولا تأثيمًا . إلا قيلًا سلامًا سلامًا** ﴾ .

﴿ **فيها عين جارية** ﴾ ، أي : سارحة . وهذه نكرة في سياق الإثبات ، وليس المراد بها عينًا واحدة ، وإنما هذا جنس ، يعني : فيها عيون جاريات .

وقال ابن أبي حاتم[٧] : قرئ علىٰ الربيع بن سليمان : حدثنا أسد بن موسىٰ ، حدثنا ابن ثوبان ، عن عطاء بن قرة ، عن عبد الله بن ضمرة ، عن أبي هريرة قال : قال النبي صلىٰ الله

(٦) أخرجه البخاري في الموضع السابق .

(٧) أخرجه ابن حبان (٣٤٣/٨ - موارد) (٢٦٢٢) من طريق أسد بن موسى بنحو ذلك وحسنه حسين أسد.

عليه وسلم : « **أنهار الجنة تفجر من تحت تلال - أو : من تحت جبال - المسك** » .

﴿ **فيها سرر مرفوعة** ﴾ ، أي : عالية ناعمة كثيرة الفرش مرتفعة السمك ، عليها الحور العين . قالوا : فإذا أراد ولي الله أن يجلس علىٰ تلك السرر العالية تواضعت له . ﴿ **وأكواب موضوعة** ﴾ ، يعني : أواني الشراب معدة مرصدة لمن أرادها من أربابها . ﴿ **ونمارق مصفوفة** ﴾ ، قال ابن عباس : النمارق الوسائد . وكذا قال عكرمة ، وقتادة ، والضحاك ، والسدي ، والثوري ، وغيرهم .

وقوله : ﴿ **وزرابي مبثوثة** ﴾ قال ابن عباس : الزرابي : البسط . وكذا قال الضحاك وغير واحد .

ومعنىٰ مبثوثة ، أي : هاهنا وهاهنا لمن أراد الجلوس عليها .

ونذكر هاهنا الحديث الذي رواه أبو بكر بن أبي داود(٨) : حدثنا عمرو بن عثمان ، حدثنا أبي ، عن محمد بن مهاجر ، عن الضحاك المعافري ، عن سليمان بن موسىٰ : حدثني كريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم « **ألا هل من**[١] **مشمر للجنة فإن الجنة لا خطر**[٢] **لها ، هي - ورب الكعبة - نور تتلألأ**[٣] ، **وريحانة تهتز ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، وثمرة نضيجة ، وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة ، ومقام في أبد في دار سليمة ، وفاكهة وخضرة ، وحبرة ونعمة ، في محلة عالية بهية** ؟ » . قالوا : نعم يا رسول الله ، نحن المشمرون لها . قال : « **قولوا : إن شاء الله** » . [قال القوم : إن شاء الله][٤] .

ورواه ابن ماجة(٩) عن العباس بن[٥] عثمان الدمشقي ، عن الوليد بن مسلم ، عن محمد بن مهاجر به .

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى

---

(٨) أخرجه ابن حبان (١٦/٣٨٩)(٧٣٨١) من طريق المعافري ، وانظر التالى.

(٩) أخرجه ابن ماجة في كتاب : الزهد ، باب : صفة الجنة ، حديث (٤٣٣٢) (٢/١٤٤٨) . قال البوصيري في الزوائد (٣/٣٢٥) : هذا إسناد فيه مقال ؛ الضحاك المعافري ذكره ابن حبان في الثقات . وقال الذهبي في طبقات التهذيب كتاب مجمهول . وسليمان بن موسى الأموى مختلف فيه ، وباقى الإسناد ثقات .

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ز ، خ : حصر .

[٣] - في ت : يتلألأ .

[٤] - سقط من ز ، خ .

[٥] - في ز ، خ : عن .

ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

يقول تعالىٰ آمرًا عباده بالنظر في مخلوقاته الدالة علىٰ قدرته وعظمته : ﴿ **أفلا ينظرون إلىٰ الإبل كيف خلقت** ﴾ ، فإنها خلق عجيب ، وتركيبها غريب ، فإنها في غاية القوة والشدة ، وهي مع ذلك تلين للحمل الثقيل ، وتنقاد للقائد الضعيف ، وتؤكل ، وينتفع بوبرها ، ويشرب لبنها . ونبهوا بذلك لأن العرب غالب دوابهم كانت الإبل ، وكان شريح القاضي يقول : اخرجوا بنا حتىٰ ننظر إلىٰ الإبل كيف خلقت ، وإلىٰ السماء كيف رفعت ؟ أي : كيف رفعها اللَّه - عز وجل - عن الأرض هذا الرفع العظيم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **أفلم ينظروا إلىٰ السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج** ﴾ .

﴿ **وإلىٰ الجبال كيف نصبت** ﴾ ، أي : جعلت منصوبة قائمة ثابتة راسية لئلا تميد الأرض بأهلها ، وجعل فيها ما جعل من المنافع والمعادن .

﴿ **وإلىٰ الأرض كيف سطحت** ﴾ ، أي : كيف بسطت ومدت ومهدت ، فنبَّه البدوي علىٰ الاستدلال بما يشاهده من بعيره الذي هو راكب عليه ، والسماء التي فوق رأسه ، والجبل الذي تجاهه ، والأرض التي تحته علىٰ قدرة خالق ذلك وصانعه ، وأنه الرب العظيم الخالق المتصرف المالك[١] ، وأنه الإله الذي لا يستحق العبادة سواه . وهكذا أقسم « **ضمام** » في سؤاله علىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم كما رواه الإمام أحمد(١٠) حيث قال :

حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس قال : كنا نهينا أن نسأل رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم عن شيء ، فكان[٢] يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع ، فجاء رجل من أهل البادية فقال : يا محمد ، إنه أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن اللَّه أرسلك ؟ قال : « **صدق** » . قال : فمن خلق السماء ؟ قال : « **اللَّه** » . قال : فمن خلق الأرض ؟ قال : « **اللَّه** » . قال : فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل ؟ قال : « **اللَّه** » . قال : فبالذي خلق السماء والأرض ونصب هذه الجبال ، آللَّه أرسلك ؟ قال : « **نعم** » . قال : وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا ؟ قال : « **صدق** » . قال : فبالذي أرسلك ، آللَّه أمرك بهذا ؟ قال : « **نعم** » . قال : وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا ؟ قال : « **صدق** » . قال : فبالذي أرسلك ، آللَّه أمرك

(١٠) المسند (١٤٣/٣) (١٢٤٧٩) وهو مروى بالمعنى .

[١] - في ز : الملك . [٢] - في ز : وكان .

بهذا ؟ قال : « نعم » . قال : وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلًا ؟ قال : « صدق » . قال : ثم ولّىٰ فقال : والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن شيئًا ولا أنقص منهن شيئًا . فقال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « إن صدق ليدخلن الجنة » .

وقد رواه مسلم(١١) ، عن عمرو الناقد ، عن أبي النضر هاشم بن القاسم ، به . وعلقه البخاري(١٢) ، ورواه الترمذي(١٣) والنسائي ، [من حديث سليمان بن المغيرة ، به . ورواه الإمام أحمد(١٤) والبخاري ، وأبو داود والنسائي وابن ماجة][١] ، من حديث الليث بن سعد ، عن سعيد المقبري ، عن شريك بن عبد اللّٰه بن أبي نمر ، عن أنس ، به بطوله ، وقال في آخره : وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر .

وقال الحافظ أبو[٢] يعلىٰ : حدثنا إسحاق ، حدثنا عبد اللّٰه بن جعفر ، حدثني عبد اللّٰه بن دينار ، عن ابن عمر قال : كان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كثيرًا ما كان يحدث عن امرأة في الجاهلية علىٰ رأس جبل ، معها ابن لها ترعىٰ غنمًا ، فقال لها ابنها : يا أمه ، من خلقك ؟ قالت : اللّٰه . قال : فمن خلق أبي ؟ قالت : اللّٰه . قال : فمن خلقني ؟ قالت : اللّٰه قال : فمن خلق السماء ؟ قالت : اللّٰه . قال : فمن خلق الأرض ؟ قالت : اللّٰه . قال : فمن خلق الجبل ؟ قالت : اللّٰه . قال : فمن خلق هذه الغنم ؟ قالت : اللّٰه . قال : إني لأسمع للّٰه شأنًا . وألقىٰ نفسه من الجبل فتقطع .

قال ابن عمر : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرًا ما يحدثنا هذا[٣] .

---

(١١) صحيح مسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : السؤال عن أركان الإسلام ، حديث (١٠/١٢) (١/٢٣٧ - ٢٤٠) .

(١٢) صحيح البخاري في كتاب : العلم ، باب : ما جاء في العلم وقوله تعالى : ﴿ وقل رب زدني علمًا ﴾ (١/١٤٨) .

(١٣) سنن الترمذي في كتاب : الزكاة ، باب : ما جاء إذا أديت الزكاة فقد قضيت ما عليك ، حديث (٦١٩) (٢/١٩٩) . والنسائي في الكبرى في كتاب : العلم ، باب : العرض على العالم ، حديث (٥٨٦٣) (٣/٤٣٧ - ٤٣٨) .

(١٤) أخرجه أحمد (٣/١٦٨) (١٢٧٤٢) . والبخاري في كتاب : العلم ، باب : ما جاء في العلم ، وقوله تعالى : ﴿ وقل رب زدني علمًا ﴾ ، حديث (٦٣) (١/١٤٨ - ١٤٩) . وأبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : ما جاء في المشرك يدخل المسجد ، حديث (٤٨٦) (١/١٣١) . والنسائي (٤/١٢٢ - ١٢٣) كتاب : الصيام ، باب : وجوب الصيام . وابن ماجة في كتاب : الإقامة ، باب : ما جاء في فرض الصلوات الخمس والمحافظة عليها ، حديث (١٤٠٢) (١/٤٤٩ - ٤٥٠) .

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ . [٢] - في ز : ابن .

[٣] - في ت : بهذا .

قال ابن دينار : كان ابن عمر كثيرًا ما يحدثنا بهذا .

في إسناده ضعف ، وعبد الله بن جعفر هذا هو المديني ضعّفه ولده الإمام علي بن المديني وغيره .

وقوله : ﴿ **فذكر إنما أنت مذكر * لست عليهم بمسيطر** ﴾ ، أي : فذكر يا محمد الناس بما أرسلت به إليهم ، فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ؛ ولهذا قال : ﴿ **لست عليهم بمسيطر** ﴾ ، قال ابن عباس ، ومجاهد ، وغيرهما : لست عليهم بجبار .

وقال ابن زيد : لست بالذي تكرههم على الإيمان .

قال الإمام أحمد[١٥] : حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يقولوا : لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم علىٰ الله عز وجل** » . ثم قرأ : ﴿ **فذكر إنما أنت مذكر * لست عليهم بمسيطر** ﴾ .

وهكذا رواه مسلم في كتاب « **الإيمان** » ، والترمذي والنسائي في كتابي « **التفسير** » من سننيهما ، من حديث سفيان بن سعيد الثوري ، به بهذه الزيادة . وهذا الحديث مخرج في الصحيحين[١٦] من رواية أبي هريرة ، بدون ذكر هذه الآية .

وقوله : ﴿ **إلا من تولىٰ وكفر** ﴾ ، أي : تولىٰ عن العمل بأركانه ، وكفر بالحق بجنانه ولسانه . وهذه كقوله : ﴿ **فلا صدق ولا صلىٰ * ولكن كذب وتولىٰ** ﴾ ؛ ولهذا قال : ﴿**فيعذبه الله العذاب الأكبر**﴾ قال الإمام أحمد[١٧] :

حدثنا قتيبة ، حدثنا ليث ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن علي بن خالد ؛ أن أبا أمامة الباهلي مر علىٰ خالد بن يزيد بن معاوية ، فسأله عن ألين كلمة سمعها من رسول الله صلىٰ الله

---

(١٥) المسند (٣/٣٠٠) (١٤٢٥٠) . وأخرجه مسلم في كتاب : الإيمان، باب : الأمر بقتال الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله، محمد رسول الله ﷺ ... ، حديث (٢١/٣٥) (١/٢٩١ - ٢٩٢) . والترمذي في كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة الغاشية ، حديث (٣٣٣٨) (٩/٧٤) ، وقال حسن صحيح . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : سورة الغاشية ، حديث (١١٦٧٠) (٦/٥١٤) .

(١٦) أخرجه البخاري في كتاب : الجهاد، باب : دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام، حديث (٢٩٤٦) (٦/ ١١١ - ١١٢) . ومسلم في كتاب : الإيمان ، باب : الأمر بقتال الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ﷺ ... ، حديث (٢١/٣٣) (١/٢٩٠) . كلاهما من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب عنه به .

(١٧) أخرجه أحمد (٥/٢٥٨) (٢٢٣٢٦) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٠/٤٠٦) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير علي بن خالد الدولي وهو ثقة .

عليه وسلم، فقال : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ يقول : « **ألا كلكم يدخل الجنة ، إلا من شرد علىٰ الله شراد البعير علىٰ أهله** » .

تفرد بإخراجه الإمام أحمد ، وعلي بن خالد، هذا ذكره ابن أبي حاتم عن أبيه ، ولم يزد علىٰ ما هاهنا : روىٰ عن أبي أمامة ، وعنه سعيد بن أبي هلال .

وقوله : ﴿ **إن إلينا إيابهم** ﴾ ، أي : مرجعهم ومنقلبهم ، ﴿ **ثم إن علينا حسابهم** ﴾ ، أي : نحن نحاسبهم علىٰ أعمالهم ونجازيهم بها ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًّا فشر .

[آخر تفسير سورة الغاشية ، ولله الحمد والمنة] .

☆ ☆ ☆

[تفسير] سورة الفجر

[وهي مكية]

قال النسائي(١) : أخبرنا عبد الوهاب بن الحكم ، أخبرني يحيىٰ بن سعيد ، عن سليمان ، عن[١] محارب بن دثار وأبي صالح ، عن جابر؛ قال : صلىٰ معاذ صلاة ، فجاء رجل فصلىٰ معه فطول ، فصلىٰ في ناحية المسجد ثم انصرف ، فبلغ ذلك معاذًا[٢] فقال : منافق . فذكر ذلك لرسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فسأل[٣] الفتىٰ ، فقال : يا رسول اللَّه ؛ [جئت أصلي معه فطول][٤] عليَّ ، فانصرفت وصليت في ناحية المسجد ، فعلفت ناضحي . فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أفتان[٥] يا معاذ ؟ أين أنت من ﴿ سبح اسم ربك الأعلىٰ ﴾** - و﴿**الشمس وضحاها** ﴾ و ﴿ **الفجر** ﴾ - و ﴿ **الليل إذا يغشىٰ** ﴾ » .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾

أما الفجر فمعروف ، وهو الصبح . قاله علي وابن عباس[٦] ، ومجاهد ، وعكرمة ، والسدي .

وعن مسروق ، ومجاهد ، ومحمد بن كعب : المراد به فجر يوم النحر خاصة ، وهو خاتمة الليالي العشر .

وقيل المراد بذلك الصلاة التي تفعل عندهم ، كما قاله عكرمة .

(١) أخرجه النسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : و« الشفع » ، حديث (١١٦٧٣) (٦/٥١٥) .

[١] - في ز ، خ : ابن .
[٢] - في ز : معاذ .
[٣] - في ز ، خ : قال .
[٤] - في ز : « حيث أصلي معه يطول » .
[٥] - في ز : أفتانا .
[٦] - بياض في ز ، خ .

وقيل : المراد به جميع النهار . وهو رواية عن ابن عباس .

والليالي العشر : المراد بها عشر ذي الحجة . كما قاله ابن عباس وابن الزبير ، ومجاهد وغير واحد من السلف والخلف . وقد ثبت في صحيح البخاري(٢) ، عن ابن عباس مرفوعًا : « **ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيهن [ ][١] من هذه الأيام** » - يعني : عشر ذي الحجة - قالوا : ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : « **ولا الجهاد في سبيل الله ، إلا رجلًا خرج بنفسه وماله ، ثم لم يرجع من ذلك بشيء** » . وقيل : المراد بذلك العشر الأول من المحرم ، حكاه أبو جعفر بن جرير ولم يعزه إلىٰ أحد .

وقد روىٰ أبو كدينة ، عن قابوس بن أبي ظبيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ﴿ **وليال عشر** ﴾ ، قال : هو العشر الأول من رمضان .

والصحيح القول الأول ؛ قال الإمام أحمد(٣) :

حدثنا زيد[٢] بن الحباب ، حدثنا عياش بن عقبة ، حدثني خير بن نعيم[٣] ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **إن العشر عشر الأضحىٰ ، والوتر يوم عرفة ، والشفع يوم النحر** » .

ورواه النسائي عن محمد بن رافع وعبدة بن عبد الله ، كل منهما عن زيد بن الحباب ، به .

ورواه ابن جرير(٤) وابن أبي حاتم ، من حديث زيد بن الحباب به . [وهذا إسناد رجاله لا بأس بهم وعندي أن المتن في رفعه نكارة ، والله أعلم][٤] .

وقوله : ﴿ **والشفع والوتر** ﴾ قد تقدم في هذا الحديث أن الوتر يوم عرفة ، لكونه التاسع ، وأن الشفع يوم النحر لكونه العاشر . وقاله ابن عباس ، وعكرمة ، والضحاك أيضًا .

(قول ثان) ، وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثني عقبة بن خالد ، عن واصل بن السائب قال : سألت عطاء عن قوله : ﴿ **والشفع والوتر** ﴾ ، قلت[٥] : صلاتنا

---

(٢) أخرجه البخاري في كتاب : العيدين ، باب : فضل العمل في أيام التشريق ، حديث (٩٦٩) (٢/٢/ ٤٥٧) ولفظه «ما العمل في أيام العشر أفضل من العمل في هذه ... » الحديث . وقد بين ابن حجر في شرحه الروايات الواردة في ذلك وأزال الإشكال الوارد في هذه الرواية فليراجع فإن فيه فوائد جمة .

(٣) المسند (٣/٣٢٧) (١٤٥٥٣) . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، سورة الفجر ، حديث (١١٦٧١ ، ١١٦٧٢) (٦/٥١٤) .

(٤) تفسير الطبري (٣٠/١٦٩) طرفًا منه .

---

[١] - في ز ، خ : العمل .

[٢] - في خ : يزيد .

[٣] - في ز : أحيم .

[٤] - ما بين المعكوفين سقط من ت .

[٥] - في ز : قال .

وترنا هذا ؟ قال : لا ، ولكن الشفع يوم عرفة والوتر ليلة الأضحى .

(قول ثالث) ، و[١] قال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عامر بن إبراهيم الأصبهاني ، حدثني أبي ، عن النعمان - يعني ابن عبد السلام - عن أبي سعيد بن عوف ، حدثني بمكة قال : سمعت عبد اللّٰه بن الزبير يخطب الناس ، فقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، أخبرني عن الشفع والوتر . فقال : الشفع قول اللّٰه عز وجل : ﴿ **فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه** ﴾ ، والوتر قوله : ﴿ **ومن تأخر فلا إثم عليه** ﴾ .

وقال ابن جريج[٢] : أخبرني محمد بن المرتفع أنه سمع ابن الزبير يقول : الشفع أوسط أيام التشريق ، والوتر آخر أيام التشريق .

وفي الصحيحين(٥) من رواية أبي هريرة ، عن رسول اللّٰه - صلى اللّٰه عليه وسلم - : « **إن للّٰه تسعة وتسعين اسمًا ، مائة إلا واحدًا ، من أحصاها دخل الجنة ، وهو وتر يحب الوتر** » .

(قول رابع) ، قال الحسن البصري ، وزيد بن أسلم : الخلق كلهم شفع ، ووتر ، أقسم تعالىٰ بخلقه . وهو رواية عن مجاهد ، والمشهور عنه الأول .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : ﴿ **والشفع والوتر** ﴾ ، قال : اللّٰه وتر واحد ، وأنتم شفع . ويقال : الشفع صلاة الغداة ، والوتر : صلاة المغرب .

(قول خامس) ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا عبيد[٣] اللّٰه بن موسىٰ ، عن إسرائيل ، عن أبي يحيىٰ ، عن مجاهد : ﴿ **والشفع والوتر** ﴾ ، قال : الشفع الزوج ، والوتر : اللّٰه عز وجل .

وقال أبو عبد[٤] الله عن مجاهد : الله الوتر ، وخلقه الشفع ، الذكر[٥] والأنثىٰ .

وقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : ﴿ **والشفع والوتر** ﴾ : كل شيء خلقه اللّٰه شفع ، السماء والأرض ، والبر والبحر ، والجن والإنس ، والشمس والقمر ، ونحو هذا . ونحا مجاهد في هذا ما ذكروه في قوله تعالىٰ : ﴿ **ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون** ﴾ أي : لتعلموا أن خالق الأزواج واحد .

(قول سادس) ، قال قتادة ، عن الحسن : ﴿ **والشفع والوتر** ﴾ : هو العدد ، منه شفع ومنه

---

(٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة الفاتحة .

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز ، خ : جرير .
[٣] - في ز ، خ : عبد .
[٤] - في ز : عبيد .
[٥] - في ز : والذكر .

وتر .

(قول سابع) في الآية الكريمة رواه ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق ابن جريج ثم قال ابن جرير(٦) : وروي عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم خبر يؤيد القول الذي ذكرنا عن أبي[١] الزبير : حدثني عبد اللّٰه بن أبي زياد القطواني[٢] ، حدثنا زيد بن الحباب ، أخبرني عياش بن عقبة ، حدثني خير[٣] بن نعيم ، عن أبي الزبير ، عن جابر : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **الشفع اليومان ، والوتر اليوم الثالث** » .

هكذا أورد[٤] هذا الخبر بهذا اللفظ ، وهو مخالف لما تقدم من اللفظ في رواية أحمد والنسائي وابن أبي حاتم ، وما رواه هو أيضًا ، واللّٰه أعلم .

قال أبو العالية ، والربيع بن أنس ، وغيرهما : هي الصلاة ، منها شفع كالرباعية والثنائية ، ومنها وتر كالمغرب ، فإنها ثلاث ، وهي وتر النهار . وكذلك صلاة الوتر في آخر التهجد من[٥] الليل .

وقد قال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، عن عمران بن حصين : ﴿ **والشفع والوتر** ﴾ ، قال : هي الصلاة المكتوبة ، منها شفع ومنها وتر ، وهذا منقطع وموقوف ، ولفظه خاص بالمكتوبة . وقد روي متصلًا مرفوعًا إلى النبي صلى اللّٰه عليه وسلم ولفظه عام، قال الإمام أحمد(٧) :

حدثنا أبو داود هو الطيالسي ، حدثنا همام ، عن قتادة ، عن عمران بن عصام[٦] ؛ أن شيخًا حدثه من أهل البصرة ، عن عمران بن حصين ؛ أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم سئل عن الشفع والوتر ؛ فقال : « **هي الصلاة ، بعضها شفع ، وبعضها وتر** » .

هكذا وقع في المسند ، وكذا رواه ابن جرير(٨) عن بندار ، عن عفان وعن أبي كريب ، عن عبيد اللّٰه بن موسىٰ ، كلاهما[٧] عن همام - وهو ابن يحيىٰ - عن قتادة ، عن عمران بن عصام ، عن شيخ ، عن عمران بن حصين .

---

(٦) تفسير الطبري (١٧٢/٣٠) .
(٧) المسند (٤٣٧/٤) (١٩٩٧٣) .
(٨) تفسير الطبري (١٧٢/٣٠) .

---

[١] - في خ : ابن .
[٢] - في ز ، خ : القطناني .
[٣] - في ز ، خ : حر . وفي المطبوع من الطبري : جبير .
[٤] - في ت : ورد .
[٥] - في ز : في .
[٦] - في ز : عاصم .
[٧] - في ت : كليهما .

وكذا رواه أبو عيسىٰ الترمذي(٩) ، عن عمرو بن علي ، عن ابن مهدي وأبي داود ، كلاهما[١] عن همام ، عن قتادة ، عن عمران بن عصام ، عن رجل من أهل البصرة ، عن عمران بن حصين ، به . ثم قال : غريب ، لا نعرفه إلا من حديث قتادة ، وقد رواه خالد بن قيس [ ][٢] أيضًا عن قتادة .

وقد روي عن عمران بن عصام ، عن عمران نفسه، والله أعلم .

قلت : ورواه ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان الواسطي ، حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا همام ، عن قتادة ، عن عمران بن عصام الضبعي ، - شيخ من أهل البصرة - عن عمران ابن حصين ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ... فذكره ، هكذا رأيته في تفسيره ، فجعل الشيخ البصري هو عمران بن عصام .

وهكذا رواه ابن جرير(١٠) : حدثنا نصر بن علي ، حدثني أبي ، حدثني خالد بن قيس ، عن قتادة ، عن عمران بن عصام ، عن عمران بن حصين ، عن النبي- صلىٰ الله عليه وسلم في الشفع والوتر قال : « **هي الصلاة ، منها شفع ، ومنها وتر** » .

فأسقط ذكر الشيخ المبهم ، وتفرد به عمران بن عصام الضبعي أبو عمارة البصري ، إمام مسجد بني ضبيعة، وهو والد أبي جمرة[٣] نصر بن عمران الضبعي . روىٰ عنه قتادة ، وابنه أبو جمرة[٤] ، والمثنىٰ[٥] بن سعيد ، وأبو التياح يزيد بن حميد . وذكره ابن حبان في كتاب الثقات ، وذكره خليفة بن خياط في التابعين من أهل البصرة ، وكان شريفًا نبيلًا[٦] حظيًا عند الحجاج بن يوسف ، ثم قتله يوم الزاوية سنة ثلاث وثمانين لخروجه مع ابن الأشعث ، وليس له عند الترمذي سوىٰ هذا الحديث الواحد . وعندي أن وقفه علىٰ عمران بن حصين أشبه ، والله أعلم .

ولم يجزم ابن جرير بشيء من هذه الأقوال في الشفع والوتر .

وقوله : ﴿ **والليل إذا يسر** ﴾ ، قال العوفي ، عن ابن عباس : أي إذا ذهب .

وقال عبد الله بن الزبير: ﴿ **والليل إذا يسر[٧]** ﴾ حتىٰ يذهب بعضه بعضًا .

---

(٩) سنن الترمذي ، كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة الفجر ، حديث (٣٣٣٩) (٩/ ٧٠) .

(١٠) تفسير الطبري (٣٠/ ١٧٢) .

---

[١] - في ت : كليهما .
[٢] - في ز : بن قيس . كذا .
[٣] - في ز ، خ : حمزة .
[٤] - في ز ، خ : حمزة .
[٥] - في ز : وأنس .
[٦] - سقط من ز ، خ .
[٧] - في ز : يسري . وكذلك في كل موضع تذكر فيه بعد ذلك .

وقال مجاهد، وأبو العالية، وقتادة، ومالك، عن زيد بن أسلم وابن زيد: ﴿ **والليل إذا يسر** ﴾: إذا سار.

وهذا يمكن[١] حمله على ما قال ابن عباس، أي: ذهب. ويحتمل أن يكون المراد إذا سار، أي: أقبل. وقد يقال: إن هذا أنسب، لأنه في مقابلة قوله: ﴿ **والفجر** ﴾، فإن الفجر هو إقبال النهار وإدبار الليل، فإذا حمل قوله: ﴿ **والليل إذا يسر** ﴾، على إقباله كان قسمًا بإقبال الليل وإدبار النهار. وبالعكس، كقوله: ﴿ **والليل إذا عسعس * والصبح إذا تنفس** ﴾. وكذا قال الضحاك: ﴿ **إذا يسر** ﴾ أي: يجري.

وقال عكرمة: ﴿ **والليل إذا يسر** ﴾، يعني: ليلة جمع[٢]. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم.

ثم قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن عصام، حدثنا أبو عامر، حدثنا كثير بن عبد الله ابن عمرو قال: سمعت محمد بن كعب القرظيَّ، يقول في قوله: ﴿ **والليل إذا يسر** ﴾، قال: اسر يا سار[٣] ولا تبيتن إلا بجَمْع.

وقوله: ﴿ **هل في ذلك قسم لذي حجر** ﴾، أي: لذي عقل ولب وحجًا[٤]، وإنما سمى العقل حجْرًا لأنه يمنع الإنسان من[٥] تعاطي ما لا يليق به من الأفعال والأقوال، ومنه حِجْر البيت لأنه يمنع الطائف من اللصوق بجداره الشامي. ومنه حجر اليمامة، وحَجَرَ الحاكم على فلان: إذا منعه التصرف، ﴿ **ويقولون حجرًا محجورًا** ﴾، كل هذا من قبيل واحد، ومعنى متقارب، وهذا القسم هو بأوقات العبادة، وبنفس العبادة من حج وصلاة وغير ذلك من أنواع القرب التي يتقرب بها المتقون المطيعون له، الخائفون منه، المتواضعون[٦] لديه، الخاشعون لوجهه الكريم.

ولما ذكر هؤلاء وعبادتهم وطاعتهم قال بعده: ﴿ **ألم تر كيف فعل ربك بعاد؟** ﴾، وهؤلاء كانوا متمردين عتاة جبارين، خارجين عن طاعته مكذبين لرسله، جاحدين لكتبه، فذكر تعالى كيف أهلكهم ودمرهم، وجعلهم أحاديث وعِبَرًا: فقال: ﴿ **ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد** ﴾: وهؤلاء عاد الأولى، وهم أولاد عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح، قاله ابن إسحاق، وهم الذين بعث الله[٧] فيهم رسوله هودًا - عليه السلام - فكذبوه وخالفوه، فأنجاه الله من بين أظهرهم، ومن آمن معه منهم، وأهلكهم بريح صرصر

---

[١] - في ز: ممكن.
[٢] - في ز: أجمع.
[٣] - في ز: ساري.
[٤] - في خ: وحجار.
[٥] - في ز: عن.
[٦] - في خ: الخاضعون.
[٧] - سقط من ز.

عاتية ، ﴿ **سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسومًا * فترىٰ القوم فيها صرعىٰ * كأنهم أعجاز نخل خاوية * فهل ترىٰ لهم من باقية** ﴾ . وقد ذكر الله قصتهم في القرآن في غير ما موضع ؛ ليعتبر بمصرعهم المؤمنون .

فقوله تعالىٰ : ﴿ **إرم ذات العماد** ﴾ : عطف بيان ، زيادة تعريف بهم .

وقوله : ﴿ **ذات العماد** ﴾ لأنهم كانوا يسكنون بيوت الشَّعر التي ترفع بالأعمدة الشداد ، وقد كانوا أشد الناس في زمانهم خلقة وأقواهم بطشًا ؛ ولهذا ذكرهم هود[١] بتلك النعمة ، وأرشدهم إلىٰ أن يستعملوها في طاعة ربهم الذي خلقهم ، فقال : ﴿ **واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة ، فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **فأما[٢] عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة** ﴾ . وقال هاهنا : ﴿ **التي لم يخلق مثلها في البلاد** ﴾ ، أي : القبيلة التي لم يخلق مثلها في بلادهم ، لقوتهم وشدتهم وعظم تركيبهم .

قال مجاهد : إرم : أمة قديمة . يعني عادًا الأولىٰ ، كما قال قتادة بن دعامة ، والسدي : إن إرم بيت مملكه[٣] عاد . وهذا قول حسن جيد قوي .

وقال مجاهد وقتادة والكلبي في قوله : ﴿ **ذات العماد** ﴾ كانوا أهل عمود لا يقيمون .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : إنما قيل لهم : ﴿ **ذات العماد** ﴾ لطولهم .

واختار الأول ابن جرير ، ورد الثاني فأصاب .

وقوله : ﴿ **التي لم يخلق مثلها في البلاد** ﴾ : أعاد ابن زيد الضميرَ علىٰ العماد ، لارتفاعها ، وقال : بنوا عُمُدًا بالأحقاف لم يخلق مثلها في البلاد . وأما قتادة وابن جرير فأعاد الضمير علىٰ القبيلة ، أي : لم يخلق مثل تلك القبيلة في البلاد ، يعني في زمانهم . وهذا القول هو الصواب ، وقول ابن زيد ومن ذهب مذهبه - ضعيف ، لأنه لو كان أراد ذلك لقال : التي لم يعمل مثلها في البلاد ، وإنما قال : ﴿ **لم يخلق مثلها في البلاد** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم(١١) : حدثنا أبي ، حدثنا أبو صالح كاتب الليث ، حدثني معاوية بن صالح ، عمن حدثه عن المقدام ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر : ﴿ **إرم ذات العماد** ﴾ فقال : « **كان الرجل منهم يأتي على الصخرة فيحملها على الحي فيهلكهم** » .

---

(١١) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٥٨٣/٦) وزاد نسبته إلى ابن مردويه .

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز : وأما . كذا .
[٣] - في ت : مملكة .

ثم قال ابن أبي حاتم : حدثنا عليّ بن الحسين ، حدثنا أبو الطاهر ، حدثنا أنس بن عياض ، عن ثور بن زيد الديلي . قال : قرأت كتابًا - قد سمىٰ حيث قرأه - : أنا شداد بن عاد ، وأنا الذي رفعت العماد ، وأنا الذي شددت بذراعي نظر واحد، وأنا الذي كنزت كنزًا على سبعة أذرع ، لا يخرجه إلا أمة محمد صلى اللّه عليه وسلم .

قلت : فعلىٰ كل قول سواء كانت العماد أبنية بنوها ، أو أعمدة بيوتهم للبدو ، أو سلاحًا يقاتلون به ، أو طول الواحد منهم فهم قبيلة وأمة من الأمم ، وهم المذكورون في القرآن في غير ما موضع ، المقرونون بثمود كما هاهنا ، واللّه أعلم .

ومن زعم أن المراد بقوله : ﴿ **إرم ذات العماد** ﴾ مدينة إما دمشق ، كما روي عن سعيد بن المسيب وعكرمة - أو إسكندرية كما روي عن القُرَظي - أو غيرهما - ففيه نظر ، فإنه كيف يلتئم الكلام علىٰ هذا : ﴿ **ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد** ﴾ ، إن جعل ذلك بدلًا أو عطف بيان ، فإنه لا يتسق الكلام حينئذ . ثم المراد إنما هو الإخبار عن إهلاك القبيلة المسماة بعاد ، وما أحل اللّه بهم من بأسه الذي لا يرد ، لا أن المراد الإخبار عن مدينة أو إقليم .

وإنما نبهت علىٰ ذلك[١] لئلا يغتر بكثير مما ذكره جماعة من المفسرين عند هذه الآية ، من ذكر مدينة يقال لها : ﴿ **إرم ذات العماد** ﴾ ، مبنية بلبن الذهب والفضة ، قصورها ودورها وبساتينها ، وأن حصباءها لآلئ وجواهر ، وترابها بنادق المسك ، وأنهارها سارحة ، وثمارها ساقطة ، ودورها لا أنيس بها ، وسورها وأبوابها تصفر ، ليس بها داع ولا مجيب . وأنها تنتقل فتارة تكون بأرض الشام ، وتارة باليمن ، وتارة بالعراق ، وتارة بغير ذلك من البلاد فإن هذا كله من خرافات الإسرائيليين ، من وضع بعض زنادقتهم ، ليختبروا بذلك عقول الجهلة من الناس أن تصدقهم في جميع ذلك .

وذكر الثعلبي وغيره أن رجلًا من الأعراب - وهو عبد اللّه بن قلابة - في زمان معاوية ذهب في طلب أباعر له شردت ، فبينما هو يتيه في ابتغائها ، إذ اطلع علىٰ مدينة عظيمة لها سور وأبواب ، فدخلها فوجد فيها قريبًا مما ذكرناه من صفات المدينة الذهبية التي تقدم ذكرها ، وأنه رجع فأخبر الناس ، فذهبوا معه إلىٰ المكان الذي قال فلم يروا شيئًا .

وقد ذكر ابن أبي حاتم قصة ﴿ **إرم ذات العماد** ﴾ هاهنا مطولة جدًّا ، فهذه الحكاية ليس يصح إسنادها ، ولو صح إلىٰ ذلك الأعرابي فقد يكون اختلق ذلك ، أو أنه أصابه نوع من الهَوَس والخبال ، فاعتقد أن ذلك له حقيقة في الخارج ، وليس كذلك ، وهذا مما يقطع بعدم صحته ، وهذا قريب مما يخبر به كثير من الجهلة والطامعين والمتحيلين ، من وجود مطالب تحت الأرض ، فيها قناطير الذهب والفضة ، وألوان الجواهر واليواقيت واللآلئ والإكسير الكبير ، لكن

[١] - في ز : هذا .

عليها موانع تمنع من الوصول إليها والأخذ منها ، فيحتالون على أموال الأغنياء والضعفة والسفهاء ، فيأكلونها بالباطل في صرفها في بخاخير وعقاقير ونحو ذلك من الهذيانات ، ويَطْنزُون بهم . والذي يجزم به أن في الأرض دفائن جاهلية وإسلامية وكنوزًا كثيرة ، من ظفر بشيء منها أمكنه تحويله ، فأما[١] على الصفة التي زعموها فكذب وافتراء وبهت ، ولم يصح في ذلك شيء مما يقولونه إلا عن نقلهم أو نقل من أخذ عنهم ، والله سبحانه وتعالى الهادي للصواب .

وقول ابن جرير: يحتمل أن يكون المراد بقوله: ﴿ **إرم** ﴾ قبيلة أو بلدة كانت عاد تسكنها ، فلذلك[٢] لم تصرف - فيه نظر ؛ لأن المراد من السياق إنما هو الإخبار عن القبيلة ؛ ولهذا قال بعده : ﴿ **وثمود الذين جابوا الصخر بالواد** ﴾ ، يعني يقطعون الصخر بالوادي[٣] . قال ابن عباس : ينحتونها ويخرقونها . وكذا قال مجاهد وقتادة ، والضحاك وابن زيد ، ومنه يقال « **مُجْتابي النّمار** » إذا خرقوها ، واجتاب الثوب : إذا [فتحه . و][٤] منه الجيب أيضًا . وقال الله تعالى : ﴿ **وتنحتون من الجبال بيوتًا فارهين** ﴾ .

وأنشد ابن جرير وابن أبي حاتم هاهنا قول الشاعر:

ألا كُلّ شيء - ما خَلَا اللّه - بائد كَما بَاد حَيّ من شنيف ومارد
هم ضربوا في كل صماء صعدة بأيد شداد أيدات السواعد

وقال ابن إسحاق : كانوا عربًا ، وكان منزلهم بوادي القرى . وقد ذكرنا [قصة عاد][٥] مستقصاة في سورة الأعراف ، بما أغنى عن إعادته .

وقوله : ﴿ **وفرعون ذي الأوتاد** ﴾ ، قال العوفي ، عن ابن عباس : الأوتاد : الجنود الذين يشدون له أمره . ويقال : كان فرعون يوتد أيديهم وأرجلهم في أوتاد من حديد يعلقهم بها . وكذا قال مجاهد : كان يوتد الناس بالأوتاد ، وهكذا قال سعيد بن جبير والحسن والسدي . قال السدي : كان يربط الرجل ، [ ][٦] كل قائمة من قوائمه في وتد ، ثم يرسل عليه صخرة عظيمة فتشدخه .

وقال قتادة : بلغنا أنه كانت له مطال وملاعب ، يُلْعَب له تحتها ، من أوتاد وحبال .

وقال ثابت البناني ، عن أبي رافع : قيل لفرعون ذي الأوتاد ، لأنه ضرب لامرأته أربعة أوتاد ، ثم جعل على ظهرها رحى عظيمة حتى ماتت .

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز : فكذلك .
[٣] - في ز : بالواد .
[٤] - في ز : فتحت .
[٥] - في ز : قصته .
[٦] - في ز : في .

وقوله : ﴿ **الذين طغوا في البلاد * فأكثروا فيها الفساد** ﴾ ، أي : تمردوا وعتوا وعاثوا في الأرض بالإفساد والأذية للناس ، ﴿ **فصب عليهم ربك سوط عذاب** ﴾ ، أي : أنزل عليهم رجزًا من السماء ، وأحل بهم عقوبة لا يَرُدّها عن القوم المجرمين .

وقوله : ﴿ **إن ربك لبالمرصاد** ﴾ قال ابن عباس : يسمع ويرىٰ .

يعني : يرصد خلقه فيما يعملون ، ويجازي كلًّا بسعيه في الدنيا والأخرىٰ ، وسيعرض الخلائق كلهم عليه ، فيحكم فيهم بعدله ، ويقابل كلًّا بما يستحقه . وهو المنزه عن الظلم والجور .

وقد ذكر ابن أبي حاتم هاهنا حديثًا غريبًا جدًّا - وفي إسناده نظر و[١] في صحته - فقال : حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن أبي الحواري ، حدثنا يونس الحذاء ، عن أبي حمزة البيساني ، عن معاذ بن جبل قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **يا معاذ ، إن المؤمن لدىٰ الحق أسير . يا معاذ ، إن المؤمن لا يسكن روعه ، ولا يأمن اضطرابه حتىٰ يُخلّف جسر جهنم خلف ظهره . يا معاذ ، إن المؤمن قيده القرآن عن كثير من شهواته ، وعن أن يهلك فيها هو بإذن اللَّه - عز وجل - فالقرآن دليله ، والخوف محجته ، والشوق مطيته ، والصلاة كهفه ، والصوم جنته ، والصدقة فكاكه ، والصدق أميره ، والحياء وزيره ، وربه - عز وجل - من وراء ذلك كله بالمرصاد** » .

قال ابن أبي حاتم : [يونس الحذاء وأبو حمزة مجهولان ، وأبو حمزة عن معاذ مرسل . ولو كان عن أبي حمزة لكان حسنًا . أي : لو كان من كلامه لكان حسنًا . ثم قال ابن أبي حاتم][٢] :

حدثنا أبي ، حدثنا صفوان بن صالح ، حدثنا الوليد بن مسلم ، عن صفوان بن عمرو ، عن أيفع بن عبد الكلاعي ، أنه سمعه وهو يعظ الناس يقول : إن لجهنم سبع قناطر - قال : والصراط عليهن ، قال : - فيحبس الخلائق عند القنطرة الأولىٰ ، فيقول : ﴿ **قفوهم إنهم مسئولون** ﴾ ، قال : فيحاسبون علىٰ الصلاة ويُسألون عنها ، قال : فيهلك فيها من هلك ، وينجو من نجا ، فإذا بلغوا القنطرة الثانية حُوسبوا علىٰ الأمانة كيف أدوها ، وكيف خانوها ؟ قال : فيهلك من هلك وينجو من نجا ، فإذا بلغوا القنطرة الثالثة سُئلوا عن الرحم كيف وَصَلوها وكيف قطعوها ؟ قال : فيهلك من هلك وينجو من نجا ، قال : والرحم يومئذ متدلية[٣] إلىٰ الهُوِيّ في جهنم تقول : اللَّهم من وصلني فَصِلْه ، ومن قطعني فاقطعه ، قال : وهي التي يقول اللَّه عز وجل : ﴿ **إن ربك لبالمرصاد** ﴾ . [هكذا أورد هذا الأثر ولم يذكر تمامه][٤] .

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز : متدل .
[٤] - سقط من ت .

وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾

يقول تعالىٰ منكرًا علىٰ الإنسان في اعتقاده إذا وسع اللَّه عليه في الرزق ليختبره في ذلك، فيعتقد أن ذلك من اللَّه إكرام له وليس كذلك، بل هو ابتلاء وامتحان. كما قال تعالىٰ: ﴿ **أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين * نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون** ﴾. وكذلك في الجانب الآخر إذا ابتلاه وامتحنه[١] وضَيّق عليه في الرزق، يعتقد أن ذلك من اللَّه إهانة له. قال اللَّه: ﴿ **كلا** ﴾، أي: ليس الأمر كما زعم، لا في هذا ولا في هذا، فإن اللَّه يعطي المال [من يحب ومن لا يحب، ويضيق علىٰ من يحب ومن لا يحب][٢]، وإنما المدار في ذلك علىٰ طاعة اللَّه في كلّ من الحالين، إذا كان غنيًّا بأن يشكر اللَّه علىٰ ذلك، وإذا كان فقيرًا بأن يصبر.

وقوله: ﴿ **بل لا تكرمون اليتيم** ﴾، فيه أمر بالإكرام له، كما جاء في الحديث الذي رواه عبد اللَّه بن المبارك(١٢)، عن سعيد بن أبي[٣] أيوب، عن يحيىٰ بن أبي[٤] سليمان، عن زيد[٥] بن أبي عتاب[٦]، عن أبي هُرَيرة، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم: « **خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يُسَاء إليه - ثم قال بإصبعه أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا** ».

وقال أبو داود(١٣): حدثنا محمد بن الصباح بن سفيان، أخبرنا عبد العزيز - يعني: ابن

---

(١٢) أخرجه عبد الله بن المبارك في الزهد (ص ٢٣٠) (٦٥٤). وأخرجه ابن ماجة (٣٦٧٩) مختصرًا. قال البوصيري في « الزوائد » (١٦٥/٣): هذا إسناد ضعيف؛ يحيى بن سليمان - أبو صالح - قال فيه البخاري: منكر. وقال أبو حاتم: مضطرب الحديث. وذكره ابن حبان في الثقات.

(١٣) سنن أبي داود في كتاب: الأدب، باب: في من ضم اليتيم، حديث (٥١٥٠) (٣٣٨/٤). وأخرجه البخاري في كتاب: الطلاق، باب: اللعان، حديث (٥٣٠٤) (٤٣٩/٩) وطرفه في [٦٠٠٥].

---

[١] - في ز: فامتحنه.
[٢] - في خ: « لمن يحب ولا يحب ».
[٣] - سقط من ز.
[٤] - سقط من ز.
[٥] - في ز، خ: يزيد.
[٦] - في ز، خ: غياث.

أبي حازم[١] - حدثني أبي ، عن سهل - يعني : ابن سعيد[٢] - أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة** » . وقرن بين إصبعيه[٣] : الوسطىٰ والتي تلي الإبهام .

﴿ **ولا تحاضون[٤] علىٰ طعام المسكين** ﴾ ، يعني : لا يأمرون بالإحسان إلىٰ الفقراء والمساكين ، ويحث بعضهم علىٰ بعض في ذلك ، ﴿ **وتأكلون التراث** ﴾ يعني : الميراث ﴿ **أكلًا لمًّا** ﴾ ، أي : من أي جهة حصل لهم ، من حلال أو حرام ، ﴿ **وتحبون المال حبًّا جمًّا** ﴾ ، أي : كثيرًا - زاد بعضهم : فاحشًا .

كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾
وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ
يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ
﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى
عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾

يخبر تعالىٰ عما يقع يوم القيامة من الأهوال العظيمة ، فقال : ﴿ **كلا** ﴾ ، أي : حقًّا ﴿ **إذا دكت الأرض دكًا دكًا** ﴾ ، أي : وطئت ومهدت وسويت الأرض والجبال ، وقام الخلائق من قبورهم لربهم ، ﴿ **وجاء ربك** ﴾ ، يعني لفصل القضاء بين خلقه ، وذلك بعد ما يستشفعون إليه بسيد ولد آدم علىٰ الإطلاق محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم بعد ما يسألون أولي العزم [من الرسل][٥] واحدًا بعد واحد ، فكلهم يقول : لست بصاحب ذاكم ، حتىٰ تنتهي النوبة إلىٰ محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم فيقول : « **أنا لها ، أنا لها** » . فيذهب فيشفع عند اللَّه في أن يأتي لفصل القضاء فيشفعه[٦] اللَّه في ذلك ، وهي أول الشفاعات ، وهي المقام المحمود ، كما تقدم بيانه في سورة « **سبحان** » . فيجيء الرب تعالى لفصل القضاء كما يشاء ، والملائكة يجيئون بين يديه صفوفًا صفوفًا .

وقوله : ﴿ **وجيء يومئذ بجهنم** ﴾ ، قال الإمام مسلم بن الحجاج(١٤) في صحيحه : حدثنا

---

(١٤) صحيح مسلم في كتاب : الجنة ، باب : في شدة حر نار جنهم ، حديث (٢٨٤٢/٢٩) (٢٦١/١٧) .

---

[١] - في ز ، خ : حاتم .
[٢] - في ز ، خ : سعد .
[٣] - في ز : أصابعه .
[٤] - في ز : تحضون .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - في ز ، خ : فيستغفر .

عمر بن حفص بن غيَاث ، حدثنا أبي ، عن العلاء بن خالد[١] الكاهلي ، عن شقيق ، عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **يؤتىٰ بجهنم يومئذ لها سبعون ألف [زمام ، مع كل زمام سبعون ألف][٢] مَلَك يجرونها** » وهكذا رواه الترمذي(١٥) عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، عن عُمَر بن حفص ، به[٣] . ورواه أيضًا(١٦) عن عبد بن حُمَيد عن أبي عامر ، عن سفيان الثوري ، عن العلاء بن خالد ، عن شقيق بن سلمة - وهو أبو وائل - عن عبد الله بن مسعود ، قوله ولم يرفعه . وكذا رواه ابنُ جرير(١٧) ، عن الحسن ابن عرفة ، عن مَرْوان بن معاوية الفزاري ، عن العلاء بن خالد ، عن شقيق ، عن عبد الله ، قوله .

وقوله : ﴿ **يومئذ يتذكر الإنسان** ﴾ ، أي : عملَه وما كان أسلفه في قديم دهره وحديثه ، ﴿ **وأنّىٰ له الذكرىٰ** ﴾ ، أي : وكيف تنفعه الذكرىٰ ؟ يقول : ﴿ **يا ليتني قدمت لحياتي** ﴾ ، يعني : يندم علىٰ ما كان سلف منه من المعاصي - إن كان عاصيًا - ويود لو كان ازداد من الطاعات - [إن كان طائعًا][٤] - كما قال الإمام أحمد بن حنبل(١٨) :

حدثنا علي بن إسحاق ، حدثنا عبد الله - يعني : ابن المبارك - حدثنا ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان ، عن جبير بن نفير ، عن محمد بن أبي عَميرَة[٥] - وكان من أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم - قال : « **لو أن عبدًا خر علىٰ وجهه من يوم ولد إلىٰ أن يموت هَرِمًا[٦] في طاعة الله ، لَحَقِره يوم القيامة ، ولودّ أنه يُرَدّ إلىٰ الدنيا كيما[٧] يزداد مَن الأجر والثواب** » .

[وقد رواه أيضًا][٨] [بَحِيرُ بنُ سَعد(١٩)][٩] عن خالد بن معدان ، عن عتبة بن عبد[١٠]

(١٥) سنن الترمذي ، كتاب : صفة جنهم ، باب : ما جاء في صفة النار ، حديث (٢٥٧٦) (٧/٢٤٧) .
(١٦) سنن الترمذي في الموضع السابق .
(١٧) والطبري (٣٠/١٨٨) .
(١٨) المسند (٤/١٨٥) (١٧٧٠١) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٠/٢٢٨) : رواه أحمد موقوفًا ورجاله رجال الصحيح .
(١٩) المسند (٤/١٨٥) (١٧٧٠٠) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٠/٢٢٨) : رواه أحمد وإسناده جيد .

[١] - في ز : مخلد .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : عمرة .
[٦] - سقط من ز ، خ .
[٧] - في ز ، خ : كما .
[٨] - في ت : ورواه .
[٩] - بياض في ز ، خ .
[١٠] - في ز ، خ : عبيد .

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **فيومئذ لا يعذب عذابه أحد** ﴾ ، أي : ليس أحد[١] أشد عذابًا من تعذيب اللَّه من عصاه ، ﴿ **ولا يوثق وثاقه أحد** ﴾ ، أي : وليس أحد أشد قبضًا ووثقًا من الزبانية لمن كفر بربهم - عز وجل - هذا في حق المجرمين من الخلائق والظالمين ، فأما النفس الزكية المطمئنة وهي الساكنة الثابتة الدائرة مع الحق فيقال لها : ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلىٰ ربك** ﴾ ، أي : إلىٰ جواره وثوابه وما أعد لعباده في[٢] جنته ، ﴿ **راضية** ﴾ ، أي : في نفسها ﴿ **مرضية** ﴾ ، أي : قد رضيت عن اللَّه ورضي عنها وأرضاها ، ﴿ **فادخلي في عبادي** ﴾ ، أي : في جملتهم ، ﴿ **وادخلي جنتي** ﴾ . وهذا يقال لها عند الاحتضار ، وفي يوم القيامة أيضًا ، كما أن الملائكة يبشرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره ، وكذلك هاهنا .

ثم اختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية ، فروىٰ الضحاك ، عن ابن عباس : نزلت في عثمان بن عفان . وعن بُرَيدة بن الحُصَيب : نزلت في حَمزة بن عبد المطلب رضي اللَّه عنه .

وقال العَوفيّ ، عن ابن عباس : يقال للأرواح المطمئنة يوم القيامة : ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلىٰ ربك** ﴾ ، يعني صاحبك ، وهو بدنها الذي كانت تعمره في الدنيا ، ﴿ **راضية مرضية** ﴾ .

وروي عنه أنه كان يقرؤها : (**فادخلي في عَبْدِي وادخلي جنتي**) وكذا قال عكرمة والكلبي ، واختاره ابن جرير وهو غريب ، والظاهر الأول؛ لقوله : ﴿**ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق**﴾ ، ﴿ **وأن مَرَدّنا إلىٰ اللَّه** ﴾ أي : إلى حكمه والوقوف[٣] بين يديه .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن عبد اللَّه الدشتكي ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة . ارجعي إلىٰ ربك راضية مرضية** ﴾ ، قال : نزلت وأبو بكر جالس ، فقال : يا رسول اللَّه ، ما أحسن هذا . فقال : « **أما[٤] إنه سيقال لك هذا** » .

ثم قال : حدثنا أبو سعيد الأشج(٢٠) ، حدثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن سعيد بن جبير قال : قرئت[٥] عند النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلىٰ ربك**

(٢٠) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/٢٨٣ - ٢٨٤) من طريق أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير .

[١] - في ز : أحدًا .
[٢] - في ز ، خ : إلى .
[٣] - في ز : وتويره . كذا بلا نقط . وفي خ : وموقفه .
[٤] - سقط من خ .
[٥] - في الأصول : قرأت .

راضية مرضية ﴾ ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : إن هذا لحسن[١] . فقال له النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **أما إن الملك سيقول لك هذا عند الموت** » .

وكذا رواه ابن جرير(٢١) عن أبي كريب ، عن ابن يمان به ، وهذا مرسل حسن .

ثم قال ابن أبي حاتم : وحدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا مَرْوان بن شجاع الجزري[٢] ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير قال : مات ابن عباس بالطائف ، فجاء طير لم ير علىٰ خَلْقه ، فدخل نعشه ، ثم[٣] لم ير خارجًا منه فلما دفن تُليت هذه الآية علىٰ شفير القبر ، ما يدرىٰ من تلاها : **﴿ يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلىٰ ربك راضية مرضية * فادخلي في عبادي * وادخلي جنتي ﴾** .

رواه الطبراني(٢٢) عن عبد الله بن أحمد عن أبيه ، عن مروان بن شجاع عن سالم بن عجلان الأفطس ، به فذكره .

وقد ذكر الحافظ محمد بن المنذر الهروي - المعروف بشَكَّر - في كتاب العجائب بسنده عن قُبَاث بن رَزين أبي هاشم قال : أسرتُ في بلاد الروم ، فجمَعنا الملك وعَرَض علينا دينه ، علىٰ أن من امتنع ضربت عنقه . فارتد ثلاثة ، وجاء الرابع فامتنع ، فضربت عنقه ، وألقي رأسه [في نهر][٤] هناك ، فرسب في الماء ثم طفا علىٰ وجه الماء ، ونظر إلىٰ أولئك الثلاثة فقال : يا فلان ، ويا فلان ، ويا فلان - يناديهم بأسمائهم - قال الله تعالىٰ في كتابه : **﴿ يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلىٰ ربك راضية مرضية * فادخلي في عبادي * وادخلي جنتي ﴾** . ثم غاص في الماء ، فكادت النصارىٰ أن يسلموا ، ووقع[٥] سرير الملك ، ورجع أولئك الثلاثة إلىٰ الإسلام . قال : وجاء الفداء من عند الخليفة أبي جعفر المنصور فخلصنا .

وروىٰ الحافظ ابن عساكر(٢٣) في ترجمة رواحة بنت أبي عمرو الأوزاعي ، عن أبيها : حدثني سليمان بن حبيب المحاربي[٦] ، حدثني أبو أمامة : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال لرجل : « **قل : اللهم ، إني أسألك نفسًا بك مطمئنة ، تؤمن بلقائك ، وترضىٰ**

---

(٢١) أخرجه الطبري (٣٠/١٩١) من طريق ابن يمان عن جعفر عن سعيد به .

(٢٢) معجم الطبراني (١٠/٢٩٠) (١٠٥٨١) . قال الهيثمي في « المجمع » (٩/٢٨٨) : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

(٢٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٩/٤١٩ مخطوط) .

---

[١] - في ت : حسن .
[٢] - في خ : الجوزي .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - في ز : برنهر . كذا بلا نقط .
[٥] - في ز : ورفع .
[٦] - في ز ، خ : المكاري .

بقضائك ، وتقنع بعطائك » .

ثم روي عن أبي سليمان(٢٤) بن أبي[١] زَبْر أنه قال : حديث رواحة هذا واحد أمّة

آخر تفسير سورة الفجر ، ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة .

☆ ☆ ☆

(٢٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤١٩/١٩ - ٤٢٠ مخطوط) .

[١] - سقط من ز .

تفسير سورة البلد

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾

هذا قسم من الله -عز وجل- بمكة أم القرى في حال كون الساكن فيها حالًّا ، لينبه على عظمة قدرها في حال إحرام أهلها .

قال خصيف عن مجاهد ﴿ **لا أقسم بهذا البلد** ﴾ : لا : رد عليهم أقسم بهذا البلد .

وقال شبيب بن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ **لا أقسم بهذا البلد** ﴾ ، يعني : مكة ، ﴿ **وأنت حل بهذا البلد** ﴾ ، قال : أنت - يا محمد - يحل لك أن تقابل[١] به وكذا رُوي عن سعيد بن جُبَير ، وأبي صالح ، وعطية ، والضحاك ، وقتادة ، والسدي ، وابن زيد وقال مجاهد : ما أصبت فيه فهو حلال لك .

وقال قتادة : ﴿ **وأنت حل بهذا البلد** ﴾ ، قال : أنت به من غير حَرَج ولا إثم .

وقال الحسن البصري : أحلها الله له ساعة من نهار .

وهذا المعنىٰ الذي قالوه قد وَرَد به الحديث المتفق علىٰ صحته(٢٥) : « **إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض ، فهو حَرَام بحُرمَة الله إلىٰ يوم القيامة ، لا يُعضَد شجره ولا يختلىٰ خلاه . وإنما أحلت لي ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، ألا فليبلغ الشاهد الغائب** » . وفي لفظ : « **فإن أحد تَرَخَّص بقتال رسول الله فقولوا : إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم** » .

(٢٥) تقدم تخريجه في سورة البقرة ، آية : (١٢٦) .

[١] - في خ : تقاتل .

وقوله : ﴿ **ووالد وما ولد** ﴾ ، قال ابن جرير(٢٦) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا ابن عطية ، عن شريك ، عن خُصَيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **ووالد وما ولد** ﴾ ، الوالد : الذي يلد ، وما ولد : العاقر الذي لا يولد له .

ورواه ابن أبي حاتم ، من حديث شريك - وهو ابن عبد الله القاضي به .

وقال عكرمة : الوالد : العاقر ، وما ولد : الذي يلد . رواه ابن أبي حاتم .

وقال مجاهد ، وأبو صالح ، وقتادة ، والضحاك ، وسفيان الثوري ، وسعيد بن جبير ، والسدي ، والحسن البصري ، وخُصَيف ، وشرحبيل بن سعد وغيرهم : يعني بالوالد : آدم ، وما ولد : ولده .

وهذا الذي ذهب إليه مجاهد وأصحابه حَسَنٌ[١] قوي ؛ لأنه تعالىٰ لما أقسم بأم القرىٰ وهي المساكن أقسم بعده بالساكن ، وهو آدم أبو البشر وولده .

وقال أبو عمران الجوني : هو إبراهيم وذريته . رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم .

واختار ابن جرير أنه عام في كل والد وولده . وهو محتمل أيضًا .

وقوله : ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في كبد** ﴾ : رُوي عن ابن مسعود ، وابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد ، وإبراهيم النخعي ، وخيثمة ، والضحاك ، وغيرهم : يعني منتصبًا - زاد ابن عباس في رواية عنه - في بطن أمه .

والكبد : الاستواء والاستقامة . ومعنىٰ هذا القول : لقد خلقنا الإنسان سويًّا مستقيمًا كقوله : ﴿ **يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم * الذي خلقك فسواك فعدلك** ﴾ وكقوله : ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم** ﴾ وقال ابن جريج وعطاء ، عن ابن عباس : في كبد ، قال[٢] : في شدَة خلق ، ألم تر إليه ... وذكر مولده ونبات أسنانه .

وقال مجاهد : ﴿ **في كبد** ﴾ : نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة يتكبد في الخلق - قال مجاهد : وهو كقوله : ﴿ **حملته أمه كرهًا ووضعته كرهًا** ﴾ ، وأرضعته كرهًا ، ومعيشته كره ، فهو يكابد ذلك .

وقال سعيد بن جبير[٣] : ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في كبد** ﴾ : في شدة وَطَلَب معيشة . وقال عكرمة : في شدة وطول . وقال قتادة : في[٤] مشقة .

(٢٦) تفسير الطبري (١٩٥/٣٠) .

[١] - في خ : حق .
[٢] - سقط من خ .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - سقط من خ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن عصام ، حدثنا أبو عاصم ، أخبرنا عبد الحميد بن جعفر ، سمعت محمد بن علي أبا[١] جعفر الباقر سأل رجلًا من الأنصار عن قول الله : ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في كبد** ﴾ قال : في قيامه واعتداله ، فلم ينكر عليه أبو جعفر .

وروي من طريق أبي مودود : سمعت الحسن(٢٧) قرأ هذه الآية : ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في كبد** ﴾ ، قال : يكابد أمرًا من أمر الدنيا ، وأمرًا من أمر الآخرة - وفي رواية : يكابد مضايق الدنيا وشدائد الآخرة .

وقال ابن زيد : ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في كبد** ﴾ قال : آدم خلق في السماء فسمي ذلك الكبد

واختار ابن جرير أن المراد مكابدة الأمور ومشاقها .

وقوله : ﴿ **أيحسب [ ][٢] أن لن يقدر عليه أحد** ﴾ . [قال الحسن البصري : يعني ﴿ **أيحسب أن لن يقدر عليه أحد** ﴾ يأخذ ماله][٣] .

وقال قتادة : ﴿ **أيحسب أن لن يقدر عليه أحد** ﴾ ، قال : ابن آدم يظن أن لن يُسأل عن هذا المال : من أين اكتسبه ؟ وأين أنفقه ؟ .

وقال السدي : ﴿ **أيحسب أن لن يقدر عليه أحد** ﴾ ؟ قال : الله عز وجل .

وقوله : ﴿ **يقول أهلكت مالًا لبدًا** ﴾ ، أي : يقول ابن آدم : أنفقت مالًا لبدًا ، [أي : كثيرًا][٤] قاله مجاهد ، وقتادة والسدي وغيرهم .

﴿ **أيحسب أن لم يره أحد** ﴾ ، قال مجاهد : أي[٥] أيحسب أن لم يره الله عز وجل . وكذا قال غيره من السلف .

وقوله : ﴿ **ألم نجعل له عينين** ﴾ ، أي : يبصر بهما ، ﴿ **ولسانًا** ﴾ ، أي : ينطق به ، فيُعبِّر عما في ضميره ، ﴿ **وشفتين** ﴾ يستعين بهما على الكلام وأكل الطعام ، وجمالًا لوجهه وفمه[٦] .

وقد روى الحافظ ابن عساكر(٢٨) في ترجمة أبي الربيع الدمشقي ، عن مكحول قال : قال

(٢٧) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٥٩٤/٦) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد بنحوه .
(٢٨) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٦/١٩ - مخطوط) .

[١] - في خ : أخبرنا .
[٢] - في ز ، خ : الإنسان .
[٣] - ما بين المعكوفين مكانه في ز : « قاله » .
[٤] - مكانه في ز : لبدًا .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - في ز : وبسمه .

النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **يقول اللّٰه تعالىٰ : يا ابن آدم ، قد أنعمت عليك نعَمًا عظامًا لا تحصي عددها ولا تطيق شكرها ، وإن مما أنعمت عليك أن جعلت لك عينين تنظر بهما . وجعلت لهما غطاءهما[١] ، [فانظر بعينيك إلىٰ ما أحللت لك ، وإن رأيت ما حرمت عليك فأطبق عليهما غطاءهما][٢] . وجعلت لك لسانًا ، وجعلت له غلافًا ، فانطق بما أمرتك وأحللت لك ، فإن عَرَضَ لك ما حرمت عليك فأغلق عليك لسانك . وجعلت لك فرجًا ، وجعلت لك سترًا ، فأصب بفرجك ما أحللت لك ، فإن عَرَض لك ما حرمت عليك فأَرْخ عليك سترك . يا ابن آدم ، إنك لا تحمل سخطي ، ولا تطيق انتقامي** » .

﴿ **وهديناه النجدين** ﴾ ، قال سفيان الثوري ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد اللّٰه - هو ابن مسعود - : ﴿ **وهديناه النجدين** ﴾ ، قال : الخير والشر . وكذا رُوي عن علي ، وابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وأبي وائل ، وأبي صالح ، ومحمد بن كعب ، والضحاك ، وعطاء الخراساني في آخرين .

وقال عبد اللّٰه بن وهب(٢٩) : أخبرني ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن سنان بن سعد ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **هما نجدان ، فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير** » .

تفرد به سنان بن سعد - ويقال : سعد بن سنان - وقد وثقه ابن معين .

وقال الإمام أحمد والنسائي والجوزجاني : منكر الحديث . وقال أحمد : تركت حديثه لاضطرابه . وروى خمسة عشر حديثًا منكرة كلها ، ما أعرف منها حديثًا واحدًا . يشبه حديثُه حديثَ الحسن - يعني البصري - لا يشبه حديثَ أنس .

وقال ابن جرير(٣٠) : حدثني يعقوب ، حدثنا ابن[٣] علية ، عن أبي رجاء قال : سمعت الحسن يقول : ﴿ **وهديناه النجدين** ﴾ قال : ذكر لنا أن نبي اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كان يقول : « **يا أيها الناس ؛ إنهما النجدان ، نجد الخير ونجد الشر ، فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير** » .

وكذا رواه حبيب بن الشهيد، ويونس بن عبيد، وأبو وهب عن الحسن مرسلًا، وهكذا

---

(٢٩) أخرجه ابن عدي في « الكامل » (١١٩٣/٣) من طريق ابن وهب بهذا الإسناد في ترجمة سعد بن سنان.

(٣٠) تفسير الطبري (٢٠٠/٣٠) .

---

[١] - في ت : غطاء .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - في ز : أبو .

أرسله قتادة(٣١) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن عصام الأنصاري ، حدثنا أبو أحمد الزبيري ، حدثنا عيسىٰ بن عقال[١] ، عن أبيه ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وهديناه النجدين** ﴾ ، قال : الثديين .

وروي عن الربيع بن خُثَيم ، وقتادة وأبي حازم ، مثل ذلك . ورواه ابن جرير(٣٢) عن أبي كريب ، عن وكيع ، عن عيسىٰ بن عقَال[٢] ، به ثم قال : والصواب القول الأول .

ونظير هذه الآية قوله[٣] : ﴿ **إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعًا بصيرًا إنا هديناه السبيل إما شاكرًا وإما كفورًا** ﴾ .

فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾

قال ابن جرير(٣٣) : حدثني عمر بن إسماعيل بن مجالد ، حدثنا عبد الله بن إدريس عن أبيه عن عطية[٤] .

عن ابن عمر في قوله : ﴿ **فلا اقتحم العقبة** ﴾ ، قال : جبل في جهنم [ ][٥] .

وقال كعب الأحبار : ﴿ **فلا اقتحم العقبة** ﴾ : هو سبعون درجة في جهنم . وقال الحسن البصري : ﴿ **فلا اقتحم العقبة** ﴾ ، قال : عقبة في جهنم . وقال قتادة : إنها قحمة[٦] شديدة فاقتحموها بطاعة الله عز وجل . وقال قتادة : وقوله[٧] : ﴿ **وما أدراك ما العقبة** ﴾ ثم أخبر[٨]

(٣١) تفسير الطبري (٣٠/٢٠١) عن قتادة مرسلًا .

(٣٢) تفسير الطبري (٣٠/٢٠١) .

(٣٣) تفسير الطبري (٣٠/٢٠١) .

[١] - في ز : عفان .

[٢] - في ز : عال . كذا .

[٣] - في ز : بقوله .

[٤] - في ز : أبي عطية .

[٥] - في ز : أزل .

[٦] - في ز : فحمة .

[٧] - سقط من ت .

[٨] - في ز : فسر .

عن اقتحامها فقال ﴿ **فك رقبة أو إطعام** ﴾ .

وقال ابن زيد : ﴿ **فلا اقتحم العقبة** ﴾ ، أي : أفلا سلك الطريق التي فيها النجاة والخير . ثم بينها[١] فقال : ﴿ **وما أدراك ما العقبة * فك رقبة * أو إطعام** ﴾ .

قرئ ﴿ **فك رقبة** ﴾ بالإضافة ، وقُرئ على أنه فعل ، وفيه ضمير الفاعل ، والرقبة مفعوله . وكلتا[٢] القراءتين معناهما متقارب .

قال الإمام أحمد(٣٤) : حدثنا علي بن إبراهيم ، حدثنا عبد اللَّه - يعني ابن سعيد بن أبي هند - عن إسماعيل بن أبي حكيم - مولىٰ آل الزبير - عن سعيد بن مرجانة : أنه سمع أبا هُرَيرة يقول : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **من أعتق رقبة مؤمنة أعتق اللَّه بكل[٣] إرب منها إربًا منه من النار ، حتىٰ إنه ليعتق باليد اليد ، وبالرجل الرجل ، وبالفرج الفرج** » . فقال علي بن الحسين : أنتَ سَمعتَ هذا من أبي هُرَيرة ؟ فقال سعيد : نعم . فقال علي بن الحسين لغلام له : - أفْرَهَ غلمانه - ادع مطرفًا . فلما قام بين يديه قال : اذهب فأنت حر لوجه الله .

وقد رواه البخاري(٣٥) ومسلم والترمذي والنسائي ، من طرق ، عن سعيد بن مرجانة ، به . وعند مسلم أن هذا الغلام الذي أعتقه عليٌ بن الحسين زين العابدين كان قد أعطىٰ فيه عشرة آلاف درهم .

وقال قتادة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن مَعدانَ بن أبي طلحة ، عن أبي نَجِيح قال : سمعتُ رسولَ اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : أيما مسلم أعتقَ رَجُلًا مسلمًا ، فإن اللَّه جاعلٌ وفاء كل عظم من عظامه عظمًا من عظام محرره من النار ، وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة فإن اللَّه جاعل وفاء[٤] كل عظم من عظامها عظمًا من عظامها من النار » .

---

(٣٤) المسند (٤٢٢/٢) هكذا . وأخرجه (٤٢٠/٢) فجعل (مكى) مكان (على) والذي في الأطراف (٧/ ٢٥٧) مكى .

(٣٥) صحيح البخاري ، كتاب : العتق ، باب : العتق وفضله ، حديث (٢٥١٧) (١٤٦/٥) ، وطرفه في [٦٧١٥] . ومسلم في كتاب : العتق ، باب : فضل العتق ، حديث (٢١ - ١٥٠٩/٢٤) (٢١٢/١٠ ، ٢١٣) . والترمذي في كتاب : النذور والأيمان ، باب : ما جاء في ثواب من أعتق رقبة ، حديث (١٤٥١) (٢٥٩/٥ - ٢٦٠) . والنسائي في الكبرى في كتاب : العتق ، باب : فضل العتق ، حديث (٤٨٧٤ - ٤٨٧٦) (١٦٨/٣) .

---

[١] - في ز : يثنيها .
[٢] - في ز : كلا .
[٣] - في ز : كل .
[٤] - في ز : وقاء .

رواه ابن جرير(٣٦) هكذا. وأبو نجيح هذا هو عمرو بن عبسة[١] السلمي - رضي الله عنه.

قال الإمام أحمد(٣٧): حدثنا حيوة بن شُرَيح، حدثنا بقية، حدثني بَحِير[٢] بن سعد، عن خالد ابن معدان، عن كثير بن مُرَّة، عن عمرو بن عَبَسَة[٣]: أنه حدثهم: أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: « **من بنىٰ مسجدًا ليذكر الله فيه، بنىٰ الله له بيتًا في الجنة. ومن أعتق نفسًا مسلمة، كانت فديته من جهنم. ومن شاب شيبة في الإسلام، كانت له نورًا يوم القيامة** ».

(طريق أخرىٰ)، قال أحمد (٣٨): حدثنا الحكم بن نافع، حدثنا حَريز[٤]؛ عن سُليم بن عامر: أن شرحبيل بن السمط قال لعمرو بن عَبَسَة[٥]: حَدّثنا حديثًا ليس فيه تَزَيّدٌ ولا نسيان. قال عمرو: سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول: « **من أعتق رقبة مسلمة كانت فكاكه من النار، عضوًا بعضو. ومن شاب شيبة في سبيل الله، كانت له نورًا يوم القيامة. ومن رمىٰ بسهم فبلغ فأصاب أو أخطأ، كان كمعتق رقبة من بني إسماعيل** » وروى أبو داود(٣٩) والنسائي بعضه.

(طريق أخرىٰ)، قال أحمد(٤٠): حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا الفرج، حدثنا لقمان، عن أبي أمامة، عن عمرو بن عَبَسَة[٦] السلمي قال: قلت له: حدّثنا حديثًا سمعته من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ليس فيه انتقاص ولا وَهَم. قال: سمعته يقول: « **من وُلد له ثلاثة أولاد في الإسلام فماتوا قبل أن يبلغوا الحنث، أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم. ومن شاب شيبة في سبيل الله كانت له نورًا يوم القيامة، ومن رَمَىٰ بسهم في سبيل الله، بلغ به العدو، أصاب أو أخطأ، كان له عتق رقبة. ومن أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منه**

(٣٦) تفسير الطبري (٢٠٢/٣٠).

(٣٧) المسند (٣٨٦/٤) (١٩٤٩٧).

(٣٨) المسند (١١٣/٤).

(٣٩) سنن أبي داود في كتاب: العتق، باب: أي الرقاب أفضل، حديث (٣٩٦٦) (٣٠/٤). والنسائي في « الكبرى » في كتاب: العتق، باب: فضل العتق، حديث (٤٨٨٤) (١٧٠/٣). كلاهما من طريق شرحبيل بن السمط عن عمرو بن عبسة - رضي الله عنهما - به مختصرًا. والحديث بطرقه في الصحيحة (١٧٥٦).

(٤٠) المسند (٣٨٦/٤) (١٩٤٩٥).

[١] - في ز: عنبسة.

[٢] - في ز: محمد.

[٣] - في ز: عنبسة.

[٤] - في ز: جرير.

[٥] - في ز: عنبسة.

[٦] - في ز: عنبسة.

عضوًا منه[١] **من النار ، ومن أنفق زوجين في سبيل الله ، فإن للجنة ثمانية أبواب ، يدخله الله من أي باب شاء منها »** . وهذه أسانيد جيدة قوية ولله الحمد .

(حديث آخر) ، قال أبو داود(٤١) : حدثنا عيسىٰ بن محمد الرملي ، حدثنا ضمرة ، عن ابن أبي عَبْلة ، عن الغريف بن الديلمي قال : أتينا واثلة بن الأسقع فقلنا له[٢] : حَدّثنا حديثًا ليس فيه زيادة ولا نقصان . فغضب وقال : إن أحدكم ليقرأ ومصحفه معلق في بيته ، فيزيد وينقص . قلنا : إنما أردنا حديثًا سمعته من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم . قال : أتينا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في صاحب لنا قد أوجب - يعني النار - بالقتل ، فقال : « **أعتقوا عنه يُعتق الله بكل عضو منه عضوًا منه من النار** » .

وكذا رواه النسائي من حديث إبراهيم بن أبي عَبلة ، عن الغَريف بن عياش الديلمي ، عن واثلة ، به .

(حديث آخر) ، قال أحمد(٤٢) : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا هشام ، عن قتادة ، عن قيس الجذامي ، عن عقبة بن عامر الجهني : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **من أعتق رقبة مسلمة فهو فداؤه من النار** » .

وحدثنا عبد الوهاب الخفاف(٤٣) ، عن سعيد ، عن قتادة قال : ذُكر أن قيسًا الجذامي حَدّث عن عقبة بن عامر: أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **من أعتق رقبة مؤمنة فهي فكاكه من النار** » . تفرد به أحمد من هذا الوجه .

(حديث آخر) ، قال الإمام أحمد(٤٤) : حدثنا يحيىٰ بن آدم وأبو أحمد قالا : حدثنا عيسىٰ بن عبد الرحمن البجلي - من بني بجيلة - من بني سليم - عن طلحة - قال أبو أحمد : حدثنا طلحة بن مصرف - عن عبد الرحمن بن عوسجة ، عن البراء بن عازب قال : جاء أعرابي إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، علمني عملًا يدخلني الجنة . فقال : « **لئن كنت أقصرت الخطبة**[٣] **لقد أعرضت المسألة . أعتق النسمة ، وفك الرقبة** » . فقال : يا رسول الله ، أو ليستا بواحدة ؟ قال : « **لا ، إن عتق النسمة أن**

(٤١) سنن أبي داود في كتاب : العتق ، باب : في ثواب العتق ، حديث (٣٩٦٤) (٢٩/٤) . وسنن النسائي الكبرى ، كتاب : العتق ، باب : ذكر اسم هذا الولى ، حديث (٤٨٩١) (١٧٢/٣) .

(٤٢) المسند (١٥٠/٤) (١٧٤٠٥) .

(٤٣) المسند (١٤٧/٤) (١٧٣٧٤) .

(٤٤) المسند (٢٩٩/٤) (١٨٧٠١) .

[١] - سقط من ز . [٢] - سقط من ز .

[٣] - في ز : الخطية .

تنفرد[١] بعتقها ، وفك الرقبة أن تعين في عتقها . والمنحة الوكوف ، والفيء على ذي الرحم الظالم ، فإن لم تُطِق ذلك فأطعم الجائعَ ، واسق الظمآن ، وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، فإن لم تطق ذلك فكف لسانك إلا من الخير » .

وقوله : ﴿ **أو إطعام في يوم ذي مسغبة** ﴾ ، قال ابن عباس : ذي مجاعة . وكذا قال عكرمة ، ومجاهد ، والضحاك ، وقتادة ، وغير واحد . والسغب : هو الجوع .

وقال إبراهيم النخعي : في يومٍ الطعام فيه عزيز .

وقال قتادة : في يوم يشتهى[٢] فيه الطعام .

وقوله : ﴿ **يتيمًا** ﴾ ، أي : أطعم في مثل هذا اليوم يتيمًا ، ﴿ **ذا مقربة** ﴾ ، أي : ذا قرابة منه . قاله ابن عباس ، وعكرمة والحسن ، والضحاك ، والسدي . كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد(٤٥) :

حدثنا يزيد ، أخبرنا هشام ، عن حفصة بنت سيرين[٣] عن سلمان[٤] بن عامر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **الصدقة على المسكين[٥] صدقة ، وعلى ذي الرحم اثنتان ، صدقة وصلة** » .

وقد رواه الترمذي والنسائي ، وهذا إسناد صحيح .

وقوله : ﴿ **أو مسكينًا ذا متربة** ﴾ ، أي : فقيرًا مدقعًا لاصقًا بالتراب ، وهو الدقعاء أيضًا .

قال ابن عباس : ﴿ **ذا متربة** ﴾ هو المطروح في الطريق ، الذي لا بيت له ، ولا شيء يقيه من التراب - وفي رواية : هو الذي لصق بالدقعاء من الفقر والحاجة ، ليس له شيء - وفي رواية عنه : هو البعيد التربة[٦] .

قال ابن أبي حاتم : يعني الغريب عن وطنه .

وقال عكرمة : هو الفقير المديون المحتاج .

---

(٤٥) المسند (٢١٤/٤) (١٧٩٣٩) . وأخرجه الترمذي في كتاب : الزكاة ، باب : ما جاء في الصدقة على ذي القرابة ، حديث (٦٥٨) (٢٠/٣) . والنسائي (٩٢/٥) كتاب : الزكاة ، باب : الصدقة على الأقارب . كلاهما من طريق حفصة عن الرباب عن عمها سلمان بن عامر به مرفوعًا . قال الترمذي : حديث حسن .

---

[١] - في ز : تفرد .
[٢] - بياض في ز .
[٣] - في ز : شريف .
[٤] - في ز : سليمان .
[٥] - في ز : المسلمين .
[٦] - في ز : المتربة .

وقال سعيد بن جبير : هو الذي لا أحد له .

وقال ابن عباس ، وسعيد ، وقتادة ومقاتل بن حيان : هو ذو العيال . وكل هذه قريبة المعنى .

وقوله : ﴿ **ثم كان من الذين آمنوا** ﴾ ، أي : ثم هو مع هذه[١] الأوصاف الجميلة الطاهرة ، مؤمن بقلبه ، محتسب ثواب ذلك عند الله عز وجل . كما قال تعالىٰ : ﴿ **ومن أراد الآخرة وسعىٰ لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورًا** ﴾ وقال : ﴿ **من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ...** ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ **وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة** ﴾ ، أي : كان من المؤمنين العاملين صالحاً ، المتواصين بالصبر علىٰ أذىٰ الناس ، وعلىٰ الرحمة بهم . كما جاء في الحديث(٤٦) : « **الراحمون يرحمهم الرحمن**[٢] ، **ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء** » وفي الحديث الآخر(٤٧) : « **لا يرحم الله من لا يرحم الناس** » وقال أبو داود(٤٨) : حدثنا بن أبي شيبة ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن ابن عامر ، عن عبد اللّٰه بن عَمْرو - يرويه[٣] - قال : « **من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا ، فليس منا** » .

وقوله : ﴿ **أولئك أصحاب الميمنة** ﴾ أي : المتصفون بهذه الصفات من أصحاب اليمين .

ثم قال : ﴿ **والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة** ﴾ ، أي : أصحاب الشمال ، ﴿ **عليهم نار مؤصدة** ﴾ ، أي : مطبقة عليهم ، فلا محيد لهم عنها ، ولا خروج لهم منها .

قال أبو هريرة ، وابن عباس ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، ومحمد بن كعب القرظي ، وعطية العوفي ، والحسن ، وقتادة ، والسدي : ﴿ **مؤصدة** ﴾ ، أي : مطبقة . قال ابن عباس : مغلقة الأبواب . وقال مجاهد : أصد الباب بلغة قريش[٤] : أي أغلقه .

---

(٤٦) المسند (٢/١٦٠) (٦٤٩٤) . وأبو داود في كتاب : الأدب ، باب : في الرحمة ، حديث (٤٩٤١) (٤/٢٨٥) . والترمذي في كتاب : البر والصلة ، باب : ما جاء في رحمة الناس ، حديث (١٩٢٥) (٦/١٧٢) . كلهم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص . قال الترمذي : حسن صحيح . وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند .

(٤٧) صحيح البخاري في كتاب : التوحيد ، باب : قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيًّا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى** ﴾ ، حديث (٧٣٧٦) (١٣/٣٥٨) من حديث جرير بن عبد الله بهذا اللفظ . وأخرجه البخاري (٦٠١٣) ، ومسلم (٦٦/٢٣١٩) من حديث جرير بمعناه .

(٤٨) سنن أبي داود في كتاب : الأدب ، باب : في الرحمة ، حديث (٤٩٤٣) (٤/٢٨٦) . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤١٣٤) .

---

[١] - سقط من خ .
[٢] - في ز : الله .
[٣] - في ز : به وبشر .
[٤] - بياض في ز ، خ .

وسيأتي في ذلك حديث في سورة ﴿ويل لكل همزة لمزة﴾ .

وقال الضحاك : ﴿مؤصدة﴾ حيط لا باب له .

وقال قتادة : ﴿ مؤصدة ﴾ : مطبقة فلا ضوء فيها ولا فُرَج ، ولا خروج منها آخر الأبد .

وقال أبو عمران الجوني : إذا كان يوم القيامة أمر اللَّه بكل جبار وكل شيطان وكل من كان يَخاف الناس في الدنيا شره ، فأوثقوا في الحديد ، ثم أمر بهم إلىٰ جهنم ، ثم أوصدوها عليهم - أي : أطبقوها - قال : فلا واللَّه لا تستقر أقدامهم علىٰ قرار أبدًا ، ولا واللَّه لا ينظرون فيها إلىٰ أديم سماء أبدًا ، ولا واللَّه لا تلتقي جفون أعينهم علىٰ غَمْض نوم أبدًا ولا واللَّه لا يذوقون فيها بارد شراب أبدًا . رواه ابن أبي حاتم .

آخر تفسير سورة البلد ، وللَّه الحمد والمنة

☆ ☆ ☆

[تفسير] سورة والشمس وضحاها

[وهي مكية]

تقدم حديث جابر(١) الذي في الصحيح[١] : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال لمعاذ : « هلا صليت :بـ ﴿ سبح اسم ربك الأعلىٰ ﴾ ، و ﴿ الشمس وضحاها ﴾ و ﴿ الليل إذا يغشىٰ ﴾ ؟ » .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾

قال مجاهد : ﴿والشمس وضحاها﴾ أي : وضوئها. وقال قتادة : ﴿وضحاها﴾ النهار كله .

قال ابن جرير : والصواب أن يقال : أقسم اللّٰه بالشمس ونهارها ، لأن ضوء الشمس الظاهر هو[٢] النهار .

﴿ والقمر إذا تلاها ﴾ ، [قال مجاهد : تبعها . وقال العوفي ، عن ابن عباس : ﴿ والقمر إذا تلاها ﴾][٣] ، قال : يتلو النهار . وقال قتادة : ﴿ إذا تلاها ﴾ ليلة الهلال ، إذا سقطت الشمس رؤي الهلال .

وقال ابن زيد : هو يتلوها في النصف الأول من الشهر، ثم هي تتلوه . وهو يتقدمها في النصف الأخير من الشهر.

وقال مالك ، عن زيد بن أسلم : إذا تلاها ليلة القدر .

(١) تقدم تخريجه في سورة الانفطار في فضائلها .

[١] - في ت : الصحيحين .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

وقوله: ﴿**والنهار إذا جلاها**﴾ قال مجاهد: أضاء. وقال قتاده: ﴿**والنهار إذا جلاها**﴾: إذا غشيها النهار.

قال ابن جرير: وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك بمعنى: والنهار إذا جلا الظلمة، لدلالة الكلام عليها.

قلت: ولو أن هذا القائل تأول بمعنى ﴿ **والنهار إذا جلاها** ﴾، أي: البسيطة، لكان أولىٰ [ويصح تأويله في قوله][١]: ﴿ **والليل إذا يغشاها** ﴾، فكان[٢] أجود وأقوىٰ، والله أعلم. ولهذا قال مجاهد: ﴿ **والنهار إذا جلاها** ﴾ إنه كقوله: ﴿ **والنهار إذا تجلىٰ** ﴾. وأما ابن جرير فاختار عود الضمير في ذلك كله علىٰ الشمس، لجريان ذكرها. وقالوا في قوله: ﴿ **والليل إذا يغشاها** ﴾، يعني إذا يغشى الشمس حين تغيب، فتظلم الآفاق.

وقال بقية بن الوليد، عن صفوان، حدثني يزيد بن ذي حمامة قال: إذا جاء الليل قال الرب جل جلاله: غشي عبادي خلقي العظيمُ، فالليل يهابه، والذي خلقه أحق أن يهاب. رواه ابن أبي حاتم.

وقوله: ﴿ **والسماء وما بناها** ﴾: يحتمل أن تكون « ما » هاهنا مصدرية، بمعنىٰ: والسماء وبنائها، وهو قول قتادة. ويحتمل أن تكون بمعنىٰ « مَن » يعني[٣]: والسماء وبانيها. وهو قول مجاهد، وكلاهما متلازم والبناء هو الرفع، كقوله ﴿ **والسماء بنيناها بأيد** ﴾، أي: بقوة ﴿ **وإنا لموسعون. والأرض فرشناها فنعم الماهدون** ﴾ وهكذا قوله: ﴿ **والأرض وما طحاها** ﴾، قال مجاهد: ﴿ **طحاها** ﴾ دحاها. وقال العوفي، عن ابن عباس ﴿ **وما طحاها** ﴾: أي: خلق فيها.

وقال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿**طحاها**﴾ قسمها.

وقال مجاهد، وقتادة، [والضحاك][٤]، والسدي، والثوري، وأبو صالح، وابن زيد: ﴿ **طحاها** ﴾: بسطها.

وهذا أشهر الأقوال، وعليه الأكثر من المفسرين، وهو المعروف عند أهل اللغة، قال الجوهري: طحوته مثل دحوته، أي: بسطته.

وقوله: ﴿ **ونفس وما سواها** ﴾، أي: خلقها سوية مستقيمة علىٰ الفطرة القويمة، كما[٥] قال تعالىٰ: ﴿ **فأقم وجهك للدين حنيفًا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق**

---

[١] - ما بين المعكوفين في ت: « ولصح قول الله ». [٢] - في ز: لكان.
[٣] - في ز: بمعنى.
[٤] - سقط من ز. [٥] - في ز: و.

الله ﴾ . وقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **كل مولود يولد علىٰ الفطرة ، فأبواه يهودانه أو**[١] **ينصرانه أو**[٢] **يمجّسانه ، كما تولد البهيمة بهيمة جَمعاء هل تحسون فيها من جدعاء** ؟ » أخرجاه من رواية أبي هريرة(٢) .

وفي صحيح مسلم(٣) من رواية عياض بن حمَار[٣] المجاشعي عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **يقول الله - عز وجل - : إنّي خلقت عبادي حنفاء ، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم**[٤] **عن دينهم** » .

وقوله : ﴿ **فألهمها فجورها وتقواها** ﴾ ، أي : فأرشدها إلىٰ فجورها وتقواها ، أي : بين لها ذلك ، وهداها إلىٰ ما قدر لها .

قال ابن عباس : ﴿ **فألهمها فجورها وتقواها** ﴾ : بين لها الخير والشر . وكذا قال مجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، والثوري .

وقال سعيد بن جبير : ألهمها الخير والشر . وقال ابن زيد : جعل فيها فجورها وتقواها .

وقال ابن جرير(٤) : حدثنا ابن بشار[٥] ، حدثنا صفوان بن عيسىٰ ، وأبو عاصم النبيل ؛ قالا : حدثنا عزرة بن ثابت ، حدثني يحيىٰ بن عقيل ، عن يحيىٰ بن يعمر[٦] ، عن أبي الأسود الدّيلي ؛ قال : قال لي[٧] عمران بن حُصَين : أرأيت ما يعمل فيه الناس ويتكادحون فيه ، أشيء قضي عليهم ومضىٰ عليهم مِن قَدر قد سبق ، أو فيما يُستَقبَلُون مما أتاهم به نبيهم صلىٰ الله عليه وسلم، وأكدت عليهم الحجة ؟ قلت : بل شيء قضي عليهم . قال : فهل يكون ذلك ظلمًا ؟ قال : [ففزعت منه][٨] فزعًا شديدًا ، قال : قلت له : ليس شيء إلا وهو [خَلق ذلك بيده][٩] ، لا يُسأَلُ عما يفعل وهم يسألون . قال : سددك الله ، إنما سألت لأخبر عقلك ، إن رجلًا من مُزَينة - أو : جهينة - أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ؛ أرأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون ، أشيء قضي عليهم ومضىٰ عليهم من قدر قد[١٠] سبق ، أم شيء مما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم . وأكدت به عليهم الحجة ؟ قال : « بل

---

(٢) تقدم تخريجه في سورة النساء ، آية : (١١٩) .

(٣) تقدم تخريجه في سورة الأعراف آية : (١٧٢) .

(٤) تفسير الطبري (٢١١/٣٠) .

---

[١] - في ز : و .

[٢] - في ز : و .

[٣] - في ز ، خ : حماد .

[٤] - في ز : فاختالتهم .

[٥] - في ز ، خ : خالد .

[٦] - في ز ، خ : معمر .

[٧] - سقط من خ .

[٨] - في ز : فقرعت سنه .

[٩] - في ت : « خلقه وملك يده » .

[١٠] - سقط من ز .

شيء [قد قضي][١] عليهم » . قال : ففيم[٢] نعمل ؟ قال : « من كان الله خلقه لإحدىٰ المنزلتين يهيئه لها ، وتصديق ذلك في كتاب الله : ﴿ **ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها** ﴾ . رواه أحمد(٥) ، ومسلم من حديث عزرة[٣] بن ثابت به .

وقوله : ﴿ **قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها** ﴾ : يحتمل أن يكون المعنىٰ : قد أفلح من زكىٰ نفسه ، أي : بطاعة الله - كما قال قتادة - وطهرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل . ويُروىٰ نحوه[٤] عن مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير . وكقوله : ﴿ **قد أفلح من تزكىٰ * وذكر اسم ربه فصلىٰ** ﴾ .

﴿ **وقد خاب من دساها** ﴾ ، أي : دسَّسها ، أي : أخملها ووضع منها بخذلانه إياها عن الهُدَىٰ ، حتىٰ ركب المعاصي وترك طاعة الله عز وجل .

وقد يحتمل أن يكون المعنىٰ : قد أفلح من زكىٰ الله نفسه ، وقد خاب من دَسَّى الله نفسه ، كما قال العوفي وعلي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس .

وقال ابن أبي حاتم(٦) : حدثنا أبي وأبو زرعة ؛ قالا : حدثنا سهل بن عثمان ، حدثنا أبو مالك - يعني [عمرو][٥] بن هشام - عن جُوَيبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول في قول الله : ﴿ **قد أفلح من زكاها** ﴾ ، قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **أفلحت نفس زكاها الله** » .

ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي مالك به ، وجويبر هو ابن سعيد ، متروك الحديث ، والضحاك لم يلق ابن عباس .

وقال الطبراني(٧) : حدثنا يحيىٰ بن عثمان بن صالح ، حدثنا أبي ، حدثنا ابن لهيعة ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس ؛ قال : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إذا مر بهذه

---

(٥) المسند (٤/٤٣٨) (١٩٩٩٠) . وأخرجه مسلم في كتاب : القدر ، باب : كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه ، وكتابة رزقه وأجله وعمله ، وشقاوته وسعادته ، حديث (١٠/٢٦٥٠) (١٦/٣٠٤ - ٣٠٥) .

(٦) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٦/٦٠٢) وزاد نسبته إلى أبي الشيخ وابن مردويه والديلمي من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس -رضي الله عنه - به مرفوعًا .

(٧) معجم الطبراني (١١/١٠٦) (١١١٩١) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٧/١٤١) : رواه الطبراني وإسناده حسن .

---

[١] - في ز : مضى .

[٢] - بياض في ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : عروة .

[٤] - في ز : غيره .

[٥] - في ز ، خ : عمرو بن الحارث .

الآية : ﴿ **ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها** ﴾ وقف ، ثم قال : « اللّهم آت نفسي تقواها ، أنت وليها ومولاها ، وخير من زكاها » .

(حديث آخر) قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا يعقوب بن حميد المدني ، حدثنا عبد اللّه بن عبد اللّه الأموي ، حدثنا معن بن محمد الغفاري ، عن حنظلة بن علي الأسلمي ، عن أبي هريرة قال : سمعت النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم يقرأ : « ﴿ **فألهمها فجورها وتقواها** ﴾ ، قال : اللّهم آت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها » . لم يخرجوه من هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد(٨) : حدثنا وكيع عن نافع - يعني[١] ابن عمر - عن صالح بن سُعَيد ، عن عائشة : أنها فَقَدت النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم من مضجعه ، فلمسته بيدها ، فوقعت عليه وهو ساجد ، وهو يقول : « رب ؛ أعط نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها » . تفرد به .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(٩) : حدثنا عفان ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا عاصم الأحول ، عن عبد اللّه بن الحارث ، عن زيد بن أرقم : قال كان رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم يقول : « اللّهم ؛ إني أعوذ بك من العجز والكسل والهرم ، والجبن والبخل وعذاب القبر . اللّهم ، آت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها . اللّهم ؛ إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، وعلم لا ينفع ، ودعوة لا يستجاب لها » قال زيد : كان رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم يعلمناهن ونحن نعلمكموهن .

رواه مسلم من حديث أبي معاوية ، عن عاصم الأحول ، عن عبد اللّه بن الحارث - وأبي عثمان النهدي ، عن زيد بن أرقم ، به .

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ

(٨) المسند (٢٠٩/٦) (٢٥٨٦٥) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٣١/٢) : رواه أحمد ورجاله ثقات . اهـ . وقال في (١١٣/١٠) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير صالح بن سعيد الراوى عن عائشة وهو ثقة .اهـ .

(٩) المسند (٣٧١/٤) (١٩٣٦٣) . ومسلم في كتاب : الذكر والدعاء ، باب : التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ، حديث (٢٧٢٢/٧٢) (٦٣/١٧ - ٦٤) .

[١] - في ز ، خ : عن .

فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾

يخبر تعالى عن ثمود : أنهم كذبوا رسولهم بسبب ما كانوا عليه من الطغيان والبغي .

وقال محمد بن كعب : ﴿ **بطغواها** ﴾ ، أي : بأجمعها .

والأول أولىٰ ، قاله مجاهد وقتادة وغيرهما . فأعقبهم ذلك تكذيبًا في قلوبهم بما جاءهم به رسولهم من الهدىٰ واليقين .

﴿ **إذ انبعث أشقاها** ﴾ ، أي : أشقىٰ القبيلة ، وهو قُدَار بن سالف عاقر الناقة ، وهو أحيمر ثمود ، وهو الذي قال تعالىٰ : ﴿ **فنادوا صاحبهم فتعاطىٰ فعقر * فكيف كان عذابي ونذر** ﴾ . وكان هذا الرجل عزيزًا فيهم ، شريفًا في قومه ، نسيبًا رئيسًا مطاعًا ، كما قال الإمام أحمد(١٠) :

حدثنا ابن نمير ، حدثنا هشام ، عن أبيه ، عن عبد اللَّه بن زَمْعَةَ قال : خطب رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فذكر الناقة ، وذكر الذي عقرها ، فقال : ﴿ **إذ انبعث أشقاها** ﴾ : انبعث لها رجل عارم عزيز منيع في رهطه مثل أبي زمعة .

و[١] رواه البخاري في التفسير ، ومسلم في صفة النار ، والترمذي والنسائي في التفسير من سننيهما ، وكذا ابن جرير وابن أبي حاتم عن هشام بن عروة ، به .

وقال ابن أبي حاتم(١١) : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا إبراهيم بن موسىٰ ، حدثنا عيسىٰ بن يونس ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثني يزيد بن محمد بن خُثيم ، عن محمد بن كعب

---

(١٠) المسند (١٧/٤) . وأخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : سورة ﴿ **والشمس وضحاها** ﴾ ، حديث (٤٩٤٢) (٧٠٥/٨). ومسلم في كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء ، حديث (٢٨٥٥/٤٩) (٢٧٤/١٧) . والترمذي في كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة ﴿ **والشمس وضحاها** ﴾، حديث (٣٣٤٠) (٧٥/٩) . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : سورة الشمس ، حديث (١١٦٧٥) (٥١٥/٦) . والطبرى (٢١٤/٣٠) . قال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(١١) المسند (٢٦٣/٤) (١٨٣٧٤) . وأخرجه النسائي في الكبرى في كتاب : الخصائص ، باب : ذكر أشقى الناس ، حديث (٨٥٣٨) (١٥٣/٦) . كلاهما من طريق ابن إسحاق بهذا الإسناد به مطولًا . قال الهيثمي في « المجمع » (١٣٩/٩) : رواه أحمد والطبراني والبزار باختصار ورجال الجميع موثقون إلا أن التابعى لم يسمع من عمار . اهـ . قال الألباني في الصحيحة (١٧٤٣) : ولكن للحديث شواهد من حديث صهيب وجابر بن سمرة وعلى بأسانيد فيها ضعف غير حديث على فإسناده حسن كما قال الهيثمي ... اهـ.

---

[١] - سقط من ز .

القرظي ، عن محمد بن خُثَيم أبي[١] يزيد ، عن عمار بن ياسر قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لعلي : « ألا أحدثك بأشقىٰ الناس ؟ » . قال : بلىٰ ، قال : « رجلان : **أحيمر ثمود الذي عَقَر الناقة ، والذي يضربك يا علي علىٰ هذا** - يعني قَرنه - **حتىٰ تبتل منه هذه** » يعني لحيته .

وقوله : ﴿ **فقال لهم رسول الله** ﴾ ، يعني : صالحاً عليه السلام : ﴿ **ناقة الله** ﴾ ، أي : احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء ﴿ **وسقياها** ﴾ ، أي : لا تعتدوا[٢] عليها في سقياها ، فإن لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم . قال الله : ﴿ **فكذبوه فعقروها** ﴾ ، أي : كذبوه فيما جاءهم به فأعقبهم[٣] ذلك أن عقروا الناقة التي أخرجها الله[٤] من الصخرة آية لهم وحجة عليهم ، ﴿ **فدمدم عليهم ربهم بذنبهم[٥]** ﴾ ، أي : غضب عليهم ، فدمَّر عليهم ، ﴿ **فسواها** ﴾ ، أي : فجعل العقوبة نازلة عليهم علىٰ السواء .

قال قتادة : بلغنا أن أحيمر ثمود لم يعقر الناقة حتىٰ تابعه[٦] صغيرهم وكبيرهم ، وذكرهم وأنثاهم ، فلما اشترك القوم في عقرها دمدم الله عليهم بذنبهم[٧] فسواها .

وقوله : ﴿ **ولا يخاف عقباها** ﴾ وقرئ ﴿ **فلا يخاف عقباها** ﴾ .

قال ابن عباس : لا يخاف الله من أحد تبعة . وكذا قال مجاهد والحسن وبكر بن عبد الله المزني وغيرهم .

وقال الضحاك والسدي : ﴿ **ولا يخاف عقباها** ﴾ ، أي : لم يخف الذي عقرها عاقبة ما صنع .

والقول الأول أولى لدلالة السياق عليه ، والله أعلم .

آخر تفسير « والشمس وضحاها » [ولله الحمد] .

☆ ☆ ☆

---

[١] - في ز ، خ : ابن .
[٢] - في ز : تعدوا .
[٣] - في ز : وأعقبهم .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - في خ : بايعه .
[٧] - في ت : بذنوبهم .

[تفسير] سورة الليل

[وهي مكية]

تقدم قوله عليه الصلاة والسلام لمعاذ : « فهلا صلّيت : بـ ﴿ سبح اسم ربك الأعلىٰ ﴾ ، و ﴿ الشمس وضحاها ﴾ ، ﴿ والليل إذا يغشىٰ ﴾ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ (١) وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (٢) وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ (٣) إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ (٤) فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ (١٠) وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ (١١) إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ (١٢)

قال الإمام أحمد(١) : حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا شعبة ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن علقمة : أنه قدم الشام ، فدخل مسجد دمشق ، فصلىٰ فيه ركعتين وقال : اللّهم ، ارزقني جليسًا صالحًا . قال[١] : فجلس إلىٰ أبي الدرداء ، فقال له أبو الدرداء : ممن أنت ؟ قال : من أهل الكوفة . قال : كيف سمعت ابن أم عبد يقرأ [ ][٢] : ﴿ والليل إذا يغشىٰ * والنهار إذا تجلىٰ ﴾ ؟ قال علقمة : (والذكر والأنثىٰ) . فقال أبو الدرداء : لقد سمعتها من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فما زال هؤلاء حتىٰ شككوني . ثم قال : ثم[٣] ألم يكن فيكم صاحب الوساد وصاحب السر الذي لا يعلمه أحد غيره ، و[٤] الذي أجير[٥] من الشيطان على لسان النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد رواه البخاري(٢) هاهنا ومسلم ، من طريق الأعمش ، عن إبراهيم قال : قدم أصحاب

---

(١) المسند (٦/٤٤٩) (٢٧٦٤٥) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ وما خلق الذكر والأنثى ﴾ ، حديث (٤٩٤٤) (٨/٧٠٧) . ومسلم في كتاب : صلاة المسافرين ، باب : ما يتعلق بالقرآن ، حديث (٨٢٤/٢٨٢) (٦/١٥٧) . والقصة عند مسلم من طريق إبراهيم عن علقمة وهو كذلك عند البخاري في الباب الذي قبله ، وقال =

---

[١] - سقط من خ .

[٢] - في ز ، خ : فقرأ .

[٣] - سقط من خ .

[٤] - سقط من ت .

[٥] - في ز : أجر .

عبد اللَّه على أبي الدرداء ، فطلبهم فوجدهم ، فقال : أيكم يقرأ علي قراءة عبد اللَّه ؟ قالوا : كلنا ، قال : أيكم أحفظ ؟ فأشاروا إلى علقمة ، فقال : كيف سمعته يقرأ : ﴿ **والليل إذا يغشىٰ** ﴾ ؟ قال (**والذكر والأنثي**) قال : أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ هكذا . وهؤلاء يريدون[١] أن أقرأ : ﴿ **وما خلق الذكر والأنثى** ﴾ والله لا أتابعهم .

هذا لفظ البخاري : هكذا قرأ ذلك ابن مسعود ، وأبو الدرداء - ورفعه أبو الدرداء - وأما الجمهور فقرءوا ذلك كما هو مُثبَت في المصحف الإمام العثماني في سائر الآفاق : ﴿ **وما خلق الذكر والأنثىٰ** ﴾ ، فأقسم تعالىٰ ﴿ **بالليل إذا يغشى** ﴾ ، أي : إذا غَشِيَ الخليقة بظلامه ، ﴿ **والنهار إذا تجلىٰ** ﴾ ، أي : بضيائه وإشراقه ، ﴿ **وما خلق الذكر والأنثى** ﴾ ، كقوله : ﴿ **وخلقناكم أزواجًا** ﴾ وكقوله : ﴿ **ومن كل شيء خلقنا زوجين** ﴾ .

ولما كان القسم بهذه الأشياء المتضادة كان المقسم[٢] عليه أيضًا متضادًا ، ولهذا قال : ﴿ **إن سعيكم لشتىٰ** ﴾ ، أي : أعمال العباد التي اكتسبوها متضادة أيضًا ومتخالفة ، فمن فاعلٍ خيرًا ومن فاعلٍ شرًا ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **فأما من أعطىٰ [واتقىٰ** ﴾ أي : أعطىٰ][٣] ما أمر بإخراجه ، واتقىٰ اللَّه في أموره ، ﴿ **وصدق بالحسنىٰ** ﴾ ، أي : بالمجازاة علىٰ ذلك قاله قتادة . وقال خُصَيف : بالثواب . وقال ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وأبو صالح ، وزيد بن أسلم : ﴿ **وصدق بالحسنىٰ** ﴾ [أي : بالخلف . وقال أبو عبد الرحمن السلمي ، والضحاك : ﴿ **وصدق بالحسنىٰ** ﴾][٤] أي : بلا إله إلا اللَّه . وفي رواية عن عكرمة : ﴿ **وصدق بالحسنىٰ** ﴾ ، أي : بما أنعم اللَّه عليه . وفي رواية عن زيد بن أسلم : ﴿ **وصدق بالحسنىٰ** ﴾ ، قال : الصلاة والزكاة والصوم . وقال مرة : وصدقة الفطر .

وقال ابن أبي حاتم(٣) : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا صفوان بن صالح الدمشقي ، حدثنا الوليد ابن مسلم ، حدثنا زهير بن محمد ، حدثني مَن سَمع أبا العالية الرياحي يحدث عن أُبي بن كعب قال : سألت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم عن الحسنىٰ قال : « الحسنىٰ : الجنة » .

وقوله : ﴿ **فسنيسره لليسرى** ﴾ - قال ابن عباس : يعني للخير . وقال زيد بن أسلم : يعني : للجنة .

وقال بعض السلف : من ثواب الحسنة الحسنة بعدها . ومن جزاء السيئة السيئة بعدها . ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وأما من بخل** ﴾ ، أي : بما عنده ، ﴿ **واستغنىٰ** ﴾ ، قال عكرمة ، عن

= ابن حجر في الفتح (٧٠٧/٨) : هذا صورته الإرسال لأن إبراهيم ما حضر القصة .

(٣) تقدم في سورة يونس ، آية : (٢٦) .

---

[١] - في ت : يريدوني .

[٢] - في ت : القسم .

[٣] - ما بين المعكوفين سقط من ز .

[٤] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

ابن عباس ؛ أي [بخل بماله][١] ، واستغنىٰ عن ربه عز وجل . رواه ابن أبي حاتم .

﴿ وكذب بالحسنىٰ ﴾ ، أي : بالجزاء في الدار الآخرة ، ﴿ فسنيسره للعسرىٰ ﴾ ، أي لطريق[٢] الشر ، كما قال تعالىٰ : ﴿ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ، ونذرهم في طغيانهم يعمهون ﴾ . والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة دالة علىٰ أن اللّه - عز وجل - يجازي مَن قصد الخير بالتوفيق له ، ومن قصد الشر بالخذلان . وكل ذلك بقدر مقدر ، والأحاديثُ الدالة علىٰ هذا المعنىٰ كثيرة .

رواية أبي بكر الصديق رضي اللّه عنه ، قال الإمام أحمد(٤) : حدثنا علي بن عَيَّاش[٣] ، حدثني العطاف بن خالد ، حدثني رجل من أهل البصرة ، عن طلحة بن عبد اللّه بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، عن أبيه قال : سمعت أبي يذكر : أن[٤] أباه سمع أبا بكر وهو يقول : قلت لرسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : يا رسول اللّه ؛ أنعمل علىٰ ما فرغ منه أو علىٰ أمر مؤتنف ؟ قال : « بل علىٰ أمر قد فُرغ منه » . قال : ففيم العملُ يا رسول اللّه ؟ قال : « كل ميسر لما خلق له » .

رواية علي رضي اللّه عنه ، قال البخاري(٥) ، حدثنا أبو نعيم : حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن سعد بن عبيدة ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، عن علي بن أبي طالب قال : كنا مع رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم في بقيع الغَرقد في جنازة ، فقال : « ما منكم من أحد إلا وقد كُتب مقعده من الجنة ومقعده من النار » . فقالوا : يا رسول اللّه ؛ أفلا نتكل ؟ فقال : « اعملوا ، فكل ميسر لما خلق له » . قال : ثم قرأ : ﴿ فأما من أعطىٰ واتقىٰ وصدق بالحسنىٰ فسنيسره لليسرىٰ ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ للعسرىٰ ﴾ .

وكذا رواه من طريق شعبة(٦) ووكيع(٧) ، عن الأعمش ، بنحوه . ثم رواه عن عثمان بن أبي شيبة(٨) ، عن جرير ، عن منصور ، عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن ، عن[٥] علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه قال[٦] : كنا في جنازة في بقيع الغرقد ، فأتىٰ رسول اللّه صلىٰ اللّه

(٤) المسند (١/٥ - ٦) (١٩) . وضعفه أحمد شاكر في تعليقه على المسند ، لكن يشهد له ما بعده .
(٥) صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ فأما من أعطى واتقى ﴾ ، حديث (٤٩٤٥) (٧٠٨/٨).
(٦) صحيح البخاري ، باب : ﴿ فسنيسره لليسرى ﴾ ، حديث (٤٩٤٦) (٧٠٨/٨) .
(٧) صحيح البخاري ، باب : ﴿ وأما من بخل واستغنى ﴾ ، حديث (٤٩٤٧) (٧٠٨/٨ - ٧٠٩) .
(٨) صحيح البخاري ، باب : ﴿ وكذب بالحسنى ﴾ ، حديث (٤٩٤٨) (٧٠٩/٨) .

[١] - في ز ، خ : على ماله .
[٢] - في ز : بطريق .
[٣] - في ز ، خ : عباس .
[٤] - في خ : عن .
[٥] - في ز ، خ : هو .
[٦] - سقط من ت .

عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ، ومعه مِخصرة فنكس[١] فجعل ينكت بمخصرته ، ثم قال : « ما منكم من أحد- أو ما من نفس منفوسة - إلا كتب مكانها من الجنة والنار ، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة » . فقال رجل : يا رسول اللّٰه ؛ أفلا نتكل علىٰ كتابنا وندع العمل ؟ فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلىٰ أهل السعادة ، ومن كان منا من أهل الشقاوة[٢] فسيصير إلىٰ أهل الشقاء ؟ فقال : « أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة ، وأما أهل الشقاء فييسرون [إلىٰ عمل][٣] أهل الشقاء » . ثم قرأ : ﴿ **فأما من أعطىٰ واتقىٰ وصدق بالحسنىٰ [فسنيسره لليسرىٰ][٤]** ﴾ الآية .

وقد أخرجه بقية الجماعة من طرق عن سعد[٥] بن عبيدة به .

رواية عبد اللّٰه بن عمر[٦] ، وقال الإمام أحمد(٩) : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا شعبة عن عاصم بن عبيد اللّٰه قال : سمعت سالم بن عبد اللّٰه يحدث عن ابن عمر ؛ قال : قال عمر : يا رسول اللّٰه ؛ أرأيت ما نعمل فيه ؟ أفي أمر قد فرغ أو مبتدأ أو مبتدع ؟ قال : « فيما قد فرغ منه ، فاعمل يا ابن الخطاب فإن كلًّا ميسر أما من كان من أهل السعادة فإنه يعمل للسعادة ، وأما من كان من أهل الشقاء ، فإنه يعمل للشقاء » .

ورواه الترمذي في القدر عن بندار ، عن ابن مهدي ، به ، وقال : حسن صحيح .

(حديث آخر) من رواية جابر ، قال ابن جرير(١٠) : حدثني يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد اللّٰه أنه قال : يا رسول اللّٰه ؛ أنعمل لأمر قد فرغ منه ، أو لأمر نستأنفه ؟ فقال : « لأمر قد فرغ منه » . فقال سراقة : ففيم العمل إذًا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل عامل ميسر لعمله » .

ورواه مسلم، عن أبي الطاهر ، عن ابن وهب به .

(حديث آخر) قال ابن جرير(١١) : حدثني يونس ، حدثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن طلق بن حبيب ، عن بشير بن كعب العدوي ؛ قال : سأل غلامان شابان النبي صلىٰ اللّٰه

(٩) المسند (٢/٥٢) (٥١٤٠) . وأخرجه الترمذي في كتاب : القدر ، باب : ما جاء في الشقاء والسعادة ، حديث (٢١٣٦) (٦/٣٠٨) . قال الترمذي : حسن صحيح .

(١٠) تفسير الطبري (٣٠/٢٢٤) . ومسلم في كتاب : القدر ، باب : كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه ، وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته ، حديث (٨/٢٦٤٨م) (١٦/٣٠٣) .

(١١) تفسير الطبري (٣٠/٢٢٤ - ٢٢٥) .

[١] - في ت : فنكث .

[٢] - في ت : الشقاء .

[٣] - في خ : لعمل .

[٤] - سقط من ز .

[٥] - في ز ، خ : سعيد .

[٦] - في ز : عمرو .

عليه وسلم فقالا : يا رسول اللَّه ؛ أنعمل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير ، أو في شيء يستأنف ؟ فقال : « بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير » . قالا : ففيم العمل إذًا ؟ قال : « اعملوا فكل عامل ميسر لعمله الذي خلق له » . قالا : فالآن[١] نجد ونعمل .

(رواية أبي الدرداء) قال الإمام أحمد(١٢) : حدثنا هيثم[٢] بن خارجة ، حدثنا أبو الربيع سليمان بن عتبة السلمي ، عن يونس بن ميسرة بن حلبس ، عن أبي إدريس ، عن أبي الدرداء قال : قالوا : يا رسول اللَّه ؛ أرأيت ما نعمل ، أمر قد فرغ منه أم شيء نستأنفه ؟ قال : « بل أمر قد فرغ منه » . قالوا : فكيف بالعمل يا رسول اللَّه ؟ قال : « كل امرئ مهيأ لما خلق له » . تفرد به أحمد من هذا الوجه .

(حديث آخر) ، قال ابن جرير(١٣) : حدثني الحسن بن سلمة بن أبي كبشة ، حدثنا عبد الملك بن عمرو ، حدثنا عباد بن راشد ، عن قتادة ، حدثني خُلَيد العصري ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « ما من يوم غربت فيه شمسه إلا وبجنبتيها ملكان يناديان يسمعه خلق اللَّه كلهم إلا الثقلين : اللَّهم أعط منفقًا خلفًا ، وأعط ممسكًا تلفًا » . وأنزل اللَّه في ذلك القرآن : ﴿ **فأما من أعطىٰ واتقىٰ وصدق بالحسنىٰ فسنيسره لليسرىٰ * وأما من بخل واستغنىٰ وكذب بالحسنىٰ فسنيسره للعسرىٰ** ﴾ ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن ابن أبي كبشة بإسناده مثله .

(حديث آخر) ، قال ابن أبي حاتم(١٤) : حدثني أبو عبد اللَّه الطهراني ، حدثنا حفص بن عمر العدني[٣] ، حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن رجلًا كان له نخل ، ومنها نخلة فرعها إلىٰ[٤] دار رجل صالح فقير ذي عيال ، فإذا جاء الرجل فدخل داره وأخذ التمر من نخلته ، فتسقط التمرة فيأخذها صبيان الفقير[٥] ، فنزل من نخلته فنزع التمرة من أيديهم ، وإن أدخل [أحدهم التمرة في فمه][٦] أدخل أصبعه في حلق الغلام ونزع التمرة من حلقه . فشكا ذلك الرجل إلىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم وأخبره بما هو فيه من صاحب النخلة ، فقال له النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « اذهب » .

---

(١٢) المسند (٦/٤٤١) (٢٧٥٩٤) . وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٠٣٣) .
(١٣) تفسير الطبري (٣٠/٢٢١) .
(١٤) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٦/٦٠٣ - ٦٠٤) وعزاه إلى ابن أبي حاتم وضعف سنده .

---

[١] - سقط من خ .
[٢] - في ز ، خ : هشيم .
[٣] - في ت : العداني .
[٤] - في خ : في .
[٥] - في خ : الرجل .
[٦] - في ز ، خ : التمرة في فم أحدهم .

ولقي النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم صاحب النخلة ، فقال له النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم « أعطني نخلتك التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة » فقال له[١] : لقد أعطيت ، ولكن يعجبني ثمرها ، وإن لي [لنخلًا كثيرًا][٢] ما فيها نخلة أعجب إليَّ ثمرة من ثمرها . فذهب النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فتبعه رجل كان يسمع الكلام من رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ومن صاحب النخلة ، فقال الرجل : يا رسول اللَّه ؛ إن أنا أخذت النخلة فصارت لي النخلة فأعطيتها أتعطيني بها ما أعطيته بها نخلة في الجنة ؟ قال : « نعم » . ثم إن الرجل لقي صاحب النخلة - ولكليهما[٣] نخل - فقال له : أخبرك أن محمدًا أعطاني بنخلتي المائلة في دار فلان نخلة في الجنة ، فقلت له : قد أعطيت ولكن يعجبني ثمرها . فسكت عنه الرجل فقال له : أتراك إذًا بعتها ؟ قال : لا ، إلا أن أعطى بها شيئًا ، ولا أظنني أعطاه . قال : وما مناك بها[٤] ؟ قال : أربعون نخلة . فقال له[٥] الرجل : لقد جئت بأمر عظيم ، نخلتك تطلب بها أربعين نخلة ؟ ! ثم سكتا وأنشآ في كلام ، ثم قال : أنا أعطيك[٦] أربعين نخلة ، فقال : أشهد لي إن كنت صادقًا . فأمر بأناس فدعاهم فقال : اشهدوا أني قد أعطيته [من نخلي][٧] أربعين نخلة بنخلته التي فرعها في دار فلان بن فلان . ثم قال : ما تقول ؟ فقال صاحب النخلة : قد رضيت . ثم قال بعد : ليس بيني وبينك بيع لم نفترق . قال له : قد أقالك اللَّه ، ولست بأحمق حين أعطيتك أربعين نخلة بنخلتك المائلة . فقال صاحب النخلة : قد رضيت علىٰ أن تعطيني الأربعين علىٰ ما أريد . قال : تعطينيها علىٰ ساق . [ثم مكث ساعة ثم قال : هي لك علىٰ ساق . وأوقف له شهودًا ، وعد له أربعين نخلة علىٰ ساق][٨] فتفرقا فذهب الرجل إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال : يا رسول اللَّه ؛ إن النخلة المائلة في دار فلان قد صارت لي ، فهي لك . فذهب رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم إلىٰ الرجل صاحب الدار فقال له : « النخلة لك ولعيالك » . قال عكرمة : قال ابن عباس : فأنزل اللَّه عز وجل : ﴿ **والليل إذا يغشىٰ** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **فأما من أعطىٰ واتقىٰ * وصدق بالحسنىٰ * فسنيسره لليسرىٰ * وأما من بخل واستغنىٰ * وكذب بالحسنىٰ * فسنيسره للعسرىٰ** ﴾ إلىٰ آخر السورة .

هكذا[٩] رواه ابن أبي حاتم ، وهو حديث غريب جدًا .

قال ابن جرير(١٥) : وذكر أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي اللَّه عنه : حدثني

---

(١٥) تفسير الطبري (٣٠/٢٢١) .

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز : النخل كثير .
[٣] - في ز : ولكلاهما .
[٤] - في ز ، خ : فيها .
[٥] - سقط من ت .
[٦] - في ت : أعطيتك .
[٧] - سقط من خ .
[٨] - سقط من ز ، خ .
[٩] - في ز : هذا .

هارون بن إدريس الأصم ، حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال : كان أبو بكر يعتق على الإسلام بمكة ، فكان يعتق عجائز ونساء إذا أسلمن، فقال له أبوه : أي بني ؛ أراك تعتق أناسًا ضعفاء ، فلو أنك تعتق رجالًا جلداء يقومون معك ويمنعونك ويدفعون عنك ؟ ! فقال : أي أبت ؛ إنما أريد - أظنه قال - ما عند الله ، قال : فحدثني بعض أهل بيتي أن هذه الآية أنزلت فيه : ﴿ **فأما من أعطىٰ واتقىٰ * وصدق بالحسنىٰ * فسنيسره لليسرىٰ** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وما يغني عنه ماله إذا تردَّىٰ** ﴾ ، قال مجاهد : أي : إذا مات . وقال أبو صالح ومالك ، عن زيد بن أسلم : إذا تردَّىٰ في النار .

إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

قال قتادة : ﴿ **إن علينا للهدىٰ** ﴾ ، أي : نبين الحلال والحرام . وقال غيره : من سلك طريق الهدىٰ وصل إلىٰ الله . وجعله كقوله تعالىٰ : ﴿ **وعلىٰ الله قصد السبيل** ﴾ . حكاه ابن جرير .

وقوله : ﴿ **وإن لنا للآخرة والأولى** ﴾ أي الجميع ملكنا وأنا المتصرف فيهما .

وقوله : ﴿ **فأنذرتكم نارًا تلظىٰ** ﴾ ، قال مجاهد : أي توهج .

[قال الإمام أحمد(١٦) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن سماك بن حرب ، سمعت النعمان بن بشير يخطب يقول : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يخطب يقول : « [أنذركم النار أنذرتكم النار][١] ، أنذرتكم النار » - حتى لو أن رجلًا كان بالسوق لسمعه من مقامي هذا . قال حتى وقعت خميصة كانت على عاتقه عند رجليه][٢] .

---

(١٦) المسند (٢٧٢/٤) (١٨٤٤٩) . قال الهيثمي في « المجمع » (١٩٠/٢ - ١٩١) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز .

[٢] - ما بين المعكوفين سقط من خ .

وقال الإمام أحمد(١٧) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، حدثني أبو إسحاق : سمعت[١] النعمان بن بشير يخطب ويقول : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « إن أهون أهل النار عذابًا يوم القيامة رجل توضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما[٢] دماغه » رواه البخاري .

وقال مسلم(١٨) : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا أبو أسامة ، عن الأعمش ، عن أبي إسحاق ، عن النعمان بن بشير قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « إن أهون أهل[٣] النار عذابًا من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل ، ما يرى أن أحدًا أشد منه عذابًا ، وإنه لأهونهم عذابًا » .

وقوله: ﴿ **لا يصلاها إلا الأشقىٰ** ﴾ أي: لا يدخلها دخولًا يحيط به من جميع جوانبه إلا الأشقىٰ . ثم فسره فقال : ﴿ **الذي كذب** ﴾ ، أي : بقلبه ، ﴿ **وتولىٰ** ﴾ ، أي : عن العمل بجوارحه وأركانه .

قال الإمام أحمد(١٩) : حدثنا حسن بن موسىٰ ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا عبد ربه[٤] بن سعيد ، عن المقبري ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم « لا يدخل النار إلا شقي » . قيل : ومن[٥] الشقي ؟ قال : « الذي لا يعمل بطاعة ، ولا يترك لله معصية » .

وقال الإمام أحمد(٢٠) : حدثنا يونس وسريج قالا : حدثنا فُليح ، عن هلال بن علي ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: « كل أمتي تدخل الجنة يوم القيامة إلا من أبىٰ » . قالوا : ومن يأبىٰ يا رسول الله ؟ قال: « من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبىٰ » . ورواه البخاري عن محمد بن سنان عن فليح به .

وقوله : ﴿ **وسيجنبها الأتقىٰ** ﴾ ، أي : وسيزحزح عن النار التقي النقي الأتقىٰ . ثم فسره

(١٧) المسند (٤/٢٧٤) (١٨٤٦٤) . والبخاري في كتاب : الرقاق ، باب : صفة الجنة والنار ، حديث (٦٥٦١) (١١/٤١٧) وطرفه في [٦٥٦٢] . ومسلم في كتاب : الإيمان ، باب : أهون أهل النار عذابًا ، حديث (٢١٣/٣٦٣) (٣/١٠٦) .

(١٨) صحيح مسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : أهون أهل النار عذابًا ، حديث (٢١٣/٣٦٤) (٣/١٠٧) .

(١٩) المسند (٨٥٧٨ - شاكر) . وصححه أحمد شاكر .

(٢٠) المسند (٣/٨٧ - شاكر) . والبخاري في كتاب : الاعتصام ، باب : الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ، حديث (٧٢٨٠) (١٣/٢٤٩).

[١] - في ز : سمعنا .
[٢] - في ز : منها .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ز ، خ : الله .
[٥] - في ز : ما .

بقوله : ﴿ **الذي يؤتي ماله يتزكىٰ** ﴾ أي : يصرف ماله في طاعة ربه ، ليزكي نفسه وماله وما وهبه الله من دين ودنيا ، ﴿ **وما لأحد عنده من نعمة تجزىٰ** ﴾ ، أي : ليس بذله ماله[١] في مكافأة من أسدىٰ إليه معروفًا ، فهو يعطي في مقابلة ذلك ، وإنما دفعه ذلك ﴿ **ابتغاء وجه ربه الأعلىٰ** ﴾ ، أي : طمعًا في أن يحصل له رؤيته في الدار الآخرة في روضات الجنات ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **ولسوف يرضىٰ** ﴾ ، أي : ولسوف يرضىٰ من اتصف بهذه الصفات .

وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حتىٰ إن بعضهم حكىٰ الإجماع من المفسرين علىٰ ذلك . ولا شك أنه داخل فيها ، وأولىٰ الأمة بعمومها ، فإن لفظها لفظ العموم ، وهو قوله تعالىٰ : ﴿ **وسيجنبها الأتقىٰ * الذي يؤتي ماله يتزكىٰ * وما لأحد عنده من نعمة تجزىٰ** ﴾ ، ولكنه مقدم الأمة وسابقهم في جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة ، فإنه كان صديقًا تقيًا كريمًا جوادًا بذالًا لأمواله في طاعة مولاه ، ونصرة رسول الله ، فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم ، ولم يكن لأحد من الناس عنده منة يحتاج إلىٰ أن يكافئه بها ، ولكن كان فضله وإحسانه علىٰ السادات والرؤساء من سائر القبائل ، ولهذا قال له عروة بن مسعود - وهو سيد ثقيف ، يوم صلح الحديبية - : أما والله لولا يد لك كانت عندي لم أجزك بها لأجبتك . وكان الصديق قد أغلظ له في المقالة ، فإذا كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل ، فكيف بمن عداهم ؟ ولهذا قال : ﴿ **وما لأحد عنده من نعمة تجزىٰ * إلا ابتغاء وجه ربه الأعلىٰ * ولسوف يرضىٰ** ﴾ . وفي الصحيحين(٢١) أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « من أنفق زوجين في سبيل الله دعته خزنة الجنة : يا عبد الله ، هذا خير » فقال أبو بكر : يا رسول الله ، ما علىٰ من يُدعىٰ منها ضرورة فهل يدعى منها كلها أحد؟ قال : « نعم » وأرجو أن تكون منهم » .

آخر تفسير سورة الليل ، ولله الحمد والمنة

☆ ☆ ☆

---

(٢١) تقدم في سورة الزمر ، آية : (٧٣) .

---

[١] - في ز : حاله .

[تفسير] سورة الضحى

[وهي مكية]

رُوِّينا من طريق أبي الحسن أحمد بن محمد بن عبد اللّٰه بن أبي بزة المقرئ قال : قرأت علىٰ عكرمة بن سليمان ، وأخبرني أنه قرأ علىٰ إسماعيل بن قسطنطين وشبل بن عباد ، فلما بلغت ﴿ والضحىٰ ﴾ قالا لي : كبر حتىٰ تختم مع خاتمة كل سورة ، فإنا قرأنا علىٰ ابن كثير فأمرنا بذلك ، وأخبرنا أنه قرأ علىٰ مجاهد فأمره بذلك ، وأخبره [مجاهد أنه قرأ علىٰ ابن عباس فأمره بذلك ، وأخبره ابن عباس أنه قرأ علىٰ أُبيّ بن كعب فأمره بذلك ، وأخبره أُبيّ][١] أنه قرأ علىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فأمره بذلك .

فهذه سنة تفرد بها أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد اللّٰه البزي ، من ولد القاسم بن أبي بزة ، وكان إمامًا في القراءات . فأما في الحديث فقد ضعفه أبو حاتم الرازي ، وقال : لا يحدث[٢] عنه .

وكذلك أبو جعفر العقيلي ؛ قال : هو منكر الحديث . لكن حكىٰ الشيخ شهاب الدين أبو شامة في شرح الشاطبية عن الشافعي أنه سمع رجلًا يكبر هذا التكبير في الصلاة ، فقال له : أحسنت ، وأصبت السنة ، وهذا يقتضي صحة هذا الحديث .

ثم اختلف القراء في موضع هذا التكبير وكيفيته ، فقال بعضهم : يكبر من[٣] آخر ﴿ والليل إذا يغشىٰ ﴾ . وقال آخرون : من آخر ﴿ والضحىٰ ﴾ : وكيفية التكبير عند بعضهم أن يقول : اللّٰه أكبر ويقتصر ، ومنهم من يقول : اللّٰه أكبر ، لا إله إلا اللّٰه واللّٰه أكبر .

وذكر الفراء في مناسبة التكبير من أول « سورة الضحىٰ » ؛ أنه لما تأخر الوحي عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وفتر تلك المدة جاءه الملك فأوحىٰ إليه : ﴿ والضحىٰ * والليل إذا سجىٰ ...﴾ السورة بتمامها - كبر فرحًا وسرورًا . ولم يرو ذلك بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف ، فاللّٰه أعلم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .
[٢] - في ز ، خ : أحدث .
[٣] - في ز ، خ : في .

﴿فَـَٔاوَىٰ (٦) وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ (٧) وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ (٨) فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)﴾

قال الإمام أحمد(١) : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا سفيان ، عن الأسود بن قيس ؛ قال : سمعت جندبًا ؛ يقول : اشتكىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فلم يقم ليلة أو ليلتين ، فأتت امرأة فقالت : يا محمد ؛ ما أرىٰ شيطانك إلا قد تركك . فأنزل اللَّه عز وجل : ﴿ **والضحىٰ * والليل إذا سجىٰ * ما ودعك ربك وما قلىٰ** ﴾ .

و[١] رواه البخاري ، ومسلم ، والترمذي ، والنسائي ، وابن أبي حاتم ، وابن جرير ، من طرق[٢] ، عن الأسود بن قيس ، عن جندب - هو ابن عبد اللَّه البجلي ، ثم العلقي به ، وفي رواية سفيان بن عيينة عن الأسود بن قيس : سمع جندبًا ؛ قال : أبطأ جبريل علىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال المشركون : وُدِّعَ محمد . فأنزل اللَّه ﴿ **والضحىٰ * والليل إذا سجىٰ * ما ودعك ربك وما قلىٰ** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم(٢) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، وعمرو بن عبد اللَّه الأودي ؛ قالا : حدثنا أبو أسامة ، حدثني سفيان ، حدثني الأسود بن قيس ، أنه سمع جندبًا ؛ يقول : رمي رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بحجر في أصبعه فقال : هل أنت إلا أصبع دميت * وفي سبيل اللَّه ما لقيت ؟ .

قال : فمكث ليلتين أو ثلاثًا لا يقوم ، فقالت له امرأة : ما أرىٰ شيطانك إلا قد تركك . فنزلت : ﴿ **والضحىٰ * والليل إذا سجىٰ * ما ودعك ربك وما قلىٰ** ﴾ - والسياق لأبي سعيد .

---

(١) المسند (٣١٣/٤) (١٨٨٥٨) . والبخاري في كتاب : التهجد ، باب : ترك القيام للمريض ، حديث (١١٢٤) (٨/٣) . وأطرافه في : [١١٢٥ ، ٤٩٥٠ ، ٤٩٨٣] . ومسلم في كتاب : الجهاد والسير ، باب : ما لقى النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ، حديث (١١٤، ١٧٩٧/١١٥) (٢١٦/١٢ - ٢١٨) . والترمذي في كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة الضحى ، حديث (٣٣٤٢) (٧٦/٩) بمعناه وقال : حسن صحيح . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : سورة الضحى ، حديث (١١٦٨١) (٥١٧/٦) . والطبري (٢٣١/٣٠) .

(٢) وأصله في الصحيحين من طريق الأسود ؛ أخرجه البخاري في كتاب : الجهاد ، باب : من ينكب في سبيل الله ، حديث (٢٨٠٢) (١٩/٦) ، وطرفه في [٤١٤٦] . ومسلم في كتاب : الجهاد والسير ، باب : ما لقى النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ، حديث (١١٢، ١٧٩٦/١١٣) (٢١٥/١٢ - ٢١٦) . كلاهما من طريق الأسود عن جندب به نحوه .

---

[١] - سقط من ت . [٢] - في ز ، خ : طريق .

قيل : إن هذه المرأة هي أم جميل امرأة أبي لهب ، وذكر أن إصبعه ، عليه السلام ، دميت . وقوله - هذا الكلام الذي اتفق أنه موزون - ثابت في الصحيحين ولكن الغريب هاهنا جعله سببًا لتركه القيام ، ونزول هذه السورة ، فأما ما رواه ابن جرير(٣) : حدثنا ابن أبي الشوارب ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا سليمان الشيباني ، عن عبد الله بن شداد ؛ أن[١] خديجة قالت للنبي - صلى الله عليه وسلم - ما أرى ربك إلا قد قلاك . فأنزل الله : ﴿ والضحىٰ * والليل إذا سجىٰ * ما ودعك ربك وما قلىٰ ﴾ .

وقال أيضًا(٤) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا وكيع ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ؛ قال : أبطأ جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فجزع جزعًا شديدًا ، فقالت خديجة : إني أرى ربك قد قلاك مما يرى[٢] من جزعك . قال : فنزلت : ﴿ والضحىٰ * والليل إذا سجىٰ * ما ودعك ربك وما قلىٰ ﴾ ... إلى آخرها .

فإنه حديث مرسل من [هذين الوجهين][٣] ، ولعل ذكر خديجة ليس محفوظًا ، أو قالته على وجه التأسف والتحزن ، والله أعلم .

وقد ذكر بعض السلف - منهم ابن إسحاق - أن هذه السورة هي التي أوحاها جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تبدى له في صورته التي خلقه الله عليها ، ودنا إليه وتدلى منهبطًا عليه وهو بالأبطح ، ﴿ فأوحىٰ إلىٰ عبده ما أوحىٰ ﴾ قال : قال له هذه السورة : ﴿ والضحىٰ والليل إذا سجىٰ ﴾ .

قال العوفي ، عن ابن عباس : لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ، أبطأ عنه جبريل أيامًا ، فتغير[٤] بذلك ، فقال المشركون : ودعه ربه وقلاه . فأنزل الله : ﴿ ما ودعك ربك وما قلىٰ ﴾ .

وهذا قسم منه تعالى بالضحى وما جعل فيه من الضياء ، ﴿ والليل إذا سجىٰ ﴾ ، أي : سكن فأظلم وادلهم . قاله مجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، وابن زيد ، وغيرهم . وذلك دليل ظاهر على قدرة خالق هذا وهذا ، كما قال : ﴿ والليل إذا يغشىٰ والنهار إذا تجلىٰ ﴾ وقال : ﴿ فالق الإصباح وجعل[٥] الليل سكنًا والشمس والقمر حسبانًا ذلك تقدير العزيز العليم ﴾

(٣) تفسير الطبري (٢٣١/٣٠) .
(٤) تفسير الطبري (٢٣٢/٣٠) .

[١] - في خ : عن .
[٢] - في ت : نرى .
[٣] - بياض في ز ، خ .
[٤] - في الطبري : فعير .
[٥] - في ز : « وجاعل » ، وهي قراءة ابن كثير .

وقوله : ﴿ ما ودعك ربك ﴾ ، أي : ما تركك ، ﴿ وما قلىٰ ﴾ أي : وما أبغضك ، ﴿ وللآخرة خير لك من الأولىٰ ﴾ ، أي وللدار الآخرة خير لك من هذه الدار ؛ ولهذا كان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أزهد الناس في الدنيا ، وأعظمهم لها اطِّراحًا ، كما هو معلوم من سيرته . ولما خير – عليه السلام – في آخر عمره بين الخلد في الدنيا إلىٰ آخرها ثم الجنة ، وبين الصيرورة إلىٰ اللّٰه – عز وجل – اختار ما عند اللّٰه علىٰ هذه الدنيا الدنية .

قال الإمام أحمد(٥) : حدثنا يزيد ، حدثنا المسعودي ، عن عمرو[١] بن مرة ، عن إبراهيم النخعي ، عن علقمة ، عن عبد اللّٰه – هو ابن مسعود – قال : اضطجع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم علىٰ حصير ، فأثر في جنبه ، فلما استيقظ جعلت أمسح جنبه وقلت : يا رسول اللّٰه ؛ ألا آذنتنا حتىٰ نبسط لك علىٰ الحصير شيئًا ؟ فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « مالي وللدنيا ؟ ! ما أنا والدنيا ؟ ! إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب ظل تحت شجرة ، ثم راح وتركها » . ورواه الترمذي ، وابن ماجة من حديث المسعودي به ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقوله : ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضىٰ ﴾ أي : في الدار الآخرة يعطيه حتىٰ يرضيه في أمته ، وفيما أعده[٢] له من الكرامة ، ومن جملته نهر الكوثر الذي حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف ، وطينه مسك أذفر ، كما سيأتي .

وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعي ، عن إسماعيل بن عبيد اللّٰه بن أبي[٣] المهاجر المخزومي ، عن علي بن عبد اللّٰه بن عباس ، عن أبيه ؛ قال : عرض علىٰ رسول اللّٰه ما هو مفتوح علىٰ أمته من بعده كنزًا كنزًا ، فسر بذلك ، فأنزل اللّٰه ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ فأعطاه في الجنة ألف[٤] قصر ، في كل قصر ما ينبغي له من الأزواج والخدم[٥] .

رواه ابن جرير(٦) من طريقه ، وهذا إسناد صحيح إلىٰ ابن عباس . ومثل[٦] هذا ما يقال إلا عن توقيف .

---

(٥) المسند (٣٩١/١) (٣٧٠٩) . والترمذي في كتاب : الزهد ، باب : ما أنا في الدنيا إلا كراكب ، حديث (٢٣٧٨) (١١٠/٧) . وابن ماجة في كتاب : الزهد ، باب : مثل الدنيا ، حديث (٤١٠٩) (١٣٧٦/٢) . قال الترمذي : حسن صحيح .

(٦) تفسير الطبري (٢٣٢/٣٠) .

---

[١] – في ز : عمر .

[٢] – في خ : وعده .

[٣] – في ز ، خ : بشر .

[٤] – في ت : ألف ألف .

[٥] – في ت : والخدام .

[٦] – في ز : وقبل .

وقال السدي عن ابن عباس: من رضا محمد -صلى الله عليه وسلم- أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار. رواه[١] ابن جرير(٧)، وابن أبي حاتم.

وقال الحسن: يعني بذلك: الشفاعة، وهكذا قال أبو جعفر الباقر[٢].

وقال أبو بكر بن أبي شيبة(٨): حدثنا معاوية بن هشام، عن علي بن صالح، عن يزيد[٣] ابن أبي زياد، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله؛ قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة علىٰ الدنيا: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضىٰ﴾».

ثم قال تعالىٰ - يعدد نعمه[٤] علىٰ عبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه: ﴿ألم يجدك يتيمًا فآوىٰ﴾، وذلك أن أباه توفي وهو حمل في بطن أمه، وقيل: بعد أن ولد عليه السلام. ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب وله من العمر ست سنين، ثم كان في كفالة جده عبد المطلب، إلىٰ أن توفي وله من العمر ثمان سنين، فكفله عمه أبو طالب، ثم لم يزل يحوطه وينصره ويرفع من قدره ويوقره، ويكف عنه أذىٰ قومه بعد أن ابتعثه الله علىٰ رأس أربعين سنة من عمره، هذا وأبو طالب علىٰ دين قومه من عبادة الأوثان، وكل ذلك بقدر الله وحسن تدبيره، إلىٰ أن توفي أبو طالب قبل الهجرة بقليل، فأقدم عليه سفهاء قريش وجهالهم، فاختار الله له الهجرة من بين أظهرهم إلىٰ بلد الأنصار من الأوس والخزرج، كما أجرىٰ الله سُنّته[٥] علىٰ الوجه الأتم الأكمل. فلما وصل إليهم آووه ونصروه وحاطوه وقاتلوا بين يديه - رضي الله عنهم أجمعين - وكل هذا من حفظ الله له وكلاءته وعنايته به.

وقوله: ﴿ووجدك ضالًّا فهدىٰ﴾ كقوله: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورًا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلىٰ صراط مستقيم﴾ ومنهم من قال: المراد بهذا أنه - عليه السلام - ضل[٦] في شعاب مكة وهو صغير، ثم رجع. وقيل: إنه ضل وهو مع عمه في طريق الشام، وكان راكبًا ناقة في الليل، فجاء إبليس يعدل بها عن الطريق، فجاء جبريل، فنفخ إبليس نفخة ذهب منها [إلىٰ الحبشة][٧]، ثم عدل بالراحلة إلىٰ الطريق. حكاهما البغوي.

---

(٧) أخرجه الطبري (٢٣٢/٣٠). وفي إسناده الحكم بن ظهير وهو متروك.

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» في كتاب: الفتن، باب: ما ذكر في عثمان، حديث (٧٤) (٨/ ٦٩٧) مطولًا بأتم من ذلك وليس فيه ذكر الآية.

---

[١] - في ت: ورواه.

[٢] - سقط من ز، خ.

[٣] - في ت: زيد.

[٤] - في ز: نعمته.

[٥] - في ز: سببه.

[٦] - في ز: صلى.

[٧] - في ز، خ: ذي الجنبة.

وقوله: ﴿ووجدك عائلًا فأغنىٰ﴾ ، أي: كنت فقيرًا ذا عيال ، فأغناك الله عمن سواه ، فجمع له بين مقامي الفقير الصابر والغني الشاكر ، صلوات الله وسلامه عليه .

وقال قتادة في قوله: ﴿ألم يجدك يتيمًا فآوى ووجدك ضالًّا فهدى ووجدك عائلًا فأغنىٰ﴾ ، قال: كانت هذه منازل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قبل أن يبعثه الله عز وجل . رواه ابن جرير(٩) وابن أبي حاتم .

وفي الصحيحين (١٠)- من طريق عبد الرزاق - عن معمر ، عن همام بن منبه؛ قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة؛ قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: [«ليس الغنى عن كثرة العَرَض ، ولكن الغنى غنى النفس» .

وفي صحيح مسلم(١١) عن عبد الله بن عمرو ، قال: قال رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم][١] -: «قد أفلح من أسلم ورزق كفافًا وقنّعه الله بما أتاه» .

ثم قال: ﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾ أي: كما[٢] كنت يتيمًا فآواك الله فلا تقهر[٣] اليتيم ، أي: لا تذله وتنهره وتهنه ، ولكن أحسن إليه ، وتلطف به .

قال قتادة: كن لليتيم كالأب الرحيم .

﴿وأما السائل فلا تنهر﴾ أي كما كنت ضالًّا فهداك الله ، فلا تنهر السائل في العلم المسترشد .

قال ابن إسحاق: ﴿وأما السائل فلا تنهر﴾ ، أي: فلا تكن جبارًا ، ولا متكبرًا ، ولا فحّاشًا ، ولا فظًّا علىٰ الضعفاء من عباد الله .

---

(٩) أخرجه الطبري (٣٠/٢٣٣) .

(١٠) المسند (٨١٥٩) من هذا الطريق ، ولم أجده عند البخاري ومسلم من طريق عبد الرزاق هذا ، إنما الذي عند البخاري من طريق أبي صالح عن أبي هريرة، أخرجه في كتاب: الرقاق ، باب: الغنى غنى النفس ، حديث (٦٤٤٦) (١١/٢٧١) . وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة ، باب: ليس الغنى عن كثرة العرض ، حديث (١٢٠/١٠٥١) (٧/١٩٨) . من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة . وقال الشيخ أحمد شاكر: ولم يروه الشيخان من طريق الصحيفة . اهـ . يعني صحيفة همام بن منبه أي من هذا الطريق فوافق ما ذكرته والحمد لله .

(١١) صحيح مسلم ، كتاب: الزكاة ، باب: في الكفاف والقناعة ، حديث (١٢٥/١٠٥٤) (٧/٢٠٤ - ٢٠٥) .

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

[٢] - سقط من خ .

[٣] - في ز: تنهر .

وقال قتادة : يعني : رد المسكين برحمة ولين .

﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ أي : وكما كنت عائلًا فقيرًا فأغناك اللّه ، فحدث بنعمة اللّه عليك ، كما جاء في الدعاء المأثور النبوي : « واجعلنا شاكرين لنعمتك ، مثنين بها ، قابليها ، وأتمها[١] علينا » .

وقال ابن جرير(١٢) : حدثني يعقوب ، حدثنا ابن عُلية ، حدثنا سعيد بن [إياس][٢] الجُرَيْري ، عن أبي نضرة ؛ قال : كان المسلمون يرون أن من شكر النعم أن يحدث بها .

وقال عبد الله بن الإمام أحمد(١٣) : حدثنا منصور بن أبي مزاحم ، حدثنا الجراح بن مليح ، عن أبي عبد الرحمن ، عن الشعبي ، عن النعمان بن بشير ؛ قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم [علىٰ المنبر][٣] : « من لم يشكر القليل ، لم يشكر الكثير ، ومن لم يشكر الناس لم يشكر اللّه . والتحدث[٤] بنعمة اللّه شكر ، وتركها كفر ؛ والجماعة رحمة ، والفرقة عذاب » . إسناده ضعيف .

وفي الصحيحين(١٤) ، عن أنس ، أن المهاجرين قالوا : يا رسول اللّه ؛ ذهب الأنصار بالأجر كله . قال : « لا ، ما دعوتم[٥] اللّه لهم ، وأثنيتم[٦] عليهم » .

وقال أبو داود(١٥) : حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا الربيع بن مسلم ، عن محمد بن زياد ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم ؛ قال : « لا يشكر[٧] اللّه من لا يشكر

---

(١٢) أخرجه الطبري (٣٠/٢٣٤) .

(١٣) أخرجه عبد الله بن أحمد (٤/٢٧٨) (١٨٥٠٠) في زوائد المسند .

(١٤) لم أجده في الصحيحين . والحديث أخرجه أحمد (٣/٢٠٠ - ٢٠١) (١٣٠٩٨) وأبو داود في كتاب : الأدب ، باب : في شكر المعروف ، حديث (٤٨١٢) (٤/٢٥٥) . والترمذي في كتاب : صفة القيامة ، باب : مواساة الأنصار للمهاجرين ، حديث (٢٤٨٩) (٧/١٨٤) . والنسائي في الكبرى في كتاب: عمل اليوم والليلة ، باب : ما يقول لمن صنع إليه معروفًا ، حديث (١٠٠٠٩) (٦/٥٣) . والبخاري في الأدب المفرد ، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (١٥٩ ، ٢١٧) . كلهم من طرق عن أنس - رضي الله عنه - به مثله ونحوه . قال الترمذي : حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه . والحديث في تحفة الأشراف (٣٤٠) ولم يعزه إلى البخاري ولا مسلم ، وعزاه إلى أبي داود والنسائي .

(١٥) سنن أبي داود في كتاب : الأدب ، باب : في شكر المعروف ، حديث (٤٨١١) (٤/٢٥٥) . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٠٢٦) .

---

[١] - في ز : وأتممها .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - سقط من ز ، خ .

[٤] - في ز : والمحدث .

[٥] - في ز : دعوهم .

[٦] - في ز : وأثنيتهم .

[٧] - في ز : شكر .

الناس » .

ورواه الترمذي(١٦) عن أحمد بن محمد ، عن ابن المبارك ، عن الربيع بن مسلم ، وقال : صحيح .

وقال أبو داود(١٧) : حدثنا عبد الله بن الجراح ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم؛ قال : « من أبلىٰ بلاء فذكره فقد شكره ، وإن كتمه فقد كفره » . تفرد به أبو داود .

وقال أبو داود(١٨) : حدثنا مسدد ، حدثنا بشر ، حدثنا عمارة بن غزية ، حدثني رجل من قومي ، عن جابر بن عبد الله؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « من أعطي[١] عطاء فوجد فليجز به ، فإن لم يجد فليثن به ، فمن أثنىٰ به فقد شكره ، ومن كتمه فقد كفره » . قال أبو داود : ورواه يحيىٰ بن أيوب ، عن عمارة بن غزية ، عن شرحبيل عن جابر كرهوه فلم يسموه . تفرد به أبو داود .

وقال مجاهد : يعني النبوة التي أعطاك ربك . وفي رواية عنه : القرآن .

وقال ليث عن رجل عن الحسن بن[٢] علي : ﴿ **وأما بنعمة ربك فحدث** ﴾ ، قال : ما عملت من خير فحدث إخوانك .

وقال محمد بن إسحاق : ما جاءك الله من نعمة وكرامة من النبوة فحدث بها واذكرها[٣] ، وادع إليها ، وقال : فجعل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يذكر ما أنعم الله به عليه من النبوة سرًّا[٤] إلىٰ من يطمئن إليه من أهله ، وافترضت عليه الصلاة ، فصلىٰ .

آخر تفسير سورة الضحى

[ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة]

☆ ☆ ☆

(١٦) سنن الترمذي ، كتاب : البر والصلة ، باب : ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك ، حديث (١٩٥٥) (٦/ ١٨٧ ، ١٨٨) . قال الترمذي : حسن صحيح .

(١٧) سنن أبي داود ، كتاب : الأدب ، باب : في شكر المعروف ، حديث (٤٨١٤) (٤/٢٥٦) . وصححه الألباني في الصحيحة (٦١٨) .

(١٨) سنن أبي داود في الموضع السابق ، حديث (٤٨١٣) (٤/٢٥٥ - ٢٥٦) .

[١] - في ز : أعطا .

[٢] - في خ : عن .

[٣] - في ز : فاذكرها .

[٤] - في خ : سواء .

[تفسير] سورة « ألم نشرح »

[وهي مكية]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **ألم نشرح لك صدرك** ﴾ ، يعني أما شرحنا لك صدرك ، أي : نورناه وجعلناه فسيحًا رحيبًا واسعًا ، كقوله : ﴿ **فمن يرد اللَّه أن يهديه يشرح صدره للإسلام** ﴾ وكما شرح الله صدره كذلك جعل شرعه فسيحًا واسعًا سمحًا سهلًا ، لا حرج فيه ولا إصر ، ولا ضيق .

وقيل : المراد بقوله : ﴿ **ألم نشرح لك صدرك** ﴾ : شرح صدره ليلة الإسراء ، كما تقدم من رواية مالك بن صعصعة وقد أورده الترمذي(١) هاهنا . وهذا وإن كان واقعًا ، ولكن لا منافاة ، فإن من جملة شرح صدره الذي فعل بصدره ليلة الإسراء ، وما نشأ عنه من الشرح المعنوي أيضًا ، واللَّه أعلم .

قال عبد اللَّه بن الإمام أحمد(٢) : حدثني محمد بن عبد الرحيم أبو يحيىٰ البزاز ، حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا معاذ بن محمد بن معاذ بن محمد بن أبي بن كعب ، حدثني أبي محمد بن معاذ ، [عن معاذ][١] عن محمد ، عن أبي بن كعب ؛ أن أبا هريرة كان جريًّا علىٰ أن يسأل رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم عن أشياء لا يسأله عنها غيره ، فقال : يا رسول اللَّه ؛ ما أول ما رأيت من أمر النبوة ؟ فاستوىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم جالسًا ، وقال : « لقد سألت يا أبا هريرة ، إني لفي صحراء[٢] ابن عشر سنين وأشهر ، وإذا بكلام فوق رأسي ، وإذا رجل يقول لرجل : أهو هو ؟ [قال : نعم][٣] فاستقبلاني بوجوه لم أرها

(١) تقدم تخريجه في أول سورة الإسراء .

(٢) المسند (٥/١٣٩) (٢١٣٣٨) . وإسناده ضعيف : قال ابن المديني : حديث مدني إسناده مجهول كله ، ولا نعرف محمداً ولا أباه ، لا جده . والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد في موضعين : الأول (٨/ ٢٢٢، ٢٢٣) وقال : « رواه عبد الله ورجاله ثقات ، وثقهم ابن حبان . والثاني (٩/ ٣٦١) وقال : أيضًا « رجاله ثقات » .

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - في ت : الصحراء .

[٣] - سقط من ز ، خ .

الخلق[١] قط ، وأرواح لم أجدها من خلق قط ، وثياب لم أرها على أحد قط ، فأقبلا إليّ يمشيان ، حتى أخذ كل [ ][٢] واحد منهما بعضدي ، لا أجد لأحدهما مسًا ، فقال أحدهما لصاحبه : أضجعه . [ ][٣] فأضجعاني بلا قصر ولا هصر . فقال أحدهما لصاحبه : افلق صدره ، فهوى[٤] أحدهما إلى صدري ففلقه فيما أرى بلا دم ولا وجع ، فقال له : أخرج الغل والحسد . فأخرج شيئًا كهيئة العلقة ثم نبذها فطرحها ، فقال له : أدخل الرأفة والرحمة ، فإذا مثل القمر[٥] أخرج شبه الفضة ، ثم هز إبهام رجلي اليمنى فقال : اغد واسلم . فرجعت بها أعدو [ ][٦] ، رقة على الصغير ، ورحمة للكبير[٧] » .

[وقوله : ﴿ ووضعنا عنك وزرك ﴾ بمعنى : ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ . ﴿ الذي أنقض ظهرك ﴾ الإنقاض : الصوت . وقال غير واحد من السلف في قوله : ﴿ الذي أنقض ظهرك ﴾ ، أي أثقلك حمله][٨] .

وقوله : ﴿ ورفعنا لك ذكرك ﴾ ، قال مجاهد : لا أذكر إلا ذكرت[٩] معي[١٠] : أشهد أن لا إله إلا الله ، و[١١] أشهد أن محمدًا رسول الله ، وقال قتادة : رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة ، فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله .

و[١٢] قال ابن جرير(٣) : حدثني يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرنا عمرو بن الحارث ، عن دراج[١٣] ، عن [أبي الهيثم][١٤] ، عن أبي سعيد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أنه قال : « أتاني جبريل فقال : إن ربي وربك يقول : كيف رفعت ذكرك ؟ قال : الله أعلم . قال : إذا ذكرت ذكرت معي » . وكذا رواه ابن أبي حاتم عن يونس بن عبد الأعلى به . ورواه أبو يعلى(٤) من طريق ابن لهيعة ، عن دراج .

---

(٣) تفسير الطبري (٣٠/٢٣٥) .

(٤) وأبو يعلى (٢/٥٢٢) (١٣٨٠) .

---

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - في ز : وأخذ كل .

[٣] - في ز ، خ : فأضجعه .

[٤] - في ز : فحدا .

[٥] - في ت : الذي .

[٦] - في ز ، خ : بها .

[٧] - في ز : الكبير .

[٨] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

[٩] - في خ : ذكر .

[١٠] - في ز : ففي .

[١١] - سقط من ز .

[١٢] - سقط من ت .

[١٣] - في ز ، خ : رواحة .

[١٤] - في ز ، خ : إبراهيم .

وقال ابن أبي حاتم(٥) : حدثنا أبو زرعة حدثنا أبو عمر الحوضي ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « سألت ربي مسألة وددت أني لم أكن سألته . قلت : قد كانت قبلي أنبياء ، منهم من سخرت له الريح ، ومنهم من يحيي الموتىٰ . قال : يا محمد ، ألم أجدك يتيمًا فآويتك ؟ قلت : بلىٰ يارب . قال : ألم أجدك ضالًا فهديتك ؟ قلت : بلىٰ يارب . قال : ألم[١] أجدك عائلًا فأغنيتك ؟ قال[٢] : قلت : بلىٰ يارب . قال : ألم أشرح لك صدرك ؟ ألم أرفع لك ذكرك ؟ قلت : بلىٰ يارب » .

[وقال أبو نعيم في دلائل النبوة(٦) : حدثنا أبو أحمد الغطريفي ، حدثنا موسىٰ بن سهل الجوني ، حدثنا أحمد بن القاسم بن بهرام الهيتي ، حدثنا نصر بن حماد ، عن عثمان بن عطاء ، عن الزهري ، عن أنس؛ قال : قال رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم : « لما فرغت مما أمرني الله به من أمر السماوات والأرض قلت : يارب ، إنه لم يكن نبي قبلي إلا وقد كرمته ، جعلت إبراهيم خليلًا ، وموسىٰ كليمًا ، وسخرت لداود الجبال ، ولسليمان الريح والشياطين[٣] ، وأحييت لعيسىٰ الموتىٰ ، فما جعلت لي ؟ قال : أو ليس قد أعطيتك أفضل من ذلك كله ، أني لا أذكر إلا ذكرت معي ، وجعلت صدور أمتك أناجيل[٤] يقرءون القرآن ظاهرًا ، ولم أعطها أمة ، وأعطيتك كنزًا من كنوز عرشي : لا حول ولا قوة إلا بالله [العلي العظيم][٥] »] .

وحكى البغوي عن ابن عباس ومجاهد ، أن المراد بذلك : الأذان ، يعني : ذكره فيه ، وأورد من شعر حسان بن ثابت :

أغَرُّ ، عَلَيه للنبوة خَاتَم مِنَ الله من نُور يَلوحُ وَيشْهد
وَضمّ الإلهُ اسم النبي إلىٰ اسمه إذا قَالَ في الخَمْس المؤذنُ : أشهدُ
وَشَقّ لَهُ مِنَ اسمه ليُجلّه فَذُو العَرْش محمودٌ ، وَهَذا مُحَمَّدُ

وقال آخرون : رفع الله ذكره في الأولين والآخرين[٦] ، ونوه به ، حين أخذ الميثاق علىٰ

(٥) أخرجه الطبراني (١١/٤٥٥) (١٢٢٨٩) . والحاكم (٢/٥٢٦) وصححه ووافقه الذهبي . والبيهقي في « دلائل النبوة » (٧/٦٢ - ٦٣) كلهم من طريق حماد بن زيد بهذا الإسناد . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد» (٨/٢٥٧) : رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط .اهـ .

(٦) لم أجده في المطبوع من دلائل النبوة لأبي نعيم ، وقد جاء في هامش طبعة الشعب : لم يقع لنا هذا الحديث في دلائل النبوة لأبي نعيم ، وهذا يؤكد ما سبق أن ذكرناه أن طبعة حيدر أباد هذه غير كاملة . اهـ .

[١] - سقط من ز . [٢] - سقط من خ .
[٣] - بياض في ز ، خ . [٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - سقط من ز . [٦] - سقط من ز ، خ .

جميع النبيين أن يؤمنوا به ، وأن يأمروا أممهم بالإيمان به ، ثم شهر ذكره في أمته فلا يذكر اللَّه إلا ذكر معه . وما أحسن ما قال الصرصري - رحمه الله :

لا يصح الأذان في الفرض إلا باسمه العذب [في الفم المرضى][١]

وقال أيضًا :

[ألم تر أنَّا لا يصح أذاننا ولا فَرْضُنا إنْ لم نُكَرّره فيهما][٢]

وقوله : ﴿ فإن[٣] مع العسر يسرًا * إن مع العسر يسرًا ﴾ ، أخبر تعالىٰ أن مع العسر يوجد اليسر ، ثم أكد هذا[٤] الخبر .

قال ابن أبي حاتم(٧) : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا محمود بن غيلان ، حدثنا حميد بن حماد بن [ ][٥] خوار أبو الجهم ، حدثنا عائذ بن شريح ؛ قال : سمعت أنس بن مالك ؛ يقول : كان النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم جالسًا[٦] وحياله حجر ، فقال : « لو جاء العسر فدخل هذا الحجر لجاء اليسر حتىٰ يدخل عليه فيخرجه[٧] ، فأنزل اللَّه عز وجل : ﴿ [فإنَّ][٨] مع العسر يسرًا * إن مع العسر يسرًا ﴾ .

ورواه أبو بكر البزار(٨) في مسنده عن محمد بن معمر ، عن حميد بن حماد به ، ولفظه : « لو جاء العسر حتىٰ يدخل هذا الحجر لجاء اليسر حتىٰ يخرجه » . ثم قال : ﴿ [فإن مع العسر يسرًا][٩] * إن مع العسر يسرًا ﴾ ، ثم قال البزار : لا نعلم رواه عن أنس إلا عائذ بن شريح .

قلت : وقد قال فيه أبو حاتم الرازي : في حديثه ضعف ، ولكن رواه شعبة ، عن معاوية ابن[١٠] قرة ، عن رجل ، عن عبد اللَّه بن مسعود موقوفًا .

---

(٧) أخرجه الطبراني في الأوسط (١٤٥/٢ - ١٤٦) (١٥٢٥) . وأبو نعيم في أخبار أصفهان (١٠٧/١) والحاكم (٢٥٥/٢) . والبيهقي في « الشعب » (٢٠٦/٧) (١٠٠١٢) كلهم من طريق حميد بن حماد به مثله ونحوه .

(٨) مختصر زوائد البزار (١١٩/٢) (١٥٣٤) . قال البزار : لا نعلم رواه عن أنس إلا عائذ . قال ابن حجر : وهو ضعيف . قال الحاكم : هذا حديث غريب ، غير أن الشيخين لم يحتجا بعائذ بن شريح . قال الذهبي في التلخيص : تفرد به حميد بن حماد عن عائذ ، وحميد منكر الحديث كعائذ .

---

[١] - في ز ، خ : المرضي به .
[٢] - بياض في ز ، خ .
[٣] - في ز : إن .
[٤] - سقط من خ .
[٥] - في ز ، خ : أبي .
[٦] - في ز : جالس .
[٧] - سقط من ز ، خ .
[٨] - في ز : إن .
[٩] - سقط من ز .
[١٠] - في ز ، خ : عن .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدثنا أبو قطن ، حدثنا المبارك ابن فضالة ، عن الحسن؛ قال : كانوا يقولون : لا يغلب عسر واحد يسرين اثنين[١] .

وقال[٢] ابن جرير(٩) : حدثنا ابن عبد الأعلىٰ ، حدثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن؛ قال : خرج النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يومًا مسرورًا فرحًا وهو يضحك ، وهو يقول : « لن يغلب عسر يسرين . لن يغلب عسر يسرين . إن مع العسر يسرًا ، إن مع العسر يسرًا » .

وكذا رواه(١٠) من حديث عوف الأعرابي[٣] ويونس بن عبيد عن الحسن مرسلًا. وقال سعيد ، عن قتادة : ذكر لنا أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بشر أصحابه بهذه الآية فقال : « لن يغلب عسر يسرين » .

ومعنىٰ هذا أن العسر معرف في الحالين ، فهو مفرد ، واليسر منكر فتعدد ؛ ولهذا قال : « لن يغلب عسر يسرين » ، يعني قوله : ﴿ فإن[٤] مع العسر يسرًا * إن مع العسر يسرًا ﴾ ، فالعسر الأول عين الثاني ، واليسر تعدد .

وقال الحسن بن سفيان(١١) : حدثنا يزيد بن صالح ، حدثنا خارجة ، عن عباد بن كثير ، عن أبي الزناد ، عن أبي صالح عن أبي هريرة ؛ أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم؛ قال : « نزل المعونة من السماء علىٰ قدر المئونة ، ونزل الصبر علىٰ قدر المصيبة » . ومما يروىٰ عن الشافعي - رضي الله عنه - أنه قال :

صبرًا جميلًا ما أقرَب الفرَجا   مَن رَاقَب اللّٰه في الأُمور نجَا
مَن صدَق اللّٰه لَم يَنَلْه أذىٰ   وَمَن رجاه يَكون حيث رجَا

وقال ابن دُرَيد : أنشدني أبو حاتم السجستاني :

إذا اشتَمَلَتْ عَلَىٰ اليَأسِ القُلوبُ   وَضَاقَ لمَا به الصَّدْرُ الرّحيبُ
وأوطات المكَاره واطمَأنَّتْ   وَأرْست في أمَاكنها الخُطوبُ
وَلم تَرَ لانكشاف الضُّر وجْهًا   وَلَا أغْنىٰ بحيلَتِهِ الأريبُ

(٩) تفسير الطبري (٢٣٦/٣٠) . وأخرجه الحاكم من طريق آخر عن الحسن (٥٢٨/٢) وقال : إسناده مرسل وتبعه الذهبي .

(١٠) تفسير الطبري (٢٣٦/٣٠) .

(١١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٠٧/٥ مخطوط) .

[١] - سقط من ت .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ز : الأعرافي .
[٤] - في ز : إن .

أَتَاكَ عَلَىٰ قُنُوطٍ مِنْكَ غَوْثٌ يَمُنُّ بِهِ اللَّطِيفُ المُسْتَجِيبُ
وَكُلُّ الحَادِثَاتِ إِذَا تَنَاهَتْ فَمَوْصُولٌ بِهَا الفَرَجُ القَرِيبُ

وقال آخر:

وَلَرُبَّ نَازِلَةٍ يَضِيقُ بِهَا الفَتَىٰ ذَرْعًا، وَعِنْدَ اللَّهِ مِنْهَا المَخْرَجُ
كَمُلَتْ، فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتْ حَلَقَاتُهَا فُرِجَتْ، وَكَانَ يَظُنُّهَا لَا تُفْرَجُ

وقوله: ﴿ **فإذا فرغت فانصب * وإلىٰ ربك فارغب** ﴾، أي: إذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها وقطعت علائقها، فانصب في العبادة، وقم إليها نشيطًا فارغ البال، وأخلص لربك النية والرغبة. ومن هذا القبيل قوله صلىٰ الله عليه وسلم في الحديث المتفق[١] علىٰ صحته(١٢): « لا صلاة بحضرة طعام، ولا وهو يدافعه الأخبثان ». وقوله(١٣): صلى الله عليه وسلم: « إذا أقيمت الصلاة وحضر العشاء فابدءوا بالعَشاء ».

قال مجاهد في هذه الآية: إذا فرغت من أمر الدنيا فقمت إلىٰ الصلاة، فانصب لربك، وفي رواية عنه: إذا قمت إلىٰ الصلاة فانصب في حاجتك، وعن ابن مسعود: إذا فرغت من الفرائض فانصب[٢] في قيام الليل. وعن ابن عياض نحوه. وفي رواية عن ابن مسعود: ﴿ **فانصب * وإلىٰ ربك فارغب** ﴾ بعد فراغك من الصلاة وأنت جالس.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿ **فإذا فرغت فانصب** ﴾ يعني: في الدعاء.

وقال زيد بن أسلم، والضحاك: ﴿ **فإذا فرغت** ﴾، أي: من الجهاد[٣] ﴿ **فانصب** ﴾، أي: في العبادة. ﴿ **وإلى ربك فارغب** ﴾ قال الثوري: اجعل نيتك ورغبتك إلى الله عز وجل.

آخر تفسير سورة ألم نشرح، ولله الحمد [والمنة وبه التوفيق والعصمة]

☆ ☆ ☆

---

(١٢) صحيح مسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله في الحال، حديث (٥٦٠/٦٧) (٦٥/٥) من حديث عائشة - رضي الله عنها. ولم أجده في البخاري، وقد أورده ابن حجر في الفتح من حديث عائشة ونسبه لمسلم دون البخاري كما في فتح الباري (٢٤٢/٢). والذي في الصحيحين الحديث الذي بعده.

(١٣) أخرجه البخاري في كتاب: الأطعمة، باب: إذا حضر العشاء فلا يعجل عن عشائه، حديث (٥٤٦٥) (٥٨٤/٩). ومسلم في كتاب: المساجد، باب: كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله في الحال ... حديث (٥٥٨/٦٥) (٦٣/٥). كلاهما من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها - به.

---

[١] - في ز: المبين. كذا.
[٢] - سقط من ز، خ.
[٣] - في ز: الحاد. كذا.

[تفسير] سورة « والتين والزيتون »

[وهي مكية]

قال مالك وشعبة ، عن عدي بن ثابت ، عن البراء بن عازب : كان النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقرأ في سفر في إحدىٰ الركعتين بالتين والزيتون ، فما سمعت أحدًا أحسن صوتًا أو قراءة منه . أخرجه الجماعة في كتبهم(١) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

اختلف المفسرون هاهنا علىٰ أقوال كثيرة ، فقيل : المراد بالتين مسجد دمشق . وقيل : هي نفسها . وقيل : الجبل الذي عندها .

وقال القرطبي : هو مسجد أصحاب الكهف .

---

(١) أخرجه مالك في كتاب : الطهارة ، باب : القراءة في المغرب والعشاء ، حديث (٢٧) (٨٩/١) عن يحيى ابن سعيد عن عدي بن ثابت . ومن طريقه النسائي (١٧٣/٢) كتاب الافتتاح باب : القراءة فيها بالتين والزيتون . وفي الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : سورة التين، حديث (١١٦٨٢) (٥١٨/٦) .

وأخرجه البخاري في كتاب : الأذان ، في باب : الجهر في العشاء ، حديث (٧٦٧) (٢٥٠/٢) وأطرافه في [٧٦٩ ، ٤٩٥٢ ، ٧٥٤٦] . ومسلم في كتاب : الصلاة ، باب : القراءة في العشاء ، حديث (١٧٥/ ٤٦٤) (٢٣٩/٤ - ٢٤٠) . وأبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : قصر قراءة الصلاة في السفر ، حديث (١٢٢١) (٨/٢) . كلهم من طريق شعبة .

وأخرجه البخاري (٧٦٩) ، ومسلم (٤٦٤/١٧٧) . وابن ماجة في كتاب : الإقامة ، باب : القراءة في صلاة العشاء ، حديث (٨٣٥) (٢٧٣/١) . كلهم من طريق مسعر عن عدي بن ثابت .

وأخرجه الترمذي في كتاب : الصلاة ، باب : ما جاء في القراءة في صلاة العشاء ، حديث (٣١٠) (١/ ٤١٧) من طريق أبي معاوية عن يحيى بن سعيد عن عدى وقال : حسن صحيح .

والروايات مختصرة ومطولة فمن طريق مالك وشعبة وأبي معاوية روى الحديث دون قوله : فما سمعت أحدًا أحسن صوتًا ، وروى بتمامه من طريق مسعر عن عدي .

وروىٰ العوفي ، عن ابن عباس أنه مسجد نوح الذي علىٰ الجودي .

وقال مجاهد : هو تينكم هذا .

﴿ والزيتون ﴾ ، قال كعب الأحبار ، وقتادة ، وابن زيد ، وغيرهم : هو مسجد بيت المقدس .

وقال مجاهد ، وعكرمة : هو هذا[١] الزيتون الذي تعصرون .

﴿ وطور سنين ﴾ ، قال كعب الأحبار وغير واحد : هو الجبل الذي كلم الله عليه موسىٰ ﴿ وهذا البلد الأمين ﴾ : يعني مكة . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وإبراهيم النخعي ، وابن زيد ، وكعب الأحبار . ولا خلاف في ذلك .

وقال بعض الأئمة : هذه محالّ ثلاثة بعث الله في كل واحد منها نبيًا مرسلًا من أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار ، فالأول : محلة التين والزيتون ، وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسىٰ ابن مريم . والثاني : طور سنين ، وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسىٰ بن عمران . والثالث : مكة ، وهو البلد الأمين الذي من دخله كان آمنًا ، وهو الذي أرسل فيه محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم . قالوا : وفي آخر التوراة ذكر هذه الأماكن الثلاثة : جاء الله من طور سيناء - يعني الذي كلم الله عليه موسىٰ - وأشرق من ساعير - يعني جبل بيت المقدس الذي بعث الله منه عيسىٰ - واستعلن من جبال فاران - يعني جبال مكة الذي[٢] أرسل الله فيها[٣] محمدًا صلى الله عليه وسلم - فذكرهم علىٰ الترتيب الوجودي بحسب ترتيبهم في الزمان ؛ ولهذا أقسم بالأشرف ، ثم الأشرف منه ، ثم بالأشرف منهما .

وقوله : ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾ ، هذا هو المقسم عليه ، وهو أنه تعالىٰ خلق الإنسان في أحسن صورة وشكل ، منتصب القامة ، سِوَيَّ الأعضاء حَسَنَها .

﴿ ثم رددناه أسفل سافلين ﴾ أي : إلىٰ النار . قاله مجاهد ، وأبو العالية ، والحسن ، وابن زيد ، وغيرهم . ثم بعد هذا الحسن والنضارة مصيره إلىٰ النار إن لم يطع الله ويتبع الرسل ؛ ولهذا قال : ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ .

وقال بعضهم : ﴿ ثم رددناه أسفل سافلين ﴾ ، أي : إلىٰ أرذل العمر . روي هذا عن ابن عباس ، وعكرمة ، حتىٰ قال عكرمة : من جمع القرآن لم يرد إلىٰ أرذل العمر . واختار ذلك ابن جرير . ولو كان هذا هو المراد لما حسن استثناء المؤمنين من ذلك ؛ لأن الهرم قد يصيب بعضهم ، وإنما المراد ما ذكرناه ، كقوله : ﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ .

---

[١] - سقط من ت .

[٢] - في ت : التي .

[٣] - في ت : منها .

وقوله[١] : ﴿فلهم أجر غير ممنون﴾ أي : غير[٢] مقطوع كما تقدم.

ثم قال : ﴿ فما يكذبك ﴾ ، يعني : يا بن آدم ﴿ بعد[٣] بالدين ﴾ أي : بالجزاء في المعاد وقد علمت البدأة ، وعرفت أن من قدر على البدأة ، فهو قادر على الرجعة بطريق الأولى ، فأي شيء يحملك على التكذيب بالمعاد وقد عرفت هذا ؟ .

قال ابن أبي حاتم(٢) : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا عبد الرحمن ، عن سفيان ، عن منصور؛ قال : قلت لمجاهد : ﴿ فما يكذبك بعد بالدين ﴾ ، عنى به النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : معاذ الله ! عنى به الإنسان . وهكذا قال عكرمة وغيره .

وقوله : ﴿ أليس الله بأحكم الحاكمين ﴾ ، أي : أما هو أحكم الحاكمين ، الذي لا يجور ولا يظلم أحدًا ، ومن عدله أن يقيم القيامة فينصف المظلوم في الدنيا ممن ظلمه . وقد قدمنا في حديث أبي هريرة(٣) مرفوعًا « فإذا قرأ أحدكم ﴿ والتين والزيتون ﴾ فأتى على آخرها : ﴿ أليس الله بأحكم الحاكمين ﴾ ، فليقل : بلى ، وأنا على ذلك من الشاهدين »

آخر تفسير سورة « والتين والزيتون » ولله الحمد والمنة .

☆ ☆ ☆

(٢) أخرجه الطبري (٢٤٩/٣٠) من طريق سفيان .

(٣) تقدم تخريجه في آخر تفسير سورة القيامة .

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - سقط من ت .

[٣] - سقط من ز .

[تفسير] سورة « اقرأ »

[وهي أول شيء نزل من القرآن]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾

قال الإمام أحمد(١) : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة؛ قالت : أول ما بدئ به رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم ، فكان لا يرىٰ رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ؛ ثم حبب إليه الخلاء ، فكان يأتي حراء فيتحنث فيه - وهو : التعبد الليالي ذوات العدد - ويتزود لذلك ثم يرجع إلىٰ خديجة فتزوده لمثلها حتىٰ فجأه الحق وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فيه فقال : اقرأ . قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : فقلت : ما أنا بقارئ . قال : فأخذني فغطني حتىٰ بلغ مني الجهد ثم أرسلني ، فقال : اقرأ فقلت : ما أنا بقارئ . فغطني الثانية حتىٰ بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ . فغطني الثالثة حتىٰ بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾ حتىٰ بلغ : ﴿ **ما لم يعلم** ﴾ .

قال : فرجع بها ترجف بوادره حتىٰ دخل علىٰ خديجة؛ فقال : « زملوني زملوني » . فزملوه حتىٰ ذهب عنه الروع . فقال : يا خديجة ؛ ما لي ؟ فأخبرها الخبر وقال : قد خشيت علي . فقالت له : كلا ، أبشر فواللّٰه لا يخزيك اللّٰه أبدًا ، إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتقري الضيف ، وتعين علىٰ نوائب الحق . ثم انطلقت به خديجة حتىٰ أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزىٰ بن قصي - وهو ابن عم خديجة ، أخي أبيها ، وكان امرأ تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العربي ، وكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء اللّٰه أن يكتب ، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي - فقالت خديجة : أي ابن عم ؛ اسمع من ابن أخيك . فقال ورقة : ابن أخي ، ما ترىٰ ؟ فأخبره رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ما رأى... فقال ورقة : هذا الناموس الذي أنزل علىٰ موسىٰ ، يا[١] ليتني فيها جذعًا أكونُ حيًا حين يخرجك قومك . فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « أو مخرجي هم ؟ » . فقال ورقة :

---

(١) المسند (٢٣٢/٦ - ٢٣٣) (٢٦٠٦٨) . والبخاري في كتاب : بدء الوحي ، باب : (٣) ، حديث (٣)=

---

[١] - سقط من ت .

نعم ، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا .

ثم[١] لم ينشب ورقة أن توفي ، وفتر الوحي فترة حتىٰ حزن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم - فيما بلغنا - حزنًا غدا منه[٢] مرارًا كي يتردىٰ من رءوس شواهق الجبال ، فكلما أوفىٰ بذروة جبل لكي[٣] يلقي نفسه منه ، تبدىٰ له جبريل فقال له[٤] : يا محمد؛ إنك رسول اللَّه حقًّا . فيسكن بذلك جأشه ، وتقر نفسه فيرجع . فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك ، فإذا أوفىٰ بذروة جبل تبدىٰ له جبريل ، فقال له مثل ذلك .

وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث الزهري ، وقد تكلمنا علىٰ هذا الحديث من جهة سنده ومتنه ومعانيه في أول شرحنا للبخاري مستقصىٰ ، فمن[٥] أراده فهو هناك محرر[٦] ، وللَّه الحمد والمنة .

« فأول شيء نزل[٧] من القرآن هذه الآيات الكريمات المباركات[٨] ، وهن أول رحمة رحم اللَّه بها العباد ، وأول نعمة أنعم اللَّه بها عليهم ». وفيها التنبيه علىٰ ابتداء خلق الإنسان من علقة ، وأن من كرمه تعالىٰ أن علم الإنسان ما لم يعلم ، فشرفه وكرمه بالعلم ، وهو القدر الذي امتاز به أبو البرية آدم علىٰ الملائكة ، والعلم تارة يكون في الأذهان ، وتارة يكون في اللسان ، وتارة يكون في الكتابة بالبنان ، ذهني ولفظي ورسمي ، والرسمي يستلزمهما من غير عكس ، فلهذا : قال ﴿ **اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم** ﴾ . وفي الأثر(٢) : قيدوا العلم بالكتابة وفيه أيضًا(٣): « من عمل بما علم رزقه اللَّه علم ما لم يكن يعلم[٩] » .

= (٢٣/١) . وأطرافه في [٣٣٩٢ ، ٤٩٥٣ ، ٤٩٥٦ ، ٤٩٥٧ ، ٦٩٨٢] . ومسلم في كتاب : الإيمان ، باب : بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ حديث (١٦٠) (٢٠٩/٢) وما بعدها .

(٢) أخرجه ابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (٣٩٥) . وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٢٢٨/٢) ، والقضاعي في مسند الشهاب (٣٧٠/١) (٦٣٧) كلهم من حديث أنس مرفوعًا . وقد روى موقوفًا ومرفوعًا . وفي الباب عن عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عباس . وقد حسنه الألباني في الصحيحة (٢٠٢٦) وذكر فيه بحثًا مطولًا فليراجعه من شاء .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١٤/١٠ - ١٥) بنحوه . وحكم الألباني بوضعه في الضعيفة (٤٢٢) .

---

[١] - سقط من ت .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز : كي .
[٤] - سقط من خ .
[٥] - في ز ، خ : لمن .
[٦] - في ت : محررًا .
[٧] - سقط من ت .
[٨] - في ز : المباركة .
[٩] - سقط من ت .

كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيۡتَ
ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ﴿٩﴾ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ
﴿١٢﴾ أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا
بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ﴿١٦﴾ فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾
كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب۩ ﴿١٩﴾

يخبر تعالىٰ عن الإنسان أنه ذو فرح وأشر وبطر وطغيان ، إذا رأىٰ نفسه قد استغنىٰ وكثر ماله . ثم تهدده وتوعده ووعظه فقال ، ﴿ إن إلىٰ ربك الرجعىٰ ﴾ ، أي ، إلىٰ اللّٰه المصير والمرجع ، وسيحاسبك علىٰ مالك : من أين جمعته ؟ وفيم صرفته ؟ .

قال ابن أبي حاتم(٤) : حدثنا زيد بن إسماعيل الصائغ ، حدثنا جعفر بن عون ، حدثنا أبو عميس ، عن عون ؛ قال : قال عبد اللّٰه : منهومان لا يشبعان ، صاحب العلم وصاحب الدنيا ، ولا يستويان ، فأما صاحب العلم فيزداد رضىٰ الرحمن ، وأما صاحب الدنيا فيتمادىٰ في الطغيان . قال : ثم قرأ عبد اللّٰه : ﴿ إن الإنسان ليطغىٰ * أن رآه استغنىٰ ﴾ . وقال للآخر[١] : ﴿ إِنَّما يَخْشَىٰ اللّٰه مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ .

وقد روي هذا مرفوعًا(٥) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « منهومان لا يشبعان : طالب علم ، وطالب دنيا » .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ أرأيت الذي ينهىٰ عبدًا إذا صلىٰ ﴾ : نزلت في أبي جهل لعنه اللّٰه ، توعد النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم علىٰ الصلاة عند البيت ، فوعظه اللّٰه تعالىٰ بالتي هي أحسن أولًا فقال : ﴿ أرأيت إن كان علىٰ الهدىٰ ﴾ ، أي : فما ظنك إن كان هذا الذي تنهاه علىٰ الطريق المستقيمة في فعله ، ﴿ أو أمر بالتقوىٰ ﴾ بقوله ، وأنت تزجره وتتوعده علىٰ صلاته ، ولهذا قال : ﴿ ألم يعلم بأن اللّٰه يرىٰ ﴾ أي : أما علم هذا الناهي لهذا[٢] المهتدي أن اللّٰه يراه

(٤) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٦/٦٢٥) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر بنحوه .
(٥) أخرجه ابن عدي في الكامل (٦/٢٢٩٨) من حديث أنس في ترجمة محمد بن أحمد بن يزيد وقال عنه : ضعيف حدثنا بأشياء منكرة ويسرق الحديث ولم يكن من أهل الحديث . وأخرجه الحاكم (١/٩٢) وصححه ووافقه الذهبي من طريق آخر عن أنس بنحوه. وأخرجه الطبراني (١٠/٢٢٣) (١٠٣٨٨) . وابن عدي في « الكامل » (٤/١٤٥٧) .

[١] - في ز : الآخر . [٢] - في ز : هذا .

ويسمع كلامه ، وسيجازيه على فعله أتم الجزاء .

ثم قال تعالى متوعدًا ومتهددًا : ﴿ كلا لئن لم ينته ﴾ ، أي : لئن لم يرجع عما هو فيه من الشقاق والعناد ، ﴿ لنسفعا بالناصية ﴾ أي : لنسمنها[١] سوادًا يوم القيامة .

ثم قال : ﴿ناصية كاذبة خاطئة﴾ يعني : ناصية أبي جهل كاذبة في مقالها خاطئة في فعالها .

﴿ فليدع ناديه ﴾ ، أي : قومه وعشيرته ، أي[٢] : ليدعهم يستنصر بهم ، ﴿ سندع الزبانية ﴾ ، وهم ملائكة العذاب ، حتى يعلم[٣] من يغلب : أحزبنا أو حزبه .

قال البخاري(٦) : حدثنا يحيى ، حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن عبد الكريم الجزري ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : قال أبو جهل : لئن رأيت محمدًا يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه . فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « لئن فعله لأخذته الملائكة » . ثم قال : تابعه[٤] عمرو بن خالد ، عن عبيد الله - يعني ابن عمرو - عن عبد الكريم .

وكذا رواه الترمذي ، والنسائي في تفسيرهما من طريق عبد الرزاق به ، وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب ، عن زكريا بن عدي ، عن عبيد الله بن عمرو به .

وروى أحمد(٧) ، والترمذي ، [ ][٥] ، وابن جرير - وهذا لفظه - من طريق داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند المقام ، فمر به أبو جهل بن هشام ؛ فقال : يا محمد ، ألم أنهك عن[٦] هذا ؟ وتوعده فأغلظ له

= كلاهما من طريق أبي بكر الداهري عن إسماعيل بن أبي خالد عن زيد بن وهب عن عبد الله به . قال الهيثمي في « المجمع » (١/١٤٠) : رواه الطبراني في « الكبير » وفيه أبو بكر الداهري وهو ضعيف . وأخرجه الطبراني (١١/٧٦ - ٧٧) (١١٠٩٥) من حديث عبد الله بن عباس بنحوه . قال الهيثمي (١/١٤٠) : رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبزار وفيه ليث بن أبي سليم وهو ضعيف .

(٦) أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية ناصية كاذبة خاطئة ﴾ حديث (٤٩٥٨) (٨/٧٢٤) . والترمذي في كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾ ، حديث (٣٣٤٥) (٩/٧٨) . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : سورة العلق ، حديث (١١٦٨٥) (٦/٥١٨) . والطبري (٣٠/٢٥٦ - ٢٥٧) .

(٧) أخرجه أحمد (١/٣٢٩) (٣٠٤٥) . والترمذي في كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾ ، حديث (٣٣٤٦) (٩/٧٨) . والطبري (٣٠/٢٥٦) . وصححه أحمد شاكر في تعليقات المسند.

---

[١] - في ز : ليسمها .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ز : نعلم .
[٤] - في خ : حدثنا .
[٥] - في ز ، خ : والنسائي .
[٦] - في ز : من .

رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وانتهره ، فقال : يا محمد ؛ بأي شيء تهددني ؟ أما واللّٰه إني لأكثر هذا الوادي ناديًا ! فأنزل اللّٰه : ﴿ فليدع ناديه * سندع الزبانية ﴾ ، قال ابن عباس : لو دعا ناديه لأخذته ملائكة العذاب من ساعته . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد أيضًا(٨) : حدثنا إسماعيل بن زيد[١] أبو يزيد ، حدثنا فرات ، عن عبد الكريم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ قال : قال أبو جهل : لئن رأيت رسول اللّٰه يصلي[٢] عند الكعبة لآتينه حتىٰ أطأ علىٰ عنقه . قال : فقال : « لو فعل لأخذته الملائكة عيانًا ، ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا[٣] مقاعدهم من النار ، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لرجعوا لا يجدون مالًا ولا أهلًا » .

وقال ابن جرير أيضًا(٩) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يحيىٰ بن واضح ، أخبرنا يونس بن أبي[٤] إسحاق ، عن الوليد بن العيزار ، عن ابن عباس ؛ قال : قال أبو جهل : لئن عاد محمد يصلي عند المقام لأقتلنه . فأنزل اللّٰه عز وجل : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ ، حتىٰ بلغ هذه الآية : ﴿ لنسفعًا بالناصية * ناصية كاذبة خاطئة * فليدع[٥] ناديه * سندع الزبانية ﴾ . فجاء النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فصلىٰ ، فقيل : ما يمنعك ؟ قال : قد اسود ما بيني وبينه من الكتائب . قال ابن عباس : واللّٰه لو تحرك لأخذته الملائكة والناس ينظرون إليه .

وقال ابن جرير(١٠): حدثنا ابن عبد الأعلىٰ ، حدثنا المعتمر عن أبيه ، حدثنا نعيم بن أبي هند ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال أبو جهل : هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم ؟ قالوا : نعم . قال : فقال : واللات والعزىٰ ، لئن رأيته يصلي كذلك لأطأن علىٰ رقبته ، ولأعفّرن وجهه في التراب ، فأتىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وهو يصلي ليطأ علىٰ رقبته ، قال : فما فجأهم منه إلا وهو ينكص علىٰ عقبيه ويتقي بيديه ، قال : فقيل له : ما لك ؟ فقال : إن بيني وبينه خندقًا[٦] من نار وهولًا وأجنحة . قال : فقال رسول اللّٰه : « لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا » . قال : وأنزل اللّٰه - لا أدري في حديث أبي هريرة أم لا - ﴿ كلا إن الإنسان ليطغىٰ ...﴾ إلىٰ آخر السورة .

وقد رواه أحمد بن حنبل ، ومسلم ، والنسائي ، وابن أبي حاتم ، من حديث معتمر بن

(٨) أخرجه أحمد (٢٤٨/١) (٢٢٢٥) . وصححه أحمد شاكر .

(٩) أخرجه الطبري (٢٥٦/٣٠) .

(١٠) أخرجه الطبري (٢٥٦/٣٠) . وأحمد (٨٨١٧) . ومسلم في كتاب : صفات المنافقين ، باب : قوله : ﴿ إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ﴾ ، حديث (٢٧٩٧/٣٨) (٢٠٣/١٧ - ٢٠٤) . والنسائي =

[١] - في ز ، خ : يزيد .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ز : وأروا .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - في ز : سندع . كذا .
[٦] - في ز : حدقًا .

سليمان به .

وقوله : ﴿ **كلا لا تطعه** ﴾ ، يعني : يا محمد ، [لا تطعه][١] فيما ينهاك عنه من المداومة على العبادة وكثرتها ، وصل حيث شئت ولا تباله ، فإن الله حافظك وناصرك ، وهو يعصمك من الناس ، ﴿ **واسجد واقترب** ﴾ ، كما ثبت في الصحيح عند مسلم(١١) من طريق عبد الله بن وهب ، عن عمرو ابن الحارث ، عن عمارة بن غزية ، عن سُمي ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ؛ أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا الدعاء » .

وتقدم أيضًا(١٢) : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسجد في : ﴿ **إذا السماء انشقت** ﴾ ،و ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾ .

[آخر تفسير سورة « اقرأ » ولله الحمد والمنة ، وبه التوفيق]

☆ ☆ ☆

= في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : « سورة العلق » ، حديث (١١٦٨٣) (٥١٨/٦) .

(١١) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب : ما يقال في الركوع والسجود ، حديث (٤٨٢/٢١٥) (٤/ ٢٦٦ - ٢٦٧) .

(١٢) تقدم تخريج ذلك في أول سورة الانشقاق .

---

[١] - سقط من ز ، خ .

[تفسير] سورة « ليلة القدر »

[مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

يخبر الله[١] تعالىٰ أنه أنزل القرآن ليلة القدر ، وهي الليلة المباركة التي قال الله عز وجل : ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة مباركة** ﴾ وهي ليلة القدر وهي من شهر رمضان كما قال تعالى : ﴿ **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن** ﴾ .

قال ابن عباس(١) وغيره : أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلىٰ بيت العزة من السماء الدنيا ، ثم نزل مفصلًا بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم قال تعالىٰ معظمًا لشأن ليلة القدر ، التي اختصها بإنزال القرآن العظيم فيها ، فقال : ﴿ **وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر** ﴾ .

قال أبو عيسىٰ الترمذي(٢) عند تفسير هذه الآية : حدثنا محمود بن غيلان ، حدثنا أبو داود الطيالسي ، حدثنا القاسم بن الفضل الحداني ، عن يوسف بن سعد قال : قام رجل إلىٰ الحسن ابن علي بعد ما بايع معاوية فقال : سودت وجوه المؤمنين - أو : يا مسود وجوه المؤمنين - فقال : لا تؤنبني - رحمك الله - فإن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أري بني أمية علىٰ منبره ، فساءه ذلك ، فنزلت : ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ يا محمد ، يعني نهرًا في الجنة ، ونزلت : ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر** ﴾ ، يملكها بعدك بنو أمية يا محمد . قال القاسم : فعددنا فإذا هي ألف شهر لا تزيد يومًا ولا تنقص يومًا .

---

(١) تقدم تخريجه في الإسراء رقم (٣٧٣)

(٢) سنن الترمذي في كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة ليلة القدر ، حديث (٣٣٤٧) (٧٩/٩) .

---

[١] - سقط من ز .

ثم قال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا [من هذا الوجه][١] من حديث القاسم ابن الفضل ، وهو ثقة وثقه يحيىٰ القطان وابن مهدي . قال : وشيخه يوسف بن سعد - ويقال : يوسف بن مازن - رجل مجهول ، ولا نعرف هذا الحديث ، علىٰ هذا اللفظ إلا من هذا الوجه .

وقد روىٰ هذا الحديث الحاكم في مستدركه(٣) ، من طريق القاسم بن الفضل ، عن يوسف ابن مازن ، به . وقول الترمذي : إن يوسف هذا مجهول - فيه نظر ، فإنه قد روىٰ عنه جماعة ، منهم : حماد بن سلمة ، وخالد الحذاء ، ويونس بن عبيد . وقال فيه يحيىٰ بن معين : هو مشهور ، وفي رواية عن ابن معين : هو ثقة . ورواه ابن جرير من طريق القاسم بن الفضل ، عن عيسىٰ بن مازن ، كذا قال ، وهذا يقتضي اضطرابًا في هذا الحديث ، والله أعلم . ثم هذا الحديث علىٰ كل تقدير منكر جدًّا ، قال شيخنا الإمام الحافظ الحجة[٢] أبو الحجاج المزي : هو حديث منكر .

قلت : وقول القاسم بن الفضل الحداني : إنه حسب مدة بني أمية فوجدها ألف شهر لا تزيد يومًا[٣] ولا تنقص ، ليس بصحيح ، فإن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه استقل بالملك[٤] حين سلم إليه الحسن بن علي الإمرة سنة أربعين ، واجتمعت البيعة لمعاوية ، وسمي ذلك عام الجماعة ، ثم استمروا فيها[٥] متتابعين بالشام وغيرها ، لم تخرج عنهم إلا مدة دولة عبد الله بن الزبير في الحرمين والأهواز ، وبعض البلاد قريبًا من تسع سنين ، لكن لم تزل يدهم[٦] عن الإمرة بالكلية ، بل عن بعض البلاد ، إلىٰ أن استلبهم بنو العباس الخلافة [ ][٧] سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، فيكون مجموع مدتهم اثنتين وتسعين سنة ، وذلك أزيد من ألف شهر ، فإن الألف شهر عبارة عن ثلاث وثمانين سنة وأربعة أشهر ، وكأن القاسم بن الفضل أسقط من مدتهم أيام ابن الزبير ، وعلىٰ هذا فتقارب ما قاله للصحة في الحساب ، والله أعلم .

ومما يدل علىٰ ضعف هذا الحديث أنه سيق لذم دولة بني أمية ، ولو أريد ذلك لم يكن بهذا السياق ، فإن تفضيل ليلة القدر علىٰ أيامهم لا يدل علىٰ ذم أيامهم ، فإن ليلة القدر شريفة جدًّا ، والسورة الكريمة إنما جاءت لمدح ليلة القدر ، فكيف تمدح بتفضيلها علىٰ أيام بني أمية

---

(٣) والحاكم (١٧٠/٣ - ١٧١) . قال الحاكم : هذا إسناد صحيح ، وهذا القائل للحسن بن علي هذا القول هو سفيان بن الليل صاحب أبيه . وتعقبه الذهبي بقوله : وروى عن يوسف نوح بن قيس أيضًا ، وما علمت أن أحدًا تكلم فيه ، والقاسم وثقوه، رواه عنه أبو داود والتبوذكي، وما أدرى آفته من أين.

---

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - سقط من خ .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : فيما .
[٦] - في ز : مدتهم .
[٧] - في ت : في .

التي هي مذمومة ، بمقتضىٰ هذا الحديث ، وهل هذا إلا كما قال القائل :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّيْفَ يَنْقُصُ قَدْرُهُ إِذَا قِيلَ : إِنَّ السَّيْفَ أَمْضَىٰ مِنَ العَصَا

وقال آخر :

إِذَا أَنْتَ فَضَّلْتَ امْرَأً ذَا بَرَاعَةٍ عَلَىٰ نَاقص ، كَانَ المديحُ مِنَ النَّقْصِ

ثم الذي يفهم من ولاية الألف الشهر المذكورة في الآية هي أيام بني أمية ، والسورة مكية ، فكيف يحال علىٰ ألف شهر هي دولة بني أمية ، ولا يدل عليها لفظ الآية ولا معناها ، والمنبر إنما صنع بالمدينة بعد مدة من الهجرة ، فهذا كله مما يدل علىٰ ضعف هذا الحديث ونكارته ، والله أعلم .

وقال ابن أبي حاتم(٤) : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا إبراهيم بن موسىٰ ، أخبرنا مسلم - يعني ابن خالد - عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر رجلًا من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر ، قال : فعجب المسلمون من ذلك ، قال : فأنزل الله عز وجل : ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر** ﴾ التي لبس ذلك الرجل السلاح في سبيل الله ألف شهر .

وقال ابن جرير(٥) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا حكام بن سلم ، عن المثنىٰ بن الصباح ، عن مجاهد قال : كان في بني إسرائيل رجل يقوم الليل حتىٰ يصبح ، ثم يجاهد العدو بالنهار حتىٰ يمسي ، ففعل ذلك ألف شهر ، فأنزل الله هذه الآية : ﴿ **ليلة القدر خير من ألف شهر** ﴾ قيام تلك الليلة خير من عمل ذلك الرجل .

وقال ابن أبي حاتم : أخبرنا يونس ، أخبرنا ابن وهب ، حدثني مسلمة بن عُلَيّ ، عن علي ابن عروة قال : ذكر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يومًا أربعة من بني إسرائيل ، عبدوا الله ثمانين عامًا ، لم يعصوه طرفة عين فذكر: أيوب ، وزكريا ، وحزقيل بن العجوز ، ويوشع بن نون . قال : فعجب أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من ذلك ، فأتاه جبريل فقال : يا محمد ؛ عجبت أمتك من عبادة هؤلاء النفر ثمانين[١] سنة ، لم يعصوه طرفة عين ، فقد أنزل الله خيرًا من ذلك . فقرأ عليه : ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر** ﴾ ، هذا أفضل مما عجبت أنت وأمتك . قال : فسر بذلك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم والناس معه .

(٤) أخرجه البيهقي في سننه (٣٠٦/٤) كتاب الصيام ، باب : فضل ليلة القدر ، من طريق مسلم بن خالد ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٢٩/٦) نسبته إلى ابن المنذر . قال البيهقي : وهو مرسل .

(٥) أخرجه الطبري (٢٥١/٣٠ - ٢٦٠) .

[١] - في ز ، خ : ثمانون .

وقال سفيان الثوري : بلغني عن مجاهد : ليلة القدر خير من ألف شهر . قال : عملها ، صيامها وقيامها خير من ألف شهر . رواه ابن جرير .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا إبراهيم بن موسىٰ ، أخبرنا ابن أبي زائدة ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : ليلة القدر خير من ألف شهر ، ليس في تلك الشهور ليلة القدر . وهكذا قال قتادة بن دعامة ، والشافعي ، وغير واحد .

وقال عمرو[١] بن قيس الملائي : عمل فيها خير من عمل ألف شهر .

وهذا القول بأنها أفضل من عبادة ألف شهر - ليس[٢] فيها ليلة القدر - هو اختيار ابن جرير . وهو الصواب لا ما عداه ، وهو كقوله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « رباط ليلة في سبيل اللّٰه خير من ألف ليلة فيما سواه من المنازل » . رواه أحمد(٦) .

وكما جاء في قاصد الجمعة بهيئة حسنة ، ونية صالحة : أنه يكتب له عمل سنة أجر صيامها ، وقيامها »(٧) إلى غير ذلك من المعاني المشابهة لذلك .

وقال الإمام أحمد(٨) : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أبي هريرة ؛ قال : لما حضر رمضان قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « قد جاءكم شهر رمضان ، شهر مبارك ، افترض اللّٰه عليكم صيامه[٣] ، تفتح فيه أبواب الجنة ، وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتغل فيه الشياطين ، فيه ليلة خير من ألف شهر ، من حرم خيرها فقد حرم » . ورواه النسائي من حديث أيوب به .

ولما كانت ليلة القدر تعدل عبادتها عبادة ألف شهر ، ثبت في الصحيحين(٩) عن أبي هريرة

(٦) المسند (٦٥/١) (٤٧٠) بلفظ : رباط يوم بدل ليلة . وصححه أحمد شاكر .

(٧) المسند (٩/٤ ، ١٠٤) . وأبو داود في كتاب : الطهارة ، باب : في الغسل يوم الجمعة ، حديث (٣٤٥) (٩٥/١) . والترمذي في كتاب : الصلاة ، باب : ما جاء في فضل الغسل يوم الجمعة ، حديث (٤٩٦) (٢/ ١٢٨ - ١٢٩) . والنسائي (٩٥/٣ - ٩٦) كتاب الجمعة ، باب : فضل غسل يوم الجمعة . وابن ماجة في كتاب : الإقامة ، باب : ما جاء في الغسل يوم الجمعة ، حديث (١٠٨٧) (٣٤٦/١) . وصححه الحاكم (٢٨١/١) ، وابن حبان (٢٧٨١) . كلهم من حديث أوس بن أوس - رضي الله عنه . وصححه الألباني في الترغيب والترهيب (٦٩٠) . وفي الباب عن عبد الله بن عمرو وغيره .

(٨) المسند (٢٣٠/٢) (٧١٤٨) . والنسائي (١٢٩/٤) كتاب الصيام ، باب : ذكر الاختلاف على معمر فيه .

(٩) صحيح البخاري في كتاب : الصوم ، باب : من صام رمضان إيمانا واحتسابًا ونية ، حديث =

[١] - في ز : عمر . [٢] - في ت : وليس .

[٣] - في ز : قيامه .

أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه » وقوله : ﴿ **تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر** ﴾ ، أي : يكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها ، والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة ، كما يتنزلون عند تلاوة القرآن ويحيطون بحلق الذكر ، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيمًا له .

وأما الروح فقيل : المراد به هاهنا جبريل - عليه السلام - فيكون من باب عطف الخاص علىٰ العام . وقيل : هم ضرب من الملائكة . كما تقدم في سورة النبأ . واللّٰه أعلم .

وقوله : ﴿**من كل أمر**﴾ قال مجاهد : سلام هي من كل أمر .

وقال سعيد بن منصور : حدثنا عيسىٰ بن يونس ، حدثنا الأعمش ، عن مجاهد في قوله : ﴿ **سلام هي** ﴾ ، قال : هي سالمة ، لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءًا أو يعمل فيها أذىٰ .

وقال قتادة وغيره : تقضى فيها الأمور وتقدر الآجال والأرزاق كما قال تعالى : ﴿**فيها يفرق كل أمر حكيم**﴾ .

وقوله : ﴿ **سلام هي حتىٰ مطلع الفجر** ﴾ ، قال سعيد بن منصور : حدثنا هشيم ، عن أبي إسحاق ، عن الشعبي في قوله تعالىٰ : ﴿ **من كل أمر * سلام هي حتىٰ مطلع الفجر** ﴾ قال : تسلم[١] الملائكة ليلة القدر علىٰ أهل المساجد ، حتىٰ يطلع الفجر .

وروى ابن جرير عن ابن عباس : أنه كان يقرأ : (من كل امرئ سلام هي حتى مطلع الفجر) .

وروىٰ البيهقي في كتابه « فضائل الأوقات » عن علي أثرًا غريبًا في نزول الملائكة ، ومرورهم علىٰ المصلين ليلة القدر ، وحصول البركة للمصلين .

وروى ابن أبي حاتم عن كعب الأحبار أثرًا غريبًا عجيبًا مطولًا جدًا ، في تنزل الملائكة من سدرة المنتهىٰ صحبة جبريل - عليه السلام - إلىٰ الأرض ، ودعائهم[٢] للمؤمنين والمؤمنات .

وقال أبو داود الطيالسي(١٠) : حدثنا عمران - يعني القطان - عن قتادة ، عن أبي ميمونة ، عن أبي هريرة : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال في ليلة القدر : « إنها ليلة سابعة -

---

= (١٩٠١) (١١٥/٤) . ومسلم في كتاب : صلاة المسافرين ، باب : الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح، حديث (٧٦٠/١٧٥) (٦٠/٦) .

(١٠) أخرجه الطيالسي في مسنده ص (٣٣٢) حديث (٢٥٤٥) .

---

[١] - في ز : تسليم . [٢] - في ز ، خ : ودعاؤهم .

أو : تاسعة - وعشرين ، وإن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصىٰ » وقال الأعمش ، عن المنهال ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ في قوله : ﴿ من كل أمر * سلام ﴾ قال : لا يحدث فيها أمر .

وقال قتادة وابن زيد في قوله : ﴿ سلام هي ﴾ ، يعني : هي خير كلها ، ليس فيها شر إلىٰ مطلع الفجر . ويؤيد هذا المعنىٰ ما رواه الإمام أحمد(١١) :

حدثنا حيوة بن شريح ، حدثنا بقية ، حدثني بحير بن سعد ، عن خالد بن معدان ، عن عبادة بن الصامت : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « ليلة القدر في العشر البواقي ، من قامهن ابتغاء حسبتهن فإن اللّٰه يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وهي ليلة وتر : تسع ، أو سبع ، أو خامسة ، أو ثالثة ، أو آخر ليلة » . وقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « إن أمارة ليلة القدر أنها صافية بلجة[١] ، كأن فيها قمرًا ساطعًا ، ساكنة ساجية ، لا برد فيها ولا حر ، ولا يحل[٢] لكوكب يرمىٰ به فيها[٣] حتىٰ تصبح . وإن أمارتها أن الشمس صبيحتها تخرج مستوية ، ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر ، ولا يحل للشيطان[٤] أن يخرج معها يومئذ » وهذا إسناد حسن وفي المتن غرابة وفي بعض ألفاظه نكارة .

وقال أبو داود الطيالسي(١٢) : حدثنا زمعة ، عن سلمة بن وهرام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال في ليلة القدر : « ليلة سمحة طلقة ، لا حارة ولا باردة ، وتصبح شمس صبيحتها ضعيفة حمراء » .

وروى ابن أبي عاصم النبيل بإسناده عن جابر بن عبد اللّٰه ، أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « إني رأيت ليلة القدر فأنسيتها ، وهي في العشر الأواخر من لياليها وهي[٥] ليلة طلقة بلجة ، لا حارة ولا باردة ، كأن فيها قمرًا ، لا يخرج شيطانها حتىٰ يضيء فجرها » .

[فصل]

اختلف العلماء : هل كانت ليلة القدر في الأمم السالفة[٦] ، أو هي من خصائص هذه الأمة ؟ علىٰ قولين :

---

(١١) المسند (٥/٣٢٣) (٢٢٨٧٠) .

(١٢) أخرجه الطيالسي في مسنده ص(٣٤٩) حديث (٢٦٨٠) .

---

[١] - في خ : بالجة .

[٢] - في ز ، خ : يحلي .

[٣] - سقط من ز .

[٤] - في ز : الشيطان .

[٥] - سقط من ت .

[٦] - في خ : السابقة .

قال أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري : حدثنا مالك(١٣) ؛ أنه بلغه : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أري أعمار الناس قبله - أو : ما شاء اللّٰه من ذلك - فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل الذي بلغ[١] غيرهم في طول العمر فأعطاه اللّٰه ليلة القدر ، خيرًا[٢] من ألف شهر . وقد أسند من وجه آخر . وهذا الذي قاله مالك يقتضي تخصيص هذه الأمة بليلة القدر ، وقد نقله صاحب « العدة » أحد أئمة الشافعية عن جمهور العلماء ، فاللّٰه أعلم . وحكىٰ الخطابي عليه الإِجماع والذي دل عليه الحديث أنها كانت في الأمم الماضين كما هي في أمتنا .

قال أحمدِ بن حنبل(١٤) : حدثنا يحيىٰ بن سعيد ، عن عكرمة بن عمار : حدثني أبو زميل سماك الحنفي : حدثني مالك بن مرثد بن عبد اللّٰه ، حدثني مرثد[٣] قال : سألت أبا ذر قلت : كيف سألت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم عن ليلة القدر ؟ قال : أنا كنت أسأل الناس عنها ، قلت : يا رسول اللّٰه ، أخبرني عن ليلة القدر ، أفي رمضان هي أو في غيره ؟ قال : «بل هي في رمضان » . قلت : تكون مع الأنبياء ما كانوا ، فإذا قبضوا رفعت ؟ أم هي إلىٰ يوم القيامة ؟ قال ؟ : « بل هي إلىٰ يوم القيامة » . قلت : في أي رمضان هي ؟ قال : « التمسوها في العشر الأول ، والعشر الأواخر » . ثم حدث رسول اللّٰه - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - وحدث ، ثم اهتبلت غفلته قلت : في أي العشرين هي ؟ قال : « ابتغوها في العشر الأواخر ، لا تسألني عن شيء بعدها » . ثم حدث رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ثم اهتبلت غفلته فقلت : يا رسول اللّٰه ، أقسمت عليك بحقي عليك لما أخبرتني في أي العشر هي ؟ فغضب علي غضبًا لم يغضب مثله منذ صحبته ، وقال : « التمسوها في السبع الأواخر ، لا تسألني عن شيء بعدها . وروا‌ه النسائي عن الفلاس عن يحيى بن سعيد القطان ، به .

ففيه دلالة علىٰ ما ذكرناه ، وفيه أنها تكون باقية إلىٰ يوم القيامة في كل سنة لا كما زعمه بعض طوائف الشيعة من رفعها بالكلية ، علىٰ ما فهموه من الحديث الذي سنورده بعد من قوله عليه السلام : « فرفعت ، وعسىٰ أن يكون خيرًا لكم » ؛ لأن المراد رفع علم وقتها عينًا . وفيه دلالة علىٰ أن ليلة القدر يختص وقوعها بشهر رمضان من بين سائر الشهور ، لا كما روي عن ابن مسعود ومن تابعه من علماء أهل الكوفة ، من أنها توجد في جميع السنة ، وترتجى في جميع الشهور علىٰ السواء .

---

(١٣) أخرجه مالك في موطئه ، في كتاب : الاعتكاف ، باب : ما جاء في ليلة القدر ، حديث (١٥) (١/ ٢٦٣) بنحو ذلك .

(١٤) المسند (٥/١٧١) (٢١٥٨١) . والنسائي في الكبرى في كتاب : الاعتكاف ، باب : ليلة القدر في رمضان ، حديث (٣٤٢٧) (٢/٢٧٨) .

---

[١] - في ز : يبلغ .

[٢] - في ز : خير .

[٣] - في ز ، خ : يزيد .

وقد ترجم أبو داود في سننه (١٥) علىٰ هذا فقال : « باب بيان أن ليلة القدر في كل رمضان » : حدثنا حميد بن زنجويه[١] النسائي ، أخبرنا سعيد بن أبي مريم ، حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير ، حدثني موسىٰ بن عقبة ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن عبد اللّٰه بن عمر قال : سئل رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - وأنا أسمع - عن ليلة القدر ، فقال : هي في كل رمضان .

وهذا إسناد رجاله ثقات إلا أن أبا داود قال : رواه شعبة وسفيان عن أبي إسحاق فأوقفاه .

وقد حكي عن أبي حنيفة - رحمه اللّٰه - رواية أنها ترجىٰ في جميع شهر رمضان . وهو وجه حكاه[٢] الغزالي ، واستغربه الرافعي جدًّا .

[فصل]

ثم قد قيل : إنها تكون في أول ليلة من شهر رمضان ، يحكىٰ هذا عن أبي رزين . وقيل : إنها تقع ليلة سبع عشرة . وروىٰ فيه أبو داود (١٦) حديثًا مرفوعًا ، عن ابن مسعود ، وروي موقوفًا عليه ، وعلى زيد بن أرقم (١٧) وعثمان بن أبي العاص .

وهو قول عن محمد بن إدريس الشافعي ، ويحكىٰ عن الحسن البصري . ووجهوه بأنها ليلة بدر ، وكانت ليلة جمعة هي السابعة عشرة من شهر رمضان ، وفي صبيحتها كانت وقعة بدر ، وهو اليوم الذي قال اللّٰه تعالىٰ فيه : ﴿ **يوم الفرقان** ﴾ .

وقيل : ليلة [تسعة عشر][٣] ، يحكى عن عليّ ، وابن مسعود أيضًا رضي الله عنهما .

وقيل : ليلة إحدىٰ وعشرين ، لحديث أبي سعيد الخدري قال : اعتكف رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم العشر الأول من رمضان واعتكفنا معه ، فأتاه جبريل فقال : إن الذي تطلب أمامك . فاعتكف العشر الأوسط واعتكفنا معه ، فأتاه جبريل فقال : الذي تطلب أمامك ثم قام النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم خطيبًا صبيحة عشرين من رمضان ، فقال : « من كان اعتكف معي فليرجع ، فإني رأيت ليلة القدر ، وإني أنسيتها ، وإنها في العشر الأواخر في وتر ، وإني رأيت كأني

---

(١٥) سنن أبي داود في كتاب : الصلاة ، باب : من قال : هي في كل رمضان ، حديث (١٣٨٧) (٢/٥٣ - ٥٤) .

(١٦) سنن أبي داود في كتاب : الصلاة ، باب : من روى أنها ليلة سبع عشرة ، حديث (١٣٨٤) (٢/٥٣).

(١٧) أخرجه الطبراني (٥/١٩٨) (٥٠٧٩) أن حوطًا سأل زيد بن أرقم ... فذكر نحو ذلك . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/١٨١) : وحوط ، قال البخاري : حديثه منكر .

---

[١] - في ز ، خ : رعويه .

[٢] - سقط من ت .

[٣] - في خ : تسع عشر ة .

أسجد في طين وماء » . وكان سقف المسجد جريدًا من النخل ، وما نرىٰ[١] في السماء شيئًا ، فجاءت قزعة فمطرنا ، فصلىٰ بنا النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم حتىٰ رأيت أثر الطين والماء علىٰ جبهة رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم تصديق رؤياه وفي لفظ : « في صبح إحدى وعشرين » أخرجاه في الصحيحين(١٨) . قال الشافعي : وهذا الحديث أصح الروايات .

وقيل : ليلة ثلاث وعشرين ، لحديث عبد الله بن أنيس في صحيح مسلم(١٩) ، وهو قريب السياق من رواية أبي سعيد ، فالله أعلم .

وقيل : ليلة أربع وعشرين ، قال أبو داود الطيالسي(٢٠) : حدثنا حماد بن سلمة ، عن الجريري ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « ليلة القدر ليلة أربع وعشرين » إسناده رجاله ثقات .

وقال أحمد(٢١) : حدثنا موسىٰ بن داود ، حدثنا ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي الخير ، عن الصنابحي ، عن بلال ؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « ليلة القدر ليلة أربع وعشرين » .

ابن لهيعة ضعيف . وقد خالفه ما رواه البخاري(٢٢) عن أصبغ ، عن ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي الخير ، عن أبي عبد اللَّه الصنابحي قال[٢] : أخبرني بلال مؤذن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنها أول السبع من العشر الأواخر . فهذا الموقوف أصح ، واللَّه أعلم . وهكذا روي عن ابن مسعود ، وابن عباس ، وجابر ، والحسن ، وقتادة ، وعبد اللَّه بن وهب : أنها ليلة أربع وعشرين . وقد تقدم في « سورة البقرة » حديث واثلة بن الأسقع(٢٣) مرفوعًا : « إن القرآن أنزل ليلة أربع وعشرين » .

(١٨) صحيح البخاري في كتاب : الأذان ، باب : السجود على الأنف والسجود على الطين ، حديث (٨١٣) (٢٩٨/٢) واللفظ له . وأطرافه في : [٦٦٩ ، ٨٣٦ ، ٢٠١٦ ، ٢٠١٨ ، ٢٠٢٧ ، ٢٠٣٦، ٢٠٤٠] . ومسلم في كتاب : الصيام ، باب : فضل ليلة القدر ، حديث (١١٦٧/٢١٥) (٨٧/٨ - ٨٨). كلاهما من طريق أبي مسلمة عن أبي سعيد - رضي الله عنه . والذي في أطراف حديث البخاري وفي مسلم (٢١٣، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٧ /١١٦٧) دون ذكر اعتكاف النبي ﷺ العشر الأول .

(١٩) صحيح مسلم في الموضع السابق (١١٦٨/٢١٨) (٩١/٨) .

(٢٠) مسند الطيالسي ص (٢٨٨) حديث (٢١٦٧) .

(٢١) المسند (١٢/٦) (٢٣٩٩٧) .

(٢٢) صحيح البخاري ، كتاب : المغازي ، باب : (٨٨٥) حديث (٤٤٧٠) (١٥٣/٨) .

(٢٣) تقدم تخريجه في سورة البقرة ، آية (١٨٥) .

[١] - في ز : يرى .
[٢] - في ت : قال : قال .

وقيل : تكون ليلة خمس وعشرين ، لما رواه البخاري(٢٤) ، عن عبد الله بن عباس : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « التمسوها في العشر الأواخر من رمضان ، في تاسعة تبقىٰ ، في سابعة تبقىٰ ، في خامسة تبقىٰ » فسره كثيرون بليالي الأوتار وهو أظهر وأشهر، وحمله آخرون على الإشفاع كما رواه مسلم(٢٥) عن أبي سعيد أنه حمله على ذلك. والله أعلم.

وقيل: إنها تكون ليلة سبع وعشرين؛ لما رواه مسلم(٢٦) في صحيحه عن أبي بن كعب عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنها ليلة سبع وعشرين .

قال الإمام أحمد(٢٧) : حدثنا سفيان : سمعت عبدة وعاصمًا[١] ، عن زر : سألت أُبي بن كعب قلت : أبا المنذر ، إن أخاك ابن مسعود يقول : من يقم الحول يصب ليلة القدر . قال : يرحمه الله ، لقد علم أنها في شهر رمضان ، وأنها ليلة سبع وعشرين . ثم حلف . قلت : وكيف تعلمون ذلك ؟ قال : بالعلامة - أو : بالآية - التي أخبرنا بها ، تطلع ذلك اليوم لا شعاع لها ، أعني الشمس .

وقد رواه مسلم(٢٨) من طريق سفيان بن عيينة وشعبة ، والأوزاعي ، عن عبدة[٢] ، عن زر ، عن أبي ... فذكره ، وفيه فقال : والله الذي لا إله إلا هو ، إنها لفي رمضان - يحلف ما يستثني - ووالله إني لأعلم أي ليلة القدر هي التي أمرنا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بقيامها ، هي ليلة سبع وعشرين ، وأمارتها أن تطلع الشمس في [صبيحة يومها][٣] بيضاء لا شعاع لها .

وفي الباب عن معاوية ، وابن عمر ، وابن عباس ، وغيرهم ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : أنها ليلة سبع وعشرين . وهو قول طائفة من السلف ، وهو الجادة من مذهب أحمد بن حنبل رحمه الله وهو رواية عن أبي حنيفة أيضًا . وقد حُكي عن بعض السلف أنه حاول استخراج كونها ليلة سبع وعشرين من[٤] القرآن ، من قوله : ﴿ هي ﴾ لأنها الكلمة السابعة

(٢٤) صحيح البخاري ، كتاب : فضل ليلة القدر ، باب : تحرى ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر ، حديث (٢٠٢١ ، ٢٠٢٢) (٢٦٠/٤) .

(٢٥) صحيح مسلم ، كتاب : الصيام ، باب : فضل ليلة القدر حديث (١١٦٧/٢١٧) (٨٩/٨ - ٩٠) .

(٢٦) صحيح مسلم في الموضع السابق ، حديث (٢٢٠، ٧٦٢/٢٢١) (٩١/٨- ٩٣) .

(٢٧) المسند (١٣٠/٥) (٢١٢٧٣) .

(٢٨) صحيح مسلم ، كتاب : الصيام، باب : فضل ليلة القدر حديث (٢٢٠ ، ٧٦٢/٢٢١) (٩١/٨ ، ٩٣) ، وفي كتاب : صلاة المسافرين ، باب : الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح، حديث (١٧٩، ٧٦٢/١٨٠) (٦٢/٦- ٦٤) .

[١] - في ز ، خ : وهاشمًا .
[٢] - في ز : عبيدة .
[٣] - في خ : صبيحتها .
[٤] - في ز : في .

والعشرون من السورة ، والله أعلم .

وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني(٢٩) : حدثنا إسحاق بن إبراهيم الدبري ، أخبرنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن قتادة وعاصم : أنهما سمعا عكرمة يقول : قال ابن عباس : دعا عمر بن الخطاب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فسألهم عن ليلة القدر ، فأجمعوا على[١] أنها في العشر الأواخر . قال ابن عباس : فقلت لعمر : إني لأعلم - أو : إني لأظن - أي ليلة القدر هي؟ فقال عمر : أي ليلة هي ؟ [فقلت][٢] : سابعة تمضي - أو : سابعة تبقى - من العشر الأواخر . فقال عمر : ومن أين علمت ذلك ؟ قال ابن عباس فقلت : خلق الله سبع سموات ، وسبع[٣] أرضين ، وسبعة[٤] أيام ، وإن الشهر يدور على سبع ، وخلق الإنسان من سبع ، ويأكل من سبع ، ويسجد على سبع ، والطواف بالبيت سبع ، ورمي الجمار سبع ... لأشياء ذكرها . فقال عمر : لقد فطنت لأمر ما فطنا له . وكان قتادة يزيد عن ابن عباس في قوله : ويأكل من سبع ، قال : هو قول الله تعالى : ﴿ فأنبتنا فيها حبًّا وعنبًا ﴾ ... الآية .

وهذا إسنادٌ جيد قوى ونص غريب جدًّا ، والله أعلم .

وقيل : إنها تكون في ليلة تسع[٥] وعشرين . قال أحمد بن حنبل(٣٠) :

حدثنا أبو[٦] سعيد مولى [بني هاشم][٧] ، حدثنا سعيد بن سلمة ، حدثنا عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن عمر بن عبد الرحمن ، عن عبادة بن الصامت : أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « في رمضان ، فالتمسوها في العشر الأواخر ، فإنها في وتر إحدى وعشرين ، أو ثلاث وعشرين ، أو خمس وعشرين ، أو سبع وعشرين ، [أو تسع وعشرين][٨] ، أو في آخر ليلة » .

وقال الإمام أحمد(٣١) : حدثنا سليمان[٩] بن داود - وهو : أبو داود الطيالسي - حدثنا عمران القطان ، عن قتادة ، عن أبي ميمونة ، عن أبي هريرة . أن رسول الله صلى الله عليه

(٢٩) معجم الطبراني (١٠/٣٢٢) (١٠٦١٨) .

(٣٠) المسند (٥/٣١٨) (٢٢٨١٦) . قال الهيثمي في « المجمع » (٣/١٧٨): رواه أحمد والطبراني في الكبير وفيه عبد الله بن محمد بن عقيل وفيه كلام وقد وثق .

(٣١) المسند (٢/٥١٩) .

[١] - سقط من ز .
[٢] - سقط من ت .
[٣] - في ت : سبعة .
[٤] - في ز : سبع .
[٥] - في خ : سبع .
[٦] - في ز ، خ : ابن .
[٧] - في ز : ابن هشام .
[٨] - سقط من ت .
[٩] - في ز : سعيمان . كذا .

وسلم قال في ليلة القدر : « إنها[١] ليلة سابعة - أو تاسعة - وعشرين وإن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصىٰ » .

تفرد به أحمد وإسناده لا بأس به .

وقيل : إنها تكون في آخر ليلة ، لما تقدم من هذا الحديث آنفًا ، ولما رواه الترمذي(٣٢) والنسائي ، من حديث عيينة بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي بكرة أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « في تسع يبقين ، أو سبع يبقين ، أو خمس يبقين ، أو ثلاث ، أو آخر ليلة » . يعني : التمسوا ليلة القدر وقال الترمذي : حسن صحيح .

وفي المسند من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في ليلة القدر : « إنها آخر ليلة » .

[فصل]

قال الشافعي في هذه الروايات : صدرت من النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم جوابًا للسائل إذا قيل له : ألتمس ليلة القدر في الليلة الفلانية ؟ يقول : « نعم » . وإنما ليلة القدر ليلة معينة[٢] : لا تنتقل . نقله الترمذي عنه بمعناه وروى عن أبي قلابة أنه قال : [ليلة القدر][٣] تنتقل في العشر الأواخر . وهذا الذي حكاه عن أبي قلابة نص عليه مالك ، والثوري ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، وأبو ثور والمزني ، وأبو بكر بن خزيمة ، وغيرهم . وهو محكي عن الشافعي - نقله القاضي عنه ، وهو الأشبه - واللّٰه أعلم .

وقد يستأنس لهذا القول بما ثبت في الصحيحين(٣٣) عن عبد الله بن عمر : أن رجالًا من أصحاب النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر من رمضان ، فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « أرىٰ رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر ، فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر » وفيهما(٣٤) أيضًا عن عائشة رضي اللّٰه عنها أن رسول

(٣٢) سنن الترمذي في كتاب : الصوم ، باب : ما جاء في ليلة القدر ، حديث (٧٩٤) (١٣٧/٣) . والنسائي في الكبرى في كتاب : الاعتكاف ، باب : والتماس ليلة القدر لثلاث بقين من الشهر ، حديث (٣٤٠٣) (٢٧٣/٢) .

(٣٣) أخرجه البخاري في كتاب : التهجد ، باب : فضل من تعار من الليل فصلى ، حديث (١١٥٨) (٣/ ٤٠) ، وأطرافه في : [٢٠١٥ ، ٦٩٩١] . ومسلم في كتاب : الصيام ، باب : فضل ليلة القدر ، حديث (١١٦٥/٢٠٥) (٨٢/٨) .

(٣٤) أخرجه البخاري في كتاب : فضل ليلة القدر ، باب : تحرى ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر =

[١] - في خ : إنها في .

[٢] - في ز ، خ : مقيدة .

[٣] - سقط من ز ، خ .

الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « تحروا ليلة القدر في الوتر من[١] العشر الأواخر من رمضان » ولفظه للبخاري .

ويحتج للشافعي أنها لا تنتقل ، وأنها معينة من الشهر ، بما رواه البخاري(٣٥) في صحيحه ، عن عبادة بن الصامت قال : خرج رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ليخبرنا بليلة القدر ، فتلاحىٰ رجلان من المسلمين ، فقال : « خرجت لأخبركم بليلة القدر ، فتلاحىٰ فلان وفلان ، فرفعت ، وعسىٰ أن يكون خيرًا لكم ، فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة » وجه الدلالة منه : أنها لو لم تكن معينة مستمرة التعيين ، لما حصل لهم العلم بعينها في كل سنة ، إذ لو كانت تنتقل لما علموا تعينها إلا ذلك العام فقط ، اللّهم إلا أن يقال : إنه إنما خرج ليعلمهم بها تلك السنة فقط .

وقوله : « فتلاحىٰ فلان وفلان فرفعت » : فيه استئناس لما يقال : إن المماراة تقطع الفائدة والعلم النافع ، وكما جاء في الحديث(٣٦) : « إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه » .

وقوله : « فرفعت » أي : رفع علم تعينها لكم ، لا أنها رفعت بالكلية من الوجود ، كما يقوله جهلة الشيعة ، لأنه قد قال بعد هذا : « فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة » .

وقوله : « وعسىٰ أن يكون خيرًا لكم » ، يعني عدم تعيينها[٢] لكم ، فإنها إذا كانت مبهمة اجتهد طلابها في ابتغائها في جميع محال رجائها ، فكان أكثر للعبادة ، بخلاف ما إذا علموا عينها[٣] فإنها كانت الهمم تتقاصر علىٰ قيامها فقط . وإنما اقتضت الحكمة إبهامها لتعم العبادة جميع الشهر في ابتغائها ، ويكون الاجتهاد في العشر الأواخر أكثر . ولهذا كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر من رمضان ، حتىٰ توفاه الله عز وجل . ثم اعتكف أزواجه من بعده . أخرجاه من حديث عائشة(٣٧) .

= حديث (٢٠١٧) (٤/٢٥٩) . وطرفاه في [٢٠١٩ ، ٢٠٢٠] . ومسلم في كتاب : الصيام ، باب : فضل ليلة القدر ، حديث (٢١٩/١١٦٩) (٨/٩١) .

(٣٥) أخرج البخاري في كتاب : فضل ليلة القدر ، باب : رفع معرفة ليلة القدر لتلاحى الناس ، حديث (٢٠٢٣) (٤/٢٦٧) .

(٣٦) أخرجه أحمد (٥/٢٧٧) (٢٢٤٨٧) . والنسائي في الكبرى في كتاب : الرقائق كما في تحفة الأشراف (٢/١٣٣) (٢٠٩٣) . وابن ماجة في المقدمة ، باب : في القدر ، حديث (٩٠) (١/٣٥) . قال البوصيري في الزوائد (١/٦١) : سألت شيخنا أبا الفضل العراقي عن هذا الحديث ، فقال : هذا حديث حسن . اهـ .

(٣٧) أخرجه البخاري في كتاب : الاعتكاف ، باب : الاعتكاف في العشر الأواخر ، حديث (٢٠٢٦) =

[١] - في ز : في .
[٢] - في ت : تعينها .
[٣] - في ت : تعينها .

ولهما عن ابن عمر(٣٨) : كان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر من رمضان وقالت عائشة : كان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم إذا دخل العشر ، أحيا الليل ، وأيقظ أهله ، وشد المئزر . أخرجاه(٣٩) .

ولمسلم(٤٠) عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر ما لا يجتهد في غيره .

وهذا معنىٰ قولها : « وشد المئزر » . وقيل : المراد بذلك : اعتزال النساء . ويحتمل أن يكون كناية عن الأمرين ، لما رواه الإمام أحمد(٤١) :

حدثنا سريج ، حدثنا أبو معشر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : كان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم إذا بقي عشر من رمضان شد مئزره ، واعتزل نساءه .

انفرد به أحمد وقد حكي عن مالك رحمه اللّٰه أن جميع ليالي العشر في[١] تطلب ليلة القدر علىٰ السواء ، لا يترجح منها ليلة علىٰ أخرىٰ ، رأيته في شرح الرافعي رحمه اللّٰه .

والمستحب الإكثار من الدعاء في جميع الأوقات ، وفي شهر رمضان أكثر ، وفي العشر الأخير منه[٢] ، ثم في أوتاره أكثر . والمستحب أن يكثر من هذا الدعاء : « اللّٰهم ؛ إنك عفو تحب العفو ، فاعف عني » ، لما رواه الإمام أحمد(٤٢) :

حدثنا يزيد - هو ابن هارون - حدثنا الجريري - وهو : سعيد بن إياس - عن عبد اللّٰه بن بريدة : أن عائشة قالت : يا رسول اللّٰه ، إن وافقت ليلة القدر فما أدعو ؟ قال : « قولي : اللّٰهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني » وقد رواه الترمذي(٤٣) ، والنسائي ، وابن ماجة ، من

= (٢٧١/٤) . ومسلم في كتاب : الاعتكاف ، باب : اعتكاف العشر الأواخر من رمضان ، حديث (٣ - ٥/ ١١٧٢) (٩٧/٨ - ٩٨) .

(٣٨) أخرجه البخاري في كتاب : الاعتكاف ، باب : الاعتكاف في العشر الأواخر ، والاعتكاف في المساجد كلها ، حديث (٢٠٢٥) (٢٧١/٤) . ومسلم في كتاب : الاعتكاف ، باب : اعتكاف العشر الأواخر من رمضان ، حديث (١/١١٧١) (٩٦/٨) .

(٣٩) أخرجه البخاري في كتاب : فضل ليلة القدر ، باب : العمل في العشر الأواخر من رمضان ، حديث (٢٠٢٤) (٢٦٩/٤) . ومسلم في كتاب : الاعتكاف ، باب : الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان ، حديث (١١٧٤/٧) (١٠٠/٨) .

(٤٠) أخرجه مسلم في الموضع السابق ، حديث (١١٧٥/٨) (١٠١/٨) .

(٤١) أخرجه أحمد (٦٦/٦) (٢٤٤٨٨) .

(٤٢) أخرجه أحمد (١٨٢/٦) (٢٥٦٠٢) .

(٤٣) والترمذي في كتاب : الدعوات ، باب : أي الدعاء أفضل ، حديث (٢٥٠٨) (١٧٧/٩) . والنسائي =

[١] - سقط من ز ، خ . [٢] - سقط من ز ، خ .

طريق كهمس ابن الحسن عن عبد الله بن بريدة ، عن عائشة قالت : قلت : يا رسول الله ، أرأيت إن علمت أي ليلة[١] ليلة القدر ، ما أقول فيها ؟ قال : « قولي : اللّٰهم ، إنك عفو تحب العفو ، فاعف عني » .

وهذا لفظ الترمذي ثم قال: هذا حديث حسن صحيح ، وأخرجه الحاكم في مستدركه(٤٤) ، وقال : « هذا صحيح علىٰ شرط الشيخين . ورواه النسائي أيضًا من طريق سفيان الثوري ، عن علقمة بن مرثد ، عن سليمان بن بريدة عن عائشة قالت[٢] : يا رسول الله ؛ أرأيت إن وافقت ليلة القدر ، ما أقول فيها ؟ قال : « قولي اللّٰهم ، إنك عفو تحب العفو ، فاعف عني » .

ذكر أثر غريب ونبأ عجيب ، يتعلق بليلة القدر ، رواه الإِمام أبو محمد بن أبي حاتم ، عند تفسير هذه السورة الكريمة فقال :

حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن أبي زياد القطواني ، حدثنا سيار بن حاتم ، حدثنا موسىٰ بن سعيد - يعني الراسبي - عن هلال [ ][٣] أبي جبلة عن أبي عبد السلام ، عن أبيه ، عن كعب ؛ أنه قال : إن سدرة المنتهى على حد السماء السابعة[٤] ، مما يلي الجنة ، فهي علىٰ حد هواء الدنيا وهواء الآخرة ، علوها[٥] في الجنة ، وعروقها وأغصانها من[٦] تحت الكرسي ، فيها ملائكة لا يعلم عدتهم إلا الله - عز وجل - يعبدون الله - عز وجل - علىٰ أغصانها في كل موضع شعرة[٧] منها ملك . ومقام جبريل - عليه السلام - في وسطها ، فينادي الله جبريل أن ينزل في كل ليلة قدر مع الملائكة الذين يسكنون سدرة المنتهىٰ ، وليس فيهم ملك إلا قد أعطي الرأفة والرحمة للمؤمنين ، فينزلون[٨] علىٰ جبريل في ليلة القدر ، حين تغرب الشمس ، فلا تبقىٰ بقعة في ليلة القدر إلا وعليها ملك ، إما ساجد وإما قائم ، يدعو للمؤمنين والمؤمنات ، إلا أن تكون كنيسة أو بيعة ، أو بيت نار أو وثن ، أو بعض أماكنكم التي تطرحون فيها الخبث ، أو بيت فيه سكران ، أو بيت فيه مسكر ، أو بيت فيه وثن منصوب ، أو بيت فيه جرس معلق ، أو

= في الكبرى في كتاب : النعوت ، باب : العفو : حديث (٧٧١٢) (٤٠٧/٤) ، وفي عمل اليوم والليلة (١٠٧٠٨، ١٠٧٠٩) . وابن ماجة في كتاب : الدعاء ، باب : الدعاء بالعفو والعافية ، حديث (٣٨٥٠) (١٢٦٥/٢) .

(٤٤) المستدرك (٥٣٠/١) . ورواه النسائي في الكبرى في كتاب : عمل اليوم والليلة ، باب : ما يقول إذا وافق ليلة القدر ، حديث (١٠٧١٣) (٢١٩/٦) .

---

[١] - سقط من ت .

[٢] - في ز : قلت .

[٣] - في ز : ابن .

[٤] - في ز : الرابعة .

[٥] - بياض في ز ، خ .

[٦] - في ز : في .

[٧] - في ز : سفرة .

[٨] - في ز ، خ : فيقولون .

مبولة ، أو مكان فيه كساحة البيت . فلا يزالون ليلتهم تلك يدعون للمؤمنين والمؤمنات ، وجبريل لا يدع أحدًا من المؤمنين[١] إلا صافحه ، علامة ذلك من اقشعر جلده ورق قلبه ودمعت عيناه ، فإن ذلك من مصافحة جبريل .

وذكر كعب أن من قال في ليلة القدر : « لا إله إلا اللّٰه » ، ثلاث مرات ، غفر اللّٰه له بواحدة ، ونجاه من النار بواحدة ، وأدخله الجنة بواحدة . فقلنا لكعب الأحبار : يا أبا إسحاق ، صادقًا ؟ فقال كعب : وهل يقول « لا إله إلا اللّٰه » في ليلة القدر إلا كل صادق ؟ والذي نفسي بيده ، إن ليلة القدر لتثقل علىٰ الكافر والمنافق ، حتىٰ كأنها علىٰ ظهره جبل ، فلا تزال الملائكة هكذا حتىٰ يطلع الفجر . فأول من يصعد جبريل حتىٰ يكون في وجه الأفق الأعلىٰ من الشمس ، فيبسط جناحيه - وله جناحان أخضران ، لا ينشرهما إلا في تلك الساعة - فتصير الشمس لا شعاع لها ، ثم يدعو ملكًا ملكًا[٢] فيصعد ، فيجتمع نور الملائكة ونور جناحي جبريل ، فلا تزال الشمس يومها ذلك متحيرة ، فيقيم جبريل ومن معه بين الأرض وبين السماء الدنيا يومهم ذلك ، في دعاء ورحمة واستغفار للمؤمنين والمؤمنات ، ولمن صام رمضان احتسابًا ، ودعا لمن حدث نفسه إن عاش إلىٰ قابل صام رمضان للّٰه . فإذا أمسوا دخلوا إلى[٣] السماء الدنيا ، فيجلسون حلقًا حلقًا[٤] ، فتجتمع إليهم ملائكة سماء الدنيا ، فيسألونهم عن رجل رجل ، وعن امرأة امرأة ، فيحدثونهم حتىٰ يقولوا : ما فعل فلان ؟ وكيف وجدتموه العام[٥] ؟ فيقولون : وجدنا فلانًا عام أول في هذه الليلة متعبدًا ووجدناه العام مبتدعًا[٦] ، ووجدنا فلانًا مبتدعًا ووجدناه العام عابدًا قال : فيكفون عن الاستغفار لذلك ، ويقبلون علىٰ الاستغفار لهذا ، ويقولون : وجدنا فلانًا وفلانًا يذكران اللّٰه ، ووجدنا فلانًا راكعًا ، وفلانًا ساجدًا ، ووجدناه تاليًا لكتاب اللّٰه . قال : فهم كذلك يومهم وليلتهم ، حتىٰ يصعدون[٧] إلىٰ السماء الثانية ، ففي كل سماء يوم وليلة ، حتىٰ ينتهوا مكانهم من سدرة المنتهىٰ ، فتقول لهم سدرة[٨] المنتهىٰ : يا سكاني ، حدثوني عن الناس وسموهم لي . فإن لي عليكم حقًّا ، وإني أحب من أحب اللّٰه . فذكر كعب أنهم يعدون لها ، ويحكون لها الرجل والمرأة بأسمائهم وأسماء آبائهم . ثم تقبل الجنة علىٰ السدرة فتقول : أخبريني بما أخبرك سكانك من الملائكة . فتخبرها ، قال : فتقول الجنة : رحمة اللّٰه علىٰ فلان ، ورحمة اللّٰه على فلانة ، اللّٰهم عجّلهم إليّ ، فيبلغ جبريل مكانه قبلهم ، فيلهمه[٩] اللّٰه فيقول : وجدت فلانًا ساجدًا فاغفر له . فيغفر له ، فيُسمعُ جبريلُ جميعَ[١٠] حملة العرش فيقولون : رحمة اللّٰه على فلان ورحمة اللّٰه على فلانة ، ومغفرته

---

[١] - في ز : الناس .
[٢] - سقط من ت .
[٣] - سقط من ت .
[٤] - سقط من ت .
[٥] - سقط من ز ، خ .
[٦] - في ت : متعبدًا .
[٧] - كذا في ز ، خ ، ت . ولعل الصواب : يصعدوا .
[٨] - في ز ، خ : السدرة .
[٩] - سقط من ز ، خ .
[١٠] - سقط من خ .

لفلان ، ويقول : يا رب ، وجدت عبدك فلانًا الذي وجدته عام أول على السنة والعبادة ، ووجدته العام قد أحدث حدثًا [وتولى عما أمر به][١] . فيقول الله : يا جبريل ، إن تاب فأعتبني قبل أن يموت بثلاث ساعات غفرت له . فيقول جبريل : لك الحمد إلهي ، أنت أرحم من جميع خلقك ، وأنت أرحم بعبادك من عبادك بأنفسهم . قال : فيرتج العرش وما حوله ، والحجب والسماوات ومن فيهن ، تقول : الحمد لله الرحيم ، الحمد لله الرحيم .

قال : وذكر كعب أنه من صام رمضان وهو يحدث نفسه إذا أفطر بعد رمضان أن لا يعصي الله ، دخل الجنة بغير مسألة ولا حساب .

آخر تفسير سورة[٢] « ليلة القدر » . [ولله الحمد والمنة]

☆ ☆ ☆

[١] - في ز ، خ : « ونقل عما أمرته » .

[٢] - سقط من ز .

[تفسير] سورة « لم يكن »

[وهي مدنية]

قال الإمام أحمد(١) : حدثنا عفان ، حدثنا حماد - هو[١] ابن سلمة - أخبرنا علي - هو ابن زيد - عن عمار بن أبي عمار قال : سمعت أبا حية البدري - وهو : مالك بن عمرو بن ثابت الأنصاري - قال : لما نزلت : ﴿ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب ﴾ إلى آخرها ، قال جبريل : يا رسول الله ، إن ربك يأمرك أن تقرئها أُبيًّا . فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي : « إن جبريل أمرني أن أقرئك هذه السورة » . قال أبي : وقد ذكرت ثم يا رسول الله ؟ قال : « نعم » ، قال فبكى أبي .

(حديث آخر) ، وقال الإمام أحمد(٢) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأبي بن كعب : « إن الله أمرني أن أقرأ عليك : ﴿ لم يكن الذين كفروا ﴾ قال : وسماني لك ؟ قال : « نعم » فبكى .

ورواه البخاري ومسلم ، والترمذي ، والنسائي من حديث شعبة به .

(حديث آخر) ، قال الإمام أحمد(٣) : حدثنا مؤمل ، حدثنا سفيان ، حدثنا أسلم المنقري[٢] ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى ، عن أبيه ، عن أبي بن كعب قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني أمرت أن أقرأ عليك سورة كذا وكذا » . قلت : يا رسول الله ، وقد ذُكرت هناك ؟ قال : « نعم » فقلت له : يا أبا المنذر ، ففرحت بذلك . قال : وما يمنعني والله يقول : ﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ﴾ قال مؤمل : قلت لسفيان : القراءة في الحديث ؟ قال : نعم . تفرد به من هذا الوجه .

---

(١) المسند (٣/٤٨٩) (١٦٠٤٨) .

(٢) المسند (٣/١٣٠) (١٢٣٤١) . والبخاري في كتاب : مناقب الأنصار ، باب : مناقب أبي بن كعب - رضي الله عنه - حديث (٣٨٠٩) (٧/١٢٧) وأطرافه في : [٤٩٥٩ ، ٤٩٦٠ ، ٤٩٦١] . ومسلم في كتاب : صلاة المسافرين ، باب : استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل . حديث (٢٤٦/٧٩٩) (٦/١٢٣) . والترمذي في كتاب : المناقب ، باب : مناقب معاذ وزيد وأبي بن كعب وأبي عبيدة ، حديث (٣٧٩٥) (٩/٣٤٥) . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : سورة البينة ، حديث (١١٦٩١) (٦/٥٢٠) .

(٣) أخرجه أحمد (٥/١٢٣) (٢١٢١٧) .

---

[١] - في ت : وهو . [٢] - في ز : المقري .

(طريق أخرىٰ) ، قال أحمد(٤) : حدثنا محمد بن جعفر وحجاج قالا : حدثنا شعبة ، عن عاصم بن بهدلة ، عن زر بن حبيش ، عن أُبي بن كعب قال : إن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال لي : « إن اللّٰه أمرني أن أقرأ عليك القرآن - قال : فقرأ : - ﴿ **لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب** ﴾ - قال : فقرأ فيها : - ولو أن ابن آدم سأل واديًا من مال ، فأعطيه ، لسأل ثانيًا ، ولو سأل ثانيًا فأعطيه لسأل ثالثًا ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب اللّٰه علىٰ من تاب . وإن ذلك[١] الدين عند اللّٰه الحنيفية ، غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية ، ومن يفعل خيرًا فلن يكفره » .

ورواه الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي عن شعبة به وقال : حسن صحيح .

طريق أخرى قال الحافظ أبو القاسم الطبراني(٥) : حدثنا أحمد بن خليد الحلبي ، حدثنا محمد ابن عيسىٰ الطباع ، حدثنا معاذ بن محمد بن معاذ بن أُبي بن كعب ، عن أبيه ، عن جده ، عن أُبي بن كعب قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « يا أبا المنذر : إني أمرت أن أعرض عليك القرآن » قال : آمنت باللّٰه ، وعلىٰ يدك أسلمت ، ومنك تعلمت . قال : فرد النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم القول ، فقال : يا رسول اللّٰه ، أذكرت هناك ؟ قال : « نعم ، باسمك ونسبك في الملأ الأعلىٰ » . قال : فاقرأ إذًا يا رسول اللّٰه .

هذا غريب من هذا الوجه ، والثابت ما تقدم . وإنما قرأ عليه النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم هذه السورة تثبيتًا له ، وزيادة لإيمانه ، فإنه - كما رواه أحمد(٦) والنسائي ، من طريق أنس ، عنه .

ورواه أحمد(٧) وأبو داود من حديث سليمان بن صرد عنه ، ورواه أحمد(٨) عن عفان ، عن حماد ، عن حميد ، عن أنس ، عن عبادة بن الصامت ، عنه .

ورواه أحمد(٩) ومسلم وأبو داود والنسائي ، من حديث إسماعيل بن أبي خالد ، عن

---

(٤) المسند (٥/١٣١) (٢١٢٨٢) . والترمذي في كتاب : المناقب ، باب : مناقب معاذ بن جبل وزيد ابن ثابت وأبي عبيدة بن الجراح - رضي الله عنهم - ، حديث (٣٧٩٣) (٥/٦٢٤- شاكر) .

(٥) معجم الطبراني (١/٢٠٠) (٥٣٩) .

(٦) المسند (٥/١١٤ ، ١٢٢) (٢١١٧٠ ، ٢١٢١٢) . والنسائي (٢/١٥٤) كتاب : الافتتاح ، باب : جامع ما جاء في القرآن .

(٧) المسند (٥/١٢٤) (٢١٢٢٩ - ٢١٢٣٢) . وأبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : أنزل القرآن على سبعة أحرف ، حديث (١٤٧٧) (٢/٧٦) .

(٨) المسند (٥/١١٤) (٢١١٦٩) .

(٩) المسند (٥/١٢٧) (٢١٢٥١) . ومسلم في كتاب : صلاة المسافرين ، باب : بيان أن القرآن على =

---

[١] - في ز ، خ : دار .

عبد[١] الله بن عيسىٰ ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ ، عنه - كان قد أنكر علىٰ إنسان ، وهو : عبد الله بن مسعود ، قراءة شيء من القرآن علىٰ خلاف ما أقرأه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فرفعه إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم فاستقرأهما ، وقال لكل منهما : « أصبت » . قال أبيّ : فأخذني من الشك ولا إذ كنت في الجاهلية . فضرب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في صدره ، قال أبي[٢] : ففضت عرقًا ، وكأنما أنظر إلىٰ الله فرقًا . وأخبره رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أن جبريل أتاه فقال : إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن علىٰ حرف . فقلت : « أسأل الله معافاته ومغفرته » . فقال : علىٰ حرفين . فلم يزل حتىٰ قال : إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن علىٰ سبعة أحرف . كما قدمنا ذكر هذا الحديث بطرقه وألفاظه في أول التفسير . فلما نزلت هذه السورة الكريمة وفيها : ﴿ **رسول من الله يتلو صحفًا مطهرة * فيها كتب قيمة** ﴾ ، قرأها عليه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قراءة إبلاغ وتثبيت وإنذار ، لا قراءة تعلم واستذكار ، والله أعلم .

وهذا كما أن عمر بن الخطاب لما سأل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يوم الحديبية عن تلك الأسئلة ، وكان فيما قال : أو لم تكن تخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ؟ [قال : « بلىٰ ، أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا » . قال : لا ، قال : « فإنك آتيه ومطوف به »][٣] . فلما رجعوا من الحديبية ، وأنزل الله علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم « سورة الفتح » ، دعا عمر بن الخطاب وقرأها عليه ، وفيها قوله[٤] : ﴿ **لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين** ...﴾ الآية ، كما تقدم(١٠) .

وروىٰ الحافظ أبو نعيم في كتابه « أسماء الصحابة » ، من طريق محمد بن إسماعيل الجعفري المدني : حدثنا عبد الله بن سلمة بن أسلم ، عن ابن شهاب ، عن إسماعيل بن أبي حكيم المدني [حدثني][٥] فضيل : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « إن الله ليسمع قراءة ﴿ **لم يكن الذين كفروا** ﴾ ، فيقول : أبشر عبدي ، فوعزتي لأمكنن[٦] لك في الجنة حتىٰ ترضىٰ » .

= سبعة أحرف ، وبيان معناه ، حديث (٨٢٠/٢٧٣) (١٤٦/٨ - ١٤٩) . وأخرجه أبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : أنزل القرآن على سبعة أحرف ، حديث (١٤٧٨) (٧٦/٢) . والنسائي في كتاب : الافتتاح ، باب : جامع ما جاء في القرآن ، (١٥٢/٢ - ١٥٣) . كلاهما من طريق محمد بن جعفر عن شعبة عن الحكم عن مجاهد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى .

(١٠) تقدم تخريجه في تفسير سورة الفتح ، آية (٢٧) .

---

[١] - في ز ، خ : عبيد .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .
[٤] - سقط من خ .
[٥] - في ز : « أحد بني » .
[٦] - في ت : لأمكننه .

حديث غريب جدًا وقد رواه الحافظ أبو موسى المديني وابن الأثير(١١) من طريق الزهري عن إسماعيل بن أبي حكيم عن [نظير][١] المزني - أو : المدني - عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن الله ليسمع قراءة ﴿ لم يكن الذين كفروا ﴾ فيقول**[٢] : **أبشر عبدي ، فوعزتي لا أنساك علىٰ حال من أحوال الدنيا والآخرة ، ولأمكنن لك في الجنة حتىٰ ترضىٰ** » .

[قوله تعالى][٣] :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾

أما أهل الكتاب فهم: اليهود والنصارى، والمشركون: عبده الأوثان والنيران من العرب ومن العجم .

وقال مجاهد : لم يكونوا ﴿ **منفكين** ﴾ يعني : منتهين حتىٰ يتبين لهم الحق ، وكذا قال قتادة .

﴿ **حتىٰ تأتيهم البينة** ﴾ ، أي : هذا القرآن ؛ ولهذا قال تعالىٰ ﴿ **لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتىٰ تأتيهم البينة** ﴾ . ثم فسر البينة بقوله : ﴿ **رسول من الله يتلو صحفًا مطهرة** ﴾ ، يعني محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم ، وما يتلوه من القرآن العظيم ، الذي هو مكتتب في الملإ الأعلىٰ ، في صحف مطهرة ، كقوله : ﴿ **في صحف مكرمة * مرفوعة مطهرة * بأيدي سفرة * كرام بررة** ﴾ .

(١١) « أسد الغابة » لابن الأثير (٥/٣٢٥) .

[١] - في ز ، خ : « مطر » .
[٢] - في ت : ويقول .
[٣] - سقط من ت .

وقوله : ﴿ **فيها كتب قيمة** ﴾ قال ابن جرير : إن[١] في الصحف المطهرة كتب من [ ][٢] اللَّه قيمة ، عادلة مستقيمة ، ليس فيها خطأ ؛ لأنها من عند اللَّه - عز وجل - .

قال قتادة : ﴿ **رسول من اللَّه يتلو صحفًا مطهرة** ﴾ ، يذكر القرآن بأحسن الذكر ، ويثني عليه بأحسن الثناء . وقال ابن زيد : ﴿ **فيها كتب قيمة** ﴾ مستقيمة معتدلة .

وقوله : ﴿ **وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة** ﴾ ، كقوله : ﴿ **ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم** ﴾ يعني بذلك أهل الكتب المنزلة علىٰ الأمم قبلنا ، بعد ما أقام اللَّه عليهم الحجج والبينات تفرقوا واختلفوا في الذي أراده اللَّه من كتبهم ، واختلفوا اختلافًا كثيرًا ، كما جاء في[٣] الحديث المروي من طرق(١٢) : « إن اليهود اختلفوا علىٰ إحدىٰ وسبعين فرقة ، وإن النصارىٰ اختلفوا علىٰ اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق هذه الأمة علىٰ ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة » . قالوا : من هم يا رسول اللَّه ؟ قال : « ما أنا عليه وأصحابي » .

وقوله : ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا اللَّه مخلصين له الدين** ﴾ ، كقوله : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي[٤] إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾ ؛ ولهذا قال : ﴿ **حنفاء** ﴾ أي : متحنفين عن الشرك إلى التوحيد . كقوله : ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولًا : أن اعبدوا اللَّه واجتنبوا الطاغوت** ﴾ . وقد تقدم تقرير الحنيف في سورة الأنعام ، بما أغنىٰ عن إعادته هاهنا .

﴿ **ويقيموا الصلاة** ﴾ ، وهي أشرف عبادات البدن ، ﴿ **ويؤتوا الزكاة** ﴾ ، وهي الإحسان إلىٰ الفقراء والمحاويج . ﴿ **وذلك دين القيمة** ﴾ ، أي : الملة القائمة العادلة ، أو : الأمة المستقيمة المعتدلة .

وقد استدل كثير من الأئمة ، كالزهري والشافعي ، بهذه الآية الكريمة علىٰ أن الأعمال داخلة في الإيمان ، ولهذا قال : ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا اللَّه مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة** ﴾ .

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ

(١٢) تقديم تخريجه في تفسير سورة يونس ، آية : (٩٣) برقم (٩٧) .

[١] - في ت : أي .
[٢] - في ز ، خ : كتب .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - في ز : يوحى .

ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾

يخبر تعالىٰ عن مآل الفجار ، من كفرة أهل الكتاب ، والمشركين المخالفين لكتب اللَّه المنزلة وأنبياء اللَّه المرسلة ؛ أنهم يوم القيامة ﴿ **في نار جهنم خالدين فيها** ﴾ أي : ماكثين ، لا يحولون عنها ولا يزولون . ﴿ **أولئك هم شر البرية** ﴾ ، أي : شر الخليقة التي برأها اللَّه وذرأها .

ثم أخبر تعالىٰ عن حال الأبرار الذين آمنوا بقلوبهم ، وعملوا الصالحات بأبدانهم بأنهم خير البرية .

وقد استدل بهذه الآية أبو هريرة وطائفة من العلماء ، علىٰ تفضيل المؤمنين من البرية علىٰ الملائكة ، لقوله : ﴿ **أولئك هم خير البرية** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **جزاؤهم عند ربهم** ﴾ ، أي : يوم القيامة ، ﴿ **جنات عدن تجري من تحتها الأنهار ، خالدين فيها أبدًا** ﴾ ، أي : بلا انفصال ولا انقضاء ولا فراغ .

﴿ **رضي اللَّه عنهم ورضوا عنه** ﴾ ، ومقام رضاه عنهم أعلىٰ مما أوتوه من النعيم المقيم ، ﴿ **ورضوا عنه** ﴾ فيما منحهم من الفضل العميم .

وقوله : ﴿ **ذلك لمن خشي ربه** ﴾ ، أي : هذا الجزاء حاصل لمن خشى اللَّه واتقاه حق تقواه ، وعبده كأنه يراه ، وعلم أنه[١] إن لم يره فإنه يراه .

وقال الإمام أحمد(١٣) : حدثنا إسحاق بن عيسىٰ ، حدثنا أبو معشر[٢] ، عن أبي وهب - مولىٰ أبي هريرة - عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « ألا أخبركم بخير البرية ؟ » . قالوا : بلىٰ ، يا رسول اللَّه . قال : « رجل آخذ بعنان فرسه في سبيل اللَّه ، كلما كانت هيعة ، استوىٰ عليه[٣] . ألا أخبركم بخير البرية ؟ » . قالوا : بلىٰ ، يا رسول اللَّه . قال : « رجل في ثلة من غنمه ، يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة . ألا أخبركم بشر البرية ؟ » . قالوا : بلىٰ . قال : « الذي يسأل باللَّه ، ولا يعطي به »

آخر تفسير سورة « لم يكن » [ولله الحمد والمنة]

(١٣) المسند (٢/٣٩٦) (٩١٣١) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد» (٥/٢٨٢) : رواه أحمد ، وأبو معشر - نجيح - : ضعيف ، وأبو معشر - كذا قال والصواب أبو وهب كما في المسند طبعة أحمد شاكر وصوبه وقال : وهو الذي في المخطوطة - مولى أبي هريرة لم أعرفه .اهـ .

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - في ز ، خ : معن .
[٣] - في ت : عليها .

[تفسير] سورة إذا زلزلت

[وهي مكية]

قال الإمام[١] أحمد(١) : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا سعيد ، حدثنا عياش بن عباس ، عن عيسىٰ بن هلال الصدفي ، عن عبد اللّٰه بن عمرو قال : أتىٰ رجل إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقال : أقرئني يا رسول اللّٰه . قال له : « اقرأ ثلاثًا من [ذات الر][٢] » . فقال[٣] له الرجل : كبر سني واستد قلبي ، وغلظ لساني . قال : « فاقرأ من ذات حم » . فقال مثل مقالته الأولىٰ ، فقال : « اقرأ ثلاثًا من المسبحات » . فقال مثل مقالته ، فقال الرجل : ولكن أقرئني يا رسول اللّٰه سورة جامعة . فأقرأه : ﴿ **إذا زلزلت الأرض زلزالها** ﴾ . حتىٰ إذا فرغ منها قال الرجل : والذي بعثك بالحق [نبيًا][٤] لا أزيد عليها أبدًا ، ثم أدبر الرجل فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « أفلح الرويجل ! أفلح الرويجل ! ثم قال : علي به » . فجاءه فقال له : أمرت بيوم الأضحىٰ جعله اللّٰه عيدًا لهذه الأمة » . فقال له الرجل : أرأيت إن لم أجد إلا منيحة أنثىٰ[٥] فأضحي بها ؟ قال : « لا ، ولكنك تأخذ من شعرك ، وتقلم أظفارك ، وتقص شاربك ، وتحلق عانتك ، فذاك تمام أضحيتك عند اللّٰه عز وجل » .

وأخرجه أبو داود والنسائي من حديث أبي عبد الرحمن المقرئي[٦] به .

وقال الترمذي(٢) : حدثنا محمد بن موسى الحرشي[٧] البصري ، حدثنا الحسن بن سَلْم[٨] بن صالح العجلي ، حدثنا ثابت البناني ، عن أنس قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « من قرأ ﴿ **إذا زلزلت** ﴾ عدلت له بنصف القرآن » ... ثم قال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث [الحسن بن سَلْم][٩] .

---

(١) المسند (١٦٩/٢) (٦٥٧٥) . وأبو داود في كتاب : الصلاة، باب : تحزيب القرآن ، حديث (١٣٩٩) (٥٧/٢). والنسائي في الكبرى في كتاب : عمل اليوم والليلة ، باب : الفضل في قراءة ﴿ **تبارك الذي بيده الملك** ﴾ ، حديث (١٠٥٥٣) (١٨٠/٦) .

(٢) سنن الترمذي في كتاب : ثواب القرآن ، باب : ما جاء في ﴿ **إذا زلزلت** ﴾ ، حديث (٢٨٩٥) (٨/ ١٠٤) . قال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث هذا الشيخ : الحسن بن سلم .اهـ .

---

[١] - في خ قبل هذا : « قال الترمذي : حدثنا محمد بن موسى الجويني البصري ، حدثنا الحسن بن مسلم العجلي ، حدثنا ثابت » وانظر تعليق المحقق ط الشعب .

[٢] - في ز : ذوات الراء .

[٣] - في ز : قال .

[٤] - سقط من ت .

[٥] - في ز ، خ : ابني .

[٦] - في ز ،خ : المقرئ .

[٧] - في ز ، خ : الجويني .

[٨] - في ز ، خ : مسلم .

[٩] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : « الحسن بن مسلم » .

وقد رواه البزار عن محمد بن موسىٰ الحرشي[١] عن الحسن بن سَلْم[٢] ، عن ثابت ، عن أنس قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « ﴿ **قل هو اللّٰه أحدٌ** ﴾ تعدل ثلث القرآن ، و ﴿ **إذا زلزلت** ﴾ تعدل ربع القرآن » . هذا لفظه .

وقال الترمذي أيضًا(٣) : حدثنا علي بن حجر ، حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا يمان بن المغيرة العنزي ، حدثنا عطاء ، عن ابن عباس قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : ﴿ **إذا زلزلت** ﴾ تعدل نصف القرآن . و ﴿ **قل هو اللّٰه أحد** ﴾ تعدل ثلث القرآن ، ، و ﴿ **قل يا أيها الكافرون** ﴾ تعدل ربع القرآن » . ثم قال : غريب ، لا نعرفه إلا من حديث يمان بن المغيرة .

وقال أيضًا(٤) حدثنا عقبة[٣] بن مكرم العمي البصري ، حدثني ابن أبي فديك ، أخبرني سلمة بن وردان ، عن أنس بن مالك ، أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال لرجل من أصحابه : « هل تزوجت يا فلان ؟ » . قال : لا واللّٰه يا رسول اللّٰه ، ولا عندي ما أتزوج ؟ ! قال : « أليس معك ﴿ **قل هو اللّٰه أحد** ﴾ ؟ » قال : بلىٰ . قال : « ثلث القرآن » . قال : « أليس معك ﴿ **إذا جاء نصر اللّٰه والفتح** ﴾؟ » . قال : بلىٰ . قال : « ربع القرآن » . قال : « أليس معك ﴿ **قل : يا أيها الكافرون** ﴾ ؟» . قال : بلىٰ . قال : « ربع القرآن » . قال : « أليس معك ﴿ **إذا زلزلت الأرض** ﴾ ؟» . قال : بلىٰ ، قال : « ربع القرآن . تزوج ، تزوج[٤] » . ثم قال : هذا حديث حسن . تفرد بهن ثلاثتهن الترمذي ، لم يروهن غيره من أصحاب الكتب .

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾

قال ابن عباس : ﴿ **إذا زلزلت الأرض زلزالها** ﴾ ، أي : تحركت من أسفلها .

---

(٣) سنن الترمذي في الموضع السابق ، حديث (٢٨٩٦) (٨/١٠٥) .

(٤) سنن الترمذي في الموضع السابق (٢٨٩٧) .

---

[١] - في ز ، خ : الجويني .

[٢] - في ز ، خ : مسلم .

[٣] - في ز ، خ : عبد اللّٰه .

[٤] - سقط من ز ، خ .

﴿ وأخرجت الأرض أثقالها ﴾ ، يعني : ألقت ما فيها من الموتىٰ . قاله غير واحد من السلف . وهذه كقوله تعالىٰ ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ...﴾ ، وكقوله : ﴿وإذا الأرض مدّت ، وألقت ما فيها وتخلت﴾ . وقال مسلم(٥) في صحيحه : حدثنا واصل ابن عبد الأعلىٰ ، حدثنا محمد بن فضيل ، عن أبيه ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « تلق[١] الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة ، فيجيء القاتل فيقول : في هذا قتلت . ويجيء القاطع فيقول : في هذا قطعت رحمي . ويجيء السارق فيقول : في هذا قطعت يدي ، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئًا » .

وقوله : ﴿ وقال الإنسان ما لها ﴾ أي : استنكر أمرها بعد ما كانت قارة ساكنة ثابتة ، وهو مستقر علىٰ ظهرها ، أي : تقلبت الحال ، فصارت متحركة مضطربة ، قد جاءها من أمر اللّٰه ما قد أعده[٢] لها من الزلزال الذي لا محيد لها عنه ، ثم ألقت ما في بطنها من الأموات من الأولين والآخرين ، وحينئذ استنكر الناس أمرها وتبدلت الأرض غير الأرض والسماوات ، وبرزوا للّٰه الواحد القهار .

وقوله : ﴿يومئذٍ تحدث أخبارها﴾ أي : تحدث بما عمل العاملون على ظهرها .

قال الإمام أحمد(٦) : حدثنا إبراهيم ، حدثنا ابن المبارك - وقال الترمذي وأبو عبد الرحمن النسائي ، واللفظ له : حدثنا سويد بن نصر ، أخبرنا عبد اللّٰه هو ابن المبارك عن سعيد بن أبي أيوب ، عن يحيىٰ بن أبي سليمان ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة قال : قرأ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم هذه الآية : ﴿ يومئذ تحدث أخبارها ﴾ ، قال : « أتدرون ما أخبارها ؟ » . قالوا : اللّٰه ورسوله أعلم . قال : « فإن أخبارها أن تشهد علىٰ كل عبد وأمة بما عمل علىٰ ظهرها ، أن تقول : عمل كذا وكذا ، [يوم كذا وكذا][٣] . فهذه أخبارها » .

ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب .

وفي معجم الطبراني(٧) من حديث ابن لهيعة : حدثني الحارث بن يزيد - سمع ربيعة

---

(٥) صحيح مسلم في كتاب : الزكاة ، باب : الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها ، حديث (٦٢/ ١٠١٣) (١٣٦/٧) .

(٦) المسند (٣٧٤/٢) . والترمذي في كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها ﴾ ، حديث (٣٣٥٠) (٨٠/٩ - ٨١) . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : « سورة الزلزلة » ، حديث (١١٦٩٣) (٥٢٠/٦) .

(٧) معجم الطبراني في « الكبير » (٦٥/٥) (٤٥٩٦) . قال الهيثمي في « المجمع » (٢٤٦/١) : وفيه =

---

[١] - في ت : تقيء . [٢] - في ت : أعد .

[٣] - في ز : قال . وسقط من خ .

الجرشي - : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « تحفظوا من الأرض ، فإنها أمكم ، وإنه ليس من أحد عامل عليها خيرًا أو شرًّا ، إلا وهي مخبرة » .

وقوله ﴿ بأن ربك أوحىٰ لها ﴾ ، قال البخاري : أوحىٰ لها وأوحىٰ إليها ، ووحىٰ لها ووحىٰ إليها : واحد وكذا قال ابن عباس : ﴿أوحىٰ لها﴾ أي : أوحىٰ إليها . والظاهر أن هذا مضمن أذن لها .

وقال شبيب بن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿يومئذٍ تحدث أخبارها﴾ قال : قال لها ربها : قولي فقالت .

وقال مجاهد : ﴿ أوحىٰ لها ﴾ أي : أمرها . وقال القرظي : أمرها أن تنشق عنهم .

وقوله : ﴿ يومئذ يصدر الناس أشتاتًا ﴾ ، أي : يرجعون عن موقف الحساب ، ﴿ أشتاتًا ﴾ ، أي : أنواعًا وأصنافًا ، ما بين شقي وسعيد ، مأمور به إلىٰ الجنة ، ومأمور به إلىٰ النار .

قال ابن جريج : يتصدعون أشتاتًا فلا يجتمعون آخر ما عليهم .

وقال السدي : ﴿أشتاتًا﴾ : فرقًا .

وقوله تعالىٰ : ﴿ ليروا أعمالهم ﴾ ، أي : ليعملوا ويجاوزوا بما عملوه في الدنيا ، من خير وشر ؛ ولهذا قال : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره ﴾ .

قال البخاري(٨) : حدثنا إسماعيل بن عبد الله ، حدثني مالك ، عن زيد بن أسلم ، عن أبي صالح السمان ، عن أبي هريرة ؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؛ قال : « الخيل لثلاثة ، لرجل أجر ، ولرجل ستر ، وعلىٰ رجل وزر ؛ فأما الذي له أجر ، فرجل ربطها في سبيل الله فأطال طيلها في مرج أو روضة ، فما أصابت في طيلها ذلك في المرج والروضة كان له حسنات ، ولو أنها قطعت طيلها فاستنت شرفًا أو شرفين ، كانت آثارها وأرواثها حسنات له . ولو أنها مرت بنهر [فشربت][١] منه ولم يرد أن يسقىٰ به كان ذلك حسنات له ، وهي لذلك الرجل أجر ؛ ورجل ربطها تغنيًا وتعففًا ، ولم ينسَ حق الله في رقابها ، ولا ظهورها ، فهي له ستر . ورجل ربطها فخرًا ورياء[٢] ونواء ، فهي علىٰ ذلك وزر » .

= ابن لهيعة وهو ضعيف .

(٨) صحيح البخاري في كتاب : التفسير ، باب : قوله : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ﴾ ، حديث (٤٩٦٢) (٨/٧٢٦) .

---

[١] - في ز ، خ : قريب .
[٢] - في ت : رئاء .

فسئل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن الحمر، فقال: « ما أنزل الله فيها شيئًا إلا هذه الآية الفاذة الجامعة: ﴿ **فمن**[١] **يعمل مثقال ذرة خيرًا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره** ﴾ ».

ورواه مسلم(٩) من حديث زيد بن أسلم به.

وقال الإمام أحمد(١٠): حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا جرير بن حازم، حدثنا الحسن، عن صعصعة بن معاوية - عم الفرزدق - أنه أتىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم فقرأ عليه: ﴿ **فمن**[٢] **يعمل مثقال ذرة خيرًا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره** ﴾، قال: حسبي! لا أبالي أن لا أسمع غيرها.

وهكذا رواه النسائي في التفسير، عن إبراهيم بن [يونس بن محمد][٣] المؤدب، عن أبيه عن جرير بن حازم، عن الحسن البصري؛ قال: حدثنا صعصعة عم الفرزدق ... فذكره.

وفي صحيح البخاري(١١)، عن عدي مرفوعًا: « اتقوا[٤] النار ولو بشق تمرة، ولو [بكلمة طيبة][٥] ».

وفي الصحيح(١٢): لا تحقرن من المعروف شيئًا[٦] ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي، ولو أن تلقىٰ أخاك ووجهك إليه منبسط ».

---

(٩) صحيح مسلم، كتاب: الزكاة، باب: إثم مانع الزكاة، حديث (٢٤/٩٨٧) (٧/٨٩ - ٩٣).

(١٠) أخرجه أحمد (٥/٥٩) (٢٠٦٥٠). والنسائي في الكبرى في كتاب: التفسير، باب: سورة الزلزلة، حديث (١١٦٩٤) (٦/٥٢٠ - ٥٢١).

(١١) صحيح البخاري، كتاب: الرقاق، باب: من نوقش الحساب عذب، حديث (٦٥٤٠) (١١/٤٠٠).

(١٢) أخرجه أحمد (٥/٦٣) (٢٠٦٩٠). والنسائي في الكبرى في كتاب: الزينة، باب: الاختلاف على أبي إسحاق فيه، حديث (٩٦٩٩) (٥/٤٨٧).

كلاهما من حديث جابر بن سليم بهذا اللفظ في حديث طويل، والحديث عند أحمد وأبي داود والترمذي وغيرهم بنحو ذلك، ولم أجده في أحد الصحيحين بهذه السياقة والذي في صحيح مسلم من حديث أبي ذر مرفوعًا: « لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق »؛ أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة، باب: استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء، حديث (١٤٤/٢٦٢٦) (١٦/٢٧١).

---

[١] - في ز: من.
[٢] - في ز: من.
[٣] - في ز، خ: محمد بن يونس.
[٤] - في خ: فاتقوا.
[٥] - سقط من ز، خ.
[٦] - سقط من ز، ح.

وفي الصحيح أيضًا(١٣) : « يا نساء المؤمنات ؛ لا تحقرن جارة لجارتها[١] ولو فرسن شاة » . يعني : ظلفها[٢] . وفي الحديث الآخر(١٤) : « ردوا[٣] السائل ولو بظلف محرق » .

وقال الإمام أحمد(١٥) : حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري ، حدثنا كثير بن زيد ، عن المطلب[٤] بن عبد الله ، عن عائشة ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يا عائشة ، استتري من النار ولو بشق تمرة ، فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان » . تفرد به أحمد .

وروي عن عائشة أنها تصدقت بعنبة ، وقالت : كم فيها من مثقال ذرة .

وقال أحمد(١٦) : حدثنا أبو عامر ، حدثنا سعيد بن مسلم ، سمعت عامر بن عبد الله بن الزبير ، حدثني عوف بن الحارث بن الطفيل ، أن عائشة أخبرته ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : « يا عائشة ؛ إياك ومحقرات الذنوب ، فإن لها من الله طالبًا » .

ورواه النسائي وابن ماجة من حديث سعيد بن مسلم بن بانك به .

وقال ابن جرير(١٧) : حدثني أبو الخطاب الحساني[٥] ، حدثنا الهيثم بن الربيع ، حدثنا

(١٣) أخرجه البخاري في كتاب : الهبة ، حديث (٢٥٦٦) (١٩٧/٥) . وطرفه في [٦٠١٧] . ومسلم في كتاب : الزكاة ، باب : الحث على الصدقة ولو بالقليل ، حديث (١٠٣٠/٩٠) (١٦٨/٧) . كلاهما من حديث أبي هريرة .

(١٤) أخرجه أحمد (٤٣٥/٦) (٢٧٥٥٧) واللفظ له . والنسائي (٨١/٥) كتاب الزكاة ، باب : رد السائل ، وفي الكبرى (٢٣٤٦) (٤٢/٢) . كلاهما من طريق مالك عن زيد بن أسلم عن ابن بجيد الأنصاري عن جدته به .

وأخرجه أبو داود في كتاب : الزكاة ، باب : حق السائل ، حديث (١٦٦٧) (١٢٦/٢) . والترمذي في كتاب : الزكاة ، باب : ما جاء في حق السائل ، حديث (٦٦٥) (٢٦/٣ - ٢٧) . من طريق المقبري عن ابن بجيد بنحوه . قال الترمذي : حسن صحيح . وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٢٤٠٥) .

(١٥) أخرجه أحمد (٧٩/٦) (٢٤٦١٢) .

(١٦) أخرجه أحمد (١٥١/٦) (٢٥٢٨٦) . أخرجه النسائي في كتاب : الرقائق كما في تحفة الأشراف (١٢/ ٢٥٠) (١٧٤٢٥) . وابن ماجة في كتاب : الزهد ، باب : ذكر الذنوب ، حديث (٤٢٤٣) (٢/ ١٤١٧) . وصححه الألباني في الصحيحة (٥١٣) .

(١٧) تفسير الطبري (٢٦٨/٣٠) .

[١] - في خ : جارتها .
[٢] - في ت : خلفها .
[٣] - في ت : رد .
[٤] - في ز ، خ : عبد المطلب .
[٥] - في ز : الحياني . وفي خ : الخبابي .

سماك بن عطية ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أنس؛ قال : كان أبو بكر يأكل مع النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فنزلت هذه الآية : ﴿ **فمن[١] يعمل مثقال ذرة خيرًا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره** ﴾ ، فرفع أبو بكر يده وقال : يا رسول اللّٰه ؛ إني أجزى بما عملت من مثقال ذرة من شر ؟ فقال : « يا أبا بكر ؛ ما رأيت في الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشر ويدخر اللّٰه لك مثاقيل ذر[٢] الخير حتىٰ توفاه[٣] يوم القيامة » .

ورواه ابن أبي حاتم ، عن [أبيه عن][٤] أبي الخطاب به . ثم قال ابن جرير(١٨) :

حدثنا ابن بشار[٥] ، حدثنا عبد الوهاب ، حدثنا أيوب؛ قال : في كتاب أبي قلابة ، عن أبي إدريس ، أن أبا بكر كان يأكل مع النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم... فذكره . ورواه أيضًا عن يعقوب ، عن ابن عُلية ، عن أيوب ؛ عن أبي[٦] قلابة : أن أبا بكر ... وذكره .

(طريق أخرىٰ) ، قال ابن جرير(١٩) : حدثني يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني حُيي بن عبد اللّٰه عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي ، عن عبد اللّٰه بن عمرو بن العاص ؛ أنه قال : لما نزلت : ﴿ **إذا زلزلت الأرض زلزالها** ﴾ ، وأبو بكر الصديق رضي اللّٰه عنه قاعد ، فبكىٰ حين أنزلت ، فقال له رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « ما يبكيك يا أبا بكر ؟ » . قال : يبكيني هذه السورة . فقال له رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « لولا أنكم تخطئون وتذنبون ، فيغفر اللّٰه لكم ، لخلق اللّٰه أمة يخطئون ويذنبون فيغفر لهم » .

(حديث آخر) ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة وعلي بن عبد الرحمٰن [بن محمد][٧] بن المغيرة - المعروف بعلان[٨] المصري - قالا : حدثنا عمرو بن خالد الحراني ، حدثنا ابن لهيعة ، أخبرني هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري؛ قال : لما أنزلت[٩] : ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره** ﴾ قلت : يا رسول اللّٰه ؛ إني لراء[١٠] عملي ؟ قال : « نعم » . قلت : تلك الكبار الكبار ؟ قال : « نعم » . قلت : الصغار الصغار ؟ قال : « نعم » . قلت : وا ثكل أمي! قال : « أبشر يا أبا[١١] سعيد ؛ فإن الحسنة بعشر أمثالها - يعني إلىٰ سبعمائة ضعف -

(١٨) تفسير الطبري (٢٦٨/٣٠) وليس فيه ذكر عبد الوهاب .

(١٩) أخرجه الطبري (٢٧٠/٣٠) .

[١] - في ز : من .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - في ز : توفا . كذا .

[٤] - سقط من ز ، خ .

[٥] - في ز ، خ : يسار .

[٦] - سقط من ت .

[٧] - سقط من ز ، خ .

[٨] - في ز : علات .

[٩] - في ت : نزلت .

[١٠] - في ز ، خ : لمرائي .

[١١] - سقط من ت .

ويضاعف الله لمن يشاء ، والسيئة بمثلها أو يغفر الله ، ولن ينجو أحد منكم بعمله » . قلت : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمة » . قال أبو زرعة : لم يرو هذا غير ابن لهيعة .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا يحيىٰ بن عبد الله بن بكير[١] ، حدثني ابن لهيعة ، حدثني عطاء بن دينار ، عن سعيد بن جبير في قول الله تعالىٰ : ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره** ﴾ ، وذلك لما نزلت هذه الآية : ﴿ **ويطعمون الطعام علىٰ حبه مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا** ﴾ كان المسلمون يرون أنهم لا يؤجرون علىٰ الشيء القليل إذا أعطوه ، فيجيء المسكين إلىٰ أبوابهم فيستقلون أن يعطوه التمرة[٢] والكسرة والجوزة ونحو ذلك ، فيردونه ويقولون : ما هذا بشيء ؟ إنما نؤجر علىٰ ما نعطي ونحن نحبه . وكان آخرون يرون أنهم لا يلامون علىٰ الذنب اليسير : الكذبة والنظرة والغيبة وأشباه ذلك ، يقولون : إنما وعد الله النار علىٰ الكبائر . فرغبهم في القليل من الخير أن يعملوه ، فإنه يوشك أن يكثر ، وحذرهم اليسير من الشر ، فإنه يوشك أن يكثر ، فنزلت : ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة** ﴾ ، يعني : وزن أصغر النمل[٣] ﴿ **خيرًا يره** ﴾ يعني في كتابه ، ويسره ذلك . قال : يكتب لكل بر وفاجر بكل سيئة سيئة واحدة ، وبكل حسنة عشر حسنات ، فإذا كان يوم القيامة ضاعف الله حسنات المؤمنين أيضًا ، بكل واحدة عشرًا ، ويمحو عنه بكل حسنة عشر سيئات ، فمن زادت حسناته علىٰ سيئاته مثقال ذرة ، دخل الجنة .

وقال الإمام أحمد(٢٠) : حدثنا سليمان بن داود ، حدثنا عمران ، عن قتادة ، عن عبد ربه ، عن أبي عياض ، عن عبد الله بن مسعود ؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ قال : « إياكم ومحقرات الذنوب ، فإنهن يجتمعن علىٰ الرجل حتىٰ يهلكنه » . وإن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ضرب لهن مثلًا كمثل قوم نزلوا أرض فلاة ، فحضر صنيع القوم ، فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود ، والرجل يجيء بالعود ، حتىٰ جمعوا سوادًا ، وأججوا نارًا ، وأنضجوا ما قذفوا فيها .

[آخر تفسير سورة « إذا زلزلت » ولله الحمد]

☆ ☆ ☆

(٢٠) مسند أحمد (١/٤٠٢ - ٤٠٣) (٣٨١٨) . وصححه أحمد شاكر .

[١] - في ز ، خ : بكر .
[٢] - في ز : تمرة .
[٣] - في ز : نمل .

[تفسير] سورة العاديات

[وهي مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (٤) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (٥) إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨) ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (٩) وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (١٠) إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ (١١)

يقسم تعالىٰ بالخيل إذا أجريت في سبيله فعدت وضبحت ، وهو : الصوت الذي يسمع من الفرس حين تعدو . ﴿ **فالموريات قدحًا** ﴾ ، يعني : اصطكاك نعالها بالصخر[١] فتقدح منه النار .

﴿ **فالمغيرات صبحًا** ﴾ ، يعني الإغارة وقت الصباح ، كما كان رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يغير صباحًا ، ويتسمع أذانًا ، فإن سمع وإلا أغار .

﴿ **فأثرن به نقعًا** ﴾ يعني : غبارًا في معترك الخيول .

﴿ **فوسطن به جمعًا** ﴾ ، أي : توسطن ذلك المكان كلهن جمع .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا عبدة ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبد اللَّه : ﴿ **والعاديات ضبحًا** ﴾ ، قال : الإبل .

وقال علي : هي الإبل . وقال ابن عباس : هي الخيل . فبلغ عليًا قول ابن عباس ، فقال : ما كانت لنا خيل يوم بدر . قال ابن عباس : إنما كان ذلك في سرية بعثت .

قال ابن أبي حاتم وابن جرير(١) : حدثنا يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني أبو صخر ، عن أبي معاوية البجلي ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس حدثه ؛ قال : بينا أنا في الحجر جالسًا ، إذ[٢] جاءني رجل فسألني عن : ﴿ **العاديات ضبحًا** ﴾ ، فقلت له : الخيل حين تغير

(١) تفسير الطبري (٣٠/٢٧٢ - ٢٧٣) .

[١] - في ت : للصخر . [٢] - سقط من ز ، خ .

في سبيل الله ، ثم تأوي إلىٰ الليل ، فيصنعون طعامهم ، ويورون نارهم . فانفتل عني فذهب إلىٰ علي رضي الله عنه وهو عند سقاية زمزم ، فسأله عن ﴿ العاديات ضبحًا ﴾ ، فقال : سألت عنها أحدًا قبلي ؟ قال : نعم ، سألت ابن عباس فقال : الخيل حين تغير في سبيل الله . قال : اذهب فادعه لي . فلما وقف علىٰ رأسه قال[١] : تفتي الناس بما لا علم لك ، والله لئن كان أول غزوة في الإسلام بدر ، وما كان معنا إلا فرسان : فرس للزبير ، وفرس للمقداد ، فكيف تكون العاديات ضبحًا ، إنما العاديات ضبحًا من عرفة إلىٰ المزدلفة ، ومن المزدلفة إلىٰ منىٰ .

قال ابن عباس : فنزعت عن قولي ، ورجعت إلى الذي قال علي رضي الله عنه .

وبهذا الإسناد عن ابن عباس قال : قال علي : إنما ﴿ العاديات ضبحًا ﴾ من عرفة إلىٰ المزدلفة ، فاذا أووا إلىٰ المزدلفة أوروا النيران . وقال العوفي عن ابن عباس : هي الخيل .

وقد قال بقول علي : إنها الإبل ، جماعة منهم : إبراهيم ، وعبيد بن عمير ؛ وبقول ابن عباس آخرون ، منهم : مجاهد وعكرمة ، وعطاء وقتادة والضحاك . واختاره ابن جرير .

قال ابن عباس وعطاء : ما ضبحت دابة قط إلا فرس أو كلب .

وقال ابن جريج ، عن عطاء : سمعت ابن عباس يصف الضبح : أح أح . وقال أكثر هؤلاء في قوله : ﴿ فالموريات قدحًا ﴾ ، يعني : بحوافرها . وقيل : أسعرن الحرب بين[٢] ركبانهن . قاله قتادة . وعن ابن عباس ومجاهد : ﴿ فالموريات قدحًا ﴾ يعني : مكر[٣] الرجال . وقيل : هو إيقاد النار إذا رجعوا إلىٰ منازلهم من الليل .

وقيل : المراد بذلك نيران القبائل . وقال من فسره بالخيل : هو إيقاد النار بالمزدلفة .

قال ابن جرير : والصواب الأول : [أنها الخيل حين][٤] تقدح بحوافرها .

وقوله : ﴿ فالمغيرات صبحًا ﴾ قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة : يعني إغارة الخيل صبحًا في سبيل الله . وقال من فسرها بالإبل : هو الدفع صبحًا من المزدلفة إلىٰ منىٰ .

وقالوا كلهم في قوله : ﴿ فأثرن به نقعًا ﴾ : هو المكان الذي إذا[٥] حلت فيه أثارت به الغبار إما في حج أو غزو .

وقوله : ﴿ فوسطن به جمعًا ﴾ ، قال العوفي ، عن ابن عباس ، وعطاء ، وعكرمة ،

---

[١] - في ز : فقال .
[٢] - في ز : من .
[٣] - في ز : بكر .
[٤] - في ز : « إنه الخيل حتى » .
[٥] - سقط من ز ، خ .

وقتادة ، والضحاك : يعني جمع الكفار من العدو .

ويحتمل أن يكون : ﴿فوسطن﴾ بذلك المكان جميعهن[١] ، ويكون ﴿جمعًا﴾ منصوبًا علىٰ الحال المؤكدة .

وقد روىٰ أبو بكر البزار(٢) هاهنا حديثًا فقال : حدثنا أحمد بن عبدة ، حدثنا حفص بن جميع ، حدثنا سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس؛ قال : بعث رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم خيلًا فأشهرت[٢] شهرًا لا يأتيه منها خبر ، فنزلت : ﴿ والعاديات ضبحًا ﴾ ، ضبحت بأرجلها ، ﴿ فالموريات قدحًا ﴾ ، قدحت بحوافرها الحجارة فأورت نارًا ، ﴿ فالمغيرات صبحًا ﴾ : صبحت القوم بغارة ، ﴿ فأثرن به نقعًا ﴾ ، أثارت بحوافرها التراب ، ﴿ فوسطن به جمعًا ﴾ ، قال : صبحت القوم جميعًا .

وقوله : ﴿إن الإنسان لربه لكنود﴾ هذا هو المقسم عليه ، بمعنىٰ أنه لنعم ربه لجحود كفور .

قال ابن عباس ، ومجاهد وإبراهيم النخعي ، وأبو الجوزاء ، وأبو العالية ، وأبو الضحىٰ ، وسعيد بن جبير ، ومحمد بن قيس ، والضحاك ، والحسن ، وقتادة ، والربيع بن أنس ، وابن زيد : الكنود : الكفور . قال الحسن : هو الذي يعد المصائب ، وينسىٰ نعم ربه .

وقال ابن أبي حاتم(٣) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا عبيد[٣] اللَّه ، عن إسرائيل ، عن جعفر بن الزبير ، عن القاسم ، عن أبي أمامة؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « ﴿ إن الإنسان لربه لكنود ﴾ ، قال : الكفور الذي يأكل وحده ، ويضرب عبده ، ويمنع رفده » .

ورواه ابن أبي حاتم ، من طريق جعفر بن الزبير - وهو متروك - فهذا إسناد ضعيف . وقد رواه ابن جرير(٤) أيضًا من حديث حريز بن عثمان ، عن حمزة بن هانئ ، عن أبي أمامة موقوفًا .

وقوله : ﴿ وإنه علىٰ ذلك لشهيد ﴾ ، قال قتادة وسفيان الثوري : وإن اللَّه علىٰ ذلك لشهيد .

ويحتمل أن يعود الضمير علىٰ الإنسان . قاله محمد بن كعب القرظي . فيكون تقديره : وإن

---

(٢) أخرجه البزار (٢/١٢٠ - مختصر) (١٥٣٦) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٧/١٤٥) : وفيه حفص بن جميع وهو ضعيف .

(٣) والطبري (٣٠/٢٧٨) بهذا الإسناد .

(٤) تفسير الطبري (٣٠/٢٧٨) .

---

[١] - في ت : جمعهن .   [٢] - في ز : فأسهرت .

[٣] - في ز : عبد .

الإنسان علىٰ كونه كنودًا لشهيد ، أي : بلسان حاله . أي : ظاهر ذلك عليه في أقواله وأفعاله ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد**[١] **الله شاهدين علىٰ أنفسهم بالكفر** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وإنه لحب الخير لشديد** ﴾ ، أي : وإنه لحب الخير - وهو : المال - لشديد . وفيه مذهبان : أحدهما : أن المعنىٰ : وإنه لشديد المحبة للمال .

والثاني : وإنه لحريص بخيل ؛ من محبة المال . وكلاهما صحيح .

ثم قال تعالىٰ مزهدًا في الدنيا ، ومرغبًا في الآخرة[٢] ، ومنبهًا علىٰ ما هو كائن بعد هذه الحال ، وما يستقبله الإنسان من الأهوال : ﴿ **أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور** ﴾ أي : أخرج ما فيها من الأموات ، ﴿ **وحصل ما في الصدور** ﴾ ، قال ابن عباس وغيره : يعني أبرز وأظهر ما[٣] كانوا يسرون في نفوسهم ، ﴿ **إن ربهم بهم يومئذ لخبير** ﴾ ، أي : لعالم بجميع ما كانوا يصنعون ويعملون ، ومجازيهم[٤] عليه أوفر الجزاء ، ولا يظلم مثقال ذرة .

آخر سورة « والعاديات » ، ولله الحمد [والمنة ، وبه التوفيق والعصمة ، وهو حسبي]

☆ ☆ ☆

---

[١] - في ز : مسجد .

[٢] - في ز : الأخرى .

[٣] - في ز : مما .

[٤] - في ز : ويجازيهم .

[تفسير] سورة القارعة

[وهي مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

﴿ **القارعة** ﴾ : من أسماء يوم القيامة ، كالحاقة ، والطآمة ، والصآخة ، والغاشية وغير ذلك .

ثم قال معظمًا أمرها ومهولًا لشأنها : ﴿ **وما أدراك ما القارعة** ﴾ ، ثم فسر ذلك بقوله : ﴿ **يوم يكون الناس كالفراش المبثوث** ﴾ ، أي : في انتشارهم وتفرقهم ، وذهابهم ومجيئهم ، من حيرتهم مما هم فيه ، كأنهم فراش مبثوث . كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **كأنهم جراد منتشر** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وتكون الجبال كالعهن المنفوش** ﴾ ، يعني : قد صارت كأنها الصوف المنفوش ، الذي قد شرع في الذهاب والتمزق .

قال مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، وقتادة ، وعطاء الخراساني ، والضحاك ، والسدي : ﴿ **العهن** ﴾ : الصوف .

ثم أخبر تعالىٰ عما يئول إليه عمل العاملين ، وما يصيرون إليه من الكرامة أو الإهانة ، بحسب أعمالهم ، فقال : ﴿ **فأما من ثقلت موازينه** ﴾ ، أي : رجحت حسناته علىٰ سيئاته ، ﴿ **فهو في عيشة راضية** ﴾ ، يعني : في الجنة . ﴿ **وأما من خفت موازينه** ﴾ ، أي : رجحت سيئاته علىٰ حسناته .

وقوله : ﴿ **فأمه هاوية** ﴾ ، قيل : معناه : فهو ساقط هاو بأم رأسه في نار جهنم . وعبر عنه بأمه - يعني دماغه - روي نحو هذا عن ابن عباس ، وعكرمة ، وأبي صالح ، وقتادة . قال : قتادة : يهوي في النار علىٰ رأسه . وكذا قال أبو صالح : يهوون في النار علىٰ رءوسهم .

وقيل: معناه ﴿فأمه﴾ التي يرجع إليها، ويصير في المعاد إليها ﴿هاوية﴾ وهي اسم من أسماء النار.

قال ابن جرير: وإنما قيل للهاوية: أمه؛ لأنه لا مأوى له غيرها.

وقال ابن زيد: الهاوية: النار، التي[١] هي أمه ومأواه التي يرجع إليها ويأوي إليها، وقرأ: ﴿ومأواهم النار﴾.

قال ابن أبي حاتم: وروي عن قتادة[٢] أنه قال: هي النار، وهي مأواهم؛ ولهذا قال تعالى مفسرًا للهاوية: ﴿وما أدراك ما هيه * نار حامية﴾.

قال ابن جرير(١): حدثنا ابن عبد الأعلى: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن الأشعث بن عبد الله الأعمى؛ قال: إذا مات المؤمن ذهب بروحه إلى أرواح المؤمنين، فيقولون: روحوا أخاكم فإنه كان في غم الدنيا. قال: ويسألونه: ما فعل فلان؟ فيقول: مات، أو ما جاءكم؟ فيقولون: ذهب به إلى أمه الهاوية.

وقد رواه ابن مردويه من طريق أنس بن مالك مرفوعًا، بأبسط من هذا: وقد أوردناه في كتاب صفة النار، أجارنا الله منها بمنّه وكرمه.

وقوله: ﴿نار حامية﴾ أي: حارة شديدة الحر، قوية اللّهيب[٣] والسعير.

قال أبو مصعب، عن مالك(٢)، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة: إن النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال: «نار بني آدم التي توقدون جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم». قالوا: يا رسول الله؛ إن كانت لكافية؟ فقال: «إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءًا».

ورواه البخاري، عن إسماعيل بن أبي أويس، عن مالك. ورواه مسلم عن قتيبة، عن المغيرة بن عبد الرحمن، عن أبي الزناد به. وفي بعض ألفاظه: «إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءًا، كلهن مثل حرها».

---

(١) تفسير الطبري (٢٨٢/٣٠).

(٢) أخرجه مالك في موطئه في كتاب: جهنم، باب: ما جاء في صفة جهنم، حديث (١) (٧٥٩/٢). والبخاري في كتاب: بدء الخلق، باب: صفة النار وأنها مخلوقة، حديث (٣٢٦٥) (٣٣٠/٦). ومسلم في كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها، حديث (٢٨٤٣/٣٠) (٢٦١/١٧).

---

[١] - سقط من ت، ز.
[٢] - سقط من ز. وبياض في خ.
[٣] - في ت: اللهب.

وقال الإمام أحمد(٣) : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا حماد وهو ابن[١] سلمة ، عن محمد بن زياد سمع أبا هريرة؛ يقول : سمعت أبا القاسم صلىٰ اللَّه عليه وسلم؛ يقول : « نار [بني آدم][٢] التي توقدون ، جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم » . فقال رجل : إن كانت لكافية ؟ فقال : « لقد فضلت عليها بتسعة وستين جزءًا حرًّا فحرًّا » . تفرد به أحمد من هذا الوجه ، وهو علىٰ شرط مسلم .

وقال الإمام أحمد أيضًا(٤) : حدثنا سفيان ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم وعمرو ، عن يحيىٰ بن جعدة « إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم ، [وضربت بالبحر][٣] مرتين ، ولولا ذلك ما جعل اللَّه فيها منفعة لأحد » .

وهذا علىٰ شرط الصحة ، ولم يخرجوه من هذا الوجه . وقد رواه مسلم في صحيحه من طريق [...][٤]

ورواه البزار من حديث عبد اللَّه بن مسعود ، وأبي سعيد الخدري : « ناركم هذه جزء[٥] من سبعين جزءًا » .

وقد قال الإمام أحمد(٥) : حدثنا قتيبة ، حدثنا عبد العزيز - هو ابن محمد الدراوردي - عن سهيل[٦] عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم؛ قال : « هذه النار جزء ، من مائة جزء من جهنم » . تفرد به أيضًا من هذا الوجه ، وهو على شرط مسلم أيضًا .

وقال أبو القاسم الطبراني(٦) : حدثنا أحمد بن عمرو الخلال ، حدثنا إبراهيم بن المنذر [الحزامي] ، حدثنا معن بن عيسىٰ القزاز ، عن مالك ، عن عمه[٧] أبي سهيل ، عن أبيه ، عن

---

(٣) المسند (٢/٤٦٧) .

(٤) المسند (٢/٢٤٤) (٧٣٢٣) . وصححه أحمد شاكر من هذا الطريق . وأخرجه مسلم في كتاب : الجنة ، باب : في شدة حر جهنم حديث (٣٠/٢٨٤٣ م) (١٧/٢٦٢) من طريق محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة .

(٥) المسند (٢/٣٧٩) (٨٩١٠) .

(٦) معجم الطبراني في الأوسط (١/١٥٥) (٤٨٥) . قال الهيثمي في « المجمع » (١٠/٣٩٠) : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح .

---

[١] - في ز ، خ : أبو .

[٢] - في خ : جهنم .

[٣] - في ز ، خ : وحربت بالهجر .

[٤] - بياض في ز .

[٥] - في ز : جزءًا .

[٦] - في خ : سهل .

[٧] - في ز : عمر .

أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: « أتدرون ما مثل ناركم هذه من نار جهنم؟ لهي أشد سوادًا من دخان ناركم هذه بسبعين ضعفًا ».

وقد رواه أبو مصعب، عن مالك ... ولم يرفعه. وروىٰ الترمذي(٧) وابن ماجة، عن عباس[١] الدوري، عن يحيىٰ بن أبي بكير[٢]، حدثنا شريك، عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: « أوقد علىٰ النار ألف سنة حتىٰ احمرت، ثم[٣] أوقد عليها ألف سنة حتىٰ ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتىٰ اسودت، فهي سوداء مظلمة ». وقد روي هذا من حديث أنس وعمر بن الخطاب.

وجاء في الحديث - عند[٤] الإمام أحمد - من طريق أبي عثمان النهدي، عن أنس. وأبي نضرة العبدي[٥]، عن أبي سعيد(٨). وعجلان، مولىٰ المشمعل، عن أبي هريرة(٩)، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم؛ أنه قال: « **إن أهون أهل النار عذابًا من له نعلان يغلي منهما دماغه** ».

وثبت في الصحيح(١٠) أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: « اشتكت النار إلىٰ ربها فقالت: يا رب، أكل بعضي بعضًا فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء، ونفسٍ في الصيف. فأشد ما تجدون في الشتاء من بردها، وأشد ما تجدون في الصيف من حرها ».

وفي الصحيحين(١١): « إذا اشتد الحرُّ فأبردوا عن الصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم ».

آخر تفسير سورة القارعة [ولله الحمد].

(٧) أخرجه الترمذي في كتاب: صفة جهنم، باب: أوقد على النار ثلاثة آلاف سنة حتى صارت سوداء مظلمة، حديث (٢٥٩٤) (٧/٢٥٨ - ٢٥٩). وابن ماجة في كتاب: الزهد، باب: صفة النار، حديث (٤٣٢٠) (٢/١٤٤٥).

(٨) مسند أحمد (٣/١٣)(١١١١٤).

(٩) مسند أحمد (٢/٤٣٢).

(١٠) صحيح البخاري، كتاب: بدء الخلق، باب: صفة النار وأنها مخلوقة، حديث (٣٢٦٠) (٦/٣٣٠). وصحيح مسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: استحباب الإبراد بالظهر، حديث (١٨٥/٦١٧) (٥/١٦٦). كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١١) صحيح البخاري، كتاب: مواقيت الصلاة، باب: الإبراد بالظهر في شدة الحر، حديث (٥٣٣) (٢/١٥). وصحيح مسلم، الموضع السابق من صحيحه برقم (١٨٠/٦١٥) (٥/١٦٣). كلاهما من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه. وفي الباب عن عبد الله بن عمر وأبي ذر.

[١] - في ز: ابن عباس.
[٢] - في ز، خ: بكر.
[٣] - في ز: و.
[٤] - في ز، خ: عن.
[٥] - في ز، خ: المقدمي.

[تفسير] سورة التكاثر

[وهي مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٨) ﴾

يقول تعالىٰ : أشغلكم[١] حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها ، وتمادىٰ بكم ذلك حتىٰ جاءكم الموت وزرتم المقابر ، وصرتم من أهلها ؟ !

قال ابن أبي حاتم(١) : حدثنا أبي ، حدثنا زكريا بن يحيىٰ الوقار[٢] المصري ، حدثني خالد بن عبد الدائم ، عن ابن زيد بن أسلم ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ﴿ **ألهاكم التكاثر** ﴾ عن الطاعة ، ﴿ **حتىٰ زرتم المقابر** ﴾ : حتىٰ يأتيكم الموت .

وقال الحسن البصري : ﴿ **ألهاكم التكاثر** ﴾ في الأموال والأولاد .

وفي صحيح البخاري(٢) ، في « الرقاق » منه : وقال لنا أبو الوليد : حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ، عن أبي بن كعب ؛ قال : كنا نرىٰ هذا من القرآن حتىٰ نزلت : ﴿ **ألهاكم التكاثر** ﴾ ، يعني : « لو كان لابن آدم واد من ذهب » .

و[٣] قال الإمام أحمد(٣) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، سمعت قتادة يحدث عن مطرف - يعني ابن عبد الله بن الشخير - عن أبيه قال : انتهيت إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وهو يقول : « ﴿ **ألهاكم التكاثر** ﴾ ، يقول ابن آدم : مالي مالي . وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت ؟ ! » .

ورواه مسلم والترمذي والنسائي من طريق شعبة به .

(١) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » وزاد نسبته إلى ابن مردويه .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب : الرقاق ، باب : ما يتقى من فتنة المال ، حديث (٦٤٤٠) (٢٥٣/١١) .

(٣) أخرجه أحمد (٢٤/٤) . ومسلم في كتاب : الزهد والرقائق ، حديث (٢٩٥٨/٣ م) (١٢٦/١٨) . والترمذي في كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة ﴿ **ألهاكم التكاثر** ﴾ ، حديث (٣٣٥١) (٨١/٩) =

[١] - في ت : شغلكم .
[٢] - في ز : الوتار .
[٣] - سقط من ز .

وقال مسلم في صحيحه(٤) : حدثنا سويد بن سعيد ، حدثنا حفص بن ميسرة ، عن العلاء ، عن أبيه عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم « يقول العبد : مالي مالي ؟ وإنما له من ماله ثلاث : ما أكل فأفنىٰ ، أو لبس فأبلىٰ ، أو تصدق فاقتنىٰ[١] ، وما سوىٰ ذلك فذاهب وتاركه للناس » . تفرد به مسلم.

وقال البخاري(٥) : حدثنا الحميدي ، حدثنا سفيان ، حدثنا عبد الله بن أبي بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم ، سمع أنس بن مالك ؛ يقول : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « يتبع الميتَ ثلاثة ، فيرجع اثنان ويبقىٰ معه واحد : يتبعه أهله وماله وعمله ، فيرجع أهله وماله ، ويبقىٰ عمله » .

وكذا رواه مسلم والترمذي والنسائي ، من حديث سفيان بن عيينة به .

وقال الإمام أحمد(٦) : حدثنا يحيىٰ ، عن شعبة ، حدثنا قتادة ، عن أنس ؛ أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « يهرم ابن آدم وتبقىٰ منه اثنتان : الحرص والأمل » . أخرجاه في الصحيحين .

وذكر الحافظ ابن عساكر(٧) ، في ترجمة الأحنف بن قيس - واسمه الضحاك - أنه رأىٰ في يد رجل درهمًا فقال : لمن هذا الدرهم ؟ فقال الرجل : لي . فقال إنما هو لك إذا أنفقته في أجر أو ابتغاء شكر . ثم أنشد الأحنف متمثلًا قول الشاعر :

أنت للمال إذا أمسكته فإذا أنفقته فالمال لك

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة ؛ قال : صالح بن حيان حدثني عن ابن بريدة في قوله : ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾ . قال : نزلت في قبيلتين [من قبائل الأنصار ، في بني حارثة وبني الحارث ، تفاخروا وتكاثروا ، فقالت][٢] إحداهما : فيكم مثل فلان بن فلان ، وفلان ؟ وقال الآخرون مثل ذلك ، تفاخروا بالأحياء ، ثم قالوا : انطلقوا بنا إلىٰ القبور . فجعلت إحدىٰ الطائفتين تقول : فيكم مثل فلان ؟ يشيرون إلىٰ القبر ومثل فلان ؟

= والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : سورة التكاثر ، حديث (١١٦٩٦) (٥٢١/٦) .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب : الزهد والرقائق ، حديث (٢٩٥٩/٤) (١٢٦/١٨) .

(٥) أخرجه البخاري في كتاب : الرقاق ، باب : سكرات الموت ، حديث (٦٥١٤) (٣٦٢/١١) . ومسلم في كتاب : الزهد ، حديث (٢٩٦٠/٥) (١٢٦/١٨ - ١٢٧) . والترمذي في كتاب : الزهد ، باب : ما جاء : مثل ابن آدم وأهله وماله وعمله ، حديث (٢٣٨٠) (١١١/٧) . والنسائي في الكبرى في كتاب : الجنائز ، باب : النهي عن سب الأموات ، حديث (٢٠٦٤) (٦٣٠/١).

(٦) أخرجه أحمد (١١٥/٣) (١٢١٦٢) .

(٧) ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٤٣/٨ مخطوط) .

[١] - في خ : فأمضى .

[٢] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

وفعل الآخرون مثل ذلك ، فأنزل الله : ﴿ ألهاكم التكاثر * حتىٰ زرتم المقابر ﴾ ، لقد كان لكم فيما رأيتم عبرة وشغل .

وقال قتادة : ﴿ ألهاكم التكاثر . حتىٰ زرتم المقابر ﴾ كانوا يقولون : نحن أكثر من بني فلان ، ونحن أعَدّ من بني فلان وهم كل يوم يتساقطون[١] إلىٰ آخرهم ، والله ما زالوا كذلك حتىٰ صاروا من أهل القبور كلهم .

والصحيح أن المراد بقوله : ﴿ زرتم المقابر ﴾ ، أي : صرتم إليها ودفنتم فيها ، كما جاء في الصحيح(٨) ؛ أن رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - دخل علىٰ رجل من الأعراب يعوده ، فقال : « لا بأس ، طَهُور إن شاء الله » . فقال : قلت : طَهُور ؟ ! بل هي حمىٰ تفور ، علىٰ شيخ كبير ، تُزيره القبور ! . قال : « فَنَعَم إذًا » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا محمد بن سعيد الأصبهاني ، أخبرنا حكام ابن سَلم[٢] الرازي ، عن عمرو بن أبي قيس ، عن الحجاج ، عن المنهال ، عن زر بن حبيش ، عن علي قال : مازلنا نشك في عذاب القبر حتىٰ نزلت : ﴿ ألهاكم التكاثر * حتىٰ زرتم المقابر ﴾ .

ورواه الترمذي(٩) عن أبي كريب ، عن حكام بن سلم ، به[٣] وقال : غريب .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا سلمة بن داود العُرْضي[٤] ، حدثنا أبو المليح الرقي ، عن ميمون بن مهران ؛ قال : كنت جالسًا عند عمر بن عبد العزيز ، فقرأ : ﴿ ألهاكم التكاثر * حتىٰ زرتم المقابر ﴾ ، فلبث[٥] هنيهة[٦] فقال : يا ميمون ؛ ما أرىٰ المقابر إلا زيارة ، وما للزائر بد من أن يرجع إلىٰ منزله .

قال أبو محمد : يعني أن يرجع إلىٰ منزله إلىٰ جنة أو إلىٰ[٧] نار ، وهكذا ذُكرَ أن بعضَ الأعراب سمع رجلًا يتلو[٨] هذه الآية ﴿ حتىٰ زرتم المقابر ﴾ ، فقال : بُعث اليوم ورَبّ الكعبة . أي : إن الزائر سيرحل من مقامه ذلك إلىٰ غيره .

---

(٨) صحيح البخاري ، كتاب : المناقب ، باب : علامات النبوة في الإسلام ، حديث (٣٦١٦) (٦/٦٢٤). وأطرافه في : [٥٦٥٦ ، ٥٦٦٢ ، ٧٤٧٠] .

(٩) سنن الترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾ ، حديث (٣٣٥٢) (٩/ ٨١ - ٨٢) .

---

[١] - في ز : ساقطون .
[٢] - في ز : مسلم .
[٣] - سقط من ت .
[٤] - في ز ، خ : المعرضي .
[٥] - في خ : فقلت .
[٦] - في ز : هنية .
[٧] - سقط من ت .
[٨] - في ز : ينكر .

وقوله: ﴿كلا سوف تعلمون. ثم كلا سوف تعلمون﴾ قال الحسن البصري: هذا وعيد بعد وعيد.

وقال الضحاك: ﴿كلا سوف تعلمون﴾، يعني الكفار، ﴿ثم كلا سوف تعلمون﴾ يعني: أيها المؤمنون.

وقوله: ﴿كلا لو تعلمون علم اليقين﴾، أي: لو علمتم حق العلم لما ألهاكم التكاثر عن طلب الدار الآخرة، حتىٰ صرتم إلىٰ المقابر.

ثم قال: ﴿لترون الجحيم * ثم لترونها عين اليقين﴾، هذا تفسير الوعيد المتقدم، وهو قوله: ﴿كلا سوف تعلمون * ثم كلا سوف تعلمون﴾ تَوَعَّدَهم بهذا الحال، وهي رؤية النار التي إذا زفرت زفرة واحدة[١] خرَّ كل ملك مقرب، ونبي مرسل علىٰ ركبتيه، من المهابة والعظمة ومعاينة الأهوال، علىٰ ما جاء به الأثر المروي في ذلك.

وقوله: ﴿ثم لتسألن يومئذٍ عن النعيم﴾ أي: ثم لتسألن يومئذ عن شكر ما أنعم الله به عليكم، من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك. [ما إذا][٢] قابلتم به نعمة من شكره وعبادته.

و[٣] قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زُرْعَة، حدثنا زكريا بن يحيىٰ الخزاز[٤] المقري، حدثنا عبد الله بن عيسىٰ أبو خالد الخزاز[٥]، حدثنا يونس بن عبيد، عن عكرمة، عن ابن عباس؛ أنه سمع عمر بن الخطاب؛ يقول: خرج رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عند الظهيرة، فوجد أبا بكر في المسجد فقال: « ما أخرجك هذه الساعة ؟ » قال: أخرجني الذي أخرجك يا رسول الله. قال: وجاء عمر بن الخطاب فقال: « ما أخرجك يا بن الخطاب ؟ ». قال: أخرجني الذي أخرجكما. قال: فقعد عمر، وأقبل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يحدثهما، ثم قال: « هل بكما من قوة، تنطلقان إلىٰ هذا النخل فتصيبان طعامًا وشرابًا وظلًّا ؟ ». قلنا: نعم. قال: « مُرّوا بنا إلىٰ منزل ابن التَّيِّهان أبي الهيثم الأنصاري ». قال: فتقدم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بين أيدينا، فسلم واستأذن - [ ][٦] ثلاث مرات - وأم الهيثم من وراء الباب تسمع الكلام، تريد أن يزيدها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من السلام، فلما أراد أن ينصرف خرجت أم الهيثم تسعىٰ خلفهم، فقالت: يا رسول الله، قد - والله - سمعت تسليمك، ولكن أردت أن تزيدنا من سلامك. فقال لها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: « خيرًا ». ثم

---

[١] - سقط من ت، ز.

[٢] - في ز: فإذا.

[٣] - سقط من ز.

[٤] - في خ: الجزار.

[٥] - في خ: الجزار.

[٦] - في ز، خ: في.

قال : « أين أبو[١] الهيثم ؟ لا أراه » . قالت : يا رسول اللَّه ، هو قريب ذهب يَستعذبُ الماء ، ادخلوا فإنه يأتي الساعة إن شاء اللَّه فبسطت بساطًا تحت شجرة ، فجاء أبو الهيثم ففرح بهم وقرَّت عيناه بهم ، فصعد علىٰ نخلة فصَرَم لهم أعذاقًا ، فقال له رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « حَسْبُكَ يا أبَا الهيثم » . قال : يا رسول اللَّه ، تأكلون من بُسره ، ومن رُطبه ، ومن تَذْنُوبه . ثم أتاهم بماء فشربوا عليه ، فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « هذا من النعيم الذي تسألون عنه » . هذا[٢] غريب من هذا الوجه .

وقال ابن جرير(١٠) : حدثني الحسين بن علي الصدائي ، حدثنا الوليد بن القاسم ، عن يزيد بن كيسان ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ؛ قال : بينما أبو بكر وعمر جالسان ، إذ جاءهما النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ؛ فقال : « ما أجلسكما هاهنا ؟ » قالا : والذي بعثك بالحق ما أخرجنا من بيوتنا إلا الجوع . قال : « والذي بعثني بالحق ما أخرجني غيره » . فانطلقوا حتىٰ أتوا بيت رجل من الأنصار . فاستقبلتهم المرأة ، فقال لها النبي - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - : « أين فلان ؟ » . فقالت : ذهب يستعذب لنا ماء . فجاء صاحبهم يحمل قربته فقال : مرحبًا[٣] ما زار [العباد شيء][٤] أفضل من شيء زارني اليوم . فعلق قِرْبَتَه [بكرَب نخلة][٥] ، وانطلق فجاءهم بعذق ؛ فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « ألا كنت[٦] اجتنيت ؟ » فقال : أحببت أن تكونوا الذين تختارون علىٰ أعينكم . ثم أخذ الشفرة ، فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « إياك والحلوب » . فذبح لهم يومئذ ، فأكلوا . فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « لتسألن عن هذا يوم القيامة ، أخرجكم من بيوتكم الجوع ، فلم ترجعوا حتىٰ أصبتم هذا ، فهذا من النعيم » .

ورواه مسلم من حديث يزيد بن كيسان به ورواه أبو يعلى وابن ماجة ، من حديث المحاربي[٧] ، عن يحيىٰ بن عُبَيد اللَّه ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن أبي بكر الصديق به .

وقد رواه أهل السنن الأربعة(١١) ، من حديث عبد الملك بن عمير[٨] ، عن أبي سلمة ، عن

(١٠) تفسير الطبري (٢٨٧/٣٠) . ومسلم في كتاب : الأشربة ، باب : جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك ، حديث (٢٠٣٨/١٤٠) (٣٠٥/١٣ - ٣٠٦) . وأخرجه أبو يعلى (٧٩/١ - ٨١) (٧٨) . وابن ماجة في كتاب : الذبائح ، باب : النهي عن ذبح ذوات الدر ، حديث (٣١٨١) (١٠٦٢/٢) مختصرًا . قال في الزوائد : في إسناده يحيى بن عبد الله : واهى الحديث .

(١١) أخرجه أبو داود في كتاب : الأدب ، باب : في المشورة ، حديث (٥١٢٨) (٣٣٣/٤) . وابن ماجة في كتاب الأدب ، باب : المستشار مؤتمن ، حديث (٣٧٤٥) (١٢٣٣/٢) . فذكرا قول النبي ﷺ : =

[١] - في خ : أبي .
[٢] - سقط من خ .
[٣] - سقط من خ .
[٤] - في ز : الغبار .
[٥] - في ز : بكذب يحمله .
[٦] - في ز ، خ : ليت .
[٧] - في ز ، خ : المكاري .
[٨] - في ز ، خ : عمر .

أبي هريرة ، بنحو من هذا السياق وهذه القصة .

وقال الإمام أحمد(١٢) : حدثنا سُرَيج ، حدثنا حشرج ، عن أبي نُصَيرة[١] ، عن أبي عَسيب - يعني مولىٰ رسول الله - قال : خرج رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ليلًا فَمرَّ بي ، فدعاني فخرجت إليه ، ثم مرَّ بأبي بكر فدعاه فخرج إليه ، ثم مرّ[٢] بعمر فدعاه فخرج إليه فانطلق حتىٰ أتىٰ حائطًا لبعض الأنصار ، فقال لصاحب الحائط : « أطعمنا » ، فجاء بعذق فوضعه ، فأكل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وأصحابه ، ثم دعا بماء بارد فشرب ، وقال : « لتسألن عن هذا يوم القيامة » . قال : فأخذ عُمَرُ العذْقَ فَضَرب به الأرض ، حتىٰ تناثر البُسرُ قبل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، ثم قال : يا رسول الله ؛ إنا لمسئولون عن هذا يوم القيامة ؟ قال : « نعم ، إلا من ثلاثة : خرقة لفَّ بها الرجل عورته ، أو كسرة سدَّ بها جوعته ، أو جُحر تدخل فيه من الحرّ والقرّ » . تفرد به أحمد .

وقال الإمام أحمد(١٣) : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا حماد ، حدثنا عمار ، سمعت جابر بن عبد الله ؛ يقول : أكل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وأبو بكر [وعمر][٣] رطبًا ، وشربوا ماء ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم « هذا من النعيم الذي تسألون عنه » .

ورواه النسائي من حديث حماد بن سلمة به[٤] .

وقال الإمام أحمد(١٤) : [ ][٥] : حدثنا يزيد ، حدثنا محمد بن عمرو ، عن صفوان بن سليم ، عن محمود بن الربيع ؛ قال : لما نزلت ﴿ **ألهاكم التكاثر** ﴾ ، فقرأ حتىٰ بلغ : ﴿ **لتسألن يومئذ عن النعيم** ﴾ ، قالوا : يا رسول الله ؛ عن أي نعيم نُسأل ؟ وإنما هما الأسودان الماء والتمر ، وسيوفنا علىٰ رقابنا ، والعدو حاضر ، فعن أي نعيم نسأل ؟ قال : « أما إن ذلك سيكون » .

= «المستشار مؤتمن » فقط دون ذكر بقية القصة . وأخرجه الترمذي في كتاب : الزهد ، باب : ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ ، حديث (٢٣٧٠) (٧/١٠٤ - ١٠٦) بنحوه . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : سورة التكاثر ، حديث (١١٦٩٧) (٦/٥٢١) مختصرًا .

(١٢) مسند أحمد (٥/٨١) (٢٠٨٢٤) . قال الهيثمي : رواه أحمد ورجاله ثقات .اهـ .

(١٣) مسند أحمد (٣/٣٥١) (١٤٨٢٩) . والنسائي في كتاب : الوصايا ، باب : قضاء الدين قبل الميراث (٦/٢٤٦) . وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣٤٠٠) .

(١٤) مسند أحمد (٥/٤٢٩) (٢٣٧٥٢) . قال الهيثمي في « المجمع » (٧/١٤٥) : رواه أحمد وفيه محمد ابن عمرو بن علقمة ، وحديثه حسن وفيه ضعف لسوء حفظه ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

[١] - في خ : نضرة .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - في ت : حدثنا أحمد .

وقال أحمد(١٥) : حدثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو، حدثنا عبد الله بن سليمان؛ حدثنا معاذ ابن عبد الله بن خُبيب[١] ، عن أبيه ، عن عمه قال : كنا في مجلس فطلع علينا النبي صلىٰ الله عليه وسلم وعلىٰ رأسه أثر ماء ، فقلنا : يا رسول الله ؛ نراك طيب النفس . قال : « أجل » . قال[٢] : ثم خاض الناس في ذكر الغنىٰ ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « لا بأس بالغنىٰ لمن اتقىٰ الله . والصحة لمن اتقىٰ الله[٣] خير من الغنىٰ ، وطيب النفس من النعيم » .

ورواه ابن ماجة ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن خالد بن مخلد[٤] ، عن عبد الله بن سليمان به .

وقال الترمذي(١٦) : حدثنا عبد بن حميد ، حدثنا شبابة ، عن عبد الله بن العلاء ، عن الضحاك بن عبد الرحمن بن عرزم الأشعري؛ قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « إن أول ما يسأل عنه - يعني يوم القيامة - العبد من النعيم أن يقال له : ألم نصح لك جسمك ، ونروك[٥] من الماء البارد » .

تفرد به الترمذي . ورواه ابن حبان في صحيحه ، من طريق الوليد بن مسلم ، عن عبد الله ابن العلاء بن[٦] زَبْر به .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا مسدد ، حدثنا سفيان ، عن محمد بن عمرو ، عن يحيىٰ بن حاطب ، عن عبد الله بن الزبير ، قال : قال الزبير : لما نزلت : ﴿ **ثم[٧] لتسألن يومئذ عن النعيم** ﴾ ، قالوا : يا[٨] رسول الله ؛ لأيّ نعيم نسأل[٩] عنه ، وإنما هما الأسودان التمر والماء ؟ قال : « إن ذلك سيكون » .

وكذا رواه الترمذي(١٧) وابن ماجة ، من حديث سفيان - هو ابن عيينة - به[١٠] . ورواه

(١٥) أخرجه أحمد (٣٧٢/٥) (٢٣٢٦٤) . وابن ماجة في كتاب : التجارات ، باب : الحث على المكاسب، حديث (٢١٤١) (٧٢٤/٢) . قال البوصيري في « الزوائد » (١٥٨/٢) : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات .

(١٦) أخرجه الترمذي في كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة ﴿ **ألهاكم التكاثر** ﴾ ، حديث (٣٣٥٥) ، (٨٣/٩) . وابن حبان (٣٦٤/١٦ - ٣٦٥) (٧٣٦٤) .

(١٧) أخرجه الترمذي في كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة ألهاكم التكاثر ، حديث (٣٣٥٣) (٨٢/٩) . وابن ماجة في كتاب : الزهد ، باب : معيشة أصحاب النبي ﷺ ، حديث (٤١٥٨) (١٣٩٢/٢) .

[١] - في ز : خبيب .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - في ز ، خ : مجاهد .
[٥] - في ز : ونرويك .
[٦] - في ز : عن .
[٧] - سقط من ز .
[٨] - سقط من ز .
[٩] - في ز : تسأل .
[١٠] - سقط من ز ، خ .

أحمد(١٨) عنه ، وقال الترمذي : حسن .

وقال ابن أبي حاتم(١٩) : حدثنا أبو عبد الله الظهراني ، حدثنا حفص بن عمر العَدَني ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة؛ قال : لما[١] أنزلت هذه الآية : ﴿ **ثم لتسألن يومئذ عن النعيم** ﴾ ، قالت الصحابة : يارسول الله ؛ وأيّ نعيم نحن فيه ، وإنما نأكل في أنصاف بطوننا خبز الشعير ؟ فأوحىٰ الله إلىٰ نبيه صلىٰ الله عليه وسلم : قل لهم : أليس تحتذون النعال ، وتشربون الماء البارد ؟ فهذا من النعيم .

وقال ابن أبي حاتم(٢٠) : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا إبراهيم بن موسىٰ ، أخبرنا محمد بن شليمان[٢] ابن الأصبهاني ، عن ابن أبي ليلىٰ - أظنه عن عامر - عن ابن مسعود عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم في قوله : ﴿ **لتسألن يومئذ عن النعيم** ﴾ ، قال : « الأمن والصحة » .

وقال زيد بن أسلم(٢١) : عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **ثم لتسألن يومئذ عن النعيم** ﴾ ، يعني : شبع البطون ، وبارد الشراب ، وظلال المساكن ، واعتدال الخَلْق ، ولذة النوم . رواه ابن أبي حاتم بإسناده المتقدم عنه في أول السورة .

وقال سعيد بن جبير : حتىٰ عن شربة عسل . وقال مجاهد : عن كل لذة من لذات الدنيا . وقال الحسن البصري : نعيم الغداء والعشاء ، وقال أبو قلابة : من النعيم أكل العسل والسمن بالخبز النقي . وقول مجاهد هذا أشمل هذه الأقوال .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : ﴿ **ثم لتسألن يومئذ عن النعيم** ﴾ ، قال : النعيم : صحة الأبدان والأسماع والأبصار ، يسأل الله العباد فيما استعملوها ، وهو أعلم بذلك منهم ، وهو قوله تعالىٰ : ﴿ **إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً** ﴾ .

وثبت في صحيح البخاري(٢٢) ، وسنن الترمذي والنسائي وابن ماجة من حديث عبد الله بن سعيد بن أبي هند ، عن أبيه ، عن ابن عباس؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم :

(١٨) أخرجه أحمد (١/١٦٤) (١٤٠٥) . وصححه أحمد شاكر .

(١٩) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٦/٦٦١) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد .

(٢٠) أخرجه الطبري (٣٠/٢٨٥) من طريق محمد بن سليمان .

(٢١) تقدم برقم (١) .

(٢٢) أخرجه البخاري في كتاب : الرقاق ، باب : ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة ، حديث (٦٤١٢) (١١/٢٢٩) . والترمذي في كتاب : الزهد ، باب : الصحة والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس ، حديث (٢٣٠٥) (٧/٦٨) . والنسائي في الكبرى في كتاب : الرقاق كما في « تحفة الأشراف » (٤/٤٦٥) (٥٦٦٦) . وابن ماجة في كتاب : الزهد، باب : الحكمة ، حديث (٤١٧٠) (٢/١٣٩٦).

[١] - سقط من ز ، خ .   [٢] - في ز : السلمان .

« نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ » .

ومعنىٰ هذا أنهم مقصرون في شكر هاتين النعمتين ، لا يقومون بواجبهما ، ومن لا يقوم بحق ما وجب عليه فهو مغبون .

وقال الحافظ أبو بكر البزار(٢٣) : حدثنا القاسم بن محمد بن يحيىٰ المروزي ، حدثنا علي بن الحسين بن شقيق[١] ، حدثنا أبو حمزة ، عن ليث ، عن أبي فزارة ، عن يزيد بن الأصم ، عن ابن عباس قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « ما فوق الإزار ، وظل الحائط ، وخُبز[٢] ، يحاسب به العبد يوم القيامة ، أو يسأل عنه » . ثم قال : لا نعرفه إلّا بهذا الإسناد .

وقال الإمام أحمد(٢٤) : حدثنا بهز وعفان؛ قالا : حدثنا حماد ، قال عفان في حديثه : قال إسحاق بن عبد اللّٰه ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم؛ قال : « يقول اللّٰه عز وجل - قال عفان : يوم القيامة - : يا بن آدم ، حملتك علىٰ الخيل والإبل ، وزوجتك النساء ، وجعلتك تربع وترأس ، فأين شكر ذلك؟ » . تفرد به من هذا الوجه .

آخر تفسير سورة « التكاثر » ولله الحمد والمنة

☆ ☆ ☆

(٢٣) مختصر زوائد البزار (٢/٥٠٥ - ٥٠٦) (٢٣٠١) . قال الهيثمي في « المجمع » (١٠/٢٧٠) : رواه البزار وفيه ليث بن أبي سليم وقد وثق على ضعف فيه ، وبقية رجاله رجال الصحيح غير القاسم بن محمد ابن يحيى المروزي وهو ثقة .

(٢٤) أخرجه أحمد (٢/٤٩٢) . وأصله في صحيح مسلم في كتاب : الزهد (١٦/٢٩٦٨) .

[١] - في ز ، خ : سفيان . [٢] - في ز ، خ : وجر .

[تفسير] سورة العصر

[وهي مكية]

ذكروا أن عمرو بن العاص(١) وفد على مسيلمة الكذاب ، وذلك بعد ما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل أن يسلم عمرو ، فقال له مسيلمة : ماذا أنزل على صاحبكم في هذه المدة ؟ قال : لقد أنزل عليه سورة وجيزة بليغة . فقال : وما هي ؟ فقال : ﴿ **والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** ﴾ . ففكر مسيلمة هُنَيهة ثم قال : وقد أنزل عليّ مثلها . فقال له عمرو : وما هو ؟ فقال : ياوَبْر ياوَبْر ، إنما أنت أذنان وصَدْر ، وسائرك[١] حفز نَقْر . ثم قال : كيف ترى يا عمرو ؟ فقال له عمرو : والله إنك لتعلم أني أعلم أنك تكذب .

وقد رأيت « أبا بكر الخرائطي » أسند في كتابه المعروف « بمساوي الأخلاق » ، في الجزء الثاني منه ، شيئًا من هذا أو قريبًا منه .

والوبر : دويبة تشبه الهرّ ، أعظم شيء فيه أذناه ، وصدره وباقيه [دميم][٢] ، فأراد مسيلمة أن يركب من هذا الهذيان ما يعارض به القرآن ، فلم يرج ذلك على عابد الأوثان في ذلك الزمان .

وذكر الطبراني(٢) من طريق حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن عبيد الله بن حصن [ ][٣] ؛ قال : كان الرجلان من أصحاب رسول الله إذا التقيا لم يتفرقا إلا على أن يقرأ أحدهما على الآخر « سورة العصر » إلى آخرها ، ثم يسلم أحدهما على الآخر .

وقال الشافعي رحمه الله : لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

العصر : الزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم ، من خيرٍ وشر . وقال مالك عن زيد بن أسلم : هو العشيّ[٤] ، والمشهور الأول .

(١) تقدم تخريجه في سورة يونس آية (١٥) رقم (١٨) .

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/٢١٥) (٥١٢٤) .

[١] - في خ : وساتر .

[٢] - في ز ، خ : الطرف ذميم .

[٣] - في ر ، خ : أبي مدينة

[٤] - في ر : العشر .

فأقسم تعالىٰ بذلك علىٰ أن الإنسان لفي خسر ، أي : في خسارة وهلاك ، ﴿ **إلا الذين آمنوا** [**وعملوا الصالحات** ﴾ ، فاستثنىٰ من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا][١] بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم . ﴿ **وتواصوا بالحق** ﴾ ، وهو أداء الطاعات ، وترك المحرمات ، ﴿ **وتواصوا بالصبر** ﴾ علىٰ المصائب والأقدار ، وأذىٰ من يؤذي ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر .

آخر تفسير سورة العصر ، ولله الحمد والمنة .

☆ ☆ ☆

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

[تفسير] سورة « ويل لكل همزة لمزة »

[وهي مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

الهماز بالقول ، واللماز بالفعل . يعني يزدري بالناس ويتنقص بهم . وقد تقدم بيان ذلك في قوله : ﴿ **هماز مشاء بنميم** ﴾ .

قال[١] ابن عباس : ﴿ **همزة لمزة** ﴾ : طعان معياب[٢] . وقال الربيع بن أنس : الهُمزة : همزه[٣] في وجهه ، ولمزه[٤] : من خلفه . وقال قتادة : [همزه ولمزه][٥] بلسانه وعينه ، ويأكل لحوم الناس ، ويطعنُ عليهم . وقال مجاهد : الهمزة باليد والعين ، واللّمزةُ باللسان . وهكذا قال ابن زيد .

[وقال مالك][٦] : عن زيد بن أسلم : هُمَزة لحومِ الناس .

ثم قال بعضهم : المراد بذلك الأخنس بن شريق ، وقيل : غيره . وقال مجاهد : هي عامة . وقوله : ﴿ **الذي جمع مالاً وعدده** ﴾ أي : جمعه بعضه علىٰ بعض ، وأحصىٰ عدده كقوله : ﴿ **وجمع فأوعىٰ** ﴾ . قاله السدي وابن جرير .

وقال محمد بن كعب في قوله : ﴿ **جمع مالاً وعدده** ﴾ ، ألهاه ماله بالنهار ، هذا إلىٰ هذا ، فإذا كان الليل نام كأنه جيفة .

وقوله : ﴿ **يحسب أن ماله أخلده** ﴾ ، أي : يظن أن جمعه[٧] المال يخلده في هذه الدار

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز : نصاب .
[٣] - في ت : يهمزه .
[٤] - في ت : واللمزة .
[٥] - في ت : يهمزه ويلمزه .
[٦] - في ز ، خ : وقيل ذلك .
[٧] - في ز : جمع .

﴿ **كلا** ﴾ ، أي : ليس الأمر كما زعم ولا كما حسب . ثم قال تعالىٰ : ﴿ **لينبذن في الحطمة** ﴾ ، [أي ليلقين هذا الذي جمع مالًا فعدده في الحطمة][١] وهي اسم من أسماء النار صفة[٢] ، لأنها تحطم من فيها ؛ ولهذا قال : ﴿ **وما أدراك ما الحطمة * نار الله الموقدة * التي تطلع علىٰ الأفئدة** ﴾ . قال ثابت البناني : تحرقهم إلىٰ الأفئدة وهم أحياء ، ثم[٣] يقول : لقد بلغ منهم العذاب ، ثم يبكي .

وقال محمد بن كعب : تأكل كل شيء من جسده ، حتى إذا[٤] بلغت[٥] فؤاده حذو حلقه ترجع[٦] على جسده .

وقوله : ﴿ **إنها عليهم مؤصدة** ﴾ أي : مطبقة ، كما تقدم تفسيره في سورة البلد .

وقال ابن مردويه : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا علي بن سراج ، حدثنا عثمان بن خرزاذ ، حدثنا شجاع بن أشرس ، حدثنا شريك ، عن عاصم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **إنها عليهم مؤصدة** ﴾ ، قال[٧] : مطبقة .

وقد رواه [أبو بكر][٨] ابن أبي شيبة ، عن عبد الله بن أسيد ، عن إسماعيل بن خالد[٩] ، عن أبي صالح ، قوله ولم يرفعه .

﴿ **في عمد ممددة** ﴾ ، قال عطية العوفي : عمد من حديد . وقال السدي : من نار . وقال شبيب بن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ **في عمد ممددة** ﴾ ، يعني : الأبواب هي الممدودة .

وقال قتادة في قراءة عبد الله بن مسعود : إنها عليهم مؤصدة بعمد[١٠] ممددة .

وقال العوفي : عن ابن عباس : أدخلهم في عَمَد فمدت عليهم بعماد ، و[١١] في أعناقهم السلاسل فسدت[١٢] بها الأبواب . وقال قتادة : كنا نحدث أنهم يعذبون بعمد في النار . واختاره ابن جرير .

وقال أبو صالح : ﴿ **في عمد ممددة** ﴾ يعني : القيود الطوال .

آخر تفسير « ويل لكل همزة لمزة »

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .
[٢] - في خ : طبقة .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - سقط من خ .
[٥] - في ز : يلعب .
[٦] - في ز : فرجع .
[٧] - سقط من ز ، خ .
[٨] - سقط من ت .
[٩] - في ز : أبي خالد .
[١٠] - في ز : بعمده .
[١١] - سقط من ز .
[١٢] - في ز : فشدت .

[تفسير] سورة الفيل

[وهي مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

هذه من النعم التي امتن الله بها علىٰ قريش ، فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل ، الذين كانوا قد عزموا علىٰ هدم الكعبة ومحو أثرها من الوجود ، فأبادهم الله ، وأرغم آنافهم ، وخيب سعيهم ، وأضل عملهم ، وردهم بشر خيبة . وكانوا قومًا نصارىٰ ، وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالًا مما كان عليه قريش من عبادة الأوثان ، ولكن كان هذا من باب الإرهاص والتوطئة لمبعث رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فإنه في ذلك العام ولد علىٰ أشهر الأقوال ، ولسان حال القدر يقول : لم ننصركم - يا معشر قريش - علىٰ الحبشة لخيريتكم عليهم ، ولكن صيانة للبيت العتيق الذي سنشرفه ونعظمه ونوقره ببعثة النبي الأمي محمد صلوات الله وسلامه عليه خاتم الأنبياء .

وهذه قصة أصحاب الفيل(١) علىٰ وجه الإيجاز والاختصار والتقريب ، قد تقدم في قصة أصحاب الأخدود أن ذا نواس - وكان آخر ملوك حمير ، وكان مشركًا - هو الذي قتل أصحاب الأخدود ، وكانوا نصارىٰ ، وكانوا قريبًا من عشرين ألفًا ، فلم يفلت منهم إلا دَوْس ذو ثعلبان ، فذهب فاستغاث بقيصر ملك الشام - وكان نصرانيًا - فكتب له إلىٰ النجاشي ملك الحبشة ، لكونه أقرب إليهم ، فبعث معه أميرين : أرياط وأبرهة بن الصباح أبا يكسوم[١] ، في جيش كثيف ، فدخلوا اليمن فجاسوا خلال الديار ، واستلبوا الملك من حمير ، وهلك ذو نواس غريقًا في البحر ، واستقل الحبشة بملك اليمن وعليهم هذان الأميران : أرياط وأبرهة ، فاختلفا في أمرهما وتصاولا وتقاتلا وتصافا ، فقال أحدهما للآخر : إنه لا حاجة بنا إلىٰ اصطدام الجيشين بيننا ، ولكن أبرز إليّ وأبرز إليك ، فأينا قتل الآخر استقل بعده بالملك . فأجابه إلىٰ ذلك فتبارزا ، وخلف كل واحد منهما قناة ، فحمل أرياط علىٰ أبرهة فضربه بالسيف ، فشرم أنفه

---

(١) ذكر القصة في سيرة ابن هشام من طريق ابن إسحاق (ص ٢٧) وما بعدها ، والطبري في تفسير هذه السورة .

---

[١] - في ز ، خ : مكسوم .

وفمه وشق وجهه ، وحمل عتودة مولىٰ أبرهة علىٰ أرياط فقتله ، ورجع أبرهة جريحًا ، فداوىٰ جرحه فبرأ ، واستقل بتدبير جيش الحبشة باليمن . فكتب إليه النجاشي يلومه علىٰ ما كان منه ، ويتوعده ويحلف ليطأن بلاده ويجزن ناصيته . فأرسل إليه أبرهة يترقق له ويصانعه ، وبعث مع رسوله بهدايا وتحف ، وبجراب فيه من تراب اليمن ، وجز ناصيته وأرسلها[١] معه ، ويقول في كتابه : ليطأ الملك علىٰ هذا الجراب فيبر قسمه ، وهذه ناصيتي قد بعثت بها إليك . فلما وصل ذلك إليه أعجبه منه ، ورضي عنه ، وأقره علىٰ عمله . وأرسل أبرهة يقول للنجاشي : إني سأبني لك كنيسة بأرض اليمن لم يبن قبلها مثلها . فشرع في بناء كنيسة هائلة بصنعاء ، رفيعة البناء ، عالية الفناء ، مزخرفة الأرجاء ، سمتها العرب : القُلَيس ، لارتفاعها ، لأن الناظر إليها تكاد تسقط قلنسوته عن رأسه من ارتفاع بنائها . وعزم أبرهة الأشرم علىٰ أن يصرف حج العرب إليها كما يحج إلىٰ الكعبة بمكة ، ونادىٰ بذلك في مملكته . فكرهت العرب العدنانية والقحطانية ذلك ، وغضبت قريش لذلك غضبًا شديدًا ، حتىٰ قصدها بعضهم ، وتوصل إلىٰ أن دخلها ليلًا ، فأحدث فيها وكرَّ راجعًا . فلما رأى السدنة ذلك الحدث رفعوا أمره إلىٰ ملكهم أبرهة ، وقالوا له : إنما صنع هذا بعض قريش غضبًا لبيتهم الذي ضاهيت هذا به . فأقسم أبرهة ليسيرن إلىٰ بيت مكة ، وليخربنه حجرًا حجرًا .

وذكر مقاتل بن سليمان أن فتية من قريش دخلوها فأججوا فيها نارًا ، وكان يومًا فيه هواء شديد فأحرقته ، وسقطت إلىٰ الأرض .

فتأهب أبرهة لذلك ، وصار في جيش كثيف عرمرم ؛ لِئلا يصده أحد عنه ، واستصحب معه فيلًا عظيمًا كبير الجثة لم ير مثله ، يقال له : محمود . وكان قد بعثه إليه النجاشي ملك الحبشة لذلك ، ويقال : كان معه أيضًا ثمانية أفيال ، وقيل : اثنا[٢] عشر فيلًا . وقيل غيره ، والله أعلم .

يعني ليهدم به الكعبة ، بأن يجعل السلاسل في الأركان ، وتوضع في عنق الفيل ، ثم يزجر ليلقي الحائط جملة واحدة .

فلما سمعت العرب بمسيره أعظموا ذلك جدًّا ، ورأوا أن حقًّا عليهم المحاجبة دون البيت ، ورد من أراده بكيد . فخرج إليه رجل من أشراف أهل اليمن وملوكهم ، يقال له « ذو نَفْر » فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلىٰ حرب أبرهة ، وجهاده عن بيت الله ، وما يريده[٣] من هدمه وخرابه . فأجابوه وقاتلوا أبرهة ، فهزمهم لما يريده الله - عز وجل - من كرامة البيت وتعظيمه ، وأسر « ذو نفر » فاستصحبه معه . ثم مضىٰ [لوجهه حتىٰ][٤] إذا كان بأرض

---

[١] - في ت : فأرسلها .
[٢] - في خ : اثني .
[٣] - في ت : يريد .
[٤] - سقط من خ .

خثعم عرض[١] له نفيل بن حبيب الخثعمي في قومه : شهران[٢] وناهس ، فقاتلوه ، فهزمهم أبرهة ، وأسر نفيل بن حبيب ، فأراد قتله ثم عفا عنه ، واستصحبه معه ليدله في بلاد الحجاز . فلما اقترب من أرض الطائف خرج إليه أهلها ثقيف وصانعوه خيفة علىٰ بيتهم الذي عندهم الذي يسمونه اللات . فأكرمهم وبعثوا معه « أبا رغال » دليلًا . فلما انتهىٰ أبرهة إلىٰ المغمس ، وهو قريب من مكة ، نزل به ، وأغار جيشه على سرح أهل مكة من الإبل وغيرها ، فأخذوه . وكان في السرح مائتا بعير لعبد المطلب ، وكان الذي أغار علىٰ السرح بأمر أبرهة أمير المقدمة ، وكان يقال له : « الأسود بن مفصود » فهجاه بعض العرب - فيما ذكره ابن إسحاق - وبعث أبرهة حناطة الحميري إلىٰ مكة ، وأمره أن يأتيه بأشرف قريش ، وأن يخبره أن الملك لم يجئ لقتالكم إلا أن تصدوه عن البيت . فجاء حناطة فدُل علىٰ عبد المطلب بن هاشم[٣] ، وبلغه عن أبرهة ما قال . فقال له عبد المطلب : واللّٰه ما نريد حربه ، وما لنا بذلك من طاقة ، هذا بيت اللّٰه الحرام ، وبيت خليله إبراهيم ، فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمه ، وإن يخلي بينه وبينه ، فواللّٰه ما عندنا دفع عنه . فقال له حناطة : فاذهب معي إليه . فذهب معه ، فلما رآه أبرهة أجلّه ، وكان عبد المطلب رجلًا جميلًا حسَن المنظر ، ونزل أبرهة عن سريره ، ونزل[٤] معه علىٰ البساط ، وقال لترجمانه : قل له : حاجتك ؟ فقال للترجمان : إن حاجتي أن يرد عليّ الملك مائتي بعير أصابها لي . فقال أبرهة لترجمانه : قل له : لقد[٥] كنت أعجبتني حين رأيتك ، ثم قد زهدت فيك حين كلمتني ، أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك ، وتترك بيتًا هو دينك ودين آبائك ، قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه ؟ ! فقال له عبد المطلب : إني أنا رب الإبل ، وإن للبيت ربًّا سيمنعه . قال : ما كان ليمتنع مني ! قال : أنت وذاك .

ويقال : إنه ذهب مع عبد المطلب جماعة من أشراف العرب فعرضوا علىٰ أبرهة ثلث[٦] أموال تهامة علىٰ أن يرجع عن البيت ، فأبىٰ عليهم ، ورد أبرهة علىٰ عبد المطلب إبله ، ورجع عبد المطلب إلىٰ قريش ، فأمرهم بالخروج من مكة ، والتحصن في رءوس الجبال ، تخوفًا عليهم من معرة الجيش . ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة ، وقام معه نفر من قريش يدعون اللّٰه ويستنصرونه علىٰ أبرهة وجنده ، وقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة :

لاهُـمَّ[٧] إِنَّ المرْءَ يَمْـ ـنَعُ رَحْلَهُ [ ][٨] فَامْنَعْ حلالَكْ
لا يَـغْـلِـبَنَ صَـلـيـبُـهُـم ومِـحَـالُـهُـم غَـدْوًا[٩] مِـحـالَـك

---

[١] - في ز : فعرض .
[٢] - في ز ، خ : شهدان .
[٣] - في ز : هشام .
[٤] - في ت : وجلس .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - سقط من خ .
[٧] - في ز ، خ : اللهم .
[٨] - في ز ، خ : وحلاله .
[٩] - في ز ، خ : عذرًا .

قال ابن إسحاق : ثم أرسل عبد المطلب حلقة الباب ، ثم خرجوا إلىٰ رءوس الجبال .

وذكر مقاتل بن سليمان أنهم تركوا عند البيت مائة بدنة مقلدة ، لعل بعض الجيش ينال منها شيئًا بغير حق ، فينتقم اللّٰه منهم[١] .

فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة ، وهيأ فيله - وكان اسمه محمودًا[٢] - وعبأ جيشه ، فلما وجهوا الفيل نحو مكة أقبل نفيل بن حبيب حتىٰ قام إلىٰ جنبه ، ثم أخذ بأذنه وقال : ابرك محمود ، أو ارجع راشدًا من حيث جئت ، فإنك في بلد اللّٰه الحرام . ثم أرسل أذنه ، فبرك الفيل ، وخرج نفيل بن حبيب يشتد حتىٰ أصعد في الجبل . وضربوا الفيل ليقوم فأبىٰ ، فضربوا في رأسه بالطبرزين، وأدخلوا محاجنهم[٣] في مراقه وبزغوه بها ليقوم ، فأبىٰ ، فوجهوه راجعًا إلىٰ اليمن فقام يهرول . ووجهوه إلىٰ الشام ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلىٰ المشرق ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلىٰ مكة فبرك ، وأرسل اللّٰه عليهم طيرًا من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان[٤] ، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها : حجر في منقاره ، وحجران في رجليه ، أمثال الحمص والعدس ، لا تصيب منهم أحدًا إلا هلك ، وليس كلهم أصابت . وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق ، ويسألون عن نفيل ليدلهم علىٰ الطريق . هذا ونفيل علىٰ رأس الجبل مع قريش وعرب الحجاز ، ينظرون ماذا أنزل اللّٰه بأصحاب الفيل من النقمة ، وجعل نفيل يقول :

أيـنَ المفَرُّ ؟ والإلـهُ الـغـالِـبُ[٥] والأشْرَمُ المغْلُوبُ غيـرُ الـغـالـب

قال ابن إسحاق : وقال نفيل في ذلك أيضًا :

ألا حُيِّيتَ[٦] عنَّـا يا رُدَيْنَـا نَعِـمْـنَـاكُـمْ مَـعَ الإصبـاح عينا
ردينـةُ لـو رأيـت - ولا تَـرَيـه لَدَىٰ جَنْب المحصَّب - مَا رَأينَا
إذًا لَعَـذَرتـنِـي وَحَـمِـدت أمْـري وَلَم تَأسَيْ[٧] عَلَىٰ مَا فَات بَيْنَا
حَمِـدتُ اللّٰه إذ أبصَرتُ طَيـرًا وَخِـفْـتُ حجـارَةً تُـلقَـىٰ عَـلَينا
فَكُـلّ القـومِ يَسـألُ عَـن نُـفَيـلٍ كَـأنّ علـيَّ لـلـحُـبْـشَـان دَيـنًـا ؟

وذكر الواقدي بأسانيده أنهم لما تعبئوا لدخول الحرم وهيئوا الفيل ، جعلوا لا يصرفونه إلىٰ جهة من سائر الجهات إلا ذهب ، فإذا وجهوه إلىٰ الحرم ربض وصاح . وجعل أبرهة يحمل علىٰ سائس الفيل وينهره ويضربه ، ليقهر الفيل علىٰ دخول الحرم . وطال الفصل في ذلك . هذا وعبد المطلب وجماعة من أشراف مكة ، منهم المطعم بن عدي ، وعمرو بن عائذ بن عمران بن

---

[١] - في ت : منه .
[٢] - في ز : محمود .
[٣] - في ز ، خ : محاجزتهم .
[٤] - في خ : التلبسان .
[٥] - في ت : الطالب .
[٦] - في خ : جنبت .
[٧] - في ز : يأت . بلا نقط . وفي خ : تأتي .

مخزوم ، ومسعود الثقفي ، علىٰ حراء ينظرون إلىٰ ما الحبشة يصنعون ، وماذا يلقون من أمر الفيل وهو العجب العجاب . فبينما هم كذلك إذ بعث اللَّه عليهم طيرًا أبابيل ، أي قطعًا قطعًا صفرًا[١] دون الحمام ، وأرجلها حمر ، ومع كل طائر ثلاثة أحجار ، وجاءت فحلقت عليهم ، وأرسلت تلك الأحجار عليهم فهلكوا .

وقال محمد بن كعب[٢] : [جاءوا بفيلين ، فأبى محمود فربض][٣] ، وأمَّا الآخر فشجع فحُصِبَ .

وقال وهب بن منبه : كان معهم فيلة ، فأما محمود - وهو فيل الملك - فربض ، ليقتدي به بقية الفيلة ، وكان فيها فيل تشجع[٤] فحصب ، فهربت بقية الفيلة .

وقال عطاء بن يسار ، وغيره : ليس كلهم أصابه العذاب في الساعة الراهنة ، بل منهم من هلك سريعًا ، ومنهم من جعل يتساقط عضوًا عضوًا وهم هاربون ، وكان أبرهة ممن يتساقط عضوًا عضوًا ، حتىٰ مات ببلاد خثعم .

قال ابن إسحاق : فخرجوا يتساقطون بكل طريق، ويهلكون علىٰ كل منهل ، وأصيب أبرهة في جسده ، وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة ، حتىٰ قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر ، فما مات حتىٰ انصدع صدره عن[٥] قلبه فيما يزعمون .

وذكر مقاتل بن سليمان ؛ أن قريشًا أصابوا مالًا جزيلًا من أسلابهم ، وما كان معهم ، وأن عبد المطلب أصاب يومئذ من الذهب ما ملأ حفرة .

وقال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة ؛ أنه حدث أن أول ما رؤيت الحصبة والجدري بأرض العرب ذلك العام ، وأنه أول ما رؤي[٦] به مَرائر الشجر الحَرْمل ، والحنظل[٧] والعُشر ذلك العام[٨] .

وهكذا روي عن عكرمة من طريق جيد .

قال ابن إسحاق : فلما بعث اللَّه محمدًا صلىٰ اللَّه عليه وسلم كان فيما يعد به علىٰ قريش من نعمته عليهم وفضله ما رد عنهم من أمر الحبشة ، لبقاء أمرهم ومدنهم ، فقال : ﴿ **ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل * ألم يجعل كيدهم في تضليل * وأرسل عليهم طيرًا أبابيل** *

---

[١] - في ز : صفر .
[٢] - في ت : جعفر.
[٣] - في ت : « قال بفيلين فأما محمود فتربض » .
[٤] - في ز : فشجع .
[٥] - في ز : من .
[٦] - في ز : ري .
[٧] - في ز : الفضل .
[٨] - سقط من ز .

ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصف مأكول ﴾ . ﴿ لإيلاف قريش * إيلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ ، أي : لئلا يغير شيئًا من حالهم التي كانوا عليها ، لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه .

قال ابن هشام : الأبابيل : الجماعات ، ولم تتكلم العرب بواحده . قال : وأما السجيل ، فأخبرني يونس النحوي وأبو عبيدة أنه عند العرب : الشديد الصلب . قال : وذكر بعض المفسرين أنهما كلمتان بالفارسية ، جعلتهما العرب كلمة واحدة ، وإنما هو سَنج وجِل يعني بالسنج : الحجر ، والجِلّ : الطين ، يقول : الحجارة من هذين الجنسين : الحجر والطين . قال : والعصف : ورق الزرع الذي لم يُقْضِبْ ، واحدته عصفة . انتهى ما ذكره .

وقد قال حماد بن سلمة عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله - وأبو سلمة بن عبد الرحمن - : **﴿ طيرًا أبابيل ﴾** ، قال : الفرق .

وقال ابن عباس ، والضحاك : أبابيل يتبع بعضها بعضًا . وقال الحسن البصري ، وقتادة : الأبابيل : الكثيرة . وقال مجاهد : أبابيل : شتىٰ متتابعة مجتمعة . وقال ابن زيد : الأبابيل : المختلفة ، تأتي من هاهنا ومن هاهنا ، أتتهم من كل مكان .

وقال الكسائي : سمعت [النحويين يقولون : أبّول مثل العجّول . قال : وقد سمعت][١] بعض النحويين يقول : واحد الأبابيل : إبيل .

وقال ابن جرير(٢) : [حدثنا ابن المثنىٰ][٢] ، حدثني عبد الأعلىٰ ، حدثني داود ، عن إسحاق ابن عبد الله بن الحارث بن نوفل ؛ أنه قال في قوله : **﴿ وأرسل عليهم طيرًا أبابيل ﴾** هي : الأقاطيع ، كالإبل المؤبلة .

وحدثنا أبو كريب(٣) ، حدثنا وكيع ، عن ابن عون ، عن ابن سيرين ، عن ابن عباس : **﴿ وأرسل عليهم طيرًا أبابيل ﴾** قال : لها خراطيم كخراطيم[٣] الطير ، وأكف كأكف الكلاب .

وحدثنا يعقوب(٤) [ ][٤] ، حدثنا هشيم ، أخبرنا حصين ، عن عكرمة في قوله : **﴿ طيرًا**

---

(٢) تفسير الطبري (٢٩٧/٣٠) .

(٣) تفسير الطبري (٢٩٨/٣٠) وليس فيه ابن سيرين .

(٤) تفسير الطبري في الموضع السابق .

---

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - سقط من خ .

[٤] - في ز : ابن . كذا . وفي خ : ابن إبراهيم .

أبابيل ﴾ ، قال : كانت طيرًا خضرًا خرجت من البحر ، لها رءوس كرءوس السباع .

وحدثنا ابن بشار(٥) ، حدثنا ابن مهدي ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن عبيد بن عمير[١] : ﴿ طيرًا أبابيل ﴾ ، قال : هي طير سود بحرية[٢] ، [في منقارها][٣] وأظافيرها[٤] الحجارة . وهذه أسانيد صحيحة .

وقال سعيد بن جبير : كانت طيرًا خضرًا لها مناقير صفر ، تختلف عليهم .

وعن ابن عباس ومجاهد وعطاء : كانت الطير الأبابيل مثل التي يقال لها عنقاء مغرب . رواه عنهم ابن أبي حاتم .

وقال ابن أبي حاتم(٦) : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ، حدثنا أبو[٥] معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن عبيد بن عمير ؛ قال : لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل ، بعث عليهم طيرًا أنشئت[٦] من البحر ، أمثال الخطاطيف ، كل طيرٍ منها يحمل ثلاثة أحجار مجزّعة : حجرين في رجليه وحجرًا في منقاره ، قال : فجاءت حتىٰ صفت علىٰ رءوسهم ، ثم صاحت وألقت ما في أرجلها ومناقيرها ، فما يقع حجر علىٰ رأس رجل إلا خرج من دبره ، ولا يقع علىٰ شيء من جسده إلا خرج من الجانب الآخر . وبعث الله ريحًا شديدة فضربت الحجارة فزادتها شدة فأهلكوا جميعًا .

وقال السدي عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ حجارة من سجيل ﴾ قال : طين[٧] في حجارة : « سَنْك[٨] - وكِل » .

وقد قدمنا بيان ذلك بما أغنىٰ عن إعادته هاهنا .

وقوله : ﴿ فجعلهم كعصف مأكول ﴾ ، قال سعيد بن جبير : يعني التبن الذي تسميه العامة : هَبّور . وفي رواية عن سعيد : ورق الحنطة . وعنه أيضًا : العصف : التبن . والمأكول :

---

(٥) تفسير الطبري (٣٠/٢٩٨) .

(٦) أخرجه أبو نعيم في : دلائل النبوة (ص ١٠٧) من طريق الأعمش . وأخرجه سعيد بن منصور عن أبي معاوية عن الأعمش . ومن طريقه البيهقي في « دلائل النبوة » (١/١٢٣ - ١٢٤) . وزاد السيوطي نسبته (٦/٦٧٤) إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر .

---

[١] - في ز ، خ : عمرو .

[٢] - في ز : بحيرية . وفي خ : محترسة .

[٣] - في ز ، خ : مناقيرها .

[٤] - في ز : وأظافيها .

[٥] - سقط من ز .

[٦] - في ز : أنساب . وفي خ : أسباب .

[٧] - في ز ، خ : « طير » .

[٨] - في ز : سيد .

القصيل يجز[١] للدواب. وكذلك قال الحسن البصري. وعن ابن عباس: العصف: القشرة التي على الحبة، كالغلاف على الحنطة.

وقال ابن زيد: العصف: ورق الزرع، وورق البقل، إذا أكلته البهائم فراثته، فصار دَرينا.

والمعنى أن الله سبحانه وتعالى أهلكهم ودمرهم، وردهم بكيدهم وغيظهم لم ينالوا خيرًا، وأهلك عامتهم، ولم يرجع منهم مخبر إلا وهو جريح، كما جرى لملكهم أبرهة، فإنه انصدع صدره عن قلبه حين وصل إلى بلده صنعاء، وأخبرهم بما جرى لهم، ثم مات. فملك بعده ابنه يكسوم، ثم من بعده أخوه مسروق بن أبرهة، ثم خرج سيف بن ذي يزن الحميري إلى كسرى فاستغاثه على الحبشة، فأنفذ معه من جيوشه فقاتلوا معه، فرد الله إليهم ملكهم، وما كان في آبائهم من الملك، وجاءته وفود العرب للتهنئة.

وقد قال محمد بن إسحاق(٧): حدثنا عبد الله بن أبي بكر، عن عمرة بنت عبد الرحمن ابن أسعد بن زرارة، عن عائشة؛ قالت: لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين، يستطعمان. ورواه الواقدي، عن عائشة مثله. ورواه أيضًا عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت: كانا مقعدين يستطعمان الناس، عند إساف ونائلة، حيث يذبح المشركون ذبائحهم.

قلت: كان اسم قائد الفيل أنيسًا.

وقد ذكر الحافظ أبو نعيم(٨) في كتاب «دلائل النبوة» من طريق ابن وهب، عن ابن لهيعة، عن عقيل بن خالد، عن عثمان بن المغيرة قصة أصحاب الفيل، ولم يذكر أن أبرهة قدم من اليمن، وإنما بعث على الجيش رجلًا يقال له: [شمر][٢] بن مفصود، وكان الجيش عشرين ألفًا، وذكر أن الطير طرقتهم ليلًا؛ فأصبحوا صرعى.

وهذا السياق غريب جدًّا، وإن كان أبو نعيم قد قواه ورجحه على غيره. والصحيح أن أبرهة الأشرم الحبشي قدم مكة كما دل على ذلك السياقات والأشعار. وهكذا روى ابن لهيعة، عن الأسود، عن عروة؛ أن أبرهة بعث الأسود بن مفصود على كتيبة معهم الفيل، ولم يذكر قدوم أبرهة نفسه. والصحيح قدومه، ولعل ابن مفصود كان على مقدمة الجيش، والله أعلم.

ثم ذكر ابن إسحاق شيئًا من أشعار العرب، فيما كان من قصة أصحاب الفيل(٩)، فمن ذلك شعر عبد الله بن الزِّبَعْرَى [ ][٣]:

(٧) سيرة ابن هشام (٣٧/١).

(٨) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (ص ١٠١) وما بعدها.

(٩) السيرة النبوية (٣٨/١) وما بعدها.

[١] - في ز: يحز.

[٢] - في ز، خ: شمس.

[٣] - في خ: وهو القائل.

تَنَكَّلُوا عَن بَطن مَكَّةَ ، إنَّها كَانَتْ قَديمًا لا يُرَام حَريمُها
لَم تُخلَقِ الشِّعرَىٰ لَيالي حُرِّمَتْ إذْ لا عَزيزَ مِنَ الأنَام يَرُومُها
سَائل أميرَ الجيش عَنْها : ما رَأىٰ ؟ فَلَسَوفَ يُنبي الجاهلينَ عَليمُهَا
ستّونَ ألفًا لم يئُوبوا أرضَهم ، بَل لَم يعش بَعدَ الإيابِ سقيمُها
كَانَتْ بها عَادٌ وجُرْهُم قَبْلَهم واللّٰهُ من فَوق العباد يُقيمُها

وقال أبو قيس بن الأسلت الأنصاري المرّي[١] :

ومن صنعه يوم فيل الحبو ش، إذ كل ما بعثوه رزمْ
محاجنهم تحت أقرابه[٢] وقَدْ شَرموا أنفه[٣] فانخَرَمْ
وَقَدْ جَعَلوا سَوطَه مغولًا إذا يمموه قفاه كُلِّمَ
[فَولى و][٤] أدْبَرَ أدْرَاجَه وقد بَاء بالظّلْم من كان ثَمَّ
فأرسَلَ مِنْ فَوْقهم حَاصبًا يَلُفّهمُ مثْلَ لَفِّ القُزُم
تحث[٥] علىٰ الصبر أحبارهم وقد ثأجوا كثؤاج الغنم

وقال أبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفي ، ويروىٰ لأمية بن أبي الصلت بن أبي ربيعة :

إنّ آيات رَبّنا بَاقيات ما يماري فيهن إلا الكفور
خُلِق الليل والنهار، فكلٌّ مستبين حسابه مقدورُ
ثم يجلو النهارَ ربٌّ رحيمٌ بمهاة شعاعها منشور
حُبِسَ الفيلُ بالمغمّس حتىٰ صار يحبو كأنّه معقورُ
لازمًا حَلقَه الجرانَ كما قُطّر مِن ظَهْر كَبْكَب مَحدورُ
حَوْلَهُ مِنْ مُلُوكِ كِنْدَةَ أَبْطَالٌ مَلَاوِيثُ[٦] في الحُرُوبِ صُقُورُ
خَلَّفُوه ثم ابذَعَرّوا جَمِيعًا ، كُلّهم عَظْمُ ساقِه مَكْسُورُ
كُلُّ دِينٍ يَوْمَ القِيَامَةِ عند اللـ ـه إلّا دينَ الحَنيفَةِ[٧] بُورُ

وقد قدمنا في تفسير « سورة الفتح »[١٠] أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم لما أطل يوم الحديبية علىٰ الثنية التي تهبط به علىٰ قريش ، بركت ناقته ، فزجروها فألحت ، فقالوا : خلأت

(١٠) آية (٢٥) .

[١] - في ز ، خ : المدني .
[٢] - في ز : أقرانه .
[٣] - في ز ، خ : أنفهم .
[٤] - في ت : فسول .
[٥] - في ت : تحتث .
[٦] - في ت : ملاوث .
[٧] - في ز : الحنيفية .

القصواء . أي : حَرَنت . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « ما خلأت القصواء ، وما ذاك لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل » . ثم قال : « والذي نفسي بيده ، لا يسألوني اليوم خطة يعظمون فيها حرمات الله ، إلا أجبتهم إليها » . ثم زجرها فقامت . والحديث من أفراد البخاري .

وفي الصحيحين(١١) أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة : « إن الله حبس عن مكة الفيل ، وسلط عليها رسوله والمؤمنين ، وإنه قد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، ألا فليبلغ الشاهد الغائب » .

آخر [تفسير] سورة الفيل ولله الحمد والمنة .

☆ ☆ ☆

(١١) صحيح البخاري في كتاب : العلم ، باب : كتابة العلم ، حديث (١١٢) (١/٢٠٥) وطرفاه في [٢٤٣٤ ، ٦٨٨٠] . ومسلم في كتاب : الحج ، باب : تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ، حديث (١٣٥٥/٤٤٧) (٩/١٨٢ - ١٨٣) كلاهما من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه

[تفسير] سورة « لإيلاف قريش »

[وهي مكية]

(**ذكر حديث غريب في فضلها**) ، قال البيهقي في كتاب الخلافيات(١) : حدثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا بكر بن محمد بن حمدان الصيرفي بمرو ، حدثنا أحمد بن عبيد الله الزينبي[١] ، حدثنا يعقوب بن محمد الزهري ، حدثنا إبراهيم بن محمد بن ثابت بن شرحبيل ، حدثني عثمان ابن عبد الله بن [أبي عتيق][٢] ، عن سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة ، عن أبيه ، عن جدته أم هانئ بنت أبي طالب ؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؛ قال : « فضل الله قريشًا بسبع خلال : أني منهم[٣] ، وأن النبوة فيهم ، والحجابة والسقاية فيهم ، وأن الله نصرهم علىٰ الفيل ، وأنهم عبدوا الله عز وجل عشر سنين لا يعبده غيرهم ، وأن الله أنزل فيهم سورة من القرآن » . ثم تلاها رسول الله : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم لإيلاف قريش * إيلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف** ﴾ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾

هذه السورة مفصولة عن التي قبلها في المصحف الإمام ، كتبوا بينهما سطر ... ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ ... وإن كانت متعلقة بما قبلها ، كما صرح بذلك محمد بن إسحاق ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ؛ لأن المعنىٰ عندهما : حبسنا عن مكة الفيل وأهلكنا أهله ﴿ **لإيلاف قريش** ﴾ ، أي : لائتلافهم واجتماعهم في بلدهم آمنين .

وقيل : المراد بذلك ما كانوا يألفونه من الرحلة في الشتاء إلىٰ اليمن ، وفي الصيف إلىٰ الشام في المتاجر وغير ذلك ، ثم يرجعون إلىٰ بلدهم آمنين في أسفارهم ، لعظمتهم عند الناس ، لكونهم سكان حرم الله ، فمن عرفهم احترمهم ، بل من صوفي إليهم وسار معهم أمن بهم ، هذا حالهم في أسفارهم ورحلتهم في شتائهم وصيفهم ، وأما في حال إقامتهم في البلد فكما قال

(١) المستدرك (٥٣٦/٥) ومن طريق الحاكم أخرجه البيهقي في الخلافيات . قال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وتعقبه الذهبي بأن فيه يعقوب ضعيف ، وإبراهيم صاحب مناكير هذا أنكرها .اهـ .

[١] - في ز ، خ : المديني .
[٢] - في ز ، خ : عبيد .
[٣] - في ز : فيهم .

الله : ﴿ أو لم يروا أنا جعلنا حرمًا آمنًا ويتخطف الناس من حولهم ﴾ ، ولهذا قال : ﴿ لإيلاف قريش * إيلافهم ﴾ ، بدل من الأول ومفسر له ؛ ولهذا قال : ﴿ إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ﴾ .

وقال ابن جرير: الصواب أن اللام لامُ التعجب ، كأنه يقول: اعجبوا لإيلاف قريش [ونعمتي عليهم][١] في ذلك . قال : وذلك لإجماع المسلمين على أنهما سورتان منفصلتان مستقلتان .

ثم أرشدهم إلى شكر هذه النعمة العظيمة فقال : ﴿ فليعبدوا رب هذا البيت ﴾ ، أي : فليوحدوه بالعبادة ، كما جعل لهم حرمًا آمنًا وبيتًا محرمًا[٢] ، كما قال تعالى : ﴿ إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾ .

وقوله : ﴿ الذي أطعمهم من جوع ﴾ ، أي : هو رب البيت ، وهو الذي أطعمهم من جوع ، ﴿ وآمنهم من خوف ﴾ ، أي : تفضل عليهم بالأمن والرخص ، فليفردوه بالعبادة وحده لا شريك له ، ولا يعبدوا من دونه صنمًا ولا ندًّا ولا وثنًا ؛ ولهذا[٣] من استجاب لهذا الأمر[٤] جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة ، ومن عصاه سلبهما منه ، كما قال تعالى : ﴿ و[٥] ضرب الله مثلًا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون * ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون ﴾ .

وقد قال ابن أبي حاتم(٢) : حدثنا عبد الله بن عمرو العدني ، حدثنا قبيصة ، حدثنا سفيان ، عن ليث ، عن شهر بن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد ؛ قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ويل أمكم[٦] قريش لإيلاف قريش » . ثم قال: حدثنا أبي ، حدثنا المؤمل ابن الفضل الحراني ، حدثنا عيسى - يعني ابن يونس - عن عبيد الله بن أبي زياد ، عن شهر ابن حوشب ، عن أسامة بن زيد ؛ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ، ويحكم يا معشر قريش ؛ اعبدوا رب هذا

(٢) مسند أحمد (٦/٤٦٠) (٢٧٧١٥) من طريق شهر بنحوه . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٧/ ١٤٦) : رواه أحمد والطبراني (٤٤٧/١٧٨/٢٤) باختصار إلا أنه قال : « ويل أمكم يا قريش لإلافكم رحلة الشتاء والصيف » وفيه عبيد الله بن أبي زياد القداح وشهر بن حوشب وقد وثقا وفيهما ضعف ، وبقية رجال أحمد ثقات . اهـ .

[١] - بياض في ز ، خ .
[٢] - في ز : محترمًا .
[٣] - في ز : وهذا .
[٤] - في ز : الأمن .
[٥] - سقط من ت .
[٦] - في ز ، خ : انكم .

البيت الذي أطعمكم من جوع وآمنكم من خوف » .

هكذا رأيته عن أسامة بن زيد ، وصوابه عن أسماء بنت يزيد بن السكن ، أم سلمة الأنصارية ، رضي اللّٰه عنها . فلعله وقع غلط في النسخة أو في أصل الرواية ، واللّٰه أعلم .

[آخر تفسير سورة « لإيلاف قريش » ولله الحمد]

☆ ☆ ☆

[تفسير السورة التي يذكر فيها الماعون][١]

[وهي مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **أرأيت** ﴾ - يا محمد - ﴿ **الذي يكذب بالدين** ﴾ ، وهو : المعاد والجزاء والثواب ، ﴿ **فذلك الذي يدع اليتيم** ﴾ ، أي : هو الذي يقهر اليتيم ويظلمه حقه ، ولا يطعمه ولا يحسن إليه ، ﴿ **ولا يحض علىٰ طعام المسكين** ﴾ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **كلا بل لا يكرمون اليتيم * ولا يَحضّون]**[٢] **علىٰ طعام المسكين**﴾ يعني : الفقير الذي لا شيء له يقوم بأوده وكفايته .

ثم قال : ﴿ **فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون** ﴾ ، قال ابن عباس ، وغيره : يعني المنافقين ، الذين يصلون في العلانية ولا يصلون في السر؛ ولهذا قال : ﴿ **للمصلين** ﴾ ، أي : الذين هم من أهل الصلاة وقد التزموا بها ، ثم هم عنها ساهون ، إما عن فعلها بالكلية ، كما قاله ابن عباس ، وإما عن فعلها في الوقت المقدر لها[٣] شرعًا ، فيخرجها عن وقتها بالكلية ، كما قاله مسروق ، وأبو الضحىٰ .

وقال عطاء بن دينار: والحمد لله الذي قال : ﴿**عن صلاتهم ساهون**﴾ ولم يقل في صلاتهم ساهون .

وإما عن وقتها الأول فيؤخرونها إلىٰ آخره دائمًا أو غالبًا[٤] . وإما عن أدائها بأركانها وشروطها علىٰ الوجه المأمور به . وإما عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها . فاللفظ يشمل هذا كله ، ولكل من اتصف بشيء من ذلك قسط من هذه الآية . ومن اتصف بجميع ذلك فقد تم نصيبه منها ، وكمل له النفاق العملي . كما ثبت في الصحيحين(١) أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ قال : « تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة المنافق ، يجلس يرقب

(١) أخرجه مالك في موطئه في كتاب : القرآن ، باب : النهي عن الصلاة بعد الصبح وبعد العصر ، حديث =

[١] - في ت : سورة الماعون .
[٢] - كذا في خ . وهي قراءة أبي عمرو .
[٣] - في ز : له .
[٤] - في ز : غائبًا . كذا .

الشمس ، حتىٰ إذا كانت بين قرني شيطان[١] قام فنقر أربعًا لا يذكر اللَّه فيها إلا قليلًا » .

فهذا آخر صلاة العصر التي هي الوسطىٰ ، كما ثبت به النص إلىٰ آخر وقتها ، وهو وقت كراهة ، ثم قام إليها فنقرها نقر الغراب ، لم يطمئن ولا خشع فيها أيضًا ؛ ولهذا قال : « لا يذكر اللَّه فيها إلا قليلًا » . ولعله إنما حمله علىٰ[٢] القيام إليها مراءاة الناس ، لا ابتغاء وجه اللَّه ، فهو إذًا لم يصلِّ بالكلية . قال تعالىٰ : ﴿ **إن المنافقين يخادعون اللَّه وهو خادعهم ، وإذا قاموا إلىٰ الصلاة قاموا كسالىٰ ، يراءون الناس ولا يذكرون اللَّه إلا قليلًا** ﴾ وقال هاهنا : ﴿ **الذين هم يراءون** ﴾ .

وقال الطبراني(٢) : حدثنا يحيىٰ بن عبد اللَّه بن عبدويه[٣] البغدادي ، حدثني أبي ، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن يونس ، عن الحسن ، عن ابن عباس ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « إن في جهنم لواديًا تستعيذ جهنم من ذلك الوادي في كل يوم أربعمائة مرة ، أعد ذلك الوادي للمرائين من أمة محمد : لحامل كتاب اللَّه ، وللمصدق في غير ذات اللَّه ، وللحاج إلىٰ بيت اللَّه ، وللخارج في سبيل اللَّه » .

وقال الإمام أحمد(٣) : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا الأعمش ، عن عمرو بن مرة ؛ قال : كنا جلوسًا عند أبي عبيدة فذكروا الرياء ، فقال رجل يكنىٰ بأبي يزيد : سمعت عبد اللَّه بن عمرو[٤] ؛ يقول : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « من سمّع الناس بعمله ، سمع اللَّه به سامع خلقه وحقره وصغره » .

ورواه أيضًا عن غندر(٤) ويحيىٰ القطان(٥) عن شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن رجل ، عن عبد اللَّه بن عمرو ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ... فذكره[٥] .

= (٤٦) (١٩٢/١) . ومسلم في كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، باب : استحباب التبكير بالعصر ، حديث (٦٢٢/١٩٥) (١٧٢/٥) كلاهما من حديث أنس بنحوه . ولم أقف عليه في البخاري .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٧٥/١٢) (١٢٨٠٣) . قال الهيثمي (٢٢٥/١٠) : رواه الطبراني عن شيخه محمد - كذا في المجمع والذي في الطبراني يحيى كما هنا في التفسير - ابن عبد الله بن عبدويه عن أبيه ولم أعرفهما ، وبقية رجاله رجال الصحيح .اهـ .

(٣) مسند أحمد (٢١٢/٢) (٦٩٨٦) .

(٤) وأخرجه أيضًا (١٩٥/٢) (٦٨٣٩) .

(٥) المسند (١٦٢/٢) (٦٥٠٩) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٢٢٥/١٠) : رواه الطبراني =

---

[١] - في ت : الشيطان .

[٢] - في ز : إلى .

[٣] - في ز : عبد ربه . وفي خ : عبد الله .

[٤] - في ز : عمر .

[٥] - سقط من ت .

ومما يتعلق بقوله تعالى: ﴿الذين هم يراءون﴾ أن من عمل عملًا لله فاطّلع عليه الناس، فأعجبه ذلك، أن هذا لا يعد رياء، والدليل علىٰ ذلك ما رواه الحافظ أبو يعلىٰ الموصلي في مسنده(٦): حدثنا هارون بن معروف، حدثنا مخلد بن يزيد[١]، حدثنا سعيد بن بشير، حدثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة؛ قال: كنت أصلي، فدخل عليَّ رجل، فأعجبني ذلك، فذكرته لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فقال: «كتب لك أجران: أجر السر، وأجر العلانية».

قال أبو علي هارون بن معروف: بلغني أن ابن المبارك قال: نعم الحديث للمرائين.

وهذا حديث غريب من هذا الوجه، وسعيد بن بشير[٢] متوسط، وروايته عن الأعمش عزيزة، وقد رواه غيره عنه[٣].

قال أبو يعلىٰ أيضًا(٧): حدثنا محمد بن المثنىٰ بن موسىٰ، حدثنا أبو داود، حدثنا أبو سنان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال[٤] رجل: يا رسول الله، الرجل يعمل العمل يسره، فإذا اطلع عليه[٥] أعجبه؟ قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «له أجران، أجر السر وأجر العلانية».

وقد رواه الترمذي(٨) عن محمد بن المثنىٰ، وابن ماجة عن بندار، كليهما[٦] عن أبي داود الطيالسي، عن أبي سنان الشيباني، واسمه: ضرار بن مرة. ثم قال الترمذي: غريب، وقد رواه الأعمش وغيره، عن حبيب، عن [أبي صالح][٧] ... مرسلًا.

= في الكبير، والأوسط .. ورواه أحمد وسمى الطبراني الرجل وهو خيثمة بن عبد الرحمن فبهذا الاعتبار رجال أحمد وأحد أسانيد الطبراني في الكبير رجال الصحيح .اهـ. وصححه أحمد شاكر في تعليقاته على المسند.

(٦) رواه البغوي في شرح السنة (٣٢٨/١٤) رقم (٤١٤١) من طريق عبد الحميد بن حريث القرشي عن سعيد ابن بشير به. وسعيد بن بشير ضعيف كما في التقريب.

(٧) رواه الطيالسي ص (٣١٨) رقم (٢٤٣٠) وحبيب بن أبي ثابت مدلس وقد عنعن.

(٨) سنن الترمذي في كتاب: الزهد، باب: عمل السر، حديث (٢٣٨٥) (١١٥/٧). وابن ماجة في كتاب: الزهد، باب: الثناء الحسن، حديث (٤٢٢٦) (١٤١٢/٢). وضعفه الألباني في الضعيفة (٤٣٤٤).

---

[١] - في ز، خ: مرثد.

[٢] - في ز: جبير.

[٣] - في ز: عنهم.

[٤] - سقط من خ.

[٥] - في ز: عليهم.

[٦] - في ز: كلاهما.

[٧] - في ت: النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد قال أبو جعفر بن جرير(٩) : حدثني أبو كريب ، حدثنا معاوية بن هشام ، عن شيبان النحوي ، عن جابر الجعفي ، حدثني رجل ، عن أبي برزة الأسلمي؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية : ﴿ **الذين هم عن صلاتهم ساهون** ﴾ ، قال : « الله أكبر ، هذا خير لكم من أن لو أعطي كل رجل منكم مثل جميع[١] الدنيا . و[٢] هو الذي إن صلىٰ لم يَرْجُ خير صلاته ، وإن تركها لم يخف ربه » .

فيه جابر الجعفي ، وهو ضعيف ، وشيخه مبهم لم يسم ، والله أعلم .

وقال ابن جرير أيضًا(١٠) : حدثني زكريا بن أبان المصري ، حدثنا عمرو بن طارق ، حدثنا عكرمة بن إبراهيم ، حدثني عبد الملك بن عمير ، عن مصعب بن سعد ، عن سعد بن أبي وقاص؛ قال : سألت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن ﴿ **الذين هم عن صلاتهم ساهون** ﴾ ، قال : « هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها » .

وتأخير الصلاة عن وقتها يحتمل تركها بالكلية ، أو صلاتها بعد وقتها شرعًا ، أو تأخيرها عن أول الوقت [سهوًا حتىٰ ضاع الوقت][٣] .

وكذا رواه الحافظ أبو يعلىٰ(١١) عن شيبان بن فروخ ، عن عكرمة بن إبراهيم به . ثم رواه(١٢) عن أبي الربيع ، عن جابر[٤] ، عن عاصم ، [عن مصعب][٥] ، عن أبيه موقوفًا . [][٦] وهذا أصح إسنادًا ، وقد ضعف البيهقي رفعه وصحح وقفه(١٣) وكذلك الحاكم .

وقوله : ﴿ **ويمنعون الماعون** ﴾ أي : لا أحسنوا[٧] عبادة ربهم ، ولا أحسنوا إلىٰ خلقه حتىٰ ولا بإعارة ما ينتفع به ويستعان به ، مع بقاء عينه ورجوعه إليهم . فهؤلاء لمنع[٨] الزكاة وأنواع القربات أولىٰ وأولىٰ . وقد قال ابن أبي نجيح : عن مجاهد ، قال عليّ : الماعون : الزكاة .

---

(٩) تفسير الطبري (٣١٣/٣٠) .

(١٠) تفسير الطبري (٣١٣/٣٠) .

(١١) مسند أبي يعلى (١٤٠/٢) (٨٢٢) .

(١٢) وأخرجه أيضًا (٦٣/٢ - ٦٤) (٧٤) . إلا أنه قال : حدثنا أبو الربيع حدثنا حماد ولم يقل جابر .

(١٣) أخرجه البيهقي (٢١٤/٢ - ٢١٥) مرفوعًا وموقوفًا ثم قال : وهذا الحديث إنما يصح موقوفًا ، وعكرمة ابن إبراهيم قد ضعفه يحيى بن معين وغيره من أئمة الحديث .

---

[١] - سقط من خ .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - سقط من ز ، خ .

[٤] - بياض في ز ، خ .

[٥] - ما بين المعكوفين سقط من خ .

[٦] - بياض في ز ، خ بمقدار كلمة ، بعدها كلمة : الوقت .

[٧] - في ز : أحبوا .

[٨] - في ز : يمنع .

وكذا رواه السدي ، عن أبي صالح ، عن عليّ . وكذا روي من غير وجه عن ابن عمر ، وبه يقول محمد بن الحنفية وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، ومجاهد ، وعطاء ، وعطية العوفي ، والزهري ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك ، وابن زيد .

وقال الحسن البصري : إن صلىٰ راءىٰ ، وإن فاتت[١] لم يأس عليها ، ويمنع زكاة ماله . وفي لفظ : صدقة ماله .

وقال زيد بن أسلم : هم المنافقون ، ظهرت الصلاة فصلوها ، وضمنت الزكاة فمنعوها .

وقال الأعمش وشعبة ، عن الحكم ، عن يحيىٰ بن الجزار : أن أبا العُبَيْدَيْنِ سأل عبد الله بن مسعود عن الماعون ، فقال : هو ما يتعاوره الناس بينهم من الفأس والقدر .

[وقال المسعودي عن سلمة بن كهيل ، عن أبي العبيدين : إنه سُئِل ابن مسعود عن الماعون ، فقال : هو ما يتعاطاه الناس بينهم ، من الفأس والقدر][٢] والدلو وأشباه ذلك .

وقال ابن جرير(١٤) : حدثني محمد بن عبيد المحاربي ، حدثنا أبو الأحوص ، عن أبي إسحاق ، عن أبي العبيدين ، وسعد[٣] بن عياض ، عن عبد الله ؛ قال : كنا أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم نتحدث أن الماعون الدلو والفأس والقدر ، لا يستغنىٰ عنهن .

وحدثنا خلاد بن أسلم(١٥) ، أخبرنا النضر بن شميل ، أخبرنا شعبة ، عن أبي إسحاق ؛ قال : سمعت سعد بن عياض يحدث عن أصحاب النبي صلىٰ الله عليه وسلم ... مثله .

وقال الأعمش(١٦) عن إبراهيم ، عن الحارث بن سويد ، عن عبد الله : إنه سئل عن الماعون ، فقال : ما يتعاون[٤] الناس بينهم : الفأس والدلو وشبهه .

وقال ابن جرير(١٧) : حدثنا عمرو [بن عليّ][٥] الفلاس ، حدثنا أبو داود هو الطيالسي ، حدثنا أبو عوانة ، عن عاصم بن بهدلة ، عن أبي وائل ، عن عبد الله ؛ قال : كنا مع نبينا صلىٰ

(١٤) تفسير الطبري (٣١٧/٣٠) وزاد بين أبي إسحاق وأبي العبيدين - حارثة .
(١٥) تفسير الطبري (٣١٧/٣٠) من طريق أبي داود عن شعبة بهذا الإسناد .
(١٦) تفسير الطبري (٣١٨/٣٠) .
(١٧) تفسير الطبري (٣١٩/٣٠) . وأبو داود في كتاب : الزكاة ، باب : في حقوق المال ، حديث (١٦٥٧) (١٢٤/٢) . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ **ويمنعون الماعون** ﴾ ، حديث (١١٧٠١) (٥٢٢/٦) . وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (١٤٥٩) .

[١] - في ت : فاتته .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في خ ، والطبري : سعيد .
[٤] - في ت : يتعاوره .
[٥] - في ز ، خ : وعكرمة هو .

الله عليه وسلم ونحن نقول : الماعون : منع الدلو وأشباه ذلك .

وقد رواه أبو داود والنسائي ، عن قتيبة ، عن أبي عوانة بإسناده ، نحوه[١] . ولفظ النسائي عن عبد الله قال : كل معروف صدقة ، كنا نعد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عارية الدلو والقدر .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله ؛ قال : الماعون : العواري ؛ القدر ، والميزان ، والدلو .

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد ، عن ابن عباس : ﴿ **ويمنعون الماعون** ﴾ ، يعني متاع البيت . وكذا قال مجاهد ، وإبراهيم النخعي ، وسعيد بن جبير ، وأبو مالك ، وغير واحد : إنها العارية للأمتعة .

وقال ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : ﴿ **ويمنعون الماعون** ﴾ [قال : لم يجئ أهلها بعدُ .

وقال العوفي عن ابن عباس : ﴿ **ويمنعون الماعون** ﴾][٢] ، قال : اختلف الناس في ذلك ، فمنهم من قال : يمنعون الزكاة ، ومنهم من قال : يمنعون الطاعة ، ومنهم من قال : يمنعون العارية . رواه ابن جرير(١٨) . ثم روي عن يعقوب بن إبراهيم(١٩) ، عن ابن علية ، عن ليث بن أبي سليم ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن عليّ : الماعون : منع الناس الفأس والقدر والدلو .

وقال عكرمة : رأس الماعون زكاة المال ، وأدناه المُنْخُل والدلو والإبرة . رواه ابن أبي حاتم .

وهذا الذي قاله عكرمة حسن ، فإنه يشمل الأقوال كلها ، وترجع كلها إلى شيء واحد ، وهو ترك المعاونة بمال أو منفعة ؛ ولهذا قال محمد بن كعب : ﴿ **ويمنعون الماعون** ﴾ ، قال : المعروف ؛ ولهذا جاء في الحديث(٢٠) : « كل معروف صدقة » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا وكيع ، عن ابن أبي ذئب ، عن الزهري : ﴿ **ويمنعون الماعون** ﴾ ، قال : بلسان قريش : المال .

---

(١٨) تفسير الطبري (٣١٩/٣٠) .

(١٩) تفسير الطبري (٣١٩/٣٠) وزاد أيضًا : الزكاة .

(٢٠) أخرجه البخاري في كتاب : الأدب ، باب : كل معروف صدقة ، حديث (٦٠٢١) من حديث جابر - رضي الله عنه .

---

[١] - في ز ، خ : عنه . [٢] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

ورویٰ هاهنا حديثًا غريبًا عجيبًا في إسناده ومتنه ، فقال(٢١) : حدثنا أبي وأبو زرعة ؛ قالا : حدثنا قيس بن حفص الدارمي ، حدثنا دلهم بن دهثم[١] العجلي ، حدثنا عائذ[٢] بن ربيعة النميري ، حدثني قرة بن دُعمُوص النميري ؛ أنهم وفدوا إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقالوا : يا رسول اللّٰه ، ما تعهد إلينا ؟ قال : « لا تمنعوا[٣] الماعون » . قالوا : يا رسول اللّٰه ؛ وما الماعون ؟ قال : « في الحجر ، وفي الحديدة ، وفي الماء » . قالوا : فأي الحديدة ؟ قال : « قدوركم النحاس ، وحديد الفأس الذي تمتهنون به » . قالوا : وما الحجر ؟ قال : « قدوركم الحجارة » .

غريب جدًّا ، ورفعه[٤] منكر ، وفي إسناده من لا يعرف ، واللّٰه أعلم .

وقد ذكر ابن الأثير في الصحابة ترجمة « علي النميري » ، فقال : رویٰ ابن قانع(٢٢) بسنده إلىٰ عائذ بن ربيعة بن قيس النميري ، عن عليّ بن فلان النميري سمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « المسلم أخو المسلم ، إذا لقيه حيّاه[٥] بالسلام ، ويرد عليه ما هو خير منه ، لا يمنع الماعون » . قلت : يا رسول اللّٰه ؛ ما الماعون ؟ قال : « الحجر والحديد ، وأشباه ذلك » .

[آخر تفسير سورة الماعون]

☆ ☆ ☆

(٢١) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٦٨٤/٦) وزاد نسبته إلى ابن مردويه .
(٢٢) وانظر أسد الغابة لابن الأثير (١٢٧/٤) .

[١] - في ز : دهشم .
[٢] - في ز : عابد .
[٣] - في ز : تمنعون .
[٤] - في ز : رفع .
[٥] - في ز : جاء .

[تفسير] سورة الكوثر

[مدنية ، وقيل : مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

قال الإمام أحمد(١) : حدثنا محمد بن فضيل ، عن المختار بن فلفل ، عن أنس بن مالك قال : أغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم إغفاءة ، فرفع رأسه متبسمًا ، إما قال لهم وإما قالوا له : لم ضحكت ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنه أنزلت عليّ آنفًا سورة » ، فقرأ : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * إنا أعطيناك الكوثر ﴾ ، حتى ختمها قال : « هل تدرون ما الكوثر ؟ » ، قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « هو نهر أعطانيه ربي - عز وجل - في الجنة ، عليه خير كثير ، ترد عليه أمتي يوم القيامة ، آنيته عدد الكواكب ، يُختَلَج العبد منهم فأقول: يا رب؛ إنه من أمتي. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك». هكذا رواه الإمام أحمد بهذا الإسناد الثلاثي ، وهذا السياق .

وقد ورد في صفة الحوض يوم القيامة أنه يَشْخُب فيه ميزابان من السماء من نهر الكوثر ، وأن عليه آنية عدد نجوم السماء . وقد روى هذا الحديث مسلم وأبو داود والنسائي ، من طريق محمد بن فضيل وعلي بن مسهر ، كليهما[١] عن المختار بن فلفل ، عن أنس ، ولفظ مسلم قال : «بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا [في المسجد][٢] إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسمًا ، قلنا : ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال : «أنزلت عليّ آنفًا سورة » ، فقرأ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * إنا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحر * إن شانئك هو الأبتر ﴾ . ثم قال : « أتدرون ما الكوثر ؟ » قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : « فإنه نهر وعدنيه ربي - عز وجل - عليه خير كثير ، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة ، آنيته عدد النجوم ، فَيُختَلَجُ العبد منهم ، فأقول : رب؛ إنه من أمتي . فيقول : إنك[٣] ما تدري ما أحدث

(١) مسند أحمد (١٠٢/٣) (١٢٠١٤) . ومسلم في كتاب : الصلاة ، باب : حجة من قال البسملة آية من كل سورة ، حديث (٤٠٠/٥٣) (١٤٨/٤ - ١٤٩) . وأبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : من لم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ، حديث (٧٨٤) (٢٠٨/١) . والنسائي (١٣٣/٢ - ١٣٤) كتاب الافتتاح ، باب : قراءة بسم الله الرحمن الرحيم .

[١] - في ز : كلاهما .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من ز .

بعدك ».

وقد استدل به كثير من القراء علىٰ أن هذه السورة مدنية ، وكثير من الفقهاء علىٰ أن البسملة من السورة ، وأنها منزلة معها .

فأما قوله تعالىٰ : ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ ، فقد تقدم في هذا الحديث أنه نهر في الجنة . وقد رواه الإمام أحمد(٢) من طريق أخرىٰ ، عن أنس فقال : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، أخبرنا ثابت ، عن أنس : أنه قرأ هذه الآية : ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « أعطيت الكوثر فإذا هو نهر يجري ، ولم يشق شقًّا ، وإذا حافتاه قباب اللؤلؤ ، فضربت بيدي في تربته ، فإذا مشكة[١] ذَفِرَةٌ وإذا حصباؤه[٢] اللؤلؤ » .

وقال الإمام أحمد(٣) أيضًا : حدثنا محمد بن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « دخلت الجنة فإذا أنا بنهر ، حافتاه خيام اللؤلؤ ، فضربت بيدي إلىٰ ما يجري فيه الماء ، فإذا مسك أذفر ، قلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذي أعطاكه اللَّه عز وجل » .

ورواه البخاري(٤) في « صحيحه » ومسلم ، من حديث شيبان بن عبد الرحمن ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ؛ قال : لما عرج بالنبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم إلىٰ السماء قال : « أتيت علىٰ نهر ، حافتاه قباب اللؤلؤ المجوفة[٣] ، فقلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر » . وهذا لفظ البخاري رحمه الله .

وقال ابن جرير (٥) : حدثنا الربيع ، أخبرنا[٤] ابن وهب ، عن سليمان بن بلال ، عن شريك ابن أبي نمر ؛ قال : سمعت أنس بن مالك يحدثنا ؛ قال : لما أسري برسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم مضىٰ به جبريل في السماء الدنيا ، فإذا هو بنهر عليه قصر[٥] من لؤلؤ وزبرجد ، فذهب يشم ترابه فإذا هو مسك ، قال : « يا جبريل ؛ ما هذا النهر ؟ قال : هو الكوثر الذي خبأ لك

(٢) مسند أحمد (٢٤٧/٣) (١٣٦٠٤) .

(٣) مسند أحمد (١٠٣/٣) (١٢٠٢٦) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : سورة إنا أعطيناك الكوثر ، حديث (٤٩٦٤) (٧٣١/٨) . وعزاه المزي في تحفة الأشراف (٣٣٧/١) (١٢٩٩) لمسلم . وقال المزي : حديث مسلم هذا لم يذكره أبو مسعود ووجدته ملحقًا في كتاب خلف .اهـ . وتعقبه ابن حجر في النكت بأن الحميدي أورده في أفراد البخاري .

(٥) تفسير الطبري (٣٢١/٣٠) .

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ت : حصاه .

[٣] - في ت : المجوف .

[٤] - في ز : أو .

[٥] - في ز : قبة .

ربك » .

وقد تقدم حديث الإسراء(٦) في سورة « سبحان » ، من طريق شريك عن أنس ، وهو مخرج في الصحيحين.

وقال سعيد عن قتادة (٧) ، عن أنس : إن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم؛ قال : « بينا أنا أسير في الجنة إذ عرض لي نهر ، حافتاه قباب اللؤلؤ مجوف ، فقال الملك الذي معه : أتدري ما [هذا ؟ هذا][١] الكوثر الذي أعطاك اللّه . وضرب بيده إلىٰ أرضه فأخرج من طينه المسك » .

وكذلك[٢] رواه سليمان بن طرخان ، ومعمر[٣] ، وهمام ، وغيرهم ، عن قتادة ، به .

وقال ابن جرير : حدثنا أحمد بن أبي سريج[٤] ، حدثنا أبو أيوب العباس ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، حدثني محمد بن عبد اللّه ابن أخي[٥] ابن شهاب ، عن أبيه ، عن أنس؛ قال : سئل رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم عن الكوثر ، فقال : « هو نهر أعطانيه اللّه في الجنة ، ترابه مسك ، أبيض من اللبن ، وأحلىٰ من العسل ، ترده طير ، أعناقها مثل أعناق الجُزُر » . فقال أبو بكر: يا رسول الله ؛ إنها لناعمة ؛ قال: «آكلها أنعم منها» .

وقال أحمد (٨) : حدثنا أبو سلمة الخزاعي ، حدثنا الليث ، عن يزيد بن الهاد ، عن عبد الوهاب ، عن عبد اللّه بن مسلم بن شهاب ، عن أنس أن رجلًا قال : يا رسول اللّه ؛ ما الكوثر ؟ قال : « نهر في الجنة أعطانيه ربي ، لهو أشد بياضًا من اللبن ، وأحلىٰ من العسل ، فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر » . قال عمر : يا رسول اللّه ؛ إنها لناعمة ! قال : « آكلها أنعم منها يا عمر» .

و[٦] رواه ابن جرير ، من حديث الزهري ، عن أخيه [ ][٧] عبد الله ، عن أنس أنه سأل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن الكوثر... فذكر مثله سواء.

وقال البخاري(٩) : حدثنا خالد بن يزيد الكاهلي ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن

---

(٦) تقدم تخريجه في سورة الإسراء ، آية : (١) .
(٧) مسند أحمد (٣/٢٣١) (١٣٤٤٩) وانظر أول سورة الإسراء . والطبري (٣٠/٣٢٤) .
(٨) مسند أحمد (٣/٢٢٠ - ٢٢١) (١٣٣٣٠) . وأخرجه الطبري (٣٠/٣٢٤) .
(٩) صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : سورة ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ ، حديث (٤٩٦٥) (٨/٧٣١) . وأخرجه أحمد (٦/٢٨١) (٢٦٥١٣) . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : سورة الكوثر ، حديث (١١٧٠٥) (٦/٥٢٣) .

---

[١] - في ز : هو .
[٢] - في ز : كذلك .
[٣] - في ز : عمر .
[٤] - في ز : شريح .
[٥] - في ز : أبي .
[٦] - سقط من ت .
[٧] - في ز : عن .

أبي عبيدة ، عن عائشة ، قال : سألتها عن قوله تعالىٰ : ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ ، قالت : نهر أعطيه نبيكم صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، شاطئاه عليه در مجوف ، آنيته كعدد النجوم .

ثم قال البخاري : رواه زكريا وأبو الأحوص ومطرف عن أبي إسحاق . ورواه أحمد والنسائي من طريق مطرف به .

وقال ابن جرير(١٠) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، وإسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عائشة ؛ قالت : الكوثر نهر في الجنة ، شاطئاه در مجوف . وقال إسرائيل : نهر في الجنة عليه من الآنية عدد نجوم السماء .

و[١] حدثنا ابن حميد(١١) ، حدثنا يعقوب القمّي ، عن حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية ، عن شقيق[٢] أو مسروق ؛ قال : قلت لعائشة : يا أم المؤمنين ؛ حدثيني عن الكوثر . قالت : نهر في بطنان الجنة . قلت : وما بطنان الجنة ؟ قالت : وسطها ، حافتاه قصور اللؤلؤ والياقوت ، ترابه المسك ، وحصباؤه اللؤلؤ والياقوت .

وحدثنا أبو كريب(١٢) ، حدثنا وكيع ، عن أبي جعفر الرازي ، عن ابن أبي نجيح ، عن عائشة قالت : من أحب أن يسمع خرير الكوثر ، فليجعل أصبعيه في أذنيه .

وهذا منقطع بين ابن أبي نجيح وعائشة ، وفي بعض الروايات : « عن رجل ، عنها » . ومعنىٰ هذا أنه يسمع نظير ذلك ، لا أنه يسمعه نفسه ، واللَّه أعلم .

قال السهيلي : ورواه الدارقطني مرفوعًا ، من طريق مالك بن مغول ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم .

ثم قال البخاري(١٣) : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، [حدثنا هشيم][٣] ، أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس أنه قال في الكوثر : هو الخير الذي أعطاه اللَّه إياه . قال أبو بشر : قلت لسعيد بن جبير : فإن ناسًا يزعمون أنه نهر في الجنة ؟ فقال سعيد : النهر الذي في

---

(١٠) تفسير الطبري (٣٢١/٣٠) .

(١١) تفسير الطبري (٣٢٠/٣٠) .

(١٢) تفسير الطبري (٣٢١/٣٠) .

(١٣) صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : سورة ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ ، حديث (٤٩٦٦) (٨/ ٧٣١) .

---

[١] - سقط من ت .

[٢] - في ز : سفيان .

[٣] - سقط من ز .

الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه .

ورواه أيضًا(١٤) من حديث هشيم ، عن أبي بسر[١] ، وعطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس؛ قال : الكوثر : الخير الكثير .

[وقال الثوري(١٥) عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس؛ قال: الكوثر: الخير الكثير][٢] .

وهذا التفسير يعم النهر وغيره ، لأن الكوثر من الكثرة ، وهو الخير الكثير ، ومن ذلك النهر، كما قال ابن عباس ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد[٣] ، ومحارب بن دثار ، والحسن ابن أبي الحسن البصري . حتىٰ[٤] قال مجاهد : هو الخير الكثير في[٥] الدنيا والآخرة .

وقال عكرمة : هو النبوة والقرآن، وثواب الآخرة.

وقد صح عن ابن عباس أنه فسره[٦] بالنهر أيضًا ، فقال ابن جرير (١٦):

حدثنا أبو كريب ، حدثنا عمر بن عبيد ، عن عطاء ، عن سعيد [بن جبير][٧] ، عن ابن عباس قال : الكوثر : نهر في الجنة ، حافتاه ذهب وفضة ، يجري علىٰ الياقوت والدر ، ماؤه أبيض من الثلج وأحلىٰ من العسل .

ورویٰ العوفي عن ابن عباس نحو ذلك .

وقال ابن جرير(١٧) : حدثني يعقوب ، حدثنا هشيم ، أخبرنا عطاء بن السائب ، عن محارب بن دثار ، عن ابن عمر أنه قال : الكوثر نهر في الجنة ، حافتاه ذهب وفضة ، يجري علىٰ الدر والياقوت ، ماؤه أشد بياضًا من اللبن ، وأحلىٰ من العسل .

---

(١٤) صحيح البخاري ، كتاب : الرقاق ، باب : في الحوض وقول الله تعالى : ﴿ **إن أعطيناك الكوثر** ﴾ ، حديث (٦٥٧٨) (٤٦٣/١١) .

(١٥) تفسير الطبري (٣٢٠/٣٠) .

(١٦) تفسير الطبري (٣٢٠/٣٠) .

(١٧) سيأتي مرفوعًا عند الترمذي وقد خرجه المزي في تحفة الأشراف (٧٤١٢) ولم يذكر هذا الطريق الموقوف . والحديث بهذا الإسناد في الطبري (٣٢٠/٣٠) .

---

[١] - في ز : بشر .

[٢] - ما بين المعكوفين سقط من ز .

[٣] - سقط من ز .

[٤] - في ز ، خ : حين .

[٥] - في ز : من .

[٦] - في ز : فسر .

[٧] - سقط من خ .

وكذا رواه الترمذي عن ابن حميد ، عن جرير ، عن عطاء بن السائب ، به مثله ، موقوفًا .

وقد روي مرفوعًا فقال الإمام أحمد(١٨) : حدثنا علي بن حفص ، حدثنا[١] ورقاء قال ... وقال عطاء عن محارب بن دثار ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : «الكوثر نهر في الجنة ، حافتاه من ذهب ، والماء يجري علىٰ اللؤلؤ ، وماؤه أشد بياضًا من اللبن ، وأحلىٰ من العسل » .

وهكذا رواه الترمذي ، وابن ماجة ، وابن أبي حاتم ، وابن جرير ، من طريق محمد بن فضيل ، عن عطاء بن السائب ، به مرفوعًا . وقال الترمذي : « حسن صحيح » .

وقال ابن جرير(١٩) : حدثني يعقوب ، حدثنا ابن علية ، أخبرنا عطاء بن السائب قال : قال لي محارب بن دثار : ما قال سعيد بن جبير في الكوثر ؟ قلت : حدثنا عن ابن عباس أنه قال : هو الخير الكثير . فقال : صدق ، و[٢] الله إنه للخير الكثير ، ولكن حدثنا ابن عمر قال : لما[٣] نزلت : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ ، قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « الكوثر نهر في الجنة ، حافتاه من ذهب ، يجري علىٰ الدر والياقوت » .

وقال ابن جرير(٢٠) : حدثني ابن البرقي[٤] ، حدثنا ابن [أبي مريم][٥] ، حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير ، أخبرني حرام[٦] بن عثمان ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أسامة بن زيد ، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أتىٰ حمزة بن عبد المطلب يومًا فلم يجده ، فسأل امرأته عنه - وكانت من بني النجار - فقالت : خرج - يا نبي الله - آنفًا عامدًا نحوك ، فأظنه أخطأك في بعض أزقة بني النجار ، أولا تدخل يا[٧] رسول الله ؟ فدخل ، فقدمت إليه حيسًا فأكل منه ، فقالت : يا رسول الله ، هنيئًا لك ومريئًا ، لقد جئت وأنا أريد أن آتيك فأهنيك وأمريك ، أخبرني أبو عمارة أنك أعطيت نهرًا في الجنة [يدعىٰ الكوثر][٨] . فقال : « أجل ،

---

(١٨) مسند أحمد (٦٧/٢) (٥٣٥٥) . والترمذي في كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة الكوثر ، حديث (٣٣٥٨) (٨٤/٩) . وابن ماجة في كتاب : الزهد ، باب : صفة الجنة ، حديث (٤٣٣٤) (١٤٥٠/٢) . والطبري (٣٢٤/٣٠) . وصححه أحمد شاكر .

(١٩) تفسير الطبري (٣٢٥/٣٠) .

(٢٠) تفسير الطبري (٣٢٥/٣٠) .

---

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - بياض في ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : إبراهيم .
[٦] - في ز : حزام .
[٧] - سقط من ز .
[٨] - سقط من خ .

وعرضه - يعني أرضه - ياقوت ومرجان ، وزبرجد ولؤلؤ » .

حرام[١] بن عثمان : ضعيف . ولكن هذا سياق حسن ، وقد صح أصل هذا ، بل قد تواتر من طرق[٢] تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث ، وكذلك أحاديث الحوض . [ ][٣] وهكذا روي عن أنس ، وأبي العالية ، ومجاهد ، وغير واحد من السلف : أن الكوثر نهر في الجنة . وقال عطاء : هو حوض في الجنة .

وقوله : ﴿ **فصل لربك وانحر** ﴾ ، أي : كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة ، ومن ذلك النهر الذي تقدم صفته : فأخلص لربك صلاتك المكتوبة والنافلة ونحرك ، فاعبده وحده لا شريك له ، وانحر علىٰ اسمه وحده لا شريك له . كما قال تعالىٰ : ﴿ **قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين** ﴾ ، قال ابن عباس ، وعطاء ، ومجاهد ، وعكرمة ، والحسن : يعني بذلك نحر البُدْن ونحوها . وكذا قال قتادة ، ومحمد بن كعب القرظي ، والضحاك ، والربيع ، وعطاء الخراساني ، والحكم ، وإسماعيل بن أبي خالد ، وغير واحد من السلف . وهذا بخلاف ما كان المشركون عليه من السجود لغير الله ، والذبح علىٰ غير اسمه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق ...**﴾ الآية .

وقيل : المراد بقوله : ﴿ **وانحر** ﴾ : وضع اليد اليمنىٰ علىٰ اليسرىٰ تحت النحر . يروىٰ هذا عن علي ، ولا يصح ، وعن الشعبي مثله[٤] .

وعن أبي جعفر الباقر : ﴿**وانحر**﴾ يعني : ارفع اليدين عند افتتاح الصلاة .

وقيل[٥] : ﴿ **وانحر** ﴾ ، أي : استقبل بنحرك القبلة . ذكر هذه الأقوال الثلاثة ابنُ جرير .

وقد روىٰ ابن أبي حاتم هاهنا حديثًا منكرًا جدًّا فقال : حدثنا وهب بن إبراهيم الفامي[٦] - سنة خمس وخمسين ومائتين - حدثنا إسرائيل بن حاتم المروزي ، حدثنا مقاتل بن حيان ، عن الأصبغ بن نباتة ، عن علي بن أبي طالب ؛ قال : لما نزلت هذه السورة علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحر** ﴾ ، قال رسول الله : « يا جبريل ؛ ما هذه النحيرة التي أمرني بها ربي ؟ » فقال[٧] : ليست بنحيرة ، ولكنه يأمرك إذا تحرمت للصلاة ، ارفع يديك إذا كبرت وإذا ركعت ، وإذا رفعت رأسك من الركوع ، وإذا سجدت ،

---

[١] - في ز ، خ : حزام . [٢] - في ز : طريق .
[٣] - في ز ، خ : « ولنذكرها هنا وكل هذه الأقوال غريبة جدًّا .
[٤] - سقط من ز . [٥] - في ز : وأقبل .
[٦] - في ز ، خ : القاضي . [٧] - في ز : قال .

فإنها صلاتنا وصلاة الملائكة الذين في السماوات السبع ، وإن لكل شيء زينة ، وزينة الصلاة رفع اليدين عند كل تكبيرة .

وهكذا رواه الحاكم(٢١) في المستدرك من حديث إسرائيل بن حاتم به .

وعن عطاء الخراساني ، [﴿ وانحر ﴾ ، أي][١] : ارفع صلبك بعد الركوع واعتدل ، وأبرز نحرك ، يعني به الاعتدال . رواه ابن أبي حاتم .

[وكل هذه الأقوال غريبة جدًا][٢] . والصحيح القول الأول : أن المراد بالنحر ذبح المناسك ؛ ولهذا كان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يصلي يوم[٣] العيد ثم ينحر نسكه ويقول : « من صلىٰ صلاتنا ونسك نسكنا ، فقد أصاب النسك . ومن نسك قبل الصلاة فلا نسك له » . فقام أبو بردة بن نيار فقال : يا رسول اللّٰه ؛ إني نسكت شاتي قبل الصلاة ، وعرفت أن اليوم يوم يشتهىٰ فيه اللحم . قال : « شاتك شاة لحم » . قال : فإن عندي عناقًا هي أحبُّ إليَّ من شاتين ، أفتجزئ عني ؟ قال : « تجزئك ، ولا تجزئ أحدًا بعدك »(٢٢) .

قال أبو جعفر بن جرير : والصواب قول من قال : معنىٰ ذلك : فاجعل صلاتك كلها لربك خالصًا دون ما سواه من الأنداد والآلهة ، وكذلك نحرك اجعله له دون الأوثان ، شكرًا له علىٰ ما أعطاك من الكرامة والخير ، الذي لا كِفَاءَ له ، وخصك به .

وهذا الذي قاله في غاية الحسن ، وقد سبقه إلىٰ هذا المعنىٰ : محمد بن كعب القرظي وعطاء .

وقوله : ﴿ **إن شانئك هو الأبتر** ﴾ ، أي : إن مبغضك - يا محمد - ومبغض ما جئت به من الهدىٰ والحق والبرهان الساطع والنور المبين ، هو الأبتر الأقل الأذل المنقطع ذكره .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وقتادة : نزلت في العاص بن وائل .

وقال محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان ؛ قال : كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : دعوه فإنه رجل أبتر لا عقب له ، فإذا هلك انقطع ذكره . فأنزل اللّٰه هذه السورة . وقال شمر بن عطية : نزلت في عقبة بن أبي معيط .

(٢١) المستدرك (٢/٥٣٧ - ٥٣٨) . وتعقبه الذهبي بأن فيه إسرائيل صاحب عجائب لايعتمد عليه ، وأصبغ شيعي متروك عند النسائي .

(٢٢) أخرجه البخاري في كتاب : العيدين ، باب : الأكل يوم النحر ، حديث (٩٥٥) (٢/٤٤٧) . ومسلم في كتاب : الأضاحى ، باب : وقتها ، حديث (١٩٦١) . كلاهما من حديث البراء به نحوه .

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - سقط من ت .

وقال ابن عباس أيضًا ، وعكرمة : نزلت في كعب بن الأشرف ، و[١] جماعة من كفار[٢] قريش .

وقال البزار(٢٣) : حدثنا زياد بن يحيىٰ الحساني ، حدثنا ابن أبي عدي ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ قال : قدم كعب بن الأشرف مكة فقالت له قريش : أنت [سيدهم][٣] ، ألا ترىٰ إلىٰ هذا المُصَنبر المنبتر من قومه ؟ يزعم أنه خير منا ، ونحن أهل الحجيج ، وأهل السدانة ، وأهل السقاية . فقال : أنتم خير منه . قال : فنزلت : ﴿ **إن شانئك هو الأبتر** ﴾ .

و[٤] هكذا رواه البزار[٥] ، وهو إسناد صحيح .

وعن عطاء قال[٦] : نزلت في أبي لهب ، وذلك حين مات ابن لرسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فذهب أبو لهب إلىٰ المشركين وقال : بتر محمد الليلة . فأنزل اللَّه [في ذلك][٧] : ﴿ **إن شانئك هو الأبتر** ﴾ .

وعن ابن عباس : نزلت في أبي جهل . وعنه ﴿ **إن شانئك** ﴾ ، يعني : عدوك . وهذا يعم جميع من اتصف بذلك ممن ذكر وغيرهم .

وقال عكرمة : الأبتر : الفرد . وقال السدي : كانوا إذا مات ذكور الرجل قالوا : بتر . فلما مات أبناء رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قالوا : بتر محمد . فأنزل اللَّه : ﴿ **إن شانئك هو الأبتر** ﴾ .

وهذا يرجع إلىٰ ما قلناه من أن الأبتر الذي إذا مات انقطع ذكره ، فتوهموا لجهلهم أنه إذا مات بنوه[٨] ينقطع ذكره ، وحاشا وكلّا ، بل قد أبقىٰ اللَّه ذكره علىٰ رءوس الأشهاد ، وأوجب شرعه علىٰ رقاب العباد ، مستمرًا علىٰ دوام الآباد ، إلىٰ يوم الحشر والمعاد ، صلوات اللَّه وسلامه عليه دائمًا إلىٰ يوم التناد .

آخر تفسير سورة الكوثر ، وللَّه الحمد والمنة

☆ ☆ ☆

(٢٣) مختصر زوائد البزار (١٢١/٢) (١٥٣٨) من طريق الحسن بن علي الواسطي عن يحيى بن راشد عن داود بهذا الإسناد . قال ابن حجر : ضعيف .

[١] - في ز : في .
[٢] - في ز : كبار .
[٣] - في ز : سيد ثم .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - في ز : الترمذي .
[٦] - سقط من ت .
[٧] - سقط من خ .
[٨] - سقط من خ .

[تفسير] سورة ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾

[وهي مكية]

ثبت في صحيح مسلم(١) ، عن جابر ، أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قرأ بهذه السورة ، وبـ ﴿ **قل هو اللّٰه أحد** ﴾ في ركعتي الطواف . وفي صحيح مسلم(٢) ، من حديث أبي هريرة ، أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قرأ بهما في ركعتي الفجر .

وقال الإمام أحمد(٣) : حدثنا وكيع ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قرأ في الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب ، بضعًا وعشرين مرة – أو : بضع عشرة مرة – ﴿ **قل يا أيها الكافرون** ﴾ ، و﴿ **قل هو اللّٰه أحد** ﴾ .

وقال أحمد أيضًا(٤) : حدثنا محمد بن عبد اللّٰه بن الزبير ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مجاهد ، عن ابن عمر؛ قال : رمقت النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أربعًا وعشرين – أو : خمسًا وعشرين – مرة ، يقرأ في الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب بـ ﴿ **قل يا أيها الكافرون** ﴾ ، و ﴿ **قل هو اللّٰه أحد** ﴾ .

وقال أحمد (٥): حدثنا أبو أحمد – هو محمد بن عبد اللّٰه بن الزبير[١] الزبيري – حدثنا سفيان – هو[٢] الثوري – عن أبي إسحاق ، عن مجاهد ، عن ابن عمر؛ قال : رمقت النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم شهرًا ، وكان يقرأ في الركعتين قبل الفجر بـ ﴿ **قل يا أيها الكافرون** ﴾ ، و ﴿ **قل هو اللّٰه أحد** ﴾ .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب : الحج ، باب : حجة النبي ﷺ ، حديث (١٤٧/١٢١٨) (٢٤٣/٨) في حديث جابر الطويل .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب : صلاة المسافرين ، حديث (٧٢٦/٩٨) (٨/٦).

(٣) مسند أحمد (٢٤/٢) (٤٧٦٣) . وصححه أحمد شاكر .

(٤) مسند أحمد (٩٩/٢) (٥٧٤٢) . وصححه أحمد شاكر .

(٥) مسند أحمد (٩٤/٢) (٥٦٩١) . والترمذي في كتاب : الصلاة ، باب : ما جاء في تخفيف ركعتي الفجر ، حديث (٤١٧) (٨٤/٢) . وابن ماجة في كتاب : الإقامة ، باب : ما جاء فيما يقرأ في الركعتين قبل الفجر ، حديث (١١٤٩) (٣٦٣/١) . وقد وقع في المطبوع من ابن ماجة إسحاق بدلًا من أبي إسحاق وهو تحريف . ينظر تحفة الأشراف(٢٣٨٠/٦) (٧٣٨٨) . والحديث صححه أحمد شاكر .

---

[١] – سقط من ز .

[٢] – في ز ، خ : عن .

وكذا رواه الترمذي و[ابن ماجة ، من حديث أبي أحمد الزبيري][١] ، أخرجه النسائي(٦) من وجه آخر ، عن أبي إسحاق ، به . وقال الترمذي : « هذا حديث حسن » .

و[قد[٢] تقدم في الحديث][٣] أنها تعدل ربع القرآن ، و ﴿ إذا زلزلت ﴾ تعدل ربع القرآن .

وقال الإمام أحمد(٧) : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا زهير ، حدثنا أبو إسحاق ، عن فروة ابن نوفل - هو ابن معاوية - عن أبيه ؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال له : « هل لك في ربيبة لنا تكفلها ؟ » . قال : أراها زينب . قال : ثم جاء فسأله النبي صلىٰ الله عليه وسلم عنها ، قال : « ما فعلت الجارية ؟ » قال : تركتها عند أمها . قال « فمجيء ما جاء بك ؟ » قال : جئت لتعلمني شيئًا أقوله عند منامي . قال : « اقرأ : ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ ، ثم نم علىٰ خاتمتها ، فإنها براءة من الشرك » . تفرد به أحمد .

وقال أبو القاسم الطبراني(٨) : حدثنا أحمد بن عمرو القطراني ، حدثنا محمد بن الطفيل ، حدثنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن جبلة بن حارثة - وهو أخو زيد بن حارثة - أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « إذا أويت إلىٰ فراشك فاقرأ ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ حتىٰ تمر بآخرها ، فإنها براءة من الشرك » .

وقال الإمام أحمد(٩) : حدثنا حجاج ، حدثنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن فروة[٤] بن نوفل ، عن الحارث بن جبلة قال : قلت : يا رسول الله ؛ علمني شيئًا أقوله عند منامي . قال : « إذا أخذت مضجعك من الليل فاقرأ : ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ ، فإنها براءة من الشرك » .

وروىٰ الطبراني(١٠) من طريق شريك ، [عن] جابر ، عن معقل الزبيدي ، عن [عباد أبي

---

(٦) سنن النسائي (٢/١٧٠) كتاب الافتتاح ، باب : القراءة في الركعتين بعد المغرب .
(٧) أطراف المسند لابن حجر (٥/٤٢٥) (٧٤٨٤) وهو ساقط من المطبوع . والحديث عند أحمد من طريق يحيى بن آدم ، ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق (٥/٤٥٦) (٢٣٩٢٠) . به نحوه .
(٨) معجم الطبراني (٢/٢٨٧) (٢١٩٥) . قال الهيثمي في « المجمع » (١٠/١٢٤) : رواه الطبراني ورجاله وثقوا .
(٩) أطراف المسند (٢/٢٢٠ - ٢٢١) (٢١٣٦) .
(١٠) رواه الطبراني (٤/٨١)(٣٧٠٨) من حديث محمد بن عبد الله الحضرمي ، عن أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي ، عن عبد الرحمن بن شريك ، عن أبيه وعن جابر ، عن معقل به ،

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز .
[٢] - سقط من خ .
[٣] - في ز : « وتقدم حديث » .
[٤] - في ز ، خ : عروة .

الأخضر عن خباب] رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم كان إذا أخذ مضجعه قرأ : ﴿ قل : يا أيها الكافرون ﴾ حتىٰ يختمها [والله أعلم][١] .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾

هذه السورة سورة البراءة من[٢] العمل الذي يعمله المشركون ، وهي آمرة بالإخلاص فيه ، فقوله : ﴿ **قل يا أيها الكافرون** ﴾ شمل كل كافر علىٰ وجه الأرض ، ولكن المواجهين[٣] بهذا الخطاب هم كفار قريش .

وقيل : إنهم من جهلهم دعوا رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم إلىٰ عبادة أوثانهم سنة ، ويعبدون معبوده سنة ، فأنزل اللّه هذه السورة ، وأمر رسوله صلىٰ اللّه عليه وسلم فيها أن يتبرأ من دينهم بالكلية ، فقال : ﴿ **لا أعبد ما تعبدون** ﴾ يعني من الأصنام والأنداد ، ﴿ **ولا أنتم عابدون ما أعبد** ﴾ ، وهو اللّه وحده لا شريك له . فـ « ما » هاهنا بمعنىٰ « من » .

ثم قال : ﴿ **ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد** ﴾ ، أي : ولا أعبد عبادتكم ، أي : لا أسلكها ولا أقتدي بها ، وإنما أعبد اللّه علىٰ الوجه الذي يحبه ويرضاه ؛ ولهذا قال : ﴿ **ولا أنتم عابدون ما أعبد** ﴾ ، أي : لا تقتدون بأوامر اللّه وشرعه في عبادته ، بل قد اخترعتم شيئًا من تلقاء أنفسكم ، كما قال : ﴿ **إن يتبعون إلا الظن وما تهوىٰ الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدىٰ** ﴾ ، فتبرأ منهم في جميع ما هم فيه ، فإن العابد لابد له من معبود يعبده ، وعبادة يسلكها إليه ، فالرسول وأتباعه يعبدون اللّه بما شرعه ، ولهذا كان كلمة الإسلام[٤] « لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه » ، أي : لا معبود إلا اللّه ولا طريق إليه إلا بما جاء به الرسول صلىٰ اللّه عليه وسلم ، والمشركون يعبدون غير اللّه عبادة لم يأذن بها اللّه ؛ ولهذا قال لهم الرسول صلىٰ اللّه عليه وسلم : ﴿ **لكم دينكم ولي دين** ﴾ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإن[٥] كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما**

---

[١] - سقط من ت .

[٢] - في ز : في .

[٣] - في ز : المواجهون .

[٤] - في خ : الإخلاص .

[٥] - في ز : فإن .

تعملون ﴾ . وقال : ﴿**لنا أعمالنا ولكم أعمالكم**﴾ .

وقال البخاري(١١) : يقال : ﴿ **لكم دينكم** ﴾ الكفر ، ﴿ **ولي دين** ﴾الإسلام . ولم يقل « ديني » لأن الآيات بالنون ، فحذف الياء ، كما قال : ﴿ **فهو يهدين** ﴾ و ﴿ **يشفين** ﴾ . وقال غيره : لا أعبد ما تعبدون الآن ، ولا أجيبكم فيما بقي من عمري ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، وهم الذين قال : ﴿ **وليزيدن كثيرًا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانًا وكفرًا** ﴾ . انتهىٰ ما ذكره .

ونقل ابن جرير عن بعض أهل العربية أن ذلك من باب التأكيد ، كقوله ﴿ [**فإن مع العسر يسرًا**][١] * **إن مع العسر يسرًا** ﴾ ، وكقوله : ﴿ **لترون الجحيم * ثم لترونها عين اليقين** ﴾ . وحكاه بعضهم - كابن الجوزي وغيره - عن ابن قتيبة ، فالله أعلم .

فهذه ثلاثة أقوال : أولها ما ذكرناه أولًا . الثاني : ما حكاه البخاري وغيره من المفسرين أن المراد : ﴿ **لا أعبد ما تعبدون * ولا أنتم عابدون ما أعبد** ﴾ في الماضي ﴿ **ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد** ﴾ في المستقبل . الثالث : أن ذلك تأكيد محض .

وثمّ قول رابع ، نصره أبو العباس بن تيميّة في بعض كتبه ، وهو أن المراد بقوله : ﴿ **لا أعبد ما تعبدون** ﴾ نفي الفعل لأنها جملة فعلية ، ﴿ **ولا أنا عابد ما عبدتم** ﴾ ، نفي قبوله لذلك بالكلية ؛ لأن النفي بالجملة الاسمية آكد فكأنه نفىٰ الفعل وكونه قابلًا لذلك . ومعناه نفي الوقوع ونفي الإمكان الشرعي أيضًا . وهو قول حسن أيضًا ، والله أعلم .

وقد استدل الإمام أبو عبد الله الشافعي وغيره بهذه الآية الكريمة : ﴿ **لكم دينكم ولي دين** ﴾ ، علىٰ أن الكفر كله ملة واحدة تورثه اليهود من النصارىٰ ، وبالعكس ، إذا[٢] كان بينهما [نسب أو][٣] سبب يتوارث به ؛ لأن الأديان ما عدا الإسلام كلها كالشيء الواحد في البطلان .

وذهب أحمد بن حنبل ومن وافقه إلىٰ عدم توريث النصارىٰ من اليهود وبالعكس ، لحديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « لا يتوارث أهل ملتين شتىٰ »(١٢).

---

(١١) فتح الباري (٧٣٣/٨) في كتاب : التفسير ، باب : سورة : ﴿ **قل يأيها الكافرون** ﴾ .

(١٢) أخرجه أحمد (١٧٨/٢ - ١٩٥) . وأبو داود في كتاب : الفرائض ، باب : هل يرث المسلم الكافر ، حديث (٢٩١١) (١٢٥/٣ - ١٢٦) . وابن ماجة في كتاب : الفرائض ، باب : ميراث أهل الإسلام من أهل الشرك ، حديث (٢٧٣١) (٩١٢/٢) . وابن الجارود في المنتقي (٩٦٧) . وحسنه الألباني في الإرواء (١٦٧٥) .

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ . [٢] - في ت : إذ .

[٣] - في ز : نسبا و .

آخر تفسير[١] سورة ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ ، ولله الحمد والمنة .

[وبه التوفيق والعصمة][٢] .

☆ ☆ ☆

[١] - سقط من ز .

[٢] - سقط من ز ، ت .

[تفسير] سورة إذا جاء نصر اللَّه والفتح

[وهي مدنية]

قد تقدم أنها تعدل ربع القرآن، و ﴿ إذا زلزلت ﴾ تعدل ربع القرآن.

وقال النسائي(١) : أخبرنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ، أخبرنا جعفر ، عن أبي العُمَيْس (ح) وأخبرنا أحمد[١] بن سليمان ، حدثنا جعفر بن عون ، حدثنا أبو العميس ، عن عبد المجيد ابن سهيل ، عن عبيد اللَّه بن عبد اللَّه بن عتبة ؛ قال : قال لي ابن عباس : يا بن عتبة ، أتعلم آخر سورة من القرآن نزلت ؟ قلت : نعم ، ﴿ إذا جاء نصر اللَّه والفتح ﴾ . قال : صدقت .

وروىٰ الحافظ أبو بكر البزار(٢) والبيهقي ، من حديث موسىٰ بن عبيدة الربذي ، عن صدقة ابن يسار ، عن ابن عمر؛ قال : أنزلت هذه السورة : ﴿ إذا جاء نصر اللَّه والفتح ﴾ علىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أوسط أيام التشريق ، فعرف أنه الوداع ، فأمر براحلته القصواء[٢] فرحلت[٣] ، ثم قام فخطب الناس ... فذكر خطبته المشهورة .

وقال[٤] الحافظ البيهقي(٣) : أخبرنا عليّ بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد[٥] الصفار ، حدثنا الأسفاطي ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا [عباد بن][٦] العوام ، عن هلال ابن خباب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس؛ قال : لما نزلت : ﴿ إذا جاء نصر اللَّه والفتح ﴾ ، دعا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فاطمة وقال : « إنه قد نعيت إليّ نفسي » ، فبكت ، ثم ضحكت ، وقالت : أخبرني أنه نعيت إليه نفسه فبكيت ، ثم قال : « اصبري فإنك أول أهلي لحاقًا[٧] بي » . فضحكت .

وقد رواه النسائي كما سيأتي بدون ذكر فاطمة .

---

(١) سنن النسائي ، الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : سورة النصر ، حديث (١١٧١٣) (٦/٥٢٥) . والحديث في صحيح مسلم (٣٠٢٤/٢١) في كتاب : التفسير من طريق جعفر بن عون .

(٢) أخرجه البزار كما في « مجمع الزوائد » (٢٦٩/٣ - ٢٧١) وقال الهيثمي : قلت في الصحيح وغيره طرف منه - رواه البزار وفيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف . اهـ .

(٣) أخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » (١٦٧/٧) .

---

[١] - في ز ، خ : محمد .

[٢] - في ز : القصوى .

[٣] - سقط من خ .

[٤] - بياض في ز .

[٥] - في ز : عبد .

[٦] - في ز ، خ : عساكر .

[٧] - في ز : إلحاقًا .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا (٣)

قال البخاري(٤) : حدثنا موسىٰ بن إسماعيل ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ؛ قال : كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر ، فكأن بعضهم وجد في نفسه ، فقال : لم يدخل هذا معنا ، ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه ممن علمتم ، فدعاهم ذات يوم فأدخله معهم ، فما رُؤيتُ أنه دعاني فيهم يومئذ إلا ليريهم . فقال : ما تقولون في قول الله عز وجل : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا . وسكت بعضهم فلم يقل شيئًا ، فقال لي : أكذلك[١] تقول يا بن عباس ؟ فقلت : لا . فقال : ما تقول ؟ فقلت : هو أجل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أعلمه له ، قال : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ فذلك علامة أجلك ، ﴿ **فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا** ﴾ . فقال عمر بن الخطاب : لا أعلم منها إلا ما تقول . تفرد به البخاري .

وروىٰ ابن جرير(٥) ، عن محمد بن حميد ، عن مهران ، عن الثوري ، عن عاصم ، عن أبي رزين ، عن ابن عباس .. فذكر مثل هذه[٢] القصة ، أو نحوها .

وقال الإمام أحمد(٦) : حدثنا محمد بن فضيل ، حدثنا عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ؛ قال : لما نزلت : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ ، قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « نعيت إليّ نفسي ... » بأنه مقبوض في تلك السنة . تفرد به أحمد .

وروىٰ العوفي ، عن ابن عباس مثله . وهكذا قال مجاهد ، وأبو العالية ، والضحاك ، وغير واحد : إنها أجل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم نعي إليه .

وقال ابن جرير(٧) : حدثني إسماعيل بن موسىٰ ، حدثنا الحسين بن عيسىٰ الحنفي ، عن

---

(٤) صحيح البخاري في كتاب : التفسير ، باب : قوله : ﴿ **فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا** ﴾ ، حديث (٤٩٧٠) (٨/٧٣٤ - ٧٣٥) .

(٥) تفسير الطبري (٣٠/٣٣٤) .

(٦) مسند أحمد (١/٢١٧) (١٨٧٣) . وصحح إسناده أحمد شاكر .

(٧) تفسير الطبري (٣٠/٣٣٢) .

---

[١] - في ز : أكذاك . [٢] - في ز : هية .

معمر ، عن الزهري ، عن أبي حازم ، عن ابن عباس؛ قال : بينما رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في المدينة إذ قال : « الله أكبر ، الله أكبر ، جاء نصر الله والفتح ، جاء أهل اليمن » . قيل : يا رسول الله ، وما أهل اليمن ؟ قال : «قوم رقيقة قلوبهم ، لينة طباعهم ، الإيمان يمان ، والفقه يمان ، والحكمة يمانية » .

ثم رواه(٨) عن ابن عبد الأعلىٰ ، عن ابن ثور[١] ، عن معمر ، عن عكرمة ... مرسلًا .

وقال الطبراني(٩) : حدثنا زكريا بن يحيىٰ ، حدثنا أبو كامل الجحدري ، حدثنا أبو عوانة ، عن هلال بن خباب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس؛ قال : لما نزلت : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ...﴾ حتىٰ ختم السورة ، قال : نعيت لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم نفسه حين نزلت ، قال : فأخذ بأشد ما كان قط اجتهادًا في أمر الآخرة . وقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بعد ذلك : « جاء الفتح ونصر الله ، وجاء أهل اليمن » . فقال رجل : يا رسول الله ؛ وما أهل اليمن ؟ قال : « قوم رقيقة قلوبهم ، لينة طباعهم[٢] ، الإيمان يمان ، والفقه يمان » .

وقال الإمام أحمد(١٠) : حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رزين ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ ، علم النبي صلىٰ الله عليه وسلم أن قد نعيت إليه نفسه ، فقيل : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ...﴾ السورة كلها .

حدثنا وكيع(١١) ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رزين : أن عمر سأل ابن عباس عن هذه الآية : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ ، قال : لما نزلت نعيت إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم نفسه .

وقال الطبراني(١٢) : حدثنا إبراهيم بن أحمد بن عمر الوكيعي ، حدثنا أبي ، حدثنا جعفر بن عون ، عن أبي العميس ، عن أبي بكر بن أبي الجهم ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس قال : آخر سورة نزلت من القرآن جميعًا : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ .

وقال الإمام أحمد أيضًا(١٣) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ،

---

(٨) تفسير الطبري (٣٣٣/٣٠) .

(٩) معجم الطبراني (٣٢٨/١١ - ٣٢٩) (١١٩٠٣) . قال الهيثمي في « المجمع » (٢٦/٩) : رواه الطبراني في الكبير والأوسط بأسانيد... وأحد أسانيده رجاله رجال الصحيح .

(١٠) مسند أحمد (٣٤٤/١) (٣٢٠١) . وصحح إسناده أحمد شاكر .

(١١) مسند أحمد (٢٥٦/١) (٣٣٥٣) .

(١٢) معجم الطبراني الكبير(٣٦٩/١٠) (١٠٧٣٦) .

(١٣) مسند أحمد (٢٢/٣) (١١١٨١) .

---

[١] - في ز : برز . [٢] - في ز ، ت : قلوبهم .

عن أبي البختري الطائي ، عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم؛ أنه قال لما نزلت هذه السورة : ﴿ إذا جاء نصر اللّه والفتح ﴾ ، قرأها رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم حتىٰ ختمها ، فقال : « الناس حيز ، وأنا وأصحابي حيز » . وقال : « لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية » . فقال له مروان[١] : كذبت - وعنده رافع بن خديج ، وزيد بن ثابت ، قاعدان معه علىٰ السرير - فقال أبو سعيد : لو شاء هذان لحدثاك ، ولكن هذا يخاف أن تنزعه عن عرافة[٢] قومه ، وهذا يخشىٰ أن تنزعه عن الصدقة . فرفع مروان عليه الدرة ليضربه ، فلما رأيا ذلك قالا : صدق .

تفرد به أحمد ، وهذا الذي أنكره مروان علىٰ أبي سعيد ليس بمنكر ، فقد ثبت من رواية ابن عباس؛ أن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم قال يوم الفتح : « لا هجرة ، ولكن جهاد ونية ، ولكن إذا استنفرتم فانفروا » . أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما(١٤) .

فالذي فسر به بعض الصحابة من جلساء عمر - رضي اللّه عنهم أجمعين - من أنه قد أمرنا إذا فتح اللّه علينا المدائن والحصون أن نحمد اللّه ونشكره ونسبحه ، يعني نصلي له ونستغفره معنى مليح صحيح ، وقد ثبت له شاهد من صلاة النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم يوم فتح مكة وقت الضحىٰ ثماني ركعات ، فقال قائلون : هي صلاة الضحىٰ . وأجيبوا بأنه لم يكن يواظب عليها ، فكيف صلاها ذلك اليوم وقد كان مسافرًا لم ينو الإقامة بمكة ؟ ولهذا أقام فيها إلىٰ آخر شهر رمضان قريبًا من [تسعة عشر][٣] يومًا يقصر الصلاة ويفطر هو وجميع الجيش ، وكانوا نحوًا من عشرة آلاف . قال هؤلاء : وإنما كانت صلاة الفتح ، قالوا : فيستحب لأمير الجيش إذا فتح بلدًا أن يصلي فيه أول ما يدخله ثماني ركعات . وهكذا فعل سعد بن أبي وقاص يوم فتح المدائن ، ثم قال بعضهم : يصليها كلها بتسليمة واحدة . والصحيح أنه يسلم من كل ركعتين ، كما ورد في سنن أبي داود(١٥) ، أن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم كان يسلم يوم الفتح من كل ركعتين . وأما ما فسر به ابن عباس وعمر رضي اللّه عنهما [ ][٤] أن هذه السورة نُعي فيها إلىٰ رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم نفسه الكريمة ، واعلم أنك إذا فتحت مكة - وهي : قريتك التي أخرجتك - ودخل الناس في دين اللّه أفواجًا ، فقد فرغ شغلنا[٥] بك[٦] في الدنيا ، فتهيأ للقدوم علينا والوفود إلينا ، فالآخرة خير لك من الدنيا ، ولسوف يعطيك ربك فترضىٰ ؛ ولهذا قال : ﴿ فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا ﴾ .

(١٤) تقدم تخريجه في آل عمران (٩٧) .

(١٥) سنن أبي داود في كتاب : الصلاة ، باب : صلاة الضحى حديث (١٢٩٠) (٢/٢٨) من حديث أم هانئ - رضي الله عنها - وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٢٨١) .

[١] - في ز ، خ : هارون .

[٢] - في ز : عراقبة .

[٣] - في ز : تسع عشرة .

[٤] - في ت : من .

[٥] - في ز : شغلكا . كذا . وفي خ : شغلك .

[٦] - سقط من خ .

قال النسائي(١٦) : أخبرنا عمرو بن منصور ، حدثنا محمد بن محبوب ، حدثنا أبو عوانة ، عن هلال بن خباب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ قال لما نزلت : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح ...**﴾ إلىٰ آخر السورة ، قال : نعيت لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم نفسه حين أنزلت ، فأخذ في أشد ما كان اجتهادًا في أمر الآخرة ، وقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بعد ذلك : « جاء الفتح ، وجاء نصر الله ، وجاء أهل اليمن » . فقال رجل : يا رسول الله ؛ وما أهل اليمن ؟ قال : « قوم رقيقة قلوبهم ، لينة قلوبهم ، الإيمان يمان[١] ، والحكمة يمانية ، والفقه يمان » .

وقال البخاري(١٧) : حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن أبي الضحىٰ ، عن مسروق ، عن عائشة ؛ قالت : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يكثر [أن يقول في ركوعه وسجوده : « سبحانك اللّهم ربنا وبحمدك ، اللّهم اغفر لي » - يتأول القرآن .

وأخرجه بقية الجماعة إلا الترمذي، من حديث منصور به .

وقال الإمام أحمد(١٨) : حدثنا محمد بن أبي عدي ، عن داود ، عن الشعبي ، عن مسروق ؛ قال : قالت عائشة : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يكثر][٢] في آخر أمره من قول : « سبحان الله وبحمده ، أستغفر الله وأتوب إليه » . وقال : « إن ربي كان أخبرني أني سأرىٰ علامة في أمتي ، وأمرني إذا رأيتها أن أسبح بحمده وأستغفره ، إنه كان توابًا ، فقد رأيتها : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجًا * فسبح بحمد ربك واستغفره * إنه كان توابًا** ﴾ » .

ورواه مسلم من طريق داود ، وهو ابن أبي هند به .

وقال ابن جرير(١٩) : حدثنا أبو السائب ، حدثنا حفص ، حدثنا عاصم ، عن الشعبي ، عن أم سلمة قالت : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ، ولا

(١٦) سنن النسائي الكبرى ، كتاب : التفسير ، باب : سورة النصر ، حديث (١١٧١٢) (٦/٥٢٥) .

(١٧) صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : سورة إذا جاء نصر الله والفتح ، حديث (٤٩٦٨) (٨/٧٣٣) . وأخرجه مسلم في كتاب : الصلاة ، باب : ما يقال في الركوع والسجود ، حديث (٤٨٤/٢١٧) (٤/٢٦٨) . وأبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : في الدعاء في الركوع والسجود (٢/١٩٠) كتاب : الافتتاح ، باب : نوع آخر من الذكر في الركوع . وابن ماجة في كتاب : الإقامة ، باب : التسبيح في الركوع والسجود ، حديث (٨٨٩) (١/٢٨٧) .

(١٨) مسند أحمد (٦/٣٥) (٢٤١٧٤) . ومسلم في كتاب : الصلاة ، باب : ما يقال في الركوع والسجود ، حديث (٤٨٤/٢٢٠) (٤/٢٧٠) .

(١٩) تفسير الطبري (٣٠/٣٣٥) .

[١] - سقط من ز . [٢] - ما بين المعكوفين سقط من خ .

يذهب ولا يجيء ، إلا قال : « سبحان اللّٰه وبحمده » . فقلت : يا رسول اللّٰه ، إنك تكثر من سبحان اللّٰه وبحمده ، لا تذهب ولا تجيء ، ولا تقوم ولا تقعد إلا قلت : « سبحان اللّٰه وبحمده » ؟ قال : « إني أمرت بها » ، فقال : ﴿ **إذا جاء نصر اللّٰه والفتح** ...﴾ إلىٰ آخر السورة. غريب ، وقد كتبنا حديث كفارة المجلس من جميع طرقه وألفاظه في جزء مفرد ، فيكتب هاهنا .

وقال الإمام أحمد(٢٠) : حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد اللّٰه؛ قال : لما نزلت علىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : ﴿ **إذا جاء نصر اللّٰه والفتح** ﴾ ، كان يكثر إذا قرأها - وركع - أن يقول : « سبحانك اللّٰهم ربنا وبحمدك ، اللّٰهم اغفر لي إنك أنت التواب الرحيم » . ثلاثًا. تفرد به أحمد . ورواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن عمرو بن مرة ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق به .

والمراد بالفتح هاهنا فتح مكة قولًا واحدًا ، فإن أحياء العرب كانت تتلوم بإسلامها فتح مكة ، يقولون : إن ظهر علىٰ قومه فهو نبي . فلما فتح اللّٰه عليه مكة دخلوا في دين اللّٰه أفواجًا ، فلم تمض سنتان حتىٰ استوسقت جزيرة العرب إيمانًا ، ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام ، وللّٰه الحمد والمنة .

وقد روىٰ البخاري(٢١) في صحيحه ، عن عمرو بن سلمة قال : لما كان الفتح بادر كل قوم بإسلامهم إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم، وكانت الأحياء تتلوم بإسلامها فتح مكة ، يقولون : دعوه وقومه ، فإن ظهر عليهم فهو نبي .. الحديث . وقد حررنا غزوة الفتح في كتابنا : « السيرة » ، فمن أراد[١] فليراجعه هناك ، وللّٰه الحمد والمنة .

وقال الإمام أحمد(٢٢) : حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا أبو إسحاق ، عن الأوزاعي ، حدثني أبو عمار ، حدثني جار لجابر بن عبد اللّٰه؛ قال : قدمت من سفر فجاءني جابر بن عبد اللّٰه ، فسلم عليّ ، فجعلت أحدثه عن افتراق الناس، وما أحدثوا فجعل جابر يبكي ، ثم قال : سمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم؛ يقول : « إن الناس دخلوا في دين اللّٰه أفواجًا ، وسيخرجون منه أفواجًا » .

[آخر تفسير سورة النصر ، وللّٰه الحمد]

(٢٠) مسند أحمد (٣٨٨/١) (٣٦٨٣) .

(٢١) صحيح البخاري ، كتاب : المغازي ، باب : (٥٣) ، حديث (٤٣٠٢) (٢٢/٨) .

(٢٢) مسند أحمد (٣٤٣/٣) (١٤٧٣٨) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٢٨٤/٧) : رواه أحمد وجابر - كذا قال ولعل الصواب جار جابر - لم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح . اهـ .

[١] - في ت : أراده .

[تفسير] سورة المسد[١]

[وهي مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥ ﴾

قال البخاري(١) : حدثنا محمد بن سلام ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن عمرو ابن مرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم خرج إلىٰ البطحاء ، فصعد الجبل فنادىٰ : « يا صباحاه ! » . فاجتمعت إليه قريش ، فقال[٢] : « أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم ، أكنتم تصدقوني ؟ » . قالوا : نعم . قال : « فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد » . فقال أبو لهب : ألهذا جمعتنا ؟ تبًا لك ! فأنزل الله : ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ... ﴾ إلىٰ آخرها .

وفي رواية(٢) : فقام ينفض يديه ، وهو يقول : تبًا لك سائر اليوم ! ألهذا جمعتنا ؟ فأنزل الله : ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ﴾ .

الأول دعاء عليه[٣] ، والثانىٰ خبر عنه ، فأبو لهب هذا هو أحد أعمام رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم واسمه : عبد العزىٰ بن عبد المطلب ، وكنيته أبو عتبة . وإنما سمي « أبا لهب » لإشراق وجهه ، وكان كثير الأذية لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم والبغضة له ، والازدراء به ، والتنقص له ولدينه .

قال الإمام أحمد(٣) : حدثنا إبراهيم بن العباس[٤] ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه قال : أخبرني رجل يقال له : ربيعة بن عباد ، من بني الديل ، وكان جاهليًا فأسلم ، قال :

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب ﴾ ، حديث (٤٩٧٢) (٨/٧٣٧) . وأطرافه في : [١٣٩٤ ، ٣٥٢٥ ، ٣٥٢٦ ، ٤٧٧٠ ، ٤٨٠١ ، ٤٩٧١ ، ٤٩٧٣] .

(٢) صحيح البخاري (٤٧٧٠) دون : فقام ينفض يديه .

(٣) المسند (٤/٣٤١) (١٩٠٥٨) .

---

[١] - في ز : تبت .

[٢] - في ز : قال .

[٣] - سقط من ز ، خ .

[٤] - في ز : أبي العباس .

رأيت النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول : « يا أيها الناس ؛ قولوا : لا إله إلا اللَّه . تفلحوا » . والناس مجتمعون[١] عليه ، ووراءه رجل وضيء الوجه أحول ذو غديرتين ، يقول : إنه صابئ كاذب ، يتبعه حيث ذهب ، فسألت عنه ؟ فقالوا : هذا عمّه أبو لهب .

ثم رواه عن سريج [٢] (٤)، عن ابن أبي الزناد ، عن أبيه ، فذكره . قال أبو الزناد : قلت لربيعة : كنت يومئذ صغيرًا ؟ قال : لا ، واللَّه إني يومئذ لأعقل أني أزفر[٣] القربة . تفرد به أحمد .

وقال محمد بن إسحاق(٥) : حدثني حسين بن عبد اللَّه بن عبيد اللَّه بن عباس ؛ قال : سمعت ربيعة بن عباد الديلي ؛ يقول : إنىٰ لمع أبي رجل شاب ، أنظر إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يتبع القبائل - ووراءه رجلٌ أحول وضيء ، ذو جمة - يقف رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم علىٰ القبيلة فيقول : « يا بني فلان ؛ إني رسول اللَّه إليكم ، آمركم أن تعبدوا اللَّه لا تشركوا به شيئًا ، وأن تصدقوني وتمنعوني حتىٰ أُنفِّذَ عن اللَّه ما بعثني به » . وإذا فرغ من مقالته قال الآخر من خلفه : يا بني فلان ؛ هذا يريد منكم أن تسلخوا اللات والعزىٰ وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن أقيش ، إلىٰ ما جاء به من البدعة والضلالة ، فلا تسمعوا له ولا تتبعوه . فقلت لأبي : من هذا ؟ قال : عمه أبو لهب . رواه أحمد أيضًا والطبراني بهذا اللفظ .

فقوله تعالىٰ : ﴿ **تبت يدا أبي لهب** ﴾ ، أي : خسرت وخابت ، وضل عمله وسعيه ، ﴿ **وتب** ﴾ ، أي : وقد تبَّ تحقق[٤] خسارته وهلاكه .

وقوله : ﴿**ما أغنىٰ عنه ماله وما كسب**﴾ قال ابن عباس وغيره : ﴿**وما كسب**﴾ يعني : ولده . وروي عن عائشة ومجاهد وعطاء والحسن وابن سيرين ، مثله .

وذكر عن ابن مسعود أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم لما دعا قومه إلىٰ الإيمان ، قال أبو لهب : إن كان ما يقول ابن أخي حقًّا ، فإني أفتدي نفسي يوم القيامة من العذاب بمالي وولدي . فأنزل اللَّه : ﴿ **ما أغنىٰ عنه ماله وما كسب** ﴾ .

وقوله : ﴿ **سيصلىٰ نارًا ذات لهب** ﴾ ، أي : ذات شرر ولهيب وإحراق شديد ، ﴿ **وامرأته حمالة الحطب** ﴾ ، و[٥] كانت زوجته من سادات نساء قريش ، وهي : أم جميل ،

(٤) مسند أحمد (٣٤١/٤ - ٣٤٢) (١٩٠٥٩) .

(٥) سيرة ابن هشام (٢٨٧/٢) بنحوه إلا أنه قال : سمعت ربيعة بن عباد يحدثه أبي قال : إني لغلام ... .

[١] - في ز ، خ : يجتمعون .
[٢] - في ز : شريح .
[٣] - في ز : أرفرف . وزفر الشيء : حمله .
[٤] - في خ : تحققت .
[٥] - سقط من ز .

واسمها أروىٰ بنت حرب بن أمية ، وهي أخت أبي سفيان ، وكانت عونًا لزوجها علىٰ كفره وجحوده وعناده ، فلهذا تكون يوم القيامة عونًا عليه في عذابه في نار جهنم ؛ ولهذا قال : ﴿ حمالة الحطب * في جيدها حبل من مسد ﴾ ، يعني : تحمل الحطب فتلقي علىٰ زوجها ، ليزداد علىٰ ما هو فيه ، وهي مهيأة لذلك مستعدة له .

﴿ في جيدها حبل من مسد ﴾ قال مجاهد وعروة : من مسد النار .

وعن مجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة ، والثوري ، والسدي : ﴿ حمالة الحطب ﴾ : كانت تمشي بالنميمة .

[وقال العوفي عن ابن عباس ، وعطية الجدلي ، والضحاك ، وابن زيد : كانت تضع الشوك في طريق رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم. واختاره ابن جرير] .

قال ابن جرير : وقيل : كانت تعير النبي صلىٰ الله عليه وسلم بالفقر ، وكانت تحتطب ، فعيرت[١] بذلك .

كذا حكاه ، ولم يعزه إلىٰ أحد . والصحيح الأول ، والله أعلم .

قال سعيد بن المسيب : كانت لها قلادة فاخرة ، [فقالت : لأنفقنها][٢] في عداوة محمد . يعني فأعقبها الله بها حبلًا في جيدها من مسد النار .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا وكيع ، عن سليم مولىٰ الشعبي ، عن الشعبي قال : المسد : الليف .

وقال عروة بن الزبير: المسد: سلسلة ذرعها سبعون ذراعًا. وعن الثوري: هي قلادة من نار، طولها سبعون ذراعًا.

وقال الجوهري : المسد : الليف . والمسد أيضًا : حبل من ليف أو خوص ، وقد يكون من جلود الإبل أو أوبارها ، ومسدت الحبل أمسده مسدًا : إذا أجدت فتله .

وقال مجاهد : ﴿ في جيدها حبل من مسد ﴾ ، أي : طوق من حديد ، ألا ترىٰ أن العرب يسمون البكرة مسدًا ؟ .

وقال ابن أبي حاتم (٦): حدثنا أبي وأبو زرعة؛ قالا : حدثنا عبد الله بن الزبير الحميدي ،

---

(٦) أخرجه الحميدي (١٥٣/١ - ١٥٤) (٣٢٣) . وأخرجه الحاكم (٣٦١/٢) وصححه ووافقه الذهبي . والبيهقي في الدلائل (١٩٥/٢ - ١٩٦) . كلهم من طريق سفيان بهذا الإسناد بنحوه .

---

[١] - في ز : فعثرت .

[٢] - في ز : قالت لأنفقها .

حدثنا سفيان ، حدثنا الوليد بن كثير ، عن ابن بدوس ، عن أسماء بنت أبي بكر؛ قالت : لما نزلت : ﴿ تبت يدا أبي لهب ﴾ ، أقبلت[١] العوراء أم جميل بنت حرب ، ولها ولولة ، وفي يدها فهر ، وهي تقول ، لعنها الله[٢] :

مُذَمَّمًا أبينَا

ودينَه قَلَيْنا

وَأَمْرَه عَصَيْنا

ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد ومعه أبو بكر ، فلما رآها أبو بكر قال : يا رسول الله ، قد أقبلت وأنا أخاف عليك أن تراك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنها لن تراني » . وقرأ قرآنًا اعتصم به ، كما قال تعالى : ﴿ **وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابًا مستورًا** ﴾ . فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر ولم تر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا أبا بكر ؛ إني[٣] أخبرت أن صاحبك هجاني ؟ قال : لا ، ورب هذا البيت ما هجاك . فولت وهي تقول : قد علمت قريش أني ابنة سيدها . قال : وقال الوليد في حديثه أو غيره : فعثرت أم جميل في مرطها وهي تطوف بالبيت [ ][٤] ، فقالت : تعس مذمم ! فقالت أم حكيم بنت عبد المطلب : إني لحصان فما[٥] أكلَّم ، وثقاف فما[٦] أعلم ، وكلنا من بني العم[٧] ، وقريش بعدُ أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر البزار(٧) : حدثنا إبراهيم بن سعيد ، وأحمد بن إسحاق ؛ قالا : حدثنا أبو أحمد ، حدثنا عبد السلام بن حرب ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ؛ قال : لما نزلت : ﴿ **تبت يدا أبي لهب** ﴾ [جاءت امرأة أبي لهب][٨] ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ، ومعه أبو بكر ، فقال له أبو بكر : لو تنحيت لا تؤذيك بشيء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنه سيحال بيني وبينها » . فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر ؛ فقالت : يا أبا بكر ، هجانا صاحبك . فقال أبو بكر : لا ، ورب هذه البنية ما نطق بالشعر ولا يتفوه به . فقالت : إنك لمصدق . فلما ولت قال أبو بكر رضي الله عنه : ما رأتك ؟! قال : « لا ، ما زال ملك يسترني حتى ولت » .

---

(٧) أخرجه البزار (٢/١٢١ - ١٢٢) (١٥٣٩ ، ١٥٤٠) .

---

[١] - في ز : أقبل .
[٢] - سقط من ت .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - في ز ، خ : في مرطها .
[٥] - في ت : مما .
[٦] - في ت : مما .
[٧] - في ز : الهم .
[٨] - سقط من خ .

ثم قال البزار : [لا نعلمه يروىٰ بأحسن من هذا الإسناد ، عن أبي بكر رضي الله عنه][١] .

وقد قال بعض أهل العلم في قوله تعالىٰ : ﴿ **في جيدها حبل من مسد** ﴾ ، أي : في عنقها حبل من نار، تُرفَع به إلىٰ شفيرها[٢] ، ثم يرمىٰ بها إلىٰ أسفلها ، ثم كذلك دائمًا .

قال أبو الخطاب بن دحية في كتابه التنوير - وقد روىٰ ذلك - : وعبر بالمسد عن حبل الدلو ، كما قال أبو حنيفة الدينوري في كتاب « النبات » : كل مسد : رشاء ، وأنشد في ذلك :

وَبَكْرَةً ومِحْوَرًا صِرَارًا وَمَسَدًا مِنْ أبق مُغَارًا

قال : والأبقُ : القنَّبُ .

وقال الآخر شعرًا[٣] :

يا مَسَدَ الخُوص[٤] تَعَوَّذْ مني [إنْ تَكُ][٥] لَدْنًا لَيِّنًا فإنّي
ما شئْتَ منْ أشْمَط مُقْسَئنّ[٦]

قال العلماء : وفي هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح علىٰ النبوة ، فإنه منذ نزل قوله تعالىٰ : ﴿ **سيصلىٰ نارًا ذات لهب * وامرأته حمالة الحطب * في جيدها حبل من مسد** ﴾ ، فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الإيمان ، لم يقيض لهما أن يؤمنا ولا واحد منهما ، لا ظاهرًا ولا باطنًا ، لا مسرًّا ولا معلنًا ، فكان هذا من أقوىٰ الأدلة الباهرة علىٰ النبوة الظاهرة .

[آخر تفسير سورة المسد ، ولله الحمد]

☆ ☆ ☆

---

[١] - في البزار : « وهذا أحسن الإسناد ويدخل في مسند أبي بكر » .

[٢] - في ز ، خ : سعيرها .

[٣] - سقط من ت .

[٤] - في ز : الحوض .

[٥] - في ز ، خ : إني بك .

[٦] - في ز : مكسئن .

[تفسير] سورة الإخلاص

[وهي مكية]

ذكر سبب نزولها وفضيلتها

قال الإمام أحمد(١) : حدثنا أبو سعد محمد بن مُيسَّر[١] الصاغاني ، حدثنا أبو جعفر الرازي ، حدثنا الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب ؛ أن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : يا محمد ؛ انسب لنا ربك . فأنزل الله : ﴿ **قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوًا أحد** ﴾ .

وكذا رواه الترمذي وابن جرير ، عن أحمد بن منيع ، زاد ابن جرير : ومحمود بن خداش ، عن أبي سعد محمد بن ميسر به ، زاد ابن جرير والترمذي ، قال : ﴿ **الصمد** ﴾ : الذي لم يلد ولم يولد ، لأنه ليس شيء يولد[٢] إلا سيموت ، وليس شيء يموت إلا سيورث ، وإن الله جل جلاله لا يموت ولا يورث ، ﴿ **ولم يكن له كفوًا أحد** ﴾ ولم يكن له شبه ولا عدل ، وليس كمثله شيء .

ورواه ابن أبي حاتم ، من[٣] حديث أبي سعد محمد بن ميسر به .

ثم رواه الترمذي(٢) عن عبد بن حميد ، عن عبيد الله بن موسى ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ... فذكره مرسلًا ، ولم يذكر (أُبيًا) . ثم قال الترمذي : وهذا أصح من حديث أبي[٤] سعد .

(حديث آخر في معناه) قال الحافظ أبو يعلى الموصلي(٣) : حدثنا [سريج بن يونس][٥] ، حدثنا إسماعيل بن مجالد ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن جابر ، أن أعرابيًا جاء إلى النبي

---

(١) مسند أحمد (١٣٣/٥ - ١٣٤) (٢١٢٩٩) . وأخرجه الترمذي في كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة الإخلاص حديث (٣٣٦١) (٨٦/٩) . والطبري (٣٤٦/٣٠) .

(٢) سنن الترمذي (٣٣٦٢) (٨٦/٩ - ٨٧) .

(٣) مسند أبي يعلى (٣٨/٤ - ٣٩) (٢٠٤٤) . وإسناده ضعيف ؛ لضعف مجالد بن سعيد . وأورده الهيثمي في المجمع (١٤٩/٧) وقال : فيه مجالد بن سعيد ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

---

[١] - في ز ، خ : مبشر . وكذا في الموضعين القادمين .

[٢] - في ز ، خ : بذلك .

[٣] - في ز : في .

[٤] - سقط من ز ، خ .

[٥] - ما بين المعكوفين في ز : « شريح ، حدثنا ابن يونس » .

صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقال : انسب لنا ربك . فأنزل اللّٰه عز وجل : ﴿ **قل هو اللّٰه أحد ...**﴾ إلىٰ آخرها . إسناده مقارب .

وقد رواه ابن جرير (٤) ، عن محمد بن عوف ، عن سريج[١] ، فذكره . وقد أرسله غير واحد من السلف .

وروىٰ عبيد[٢] بن إسحاق العطار ، عن قيس بن الربيع ، عن عاصم ، عن أبي وائل ، عن ابن مسعود ؛ قال : قالت قريش لرسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : انسب لنا ربك . فنزلت هذه السورة : ﴿ **قل هو اللّٰه أحد ...**﴾ (٥) .

قال الطبراني : رواه الفريابي وغيره ، عن قيس ، [عن][٣] عاصم ، عن أبي وائل ، مرسلًا .

ثم روىٰ الطبراني من حديث عبد الرحمن بن عثمان الطائفي ، عن الوازع بن نافع ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « لكل شيء نسبة ، ونسبة اللّٰه : قل هو اللّٰه أحد » .

(حديث آخر في فضلها) قال البخاري(٦) : حدثنا محمد - هو الذهلي - حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن وهب ، أخبرنا عمرو ، عن ابن أبي هلال ، أن أبا الرجال محمد بن عبد الرحمن حدثه ، عن أمه عمرة بنت عبد الرحمن - وكانت في حجر عائشة زوج النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - عن عائشة ؛ أن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بعث رجلًا علىٰ سرية ، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم ، فيختم بـ ﴿ **قل هو اللّٰه أحد** ﴾ فلما رجعوا ذكروا[٤] ذلك للنبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقال : « سلوه لأي شيء يصنع ذلك ؟ » فسألوه ، فقال : لأنها صفة الرحمن ، وأنا أحب أن أقرأ بها . فقال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « أخبروه أن اللّٰه تعالىٰ يحبه » .

هكذا رواه في كتاب « التوحيد » . ومنهم من يسقط ذكر « محمد الذهلي » ، ويجعله من

---

(٤) تفسير الطبري (٣٠/٣٤٣) .

(٥) أخرجه أبو الشيخ في « العظمة » (١/٣٧٥ - ٣٧٦) (٨٩) من طريق أبي داود عن قيس مرسلًا - ليس فيه ابن مسعود .

(٦) صحيح البخاري في كتاب : التوحيد ، باب : ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، حديث (٧٣٧٥) (١٣/٣٤٧) بإسقاط الذهلي من الإسناد . وأخرجه مسلم في كتاب : صلاة المسافرين، باب : فضل قراءة ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾، حديث (٨١٣/٢٦٣) (٦/١٣٨) . والنسائي (٢/ ١٧٠ - ١٧١) كتاب الافتتاح ، باب : الفضل في قراءة ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ .

---

[١] - في ز : شريح .
[٢] - في ز ، خ : عبد .
[٣] - في ز : بن . وفي باقي النسخ : عن أبي .
[٤] - سقط من ز .

روايته عن أحمد بن صالح ، وقد رواه مسلم والنسائي أيضًا من حديث عبد اللَّه بن وهب ، عن عمرو بن الحارث[١] ، عن سعيد بن أبي هلال به .

حديث آخر : قال البخاري في كتاب الصلاة(٧) : وقال عبيد[٢] اللَّه ، عن ثابت ، عن أنس؛ قال : كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء ، فكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به ، افتتح بـ ﴿ قل هو اللَّه أحد ﴾ حتىٰ يفرغ منها ، ثم يقرأ سورة أخرىٰ معها ، وكان يصنع ذلك في كل ركعة . فكلمه أصحابه فقالوا : إنك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترىٰ أنها تجزئك حتىٰ تقرأ بالأخرىٰ ، فإما أن [تقرأ بها][٣] ، وإما أن تدعها وتقرأ بأخرىٰ . فقال : ما أنا بتاركها ، إن أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلت ، وإن كرهتم تركتكم . وكانوا يرون أنه من أفضلهم ، وكرهوا أن يؤمهم غيره . فلما أتاهم النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم أخبروه الخبر فقال : « يا فلان؛ ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك ، وما حملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة ؟ » . قال : إني أحبها . قال : « حبك إياها أدخلك الجنة » .

هكذا رواه البخاري تعليقًا مجزومًا به . وقد رواه أبو عيسىٰ الترمذي في جامعه ، عن البخاري ، عن إسماعيل بن أبي أويس ، عن عبد العزيز بن محمد الدراوردي ، عن عبيد اللَّه بن عمر ... فذكر بإسناده مثله سواء ، ثم قال الترمذي : « غريب من حديث عبيد اللَّه ، عن ثابت » . قال : وروىٰ مبارك بن فضالة ، عن ثابت ، عن أنس أن رجلًا قال : يا رسول الله ؛ إني أحب هذه السورة ﴿قل هو الله أحد﴾ . قال : « إن[٤] حبك إياها أدخلك الجنة » .

وهذا الذي علقه الترمذي ، قد رواه الإمام أحمد في مسنده متصلًا ، فقال(٨) :

حدثنا أبو النضر ، حدثنا مبارك بن فضالة ، عن ثابت عن أنس؛ قال : جاء رجل إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم؛ فقال : إني أحب هذه السورة : ﴿ قل هو اللَّه أحد ﴾ . فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « حبك إياها أدخلك الجنة » .

(حديث في كونها تعدل ثلث القرآن) قال البخاري(٩) : حدثنا إسماعيل ، حدثني مالك ، عن عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة ، عن أبيه ، عن أبي سعيد ؛ أن

(٧) أخرجه البخاري تعليقًا في كتاب : الأذان ، باب : الجمع بين السورتين في الركعة ، حديث (٧٧٤ م) (٢٥٥/٢) . وأخرجه الترمذي في كتاب : ثواب القرآن ، باب : ما جاء في سورة الإخلاص ، حديث (٢٩٠٣) (١٠٩/٨ - ١١٠) .

(٨) مسند أحمد (١٤١/٣) (١٢٤٥٤) .

(٩) صحيح البخاري في كتاب : التوحيد ، باب : ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ، حديث (٧٣٧٤) (٣٤٧/١٣) .

[١] - في ز ، خ : أيوب .

[٢] - في ز ، خ : عبد .

[٣] - في خ : تقرأها .

[٤] - سقط من خ .

رجلًا سمع رجلًا يقرأ : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ، يرددها ، فلما أصبح جاء إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم فذكر[١] ذلك له ، وكأن الرجل يتقالُّها ، فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده ، إنها لتعدل ثلث القرآن » .

زاد إسماعيل بن جعفر(١٠) ، عن مالك ، عن عبد الرحمن بن عبد الله ، عن أبيه ، عن أبي سعيد ؛ قال : أخبرني أخي[٢] قتادة بن النعمان ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم .

وقد رواه البخاري(١١) أيضًا عن عبد الله بن يوسف ، والقعنبي . ورواه أبو داود عن القعنبي ، والنسائي عن قتيبة ، كلهم عن مالك به . وحديث قتادة بن النعمان أسنده النسائي(١٢) من طريقين ، عن إسماعيل بن جعفر ، عن مالك به .

(حديث آخر) قال البخاري(١٣) : حدثنا عمر[٣] بن حفص ، حدثنا أبي ، حدثنا الأعمش ، حدثنا إبراهيم ، والضحاك المشرقي ، عن أبي سعيد ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لأصحابه : « أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة ؟ » فشق ذلك عليهم وقالوا : أينا يطيق ذلك يا رسول الله ؟ فقال : « الله الواحد الصمد ثلث القرآن » .

تفرد بإخراجه البخاري من حديث إبراهيم بن يزيد النخعي ، والضحاك بن شرحبيل الهمداني المشرقي ، كلاهما[٤] عن أبي سعيد ، قال الفربري : سمعت أبا جعفر محمد بن أبي حاتم وراق[٥] أبي عبد الله ؛ قال : قال أبو عبد الله البخاري : عن إبراهيم ، مرسل ، وعن الضحاك ، مسند .

---

(١٠) صحيح البخاري في كتاب : فضائل القرآن ، باب : فضل ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ، حديث (٥٠١٣) (٩/٥٨ - ٥٩) .

(١١) صحيح البخاري ، كتاب : الأيمان والنذور ، باب : كيف كانت يمين النبي ﷺ ، حديث (٦٦٤٣) (١١/٥٣٥) . وأخرجه أبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : في سورة الصمد ، حديث (١٤٦١) (٢/ ٧٢). والنسائي (٢/١٧١) كتاب الافتتاح ، باب : الفضل في قراءة ﴿ قل هو الله أحد ﴾ .

(١٢) سنن النسائي ، الكبرى كتاب : فضائل القرآن ، باب : سورة الإخلاص ، حديث (٨٠٢٩) (٥/١٦ - ١٧) من طريق محمد بن جعفر عن إسماعيل بن جعفر . وأخرجه في كتاب : عمل اليوم والليلة ، باب : ما يستحب للإنسان أن يقرأ كل ليلة ، حديث (١٥٠٣٦) (٦/١٧٦) . من طريق إسماعيل بن إبراهيم عن إسماعيل بن جعفر .

(١٣) صحيح البخاري في كتاب : فضائل القرآن ، باب : فضل ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ، حديث (٥٠١٥) (٩/٥٩) .

---

[١] - في ز : ذكر .
[٢] - في ز : أبو .
[٣] - في خ : عمرو .
[٤] - في ت : كليهما .
[٥] - في ز ، خ : وراد .

(حديث آخر) : قال الإمام أحمد(١٤) : حدثنا يحيىٰ بن إسحاق ، حدثنا ابن لهيعة ، عن الحارث بن يزيد ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري؛ قال : بات قتادة بن النعمان يقرأ الليل كله بـ ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ ، فذكر ذلك للنبي صلىٰ الله عليه وسلم فقال : « **والذي نفسي بيده ، لتعدل نصف القرآن** ، أو : **ثلثه** » .

(حديث آخر[١]) : قال الإمام أحمد(١٥) : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا حيي ابن عبد الله ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي ، عن عبد الله بن عمرو ، أن أبا أيوب الأنصاري كان في مجلس وهو يقول : ألا يستطيع أحدكم أن يقوم بثلث القرآن كل ليلة ؟ فقالوا : وهل يستطيع ذلك أحد ؟ ! قال : فإن ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ ثلث القرآن . قال : فجاء النبي صلىٰ الله عليه وسلم وهو يسمع أبا أيوب ، فقال : «صدق أبو أيوب » .

(حديث آخر) : قال أبو عيسىٰ الترمذي(١٦) : حدثنا محمد بن بشار[٢] ، حدثنا يحيىٰ ابن سعيد ، حدثنا يزيد بن كيسان ، أخبرني أبو حازم ، عن أبي هريرة؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « احشدوا (*) ، فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن » . فحشد من حشد ، ثم خرج نبي الله صلىٰ الله عليه وسلم فقرأ : ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ ، ثم دخل ، فقال بعضنا لبعض : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن » ، إني لأرىٰ هذا خبرًا جاء من السماء ، ثم خرج نبي الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال : « إني قلت : سأقرأ عليكم ثلث القرآن ، ألا وإنها تعدل ثلث القرآن » .

وهكذا رواه مسلم في صحيحه ، عن محمد بن بشار به . وقال الترمذي : « حسن صحيح غريب ، واسم أبي حازم سلمان » .

(حديث آخر) : قال الإمام أحمد (١٧) : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن زائدة بن

---

(١٤) مسند أحمد (٣/١٥) (١١١٢٩) .

(١٥) مسند أحمد (٢/١٧٣) (٦٦١٣) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٧/١٥٠) : رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف .

(١٦) سنن الترمذي في كتاب : ثواب القرآن ، باب : ما جاء في سورة الإخلاص ، حديث (٢٩٠٢) (٨/١٠٨ - ١٠٩) . ومسلم في كتاب : صلاة المسافرين ، باب : فضل قراءة ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ ، حديث (٨٢١) (٦/١٣٧ - ١٣٨) من طريقين عن يحيى بن سعيد ليس فيهما محمد بن بشار ، وقد أورده المزي في تحفة الأشراف (١٠/٩٤) (١٣٤٤١) ولم يذكر محمد بن بشار .

(١٧) مسند أحمد (٥/٤١٨ - ٤١٩) (٢٣٦٦١) . والترمذي في كتاب : فضائل القرآن ، باب : ما جاء في سورة الإخلاص ، حديث (٢٨٩٩) (٥/١٥٣ - ١٥٤ - ط شاكر) . والنسائي (٢/١٧١ - ١٧٢) .

---

[١] - سقط من خ .

[٢] - في ز ، خ : يسار .

قدامة ، عن منصور ، عن هلال بن يساف ، عن الربيع بن خثيم ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ ، عن امرأة من الأنصار ، عن أبي أيوب ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة ؟ فإنه من قرأ : ﴿ **قل هو اللَّه أحد * اللَّه الصمد** ﴾ في ليلة ، فقد قرأ ليلتئذ ثلث القرآن » .

هذا حديث تساعيُّ الإسناد للإمام أحمد . ورواه الترمذي[١] والنسائي ، كلاهما عن محمد ابن بشار ، بندار ، زاد[٢] الترمذي : وقتيبة - كلاهما عن عبد الرحمن بن مهدي به[٣] . فصار لهما عشاريًا . وفي رواية الترمذي : عن امرأة أبي أيوب ، عن أبي أيوب به . ثم قال : وفي الباب عن أبي الدرداء ، وأبي سعيد ، وقتادة بن النعمان ، وأبي هريرة ، وأنس ، وابن عمر ، وأبي مسعود . وهذا حديث حسن ، ولا نعلم أحدًا روىٰ هذا الحديث أحسن من رواية « زائدة » . وتابعه علىٰ روايته إسرائيل ، والفضيل بن عياض . وقد روىٰ شعبة وغير واحد من الثقات هذا الحديث عن منصور ، واضطربوا فيه .

(حديث آخر) : قال أحمد(١٨) : حدثنا هشيم ، عن حصين ، عن هلال بن يساف ، عن عبد الرحمن ابن أبي ليلىٰ ، عن أبي بن كعب - أو : رجل من الأنصار - قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « من قرأ بـ ﴿ **قل هو اللَّه أحد** ﴾ فكأنما قرأ بثلث القرآن » .

ورواه النسائي في « اليوم والليلة » ، من حديث هشيم ، عن حصين ، عن ابن أبي ليلىٰ به . ولم يقع في روايته : هلال بن يساف .

(حديث آخر) : قال الإمام أحمد(١٩) : حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي قيس ، عن عمرو ابن ميمون ، عن أبي مسعود ؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « ﴿ **قل هو اللَّه أحد** ﴾ تعدل ثلث القرآن » .

وهكذا رواه ابن ماجة عن علي بن محمد الطنافسي ، عن وكيع به . ورواه النسائي في اليوم والليلة من طرق أخر ، عن عمرو بن ميمون ، مرفوعًا وموقوفًا .

---

(١٨) مسند أحمد (٥/١٤١) (٢١٣٥٤) . أخرجه النسائي في الكبرى في كتاب : عمل اليوم والليلة ، باب : ما يستحب للإنسان أن يقرأ كل ليلة ، حديث (١٠٥٢٢) (٦/١٧٤) .

(١٩) مسند أحمد (٤/١٢٢) (١٧١٥٧) . ورواه ابن ماجة في كتاب : الأدب ، باب : ثواب القرآن ، حديث (٣٧٨٩) (٢/١٢٤٥) . قال في الزوائد : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات ، وأبو قيس هو عبد الرحمن بن ثروان . وأخرجه النسائي في الكبرى في كتاب : عمل اليوم والليلة ، باب : ما يستحب للإنسان أن يقرأ كل ليلة ، حديث (١٠٥٢٤ - ١٠٥٢٨) .

---

[١] - سقط من ت .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - سقط من خ .

(حديث آخر) : قال الإمام أحمد(٢٠) : حدثنا بهز ، حدثنا بكير[١] بن أبي السميط ، حدثنا قتادة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن معدان بن أبي طلحة ، عن أبي الدرداء ؛ أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم؛ قال : « أيعجز أحدكم أن يقرأ كل يوم ثلث القرآن ؟ » . قالوا : نعم يا رسول اللَّه ، نحن أضعف من ذلك وأعجز . قال : « فإن اللَّه جزأ القرآن ثلاثة أجزاء ، فـ ﴿ **قل هو اللَّه أحد** ﴾ ثلث القرآن » . ورواه مسلم والنسائي من حديث قتادة به .

(حديث آخر) : قال الإمام أحمد(٢١) : حدثنا أمية بن خالد ، حدثنا محمد بن عبد اللَّه ابن مسلم ابن أخي ابن شهاب عن عمه [ ][٢]الزهري ، عن حميد بن عبد الرحمن - هو ابن عوف - عن أمه - وهي : أم كلثوم بنت عقبة[٣] بن أبي معيط - قالت : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « ﴿ **قل هو اللَّه أحد** ﴾ تعدل ثلث القرآن » .

وكذا رواه النسائي في « اليوم والليلة » ، عن عمرو بن عليّ ، عن أمية بن خالد به .

ثم رواه(٢٢) من طريق مالك ، عن الزهري ، عن حميد بن عبد الرحمن ، قوله .

ورواه النسائي(٢٣) أيضًا في « اليوم والليلة » من حديث محمد بن إسحاق ، عن الحارث بن الفضيل الأنصاري ، عن الزهري ، عن حميد بن عبد الرحمن ، أن نفرًا من أصحاب محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم حدثوه عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم؛ أنه قال : « ﴿ **قل هو اللَّه أحد** ﴾ تعدل ثلث القرآن لمن صلىٰ بها » .

(حديث آخر في كون قراءتها توجب الجنة) : قال الإمام مالك بن أنس(٢٤) ، عن عبيد اللَّه بن عبد الرحمن ، عن عبيد بن حنين[٤] ؛ قال : سمعت أبا هريرة ؛ يقول : أقبلت مع النبي

(٢٠) مسند أحمد (٤٤٧/٦) (٢٧٦٢٩) . ومسلم في كتاب : صلاة المسافرين ، باب : فضل قراءة ﴿ **قل هو اللَّه أحد** ﴾ ، حديث (٨١١/٢٥٩) (١٣٦/٦) . والنسائي في كتاب : عمل اليوم والليلة ، باب : « ما يستحب للإنسان أن يقرأ كل ليلة » حديث (١٠٥٣٧) (١٧٦/٦ - ١٧٧) .

(٢١) مسند أحمد (٤٠٤/٦) (٢٧٣٨٢) . والنسائي في الكبرى في : عمل اليوم والليلة ، باب : ما يستحب للإنسان أن يقرأ كل ليلة ، حديث (١٠٥٣١) (١٧٥/٦) .

(٢٢) سنن النسائي في الموضع السابق برقم (١٠٥٣٣) (١٧٥/٦ - ١٧٦) .

(٢٣) سنن النسائي أيضًا في الموضع السابق برقم (١٠٥٣٢) (١٧٥/٦) .

(٢٤) الموطأ كتاب : القرآن ، باب : ما جاء في قراءة ﴿ **قل هو اللَّه أحد** ﴾ و﴿ **تبارك الذي بيده الملك** ﴾ ، حديث (١٨) (١٨٣/١) . ومن طريقه الترمذي في كتاب : ثواب القرآن ، باب : ما جاء في سورة الإخلاص ، حديث (٢٨٩٩) (١٠٧/٨) . والنسائي في الكبرى في كتاب : عمل اليوم والليلة ، باب ، الفضل في قراءة ﴿ **قل هو اللَّه أحد** ﴾ ، حديث (١٠٥٣٨) (١٧٧/٦) .

[١] - في ز ، خ : بكر .
[٢] - في ز : عن .
[٣] - في ز : عتبة .
[٤] - في خ : حسين .

صلىٰ اللَّه عليه وسلم فسمع رجلًا يقرأ: ﴿قل هو الله أحد﴾ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « وجبت » قلت: وما وجبت؟ قال: « الجنة ».

ورواه الترمذي والنسائي، من حديث مالك. وقال الترمذي: « حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلا من حديث مالك ». وتقدم حديث(٢٥): « حبك إياها أدخلك[١] الجنة ».

(حديث في تكرار قراءتها): قال الحافظ أبو يعلىٰ الموصلي(٢٦): حدثنا قطن بن نُسير الغبري، حدثنا عُبيس بن ميمون القرشي، حدثنا يزيد الرقاشي، عن أنس قال: سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم؛ يقول: « أما يستطيع أحدكم أن يقرأ: ﴿قل هو اللَّه أحد﴾ ثلاث مرات في ليلة، فإنها تعدل ثلث القرآن؟ ».

هذا إسناد[٢] ضعيف، وأجود منه حديث آخر، قال عبد الله بن الإمام أحمد(٢٧):

حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي، حدثنا الضحاك بن مخلد، حدثنا ابن أبي ذئب، عن أسيد بن أبي أسيد، عن معاذ بن [عبد اللَّه بن خبيب][٣]، عن أبيه؛ قال: أصابنا عطش[٤] وظلمة، فانتظرنا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يصلي لنا، فخرج فأخذ بيدي، فقال: « قل ». فسكت، قال: « قل ». قلت: ما أقول؟ قال: « ﴿قل هو اللَّه أحد﴾ والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاثًا، تكفك كل يوم مرتين ».

ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث ابن أبي ذئب به.

وقال الترمذي: حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

وقد رواه النسائي(٢٨) من طريق أخرىٰ، عن معاذ بن عبد اللَّه بن خبيب[٥]، عن أبيه، عن عقبة بن عامر ... فذكره.

---

(٢٥) تقدم قريبًا.

(٢٦) أخرجه أبو يعلى (١٥٠/٧) (٤١١٨) إلا أن فيه عبيس بن ميمون القرشي بين يزيد وقطن. قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٥٠/٧): رواه أبو يعلى وفيه عبيس بن ميمون وهو متروك.

(٢٧) عبد الله بن أحمد في « زوائد المسند » (٣١٢/٥) (٢٢٧٦٧). وأبو داود في كتاب: الأدب، باب، ما يقول إذا أصبح، حديث (٥٠٨٢) (٣٢١/٤ - ٣٢٢). والترمذي في كتاب: الدعوات، باب: «دعاء يقال عند النوم»، حديث (٣٥٧٠) (٢١٦/٩). والنسائي (٢٥٠/٨) في أول كتاب الاستعاذة.

(٢٨) سنن النسائي (٢٥١/٨) في أول كتاب الاستعاذة، من طريق عبد الله ابن سليمان عن معاذ بنحوه.

---

[١] - في ز: أدخل.
[٢] - في ز: إسناده.
[٣] - في ز، خ: « عبد الرحمن بن حبيب ».
[٤] - في ت: طش.
[٥] - في ز: حبيب.

(حديث آخر في ذلك) قال الإمام أحمد(٢٩) : حدثنا إسحاق بن عيسىٰ ، حدثنا ليث بن سعد ، حدثني الخليل بن مرة ، عن الأزهر بن[١] عبد اللَّه ، عن تميم الداري؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « من قال : لا إله إلا اللَّه ، واحدًا أحدًا صمدًا ، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا ، ولم يكن له كفوًا أحد - عشر مرات - كتب له أربعون ألف ألف حسنة » . تفرد به أحمد ، والخليل بن مرة : ضعّفه البخاري وغيره بمرة[٢].

(حديث آخر) : قال أحمد(٣٠) أيضًا[٣] : حدثنا حسن بن موسىٰ ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا زبان[٤] بن فائد ، عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني ، عن أبيه ، عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « من قرأ ﴿ **قل هو اللَّه أحد** ﴾ حتىٰ يختمها - عشر مرات - بنىٰ اللَّه له قصرًا في الجنة » . فقال عمر : إذن نستكثر يا رسول اللَّه . فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « اللَّه أكثر وأطيب » . تفرد به أحمد .

ورواه أبو محمد الدارمي في مسنده(٣١) [ ][٥] فقال[٦] : حدثنا عبد اللَّه بن يزيد ، حدثنا حيوة ، حدثنا أبو [عقيل زهرة][٧] بن معبد - قال الدارمي : وكان من الأبدال - أنه سمع سعيد بن المسيب؛ يقول : إن نبي اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم؛ قال : « **من قرأ ﴿ قل هو اللَّه أحد ﴾ عشر مرات بنىٰ اللَّه له قصرًا في الجنة ، ومن قرأها عشرين مرة بنىٰ اللَّه له قصرين في الجنة ، ومن قرأها ثلاثين مرة بنىٰ اللَّه له ثلاثة قصور في الجنة** » . فقال عمر بن الخطاب : إذن لتكثر قصورنا . فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **اللَّه أوسع من ذلك** » . وهذا مرسل جيد .

(حديث آخر) : قال الحافظ أبو يعلىٰ : حدثنا نصر بن علي ، حدثني نوح بن قيس ، أخبرني محمد العطار ، أخبرتني أم كثير الأنصارية ، عن أنس بن مالك ، عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **من قرأ ﴿ قل هو اللَّه أحد ﴾ خمسين مرة ، غفرت له ذنوب خمسين سنة** » . إسناده ضعيف .

---

(٢٩) أخرجه أحمد (١٠٣/٤) .

(٣٠) أخرجه أحمد (٤٣٧/٣) (١٥٦٥٢) .

(٣١) أخرجه الدارمي في كتاب : فضائل القرآن ، باب : في فضل ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ ، حديث (٣٤٣٢) (٣٣٠/٢).

---

[١] - في ز : عن .
[٢] - في ز : سمرة .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ز ، خ : زياد .
[٥] - في ز ، خ : « إسناده ضعيف ، حاتم ابن ميمون ضعفه البخاري وغيره » . ومكانها في ت : في نهاية الفقرة بعد القادمة .
[٦] - سقط من ز ، خ .
[٧] - في ز ، خ : عبيد وغيره .

(حديث آخر) : قال أبو يعلىٰ [٣٢] : حدثنا أبو الربيع ، حدثنا حاتم بن ميمون ، حدثنا ثابت ، عن أنس؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **من قرأ في يوم ﴿ قل هو الله أحد ﴾ مائتي مرة كتب الله له ألفًا وخمسمائة حسنة ، إلا أن يكون عليه دين** » . [إسناده ضعيف ، حاتم ابن ميمون ضعفه البخاري وغيره] .

ورواه الترمذي[٣٣] ، عن محمد بن مرزوق البصري ، عن حاتم بن ميمون ، به ، ولفظه : « منْ قرأ كل يوم ، مائتي مرة ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ محي عنه ذنوب خمسين سنة ، إلا أن يكون عليه دين » .

قال الترمذي : وبهذا الإسناد عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم؛ قال : « من أراد أن ينام علىٰ فراشه ، فنام علىٰ يمينه ، ثم قرأ : ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ مائة مرة ، فإذا كان يوم القيامة يقول له الرب عز وجل : يا عبدي ؛ ادخل علىٰ يمينك الجنة » .

ثم قال : غريب من حديث ثابت ، وقد روي من غير هذا الوجه عنه .

وقال أبو بكر البزار : حدثنا سهل بن بحر ، حدثنا حبان بن أغلب ، حدثنا أبي ، حدثنا ثابت ، عن أنس؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « من قرأ ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ مائتي مرة حط الله عنه ذنوب مائتي سنة » .

ثم قال : لا نعلم رواه عن ثابت إلا الحسن بن أبي جعفر ، والأغلب بن تميم ، وهما متقاربان في سوء الحفظ .

(حديث آخر في الدعاء بما تضمنته من الأسماء) قال النسائي عند تفسيرها[٣٤] : حدثنا عبد الرحمن بن خالد ، حدثنا زيد بن الحباب ، حدثني مالك بن مغول ، حدثنا عبد الله بن بريدة ، عن أبيه ؛ أنه دخل مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم المسجد ، فإذا رجل يصلي ، يدعو يقول : اللَّهم ؛ إني أسألك بأني أشهد أن لا إله إلا أنت ، الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوًا أحد . قال : « **والذي نفسي بيده ، لقد سأله باسمه الأعظم ، الذي إذا سئل به أعطىٰ ، وإذا دعي به أجاب** » .

وقد أخرجه بقية أصحاب السنن من طرق ، عن مالك بن مغول ، عن عبد الله بن بريدة ،

(٣٢) أخرجه أبو يعلى (٦/١٠٣) (٣٣٦٥) .

(٣٣) سنن الترمذي ، كتاب : ثواب القرآن ، باب : ما جاء في سور القرآن ، حديث (٢٩٠٠) (٨/١٠٧) .

(٣٤) أخرجه النسائي في التفسير ، كما في تحفة الأشراف (٢/٩٠) (١٩٩٨) . وأخرجه أبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : الدعاء ، حديث (١٤٩٣ ، ١٤٩٤) . والترمذي في كتاب : الدعوات ، باب : ما جاء في جامع الدعوات عن رسول الله ﷺ ، حديث (٣٤٧١) (٩/١٥٤) . وابن ماجة في كتاب : الأدب ، باب : اسم الله الأعظم ، حديث (٣٨٥٧) (٢/١٢٦٧ - ١٢٦٨) .

عن أبيه به . وقال الترمذي : حسن غريب .

(حديث آخر في قراءتها عشر مرات بعد المكتوبة[١]) قال الحافظ أبو يعلىٰ (٣٥) : حدثنا عبد الأعلىٰ ، حدثنا بشر بن منصور ، عن عمر بن نبهان [٢] ، عن أبي شداد ، عن جابر بن عبد الله ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ثلاث من جاء بهن مع الإيمان دخل من أي أبواب الجنة شاء ، وزوج من الحور العين حيث شاء[٣] : من عفا عن قاتله[٤] ، وأدىٰ دينًا خفيًا[٥] ، وقرأ[٦] في دبر كل صلاة مكتوبة عشر مرات : ﴿ قل هو الله أحد ﴾** » . قال : فقال أبو بكر : أو إحداهن يا رسول الله ؟ قال : « **أو إحداهن** » .

(حديث في قراءتها عند دخول المنزل) قال الحافظ أبو القاسم الطبراني (٣٦) : حدثنا محمد ابن عبد الله بن بكر السراج العسكري ، حدثنا محمد بن الفرج ، حدثنا محمد بن الزبرقان ، عن مروان بن سالم ، عن أبي زرعة ، عن عمرو بن جرير ، عن جرير بن عبد الله ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « من قرأ ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ حين يدخل منزله ، نفت الفقر عن أهل ذلك المنزل والجيران » . إسناده ضعيف .

(حديث في الإكثار من قراءتها في سائر الأحوال) قال الحافظ أبو يعلىٰ (٣٧) : حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي ، حدثنا يزيد بن هارون ، عن العلاء أبي[٧] محمد الثقفي ؛ قال : سمعت أنس بن مالك ؛ يقول : كنا مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بتبوك ، فطلعت الشمس بضياء وشعاع ونور لم نرها طلعت فيما مضىٰ بمثله ، فأتىٰ جبريل النبي صلىٰ الله عليه وسلم فقال : « يا جبريل ؛ ما لي أرىٰ الشمس طلعت اليوم بضياء ونور وشعاع لم أرها طلعت[٨] فيما مضىٰ ؟ ! » . قال : إن ذلك معاوية بن معاوية الليثي ، مات بالمدينة اليوم ، فبعث الله إليه سبعين ألف ملك يصلون عليه . قال : « وفيم ذلك ؟ » قال : كان يكثر قراءة ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ في الليل والنهار ، وفي ممشاه وقيامه وقعوده ، فهل لك يا رسول الله أن أقبض لك الأرض فتصلي عليه ؟ قال : « نعم » . فصلىٰ عليه .

---

(٣٥) أخرجه أبو يعلى (٣/٣٣٢) (١٧٩٤) . قال الهيثمي في المجمع رواه أبو يعلى وفيه عمر بن نبهان وهو متروك .

(٣٦) معجم الطبراني الكبير (٢/٣٤٠) (٢٤١٩) .

(٣٧) أخرجه أبو يعلى (٧/٢٥٦ - ٢٥٧) (٤٢٦٧) .

---

[١] - في ز ، خ : المغرب .
[٢] - في ز : شيبان . والمثبت من أبي يعلى .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ز ، خ : قائمه . بلا نقط .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - سقط من خ .
[٧] - في خ : بن . وكذلك في أبي يعلى .
[٨] - بعده في ت : بمثله .

وكذا رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في دلائل النبوة(٣٨) ، من طريق يزيد بن هارون ، عن العلاء أبي[١] محمد وهو متهم بالوضع ، فالله أعلم .

(طريق أخرىٰ) قال أبو يعلىٰ (٣٩) : حدثنا محمد بن إبراهيم الشامي أبو عبد الله ، حدثنا عثمان ابن الهيثم - مؤذن مسجد الجامع بالبصرة عندي - عن محمود أبي عبد الله ، عن عطاء ابن أبي ميمونة ، عن أنس ؛ قال : نزل جبريل علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم فقال : مات معاوية بن معاوية الليثي ، فتحب أن تصلي عليه ؟ قال : « نعم » . فضرب بجناحه الأرض ، فلم تبق شجرة ولا أكمة إلا تضعضعت ، فرفع سريره فنظر إليه ، فكبر عليه وخلفه صفان من الملائكة ، في كل صف سبعون ألف ملك ، فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « يا جبريل ؛ بم نال هذه المنزلة من الله تعالىٰ ؟ » . قال : بحبه ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ وقراءته إياها ذاهبًا وجائيًا[٢] ، قائمًا وقاعدًا ، وعلىٰ كل حال .

ورواه البيهقي(٤٠) من رواية عثمان بن الهيثم المؤذن ، عن محبوب بن هلال ، عن عطاء بن أبي ميمونة ، عن أنس ... فذكره وهذا هو الصواب ، ومحبوب بن هلال قال أبو حاتم الرازي : ليس بالمشهور . وقد روي هذا من طرق أخر ، تركناها اختصارًا ، وكلها ضعيفة .

(حديث آخر في فضلها مع المعوذتين) قال الإمام أحمد (٤١) : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا معاذ بن رفاعة ، حدثني علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، عن عقبة بن عامر ؛ قال : لقيت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فابتدأته فأخذت بيده ، فقلت : يا رسول الله ؛ بم نجاة المؤمن ؟ قال : « يا عقبة ؛ أخرس لسانك وليسعك بيتك وابك علىٰ خطيئتك » . قال : ثم لقيني رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فابتدأني فأخذ بيدي ، فقال : « يا عقبة بن عامر ، ألا أعلمك خير ثلاث سور أنزلت في التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، والقرآن العظيم ؟ » قال : قلت : بلىٰ ، جعلني الله فداك . قال : فأقرأني ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ و ﴿ **قل أعوذ برب الفلق** ﴾ و ﴿ **قل أعوذ برب الناس** ﴾ . ثم قال : « **يا عقبة ؛ لا تنسهن ولا تبت**[٣] **ليلة حتىٰ تقرأهن** » . قال : فما نسيتهن منذ قال : « لا تنسهن » ، وما بت ليلة قط حتىٰ أقرأهن . قال عقبة : ثم لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتدأته ، فأخذت بيده فقلت : يا رسول الله ؛ أخبرني

---

(٣٨) « دلائل النبوة » (٢٤٥/٥) .

(٣٩) أخرجه أبو يعلى (٢٥٨/٧) (٤٢٦٨) .

(٤٠) « دلائل النبوة » (٢٤٦/٥) .

(٤١) أخرجه أحمد (١٤٧/٤) (١٧٣٨٢) . والترمذي في كتاب : الزهد ، باب : ما جاء في حفظ اللسان ، حديث (٢٤٠٨) (١٢٨/٧) .

---

[١] - في ز ، خ : بن .

[٢] - في ز : وجالسًا .

[٣] - في ز : تبيت .

بفواضل الأعمال . فقال : « يا عقبة ؛ صل من قطعك ، وأعط من حرمك ، وأعرض عمن ظلمك » .

روىٰ الترمذي بعضه في « الزهد » ، من حديث عبيد اللَّه بن زحر[١] ، عن علي بن يزيد وقال : هذا حديث حسن. وقد رواه أحمد من طريق آخر (٤٢) :

حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا ابن عياش ، عن أسيد بن عبد الرحمن الخثعمي ، عن فروة ابن مجاهد اللخمي ، عن عقبة بن عامر ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فذكر مثله سواء . تفرد به أحمد .

(حديث آخر في الاستشفاء بهن) قال البخاري(٤٣) : حدثنا قتيبة ، حدثنا المفضل ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة ؛ أن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم كان إذا أوىٰ إلىٰ فراشه كل ليلة جمع كفيه ، ثم نفث فيهما فقرأ فيهما ﴿ **قل هو اللَّه أحد** ﴾ و ﴿ **قل أعوذ برب الفلق** ﴾ و ﴿ **قل أعوذ برب الناس** ﴾ ، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما علىٰ رأسه ووجهه ، وما أقبل من جسده ، يفعل[٢] ذلك ثلاث مرات . وهكذا رواه أهل السنن، من حديث عقيل به .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾

قد تقدم ذكر سبب نزولها . وقال عكرمة : لما قالت اليهود : نحن نعبد عُزَيْر[٣] ابن اللَّه ،

---

(٤٢) مسند أحمد (١٥٨/٤) (١٧٥٠٠) .

(٤٣) صحيح البخاري في كتاب : فضائل القرآن ، باب : فضل المعوذات ، حديث (٥٠١٧) (٦٢/٩) . وأبو داود في كتاب : الأدب ، باب : ما يقال عند النوم ، حديث (٥٠٥٦) (٣١٣/٤) . والترمذي في كتاب : الدعوات ، باب : ما جاء فيما يقرأ من القرآن عند المنام ، حديث (٣٣٩٩) (١٠٩/٩) . والنسائي في الكبرى في كتاب : عمل اليوم والليلة ، باب : كم يقول ذلك ، حديث (١٠٦٢٤) (١٩٧/٦) . وابن ماجة في كتاب : الدعاء ، باب : ما يدعو به إذا أوى إلى فراشه ، حديث (٣٨٧٥) . وابن ماجه ذكر نفسه بالمعوذتين فقط .

---

[١] - في ز : أحر .
[٢] - في ز : ففعل .
[٣] - في ز : عزيرًا .

وقالت النصارىٰ : نحن نعبد المسيح ابن الله ، وقالت المجوس : نحن نعبد الشمس والقمر ، وقالت المشركون : نحن نعبد الأوثان ، أنزل الله علىٰ رسوله صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **قل : هو الله أحد** ﴾ .

يعني : هو الواحد الأحد ، الذي لا نظير له ولا وزير ، ولا نديد ولا شبيه ولا عديل ، ولا يطلق هذا اللفظ علىٰ[١] أحد في الإثبات إلا علىٰ الله - عز وجل - لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله .

وقوله : ﴿ **الله الصمد** ﴾ قال عكرمة عن ابن عباس : يعني الذي يصمد الخلائق إليه في حوائجهم ومسائلهم .

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : هو السيد الذي قد كمل في سؤدده ، والشريفُ الذي قد كمل [في شرفه ، والعظيمُ الذي قد كمل في عظمته ، والحليمُ الذي قد كمل في حلمه ، والعليمُ الذي قد كمل في][٢] علمه ، والحكيمُ الذي قد كمل في حكمته . وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد ، وهو الله سبحانه ، هذه صفته لا تنبغي إلا له ، ليس له كفء ، وليس كمثله شيء ، سبحان الله الواحد القهار .

وقال الأعمش عن شقيق[٣] ، عن أبي وائل : ﴿ **الصمد** ﴾ : السيد الذي قد انتهىٰ سؤدده ورواه عاصم ، عن أبي وائل ، عن ابن مسعود ، مثله .

وقال مالك عن زيد بن أسلم : ﴿ **الصمد** ﴾ : السيد . وقال الحسن وقتادة : هو الباقي بعد خلقه . وقال الحسن أيضًا : ﴿ **الصمد** ﴾ : الحيّ القيوم الذي لا زوال له . وقال عكرمة : ﴿ **الصمد** ﴾ : الذي لم يخرج منه شيء ولا يطعم[٤] .

وقال الربيع بن أنس : هو الذي لم يلد ولم يولد . كأنه جعل ما بعده تفسيرًا له ، وهو قوله : ﴿ **لم يلد ولم يولد** ﴾ . وهو تفسير جيد ، وقد تقدم الحديث من رواية ابن جرير ، عن أبي بن كعب في ذلك ، وهو صريح فيه .

وقال ابن مسعود وابن عباس ، وسعيد بن المسيب ، ومجاهد ، وعبد الله بن بريدة [٥] ، وعكرمة أيضًا ، وسعيد بن جبير ، وعطاء بن أبي رباح ، وعطية العوفي ، والضحاك ، والسدي: ﴿ **الصمد** ﴾ : الذي لا جوف له .

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - ما بين المعكوفين سقط من ز .

[٣] - في ز : سفيان .

[٤] - في ز : يطعه . كذا .

[٥] - في ز : يزيد .

قال سفيان عن منصور، عن مجاهد: ﴿الصمد﴾: المصمت الذي لا جوف له.

وقال الشعبي: هو الذي لا يأكل الطعام[١]، ولا يشرب الشراب.

وقال عبد الله بن بريدة[٢] أيضًا: ﴿الصمد﴾ نور يتلألأ.

روىٰ ذلك كله وحكاه ابن أبي حاتم، والبيهقي، والطبراني، وكذا أبو جعفر بن جرير ساق أكثر ذلك بأسانيده، وقال (٤٤):

حدثني العباس بن أبي طالب، حدثنا محمد بن عمرو بن رومي، عن عبيد الله بن سعيد قائد الأعمش، حدثني صالح بن حيان[٣]، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: لا أعلم إلا قد رفعه، قال: ﴿الصمد﴾: الذي لا جوف له.

وهذا غريب جدًا، والصحيح أنه موقوف علىٰ عبد الله بن بريدة.

وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني في كتاب السنة له، بعد إيراده كثيرًا من هذه الأقوال في تفسير ﴿الصمد﴾: وكل هذه صحيحة، وهي صفات ربنا - عز وجل - و[٤] هو الذي يصمد إليه في الحوائج، وهو الذي قد انتهى سؤدده، وهو الصمد الذي لا جوف له، ولا يأكل ولا يشرب، وهو الباقي بعد خلقه. وقال البيهقي نحو ذلك أيضًا[٥].

وقوله: ﴿لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد﴾ أي: ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة.

قال مجاهد: ﴿ولم يكن له كفوًا أحد﴾، يعني: لا صاحبة له.

وهذا كما قال تعالىٰ: ﴿بديع السماوات والأرض أنىٰ يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء﴾. أي هو مالك كل شيء وخالقه، فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه، أو قريب يدانيه، تعالىٰ وتقدس وتنزه، قال الله تعالىٰ: ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا * لقد جئتم شيئًا إدًا * تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًا * أن دعوا للرحمن ولدًا * وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدًا * إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدًا * لقد أحصاهم وعدهم عدًا * وكلهم آتيه يوم القيامة فردًا﴾. وقال تعالىٰ: ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا سبحانه بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم

(٤٤) تفسير الطبري (٣٠/٣٤٥).

[١] - سقط من ز.

[٢] - في ز: يزيد.

[٣] - في ز: حبان.

[٤] - سقط من ز.

[٥] - سقط من ت.

بأمره يعملون ﴾ . وقال تعالىٰ : **﴿ وجعلوا بينه وبين الجنة نسبًا ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون * سبحان الله عما يصفون ﴾** .

وفي الصحيح - صحيح البخاري[٤٥] - : **« لا أحد أصبر علىٰ أذى سمعه من الله ، إنهم يجعلون له ولدًا وهو يرزقهم ويعافيهم »** .

وقال البخاري [٤٦] : حدثنا أبو اليمان ، حدثنا شعيب ، حدثنا أبو الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - قال : **« قال الله عز وجل : كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياي فقوله : لن يعيدني كما بدأني . وليس أول الخلق بأهون علي من[١] إعادته . وأما شتمه إياي فقوله : اتخذ الله ولدًا . وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد »** .

ورواه أيضًا[٤٧] من حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام بن منبه ، عن أبي هريرة ، مرفوعًا بمثله . تفرد بهما من هذين الوجهين.

آخر تفسير سورة الإخلاص

☆ ☆ ☆

(٤٥) صحيح البخاري ، كتاب : الأدب ، باب : الصبر على الأذى ، حديث (٦٠٩٩) (٥١١/١٠) . ومسلم في كتاب : صفات المنافقين ، باب : لا أحد أصبر على أذى من الله - عز وجل - حديث (٢٨٠٤) (٢١٣/١٧) . كلاهما من حديث أبي موسى الأشعري .

(٤٦) صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : سورة **﴿ قل هو الله أحد ﴾** ، حديث (٤٩٧٤) (٨/ ٧٣٩) .

(٤٧) صحيح البخاري ، باب : قوله : **﴿ الله الصمد ﴾** ، حديث (٤٩٧٥).

[١] - في ز : حين .

[تفسير] سورتي المعوذتين

[وهما مدنيتان]

قال الإمام أحمد(١) : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا عاصم بن بهدلة ، عن زر بن حبيش؛ قال : قلت لأبي بن كعب : إن ابن مسعود كان[١] لا يكتب المعوذتين في مصحفه ؟ فقال : أشهد أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أخبرني أن جبريل - عليه السلام - قال له : ﴿ **قل أعوذ برب الفلق** ﴾ فقلتها ، قال : ﴿ **قل أعوذ برب الناس** ﴾ ، فقلتها . فنحن نقول ما قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم .

ورواه أبو بكر الحميدي في مسنده(٢) ، عن سفيان بن عيينة ، حدثنا عبدة بن أبي لبابة ، وعاصم بن بهدلة ، أنهما سمعا زر بن حبيش؛ قال : سألت أبي بن كعب عن المعوذتين ، فقلت : يا أبا المنذر ، إن أخاك ابن مسعود يحكهما[٢] من المصحف . فقال : إني سألت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؟ فقال[٣] : « قيل لي : قل ، فقلت » فنحن نقول كما قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم .

وقال أحمد (٣) : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن عاصم ، عن زر قال : سألت ابن مسعود عن المعوذتين .. فقال : سألت النبي صلىٰ الله عليه وسلم عنهما؟ فقال : « قيل لي ، فقلت لكم ، فقولوا » . قال أبي : فقال لنا النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، فنحن نقول .

وقال البخاري (٤) : حدثنا عليّ بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، حدثنا عبدة بن أبي لبابة ، عن زر بن حبيش - وحدثنا عاصم عن زر - قال : سألت أبي بن كعب فقلت : أبا المنذر ؛ إن أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا . فقال : إني سألت النبي صلىٰ الله عليه وسلم؟ فقال : « قيل لي، فقلت » . فنحن نقول كما قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم .

ورواه البخاري أيضًا والنسائي(٥) ، عن قتيبة ، عن سفيان بن عيينة ، عن عبدة ، وعاصم بن أبي النجود ، عن زر بن حبيش ، عن أبي بن كعب به .

---

(١) - المسند (١٢٩/٥) .
(٢) - مسند الحميدي (١٨٥/١) رقم (٣٧٤) .
(٣) - المسند (١٢٩/٥) . ورواه الطبراني في الكبير (١٣٢/١٠) رقم (١٠٢١١) .
(٤) - صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، رقم (٤٩٧٧) .
(٥) - صحيح البخاري ، كتاب التفسير (٤٩٧٦) . وأخرجه النسائي في كتاب التفسير من الكبرى .

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز : يحيكما . كذا بلا نقط .
[٣] - في ز : قال .

وقال الحافظ أبو يعلىٰ(٦) : حدثنا الأزرق بن عليّ ، حدثنا حسان بن إبراهيم ، حدثنا الصلت[١] ابن بهرام ، عن إبراهيم ، عن علقمة ؛ قال : كان عبد الله يحك المعوذتين من المصحف ، يقول : إنما أمر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أن يتعوذ بهما . ولم يكن عبد الله يقرأ بهما .

ورواه عبد الله بن أحمد(٧) من حديث الأعمش ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن بن يزيد ؛ قال : كان عبد الله يحك المعوذتين من مصاحفه ، ويقول : إنهما ليستا من كتاب الله . قال الأعمش : وحدثنا عاصم ، عن زر بن حبيش ، عن أبي بن كعب ؛ قال : سألنا عنهما رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؟ قال : « قيل لي ، فقلت » .

وهذا مشهور عند كثير من القراء والفقهاء ، أن ابن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه ، فلعله لم يسمعهما من النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، ولم يتواتر عنده ، ثم لعله[٢] قد رجع عن قوله ذلك إلىٰ قول الجماعة ، فإن الصحابة رضي الله عنهم كتبوهما[٣] في المصاحف الأئمة ، ونفذوها إلىٰ سائر الآفاق كذلك ، ولله الحمد والمنة .

وقد قال مسلم في صحيحه(٨) : حدثنا قتيبة ، حدثنا جرير ، عن بيان ، عن قيس بن أبي حازم ، عن عقبة بن عامر ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط : ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ ، و ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ » .

ورواه أحمد ، ومسلم أيضًا ، والترمذي ، والنسائي(٩) ، من حديث إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن عقبة به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

طريق أخرىٰ ، قال الإمام أحمد (١٠) : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا ابن جابر ، عن

(٦) - رواه الطبراني في الكبير (٩/٢٣٥) رقم (٩١٥٢) من طريق أبي يعلى ، عن عبد الله بن أحمد بن حنبل عن الأزرق به .

(٧) - زوائد المسند (٥/١٢٩، ١٣٠) . ورواه الطبراني في الكبير (٩/٢٣٥) رقم (٩١٥٠) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/١٥٢٩ ثم قال : رواه عبد الله بن أحمد والطبراني . ورجال عبد الله رجال الصحيح . ورجال الطبراني ثقات .

(٨) - صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين رقم (٨١٤) .

(٩) - صحيح مسلم رقم (٨١٤) كتاب صلاة المسافرين . ورواه أحمد في المسند (٤/١٥٢) . والترمذي رقم (٢٩٠٢) كتاب فضائل القرآن . والنسائي في الكبرى - كتاب فضائل القرآن - .

(١٠) - المسند (٤/١٤٤) .

[١] - في ز : أصلت .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - في ز : كتبوها .

القاسم أبي عبد الرحمن ، عن عقبة بن عامر؛ قال : بينا أنا أقود برسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم في نقب من[١] تلك النقاب ، إذ قال لي : « يا عقبة ، ألا تركب ؟ » [قال : فأجللت رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم أن أركب مركبه . ثم قال : «يا عُقَيبُ ، ألا تركب ؟ » قال][٢] : فأشفقت أن تكون معصية ، قال : فنزل رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم وركبت هنيهة ، ثم ركب ، ثم قال : « [يا عُقيب][٣] ، ألا أعلمك سورتين من خير سورتين قرأ بهما الناس ؟ » . قلت : بلىٰ يا رسول اللّه ؛ فأقرأني : ﴿ **قل أعوذ برب الفلق** ﴾ ، و ﴿ **قل أعوذ برب الناس** ﴾ . ثم أقيمت الصلاة ، فتقدم رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم فقرأ بهما ، ثم مر بي فقال : « كيف رأيت يا عقيب[٤] ؛ اقرأ بهما كلما نمت وكلما قمت » .

ورواه النسائي[٥] من حديث الوليد بن مسلم(١١) وعبد اللّه بن المبارك (١٢) ، كلاهما[٦] عن ابن جابر به[٧] . ورواه أبو داود والنسائي أيضًا (١٣) ، من حديث ابن وهب ، عن معاوية[٨] بن صالح ، عن العلاء بن الحارث ، عن القاسم بن[٩] عبد الرحمن ، عن عقبة به .

(طريق أخرىٰ) قال أحمد(١٤) : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا سعيد بن أبي أيوب ، حدثني يزيد بن عبد العزيز الرعيني ، وأبو مرحوم ، عن يزيد بن محمد القرشي ، عن علي بن رباح ، عن عقبة بن عامر؛ قال : أمرني رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم أن أقرأ بالمعوذات في دبر كل صلاة .

ورواه أبو داود والترمذي والنسائي (١٥) ، من طرق ، عن علي بن رباح ، وقال الترمذي : غريب .

---

(١١) - السنن (٢٥٣/٨) كتاب الاستعاذة .
(١٢) - « عمل اليوم والليلة » رقم (٨٨٩) .
(١٣) - سنن أبي داود رقم (١٤٦٢) كتاب الصلاة . والنسائي (٢٥٢/٨، ٢٥٣) كتاب الاستعاذة .
(١٤) - المسند (١٥٥/٤) .
(١٥) - سنن أبي داود رقم (١٥٢٣) كتاب الصلاة . والنسائي (٦٨/٣) كتاب السهو . والترمذي رقم (٢٠٩٣) كتاب فضائل القرآن .

---

[١] - في خ : في .
[٢] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ ، والمثبت من المسند .
[٣] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : « عقب » .
[٤] - في ز : عقب .
[٥] - في ز ، خ : الترمذي .
[٦] - في ت : كليهما .
[٧] - سقط من خ .
[٨] - في ز ، خ : معن .
[٩] - في ز : « بن أبي » .

(طريق أخرىٰ) قال أحمد(١٦) : حدثنا يحيىٰ[١] بن إسحاق ، حدثنا ابن لهيعة ، عن مشرح ابن هاعان ، عن عقبة بن عامر؛ قال : قال لي[٢] رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « اقرأ بالمعوذتين ، فإنك لن تقرأ بمثلهما » . تفرد به أحمد .

(طريق أخرىٰ) قال أحمد(١٧) : حدثنا حيوة بن شريح ، حدثنا بقية ، حدثنا بحير بن سعد ، عن خالد بن معدان ، عن جبير بن نفير[٣] ، عن عقبة بن عامر أنه قال : إن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أهديت له بغلة شهباء ، فركبها ، فأخذ عقبة يقودها له ، فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، لعقبة[٤] : « اقرأ ﴿ **قل أعوذ برب الفلق** ﴾ » . فأعادها له حتىٰ قرأها ، فعرف أني لم أفرح بها جدًّا ، فقال : « لعلك تهاونت[٥] بها ؟ فما قمت تصلي بشيء مثلها ».

ورواه النسائي(١٨) عن عمرو بن عثمان ، عن بقية به . ورواه النسائي أيضًا من حديث الثوري ، عن معاوية بن صالح ، عن عبد الرحمن [بن جبير][٦] بن نفير ، عن أبيه ، عن عقبة ابن عامر ؛ أنه سأل رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم عن المعوذتين ، فذكر نحوه .

(طريق أخرىٰ) قال النسائي(١٩) : أخبرنا محمد بن عبد الأعلىٰ ، حدثنا المعتمر ، سمعت النعمان ، عن زياد أبي الأسد ، عن عقبة بن عامر؛ أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم؛ قال : « إن الناس لم يتعوذوا بمثل هذين : ﴿ **قل أعوذ برب الفلق** ﴾ ، و ﴿ **قل أعوذ برب الناس** ﴾ » .

(طريق أخرىٰ) قال النسائي(٢٠) : أخبرنا قتيبة ، حدثنا الليث ، عن ابن عجلان ، عن سعيد المقبري[٧] ، عن عقبة بن عامر؛ قال : كنت أمشي مع رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم

---

(١٦) - المسند (١٤٦/٤) وفيه ابن لهيعة ضعيف ، ومشرح قال الذهبي في الميزان (١١٧/٤) يروي عن عقبة مناكير لا يتابع عليها ، فالصواب ترك ما انفرد به . اهـ .

(١٧) - المسند (١٤٩/٤) .

(١٨) - أخرجه النسائي (٢٥٢/٨) كتاب الاستعاذة .

(١٩) - أخرجه النسائي (١٥٨/٢) كتاب الاستفتاح .

(٢٠) - أخرجه النسائي (٢٥٣/٨، ٢٥٤) كتاب الاستعاذة .

---

[١] - في ز ، خ : محمد .

[٢] - سقط من خ .

[٣] - في ز ، خ : سفيان .

[٤] - سقط من ت .

[٥] - في ز ، خ : تهازيت .

[٦] - سقط من ز ، خ .

[٧] - في ز : المقري .

فقال : « يا عقبة ؛ قل » . قلت : ماذا أقول ؟ فسكت عني ، ثم قال : « قل » . قلت : ماذا أقول يا رسول اللّه ؟ ! [فسكت عني ، فقلت : اللّهم ، أردده علي . فقال : « يا عقبة ؛ قل » . قلت : ماذا أقول يا رسول اللّه ؟ ! فقال : « ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ » ، فقرأتها حتىٰ أتيت علىٰ آخرها ، ثم قال : « قل » . قلت : ماذا أقول يا رسول اللّه ؟][١] قال : « ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ » ، فقرأتها حتىٰ[٢] أتيت علىٰ آخرها ، ثم قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم عند ذلك : « ما سأل سائل بمثلهما[٣] ، ولا استعاذ مستعيذ بمثلهما[٤] » .

(طريق أخرىٰ) قال النسائي(٢١) : أخبرنا محمد بن بشار[٥] ، حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا معاوية ، عن العلاء بن الحارث ، عن مكحول ، عن عقبة بن عامر ؛ أن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم قرأ بهما في صلاة الصبح .

(طريق أخرىٰ) قال النسائي(٢٢) : أخبرنا قتيبة ، حدثنا الليث ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي عمران أسلم ، عن عقبة بن عامر؛ قال : اتبعت رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم وهو راكب ، فوضعت يدي علىٰ قدمه فقلت : أقرئني سورة هود أو سورة يوسف . فقال : « لن تقرأ شيئًا أنفع عند الله من ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ .

(حديث آخر) قال النسائي(٢٣) : أخبرنا محمود بن خالد ، حدثنا الوليد ، حدثنا أبو عمرو الأوزاعي ، عن يحيىٰ بن أبي كثير ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن أبي عبد[٦] اللّه ، عن ابن عائش[٧] الجهني ؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : « يا بن عائش[٨] ؛ ألا أدلك - أو : ألا أخبرك - بأفضل ما يتعوذ به المتعوذون ؟ » قال : بلىٰ ، يا رسول اللّه . قال : ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ ، و ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ هاتان السورتان » .

فهذه طرق عن عقبة كالمتواترة عنه ، تفيد القطع عند كثير من المحققين في الحديث .

وقد تقدم في رواية صدي بن عجلان (٢٤) ، وفروة بن مجاهد (٢٥) ، عنه : « ألا أعلمك

(٢١) - أخرجه النسائي (٢٥٢/٨) كتاب الستعاذة .
(٢٢) - أخرجه النسائي (١٥٨/٢) كتاب الافتتاح .
(٢٣) - أخرجه النسائي (٢٥١/٨، ٢٥٢) كتاب الاسعاذة .
(٢٤) - أخرجه أحمد في المسند (١٤٨/٤) من حديث أبي أمامة الباهلي .
(٢٥) - أخرجه أحمد في المسند (١٥٨/٤) من حديث فروة بن مجاهد بن عقبة .

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .
[٢] - في خ : ثم .
[٣] - في ز : بمثلها .
[٤] - في ز : بمثلها .
[٥] - في ز : يسار .
[٦] - في ز ، خ : عبيد .
[٧] - في ز ، خ : عباس .
[٨] - في ز ، خ : عباس .

ثلاث سور لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلهن ؟ ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ و ﴿ **قل أعوذ برب الفلق** ﴾ و ﴿ **قل أعوذ برب الناس** ﴾ » .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد (٢٦) : حدثنا إسماعيل ، حدثنا الجريري ، عن أبي العلاء ؛ قال : قال رجل : كنا مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في سفر ، والناس يعتقبون ، وفي الظهر قلة ، فحانت نزلة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ونزلتي ، فلحقني فضرب [من بعدي منكبي][١] ، فقال : « ﴿ **قل أعوذ برب الفلق** ﴾ » [فقلت : أعوذ برب الفلق][٢] ، فقرأها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وقرأتها[٣] معه ، ثم قال : « ﴿ **قل أعوذ برب الناس** ﴾ » ، فقرأها رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - وقرأتها معه ، فقال : « إذا صليت فاقرأ بهما » . و[٤] الظاهر أن[٥] هذا الرجل هو عقبة بن عامر ، والله أعلم .

ورواه النسائي(٢٧) عن يعقوب بن إبراهيم ، عن ابن علية به .

حديث آخر ، قال النسائي(٢٨) : أخبرنا محمد بن المثنىٰ ، حدثنا محمد بن جعفر ، عن عبد الله ابن سعيد ، حدثني يزيد بن رومان[٦] ، عن عقبة بن عامر ، عن عبد الله الأسلمي - هو ابن أنيس - أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وضع يده علىٰ صدره ثم قال : « قل » . فلم أدر ما أقول ، ثم قال لي : « قل » . قلت : هو الله أحد . ثم قال لي : « قل » . قلت : أعوذ برب الفلق . من شر ما خلق ، حتىٰ فرغت منها . ثم قال لي : « قل » . قلت : أعوذ برب الناس ، حتىٰ فرغت منها . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « هكذا فتعوذ ، ما تعوذ المتعوذون بمثلهن قط » .

حديث آخر قال النسائي (٢٩) : أخبرنا عمرو بن علي أبو حفص ، حدثنا بدل ، حدثنا شداد ابن سعيد أبو طلحة ، عن سعيد الجريري ، حدثنا أبو نضرة ، عن جابر بن عبد الله ؛ قال : قال لي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « اقرأ يا جابر » . قلت : وما أقرأ بأبي أنت وأمي؟ قال : « اقرأ : ﴿ **قل أعوذ برب الفلق** ﴾ ، و ﴿ **قل أعوذ برب الناس** ﴾ » . فقرأتهما ، فقال : « اقرأ بهما ، ولن تقرأ بمثلهما » .

---

(٢٦) - المسند (٧٩/٥) وصحح السيوطي إسناده في الدر المنثور (٧١٤/٦) .

(٢٧) - عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧١٤/٦) لأحمد وابن الضريس ولم يعزه للنسائي ، فالله أعلم .

(٢٨) - النسائي في الكبرى (٤٣٩/٤) كتاب الاستعاذة . رقم (٧٨٤٥) .

(٢٩) - النسائي (٢٥٤/٨) كتاب الاستعاذة .

---

[١] - في ز ، خ : صلبي .

[٢] - سقط من ت .

[٣] - في ت : فقرأتها .

[٤] - سقط من ز .

[٥] - سقط من ز .

[٦] - بياض في ز . وفي خ : هارون .

وتقدم حديث عائشة أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم كان يقرأ بهن ، وينفث في كفيه ، ويمسح بهما رأسه ووجهه ، وما أقبل[١] من جسده .

وقال الإمام مالك(٣٠) عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة ؛ أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم كان إذا اشتكىٰ يقرأ علىٰ نفسه بالمعوذتين . وينفث ، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده عليه رجاء بركتها .

ورواه البخاري(٣١) عن عبد اللَّه بن يوسف ، ومسلم عن يحيىٰ بن يحيىٰ ، وأبو داود عن القعنبي ، والنسائي عن قتيبة ، ومن حديث ابن القاسم ، وعيسىٰ بن يونس ، وابن ماجة من حديث معن ، وبشر بن عمر ، ثمانيتهم عن مالك به .

وتقدم في آخر سورة : ﴿ ن ﴾ ، من حديث أبي نضرة ، عن أبي سعيد : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم كان يتعوذ من أعين الجان[٢] وعين الإنسان ، فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما ، وترك ما سواهما . رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة ، وقال الترمذي : « حديث حسن » .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن عصام ، حدثنا أبو أحمد الزبيري ، حدثنا حسن بن صالح ، عن عبد اللَّه بن محمد بن عقيل ، عن جابر قال : ﴿ الفلق ﴾ : الصبح .

وقال العوفي : عن ابن عباس : ﴿ الفلق ﴾ : الصبح . وروي عن مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعبد اللَّه بن محمد بن عقيل ، والحسن ، وقتادة ، ومحمد بن كعب القرظي ، وابن

(٣٠) - أخرجه مالك في الموطأ رقم (١٠) كتاب العين .

(٣١) - صحيح البخاري رقم (٥٠١٦) كتاب فضائل القرآن . وأخرجه مسلم رقم (٢١٩٢) كتاب السلام . وأخرجه أبو داود رقم (٣٩٠٢) كتاب الطب . و النسائي في الكبرى - كتاب الطب والتفسير ، وأخرجه أيضًا في اليوم والليلة رقم (١٠٠٩) . وأخرجه ابن ماجة رقم (٣٥٢٩) كتاب الطب .

[١] - في ز : أقل .

[٢] - في ز : الجنان . بلا نقط .

زيد ، ومالك عن[١] زيد بن أسلم - مثل هذا .

قال القرظي ، وابن زيد ، وابن جرير(٣٢) : وهي كقوله تعالى : ﴿فالق الإصباح﴾ .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : ﴿ الفلق ﴾ : الخلق . وكذا قال الضحاك : أمر الله نبيه أن يتعوذ من الخلق كله .

وقال كعب الأحبار : ﴿ الفلق ﴾ : بيت في جهنم ، إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره ، ورواه ابن أبي حاتم ، ثم قال :

حدثنا أبي ، حدثنا سهيل بن عثمان ، عن رجل سماه ، عن السدّي ، عن زيد بن علي ، عن آبائه أنهم قالوا : ﴿الفلق﴾ : جب في قعر جهنم ، عليه غطاء ، فإذا كشف عنه خرجت منه نار تصيح منه جهنم ، من شدة حر ما يخرج منه .

وكذا روي عن عمرو بن عَبَسَةَ[٢] ، [ ][٣] والسدي ، وغيرهم .

وقد ورد في ذلك حديثٌ مرفوع منكر ، فقال ابن جرير(٣٣) :

حدثني إسحاق بن وهب الواسطي ، حدثنا مسعود بن موسى بن مشكان الواسطي ، حدثنا نصر بن خزيمة الخراساني ، عن شعيب بن صفوان ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن أبي هُريرة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « الفلق جُبٌّ في جهنم مغطى » . إسناده غريب ولا يصح رفعه .

وقال أبو عبد الرحمن الحبلي : ﴿الفلق﴾ : من أسماء جهنم .

قال ابن جرير(٣٤) : والصواب القول الأول ، أنه فلق الصبح . وهذا هو الصحيح ، وهو اختيار البخاري - رحمه الله - في صحيحه .

وقوله : ﴿من شر ما خلق﴾ ، أي : من شر جميع المخلوقات .

وقال ثابت البناني ، والحسن البصري : جهنم وإبليس وذريته[٤] مما خلق .

---

(٣٢) - سنن الترمذي رقم (٢٠٥٨) كتاب الطب . والنسائي (٢٧١/٨) كتاب الاستعاذة . وابن ماجة رقم (٣٥١١) كتاب الطب . وصحح الألباني إسناده كما في تعليقه على أحاديث المشكاة رقم (٤٥٦٣) .

(٣٣) - تفسير الطبري (٢٢٥/٣٠) .

(٣٤) - تفسير الطبري (٢٢٥/٣٠) .

---

[١] - في ز : بن .

[٢] - في ز ، خ : عنبسة .

[٣] - في ز ، خ : وابن عباس .

[٤] - في ز ، خ : وورثته .

﴿ومن شر غاسق إذا وقب﴾، قال مجاهد: غاسقُ الليل إذا وقب غُروبُ الشمس.

حكاه البخاري عنه (٣٥) ورواه ابن أبي نجيح، عنه.

وكذا قال ابن عباس، ومحمد بن كعب القرظي، والضحاك، وخُصَيف، والحسن، وقتادة: إنه الليل إذا أقبل بظلامه.

وقال الزهري: ﴿ومن شر غاسق إذا وقب﴾: الشمس إذا غربت. وعن عطية وقتادة: إذا وقب الليل: إذا ذهب. وقال أبو المهزم، عن أبي هريرة: ﴿ومن شر غاسق إذا وقب﴾ كوكب. وقال ابن زيد: كانت العرب تقول: الغاسق سقوط الثريا، وكان الأسقام والطواعين تكثر عند وقوعها، وترتفع عند طلوعها.

قال ابن جرير(٣٦): ولهؤلاء من الأثر ما حدثني نصر بن علي، حدثني بكار بن عبد الله - ابن أخي همام - حدثنا محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه، عن أبي سلمة، عن أبي هُرَيرة، عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: ﴿ومن شر غاسق إذا وقب﴾، قال: «النجم الغاسق».

قلت: وهذا الحديث لا يصح رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

قال ابن جرير(٣٧): وقال آخرون: هو القمر.

قلت: وعمدة أصحاب هذا القول ما رواه الإمام أحمد(٣٨):

حدثنا أبو داود الحَفَري، عن ابن أبي ذئب، عن الحارث عن[١] أبي سلمة قال: قالت عائشة رضي الله عنها: أخذ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بيدي فأراني القمر حين طلع، وقال: «تعوذي بالله من شر هذا الغاسق إذا وقب».

ورواه الترمذي والنسائي(٣٩)، في كتاب[٢] التفسير من سننيهما، من حديث محمد بن عبد الرحمن ابن أبي ذئب، عن خاله الحارث بن عبد الرحمن، به. وقال الترمذي: «حسن

(٣٥) - صحيح البخاري (٨/٦١٣ - فتح).
(٣٦) - تفسير الطبري (٣٠/٢٢٧).
(٣٧) - تفسير الطبري (٣٠/٢٢٧).
(٣٨) - المسند (٦/٦١).
(٣٩) - سنن الترمذي رقم (٣٣٦٦) كتاب التفسير، وأخرجه النسائي في الكبرى (٦/٨٣) كتاب عمل اليوم والليلة رقم (١٠١٣٧).

[١] - في ز: بن.
[٢] - في ت: كتابي.

صحيح».

ولفظه: «تعوّذي بالله من شر[١] هذا، فإن هذا الغاسق إذا وقب». ولفظ النسائي: «تعوذي بالله من شر هذا، هذا الغاسق إذا وقب».

قال أصحاب القول الأول، وهو أنه[٢] الليل إذا ولج: هذا لا ينافي قولنا، لأن القمر آيةُ الليل، ولا يوجد له سلطان إلا فيه، وكذلك النجوم لا تضيء إلا في الليل، فهو يرجع إلى ما قلناه. والله أعلم.

وقوله: ﴿ومن شر النفاثات في العقد﴾، قال مجاهد، وعكرمة، والحسن، وقتادة والضحاك: يعني السواحر- قال مجاهد: إذا رقين[٣] ونفثن في العقد.

وقال ابن جرير(٤٠) : حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا ابن ثور[٤] ، عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه قال: ما من شيء أقرب إلى[٥] الشرك من رقية الحية والمجانين.

وفي الحديث الآخر(٤١) أن جبريل جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم- فقال: اشتكيت[٦] يا محمد؟ فقال: «نعم»،فقال: باسم الله أرقيك، من كل داء يؤذيك، ومن شر كل حاسد وعين، الله يشفيك.

ولعل هذا كان من شكواه -عليه السلام- حين سحر، ثم عافاه الله تعالى وشفاه، وردّ كيد السحَرَة الحسّاد من اليهود في رءوسهم، وجعل تدميرهم في تدبيرهم، وفضحهم ولكن مع هذا لم يعاتبه رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يومًا من الدهر، بل كفى الله وشفى وعافى.

وقال الإمام أحمد(٤٢) : حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن يزيد بن حَيَّان، عن زيد بن أرقم قال: سحر النبي -صلى الله عليه وسلم- رجلٌ من اليهود، فاشتكى لذلك أيامًا، قال: فجاءه جبريل فقال: إن رجلًا من اليهود سحرك، عقد لك عُقَدًا في بئر كذا وكذا، فأرسل إليها من يجيء بها. فبعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- [عليًا، رضي الله تعالى

(٤٠) - تفسير ابن جرير (٢٢٧/٣٠).

(٤١) - المسند (٢٨/٣، ٥٦). ورواه الترمذي رقم (٩٧٢) كتاب الجنائز. وابن ماجة رقم (٣٥٢٣) كتاب الطب. وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٤٢) - المسند (٣٦٧/٤).

[١] - سقط من خ.

[٢] - في ز: آية.

[٣] - في ز: رقن.

[٤] - في ز: مرو.

[٥] - في ت: من.

[٦] - في ز: شكيت.

عنه][١] فاستخرجها، فجاء بها فحللَّها، قال: فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كأنما نَشط من عقال، فما ذكر ذلك [لليهودي ولا رآه في وجهه قط حتى][٢] مات.

ورواه النسائي(٤٣) عن هَنّاد، عن أبي معاوية محمد بن خَازم الضرير.

وقال البخاري في «كتاب الطب» من صحيحه(٤٤): حدثنا عبد الله بن محمد قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: أول من حدثنا به ابن جريج[٣]، يقول: حدثني آل[٤] عُروة، عن عروة، فسألت هشامًا عنه، فحدثَنا عن أبيه، عن عائشة قالت: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سُحِر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن - قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر، إذا كان كذا - فقال: «يا عائشة، أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيتُه فيه؟ أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للآخر: ما بال الرجل؟ قال: مطبوب(٤٥). قال: ومن طَبَّه؟ قال: لبيد بن أعصم - رجل من بني زُريق حَليف ليهُودَ، كان منافقًا - قال: وفيم؟ قال: في مُشط ومُشاقة(٤٦) قال: وأين؟ قال: في جُفّ طَلْعَة ذكر(٤٧) تحت رعوفة(٤٨) في بئر ذَرْوَان. قالت: [فأتى النبي - صلى الله عليه وسلم -][٥] البئر حتى استخرجه فقال: «هذه البئرُ التي أريتُها، وكأن ماءها نُقَّاعة الحنَّاء، وكأن نخلها رءوس الشياطين». قال: فاستُخرجَ قالت[٦]: فقلت: أفلا؟ أي[٧]: تَنَشَّرتَ[٨] (٤٩)؟ فقال: «أمَّا الله فقد شفاني، وأكره أن أثير على أحد من الناس شرًّا».

---

(٤٣) - سنن النسائي (١١٢/٧) كتاب التحريم.

(٤٤) - صحيح البخاري رقم (٥٧٦٥) كتاب الطب.

(٤٥) - مطبوب: أي مسحور.

(٤٦) - قوله: في مشط ومشاطة: المشاطة ما يخرج من الشعر إذا مشط.

(٤٧) - قوله: جف طلعة ذكر: هو الغشاء الذي يكون على طلع النخل ويطلق على الذكر والانثى فلهذا قيده هنا بالذكر.

(٤٨) - الراعوفة: حجر يوضع على رأس البئر لا يستطاع قلعه، يقوم عليه المستسقي.

(٤٩) - أفلا تنشرت: إما أن يكون من النشرة، وإما أن يكون بمعنى الإخراج، أي فهلا أخرجته. فتح الباري رقم (٥٧٦٣) كتاب الطب.

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز، خ.

[٢] - ما بين المعكوفين في ز: «اليهودي ولا وأبى وجهه حتى».

[٣] - في خ: جرير.

[٤] - في ز: إلى. كذا.

[٥] - سقط من ز.

[٦] - سقط من ز، خ.

[٧] - في ز: أتى.

[٨] - في ز: انتشرت.

وأسنده من حديث عيسى بن يونس، وأبي ضمرة أنس بن عياض، وأبي أسامة، ويحيى القطان وفيه: «قالت: حتى كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله».

وعنده «فأمر بالبئر فدفنت».

وذكر أنه رواه عن هشام أيضًا ابنُ أبي[١] الزّناد والليث بن سعد.

وقد رواه مسلم(٥٠)، من حديث أبي أسامة حماد بن أسامة وعبد الله بن نمير[٢] [ورواه أحمد عن عفان، عن وهب، عن هشام به(٥١)].

ورواه الإمام أحمد (٥٢) أيضًا عن إبراهيم بن خالد [عن رباح][٣] عن معمر، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة قالت: لبث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ستة أشهر يُرَى أنه يأتي ولا يأتي، فأتاه ملكان، فجلس أحدهما عند رأسه، والآخر عند رجليه، فقال أحدهما للآخر: ما باله؟ قال: مطبوب. قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم، وذكر تمام الحديث.

وقال الأستاذ المفسر الثعلبي في تفسيره: قال ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما: كان غلام من اليهود يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم- فدبَّت إليه اليهود، فلم يزالوا به حتى أخذ مُشَاطة رأس النبي -صلى الله عليه وسلم- وعدّة أسنان من مُشطه، فأعطاها اليهود، فسحروه فيها.

وكان الذي تولى ذلك رجل منهم- يقال له: لبيد[٤] بن أعصم- ثم دسها في بئر لبني زُريق، يقال لها[٥]: ذَرْوان، فمرض رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وانتثر شعر رأسه، ولبث ستة أشهر يُرَى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن، وجعل يَذُوب ولا يدري ما عراه. فبينما هو نائم إذ أتاه ملكان فَقَعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه، فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه: ما بال الرجل؟ قال: طُبَّ. قال: وما طُبّ؟ قال: سُحر. قال: ومن سحره؟ قال: لبيد ابن أعصم اليهودي. قال: وبم طَبّه؟ قال: بمشط ومشاطة. قال: وأين هو؟ قال: في جُفّ طلعة تحت راعوفة[٦] في بئر ذَرْوان- والجف: قشر الطلع. والراعوفة[٧]: حجر في أسفل البئر

(٥٠) - صحيح مسلم رقم (٢١٨٩) كتاب السلام.
(٥١) - المسند (٩٦/٦).
(٥٢) - المسند (٦٣/٦).

[١] - سقط من ت.
[٢] - في ز: بحير.
[٣] - سقط من ز، خ.
[٤] - سقط من ت.
[٥] - سقط من ز.
[٦] - في ز: راعونة.
[٧] - في ز: وراعونة.

ناتئ[١] يقوم عليه الماتح[٢] (٥٣) - فانتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم- مذعورًا، وقال: «يا عائشة، أما شعرت أن الله أخبرني بدائي؟». ثم بعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عليًا والزبير وعمار بن ياسر، فنزحوا ماء البئر كأنه نُقَاعة الحناء، ثم رفعوا الصخرة، وأخرجوا الجفّ فإذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مشطه، وإذا فيه وتر[٣] معقود» فيه اثنتا[٤] عشرة عقدة مغروزة بالإبر. فأنزل الله تعالى السورتين، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة، ووجد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خفة حين انحلّت العقدة الأخيرة، فقام كأنما نَشط من عقال، وجعل جبريل -عليه السلام- يقول: باسم الله أرقيك، من كل شر[٥] يؤذيك، من حاسد وعين الله يشفيك. فقالوا: يا رسول الله، أفلا نأخذ الخبيث نقتله؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: «أما أنا فقد شفاني الله، وأكره أن يثير على الناس شرًا».

هكذا أورده بلا إسناد، وفيه غرابة، وفي بعضه نكارة شديدة، ولبعضه شواهد مما تقدم، والله أعلم.

☆ ☆ ☆

---

(٥٣) - الماتح: الذي يشرب الماء من البئر.

---

[١] - في ز، خ: ثابت.

[٢] - في خ: المالح.

[٣] - في ز، خ: دين.

[٤] - في ز: اثني.

[٥] - في خ: شيء.

تفسير سورة الناس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾

هذه الصفات[١] من صفات الرب -عز وجل- الربوبية، والملك، والإلهية. فهو رب كل شيء ومليكه وإلهه، فجميع الأشياء مخلوقة[٢] له. مملوكة عبيد له، فأمر المستعيذ أن يتعوذ بالمتصف بهذه الصفات، من شر الوسواس الخناس، وهو الشيطان الموكل بالإنسان، فإنه ما من أحد من بني آدم إلا وله قرين يُزيّن له الفواحش، ولا يألوه جهدًا في الخبال. والمعصوم من عَصَم الله.

وقد ثبت في الصحيح أنه [ﷺ قال] : «ما منكم[٣] من أحد إلا قد وُكل به قرينهُ». قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: «نعم إلا أن الله أعانني عليه، فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير»(٥٤).

وثبت في الصحيح(٥٥)، عن أنس في قصة زيارة صفية للنبيّ -صلى الله عليه وسلم- وهو معتكف، وخروجه معها ليلًا ليردها إلى منزلها، فلقيه رجلان من الأنصار، فلما رأيا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أسرعا، فقال رسول الله: «على رسلكما، إنها صفية بنت حُيي».

فقالا: سبحان الله! يا رسول الله. فقال: «إن الشيطان يجري من بن آدم مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئًا. أو قال: شرًا».

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي(٥٦): حدثنا محمد بن بحر، حدثنا عدي بن أبي عمارة،

(٥٤) - صحيح مسلم رقم (٢٨١٤) كتاب صفات المنافقين.

(٥٥) - صحيح البخاري رقم (٦٢١٩) كتاب الأدب. ومسلم رقم (٢١٧٥) كتاب السلام.

(٥٦) - مسند أبي يعلى في مسنده (٧/٢٧٨، ٢٧٩) رقم (٤٣٠١). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/١٥٢) ثم قال: رواه ابو يعلى وفيه عدي بن أبي عمارة وهو ضعيف. اهـ. قلت: وفيه أيضًا زيادة النميري ضعيف.

[١] - في خ: ثلاث صفة.

[٢] - سقط من خ.

[٣] - بعده في ز: له.

حدثنا زياد النّميري، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم، فإن ذكر خَنَس، وإن نسي التقم قلبه، فذلك الوسواس الخناس». غريب.

وقال الإمام أحمد(٥٧): حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عاصم، سمعت أبا تميمة[١] يُحدّث عن رَديف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: عثر بالنبي صلى الله عليه وسلم حمارُه، فقلت: تَعس الشيطان! فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «لا تقل: تعس الشيطان، فإنك إذا قلت: تعس الشيطان، تعاظم، وقال. بقوتي صرعته. وإذا قلت: باسم الله، تصاغر حتى يصير مثل الذباب».

تفرد به أحمد، إسناده جيد قوي، وفيه دلالة على أن القلب متى ذكر الله تصاغر الشيطان وغُلِب، وإن لم يذكر الله تعاظم وغلب.

وقال الإمام أحمد(٥٨): حدثنا أبو بكر الحنفي، حدثنا الضحاك بن عثمان، عن سَعيد المقبري، عن أبي هُريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم-: «إن أحدكم إذا كان في المسجد، جاءه الشيطان فأبَس[٢] (٥٩) به كما يُبَسُّ[٣] الرجل بدابته، فإذا سكن له زنقه(٦٠) - أو: ألجمه» - قال أبو هُريرة: وأنتم ترون ذلك، أما المزنوق فتراه مائلًا - كذا - لا يذكر الله، وأما الملجم ففاتح فاه لا يذكر الله عز وجل. تفرد به أحمد.

وقال سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله: ﴿الوسواس الخناس﴾، قال الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله خَنَس. وكذا قال مجاهد، وقتادة.

وقال المعتمر بن سليمان، عن أبيه: ذُكرَ لي أن الشيطان، أو الوسواس ينفث في قلب [ابن آدم][٤]عند الحزن وعند الفرح، فإذا ذكر الله خنس.

وقال العوفي عن ابن عباس في قوله: ﴿الوسواس﴾، قال: هو الشيطان يأمر، فإذا أطيع خنس.

---

(٥٧) - المسند (٥/٥٩). وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/١٣٤، ١٣٥) وقال: رواه أحمد بأسانيد. ورجالها كلها رجال الصحيح.

(٥٨) - المسند (٢/٣٣٠). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: رجال امد رجال الصحيح.

(٥٩) - أبس به: أي قُهر وغلب.

(٦٠) - زنقه: أي ضيق عليه.

---

[١] - في خ: تميم. [٢] - في خ: فأنس.

[٣] - في خ: ينس. [٤] - في خ: الإنسان.

وقوله: ﴿الذي يوسوس في صدور الناس﴾، هل يختص هذا ببني آدم - كما هو الظاهر - أو يعمّ بني آدم والجن؟ فيه قولان، ويكونون قد دخلوا في لفظ الناس تغليبًا.

وقال ابن جرير: وقد استعمل فيهم ﴿رِجَالٌ مِنَ الجِنِّ﴾ فلا بدع في إطلاق الناس عليهم.

وقوله: ﴿من الجنة والناس﴾، هل هو تفصيل لقوله ﴿الذى يوسوس في صدور الناس﴾، ثم بينهم فقال: ﴿من الجنة والناس﴾. وهذا يقوي القول الثاني.

وقيل: قوله: ﴿من الجنة والناس﴾، تفسير للذي يُوسوس في صدور الناس من شياطين الإنس والجن، كما قال تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا﴾، وكما قال الإمام أحمد(٦١):

حدثنا وكيع، حدثنا المسعودي، حدثنا أبو عُمر الدمشقي، حدثنا عبيد بن الخشخاش، عن أبي ذر قال: أتيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو في المسجد، فجلست، فقال: «يا أبا ذر، هل صليت؟». قلت: لا. قال: «قم فصل». قال: فقمت فصليت، ثم جلست فقال: «يا أبا ذر، تعوذ بالله من شر[١] شياطين الإنس والجن».

قال[٢]: قلت: يا رسول الله، وللإنس شياطين؟ قال: «نعم». قال: قلت: يا رسول الله، الصلاة؟ قال: «خير موضوع، من شاء أقل، ومن شاء أكثر». قلت: يا رسول الله. فالصوم؟ قال: «فرض مجزئ[٣]، وعند الله مزيد[٤]».

قلت: يا رسول الله، فالصدقة؟ قال: «أضعاف مضاعفة». قلت: يا رسول الله، فأيها[٥] أفضل؟ فقال[٦]: «جُهد من مُقل، أو سرّ إلى فقير». قلت: يا رسول الله، أي الأنبياء كان أول؟ قال: «آدم». قلت: يا رسول الله، ونبي[٧] كان؟ قال: «نعم، نبي مكلم[٨]». قلت: يا رسول الله، كم المرسلون؟ قال: «ثلاثمائة وبضعة عشر، جمًّا غفيرًا». وقال مرة: «خمسة عشر» - قلت: يا رسول الله، أيما أنزل عليك أعظم؟ قال: «آية الكرسي: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾.

ورواه النسائي(٦٢)، من حديث أبي عمر الدمشقي، به. وقد أخرج هذا الحديث مطولًا جدًّا

(٦١) - المسند (١٧٨/٥) وأخرجه أيضًا (١٧٩/٥) من طريق يزيد عن السعودي به.

(٦٢) - سنن النسائي مقتصرًا على ذكر الاستعاذة فقط (٣١٦/٨) كتاب الاستعاذة.

[١] - سقط من خ.

[٢] - سقط من ز.

[٣] - في خ: يجزئ.

[٤] - في ز، خ: يزيد.

[٥] - في خ: أيها.

[٦] - في ت: قال.

[٧] - في ز: ومتى.

[٨] - في ز: تكلم.

أبو حاتم بن حبان في صحيحه[٦٣] ، بطريق آخر ، ولفظ آخر مطول جدًّا ، فالله أعلم .

وقال الإمام أحمد[٦٤] : حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن ذَرّ بن عبد الله الهَمْداني ، عن عبد الله بن شداد ، عن ابن عباس قال : جاء رجل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله ؛ إني أحدث نفسي بالشيء لأن أخر من السماء أحب إلى من أن أتكلم به . قال : فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « الله أكبر الله أكبر ، الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة » .

ورواه أبو داود والنسائي[٦٥] ، من حديث منصور - زاد النسائي : والأعمش - كلاهما عن ذر ، به .

آخر التفسير ، ولله الحمد والمنة

☆ ☆ ☆

(٦٣) - الإحسان (٢/٧٦) رقم (٣٦١٠) . وأبو نعيم في الحلية (١/١٦٦- ١٦٨) . وفيه إبراهيم بن هشام ابن يحيى الغساني الدمشقي . قال أبو حاتم : كذاب كما في الجرح والتعديل (٢/١٤٢٩) وقال ابن الجوزي : قال أبو زرعة : كذاب كما في ميزان الاعتدال (١/٧٣٩) وقال الذهبي عنه أيضًا : إبراهيم بن هشام : أحد المتروكين الذين مشاهم ابن حبان فلم يصب . الميزان (٤/٣٧٨) .

(٦٤) - المسند (١/٢٣٥) .

(٦٥) - سنن أبي داود رقم (٥١١٢) كتاب الادب . والنسائي في اليوم والليلة رقم (٦٦٨، ٦٦٩) .

خاتمة ناسخ المخطوطة « ز »

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين. ورضي الله عن الصحابة أجمعين. حسبنا الله ونعم الوكيل. وكان الفراغ منه في العاشر من جمادى الأولى [ ][1] سنة خمس وعشرين وثمانمائة. والحمد لله وحده.

الحمد لله الذي رفع السماء بغيرِ عمادٍ ، وبسط الأرض وثبتها بالأطواد ، ومنح معرفته ومحبته من شاء من العباد ، وأقام لدينه أولياء ينصرونه ويقومون به ، وجعل منهم النجباء والأقطاب والأوتاد ، وأعلى منار الدين بالعلماء العاملين ، وأوضح بهم طرق الرشاد ، وقمع بهم أهل الزيغ والأهواء والبدع والفساد ، وثبت لهم دينهم بالنقل عن نبيهم بصحيح الإسناد ، ونفى عنهم التدليس والشذوذ والانفراد .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لاشريك له ، المتعالى عن الشركاء والنظراء والأنداد ، المنزه عن الحلول والاتحاد والإلحاد .

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، وحبيبه وخليله ، سيدُ العباد ، صلى الله عليه وعلى آله النجباء الأنجاد ، وصحابته السادة الأبرار الأمجاد ، صلاة تدوم وتقوم ما قامت السموات والأرض بأمره ، وقابل البياض السواد .

وبعد ، فقد أمرني السيد الجليل ، من وصل الله له جناح الصنيع الجميل ، وواصل عليه السول ، وأوصل إليه المأمول ، وعمَّر بحبه ربوع أنسي ، وأمطر بفيضه ربيع نفسي ، مولانا وسيدنا العبد الفقير إلى الله - سبحانه - الآمل الراجي عفوه الكريم وإحسانه ، قاضي القضاة ، حاكم الحكام ، نجم الدين حجة الإسلام والمسلمين ، سيد العلماء في العالمين ، بهاء الملة ، لسان الشريعة ، عز السنة ، حصن الأمة ، خطيب الخطباء ، إمام البلغاء ، غرة الزمان ، ناصر الإيمان ، شيخ الشيوخ العارفين - أبو حفص عمر - ابن سيدنا ومولانا العبد الفقير إلى الله - تعالى - الشيخ الإمام العلامة ، والحبر الفهامة ، قدوة العلماء العاملين ، أبي محمد حجي السعدي الشافعي - أمر - أعلى الله أمره ، وأسنى[2] قدره ، من لا يتقلب إلا في طاعته ، ولا يتصرف إلا في مرضاته - أن يُكتَبَ برسم خزانته [3] تفسير الشيخ[4] الإمام العالم الكبير ، العلامة عماد الدين ابن كثير - رحمه الله وأرضاه ، وجعل بحبوحة الجنة مقره ومثواه . فامتثلت أمره بالسمع والطاعة ، وعددت هذا الأمر من أنفس البضاعة ، مع أني في الكتابة قليل الصناعة . فكتبت قدر ما قدرت عليه ، ووصلت إليه ، فإن صادفت قبولًا وبلغت مأمولًا ، فيكون سعدي سعيدًا ، ويقع سهمي سديدًا ...

فَإن وقَفَتْ بي قُدْرَتي دُونَ همتي فمبلغُ علمي والمعاذيرُ تُقْبَلُ

قد جَمَعت هذه الخزانةُ الشريفةُ أشتات العلوم على الإطلاق ، من رام مثلها فهو مُقَصر عن روم أسباب اللحاق ، خصوصًا إذ كان بها هذا التفسير الذي مادته سنن المصطفى المنبه على جوامع ما يزداد اللبيب بها بصيرة في علمه النافع ؛ إذ كان ﷺ قد أوتي جوامع الكلام ، وعلِّم فصل الخطاب . فلم يسمع الناس كلامًا أعم نفعًا ، ولا أقصر لفظًا ، ولا أعدل وزنًا[5] ، ولا أجمل مذهبًا ، ولا أكرم مطلبًا ، ولا أحسن موقعًا ، ولا

(١) - في ز : من .
(٢) - في ش : وأسد .
(٣) - في ش : خزانة .
(٤) - سقط من ش .
(٥) - في ش : وفرًا .

أسهل مخرجًا ، ولا أفصح عن معناه ، ولا أبين في فحواه ﷺ.

فلله در مولانا ، إذ جمع أفراد(٦) الفضائل ، ونظم آحاد العقائل ، وحاز من العلم الذرى والغوارب . فلا يخفى على ذي لب أنه أغرق في الفهم نُصولًا ، وأعرق في العلم أصولًا فأقول مختصرًا ، وعما يليق بمدحه معتذرًا ، عسى يمر به من تضاعيف ثنائي عليه ما يبلغني به الزلفى في حبه ، والقربى من قلبه ، وتلك أمنيتي حتى(٧) ألقى منيتي ، لا أتعداها ، ولا أتمنى سواها ، ولله در القائل :

إذا ابنُ حجي جادت(٨) لنا يده ... لم يُحمد الأجودان : البحر والمطر
وإن أضاءت لنا أنوارُ غُرته ... تضاءَل الأنوران : الشمس والقمرُ
وإن مضى رأيه أو جَد عزمته ... تأخر الماضيان : السيف والقدر
من لم يبت حذرًا من خوف سطوته ... لم يدر ما المزعجان : الخوف والحذر
كأنه الدهر في نعمى وفي نقم ... إذا تعاقب منه : النفع والضرر
كأنه – وزمام الدهر في يدهِ ... يدا عواقب : ما يأتي ومَا يذَرُ

فالحمد لله الذي جعل جمال منظرك موازيًا لكمال مخبرك ، وشامخ فَرْعك مقارنًا لراسخ عنصرك .

والله حسبي فيك من كل ... ما يعوِّذ العبد به المولى
واسلم وعش لا زلت في نعمة ... أنت بها من غيرك الأولى

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

* * *

كتبه الفقير محمد بن علي الصوفي البواب ، بالخانقاة(٩) الشميصاتية(١٠) ، بدمشق المحروسة ، حامدًا ومصليًا ، ومحسبلًا ومحوقلًا ، والحمد لله وحده .

---

(٦) – سقط من ش .

(٧) – في ش : حين .

(٨) – في ش : حادت

(٩) – في ش : لمنعاه

(١٠) – في ش: التصائية .

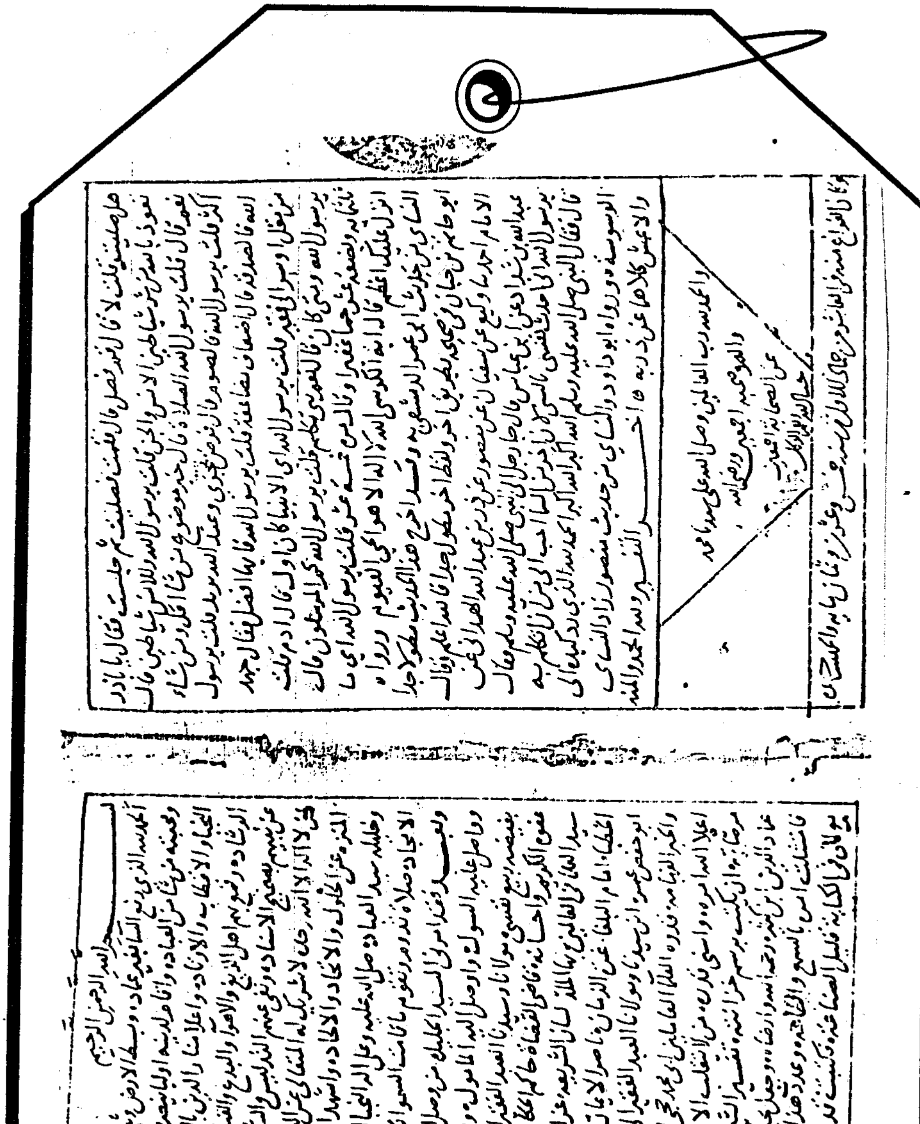

اللوحة قبل الأخيرة من النسخة « ز »

فان صادفت قبولا وبلغت مأمولا، فيكون سعدي سعيدا، ويقع سهمي سديدا
فان وقفت بي قدرتي دون همتي فمبلغ علمي والعاذر يتقبل
فقد جمعت هذه الخزانة الشريفة اشتات العلوم على الاطلاق، ومن رام مثلها فهو مقصر عن رومه اسباب اللحاق، خصوصا اذ كان بها هذا التفسير الذي ما دته سنن المصطفى المنبه على جوامع، ما يزداد اللبيب بها بصيرة في علمه النافع، اذ كان صلى الله عليه وسلم قد اوتي جوامع الكلام، وعلم فصل الخطاب، فلم يسمع الناس كلاما اعم نفعا، ولا اقصد لفظا، ولا اعدل وزنا، ولا اجمل مذهبا، ولا اكرم مطلبا، ولا احسن موقعا، ولا اسهل مخرجا، ولا افصح عن معناه، ولا ابين في فحواه، صلى الله عليه وسلم. فلقد ذر بوا انا اذ جمع افراد الفضائل، ونظم احاد العقائل، وحاز من العلم الدرر والغوارب، فلا يخفى على ذي لب انه اغرق في الفهم نصولا، واعرق في العلم اصولا، فاقول مختصرا، وعن ما يليق بمدحه معتذرا، عشتني يدريه من تضاعيف ثنائي عليه ما يبلغني به الزلفى في حبه، والقرب من قلبه، ونلت امنيتي، حتى التي سنيتي، لا اتعداها ولا المنى سواها. ولله در القائل

اذا ابن حجي جادت لنا يده لم تحمدا الاجودان البحر والمطر
وان اضاءت لنا انوار غرته تضاءل الانوران الشمس والقمر
وان تقضى رايه او جد عزمته تأخر الماضيان السيف والقدر
من لم يبت حذرا من خوف سطوته لم يدر ما المزعجان الخوف والحذر
كأنه الدهر في نعمى وفي نقم اذا تعاقب منه النفع والضرر
كأنه وزمام الدهر في يده يرى عواقب ما يأتي وما يذر

فالحمد لله الذي جعل جبال منطرك موازيا لكمال مخبرك، وشامخ قد علك منازنا لراسخ عنصرك، والله حسبي فيك من كل ما يعوذ العبد به المولى، واسلم وعش لا زلت في نعمة انت بها من غيرك الاول.
وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم. كتبه الفقير محمد بن علي الصوفي البواب بالخانقاه السمصانيه بدمشق المحروسة حامدا ومصليا ومحسبلا ومحوقلا ومسلما

اللوحة الأخيرة من النسخة « ز »

تفسير القرآن العظيم

للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء
إسماعيل بن كثير الدمشقي
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

هذه الطبعة أول طبعة مقابلة على النسخة الأزهرية
وكذلك على نسخة كاملة بدار الكتب المصرية

المجلد الخامس عشر

فهارس

مكتبة أولاد الشيخ للتراث
٣٦ ش اليابان - عمرانية غربية - جيزة
ت : ٥٦٢٨٣١٨ - ٥٦١١٤٤٢

مؤسسة قرطبة
طباعة . نشر . توزيع
جيزة - ت : ٥٨١٥٠٢٧

رقم الإيداع : ٩٣٤٩ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولى : I.S.B.N
977 - 5234 - 33 - 6

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر هاتف : ٤٣٠٧٥٢٦ - ٢٠٥٥٦٨٨ القاهرة

تفسير

القرآن العظيم

فهارس الأحاديث

آتى باب الجنة يوم القيامة فأستفتح ...	أنس بن مالك	٣٩ - الزمر/٧٣
آتى تحت العرش فأخر ساجدًا ...	...	٢ - البقرة/٢٥٥
آتى تحت العرش وأخرّ للّه ساجدًا ...	...	٢٠ - البقرة/١٠٩
آخر آية نزلت : ﴿يستفتونك قل اللّه يفتيكم﴾...	البراء	٩ - التوبة/١
آخر سورة أنزلت : ﴿إذا جاء نصر اللّه والفتح﴾	ابن عباس	٥ - المائدة/سببها
آخر سورة أنزلت سورة المائدة والفتح	عبد اللّه بن عمر	٥ - المائدة/سببها
آخر سورة نزلت من القرآن جميعًا ﴿إذا جاء نصر اللّه والفتح﴾...	ابن عباس	١١٠ - النصر/١
آخر ما نزل على رسول اللّه آية الربا	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٧٥
آخى رسول اللّه ﷺ بين المهاجرين والأنصار...	ابن عباس	٨ - الأنفال/٧٢
آكل الربا وموكله وشاهداه ...	عبد اللّه بن مسعود	٢ - البقرة/٢٣٠
آمنوا بالتوراة والزبور والإنجيل...	معقل بن يسار	٢ - البقرة/١٣٦
﴿آمين﴾ اسم من أسماء اللّه تعالى	ابن عباس	١ - الفاتحة/٧
﴿آمين﴾ حتى يسمع من يليه ...	أبو هريرة	١ - الفاتحة/٧
﴿آمين﴾ خاتم رب العالمين على عباده المؤمنين ...	أبو هريرة	١ - الفاتحة/٧
آمين ، مدَّ بها صوته	وائل بن حجر	١ - الفاتحة/٧
الآن جاء القتال ...	سلمة بن نفيل	٤٧ - القتال/٤
الآن نغزوهم ولا يغزونا	سليمان بن صرد	٣٣ - الأحزاب/٢٥
آيبون تائبون إن شاء اللّه عابدون ...	عبد اللّه بن عمر	٤٣ - الزخرف/١٤
آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون ...	...	١٧ - الإسراء/٢٥
آية في كتاب اللّه عز وجل لم يعمل بها أحد قبلى ...	على	٥٨ - المجادلة/١٢
آية الكرسى ...	أبو ذر	٤ - النساء/١٦٤
آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب ...	...	٢ - البقرة/١٧٧
آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب ...	...	٢ - البقرة/٢٠٤
آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ...	...	٩ - التوبة/٧٧
آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب	....	١٣ - الرعد/٢٥

آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ...	...	٧٠ - المعارج/٣٢
آية المنافق ثلاث : إذا وعد أخلف ...	....	٦١ - الصف/٢
آأسلمتَ ؟ فقال : أما أنا فأشهد ...	مكحول	٢٥ - الفرقان/٧١
﴿أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون﴾ ...	محمد بن كعب القرظى وغيره	٩ - التوبة/٦٥
﴿أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون﴾...	عبد الله بن عمر	٩ - التوبة/٦٥
أبايعك على أن لا تشركى بالله ...	عبد الله بن عمرو	٦٠ - الممتحنة/١٢
أبايعكن على أن لا تشركن بالله ...	عائشة بنت قدامة	٦٠ - الممتحنة/١٢
أبدأ بما بدأ الله به	جابر	٢ - البقرة/١٥٨
أبدأ بما بدأ الله به	...	٥ - المائدة/٦
ابدأ بنفسك فصتدق عليها ...	جابر	٢ - البقرة/٢١٩
الأبدال فى أمتى ثلاثون ...	عبادة بن الصامت	٢ - البقرة/٢٥١
أبدلنا الله بذلك الجهاد فى سبيل الله ...	عمارة بن غزية	٩ - التوبة/١١٢
ابدؤا بما بدأ الله به	...	٥ - المائدة/٦
أبرّهما وأوفاهما ، ثم قال النبى ﷺ ...	عتبة بن المنذر	٢٨ - القصص/٢٨
أبشر بنورين قد أوتيتهما ...	ابن عباس	١ - الفاتحة/المقدمة
أبشِر يا أبا بكر ! هذا جبريل على ثناياه النقع	...	٨ - الأنفال/١١
أبشر يا أبا سعيد فإن الحسنة بعشر أمثالها	أبو سعيد الخدرى	٩٩ - الزلزلة/٨
أبشروا أبشروا من صلّى الصلوات الخمس ...	ابن عمر	٤ - النساء/٣١
أبصروها فإن جاءت به أسحم أدعج العينين ...	سهل بن سعد	٢٤ - النور/٦
أبطأ جبرائيل النزول على النبى ﷺ ...	عكرمة	١٩ - مريم/٦٤
أبطأ جبريل على رسول الله ﷺ ...	جندب بن عبد الله البجلى	٩٣ - الضحى/١
أبطأ جبريل على النبى ﷺ ...	عروة	٩٣ - الضحى/١
أبطأت الرسل على النبى ﷺ ثم أتاه جبريل ...	مجاهد	١٩ - مريم/٦٤
أبغض الحلال إلى الله الطلاق	عبد الله بن عمر	٤ - النساء/١٢٨
أبغض الناس إلى الله عز وجل من يبتغى فى الإسلام ...	ابن عباس	٥ - المائدة/٥٠
ابن آدم اركع لى أربع ركعات ...	أبو الدرداء وأبو ذر	٥٣ - النجم/٣٧
ابن آدم أنفق أنفق عليك	...	٢ - البقرة/٢١٢

ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك ...	...	٢ - البقرة/٢١٩
ابن آدم أنّى تُعجِزُنى ...	بشر بن جحاش	٧٧ - المرسلات/٢٠
أبنك هذا ؟ قال نعم يا رسول الله ...	...	٢ - البقرة/١٤٦
أبوك ذكر لك هذا ، ما أرى أباك يعلمها ...	سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب	٤ - النساء/١٧٦
أُبَيْنِيّ لا ترموا الجمرة حتى تطلع الشمس	ابن عباس	٣٣ - الأحزاب/٥
أتانا رسول الله ﷺ وأنا صبى ...	عبد الله بن عامر	٦١ - الصف/٢
أتانا رسول الله ﷺ ونحن فى مجلس سعد ...	أبو مسعود الأنصاري	٣٣ - الأحزاب/٥٦
أتانى آت من ربى فقال لى ...	يعقوب بن زيد	٣٣ - الأحزاب/٥٦
أتانى أبو سلمة يومًا من عند رسول الله ﷺ فقال ...	أم سلمة	٢ - البقرة/١٥٧
أتانى جبريل عليه السلام بدابة فوق الحمار ودون البغل ...	ابن مسعود	١٧ - الإسراء/١
أتانى جبريل عليه السلام فى حصر ...	ابن مسعود	٥٣ - النجم/١٥
أتانى جبريل فأمرنى ...	عثمان بن أبى العاص	١٦ - النحل/٩٠
أتانى جبريل فبشرنى أنه من مات ...	أبو ذر	٦ - الأنعام/١٥١
أتانى جبريل فقال : إن ربى وربك ...	أبو سعيد	٩٤ - الشرح/٤
أتانى جبريل فقال : يا محمد رغم أنف رجل ذكرت عنده ...	أنس	١٧ - الإسراء/٢٤
أتانى داعى الجن فذهبت معهم ...	ابن مسعود	٤٦ - الأحقاف/٢٩
أتانى ربى فى أحسن صورة ...	معاذ بن جبل	٦ - الأنعام/٧٥
أتانى ربى فى أحسن صورة ...	ابن عباس	٥٣ - النجم/١١
أتانى الليلة آتيان فابتعثانى ...	سمرة بن جندب	٩ - التوبة/١٠٢
أتاه رجل فقال : إنى جعلت امرأتى عليّ حرامًا ...	ابن عباس	٦٦ - التحريم/١
اتبعت رسول الله ﷺ وهو راكب ...	عقبة بن عامر	المعوّذتان
أتت أم كُجّة إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ...	جابر	٤ - النساء/٧
أتت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت : ادع الله	عمر	٢ - البقرة/٢٥٥
أتت امرأة إلى النبى ﷺ فقالت : يا رسول الله ...	ابن عباس	٤ - النساء/٣٢

أتت عجوز فقالت يا رسول اللّه ادع اللّه ...	الحسن	٥٦ - الواقعة/٣٥
أتت قريش محمدًا ﷺ فقالوا : يا محمد ...	ابن عباس	٢ - البقرة/١٦٤
أتت قريش اليهود فقالوا : بم جاءكم موسى؟ ...	ابن عباس	٣ - آل عمران/١٩٠
أتت الملائكة محمدًا ﷺ مسوّمين بالصوف ...	ابن عباس	٣ - آل عمران/١٢٥
أتتنى امرأة تبتاع منى بدرهم تمرًا ...	كعب بن عمرو الأنصاري	١١ - هود/١١٤
أتحبه لأمك ؟	أبو أمامة	١٧ - الإسراء/٣٢
اتّخذوا السودان ، فإنّ ثلاثة منهم ...	ابن عباس	٣١ - لقمان/١٩
اتّخذوا عند اللّه عهدًا ...	ابن مسعود	١٩ - مريم/٨٧
أتخوف أن يكون - الضب - مسخًا	ابن عباس	٧ - الأعراف/١٣٣
أتخوّف على أمتى الشرك والشهوة الخفية ...	شداد بن أوس	١٨ - الكهف/١١٠
أتدرون أى يوم ذاك ؟ ...	عمران بن حصين	٢٢ - الحج/١
أتدرون أى يومٍ ذلك ؟ ...	عمران بن حصين	٢٢ - الحج/١
أتدرون أى يومٍ يومكم هذا ؟ ...	رجل من أصحاب النبى ﷺ	٩ - التوبة/٣
أتدرون فيم انتطحتا ؟ ...	أبو ذر	٦ - الأنعام/٣٨
أتدرون ما أخبارها ؟ ...	أبو هريرة	٩٩ - الزلزلة/٤
أتدرون ما الرقوب ؟ ...	...	٣ - آل عمران/١٣٤
أتدرون ما مثل ناركم هذه من نار جهنم ...	أبو هريرة	٥٦ - الواقعة/٧١
أتدرون ما مثل ناركم هذه من نار جهنم ؟ ...	أبو هريرة	١٠١ - القارعة/١١
أتدرون ما هذا ؟ ...	ابن عباس	٦٦ - التحريم/١٢
أتدرون ما هذان الكتابان ؟ ...	عبد اللّه بن عمرو	٤٢ - الشورى/٧
أتدرون ما هذه الريح ...	جابر بن عبد اللّه	٤٩ - الحجرات/١٢
أتدرون ما وفّى ؟ قالوا : اللّه ورسوله أعلم ...	أبو أمامة	٢ - البقرة/١٢٤
أتدرون ماذا قال ربكم ؟ ...	....	٢٥ - الفرقان/٥٠
أتدرون مم أضحك ؟ ...	أنس بن مالك	٢٤ - النور/٢٤
أتدرون ممّ أضحك ؟ ...	أنس بن مالك	٣٦ - يس/٦٥
أتدرون من السابقون إلى ظل ...	عائشة	٥٦ - الواقعة/٨
أتدرون من هذا ...	إسماعيل بن أمية	٧ - الأعراف/٧٨

أتدرى أين تذهب الشمس إذا غربت ؟	أبو ذر جندب بن جنادة	٦ - الأنعام/١٥٨
أتدرى أين تذهب ؟ قلت ...	أبو ذر	٣٦ - يس/٤٠
أتدرى أين تذهب هذه الشمس ؟ ...	أبو ذر	٢٢ - الحج/١٨
أتدرى فيم ينتطحان ؟ ...	أبو ذر	٣٩ - الزمر/٣١
أتدرى لم بعثت إليك ؟ ...	معاذ بن جبل	٣ - آل عمران/١٦١
أتدرى ما حاجتهما ؟ قلت : لا ...	أسامة بن زيد	٣٣ - الأحزاب/٣٧
أتدرى ما حق الله على العباد ؟ ...	...	٤ - النساء/٣٦
أتدرى ما حق الله على العباد ؟ ...	...	٦ - الأنعام/٥٤
أتدرى ما حق الله على عباده ؟ ...	معاذ	٢ - ا لبقرة/٢٢
أتدرى ما وفّى ؟ ...	أبو أمامة	٥٣ - النجم/٣٧
أتدرى ما يوم الجمعة ؟ ...	سلمان الفارسي	٤ - النساء/٣١
أتراه يصلى صادقًا ...	عبد الله بن شقيق	٢ - البقرة/١٨٥
أتردين عليه حديقته ؟ قالت : نعم...	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٢٩
أتردين عليه حديقته ؟ قالت : نعم ...	عبد الله بن عمرو	٢ - البقرة/٢٢٩
أترون هذه تلقى ولدها فى النار ...	عمر بن الخطاب	٣٣ - الأحزاب/٤٣
أترون هذه طارحة ولدها فى النار ...	...	٢ - البقرة/١٤٣
أترون هذه طارحة ولدها فى النار ...	...	٤ - النساء/١١
أترونها للمؤمنين المتقين ؟ ...	...	٤ - النساء/٣١
أترى بما أقول بأسًا ؟ ...	عائشة	٨٠ - عبس/١
أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم ...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٨٤
أتشفع فى حد من حدود الله عز وجل	عائشة	٥ - المائدة/٣٩
أتشهد أن لا إله إلا الله ؟ ...	رجل من الأنصار	٤ - النساء/٩٢
أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم ...	ابن عباس	٥٣ - النجم/١١
أتعجبون من أن تكون الخلة لإبراهيم ...	ابن عباس	٤ - النساء/١٢٥
أتعجبون من دقة ساقيه ...	...	٧ - الأعراف/٩
أتعجبون من غيرة سعد ؟ ...	المغيرة	٦ - الأنعام/١٥١
اتق الله حيثما كنت ...	...	٣ - آل عمران/٢٠٠

اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها	أبو ذر	١١ - هود/١١٤
اتق الله وأمسك عليك زوجك ...	الحسن	٣٣ - الأحزاب/٣٧
أتقدر على رقبة تعتقها ...	ابن عباس	٥٨ - المجادلة/٢
أتقوا الله حق تقاته ...	ابن عباس	٣٧ - الصافات/٦٦
﴿اتقوا الله حق تقاته﴾ أن يطاع فلا يعصى ...	عبد الله بن مسعود	٣ - آل عمران/١٠٢
اتقوا الله واعدلوا فى أولادكم ...	النعمان بن بشير	٥ - المائدة/٨
اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ...	عبد الله بن عمرو	٥٩ - الحشر/٩
اتقوا فراسة المؤمن ...	...	٢ - البقرة/٢٧٣
اتقوا فراسة المؤمن فإنه ...	أبو سعيد	١٥ - الحجر/٧٥
اتقوا فراسة المؤمن فإنه ...	ابن عمر	١٥ - الحجر/٧٥
اتقوا النار ولو بشق تمرة ...	عدى بن حاتم	٩٩ - الزلزلة/٨
اتقولون هذا أضل أم بعيره ...	جندب بن عبد الله البجلي	٧ - الأعراف/١٥٦
اتهم المنافقون رسول الله ﷺ بشيء ...	ابن عباس	٣ - آل عمران/١٦١
اتهموا أنفسكم فلقد رأيتنا يوم الحديبية ...	سهل بن حنيف	٤٨ - الفتح/٢٦
أتى الله بعبد من عبيده يوم القيامة ...	حذيفة	٢ - البقرة/٢٨٠
أتى جبرائيل عليه الصلاة والسلام بمرآة بيضاء ...	أنس بن مالك	٥٠ - ق/٣٥
أتى الحارث بن خزيمة بهاتين الآيتين من آخر براءة ...	عباد بن الزبير	٩ - التوبة/١٢٩
أتى رجل إلى رسول الله ﷺ فقال أقرئنى ...	عبد الله بن عمرو	٩٩ - الزلزلة/فضائلها
أتى رجل لرسول الله ﷺ فقال ...	أبو هريرة	٥٩ - الحشر/٩
أتى رجل من بنى تميم إلى رسول الله ﷺ فقال ...	أنس	١٧ - الإسراء/٢٧
أتى رجل من بنى عامر استأذن على رسول الله ﷺ ...	ربعي	٢٤ - النور/٢٧
أتى رجل من الحبشة إلى رسول الله ﷺ يسأله ...	ابن عمر	٤ - النساء/٦٩
أتى رسول الله ﷺ رجل فقال : إنى ظاهرت ...	ابن عباس	٥٨ - المجادلة/٣
أتى رسول الله ﷺ رجل من الأنصار بامرأة له ...	علي	٤ - النساء/٣٤
أتى رسول الله ﷺ سباطة قوم فبال قائمًا ...	حذيفة	٥ - المائدة/٦
أتى رسول الله ﷺ نفر من عرينة فأسلموا ...	أنس	٥ - المائدة/٣٣
أتى عبد الله بن عمر ، عبد الله بن الزبير ...	سعيد بن عمرو	٢٢ - الحج/٢٥

أتى عليّ زمان وأنا أقول : أولاد المسلمين ...	ابن عباس	٣٠ - الروم/٣٠
أتى عليّ النبى ﷺ وأنا أوقد تحت قدر ...	كعب بن عجرة	٢ - البقرة/١٩٦
أتى ناس من حمير		
إلى رسول الله ﷺ فسألوه عن أشياء ...	عبد الله بن عباس	٢ - البقرة/٢٢٣
أتى ناس النبى ﷺ	...	٦ - الأنعام/١٢١
أتى النبى ﷺ أعرابى عليه جبة من طيالسة ...	عبد الله بن عمرو	١٧ - الإسراء/٤٤
أتى النبى ﷺ رجل من يهود يقال له بستانة ...	جابر	١٢ - يوسف/٤
أتى النبى ﷺ سائل ، فأمر له بتمرة فلم يأخذها ...	أنس	١٤ - إبراهيم/٧
أتى النبيُّ ﷺ عبد الله بن أبى بعدما أدخل فى قبره ...	جابر بن عبد الله	٩ - التوبة/٨٤
أتى النبى ﷺ نفر من بنى سليم ...	واثلة بن الأسقع	٤ - النساء/٩٣
أتى نفر من اليهود ...	ابن عمر	٥ - المائدة/٤١
أتى رسول الله ﷺ بضب فلم يأكله ...	عائشة	٢ - البقرة/٢٦٧
أتى رسول الله ﷺ بكبشين أملحين ...	أنس	٢٢ - الحج/٣٤
أتى رسول الله ﷺ بلحم ...	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/٧٩
أتى رسول الله ﷺ بمالٍ من البحرين ...	أنس بن مالك	٨ - الأنفال/٧٠
أتى النبى ﷺ بصدقة فقسمها ههنا وههنا ...	داود بن أبى عاصم	٩ - التوبة/٥٨
إتيان الرجال النساء فى أدبارهن كفر ...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٢٣
أتيت أبا وائل أسأله فقال كنا بصفين ...	حبيب بن أبى ثابت	٤٨ - الفتح/٢٦
أتيت ابن عباس وهو ينزع من زمزم ...	عطاء بن أبى رباح	٥٤ - القمر/٤٩
أتيت أنا وأخى النبيّ ﷺ		
فقلنا : إن أمنا ماتت فى الجاهلية ...	سلمة بن قيس الأشجعى	١٧ - الإسراء/١٥
أتيت بالبراق وهو دابة أبيض ...	أنس	١٧ - الإسراء/١
أتيت بدابة فوق الحمار ودون البغل ...	أنس	١٧ - الإسراء/١
أتيت رسول الله ﷺ بالمزدلفة حين خرج ...	عروة بن مضرس	٢ - البقرة/١٩٨
أتيت رسول الله ﷺ فأكلت معه ...	عبد الله بن سرخس	٤٧ - محمد/١٩
أتيت رسول الله ﷺ فقلت ...	أبو رزين العقيلى	٢٢ - الحج/٧
أتيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله ...	فروة بن مسيك	٢٤ - سبأ/١٥

أتيت رسول الله ﷺ فقيل لى خرج قبل ...	معاذ بن جبل	٦ - الأنعام/٦٥
أتيت رسول الله ﷺ فى مجلس قد أطال فيه الجلوس ...	أبو ذر	٦ - الأنعام/١١٢
أتيت رسول الله ﷺ فى نساءٍ لنبايعه ...	أميمة بنت رقيقة	٦٠ - الممتحنة/١٢
أتيت رسول الله ﷺ وأنا رث الهيئة فقال : ...	مالك بن فضلة	١٠ - يونس/٥٩
أتيت رسول الله ﷺ وغزوت معه ...	الأسود بن سريع	٣٠ - الروم/٣٠
أتيت رسول الله ﷺ وهو فى المسجد فجلست ...	أبو ذر	١١٤ - الناس/٦
أتيت رسول الله ﷺ وهو محتبٍ بشملة ...	جابر بن سليم	٢٧ - النمل/٦٢
أتيت عائشة فدخلت عليها وبينى وبينها حجاب ...	عبد الرحمن عن رجل من كندة	٥٥ - الرحمن/٤١
أتيت عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ...	عبد الله بن الديلمي	٣٥ - فاطر/٨
أتيت على حذيفة بن اليمان رضى الله عنه وهو يحدث ...	زر بن حبيش	١٧ - الإسراء/١
أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ ...	أنس بن مالك	١٠٨ - الكوثر/١
أتيت فاطمة رضى الله عنها أسألها عن على ...	واثلة بن الأسقع	٣٣ - الأحزاب/٣٣
أتيت ليلة أسرى بى على قوم بطونهم كالبيوت ...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٧٥
أتيت المدينة فوافقتها وقد وقع بها مرض ...	أبو الأسود	٢ - البقرة/١٤٣
أتيت النبى ﷺ فبايعته ...	زياد بن الحارث	٩ - التوبة/٦٠
أتيت النبى ﷺ فسمعته وهو يكلم الناس ...	رجل من بنى يربوع	١٧ - الإسراء/٢٤
أتيت النبى ﷺ فى خلقان من الثياب ...	مالك بن نضلة	٥ - المائدة/١٠٣
أتيت النبى ﷺ فى دين كان على أبى ...	جابر	٢٤ - النور/٢٧
أتيت النبى ﷺ لأبايعه ، فاشترط علىَّ ...	بشير بن معبد	٨ - الأنفال/١٦
أتيت النبى ﷺ وهو بوادى القرى ...	عبد الله بن شقيق عن رجلٍ	٨ - الأنفال/٤١
أتيت النبى ﷺ وهو فى رفلة من الناس ...	رجل من بنى سليط	١٧ - الإسراء/٥٣
أتيت النبى ﷺ وهو فى المسجد ...	أبو ذر	٦ - الأنعام/١١٢
أتيت النبى ﷺ وهو فى المسجد فجلست فقال : ...	أبو ذر	٢ - البقرة/٢٥٥
أتينا رسول الله ﷺ فى صاحب لنا قد أوجب ...	واثلة بن الأسقع الليثي	٤ - النساء/٩٣
أتينا رسول الله ﷺ فى صاحب لنا قد أوجب ...	واثلة بن الأسقع	٩٠ - البلد/١٣
أتينا رسول الله ﷺ وهو يعمل عملاً ...	حبة وسواء ابنى خالد	٥١ - الذاريات/٥٨

أتينا عبد اللّه فسألناه أن يقرأ علينا ...	معد يكرب	٢٨ - القصص/المقدمة
أتينا على رجل من أهل البادية فقال لنا البدوى ...	أبو قتادة وأبو الدهماء	٣٨ - ص/٣٢
أثفر رجل امرأته على عهد رسول اللّه ﷺ ...	أبو سعيد	٢ - البقرة/٢٢٣
أثقل الصلاة على المنافقين ...	...	٤ - النساء/١٤٢
الإثم ما حاك فى القلب وترددت فيه النفس ...	...	٢ - البقرة/٢٧٥
إثمًا كبيرًا ...	أبو هريرة	٤ - النساء/٢
اثنا عشر كعدّة نقباء بنى إسرائيل ...	عبد اللّه بن مسعود	٥ - المائدة/١٢
اثنتان يكرههما ابن آدم : يكره الموت ...	محمود بن لبيد	١٢ - يوسف/١٠١
أجب عنى ، اللّهم أيده بروح القدس ...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٨٧
اجتمع أبو هريرة وكعب ...	القاسم	٣٧ - الصافات/١٠٧
اجتمع أناس من العرب فقالوا	زيد بن أرقم	٤٩ - الحجرات/٤
اجتمع نساء النبى ﷺ فى الغيرة عليه ...	عمر	٦٦ - التحريم/٥
اجتمعت قريش فى دار الندوة ...	جابر	٧٣ - المزمل/سببها
اجتمعت قريش يومًا فقالوا ...	جابر بن عبد اللّه	٤١ - فصلت/٥
اجتمعت نصارى نجران وأحبار يهود عند رسول اللّه ﷺ ...	ابن عباس	٣ - آل عمران/٦٥
اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث ...	عثمان بن عفان	٥ - المائدة/٩١
اجتنبوا السبع الموبقات ...	أبو هريرة	٤ - النساء/١٠
اجتنبوا السبع الموبقات ...	أبو هريرة	٤ - النساء/٣١
اجتنبوا السبع الموبقات ...	أبو هريرة	٨ - الأنفال/١٦
اجتنبوا السبع الموبقات ...	أبو هريرة	٢٤ - النور/٢٣
اجتنبوا الكبائر وسددوا وأبشروا ...	...	٤ - النساء/٣١
اجتنبوا هذه الكعاب الموسومة ...	أبو موسى الأشعري	٥ - المائدة/٩٠
أجعلتنى للّه ندًا ؟ ...	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٢
أجعلتنى للّه ندًا ؟ ...	...	٢ - البقرة/٢٢
اجعلوها فى ركوعكم ...	عقبة بن عامر الجهني	٥٦ - الواقعة/٩٦
اجعلوها فى ركوعكم ...	عقبة بن عامر الجهني	٨٧ - الأعلى/١

أجل ...	جابر بن عبد اللّه	٥ - المائدة/٩١
أجل أتانى آت من ربى عز وجل فقال ...	أبو طلحة	٣٣ - الأحزاب/٥٦
أجل إنها صلاة رغب ورهب ...	خباب بن الأرث	٦ - الأنعام/٦٥
أجل الحامل أن تضع ما فى بطنها ...	عبد اللّه بن مسعود	٦٥ - الطلاق/٥
أجل ، فقال : يا بلال ...	أبو عبد الرحمن الفهري	٩ - التوبة/٢٥
أجل ، قال فكيف كان ؟ ...	ابن مسعود	٤٦ - الأحقاف/٢٩
أجل كل حامل أن تضع ما فى بطنها ...	أبى بن كعب	٦٥ - الطلاق/٥
أجل واللّه إنه لموصوف فى التوراة ...	عبد اللّه بن عمرو بن العاص	٢ - البقرة/١١٨
أجل واللّه إنه لموصوف فى التوراة ...	عبد اللّه بن عمرو بن العاص	٢ - البقرة/١١٨
أجل وعرضه - يعنى أرضه - ياقوت ومرجان ...	أسامة بن زيد	١٠٨ - الكوثر/١
أجِلّوا اللّه يغفر لكم ...	أبو الدرداء	٥٥ - الرحمن/٨٧
أجمعوا إلى من كان من اليهود ههنا ...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٨٠
أجمعوا صدقاتكم ...	ابن عباس	٩ - التوبة/٧٩
أجمعوا من وجد عودًا فليأت به ...	سعد بن جنادة	١٨ - الكهف/٤٩
اجمعوها لى فى الآخرة ...	خيثمة	٢٥ - الفرقان/١٠
﴿أجورهم﴾: يدخلهم الجنة		
﴿ويزيدهم من فضله﴾ : الشفاعة....	ابن مسعود	٢٤ - النور/٣٨
أحبّ الأعمال إلى اللّه أدومها وإن قل ...	عائشة	٧٠ - المعارج/٢٣
أحب الصلاة إلى اللّه تعالى صلاة داود ...	...	٣٨ - ص/١٧
أحبب حبيبك هونًا ما ...	....	٦٠ - الممتحنة/٧
أحبب المساكين وجالسهم ...	أبو ذر	٤ - النساء/١٦٤
أحبوا اللّه تعالى لما يغذوكم من نعمه ...	عبد اللّه بن عباس	٤٢ - الشورى/٢٣
أحتبس جبرائيل عن رسول اللّه ﷺ ...	ابن عباس	١٩ - مريم/٦٤
احتبس علينا رسول اللّه ﷺ ذات غداة ...	معاذ	٣٨ - ص/٦٩
احتجّ آدم موسى عند ربهما ...	أبو هريرة	٢٠ - طه/١٢٢
احتجبا منه ، فقلت يا رسول اللّه ، أليس هو أعمى ...	أم سلمة	٢٤ - النور/٣١
احتجت الجنة والنار ، فقالت النار ...	أبو سعيد	٥٠ - ق/٣٠

احتسب على اللّه أن يُكَفِّر به ...	أبو قتادة	٢٢ - الحج/٢٨
احتكار الطعام بمكة إلحاد ...	يعلى بن أمية	٢٢ - الحج/٢٥
احذروا فراسة المؤمن ...	ثوبان	١٥ - الحجر/٧٥
أحرج مال الضعيفين : المرأة واليتيم ...	أبو هريرة	٤ - النساء/١٠
أحسنت اتركها حتى تتماثل ...	على بن أبى طالب	٤ - النساء/٢٥
أحسنتُ إليك ؟ قال : لا ...	أبو هريرة	٩ - التوبة/١٢٨
أحسنت يا عمر حين وجدتنى ساجدًا ...	عمر بن الخطاب	٣٣ - الأحزاب/٥٦
أحسنهم خلقًا ...	أبو ذر	٤ - النساء/١٦٤
أحسنهم خلقًا ...	ابن عمر	٣١ - لقمان/١٩
احشدوا فإنى سأقرأ عليكم ثلث القرآن ...	أبو هريرة	١١٢ - الإخلاص/فضائلها
إحصانها إسلامها وعفافها ...	على بن أبى طالب	٤ - النساء/٢٥
احفظ اللّه يحفظك ...	ابن عباس	٣٩ - الزمر/٣٨
احفظ عورتك إلا من زوجتك ...	...	٢٤ - النور/٣٠
أحل لنا ميتتان ودمان ...	ابن عمر	٢ - البقرة/١٧٣
أحل لنا ميتتان ودمان ...	ابن عمر	٥ - المائدة/٣
أحلت لنا ميتتان ودمان ...	ابن عمر	٥ - المائدة/٩٦
أحلت لنا ميتتان ودمان...	ابن عمر	٧ - الأعراف/١٣٣
احموا ظهورنا ...	ابن عباس	٣ - آل عمران/١٥٢
أحيانًا يأتينى فى مثل صلصلة الجرس ...	عائشة	٧٣ - المزمل/٥
أحيانًا يأتينى مثل صلصلة الجرس ...	عائشة	٤٢ - الشورى/٣
أحيلت الصلاة ثلاثة أحوال ...	معاذ بن جبل	٢ - البقرة/١٨٤
أخبر رسول اللّه ﷺ عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات ...	محمود بن لبيد	٢ - البقرة/٢٣٠
أخبرك أنَّ اللّه تعالى يجمع الأولين والآخرين ...	أم هانئ	٢٩ - العنكبوت/٢٥
أخبرك بما صنع رسول اللّه ﷺ ...	عائشة	٢ - البقرة/٢٢٢
أخبركم بأكبر الكبائر الإشراك باللّه ...	عمران بن حصين	٤ - النساء/٤٨
أخبركم غدًا عما سألتم عنه ...	ابن عباس	١٨ - الكهف/٥

أخبرني بأشدِّ شيء صنعه المشركون برسول الله ﷺ ...	عروة بن الزبير	٤٠ - غافر/٢٨
أخبرني بهذه جبرائيل آنفًا ...	أنس بن مالك	٢ - البقرة/٩٨
أخبرني بهذه جبرائيل آنفًا ...	ثوبان مولى رسول الله ﷺ	٢ - البقرة/٩٨
أخبرني بهن جبريل آنفًا ...	أنس	٦٨ - القلم/١
أخبروني عن شجرة تشبه - أو - كالرجل المسلم ...	ابن عمر	١٤ - إبراهيم/٢٤
أخبرينا عن قيام رسول الله ﷺ ...	سعيد بن هشام	٧٣ - المزمل/٧
اختر أربعًا ...	نوفل بن معاوية الديلمي	٤ - النساء/٣
اختر أيهما شئت ...	فيروز الديلمي	٤ - النساء/٢٣
اختر منهن أربعًا ...	عميرة الأسدي	٤ - النساء/٣
اختر منهن أربعًا ...	ابن عمر	٤ - النساء/٣
اختصم رجلان إلى رسول الله ﷺ فقضى بينهما ...	أبو الأسود	٤ - النساء/٦٥
اختصمت الجنة والنار ...	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/١٥
اختصمت الجنة والنار ، فقالت الجنة ...	أبو هريرة	١١ - هود/١١٩
أختك هي ؟	...	٥٨ - المجادلة/٢
اختلعت من زوجي ثم جئت عثمان ...	الربيع بنت معوذ	٢ - البقرة/٢٣٠
اختلف رجلان رجل من بني خدرة ...	أبو سعيد الخدري	٩ - التوبة/١٠٨
اختلف رجلان على عهد رسول الله ﷺ في المسجد الذي ...	سهل بن سعد	٩ - التوبة/١٠٨
اختلف من كان قبلنا على ثلاث وسبعين فرقة ...	عبد الله بن مسعود	٥٧ - الحديد/٢٧
اختلفنا فيها كما اختلفتم فيها ...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٣٨
أخذ بيدي رسول الله ﷺ ...	أبو أمامة الباهلي	٣ - آل عمران/١٥٩
أخذ بيدي رسول الله ﷺ فجعل يعلمني ...	أبو قتادة وأبو الدهماء	٣٨ - ص/٣٢
أخذ رسول الله ﷺ بيدي فأراني القمر حين طلع ...	عائشة	١١٣ - الفلق/٣
أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال ...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٩
أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال ...	أبو هريرة	٧ - ا لأعراف/٥٤
أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال ...	أبو هريرة	٤١ - فصلت/١٢
أخذ عدي عقالاً أبيض وعقالاً أسود ...	عدي	٢ - البقرة/١٨٧

أخذ علينا رسول اللّه ﷺ عند البيعة أن لا ننوح ...	أم عطية	٦٠ - الممتحنة/١٢
أخذ علينا رسول اللّه ﷺ كما أخذ على النساء ...	عبادة بن الصامت	٥ - المائدة/٣٣
أخذ فرعون أربعين غلامًا من بنى إسرائيل فأمر أن يعلموا السحر ...	ابن عباس	٢٠ - طه/٧٣
أخذ المشركون عمار بن ياسر فعذبوه ...	محمد بن عمار بن ياسر	١٦ - النحل/١٠٦
أخذ من ظهره - آدم - كما يؤخذ بالمشط من الرأس ...	عبد اللّه بن عمرو	٧ - الأعراف/١٧٢
أخذ النبى ﷺ ناسًا من قومى فى تهمة فحبسهم ...	معاوية	١١ - هود/٨٨
أخذتموهن بأمانة اللّه ...	...	٤ - النساء/٢١
أخّر رسول اللّه ﷺ صلاة العشاء ثم خرج إلى المسجد ...	ابن مسعود	٣ - آل عمران/١١٣
أخّر عنى يا عمر ، إنى خُيِّرت فاخترت ...	عمر	٩ - التوبة/٨٤
أخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان ...	ربعي	٢٤ - النور/٢٧
أخرج متاعك فضعه على الطريق ...	أبو هريرة	٤ - النساء/١٤٨
أخرج نفس صاحبكم ...	ابن زيد	٧٦ - الإنسان/فضائلها
أخرج يا أبا بكر فهذا حين دلكت الشمس ...	جابر	١٧ - الإسراء/٧٨
أخرج يا فلان إنك منافق ...	ابن عباس	٩ - التوبة/١٠١
اخرجوا بسم اللّه قاتلوا فى سبيل اللّه ...	ابن عباس	٢ - البقرة/١٩٠
اخرجوا بسم اللّه قاتلوا فى سبيل اللّه ...	أنس	٢ - البقرة/١٩٠
اخرجوا قالوا : إلى أين ؟ قال : إلى أرض المحشر ...	ابن عباس	٥٩ - الحشر/٢
اخرجى إليه فإنه لا يحسن الاستئذان ...	رجل من بنى عامر	٣١ - لقمان/٣٤
أخلص دينك ...	معاذ بن جبل	٤ - النساء/١٤٦
أخلفت رجلاً غازيًا فى سبيل اللّه فى أهله بمثل هذا ؟ ...	كعب بن عمرو	١١ - هود/١١٤
أخنع اسم عند اللّه ...	أبو هريرة	١ - الفاتحة/٤
﴿إخوانًا على سرر متقابلين﴾ فى اللّه ...	زيد بن أبى أوفى	١٥ - الحجر/٤٧
أدّ الأمانة إلى من ائتمنك ...	سمرة	٤ - النساء/٥٨
أدرِك أبا بكر ، فحيثما لحقته فخذ الكتاب ...	علي	٩ - التوبة/٣
أدرك القوم فإنهم قد احترقوا ...	عمار بن ياسر	٩ - التوبة/٦٥

أدركا امرأة قد كتب معها حاطب كتابًا ...	عروة بن الزبير	٦٠ - الممتحنة/١
ادع فلانًا ...	البراء	٤ - النساء/٩٥
ادعهم أما إنى سائلهم عن تربة الجنة ...	البراء	٧٤ - المدثر/٣٠
ادعهما ، فجاء بعس أو قدح ...	سعد مولى رسول الله ﷺ	٤٩ - الحجرات/١٢
ادعهما ، فجاءتا فجيء بقدح ...	عبيد مولى رسول الله ﷺ	٤٩ - الحجرات/١٢
ادعوا الله تبارك وتعالى وأنتم موقنون ...	أبو هريرة	٤٠ - غافر/١٤
أدعوا الله وحده الذى إن مسّك ضرٌ ...	رجل من بلهجيم	٢٧ - النمل/٦٢
أدعوا إلى كذا وكذا ، قال : أشهد أنك رسول الله ...	أبو رزين	٣٤ - سبأ/٣٤
ادعوا لى المقداد ...	ابن عباس	٤ - النساء/٩٤
ادعوه ...	أبو سعيد الخدري	٧ - الأعراف/١٤٣
ادعى الأنصارية ، فدعتها فتلا عليها هذه الآية ...	أم سلمة	٢ - البقرة/٢٢٣
ادعى زوجك وابنيك ...	أم سلمة	٣٣ - الأحزاب/٣٣
أدلى بجراب من شحم يوم خيبر فحضنته ...	عبد الله بن مغفل	٥ - المائدة/٥
أدنى أهل الجنة منزلة ...	أبو سعيد	٥٥ - الرحمن/٧٢
أدنى منى ، فقلت إنى حائض ...	عائشة	٢ - البقرة/٢٢٢
﴿إذا انبعث أشقاها﴾ انبعث لها رجل عارم عزيز ...	عبد الله بن زمعة	٩١ - الشمس/١٢
إذا آلى الرجل من امرأته لم يقع عليه طلاق ...	عبد الله بن عمر	٢ - البقرة/٢٢٤
إذا أتاكم من ترضون خلقه ...	أبو هريرة	٨ - الأنفال/٧٣
إذا أتاكم من ترضون دينه ...	أبو حاتم المزني	٨ - الأنفال/٧٣
إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه ...	...	٤ - النساء/٣٦
إذا أتيت أهلك فسم الله ...	أبو هريرة	١ - الفاتحة/البسملة
إذا أتيتم الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون ...	...	٢ - البقرة/٢٠٥
إذا اجتمع أهل النار فى النار ...	أبو موسى	١٥ - الحجر/٢
إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ...	عمرو بن العاص	٢١ - الأنبياء/٧٩
إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ...	عمرو بن العاص	٣٣ - الأحزاب/٥
إذا أحبّ الله عبدًا ...	أبو هريرة	١٩ - مريم/٩٦
إذا أحسن أحد إسلامه فإن له بكل حسنة ...	...	٢ - البقرة/٢٨٤

إذا أخذت مضجعك من الليل ...	الحارث بن جبلة	١٠٩ – الكافرون/فضائلها
إذا أخذتم – يعنى الساحر – فاقتلوه ...	جندب بن عبد الله البجلي	٢٠ – طه/٦٩
إذا أدركت ذكاة الموقوذة ...	علي	٥ – المائدة/٣
إذا أدّيتها إلى رسولى فقد برئت منها ...	أنس	١٧ – الإسراء/٢٧
إذا أذنبت فاستغفر ربك ...	أنس	٣ – آل عمران /١٣٥
إذا أراد الله بقوم بقاء أو نماء ...	عبادة بن الصامت	٦ – الأنعام/٤٤
إذا أراد الله بقومٍ عاهة ...	أنس	٩ – التوبة/١٨
إذا أراد الله تبارك وتعالى أن يوحى ...	النواس بن سمعان	٣٤ – سبأ/٢٣
إذا أراد الله قبض روح عبد ...	أبو عزة الهذلي	٣١ – لقمان/٣٤
إذا أراد الله قبض عبد بأرض ...	عبد الله	٣١ – لقمان/٣٤
إذا أرسل الرجل كلبه على الصيد ...	سلمان الفارسي	٥ – المائدة/٣
إذا أرسل الرجل كلبه على الصيد ...	سلمان الفارسي	٥ – المائدة/٤
إذا أرسل الرجل كلبه وسمى ...	أبو رافع	٥ – المائدة/٤
إذا أرسلت كلبك فاذكر اسم الله ...	أبو ثعلبة	٥ – المائدة/٤
إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه ...	عدى بن حاتم	٦ – الأنعام/١٢١
إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه ...	أبو ثعلبة	٦ – الأنعام/١٢١
إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فكل ...	عدى بن حاتم	٥ – المائدة/٤
إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل ...	أبو ثعلبة الخشني	٥ – المائدة/٣
اذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل...	أبو ثعلبة	٥ – المائدة/٤
إذا استأذن أحدكم ثلاثًا ...	أبو موسى الأشعري	٢٤ – النور/٢٧
إذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه ...	جابر	٣ – آل عمران/١٥٩
إذا استيقظ أحدكم من نومه ...	أبو هريرة	٥ – المائدة/٦
إذا استيقظ الرجل من الليل وأيقظ امرأته ...	أبو سعيد وأبو هريرة	١٩ – مريم/٥٥
إذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة ...	...	١٠١ – القارعة/١١
إذا اشتهى المؤمن الولد فى الجنة ...	أبو سعيد الخدري	٥٠ – ق/٣٥
إذا أعجبك حسن عمل امرىء مسلم فقل ...	عائشة	٩ – التوبة/١٠٥
إذا أقبل الليل من ههنا ...	عمر بن الخطاب	٢ – البقرة/١٨٧

إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون ...	أبو هريرة	٦٢ - الجمعة/٩
إذا أقيمت الصلاة وحضر العشاءُ ...	...	٩٤ - الشرح/٨
إذا التقى المسلمان بسيفيهما ...	...	٦ - الأنعام/١٦٠
إذا أمرتكم بأمر فائتوا منه ما استطعتم ...	أبو هريرة	٥٩ - الحشر/٧
إذا أمرتكم بأمر فائتوا منه ما استطعتم ...	أبو هريرة	٦٤ - التغابن/١٦
إذا أمّن الإمام فأمّنوا ...	أبو هريرة	١ - الفاتحة/٣٣
إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم ...	أبو هريرة	٢٤ - النور/٦٢
إذا انتهى أهل الجنة إلى باب الجنة ...	على بن أبى طالب	٧٦ - الإنسان/٢٠
إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفضه ...	أبو هريرة	٣٩ - الزمر/٤٢
إذا أويت إلى فراشك فاقرأ ﴿قل يا أيها الكافرون﴾...	جبلة بن حارثة	١٠٩ - الكافرون/فضائلها
إذا أيقظ الرجل امرأته من الليل ...	أبو سعيد الخدري	٣٣ - الأحزاب/٣٥
إذا أيقظ الرجل امرأته من الليل ...	أبو هريرة	٣٣ - الأحزاب/٣٥
إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها ...	...	٤ - النساء/٣٤
إذا تبايع الرجلان ...	...	٤ - النساء/٢٩
إذا تبايع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار ...	ابن عمر	٥ - المائدة/١
إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم ...	ابن عمر	٩ - التوبة/٢٤
إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم ...	عبد الله بن عمرو	٩ - التوبة/٢٤
إذا تمنى أحدكم فلينظر ما يتمنى ...	أبو هريرة	٥٣ - النجم/٢٤
إذا تواجه المسلمان بسيفيهما ...	...	٥ - المائدة/٢٨
إذا توضأ أحدكم فليجعل فى منخريه من الماء ...	...	٥ - المائدة/٦
إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن ...	أبو هريرة	٥ - المائدة/٦
إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل ...	ابن عمر	٦٢ - الجمعة/٩
إذا جمع الله الأولين والآخرين ...	أبو سعيد بن أبى فضالة	١٢ - يوسف/١٠٦
إذا جمع الله الأولين والآخرين ...	أبو سعيد بن أبى فضالة	١٨ - الكهف/١١٠
إذا جمع الله الأولين والآخرين ...	أسماء بنت يزيد	٢٤ - النور/٣٧
إذا جمع الله الأولين والآخرين ...	أسماء بنت يزيد	٣٢ - السجدة/١٦
إذا جمع الله الأولين والآخرين فقضى بينهم ...	عقبة بن عامر	١٤ - إبراهيم/٢٢

إذا حدَّث كذبَ وإذا عاهد غدر ...	...	٢ - البقرة/١٧٧
إذا حدثتم عن رسول الله ﷺ حديثًا ...	علي	٧ - الأعراف/١٥٧
إذا حدّثكم أهل الكتاب فلا تصدّقوهم ولا تكذبوهم ...	...	٧ - الأعراف/١٩٠
إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تكذبوهم ...	...	٢ - البقرة/٤
إذا خرجت روح العبد المؤمن ...	أبو هريرة	١٤ - إبراهيم/٢٧
إذا خلص المؤمنون من النار ...	أبو سعيد الخدري	٧ - الأعراف/٤٣
إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة ...	أبو سعيد الخدري	٤٨ - القتال/٦
إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبى ﷺ ...	أبو هريرة	٢٤ - النور/٣٦
إذا دخل أحدكم المسجد فليقل ...	أبو حميد وأبو أسيد	١١ - هود/٨٨
إذا دخل أحدكم المسجد فليقل : اللّهم افتح لى ...	أبو حميد ، أو أبو أسيد	٢٤ - النور/٣٦
إذا دخل الإنسان قبره فإن كان مؤمنًا ...	أسماء بنت أبى بكر	١٤ - إبراهيم/٢٧
إذا دخل أهل الجنة الجنة ...	أبو سعيد	١٩ - مريم/٣٩
إذا دخل أهل الجنة الجنة ...	أبو هريرة	١٩ - مريم/٣٩
إذا دخل أهل الجنة الجنة ...	ابن عمر	١٩ - مريم/٣٩
إذا دخل أهل الجنة الجنة ...	ابن عباس	١٩ - مريم/٣٩
إذا دخل أهل الجنة الجنة ...	ابن مسعود	١٩ - مريم/٣٩
إذا دخل أهل الجنة الجنة ...	صهيب	٧٥ - القيامة/٢٣
إذا دخل أهل الجنة الجنة اشتاقوا ...	أنس	٥٢ - الطور/٢٨
إذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله عز وجل ...	جابر بن عبد الله	٩ - التوب/٧٢
إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ...	صهيب	١٠ - يونس/٢٦
إذا دخل الإيمان القلب انفسح له القلب وانشرح ...	أبو جعفر	٦ - الأنعام/١٢٥
إذا دخل الرجل بيته فذكر الله ...	جابر بن عبد الله	٥ - المائدة/٤
إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه ...	ابن عباس	٥٢ - الطور/٢١
إذا دخل النور القلب انفسح وانشرح ...	أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود	٦ - الأنعام/١٢٥
إذا دعا أحدكم أخاه فليجب ...	ابن عمر	٣٣ - الأحزاب/٥٣
إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه ...	أبو هريرة	٤ - النساء/٣٤

إذا دعا المسلم لأخيه ...	...	٤٩ - الحجرات/١٠
إذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب ...	...	٤٠ - غافر/٧
إذا ذبح المسلم ولم يذكر اسم اللّٰه فليأكل ...	ابن عباس	٦ - الأنعام/١٢١
إذا رأى أحدكم ما يحب فليحدث به	...	١٢ - يوسف/٥
إذا رأى أحدكم من أخيه ...	عبيد اللّٰه بن عامر	٦٨ - القلم/٥١
إذا رأيت اللّٰه تبارك وتعالى يعطى العبد ...	عقبة بن عامر	٤٣ - الزخرف/٥٥
إذا رأيت اللّٰه يعطى العبد من الدنيا على معاصيه ...	عقبة بن عامر	٦ - الأنعام/٤٤
إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه ...	...	١ - الفاتحة/٧
إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه ...	عائشة	٣ - آل عمران/٧
إذا رأيتم الذين يجادلون فيه ...	عائشة	٣ - آل عمران/٧
إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد ...	أبو سعيد الخدري	٩ - التوبة/١٨
إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع فى المسجد فقولوا ...	أبو هريرة	٢٤ - النور/٣٦
إذا رجعت فطلق إحداهما ...	أبو خراش الرعيني	٤ - النساء/٢٣
إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها ...	أنس	٢٠ - طه/١٤
إذا رميت بالمعراض فخزق فكله	عدى بن حاتم	٥ - المائدة/٣
﴿إذا زلزلت﴾ تعدل نصف القرآن ...	ابن عباس	٩٩ - الزلزلة/فضائلها
إذا زنت أمة أحدكم ...	أبو هريرة	٤ - النساء/٢٥
إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها ...	...	٤ - النساء/١٥
إذا زنت الأمة فاجلدوها ...	عباد بن تميم عن عمه	٤ - النساء/٢٥
إذا زنت ثلاثًا فليبعها فى الرابعة	...	٤ - النساء/٢٥
إذا سألتم اللّٰه تعالى فاسألوه الفردوس ...	...	٤٧ - القتال/١٥
إذا سألتم اللّٰه الجنة فاسألوه الفردوس ...	...	٣ - آل عمران/١٣٣
إذا سألتم اللّٰه الجنة فاسألوه الفردوس ...	...	١٨ - الكهف/١٠٧
إذا سألتم اللّٰه الجنة فاسألوه الفردوس ...	...	٢٣ - المؤمنون/١١
إذا سلّم عليكم اليهود ...	ابن عمر	٤ - النساء/٨٦
إذا سلمتم عليَّ فسلموا على المرسلين ...	قتادة	٣٧ - الصافات/١٨١
إذا سلمتم عليَّ فسلموا على المرسلين ...	أبو طلحة	٣٧ - الصافات/١٨١

إذا سمع – الشيطان – الأذان أدبر ...	...	٥ – المائدة/٥٨
إذا سمعت الله يقول : ﴿ياأيها الذين آمنوا﴾ فارعها ...	عبد الله بن مسعود	٥ – المائدة/١
إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة ...	أبو هريرة	٦٢ – الجمعة/٩
إذا سمعت الحديث تعرفه قلوبكم ...	أبو حميد وأبو أسيد	٧ – الأعراف/١٥٧
إذا سمعتم الحديث عنى تعرفه قلوبكم ...	أبو حميد وأبو أسيد	١١ – هود/٨٨
إذا سمعتم الرعد فاذكروا الله ...	ابن عباس	١٣ – الرعد/١٣
إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله ...	أبو هريرة	٣١ – لقمان/١٩
إذا سمعتم الطاعون بأرض فلا تدخلوها ...	حبيب بن أبى ثابت	٢ – البقرة/٥٩
إذا سمعتم عن رسول الله ﷺ حديثًا ...	علي	٧ – الأعراف/١٥٧
إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ...	عبد الله بن عمرو بن العاص	٥ – المائدة/٣٥
إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ...	عبد الله بن عمرو	٩ – التوبة/٧٢
إذا سمعتم مؤذنًا فقولوا مثل ما يقول ...	عبد الله بن عمرو	٣٣ – الأحزاب/٥٦
إذا شهدت إحداكن ا لمسجد فلا تمس طيبًا	زينب	٢٤ – النور/٣٧
إذا صدقاكم ضربتموهما ، وإذا كذباكم تركتموهما ...	عروة بن الزبير	٨ – الأنفال/٤٢
إذا صلت المرأة خمسها ...	عبد الرحمن بن عوف	٤ – النساء/٣٤
إذا صليت فاقرأ بهما – المعوذتان –	أبو العلاء عن رجل	المعوّذتان
إذا صليتم عليَّ فسلوا الله لى الوسيلة ...	أبو هريرة	٩ – التوبة/٧٢
إذا صليتم عليَّ فسلوا لى الوسيلة ...	أبو هريرة	٥ – المائدة/٣٥
إذا طلعت الشمس من مغربها ...	عبد الله بن عمرو بن العاص	٦ – الأنعام/١٥٨
إذا طنَّت أذن أحدكم فليذكرنى ...	أبو رافع	٣٣ – الأحزاب/٥٦
إذا ظهر السوء فى الأرض أنزل الله ...	عائشة	٨ – الأنفال/٢٥
إذا ظهر فيكم ما ظهر فى الأمم قبلكم ...	أنس بن مالك	٥ – المائدة/٧٩
إذا ظهر القول وخزن العمل ...	سليمان	٤٧ – محمد/٢٢
إذا ظهرت المعاصى فى أمتى عمهم الله بعذاب ...	أم سلمة	٨ – الأنفال/٢٥
إذا عملت حسنة أحبها قلبك ...	أبو ذر	٢ – البقرة/١٧٧
إذا عملت الخطيئة فى الأرض ...	ابن عميرة	٥ – المائدة/٧٩
إذا عملت الخطيئة فى الأرض ...	عدى بن عدي	٥ – المائدة/٧٩

إذا عملت سيئة فأتبعها بحسنة تمحها ...	أبو ذر	١١ - هود/١١٤
إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس ...	أبو ذر	٣ - آل عمران/١٣٤
إذا فرغ اللّٰه من القضاء بين الخلق ...	ابن عباس	٦ - الأنعام/٥٣
إذا قال أحدكم في الصلاة آمين ...	...	١ - الفاتحة/٧
إذا قال اللّٰه : ﴿يأيها الذين آمنوا﴾ افعلوا ...	الزهري	٥ - المائدة/١
إذا قال الإمام : ﴿غير المغضوب عليهم ...	أبو هريرة	١ - الفاتحة/٧
إذا قال - يعني الإمام - ﴿ولا الضالين﴾ ...	أبو موسى	١ - الفاتحة/٧
إذا قبر الميت - أو قال : أحدكم - أتاه ملكان ...	أبو هريرة	١٤ - إبراهيم/٢٧
إذا قرأ ابن آدم السجدة اعتزل الشيطان ...	أبو هريرة	٢٢ - الحج/١٨
إذا قرأ : ﴿والمرسلات عرفا﴾ ...	أبو هريرة	٧٧ - المرسلات/٥٠
إذا قضى اللّٰه الأمر في السماء ...	أبو هريرة	١٥ - الحجر/١٦
إذا قضى اللّٰه الأمر في السماء ...	أبو هريرة	٢٦ - الشعراء/٢٢٣
إذا قضى اللّٰه تعالى الأمر في السماء...	أبو هريرة	٣٤ - سبأ/٢٣
إذا قضى اللّٰه ميتة عبد بأرض ...	مطر بن عكامس	٣١ - لقمان/٣٤
إذا قلت ﴿الحمد للّٰه رب العالمين﴾ ...	الحكم بن عمير	١ - الفاتحة/٢
إذا قمت إلى الصلاة فكبر ...	أبو هريرة	١ - الفاتحة/المقدمة
إذا كان أجل أحدكم بأرض ...	عكرمة	٣١ - لقمان/٣٤
إذا كان بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه ...	عبد الرحمن بن عوف	٢ - البقرة/٢٤٣
إذا كان دمًا أحمر فدينار ...	...	٢ - البقرة/٢٢٢
إذا كان رجل مؤمن يخفي إيمانه ...	ابن عباس	٤ - النساء/٩٤
إذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج حفروا ...	كعب	٢١ - الأنبياء/٩٦
إذا كان لإحداكن مكاتب ...	أم سلمة	٢٤ - النور/٣١
إذا كان يوم الجمعة ...	صفوان بن سليم	٣٣ - الأحزاب/٥٦
إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس ...	المقداد بن الأسود الكندي	٨٣ - المطففين/٦
إذا كان يوم القيامة أمر اللّٰه تعالى جهنم ...	أبو هريرة	٣٦ - يس/٦١
إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوزارهم ...	ثوبان	١٧ - الإسراء/١٥
إذا كان يوم القيامة دعي بالأنبياء وأممهم ...	أبو موسى الأشعري	٥ - المائدة/١١٦

إذا كان يوم القيامة دفع الله لكل مسلم ...	أبو موسى	٢٣ - المؤمنون/١١
إذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله ...	أبو سعيد	٢٤ - النور/٢٤
إذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله ...	أبو سعيد الخدري	٤١ - فصلت/٢٠
إذا كان يوم القيامة قيل : أين أبناء الستين ...	ابن عباس	٣٥ - فاطر/٣٧
إذا كان يوم القيامة كنت إمام الأنبياء ...	أبى بن كعب	١٧ - الإسراء/٧٩
إذا كان يوم القيامة مدّ الله الأرض ...	على بن الحسين	١٧ - الإسراء/٧٩
إذا كان يوم القيامة مد الله الأرض ...	على بن الحسين	٨٤ - الانشقاق/٣
إذا كان يوم القيامة نادى مناد ...	ابن عباس	٣ - آل عمران/١٣٤
إذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له ...	عائشة	٤٢ - الشورى/٣٠
إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان ...	عبد الله بن مسعود	٥٨ - المجادلة/١٠
إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان ...	ابن عمر	٥٨ - المجادلة/١٠
إذا كنز الناس الذهب والفضة ...	شداد بن أوس	٩ - التوبة/٣٥
إذا كنز الناس الذهب والفضة ...	شداد بن أوس	١٨ - الكهف/٤٦
إذا لم تصطبحوا ولم تغتبقوا ولم تحتفئوا ...	أبو واقد الليثي	٥ - المائدة/٣
إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ...	أبو هريرة	٢ - البقرة/١٢٨
إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ...	أبو هريرة	٢٥ - الفرقان/٧٤
إذا مات ابن آدم انقطع عمله ...	أبو هريرة	٣٦ - يس/١٢
إذا مات ابن آدم انقطع علمه ...	أبو هريرة	٥٢ - الطور/٢١
إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث ...	أبو هريرة	٥٣ - النجم/٣٩
إذا مات المؤمن ذهب بروحه ...	...	١٠١ - القارعة/١١
إذا مشت أمتى المطيطاء ...	محسن	١٧ - الإسراء/٣٧
إذا نام ابن آدم قال الملك للشيطان ...	أبو مالك الأشعري	٢٥ - الفرقان/٧١
إذا نزلتم بقوم ...	عقبة بن عامر	٤ - النساء/١٤٨
إذا نظرت فى كتابى هذا فامض حتى تنزل نخلة ...	محمد بن إسحاق	٢ -البقرة/٢١٧
إذا نعس أحدكم وهو يصلى فلينصرف ...	أنس	٤ - النساء/٤٣
إذا نكح الرجل المرأة ...	عبد الله بن عمرو	٤ - النساء/٢٣
إذا نودى للصلاة صلاة الصبح ...	أبو هريرة	٢ - البقرة/١٨٧

إذا نودى للصلاة صلاة الصبح ...	الفضل بن عباس	٢ - البقرة/١٨٧
إذا همّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ...	جابر بن عبد اللّٰه	٥ - المائدة/٣
إذا وجدت فى نفسك شيئًا فقل ...	ابن عباس	٥٧ - الحديد/٣
إذا وضعت جنبك على الفراش ...	أنس	١ - الفاتحة/المقدمة
إذا وقعتم فى الأمر العظيم ...	أبو هريرة	٣ - آل عمران/١٧٣
اذكروا الجنة واذكروا النار ...	مصعب بن ثابت	١٥ - الحجر/٥٠
أذن لى أن أحدثكم عن ملك ...	جابر	٦٩ - الحاقة/١٧
اذهب ...	ابن عباس	٩٢ - الليل/١٠
اذهب إليه فقل له : إنك لست من أهل النار ...	أنس بن مالك	٤٩ - الحجرات/٢
اذهب البأس ، رب الناس ، اشف وأنت الشاف ...	ابن مسعود	١٢ - يوسف/١٠٦
اذهب فائتنى بهذين فجئته بهما ...	عمر بن الخطاب	٢٤ - النور/٣٦
اذهب فادعه لى ...	محمد بن ثابت بن قيس	٤٩ - الحجرات/٢
اذهب فادعه لى ، قال فذهب إليه فقال :		
يدعوك رسول اللّٰه ﷺ ...	أنس	١٣ - الرعد/١٣
اذهب فاذكرها عليّ ، فانطلق حتى ...	أنس	٣٣ - الأحزاب/٣٧
اذهب فاذكرها عليّ ، قال فانطلق زيد ...	أنس	٣٣ - الأحزاب/٥٣
اذهب فاطرحه فى القبض ...	سعد بن أبى وقاص	٨ - الأنفال/١
اذهب فأنت أميرهم .	أبو هريرة	٢ - البقرة/المقدمة
اذهب فواره ، ولا تحدثنّ شيئًا حتى تأتينى ...	علي	٩ - التوبة/١١٤
اذهبى إلى أم سلمة فأعطيه الأربعين درهمًا ...	أنس	١٤ - إبراهيم/٧
اذهبى فغيرى يدك ...	عائشة	٦٠ - الممتحنة/١٢
أراد أبو طلحة أن يطلق أم سليم ...	أنس بن مالك	٤ - النساء/٢
أرانى اللّٰه عند الكعبة ...	ابن عمر	٤ - النساء/١٥٩
أرانى ليلةً عند الكعبة ...	ابن عمر	٤ - النساء/١٥٩
أرأيت رجلاً عمل الذنوب كلها ...	أبو فروة	٢٥ - الفرقان/٧١
أرأيت قول اللّٰه تعالى :		
﴿إن الصفا والمروة من شعائر اللّٰه﴾ ...	عروة	٢ - البقرة/١٥٨

أرأيت قول الله تعالى :		
﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾ ...	عروة	٢ - البقرة/١٥٨
أرأيت قول الله عز وجل :		
﴿إنَّ الله وملائكته﴾ ...	الحسن بن علي	٣٣ - الأحزاب/٥٦
أرأيت لو عمد إلى متاع الدنيا		
فركب بعضه على بعض ...	قتادة	١٤ - إبراهيم/٢٤
أرأيت الليل إذا جاء لبس كل شيء ...	أبو هريرة	٣ - آل عمران/١٣٣
أرأيت ما رأيت مما تكره ...	أبو بكر الصديق	٤٢ - الشورى/٣٠
أرأيت وضوء عبد الله بن عمر لكل صلاة ...	عبيد الله بن عبد الله بن عمر	٥ - المائدة/٦
أرأيتم إن أعطيتكم هذا هل أنتم معطى كلمة ...	السدي	٦ - الأنعام/١٠٨
أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم ...	ابن عباس	١١١ - المسد/١
أرأيتم لو أن بباب أحدكم نهرًا غمرًا ...	أبو هريرة	١١ - هود/١١٤
أربع إذا كن فيك فلا عليك ...	عبد الله بن عمرو	٣٣ - الأحزاب/٧٢
أربع إذا كن فيك فلا عليك ...	عبد الله بن عمر	٣٣ - الأحزاب/٧٢
أربع خصال ، واحدة منهن لى ...	أنس بن مالك	٤٠ - غافر/٦٠
أربع فى أمتى من أمر الجاهلية ...	أبو مالك الأشعري	١٤ - إبراهيم/٥٠
أربع فى أمتى من أمر الجاهلية ...	أبو مالك الأشعري	٦٠ - الممتحنة/١٢
أربع لا تجوز فى الأضاحى : العوراء ...	البراء	٢٢ - الحج/٣٢
أربع من سنن المرسلين : التعطر والنكاح ...	أبو أيوب	١٣ - الرعد/٣٨
أربع من الشقاء : جمود العين ...	أنس	٢ - البقرة/٧٥
أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا ...	...	٦١ - الصف/٢
أربع شهود وإلا حد فى ظهرك ...	أنس بن مالك	٢٤ - النور/٦
أربع كلّهم يدلى على الله بحجة ...	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/١٥
أربع لعنهم الله تعالى من فوق عرشه ...	أبو أمامة الباهلي	٤٦ - الأحقاف/١٧
أربعة يحتجون يوم القيامة ...	الأسود بن سريع	١٧ - الإسراء/١٥
أربعة يحتجون يوم القيامة ...	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/١٥
ارتفاعها كما بين السماء والأرض ...	أبو سعيد	٥٦ - الواقعة/٣٤

ارجع فأحسن وضوءك ...	عمر بن الخطاب	٥ - المائدة/٦
ارجع فإنك لم تصنع شيئًا ...	أبو الطفيل	٥٣ - النجم/١٩
ارجع فقل : السلام عليكم أأدخل ؟ ...	كلدة بن الحنبل	٢٤ - النور/٢٧
ارحموا ترحموا ...	عبد اللّٰه بن عمرو	٣ -آل عمران/١٣٥
أردت أمرًا وأراد اللّٰه غيره ...	علي	٤ - النساء/٣٤
أردت أن أصوم يومين مواصلة فمنعني ...	ليلى امرأة بشير بن الخصاصية	٢ - البقرة/١٨٧
أرسل إليّ عمر بن الخطاب رضى اللّٰه عنه ...	مالك بن أوس	٥٩ - الحشر/٧
أرسِلْ إليه أن رسول اللّٰه يأمرك ...	...	٦٥ - الطلاق/٣
أرسل رسول اللّٰه ﷺ إلى عثمان بن طلحة ...	امرأة من بنى سليم	٣٧ - الصافات/١٠٧
أرسل رسول اللّٰه ﷺ إلى اليهود فقال ...	زيد	١٤ - إبراهيم/٤٨
أرسل رسول اللّٰه ﷺ الوليد بن عقبة إلى بنى المصطلق ...	مجاهد وقتادة	٤٩ - الحجرات/٦
أرسل عبد اللّٰه بن أبى إلى رسول اللّٰه ﷺ وهو مريض ...	قتادة	٩ - التوبة/٨٤
أرسلني أبو بكر وعمر وأنا غلام صغير أسأله عن الصلاة الوسطى ...	إبراهيم بن يزيد الدمشقي عن رجل	٢ - البقرة/٢٣٨
أرسلني خالي عثمان بن مظعون رضي الله عنه ليلة الخندق ...	ابن عمر	٣٣ - الأحزاب/١٠
أرسلوا إليّ أعلم رجلين فيكم ...	جابر بن عبد اللّٰه	٥ - المائدة/٤١
أرسلوهم يكن لهم بدء الفجور وثناؤه	سلمة بن الأكوع	٤٨ - الفتح/٢٣
أرض بيضاء لم يسفك عليها دم ...	عبد اللّٰه بن مسعود	١٤ - إبراهيم/٤٨
ارفعوا طعامكم ، وبقى ثلاثة رهط ...	أنس بن مالك	٣٣ - الأحزاب/٥٣
ارقبوا محمدًا ﷺ فى أهل بيته ...	أبو بكر الصديق	٤٢ - الشورى/٢٣
اركبها بالمعروف ...	جابر	٢٢ - الحج/٣٢
اركبها ، قال : إنها بدنة ...	أنس	٢٢ - الحج/٣٢
اركبوها سالمة ودعوها سالمة ...	أنس	١٧ - الإسراء/٤٤
ارم فداك أبى وأمى ...	سعد بن أبى وقاص	٣ - آل عمران/١٥٣
ارموا بنى إسماعيل فإنَّ أباكم كان راميًا ...	...	٣٤ - سبأ/١٥

ارموا واركبوا ، وأن ترموا أحب إلى ...	...	٨ - الأنفال/٦٠
الأرواح جنود مجندة ...	عائشة	١٨ - الكهف/١٤
الأرواح جنود مجندة ...	أبو هريرة	١٨ - الكهف/١٤
الأرواح جنود مجندة ...	سليمان	٤٧ - محمد/٢٢
أرواحهم فى جوف طير خضر لها قناديل معلقة ...	عبد اللّه بن مسعود	٣ - آل عمران/١٦٩
أرواحهم فى جوف طير خضر لها قناديل معلقة ...	أنس	٣ - آل عمران/١٦٩
أرواحهم فى جوف طير خضر لها قناديل معلقة ...	أبو سعيد	٣ - آل عمران/١٦٩
أرى رؤياكم قد تواطأت فى السبع الأواخر ...	عبد اللّه بن عمر	٩٧ - القدر/٥
أريت فى المنام دار هجرتكم ...	...	٣٣ - الأحزاب/١٣
أريت ليلة أسرى بى موسى ...	ابن عباس	٣٢ - السجدة/٢٢
أزهد الناس فى الدنيا الأنبياء ...	أبو الدرداء	٢٦ - الشعراء/٢١٦
أسأل اللّه أن يجمع بينى وبينك ...	أبو هريرة	٤١ - فصلت/٣٢
أسبع الوضوء وخلل بين الأصابع ...	لقيط بن صبرة	٥ - المائدة/٦
أسبغوا الوضوء ويل للأعقاب من النار ...	عبد اللّه بن عمرو	٥ - المائدة/٦
أسبغوا الوضوء ويل للأعقاب من النار ...	أبو هريرة	٥ - المائدة/٦
أسبغوا الوضوء ويل للأعقاب من النار ...	عائشة	٥ - المائدة/٦
استأخرن فإنه فليس لكُنَّ أن تحتضنَّ الطريق ...	أبو أُسيد الأنصاري	٢٤ - النور/٣١
استأذنت النار ربها فقالت ...	...	٢ - البقرة/٢٤
استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود ...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٥٣
استب رجلان رجل من المسلمين ورجل من اليهود...	أبو هريرة	٧ - الأعراف/١٤٣
استب رجلان عند النبى ﷺ	معاذ بن جبل	١ - الفاتحة/الاستعاذة
استب رجلان عند النبى ﷺ...	سليمان بن صرد	١ - الفاتحة/الاستعاذة
استبعنى رسول اللّه ﷺ فانطلقنا...	عبد اللّه بن مسعود	٤٦ - الأحقاف/٢٩
استبعنى رسول اللّه ﷺ فقال...	عبد اللّه بن مسعود	٤٦ - الأحقاف/٢٩
الاستثناء فاستثن إذا ذكرت...	ابن عباس	١٨ - الكهف/٢٤
استح من اللّه كما تستحى رجلاً من صالحي...	عمر	٥٧ - الحديد/٦
استحيوا إن اللّه لا يستحيى من الحق...	جابر	٢ - البقرة/٢٢٣

استحيوا إن الله لا يستحيى من الحق...	خزيمة بن ثابت	٢ - البقرة/٢٢٣
استحيوا من الله حق الحياء ، لا تأتوا النساء...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٢٣
استحيوا من الله ، فإن الله لا يستحيى من الحق...	عمر	٢ - البقرة/٢٢٣
استشار النبى ﷺ الناس في الأسارى...	أنس	٨ - الأنفال/٦٧
استعمل رسول الله ﷺ رجلا من الأزد...	أبو حميد الساعدي	٣ - آل عمران/١٦١
استعن بالله ولا تعجز...	...	٥٤ - القمر/٤٩
أستعيذ بالله السميع العليم...	عبد الله بن عباس	١ - الفاتحة/الاستعاذة
استعيذوا بالله فإن النفس حق...	عائشة	٦٨ - القلم/٥١
استعيذوا بالله من عذاب القبر...	البراء بن عازب	٧ - الأعراف/٤٠
استعيذوا بالله من عذاب القبر...	البراء بن عازب	١٤ - إبراهيم/٢٧
استعينوا على قضاء الحوائج بكتمانها...	...	١٢ - يوسف/٥
استغفر ربك وصل أربع ركعات...	يحيى بن جعدة	١١ - هود/١١٤
استغفروا لأخيكم...	أنس بن مالك	٣ - آل عمران/١٩٩
استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت...	عثمان بن عفان	٩ - التوبة/٨٤
استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت...	عثمان	١٤ - إبراهيم/٢٧
استفت قلبك وإن أفتاك الناس وأفتوك...	...	٢ - البقرة/٢٧٥
استكثروا من الباقيات الصالحات...	أبو سعيد	١٨ - الكهف/٤٦
استلم رسول الله ﷺ الركن فرمل...	جابر	٢ - البقرة/١٢٥
استندوا إلى العقبة حتى أرجع إليكم...	ابن عباس	٩ - التوبة/١١٣
استووا حتى أثنى على ربى عز وجل...	أبو رفاعة الزرقى عن أبيه	٤٩ - الحجرات/٧
استووا ولا تختلفوا...	أبو مسعود	٥٨ - المجادلة/١١
استيقظ النبيّ ﷺ من نومه وهو محمرّ وجهه...	زينب بنت جحش	١٨ - الكهف/٩٨
أسرى برسول الله ﷺ إلى بيت المقدس...	ابن عباس	١٧ - الإسراء/١
اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي...	حبيبة بنت أبى تجزئة	٢ - البقرة/١٥٨
اسق ثم أرسل إلى جارك...	عروة	٤ - النساء/٦٥
اسق يا زبير...	عروة	٤ - النساء/٦٥
اسقه عسلاً...	أبو سعيد ال خدري	١٦ - النحل/٦٩

الإسلام أن تسلم وجهك لله عز وجل....	ابن عباس	٣١ - لقمان/٣٤
الإسلام علانية والإيمان فى القلب...	أنس	٤٩ - الحجرات/٧
الإسلام يجبّ ما قبله...	...	٦٦ - التحريم/٨
الإسلام يَجُبُّ ما قبله ، والتوبة تجبُّ ما كان قبلها	...	٨ - الأنفال/٣٨
أَسْلِم ، قال أجدنى كارهًا...	أنس	٩ - التوبة/٤١
أسلمتَ ، فقال : نعم ، قال : فافعل الخيرات...	أبو فروة	٢٥ - الفرقان/٧١
أسلمت وعندى امرأتان أختان...	فيروز	٤ - النساء/٢٣
أسلمت وعندى خمس نسوة...	نوفل بن معاوية الديلي	٤ - النساء/٣
اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب...	أبو أمامة	٢ - البقرة/٢٥٥
اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب...	ابن عباس	٣ - آل عمران/٢٧
اسم الله الأعظم فى هاتين الآيتين : ﴿وإلهكم إله واحد...	أسماء بنت يزيد	٢ - البقرة/١٦٠
اسم الله الذى إذا دعى به أجاب...	سعد بن أبى وقاص	٢١ - الأنبياء/٨٨
اسم الله على كل مسلم	أبو هريرة	٦ - الأنعام/١٢١
أسمع ربى قد رخص لى فيهم ، فوالله لأستغفرن لهم...	ابن عباس	٩ - التوبة/٨٠
أسمع صلاصل...	عبد الله بن عمرو	٧٣ - المزمل/٥
أسمع صلاصل ثم أسكت عند ذلك...	عبد الله بن عمرو	٤٢ - الشورى/٣
أسمعت بلالاً ينادي...	سمرة بن جندب	٣ - آل عمران/١٦١
اسمعوا وأطيعوا...	أنس	٤ - النساء/٥٩
اشتد غضب الله على قوم فعلوا برسول الله ﷺ...	أبو هريرة	٣ - آل عمران/١٥٣
اشتد غضب الله على من أدمى وجه رسول الله ﷺ	سعد بن أبى وقاص	٣ - آل عمران/١٥٣
اشتد غضب الله على من قتله رسول الله ﷺ...	ابن عباس	٣ - آل عمران/١٥٣
اشترط لربك ولنفسك ما شئت...	عبد الله بن رواحة	٩ - التوبة/١١١
أشترط لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا...	عبد الله بن رواحة	٩ - التوبة/١١١
اشتريت كبشًا أضحى به ، فعدا الذئب...	أبو سعيد	٢٢ - الحج/٣٢
اشتكت النار إلى ربها...	...	١٠١ - القارعة/١١
اشتكى النبى ﷺ فلمى قم ليلة أو ليلتين...	جندب بن عبد الله البجلي	٩٣ - الضحى/١
أشدّ الناس بلاءً الأنبياء...	...	٢١ - الأنبياء/٨٣

أشد الناس عذابًا يوم القيامة...	ابن مسعود	٢ - البقرة/٦١
أشرف علينا رسول الله ﷺ من غرفة...	حذيفة بن أسيد الغفاري	٤ - النساء/١٥٩
أشرف علينا رسول الله ﷺ من غرفة...	حذيفة بن أسد الغفاري	٦ - الأنعام/١٥٨
أشرف علينا رسول الله ﷺ من غرفة...	حذيفة بن أسيد	٢٧ - النمل/٨٢
أشرف علينا رسول الله ﷺ من غرفة...	حذيفة بن أسيد	٤٤ - الدخان/١٠
أشعرت أنها قد حرمت بعدك	عبد الرحمن بن غنم	٥ - المائدة/٩١
اشفعوا تؤجروا...	...	٤ - النساء/٨٥
أشكم درد ، ومعناه أيوجعك بطنك ؟...	...	٢ - البقرة/٤٥
أشهد أن رسول الله ﷺ أخبرني أن جبريل عليه السلام...	أبيّ بن كعب	المعوّذتان
اشهد يا أبا بكر ، فقال المشركون : سحر القمر...	ابن مسعود	٥٤ - القمر/١
اشهدوا...	عبد الله بن مسعود	٥٤ - القمر/١
اشهدوا اشهدوا.	عبد الله بن مسعود	٥٤ - القمر/١
أشيروا أيها الناس علي...	المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم	٤٨ - الفتح/٢٦
أشيروا عليّ أيها المسلمون	...	٥ - المائدة/٢٤
أشيروا عليّ معشر المسلمين	...	٣ - آل عمران/١٥٩
أصابتنا عامًا مخمصة فأتيت حائطًا...	عباد بن شرحبيل	٢ - البقرة/١٧٣
أصابنا عطش وظلمة...	عبد الله بن حبيب	١١٢ - الإخلاص/فضائلها
أصابنا من الليل طشٌ من المطر...	علي	٨ - الأنفال/١
أصابني أرق من الليل...	زيد بن ثابت	٣٠ - الروم/٢٣
أَصَبْتُ سيف ابن عائذٍ يوم بدرٍ...	مالك بن ربيعة	٨ - الأنفال/١
أصبح رسول الله ﷺ يومًا طيب النفس...	أبو طلحة	٣٣ - الأحزاب/٥٦
أصبحنا على ملة الإسلام...	أبزي	٦ - الأنعام/١٦٣
أصبنا سبيًا من سبي أوطاس...	أبو سعيد الخدري	٤ - النساء/٢٤
أصدق الطيرة الفأل...	أبو هريرة	٦٨- القلم/٥١
أصدق كلمة قالها الشاعر لبيد : ألا كل شيءٍ...	أبو هريرة	٢٨ - القصص/٨٨
اصطبح ناس الخمر من أصحاب النبي ﷺ...	جابر بن عبد الله	٥ - المائدة/٩١

أصلحي لنا المجلس فإنه ينزل ملك إلى الأرض...	أم سلمة	١٩ - مريم/٦٤
اصنع لي رجل شاة بصاع من طعام...	علي	٢٦ - الشعراء/٢١٤
اصنعوا كل شيء إلا النكاح...	أنس	٢ - البقرة/٢٢٢
أصيب رجل فى عهد رسول الله ﷺ...	أبو سعيد	٩ - التوبة/٦٠
أصيب النبي ﷺ يوم أحد وكسرت رباعتيه...	قتادة	٣ - آل عمران/١٢٨
الإضرار فى الوصية من الكبائر	ابن عباس	٤ - النساء/١٢
الإضرار فى الوصية من الكبائر	ابن عباس	٤ - النساء/٣١
اضطجع رسول الله ﷺ على حصير...	عبد الله بن مسعود	٩٣ - الضحى/٤
أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا...	أبو هريرة	١٦ - النحل/١٢٤
أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا...	...	٦٢ - الجمعة/٩
أضللت بعيرًا لى بعرفة فذهبت أطلبه...	جبير بن مطعم	٢ - البقرة/١٩٩
أضياف الله فلن يعجزهم ما لديه	أبو أيوب الأنصاري	١٤ - إبراهيم/٤٨
أَطّت السماء وحق لها أن تئطّ...	العلاء بن سعد	٣٧ - الصافات/١٦٤
أطت السماء وحق لها أن تئط...	العلاء بن سعد	٧٤ - المدثر/٣١
أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان	عمر	١٧ - الإسراء/١١٠
اطرق بصرك	...	٢٤ - النور/٣٠
أطع والديك وإن أمراك أن	أبو الدرداء	٦ - الأنعام/١٥١
أطع والديك وإن أمراك أن	عبادة بن الصامت	٦ - الأنعام/١٥١
أطعمنا...	أبو عسيب	١٠٢ - التكاثر/٨
اطلبوا الخير دهركم كله ، وتعرضوا لنفحات ربكم...	أنس بن مالك	١٠ - يونس/١٠٧
اطلبوا الخير دهركم كله ، وتعرضوا لنفحات ربكم...	أبو هريرة	١٠ - يونس/١٠٧
أظل الله عينًا فى ظله يوم لا ظل إلا ظله...	عثمان	٢ - البقرة/٢٨٠
أعاذك الله من إمارة السفهاء...	جابر بن عبد الله	٧٦ - الإنسان/٣
اعبد الله كأنك تراه...	...	٤ - النساء/١
أعتق عددهن نسمًا...	خليفة بن حصين	٨١ - التكوير/٩
أعتق عن كل واحدة منهن رقبة...	عمر بن الخطاب	٨١ - التكوير/٩
أعتق النسمة وفك الرقبة...	البراء بن عازب	٩ - التوبة/٦٠

أعتقها فإنها مؤمنة...	معاوية بن الحكم السلمي	٥٨ - المجادلة/٣
أعتقوا عنه...	واثلة بن الأسقع الليثي	٤ - النساء/٩٣
أعتقوا عنه...	واثلة بن الأسقع	٩٠ - البلد/١٣
اعتكف رسول الله ﷺ فى العشر الأول من رمضان...	أبو سعيد الخدري	٩٧ - القدر/٥
اعتمر النبى ﷺ فى ذى القعدة...	البراء	٤٨ - الفتح/٢٧
أشقى الناس على الله : رجل قتل نبيًا أو قتله نبي	...	١٠ - يونس/١٧
أَعِدْ من المال طائفة...	حميد بن هلال	٨ - الأنفال/٧٠
أعددت لعبادى الصالحين...	أبو سعيد الخدري	٣٢ - السجدة/١٧
أعذر الله عز وجل امرىء أخر عمره...	أبو هريرة	٣٥ - فاطر/٣٧
أعرس رسول الله ﷺ ببعض نسائه...	أنس بن مالك	٣٣ - الأحزاب/٥٣
أعطاك أحد شيئًا؟...	ابن عباس	٥ - المائدة/٥٥
أعطانى رسول الله ﷺ يوم حنين وإنه لأبغض...	صفوان بن أمية	٩ - التوبة/٦٠
أعطنى حصبًا من الأرض...	السدي	٨ - الأنفال/١٧
أعطنى نخلتك التى فرعها فى دار فلان...	ابن عباس	٩٢ - الليل/١٠
أعطنى رسول الله ﷺ رجالاً...	سعد بن أبى وقاص	٤٩ - الحجرات/١٤
أعطى يوسف وأمه ثلث حسن أهل الدنيا...	الحسن البصري	١٢ - يوسف/٣١
أعطى يوسف وأمه شطر الحسن	أنس	١٢ - يوسف/٣١
أعطيت آمين فى الصلاة وعند الدعاء...	أنس	١ - الفاتحة/٧
أعطيت ثلاثًا لم يعطهن أحد قبلي...	أبو أمامة	٣٤ - سبأ/٤٦
أعطيت خمسًا بعثت إلى الأحمر والأسود...	أبو موسى	٣ - آل عمران/١٥١
أعطيت خمسًا بعثت إلى الأحمر والأسود...	أبو موسى الأشعري	٧ - الأعراف/١٥٨
أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد...	جابر	١٤ - إبراهيم/٤
أعطيت خمسًا لم يعطهن أحدٌ قبلي...	جابر بن عبد الله	٤ - النساء/٤٣
أُعطِيتُ خمسًا لم يُعْطَهن أحدٌ قبلي...	جابر	٨ - الأنفال/١
أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء...	جابر بن عبد الله	٨ - الأنفال/٦٧
أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء...	جابر	٣٤ - سبأ/٢٨
أُعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي...	جابر بن عبد الله	٣ - آل عمران/١٥١

أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي...	...	٦ - الأنعام/٩٢
أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي...	جابر	٧ - الأعراف/١٥٨
أعطيت خمسًا لم يعطهن نبى قبلي...	ابن عباس	٧ - الأعراف/١٥٨
أعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش...	أبو ذر	٢ - البقرة/٢٨٥
أعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش...	أبو ذر	٢ - البقرة/٢٨٥
أعطيت السبع الطول مكان التوراة...	واثلة بن الأسقع	٢ - البقرة/المقدمة
أعطيت سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب...	أبو بكر الصديق	٣ - آل عمران/١١٠
أعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة...	معقل بن يسار	٢ - البقرة/٢٨٥
أعطيت الكوثر فإذا هو نهر يجري...	أنس بن مالك	١٠٨ - الكوثر/١
أعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء...	على بن أبى طالب	٣ - آل عمران/١١٠
أعظم آية فى القرآن : ﴿الله لا إله إلا هو الحى القيوم﴾	ابن مسعود	٢ - البقرة/٢٥٥
أعظم الغلول عند الله ذراع من الأرض...	أبو مالك الأشجعي	٣ - آل عمران/١٦١
أعظم المسلمين جرمًا من سأل عن شيء...	...	٥ - المائدة/١٠١
أعلمت أن الله أحيا أباك...	جابر	٣ - آل عمران/١٦٩
أعلمت أن الله زوجنى فى الجنة...	أبو أمامة	٦٦ - التحريم/٥
أعمار أمتى ما بين الستين إلى السبعين...	أبو هريرة	٦ - الأنعام/١٥١
أعمار أمتى ما بين الستين إلى السبعين...	أبو هريرة	٣٥ - فاطر/٣٧
الأعمال بالنيات...	...	٥ - المائدة/٦
اعملوا وسددوا وقاربوا...	...	٤٤ - الدخان/٥٧
اعملوا وسددوا وقاربوا...	...	٦٩ - الحاقة/٢٤
أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان...	...	٤١ - فصلت/٣٦
أعوذ بالله العظيم ، وبوجهه الكريم...	عبد الله بن عمرو	٢٤ - النور/٣٦
أعوذ بالله من ذلك	جابر	٦ - الأنعام/٦٥
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم...	أبو أمامة الباهلي	١ - الفاتحة/الاستعاذة
أعوذ بالله منك...	أبو الدرداء	٣٨ - ص/٤١
أعوذ بك من البخل والكسل...	أنس بن مالك	١٦ - النحل/٧٠
أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت به...	محمد بن إسحاق	٢٤ - النور/٣٥

أعوذ بوجهك...	جابر بن عبد الله	٦ - الأنعام/٦٥
أعيذكما بكلمات الله التامة...	ابن عباس	٦٨ - القلم/٥١
أغتبتيها.	حسان بن المخارق	٤٩ - الحجرات/١٢
اغد على بها	عبد الله بن عمر	٥ - المائدة/٩١
اغزوا باسم الله فى سبيل الله...	يزيد بن الخصيب	٨ - الأنفال/٧٢
اغزوا فى سبيل الله قاتلوا من كفر بالله...	بريدة	٢ - البقرة/١٩٠
اغفر لنا حوبنا وخطايانا	...	٤ - النساء/٢
أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة...	أنس بن مالك	١٠٨ - الكوثر/١
أفّ لك أفّ لك...	أبو رافع	٣ - آل عمران/١٦١
أفتان أنت يا معاذ؟...	جابر	٨٢ - الأنفطار/فضائلها
أفتان أنت يا معاذ؟...	جابر	٨٦ - الطارق/فضائلها
أفتان يا معاذ؟...	جابر	٨٩ - الفجر/فضائلها
افتخرت الجنة والنار ، فقالت النار...	أبو سعيد الخدري	٥٠ - ق/٣٠
افد نفسك وابن أخيك	...	٤ - النساء/٩٧
أفرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض...	...	١١ - هود/٧
أفش السلام وأطعم الطعام...	أبو هريرة	٢١ - الأنبياء/٣٠
أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر	أبو سعيد الخدري	٥ - المائدة/٧٩
أفضل الحج العج والثج	...	٧٨ - النبأ/١٤
أفضل الذكر لا إله إلا الله...	جابر	١ - الفاتحة/٢
أفضل الصدقة...	...	٧٦ - الإنسان/٨
أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح...	أبو هريرة	٢ - البقرة/١٧٧
أفضل الصدقة جهد المقل.	...	٥٩ - الحشر/٩
أفضل الصدقة الماء...	ابن عباس	٧ - الأعراف/٥٠
أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي...	...	١ - الفاتحة/٢
أفضل نساء أهل الجنة...	ابن عباس	٦٦ - التحريم/١٢
افعلوا ماكنتم تفعلون	ابن مسعود	٤٨ - الفتح/١
أفغلب قوم يسألون عمالا يعملون	جابر بن عبد الله	٧٤ - المدثر/٣٠

أفلا أخبركم عن أهل الجنة وأهل النار ؟...	عبد الله بن عمرو	٢ - البقرة/٥
أفلا أكون عبدًا شكورًا.	المغيرة بن شعبة	٤٨ - الفتح/٢
أفلا أكون عبدًا شكورًا.	أنس بن مالك	٤٨ - الفتح/٢
أفلا قبل أن تدخلوه؟...	جابر	٩ - التوب/٨٤
أفلح من هدى إلى الإسلام...	فضالة بن عبيد الأنصاري	٣٩ - الزمر/٣٦
أفلحت نفس زكاها الله عز وجل...	ابن عباس	٩١ - الشمس/٩
أفلم تكن تخبرنا أنا سنأتى البيت...	...	٤٨ - الفتح/٢٧
أفى شك أنت ياابن الخطاب؟...	عمر بن الخطاب	٦٦ - التحريم/٤
أقام رسول الله ﷺ عشر سنين يضحي.	ابن عمر	٢٢ - الحج/٣٧
أقبل أبو بكر رضى الله عنه يستأذن...	جابر	٣٣ - الأحزاب/٢٨
أقبل رسول الله ﷺ يعنى من تبوك		
حتى نزل بذى أوان	محمد بن إسحاق عن جماعة	٩ - التوبة/١٠٧
أقبل صهيب مهاجرًا نحو النبى ﷺ...	سعيد بن المسيب	٢ - البقرة/٢٠٧
أقبل علينا رسول الله ﷺ بوجهه...	النعمان بن بشير	٥ - المائدة/٦
أقبل وأدبر واتق الدبر والحيضة.	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٢٣
أقبلت مع النبى ﷺ فسمع		
رجلاً يقرأ : ﴿قل هو الله أحد﴾	أبو هريرة	١١٢ - الإخلاص/فضائلها
أقبلت يهود إلى رسول الله ﷺ...	ابن عباس	٣ - آل عمران/٩٥
أقبلت يهود على رسول الله ﷺ فقالوا...	ابن عباس	٢ - البقرة/٩٨
أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بالكديد...	رفاعة الجهني	٣ - آل عمران/١١٠
أقبلنا مع رسول الله ﷺ		
حتى مررنا على مسجد بنى معاوية...	سعد بن أبي وقاص	٦ - الأنعام/٦٥
اقبلوا البشرى يا بنى تميم...	عمران بن حصين	١١ - هود/٧
اقتتلت امرأتان من هذيل...	أبو هريرة	٤ - النساء/٩٢
اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر.	...	٢ - البقرة/١٢٥
اقتصوا ظرفًا...	عائشة	٦٨ - القلم/٤
أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله ؟...	...	٨ - الأنفال/٣٨

اقتلوها...	عبد اللّه بن مسعود	٧٧ - المرسلات/سببها
اقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة...	عتبة بن عامر الجهني	٢ - البقرة/٢٨٥
اقرأ بالمعوذتين...	عقبة بن عامر	المعوذتان
اقرأ عليّ....	عبد اللّه بن مسعود	٤ - النساء/٤١
اقرأ فلان فإنّها السكينة تنزل عند القرآ.ن	البراء	١٨ - الكهف/فضائلها
اقرأ ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾...	عقبة بن عامر	المعوّذتان
اقرأ يا ابن حضير...	أسيد بن حضير	٢ - البقرة/المقدمة
اقرأ يا جابر...	جابر بن عبد اللّه	المعوّذتان
أقرأني رسول اللّه ﷺ ﴿إني أنا الرزاق﴾...	عبد اللّه بن مسعود	٥١ - الذاريات/٥٨
أقرأني رسول اللّه ﷺ : ﴿فهل من مدكر﴾.	ابن مسعود	٥٤ - القمر/١٥
أقرأني رسول اللّه ﷺ : ﴿وليقولوا درست﴾	ابن عباس عن أُبيّ بن كعب	٦ - الأنعام/١٠٥
اقرأوا القرآن فإنه شافع لأهله...	أبو أمامة	٢ - البقرة/المقدمة
اقرأوها على موتاكم- يعني يس.	معقل بن يسار	٢ - البقرة/المقدمة
اقرأوها على موتاكم .	معقل بن يسار	٣٦ - يس/فضائلها
أقرؤنا أبي وأقضانا علي...	عمر	٢ - البقرة/١٠٦
أقرب ما يكون العبد من ربه...	أبو هريرة	٩٦ - العلق/١٨
أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه...	معاوية بن حيدة	٢ - البقرة/١٨٦
اقطعوا في ربع دينار	عائشة	٥ - المائدة/٣٨
اقطعوا يدها اليمنى...	عبد اللّه بن عمرو	٥ - المائدة/٣٩
أقل أمتي أبناء سبعين...	أبو هريرة	٣٥ - فاطر/٣٧
أقم حتى تأتيتنا الصدقة فنأمر لك بها...	قبيصة بن مخارق	٩ - التوبة/٦٠
أقيموا الصفوف ، وحاذوا بين المناكب...	عبد اللّه بن عمر	٥٨ - المجادلة/١١
أقيموا صفوفكم...	النعمان بن بشير	٥ - المائدة/٦
أقيموا على سقايتكم فإن لكم فيها خيرًا	الحسن	٩ - التوبة/١٩
أكبر الكبائر الإشراك باللّه...	عبد اللّه بن عمرو	٤ - النساء/٣١
أكبر الكبائر الإشراك باللّه...	عبد اللّه بن أنيس الجهني	٤ - النساء/٣١
اكتب : بسم اللّه الرحمن الرحيم...	...	١ - الفاتحة/البسملة

اكتب بسم الله الرحمن الرحيم...	عبد الله بن مغفل	٤٨ - الفتح/٢٤
اكتب بسم الله الرحمن الرحيم...	أنس	٤٨ - الفتح/٢٦
اكتب فوالذى نفسى بيده...	عبد الله بن عمرو	٥٣ - النجم/٤
اكتب ﴿لا يستوى القاعدون من المؤمنين﴾...	زيد بن ثابت	٤ - النساء/٩٥
اكتب يا زيد...	زيد بن ثابت	٤ - النساء/٩٥
اكتب يا على : هذا ما صالح عليه محمد...	ابن عباس	٤٨ - الفتح/٢٦
أكثرمن يموت من أمتي...	جابر بن عبد الله	٦٨ - القلم/٥١
أكثرنا الحديث عند رسول الله ﷺ ذات ليلة...	ابن مسعود	٣ - آل عمران/١١٠
أكثرهم ذكرًا للموت...	أبو جعفر	٦ - الأنعام/١٢٥
أكثرهم لله تعالى ذكرًا...	معاذ بن أنس	٣٣ - الأحزاب/٣٥
أكثروا ذكر الله تعالى حتى يقولوا : مجنون	أبو سعيد الخدري	٣٣ - الأحزاب/٤١
أكثروا الصلاة عليّ يوم الجمعة...	أبو الدرداء	٣٣ - الأحزاب/٥٦
أكثروا عليّ من الصلاة يوم الجمعة...	أبو الدرداء	٨٥ - البروج/٣
أكثرنا ذات ليلة عند رسول الله ﷺ...	عبد الله بن مسعود	٥٦ - الواقعة/٣٨
أكرمهم عند الله أتقاهم...	أبو هريرة	٤٩ - الحجرات/١٣
أكرمهم عند الله أتقاهم ، قالوا : ليس عن هذا نسألك...	أبو هريرة	١٢ - يوسف/٤
أكرموا عمتكم النخلة...	علي	١٩ - مريم/٢٦
أكرموا الكرام الكاتبين	مجاهد	٨٢ - الانفطار/٨
أكره أن يتحدث العرب أن محمد يقتل أصحابه	عمر	٢ - البقرة/١٠
اكشفها فإن اللحية من الوجه	...	٥ - المائدة/٦
اكفلوا لى بستٍّ أكفل لكم بالجنة...	أبو أمامة	٢٤ - النور/٣٠
أكل رسول الله ﷺ وأبوبكر وعمر...	جابر بن عبد الله	١٠٢ - التكاثر/٨
أكل عام يا رسول الله ؟...	...	٢ - البقرة/١٠٨
أكل ولدك نحلت مثله؟...	النعمان بن بشير	٥ - المائدة/٨
ألا احتطت يا أبا بكر ، فإن البضع...	ابن عباس	٣٠ - الروم/٣
ألا أحد لهؤلاء...	جابر	٣ - آل عمران/١٥٣
ألا أحدثك بأشقى الناس؟...	عمار بن ياسر	٩١ - الشمس/١٢

ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون الأنبياء والصالحين قبلهم	المغيرة بن شعبة	١٩ - مريم/٢٨
ألا أخبركم بأفضل آية فى كتاب الله...	علي	٤٢ - الشورى/٣٠
ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام...	أبو الدرداء	٤ - النساء/١١٤
ألا أخبركم بأكملكم إيمانًا ؟ أحاسنكم أخلاقًا...	جابر	٣١ - لقمان/١٩
ألا أخبركم بالتيس المستعار ؟ قالوا بلى...	عقبة بن عامر	٢ - البقرة/٢٣٠
ألا أخبركم بخياركم ؟...	أسماء بنت يزيد بن السكن	٦٨ - القلم/١١
ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم...	معاذ	٣٣ - الأحزاب/٣٥
ألا أخبركم بخير البرية ؟...	أبو هريرة	٩٨ - البينة/٨
ألا أخبركم بخير الشهداء ؟...	زيد بن خالد	٢ - البقرة/٢٨٢
ألا أخبركم بشيء أمر به نوح ابنه ؟...	جابر	١٧ - الإسراء/٤٤
ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم من المسيح عندى ؟...	أبو سعيد الخدري	١٨ - الكهف/١١٠
ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا...	أبو هريرة	٣ - آل عمران/٢٠٠
ألا أخبركم ، ثم قال : ﴿إن الذين كفروا...﴾	عبد الله بن عمرو	٢ - البقرة/٦
ألا أخبركم لم سمى الله إبراهيم...	سهل بن معاذ بن أنس	٢ - البقرة/١٢٤
ألا أخبركم لِم سَمى الله إبراهيم خليله ﴿الذى وفَّى﴾؟...	معاذ بن أنس	٣٠ - الروم/١٩
ألا أخبركم لم سمى الله تعالى إبراهيم...	معاذ بن أنس	٥٣ - النجم/٣٧
ألا أدلُّك على أبواب الخير...	معاذ بن جبل	٣٢ - السجدة/١٦
ألا أدلك على تجارة...	أنس	٤ - النساء/١١٤
ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟...	أبو هريرة	١٨ - الكهف/٣٩
ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟...	أبو موسى	١٨ - الكهف/٣٩
ألا أدلكم على ما يكفر الذنوب والخطايا ؟...	علي	٣ - آل عمران/٢٠٠
ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا...	جابر بن عبد الله	٣ - آل عمران/٢٠٠
ألا أراكم تضحكون	رجل من أصحاب النبى ﷺ	١٥ - الحجر/٥٠
ألا أرى هذايعلم ما ههنا...	عائشة	٢٤ - النور/٣١
ألا أعلمك ثلاث سور...	عقبة بن عامر	المعوّذتان
ألا أعلمك كلمات تذهب عنك السقم والضر ؟...	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/١١١

ألا إن أولياء اللّه المصلون	عمير بن قتادة	٤ - النساء/٣١
ألا إنَّ بعد زمانكم هذا زمان عضوض...	حذيفة	٣٤ - سبأ/٣٩
ألا إن الذكاة فى الحلق واللبة...	عمر	٥ - المائدة/ ٣
ألا إن الزمان قد استدار كهيئته...	أبو بكرة	٩ - التوبة/٣٦
ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق اللّه السماوات...	أبو حمزة الرقاشى عن عمه	٩ - التوبة/٣٦
ألا إن العسيلة الجماع	...	٢ - البقرة/٢٣٠
ألا إن كل ربًا كان فى الجاهلية موضوع عنكم...	عمرو بن الأحوص	٢ - البقرة/٢٧٩
ألا إن كل ربًا من ربا الجاهلية موضوع...	عمرو بن الأحوص	٢ - البقرة/٢٧٩
ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟...	أبو بكرة	٤ - النساء/٣١
ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟...	أبو بكرة	٢٢ - الحج/٣٠
ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟...	أبو بكرة	٢٥ - الفرقان/٧٢
ألا أنبئكم بأهل الجنة ؟...	حارثة بن وهب	٦٨ - القلم/١٣
ألا أنبئكم بخير الثلاثة ؟...	...	٥٨ - المجادلة/١١
ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها...	أبو الدرداء	٣٣ - الأحزاب/٤١
ألا إنما أنا بشر...	أم سلمة	٤ - النساء/١٠٥
ألا إنما أنا بشر وإنما يأتينى الخصم...	أم سلمة	٢ -البقرة/١٨٨
ألا إنما هى أربع...	سلمة بن قيس	٢٥ - الفرقان/٦٨
ألا إنهن أربع...	سلمة بن قيس الأشجعي	٤ - النساء/٣١
ألا إنى أوتيت القرآن ومثله معه	...	المقدمة
ألا تجلس ؟ فقال : بلى...	ابن عباس	١٦ - النحل/٩٠
ألا تجيبوه ؟ فقالوا يا رسول اللّه وما نقول ؟...	...	٤٧ - القتال/١١
ألا تحدثون بأعاجيب ما رأيتم...	جابر بن عبد اللّه	٤١ - فصلت/٢٠
ألا تخرجون مع راعينا فى إبله	أنس بن مالك	٥ - المائدة/٣٣
ألا تذكر إذ بعثنى رسول اللّه ﷺ وإياك فى إبل...	عمّار	٤ - النساء/٤٣
ألا تسألونى عن أى شيء ضحكت...	أنس بن مالك	٤١ - فصلت/٢٠
ألا تسمع ما يقول الناس فى عائشة	أم أيوب زوجة أبى أيوب الأنصاري	٢٤ - النور/١١
ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها...	...	٧ - الأعراف/٢٠٦

ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم...	جابر بن سمرة	٣٧ - الصافات/١
ألا تصليان ؟...	علي	١٨ - الكهف/٥٤
ألا تقاتلون ؟...	عتبة بن عبيد السلمي	٥ - المائدة/٢٤
ألا رجل يأتى بخبر القوم...	حذيفة بن اليمان	٣٣ - الأحزاب/١٠
ألا رجل يضيف هذا الليلة رحمه الله...	أبو هريرة	٥٩ - الحشر/٩
ألا فليبلغ الشاهد الغائب	ابن عمر	٥ - المائدة/١٠٥
ألا كلكم يدخل الجنة إلاّ من شرد	...	٨٨ - الغاشية/٢٤
ألا لا تغالوا فى صداق النساء	عمر بن الخطاب	٤ - النساء/٢٠
ألا لا يحجن بعد العام مشرك...	...	٢ - البقرة/١١٤
ألا لا يمنعن أحدكم رهبة الناس...	أبو سعيد الخدري	٥ - المائدة/٥٤
ألا لا يمنعن رجلاً هيبة الناس أن يقول الحق إذا علمه...	أبو سعيد الخدري	٥ - المائدة/٧٩
ألا هل من مشمّر إلى الجنة...	أسامة بن زيد	٩ - التوبة/٧٢
ألا هل مشمّر إلى الجنة...	أسامة بن زيد	٣٦ - يس/٥٧
ألا هل من مشمّر للجنة...	أسامة بن زيد	٨٨ - الغاشية/١٦
ألا وإن ناسًا يقولون : ما الرجم...	عمر بن الخطاب	٢٤ - النور/٢
ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ : ﴿قل هو الله أحد﴾...	أنس	١١٢ - الإخلاص/فضائلها
إلاّ أن تروا كفرًا بواحًا عندكم...	...	٢ - البقر/٣٠
إلاّ أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل	...	٤١ - فصلت/٨
﴿إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾...	سالم البراد	٢٦ - الشعراء/٢٢٧
البسوا من ثيابكم البياض...	ابن عباس	٧ - الأعراف/٣١
التقى آدم وموسى...	أبو هريرة	٢٠ - طه/٤١
التقى عبدالله بن عباس وعبدالله بن عمرو بن العاص...	ابن المنكدر	٢ - البقر/٢٦٠
التمس لى غلامًا من غلمانكم...	أنس بن مالك	٢ - البقر/١٢٦
التمسوها فى العشر الأواخر من رمضان...	عبد الله بن عباس	٩٧ - القدر/٥
التى وهبت نفسها للنبى ﷺ خولة...	عائشة	٣٣ - الأحزاب/٥٠
ألحقوا الفرائض بأهلها...	ابن عباس	٤ - النساء/٣٣
ألحقوا الفرائض بأهلها...	ابن عباس	٤ - النساء/١٧٦

الذى أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم...	أنس	١٧ - الإسراء/٩٧
الذى يأتى امرأته فى دبرها هى اللوطية الصغرى	عبد اللّه بن عمرو	٢ -البقرة/٢٢٣
الذى يقرأ القرآن وهو ماهر به...	عائشة	٨٠ - عبس/١٦
الذين إذا رؤوا ذكر اللّه	ابن عباس	١٠ - يونس/٦٢
الذين يذكرون اللّه...	النعمان بن بشير	٣٥ - فاطر/١٠
ألست تشهد أن لا إله إلا اللّه...	عمرو بن عنبسة	٣٩ - الزمر/٥٣
ألظوا بذى الجلال والإكرام.	ربيعة بن عامر	٥٥ - الرحمن/٧٨
ألظوا بياذا الجلال والإكرام.	أنس	٥٥ - الرحمن/٧٨
الق اللّه فقيرًا ، ولا تلقه غنيًا...	أبو سعيد الخدري	٩ - التوبة/٣٥
اللّه (جوابًا لمن قال للنبى ﷺ من يمنعك منّي)	جابر بن عبد اللّه	٤ - النساء/١٠٢
اللّه... (جوابًا لسؤال ضمام بن ثعلبة : من رفع السماء)	...	١٠ - يونس/١٧
اللّه أعلم بإسلامك...	عن الزهرى عن جماعة	٨ - الأنفال/٧٠
اللّه أعلم بما كانوا عاملين...	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/١٥
اللّه أعلم بما كانوا عاملين...	عائشة	١٧ - الإسراء/١٥
اللّه أعلم بما كانوا عاملين...	ابن عباس	١٧ - الإسراء/١٥
اللّه أعلم بما كانوا عاملين...	ابن عباس	٣٠ - الروم/٣٠
اللّه أعلم بما كانوا عاملين...	ابن عباس	٣٠ - الروم/٣٠
اللّه أعلم بهم.	البراء بن عازب	١٧ - الإسراء/١٥
اللّه أعلم بهم.	عائشة	١٧ - الإسراء/١٥
اللّه أعلم ؟ قال اليهودى : أنا أشهد...	أبو نملة الأنصاري	٢٩ - العنكبوت/٤٦
اللّه أكبر...	حذيفة	٣٦ - يس/٨٣
اللّه أكبر اللّه أكبر...	ابن عباس	١١٤ - الناس/٦
اللّه أكبر اللّه أكبر جاء نصر اللّه والفتح...	ابن عباس	١١٠ - النصر/١
اللّه أكبر خربت خيبر...	أنس	٣٧ - الصافات/١٧٧
اللّه أكبر كبيرًا ثلاثًا...	جبير بن المطعم	١ - الفاتحة/الاستعاذة
اللّه أكبر هو خير لكم...	أبو برزة الأسلمي	١٠٧ - الماعون/٥
اللّه أكبر هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى...	أبو واقد الليثي	٧ - الأعراف/١٣٩

الله أكبر هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى...	عمرو بن عوف المزني	٧ - الأعراف/١٣٩
الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضًا...	عبد الرحمن بن المغفل	٣٣ - الأحزاب/٥٧
﴿الله لا إله إلا هو الحى القيوم....﴾	الأسقع البكري	٢ - البقرة/٢٥٥
الله الواحد الصمد ثلث القرآن	أبو سعيد	١١٢ - الإخلاص/فضائلها
الله يعلم أن أحدكما كاذب...	...	٤ - النساء/٢٠
الله يمنعنى منك...	جابر	٤ - النساء/١٠٢
الله يمنعنى منك ضع السيف	أبو هريرة	٥ - المائدة/٦٧
اللّهم آت نفسى تقواها...	ابن عباس	٩١ - الشمس/٨
اللّهم آت نفسى تقواها...	أبو هريرة	٩١ - الشمس/٨
اللّهم اجعل أوسع رزقك عليّ...	...	٢ - البقرة/٢٦٦
اللّهم اجعل بالمدينة ضعفى ما جعلته بمكة من البركة.	أنس	٢ - البقرة/١٢٦
اللّهم اجعل فى قلبى نورًا...	ابن عباس	٣ - آل عمران/١٩٤
اللّهم اجعل له لسانًا ذاكرًا ، وقلبًا شاكرًا...	أبو الدرداء	٩ - التوب/١٠١
اللّهم اجعلنى أعظم شكرك...	أبو هريرة	٣٣ - الأحزاب/٤١
اللّهم أحسن عاقبتنا فى الأمور كلها...	بسر بن أرطاة	٢ - البقرة/١١٤
اللّهم أحسن عاقبتنا فى الأمور كلها...	بسر بن أرطاة	١٨ - الكهف/١٠
اللّهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه...	...	٢ - البقرة/٢١٣
اللّهم اشهد.	ابن عمر	٥٤ - القمر/١
اللّهم اصرف عنه حرّها وبردها...	عبيد الله بن عامر	٦٨ - القلم/٥١
اللّهم أعم بصره ، وأثكله ولده...	عروة بن الزبير	١٥ - الحجر/٩٥
اللّهم أعنى عليهم بسبعٍ...	...	٢٣ - المؤمنون/٧٦
اللّهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف.	...	١٢ - يوسف/٩٩
اللّهم اغفر ذنبه وطهّر قلبه...	أبو أمامة	١٧ - الإسراء/٣٢
اللّهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار	زيد بن أرقم	٩ - التوبة/٧٤
اللّهم اغفر للمؤذنين	عمر بن الخطاب	٤١ - فصلت/٣٣
اللّهم اغفر لى خطيئتى وجهلي...	...	٤٧ - محمد/١٩
اللّهم اغفر لى ذنوبى وافتح لي...	فاطمة بنت رسول الله ﷺ	٢٤ - النور/٣٦

اللّهم اغفر لى ذنوبى وافتح لي...	فاطمة بنت رسول الله ﷺ	٣٣ - الأحزاب/٥٦
اللّهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت...	...	٤٧ - محمد/١٩
اللّهم اغفر لى واهدني...	عائشة	٨٣ - المطففين/٦
اللّهم اكتب لى بها عندك أجرًا...	ابن عباس	٢٢ - الحج/١٨
اللّهم اكتب لى بها عندك أجرًا...	ابن عباس	٣٨ - ص/٢٤
اللّهم العن فلانًا وفلانًا...	عبد الله بن عمر	٣ - آل عمران/١٢٨
اللّهم ألّف بين قلوبنا...	ابن مسعود	٤٦ - الأحقاف/١٥
اللّهم إليك أشكو ضعف قوتي...	محمد بن كعب القرظي	٤٦ - الأحقاف/٢٩
اللّهم أمتي...	عبد الله بن عمرو	١٤ - إبراهيم/٣٦
اللّهم أمرت بالدعاء وتوكلت بالإجابة...	جابر بن عبد الله	٢ - البقرة/١٨٦
اللّهم إن إبراهيم حرم مكة فجعلها حرامًا...	أبو سعيد	٢ - البقرة/١٢٦
اللّهم إن عثمان فى حاجة الله تعالى وحاجة رسوله...	أنس بن مالك	٤٨ - الفتح/١٠
اللّهم إنا نعوذ بك من شرورهم...	أبو موسى	٤٠ - غافر/٢٧
اللّهم أنت السلام ومنك السلام...	عائشة	٥٥ - الرحمن/٧٨
اللّهم أنج عياش بن أبى ربيعة	أبو هريرة	٤ - النساء/٩٩
اللّهم أَنْجِزْ لى ما وعدتني...	عمر بن الخطاب	٨ - الأنفال/٩
اللّهم أنشدك عهدك ووعدك...	ابن عباس	٨ - الأنفال/٩
اللّهمّ أنفعنى بما علّمتني...	أبو هريرة	٢٠ - طه/١١٤
اللّهم إنى أبرأ إليك...	عبد الله بن عمر	٤ - النساء/٩٢
اللّهم إنى أحرم ما بين جبليها...	أنس بن مالك	٢ - البقرة/١٢٦
اللّهم إنى أسألك خيرها وخير ما فيها...	عائشة	٤٦ - الأحقاف/٢٥
اللّهم إنى أسألك العافية فى الدنيا والآخرة...	ابن عباس	٧ - الأعراف/١٧
اللّهم إنى أعوذ بك من شر ما فيه...	عائشة	٤٦ - الأحقاف/٢٥
اللّهم إنى أعوذ بك من الشيطان الرجيم...	ابن مسعود	١ - الفاتحة/الاستعاذة
اللّهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل...	زيد بن أرقم	٩١ - الشمس/٩
اللّهم إنى أعوذ بك من الهرم...	...	٢٣ - المؤمنون/٩٥
اللّهم أَهْلِكْ كِبَارَهُ واقتل صِغَارَهُ...	جابر وأنس	٥ - المائدة/٩٦

اللّهم أَهْلِكْ كِبَارَهُ واقْتُلْ صغاره...	أنس وجابر	٧ - الأعراف/١٣٣
اللّهم أيد حسان بروح القدس...	عائشة	٢ - البقرة/٨٧
اللّهم بارك لنا فى ثمرنا...	أبو هريرة	٢ - البقرة/١٢٦
اللّهم بين لنا فى الخمر بيانًا شافيًا...	عمر	٢ - البقرة/٢١٩
اللّهم بيّنْ لنا فى الخمر بيانًا شافيًا...	...	٤ - النساء/٤٣
اللّهم حاسبنى حسابًا يسيرًا...	عائشة	٨٤ - الانشقاق/٨
اللّهم خلص الوليد بن الوليد...	أبو هريرة	٤ - النساء/٩٩
اللّهم خلّص الوليد وسلمة بن هشام...	أبو هريرة	٤ - النساء/٩٩
اللّهم رب جبرائيل وإسرافيل...	...	٢ - البقرة/٩٨
اللّهم رب جبريل وميكائيل...	عائشة	٣٩ - الزمر/٤٦
اللّهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل...	عائشة	٢ - البقرة/٢١٣
اللّهم رب السماوات السبع ورب العرش العظيم...	أبو هريرة	٥٧ - الحديد/٣
اللّهم رب السماوات السبع ورب العرش العظيم...	عائشة	٥٧ - الحديد/٣
اللّهم رب السماوات ورب الأرض...	أبو هريرة	٥٧ - الحديد/٣
اللّهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة...	أنس	٢ - البقرة/٢٠٢
اللّهم ربنا لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض...	...	المقدمة
اللّهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا...	عمر بن الخطاب	٢٣ - المؤمنون/١
اللّهم سلط عليه كلبًا من كلابك...	هناد بن الأسود	٥٣ - النجم/٩
اللّهم سلط عليه كلبك بالشام...	...	٥ - المائدة/٩٥
اللّهم صل على آل أبى أوفى	عبد اللّه بن أبى أوفى	٩ - التوب/١٠٣
اللّهم صل على محمد وعلى آل محمد...	ابن عباس	٣٣ - الأحزاب/٥٦
اللّهم صلّ عليهم...	عبد اللّه بن أبى أوفى	٣٣ - الأحزاب/٥٦
اللّهم عمّ عليهم خبرنا...	...	٦٠ -الممتحنة/١
اللّهم فاطر السماوات والأرض...	عبد اللّه بن عمرو	٣٩ - الزمر/٤٦
اللّهم فاصر السماوات والأرض...	أبو بكر الصديق	٣٩ - الزمر/٤٦
اللّهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة...	أبو هريرة عن أبى بكر	١٢ - يوسف/١٠٦
اللّهم فقهه فى الدين...	...	المقدمة

اللّهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل	...	٣ - آل عمران/٧
اللّهم فى الرفيق الأعلى ثلاثًا.	عائشة	١٢ - يوسف/١٠١
اللّهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا...	...	٥٣ - النجم/٢٩
اللّهم لا تجعل لفاجرولا لفاسق عندي...	الحسن	٥٨ - المجادلة/٢٢
اللّهم لا تحل عليه الحول حتى يموت كافرًا...	مقسم	٣ - آل عمران/١٥٣
اللّهم لا تخزنى يوم القيامة.	رجل من بنى كنانة	٦٦ - التحريم/٨
اللّهم لاترسل على أمتى عذابًا من فوقهم ولا من تحت أرجلهم...	ابن عباس	٦ - الأنعام/٦٥
اللّهم لا تقتلنا بغضبك ، ولا تهلكنا بعذابك...	ابن عمر	١٣ - الرعد/١٣
اللّهم لا نبغيها...	...	٢ - البقرة/١٠٨
اللّهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض...	ابن عباس	٢٤ - النور/٣٥
اللّهم لك الحمد غير مكفي...	...	١٤ - إبراهيم/٣٤
اللّهم لك الحمد كله...	...	١ - الفاتحة/٢
اللّهم لك الملك كله...	أبو الدرداء	٧ - الأعراف/٥٤
اللّهم ليس لهم أن يعلونا	...	٣ - آل عمران/١٥٣
اللّهم مقلّب القلوب ثبّت قلبي...	أم سلمة	٨ - الأنفال/٢٤
اللّهم مقلّب القلوب ثبّت قلبى على دينك	أسماء بنت يزيد بن السكن	٣ - آل عمران/٨
اللّهم منزل الكتاب سريع الحساب...	عبد اللّه بن أبى أوفى	٣٣ - الأحزاب/٢٥
اللّهم هذا عن أمتى جميعها...	أبو رافع	٢٢ - الحج/٣٦
اللّهم هذا فعلى فيما أملك...	عائشة	٣٣ - الأحزاب/٥١
اللّهم هذا قسمى فيما أملك...	عائشة	٤ - النساء/١٢٩
اللّهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها...	ابن إسحاق	٨ - الأنفال/٤٢
اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي...	واثلة بن الأسقع	٣٣ - الأحزاب/٣٣
اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي	أم سلمة	٣٣ - الأحزاب/٣٣
اللّهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس...	عائشة	٣٣ - الأحزاب/٣٣
ألم أجدكم ضُلالاً فهداكم اللّه بي...	...	٩ - التوبة/٧٤
ألم أجدكم ضلالاً فهداكم اللّه بي...	...	٦٠ - الممتحنة/٧

ألم أزوجك ؟ ألم أكرمكم...	...	٤٥ - الجاثية/٣٤
ألم أزوجك ألم أكرمك ألم أسخّر لك...	...	٢ - البقرة/٤٦
ألم أسمع صوت عبدالله بن قيس...	عمر	٢٤ - النور/٢٧
ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة...	عقبة بن عامر	المعوّذتان
ألم تر ما لقيت من ابن عمك...	ابن إسحاق عن بعض آل يامين	٥٩ - الحشر/٢
ألم ترى أن قومك حين بنوا البيت...	عائشة	٢ - البقرة/١٢٧
ألم تسمع قول رسول الله ﷺ حين ذكر الغلول...	عبد الله بن أنيس	٣ - آل عمران/١٦١
ألم يقل الله تعالى : ﴿من قبل أن يتماسا﴾...	ابن عباس	٥٨ - المجادلة/٣
﴿ألهاكم التكاثر﴾ عن الطاعة...	زيد بن أسلم عن أبيه	١٠٢ - التكاثر/١
﴿ألهاكم التكاثر﴾ يقول ابن آدم...	عبد الله بن الشخير	٥٧ - الحديد/٧
إلى أقربها منك بابًا	عائشة	٤ - النساء/٣٦
إلى متى يروى أهلك من اللبن	الحسن	٥ - المائدة/٣
أليس تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله...	أنس	٤ - النساء/٤٨
أليس قد بَيَّنَ الله ذلك	سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب	٤ - النساء/١٧٦
أليس كلكم ينظر إلى القمر مخليًا به ؟...	لقيط بن عامر	٢٢ - الحج/٧
أليس لكم فيّ أسوة حسنة ؟...	...	٧٣ - المزمل/٧
إليّ عباد الله...	...	٣ - آل عمران/١٥٣
إليّ عباد الله ، إلى أنا رسول الله	...	٩ - التوب/٢٥
أم القرآن عوض من غيرها...	...	١ - الفاتحة/المقدمة
أم القرآن هى السبع المثاني...	أبو هريرة	١٥ - الحجر/٨٧
أمّا الله فقد شفاني...	عائشة	٢ - البقرة/١٠٢
أمّا إن ذلك سيكون	محمود بن الربيع	١٠٢ - التكاثر/٨
أَمَا إن ربك يحب الحمد.	الأسود بن سريع	١ - الفاتحة/٢
أَمَا إن الملك سيقول لك هذا عند الموت	سعيد بن جبير	٨٩ - الفجر/٣٠
أَمَا إنَّ ملكًا بينكما يذب عنك...	النعمان بن مقرن	٢٥ - الفرقان/٦٣
أمّا أنا فأصوم وأفطر وأقوم وأنام...	...	١٣ - الرعد/٣٨
أمّا أنا فلا آكل متكئًا.	...	١٨ - الكهف/٣١

أمَا إنكم ستعرضون على ربكم فترونه...	جرير بن عبد الله	٥٠ - ق/٣٠
أمَا إنه سيقال لك هذا...	ابن عباس	٨٩ - الفجر/٣٠
أمَا إنّه سيكون بعدى أمراء يكذبون ويظلمون	رجل من الأنصار	١٨ - الكهف/٤٦
أمَا إنه لو كان ذكر اسم الله لكفاكم...	عائشة	٥ - المائدة/٤
أمَا إنّه لو لم ترفعها لم تزل تدور إلى يوم القيامة	أبو هريرة	٦٥ - الطلاق/٧
أمَا إنه ليس من أهل هذه الأديان...	ابن مسعود	٣ - آل عمران/١١٣
أمَا إنها كائنة ولم يأت تأويلها بعد	سعد بن أبى وقاص	٦ - الأنعام/٦٥
أمَا إنهم سيغلبون	ابن عباس	٣٠ - الروم/٣
أمَا إنى لا أحسن دندنتك...	أعرابي	١ - الفاتحة/٥
أمّا أهل النار الذين هم أهلها...	أبو سعيد الخدري	٢٠ - طه/٧٤
أمّا أهل النار الذين هم أهلها...	...	٣٥ - فاطر/٣٦
أمّا أهل النار الذين هم أهلها...	أبو سعيد	٨٧ - الأعلى/١٣
أمّا أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها...	مالك بن سنان	٢ - البقرة/٣٩
أمّا أهلها الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون	أبو سعيد الخدري	٢٠ - طه/٧٤
أمّا أوّل اشراط الساعة...	أنس	٦٨ - القلم/١
أمّا بعد أشيروا عليّ فى أناس...	عائشة	٢٤ - النور/١١
أمّا بعد ألا أيّها الناس فإنما أنا بشر...	زيد بن أرقم	٣٣ - الأحزاب/٣٣
أمّا بعد أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني...	زيد بن أرقم	٤٢ - الشورى/٢٣
أمّا بعد أيها الناس فإن الله تعالى بعث محمدًا...	عمر	٢٤ - النور/٢
أمّا بعد أيها الناس فلو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلاً...	أبو سعيد الخدري	٤ - النساء/١٢٥
أمّا بعد فإن الدنيا قد آذنت...	عتبة بن غزوان	٥٤ - القمر/١
أمّا بعد فإن هذا يوم الحج الأكبر	المسور بن مخرمة	٩ - التوبة/٣
أما بعد - وكان إذا خطب خطبة قال : أما بعد...	المسور بن مخرمة	٢ - البقرة/١٩٨
أمّا بعد يا عائشة إن كنت قارفت سوءًا...	عائشة	٢٤ - النور/١١
أَمَا ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة...	عبد الله بن مسعود	٣ - آل عمران/١١٠
أمَا ترضى أن تعيش حميدًا...	محمد بن ثابت الأنصاري	٣ - آل عمران/١٨٨

أمَا تسمع ما يقول الناس فى عائشة...	أم أيوب الأنصارية	٢٤ - النور/١١
أمَا تعلمون أنكم تغدون وتروحون لأجل معلوم...	أبو بكر الصديق	٥٩ - الحشر/١٩
إمّا تفاخروا ، وإما تذاكروا...	محمد بن سيرين	٥٥ - الرحمن/٥٨
أمّا الروضة فروضة الإسلام...	عبد الله بن سلام	٢ - البقرة/٢٥٦
أمَا شعرت أن عم الرجل صنو أبيه	عمر	١٣ - الرعد/٤
أمّا صاحبكم هذا فقد عامر...	أبو الدرداء	٧ - الأعراف/١٥٨
إمّا لا فاصبروا حتى تلقوني...	أنس بن مالك	٥٩ - الحشر/٩
أمَا مررت بوادٍ ممحل...	أبو رزين العقيلي	٢ - البقرة/٧٣
أمّا معاوية فصعلوك ، وأما أبو الجهم...	...	٤٩ - الحجرات/١٢
أمّا من أنا ؟ فأنا محمد بن عبدالله...	عبد الملك بن عمير	١٦ - النحل/٩٠
أمّا من فى السماوات فالملائكة...	عطاء بن أبى رباح	٣ - آل عمران/٨٣
أمّا هو فقد جاءه اليقين من ربه	...	٧٤ - المدثر/٤٧
أمَا والذى نفس محمد بيده ليبعثن منكم يوم القيامة...	أبو مالك	٣ - آل عمران/١١٠
أمَا والذى نفسى بيده إنها لكما أنزلت ولكن أبشروا...	أبو هريرة	٤ - النساء/١٢٣
أمَا والذى نفسى بيده ليبعثن منكم...	أبو مالك	٥٦ - الواقعة/١٤
أمَا والله ما بى إلا أنى سمعت رسول الله ﷺ...	عمر بن الخطاب	٢٣ - المؤمنون/١٠١
أمَا والله لا نكون كالملأ من بنى إسرائيل...	المقداد	٥ - المائدة/٢٤
الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن...	...	٤١ - فصلت/٣٣
أمان أمتى من الغرق إذا ركبوا...	عبد الله بن عباس	٢٣ - المؤمنون/١١٥
أمان أمتى من الغرق إذا ركبوا فى السفن...	ابن عباس	١١ - هود/٤١
أمتهوّكون فيها ياابن الخطاب ؟...	جابر بن عبد الله	١٢ - يوسف/٣
أمتى ثلاث أثلاث : فثلث يدخلون الجنة...	عوف بن مالك	٣٥ - فاطر/٣٢
أمر رسول الله ﷺ إذا مرّ رجل بسهامٍ...	...	٢٤ - النور/٣٦
أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت الطواف...	ابن عباس	٢٢ - الحج/٢٩
أمرت أن أسجد على سبعة أعظم...	ابن عباس	٧٢ - الجن/١٨
أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا...	ابن عمر	٩ - التوبة/٥
أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا...	أنس	٩ - التوبة/٥

أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا...	...	٢ - البقرة/١٠
أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا...	...	٢ - البقرة/١٩٢
أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا...	...	٨ - الأنفال/٣٩
أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا...	أبو هريرة	٣٧ - الصافات/٣٥
أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا...	أبو هريرة	٤٨ - الفتح/٢٦
أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله...	جابر	٨٨ - الغاشية/٢٢
أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله...	أبو هريرة	٨٨ - الغاشية/٢٢
أمررت بأرض من أرض قومك...	أبو رزين العقيلي	٢٢ - الحج/٧
أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد ﷺ فسببتموهم...	عائشة	٥٩ - الحشر/١٠
أمرتنى عائشة أن أكتب لها مصحفًا...	أبو يونس مولى عائشة	٢ - البقرة/٢٣٨
أمرنا رسول الله ﷺ إذا لقينا المداحين...	المقداد بن الأسود	٥٣ - النجم/٣٢
أمرنا رسول الله ﷺ أن نحثو فى وجوه المداحين التراب	المقداد بن الأسود	٤ - النساء/٤٩
أمرنا رسول الله ﷺ أن نستشرف العين...	على بن أبى طالب	٥ - المائدة/٢
أمرنا رسول الله ﷺ أن نستشرف العين...	علي	٢٢ - الحج/٣٢
أمرنا رسول الله ﷺ أن نشترك فى الإبل والبقر...	جابر	٢ - البقرة/١٩٦
أمرنا رسول الله ﷺ أن نشترك فى الأضاحي...	جابر بن عبد الله	٢٢ - الحج/٣٦
أمرنا رسول الله ﷺ ببناء المساجد فى الدور...	عائشة	٢٤ - النور/٣٦
أمرنا رسول الله ﷺ ببناء المساجد فى الدور	سمرة بن جندب	٢٤ - النور/٣٦
أمرنى بخمسين صلاة...	...	٤ - النساء/٢٨
أمرنى خليلى بسبع...	أبو ذر	٥ - المائدة/٥٤
أمرنى رسول الله ﷺ أن آتيه بمدية...	عبد الله بن عمر	٥ - المائدة/٩١
أمرنى رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوّذات...	عقبة بن عامر	المعوّذتان
أمرنى رسول الله ﷺ أن أقول...	أبو بكر	١٢ - يوسف/١٠٦
أمرنى العباس أن أبيت بآل رسول الله ﷺ...	ابن عباس	٣ - آل عمران/١٩٤
امرؤ القيس حامل لواء شعراء الجاهلية...	أبو هريرة	١١ - هود/٩٧
﴿إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾	أنس بن مالك	٢ - البقرة/٢٢٩
أمسكوا الشيطان...	أبو سعيد	٢٦ - الشعراء/٢٢٤

أمعك ماء ؟ قلت : ليس معى ماء...	ابن مسعود	٤٦ - الأحقاف/٢٩
أمك ، قال : ثم من...	...	٢ - البقرة/٨٣
أمك وأباك وأختك وأخاك...	...	٢ - البقرة/٢١٥
امكثى فى بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله...	الفريعة بنت مالك بن سنان	٢ - البقرة/٢٤٠
أمّكما فى النار	ابن مسعود	١٧ - الإسراء/٧٩
أملى عليّ رسول الله ﷺ هذه الآية...	زيد بن ثابت	٢٣ - المؤمنون/١٤
الأمن والصحة	ابن مسعود	١٠٢ - التكاثر/٨
إنّ آثاركم تكتب ، فلم ينتقلوا	أبو سعيد الخدري	٣٦ - يس/١٢
إنّ آدم عليه السلام لما أهبطه الله إلى الأرض...	ابن عمر	٢ - البقرة/١٠٢
أنّ الآيات التى فى المائدة قوله : ﴿فاحكم بينهم﴾...	ابن عباس	٥ - المائدة/٤٣
أنّ أبا أيوب أراد طلاق أم أيوب...	أنس	٤ - النساء/٢
أن أبا أيوب الأنصارى كان فى مجلس...	عبد الله بن عمرو	١١٢ - الإخلاص/فضائلها
أنّ أبا أيوب خالد بن زيد الأنصاري...	بعض رجال بنى النجار	٢٤ - النور/١١
أن أبا أيوب طلق امرأته فقال له النبى ﷺ...	ابن عباس	٤ - النساء/٢
أن أبا بكر أقبل على فرس من مسكنه بالسنح...	عائشة	٣ - آل عمران/١٤٤
أن أبا بكر قال : يا رسول الله إنى أرى طيرها ناعمة...	قتادة	٥٦ - الواقعة/٢١
أنّ أبا بكر قال : يا رسول الله علمني...	عبد الله بن عمرو	٣٣ - الأحزاب/٦٨
أن أبا بكر قال : يا رسول الله علمنى دعاءً أدعو به...	عبد الله بن عمرو	٢ - البقرة/١٩٩
أنّ أبا بكر كان إذا صلّى فقرأ خفض صوته...	محمد بن سيرين	١٧ - الإسراء/١١٠
أن أبا بكر كان يأكل مع النبى ﷺ...	أبو إدريس	٩٩ - الزلزلة/٨
أن أبا بكر وعمر وأناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ جلسوا بعد وفاة رسول الله ﷺ...	...	٤ - النساء/٣١
أن أبا جهل قال حين التقى القوم : اللهم أقْطَعُنا للرحم...	عبد الله بن ثعلبة	٨ - الأنفال/١٩
أن أبا ذر سأل النبى ﷺ فذكر أمر الصلاة...	أبو أمامة	٤ - النساء/١٦٤
أن أبا سعيد الخدرى رضى الله عنه رأى رؤيا...	بكر بن عبد الله	٣٨ - ص/٢٤
أن أبا سفيان خرج من مكة ، فأتى جبريل رسول الله ﷺ...	جابر بن عبد الله	٨ - الأنفال/٢٧

أنّ أبا سفيان صخر بن حرب لما أسلم...	ابن عباس	٢٦ - الشعراء/٢٢٧
أنّ أبا سفيان فى موضع كذا وكذا فاخرجوا إليه...	جابر بن عبد الله	٨ - الأنفال/٢٧
أن أبا سفيان قال : يا رسول الله ثلاث أعطنيهن...	ابن عباس	٦٠ - الممتحنة/٧
إن أبا سفيان قد أصاب منكم طرفًا...	ابن عباس	٣ - آل عمران/١٥١
إن أبا سفيان قد أصاب منكم طرفًا...	ابن عباس	٣ - آل عمران/١٦٩
إنّ أبا سفيان وأبا جهل... خرجوا ليلة ليستمعوا من...	الزهري	١٧ - الإسراء/٤٧
أن أبا طالب قال لرسول الله ﷺ : ما يأتمر بك قومك...	المطلب بن أبى وداعة	٨ - الأنفال/٣٠
أن أبا طلحة سأل رسول الله ﷺ عن أيتام فى حجرة...	أنس بن مالك	٥ - المائدة/٩١
إن أبا عمرو بن حفص أرسل إليّ وهو منطلق...	فاطمة بنت قيس	٦٥ - الطلاق/١
أن أبا قتادة كان له دين على رجل ، وكان يأتيه...	محمد بن كعب القرظي	٢ - البقرة/٢٨٠
أنّ أبا نملة الأنصارى أخبره...	ابن أبى نملة	٢٩ - العنكبوت/٤٦
أن أبا هريرة قرأ بهم : ﴿إذا السماء انشقت﴾...	أبو سلمة	٨٤ - الانشقاق/فضائلها
أن أبا هريرة كان جريئًا...	أبى بن كعب	٩٤ - الشرح/١
أن أبا هريرة كان معه مفتاح بيت الصدقة وكان فيه تمر...	أبو المتوكل الناجي	٢ -البقرة/٢٥٥
إن أباك أراد أمرًا فبلغه	...	٤ - النساء/٣٨
أن أباه قرأ : ﴿وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه...	سالم	٢ - البقرة/٢٨٤
إنّ أبخل الناس من ذكرت عنده...	أبو ذر	٣٣ - الأحزاب/٥٦
إن إبراهيم حرم بيت الله وأمنه...	جابر بن عبد الله	٢ - البقرة/١٢٦
إن إبراهيم حرم مكة...	رافع بن خديج	٢ - البقرة/١٢٦
إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها...	...	٢ - البقرة/١٢٦
إن إبراهيم حرم مكة ودعا لها ، وحرمت المدينة...	عبد الله بن زيد بن عاصم	٢ - البقرة/١٢٦
إنّ إبراهيم حين ألقى فى النار لم يكن فى الأرض...	عائشة	٢١ - الأنبياء/٦٩
إن إبراهيم خليل الله قد استغفر لأبيه...	ابن عباس	٩ - التوبة/١١٣
إنّ إبراهيم رأى أباه يوم القيامة...	أبو هريرة	٢٦ - الشعراء/٨٧
إنّ إبراهيم رأى أباه يوم القيامة...	أبو سعيد	٢٦ - الشعراء/٨٧
إنّ إبراهيم عليه السلام لم يكذب غير ثلاث...	أبو هريرة	٢١ - الأنبياء/٦٣
إن إبراهيم كان عبدالله وخليله...	أبو هريرة	٢ - البقرة/١٢٦

إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم	عائشة	٢ - البقرة/٢٠٤
أن إبليس خرج مع قريش فى صورة سراقة بن مالك...	ابن عباس	٨ - الأنفال/٤٨
إن ابن آدم لفى غفلة...	جابر بن عبد الله	٨٤ - الانشقاق/١٩
أن ابن صائد سأل رسول الله ﷺ عن تربة الجنة...	أبو سعيد	٣٩ - الزمر/٧٣
أن ابن عباس كان لا يصلى الضحى...	عبد الله بن الحارث	٣٨ - ص/١٧
إن ابن عمر قال - والله يغفر له - أوهم ، وإنما...	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٢٣
أن ابن عمر كان لا يرى بأسًا فى أن يأتى الرجل المرأة فى دبرها	عبيد الله بن عبد الله	٢ - البقرة/٢٢٣
أن ابن مسعود سئل عن رجل تزوج امرأة...	...	٢- البقرة/٢٣٤
أن ابن مسعود مرَّ بلهو فلم يقف...	إبراهيم بن ميسرة	٢٥ - الفرقان/٧٢
إن ابنى آدم عليه السلام ضربا لهذه الأمة مثلاً...	الحسن	٥ - المائدة/٣١
إن ابنى مات فى الثدى إن له مرضعًا فى الجنة	البراء بن عازب	٢ - البقرة/٢٣٣
إن ابنى هذا سيد...	...	٦ - الأنعام/٨٦
إن ابنى هذا سيد...	أبو بكرة	٤٩ - الحجرات/٩
إن أبى وأباك فى النار	...	٢ - البقرة/١١٩
إن أتخذ المنبر فقد اتخذه أبى إبراهيم...	معاذ بن جبل	٢ - البقرة/١٢٤
أنَّ أحبار يهود قالوا لرسول الله ﷺ...	ابن عباس	٣١ - لقمان/٢٧
إن أحب الأسماء إلى الله تعالى عبدالله...	عبد الله بن عمر	١٣ - الرعد/٣٠
إن أحب الأعمال إلى الله تعجيل الصلاة...	أم فروة	٢ - البقرة/٢٣٨
إنَّ أحبَّ الصلاة إلى الله تعالى...	...	٣٤ - سبأ/١٣
إنَّ أحب الصيام إلى الله...	...	٢٣ - المؤمنون/٥١
إن أحب عبادى إليَّ أعجلهم فطرًا...	أبو هريرة	٢ - البقرة/١٨٧
إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة...	أبو سعيد الخدري	٣٨ - ص/٢٥
إن أحببت أن تطوَّق بقوس...	عبادة بن الصامت	٢ - البقرة/٤١
إن أحببت أن تطوَّق بقوس...	أبى بن كعب	٢ - البقرة/٤١
إنَّ أحبكم إليَّ وأقربكم منى مجلسًا...	أبو ثعلبة	٣١ - لقمان/١٩
إنَّ أحدكم إذا مات عُرِض عليه مقعده...	ابن عمر	٤٠ - غافر/٤٦

إن أحدكم إن كان فى المسجد...	أبو هريرة	١١٤ - الناس/٤
إنّ أحدكم ليجمع خلقه فى بطن أمه...	ابن مسعود	٢٣ - المؤمنون/١٤
إن إحدى بنات النبى ﷺ بعثت إليه أن ابنًا لها...	...	١٣ - الرعد/٩
إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله...	أبو سعيد	٢ - البقرة/٤١
إن أخًا لكم بالحبشة قد مات فصلوا عليه...	...	٣ - آل عمران/١٩٩
إن أخًا لكم قد مات فصلوا عليه...	قتادة	٢ - البقرة/١١٥
إن أخاكم أصحمة قد مات...	جابر	٣ - آل عمران/١٩٩
أن أخاه مالكًا قال : يا معاوية إن محمدًا أخذ جيراني...	معاوية	١١ - هود/٨٨
أن أخت معقل بن يسار طلقها زوجها فتركها...	الحسن	٢ - البقرة/٢٣٢
إن أخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد...	...	٥٩ - الحشر/٩
إن أخوف ما أخاف عليكم...	محمود بن لبيد	١٢ - يوسف/١٠٦
إنّ أخوف ما أخاف عليكم...	محمود بن لبيد	١٨ - الكهف/١١٠
إن أخوف ما أخاف عليكم...	أبو سعيد	٢٠ - طه/١٣١
أن أخوين من الأنصار كان بينهما ميراث...	سعيد بن المسيب	٢ - البقرة/٢٢٤
إنّ أدنى أهل الجنة منزلة...	ابن عمر	٢٠ - طه/١٣٠
إن أدنى أهل الجنة منزلة...	ابن عمر	٧٥ - القيامة/٢٣
إن أدنى أهل الجنة منزلة...	ابن عمر	٧٦ - الإنسان/٢٠
إن أدنى أهل الجنة منزلة...	ابن عمر	٨٣ - المطففين/٢٣
إن أدنى أهل الجنة منزلة وأسفلهم درجة...	عكرمة مولى ابن عباس	٤٣ - الزخرف/٧١
إن أدنى أهل الجنة منزلة من له لسبع درجات...	أبو هريرة	٤٣ - الزخرف/٧١
إن أدنى أهل النار عذابًا يوم القيامة...	أبو سعيد الخدري	٩ - التوبة/٨١
إن أدنى أهل النار عذابًا يوم القيامة...	أبو هريرة	٩ - التوبة/٧١
أن أربد بن قيس بن حزم...	ابن عباس	١٣ - الرعد/١٣
إنّ الأرضين بين كل أرض والتى تليها مسيرة خمسمائة عام...	عبد الله بن عمرو	٢٠ - طه/٦
إن أرواح الشهداء فى أجواف طيور...	عبد الله بن مسعود	٤٠ - غافر/٤٦
إن أرواح الشهداء فى حواصل طير...	...	٥٧ - الحديد/١٩

إن أرواح الشهداء فى حواصل طيور ...	...	٢ - البقرة/١٥٤
إن أرواح الشهداء فى حواصل طيور ...	...	٥٦ - الواقعة/٨٩
إن أزواج رسول الله ﷺ ليراجعنه ...	عمر بن الخطاب	٦٦ - التحريم/٤
إنَّ أزواج النبى ﷺ كن يخرجن	عائشة	٣٣ - الأحزاب/٥٣
إن إسرافيل قد التقم الصور وحنى جبهته ...	...	٦ - الأنعام/٧٣
إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا ...	شريح بن عبيد	٤٤ - الدخان/٢٩
أنَّ أسماء بنت أبى بكر دخلت على النبى ﷺ...	عائشة	٢٤ - النور/٣١
إن اسمى محمد ...	ثوبان مولى رسول الله ﷺ	١٤ - إبراهيم/٤٨
إن أصابته سراء فشكر فكان خيرًا له ...	...	٤٢ - الشورى/٤٨
إن أصحاب الأعراف قوم تكاثفت أعمالهم ...	حذيفة	٧ - الأعراف/٤٨
إن أصحاب بقرة بنى إسرائيل طلبوها أربعين سنة ...	ابن عباس	٢ - البقرة/٧٢
أن أصحاب رسول الله ﷺ أصابوا سبيًا يوم أوطاس ...	أبو سعيد الخدري	٤ - النساء/٢٤
أن أصحاب رسول الله ﷺ تداروا فى الشجرة ...	أنس	٢ - البقرة/٥٧
إن أصحاب النبى ﷺ قالوا : قد علمنا أن النبى ﷺ له فضل ...	الربيع	٤ - النساء/٦٩
إن أصدق الحديث كلام الله ...	...	٤ - النساء/١٢٢
إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه ...	...	٥٣ - النجم/٣٩
أن أعرابيًا أتى النبى ﷺ فسأله ...	مجاهد	١٦ - النحل/٨٣
أن أعرابيًا جاء إلى رسول الله ﷺ يستعينه فى شيء ...	أبو هريرة	٩ - التوبة/١٢٨
أن أعرابيًا جاء إلى النبى ﷺ فقال انسب لنا ربك ...	جابر	١١٢ - الإخلاص/سببها
أن أعرابيًا سأل النبى ﷺ عن الجنة فقال : فيها عنب ؟ ...	عتبة بن عبد السلمي	١٣ - الرعد/٣٥
أن أعرابيًا قال : يا رسول الله ﷺ ، أقريب ...	معاوية بن حيدة	٢ - البقرة/١٨٦
أن أعرابيًا يقال له أبو ثعلبة قال : يا رسول الله إن لى كلابًا	عبد الله بن عمرو بن العاص	٥ - المائدة/٤
إن أعظم آية فى كتاب الله : ﴿الله لا إله إلا هو﴾ ...	ابن مسعود	٣٩ - الزمر/٥٣
إن أعظم المسلمين جرمًا من سأل عن شيء لم يحرم ...	...	٢ - البقرة/١٠٨

إن الأعلين ينحدرون إلى من هو أسفل منهم ...	الربيع	٤ - النساء/٦٩
إن أعمالكم تعرض على أقربائكم ...	جابر بن عبد الله	٩ - التوبة/١٠٥
إن أعمالكم تعرض على أقربائكم ...	أنس	٩ - التوبة/١٠٥
إن أفضل الإيمان أن تعلم ...	عبادة بن الصامت	٥٧ - الحديد/٦
إن أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة ...	عمرو بن حزم	٤ - النساء/٣١
إن أكل فلا تأكل فإنى أخاف أن يكون أمسك على نفسه ...		٥ - المائدة/٣
إن الذى أرسلنى هو خالق كل شيء ...	...	٧ - الأعراف/١٥٨
إنَّ الذى أمشاه على رجليه قادر أن	أنس	٢٥ - الفرقان/٣٤
إن الذى لا يؤدى زكاة ماله ...	ابن عمر	٣ - آل عمران/١٨٠
إن الذى يأتى امرأته فى دبرها لا ينظر الله إليه	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٢٣
إن الذى يأكل أو يشرب فى آنية الذهب ...	...	٢ - البقرة/١٧٤
﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا﴾ ...	السدي	٢ - البقرة/٦٢
﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ ...	أنس بن مالك	٤١ - فصلت/٣٠
إن الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها ...	عمر	٤٩ - الحجرات/٣
إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها فافعلوا ...	...	٦٠ - الممتحنة/١٠
إنّ الله أبى على من قتل مؤمنًا ...	عقبة بن مالك الليثي	٤ - النساء/٩٣
إن الله اتخذنى خليلاً ...	جندب بن عبد الله البجلي	٤ - النساء/١٢٥
إن الله اتخذنى خليلاً ...	عبد الله بن عمرو بن العاص	٤ - النساء/١٢٥
إن الله اتخذنى خليلاً ...	عبد الله بن مسعود	٤ - النساء/١٢٥
إن الله أحيا أباه وأمه فآمنا به	...	٩ - التوبة/١١٣
أنّ الله أحيا أمّه فآمنت ثم عادت	عائشة	٩ - التوب/١١٣
إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام ...	ابن عباس	٧ - الأعراف/١٧٢
إنّ الله إذا أحبّ عبدًا ...	أبو هريرة	١٩ - مريم/٩٦
إنّ الله إذا أدخل أهل الجنة الجنة ...	أيفع بن عبد الكلاعي	٢٣ - المؤمنون/١١٤
إن الله إذا أنعم نعمة على عبد ...	...	٤ - النساء/٣٧
إن الله إذا حرم أكل شيء ...	ابن عباس	٦ - الأنعام/١٤٦
إن الله أذل بنى آدم بالموت ...	...	٦٧ - الملك/٢

إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ...	واثلة بن الأسقع	٦ - الأنعام/١٢٤
إنّ الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ...	...	١٩ - مريم/٥٤
إن الله أمرني أن أقرأ عليك ...	أنس بن مالك	٩٨ - البينة/فضائلها
إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن ...	أبي	٩٨ - البينة/فضائلها
إن الله أمرني بمداراة الناس ...	عائشة	٣ - آل عمران/١٥٩
إن الله بعث فينا رسولاً منا نعرف نسبه ...	المغيرة بن شعبة وجعفر	٩ - التوبة/١٢٨
إنّ الله بعثني رحمة مهداة ...	ابن عمر	٢١ - الأنبياء/١٠٧
إنّ الله تابع الوحي على رسوله ...	...	٢٠ - طه/١١٤
إن الله تبارك وتعالى خيرني بين	أبو هريرة	٣٧ - الصافات/١٠٧
إن الله تبارك وتعالى يقبض يوم القيامة الأرضين	ابن عمر	٣٩ - الزمر/٦٧
إنّ الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ...	...	٢٤ - النور/١٦
إن الله تجاوز لأمتي عن ثلاث ...	أم الدرداء	٢ - البقرة/٢٨٦
إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ...	...	٧ - الأعراف/١٥٧
إن الله تجاوز لي عن أمتي ما حدثت به أنفسها ...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٨٤
إنّ الله تعالى إذا رضي عن العبد ...	أبو سعيد الخدري	٣٥ - فاطر/٣٠
إنّ الله تعالى أمرني أن آمركم ...	أبو موسى	٣٣ - الأحزاب/٧٠
إن الله تعالى أمرني أن أقول لك ...	عكرمة	٤٤ - الدخان/٤٩
إنّ الله تعالى بعث محمدًا ﷺ بالحق ...	عمر	٣٣ - الأحزاب/٥
إنّ الله تعالى رفع عن أمتي الخطأ ...	...	٣٣ - الأحزاب/٥
إن الله تعالى بنى دينه على أربعة أركان ...	أبو ذر	٤٥ - الجاثية/٢١
إن الله تعالى تجاوز لأمتي ...	...	٥٠ - ق/١٦
إنّ الله تعالى خلق خلقه في ظلمة ...	عبد الله بن عمرو	٣٥ - فاطر/٨
إنّ الله تعالى خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم ...	عبد الله بن عمرو	٢٤ - النور/٣٥
إن الله تعالى خلق لوحًا محفوظًا ...	ابن عباس	٨٥ - البروج/٢٢
إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها ...	...	٥ - المائدة/١٠١
إنّ الله تعالى قال : أعددت لعبادي ...	أبو هريرة	٣٢ - السجدة/١٧
إن الله تعالى قبض بيمينه قبضة ...	أبو نضرة عن أبي عبد الله	٤٢ - الشورى/٧

إن اللّه تعالى قد أحسن عليكم الثناء فى الطهور ...	عويم بن ساعدة	٩ - التوبة/١٠٨
إنّ اللّه تعالى قد أنزل فيكما ...	ابن عباس	٢٤ - النور/٦
إن اللّه تعالى كتب على ابن آدم حظه ...	أبو هريرة	٥٣ - النجم/٣٢
إنّ اللّه تعالى لا يؤخر نفسًا ...	أبو الدرداء	٣٥ - فاطر/١١
إنّ اللّه تعالى لا ينام ولا ينبغى له ...	أبو موسى الأشعري	٣٥ - فاطر/٤١
إنّ اللّه تعالى لا ينظر إلى صوركم ...	أبو هريرة	٣٤ - سبأ/٣٥
إنّ اللّه تعالى ليملى للظالم ...	...	٦٨ - القلم/٤٥
إنّ اللّه تعالى يحب العبد المفتن التوّاب ...	على بن أبى طالب	٣٩ - الزمر/٥٣
إنّ اللّه تعالى يدعو الناس يوم القيامة ...	ابن عباس	٥٧ - الحديد/١٣
إنّ اللّه تعالى يصنع كل صانع وصنعته	حذيفة	٣٧ - الصافات/٩٦
إنّ اللّه تعالى يقبل توبة العبد مالم يغرغر	...	٤٠ - المؤمن/٨٥
إنّ اللّه تعالى يقول : ثلاث خلال غيبتهن	أبو مالك الأشعري	٣٩ - الزمر/٦٧
إنّ اللّه تعالى يقول لآخر أهل النار ...	...	٧٦ - الإنسان/٢٠
إنّ اللّه تعالى يقول لبعض العبيد يوم القيامة ...	...	٤٥ - الجاثية/٣٤
إنّ اللّه تعالى يقول للعبد يوم القيامة : ألم أزوجك ...	...	٢ - البقرة/٤٦
إنّ اللّه تعالى يقول : هى ناري ...	أبو هريرة	١٩ - مريم/٧١
إنّ اللّه تعالى يقول : يا آدم فيقول لبيك وسعديك ...	...	١٨ - الكهف/٩٣
إنّ اللّه تعالى يقول : يا عبادي ...	أبو ذر	٣٦ - يس/٨٢
إنّ اللّه تعالى يقول : يا عبادى إنى حرمت الظلم ...	أبو ذر	٨ - الأنفال/٥١
إنّ اللّه تعالى يقول يا عيسى إنى باعث بعدك أمّة ...	أبو الدرداء	٣ - آل عمران/١١٠
إنّ اللّه تعالى ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا ...	عن جماعة من الصحابة	٥١ - الذاريات/١٨
إنّ اللّه جعل حسنة ابن آدم إلى عشر أمثالها ...	ابن مسعود	٢ - البقرة/٢٦١
إنّ اللّه حبس عن مكة الفيل ...	...	١٠٥ - الفيل/٥
إنّ اللّه حدّ حدودًا فلا تعتدوها ...	...	٢ - البقرة/٢٣٠
إنّ اللّه حرّم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام ...	...	٥ - المائدة/٣
إنّ اللّه حرّم الخمر والميسر والكوبة ...	عبد اللّه بن عمرو	٥ - المائدة/٩١
إنّ اللّه حرّم على أمتى الخمر والميسر ...	عبد اللّه بن عمرو	٥ - المائدة/٩١

إنَّ اللّٰه خلق آدم رجلاً طوالاً ...	أبى بن كعب	٢ - البقرة/٣٦
إنَّ اللّٰه خلق آدم رجلاً طوالاً ...	أبيّ بن كعب	٢٠ - طه/١٢١
إنَّ اللّٰه خلق آدم عليه السلام ثم مسح ظهره بيمينه ...	عمر بن الخطاب	٧ - الأعراف/١٧٢
إنَّ اللّٰه خلق آدم من قبضة ...	أبو موسى	٢٣ - المؤمنون/١٢
إنَّ اللّٰه خلق آدم من قبضة قبضها ...	أبو موسى	٣٠ - الروم/٢٠
إنَّ اللّٰه خلق آدم وطوله ستون ذراعًا ...	...	٥ - المائدة/٢٢
إنَّ اللّٰه خلق الجنة وخلق لها أهلاً ...	عائشة	١٧ - الإسراء/١٥
إنَّ اللّٰه خلق خلقه فى ظلمه ...	...	٦ - الأنعام/١٢١
إنَّ اللّٰه خلق خلقه فى ظلمه ...	عبد اللّٰه بن عمرو	٢٤ - النور/٣٥
إنَّ اللّٰه خلق فى الجنة ريحًا ...	أبو ذر	١٥ - الحجر/٢٢
إنَّ اللّٰه رفيق يحب الرفق فى الأمر كله ...	...	١ - الفاتحة/البسملة
إنَّ اللّٰه زوى لى الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها ...	شداد بن أوس	٦ - الأنعام/٦٥
إنَّ اللّٰه زوى لى الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها ...	ثوبان	٦ - الأنعام/٦٥
إنَّ اللّٰه زوى لى الأرض فرأيت ...	...	٢٤ - النور/٥٥
إنَّ اللّٰه زوى لى الأرض ، مشارقها ومغاربها ...	...	٩ - التوبة/٣٣
إنَّ اللّٰه سيجعل لك فرجًا ...	...	٦٥ - الطلاق/٣
إنَّ اللّٰه ضرب لكم ابنى آدم مثلاً ...	الحسن	٥ - المائدة/٣١
إنَّ اللّٰه عز وجل أمر يحيى بن زكريا عليه السلام ...	الحارث الأشعري	٢ - البقرة/٢٢
إنَّ اللّٰه عز وجل خلق خلقه فى ظلمة ...	عبد اللّٰه بن عمرو	٣٨ - ص/٣٥
إنَّ اللّٰه عز وجل قال لنبيكم ﷺ : ﴿ قل ما أسألكم عليه من أجر﴾ ...	ابن مسعود	٤٤ - الدخان/١٠
إنَّ اللّٰه عز وجل قد أثنى عليكم فى الطهور خيرًا ...	محمد بن عبد اللّٰه بن سلام	٩ - التوبة/١٠٨
إنَّ اللّٰه عز وجل قد أنزل فى الشعراء ...	كعب بن مالك	٢٦ - الشعراء/٢٢٧
إنَّ اللّٰه عزّ وجل لا يعذب العامة بعمل الخاصة ...	عدى بن عميرة	٨ - الأنفال/٢٥
إنَّ اللّٰه عزّ وجل يدنى المؤمن فيضع عليه كنفه ...	ابن عمر	١١ - هود/١٨
إنَّ اللّٰه عزّ وجل يستخلص رجلاً من أمتي ...	عبد اللّٰه بن عمرو	٢١ - الأنبياء/٤٧
إنَّ اللّٰه عزّ وجل يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه ...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٧٦

إنَّ اللّه عزّ وجل يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة ...	أبو سعيد الخدري	٩ - التوبة/٧٢
إنَّ اللّه فتح بابًا قبل المغرب ...	صفوان بن عسال	٦ - الأنعام/١٥٨
إنَّ اللّه فرض على الناس حج البيت ...	عكرمة	٣ - آل عمران/٩٧
إنَّ اللّه قال : أنا عند ظن عبدى بي ...	أبو هريرة	٣ - آل عمران/١٠٢
إنَّ اللّه قال : أنفِقْ أُنفق عليك.	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/٢٩
إنَّ اللّه قال : من انتدب خارجًا فى سبيلي ...	أبو مالك	٤ - النساء/١٠٠
إنَّ اللّه قد أخذ ذرِّيّة آدم من ظهورهم ...	هشام بن حكيم	٧ - الأعراف/١٧٢
إنَّ اللّه قد أعطى كل ذى حق حقه ...	عمرو بن خارجة	٢ - البقرة/١٨٠
إنَّ اللّه قد أعطى كل ذى حق حقه ...	...	٤ - النساء/١٢
إنَّ اللّه قد أعطى كل ذى حق حقه ...	...	٨ - الأنفال/٧٥
إنَّ اللّه قد أمرنى أن أبشر خديجة ...	...	١٥ - الحجر/٤٨
إنَّ اللّه قد أمكنكم منهم ...	أنس	٨ - الأنفال/٦٧
إنَّ اللّه قد أنزل عذرك وصدقك ...	زيد بن أرقم	٦٣ - المنافقون/٨
إنَّ اللّه قد صدقك	زيد بن أرقم	٦٣ - المنافقون/٨
إنَّ اللّه قد عصمنى من الجن والإنس	جابر بن عبد اللّه	٥ - المائدة / ٦٧
إنَّ اللّه قدّر مقادير الخلق ...	عبد اللّه بن عمرو	٧ - الأعراف /١٠٩
إنَّ اللّه قدَّر مقادير الخلائق ...	عبد اللّه بن عمرو	١١ - هود /٧
إنَّ اللّه قدر مقادير الخلائق ...	عبد اللّه بن عمرو	٢٢ - الحج / ٧٠
إنَّ اللّه قدَّر مقادير الخلائق ...	عبد اللّه بن عمرو	٨٧ - الأعلى / ٣
إنَّ اللّه قرأ طه ويس قبل أن يخلق آدم ...	أبو هريرة	٢٠ - طه/المقدمة
إن اللّه قسم بينكم أخلاقكم ...	عبد اللّه بن مسعود	٢ - البقرة/٢٦٧
إن اللّه قسم بينكم أخلاقكم كما ...	ابن مسعود	١١ - هود/١١٤
إنَّ اللّه قسم بينكم أخلاقكم كما ...	عبد اللّه بن مسعود	٢٣ - المؤمنون/٥٦
إنَّ اللّه قسم بينكم أخلاقكم كما قسم ...	ابن مسعود	٢٨ - القصص/٨٢
إنَّ اللّه قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى ...	كعب	٥٣ - النجم/١١
إنَّ اللّه كتب الإحسان على كل شيء ...	شداد بن أوس	٢٢ - الحج/٣٦
إنَّ اللّه كتب الحسنات والسيئات ...	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٨٤

إنَّ اللّٰه كتب عليكم الحج ...	أبو هريرة	٥ - المائدة/١٠١
إنَّ اللّٰه كتب كتابًا فهو عنده فوق العرش ...	...	١٠ - يونس/١٠٣
إنَّ اللّٰه كتب كتابًا قبل أن يخلق السماوات ...	النعمان بن بشير	٢ - البقرة/٢٨٥
إنَّ اللّٰه كتب مقادير الخلق ...	عبد اللّٰه بن عمرو	٥٤ - القمر/٤٩
إنَّ اللّٰه لا يحب كل مختال فخور ...	ثابت بن قيس	٣١ - لقمان/١٦
إنَّ اللّٰه لا يستحيى من الحق لا تأتوا النساء فى أدبارهن	عمر بن الخطاب	٢ - البقرة/٢٢٣
إن اللّٰه لا يستحيى من الحق لا تأتوا النساء فى أستاهن	طلق بن يزيد أو يزيد بن طلق	٢ - البقرة/٢٢٣
إنَّ اللّٰه لا يظلم المؤمن	أنس	٤ - النساء/٤٠
إنَّ اللّٰه لا يظلم المؤمن حسنة ...	أنس بن مالك	١٦ - النحل/٩٧
إنَّ اللّٰه لا يعذب العامة بعمل الخاصة ...	عدى بن عميرة	٥ - المائدة/٧٩
إنَّ اللّٰه لا يقبل صلاة من غير طهور ...	أبو المليح الهذلى عن أبيه	٥ - المائدة/٦
إنَّ اللّٰه لا ينام ولا ينبغى له ...	أبو موسى	٢ - البقرة/٢٥٥
إنَّ اللّٰه لا ينام ولا ينبغى له ...	أبو موسى الأشعري	٦ - الأنعام/١٠٣
إنَّ اللّٰه لا ينام ولا ينبغى له ...	أبو موسى	٢٧ - النمل/٨
إنَّ اللّٰه لا ينظر إلى صوركم ...	...	٢٢ - الحج/٣٧
إنَّ اللّٰه لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ...	أبو هريرة	٤٩ - الحجرات/١٣
إنَّ اللّٰه لا ينظر إلى صوركم ولا إلى ألوانكم ...	...	٦ - الأنعام/٥٣
إنَّ اللّٰه لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ...	...	٢ - البقرة/٢٧٥
إنَّ اللّٰه لا يؤخر شيئًا إذا جاء أجله ...	أبو الدرداء	١٦ - النحل/٦١
إنَّ اللّٰه لا يؤخر نفسًا إذا جاء أجلها ...	أبو الدرداء	٦٣ - المنافقون/١١
إنَّ اللّٰه لا يحرم حرمة إلا وقد علم ...	عبد اللّٰه بن مسعود	٩ - التوبة/١٢٨
إنَّ اللّٰه لم يخلق داء إلاّ أنزل له شفاء	...	٤ - النساء/١٥٩
إن اللّٰه لم يرض بحكم نبى ولا غيره فى الصدقات ...	زياد بن الحارث	٩ - التوبة/٦٠
إن اللّٰه لم يفرض الزكاة إلا ليطيب بها ما بقي ...	ابن عباس عن عمر	٩ - التوبة/٣٥
إن اللّٰه لم يمسخ قومًا ...	ابن مسعود	٥ - المائدة/٦٠
إن اللّٰه لم يهلك قومًا ...	ابن مسعود	٥ - المائدة/٦٠

إنّ اللّه لمّا خلق الأرض ...	...	١٩ - مريم/٩١
إن اللّه لما خلق الخلق كتب كتابًا عنده ...	أبو هريرة	٦ - الأنعام/١٢
إن اللّه لما فرغ من خلق السماوات والأرض ...	أبو هريرة	٦ - الأنعام/٧٣
إنّ اللّه لما فرغ من خلق السماوات والأرض ...	أبو هريرة	٢٢ - الحج/١
إنّ اللّه لو عذّب أهل سماواته وأهل أرضه ...	...	٢٩ - العنكبوت/٢١
إنّ اللّه ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت ...	ابن عمر	٢ - البقرة/٢٥١
إنّ اللّه ليربى لأحدكم التمرة واللقمة ...	عائشة	٢ - البقرة/٢٧٦
إنّ اللّه ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة ...	أنس	١٧ - الإسراء/٣
إنّ اللّه ليرفع الدرجة للعبد الصالح فى الجنة ...	أبو هريرة	٥٢ - الطور/٢١
إنّ اللّه ليرفع ذرية المؤمن فى درجته ...	ابن عباس	٥٢ - الطور/٢١
إنّ اللّه ليس بأعور ...	ابن عمر	٤ - النساء/١٥٩
إنّ اللّه ليسأل العبد يوم القيامة ...	أبو سعيد الخدري	٥ - المائدة/٥٤
إنّ اللّه ليسأل العبد يوم القيامة ...	أبو سعيد الخدري	٥ - المائدة/٧٩
إنّ اللّه ليستحى أن يبسط العبد إليه يديه ...	سلمان الفارسي	٢ - البقرة/١٨٦
إنّ اللّه ليسمع قراءة : ﴿لم يكن الذين كفروا﴾ ...	فضيل	٩٨ - البينة/فضائلها
إنّ اللّه ليصبح القوم بالنعمة ...	أبو هريرة	٥٦ - الواقعة/٨٢
إنّ اللّه ليصلح بصلاح الرجل المسلم ولده ، وولد ولده ...	جابر بن عبد اللّه	٢ - البقرة/٢٥١
إنّ اللّه ليضاعف الحسنة ألفى ألف حسنة	أبو هريرة	٤ - النساء/٤٠
إنّ اللّه ليملى للظالم ...	...	١٣ - الرعد/٣٢
إنّ اللّه ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ...	...	٢ - البقرة/١٢٦
إنّ اللّه ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ...	أبو موسى	١١ - هود/١٩
إنّ اللّه ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ...	أبو موسى	١١ - هود/١٠٢
إنّ اللّه ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ...	...	١٦ - النحل/٤٧
إنّ اللّه ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ...	...	١٧ - الإسراء/٤٤
إنّ اللّه ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ...	...	١٩ - مريم/٣٧
إنّ اللّه ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ...	أبو موسى	٢٢ - الحج/٤٤

إنَّ اللّه مع الحاكم ما لم يجز ...	...	٤ - النساء/٥٨
إن اللّه ورسوله حرّم بيع الخمر والميتة والخنزيز والأصنام ...	جابر بن عبد اللّه	٦ - الأنعام/١٤٦
إن اللّه وضع عن أمتى الخطأ والنسيان	ابن عباس	٢ - البقرة / ٢٨٦
إن اللّه وضع عن أمتى الخطأ والنسيان	ابن عباس	٦ - الأنعام/١٢١
إن اللّه وضع عن أمتى الخطأ والنسيان	أبو هريرة	٦ - الأنعام/١٢١
إن اللّه وضع عن أمتى الخطأ والنسيان	أبو ذر	٦ - الأنعام/١٢١
إن اللّه وضع عن أمتى الخطأ والنسيان	عقبة عامر	٦ - الأنعام/١٢١
إن اللّه وضع عن أمتى الخطأ والنسيان	عبد الله بن عمرو	٦ - الأنعام/١٢١
إن اللّه وعدنى أن يدخل الجنة من أمتى أربعمائة ألف	أنس	٣ - آل عمران/١١٠
إن اللّه وعدنى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفًا ...	أبو أمامة	٣ - آل عمران/١١٠
إن اللّه وعدنى أن يدخل من أمتى ثلثمائة ألف الجنة ...	عمر	٣ - آل عمران/١١٠
إنَّ اللّه وكّل بالرحم ملكًا ...	أنس	٢٣ - المؤمنون/١٤
إنَّ اللّه يأمر بالعبد إلى الجنة ...	...	٤ - النساء/١٤٢
إنَّ اللّه يبعث يوم القيامة مناديًا ...	عبد اللّه بن مسعود	٢٢ - الحج/١
إن اللّه يبعث يوم القيامة مناديًا ينادى : يا أهل الجنة ...	أبو موسى الأشعري	١٠ - يونس/٢٦
إن اللّه يبغض ثلاثة ، ويحب ثلاثة ...	أبو ذر	٦١ - الصف/٢
إن اللّه يتجلّى للمؤمنين يضحك	جابر	٧٥ - القيامة/٢٣
إن اللّه يجزى بالحسنة ألف ألف حسنة	... عن أبى هريرة	٩ - التوبة/٣٩
إن اللّه يجزى بالحسنة ألفى ألف حسنة	أبو هريرة	٤ - النساء/٤٠
إن اللّه يجزى بالحسنة ألفى ألف ...	أبو هريرة	٩ - التوبة/٣٩
إن اللّه يجعل مكان كل شوكة منها ثمرة ...	عتبة بن عبد السلمي	٥٦ - الواقعة/٢٨
إن اللّه يحب الأخفياء الأتقياء ...	...	٥٨ - المجادلة/٢٢
إن اللّه يحب أن تؤتى رخصته ...	ابن عمر	٥ - المائدة/٣
إن اللّه يحب ثلاثة ويبغض ثلاثة ...	أبو ذر	٤ - النساء/٣٦
إن اللّه يحب الصمت عند ثلاث : عند تلاوة القرآن	زيد بن أرقم	٨ - الأنفال/٤٥
إن اللّه يحب معالى الأخلاق ، ويكره سفاسفها ...	...	١٦ - النحل/٩٠
إن اللّه يدنى المؤمن فيضع عليه كنفه ...	ابن عمر	٥٨ - المجادلة/٩

إن الله يرضى لكم ثلاثًا ...	أبو هريرة	٣ - آل عمران/١٠٣
إن الله يرفع بهذا قومًا ...	عمر بن الخطاب	٥٨ - المجادلة/١١
إن الله يسمع قراءة ﴿لم يكن الذين كفروا﴾ ...	مطر المزنى - أو المدني	٩٨ - البينة/فضائلها
إن الله يضاعف الحسنة ...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٤٥
إن الله يضاعف الحسنة ...	أبو هريرة	٤ - النساء/٤٠
إن الله يعافى الأميين يوم القيامة مالا يعافى العلماء	أنس	٢ - البقرة/٤٤
إنَّ الله يقبض يوم القيامة الأرضين	ابن عمر	٢١ - الأنبياء/١٠٤
إن الله يقبل توبة العبد قبل أن يموت بيوم	عبد الرحمن بن السلماني	٤ - النساء/١٧
إن الله يقبل توبة العبد قبل أن يموت بنصف يوم ...	عبد الرحمن بن السلماني	٤ - النساء/١٧
إن الله يقبل توبة العبد قبل أن يموت بيوم ...	عبد الرحمن بن السلماني	٤ - النساء/١٧
إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر	ابن عمر	٤ - النساء/١٧
إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر ...	...	٤ - النساء/١٧
إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر ...	الحسن	٤ - النساء/١٧
إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر	بشير بن كعب	٤ - النساء/١٧
إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر	عبادة بن الصامت	٤ - النساء/١٧
إن الله يقبل توبة عبده ...	أبو ذر	٤ - النساء/١٨
إن الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر	أبو هريرة	٤ - النساء/١٧
إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه ...	أبو هريرة	٩ - التوبة/١٠٣
إنّ الله يقول : أنا خير قسيم لمن أشرك بي ...	شداد بن أوس	١٨ - الكهف / ١١٠
إن الله يقول للعبد يوم القيامة ...	...	١٦ - النحل/٧٢
إن الله يقول : يا عبدى ما عبدتني ...	أبو ذر	٤ - النساء/٤٨
إن الله ينشىء السحاب فينطق أحسن النطق ...	شيخ من بنى غفار	١٣ - الرعد/١٣
إن الله ينهاك أن تعبد المخلوق	أبو فاختة	٢٥ - الفرقان/٧٠
إن الله ينهاكم عن التعري ...	ابن عباس	٨٢ - الأنفطار/٨
إن الله يوصيكم بآبائكم ...	المقدام بن معد يكرب	١٧ - الإسراء/٢٤
أن أم حبيبة قالت : يا رسول الله انكح أختي ...	...	٤ - النساء/٢٣
أن أم الفضل سمعته يقرأ : ﴿والمرسلات عرفا﴾ ...	ابن عباس	٧٧ - المرسلات/سببها

إن أمارة ليلة القدر أنها صافية ...	...	٩٧ - القدر/٥
إن الأمانة نزلت فى جذر قلوب الرجال ...	حذيفة	٣٣ - الأحزاب/٧٢
إن الأمانة والوفاء نزلا على ابن آدم ...	الحكم بن عمير	٣٣ - الأحزاب/٧٢
إن أمتى يدعون يوم القيامة غرًا محجلين ...	أبو هريرة	٥ - المائدة/٦
إن أمر المؤمن كله عجب ...	...	١٤ - إبراهيم/٥
أنَّ امرأته قالت : يا رسول الله صلِّ عليَّ ...	جابر	٣٣ - الأحزاب/٥٦
أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله ﷺ...	عبيد مولى رسول الله ﷺ	٤٩ - الحجرات/١٢
أن امرأة أتت النبى ﷺ فقالت ...	أنس بن مالك	٣٣ - الأحزاب/٥٠
أن امرأة أتتها فقالت : إن زوجى يأتنى مجبية ومستقبلة فكرهته ...	حفصة	٢ - البقرة/٢٢٣
أن امرأة أخبرتها أنها سمعت النبى ﷺ بين الصفا والمروة يقول ...	صفية بنت شيبة	٢ - البقرة/١٥٨
أن امرأة ثابت بن قيس اختلعت من زوجها على عهد النبى ﷺ...	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٢٩
أن امرأة ثابت بن قيس بن شماس أتت النبى ﷺ...	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٢٩
أن امرأة دخلت على عائشة رضى الله عنها ...	حسان بن المخارق	٤٩ - الحجرات/١٢
أن امرأة سرقت على عهد رسول الله ﷺ...	عبد الله بن عمرو	٥ - المائدة/٣٩
أن امرأة قالت : يا رسول الله إن ابنتى توفى عنها زوجها ...	أم سلمة	٢ - البقرة/٢٣٤
أن امرأة قالت : يا رسول الله صل عليَّ وعلى زوجي		٩ - التوبة/١٠٣
أن امرأة كان تستعير الحلي ...	ابن عمر	٥ - المائدة/٣٩
أنَّ امرأة من الأنصار قالت : يا رسول الله ...	عدى بن ثابت	٢٤ - النور/٢٧
إن أمة لرسول الله ﷺ زنت ...	على بن أبى طالب	٤ - النساء/٢٥
إن الأمير إذا ابتغى الريبة فى الناس أفسدهم.	جبير بن نفير وجماعة	٤٩ - الحجرات/١٢
أن أناسًا كانوا يحجون بغير زاد، فأنزل الله : ﴿ وتزودوا﴾ ...	عكرمة	٢ - البقرة/١٩٧
أن أناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا ...	عبد الله بن سلام	٦١ - الصف/فضائلها

أن أناسًا من أصحاب النبي ﷺ ذكروا الكبائر ...	أبو أمامة	٤ - النساء/٣١
أن أناسًا من أصحاب النبي ﷺ قالوا :		
الكمأة جدري الأرض ...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٥٧
إن أناسًا من أهل الجنة يطلعون		
على أناس من أهل النار ...	...	٢ - البقرة/٤٤
أن أناسًا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا ...	ابن عباس	٣٩ - الزمر/٥٣
إن أناسًا من أهل لا إله إلا الله يدخلون النار ...	أنس بن مالك	١٥ - الحجر/٢
إن أناسًا من قريش اجتمعوا ...	السدي	٣٨ - ص/٦
إن أنسابكم هذه ليست بمسبة على أحد ...	عقبة بن عامر	٤٩ - الحجرات/١٣
﴿إن الإنسان لربه لكنود﴾ قال الكنود الذى يأكل ...	أبو أمامة	١٠٠ - العاديات/٦
أن الأنصار كانوا يجبون النساء ...	أم سلمة	٢ - البقرة/٢٢٣
إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم ...	أبو سعيد	٥٦ - الواقعة/٣٧
أن أهل الجنة إذا دخلوا فيها ...	أبو هريرة	٤١ - فصلت/٢
إن أهل الجنة ليتراءون	أبو سعيد الخدري	٤ - النساء/٦٩
إن أهل الجنة ليتراءون	سهل بن سعد	٣٩ - الزمر/٢٠
إن أهل الجنة ليتراءون	أبو هريرة	٣٩ - الزمر/٢٠
إن أهل الجنة ليتراءون أهل الدرجات العُلَى ...	أبو سعيد	٨ - الأنفال/٤
إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف ...	أبو سعيد الخدري	٥٧ - الحديد/١٩
إن أهل الجنة ليتراءون الغرفة في الجنة ...	سهل بن سعد	٩ - التوبة/٧٢
إن أهل الجنة يلهمون التسبيح والتحميد ...	...	١٠ - يونس/١٠
أن أهل خيبر أهدوا لرسول الله ﷺ شاة مصلية ...	...	٥ - المائدة/٥
إنّ أهل الدرجات العلى ليرون أهل عليين ...	...	١٧ - الإسراء/٢١
إن أهل الصفة أخذ كل رجلٍ منهم رجلٌ يعشيه ...	ابن مسعود	٤٦ - الأحقاف/٢٩
إن أهل عليين ليراهم من أسفل منهم ...	...	٨ - الأنفال/٤
إنّ أهل عليين ليرون من فوقهم ...	...	٢٠ - طه/٧٥
إن أهل الكتابين افترقوا فى دينهم		
على ثنتين وسبعين ملة ...	معاوية بن أبي سفيان	٣ - آل عمران/١٠٥

أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية ...	أنس بن مالك	٥٤ - القمر/١
إن أهل النار إذا دخلوا النار بكوا الدموع زمانًا ...	زيد بن رفيع	٩ - التوبة/٨٢
إن أهل النار الذين لا يريد الله إخراجهم ...	أبو سعيد	٨٧ - الأعلى/١٣
أن أهل نجران كانوا أهل شرك ...	...	٨٥ - البروج/٥
إن أهون أهل النار عذابًا ...	النعمان بن بشير	٩٢ - الليل/١٤
إن أهون أهل النار عذابًا يوم القيامة ...	النعمان بن بشير	٩ - التوبة/٨١
أن الأوس والخزرج كان بينهما قتال ...	سعيد بن جبير	٤٩ - الحجرات/١٠
إن أوّل الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها ...	عبد الله بن عمرو	٦ - الأنعام/١٥٨
إنَّ أول الأيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها ...	عبد الله بن عمرو	٢٧ - النمل/٨٢
إن أوّل الآيات ، الدجال ، ونزول عيسى ...	حذيفة بن اليمان	٤٤ - الدخان/١٠
إن أوّل الآيات طلوع الشمس من مغربها ...	أبو أمامة صدى بن عجلان	٦ - الأنعام/١٥٨
إن أوّل خصمين يوم القيامة جاران	ابن لهيعة	٤ - النساء/٣٦
إن أوّل خلع كان فى الإسلام فى أخت عبد الله بن أبي ...	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٢٩
إن أوّل زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ...	أبو هريرة	٥٥ - الرحمن/٥٨
إن أوّل شيء خلقه الله القلم ...	أبو هريرة	٦٨ - القلم/١
إن أوّل شيء خلقه الله القلم ...	ابن عباس	٦٨ - القلم/١
أن أوّل صلاة صلاها رسول الله ﷺ إلى الكعبة ...	ابن عمر	٢ - البقرة/١٤٤
إنَّ أول عظم من الإنسان يتكلم ...	عقبة بن عامر	٣٦ - يس/٦٥
إن أوّل ما خلق الله القلم ...	ابن عباس	٦٨ - القلم/١
إن أوّل ما خلق الله القلم ...	عبادة بن الصامت	٦٨ - القلم/١
إن أوّل ما خلق الله القلم ثم قال له ...	عبادة بن الصامت	٥٤ - القمر/٤٩
إن أوّل ما دخل النقص على بنى إسرائيل ...	عبد الله بن مسعود	٥ - المائدة/٧٩
إنَّ أوّل ما نبدأ به فى يومنا هذا ...	البراء بن عازب	٢٢ - الحج/٣٦
إن أوّل ما نزل به جبريل على محمد ﷺ...	ابن عباس	١ - الفاتحة/البسملة
إن أوّل ما يرفع من الناس الخشوع	شداد بن أوس	٥٧ - الحديد/١٦
إن أوّل ما يسأل عنه ...	أبو هريرة	١٠٢ - التكاثر/٨

إن أوّل من بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان ...	الشعبي	٤٨ – الفتح/١٠
إن أوّل من جحد آدم عليه السلام إن الله لما خلق آدم ...	ابن عباس	٢ – البقرة/٢٨٢
إن أوّل من سيب السوائب وعبد الأصنام أبو خزاعة ...	عبد الله بن مسعود	٥ – المائدة/١٠٣
إنَّ أول الناس يدخل الجنة ...	محمد بن كعب	٢٥ – الفرقان/٣٨
إن أولى الناس بابن مريم لأنا ليس بيني وبينه نبي.	أبو هريرة	٥ – المائدة/١٩
إن بالمدينة أقوامًا ما سرتم من مسير ...	أنس	٤ – النساء/٩٥
إن بالمدينة أقوامًا ما قطعتم واديًا ولا سرتم ...	أنس	٩ – التوبة/٩٢
إنَّ بالمغرب بابًا للتوبة لا يزال ...	...	٣٥ – فاطر/٤١
إن بلالاً يؤذن بليل ...	عبد الله بن عمر	٨٠ – عبس/١
إن بني إسرائيل قالوا : يارسول الله هل يصبغ ربك؟ ...	ابن عباس	٢ – البقرة/١٣٨
إن بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد ...	عبد الله بن مسعود	٥٧ – الحديد/١٦
إنَّ بني سلمة شكوا إلى رسول الله ﷺ...	أبو سعيد	٣٦ – يس/١٢
إن بيّتم الليلة فقولوا هم لا ينصرون	المهلب بن أبي صفرة عمن سمع رسول الله ﷺ	٤٠ – غافر/فضائلها
إن بيّتم الليلة فقولوا هم لا ينصرون	المهلب بن أبي صفرة عمن سمع رسول الله ﷺ	٤٠ – غافر/فضائلها
﴿إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه﴾ قال : نسختها الآية التي بعدها ...	ابن عمر	٢ – البقرة/٢٨٤
أن تجعل الله ندًا وهو خلقك.	...	٢ – البقرة/٢٢
أن تجعل الله ندًا وهو خلقك.	عبد الله بن مسعود	٢ – البقرة/١٦٥
أن تجعل لله ندًا وهو خلقك ...	عبد الله بن مسعود	٤ – النساء/٣١
أن تجعل لله ندًا وهو خلقك ...	ابن مسعود	٤ – النساء/٣٦
أن تجعل لله ندًا وهو خلقك.	ابن مسعود	٤ – النساء/٤٨
أن تجعل لله ندًا وهو خلقك ...	عبد الله بن مسعود	٦ – الأنعام/١٥١
أن تجعل لله ندًا وهو خلقك.	ابن مسعود	١٢ – يوسف/١٠٦
أنْ تجعل لله ندًا وهو خلقك ...	ابن مسعود	١٧ – الإسراء/٣١
أن تجعل لله ندًا وهو خلقك.	ابن مسعود	٢٥ – الفرقان/٦٨

أنْ تدعو للّه ندًا وهو خلقك ...	ابن مسعود	٢٥ - الفرقان/٦٨
أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت ...	معاوية بن حيدة	٢ - البقرة/٢٢٨
أن تطعمها إذا طعمت ...	معاوية بن حيدة القشيري	٤ - النساء/٣٤
أن تعبد اللّه كأنك تراه ...	عمر	٥٧ - الحديد/٦
إن تغفر اللّهم تغفر جمًا ...	ابن عباس	٥٣ - النجم/٣٢
أن تقول إن شاء اللّه ...	ابن عباس	١٨ - الكهف/٢٤
أن ثابت بن قيس الأنصارى قال :		
يا رسول اللّه واللّه لقد خشيت ...	محمد بن ثابت الأنصاري	٣ - آل عمران/١٨٨
أنّ جارية لعبد اللّه بن أبى كانت تزني ...	ابن عباس	٢٤ - النور/٣٣
أنّ جاهمة جاء إلى النبى ﷺ فقال:		
يا رسول اللّه أردت الغزو	معاوية بن جاهمة السلمي	١٧ - الإسراء/٢٤
أنّ جبرائيل أبطأ عليه ...	ابن عباس	١٩ - مريم/٦٤
أن جبريل أتى النبى ﷺ فقال : اشتكيت يا محمد ...	أبو سعيد الخدري	٦٨ - القلم/٥١
أن جبريل أتى النبى ﷺ فوافقه مغتمًا ...	علي	٦٨ - القلم/٥١
إن جبريل أمرنى أن أقرئك هذه السورة ...	مالك بن عمرو	
	ابن ثابت الأنصاري	٩٨ - البينة/فضائلها
أن جبريل جاء إلى النبى ﷺ فقال :		
اشتكيت يا محمد؟ ...	...	١١٣ - الفلق/٤
أن جبريل علم النبى ﷺ إذا قام ...	أبو عثمان الفقير	٥٢ - الطور/٤٨
إنّ جبريل عليه السلام أتاني فأخذ بيدي ...	أم هانيء بنت أبى طالب	١٧ - الإسراء/١
إنّ جبريل عليه السلام لمّا		
نزل فصعد بموسى عليه السلام ...	علي	٢٠ - طه/٩٦
إنّ الجبل لينادى الجبل باسمه ...	عون بن عبد اللّه	١٩ - مريم/٩١
أن جده حنيفة أوصى ليتيم فى حجره بمائة من الإبل ...	حنظلة بن جذيم بن حنيفة	٢ - البقرة/١٨٢
أنّ جعفر بن أبى طالب رضى اللّه عنه قرأ		
صدر هذه السورة على النجاشي وأصحابه.	ابن مسعود	١٩ - مريم/المقدمة
أن جعفر بن أبى طالب رضى اللّه عنه لما		

قرأ ﴿كهيعص﴾ بحضرة النجاشي ...	...	٣ - آل عمران/١٩٩
إنّ جليبيبًا كان امرءًا يدخل على النساء ...	أبو برزة الأسلمي	٣٣ - الأحزاب/٣٦
إن الجمّاء لتقتص من القرناء يوم القيامة.	عثمان	٦ - الأنعام/٣٨
إنّ الجماء لتقتص من القرناء يوم القيامة.	عثمان	١٨ - الكهف/٤٩
أن جميلة بنت سلول أتت النبي ﷺ فقالت ...	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٢٩
إن الجنة حرّمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها ...	عمر بن الخطاب	٣ - آل عمران/١١٠
إن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة ...	...	٣٩ - الزمر/٧٣
إن الجنة مائة درجة ...	...	٦٩ - الحاقة/٢٢
إنّ جهنم لمّا سيق لها أهلها تلقاهم ...	أبو هرير	٢٣ - المؤمنون/١٠٣
إنّ جهنم لمّا سيق إليها أهلها ...	أبو هريرة	٣٤ - سبأ/٣٣
إن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ فقال ...	عائشة	٤٢ - الشورى/٣
أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ كيف يأتيك الوحي؟ ...	عائشة	٧٣ - المزمل/٥
أن الحباب لما قال ذلك ، نزل ملك من السماء.	...	٨ - الأنفال/١١
أن حبرًا سأل رسول الله ﷺ عن مسائل ...	ثوبان	٦٨ - القلم/١
أن حبرًا من اليهود سأل النبي ﷺ فقال ...	أبو أيوب الأنصاري	١٤ - إبراهيم/٤٨
إن حبك إياها أدخلك الجنة ...	أنس	١١٢ - الإخلاص/فضائلها
أن حبيبة بنت سهل كانت تحت ثابت بن قيس ...	عائشة	٢ - البقرة/٢٢٩
إن حبيبي ﷺ نهاني أن أصلي في المقبرة ...	علي	٢ - البقرة/١٠٢
إن الحجر يرمى به في جهنم ...	أبو موسى الأشعري	٣ - آل عمران/١٦١
أنّ حسان بن ثابت ، وعبد الله بن رواحة ...	أبو الحسن	٢٦ - الشعراء/٢٢٧
إن الحلال بين والحرام بين ...	النعمان بن بشير	٢ - البقرة/٢٧٥
إن الحمد لله نحمده ونستعينه ...	ابن مسعود	٧ - الأعراف/١٧٨
أن حمزة بن عمرو الأسلمي قال : يا رسول الله إني كثير الصيام ...	عائشة	٢ - البقرة/١٨٥
إنّ الحميم ليصب على رؤوسهم ...	أبو هريرة	٢٢ - الحج/١٩
إن الحور العين ليغنين في الجنة ...	أنس	٥٦ - الواقعة/٣٧

إن الحور العين يغنين فى الجنة ...	أنس	٥٦ – الواقعة/٣٧
أن حيين من العرب اقتتلوا فى الجاهلية ...	سعيد بن جبير	٢ – البقرة/١٧٨
أن خديجة قالت للنبى ﷺ : ما أرى ربك إلا قد قلاك ...	عبد الله بن شداد	٩٣ – الضحى/٣
إن خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه ...	ابن مسعود	٢ – البقرة/٢٣٤
إن خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه ...	ابن مسعود	١٣ – الرعد/٨
إن خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه ...	ابن مسعود	٢٢ – الحج/٥
إنّ خلق رسول الله ﷺ كان القرآن	عائشة	٦٨ – القلم/٤
إن خليلى عهد إلى أن أيما ذهب أو فضة ...	أبو ذر	٩ – التوبة/٣٥
إن خير دينكم أيسره ...	أبو قتادة عن أعرابي	٢ – البقرة/١٨٥
أن الدارى كان يهدى لرسول الله ﷺ كل عام راوية من خمر ...	عبد الرحمن بن غنم	٥ – المائدة/٩١
إن داود عليه السلام قال : يا رب إن بنى إسرائيل ...	الأحنف بن قيس	١٢ – يوسف/٨٤
إنّ داود عليه السلام كان يأكل ...	...	٢٣ – المؤمنون/٥١
إن الدعاء هو العبادة ...	النعمان بن بشير	٤٠ – غافر/٦٠
إن الدعاء والقضاء ليعتلجان بين السماء والأرض	...	١٣ – الرعد/٣٩
إن دماءكم وأموالكم ...	...	٤٩ – الحجرات/١٢
إن الدنيا حلوة خضرة ...	أبو سعيد الخدري	٦ – الأنعام/١٦٥
إن الدنيا حلوة خضرة ...	أبو سعيد	١٠ – يونس/١٤
إنّ الدنيا حلوة خضرة ...	أبو سعيد الخدري	١٨ – الكهف/٨
إن دين الله فى يسر ...	عروة الفقيمي	٢ – البقرة/١٨٥
إن الدين يسر ...	...	٩ – التوبة/١٢٨
إن ذلك سيكون	الزبير	١٠٢ – التكاثر/٨
إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا ...	البراء بن عازب	٣ – آل عمران/١٥٣
إن الربا وإن كثر فإن عاقبته تصير إلى قل.	ابن مسعود	٢ – البقرة/٢٧٦
إن ربكم أنذركم ثلاثًا : الدخان ...	أبو مالك الأشعري	٤٤ – الدخان/١٠
إن ربكم عز وجل خيرنى بين سبعين ألف		

يدخلون الجنة ...	أبو أيوب الأنصاري	٤ - النساء/٤٨
إن ربكم عز وجل رحيم ...	ابن عباس	٦ - الأنعام/١٦٠
إن ربى أعطانى سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ...	عبد الرحمن بن أبى بكر	٣ - آل عمران/١١٠
إن ربى تبارك وتعالى حرم الخمر والكوبة والقنين ...	قيس بن سعد بن عبادة	٥ - المائدة/٩١
إن ربى عز وجل استشارنى فى أمتي ...	حذيفة بن اليمان	٥ - المائدة/١١٨
إنَّ ربى عز وجل أمرنى أن أعلمكم ...	عياض بن حمار	٣٠ - الروم/٣٠
إن ربى عز وجل وعدنى أن يدخل الجنة من أمتي ...	عتبة بن عبد السلمي	٣ - آل عمران/١١٠
إن ربى عزّ وجل وعدنى من أمتى سبعين ألفًا لا يحاسبون .	ثوبان	٣ - آل عمران/١١٠
إن ربى وعدنى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفًا ...	أبو سعيد الأنماري	٣ - آل عمران/١١٠
أن الربيّع بنت النضر عمته لطمت جارية ...	أنس بن مالك	٥ - المائدة/٤٥
أن الربيّع عمة أنس كسرت ثنية جارية ...	أنس بن مالك	٥ - المائدة/٤٥
إنّ رجالاً من أصحاب رسول الله ﷺ		
كانوا يطلبون العاص	ابن عباس	١٩ - مريم/٧٧
أن رجالاً من أصحاب النبى ﷺ		
أروا ليلة القدر فى المنام ...	عبد الله بن عمر	٩٧ - القدر/٥
أن رجالاً من أصحاب النبى ﷺ قالوا : يا نبى الله ...	قتادة	٩ - التوب/١١٤
أنِ رجالاً من الأنصار قالوا : يا رسول الله ائذن لنا ...	أنس بن مالك	٨ - الأنفال/٧٠
إن رجالاً من المسلمين أتوا رسول الله ﷺ	محمد بن إسحاق	٩ - التوب/٩١
أن رجالاً من المنافقين فى عهد رسول الله ﷺ...	أبو سعيد الخدري	٣ - آل عمران/١٨٨
إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة ...	ثوبان	١٣ - الرعد/٣٥
إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة ...	ثوبان	٥٦ - الواقعة/٢١
إن الرجل فى الجنة ليتكيء ...	أبو سعيد	٥٠ - ق/٣٥
إن الرجل كان يجعل من ماله النخلات ...	أنس بن مالك	٥٩ - الحشر/٧
أنّ الرجل ليأتى يوم القيامة بحسنات ...	...	٢٩ - العنكبوت/١٣
إن الرجل ليتصدق بالصدقة من الكسب الطيب ...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٧٦
إن الرجل ليتكيء المتكأ مقدار أربعين سنة ...	الهيثم بن مالك	٥٢ - الطور/٢٠
إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ...	...	٤٩ - الحجرات/٢

إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان اللّٰه تعالى ...	بلال بن الحارث	٥٠ – ق/١٨
إنَّ الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط اللّٰه ...	...	٢٤ – النور/١٥
إنَّ الرجل ليُجَر إلى النار فيقول ...	ابن عباس	٢٥ – الفرقان/١٢
إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ...	ثوبان	١٣ – الرعد/٣٩
إن الرجل ليصل فى اليوم إلى مائة عذراء ...	أبو هريرة	٥٦ – الواقعة/٣٧
إن الرجل ليعمل – أو المرأة – بطاعة اللّٰه ...	أبو هريرة	٤ – النساء/١٣
إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة ...	...	٢ – البقرة/١٣٢
إن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير ...	أبو هريرة	٤ – النساء/١٣
إن الرجل ليمر بالقبر – أى فى زمان الدجال – فيقول		١٢ – يوسف/١٠١
إن الرجل من بنى إسرائيل كان إذا رأى أخاه ...	عبد اللّٰه بن مسعود	٥ – المائدة/٧٩
أن رجلاً أتى امرأته فى دبرها فوجد فى نفسه ...	ابن عمر	٢ – البقرة/٢٢٣
أن رجلاً أتى به اللّٰه عز وجل فقال :		
ماذا عملت فى الدنيا ...	حذيفة	٢ – البقرة/٢٨٠
إنَّ رجلاً أتى رسول اللّٰه ﷺ فسأله ...	تميم الداري	٣٤ – سبأ/١٥
أنّ رجلاً أتى رسول اللّٰه ﷺ فقال ...	سهل بن سعد	٢٤ – النور/٦
إن رجلاً أتى رسول اللّٰه ﷺ فقال ...	عبادة بن الصامت	٦٤ – التغابن/١١
أن رجلاً أتى عمر فقال : إن امرأة جاءت تبايعه ...	ابن عباس	١١ – هود/١١٤
أن رجلاً أتى عمر فقال : إنى أجنبت ...	أبزي	٤ – النساء/٤٣
أن رجلاً أتى النبى ﷺ فقال : إن لى جارًا يؤذيني ...	أبو هريرة	٤ – النساء/١٤٨
إن رجلاً أتى النبى ﷺ فقال : يا رسول اللّٰه ...	أبو أمامة	١١ – هود/١١٤
أن رجلاً أتى النبى ﷺ فقال :		
يا رسول اللّٰه إنى إذا أكلت ...	ابن عباس	٥ – المائدة/٨٨
أن رجلاً أتى النبى ﷺ فقال :		
يا رسول اللّٰه إنى لأحبك ...	ابن عباس	٤ – النساء/٦٩
إن رجلاً أذنب ذنبًا ...	أبو هريرة	٣ – آل عمران/١٣٥
أنَّ رجلاً استأذن على النبى ﷺ فقال ...	عمرو بن سعيد	٢٤ – النور/٢٧
أن رجلاً أصاب امرأة فى دبرها فأنكر الناس عليه ...	أبو سعيد الخدري	٢ – البقرة/٢٢٣

أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة فأتى النبي ﷺ...	ابن مسعود	١١ - هود/١١٤
أنَّ رجلاً أنشد في المسجد فقال ...	بريدة	٢٤ - النور/٣٦
أن رجلاً تصدق بناقة مخطومة في سبيل اللّه ...	ابن مسعود	٢ - البقرة/٢٦١
أن رجلاً تلا هذه الآية ﴿من يعمل سوءًا يجز به﴾ ...	عائشة	٤ - النساء/١٢٣
أن رجلاً توضأ فترك موضع ظفر على قدمه ...	عمر بن الخطاب	٥ - المائدة/٦
أن رجلاً جاء إلى رسول اللّه ﷺ فقال : إن أخي ...	أبو سعيد الخدري	١٦ - النحل/٦٩
أن رجلاً جاء إلى رسول اللّه ﷺ فقال : السلام عليكم يا رسول اللّه ...	عمران بن حصين	٤ - النساء/٨٦
أن رجلاً جاءه فقال أوصني ...	أبو سعيد الخدري	٥٧ - الحديد/٢٧
إنَّ رجلاً حضره الموت فلمّا يئس ...	حذيفة	٣٦ - يس/٧٩
إنَّ رجلاً حضره الموت فلمّا يئس ...	عقبة بن عمرو	٣٦ - يس/٧٩
أن رجلاً سأل رسول اللّه ﷺ بصوت جهوري ...	...	٤٢ - الشورى/١٨
أن رجلاً سأل رسول اللّه ﷺ عن الساعة ...	أنس	٧ - الأعراف/١٨٧
أن رجلاً سأل رسول اللّه ﷺ عن سبإ ...	ابن عباس	٣٤ - سبأ/١٥
أن رجلاً سأل رسول اللّه ﷺ : ليس لي مال؟ ...	عبد اللّه بن عمرو	٤ - النساء/٦
أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال : متى يحل الحرام؟ ...	الحسن	٥ - المائدة/٣
أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال : يا رسول اللّه أتبدأ الأعمال ...	هشام بن حكيم	٧ - الأعراف/١٨٧
أن رجلاً سأل النبي ﷺ قال : متى الساعة؟ ...	أنس بن مالك	٧ - الأعراف/١٨٧
إنَّ رجلاً سأله فقال : أي المجاهدين أعظم ...	معاذ بن أنس	٣٣ - الأحزاب/٣٥
أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ ﴿قل هو اللّه أحد﴾ ...	أبو سعيد	١١٢ - الإخلاص/فضائلها
إن رجلاً شتم أبا بكر رضي اللّه عنه ...	أبو هريرة	٤٢ - الشورى/٤٣
أن رجلاً ضرب رجلاً على ساعده بالسيف من غير المفصل ...	جارية بن ظفر الحنفي	٥ - المائدة/٤٥
أن رجلاً طعن رجلاً بقرن في ركبته ...	عبد اللّه بن عمرو بن العاص	٥ - المائدة/٤٥
أن رجلاً طلق امرأته ثلاثًا فتزوجت ...	عائشة	٢ - البقرة/٢٣٠
أن رجلاً قال : كيف تعرف هذا الحرف ...	زر	٥٥ - الرحمن/فضائلها

أن رجلاً قال لامرأته : لا أطلقك أبدًا ،		
ولا آويك أبدًا ...	عروة	٢ - البقرة/٢٢٩
إنَّ رجلاً قال لحذيفة رضى الله عنه ...	زيد بن أسلم	٣٣ - الأحزاب/١٠
أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ ما شاء الله وشئت ...	...	٢ - البقرة/٢٢
أن رجلاً قال للنبى ﷺ : إنا نأكل وما نشبع ...	وحشى بن حرب	
	عن أبيه عن جده	٥ - المائدة/٤
أنَّ رجلاً قال للنبى ﷺ : إنا نأكل ولا نشبع ...	وحشى بن حرب	
	عن أبيه عن جده	٢٤ - النور/٦١
أن رجلاً قال : ما أبالى أن لا أعمل عملاً ...	النعمان بن بشير	٩ - التوبة/١٩
أن رجلاً قال : يا رسول الله أرأيت إن قتلت ...	...	٣ - آل عمران/١٩٥
أن رجلاً قال : يا رسول الله		
إن امرأتى ولدت غلامًا أسود ...	أبو هريرة	٨٢ - الأنفطار/٨
أن رجلاً قال : يا رسول الله إنى أحب هذه		
السورة ﴿قل هو الله أحد﴾ ...	أنس	١١٢ - الإخلاص/فضائلها
أن رجلاً قال : يا رسول الله إنى ظاهرت ...	ابن عباس	٥٨ - المجادلة/٣
أن رجلاً قال : يا رسول الله ائذن لى فى السياحة ...	أبو أمامة	٩ - التوبة/١١٢
أن رجلاً قال يا رسول الله أين أبي ...	أنس	٦٠ - الممتحنة/٣
أن رجلاً قال : يا رسول الله		
تدركنى الصلاة وأنا جنب ...	عائشة	٢ - البقرة/١٨٧
أن رجلاً قال : يا رسول الله ذهب		
أهل الدثور بالأجور ...	قتادة	١٤ - إبراهيم/٢٤
أن رجلاً قال : يا رسول الله علمنى عملاً ...	أبو هريرة	٣ - آل عمران/٢٠٠
أنّ رجلاً قال : يا رسول الله قد		
رأيت سد يأجوج ومأجوج ...	قتادة	١٨ - الكهف/٩٦
أن رجلاً قال يا رسول الله قل لى قولاً وأقلل عليّ ...	حارثة بن قدامة السعدي	٣ - آل عمران/١٣٤
أن رجلاً قال : يا رسول الله ، كيف يحشر الكافر ...	أنس	٢٥ - الفرقان/٣٤
أن رجلاً قال : يا رسول الله ما الكبائر ؟ ...	ابن عباس	٤ - النساء/٣١

أن رجلاً قال : يا رسول اللّه ما الكبائر؟ ...	ابن مسعود	٤ - النساء/٣١
أن رجلاً قال : يا رسول اللّه ما الكوثر ؟ ...	أنس بن مالك	١٠٨ - الكوثر/١
أن رجلاً قال يا رسول اللّه مرنى بأمر فى الإسلام ...	سفيان الثقفى عن رجل	٤١ - فصلت/٣١
أن رجلاً قال : يا رسول اللّه من أبر ؟ ...	...	٢ - البقرة/٨٣
أن رجلاً قال يا محمد يا سيدنا وابن سيدنا ...	أنس بن مالك	٤ - النساء/١٧١
إنَّ رجلاً قدم علينا يكذب بالقدر فقال : دلونى عليه ...	ابن عباس	٥٤ - القمر/٤٩
أن رجلاً كان فى الطواف حاملاً أمه ...	بريدة	١٧ - الإسراء/٢٤
أن رجلاً كان له نخيل ...	ابن عباس	٩٢ - الليل/١٠
أن رجلاً كان يأتى كل غداة فيزور قبر ...	على بن الحسين	٣٣ - الأحزاب/٥٦
إنَّ رجلاً كان يأكل والنبى ﷺ ينظر فلم يسم ...	أمية بن مخشي	٥ - المائدة/٤
أن رجلاً كان يكثر ذكر اللّه ويسبح ، فذكر ذلك النبى ﷺ...	الحسن بن مسلم بن بيان	٩ - التوبة/١١٤
إنَّ رجلاً كانت له يتيمة فنكحها ...	عائشة	٤ - النساء/٢
أن رجلاً مصابًا مرَّ على عبد اللّه بن مسعود ...	حسن بن عبد اللّه	٢٣ - المؤمنون/١١٥
إنَّ رجلاً ممن كان قبلكم ...	أنس بن مالك	٦٧ - الملك/فضائلها
أن رجلاً من أصحاب رسول اللّه ﷺ جلس بين يديه فقال ...	عائشة	٢١ - الأنبياء/٤٧
أن رجلاً من أصحاب النبى ﷺ ذكر امرأة ...	يحيى بن جعدة	١١ - هود/١١٤
أن رجلاً من أصحاب النبى ﷺ يقال له أبو عبد اللّه ...	أبو نضرة	٤٢ - الشورى/٧
أن رجلاً من الأعراب أتى النبى ﷺ يستفتيه ...	عروة بن الزبير عن جدته	٥ - المائدة/٣
أن رجلاً من الأعراب أهدى لرسول اللّه ﷺ...	...	١٢ - يوسف/١٠٩
أن رجلاً من الأنصار وامرأته ...	مقاتل بن حيان	٢٤ - النور/٥٨
أن رجلاً من أهل البادية حديث عهد ...	...	٩ - التوبة/٥٨
أن رجلاً من أهل البادية قال : يا رسول اللّه متى الساعة؟	أنس	٧ - الأعراف/١٨٧
أن رجلاً من ثقيف طلق نساءه ...	ابن عمر	٢٤ - النساء/٣
أن رجلاً من قريش أسر يوم بدر ...	الزهري	٢٤ - النور/٣٣
أن رجلاً من مزينة أو جهينة أتى رسول اللّه ﷺ...	...	٩١ - الشمس/٨

أنّ رجلاً من المشركين سمع النبى ﷺ وهو يقول في سجوده: يا رحمن يا رحيم ...	ابن عباس	١٧ - الإسراء/١١٠
أنّ رجلاً من المشركين سمع النبى ﷺ وهو يقول في سجوده : يا رحمن يا رحيم ...	مكحول	١٧ - الإسراء/١١٠
أن رجلاً من المنافقين قال : والله إن هؤلاء ...	...	٩ - التوبة/٦٢
أن رجلاً من المهاجرين مرّ على رجل من الأنصار وهو يتشحط فى دمه ...	أبو نجيح	٣ - آل عمران/١٤٤
أنَّ رجلاً من المؤمنين استأذن رسول الله ﷺ ...	عبد الله بن عمر	٢٤ - النور/٣
أن رجلاً نزل الحرة ومعه أهله وولده ...	سمرة	٥ - المائدة/٣
أن رجلاً يقال له ابن زنيم اطلع على الثنية ...	قتادة	٤٨ - الفتح/٢٤
أن رجلاً - يقال له حرملة - أتى النبى ﷺ فقال ...	أبو الدرداء	٩ - التوبة/١٠١
أن رجلين اختصما إلى النبى ﷺ...	...	٤ - النساء/٦٥
إن الرحم معلقة بالعرش ...	عبد الله بن عمرو	٤٧ - القتال/٢٢
إنَّ الرسالة والنبوة قد انقطعت ...	أنس بن مالك	٣٣ - الأحزاب/٤٠
أن رسول الله ﷺ آلى من نسائه شهرًا ...	عائشة	٢ - البقرة/٢٢٦
أن رسول الله ﷺ أبصر قومًا يصلون	أبو أمامة	٥ - المائدة/٦
أن رسول الله ﷺ أتاه رجل فقال : يا رسول الله ما تقول ...	معاذ	٤ - النساء/٤٣
أن رسول الله ﷺ أتاه فيما يرى النائم ...	ابن عباس	٢٣ - المؤمنون/٧٤
أن رسول الله ﷺ أتاه ملكان فيما يرى النائم ...	ابن عباس	٩ - التوب/١٢٨
أن رسول الله ﷺ أتى حمزة بن عبد المطلب ...	أسامة بن زيد	١٠٨ - الكوثر/١
أن رسول الله ﷺ أتى بسارق قد سرق شملة ...	أبو هريرة	٥ - المائدة/٣٩
أن رسول الله ﷺ أتى بقناع بسر فقرأ : ﴿مثلاً كلمة طيبة﴾ ...	أنس	١٤ - إبراهيم/٢٤
أن رسول الله ﷺ أتى بقناع عليه بسر فقال ...	أنس	١٤ - إبراهيم/٢٦
أن رسول الله ﷺ أتى بيهودى ويهودية قد زنيا ...	عبد الله بن عمر	٥ - المائدة/٤١
إنَّ رسول الله ﷺ أخذ بيدى فقال ...	أبو هريرة	٣٢ - السجدة/٤

أن رسول الله ﷺ أخذ الجزية من مجوس هجر ...	عبد الرحمن بن عوف	٥ - المائدة/٥
أن رسول الله ﷺ أخذ على رجل دخل فى الإسلام ...	الزهري	٨ - الأنفال/٧٣
أن رسول الله ﷺ أراد أن يصلى على عبد الله بن أبي ...	أنس	٩ - التوبة/٨٤
إن رسول الله ﷺ أردفه على دابته ...	عبد الله بن عباس	٤٣ - الزخرف/١٤
أن رسول الله ﷺ أُرى أعمار الناس قبله ...	مالك	٩٧ - القدر/٥
أن رسول الله ﷺ استعمل أبا سفيان ...	ابن شهاب	٦٠ - الممتحنة/٧
أن رسول الله ﷺ اشتكى ...	أبو سعيد أو جابر بن عبد الله	٦٨ - القلم/٥١
أن رسول الله ﷺ أصاب أم إبراهيم ...	زيد بن أسلم	٦٦ - التحريم/١
أن رسول الله ﷺ أفرد يوم أحد فى سبعة من الأنصار ...	أنس بن مالك	٣ - آل عمران/١٥٣
أن رسول الله ﷺ أقام أيامًا لم يطعم طعامًا ...	جابر	٣ - آل عمران/٣٧
إن رسول الله ﷺ أقرأنى بعدها آيتين ...	أبى بن كعب	٩ - التوبة/١٢٩
أن رسول الله ﷺ أقرأه خمس عشرة سجدة ...	عمرو بن العاص	٢٢ - الحج/١٨
أن رسول الله ﷺ أمر أن يقرأ بالسماوات فى العشاء	أبو هريرة	٨٥ - البروج/فضائلها
أن رسول الله ﷺ أمر بقتل الكلاب ...	أبو رافع	٥ - المائدة/٤
أن رسول الله ﷺ أمر عمر بن الخطاب فقال ...	ابن عباس	٦٠ - الممتحنة/١٢
أن رسول الله ﷺ أمر الناس أن يصوموا ...	أنس	٤٩ - الحجرات/١٢
أن رسول الله ﷺ أمر الناس أن ينبعثوا غازين معه ...	ابن عباس	٩ - التوبة/٩١
أن رسول الله ﷺ أمرها أن ترضع سالمًا ...	سهلة بنت سهيل	٤ - النساء/٢٣
أن رسول الله ﷺ أمرها أن تسترقى من العين	عائشة	٦٨ - القلم/٥١
أن رسول الله ﷺ أملى عليّ ...	زيد بن ثابت	٤ - النساء/٩٥
أن رسول الله ﷺ انتظر فى بعض أيامه التى لقى فيها العدو	عبد الله بن أبى أوفى	٨ - الأنفال/٤٥
أن رسول الله ﷺ انتهى إلى أصحابه وهم سكوت ...	...	٦٥ - الطلاق/١٢
أن رسول الله ﷺ انصرف من صلاة		

جهر فيها بالقراءة ...	أبو هريرة	٧ - الأعراف/٢٠٤
أن رسول اللّه ﷺ انطلق ليخطب ...	ابن عباس	٣٣ - الأحزاب/٣٦
إن رسول اللّه ﷺ أهديت له بغلة شهباء	عقبة بن عامر	المعوّذتان
أن رسول اللّه ﷺ بريء من الصالقة ...	أبو موسى	٦٠ - الممتحنة/١٢
أن رسول اللّه ﷺ بشّر أصحابة ...	قتادة	٩٤ - الشرح/٦
إنّ رسول اللّه ﷺ بصق يومًا ...	بشر بن جحاش	٣٦ - يس/٧٧
أن رسول اللّه ﷺ بصق يومًا فى كفه ...	بشر بن جحاش القرشي	٨٢ - الانفطار/٧
إن رسول اللّه ﷺ بعث أبا بكر ...	علي	٩ - التوبة/٣
أن رسول اللّه ﷺ بعث أبا رافع فى قتل الكلاب ...	عكرمة	٥ - المائدة/٤
أن رسول اللّه ﷺ بعث بشر بن سحيم		
فنادى فى أيام التشريق ...	عمرو بن دينار	٢ - البقرة/٢٠٣
أن رسول اللّه ﷺ بعث بعثًا ...	أبو هريرة	٢ - البقرة/المقدمة
أن رسول اللّه ﷺ بعث رجلاً مرة إلى رجل ...	أنس	١٣ - الرعد/١٣
أن رسول اللّه ﷺ بعث رهطًا وبعث عليهم أبا عبيدة ...	جندب بن عبد اللّه	٢ - البقرة/٢١٧
أن رسول اللّه ﷺ بعث سرية فأخذتهم ضبابة ...	ابن عباس	٢ - البقرة/١١٥
أن رسول اللّه ﷺ بعث سرية فغنموا ...	الحسن بن محمد	٥١ - الذاريات/١٩
أن رسول اللّه ﷺ بعث سرية وكانوا سبعة نفر ...	ابن عباس وابن مسعود	٢ - البقرة/٢١٧
أن رسول اللّه ﷺ بعث سعد بن عبادة مصدقًا ...	ابن عمر	٣ - آل عمران/١٦١
أن رسول اللّه ﷺ بعث عبد اللّه بن حذافة		
يطوف فى منى ...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٠٣
أن رسول اللّه ﷺ بعثه إلى بنى النضير ...	محمد بن مسلمة	٥٩ - الحشر/٥
أن رسول اللّه ﷺ بعثه ببراءة مع أبى بكر ...	أنس بن مالك	٩ - التوبة/٣
أنّ رسول اللّه ﷺ بعثه مع رجلين ...	ابن عباس	٢٢ - الحج/٢٥
أنّ رسول اللّه ﷺ بلّغ ما أرسل به ...	أبو أمامة	٢٩ - العنكبوت/١٣
أن رسول اللّه ﷺ بينما هو جالس مع أصحابه ...	أنس بن مالك	٥٨ - المجادلة/٨
إنّ رسول اللّه ﷺ تزوج أميمة بنت شراحيل ...	سهل بن سعد وأبو أسيد	٣٣ - الأحزاب/٤٩
رسول اللّه ﷺ تزوج بخمس عشرة امرأة ...	أنس	٤ - النساء/٣

أن رسول الله ﷺ تلا قول إبراهيم عليه السلام:		
﴿ربِّ إنهن أضللن﴾ ...	عبد الله بن عمرو	١٤ - إبراهيم/٣٦
أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية ...	ابن عباس	٣٧ - الصافات/٦٦
أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية ...	معاذ بن جبل	٥٦ - الواقعة/٨
أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية :		
﴿للذين أحسنوا الحسنى﴾ ...	صهيب	١٠ - يونس/٢٦
إن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية : ﴿وإن تتولوا﴾ ...	أبو هريرة	٤٧ - محمد/٣٨
أن رسول الله ﷺ تنفل سيفه ذا الفقار قوم بدر ...	ابن عباس	٨ - الأنفال/٤١
أن رسول الله ﷺ توضأ ثلاثًا ثلاثًا	عثمان	٥ - المائدة/٦
أن رسول الله ﷺ توضأ مرة مرة ...	عبد الله بن عمرو بن العاص	٥ - المائدة/٦
أن رسول الله ﷺ توفى عن تسع نسوة ...	ابن عباس	٤ - النساء/١٢٨
أن رسول الله ﷺ توفى ودرعه مرهونة ...	أنس	٢ - البقرة/٢٨٣
أن رسول الله ﷺ تيمم فمسح وجهه وذراعيه ...	ابن الصمة	٤ - النساء/٤٣
أنّ رسول الله ﷺ جاء ذات يوم ...	أبو طلحة	٣٣ - الأحزاب/٥٦
أنّ رسول الله ﷺ جاءته امرأة فقالت ...	سهل بن سعد	٣٣ - الأحزاب/٥٠
أنّ رسول الله ﷺ جاءها حين أمره الله تعالى ...	عائشة	٣٣ - الأحزاب/٢٨
أن رسول الله ﷺ جعل فداء أهل الجاهلية ...	ابن عباس	٨ - الأنفال/٦٩
أن رسول الله ﷺ جعل فى الحائض نصاب دينار ...	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٢٢
أن رسول الله ﷺ جعل يرفع أصبعه عند الموت ...	عائشة	١٢ - يوسف/١٠١
أن رسول الله ﷺ جعل يمر بين القتلى		
يوم بدر فيقول : يفلق هاما ...	...	٨ - الأنفال/١٢
أنّ رسول الله ﷺ جعل يمشى بين القتلى ...	...	٣٦ - يس/٦٩
أنّ رسول الله ﷺ جعل ينظر إلى ا لحبشة وهم يلعبون	...	٢٤ - النور/٣١
أن رسول الله ﷺ جعل يوصى أمّته ...	...	٤ - النساء/٣٦
أن رسول الله ﷺ جلس يومًا فذكر الناس ثم قام ...	...	٥ - المائدة/٨٨
إنّ رسول الله ﷺ جمع عليًا وفاطمة والحسن ...	أم سلمة	٣٣ - الأحزاب/٣٣
أن رسول الله ﷺ جمع فى إحرامه بحج وعمرة ...	أنس	٢ - البقرة/١٩٦

أنَّ رسول اللّٰه ﷺ حدثه أنَّ في الجنة غرفًا ...	أبو مالك الأشعري	٢٩ - العنكبوت/٥٨
أنَّ رسول اللّٰه ﷺ حدثهم ...	أبو أمامة	٣٥ - فاطر/٣٣
أن رسول اللّٰه ﷺ حدثهم وذكر الجنة ...	أبو أمامة	٤٣ - الزخرف/٧١
أن رسول اللّٰه ﷺ حرق نخل بني النضير ...	ابن عمر	٥٩ - الحشر/٥
أنّ رسول اللّٰه ﷺ حضر جنازة فلمّا دفن الميت أخذ		٢٠ - طه/٥٥
إنّ رسول اللّٰه ﷺ حين انتهى إلى بيت المقدس ...	سعيد بن المسيب	١٧ - الإسراء/١
أن رسول اللّٰه ﷺ حين بعثه ببراءة قال ...	علي	٩ - التوبة/٣
أن رسول اللّٰه ﷺ حين قدم عليه أولئك النفر من مضر ...	جرير بن عبد اللّٰه البجلي	٤ - النساء/١
أنَّ رسول اللّٰه ﷺ خطب ذات يومٍ ...	عياض بن حمار	٣٠ - الروم/٣٠
أن رسول اللّٰه ﷺ خرج إلى أحد ...	زيد بن ثابت	٤ - النساء/٨٨
إن رسول اللّٰه ﷺ خرج إلى الناس يومًا فنادى فيهم ...	ابن عباس	٩ - التوبة/٧٩
أن رسول اللّٰه ﷺ خرج ذات ليلة ...	ابن عباس	٣ - آل عمران/١٩٤
إن رسول اللّٰه ﷺ خرج ذات يوم إليهم ...	أبو أيوب الأنصاري	٤ - النساء/٤٨
أنّ رسول اللّٰه ﷺ خرج على أصحابه وهم حلق ...	أبو هريرة	٧٠ - المعارج/٤٨
إن رسول اللّٰه ﷺ خرج على الناس وهم يتنازعون	أبو أمامة	٤٣ - الزخرف/٥٨
أنّ رسول اللّٰه ﷺ خرج عليهم وهم حِلق ...	جابر بن سمرة	٧٠ - المعارج/٣٧
إن رسول اللّٰه ﷺ خرج معتمرًا فحال كفار قريش ...	ابن عمر	٤٨ - الفتح/٢٧
أن رسول اللّٰه ﷺ خرج من الخلاء ...	عبد اللّٰه بن عباس	٥ - المائدة/٦
أن رسول اللّٰه ﷺ خرج وساروا معه ...	أبو أمامة	٦٨ - القلم/٥١
أن رسول اللّٰه ﷺ خط حوله ...	ابن مسعود	٤٦ - الأحقاف/٢٩
أن رسول اللّٰه ﷺ خطب أصحابه ذات يومٍ ...	أنس	٥٤ - القمر/١
أنّ رسول اللّٰه ﷺ خطب فأتى على هذه الآية ﴿إنّه من يأت ربّه مجرمًا﴾ ...	أبو سعيد الخدري	٢٠ - طه/٧٤
أن رسول اللّٰه ﷺ خطب الناس يوم الجمعة ...	عائشة	٦٢ - الجمعة/٩
أن رسول اللّٰه ﷺ خطب يوم عرفة فقال ...	ابن مخرمة	٩ - التوبة/٣
أن رسول اللّٰه ﷺ خطب يومًا ومعه على المنبر الحسن ...	أبو بكرة	٤٩ - الحجرات/٩

أنَّ رسول الله ﷺ خيَّر نساءه ...	علي	٣٣ - الأحزاب/٢٨
أن رسول الله ﷺ دخل على رجل من الأعراب يعوده ...	...	١٠٢ - التكاثر/١
أن رسول الله ﷺ دخل على ضباعة بنت الزبير ...	عائشة	٢ - البقرة/١٩٦
أن رسول الله ﷺ دخل عليها وعندها ...	عائشة	٤٠ - غافر/٤٦
أن رسول الله ﷺ دعا على عتبة بن أبي وقاص يوم أحد ...	مقسم	٣ - آل عمران/١٥٣
أنَّ رسول الله ﷺ دعا على قريش حين استعصوا ...	...	٢٣ - المؤمنون/٧٦
أن رسول الله ﷺ دعا لابن عباس ...	...	٣ - آل عمران/٧
أن رسول الله ﷺ ذبح البقر عن نسائه ...	أبو هريرة	٢ - البقرة/١٩٦
أن رسول الله ﷺ ذكرت عنده اليهود فقال ...	عائشة	١ - الفاتحة/٧
أن رسول الله ﷺ رأى امرأة من السبي ...	...	٢ - البقرة/١٤٣
أنَّ رسول الله ﷺ رأى امرأة من السبي ...	عمر بن الخطاب	٣٣ - الأحزاب/٤٣
أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً قد ظلل عليه فقال ...	جابر	٢ - البقرة/١٨٥
أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً معتزلاً لم يصل مع القوم ...	عمران بن حصين	٤ - النساء/٤٣
أنَّ رسول الله ﷺ رأى رجلاً يسوق بدنة ...	أنس	٢٢ - الحج/٣٢
أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يصلي ...	عبد الله بن شقيق	٢ - البقرة/١٨٥
أن رسول الله ﷺ رأى شاتين تنتطحان	أبو ذر	٦ - الأنعام/٣٨
أن رسول الله ﷺ رأى قومًا يتوضئون	جابر	٥ - المائدة/٦
أن رسول الله ﷺ رد ابنته زينب ...	ابن عباس	٦٠ - الممتحنة/١٠
أن رسول الله ﷺ رد ابنته على أبي العاص ...	عبد الله بن عمرو	٦٠ - الممتحنة/١٠
أن رسول الله ﷺ رش على قدميه الماء وهما في النعلين	علي	٥ - المائدة/٦
أن رسول الله ﷺ رفع يده بعدما سلم ...	أبو هريرة	٤ - النساء/٩٩
أن رسول الله ﷺ ركب على حمار عليه قطيفة ...	أسامة بن زيد	٣ - آل عمران/١٨٦
أن رسول الله ﷺ رمل ثلاثة أشواط ...	جابر	٢ - البقرة/١٢٥
إن رسول الله ﷺ سأل ابن صائد عن تربة الجنة ...	أبو سعيد	٣٩ - الزمر/٧٣

أن رسول اللّٰه ﷺ سأل رجلاً من صحابته فقال ...	أنس بن مالك	٢ – البقرة/٢٥٥
أن رسول اللّٰه ﷺ سألوه حتى أحفوه بالمسألة ...	أنس بن مالك	٥ – المائدة/١٠١
أن رسول اللّٰه ﷺ سجد فيها		
– ﴿إذا السماء انشقت﴾ ...	أبو هريرة	٨٤ – الانشقاق/فضائلها
أن رسول اللّٰه ﷺ سمع جلبة خصم ...	أم سلمة	٤ – النساء/١٠٥
أن رسول اللّٰه ﷺ سمع رجلاً ...	إسماعيل بن أمية	٥٦ – الواقعة/٨٢
أن رسول اللّٰه ﷺ سمع رجلاً يثنى على رجل ...	أبو بكرة	٤ – النساء/١٠٥
أن رسول اللّٰه ﷺ سمع رجلاً يقول لامرأته يا أختي ...	...	٥٨ – المجادلة/٢
أنّ رسول اللّٰه ﷺ سمع صوت أبي موسى الأشعري ...	...	٣٤ – سبأ/١٠
أن رسول اللّٰه ﷺ سهر ذات ليلة وهي إلى جنبه ...	عائشة	٥ – المائدة/٦٧
أنّ رسول اللّٰه ﷺ سئل : أى الأجلين	يوسف بن تيرح	٢٨ – القصص/٢٨
أنّ رسول اللّٰه ﷺ سئل : أى الأجلين	عتبة بن المنذر	٢٨ – القصص/٢٨
رسول اللّٰه ﷺ سئل عن الأمة إذا زنت ...	أبو هريرة وزيد بن خالد	٤ – النساء / ٢٥
أنّ رسول اللّٰه ﷺ سئل عن أولاد المشركين	ابن عباس	٣٠ – الروم/٣٠
أن رسول اللّٰه ﷺ سئل عن الراسخين فى العلم ...	...	٣ – آل عمران/٧
أن رسول اللّٰه ﷺ سئل عن رجل كانت تحته امرأة ...	أنس بن مالك	٢ – البقرة/٢٣٠
أن رسول اللّٰه ﷺ سئل عن رجل نام حتى أصبح ...	...	٧٣ – المزمل/٢٠
أن رسول اللّٰه ﷺ سئل عن الرجل يحب القوم ...	...	٤ – النساء/٦٩
أنّ رسول اللّٰه ﷺ سئل عن سبإ ...	...	٣٤ – سبأ/١٥
أن رسول اللّٰه ﷺ سئل عن الشفع والوتر ...	عمران بن حصين	٨٩ – الفجر/٣
أنّ رسول اللّٰه ﷺ سئل عن الصور ...	...	٢٠ – طه/١٠٢
أن رسول اللّٰه ﷺ سئل عن عبد اللّٰه بن جدعان		
هل ينفعه إنفاقه ...	...	٤ – النساء/٣٨
أن رسول اللّٰه ﷺ سئل عن قول اللّٰه عز وجل		
﴿من استطاع إليه سبيلا﴾ ...	أنس	٣ – آل عمران/٩٧
أن رسول اللّٰه ﷺ سئل عن الكوثر ...	أنس بن مالك	٥٦ – الواقعة/٢١
أن رسول اللّٰه ﷺ سئل عن المرأة		

يتزوجها الرجل فيطلقها ...	عائشة	٢ - البقرة/٢٣٠
أنّ رسول اللّه ﷺ صالح ملك أيلة ...	محمد بن إسحاق	٣٠ - الروم/٤١
أن رسول اللّه ﷺ صعد الصفا فدعا بطون قريش ...	...	١١ - هود/٢
أن رسول اللّه ﷺ صلى إلى بيت المقدس		
ستة عشر شهرًا ...	البراء	٢ - البقرة/١٤٢
أن رسول اللّه ﷺ صلى بهم إلى بعير من المغنم ...	عمرو بن عنبسة	٨ - الأنفال/٤١
أنّ رسول اللّه ﷺ صلى بهم الصبح ...	رجل من أصحاب النبى ﷺ	٣٠ - الروم/٦٠
أن رسول اللّه ﷺ صلى بهم الصبح على أثر سماء ...	...	١٠ - يونس/٢١
أن رسول اللّه ﷺ صلى بهم الصبح فقرأ فيها : الروم ...	رجل من أصحاب النبى ﷺ	٩ - التوبة/١٠٨
أن رسول اللّه ﷺ صلّى بهم صلاة الخوف ...	جابر بن عبد اللّه	٤ - النساء/١٠٢
أن رسول اللّه ﷺ صل بهم فى غزوة ...	عبادة	٨ - الأنفال/٤١
أن رسول اللّه ﷺ ضحى بكبش ...	أبو سعيد	٢٢ - الحج/٣٢
أنّ رسول اللّه ﷺ ضحى بكبشين ...	أنس	٢٢ - الحج/٣٢
أنّ رسول اللّه ﷺ ضحى بكبشين ...	أبو رافع	٢٢ - الحج/٣٢
أن رسول اللّه ﷺ ضرب بيده على الحائط ...	ابن عمر	٤ - النساء / ٤٣
أنّ رسول اللّه ﷺ طرقه وفاطمة		
بنت رسول اللّه ﷺ ليلة ...	علي	١٨ - الكهف/٥٤
أن رسول اللّه ﷺ طلّق حفصة ...	عمر	٣٣ - الأحزاب/٥٢
أن رسول اللّه ﷺ طلق نساءه ...	عمر بن الخطاب	٤ - النساء/٨٣
أن رسول اللّه ﷺ عاد رجلاً من المسلمين ...	أنس	٢ - البقرة/٢٠٢
أنّ رسول اللّه ﷺ عاش ثلاثًا وستين ...	...	٣٥ - فاطر/٣٧
أن رسول اللّه ﷺ عام غزوة تبوك قام من الليل يصلي	عبد اللّه بن عمرو بن العاص	٧ - الأعراف/١٥٨
أن رسول اللّه ﷺ عرس بذات الجيش ...	عمّار بن ياسر	٤ - النساء/٤٣
أن رسول اللّه ﷺ علم ربيبه عمر بن أبى سلمة	...	٥ - المائدة/٤
أن رسول اللّه ﷺ غزا غزوة المريسيع ...	عروة بن الزبير	
	وعمرو بن ثابت	٦٣ - المنافقون/٨
أن رسول اللّه ﷺ غضب على الأشعريين ...	أبو موسى	٢ - البقرة/٢٣١

أن رسول الله ﷺ قال فى خطبته بغدير خم ...	...	٤٢ - الشورى/٢٣
أن رسول الله ﷺ قال فى خطبته فى حجة الوداع ...	جابر	٢ - البقرة/٢٢٨
أن رسول الله ﷺ قال فى قول الله ﴿إذا الشمس كورت﴾ ...	يزيد بن أبى مريم	٨١ - التكوير/١
أن رسول الله ﷺ قال فى ليلة القدر ...	أبو هريرة	٩٧ - القدر/٥
أن رسول الله ﷺ قال فى ليلة القدر ...	ابن عباس	٩٧ - القدر/٥
أن رسول الله ﷺ قال لابن صياد ...	زيد بن حارثة	٤٤ - الدخان/فضائلها
أن رسول الله ﷺ قال لابن صياد ...	...	٤٤ - الدخان/١٠
أنّ رسول الله ﷺ قال لأبى بكر فى مناحبة ...	ابن عباس	٣٠ - الروم/٣
أن رسول الله ﷺ قال لأسامة لما علا ذلك الرجل بالسيف ...	...	٨ - الأنفال/٣٨
أن رسول الله ﷺ قال لجابر بن عبد الله ...	...	٤٢ - الشورى/٥١
أن رسول الله ﷺ قال لربيبه ...	...	١ - الفاتحة/البسملة
أن رسول الله ﷺ قال لرجل ابدأ بنفسك فتصدق عليها ...	جابر	٢ - البقرة/٢١٩
أن رسول الله ﷺ قال لرجل : أسلم ...	أنس	٢ - البقرة/٢٥٦
أن رسول الله ﷺ قال لرجل : قل اللّهم إنى أسألك ...	أبو أمامة	٨٩ - الفجر/٣٠
أن رسول الله ﷺ قال لرجل معه صغير : ابنك هذا ...	...	٢ - البقرة/١٤٦
أن رسول الله ﷺ قال لرجل من أصحابه ...	أنس بن مالك	٩٩ - الزلزلة/فضائلها
أن رسول الله ﷺ قال لرجل يقال له : ذو النجادين ...	عقبة بن عامر	٩ - التوبة/١١٤
أن رسول الله ﷺ قال لسعد بن أبى وقاص ...	...	٢ - البقرة/٢٧٤
أن رسول الله ﷺ قال لعمر لما شاوره ...	...	٨ - الأنفال/٩
أن رسول الله ﷺ قال للعويم بن ساعدة ...	إبراهيم بن المعلى	٩ - التوبة/١٠٨
أن رسول الله ﷺ قال للعباس بن مرداس ...	...	٣٦ - يس/٦٩
أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ وأبى موسى حين بعثهما ...	...	٢ - البقرة/١٨٥
أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ : هلاّ صليت ...	جابر	٩١ - الشمس/فضائلها
أن رسول الله ﷺ قال له : وما ولد لك ...	رباح	٨٢ - الأنفطار/٨

أن رسول الله ﷺ قال ليامين : ألم تر ما لقيت ...	ابن إسحاق	
	عن بعض آل يامين	٥٩ – الحشر/٢
أن رسول الله ﷺ قال وهو فى بعض أسفاره ...	عمران بن حصين	٢٢ – الحج/١
أن رسول الله ﷺ قال يوم الفتح ...	ابن عباس	١١٠ – النصر/١
أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة ...	...	١٠٥ – الفيل/٥
أن رسول الله ﷺ قال يومًا لجلسائه ...	العلاء بن سعد	٣٧ – الصافات/١٦٤
أن رسول الله ﷺ قام خطيبًا ...	أبو سعيد الخدري	٥ – المائدة/٧٩
أن رسول الله ﷺ قام ليلة بمكة ...	أم الفضل	٣ – آل عمران/١٠
أن رسول الله ﷺ قام يصلي ...	أبو سعيد الخدري	٣٨ – ص/٣٥
أن رسول الله ﷺ قبّل بعض نسائه		
ثم خرج إلى الصلاة ...	عائشة	٤ – النساء/٤٣
أن رسول الله ﷺ قبّل ثم صلّى ولم يتوضأ ...	عائشة	٤ – النساء/٤٣
أن رسول الله ﷺ قدم المدينة نهارًا ...	...	٢٤ – النور/٢٧
أن رسول الله ﷺ قرأ : ﴿الآن خفف الله عنكم ...	ابن عمر	٨ – الأنفال/٦٦
أن رسول الله ﷺ قرأ البسملة ...	أم سلمة	١ – الفاتحة/البسملة
أن رسول الله ﷺ قرأ البسملة ...	أبو هريرة	١ – الفاتحة/البسملة
أن رسول الله ﷺ قرأ البسملة ...	ابن عباس	١ – الفاتحة/البسملة
أن رسول الله ﷺ قرأ البسملة ...	علي	١ – الفاتحة/البسملة
أن رسول الله ﷺ قرأ بهذه		
السورة ﴿قل ياأيها الكافرون﴾ ...	جابر	١٠٩ – الكافرون/فضائلها
أن رسول الله ﷺ قرأ بهما – المعوذتين –		
فى صلاة الصبح ...	عقبة بن عامر	المعوّذتان
أن رسول الله ﷺ قرأ سورة الرحمن ...	ابن عمر	٥٥ – الرحمن/فضائلها
أن رسول الله ﷺ قرأ فى الركعتين قبل الفجر ...	ابن عمر	١٠٩ – الكافرون/فضائلها
أن رسول الله ﷺ قرأ فى العيدين ...	النعمان بن بشير	٨٧ – الأعلى/فضائلها
أن رسول الله ﷺ قرأ : ﴿كيف ننشزها﴾ ...	زيد بن ثابت	٢ – البقرة/٢٥٩
أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم ...	ابن عمر	٣٩ – الزمر/٦٧

أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية على المنبر ...	ابن عمر	٣٩ - الزمر/٦٧
أن رسول الله ﷺ قرأ هذه السورة ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر﴾	ابن زيد	٧٦ - الإنسان/فضائلها
أن رسول الله ﷺ قرأ يومًا هذه الآية : ﴿ولمن خاف مقام ...	أبو الدرداء	٥٥ - الرحمن/٤٦
أن رسول الله ﷺ قرأ : ﴿يومًا يجعل الولدان شيبًا﴾ ...	ابن عباس	٧٣ - المزمل/١٧
أن رسول الله ﷺ قرأها : ﴿إنه عمل غير صالح﴾ ...	أم سلمة	١١ - هود/٤٦
أن رسول الله ﷺ قرأها : ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس﴾ ...	أنس بن مالك	٥ - المائدة/٤٥
أن رسول الله ﷺ قرأها : ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾	ابن عمر	١٣ - الرعد/٤٣
أن رسول الله ﷺ قضى فيمن زنى ولم يحصن	عبادة	٤ - النساء/٢٥
أن رسول الله ﷺ قضى فيمن زنى ولم يحصن	أبو هريرة	٤ - النساء/٢٥
أن رسول الله ﷺ قطع في مجن ثمنه ثلاثة دراهم	ابن عمر	٥ - المائدة/٣٨
أن رسول الله ﷺ قطع نخل بني النضير ...	ابن عمر	٥٩ - الحشر/٥
أن رسول الله ﷺ قيل له : ألم تر ثابت بن قيس ...	جرير بن يزيد عن أشياخ أهل المدينة	٢ - البقرة/المقدمة
أن رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضجعه ...	...	١٠٩ - الكافرون/فضائلها
أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يدعو على أحد ...	أبو هريرة	٣ - آل عمران/١٢٨
أن رسول الله ﷺ كان إذا استيقظ من الليل ...	عائشة	٣ - آل عمران/٨
أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى ...	عائشة	المعوّذتان
أن رسول الله ﷺ كان إذا توضأ أخذ كفًا من ماء ...	أنس بن مالك	٥ - المائدة/٦
أن رسول الله ﷺ كان إذا حزبه أمر صلى ...	...	٢ - البقرة/١٥٣
أن رسول الله ﷺ كان إذا خاف قومًا قال ...	أبو موسى	٤٠ - غافر/٢٧
أن رسول الله ﷺ كان إذا رأى ناشئًا ...	عائشة	٤٦ - الأحقاف/٢٥
أن رسول الله ﷺ كان إذا رجع من سفر قال ...	...	١٧ - الإسراء/٢٥
أن رسول الله ﷺ كان إذا رفع رأسه ...	أبو سعيد	٣٥ - فاطر/٢
أن رسول الله ﷺ كان إذا ضحّى ...	أبو رافع	٢٢ - الحج/٣٦

أن رسول الله ﷺ كان إذا غضب أخذ بأنفها ...	عائشة	٩ - التوبة/١٤
أن رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من الصلاة		
يستغفر الله ثلاثًا ...	...	٢ - البقرة/١٩٩
أن رسول الله ﷺ كان إذا قام من الليل يصلي يقول ...	عائشة	٢ - البقرة/٢١٣
أن رسول الله ﷺ كان إذا قام من الليل يقول ...	...	٢ - البقرة/٩٨
أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ :		
﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ ...	ابن عباس	٨٧ - الأعلى/١
أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأها ...	قتادة	٧٥ - القيامة/٤٠
أن رسول الله ﷺ كان إذا كبر استفتح ...	علي	٦ - الأنعام/١٦٣
أن رسول الله ﷺ كان إذا نزل عليه الوحي ...	عبادة	٤ - النساء/١٥
أن رسول الله ﷺ كان أمر بالوضوء لكل صلاة	عبد الله بن حنظلة	
	ابن الغسيل	٥ - المائدة/٦
أن رسول الله ﷺ كان قاعدًا خلف المقام ...	ابن عباس	٦ - الأنعام/١٤٦
أن رسول الله ﷺ كان لا يعرف فصل السورة ...	ابن عباس	١ - الفاتحة/البسملة
أن رسول الله ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ ...	جابر	٦٧ - الملك/فضائلها
أن رسول الله ﷺ كان متكئًا		
فدخل عليه رجل فقال : ما الكبائر؟ ...	ابن عباس	٤ - النساء/٣١
أن رسول الله ﷺ كان يأكل الطعام		
في ستة نفر من أصحابه ...	عائشة	٥ - المائدة/٤
أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ بالله من ضيق المقام ...	...	٨٣ - المطففين/٦
أن رسول الله ﷺ كان يتعوّذ من أعين الجان ...	أبو سعيد	المعوّذتان
أن رسول الله ﷺ كان يتمثل بهذا البيت ...	الحسن البصري	٣٦ - يس/٦٩
أن رسول الله ﷺ كان يجلس حيث انتهى به المجلس	...	٥٨ - المجادلة/١١
أن رسول الله ﷺ كان يحرص أن يؤمن جميع الناس ...	ابن عباس	٦ - الأنعام/٣٥
أن رسول الله ﷺ كان يدعو	أنس بن مالك	١٦ - النحل/٧٠
أن رسول الله ﷺ كان يدعو على أربعة ...	عبد الله بن عمر	٣ - آل عمران/١٢٨
أن رسول الله ﷺ كان يدعو عند النوم ...	أبو هريرة	٥٧ - الحديد/٣

أن رسول الله ﷺ كان يدعو فى دبر صلاة الظهر ...	أبو هريرة	٤ - النساء/٩٩
أن رسول الله ﷺ كان يزور مسجد قباء راكبًا وماشيًا	...	٩ - التوبة/١٠٨
أن رسول الله ﷺ كان يستأذن فى اليوم ...	عائشة	٣٣ - الأحزاب/٥١
أن رسول الله ﷺ كان يسلم يوم الفتح من كل ركعتين	...	١١٠ - النصر/١
أن رسول الله ﷺ كان يعالج من الوحى شدّة ...	ابن عباس	٢٠ - طه/١١٤
أن رسول الله ﷺ كان يعجبه الحلواء والعسل ...	عائشة	١٦ - النحل/٦٩
أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم أن يقولوا فى التشهد ...	ابن مسعود	٤٦ - الأحقاف/١٥
أن رسول الله ﷺ كان يفتتح الصلاة ...	ابن عباس	١ - الفاتحة/البسملة
أن رسول الله ﷺ كان يفتتح قيام الليل ...	عائشة	٨٣ - المطففين/٦
أن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك		
(لا يجاوز بصره مصلاه)	عطاء بن أبى رباح	٢٣ - المؤمنون/٢
أن رسول الله ﷺ كان يقبلها وهو صائم ...	أم سلمة	٤ - النساء/٤٣
أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بقاف ...	أبو واقد	٥٤ - القمر/فضائلها
أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بهن وينفث فى كفيه ...	عائشة	المعوّذتان
أن رسول الله ﷺ كان يقرأ فى صلاة الجمعة ...	ابن عباس وأبو هريرة	٦٢ - الجمعة/فضائلها
أن رسول الله ﷺ كان يقرأ فى		
صلاة الصبح يوم الجمعة ...	أبو هريرة	٢ - البقرة/١
أن رسول الله ﷺ كان يقرأ فى		
صلاة الصبح يوم الجمعة : ﴿الم تنزيل﴾ ...	ابن عباس	٧٦ - الإنسان/فضائلها
أن رسول الله ﷺ كان يقرأ فى العشاء الآخرة ...	أبو هريرة	٨٥ - البروج/فضائلها
أن رسول الله ﷺ كان يقرأ فى العيدين ويوم الجمعة ...	النعمان بن بشير	٨٧ - الأعلى/فضائلها
أن رسول الله ﷺ كان يقرأ فى الوتر ...	...	٨٧ - الأعلى/فضائلها
أن رسول الله ﷺ كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد ...	عرباض بن سارية	٥٧ - الحديد/فضائلها
أن رسول الله ﷺ كان يقرؤها ...	...	١ - الفاتحة/٤
أن رسول الله ﷺ كان يقطع قراءته حرفًا حرفًا ...	أم سلمة	١ - الفاتحة/البسملة
أن رسول الله ﷺ كان يقول عقب		
الصلوات المكتوبات ...	ابن الزبير	٤٠ - غافر/١٤

أن رسول الله ﷺ كان يقول فى دعائه ...	...	٢ - البقرة/٢٦٦
أن رسول الله ﷺ كان يقول فى قول الله تعالى : ﴿وآخرون من دونهم ...	غريب	٨ - الأنفال/٦٠
أن رسول الله ﷺ كان يقيم كفارة اليمين مدًا من حنطة ...	ابن عمر	٥ - المائدة/٨٩
أن رسول الله ﷺ كان يكثر من دعائه ...	أسماء بنت يزيد بن السكن	٣ - آل عمران/٨
أن رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجر إليه ...	عائشة	٦٠ - الممتحنة/١٢
أن رسول الله ﷺ كان يمرّ بباب فاطمة ...	أنس	٣٣ - الأحزاب/٣٣
أن رسول الله ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش ...	عائشة	٦٦ - التحريم/١
أن رسول الله ﷺ كان يومًا بارزًا للناس ...	أبو هريرة	٣١ - لقمان/٣٤
أن رسول الله ﷺ كان ينال منى القبلة بعد الوضوء ...	عائشة	٤ - النساء/٤٣
أن رسول الله ﷺ كان ينهى عن قيل وقال ...	المغيرة بن شعبة	٢ - البقرة/١٠٨
أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها ...	أنس	٦٦ - التحريم/١
أن رسول الله ﷺ كتب إلى أهل نجران	...	٣ - آل عمران/٦٣
أن رسول الله ﷺ كتب فى كتاب عمرو بن حزم : أن الرجل ...	...	٥ - المائدة/٤٥
أن رسول الله ﷺ لعن المحلل والمحلل له ...	جابر وعلي	٢ - البقرة/٢٣٠
أن رسول الله ﷺ لعن النائحة والمستمعة	أبو سعيد	٦٠ - الممتحنة/١٢
أن رسول الله ﷺ لم ير جبريل فى صورته ...	عبد الله بن مسعود	٥٣ - النجم/٧
أن رسول الله ﷺ لما بناه وأسسه أول قدومه ...	...	٩ - التوبة/١٠٨
أن رسول الله ﷺ لما خطب الأنصار ...	...	٨ - الأنفال/٦٣
أن رسول الله ﷺ لما خطبهم فى آخر خطبة ...	أبو سعيد الخدري	٤ - النساء/١٢٥
أن رسول الله ﷺ لما دخل على سعد ...	...	٤ - النساء/٩
أن رسول الله ﷺ لما دخل على عثمان بن مظعون	أم العلاء	١٥ - الحجر/٩٩
أن رسول الله ﷺ لما دعا قومه إلى الإيمان ...	ابن مسعود	١١١ - المسد/١
أن رسول الله ﷺ لما سار إلى بدر استشار المسلمين	أنس	٥ - المائدة/٢٤

أن رسول الله ﷺ لما ظهر على أهل بدر ...	...	٧ - الأعراف/٧٩
أن رسول الله ﷺ لما عاهد كفار قريش ...	المسور ، ومروان بن الحكم	٦٠ - الممتحنة/١٠
أن رسول الله ﷺ لما فرغ من طوافه بالبيت ...	جابر	٢ - البقرة/١٥٨
أن رسول الله ﷺ لما قدم عليه مال البحرين ...	قتادة	٨ - الأنفال/٧٠
أن رسول الله ﷺ لما قفل من غزوة تبوك ...	ابن عباس	٩ - التوبة/١١٣
أن رسول الله ﷺ لما كان يوم بدر فى العريش ...	...	٨ - الأنفال/١١
أن رسول الله ﷺ لما نحر هديه ...	...	٢٢ - الحج/٢٨
أن رسول الله ﷺ لما ندب		
الناس يوم الأحزاب فانتدب الزبير ...	...	٣ - آل عمران/٥٢
أن رسول الله ﷺ لمّا نزل إلى نسائه ...	عائشة	٣٣ - الأحزاب/٢٨
أن رسول الله ﷺ لما نزل بمكة واطمأن الناس ...	صفية بنت شيبة	٤ - النساء/٥٨
أن رسول الله ﷺ لما نزل مر الظهران ...	ابن عباس	٤٨ - الفتح/٢٧
أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة ...	ابن عباس	٢ - البقرة/١٤٣
أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة ...	ابن عباس	٢ - البقرة/١٤٤
أن رسول الله ﷺ ليلة أسرى به إلى المسجد		
الأقصى كان بين المقام وزمزم ...	عبد الرحمن بن قرط	١٧ - الإسراء/٤٤
أن رسول الله ﷺ ليلة أسرى به من المسجد الحرام ...	عبد الرحمن بن قرط	١٧ - الإسراء/١
أن رسول الله ﷺ مرّ بإدريس فى ليلة الإسراء ...	...	١٩ - مريم/٥٦
أن رسول الله ﷺ مرّ بجدى أسكّ ميت ...	...	١٣ - الرعد/٢٦
أن رسول الله ﷺ مرّ برجل يقرأ سورة الكهف ...	الأغر أبو مسلم	١٨ - الكهف/٢٨
أن رسول الله ﷺ مرّ بقبرين فقال ...	ابن عباس	١٧ - الإسراء/٤٤
أن رسول الله ﷺ مرّ بنفر من أسلم ...	...	٣٤ - سبأ/١٥
أن رسول الله ﷺ مرّ بيوسف عليه السلام فى السماء		١٢ - يوسف/٣١
أن رسول الله ﷺ نادى أبى بن كعب ...	أبو سعيد مولى	
	ابن عامر بن كريز	١ - الفاتحة/المقدمة
أن رسول الله ﷺ		
نهى أن يأتى الرجل امرأته فى دبرها ...	خزيمة بن ثابت	٢ - البقرة/٢٢٣

أن رسول الله ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن	ابن عمر	٥٦ - الواقعة/٧٩
أن رسول الله ﷺ نهى عن اتخاذ ظهور الدواب ...	...	٢٢ - الحج/١٨
أن رسول الله ﷺ نهى عن بيع الملامسة ...	...	٤ - النساء/٤٣
أن رسول الله ﷺ نهى عن السوم ...	...	١٦ - النحل/١٠
أن رسول الله ﷺ نهى عن طعام المتباريين أن يؤكل	عكرمة	٥ - المائدة/٣
أن رسول الله ﷺ نهى عن قتل الضفدع	أبو عبد الرحمن	
	ابن عثمان التيمي	٥ - المائدة/٩٦
أن رسول الله ﷺ نهى عن قيل وقال ...	المغيرة بن شعبة	٤ - النساء/٨٣
أن رسول الله ﷺ نهى عن كسر سكد المسلمين ...	...	٢٧ - النمل/٤٨
أن رسول الله ﷺ نهى عن لونين من التمر ...	سهل بن حنيف	٢ - البقرة/٢٦٧
أن رسول الله ﷺ نهى عن المصفرة ...	عتبة بن عبد السلمي	٢٢ - الحج/٣٢
أن رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر ...	ابن شهاب	١ - الفاتحة/٤
أن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا ينحرون البدن ...	جابر	٢٢ - الحج / ٣٦
أن رسول الله ﷺ وضع لحسان بن ثابت منبرًا ...	عائشة	٢ - البقرة/٨٧
أن رسول الله ﷺ وضع يده على صدره ...	عن عبد الله الأسلمي	المعوّذتان
أن رسول الله ﷺ وقف على حمزة ...	أبو هريرة	١٦ - النحل/١٢٦
أن رسول الله ﷺ يوم ابن أبي الحقيق بخيبر ...	عبد الرحمن بن جبير	٨ - الأنفال/١٧
أن رسول الله ﷺ يوم فتح مكة صلى الضحى ...	أم هانيئ	٣٨ - ص/١٧
إن الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة	عائشة	٤ - النساء/٢٣
إن رضى عمر رحمه ...	عبد الله بن عمر	٧٤ - المدثر/٣١
أن رفاعة بن سموأل طلق امرأته تميمة بنت وهب ...	الزبير بن عبد الرحمن	٢ - البقرة/٢٣٠
أن رفاعة القرظى تزوج امرأة ثم طلقها ...	عائشة	٢ - البقرة/٢٣٠
أن الرقى والتمائم والتولية شرك	ابن مسعود	١٢ - يوسف/١٠٦
أن رهطًا من قريش مرَّ بهم زيد بن ثابت ...	الزبرقان	٢ - البقرة/٢٣٨
إن رهطًا من اليهود سألوا رجلاً ...	البراء	٧٤ - المدثر/٣٠
إنّ روح عيسى عليه السلام ...	أبيّ بن كعب	١٩ - مريم/١٧
إن روح القدس نفث فى روعي ...	...	٤٢ - الشورى/٥١

إن روح القدس نفس فى روعى أنه لن يموت نفس ...	ابن مسعود	٢ - البقرة/٨٧
إن روح المؤمن تكون على شكل طائر ...	...	٣ - آل عمران/١٦٩
أن الزبور أنزل لثنتى عشرة خلت من رمضان ...	جابر بن عبد الله	٢ - البقرة/١٨٥
أن الزبير رضى الله عنه كان عليه يوم بدر عمامة صفراء ...	يحيى بن عباد	٣ - آل عمران/١٢٥
أن الزبير كان يحدث أنه كان يخاصم رجلاً من الأنصار	عروة	٤ - النساء/٦٥
إن الزمان قد استدار كهيئته ...	أبو بكرة	٥ - المائدة/١
إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق ...	أبو هريرة	٩ - التوبة/٣٦
إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق ...	أبو بكرة	٩ - التوبة/٣٦
إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق ...	أبو بكرة	٩ - التوبة/٣٦
إن زنت فحدوها ...	أبو هريرة وزيد بن خالد	٤ - النساء/٢٥
أن زوجها طلقها على عهد النبى ﷺ...	فاطمة بنت قيس الفهرية	٦٥ - الطلاق/١
إنَّ زيد بن حارثة رضى الله عنه مولى رسول الله ﷺ...	عبد الله بن عمر	٣٣ - الأحزاب/٥
إنَّ زينب بنت جحش رضى الله عنها كانت تفخر ...	أنس	٣٣ - الأحزاب/٣٧
إن الساعة تهيج بالناس ...	قتادة	٧ - الأعراف/١٨٧
أن سبيعة الأسلمية توفى عنها زوجها ...	المسور بن مخرمة	٦٥ - الطلاق/٤
إن السحابة لتمر بالملإ من أهل الجنة ...	...	١٦ - النحل/٣١
أن سر حتى تنزل بطن نخلة ...	ابن مسعود وابن عباس	٢ - البقرة/٢١٧
أن سراقة بن مالك لما خرج فى طلب النبى ﷺ وأبى بكر وهما ذاهبان ...	...	٥ - المائدة/٣
إنّ السرى الذى قال لمريم ...	ابن عمر	١٩ - مريم/٢٤
أن سعد بن معاذ قال لرسول الله ﷺ لما التقى الناس ...	عبد الله بن أبى بكر بن حزم	٨ - الأنفال/٤٢
أن سعدًا قال : يا رسول الله إن لى مالاً ، ولا يرثنى إلا ابنة ...	سعد	٢ - البقرة/١٨٢
أن سلمان لقى النبى ﷺ فى بعض طرق المدينة ...	...	١٢ - يوسف/١٠٠
إن سليمان عليه السلام - سأل الله تعالى ثلاثًا ...	عبد الله بن عمرو	٣٨ - ص/٤١

إن سليمان عليه الصلاة والسلام لما بنى بيت المقدس ...	عبد الله بن عمرو	٣٨ - ص/٣٥
إن سورة فى القرآن ثلاثين آية ...	أبو هريرة	٦٧ - الملك/فضائلها
أن السياحة ذكرت عند رسول الله ﷺ فقال ...	عمارة بن غزية	٩ - التوبة/١١٢
إن سيد الأيام يوم الجمعة ...	سعيد بن المسيب	٨٥ - البروج/٣
إن سئلتم عن تربة الجنة فهى الدرمك	جابر بن عبد الله	٧٤ - المدثر/٣٠
إنّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله ...	...	١٧ - الإسراء/٥٩
إن الشمس والقمر ثوران	أبو هريرة	٨١ - التكوير/١
إنّ الشمس والقمر خلقان من خلق الله ...	...	٢٢ - الحج/١٨
إن شئت أسمعتك تضاغيهم فى النار ...	عائشة	١٧ - الإسراء/١٥
إن شئت دعوت الله أن يشفيك ...	أبو هريرة	٧ - الأعراف/٢٠١
إن شئت دعوت الله فشفاك ...	أبو هريرة	٧ - الأعراف/٢٠١
إن شئت فصم ، وإن شئت فأفطر ...	عائشة	٢ - البقرة/١٨٥
إن شئت نبأتك بأبواب الخير ...	معاذ بن جبل	٣٢ - السجدة/١٦
إن شئت يا محمد أعطيتهم ذلك ، فإن كفروا ...	...	١٣ - الرعد/٢٨
إن شئتم قتلتموهم ، وإن شئتم ...	علي	٨ - الأنفال/٦٧
إن شئتما أعطيتكما ، ولا حظّ فيها لغني ...	عبيد الله بن عدى بن الخيار عن رجلين أخبراه	٩ - التوبة/٦٠
إنّ الشمس لتدنو حتى يبلغ العرق نصف الأذن ...	ابن عمر	١٧ - الإسراء/٧٩
إن الشيطان ذئب الإنسان ، كذئب الغنم ...	معاذ بن جبل	٨ - الأنفال/٣٣
إن الشيطان قال : وعزتك يا رب لا أبرح أغوي	أبو سعيد	٩ - التوبة/١٨
إنّ الشيطان قد يئس أن يعبد فى جزيرة العرب ...	عبادة بن الصامت وأبو الدرداء	١٨ - الكهف/١١٠
إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون	...	٥ - المائدة/٣
إن الشيطان قعد لابن آدم بطرقه ...	سبرة بن أبى الفاكه	٧ - الأعراف/١٧
إن الشيطان ليضع عرشه على الماء ...	جابر بن عبد الله	٢ - البقرة/١٠٢
إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم ...	أنس	١١٤ - الناس/٤
إن الشيطان يجرى من ابن آدم ...	أنس	١١٤ - الناس/٤

إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ...	...	٢ – البقرة/١٨٧
إن الشيطان يخرج من البيت ...	أنس بن مالك	٢ – البقرة/المقدمة
إن الشيطان يستحل الطعام إذا لم يذكر اسم الله عليه	حذيفة	٥ – المائدة/٤
إنّ صاحبكم هذا يريد أن يرفع كل راع ...	عبد الله بن عمرو	١٧ – الإسراء/٤٤
إن صدق ليدخلن الجنة	أنس	٨٨ – الغاشية/٢٠
إن الصدقة تقع فى يد الله عز وجل قبل أن ...	ابن مسعود	٩ – التوبة/١٠٤
إنّ الصدقة تقع فى يد الرحمن ...	...	٢٢ – الحج/٣٧
إن الصدقة لا تحل لمحمد ، ولا لآل محمد ، إنما هى أوساخ الناس	عبد المطلب بن ربيعة والفضل بن العباس	٩ – التوبة/٦٠
أنّ صفوان بن أمية بعثه فى الفتح ...	كلدة بن الحنبل	٢٤ – النور/٢٧
أن صفية بنت حيى كانت تزور النبى ﷺ وهو معتكف ...	...	٢ – البقرة/١٨٧
إنّ الصلاة عليّ والصيام والذكر ...	معاذ بن أنس الجهني	١٩ – مريم/٧١
إن صلاة النبى ﷺ لتدرك الرجل وولده ...	حذيفة	٩ – التوبة/١٠٣
إن الصلاة والصيام والذكر يضاعف ...	معاذ	٢ – البقرة/٢٦١
أن طائفة من اليهود حين سمعوا رسول الله ﷺ...	ابن عباس	١٢ – يوسف/سببها
إن طلاق أم أيوب لحوب ...	أنس	٤ – النساء/٢
إن طلاق أم سليم لحوب ...	أنس بن مالك	٤ – النساء/٢
إن طير الجنة كأمثال البخت ...	أنس	٥٦ – الواقعة/٢١
إنّ العاص بن وائل أخذ عظمًا ...	ابن عباس	٣٦ – يس/٧٧
إن العالم يستغفر له كل شيء حتى الحيتان ...	...	٢ – البقرة/١٥٩
أنّ عائشة رضى الله عنها سئلت : هل كان ...	قتادة	٣٦ – يس/٦٩
أن عائشة زوج النبى ﷺ قالت لها أم بحنة ...	العالية بنت أبقع	٢ – البقرة/٢٧٥
أنّ عائشة كانت ترسل بالشيء صدقه لأهل ا لصفّة	أبو الرجال	١٩ – مريم/٥٩
إن العبد إذا أخطأ ...	أبو هريرة	٨٣ – المطففين/١٤
إن العبد إذا أذنب ...	أبو هريرة	٨٣ – المطففين/١٤
إن العبد إذا تصدق من طيب يقبلها الله منه ...	أبو هريرة	٢ – البقرة/٢٧٦

إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه ...	أنس بن مالك	١٤ - إبراهيم/٢٧
أن عبد اللّه بن رواحة أضافه ضيف من أهله ...	زيد بن أسلم	٥ - المائدة/٨٨
أن عبد اللّه بن سلام بلغه مقدم رسول اللّه ﷺ...	أنس	٦٨ - القلم/١
أن عبد اللّه بن عبد اللّه بن أبى لما بلغه ...	عاصم بن عمر	٦٣ - المنافقون/٨
أنّ عبد اللّه بن مسعدة الفزارى كان أسود ...	...	٢٤ - النور/٣١
أن عبد الرحمن بن عوف وأصحابه		
أتوا النبى ﷺ بمكة ...	ابن عباس	٤ - النساء/٧٧
إنّ العبد ليبلغ بحسن خلقه ...	أنس	٣١ - لقمان/٩١
إنّ العبد ليبلغ بحسن خلقه ...	عائشة	٣١ - لقمان/١٩
إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ...	...	١٤ - إبراهيم/٧
إن العبد ليعمل فيما يرى الناس بعمل أهل الجنة ...	سهل بن سعد	٧ - الأعراف/٣٠
إنّ العبد ليلتمس مرضات اللّه عز وجل ...	ثوبان	١٩ - مريم/٩٦
إن العبد يكتب مؤمنًا أحقابًا ...	عبد اللّه بن عمرو	٦٨ - القلم/١٦
إنّ عبدًا فى جهنم لينادى ألف سنة ...	أنس بن مالك	٢٥ - الفرقان/٦٥
إن عبدًا لحاطب بن أبى بلتعة جاء يشكو حاطبًا ...	جابر	٤٨ - الفتح/١٠
أن عبدًا من عباد اللّه قال ...	ابن عمر	١ - الفاتحة/٢
إن عبدى كل عبدى ، الذى يذكرني ...	...	٨ - الأنفال/٤٥
أن عتبة بن أبى لهب لما خرج فى تجارة ...	هبار بن الأسود	٥٣ - النجم/١١
أنّ عتبة وشيبة ... فقال بعضهم لبعض :		
ابعثوا إلى محمد فكلموه ...	ابن عباس	١٧ - الإسراء/٩٠
أن عثمان بن عفان رفع إليه رجل تزوج امرأة ليحلها ...	سليمان بن يسار	٢ - البقرة/٢٣٠
أن عثمان بن عفان سأل رسول اللّه ﷺ...	ابن عباس	١ - الفاتحة/البسملة
إن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة	...	١٣ - الرعد/٣٤
إنّ عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة	...	٢٠ - طه/١٢٧
إن العشر عشر الأضحى ...	جابر	٨٩ - الفجر/١
إن عفريتًا من الجن تفلت عليَّ البارحة ...	أبو هريرة	٣٨ - ص/٣٥
أن على بن أبى طالب رضى اللّه عنه مرَّ ببابل ...	أبو صالح الغفاري	٢ - البقرة/١٠٢

أن عليًا رضى اللّه عنه حرق ناسًا ارتدوا ...	عكرمة	١٦ - النحل/١٠٦
إن عليًا رضى اللّه عنه كان ذات يوم عند رسول اللّه ﷺ...	أبو معاذ البصري	٣٩ - الزمر/٧٣
إنَّ عليًا كان ذات يوم عند رسول اللّه ﷺ فقرأ ...	أبو معاذ البصري	١٩ - مريم/٨٥
أن عمر أمر حفصة أن تسأل النبى ﷺ عن الكلالة ...	عمر بن طاوس	٤ - النساء/١٧٦
أن عمر بن الخطاب أتى النبى ﷺ بكتاب أصابه ...	جابر بن عبد اللّه	١٢ - يوسف/٣
أنَّ عمر بن الخطاب خطب الناس فسمعته يقول ...	عبد الرحمن بن عوف	٢٤ - النور/٢
أنَّ عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه كان بالجابية	عبيد بن آدم وأبو مريم وأبو شعيب	١٧ - الإسراء/١
أن عمر بن الخطاب سأل أبا واقد الليثي ...	عبد اللّه بن عبد اللّه	٥٠ - ق/فضائلها
أن عمر بن سمرة ... جاء إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول اللّه ...	ثعلبة الأنصاري	٥ - المائدة/٣٩
أن عمر جاء والصلاة قائمة ...	عبد اللّه بن عمر	٧٤ - المدثر/٣١
أن عمر سأل رسول اللّه ﷺ : كيف تورث الكلالة؟ ...	سعيد بن المسيب	٤ - النساء/١٧٦
أنَّ عمر قام فحمد اللّه وأثنى عليه ...	ابن عباس	٢٤ - النور/٢
أنَّ عمر كان يجمِّر مسجد رسول اللّه ﷺ...	ابن عمر	٢٤ - النور/٣٦
أن عمر - وهو يومئذ أمير المؤمنين - خرج من المسجد فرأى طعامًا ...	فروخ مولى عثمان	٢ - البقرة/٢٧٦
أن عمر بن العاص صلى بالناس وهو جنب ...	ابن عباس	٤ - النساء/٢٩
أن عمرو بن العاص وفد على مسيلمة الكذاب ...	...	١٠٣ - العصر/فضائلها
أن عمرو بن العاص وفد على مسيملة وكان صديقًا له		١٠ - يونس/١٧
إنَّ عمه يعنى أنس بن النضر رضى اللّه عنه غاب ...	أنس	٣٣ - الأحزاب/٢٤
أن عمّه يعنى أنس بن النضر غاب عن بدر ...	أنس بن مالك	٣ - آل عمران/١٥٢
أن عميرة الأسدى قال : أسلمت وعندى ثمان ...	عميرة الأسدي	٤ - النساء/٣
إنّ عندى يتيمًا عنده مال ...	عبد اللّه بن عمرو عن رجل	٤ - النساء/٦
أن عنقًا من النار يبرز للخلائق ...	...	٥٠ - ق/٢٦
إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت	قبيصة بن مخارق	٤ - النساء/٥١

إن عيسى ابن مريم عليه السلام أسلمته أمه ...	أبو سعيد	١ - الفاتحة/البسملة
إن عيسى لم يمت ...	الحسن	٣ - آل عمران/٥٥
إن العين حق	أبو هريرة	٦٨ - القلم/٥١
إن العين لتولع الرجل ...	أبو ذر	٦٨ - القلم/٥١
إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة ...	ابن عمر	١٦ - النحل/٩٢
إن الغضب من الشيطان ...	عطية بن سعد السعدي	٣ - آل عمران/١٣٤
أن غلامًا لأناس فقراء قطع أذن غلام لأناس أغنياء ...	عمران بن حصين	٥ - المائدة/٤٥
أن غلامًا يهوديًا كان يضع للنبى ﷺ وضوءه ...	أنس	٣ - آل عمران/٢٠
أن غيلان بن سلمة الثقفى أسلم وتحته عشرة نسوة ...	ابن عمر	٤ - النساء/٣
أن غيلان بن سلمة كان عنده عشر نسوة ...	ابن عمر	٤ - النساء/٣
أنَّ غيًا وأثامًا بئران فى قعر جهنم	أبو أمامة الباهلي	٢٥ - الفرقان/٧٠
أنَّ الفاجر إذا مات يستريح منه العباد ...	...	٣٠ - الروم/٤١
أنَّ فتىً شابًا أتى النبى ﷺ فقال :		
يا رسول اللّه ائذن لى بالزنا ...	أبو أمامة	١٧ - الإسراء/٣٢
أنَّ فروة بن مسيك الغطيفى رضى اللّه عنه قدم ...	على بن أبى رباح عن فلان	٣٤ - سبأ/١٥
إن فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحور	عمرو بن العاص	٢ - البقرة/١٨٧
إن فقههم قليل وإن الشيطان ...	ابن عباس	٤٩ - الحجرات/١٧
إن فلانًا طلقني ...	فاطمة بنت قيس الفهرية	٦٥ - الطلاق/١
إن فى أصلاب أصلاب ...	سهل بن سعد	٦٢ - الجمعة/٣
إن فى أمتى قومًا يقرأون القرآن ...	حذيفة	٣ - آل عمران/٧
إن فى الجنة ثمانية أبواب ...	سهل بن سعد	٣٩ - الزمر/٧٣
إن فى الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة ...	عبد اللّه بن قيس	٥٥ - الرحمن/٧٢
إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها ...	سهل بن سعد	١٣ - الرعد/٢٩
إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها ...	أبو سعيد الخدري	١٣ - الرعد/٢٩
إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها ...	أبو هريرة	٢٠ - طه/١٢٠
إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها ...	أبو هريرة	٥٦ - الواقعة/٣٠
إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها ...	أبو هريرة	٥٦ - الواقعة/٣٠

إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها ...	سهل بن سعد	٥٦ - الواقعة/٣٠
إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها سبعين	أبو هريرة	١٣ - الرعد/٢٩
إن فى الجنة شجرة يسير الراكب المجد ...	...	١٣ - الرعد/٢٩
إن فى الجنة غرفًا يرى ظاهرها ...	عبد اللّه بن عمر	٥١ - الذرايات/١٧
إن فى الجنة قصرًا يقال له عدن	عبد اللّه بن عمرو	٣٨ - ص/٥٠
إنّ فى الجنة لشجرة ...	أبو هريرة	٤ - النساء/٥٧
إن فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها ...	الحسن	٥٦ - الواقعة/٣٠
إن فى الجنة لطيرًا فيه سبعون ألف ريشة ...	أبو سعيد الخدري	٥٦ - الواقعة/٢١
إنَّ فى الجنة لغرفًا ...	علي	٣٤ - سبأ/٣٥
إن فى الجنة لغرفًا يرى بطونها من ظهورها ...	علي	٣٩ - الزمر/٢٠
إن فى الجنة لغرفًا يرى ظاهرها من باطنها ...	علي	٩ - التوبة/٧٢
إن فى الجنة لغرفًا يرى ظاهرها من باطنها ...	عبد اللّه بن عمرو وأبو مالك الأشجعي	٩ - التوبة/٧٢
إن فى الجنة لغرفًا يرى ظاهرها من باطنها ...	أبو مالك الأشعري	٣٩ - الزمر/٢٠
إن فى الجنة لمجتمعًا للحور العين ...	علي	٥٦ - الواقعة/٣٧
إن فى الجنة مائة درجة ...	أبو سعيد الخدري	٤ - النساء/٩٥
إن فى جهنم لواديًا تستعيذ ...	ابن عباس	١٠٧ - الماعون/٥
إن فى الصلاة لشغلاً	...	٢ - البقرة/٢٣٨
إن فى المال حقًا سوى الزكاة	فاطمة بنت قيس	٢ - البقرة/١٧٧
إن فى المعاريض لمندوحة عن الكذب	...	٣٧ - الصافات/٨٩
إنّ فيما قصّ اللّه من نبأ داود ...	الحسن البصري	٢١ - الأنبياء/٧٩
إن فيهما اسم اللّه الأعظم	أسماء بنت يزيد	٢ - البقرة/٢٥٥
إن فيهن آية أفضل من ألف آية	عرباض بن سارية	٥٧ - الحديدة/فضائلها
إن قدامكم لأمرًا عظيمًا ...	...	٨٤ - الانشقاق/١٩
إن القرآن أنزل لليلة أربع وعشري.ن	واثلة بن الأسقع	٩٧ - القدر/٥
إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضًا ...	عبد اللّه بن عمرو بن العاص	٣ - آل عمران/٧
أن قريشًا أهمهم شأن المرأة التى		

سرقت فى عهد النبى ﷺ...	عائشة	٥ - المائدة/٣٩
أن قريشًا بعثوا أربعين رجلاً منهم ...	عكرمة	٤٨ - الفتح/٢٤
إن قريشًا صالحوا النبى ﷺ وفيهم سهيل بن عمرو	أنس بن مالك	٤٨ - الفتح/٢٦
إن قلوب بنى آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن ...	عبد اللّه بن عمرو	٨ - الأنفال/٢٤
إن قميص أهل الجنة ...	أبو أمامة	٧٨ - النبأ/٣٣
إنّ قول لا إله إلا اللّه واللّه أكبر ...	أبو سلمة بن عبد الرحمن	١٩ - مريم/٧٦
إنّ قولا لا إله إلا اللّه واللّه أكبر ...	أبو الدرداء	١٩ - مريم/٧٦
إنّ قوم مدين وأصحاب الأيكة أمتان	عبد اللّه بن عمرو	٢٦ - الشعراء/١٧٦
أن قوما أسلموا ثم ارتدوا ثم أسلموا ...	ابن عباس	٣ - آل عمران/٩١
أن قومًا كانوا أهل ضعف ومسكنة ...	حذيفة	٢ - البقرة/١٩٠
إن قومًا كانوا أهل ضعف ومسكنة ...	حذيفة	٦٠ - الممتحنة/١
أن قومًا من اليهود صنعوا لرسول اللّه ﷺ ولأصحابه طعامًا ...	ابن عباس	٥ - المائدة/١١
إن قومك استقصروا من بنيان البيت ...	عائشة	٢ - البقرة/١٢٧
إنّ الكافر ليرى جهنم ...	أبو سعيد الخدري	١٨ - الكهف/٥٣
إن الكافر يضرب ضربة بين عينيه ...	البراء بن عازب	٢ - البقرة/١٥٩
إن كان أبواك لمن الذين استجابوا للّه والرسول ...	عائشة	٣ - آل عمران/١٦٩
إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول اللّه ﷺ...	حذيفة	٨ - الأنفال/٢٥
إن كان عندى منه علم ...	أنس بن مالك عن عائشة	٨٠ - عبس/٣٧
إن كان فى شيء شفاء : فشرطة محجم	عقبة بن عامر	١٦ - النحل/٦٩
إن كان فى شيء من أدويتكم ...	جابر بن عبد اللّه	١٦ - النحل/٦٩
إن كان قاله فقد صدق ...	أبو بكر	١٧ - الإسراء/١
إن كان لك كلاب مكلبة فكل مما أمسكن عليك	عبد اللّه بن عمرو بن العاص	٥ - المائدة/٤
إن كان ليأتى عليّ السنة أريد أن أسأل ...	البراء بن عازب	٢ - البقرة/١٠٨
إن كان ليوحى إلى رسول اللّه ﷺ وهو على راحلته ...	عائشة	٧٣ - المزمل/٥
إن كرسيه وسع السماوات والأرض ، وإن له أطيطًا ...	عمر	٢ - البقرة/٢٥٥

إنّ الكريم ابن الكريم ...	...	١٩ - مريم/٤٩
إنَّ الكريم ابن الكريم ابن الكريم ...	...	٢٩ - العنكبوت/٢٧
أن كعب بن الأشرف اليهودى كان شاعرًا ...	عبد اللّه بن كعب	٢ - البقرة/١٠٩
إنّ كفار أهل مكة لما ائتمروا برسول اللّه ﷺ...	الحسن البصري	١٧ - الإسراء/٨٠
أن كفار قريش كتبوا إلى ابن أبي ...	عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبى ﷺ	٥٩ - الحشر/٢
إن كل صلاة تحط ما بين يديها من خطيئة	أبو أيوب الأنصاري	١١ - هود/١١٤
إنّ الكنز الذى ذكره اللّه فى كتابه لوح من ذهب ...	أبو ذر	١٨ - الكهف/٨٢
أن الكنز يتحول يوم القيامة شجاعًا يتبع صاحبه ...	طاوس	٩ - التوبة/٣٥
أن لا يقربن الصلاة سكران ...	عمر	٢ - البقرة/٢١٩
أن لا يمس القرآن إلا طاهر	عمرو بن حزم	٥٦ - الواقعة/٧٩
إن لأنفسكم حقًا وإن لأعينكم حقًا ...	...	٥ - المائدة/٨٨
إنَّ لربكم فى بقية أيام دهركم ...	محمد بن مَسْلمة	٤٠ - غافر/٦٠
إنَّ لقمان الحكيم كان يقول : إنَّ اللّه ...	ابن عمر	٣١ - لقمان/١٩
إن لقيط بن عامر خرج وافدًا إلى رسول اللّه ﷺ...	عاصم بن لقيط	٤٧ - القتال/١٥
إن لك أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه ...	ابن عمر	٣ - آل عمران/١٥٢
إن لك مثل الدنيا عشرة أمثالها	...	٧٦ - الإنسان/٢٠
إن لكل شيء سنامًا ، وإن سنام القرآن البقرة ...	سهل بن سعد	٢ - البقرة/المقدمة
إنَّ لكلِّ شيءٍ قلبًا وقلب القرآن	أنس	٣٦ - يس/فضائلها
إن لكل نبى حوضًا ...	...	٦ - الأنعام/١٢
إن لكل نبى دعوة مستجابة ...	أبو هريرة	٣٧ - الصافات/١٠٧
إن لكل نبى ولاية من النبيين ...	عبد اللّه بن مسعود	٣ - آل عمران/٦٨
إن للشهيد عند اللّه ست خصال ...	المقدام بن معديكرب	٤٧ - محمد/٤
إن للشيطان لمة بابن آدم ، وللملك لمة ...	عبد اللّه بن مسعود	٢ - البقرة/٢٦٨
إن للصائم عند فطرة دعوة ما ترد	عبد اللّه بن عمرو	٢ - البقرة/١٨٦
إن للّه تسعًا وتسعين اسمًا ...	أبو هريرة	٧ - الأعراف/١٨٠
إن للّه تسعة وتسعين اسمًا ...	...	١ - الفاتحة/البسملة

إن للّه تسعة وتسعين اسمًا ...	أبو هريرة	١ - الفاتحة/البسملة
إن للّه تعالى تسعة وتسعين اسمًا ...	أبو هريرة	٥٩ - الحشر/٢٤
إن للّه تسعة وتسعين اسمًا ...	أبو هريرة	٨٩ - الفجر/٣
إن للّه تعالى عبادًا لا يكلمهم يوم القيامة ...	أنس	٣ - آل عمران/٧٧
إن للّه تعالى ملائكة ترعد فرائصهم من خيفته ...	عدى بن أرطأة عن رجل من أصحاب النبى ﷺ	٧٤ - المدثر/٣١
إن للّه عبادًا يعرفون الناس بالتوسم	أنس بن مالك	١٥ - الحجر/٧٥
إن للّه عز وجل مائة رحمة ...	سلمة	٧ - الأعراف/١٥٦
إن للّه عز وجل مائة رحمة ...	أبو هريرة	٧ - الأعراف/١٥٦
إن للّه ما أخذ وله ما أعطى ...	...	١٣ - الرعد/٩
إنّ للّه ملائكة سيّاحين فى الأرض ...	عبد اللّه بن مسعود	٣٣ - الأحزاب/٥٦
إن للّه ملائكة يعرفون بنى آدم ...	أبو هريرة	٨٢ - الانفطار/١٢
إنّ للّه ملكًا لو قيل له التقم ...	ابن عباس	١٧ - الإسراء/٨٥
إن للّه ملكًا لو قيل له التقم ...	ابن عباس	٧٨ - النبأ/٣٨
إنّ للّه ملكًا موكلاً بالميزان ...	أنس بن مالك	٢٣ - المؤمنون/١٠٢
إن للمنافقين علامات يعرفون بها ...	أبو هريرة	٦٣ - المنافقون/٤
إن للمؤمن فى الجنة لخيمة ...	عبد اللّه بن قيس	٥٥ - الرحمن/٧٢
إن للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة ...	أبو موسى الأشعري	٩ - التوبة/٧٢
إنّ لى أسماء : أنا محمد ...	جبير بن مطعم	٣٣ - الأحزاب/٤٠
إن لى أسماء : أنا محمد وأنا أحمد ...	جبير بن مطعم	٦١ - الصف/٦
إن ما بين مصراعين فى الجنة مسيرة أربعين سنة	أبو سعيد	٣٩ - الزمر/٧٣
إنّ الماء طهور لا ينجسه شيء	أبو سعيد	٢٥ - الفرقان/٤٨
إن الماء قليل ، فلا يسبقنى إليه أحد ...	أبو الطفيل	٩ - التوبة/٧٤
أن ماعزًا جاء إلى رسول اللّه ﷺ فقال ...	أبو الزبير عن ابن لأبى هريرة	٤٩ - الحجرات/١٢
أن مالكًا أبا أبى سعيد الخدرى لما جرح النبى ﷺ يوم أحد مصّ الجرح ...	عمر بن السائب	٣ - آل عمران/١٥٣
إن المتكبرين يحشرون يوم القيامة أشباه الذر ...	عبد اللّه بن عمرو	٣٩ - الزمر/٦٠

إن مثل القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لأهله ...	عبد الله بن مسعود	٤٠ - المؤمن/فضائلها
إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم ...	أبو موسى الأشعري	١٣ - الرعد/١٧
إن مثل المنافق يوم القيامة كالشاة ...	...	٤ - النساء/١٤٣
إنَّ مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل ...	أبو هريرة	٣٣ - الأحزاب/٤٠
أن محمدًا ﷺ رأى جبريل ...	عبد الله بن مسعود	٥٣ - النجم/١٠
أنّ محمدًا ﷺ رأى ربه عز وجل	أنس	١٧ - الإسراء/١
إن محمدًا لم ير جبريل فى صورته ...	ابن مسعود	٥٣ - النجم/١٨
إن المختلعات المنتزعات هن المنافقات	عقبة بن عامر	٢ - البقرة/٢٢٩
أنَّ مخنثًا كان يدخل على أهل رسول الله ﷺ...	عائشة	٢٤ - النور/٣١
إن المرأة خلقت من ضلع ...	...	٢٤ - النساء/١
إنّ المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان ...	ابن مسعود	٣٣ - الأحزاب/٣٣
إن المرأة من نساء أهل الجنة ...	عبد الله بن مسعود	٥٥ - الرحمن/٥٨
إن مريم بنت عمران عليها السلام		
سألت ربها عز وجل أن يطعمها ...	أبو أمامة	٧ - الأعراف/١٣٣
إن المساجد بيوت الله فى الأرض ...	عمرو بن ميمون	٩ - التوبة/١٨
أن مسجد رسول الله ﷺ الذى فى جوف المدينة ...	...	٩ - التوبة/١٠٨
إن المسلم إذا أنفق على أهله نفقة يحتسبها ...	أبو مسعود	٢ - البقرة/٢٧٤
إن المسلم إذا توضأ فأحسن الوضوء ...	سلمان الفارسي	١١ - هود/١١٤
إن المسلم إذا لقى أخاه المسلم فأخذ بيده ...	سلمان الفارسي	٨ - الأنفال/٦٣
أن المشركين قالوا للنبى ﷺ يا محمد انسب لنا ربك ...	أبى بن كعب	١١٢ - الإخلاص/سببها
أن المشركين كانوا يقولون فى تلبيتهم ...	...	١٢ - يوسف/١٠٦
إن المشركين من قريش لما خرجوا لينصروا العير ...	ابن عباس	٨ - الأنفال/١١
إن المشركين وأولادهم فى النار ...	علي	١٧ - الإسراء/١٥
إن مصعت بذنبها أو ركضت برجلها		
أو طرفت بعينها فكل	علي	٥ - المائدة/٣
أن معاذ بن جبل وثعلبة أتيا رسول الله ﷺ فقالا ...	يحيى	٢ - البقرة/٢١٩
أن معاذًا قدم الشام فوجدهم يسجدون لأساقفتهم ...	...	١٢ - يوسف/١٠٠

إن معاذًا لما قدم اليمن صلى بهم الصبح ...	عمرو بن ميمون	٤ - النساء/١٢٥
أن معاوية بن خديج مرَّ على أبى ذر ...	معاوية بن خديج عن أبى ذر	٨ - الأنفال/٦٠
إنَّ معاوية كتب إلى المغيرة بن شعبة ...	وراد مولى المغيرة	٣٥ - فاطر/٢
إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء وعند الجماع		١٣ - الرعد/١١
إن المقام كان زمان رسول الله ﷺ...	عائشة	٢ - البقرة/١٢٥
إن المقسطين فى الدنيا على منابر من لؤلؤ ...	عبد الله بن عمرو	٤٩ - الحجرات/١٠
إنّ المقة من الله ...	أبو أمامة	١٩ - مريم/٩٦
إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة ...	أبو ذر	٤ - النساء/٤٨
إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس ...	أبو شريح العدوي	٢ - البقرة/١٢٦
إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس ...	أبو شريح العدوي	٣ - آل عمران/٩٧
إنَّ الملائكة تحدث فى العنان ...	عائشة	٢٦ - الشعراء/٢٢٣
أنَّ الملائكة تقول لروح المؤمن ...	البراء بن عازب	٢٥ - الفرقان/٢١
إن الملائكة تقول لروح المؤمن ...	البراء	٤١ - فصلت/٣٠
إن الملائكة قالت : يا رب كيف صبرك على بنى آدم ...	ابن عمر	٢ - البقرة/١٠٢
إنّ الملائكة قالت يا ربنا أعطيت بنى آدم الدنيا ...	عبد الله بن عمرو	١٧ - الإسراء/٧٠
إنّ الملائكة قالوا ربنا خلقتنا وخلقت بنى آدم ...	أنس	١٧ - الإسراء/٧٠
أن ملك الموت إذا جاء الكافر عند احتضاره ...	البراء	٨ - الأنفال/٥٠
إن ملكين ينزلان من السماء صبيحة كل يوم ...	...	٢ - البقرة/٢١٢
إن مما أتخوف عليكم ...	حذيفة بن اليمان	٧ - الأعراف/١٧٥
إن من إجلال الله إكرام ذى الشيبة ...	...	٥٥ - الرحمن/٧٨
إن من أمتى قومًا على الحق ...	الربيع بن أنس	٧ - الأعراف/١٨١
إن من أمتى لرجالاً ...	أبو إسحاق السبيعي	٤ - النساء/٦٦
إنَّ من أمتى من لو أتى باب أحدكم يسأله ...	سالم بن أبى الجعد	٣١ - لقمان/١٩
إن من أهل النار من تأخذه ...	سمرة بن جندب	١٥ - الحجر/٤٤
إن من البيان لسحرًا ...	...	٢ - البقرة/١٠٢
إنَّ من البيان لسحرًا ...	أبى بن كعب	٣٦ - يس/٦٩
إن من البيان لسحرًا ...	عبد الله بن عباس	٣٦ - يس/٦٩

إن من البيان لسحرًا ...	بريدة بن الحصيب	٣٦ - يس/٦٩
إنَّ من خياركم أحسنكم أخلاقًا	عبد اللّه بن عمرو	٣١ - لقمان/١٩
إن من السرف أن تأكل كل ما اشتهيت	أنس بن مالك	٧ - الأعراف/٣١
إن من الشجر شجرة لا يطرح ورقها ...	ابن عمر	١٤ - إبراهيم/٢٤
إن من الصدقة أن عين صانعًا أو تصنع لأخرق	...	٢ - البقرة/٢٨٢
إن من عباد اللّه عبادًا يغبطهم الأنبياء والشهداء	أبو هريرة	١٠ - يونس/٦٢
إن من عباد اللّه عبادًا يغبطهم الأنبياء والشهداء	عمر بن الخطاب	١٠ - يونس/٦٢
إن من عباد اللّه من لو أقسم على اللّه لأبره	أنس بن مالك	٥ - المائدة/٤٥
إن من عبادى من لا يصلحه إلا الغنى ...	...	٤٢ - الشورى/٢٧
إن من كان قبلكم كان أحدهم يوضع المنشار على مفرق رأسه ...	خباب بن الأرت	٢ - البقرة/٢١٤
إنَّ من ملوك الجنة من هو أشعث ...	أبو هريرة	٣١ - لقمان/١٩
إن من ورائكم الكذاب المضل ...	أبو قلابة عن رجل من أصحاب النبى ﷺ	٥١ - الذاريات/٧
إن المنافق إذا مرض وعوفي ...	...	٥٢ - الطور/٤٥
إن منكم من يكفر بي ...	ابن عباس	٦١ - الصف/١٤
إن منكم منافقين ، فمن سميت فليقم ...	عقبة بن عمرو	٤٧ - محمد/٣٠
أن المهاجرين قالوا : يا رسول اللّه ذهب الأنصار بالأجر كله ...	أنس	٩٣ - الضحى/١١
إنَّ موسى آجر نفسه ثماني سنين	عتبة بن المنذر	٢٨ - القصص/٢٧
أنّ موسى بني إسرائيل سأل ربه ...	أبي بن كعب	١٨ - الكهف/٦٥
إنَّ موسى عليه السلام آجر نفسه ...	عتبة بن المنذر	٢٨ - القصص/٢٧
إنَّ موسى عليه السلام آجر نفسه ...	عتبة بن المنذر	٢٨ - القصص/٢٨
أن موسى عليه السلام سأل الملائكة هل ينام ...	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٥٥
إنَّ موسى عليه السلام كان رجلًا حييًا	أبو هريرة	٣٣ - الأحزاب/٦٩
إنّ موسى قام خطيبًا في بني إسرائيل ...	أبي بن كعب	١٨ - الكهف/٦٥
إنَّ موسى كان رجلاً حييًا	أبو هريرة	٣٣ - الأحزاب/٦٩

إنَّ موسى كان رجلاً حييًا ستيرًا	أبو هريرة والحسن	٣٣ - الأحزاب/٦٩
إنّ موسى لمّا تعجّل إلى ربه ...	علي	٢٠ - طه/٩٦
إن المؤمن إذا أذنب ذنبًا	أبو هريرة	٢ - البقرة/٧
إن المؤمن إذا أذنب ذنبًا	أبو هريرة	٨٣ - المطففين/١٤
أن المؤمن إذا حضره الموت جاءه ملائكة بيض ...	البراء	١٠ - يونس/٦٤
إن المؤمن إذا قبض أتته ملائكة الرحمة ...	أبو هريرة	١٤ - إبراهيم/٢٧
إنّ المؤمن لينض شياطينه ...	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/٦٥
إن المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس ...	سهل بن سعد	٤٩ - الحجرات/١٠
إن المؤمن يؤجر في كل شيء ...	عائشة	٤ - النساء/١٢٣
إنَّ المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه ...	كعب بن مالك	٢٦ - الشعراء/٢٢٧
إن المؤمن ينزل به الموت ويعاين ما يعاين	أبو هريرة	١٤ - إبراهيم/٢٧
إن مؤمني الجن لهم ثواب ...	أنس بن مالك	٧ - الأعراف/٤٦
أن المؤمنين قالوا : هنيئًا لك يا رسول اللّٰه ...	...	٤٦ - الأحقاف/٩
إن المؤمنين وأولادهم في الجنة ...	علي	١٧ - الإسراء/١٥
إن الميت تحضره الملائكة ...	أبو هريرة	٦ - الأنعام/٦٢
إن الميت تحضره الملائكة ...	أبو هريرة	١٤ - إبراهيم/٢٧
إنّ ناركم هذه جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم ...	أبو هريرة	٩ - التوبة/٨١
إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءًا	أبو هريرة	٥٦ - الواقعة/٧١
إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءًا	أبو هريرة	١٠١ - القارعة/١١
أن الناس إذا اهتموا لموقفهم في العرصات تشفعوا إلى ربهم ...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢١٠
إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه ...	...	١١ - هود/١١٧
إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه ...	أبو بكر الصديق	٥ - المائدة/١٠٥
إن الناس أربعة والأعمال ستة ...	خريم بن فاتك الأسدي	٦ - الأنعام/١٦٠
إن الناس دخلوا في دين اللّٰه أفواجًا	جابر	١١٠ - النصر/٣
إن الناس كانوا قبل أن ينزل في الصوم ما نزل ...	ابن عباس	٢ - البقرة/١٨٧
إن الناس كانوا مع رسول اللّٰه ﷺ قد تفرقوا	ابن عمر	٤٨ - الفتح/١٠

إن الناس لم يتعوّذوا بمثل هذين	عقبة بن عامر	المعوّذتان
إن الناس يتحدثون أن ابن عمر رضي الله عنهما أسلم ...	نافع	٤٨ - الفتح/١٠
أنّ الناس يحشرون على ثلاثة أفواج ...	أبو ذر	١٧ - الإسراء/٩٧
إنّ الناس يصيرون يوم القيامة جثاء ...	ابن عمر	١٧ - الإسراء/٩٧
أن ناسًا دخلوا في الإسلام مقدم نبي الله ﷺ المدينة ...	ابن مسعود	٢ - البقرة/١٨
أن ناسًا قالوا : يا رسول الله إن قومًا يأتوننا باللحم ...	عائشة	٦ - الأنعام/١٢١
أن ناسًا قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ ...	أبو سعيد وأبو هريرة	٧٥ - القيامة/٢٣
أن ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ ...	عائشة	٥ - المائدة/٨٨
أنّ ناسًا من أهل الشرك قتلوا	ابن عباس	٢٥ - الفرقان/٧٠
أن ناسًا من عرينة قدموا المدينة فاجتووها	أنس	٥ - المائدة/٣٣
أن ناسًا من عرينة قدموا المدينة فاجتووها	عبد الله بن عمرو أو عمرو	٥ - المائدة/٣٣
أن ناسًا من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سوادهم ...	ابن عباس	٤ - النساء/٩٧
إن ناسًا يكرهون الشرب قائمًا	علي بن أبي طالب	٥ - المائدة/٦
أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بن الخطاب ...	عامر بن واثلة	٥٨ - المجادلة/١١
أنّ ناقة البراء بن عازب دخلت حائطًا فأفسدت فيه ...	حرام بن سعد بن محيصة	٢١ - الأنبياء/٧٨
أن نبي الله أخذ عليهن النياحة ...	قتادة	٦٠ - الممتحنة/١٢
إن نبي الله أيوب عليه الصلاة و السلام لبث به بلاؤه ...	أنس بن مالك	٣٨ - ص/٤٤
إنّ نبي الله أيوب لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة ...	أنس	٢١ - الأنبياء/٨٤
أن نبي الله ﷺ أسر إلى حذيفة باثني عشر رجلا	...	٩ - التوبة/١٠١
أن نبي الله ﷺ كان إذا قرأها	قتادة	٨٧ - الأعلى/١
أن نبي الله ﷺ كان يضرب مثلاً للمؤمن وللمنافق وللكافر ...	...	٤ - النساء/١٤٣
أنّ نبي الله ﷺ مات وقد ملك قيلة ...	عامر	٣٣ - الأحزاب/٥٣
أن نبي الله قال : إن بني إسرائيل قالوا	ابن عباس	٢ - البقرة/١٣٨
أن النبي ﷺ ابتاع فرسًا من أعرابي ...	خزيمة بن ثابت	٢ - البقرة/٢٨٢

أن النبي ﷺ أتاهم في بني ظفر ...	...	٤ - النساء/٤١
أن النبي ﷺ أتاهم في مسجد قباء فقال ...	عويم بن ساعدة	٩ - التوبة/١٠٨
أنَّ النبيَّ ﷺ أتى فاطمة بعبدٍ ...	أنس	٢٤ - النور/٣١
أن النبي ﷺ أُتي بأسير ...	الأسود بن سريع	٣ - آل عمران/١٣٥
أنّ النبي صص أتي بالبراق ...	أنس	١٧ - الإسراء/١
أنّ النبيّ ﷺ أخذ في يده حصيات فسمع لهن تسبيح ...	أبو ذر	١٧ - الإسراء/٤٤
أن النبي ﷺ أراد أن يستغفر لأمه فنهاه اللّه عز وجل ...	ابن عباس	٩ - التوبة/١١٣
إن النبي ﷺ أُري بني أمية على منبره ...	الحسن بن علي	٩٧ - القدر/١
أنَّ النبي ﷺ استأذن على سعد بن عبادة ...	أنس أو غيره	٢٤ - النور/٢٧
أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس ...	أنس بن مالك	٤٩ - الحجرات/٢
أنّ النبي ﷺ أقرأه ﴿حمئة﴾ ...	أبيّ بن كعب	١٨ - الكهف/٨٦
أن النبي ﷺ أمر من كل جاذّ عشرة أوسق من التمر ...	جابر بن عبد اللّه	٦ - الأنعام/١٤١
أن النبي ﷺ بعث رجلًا على سرية ...	عائشة	١١٢ - الإخلاص/فضائلها
أن النبي ﷺ بعث مناديًا	...	٥ - المائدة/٧٢
أن النبي ﷺ بعثه إلى جبار يدعوه ...	عبد الرحمن بن صحار	١٣ - الرعد/١٣
أن النبي ﷺ تلا قول عيسى ...	عبد اللّه بن عمرو بن العاص	٥ - المائدة/١١٨
أن النبي ﷺ جاءهم في صفة المهاجرين، فسأله إنسان	الأسقع البكري	٢ - البقرة/٢٥٥
أن النبي ﷺ خرج إلى البطحاء فصعد الجبل ...	ابن عباس	١١١ - المسد/١
أن النبي ﷺ خرج من المدينة إلى مكة ...	ابن عباس	٤ - النساء/١٠١
أن النبي ﷺ خط عليه خطًا وقال ...	ابن مسعود	٤٦ - الأحقاف/٢٩
أن النبي ﷺ خطب ذات يوم ...	عياض بن حمار المجاشعي	٥ - المائدة/١٩
أن النبي ﷺ خطب في حجته فقال : ألا إن الزمان	أبو بكرة	٩ - التوبة/٣٦
أن النبي ﷺ دخل على خديجة وهي في الموت ...	ابن عباس	٦٦ - التحريم/٥
إن النبي ﷺ دفن ميتًا فقال : رحمك اللّه ...	ابن عباس	٩ - التوبة/١١٤
أن النبي ﷺ ذكر رجلًا من بني إسرائيل لبس السلاح ...	مجاهد	٩٧ - القدر/٣
أن النبي ﷺ رأى رجلًا مغطيًا لحيته ...	...	٥ - المائدة/٦
إنَّ النبي ﷺ سأل جبريل : أي الأجلين ...	مجاهد	٢٨ - القصص/٢٨

أن النبي ﷺ سأله : أي آية في كتاب اللّه أعظم ...	أبي بن كعب	٢ - البقرة/٢٥٥
أن النبي ﷺ سجد في ص وقال ...	ابن عباس	٣٨ - ص/٢٤
أنّ النبي ﷺ سئل أي الأجلين قضى ...	أبو ذر	٢٨ - القصص/٢٨
أن النبي ﷺ صلّى صلاة خفيفة تامة الركوع والسجود ...	خالد الخزاعي	٦ - الأنعام/٦٥
أن النبي ﷺ صلى قبل بيت المقدس ...	البراء	٢ - البقرة/١٤٤
أنّ النبيّ ﷺ عظّم شأن المسألة ...	ثوبان	١٧ - الإسراء/١٥
أن النبي ﷺ قال ذات يوم : أين أبواي ...	داود بن أبي عاصم	٢ - البقرة/١١٩
أن النبي ﷺ قال عند ذكر أهل النار ...	عبد اللّه بن عمرو بن العاص	٦٨ - القلم/١٣
أن النبي ﷺ قال لكعب بن عجرة ...	جابر بن عبد اللّه	٧٦ - الإنسان/٣
أنّ النبي ﷺ قال لما نزلت ...	عمران بن حصين	٢٢ - الحج/١
إن النبي ﷺ قال له : انظر فإنك لست بخير من ...	أبو ذر	٤٩ - الحجرات/١٣
أن النبي ﷺ قال وهو في قبة له يوم بدر ...	ابن عباس	٥٤ - القمر/٤٥
أن النبي ﷺ قال يومًا لجلسائه ...	العلاء بن سعد	٧٤ - المدثر/٣١
أنّ النبي ﷺ قرأ بمكة سورة النجم ...	ابن عباس	٢٢ - الحج/٥٢
أن النبي ﷺ قرأ ﴿من الذين استحق عليهم الأوليان﴾	علي بن أبي طالب	٥ - المائدة/١٠٧
أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية : ﴿فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا﴾ ...	أنس	٧ - الأعراف/١٤٣
أن النبي ﷺ قرأ : ﴿وإذا سألك عبادي عني﴾ ...	جابر بن عبد اللّه	٢ - البقرة/١٨٦
أن النبي ﷺ قضى بين رجلين ...	عوف بن مالك	٣ - آل عمران/١٧٣
أن النبي ﷺ كان إذا آوى إلى فراشه ...	عائشة	١١٢ - الإخلاص/فضائلها
أن النبي ﷺ كان إذا أوحي إليه ...	عروة	٧٣ - المزمل/٥
أن النبي ﷺ كان إذا دعا على الجراد ...	جابر وأنس	٥ - المائدة/٩٦
أن النبي ﷺ كان إذا دعا لرجل أصابته ...	حذيفة	٩ - التوبة/١٠٣
أن النبي ﷺ كان إذا ركب راحلته ...	عبد اللّه بن عمر	٤٣ - الزخرف/١٤
أنّ النبيّ ﷺ كان في بيتها فأتته فاطمة ...	أم سلمة	٣٣ - الأحزاب/٣٣
أن النبي ﷺ كان في ظل حجرة من حجره ...	ابن عباس	٥٨ - المجادلة/١٨

أنّ النبيّ ﷺ كان في ملإ من أصحابه ...	محمد بن عمير بن عطارد	١٧ - الإسراء/١
أن النبي ﷺ كان يدعو : يا مقلب القلوب ...	بلال	٨ - الأنفال/٢٤
أنّ النبيّ ﷺ كان يعلّم أهله هذه الآية : ﴿الحمد للّه الذي لم﴾ ...	قتادة	١٧ - الإسراء/١١١
أن النبي ﷺ كان يواصل من السحر إلى السحر.	علي	٢ - البقرة/١٨٧
أن النبي ﷺ كره أن يأخذ منها أكثر مما أعطاها.	عطاء	٢ - البقرة/٢٢٩
أن النبي ﷺ كسرت رباعيته يوم أحد ...	أنس	٣ - آل عمران/١٢٨
أن النبي ﷺ لقي أبا جهل فصافحه ...	أبو يزيد المدني	٦ - الأنعام/٣٣
أن النبي ﷺ لما خرج من مكة إلى الغار ...	ابن عباس	٤٧ - محمد/١٣
أن النبي ﷺ لما دخل الكعبة وجد إبراهيم وإسماعيل مصوّرين فيها	...	٥ - المائدة/٣
أنّ النبيّ لمّا صعد المنبر ...	أنس	١٧ - الإسراء/٢٤
أن النبي ﷺ لما قدم مكة أتى رسم قبر ...	بريدة	٩ - التوبة/١١٣
أنّ النبيّ ﷺ ليلة أسري به مرّ بموسى ...	أنس	١٧ - الإسراء/١
أنّ النبيّ ﷺ ليلة أسري به مرّ على موسى ...	بعض أصحاب النبي ﷺ	١٧ - الإسراء/١
أن النبي ﷺ مر بقبر أبي رغال ...	إسماعيل بن أمية	٧ - الأعراف/٧٨
أن النبي ﷺ مر بقبر منزلاً وتفرق الناس ...	جابر	٥ - المائدة/١١
أن النبي ﷺ وجّه عليًا	أبو رافع	٣ - آل عمران/١٧٣
إن نبيًا من الأنبياء كان أعجب بأمته ...	صهيب	٨٥ - البروج/٥
أن النجاشي لما مات نعاه النبي ﷺ إلى أصحابه ...	...	٣ - آل عمران/١٩٩
إن النساء سفهاء ، إلا التي أطاعت قيمها	أبو أمامة	٤ - النساء/٥
إن النساء كن يوم أحد خلف المسلمين ...	ابن مسعود	٣ - آل عمران/١٥٢
إنّ النطفة إذا وقعت في الرحم ...	عبد اللّه بن مسعود	٢٣ - المؤمنون/١٤
إنّ النظر سهم من سهام إبليس ...	عبد اللّه بن مسعود	٢٤ - النور/٣٠
أنّ نفرًا من الأنصار غزوا مع رسول اللّه ﷺ ...	ابن عباس	٤ - النساء/١٠٥
إن نفرًا من الجن خمسة عشر ...	عبد اللّه بن مسعود	٤٦ - الأحقاف/٢٩
أن نفرًا من عكل ثمانية قدموا على		

رسول الله ﷺ فبايعوه ...	أنس بن مالك	٥ - المائدة/٣٣
أن نفرًا من قريش من أشراف كل قبيلة اجتمعوا	ابن عباس	٨ - الأنفال/٣٠
أن نفرًا من المنافقين اغتابوا أناسًا	جابر بن عبد الله	٤٩ - الحجرات/١٢
أنّ نفرًا من اليهود جاءوا رسول الله ﷺ فقالوا له : إنا نأتيك ...	ابن عباس	١٧ - الإسراء/٨٦
أنّ نفرًا من اليهود جاءوا يسألون النبي ﷺ عن ذي القرنين ...	عقبة بن عامر	١٨ - الكهف/٨٣
أن نفرًا من اليهود سألوا رسول الله ﷺ ...	شهربن حوشب	٢ - البقرة/٨٧
إنّ نوحًا عليه السلام لمّا حضرته الوفاة دعا ابنيه ...	عبد الله بن عمرو	١٧ - الإسراء/٤٤
أنّ هارون مرّ بالسامري وهو ينحت العجل ...	ابن عباس	٢٠ - طه/٨٨
إن الهجرة خصلتان	معاوية وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله ابن عمرو بن العاص	٦ - الأنعام/١٥٨
إن الهدي الصالح والسمت الصالح ...	ابن عباس	٤٨ - الفتح/٢٩
إن هذا الأمر في قريش لا ينازعهم فيه أحد ...	معاوية	٤٣ - الزخرف/٤٣
إن هذا البلد حرمه الله ...	عبد الله بن عباس	٢ - البقرة/١٢٦
إن هذا البلد حرمه الله ...	أبو هريرة	٢ - البقرة/١٢٦
إن هذا البلد حرمه الله ...	صفية بنت شيبة	٢ - البقرة/١٢٦
إن هذا البلد حرّمه الله ...	...	٢ - البقرة/١٩١
إن هذا البلد حرّمه الله ...	...	٣ - آل عمران/٩٧
إن هذا البلد حرّمه الله ...	...	٩ - التوبة/٣٦
إن هذا البلد حرمه الله يوم ...	...	٩٠ - البلد/٢
إنّ هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السماوات ...	ابن عباس	٢٧ - النمل/٩١
إن هذا الحي من قريش كانوا يشرحون النساء ...	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٢٣
إن هذا السقم عذب به الأمم ...	عبد الرحمن بن عوف	٢ - البقرة/٢٣٤
أن هذا السياق نزل في بني عمرو بن عمير ...	زيد بن أسلم وجماعة	٢ - البقرة/٢٧٨
إن هذا السيف لا لك ، ولا لي ...	سعد بن مالك	٨ - الأنفال/١
إن هذا شيء ما سألني عنه أحد ...	عائشة	١٤ - إبراهيم/٤٨

إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ...	...	٥٤ - القمر/١٧
إن هذا القرآن هو حبل اللّٰه المتين ...	عبد اللّٰه	٣ - آل عمران/١٠٣
أنَّ هذا هو العشر الذي أقسم اللّٰه به ...	جابر	٢٢ - الحج/٢٨
إن هذا الوجع والسقم رجز ...	أسامة بن زيد	٢ - البقرة/٥٩
إنَّ هذه الآية نزلت في بيتي : ﴿إنما يريد اللّٰه﴾ ...	أم سلمة	٣٣ - الأحزاب/٣٣
أنَّ هذه الآية نزلت في رجلين كانا يُكْرِهان	مقاتل بن حيان	٢٤ - النور/٣٣
أنَّ هذه الآية نزلت في نفر من اليهود جاءوا رسول اللّٰه ﷺ ...	ابن عباس	١٧ - الإسراء/٨٦
إنَّ هذه الآية : ﴿وتخفي في نفسك﴾ ...	أنس بن مالك	٣٣ - الأحزاب/٣٧
إنَّ هذه الأمة تبتلى في قبورها	جابر بن عبد اللّٰه	١٤ - إبراهيم/٢٧
إن هذه أيام أكل وشرب وذكر اللّٰه ...	الزهري	٢ - البقرة/٢٠٣
إن هذه أيام أكل وشرب وذكر اللّٰه ...	عمرو بن دينار	٢ - البقرة/٢٠٣
إن هذه الصلاة عرضت على الذين من قبلكم ...	أبو نضرة الغفاري	٢ - البقرة/٢٣٨
إن هذه ال صلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس		٢ - البقرة/٢٣٨
إن هذه من غنائمكم ، وإنه ليس لي فيها	عبادة	٨ - الأنفال/٤١
إن هذه من غنائمكم ، وإنه ليس لي فيها	عبد اللّٰه بن عمرو	٨ - الأنفال/٤١
أن هرقل كتب إلى النبي ﷺ إنك دعوتني إلى جنة عرضها	...	٣ - آل عمران/١٣٣
أنَّ هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ ...	ابن عباس	٢٤ - النور/٦
إن وسادك إذًا لعريض ...	عدي بن حاتم	٢ - البقرة/١٨٧
إن الوسيلة درجة عند اللّٰه ...	أبو سعيد الخدري	٥ - المائدة/٣٥
أن وفد أهل نجران قدموا على رسول اللّٰه ﷺ ...	رافع بن خديج	٣ - آل عمران/٦٣
أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القران	عكرمة	٧٤ - المدثر/٢٢
إن الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعامًا	ابن عباس	٧٤ - المدثر/١
إنّ يأجوج ومأجوج لهم نساء ...	أوس بن أبي أوس	١٨ - الكهف/٩٩
إنّ يأجوج ومأجوج ليحفرون السد ...	أبو هريرة	١٨ - الكهف/٩٧
إنّ يأجوج ومأجوج من ولد آدم ...	عبد اللّٰه بن عمرو	١٨ - الكهف/٩٩

إنّ يحيى وعيسى عليهما السلام التقيا	الحسن	١٩ - مريم/١٥
إنّ اليسير من الرياء شرك ...	معاذ بن جبل	٣١ - لقمان/١٩
إن يعش هذا الغلام ...	أنس	٧ - الأعراف/١٨٧
إن يعش هذا لم يدركه الهرم قامت عليكم ساعتكم ...	عائشة	٧ - الأعراف/١٨٧
أن يغفر ذنبًا ويفرج كربًا	عبد الله بن منيب	٥٥ - الرحمن/٢٩
إن يمين الله ملأى لا يفيضها نفقة سحاء الليل والنهار ...	أبو هريرة	٥ - المائدة/٦٤
أن اليهود أتت النبي ﷺ فسألته عن خلق السماوات ...	ابن عباس	٤١ - فصلت/١٢
أنّ اليهود أتوا رسول الله ﷺ يومًا فقالوا : يا أبا القاسم إن..	عبد الرحمن بن غنم	١٧ - الإسراء/٧٦
إن اليهود اختلفوا على إحدى وسبعين فرقة ...	...	١٠ - يونس/٩٣
إن اليهود اختلفوا على إحدى وسبعين فرقة ...	...	٩٨ - البينة/٤
إن اليهود اختلفوا على إحدى وسبعين فرقة ...	...	١١ - هود/١١٨
أن اليهود جاؤا إلى رسول الله ﷺ ...	عبد الله بن عمر	٥ - المائدة/٤١
إن اليهود سألوا محمدًا ﷺ زمانًا عن أمور من التوراة ...	الربيع بن أنس	٢ - البقرة/١٠٢
أن يهود سألوا النبي عن صاحبه الذي ينزل عليه بالوحي ...	القاسم بن أبي بزة	٢ - البقرة/٩٨
أن اليهود قالوا للمسلمين : من أتى امرأة وهي مدبرة ...	جابر	٢ - البقرة/٢٢٣
أن اليهود كانت إذا حاضت المرأة منهم لم يواكلوها	أنس	٢ - البقرة/٢٢٢
أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله ﷺ ...	عبد الله بن عمر	٥٨ - المجادلة/٢
إنّ اليهود والنصارى قالوا	القرظي	١٧ - الإسراء/١١١
أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج ...	ابن عباس	٢ - البقرة/٨٩
أن يهوديًا قتل جارية ...	أنس	٢ - البقرة/٧٣
أن يهودية دخلت عليها فقالت ...	عائشة	٤٠ - غافر/٤٦
أن يهودية كانت تخدمها	عائشة	٤٠ - غافر/٤٦
إن يؤخر هذا لم يدركه الهرم حتى تقوم الساعة	أنس	٧ - الأعراف/١٨٧
أنّ يونس النبي عليه السلام حين بدا له أن يدعوا	أنس بن مالك	٢١ - الأنبياء/٨٨
أن يونس النبي عليه الصلاة والسلام حين بدا له ...	أنس بن مالك	٣٧ - الصافات/١٤٣
إنا إذا نزلنا بساحة قوم ...	أبو طلحة	٣٧ - الصافات/١٧٧

أنا أسلمت بعد نزول المائدة	جرير بن عبد اللّه البجلي	٥ - المائدة/٦
أنا أفصح من نطق بالضاد	...	١ - الفاتحة/٧
إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب ...	...	٢ - البقرة/٧٨
إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب ...	عبد اللّه بن عمر	٢ - البقرة/٢٨٢
﴿إنا أنشأناهن إنشاءً﴾ ...	أنس بن مالك	٥٦ - الواقعة/٣٥
إنا أهل بيت اختار اللّه لنا الآخرة على الدنيا	عبد اللّه بن مسعود	٩٣ - الضحى/٥
أنا أول شفيع في الجنة	أنس	٣٩ - الزمر/٧٣
أنا أول من تنشق عنه الأرض	أنس	٥٠ - ق/٤٤
أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن ...	علي بن أبي طالب	٢٢ - الحج/١٩
أنا أوّل من يؤذن له بالسجود يوم القيامة ...	أبو الدرداء	١٧ - الإسراء/٧٩
أنا أوّل من يؤذن له في السجود يوم القيامة ...	أبو ذر وأبو الدرداء	٦٦ - التحريم/٨
أنا أول من يؤذن له يوم القيامة بالسجود ...	أبو الدرداء وأبو ذر	٥٧ - الحديد/١٢
أنا أول الناس خروجًا إذا بعثوا	أنس	٣٧ - الصافات/٤٩
أنا أول الناس سأل رسول اللّه ﷺ عن هذه الآية ...	عائشة	١٤ - إبراهيم/٤٨
أنا أول هذه الأمة سألت رسول اللّه ﷺ عنها	عائشة	٥٣ - النجم/١٥
أنا أولى بكل مؤمن من نفسه ...	جابر بن عبد اللّه	٣٣ - الأحزاب/٦
أنا أولى الناس بابن مريم ...	أبو هريرة	١٩ - مريم/٢٨
أنا أولى الناس بعيسى بن مريم ...	أبو هريرة	٤ - النساء/١٥٩
أنا بريء من كل مسلم بين ظهراني المشركين ...	...	٨ - الأنفال/٧٣
أنا خير الشركاء ...	أبو هريرة	١٨ - الكهف/١١٠
أنا ذاك ، فقاموا إليه ...	عمرو بن العاص	٤٠ - غافر/٢٨
أنا رسول اللّه ، وأنا محمد بن عبد اللّه ...	البراء	٤٨ - الفتح/٢٧
أنا سيّد الناس يوم القيامة ...	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/٧٩
أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة ...	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/٣
أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة ...	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/٧٩
أنا الضحوك القتال	...	٩ - التوبة/١٢٣
إنا على سفر ، ولكن إذا رجعنا إن شاء اللّه ...	...	٩ - التوبة/١٠٧

إنا قرأنا على عهد رسول الله ﷺ ...	الزبير	٨ - الأنفال/٢٥
إنا كنا معشر قريش نجبي النساء فلما دخلنا المدينة ...	ابن عمر	٢ - البقرة/٢٢٣
أنا كنت أسأل الناس عنها	أبو ذر	٩٧ - القدر/٥
إنّا لا نجد من الرجم بدًا فإنه حد ...	عمر بن الخطاب	٢٤ - النور/٢
إنّا لم نرده عليك إلا أنا حرم	الصعب بن جثامة	٥ - المائدة/٩٦
إنا لمع رسول الله ﷺ يوم حنين والناس يقتتلون ...	جبير بن مطعم	٩ - التوبة/٢٥
إنا لنخرج فنرى قريشًا تحدث ...	العباس	٤٢ - الشورى/٢٣
أنا لها أنا لها	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢١٠
أنا لها أنا لها	...	٨٩ - الفجر/٢٢
أنا محمد النبي الأمي ...	عبد الله بن عمرو	٣٣ - الأحزاب/٤٠
أنا محمد النبي الأمي ...	عبد الله بن عمرو	٣٣ - الأحزاب/٥٦
أنا محمد وأنا أحمد ...	أبو موسى	٦١ - الصف/٦
أنا مع أمي رائطة ابنة سفيان	عائشة بنت قدامة	٦٠ - الممتحنة/١٢
أنا من القليل كانوا سبعة ...	ابن عباس	١٨ - الكهف/٢٢
أنا المنذر ولكل قوم هاد ، وأومأ بيده ...	ابن عباس	١٣ - الرعد/٧
أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب ...	...	٩ - التوبة/٢٥
أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب ...	البراء بن عازب	٩ - التوبة/٢٥
أنا النذير العريان	...	٥٣ - النجم/٥٦
أنا وأمتي يوم القيامة على كوم ...	جابر بن عبد الله	٢ - البقرة/١٤٣
إنا وجدنا نبينا ﷺ يعمل عملا عملنا به ...	عبد الله بن عمر	٤ - النساء/١٠١
أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة ...	سهل بن سعيد	٨٩ - الفجر/١٧
أناجي ربي عز وجل وقد علم حاجتي ...	أبو بكر	١٧ - الإسراء/١١٠
أنبأني من سمع ابن عباس يقول ...	يونس بن حباب	٣٣ - الأحزاب/٥٦
الأنبياء إخوة لعلات ...	أبو هريرة	٤ - السناء/١٥٩
أنت أحب بلاد الله إلى الله ...	ابن عباس	٤٧ - القتال/١٣
أنت بالخيار إن شئت أعتقت وإن شئت كسوت ...	ابن عباس	٥ - المائدة/٨٩
أنت بذاك ؟ فقلت : أنا بذاك ...	سلمة بن صخر	٥٨ - المجادلة/٢

أنت بما تقول ، فقال الرجل : اللّٰه أعلم بالسرائر …	جابر بن عبد اللّٰه	٢ - البقرة/١٤٣
أنت عبد اللّٰه بن سلام ؟ قال : قلت : نعم …	عبد اللّٰه بن سلام	١٣ - الرعد/٤٣
أنت عليّ حرام …	زيد بن أسلم	٦٦ - التحريم/١
أنت القائل : أتجعل نهبي …	…	٣٦ - يس/٦٩
أنت ومالك لأبيك	…	٢٤ - النور/٥٨
أنتزاور إذا متنا ويرى بعضنا بعضًا	أم هانيء	٥٦ - الواقعة/٨٩
انتظروا حتى ندخل عشاء …	…	٢٤ - النور/٢٧
أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها	معاوية بن حيدة	٢ - البقرة/٤٧
أنتم توفون سبعين أمّة …	معاوية بن حيدة	٣ - آل عمران/١١٠
أنتم حجاج …	ابن عمر	٢ - البقرة/١٩٨
أنتم حجاج …	ابن عمر	٢ - البقرة/١٩٨
أنتم خير أهل الأرض اليوم …	جابر	٤٨ - الفتح/١٠
أنتم ربع أهل الجنة …	أبو هريرة	٣ - ال عمران/١١٠
أنتم والساعة كهاتين …	أنس بن مالك	٥٤ - القمر/١
أنتن على ذلك ؟ فقالت امرأة واحدة …	ابن عباس	٦٠ - الممتحنة/١٢
انتهيت إلى رسول اللّٰه ﷺ وقد أهراق الماء …	جابر	١ - الفاتحة/المقدمة
انتهيت إلى رسول اللّٰه ﷺ وهو يقول : ﴿ألهاكم التكاثر﴾ …	عبد اللّٰه بن الشخير	١٠٢ - التكاثر/١
أنثره في الصدقة …	أبو عقيل	٩ - التوبة/٧٩
انثروه في مسجدي …	أنس بن مالك	٨ - الأنفال/٧٠
انحرها إياها	عبد اللّٰه بن عمر	٢٢ - الحج/٣٢
أنذرتكم النار …	النعمان بن بشير	٩٢ - الليل/١٤
أنزل اللّٰه عز وجل فينا خاصة معشر قريش …	الزبير بن العوام	٣٣ - الأحزاب/٦
أنزل اللّٰه عليّ أمانين لأمتي …	أبو موسى	٨ - الأنفال/٣٣
أنزل اللّٰه ﴿يسألك أهل الكتاب﴾ …	…	٤ - النساء/١٦٣
أنزل على النبي ﷺ القرآن قال فتلاه عليهم زمانًا	سعد	١٢ - يوسف/٣
أنزل القرآن على أربعة أحرف …	ابن عباس	المقدمة

أنزل القرآن في ثلاثة أمكنة مكة والمدينة والشام.	أبو أمامة	١٧ - الإسراء/٧٦
أنزل المعونة من السماء ...	أبو هريرة	٩٤ - الشرح/٦
أنزلت آية التخيير فبدأ بي ...	عائشة	٣٣ - الأحزاب/٢٨
أنزلت سورة النجم وكان المشركون يقولون ...	ابن شهاب	٢٢ - الحج/٥٢
أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان	واثلة بن الأسقع	٢ - البقرة/١٨٥
أنزلت ﴿عبس وتولّى﴾ في ابن أم مكتوم ...	عائشة	٨٠ - عبس/١
أنزلت ﴿عبس وتولّى﴾ في ابن أم مكتوم ...	عروة	٨٠ - عبس/١
أنزلت على رسول الله ﷺ سورة المائدة وهو راكب على راحلته ...	عبد الله بن عمرو	٥ - المائدة/سببها
أنزلت عليَّ آية لم تنزل على نبي ...	أبو بريدة عن أبيه	١ - ١ لفاتحة/البسملة
أنزلت عليَّ : ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيرًا﴾ ...	ابن عباس	٢ - البقرة/١١٩
أنزلت في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما	عامر الشعبي	٢ - البقرة/٢٧١
أنزلت في بني النضير ...	ابن عباس	٥٩ - الحشر/سببها
أنزلت فيَّ هذه الآية : ﴿ وإن جاهداك على أن﴾ ...	سعد بن مالك	٣١ - لقمان/١٣
أنزلت هذه الآية الكريمة في عبد الله بن أبي ...	السدي	٢٤ - النور/٣٣
أنزلت هذه الآية : ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ في أناس من الأنصار.	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٢٣
أنزلت هذه الآية يوم الجمعة وكان رسول الله ﷺ ...	مقاتل بن حيان	٥٨ - المجادلة/١١
أنزلت هذه السورة ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ ...	ابن عمر	١١٠ - النصر/سببها
أنزلت : ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم﴾ ...	سهل بن سعد	٢ - البقرة/١٨٧
أُنزِلَت : ﴿ياأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول﴾ ...	الزهري وعبد الرزاق ابن أبي قتادة	٨ - الأنفال/٢٧
أنزلها الله في الطائفتين من اليهود ...	ابن عباس	٥ - المائدة/٤٤
انسك شاة أو أطعم ستة مساكين ...	كعب بن عجرة	٢ - البقرة/١٩٦
أنشدك بالذي أنزل التوراة ...	رجل من الأعراب	٧ - الأعراف/١٥٧
أنشدك عهدك ووعدك ...	ابن عباس	٥٤ - القمر/٤٥
أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة ...	أبو هريرة	٥ - المائدة/٤١

أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل ...	شهر بن حوشب	٢ - البقرة/٨٧
انشق القمر بمكة حتى صار فرقتين ...	ابن مسعود	٥٤ - القمر/١
انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ ...	جبير بن مطعم	٥٤ - القمر/١
انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ ...	عبد الله بن مسعود	٥٤ - القمر/١
انشق القمر في زمان النبي ﷺ ...	ابن عباس	٥٤ - القمر/١
انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا	أنس بن مالك	٥ - المائدة/٢
انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا	أنس	٤٩ - الحجرات/٩
أَنَطَأُ في الجنة ؟ قال : نعم ...	أبو هريرة	٥٦ - الواقعة/٣٧
انطلق بي إلى خلق من خلق الله كثير ...	أبو سعيد الخدري	٤ - النساء/١٠
انطلق عامر بن ربيعة وسهل بن حنيف يريدان الغسل ...	عبيد الله بن عامر	٦٨ - القلم/٥١
انطلق عمر بن الخطاب إلى اليهود فقال ...	عامر	٢ - البقرة/٩٨
انطلقا فبشرا ولا تنفرا	ابن عباس	٣٣ - الأحزاب/٤٥
انطلقت أنا فانتسخت كتابًا من أهل الكتاب ...	عمر	١٢ - يوسف/٣
انطلقت أنا وأخي إلى رسول الله ﷺ ...	سلمة بن يزيد الجعفي	٨١ - التكوير/٩
انطلقت حاجًا فمررت بقوم يصلون ...	عبد الرحمن	٤٨ - الفتح/١٨
انطلقت في حياة النبي ﷺ حتى أتيت خيبر ...	عمر	١٢ - يوسف/٣
انطلقت مع رسول الله ﷺ ليلة الجن ...	ابن مسعود	٤٦ - الأحقاف/٢٩
انطلقنا نتلقى عيرًا لقريش آتية من الشام ...	جابر	٤ - النساء/١٠٢
انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ...	علي	٦٠ - الممتحنة/١
انظر إلى من هو تحتك ...	أبو ذر	٤ - النساء/١٦٤
انظر فإنك لست بخير من أحمر ولا	أبو ذر	٤٩ - الحجرات/١٣
انظرن من إخوانكن فإنما الرضاعة من المجاعة.	عائشة	٢ - البقرة/٢٣٣
أنظرني حتى آتيك ...	عكرمة عن ابن مسعود	٤٦ - الأحقاف/٢٩
انظروا إلى أهل العراق قتلوا ابن بنت رسول الله ﷺ وهم ...	ابن عمر	٢٠ - طه/٨٩
انظروا إلى هذا المحرم ما يصنع	أسماء بنت أبي بكر	٢ - البقرة/١٩٧
أنعت لك الكرسف ...	...	٧٨ - النبأ/١٤

انعته لي ...	قتادة	١٨ - الكهف/٩٦
الأنفال الغنائم ...	ابن عباس	٨ - الأنفال/١
أنفق بلالاً ولا تخش من ذي العرش إقلالا	...	٢ - البقرة/٢١٢
أنفق بلالاً ولا تخش من ذي العرش إقلالا	...	٥٣ - النجم/٣٢
أنفق ماله عليٌّ قبل الفتح ...	ابن عمر	٥٧ - الحديد/١٠
أنفقه على نفسك ، قال عندي آخر ...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢١٩
أنفقي هكذا وهكذا وهكذا ولا توعي ...	أسماء بنت أبي بكر	١٧ - الإسراء/٢٩
انقطع علم الخلق عند علم الخالق ...	جابر	٢٠ - طه/٦
إنك إلى خير ، أنت من أزواج النبي ﷺ ...	أم سلمة	٣٣ - الأحزاب/٣٣
إنك إن اتبعت عورات الناس ...	معاوية	٤٩ - الحجرات/١٢
إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن	...	٤ - النساء/٩
إنّك تموت بالربوة ، فمات بالرملة ...	مرة البهذي	٢٣ - المؤمنون/٥٠
إنك لا تدع شيئًا اتقاءً للّه تعالى ...	أبو قتادة وأبو الدهماء عن بدوي	٣٨ - ص/٣٢
إنك لتشتهي الطير في الجنة فيخر ...	ابن مسعود	٥٠ - ق/٣٥
إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه ...	عبد اللّه بن مسعود	٥٦ - الواقعة/٢١
إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فيخر ...	عبد اللّه بن مسعود	١٣ - الرعد/٣٥
إنك لعريض القفا إن أبصرت الخيطين ...	عدي بن حاتم	٢ - البقرة/١٨٧
أنكحوا الأيامى ...	عمر بن الخطاب	٤ - النساء/٤
انكدرت في جهنم ...	يزيد بن أبي مريم	٨١ - التكوير/٢
إنكم تحشرون إلى اللّه يوم القيامة حفاة ...	عائشة	٢٢ - الحج/١
إنكم تختصمون إليّ وإنما أنا بشر ...	أم سلمة	٤ - النساء/١٠٥
إنكم تدعون مفدمًا على أفواهكم ...	بهز بن حكيم عن أبيه عن جده	٣٦ - يس/٦٥
إنكم تدعون يوم القيامة مفدمًا على أفواهكم ...	معاوية بن حيدة	٤١ - فصلت/٢٢
إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر ...	جرير	٧٥ - القيامة/٢٣
إنكم تعملون أعمالاً لا تعرف ...	ثوبان مولى رسول اللّه ﷺ	٨٤ - الانشقاق/٩

إنكم تقرأون : ﴿من بعد وصية﴾ ...	علي	٤ - النساء/١١
إنكم تقولون لا عدو لكم ...	ابن حرملة عن خالته	٢١ - الأنبياء/٩٦
إنكم سترون ربكم ...	جرير بن عبد الله	٢٠ - طه/١٣٠
إنكم سترون ربكم عيانًا	...	٧٥ - القيامة/١٦
إنكم محشوررون إلى الله عز وجل حفاةً ...	ابن عباس	٢١ - الأنبياء/١٠٤
إنكم محشرون إلى الله عز وجل حفاةً ...	عائشة	٢١ - الأنبياء/١٠٤
إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا	أبو موسى	٣٤ - سبأ/٥٠
إنكم لا تسعون الناس بأموالكم ...	أبو هريرة	٣١ - لقمان/١٩
إنكم معشر الموالي قد بشركم الله بخصلتين ...	ابن عباس	٦ - الأنعام/١٥٢
إنكم وليتم أمرًا هلكت فيه الأمم السالفة ...	ابن عباس	٦ - الأنعام/١٥٢
إنما أخاف عليكم ما يخرج الله تعالى من زهرة الدنيا	...	٤٢ - الشورى/٢٧
إنما الأعمال بالنيات ...	عمر بن الخطاب	٤ - النساء/١٠٠
إنما أمر رسول الله ﷺ أن يتعوّذ بهما	عبد الله بن مسعود	المعوّذتان
إنما أمرت بالوضوء إذا قمت إلى الصلاة	عبد الله بن عباس	٥ - المائدة/٦
إنما أمروا بأدنى بقرة ، ولكنهم لما شددوا	ابن جريج	٢ - البقرة/٦٨
إنما أنا رحمة مهداة.	أبو هريرة	٢١ - الأنبياء/١٠٧
إنما أنا عبد فقولوا : عبد الله ورسوله.	...	٤ - النساء/١٧١
إنما أنا لكم بمنزلة الوالد ، أعلمكم ...	أبو هريرة	٣٣ - الأحزاب/٦
إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق.	عائشة	٦٨ - القلم/٤
إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد	جبير بن مطعم	٨ - الأنفال/٤١
إنما بنيت المساجد لما بنيت له.	...	٢ - البقرة/١٢٥
إنما جعل الإمام ليؤتم به ...	أبو موسى الأشعري	١ - الفاتحة/المقدمة
إنما جعل الإمام ليؤتم به ...	أبو موسى الأشعري	٧ - الأعراف/٢٠٤
إنما خيرني الله فقال :		
﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم﴾ ...	ابن عمر	٩ - التوبة/٨٤
إنما ذاك جبريل ...	عائشة	٥٣ - النجم/١٥
إنما سعى النبي ﷺ بالبيت ...	ابن عباس	٤٨ - الفتح/٢٨

إنما السكنى والنفقة للمرأة ...	فاطمة بنت قيس	٦٥ - الطلاق/١
إنما سمّاهم اللّه الأبرار ...	ابن عمر	٨٢ - الأنفطار/١٣
إنما سمل النبي ﷺ أعين أولئك ...	أنس بن مالك	٥ - المائدة/٣٣
إنما سموا الأبرار بروا الآباء والأبناء ...	عبد اللّه بن عمرو بن العاص	٣ - آل عمران/١٩٨
إنما سميّ الإنسان لأنه عهد إليه فنسي ...	ابن عباس	٢٠ - طه/١١٥
إنما سمى البيت العتيق لأنه ...	عبد اللّه بن الزبير	٢٢ - الحج/٢٩
إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة ...	أبو هريرة	١٨ - الكهف/٨٢
إنما عُمّار المساجد هم أهل اللّه	أنس بن مالك	٩ - التوبة/١٨
إنما كان يكفيك ...	عمّار	٤ - النساء/٤٣
إنما كره السمر حين نزلت هذه الآية ...	ابن عباس	٢٣ - المؤمنون/٦٧
إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح ...	أبو ذر	٤٢ - الشورى/٢٣
إنما مثلي ومثل ما بعثني اللّه به ...	أبو موسى	١٥ - الحجر/٨٧
إنما نسمة المؤمن طائر يعلق ...	كعب بن مالك	٥٦ - الواقعة/٨٩
إنما نهى عن الدم السافح	عائشة	٥ - المائدة/٣
إنما هلك من كان قبلكم بهذا		
ضربوا كتاب اللّه بعضه ببعض ...	عبد اللّه بن عمرو بن العاص	٣ - آل عمران/٧
إنما هلكت الأمم قبلكم ...	عبد اللّه بن عمرو	٤ - النساء/٨٢
إنما هو شرط شرطه اللّه للنساء ...	ابن عباس	٦٠ - الممتحنة/١٢
إنما هي توبة نبي ولكني رأيتكم تشزنتم.	أبو سعيد الخدري	٣٨ - ص/٢٤
إنما هي المصيبات في الدنيا.	...	٤ - النساء/١٢٣
إنما يحضر المشركون فيطوفون عراة ...	...	٩ - التوبة/١
﴿إنما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس﴾ ...	عائشة	٣٣ - الأحزاب/٣٣
إنما يُفتن يهود ...	عائشة	٤٠ - غافر/٤٦
أنه آذنته بهم شجرة ...	ابن مسعود	٤٦ - الأحقاف/٢٩
إنه أبصر رسول اللّه ﷺ في مشرق ثقيف ...	خالد بن أبي جبل العدواني	٨٦ - الطارق/فضائلها
إنه أتاني آت من ربي ...	أبو الدرداء	٤ - النساء/١١٠
إنه أتاني داعي الجن فأتيتهم ...	عبد اللّه بن مسعود	٤٦ - الأحقاف/٢٩

إنه أتاني الملك فقال : يا محمد أما يرضيك ...	أبو طلحة	٣٣ - الأحزاب/٥٦
أنه أتي رسول الله ﷺ فقال : أرأيت رجلًا	أبو فروة	٢٥ - الفرقان/٧١
أنه أتى رسول الله ﷺ فقال : إني سيبت الخيل ...	سلمة بن نفيل	٤٧ - محمد/٤
أنه أتى رسول الله ﷺ فقال : ما يحل لنا من الميتة؟ ...	النجيع العامري	٥ - المائدة/٣
أنه أتى على رجل قد أناخ بدنة ...	ابن عمر	٢٢ - الحج/٣٦
أنه أتى النبي ﷺ فقرأ عليه :		
﴿فمن يعمل مثقال ذرة﴾ ...	صعصعة بن معاوية	٩٩ - الزلزلة/٨
أنه أخبره من سمع رسول الله ﷺ بوادي القرى ...	من سمع رسول الله ﷺ	١ - الفاتحة/٧
أنه استأذن على النبي ﷺ فقال ...	رجل من بني عامر	٣١ - لقمان/٣٤
أنه أفضل الأيام عند الله (يوم عرفة)	...	٢٢ - الحج/٢٨
أنه أمر بنيه أن يحرقوه ثم ...	...	٣٦ - يس/٧٩
أنه انتهى إلى حصن أو مدينة فقال لأصحابه : دعوني ...	سلمان الفارسي	٨ - الأنفال/٥٨
إنه أنزلت عليّ آنفًا سورة ...	أنس بن مالك	١٠٨ - الكوثر/١
أنه انطلق هو والفضل بن العباس يسألان رسول الله ﷺ	عبد المطلب بن ربيعة	
	والفضل بن العباس	٩ - التوبة/٦٠
أنه أهدى للنبي ﷺ حمارًا وحشيًا وهو بالأبواء أو بودان	الصعب بن جثامة	٥ - المائدة/٩٦
إنه أوحي إليّ أن تواضعوا ، حتى لا يفخر أحد ...	...	٢٨ - القصص/٨٣
إنه أوّاه ...	عقبة بن عامر	٩ - التوبة/١١٤
إنه أوّاه ...	الحسن بن مسلم بن بيان	٩ - التوبة/١١٤
إنه أوّاه ...	أبو ذر	٩ - التوبة/١١٤
أنه بات عند ميمونة زوج النبي ﷺ ...	ابن عباس	٣ - آل عمران/١٩٤
أنه بعثه رسول الله ﷺ إلى رجل تزوج امرأة أبيه ...	أبو بردة	٤ - النساء/٢٢
أنه بعثه رسول الله ﷺ إلى رجل تزوج امرأة أبيه ...	البراء بن عازب عن ابن عمر	٤ - النساء/٢٢
أنه بعثه رسول الله ﷺ إلى رجل تزوج امرأة أبيه ...	البراء بن عازب عن عمه	٤ - النساء/٢٢
أنه بينما هو جالس مع عبد الله بن عمر تلا هذه الآية ...	سعيد بن مرجانة	٢ - البقرة/٢٨٤
أنه تذاكر هو وعمر بن الخطاب يومًا الصدقة ...	عبد الله بن أنيس	٣ - آل عمران/١٦١
أنه تزوج امرأة بكرًا في خدرها	نضرة بن أبي نضرة	٤ - النساء/٢٠

أنه تلا هذه الآية : ﴿ذوقوا مسَّ سقر﴾ ...	زرارة	٥٤ - القمر/٤٩
أنه توضأ فغسل وجهه ...	ابن عباس	٥ - المائدة/٦
أنه توضأ لهم كوضوء رسول الله ﷺ ثم قال ...	عثمان بن عفان	١١ - هود/١١٤
أنه توضأ لهم وضوء النبي ﷺ ...	عثمان بن عفان	٣ - آل عمران/١٣٥
أنه جاء بأمة سوداء ...	رجل من الأنصار	٤ - النساء/٩٢
أنّه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحي إليه ...	أنس	١٧ - الإسراء/١
أنه خاصم رجلًا من الأنصار قد شهد بدرًا	الزبير بن العوام	٤ - النساء/٦٥
أنه خرج إلى هوازن في شوال فلما كسرهم ...	...	٩ - التوبة/٣٦
أنه خرج ذات يوم إلى الناس وهم سماطات فقال ...	عمر بن الخطاب	٢ - البقرة/٢٥٥
أنه خرج في شهر رمضان لغزوة الفتح ...	...	٢ - البقرة/١٨٥
أنه خطبهم بعرفات فحمد الله ...	المسور بن مخرمة	٩ - التوبة/٣
أنّه دخل على قوم وهم وقوف على دواب لهم ...	أنس	١٧ - الإسراء/٤٤
أنه دخل المسجد فإذا هو بمعاذ بن جبل ...	عمر	٣١ - لقمان/٩١
أنه دخل المسجد فجلس إلى جنب ...	أبو ثابت	٣٥ - فاطر/٣٢
أنه دخل مع رسول الله ﷺ المسجد ...	بريدة	١١٢ - الإخلاص/فضائلها
أنه دخل مع عبيد بن عمير على عائشة ...	أبو خلف مولى بني جمع	٢٣ - المؤمنون/٦٠
أنه دخل هو وأبوه على أنس بن مالك بالمدينة ...	سهل بن أبي أمامة	٥٧ - الحديد/٢٧
أنه ذكر ﴿إرم ذات العماد﴾ ...	المقدام	٨٩ - الفجر/٧
أنه ذكر أن رجلًا من بني إسرائيل سأل ...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٨٢
أنه ذكر أن عليه عتق رقبة ...	معاوية بن الحكم السلمي	٥ - المائدة/٨٩
أنه ذكر رجلًا من بني إسرائيل ...	أبو هريرة	٣ - ال عمران/٧٦
أنّه رأى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألفًا	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/١
أنه رأى رجلًا يصلي وفي ظهر قدمه لمعة ...	بعض أزواج النبي ﷺ	٥ - المائدة/٦
أنه رأى رسول الله ﷺ بالبقيع وهو يقول ...	أبو السليل عن رجل عن أبيه أو عمه	٩ - التوبة/٧٩
أنه رأى رسول الله ﷺ يصلي من الليل ...	حذيفة	٣٦ - يس/٨٣
أنّه رأى مع إبراهيم عليه السلام أولاد المسلمين وأولاد	سمرة	١٧ - الإسراء/١٥

أنه ركب خلف رسول اللّه ﷺ يومًا	عبد اللّه بن عباس	٦٥ - الطلاق/٣
أنه رمى يوم أحد دون رسول اللّه ﷺ ...	سعد بن أبي وقاص	٣ - آل عمران/١٥٣
أنه زوج أخته رجلًا من المسلمين على عهد رسول اللّه ﷺ ...	معقل بن يسار	٢ - البقرة/٢٣٢
أنه سأل أصحاب رسول اللّه ﷺ في حياته ...	أوس بن حذيفة	المقدمة
أنه سأل رسول اللّه ﷺ أي الذنب أعظم ؟ ...	عبد اللّه بن مسعود	٦ - الأنعام/١٥١
أنه سأل رسول اللّه ﷺ عن تفسير قوله تعالى ...	عثمان بن عفان	٣٩ - الزمر/٦٣
أنه سأل رسول اللّه ﷺ عن قول اللّه عز وجل : ﴿للذين أحسنوا﴾ ...	أبي بن كعب	١٠ - يونس/٢٦
أنه سأل رسول اللّه ﷺ عن قوله تعالى : ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف﴾ ...	أبي بن كعب	٣٧ - الصافات/١٤٧
أنه سأل رسول اللّه ﷺ عن الكوثر ...	أنس بن مالك	١٠٨ - الكوثر/١
أنه سأل رسول اللّه ﷺ عن ليلة القدر ...	عبادة بن الصامت	٩٧ - القدر/٥
أنه سأل رسول اللّه ﷺ عن المعوذتين ...	عقبة بن عامر	المعوّذتان
أنه سأل رسول اللّه ﷺ فقال : يا رسول اللّه ...	عبادة بن الصامت	١٠ - يونس/٦٤
أنه سأل رسول اللّه ﷺ فقال : يا رسول اللّه قل لي قولاً ينفعني ...	حارثة بن قدامة السعدي	٣ - آل عمران/١٣٤
أنه سأل رسول اللّه ﷺ كيف ينزل عليك الوحي؟ ...	الحارث بن هشام	٤٢ - الشورى/٣
أنه سأل رسول اللّه ﷺ ما الإيمان	أبو ذر	٢ - البقرة/١٧٧
أنه سأل عائشة عن قول اللّه تعالى : ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا﴾ ...	عروة بن الزبير	٤ - النساء/٣
أنه سأل النبي ﷺ عن الحلف ...	قيس بن عاصم	٤ - النساء/٣٣
أنه سأل النبي ﷺ عن الكرسي فقال رسول اللّه ﷺ ...	أبو ذر الغفاري	٢ - البقرة/٢٥٥
أنّه سأله رجل من أهل العراق عن دم البعوض ...	ابن عمر	٢٠ - طه/٨٩
إنه ستفتح لكم مشارق الأرض ومغاربها	شاب من محارب	٩ - التوبة/٣٣
أنه سمع رجلًا سأل الأسود ...	أبو إسحاق	٥٤ - القمر/١٥
أنه سمع رسول اللّه ﷺ يحدث عن فترة الوحي ...	جابر بن عبد اللّه	٧٤ - المدثر/١

أنه سمع رسول الله ﷺ يقص على المنبر ...	أبو الدرداء	٥٥ - الرحمن/بعد الآية ٦١
أنه سمع رسول الله ﷺ يقول بعرفات ...	محنف بن سليم	٢٢ - الحج/٣٧
أنه سمع رسول الله ﷺ يقول حين نزلت آية الملاعنة ...	أبو هريرة	٦٠ - الممتحنة/١٢
أنه سمع رسول الله ﷺ يقول على المنبر ...	عبد الله بن سلام	٦٢ - الجمعة/٩
أنه سمع رسول الله ﷺ يقول وهو واقف بالحزورة ...	عبد الله بن عدي	٤٢ - الشورى/٧
أنه سمع رسول الله ﷺ وهو خارج من المسجد ...	أبو أُسيد الأنصاري	٢٤ - النور/٣١
أنه سمع النبي ﷺ يقول فيما بين ركن بني جمح ...	عبد الله بن السائب	٢ - البقرة/٢٠٢
إنه سيأتيكم إنسان فينظر إليكم ...	ابن عباس	٩ - التوبة/٧٤
إنه سيأتيكم إنسان ينظر بعيني شيطان	ابن عباس	٥٨ - المجادلة/١٨
إنه سيحال بيني وبينها	ابن عباس	١١١ - المسد/١
إنه سيكون اختلاف ، أو أمر ...	علي بن أبي طالب	٨ - الأنفال/٦١
إنه سيكون قوم يعتدون في الدعاء ...	سعد	٧ - الأعراف/٥٥
أنّه سئل أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة ؟ ...	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/٧٩
أنه سئل ﷺ عن الفرقة الناجية منهم فقال ...	...	٣٠ - الروم/٣٢
أنه سئل عما يقتل المحرم ...	أبو سعيد	٥ - المائدة/٩٥
أنّه سئل عن أطفال المشركين ...	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/١٥
أنه سئل عن الرجل يطلق المرأة ...	عمران بن حصين	٦٥ - الطلاق/٢
أنه سئل عن زوج وأخت لأب وأم ...	زيد بن ثابت	٤ - النساء/١٧٦
أنه سئل عن الصوم في السفر فقال : من أفطر فحسن		٢ - البقرة/١٨٥
أنه سئل عن الطحال ، فقال : كلوه ...	ابن عباس	٥ - المائدة/٣
أنه سئل عن قراءة رسول الله ﷺ ...	أنس	٧٣ - المزمل/٤
أنه سئل عن قراءة النبي ﷺ فقال ...	أنس	١ - الفاتحة/البسملة
أنه سئل عن قوله تعالى : ﴿إلا المودة في القربى﴾ ...	ابن عباس	٤٢ - الشورى/٢٣
أنه سئل : ما أشد ما رأيت قريشًا بلغوا من ...	عمرو بن العاص	٤٠ - غافر/٢٨
إنه سيلحد فيه رجل من قريش لو ...	عبد الله بن عمر	٢٢ - الحج/٢٥
إنه سينهاه ما تقول ...	أبو هريرة	٢٩ - العنكبوت/٤٥
أنه صعد منبر الكوفة فقال : لا تسألوني عن آية ...	علي بن أبي طالب	٥١ - الذاريات/١

أنه ﷺ قال في خطبة حجة الوداع ...	...	٤٩ - الحجرات/١٢
أنه ﷺ لما مرّت به جنازة عمه أبي طالب قال ...	...	٩ - التوبة/١١٤
أنه صلى الظهر ثم قعد في حوائج الناس	علي بن أبي طالب	٥ - المائدة/٦
أنه طلق امرأة له وهي حائض ...	عبد اللّٰه بن عمر	٦٥ - الطلاق/١
أنه لمّا بلغته دعوة رسول اللّٰه ﷺ فرّ ...	عدي بن حاتم	٩ - التوبة/٣١
إنه عرضت عليَّ الجنة ...	جابر	٥٦ - الواقعة/٣٣
أنه علم رجلًا من أهل الصفة شيئًا من القران	عبادة بن الصامت	٢ - البقرة/٤١
﴿إنه عمل غير صالح﴾ ...	أسماء بنت يزيد	١١ - هود/٤٦
﴿إنه عمل غير صالح﴾ ...	أم سلمة	١١ - هود/٤٦
أنه غزا مع رسول اللّٰه ﷺ يوم فتح مكة ...	سبرة بن معبد الجهني	٤ - النساء/٢٤
أنه قال حين حضرته الوفاة : قد كنت كتمت ...	أبو أيوب الأنصاري	٣٩ - الزمر/٥٣
أنه قال ذات يوم : شفاعتي ...	ابن عباس	٣٥ - فاطر/٣٢
أنه قال ذلك عشية رجم ماعز ...	...	٢٤ - النور/٥٥
أنه قال في دعائه يوم آذاه أهل الطائف ...	محمد بن إسحاق	٢٤ - النور/٣٥
أنه قال في السجدة في ص ...	عكرمة عن ابن عباس	٣٨ - ص/٢٤
أنه قال فى قوله تعالى : ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ ...	أبو هريرة	٥٣ - النجم/١٥
أنه قال فى هذه الآية : ﴿ثم أورثنا الكتاب﴾ ...	أبو سعيد	٣٥ - فاطر/٣٢
أنه قال لأحبار اليهود : إني أردت أن أحدث ...	عبد اللّٰه بن سلام	١٣ - الرعد/٤٣
أنه قال لأصحابه يومًا على أثر سماء أصابتهم ...	...	٢٥ - الفرقان/٥٠
أنه قال لرسول اللّٰه ﷺ : ادع اللّٰه أن يرزقني مالا	ثعلبة بن حاطب	٩ - التوبة/٧٥
أنه قال لرسول اللّٰه ﷺ : ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا﴾ ...	عبادة بن الصامت	١٠ - يونس/٦٤
أنّه قال له أصحابه : يا رسول اللّٰه أخبرنا عن ليلة أسري بك ...	أبو سعيد الخدري	١٧ - الإسراء/١
أنه قال لهرقل ملك الروم : نهانا عن الميتة والدم	أبو سفيان	٥ - المائدة/٣
أنه قالت له أمه : ألا تنطلق فتسأل رسول اللّٰه ﷺ ...	جعفر عن رجل من مزينة	٢ - البقرة/٢٧٣
إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن	عائشة	٣٣ - الأحزاب/٥٣

إنه قَدْ سنَّ لكم معاذ فهكذا فاصنعوا	معاذ	٢ - البقرة/١٨٤
إنه قد شهد بدرًا ، وما يُدريك لعل اللّٰه قد اطَّلع ...	...	٨ - الأنفال/٩
إنه قد نعيت إليّ نفسي ...	ابن عباس	١١٠ - النصر/سببها
أنه قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ ...	عبد اللّٰه بن الزبير	٤٩ - الحجرات/٢
أنه قدم الشام فدخل مسجد دمشق ...	علقمة	٩٢ - الليل/٢
أنه قيل له يوم أحد : إن الناس قد جمعوا لكم ...	أنس بن مالك	٣ - آل عمران/١٧٣
أنه قيل : يا رسول اللّٰه ما الغيبة ؟ ...	أبو هريرة	٣٣ - الأحزاب/٥٨
أنه كان إذا أراد أن يسلم قال ...	أبو سعيد	٣٧ - الصافات/١٨١
أنه كان إذا دخل المسجد يقول ...	عبد اللّٰه بن عمرو	٢٤ - النور/٣٦
أنه كان إذا دعا على الجراد قال ...	أنس وجابر	٧ - الأعراف/١٣٣
أنه كان إذا سمع الرعد قال ...	أبو هريرة	١٣ - الرعد/١٣
أنه كان إذا سئل عن صلاة الخوف وصفها	ابن عمر	٢ - البقرة/١١٥
أنه كان إذا شرب الماء قال ...	أبو جعفر	٥٦ - الواقعة/٦٩
أنه كان فوق سطح يقرأ	...	٧٥ - القيامة/٤٠
أنه كان في سهوة له وكانت الغول تجيء فتأخذ ...	أبو أيوب	٢ - البقرة/٢٥٥
أنه كان في مسير مع رسول اللّٰه ﷺ فنزلت عليه سورة المائدة ...	أم عمرو عن عمّها	٥ - المائدة/سببها
أنه كان له جرن فيه تمر قال : فكان أُبي يتعاهده ...	أبي بن كعب	٢ - البقرة/٢٥٥
أنه كان مع رسول اللّٰه ﷺ فآذاه القمل ...	كعب بن عجرة	٢ - البقرة/١٩٦
إنه كان مع رسول اللّٰه ﷺ ليلة الجن ...	ابن مسعود	٤٦ - الأحقاف/٢٩
إنه كان معك ملك يرد عنك ...	أبو هريرة	٤٢ - الشورى/٤٣
أنه كان يأمر أن لا يتصدق إلا على أهل الإسلام ...	ابن عباس	٨ - الأنفال/٦٠
أنه كان يأمر بأن لا يتصدق إلا على أهل الإسلام ...	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٧٢
أنه كان يتجر في الخمر في زمن رسول اللّٰه ﷺ ...	كيسان	٥ - المائدة/٩١
أنّه كان يدعو : اللّٰهم أحسن عاقبتنا في الأمور ...	بسر بن أرطاة	١٨ - الكهف/١٠
أنه كان يصلي حيث توجهت به راحلته ...	ابن عمر	٢ - البقرة/١١٥
أنه كان يعتكف العشر الأواخر من شهر رمضان	عائشة	٢ - البقرة/١٨٧

أنه كان يقبل ثم يصلي ولا يتوضأ	عائشة	٤ - النساء/٤٣
أنه كان يقرأ :		
﴿إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية﴾ ...	أبي بن كعب	٤٨ - الفتح/٢٦
أنه كان يقسم أن هذه الآية : ﴿هذان خصمان﴾ ...	أبو ذر	٢٢ - الحج/١٩
أنه كان يقول في آخر الصلاة : اللّهم اغفر لي ...	...	٤٧ - محمد/١٩
إنه كان يقول في كتاب اللّه عز وجل ما يقول ...	سعيد بن جبير	٨ - الأنفال/٣١
أنه كان يهدي لرسول اللّه ﷺ		
كل عام راوية من خمر ...	تميم الداري	٥ - المائدة/٩١
أنه كتب إلى قريش يعلمهم بقصد رسول اللّه ﷺ ...	...	٨ - الأنفال/٢٧
إنه لم تكن فتنة في الأرض ...	أبو أمامة الباهلي	٤ - النساء/١٥٩
إنه لم يكن يا ابن أخي في زمان		
رسول اللّه ﷺ غزو يرابط فيه ...	أبو سلمة بن عبد الرحمن	٣ - ال عمران/٢٠٠
أنه لما جاء بتلك الجارية السوداء ...	معاوية بن الحكم	٤ - النساء/٩٢
أنه لما فتح رسول اللّه ﷺ مكة ، ذهب فارًا	عكرمة بن أبي جهل	٢٩ - العنكبوت/٦٥
أنّه لمّا نزلت هذه الآية قال لرسول اللّه ﷺ ...	أبي بن كعب	٦٥ - الطلاق/٥
إنه ليس أحد يحاسب ...	عائشة	٨٤ - الانشقاق/٨
إنه ليس الذي تعنون ...	عبد اللّه بن مسعود	٦ - الأنعام/٨٢
إنه ليس بذلك ألا تسمع لقول لقمان	عبد اللّه	٣١ - لقمان/١٣
إنه ليس عليك بأس ، إنما هو أبوك ...	أنس	٢٤ - النور/٣١
إنه ليس من فرس عربي إلا يؤذن له ...	أبو ذر	٨ - الأنفال/٦٠
أنه مرّ بأبي هريرة وهو منبطح على بطنه ...	...	٢ - البقرة/٤٥
أنه مرّ بالنبي ﷺ وهو يبول ...	ابن الصمة	٤ - النساء/٤٣
أنه مرّ برسول اللّه ﷺ فقال له ...	الحارث بن مالك	٨ - الأنفال/٤
أنه مرّ بمقام إبراهيم فقال : يا رسول اللّه ...	عمر بن الخطاب	٢ - البقرة/١٢٥
أنه نادى رسول اللّه ﷺ فقال يا محمد ...	الأقرع بن حابس	٤٩ - الحجرات/٤
أنّه نزل به رجل من العرب ...	عامر بن ربيعة	٢١ - الأنبياء/١
أنه نهى أن يطرق الرجل أهله ...	...	٢٤ - النور/٢٧

أنه وفد على رسول اللّٰه ﷺ فقال له ...	سلمة بن سعد	٢٨ - القصص/٢٥
أنه يخرج من النار من كان في قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان	...	٤ - النساء/٩٣
إنه يستجاب لنا فيهم ...	عائشة	٥٨ - المجادلة/٨
أنه يقال يوم القيامة لليهود : ما كنتم تعبدون ؟ ...	...	٢٤ - النور/٣٩
إنه يُلبِّس علينا القران	رجل من أصحاب النبي ﷺ	٩ - التوبة/١٠٨
إنه يلبِّس علينا القران	رجل من أصحاب النبي ﷺ	٣٠ - الروم/٦٠
إنه يؤتي بجهنم يوم القيامة فتنادي الخلائق ...	...	١٤ - إبراهيم/١٦
إنها آخر ليلة ...	أبو هريرة	٩٧ - القدر/٥
أنها اختلعت على عهد رسول اللّٰه ﷺ فأمرها النبي ﷺ ...	الربيع بنت معوذ	٢ - البقرة/٢٣٠
أنها استعارت من أسماء قلادة ...	عائشة	٤ - النساء/٤٣
أنها انتقلت حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر حين	عائشة	٢ - البقرة/٢٢٨
أنها توفي عنها زوجها سعد بن خولة وهي حامل ...	سبيعة الأسلمية	٢ - البقرة/٢٣٤
أنها جاءت إلى رسول اللّٰه ﷺ تسأله أن ترجع إلى أهلها	الفريعة بنت مالك بن سنان	٢ - البقرة/٢٤٠
أنها جاءت إلى النبي ﷺ فقالت يا رسول اللّٰه ...	أم حميد	٢٤ - النور/٣٧
أنها خرجت فيما كانت تعتمر ...	عائشة	٢٠ - طه/٣٠
أنها سألت رسول اللّٰه ﷺ : أفي المال حق سوى الزكاة؟ ...	فاطمة بنت قيس	٢ - البقرة/١٧٧
أنها سألت رسول اللّٰه ﷺ عن قول اللّٰه : ﴿يوم تبدل الأرض﴾ ...	عائشة	١٤ - إبراهيم/٤٨
أنها سألت رسول اللّٰه ﷺ عن قول اللّٰه : ﴿والأرض جميعًا﴾ ...	عائشة	١٤ - إبراهيم/٤٨
أنها سألت رسول اللّٰه ﷺ فقالت : إن لي جارين ...	عائشة	٤ - النساء/٣٦
إنها سألت عثمان : لم دعاك النبي ﷺ ...	امرأة من بني سليم	٣٧ - الصافات/١٠٧
إنها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم	سعد بن أبي وقاص	٥ - المائدة/٢٨
إنها ستكون هجرة بعد هجرة ...	عبد اللّٰه بن عمرو	٢٩ - العنكبوت/٢٦

أنها سمعت رسول الله ﷺ ذكر الأعمال فقال ...	أم فروة	٢ - البقرة/٢٣٨
أنها سمعت رسول الله ﷺ يخطب في حجة الوداع ...	أم الحصين	٤ - النساء/٥٩
أنها سمعت رسول الله ﷺ يقرأ : ﴿فروح﴾ ...	عائشة	٥٦ - الواقعة/٨٩
أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول عند حفصة ...	أم مبشر	٤٨ - ا لفتح/١
أنها سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب ...	ابن عباس عن أمه	٧٧ - المرسلات/سببها
إنها طيبة وإنها تنفي الخبث ...	زيد بن ثابت	٤ - النساء/٨٨
﴿إنها عليهم مؤصدة﴾ قال مطبقة ...	أبو هريرة	١٠٤ - الهمزة/٨
أنها فقدت النبي ﷺ من مضجعه ...	عائشة	٩١ - ا لشمس/٨
إنها في ليلة سابعة أو تاسعة وعشرين ...	أبو هريرة	٩٧ - القدر/٥
أنها قالت : يا رسول الله هلا تنشرت فقال ...	عائشة	٢ - البقرة/١٠٢
إنها قد حرمت بعدك	تميم الداري	٥ - المائدة/٩١
أنها كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس ...	حبيبة بنت سهل	٢ - البقرة/٢٢٩
أنها كانت تحت ثابت بن قيس فنشزت عليه ...	...	٢ - البقرة/٢٢٩
أنها كانت تحت سعد بن خولة ...	سبيعة الأسلمية	٦٥ - الطلاق/٤
أنها كانت ترى رضاع الكبير يؤثر في التحريم ...	عائشة	٢ - البقرة/٢٣٣
أنها كانت تغير من النساء اللاتي وهبن أنفسهن ...	عائشة	٣٣ - الأحزاب/٥١
أنها كانت عند رسول الله ﷺ وميمونة ...	أم سلمة	٢٤ - النور/٣١
إنّها لن تراني ...	أسماء بنت أبي بكر	١٧ - الإسراء/٤٥
إنها لن تراني ...	أسماء بنت أبي بكر	١١١ - المسد/١
إنها ليست بنجسة ، إنها من الطّوافين عليكم ...	...	٢٤ - النور/٥٨
إنها ليست في الجهاد ، ولكن لما دعا رسول الله ﷺ على مضر ...	ابن عباس	٩ - التوبة/١٢٢
إنها ليلة سابعة أو تاسعة وعشرين ...	أبو شريرة	٩٧ - القدر/٥
إنها أولى السبع ...	بلال	٩٧ - القدر/٥
أنها مرّت برسول الله ﷺ وهو يتسحر فدعاها	أم ولد حاطب بن أبي بلتعة	٢ - البقرة/١٨٧
إنها مما نسخ وأنسي ...	ابن عمر	٢ - البقرة/١٠٦
أنها نزلت على رسول الله ﷺ يوم غدير خم ...	أبو سعيد الخدري	٥ - المائدة/٣

أنها نزلت في الدعاء : ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾ ...	عائشة	١٧ - الإسراء/١١٠
أنها نزل في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله ﷺ ...	ابن عباس	٢ - البقرة/١٧٠
أنهم أمروا بصيام ...	سعد مولى رسول الله ﷺ	٤٩ - الحجرات/١٢
أنهم بايعوه على الموت.	عباد بن تميم	٤٨ - الفتح/١٠
أنهم تحدّثوا عند رسول الله ﷺ		
أن ملكًا من بني إسرائيل ...	...	٤ - النساء/٣١
أنهم جاءهم الخبر بذلك وهم في صلاة الظهر ...	نويلة بنت مسلم	٢ - البقرة/١٤٣
أنهم جمعوا القرآن في مصاحف		
في خلافة أبي بكر رضي الله عنه ...	أبي بن كعب	٩ - التوبة/١٢٩
أنهم خرجوا من مكة مع رسول الله ﷺ إلى حنين ...	أبو واقد الليثي	٧ - الأعراف/١٣٩
أنهم ساروا مع رسول الله ﷺ يوم حنين ...	سهل ابن الحنظلية	٣ - آل عمران/٢٠٠
أنهم قالوا : يا رسول الله أخبرنا عن نفسك ...	خالد بن معدان	
	عن أصحاب رسول الله ﷺ	٦١ - الصف/٦
أنهم قالوا : يا رسول الله أمّا السلام ...	أبو مسعود البدري	٣٣ - الأحزاب/٥٦
إنهم قوم خرجوا عصاة بغير إذن آبائهم ...	رجل من مزينة	٧ - الأعراف/٤٦
أنهم كانوا إذا قالوا : لبيك لا شريك لك ...	...	١٢ - يوسف/١٠٦
أنهم كانوا خمس عشرة مائة.	جابر	٤٨ - الفتح/١٠
إنهم كانوا كرابين يعني فلاحين قدموا مع جعفر ...	ابن عباس	٥ - المائدة/٨٤
إنهم لا يحسدوننا على شيء كما يحسدوننا على ...	عائشة	٢ - البقرة/١٤٣
إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام	جبير بن مطعم	٨ - الأنفال/٤١
إنهم لم يحسدونا على شيء كما يحسدونا على ...	عائشة	١ - الفاتحة/٧
إنهم ليسوا بشيءٍ ...	عائشة	٢٦ - الشعراء/٢٢٣
أنهم وفدوا على رسول الله ﷺ فقالوا :		
يا رسول الله ما تعهد إلينا؟ ...	قرة بن دعموص النميري	١٠٧ - الماعون/٧
إنهم يلهمون التسبيح والتحميد ...	...	٢٢ - الحج/٢٤
أنهما أتيا النبي ﷺ يسألانه من الصدقة ...	عبيد الله بن عدي بن الخيار	
	عن رجلين أخبراه	٩ - التوبة/٦٠

أنهما شهدا على رسول اللّه ﷺ أنه نهى عن الدباء ...	عمر وابن عباس	٥٩ - الحشر/٧
إنهما قد ائتدما ، فجاءا فقالا	أنس بن مالك	٤٩ - الحجرات/١٢
إنهما ليعذّبان وما يعذّبان في كبير ...	ابن عباس	١٧ - الإسراء/٤٤
إنهما ليعذبان وما يعذّبان في كبير ...	ابن عباس	٦٨ - القلم/١١
إنهما من كنز الرحمن تحت العرش ...	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٨٥
إنّهنّ من العتاق الأول ...	ابن مسعود	١٧ - الإسراء/المقدمة
إنّي أتيت البارحة بيت المقدس ...	أبو سعيد الخدري	١٧ - الإسراء/١
إني أتيت رسول اللّه ﷺ فدخلت عليه ...	أبو سعيد الخدري	٩ - التوبة/١٠٨
إني أخاف أن يقتلوك ، فقال ...	عروة بن مسعود	٣٦ - يس/٢٧
إنّي أخاف على أمتي اثنتين القرآن واللبن ...	عقبة بن عامر	١٩ - مريم/٥٩
إني أختم ألف ألف نبي أو أكثر ...	أبو سعيد	٤ - النساء/١٦٤
إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم ...	ابن عمر	٧ - الأعراف/٧٣
إني أرى ما لا ترون ...	أبو ذر	٧٤ - المدثر/٣١
إني أريد أن أذكر لك أمرًا	عائشة	٣٣ - الأحزاب/٢٨
إني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي ...	بريدة	٩ - التوبة/١١٣
إنّي أسري بي الليلة ...	ابن عباس	١٧ - الإسراء/١
إني أظن أن هذا الفرس قد استجيب له ...	أبو ذر	٨ - الأنفال/٦٠
إني أعلم آية لم تنزل على نبي قبلي ...	بريدة	٢٧ - النمل/٣١
إني أكره أن تتحدث العرب ...	...	٢ - البقرة/١٠
إني أمرت أن أدنيك ...	ابن مرة الأسلمي	٦٩ - الحاقة/١٢
إني أمرت أن أقرأ على الجن ...	قتادة	٤٦ - الأحقاف/٢٩
إني أمرت أن أقرأ عليك سورة كذا وكذا	أبيّ بن كعب	٩٨ - البينة/فضائلها
إني أمرت بالعفو ...	ابن عباس	٤ - النساء/٧٧
إني بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا	جابر بن عبد اللّه	٣٦ - يس/١٢
إني تارك فيكم الثقلين ...	...	٤٢ - الشورى/٢٣
إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا	زيد بن أرقم	٤٢ - الشورى/٢٣
إني خاتم ألف نبي أو أكثر ...	أبو سعيد	٤ - النساء/١٦٤

إني خبأت لك خبأً	...	٤٤ - الدخان/١٠
إنّي خلقت عبادي حنفاء ...	عياض بن حماد	١٧ - الإسراء/١٥
إني خيرت فاخترت ...	...	٢ - البقرة/١٠
إني ذاكر لك أمرًا فلا عليك أن لا تستعجلي ...	عائشة	٣٣ - الأحزاب/٢٨
إني ذاكر لك أمرًا فلا عليك أن لا تعجلي ...	عائشة	٣٣ - الأحزاب/٢٨
إني ذاهب بالهدي فناحره عند البيت ...	قتادة	٥ - المائدة/٢٤
إني رأيت البارحة عجبًا	عبد الرحمن بن سمرة	١٤ - إبراهيم/٢٧
إني رأيت الجنة - أو أريت الجنة - فتناولت منها	ابن عباس	١٣ - الرعد/٣٥
إني رأيت الجنة فتناولت منها	ابن عباس	٥٦ - الواقعة/٣٣
إني رأيت رؤيا على عهد رسول اللّه ﷺ ...	عبد اللّه بن سلام	٢ - البقرة/٢٥٦
إني رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي ...	جابر بن عبد اللّه	١٠ - يونس/٢٥
إني رأيت ليلة القدر فأنسيتها	جابر بن عبد اللّه	٩٧ - القدر/٥
إني رسول رسول اللّه ﷺ إليكم ...	معاذ بن جبل	٣١ - لقمان/١٣
إني سألت ربي في الاستغفار لأمي فلم يأذن لي ...	بريدة	٩ - التوبة/١١٣
إني سمعت رسول اللّه ﷺ يقول إذا انصرف ...	المغيرة بن شعبة	٣٥ - فاطر/٢
إني صليت صلاة رغبة ورهبة ...	معاذ بن جبل	٦ - الأنعام/٦٥
إني صليت صلاة رغبة ورهبة ...	أنس بن مالك	٦ - الأنعام/٦٥
إني عرضت عليَّ الجنة وما فيها	جابر	١٣ - الرعد/٣٥
إني عرفت أن ناسًا من بني هاشم وغيرهم ...	عبد اللّه بن عباس	٨ - الأنفال/٧٠
إني على جناح سفر ، وحال شغل ...	محمد بن إسحاق عن جماعة	٩ - التوبة/١٠٧
إني عند اللّه لخاتم النبيين ...	العرباض بن سارية	٢ - البقرة/١٢٩
إني عند اللّه لخاتم النبيين ...	العرباض بن سارية	٣٣ - الأحزاب/٤٠
إني عند اللّه لخاتم النبيين ...	العرباض بن سارية	٦١ - الصف/٦
إنّي عند رسول اللّه ﷺ إذ جاء علي وفاطمة ...	واثلة بن الأسقع	٣٣ - الأحزاب/٣٣
إني قاريء عليكم آيات من آخر سورة الزمر ...	جرير	٣٩ - الزمر/٦٧
إني قاعد إلى جنب النبي ﷺ إذ أوحي إليه ...	زيد بن ثابت	٤ - النساء/٩٥

إني قد خبأت خبأً فما هو ...	زيد بن حارثة	٤٤ – الدخان/فضائلها
إني كنت رأيت قرني الكبش ...	عثمان بن طلحة	٣٧ – الصافات/١٠٧
إني كنت مع رسول الله ﷺ في المسجد فبينما هو محتب ...	عبد الله بن عمر	٥ – المائدة/٩١
إني كنت نهيتكم عن ادخار لحوم الأضاحي ...	...	٢٢ – الحج/٣٦
إني لا أحل لأحد أن يقول عليَّ ما لم أقل ...	عبد الله بن عمرو	٣٨ – ص/٣٥
إني لا أحل المسجد لحائض ولا جنب	عائشة	٤ – النساء/٤٣
إني لا أحل المسجد لحائض ولا جنب	أم سلمة	٤ – النساء/٤٣
إني لآخذ بزمام العضباء ...	أسماء بنت يزيد	٥ – المائدة/سببها
إني لأثأر لأوليائي ...	...	٢ – البقرة/٩٨
إني لأثأر لأوليائي ...	...	٤٠ – غافر/٥١
إنّي لأرجو أن أشفع يوم القيامة ...	بريدة	١٧ – الإسراء/٧٩
إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة ...	...	٥٦ – الواقعة/١٣
إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة ...	أبو هريرة	٥٦ – الواقعة/١٣
إني لأرجو أن لا تخرج من باب المسجد ...	أبي بن كعب	١ – الفاتحة/المقدمة
إني لأرجو أن لا تعجز أمتي ...	سعد بن أبي وقاص	٢٢ – الحج/٤٧
إني لأرجو أن لا تعجز أمتي ...	...	٧٢ – الجن/٢٥
إنّي لأرجو أن لا يدخل النار إن شاء الله ...	حفصة	١٩ – مريم/٧١
إني لأرجو أن يكون من يتبعني من أمتي يوم القيامة ...	جابر	٣ – آل عمران/١١٠
إنّي لأسمع أطيط السماء ...	حكيم بن حزام	٢١ – الأنبياء/٢٠
إني لأعرف آخر أهل النار خروجًا	أبو ذر	٢٥ – الفرقان/٧١
إني لأعرف أول من سيب السوائب ...	زيد بن أسلم	٤ – المائدة/١٠٣
إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم عليَّ ...	...	٢ – البقرة/٧٤
إني لأعطي رجالاً وأدع من هو أحب إلي ...	سعد بن أبي وقاص	٤٩ – الحجرات/١٤
إني لأعطي الرجل ، وغيرُه أحبُّ إليَّ منه ...	...	٩ – التوبة/٦٠
إني لأعلم حين أنزلت وأين أنزلت ...	عمر	٥ – المائدة/٣
إني لأعلم شيئًا لو قاله لذهب عنه ما يجد ...	أبي بن كعب	١ – الفاتحة/الاستعاذة

إني لأعلم كلمة لو قالها	معاذ بن جبل	١ - الفاتحة/الاستعاذة
إني لأعلم كلمة لو قالها	سليمان بن صرد	١ - الفاتحة/الاستعاذة
إني لأعلم كملة لو قالها لذهب عنه ما يجد ...	...	٧ - الأعراف/٢٠٠
إني لأعلم - والله - إنكم لتعلمون أني رسول الله ...	ابن عباس	٤ - النساء/١٦٦
إني لبدت رأسي وقلدت هديي ...	حفصة	٢ - البقرة/١٩٦
إني لتحت راحلة رسول الله ﷺ يوم الفتح ...	القاسم بن أبي أمامة	٢٨ - القصص/٥٤
إني لخاتم ألف نبي أو أكثر ...	جابر	٤ - النساء/١٦٤
إني ليست كهيئتكم إني يطعمني ربي ويسقيني	عائشة	٢ - البقرة/١٨٧
إني لعليّ أنهاكم عن أشياء تصلح لكم ...	عمر بن الخطاب	٢ - البقرة/٢٧٥
إنّي لقائم انتظر أمّتي تعبر الصراط ...	أنس	١٧ - الإسراء/٧٩
إني لم أبعث لأُعذِّبَ بعذاب الله ...	القاسم	٨ - الأنفال/١٢
إني لم أبعث لعّانًا	أبو هريرة	٢١ - الأنبياء/١٠٧
إني لم أرد عليك إلا أني كنت في الصلاة ...	ابن مسعود	٢ - البقرة/٢٣٨
إني لم أنم الليلة من أجل عمي العباس ...	ابن عمر	٨ - الأنفال/٦٧
إني لمع أبي رجل شاب أنظر إلى رسول الله ﷺ ...	ربيعة بن عباد الديلي	١١١ - المسد/١
إنّي محدثكم بحديث ليس بسر ولا علانية ...	ابن عباس	١٧ - الإسراء/٣٣
إني ممسك بحجزكم هلم عن النار ...	عمر بن الخطاب	٢٣ - المؤمنون/٧٤
إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها	أبو موسى	٢ - البقرة/٢٢٤
إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها	...	١٦ - النحل/٩٢
إني والله ما أنا بشاعر وما ينبغي لي.	عائشة	٣٦ - يس/٦٩
أنهار الجنة تفجر ...	أبو هريرة	٨٨ - الغاشية/١٢
أنهار الجنة تفجر من تحت تلال ...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٥
انهزم الناس عن رسول الله ﷺ يوم أحد ...	جابر	٣ - آل عمران/١٥٣
اهجهم - أو هاجهم - وجبريل معك.	...	٢ - البقرة/٨٧
اهجهم وجبريل معك.	...	٢٦ - الشعراء/٢٢٧
أهدى عمر نجيبًا فأعطى بها	عبد الله بن عمر	٢٢ - الحج/٣٢
أهدى النبي ﷺ مرة غنمًا	عائشة	٢ - البقرة/١٩٦

أهرقها	أنس بن مالك	٥ - المائدة/٩١
أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم ...	البراء بن عازب	٥ - المائدة/٤١
أهل الجنة عشرون ومائة صف ...	بريدة	٣ - آل عمران/١١٠
أهل الجنة عشرون ومائة صف ...	عبد الله بن عباس	٣ - آل عمران/١١٠
أهلكك حب يهود ...	قتادة	٩ - التوبة/٨٤
أوَ تحبين ذلك ؟ قالت : نعم ...	...	٤ - النساء/٢٣
أوَ غير ذلك يا عائشة ...	عائشة	٧ - الأعراف/١٧٩
أوَ غير ذلك يا عائشة ...	عائشة	١٧ - الإسراء/١٥
أوَ في شكّ أنت يا ابن الخطاب؟ ...	عمر بن الخطاب	٢٠ - طه/١٣١
أوَ في شك أنت يا ابن الخطاب؟ ...	عمر بن الخطاب	٤٣ - الزخرف/٣٥
أوَ قاتله أنت إن أمرتك بقتله؟ ...	عروة بن الزبير	
	وعمرو بن ثابت	٦٣ - المنافقون/٨
أوَ قال ذلك؟ ...	أبو بكر	١٧ - الإسراء/١
أوَ ليس قد ابتعته منك ؟ قال الأعرابي : لا والله ...	خزيمة بن ثابت	٢ - البقرة/٢٨٢
أوَ مسلم ، حتى أعادها سعد ...	سعد بن أبي وقاص	٤٩ - الحجرات/١٤
الأوّاه : المتضرع الدعاء	عبد الله بن شداد بن الهاد	٩ - التوبة/١١٤
أو تروا يا أهل القرآن	...	٧٣ - المزمل/٢٠
أوتي نبيكم ﷺ مفاتيح كل شيء غير خمس ...	ابن مسعود	٣١ - لقمان/٣٤
أوتيت مفاتيح كل شيء إلا الخمس ...	ابن عمر	٣١ - لقمان/٣٤
أوثقوا لي لئن دعوت ربي ...	ابن عباس	٢ - البقرة/١٦٤
أوحى الله إلى موسى بن عمران عليه السلام : أن اقرأ آية ...	أبو موسى الأشعري	٢ - البقرة/٢٥٥
أوحى الله تعالى إلى موسى بن عمران عليه السلام ...	مالك بن دينار	٢٢ - الحج/٤٥
أوصانا رسول الله ﷺ بسبع خصال ...	عبادة بن الصامت	٦ - الأنعام/١٥١
أوصاني خليل أن أسمع وأطيع ...	أبو هريرة	٤ - النساء/٥٩
أوصاني خليلي رسول الله ﷺ أطع والديك ...	أبو الدرداء	٦ - الأنعام/١٥١
أوصاني خليل رسول الله ﷺ أطع والديك ...	عبادة بن الصامت	٦ - الأنعام/١٥١

أوصاني النبي ﷺ بخمس خصال ...	أنس	٢٤ - النور/٦١
أوفاهما وأبرهما ، قال : وإن سئلت ...	أبو ذر	٢٨ - القصص/٢٨
أوفاهما وأتمهما.	محمد بن كعب القرظي	٢٨ - القصص/٢٨
أوقد اللّه على النار ألف سنة حتى احمرت ...	أبو هريرة	٩ - التوبة/٨١
أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ...	أبو هريرة	١٠١ - القارعة/١١
أوقد عليها ألف عام حتى أبيضت ...	أنس	٩ - التوبة/٨١
أوّل ثلة يدخلون الجنة فقراء المهاجرين ...	عبد اللّه بن عمرو	١٣ - الرعد/٢٣
أوّل خصمين يوم القيامة جاران	عقبة بن عامر	٣٩ - الزمر/٣١
أوّل زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ...	أبو هريرة	١٩ - مريم/٦٢
أوّل زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ...	أبو هريرة	٣٩ - الزمر/٧٣
أوّل زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ...	أبو هريرة	٣٩ - الزمر/٧٣
أوّل زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ...	أبو هريرة	٥٦ - الواقعة/٣٨
أوّل سورة أنزلت فيها سجدة : والنجم ...	عبد اللّه بن مسعود	٥٣ - النجم/فضائلها
أوّل شيء نزل من القرآن ﴿ياأيها المدثر﴾	جابر	٧٤ - المدثر/١
أوّل ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل ...	ابن عباس	٢ - البقرة/١٢٧
أوّل ما بديء به رسول اللّه ﷺ من الوحي ...	عائشة	٩٦ - العلق/١
أول ما خلق اللّه القلم ...	جماعة من الصحابة	٢٢ - الحج/٧٠
أوّل ما خلق اللّه القلم ...	ابن عباس	٦٨ - القلم/١
أوّل ما نزل أول المزمل ...	ابن عباس	٧٣ - المزمل/٧
أوّل ما نزل جبريل على محمد ﷺ قال ...	عبد اللّه بن عباس	١ - الفاتحة/ الاستعاذة
أوّل ما نسخ لنا من القران	ابن عباس	٢ - البقرة/١١٥
أوّل ما يُقضى بين الناس ...	ابن مسعود	٤ - النساء/٩٣
أوّل من ظاهر من امرأته أوس بن الصامت ...	ابن عباس	٥٨ - المجادلة/٢
أوّل من قدم علينا من أصحاب أصحاب النبي ﷺ ...	البراء بن عازب	٨٧ - الأعلى/فضائلها
أول من يكسى حلة من النار إبليس ...	أنس بن مالك	٢٥ - الفرقان/١٤
أولى الناس بي يوم القيامة ...	عبد اللّه بن مسعود	٣٣ - الأحزاب/٥٦
أولياء اللّه الذين إذا رؤوا ذكر اللّه ...	ابن مسعود، وابن عباس وغير واحد	

	من السلف	١٠ - يونس/٦٢
أولئك أصحاب الأعراف ...	جابر بن عبد اللّه	٧ - الأعراف/٤٦
أولئك رجال يؤمنون بالغيب ...	رجل من بني حارثة	٢ - البقرة/١٤٤
أولئك قوم آمنوا بالغيب.	إبراهيم بن جعفر	
	عن رجال من بني حارثة	٢ - البقرة/٣
أولئك قوم عجّلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا.	عمر بن الخطاب	٢٠ - طه/١٣١
أيّ آية في كتاب اللّه أعظم ؟ ...	أبي بن كعب	٢ - البقرة/٢٥٥
أيّ آية في كتاب اللّه أعظم ؟ ...	أبو السليل عن رجل من أصحاب	
	النبي ﷺ	٢ - البقرة/٢٥٥
أي الخلق أعجب إليكم إيمانًا؟ ...	عبد اللّه بن عمرو	٢ - البقرة/٣
أي الخلق أعجب إليكم إيمانًا؟ ...	عمر بن الخطاب	٢ - البقرة/٣
أي الخلق أعجب إليكم إيمانًا؟ ...	أنس بن مالك	٢ - البقرة/٣
أيُّ الربا أربى عند اللّه ؟ ...	عائشة	٣٣ - الأحزاب/٥٨
أي سماء تظلني وأي أرض تقلني ...	أبو بكر الصديق	٨٠ - عبس/٣١
أي الصلاة أفضل ؟ قال : طول القنوت ...	أبو ذر	٤ - النساء/١٦٤
أيْ عمّ ! قل : لا إله إلا اللّه ...	المسيب	٩ - التوبة/١١٣
أيْ فلان ما بلغ بك ما أرى؟ ...	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/١١١
أيْ فلان هل تزوجت؟ ...	أنس بن مالك	٢ - البقرة/٢٥٥
أي والذي نفس محمد بيده إنه لفتح.	مجمع بن حارثة	٤٨ - الفتح/١
أي المؤمنين أعجب إليكم إيمانًا؟ ...	...	٣ - آل عمران/١٠٠
أي المؤمنين أعجب إليكم إيمانًا؟ ...	...	٥٧ - الحديد/٨
أي يوم هذا	أبو بكرة	٩ - التوبة/٣
أي يوم هذا	عمرو بن الأحوص	٩ - التوبة/٣
إيّاك وإسبال الإزار ...	رجل من بني الهجيم	٤ - النساء/٣٦
إيّاك ومكر السيء فإنه لا يحيق إلا	أبو زكريا الكوفي عن رجل	٣٥ - فاطر/٤٣
إيّاكم أن تهلكوا عن آية الرجم	عمر	٢٤ - النور/٢
إيّاكم والتمادح ...	...	٤ - النساء/٤٩

إيّاكم والجلوس على الطرقات ...	أبو سعيد	٢٤ - النور/٣٠
أياكم والدخول على النساء ...	...	٢٤ - النور/٣١
إيّاكم والشح ...	...	٤ - النساء/٣٧
إيّاكم والشح ...	ابن عمر	١٧ - الإسراء/٢٩
إيّاكم والظلم فإنَّ اللّه يعزم يوم القيامة ...	أبو أمامة	٢٩ - العنكبوت/١٣
إيّاكم والظلم فإن الظلم ظلمات ...	...	٢٠ - طه/١١١
إيّاكم والظلم فإن الظلم ظلمات ...	...	٢٦ - الشعراء/٢٢٧
إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات ...	جابر بن عبد اللّه	٥٩ - الحشر/٩
إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ...	...	٤ - النساء/١٢
إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ...	أبو هريرة	٤٩ - الحجرات/١٢
إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ...	...	٥٣ - النجم/٢٨
إياكم ومحقرات الذنوب ...	سهل بن سعد	٥٣ - النجم/٥٧
إياكم ومحقرات الذنوب ...	عبد اللّه بن مسعود	٩٩ - الزلزلة/٨
إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن ...	عبد اللّه بن مسعود	٢ - البقرة/٨١
إياكم والمعاصي ...	ابن مسعود	٦٨ - القلم/٢٠
إياكم وهاتان الكعبتان الموسومتان	عبد اللّه بن مسعود	٥ - المائدة/٩١
أيّام التشريق أيام أكل وشرب ...	نبيشة الهذلي	٢ - البقرة/١٩٦
أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر للّه ...	نبيشة الهذلي	٢ - البقرة/٢٠٣
أيام التشريق أيام طعم ...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٠٣
أيام التشريق كلها ذبح	جبير بن مطعم	٢٢ - الحج/٣٦
ائتدموا بالزيت وادَّهِنوا به ...	عمر	٢٣ - المؤمنون/٢٠
ائتني به ، فانطلقت أرغب ...	عمر	١٢ - يوسف/٣
أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب ...	البراء	٥٦ - الواقعة/٨٨
ائتها على كل حال إذا كان في الفرج ...	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٢٣
ائتوا روضة خاخ ...	علي	٦٠ - الممتحنة/١
ائتوني بالتوراة ...	ابن عمر	٥ - المائدة/٤١
ائذن لي أيها الأمير أن أحدثك قولا	أبو شريح العدوي	٢ - البقرة/١٢٦

ائذنوا له ، بئس أخو العشيرة ...	...	٤٩ - الحجرات/١٢
أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟ ...	أبو سعيد	١١٢ - الإخلاص/فضائلها
أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟ ...	أبو أيوب	١١٢ - الإخلاص/فضائلها
أيعجز أحدكم أن يقرأ كل يوم ثلث القرآن؟ ...	أبو الدرداء	١١٢ - الإخلاص/فضائلها
أيكم الذي سمعت صوته قد ارتفع؟ ...	أبو محذورة	٥ - المائدة/٥٨
أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟ ...	عبد اللّه بن مسعود	٣ - آل عمران/١٣٤
أيكم ماله أحب إليه من مال وارثه؟ ...	عبد اللّه بن مسعود	٧٣ - المزمل/٢٠
أيكم يبايعني على ثلاث ...	عبادة بن الصامت	٦ - الأنعام/١٥١
أيكم يبايعني على هؤلاء الآيات الثلاث	عبادة بن الصامت	٦ - الأنعام/١٥٣
أيكم يتبعني إلى وفد الجن الليلة ...	الزبير بن العوام	٤٦ - الأحقاف/٢٩
أيلعب بكتاب اللّه وأنا بين أظهركم ...	محمود بن لبيد	٢ - البقرة/٢٣٠
أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم ...	أبو هريرة	٦٠ - الممتحنة/١٢
أيما امرأة سألت زوجها طلاقها من غير ما بأس ...	ثوبان	٢ - البقرة/٢٢٩
أيما امرأة سألت زوجها الطلاق ...	ثوبان	٢ - البقرة/٢٢٩
أيما داع دعا إلى شيء كان موقوفًا معه ...	أنس بن مالك	٣٧ - الصافات/٢٤
أيما ذهب أو فضة أوكيء عليه فهو جمر ...	أبو ذر	٩ - التوبة/٣٥
أيما رجل سببته في غضبي أو لعنته ...	سلمان	٢١ - الأنبياء/١٠٧
أيما عبد تزوج بغير إذن مواليه فهو عاهر.	...	٤ - النساء/٢٥
أيما مسلم أعتق رجلاً مسلمًا	أبو نجيح	٩٠ - البلد/١٣
أيما مسلم شهد له أربعة بخير ...	عمر بن الخطاب	٢ - البقر/١٤٣
أيما مسلم ضاف قومًا	المقدام بن أبي كريمة	٤ - النساء/١٤٨
أيما مؤمن سقى مؤمنًا	أبو سعيد الخدري	٨٣ - المطففين/٢٥
الإيمان أن تؤمن باللّه وملائكته ...	أبو هريرة	٣١ - لقمان/٣٤
إيمان باللّه وتصديق به ...	عبادة بن الصامت	٦٤ - التغابن/١١
إيمان باللّه وجهاد في سبيله ...	أبو ذر	٤ - النساء/١٦٤
أين ابن عمك وابناك؟ ...	أم سلمة	٣٣ - الأحزاب/٣٣
أين أبواي ؟ فنزلت ...	داود بن أبي عاصم	٢ - البقرة/١١٩

أين الله ...	معاوية بن الحكم	٤ - النساء/٩٢
أين الله ؟ قالت : في السماء ...	معاوية بن الحكم السلمي	٥ - المائدة/٨٩
أين أنت من وصال آل محمد ...	أم ولد حاطب بن أبي بلتعة	٢ - البقرة/١٨٧
أين السائل ...	أبو أمامة	٥ - المائدة/٧٩
أين السائل عن العمرة ...	صفوان بن أمية	٢ - البقرة/١٩٦
أين السائل ؟ فقال ها أنا ذا ، فقال : أما الجُبَّة ...	يعلى بن أمية	٢ - البقرة/١٩٦
أين هذا الرجل القائل أقم فيَّ حد الله؟ ...	أبو أمامة	١١ - هود/١١٤
أية آية؟ ...	أبي بن كعب	٦٥ - الطلاق/٥
أيُّها السائل : هذا منهم.	طلحة	٣٣ - الأحزاب/٢٤
أيها الناس أتدرون ما مثلي ومثلكم ...	بريدة	٣٤ - سبأ/٤٦
أيها الناس أربعوا على أنفسكم ...	أبو موسى الأشعري	٧ - الأعراف/٥٥
أيها الناس اكلفوا من الأعمال ماتطيقون ...	عائشة	٧٣ - المزمل/٧
أيها الناس : إن الزمان قد استدار فهو اليوم ...	ابن عمر	٩ - التوبة/٣٦
أيها الناس : إنكم قد أسرعتم في حظائر يهود ...	خالد بن الوليد	١٦ - النحل/٨
أيها الناس إنكم مسؤولون عني ...	جابر بن عبد الله	٥ - المائدة/٦٧
أيها الناس إنكم مسؤولون عني ...	...	٧ - الأعراف/٦٢
أيها الناس ، عدلت شهادة الزور إشراكًا	أيمن بن خريم	٢٢ - الحج/٣٠
أيها الناس : السكينة السكينة ...	جابر بن عبد الله	٢ - البقرة/١٩٨
أيها الناس عليكم بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان	أنس بن مالك	٤ - النساء/١٧١
أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا	أبو هريرة	٣ - آل عمران/٩٧
أيها الناس هلموا إلي أنا رسول الله ...	جابر بن عبد الله	٩ - التوبة/٢٥
أيهل الحج قبل أشهر الحج ؟ فقال : لا	أبو الزبير عن جابر	٢ - البقرة/١٩٧
أيؤذيك هوامُّ رأسك ...	كعب بن عجرة	٢ - البقرة/١٩٦

حرف الباء

بات رسول الله ﷺ ليلة أسري به في بيتي ...	أم هانيء بنت أبي طالب	١٧ - الإسراء/١
بات قتادة بن النعمان يقرأ الليل كله ...	أبو سعيد	١٢٢ - الإخلاص/فضائلها
بادروا بالأعمال ستًا : الدجال ...	أبو هريرة	٢٧ - النمل/٨٢
بادروا بالأعمال ستًا : طلوع الشمس ...	أنس بن مالك	٢٧ - النمل/٨٢
الباقيات الصالحات سبحان الله والحمد لله ...	سعيد بن المسيب	١٨ - الكهف/٤٦
بال جرير ثم توضأ ومسح على خفيه	همام	٥ - المائدة/٦
بأى شيء؟ ...	جابر بن عبد الله	٧٤ - المدثر/٣٠
بايع رسول الله ﷺ لعثمان رضي الله عنه ...	ابن عمر	٤٨ - الفتح/١٠
بايع رسول الله ﷺ النساء وفي يده ثوب ...	الشعبي	٦٠ - الممتحنة/١٢
بايعت رسول الله ﷺ أن لا أخر إلا قائمًا	حكيم بن حزام	٣ - آل عمران/١٠٢
بايعت رسول الله ﷺ تحت الشجرة ...	سلمة بن الأكوع	٤٨ - الفتح/١٠
بايعت رسول الله ﷺ قبل أن يبعث ...	عبد الله بن أبي الحمساء	١٩ - مريم/٥٤
بايعت رسول الله ﷺ يوم الحديبية ثم تنحيت ...	سلمة	٤٨ - الفتح/١٠
بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة ...	عبادة بن الصامت	٤ - النساء/٥٩
بايعنا رسول الله ﷺ فقرأ علينا	أم عطية	٦٠ - الممتحنة/١٢
بايعني رسول الله ﷺ خمسًا وواثقني سبعًا	أبو ذر	٥ - المائدة/٥٤
بايعني يا سلمة ، قال قلت : يا رسول الله قد بايعتك ...	سلمة بن الأكوع	٤٨ - الفتح/١٠
بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا	أبو عبادة	٦ - الأنعام/١٥١
بت أجرُّ الجرير على ظهري ...	أبو عقيل	٩ - التوبة/٧٩
بت عند خالتي ميمونة ...	ابن عباس	٣ - آل عمران/١٩٤
بت الليلة أقرأ على الجن واقفًا بالحجون	ابن مسعود	٤٦ - الأحقاف/٢٩
بت ليلة عند رسول الله ﷺ فصلى ركعتين ...	ابن عباس	٥٠ - ق/٣٩
البحر هو جهنم ...	يعلى بن أمية	١٨ - الكهف/٢٩
البحر هو جهنم ...	يعلى	٢٩ - العنكبوت/٥٤
بحسب امريء من البخل أن أُذكَر عنده ...	الحسن	٣٣ - الأحزاب/٥٦
بخ بخ ذاك مال رابح ...	أنس	٣ - آل عمران/٩٢

بخ بخ لخمس ما أثقلهن في الميزان	مولى لرسول الله ﷺ	١٨ - الكهف/٤٦
البخيل من ذكرت عنده ثم لم يصلِّ عليَّ.	الحسين	٣٣ - الأحزاب/٥٦
بذلك أمرت الرسل أن لا تأكل إلا	أم عبد الله بنت شداد بن أوس	٢٣ - المؤمنون/٥١
بريء الناس منها غيري وغير عدي بن بداء ...	ابن عباس عن تميم الداري	٥ - المائدة/١٠٦
بريء من الشح من أدى الزكاة ...	أنس بن مالك	٥٩ - الحشر/٩
بسم الله أرقيك من كل داءٍ يؤذيك ...	...	١١٣ - الفلق/٤
بسم الله أعوذ بكلمات الله التامة ...	عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده	٢٣ - المؤمنون/٩٨
بسم الله ، فلما استوى عليها قال ...	علي	٤٣ - الزخرف/١٤
بسم الله والله أكبر ...	جابر بن عبد الله	٢٢ - الحج/٣٦
بسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ...	...	٣ - آل عمران/٦٣
بشّر المشّائين إلى المساجد في الظلم بالنور ...	...	٢٤ - النور/٣٦
بشّر هذه الأمة بالسناء والرفعة ...	أُبي بن كعب	٢٤ - النور/٥٥
بشر هذه الأمة بالسناء والرفعة ...	أبي بن كعب	٤٢ - الشورى/٢٠
بشرا ولا تنفرا	...	٢ - البقرة/١٨٥
بشرا ولا تنفرا	...	٧ - الأعراف/١٥٧
بصق رسول الله ﷺ في كفه ثم قال ...	بشر بن جحاش	١٦ - النحل/٤
بطر الحق وغمط الناس.	...	٤٦ - الأحقاف/١١
بعث ابن الحضرمي إلى رسول الله ﷺ من البحرين	حميد بن هلال	٨ - الأنفال/٧٠
بعث الله ثمانية آلاف نبي ...	أنس	٤ - النساء/١٦٤
بعث الله جبريل إلى آدم وحواء ...	عبد الله بن عمرو بن العاص	٣ - آل عمران/٩٦
بعث الله جبريل عليه السلام إلى إبراهيم ﷺ فحج به ...	علي بن أبي طالب	٢ - البقرة/١٩٨
بعث الله السماء ، وكان الوادي دهسًا	عروة بن الزبير	٨ - الأنفال/١١
بعث الله فينا رسولاً نعرف صدقه ونسبه ...	جعفر بن أبي طالب	١٠ - يونس/١٦
بعث رسول الله ﷺ أبا بكر أميرًا على الموسن ...	محمد بن كعب القرظي وغيره	٩ - التوبة/١

بعث رسول الله ﷺ بعثًا فاستقرأهم ...	أبو هريرة	٢ - البقرة/المقدمة
بعث رسول الله ﷺ بعثًا قبل الساحل ...	جابر بن عبد الله	٥ - المائدة/٩٦
بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى بني خزيمة ...	عبد الله بن عمر	٤ - النساء/٩٢
بعث رسول الله ﷺ خيلاً فأشهرت شهرًا	ابن عباس	١٠٠ - العاديات/٥
بعث رسول الله ﷺ دحية بن خليفة إلى قيصر ...	محمد بن كعب القرظي	١٧ - الإسراء/١
بعث رسول الله ﷺ رجلاً في صدقات بني المصطلق ...	أم سلمة	٤٩ - الحجرات/٦
بعث رسول الله ﷺ سرية عليها خالد بن الوليد ...	...	٤ - النساء/٥٩
بعث رسول الله ﷺ سرية فأغارت على قوم ...	عقبة بن مالك الليثي	٤ - النساء/٩٣
بعث رسول الله ﷺ سرية فيها المقداد بن الأسود ...	ابن عباس	٤ - النساء/٩٤
بعث رسول الله ﷺ سرية كنت فيها	جابر	٢ - البقر/١١٥
بعث رسول الله ﷺ سرية واستعمل عليهم رجلاً من الأنصار ...	...	٤ - النساء/٥٩
بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن حذافة فنادى ...	الزهري	٢ - البقرة/٢٠٣
بعث رسول الله ﷺ محلم بن جثامة مبعثًا	ابن عمر	٤ - النساء/٩٤
بعث النبي ﷺ إلى سودة بنت زمعة بطلاقها	القاسم بن أبي برة	٤ - النساء/١٢٨
بعث النبي ﷺ بأربعة أسياف ...	علي بن أبي طالب	٩ - التوبة/٥
بعثت إلى الأحمر والأسود	...	المقدمة
بعثت إلى الأحمر والأسود	...	٣ - آل عمران/٢٠
بعثت إلى الأحمر والأسود	...	٢٥ - الفرقان/٥١
بعثت إلى الأحمر والأسود	...	٢٨ - القصص/٥٩
بعثت إلى الأسود والأحمر.	...	٣٤ - سبأ/٢٨
بعثت إلى النبي ﷺ بقدح لبن	أم عبد الله بنت شداد بن أوس	٢٣ - المؤمنون/٥١
بعثت أنا ورجل آخر إلى هرقل صاحب الروم ...	أبو أمامة الباهلي عن هشام ابن العاص الأموي	٧ - الأعراف/١٥٧
بعثت أنا والساعة جميعًا	بريدة	٣٤ - سبأ/٤٦
بعثت أنا والساعة كهاتين ...	أنس وسهل بن سعد	٧ - الأعراف/١٨٧

بعثت أنا والساعة كهاتين ...	سهل بن سعد	٤٧ - محمد/١٨
بعثت أنا والساعة كهذه ...	وهب السوائي	٥٤ - القمر/١
بعثت أنا والساعة هكذا	سهل بن سعد	٥٤ - القمر/١
بعثت بأربع : لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ...	علي	٩ - التوبة/٣
بعثت بالحنيفية السمحة.	...	٢ - البقرة/١٨٥
بعثت بالحنيفية السمحة	...	٧ - الأعراف/١٥٧
بعثت يالحنيفية السمحة	...	٩ - التوبة/١٢٨
بعثت بالسيف بين يدي الساعة ...	ابن عمر	٥٧ - الحديد/٢٥
بعثت بين يدي الساعة بالسيف ...	ابن عمر	٢ - البقرة/١٠٤
بعثت على أثر ثمانية آلاف نبي ...	أنس بن مالك	٤ - النساء/١٦٤
بعثت قريش إلى رسول الله ﷺ في فداء أسراهم ...	عن الزهري عن جماعة	٨ - الأنفال/٧٠
بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة		
... إلى أحبار يهود ...	ابن عباس	١٨ - الكهف/٥
بعثت من خير قرون بني آدم ...	أبو هريرة	٦ - الأنعام/١٢٤
بعثنا رسول الله ﷺ إلى إضم ...	القعقاع بن عبد الله	
	ابن أبي حدرد	٤ - النساء/٩٤
بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي ...	عبد الله بن مسعود	٦١ - الصف/٦
بعثنا رسول الله ﷺ في سرية وأمرنا	إبراهيم بن الحارث	٢٣ - المؤمنون/١١٥
بعثني أبو بكر رضي الله عنه في تلك الحجة ...	أبو هريرة	٩ - التوبة/٣
بعثني أبو بكر فيمن يؤذن يوم النحر ...	أبو هريرة	٩ - التوبة/٣
بعثني رسول الله ﷺ إلى قومي		
أدعوهم إلى الله ورسوله ...	أبو أمامة صدي بن عجلان	٥ - المائدة/٣
بعثني بنو مُرَّة في صدقات أموالهم إلى رسول الله ﷺ ...	عكراش بن ذؤيب	٥٦ - الواقعة/٢١
بعثني رسول الله ﷺ إلى نجران	المغيرة بن شعبة	١٩ - مريم/٢٨
بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن	معاذ بن جبل	٣ - آل عمران/١٦١
بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد ...	علي	٦٠ - الممتحنة/١
بعثني رسول الله ﷺ حين أنزلت براءة بأربع ...	علي	٩ - التوبة/٣

بعثني رسول اللّه ﷺ ساعيًا	أبو مسعود الأنصاري	٣ – آل عمران/١٦١
بعثني رسول اللّه ﷺ وأبا مرثد والزبير ...	علي	٦٠ – الممتحنة/١
البقرة سنام القرآن وذروته ...	معقل بن يسار	٢ – البقرة/المقدمة
البقرة سنام القرآن وذورته ...	معقل بن يسار	٣٦ – يس/فضائلها
البكران يجلدان وينفيان	أبي بن كعب	٤ – النساء/١٥
البكران يجلدان وينفيان	ابن عباس	٤ – النساء/١٥
بكّروا بالصلاة في يوم الغيم ...	بريدة بن الحصيب	٢ – البقرة/٢٣٨
بكل شيء بصير.	عقبة بن عامر	٢ – البقرة/١١٠
بل أمر قد فرغ منه ...	أبو الدرداء	٩٢ – الليل/١٠
بل أنا أقتله إن شاء اللّه ...	عروة بن الزبير	٣ – آل عمران/١٥٣
بل أنتم خالدون مخلدون لا يخلفكم فيها أحد.	عكرمة	٢ – البقرة/٨٠
بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ...	أبو ثعلبة الخشني	٥ – المائدة/١٠٥
بل باب التوبة والرحمة	ابن عباس	١٧ – الإسراء/٥٩
بل تفتح لهم باب التوبة والرحمة.	...	١٣ – الرعد/٢٨
بل دخله رسول اللّه ﷺ ليلتئذ وصلى فيه ...	زر بن حبيش	١٧ – الإسراء/١
بل رجل ولد له عشرة ...	...	٣٤ – سبأ/١٥
بل شيء قد قضي عليهم ...	...	٩١ – الشمس/٨
بل على أمر قد فرغ منه ...	أبو بكر الصديق	٩٣ – الليل/١٠
بل فيما جفت به الأقلام ...	بشير بن كعب العدوي	٩٢ – الليل/١٠
بل لأبد الأبد	سراقة بن مالك	٣ – آل عمران/٩٧
بل نترفق به ونحسن صحبته ...	عبد اللّه بن عبد اللّه	٦٣ – المنافقون/٨
بل هو رجل ولد له عشرة ...	ابن عباس	٣٤ – سبأ/١٥
بل هي في رمضان	أبو ذر	٩٧ – القدر/٥
البلاد بلاد اللّه ، والعباد عباد اللّه ...	الزبير بن العوام	٢٩ – العنكبوت/٥٦
بلغ أكثم بن صفي مخرج النبي ﷺ فأراد أن يأتيه ...	عبد الملك بن عمير	١٦ – النحل/٩٠
بلغ الحارث رجلاً كان بالشام من قريش ...	محمد بن سيرين	٢ – البقرة/٢٧٣
بلغنا أنهم قالوا يا رسول اللّه لم خلقت الأهلة ...	أبو العالية	٢ – البقرة/١٨٩

بلغني أن اللّه تعالى يعطي العبد المؤمن ...	أبو هريرة	٤ - النساء/٤٠
بلغني أن رسول اللّه ﷺ تلا هذه الآية : ﴿ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم﴾ ...	عبد العزيز بن أبي داود	٦٦ - التحريم/٦
بلغني أن رسول اللّه ﷺ لما قفل من غزوة العسرة ...	الحسن	٢٢ - الحج/١
بلغني شيء كان بين أمهات المؤمنين وبين النبي ﷺ ...	عمر بن الخطاب	٦٦ - التحريم/٥
بلغه ﷺ بعض ما يقول الناس ...	العباس	٦ - الأنعام/١٢٤
بلغوا عن اللّه فمن بلغته آية من كتاب اللّه ...	قتادة	٦ - الأنعام/١٩
بلِّغوا عني ولو آية ...	...	المقدمة
بلى أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا	...	٤٨ - الفتح/٢٧
بلى أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا	عمر بن الخطاب	٩٨ - البينة/فضائلها
بلى إنهم أحلوا لهم الحرام ...	عدي بن حاتم	٣ - آل عمران/٨٠
بلى إنهم أحلوا لهم الحرام ...	عدي بن حاتم	٦ - الأنعام/١٢١
بلى إنهم حرّموا عليهم الحلال ، وأحلوا لهم الحرام ...	عدي بن حاتم	٩ - التوبة/٣١
بلى ، شيء وجدته في كتاب اللّه ...	ابن مسعود	٥٩ - الحشر/٧
بلى فانكحيه ، قالت يا رسول اللّه ...	ابن عباس	٣٣ - الأحزاب/٣٦
بلى ، فقالوا جاءك بهذا جبريل من عند اللّه؟ ...	جابر بن عبد اللّه بن رباب	٢ - البقرة/١
بلى قال أفلا نتخذه مصلى ...	عمر بن الخطاب	٢ - البقرة/١٢٥
بل ، قال : ففيما نعطي الدنية في ديننا	...	٤٨ - الفتح/٢٦
بلى ، واللّه إني لأستغفر لأبي كما استغفر إبراهيم لأبيه ...	قتادة	٩ - التوبة/١١٤
بم تحكم ؟ قال بكتاب اللّه ...	معاذ	٤٩ - الحجرات/١
بم كان رسول اللّه ﷺ يقرأ في الجمعة مع سورة الجمعة؟ ...	...	٨٨ - الغاشية/فضائلها
بماذا قرأت في أذنه ؟ فأخبره ...	عبد اللّه بن مسعود	٢٣ - المؤمنون/١١٥
بنعم اللّه	أبي بن كعب	١٤ - إبراهيم/٥
بنو إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء هنّ من العتاق ...	ابن مسعود	٢١ - الأنبياء/المقدمة

بنى النبي ﷺ بزينب بنت جحش ...	أنس بن مالك	٣٣ - الأحزاب/٥٣
بني الإسلام على خمس ...	ابن عمر	٢ - البقرة/٣
بها ختمت ﴿فتبارك الله﴾ ...	زيد بن ثابت	٢٣ - المؤمنون/١٤
بئس مطية الرجل زعموا	...	٤ - النساء/٨٣
بئس مطية الرجل : زعموا	...	١٧ - الإسراء/٣٦
بئسما قلت ، أما كنت تقرأ هذه الآية؟ ...	أبو هريرة	٢٥ - الفرقان/٧١
بئسما قلت يا ابن أخي ، إنها لو كانت على ما أولتها	عائشة	٢ - البقرة/١٥٨
بئسما قلت يا ابن أخي ، إنها لو كانت على ما أولتها	عائشة	٢ - البقرة/١٥٨
البيع عن تراض ...	ميمون بن مهران	٤ - النساء/٢٩
البيّعان بالخيار ما لم يتفرقا.	...	٤ - النساء/٢٩
البيّعان بالخيار ما لم يتفرّقا.	ابن عمر	٥ - المائدة/١
بين العبد وبين الشرك ترك الصلاة	...	٤ - النساء/٣١
بين كل أذانين صلاة ...	عبد الله بن المغفل	٤١ - فصلت/٣٣
بينا أبو بكر وعمر جالسان إذ جاءهم النبي ﷺ ...	أبو هريرة	١٠٢ - التكاثر/٨
بينا أنا أقود برسول الله ﷺ في نقب ...	عقبة بن عامر	المعوّذتان
بينا أنا أمشي مع النبيّ ﷺ في حرث وهو متوكيء ...	ابن مسعود	١٧ - الإسراء/٨٥
بينا أنا رديف النبي ﷺ على حمار ...	معاذ بن جبل	٢٤ - النور/٥٥
بينا أنا عند عائشة إذ دخلت علينا امرأة ...	أم رومان	٢٤ - النور/١١
بينا أنا قاعد إذ جاء جبريل عليه السلام ...	أنس بن مالك	٥٣ - النجم/٧
بينا أنا نائم إذ جاء جبريل عليه السلام ...	أنس	١٧ - الإسراء/١
بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ ...	جابر بن عبد الله	٣٦ - يس/٥٨
بينا رجل من المسلمين يشتد في أثر رجل ...	ابن عباس	٨ - الأنفال/٩
بينا رسول الله ﷺ بين أصحابه ...	حكيم بن حزام	٩ - التوبة/١١٦
بينا رسول الله ﷺ بين أصحابه ...	حكيم بن حزام	٢١ - الأنبياء/٢٠
بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا في المسجد إذ أغفى إغفاءة ...	أنس بن مالك	١٠٨ - التكاثر/١
بينا رسول الله ﷺ جالس إذ أقبل ثلاثة نفر ...	...	٥٨ - المجادلة/١١

بينا رسول اللّٰه ﷺ جالس إذ رأيناه ضحك ...	أنس	٨ - الأنفال/١
بينا رسول اللّٰه ﷺ وعنده جبرائيل ...	ابن عباس	١ - الفاتحة/المقدمة
بينا رسول اللّٰه ﷺ وعنده جبريل إذ سمع نقيضًا فوقه ...	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٨٥
بينا رسول اللّٰه ﷺ يصلي بفناء الكعبة ...	عبد اللّٰه بن عمرو	٤٠ - غافر/٢٨
بينا رسول اللّٰه ﷺ يصلي العشاء ...	أبو هريرة	٤ - النساء/٩٩
بينا رسول اللّٰه ﷺ يناجي ...	ابن عباس	٨٠ - عبس/١
بينا موسى في ملإ من بني إسرائيل إذ جاءه رجل ...	أبي بن كعب	١٨ - الكهف/٦٥
بينا الناس يصلون الصبح في مسجد قباء ...	ابن عمر	٢ - البقرة/١٤٣
بينا الناس يصلون الصبح في مسجد قباء ...	أنس	٢ - البقرة/١٤٣
بينا نحن عند رسول اللّٰه ﷺ إذا انتطحت عنزان	أبو ذر	٦ - الأنعام/٣٨
بينا نحن عند عائشة قالت : فذكرن نساء قريش ...	صفية بنت شيبة	٢٤ - النور/٣١
بينا نحن في صلاة الظهر إذ ...	جابر	٥٦ - الواقعة/٣٣
بينما امرأتان معهما ابنان لهما إذ جاء الذئب ...	أبو هريرة	٢١ - الأنبياء/٧٩
بينما أنا أدير الكأس ...	أنس بن مالك	٥ - المائدة/٩١
بينما أنا أسير في الجنة إذ عرض لي نهر ...	أنس بن مالك	١٠٨ - الكوثر/١
بينما أنا جالس عند رسول اللّٰه ﷺ إذ جاءه رجل من الأنصار ...	مالك بن ربيعة الساعدي	١٧ - الإسراء/٢٤
بينما أنا في الحجر مضطجعًا	مالك بن صعصعة	١٧ - الإسراء/١
بينما أنا في الحطيم مضطجعًا	مالك بن صعصعة	١٧ - الإسراء/١
بينما أنا نائم أطوف بالكعبة ...	ابن عمر	٤ - النساء/١٥٩
بينما أيوب يغتسل عريانًا خر عليه جراد ...	أبو هريرة	٣٨ - ص/٤٤
بينما رجل ممن كان قبلكم خرج في بردين ...	أبو سعيد	٢٨ - القصص/٨١
بينما رجل ممن كان قبلكم خرج في بردين ...	أنس بن مالك	٢٨ - القصص/٨١
بينما رجل وامرأة له في السلف الخالي لا يقدران على شيء ...	أبو هريرة	٦٥ - الطلاق/٧
بينما رجل يجر إزاره إذ خسف به ...	عبد اللّٰه بن عمر	٢٨ - القصص/٨١
بينما رجل يجر إزاره إذ خسف به ...	أبو هريرة	٢٨ - القصص/٨١

بينما رجل يمشي فيما كان قبلكم		
وعليه بردان يتبختر فيهما	...	١٧ - الإسراء/٣٧
بينما رسول الله ﷺ بفناء بيته جالس ،		
إذ مرَّ بن عثمان بن مظعون ...	ابن عباس	١٦ - النحل/٩٠
بينما رسول الله ﷺ في بيتي يومًا	أم سلمة	٣٣ - الأحزاب/٣٣
بينما رسول الله ﷺ في المدينة ...	ابن عباس	١١٠ - النصر/١
بينما رسول الله ﷺ مع أصحابه ...	حكيم بن حزام	٧٤ - المدثر/٣١
بينما رسول الله ﷺ مع أصحابه في يوم دجن ...	إبراهيم التيمي عن أبيه	٢٦ - الشعراء/١٩٥
بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه		
جالس إذ مر به رجل جميل ...	عبد الله بن عمر	٤٦ - الأحقاف/٢٩
بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخطب الناس ...	البراء	٤٦ - الأحقاف/٢٩
بينما الناس بقباء في صلاة الصبح ...	ابن عمر	٢ - البقرة/١٤٣
بينما نبي الله ﷺ جالس وأصحابه ...	أبو هريرة	٥٧ - الحديد/٣
بينما النبي ﷺ جالس قال رجل : يا رسول الله ...	عبد الله بن شداد	٩ - التوبة/١١٤
بينما النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة فقدمت عير ...	جابر بن عبد الله	٦٢ - الجمعة/١١
بينما نحن بمكة قام رسول الله ﷺ من الليل فنادى ...	أم الفضل	
	أم عبد الله بن عباس	٣ - آل عمران/١٠
بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ		
إذ رمى بنجم فاستنار ...	العباس	٧٢ - الجن/١٠
بينما نحن في صلاة الظهر إذ تقدم رسول الله ﷺ ...	جابر	١٣ - الرعد/٣٥
بينما نحن في الصلاة نحو بيت المقدس ...	عمارة بن أوس	٢ - البقرة/١٤٤
بينما نحن قائلون إذ نادى منادي رسول الله ﷺ ...	سلمة	٤٨ - الفتح/١٨
بينما نحن قعود على شراب لنا ونحن على رملة ...	أبو بريدة عن أبيه	٥ - المائدة/٩١
بينما نحن مع رسول الله ﷺ في غار بمنى ...	عبد الله بن مسعود	٧٧ - المرسلات/سببها
بينما نحن مع رسول الله ﷺ في قتال		
إذ أقيمت الصلاة ...	جابر بن عبد الله	٤ - النساء/١٠٢
بينما نحن نسير مع رسول الله ﷺ بالعرج ...	أبو سعيد	٢٦ - الشعراء/٢٢٤

بينما نحن نصلي مع النبي ﷺ إذ سمع جلبة ...	أبو قتادة	٦٢ - الجمعة/٩
بينما نحن نطوف بالبيت مع عبد الله بن عمر ...	صفوان بن محرز	٢ - البقرة/٢٨٤
بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة ...	أسيد بن حضير	٢ - البقرة/المقدمة
البيّنة أو حد في ظهرك ...	ابن عباس	٢٤ - النور/٦

حرف التاء

التاجر الصدوق الأمين مع النبيين	أبو سعيد	٤ - النساء/٦٩
تبًا للذهب ، تبًا للفضة ، يقولها ثلاثًا	علي	٩ - التوبة/٣٥
تبًا للذهب والفضة ...	عبد الله بن أبي الهذيل	
	عن صاحب له	٩ - التوبة/٣٥
تبارك الذي أوعى سمعه كل شيء ...	عائشة	٥٨ - المجادلة/١
تبايعوني على أن لا تشركوا	عبادة بن الصامت	٦٠ - الممتحنة/١٢
تبعث كل نفس على ما كانت عليه	جابر	٧ - الأعراف/٣٠
تبكي السماء من عبد أصحّ الله جسمه	زيد بن أسلم	٦٨ - القلم/١٣
تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء.	أبو هريرة	٥ - المائدة/٦
تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء.	...	٢٢ - الحج/٢٣
تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء.	أبو هريرة	٣٥ - فاطر/٣٢
التثبت من الله ، والعجلة من الشيطا.ن	قتادة	٤٩ - الحجرات/٦
تجيء الأعمال يوم القيامة ...	أبو هريرة	٣ - آل عمران/٨٥
تحاجت الجنة والنار	...	٢ - البقرة/٢٤
تحاجت الجنة والنار.	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/١٥
تحاجت الجنة والنار ، فقالت النار ...	أبو هريرة	٥٠ - ق/٣٠
تحب أن تأخذ صاحبك هذا ؟ قال : نعم ...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٥٥
تحب ذلك ؟ قال نعم ...	عمر بن الخطاب	٩ - التوبة/١١٧
تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان	عائشة	٩٧ - القدر/٥
تحروها لإحدى عشرة يقين ...	ابن مسعود	٨ - الأنفال/٤١
تحشرون حفاة عراة ...	ابن عباس	٨٠ - عبس/٣٧
تحفظوا من الأرض فإنها أمكم ...	ربيعة الحدسي	٩٩ - الزلزلة/٤

تحقرون صلاتكم مع صلاتهم ...	أبو سعيد	٥٧ - الحديد/١٠
تحملت حمالة فأتيت رسول الله ﷺ أسأله فيها	قبيصة بن مخارق	٩ - التوبة/٦٠
التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله ...	...	٢٤ - النور/٦١
تخرج دابة الأرض ومعها عصا موسى ...	أبو هريرة	٢٧ - النمل/٨٢
تخرج الدابة من هذا الموضع ...	بريدة	٢٧ - النمل/٨٢
تخرج الزكاة من مالك ...	أنس	١٧ - الإسراء/٢٧
تخلف عنا رسول الله ﷺ في سفرة سافرناها	عبد الله بن عمرو	٥ - المائدة/٦
تخلف النبي ﷺ فتخلفت معه ...	المغيرة بن شعبة	٥ - المائدة/٦
تدنوا الشمس من الأرض ...	عقبة بن عامر	٨٣ - المطففين/٦
تدنو الشمس يوم القيامة ...	أبو أمامة	٨٣ - المطففين/٦
تذاكر الرجال أكثر في الجنة ...	محمد بن سيرين	٥٥ - الرحمن/٥٨
تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعد إبراهيم عليه السلام ...	ابن عباس	٢٠ - طه/٤٠
تذاكرنا أيكم يأتي رسول الله ﷺ فيسأله ...	عبد الله بن سلام	٦١ - الصف/فضائلها
تردين عليه حديقته ؟ قالت : نعم ...	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٢٩
تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا	أبو ذر	٩ - التوبة/١٢٨
تركنا محمد ﷺ في أدناه ...	ابن مسعود	٦ - الأنعام/١٥٣
تزوج رسول الله ﷺ أميمة بنت شرحبيل ...	سهل بن سعد وأبو أسيد	٢ - البقرة/٢٣٦
تزوجوا الودود الولود ...	...	٣ - آل عمران/١٤
تزوجوا الولود تناسلوا ، فإني مباهٍ ...	...	٢٤ - النور/٣٢
تزود ما تكف به وجهك عن الناس ...	مقاتل بن حيان	٢ - البقرة/١٩٧
تسألني عن رجل كان من أحب الناس ...	عائشة	٣٣ - الأحزاب/٣٣
تسألوني عن الساعة وإنما علمها عند الله ...	جابر بن عبد الله	٧ - الأعراف/١٨٧
تسألوني عن الساعة وإنما علمها عند الله ...	ابن عمر	٧ - الأعراف/١٨٧
تسحرنا مع رسول الله ﷺ ثم قمنا	زيد بن ثابت	٢ - البقرة/١٨٧
تسحرنا مع رسول الله ﷺ وكان النهار ...	حذيفة	٢ - البقرة/١٨٧

تسحروا فإن في السحور بركة ...	أنس	٢ - البقرة/١٨٧
التسريح بإحسان.	أبو رزين	٢ - البقرة/٢٢٩
التسريح بإحسان الثالثة	أبو رزين الأسدي	٢ - البقرة/٢٢٩
التسريح بإحسان الثالثة.	أنس بن مالك	٢ - البقرة/٢٢٩
تشاورت قريش ليلة بمكة فقال بعضهم ...	ابن عباس	٨ - الأنفال/٣٠
تشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ؟ ...	أنس عن رجل	١١ - هود/١١٤
تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار ...	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/٧٨
تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار ...	ابن مسعود	١٧ - الإسراء/٧٨
تصدق رجل من ديناره ...	جرير	٥٩ - الحشر/١٨
تصدق رجل من ديناره ، من درهمه ...	جرير بن عبد الله البجلي	٤ - النساء/١
تصدق رجل من ديناره ، من درهمه ...	ابن مسعود	٤ - النساء/١
تصدقوا عليه ...	أبو سعيد	٩ - التوبة/٦٠
تصدقوا فإني أريد أن أبعث بعثًا	أبو هريرة	٩ - التوبة/٧٩
تصدقوا فإني أريد أن أبعث بعثًا	أبو سلمة	٩ - التوبة/٧٩
تطلع عليكم عند الساعة سحابة سوداء من المغرب ...	عقبة بن عامر	١٦ - النحل/١
تطول تلك الليلة حتى تكون قدر ليلتين ...	حذيفة بن اليمان	٦ - الأنعام/١٥٨
تعاهدنا ، فأتاه الأعرابي ، فقال له رسول الله ﷺ ...	أبو موسى	٢٦ - الشعراء/٥٢
تعجلوا إلى الحج ...	ابن عباس	٣ - آل عمران/٩٧
تعدون أنتم الفتح فتح مكة ...	البراء	٤٨ - الفتح/١
تعرّف إلى الله في الرخاء ...	ابن عباس	٣٧ - الصافات/١٤٣
تعرض أعمال بني آدم ...	أنس	١٨ - الكهف/١١٠
تعرض الفتن على القلوب كالحصير ...	حذيفة	٢ - البقرة/٧
تعس عبد الدينار ...	أبو هريرة	٣ - آل عمران/٢٠٠
تعس عبد الدينار ...	...	٤٧ - محمد/٨
تعلموا سورة البقرة ...	بريدة	٢ - البقرة/المقدمة
تعلموا الفرائض وعلموه الناس ...	أبو هريرة	٤ - النساء/١١
تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ...	أبو هريرة	٤٩ - الحجرات/١٣

تعوذ يا أبا ذر من شياطين الإنس والجن ...	...	٦ - الأنعام/١١٢
تعوّذي بالله من شرّ هذا	عائشة	١١٣ - الفلق/٣
تعوّذي بالله من شرّ هذا الغاسق إذا وقب ...	عائشة	١١٣ - الفلق/٣
تغدينا مع رسول الله ﷺ ومعنا أبو عبيدة ...	أبو جمعة	٢ - البقرة/٣
تفاءل بما تهوي يكن فلقلما	عائشة	٣٦ - يس/٦٩
تفاخروا الرجال أكثر في الجنة ...	محمد بن سيرين	٥٥ - الرحمن/٥٨
تفتح يأجوج ومأجوج فيخرجون على الناس ...	أبو سعيد الخدري	٢١ - الأنبياء/٩٦
تفرّقت أمة موسى على إحدى وسبعين ملة ...	أنس بن مالك	٥ - المائدة/٦٦
تفكّروا في خلق الله ولا تتفكّروا فيه ...	...	٦٥ - الطلاق/١٢
تفكروا في الخلق ، ولا تفكروا في الخالق ...	أبو هريرة	٥٣ - النجم/٤٢
تفكروا في مخلوقات الله ...	...	٥٣ - النجم/٤٢
تقاتلوا قومًا نعالهم الشعر ...	أبو هريرة	٤٨ - الفتح/١٦
تقدرون الصلاة ...	...	٤ - النساء/١٥٩
تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان	المغيرة بن الأخنس	٤٤ - الدخان/٣
تقطع يد السارق في ربع دينار فصاعدًا	عائشة	٥ - المائدة/٣٨
تقوم الساعة والرجل يحلب لقحته ...	أبو هريرة	٧ - الأعراف/١٨٧
تقوى الله وحسن الخلق ...	أبو هريرة	٣١ - لقمان/١٩
تقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ...	الزهري	٨ - الأنفال/٧٣
تكثر الصواعق عند اقتراب الساعة ...	أبو سعيد الخدري	١٣ - الرعد/١٣
تكفل الله للمجاهد في سبيله إن توفاه ...	...	٩ - التوبة/٤١
تكلم أربعة وهم صغار	ابن عباس	١٢ - يوسف/٢٦
تلا رجل عند عمر هذه الآية :		
﴿كلما نضجت جلودهم﴾ الآية ...	ابن عمر	٤ - النساء/٥٦
تلا رسول الله ﷺ : ﴿نارًا وقودها الناس والحجارة﴾ ...	أنس	٩ - التوبة/٨١
تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ...	ابن عباس	٢٢ - الحج/١
تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ...	أبو أمامة	٥٣ - ا لنجم/٣٢
تلا رسول الله ﷺ هذه الآية :		

﴿فمن يرد الله أن يهديه ...﴾	عبد الله بن مسعود	٦ - الأنعام/١٢٥
تلا رسول الله ﷺ هذه الآية :		
﴿كل يوم هو في شأن﴾ ...	عبد الله بن منيب	٥٥ - الرحمن/٢٩
تلا رسول الله ﷺ هذه الآية :		
﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب ...﴾	عائشة	٣ - آل عمران/٧
تلا رسول الله ﷺ يومًا : ﴿أفلا يتدبرون﴾ ...	عروة	٤٧ - القتال/٢٤
تلاحى رجلان عند النبي ﷺ ...	أبي بن كعب	١ - الفاتحة/الاستعاذة
تلفحهم لفحة تسيل لحومهم ...	أبو الدرداء	٢٣ - المؤمنون/١٠٣
تلقي الأرض أفلاذ كبدها	أبو هريرة	٩٩ - الزلزلة/٢
تلك صريح الإيمان	عبد الله بن مسعود	٢ - البقرة/٢٨٤
تلك صلاة المنافق ...	أنس بن مالك	٤ - النساء/١٤٢
تلك صلاة المنافقين ...	...	١٠٧ - الماعون/٥
تلك عاجل بشرى المؤمن	أبو ذر	١٠ - يونس/٦٤
تلك غنيمة المسلمين ...	سهل ابن الحنظلية	٣ - آل عمران/٢٠٠
تليت هذه الآية عند النبي ﷺ :		
﴿ياأيها الناس كلوا﴾ ...	ابن عباس	٢ - البقرة/١٦٨
تمارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى ...	أبو سعيد	٩ - التوبة/١٠٨
تمتع رسول الله ﷺ في حجة الوداع ...	ابن عمر	٢ - البقرة/١٩٦
تمنَّ فيتمنى حتى إذا انتهت به الأماني ...	...	١٣ - الرعد/٢٩
تنام عيناه ولا ينام قلبه ...	جابر	٢٠ - طه/٦
تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٢١
تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها	جابر	٢ - البقرة/٢٢١
التوبة من الذنب ...	عبد الله بن مسعود	٦٦ - التحريم/٨
توضأ ثم صلِّ ...	معاذ	٤ - النساء/٤٣
توضأ كما أمرك الله ...	أنس بن مالك	٥ - المائدة/٦
توضأ وضوءًا حسنًا ثم قم فصل ...	معاذ بن جبل	١١ - هود/١١٤
توضع الرحم يوم القيامة لها حجبة ...	عبد الله بن عمرو	٤٧ - القتال/٢٢

توضع الموازين يوم القيامة ...	عبد اللّٰه بن عمرو	٢١ - الأنبياء/٤٧
توفيّ رجل بالمدينة فصلى عليه النبي ﷺ ...	عبد اللّٰه بن عمرو	٣٦ - يس/١٢
توفي رسول اللّٰه ﷺ وأبو بكر وعمر ...	علقمة بن نضلة	٢٢ - الحج/٢٥
التيمم ضربتان	ابن عمر	٤ - النساء/٤٣

حرف الثاء

الثقلان الإنس والجن ...	...	٥٥ - الرحمن/٣١
ثكلته أمّه رجل قتل رجلاً متعمدًا	ابن عباس	٤ - النساء/٩٣
ثكلته أمّه قاتل مؤمن متعمدًا	ابن عباس	٤ - النساء/٩٣
ثلاث إذا خرجن ...	أبو هريرة	٦ - الأنعام/١٥٨
ثلاث أقسم عليهن ...	...	٣ - آل عمران/١٣٤
ثلاث إن كان في شيء شفاءٌ : فشرطة محجم ...	عقبة بن عامر	١٦ - النمل/٦٩
ثلاث جدهن جدٌّ وهزلهن جدّ ...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٣١
ثلاث لا يمنعن الماء والكلأ والنار.	أبو هريرة	٥٦ - الواقعة/٧٣
ثلاث لازمات لأمتي ...	حارثة بن النعمان	٤٩ - الحجرات/١٢
ثلاث لأن يكون النبي ﷺ بينهن لنا	عمر	٤ - النساء/١٧٦
ثلاث من جاء بهن من الإيمان	جابر	١١٢ - الإخلاص/فضائلها
ثلاث من فعلهن فقد أجرم ...	معاذ بن جبل	٣٢ - السجدة/٢٢
ثلاث من فعلهن فقد طعم الإيمان	عبد اللّٰه بن علوية	٥٧ - الحديد/٦
ثلاث من قالهن لاعبًا أو غير لاعب ...	عبادة بن الصامت	٢ - البقرة/٢٣٠
ثلاث من كن فيه كان منافقا خالصا	عبد اللّٰه بن عمرو	٢ - البقرة/٢٠
ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان	...	٨ - الأنفال/٢٨
ثلاث وددت أن رسول اللّٰه ﷺ كان عهد إلينا فيهن ...	عمر بن الخطاب	٤ - النساء/١٧٦
ثلاثمائة وثلاث عشر جم غفير ...	أبو ذر	٤ - النساء/١٦٤
ثلاث حرّم اللّٰه عليهم الجنة ...	عبد اللّٰه بن عمر	٢٤ - النور/٣
ثلاثة حق على اللّٰه عونهم : الغازي في سبيل اللّٰه ...	أبو هريرة	٩ - التوبة/٦٠
ثلاثة حق على اللّٰه عونهم : الناكح ...	أبو هريرة	٢٤ - النور/٣٢
ثلاثة لا ترد دعوتهم ، الإمام العادل ...	أبو هريرة	٢ - البقرة/١٨٦

ثلاثة لا يدخلون الجنة ولا ينظر الله إليهم ...	عبد الله بن عمر	٢٤ - النور/٣
ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ...	أبو هريرة	٢ - البقرة/١٧٤
ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ...	أبو ذر	٣ - آل عمران/٧٧
ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ...	أبو هريرة	٣ - آل عمران/٧٧
ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ...	أبو ذر	٢ - البقرة/٢٦١
ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ...	عبد الله بن عمر	٢ - البقرة/٢٦٣
ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ...	...	٤ - النساء/٣١
ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ...	عبد الله بن عمر	٥ - المائدة/٩١
ثلاثة لا ينفع معهن عملٌ : الشرك بالله ...	ثوبان	٨ - الأنفال/١٦
ثلاثة نفر كان لأحدهم عشرة دنانير فتصدّق منا بدينار ...شريح بن عبيد		
	ابن أبي مالك الأشعري	٦٥ - الطلاق/٧
ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يشنؤهم الله ...	أبو ذر	٣ - آل عمران/٧٧
ثلاثة يدعون الله فلا يستجاب لهم ...	أبو موسى	٢ - البقرة/٢٨٢
ثلاثة يضحك الله إليهم : الرجل يقوم من الليل ...	أبو سعيد الخدري	٦١ - الصف/٢
ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين.	...	٢ - البقرة/٢٨٢
ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين.	أبو موسى	٢ - البقرة/٤
ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين ...	أبو موسى	٣ - آل عمران/١٩٩
ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين ...	أبو موسى الأشعري	٥٧ - الحديد/٢٨
ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : رجل من أهل الكتاب ...	أبو موسى الأشعري	٢٨ - القصص/٥٤
الثلث ، والثلث كثير ...	سعد	٢ - البقرة/١٨٢
الثلث ، والثلث كثير ...	ابن عباس	٢ - البقرة/١٨٢
الثلث ، والثلث كثير ...	...	٤ - النساء/٩
الثلث ، والثلث كثير ...	ابن عباس	٤ - النساء/٩
ثم انطلق بي إلى خلق كثير من خلق الله ...	أبو سعيد الخدري	٤٠ - غافر/٤٦
ثم انطلق بي إلى خلق من خلق الله كثير ...	أبو سعيد الخدري	٤٩ - الحجرات/١٢
ثم أورثنا ا لكتاب الذين اصطفينا	أبو الدرداء	٣٥ - فاطر/٣٢
ثم دعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب ...	محمد بن إسحاق	٤٨ - الفتح/١٠

ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى ...	أنس	٥٣ - النجم/٩
ثم رفع بي إلى البيت المعمور ...	...	٥٢ - الطور/٤
ثمّ عرج بي حتى ظهرت لمستوى ...	ابن عباس	
	وأبو حبّة الأنصاري	١٧ - الإسراء/١
ثم فتر الوحي عني فترة ...	جابر بن عبد اللّه	٧٤ - المدثر/١
ثم يأتي قوم تسبق أيمانهم شهادتهم ...	...	٢ - البقرة/٢٨٢
ثم يأتي قوم يشهدون ولا يستشهدون ...	...	٢ - البقر/٢٨٢
ثم يتجلى لهم الرب جل جلاله فيقول :		
سلوني سلوني ...	أنس	٥ - المائدة/١١٩
ثم يلقى الثالث فيقول : أنا عبدك ...	أبو هريرة	٣٦ - يس/٦٥
الثيب والأبكار اللاتي كن في الدنيا	سلمة بن زيد	٥٦ - الواقعة/٣٥

حرف الجيم

جاء إبليس يوم بدرٍ بجند من الشياطين	ابن عباس	٨ - الأنفال/٤٨
جاء ابن أم مكتوم إلى النبي ﷺ		
وهو يكلم أبيّ بن خلف ...	أنس	٨٠ - عبس/١
جاء ابنا مليكة إلى النبي ﷺ فقالا : إنّ أمنا تكرم ...	ابن مسعود	١٧ - الإسراء/٧٩
جاء أبو سفيان إلى رسول اللّه ﷺ فقال ...	ابن عباس	٢٣ - المؤمنون/٧٦
جاء أبيّ بن خلف لعنه اللّه إلى رسول اللّه ﷺ ...	مجاهد وعكرمة وعروة بن الزبير والسدي	
	وقتادة	٣٦ - يس/٧٧
جاء أعرابي إلى رسول اللّه ﷺ فسأله ...	عتبة بن عبد السلمي	٥٦ - الواقعة/٣٣
جاء أعرابي إلى رسول اللّه ﷺ فقال :		
يا رسول اللّه علمني عملًا	البراء بن عازب	٩٠ - البلد/١٣
جاء أعرابي فأناخ راحلته ثم علقها	جندب بن عبد اللّه البجلي	٧ - الأعراف/١٥٦
جاء أعرابيان إلى رسول اللّه ﷺ فقال أحدهما	عبد اللّه بن بسر	٣٣ - الأحزاب/٤١
جاء الأقرع بن حابس التميمي		
وعيينة بن حصن الفزاري ...	خباب	٦ - الأنعام/٥٢
جاء أناس من اليهود إلى رسول اللّه ﷺ فقالوا	عمر بن الخطاب	٥٥ - الرحمن/٦٨

جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فمرت خديجة ...	ابن عمر	٦٦ - التحريم/٥
جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال : ما تعدون أهل بدر؟ ...	رفاعة بن رافع	٨ - الأنفال/٩
جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال : يا محمد إن الله قد كره ما	علي	٣ - آل عمران/١٦٥
جاء جبريل إلى النبي ﷺ ليستأذن عليه ...	أبو رافع	٥ - المائدة/٤
جاء جبريل إلى النبي ﷺ ومعه ميكائيل ...	أبو هريرة أو غيره	١٧ - الإسراء/١
جاء جبريل إلى النبي ﷺ يوم بدر فقال ...	علي	٨ - الأنفال/٦٧
جاء الحارث بن سويد فأسلم مع النبي ﷺ ...	مجاهد	٣ - آل عمران/٨٩
جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ ...	عبد الله بن مسعود	٣٩ - الزمر/٦٧
﴿جاء الحق وزهق الباطل﴾ ...	جابر	١٧ - الإسراء/٨١
جاء حمزة بن عبد المطلب إلى رسول الله ﷺ ...	عبد الله بن عمرو	٥ - المائدة/٣٢
جاء رجل إلى ابن عباس فقال : إني أجرت نفسي ...	سعيد بن جبير	٢ - البقرة/٢٠٢
جاء رجل إلى ابن عباس وأبو هريرة جالس ...	أبو سلمة	٦٥ - الطلاق/٤
جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن رجل طلق امرأته ...	نافع	٢ - البقرة/٢٣٠
جاء رجل إلى ابن مسعود فقال : قرأت المفصل ...	أبو وائل	٧٣ - المزمل/٤
جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فرمى امرأته ...	ابن عباس	٢٤ - النور/٦
جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فسأله عما سألتني ...	أبو ذر	٢ - البقرة/١٧٧
جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال ...	ابن عباس	٢٤ - النور/٣
جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : أرأيت قوله تعالى ﴿جنة عرضها السماوات والأرض﴾ ...	أبو هريرة	٣ - آل عمران/١٣٣
جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : أريت هذه الأمراض ...	أبو سعيد الخدري	٤ - النساء/١٢٣
جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : إني أحب هذه السورة ﴿قل هو الله أحد﴾	أنس	١١٢ - الإخلاص/فضائلها
جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : من الحاج ...	ابن عمر	٣ - آل عمران/٩٧
جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ...	ابن مسعود	١١ - هود/١١٤
جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال :		

يا رسول اللّه إن لي ذوي رحم ...	عبد اللّه بن عمرو	٤٧ - محمد/٢٢
جاء رجل إلى رسول اللّه ﷺ فقال :		
يا رسول اللّه ما تركت حاجة ...	أنس	٤ - النساء/٤٨
جاء رجل إلى رسول اللّه ﷺ فقال :		
يا رسول اللّه ما الموجبتان؟ ...	جابر	٤ - النساء/٤٨
جاء رجل إلى رسول اللّه ﷺ فقال : يا محمد ...	البراء	٤٩ - الحجرات/٤
جاء رجل إلى عثمان فأثنى عليه في وجهه ...	همام بن الحارث	٥٣ - النجم/٣٢
جاء رجل إلى النبي ﷺ شيخ يدعم ...	عمرو بن عنبسة	٣٩ - الزمر/٥٣
جاء رجل إلى النبي ﷺ فسأله ...	ابن عمر	٢ - البقرة/١٩٨
جاء رجل إلى النبي ﷺ فسأله ...	ابن عمر	٢ - البقرة/١٩٨
جاء رجل إلى النبي ﷺ فسأله عن الكلالة ...	البراء بن عازب	٤ - النساء/١٧٦
جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال ...	ابن عباس	٣٨ - ص/٢٤
جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : إنَّ فلانًا يصلي ...	أبو هريرة	٢٩ - العنكبوت/٤٥
جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : إن لي ابن أخ ...	أبو أيوب الأنصاري	٤ - النساء/٤٨
جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال أيصبغ ربك ...	ابن عباس	٣٥ - فاطر/٢٧
جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : زودني ...	عمر	٥٧ - الحديد/٦
جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال :		
السلام عليك يا رسول اللّه ...	سلمان الفارسي	٤ - النساء/٨٦
جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال له : ما السبيل؟ ...	عبد اللّه بن عمر	٣ - آل عمران/٩٧
جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال :		
يا رسول اللّه أرأيت الرجل منا يذبح ...	أبو هريرة	٦ - الأنعام/١٢١
جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال :		
يا رسول اللّه أرأيت قول اللّه ...	أبو رزين	٢ - البقرة/٢٢٩
جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال :		
يا رسول اللّه إنك لأحب إليّ ...	عائشة	٤ - النساء/٦٩
جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال		
يا رسول اللّه إني لأحدث نفسي بالشيء ...	ابن عباس	١١٤ - الناس/٦

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، ذكر الله الطلاق ...	أنس بن مالك	٢ - البقرة/٢٢٩
جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله شهدت ...	عمرو بن مرة الجهني	٤ - النساء/٦٩
جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا محمد غلب أصحابك اليوم ...	جابر بن عبد الله	٧٤ - المدثر/٣٠
جاء رجل إلى النبي ﷺ فتضمخ بالزعفران	صفوان بن أمية	٢ - البقرة/١٩٦
جاء رجل إلى النبي ﷺ من أهل الكتاب ...	عبد الله بن مسعود	٣٩ - الزمر/٦٧
جاء رجل فقال يا رسول الله إني أذنبت ذنبًا	أنس	٣ - آل عمران/١٣٥
جاء رجل فقال يا رسول الله إني رأيتني الليلة ...	ابن عباس	٢٢ - الحج/١٨
جاء رجل فقال يا رسول الله إني رجل تاجر ...	إبراهيم	٤ - النساء/١٠١
جاء رجل فقال : يا رسول الله دلني على عمل ...	البراء بن عازب	٩ - التوبة/٦٠
جاء رجل فوقف على باب النبي ﷺ ...	هزيل	٢٤ - النور/٢٧
جاء رجل - قال عثمان : سعد - فوقف على باب النبي ﷺ ...	هزيل	٢٤ - النور/٢٧
جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله ﷺ وهو محزون ...	سعيد بن جبير	٤ - النساء/٦٩
جاء رجل من أهل البادية فقال : إنَّ امرأتي ...	مجاهد	٣١ - لقمان/٣٤
جاء رجل من أهل الكتاب فقال : يا أبا القاسم ...	زيد بن أرقم	١٣ - الرعد/٣٥
جاء رجل من الحبشة إلى رسول الله ﷺ ...	ابن عمر	٧٦ - الإنسان/٢٠
جاء رجل من العوالي ورسول الله ﷺ وجبريل عليه السلام يصليان	جابر	٤ - النساء/٣٦
جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب ...	طارق بن شهاب	٥ - المائدة/٣
جاء رجل من اليهود إلى النبي ﷺ قد لطم وجهه ...	أبو سعيد الخدري	٧ - الأعراف/١٤٣
جاء رجلان من الأنصار يختصمان إلى رسول الله ﷺ ...	أم سلمة	٤ - النساء/١٠٥
جاء رسول الله ﷺ ورجل يقرأ	أبو هريرة وأبو سعيد	١٨ - الكهف/٢٨

جاء سعد فوقف على باب النبي ﷺ ...	هزيل	٢٤ - النور/٢٧
جاء شيخ كبير قد سقط حاجباه ...	مكحول	٢٥ - الفرقان/٧١
جاء صبيغ التميمي إلى عمر ا		
ابن الخطاب رضي الله عنه فقال ...	سعيد بن المسيب	٥١ - الذاريات/١
جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ ...	حذيفة	٣ - آل عمران/٦٣
جاء عبادة بن الصامت من بني الحارث		
ابن الخزرج إلى رسول الله ﷺ ...	عطية بن سعد	٥ - المائدة/٥١
جاء عبد الله بن أبيّ بعظم ...	ابن عباس	٣٦ - يس/٧٧
جاء عبد الله بن الزبعري إلى النبي ﷺ ...	ابن عباس	٢١ - الأنبياء/١٠١
جاء عبد الرحمن بن عوف بأربعين أوقية من ذهب ...	ابن عباس	٩ - التوبة/٧٩
جاء عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدي ...	عكرمة	٦ - الأنعام/٥٣
جاء عثمان رضي الله عنه إلى النبي ﷺ بألف دينار ...	عبد الرحمن بن سمرة	٩ - التوبة/١٢١
جاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ...	عبد الله بن ثابت	١٢ - يوسف/٣
جاء عمر إلى النبي ﷺ فقال :		
يا رسول الله إني أمرت بأخ لي ...	عبد الله بن ثابت	٣ - آل عمران/٨٢
جاء عمر بن الخطاب إلى رسول الله ﷺ فقال ...	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٢٣
جاء عمر رضي الله عنه يوم الخندق ...	جابر	٣٨ - ص/٣٢
جاء عويمر إلى عاصم بن عدي فقال له ...	سهل بن سعد	٢٤ - النور/٦
جاء الفتح وجاء نصر الله ...	ابن عباس	١١٠ - النصر/٣
جاء الفتح ونصر الله ...	ابن عباس	١١٠ - النصر/١
جاء فقراء المهاجرين فقالوا : يا رسول الله ...	أبو هريرة	٥٠ - ق/٣٩
جاء قيس بن عاصم إلى رسول الله ﷺ فقال :		
يا رسول الله إني وأدت بنات لي ...	عمر بن الخطاب	٨١ - التكوير/٩
جاء مشركو قريش إلى النبي ﷺ يخاصمونه ...	أبو هريرة	٥٤ - القمر/٤٩
جاء ناس من أصحاب رسول الله ﷺ فسألوه فقالوا	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٨٤
جاء يهودي فقال : يا محمد أخبرني عن ربك ...	مجاهد	١٣ - الرعد/١٣
جاء يهودي فقال يا محمد أخبرني عن ربك ...	مجاهد	٢٢ - الحج/١

جاءت امرأة إلى ابن مسعود فقالت بلغني أنك ...	مسروق	٥٩ - الحشر/٧
جاءت امرأة إلى النبي ﷺ تشكو أن زوجها لطمها	الحسن البصري	٤ - النساء/٣٤
جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت ...	أنس	٣٣ - الأحزاب/٥٠
جاءت امرأة إلى النبي ﷺ وبها طيف ...	أبو هريرة	٧ - الأعراف/٢٠١
جاءت امرأة سعد بن الربيع إلى رسول الله ﷺ ...	جابر	٤ - النساء/١١
جاءت أميمة بنت رقيقة إلى رسول الله ﷺ ...	عبد الله بن عمرو	٦٠ - الممتحنة/١٢
جاءت بنو أسد إلى رسول الله ﷺ فقالوا	ابن عباس	٤٩ - الحجرات/١٣
جاءت خيل رسول الله ﷺ ...	عدي بن حاتم	١ - الفاتحة/٧
جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ...	أبي بن كعب	٣٣ - الأحزاب/٥٦
جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ...	أبي بن كعب	٧٩ - النازعات/٧
جاءت فاطمة بنت عتبة تبايع رسول الله ﷺ ...	عائشة	٦٠ - الممتحنة/١٢
جاءت فاطمة رضي الله عنها إلى رسول الله ﷺ ببرمة لها	أم سلمة	٣٣ - الأحزاب/٣٣
جاءت هند بنت عتبة إلى رسول الله ﷺ لتبايعه ...	عائشة	٦٠ - الممتحنة/١٢
جاءت اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا : نأكل مما قتلنا	ابن عباس	٦ - الأنعام/١٢١
جاءت اليهود برجل وامرأة منهم زنيا	جابر بن عبد الله	٥ - المائدة/٤٢
جاءتني امرأة فقالت هل لي من توبة ...	أبو هريرة	٢٥ - الفرقان/٧١
الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة ...	...	٢ - البقرة/٢٧١
جاورت بحراء فلما قضيت جواري ...	جابر	٧٤ - المدثر/١
جبريل ، قالوا : فإنه عدو لنا	القاسم بن أبي بزة	٢ - البقرة/٩٨
جرح وجه رسول الله ﷺ وكسرت رباعيته ...	سهل بن سعد	٣ - آل عمران/١٥٣
جعل أبو أبي عبيدة بن الجراح ينعت له الآلهة ...	عبد الله بن شوذب	٩ - التوبة/٢٣
جعل الله الأهلة ، فإذا رأيتم الهلال فصوموا	طلق	٢ - البقرة/١٨٩
جعل الله الأهلة مواقيت للناس ...	ابن عمر	٢ - البقرة/١٨٩
جعل الله الرحمة مائة جزء ...	...	٦ - الأنعام/١٦٥
جعل الله موسى هدى لبني إسرائيل ...	قتادة	١٧ - الإسراء/١
جعل رسول الله ﷺ على الرماة يوم أحد ...	البراء بن عازب	٣ - آل عمران/١٥٣

جعل رسول الله ﷺ يتلو عليّ ...	أبو ذر	٦٥ - الطلاق/٣
جعلت الصلوات كفارات لما بينهن ...	أبو مالك الأشعري	١١ - هود/١١٤
جلبت حلوبة إلى المدينة في حياة رسول الله ﷺ ...	رجل من الأعراب	٧ - الأعراف/١٥٧
جلس ابن عباس فقرأ سورة البقرة حتى ...	محمد بن سيرين	٢ - البقرة/١٨٠
جلس رسول الله ﷺ ذات يوم فأخذ عودًا يابسًا	أبو سلمة بن عبد الرحمن	١٩ - مريم/٧٦
جلس رسول الله ﷺ ذات يوم فأخذ عودًا يابسًا	أبو الدرداء	١٩ - مريم/٧٦
جلس رسول الله ﷺ فيما بلغني - يومًا مع الوليد ...	محمد بن إسحاق	٢١ - الأنبياء/٩٨
جلس رسول الله ﷺ مجلسًا فأتاه جبريل ...	ابن عباس	٣١ - لقمان/٣٤
جلس عثمان يومًا وجلسنا معه ...	الحارث مولى عثمان	١١ - هود/١١٤
جلس عثمان يومًا وجلسنا معه فجاءه المؤذن ...	الحارث مولى عثمان	١٨ - الكهف/٤٦
جلس ناس من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه ...	ابن عباس	٤ - النساء/١٢٥
جلست إلى كعب الأحبار وأنا غلام ...	عبد الله بن الحارث بن نوفل	٢١ - الأنبياء/٢٠
جلسنا إلى رسول الله ﷺ فذكّرنا ورققنا	أبو أمامة	١٢ - يوسف/١٠١
جلسنا إلى المقداد بن الأسود يومًا	جبير بن نفير	٢٥ - الفرقان/٧٤
جمع رسول الله ﷺ - أو دعا رسول الله ﷺ ...	علي	٢٦ - الشعراء/٢١٤
جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلب ...	علي	٢٦ - الشعراء/٢١٤
جمع رسول الله ﷺ قريشًا فقال : هل فيكم من غيركم؟ ...	رفاعة	٨ - الأنفال/٣٥
الجمعة كفارة لما بينها	أبو مالك الأشعري	٦ - الأنعام/١٦٠
الجن على ثلاثة أصناف ...	أبو ثعلبة الخشني	٣٤ - سبأ/١٢
جنّبوا المساجد صبيانكم ومجانينكم ...	واثلة بن الأسقع	٢٤ - النور/٣٦
جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما	أبو موسى الأشعري	٩ - التوبة/٧٢
جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما	أبو موسى	٧٥ - القيامة/٢٣
جنتان من ذهب للمقربين ...	أبو موسى	٥٥ - الرحمن/٤٦
جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما	عبد الله بن قيس	٥٥ - الرحمن/٤٦
الجنف في الوصية من الكبائر	ابن عباس	٢ - البقرة/١٨٢
الجنة ...	عدي بن عميرة الكندي	٣ - آل عمران/٧٧

الجنة للّه يدخلها من يشاء ...	عبد اللّه بن سلام	٢ - البقرة/٢٥٦
الجنّة مائة درجة ...	عبادة بن الصامت	٢٠ - طه/٧٥
جهد من مقل وسر إلى فقير ...	أبو ذر	٤ - النساء/١٦٤
جئت رسول اللّه ﷺ نبايعه في نسوة من الأنصار ...	سلمى بنت قيس	٦٠ - الممتحنة/١٢
جئن النساء إلى رسول اللّه ﷺ فقلن يا رسول اللّه ذهب ...	أنس	٣٣ - الأحزاب/٣٣
الجيران ثلاثة ...	جابر	٤ - النساء/٣٦
جئناك نسألك عن أول هذا الأمر؟ ...	عمران بن حصين	١١ - هود/٧
جيئوني بقوس غيرها	عبد الرحمن بن جبير	٨ - الأنفال/١٧

حرف الحاء

حاجّ موسى آدم فقال ...	أبو هريرة	٢٠ - طه/١٢٢
حاربت النضير وقريظة فأجلى بني النضير ...	ابن عمر	٥٩ - الحشر/٥
حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا	عمر بن الخطاب	٦٩ - الحاقة/١٧
﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾ ...	سمرة	٢ - البقرة/٢٣٨
حال اللّه بينك وبين ما تريد ...	جابر بن عبد اللّه	٥ - المائدة/٦٧
حالاً بعد حال	ابن عباس	٨٤ - الانشقاق/١٩
حالف رسول اللّه ﷺ بين المهاجرين والأنصار ...	أنس	١٦ - النحل/٩٢
حاله المسك ورضراضه اللؤلؤ ...	ابن مسعود	١٧ - الإسراء/٧٩
حائط الجنة لبنة ذهب ولبنة ...	أبو سعيد	٢٣ - المؤمنون/١
حبّب إلي الطيب والنساء ...	أنس	٢٣ - المؤمنون/٢
حبب إليّ النساء والطيب وجعلت قرّة عيني في الصلاة ...	...	٣ - آل عمران/١٤
حبس الأصل وسبل الثمرة	...	٣ - آل عمران/٩٢
حبستك يا حذيفة	حذيفة بن اليمان	٦ - الأنعام/٦٥
حبسها حابس الفيل ...	...	٤٨ - الفتح/٢
حبّك إياها أدخلك الجنة	أنس	١١٢ - الإخلاص/فضائلها
حبّك الشيء يعمي ويصم	أبو الدرداء	٢ - البقرة/٩٣

حبّك الشيء يعمي ويصم	أبو الدرداء	٧ - الأعراف/١٤٩
حتى تأتي ليلة الجمعة ، وهو قول أخي يعقوب لبنيه	ابن عباس	١٢ - يوسف/٩٨
حتى تذوق العسيلة	ابن عمر	٢ - البقرة/٢٣٠
حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك	...	٢ - البقرة/٢٣٠
﴿حتى يأتي وعد اللّه﴾ قال فتح مكة ...	ابن عباس	١٣ - الرعد/٣١
الحج أشهر معلومات شوال وذو القعدة ...	أبو أمامة	٢ - البقرة/١٩٧
الحج عرفات ...	عبد الرحمن	
	ابن يعمر الديلمي	٢ - البقرة/١٩٧
حججت فدخلت على عائشة فقالت لي :		
يا جبير تقرأ المائدة؟	جبير بن نفير	٥ - المائدة/سببها
حججت مع رسول اللّه ﷺ تلك الحجة ...	أسماء بنت عميس	٥ - المائدة/٣
حجي واشترطي ...	عائشة	٢ - البقرة/١٩٦
حد الساحر ضربة بالسيف	جندب الأزدي	٢ - البقرة/١٠٢
حدثت أن عتبة بن ربيعة - وكان سيدًا - قال يومًا	محمد بن كعب	٤١ - فصلت/٥
حدثتني أم سلمة أن الأنصار كانوا يجبون النساء ...	حفصة بنت عبد الرحمن	٢ - البقرة/٢٢٣
حدثنا رسول اللّه ﷺ حديثين	حذيفة	٣٣ - الأحزاب/٧٢
حدثنا رسول اللّه ﷺ وهو في طائفة من أصحابه ...	أبو هريرة	٦ - الأنعام/٧٣
حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج	...	٧ - الأعراف/١٩٠
حدثوا عني ولا تكذبوا عليَّ ...	...	٢ - البقرة/١٠٢
الحرب خدعة	...	٢ - البقرة / ١٠٢
حرثك ائت حرثك أنى شئت ...	معاوية بن حيدة	٢ - البقرة/٢٢٣
حرس ليلة في سبيل اللّه ...	عثمان	٣ - آل عمران/٢٠٠
حرس ليلة في سبيل اللّه ...	أنس بن مالك	٣ - آل عمران/٢٠٠
حرس ليلة وراء عورة المسلمين ...	أبي بن كعب	٣ - آل عمران/٢٠٠
حرّم رسول اللّه سريته	ابن عباس	٦٦ - التحريم/١
حرمت الخمر	ابن عمر	٥ - المائدة/٩١
حرمت الخمر ثلاث مرات ...	أبو هريرة	٥ - المائدة/٩٠

حرِّموا من الرضاعة ما يحرم من النسب ...	...	٣٣ - الأحزاب/٥
حزنت على من أصيب بالحرة من قومي ...	أنس بن مالك	٩ - التوبة/٧٤
حسب امريء من الشرِّ ...	أنس	٣١ - لقمان/١٩
حسب امريء من الشرِّ ...	جابر	٣١ - لقمان/١٩
حسبك ، فقال ابن مسعود : فالتفت فإذا عيناه تذرفان	...	١٦ - النحل/٨٩
حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران	أنس	٣ - آل عمران/٤٢
حسبي اللّٰه ونعم الوكيل ...	ابن عباس	٢١ - الأنبياء/٦٨
حسن الخلق	أسامة بن شريك	٣١ - لقمان/١٩
الحسن والحسين أصابتهما عين ...	علي	٦٨ - القلم/٥١
الحسنى الجنة	أبي بن كعب	٩٢ - الليل/٦
الحسنى : الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجه اللّٰه عز وجل	أبي بن كعب	١٠ - يونس/٢٦
حضرت رسول اللّٰه ﷺ في ناس ...	جذامة بنت وهب	٨١ - التكوير/٩
حضرت عصابة من اليهود رسول اللّٰه ﷺ فقالوا	ابن عباس	٢ - البقرة/٩٨
حضرت عصابة من اليهود نبي اللّٰه ﷺ ...	ابن عباس	٣ - آل عمران/٩٣
حضرت عصابة من اليهود نبي اللّٰه ﷺ فقال لهم ...	عبد اللّٰه بن عباس	٢ - البقرة/٤٠
حضرت عند مناهضة حصن تستر عند إضاءة الفجر ...	أنس بن مالك	٤ - النساء/١٠٢
حضرنا مجلس معاوية رضي اللّٰه عنه فتذاكر القوم ...	الصنابحي	٣٧ - الصافات/١٠٧
حق اللّٰه على كل مسلم أن يغتسل ...	أبو هريرة	٦٢ - الجمعة/٩
حق له أن يؤمن	أنس بن مالك	٢ - البقرة/٢٨٥
الحقب شهر ...	أبو أمامة	٧٨ - النبأ/٢٣
الحكمة ضالة المؤمن ...	...	٢٤ - النور/٢٦
الحكمة القرآن	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٦٩
الحلال ما أحل اللّٰه في كتابه ...	أبو عثمان النهدي	٢ - البقرة/١٧٣
حلفت باللات والعزى فقال لي أصحابي ...	سعد بن أبي وقاص	٥٣ - النجم/١٩
حلية السيوف من الكنز	أبو أمامة	٩ - التوبة/٣٥
الحمد للّٰه الذي أحيانا بعدما أماتنا	...	٣ - آل عمران/٥٥
الحمد للّٰه الذي أرسلني رحمةً للعالمين ...	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/١

الحمد لله الذي جعل في أمتي	عبد الرحمن بن سهل بن حنيف	
من أمرني أن أصبر نفسي معهم		١٨ - الكهف/٢٨
الحمد لله الذي رزقني من الرياش ...	علي	٧ - الأعراف/٢٦
الحمد لله الذي سقانا عذبًا فراتًا برحمته ...	أبو جعفر	٥٦ - الواقعة/٦٩
الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات ...	عائشة	٥٨ - المجادلة/١
الحمد لله الذي يطعم ولا يطعم ...	أبو هريرة	٦ - الأنعام/١٤
الحمد لله الذي يهدي من الضلالة ...	زيد بن أبي أوفى	٣٥ - فاطر/٨
الحمد لله رب العالمين أم القران	أبو هريرة	١ - الفاتحة/المقدمة
﴿الحمد لله رب العالمين﴾ سبع آيات ...	أبو هريرة	١ - الفاتحة/المقدمة
حمل رجل من المهاجرين بالقسطنطينية		
على صف العدو ...	أسلم أبو عمران	٢ - البقرة/١٩٥
حملت إلى النبي ﷺ والقمل يتناثر على وجهي ...	كعب بن عجرة	٢ - البقرة/١٩٦
حملنا رسول الله ﷺ على إبل من إبل الصدقة ...	أبو لاس الخزاعي	٤٣ - الزخرف/١٤
الحنيفية السمحة	ابن عباس	٦ - الأنعام/١٦٣
حُورٌ بيض عين ضخام العيون ...	أم سلمة	٥٦ - الواقعة/٣٧
حولها ندندن	...	١ - الفاتحة/٥
حويت له الأرض فجعلت مثل الطست ...	زهير بن محمد	٣٢ - السجدة/١١
الحيات مسخ الجن ...	ابن عباس	٥ - المائدة/٦٠
حين أسري بي لقيت موسى عليه السلام ...	أبو هريرة	٤ - النساء/١٥٩
حين أسري بي لقيت موسى عليه السلام ...	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/١
حين نزلت هذه الآية : ﴿إن ربكم الله﴾ ...	سعد بن إسحاق	
	ابن كعب بن عجرة	١٠ - يونس/٣
الحية والعقرب والفويسقة ...	أبو سعيد	٥ - المائدة/٩٥

حرف الخاء

خاصم رجل من كندة يقال له امرؤ القيس بن عامر ...	عدي بن عميرة الكندي	٣ - آل عمران/٧٧
خاصم الزبير رجلاً إلى النبي ﷺ ...	سلمة	٤ - النساء/٦٥
خاصم الزبير رجلاً في شراج الحرة ...	عروة	٤ - النساء/٦٥

خاصمت اليهود رسول اللّه ﷺ فقالوا :		
لن ندخل النار ...	عكرمة	٢ - البقرة/٨٠
خاصمت اليهود النبي ﷺ فقالوا : نأكل ما قتلنا	سعيد بن جبير	٦ - الأنعام/١٢١
خبيث من الخبائث	أبو هريرة	٦ - الأنعام/١٤٥
خدمت رسول اللّه ﷺ عشر سنين ...	أنس	٦٨ - القلم/٤
خذ بعض مالها وفارقها	عائشة	٢ - البقرة/٢٢٩
خذ الدية بارك اللّه لك فيها	جارية بن ظفر الحنفي	٥ - المائدة/٤٥
خذ من شاربك ثم افره ...	أبو نضرة عن أبي عبد اللّه	٤٢ - الشورى/٧
خذوا خذوا قد جعل اللّه لهن سبيلا	عبادة	٤ - النساء/١٥
خذوا الشيطان	أبو سعيد	٢٦ - الشعراء/٢٢٤
خذوا عني خذوا عني ...	عبادة بن الصامت	٢٤ - النور/٢
خذوا عني خذوا عني قد جعل اللّه لهن سبيلا	عبادة بن الصامت	٤ - النساء/١٥
خذوا عني خذوا عني قد جعل اللّه لهن سبيلا	سلمة بن المحبق	٤ - النساء/١٥
خذوا عني خذوا عني قد جعل اللّه لهن سبيلا	عبادة بن الصامت	٤ - النساء/٢٥
خذوا عني قد جعل اللّه لهن سبيلا	عبادة بن الصامت	٤ - النساء/١٥
خذي من ماله بالمعروف ...	هند بنت عتبة	٦٠ - الممتحنة/١٢
خرج إلينا رسول اللّه ﷺ يومًا فنادى ...	بريدة	٣٤ - سبأ/٤٦
خرج رجل من الإنس فلقيه رجل من الجن فقال ...	عبد اللّه بن مسعود	٢ - البقرة/٢٥٥
خرج رجل من بني سهم		
مع تميم الداري وعدي بن بداء ...	ابن عباس	٥ - المائدة/١٠٦
خرج رسول اللّه ﷺ إلى بدر ...	أبو وقّاص الليثي ، عن أبيه ،	
	عن جده	٨ - الأنفال/٥
خرج رسول اللّه ﷺ إلى المربد ...	ابن عمر	٥ - المائدة/٩١
خرج رسول اللّه ﷺ إلى المسجد		
والناس يصلون بين راكع وساجد ...	ابن عباس	٥ - المائدة/٥٥
خرج رسول اللّه ﷺ إلى المسجد		
وهو يقول بيده هكذا	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٨٠

خرج رسول اللّه ﷺ ذات يوم فاتبعته ...	عبد اللّه	٢٥ - الفرقان/٦٨
خرج رسول اللّه ﷺ ذات يوم والناس يتكلمون في القدر ...	عبد اللّه بن عمرو بن العاص	٤ - النساء/٨٢
خرج رسول اللّه ﷺ زمن الحديبية ...	المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم	٤٨ - الفتح/٢٦
خرج رسول اللّه ﷺ عام الحديبية ...	المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم	٤٨ - الفتح/١٠
خرج رسول اللّه ﷺ على أبي بن كعب وهو يصلي ...	أبو هريرة	١ - الفاتحة/المقدمة
خرج رسول اللّه ﷺ على أصحابه فقرا	جابر بن عبد اللّه	٤٦ - الأحقاف/٢٩
خرج رسول اللّه ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم ...	جابر	٥٥ - الرحمن/فضائلها
خرج رسول اللّه ﷺ على قاصّ ...	أبو أمامة	١٨ - الكهف/٢٨
خرج رسول اللّه ﷺ عند الظهيرة ...	ابن عباس عن عمر بن الخطاب	١٠٢ - التكاثر/٨
خرج رسول اللّه ﷺ فاتبعته حتى دخل ...	عبد الرحمن بن عوف	٣٣ - الأحزاب/٥٦
خرج رسول اللّه ﷺ لحاجة فلم يجد أحدًا	عمر بن الخطاب	٣٣ - الأحزاب/٥٦
خرج رسول اللّه ﷺ ليخبرنا بليلة القدر ...	عبادة بن الصامت	٩٧ - القدر/٥
خرج رسول اللّه ﷺ ليلاً فمر بي ...	أبو عسيب	١٠٢ - التكاثر/٨
خرج رسول اللّه ﷺ وهم يذكرون ا لكمأة ...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٥٧
خرج رسول اللّه ﷺ وهو محمار وجهه حتى جلس على المنبر ...	أبو هريرة	٥ - المائدة/١٠١
خرج رسول اللّه ﷺ يريد زيارة البيت ...	المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم	٤٨ - الفتح/٢٦
خرج رسول اللّه ﷺ يعود رجلاً من أصحابه ...	أبو هريرة	١٩ - مريم/٧١
خرج رسول اللّه ﷺ يومًا إلى المقابر ...	عبد اللّه بن مسعود	٩ - التوبة/١١٣
خرج ضمرة بن جندب إلى رسول اللّه ﷺ فمات في الطريق ...	ابن عباس	٤ - النساء/١٠٠
خرج علينا رسول اللّه ﷺ ذات يوم ...	عبد الرحمن بن سمرة	١٤ - إبراهيم/٢٧

خرج علينا رسول الله ﷺ فتلا	زيد بن أبي أوفى	٣٧ - الصافات/٤٥
خرج علينا رسول الله ﷺ فتلا هذه الآية ...	زيد بن أبي أوفى	١٥ - الحجر/٤٧
خرج علينا رسول الله ﷺ فقال ...	زيد بن أبي أوفى	٣٥ - فاطر/٨
خرج علينا رسول الله ﷺ كالمودع فقال ...	عبد الله بن عمرو	٣٣ - الأحزاب/٥٦
خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان	عبد الله بن عمرو	٤٢ - الشورى/٧
خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كمآت فقال ...	أبو سعيد الخدري	٢ - البقرة/٥٧
خرج علينا رسول الله ﷺ		
ونحن في المسجد بعد صلاة العشاء ...	رجل من الأنصار	
	من آل النعمان بن بشير	١٨ - الكهف/٤٦
خرج علينا رسول الله ﷺ يعني حين		
خرج إلى أحد في ألف رجل ...	...	٣ - آل عمران/١٦٧
خرج علينا رسول الله ﷺ يومًا		
فقال : إني رأيت في المنام ...	جابر بن عبد الله	١٠ - يونس/٢٥
خرج علينا رسول الله ﷺ يومًا كالمودع ...	عبد الله بن عمرو	٣٣ - الأحزاب/٤٠
خرج علينا علي رضي الله عنه حين ثوب المثوب ...	أبو عبد الرحمن السلمي	٨١ - التكوير/١٨
خرج عمر بن الخطاب من الليل فسمع امرأة تقول ...	...	٢ - البقرة/٢٢٦
خرج النبي ﷺ ذات غداة وعليه ...	عائشة	٣٣ - الأحزاب/٣٣
خرج النبي ﷺ يومًا مسرورًا فرحًا	الحسن	٩٤ - الشرح/٦
خرج نفر من أصحاب عبد الله يريدون الحج ...	إبراهيم	٤٦ - الأحقاف/٢٩
خرجت أتعرض رسول الله ﷺ قبل أن أسلم ...	عمر بن الخطاب	٦٩ - الحاقة/٤٠
خرجت أشكو العلاء بن الحضرمي		
إلى رسول الله ﷺ ...	الحارث البكري	٧ - الأعراف/٧٢
خرجت أشكو العلاء بن الحضرمي		
إلى رسول الله ﷺ ...	الحارث البكري	٤٦ - الأحقاف/٢٥
خرجت أنا وأبي نطلب العلم في		
هذا الحي من الأنصار ...	...	٢ - البقرة/٢٨٠
خرجت أنا ورسول الله ﷺ ويده في يدي ...	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/١١١

خرجت تاجرًا إلى الشام ...	جبير بن مطعم	٧ - الأعراف/١٥٧
خرجت سودة بعدما ضرب الحجاب ...	عائشة	٣٣ - الأحزاب/٥٣
خرجت في نفر وكنا في بعض طريق حنين ...	أبو محذورة	٥ - المائدة/٥٨
خرجت لأخبركم بليلة القدر ...	عبادة بن الصامت	٩٧ - القدر/٥
خرجت ليلة من الليالي فإذا رسول الله ﷺ يمشي وحده ...	أبو ذر	٤ - النساء/٤٨
خرجت مع أبي من المدينة في حاجة ...	كردم بن أبي السائب الأنصاري	٧٢ - الجن/٦
خرجت مع رسول الله ﷺ إلى حرة بني معاوية ...	حذيفة بن اليمان	٦ - الأنعام/٦٥
خرجت مع رسول الله ﷺ حتى دخل ...	ابن عمر	٢٩ - العنكبوت/٦٠
خرجت مع رسول الله ﷺ يوم حنين ...	شيبة	٩ - التوبة/٢٥
خرجت مع عمي في غزاة فسمعت عبد الله بن أبي ...	زيد بن أرقم	٦٣ - المنافقون/٨
خرجت من أهلي أريد النبي ﷺ ...	...	٤ - النساء/٣٦
خرجت من نكاح ، ولم أخرج من سفاح ...	علي	٩ - التوبة/١٢٨
خرجت يوم الخندق أقفو الناس ...	عائشة	٣٣ - الأحزاب/٢٧
خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى تبوك في قيظ شديد ...	عمر بن الخطاب	٩ - التوبة/١١٧
خرجنا مع رسول الله ﷺ حجاجًا	أسماء بنت أبي بكر	٢ - البقرة/١٩٧
خرجنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية حتى إذا	أبو سعيد الخدري	٥٧ - الحديد/١٠
خرجنا مع رسول الله ﷺ فشهدت معه بدرًا	عبادة بن الصامت	٨ - الأنفال/١
خرجنا مع رسول الله ﷺ فلما برزنا من المدينة ...	جرير بن عبد الله	٦ - الأنعام/٨٢
خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره ...	عائشة	٤ - النساء/٤٣
خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل ...	البراء بن عازب	٧ - الأعراف/٤٠
خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار ...	البراء بن عازب	١٤ - إبراهيم/٢٧
خرجنا مع رسول الله ﷺ في حج أو عمرة ...	أبو هريرة	٧ - الأعراف/١٣٣
خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر ...	زيد بن أرقم	٦٣ - المنافقون/٨
خرجنا مع رسول الله ﷺ في شهر رمضان	أبو الدرداء	٢ - البقرة/١٨٥

خرجنا مع رسول اللّه ﷺ قبل حنين فمررنا بسدرة ...	أبو واقد الليثي	٧ - الأعراف/١٣٩
خرجنا مع رسول اللّه ﷺ قبل حنين فمررنا بسدرة ...	عمرو بن عوف المزني	٧ - الأعراف/١٣٩
خرجنا مع رسول اللّه ﷺ من المدينة إلى مكة ...	أنس	٤ - النساء/١٠١
خزائن اللّه الكلام ...	أبو هريرة	١٥ - الحجر/٢١
خسفت الشمس فصلى رسول اللّه ﷺ ...	ابن عباس	٥٦ - الواقعة/٣٣
خشيت سودة أن يطلقها رسول اللّه ﷺ ...	ابن عباس	٤ - النساء/١٢٨
خصال لا تنبغي في المسجد : لا يتخذ طريقًا	ابن عمر	٢٤ - النور/٣٦
خصلتان لا يجتمعان في مؤمن ...	أبو سعيد	٣١ - لقمان/١٩
خطّ رسول اللّه ﷺ خطًا	عبد اللّه بن مسعود	٦ - الأنعام/١٥٣
خطّ رسول اللّه ﷺ خطًا	جابر	٦ - الأنعام/١٥٣
خط رسول اللّه ﷺ في الأرض أربعة خطوط ...	ابن عباس	٦٦ - التحريم/١٢
خطب رسول اللّه ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط ...	أنس بن مالك	٥ - المائدة/١٠١
خطب رسول اللّه ﷺ زينب بنت جحش لزيد ...	ابن عباس	٣٣ - الأحزاب/٣٦
خطب رسول اللّه ﷺ فحث على جيش العسرة ...	عبد الرحمن بن حباب	٩ - التوبة/١٢١
خطب رسول اللّه ﷺ فذكر الناقة ...	عبد اللّه بن زمعة	٩١ - الشمس/١٢
خطب رسول اللّه ﷺ في حجة الوداع بمنى ...	ابن عمر	٩ - التوبة/٣٦
خطب رسول اللّه ﷺ في حجة الوداع فقال ...	عمرو بن الأحوص	٢ - البقرة/٢٧٩
خطب رسول اللّه ﷺ وهو عاصب أصبعه ...	ابن حرملة عن خالته	٢١ - الأنبياء/٩٦
خطب عتبة بن غزوان	خالد بن عمير	٥٤ - القمر/١
خطب عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه فذكر الرجم ...	ابن عباس	٢٤ - النور/٢
خطب موسى عليه السلام بني إسرائيل فقال ...	ابن عباس	١٨ - الكهف/٦٥
خطب النبي ﷺ على جليبيب امرأة من الأنصار ...	أنس	٣٣ - الأحزاب/٣٦
خطبنا بفارس فقال : ﴿إنَّ اللّه وملائكته﴾ ...	أبو إسرائيل	٣٣ - الأحزاب/٥٦
خطبنا رسول اللّه ﷺ حتى أسمع العواتق ...	البراء بن عازب	٤٩ - الحجرات/١٢
خطبنا رسول اللّه ﷺ خطبة فحمد اللّه ...	عقبة بن عمرو	٤٧ - محمد/٣٠
خطبنا رسول اللّه ﷺ ذات يوم فقال : يا أيها الناس ...	أبو موسى الأشعري	١٢ - يوسف/١٠٦
خطبنا رسول اللّه ﷺ فقال ...	أبو هريرة	٣ - آل عمران/٩٧

خطبنا رسول الله ﷺ فقال ...	أبو هريرة وأبو سعيد	٤ - النساء/٣١
خطبنا رسول الله ﷺ فقال : أنكحوا الأيامى ...	عمر بن الخطاب	٤ - النساء/٤
خطبنا رسول الله ﷺ فكان أكثر خطبته حديثًا حدثناه عن الدجال ...	أبو أمامة الباهلي	٤ - النساء/١٥٩
خطبنا رسول الله ﷺ قال فحمد الله ...	...	٥٤ - القمر/١
خطبنا رسول الله ﷺ وهو بعرفات ...	المسور بن مخرمة	٢ - البقرة/١٩٨
خطبنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : إني لعلي أنهاكم ...	أبو سعيد الخدري	٢ - البقرة/٢٧٥
خطبني رسول الله ﷺ فاعتذرت إليه ...	أم هانيء	٣٣ - الأحزاب/٥٠
خفف على داود القرآن	أبو هريرة	١٣ - الرعد/٣١
خفف على داود القرآن	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/٥٥
الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ...	سفينة	٢٤ - النور/٥٥
خلت البقاع حول المسجد ...	جابر بن عبد الله	٣٦ - يس/١٢
خلق الله ألف أمّة ...	عمر	١ - الفاتحة/٢
خلق الله التربة يوم السبت ...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٩
خلق الله التربة يوم السبت ...	أبو هريرة	٧ - الأعراف/٥٤
خلق الله التربة يوم السبت ...	أبو هريرة	٤١ - فصلت/٢١
خلق الله تعالى الأرض يوم الأحد ...	ابن عباس	٤١ - فصلت/٢١
خلق الله تعالى الخلق فلما فرغ منه ...	أبو هريرة	٤٧ - محمد/٢٢
خلق الله جنة عدن بيده ...	أنس	٢٣ - المؤمنون/١
خلق الله الجنة لبنة من ذهب ...	أبو سعيد	٢٣ - المؤمنون/١
خلق الله عز وجل ألف أمة ...	عمر بن الخطاب	٦ - الأنعام/٣٨
خلق الله اللوح المحفوظ كمَسيرة مائة عام ...	ابن عباس	٢٢ - الحج/٧٠
خلق الله الملائكة من نور ...	عائشة	٧ - الأعراف/١٢
خلق الله النون وهي الدواة ...	أبو هريرة	٦٨ - القلم/١
خلقت الملائكة من نور ...	عائشة	٧ - الأعراف/١٢
خلقت الملائكة من نور ...	...	١٥ - الحجر/٢٧

خلقت الملائكة من نور ...	عائشة	١٨ - الكهف/٥٠
خلقت الملائكة من نور ...	عائشة	٥٥ - الرحمن/١٥
خمس صلوات في اليوم والليلة ...	...	٥٢ - الطور/٤٩
خمس عشرة مائة ...	سعيد بن المسيب	٤٨ - الفتح/١٠
خمس فواسق يقتلن ...	عائشة	٢ - البقرة/٢٧
خمس فواسق يقتلن في الحل و الحرم ...	عائشة	٥ - المائدة/٩٥
خمس قد مضين : الدخان	عبد الله بن مسعود	٣٠ - الروم/٣
خمس قد مضين : الروم والدخان	ابن مسعود	٥٤ - القمر/١
خمس لا يعلمهن إلا الله ...	عمر بن الخطاب	٦ - الأنعام/٥٩
خمس لا يعلمهن إلا الله عز وجل ...	بريدة	٣١ - لقمان/٣٤
خمس من جاء بهن يوم القيامة ...	أبو الدرداء	٣٣ - الأحزاب/٧٢
خمس من الدواب ليس على المحرم في قتلهن جناح ...	ابن عمر	٥ - المائدة/٩٥
خمس يقتلهن المحرم ...	عائشة	٥ - المائدة/٩٥
خيار عباد الله ...	عبد الرحمن بن غنم	٦٨ - القلم/١١
الخير اتباع القرآن وسنتي	أبو جعفر الباقر	٣ - آل عمران/١٠٤
خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه ...	عبد الله بن عمرو بن العاص	٤ - النساء/٣٦
خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم ...	أبو هريرة	٨٩ - الفجر/١٧
خير الشهداء ...	...	٤ - النساء/١٣٥
خير الصحابة أربعة ...	ابن عباس	٩ - التوبة/ة٢٥
خير الصحابة أربعة ...	الزهري	٩ - التوبة/٢٥
خير الصحابة أربعة ...	أكثم بن الجون	٩ - التوبة/٢٥
خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى ...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢١٩
خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ...	...	٢٥ - الفرقان/٣٨
خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ...	...	٥٦ - الواقعة/١٤
خيرمال امرىء له مهرة مأمورة أو سكة مأبورة	سويد بن هبيرة	٣ - آل عمران/١٤
خير مال امرىء له مهرة مأمورة أو سكة مأبورة	سويد بن هبيرة	١٧ - الإسراء/١٦
خير مساجد النساء قعر بيوتهن	أم سلمة	٢٤ - النور/٢٧

خير الناس أقرأهم وأتقاهم ...	درة بنت أبي لهب	٣ - آل عمران/١١٠
خير الناس أقرأهم وأتقاهم ...	درة بنت أبي لهب	٤٩ - الحجرات/١٣
خير النساء امرأة إذا نظرت إليها سرتك ...	أبو هريرة	٤ - النساء/٣٤
خير النساء ركبن الإبل نساء قريش ...	أبو هريرة	٣ - آل عمران/٤٢
خير نساء العالمين أربع ...	أنس بن مالك	٣ - آل عمران/٤٢
خير نسائها مريم بنت عمران	علي بن أبي طالب	٣ - آل عمران/٤٢
خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة ...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٣٦
خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة ...	أبو هريرة	٢١ - الأنبياء/٣٧
خيرًا ، ثم قالت : إن ابنه قيسًا خطبني ...	عدي بن ثابت	
	عن رجل من الأنصار	٤ - النساء/٢٢
خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي	...	٤ - النساء/١٩
خيركم من طال عمره وحسن عمله	...	٢ - البقرة/٩٥
خيّرنا رسول الله ﷺ فاخترناه ...	عائشة	٣٣ - الأحزاب/٢٨
خيّرني رسول الله ﷺ بين الهجرة والنصرة ...	حذيفة	٨ - الأنفال/٧٢
الخيل ثلاثة : ففرس الرحمن ...	عبد الله بن مسعود	٨ - الأنفال/٦٠
الخيل لثلاثة ...	أبو هريرة	٩٩ - الزلزلة/٨
الخيل لثلاثة : لرجلٍ أجرٌ ...	أبو هريرة	٨ - الأنفال/٦٠
الخيل معقود في نواصيها الخير ...	سهل بن الحنظلية	٨ - الأنفال/٦٠
الخيل معقود في نواصيها الخير ...	عروة بن أبي الجعد	٨ - الأنفال/٦٠

حرف الدال

الدال على الخير كفاعله	عبد الله بن مسعود	٥ - المائدة/٢
دحيت الأرض من مكة ...	عبد الرحمن بن سابط	٢ - البقرة/٣٠
دخل أبو بكر الصديق بيت المدراس ...	ابن عباس	٣ - آل عمران/١٨١
دخل رجل على أهله فلمّا رأى مابهم من الحاجة خرج إلى البرية ...	أبو هريرة	٦٥ - الطلاق/٧
دخل رسول الله ﷺ على رجل وهو في الموت ...	أنس	٣٩ - الزمر/٩
دخل العباس رضي الله عنه على رسول الله ﷺ ...	عبد المطلب بن ربيعة	٤٢ - الشورى/٢٣

دخل عثمان بن عفان على رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ...	كنانة العدوي	١٣ - الرعد/١١
دخل على رسول الله ﷺ جماعة من اليهود ...	ابن عباس	٤ - النساء/١٦٦
دخل على رسول الله ﷺ يهود فقالوا	عائشة	٥٨ - المجادلة/٨
دخل عليّ رسول الله ﷺ مسرورًا	عائشة	٧٦ - الإنسان/١١
دخل عليّ رسول الله ﷺ وأنا مريض ...	جابر بن عبد الله	٤ - النساء/١٧٦
دخل عليّ رسول الله ﷺ يوم الفتح ...	أم هانيء	٣٨ - ص/١٧
دخل علينا رسول الله ﷺ وعندنا زينب ...	عائشة	٤٢ - الشورى/٤١
دخل عليها رسول الله ﷺ وعندها مخنَّث ...	أم سلمة	٢٤ - النور/٣١
دخل عمر على حفصة وهي تبكي ...	ابن عمر	٣٣ - الأحزاب/٥٢
دخل النبيّ ﷺ مكة وحول البيت ستون وثلاث مائة نصب ...	ابن مسعود	١٧ - الإسراء/٨١
دخل نساء على نساء النبي ﷺ فقلن ...	قتادة	٣٣ - الأحزاب/٣٥
دخلت امرأة رفاعة القرظي وأنا وأبو بكر عند النبي ﷺ ...	عائشة	٢ - البقرة/٢٣٠
دخلت الجنة فإذا أنا بنهر ...	أنس بن مالك	١٠٨ - الكوثر/١
دخلت حفصة على النبي ﷺ في بيتها	ابن عباس	٦٦ - التحريم/٥
دخلت على ابن عباس فقلت : يا أبا عباس ...	مجاهد	٢ - البقرة/٢٨٤
دخلت على رسول الله ﷺ فقال : يا عدي ...	عدي بن حاتم	٩ - التوبة/٣٣
دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت : يا أم المؤمنين ...	أم المصاعن	٢٤ - النور/٥٨
دخلت على عائشة فقلت : هل رأى محمد ربه ؟ ...	مسروق	٥٣ - النجم/١١
دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت ...	الوليد بن عبادة	٥٤ - القمر/٤٩
دخلت على عبد الله بن عمرو ...	عبد الله الديلمي	٣٨ - ص/٣٥
دخلت على معاوية رضي الله عنه فلمّا خرجت ...	موسى بن طلحة	٣٣ - الأحزاب/٢٤
دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة	...	٢ - البقرة/١٩٦
دخلت فاطمة على رسول الله ﷺ وهي تبكي ...	ابن عباس	٨ - الأنفال/٣٠

دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس وحده ...	أبو ذر	٤ - النساء/١٦٤
دخلت مع أبي على عائشة رضي الله عنها	ابن عم العوام	٣٣ - الأحزاب/٣٣
دخلت مع رسول الله ﷺ على عبد الله بن أبي نعوده ...	أسامة بن زيد	٥ - المائدة/٥١
دخلنا على أبي عبيدة نعوده من شكوى ...	عياض بن غطيف	٢ - البقرة/٢٦١
دخلنا على رسول الله ﷺ وهو مريض نعوده ...	أسامة بن زيد	٦ - الأنعام/١٤٦
دخلنا على النبي ﷺ وهو يصلح شيئًا	حبة وسواء ابني خالد	٣٠ - الروم/٤٠
دخلنا المسجد - يعني مسجد الكوفة - عند أبواب كندة ...	مسروق	٤٤ - الدخان/١٠
دخلنا مع رسول الله ﷺ مكة وحول البيت ثلاث مائة وستون صنمًا	جابر	١٧ - الإسراء/٨١
دخلوا الباب - الذي أمروا أن يدخلوا فيه ...	أبو هريرة وابن عباس	٢ - البقرة/٥٨
درمكة بيضاء مسك خالص	أبو سعيد	٣٩ - الزمر/٧٣
دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ...	الحسن بن علي	٢ - البقرة/٢٧٥
دعا رجل من الأنصار من أهل قباء النبي ﷺ على طعام ...	أبو هريرة	٦ - الأنعام/١٤
دعا رسول الله ﷺ بني عبد المطلب ...	علي	٢٦ - الشعراء/٢١٤
دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب ...	عبد الله بن أبي أوفى	٣٣ - الأحزاب/٢٥
دعا عمر بن الخطاب أصحاب محمد ﷺ فسألهم عن ليلة القدر ...	ابن عباس	٩٧ - القدر/٥
دعا النبي ﷺ الأنصار أن يقطع لهم ...	أنس بن مالك	٥٩ - الحشر/٩
دعاء سمعته من رسول الله ﷺ لا أدعه ...	أبو هريرة	٣٣ - الأحزاب/٤١
الدعاء موقوف بين السماء والأرض ...	عمر بن الخطاب	٣٣ - الأحزاب/٥٦
الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة ...	أنس	٤١ - فصلت/٣٣
دعه فإنه قد شهد بدرًا	...	٨ - الأنفال/٢٧
دعوا لي أصحابي فوالذي نفسي بيده ...	أنس	٤٧ - الحديد/١٠
دعوات كان رسول الله ﷺ		

يدعو بها : يا مقلب القلوب ...	عائشة	٨ - الأنفال/٢٤
دعوت ربي عز وجل أن يرفع عن أمتي أربعًا	ابن عباس	٦ - الأنعام/٦٥
دعوت رسول الله ﷺ ومن شاء من أصحابه فطعموا	جابر	١٧ - الإسراء/٧٨
دعوت لأمتي ...	أبو ذر	٥ - المائدة/١١٨
دعوني أدعوهم كما رأيت رسول الله ﷺ يدعوهم ...	سلمان الفارسي	٨ - الأنفال/٥٨
دعوه ، ما تريد ؟ ...	سراقة بن مالك	٤ - النساء/٩٠
دعوة أبي إبراهيم ...	أبو أمامة	٢ - البقرة/١٢٩
دعوة أبي إبراهيم عليه السلام وبشرى عيسى ...	...	٢ - البقرة/١٢٦
دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى ابن مريم ...	...	٦١ - الصف/٦
دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ...	خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله ﷺ	٦١ - الصف/٦
دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ...	أبو أمامة	٦١ - الصف/٦
دعوهم	...	٣ - آل عمران/٦٣
دعي الصلاة أيام أقرائك	فاطمة بنت أبي حبيش	٢ - البقرة/٢٢٨
دعي النبي ﷺ إلى جنازة صبي من الأنصار ...	عائشة	٧ - الأعراف/١٧٩
دُعي النبي ﷺ إلى جنازة صبي من الأنصار ...	عائشة	١٧ - الإسراء/١٥
دفع رجل من قريش رجلاً من الأنصار فاندقت ثنيته ...	أبو السفر	٥ - المائدة/٤٥
الدقل والفارسي والحلو والحامض	أبو هريرة	١٣ - الرعد/٤
دم عفراء أحب إلى الله من دم سوداوين	أبو هريرة	٢٢ - الحج/٣٢
الدنيا دار من لا دار له ...	...	٢ - البقرة/٢١٢
الدنيا دار من لا دار له ...	عائشة	١٧ - الإسراء/١٨
الدنيا دار من لا دار له ...	عائشة	٥٣ - النجم/٢٩
الدنيا دار من لا دار له ...	عائشة	٨٧ - الأعلى/١٧
الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة	ابن عمر	٢ - البقرة/٢٢١
الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة ...	...	٣ - آل عمران/١٤
الدواوين عند الله ثلاثة ...	عائشة	٤ - النساء/٤٨
دونك فانتصري ، فأقبلت عليها	عائشة	٤٢ - الشورى/٤١

حرف الذال

ذاك إذا جيء بكم حفاة عراة ...	ابن مسعود	١٧ - الإسراء/٧٩
ذاك الله عز وجل ...	الأقرع بن حابس	٤٩ - الحجرات/٤
ذاك الله عز وجل	البراء	٤٩ - الحجرات/٤
ذاك رجل بال الشيطان في أذنه	...	٧٣ - المزمل/٢٠
ذاك ضرب الملائكة	الحسن البصري	٨ - الأنفال/٥٠
ذاك عبد الله ورسوله ...	ابن عباس	٤٣ - الزخرف/٥٧
ذاك يوم كله لطلحة ...	أبو بكر	٣ - آل عمران/١٥٣
الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات ...	أبو سعيد	٣٣ - الأحزاب/٣٥
ذبحنا يوم خيبر الخيل والبغال ...	جابر بن عبد الله	١٦ - النحل/٨
ذبيحة المسلم حلال ذكر اسم الله أو لم يذكر ...	...	٦ - الأنعام/١٢١
ذراري المسلمين في الجنة ...	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/١٥
ذروني ماتركتكم ...	...	٥ - المائدة/١٠١
ذروني ماتركتكم فإنما هلك من كان قبلكم ...	...	٢ - البقرة/١٠٨
ذريني أتعبد لربي عز وجل	عائشة	٣ - آل عمران/١٩٤
ذكاة الجنين ذكاة أمه	جابر بن عبد الله	٥ - المائدة/١
ذكر حذيفة رضي الله عنه مشاهدهم ...	عبد العزيز بن أخي حذيفة	٣٣ - الأحزاب/١٠
ذكر رسول الله ﷺ الدابة فقال : لها ثلاث ...	حذيفة بن أسيد أو رجل من آل ابن مسعود	٢٧ - النمل/٨٢
ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة ...	النواس بن سمعان	٤ - النساء/١٥٩
ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة ...	النواس بن سمعان	٢١ - الأنبياء/٩٦
ذكر رسول الله ﷺ الكبائر أو سئل عن الكبائر ...	أنس بن مالك	٤ - النساء/٣١
ذكر رسول الله ﷺ يومًا أربعة من بني إسرائيل ...	علي بن عروة	٩٧ - القدر/٣
ذكر عند النبي ﷺ - القنفذ - فقال ...	أبو هريرة	٦ - الأنعام/١٤٥
ذكر الكبر عند رسول الله ﷺ فشدَّد فيه ...	ثابت بن قيس	٣١ - لقمان/١٦
ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان على الصفا فدعا قريشًا	قتادة بن دعامة	٧ - الأعراف/١٨٤
ذكر النبي ﷺ شيئًا	زياد بن لبيد	٥ - المائدة/٦٦

ذكر النبي ﷺ يومًا بين ظهراني الناس المسيح الدجال ...	ابن عمر	٤ - النساء/١٥٩
ذكرت عند النبي ﷺ طوبى فقال ...	ابن عمر	٥٦ - الواقعة/٢١
ذكرك أخاك بما يكره ...	أبو هريرة	٣٣ - الأحزاب/٥٨
ذكرك أخاك بما يكره ...	أبو هريرة	٤٩ - الحجرات/١٢
ذكرنا عند رسول اللّٰه ﷺ الزيادة في العمر فقال ...	أبو الدرداء	٦٣ - المنافقون/١١
ذكرنا عند رسول اللّٰه ﷺ فقال ...	أبو الدرداء	١٦ - النحل/٦١
ذكرنا عند رسول اللّٰه ﷺ فقال ...	أبو الدرداء	٣٥ - فاطر/١١
﴿ذلك أدنى ألا تعولوا﴾ ...	عائشة	٤ - النساء/٣
ذلك بأن منهم صديقين ورهبانا	سلمان	٥ - المائدة/٨٢
ذلك الرجل أرفع أمتي درجة في الجنة	أبو سعيد	٤ - النساء/١٥٩
ذلك سؤال الكفار عن عذاب اللّٰه ...	ابن عباس	٧٠ - المعارج/١
ذلك يوم القيامة ...	ابن عباس	٧٣ - المزمل/١٧
ذهب بي رسول اللّٰه ﷺ إلى موضع بالبادية ...	بريدة	٢٧ - النمل/٨٢
ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة	أنس	٣١ - لقمان/١٩
ذهبت النبوة وبقيت المبشرات	أم كريز الكعبية	١٠ - يونس/٦٤

حرف الراء

رابطت المدينة سبعة أشهر على عهد رسول اللّٰه ﷺ ...	أبو الحمراء	٣٣ - الأحزاب/٣٣
الراحمون يرحمهم الرحمن ...	عبد اللّٰه بن عمرو	٤٧ - القتال/٢٢
الراحمون يرحمهم الرحمن ...	...	٩٠ - البلد/١٧
رأس الحكمة مخافة اللّٰه	عبد اللّٰه بن مسعود	٢ - البقرة/٢٦٩
الرافلة في الزينة في غير أهلها كمثل ...	ميمونة بنت سعد	٢٤ - النور/٣١
رأى ابن عباس صبيانًا ينزو بعضهم على بعض ...	عبد اللّٰه بن يزيد	٢١ - الأنبياء/٩٦
رأى رجلاً يصلي وفي ظهر قدمه لمعة ...	بعض أزواج النبي ﷺ	٥ - المائدة/٦
رأى رسول اللّٰه ﷺ بني فلان ينزون على منبره ...	سهل بن سعيد	١٧ - الإسراء/٦٠
رأى رسول اللّٰه ﷺ جبريل عليه حلتا رفرف ...	عبد اللّٰه بن مسعود	٥٣ - النجم/١١
رأى رسول اللّٰه ﷺ جبريل في صورته ...	عبد اللّٰه بن مسعود	٥٣ - النجم/٧
رأى رسول اللّٰه ﷺ جبريل في صورته ...	عبد اللّٰه بن مسعود	٥٣ - النجم/١٥

رأى رسول اللّٰه ﷺ ربه بقلبه ...	أبو ذر	٥٣ - النجم/١٥
رأى رسول اللّٰه ﷺ رجلاً يصلي وفي ظهر قدمه لمعة ...	بعض أزواج النبي ﷺ	٥ - المائدة/٦
رأى رسول اللّٰه ﷺ شاتين ينتطحان	أبو ذر	٣٩ - الزمر/٣١
رأى قومًا عند القبر فنهاهم وقال ...	الحسن بن الحسن	٣٣ - الأحزاب/٥٦
رأى محمد ربه بفؤاده مرتين	ابن عباس	٥٣ - النجم/٩
رأى محمد ربه تبارك وتعالى ...	ابن عباس	٦ - الأنعام/١٠٣
رأى محمد ربه فقلت : أليس اللّٰه يقول ...	عكرمة عن ابن عباس	٥٣ - النجم/١١
رأى النبي ﷺ في أصحابه تأخرًا فقال ...	عتبة بن مرثد	٢ - البقرة/المقدمة
رأى النبي ﷺ في رجل رَجل مثل الدرهم لم يغسله ...	جابر بن عبد اللّٰه	٥ - المائدة/٦
رأيت أبا الدرداء رضي اللّٰه عنه يحدث الناس ...	عبد الواحد الدمشقي	٢٦ - الشعراء/٢١٦
رأيت جابر بن عبد اللّٰه يصلي الصلوات بوضوء واحد	الفضل بن المبشر	٥ - المائدة/٦
رأيت جبريل على سدرة المنتهى ...	ابن مسعد	٥٣ - النجم/١٥
رأيت جبريل له ستمائة جناح	عبد اللّٰه بن مسعود	٥٣ - النجم/٩
رأيت جبريل وله ستمائة جناح ...	ابن مسعود	٥٣ - النجم/١٥
رأيت جهنم يحطم بعضها بعضًا	عائشة	٥ - المائدة/١٠٣
رأيت خيرًا ، أما المنهج العظيم فالمحشر ...	عبد اللّٰه بن سلام	٢ - البقرة/٢٥٦
رأيت ربي عز وجل	ابن عباس	٥٣ - النجم/١١
رأيت ربي في أحسن صورة فقال لي ...	ابن عباس	٥٣ - النجم/١١
رأيت رسول اللّٰه ﷺ أتى سبطة قوم ...	أوس بن أبي أوس	٥ - المائدة/٦
رأيت رسول اللّٰه ﷺ إذا طلع الفجر جاء إلى باب علي وفاطمة ...	أبو الحمراء	٣٣ - الأحزاب/٣٣
رأيت رسول اللّٰه ﷺ توضأ ومسح على نعليه ...	أوس بن أبي أوس	٥ - المائدة/٦
رأيت رسول اللّٰه ﷺ حين دخل في الصلاة ...	جبير بن المطعم	١ - الفاتحة/ الاستعاذة
رأيت رسول اللّٰه ﷺ فعل الذي رأيتموني فعلت	عثمان	٥ - المائدة/٦
رأيت رسول اللّٰه ﷺ في حجته يوم عرفة ...	جابر بن عبد اللّٰه	٤٢ - الشورى/٢٣
رأيت رسول اللّٰه ﷺ في سفر صلّى سبحة الضحى ...	أنس بن مالك	٦ - الأنعام/٦٥
رأيت رسول اللّٰه ﷺ قال بأصبعيه هكذا	سهل بن سعد	٤٧ - محمد/١٨

رأيت رسول الله ﷺ		
وهو يقرأ هذه الآية ﴿سميعًا بصيرًا﴾ ...	عقبة بن عامر	٤ - النساء/٥٨
رأيت رسول الله ﷺ يبول فسلمت عليه ...	أبو جهيم	٤ - النساء/٤٣
رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ وضوئي هذا	عثمان	١١ - هود/١١٤
رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ وضوئي هذا	عثمان	١٨ - الكهف/٤٦
رأيت رسول الله ﷺ يطوف بين الصفا والمروة ...	حبيبة بنت أبي تجزئة	٢ - البقرة/١٥٨
رأيت عبد الله بن عمرو جالسًا في المسجد الحرام ...	يحيى بن قطة	٢ - البقرة/١٤٤
رأيت عثمان بن عفان توضأ فأفرغ على يديه ...	حمران بن أبان	٥ - المائدة/٦
رأيت عليًا رضي الله عنه أتي بدابة ...	علي بن ربيعة	٤٣ - الزخرف/١٤
رأيت عمرو بن العاص واقفًا يوم أحد على فرس ...	بريدة	٨ - الأنفال/٣٢
رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار ...	أبو هريرة	٥ - المائدة/١٠٣
رأيت عمرو بن لحي بن قمعة يجر قصبه ...	...	٤٢ - الشورى/٢١
رأيت غلبة فارس الروم	العلاء بن الزبير الكلابي عن أبيه	٣٠ - العنكبوت/٣
رأيت في النوم رسول الله ﷺ ...	يزيد بن أبي حكيم	١٧ - الإسراء/١
رأيت فيما يرى النائم كأني أتيت على نفرٍ ...	الطفيل بن سخبرة	٢ - البقرة/٢٢
رأيت ليلة أسري بي كذا	أبو هريرة	٧ - الأعراف/١٨٥
رأيت ليلة أسري بي لمّا انتهيت إلى السماء السابعة ...	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/١
رأيت ليلة أسري بي موسى بن عمران	ابن عباس	١٧ - الإسراء/١
رأيت الليلة كأنّا في دار عقبة بن نافع ...	...	٢٠ - طه/١٣٢
رأيت المسجد الذي بني ضرارًا يخرج منه الدخان	جابر بن عبد الله	٩ - التوبة/١٠٩
رأيت موسى وعيسى وإبراهيم ...	ابن عمر	٤ - النساء/١٥٩
رأيت النبي ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز ...	ربيعة بن عباد من بني الديل	١١١ - المسد/١
رأيت النبي ﷺ يطوف بالكعبة ويقول ...	عبد الله بن عمر	٤٩ - الحجرات/١٢
رأيت نهرًا ،ورأيت وراء النهر حجابًا	أبو العالية	٥٣ - النجم/١١
رأيت نورًا	أبو ذر	١٧ - الإسراء/١
رأيت نورًا	أبو ذر	٥٣ - النجم/١١

رأيت نورًا	أبو ذر	٥٣ - النجم/١٥
رأيت يد طلحة شلاء ...	قيس بن أبي حازم	٣ - آل عمران/١٥٣
رأيت يغشاها فراش من ذهب ...	ابن زيد	٥٣ - النجم/١٦
رأيت يوم أحد عن يمين النبي ﷺ وعن يساره رجلين ...	سعد بن أبي وقاص	٣ - آل عمران/١٥٣
رأيته بفؤادي مرتين ...	محمد بن كعب	٥٣ - النجم/١١
رب أرني آدم الذي أخرجنا	...	٢ - البقرة/٣٤
ربَّ أشعث ذي طمرين ...	أنس بن مالك	٣١ - لقمان/١٩
رب أعط نفسي تقواها	عائشة	٩١ - الشمس/٨
رب افعل	ابن عباس	١ - الفاتحة/٧
رب ذي طمرين لا يؤبه له ...	عبد اللّٰه بن مسعود	٣١ - لقمان/١٩
رب زد أمتي ...	ابن عمر	٢ - البقرة/٢٤٥
رب زد أمتي ، قال فأنزل اللّٰه ...	ابن عمر	٢ - البقرة/٢٦١
ربِّ هؤلاء أهلي وأهل بيتي ...	سعد	٣٣ - الأحزاب/٣٣
الربا ثلاثة وسبعون بابًا	عبد اللّٰه بن مسعود	٢ - البقرة/٢٧٥
الربا سبعون جزءًا أيسرها	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٧٥
رباط ليلة في سبيل اللّٰه خير من ألف ليلة ...	...	٩٧ - القدر/٣
رباط يوم في سبيل اللّٰه ...	عثمان	٣ - آل عمران/٢٠٠
رباط يوم في سبيل اللّٰه ...	سلمان الفارسي	٣ - آل عمران/٢٠٠
رباط يوم في سبيل اللّٰه خير من الدنيا	سهل بن سعد الساعدي	٣ - آل عمران/٢٠٠
رباط يوم وليلة ...	سلمان الفارسي	٣ - آل عمران/٢٠٠
رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ...	سلمان الفارسي	٣ - آل عمران/٢٠٠
﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة﴾ ...	عبد اللّٰه بن السائب	٢ - البقرة/٢٠٢
﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة﴾ ...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٠٢
ربح البيع	سعيد بن المسيب	٢ - البقرة/٢٠٧
ربح البيع صهيب	...	٢ - البقرة/٢٠٧
ربح صهيب ربح صهيب	صهيب	٢ - البقرة/٢٠٧
ربع الكتابة	علي	٢٤ - النور/٣٣

رجعت إلى ربي حتى استحييت	أبو سعيد الخدري	١٧ - الإسراء/١
رجعت إلى النبي ﷺ ليلة الأحزاب ...	حذيفة	٢ - البقرة/٤٥
الرجل تكون عنده المرأة المسنة ...	عائشة	٤ - النساء/١٢٨
رجل قتل نبيًا أو من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر	أبو عبيدة بن الجراح	٣ - آل عمران/٢٢
رجل من قريش له زنمة ...	ابن عباس	٦٨ - القلم/١٣
رَجُلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة ...	أنس	٨ - الأنفال/١
رحم اللّه أخي زكريا ما كان عليه من وراثة ماله ...	الحسن	١٩ - مريم/٦
رحم اللّه حارس الحرس	عقبة بن عامر الجهني	٣ - آل عمران/٢٠٠
رحم اللّه رجلاً ردهم عنا	ابن مسعود	٣ - آل عمران/١٥٢
رحم اللّه رجلاً قام من الليل ...	أبو هريرة	١٩ - مريم/٥٥
رحم اللّه رجلاً يفسح لأخيه ...	مقاتل بن حيان	٥٨ - المجادلة/١١
رحم اللّه المحلقين ، قالوا : والمقصرين ...	...	٤٨ - الفتح/٢٨
رحم اللّه المحلقين ، قالوا والمقصرين يا رسول اللّه ؟ ...	...	٢ - البقرة/١٩٦
رحمك اللّه ، إن كنت لأوَّاهًا	ابن عباس	٩ - التوبة/١١٤
رحمة اللّه على لوط ...	أبو هريرة	١١ - هود/٨٠
رحمة اللّه على موسى : لقد أوذي ...	...	٦١ - الصف/٥
رحمة اللّه عليك إن كنت ما علمتك وصولاً للرحم ...	أبو هريرة	١٦ - النحل/١٢٦
رحمة اللّه علينا وعلى موسى لو لبث مع صاحبه ...	أبي بن كعب	١٨ - الكهف/٧٦
رخص لهم في قطع النخل ثم شدد عليهم ...	جابر	٥٩ - الحشر/٥
ردّوا الخياط والمخيط ...	عبد اللّه بن عمرو بن العاص	٣ - آل عمران/١٦١
ردّوا على الرجل ...	عوف بن مالك	٣ - آل عمران/١٧٣
ردوه عليَّ ، فردوه عليه فقرأ عليه ...	ابن مسعود	١١ - هود/١١٤
رغبت لكم عن غُسالة الأيدي ...	ابن عباس	٨ - الأنفال/٤١
رغم أنف ثم رغم أنف		
ثم رغم أنف رجل أدرك أحد أبويه ...	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/٢٤
رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصلِّ عليَّ ...	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/٢٤
رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصلِّ عليَّ ...	أبو هريرة	٣٣ - الأحزاب/٥٦

رفع رسول اللّه ﷺ يديه يعني يوم بدر فقال: ...	ابن عباس	٨ - الأنفال/١٧
رفع عن أمتي الخطأ والنسيان	...	٧ - الأعراف/١٥٧
رفع القلم عن ثلاثة ...	عائشة وغيرها من الصحابة	٤ - النساء/٦
رفع الناس أصواتهم بالدعاء ...	أبو موسى الأشعري	٧ - الأعراف/٥٥
رفع الناس أصواتهم بالدعاء في بعض الأسفار ...	أبو موسى الأشعري	٧ - الأعراف/٢٠٥
رفعت رأسي يوم أحد ...	أبو طلحة	٣ - آل عمران/١٥٤
ركب النبي ﷺ حمارًا وأردفني خلفه ...	أبو ذر	٥ - المائدة/٢٨
ركبوا في عاشر شهر رجب ...	قتادة وغيره	١١ - هود/٤٤
ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها	...	٥٢ - الطور/٤٩
الركعتان في السفر تمام ...	جابر بن عبد اللّه	٤ - النساء/١٠٢
رمقت النبي ﷺ أربعًا وعشرين ...	ابن عمر	١٠٩ - الكافرون/فضائلها
رمقت النبي ﷺ شهرًا	ابن عمر	١٠٩ - الكافرون/فضائلها
رُمي رسول اللّه ﷺ بحجر في أصبعه ...	جندب بن عبد اللّه البجلي	٩٣ - الضحى/١
رُميت بما رُميت به وأنا غافلة ...	عائشة	٢٤ - النور/٢٣
رؤيا الأنبياء في المنام وحي	ابن عباس	٣٧ - الصافات/١٠٢
الرؤيا الحسنة هي البشرى يراها المسلم أو ترى له	أبو هريرة	١٠ - يونس/٦٤
الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له	أبو الدرداء	١٠ - يونس/٦٤
الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له	عبادة بن الصامت	١٠ - يونس/٦٤
الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر	...	١٢ - يوسف/٥
الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر	معاوية بن حيدة	١٢ - يوسف/٤١
الرؤيا لأول عابر	أنس	١٢ - يوسف/٤١
الريح الجنوب من الجنة ...	أبو هريرة	١٥ - الحجر/٢٢
الريح مسخّرة في الثانية ...	عبد اللّه بن عمرو	٣٠ - الروم/٤٨
الريح مسخرة من الثانية ...	عبد اللّه بن عمرو	٥١ - الذاريات/٤١

حرف الزاي

الزاد والرحلة	عبد اللّه بن عمر	٣ - آل عمران/٩٧
الزاد والراحلة	أنس	٣ - آل عمران/٩٧

زارنا رسول اللّٰه ﷺ في منزلنا فقال ...	قيس بن سعد	٢٤ - النور/٢٧
الزالون والزالات يومئذ كثير ...	...	١٩ - مريم/٧١
﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة﴾ ...	عبد اللّٰه بن عمرو	٢٤ - النور/٣
زعم أن سلمان الفارسي رضي اللّٰه عنه كان مع رجلين	السدي	٤٩ - الحجرات/١٢
زنى رجل من أهل فدك ...	جابر بن عبد اللّٰه	٥ - المائدة/٤١
زنى رجل من اليهود بامرأة ...	أبو هريرة	٥ - المائدة/٤١
زنيت ؟ قال نعم ، قال وتدري ماالزنا	...	٤٩ - الحجرات/١٢
زوجتكها بما معك من القران	...	٢ - البقرة/٤١
زوجني ابنتك ، قال نعم وكرامة ...	أبو برزة الأسلمي	٣٣ - الأحزاب/٣٦
زيادة كبد الحوت ...	ثوبان	٦٨ - القلم/١
زينوا القرآن بأصواتكم ...	...	٧٣ - المزمل/٤

حرف السين

سآمر في ذلك ...	قتادة بن النعمان	٤ - النساء/١٠٩
سابقني رسول اللّٰه ﷺ فسبقته ...	عائشة	٤ - النساء/١٩
سأذكر لك أمرًا فلا تعجلي حتى ...	عائشة	٣٣ - الأحزاب/٢٨
﴿سأرهقه صعودًا﴾ قال : هو جبل في النار ...	أبو سعيد	٧٤ - المدثر/١٧
سافروا تربحوا ، وصوموا تصحوا	أبو هريرة	٢٩ - العنكبوت/٦٠
سافروا تصحوا وتغنموا	ابن عمر	٢٩ - العنكبوت/٦٠
سافروا مع ذوي الجد والميسرة	...	٢٩ - العنكبوت/٦٠.
سأل أصحاب رسول اللّٰه أين ربنا؟ ...	الحسن	٢ - البقرة/١٨٦
سأل أهل الكتاب رسول اللّٰه ﷺ عن الروح ...	عكرمة	١٧ - الإسراء/٨٥
سأل أهل مكة النبي ﷺ آيةً ...	أنس بن مالك	٥٤ - القمر/١
سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبًا	ابن عباس	١٧ - الإسراء/٥٩
سأل رجل رسول اللّٰه ﷺ فقال :		
يا رسول اللّٰه إنا نركب البحر ...	أبو هريرة	٥ - المائدة/٩٦
سأل رجل رسول اللّٰه ﷺ هل يتزاور أهل الجنة ...	أبو أمامة	٦٩ - الحاقة/٢٢
سأل عمر بن الخطاب عن أبي عبيدة		

فقيل : إنّه يلبس الغليظ من الثياب ...	أبو سنان	٦٥ - الطلاق/٧
سأل عمر بن الخطاب النبي ﷺ عن الكلالة ...	سعيد بن المسيب	٤ - النساء/١٧٦
سأل غلامان شابان النبي ﷺ فقالا :		
يا رسول اللّه أنعمل فيما جفت به الأقلام ...	بشير بن كعب العدوي	٩٢ - الليل/١٠
سأل قتادة أنسًا :		
أي دعوة كان أكثر ما يدعوها النبي ﷺ ...	أنس	٢ - البقرة/٢٠٢
سأل قوم من بني النجار رسول اللّه ﷺ ...	علي	٤ - النساء/١٠٢
سأل موسى عليه السلام ربه ...	المغيرة بن شعبة	٣٢ - السجدة/١٧
سأل الناس رسول اللّه ﷺ عن الأهلة		
فنزلت هذه الآية ...	ابن عباس	٢ - البقرة/١٨٩
سأل ناس النبي ﷺ عن الكهان فقال ...	عائشة	٢٦ - الشعراء/٢٢٣
سأل النبي ﷺ جبريل أن يراه في صورته . .	ابن عباس	٥٣ - النجم/٧
سأل اليهود رسول اللّه ﷺ أن ينزل عليهم كتابًا	...	٤ - النساء/١٥٣
سألت أبا ذر قلت كيف		
سألت رسول اللّه ﷺ عن ليلة القدر ؟ ..	مرثد بن عبد اللّه	٩٧ - القدر/٥
سألت ابن عباس رضي اللّه تعالى عنهما	أبو إسحاق التميمي	٣٨ - ص/٣
سألت ابن عباس رضي اللّه عنهما من أين سجدت ...	مجاهد	٣٨ - ص/٢٤
سألت ابن عباس فقلت : ما شيء أجده في صدري ...	أبو زميل	٥٧ - الحديد/٣
سألت ابن عمر		
عن ركعتين في السفر فقال : هي رخصة ...	أبو الودّاك	٤ - النساء/١٠١
سألت ابن عمر عن صلاة السفر فقال : ركعتان	أبو حنظلة الحذاء	٤ - النساء/١٠١
سألت أبي عن قول اللّه : ﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا﴾		
أهُم الحرورية؟	مصعب بن سعد	١٨ - الكهف/١٠٣
سألت أبي بن كعب عن المعوّذتين ...	زر بن حبيش	المعوذتان
سألت أنسًا عن الصفا والمروة ...	عاصم بن سليمان	٢ - البقرة/١٥٨
سألت جبريل : أيَّ الأجلين قضى موسى؟	ابن عباس	٢٨ - القصص/٢٨
سألت جبريل عليه الصلاة والسلام عن هذه الآية	أبو هريرة	٣٩ - الزمر/٦٨

سألت خديجة رسول الله ﷺ		
عن ولدين لها ماتا في الجاهلية ...	علي	١٧ - الإسراء/١٥
سألت خديجة النبي ﷺ عن ولدين ماتا لها	علي	٥٢ - الطور/٢١
سألت ربي أن يجعلها أذن علي ...	مكحول	٦٩ - الحاقة/١٢
سألت ربي ثلاث خصال ...	علي	٦ - الأنعام/٦٥
سألت ربي ثلاثًا	سعد بن أبي وقاص	٦ - الأنعام/٦٥
سألت ربي ثلاثًا	أبو هريرة	٦ - الأنعام/٦٥
سألت ربي عز وجل أربعًا فأعطاني		
ثلاثًا ومنعني واحدة ...	أبو بصرة الغفاري	٦ - الأنعام/٦٥
سألت ربي عز وجل أن لا أتزوج إلى ...	عبد الله بن عمرو	٢٣ - المؤمنون/١٠١
سألت ربي لأمتي أربع خصال ...	أبو هريرة	٦ - الأنعام/٦٥
سألت ربي مسألة وددن أني لم أسأله ...	ابن عباس	٩٤ - الشرح/٤
سألت رسول الله ﷺ أي العمل أفضل؟ ...	ابن مسعود	٢ - البقرة/٢٣٨
سألت رسول الله ﷺ أى العمل أفضل؟ ...	ابن مسعود	٦ - الأنعام/١٥١
سألت رسول الله ﷺ		
عما يحل لي من امرأتي وهي حائض ...	معاذ بن جبل	٢ - البقرة/٢٢٢
سألت رسول الله ﷺ عن الإثم ...	النواس بن سمعان	٦ - الأنعام/١٢٠
سألت رسول الله ﷺ عن الحسنى ...	أبي بن كعب	٩٢ - الليل/٦
سألت رسول الله ﷺ عن ذراري المؤمنين ...	عائشة	١٧ - الإسراء/١٥
سألت رسول الله ﷺ عن		
﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ ...	سعد بن أبي وقاص	١٠٧ - الماعون/٥
سألت رسول الله ﷺ عن صيد البازي ...	عدي بن حاتم	٥ - المائدة/٤
سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى ...	عدي بن حاتم	١ - الفاتحة/٧
سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى ...	أم هانئ	٢٩ - العنكبوت/٢٩
سألت رسول الله ﷺ عن الكلالة فقال ...	عمر	٤ - النساء/١٧٦
سألت رسول الله ﷺ عن المغضوب عليهم ...	أبو ذر	١ - الفاتحة/٧
سألت رسول الله ﷺ عن ﴿وأولات الأحمال﴾ ...	أبي بن كعب	٦٥ - الطلاق/٥

سألت رسول الله ﷺ فقلت ...	ابن مسعود	٢٣ - المؤمنون/٩
سألت رسول الله ﷺ فقلت :		
يا رسول الله ما آية طلوع الشمس ...	حذيفة بن اليمان	٦ - الأنعام/١٥٨
سألت رسول الله ﷺ :		
ما شيّبك ؟ قال : شيّبتني هود ...	أبو بكر	١١ - هود/سببها
سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك ...	أبو ذر	١٧ - الإسراء/١
سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ ...	أبو ذر	٥٣ - النجم/١١
سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ ...	أبو ذر	٥٣ - النجم/١٥
سألت عائشة رسول الله ﷺ		
فقالت يا رسول الله بأبي أنت وأمي ...	أنس بن مالك	٨٠ - عبس/٣٧
سألت عائشة رضي الله عنها : هل كان	أبو نوفل	٣٦ - يس/٦٩
سألت عائشة عن هذه الآية:		
﴿وإن تبدوا ما فى أنفسكم﴾ ...	زيد	٢ - البقرة/٢٨٤
سألت عما سألت عنه رسول الله ﷺ ...	أبو سعيد الخدري	٥٧ - الحديد/٢٧
سألت قريش محمدًا ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبًا	مجاهد	٢ - البقرة/١٠٨
سألت مسروقًا : من آذن النبي ﷺ ليلة استعموا القران	عبد الرحمن	٤٦ - الأحقاف/٢٩
سألت النبي ﷺ عن أهل دين كنت معهم ...	سلمان	٢ - البقرة/٦٢
سألت النبي ﷺ عن نظرة الفجأة ...	جرير بن عبد الله	٢٤ - النور/٣٠
سألت النبي ﷺ عنهما - المعوذتين -	زر بن حبيش	المعوّذتان
سألت النبي ﷺ فقلت :		
يا رسول الله هل تحس بالوحي؟ ...	عبد الله بن عمرو	٧٣ - المزمل/٥
سألتها امرأة يهودية فأعطتها	عائشة	٤٠ - غافر/٤٦
سألتها عن قوله تعالى : ﴿إنّا أعطيناك الكوثر﴾ ...	أبو عبيدة عن عائشة	١٠٨ - الكوثر/١
سألنا رسول الله ﷺ عن أطفال المشركين ...	سمرة	١٧ - الإسراء/١٥
سألنا رسول الله ﷺ عن القردة والخنازير ...	ابن مسعود	٥ - المائدة/٦٠
سألنا عنهما - المعوذتين - رسول الله ﷺ ...	أبي بن كعب	المعوّذتان
سألني علي بن الحسين رضي الله عنهما	علي بن زيد	٣٣ - الأحزاب/٣٧

سألني عمر رضي الله عنه ...	أبو واقد	٥٠ - ق/فضائلها
سألني يهودي من أهل الحيرة : أي الأجلين قضى ...	سعيد بن جبير	٢٨ - القصص/٢٨
سام أبو العرب ، وحام أبو الحبش ...	سمرة	٣٧ - الصافات/٧٧
سام وحام ويافث ...	سمرة	٣٧ - الصافات/٧٧
السائحون هم الصائمون	أبو هريرة	٩ - التوبة/١١٢
سبّ رجل رجلاً عنده ، فجعل المسبوب ...	النعمان بن مقرن	٢٥ - الفرقان/٦٣
سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ...	عبد الله بن مسعود	٢ - البقرة/١٩٧
سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ...	...	٤ - النساء/٣١
سبحان الذي سخر لنا هذا	عبد الله بن عمر	٤٣ - الزخرف/١٤
سبحان الذي وسع سمعه الأصوات ...	عائشة	١٣ - الرعد/١٠
سبحان الله ! إن أول من سأل عن ذلك فلان	ابن عمر	٢٤ - النور/٦
سبحان الله ! إن أول من سأل عن ذلك فلان	ابن عباس	٢٤ - النور/٦
سبحان الله إن للموت لسكرات	...	٥٠ - ق/١٩
سبحان الله ربي العلي الأعلي الوهاب	سلمة بن الأكوع	٣٨ - ص/٣٥
سبحان الله سخر له السحاب ...	علي	١٨ - الكهف/٨٤
سبحان الله فأين الليل إذا جاء النهار	...	٣ - آل عمران/١٣٣
سبحان الله ! لقد قف شعري ...	عائشة	٥٣ - النجم/١٥
سبحان الله وبحمده ...	عائشة	١١٠ - النصر/٣
سبحان الله وبحمده ...	أم سلمة	١١٠ - النصر/٣
سبحان الله وبحمده أستغفر الله ...	أبو زمل الجهني	٥٦ - الواقعة/١٤
سبحان الله والحمد لله	أبو هريرة	١٨ - الكهف/٤٦
سبحان ذي الجبروت ...	عوف بن مالك	٣٦ - يس/٨٣
﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون﴾ ...	أبو سعيد	٣٧ - الصافات/١٨١
سبحان ربي الأعلى ...	ابن عباس	٨٧ - الأعلى/١
سبحان الملك القدوس ...	ابن عباس	٣ - آل عمران/١٩٤
سبحان من يسبح الرعد بحمده	أبو هريرة	١٣ - الرعد/١٣
سبحانك اللّهم ...	...	٧٥ - القيامة/٤٠

سبحانك اللّهم ربنا وبحمدك ...	عبد اللّه بن مسعود	١١٠ - النصر/٣
سبحانك اللّهم ربنا وبحمدك ...	عائشة	١١٠ - النصر/٣
سبحانك اللّهم وبحمدك ...	أبو سعيد الخدري	١ - الفاتحة/الاستعاذة
سبحانك اللّهم وبحمدك ...	أبو سعيد وغيره	٥٢ - الطور/٤٨
سبحانك اللّهم وبحمدك ...	أبو برزة الأسلمي	٥٢ - الطور/٤٨
سبحانك وبلى	قتادة	٧٥ - القيامة/٤٠
سبع أرضين في كل أرض نبيّ ...	ابن عباس	٦٥ - الطلاق/١٢
سبعة لا ينظر اللّه إليهم يوم القيامة ...	عبد اللّه بن عمر	٢ - البقرة/٢٢٣
سبعة لا ينظر اللّه إليهم يوم القيامة ...أنس بن مالك	٢٣ - المؤمنون/٧	
سبعة يظلهم اللّه تعالى ...	...	٦٧ - الملك/١٢
سبعة يظلهم اللّه في ظله يوم لا ظل إلا ظله ...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٧١
سبعة يظلهم اللّه في ظله يوم لا ظل إلا ظله ...	...	١٢ - يوسف/٣٣
سبعة يظلهم اللّه في ظله يوم لا ظل إلا ظله ...	...	٣٣ - الأحزاب/٣٥
السبق ثلاثة : فالسابق إلى موسى ...	ابن عباس	٣٦ - يس/٢٩
سبق درهم مائة ألف	...	٥٧ - الحديد/١٠
سبيها ، فسبتها فغلبتها	عائشة	٤٢ - الشورى/٤١
ست آيات قبل يوم القيامة ...	أبي بن كعب	٨١ - التكوير/٢
ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا	عائشة	٣٦ - يس/٦٩
ستكون هجرة بعد هجرة ...	عبد اللّه بن عمرو	٢٩ - العنكبوت/٢٦
ستة منهم تكفيهم الدبيلة ...	...	٩ - التوبة/١٠١
سجد النبي ﷺ بالنجم ...	ابن عباس	٥٣ - النجم/٥٧
سجدت خلف أبي القاسم ﷺ ...	أبو هريرة	٨٤ - الانشقاق/فضائلها
سجدنا مع رسول اللّه ﷺ في ﴿إذا السماء انشقت﴾ ...	أبو هريرة	٨٤ - الانشقاق/فضائلها
سجدها داود عليه الصلاة والسلام ...	ابن عباس	٣٨ - ص/٢٤
السجل : كاتب للنبي ﷺ ...	ابن عمر	٢١ - الأنبياء/١٠٤
السجل : كاتب للنبي ﷺ ...	ابن عباس	٢١ - الأنبياء/١٠٤
السجل : ملك ، فإذا صعد بالاستغفار ...	ابن عباس	٢١ - الأنبياء/١٠٤

سحر النبيّ ﷺ رجل من اليهود ...	زيد بن أرقم	١١٣ - الفلق/٤
السحور أكلة بركة فلا تدعوه ...	أبو سعيد	٢ - البقرة/١٨٧
سددوا وقاربوا	أبو هريرة	٤ - النساء/١٢٣
سدوا كل خوخة في المسجد ...	...	٤ - النساء/٤٣
سر إلى فقير ، أو جهد من مقل	أبو ذر	٢ - البقرة/٢٧١
سرحتني أمي إلى رسول الله ﷺ أسأله ...	أبو سعيد	٢ - البقرة/٢٧٣
سرق لها شيء ...	عائشة	٤ - النساء/١٤٨
سرقت امرأة حليًا	عبد الله بن عمرو	٥ - المائدة/٣٩
سرنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كان من آخر الليل ...	أبو سعيد الخدري	٢ - البقرة/٥٨
سقتني حفصة شربة عسل ...	عائشة	٦٦ - التحريم/٣
سقطت قلادة لي بالبيداء ونحن داخلون المدينة ...	عائشة	٥ - المائدة/٦
سل رسول الله ﷺ :		
أرأيت رجلاً وجد رجلاً مع امرأته ...	سهل بن سعد	٢٤ - النور/٦
سل عمّا شئت ...	جابر	٢٠ - طه/٦
سل واستفهم ...	ابن عمر	٤ - النساء/٦٩
سل واستفهم ...	ابن عمر	٧٦ - الإنسان/٢٠
سلوا الله لي الوسيلة ...	ابن عباس	٥ - المائدة/٣٥
سلوا الله لي الوسيلة ...	ابن عباس	٩ - التوبة/٧٢
سلوا الله من فضله ...	عبد الله بن مسعود	٤ - النساء/٣٢
سلوا الله من فضله ...	ابن عباس	٤ - النساء/٣٢
سلوا عما شئتم ، ولكن اجعلوا لي ذمة ...	ابن عباس	٢ - البقرة/٩٨
سلوني عما شئتم ...	ابن عباس	٣ - آل عمران/٩٣
سلوني فإنكم لا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به ...	السدي	٥ - المائدة/١٠١
سلوه لأي شيء يصنع ذلك ...	عائشة	١١٢ - الإخلاص/فضائلها
سمع الله لمن حمده ...	أبو سعيد	٣٥ - فاطر/٢
سمع الله لمن حمده ...	حذيفة	٣٦ - يس/٨٣
سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعو في صلاته ...	فضالة بن عبيد	٣٣ - الأحزاب/٥٦

سمع رسول الله ﷺ قومًا يتدارأون ...	عبد الله بن عمرو بن العاص	٣ - آل عمران/٧
سمع عبد الله بن سلام بمقدم		
رسول الله ﷺ وهو في أرض ...	أنس بن مالك	٢ - البقرة/٩٨
سمع عمر صوت رجل في المسجد فقال ...	إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف	٢٤ - النور/٣٦
سمع معاوية بن أبي سفيان على المنبر		
ينتزع بهذه الآية ...	عمرو بن قيس السكوني	٥ - المائدة/٣
السمع والطاعة على المرء المسلم ...	عبد الله بن عمر	٤ - النساء/٥٩
سمعت أبا ذر رضي الله عنه وهو آخذ بحلقة الباب ...	حنش	٤٢ - الشورى/٢٣
سمعت أنس بن مالك يقول ليلة أسري برسول الله ﷺ..	شريك بن عبد الله	١٧ - الإسراء/١
سمعت أنين عمي العباس ...	ابن عباس	٨ - الأنفال/٧٠
سمعت تسبيحًا في السماوات العلى ...	عبد الرحمن بن قرط	١٧ - الإسراء/١
سمعت تسبيحًا في السماوات العلى ...	عبد الرحمن بن قرط	١٧ - الإسراء/٤٤
سمعت الجارود بن أبي سبرة قال :		
هو جدي قال : كان رجل ...	عبد الله بن مسعود	٥ - المائدة/٣
سمعت جنيد بن سبيع يقول : قاتلت ...	عبد الله بن عمرو	٤٨ - الفتح/٢٥
سمعت رجلاً من المهاجرين يقول :		
شهدت أحدًا فنظرت ...	نافع بن جبير	٣ - آل عمران/١٥٣
سمعت رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان	علي	٩ - التوبة/١١٣
سمعت رسول الله ﷺ بالبناوة يقول : يوشك ...	أبو زهير الثقفي	٢ - البقرة/١٤٣
سمعت رسول الله ﷺ حين		
قرأ هذه الآية ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾ ...	الزبير بن العوام	٣ - آل عمران/١٨
سمعت رسول الله ﷺ ذكر سدرة المنتهى فقال ...	أسماء بنت أبي بكر	١٣ - الرعد/٢٩
سمعت رسول الله ﷺ قرأ :		
﴿فذقوا فلن نزيدكم إلا عذابًا﴾ ...	أبو برزة الأسلمي	٧٨ - النبأ/٣٠
سمعت رسول الله ﷺ قضى به		
في بروع بنت واشق ...	معقل بن يسار	٢ - البقرة/٢٣٤
سمعت رسول الله ﷺ وهو يقرا	أسماء بنت أبي بكر	٥٥ - الرحمن/١٣

سمعت رسول اللّه ﷺ وهو يقرأ هذه الآية ...	عقبة بن عامر	٢ - البقرة/١١٠
سمعت رسول اللّه ﷺ يأمر امرأة ثابت بن قيس ...	الربيع بنت معوذ	٢ - البقرة/٢٣٠
سمعت رسول اللّه ﷺ يحكي عن موسى عليه السلام ...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٥٥
سمعت رسول اللّه ﷺ يحكى عن موسى عليه الصلاة والسلام ...	أبو هريرة	٣٥ - فاطر/٤١
سمعت رسول اللّه ﷺ يخطب عام الفتح ...	صفية بنت شيبة	٢ - البقرة/١٢٦
سمعت رسول اللّه ﷺ يخطب يقول ...	النعمان بن بشير	٩٢ - الليل/١٤
سمعت رسول اللّه ﷺ يقرأ : ﴿إنه عمل غير صالح﴾ ...	أسماء بنت يزيد	١١ - هود/٤٦
سمعت رسول اللّه ﷺ يقرأ : ﴿إنه عمل غير صالح﴾ ...	أسماء بنت يزيد	٣٩ - الزمر/٥٣
سمعت رسول اللّه ﷺ يقرأ على المنبر ...	صفوان بن يعلى عن أبيه	٤٣ - الزخرف/٧٧
سمعت رسول اللّه ﷺ يقرأ : ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾ ...	ابن عباس	٩١ - الشمس/٨
سمعت رسول اللّه ﷺ يقرؤها	ابن مسعود	٥٤ - القمر/١٥
سمعت رسول اللّه ﷺ يقول في بعض صلاته ...	عائشة	٨٤ - الانشقاق/٨
سمعت رسول اللّه ﷺ يقول في قول اللّه عز وجل ﴿قد أفلح من زكاها﴾ ...	ابن عباس	٩١ - الشمس/٩
سمعت رسول اللّه ﷺ يقول في هاتين الآيتين ...	أسماء بنت يزيد	٢ - البقرة/٢٥٥
سمعت رسول اللّه ﷺ يقول لرجل ...	مرة البهذي	٢٣ - المؤمنون/٥٠
سمعت عبد اللّه بن عمرو وجاءه رجل ...	يعقوب بن عاصم	٢٧ - النمل/٨٧
سمعت عمر بن الخطاب يقول لكعب : أين ترى أن أصلي؟ ...	عبيد اللّه بن آدم	١٧ - الإسراء/١
سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلّف ...	عبيد اللّه بن كعب عن كعب بن مالك	٩ - التوبة/١١٨
سمعت من رسول اللّه ﷺ حديثًا	ابن عمر	٢١ - الأنبياء/٨٥

لو لم أسمعه إلا مرةً ...		
سمعت النبي ﷺ قرأ : ﴿غير المغضوب عليهم﴾ ...	وائل بن حجر	١ - الفاتحة/٧
سمعت النبي ﷺ وهو بعرفة يقرأ هذه الآية ﴿شهد اللّه أن لا إله إلا هو﴾ ...	الزبير بن العوام	٣ - آل عمران/١٨
سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور ...	جبير بن مطعم	٥٢ - الطور/فضائلها
سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور ...	جبير بن مطعم	٥٢ - الطور/٣٥
سمعت يزيد بن عامر السوائي ، وكان شهد حنينًا	يسار بن يزيد عن عامر	٩ - التوبة/٢٥
سمعنا وجبة فقلنا : ما هذه ؟ ...	ابن مسعود	٢ - البقرة/٢٤
سمِّ اللّه وكل بيمينك وكل مما يليك	...	٥ - المائدة/٤
سمّوا اللّه أنتم وكلوا	عائشة	٥ - المائدة/٤
سمّوا عليه أنتم وكلوا	عائشة	٦ - الأنعام/١٢١
سمى لنا رسول اللّه ﷺ نفسه أسماء منها	أبو موسى	٦١ - الصف/٦
سميت ابنتي برة فقالت لي زينب ...	محمد بن عمرو بن عطاء	٥٣ - النجم/٣٢
سنّة أبيكم إبراهيم ...	زيد بن أرقم	٢٢ - الحج/٣٤
سهام المؤذنين عند اللّه تعالى ...	سعد بن أبي وقاص	٤١ - فصلت/٣٣
سهر رسول اللّه ﷺ ذات ليلة ...	عائشة	٥ - المائدة/٦٧
سورة البقرة فيها آية سيدة آي القران	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٥٥
سورة بني النضير ...	ابن عباس	٥٩ - الحشر/سببها
سورة في القرآن خاصمت عن صاحبها	أنس	٦٧ - الملك/فضائلها
﴿سوف أستغفر لكم ربي﴾ يقول : حتى تأتي ليلة الجمعة ...	ابن عباس	١٢ - يوسف/٩٨
السلام عليك ورحمة اللّه ...	أنس أو غيره	٢٤ - النور/٢٧
﴿سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾ ...	...	١٣ - الرعد/٢٤
السلام عليكم ، السلام عليكم ...	عبد اللّه بن بشر	٢٤ - النور/٢٧
السلام عليكم ورحمة اللّه ، فردَّ سعدٌ ...	قيس بن سعد	٢٤ - النور/٢٧
السلام قبل الكلام	جابر بن عبد اللّه	٢٤ - النور/٢٧
سياحة أمتي الجهاد في سبيل اللّه ...	أبو أمامة	٩ - التوبة/١١٢

سياحة هذه الأمة الصيام	...	٦٦ - التحريم/٥
سيخرج أناس من أمتي من قبل المشرق ...	عبد اللّه بن عمرو	٢٩ - العنكبوت/٢٦
سيرسل اللّه عليه كلبًا من كلابه ...	هبار بن الأسود	٥٣ - النجم/١١
سيكون في أمتي أقوام يكذبون بالقدر ...	ابن عمر	٥٤ - القمر/٤٩
سيكون في هذه الأمة مسخ ...	ابن عمر	٥٤ - القمر/٤٩
سيليكم ولاة بعدي ...	أبو هريرة	٤ - النساء/٥٩
سينهاه ماتقول	جابر	٢٩ - العنكبوت/٤٥
سيهاجر أهل الأرض هجرة بعد هجرة ...	عبد اللّه بن عمر	٢٩ - العنكبوت/٢٦
﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ ...	عمر	٥٤ - القمر/٤٥
سيّد الاستغفار أن يقول العبد : اللّهم أنت ربي ...	شداد بن أوس	٢ - البقرة/١٩٩
سئل ابن عباس كيف كان امتحان رسول اللّه ﷺ النساء ...	أبونصر الأسدي	٦٠ - الممتحنة/١٠
سئل ابن عباس الليل كان قبل أو النهار؟ ...	عكرمة	٢١ - الأنبياء/٣٠
سئل أبو موسى الأشعري عن ابنة ، وابنة ابن ...	هزيل بن شرحبيل	٤ - النساء/١٧٦
سئل أبو هريرة عن الصلاة الوسطى فقال ...	كهيل بن حرملة	٢ - البقرة/٢٣٨
سئل رسول اللّه ﷺ : أي الأجلين قضى موسى؟ ...	محمد بن كعب	٢٨ - القصص/٢٨
سئل رسول اللّه ﷺ : أي الذنب أكبر؟ ...	ابن مسعود	٢٥ - الفرقان/٦٨
سئل رسول اللّه ﷺ أي المؤمنين أكيس؟ ...	أبو جعفر	٦ - الأنعام/١٢٥
سئل رسول اللّه ﷺ أى الناس أكرم؟ ...	أبو هريرة	١٢ - يوسف/٤
سئل رسول اللّه ﷺ أى الناس أكرم ...	أبو هريرة	٤٩ - الحجرات/١٣
سئل رسول اللّه ﷺ عمن استوت حسناته وسيئاته ...	جابر بن عبد اللّه	٧ - الأعراف/٤٦
سئل رسول اللّه ﷺ عمن استوت حسناته وسيئاته ...	رجل من مزينة	٧ - الأعراف/٤٦
سئل رسول اللّه ﷺ عن أصحاب الأعراف ...	عبد الرحمن المزني	٧ - الأعراف/٤٦
سئل رسول اللّه ﷺ عن أصحاب الأعراف ...	أبو سعيد الخدري	٧ - الأعراف/٤٦
سئل رسول اللّه ﷺ عن أصحاب الأعراف ...	ابن عباس	٧ - الأعراف/٤٦
سئل رسول اللّه ﷺ عن أصحاب الأعراف ...	عمرو بن جرير	٧ - الأعراف/٤٦
سُئل رسول اللّه ﷺ عن أطفال المسلمين ...	البراء بن عازب	١٧ - الإسراء/١٥

سُئل رسول الله ﷺ عن أطفال المسلمين ...	عائشة	١٧ - الإسراء/١٥
سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل ...	أبو هريرة	٣١ - لقمان/١٩
سئل رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين ...	ابن عباس	١٧ - الإسراء/١٥
سئل رسول الله ﷺ عن الثمر المعلق فقال ...	عبد الله بن عمرو	٢ - البقرة/١٧٣
سئل رسول الله ﷺ عن الجراد ...	سلمان	٧ - الأعراف/١٣٣
سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ...	أبو موسى الأشعري	٨ - الأنفال/٣٩
سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ...	أبو موسى الأشعري	٩ - التوبة/٤٠
سئل رسول الله ﷺ عن الساعة ...	حذيفة	٧ - الأعراف/١٨٧
سئل رسول الله ﷺ عن السمن والجبن ...	أبو عثمان النهدي	٢ - البقرة/١٧٣
سئل رسول الله ﷺ عن صيام يوم عرفة ...	أبو قتادة	٢٢ - الحج/٢٨
سئل رسول الله ﷺ عن العتل الزنيم ...	عبد الرحمن بن غنم	٦٨ - القلم/١٣
سئل رسول الله ﷺ عن العزم ...	علي بن أبي طالب	٣ - آل عمران/١٥٩
سئل رسول الله ﷺ عن القردة والخنازير ...	ابن مسعود	٥ - المائدة/٦٠
سئل رسول الله ﷺ عن قول الله تعالى :	عائشة	٣ - آل عمران/٧
﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ﴾ ...		
سئل رسول الله ﷺ عن قول الله تعالى :	أنس بن مالك	٣ - آل عمران/١٤
﴿والقناطير المقنطرة﴾ ...		
سئل رسول الله ﷺ عن قوله : ﴿حوبًا كبيرًا﴾ ...	أبو هريرة	٤ - النساء/٢
سُئل رسول الله ﷺ عن قوله :	جابر بن عبد الله	٥ - المائدة/٥٤
﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾ ...		
سئل رسول الله ﷺ عن قوله :	حبان بن أبي حبلة	١٢ - يوسف/١٨
﴿فصبر جميل﴾ فقال ...		
سئل رسول الله ﷺ عن الكوثر ...	أنس بن مالك	١٠٨ - الكوثر/١
سئل رسول الله ﷺ عن نكاح المحلل ...	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٣٠
سئل رسول الله ﷺ عن نكاح المحلل ...	عمرو بن دينار	٢ - البقرة/٢٣٠
سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿قل هو القادر﴾ ...	سعد بن أبي وقاص	٦ - الأنعام/٦٥
سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية :	عائشة	٤ - النساء/١٢٣

﴿من يعمل سوءًا يجز به﴾ ...		
سئل رسول اللّٰه ﷺ عن الوسوسة قال ...	عبد اللّٰه بن مسعود	٢ - البقرة/٢٨٤
سئل رسول اللّٰه ﷺ عن الوقوف بين يدي رب العالمين ...	ابن عباس	٦ - الأنعام/١٢
سئل رسول اللّٰه ﷺ : من أولياؤك؟ ...	أنس بن مالك	٨ - الأنفال/٣٥
سئل رسول اللّٰه ﷺ : هل رأيت ربك؟ ...	أبو العالية	٥٣ - النجم/١١
سئل رسول اللّٰه ﷺ وأنا أسمع عن ليلة القدر ...	عبد اللّٰه بن عمر	٩٧ - القدر/٥
سئل عن خير الناس ...	...	١٩ - مريم/٤٩
سئل عن ماء البحر أنتوضأ به؟ ...	...	٢٥ - الفرقان/٥٣
سئل نبي اللّٰه ﷺ أينام أهل الجنة؟ ...	جابر	٤٤ - الدخان/٥٦
سئل النبي ﷺ عن رجل طلق امرأته فتزوجت ...	عائشة	٢ - البقرة/٢٣٠
سئل النبي ﷺ عن الرجل يطلق امرأته ثلاثًا	ابن عمر	٢ - البقرة/٢٨٥
سئل النبي ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ...	أبو موسى الأشعري	٢ - البقرة/١٩٢
سئل النبي ﷺ عن السائحين فقال : هم الصائمون	عبيد بن عمير	٩ - التوبة/١١٢
سئل النبي ﷺ عن عبد اللّٰه بن جدعان	...	٣ - آل عمران/٩١
سئل النبي ﷺ عن قول اللّٰه : ﴿إن الصلاة تنهى﴾ ...	عمران بن حصين	٢٩ - العنكبوت/٤٥
سئل النبي ﷺ عن قول اللّٰه تعالى : ﴿فمن يرد اللّٰه أن يهديه﴾ ...	أبو جعفر	٦ - الأنعام/١٢٥
سئل النبي ﷺ عن قول اللّٰه عز وجل : ﴿وسع كرسيه﴾ ...	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٥٥
سئلت عن المتلاعنين : أيفرق بينهما ؟ ...	سعيد بن جبير	٢٤ - النور/٦
سئلت عن المتلاعنين : أيفرق بينهما ؟ ...	سعيد بن جبير	٢٤ - النور/٦

حرف الشين

شأن اللّٰه أعظم من ذلك ...	...	٢٣ - المؤمنون/٨٦
شأنكم بها ، ولم يصلِّ عليها	أبو قتادة	٩ - التوبة/٨٤
شاهت الوجوه ...	محمد بن قيس ومحمد بن كعب القرظي وعبد الرحمن	

	ابن زيد بن أسلم	٨ - الأنفال/١٧
شاهت الوجوه ، ارجعوا	عبد الرحمن مولى ابن برثن	
	عن رجل كان من المشركين	
	يوم حنين	٩ - التوبة/٢٥
شج النبي ﷺ يوم أحد ...	أنس بن مالك	٣ - آل عمران/١٢٨
شرب الفتى من الماء فخلد ...	ابن عباس	١٨ - الكهف/٨٢
الشر ليس إليك	...	٧٢ - الجن/١٠
شرّ ما في رجل شح هالع وجبن خالع ...	أبو هريرة	٧٠ - المعارج/١٩
الشرك أخفى في أمتي من دبيب النمل ...	أبو بكر	١٢ - يوسف/١٠٦
الشرك أخفى فيكم من دبيب النمل ...	معقل بن يسار أو أبو بكر	١٢ - يوسف/١٠٦
الشرك بالله وقتل النفس ...	أنس بن مالك	٤ - النساء/٣١
الشرك بالله ، واليأس من روح الله ...	ابن عباس	٤ - النساء/٣١
الشرك بالله واليأس من روح الله ...	ابن مسعود	٤ - النساء/٣١
الشرك الخفي أن يقوم الرجل يصلي لمكان الرجل	أبو سعيد الخدري	١٨ - الكهف/١١٠
الشعث التفل	ابن عمر	٣ - آل عمران/٩٧
شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ...	علي	٢ - البقرة/٢٣٨
شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ...	ابن مسعود	٢ - البقرة/٢٣٨
الشفاء في ثلاثة : في شرطة محجم ...	ابن عباس	١٦ - النحل/٦٩
شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي	أنس	٤ - النساء/٣١
شفاعتي لأهل الكبائرمن أمتي	جابر	٤ - النساء/٣١
شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي	ابن عباس	٣٥ - فاطر/٣٢
الشفاعة لمن وجبت له النار ...	عبد الله بن مسعود	٤٢ - الشورى/٢٦
الشفع اليومان	جابر	٨٩ - الفجر/٣
شكوت إلى رسول الله ﷺ ...	أم سلمة	٥٢ - الطور/فضائلها
الشمس والقمر ثوران	أنس	٨١ - التكوير/١
الشمس والقمر يكوران يوم القيامة ...	أبو هريرة	٨١ - التكوير/١
شهد رسول الله ﷺ جنازة في بني مسلمة ...	جابر بن عبد الله	٢ - البقرة/١٤٣

الشهداء أربعة : رجل مؤمن ...	عمر بن الخطاب	٥٧ - الحديد/١٩
الشهداء على بارق نهر ...	ابن عباس	٣ - آل عمران/١٦٩
الشهداء على بارق نهر ...	ابن عباس	١٩ - مريم/٦٢
شهدت أحدًا فنظرت إلى النبل يأتي من كل ناحية ...	رجل من المهاجرين	٣ - آل عمران/١٥٣
شهدت حلف المطيبين وأنا غلام ...	عبد الرحمن بن عوف	٤ - النساء/٣٣
شهدت الصلاة يوم الفطر مع رسول اللّه ﷺ ...	ابن عباس	٦٠ - الممتحنة/١٢
شهدت من رسول اللّه ﷺ مجلسًا	سهل بن سعد	٣٢ - السجدة/١٧
شهدتُ من المقداد بن الأسود مشهدًا	ابن مسعود	٨ - الأنفال/٩
شهدنا أحدًا مع رسول اللّه ﷺ ...	رجل من أصحاب رسول اللّه ﷺ	٣ - آل عمران/١٦٩
شهدنا الحديبية فلما انصرفنا عنها	مجمع بن حارثة	٤٨ - الفتح/١
شهدنا مع رسول اللّه ﷺ جنازة فقال رسول اللّه ﷺ ...	أبو سعيد الخدري	١٤ - إبراهيم/٢٧
الشهر تسع وعشرون	عائشة	٢ - البقرة/٢٢٦
شهيد عليهم ما دمت فيهم ...	عبد اللّه بن مسعود	٤ - النساء/٤١
شيبتني هود وأخواتها	سهل بن سعد	١١ - هود/سببها
شيبتني هود والواقعة ...	ابن عباس عن أبي بكر	١١ - هود/سببها
شيبتني هود والواقعة ...	أبو بكر	١١ - هود/سببها
شيبتني هود والواقعة ...	ابن عباس عن أبي بكر	٥٦ - الواقعة/فضائلها

حرف الصاد

صاح رسول اللّه ﷺ على أبي قبيس ...	الزبير بن العوام	١٧ - الإسراء /٥٩
صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب ...	ابن عباس	٧١ - نوح/٢٣
صبح أناس غداة أحد الخمر ...	جابر	٥ - المائدة/٩١
صبح رسول اللّه ﷺ خيبر فلما خرجوا	أنس	٣٧ - الصافات/١٧٧
صبر لا شكوى فيه	حبان بن أبي حبلة	١٢ - يوسف/١٨
صدق (عن جواب ابن صائد في تراب الجنة)	أبو سعيد	٣٩ - الزمر/٧٣
صدق ...	أنس	٨٨ - الغاشية/١٩

صدق أبو أيوب	عبد اللّٰه بن عمرو	١١٢ - الإخلاص/فضائلها
صدق اللّٰه ورسوله ...	أبو بريدة	٦٤ - التغابن/١٥
صدق أمية بن أبي الصلت ...	ابن عباس	٤٠ - غافر/٧
صدق الخبيث	أبي بن كعب	٢ - البقرة/٢٥٥
صدق والذي بعثني بالحق ...	ابن عباس	٦ - الأنعام/٨٢
صدقة تصدق اللّٰه بها عليكم ...	عمربن الخطاب	٤ - النساء/١٠١
صدقة السر تطفيء غضب الرب عز وجل	...	٢ - البقرة/٢٧١
الصدقة على المساكين صدقة ...	...	٢ - البقر/١٧٧
الصدقة على المسكين صدقة ...	...	٤ - النساء/٣٦
الصدقة على المسكين صدقة ...	سلمان بن عامر	٩٠ - البلد/١٥
صديد أهل النار	أسماء بنت يزيد	١٤ - إبراهيم/١٦
الصراط على جهنم مثل حد السيف ...	ابن مسعود	١٩ - مريم/٧١
الصراط على جهنم مثل حد السيف ...	أنس	١٩ - مريم/٧١
الصراط على جهنم مثل حد السيف ...	أبو سعيد	١٩ - مريم/٧١
الصراط على جهنم مثل حد السيف ...	أبو هريرة	١٩ - مريم/٧١
الصراط على جهنم مثل حد السيف ...	جابر	١٩ - مريم/٧١
الصراط المستقيم كتاب اللّٰه	علي بن أبي طالب	١ - الفاتحة/٦
صعد عمر بن الخطاب رضي اللّٰه عنه المنبر فقال ...	أبو معاوية	٤٢ - الشورى/٢
صعد النبي ﷺ الصفا ذات يوم ...	ابن عباس	٣٤ - سبأ/٤٦
صعد النبي ﷺ المنبر فقال ...	ابن عمر	٤ - النساء/٣١
الصعيد الطيب طهور المسلم ...	أبو ذر	٤ - النساء/٤٣
صل قرابتك وإن قطعوك ...	أبو ذر	٤ - النساء/١٦٤
صلّ قائمًا	عمران بن حصين	٣ - آل عمران/١٩١
صل قائمًا فإن لم تستطع فقاعدًا	عمران بن حصين	١٥ - الحجر/٩٩
الصلاة خير موضوع فاستكثر أو استقل ...	أبو ذر	٤ - النساء/١٦٤
صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته ...	...	٢٤ - النور/٣٦
صلاة السفر ركعتان	عمر	٤ - النساء/١٠١

الصلاة الصلاة ...	أبو الحمراء	٣٣ - الأحزاب/٣٣
الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم ...	...	٤ - النساء/٣٦
الصلاة على وقتها	ابن مسعود	٦ - الأنعام/١٥١
الصلاة على وقتها	ابن مسعود	٢٣ - المؤمنون/٩
الصلاة على وقتها ، قلت : ثم أي؟ ...	ابن مسعود	٢ - البقرة/٨٣
الصلاة في أول وقتها	ابن مسعود	٢٣ - المؤمنون/٩
صلاة في مسجد قباء كعمرة	...	٩ - التوبة/١٠٨
الصلاة فى وقتها ، قلت ثم أي؟ ...	ابن مسعود	٢ - البقرة/٢٣٨
صلاة الليل	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/٧٩
صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها	عبد اللّه بن مسعود	٢٤ - النور/٣٧
صلاة المرأة في مخدعها أفضل ...	...	٣٣ - الأحزاب/٣٣
صلاة الوسطى صلاة العصر ...	سمرة	٢ - البقرة/٢٣٨
صلاة الوسطى صلاة العصر ...	عبد اللّه بن مسعود	٢ - البقرة/٢٣٨
صلاة الوسطى صلاة العصر	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٣٨
الصلاة الوسطى صلاة العصر	زيد بن ثابت	٢ - البقرة/٢٣٨
الصلاة الوسطى صلاة العصر	أبو مالك الأشعري	٢ - البقرة/٢٣٨
الصلاة الوسطى هي الظهر	زيد بن ثابت	٢ - البقرة/٢٣٨
الصلاة وما ملكت أيمانكم ...	...	٦٩ - الحاقة/٣٤
الصلاة وما ملكت أيمانكم ...	...	٧٦ - الإنسان/٨
الصلاة يا أهل البيت ...	أنس	٣٣ - الأحزاب/٣٣
صلّوا على أنبياء اللّه ورسله ...	أبو هريرة	٣٣ - الأحزاب/٥٦
صلُّوا عليَّ حيثما كنتم ...	الحسن بن علي	٣٣ - الأحزاب/٥٦
صلوا على صلاتكم وسلوا اللّه لي الوسيلة ...	أبو هريرة	٥ - المائدة/٣٥
صلوا عليَّ فإنَّ صلاتكم عليَّ زكاة ...	أبو هريرة	٣٣ - الأحزاب/٥٦
صلوا عليَّ فإنها زكاة لكم ...	أبو هريرة	٣٣ - الأحزاب/٥٦
صلّى اللّه عليك وعلى زوجك	...	٩ - التوبة/١٠٣
صلى اللّه عليك وعلى زوجك	جابر	٣٣ - الأحزاب/٥٦

صلّى بنا رسول اللّه ﷺ آمن ما كان بمنى ركعتين	حارثة بن وهب	٤ - النساء/١٠١
صلى بنا رسول اللّه ﷺ صلاة الصبح ...	الزبير بن العوام	٤٦ - الأحقاف/٢٩
صلى بنا رسول اللّه ﷺ صلاة الصبح ...	زيد بن خالد الجهني	٥٦ - الواقعة/٨٢
صلى بنا رسول اللّه ﷺ صلاة الظهر ...	أبو موسى	٣٣ - الأحزاب/٧٠
صلّى بنا رسول اللّه ﷺ في وادٍ من أوديتهم ...	أبو نضرة الغفاري	٢ - البقرة/٢٣٨
صلّى بنا رسول اللّه ﷺ بإحدى الطائفتين ركعة ...	عبد اللّه بن عمر	٤ - النساء/١٠٢
صلى رسول اللّه ﷺ الصبح ...	خريم بن فاتك	٢٢ - الحج/٣٠
صلّى معاذ صلاة فجاء رجل ...	جابر	٨٩ - الفجر/فضائلها
صلّى معاذ المغرب فقرأ البقرة والنساء ...	جابر	٨٦ - الطارق/فضائلها
صلّى النبي ﷺ ذات ليلة فقرأ بآية حتى أصبح ...	أبو ذر	٥ - المائدة/١١٨
صلّيت خلف رسول اللّه ﷺ عام الفتح ...	رجل من بني كنانة	٦٦ - التحريم/٨
صليت خلف النبي ﷺ ...	أنس	١ - الفاتحة/البسملة
صليت خلف النبي ﷺ الصبح ...	عمرو بن حريث	٨١ - التكوير/٩
صليت الظهر أو العصر في مسجد بني حارثة ...	نويلة بنت أسلم	٢ - البقرة/٣
صليت لأصحابي صلاة العتمة ...	شداد بن أوس	١٧ - الإسراء/١
صليت مع أبي هريرة العتمة ...	أبو رافع	٨٤ - الانشقاق/فضائلها
صليت مع رسول اللّه ﷺ بمنى ركعتين	عبد اللّه بن مسعود	٤ - النساء/١٠١
صليت مع رسول اللّه ﷺ ركعتين	عبد اللّه بن عمر	٤ - النساء/١٠١
صليت مع رسول اللّه ﷺ عيد الأضحى	جابر بن عبد اللّه	٢٢ - الحج/٣٦
صليت مع النبي ﷺ الظهر والعصر ...	حارثة بن وهب الخزاعي	٤ - النساء/١٠١
صلينا الظهر - أو العصر - في مسجد بني حارثة ...	نويلة بنت مسلم	٢ - البقرة/١٩٩
صلينا مع رسول اللّه ﷺ بين مكة والمدينة ...	ابن عباس	٤ - النساء/١٠١
صلة الرحم تزيد في العمر	...	٧١ - نوح/٤
الصلوات الخمس من الجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن	...	٢ - البقرة/١٠٨
الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ...	أبو هريرة	١١ - هود/١١٤
صم ثلاثة أيام أو أطعم ...	كعب بن عجرة	٢ - البقرة/١٩٦
الصمد الذي لا جوف له	بريدة	١١٢ - الإخلاص/٢

صنع رجل من الأنصار طعامًا	...	٤ – النساء/٤٣
صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعامًا	علي بن أبي طالب	٤ – النساء/٤٣
صنعت له طعامًا	عائشة	٦٨ – القلم/٤
الصوم نصف الصبر	رجل من بني سليم	٢ – البقرة/٤٥
صيام رمضان كتبه الله على الأمم قبلكم	عبد الله بن عمر	٢ – البقرة/١٨٣
صيد البر لكم حلال ...	جابر	٥ – المائدة/٩٦
صيد البر لكم حلال وأنتم حرم ...	...	٥ – المائدة/٩٦

حرف الضاد

ضاف النبي ﷺ ضيف ...	أبو رافع	١٥ – الحجر/٨٧
ضاهيت اليهودية ...	عمر	١٧ – الإسراء/١
ضحِّ به	أبو سعيد	٢٢ – الحج/٣٢
ضحّى رسول الله ﷺ بكبشين	جابر	٢٢ – الحج/٣٦
ضحّى رسول الله ﷺ بكبشين أقرنين	جابر	٢٢ – الحج/٣٢
ضحّى رسول الله ﷺ في يوم عيد ...	جابر بن عبد الله	٦ – الأنعام/١٦٣
ضحك رسول الله ﷺ ذات يوم ...	أنس بن مالك	٤١ – فصلت/٢٠
ضرب الله مثلًا صراطًا مستقيمًا	النواس بن سمعان	١ – الفاتح/٦
ضرب الله مثلًا صراطًا مستقيمًا	النواس بن سمعان	٦ – الأنعام/١٥٣
ضرب بعض أصحاب النبي ﷺ خباءه على قبر ...	ابن عباس	٦٧ – الملك/فضائلها
ضرب لنا رسول الله ﷺ أمثالًا	حذيفة	٦٠ – الممتحنة/١
ضرب لنا رسول الله ﷺ أمثالًا واحدًا وثلاثة ...	حذيفة	٢ – البقرة/١٩٠
الضرباء ك كل رجل مع كل قوم ...	النعمان بن بشير	٨١ – التكوير/٧
الضرباء : كل رجل مع كل قوم ...	النعمان بن بشير	٥٦ – الواقعة/٧
ضعه ، فوضعته في ناحية البيت ...	أنس	٣٣ – الأحزاب/٥٣
ضَعْهُ من حيث أخذتَه ...	سعد بن مالك	٨ – الأنفال/١
ضفت عمر رضي الله عنه فتناول امرأته فضربها	الأشعث بن قيس	٤ – النساء/٣٤
ضمّة القبر له	أبو سعيد	٢٠ – طه/١٢٤

حرف الطاء

طار لهم في السكنى حين اقترعت الأنصار ...	أم العلاء	٤٦ - الأحقاف/٩
الطاعون رجز عذاب ، عذب به من كان قبلكم ...	سعد بن مالك	٢ - البقرة/٥٩
الطاعون رجز عذاب ، عذب به من كان قبلكم ...	أسامة بن زيد	٢ - البقرة/٥٩
الطاعون رجز عذاب ، عذب به من كان قبلكم ...	خزيمة بن ثابت	٢ - البقرة/٥٩
طاف رسول الله ﷺ يوم فتح مكة ...	ابن عمر	٤٩ - الحجرات/١٣
طال رباطنا وإقامتنا على حصن بأرض الروم ...	شرحبيل بن السمط	٢٢ - الحج/٥٩
طعام طعم ، وشفاء سقم ...	...	٢ - البقرة/١٥٨
طعامه ما لفظه ميتًا	أبو هريرة	٥ - المائدة/٩٦
طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان	عائشة	٢ - البقرة/٢٢٨
طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان	ابن عمر	٢ - البقرة/٢٢٨
طلحة ممن قضى نحبه ...	معاوية	٣٣ - الأحزاب/٢٤
طلع علينا رسول الله ﷺ من الباب ...	رجل من أصحاب النبي ﷺ	١٥ - الحجر/٥٠
طلق ابن عمر امرأته حائضًا	عبد الرحمن بن أيمن	٦٥ - الطلاق/١
طلق أيهما شئت	الديلمي	٤ - النساء/٢٣
طلق رجل امرأته وهو يلعب ...	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٣١
طلق رسول الله ﷺ حفصة فأتت أهلها	أنس	٦٥ - الطلاق/١
طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان	ابن عمر	٢ - البقرة/٢٢٨
طلقت علي عهد رسول الله ﷺ ولم يكن للمطلقة عدة ...	أسماء بنت يزيد	٢ - البقرة/٢٢٨
طلقها زوجها أبو عمرو بن حفص ثلاث تطليقات ...	فاطمة بنت قيس الفهرية	٦٥ - الطلاق/١
طلّقها ، قال : لا صبر لي عنها	ابن عباس	٢٤ - النور/٣
طلوع الشمس من مغربها	أبو سعيد الخدري	٦ - الأنعام/١٥٨
الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان	أبو مالك الأشعري	٥ - المائدة/٦
طوبى شجرة في الجنة ...	ابن عمر	٥٦ - الواقعة/٢١
طوبى شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ...	أبو سعيد الخدري	١٣ - الرعد/٢٩
طوبى للأتقياء الأثرياء الذين	أنس	٣١ - لقمان/١٩

طوبى لمن رآني وآمن بي ...	أبو سعيد	١٣ - الرعد/٢٩
الطوفان الموت	عائشة	٧ - الأعراف/١٣٣
طوفي من وراء الناس ...	أم سلمة	٥٢ - الطور/فضائلها
طول القنوت ...	أبو ذر	٤ - النساء/١٦٤
طير كل عبد في عنقه ...	جابر	١٧ - الإسراء/١٣
الطيرة شرك وما منا إلا	ابن مسعود	١٢ - يوسف/١٠٦

حرف الظاء

ظل رسول الله ﷺ صائمًا	عائشة	٤٦ - الأحقاف/٣٥
الظلم ثلاثة ...	أنس	٤ - النساء/٤٨

حرف العين

عادني رسول الله ﷺ وأبو بكر ...	جابر بن عبد الله	٤ - النساء/١١
العار والتخزية تبلغ من ابن آدم ...	جابر بن عبد الله	٣ - آل عمران/١٩٤
عباءة لكل مسكين	عائشة	٥ - المائدة/٨٩
العبد آمنٌ من عذاب الله ما استغفر الله عز وجل	فضالة بن عبيد	٨ - الأنفال/٣٣
العبد المسلم إذا بلغ أربعين سنة ...	عثمان	٤٦ - الأحقاف/١٥
عثر بالنبي ﷺ حماره ...	...	١١٤ - الناس/٤
عثر بالنبي ﷺ فقلت تعس الشيطان	رديف النبي ﷺ	١ - الفاتحة/البسملة
عجب ربك من قنوط عباده ...	أبو رزين	٢ - البقرة/٢١٤
عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل	...	٢ - البقرة/٢٥٦
عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل	...	٣ - آل عمران/٨٥
عجب ربنا من رجلين	ابن مسعود	٣٢ - السجدة/١٦
عجبًا لأمر المؤمن	...	١٠ - يونس/١٢
عجبًا للمؤمن لا يقضي الله تعالى ...	أبو هريرة	٣٤ - سبأ/١٩
عجبًا للمؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا	...	٣٠ - الروم/٣٣
عجبًا للمؤمن لا يقضي الله له قضاءً إلا كان خيرًا له ...	...	٢ - البقرة/١٥٣
عجبًا للمؤمن لا يقضي الله له قضاءً إلا كان خيرًا له ...	...	٧ - الأعراف/٩٥

عجبًا للمؤمن لا يقضي اللّٰه له قضاءً إلا كان خيرًا له		٦٤ - التغابن/١١
عجبت من قضاء اللّٰه تعالى ...	سعد بن أبي وقاص	٣٤ - سبأ/١٩
عجل هذا ، ثم دعاه فقال له ...	فضالة بن عبيد	٣٣ - الأحزاب/٥٦
العجوة من الجنة وفيها شفاء من السم ...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٥٧
العدل الفدية	عمرو بن قيس الملائي عن رجل من بني أمية	٢ - البقرة/٤٧
عدلًا (في تفسير قوله تعالى : ﴿أمة وسطًا﴾)	أبو سعيد	٢ - البقرة/١٤٣
عدلت شهادة الزور الإشراك ...	خريم بن فاتك	٢٢ - الحج/٣٠
عذاب القبر	أبو هريرة	٢٠ - طه/١٢٤
﴿عربًا﴾ - قال - كلامهن عربي	علي بن أبي طالب	٥٦ - الواقعة/٣٧
عُرج بي إلى السماء فرأيت إبراهيم عليه السلام ...	أبو أيوب الأنصاري	١٨ - الكهف/٤٦
عرض على رسول اللّٰه ﷺ ما هو مفتوح ...	عبد اللّٰه بن عباس	٩٣ - الضحى/٤
عرض عليّ الأنبياء فجعل النبي يمر ...	...	١٠ - يونس/٩٨
عرض عليّ ربي عز وجل ليجعل إليّ بطحاء مكة ذهبًا	أبو أمامة	١٧ - الإسراء/٩٣
عرض لرسول اللّٰه ﷺ رجل عند الجمرة الأولى ...	أبو أمامة	٥ - المائدة/٧٩
عرضت على النبي ﷺ يوم أحد ...	ابن عمر	٤ - النساء/٦
عرضت عليّ الأمم ...	ابن عباس	٣ - آل عمران/١١٠
عرضت عليّ الأمم بالموسم ...	ابن مسعود	٣ - آل عمران/١١٠
عرضت عليّ أمتي البارحة ...	حذيفة بن أسيد	١٠ - يونس/٤٦
عرضت عليّ الأنبياء الليلة بأممها	ابن مسعود	٣ - آل عمران/١١٠
عرضت عليّ الأنبياء وأتباعها	عبد اللّٰه بن مسعود	٥٦ - الواقعة/٣٨
عرضنا على النبي ﷺ يوم قريظة ...	عطية القرظي	٤ - النساء/٦
عرف الحق لأهله	الأسود بن سريع	٣ - آل عمران/١٣٥
عرفت أني إن بادرت قومي رأيت منهم ...	علي بن أبي طالب	٢٦ - الشعراء/٢١٤
عرفة كلها موقف ...	جبير بن مطعم	٢ - البقرة/٢٠٣
عرفة كلها موقف وارفعوا عن عرنة ...	زيد بن أسلم	٢ - البقرة/١٩٨
عزير لا أدري أنبيًا كان أم لا؟ ...	ابن عباس	٤٤ - الدخان/٣٧

عسقلان أحد العروسين ...	أنس بن مالك	٣ - آل عمران/١٩٤
عسى ...	مجاهد	٣ - آل عمران/١٧٤
﴿عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا﴾ ...	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/٧٩
عشرة من الفطرة ...	عائشة	٢ - البقرة/١٢٤
عصارة أهل النار	أسماء بنت يزيد	١٤ - إبراهيم/١٦
العظمة إزاري والكبرياء ردائي ...	...	٥٩ - الحشر/٢٣
عقلت عن رسول اللّه ﷺ ألف مثل ...	عمرو بن العاص	٢٩ - العنكبوت/٤٣
علام تبايعني ...	الشعبي	٤٨ - الفتح/١٠
علام يقتل أحدكم أخاه؟ ...	أبو أمامة	٦٨ - القلم/٥١
العلم ثلاثة ، وما سوى ذلك فهو فضل ...	عبد اللّه بن عمرو	٤ - النساء/١١
علّمني رسول اللّه ﷺ كلمات أقولهن في الوتر ...	الحسن بن علي	٣٣ - الأحزاب/٥٦
علّمها بلالًا ليؤذن بها	معاذ بن جبل	٢ - البقرة/١٨٤
علمها عند ربي عز وجل ...	حذيفة	٧ - الأعراف/١٨٧
علّموا أرقاءكم سورة يوسف ...	أبي بن كعب	١٢ - يوسف/سببها
علي أقضانا وأبي أقرؤنا	عمر	٢ - البقرة/١٠٦
على أنهار عسل مصفى ...	لقيط بن عامر	٤٧ - القتال/١٥
عليّ بهؤلاء النفر ...	قتادة	٩ - التوبة/٦٥
على رسلكما ، إنها صفية بنت حيي ...	...	٢ - البقرة/١٨٧
على رسلكما ، إنها صفية بنت حيي ...	أنس	١١٤ - الناس/١
على شيء قد فرغ منه يا عمر ...	عمر	١١ - هود/١٠٥
على الصراط	عائشة	١٤ - إبراهيم/٤٨
على ظهر كل بعير شيطان	محمد بن حمزة عن أبيه	٤٣ - الزخرف/١٤
على كل أهل بيت في كل عام أضحاه ...	مخنف بن سليم	٢٢ - الحج/٣٧
على كل رجل مسلم في كل سبعة أيام غسل ...	جابر	٦٢ - الجمعة/٩
على اليد ما أخذت حتى تؤديه	سمرة	٢ - البقرة/٢٨٣
عليك بالجهاد فإنه رهبانية أمتي ...	أبو ذر	٤ - النساء/١٦٤
عليك بالصمت إلا من خير ...	أبو ذر	٤ - النساء/١٦٤

عليك السلام ورحمة اللّٰه وبركاته ...	جابر	١ - الفاتحة/المقدمة
عليكم بالسنا والسنوت فإن فيهما شفاء ...	أبو أبي ابن أم حرام	١٦ - النحل/٦٩
عليكم بالشفاءين : العسل والقرآن	عبد اللّٰه بن مسعود	١٦ - النحل/٦٩
عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدي إلى البر ...	عبد اللّٰه بن مسعود	٩ - التوبة/١١٩
عليكم بثياب البياض فالبسوها	سمرة بن جندب	٧ - الأعراف/٣١
عليكم برخصة اللّٰه التي رخص لكم	...	٢ - البقرة/١٨٥
عليكم بلا إله إلا اللّٰه والاستغفار ...	أبو بكر	٣ - آل عمران/١٣٥
عليكم بلا إله إلا اللّٰه والاستغفار ...	أبو بكر الصديق	٤٧ - محمد/١٥
عليكما صاحبكما	أبو بكر	٣ - آل عمران/١٥٣
عمدت إلى أهل بيت ذكر منهم إسلام وصلاح ...	قتادة بن النعمان	٤ - النساء/١٠٥
عمر الذباب أربعون يومًا	أنس	١٦ - النحل/٦٩
العمر الذي أعذر اللّٰه تعالى فيه ...	أبو هريرة	٣٥ - فاطر/٣٧
عمرة في رمضان تعدل حجة معي	أم هانئ	٢ - البقرة/١٩٦
عمي أنس بن النضر رضي اللّٰه عنه سميت به ...	أنس	٣٣ - الأحزاب/٢٤
عن اللّٰه عز وجل أنه قال : إني خلقت عبادي حنفاء	عياض بن حمار	١٧ - الإسراء/١٥
عن رسول اللّٰه ﷺ فيما يروي عن ربه تعالى قال ...	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٨٤
العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة ...	...	٤ - النساء/٣١
عهد إليّ خمسين صلاة ...	أنس	١٧ - الإسراء/١
عيسى وعزير والملائكة	أبو هريرة	٢١ - الأنبياء/١٠١
العين حق	ابن عباس	٦٨ - القلم/٥١
العين حق	أبو هريرة	٦٨- القلم/٥١
العين حق لتورد الرجل القبر ...	جابر بن عبد اللّٰه	٦٨ - القلم/٥١
العين حق ، ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين	...	٢ - البقرة/١٠٢
العِينْ : الضخام العيون	أم سلمة	٣٧ - الصافات/٤٩
عينان لا تمسهما النار ...	ابن عباس	٣ - آل عمران/٢٠٠

حرف الغين

غاب عنا رسول اللّٰه ﷺ يومًا	حذيفة بن اليمان	٥ - المائدة/١١٨

غزوت مع رسول اللّه ﷺ أربع غزوات ...	الأسود بن سريع	٧ - الأعراف/١٧٢
غزونا مع رسول اللّه ﷺ سبع غزوات نأكل الجراد ...	عبد اللّه بن أبي أوفى	٧ - الأعراف/١٣٣
غزونا مع رسول اللّه ﷺ غزوة خيبر ...	خالد بن الوليد	١٦ - النحل/٨
غزونا مع رسول اللّه ﷺ وكان معنا أناس ...	زيد بن أرقم	٦٣ - المنافقون/٨
غسل الجمعة واجب على كل محتلم	أبو سعيد	٦٢ - الجمعة/٩
غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد ...	أبو طلحة	٣ - آل عمران/١٥٤
غضب رسول اللّه ﷺ يومًا من الأيام ...	السدي	٥ - المائدة/١٠١
غفر اللّه لك يا أبا بكر ألست تمرض ...	أبو بكر	٤ - النساء/١٢٣
الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافرًا	أبي بن كعب	١٨ - الكهف/٨٠
غير الدجال أخوفني عليكم ...	النواس بن سمعان	٢١ - الأنبياء/٩٦

حرف الفاء

فاتحة الكتاب شفاء من كل سم	أبو سعيد	١ - الفاتحة/المقدمة
فاتّقوا اللّه في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة اللّه ...	جابر	٢ - البقرة/٢٢٨
﴿فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾ قال : أن يأتيها في ...	ابن عمر	٢ - البقرة/٢٢٣
فأتيته لأبايعه فأخذ علينا	عجوز ممن بايع رسول اللّه ﷺ	٦٠ - الممتحنة/١٢
فأتيتهنّ فسلّمت عليهن	أنس	١٧ - الإسراء/١
فأتينا على نهر - حسبت أنه كان يقول - أحمر ...	سمرة بن جندب	٢ - البقرة/٢٧٥
فأدخل على ربي فى داره	...	٤ - النساء/١٧١
فإذا تعافت من نفاسها فاجلدها خمسين	...	٤ - النساء/٢٥
فإذا حللت فآذنيني	...	٢ - البقرة/٢٣٥
فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه ...	عائشة	٣ - آل عمران/٧
فإذا رأيتها فقل : باسم اللّه أجيبي رسول اللّه ...	أبو أيوب	٢ - البقرة/٢٥٥
فإذا قرأ أحدكم ﴿والتين والزيتون﴾ ...	أبو هريرة	٩٥ - التين/٨
فإذا هو قد أعطي شطر الحسن	...	١٢ - يوسف/٣١
فإذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك ...	...	٧٤ - المدثر/٣١
فإذا ورقها كأذان الفيلة ...	...	٥٦ - الواقعة/٣٣
فأسجد لله تعالى فيدعني ما شاء اللّه ...	...	٣٤ - سبأ/٢٣

فاطمة بضعة مني يريبني ما	المسور بن مخرمة	٢٣ - المؤمنون/١٠١
فاطمة بضعة مني يغيظني ...	المسور بن مخرمة	٢٣ - المؤمنون/١٠١
فاطمة وولدها رضي الله عنهم ...	ابن عباس	٤٢ - الشورى/٢٣
فأعني على نفسك بكثرة السجود	ربيعة بن كعب الأسلمي	٤ - النساء/٦٩
فأقام رسول الله ﷺ ينتظر أمر الله ...	ابن إسحاق	٨ - الأنفال/٣٠
فالزمها فإنّ الجنة عند رجليها	معاوية بن جاهمة السلمي	١٧ - الإسراء/٢٤
فإن خفتم نشوزهن فاهجروهن في المضاجع ...	أبو مرة الرقاشي عن عمه	٤ - النساء/٣٤
فإن كان خوف أشد من ذلك صلوا رجالًا	ابن عمر	٢ - البقرة/١١٥
فإن وفيتم فلكم الجنة	عبادة بن الصامت	٦٠ - الممتحنة/١٢
فأنا أشهد لئن قال ذلك لقد صدق ...	أبوبكر	١٧ - الإسراء/١
فانطلقنا حتى أتينا بيت المقدس ...	حذيفة بن اليمان	١٧ - الإسراء/١
فانطلقي فكافئيهم ...	عجوز ممن بايع رسول الله ﷺ	٦٠ - الممتحنة/١٢
﴿فإن له معيشة ضنكًا﴾ قال : عذاب القبر	أبو هريرة	٢٠ - طه/١٢٤
فإن من كل محدثة بدعة ...	...	٢ - البقرة/١١٦
فإنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله	...	٤ - النساء/١٧١
فإنها كانت قيام رسول الله ﷺ وأصحابه ...	عائشة	٧٣ - المزمل/٧
فإنها نزلت في يوم عيدين اثنين	ابن عباس	٥ - المائدة/٣
فأيّ آية ما أنزل عليك أعظم ...	أبو ذر	٤ - النساء/١٦٤
فأي الأعمال أفضل ؟ قال : إيمان بالله ...	أبو ذر	٤ - النساء/١٦٤
فأي الرقاب أفضل ؟ قال : أغلاها ثمنًا	أبو ذر	٤ - النساء/١٦٤
فأي الصدقة أفضل ...	أبو ذر	٤ - النساء/١٦٤
فأي المؤمنين أفضل ؟ قال : أحسنهم خلقًا	أبو ذر	٤ - النساء/١٦٤
فأي المسلمين أسلم ؟ قال : من سلم الناس من لسانه ...	أبو ذر	٤ - النساء/١٦٠
فأي الهجرة أفضل ؟ قال : من هجر السيئات ...	أبو ذر	٤ - النساء/١٦٤
فأي الاستئذان ؟ فقال : يا رسول الله ما استأذنت ...	أبو هريرة	٣٣ - الأحزاب/٥٢
فأين تجعلون الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ...	أبو أمامة	٤ - النساء/٣١
فبم تحكم ؟ قال : بكتاب الله ...	...	المقدمة

فبينا أنا أمشي إذ سمعت صوتًا	جابر بن عبد اللّه	٧٤ - المدثر/١
فبينما أنا أسير إذ دعاني داعٍ ...	أبو سعيد الخدري	١٧ - الإسراء/١
فبينما أنا نائم عشاء في المسجد الحرام ...	أبو سعيد الخدري	١٧ - الإسراء/١
فبينما النبي ﷺ في غزوة تبوك ...	قتادة	٩ - التوبة/٦٥
فتح مكة	ابن عباس	١٣ - الرعد/٣١
فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا	أبو هريرة	١٨ - الكهف/٩٨
فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر ...	جابر بن عبد اللّه	٣ - آل عمران/١١٠
الفجر فجران	محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان	٢ - البقرة/١٨٧
فحج آدم موسى ...	أبو هريرة	٢٠ - طه/١٢٢
فخرج مالك بن عوف بمن معه إلى حنين فسبق رسول اللّه ﷺ ...	جابر بن عبد اللّه	٩ - التوبة/٢٥
فرج سقف بيتي وأنا بمكة ...	أبي بن كعب	١٧ - الإسراء/١
فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة ...	أبو ذر	١٧ - الإسراء/١
الفردوس ربوة الجنة أوسطها وأحسنها	سمرة	١٨ - الكهف/١٠٧
الفردوس ربوة الجنة أوسطها وأحسنها	أنس	١٨ - الكهف/١٠٧
فرض اللّه الصلاة على لسان نبيكم محمد ﷺ ...	عبد اللّه بن عباس	٤ - النساء/١٠١
فرض اللّه على أمتي خمسين صلاة ...	ابن حزم وأنس	١٧ - الإسراء/١
فرض ربي عليّ وعلى أمتي خمسين صلاة ...	أنس	١٧ - الإسراء/١
فرضت الصلاة ركعتين ركعتين	عائشة	٤ - النساء/١٠١
فرغت ؟ قال : نعم . فقال رسول اللّه ﷺ : ﴿بسم اللّه﴾ ...	جابر بن عبد اللّه	٤١ - فصلت/٥
فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة ...	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/٧٨
فضّل اللّه قريشًا بسبع خلال ...	أم هانئ بنت أبي طالب	١٠٦ - قريش/فضائلها
فضلت سورة الحج بسجدتين	عقبة بن عامر	٢٢ - الحج/٧٧
فضلت سورة الحج على سائر القرآن بسجدتين	خالد بن معدان	٢٢ - الحج/١٨
فضّلت على الأنبياء بستّ ...	أبو هريرة	٣٣ - الأحزاب/٤٠

فضلنا على الناس بثلاث ...	حذيفة بن اليمان	٤ - النساء/٤٣
فضلنا على الناس بثلاث ...	حذيفة	٣٧ - الصافات/١
فضلنا على الناس بثلاث ...	حذيفة	٣٧ - الصافات/١٦٤
فضلنا على الناس بثلاث : أوتيت هذه الآيات ...	حذيفة	٢ - البقرة/٢٨٥
فضّلني الله ...	أبو أمامة	٣ - آل عمران/١٥١
فضّلني ربي بست ...	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/١
فطاشت السجلات وثقلت البطاقة	...	٧ - الأعراف/٩
الفطرة خمس ...	أبو هريرة	٢ - البقرة/١٢٤
ففرض الله على أمتي خمسين صلاة ...	ابن حزم وأنس	١٧ - الإسراء/١
فقال أبو جهل لا تقتلوهم ...	ابن عباس	٨ - الأنفال/١٢
فقدوا قطيفة يوم بدر ...	ابن عباس	٣ - آل عمران/١٦١
فقلت بينما أنا أسير إذ دعاني داعٍ ...	أبو سعيد الخدري	١٧ - الإسراء/١
فقلت ما أنا بقارئ ...	عائشة	٩٦ - العلق/١
فقلت : يا رسول الله ألا أطعمه المساكين؟ ...	عائشة	٢ - البقرة/٣٦٧
﴿فكاتبوهم إنْ علمتم فيهم خيرًا﴾ ...	يحيى بن أبي كثير	٢٤ - النور/٣٣
فكان الرجل قبل الإسلام يعاقد الرجل ...	ابن عباس	٤ - النساء/٣٣
فكذلك فافعلوا تفكروا في خلق الله ...	...	٦٥ - الطلاق/١٢
فكيف إذا تحدث الناس يا عمر ...	...	٦٣ - المنافقون/٨
﴿فلا أنساب بينهم يومئذ﴾ ...	ابن عباس	٤١ - فصلت/١٠
فلا جهاد ولا صدقة : فبِمَ تدخل الجنة؟	بشير بن معبد	٨ - الأنفال/١٦
فلا يزال يصعد بها من سماء إلى سماء ...	...	٧٠ - المعارج/٣
فلذلك سعى الناس بينهما	ابن عباس	٢ - البقرة/١٢٧
فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ...	...	٢ - البقرة/١٠٢
فلعلكم تأكلون متفرقين	وحشي بن حرب عن أبيه عن جده	٥ - المائدة/٤
فلعله قرأ سورة البقرة ...	أشياخ أهل المدينة	٢ - البقرة/المقدمة
فلعلها مغيبة في سبيل ...	ابن عباس	١١ - هود/١١٤
فلق الله البحر لبني إسرائيل يوم عاشوراء	أنس	٢ - البقرة/٥٠

الفلق جب في جهنم ...	أبو هريرة	٨٣ - المطففين/٧
الفلق جب في جهنم مغطى	أبو هريرة	١١٣ - الفلق/١
فلم أر عبقريًا يفري فريه	....	٥٥ - الرحمن/٧٦
فلم لا أخذتم مسكها	ابن عباس	٦ - الأنعام/١٤٥
فلم لا أخذتم مسكها	سودة بنت زمعة	٦ - الأنعام/١٤٥
فلم يزل واقفًا - يعني بعرفة - حتى غربت الشمس ...	جابر بن عبد اللّه	٢ - البقرة/١٩٨
فلما تلاها عليهم يعني اليهود ...	محمد بن كعب القرظي	٤ - النساء/١٦٣
﴿فلنولينك قبلة ترضاها﴾ قال نحو ميزاب الكعبة	عبد اللّه بن عمرو	٢ - البقرة/١٤٤
فليعتق رقبة ...	واثلة بن الأسقع	٤ - النساء/٩٣
فما شأن هذه ؟ قلت : يا رسول اللّه أخذتها حمى ...	عائشة	٢٤ - النور/١١
﴿فمن يرد اللّه أن يهديه ...﴾		
قال : إذا دخل الإيمان القلب ...	أبو جعفر	٦ - الأنعام/١٢٥
فمن يشبه ...	رباح	٨٢ - الأنفطار/٨
﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾ ...	أسامة بن زيد	٣٥ - فاطر/٣٢
فنحر رسول اللّه ﷺ بيده ...	جابر	٢٢ - الحج/٣٦
فنعم إذًا ، قال : فانطلق الرجل ...	أنس	٣٣ - الأحزاب/٣٦
فهل لك من أم؟ ...	معاوية بن جاهمة السلمي	١٧ - الإسراء/٢٤
﴿فهل من مدكر﴾ ...	ابن مسعود	٥٤ - القمر/١٥
فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة ...	ابن مسعود	٧ - الأعراف/٣٠
﴿فوربك لنسألنهم أجمعين﴾ قال : عن لا إله إلا اللّه	أنس	١٥- الحجر/٨٧
﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ قال شطره قبله	علي	٢ - البقرة/١٤٤
في أصحابي اثنا عشر منافقًا لا يدخلون الجنة ...	حذيفة	٩ - التوبة/٧٤
في الذي يأتي امرأته وهي حائض ، يتصدق بدينار ...	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٢٢
في بيتي نزلت : ﴿إنما يريد اللّه﴾ ...	أم سلمة	٣٣ - الأحزاب/٣٣
في تسع يبقين أو سبع يبقين	أبو بكرة	٩٧ - القدر/٥
في التيمم ضربة للوجه والكفين	عمّار	٤ - النساء/٤٣
في الجنة بحر اللبن وبحر الماء ...	معاوية بن حيدة	٤٧ - محمد/١٥

في الجنة درجة تدعى الوسيلة ...	علي	٥ - المائدة/٣٥
في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها	أنس	١٣ - الرعد/٢٩
في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها	أبو هريرة	١٣ - الرعد/٢٩
في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها	أبو هريرة	٥٦ - الواقعة/٣٠
في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها	أنس	٥٦ - الواقعة/٣٠
في الحرام يمين تكفّر ...	ابن عباس	٦٦ - التحريم/١
في الرجل تكون له المرأة فيطلقها	ابن عمر	٢ - البقرة/٢٣٠
في الرجل يتزوج المرأة فيطلقها قبل أن يدخل بها	ابن عمر	٢ - البقرة/٢٣٠
في الرجل يحلف قال له أن يستثنى ...	ابن عباس	١٨ - الكهف/٢٤
في رمضان فالتمسوها في العشر الأواخر ...	عبادة بن الصامت	٩٧ - القدر/٥
في السماء السابعة بيت يقال له ...	أبو هريرة	٥٢ - الطور/٤
﴿في غفلة معرضون﴾ قال : في الدنيا	أبو سعيد	٢١ - الأنبياء/١
في قول اللّه تعالى : ﴿تلفح وجوههم النار﴾ ...	أبو الدرداء	٢٣ - المؤمنون/١٠٣
في قول اللّه تعالى : ﴿وإذ أخذنا من النبيين﴾ ...	أبو هريرة	٣٣ - الأحزاب/٧
في قول اللّه تعالى : ﴿وجعلنا بينهم موبقًا﴾ قال واد في جهنم ...	أنس	١٨ - الكهف/٧
في قول اللّه تعالى : ﴿يوم ندعوا كل أناس بإمامهم﴾ قال ...	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/٧١
في قول اللّه عز وجل : ﴿فإن له معيشة ضنكًا﴾ قال ...	أبو سعيد	٢٠ - طه/١٢٤
في قول اللّه عز وجل : ﴿يوم تبدل الأرض﴾ ...	عبد اللّه بن مسعود	١٤ - إبراهيم/٤٨
في قول اللّه : ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم﴾ ...	ابن عباس	٢٢ - الحج/٢٥
في قول اللّه : ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم﴾ ...	البراء بن عازب	٢ - البقرة/٢٦٧
في قوله : ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾ ...	أبو هريرة	٢١ - الأنبياء/١٠١
في قوله : ﴿أولئك الذين يدعون ﴾ الآية قال ...	ابن مسعود	١٧ - الإسراء/٥٧
في قوله تبارك وتعالى : ﴿إن الذين ينادونك﴾ ...	البراء	٤٩ - الحجرات/٤
في قوله تبارك وتعالى : ﴿وما أصابكم من مصيبة﴾ ...	الحسن البصري	٤٢ - الشورى/٣٠

في قوله تعالى : ﴿ألم غلبت الروم ﴾ ...	ابن عباس	٣٠ - الروم/٣
في قوله تعالى : ﴿أن يشهد عليكم سمعكم﴾ ...	معاوية بن حيدة	٤١ - فصلت/٢٢
في قوله تعالى : ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه﴾ ...	السدي	٤٩ - الحجرات/١٢
في قوله تعالى : ﴿سبع سماوات ومن الأرض مثلهن﴾ قال ...	ابن عباس	٦٥ - الطلاق/١٢
في قوله تعالى : ﴿عسى أن يبعثك ربك ...﴾ قال ...	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/٧٩
في قوله تعالى : ﴿لابثين فيها أحقابًا﴾ قال فالحقب شهر ...	أبو أمامة	٧٨ - النبأ/٢٣
في قوله تعالى : ﴿وإذ صرفنا إليك نفرًا﴾ ...	قتادة	٤٦ - الأحقاف/٢٩
في قوله تعالى : ﴿وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن﴾ ...	عكرمة	٤٦ - الأحقاف/٢٩
في قوله تعالى : ﴿وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن﴾ ...	ابن عباس	٤٦ - الأحقاف/٢٩
في قوله تعالى : ﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ ...	سمرة	٣٧ - الصافات/٧٧
في قوله تعالى : ﴿وذكرهم بأيام اللّٰه﴾ قال ...	أبي بن كعب	١٤ - إبراهيم/٥
في قوله تعالى : ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطًا﴾ ...	أبو سعيد	٢ - البقرة/١٤٣
في قوله تعالى : ﴿وما أرسلناك إلا رحمة﴾ ...	ابن عباس	٢١ - الأنبياء/١٠٧
في قوله تعالى : ﴿ويزيدهم من فضله﴾ ...	عبد اللّٰه بن مسعود	٤٢ - الشورى/٢٦
في قوله تعالى : ﴿ويسقى من ماء صديد﴾ ...	أبو أمامة	١٤ - إبراهيم/١٦
في قوله تعالى : ﴿ياأيتها النفس المطمئنة﴾ قال نزلت وأبو بكر جالس ...	ابن عباس	٨٩ - الفجر/٣٠
في قوله تعالى : ﴿يوم نطوي السماء﴾ ...	ابن عباس	٢١ - الأنبياء/١٠٤
في قوله عز وجل : ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ قال ...	كعب بن عجرة	١٠ - يونس/٢٦
في قوله عز وجل : ﴿ولدينا مزيد﴾ ...	أنس بن مالك	٥٠ - ق/٣٥
في قوله : ﴿فمن تصدق به فهو كفارة له﴾ قال : هو الذي تكسر سنه أو تقطع يده ...	رجل من الأنصار	٥ - المائدة/٤٥
في قوله : ﴿لكل باب منهم جزء مقسوم﴾ ...	سمرة بن جندب	١٥ - الحجر/٤٤

في قوله :		
﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ ...	أبو الدرداء	١٠ - يونس/٦٤
في قوله : ﴿ليوفيهم أجورهم﴾ ...	ابن مسعود	٢٤ - النور/٣٧
في قوله : ﴿واذكر ربّك إذا نسيت﴾ ...	ابن عباس	١٨ - الكهف/٢٤
في قوله : ﴿وقرآن الفجر ...﴾ قال ...	أبوهريرة	١٧ - الإسراء/٧٨
في قوله : ﴿وقرآن الفجر ...﴾ قال ...	ابن مسعود	١٧ - الإسراء/٧٨
في قوله : ﴿ولا تقولنّ لشيء إني فاعل ذلك غدًا﴾ ...	ابن عباس	١٨ - الكهف/٢٤
في قوله : ﴿ومن يرد فيه بإلحاد﴾ ...	عبد اللّه بن مسعود	٢٢ - الحج/٢٥
في قوله : ﴿ويذهبا بطريقتكم المثلى﴾		
قال : يصرفان وجوه الناس إليهما	علي	٢٠ - طه/٦٣
في قوله : ﴿ويسقى من ماء صديد﴾ قال ...	أبو أمامة	١٨ - الكهف/٢٩
في كل أرض نحو إبراهيم عليه السلام ...	ابن عباس	٦٥ - الطلاق/١٢
في المال حق سوى الزكاة ...	فاطمة بنت قيس	٢ - البقرة/١٧٧
في مثل صلصلة الجرس ...	الحارث بن هشام	٤٢ - الشورى
في النار ...	أبو هريرة	٥ - المائدة/١٠١
في نار اللّه الحامية ...	عبد اللّه بن عمرو	١٨ - الكهف/٨٦
في النار ، فلما قفى دعاه فقال ...	أنس	٦٠ - الممتحنة/٣
فيّ نزلت : ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى﴾ ...	العباس	٨ - الأنفال/٧٠
فيّ نزلت واللّه ،		
حين ذكرت لرسول اللّه ﷺ إسلامي ...	العباس	٨ - الأنفال/٧٠
في هذه الآية : ﴿وقرآن الفجر ...﴾ قال ...	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/٧٨
فيّ واللّه وفي أوس بن الصامت أنزل اللّه ...	خويلة بنت ثعلبة	٥٨ - المجادلة/٢
في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة	أبو هريرة	٨٣ - المطففين/٦
فيأتي المؤمن شاب حسن اللون	البراء	٧ - الأعراف/٩
فيتميز الناس ، وتجثوا الأمم ...	أبو هريرة	٤٥ - الجاثية/٢٨
فيقال لليهود يوم القيامة : فما تريدون؟ ...	...	١٣ - الرعد/١٧
فيقول اللّه تعالى : يا محمد أدخل من لا حساب عليه ...	أبو هريرة	٣٩ - الزمر/٧٣

فيما استطعتن وأطقتن	أميمة بنت رقيقة	٦٠ – الممتحنة/١٢
فيما قد فرغ منه ...	ابن عمر عن عمر	٩٢ – الليل/١٠
فيمن ترون هذه الآية نزلت؟ ...	عمر بن الخطاب	٢ – البقرة/٢٦٦
فينا أصحاب بدرٍ نزلت حين اختلفنا في النفل ...	عبادة بن الصامت	٨ – الأنفال/١
فينا نزلت : ﴿الذين إن مكناهم﴾ ...	عثمان بن عفان	٢٢ – الحج/٤١
فينا نزلت في بني سلمة : ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾ ...	أبو جبيرة بن الضحاك	٤٩ – الحجرات/١١
فيها ما لا عين رأت	سهل بن سعد	٣٢ – السجدة/١٧
﴿فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله﴾ ...	عبد الله بن مسعود	٤ – النساء/١٧١

حرف القاف

قاتل الله ابن الزبير حيث يكذب على أم المؤمنين	عبد الملك بن مروان	٢ – البقرة/١٢٧
قاتل الله أقوامًا أقسم لهم ربهم ...	الحسن البصري	٥١ – الذاريات/٢٣
قاتل رسول الله ﷺ محارب خصفة ...	جابر بن عبد الله	٤ – النساء/١٠٢
قاتلت رسول الله أول النهار ...	جنيد بن سبيع	٤٨ – الفتح/٢٥
قال آدم عليه السلام : أرأيت يا ربّ إن تبت ...	أبي بن كعب	٢ – البقرة/٣٧
قال آدم عليه السلام : يا رب ألم تخلقني بيدك ...	...	٢ – البقرة/٣٧
قال آدم : يا رب ، خطيئتي التي أخطأت ...	عبيد بن عمير	٢ – البقرة/٣٧
قال إبليس : وعزتك وجلالك لا أزال أغويهم ...	...	٤٧ – محمد/١٩
قال إبليس : يا رب وعزتك لا أزال أغوي بني آدم ...	أبو سعيد	٣ – آل عمران/١٣٥
قال إبليس : يا رب وعزتك لا أزال أغويهم ...	أبو سعيد	٤ – النساء/١٧
قال ابن صوريا القطويني لرسول الله ﷺ ...	ابن عباس	٢ – البقرة/٩٩
قال أبو بكر الصديق : أمرني رسول الله ﷺ أن أقول ...	مجاهد	٣٩ – الزمر/٤٦
قال أبو بكر : يا رسول الله قد شبت	ابن عباس	٥٦ – الواقعة/فضائلها
قال أبو جهل بن هشام :		
﴿اللّهم إن كان هذا هو الحق﴾ ...	أنس بن مالك	٨ – الأنفال/٣٢
قال أبو جهل حين قدم مكة ...	جبير بن مطعم	٢١ – الأنبياء/١٠٧
قال أبو جهل قبحه الله : إن رأيت محمدًا يصلي ...	ابن عباس	٣ – آل عمران/٦٣
قال أبو جهل : لئن رأيت محمدًا لأفعلن	عكرمة	٣٦ – يس/٩

قال أبو جهل : لئن رأيت محمدًا يصلي عند الكعبة ...	ابن عباس	٩٦ - العلق/١٥
قال أبو جهل : لئن عاد محمد يصلي عند المقام ...	ابن عباس	٩٦ - العلق/١٨
قال أبو جهل لعنه اللّه : إن رأيت محمدًا	ابن عباس	٦٢ - الجمعة/٧
قال أبو جهل للنبي ﷺ : إنا لا نكذبك	علي	٦ - الأنعام/٣٣
قال أبو جهل هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم ؟ ...	أبو هريرة	٩٦ - العلق/١٨
قال أبو جهل وهم جلوس : إنَّ محمدًا يزعم ...	محمد بن كعب	٣٦ - يس/٩
قال أبو رافع القرظي حين اجتمعت الأحبار من اليهود ...	ابن عباس	٣ - آل عمران/٨٠
قال أعرابي : يا رسول اللّه ما الصور؟ ...	عبد اللّه بن عمرو	٦ - الأنعام/٧٣
قال اللّه : إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة ...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٨٤
قال اللّه : إذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها	أبو هريرة	٢ - البقر/٢٨٤
قال اللّه : إني خلقت عبادي حنفاء	عياض بن حمار	٦ - الأنعام/٧٩
قال اللّه تعالى : إذا هم عبدي بحسنة ...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٨٤
قال اللّه تعالى : أعددت لعبادي ...	أبو هريرة	٣٢ - السجدة/١٧
قال اللّه تعالى : أنا الرحمن	عبد الرحمن بن عوف	١ - الفاتحة/البسملة
قال اللّه تعالى : أنا مع عبدي عند ظنه بي ...	الحسن	٤١ - فصلت/٢٢
قال اللّه تعالى : أنا مع عبدي ما ذكرني ...	أبو هريرة	٢ - البقرة/١٨٦
قال اللّه تعالى : بنيَّ آدم ...	بشر بن جحاش	٣٦ - يس/٧٧
قال اللّه تعالى : ﴿ثم أورثنا الكتاب﴾ ...	أبوالدرداء	٣٥ - فاطر/٣٢
قال اللّه تعالى : شتمني ابن آدم ...	أبو هريرة	١٦ - النحل/٤٠
قال اللّه تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي ...	جابر بن عبد اللّه	١ - الفاتحة/المقدمة
قال اللّه تعالى : كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ...	ابن عباس	٢ - البقرة/١١٦
قال اللّه تعالى : يا ابن آدم لا تعجز ...	نعيم بن عمار	١٥ - الحجر/٩٨
قال تعالى : يسب ابن آدم الدهر ...	أبو هريرة	٤٥ - الجاثية/٢٤
قال اللّه عز وجل : أنا الرحمن خلقت الرحم ...	عبد الرحمن بن عوف	٤٧ - محمد/٢٢
قال اللّه عز وجل : أَنْفِقْ أُنْفِق عليك	أبو هريرة	١١ - هود/٧
قال اللّه عز وجل : إني خلقت عبادي حنفاء ...	عياض بن حمار	٤ - النساء/١١٩
قال اللّه عز وجل :		

﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلًا﴾ الآية ...	أبو سعيد الخدري	١٧ - الإسراء/١
قال اللّٰه عز وجل : قد فعلت	...	٣٣ - الأحزاب/٥
قال اللّٰه عز وجل : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي ...	أبو هريرة	١ - الفاتحة/المقدمة
قال اللّٰه عز وجل : كذبني ابن آدم ...	أبو هريرة	١١٢ - الإخلاص/٢
قال اللّٰه عز وجل : ﴿كل يوم هو في شأن﴾ ...	أم الدرداء	٥٥ - الرحمن/٢٩
قال اللّٰه عز وجل لداود عليه الصلاة والسلام : ابن لي بيتًا	رافع بن عمير	٣٨ - ص/٣٥
قال اللّٰه عز وجل : من علم أني ذو قدرة على مغفرة الذنوب ...	ابن عباس	٤ - النساء/٤٨
قال اللّٰه عز وجل : ومن أظلم ممن ذهب يخلق ...	أبو هريرة	٢٢ - الحج/٧٣
قال اللّٰه عز وجل : يا ابن آدم إن ذكرتني في نفسك ...	أنس	٢ - البقرة/١٥٢
قال اللّٰه عز وجل : يا ابن آدم أنى تعجزني وقد خلقتك ...	بشر بن جحاش القرشي	٨٢ - الانفطار/٧
قال اللّٰه : قد فعلت	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٨٦
قال اللّٰه لبني إسرائيل : ﴿ادخلوا الباب سجدًا﴾ ...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٥٨
قال اللّٰه لبني إسرائيل : ﴿ادخلوا الباب سجدًا﴾ ...	أبو سعيد الخدري	٢ - البقرة/٥٨
قال اللّٰه لموسى : انطلق برسالتي ...	وهب بن منبه	٢٠ - طه/٢٤
قال اللّٰه : نعم	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٨٦
قال اللّٰه : يا ملك الموت قبضت ولد عبدي ...	أبو موسى	٢ - البقرة/١٥٧
قال جبريل لمحمد عليهما السلام ...	ابن عباس	١ - الفاتحة/٦
قال جبريل يا محمد عش ما شئت ...	جابر	٨٤ - الانشقاق/٦
قال رافع بن حريملة لرسول اللّٰه ﷺ : يا محمد إن كنت رسولًا	ابن عباس	٢ - البقرة/١١٨
قال الرب : وعِزّتي وجلالي وارتفاعي فوق عرشي ...	علي بن أبي طالب	١٣ - الرعد/١١
قال ربكم : أنا أهل أن أتقى ...	أنس بن مالك	٧٤ - المدثر/٥٦
قال ربكم عز وجل : لو أن عبيدي أطاعوني لأسقيتهم ...	أبو هريرة	١٣ - الرعد/١٣
قال رجل في غزوة تبوك في مجلس : ما رأيت مثل قرّائنا.	ابن عمر	٩ - التوبة/٦٢

قال رجل لابن عباس :		
﴿الله الذي خلق سبع سماوات﴾ ...	سعيد بن جبير	٦٥ - الطلاق/١٢
قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما :		
إني لأجد في القرآن	سعيد بن جبير	٤١ - فصلت/١٠
قال رجل : لأتصدقن الليلة بصدقة ...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٧٢
قال رجل للبراء بن عازب :		
إن حملت على العدو وحدي ...	أبو إسحاق السبيعي	٢ - البقرة/١٩٥
قال رجل للنبي ﷺ : إنَّ فلانًا يصلي ...	جابر	٢٩ - العنكبوت/٤٥
قال رجل للنبي ﷺ : ما شاء الله وما شئت ...	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٢
قال رجل من المنافقين : ما أرى قرّاءنا	محمد بن كعب القرظي	٩ - التوبة/٦٥
قال رجل يا رسول الله أخبرني عن سبأ	فروة بن مسيك	٣٤ - سبأ/١٥
قال رجل يا رسول الله أرأيت قول الله :		
﴿الطلاق مرتان﴾ ...	أبا رزين	٢ - البقرة/٢٢٩
قال رجل يا رسول الله أرأيت قول الله :		
﴿الطلاق مرتان﴾ ...	أنس بن مالك	٢ - البقرة/٢٢٩
قال رجل يا رسول الله إني أقف المواقف ...	طاووس	١٨ - الكهف/١١٠
قال رجل يا رسول الله إني أقف المواقف ...	مجاهد	١٨ - الكهف/١١٠
قال رجل : يا رسول الله إني رأيت بظهر أبي جهل ...	الحسن البصري	٨ - الأنفال/٥٠
قال رجل يا رسول الله الرجل يعمل العمل يسره ...	أبو هريرة	١٠٧ - الماعون/٦
قال رجل يا رسول الله عندي دينار ...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢١٩
قال رجل : يا رسول الله ما هذه السماء؟ ...	ابن عباس	٢١ - الأنبياء/٣٢
قال رجل : يا رسول الله من أولياء الله؟ ...	ابن عباس	١٠ - يونس/٦٢
قال رسول الله ﷺ حين نزل عليه الوحي ...	سعد	٣٣ - الأحزاب/٣٣
قال رسول الله ﷺ ذات يوم وهو في جهازه للجد بن قيس ...	الزهري، ويزيد بن رومان، وعبد الله بن أبي بكر، وعاصم بن قتادة وغيرهم	٩ - التوبة/٤٩
قال رسول الله ﷺ على المنبر : من لم يشكر ...	النعمان بن بشير	٩٣ - الضحى/١١

قال رسول اللّه ﷺ في الحجر ...	ابن عباس	٤٨ - الفتح/١٠
قال رسول اللّه ﷺ في حجة الوداع ...	سلمة بن قيس	٢٥ - الفرقان/٦٨
قال رسول اللّه ﷺ في المرأة يطلقها زوجها ثلاثًا	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٣٠
قال رسول اللّه ﷺ لأبي بن كعب إن اللّه أمرني ...	أنس بن مالك	٩٨ - البينة/فضائلها
قال رسول اللّه ﷺ لأبي ذر حين	أبو ذر	٣٦ - يس/٤٠
قال رسول اللّه ﷺ لأبي طلحة : التمس لي غلامًا	أنس بن مالك	٢ - البقرة/١٢٦
قال رسول اللّه ﷺ لأصحابه : أيُّ الربا	عائشة	٣٣ - الأحزاب/٥٨
قال رسول اللّه ﷺ لأصحابه وهو بمكة ...	عبد اللّه بن مسعود	٤٦ - الأحقاف/٢٩
قال رسول اللّه ﷺ لبشير الغفاري :		
كيف أنت صانع ...	أبو هريرة	٨٣ - المطففين/٦
قال رسول اللّه ﷺ لجبرائيل ...	ابن عباس	١٩ - مريم/٦٤
قال رسول اللّه ﷺ لعلي : إني أمرت أن أدنيك ...	ابن مرة الأسلمي	٦٩ - الحاقة/١٢
قال رسول اللّه ﷺ لعلي : ألا أحدثك ...	عمار بن ياسر	٩١ - الشمس/١٢
قال رسول اللّه ﷺ لنفر من أصحابه ...	جرير	٣٩ - الزمر/٦٧
قال رسول اللّه ﷺ يوم الأحزاب :		
شغلونا عن الصلاة ...	علي	٢ - البقرة/٢٣٨
قال سعد بن عبادة : لو رأيت مع امرأتي ...	المغيرة	٦ - الأنعام/١٥١
قال سعد : نزلت هذه الآية في ستة		
من أصحاب النبي ﷺ ...	المقدام بن شريح عن أبيه	٦ - الأنعام/٥٢
قال سكن وعدي بن يزيد :		
يا محمد ما نعلم أن اللّه أنزل على ...	ابن عباس	٤ - النساء/١٦٣
قال سليمان بن داود عليهما السلام :		
لأطوفنّ الليلة على سبعين	أبو هريرة	١٨ - الكهف/٢٤
قال عبد اللّه بن رواحة لرسول اللّه ﷺ ...	محمد بن كعب القرظي	٩ - التوبة/١١١
قال عبد اللّه بن صوريا الأعور لرسول اللّه ﷺ :		
ما الهدى ...	ابن عباس	٢ - البقرة/١٣٦
قال عروة بن مسعود الثقفي رضي اللّه عنه للنبي ﷺ ...	عبد الملك بن عمير	٣٦ - يس/٢٧

قال عمر اجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه ...	أنس	٦٦ - التحريم/٥
قال عمر بن الخطاب : يا رسول الله		
لو صلينا خلف المقام ...	مجاهد	٢ - البقرة/١٢٥
قال عمر بن الخطاب : يا رسول الله يدخل عليك ...	أنس بن مالك	٣٣ - الأحزاب/٥٣
قال عمر : يا رسول الله أرأيت ما نعمل فيه ...	ابن عمر	٩٢ - الليل/١٠
قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة ...	محمد بن كعب القرظي	٣٣ - الأحزاب/١٠
قال في ليلة القدر : تحرّوها	ابن مسعود	٨ - الأنفال/٤١
قال كعب بن أسد		
وابن صلوبا وعبد الله بن صوريا وشاس ...	ابن عباس	٥ - المائدة/٤٩
قال كعب :		
لو أن غير هذه الأمة نزلت عليهم هذه الآيات ...	قبيصة بن أبي ذئب	٥ - المائدة/٣
قال لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه : يا بني ...	القاسم بن مخيمرة	٣١ - لقمان/١٩
قال لي ابن عباس يا ابن عتبة أتعلم آخر سورة ...	عبيد الله بن عبد الله بن عتبة	١١٠- النصر/فضائلها
قال لي جبريل قلبت الأرض مشارقها ومغاربها	عائشة	٦ - الأنعام/١٢٤
قال لي جبريل : لو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر ...	ابن عباس	١٠ - يونس/٩١
قال لي جبريل : يا محمد لو رأيتني وأنا أغطه ...	أبو هريرة	١٠ - يونس/٩١
قال لي رسول الله ﷺ : أتدري أين تذهب ...	أبو ذر	٢٢ - الحج/١٨
قال لي رسول الله ﷺ : أصلحي لنا	أم سلمة	١٩ - مريم/٦٤
قال لي رسول الله ﷺ : اقرأ عليّ ...	عبد الله بن مسعود	٤ - النساء/٤١
قال لي رسول الله ﷺ : يا بني.	أنس بن مالك	٣٣ - الأحزاب/٥
قال لي النبي ﷺ : أتدري ما يوم الجمعة ؟	سلمان الفارسي	٤ - النساء/٣١
قال المسلمون : إن الله قد نهانا		
أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل...	ابن عباس	٤ - النساء/٢٩
قال المشركون للمسلمين : اتبعوا سبيلنا	السدي	٦ - الأنعام/٧١
قال المشركون : يا محمد إنك تزعم أنه		
كان قبلك أنبياء فمنهم من سخرت له الريح...	سعيد بن جبير	١٧ - الإسراء/٥٩
قال المهاجرون : يا رسول الله ما رأينا مثل قوم...	أنس	٥٩ - الحشر/٩

قال موسى الكليم عليه السلام		
لنبينا محمد ﷺ ليلة الإسراء...	...	٤ - النساء/٢٨
قال النبي ﷺ لجابر : يا جابر ألا أبشرك...	عائشة	٣ - آل عمران/١٦٩
قال النبي ﷺ لحفصة : لا تخبري أحدًا	عمر	٦٦ - التحريم/١
قال النساء للنبي ﷺ : ماله يذكر...	ابن عباس	٣٣ - الأحزاب/٣٥
قال هكذا يعني أنه أخرج طرف الخنصر...	أنس بن مالك	٧ - الأعراف/١٤٣
قال يهودي لصاحبه : اذهب بنا إلى هذا النبي	صفوان بن عسال المرادي	١٧ - الإسراء/١٠١
قالت أسماء : يا رسول اللّه إن بني جعفر تصيبهم العين	عبيد بن رفاعة الزرقي	٦٨ - القلم/٥١
قالت أم سعد لسعد : أليس قد أمر اللّه بطاعة الوالدين	مصعب بن سعد عن سعد	٤٦ - الأحقاف/١٥
قالت أم سلمة : يا رسول اللّه تغزو الرجال ولا نغزو...	مجاهد	٤ - النساء/٣٢
قالت أم سلمة : يا رسول اللّه لا نقاتل فنستشهد...	مجاهد	٤ - النساء/٣٢
قالت أم سليمان بن داود عليهم السلام...	جابر	٣٤ - سبأ/١٣
قالت الأنصار : اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل...	أبو هريرة	٥٩ - الحشر/٩
قالت الأنصار : فعلنا وفعلنا وكأنهم فخروا	ابن عباس	٤٢ - الشورى/٢٣
قالت : قال رسول اللّه ﷺ -		
يعني في أهل الكتاب -...	عائشة	٢ - البقرة/١٤٣
قالت قريش بعضها لبعض...	يزيد بن رومان	
	ومحمد بن قيس	٨ - الأنفال/٣٣
قالت قريش لرسول اللّه ﷺ : انسب لنا ربك...	ابن مسعود	١١٢ - الإخلاص/سببها
قالت قريش للنبي ﷺ : ادع لنا ربك أن يجعل...	ابن عباس	٥ - المائدة/١١٥
قالت قريش للنبي ﷺ : ادع لنا ربك أن يجعل...	ابن عباس	١٧ - الإسراء/٥٩
قالت قريش ليهود أعطونا شيئًا نسأل عنه...	ابن عباس	١٧ - الإسراء/٨٥
قالت الملائكة : رب وذاك أن عبدك يريد أن يعمل سيئة...	...	٢ - البقرة/٢٨٤
قالت الملائكة : يا ربّنا إنك أعطيت بني آدم الدنيا	زيد بن أسلم	١٧ - الإسراء/٧٠
قالت اليهود لعمر : اللّه ، إنكم تقرءون آية...	طارق بن شهاب	٥ - المائدة/٣
قالت اليهود : يا محمد...	ابن عباس	٣ - آل عمران/١٨١
قالت يهود : يا محمد ما نزل جبريل إلا بشر وحرب...	مجاهد	٢ - البقرة/٩٨

قاله رسول الله ﷺ لأبي جهل...	ابن عباس	٧٥ - القيامة/٣٥
قال النبي ﷺ لأبي جهل ثم نزل به القرآن	سعيد بن جبير	٧٥ - القيامة/٣٥
قالوا لمحمد ﷺ : لو سيرت لنا جبال مكة...	أبو سعيد	١٣ - الرعد/٣١
قالوا : يا رسول الله أرأيت ما نعمل...	أبو الدرداء	٩٢ - الليل/١٠
قالوا : يا رسول الله إنا نكون عندك على حال...	أنس	٦٧ - الملك/١٢
قالوا : يا رسول الله الحج في كل عام؟...	أنس بن مالك	٣ - آل عمران/٩٧
قالوا : يا رسول الله رأيت ربك؟...	محمد بن كعب	٥٣ - النجم/١١
قالوا : يا رسول الله لو قصصت علينا؟...	ابن عباس	١٢ - يوسف/٣
قام رجل إلى الحسن بن علي بعدما بايع معاوية...	يوسف بن سعد	٩٧ - القدر/١
قام رجل إلى النبي ﷺ وهو على المنبر...	درة بنت أبي لهب	٣ - آل عمران/١١٠
قام رجل إلى للنبي ﷺ وهو على المنبر فقال...	درة بنت أبي لهب	٤٩ - الحجرات/١٣
قام رسول الله ﷺ حتى تورمت قدماه...	أنس	٤٨ - الفتح/٢
قام رسول الله ﷺ خطيبًا فقال : أيها الناس...	أيمن بن خريم	٢٢ - الحج/٣٠
قام رسول الله ﷺ خطيبًا يوم الجمعة فقال...	ابن عباس	٩ - التوبة/١٠١
قام رسول الله ﷺ فتوجه نحو صدقته ...	عبد الرحمن بن عوف	٣٣ - الأحزاب/٥٦
قام رسول الله ﷺ في الناس...	أبو أمامة الباهلي	٥ - المائدة/١٠١
قام رسول الله ﷺ ليلة من الليالي في صلاة العشاء...	أبو ذر	٥ - المائدة/١١٨
قام رسول الله ﷺ يصلي فسمعناه يقول...	أبو الدرداء	٣٨ - ص/٣٥
قام رسول الله ﷺ يومًا خطيبًا فينا	زيد بن أرقم	٤٢ - الشورى/٢٣
قام رسول الله ﷺ يومًا يصلي	ابن عباس	٣٣ - الأحزاب/٤
قام فينا رسول الله ﷺ بأربع كلمات فقال...	أبو موسى	٢ - البقرة/٢٥٥
قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة...	ابن عباس	٥ - المائدة/١١٦
قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة...	ابن عباس	٧ - الأعراف/٢٩
قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال...	ابن عباس	٢١ - الأنبياء/١٠٤
قام فينا رسول الله ﷺ على ناقة حمراء مخضرمة...	رجل من أصحاب النبي ﷺ	٩ - التوبة/٣
قام فينا رسول الله ﷺ يومًا فذكر الغلول...	أبو هريرة	٣ - آل عمران/١٦١
قام فينا معاذ بن جبل فقال...	عمرو بن ميمون الأودي	٥٣ - النجم/٤٢

قام فينا معاذ فقال : يا بني أود		
إني رسول رسول الله إليكم...	ميمون بن مهران	٣ - آل عمران/٢٧
قام معاذ فصلّى العشاء الآخرة فطوّل...	جابر	٨٢ - الانفطار/فضائلها
قام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه...	موسي بن طلحة	٣٣ - الأحزاب/٢٤
قام النبي ﷺ وقام الناس معه...	ابن عباس	٤ - النساء/١٠٢
قام النبي ﷺ يوم قريظة تحت حصونهم فقال...	مجاهد	٢ - البقرة/٧٧
قتل زوج سبيعة الأسلمية وهي حبلى...	أم سلمة	٦٥ - الطلاق/٤
قتل الصبر لا يمر بذنب إلا محاه	عائشة	٥ - المائدة/٢٩
القتل في سبيل الله يكفِّر الذنوب كلها	عبد الله بن مسعود	٣٣ - الأحزاب/٧٢
قتل النبي ﷺ يوم بدر صبرًا : عقبه بن أبي معيط...	سعيد بن جبير	٨ - الأنفال/٣١
قد أثنى الله عليكم في الطهور ، فماذا تصنعون ؟...	...	٩ - التوبة/١٠٨
قد أجازت صلاتكم...	جابر	٢ - البقرة/١١٥
قد أفلح من أسلم...	عبد الله بن عمرو	٩٣ - الضحى/٨
قد أفلح من أسلم ورزق كفافًا	عبد الله بن عمر	١٦ - النحل/٩٧
﴿قد أفلح من تزكى﴾ قال :		
من شهد أن لا إله إلا الله...	جابر بن عبد الله	٨٧ - الأعلى/١٤
قد أفلح من هدي للإسلام...	فضالة بن عبيد	١٦ - النحل/٩٧
قد أمرني ربي بالقتال فقاتلوا	البراء	٤ - النساء/٨٤
قد أوحى الله إليّ كلمات فدخلن في أذني	...	٩ - التوبة/١١٤
قد بايعتك...	عائشة	٦٠ - الممتحنة/١٢
قد تدخل الرجل العين في القبر...	جابر	٦٨ - القلم/٥١
قد جاءكم شهر رمضان	أبو هريرة	٩٧ - القدر/٣
قد حذركم الله فإذا رأيتموهم فاحذروهم	عائشة	٣ - آل عمران/٧
قد رأيته نورًا أنّى أراه	أبو ذر	١٧ - الإسراء/١
قد رأيته نورًا أنى أراه	أبو ذر	٥٣ - النجم/١٥
قد رجعت إلى ربي حتى استحييت...	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/١
قد سمعت كلامكم وتعجبكم...	ابن عباس	٤ - النساء/١٢٥

قد علمت أنك تحبين الصلاة معي	أم حميد	٢٤ - المائدة/٣٧
قد عملت الذي قلتم...	...	٥ - المائدة/٥٨
قد علمت قرائن للنبي ﷺ التي كان يقرن	زر	٥٥ - الرحمن/فضائلها
قد علمنا السلام عليك ، فكيف الصلاة؟...	...	١١ - هود/٧٣
قد قبلتها ، فلم تزل تمدحها حتى...	أنس بن مالك	٣٣ - الأحزاب/٥٠
قَدِقَدِ...	ابن عباس	٨ - الأنفال/٣٣
قَدِقَدِ...	...	١٢ - يوسف/١٠٦
قدقد ، حتى هبط رسول الله ﷺ ...	أبو الطفيل	٩ - التوبة/٧٤
قدقد ، حتى هبط رسول الله ﷺ ...	عروة بن الزبير	٩ - التوبة/٧٤
قد قضي فيك وفي امرأتك...	سهل بن سعد	٢٤ - النور/٦
قد كان أبغض الحديث إليه...	عائشة	٣٦ - يس/٦٩
قد كانت صلاة رغبة ورهبة...	خالد الخزاعي	٦ - الأنعام/٦٥
قد كنت أنهاك عن حب يهود	أسامة بن زيد	٥ - المائدة/٥١
قد نهيتك فعصيتني فأبعدك الله وبطل عرجك...	عبد الله بن عمرو بن العاص	٥ - المائدة/٤٥
قدر الله المقادير قبل أن يخلق...	عبد الله بن عمرو	٥٧ - الحديد/٢٢
قدم أنس بن مالك على الوليد...	إسماعيل بن عبيد الله	٥٤ - القمر/١
قدم رجل من أهل المدينة إلى أبي الدرداء...	قيس بن كثير	٣٥ - فاطر/٣٢
قدم رسول الله ﷺ فطاف بالبيت سبعًا	عمر	٢ - البقرة/١٢٥
قدم رسول الله ﷺ المدينة فرأى اليهود يصومون	ابن عباس	٢ - البقرة/٥٠
قدم رسول الله ﷺ المدينة وليس فينا	أبو جبيرة بن الضحاك	٤٩ - الحجرات/١١
قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك...	عائشة	٣٨ - ص/٣١
قدم رسول الله ﷺ وأصحابه مكة وقد وهنتهم حمى...	ابن عباس	٤٨ - الفتح/٢٧
قدم على رسول الله ﷺ رجال من بني فزارة قد ماتوا هزالًا	أبو هريرة	٥ - المائدة/٣٣
قدم على رسول الله ﷺ قوم من عرينة...	أنس بن مالك	٥ - المائدة/٣٣
قدم على رسول الله ﷺ قوم من عرينة...	جرير	٥ - المائدة/٣٣
قدم على رسول الله ﷺ وهو بمكة عشرون رجلًا	محمد بن إسحاق	٢٨ - القصص/٥٤

قدم على النبي ﷺ العاقب والطيب	جابر	٣ - آل عمران/٦٣
قدم علينا معاذ بن جبل وكان	سعيد بن وهب	٣١ - لقمان/١٣
قدم فروة بن مسيك رضي الله عنه على رسول الله ﷺ ...	يحيى بن هانئ عن أبيه، أو عمه	٣٤ - سبأ/١٥
قدم قيس بن عاصم على رسول الله ﷺ ...	خليفة بن حصين	٨١ - التكوير/٩
قدم كعب بن الأشرف مكة فقالت له قريش : أنت سيدهم...	ابن عباس	١٠٨ - الكوثر/٣
قدم ناس من الأعراب على رسول الله ﷺ فقالوا	عائشة	٩ - التوبة/٩٨
قدم النبي ﷺ المدينة وهم يسلفون في الثمار...	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٨٢
قدم النبي ﷺ المدينة واليهود تصوم يوم عاشوراء...	ابن عباس	١٠ - يونس/٩٢
قدم النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم صبيحة...	ابن عباس	٤٨ - الفتح/٢٧
قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش...	أسماء بنت أبي بكر	٦٠ - الممتحنة/٨
قدمت الشام فرأيتهم يسجدون لأساقفتهم...	معاذ	٢ - البقرة/٣٤
قدمت على رسول الله ﷺ بكتاب هرقل...	التنوخي	٣ - آل عمران/١٣٣
قدمت على رسول الله ﷺ فدعاني	الحارث بن أبي ضرار	٤٩ - الحجرات/٦
قدمت على رسول الله ﷺ في وفد كندة...	الأشعث بن قيس	٦٤ - التغابن/١٥
قدمت على رسول الله ﷺ وعندي أختان	أبو خراش الرعيني	٤ - النساء/٢٣
قدمت علينا أمنا المدينة...	عائشة وأسماء	٦٠ - الممتحنة/٨
قدمت عير مرة بالمدينة ورسول الله ﷺ يخطب...	جابر	٦٢ - الجمعة/١١
قدمت قتيلة على ابنتها أسماء بنت أبي بكر...	عبد الله بن الزبير	٦٠ - الممتحنة/٨
قدمت المدينة فجلست إلى مشيخة في مسجد النبي ﷺ...	خرشة بن الحرّ	٢ - البقرة/٢٥٦
قدمنا الحديبية مع رسول الله ﷺ ...	سلمة بن الأكوع	٤٨ - الفتح/١٠
قدمنا على رسول الله ﷺ أغيلمة...	ابن عباس	٣٣ - الأحزاب/٥
قدمنا على رسول الله ﷺ في وفد ثقيف...	أوس بن حذيفة	٥٠ - ق/فضائلها
قدموا على رسول الله ﷺ المدينة فدخلوا عليه مسجده حين صلّى العصر...	...	٣ - آل عمران/٦٣

قذف المحصنة يهدم عمل مائة سنة	حذيفة	٢٤ - النور/٢٣
قرأ رجل عند عمر هذه الآية :		
﴿كلما نضجت جلودهم﴾...	ابن عمر	٤ - النساء/٥٦
قرأ رجل الكهف وفي الدار دابة...	البراء	١٨ - الكهف/فضائلها
قرأ رجلان سورة أقرأهما رسول الله ﷺ فكانا يقرآن بها	ابن عمر	٢ - البقرة/١٠٦
قرأ رسول الله ﷺ بمكة سورة النجم...	المطلب بن أبي وداعة	٥٣ - النجم/٦٢
قرأ رسول الله ﷺ بمكة النجم...	سعيد بن جبير	٢٢ - الحج/٥٢
قرأ رسول الله ﷺ سورة الرحمن	جابر بن عبد الله	٤٦ - الأحقاف/٢٩
قرأ رسول الله ﷺ عام الفتح في مسيره...	عبد الله بن مغفل	٤٨ - الفتح/فضائلها
قرأ رسول الله ﷺ :		
﴿فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا﴾...	أنس	٧ - الأعراف/١٤٣
قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية :		
﴿هو أهل التقوى وأهل المغفرة﴾...	أنس بن مالك	٧٤ - المدثر/٥٦
قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية :		
﴿يومئذ تحدث أخبارها﴾...	أبو هريرة	٩٩ - الزلزلة/٤
قرأ رسول الله ﷺ : ﴿هل جزاء الإحسان﴾...	أنس بن مالك	٥٥ - الرحمن/٦٠
قرأ رسول الله ﷺ :﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب﴾...	عائشة	٣ - آل عمران/٧
قرأ رسول الله ﷺ :		
﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير﴾...	أبو جعفر الباقر	٣ - آل عمران/١٠٤
قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ولله على الناس حج البيت		
من استطاع إليه سبيلًا ﴾...	الحسن	٣ - آل عمران/٩٧
قرأ رسول الله ﷺ وهو على المنبر ﴿ص﴾...	أبو سعيد الخدري	٣٨ - ص/٢٤
قرأ عبد الله بن مسعود هذه الآية :		
﴿إلا من اتخذ عند الرحمن عهدًا﴾...	الأسود بن يزيد	١٩ - مريم/٨٧
قرأ علينا رسول الله ﷺ هذه الآية...	أنس بن مالك	٤١ - فصلت/٣٠
قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴿عبس وتولى﴾...	أنس	٨٠ - عبس/٣١
القرآن صراط الله المستقيم...	علي بن أبي طالب	٤ - النساء/١٧٥

قرأت على رسول اللّه ﷺ كما قرأت علي	ابن عمر	٣٠ - الروم/٥٤
قرأت على النبي ﷺ : ﴿فهل من مدكر﴾...	ابن مسعود	٥٤ - القمر/١٥
قرأت عن النبي ﷺ : ﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾...	سعيد بن جبير	٨٩ - الفجر/٣٠
قرأت كتاب رسول اللّه ﷺ الذي كتب لعمرو بن حزم...	محمد بن مسلم	٥ - المائدة/١
قرصت نبيًا من الأنبياء نملة...	أبو هريرة	٢٧ - النمل/١٩
قرن ينفخ فيه	عبد اللّه بن عمرو	٦ - الأنعام/٧٣
قرن ينفخ فيه	...	٢٠ - طه/١٠٢
قسم رسول اللّه ﷺ ذات يوم قسمًا	عبد اللّه بن عمرو	٣٣ - الأحزاب/٦٩
قسمت الصلاة بيني وبين عبدي	...	١ - الفاتحة/المقدمة
قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين	...	١ - الفاتحة/المقدمة
قصّ فلأن أقعد غدوة...	أبو أمامة	١٨ - الكهف/٢٨
القصاص...	الحسن البصري	٤ - النساء/٣٤
القصاص...	أنس بن مالك	٥ - المائدة/٤٥
قصي رؤياك ، فقصتها	أنس	٥٦ - الواقعة/٢١
القضاة ثلاثة...	...	٢١ - الأنبياء/٧٩
قضى أكثرهما وأطيبهما	ابن عباس	٢٨ - القصص/٢٨
قضى اللّه ورسوله أن من رجع عن دينه فاقتلوه...	معاذ بن جبل	١٦ - النحل/١٠٦
قضى رسول اللّه ﷺ في دية الخطأ	ابن مسعود	٤ - النساء/٩٢
قضى فينا معاذ بن جبل على عهد رسول اللّه ﷺ النصف للبنت	الأسود	٤ - النساء/١٧٦
قعدنا نفرًا من أصحاب رسول اللّه ﷺ فتذاكرنا	عبد اللّه بن سلام	٦١ - الصف/فضائلها
قل آمنت باللّه ثم استقم...	سفيان الثقفي عن رجل	٤١ - فصلت/٣٠
قل آمنت باللّه ثم استقم...	سفيان بن عبد اللّه	٤١ - فصلت/٣٠
قل اللّهم إني أسألك نفسًا بك مطمئنة...	أبو أمامة	٨٩ - الفجر/٣٠
قل : اللّهم إني ظلمت نفسي	عبد اللّه بن عمر	٢ - البقرة/١٩٩
قل : اللّهم إني ظلمت نفسي	عبد اللّه بن عمرو	٣٣ - الأحزاب/٦٨

قل : اللّهم غارت النجوم وهدأت العيون	زيد بن ثابت	٣٠ - الروم/٢٣
قل : بسم اللّه وكل بيمينك...	عمر بن أبي سلمة	١- الفاتحة/البسملة
قل الحق وإن كان مرّا	أبو ذر	٤ - النساء/١٦٤
قل ربي اللّه ثم استقم...	سفيان بن عبد اللّه الثقفي	٤١ - فصلت/٣٠
قل لا إله إلا اللّه...	سعد بن أبي وقاص	٥٣ - النجم/١٩
قل لهن : إن رسول اللّه ﷺ يبايعكن على...	ابن عباس	٦٠ - الممتحنة/١٢
﴿قل هو اللّه أحد﴾ تعدل ثلث القرآن	أنس	٩٩ - ١ لزلزلة/فضائلها
﴿قل هو اللّه أحد﴾ تعدل ثلث القرآن	أبو مسعود	١١٢ - الإخلاص/فضائلها
﴿قل هو اللّه أحد﴾ تعدل ثلث القرآن	أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط	١١٢ - الإخلاص/فضائلها
قل يا أبا الوليد أسمع...	محمد بن كعب القرظي	٤١ - فصلت/٥
قل يوم إلا ورسول اللّه ﷺ يطوف علينا	عائشة	٤ - النساء/٤٣
قلبًا شاكرًا ، ولسانًا ذاكرًا ، وزوجة...	ثوبان عن عمر	٩ - التوبة/٣٥
قلت : حسبك من صفية...	عائشة	٤٩ - الحجرات/١٢
قلت لابن عباس : أرأيت قول اللّه تعالى...	أبو ظبيان	٣٣ - الأحزاب/٤
قلت لابن عباس : ﴿أولى لك فأولى﴾؟...	سعيد بن جبير	٧٥ - القيامة/٣٥
قلت لابن عمر : إنا نشتري الجواري ، أفنحمض لهن؟...	سعيد بن يسار	٢ - البقرة/٢٢٣
قلت لابن عمر : ما تقول في الجواري ؟...	سعيد بن يسار	٢ - البقرة/٢٢٣
قلت لأبي بن كعب : أرأيت لو أنّ أزواج النبي ﷺ...	زياد عن رجل من الأنصار	٣٣ - الأحزاب/٥٢
قلت لأبي بن كعب :		
إن ابن مسعود لا يكتب المعوذتين في	زر بن حبيش	المعوّذتان
قلت لأبي ذر : لو رأيت رسول اللّه ﷺ لسألته...	عبد اللّه بن شقيق	٥٣ - النجم/١٥
قلت لأبي ذر : لو رأيت رسول اللّه ﷺ لسألته...	عبد اللّه بن شقيق	٥٣ - النجم/٣٥
قلت لأبي محذورة : يا عم إني خارج إلى الشام...	عبد اللّه بن محيريز	٥ - المائدة/٥٨
قلت لجابر : إنهم يزعمون أن رسول اللّه ﷺ		
نهى عن لحوم الحمر...	عمرو بن دينار	٦ - الأنعام/١٤٥
قلت لرسول اللّه ﷺ : إن ناسًا من أهل المدينة...	أبي بن كعب	٦٥ - الطلاق/٤
قلت لرسول اللّه ﷺ :		

يا رسول الله أنعمل على ما فرغ منه...	أبو بكر الصديق	٩٢ - الليل/١٠
قلت لعروة : يا ابن أختي كان أبوك منهم...	عائشة	٣ - آل عمران/١٦٩
قلت لعقبة : إن لنا جيرانًا يشربون الخمر...	دجين	٤٩ - الحجرات/١٢
قلت لعمر بن الخطاب : من المرأتان ؟...	ابن عباس	٦٦ - التحريم/١
قلت للحسن : نسخ من المائدة شيء؟ قال : لا	ابن عوف	٥ - المائدة/٢
قلت للنبي ﷺ : ﴿وأولات الأحمال...﴾		
المطلقة ثلاثًا أو المتوفى عنها زوجها؟...	أبي بن كعب	٦٥ - الطلاق/٥
قلت : من هذا يا جبريل؟...	أنس	١٧ - الإسراء/١
قلت : يا جبريل من هذا؟...	أبو سعيد الخدري	١٧ - الإسراء/١
قلت : يا رسول الله		
أخبرني عن قول الله عز وجل ﴿حور عين﴾...	أم سلمة	٣٧ - الصافات/٤٩
قلت : يا رسول الله أخبرني عن ليلة القدر...	أبو ذر	٩٧ - القدر/٥
قلت : يا رسول الله إذا كثرت ذنوب العبد...	عائشة	٥ - النساء/١٢٣
قلت : يا رسول الله أرأيت آدم...	أبو ذر	٢ - البقرة/٣٥
قلت : يا رسول الله ﷺ		
أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر...	عائشة	٩٧ - القدر/٥
قلت : يا رسول الله أرأيت إن وافقت ليلة القدر...	عائشة	٩٧ - القدر/٥
قلت : يا رسول الله ألا أنشدك محامد...	الأسود بن سريع	١ - الفاتحة/٢
قلت : يا رسول الله إن تحتي أختين	الديلمي	٤ - النساء/٢٣
قلت : يا رسول الله إن قريشًا إذا لقى بعضهم بعضًا	العباس	٤٢ - الشورى/٢٣
قلت : يا رسول الله		
إني إذا رأيتك طابت نفسي وقرت عيني	أبو هريرة	٢١ - الأنبياء/٣٠
قلت : يا رسول الله إني لأعلم أشد آية في القرآن	عائشة	٤ - النساء/١٢٣
قلت : يا رسول الله أوصني	رجل من بني الهجيم	٤ - النساء/٣٦
قلت : يا رسول الله أي الذنب أعظم ؟...	عبد الله بن مسعود	٢ - البقرة/١٦٥
قلت : يا رسول الله أي الذنب أعظم ؟...	عبد الله بن مسعود	٤ - النساء/٣١
قلت : يا رسول الله أي الذنب أعظم ؟...	ابن مسعود	٤ - النساء/٣٦

قلت : يا رسول الله أي الذنب أعظم ؟...	ابن مسعود	٤ - النساء/٤٨
قلت : يا رسول الله أي الذنب أعظم ؟...	ابن مسعود	١٧ - الإسراء/٣١
قلت : يا رسول الله أي الصدقة أفضل ؟...	أبو ذر	٢ - البقرة/٢٧١
قلت : يا رسول الله أي العمل أفضل ؟...	ابن مسعود	٢ - البقرة/٨٣
قلت : يا رسول الله أي مسجد وضع أول ؟...	أبو ذر	٢ - البقرة/١٣٢
قلت يا رسول الله أي مسجد وضع أول ؟...	أبو ذر	٣ - آل عمران/٩٦
قلت : يا رسول الله أي الناس أشد عذابًا يوم القيامة؟...	أبو عبيدة بن الجراح	٣ - آل عمران/٢٢
قلت : يا رسول الله تغزو الرجال ولا نغزو...	أم سلمة	٤ - النساء/٣٢
قلت : يا رسول الله حدثني بأمر أعتصم به...	سفيان بن عبد الله الثقفي	٤١ - فصلت/٣٠
قلت : يا رسول الله ﷺ علمني شيئًا أقوله عند منامي	الحارث بن جبلة	١٠٩ - الكافرون/فضائلها
قلت : يا رسول الله قل لي في الإسلام قولًا	سفيان بن عبد الله	٤١ - فصلت/٣٠
قلت : يا رسول الله كم الأنبياء؟...	أبو ذر	٤ - النساء/١٦٤
قلت : يا رسول الله : كيف يحيى الله الموتى؟...	أبو رزين العقيلي	٢ - البقرة/٧٣
قلت : يا رسول الله : كيف يحيى الله الموتى؟...	أبو رزين	٣٥ - فاطر/٩
قلت : يا رسول الله		
ما الخيط الأبيض من الخيط الأسود...	عدي بن حاتم	٢ - البقرة/٢٢٨
قلت : يا رسول الله : ما طينة الخبال...	أسماء بنت يزيد	١٤ - إبراهيم/١٦
قلت : يا رسول لله ما كان أول بدء أمرك؟...	أبو أمامة	٢ - البقرة/١٢٩
قلت : يا رسول الله ما معنى آمين؟...	ابن عباس	١ - الفاتحة/٧
قلت : يا رسول الله من في الجنة؟...	خنساء ابنة معاوية عن عمها	٨١ - التكوير / ٩
قلت : يا رسول الله من في الجنة؟...	خنساء بنت معاوية عن عمها	١٧ - الإسراء/١٥
قلت : يا رسول الله هذا مقام خليل ربنا؟...	أبو ميسرة	٢ - البقرة/١٢٥
قلت : يا رسول الله		
هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة؟...	عائشة	٢٢ - الحج/١
قلت : يا رسول الله لا نقاتل فنستشهد...	أم سلمة	٤ - النساء/٣٢
قلت : يا نبي الله كم الأنبياء؟...	أبو أمامة	٤ - النساء/١٦٤
قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى لموسى...	أبو واقد الليثي	٧ - الأعراف/١٣٩

قلنا لعائشة أم المؤمنين : كيف كان خلق...	يزيد بن بابنوس	٢٣ - المؤمنون/١
قلنا : يا رسول الله إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة...	أبو هريرة	٣ - آل عمران/١٣٥
قلنا : يا رسول الله ألا تستنصر لنا ، ألا تدعو الله لنا	خباب بن الأرت	٢ - البقرة/٢١٤
قلنا : يا رسول الله إنا إذا رأيناك رقت قلوبنا	أبو هريرة	٣٩ - الزمر/٢٠
قلنا : يا رسول الله إنك تبعثنا فننزل بقوم...	عقبة بن عامر	٤ - النساء/١٤٨
قلنا : يا رسول الله حدثنا عن الجنة ، ما بناؤها؟...	أبو هريرة	٩ - التوبة/٧٢
قلنا : يا رسول الله حدثنا ما رأيت ليلة أسري بك...	أبو سعيد الخدري	٤٩ - الحجرات/١٢
قلنا : يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك...	بريدة	٣٣ - الأحزاب/٥٦
قلنا : يا رسول الله كيف أسري بك؟...	شداد بن أوس	١٧ - الإسراء/١
قلنا : يا رسول الله ما رأيت ليلة أسري بك؟...	أبو سعيد الخدري	٤ - النساء/١٠
قلنا : يا رسول الله هذا السلام فكيف...	أبو سعيد الخدري	٣٣ - الأحزاب/٥٦
قلنا : يا رسول الله هل رأيت ربك؟...	بعض أصحاب النبي ﷺ	٥٣ - النجم/١١
قلنا يوم الخندق : يا رسول الله...	أبو سعيد	٣٣ - الأحزاب/١٠
القلوب أربعة...	حذيفة	٢ - البقرة/٨٨
القلوب أربعة : قلب أجرد...	أبو سعيد	٢ - البقرة/٢٠
القلوب أربعة : قلب أجرد...	أبو سعيد الخدري	٢٤ - النور/٣٥
القلوب أوعية وبعضها أوعى...	عبد الله بن عمرو	٢ - البقرة/١٨٦
قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه...	ثعلبة بن حاطب الأنصاري	٥ - المائدة/١٠٠
قم يا بلال فأرحنا بالصلاة...	رجل من الأنصار	٢٣ - المؤمنون/٢
قم يا فلان وأنت يا فلان	مقاتل بن حيان	٥٨ - المجادلة/١١
قمت مع رسول الله ﷺ ذات ليلة...	حذيفة	٣٦ - يس/٨٣
قمت مع رسول الله ﷺ ليلة فقام...	عوف بن مالك	٣٦ - يس/٨٣
القنطار اثنا عشر ألف أوقية...	أبو هريرة	٣ - آل عمران/١٤
القنطار ألف أوقية ومائتا أوقية	أبي بن كعب	٣ - آل عمران/١٤
القنطار ألفا أوقية	أنس بن مالك	٣ - آل عمران/١٤
قنطار يعني ألف دينار...	أنس	٣ - آل عمران/١٤

قولوا : اللّه مولانا ولا مولى لكم	...	٥٣ - النجم/١٩
قولوا : اللّهم اجعل صلواتك ورحمتك...	بريدة	٣٣ - الأحزاب/٥٦
قولوا : اللّهم صل على محمد...	أبو مسعود الأنصاري	٣٣ - الأحزاب/٥٦
قولوا : اللّهم صل على محمد...	أبو مسعود البدري	٣٣ - الأحزاب/٥٦
قولوا : اللّهم صل على محمد...	أبو هريرة	٣٣ - الأحزاب/٥٦
قولوا : اللّهم صل على محمد عبدك...	أبو سعيد	٣٣ - الأحزاب/٥٦
قولوا : اللّهم صل على محمد وأزواجه...	عمرو بن سليم	٣٣ - الأحزاب/٥٦
قولوا : اللّهم صل على محمد وعلى آل محمد...	...	١١ - هود/٧٣
قولوا : اللّهم صل على محمد وعلى آل محمد...	كعب بن عجرة	٣٣ - الأحزاب/٥٦
قولوا : سمعنا وأطعنا	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٨٤
قولوا : سمعنا وأطعنا وسلمنا	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٨٤
قولي : اللّهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني	عائشة	٩٧ - القدر/٥
قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض	...	٤ - النساء/٨٤
قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض...	...	٨ - الأنفال/٦٥
قوموا إلى سيدكم...	...	٥٨ - المجادلة/١١
قومي إلى هذا فعلميه ، فإنه لا يحسن	عمرو بن سعيد	٢٤ - النور/٢٧
قومي فتنحي عن أهل بيتي	أم سلمة	٣٣ - الأحزاب/٣٣
قيل لبني إسرائيل : ادخلوا الباب سجدًا	أبو هريرة	٢ - البقرة/٥٨
قيل لرسول اللّه ﷺ : أي الأديان أحب إلى اللّه تعالى...	ابن عباس	٦ - الأنعام/١٦٣
قيل لرسول اللّه ﷺ حين فرغ من بدر : عليك بالعير...	ابن عباس	٨ - الأنفال/٦
قيل لرسول اللّه ﷺ ﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ ما أطول هذا اليوم !...	أبو سعيد	٧٠ - المعارج/٤
قيل لعائشة رضي اللّه عنها : هل كان رسول اللّه ﷺ ...	قتادة	٣٦ - يس/٦٩
قيل لعمر بن الخطاب في شأن العسرة فقال...	عن عمر بن الخطاب	٩ - التوبة/١١٧
قيل للنبي ﷺ : إن شئت أن نعطيك...	خيثمة	٢٥ - الفرقان/١٠
قيل للنبي ﷺ لو أتيت عبد اللّه بن أبي	أنس	٤٩ - الحجرات/٩

قيل لنا أشياء تكون في آخر هذه الأمة...	أبي بن كعب	٦٦ - التحريم/٨
قيل لي : أنت منهم	عبد اللّه بن مسعود	٥ - المائدة/٩١
قيل لي : أنت منهم	عبد اللّه بن مسعود	٦ - الأنعام/٨٢
قيل لي ، فقلت. ..	أبي بن كعب	المعوّذتان
قيل لي ، فقلت لكم : فقولوا	ابن مسعود	المعوّذتان
قيل لي : قل ، فقلت...	أبي بن كعب	المعوّذتان
قيل لي : لتنم عينك وليعقل قلبك...	أبو قلابة	١٠ - يونس/٢٥
قيل : يا رسول اللّه ادع على المشركين	أبو هريرة	٢١ - الأنبياء/١٠٧
قيل يا رسول اللّه : أمّا السلام عليك فقد عرفناه...	كعب بن عجرة	٣٣ - الأحزاب/٥٦
قيل : يا رسول اللّه أنتوضأ من بئر بضاعة...	أبو سعيد	٢٥ - الفرقان/٤٨
قيل : يا رسول اللّه إنا نغار...	أبو هريرة	٦ - الأنعام/١٥١
قيل : يا رسول اللّه أي شيء رأيت يغشى تلك السدرة؟...	ابن زيد	٥٣ - النجم/١٦
قيل : يا رسول اللّه كيف يحشر الناس على وجوههم؟...	أنس	١٧ - الإسراء/٩٧
قيل يا رسول اللّه ما العدل ؟ قال...	رجل من بني أمية	٢ - البقرة/٤٧
قيل : يا رسول اللّه ما الغيبة قال...	أبو هريرة	٤٩ - الحجرات/١٢
قيل : يا رسول اللّه متى يترك الأمر بالمعروف...	أنس بن مالك	٥ - المائدة/٧٩
قيل : يا رسول اللّه من في الجنة؟...	الحسن	٨١ - التكوير/٩
قيل : يا رسول اللّه ﴿من يعمل سوءًا يجز به﴾...	ابن عباس	٤ - النساء/١٢٣
قيل : يا رسول اللّه هل نصل إلى نسائنا في الجنة...	أبو هريرة	٥٦ - الواقعة/٣٧
قيل : يا رسول اللّه هل ينام أهل الجنة ؟...	جابر	٤٤ - الدخان/٥٦
قيل : يا رسول اللّه يوم كان مقداره خمسين ألف سنة...	أبو سعيد الخدري	٢٥ - الفرقان/٢٦

حرف الكاف

كاد الخيران أن يهلكا	ابن أبي مليكة	٤٩ - الحجرات/٢
كالكلب يقيء ثم يرجع في قيئه...	...	٤٩ - الحجرات/١٢
كان آدم رجلًا طوالًا كأنه نخلة...	أُبي بن كعب	٧ - الأعراف/٢٣
كان أبغض الحديث إليه غير أنه...	عائشة	٣٦ - يس/٦٩

كان ابن عمر إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ...	نافع	٢ - البقرة/٢٢٣
كان أبو برزة الأسلمي كاهنًا يقضي بين اليهود...	ابن عباس	٤ - النساء/٦٣
كان أبو بكر رضي الله عنه يعتق على الإسلام بمكة	عامر بن عبد الله بن الزبير	٩٢ - الليل/١١
كان أبو بكر يأكل مع النبي ﷺ...	أنس	٩٩ - الزلزلة/٨
كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالًا	أنس	٣ - آل عمران/٩٢
كان أبو لهب وابنه عتبة قد تجهزا إلى الشام...	هناد بن الأسود	٥٣ - النجم/٩
كان أبو هريرة رضي الله عنه يتبع رسول الله ﷺ ...	سعيد بن عمرو	٤٦ - الأحقاف/٢٩
كان أُبي بن خلف ... قد حلف وهو بمكة ليقتلن رسول الله ﷺ ...	عروة بن الزبير	٣ - آل عمران/١٥٣
كان أبي ممن بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة...	المسيب	٤٨ - الفتح/١٠
كان أحدهم إذا مرَّ برسول الله ﷺ ثنى عنه صدره...	عبد الله بن شداد	١١ - هود/٥
كان إذا أراد من الحائض شيئًا ألقى على فرجها ثوبًا	بعض أزواج النبي ﷺ	٢ - البقرة/٢٢٢
كان إذا سئل عن صلاة الخوف وصفها	ابن عمر	٢ - البقرة/٢٣٩
كان إذا صلّى بأصحابه رفع صوته بالقرآن	ابن عباس	١٧ - الإسراء/١١٠
كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحي	عمر بن الخطاب	٢٣ - المؤمنون/١
كان أزواج النبي ﷺ يتهادين الجراد على الأطباق...	أنس بن مالك	٧ - الأعراف/١٣٣
كان الإسراء قبل الهجرة بسنة...	الزهري	١٧ - الإسراء/١
كان أصحاب رسول الله ﷺ يرون	أبو العالية	٤٧ - محمد/٣٣
كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : إن الله لينفعنا بالأعراب...	سليم بن عامر	٥٦ - الواقعة/٢٨
كان أصحاب الشجرة ألفًا وأربعمائة...	عبد الله بن أبي أوفى	٤٨ - الفتح/١٠
كان أصحاب النبي ﷺ إذا كان الرجل صائمًا فنام...	البراء بن عازب	٢ - البقرة/١٧٨
كان أعرابي من بني تميم إذا سلّم النبي ﷺ قال : اللّهم ارزقني إبلًا وولدًا	عبد الله بن شداد	١٧ - الإسراء/١١٠
كان أناس أتوا رسول الله ﷺ فقالوا : نبايعك على الإسلام...	سعيد بن جبير	٥ - المائدة/ ٣٣
كان أناس يستأخرون في الصفوف...	مروان بن الحكم	١٥ - الحجرات /٢٤

كان أهل بيت منا يقال لهم : بنو أبيرق...	قتادة بن النعمان	٤ - النساء/١٠٩
كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء تقذرًا	ابن عباس	٦ - الأنعام/١٤٥
كان أهل الجاهلية يقفون بعرفة...	ابن عباس	٢ - البقرة/١٩٨
كان أهل الجاهلية يقولون : إنما يهلكنا	أبو هريرة	٤٥ - الجاثية/٢٤
كان أهل الجاهلية ينضحون البيت...	ابن جريج	٢٢ - الحج/٣٧
كان أهل الكتاب يقرءون التوراة...	أبو هريرة	٢٩ - العنكبوت/٤٦
كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية...	أبو هريرة	٢ - البقرة/١٣٦
كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون	ابن عباس	٢ - البقرة/١٩٧
كان أول شأن رسول الله ﷺ أنه رأى في منامه...	عائشة	٥٣ - النجم/٩
كان أول ما نسخ من القرآن القبلة...	ابن عباس	٢ - البقرة/١٤٤
كان البدل في الجاهلية أن يقول الرجل للرجل...	أبو هريرة	٣٣ - الأحزاب/٥٢
كان بنو إسرائيل إذا كان لأحدهم		
خادم ودابة وامرأة كتب ملكًا	أبو سعيد الخدري	٥ - المائدة/٢٠
كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف كلام...	أنس	٥٧ - الحديد/١٠
كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة...	أبو الطفيل	٩ - التوبة/٧٤
كان بين نوح وآدم عشرة قرون		
كلهم على شريعة من الحق...	ابن عباس	٢ - البقرة/٢١٣
كان تاجر يداين الناس فإذا رأى معسرًا	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٨٠
كان ثمن المجن على عهد النبي ﷺ عشرة دراهم	ابن عباس	٥ - المائدة/٣٨
كان جبريل عليه السلام في موضع الجنائز...	عمر مولى عقبة	٢٥ - الفرقان/٥٠
كان الجن يستمعون الوحي	ابن عباس	٤٦ - الأحقاف/٢٩
كان حذيفة بالمدائن فكان يذكر أشياء...	عمرو بن أبي قرة الكندي	٢١ - الأنبياء/١٠٧
كان خلق رسول الله ﷺ القرآن	عائشة	٦٨ - القلم/٤
كان خلق رسول الله ﷺ القرآن	عائشة	٢٣ - المؤمنون/١
كان خلقه القرآن	عائشة	٦٨ - القلم/٤
كان داود عليه السلام فيه غيرة شديدة...	أبو هريرة	٢٧ - النمل/١٦
كان ذلك بأن الملك كان		

يأتي الرجل من أصحاب النبي ﷺ فيقول :....	...	٨ - الأنفال/١٢
كان الرجل أحق برجعة امرأته وإن طلقها ما شاء...	عروة	٢ - البقرة/٢٢٨
كان الرجل أحق برجعة امرأته وإن طلقها ما شاء...	عائشة	٢ - البقرة/٢٢٨
كان الرجل إذا قال لامرأته في الجاهلية...	ابن عباس	٥٨ - المجادلة/٢
كان الرجل إذا كان بينه وبين الرجل منازعة...	الحسن	٢٤ - النور/٥١
كان الرجل على عهد النبي ﷺ يقول للرجل...	عبادة بن الصامت	٢ - البقرة/٢٣١
كان الرجل فى عهد رسول الله ﷺ يضحي بالشاة...	أبو أيوب	٢٢ - الحج/٣٧
كان رجل في غنيمة له...	ابن عباس	٤ - النساء/٩٤
كان رجل ممن كان قبلكم وكان به جرح...	عبد اللّه بن البجلي	٤ - النساء/٢٩
كان رجل من أصحاب النبي ﷺ يحدث الناس...	أبو السليل	٢ - البقرة/٢٥٥
كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتدّ...	ابن عباس	٣ - آل عمران/٨٩
كان رجل من الأنصار مريضًا فجاءه النبي ﷺ يعوده...	أنس	٣ - آل عمران/١٠٢
كان رجل من الأنصار يقال له عمران	السدي	٤٩ - الحجرات/١٠
كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء...	أنس	١١٢ - الإخلاص/فضائلها
كان رجل من بني إسرائيل عقيمًا	عبيدة السلماني	٢ - البقرة/٦٧
كان الرجل منهم يأتي على الصخرة فيحملها	المقدام	٨٩ - الفجر/٧
كان رجل يحمل الخمر من خيبر إلى المدينة...	جابر بن عبد اللّه	٥ - المائدة/٩١
كان رجل يدخل على أزواج النبي ﷺ مخنث...	عائشة	٢٤ - النور/٣١
كان رجل يصلي فوق بيته...	موسى بن أبي عائشة	٧٥ - القيامة/٤٠
كان الرجل يطلق ويقول :كنت لاعبًا	الحسن البصري	٢ - البقرة/٢٣٦
كان رجل يطوف بالبيت الحرام		
ويقول في دعائه أوه أوه...	أبو ذر	٩ - التوبة/١١٤
كان رجل يقال له : مرثد بن.........	عبد الله بن عمرو	٢٤ - النور/٣
كان الرجل يكلم صاحبه في عهد النبي ﷺ...	زيد بن أرقم	٢ - البقرة/٢٣٨
كان رجلان شريكان خرج أحدهما	أبو رزين	٣٤ - سبأ/٣٤
كان الرجلان من أصحاب رسول اللّه ﷺ		
إذا التقيا لم يفترقا إلا	عبيد اللّه بن حصن	١٠٣ - العصر/فضائلها

كان رسول اللّه ﷺ أحسن الناس وجهًا	البراء	٦٨ - القلم/٤
كان رسول اللّه ﷺ إذا أتاه قوم بصدقتهم قال...	عبد اللّه بن أبي أوفى	٣٣ - الأحزاب/٥٦
كان رسول اللّه ﷺ إذا أتى باب قومٍ...	عبد اللّه بن بشر	٢٤ - النور/٢٧
كان رسول اللّه ﷺ إذا أراد أن يخرج لسفرٍ أقرع...	عائشة	٢٤ - النور/١١
كان رسول اللّه ﷺ إذا أراق البول...	علقمة بن وقاص	٥ - المائدة/٦
كان رسول اللّه ﷺ إذا استراب الخبر...	عائشة	٣٦ - يس/٦٩
كان رسول اللّه ﷺ إذا أصبح قال...	أبزى	٦ - الأنعام/١٦٣
كان رسول اللّه ﷺ إذا أنزل عليه الوحي يلقى منه شدة...	ابن عباس	٧٥ - القيامة/١٦
كان رسول اللّه ﷺ إذا بعث أميرًا على سرية...	يزيد بن الخصيب	٨ - الأنفال/٧٢
كان رسول اللّه ﷺ إذا بعث جيوشه قال...	ابن عباس	٢ - البقرة/١٩٠
كان رسول اللّه ﷺ إذا بقي عشر من رمضان شد مئزره...	عائشة	٩٧ - القدر/٥
كان رسول اللّه ﷺ إذا تلا : ﴿غير المغضوب عليهم﴾...	أبو هريرة	١ - الفاتحة/٧
كان رسول اللّه ﷺ إذا توضأ أدار الماء على مرفقيه...	جابر بن عبد اللّه	٥ - المائدة/٦
كان رسول اللّه ﷺ إذا جلسنا حوله...	أبو الدرداء	٤ - النساء/١١٠
كان رسول اللّه ﷺ إذا جهر بالقرآن وهو يصلي تفرقوا عنه...	ابن عباس	١٧ - الإسراء/١١٠
كان رسول اللّه ﷺ إذا حزبه أمر...	حذيفة بن اليمان	٢ - البقرة/٤٥
كان رسول اللّه ﷺ إذا حزبه أمر...	حذيفة بن اليمان	٢ - البقرة/٤٥
كان رسول اللّه ﷺ إذا حزبه أمر صلى...	....	٣٣ - الأحزاب/١٠
كان رسول اللّه ﷺ إذا خرج بعث معه أبو طالب..	جابر بن عبد اللّه	٥ - المائدة/٦٧
كان رسول اللّه ﷺ إذا دخل العشر أحيا الليل...	عائشة	٩٧ - القدر/٥
كان رسول اللّه ﷺ إذا دخل المسجد...	فاطمة بنت رسول اللّه ﷺ	٢٤ - النور/٣٦
كان رسول اللّه ﷺ إذا دخل المسجد...	فاطمة بنت رسول اللّه ﷺ	٣٣ - الأحزاب/٥٦
كان رسول اللّه ﷺ إذا دعي إلى جنازة سأل عنها	أبو قتادة	٩ - التوبة/٨٤

كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلث الليل قام...	أبي بن كعب	٧٩ - النازعات/٧
كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل...	أبي بن كعب	٣٣ - الأحزاب/٥٦
كان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه	كعب بن مالك	٧٦ - الإنسان/١١
كان رسول الله ﷺ إذا سلم لا يقعد...	عائشة	٥٥ - الرحمن/٧٨
كان رسول الله ﷺ إذا سمع الرعد والصواعق قال...	ابن عمر	١٣ - الرعد/١٣
كان رسول الله ﷺ إذا صلى الصبح يقول...	أبو زمل الجهني	٥٦ - الواقعة/١٤
كان رسول الله ﷺ إذا صلّى العصر...	أبو رافع	٣ - آل عمران/١٦١
كان رسول الله ﷺ إذا صلّى العصر همس...	صهيب	٨٥ - البروج/٥
كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تتفطر...	عائشة	٤٨ - الفتح/٢
كان رسول الله ﷺ إذا صلّى والناس حوله صلّى صلاة...	خالد الخزاعي	٦ - الأنعام/٦٥
كان رسول الله ﷺ إذا عصفت الريح قال...	عائشة	٤٦ - الأحقاف/٢٥
كان رسول الله ﷺ إذا غنم غنيمة...	سمرة بن جندب	٣ - آل عمران/١٦١
كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من دفن الميت...	عثمان بن عفان	٩ - التوبة/٨٤
كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة...	أبو أمامة الباهلي	١ - الفاتحة/الاستعاذة
كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل...	أبو سعيد الخدري	١ - الفاتحة/الاستعاذة
كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل...	ابن عباس	٢٤ - النور/٣٥
كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل...	عائشة	٣٩ - الزمر/٤٦
كان رسول الله ﷺ إذا قرأ آخر سورة البقرة...	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٨٥
كان رسول الله ﷺ إذا مرّ بهذه الآية : ﴿ونفس وما سوّاها﴾...	ابن عباس	٩١ - الشمس/٨
كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي	عبادة بن الصامت	٤ - النساء/١٥
كان رسول الله ﷺ إذا نزل منزلًا اختار له أصحابه	محمد بن كعب القرظي	٥ - المائدة/٦٧
كان رسول الله ﷺ أكثر ما يصلي الركعتين	ابن عباس	٢ - البقرة/١٣٦
كان رسول الله ﷺ بالحديبية وأصحابه حين صدهم المشركون	زيد بن أسلم	٥ - المائدة/٢
كان رسول الله ﷺ بعث الوليد بن عقبة...	ابن عباس	٤٩ - الحجرات/٦

كان رسول الله ﷺ تعجبه الرؤيا	أنس	٥٦ - الواقعة/٢١
كان رسول الله ﷺ جالسًا في ظل شجرة فقال...	ابن عباس	٩ - التوبة/٧
كان رسول الله ﷺ جالسًا في نفر...	ابن عباس	٣٤ - سبأ/٢٣
كان رسول الله ﷺ سحر...	عائشة	١١٣ - الفلق/٥
كان رسول الله ﷺ في آخر أمره لا يقوم...	أم سلمة	١١٠ - النصر/٣
كان رسول الله ﷺ في بيت أم هانئ راقدًا	علي بن أبي طالب	١٧ - الإسراء/١
كان رسول الله ﷺ في بيت أم هانئ راقدًا	ابن عباس	١٧ - الإسراء/١
كان رسول الله ﷺ في بيت أم هانئ راقدًا	ابن مسعود	١٧ - الإسراء/١
كان رسول الله ﷺ في بيت أم هانئ راقدًا	الضحاك بن مزاحم	١٧ - الإسراء/١
كان رسول الله ﷺ - فيما بلغني - كثيرًا ما يجلس عند المروة...	محمد بن إسحاق	١٦ - النحل/١٠٣
كان رسول الله ﷺ قاعدًا في المسجد مستقبلًا الحجر...	ابن عباس	٦ - الأنعام/١٤٦
كان رسول الله ﷺ قد صلى نحو بيت المقدس...	البراء	٢ - البقرة/١٤٢
كان رسول الله ﷺ كثيرًا ما كان يحدث عن امرأة في الجاهلية...	ابن عمر	٨٨ - الغاشية/٢٠
كان رسول الله ﷺ كثيرًا ما يحدث...	ابن عمر	٢٣ - المؤمنون/٨٧
كان رسول الله ﷺ كثيرًا ما يدعو...	عائشة	٣ - آل عمران/٨
كان رسول الله ﷺ لا يأكل الجراد...	ابن عباس	٧ - الأعراف/١٣٣
كان رسول الله ﷺ لا يزال يذكر من شأن الساعة...	طارق بن شهاب	٧ - الأعراف/١٨٧
كان رسول الله ﷺ لا يفضل بعضنا على بعض...	عائشة	٤ - النساء/١٢٨
كان رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان	عثمان بن عفان	٩ - التوبة/١
كان رسول الله ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين	أسامة بن زيد	٢ - البقرة/١٠٩
كان رسول الله ﷺ يأخذ الوبرة من ظهر البعير...	عبادة بن الصامت	٣ - آل عمران/١٦١
كان رسول الله ﷺ يأمر بفراشه...	عائشة	٥٧ - الحديد/٣
كان رسول الله ﷺ يأمرنا بالتخفيف...	عبد الله بن عمر	٣٧ - الصافات/سببها
كان رسول الله ﷺ يأمرني فأغسل رأسه وأنا حائض...	عائشة	٢ - البقرة/٢٢٢
كان رسول الله ﷺ يتعوذ من أعين الجان	أبو سعيد الخدري	٦٨ - القلم/٥١

كان رسول الله ﷺ يتمثل من الأشعار...	ابن عباس	٣٦ - يس/٦٩
كان رسول الله ﷺ يتوضأ ثم يقبل ثم يصلي	عائشة	٤ - النساء/٤٣
كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر...	عائشة	٩٧ - القدر/٥
كان رسول الله ﷺ يجهر ببسم الله...	ابن عباس	١ - الفاتحة/البسملة
كان رسول الله ﷺ يحب الحلوى...	عائشة	٦٦ - التحريم/١
كان رسول الله ﷺ يحب هذه السورة ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾...	علي	٨٧ - الأعلى/فضائلها
كان رسول الله ﷺ يخرج في جوف الليل...	أبي بن كعب	٣٣ - الأحزاب/٥٦
كان رسول الله ﷺ يخطب فجاء الحسن والحسين	أبو بريدة	٦٤ - التغابن/١٥
كان رسول الله ﷺ يدعو...	ابن عباس	٧ - الأعراف/١٧
كان رسول الله ﷺ يدعو : اللّهم أحسن عاقبتنا	بشر بن أرطاة	٢ - البقرة/١١٤
كان رسول الله ﷺ يدعو على رجال من المشركين	ابن عمر	٣ - آل عمران/١٢٨
كان رسول الله ﷺ يدعو على صفوان بن أمية...	سالم بن عبد الله	٣ - آل عمران/١٢٨
كان رسول الله ﷺ يدني إلي رأسه فأرجله وأنا حائض...	عائشة	٢ - البقرة/١٨٧
كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة...	أبو هريرة	٣٣ - الأحزاب/٣٥
كان رسول الله ﷺ يصبح جنبًا من جماع...	عائشة وأم سلمة	٢ - البقرة/١٨٧
كان رسول الله ﷺ يصلي الصلوات...	جابر بن سمرة	٥٦ - الواقعة/فضائلها
كان رسول الله ﷺ يصلي الظهر بالهاجرة...	زيد بن ثابت	٢ - البقرة/٢٣٨
كان رسول الله ﷺ يصلي على أثر كل صلاة...	علي	٥٠ - ق/٣٩
كان رسول الله ﷺ يصلي عند المقام...	ابن عباس	٩٦ - العلق/١٨
كان رسول الله ﷺ يصلي نحو بيت المقدس...	البراء	٢ - البقرة/١٤٢
كان رسول الله ﷺ يصلي يوم الجمعة...	مقاتل بن حيان	٦٢ - الجمعة/١١
كان رسول الله ﷺ يصوم حتى...	عائشة	١٧ - الإسراء/المقدمة
كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول...	عائشة	٣٩ - الزمر/فضائلها
كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة...	ابن عباس	٧٥ - القيامة/١٦
كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان	ابن عمر	٩٧ - القدر/٥

كان رسول اللّه ﷺ يعجبه الجوامع من الدعاء...	عائشة	٣٦ - يس/٦٩
كان رسول اللّه ﷺ يعلم قينًا بمكة...	ابن عباس	١٦ - النحل/١٠٣
كان رسول اللّه ﷺ يعلمنا الاستخارة...	جابر بن عبد اللّه	٥ - المائدة/٣
كان رسول اللّه ﷺ يعلمنا كلمات...	عبد الله بن عمرو	٢٣ - المؤمنون/٩٨
كان رسول اللّه ﷺ يعلمنا نقول...	عبد اللّه بن عمرو	٣٩ - الزمر/٤٦
كان رسول اللّه ﷺ يعوذ الحسن والحسين	ابن عباس	٦٨ - القلم/٥١
كان رسول اللّه ﷺ يفتتح الصلاة بالتكبير...	عائشة	١ - الفاتحة/البسملة
كان رسول اللّه ﷺ يقرأ عشر آيات من آخر سورة آل عمران	أبو هريرة	٣ - آل عمران/١٩٤
كان رسول اللّه ﷺ يقرأ : ﴿فهل من مدكر﴾...	عبد اللّه بن مسعود	٥٤ - القمر/١٥
كان رسول اللّه ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل...	عائشة	٤ - النساء/١٢٩
كان رسول اللّه ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل...	عائشة	٣٣ - الأحزاب/٥١
كان رسول اللّه ﷺ يقطع قراءته	أم سلمة	١ - الفاتحة/البسملة
كان رسول اللّه ﷺ يقول بآخر عمره...	أبو برزة الأسلمي	٥٢ - الطور/٤٨
كان رسول اللّه ﷺ يقول في دبر كل صلاة...	عبد اللّه بن الزبير	٤٠ - المؤمن/١٤
كان رسول اللّه ﷺ يقول في دبر كل صلاة...	عبد اللّه بن الزبير	٤٠ - المؤمن/٦٥
كان رسول اللّه ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده...	عائشة	١١٠ - النصر/٣
كان رسول اللّه ﷺ يكثر في آخر أمره...	عائشة	١١٠ - النصر/٣
كان رسول اللّه ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة...	أبو مسعود	٥٨ - المجادلة/١١
كان رسول قيصر جاء إلى قال...	سعيد بن أبي راشد	٢٨ - القصص/٥٦
كان رهط من عرينة أتوا رسول اللّه ﷺ وبهم جهد...	أنس بن مالك	٥ - المائدة/٣٣
كان رهط من عرينة أتوا رسول اللّه ﷺ وبهم جهد...	عبد اللّه بن عمر أو عمرو	٥ - المائدة/٣٣
كان سيما الملائكة يوم بدر الصوف الأبيض...	علي بن أبي طالب	٣ - آل عمران/١٢٥
كان سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض...	ابن عباس	٣ - آل عمران/١٢٥
كان عاشوراء يصام فلما نزل فرض الصيام...	عائشة	٢ - البقرة/١٨٤
كان العباس عم رسول اللّه ﷺ فيمن يحرسه...	أبو سعيد الخدري	٥ - المائدة/٦٧

كان عبد اللّٰه بن الزبير يقول في دبر كل صلاة...	محمد بن مسلم بن تدرس	٤٠ - غافر/١٤
كان عبد اللّٰه بن الزبير يقول في دبر كل صلاة...	محمد بن مسلم بن تدرس	٤٠ - غافر/٦٥
كان عبد اللّٰه يحك المعوّذتين	إبراهيم بن علقمة	المعوّذتان
كان عبد اللّٰه يحك المعوّذتين	عبد الرحمن بن زيد	المعوّذتان
كان عبدًا ناصحًا لله...	علي	١٨ - الكهف/٨٣
كان عظماء المستهزئين	عروة بن الزبير	١٥ - الحجر/٩٥
كان على موسى يوم كلمه ربه جبة صوف...	ابن مسعود	٤ - النساء/١٦٤
كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر...	ابن عباس	١١٠ - النصر/١
كان غلام من اليهود يخدم رسول اللّٰه ﷺ ...	ابن عباس وعائشة	١١٣ - الفلق/٥
كان في بني إسرائيل رجلان	أبو هريرة	٤ - النساء/٤٨
كان في عماء ما تحته هواء ، وما فوقه هواء...	أبو رزين لقيط بن عامر	١١ - هود/٧
كان في فارس امرأة لا تلد إلا الملوك...	عكرمة	٣٠ - الروم/٣
كان فيما أخذ علينا رسول اللّٰه ﷺ ...	عن امرأة من المبايعات	٦٠ - الممتحنة/١٢
كان فيما أنزل من القرآن : عشر رضعات...	عائشة	٤ - النساء/٢٣
كان فيمن خلا من إخواني من الأنبياء...	أنس	٤ - النساء/١٦٤
كان فيمن كان قبلكم ملك وكان له ساحر...	صهيب	٨٥ - البروج/٥
كان قاض في بني إسرائيل...	ابن عباس	٢١ - الأنبياء/٨٥
كان قوم من أهل مكة أسلموا	ابن عباس	٤ - النساء/٩٧
كان قوم يسألون رسول اللّٰه ﷺ استهزاءً...	ابن عباس	٥ - المائدة/١٠١
كان الكفل من بني إسرائيل لا يتورع من ذنب عمله...	ابن عمر	٢١ - الأنبياء/٨٥
كان كل هذا في صحف إبراهيم وموسى...	ابن عباس	٨٧ - الأعلى/١٩
كان لابن عمر صديق من أهل الشام يكاتبه...	نافع	٥٤ - القمر/٤٩
كان لرسول اللّٰه ﷺ صديق من ثقيف أو من دوس...	ابن عباس	٥ - المائدة/٩١
كان لرسول اللّٰه ﷺ كاتب يسمى : السجل...	ابن عباس	٢١ - الأنبياء/١٠٤
كان لعبد اللّٰه بن أبي بن سلول جارية...	جابر	٢٤ - النور/٣٣
كان للشياطين مقاعد في السماء...	ابن عباس	٣٧ - الصافات/١٠
كان للنبي ﷺ غلام يقال له يسار...	سلمة بن الأكوع	٥ - المائدة/٣٣

كان لنا غلامان روميان يقرآن كتابًا لهما	عبيد اللّٰه بن مسلم	١٦ - النحل/١٠٣
كان لي زوج يقل عليَّ الخير إذا حضرني	الربيع بنت معوذ	٢ - البقرة/٢٢٩
كان ليعقوب النبي عليه السلام أخ مؤاخ له...	أنس بن مالك	١٢ - يوسف/٨٤
كان مروان على الحجاز ، استعمله معاوية...	يوسف بن ماهك	٤٦ - الأحقاف/١٧
كان المسلمون في شهر رمضان إذا صلوا العشاء...	...	٢ - البقرة/١٨٧
كان المسلمون قبل أن تنزل هذه الآية إذا صلوا العشاء الآخرة...	أبو هريرة	٢ - البقرة/١٨٧
كان المسلمون يذهبون في النفير مع رسول اللّٰه ﷺ ...	عائشة	٢٤ - النور/٥٨
كان المسلمون يسبون أصنام الكفار...	قتادة	٦ - الأنعام/١٠٨
كان المشركون يطوفون بالبيت ويقولون	ابن عباس	٨ - الأنفال/٣٣
كان معاوية يسير في أرض الروم...	سليم بن عامر عن معاوية	٨ - الأنفال/٥٨
كان المقام في سقع البيت على عهد رسول اللّٰه ﷺ ...	سفيان بن عيينة	٢ - البقرة/١٢٥
كان ملك من الملوك وكان لذلك الملك كاهن	صهيب	٨٥ - البروج/٥
كان من المطوعين من المؤمنين في الصدقات عبد الرحمن بن عوف...	ابن إسحاق	٩ - التوبة/٧٩
كان موسى عليه السلام رجلًا حييًا	أنس	٣٣ - الأحزاب/٦٩
كان الناس إذا رأوا أول الثمر جاءوا به إلى رسول اللّٰه ﷺ ...	أبو هريرة	٢ - البقرة/١٢٦
كان الناس في رمضان إذا صام الرجل فأمسى...	كعب بن مالك	٢ - البقرة/١٨٧
كان ناس من الأعراب يأتون النبي ﷺ...	ابن عباس	٢٢ - الحج/١١
كان ناس يحجون بغير زاد فأنزل اللّٰه : ﴿وتزودوا﴾...	ابن عباس	٢ - البقرة/١٩٧
كان نبي اللّٰه سليمان إذا صلى رأى شجرة...	ابن عباس	٣٤ - سبأ/١٤
كان النبي ﷺ إذا أتى بصدقة قوم صلى عليهم...	عبد اللّٰه بن أبي أوفى	٩ - التوبة/١٠٣
كان النبي ﷺ إذا أراد أن يباشر امرأة من نسائه...	ميمونة بنت الحارث	٢ - البقرة/٢٢٢
كان النبي ﷺ إذا أراد أن يباشر امرأة من نسائه...	عائشة	٢ - البقرة/٢٢٢
كان النبي ﷺ إذا أصابه خصاصة نادى أهله...	ثابت	٢٠ - طه/١٣٢

كان النبي ﷺ إذا ذكر أحدًا فدعا له...	أبي بن كعب	١٨ - الكهف/٧٦
كان النبي ﷺ إذا سلم من صلاته إلى بيت المقدس...	ابن عباس	٢ - البقرة/١٤٤
كان النبي ﷺ إذا صلّى قام على رجل...	الربيع بن أنس	٢٠ - طه/١
كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الرجل...	عثمان	١٤ - إبراهيم/٢٧
كان النبي ﷺ بمكة ثم أمر بالهجرة...	ابن عباس	١٧ - الإسراء/٨٠
كان النبي ﷺ بمكة فأنزل اللّٰه...	ابن أبزى	٨ - الأنفال/٣٣
كان النبي ﷺ جالسًا وحياله حجر...	أنس بن مالك	٩٤ - الشرح/٦
كان النبي ﷺ قد حاصرهم حتى بلغ منهم...	ابن عباس	٥٩ - الحشر/٥
كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ	جابر	٣٢ - السجدة/المقدمة
كان النبي ﷺ مخيرًا إن شاء حكم بينهم وإن شاء أعرض...	ابن عباس	٥ - المائدة/٤٩
كان النبي ﷺ وأصحابه بمكة...	أبو العالية	٢٤ - النور/٥٥
كان النبي ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين	أسامة بن زيد	٣ - آل عمران/١٨٦
كان النبي ﷺ يتوضأ عند كل صلاة...	بريدة	٥ - المائدة/٦
كان النبي ﷺ يتوضأ عند كل صلاة...	أنس بن مالك	٥ - المائدة/٦
كان النبي ﷺ يحرس...	عائشة	٥ - المائدة/٦٧
كان النبي ﷺ يحرس...	ابن عباس	٥ - المائدة/٦٧
كان النبي ﷺ يشرب عسلًا عند زينب بنت جحش...	عائشة	٦٦ - التحريم/١
كان النبي ﷺ يصلي حتى ترم قدماه...	المغيرة بن شعبة	٤٨ - الفتح/٢
كان النبي ﷺ يصلي عند المقام...	قتادة	٢٢ - الحج/٥٢
كان النبي ﷺ يقرأ في سفره في إحدى الركعتين بالتين والزيتون	البراء بن عازب	٩٥ - التين/فضائلها
كان النبي ﷺ يقرأ في الفجر يوم الجمعة...	أبو هريرة	٣٢ - السجدة/المقدمة
كان النبي ﷺ يكثر أن يقول : يا مقلب القلوب...	أنس بن مالك	٨ - الأنفال/٢٤
كان النبي يُبعث إلى قومه خاصة...	...	٣ - آل عمران/٢٠
كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام...	السائب بن يزيد	٦٢ - الجمعة/٩
كان نساء المؤمنين يشهدن الفجر مع رسول اللّٰه ﷺ...	عائشة	٢٤ - النور/٣٧

كان هذا في صحف إبراهيم وموسى...	ابن عباس	٨٧ - الأعلى/١٩
كان اللات رجلًا يلت السويق...	ابن عباس	٥٣ - النجم/١٩
كان يبلغني عن أبي ذر حديث...	مطرف	٦١ - الصف/٢
كان يسير العنق...	أسامة بن زيد	٢ - البقرة/١٩٨
كان يقال الجنة مائة درجة...	يزيد بن أبي مالك	٢٠ - طه/٧٥
كان يقال : شتم أبي بكر وعمر رضي اللّه عنهما من الكبائر...	مغيرة	٤ - النساء/٣١
كان يقرأ السورة فيرتلها	عائشة	٧٣ - المزمل/٤
كان يقرأ في العيدين ويوم الجمعة...	النعمان بن بشير	٨٧ - الأعلى/فضائلها
كان يقطع قراءته آية آية...	أم سلمة	٧٣ - المزمل/٤
كان يقول لأحدنا عند المعتبة...	...	٤٢ - الشورى/٣٧
كان يكثر في دعائه يقول : اللّهم مقلب القلوب...	أم سلمة	٨ - الأنفال/٢٤
كان يلبي أهل الشرك : لبيك اللّهم...	ابن عباس	٣٠ - الروم/٢٨
كان ينطلق من كل حي من العرب عصابة فيأتون النبي ﷺ...	...	٩ - التوبة/١٢٢
كان اليهود يقدمون صبيانهم يصلون بهم...	ابن عباس	٤ - النساء/٤٩
كان يؤتى به سكران فيحده فقال رجل : لعنه اللّه...	....	٢ - البقرة/١٥٩
كان يؤمر العائن	عائشة	٦٨ - القلم/٥١
كانت إحدانا إذا حاضت اتزرت ودخلت مع رسول اللّه ﷺ...	ميمونة وعائشة	٢ - البقرة/٢٢٢
كانت الأعراب إذا قدموا على رسول اللّه ﷺ سألوه عن الساعة...	عائشة	٧ - الأعراف/١٨٧
كانت امرأة مخزومية تستعير المتاع وتجحده...	عائشة	٥ - المائدة/٣٩
كانت امرأة مخزومية تستعير المتاع وتجحده...	ابن عمر	٥ - المائدة/٣٩
كانت امرأة يقال لها أم مهزول وكانت...	عبد اللّه بن عمرو	٢٤ - النور/٣
كانت أموال بني النضير مما أفاء اللّه...	عمر	٥٩ - الحشر/٧
كانت الأنصار إذا قدموا من سفرهم...	البراء	٢ - البقرة/١٨٩

كانت الأنصار بعيدة منازلهم...	ابن عباس	٣٦ - يس/١٢
كانت الأولى من موسى نسيانًا	أبي بن كعب	١٨ - الكهف/٦٥
كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء...	أبو هريرة	٤ - النساء/٥٩
كانت بنو إسرائيل في اليوم تقتل ثلثمائة نبي	ابن مسعود	٢ - البقرة/٦١
كانت بنو سلمة في ناحية من المدينة...	أبو سعيد الخدري	٣٦ - يس/١٢
كانت بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما محاورة...	أبو الدرداء	٧ - الأعراف/١٥٨
كانت تصلي خلف النبي ﷺ أمرأة حسناء...	ابن عباس	١٥ - الحجر/٢٤
كانت جارية لعبد الله بن أبي بن سلول...	الزهري	٢٤ - النور/٣٣
كانت جارية لعبد الله بن أبي يقال لها : معاذة...	أنس	٢٤ - النور/٣٣
كانت حبيبة بنت سهل تحت ثابت بن قيس...	عبد الله بن عمرو	٢ - البقرة/٢٢٩
كانت خولة بنت دليج تحت رجل من الأنصار...	أبو العالية	٥٨ - المجادلة/٢
كانت رؤيا من الله صادقة...	معاوية بن أبي سفيان	١٧ - الإسراء/١
كانت زينب رضي الله عنها تقول للنبي ﷺ...	الشعبي	٣٣ - الأحزاب/٣٧
كانت السحرة سبعين رجلًا أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء...	ابن عباس	٢٠ - طه/٦٩
كانت الشياطين تفرق بين الصفا والمروة...	ابن عباس	٢ - البقرة/١٥٨
كانت صفية من الصفيّ	عائشة	٨ - الأنفال/٤١
كان العرب تخدم بعضها بعضًا في الأسفار...	أنس بن مالك	٤٩ - الحجرات/١٢
كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقًا	ابن عباس	٢ - البقرة/١٩٨
كانت علينا رعاية الإبل فجاءت نوبتي	عقبة بن عامر	٥ - المائدة/٦
كانت فارس ظاهرة على الروم...	عبد الله بن مسعود	٣٠ - الروم/٣
كانت قراءته مدًا	أنس بن مالك	١ - الفاتحة/البسملة
كانت قريش تدعى الحمس وكانوا يدخلون من الأبواب...	جابر	٢ - البقرة/١٨٩
كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة...	عائشة	٢ - البقرة/١٩٩
كانت قريظة والنضير وكانت النضير أشرف من قريظة...	ابن عباس	٥ - المائدة/٤٣
كانت للنبي ﷺ خطبتان يجلس بينهما	جابر بن سمرة	٦٢ - الجمعة/١١
كانت لي أخت تخطب إلي	معقب بن يسار	٢ - البقرة/٢٣٢

كانت ليلة الفرقان ليلة التقى الجمعان	علي	٨ - الأنفال/٤١
كانت ليلة الفرقان ، يوم التقى الجمعان	الحسن بن علي	٨ - الأنفال/٤١
كانت مدّآ	أنس	٧٣ المزمل/٤
كانت المرأة تكون مقلاتًا فتجعل على نفسها	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٥٦
كانت منازل الأنصار متباعدة من المسجد...	ابن عباس	٣٦ - يس/١٢
كانت وقعة بني النضير بعد بدر...	عروة	٥٩ -الحشر/٥
كانت اليهود تقول :		
إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول...	جابر	٢ - البقرة/٢٢٣
كأنّ هذا الراكب إياكم يريد...	جرير بن عبد اللّه	٦ - الأنعام/٨٢
كأنك تريدين أن ترجعي إلى رفاعة...	عائشة	٢ - البقرة/٢٣٠
كأنك تعرض بنا يا رسول اللّه...	سعد بن معاذ	٥ - المائدة/٢٤
كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره...	البراء	٢ - البقرة/١٨٩
كانوا إذا أحرموا ومعهم أزوادهم رموا بها	ابن عمر	٢ - البقرة/١٩٧
كانوا أربعة نفر من عرينة وثلاثة نفر من عكل...	أنس بن مالك	٥ - المائدة/٣٣
كانوا سبعة نفر من أهل نصيبين	ابن عباس	٤٦ - الأحقاف/٢٩
كانوا في مسيرة ورأس راحلة حذيفة عند...	محمد بن سيرين	٤ - النساء/١٧٦
كانوا يتكلمون في الصلاة...	أبو هريرة	٧ - الأعراف/٢٠٤
كانوا يستغفرون لهم حتى نزلت هذه الآية فأمسكوا	ابن عباس	٩ - التوبة/١١٣
كانوا يستقرئون من النبي ﷺ...	أبو عبد الرحمن السلمي عمن أقرأه – المقدمة	
كانوا يصلون ويصومون ويؤمنون بك...	سلمان	٢ - البقرة/٦٢
كانوا يكرهون أن يرضخوا لأنسابهم من المشركين	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٧٢
كأني أراكم جاثين بالكوم دون جهنم...	عبد اللّه بن باباه	٤٥ - الجاثية/٢٨
كأني بنساء بني فهر يطفن بالخزرج...	ابن عباس	٥٤ - القمر/٤٩
كأنيّ به أسود أفحج يقلعها حجرًا حجرًا	ابن عباس	٢ - البقرة/١٢٧
كأين تقرأ سورة الأحزاب...	أبي بن كعب	٣٣ - الأحزاب/المقدمة
الكبائر سبع أولها الإشراك باللّه...	أبو هريرة	٤ - النساء/٣١
الكبائر سبع ألا تسألوني عنهن؟...	أبو خيثمة	٤ - النساء/٣١

الكبر بطر الحق وغمص الناس	...	٤٩ - الحجرات/١١
الكبر بطر الحق وغمط الناس	...	٢ - البقرة/٦١
الكبر بطر الحق وغمط الناس	...	٣ - آل عمران/٢٢
كتاب الله هو حبل الله الممدود...	أبو سعيد	٣ - آل عمران/١٠٣
كتب إلى عمر أمير المؤمنين رجل لا يشتهي	مجاهد	٤٩ - الحجرات/٣
كتب رسول الله ﷺ إلى أهل اليمن كتابًا	عمرو بن حزم	٤ - النساء/٣١
كتب على ابن آدم حظه من الزنا	أبو هريرة	٢٤ - النور/٣٠
كتب عليكم الحج...	أبو أمامة الباهلي	٥ - المائدة/١٠١
كتب عليكم السعي فاسعوا	صفية بنت شيبة عن امرأة	٢ - البقرة/١٥٨
كتب قيصر إلى عمر بن الخطاب أخبرك أن رسلي	الشعبي	٥٥ - الرحمن/١١
كتب لك أجران	أبو هريرة	١٠٧ - الماعون/٦
كتب نجدة إلى عبد الله بن عباس يسأله...	سعيد المقبري عن ابن عباس	٨ - الأنفال/٤١
كذب أعداء الله...	سعيد بن جبير	٣ - آل عمران/٧٦
كذب مروان ، والله ما هو به...	عائشة	٤٦ - الأحقاف/١٧
كذبت بل هو رزق الله	إسماعيل بن أمية	٥٦- الواقعة/٨٢
كذبت ، لا يدخلها فإنه قد شهد بدرًا	جابر	٤٨ - الفتح/١٠
كذبوا الآن جاء القتال...	النواس بن سمعان	٤٧ - القتال/٤
كرسيه موضع قدميه...	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٥٥
كرسيه موضع قدميه...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٥٥
الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم : يوسف...	ابن عمر	١٢ - يوسف/٤
كسر رجل من قريش سن رجل من الأنصار...	أبو السفر	٥ - المائدة/٤٥
كسف القمر على عهد رسول الله ﷺ ...	ابن عباس	٥٤ - القمر/١
كفّارات...	أبو سعيد الخدري	٤ - النساء/١٢٣
كفّارة الذنب الندامة...	ابن عباس	٣٩ - الزمر/٥٣
كفّر رسول الله ﷺ بصاع من تمر...	ابن عباس	٥ - المائدة/٨٩
كفى بالإسلام والشيب للمرء...	الحسن البصري	٣٦ - يس/٦٩
كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع	أبو هريرة	٤ - النساء/٨٣

كفى بالمرء إثمًا أن يحبس عمن يملك قوتهم	عبد اللّه بن عمرو	٤ - النساء/٣٦
كلّ ابن آدم يبلى...	أبو هريرة	٨٠ - عبس/٢٢
كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب...	...	٣٥ - فاطر/٩
كل ابن آدم يلقى اللّه بذنب...	أبو هريرة	٣ - آل عمران/٣٩
كل أمر لا يبدأ فيه		
بـ ﴿بسم اللّه الرحمن الرحيم﴾ فهو أجذم	...	١ - الفاتحة/البسملة
كل أمره كان عجبًا	عائشة	٣ - آل عمران/١٩٤
كل أمتي تدخل الجنة...	أبو هريرة	٩٢ - الليل/١٥
كل أهل الجنة يرى مقعده من النار...	أبو هريرة	٧ - الأعراف/٤٣
كل أهل النار يرى مقعده من الجنة...	أبو هريرة	٣٩ - الزمر/٥٧
كل أهل النار يرى منزله من الجنة...	أبو هريرة	٤٣ - الزخرف/٧٢
كل بالمعروف غير مسرف	عبد اللّه بن عمرو	٤ - النساء/٦
كل من مال يتيمك غير مسرف...	عبد اللّه بن عمرو	٤ - النساء/٦
كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب...	ابن العاص	١٩ - مريم/١٥
كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه...	أبو هريرة	٣ - آل عمران/٣٦
كل تقي ، وتلا رسول اللّه ﷺ ...	أنس بن مالك	٨ - الأنفال/٣٥
كل جسد ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب...	أبو هريرة	٢٣ - المؤمنون/١٤
كل جعظري جواظ مستكبر...	عبد اللّه بن عمرو بن العاص	٦٨ - القلم/١٣
كل حرف في القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة	أبو سعيد	٣ - آل عمران/٤٢
كلّ حرف في القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة	أبو سعيد	٣٠ - الروم/٢٦
كل حرف من القرآن يذكرف يه القنوت فهو : الطاعة	أبو سعيد الخدري	٢ - البقرة/١١٦
كل حلف في الجاهلية أو عقد...	ابن عباس	٤ - النساء/٣٣
كل ذنب عسى اللّه أن يغفره...	معاوية	٤ - النساء/٤٨
كل ذنب عسى اللّه أن يغفره...	معاوية	٤ - النساء/٩٣
كل ذنب عسى اللّه أن يغفره...	أبو الدرداء	٤ - النساء/٩٣
كل سبب ونسب فإنه منقطع...	عمر بن الخطاب	٢٣ - المؤمنون/١٠١
كل شيء بقدر حتى العجز والكيس	ابن عمر	٥٤ - القمر/٤٩

كلّ شيء خلق من ماء	أبو هريرة	٢١ - الأنبياء/٣٠
كل شيء في القرآن : ﴿يأيها الذين آمنوا﴾ فهو في التوراة : يا أيها المساكين	خيثمة	٥ - المائدة/١
كل صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج...	أبو هريرة	٧٣ - المزمل/٢٠
كل عرفات موقف...	جبير بن مطعم	٢ - البقرة/١٩٨
كل عمل ابن آدم يضاعف ، الحسنة بعشر أمثالها	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٦١
كل عين باكية يوم القيامة إلا عينًا	أبو هريرة	٢٤ - النور/٣٠
كل عين زانية ، والمرأة إذا استعطرت...	أبو موسى	٢٤ - النور/٣١
كل غلام مرتهم بعقيقته...	سمرة بن جندب	٣ - آل عمران/٣٦
كل مؤذٍ في النار	...	٢ - البقرة/٢٤
كل مخمر خمر وكل مسكر حرام...	ابن عباس	٥ - المائدة/٩١
كل مسكر خمر وكل مسكر حرام...	ابن عمر	٥ - المائدة/٩١
كل المسلم على المسلم حرام...	أبو هريرة	٤٩ - الحجرات/١٢
كل معروف صدقة...	عبد اللّه بن مسعود	١٠٧ - الماعون/٧
كلُّ من أحب أن يُعبد من دون اللّه...	محمد بن إسحاق	٢١ - الأنبياء/١٠١
كل من أحب أن يعبد من دون اللّه فهو...	محمد بن إسحاق	٤٣ - الزخرف/٥٧
كل مولود يولد على الفطرة...	أبو هريرة	٤ - النساء/١١٩
كل مولود يولد على الفطرة...	أبو هريرة	٦ - الأنعام/٧٩
كل مولود يولد على الفطرة...	أبو هريرة	٧ - الأعراف/٣٠
كل مولود يولد على الفطرة...	....	٧ - الأعراف/١٠٢
كل مولود يولد على الفطرة...	....	٧ - الأعراف/١٧٢
كل مولود يولد على الفطرة...	أبو هريرة	١١ - هود/١٧
كل مولود يولد على الفطرة...	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/١٥
كل مولود يولد على الفطرة...	سمرة	١٧ - الإسراء/١٥
كل مولود يولد على الفطرة...	جابر بن عبد اللّه	٣٠ - الروم/٣٠
كل مولود يولد على الفطرة...	جابر بن عبد اللّه	٧٦ - الإنسان/٣
كل مولود يولد على الفطرة...	...	٩١ - الشمس/٧

كل مولود يولد على هذه الملة...	...	٧ - الأعراف/١٧٢
كل مولود يولد على هذه الملة...	...	١١ - هود/١٧
كل ميت يختم على عمله...	فضالة بن عبيد	٣ - آل عمران/٢٠٠
كل ميت يختم له على عمله...	عقبة بن عامر	٣ - آل عمران/٢٠٠
كل الناس يغدو...	أبو مالك الأشعري	٧٦ - الإنسان/٣
كل الناس يغدو فبائع نفسه...	..	٧ - الأعراف/٣٠
كل نسب وصهر ينقطع يوم القيامة...	ابن عمر	٢٣ - المؤمنون/١٠١
كل نسمة تولد على الفطرة...	...	٣٠ - الروم/٣٠
﴿كل يوم هو في شأن﴾ قال : يغفر ذنبًا	ابن عمر	٥٥ - الرحمن/٢٩
كلاّ إني رأيته في النار...	عمر بن الخطاب	٣ - آل عمران/١٦١
كلا : أيمان الرماة لغو لا كفارة فيها	الحسن بن أبي الحسن	٢ - البقرة/٢٢٤
كُلا قد عنيت...	عطاء بن يسار	١٧ - الإسراء/٨٥
كلاب النار شر قتلى تحت أديم السماء...	أبو أمامة	٣ - آل عمران/١٠٧
كلاكما ، قالوا : ألست تتلو فيما جاءك...	ابن عباس	٣١ - لقمان/٢٧
كلام ابن آدم كله عليه...	أم حبيبة	٤ - النساء/١١٤
الكلب الأسود شيطان	أبو ذر	٦ - الأنعام/١١٢
كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب...	حذيفة	٤٩ - الحجرات/١٣
كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته...	ابن عمر	٧ - الأعراف/٥
كلم رسول الله ﷺ قريش...	محمد بن كعب القرظي	٦ - الأنعام/١٠٩
كلم الناس وسلم عليهم...	ابن مسعود	١٩ - مريم/٢٦
كلمات لا يتكلم بهن أحد في مجلسه...	عبد الله بن عمرو	٥٢ - الطور/٤٨
كلمتان خفيفتان على اللسان	أبو هريرة	٢١ - الأنبياء/٤٧
كلمتان خفيفتان على اللسان	أبو هريرة	٥٦ - الواقعة/٩٦
كلمة حق تقال عند ذي سلطان جائر...	أبو أمامة	٥ - المائدة/٧٩
كلهم من هذه الأمة	أسامة بن زيد	٣٥ - فاطر/٣٢
كلوا جميعًا ولا تفرقوا فإن البركة مع الجماعة	عمر	٢٤ - النور/٦١
كلوا الزيت وادَّهِنوا به...	مالك بن ربيعة الساعدي	٢٣ - المؤمنون/٢٠

كلوا واشربوا والبسوا من غير إسراف ولا مخيلة	...	٦ - الأنعام/١٤١
كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا	عبد اللّٰه بن عمرو بن العاص	٧ - الأعراف/٣١
كلوا واشربوا ولا يهدينكم الساطع...	...	٢ - البقرة/١٨٧
كلوه إن شئتم فإن ذكاته ذكاة أمه	أبو سعيد الخدري	٥ - المائدة/١
كم أعصيك ولا تعاقبني	...	٥٢- الطور/٤٥
كم كان الذين شهدوا بيعة الرضوان	قتادة	٤٨ - الفتح/١٠
كما أنتم ، ثم أقبل إلينا فقال...	معاذ	٣٨ - ص/٦٩
كما أنه لا يجتنى من الشوك العنب...	أبو ذر	٤٥ - الجاثية/٢١
الكمأة من المن ، وماؤها شفاء...	سعيد بن زيد	٢ - البقرة/٥٧
الكمأة من المن ، وماؤها شفاء...	أبو هرير	٢ - البقرة/٥٧
الكمأة من المن ، وماؤها شفاء...	أبو سعيد الخدري وجابر بن عبد اللّٰه	٢ - البقرة/٥٧
الكمأة من المن ، وماؤها شفاء...	أبو سعيد الخدري	٢ - البقرة/٥٧
الكمأة من المن ، وماؤها شفاء...	أنس بن مالك	٢ - البقرة/٥٧
الكمأة من المن ، وماؤها شفاء...	عبد اللّٰه بن عباس	٢ - البقرة/٥٧
كمل من الرجال كثير...	قرّة	٣ - آل عمران/٤٢
كمل من الرجال كثير...	أبو موسى الأشعري	٣ - آل عمران/٤٢
كمل من الرجال كثير...	أبو موسى الأشعري	٦٦ - التحريم/١٢
كن بين ظهر هذه لا تخرج منها	عبد اللّٰه بن مسعود	٤٦ - الأحقاف/٢٩
كنا إذا حضرنا مع النبي ﷺ على طعام لم نضع أيدينا	حذيفة	٥ - المائدة/٤
كنا إذا صحبنا رسول اللّٰه ﷺ في سفر تركنا له أعظم شجرة...	أبو هريرة	٥ - المائدة/٦٧
كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث أن الماعون الدلو...	عبد اللّٰه بن مسعود	١٠٧ - الماعون/٧
كنا أصحاب النبي ﷺ لا نشك في قاتل النفس...	ابن عمر	٤ - النساء/٤٨
كنا بالقسطنطينية وعلى أهل مصر عقبة بن عامر...	أسلم أبو عمران	٢ - البقرة/١٩٥
كنا بالمربد إذ دخل رجل معه قطعة أديم...	يزيد بن عبد اللّٰه	٨ - الأنفال/٤١
كنا بصفين فقال رجل : ألم تر إلى الذين يدعون	أبو وائل	٤٨ - الفتح/٢٦

كنا جلوسًا عشية الجمعة في المسجد فقال رجل...	عبد الله بن مسعود	٢٤ - النور/٦
كنا جلوسًا عند رسول الله ﷺ فأقبل أبو بكر وعمر في قبيلتين	عبد الله بن عمرو بن العاص	٤ - النساء/٧٨
كنا جلوسًا عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر...	جرير بن عبد الله البجلي	٢٠ - طه/١٣٠
كنا جلوسًا عند زيد بن ثابت فأرسلوا إلى أسامة...	زهرة بن معبد	٢ - البقرة/٢٣٨
كنا جلوسًا عند النبي ﷺ فأنزلت عليه...	أبو هريرة	٦٢ - الجمعة/٣
كنا جلوسًا عند النبي ﷺ فخطّ خطًا	جابر	٦ - الأنعام/١٥٣
كنا جلوسًا عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر...	جابر بن عبد الله	٥٠ - ق/٣٩
كنا جلوسًا عند النبي ﷺ والشمس على قعيقعان	ابن عمر	٥٤ - القمر/١
كنا جلوسًا مع رسول الله ﷺ فقال...	أنس	٥٩ - الحشر/٩
كنا عند حذيفة بن اليمان رضي الله عنه...	إبراهيم التيمي عن أبيه	٣٣ - الأحزاب/١٠
كنا عند رسول الله ﷺ فأتي بجُمَّار...	ابن عمر	١٤ - إبراهيم/٢٤
كنا عند رسول الله ﷺ فأقبل رجل من قريش يخطر في حلة...	بريدة	١٨ - الكهف/١٠٥
كنا عند رسول الله ﷺ فجاءه رجل فقال...	معاوية بن أبي سفيان	٣٧ - الصافات/١٠٧
كنا عند رسول الله ﷺ فقال : أخبروني عن شجرة...	ابن عمر	١٤ - إبراهيم/٢٤
كنا عند رسول الله ﷺ فقرأ طسم...	عتبة بن المنذر	٢٨ - القصص/٢٧
كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار...	جرير	٥٩ - الحشر/١٨
كنا عند رسول الله ﷺ في مجلس فقال...	عبادة بن الصامت	٦٠ - الممتحنة/١٢
كنا عند مروان وفينا زيد فقال زيد...	كثير بن الصلت	٢٤ - النور/٢
كنا عند معاوية بن أبي سفيان فذكروا الذبيح...	الصنابحي	٣٧ - الصافات/١٠٧
كنا عند النبي ﷺ فأتى الخلاء...	ابن عباس	٥ - المائدة/٦
كنا عند النبي ﷺ فضحك حتى...	أنس بن مالك	٣٦ - يس/٦٥
كنا عند النبي ﷺ فضحك حتى بدت نواجذه...	أنس بن مالك	٢٤ - النور/٢٤
كنا في جنازة في بقيع الغرقد...	علي بن أبي طالب	٩٢ - الليل/١٠
كنا في مجلس فطلع علينا النبي ﷺ...	عبد الله بن حبيب عن عمه	١٠٢ - التكاثر/٨

كنا في المسجد ومعنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقرأ	عبادة بن الصامت	٢١ - الأنبياء/٦
كنا في مسير لنا فنزلنا	أبو سعيد الخدري	١ - الفاتحة/المقدمة
كنا لا نشك في من أوجب الله له النار...	ابن عمر	٤ - النساء/٤٨
كنا مع رسول الله ﷺ بتبوك...	أنس بن مالك	١١٢ - الإخلاص/فضائلها
كنا مع رسول الله ﷺ بالحديبية ونحن محرمون	كعب بن عجرة	٢ - البقرة/١٩٦
كنا مع رسول الله ﷺ بعسفان فاستقبلنا المشركون	عياش الزرقي	٤ - النساء/١٠٢
كنا مع رسول الله ﷺ بمنى فانشق القمر...	ابن مسعود	٥٤ - القمر/١
كنا مع رسول الله ﷺ تحت الشجرة...	المسيب	٤٨ - الفتح/١٠
كنا مع رسول الله ﷺ فهلك عقد لعائشة...	ابن أبي اليقظان	٤ - النساء/٤٣
كنا مع رسول الله ﷺ في أصل الشجرة...	عبد الله بن مغفل	٤٨ - الفتح/٢٤
كنا مع رسول الله ﷺ في بقيع الغرقد في جنازة...	علي بن أبي طالب	٩٢ - الليل/١٠
كنا مع رسول الله ﷺ في حج أو عمرة فاستقبلنا جراد...	أبو هريرة	٥ - المائدة/٩٦
كنا مع رسول الله ﷺ في سفر...	عمر بن الخطاب	٤٨ - الفتح/١
كنا مع رسول الله ﷺ في سفر...	أبو العلاء عن رجل	المعوّذتان
كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا منزلًا	عبد الله بن عمرو بن العاص	٤ - النساء/٥٩
كنا مع رسول الله ﷺ في غار...	جندب بن عبد الله	٣٦ - يس/٦٩
كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة...	جابر بن عبد الله	٦٣ - المنافقون/٨
كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة...	أبو ريحانة	٣ - آل عمران/٢٠٠
كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة فجعلنا لا نصعد شرفًا	أبو موسى الأشعري	٣ - البقرة/١٨٦
كنا مع رسول الله ﷺ في ليلة سوداء مظلمة...	عامر بن ربيعة	٢ - البقرة/١١٥
كنا مع رسول الله ﷺ في مسير...	جابر	٢ - البقرة/١١٥
كنا مع رسول الله ﷺ في مسير ساره إذ عرض له أعرابي	ابن عباس	٦ - الأنعام/٨٢
كنا مع رسول الله ﷺ ومعنا معاذ بن جبل...	أبو جمعة الأنصاري	٢ - البقرة/٣
كنا مع رسول الله ﷺ وهو آخذ بيد عمر...	عبد الله بن هشام	٩ - التوبة/٢٤
كنا مع النبي ﷺ ستة نفر فقال المشركون	سعد بن أبي وقاص	١٨ - الكهف/٢٨

كنا مع النبي ﷺ فارتفعت ريح جيفة...	جابر بن عبد اللّه	٤٩ - الحجرات/١٢
كنا مع النبي ﷺ في جنازة فقال...	البراء بن عازب	٢ - البقرة/١٥٩
كنا مع النبي ﷺ في سفر فهاجت ريح...	جابر بن عبد اللّه	٤٩ - الحجرات/١٢
كنا مع النبي ﷺ ونحن في سفر ، فنزل بنا	بريدة	٩ - التوبة/١١٣
كنا معشر أصحاب رسول اللّه ﷺ نرى...	ابن عمر	٤٧ - محمد/٣٣
كنا معشر قريش قومًا نغلب النساء...	عمر بن الخطاب	٦٦ - التحريم/٤
كنا نتحدث أن أصحاب محمد ﷺ الذين كانوا يوم بدر...	البراء بن عازب	٢ - البقرة/٢٤٩
كنا نتناوب رسول اللّه ﷺ نبيت عنده...	أبو سعيد الخدري	٥٨ - المجادلة/٦
كنا نتناوب رسول اللّه ﷺ فنبيت عنده...	أبو سعيد الخدري	١٨ - الكهف/١١٠
كنا نتحدث - واللّه أعلم - أن النبي ﷺ لما نكح امرأة زيد...	عطاء	٤ - النساء/٢٣
كنا نحرس رسول اللّه ﷺ بالليل...	عصمة بن مالك الخطمي	٥ - المائدة/٦٧
كنا نراها الفجر - أو الصبح - حتى سمعت رسول اللّه ﷺ ...	علي	٢ - البقرة/٢٣٨
كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية...	أنس	٢ - البقرة/١٥٨
كنا نرى هذا من القرآن	أبي بن كعب	١٠٢ - التكاثر/١
كنا نسلم على النبي ﷺ قبل أن نهاجر إلى الحبشة وهو في الصلاة...	ابن مسعود	٢ - البقرة/٢٣٨
كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل	ابن مسعود	١٧ - الإسراء/٤٤
كنا نغدو إلى المسجد على عهد رسول اللّه ﷺ ...	أبو سعيد بن المعلى	٢ - البقرة/١٤٤
كنا نغزو مع النبي ﷺ وليس معنا نساء...	عبد اللّه بن مسعود	٥ - المائدة/٨٨
كنا نقول : إنا هم فأبى علينا ذلك قومنا	ابن عباس	٨ - الأنفال/٤١
كنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر...	ابن عمر	٤ - النساء/٤٨
كنا ننتظر النبي ﷺ فخرج يقطر رأسه...	عروة الفقيمي	٢ - البقرة/١٨٥
كنا نهينا أن نسأل رسول اللّه ﷺ عن شيء...	أنس	٨٨ - الغاشية/١٩
كنا نؤمر إذا صلينا من الليل		

أن نستغفر في آخر السحر سبعين	أنس بن مالك	٣ - آل عمران/١٧
كنا يسلم بعضنا على بعض في الصلاة...	ابن مسعود	٢ - البقرة/٢٣٨
كنا يسلم بعضنا على بعض في الصلاة...	ابن مسعود	٧ - الأعراف/٢٠٤
كنا يوم الحديبية ألفًا وأربعمائة	جابر	٤٨ - الفتح/١٠
كنا يوم الحديبية ألفًا وأربعمائة	جابر	٤٨ - الفتح/١٠
كنا يؤمئذ ألفًا وأربعمائة...	جابر	٤٨ - الفتح/١٠
كنت آخذًا بيد ابن عمر إذ عرض له رجل...	صفوان بن محرز	٥٨ - المجادلة/٩
كنت آخذًا بخطام ناقة رسول الله ﷺ أقود به...	حذيفة بن اليمان	٩ - التوبة/٧٤
كنت آخذًا بزمام ناقة رسول الله ﷺ ...	أبو حمزة الرقاشي عن عمه	٩ - التوبة/٣٦
كنت آخر الناس عهدًا بعمر فسمعته يقول...	ابن عباس	٤ - النساء/١٧٦
كنت آكل مع النبي ﷺ حيسًا في قعب...	عائشة	٣٣ - الأحزاب/٥٣
كنت أبيت عند النبي ﷺ...	ربيعة بن كعب الأسلمي	٤ - النساء/٦٩
كنت أتعرق العرق وأنا حائض فأعطيه النبي ﷺ...	عائشة	٢ - البقرة/٢٢٢
كنت أجعل لرسول الله ﷺ حصيرًا يصلي عليه...	عائشة	٧٣ - المزمل/٧
كنت إذا أمسكت عن رسول الله ﷺ ابتدأني	علي بن أبي طالب	١٣ - الرعد/١١
كنت إذا حضت نزلت على المثال على الحصير...	عائشة	٢ -البقرة/٢٢٢
كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثًا	علي بن أبي طالب	١١ - هود/١١٤
كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ شيئًا نفعني الله فيه بما شاء...	علي	٤ - النساء/١١٠
كنت أرحل ناقة رسول الله ﷺ فأصابتني جنابة...	الأسلع بن شريك	٤ - النساء/٤٣
كنت أسقي أبا عبيدة بن الجراح وأبي	أنس	٥ - المائدة/٩١
كنت أصلي فدخل عليّ رجل...	أبو هريرة	١٠٧ - الماعون/٦
كنت أصلي فدعاني رسول الله ﷺ ...	أبو سعيد بن المعلى	١ -الفاتحة/المقدمة
كنت أصلي فمرّ بي النبي ﷺ فدعاني	أبو سعيد بن المعلى	٨ - الأنفال/٢٤
كنت أغار من اللاتي وهبن أنفسهن	عائشة	٣٣ - الأحزاب/٥٠
كنت أكتب كل شيءٍ أسمعه من رسول الله ﷺ ...	عبد الله بن عمرو	٥٣ - النجم/٤
كنت أكتب لرسول الله ﷺ ...	زيد بن ثابت	٤ - النساء/٩٥

كنت أكتب لرسول الله ﷺ ...	زيد بن ثابت	٩ - التوبة/٩١
كنت أمرأً قد أوتيت من جماع النساء...	سلمة بن صخر	٥٨ - المجادلة/٢
كنت أمشي مع رسول الله ﷺ ...	عقبة بن عامر	المعوذتان
كنت أمشي مع رسول الله ﷺ فقال...	بريدة	٢٧ - النمل/٣١
كنت أمشي مع رسول الله ﷺ في حرث في المدينة...	ابن مسعود	١٧ - الإسراء/٨٥
كنت أمشي مع النبي ﷺ في حرة المدينة عشاء...	أبو ذر	٤ - النساء/٤٨
كنت أنا وأمي ممن عذر الله عز وجل	ابن عباس	٤ - النساء/٩٨
كنت أنا وأمي من المستضعفين	ابن عباس	٤ - النساء/٧٥
كنت أنا وأمي من المستضعفين	ابن عباس	٤ - النساء/٩٨
كنت أنا رسول الله ﷺ في الشعار الواحد وأنا حائض...	عائشة	٢ - البقرة/٢٢٢
كنت أنا وصاحبي أول من صلى إلى الكعبة	أبو سعيد بن المعلى	٢ - البقرة/١٤٣
كنت أنا وعائشة سألت رسول الله ﷺ عن آية...	ابن أبي نافع بن معد يكرب	٢ - البقرة/١٨٦
كنت أول من فاء يوم أحد...	أبو بكر	٣ - آل عمران/١٥٣
كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في	أبو هريرة	٣٣ - الأحزاب/٧
كنت بالبطحاء في عصابة فيهم رسول الله ﷺ ...	العباس بن عبد المطلب	٤٠ - غافر/٧
كنت جالسًا عند عبد العزيز بن مروان فقال...	إبراهيم بن يزيد الدمشقي	٢ - البقرة/٢٣٨
كنت جالسًا مع رسول الله ﷺ فجاء أعرابي	عتبة بن عبد السلمي	٥٦ - الواقعة/٢٨
كنت رجلًا قينًا وكان لي على العاص بن وائل دين	خباب بن الأرت	١٩ - مريم/٧٧
كنت رديف النبي ﷺ...	أسامة بن عمير	١ - الفاتحة/البسملة
كنت ساقي القوم يوم حرمت الخمر...	أنس	٥ - المائدة/٩١
كنت عند رسول الله ﷺ جالسًا إذ شخص بصره...	عثمان بن أبي العاص	١٦ - النحل/٩٠
كنت عند رسول الله ﷺ فجاءته الأعراب...	أسامة بن شريك	٣١ - لقمان/١٩
كنت عند عائشة رضي الله عنها فدخل حسان	مسروق	٢٤ - النور/١١
كنت عند عائشة فقلت : أليس الله يقول...	مسروق	٥٣ - النجم/١٥
كنت عند منبر رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه...	النعمان بن بشير	٩ - التوبة/١٩
كنت عند النبي ﷺ فنزلت هذه الآية ﴿من يعمل سوءًا﴾...	أبو بكر الصديق	٤ - النساء/١٣٣

كنت عند النبي ﷺ وعنده أبو بكر...	ابن عمر	٥٧ - الحديد/١٠
كنت في أول من أتى النبي ﷺ من أهل الطائف...	سعد بن جنادة	١٨ - الكهف/٤٦
كنت في سرية من سرايا رسول الله ﷺ ...	عبد الله بن عمر	٨ - الأنفال/١٦
كنت في المسجد فأتاني العباس...	أسامة بن زيد	٣٣ - الأحزاب/٣٧
كنت في المسجد فجاء رجل في وجهه أثر من خشوع...	محمد بن قيس	٢ - البقرة/٢٥٦
كنت فيمن ألقي عليه النعاس...	أبو طلحة	٣ - آل عمران/١٥٤
كنت فيمن حضر العقبة الأولى...	عبادة بن الصامت	٦٠ - الممتحنة/١٢
كت قائمًا عند رسول الله ﷺ فجاءه حبر من أحبار اليهود...	ثوبان	١٤ - إبراهيم/٤٨
كنت قائمًا في المسجد فحصبني رجلٌ...	السائب بن يزيد	٢٤ - النور/٣٦
كنت قينًا بمكة فعملت للعاص بن وائل سيفًا	خباب بن الأرت	١٩ - مريم/٧٧
كنت قينًا بمكة فكنت أعمل للعاص بن وائل...	خباب بن الأرت	١٩ - مريم/٧٧
كنت لا أحجب عن النحوى...	ابن مسعود	٢ - البقرة/٦١
كنت مستترًا بأستار الكعبة...	عبد الله بن مسعود	٤١ - فصلت/٢٢
كنت مع أنس جالسًا وعنده ابنه...	ثابت	٣٣ - الأحزاب/٥٠
كنت مع رسول الله ﷺ في بيت...	أبو المليح الهذلي عن أبيه	٥ - المائدة/٦
كنت مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك...	زيد بن أرقم	٦٣ - المنافقون/٨
كنت مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فأقبلنا راجعين	جابر	٢٠ - طه/٦
كنت مع رسول الله ﷺ في غزوة حنين	أبو عبد الرحمن الفهري	٩ - التوبة/٢٥
كنت مع رسول الله ﷺ في المسجد؟...	أبو ذر	٣٦ - يس/٤٠
كنت مع رسول الله ﷺ ليلة وفد الجن	ابن مسعود	٤٦ - الأحقاف/٢٩
كنت مع رسول الله ﷺ يوم حنين ، فَوَلَّى عنه الناس...	ابن مسعود	٩ - التوبة/٢٥
كنت مع سلمان الفارسي تحت شجرة فأخذ منها	سلمان الفارسي	١١ - هود/١١٤
كنت مع علي بن أبي طالب حين بعثه رسول الله ﷺ ...	أبوهريرة	٩ - التوبة/٣
كنت مع النبي ﷺ في سفر...	معاذ بن جبل	٣٢ - السجدة/١٦
كنت مع النبي ﷺ في غزوة تبوك...	معاذ بن جبل	٣٢ - السجدة/١٦

كنت مع النبي ﷺ في المسجد عند الغروب...	أبو ذر	٣٦ - يس/٤٠
كنتُ ممن أصابه النعاس يوم أحد...	أبو طلحة	٨ - الأنفال/١١
الكنود الذي يأكل وحده...	أبو أمامة	١٠٠ - العاديات/٦
الكوثر الخير الكثير	ابن عباس	١٠٨ - الكوثر/١
الكوثر نهر في الجنة...	ابن عباس	١٠٨ - الكوثر/١
الكوثر نهر في الجنة...	ابن عمر	١٠٨ - الكوثر/١
الكوثر هو الخير الذي أعطاه اللّه إيّاه...	ابن عباس	١٠٨ - الكوثر/١
كورت في جهنم	يزيد بن أبي مريم	٨١ - التكوير/١
كَيّتانِ ، صلوا على صاحبكم	علي	٩ - التوب/٣٥
الكيس من دان نفسه...	...	١ - الفاتحة/٤
كيف أصبحتَ يا حارث...	الحارث بن مالك	٨ - الأنفال/٤
كيف أنت صانع في يوم يقوم الناس...	أبو هريرة	٨٣ - المطففين/٦
كيف أنت يا فلان ؟...	أنس	٣ - آل عمران/١٠٢
كيف أنتم وربّكم؟...	أنس	٦٧ - الملك/١٢
كيف أنتم وربع الجنة لكم...	عبد اللّه بن مسعود	٣ - آل عمران/١١٠
كيف أنعم وصاحب القرن	ابن عباس	٣ - آل عمران/١٧٣
كيف أنعم وصاحب القرن	ابن عباس	١٨ - الكهف/٩٩
كيف أنعم وصاحب القرن	أبو سعيد	١٨ - الكهف/٩٩
كيف أنعم وصاحب القرن	ابن عباس	٧٤ - المدثر/٨
كيف أنعم وصاحب هذا القرن	...	٥٠ - ق/٢٠
كيف بقوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم...	قتادة	٣ - آل عمران/١٢٨
كيف بكم إذا نزل فيكم المسيح ابن مريم...	أبو هريرة	٤ - النساء/١٥٩
كيف تجد قلبك؟...	عمار بن ياسر	١٦ - النحل/١٠٦
كيف تجدك ؟ قال : أرجو وأخاف...	أنس	٣٩ - الزمر/٩
كيف تَرَوْن	أبو وقاص الليثي عن أبيه عن جده	٨ - الأنفال/٥
كيف ترون بواسقها؟...	إبراهيم التيمي عن أبيه	٢٦ - الشعراء/١٩٥
كيف ترى في رجل أحرم بالعمرة وعليه جبة...	يعلى بن أمية	٢ - البقرة/١٩٦

كيف تيكم ؟ فذلك الذي يريبني	عائشة	٢٤ - النور/١١
كيف سمعت أباك يقول في المسجد الذي أسس على التقوى؟...	أبو سعيد الخدري	٩ - التوبة/١٠٨
كيف سمعت ابن أم عبد يقرأ ﴿والليل إذا يغشى﴾...	أبو الدرداء	٩٢ -الليل/٢
كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟	أنس بن مالك	٣ - آل عمران/١٢٨
كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم...	أنس	٣ - آل عمران/١٢٨
كَيَّة...	صدي بن عجلان	٩ - التوبة/٣٥

حرف اللام

لا ... (في سؤال عائشة عن عذاب القبر)	عائشة	٤٠ - غافر/٤٦
﴿لا أجد ما أحملكم عليه﴾...	محمد بن إسحاق	٩ - التوبة/٩١
لا أحد أصبر على أذى سمعه...	...	١١٢ - الإخلاص/٢
لا أحد أصبر على أذى سمعه من اللّه...	...	٢ - البقرة/١١٦
لا أحد أصبر على أذى سمعه من اللّه...	...	٢ - البقرة/١٢٦
لا أحد أصبر على أذى سمعه من اللّه...	...	١٦ - النحل/٤٧
لا أحد أصبر على أذى سمعه من اللّه أن يشرك به...	أبو موسى	١٩ - مريم/٩١
لا أحد أصبر على أذى يسمعه من اللّه...	...	١٩ - مريم/٣٧
لا أحد أغير من اللّه...	ابن مسعود	٤ - النساء/١٦٥
لا أحد أغير من اللّه...	ابن مسعود	٦ - الأنعام/١٥١
لا أحد أغير من اللّه ...	عبد اللّه بن مسعود	٧ - الأعراف/٣٣
لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك...	...	٦ - الأنعام/١٠٣
لا أخاف على أمتي إلا ثلاث خلال...	أبو مالك الأشعري	٣ - آل عمران/٧
لا أدري أربعين أو سبعين	أنس بن مالك	٣ - آل عمران/١٦٩
لا أدري تبع كان لعينًا أم لا	...	٤٤ - الدخان/٣٧
لا ، إذن تتركون جميعًا	عبد اللّه بن عمرو	٤٧ - القتال/٢٢
لا أرى أحدًا عقل الإسلام ينام حتى يقرأ	علي	٢ - البقرة/٢٨٥
لا أرى عليك ثياب من لا يعقل...	عبد اللّه بن عمرو	١٧ - الإسراء/٤٤
لا أساء وكنا مستضعفين مستذلين	أوس بن حذيفة	٥٠ - ق/فضائلها

لا أسألكم على ما آتيتكم من البينات والهدى أجرًا	ابن عباس	٤٢ - الشورى/٢٣
لا أسألكم عليه أجرًا إلا أن تودوني	ابن عباس	٤٢ - الشورى/٢٣
لا أستطيع الآن	كثير بن الصلت	٢٤ - النور/٢
لا أشك ولا أسأل	...	٦ - الأنعام/١١٤
لا أشك ولا أسأل	قتادة بن دعامة	١٠ - يونس/٩٤
لا أعافي رجلًا قتل بعد أخذ الدية	سمرة	٢ - البقرة/١٧٨
لا أعلم شركًا أعظم من أن تقول : ربها عسى	ابن عمر	٢ - البقرة/٢٢١
لا أقسم لا أقسم...	ابن عمر	٤ - النساء/٣١
لا أقول إلا حقًّا ، قال بعض أصحابه...	أبوهريرة	٥٣ - النجم/٤
لا . إلا بيت طرفة...	عائشة	٣٦ - يس/٦٩
لا إلا النكاح رغبة ، كنا نعد هذا سفاحًا	ابن عمر	٢ - البقرة/٢٣٠
لا . إلا نكاح رغبة لا نكاح دلسة...	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٣٠
لا ، إلا نكاح رغبة لا نكاح دلسة...	عمرو بن دينار	٢ - البقرة/٢٣٠
لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير...	أبو هريرة	٣ - آل عمران/١٦١
لا ألفين أحدكم يضع إحدى رجليه على الأخرى...	عبد اللّه بن مسعود	٢ - البقرة/المقدمة
لا إله إلا اللّه	أبي بن كعب	٤٨ - الفتح/٢٦
لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له...	المغيرة بن شعبة	٣٥ - فاطر/٢
لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له...	عبد اللّه بن الزبير	٤٠ - غافر/١٤
لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له...	عبد اللّه بن الزبير	٤٠ - غافر/٦٥
لا إله إلا اللّه ويل للعرب من شر قد اقترب...	زينب بنت جحش	١٨ - الكهف/٩٨
لا إله إلا أنت سبحانك...	عائشة	٣ - آل عمران/٨
لا . إن اللّه لم يلعن قومًا	ابن مسعود	٥ - المائدة/٦٠
لا ، إنه لم يقل يومًا من الدهر رب اغفر لي	...	٣ - آل عمران/٩١
لا . إنه لم يقل يومًا من الدهر رب اغفر لي	...	٤ - النساء/٣٧
لا أوتى بمحلِّل ولا بمحلَّلٍ لا إلا رجمتهما	عمر	٢ - البقرة/٢٣٠
لا بأس إذا كان في صمام واحد	حفصة أم المؤمنين	٢ - البقرة/٢٢٣
لا بأس بصيد البحر	أبو هريرة	٥ - المائدة/٩٦

لا بأس بصيد البحر	أبو هريرة	٧ - الأعراف/١٣٣
لا بأس بالغنى لمن اتقى اللّٰه...	عبد اللّٰه بن حبيب عن عمه	١٠٢ - التكاثر/٨
لا بأس طهور إن شاء اللّٰه...	...	١٠٢ - التكاثر/١
لا بأس في الهام والعين حق...	أبو هريرة	٦٨ - القلم/٥١
لا بد لي أن أذهب بها أنا ، أو تذهب...	علي	٩ - التوبة/٣
لا بل استأن بهم	ابن عباس	١٧ - الإسراء/٥٩
لا بل شربت عسلًا	عائشة	٦٦ - التحريم/١
لا . بل للأبد	سراقة بن مالك	٣ - آل عمران/٩٧
لا ، بل هو من أهل الجنة...	أنس بن مالك	٤٩ - الحجرات/٢
لا تأتوا النساء في أدبارهن	عمر	٢ - البقرة/٢٢٣
لا تأتوا النساء في أعجازهن	عبد اللّٰه بن مسعود	٢ - البقرة/٢٢٣
لا تأذني لأحد ، فجاءت فاطمة رض اللّٰه عنها	أم سلمة	٣٣ - الأحزاب/٣٣
لا تأكل الأرض جسد من كلّمه روح القدس	الحسن البصري	٣٣ - الأحزاب/٥٦
لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها	ابن مسعود	٢٤ - النور/٣١
لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام...	أبو هريرة	٤ - النساء/٨٦
لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام...	أبو هريرة	٩ - التوبة/٢٦
لا تبرح مكانك...	ابن مسعود	٤٦ - الأحقاف/٢٩
لا تبرح منها	ابن مسعود	٤٦ - الأحقاف/٢٩
لا تبرحوا إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا	البراء	٣ - آل عمران/١٥٢
لا تبكه...	جابر	٣ - آل عمران/١٦٩
لا تتخذوا قبري عيدًا	الحسن بن الحسن	٣٣ - الأحزاب/٥٦
لا تتراءى ناراهما	...	٣ - آل عمران/١١٨
لا تتمنوا لقاء العدو...	...	٣ - آل عمران/١٤٣
لا تجزئ صلاة من لم يقرأ بأم القرآن	أبو هريرة	٧٣ - المزمل/٢٠
لا تجزئ صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن	أبو هريرة	١ - الفاتحة/المقدمة
لا تجسسوا ولا تحسسوا	...	٤٩ - الحجرات/١٢
لا تجعلوا بيوتكم قبورًا	أبو هريرة	٢ - البقرة/المقدمة

لا تجعلوا بيوتكم قبورًا	أبو هريرة	٣٣ - الأحزاب/٥٦
لا تجعلوا قبري عيدًا	علي	٣٣ - الأحزاب/٥٦
لا تجعلوني كقدح الراكب...	جابر	٣٣ - الأحزاب/٥٦
لا تجلسوا على القبور لا تصلوا إليها	أبو مرثد الغنوي	١٧ - الإسراء/١
لا تجوروا	عائشة	٤ - النساء/٣
لا تحرم الإملاجة ولا الإملاجتان	أم الفضل	٤ - النساء/٢٣
لا تحرم الرضعة والرضعتان	أم الفضل	٤ - النساء/٢٣
لا تحرم المصة والمصتان	عائشة	٤ - النساء/٢٣
لا تحزن إن اللّه معنا	...	١٦ - النحل/١٢٦
لا تحقرن من المعروف شيئًا	أبو ذر	٢ - البقرة/٨٣
لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا	جابر بن سليم	٢٧ - النحل/٦٢
لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا	عدي بن حاتم	٩٩ - الزلزلة/٨
لا تحل الصدقة لغني	أبو هريرة	٥٣ - النجم/٦
لا تحل الصدقة لغني إلا في سبيل اللّه...	أبو سعيد	٩ - التوبة/٦٠
لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة...	أبو سعيد	٩ - التوبة/٦٠
لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي	ابن عمر	٩ - التوبة/٦٠
لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي	أبو هريرة	٩ - التوبة/٦٠
لا تحل لزوجها الأول حتى يذوق الآخر عسيلتها	عائشة	٢ - البقرة/٢٣٠
لا تحل لك حتى تذوق العسيلة	عبد الرحمن بن الزبير	٢ - البقرة/٢٣٠
لا تخبري أحدًا وإن أم إبراهيم عليّ حرام...	عمر	٦٦ - التحريم/١
لا تخبري عائشة حتى أبشرك ببشارة...	ابن عباس	٦٦ - التحريم/٥
لا تخف في اللّه لومة لائم...	أبو ذر	٤ - النساء/١٦٤
لا تخيروني على موسى فإن الناس يصعقون	أبو هريرة	٧ - الأعراف/١٤٣
لا تدخلوا بيوت القوم المعذبين	...	١٥ - الحجر/٨٢
لا تدخلوا علي هؤلاء المعذبين	ابن عمر	٧ - الأعراف/٧٣
لا تدعوا على أنفسكم ، لا تدعوا على أولادكم...	جابر	١٠ - يونس/١١
لا تدعوهما وإن طردتكم الخيل	أبو هريرة	٥٢ - الطور/٤٩

لا تذبحوا إلا مسنة إلا أن	جابر	٢٢ - الحج/٣٧
لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها	عائشة	٥٩ - الحشر/١٠
لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٦٦
لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود...	أبو هريرة	٧ - الأعراف/١٦٣
لا ترجعوا بعدي كفارًا	...	٦ - الأنعام/٦٥
لا تزال أمتي بخير ما عجلوا الإفطار...	أبو ذر	٢ - البقرة/١٨٧
لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول...	أنس	٥٠ - ق/٣٠
لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين	...	٢٤ - النور/٥٥
لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين	...	٤٧ - محمد/٤
لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق...	...	٢ - البقرة/١٢٩
لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق...	معاوية بن أبي سفيان	٧ - الأعراف/١٨١
لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق...	...	٥٦ - الواقعة/١٤
لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق...	عبد الله بن عمرو	٢ - البقرة/١٢٠
لا تزال المغفرة على العبد...	جابر	٤ - النساء/٤٨
لا تزكوا أنفسكم إن الله أعلم...	زينب بنت أبي سلمة	٥٣ - النجم/٣٢
لا تزوج المرأة المرأة...	...	٢ - البقرة/٢٣٢
لا تزوج المرأة المرأة...	...	٤ - النساء/٢٥
لا تزيدوا في مهور النساء...	عمر بن الخطاب	٤ - النساء/٢٠
لاتسأل امرأة زوجها الطلاق في غير كنهه ...	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٢٩
لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح...	جابر	٧ - الأعراف/٧٣
لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء...	جابر	٣ - آل عمران/٨٢
لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بينته لكم...	أنس بن مالك	٥ - المائدة/١٠١
لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده...	أبو هريرة	٤٨ - الفتح/٢٩
لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم...	...	٥٧ - الحديد/١٠
لا تسبوا تبعًا فإن رسول الله ﷺ نهى عن سبه	عطاء بن أبي رباح	٤٤ - الدخان/٣٧
لا تسبوا تبعًا فإنه قد كان أسلم	سهل بن سعد الساعدي	٤٤ - الدخان/٣٧
لا تسبوا تبعًا فإنه قد كان أسلم	ابن عباس	٤٤ - الدخان/٣٧

لا تسبوا الدهر فإن اللّٰه تعالى هو الدهر	...	٤٥ - الجاثية/٢٤
لا تسبّوا الليل ولا النهار...	جابر	٤١ - فصلت/٣٧
لا تسبخي عنه	عائشة	٤ - النساء/١٤٨
لا تسبقني بآمين يا رسول اللّٰه	بلال	١ - الفاتحة/٧
لا تستضيؤوا بنار المشركين	أنس	٣ - آل عمران/١١٨
لا تسجد لي يا سلمان ، واسجد للحي الذي لا يموت	سلمان	١٢ - يوسف/١٠٠
لا تسجد لي يا سلمان ، واسجد للحي الذي لا يموت	سلمان	٢٥ - الفرقان/٥٨
لا تشددوا على أنفسكم...	أنس بن مالك	٥٧ - الحديد/٢٧
لا تشربوا في آنية الذهب...	...	٤٣ -الزخرف/٣٥
لا تشركوا باللّٰه شيئًا	عبادة وأبي الدرداء	٦ - الأنعام/١٥١
لا تشركوا باللّٰه شيئًا ولا تسرقوا ولا تزنوا	صفوان بن عسال	١٧ - الإسراء/١٠١
لا تصحب إلا مؤمنًا	أبو سعيد	٧١ - نوح/٢٨
لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم...	أبو هريرة	٢ - البقرة/١٣٦
لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم...	أبو هريرة	٢٩ - العنكبوت/٤٦
لا تصوموا هذه الآيام فإنها أيام أكل...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٠٣
لا تضربوا إماء اللّٰه...	إياس بن عبد اللّٰه بن أبي ذباب	٤ - النساء/٣٤
لا تضربوا كتاب اللّٰه بعضه ببعض...	أبو أمامة	٤٣ - الزخرف/٥٨
لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم...	عمر	٤ - النساء/١٧١
لا تطروني كما أطرى عيسى...	عمر	٣٣ - الأحزاب/٥
لا تطعموهم مما لا تأكلون	عائشة	٢ - البقرة/٢٦٧
لا تعجلوا النفوس أن تزهق	...	٢٢ - الحج/٣٦
لا تعذبوا بعذاب اللّٰه...	عكرمة	١٦ - النحل/١٠٦
لا تعطوا منه بربريًا ولا بربرية...	عائشة	١٩ - مريم/٥٩
لا تغالوا في مهور النساء...	عمر بن الخطاب	٤ - النساء/٢٠
لا تفضلوا بين الأنبياء	...	٢ - البقرة/٢٥٣
لا تفضلوا بين الأنبياء	...	١٧ - الإسراء/٥٥
لا تفضلوني على الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٥٣

لا تقاتلوا الجراد فإنه جند اللّه الأعظم	أبو زهير النميري	٧ - الأعراف/١٣٣
لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا	أنس	٤٩ - الحجرات/١٢
لا تقتل نفس ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها	عبد اللّه بن مسعود	٥ - المائدة/٣٠
لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعدًا	عائشة	٥ - المائدة/٣٨
لا تقطع يد السارق في دون ثمن المجن	عبد اللّه بن عمرو بن العاص	٥ - المائدة/٣٨
لا تقطع يد السارق فيما دون ثمن المجن	عائشة	٥ - المائدة/٣٨
لا تقل تعس الشيطان	رديف النبي ﷺ	١ - الفاتحة/البسملة
لا تقل تعس الشيطان	...	١٤ - الناس/٤
لا تقل هكذا فإنه يتعاظم...	أسامة بن عمير	١ -الفاتحة/البسملة
لا تقولن زرعت ولكن قل حرثت	أبو هريرة	٥٦ - الواقعة/٦٤
لا تقولوا : رمضان ، فإن رمضان اسم من أسماء اللّه تعالى...	أبو هريرة	٢ - البقرة/١٨٥
لا تقولوا سورة البقرة...	أنس بن مالك	٢ - البقرة/المقدمة
لا تقولوا للعنب الكرم...	...	٢ - البقرة/١٠٤
لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات...	حذيفة بن أسيد الغفاري	٤ - النساء/١٥٩
لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات...	حذيفة بن أسيد الغفاري	٦ - الأنعام/١٥٨
لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات...	حذيفة بن أسيد	٢٧ - النمل/٨٢
لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات...	حذيفة بن أسيد	٤٤ - الدخان/١٠
لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس...	أبو هريرة	٦ - الأنعام/١٥٨
لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها	أبو هريرة	٦ - الأنعام/١٥٨
لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها	أبو هريرة	٧ - الأعراف/١٨٧
لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قومًا صغار الأعين	أبو هريرة	٤٨ - الفتح/١٦
لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق...	أبو هريرة	٤ - النساء/١٥٩
لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد...	أنس بن مالك	٢٤ - النور/٣٦
لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود	أبو هريرة	٤ - النساء/١٥٩
لا تكثروا الكلام بغير ذكر اللّه...	ابن عمر	٢ - البقرة/٧٤

لا تكرهن أحدًا على السير معك من أصحابك...	جندب بن عبد اللّه	٢ - البقرة/٢١٧
لا تلبسوا الحرير ولا الديباج في الدنيا	...	٢٢ - الحج/٢٣
لا تلبسوا علينا سنة نبينا : عدة أم الولد...	عمر بن العاص	٢ - البقرة/٢٣٣
لا تلعنه فإنه يحب اللّه ورسوله	...	٢ - البقرة/١٥٩
لا تمنعون الماعون	قرة بن دعموص النميري	١٠٧ - الماعون/٧
لا تنعت المرأة المرأة لزوجها كأنه ينظر إليها	...	٢ - البقرة/٧١
لا تنقطع الهجرة ما دام العدو يقاتل	ابن السعدي	٦ - الأنعام/١٥٨
لا تنكحوا النساء لحسنهن	عبد اللّه بن عمر	٢ - البقرة/٢٢١
لا تواصلوا فأيكم أراد أن يواصل...	أبو سعيد الخدري	٢ - البقرة/١٨٧
لا تواصلوا ، قالوا : يا رسول اللّه إنك تواصل...	أبو هريرة	٢ - البقرة/١٨٧
لا تؤذوا عباد اللّه ولا تعيروهم...	ثوبان	٢٤ - النور/١٩
لا توعي فيوعي اللّه عليك	...	٧٠ - المعارج/١٨
لا تيأسا من الرزق...	حبة وسواء ابني خالد	٣٠ - الروم/٤٠
لا تيأسا من الرزق...	حبة وسواء ابني خالد	٥١ - الذاريات/٥٨
لا حبس	ابن عباس	٤ - النساء/سببها
لا حبس بعد سورة النساء	ابن عباس	٤ - النساء/١٥
لا حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتها	ابن عمر	٢ - البقرة/٢٣٠
لا حتى تذوقي العسيلة	ابن عمر	٢ - البقرة/٢٣٠
لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك	عائشة	٢ - البقرة/٢٣٠
لا حتى يذوق الآخر عسيلتها	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٣٠
لا حتى يذوق عسيلتها	عائشة	٢ - البقرة/٢٣٠
لا حتى يذوق من عسيلتها	عائشة	٢ - البقرة/٢٣٠
لا حتى يكون الآخر قد ذاق من عسيلتها	أنس بن مالك	٢ - البقرة/٢٣٠
لا حسد إلا في اثنتين	ابن مسعود	٢ - البقرة/٢٦٩
لا حسد إلا في اثنتين	...	٤ - النساء/٣٢
لا حلف في الإسلام...	سعيد بن إبراهيم	٤ - النساء/٣٣
لا حلف في الإسلام...	ابن عباس	٤ - النساء/٣٣

لا حلف في الإسلام...	جبير بن مطعم	٤ - النساء/٣٣
لا حلف في الإسلام...	جبير بن مطعم	١٦ - النحل/٩٢
لا رضاع بعد فصال...	جابر	٢ - البقرة/٢٣٣
لا رقية إلا من عية أو حمة	أنس	٦٨ - القلم/٥١
لا رقية إلا من عين أو حمة	بريدة بن الحصيب	٦٨ - القلم/٥١
لا رقية إلا من عين أو حمة	عمران بن حصين	٦٨ - القلم/٥١
لا شيء في الهام والعين حق	حابس التميمي	٦٨ - القلم/٥١
لا صلاة بحضرة طعام...	...	٩٤ - الشرح/٨
لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد...	...	٢٤ - النور/٣٦
لا صلاة لمن لا وضوء له...	...	٣٣ - الأحزاب/٥٦
لا صلاة لمن لم يطع الصلاة	ابن مسعود	٢٩ - العنكبوت/٤٥
لا صلاة لمن لم يطع الصلاة...	ابن مسعود	٢٩ - العنكبوت/٤٥
لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب	...	١ -الفاتحة/المقدمة
لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب	عبادة بن الصامت	١ - الفاتحة/المقدمة
لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب	عبادة بن الصامت	١ - الفاتحة/٥
لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب	عبادة بن الصامت	٧٣ - المزمل/٢٠
لا صلاة لمن لم يقرأ في كل ركعة...	أبو سعيد	١ - الفاتحة/المقدمة
لا طاعة في معصية الله	عمران بن حصين	٤ - النساء/٥٩
لا طلاق قبل النكاح	علي والمسور بن مخرمة	٣٣ - الأحزاب/٤٩
لا طلاق لابن آدم فيما لا يملك	عبد الله بن عمرو	٣٣ - الأحزاب/٤٩
لا عدوى ولا طيرة...	جابر	١٧ - الإسراء/١٣
لا عدوى ولا طيرة ولا هامة...	عبد الله بن عمرو	٦٨ - القلم/٥١
لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف...	أبو ذر	٤ - النساء/١٦٤
لا علم لي ، فسأل رسول الله ﷺ جبريل...	يوسف بن سرح	٢٨ - القصص/٢٨
لا عليكم أن تعجبوا بأحد حتى تنظروا بم يختم له...	أنس	٩ - التوبة/١٠٥
لا غفر الله لك...	ابن عمر	٤ - النساء/٩٤
لا فكرة في الرب	أبي بن كعب	٥٣ - النجم/٤٢

لا ، قال فالبشطر ؟ قال لا ، قال فالثلث...	سعد	٢ - البقرة/١٨٢
لا ، قال : فالشطر ؟ قال : لا	...	٤ - النساء/٩
لا ، قالوا : أتكفونا المؤنة ونشرككم...	أبوهريرة	٥٩ - الحشر/٩
لا ، كل ذلك يقول : لا ، مرتين أو ثلاثًا ، ثم قال : إنما هي أربعة أشهر...	أم سلمة	٢ - البقرة/٢٣٤
لا ، لا ، لا ، الصدقة خمس...	حنيفة	٢ - البقرة/١٨١
لا ، لو كنت آمرًا بشرًا أن يسجد لبشر...	معاذ	٢ - البقرة/٣٤
لا ، ليس ذلك من البغي ، ولكن البغي	ابن مسعود	٢ - البقرة/٦١
لا ما أثنيتم عليهم ودعوتهم اللّه لهم	أنس	٥٩ - الحشر/٩
لا ما دعوتم اللّه لهم وأثنيتم عليهم	أنس	٩٣ - الضحى/١١
لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت...	...	٦ - الأنعام/١٨
لا ، مَنْ زعم ذلك ؟ قالت : هذه اليهودية...	عائشة	٤٠ - غافر/٤٦
لا نبرح حتى نناجز القوم...	عبد اللّه بن أبي بكر	٤٨ - الفتح/١٠
لا نبوّة بعدي إلا المبشِّرات...	أبو الطفيل	٣٣ - الأحزاب/٤٠
لا نذر ولا يمين فيما لا يملك ابن آدم...	عبد اللّه بن عمرو	٢ - البقرة/٢٢٤
لا نكاح إلا بولي مرشد	...	٢ - البقرة/٢٣٢
لا نورّث ما تركنا صدقة	...	١٩ - مريم/٥
لا نورث ما تركنا صدقة	عمر بن الخطاب	٥٩ - الحشر/٧
لا ، النوم أخو الموت	جابر	٤٤ - الدخان/٥٦
لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية...	...	٢ - البقرة/٢١٦
لا هجرة ولكن جهاد ونية...	ابن عباس	٣ - آل عمران/٩٧
لا هجرة ولكن جهاد ونية...	ابن عباس	١١٠ - النصر/١
لا همّ لولا أنت ما اهتدينا	...	٣٦ - يس/٦٩
لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق أطرًا	...	٥ - المائدة/٧٩
لا واللّه لا تذرون منه درهمًا	أنس بن مالك	٨ - الأنفال/٧٠
لا ، واللّه لا يلقي حبيبه في النار	أنس	٣٣ - الأحزاب/٤٣
لا واللّه ما مست يد رسول اللّه ﷺ يد امرأة...	عائشة	٥٦ - الواقعة/٧٥

لا والله ما يلقى حبيبه في النار	أنس	٥ - المائدة/١٨
لا وباء مع السيف ولا لحاء مع الجراد	البراء بن عازب	٧ - الأعراف/١٣٣
لا وجدت ، إنما بنيت المساجد لما بنيت له	بريدة	٢٤ - النور/٣٦
لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه	أبو هريرة	١ - الفاتحة/البسملة
لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه	سعيد بن زيد	١ - الفاتحة/البسملة
لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه	أبو سعيد	١ - الفاتحة/البسملة
لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه	...	٥ - المائدة/٦
لا ولا بزفرة واحدة	بريدة	١٧ - الإسراء/٢٤
لا ، ولكن أمرت أن أبلغها أنا ، أو...	زيد بن يثيع	٩ - التوبة/٣
لا ولكنا كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة...	ابن مسعود	٤٦ - الأحقاف/٢٩
لا ولكنها كانت صلاة رغبة ورهبة...	خالد الخزاعي	٦ - الأنعام/٦٥
لا ولكني كنت أشرب عسلًا	عائشة	٦٦ - التحريم/١
لا ، ولو قلت نعم لوجبت...	...	٢ - البقرة/١٠٨
لا ولو قلت نعم لوجبت...	علي	٣ - آل عمران/٩٧
لا ولو قلت نعم لوجبت...	علي	٥ - المائدة/١٠١
لا يا ابنة الصديق ولكنهم الذين	عائشة	٢٣ - المؤمنون/٦٠
لا يا بنت الصديق ، ولكنه الذي يصلي	عائشة	٢٣ - المؤمنون/٦٠
لا يا عمر ! حتى أكون أحبَّ إليك من ...	عمر	٣٣ - الأحزاب/٦
لا يأتي الرجل مولاه...	بهز بن حكيم عن أبيه عن جده	٣ - آل عمران/١٨٠
لا يبقي برّ ولا فاجر إلا دخلها	جابر	١٩ - مريم/٧١
لا يبقى على وجه الأرض بيت مدرٍ ولا وبر...	المقداد بن الأسود	٩ - التوبة/٣٣
لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى...	عطية السعدي	٢ - البقرة/٢
لا يبلغني أحد عن أحد شيئًا	عبد الله بن مسعود	٥ - المائدة/١٠١
لا يبلِّغني أحد عن أحد شيئًا	عبد الله بن مسعود	٣٣ - الأحزاب/٦٩
لا يبلِّغني أحد عن أحد من أصحابي	عبد الله بن مسعود	٣٣ - الأحزاب/٦٩
لا يبلِّغها إلا أنا ، أو رجل من	أنس بن مالك	٩ - التوبة/٣
لا يتم بعد احتلام...	علي	٤ - النساء/٦

لا يتم بعد حلم	علي	٢ - البقرة/١٧٧
لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به...	أنس بن مالك	١٢ - يوسف/١٠١
لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به...	...	١٢ - يوسف/١٠١
لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به...	أبو هريرة	١٢ - يوسف/١٠١
لا يتوارث أهل ملتين شتّى	عبد الله بن عمرو	٨ - الأنفال/٧٣
لا يتوارث أهل ملتين شتى	عبد الله بن عمرو بن العاص	١٠٩ - الكافرون/٦
لا يتوارث أهل ملتين ، ولا يرث...	أسامة	٨ - الأنفال/٧٣
لا يجتمع غبار في سبيل الله	أبو هريرة	٥٩ - الحشر/٩
لا يحججنّ بعد عامنا هذا مشرك...	محمد بن كعب القرظي	٩ - التوبة/١
لا يحرّم من الرضاع إلا ما فتق الأمعاء...	أم سلمة	٢ - البقرة/٢٣٣
لا يحرّم من الرضاع إلا ما كان في الحولين	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٣٣
لا يحرم بالحج إلا في أشهر الحج...	ابن عباس	٢ - البقرة/١٩٧
لا يحقر أحدكم نفسه...	أبو سعيد الخدري	٥ - المائدة/٧٩
لا يحقرن أحدكم نفسه...	أبو سعيد	٣٣ - الأحزاب/٤٠
لا يحقرن أحدكم نفسه أن يرى أمر الله فيه مقال...	أبو سعيد الخدري	٥ - المائدة/٥٤
لا يحل بيع المغيات ولا شراؤهن	أبو أمامة	٣١ - لقمان/٦
لا يحل دم امرىء مسلم...	ابن مسعود	٤ - النساء/٩٢
لا يحل دم امرىء مسلم...	ابن مسعود	٦ - الأنعام/١٥١
لا يحل دم امرىء مسلم...	عائشة	٦ - الأنعام/١٥١
لا يحل دم امرىء مسلم يشهد...	...	١٧ - الإسراء/٣٣
لا يحل لأحد أن يحمل بمكة السلاح...	جابر	٢ - البقرة/١٢٦
لا يحلّ لأحد أن يحمل السلاح بمكة	جابر	٣ - آل عمران/٩٧
لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد...	أم حبيبة وزينب بنت جحش	٢ - البقرة/٢٣٤
لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد...	...	٢ - البقرة/٢٣٤
لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين	عبد الله بن عمرو	٥٨ - المجادلة/١١
لا يدخل أحد الجنة إلا بجواز...	سلمان الفارسي	٦٩ - الحاقة/٢٣
لا يدخل أحد النار إلا وهو يعلم...	...	٦٧ - الملك/١١

لا يدخل الجنة الجواظ...	عبد الرحمن بن غنم	٦٨ - القلم/١٣
لا يدخل الجنة ديوث...	عمار بن ياسر	٢٤ - النور/٣
لا يدخل الجنة عاق ولا مدمن خمر...	عبد اللّٰه بن عمرو	٥ - المائدة/٩١
لا يدخل الجنة عاق ولا منان	أبو الدرداء	٢ - البقرة/٢٦٣
لا يدخل الجنة قتات	حذيفة	٦٨ - القلم/١١
لا يدخل الجنة مدمن خمر...	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٦٣
لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال...	ابن مسعود	٣١ - لقمان/١٩
لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر	أبو سعيد	٥ - المائدة/٩١
لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر	عبد اللّٰه بن عمرو	٥ - المائدة/٩١
لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر	ابن عباس	٥ - المائدة/٩١
لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر	أبو هريرة	٥ - المائدة/٩١
لا يدخل الجنة نمام	حذيفة	٦٨ - القلم/١١
لا يدخل الجنة ولد زنا	...	٦٨ - القلم/١٣
لا يدخل مسجدنا بعد عامنا هذا مشرك...	جابر	٩ - التوبة/٢٩
لا يدخل النار أحد شهد بدرًا والحديبية	أم مبشر عن حفصة	١٩ - مريم/٧١
لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة	جابر	٤٨ - الفتح/١٠
لا يدخل النار إلا شقي	أبو هريرة	٩٢ - الليل/١٥
لا يدخل النار إن شاء اللّٰه تعالى من أصحاب الشجرة...	أم مبشر	٤٨ - الفتح/١٠
لا يدخلن علينا قصبة المدينة إلا مؤمن	عبد الرحمن بن زيد بن أسلم	٢ - البقرة/٧٧
لا يدخلن هذا عليك	أم سلمة	٢٤ - النور/٣١
لا يذهب الليل والنهار حتى تُعْبَد اللات والعزى...	عائشة	٩ - التوبة/٣٣
لا يرث الكافر المسلم...	أسامة بن زيد	٢٢ - الحج/٢٥
لا يركب البحر إلا حاج أو معتمر...	...	٨١ - التكوير/٦
لا يركب البحر إلا غاز أو حاج...	...	١٤ - إبراهيم/٤٨
لا يزال أمر الناس ماضيًا ما وليهم اثنا عشر رجلًا	جابر بن سمرة	٥ - المائدة/١٢
لا يزال أمر الناس ماضيًا ما وليهم...	جابر بن سمرة	٢٤ - النور/٥٥
لا يزال أمر هذه الأمة مواتيًا	ابن عباس	١٧ - الإسراء/١٥

لا يزال البلاء بالمؤمن	...	٧ - الأعراف/٩٥
لا يزال الرجل يذهب بنفسه...	سلمة	٣١ - لقمان/١٩
لا يزال العبد بخير ما لم يستعجل...	أنس	٢ - البقرة/١٨٦
لا يزال فيكم سبعة بهم تنصرون وبهم تمطرون	ثوبان	٢ - البقرة/٢٥١
لا يزال المؤمن مستعفّى صالحاً	عبادة بن الصامت	٤ - النساء/٩٣
لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر	سهل بن سعد الساعدي	٢ - البقرة/١٨٧
لا يزال يستجاب للعبد ما لم...	أبوهريرة	٢ - البقرة/١٨٦
لا يزداد الأمر إلا شدة ، ولا يزداد الناس إلا شحًا	أنس	٩ - التوبة/١٢٦
لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن	...	٥ - المائدة/٩١
لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن	...	٣٣ - الأحزاب/٣٥
﴿**لا يستوي القاعدون من المؤمنين**﴾ عن بدر والخارجون	ابن عباس	٤ - النساء/٩٥
لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني	سعيد بن جبير	١١ - هود/١٧
لا يشبع الرجل دون جاره	عمر	٤ - النساء/٣٦
لا يشكر اللَّه من لا يشكر الناس	أبو هريرة	٩٣ - الضحى/١١
لا يشيرن أحدكم إلى أخيه بالسلاح...	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/٥٣
لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة	...	٢ - البقرة/٢٣٩
لا يصيب أحدًا من المسلمين مصيبة فيسترجع...	أم سلمة عن أبي سلمة	٢ - البقرة/١٥٧
لا يصيب رجلًا خدش عود ولا عثرة قدم...	...	٤ - النساء/٧٩
لا يصلقها وهي حائض...	ابن عباس	٦٥ - الطلاق/١
لا يغرنكم نداء بلال...	سمرة بن جندب	٢ - البقرة/١٨٧
لا يفرك مؤمن مؤمنة...	...	٤ - النساء/١٩
لا يقبل اللَّه صدقة من غلول ولا صلاة بغير طهور	ابن عمر	٥ - المائدة/٦
لا يقبل اللَّه صلاة امرأةٍ طيبت لهذا المسجد...	أبو هريرة	٢٤ - النور/٣١
لا يقتل مسلم بكافر	علي	٢ - البقرة/١٧٨
لا يقتل مسلم بكافر	علي بن أبي طالب	٥ - المائدة/٤٥
لا يقدر رجل على حرام ثم يدعه...	ابن عباس	١٧ - الإسراء/٣٥
لا يقضي اللَّه لمؤمن قضاء إلا كان خيرًا له...	...	١٨ - الكهف/٨٠

لا يقولن أحدكم ما شاء اللّه...	...	٢ - البقرة/٢٢
لا يقوم الرجل للرجل من مجلسه...	أبو هريرة	٥٨ - المجادلة/١١
لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه...	ابن عمر	٥٨ -المجادلة/١١
لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه...	أبو هريرة	٥٨ - المجادلة/١١
لا يقيمن أحدكم أخاه يوم الجمعة...	جابر بن عبد اللّه	٥٨ - المجادلة/١١
لا يمنع فضل الماء...	...	٤ - النساء/٣١
لا يمنعكم أذان بلال عن سحوركم...	عائشة	٢ - البقرة/١٨٧
لا يمنعن أحدكم أذان بلال عن سحوره...	ابن مسعود	٢ - البقرة/١٨٧
لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد...	أبو هريرة	١٩ - مريم/٧١
لا يموت لمسلم ثلاث من الولد...	أبو هريرة	١٩ - مريم/٧١
لا يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى عليه السلام	ابن عباس	٤ - النساء/١٥٩
لا يموت اليهودي حتى يشهد...	ابن عباس	٤ - النساء/١٥٩
لا يموتن أحد منكم إلا وهو يحسن الظن	جابر	٤١ - فصلت/٢٢
لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن باللّه عز وجل	جابر	٣ - آل عمران/١٠٢
لا يمين عليك ، ولا نذر في معصية...	عمر بن الخطاب	٢ - البقرة/٢٢٤
﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ قال لا طاعة إلا في المعروف	علي بن أبي طالب	٢ - البقرة/١٢٤
لا ينبغي لأحد أن يحرم بالحج إلا	جابر	٢ - البقرة/١٩٧
لا ينبغي لأحد أن يقول أنا خير...	عبد اللّه بن مسعود	٦٨ - القلم/٥٠
لا ينبغي لأحد أن يقول أنا خير...	أبو هريرة	٦٨ - القلم/٥٠
لا ينبغي لمسلم أن يذل نفسه...	حذيفة	٥ - المائدة/٧٩
لا ينظر اللّه إلى رجل أتى رجلًا أو امرأة في الدبر	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٢٣
لا ينظر اللّه إلى رجل جامع امرأته في دبرها	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٢٣
لا ينظر اللّه يوم القيامة إلى من	أبو هريرة	٣١ - لقمان/١٩
لا ينكح الزاني المجلود إلا مثله	أبو هريرة	٢٤ - النور/٣
لا يوضع الدينار على الدينار ، ولا الدرهم على الدرهم...	أبو هريرة	٩ - التوبة/٣٥
لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي	محمد بن علي بن الحسين	٩ - التوبة/٣
لا يؤمن أحد حتى يؤمن بأربع...	علي بن أبي طالب	٥٤ - القمر/٤٩

لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه...	عبد اللّه بن هشام	٩ - التوبة/٢٤
لأبعثن معكم رجلًا أمينًا	حذيفة	٣ - آل عمران/٦٣
لأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل شاه لها ثغاء...	ابن عباس	٣ - آل عمران/١٦١
لأمر قد فرغ منه...	جابر بن عبد اللّه	٩٢ - الليل/١٠
لأن أجالس قومًا يذكرون اللّه...	أنس	١٨ - الكهف/٢٨
لأن أقعد في مثل هذا المجلس...	رجل من أصحاب بدر	١٨ - الكهف/٢٨
لأن أكون سألت رسول اللّه ﷺ عن ثلاث أحب إلي من حمر النعم...	عمر بن الخطاب	٤ -النساء/١٧٦
لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحًا خير له من	أبو هريرة	٣٦ - يس/٦٩
لأول لعان كان في الإسلام أن شريك...	أنس بن مالك	٢٤ - النور/٦
﴿لإيلاف قريش إيلافهم...﴾ ويحكم يا معشر قريش...	أسامة بن زيد	١٠٦ - قريش/٤
﴿لإيلاف قريش إيلافهم...﴾ ويحكم يا معشر قريش...	أسماء بنت يزيد	١٠٦ - قريش/٤
لبث جبرائيل عن محمد ﷺ اثنتي عشرة ليلة...	مجاهد	١٩ - مريم/٦٤
لبث النبي ﷺ ستة أشهر يرى أنه يأتي ولا يأتي	عائشة	١١٣ - الفلق/٥
لبنة ذهب، ولبنة فضة...	أبو هريرة	٩ - التوبة/٧٢
لبنة ذهب، ولبنة فضة...	ابن عمر	٩ - التوبة/٧٢
لتأتين يوم القيامة بسبعمائة ناقة مخطومة...	ابن مسعود	٢ - البقرة/٢٦١
لتأتينكم أجوركم ولو كنتم في جحر ثعلب...	جبير بن مطعم	٩ - التوبة/١٠١
لتأخذوا عني مناسككم...	...	٢ - البقرة/١٥٨
لتأخذوا عني مناسككم...	...	٢ - البقرة/١٩٨
لتتب هذه المرأة إلى اللّه وإلى رسوله...	ابن عمر	٥ - المائدة/٣٩
لتتبع كل أمة ما كانت تعبد...	...	١٠ - يونس/٣٠
لتتبع كل أمة ما كانت تعبد...	...	١٧ - الإسراء/٧١
لتركبن سنن من كان قبلكم...	...	٨٤ - الانشقاق/١٩
لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة...	...	٩ - التوبة/٣٤
﴿لتركبن طبقًا عن طبق﴾ حالًا بعد حال...	ابن عباس	٨٤ - الانشقاق/١٩
﴿لتركبن طبقًا عن طبق﴾		

قال يعني نبيكم ﷺ يقول حالًا بعد حال	ابن عباس	٨٤ - الانشقاق/١٩
﴿لتركبن طبقًا عن طبق﴾ يا محمد يعني حالًا بعد حال	عبد اللّه بن مسعود	٨٤ - الانشقاق/١٩
﴿لتركبن طبقًا عن طبق﴾ يا محمد يعني حالًا بعد حال	ابن عباس	٨٤ - الانشقاق/١٩
لتسئلن عن هذا يوم القيامة...	أبو هريرة	١٠٢ - التكاثر/٨
لتسئلن عن هذا يوم القيامة...	أبو عسيب	١٠٢ - التكاثر/٨
لتعلم يهود أن في ديننا فسحة...	عائشة	٦ - الأنعام/١٦٣
لتغضن أبصاركم ولتحفظن فروجكم...	أبو أمامة	٢٤ - النور/٣٠
لتقاتلنّ اليهود...	عبد اللّه بن عمر	٤ - النساء/١٥٩
لتكونن هجرة بعد هجرة...	عبد اللّه بن عمرو	٢٩ - العنكبوت/٢٦
لتؤدّن الحقوق إلى أهلها	....	٤ - النساء/٥٨
لجميع أمتي كلهم	ابن مسعود	١١ - هود/١١٤
لجهنم سبعة أبواب...	ابن عمر	١٥ - الحجر/٤٤
لحدٌ يقام في الأرض أحب إلى...	...	٣٠ - الروم/٤١
لحق المسلمون رجلًا في غنيمة له...	ابن عباس	٤ - النساء/٩٤
لزوال الدنيا أهون عند اللّه...	...	٤ - النساء/٩٣
لزوال الدنيا عند اللّه أهون من قتل مسلم	...	١٧ - الإسراء/٣٣
لسرادق النار أربعة جدر...	أبو سعيد الخدري	١٨ - الكهف/٢٩
لطائر كل إنسان في عنقه	جابر	١٧ - الإسراء/١٣
لعلك قبلت أو لمست	...	٤ - النساء/٤٣
لعلكم إذا رجعتم إلى أرضكم انتقلتم إلى دينكم	ابن عباس	٥ - المائدة/٨٤
لعلكم تأكلون متفرقين، اجتمعوا	وحشي بن حرب عن أبيه عن جده	٢٤ - النور/٦١
لعلكم تظنون أن أنهار الجنة تجري في	أنس بن مالك	٤٧ - القتال/١٥
لعله يا عائشة كما قال قوم عاد...	عائشة	٤٦ - الأحقاف/٢٥
لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى...	البهي عن عائشة	٥٠ - ق/١٩
لعن اللّه آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه	...	٢ - البقرة/٢٧٥
لعن اللّه الزهرة فإنها هي التي فتنت الملكين	علي	٢ - البقرة/١٠٢
لعن اللّه السارق...	أبو هريرة	٥ - المائدة/٣٨

لعن اللّه المحلل والمحلل له	عبد اللّه بن مسعود	٢ - البقرة/٢٣٠
لعن اللّه الواشمات والمستوشمات...	ابن مسعود	٤ - النساء/١١٩
لعن اللّه الواشمات والمستوشمات...	ابن مسعود	٥٩ - الحشر/٧
لعن اللّه اليهود: حرمت عليهم الشحوم...	...	٢ - البقرة/٢٧٥
لعن اللّه اليهود: حرمت عليهم الشحوم...	عمر بن الخطاب	٦ - الأنعام/١٤٦
لعن اللّه اليهود: حرمت عليهم الشحوم...	أبو هريرة	٦ - الأنعام/١٤٦
لعن اللّه اليهود: حرمت عليهم الشحوم...	ابن عباس	٦ - الأنعام/١٤٦
لعن اللّه اليهود: حرمت عليهم الشحوم...	أسامة بن زيد	٦ - الأنعام/١٤٦
لعن اللّه اليهود: حرمت عليهم شحوم البقروالغنم...	تميم الداري	٥ - المائدة/٩١
لعن اللّه اليهود يحرمون شحوم الغنم...	أسامة بن زيد	٦ - الأنعام/١٤٦
لعن رسول اللّه ﷺ آكل الربا وموكله...	علي	٢ -البقرة/٢٣٠
لعن رسول اللّه ﷺ صاحب الربا وآكله...	علي	٢ -البقرة/٢٣٠
لعن رسول اللّه ﷺ المحلل والمحلل له	ابن عباس	٢ -البقرة/٢٣٠
لعن رسول اللّه ﷺ المحلل والمحلل له	أبو هريرة	٢ -البقرة/٢٣٠
لعن رسول اللّه ﷺ الواشمة والمستوشمة...	عبد اللّه بن مسعود	٢ -البقرة/٢٣٠
لعنت الخمر على عشرة وجوه...	ابن عمر	٥ - المائدة/٩١
لعنت الخمر وشاربها وساقيها	ابن عمر	٥ - المائدة/٩١
لغدوة في سبيل اللّه أو روحة...	أنس	٥٥ - الرحمن/٥٨
اللغو في اليمين هو كلام الرجل في بيته...	عائشة	٢ - البقرة/٢٢٤
لقد آمن بي قبل أن أبعث...	عمر بن الخطاب	٤٦ - الأحقاف/٢٩
لقد أصبح ابن مسعود وأمسى كريمًا	إبراهيم بن ميسرة	٢٥ - الفرقان/٧٢
لقد أعذر اللّه تعالى إلى عبد أحياه...	أبو هريرة	٣٥ - فاطر/٣٧
لقد أعذر اللّه عز وجل في العمر...	أبو هريرة	٣٥ - فاطر/٣٧
لقد أعطيت الليلة خمسًا ما أعطيهن أحد قبلي	عبد اللّه بن عمرو بن العاص	٧ - الأعراف/١٥٨
لقد أقبلت هذه وأنا أخاف أن تراك...	أبو بكر	١٧ - الإسراء/٤٥
لقد أنزلت عليَّ آنفًا سورة...	أنس بن مالك	١٠٨ - التكاثر/١
لقد أنزلت عليَّ الليلة آية...	أنس بن مالك	٤٨ - الفتح/١

لقد أوتي مزمارًا من مزامير آل داود	...	٢١ - الأنبياء/٧٩
لقد أوتي هذا مزمارًا	...	٣٤ - سبأ/١٠
لقد أوتي هذا مزمارًا	...	٧٣ - المزمل/٤
لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ...	رجل من أصحاب النبي ﷺ	٥٩ - الحشر/٢
لقد تركتم بالمدينة أقوامًا ما سرتم من مسير...	أنس بن مالك	٤ - النساء/٩٥
لقد جلست أنا وأخي مجلسًا	عبد اللّه بن عمرو بن العاص	٤ - النساء/٨٢
لقد خبت وخسرت...	...	٣ - آل عمران/٧
لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل...	أبو سعيد	٩ - التوبة/٥٨
لقد خلفتم بالمدينة أقوامًا ما أنفقتم نفقة...	الحسن	٩ - التوبة/٩٢
لقد خلفتم بالمدينة رجالًا ما قطعتم واديًا	جابر	٩ - التوبة/٩٢
لقد خوفنا يعني قوله تعالى: ﴿واتقوا فتنة﴾...	الزبير	٨ - الأنفال/٢٥
لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكًا يبتدرونها	...	١ - الفاتحة/البسملة
لقد رأيت الجبل من فرج القمر حين انشق	ابن مسعود	٥٤ - القمر/١
لقد رأيت خيرًا كثيرًا	جابر	٤ - النساء/٣٦
لقد رأيت قائد الفيل وسائسه...	عائشة	١٠٥ - الفيل/٥
لقد رأيتنا ليلة بدر وما فينا إلا نائم، غير رسول اللّه ﷺ...	علي	٢ - البقرة/٤٥
لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/١
لقد رأيتني مع رسول اللّه ﷺ حين اشتد الخوف علينا	الزبير	٣ - آل عمران/١٥٤
لقد رأيتني يوم الشجرة والنبي ﷺ يبايع الناس...	معقل بن يسار	٤٨ - الفتح/١٠
لقد سألت عن شيء ما سمعت أحدًا سأل عنه...	أبو الدرداء	١٠ - يونس/٦٤
لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير...	...	٢ - البقرة/٤٥
لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير...	معاذ بن جبل	٣٢ - السجدة/١٦
لقد سألت يا أبا هريرة...	أبي بن كعب	٩٤ - الشرح/١
لقد سألني عن شيء ما سألني عنه أحد...	عائشة	١٤ - إبراهيم/٤٨
لقد سألني عن شيء ما سألني عنه أحد من أمتي	عبادة بن الصامت	١٠ - يونس/٦٤
لقد شهدت من المقداد مشهدًا	عبد اللّه بن مسعود	٥ - المائدة/٢٤

لقد شيع هذه السورة من الملائكة ما سد الأفق...	جابر	٦ - الأنعام/سببها
لقد صدق اللّه تعالى قولك يا زيد...	زيد بن أرقم	٤٩ - الحجرات/٤
لقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه...	عكرمة	١٢ - يوسف/٥٠
لقد علمت آية من القرآن	عبد اللّه بن عباس	٤٣ - الزخرف/٥٨
لقد علمت السنّة كلها غير أني	ابن عباس	١٩ - مريم/٦
لقد قتلت رجلين لأدينهما	...	٥٩ - الحشر/٢
لقد قام رسول اللّه ﷺ - يعني قباء - فقال...	محمد بن عبد اللّه بن سلام	٩ - التوبة/١٠٨
لقد قرأتها على الجن ليلة الجن	جابر	٥٥ - الرحمن/فضائلها
لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر...	عائشة	٤٩ - الحجرات/١٢
لقد قُلّلوا في أعيننا يوم بدرٍ حتى قلت لرجل...	عبد اللّه بن مسعود	٨ - الأنفال/٤٤
لقد كان تنورنا وتنور النبي ﷺ واحدًا	أم هشام بنت حارثة	٥٠ - ق/فضائلها
لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منه يوم العقبة...	عائشة	٦ - الأنعام/٥٨
لقد لقيت يا زيد خيرًا كثيرًا	حصين بن سبرة	٣٣ - الأحزاب/٣٣
لقد هممت أن أنهى عن الغيلة...	جذامة بنت وهب	٨١ - التكوير/٩
لقد هممت أن لا أتهب هبة إلا من	...	١٢ - يوسف/١٠٩
لقد هممت أن لا أقبل هدية إلا من قرشي	...	٩ - التوبة/٩٨
لقّنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا اللّه...	...	١٩ - مريم/٩١
لقي ابن عباس كعبًا بعرفة فسأله...	الشعبي	٥٣ - النجم/١١
لقي رسول اللّه ﷺ أبا جهل لعنه اللّه...	عكرمة	٤٤ - الدخان/٤٩
لقي سلمان النبي ﷺ في بعض فجاج المدينة...	شهر بن حوشب	٢٥ - الفرقان/٥٨
لقيت رسول اللّه ﷺ فابتدأته فأخذت بيده...	عقبة بن عامر	٧ - الأعراف/١٩٩
لقيت رسول اللّه ﷺ فابتدأته فأخذت بيده...	عقبة بن عامر	١١٢ - الإخلاص/فضائلها
لقيت عبد اللّه بن عمرو بن العاص فقلت...	عطاء بن يسار	٢ - البقرة/١١٨
لقيت ليلة أسري بي إبراهيم...	ابن مسعود	٤ - النساء/١٥٩
لقيت ليلة أسري بي إبراهيم...	ابن مسعود	١٧ - الإسراء/١
لقيت ليلة أسري بي إبراهيم...	ابن مسعود	٢١ - الأنبياء/٩٦

لقيت ليلة أسري بي إبراهيم وموسى وعيسى فتذاكروا	ابن مسعود	٧ - الأعراف/١٨٧
لقيته امرأة شمَّ منها ريح الطيب...	أبو هريرة	٢٤ - النور/٣١
لقينا المشركين يومئذ...	البراء	٣ - آل عمران/١٥٢
لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك...	ابن أبي ليلى	٣٣ - الأحزاب/٥٦
لك كذا وكذا، قال: وتقول كلا والله...	أنس بن مالك	٥٩ - الحشر/٧
لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم...	ابن عباس	١٣ - الرعد/١٣
لكأني أنظر إلى علي على بغلة رسول الله ﷺ...	مسعود بن الحكم عن أمه	٢ - البقرة/٢٠٣
لكل أمة أمين	أنس	٣ - آل عمران/٦٣
لكل أمة مجوس، ومجوس أمتي	عبد الله بن عمر	٥٤ - القمر/٤٩
لكل شيء سنام...	أبو هريرة	٢ - البقرة/المقدمة
لكل شيء سنام وسنام القرآن سورة البقرة...	...	٢ - البقرة/٢٥٥
لكل شيء نسبة...	أبو هريرة	١١٢ - الإخلاص/سببها
لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به	أنس	١٨ - الكهف/٤٩
لكل نبي حواري وحواري الزبير	...	٣ - آل عمران/٥٢
لكل نبي رهبانية...	أنس بن مالك	٥٧ - الحديد/٢٧
لكل نبي ولاة من النبيين	ابن مسعود	٣ - آل عمران/٦٨
لكن كل عظم ذكر اسم الله عليه...	ابن مسعود	٦ - الأنعام/١٢١
لكن رسول الله ﷺ لم يَفِرَّ ، إن هوازن كانوا	البراء بن عازب	٩ - التوبة/٢٥
لكني أصوم وأفطر وأصلي	ابن عباس	٥ - المائدة/٨٨
للإيمان أثبت في قلوب أهله...	الأعمش	٤ - النساء/٦٦
للجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله...	عبد الله بن مسعود	٥٧ - الحديد/٢٠
للرجل العظام والعروق...	جابر	٢٠ - طه/٦
للرجل من أهل الجنة زوجتان	أبو هريرة	٥٥ - الرحمن/٥٨
للسائل حق وإن جاء على فرس...	حسين بن علي	٢ - البقرة/١٧٧
للسائل حق وإن جاء على فرس...	الحسين بن علي	٥١ - الذاريات/١٩
للصائم عند إفطاره دعوة مستجابة	عبد الله بن عمرو	٢ - البقرة/١٨٦
لله تعالى أشد فرحًا بتوبة عبده...	أنس بن مالك	٤٢ - الشورى/٢٥

لله تعالى أشد فرحًا بتوبة عبده...	أبو هريرة	٤٢ - الشورى/٢٥
لله خمسها، وأربعة أخماسها للجيش...	عبد اللّه بن شقيق عن رجل	٨ - الأنفال/٤١
لله مائة رحمة...	أبو سعيد	٧ - الأعراف/١٥٦
للمملوك طعامه وكسوته...	أبو هريرة	٤ - النساء/٣٦
لم؟...	محمد بن ثابت الأنصاري	٣ - آل عمران/١٨٨
لم أتخلَّف عن رسول اللّه ﷺ في غزاة غزاها قط...	كعب بن مالك	٩ - التوبة/١١٨
لم ارتفعت أصواتكما	عبد اللّه بن عمرو بن العاص	٤ - النساء/٧٨
لم أره بعيني، ورأيته بفؤادي مرتين	بعض أصحاب النبي ﷺ	٥٣ - النجم/١١
لم أزل حريصًا على أن أسأل عمر عن المرأتين	ابن عباس	٦٦ - التحريم/٤
لم أصل فأتوضأ	ابن عباس	٥ - المائدة/٦
لم تحل الغنائم لسود الرءوس غيرنا	أبو هريرة	٨ - الأنفال/٦٧
لم تكن فتنة في الأرض أعظم من فتنة الدجال...	أبو أمامة الباهلي	٤ - النساء/١٥٩
لم لطمت وجهه؟...	أبو سعيد الخدري	٧ - الأعراف/١٤٣
لم نر مثل الذي بلغنا عن ربنا عز وجل...	أنس	٤ - النساء/٣١
لم يبعث اللّه عز وجل نبيًا إلا بلغة قومه	أبو ذر	١٤ - إبراهيم/٤
لم يتعوذ المتعوذ بمثلها	...	٢ - البقرة/١٠٢
لم يتكلم في المهد إلا ثلاث...	أبو هريرة	٣ - آل عمران/٤٦
لم يخرج من بطون النحل	...	٤٧ - محمد/١٥
لم يخرج من ضروع الماشية	...	٤٧ - محمد/١٥
لم يرخص في أيام التشريق أن يصمن	عائشة وابن عمر	٢ - البقرة/١٩٦
لم يصب الإسلام حلفا إلا زاده شدة	الزهري	٤ - النساء/٣٣
لم يعصرها الرجال بأقدامهم	...	٤٧ - محمد/١٥
لم يكذب إبراهيم عليه الصلاة والسلام...	أبو هريرة	٣٧ - الصافات/٨٩
لم يكن رسول اللّه ﷺ علي شيء من النوافل...	عائشة	٥٢ - الطور/٤٩
لم يكن رسول اللّه ﷺ يغزوا في الشهر الحرام...	جابر بن عبد اللّه	٢ - البقرة/١٩٤
لم يكن شخص أحب إليهم من رسول اللّه ﷺ...	...	٥٨ - المجادلة/١١
لم يكن شيء أحب إلى رسول اللّه ﷺ		

من النساء إلا الخيل...	عائشة	٣ - آل عمران/١٤
لم يكن عند رسول اللّٰه ﷺ امرأة وهبت نفسها له	ابن عباس	٣٣ - الأحزاب/٥٠
لم يكن للطلاق وقت، يطلق الرجل امرأته ثم يراجعها	عائشة	٢ - البقرة/٢٢٩
لم يكن لهم سيئات فيعذبوا بها	أنس	١٧ - الإسراء/١٥
لم يمت رسول اللّٰه ﷺ حتى أحل اللّٰه...	أم سلمة	٣٣ - الأحزاب/٥٢
لما أجلى رسول اللّٰه ﷺ بني النضير...	الحسن	٥٩ - الحشر/٢
لما أجمع رسول اللّٰه ﷺ المسير إلى مكة كتب حاطب...	عروة بن الزبير	٦٠ - الممتحنة/١
لما أجمعت قريش المسير...	عروة بن الزبير	٨ - الأنفال/٤٨
لما احترق البيت زمن يزيد...	عطاء	٢ - البقرة/١٢٧
لما أخرج النبي ﷺ من مكة قال أبو بكر...	ابن عباس	٢٢ - الحج/٤٠
لما أراد اللّٰه أن يرفع عيسى إلى السماء...	ابن عباس	٤ - النساء/١٥٨
لما أراد اللّٰه أن يرفع عيسى إلى السماء...	أبو معاوية	٤ - النساء/١٥٨
لما أراد اللّٰه حبس يونس في بطن الحوت...	أبو هريرة	٢١ - الأنبياء/٨٨
لما أراد اللّٰه عز وجل أن يرفع عيسى...	ابن عباس	٦١ - الصف/١٤
لما أراد النبي ﷺ أن يأتي مكة...	علي	٦٠ - الممتحنة/١
لما أردت الهجرة من مكة إلى النبي ﷺ قالت لي قريش...	صهيب	٢ - البقرة/٢٠٧
لما أسر الأسارى يوم بدر...	ابن عمر	٨ - الأنفال/٦٧
لما أسري برسول اللّٰه ﷺ إلى المسجد الأقصى...	عائشة	١٧ - الإسراء/١
لما أسري برسول اللّٰه ﷺ انتهى به...	ابن مسعود	٥٣ - النجم/١٦
لما أسري برسول اللّٰه ﷺ انتهي به إلى سدرة المنتهى...	عبد اللّٰه	٢ - البقرة/٢٨٥
لما أسري برسول اللّٰه ﷺ فانتهى إلى سدرة المنتهى...	ابن مسعود	١٧ - الإسراء/١
لما أسري برسول اللّٰه ﷺ مضى به جبريل إلى السماء الدنيا	أنس بن مالك	١٠٨ - الكوثر/١
لما أسري بي مرّت بي رائحة طيبة...	ابن عباس	١٧ - الإسراء/١
لما اشتدّ المشركون على المسلمين بأحد فهزموهم...	...	٣ - آل عمران/١٥٣
لما أصيب إخوانكم يوم أحد...	ابن عباس	٣ - آل عمران/١٦٩

لما اعترض - ذو الخويصرة - على النبي ﷺ...	أبو سعيد	٩ - التوبة/٥٨
لما اعتزل نبي اللّه ﷺ نساءه دخلت المسجد...	عمر بن الخطاب	٦٦ - التحريم/٥
لما اعتمر رسول اللّه ﷺ سترناه من غلمان المشركين	ابن أبي أوفى	٤٨ - الفتح/٢٧
لما أقبل رسول اللّه ﷺ من غزوة تبوك أمر مناديًا	أبو الطفيل	٩ - التوبة/٧٤
لما أقبلنا من الحديبية عرسنا فنمنا	ابن مسعود	٤٨ - الفتح/١
لما التقينا نحن وأصحاب رسول اللّه ﷺ يوم حنين	رجل كان من المشركين يوم حنين	٩ - التوبة/٢٥
لما ألقي إبراهيم عليه السلام في النار		
قال : اللّهم إنك في السماء...	أبو هريرة	٢١ - الأنبياء/٦٨
لما أمر إبراهيم عليه الصلاة بالمناسك...	ابن عباس	٣٧ - الصافات/١٠٣
لما أمر رسول اللّه ﷺ ببيعة الرضوان	أنس بن مالك	٤٨ - الفتح/١٠
لما أمسى رسول اللّه ﷺ يوم بدر والأسارى محبوسون	ابن عباس	٨ - الأنفال/٧٠
لما أن رجع رسول اللّه ﷺ من أحد...	طلحة	٣٣ - الأحزاب/٢٤
لما أنزل اللّه تعالى على نبيه ﷺ ﴿ياأيها المزمل﴾...	سعيد بن جبير	٧٣ - المزمل/٧
لما أنزل اللّه عز وجل : ﴿وأنذر عشيرتك﴾...	ابن عباس	٢٦ - الشعراء/٢١٤
لما أنزل اللّه في سودة وأشباهها	عروة	٤ - النساء/١٢٨
لما أنزل اللّه قوله:		
﴿ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا﴾... ...		٤ - النساء/٢٥
لما أنزل اللّه:		
﴿ياأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾...	ابن عباس	٤ - النساء/٢٩
لما أنزلت: ﴿فمن يعمل مثقال ذرةٍ خيرًا يره﴾		
قلت يا رسول اللّه إني لراء عملي؟...	أبو سعيد الخدري	٩٩ - الزلزلة/٨
لما انصرف أهل الخندق عن الخندق...	محمد بن إسحاق	٣٣ - الأحزاب/٢٥
لما انقضت عدة زينب رضي اللّه عنها	أنس	٣٣ - الأحزاب/٣٧
لما انقضت عدة زينب قال رسول اللّه ﷺ لزيد...	أنس	٣٣ - الأحزاب/٥٣
لما انهزم أهل بدر...	الزهري	٥ - المائدة/٥١
لما ائتمروا بالنبي ﷺ ليثبتوه...	عبيد بن عمير	٨ - الأنفال/٣٠
لما بايع معاوية رضي اللّه عنه لابنه قال مروان	محمد بن زياد	٤٦ - الأحقاف/١٧

لما بعث اللّه تعالى محمد ﷺ رسولًا أنكرت العرب...	ابن عباس	١٠ - يونس/٢
لما بعث اللّه عز وجل موسى إلى فرعون	عبد اللّه بن مسعود	٢٠ - طه/٤٦
لما بعثه النبي ﷺ إلى خالد بن سفيان الهذلي ليقتله...	عبد اللّه بن أنيس الجهني	٢ - البقرة/٢٣٩
لما بعثه النبي ﷺ عام ذات السلاسل...	عمرو بن العاص	٤ - النساء/٢٩
لما تجلى اللّه للجبال طارت لعظمته ستة أجبل	أنس بن مالك	٧ - الأعراف/١٤٣
لما تجلى اللّه لموسى عليه السلام		
كان يبصر النملة على الصفا	أبو هريرة	٧ - الأعراف/١٤٣
لما تجلى ربه للجبل أشار بإصبعه فجعله دكًّا	أنس	٧ - الأعراف/١٤٣
لما تزوج رسول اللّه ﷺ زينب بنت جحش...	أنس بن مالك	٣٣ - الأحزاب/٥٣
لما تلا رسول اللّه ﷺ هذه الآية:		
﴿ولو أنا كتبنا عليهم...﴾...	شريح بن عبيد	٤ - النساء/٦٦
لما تواقف الناس أغمي على رسول اللّه ﷺ ساعة...	ابن عباس	٨ - الأنفال/٤٨
لما تواقف الناس أغمي على رسول اللّه ﷺ ساعة...	رفاعة بن رافع	٨ - الأنفال/٤٨
لما توفي أبو قيس بن الأسلت أراد ابنه...	أبو أمامة	٤ - النساء/١٩
لما توفي أبو قيس - يعني ابن الأسلت - ...	رجل من الأنصار	٤ - النساء/٢٢
لما توفي عبد اللّه بن أبي جاء ابنه عبد اللّه...	ابن عمر	٩ - التوبة/٨٤
لما توفي عبد اللّه بن أبي جاء ابنه عبد اللّه...	عمر	٩ - التوبة/٨٤
لما توفى النبي ﷺ وجاءت التعزية...	علي بن أبي طالب	٣ - آل عمران/١٨٥
لما توفي النجاشي	أنس بن مالك	٣ - آل عمران/١٩٩
لما ثقل أبو بكر رضي اللّه عنه جاءت عائشة...	البهي	٥٠ - ق/١٩
لما ثقل عبد اللّه بن أبي ، انطلق ابنه إلى النبي ﷺ...	الشعبي	٩ - التوبة/٨٠
لما جاء جبريل إلى رسول اللّه ﷺ بالبراق...	أنس	١٧ - الإسراء/١
لما جاءتنا بيعة يزيد بن معاوية قدمت الشام...	شهر بن حوشب	٢٩ - العنكبوت/٢٦
لما حاربت بنو قينقاع رسول اللّه ﷺ		
تشبث بأمرهم عبد اللّه بن أبي	عبادة بن الصامت	٥ - المائدة/٥١
لما حرمت الخمر قال ناس: يا رسول اللّه أصحابنا	ابن عباس	٥ - المائدة/٩١
لما حضر أبا طالب الموت قالت قريش...	السدي	٦ - الأنعام/١٠٨

لما حضر رمضان	...	٩٧ - القدر/٣
لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ...	المسيب بن حزن	٢٨ - القصص/٥٦
لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي ﷺ...	المسيب	٩ - التوبة/١١٣
لما حضرت وفاة أبي طالب...	أبو هريرة	٢٨ - القصص/٥٦
لما حمل نوح في السفينة من كل زوجين اثنين	أسلم	١١ - هود/٤٠
لما خرج النبي ﷺ بالهدي	ابن أبزى	٤٨ - الفتح/٢٤
لما خرج النبي ﷺ من مكة فبلغ الجحفة...	الضحاك	٢٨ - القصص/٨٥
لما خرجت الحرورية اعتزلوا	ابن عباس	٤٨ - الفتح/٢٦
لما خلق الله آدم مسح على ظهره...	أبو هريرة	٧ - الأعراف/١٧٢
لما خلق الله الأرض جعلت تميد...	أنس بن مالك	٢ - البقرة/٢٧١
لما خلق الله الأرض جعلت تميد...	أنس بن مالك	٧٩ - النازعات/٣٠
لما خلق الله الأرض قمصت...	علي	٧٩ - النازعات/٣٢
لما خلق الله جنة عدن بيده ودلّى فيها ثمارها	ابن عباس	٢٣ - المؤمنون/١
لما خلق الله جنة عدن خلق فيها	ابن عباس	٢٣ - المؤمنون/١
لما خلق الله الخلق كتب في كتاب...	...	٦ - الأنعام/١٦٥
لما خلق الله الخلق وقضى القضية...	أبو أمامة	٧ - الأعراف/١٧٢
لما دخل رسول الله ﷺ المسجد الحرام...	ابن مسعود	٣٤ - سبأ/٤٩
لما دخل رسول الله ﷺ مكة عام الفتح قام خطيبًا	عبد الله بن عمرو بن العاص	٤ - النساء/٣٣
لما دخل رسول الله ﷺ مكة في عمرة القضاء...	عبد الله بن أبي بكر بن حزم	٤٨ - الفتح/٢٧
لما دخل رسول الله ﷺ مكة في عمرة القضاء...	أنس بن مالك	٤٨ - الفتح/٢٧
لما دعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة...	الشعبي	٤٨ - الفتح/١٠
لما دعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة...	جابر	٤٨ - الفتح/١٠
لما دعا نبي الله موسى عليه السلام صاحبه إلى...	أنس بن مالك	٢٨ - القصص/٢٨
لما دنا القوم بعضهم من بعض...	محمد بن قيس ومحمد بن كعب القرظي	٨ - الأنفال/١٧
لما ذاق آدم من الشجرة فرَّ هاربًا	أبي بن كعب	٢ - البقرة/٣٦
لما ذكر من شأني الذي ذكر...	عائشة	٢٤ - النور/١١

لما رأيت رسول اللّٰه ﷺ يوم حنين قد عري	شيبة بن عثمان	٩ - التوبة/٢٥
لما رجع المشركون عن أحد...	عكرمة	٣ - آل عمران/١٦٩
لما رجع المشركون عن أحد...	ابن عباس	٣ - آل عمران/١٦٩
لما رجعت إلى رسول اللّٰه ﷺ مهاجرة البحر...	جابر بن عبد اللّٰه	٤١ - فصلت/٢٠
لما سار رسول اللّٰه ﷺ معتمرًا		
في سنة ست من الهجرة...	ابن عباس	٢ - البقرة/١٩٤
لما سمع رسول اللّٰه ﷺ بأبي سفيان مقبلًا من الشام...	ابن عباس	٨ - الأنفال/٧
لما شاور النبي ﷺ في لقاء العدو	ابن عباس	٨ - الأنفال/٥
لما صبح رسول اللّٰه ﷺ خيبر...	أبو طلحة	٣٧ - الصافات/١٧٧
لما طاف النبي ﷺ قال له عمر :		
هذا مقام أبينا إبراهيم؟...	جابر	٢ - البقرة/١٢٥
لما ظهر النبي ﷺ على أهل بدر وأحد...	سراقة بن مالك	٤ - النساء/٩٠
لما عافى اللّٰه أيوب أمطر عليه جرادًا من ذهب...	أبو هريرة	٢١ - الأنبياء/٨٤
لما عرج رسول اللّٰه ﷺ مرَّ بقوم...	أنس	٢ - البقرة/٤٤
لمّا عرج بي إلى ربي عز وجل...	أنس	١٧ - الإسراء/١
لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار...	أنس بن مالك	٤٩ - الحجرات/١٢
لما عرج النبي ﷺ إلى السماء...	أنس بن مالك	١٠٨ - التكاثر/١
لما عمد رسول اللّٰه ﷺ لموعد أبي سفيان	ابن جريج	٣ - آل عمران/١٧٤
لما غزا رسول اللّٰه ﷺ بني أنمار...	جابر بن عبد اللّٰه	٥ - المائدة/٦٧
لما فتح رسول اللّٰه ﷺ مكة بعث خالد...	أبو الطفيل	٥٣ - النجم/١٩
لما فتح رسول اللّٰه ﷺ مكة دعا عثمان بن طلحة...	...	٤ - النساء/٥٨
لما فتح على رسول اللّٰه ﷺ فتح قالوا	النواس بن سمعان	٤٧ - محمد/٤
لما فتحت خيبر أهديت لرسول اللّٰه ﷺ شاة فيها سم...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٨٠
لما فرغ رسول اللّٰه ﷺ من غزوة حنين		
نزلنا قفرًا من الأرض...	سعد بن جنادة	١٨ - الكهف/٤٩
لما فرغت مما أمرني به من أمر السماوات والأرض...	أنس	٩٤ - الشرح/٤
لما قال فرعون آمنت		

أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل...	ابن عباس	١٠ - يونس/٩١
لما قتل أبي جعلت أبكي	جابر	٣ - آل عمران/١٦٩
لما قتل أبي يوم أحد...	جابر	٣ - آل عمران/١٦٩
لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله ﷺ...	ابن عباس	٢ - البقرة/١١٣
لما قدم رسول الله ﷺ أخذني قومي فقالوا	كعب بن مالك	٩ - التوبة/٧٤
لما قدم رسول الله ﷺ جمع النساء...	أم عطية	٦٠ - الممتحنة/١٢
لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس...	عبد الله بن سلام	١٠ - يونس/١٧
لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس إليه...	عبد الله بن سلام	٥١ - الذاريات/١٧
لما قدم رسول الله ﷺ المدينة صلى نحو بيت المقدس...	البراء	٢ - البقرة/١٤٤
لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وجد اليهود تصوم عاشوراء...	ابن عباس	٢٠ - طه/٨٠
لما قدم النبي ﷺ لعامه الذي استأمن	ابن عباس	٤٨ - الفتح/٢٧
لما قدم وفد ضمام بن ثعلبة على رسول الله ﷺ...	...	١٠ - يونس/١٧
لما قرّب الله موسى نجيًا بطور سيناء...	عمرو بن معديكرب	١٩ - مريم/٥٢
لما قضى الله على الخلق كتب في كتاب...	أبو هريرة	٦ - الأنعام/٥٣
لما كان بين إبراهيم وبين أهله ما كان خرج بإسماعيل...	ابن عباس	٢ - البقرة/١٢٧
لما كان ذلك اليوم، قعد رسول الله ﷺ على بعير له...	أبو بكرة	٩ - التوبة/٣
لما كان الفتح بادر كل قوم بإسلامهم...	عمرو بن سلمة	١١٠ - النصر/٣
لما كان ليلة أسري برسول الله ﷺ إلى بيت المقدس...	أنس	١٧ - الإسراء/١
لما كان ليلة أسري بي	بريدة	١٧ - الإسراء/١
لما كان ليلة أسري بي فأصبحت بمكة...	ابن عباس	١٧ - الإسراء/١
لما كان ليلة الجن قال لي النبي ﷺ...	ابن مسعود	٤٦ - الأحقاف/٢٩
لما كان النبي ﷺ زمن حنين اعتمر من الجعرانة...	أبو هريرة	٩ - التوبة/٣
لما كان يوم أحد قتل من الأنصار ستون	أبي بن كعب	١٦ - النحل/١٢٦
لما كان يوم أحد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا	عمر بن الخطاب	٣ - آل عمران/١٦٥
لما كان يوم أحد هزم المشركون	عائشة	٣ - آل عمران/١٥٢
لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون	أبو رفاعة الزرقي عن أبيه	٤٩ - الحجرات/٧

لما كان يوم بدرٍ جعل النبي ﷺ يناشد ربّه...	أبو صالح	٨ - الأنفال/٩
لما كان يوم بدر سمعنا صوتًا وقع من السماء...	حكيم بن حزام	٨ - الأنفال/١٧
لما كان يوم بدر قال الأخنس بن شريق لبني زهرة...	السدي	٦ - الأنعام/٣٣
لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ...	ابن عباس	٨ - الأنفال/١
لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ : ما تقولون في هؤلاء؟...	عبد الله بن مسعود	٨ - الأنفال/٦٧
لما كان يوم بدر نظر النبي ﷺ إلى أصحابه...	عمر بن الخطاب	٨ - الأنفال/٩
لما كان يوم بدرٍ وقُتِل أخي	سعد بن أبي وقاص	٨ - الأنفال/١
لما كان يوم الحديبية هبط على رسول الله ﷺ وأصحابه...	أنس بن مالك	٤٨ - الفتح/٢٤
لما كان يوم خيبر أقبل نفر من أصحاب رسول الله ﷺ...	عمر بن الخطاب	٣ - آل عمران/١٦١
لما كبرت سودة بنت زمعة وهبت يومها لعائشة...	عائشة	٤ - النساء/١٢٨
لما كذبتني قريش حين أسري به...	جابر	١٧ - الإسراء/١
لما كلم الله موسى كان يبصر دبيب النمل...	أبو هريرة	٤ - النساء/١٦٤
لما مات إبراهيم ابن النبي ﷺ قال...	البراء بن عازب	٢ - البقرة/٢٣٣
لما مات محمد بن مَسْلمة الأنصاري	محمد بن سعيد	٤٠ - غافر/٦٠
لما مات أبو طالب قلت: يارسول الله إن عمك...	علي	٩ - التوبة/١١٤
لما مات رأس المنافقين	جابر	٩ - التوبة/٨٤
لما مات عبد الله بن أبي ، أتى ابنه النبي ﷺ فقال...	جابر	٩ - التوبة/٨٤
لما مات النجاشي كنا نحدث...	عائشة	٣ - آل عمران/١٩٩
لما مر رسول الله ﷺ بالحجر...	جابر	٧ - الأعراف/٧٣
لما مر رسول الله ﷺ بوادي عسفان حين حج...	ابن عباس	٧ - الأعراف/٧٩
لما مرض أبو طالب دخل عليه رهط من قريش...	ابن عباس	٣٨ - ص/٦
لما نزل ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾...	جابر بن عبد الله	١- الفاتحة/البسملة
لما نزل تحريم الخمر قال : اللّهم بين لنا في الخمر بيانًا شافيًا	عمر	٢ - البقرة/٢١٩
لما نزل تحريم الخمر قال : اللّهم بين لنا في الخمر بيانًا شافيًا	عمر بن الخطاب	٥ - المائدة/٩١
لما نزل تحريم الخمر قالوا : كيف بمن كان يشربها	البراء بن عازب	٥ - المائدة/٩١

لما نزل الخيار قال لي رسول اللّه ﷺ : إني أريد...	عائشة	٣٣ - الأحزاب/٢٨
لما نزل رسول اللّه ﷺ بالناس على تبوك...	ابن عمر	٧ - الأعراف/٧٣
لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء...	البراء	٢ - البقرة/١٨٧
لما نزل عذري قام رسول اللّه ﷺ فذكر ذلك...	عائشة	٢٤ - النور/١١
لما نزل عذري من السماء جاءني النبي ﷺ...	عائشة	٢٤ - النور/١١
لما نزل على رسول اللّه ﷺ القرآن أبطأ عنه جبريل...	ابن عباس	٩٣ - الضحى/٣
لما نزل في الذهب والفضة ما نزل قالوا	ثوبان	٩ - التوبة/٣٥
لمانزلت الآيات من آخر سورة البقرة في الربا	عائشة	٢ - البقرة/٢٧٥
لما نزلت آية التخيير بدأ بي	عائشة	٣٣ - الأحزاب/٢٨
لما نزلت آية الحج نادى رسول اللّه ﷺ في الناس...	ابن عباس	٥ - المائدة/١٠١
لما نزلت آية الدين قال رسول اللّه ﷺ		
إن أول من جحد...	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٨٠
لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل على ظهورنا	ابن مسعود	٩ - التوبة/٧٩
لما نزلت آية الكفارات قال حذيفة :		
يا رسول اللّه ﷺ نحن بالخيار...	ابن عباس	٥ - المائدة/٨٩
لما نزلت ﴿إذا جاء نصر اللّه والفتح﴾		
دعا رسول اللّه ﷺ فاطمة...	ابن عباس	١١٠ - النصر/سببها
لما نزلت ﴿إذا جاء نصر اللّه والفتح﴾		
علم النبي ﷺ أنه قد نعيت إليه نفسه...	ابن عباس	١١٠ - النصر/١
لما نزلت ﴿إذا جاء نصر اللّه والفتح﴾ قال...	ابن عباس	١١٠ - النصر/١
لما نزلت ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾		
وأبو بكر الصديق رضي اللّه عنه قاعد فبكى...	عبد اللّه بن عمرو بن العاص	٩٩ - الزلزلة/٨
لما نزلت ﴿إذا وقعت الواقعة﴾...	جابر بن عبد اللّه	٥٦ - الواقعة/١٣
لما نزلت ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا﴾...	عبد اللّه	٣١ - لقمان/١٣
لما نزلت ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ قال...	عبد اللّه بن مسعود	٦ - الأنعام/٨٢
لما نزلت ﴿الذين يأكلون الربا﴾...	جابر	٢ - البقرة/٢٧٥
لما نزلت ﴿الم غلبت الروم﴾...	البراء	٣٠ - الروم/٣

لما نزلت ﴿الم غلبت الروم﴾...	نيار بن مكرم	٣٠ - الروم/٣
لما نزلت ﴿ألهاكم التكاثر﴾ فقرأ حتى بلغ...	محمود بن الربيع	١٠٢ - التكاثر/٨
لما نزلت ﴿إنَّ اللّه وملائكته﴾...	كعب بن عجرة	٣٣ - الأحزاب/٥٦
لما نزلت ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى﴾...	ابن عباس	٤ - النساء/١٠
لما نزلت ﴿إن هذا لفي الصحف الأولى﴾...	ابن عباس	٨٧ - الأعلى/١٩
لما نزلت ﴿أنّا أعطيناك الكوثر﴾...	ابن عمر	١٠٨ - الكوثر/١
لما نزلت ﴿إنكم وما تعبدون من دون اللّه﴾...	ابن عباس	٢١ - الأنبياء/٩٨
لما نزلت ﴿إنما أنت منذر﴾...	ابن عباس	١٣ - الرعد/٧
لما نزلت براءة على رسول اللّه ﷺ وكان بعث أبا بكر...	محمد بن علي بن الحسين بن علي	٩ - التوبة/٣
لما نزلت ﴿تبت يدا أبي لهب﴾		
أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب...	أسماء بنت أبي بكر	١١١ -المسد/١
لما نزلت ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ جاءت امرأة أبي لهب...	ابن عباس	١١١ - المسد/١
لما نزلت ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ جاءت العوراء...	أسماء بنت أبي بكر	١٧ - الإسراء/٤٥
لما نزلت ﴿ثلة من الأولين﴾...	أبو هريرة	٥٦ - الواقعة/١٣
لما نزلت ﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم﴾...	ابن الزبير	٣٩ - الزمر/٣١
لما نزلت ﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾		
قالوا : يا رسول اللّه لأي نعيم نسأل عنه...	الزبير	١٠٢ - التكاثر/٨
لما نزلت ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾...	ابن عباس	٨٧ - الأعلى/١٩
لما نزلت سورة الأنعام سبح رسول اللّه ﷺ...	جابر	٦ - الأنعام/سببها
لما نزلت سورة النساء قال رسول اللّه ﷺ...	ابن عباس	٤ - النساء/سببها
لما نزلت سورة النساء قال رسول اللّه ﷺ...	ابن عباس	٤ - النساء/١٥
لما نزلت ﴿سيهزم الجمع﴾...	عكرمة	٥٤ - القمر/٤٥
لما نزلت عشر آيات من براءة على النبي ﷺ...	علي	٩ - التوبة/٣
لما نزلت على رسول اللّه ﷺ ﴿آمن الرسول...﴾		
قال جبريل: إن اللّه قد أحسن الثناء عليك...	جابر	٢ - البقرة/٢٨٥
لما نزلت على رسول اللّه ﷺ		
﴿إذا جاء نصر اللّه والفتح﴾ كان يكثر إذا قرأها	عبد اللّه بن مسعود	١١٠ - النصر/٣

لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿فسبح باسم ربك﴾...	عقبة بن عامر	٥٦ - الواقعة/٩٦
لما نزلت على رسول الله ﷺ		
﴿لله ما في السماوات وما في﴾	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٨٤
لما نزلت الفرائض التي فرض الله فيها ما فرض...	ابن عباس	٤ - النساء/١١
لما نزلت ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾		
قال لنا رسول الله ﷺ...	عقبة بن عامر الجهني	٨٧ - الأعلى/١
لما نزلت ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾		
قال...	أبو موسى الأشعري	٥ - المائدة/٥٤
لما نزلت ﴿فمنهم شقي وسعيد﴾ سألت النبي ﷺ...	عمر	١١ - هود/١٠٥
لما نزلت ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين﴾		
دعا رسول الله ﷺ زيدًا فكتبها	البراء	٤ - النساء/٩٥
لما نزل ﴿لم يكن الذين كفروا﴾ قال جبريل:		
يا رسول الله إن ربك يأمرك...	مالك بن عمرو بن ثابت الأنصاري	٩٨ - البينة/فضائلها
لما نزلت ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله﴾...	ابن عمر	٢ - البقرة/٢٤٥
لما نزلت ﴿من ذا الذي يقرض الله﴾		
قال أبو الدحداح الأنصاري	عبد الله بن مسعود	٢ - البقرة/٢٤٥
لما نزلت ﴿من يعمل سوءًا يجز به﴾		
شق ذلك على المسلمين	أبو هريرة	٤ - النساء/١٢٣
لما نزلت نعيت إلى رسول الله ﷺ نفسه...	ابن عباس	١١٠ - النصر/١
لما نزلت هذه الآية ﴿تتجافى جنوبهم﴾...	بلال	٣٢ - السجدة/١٦
لما نزلت هذه الآية		
﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾...	عبد الله بن مسعود	٦ - الأنعام/٨٢
لما نزلت هذه الآية شق ذلك		
على أصحاب رسول الله ﷺ...	عبد الله بن مسعود	٦ - الأنعام/٨٢
لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ...	علي بن أبي طالب	٢٦ - الشعراء/٢١٤
لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ ﴿آمن الرسول﴾...	أنس بن مالك	٢ - البقرة/٢٨٥
لما نزلت هذه الآية ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا﴾...	ابن عباس	٩ - التوبة/١٠٨

لما نزلت هذه الآية ﴿قل هو القادر﴾...	جابر بن عبد الله	٦ - الأنعام/٦٥
لما نزلت هذه الآية ﴿قل هو القادر﴾...	ابن عباس	٦ - الأنعام/٦٥
لما نزلت هذه الآية ﴿قل لا أسألكم عليه أجرًا﴾...	ابن عباس	٤٢ - الشورى/٣٣
لما نزلت هذه الآية		
﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب﴾...	أبو هريرة	٤ - النساء/١٢٣
لما نزلت هذه الآية ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم﴾...	ابن عمر	٢ - البقرة/٢٦١
لما نزلت هذه الآية ﴿من ذا الذي يقرض الله﴾...	ابن مسعود	٥٧ - الحديد/١١
لما نزلت هذه الآية ﴿والذين يكنزون الذهب﴾...	ابن عباس	٩ - التوبة/٣٥
لما نزلت هذه الآية ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم﴾...	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٨٤
لما نزلت هذه الآية ﴿وأنذر عشيرتك﴾...	أبو هريرة	٢٦ - الشعراء/٢١٤
لما نزلت هذه الآية ﴿وأنذر عشيرتك﴾...	علي	٢٦ - الشعراء/٢١٤
لما نزلت هذه الآية ﴿وإنّ ربك لذو مغفرة﴾...	سعيد بن المسيب	١٣ - الرعد/٦
لما نزلت هذه الآية ﴿وتزودوا﴾ قام رجل...	مقاتل بن حيان	٢ - البقرة/١٩٧
لما نزلت هذه الآية ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم﴾...	عدي بن حاتم	٢ - البقرة/١٨٧
لما نزلت هذه الآية		
﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلًا﴾...	علي	٥ - المائدة/١٠١
لما نزلت هذه الآية ﴿وليضربن بخمرهن﴾...	عائشة	٢٤ - النور/٣١
لما نزلت هذه الآية ﴿وليطوفوا بالبيت﴾...	ابن عباس	٢٢ - الحج/٢٩
لما نزلت هذه الآية ﴿لا ترفعوا أصواتكم﴾...	محمد بن ثابت بن قيس	٤٩ - الحجرات/٢
لما نزلت هذه الآية ﴿ياأيها الذين آمنوا﴾...	أبو بكر الصديق	٤٩ - الحجرات/٢
لما نزلت هذه الآية ﴿ياأيها الذين آمنوا﴾...	أنس بن مالك	٤٩ - الحجرات/٢
لما نزلت هذه الآية ﴿يدنين عليهن﴾...	أم سلمة	٣٣ - الأحزاب/٥٩
لما نزلت هذه السورة ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾		
قرأها رسول الله ﷺ...	أبو سعيد الخدري	١١٠ - النصر/١
لما نزلت هذه السورة على رسول الله ﷺ		
﴿إنك ميت﴾...	الزبير بن العوام	٣٩ - الزمر/٣١
لما نزلت هذه السورة على النبي ﷺ		

﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾...	علي بن أبي طالب	١٠٨ - التكاثر/٢
لما نزلت ﴿وآت ذا القربى حقه﴾		
دعا رسول الله ﷺ فاطمة...	أبو سعيد	١٧ - الإسراء/٢٦
لما نزلت ﴿وإلهكم إله واحد﴾...	أبو الضحى	٢ - البقرة/١٦٤
لما نزلت ﴿والذين يرمون المحصنات﴾...	ابن عباس	٢٤ - النور/٦
لما نزلت ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾...	عروة	٢٦ - الشعراء/٢٢٧
لما نزلت ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾...	سالم البراد	٢٦ - الشعراء/٢٢٧
لما نزلت ﴿وأنذر عشيرتك﴾...	عائشة	٢٦ - الشعراء/٢١٤
لما نزلت ﴿وأنذر عشيرتك﴾...	قبيصة بن مخارق وزهير بن عمرو	٢٦ - الشعراء/٢١٤
لما نزلت ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾		
أرسلت فارس إلى قريش...	ابن عباس	٦ - الأنعام/١٢١
لما نزلت		
﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن﴾...	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٢٠
لما نزلت		
﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن﴾...	ابن مسعود	٢ - البقرة/٢٢٠
لما نزلت ﴿ولله على الناس حج البيت﴾ قالوا	علي	٣ - آل عمران/٩٧
لما نزلت ﴿ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾...	عبد الله بن مسعود	٦ - الأنعام/٨٢
لما نزلت ﴿ولو أنا كتبنا عليهم﴾		
قال رجل : لو أمرنا لفعلنا	أبو إسحاق السبيعي	٤ - النساء/٦٦
لما نزلت ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً﴾		
قالت اليهود : فنحن مسلمون	عكرمة	٣ - آل عمران/٩٧
لما نزلت ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم﴾...	علي بن أبي طالب	٥٨ - المجادلة/١٢
لما نزلت ﴿ياأيها النبي إنا أرسلناك﴾...	ابن عباس	٣٣ - الأحزاب/٤٥
لما نزلت ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾		
قام رجل فقال : والشرك بالله...	عبد الله بن عمر	٤ - النساء/٤٨
لما نزلت ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾...	هارون بن عنترة عن أبيه	٥ - المائدة/٣
لما نسخنا المصحف فقدت آية من سورة الأحزاب...	زيد بن ثابت	٣٣ - الأحزاب/٢٣

لما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أتاه أحبار يهود...	عطاء بن يسار	١٧ - الإسراء/٨٥
لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي	عبد الله	٥ - المائدة/٧٩
لما وقف رسول الله ﷺ يوم فتح مكة عند مقام إبراهيم...	جابر	٢ - البقرة/١٢٥
لما ولدت حواء طاف بها إبليس...	سمرة	٧ - الأعراف/١٩٠
اللمّة من الزنا ثم يتوب ولا يعود...	أبو هريرة	٥٣ - النجم/٣٢
لموضع سوط أحدكم في الجنة...	سهل بن سعد	٣ - آل عمران/١٨٥
لن تصبروا إلا يسيرًا حتى يجلس الرجل...	عن رجل من الصحابة	٢٤ - النور/٥٥
لن تعجز الله هذه الأمة...	أبو ثعلبة الخشني	٧٢ - الجن/٢٥
لن تغزوكم قريش بعد عامكم...	محمد بن إسحاق	٣٣ - الأحزاب/٢٥
لن تقرأ شيئًا أنفع عند الله من ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾...	عقبة بن عامر	المعوّذتان
لن يدخل أحدًا منكم عمله الجنة...	...	٣٥ - فاطر/٣٥
لن يغلب عسر يسرين	الحسن	٩٤ - الشرح/٦
لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة...	أبو بكرة	٤ - النساء/٣٤
لن يلج الدرجات من تكهن أو استقسم...	أبو الدرداء	٥ - المائدة/٣
لن يلج النار أحد صلّى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها	عمارة بن رؤيبة	٢٠ - طه/١٣٠
لن يهلك الناس...	...	٦٧ - الملك/١١
لن يهلك الناس حتى يعذروا	رجل من أصحاب النبي ﷺ	٥ - المائدة/٧٩
له أجران	أبو هريرة	١٠٧ - الماعون/٦
لها ثلاث خرجات من الدهر...	حذيفة بن أسيد	٢٧ - النمل/٨٢
﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا﴾ - قال - الرؤيا الصالحة...	عبد الله بن عمرو	١٠ - يونس/٦٤
﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا﴾ - قال - الرؤيا الصالحة...	أبو هريرة	١٠ - يونس/٦٤
لو اجتمع أهل السماوات والأرض...	...	٤ - النساء/٩٣
لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما	عبد الرحمن بن غنم	٣ - آل عمران/١٥٩

لو أخذت ما في رحيَها ولم تنفضها لطحنتا إلى يوم القيامة...	أبو هريرة	٦٥ - الطلاق/٧
لو أخذوا أدنى بقرة لاكتفوا بها، ولكنهم شددوا	ابن عباس	٢ - البقرة/٦٨
لو أدرك رسول اللّه ﷺ ما أحدث النساء...	عائشة	٢٤ - النور/٣٧
لو أعلم أني لو زدت على السبعين	...	٢ - البقرة/١٠
لو أنّ أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله...	ابن عباس	١ - الفاتحة/البسملة
لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال...	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٢٣
لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء...	أبو سعيد	٩ - التوبة/١٠٥
لو أنّ أحدكم يعمل في صخرة صماء...	أبو سعيد الخدري	٣١ - لقمان/١٦
لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء...	أبو سعيد	٤٨ - الفتح/٢٩
لو أنّ أحدهم إذا أراد أن يأتي أهله قال : بسم اللّه...	...	١٧ - الإسراء/٦٤
لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا	أبو بكر	٩ - التوبة/٤٠
لو أن اللّه كتب ذلك	شريح بن عبيد	٤ - النساء/٦٦
لو أنّ امرأً اطلع عليك بغير إذن	...	٢٤ - النور/٢٧
لو أن حوراء بزقت في بحر لجي	أنس	٤٤ - الدخان/٥٤
لو أن الجن والإنس والشياطين والملائكة منذ خلقوا	أبو سعيد الخدري	٦ - الأنعام/١٠٣
لو أن دلوًا من غساق يهراق في الدنيا	أبو سعيد الخدري	٣٨ - ص/٥٧
لو أن الدنيا بحذافيرها في يد رجل من أمتي	أنس	١ - الفاتحة/٢
لو أن الدنيا تزن عند اللّه جناح بعوضة...	...	٢ - البقرة/٢٦
لو أن الدنيا تزن عند اللّه جناح بعوضة...	...	٤٣ - الزخرف/٣٥
لو أن رجلين تحابا في اللّه...	أبو هريرة	٤٣ - الزخرف/٦٧
لو أن رجلًا أراد فيه بإلحاد بظلم...	عبد اللّه بن مسعود	٢٢ - الحج/٢٥
لو أن رضاضة مثل هذه...	عبد اللّه بن عمرو	٦٩ - الحاقة/٣٢
لو أن شرارة بالمشرق - أي من نار جهنم - لوجد حرَّها	أنس	٩ - التوبة/٨١
لو أنّ صخرة زنة عشر أواق قذف بها من شفير جهنم...	أبو أمامة	١٩ - مريم/٥٩
لو أن عبدًا خرّ على وجهه...	محمد بن عمروة	٨٩ - الفجر/٢٤

لو أن مقمعًا من حديد وضع في الأرض...	أبو سعيد	٢٢ - الحج/٢١
لو أن الناس غضوا من الثلث إلى الربع...	ابن عباس	٢ - البقرة/١٨٢
لو أن الناس غضوا من الثلث إلى الربع...	ابن عباس	٤ - النساء/٩
لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا	ابن عباس	٢ - البقرة/٩٤
لو أنتم تكونون على كل حال على الحال التي كنتم عليها عندي	أبو هريرة	٣ - آل عمران/١٣٥
لو أنكم تتوكلون على الله...	عمر بن الخطاب	٦٧ - الملك/١٥
لو أنكم تكونوا على كل حال...	أبو هريرة	٣٩ - الزمر/٢٠
لو تركته لكان الماء ظاهرًا	ابن عباس	٢ - البقرة/١٢٧
لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا	أنس بن مالك	٥ - المائدة/١٠١
لو جاء العسر حتى يدخل هذا الجحر...	أنس بن مالك	٩٤ - الشرح/٦
لو جاء العسر فدخل هذا الجحر...	أنس بن مالك	٩٤ - الشرح/٦
لو حدّثتكم بتفسيرها لكفرتم وكفركم تكذيبكم بها	ابن عباس	٦٥ - الطلاق/١٢
لو حرم عليهم لتركوه كما تركتم...	أبو هريرة	٥ - المائدة/٩٠
لو دخلتموها ما خرجتم منها أبدًا	علي	٤ - النساء/٥٩
لو دخلوها أوّل مرة كانت عليهم بردًا وسلامًا	ثوبان	١٧ - الإسراء/١٥
لو دعيت إلى ذراع لأجبت...	...	٣٣ - الأحزاب/٥٣
لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا	أبو هريرة	٩٦ - العلق/١٨
لو رأيت مع أم رومان رجلًا ما كنت فاعلا	حذيفة	٢٤ - النور/٦
لو رأيت مكانهما لأبغضتهما	علي	١٧ - الإسراء/١٥
لو رأيتموني وإبليس فأهويت بيدي	أبو سعيد الخدري	٣٨ - ص/٣٥
لو رحم الله من قوم نوح أحدًا	ابن عباس	٧١ - نوح/٢٥
لو رحم الله من قوم نوح أحدًا لرحم أم الصبي	عائشة	١١ - هود/٤٤
لو شئت لأجرى الله معي جبال...	...	٢٥ - الفرقان/٢٠
لو ضرب الجبل بمقمع من حديد...	أبو سعيد الخدري	٢٢ - الحج/٢١
لو طعنت في فخذها لأجزأ عنك	أبو العشراء الدارمي عن أبيه	٥ - المائدة/٣
لو عدلت الدنيا عند الله جناح بعوضة...	سهل بن سعد	٤٣ - الزخرف/٣٥

لو فعل لأخذته الملائكة عيانًا	ابن عباس	٣ - آل عمران/٦٣
لو فعل لأخذته الملائكة عيانًا	ابن عباس	٦٢ - الجمعة/٧
لو فعل لأخذته الملائكة عيانًا	ابن عباس	٩٦ - العلق/١٨
لو فعلت ذلك حتى تنظر ما الذي يريدون	عمر بن الخطاب	٦ - الأنعام/٥٣
لو قحط الناس سبع سنين ثم مطروا لقالوا	أبو سعيد	٥٦ - الواقعة/٨٢
لو قلت نعم لوجبت...	أنس بن مالك	٣ - آل عمران/٩٧
لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال...	أبو هريرة	٦٢ - الجمعة/٣
لو كان في هذا المسجد مائة ألف أو يزيدون	أبو هريرة	٩ - التوبة/٨١
لو كان لابن آدم وادٍ من ذهب	...	١٠٢ - التكاثر/١
لو كان محمد ﷺ كاتمًا شيئًا	عائشة	٥ - المائدة/٦٧
لو كان المُطعِم بن عدي حيًا ثم سألني في هؤلاء...	...	٨ - الأنفال/٣١
لو كان هذا في غير هذا لكان خيرًا ذلك	جعدة بن خالد بن الصمة	٥ - المائدة/٦٧
لو كانت الدنيا تزن عند اللّه...	سهل بن سعد	٤٣ - الزخرف/٣٥
لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد...	...	٤ - النساء/٣٤
لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة...	معاذ	١٢ - يوسف/١٠٠
لو كنت لأسرعت الإجابة وما ابتغيت العذر	أبو هريرة	١٢ - يوسف/٥٠
لو كنت معكم الآن ببدر ومعي بصري لأخبرتكم...	مالك بن ربيعة	٨ - الأنفال/٤٨
لو لم يقل - يعني يوسف - الكلمة التي قال ما لبث في السجن	ابن عباس	١٢ - يوسف/٤٢
لو مكث كذا وكذا سنة ما طاف حتى أطوف	سلمة	٤٨ - الفتح/١٨
لو نزلت لكان ابن أم عبد منهم	...	٤ - النساء/٦٦
لو يعلم العبد قدر عفو اللّه...	قتادة	١٥ - الحجر/٥٠
لو يعلم المؤمن ما عند اللّه من العقوبة...	أبو هريرة	١ - الفاتحة/٣
لو يعلم المؤمن ما عند اللّه من العقوبة...	أبو هريرة	٦ - الأنعام/١٦٥
لوددت أنها في قلب كل إنسان	ابن عباس	٣٦ - يس/فضائلها
لوددت أنها في قلب كل إنسان من أمتي	ابن عباس	٦٧ - الملك/فضائلها
لولا آية من كتاب اللّه ما حدثت...	أبو هريرة	٢ - البقرة/١٥٩

لولا أن بني إسرائيل قالوا:		
﴿وإنا إن شاء الله لمهتدون﴾...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٧٠
لولا أن الرسل لا تقتل لضربت عنقك	...	٩ - التوبة/٦
لولا أن قومك حديث عهد بجاهلية...	عائشة	٢ - البقرة/١٢٧
لولا أن الناس حديث عهدهم بكفر...	عائشة	٢ - البقرة/١٢٧
لولا أنكم تذنبون لخلق الله عز وجل قومًا يذنبون	أبو أيوب الأنصاري	٣٩ - الزمر/٥٣
لولا حداثة عهد قومك بالكفر...	عائشة	٢ - البقرة/١٢٧
لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ أحدًا العيش...	سعيد بن المسيب	١٣ - الرعد/٦
لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ أحدًا العيش...	سعيد بن المسيب	٤١ - فصلت/٤٣
ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة...	أبو هريرة	١٨ - الكهف/١٠٥
ليأتين على الناس زمان عضوض...	علي بن أبي طالب	٢ - البقرة/٢٣٧
ليأتين على الناس ليلة تعدل ثلاث ليالي	عبد الله بن أبي أوفى	٦ - الأنعام/١٥٨
ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار...	تميم الداري	٩ - التوبة/٣٣
ليت رجلًا صالحًا من أصحابي يحرسني الليلة...	عائشة	٥ - المائدة/٦٧
ليت شعري ما فعل أبواي	محمد بن كعب القرظي	٢ - البقرة/١١٩
ليحجن البيت وليعتمرن	أبو سعيد الخدري	٢ - البقرة/١٢٧
ليُحجن هذا البيت وليعتمرن .	أبو سعيد	٢١ - الأنبياء/٩٦
ليدخل الجنة بشفاعة رجل ليس بنبي	أبو أمامة	٥٣ - النجم/٤
ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفًا	ثوبان	٣ - آل عمران/١١٠
ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفًا	السهل بن سعد	٣ - آل عمران/١١٠
ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفًا	سهل بن سعد	٣٩ - الزمر/٧٣
ليراجعها	عبد الله بن عمر	٦٥ - الطلاق/١
ليس أولئك عنيت...	...	٦٠ - الممتحنة/١٢
ليس بأرض ولا امرأة ولكنه رجل...	فروة بن مسيك	٣٤ - سبأ/١٥
ليس بحين نداءٍ ولا نزوٍ ولا فرار	ابن عباس	٣٨ - ص/٣
ليس بالذي تعنون	...	٦ - الأنعام/٨٢
﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم﴾...	أبو ذر	٢ - البقرة/١٧٧

ليس بالكذاب من ينم خيرًا	...	٢ - البقرة/١٠٢
ليس الشديد بالصرعة...	أبو هريرة	٣ - آل عمران/١٣٤
ليس عدوك...	أبو مالك الأشعري	٦٤ - التغابن/١٥
ليس على أمة حد حتى تحصن	ابن عباس	٤ - النساء/٢٥
ليس على أهل لا إله إلا اللّٰه وحشة...	ابن عمر	٣٥ - فاطر/٣٤
ليس الغنى عن كثرة العرض...	أبو هريرة	٩٣ - الضحى/٨
ليس الفجر المستطيل في الأفق...	طلق	٢ - البقرة/١٨٧
ليس في الجنة شيء إلا قد أعطيتم في الدنيا شبهه...	ابن عباس	٧٦ - الإنسان/١٦
ليس في المال حق سوى الزكاة...	...	٢٢ - الحج/٣٧
ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس...	أم كلثوم بنت عقبة	٤ - النساء/١١٤
ليس كما تظنون	عبد اللّٰه بن مسعود	٦ - الأنعام/٨٢
ليس لك عليه نفقة...	فاطمة بنت قيس الفهرية	٦٥ - الطلاق/١
ليس لنا مثل السوء	...	٤٩ - الحجرات/١٢
ليس لنا مثل السوء العائد في هبته...	...	٧ - الأعراف/١٧٧
ليس له ذلك...	علي	٤ - النساء/٣٤
ليس المسكين بالطواف...	الزهري	٥١ - الذاريات/١٩
ليس المسكين بالطواف عليكم...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٧٣
ليس المسكين بهذا الطواف...	أبو هريرة	٢ - البقرة/١٧٧
ليس المسكين بهذا الطواف...	أبو هريرة	٩ - التوبة/٦٠
ليس المسكين بهذا الطواف الذي ترده اللقمة...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٧٣
ليس المسكين بهذا الطواف الذي ترده اللقمة...	ابن مسعود	٢ - البقرة/٢٧٣
ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٧٣
ليس من عمل يوم إلا وهو يختم عليه...	عقبة بن عامر	١٧ - الإسراء/١٣
ليس من فرس عربي إلا يؤذن له مع كل فجر...	أبو ذر	٣ - آل عمران/١٤
ليس من ليلة إلا والبحر يشرف فيها	عمر بن الخطاب	٥٢ - الطور/٦
ليس من يوم إلا يعرض فيه على النبي ﷺ أمته...	سعيد بن المسيب	٤ - النساء/٤١
ليس منا من ضرب الخدود...	عبد اللّٰه بن مسعود	٦٠ - الممتحنة/١٢

ليس منا من لم يتغن بالقران	...	١٥ - الحجر/٨٧
ليس منا من لم يتغن بالقرآن	...	٧٣ - المزمل/٤
ليس من عزائم السجود...	ابن عباس	٣٨ - ص/٢٤
ليكونن في هذه الأمة قذف وخسف ومسخ	...	٦ - الأنعام/٦٥
ليلة أسري برسول الله ﷺ دخل الجنة فسمع...	ابن عباس	١٧ - الإسراء/١
ليلة أسري بي لقيت موسى...	أبو هريرة	٤ - النساء/١٥٩
ليلة سمحة طلقة...	ابن عباس	٩٧ - القدر/٥
ليلة الضيف واجبة على كل مسلم...	المقدام بن أبي كريمة	٤ - النساء/١٤٨
ليلة القدر أربع وعشرين	أبو سعيد	٩٧ - القدر/٥
ليلة القدر في العشر البواقي	عبادة بن الصامت	٩٧ - القدر/٥
ليلة القدر ليلة أربع وعشرين	بلال	٩٧ - القدر/٥
ليليني منكم أولوا الأحلام والنهى...	أبو مسعود	٥٨ - المجادلة/١١
لئن اتبعتم أذناب البقر...	عبد الله بن عمرو	٢٩ - العنكبوت/٢٦
لئن أظهرني الله عليهم لأمثلن بثلاثين رجلًا منهم...	عطاء بن يسار	١٦ - النحل/١٢٦
لئن اقتتلتم لأنظرن إلى أقصى بيت في داري فلألجنه	...	٥ - المائدة/٢٩
لئن فعل لأخذته الملائكة...	ابن عباس	٩٦ - العلق/١٥
لئن كنت أقصرت الخطبة...	البراء بن عازب	٩٠ - البلد/١٣
لئن كنت صادقًا لأنا أسعد به منك...	أبو الدرداء	٣٥ - فاطر/٣٢
لينتهين رجال أو لأحرقنَّ بيوتهم	أسامة بن زيد	٢ - البقرة/٢٣٨
ليهلّنّ عيسى ابن مريم بفج الروحاء...	أبو هريرة	٤ - النساء/١٥٩

حرف الميم

ما أبالي ما أوتيت إنْ أنا شربت...	عبد الله بن عمرو	٣٦ - يس/٦٩
ما أبقيت لأهلك...	...	٥٩ - الحشر/٩
ما أبكاكم؟...	عبد الله بن مسعود	٩ - التوبة/١١٣
ما أجلسكما ههنا؟...	أبو هريرة	١٠٢ - التكاثر/٨
ما أحب أن لي أحدًا ذاك عندي ذهبًا	أبو ذر	٤ - النساء/٤٨
ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية...	ثوبان	٣٩ - الزمر/٥٣

ما أحب أني حكيت إنسانًا	عائشة	٤٩ - الحجرات/١٢
ما أحببت الإمارة قط حبي إياها يومئذ...	عمر بن الخطاب	٣ - آل عمران/٦٣
ما أحد أكثر من الربا إلا كان عاقبة أمره إلى قل	ابن مسعود	٢ - البقرة/٢٧٦
ما أحسن القصد في الغنى...	حذيفة	٢٥ - الفرقان/٦٧
ما أحسنَ محسن من مسلمٍ أو كافر...	ابن مسعود	٤٠ - غافر/٤٦
ما إخاله سرق...	أبو هريرة	٥ - المائدة/٣٩
ما أخبرتكم أنه من عند اللّه فهو	أبو هريرة	٥٣ - النجم/٤
ما أخرجك هذه الساعة؟...	عمر بن الخطاب	١٠٢ - التكاثر/٨
ما أدري تبع نبيًا كان أم غير نبي	أبو هريرة	٤٤ - الدخان/٣٧
ما أدري الحدود طهارة لأهلها أم لا	أبو هريرة	٤٤ - الدخان/٣٧
ما أدي زكاته فليس بكنز...	جمع من الصحابة	٩ - التوبة/٣٥
ما أرى ربك إلا قد قلاك...	عبد اللّه بن شداد	٩٣ - الضحى/٣
ما استفاد المرء بعد تقوى اللّه خيرًا من	أبو أمامة	٢ - البقرة/٢
ما أسرَّ أحد سريرة إلا	...	٤٧ - محمد/٢٩
ما أسر أحد سريرة إلا ألبسه...	جندب بن سفيان	٤٨ - الفتح/٢٩
ما أسري برسول اللّه ﷺ إلا وهو في بيتي	أم هانئ بنت أبي طالب	١٧ - الإسراء/١
ما اسمك ؟ قال : الحباب بن عبد اللّه...	الشعبي	٩ - التوبة/٨٠
ما أصاب أحدًا قط هَمّ ولا حزن	عبد اللّه بن مسعود	٧ - الأعراف/١٨٠
﴿ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾...	علي	٤٢ - الشورى/٣٠
ما أصر من استغفر...	أبو بكر	٣ - آل عمران/١٣٥
ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة...	المقدام بن معديكرب	٤ - النساء/٣٦
ما أطعمته إذ كان جائعًا	عباد بن شرحبيل	٢ - البقرة/١٧٣
ما أطيبك وأطيب ريحك...	عبد اللّه بن عمر	٤٩ - الحجرات/١٢
ما أظن أبا حبيب - يعني ابن الزبير - سمع من عائشة...	الحارث بن عبيد اللّه	٢ - البقرة/١٢٧
ما أظن أحدًا يبغض أبا بكر وعمر...	محمد بن سيرين	٤ - النساء/٣١
ما أعجب رسول اللّه ﷺ شيء من الدنيا	عائشة	٤٩ - الحجرات/١٣
ما أعلمك إلا قد حرمت عليه...	أبو العالية	٥٨ - المجادلة/٢

ما أعماركم في أعمار من مضى إلا	ابن عمر	٥٤ - القمر/١
ما أقدمك أي أخي ؟ قال : حديث بلغني	أبو الدرداء	٣٥ - فاطر/٣٢
ما أمرت بتشييد المساجد...	ابن عباس	٢٤ - النور/٣٦
ما أمرت فيهم بشيء بعد...	فروة بن مسيك	٣٤ - سبأ/١٥
ما أمسك عليك فكل	عدي بن حاتم	٥ - المائدة/٤
ما أنا بفاعل ما أنا بالذي يسأل ربه هذا	ابن عباس	١٧ - الإسراء/٩٠
ما انجاب ماء منذ كان الناس غير مسير مكان الحوت...	أبيّ بن كعب	١٨ - الكهف/٦٤
ما أنزل اللَّه داء إلا أنزل له دواء	...	٢ - البقرة/١٠٢
ما أنزل اللَّه عز وجل فينا شيئًا	عائشة	٤٦ - الأحقاف/١٧
ما أنزل اللَّه في التوراة ولا في الإنجيل مثل...	أبي بن كعب	١ - الفاتحة/المقدمة
ما أنزل اللَّه من السماء من بركة إلا	أبو هريرة	٥٦ - الواقعة/٨٢
ما أنعم اللَّه على عبد نعمة...	أنس بن مالك	١ - الفاتحة/٢
ما أنعم اللَّه على عبد نعمة...	أنس	١٨ - الكهف/٣٩
ما أنفقت الورق في شيء أفضل من	ابن عباس	٢٢ - الحج/٣٦
ما أنهر الدم وذكر اسم اللَّه عليه فكلوه	رافع بن خديج	٥ - المائدة/٢
ما أنهر الدم وذكر اسم اللَّه عليه فكلوه...	رافع بن خديج	٥ - المائدة/٣
ما أنهر الدم وذكر اسم اللَّه عليه فكلوه	رافع بن خديج	٦ - الأنعام/١٢١
ما أهلك اللَّه قومًا بعذاب من السماء...	أبو سعيد	٢٨ - القصص/٤٣
ما الإيمان ؟ فقرأ عليه هذه الآية...	رجل	٢ - البقرة/١٧٧
ما بال أقوام جاوزهم القتل اليوم...	الأسود بن سريع	٣٠ - الروم/٣٠
ما بال أقوام حرموا النساء والطعام والنوم...	...	٥ - المائدة/٨٨
ما بال أقوام يتناولون الذرِّيَّة...	الأسود بن سريع	٧ - الأعراف/١٧٢
ما بال أقوام يقول أحدهم كذا وكذا لكني أصوم وأفطر...عائشة		٥ - المائدة/٨٨
ما بال دعوى الجاهلية ؟ دعوها	جابر بن عبد اللَّه	٦٣ - المنافقون/٨
ما بال رجال يقولون :		
إن رحم رسول اللَّه ﷺ لا تنفع...	أبو سعيد الخدري	٢٣ - المؤمنون/١٠١
ما بال العامل نبعثه على عمل...	أبو حميد الساعدي	٣ - آل عمران/١٦١

ما بالهم وبال الكلاب اقتلوا منها كل أسود بيهم	...	٥ - المائدة/٤
ما بضع سنين عندكم ؟ قالوا : دون العشر...	عبد اللّٰه بن مسعود	٣٠ - الروم/٣
ما بعث اللّٰه من نبي ولا استخلف من خليفة...	أبو سعيد	٣ - آل عمران/١١٨
ما بعث اللّٰه من نبي ولا استخلف من خليفة...	أبو هريرة	٣ - آل عمران/١١٨
ما بعث اللّٰه نبيًا إلا شابًا	ابن عباس	٢١ - الأنبياء/٦٠
ما بعثه رسول اللّٰه ﷺ في سرية إلا	عائشة	٣٣ - الأحزاب/٣٧
ما بقي من شيء يقرّب من الجنة ويباعد من النار إلا	أبو ذر	٩ - التوبة/١٢٨
ما بهذا بعثت إنما جئتكم من عند اللّٰه بما بعثني	ابن عباس	١٧ - الإسراء/٩٠
ما بين الخمسين إلى الستين	حذيفة	٣٥ - فاطر/٣٧
ما بين المشرق والمغرب قبلة...	...	٢ - البقرة/١٤٤
ما بين المشرق والمغرب قبلة...	أبو هريرة	٢ - البقرة/١١٥
ما بين المشرق والمغرب قبلة...	أبو هريرة	٢ - البقرة/١١٥
ما بين المشرق والمغرب قبلة...	عمر وعلي وابن عباس	٢ - البقرة/١١٥
ما بين المشرق والمغرب قبلة...	ابن عمر	٢ - البقرة/١١٥
ما بين النفختين أربعون	أبو هريرة	٣٩ - الزمر/٦٨
ما بين النفختين أربعون	أبو هريرة	٧٨ - النبأ/١٨
ما بي ما تقولون ما جئتكم بما جئتكم به أطلب أموالكم...	ابن عباس	١٧ - الإسراء/٩٠
ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟...	عبد اللّٰه بن عمر	٥ - المائدة/٤١
ما تجرع عبد من جرعة أفضل أجرًا من جرعة غيظ كظمها	ابن عمر	٣ - آل عمران/١٣٤
ما تراضى عليه أهلوهم	عبد الرحمن بن مالك	٤ - النساء/٤
ما ترك القاتل على المقتول من ذنب...	...	٥ - المائدة/٢٩
ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء	...	٣ - آل عمران/١٤
ما ترى دينار ؟ قال لا يطيقونه...	علي	٥٨ - المجادلة/١٢
ما تريدون؟...	السدي	٦ - الأنعام/١٠٨
ما تسمون هذه ؟ قالوا : السحاب...	العباس بن عبد المطلب	٤٠ - غافر/٧

ما تشتكي ؟ قال : ذنوبي	أبو ظبية عن عثمان	٥٦ - الواقعة/فضائلها
ما تعبد ؟ قال : أعبد الله...	عمران بن الحصين عن أبيه	٢٣ -المؤمنون/١١٧
ما تقول ؟ فقال : إنك والله لئن فعلت ذلك...	معاوية	١١ - هود/٨٨
ما تقول ؟ قال : فجعلت أعرض بينهما كلامًا	معاوية	١١ - هود/٨٨
ما تقولون في الزنا؟...	المقداد بن الأسود	٤ - النساء/٣٦
ما تقولون في الزنا ؟ قالوا : حرمه الله...	المقداد بن الأسود	٢٥ - الفرقان/٦٨
ما تقولون في هؤلاء؟...	عبد الله بن مسعود	٨ - الأنفال/٦٧
ما تقولين ؟ قالت : نعم وإن شاء زدته ففرق بينهما	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٢٩
ما تكلم أحد في صغره إلا عيسى وصاحب جريج	أبو هريرة	٣ - آل عمران/٤٦
ما جعل الله منية عبد بأرض إلا	أسامة	٣١ - لقمان/٣٤
ما جعل الله ميتة عبد بأرض إلا جعل...	أسامة بن زيد	٣١ - لقمان/٣٤
ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا الله فيه...	أبو هريرة	٣٣ - الأحزاب/٥٦
ما جمع رسول الله ﷺ بيت شعر قط...	عائشة	٣٦ - يس/٦٩
ما حاجتك؟...	ابن عباس	٨٠ - عبس/١
ما حبسك يا جبريل؟...	مجاهد	١٩ - مريم/٦٤
ما حسدتكم اليهود على شيء...	ابن عباس	١ - الفاتحة/٧
ما حسن الله خلق رجل وخلقه...	بكر بن أبي الفرات	٣١ - لقمان/١٩
ما حفظت ق إلا من في رسول الله ﷺ...	ابنة الحارث بن النعمان	٥٠ - ق/فضائلها
ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه...	ابن عمر	٢ - البقرة/١٨٠
ما حملك على ذلك؟...	...	٤٢ - الشورى/٣٩
ما حملك على ذلك يرحمك الله؟...	ابن عباس	٥٨ - المجادلة/٣
ما حملك على الذي قلت...	...	٩ - التوبة/٦٢
ما حملكم على ما صنعت ، قال رأيتك فعلته...	جابر	٢ - البقرة/١٨٩
ما حملكم على ما صنعت يا أبا بكر...	ابن عباس	٣ - آل عمران/١٨١
ما حملكم أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني	عثمان بن عفان	٩ - التوبة/١
ما خالطت الصدقة مالًا إلا أفسدته...	...	٤ - النساء/٨
ما خلأت القصواء...	...	١٠٥ - الفيل/٥

ما خلا يهودي بمسلم...	أبو هريرة	٥ - المائدة/٨٢
ما خلفت وراءك لأهلك يا عمر...	عامر الشعبي	٢ - البقرة/٢٧١
ما دعاك إلى هذا ؟ قال تصديقًا لله...	البراء	٣٠ - الروم/٣
ما دعوت أحدًا إلى الإسلام إلا كانت له كبوة...	...	١١ - هود/٢٧
ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم...	المستورد أخو بني فهر	١٣ - الرعد/٢٦
ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم أصبعه...	المستورد أخو بني فهر	٩ - التوبة/٣٩
ما رأى إبليس يومًا هو فيه أصغر ولا أحقر...	طلحة بن عبيد الله بن كريز	٨ - الأنفال/٤٨
ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعًا ضاحكًا	عائشة	٤٦ - الأحقاف/٢٥
ما رأيت شيئًا أشبه باللمم...	ابن عباس	٥٣ - النجم/٣٢
ما رأيت قومًا خيرًا من أصحاب محمد ﷺ...	ابن عباس	٢ - البقرة/١٠٨
ما زال جبريل يوصيني بالجار...	عبد الله بن عمر	٤ - النساء/٣٦
ما زالت أكلة خيبر تعاودني	...	٢ - البقرة/٨٧
ما زلنا نشك في عذاب القبر...	علي	١٠٢ - التكاثر/١
ما ساء عمل قوم قط إلا زخرفوا مساجدهم	...	٢٤ - النور/٣٦
ما سألت رسول الله ﷺ عن شيء أكثر مما سألته عن الكلالة...	عمر بن الخطاب	٤ - النساء/١٧٦
ما سألني أحد عن هذه الآية...	عائشة	٤ - النساء/١٢٣
ما سألني عنها أحد قبلك : الرؤيا الصالحة...	عبادة بن الصامت	١٠ - يونس/٦٤
ما سألني عنها أحد قبلك ، سألت عنها نبي الله ﷺ...	عبادة بن الصامت	١٠ - يونس/٦٤
ما سألني عنها أحد قبلك يا عثمان	عثمان بن عفان	٣٩ - الزمر/٦٣
ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم...	زيد	٢ - البقرة/٢٥٥
ما السماوات السبع والأرضون السبع...	...	٢٣ - المؤمنون/٨٦
ما السماوات السبع وما فيهن	...	١٣ - الرعد/٢
ما سمعت رسول الله ﷺ دعا إلا استفتحه...	سلمة بن الأكوع	٣٨ - ص/٣٥
ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد يمشي	سعد	٤٦ - الأحقاف/١٠
ما سمعت عمر رضي الله عنه يقول لشيء قط إني لأظنه هكذا	عبد الله بن عمر	٤٦ - الأحقاف/٢٩

ما شأنكم؟...	النواس بن سمعان	٤ - النساء/١٥٩
ما شأنكم؟ قالوا استعجلنا إلى الصلاة...	أبو قتادة	٦٢ - الجمعة/٩
ما شيء أكرم على اللّه يوم القيامة من ابن آدم	عبد اللّه بن عمرو	١٧ - الإسراء/٧٠
ما صامتا، وكيف صام من ظل يأكل...	أنس	٤٩ - الحجرات/١٢
ما صحبه منا أحد، ولكنا فقدناه ذات ليلة...	عبد اللّه بن مسعود	٤٦ - الأحقاف/٢٩
ما صدتموه وهو حي فمات فكلوه...	جابر	٥ - المائدة/٩٦
ما ضرَّ ابن عفان من عمل بعد اليوم	عبد الرحمن بن سمرة	٩ - التوبة/١٢١
ما ضرب رسول اللّه ﷺ بيده خادمًا له...	عائشة	٦٨ - القلم/٤
ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا	أبو أمامة	٤٣ - الزخرف/٥٨
ما طعامكم ؟ قلنا : نصطبح ونغتبق	النجيع العامري	٥ - المائدة/٣
ما عال من اقتصد	ابن مسعود	١٧ - الإسراء/٢٩
ما عال من اقتصد	عبد اللّه بن مسعود	٢٥ - الفرقان/٦٧
ما علمت حتى دخلت عليّ زينب...	عائشة	٤٢ - الشورى/٤١
ما على أحدكم إن وجد سعة...	عائشة	٦٢ - الجمعة/٩
ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة...	عبد اللّه بن سلام	٦٢ - الجمعة/٩
ما على ظهر الأرض من رجل مسلم يدعو اللّه...	عبادة بن الصامت	٢ - البقرة/١٨٦
ما على ظهر الأرض من رجلٍ مسلم يدعو اللّه عز وجل...	عبادة بن الصامت	٢ - البقرة/١٨٦
ما على عثمان ما عمل بعد هذا	عبد الرحمن بن حباب	٩ - التوبة/١٢١
ما عمل آدمي عملًا قط أنجى له من عذاب اللّه...	معاذ بن جبل	٣٣ - الأحزاب/٣٥
ما عمل ابن آدم يوم النحر عملًا	عائشة	٢٢ - الحج/٣٦
ما عمل بها أحد غيري	علي	٥٨ - المجادلة/١٣
ما العمل في أيام أفضل...	ابن عباس	٢٢ - الحج/٢٨
ما عندك يا ثمامة؟ فقال : إن تقتل...	...	٤٧ - محمد/٤
ما فتح اللّه على عاد من الريح...	ابن عمر	٦٩ - الحاقة/٧
ما فتح على عاد من الريح إلا	ابن عباس	٤٦ - الأحقاف/٢٥
ما فعل كعب بن مالك؟ فقال رجل من بني سلمة...	كعب بن مالك	٩ - التوبة/١١٨

ما فقد جسد رسول اللّه ﷺ...	عائشة	١٧ - الإسراء/١
ما فوق الإزار	عبد اللّه بن سعد الأنصاري	٢ - البقرة/٢٢٢
ما فوق الإزار، والتعفف عن ذلك أفضل	معاذ بن جبل	٢ - البقرة/٢٢٢
ما فوق الإزرار وظل الحائط...	ابن عباس	١٠٢ - التكاثر/٨
ما في الجنة شجرة إلا ساقها من ذهب	أبو هريرة	٥٦ - الواقعة/٣٠
ما في السماء الدنيا موضع قدم...	عائشة	٧٤ - المدثر/٣١
ما في السماوات السبع موضع قدم...	جابر بن عبد اللّه	٧٤ - المدثر/٣١
ما في القرآن آية: ﴿ياأيها الذين آمنوا﴾ إلا أن عليًا سيدها	ابن عباس	٥ - المائدة/١
ما قال عبد لا إله إلا اللّه في ساعة...	أنس بن مالك	١١ - هود/١١٤
ما قام رسول اللّه ﷺ على المنبر إلا	عائشة	٣٣ - الأحزاب/٧٠
ما قُتِلَتْ نفس ظلمًا إلا كان	...	٢٩ - العنكبوت/١٣
ما قتلت نفس ظلمًا إلا كان	ابن مسعود	٤١ - فصلت/٢٩
ما قرأ رسول اللّه ﷺ على الجن	ابن عباس	٤٦ - الأحقاف/٢٩
ما قطع من البهيمة وهي حية فهو ميتة	أبو واقد الليثي	٢٢ - الحج/٣٦
ما قلَّ وكفى خير مما كثر وألهى	...	٥ - المائدة/١٠٠
ما كان أحد يصدُّ عن هذا البيت...	...	٢ - البقرة/١١٤
ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا اللّه...	ابن مسعود	٥٧ - الحديد/١٦
ما كان ذو الكفل بنبي ولكن	أبو موسى الأشعري	٢١ - الأنبياء/٨٥
ما كان رسول اللّه ﷺ يقرأ في العيد...	...	٥٠ - ق/فضائلها
ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد...	علي	٨ - الأنفال/١١
ما كان من حلف في الجاهلية...	قيس بن عاصم	٤ - النساء/٣٣
ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به...	قيس بن عاصم	٤ - النساء/٣٣
ما كان من كلب ضار أمسك عليك فكل	عدي بن حاتم	٥ - المائدة/٤
ما كان النبي ﷺ يفسر شيئًا من القرآن	عائشة	المقدمة
ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد...	أبو ذر	٢ - البقرة/٢٥٥
ما كلم اللّه أحدًا إلا من وراء حجاب...	...	٤٢ - الشورى/٥١
ما كنا نعرف انقضاء صلاة رسول اللّه ﷺ إلا بالتكبير..	ابن عباس	٢ - البقرة/١٨٥

ما كنت أرى أن أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ يريد الدنيا	....	٣ - آل عمران/١٥٢
ما كنت أرى أن الجهد قد بلغ بك هذا	كعب بن عجرة	٢ - البقرة/١٩٦
ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا	ابن عباس	٣٤ - سبأ/٢٣
ما كنتم تقولون في هذا ؟	العباس	٧٢ - الجن/١٠
ما كنتم تنادون به...	أبو هريرة	٩ - التوبة/٣
ما لك ولابنة آل قيس؟...	فاطمة بنت قيس الفهرية	٦٥ - الطلاق/١
مالك يا عبد الرحمن ؟ قال : فذكرت ذلك له...	عبد الرحمن بن عوف	٣٣ - الأحزاب/٥٦
ما لكم تسألون أهل الكتب...	ابن عباس	٢١ - الأنبياء/٢
ما لكم تضربون كتاب الله...	عبد الله بن عمرو بن العاص	٤ - النساء/٨٢
ما لكم لا تتكلّمون؟...	...	٦٥ - الطلاق/١٢
ما لنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال...	أم سلمة	٣٣ - الأحزاب/٣٥
ما له تربت يمينه	...	٤٢ - الشورى/٣٧
ما له لا يقرأ كتاب الله ﴿ونضع الموازين القسط﴾...	عائشة	٢١ - الأنبياء/٤٧
ما لي أراك قد جهدت جهدًا شديدًا	معاذ	٢ - البقرة/١٨٤
ما لي أراكم سكوتًا ؟ للجن كانوا أحسن منكم ردًّا	جابر بن عبد الله	٤٦ - الأحقاف/٢٩
ما لي أراكم عزين	جابر بن سمرة	٧٠ - المعارج/٣٧
ما لي أراكم عزين	أبو هريرة	٧٠ - المعارج/٣٧
ما لي أسمع الجن أحسن جوابًا	ابن عمر	٥٥ - الرحمن/فضائلها
ما لي فيه إلا مثل ما لأحدكم...	عبادة بن الصامت	٣ - آل عمران/١٦١
ما لي لم آت أهل سماء إلا رحبوا بي	أنس	١٧ - الإسراء/١
ما لي وللدنيا	عبد الله بن مسعود	٩٣ - الضحى/٤
ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل الله له النساء...	عائشة	٣٣ - الأحزاب/٥٢
ما مثل هذه الثنية الليلة إلا كمثل...	أبو سعيد الخدري	٢ - البقرة/٥٨
ما مررت على الركن إلا رأيت عليه ملكًا	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٠٢
ما المسئول عنها بأعلم من السائل...	...	٤١ - فصلت/٤٧
ما المسئول عنها بأعلم من السائل...	...	٧٩ - النازعات/٤٤

ما مطر قوم من ليلة إلا أصبح قوم...	أبو أمامة	٥٦ - الواقعة/٨٢
ما معك يا فلان ؟...	أبو هريرة	٢ - البقرة/المقدمة
ما ملأ ابن آدم وعاء شرًا من بطنه...	المقدام بن معديكرب الكندي	٧ - الأعراف/٣١
ما من أحد إلا وله منزل في الجنة...	...	٤٣ - الزخرف/٧٢
ما من أحد من ولد آدم إلا وقد أخطأ	ابن عباس	١٩ - مريم/١٥
ما من أحد يشرب خمرًا	...	٤ - النساء/٣١
ما من أحد يلقى اللّه يوم القيامة إلا ذا ذنب...	ابن المسيب	١٩ - مريم/١٥
ما من أحد يمر بقبر أخيه المسلم...	ابن عباس	٣٠ - الروم/٥٢
ما من إمام يموت - يوم يموت - وهو غاشٌ...	....	٤٠ - غافر/٢٩
ما من امرئ مسلم يزد عن حوض أخيه...	أبو الدرداء	٣٠ - الروم/٤٧
ما من امرئ مسلم يركب دابة...	عبد اللّه بن عباس	٤٣ - الزخرف/١٤
ما من امرئ يخذل امرءًا مسلمًا	جابر بن عبد اللّه وأبو طلحة بن سهل	٤٩ - الحجرات/١٢
ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات...	أبو هريرة	٢٩ - العنكبوت/٥٠
ما من أيام أعظم عند اللّه ولا أحب...	ابن عمر	٢٢ - الحج/٢٨
ما من أيام العمل الصالح أحب إلى اللّه...	ابن عباس	٨٩ - الفجر/١
ما من بعير إلا في ذروته شيطان	أبو لاس الخزاعي	٤٣ - الزخرف/١٤
ما من ثلاثة في قرية ولا بدو	أبو الدرداء	٥٨ - المجادلة/١٩
ما من حافظين يرفعان إلى اللّه عز وجل...	أنس	٨٢ - الانفطار/١٢
ما من خارج يخرج إلا ببابه رايتان	أبو هريرة	٧٦ - الإنسان/٣
ما من ذنب أجدر أن يعجل اللّه عقوبته؟...	...	١٦ - النحل/٩٠
ما من ذنب أجدر أن يعجل اللّه عقوبته في الدنيا	...	٥ - المائدة/٣١
ما من ذنب أجدر من أن يعجل اللّه عقوبته...	...	١٠ - يونس/٢٣
ما من ذنب أحرى أن يعجل اللّه تعالى عقوبته...	أبو بكرة	٤٧ - محمد/٢٢
ما من ذنب أعظم عند اللّه من	ميمون بن مهران	٣١ - لقمان/١٩
ما من ذنب أعظم عند اللّه من	رجل من قريش	٣١ - لقمان/١٩
ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند اللّه من	أبو أمامة	١٧ - الإسراء/٣٢

ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من	الهيثم بن مالك	٢٥ - الفرقان/٦٨
ما من ذي رحم يأتي ذا رحمه...	...	٣ - آل عمران/١٨٠
ما من رجل قرأ القرآن فنسيه...	سعد بن عبادة	٢٠ - طه/١٢٦
ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا جعل له...	أبو هريرة	٩ - التوبة/٣٥
ما من رجل يتوضأ فيغسل يديه...	كعب بن مرة	٥ - المائدة/٦
ما من رجل يجرح من جسده جراحة فيتصدق بها	عبادة بن الصامت	٥ - المائدة/٤٥
ما من رجل يذنب ذنبًا	أبو بكر	٣ - آل عمران/١٣٥
ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده...	عائشة	٣٠ - الروم/٥٢
ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي	جرير	٥ - المائدة/٦٣
ما من رجل يموت وعنده أحمر أو أبيض...	ثوبان مولى رسول الله ﷺ	٩ - التوبة/٣٥
ما من السماء الدنيا موضع إلا عليه ملك...	عائشة	٣٧ - الصافات/١٦٤
ما من شيء أقرب إلى الشرك من رقية الحية والمجانين	طاوس	١١٣ - الفلق/٤
ما من شيء يصيب المؤمن في جسده...	معاوية بن أبي سفيان	٤٢ - الشورى/٣٠
ما من صاحب كنز لا يؤدي حقه...	أبو هريرة	٧٠ - المعارج/٤
ما من صدقة أحب إلى الله من قول معروف...	عمرو بن دينار	٢ - البقرة/٢٦١
ما من عبد أذنب فقام فتوضأ	أبو بكر الصديق	٤ - النساء/١١٠
ما من عبد إلا وله في السماء بابان	أنس بن مالك	٤٤ - الدخان/٢٩
ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول...	أم سلمة	٢ - البقرة/١٥٧
ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك...	أبو ذر	٤ - النساء/٤٨
ما من عبد لايؤدي زكاة ماله...	عبد الله بن مسعود	٣ - آل عمران/١٨٠
ما من عبد مؤمن يتوب قبل الموت...	عبد الله بن عمر	٤ - النساء/١٧
ما من عبد يذنب ذنبًا فيتوضأ ويصلي	...	٤ - النساء/٤٣
ما من عبد يريد أن يرتفع في الدنيا درجة...	سلمان	١٧ - الإسراء/٢١
ما من عبد يعمر في الإسلام أربعين	أنس بن مالك	٢٢ - الحج/٥
ما من عبد يقول : حسبي الله...	أبو الدرداء	٩ - التوبة/١٢٩
ما من عبد يلقى الله إلا ذا ذنب...	عبد الله بن عمرو بن العاص	٣ - آل عمران/٣٩
ما من غداة من غدوات الجنة...	أبو هريرة	١٩ - مريم/٦٢

ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن	النواس بن سمعان	٨ - الأنفال/٢٤
ما من قوم اجتمعوا يذكرون اللّه...	أنس	١٨ - الكهف/٢٨
ما من قوم جلسوا مجلسًا لم يذكروا اللّه...	عبد اللّه بن عمرو	٣٣ - الأحزاب/٤١
ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم أعز وأكثر...	جرير	٨ - الأنفال/٢٥
ما من قوم يعملون بالمعاصي وفيهم رجل...	جرير	٨ - الأنفال/٢٥
ما من قوم يقعدون ثم يقومون	أبو سعيد	٣٣ - الأحزاب/٥٦
ما من قوم يكون بين أظهرهم من يعمل بالمعاصي	جرير	٥ - المائدة/٦٣
ما من ليلة إلا والبحر يشرف ثلاث مرات...	عمر بن الخطاب	٥٢ - الطور/٦
ما من مسلم ولا مسلمة يصاب بمصيبة...	الحسين بن علي	٢ - البقرة/١٥٧
ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه...	عقبة بن عامر	٥ - المائدة/٦
ما من مسلم يدعو اللّه عز وجل بدعوة...	أبو سعيد	٢ - البقرة/١٨٦
ما من مسلم يذنب ذنبًا	أبو بكر الصديق	٤ - النساء/١١٠
ما من مسلم يذنب ذنبًا فيتوضأ	أبو بكر	١١ - هود/١١٤
ما من مسلم يشاك شوكة...	عائشة	٢ - البقرة/٢٦
ما من مسلم يصاب بشيء من جسده...	أبو الدرداء	٥ - المائدة/٤٥
ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة...	أبو أمامة	٢٤ - النور/٣٠
ما من معمر يعمر في الإسلام أربعين	أنس بن مالك	٢٢ - الحج/٥
ما من مولود إلا مكتوب في تشبيك رأسه...	عبد اللّه بن عمرو	٦٤ - التغابن/فضائلها
ما من مولود إلا وقد عصره الشيطان	أبو هريرة	٣ - آل عمران/٣٦
ما من مولود إلا يولد على الفطرة...	أبو هريرة	٣٠ - الروم/٣٠
ما من مولود يولد إلا مسه الشيطان	أبو هريرة	٣ - آل عمران/٣٦
ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به...	أبو هريرة	٣٣ - الأحزاب/٦
ما من نبي إلا وقد أوتي ما آمن على مثله البشر...	...	١٣ - الرعد/٣١
ما من نبيّ إلا وقد أوتي من الآيات...	...	٢٠ - طه/١٣٣
ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أعطي من الآيات...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٤
ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي من الآيات...	...	١٠ - يونس/٣٩
ما من نبي يمرض إلا خير بين الدنيا والآخرة	عائشة	٤ - النساء/٦٩

ما من نفس تموت لها عند الله خير يسرها	أنس	٣ - آل عمران/١٦٩
ما من نفس تموت لا تشرك بالله شيئًا إلا حلت لها المغفرة...	جابر	٤ - النساء/٤٨
ما من نفس منفوسة...	علي بن أبي طالب	٩٢ - الليل/١٠
ما من يوم طلعت فيه الشمس إلا وبجنبيها ملكان يناديان	أبو الدرداء	١٠ - يونس/٢٥
ما من يوم غربت فيه شمسه...	أبو الدرداء	٩٢ - الليل/١٠
ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/٢٩
ما منعك أن تأتيني	أبو سعيد بن المعلى	١ - الفاتحة/المقدمة
ما منعك أن تأتيني	أبي بن كعب	١ - الفاتحة/المقدمة
ما منعك أن تأتيني؟...	أبو سعيد بن المعلى	٨ - الأنفال/٢٤
مامنعك أن تأتيني؟...	أبو سعيد	٨ - الأنفال/٢٤
مامنعك أن تأتيني؟...	أبو سعيد بن المعلى	١٥ - الحجر/٨٧
ما منكم من أحد - أو ما من نفس...	علي بن أبي طالب	٩٢ - الليل/١٠
ما منكم من أحد إلا قد وكل به قرينه	...	١١٤ - الناس/١
ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده...	علي بن أبي طالب	٩٢ - الليل/١٠
ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه...	عبد الله بن مسعود	١٣ - الرعد/١١
ما منكم من أحد إلا وله منزلان	أبو هريرة	٢٣ - المؤمنون/١١
ما منكم من أحد يتوضأ	عمر بن الخطاب	٣ - آل عمران/١٣٥
ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ...	عمر	٥ - المائدة/٦
ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ...	عمر بن الخطاب	٣٩ - الزمر/٧٣
ما منكم من أحد يدخل الجنة إلا انطلق به إلى طوبى...	أبو أمامة الباهلي	١٣ - الرعد/٢٩
ما منكم من أحد يسلم عليَّ إلا رد الله...	أبو هريرة	٣٣ - الأحزاب/٥٦
ما منكم من أحد يقرب وضوءه...	عمرو بن عبسة	٥ - المائدة/٦
ما منها كلمة إلا ما حل بها	أبو سعيد	٣٧ - الصافات/٨٩
ما نزلت حتى اشتقت إليك...	عكرمة	١٩ - مريم/٦٤
ما نزلت هذه الآيات ﴿إن المجرمين في ضلال﴾ ...	عبد الله بن عمرو	٥٤ - القمر/٤٩
ما نصر الله النبي ﷺ في موطن كما نصره يوم أحد...	ابن عباس	٣ - آل عمران/١٥٢

ما نقص مال من صدقة...	...	٤ - النساء/١٤٩
ما نقص مال من صدقة...	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/٢٩
ما هذا الذي أثنى اللّه عليكم...	إبراهيم بن المعلى الأنصاري	٩ - التوبة/١٠٨
ما هذا الذي تصومونه؟...	ابن عباس	١٠ - يونس/٩٢
ما هذا الصوم؟ قالوا هذا اليوم الذي نجّى اللّه فيه موسى...	أبو هريرة	١١ - هود/٤٤
ما هذا الطهور الذي أثنى اللّه عليكم...	ابن عباس	٩ - التوبة/١٠٨
ما هذا في يدك يا عمر ؟...	عمر	١٢ - يوسف/٣
ما هذا ؟ قالوا صائم، فقال : ليس من البر...	جابر	٢ - البقرة/١٨٥
ما هذا يا جبريل؟...	...	٧ - الأعراف/١٩٩
ما هذا يا عائشة...	عائشة	٣٨ - ص/٣١
ما هذا ؟ يا معاذ فقال: إني رأيتهم يسجدون	...	١٢ - يوسف/١٠٠
ما هذا اليوم الذي تصومون	ابن عباس	٢ - البقرة/٥٠
ما هذان النهران يا جبريل؟...	أنس	١٧ - الإسراء/١
ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون	علي	٢١ - الأنبياء/٥٢
ما هذه الريح يا جبريل وما هذا الصوت...	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/١
ما هذه ؟ فقال هذه الجمعة...	أنس بن مالك	٥٠ - ق/٣٥
ما هذه النجوى ؟...	أبو سعيد الخدري	١٨ - الكهف/١١٠
ما هذه النجوى ؟ ألم تنهوا عن النجوى...	أبو سعيد الخدري	٥٨ - المجادلة/٨
ما هذه يا جبريل ؟...	أنس	١٧ - الإسراء/١
ما هكذا ذكرت، إنما البضع ما بين	عكرمة	٣٠ - الروم/٣
ما هلك قوم حتى يعذروا من أنفسهم...	عبد اللّه بن مسعود	٧ - الأعراف/٥
ما هي؟ فقال : تصوم وتصلي وتحسن الوضوء...	السدي	٢ - البقرة/٢٢١
ما هي يا عائشة؟...	عائشة	٤ - النساء/١٢٣
ما وعد اللّه محمدًا ﷺ من شيء إلا قد علم...	عائشة	١٢ - يوسف/١١٠
ما يبكيك يا أبا بكر...	عبد اللّه بن عمرو بن العاص	٩٩ - الزلزلة/٨
ما يبكيكِ يا بُنيّة؟ قالت: يا أبت...	ابن عباس	٨ - الأنفال/٣٠
ما يحل لي من امرأتي وهي حائض؟ قال...	عبد اللّه بن سعد الأنصاري	٢ - البقرة/٢٢٢

ما يحمل الرجل على أن يتمنى محضرًا	المقداد بن الأسود	٢٥ - الفرقان/٧٤
ما يحملكم على ذلك	...	٤ - النساء/٣٦
ما يخرج رجل صدقة حتى يفك...	الأعمش عن أبيه	١٧ - الإسراء/٢٩
ما يسرني أن عندي مثل أحد ذهبًا	أبو ذر	٩ - التوبة/٣٥
ما يصنع أصحابك بالأدم، قد ائتدموا	السدي	٤٩ - الحجرات/١٢
ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب...	أبو سعيد وأبو هريرة	٤ - النساء/١٢٣
ما يضحككن	...	٥ - المائدة/٨٨
﴿ما يعلمهم إلا قليل﴾ قال...	ابن عباس	١٨ - الكهف/٢٢
ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟...	ابن عباس	١٩ - مريم/٦٤
ما يمنعكم من ذلك ورسول الله بين أظهركم...	أبو جمعة الأنصاري	٢ - البقرة/٣
ما ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس...	...	٣٧ - الصافات/١٣٩
ما ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه...	...	٥ - المائدة/٥٤
ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يرجع حتى يحكم الله له...	...	٣ - آل عمران/١٢١
ما ينقم ابن جميل إلا أن كان فقيرًا فأغناه الله...	...	٥ - المائدة/٥٩
ما ينقم ابن جميل إلا أن كان فقيرًا فأغناه الله	...	٩ - التوبة/٧٤
ما يؤمنك إن أخبرتك بها فتكفر...	ابن عباس	٦٥ - الطلاق/١٢
ماء الرجل أبيض غليظ...	جابر	٢٠ - طه/٦
مائة آية	ابن عباس	٧٣ - المزمل/٢٠
مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا	أبو ذر	٤ - النساء/١٦٤
مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا	أبو ذر	٤ - النساء/١٦٤
مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا	أبو أمامة	٤ - النساء/١٦٤
مائة كتاب وأربعة كتب...	أبو ذر	٤ - النساء/١٦٤
مات ابن عباس بالطائف فجاء طير لم ير على خلقته...	سعيد بن جبير	٨٩ - الفجر/٣٠
مات رجل من أهل الصفة، فوجد في مئزره...	صدي بن عجلان	٩ - التوبة/٣٥
مات رجل من أهل الصفة وترك دينارين	علي	٩ - التوبة/٣٥
مات رسول الله ﷺ بعد يوم عرفة بأحد وثمانين يومًا	...	٥ - المائدة/٣

ماتت شاة لسودة بنت زمعة...	ابن عباس	٦ - الأنعام/١٤٥
ماتت شاة لسودة بنت زمعة...	سودة بنت زمعة	٦ - الأنعام/١٤٥
المتشبع بما لم يعط...	...	٣ - آل عمران/١٨٧
المتضرع	عبد اللّٰه بن شداد بن الهاد	٩ - التوبة/١١٤
مثل الذي يسمع الحكمة ثم لا يحدث إلا بشر...	...	٢٤ - النور/٢٦
مثل الذي يَفِرُّ من الموت...	سمرة	٥٠ - ق/١٩
مثل الذي يفر من الموت كمثل الثعلب...	سمرة	٦٢ - الجمعة/٨
مثل الذي يلعب بالنرد ثم يقوم فيصلي	...	٥ - المائدة/٩٠
مثل أمتي مثل المطر...	عمار بن ياسر	٥٦ - الواقعة/١٤
مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/٢٩
مثل العالم الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به...	جندب بن عبد اللّٰه	٢ - البقرة/٤٤
مثل القائم على حدود اللّٰه ، والواقع فيها	النعمان بن بشير	٨ - الأنفال/٢٥
مثل ما بعثني اللّٰه به من العلم...	أبو موسى	٧ - الأعراف/٥٨
مثل المسلمين واليهود والنصارى...	أبو موسى	٥٧ - الحديد/٢٨
مثل الملوك على الأسرَّة...	...	١ - الفاتحة/٤
مثل المنافق كشاة بين ربضين	عبيد بن عمير	٤ - النساء/١٤٣
مثل المنافق كشاة بين غنمين	ابن عمر	٤ - النساء/١٤٣
مثل المنافق كمثل ثاغية بين غنمين	...	٤ - النساء/١٤٣
مثل المنافق كمثل الشاة الرابضة...	عبيد بن عمير	٤ - النساء/١٤٣
مثل المنافق كمثل الشاة العائرة...	ابن عمر	٤ - النساء/١٤٣
مثل المؤمن والمنافق والكافر...	عبد اللّٰه بن مسعود	٤ - النساء/١٤٣
مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم...	...	٢ - البقرة/٨٤
مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم...	...	٤٨ - الفتح/٢٩
مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم...	...	٤٩ - الحجرات/١٠
مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد...	...	٩ - التوبة/٧١
مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل...	ابن عمر	٥٧ - الحديد/٢٨
مثلي في النبيين كمثل رجل بنى دارًا	أبي بن كعب	٣٣ - الأحزاب/٤٠

مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجلٍ بنى دارًا	جابر بن عبد اللّٰه	٣٣ - الأحزاب/٤٠
مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارًا	أبو سعيد	٣٣ - الأحزاب/٤٠
مثل ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى...	أبو سعيد	٣٣ - الأحزاب/٤٠
مثلي ومثل الساعة كمثل رجلٍ بعثه قومه...	سهل بن سعد	٥٣ - النجم/٥٧
مثلي ومثل الساعة كمثل فرسي رهان	سهل بن سعد	٥٣ - النجم/٥٧
مثلي ومثل الساعة كهاتين	سهل بن سعد	٥٣ - النجم/٥٧
مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد نارًا	أبو هريرة	١٣ - الرعد/١٧
مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد نارًا	أبو هريرة	٢٤ - النور/٦٣
﴿مثلًا كلمة طيبة كشجرة طيبة﴾...	أنس	١٤ - إبراهيم/٢٦
محاش النساء حرام	ابن مسعود	٢ - البقرة/٢٢٣
المختلعات هن المنافقات	ثوبان	٢ - البقرة/٢٢٩
المختلعات والمنتزعات هن المنافقات	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٢٩
مدح رجلٌ رجلًا عند النبي ﷺ...	أبو بكرة	٥٣ - النجم/٣٢
مرّ أبو ياسر بن أخطب في رجال من يهود برسول اللّٰه ﷺ...	جابر بن عبد اللّٰه بن رئاب	٢ - البقرة/١
مرَّ بهم ﷺ ذات يوم فقالوا له...	عمرو بن العاص	٤٠ - غافر/٢٨
مر بي عمي الحارث بن عمير ومعه لواء...	البراء بن عازب	٤ - النساء/٢٢
مرّ بي النبي ﷺ وأنا أصلي فدعاني	أبو سعيد بن المعلى	١٥ - الحجر/٨٧
مرّ رجل من بني سليم بنفر من أصحاب النبي ﷺ...	ابن عباس	٤ -النساء/٩٤
مرَّ رسول اللّٰه ﷺ بقبرين	ابن عباس	٦٨ - القلم/١١
مر رسول اللّٰه ﷺ بقوم ينتضلون يعني يرمون	الحسن بن أبي الحسن	٢ - البقرة/٢٢٤
مر رسول اللّٰه ﷺ على ناس من أصحابه...	مصعب بن ثابت	١٥ - الحجر/٥٠
مر رسول اللّٰه ﷺ فغمزه بعضهم...	أنس	١٥ - الحجر/٩٥
مرَّ رسول اللّٰه ﷺ في نفر من أصحابه...	أنس	٣٣ - الأحزاب/٤٣
مرّ عامر بن ربيعة بسهل بن حنيف وهو يغتسل...	أبو أمامة	٦٨ - القلم/٥١
مر على رسول اللّٰه ﷺ يهودي محمم مجلود...	البراء بن عازب	٥ - المائدة/٤١
مرّ عليّ رضي اللّٰه عنه على قوم يلعبون بالشطرنج...	الأصبغ بن نباتة	٢١ - الأنبياء/٥٢

مرَّ عمر بن الخطاب برجل يقرأ هذه الآية ﴿والسابقون الأولون﴾...	محمد بن كعب القرظي	٩ - التوبة/١٠٠
مرَّ غلام للمغيرة بن شعبة...	أنس	٧ - الأعراف/١٨٧
مر الملأ من قريش على رسول الله ﷺ وعنده خباب وصهيب...	ابن مسعود	٦ - الأنعام/٥٣
مرَّ النبي بأناس من اليهود وقد صاموا	أبو هريرة	١١ - هود/٤٤
مرَّ النبي ﷺ على امرأة تقرأ	عمرو بن ميمون	٨٨ - الغاشية/١
مر النبي ﷺ على امرأة تقرأ ﴿هل أتاك حديث الجنود﴾...	عمرو بن ميمون	٨٥ - البروج/١٧
مر النبي ﷺ في نفر من أصحابه وصبي في الطريق	أنس	٥ - المائدة/١٨
مر يهودي برسول الله ﷺ وهو جالس...	ابن عباس	٣٩ - الزمر/٦٧
مرَّ يهودي برسول الله ﷺ وهو يحدث...	عبد الله بن مسعود	٢٣ - المؤمنون/١٤
المرء مع من أحب	...	٤ - النساء/٦٩
المرء مع من أحب	...	٧ - الأعراف/١٨٧
المرء مع من أحبَّ	...	٨ - الأنفال/٧٥
المرء مع من أحب	...	٤٢ - الشورى/١٨
مرحبًا بأبي عاصم ، ما يمنعك أن	عائشة	٢٣ - المؤمنون/٦٠
مرحبًا بقوم شعيب ، وأختان موسى...	سلمة بن سعد	٢٨ - القصص/٢٥
مرحبًا بك يا سواد بن قارب...	سواد بن قارب	٤٦ - الأحقاف/٢٩
مررت بعثمان بن عفان رضي الله عنه في المسجد...	سعد بن أبي وقاص	٢١ - الأنبياء/٨٨
مررت بعير لقريش وهي في مكان كذا	أنس	١٧ - الإسراء/١
مررت ليلة أسري بي	أنس	١٧ - الإسراء/١
مررت ليلة أسري بي على قوم...	أنس بن مالك	٢ - البقرة/٤٤
مررت ليلة أسري بي على أناس...	أنس بن مالك	٢ - البقرة/٤٤
مرض ابن عمر فاشتهى عنبًا	نافع	٧٦ - الإنسان/٨
مرض عبد الله مرضه الذي توفي فيه...	أبو ظبية	٥٦ - الواقعة/فضائلها
مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر...	عائشة	٥ - المائدة/٧٩

مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين	سبرة	٦٦ -التحريم/٦
مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين	عبد اللّٰه بن عمرو بن العاص	٦٦ - التحريم/٦
المستبان ما قالا فعلى الباديء...	...	٤٢ - الشورى/٤٢
المستشار مؤتمن	أبو هريرة	٣ - آل عمران/١٥٩
المستشار مؤتمن	ابن مسعود	٣ - آل عمران/١٥٩
المسجد الذي أسس على التقوى: مسجدي هذا	أبي بن كعب	٩ - التوبة/١٠٨
المسجد الحرام...	أبو ذر	٣ - آل عمران/٩٦
المسجد الحرام ، قلت : ثم أيٌّ؟...	أبو ذر	٢ - البقرة/١٣٢
المسجد الحرام ، قلت : ثم أي	أبو ذر	٢٢ - الحج/٢٦
المسلم أخو المسلم...	رجل من بني سليط	١٧ - الإسراء/٥٣
المسلم أخو المسلم...	...	٤٩ - الحجرات/١٠
المسلم أخو المسلم...	علي بن فلان النميري	١٠٧ - الماعون/٧
المسلم إذا سئل في القبر...	البراء بن عازب	١٤ - إبراهيم/٢٧
المسلم يكفيه اسمه إن نسي أن يسمي	ابن عباس	٦ - الأنعام/١٢١
المسلمون إخوة لا فضل لأحد...	حبيب بن خراش	٤٩ - الحجرات/١٣
المسلمون تتكافأ دماؤهم...	...	٢ - البقرة/١٧٨
المسلمون شركاء في ثلاث : النار والكلأ والماء...	رجل من المهاجرين من قرن	٥٦ - الواقعة/٧٣
مسوَّرون بالذهب والفضة...	أبو أمامة	٣٥ - فاطر/٣٣
مشاورة أهل الرأي ثم اتباعهم...	علي بن أبي طالب	٣ - آل عمران/١٥٩
مشيت أنا وعثمان بن عفان	جبير بن مطعم	٨ - الأنفال/٤١
المصائب والأمراض والأحزاب في الدنيا جزاء	...	٤ - النساء/١٢٣
مطبقة	أبو هريرة	١٠٤ - الهمزة/٨
مع كل إنسان ملك إذا نام أخذ نفسه...	ابن عباس	٦ - الأنعام/٦٠
معاذ اللّٰه أن نعبد غير اللّٰه...	ابن عباس	٣ - آل عمران/٨٠
معترك المنايا ما بين الستين إلى...	أبو هريرة	٣٥ - فاطر/٣٧
مُعَلَّمين - في تفسير قوله تعالى : ﴿مُسَوِّمين﴾...	ابن عباس	٣ - آل عمران/١٢٥
المعيشة الضنك الذي قال اللّٰه		

إنّه يسلط عليه تسعة وتسعون حية...	أبو هريرة	٢٠ - طه/١٢٤
المغضوب عليهم...	من سمع رسول الله ﷺ	١ - الفاتحة/٧
مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله...	عبد الله بن عمر	٦ - الأنعام/٥٩
مفاتيح الغيب خمس ، ثم قرأ	عبد الله بن عمر	٣١ - لقمان/٣٤
مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله...	ابن عمر	١٣ - الرعد/٨
مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله...	ابن عمر	٣١ -لقمان/٣٤
مفتاح الجنة لا إله إلا الله...	معاذ	٣٩ - الزمر/٧٣
مقبلة ومدبرة إذا كان ذلك في الفرج...	جابر	٢ - البقرة/٢٢٣
المقسطون على منابر من نور...	...	٣٨ - ص/٢٥
المقسطون على منابر من نور...	...	٦٠ - الممتحنة/٨
المقسطون عند الله تعالى يوم القيامة...	عبد الله بن عمرو	٤٩ - الحجرات/١٠
المقسطون عند الله على منابر من نور...	عبد الله بن عمرو	٥٤ - القمر/٥٥
مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية...	ابن عباس	٦٦ - التحريم/٤
ملّ أصحاب رسول الله ﷺ ملة فقالوا	القاسم	٥٧ - الحديد/١٦
مل أصحاب رسول الله ﷺ ملة فقالوا: يا رسول الله...	عون بن عبد الله	١٢ - يوسف/٣
ملعون من أتى امرأته في دبرها	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٢٣
ملعون من أتى امرأة في دبرها	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٢٣
ملعون من أتى النساء في أدبارهن	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٢٣
ملعون من سب والديه...	...	٦ - الأنعام/١٠٨
ملك عن يمينك على حسناتك...	عثمان بن عفان	١٣ - الرعد/١١
مما كنت ضاربًا منه ولدك...	جابر	٤ - النساء/٦
ممن الرجل؟ قلت : من تنوخ...	سعيد بن أبي راشد	٢٨ - القصص/٥٦
من آتاه الله مالًا فلم يؤدّ زكاته...	أبو هريرة	٣ - آل عمران/١٨٠
من آخر ما نزل آية الربا	عمر	٢ - البقرة/٢٧٥
من آمن بالله ورسوله...	أبو هريرة	٤ - النساء/٨٤
من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة...	أبو هريرة	٩ - التوبة/٧٢
من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة...	معاذ بن جبل	٩ - التوبة/٧٢

من آمن بالله واليوم الآخر كتب له الرحمة...	ابن عباس	٢١ - الأنبياء/١٠٧
من آوى محدثًا	...	١٢ - يوسف/٩٩
من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه	...	٢ - البقرة/١٣٤
من أبلى بلاء فذكره فقد شكر...	جابر	٩٣ - الضحى/١١
من أتت عليه ستون سنة فقد...	أبو هريرة	٣٥ - فاطر/٣٧
من اتقى الله دخل الجنة...	أبو هريرة	٤٤ -الدخان/٥٦
من أتى امرأة في دبرها وتلك كفر...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٢٣
من أتى حائضًا أو امرأة في دبرها	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٢٣
من أتى شيئًا من الرجال والنساء في الأدبار...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٢٣
من أتى عرافًا أو كاهنًا فقد كفر...	...	٢ - البقرة/١٠٢
من أتى كاهنًا أو ساحرًا فصدقه...	عبد الله	٢ - البقرة/١٠٢
من أتيت من أصحابي فمرهم يرجعوا	ابن عمر	٣٣ - الأحزاب/١٠
من أحب أن يتمثل له الرجال قيامًا	...	٥٨ - المجادلة/١١
من أحب أن يزحزح عن النار...	عبد الله بن عمرو	٣ - آل عمران/١٠٢
من أحب أن يزحزح عن النار...	عبد الله بن عمرو بن العاص	٣ - آل عمران/١٨٥
من أحب أن يسمع خرير الكوثر...	عائشة	١٠٨ - التكاثر/١
من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى...	علي	٣٧ - الصافات/١٨٢
من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله...	ابن عباس	٣٩ - الزمر/٣٨
من أحب دنياه أضر بآخرته...	أبو موسى الأشعري	٨٧ - الأعلى/١٧
من أحب قومًا فهو منهم	...	٨ - الأنفال/٧٥
من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه...	أنس	٤١ - فصلت/٣٢
من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه...	عبد الرحمن بن أبي ليلى	٥٦ - الواقعة/٨٩
من أحب منكم أن يحضر أمر الجن الليلة...	ابن مسعود	٤٦ - الأحقاف/٢٩
من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله...	فروخ مولى عثمان	٢ - البقرة/٢٧٦
من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله...	فروخ مولى عثمان	٢ - البقرة/٢٧٦
من أحسن الصلاة حيث يراه الناس...	عبد الله بن مسعود	٤ - النساء/١٤٢
من أحسن الصلاة حيث يراه الناس...	ابن مسعود	١٨ - الكهف/١١٠

من أحسن في الإسلام...	...	٦٦ - التحريم/٨
من أحسن في الإسلام ، لم يؤاخذ بما عمل...	ابن مسعود	٨ - الأنفال/٣٨
من أخبرك أن محمدًا رأى ربه...	عائشة	٥٣ - النجم/١١
من أخذ السبع الأول من القرآن فهو حبر...	عائشة	٢ - البقرة/المقدمة
من أخذ السبع فهو حبر	عائشة	٢ - البقرة/المقدمة
من أدرك أحد والديه...	مالك بن عمرو القشيري	١٧ - الإسراء/٢٤
من أدرك والديه أو أحدهما	...	١٧ - الإسراء/٢٤
من أدرك والديه أو أحدهما	أبو مالك القشيري	١٧ - الإسراء/٢٤
من ادعى دعوى كاذبة...	...	٣ - آل عمران/١٨٧
من أذنب ذنبًا في الدنيا فعوقب به...	علي	٥ - المائدة/٣٣
من أراد أن تستجاب دعوته وأن تكشف كربته...	ابن عمر	٢ - البقرة/٢٨٠
من أراد أن يلقى الله وهو طاهر...	أنس بن مالك	٢٤ - النور/٣
من أراد أن ينام على فراشه...	حاتم بن ميمون	١١٢ - الإخلاص/فضائلها
من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة...	...	٣ - آل عمران/١٥٣
من أراد الحج فليتعجل	ابن عباس	٣ - آل عمران/٩٧
من أرسل بنفقة في سبيل الله وأقام في بيته فله...	عمران بن حصين	٢ - البقرة/٢٦١
من استجد ثوبًا فلبسه...	عمر بن الخطاب	٧ - الأعراف/٢٦
من استطاع منكم أن لا يحول...	...	٣٨ - ص/٣٥
من استغنى أغناه الله...	أبو سعيد	٢ - البقرة/٢٧٣
من استلج في أهله بيمين فهو أعظم إثمًا	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٢٤
من استمع إلى آية من كتاب الله...	أبو هريرة	٧ - الأعراف/٢٠٤
من أسلف فليسلف في كيل معلوم...	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٨٢
من أسلم من أهل الكتابين	القاسم بن أبي أمامة	٢٨ - القصص/٥٤
من أصاب منه ذي حاجة بفيه...	عبد الله بن عمرو	٢ - البقرة/١٧٣
من أصابته فاقة فأنزلها بالناس...	ابن مسعود	١٧ - الإسراء/٢٢
من أصبح منكم معافى في جسده آمنًا في سربه...	...	٥ - المائدة/٢٠
من أصيب بشيء من جسده فتركه لله...	رجل من أصحاب النبي ﷺ	٥ - المائدة/٤٥

من أصيب بقتل أو خبل فإنه يختار...	أبو شريح الخزاعي	٢ - البقرة/١٧٨
من أطاعني فقد أطاع اللّه...	أبو هريرة	٤ - النساء/٥٩
من أطاعني فقد أطاع اللّه...	أبو هريرة	٤ - النساء/٨٠
من أعان باطلًا ليدحضن به حقًا	ابن عباس	٤٠ - غافر/٤
من أعان ظالمًا سلطه اللّه عليه...	ابن مسعود	٦ - الأنعام/١٢٩
من أعان من قتل المسلم...	...	٤ -النساء/٩٣
من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة	...	٢ - البقرة/١
من أعان مجاهدًا في سبيل اللّه أو غازيًا أو غارمًا	سهل بن حنيف	٢ - البقرة/٢٨٠
من أعتق امرأً مسلمًا	مالك بن الحارث عن رجل	١٧ - الإسراء/٢٤
من أعتق رقبة مؤمنة...	أبو هريرة	٩٠ - البلد/١٣
من أعتق رقبة مؤمنة...	عقبة بن عامر	٩٠ - البلد/١٣
من أعتق رقبة مسلم...	عمرو بن عبسة	٩٠ - البلد/١٣
من أعتق رقبة مسلمة...	مالك بن عمرو القشيري	١٧ - الإسراء/٢٤
من أعتق رقبة مسلمة...	عقبة بن عامر الجهني	٩٠ - البلد/١٣
من أُعطي عطاءً فوجد فليجز به...	جابر بن عبد اللّه	٩٣ - الضحى/١١
من أعطي فشكر ومنع فصبر...	عبد اللّه بن سخبرة	٦ - الأنعام/٨٢
من أغبط أوليائي عندي	أبو أمامة	٣١ - لقمان/١٩
من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة...	أبو هريرة	٦٢ - الجمعة/٩
من اغتسل يوم الجمعة ومسَّ من	أبو أيوب الأنصاري	٦٢ - الجمعة/٩
من أغلق بابه فهو آمن	...	٢ - البقرة/١٩١
من أفضل أيامكم يوم الجمعة...	أوس بن أوس	٣٣ - الأحزاب/٥٦
من أفطر فحسن، ومن صام فلا جناح عليه	...	٢ - البقرة/١٨٥
من اقتطع مال امرئ مسلم بغير حق...	عبد اللّه بن مسعود	٣ - آل عمران/٧٧
من أكبر الكبائر استطالة الرجل في عرض رجل مسلم...	أبو هريرة	٤ - النساء/٣١
من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه...	عبد اللّه بن عمرو	٤ - النساء/٣١
من أكبر الكبائر عرض الرجل المسلم...	أبو هريرة	٤ - النساء/٣١
من أكثر من الاستغفار...	عبد اللّه بن عباس	٦٥ - الطلاق/٣

من أكل برجل مسلم أكلة...	المسور	٤٩ - الحجرات/١٢
من أكل كراء بيوت مكة أكل نارًا	عبد اللّه بن عمرو	٢٢ - الحج/٢٥
من أكل لحم أخيه في الدنيا	أبو هريرة	٤٩ - الحجرات/١٢
من أكل مع مغفور له...	...	٦٦ - التحريم/١٠
من أمرك بهذا ، أعمر؟ ما أراه يقيمها	عمر بن طاوس	٤ - النساء/١٧٦
من أنا؟...	العباس	٦ - الأنعام/١٢٤
من انتسب إلى تسعة آباء...	أبو ريحانة	٤ - النساء/١٣٩
من أنظر معسرًا إلى ميسرته أنظره اللّه...	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٨٠
من أنظر معسرًا أو وضع عنه...	أبو اليسر	٢ - البقرة/٢٨٠
من أنظر معسرًا أو وضع عنه...	ابن عباس	٣ - آل عمران/١٣٤
من أنظر معسرًا أو وضع عنه وقاه اللّه من فيح جهنم...	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٨٠
من أنظر معسرًا فله بكل يوم مثله صدقة	بريدة	٢ - البقرة/٢٨٠
من أنظر معسرًا فله بكل يوم مثلاه صدقة	بريدة	٢ - البقرة/٢٨٠
من أنعم اللّه عليه نعمة فإن اللّه يحب أن يرى...	عمران بن حصين	٢ - البقرة/١٥٢
من أنفق زوجين في سبيل اللّه...	...	٩٢ - الليل/٢١
من أنفق زوجين من ماله في سبيل اللّه تعالى...	أبو هريرة	٣٩ - الزمر/٧٣
من أنفق نفقة فاضلة في سبيل اللّه فسبعمائة...	أبو عبيدة	٢ - البقرة/٢٦١
من أنفق نفقة في سبيل اللّه تضاعفت...	خريم بن وائل	٢ - البقرة/٢٦١
من انقطع إلى اللّه...	عمران بن حصين	٦٥ - الطلاق/٣
من أوفى على يده في الكيل والميزان	سعيد بن المسيب	٦ - الأنعام/١٥٢
من بدل دينه فاقتلوه...	معاذ بن جبل	١٦ - النحل/١٠٦
من بدل دينه فاقتلوه	ابن عباس	١٦ - النحل/١٠٦
من برت يمينه وصدق لسانه...	...	٣ - آل عمران/٧
من بلغ ذا سلطان حاجة من لا يستطيع...	...	٤٧ - محمد/٧
من بنى لله مسجدًا بنى اللّه له بيتًا في الجنة	...	٥٨ - المجادلة/١١
من بني مسجدًا ليذكر اللّه فيه...	عمرو بن عبسة	٩٠ - البلد/١٣
من بنى مسجدًا يبتغي به وجه اللّه...	عثمان بن عفان	٢٤ - النور/٣٦

من بنى مسجدًا يذكر فيه اسم اللّٰه...	عمر بن الخطاب	٢٤ - النور/٣٦
من تاب قبل أن تطلع الشمس...	أبو هريرة	٦ - الأنعام/١٥٨
من تاب قبل موته بعام تيب عليه...	عبد اللّٰه بن عمر	٤ - النساء/١٧
من تبعه كان له رحمة في الدنيا والآخرة...	ابن عباس	٢١ - الأنبياء/١٠٧
من تتهمون به؟...	أبو أمامة	٦٨ - القلم/٥١
من تحلم حلمًا كلف يوم القيامة...	...	١٧ - الإسراء/٣٦
من ترك بعده كنزًا	ثوبان	٣ - آل عمران/١٨٠
من ترك بعده كنزًا، مثل له يوم القيامة شجاعًا	ثوبان	٩ - التوبة/٣٥
من ترك الصلاة سكرًا مرة واحدة...	عبد اللّٰه بن عمرو بن العاص	٥ - المائدة/٩١
من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله...	...	٤ - النساء/٣١
من تشبه بقوم فهو منهم	ابن عمر	٢ - البقرة/١٠٤
من تصدق بدم فما دونه فهو كفارة له...	رجل من أصحاب رسول اللّٰه ﷺ	٥ - المائدة/٤٥
من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٧٦
من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٧٦
من تعارّ من الليل فقال...	عبادة بن الصامت	٥٢ - الطور/٤٨
من تعلق تميمة فلا أتم اللّٰه له...	عقبة بن عامر	١٢ - يوسف/١٠٦
من تعلق شيئًا وكل إليه	عبد اللّٰه بن حكيم	١٢ - يوسف/١٠٦
من تعلق شيئًا وكل إليه	أبو هريرة	١٢ - يوسف/١٠٦
من تعلم علمًا مما يبتغي به وجه اللّٰه...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٤١
من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب...	ابن عباس	٦٢ - الجمعة/٥
من توضأ على طهر...	ابن عمر	٥ - المائدة/٦
من توضأ فأحسن الوضوء ثم قام إلى الصلاة...	أبو أمامة	٥ - المائدة/٦
من توضأ فليستنشق	...	٥ - المائدة/٦
من توضأ نحو وضوئي هذا	عثمان بن عفان	٣ - آل عمران/١٣٥
من توضأ نحو وضوئي هذا	عثمان بن عفان	٥ - المائدة/٦
من توضأ هكذا كفاه	عثمان بن عفان	٥ - المائدة/٦
من توضأ وضوئي هذا ثم صلى ركعتين	عثمان بن عفان	١١ - هود/١١٤

من توضأ وضوئي هذا ثم قام فصلى...	عثمان	١١ - هود/١١٤
من توضأ وضوئي هذا ثم قام فصلى...	عثمان	١٨ - الكهف/٤٦
من جاءكم وأمركم جميع...	...	٢ - البقرة/٣٠
من جامع المشرك أو سكن معه فهو مثله	...	٣ - آل عمران/١١٨
من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله	سمرة بن جندب	٤ - النساء/٩٧
من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله	سمرة بن جندب	٨ - الأنفال/٧٣
من جرَّ ثوبه خيلاء لم ينظر اللّٰه إليه	بريدة	٣١ - لقمان/١٩
من جعل الهموم همًّا واحدًا	ابن مسعود	٢٠ - طه/١٣٢
من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه...	أبو هريرة	٥٢ - الطور/٤٨
من جمع بين صلاتين من غير عذر...	أبو هريرة	٤ - النساء/٣١
من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق...	أبو هريرة	٢ - البقرة/١٩٧
من حدث بحديث وهو يرى أنه كذب...	...	٤ - النساء/٨٣
من حدثك أن محمدًا كتم شيئًا	عائشة	٥ - المائدة/٦٧
من حرس من وراء المسلمين	أنس	٣ - آل عمران/٢٠٠
من حفظ ثلاث آيات من أول الكهف...	أبو الدرداء	١٨ - الكهف/فضائلها
من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال...	أبو الدرداء	١٨ - الكهف/فضائلها
من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين كتفيه...	عبد اللّٰه بن عمر	٢ - البقرة/٢٦٩
من حلف بالأمانة فليس منا	بريدة	٣٣ - الأحزاب/٧٢
من حلف بغير اللّٰه فقد أشرك	ابن عمر	١٢ - يوسف/١٠٦
من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٢٤
من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٢٤
من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها	عبد اللّٰه بن عمرو	٢ - البقرة/٢٢٤
من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها	عبد اللّٰه بن عمرو	٢ - البقرة/٢٢٦
من حلف على يمين قطيعة رحم ومعصية...	عائشة	٢ - البقرة/٢٢٤
من حلف على يمين هو فيها فاجر...	عبد اللّٰه بن مسعود	٣ - آل عمران/٧٧
من حلف فقال في حلفه : باللات والعزى فليقل...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٢٤

من حلف فقال في حلفه واللات...	أبو هريرة	٥٣ - النجم/١٩
من حمى مؤمنًا من منافق يغتابه...	معاذ بن أنس	٤٩ - الحجرات/١٢
من حوسب عذب	عائشة	٨٤ - الانشقاق/٨
من الحيض والغائط والنخامة والبزاق...	أبو سعيد	٢ - البقرة/٢٥
من خاف أدلج...	أبو هريرة	٥٥ - الرحمن/بعد الآية٦١
من خرج حاجًا فمات...	أبو هريرة	٤ - النساء/١٠٠
من خرج من بيته مجاهدًا في سبيل الله...	عبد الله بن عتيك	٤ - النساء/١٠٠
من خلع يدًا من طاعة...	ابن عمر	٤ - النساء/٥٩
من دخل البيت دخل في حسنة...	عبد الله بن عباس	٣ - آل عمران/٩٧
من دخل سوقًا من الأسواق...	عبد الله بن عمر	٢ - البقرة/٢٤٥
من دخل سوقًا من الأسواق فقال...	...	٦٢ - الجمعة/١٠
من دعا إلى هدى كان له من الأجر...	أبو هريرة	٥ - المائدة/٢
من دعا إلى هدى كان له من الأجر...	...	١٦ - النحل/٢٥
من دعا إلى هدى كان له من الأجر...	...	٢٩ - العنكبوت/١٣
من دعا إلى هدى كان له من الأجر...	...	٥٣ - النجم/٣٩
من دعا بدعاء يونس استجيب له	سعد بن أبي وقاص	٢١ - الأنبياء/٨٨
من دعا بدعوى الجاهلية فإنه...	الحارث الأشعري	٢٢ - الحج/٧٨
من دعا من ظلمه فقد انتصر...	عائشة	٤٢ - الشورى/٤١
من دعا الناس إلى قول أو عمل ولم يعمل هو به...	ابن عمر	٢ - البقرة/٤٤
من دعي إلى سلطان فلم يجب...	سمرة	٢٤ - النور/٥١
من ذا؟ فقلت : أنا	جابر	٢٤ - النور/٢٧
من ذبح قبل أن يصلي فليذبح مكانها أخرى...	جندب بن سفيان البجلي	٦ - الأنعام/١٢١
من ذكرت عنده فليصلِّ علي	أنس	٣٣ - الأحزاب/٥٦
من رابط في شيء...	أم الدرداء	٣ - آل عمران/٢٠٠
من رابط ليلة في سبيل الله...	عثمان	٣ - آل عمران/٢٠٠
من رأى من أميره شيئًا فكرهه فليصبر...	ابن عباس	٤ - النساء/٥٩
من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده...	أبو هريرة	٣ - آل عمران/١٠٤

من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده...	أبو سعيد الخدري	٥ - المائدة/٧٩
من رأيتموه يعمل عمل قوم لوط...	ابن عباس	٤ - النساء/١٥
من رجع عن دينه فاقتلوه...	معاذ بن جبل	١٦ - النحل/١٠٦
من الرجل ؟ قلت : عكراش بن ذؤيب...	عكراش بن ذؤيب	٥٦ - الواقعة/٢١
من رجل يؤويني حتى أبلغ رسالة ربي	...	٦١ - الصف/١٤
من رجل يؤويني حتى أبلغ كلام ربي	...	٣ - آل عمران/٥٢
من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم...	حذيفة بن اليمان	٣٣ - الأحزاب/١٠
من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك...	عبد اللّٰه بن عمرو	١٢ - يوسف/١٠٦
من رمى بسهم فله أجرة درجة...	عبد اللّٰه بن مسعود	٤ - النساء/٩٥
من زعم أن محمدًا أبصر ربه فقد كذب...	عائشة	٦ - الأنعام/١٠٣
من زعم أنه يعلم - يعني النبيَّ ﷺ - ما يكون	عائشة	٢٧ - النمل/٦٥
من سأل اللّٰه لي الوسيلة حقت عليه شفاعتي	عبد اللّٰه بن عمرو	٣٣ - الأحزاب/٥٦
من سأل وله أربعون درهمًا فهو ملحف...	عبد اللّٰه بن عمرو	٢ - البقرة/٢٧٣
من سأل وله أربعون فقد ألحف...	أبو ذر	٢ - البقرة/٢٧٣
من سأل وله أوقية أو عدلها	رجل من بني أسد	٢ - البقرة/٢٧٣
من سأل وله قيمة أوقية فهو ملحف	أبو سعيد الخدري	٢ - البقرة/٢٧٣
من سأل وله ما يغنيه...	عبد اللّٰه بن مسعود	٢ - البقرة/٢٧٣
من ستر عورة مؤمن فكأنما	عقبة	٤٩ - الحجرات/١٢
من سرته حسنة...	...	٤٩ - الحجرات/٧
من سرّه أن يبسط له في زرقه...	أنس بن مالك	٣٥ - فاطر/١١
من سره أن يحب اللّٰه ورسوله فليصدق الحديث...	...	٤ - النساء/٣٦
من سره أن يشرف له البنيان	أبي بن كعب	٣ - آل عمران/١٣٤
من سره أن يشرف له البنيان	علي	٣ - آل عمران/١٣٤
من سره أن يشرف له البنيان	كعب بن عجرة	٣ - آل عمران/١٣٤
من سره أن يشرف له البنيان	أبو هريرة	٣ - آل عمران/١٣٤
من سره أن يشرف له البنيان	أم سلمة	٣ - آل عمران/١٣٤
من سره أن يظله اللّٰه يوم لا ظل إلا ظله	أسعد بن زرارة	٢ - البقرة/٢٨٠

من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى...	الشعبي	٣٧ - الصافات/١٨٢
من سره أن ينظر إلى القيامة	عبد اللّٰه بن عمر	٨٢ - الانفطار/فضائلها
من سره أن ينظر إلى يوم القيامة	ابن عمر	٨١ - التكوير/فضائلها
من سره النساء في الأجل والزيادة في الرزق...	ثوبان	٤٧ - محمد/٢٢
من سكن البادية جفا ، ومن اتبع الصيد غفل...	ابن عباس	٩ - التوبة/٩٧
من سلّ سيفه في سبيل اللّٰه فقد بايع اللّٰه	أبو هريرة	٤٨ - الفتح/١٠
من سلك طريقًا يطلب فيها علمًا	أبو الدرداء	٣٥ - فاطر/٣٢
من سلم الناس من لسانه ويده؟...	أبو ذر	٤ - النساء/١٦٤
من سمع بي من أمتي	أبو موسى الأشعري	٧ - الأعراف/١٥٨
من سمّع سمّع اللّٰه به...	...	٤ - النساء/١٤٢
من سمّع سمّع اللّٰه به...	أبو بكرة	١٨ - الكهف/١١٠
من سمّع الناس بعمله...	عبد اللّٰه بن عمرو	١٨ - الكهف/١١٠
من سمّع الناس بعمله...	عبد اللّٰه بن عمرو	١٠٧ - الماعون/٦
من سمع النداء بالصلاة ثم لم يُجِبْ...	ابن عباس	٩ - التوبة/١٨
من سمّى المدينة يثرب فليستغفر...	البراء	٣٣ - الأحزاب/١٣
من سنّ في الإسلام سنة...	جرير بن عبد اللّٰه	٣٦ - يس/١٢
من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها	جرير	٥٩ - الحشر/١٨
من السنة أنه لا يحرم بالحج إلا في أشهر الحج	ابن عباس	٢ - البقرة/١٩٧
من سيدكم يا بني سلمة؟...	...	٩ - التوبة/٤٩
من سئل عن علم فكتمه...	...	المقدمة
من سئل عن علم فكتمه...	أبو هريرة	٢ - البقرة/١٥٩
من سئل عن علم فكتمه...	...	٣ - آل عمران/١٨٧
من شاء قاسمته باللّٰه...	عبد اللّٰه بن مسعود	٦٥ - الطلاق/٥
من شاء لاعنته إن التي في النساء القصرى...	ابن مسعود	٦٥ - الطلاق/٥
من شاء لاعنته مانزلت ﴿وأولات الأحمال أجلهن﴾...	عبد اللّٰه بن مسعود	٦٥ - الطلاق/٥
من الشجر شجرة مثلها مثل الرجل المسلم...	ابن عمر	١٤ - إبراهيم/٢٤
من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب	ابن عمر	٥ - المائدة/٩١

من شرب الخمر لم يرض اللّٰه عنه أربعين ليلة...	أسماء بنت يزيد	٥ - المائدة/٩١
من شرب من الخمر شربة...	عبد اللّٰه بن عمرو	٣٨ - ص/٣٥
من شرط لأخيه شرطًا لا يريده أن يفي له به...	حذيفة	١٦ - النحل/٩٢
من شك في أن أرض المحشر ههنا	ابن عباس	٥٩ - الحشر/٢
من شهد أن لا إله إلا اللّٰه...	عبادة بن الصامت	١٩ - مريم/٣٧
من شهد أن لا إله إلا اللّٰه...	جابر بن عبد اللّٰه	٨٧ - الأعلى/١٤
من شهد أن لا إله إلا اللّٰه وحده لا شريك له...	عبادة بن الصامت	٤ - النساء/١٧١
من شهد الجنازة حتى يصلي عليها فله قيراط...	أبو هريرة	٩ - التوبة/٨٤
من شهد صلاتنا هذه فوقف معنا حتى ندفع...	عروة بن مضرس	٢ - البقرة/١٩٨
من الشهوة الخفية والشرك...	شداد بن أوس	١٨ - الكهف/١١٠
من صام ثلاثة أيام من كل شهر...	أبو ذر	٦ - الأنعام/١٦٠
من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا	...	٢ - البقرة/٢٦٥
من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا	...	٢ - البقرة/١٨٥
من صلى صلاتنا ونسك نسكنا	...	١٠٨ - التكوثر/٢
من صلى صلاة لم تنه عن الفحشاء والمنكر...	الحسن	٢٩ - العنكبوت/٤٥
من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القران	أبو هريرة	١ - الفاتحة/المقدمة
من صلى على محمد وقال: اللّٰهم أنزله المقعد...	رويفع بن ثابت	٣٣ - الأحزاب/٥٦
من صلى عليَّ صلاة لم تزل الملائكة تصلي عليه...	عامر بن ربيعة	٣٣ - الأحزاب/٥٦
من صلى عليَّ صلاة واحدة...	أنس	٣٣ - الأحزاب/٥٦
من صلَّى عليَّ عند قبري سمعته...	أبو هريرة	٣٣ - الأحزاب/٥٦
من صلَّى عليَّ في كتاب لم تزل الصلاة...	ابن عباس	٣٣ - الأحزاب/٥٦
من صلى عليَّ واحدة صلى اللّٰه عليه...	أبو هريرة	٣٣ - الأحزاب/٥٦
من صلى يرائي فقد أشرك...	شداد بن أوس	١٨ - الكهف/١١٠
من صنع كذا وكذا، فله كذا وكذا	ابن عباس	٨ - الأنفال/١
من ضمّ يتيمًا من أبوين مسلمين	مالك بن الحارث عن رجل	١٧ - الإسراء/٢٤
من ضمّ يتيمًا من أبوين مسلمين	مالك بن عمرو القشيري	١٧ - الإسراء/٢٤
من طال عمره وحسن عمله...	عبد اللّٰه بن بشر	٣٣ - الأحزاب/٤١

من طلق أو أعتق أو نكح أو أنكح...	الحسن البصري	٢ - البقرة/٢٣١
من طلق أو أعتق أو نكح أو أنكح...	أبو الدرداء	٢ - البقرة/٢٣١
من ظلم قيد شبر من الأرض...	...	٦٥ - الطلاق/١٢
من عادى لي وليًا فقد آذانته بالمحاربة	...	٢ - البقرة/٩٨
من عادى لي وليًا فقد بارزني بالحرب	أبو هريرة	٢ - البقرة/٩٨
من عادى لي وليًا فقد بارزني بالحرب	أبو هريرة	٤٠ - غافر/٥١
من عبد الله لا يشرك به شيئًا	أبو أيوب	٤ - النساء/٣١
من عرج أو كسر أو مرض	...	٢ - البقرة/١٩٦
من عقد عقدة ونفث فيها فقد سحر	...	٢ - البقرة/١٠٢
من علق تميمة فقد أشرك	عقبة بن عامر	١٢ - يوسف/١٠٦
من عمّره الله تعالى ستين سنة فقد...	أبو هريرة	٣٥ - فاطر/٣٧
من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد	عائشة	٢ - البقرة/١١٢
من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد	....	٣ - آل عمران/٣٢
من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد	...	٣ - آل عمران/٨٥
من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد	...	٢٤ - النور/٦٣
من غسل واغتسل يوم الجمعة...	أوس بن أوس الثقفي	٦٢ - الجمعة/٩
من غلَّ منها بعيرًا أو شاة...	عمر بن الخطاب	٣ - آل عمران/١٦١
من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله	ابن عمر	٢ - البقرة/٢٣٨
من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله	...	٤ - النساء/٣١
من فارق الدنيا على الإخلاص لله...	أنس بن مالك	٩ - التوبة/١١
من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده...	الربيع بن أنس	٩ - التوبة/٥
من فقه الرجل قصده في معشيته...	أبو الدرداء	٢٥ - الفرقان/٦٧
من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا	أبو موسى الأشعري	٢ - البقرة/١٩٢
من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا	أبو موسى الأشعري	٨ - الأنفال/٣٨
من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا	أبو موسى الأشعري	٩ -التوبة/٤٠
من قال إذا أصبح وإذا أمسى : حسبي الله...	أبو الدرداء	٩ - التوبة/١٢٩
من قال : أستغفر الله الذي لا إله إلا هو	زيد مولى رسول الله ﷺ	٨ - الأنفال/١٦

من قال : اللّهم فاطر السماوات والأرض...	عبد اللّه بن مسعود	٣٩ - الزمر/٤٦
من قال أنا مؤمن فهو كافر...	عمر بن الخطاب	٤ -النساء/٤٩
من قال حين يسمع النداء اللّهم رب هذه الدعوة التامة...	جابر بن عبد اللّه	٥ - المائدة/٣٥
من قال حين يسمع النداء اللّهم رب هذه الدعوة التامة...	جابر	١٧ - الإسراء/٧٩
من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ باللّه...	معقل بن يسار	٥٩ - الحشر/٢٤
من قال حين يصبح سبحان اللّه...	عبد اللّه بن عباس	٣٠ - الروم/١٩
من قال دبركل صلاة ﴿**سبحان ربك**﴾...	زيد بن أرقم	٣٧ - الصافات/١٨٢
من قال سبحان اللّه العظيم وبحمده...	جابر	٥٦ - الواقعة/٩٦
من قال عليَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من جهنم...	عبد اللّه بن عمرو	٥ - المائدة/٩١
من قال في القرآن برأيه...	ابن عباس	المقدمة
من قال في القرآن برأيه فقد أخطأ	جندب	المقدمة
من قال في كتاب اللّه برأيه فأصاب فقد أخطأ	جندب	المقدمة
من قال لا إله إلا اللّه واحدًا	تميم الداري	١١٢ - الإخلاص/فضائلها
من قام رياءً وسمعةً...	عبد اللّه بن قيس الخزاعي	١٨ - الكهف/١١٠
من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا	أبو هريرة	٩٧ - القدر/٣
من قام من الليل فتوضأ ومضمض...	سعد بن جنادة	١٨ - الكهف/٤٦
من قتل عبده قتلناه...	سمرة	٢ - البقرة/١٧٨
من قتل قتيلًا فله كذا وكذا	ابن عباس	٨ - الأنفال/١
من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة	عبد اللّه بن عمر	٦ - الأنعام/١٥١
من قتل مؤمنًا متعمدًا	ابن عمر	٤ - النساء/٩٣
من قتل نفسه بحديدة...	أبو هريرة	٤ - النساء/٢٩
من قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة	ثابت بن الضحاك	٤ - النساء/٢٩
من قرأ آخر آل عمران	سفيان الثوري	٣ - آل عمران/١٩٤
من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه	ابن مسعود	٢ - البقرة/٢٨٥
من قرأ آية الكرسي وأول حم المؤمن	أبو هريرة	٤٠ - غافر/فضائلها
من قرأ ﴿**إذا زلزلت**﴾ عدلت له بنصف القرآن	أنس	٩٩ - الزلزلة/فضائلها
من قرأ ألف آية في سبيل اللّه...	معاذ بن أنس	٤ - النساء/٦٩

من قرأ ألف آية في سبيل الله...	...	١٩ - مريم/٧١
من قرأ أول سورة الكهف وآخرها	معاذ بن أنس الجهني	١٨ - الكهف/فضائلها
من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة...	ابن مسعود	٢ - البقرة/٢٨٥
من قرأ ﴿قل هو الله أحد﴾...	أبي بن كعب أو رجل من الأنصار	١١٢ - الإخلاص/فضائها
من قرأ بمائة آية في ليلة...	تميم الداري	٣٩ - الزمر/٩
من قرأ حم الدخان في ليلة...	أبو هريرة	٤٤ - الدخان/فضائلها
من قرأ حم الدخان في ليلة...	أبو هريرة	٤٤ - الدخان/فضائلها
من قرأ حم المؤمن إلى ﴿إليه المصير﴾...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٥٥
من قرأ دبر كل صلاة مكتوبة آية الكرسي	أبو أمامة	٢ - البقرة/٢٥٥
من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة...	ابن عمر	١٨ - الكهف/فضائلها
من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة...	أبو سعيد الخدري	١٨ - الكهف/فضائلها
من قرأ سورة الكهف كما نزلت...	أبو سعيد الخدري	١٨ - الكهف/فضائلها
من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة...	أبو سعيد الخدري	١٨ - الكهف/فضائلها
من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة	علي	١٨ - الكهف/فضائلها
من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة...	ابن مسعود	١٨ - الكهف/فضائلها
من قرأ سورة الواقعة كل ليلة...	ابن مسعود	١٨ - الكهف/فضائلها
من قرأ عشر آيات من الكهف...	أبو الدرداء	١٨ - الكهف/فضائلها
من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف...	أبو الدرداء	١٨ - الكهف/فضائلها
من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف...	ثوبان	١٨ - الكهف/فضائلها
من قرأ في ليلة ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه﴾ كان له من النور...	عمر	١٨ - الكهف/١١٠
من قرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ حتى يختمها	معاذ بن أنس الجهني	١٩ - مريم/٧١
من قرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ حتى يختمها عشر مرات...	معاذ بن أنس الجهني	١١٢ - الإخلاص/فضائلها
من قرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ حين يدخل منزله...	جرير بن عبد الله	١١٢ - الإخلاص/فضائلها
من قرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ خمس مرات...	أنس	١١٢ - الإخلاص/فضائلها
من قرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ عشر مرات...	سعيد بن المسيب	١١٢ - الإخلاص/فضائلها
من قرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ في يوم مائتي مرة...	أنس	١١٢ - الإخلاص/فضائلها

من قرأ ﴿قل هو اللّٰه أحد﴾ مائتي مرة...	أنس	١١٢ - الإخلاص/فضائلها
من قرأ كل يوم مائتي مرة ﴿قل هو اللّٰه أحد﴾...	حاتم بن ميمون	١١٢ - الإخلاص/فضائلها
من قرأ مائة آية لم يكتب من الغافلين؟...	أبو الدرداء	٣ - آل عمران/١٤
من قرأ منكم بالتين والزيتون	أبو هريرة	٧٥ - القيامة/٤٠
من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه اللّٰه...	جندب بن عبد اللّٰه	٣٦ - يس/فضائلها
من قرأ يس في ليلة أصبح...	أبو هريرة	٣٦ - يس/فضائلها
من قرض بيت شعر بعد العشاء...	شداد بن أوس	٣٦ - يس/٦٩
من قضى نسكه وسلم المسلمون من لسانه...	جابر بن عبد اللّٰه	٢ - البقرة/١٩٧
من قعدت منكنّ في بيتها	أنس	٣٣ - الأحزاب/٣٣
من القوم ؟ فقلنا : نحن الفرّارون	عبد اللّٰه بن عمر	٨ - الأنفال/١٦
من كان اعتكف معي فليرجع...	أبو سعيد الخدري	٩٧ - القدر/٥
من كان بينه وبين أخيه شيءٌ فدعي إلى...	الحسن	٢٤ - النور/٥١
من كان بينه وبين قوم أجل...	عمرو بن عتبة	١٦ - النحل/٩٢
من كان عنده من هذه الخمر فليأتنا بها	عبد اللّٰه بن عمر	٥ - المائدة/٩١
من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر...	عبد اللّٰه بن عمرو	٣١ - لقمان/١٩
من كان لنا عاملًا فليكتسب زوجة ...	المستورد بن شداد	٣ - آل عمران/١٦١
من كان له إمام فقراءته قراءة له	جابر	٧ - الأعراف/٢٠٤
من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة	جابر بن عبد اللّٰه	١ - الفاتحة/المقدمة
من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة	...	١ - الفاتحة/٧
من كان له بيت وخادم فهو ملك	زيد بن أسلم	٥ - المائدة/٢٠
من كان له على رجل حق فأخّره...	عمران بن حصين	٢ - البقرة/٢٨٠
من كان له عند رسول اللّٰه ﷺ عدة أو دين	أبو بكر الصديق	١٩ - مريم/٥٤
من كان له مال يبلغه حج بيت ربه...	ابن عباس	٦٣ - المنافقون/١٠
من كان معه هدي فليهل بحج وعمرة	...	٢ - البقرة/١٩٦
من كان منكم أهدى فإنه لا يحل لشيء حرم منه...	ابن عمر	٢ - البقرة/١٩٦
من كان منكم أهدى فإنه لا يحل لشيء حرم منه...	عائشة	٢ - البقرة/١٩٦
من كان يؤمن باللّٰه واليوم الآخر		

فلا يجلس على مائدة يدار عليها الخمر	...	٤ - النساء/١٤٠
من كانت الدنيا همّه...	زيد بن ثابت	٢٠ - طه/١٣٢
من كانت له إبل لا يعطي حقها	أبو هريرة	٧٠ - المعارج/٤
من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما	أبو هريرة	٤ - النساء/١٢٩
من الكبائر أن يشتم الرجل والديه...	عبد اللّه بن عمرو	٤ - النساء/٣١
من كتم علمًا يعلمه ألجم يوم القيامة...	....	٢ - البقرة/٢٨٢
من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار	جابر	٤٨ - الفتح/٢٩
من كذب عليّ متعمدًا	...	٢ - البقرة/١٠٢
من كذب عليّ متعمدًا	أنس بن مالك	١٥ - الحجر/٢
من كسر أو وجع أو عرج...	الحجاج بن عمرو الأنصاري	٢ - البقرة/١٩٦
من كظم غيظًا وهو قادر على أن ينفذه...	رجل	٣ - آل عمران/١٣٤
من كظم غيظًا وهو قادر على أن ينفذه...	معاذ بن أنس	٣ - آل عمران/١٣٤
من كظم غيظًا وهو قادر على أن ينفذه...	أبو هريرة	٣ - آل عمران/١٣٤
من كفّ غضبه كفّ اللّه عنه عذابه...	أنس بن مالك	٣ - آل عمران/١٣٤
من كل الليل قد أوتر رسول اللّه ﷺ من أوله وأوسطه وآخره...	عائشة	٣ - آل عمران/١٧
من كنت خصمه خصمته	...	٢ - البقرة/٩٨
من لا يسأله يغضب عليه...	أبو هريرة	٤٠ - غافر/٦٠
من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه...	...	٣٥ - فاطر/٣٣
من لزم الاستغفار جعل اللّه له من كل همّ فرجًا	...	١١ - هود/٥٢
من لعب بالنرد فقد عصى اللّه ورسوله	أبو موسى الأشعري	٥ - المائدة/٩٠
من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم الخنزير ودمه	بريدة بن الخصيب الأسلمي	٥ - المائدة/٣
من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه	بريدة بن الخصيب الأسلمي	٥ - المائدة/٩٠
من لعق العسل ثلاث غدوات...	أبو هريرة	١٦ - النحل/٦٩
من لم تزود بالأخبار...	عائشة	٣٦ - يس/٦٩
من لم تنهه صلاته عن الفحشاء...	عمران، وابن عباس	٢٩ - العنكبوت/٤٥
من لم تنهه صلاته عن الفحشاء...	عمران بن حصين	٢٩ - العنكبوت/٤٥

من لم تنهه صلاته عن الفحشاء...	ابن عباس	٢٩ - العنكبوت/٤٥
من لم يحمد اللّٰه على ما عمل...	عبد العزيز الشامي عن أبيه	٧ - الأعراف/٥٤
من لم يدع اللّٰه عز وجل غضب عليه	أبو هريرة	٤٠ - غافر/٦٠
من لم يذر المخابرة فليؤذن بحرب من اللّٰه ورسوله	جابر	٢ - البقرة/٢٧٥
من لم يسأل اللّٰه يغضب عليه	أبو هريرة	١ - الفاتحة/البسملة
من لم يسأل اللّٰه يغضب عليه	أبو هريرة	٤٠ - غافر/٦٠
من لم يشكر القليل...	النعمان بن بشير	٩٣ - الضحى/١١
من لم يقبل رخصة اللّٰه...	ابن عمر	٥ - المائدة/٣
من لم يقبل رخصة اللّٰه كان عليه من الإثم...	ابن عمر وجابر	٢ - البقرة/١٨٥
من لم يوتر فليس منا	...	٧٣ - المزمل/٢٠
من مات على ذلك كان مع النبيين والصديقين والشهداء...	عمرو بن مرة الجهني	٤ - النساء/٦٩
من مات لا يشرك باللّٰه شيئًا	جابر	٤ - النساء/٤٨
من مات لا يشرك باللّٰه شيئًا	أبو سعيد الخدري	٤ - النساء/٤٨
من مات لا يشرك باللّٰه شيئًا دخل الجنة	ابن مسعود	٦ - الأنعام/١٥١
من مات له ثلاثة لم تمسه النار...	أبو هريرة	١٩ - مريم/٧١
من مات مرابطًا	أبو هريرة	٣ - آل عمران/٢٠٠
من مات مرابطًا أجرى اللّٰه عليه مثل...	سلمان الفارسي	٢٢ - الحج/٥٩
من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير...	أبو سعيد	٥٦ - الواقعة/٣٨
من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو	...	٢ - البقرة/٢١٦
من محمد رسول اللّٰه ﷺ إلى بني زهير بن قيس...	يزيد بن عبد اللّٰه	٨ - الأنفال/٤١
من مرّ بكم ؟ قالوا : مرّ بنا دحية الكلبي	عائشة	٣٣ - الأحزاب/٢٧
من مشى مع ظالم ليعينه...	ثمران بن صخر	٥ - المائدة/٢
من ملك ذا رحم محرم عتق عليه	سمرة	٢ - البقرة/٢٣٣
من ملك زادًا وراحلة ولم يحج بيت اللّٰه...	علي	٣ - آل عمران/٩٧
من منع فضل الماء...	عبد اللّٰه بن عمرو بن العاص	٤ - النساء/٣١
من المؤمنين من يضيء نوره...	قتادة	٢ - البقرة/٢٠

من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة إلى عدن	قتادة	٥٧ - الحديد/١٢
من نام عن صلاة أو نسيها	أنس	٢٠ - طه/١٤
من نذر أن يطيع اللّه فليطعه...	عائشة	٧٦ - الإنسان/٧
من نزل به حاجة...	عبد اللّه بن مسعود	٦٥ - الطلاق/٣
من نسي الصلاة عليّ أخطأ طريق الجنة	ابن عباس	٣٣ - الأحزاب/٥٦
من نسي الصلاة عليّ أخطأ طريق الجنة	محمد بن علي الباقر	٣٣ - الأحزاب/٥٦
من نفس عن غريمه أو محا عنه كان في ظل العرش يوم القيامة	أبو قتادة	٢ - البقرة/٢٨٠
من نوقش الحساب عذب	عائشة	٨٤ - الانشقاق/٨
من نوقش الحساب عذب	عائشة	٨٤ - الانشقاق/٨
من هجر السيئات...	أبو ذر	٤ - النساء/١٦٤
من هذا	أبو ذر	٤ - النساء/٤٨
من هذا ؟ أبو إسحاق...	سعد بن أبي وقاص	٢١ - الأنبياء/٨٨
من هذا ؟ فقلت أنا ابن مسعود...	ابن مسعود	٤٦ - الأحقاف/٢٩
من هذا ؟ فقلت : حذيفة...	حذيفة بن اليمان	٣٣ - الأحزاب/١٠
من هذا ؟ قال أنا أبو هريرة...	أبو هريرة	٤٦ - الأحقاف/٢٩
من هذا ؟ قلت : عبد الرحمن	عبد الرحمن بن عوف	٣٣ - الأحزاب/٥٦
من هذا يا جبريل الذي قد فضّل على الناس في الحسن ؟...	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/١
من هذه ؟ قلت : أنا حبيبة بنت سهل فقال : ما شأنك...	حبيبة بنت سهل	٢ - البقرة/٢٢٩
من همّ بحسنة...	أنس بن مالك	٦ - الأنعام/١٦٠
من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٨٤
من هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه...	...	٢ - البقرة/١٠٨
من وافداك ؟...	عدي بن حاتم	١ - الفاتحة/٧
من وجد فلم يصنع فلا يقربن مصلانا	أبو هريرة	٢٢ - الحج/٣٧
من وجدتم في متاعه غلولًا فأحرقوه...	عمر بن الخطاب	٣ - آل عمران/١٦١

من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط...	ابن عباس	٧ - الأعراف/٨٤
من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط...	ابن عباس	١١ - هود/٨٢
من وعد الله على عمل ثوابًا	أنس	٤ - النساء/٤٨
من ولد له ثلاثة أولاد في الإسلام فماتوا	...	٩٠ - البلد/١٣
من ولي لنا عملًا وليس له منزل فليتخذ منزلًا	المستورد بن شدّاد	٣ - آل عمران/١٦١
من يأكلها والله يا أبا بكر أنعم...	قتادة	٥٦ - الواقعة/٢١
من يتزود في الدنيا ينفعه في الآخرة	جرير بن عبد الله	٢ - البقرة/١٩٧
من يتصدق بصدقة ، أشهد له بها يوم القيامة...	رجل عن أبيه أو عمه	٩ - التوبة/٧٩
من يحرسنا هذه الليلة...	أبو ريحانة	٣ - آل عمران/٢٠٠
من يدخل الجنة ينعم...	أبو هريرة	٣٢ - السجدة/١٧
من يرائي يرائي الله به...	أبو سعيد الخدري	١٨ - الكهف/١١٠
من يرجع في أثرهم...	عائشة	٣ - آل عمران/١٦٩
من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين	معاوية	٤ - النساء/٤٩
من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين	معاوية	٢٠ - طه/٣
من يردهم عنّا	أنس بن مالك	٣ - آل عمران/١٥٣
من يصعد الثنية ثنية المرار...	جابر	٤٨ - ا لفتح/١٠
من يضمن عني ديني ومواعيدي	علي	٢٦ - الشعراء/٢١٤
من يطع الله ورسوله فقد رشد...	...	٤ - النساء/٨٠
من يعمل سوءًا في الدنيا يجز به...	أبو بكر	٤ - النساء/١٢٣
من يعمل سوءًا يجز به في الدنيا	أبو بكر	٤ - النساء/١٢٣
من يعمل سوءًا يجز به في الدنيا	الزبير	٤ - النساء/١٢٣
من يقل عليّ ما لم أقل...	رجل من أصحاب النبي ﷺ	٢٥ - الفرقان/١٢
من يقم الحول يصب ليلة القدر...	...	٩٧ - القدر/٥
من يكفل لي ما بين لحييه...	...	٢٤ - النور/٣٠
منعت الزكاة وأردت قتل رسولي	الحارث بن أبي ضرار	٤٩ - الحجرات/٦
منهم من تأخذه النار إلى ركبتيه...	علي	١٥ - الحجر/٢
منهومان لا يشبعان	...	٩٦ - العلق/٧

مه لا تقولن هكذا إن النطفة إذا استقرت في الرحم...	رباح	٨٢ - الانفطار/٨
المهاجرون والأنصار...	ابن مسعود	٨ - الأنفال/٧٢
المهاجرون والأنصار بعضهم أولياء بعض...	جابر بن عبد الله	٨ - الأنفال/٧٢
المهاجرون والأنصار بعضهم أولياء بعض...	جابر	٨ - الأنفال/٧٥
مهلًا يا قوم بهذا أهلكت الأمم من قبلكم...	عبد الله بن عمرو بن العاص	٤ - النساء/٨٢
موت الفجأة رحمة للمؤمن	...	٧ - الأعراف/٩٥
موج مكفوف عنكم	ابن عباس	٢١ - الأنبياء/٣٢
المؤذنون أطول الناس أعناقًا	...	٤١ - فصلت/٣٣
موسى رسول الله ذكّر الناس يومًا	أبي بن كعب	١٨ - الكهف/٦٥
موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها	أبو هريرة	٣ - ال عمران/١٨٥
موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها	أبو هريرة	٥٧ - الحديد/٢٠
المولود حتى يبلغ الحنث...	أنس بن مالك	٢٢ - الحج/٥
المؤمن إذا عمل حسنة سرته...	أبو ذر	٢ - البقرة/١٧٧
المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم...	رجل من أصحاب النبي ﷺ	٥ - المائدة/٢
المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم...	شيخ من أصحاب النبي ﷺ	٥ - المائدة/٢
المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم...	عمر	١٢ - يوسف/١٠٩
المؤمن في قبره في روضة خضراء...	أبو هريرة	٢٠ - طه/١٢٤
المؤمن القوي خير وأحب إلى الله...	...	٥٧ - الحديد/١٠
المؤمن للمؤمن كالبنيان	...	٤٨ - الفتح/٢٩
المؤمن لا ينجس	...	٤٨ - الفتح/٢٩
المؤمن للمؤمن كالبنيان	...	٤٩ - الحجرات/١٠
المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا	...	٩ - التوبة/٧١
المؤمن يأكل في معي واحد...	...	٤٧ - محمد/١٢
مؤمنوا أمتي شهداء...	البراء بن عازب	٥٧ - الحديد/١٩
المؤمنون في الدنيا على ثلاثة أجزاء...	أبو سعيد	٤٩ - الحجرات/١٥
الموؤدة في الجنة	الحسن	٨١ - التكوير/٩
الميت تحضره الملائكة...	أبو هريرة	٧ - الأعراف/٤٠

حرف النون

﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ لوح من نور وقلم...	قرة	٦٨ - القلم/١
نار بني آدم التي توقدون	أبو هريرة	١٠١ - القارعة/١١
نار بني آدم التي توقدونها جزء من سبعين	أبو هريرة	٩ - التوبة/٨١
نار بني آدم التي يوقدون جزء من	أبو هريرة	٥٦ - الواقعة/٧١
ناركم هذه جزء من سعبين جزءًا	عبد اللّٰه بن مسعود	
	وأبو سعيد الخدري	١٠١ - الواقعة/١١
الناس خير...	أبو سعيد الخدري	١١٠ - النصر/١
الناس لآدم وحواء طف الصاع...	عقبة بن عامر	٤٩ - الحجرات/١٣
ناولني كفًا من التراب...	ابن مسعود	٩ - التوبة/٢٥
ناوليني الخمرة من المسجد...	عائشة	٤ - النساء/٤٣
النائحة إذا لم تتب...	أبو أمامة	١٤ - إبراهيم/٥٠
نبئت أن أبا بكر كان إذا صلّى فقرأ خفض صوته...	محمد بن سيرين	١٧ - الإسراء/١١٠
النبيّ في الجنة والشهيد في الجنة...	خنساء بنت معاوية عن عمها	١٧ - الإسراء/١٥
النبيّ في الجنة والشهيد في الجنة...	خنساء بنة معاوية عن عمها	٨١ - التكوير/٩
نتزوج نساء أهل الكتاب ولا يتزوجون نساءنا	جابر بن عبد اللّٰه	٢ - البقرة/٢٢١
نثل لي رسول اللّٰه ﷺ كنانته يوم أحد...	سعد بن أبي وقاص	٣ - آل عمران/١٥٣
النجوم أمنة للسماء...	...	٤٣ - الزخرف/٤٢
نحر رسول اللّٰه ﷺ يوم الحديبية سبعين بدنة...	ابن عباس	٤٨ - الفتح/٢٦
نحرنا على عهد رسول اللّٰه ﷺ فرسًا	أسماء بنت أبي بكر	١٦ - النحل/٨
نحلني أبي نحلًا	النعمان بن بشير	٥ - المائدة/٨
نحن الآخرون الأولون يوم القيامة...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢١٣
نحن الآخرون الأولون يوم القيامة...	أبو هريرة	٣ - آل عمران/١١٠
نحن الآخرون السابقون يوم القيامة...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٢٤
نحن الآخرون السابقون يوم القيامة...	...	٥٦ - الواقعة/١٣
نحن الآخرون السابقون يوم القيامة...	...	١٠ - يونس/٤٧
نحن الآخرون السابقون يوم القيامة...	أبو هريرة	١٦ - النحل/١٢٤

نحن الآخرون السابقون يوم القيامة...	أبو هريرة	٦٢ - الجمعة/٩
نحن أحق بالشك من إبراهيم...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٩٠
نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال...	أبو هريرة	١٢ - يوسف/٥٠
نحن أعلم بهذه الآية، إنما نزلت فينا	أبو أيوب الأنصاري	٢ - البقرة/١٩٥
نحن أولى بموسى فصوموه	ابن عباس	٢٠ - طه/٨٠
نحن الخيرات الحسان	...	٥٥ - الرحمن/٧٠
نحن معاشر الأنبياء إخوة...	أبو هريرة	٥ - المائدة/٤٨
نحن معاشر الأنبياء أولاد علات...	...	٦ - الأنعام/١٥٩
نحن معاشر الأنبياء أولاد علات...	...	٦ - الأنعام/١٦٣
نحن معاشر الأنبياء أولاد علات...	...	١٠ - يونس/٧٢
نحن معاشر الأنبياء أولاد علات...	...	٢١ - الأنبياء/٩٢
نحن معاشر الأنبياء لانورّث...	...	١٩ - مريم/٦
نحن معشر الأنبياء أولاد علات...	...	٢ - البقرة/١٣٣
نخن معشر الأنبياء أولاد علات...	...	٤٢ - الشورى/٧
نخن معشر الأنبياء لا نورّث...	...	١٩ - مريم/٥
نحن يوم القيامة على كوم فوق الناس	...	١٠ - يونس/٢٨
الندم توبة	...	٦٦ - التحريم/٨
نرى هذه الآية نزلت في أنس بن النضر...	أنس بن مالك	٣٣ - الأحزاب/٢٤
نزع رسول الله ﷺ بهذه الآية		
﴿فيتبعون ما تشابه منه﴾...	عائشة	٣ - آل عمران/٧
نزل آدم بتحريم أربع...	أبو الطفيل	٥ - المائدة/٣
نزل بالنجاشي عدو من أرضهم...	الزبير	٣ - آل عمران/١٩٩
نزل جبريل على النبي ﷺ فقال :		
مات معاوية بن معاوية الليثي	أنس	١١٢ - الإخلاص/فضائلها
نزل جبريل في ألف من الملائكة...	علي	٨ - الأنفال/٩
نزل رسول الله ﷺ بأعرابي فأكرمه...	أبو موسى	٢٦ - الشعراء/٥٢
نزل على محمد ﷺ بمكة وإني لجارية ألعب...	عائشة	٥٤ - القمر/٤٦

نزل عليَّ البارحة سورة هي أحب إليَّ من	عمر بن الخطاب	٤٨ - الفتح/١
نزل عمر الروحاء فرأى رجالًا يبتدرون أحجارًا يصلون إليها	الشعبي	٢ - البقرة/٩٨
نزل القرآن على سبعة أحرف	أبو هريرة	٣ - آل عمران/٧
نزل النبي ﷺ حين سار إلى بدر...	ابن عباس	٨ - الأنفال/١١
نزلت آية الكلالة على النبي ﷺ وهو في مسير له...	حذيفة	٤ - النساء/١٧٦
نزلت آية المتعة في كتاب الله وفعلناها	عمران بن حصين	٢ - البقرة/١٩٦
نزلت براءة فبعث رسول الله ﷺ أبا بكر...	زيد بن يثيع	٩ - التوبة/٣
نزلت بمكة ﴿**وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا**﴾...	عطاء بن يسار	١٧ - الإسراء/٨٥
نزلت ﴿**حافظوا على الصلوات وصلاة العصر**﴾ فقرأناها على رسول الله ﷺ...	البراء بن عازب	٢ - البقرة/٢٣٨
نزلت سورة الأنعام على النبي ﷺ جملة وأنا آخذة بزمام ناقة	أسماء بنت يزيد	٦ - الأنعام/سببها
نزلت سورة الأنعام معها موكب من الملائكة...	أنس بن مالك	٦ - الأنعام/سببها
نزلت علي رسول الله ﷺ وهو في بعض أبياته ﴿**واصبر نفسك**﴾...	عبد الرحمن بن سهل بن حنيف	١٨ - الكهف/٢٨
نزلت على النبي ﷺ ﴿**ليغفر لك الله**﴾...	أنس بن مالك	٤٨ - الفتح/١
نزلت عليَّ سورة الأنعام جملة واحدة...	ابن عمر	٦ - الأنعام/سببها
نزلت ﴿**فمن يعمل مثقال ذرة**﴾...	أبو قلابة	٤٢ - الشورى/٣٠
نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر حين بعثه رسول الله ﷺ...	عكرمة	٥ - المائدة/٥١
نزلت في أمة لعبد الله بن أبي ابن سلول...	جابر	٢٤ - النور/٣٣
نزلت في أناس من أمتي يكونون	زرارة	٥٤ - القمر/٤٩
نزلت في الأنصار...	البراء بن عازب	٢ - البقرة/٢٦٧
نزلت في بدر	ابن عباس	٨ - الأنفال/١
نزلت في الخمر ثلاث آيات...	ابن عمر	٥ - المائدة/٩١
نزلت في الدعاء ﴿**ولا تجهر بصلاتك**﴾...	ابن عباس	١٧ - الإسراء/١١٠

نزلت في الدعاء ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾...	عائشة	١٧ - الإسراء/١١٠
نزلت في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف...	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٥٦
نزلت في صهيب بن سنان الرومي ، وذلك أنه لما أسلم...	ابن عباس وجماعة	٢ - البقرة/٢٠٧
نزلت في عبد الله بن أبي ، وذلك أنه اقتتل رجلان	قتادة	٩ - التوبة/٧٤
نزلت في عبد الله بن أنيس...	عبد الله بن عباس	٢٢ - الحج/٢٥
نزلت في عبد الله بن رواحة كانت له أمة سوداء...	السدي	٢ - البقرة/٢٢١
نزلت في عليّ والعباس وشيبة بن عثمان	الحسن	٩ - التوبة/١٩
نزلت في كبشة بنت معن	عكرمة	٤ - النساء/١٩
نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون	ابن مسعود	١٧ - الإسراء/٥٧
نزلت فينا كنا أصحاب نخل...	البراء	٢ - البقرة/٢٦٧
نزلت فيَّ أربع آيات...	سعد بن مالك	٨ - الأنفال/١
نزلت فيَّ أربع آيات...	سعد	٢٩ - العنكبوت/٩
نزلت فيَّ ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾...	جابر	٤ - النساء/١٧٦
نزلت المائدة من السماء عليها خبز ولحم...	عمار بن ياسر	٥ - المائدة/١١٢
نزلت هذه الآية ﴿الذين ينفقون أموالهم﴾...	عريب المليكي	٢ - البقرة/٢٧٤
نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ وهو قائم عشية عرفة...	علي	٥ - المائدة/٣
نزلت هذه الآية في أهل قباء...	أبو هريرة	٩ - التوبة/١٠٨
نزلت هذه الآية في أهل قباء ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا﴾...	ابن عباس	٩ - التوبة/١٠٨
نزلت هذه الآية في التشهد ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾...	عائشة	١٧ - الإسراء/١١٠
نزلت هذه الآية في الجلاس بن سويد بن الصامت...	عروة بن الزبير	٩ - التوبة/٧٤
نزلت هذه الآية في خمسة...	أبو سعيد	٣٣ - الأحزاب/٣٣
نزلت هذه الآية في رهط من أصحاب النبي ﷺ...	ابن عباس	٥ - المائدة/٨٨
نزلت هذه الآية في ستة من أصحاب النبي ﷺ...	سعد	٦ - الأنعام/٥٢
نزلت هذه الآية في فتى من الأنصار...	الزهري	٧ - الأعراف/٢٠٤
نزلت هذه الآية في قتل عثمان رضي الله عنه		

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾...	المغيرة بن شعبة	٨ - الأنفال/٢٨
نزلت هذه الآية ورسول الله ﷺ متوارٍ بمكة ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾...	ابن عباس	١٧ - الإسراء/١١٠
نزلت هذه الآية ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء﴾ في عائشة...	ابن أبي مليكة	٤ - النساء/١٢٩
نزلت هذه الآية وما نعلم في أي شيء نزلت...	ابن عمر	٣٩ - الزمر/٣١
نزلت هذه الآية ﴿ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا﴾...	ابن عباس	٤ - النساء/٩٣
نزلت هذه الآية ﴿ياأيها النبي لم تحرم﴾ في المرأة التي وهبت نفسها	ابن عباس	٦٦ - التحريم/١
نزلت هذه الآية ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾...	سمرة	٥ - المائدة/٣
نزلت وأبو بكر جالس فقال : يا رسول الله ما أحسن هذا	ابن عباس	٨٩ - الفجر/٣٠
نساء عجائز كن في الدنيا	أنس بن مالك	٥٦ - الواقعة/٣٥
نسخ من هذه السورة آيتان	ابن عباس	٥ - المائدة/٢
النسك شاة ، والصيام ثلاثة أيام...	ابن عباس	٢ - البقرة/١٩٦
نسمة المؤمن طائر...	كعب بن مالك	٢ - البقرة/١٥٤
نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة...	كعب بن مالك	٣ - آل عمران/١٦٩
نصبر ولا نعاقب	أبي بن كعب	١٦ - النحل/١٢٦
نصرت بالرعب على العدو	أبو هريرة	٣ - آل عمران/١٥١
نصرت بالرعب ، وأوتيت جوامع الكلم	أبو هريرة	٩ - التوبة/٢٥
نصرت بالصبا	...	٦٩ - الحاقة/٧
نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور...	ابن عباس	٥١ - الذاريات/٤١
النظر إلى وجه الرحمن عز وجل	كعب بن عجرة	١٠ - يونس/٢٦
نظر إليّ رسول الله ﷺ ذات يوم...	جابر بن عبد الله	٣ - آل عمران/١٦٩
نظر رسول الله ﷺ إلى الشمس حين غابت...	عبد الله بن عمرو	١٨ - الكهف/٨٦
نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلة البدر...	جرير	٧٥ - القيامة/٢٣
نظر رسول الله ﷺ إلى ملك الموت...	جعفر بن محمد عن أبيه	٣٢ - السجدة/١١

نظرت إلى الجنة فإذا الزمانة...	أبو سعيد الخدري	٥٥ - الرحمن/٦٨
نعم (في جوابه ﷺ على سؤال عمر رضي اللّه عنه)	جابر	٢ - البقرة/١٢٥
نعم ... (في جوابه ﷺ على سؤال الفريعة)	الفريعة بنت مالك	٢ - البقرة/٢٤٠
نعم ... (في جوابه ﷺ لطلب الأقرع بن حابس)	خباب	٦ - الأنعام/٥٢
نعم أنا أصدّقه بأبعد من ذلك...	أبو بكر	١٧ - الإسراء/١
نعم إنه ليهبط أهل الدرجة العليا	أبو أمامة	٦٩ - الحاقة/٢٢
نعم إلا الذي قاله لي جبريل آنفًا	...	٣ - آل عمران/١٩٥
نعم ، حين يوضع الصراط...	عائشة	٥٥ - الرحمن/٤١
نعم خصال أربع...	مالك بن ربيعة الساعدي	١٧ - الإسراء/٢٤
نعم ، صبغًا لا ينفض...	ابن عباس	٣٥ - فاطر/٢٧
نعم صلي أُمَّكِ	أسماء بنت أبي بكر	٦٠ - الممتحنة/٨
نعم ، عذاب القبر حقّ...	عائشة	٤٠ - غافر/٤٦
نعم ، فصلاها	عائشة وأسماء	٦٠ - الممتحنة/٨
نعم ، فقاتل بمقبل قومك مدبرهم...	فروة بن مسيك	٣٤ - سبأ/١٥
نعم فلو كان شيء يسبق القدر...	عبيد بن رفاعة الزرقي	٦٨ - القلم/٥١
نعم ، فمن لم يسجد بهما فلا يقرأهما	عقبة بن عامر	٢٢ - الحج/١٨
نعم فيها فاكهة ونخل ورومان	عمر بن الخطاب	٥٥ - الرحمن/٦٨
نعم ، فقال : أفلا نتخذه مصلى ؟...	جابر	٢ - البقرة/١٢٥
نعم ، فقال : أفلا نتخده مصلى ؟...	أبو ميسرة	٢ - البقرة/١٢٥
نعم ، قال : تأمرني أقاتل الكفار...	ابن عباس	٦٠ - الممتحنة/٧
نعم ، قال رضي اللّه عنه : إن الأمر إذًا لشديد...	الزبير	٣٩ - الزمر/٣١
نعم ، قال : فما عظم العنقود؟...	عتبة بن عبد السلمي	١٣ - الرعد/٣٥
نعم ، قال لمعاوية تجعله كاتبًا	ابن عباس	٢٦ - الشعراء/٢٢٧
نعم قد جاءني	عمرو بن ميمون	٨٥ - البروج/١٧
نعم قد جاءني	عمرو بن ميمون	٨٨ - الغاشية/١
نعم ، قولوا : اللّهم استر عوراتنا	أبو سعيد الخدري	٣٣ - الأحزاب/١١
نعم القوم أنتم لولا أنكم تقولون	...	٢ - البقرة/٢٢

نعم ، قوم من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني	أبو عبيدة بن الجراح	٢ - البقرة/٢
نعم ليكررن عليكم ، حتى يؤدي	الزبير بن العوام	٣٩ - الزمر/٣١
نعم ، نبيًا رسولًا يكلمه الله قبيلًا	أبو ذر	٢ - البقرة/٣٥
نعم ، هل تمارون في رؤية الشمس والقمر...	أبو هريرة	٤١ - فصلت/٣٢
نعم هو في ضحضاح من نار...	...	٤ - النساء/٤٠
نعم والذي نفس محمد بيده إن الرجل منهم ليعطى	زيد بن أرقم	١٣ - الرعد/٣٥
نعم ، والذي نفسي بيده دحمًا دحمًا	أبو هريرة	٥٦ - الواقعة/٣٧
نعم وأولاد المشركين	سمرة	١٧ - الإسراء/١٥
نعم ، وفيها شجرة تدعى طوبى...	عتبة بن عبد السلمي	٥٦ - الواقعة/٣٣
نعم ومن يعمل حسنةً يجز بها عشرًا	ابن عباس	٤ - النساء/١٢٣
نعم ، وهو لكم كالمائدة لبني إسرائيل ، فأبوا ورجعوا	مجاهد	٢ - البقرة/١٠٨
نعم يا أبا الدحداح...	عبد الله بن مسعود	٢ - البقرة/٢٤٥
نعم يا أبا الدحداح ، قال أرني يدك...	عبد الله بن مسعود	٥٧ - الحديد/١١
نعم يجزي به المؤمن في الدنيا	عائشة	٤ - النساء/١٢٣
نعم ، يميتك الله تعالى...	جماعة	٣٦ - يس/٧٧
نعم ، يميتك الله ثم يحييك...	ابن عباس	٣٦ - يس/٧٧
نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس...	ابن عباس	١٠٢ - التكاثر/٨
النعمة أنهم سلموا	ابن عباس	٣ - آل عمران/١٧٤
نعوذ بالله من شياطين	أبو ذر	٢ - البقرة/١٥
نعيت إليّ نفسي	ابن عباس	١١٠ - النصر/١
نعيت إليّ نفسي يا ابن مسعود...	ابن مسعود	٤٦ - الأحقاف/٢٩
نعيت لرسول الله ﷺ نفسه...	ابن عباس	١١٠ - النصر/١
نقيقها تسبيح (الضفدع)...	عبد الله بن عمرو	١٧ - الإسراء/٤٤
نهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة...	أنس بن مالك	٥٦ - الواقعة/٢١
نهر أعطيه نبيكم ﷺ...	عائشة	١٠٨ - التكاثر/١
نهى رسول الله ﷺ أن تؤتى النساء في أدبارهن	علي بن طلق	٢ - البقرة/٢٢٣
نهى رسول الله ﷺ أن نضحي بأعضب القرن	علي	٢٢ - الحج/٣٢

نهى رسول اللّه ﷺ أن يسافر بالقرآن	ابن عمر	٤٥ - الجاثية/٩
نهى رسول اللّه ﷺ عن أصناف النساء...	عبد اللّه بن عباس	٢ - البقرة/٢٢١
نهى رسول اللّه ﷺ عن أصناف النساء إلا	ابن عباس	٣٣ - الأحزاب/٥٢
نهى رسول اللّه ﷺ عن أكل لحوم الخيل...	خالد بن الوليد	١٦ - النحل/٨
نهى رسول اللّه ﷺ عن البيع والابتياع...	عبد الله بن عمرو	٢٤ - النور/٣٦
نهى رسول اللّه ﷺ عن الجعرور...	سهل بن حنيف	٢ - البقرة/٢٦٧
نهى رسول اللّه ﷺ عن صوم أيام التشريق...	عائشة	٢ - البقرة/٢٠٣
نهى رسول اللّه ﷺ عن قتل الضفدع...	عبد اللّه بن عمرو	٥ - المائدة/٩٦
نهى رسول اللّه ﷺ عن قتل الضفدع...	عبد اللّه بن عمرو	١٧ - الإسراء/٤٤
نهى رسول اللّه ﷺ عن لحوم الحمر الأهلية...	جابر بن عبد اللّه	١٦ - النحل/٨
نهى رسول اللّه ﷺ عن معاقرة الأعراب	ابن عباس	٥ - المائدة/٣
نهى رسول اللّه ﷺ عن نكاح المتعة...	علي بن أبي طالب	٤ - النساء/٢٤
نهى رسول اللّه ﷺ عن الوصال رحمة لهم...	عائشة	٢ - البقرة/١٨٧
نهى النبي ﷺ عن أربع من الدواب...	أبو هريرة	٢٧ - النمل/٢٦
نهينا أن نسأل رسول اللّه ﷺ عن شيء	أنس	٢ - البقرة/١٠٨
النوح	أم سلمة	٦٠ - الممتحنة/١٢
نور أنّى أراه	أبو ذر	١٧ - الإسراء/١
نور أنّى أراه	أبو ذر	٥٣ - النجم/١١
نور أنّى أراه	أبو ذر	٥٣ - النجم/١٥
نور يقذف في القلب...	عبد اللّه بن مسعود	٦ - الأنعام/١٢٥
النوم أخو الموت...	جابر	٤٤ - الدخان/٥٦
النوم أخو الموت...	جابر	٤٤ - الدخان/٥٦

حرف الهاء

هاتوا	ابن عباس	٣ - آل عمران/٩٥
هاتوا ، قالوا : فأخبرنا عن علامة النبي؟...	ابن عباس	٢ - البقرة/٩٨
هاجر خالد بن حزام إلى أرض الحبشة فنهشته حية...	الزبير بن العوام	٤ - النساء/١٠٠
هاجرت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط...	عبد اللّه بن أبي أحمد	٦٠ - الممتحنة/١٠

هاجهم وجبريل معك...	...	٢٦ - الشعراء/٢٢٧
الهالك في الفترة والمعتوه والمولود...	أبو سعيد الخدري	١٧ - الإسراء/١٥
هاما ، فيقول الصديق رضي الله عنه	...	٣٦ - يس/٦٩
هاؤم ، فقال له متى الساعة؟...	...	٤٢ - الشورى/١٨
هؤلاء أهل بيتي	أم سلمة	٣٣ - الأحزاب/٣٣
هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس...	أم سلمة	٣٣ - الأحزاب/٣٣
هؤلاء قوم من أهل اليمن ثم من كندة...	جابر بن عبد الله	٥ - المائدة/٥٤
هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة...	أبو سعيد الخدري	٣٥ - فاطر/٣٢
هبطوا على النبي ﷺ وهو يقرأ القرآن	عبد الله بن مسعود	٤٦ - الأحقاف/٦٩
هجرت إلى رسول الله ﷺ يومًا فإنا الجلوس...	عبد الله بن عمرو	٤ - النساء/٨٢
هذا أول الحشر وأنا على الأثر	الحسن	٥٩ - الحشر/٢
هذا جبل يحبنا ونحبه	...	٢ - البقرة/٧٤
هذا جبل يحبنا ونحبه	أنس بن مالك	٢ - البقرة/١٢٦
هذا جمدان ، سيروا فقد سبق المفردون	أبو هريرة	٣٣ - الأحزاب/٣٥
هذا حجر ألقي به من شفير جهنم...	ابن مسعود	٢ - البقرة/٢٤
هذا رجل غادر...	الزهري	٤٨ - الفتح/٢٦
هذا الزيت المبارك الذي قال...	عمر	٢٣ - المؤمنون/٢٠
هذا سبيل الله...	عبدالله بن مسعود	٦ - الأنعام/١٥٣
هذا سبيل الله...	جابر	٦ - الأنعام/١٥٣
هذا في المرأة تكون عند الرجل...	عائشة	٤ - النساء/١٢٨
هذا قبر أبي رغال...	عبد الله بن عمرو	٧ - الأعراف/٧٨
هذا كتاب رسول الله ﷺ عندنا الذي كتبه لعمرو بن حزم...	أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم	٥ - المائدة/١
هذا ما كتب لي رسول الله ﷺ...	عبد الله بن عمرو	٣٩ - الزمر/٤٦
هذا المجلس الذي أمرت أن أصبر نفسي معهم...	الأغر أبو مسلم	١٨ - الكهف/٢٨
هذا المجلس الذي أمرت أن أصبر نفسي معهم	أبو هريرة وأبو سعيد	١٨ - الكهف/٢٨
هذا من النعيم الذي تسألون عنه...	عن عمر بن الخطاب	١٠٢ - التكاثر/٨

هذا من النعيم الذي تسألون عنه...	جابر بن عبد اللّٰه	١٠٢ - التكاثر/٨
هذا وضوء من لم يحدث	علي بن أبي طالب	٥ - المائدة/٦
هذا وضوء لا يقبل اللّٰه الصلاة إلا به	عبد اللّٰه بن عمرو بن العاص	٥ - المائدة/٦
هذا وقومه ، ولو كان الدين عند الثريا	أبو هريرة	٤٧ - القتال/٣٨
هذا يوم بدر ، أخذ رسول اللّٰه ﷺ ثلاث حصبات...	عبد الرحمن بن زيد	٨ - الأنفال/١٧
هذا يوم الحج الأكبر	ابن مخرمة	٩ - التوبة/٣
هذا يوم الحج الأكبر	ابن عمر	٩ - التوبة/٣
هذه الأنهار تشخب من جنة عدن	عبد اللّٰه بن قيس	٤٧ - محمد/١٥
هذه بتلك	عائشة	٤ - النساء/١٩
هذه ثم ظهور الحصر	أبو واقد الليثي	٣ - آل عمران/٩٧
هذه صلاة الفجر ، وقبض التي تليها	رجل	٢ - البقرة/٢٣٨
هذه عِير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليهم...	ابن عباس	٨ - الأنفال/٧
هذه لرسول اللّٰه ﷺ خاصة...	عمر	٥٩ - الحشر/١٠
هذه اللقاح تغدو عليكم وتروح...	سعيد بن جبير	٥ - المائدة/٣٣
هذه لكن وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها	قتادة	٧ - الأعراف/١٨١
هذه للجنة ولا أبالي	معاذ بن جبل	٥٦ - الواقعة/٨
هذه مبايعة اللّٰه العبد...	عائشة	٢ - البقرة/٢٨٤
هذه النار جزء من مائة جزء من جهنم	أبو هريرة	١٠١ - القارعة/١١
هكذا أمرني به ربي عز وجل	أنس بن مالك	٥ - المائدة/٦
هكذا عنك - أو هكذا - فإنما الاستئذان	هزيل	٢٤ - النور/٢٧
هكذا عنك - أو هكذا - فإنما الاستئذان	سعد	٢٤ - النور/٢٧
هكذا فتعوذ...	عبد اللّٰه الأسلمي	المعوّذتان
هكذا يخرج يأجوج ومأجوج	ابن عباس	٢١ - الأنبياء/٩٦
هل أخبرت بها أحدًا؟...	الطفيل بن سخبرة	٢ - البقرة/٢٢
هل أنت إلّا أصبع دميت...	جندب بن عبد اللّٰه	٣٦ - يس/٦٩
هل أنت إلّا أصبع دميت...	جندب بن عبد اللّٰه البجلي	٩٣ - الضحى/١
هل أنت مؤمن إذا أخبرتك بأسمائها ؟ قال : نعم...	جابر	١٢ - يوسف/٤

هل بلغت اللّهم هل بلغت	أم عبد اللّه بن عباس	٣ - آل عمران/١٠
هل بينكم وبين تميم شيء...	الحارث البكري	٧ - الأعراف/٧٢
هل تتهمون فيه من أحد؟...	أبو أمامة	٦٨ - القلم/٥١
هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق اللّه؟...	عبد اللّه بن عمرو	١٣ - الرعد/٢٣
هل تدرون لم أرسلت إليهم؟...	زيد	١٤ - إبراهيم/٤٨
هل تدرون ما البيت المعمور؟...	قتادة والربيع والسدي	٥٢ - الطور/٤
هل تدرون ماذا قال ربكم...	زيد بن خالد الجهني	٥٦ - الواقعة/٨٢
هل تدرون ماذا قال ربكم الليلة؟...	...	١٠ - يونس/٢١
هل تدرون ما قال ؟...	أنس بن مالك	٥٨ - المجادلة/٨
هل تدرون ما قال ربكم؟...	أنس بن مالك	٥٥ - الرحمن/٦٠
هل تدرون ما هذا ؟...	أبو هريرة	٥٧ - الحديد/٣
هل تدري أين صلّى رسول اللّه ﷺ في مسجدكم هذا ؟...	عبد اللّه بن عمر	٦ - الأنعام/٦٥
هل تدعو اللّه بشيء أو تسأله إياه ؟ قال نعم...	أنس	٢ - البقرة/٢٠٣
هل تزوجت يا فلان ؟...	أنس بن مالك	٩٩ - الزلزلة/فضائلها
هل تستطيع أن تريني كيف كان رسول اللّه ﷺ يتوضأ	عمرو بن يحيى	٥ - المائدة/٦
هل تستطيع أن تصلي فلا تفتر...	أبو هريرة	٣ - آل عمران/٢٠٠
هل تسمعون ما أسمع ؟...	حكيم بن حزام	٢١ - الأنبياء/٢٠
هل تسمعون ما أسمع ؟...	حكيم بن حزام	٧٤ - المدثر/٣١
هل تسمعون ما أسمع ؟...	العلاء بن سعد	٧٤ - المدثر/٣١
هل تسمعون ما أسمع ؟ قالوا : ما نسمع من شيء...	حكيم بن حزام	٩ - التوبة/١١٦
هل تضارون في رؤية الشمس والقمر...	أبو سعيد وأبو هريرة	٧٥ - القيامة/٢٣
هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب...	عبد اللّه بن عباس	٢ - البقرة/٤٠
هل تقول الخوارج بالدجال؟...	أبو سعيد	٤ - النساء/١٦٤
هل شققت عن قلبه	...	٤ - النساء/٩٢
هل شهد أحد منكم مع رسول اللّه ﷺ ليلة الجن ؟...	علقمة	٤٦ - الأحقاف/٢٩
هل صحب رسول اللّه ﷺ ليلة الجن منكم أحد...	علقمة	٤٦ - الأحقاف/٢٩

هل عرفتم القوم ؟...	حذيفة بن اليمان	٩ - التوبة/٧٤
هل عندك غنى يغنيك...	سمرة	٥ - المائدة/٣
هل عندك من شيء تصدقها إياه ؟...	سهل بن سعد	٣٣ - الأحزاب/٥٠
هل فيكم من غيركم ؟...	رفاعة	٨ - الأنفال/٣٥
هل كان بينكم وبين تميم شيء ؟...	الحارث البكري	٤٦ - الأحقاف/٢٥
هل كان منكم أحد أشار إليها أو أعان في قتلها ؟...	أبو قتادة	٥ - المائدة/٩٦
هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟...	...	١٠ - يونس/١٦
هل لك إلى بيعة ولك الجنة	أبو ذر	٥ - المائدة/٥٤
هل لك في ربيبة لنا تكفلها ؟...	نوفل بن معاوية	١٠٩ - الكافرون/فضائلها
هل لك مال ؟ قلت : نعم...	مالك بن نضلة	١٠ - يونس/٥٩
هل لك من إبل ؟...	أبو هريرة	٨٢ - الانفطار/٨
هل لك من مال ؟...	مالك بن نضلة	٥ - المائدة/١٠٣
هل كل من ولد ؟...	الأشعث بن قيس	٦٤ - التغابن/١٥
هل لك يا جدّ العام في جلاد بني الأصفر ؟...	جماعة	٩ -التوبة/٤٩
هل لكم إلى ما يمحو اللّه به الذنوب...	أبو أيوب	٣ - آل عمران/٢٠٠
هل لكم عليّ عهد ؟ هل لكم علي ذمة ؟...	قتادة	٤٨ - الفتح/٢٤
هل من طالب علم فيعان عليه	مطر الوراق	٥٤ - القمر/١٧
هلك القوم بمعاصيهم...	أبو برزة الأسلمي	٧٨ - النبأ/٣٠
هم آخر من يفصل بينهم من العباد...	عمرو بن جرير	٧ - الأعراف/٤٦
هم إخوانكم خولكم...	أبو ذر	٤ - النساء/٣٦
هم أصحاب البدع	عائشة	٦ - الأنعام/١٥٩
هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها	سعد بن أبي وقاص	١٠٧ - الماعون/٥
هم أهل العرب يملكون	محمد بن كعب القرظي	١٩ - مريم/٥٩
هم تبع لآبائهم...	عائشة	١٧ - الإسراء/١٥
هم خدم أهل الجنة	سمرة	١٧ - الإسراء/١٥
هم الخلف الذين قال اللّه فيهم ﴿فخلف من بعدهم﴾...	عائشة	١٩ - مريم/٥٩
هم الجن	غريب	٨ - الأنفال/٦٠

هم الخوارج	أبو أمامة	٣ - آل عمران/٧
هم الخوارج	أبو أمامة	٦ - الأنعام/١٥٩
هم الضرباء	...	٥٦ - الواقعة/٧
هم على متن جهنم	عائشة	١٤ - إبراهيم/٤٨
هم غرّ محجلون من أثر الوضوء...	أبو الدرداء	١٧ - الإسراء/٧٩
هم قليل وجلهم يومئذٍ ببيت المقدس...	...	٤ - النساء/١٥٩
هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم...	حذيفة	٧ - الأعراف/٤٦
هم قوم هذا	أبو موسى الأشعري	٥ - المائدة/٥٤
هم مع آبائهم...	البراء بن عازب	١٧ - الإسراء/١٥
هم مع آبائهم...	عائشة	١٧ - الإسراء/١٥
هم المنافقون ، كان يثقل عليهم الحديث...	مقاتل بن حيان	٢٤ - النور/٦٣
هم ناس قتلوا في سبيل اللّه بمعصية آبائهم...	عبد الرحمن المزني	٧ - الأعراف/٤٦
هم ناس قتلوا في سبيل اللّه بمعصية آبائهم...	أبو سعيد الخدري	٧ - الأعراف/٤٦
هم ناس قتلوا في سبيل اللّه بمعصية آبائهم...	ابن عباس	٧ - الأعراف/٤٦
هم اليهود...	عدي بن حاتم	١ - الفاتحة/٧
هم جميعًا من أمتي	ابن عباس	٥٦ - الواقعة/٤٠
هما زلفا الليل : المغرب والعشاء	...	١١ - هود/١١٤
هما في النار...	علي	١٧ - الإسراء/١٥
هما في النار ، فلما رأى الكراهية...	علي	٥٢ - الطور/٢١
هما ملكان من ملائكة السماء...	علي	٢ - البقرة/١٠٢
هما نجدان فما جعل نجد الشر...	أنس بن مالك	٩٠ - البلد/١٠
هنّ الباقيات الصالحات	سعد بن جنادة	١٨ - الكهف/٤٦
هنّ حوالي يسألنني النفقة...	جابر	٣٣ - الأحزاب/٢٨
هن سبع ... الإشراك باللّه وقذف المحصنات...	ابن عمر	٤ - النساء/٣١
هو إسحاق	العباس بن عبد المطلب	٣٧ - الصافات/١٠٧
هو اسم من أسماء اللّه...	ابن عباس	١ - الفاتحة/البسملة
هو جبل في النار...	أبو سعيد	٧٤ - المدثر/١٧

هو حبل الله المتين وصراطه المستقيم	علي	٣ - آل عمران/١٠٣
هو الرجل تكون عنده اليتيمة...	عائشة	٤ - النساء/١٢٧
هو الرجل يكون له امرأتان	عائشة	٤ - النساء/١٢٨
هو رزق أخرجه الله لكم...	جابر بن عبد الله	٥ - المائدة/٩٦
هو الشديد الخلق...	عبد الرحمن بن غنم	٦٨ - القلم/١٣
هو الطهور ماؤه الحل ميتته	...	٢ - البقرة/١٧٣
هو الطهور ماؤه الحل ميتته	أبو هريرة	٥ - المائدة/٣
هو الطهور ماؤه الحل ميتته	أبو هريرة	٥ - المائدة/٩٦
هو الطهور ماؤه الحل ميتته	...	٢٥ - الفرقان/٥٣
هو علي بن أبي طالب	علي	٦٦ - التحريم/٤
هو ما يصيب العبد المؤمن	عائشة	٤ - النساء/١٢٣
هو مسجدكم هذا	أبو سعيد الخدري	٩ - التوبة/١٠٨
هو مسجدي هذا	سهل بن سعد الساعدي	٩ - التوبة/١٠٨
هو مسجدي هذا	أبو سعيد الخدري	٩ - التوبة/١٠٨
هو مسجدي هذا	أبو سعيد الخدري	٩ - التوبة/١٠٨
هو مسجدي هذا	...	٣٣ - الأحزاب/٣٣
هو المقام الذي أشفع لأمتي فيه...	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/٧٩
هو ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه...	علي بن أبي طالب	١٧ - الإسراء/٨٥
هو الندم على الذنب...	أبي بن كعب	٦٦ - التحريم/٨
هو نهر أعطانيه الله تعالى في الجنة...	أنس بن مالك	١٠٨ - التكاثر/١
هو نهر في الجنة أعطانيه ربي	أنس بن مالك	١٠٨ - التكاثر/١
هو هذا المسجد	أبو سعيد	٩ - التوبة/١٠٨
هود والواقعة	ابن مسعود عن أبي بكر	١١ - هود/سببها
هي أم القرآن وهي السبع المثاني	أبو هريرة	١ - الفاتحة/المقدمة
هي أم القرآن ، وهي فاتحة الكتاب...	أبو هريرة	١ - الفاتحة/المقدمة
هي خير منك ، رغبت في النبي ﷺ...	أنس	٣٣ - الأحزاب/٥٠
هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل المسلم...	أبو الدرداء	١٠ - يونس/٦٤

هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به...	ابن عباس	١٧ - الإسراء/١
هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به...	ابن عباس	١٧ - الإسراء/٦٠
هي الرياح ، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ...	عمر بن الخطاب	٥١ - الذاريات/١
هي الشفاعة	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/٧٩
هي شوال وذو القعدة...	ابن عمر	٢ - البقرة/٧٩
هي الصلاة المكتوبة...	عمران بن حصين	٨٩ - الفجر/٣
هي الصلاة منها شفع ومنها وتر	عمران بن حصين	٨٩ - الفجر/٣
هي الظهر ، كان رسول الله ﷺ يصليها بالهجير	أسامة	٢ - البقرة/٢٣٨
هي العصر...	سمرة بن جندب	٢ - البقرة/٢٣٨
هي العصر...	زيد بن ثابت	٢ - البقرة/٢٣٨
هي في علم الله قليل...	عطاء بن يسار	١٧ - الإسراء/٨٥
هي للمطلقة ثلاثًا وللمتوفى عنها	أبي بن كعب	٦٥ - الطلاق/٥
هي لهم في الدنيا ولكم في الآخرة	...	٣٥ - فاطر/٣٣
هي اللوطية الصغرى	عبد الله بن عمرو	٢ - البقرة/٢٢٣
هي المانعة...	ابن عباس	٦٧ - الملك/فضائلها
هي من قدر الله...	...	١٣ - الرعد/١١
هي النخلة	أنس	١٤ - إبراهيم/٢٤

حرف الواو

﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة﴾...	عبد الرحمن بن مالك السلماني	٤ - النساء/٤
﴿وآتى المال علي حبه﴾...	فاطمة بنت قيس	٢ - البقرة/١٧٧
﴿وآتى المال على حبه﴾ أن تعطيه وأنت صحيح...	ابن مسعود	٢ - البقرة/١٧٧
﴿وآخرون﴾ نزلت في أبي لبابة وجماعة من أصحابه...	ابن عباس	٩ - التوبة/١٠٢
وآمركم بأربع ، وأنهاكم عن أربع...	عبد الله بن عباس	٨ - الأنفال/٤١
الوائدة والمؤودة في النار...	سلمة بن قيس الأشجعي	١٧ - الإسراء/١٥
الوائدة والمؤودة في النار...	ابن مسعود	١٧ - الإسراء/١٥
الوائدة والمؤودة في النار...	سلمة بن يزيد الجعفي	٨١ - التكوير/٩
الوائدة والمؤودة في النار...	ابن مسعود	٨١ - التكوير/٩

﴿ وإبراهيم الذي وفى ﴾ أتدرون ما وفى ؟	أبو أمامة	٢ - البقرة/١٢٤
﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾...	جابر	٢ - البقرة/١٢٥
واتقوا الله في النساء فإنهن عندكم ...	جابر	٤ - النساء/٣٤
وأتى رسول الله ﷺ نعمان بن آصا	ابن عباس	٥ - المائدة/١٨
وأجاز عثمان الخلع دون عقاص رأسها	البخاري	٢ - البقرة/٢٢٩
واد في جهنم من قيح ودم	أنس	١٨ - الكهف/٥٢
﴿ وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن ﴾...	الزبير	٤٦ - الأحقاف/٢٩
وإذا أردت بقومٍ فتنة فاقبضني إليك غير مفتون	معاذ	١٢ - يوسف/١٠١
وإذا أردت بقومٍ فتنة فتوفني إليك غير مفتون	...	٢٣ - المؤمنون/٩٥
وإذا تخيلت السماء تغير لونه...	عائشة	٤٦ - الأحقاف/٢٥
وإذا توضأ العبد فغسل يديه خرجت خطاياه...	مرة بن كعب أو كعب بن مرة السلمي	٥ - المائدة/٦
وإذا قال - يعني الإمام - ولا الضالين	أبو هريرة	١ - الفاتحة/٧
وإذا قرأ فأنصتوا	أبو هريرة	١ - الفاتحة/المقدمة
وإذا قرأ ﴿ ولا الضالين ﴾ فقولوا آمين	أبو موسى	١ - الفاتحة/٧
﴿ وإذ كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة ﴾		
قال : هي صلاة الخوف...	عبد الله بن عمر	٤ - النساء/١٠٢
﴿وإذا النفوس زوجت﴾...	النعمان بن بشير	٥٦ - الواقعة/٧
﴿وإذا النفوس زوجت﴾ قال : الضرباء...	النعمان بن بشير	٨١ - التكوير/٧
والأزلام قداح كانوا يستسقمون بها	ابن عباس	٥ - المائدة/٣
واستوصوا بالنساء خيرًا	جابر	٤ - النساء/٢١
﴿وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين﴾...	معاذ بن جبل	٥٦ - الواقعة/٨
﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ ألا إن القوة الرمي	عقبة بن عامر	٨ - الأنفال/٦٠
واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك...	ابن عباس	٥٤ - القمر/٤٩
واعلموا أن أحدكم لن يدخله عمله الجنة	...	٧ - الأعراف/٤٣
وافقت ربي عز وجل في ثلاث...	عمر بن الخطاب	٣٣ - الأحزاب/٥٣
وافقت ربي في أربع، نزلت هذه الآية...	عمر بن الخطاب	٢٣ - المؤمنون/١٤
وافقت ربي في ثلاث...	عمر	٢ - البقرة/١٢٥

وافقت ربي في ثلاث...	عمر	٢ - البقرة/١٢٥
وافقني ربي في ثلاث...	عمر	٢ - البقرة/١٢٥
وافيت رسول الله ﷺ في ليلة صلاها كلها	خباب بن الأرت	٦ - الأنعام/٦٥
والذي بعثني بالحق لو قالا : لا لأمطر عليهم الوادي نارًا	جابر	٣ - آل عمران/٦٣
والذي بعثني بالحق ما أنتم في الدنيا بأعرف...	...	٥٦ - الواقعة/٣٧
والذي لا إله غيره لا يكوى عبد يكنز...	عبد الله بن مسعود	٩ - التوبة/٣٥
والذي لا إله غيره لا يكوى عبد يكنز...	أبو هريرة	٩ - التوبة/٣٥
والذي لا إله غيره لا يحل دم رجل مسلم...	...	٦ - الأنعام/١٥١
والذي نفس محمد بيده إنّ دواب الأرض لتسمن	أبو هريرة	١٨ - الكهف/٩٧
والذي نفس محمد بيده لو أصبح فيكم موسى...	عبد الله بن ثابت	١٢ - يوسف/٣
والذي نفس محمد بيده ليأخذن أحدكم اللقمة...	أبو أمامة	٤٣ - الزخرف/٧١
والذي نفس محمد بيده ما أسر أحد سريرة...	عثمان بن عفان	٧ - الأعراف/٢٦
والذي نفس محمد بيده ما من خدش...	الحسن البصري	٤٢ - الشورى/٣٠
والذي نفسي بيده إن فيه لماء...	ابن عباس	٦ - الأنعام/١٢
والذي نفسي بيده إن الميت ليسمع خفق نعالكم...	أبو هريرة	١٤ - إبراهيم/٢٧
والذي نفسي بيده إنه ليختصم...	أبو سعيد	٣٩ - الزمر/٣١
والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن	أبو سعيد الخدري	٢٥ - الفرقان/٢٦
والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن	أبو سعيد	٧٠- المعارج/٤
والذي نفسي بيده إنها تعدل ثلث القرآن	أبو سعيد	١١٢ - الإخلاص/فضائلها
والذي نفسي بيده إنها تعدل نصف القرآن	أبو سعيد	١١٢ - الإخلاص/فضائلها
والذي نفسي بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم...	علي	١٩ - مريم/٨٥
والذي نفسي بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم...	علي بن أبي طالب	٣٩ - ا لزمر/٧٣
والذي نفسي بيده إنهم ليستكرهون في النار...	يحيى بن أبي أسيد	٢٥ - الفرقان/١٣
والذي نفسي بيده ثلاث مرات...	أبو هريرة وأبو سعيد	٤ - النساء/٣١
والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا	أبو هريرة	٤ - النساء/٨٦
والذي نفسي بيده لا يدخل قلب الرجل الإيمان	...	٤٢ - الشورى/٢٣
والذي نفسي بيده ، لا يسألوني اليوم شيئًا	...	٤٨ - الفتح/٢

والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة...	...	٢ - البقرة/١٢١
والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة...	أبو هريرة	٣ - آل عمران/٢٠
والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة...	أبو هريرة	٧ - الأعراف/١٥٨
والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة...	...	١١ - هود/٧
والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة...	أبو موسى الأشعري	١١ - هود/١٧
والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة...	...	٢٦ - الشعراء/٢١٦
والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة...	أبو موسى الأشعري	٧ - الأعراف/١٥٨
والذي نفسي بيده لا يصيب المؤمن هم ولا حزن	...	٤ - النساء/٧٩
والذي نفسي بيده لا يصيب المؤمن هم ولا غم...	...	١١ - هود/١١
والذي نفسي بيده لا يقضي الله للمؤمن قضاءً...	...	١١ - هود/١١
والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى...	...	٩ - التوبة/٢٤
والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى...	...	٣٣ - الأحزاب/٦
والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون	...	٨ - الأنفال/٢٨
والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به...	...	٤ - النساء/٦٥
والذي نفسي بيده لأقتلنهم...	جبير بن مطعم	٢١ - الأنبياء/١٠٧
والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله...	أبو هريرة وزيد بن خالد الجهني	٢٤ - النور/٢
والذي نفسي بيده لتأمرون بالمعروف...	حذيفة بن اليمان	٣ - آل عمران/١٠٤
والذي نفسي بيده لتأمرون بالمعروف...	حذيفة بن اليمان	٥ - المائدة/٧٩
والذي نفسي بيده لتأمرون بالمعروف...	حذيفة بن اليمان	٨ - الأنفال/٢٥
والذي نفسي بيده لتتبعن سنن الذين من قبلكم...	أبو هريرة	٩ - التوبة/٦٩
والذي نفسي بيده لصخرة من صخر جهنم...	عبد العزيز بن أبي داود	٦٦ - التحريم/٦
والذي نفسي بيده لقد أعطاني ما سألتم...	الزبير بن العوام	١٧ - الإسراء/٥٩
والذي نفسي بيده لقد سأله باسمه الأعظم...	بريدة	١١٢ - الإخلاص/فضائلها
والذي نفسي بيده لقد سومت لهم حجارة...	أبو عبيدة	٣ - آل عمران/١٧٣
والذي نفسي بيده لقد فضلت عليها	أبو هريرة	٥٦ - الواقعة/٧١

والذي نفسي بيده لو أخطأتم حتى...	أنس بن مالك	٣٩ - الزمر/٥٣
والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى عليه السلام...	عبد اللّه بن ثابت	٣ - آل عمران/٨٢
والذي نفسي بيده لو تتابعتم حتى لم يبق...	جابر بن عبد اللّه	٦٢ - الجمعة/١١
والذي نفسي بيده لو قال : إن شاء اللّه لم يحنث...	أبو هريرة	١٨ - الكهف/٢٤
والذي نفسي بيده ليدخلن الجنة...	حذيفة بن اليمان	٧ - الأعراف/١٥٦
والذي نفسي بيده ليوشكنّ أن ينزل فيكم ابن مريم...	أبو هريرة	٤ - النساء/١٥٩
والذي نفسي بيده ما أعطيكم شيئًا ولا أمنعكم...	...	٩ - التوبة/٥٨
والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم...	...	٧ - الأعراف/٤٤
والذي نفسي بيده ما بقى من الدنيا	أنس	٥٤ - القمر/١
والذي نفسي بيده ما السماوات السبع...	أبو ذر الغفاري	٢ - البقرة/٢٥٥
والذي نفسي بيده ما يصيب المؤمن من نصب...	...	٤٢ - الشورى/٣٠
والذي يحلف به لو أقرّ فرعون أن يكون قرة عين	ابن عباس	٢٠ - طه/٤٠
﴿وألزمهم كلمة التقوى﴾...	أبي بن كعب	٤٨ - الفتح/٢٦
واللّه إنك لخير أرض اللّه...	عبد اللّه بن عدي	٣ - آل عمران/٩٧
واللّه إنك لخير أرض اللّه...	عبد اللّه بن عدي	٤٢ - الشورى/٧
واللّه إني لأعلم اليوم الذي نزلت...	عمر	٥ - المائدة/٣
واللّه إني لأغار واللّه أغير مني	أبو هريرة	٦ - الأنعام/١٥١
﴿واللّه جعل لكم من بيوتكم سكنًا﴾...	مجاهد	١٦ - النحل/٨٣
واللّه في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه	...	٤٩ - الحجرات/١٠
واللّه لا أجد ما أحملكم عليه...	ابن عباس	٩ - التوبة/٩١
واللّه لا تدخل المدينة أبدًا حتى تقول...	عبد اللّه بن عبداللّه	٦٣ - المنافقون/٨
واللّه لا يخرج من النار...	ابن عمر	٧٨ - النبأ/٢٣
واللّه لا يدخل قلب امرئ مسلم إيمان حتى...	العباس	٤٢ - الشورى/٢٣
واللّه لإسلامك يوم أسلمت كان أحب...	عمر بن الخطاب	٤٢ - الشورى/٢٣
واللّه لأن يلج أحدكم بيمينه في أهله...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٢٤
واللّه لقرابة رسول اللّه ﷺ أحب إلي	أبو بكر الصديق	٤٢ - الشورى/٢٣
واللّه للدنيا أهون على اللّه من هذا	...	١٣ - الرعد/٢٦

والله ليبعثنه الله عز وجل يوم القيامة له عينان	ابن عباس	٤٨ - الفتح/١٠
والله ما بعث الله نبيه إلا زاجرًا آمرًا	ابن عباس	٨ - الأنفال/١
والله ما الدنيا في الآخرة...	...	٣ - آل عمران/١٨٥
والله ما صليتها	جابر	٣٨ - ص/٣٢
والله ما ورثنا رسول الله ﷺ سوداء في بيضاء	ابن عباس	٥ - المائدة/٦٧
والله يا رسول الله لأنت أحب إلي	عن عمر بن الخطاب	٩ - التوبة/٢٤
والله يا رسول الله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى	المقداد	٥ - المائدة/٢٤
وأَمَدَّ الله نبيّه والمؤمنين بألف...	عمر	٨ - الأنفال/٩
وأَمَدَّ الله نبيّه والمؤمنين بألف...	ابن عباس	٨ - الأنفال/٩
وأَمْلِكُ إن كان الله نزع منكم الرحمة...	عائشة	٩ - التوبة/٩٨
وإن أهون أهل النار عذابًا	أبو هريرة	١٠١ - القارعة/١١
وإن ربي أمرني أن أعلمكم مما جهلتم...	عياض بن حمار المجاشعي	٥ - المائدة/١٩
وإن رغم أنف أبي الدرداء...	أبو الدرداء	٥٥ - الرحمن/٤٦
وإن رغم أنف أبي الدرداء...	أبو الدرداء	٥٥ - الرحمن/بعد الآية ٦١
وإن العبد ليحرم الرزق...	ثوبان	٦٥ - الطلاق/٣
وأنا آمركم بخمس ، الله أمرني بهن	الحارث الأشعري	٢ - البقرة/٢٢
وأنا أشهد أي رب	الزبير بن العوام	٣ - آل عمران/١٨
وأنا أقول ذلك إنّ لهم مني لذبحًا	محمد بن كعب	٣٦ - يس/٩
وأنا أول من يقرع باب الجنة	...	٣٩ - الزمر/٧٣
وأنا تدركني الصلاة وأنا جنب...	عائشة	٢ - البقرة/١٨٧
وأنا على ذلك من الشاهدين يا رب	الزبير بن العوام	٣ - آل عمران/١٨
﴿وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم﴾...	حذيفة	٢ - البقرة/١٩٥
وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله...	...	١١ - هود/٣
وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا	...	٢ - البقرة/٢٧٤
وإنما النسيء من الشيطان زيادة في الكفر...	ابن عمر	٩ - التوبة/٣٧
وإني أُخبرت عن عير أبي سفيان	أبو أيوب الأنصاري	٨ - الأنفال/٥
وأوصي الخليفة بعدي بالمهاجرين الأولين	عمر بن الخطاب	٥٩ - الحشر/٩

وأي داء أدوأ من البخل	...	٤ - النساء/٣٧
وأيام منى ثلاثة فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه...	عبد الرحمن بن يعمر	٢ - البقرة/٢٠٣
وبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش بن رئاب...	محمد بن إسحاق	٢ - البقرة/٢١٧
وبلغني أن أبا ذر كان يومًا يصلي	قتادة	٦ - الأنعام/١١٢
﴿وتجعلون رزقكم﴾ يقول - شكركم...	علي	٥٦ - الواقعة/٨٢
وتفعلون ؟...	ابن عباس	١٧ - الإسراء/٥٩
وتكفل الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد...	...	٩ - التوبة/١١١
وجبت...	أبو هريرة	١١٢ - الإخلاص/فضائلها
وجدت امرأة في بعض مغازي النبي ﷺ مقتولة...	ابن عمر	٢ - البقرة/١٩٠
وجدتها مثل الحمة السخنة...	شداد بن أوس	١٧ - الإسراء/١
وجعل بين ظهرانيهم حجر مربع...	ابن عباس	٢ - البقرة/٦٠
وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة...	...	٤ - النساء/٢١
وجلس رسول الله ﷺ فيما بلغني يومًا مع الوليد بن المغيرة...	محمد بن إسحاق	٤٣ - الزخرف/٥٧
وجهت وجهي للذي فطر السماوات...	جابر	٦ - الأنعام/١٦٣
وجهت وجهي للذي فطر السماوات...	علي	٦ - الأنعام/١٦٣
وجهت وجهي للذي فطر السماوات...	جابر	٢٢ - الحج/٣٦
وحكيت له إنسانًا فقال...	عائشة	٤٩ - الحجرات/١٢
وددنا أنّ موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما	أبي بن كعب	١٨ - الكهف/٦٥
وذاك عند ذهاب العلم	زياد بن لبيد	٥ - المائدة/٦٦
ورجل ذكر الله تعالى خاليًا حتى فاضت عيناه	...	٥٠ - ق/٣٣
الورود الدخول...	ابن عباس	١٩ - مريم/٧١
وستفترق هذه الأمة...	...	٣ - آل عمران/٧
وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة...	...	٦ - الأنعام/٦٥
والسلام ما قد علمتم	...	٤ - النساء/٢٥
﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾...	أبو الحسن	٢٦ - الشعراء/٢٢٧

﴿والشفع والوتر﴾ قال : هي الصلاة المكتوبة...	عمران بن حصين	٨٩ - الفجر/٣
وصلتك رحم...	عبد الرحمن بن عوف	٤٧ - محمد/٢٢
وصلتك رحم يا عم	...	٩ - التوبة/١١٤
والصوم زكاة البدن	...	٣٣ - الأحزاب/٣٥
وضع رسول الله ﷺ ذقني على منكبه...	عائشة	٦ - الأنعام/١٦٣
وعد الله نبيه ﷺ...	بريدة	٦٦ - التحريم/٥
وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا	أبو أمامة الباهلي	٣ - آل عمران/١١٠
وعدني ربي عز وجل أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا	رفاعة الجهني	٣ - آل عمران/١١٠
وعدني ربي عز وجل أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا	أبو أمامة الباهلي	٣٩ - الزمر/٧٣
وعليك السلام أيها المسلم...	ابن مسعود	٢ - البقرة/٢٣٨
وعليكم السلام ورحمة الله...	سلمان الفارسي	٤ - النساء/٨٦
وفد علينا رسول الله ﷺ...	أبو أيوب	٣ - آل عمران/٢٠٠
وقت المغرب ما لم يغب الشفق	عبد الله بن عمرو	٨٤- الانشقاق/١٦
وقد رأيته...	...	٤ - النساء/٣٦
وقد كان جماعة من المنافقين منهم وديعة بن ثابت...	ابن إسحاق	٩ - التوبة/٦٥
وقد كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ...	ابن عمر	٥٤ - القمر/١
وقد كان قائم قام عليهم فأخذ بالكتاب والسنة	الربيع بن أنس	٥ - المائدة/٧٧
وقد وجدتموه ؟ قالوا نعم ، ذاك صريح الإيمان	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٨٤
وقرأت على النبي ﷺ ﴿ذلك بأن منهم قسيسين﴾...	سلمان	٥ - المائدة/٨٢
وقع في نفس موسى عليه الصلاة والسلام...	أبو هريرة	٣٥ - فاطر/٤١
وقع في نفس موسى هل ينام الله ؟...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٥٥
وقف رسول الله ﷺ بالعقبة ، فاجتمع إليه...	ابن عمر	٩ - التوبة/٣٧
وقف رسول الله ﷺ يوم النحر عند الجمرات...	ابن عمر	٩ - التوبة/٣
﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل﴾...	عبد الله بن مسعود	٣٤ - سبأ/٤٩
وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة...	...	٢٥ - الفرقان/٥١
وكانت خزاعة عيبة...	الزهري	٤٨ - الفتح/٢٦
وكل ربا في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين	...	٢ - البقرة/٢٧٥

وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٥٥
وكنا نقول : ما الله بقابل ممن افتتن صرفًا	عمر	٣٩ - الزمر/٥٣
الولد ثمرة القلوب...	أبو سعيد	٦٤ - التغابن/١٥
ولد الزنا شر الثلاثة...	...	٦٨ - القلم/١٣
الولد عبد لك...	نضرة بن أبي نضرة	٤ - النساء/٢٠
الولد للفراش...	علي بن أبي طالب	٤ - النساء/٢٥
ولد لي الليلة ولد سميته باسم أبي إبراهيم	...	٣ - آل عمران/٣٦
ولد النبي ﷺ يوم الإثنين واستنبيء يوم الإثنين	ابن عباس	٥ - المائدة/٣
ولد نبيكم ﷺ يوم الإثنين	ابن عباس	٥ - المائدة/٣
ولد نوح ثلاثة...	سمرة	١٨ - الكهف/٩٣
ولدت من نكاح لا من سفاح	السهيلي	٤ - النساء/٢٢
ولك ، فقلت : استغفر لك فقال رسول الله ﷺ...	عبد الله بن سرجس	٤٧ - القتال/١٩
ولك في ذلك أجر	بعض الصحابة	٢٤ - النور/٢
﴿ولما ضرب ابن مريم مثلًا﴾...	ابن عباس	٤٣ - الزخرف/٥٧
ولما نزلت هذه الآية قال رجل من المسلمين	الحسن وعكرمة وقتادة	٤٦ - الأحقاف/٩
﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾...	أبو الدرداء	٥٥ - الرحمن/٤٦
﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾...	أبو الدرداء	٥٥ - الرحمن/بعد الآية ٦١
ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله...	أم الحصين	٤ - النساء/٥٩
ولي عقدة النكاح الزوج	عبد الله بن عمرو	٢ - البقرة/٢٣٧
ولي عقدة النكاح الزوج	عمرو بن شعيب	٢ - البقرة/٢٣٧
وليسوا منك هم أهل البدع...	أبو هريرة	٦ - الأنعام/١٥٩
وما أردت أن تعطيه ؟ قالت تمرًا	عبد الله بن عامر	٦١ - الصف/٢
﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾...	ابن عباس	٢١ - الأنبياء/١٠٧
﴿وما أفاء الله على رسوله منهم﴾...	عمر	٥٩ - الحشر/٩
وما الذي أهلكك ؟ قال حوَّلت رحلي	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٢٣
وما تصدق أحد بعدل تمرة...	...	٣٠ - الروم/٣٩
﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك﴾ قال : هي رؤيا عين	ابن عباس	١٧ - الإسراء/٦٠

وما ذاك ؟ قال : دخلت علينا بالسلاح...	...	٤٨ - الفتح/٢٧
وما ذاك ؟ قالوا : يصلون كما نصلي	أبو هريرة	٥٠ - ق/٣٩
وما ذاك ؟ قالوا : يصلون كما نصلي	...	٥٧ - الحديد/٢١
وما زاد اللّه تعالى عبدًا بعفوٍ إلا عزًّا	...	٤٢ - الشورى/٤٠
وما زاد اللّه عبدًا بعفوٍ إلا عزًّا	...	٤٨ - الفتح/٢
وما صنعت ، قال : إني سولت لي نفسي	ابن عباس	٢ - البقرة/١٨٧
﴿وما قدروا اللّه حق قدره﴾...	عبد اللّه بن مسعود	٣٩ - الزمر/٦٧
وما كان يدريه أنها رقية...	أبو سعيد الخدري	١ - الفاتحة/المقدمة
وما من نبي إلا رعى الغنم...	...	٢٣ - المؤمنون/٥١
وما هي ؟ قال : السدر، فإن له شوكًا	سليم بن عامر	٥٦ - الواقعة/٢٨
وما يدريك أن اللّه أكرمه ؟...	أم العلاء	١٥ - الحجر/٩٩
وما يدريك أن اللّه تعالى أكرمه...	أم العلاء	٤٦ - الأحقاف/٩
وما يدريك أنها رقية ؟...	أبو سعيد	١ - الفاتحة/المقدمة
وما يمنعه من ذلك ، قال قلت : قول اللّه تعالى...	أبي بن كعب	٣٣ - الأحزاب/٥٢
﴿ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة﴾...	أنس	١٤ - إبراهيم/٢٦
والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء...	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٢٩
ومن استعف أعفه اللّه...	جعفر عن رجل من مزينة	٢ - البقرة/٢٧٣
ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي	أبو هريرة	٢٢ - الحج/٧٣
ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي	...	٢٨ - القصص/٧٨
﴿ومن شر غاسق إذا وقب﴾ النجم الغاسق	أبو هريرة	١١٣ - الفلق/٣
ومن كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عقده...	عمرو بن عنبسة	٨ - الأنفال/٥٨
ومن يسرَّ علي معسرٍ...	...	٥٨ - المجادلة/١١
ومن يمنعك مني ؟...	جابر بن عبد اللّه	٤ - النساء/١٠٢
﴿ومن يولهم يومئذ دبره﴾ إنما أنزلت في أهل بدر	أبو سعيد	٨ - الأنفال/١٦
والمولود في الجنة...	خنساء بنت معاوية عن عمها	١٧ - الإسراء/١٥
﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك﴾	صفوان بن يعلى عن أبيه	٤٣ - الزخرف/٧٧
﴿ونفضِّل بعضها على بعض في الأُكُل﴾ قال : الدقل...	أبو هريرة	١٣ - الرعد/٤

وهل ترك لنا عقيل من رباع ؟...	أسامة بن زيد	٢٢ - الحج/٢٥
وهل الدين إلا الحب في الله...	عائشة	٣ - آل عمران/٣٢
﴿وهم فيها كالحون﴾ قال : تشويه النار...	أبو سعيد الخدري	٢٣ - المؤمنون/١٠٤
وهو حبل الله المتين	علي	١ - الفاتحة/٦
وهي أيام أكل وشرب وذكر الله	عائشة	٢ - البقرة/٢٠٣
والولد عبد لك	نضرة بن أكثم	١٦ - النحل/٧٢
ولا تغششن أزواجكن	سلمى بنت قيس	٦٠ - الممتحنة/١٢
ولا تقتلن أولادكن ، فقالت امرأة...	عامر الشعبي	٦٠ - الممتحنة/١٢
﴿ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء﴾...	ابن عباس	٢ - البقرة/٢٣٥
ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل...	...	٧٨ - النبأ/٣٨
ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل...	...	١١ - هود/١٠٥
ولا يحل لي من غنائمكم مثل هذه إلا الخمس...	عمرو بن عبسة	٨ - الأنفال/٤١
ولا يمس القرآن إلا طاهر	عمرو بن حزم	٥٦ - الواقعة/٧٩
ويا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك	...	٢ - البقرة/٧
ويأتيك بالأخبار من لم تزود	عائشة	٣٦ - يس/٦٩
ويأتيك بالأخبار من لم تزود	ابن عباس	٣٦ - يس/٦٩
ويحق له أن يؤمن	قتادة	٢ - البقرة/٢٨٥
ويحك إنها كائنة فما أعددت لها ؟...	...	٧٢ - الجن/٢٥
ويحك قطعت عنق صاحبك...	أبو بكرة	٤ - النساء/٤٩
ويحك يا ثعلبة ! قليل تؤدي شكره خير...	ثعلبة بن حاطب	٩ - التوبة/٧٥
ويحكم يا معشر قريش...	أسامة بن زيد	١٠٦ - قريش/٤
ويحكم يا معشر قريش...	أسماء بنت يزيد	١٠٦ - قريش/٤
الويل جبل في النار...	عثمان بن عفان	٢ - البقرة/٧٩
ويل لكم قريش...	أسماء بنت يزيد	١٠٦ - قريش/٤
ويل للأعقاب من النار...	معيقيب	٥ - المائدة/٦
ويل للأعقاب من النار...	أبو أمامة	٥ - المائدة/٦
ويل للأعقاب وبطون الأقدام من النار	عبد الله بن الحارث بن حرز	٥ - المائدة/٦

ويل للذي يحدث فيكذب...	معاوية بن حيدة	٨٣ - المطففين/١٠
ويل للعراقيب من النار	جابر بن عبد اللّٰه	٥ - المائدة/٦
ويل : وادٍ في جهنم...	أبو سعيد الخدري	٢ - البقرة/٧٩
ويل واد في جهنم...	أبو سعيد	٧٤ - المدثر/٨
ويلك فمن ذا الذي يعدل عليك بعدي	...	٩ - التوبة/٥٨
ويلك قطعت عنق صاحبك...	أبو بكرة	٥٣ - النجم/٣٢
﴿واليوم الموعود﴾ يوم القيامة...	أبو هريرة	٨٥ - البروج/٣

حرف الياء

يا آل عبد مناف إنّي نذير	الزبير بن العوام	١٧ - الإسراء/٥٩
يا أبا أمامة إن من المؤمنين من يلين له قلبي	أبو أمامة الباهلي	٣ - آل عمران/١٥٩
يا أبا أيوب طلاق أم أيوب كان حوبًا	ابن عباس	٤ - النساء/٢
يا أبا بكر أليس يصيبك كذا وكذا فهو كفّارة	أبو بكر الصديق	٤ - النساء/١٢٣
يا أبا بكر ألا أقرئك آية نزلت عليّ ؟	أبو بكر الصديق	٤ - النساء/١٢٣
يا أبا بكر أي واد هذا ؟...	ابن عباس	٧ - الأعراف/٧٩
يا أبا بكر قل : اللّهم فاطر السماوات والأرض...	...	٣٩ - الزمر/٤٦
يا أبا بكر ما رأيت في الدنيا مما تكره...	أنس	٩٩ - الزلزلة/٨
يا أبا بكر ما ظنك باثنين اللّٰه ثالثهما	أبو بكر	٩ - التوبة/٤٠
يا أبا بكر هل بلغك ما طوبى ؟...	ابن عمر	٥٦ - الواقعة/٢١
يا أبا جهل بن هشام ويا عتبة هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًّا	...	٧ - الأعراف/٤٤
يا أبا جهل بن هشام ويا عتبة هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًّا	...	٧ - الأعراف/٧٩
يا أبا الحباب أرأيت الذي نفست به من ولاية يهود...	الزهري	٥ - المائدة/٥١
يا أبا الحباب ما بخلت به من ولاية يهود...	عطية بن سعد	٥ - المائدة/٥١
يا أبا ذر أتدري أين تذهب الشمس ؟...	أبو ذر	٣٦ - يس/٤٠
يا أبا ذر أتدري أين تذهب هذه الشمس ؟...	أبو ذر	٣١ - لقمان/٢٩

يا أبا ذر أتدري أين تغرب الشمس ؟...	أبو ذر	٣٦ - يس/٤٠
يا أبا ذر أرأيت إن أصاب الناس جوع	أبو ذر	٥ - المائدة/٢٨
يا أبا ذر إني أراك ضعيفًا	...	٤ - النساء/٦
يا أبا ذر إني أراك ضعيفًا	أبو ذر	١٧ - الإسراء/٣٤
يا أبا ذر تعوذ بالله من شياطين الإنس والجن	أبو ذر	١ - الفاتحة/الاستعاذة
يا أبا ذر تعوّذت من شياطين الجن والإنس ؟...	أبو أمامة	٦ - الأنعام/١١٢
يا أبا ذر ، قلت : لبيك يا رسول الله...	أبو ذر	٤ - النساء/٤٨
يا أبا ذر لو أن الناس...	أبو ذر	٦٥ - الطلاق/٣
يا أبا ذر هل تدري فيم تنتطحان ؟...	أبو ذر	٦ - الأنعام/٣٨
يا أبا ذر هل تعوّذت بالله من شر شياطين الإنس والجن ؟...	أبو ذر	٦ - الأنعام/١١٢
يا أبا ذر هل صليت ؟...	أبو ذر	٦ - الأنعام/١١٢
يا أبا ذر هل صليت ؟...	أبو ذر	١١٤ - الناس/٦
يا أبا ذر هل صليت ؟ قلت : لا	أبو ذر	٢ - البقرة/٢٥٥
يا أبا ذر : وما السماوات السبع مع الكرسي	أبو ذر	٤ - النساء/١٦٤
يا أبا رزين : أما مررت بوادي	أبو رزين	٣٥ - فاطر/٩
يا أبا سعيد من رضي بالله ربًّا وبالإسلام دينًا	أبو سعيد الخدري	٤ - النساء/٨٤
يا أبا طالب لو أن ابن أخيك...	عكرمة	٦ - الأنعام/٥٣
يا أبا عثمان ألا تسألني لِمَ أفعل هذا ؟...	سلمان الفارسي	١١ - هود/١١٤
يا أبا عمرو ، ما شأن ثابت أشتكى ؟...	سعد بن معاذ	٤٩ - الحجرات/٢
يا أبا المنذر إني أمرت أن أعرض عليك القرآن	أبي بن كعب	٩٨ - البينة/فضائلها
يا أبا هريرة ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة...	أبو هريرة	١٨ - الكهف/٣٩
يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة ؟...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٥٥
يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك...	أبو هريرة	٥١ - الذاريات/٥٨
يا ابن أختي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها	عروة بن الزبير عن عائشة	٤ - النساء/٣
يا ابن أختي كان رسول الله ﷺ لا يفضل بعضنا على بعض...	عائشة	٤ - النساء/١٢٨

يا ابن أخي والله لقد كبرت سني	زيد بن أرقم	٣٣ - الأحزاب/٣٣
يا ابن الخطاب ألا أقرئك آيات نزلن	الشعبي عن عمر	٢ - البقرة/٩٨
يا ابن عباس ألا أدلك...	ابن عابس الجهني	المعوّذتان
يا ابن عباس : ركعتين قبل صلاة الفجر...	ابن عباس	٥٠ - ق/٣٩
يا ابن عمر مالك لا تأكل...	ابن عمر	٢٩ - العنكبوت/٦٠
يا ابن مسعود ، قلت : لبيك يا رسول الله...	ابن مسعود	٥٧ - الحديد/٢٧
يا أبي ، فالتفت ثم لم يجبه...	أبو هريرة	١ - الفاتحة/المقدمة
يا إخوان القردة والخنازير...	مجاهد	٢ - البقرة/٧٧
يا أسلع مالي أرى رحلتك قد تغيرت...	الأسلع بن شريك	٤ - النساء/٤٣
يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض...	عائشة	٢٤ - النور/٣١
يا أشعث احفظ عني ثلاثًا حفظتهن عن رسول الله ﷺ...	الأشعث بن قيس	٤ - النساء/٣٤
يا أصحاب سورة البقرة...	عتبة بن مرثد	٢ - البقرة/المقدمة
يا أصحاب الشجرة...	...	٢ - البقرة/المقدمة
يا أكثم رأيت عمرو بن لحي يجر قصبة في النار...	أبو هريرة	٥ - المائدة/١٠٣
يا أم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز...	الحسن	٥٦ - الواقعة/٣٥
يا أم المؤمنين هل رأى محمد ﷺ ربه عز وجل ؟...	مسروق	٥٣ - النجم/١٥
يا أمّ هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة...	أم هانئ بنت أبي طالب	١٧ - الإسراء/١
يا أنس : أسبغ الوضوء يزد في عمرك...	أنس	٢٤ - النور/٦١
يا أنس كتاب الله القصاص...	أنس بن مالك	٥ - المائدة/٤٥
يا أهل الجنة إنّ لكم عند الله موعدًا	...	٢٠ - طه/١٣٠
يا أهلاه صلّوا صلّوا	ثابت	٢٠ - طه/١٣٢
﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾...	أبو موسى	٣٣ - الأحزاب/٧٠
﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته﴾ ولو أن قطرة من الزقوم...	ابن عباس	٣ - آل عمران/١٠٢
﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا﴾...	زيد بن أسلم وجماع	٢ - البقرة/٢٧٨

يأيها الناس ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا	أنس بن مالك	٩ - التوبة/٨٢
﴿يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة﴾...	عمران بن حصين	٢٢ - الحج/١
﴿يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة﴾...	الحسن	٢٢ - الحج/١
﴿يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم﴾...	جرير	٥٩ - الحشر/١٨
﴿يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾...	جرير بن عبد الله البجلي	٤ - النساء/١
يأيهاالناس اتقوا هذا الشرك...	أبو موسى الأشعري	١٢ - يوسف/١٠٦
يا أيها الناس اتهموا الرأي	سهل بن حنيف	٤٨ - الفتح/٢٦
يا أيها الناس اذكروا الله...	أبي بن كعب	٣٣ - الأحزاب/٥٦
يا أيها الناس اذكروا الله...	أبي بن كعب	٧٩ - النازعات/٧
يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم...	أبو موسى الأشعري	٢ - البقرة/١٨٦
يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم...	أبو موسى الأشعري	٧ - الأعراف/٢٠٥
يا أيها الناس أطعموا الطعام...	عبد الله بن سلام	٥١ - الذاريات/١٧
يا أيها الناس أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام...	عبد الله بن سلام	١٠ - يونس/١٧
يا أيها الناس أقيموا الحد على إمائكم...	علي بن أبي طالب	٤ - النساء/٢٥
يا أيها الناس إن الله تعالى قد أذهب عنكم...	ابن عمر	٤٩ - الحجرات/١٣
يا أيها الناس إنَّ الله تعالى يقول ...	أم سلمة	٣٣ - الأحزاب/٣٥
يا أيها الناس إن الله حرم مكة...	صفية بنت شيبة	٢ - البقرة/١٢٦
يا أيها الناس إن الله طيب...	أبو هريرة	٢ - البقرة/١٧٢
يا أيها الناس إن الله طيب...	أبو هريرة	٢٣ - المؤمنون/٥١
يا أيها الناس إن الله قد كتب عليكم الحج فحجوا	ابن عباس	٥ - المائدة/١٠١
يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج...	ابن عباس	٣ - آل عمران/٩٧
يا أيها الناس إن هذه الأمة تبتلى في قبورها	أبو سعيد الخدري	١٤ - إبراهيم/٢٧
يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلًا	ابن عباس	٧ - الأعراف/٢٩
يا أيها الناس إنكم لتتأولون هذه الآية على غير التأويل...	أبو أيوب	٢ - البقرة/١٩٥
يا أيها الناس إنكم محشررون إلى الله عز وجل حفاة عراة غرلًا	ابن عباس	٥ - المائدة/١١٦

يا أيها الناس إنها ليست بأيام صيام...	علي	٢ - البقرة/٢٠٣
يا أيها الناس إنهما النجدان	الحسن البصري	٩٠ - البلد/١٠
يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به...	جابر بن عبد اللّه	٤٢ - الشورى/٢٣
يا أيها الناس إني كنت أذنت لكم في الاستمتاع...	سبرة بن معبد الجهني	٤ - النساء/٢٤
يا أيها الناس أي يوم هذا قالوا يوم حرام	ابن عباس	٥ - المائدة/٦٧
يا أيها الناس توبوا إلى ربكم...	...	٤٧ - محمد/١٩
يا أيها الناس قولوا لا إله إلا اللّه تفلحوا	ربيعة بن عباد من بني الديل	١١١ - المسد/١
يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو	عبد اللّه بن أبي أوفى	٨ - الأنفال/٤٥
يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو	عبد اللّه بن عمر	٨ - الأنفال/٤٥
يا أيُّها الناس : لا يغترنَّ أحدكم باللّه...	أبو هريرة	٢٧ - النمل/٩٢
يا أيها الناس : ما إكثاركم في صداق النساء ؟...	عمر بن الخطاب	٤ - النساء/٢٠
يا أيها الناس من عرفني فقد عرفني	أبو ذر	٤٢ - الشورى/٢٣
يا أيها الناس من عمل لنا فيكم عملًا	عدي بن عميرة الكندي	٣ - آل عمران/١٦١
يا أيها الناس هل سمع منكم أحد رسول اللّه ﷺ...	عمر بن الخطاب	٤٢ - الشورى/٢
﴿يأيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى﴾...	ابن عباس	٨ - الأنفال/٧٠
يا بريدة هذا ممن لا يقيم اللّه له يوم القيامة وزنًا	بريدة	١٨ - الكهف/١٠٥
يا بلال : أرحنا بالصلاة	رجل من أسلم	٢٣ - المؤمنون/٢
يا بُني	أنس بن مالك	٣٣ - الأحزاب/٥
يا بني آدم إن كنتم تعقلون	أبو سعيد الخدري	٦ - الأنعام/١٣٤
يا بني آدم إن كنتم تعقلون	أبو سعيد الخدري	٧٢ - الجن/٢٥
يا بني عبد المطلب : اشتروا أنفسكم من اللّه...	أبو هريرة	٢٦ - الشعراء/٢١٤
يا بني عبد المطلب : إني بعثت إليكم...	علي	٢٦ - الشعراء/٢١٤
يا بني عبد مناف : إنما أنا نذير...	قبيصة بن مخارق	
	وزهير بن عمرو	٢٦ - الشعراء/٢١٤
يا بني غفار قولوا ولا تحلفوا	أبو ذر	١٧ - الإسراء/٩٧
يا بني فلان إني رسول اللّه إليكم...	ربيعة بن عباد الديلي	١١١ - المسد/١
يا بني قصي يا بني هاشم...	أبو هريرة	٢٦ - الشعراء/٢١٤

يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار...	...	٨٢ - الأنفطار/١٩
يا بنية هل عندك شيء أكله...	جابر	٣ - آل عمران/٣٧
يا جابر ألا أبشرك...	عائشة	٣ - آل عمران/١٦٩
يا جابر مالي أراك مهتمًا ؟...	جابر بن عبد اللّه	٣ - آل عمران/١٦٩
يا جبريل : إني أحب أن أعلم...	عمر مولى عقبة	٢٥ - الفرقان/٥٠
يا جبريل بم نال هذه المنزلة من اللّه تعالى...	أنس	١١٢ - الإخلاص/فضائلها
يا جبريل ما لي أرى الشمس طلعت اليوم بضياء...	أنس بن مالك	١١٢ - الإخلاص/فضائلها
يا جبريل ما هذا ؟...	ابن عباس	١٧ - الإسراء/١
يا جبريل ما هذا ؟...	أبو هريرة أو غيره	١٧ - الإسراء/١
يا جبريل ما هذا النهر ؟...	أنس بن مالك	١٠٨ - الكوثر/١
يا جبريل ما هذه الريح الطيبة الباردة...	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/١
يا جبريل ما هذه النحيرة التي أمرني بها ربي ؟...	علي بن أبي طالب	١٠٨ - الكوثر/٢
يا جبريل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء الخطباء...	أنس	٢ - البقرة/٤٤
يا جبريل من هذا الأشمط ؟...	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/١
يا جبريل من هذا الشيخ التام الخلق...	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/١
يا جبريل من هذان الشابّان	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/١
يا جلاس : أقُلتَ الذي قاله مصعب ؟...	عروة بن الزبير	٩ - التوبة/٧٤
يا جميلة ما كرهت من ثابت ؟...	...	٢ - البقرة/٢٢٩
يا حذيفة إن رسول اللّه ﷺ خطب فقال...	سلمان	٢١ - الأنبياء/١٠٧
يا حمزة نفس تحييها أحب إليك أم نفس تميتها ؟...	عبد اللّه بن عمرو	٥ - المائدة/٣٢
يا خالد هذا ابن عمك قد أتاك في الخيل...	ابن أبزى	٤٨ - الفتح/٢٤
يا خديجة إذا لقيت ضرائرك...	ابن عباس	٦٦ - التحريم/٥
يا خويلة أبشري ، قالت : خيرًا	ابن عباس	٥٨ - المجادلة/٢
يا خويلة ابن عمك شيخ كبير...	خويلة بنت ثعلبة	٥٨ - المجادلة/٢
يا ربّ استأن بهم	سعيد بن جبير	١٧ - الإسراء/٥٩
يا ربّ إنّ أمتي ضعفاء أجسادهم...	أنس	١٧ - الإسراء/١
يا رب إن تهلك هذه العصابة فلن تُعْبَد...	ابن عباس	٨ - الأنفال/١٧

يا ربّ خفّف عنّا	أنس	١٧ - الإسراء/١
يا ربّ مسألة عائشة...	ابن أبي نافع بن معد يكرب	٢ - البقرة/١٨٦
يا رسول اللّه أبد الدهر نحن خائفون	عن رجل من الصحابة	٢٤ - النور/٥٥
يا رسول اللّه اجعلني على شيء أعيش به...	حمزة بن عبد المطلب	٥ - المائدة/٣٢
يا رسول اللّه أخبرنا عن بدء أمرك ؟...	...	٢ - البقرة/١٢٦
يا رسول اللّه أخبرني عن قول اللّه تعالى...	أم سلمة	٥٦ - الواقعة/٣٧
يا رسول اللّه أخبرني عن الوضوء...	لقيط بن صبرة	٥ - المائدة/٦
يا رسول اللّه أخبرني عن الوضوء...	عمرو بن عبسة	٥ - المائدة/٦
يا رسول اللّه ادع اللّه أن يرزقني مالًا	ثعلبة بن حاطب الأنصاري	٥ - المائدة/١٠٠
يا رسول اللّه أرأيت إن دخل بيتي وبسط يديه ليقتلني	سعد بن أبي وقاص	٥ - المائدة/٢٨
يا رسول اللّه : أرأيت رقى نسترقي بها	...	١٣ - الرعد/١١
يا رسول اللّه أرأيت ما نعمل فيه...	عمر بن الخطاب	٩٢ - الليل/١٠
يا رسول اللّه أفضلت سورة الحج على...	عقبة بن عامر	٢٢ - الحج/١٨
يا رسول اللّه أفي كل عام ؟...	علي	٥ - المائدة/١٠١
يارسول اللّه أكلنا يرى ربه عز وجل...	لقيط بن عامر	٢٢ - الحج/٧
يا رسول اللّه : ألا أحمل لك حمارًا على فرس ؟...	دحية الكلبي	١٦ - النحل/٨
يا رسول اللّه : ألا تدعو	رجل من بلهجيم	٢٧ - النمل/٦٢
يا رسول اللّه : الذين يؤتون ما آتوا	عائشة	٢٣ - المؤمنون/٦٠
يا رسول اللّه أما تكون الذكاة إلا من اللبة والحلق ؟...	أبو العشراء الدارمي عن أبيه	٥ - المائدة/٣
يا رسول اللّه إن وافقت ليلة القدر فما أدعو ؟...	عائشة	٩٧ - القدر/٥
يارسول اللّه إن أبا سفيان رجل شحيح...	هند بنت عتبة	٦٠ - الممتحنة/١٢
يا رسول اللّه إن ابني هذا كان عسيفًا	أبو هريرة وزيد بن خالد الجهني	٢٤ - النور/٢
يا رسول اللّه إن أوليائي من اليهود كانت شديدة أنفسهم...	عبادة بن الصامت	٥ - المائدة/٥١
يا رسول اللّه إن عددًا من عدد النساء...	أبي بن كعب	٦٥ - الطلاق/٤
يا رسول اللّه إن عمك أبا طالب		

كان يحوطك وينصرك...	...	٤ - النساء/٤٠
يا رسول الله إن قومًا يأتوننا حديث عهدهم بكفر...	عائشة	٥ - المائدة/٤
يا رسول الله إن لي كلابًا مكلبة فأفتني في صيدها	أبو ثعلبة	٥ - المائدة/٤
يا رسول الله إنا بأرض تصيبنا بها المخمصة...	أبو واقد الليثي	٥ - المائدة/٣
يا رسول الله إنا قوم نصيد بالكلاب والبزاة...	عدي بن حاتم	٥ - المائدة/٤
يا رسول الله إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى	المقداد	٥ - المائدة/٢٤
يا رسول الله إنا لاقو العدو غدًا	رافع بن خديج	٥ - المائدة/٣
يا رسول الله إنا لاقو العدو غدًا وليس معنا مدى	رافع بن خديج	٥ - المائدة/٣
يا رسول الله : إنا نقرأ من القرآن	عبد الله بن عمرو	٢ - البقرة/٥
يا رسول الله إنا نقرأ من القرآن فنوجو	عبد الله بن عمرو	٢ - البقرة/٦
يا رسول الله : أنبئنا بأعمار أمتك...	حذيفة	٣٥ - فاطر/٣٧
يا رسول الله أنعمل لأمر قد فرغ منه...	جابر بن عبد الله	٩٢ - الليل/١٠
يا رسول الله أننزل غدًا في دارك...	أسامة بن زيد	٢٢ - الحج/٢٥
يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي	عبد الله بن عبد الله	٦٣ - المنافقون/٨
يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟...	زينب بنت جحش	١٨ - الكهف/٩٨
يا رسول الله : إنهم يزعمون أنه ليس لنا أجر...	جبير بن مطعم	٩ - التوبة/١٠١
يا رسول الله إني أرسل الكلاب المعلمة وأذكر اسم الله...	عدي بن حاتم	٥ - المائدة/٤
يا رسول الله إني أرمي بالمعراض الصيد فأصيب	عدي بن حاتم	٥ - المائدة/٣
يا رسول الله إني رأيتني الليلة وأنا نائم...	ابن عباس	٢٢ - الحج/١٨
يا رسول الله إني قد زنيت...	ماعز	٤٩ - الحجرات/١٢
يا رسول الله إني لأذبح الشاة...	بعض الصحابة	٢٤ - النور/٢
يا رسول الله أوصني ، قال : إذا عملت سيئة فأتبعها بحسنة...	أبو ذر	١١ - هود/١١٤
يا رسول الله : أيذكر الرجال في كل شيء...	أم سلمة	٣٣ - الأحزاب/٣٥
يا رسول الله : أيّ الذنب أعظم ؟...	ابن مسعود	١٢ - يوسف/١٠٦
يا رسول الله : أي الذنب أعظم ؟...	ابن مسعود	٢٥ - الفرقان/٦٨

يا رسول الله : أي الذنب أعظم عند الله ؟...	ابن مسعود	٢ - البقرة/٢٢
يا رسول الله : أي العباد أفضل درجة...	أبو سعيد	٣٣ - الأحزاب/٣٥
يا رسول الله أي المال نتخذ ؟ قال : قلبًا شاكرًا	ثوبان عن عمر	٩ - التوبة/٣٥
يا رسول الله ، أي مسجد وضع أول ؟...	أبو ذر	٢٢ - الحج/٢٦
يا رسول الله : أيُّ المؤمنين أفضل ؟...	ابن عمر	٣١ - لقمان/١٩
يا رسول الله : أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه ؟...	أبو رزين لقيط بن عامر	١١ - هود/٧
يا رسول الله أين كنت الليلة ؟...	أبو بكر	١٧ - الإسراء/١
يا رسول الله بأبي أنت وأمي إني سائلتك عن حديث...	عائشة	٨٠ - عيسى/٣٧
يا رسول الله : دخلت عليَّ امرأة فنلت منها	عن رجل من الأنصار	١١ - هود/١١٤
يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور...	...	٥٧ - الحديد/٢١
يا رسول الله رأيناك تناولت شيئًا	ابن عباس	١٣ - الرعد/٣٥
يا رسول الله : الرجل يعمل العمل ويحمده الناس عليه...	أبو ذر	١٠ - يونس/٦٤
يا رسول الله : طوبى لمن رآك وآمن بك...	أبو سعيد	١٣ - الرعد/٢٩
يا رسول الله طوبى له عصفور من عصافير الجنة...	عائشة	١٧ - الإسراء/١٥
يا رسول الله علمني شيئًا أقوله إذا أصبحت...	أبو هريرة عن أبي بكر	١٢ - يوسف/١٠٦
يا رسول الله قد حرم الله الميتة فماذا يحل لنا منها	عدي بن حاتم وزيد بن مهلهل الطائيين	٥ - المائدة/٤
يا رسول الله قد شبت قال...	أبو بكر	٥٦ - الواقعة/فضائلها
يا رسول الله قد شبت : قال : شيبتني هود...	ابن عباس عن أبي بكر	١١ - هود/سببها
يا رسول الله : قد شفاني الله اليوم من المشركين	سعد بن مالك	٨ - الأنفال/١
يا رسول الله كل ما نعمل نؤاخذ به؟...	أبو بكر الصديق	٤ - النساء/١٢٣
يا رسول الله كم الأنبياء...	أبو ذر	٤ - النساء/١٦٤
يا رسول الله كم الرسل من ذلك ؟...	أبو ذر	٤ - النساء/١٦٤
يا رسول الله كم كتاب أنزله الله ؟...	أبو ذر	٤ - النساء/١٦٤
يا رسول الله كيف الفلاح...	أبو بكر	٤ - النساء/١٢٣
يا رسول الله كيف نصلي عليك ؟...	أبو حميد الساعدي	٣٣ - الأحزاب/٥٦
يا رسول الله لا تسبقني بآمين	بلال	١- الفاتحة/٧

يا رسول الله لا نسمع الله		
ذكر النساء في الهجرة بشيء...	أم سلمة	٣ - آل عمران/١٩٥
يا رسول الله لانقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى...	المقداد	٥ - المائدة/٢٤
يا رسول الله لم أصب مالًا قط		
هو أنفس عندي من سهمي	عمر	٣ - آل عمران/٩٢
يا رسول الله ما أحسن هذا	ابن عباس	٨٩ - الفجر/٣٠
يا رسول الله ما أشدّ هذه الآية...	أبو بكر الصديق	٤ - النساء/١٢٣
يا رسول الله ما أول ما رأيت من أمر النبوّة ؟...	أبو هريرة	٩٤ - الشرح/١
يا رسول الله : ما تركت من حاجة ولا داجة...	أنس عن رجل	١١ - هود/١١٤
يا رسول الله ما تزكية المرء نفسه...	رجل	٥٧ - الحديد/٦
يا رسول الله ما تقول في رجل		
أصاب من امرأة لا تحل له...	معاذ بن جبل عن رجل	١١ - هود/١١٤
يا رسول الله ما حق امرأة أحدنا عليه ؟...	معاوية بن حيدة القشيري	٤ - النساء/٣٤
يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا ؟...	معاوية بن حيدة	٢ - البقرة/٢٢٨
يا رسول الله ما شأن الناس حلوا من العمرة...	حفصة	٢ - البقرة/١٩٦
يا رسول الله ما شيّبك ؟ قال : هود والواقعة...	ابن مسعود عن أبي بكر	١١ - هود/سببها
يا رسول الله ما عبدوهم...	عدي بن حاتم	٣ - آل عمران/٨٠
يا رسول الله ما عبدوهم...	عدي بن حاتم	٦ - الأنعام/١٢١
يا رسول الله ما عسى أن يولد لي	رباح	٨٢ - الانفطار/٨
يا رسول الله : ما كان بدء أمرك ؟...	أبو أمامة	٦١ - الصف/٦
يا رسول الله ، ما هن الأضاحي ؟...	زيد بن أرقم	٢٢ - الحج/٣٤
يا رسول الله متعتنا هذه لعامنا هذا أم للأبد ؟...	سراقة بن مالك	٣ - آل عمران/٩٧
يا رسول الله : مما أضرب يتيمي ؟...	جابر عن رجل	٤ - النساء/٦
يا رسول الله من هؤلاء ؟...	رجل من بني القين	١ - الفاتحة/٧
يا رسول الله : نساؤنا ما نأتي منها وما نذر...	معاوية بن حيدة	٢ - البقرة/٢٢٣
يا رسول الله ننحر الناقة ونذبح البقرة...	أبو سعيد الخدري	٥ - المائدة/١
يا رسول الله : هذا السلام فما الاستئناس ؟...	أبو أيوب	٢٤ - النور/٢٧

يا رسول الله هذا كسرى وقيصر...	عمر بن الخطاب	٤٣ - الزخرف/٣٥
يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟...	عائشة	٦ - الأنعام/٥٨
يا رسول الله هل تحس بالوحي	عبد الله بن عمرو	٤٢ - الشورى/٣
يا رسول الله هل رأيت ربك ؟...	أبو ذر	١٧ - الإسراء/١
يا رسول الله : والله لأنت أحب إلي	عمر	٣٣ - الأحزاب/٦
يا رسول الله ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض﴾...	عائشة	١٤ - إبراهيم/٤٨
يا سعد : أطب مطعمك...	سعد بن أبي وقاص	٢ - البقرة/١٦٨
يا سعد أعندي تتمنى الموت...	أبو أمامة	١٢ - يوسف/١٠١
يا سعد ألم تسمع إلى ما قال أبو حباب...	...	٣ - آل عمران/١٨٦
يا سعد إياك أن تجيء يوم القيامة ببعير تحمله له رغاء...	ابن عمر	٣ - آل عمران/١٦١
يا سلمان لا تبغضني فتفارق دينك...	سلمان	٦ - الأنعام/١٢٤
يا سلمان ما يوم الجمعة ؟...	سلمان	٦٢ - الجمعة/٩
يا سلمان : من أهل النار...	سلمان	٢ - البقرة/٦٢
يا سلمة ألا تبايع ؟ قلت : قد بايعت...	سلمة	٤٨ - الفتح/١٠
يا شيبة إنه لا يراها إلا كافر...	شيبة	٩ - التوبة/٢٥
يا شيبة يا شيبة ادن مني ، اللّهم أذهب عنه الشيطان	شيبة بن عثمان	٩ - التوبة/٢٥
يا صباحاه...	ابن عباس	١١١ - المسد/١
يا صباحاه، فاجتمع الناس إليه...	ابن عباس	٢٦ - الشعراء/٢١٤
يا صباحاه، فاجتمعت إليه قريش...	ابن عباس	٣٤ -سبأ/٤٦
يا عائشة، أبشري	عائشة	٢٤ - النور/٢٣
يا عائشة استتري من النار ولو بشق تمرة...	عائشة	٩٩ - الزلزلة/٨
يا عائشة أعلمت أن الله قد أفتاني	عائشة	١١٣ - الفلق/٥
يا عائشة أفلا أكون عبدًا شكورًا	عائشة	٤٨ - الفتح/٢
يا عائشة أما شعرت أن الله أخبرني بدائي؟...	ابن عباس وعائشة	١١٣ - الفلق/٥
يا عائشة، أما عند ثلاث فلا	عائشة	٢٢ - الحج/١
يا عائشة إن الله لا يحب الفحش ولا التفحش...	عائشة	٥٨ - المجادلة/٨

يا عائشة إن الدنيا لا تنبغي لمحمد...	عائشة	٤٦ - الأحقاف/٣٥
يا عائشة إني عارض عليك أمرًا فلا تفتاتي	عائشة	٣٣ - الأحزاب/٢٨
يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب...	عائشة	٥٤ - القمر/٥٣
يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب...	عائشة	٩٩ - الزلزلة/٨
يا عائشة ائذني لي أتعبد لربي	عائشة	٣ - آل عمران/١٩٤
يا عائشة لولا حدثان قومك بالكفر لنقضت الكعبة...	عائشة	٢ - البقرة/١٢٧
يا عائشة لولا قومك حديث عهد بشرك...	عائشة	٢ - البقرة/١٢٧
يا عائشة لولا قومك حديث عهدهم...	الأسود عن عائشة	٢ - البقرة/١٢٧
يا عائشة هذه مبايعة اللّه للعبد...	عائشة	٤ - النساء/١٢٣
يا عائشة وما يؤمنني أن يكون فيه عذاب...	عائشة	٤٦ - الأحقاف/٢٥
يا عبادة : كلمات رسول اللّه ﷺ في غزوة كذا	أبو الدرداء	٨ - الأنفال/٤١
يا عبادي إنكم لن تبلغوا نفعي	...	٧٧ - المرسلات/٣٩
يا عبادي إني حرّمت الظلم على نفسي	أبو ذر	١٠ - يونس/٤٤
يا عبادي إني حرّمت الظلم على نفسي	أبو ذر	٤٠ - غافر/١٧
يا عبادي لو أن أولكم وآخركم...	...	٣٩ - الزمر/٨
يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم...	أبو ذر	١٣ - الرعد/٢٩
يا عبادي : لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم...	أبو ذر	١٤ - إبراهيم/٧
يا عبد اللّه أمعك ماء ؟ قال : معي نبيذ...	ابن مسعود	٤٦ - الأحقاف/٢٩
يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة...	...	٢ - البقرة/٢٢٤
يا عدي أسلم تسلم...	عدي بن حاتم	٩ - التوبة/٣٣
يا عقبة أخرس لسانك وليسعك بيتك...	عقبة بن عامر	١١٢ - الإخلاص/فضائلها
يا عقبة ألا تركب...	عقبة بن عامر	المعوّذتان
يا عقبة صل من قطعك وأعط من حرمك...	عقبة بن عامر	٧ - الأعراف/١٩٩
يا عقبة قل ، قلت : ماذا أقول ؟...	عقبة بن عامر	المعوّذتان
يا علي : لا تتبع النظرة النظرة...	عبد اللّه بن بريدة عن أبيه	٢٤ - النور/٣٠
يا علي لا يحل لأحد يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك	أبو سعيد الخدري	٤ - النساء/٤٣

يا عم أفلا أدعوهم إلى ما هو خير لهم...	السدي	٣٨ - ص/٦
يا عم إني أريدهم على كلمة واحدة...	ابن عباس	٣٨ - ص/٦
يا عمّ قل لا إله إلا اللّٰه...	المسيب بن حزن	٢٨ - القصص/٥٦
يا عمّاه : قل لا إله إلا اللّٰه...	أبو هريرة	٢٨ - القصص/٥٦
يا عمر تعال فاسمع ما قد أنزل اللّٰه...	جابر بن عبد اللّٰه	٥٦ - الواقعة/١٣
يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب ؟...	عمرو بن العاص	٤ - النساء/٢٩
ياعويش ، قولي : اللّٰهم رب النبي محمد اغفر ذنبي	عائشة	٩ - التوبة/١٤
يا غلام إني معلمك كلمات...	عبد اللّٰه بن عباس	٦٥ - الطلاق/٣
يا فاطمة بنة محمد ، يا صفية...	عائشة	٢٦ - الشعراء/٢١٤
يا فتى لقد شققت علي	عبد اللّٰه بن أبي الحمساء	١٩ - مريم/٥٤
يا فلان أما علمت أن اللّٰه حرمها	ابن عباس	٥ - المائدة/٩١
يا فلان قل لا إله إلا اللّٰه...	أنس	٣ - آل عمران/٢٠
يا فلان ما منعك أن تصلي مع القوم...	عمران بن حصين	٤ - النساء/٤٣
يا فلان ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك...	أنس	١١٢ - الإخلاص/فضائلها
يا قوم كتب عليكم الحج...	ابن عباس	٥ - المائدة/١٠١
يا قوم ناركم هذه التي توقدون جزء من	قتادة	٥٦ - الواقعة/٧١
يا كيسان إنها قد حرمت بعدك...	كيسان	٥ - المائدة/٩١
يا ليته مات في غير مولده...	عبد اللّٰه بن عمرو	٣٦ - يس/١٢
يا محمد متى الساعة ؟...	...	٧٢ - الجن/٢٥
يا مرثد : الزاني لا ينكح إلا زانية...	عبد الله بن عمرو	٢٤ - النور/٣
يا معاذ : أتبع السيئة الحسنة تمحها	معاذ	١١ - هود/١١٤
يا معاذ إن المؤمن لدى الحق أسير...	معاذ بن جبل	٨٩ - الفجر/١٤
يا معاذ : إن المؤمن يسأل يوم القيامة...	معاذ بن جبل	٢٩ - العنكبوت/١٣
يا معاذ إن المرء يسأل يوم القيامة...	معاذ بن جبل	١٥ - الحجر/٩٢
يا معاذ، قلت : لبيك يا رسول اللّٰه...	معاذ بن جبل	٢٤ - النور/٥٥
يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضُلالًا ؟...	...	٨ - الأنفال/٦٣
يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضُلالًا ؟...	...	٤٩ - الحجرات/١٧

يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضُلالاً فهداكم اللّه بي	...	٣ - آل عمران/١٠٣
يا معشر الأنصار ألم تكونوا أذلة فأعزكم اللّه بي	ابن عباس	٤٢ - الشورى/٢٣
يا معشر الأنصار ألا تسمعون ما يقول...	ابن عباس	٢٤ - النور/٦
يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة...	...	٢ - البقرة/١٨٣
يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة...	ابن مسعود	٢٤ - النور/٣٢
يا معشر قريش أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلًا	...	١١ - هود/٢
يا معشر قريش : أنقذوا أنفسكم من النار...	أبو هريرة	٢٦ - الشعراء/٢١٤
يا معشر قريش إنه ليس أحد يعبد...	ابن عباس	٤٣ - الزخرف/٥٨
يا معشر المسلمين إياكم والزنا	حذيفة	٥ - المائدة/٧٩
يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب...	ابن عباس	٢ - البقرة/٧٩
يا معشر من آمن بلسانه...	أبو بردة البلوي	٤٩ - الحجرات/١٢
يا معشر من آمن بلسانه ولم يفض الإيمان	ابن عمر	٤٩ - الحجرات/١٢
يا معشر من آمن بلسانه لا تغتابوا	البراء بن عازب	٤٩ - الحجرات/١٢
يا معشر النساء تصدقن	...	٤٢ - الشورى/٤٨
يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار...	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٨٢
يا معشر النساء قصتكن كلها واحدة...	عائشة	٢٤ - النور/٥٨
يا معشر نساء المؤمنات لا تحقرن جارة لجارتها	...	٩٩ - الزلزلة/٨
يا مقلب القلوب ثبت قلبي علي دينك...	أم سلمة	٣ - آل عمران/٨
يا مقلب القلوب ثبت قلبي علي دينك...	عائشة	٣ - آل عمران/٨
يا مقلب القلوب ثبت قلبي علي دينك...	أنس بن مالك	٨ - الأنفال/٢٤
يا مقلب القلوب ثبت قلبي علي دينك...	جابر	٨ - الأنفال/٢٤
يا مقلب القلوب ثبت قلبي علي دينك...	بلال	٨ - الأنفال/٢٤
يا مقلب القلوب ثبت قلبي علي دينك...	عائشة	٨ - الأنفال/٢٤
يا ملك الموت : ارفق بصاحبي	جعفر بن محمد عن أبيه	٣٢ - السجدة/١١
يا موسى قد واللّه استحييت من ربي عز وجل...	أنس	١٧ - الإسراء/١
يا نبي اللّه إذا رأيتك قرّت عيني وطابت نفسي	أبوهريرة	٢١ - الأنبياء/ ٣٠
يا نبي اللّه إنه قد كَبُر على أصحابك هذه الآية...	ابن عباس عن عمر	٩ - التوبة/٣٥

يا نبي الله : ما لي أسمع الرجال يذكرون	أم سلمة	٣٣ - الأحزاب/٣٥
يا ويح قريش قد أكلتهم الحرب...	المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم	٤٨ - الفتح/٢٦
يا يهودي من كلٍ يخلق ، من نطفة الرجل...	عبد الله بن مسعود	٢٣ - المؤمنون/١٤
يأبى الله عليك ذلك وأبناء قيلة...	...	١٣ - الرعد/١٣
يأتي الشيطان أحدكم فيقول...	...	٥٣ - النجم/٤٢
يأتي على الناس زمان يأكلون فيه الربا	أبو هريرة	٢ - البقرة/٢٧٥
يأتي من أفناء الناس ونوازع القبائل قوم...	أبو مالك الأشعري	١٠ - يونس/٦٢
يأخذ الله تبارك وتعالى سماواته وأراضيه...	عبد الله بن عمر	٣٩ - الزمر/٦٧
يأكل أهل الجنة ويشربون	جابر بن عبد الله	١٣ - الرعد/٣٥
يأكل التراب كل شيء من الإنسان	أبو سعيد	٨٠ - عبس/٢٢
يبتلى الرجل على قدر دينه...	...	٢١ - الأنبياء/٧٣
يبدل الله الأرض غير الأرض...	أبو هريرة	١٤ - إبراهيم/٤٨
يبعث أهل الجنة على صورة آدم...	أنس بن مالك	٥٦ - الواقعة/٣٨
يبعث كل عبد على ما مات عليه	جابر	٧ - الأعراف/٣٠
يبعث كل عبد في القبر على ما مات...	جابر	١٤ - إبراهيم/٢٧
يبعث الناس حفاة عراة...	سودة زوج النبي ﷺ	٨٠ - عبس/٣٧
يبعث الناس يوم القيامة...	أنس بن مالك	٥٥ - الرحمن/٣٧
يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلًا	عائشة	٨٠ - عبس/٣٧
يبعث الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي على تل...	كعب بن مالك	١٧ - الإسراء/٧٩
يبعث يوم القيامة القوم من قبورهم...	أبو برزة	٤ - النساء/١٠
يبقى رجل في النار ينادي	أنس	١٩ - مريم/١٣
يتبع الميت ثلاثة...	أنس بن مالك	١٠٢ - التكاثر/١
يتبعونه حق اتباعه	ابن عمر	٢ - البقرة/١٢١
يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار...	...	١٣ - الرعد/١١
يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار...	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/٧٨
يتكلم الرجل بتسبيحة...	أبو أيوب	٢٤ - النور/٢٧

﴿يثبت اللّٰه الذين آمنوا بالقول الثابت﴾...	أبو هريرة	١٤ - إبراهيم/٢٧
يجاء بالإمام الجائر الخائن يوم القيامة...	أنس	٣٩ - الزمر/٣١
يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار...	أسامة	٢ - البقرة/٤٤
يجاء بصاحبها يوم القيامة...	عبد اللّٰه بن مسعود	٣ - آل عمران/١٨
يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح...	...	١٧ - الإسراء/٤٩
يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيلهمون ذلك...	أنس	١٧ - الإسراء/٧٩
يجزي العبد بالحسنة ألف ألف حسنة...	أبو هريرة	٤ -النساء/٤٠
يجمع اللّٰه الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم...	ابن مسعود	٢ - البقرة/٢١٠
يجمع الناس في صعيد واحد...	حذيفة	١٧ - الإسراء/٧٩
يجيء المقتول متعلقًا بقاتله يوم القيامة...	عبد اللّٰه بن مسعود	٤ - النساء/٩٣
يجيء ناس يوم القيامة من المسلمين	أبو موسى	٢٣ - المؤمنون/١١
يجيء النبي ﷺ يوم القيامة ومعه رجلان	أبو سعيد الخدري	٢ - البقرة/١٤٣
يحذفون أهل الطريق ويسخرون منهم...	أم هانئ	٢٩ - العنكبوت/٢٩
يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب	...	٤ - النساء/٢٣
يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب...	عائشة	٤ - النساء/٢٣
يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك...	عائشة	٢١ - الأنبياء/٤٧
يحشر اللّٰه عز وجل الناس يوم القيامة...	عبد اللّٰه بن أنيس	١٨ - الكهف/٤٩
يحشر الخلق كلهم يوم القيامة...	أبو هريرة	٦ - الأنعام/٣٨
يحشر المتكبرون يوم القيامة...	عبد اللّٰه بن عمرو	٤٠ - غافر/٦٠
يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر...	عبد اللّٰه بن عمرو	٢ - البقرة/٩١
يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء...	سهل بن سعد	١٤ - إبراهيم/٤٨
يحضر الجمعة ثلاثة نفر...	عبد اللّٰه بن عمرو بن العاص	٦ - الأنعام/١٦٠
يحل لكم ما علمتم من الجوارح	عدي بن حاتم	٥ - المائدة/٤
يحلها ويحل به رجل من قريش...	عبد اللّٰه بن عمر	٢٢ - الحج/٢٥
يحول بين المؤمن وبين الكفر...	ابن عباس	٨ - الأنفال/٢٤
يخرج اللّٰه ناسًا من المؤمنين من النار...	أبو سعيد	١٥ - الحجر/٢
يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين	عبد اللّٰه بن عمرو	٤ - النساء/١٥٩

يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين	عبد اللَّه بن عمرو	٢٧ - النمل/٨٧
يخرج الدجال في أمتي فيمكث فيهم أربعين	عبد اللَّه بن عمرو	٣٩ - الزمر/٦٨
يخرج عنق من النار يتكلم يقول...	أبو سعيد الخدري	٥٠ - ق/٢٦
يخرج قوم من أمتي يسيئون الأعمال...	عبد اللَّه بن عمرو	٢٩ - العنكبوت/٢٦
يخرج لابن آدم يوم القيامة ثلاثة دواوين	أنس	١٤ - إبراهيم/٣٤
يخرج من النار قوم فيدخلون الجنة	جابر بن عبد اللَّه	٥ - المائدة/٣٧
يخرجون من النار بعد ما دخلوا	جابر بن عبد اللَّه	٥ - المائدة/٣٧
يُخَرِّب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة	أبو هريرة	٢ - البقرة/١٢٧
يُخَرِّب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة...	عبد اللَّه بن عمرو	٢ - البقرة/١٢٧
يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة...	أبو سعيد الخدري	١٥ - الحجر/٤٧
يد اللَّه ملأى لا يغيضها نفقة...	...	١١ - هود/٧
يد اللَّه ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار...	...	١٧ - الإسراء/١٠٠
يد المعطي العليا أمك وأباك...	رجل من بني يربوع	١٧ - الإسراء/٢٤
يدخل أهل الجنة الجنة جردًا	أبو هريرة	٥٦ - الواقعة/٣٨
يدخل أهل الجنة الجنة جردًا	معاذ بن جبل	٥٦ - الواقعة/٣٨
يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم...	أنس	٥٦ - الواقعة/٣٨
يدخل الجنة من أمتي زمرة...	أبو هريرة	٣٩ - الزمر/٧٣
يدخل الجنة من أمتي زمرة وهم سبعون ألفًا	أبو هريرة	٣ - آل عمران/١١٠
يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا	أنس	٣ - آل عمران/١١٠
يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب...	عمران بن حصين	٣ - آل عمران/١١٠
يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء...	أبو هريرة	٢٢ - الحج/٤٨
يدخل فيه النور فينفسح...	عبد اللَّه بن مسعود	٦ - الأنعام/١٢٥
يدخل الملك على النطفة بعد ما	حذيفة بن أسيد	٢٢ - الحج/٥
يدخل الملك على النطفة بعد ما	حذيفة بن أسيد	٢٣ - المؤمنون/١٤
يدخل من بايع تحت الشجرة كلهم الجنة إلا	جابر	٤٨ - الفتح/١٠
يدعو اللَّه بصاحب الدين يوم القيامة...	عبد الرحمن بن أبي بكر	٩ - التوبة/٦٠
يُدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه...	أبو هريرة	١٧ - الإسراء/٧١

يدعى نوح يوم القيامة فيقال له...	أبو سعيد	٢ - البقرة/١٤٣
يدنو المؤمن من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه...	ابن عمر	٢ - البقرة/٢٨٤
يدني الله العبد يوم القيامة...	ابن عمر	٦٩ - الحاقة/٢٠
يرحم الله أم إسماعيل ، لو تركت زمزم...	ابن عباس	٢ - البقرة/١٢٧
يرحم الله زكريا وما كان عليه من وراثة ماله...	قتادة	١٩ - مريم/٦
يرحم الله موسى ليس المعاين كالمخبر...	ابن عباس	٧ - الأعراف/١٥١
يرحم الله نساء المهاجرات الأُوَل...	عائشة	٢٤ - النور/٣١
يرحم الله النساء المهاجرات الأُوَل...	عائشة	٢٤ - النور/٣١
يرحمنا الله وأخا عاد...	ابن عباس	٤٦ - الأحقاف/٢١
يرد من صدقة الجانف في حياته...	عائشة	٢ - البقرة/١٨٢
يرد الناس جميعًا الصراط...	ابن مسعود	١٩ - مريم/٧١
يرد الناس كلهم ثم يصدرون عنها بأعمالهم...	ابن مسعود	١٩ - مريم/٧١
يردك عن الناس ما تعرف من نفسك...	أبوذر	٤ - النساء/١٦٤
يرفع إليه عمل الليل قبل النهار...	...	٥٧ - الحديد/٤
يرفع لكل غادر لواء عند استه...	ابن عمر	٨٦ - الطارق/٩
يرفع لكل غادر لواء يوم القيامة...	أنس	١٨ - الكهف/٤٩
يريدون أن يسجنوني أو يقتلوني	المطلب بن أبي وداعة	٨ - الأنفال/٣٠
يريدون أن يسجنوني أو يقتلوني	عبيد بن عمير	٨ - الأنفال/٣٠
يزيدون عشرون ألفًا	أبي بن كعب	٣٧ - الصافات/١٤٧
يستجاب لأحدكم ما لم يعجل...	أبو هريرة	٢ - البقرة/١٨٦
يستظل في ظل الفنن منها مائة راكب...	أسماء بنت أبي بكر	٥٥ - الرحمن/٤٨
يستنزلونهم من حصونهم ، وأمروا بقطع النخل...	ابن عباس	٥٩ - الحشر/٥
يسروا ولا تعسروا	أنس بن مالك	٢ - البقرة/١٨٥
يسمعه كل شيء إلا الثقلين	...	٥٥ - الرحمن/٣١
يسير في ظل الغصن منها - الراكب مائة سنة...	أسماء بنت أبي بكر	١٣ - الرعد/٢٩
يسير - في ظل الفنن منها - الراكب مائة سنة...	أسماء بنت أبي بكر	٥٥ - الرحمن/٤٨
يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته	أبو الدرداء	٤٧ - محمد/٤

يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة...	أنس	٥٩ - الحشر/٩
يظهر لهم الرب عز وجل في كل جمعة...	أنس بن مالك	٥٠ - ق/٣٥
يعجب الرب تبارك وتعالى من عبده...	علي	٤٣ - الزخرف/١٤
يعرض الناس يوم القيامة...	أبو موسى	٦٩ - الحاقة/١٧
يعرض الناس يوم القيامة...	أبو هريرة	٦٩ - الحاقة/١٧
يعرض الناس يوم القيامة...	عبد اللّه بن مسعود	٦٩ - الحاقة/١٧
يعرفني اللّه تعالى نفسه يوم القيامة...	أبي بن كعب	٥٠ - ق/٣٠
يعطى الشهيد ست خصال...	قيس الجذامي	٤٧ - محمد/٤
يعطى المؤمن جوازًا على الصراط...	سلمان الفارسي	٦٩ - الحاقة/٢٣
يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا	أنس	٥٦ - الواقعة/٣٥
يعظم أهل النار في النار...	ابن عمر	٤ - النساء/٥٦
يعلم أن اللّه معه حيث كان	رجل	٥٧ - الحديد/٦
يغزو هذا البيت جيش...	...	٢٢ - الحج/٢٥
يغفر ذنبًا ويكشف كربًا	...	٥٥ - الرحمن/٢٩
يغفر للشهيد كل شيء إلا الدين	أبو قتادة	٤٧ - محمد/٤
يفتح الذكر في ثلاث ساعات يبقين من الليل...	أبو الدرداء	١٣ - الرعد/٣٩
يفعل ذلك النصارى ، ولكن صوموا كما أمركم اللّه...	بشير بن الخصاصية	٢ - البقر/١٨٧
يفلق هاما	...	٨ - الأنفال/١٢
يقال لأهل الجنة إن لكم أن تصحوا	أبو سعيد وأبو هريرة	٤٤ -الدخان/٥٦
يقال لجهنم : هل امتلأت ؟...	أبو هريرة	٥٠ - ق/٣٠
يقال لقارئ القرآن اقرأ ... وارق ورتل...	عبد اللّه بن عمرو	٧٣ - المزمل/٤
يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة...	أنس بن مالك	٣ - آل عمران/٩١
يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة...	أنس بن مالك	٧ - الأعراف/١٧٢
يقال : يا أهل الجنة إن لكم...	...	١٥ - الحجر/٤٨
يقبض اللّه الأرض ويطوي السماء بيمينه...	أبو هريرة	١ - الفاتحة/٤
يقبض اللّه تعالى الأرض ويطوي السماء...	أبو هريرة	٣٩ - الزمر/٦٧
يقتل ابن مريم الدجال	مجمع بن جارية	٤ - النساء/١٥٩

يقتل ابن مريم المسيح الدجال...	مجمع بن جارية	٤ - النساء/١٥٩
يقرّب إليه فتكرهه...	أبو أمامة	١٨ - الكهف/٢٩
يقرب إليه فيتكرهه ، فإذا أدنى منه...	أبو أمامة	١٤ - إبراهيم/١٦
يقرب - يعني إلى أهل النار - ماء...	أبو أمامة الباهلي	٣٧ - الصافات/٦٧
يقضى اللّه في ذلك...	جابر	٤ -النساء/١١
يقطع الصلاة الحمار والمرأة والكلب الأسود	أبو ذر	٥ - المائدة/٤
يقطع الصلاة المرأة...	أبو ذر	١ - الفاتحة/الاستعاذة
يقول ابن آدم : مالي مالي	...	٢ - البقرة/٢١٢
يقول ابن آدم مالي مالي	...	٦ - الأنعام/٩٢
يقول ابن آدم مالي مالي	عبد اللّه بن الشخير	٥٧ - الحديد/٧
يقول أحدكم : قد طلقت قد راجعت ليس هذا طلاق...	أبو موسى	٢ - البقرة/٢٣١
يقول اللّه : أنا عند ظن عبدي بي	أبو هريرة	٣ - آل عمران/١٠٢
يقول اللّه : إني خلقت عبادي حنفاء...	عياض بن حمار	٧ - الأعراف/١٧٢
يقول اللّه تبارك وتعالى : مَنْ عادى لي وليًا	أبو هريرة	٤٠ - غافر/٥١
يقول اللّه تعالى : ابن آدم ، اذكرني إذا غضبت...	وهيب بن الورد	٢٢ - الحج/٧٨
يقول اللّه تعالى : ابن آدم ، أنى تعجزني	بشر بن جحاش	١٦ - النحل/٢
يقول اللّه تعالى : إذا همّ عبدي بحسنة...	أبو هريرة	١٢ - يوسف/٢٤
يقول اللّه تعالى : استقرضت عبدي	أبو هريرة	٤٥ -الجاثية/٢٤
يقول اللّه تعالى : أعددت لعبادي	أبو هريرة	٣٢ - السجدة/١٧
يقول اللّه تعالى : إن كل مال منحته عبادي فهو لهم حلال...	عياض بن حمار	٢ - البقرة/١٦٨
يقول اللّه تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك...	أبو هريرة	١٢ - يوسف/١٠٦
يقول اللّه تعالى : أنا عند ظن عبدي بي	أنس	٢ - البقرة/١٨٦
يقول اللّه تعالى : إني خلقت عبادي حنفاء...	عياض بن حمار	٧ - الأعراف/٣٠
يقول اللّه تعالى : إني خلقت عبادي حنفاء...	...	٧ - الأعراف/١٠٢
يقول اللّه تعالى : إني خلقت عبادي حنفاء...	عياض بن حمار	١١ - هود/١٧
يقول اللّه تعالى : إني مبتليك...	عياض بن حمار	٢٥ - الفرقان/٢٠

يقول اللّه تعالى : إني مبتليك ومبتلٍ بك...	عياض بن حمار	٢٩ - العنكبوت/٤٨
يقول اللّه تعالى : العظمة إزاري	...	٤٥ - الجاثية/٣٧
يقول اللّه تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي	أبو هريرة	١ - الفاتحة/٥
يقول اللّه تعالى : كذبني ابن آدم...	...	١٩ - مريم/٦٧
يقول اللّه تعالى : كذبني ابن آدم...	أبو هريرة	٣٠ - الروم/٢٧
يقول اللّه تعالى : كذبني ابن آدم وما ينبغي له...	أبو هريرة	٢ - البقرة/١١٦
يقول اللّه تعالى : للعلماء...	ثعلبة بن الحكم	٢٠ - طه/٣
يقول اللّه تعالى لملك الموت : انطلق...	تميم الداري	٥٦ - الواقعة/٨٨
يقول اللّه تعالى : من ذكرني في نفسه...	...	٢ - البقرة/١٥٢
يقول اللّه تعالى : يا ابن آدم إنك ما دعوتني	أبو ذر	٦ - الأنعام / ١٥١
يقول اللّه تعالى : يا ابن آدم تفرّغ لعبادتي	أبو هريرة	٢٠ - طه/١٣٢
يقول اللّه تعالى : يا ابن آدم ثنتان لم يكن لك واحدة منهما	عبد اللّه بن مسعود	٢ - البقرة/١٨٠
يقول اللّه تعالى : يا ابن آدم قد أنعمت عليك...	مكحول	٩٠ - البلد/٩
يقول اللّه تعالى : يا ابن آدم ، واحدة لك وواحدة لي	أنس	٢ - البقرة/١٨٦
يقول اللّه تعالى : يا أهل الجنة...	...	٢٠ - طه/١٣٠
يقول اللّه تعالى : يا عبادي لو أنَّ أولكم...	...	٢٧ - النمل/٤٠
يقول اللّه تعالى : يؤذيني ابن آدم...	أبو هريرة	٤٥ - الجاثية/٢٤
يقول اللّه تعالى : يؤذيني ابن آدم...	...	٥٠ - ق/١٥
يقول اللّه تعالى يوم القيامة للعلماء...	ثعلبة بن الحكم	٣٥ - فاطر/٣٢
يقول اللّه تعالى يوم القيامة : يا آدم...	أبو سعيد	٢٢ - الحج/١
يقول اللّه تعالى يوم القيامة : يا ابن آدم ما غرّك بي ؟	...	٨٢ - الانفطار/٦
يقول اللّه عز وجل : إني خلقت عبادي حنفاء...	عياض بن حمار	١٧ - الإسراء/٦٤
يقول اللّه عز وجل : إني خلقت عبادي حنفاء...	عياض بن حمار المجاشعي	٩١ - الشمس/٧
يقول اللّه عزوجل - قال : عفان يوم القيامة - : يا ابن آدم حملتك على الخيل...	أبو هريرة	١٠٢ - التكاثر/٨
يقول اللّه عز وجل لملك الموت : انطلق إلى وليي	تميم الدراي	١٤ - إبراهيم/٢٧

يقول اللّٰه عز وجل : من عمل حسنة...	أبو ذر	٦ - الأنعام/١٦٠
يقول اللّٰه عز وجل : وعزتي وجلالي		
لا يجاوزني اليوم ظلم ظالم...	...	٢٠ - طه/١١١
يقول اللّٰه عز وجل :		
يا ابن آدم حملتك على الخيل والإبل...	أبو هريرة	١٠٢ - التكاثر/٨
يقول اللّٰه عز وجل : يؤذيني ابن آدم...	أبو هريرة	٣٣ - الأحزاب/٥٧
يقول اللّٰه : وعزتي وجلالي إني لأهمّ بأهل الأرض...	أنس	٩ - التوبة/١٨
يقول اللّٰه يوم القيامة : أنا خير شريك...	أبو هريرة	١٨ - الكهف/١١٠
يقول تعالى :		
أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان	...	٢٠ - طه/١٠٩
يقول تعالى : من عادى لي وليًا فقد بارزني بالحرب...	أبو هريرة	١٦ - النحل/٧٧
يقول العبد مالي مالي	أبو هريرة	١٠٢ - التكاثر/١
يقول لك محمد رسول اللّٰه أسلفني دقيقًا	أبو رافع	١٥ - الحجر/٨٧
يكشف ربنا عن ساقه...	أبو سعيد الخدري	٦٨ - القلم/٤٢
يكفيك آية الصيف...	عمر	٤ - النساء/١٧٦
يكفيك آية الصيف...	البراء بن عازب	٤ - النساء/١٧٦
يكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء...	عمر بن الخطاب	٤ - النساء/١٧٦
يكون خلف بعد ستين سنة		
أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات...	أبو سعيد الخدري	١٩ - مريم/٥٩
يكون قوم يعتدون في الدعاء والطهور	عبد اللّٰه بن مغفل	٧ - الأعراف/٥٥
يكون للمسلمين ثلاثة أمصار...	عثمان بن أبي العاص	٤ - النساء/١٥٩
يكون النسم طيرًا يعلق بالشجر...	أم هانئ	٥٦ - الواقعة/٨٩
يلجم الكافر العرق...	علي	٨٠ - عبس/٤١
يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة...	أبو هريرة	٢٦ - الشعراء/٨٧
يلقى إبراهيم أباه فيقول...	أبو هريرة	٢٦ - الشعراء/٨٧
يلقى إبراهيم يوم القيامة أباه	أبو هريرة	٢٦ - الشعراء/٨٧
يلقي في النار وتقول : هل من مزيد...	أنس بن مالك	٥٠ - ق/٣٠

يلقى عيسى حجته...	أبو هريرة	٥ - المائدة/١١٦
يمثل له عمله في صورة حسنة...	ابن جريج	١٠ - يونس/٩
يمثل له عمله في صورة حسنة...	قتادة	١٠ - يونس/٩
يمجد الرب نفسه ، أنا الجبار...	ابن عمر	٣٩ - الزمر/٦٧
يمحو من الرزق ويزيد فيه...	جابر بن عبد اللّٰه بن رئاب	١٣ - الرعد/٣٩
ينادي مناد بين يدي الساعة...	ابن عباس	٤٠ - المؤمن/١٧
ينزل اللّٰه تبارك وتعالى في كل ليلة إلى السماء الدنيا	...	٣ - آل عمران/١٧
ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الخنزير...	أبو هريرة	٤ - النساء/١٥٩
ينشئ اللّٰه عز وجل سحابة لأهل النار...	يعلى بن منبه	٤٠ - المؤمن/٧١
ينصب الكافر مقدار خمسين ألف سنة...	أبو سعيد الخدري	١٨ - الكهف/٥٣
ينصب لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة...	...	٦ - الأنعام/١٢٤
ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة...	ابن عمر	١٦ - النحل/٢٧
يهديكم ويصلح بالكم	...	٤٧ - محمد/٢
يهرم ابن آدم ويبقى منه اثنتان	أنس	١٠٢ - التكاثر/١
اليهود...	أبو ذر	١ - الفاتحة/٧
يهيج الدخان بالناس...	أبو سعيد الخدري	٤٤ - الدخان/١٠
يؤتى بأربعة يوم القيامة...	أنس	١٧ - الإسراء/١٥
يؤتى بأنعم أهل الدنيا فيغمس في النار غمسة...	...	١٠ - يونس/٢٤
يؤتى بجهنم تقاد يوم القيامة بسبعين ألف زمام...	ابن مسعود	١٨ - الكهف/١٠٠
يؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام...	عبد اللّٰه بن مسعود	٨٩ - الفجر/٢٣
يؤتى بحسنات العبد وسيئاته...	ابن عباس	٣٢ - السجدة/١٧
يؤتى بحسنات العبد وسيئاته...	ابن عباس	٤٦ - الأحقاف/١٦
يؤتى بالرجل الأكول الشروب...	أبو هريرة	١٨ - الكهف/١٠٥
يؤتى بالرجل من أهل الجنة فيقول له : يا ابن آدم...	أنس	٣ - آل عمران/٩١
يؤتى بالرجل من أهل النار...	أنس بن مالك	٥ - المائدة/٣٦
يؤتى بالقرآن يوم القيامة...	النواس بن سمعان	٢ - البقرة/المقدمة
يؤتى بالموت في صورة كبش...	...	٤٤ - الدخان/٥٦

يؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيذبح...	...	١١ - هود/١٠٨
يؤتى يوم القيامة بالرجل السمين	...	٧ - الأعراف/٩
يؤتى يوم القيامة بالممسوخ عقلًا وبالهالك...	معاذ بن جبل	١٧ - الإسراء/١٥
يؤذيك هوام رأسك ؟ قلت : نعم...	كعب بن عجرة	٢ - البقرة/١٩٦
يوسف نبي الله...	...	١٩ - مريم/٤٩
يوشك أن تعلموا خياركم من شراركم...	أبو زهير الثقفي	٢ - البقرة/١٤٣
يوشك أن يأتي قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم...	أبو سعيد الخدري	٥٧ - الحديد/١٠
يوشك أن يرفع العلم	جبير بن نفير	٥ - المائدة/٦٦
يوشك أن يكون خير مال الرجل غنم...	أبو سعيد الخدري	٩ - التوبة/١١٢
يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم...	أبو هريرة	٤ - النساء/١٥٩
يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا	عقبة بن عامر	٢ - البقرة/٢٠٣
يوم الفرقان : يوم بدر...	ابن عباس	٨ - الأنفال/٤١
يوم كان النبي ﷺ وأصحابه بعسفان	...	٤ - النساء/١٠١
اليوم الموعود يوم القيامة...	أبو مالك الأشعري	٨٥ - البروج/٢
﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ حتى يغيب أحدهم في رشحه...	ابن عمر	٨٣ - المطففين/٦
﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ لعظمة الرحمن عز وجل...	ابن عمر	٨٣ - المطففين/٦
﴿يوم يكشف عن ساق﴾ يعني عن نور عظيم...	أبو موسى	٦٨ - القلم/٤٢

بحمد الله وتوفيقه انتهى فهرست

أحاديث وآثار تفسير ابن كثير وبه تم الكتاب

نسأل الله العلي القدير أن ينفع به كل من قرأه أو طالعه ، وأن يجعله في حسنات مؤلفه ، وأن يجزي خيرًا كل من ساهم في نشره إنه على ذلك قدير

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر هاتف: ٤٣٠٧٥٢٦-٢٠٥٥٦٨٨ القاهرة